رُوحُ البَيَانِ

في تفسير القرآن

تأليف

الإمام الشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى

الحنفي الخلوتي البروسوي

المتوفى سنة ١١٢٧ هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته

عبد اللطيف حسن عبد الرحمن

روح البيان

في تفسير القرآن

تأليف

الإمام الشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى

الحنفي الخلوتي البروسوي

المتوفى ١١٢٧ هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته

عبد اللطيف حسن عبد الرحمن

الجزء الأول

المحتوى:

من أول سورة الفاتحة - إلى آخر سورة البقرة

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

فهرس السور والآيات

سورة الفاتحة

سورة البقرة

فهرس السور والآيات

سورة النساء

سورة المائدة

فهرس السور والآيات

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

فهرس السور والآيات

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة إبراهيم

فهرس السور والآيات

سورة الإسراء

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء

فهرس السور والآيات

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

فهرس السور والآيات

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة يس

سورة الصافات

فهرس السور والآيات

سورة المؤمن

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الجاثية

سورة الأحقاف

سورة محمد

فهرس السور والآيات

سورة الذاريات

سورة الطور

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمن

سورة الواقعة

سورة الحديد

سورة المجادلة

سورة الحشر

سورة الممتحنة

سورة الصف

سورة الجمعة

سورة المنافقون

فهرس السور والآيات

سورة الحاقة

سورة المعارج

سورة نوح

سورة الجن

سورة المزمل

سورة المدثر

سورة القيامة

سورة الإنسان

سورة المرسلات

سورة النبأ

سورة النازعات

سورة عبس

سورة التكوير

سورة الانفطار

سورة المطففين

سورة الانشقاق

سورة البروج

سورة الطارق

سورة الأعلى

سورة الغاشية

سورة الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المصنف[1]

هو إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي الخَلْوَتي، المولى أبو الفداء: متصوف مفسر، تركي مستعرب، ولد في آيدوس (Aïdos) وسكن القسطنطينية، وانتقل إلى بروسة، وكان من أتباع الطريقة «الخلوتية» فنفي إلى تكفور طاغ، وأوذي، وعاد إلى بروسة فمات فيها سنة ١١٢٧هـ (١٧١٥م).

له كتب عربية وتركية. فمن العربية «روح البيان في تفسير القرآن ـ ط» أربعة أجزاء، يعرف بتفسير حقي، وهو الكتاب الذي بين أيدينا. و «الرسالة الخليلية ـ ط» تصوف، و «الأربعون حديثاً ـ ط» قلت: واقتنيت نسخة من كتاب له، سماه، هو أو ناسخه «الفروقات ـ خ» في مجلد، ابتدأه بالكلام على قواعد الكتابة العربية، ثم جعله معجماً مرتباً على الحروف، في موضوعات مختلفة، وأتى بعده بباب عنوانه «الفوائد» وختمه بباب في «الفروق من فنون شتى». انتهى.

وفي معجم المطبوعات العربية والمعربة (ص ٤٤١) ليوسف اليان سركيس: «قال في حقه معلم ناجي صاحب كتاب «أسامي» باللغة التركية المطبوع بالآستانة سنة ١٣٠٨: هو من المشايخ الكرام أصحاب طريق الخلوتية ولد في آيدوس وجاء القسطنطينية ثم انتقل إلى بروسة وهناك فيما كان يبحث عن مسائل غامضة تتعلق بالتصوف أوشى به بعض العلماء فنُفي إلى تكفور طاغ وذاق هناك أذية من بعض جهلاء الأهالي ثم عاد إلى بروسة فلقي حتفه بها سنة ١١٢٧ وله من التآليف روح البيان باللغة العربية وبالتركية روح المثنوي ومحمديه شرحي وغير ذلك ومن مؤلفاته العربية المطبوعة:

١ - «**الأربعون حديثاً**» مع شرحها للمنلا علي الحافظ القسطموني - آستانة ١٢٥٤ (ذكره صاحب اكتفا القنوع ولم أتحققه).

---

(١) انظر الأعلام للزركلي (١/ ٣١٣).

٢ - «**كتاب الخطاب**» (تصوف) آستانة ١٢٥٦ ص ٣٥٤.

٣ - «**الرسالة الخليلية**» (في التصوف) آستانة ١٢٥٦.

٤ - «**روح البيان في تفسير القرآن**» أو تفسير القرآن المسمى بروح البيان. فرغ من تأليفه سنة ١١١٧ أوله: الحمد لله الذي أظهر من نسخة حقائقه الذاتية الكمالية نقوش العوالم والأعلام. وذكر أنه لما أشار إليه شيخه ابن عنان نزيل قسطنطينية بالنقل إلى مدينة بروسة سنة ١٠٦٦ ولم يجد بداً من الوعظ والتذكير في الجامع الكبير. وكان معه ببعض ديار الروم بعض صحائف ملتقطة من صفحات التفاسير لكنها مع الإطناب الواقع فيها كانت متفرقة كأيدي سبا فلخصها وضم إليها نبذاً مما سنح له من المعارف ـ جزء ٤ بولاق ١٢٥٥ وجزء ٣ بولاق ١٢٦٤ و١٢٧٦ وجزء ٦ بولاق ١٢٨٧ ـ آستانة جزء ٤ سنة ١٣٠٦ عدد صفحاته ٣٤٠٠» اهـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أظهر من نسخة حقائقه الذاتية الكمالية نقوش العوالم والأعلام، وأخرج من نون الجمع الذاتي أنواع الحروف والكلمات والكلام، أنزل من مقام الجمع والتنزيه قرآناً عربياً من غير ذي عوج، وجعله معجزة باقية على وجه كل زمان ساطعة البراهين والحجج، والصلاة والسلام على من هو فاتح باب الحضرة في العلم والعين واليقين، سيدنا محمد الذي كان نبينا وآدم بين الماء والطين، وعلى آله وأصحابه المتخلقين بخلق القرآن، ومن تبعهم بإحسان إلى آخر الزمان وبعد: فيقول العبد الفقير سمي الذبيح الشيخ إسماعيل حقي الناصح المهاجر، كلأه الله من فتن الغدايا والعشايا والهواجر: لما أشار إلى شيخي الإمام العلامة، وأستاذي الجهبذ الفهامة، سلطان وقته ونادرة زمانه، حجة الله على الخلق بعلمه وعرفانه، مطلع أنواع العناية والتوفيق، وارث أسرار الخليفي على التحقيق، المشهود له بسر التجديد في رأس العقد الثاني من الألف الثاني، معدن الإلهام الرباني السيد الثاني، الشيخ الحسيب النسيب سمي ابن عفان نزيل قسطنطينية، أمده الله وأمدنا به في السر والعلانية، بالنقل إلى برج الأولياء مدينة بروسا، صينت عن تطاول يد الضراء والبوسي، في العشر السادس من العشر العاشر من العقد الأول من الألف الثاني، ولم أجد بداً من الوعظ والتذكير، في الجامع الكبير والمعبد المنير الشهير، وقد كان مني حين انتواء الإقامة ببعض ديار الروم، بعض صحائف ملتقطة من صفحات التفاسير وأدوات العلوم، مشتملة على ما يزيد على آل عمران، من سور القرآن، لكنها مع الإطناب الواقع فيها كانت متفرقة كأيادي سبا، جزء منها حوته الدبور وجزء منها حوته الصبا، أردت أن ألخص ما فرط من الالتقاط، وأخلص الأوراق المتفرقة من مسامحات الألفاظ والحروف والنقاط، وأضم إليها نبذاً مما سنح لي من المعارف، وأجعله في سمط ما أنظمه من اللطائف، وأسرد بأنملة البراعة، وإن كنت قليل البضاعة قصير الباعة، ما يليه إلى آخر النظم الكريم، إن أمهلني الله العظيم إلى قضاء هذا الوطر الجسيم، وأبيض للناس قدر ما حررته بين الأسابيع والشهور، وأفرزته بالتسديد أثناء السطور، ليكون ذخراً للآخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون، وشفيعاً لي حين لا يجدي نفعاً غير الصاد والنون، وأسأل الله تعالى أن يجعله من صالحات الأعمال وخالصات الآثار، وباقيات الحسنات إلى آخر الأعمار، فإنه إذا أراد بعبد خيراً حسن عمله في الناس، وأهله لخيرات هي بمنزلة العين من الرأس، وهو الفياض.

﴿أعوذ بالله من الشيطان الرجيم﴾اعلم أن الحكمة في التعوذ الاستئذان وقرع الباب لأن من أتى باب ملك من الملوك لا يدخل إلا بإذنه كذلك من أراد قراءة القرآن إنما يريد الدخول في المناجاة مع الحبيب فيحتاج إلى طهارة اللسان لأنه قد تنجس بفضول الكلام والبهتان فيطهره بالتعوذ، قال أهل المعرفة: هذه الكلمة وسيلة المتقربين واعتصام الخائفين وعتبى المجرمين

ورجعى الهالكين ومباسطة المحبين وهو امتثال قول رب العالمين في سورة النحل ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨] فالاستعاذة مقدمة على القراءة عند عامة المسلمين وقولهم: الجزاء متأخر عن الشرط فيلزم أن يؤخر الاستعاذة قلنا: المعنى إذا أردت القراءة وهو تأمل شائع جار مجرى الحقيقة العرفية ثم المختار قول الجمهور وهو: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو أثبت رواية وفي الحديث: «هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ» وإن كان أستعيذ بالله أوفق دراية لمطابقته المأمور به في قوله: فاستعذ وأول ما نزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الاستعاذة والبسملة وقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] أعوذ بمعنى ألتجىء «پناه ميخواهم» أو أستعصم «نكاه داشت ميخواهم» أو أستجير «أمان ميخواهم» أو أستعين «يارى ميخواهم» أو أستغيث «فرياد ومدد ميخواهم» والعوذ والعياذ مصدران كاللوذ واللياذ والصوم والصيام وقول القائل: أعوذ إخبار عن فعله وهو في التقدير سؤال الله عز وجل من فضله أي: أعذني يا رب وفي العدول إلى لفظ الخبر فائدة التفاؤل بالوقوع كأنه وقع الإعاذة فيخبر عن مطاوعه، وسره ما في «التفسير الكبير» أن بين الرب وعبده عهداً قال الله: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] فكأنه يقول: أنا مع نقص البشرية وفيت بعهد عبوديتي وقلت: أعوذ بالله؛ أو أستغفر الله فأنت مع كمال الكرم والفضل أولى أن تفي بعهد الربوبية وتعيذني ﴿بالله﴾ مذهب أهل الحقائق فيه عدم الاشتقاق لأنه لا سبيل إلى كنه معرفته ولذا قال السعد التفتازاني في «حواشي الكشاف»: اعلم أنه كما تحيرت الأوهام في ذاته وصفاته فكذا في اللفظ الدال عليه من أنه اسم أو صفة مشتق أو غير مشتق علم أو غير علم إلى غير ذلك: قال مولانا جلال الدين قدس سره:

در تصور ذات أورا كَنج كَو تا در آيد در تصور مثل أو

واعلم أن كلمات الاستعاذة ثلاث: صفاتية وأفعالية وذاتية كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك» فاختير اسم الجلالة الجامع لتتناول عبارة الاستعاذة أنواع الاستعاذة، قال في «التفسير الكبير»: الشرور إما من الاعتقاديات ويدخل فيها جميع المذاهب الباطلة وعقائد فرق الضلال الاثنتين والسبعين فرقة، وإما من الأعمال البدنية، فمنها ما يضر في الدين وهو منهيات التكاليف وضبطها كالمتعذر ومنها ما ضرره لا في الدين كالأمراض والآلام والحرق والغرق والفقر والعمى والزمانة وغيرها من البلايا والنوازل ويقرب أن لا يتناهى فأعوذ بالله يتناول الاستعاذة من كلها، فعلى العاقل إذا أراد الاستعاذة أن يستحضر هذه الأجناس الثلاثة وأنواعها المتناولة فإذا عرف عدم تناهيها عرف أن قدرة الخلق لا تفي بدفعها فحمله عقله: أن يقول أعوذ بالله القادر على كل المقدورات من جميع المخاوف والآفات قيل: كل العلوم في الكتب الأربعة وعلومها في القرآن وعلومه في الفاتحة وعلومها في البسملة وعلومها في الباء، ففي «التفسير الكبير» لأن المقصود من العلوم وصول العبد إلى الرب فباء الإلصاق في (بالله) تلصقه إليه وسيجيء أسرار الباء في البسملة إن شاء الله تعالى. ﴿من الشيطان﴾ أي: المبعد من رحمة الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما عصى لعن وصار شيطاناً فدل على أنه إنما سمي بهذا الاسم بعد لعن الله له وأما قبله فاسمه عزازيل أو نائل وإنما لم يقيد المستعاذ منه بشيء من قبائحه ومضاره كالهمز واللمز واللمس والوسوسة والنزغة وغيرها لتذهب الهمة كل مذهب ليستعاذ من شره عموماً. قال في

«روضة الأخيار» الشياطين ذكور وإناث يتوالدون ولا يموتون بل يخلدون والجن ذكور وإناث يتوالدون ويموتون والملائكة ليسوا بذكور ولا إناث ولا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون فثبت بهذا أن للشيطان والجن حقيقة ووجوداً ولم ينكر الجن إلا شرذمة قليلة من جهال الفلاسفة والأطباء ونحوهم.

حكي أن الإمام الغزالي محيي السنة كان مفتي الثقلين فسألهم يوماً عن الحوادث قالوا: إن الزمخشري صنف كتاباً في التفسير وبلغ إلى النصف فطلب منهم أن يأتوا به فأتوه فكتب جميع ما ألفه ثم وضعوا النسخة في مكانها فلما جاء الزمخشري إليه أراه إياه فتعجب الزمخشري وتحير وقال: إن قلت: هو لي وأنا خبأته وما اطلع عليه أحد غيري فمن أين جاء هذا؟ وإن هو لغيري فالتوارد في اللفظ والمعنى والوضع والترتيب في هذا القدر من الكتاب لا يقبله العقل قال الإمام: هو لك وقد وصل إلينا من أيدي الجن وكان الزمخشري ينكر الجن فاعترف في مجلسه ولا يلزم من هذا علم الجن بالغيب كما لا يخفى قال تعالى: ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤] ثم حقيقتهم عند من لم يقل بالمجردات: هي أجسام هوائية وقيل: نارية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة كصور الحيات والعقارب والكلاب والإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير والطير وبني آدم لها عقول وأفهام تقدر على الأعمال الشاقة كما كانوا يعملون لسليمان عليه السلام المحاريب والتماثيل والجفان والقدور وعند من قال بها مجردات أرضية سفلية وذلك لأن المجردات أعني الموجودات الغير المتحيزة ولا الحالّة في المتحيز إما عالية مقدسة عن تدبير الأجسام وهم الملائكة المقربون ويسميها المشائيون عقولاً والإشراقيون أنواراً عالية قاهرة أو متعلقة بتدبيرها ويسميها المشائيون نفوساً سماوية والإشراقيون أنواراً مدبرة وأشرفها حملة العرش وهم الآن أربعة ويوم القيامة ثمانية ثم الحافّون حوله ثم ملائكة الكرسي ثم ملائكة السماوات طبقة طبقة ثم ملائكة كرة الأثير والهواء الذي في طبع النسيم ثم ملائكة كرة الزمهرير ثم ملائكة البحار ثم الجبال ثم الأرواح السفلية المتصرفة في الأجسام النباتية والحيوانية وهذه قد تكون مشرقة إلهية خيرة وهي المسماة بصالحي الجن وقد تكون كدرة شريرة وهي الشياطين كذا في تفسير الفاتحة للفناري، والظاهر أن المراد بالشيطان إبليس وأعوانه وقيل: عام في كل متمرد عات مضل عن الجادة المستقيمة من جن وإنس كما قال الله تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] ﴿الرجيم﴾ أي: المرمي من السماوات بإلقاء الملائكة حين لعن أو المرمي بشهب السماء إذا قصدها وهذه صفة مذمومة للشيطان وله في القرآن أسماء مشؤومة وصفات مذمومة فأجمع مساويه هو الرجيم لأنه جامع لجميع ما يقع عليه من العقوبات فلذلك خص به الابتداء من بين تلك الأسماء والصفات، يقال: ظهور حقيقة الاستعاذة لا يمكن بمجرد القول بل لا بد من حضور القلب وموافقة القول بالحال والفعل وأن لا يقول لسانك: أعوذ بالله وفعلك وحالك أعوذ بالشيطان وذلك بمشاركة النفس مع الشيطان في ارتكاب المعاصي والطغيان واستعاذة العارف من رؤية غير الله تعالى وحجاب الكثرة فإن الشيطان يهرب من نور العارف.

حكي أن أبا سعيد الخراز قدس سره رأى إبليس في المنام فأراد أن يضربه بالعصا فقال: يا أبا سعيد أنا لا أخاف من العصا وإنما أخاف من شعاع شمس المعرفة إذا طلعت من سماء قلب العارف، قالوا في الاستعاذة من الشيطان إظهار الخوف من غير الله وهو يخل بالعبودية

قلنا: اتخاذ العدو عدواً تحقيق للمحبة والفرار من غير الله إلى الله تتميم للعبودية والامتثال لأمر الله تقديم للطاعة والخوف ممن لا يخاف الله إظهار للمسكنة كما قيل: أخاف من الله أي: من عذابه وغضبه وأخاف ممن يخاف الله أي: من سوء دعائه وأخاف ممن لا يخاف أي: من سوء أفعاله قال المولى جلال الدين قدس سره:

آدمي را دشمن پنهان بسيست آدمىء باحذر عاقل كسيست

وفي «التفسير الكبير» أن أعوذ بالله رجوع من الخلق إلى الخالق ومن الحاجة التامة لنفسه إلى الغنى التام بالحق في تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات ففيه سر ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠] وفيه دلالة أن لا وسيلة إلى القرب من حضرة الرب إلا بالعجز والعجز منتهى المقامات، قال الحسن من استعاذ بالله على وجه الحقيقة ـ وهو ما يكون بحضور القلب ـ جعل الله بينه وبين الشيطان ثلاثمائة حجاب كل حجاب كما بين السماء والأرض وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج النبي عليه الصلاة والسلام ذات يوم من المسجد فإذا هو بإبليس فقال له النبي: «ما الذي جاء بك إلى باب مسجدي؟» قال: يا محمد جاء بي الله قال: «فلم ذا؟» قال: لتسألني عما شئت فقال ابن عباس رضي الله عنهما: فكان أول شيء سأله الصلاة فقال له: «يا ملعون لِمَ تمنع أمتي عن الصلاة بالجماعة؟» قال: يا محمد إذا خرجت أمتك إلى الصلاة تأخذني الحمى الحارة فلا تندفع حتى يتفرقوا» وقال عليه السلام: «لم تمنع أمتي عن العلم والدعاء؟» قال: «عند دعائهم يأخذني الصمم والعمى فلا يندفع حتى يتفرقوا» وقال عليه السلام: «لِمَ تمنع أمتي عن القرآن؟» قال: عند قراءتهم أذوب كالرصاص قال: «لِمَ تمنع أمتي عن الجهاد؟» قال: إذا خرجوا إلى الجهاد يوضع على قدمي قيد حتى يرجعوا وإذا خرجوا إلى الحج أسلسل وأغلل حتى يرجعوا وإذا هموا بالصدقة توضع على رأسي المناشير فتنشرني كما ينشر الخشب، والشيطان مسلط على طبيعة بني آدم بالأكل والشرب فإذا تركهما الإنسان فقد اجتهد في قطع شهوة البطن وشهوة الفرج فلا يكون إذاً مداخلة للشيطان أصلاً، وأما النفس فسبب إصلاحها هو الصلوات الخمس لأن فرضيتها لإصلاح النفس لأن فيها تذللاً بثلاث طبقات: بعقد اليد بين يدي الملك الأعظم وبالركوع له وبالسجود فالنفس تصلح بالخضوع والخشوع والتذلل. قال وهب بن منبه: لما خرج نوح من السفينة جاء إبليس عليه اللعنة فقال نوح: يا عدو الله أي أخلاق بني آدم أعون لك ولجنودك على ضلالتهم وهلاكهم؟ قال إبليس: إذا وجدنا من بني آدم شحيحاً حريصاً حسوداً جباراً عجولاً تلقفناه تلقف الأكرة فإن اجتمعت فيه هذه الأخلاق سميناه شيطاناً مريداً لأن هذه الأخلاق من أخلاق رؤوس الشيطان، وفي الخبر أن إبليس عليه اللعنة يرفع الدنيا كل يوم في يديه فيقول: من يشتري ما يضره ولا ينفعه ويهمه ولا يسره؟ فيقول أصحاب الدنيا: نحن، فيقول: لا تعجلوا فإنها معيوبة فيقولون: لا بأس بها فيقول: ثمنها ليس بدراهم ولا دنانير إنما ثمنها نصيبكم من الجنة وإني اشتريتها بأربعة أشياء: بلعنة الله وغضبه وعذابه وقطيعته وبعت الجنة بها فيقولون: يجوز لنا ذلك فيقول: أريد أن تربحوني على ذلك وهو بأن توطنوا قلوبكم على أن لا تدعوها أبداً فيقولون نعم فيأخذونها فيقول الشيطان: «بئست التجارة» قال الحافظ قدس سره:

مجو درستي عهد از جهان سست نهاد كه اين عجوزه عروس هزار داماداست

قال الشيخ سعدي قدس الله سره:

بر مرد هو شيار دنيا خسست — كه هرمدتي جاي ديكر كسست
منه برجهان دل كه بيكانه ايست — كه مطرب كه هرروزدرخانة ايست
نه لايق بود عشق با دلبري — جوهر بامدادش بود شوهري

وسئل النبي عليه السلام عن وسوسة الشيطان فقال عليه السلام: «السارق لا يدخل بيتاً ليس فيه شيء فذلك من محض الإيمان» وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الفرق بين صلاتنا وصلاة أهل الكتاب وسوسة الشيطان؛ لأنه فرغ من عمل الكفار لأنهم وافقوه والمؤمنون يخالفونه ويحاربونه والمحاربة تكون مع المخالفة حكي أن رجلاً من أهل خراسان خرج نحو العراق وكان يتردد إلى عالم من علمائها حتى علمه أربعة آلاف حديث من الحكمة فلما أراد الانصراف إلى وطنه استأذن من أستاذه فقال له الأستاذ: أعلمك كلمة خير لك من أحاديثك؟ قال: وما هي؟ قال: هل يكون في خراسان إبليس؟ قال: نعم قال: وهل يوسوسكم؟ قال: نعم قال: وما تصنعون في وسوسته؟ قال: نرده قال: إن وسوس ثانياً؟ قال: نرده قال: إذا أذاكم عدو الله وشغلكم عن الطاعة فلا تشتغلوا برد وسوسته ولكن كونوا معه كالغريب مع كلب الراعي واستعيذوا بالله وإنه كلب من الكلاب عصمنا الله وإياكم من كيده وشره.

﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾الأصح المقبول عند متأخري الحنفية أن البسملة آية فذة ليست جزءاً من سورة أنزلت للفصل والتبرك بالابتداء كما بدىء بذكرها في كل أمر ذي بال وهي مفتاح القرآن وأول ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ وأول ما نزل على آدم عليه السلام وحكمة تأخرها عن الاستعاذة تقدم التخلية بالمعجمة على التحلية والإعراض عما سوى الله على الإقبال والتوجه إليه ﴿بسم الله﴾كانت الكفار يبدؤون بأسماء آلهتهم فيقولون: باسم اللات والعزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل فلذلك قدر المحذوف متأخراً أي باسم الله اقرأ أو اتلو أو غير ذلك مما جعلت التسمية مبدأ له، قالوا: وأودع جميع العلوم في الباء أي بي كان ما كان وبي يكون ما يكون فوجود العوالم بي وليس لغيري وجود حقيقي إلا بالاسم والمجاز وهو معنى قولهم: ما نظرت شيئاً إلا ورأيت الله فيه أو قبله ومعنى قوله عليه السلام: «لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله» فإن قلت: ما الحكمة والسر في أن الله تعالى جعل افتتاح كتابه بحرف الباء واختارها على سائر الحروف لا سيما على الألف فإنه أسقط الألف من الاسم وأثبت مكانه الباء في بسم فالجواب: أن الحكمة في افتتاح الله بالباء عشرة معان: أحدها: أن في الألف ترفعاً وتكبراً وتطاولاً وفي الباء انكساراً وتواضعاً وتساقطاً فمن تواضع لله رفعه الله، وثانيها: أن الباء مخصوصة بالإلصاق بخلاف أكثر الحروف خصوصاً الألف من حروف القطع، وثالثها: أن الباء مكسورة أبداً فلما كانت فيها كسرة وانكسار في الصورة والمعنى وجدت شرف العندية من الله تعالى كما قال الله تعالى: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي»، ورابعها: أن في الباء تساقطاً وتكسراً في الظاهر ولكن رفعة درجة وعلو همة في الحقيقة وهي من صفات الصديقين وفي الألف ضدها أما رفعة درجتها فبأنها أعطيت نقطة وليست للألف هذه الدرجة وأما علو الهمة فإنه لما عرضت عليها النقط ما قبلت إلا واحدة ليكون حالها كحال محب لا يقبل إلا محبوباً واحداً، وخامسها: أن في الباء صدقاً في طلب قربة الحق لأنها لما وجدت درجة حصول النقطة وضعتها تحت قدمها وما تفاخرت بها ولا يناقضه الجيم والياء لأن نقطهما في وضع الحروف ليست تحتهما بل

في وسطهما وإنما موضع النقط تحتهما عند اتصالهما بحرف آخر لئلا يشتبها بالخاء والتاء بخلاف الباء فإن نقطتها موضوعة تحتها سواء كانت مفردة أو متصلة بحرف آخر، وسادسها: أن الألف حرف علة بخلاف الباء، وسابعها: أن الباء حرف تام متبوع في المعنى وإن كان تابعاً صورة من حيث أن موضعه بعد الألف في وضع الحروف وذلك لأن الألف في لفظ الباء يتبعه بخلاف لفظ الألف فإن الباء لا يتبعه والمتبوع في المعنى أقوى، وثامنها: أن الباء حرف عامل ومتصرف في غيره فظهر لها من هذا الوجه قدر وقدرة فصلحت للابتداء بخلاف الألف فإنه ليس بعامل، وتاسعها: أن الباء حرف كامل في صفات نفسه بأنه للإلصاق والاستعانة والإضافة مكمل لغيره بأن يخفض الاسم التابع له ويجعله مكسوراً متصفاً بصفات نفسه وله علو وقدرة في تكميل الغير بالتوحيد والإرشاد كما أشار إليه سيدنا علي رضي الله عنه بقوله: [أنا النقطة تحت الباء] فالباء له مرتبة الإرشاد والدلالة على التوحيد، وعاشرها: أن الباء حرف شفوي تنفتح الشفة به ما لا تنفتح بغيره من الحروف الشفوية ولذلك كان أول انفتاح فم الذرة الإنسانية في عهد: ألست بربكم بالباء في جواب بلى فلما كان الباء أول حرف نطق به الإنسان وفتح به فمه وكان مخصوصاً بهذه المعاني اقتضت الحكمة الإلۤهية اختياره من سائر الحروف فاختارها ورفع قدرها وأظهر برهانها وجعلها مفتاح كتابه ومبدأ كلامه وخطابه تعالى وتقدس كذا في «التأويلات النجمية»، واسم الله ما يصح أن يطلق عليه بالنظر إلى ذاته أو باعتبار صفة من صفاته السلبية كالقدوس أو الثبوتية كالعليم أو باعتبار فعل من أفعاله كالخالق ولكنها توقيفية عند بعض العلماء كما في «الشرح المشارق» لابن الملك، ثم المختار أن كلمة الله هو الاسم الأعظم فإن سأل سائل وقال: إن من شرط الاسم الأعظم أنه إن دعى الله به أجاب وإذا سئل به أعطى فنحن ندعو به ونسأل فلم نر الإجابة في أكثر الأوقات، قلنا: إن للدعاء آداباً وشرائط لا يستجاب الدعاء إلا بها كما أن للصلاة كذلك فأول شرائطه إصلاح الباطن باللقمة الحلال وقد قيل: (الدعاء مفتاح السماء وأسنانه لقمة الحلال) وآخر شرائطه الإخلاص وحضور القلب كما قال الله تعالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤] فإن حركة الإنسان باللسان وصياحه من غير حضور القلب ولولة الواقف على الباب وصوت الحارس على السطح أما إذا كان حاضراً فالقلب الحاضر في الحضرة شفيع له، قال الشيخ مؤيد الدين الجندي قدس سره إن للاسم الأعظم الذي اشتهر ذكره وطاب خبره ووجب طيه وحرم نشره من عالم الحقائق والمعاني حقيقة ومعنى ومن عالم الصور والألفاظ صورة ولفظاً أما حقيقته فهي أحدية جمع جميع الحقائق الجمعية الكمالية كلها وأما معناه فهو الإنسان الكامل في كل عصر وهو قطب الأقطاب حامل الأمانة الإلۤهية خليفة الله وأما صورته فهي صورة كامل ذلك العصر وعلمه كان محرماً على سائر الأمم لما لم تكن الحقيقة الإنسانية ظهرت بعد أن أكمل صورته بل كانت في ظهورها بحسب قابلية كامل ذلك العصر فحسب فلما وجد معنى الاسم الأعظم وصورته بوجود الرسول ﷺ أباح الله العلم به كرامة له ﴿الرحمٰن﴾ الرحمة في اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها والمراد بها هاهنا هو التفضل والإحسان أو إرادتهما بطريق إطلاق اسم السبب بالنسبة إلينا على مسببه البعيد أو القريب فإن أسماء الله تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادىء التي هي انفعالات فالمعنى العاطف على خلقه بالرزق لهم ودفع الآفات عنهم لا يزيد في رزق المتقي لقبل تقواه ولا ينقص من رزق الفاجر لقبل فجوره بل

يرزق الكل بما يشاء ﴿الرحيم﴾ المترحم إذا سئل أعطى وإذا لم يُسأل غضب وبني آدم حين يسأل يغضب. واعلم أن الرحمة من صفات الذات وهو إرادته إيصال الخير ودفع الشر والإرادة صفة الذات لأن الله تعالى لو لم يكن موصوفاً بهذه الصفة لما خلق الموجودات فلما خلق الخلق علمنا أن رحمته صفة ذاتية لأن الخلق إيصال خير الوجود إلى المخلوق ودفع شر العدم عنهم فإن الوجود خير كله.

قال الشيخ القيصري: اعلم أن الرحمة صفة من الصفات الإلٰهية وهي حقيقة واحدة لكنها تنقسم بالذاتية والصفاتية أي: تقتضيها أسماء الذات وأسماء الصفات وكل منهما عامة وخاصة فصارت أربعاً ويتفرع منها إلى أن يصير المجموع مائة رحمة وإليها أشار رسول الله ﷺ بقوله: «إن لله مائة رحمة أعطى واحدة منها لأهل الدنيا كلها وادخر تسعاً وتسعين إلى الآخرة يرحم بها عباده» فالرحمة العامة والخاصة الذاتيتان ما جاء في البسملة من الرحمٰن الرحيم والرحمة الرحمانية عامة لشمول الذات جميع الأشياء علماً وعيناً والرحيمية خاصة لأنها تفصيل تلك الرحمة العامة الموجب لتعيين كل من الأعيان بالاستعداد الخاص بالفيض الأقدس والصفاتية ما ذكره في الفاتحة من الرحمٰن الرحيم الأولى عامة الحكم لترتبها على ما أفاض الوجود العام العلمي من الرحمة العامة الذاتية والثانية خاصة وتخصيصها بحسب استعداد الأصلي الذي لكل عين من الأعيان وهما نتيجتان للرحمتين الذاتيتين العامة والخاصة انتهى كلامه. قالوا: لله تعالى ثلاثة آلاف اسم: ألف عرفها الملائكة لا غير، وألف عرفها الأنبياء لا غير، وثلاثمائة في التوراة، وثلاثمائة في الإنجيل، وثلاثمائة في الزبور، وتسعة وتسعون في القرآن، وواحد استأثر الله به، ثم معنى هذه الثلاثة آلاف في هذه الأسماء الثلاثة فمن علمها وقالها فكأنما ذكر الله تعالى بكل أسمائه. وفي الخبر أن النبي عليه السلام قال: «ليلة أسري بي إلى السماء عرض علي جميع الجنان فرأيت فيها أربعة أنهار: نهراً من ماء، ونهراً من لبن، ونهراً من خمر، ونهراً من عسل، فقلت: يا جبريل من أين تجيء هذه الأنهار وإلى أين تذهب؟ قال: تذهب إلى حوض الكوثر ولا أدري من أين تجيء فادع الله تعالى ليعلمك أو يريك فدعا ربه فجاء ملك فسلم على النبي عليه السلام ثم قال: يا محمد غمض عينيك قال: فغمضت عيني ثم قال: افتح عينيك ففتحت فإذا أنا عند شجرة ورأيت قبة من درة بيضاء ولها باب من ذهب أحمر وقفل لو أن جميع ما في الدنيا من الجن والإنس وضعوا على تلك القبة لكانوا مثل طائر جالس على جبل فرأيت هذه الأنهار الأربعة تخرج من تحت هذه القبة فلما أردت أن أرجع قال لي ذلك الملك: لِمَ لا تدخل القبة؟ قلت: كيف أدخل وعلى بابها قفل لا مفتاح له عندي؟ قال: مفتاحه بسم الله الرحمٰن الرحيم فلما دنوت من القفل وقلت: بسم الله الرحمٰن الرحيم انفتح القفل فدخلت في القبة فرأيت هذه الأنهار تجري من أربعة أركان القبة ورأيت مكتوباً على أربعة أركان القبة: بسم الله الرحمٰن الرحيم ورأيت نهر الماء يخرج من ميم بسم الله ورأيت نهر اللبن يخرج من هاء الله ونهر الخمر يخرج من ميم الرحمٰن ونهر العسل من ميم الرحيم فعلمت أن أصل هذه الأنهار الأربعة من البسملة فقال الله عز وجل: يا محمد من ذكرني بهذه الأسماء من أمتك بقلب خالص من رياء وقال بسم الله الرحمٰن الرحيم سقيته من هذه الأنهار» وفي الحديث: «لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمٰن الرحيم» وفي الحديث أيضاً: «من رفع قرطاساً من الأرض مكتوباً عليه بسم الله الرحمٰن الرحيم إجلالاً له ولاسمه عن أن يدنس كان عند الله

من الصديقين وخفف عن والديه وإن كانا مشركين» وذكر الشيخ أحمد البوني في «لطائف الإشارات» أن شجرة الوجود تفرعت عن بسم الله الرحمٰن الرحيم وأن العالم كله قائم بها جملة وتفصيلاً فلذلك من أكثر من ذكرها رزق الهيبة عند العالم العلوي والسفلي. وكتب قيصر ملك الروم إلى عمر رضي الله عنه أن بي صداعاً لا يسكن فابعث إلي دواء إن كان عندك فإن الأطباء عجزوا عن المعالجة فبعث عمر رضي الله عنه قلنسوة فكان إذا وضعها على رأسه سكن صداعه وإذا رفعها عن رأسه عاد صداعه فتعجب منه ففتش عن القلنسوة فإذا فيها كاغد مكتوب عليه: بسم الله الرحمٰن الرحيم، قال الشيخ الأكبر في «الفتوحات»: إذا قرأت فاتحة الكتاب فصل بسملتها معها في نفس واحد من غير قطع وعن محمد المصطفى ﷺ حالفاً عن جبريل عليه السلام حالفاً عن ميكائيل عليه السلام حالفاً عن إسرافيل عليه السلام قال الله تعالى: «يا إسرافيل بعزتي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ بسم الله الرحمٰن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة فاشهدوا على أني قد غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت له عن السيئات ولا أحرق لسانه بالنار وأجيره من عذاب القبر وعذاب النار وعذاب يوم القيامة والفزع الأكبر وتلقاني قبل الأنبياء والأولياء أجمعين».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل القرآن موعظة وشفاء لما في الصدور، وجعله منهلاً عذباً للورود والصدور، أظهره من مقام الجمع والتنزيه والنون فألزمه حجة لأهل الظواهر والبطون، جمع فيه علوم الأولين والآخرين فلا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، والصلاة والسلام على من أوحى إليه ذلك القرآن من لوح الوجوب والأمر والشان سيدنا محمد الذي أجرى من مسجله ما يحاكى السلسبيل والرحيق وأفحم بلاغته كل متكلم منطيق وفسر الآيات في الأنفس والآفاق على مراد الله الملك الخلاق وعلى آله وأصحابه المقتبسين من مشكاة أنواره المغترفين من بحار أسراره، المتفردين في رياض البيان بالخطب العرفانية، المترنمين من مروج العيان بالكلمات الحقانية ومن تبعهم ممن تخلق بالقرآن في كل زمان ما طلع المرزمان (وبعد) فيقول العبد المعترف بذنبه وخطاه المنادي لربه في عفوه وعطاه، الراجي في إسبال سجاف الندى عليه المناجي في إرسال رسول الهدى إليه الشيخ سمى الذبيح إسماعيل حق الجلوتي بالجيم حفظه الله سبحانه وأخلاءه وأعاذه وإياهم من الشيطان الرجيم، وجعل يومه خيراً من أمسه إلى الإياس من حياة نفسه وخلع عليه خلعة الترقي وأسعده بالمقام الحقي: إن علم التفسير لا يقحم في معاركه كل ذمير وإن كان أسداً ولا يحمل لواءه كل أمير وإن مات حسداً، وذلك أظهر من أن يورد عليه دليل كالنيرين لغير كليل ومع خطر هذا الأمر فالأمد قصير وفي العبد تقصير وكم ترى من نحرير كامل في التحرير والتقرير قد أصابه سهم القضاء قبل بلوغ الأمل وذلك بحلول ريب المنون والأجل أو بتطاول يد الزمان فإن الدنيا لا تصفو لشارب وإن كانت ماء الحيوان وأي وجود لا ينسج عليه عناكب العاهات وأي نعيم لا يكدر الدهر هيهات وإني لما أتممت الدفتر الأول من هذا الجمع المعول المسمى بـ (روح البيان في تفسير القرآن). على ما ألقي في روعي من نفث روح القدس، وألهم لي من مقام الملكوت وحضرة الأنس، وأوقفت القلم عند منتهاه من السير على وجه لم يسبقني إليه الغير رأيت رؤيا هالتني وأذعرتني وعن خطب جليل أخبرتني فلما تفكرت في تعبيرها والمراد منها واستفتيت قلبي في كشف القناع عنها استبان لي أن الله تعالى فسح في مدتي وانسأ حمامي إلى حصول منيتي لكن لم يعرّف الحد بل أبهم لكونه بالنسبة إليّ مر وما غير أهم إلا أني وجدت السن قد ناهزت الأربعين وقد اشمط الرأس ولهزم الشيب الخدّ على اليقين ورأيت أن أركان الوجود تضعضعت من ضعف الكبر وقوة الفتور وإن شمس القوى قد توجهت إلى الأفول بعد الظهور وإن الفكرة قد فهدت كعبود وإن القلب كأنما غرز بإبر بل بسفود ومن ثم دمست وجوه المحابر وانشقت جيوب الأقلام وتطايرت الصحف كأيادي سبا كأنهن في مأتم الآلام فوضعت الديباجة على عتبة الباب وأتربت الجبهة لمسبب الأسباب ووجهت ركاب التوجه إلى جنابه الرفيع وأدمعت العين رجاء أن يكون لي خير شفيع

في أن يشد عضدي في إتمام الدفتر الثاني والثالث ويعوق عني صروف الدهر والحوادث ويحرك من عطفي إلى قضاء هذا الوطر وإن كان جسيماً وكان فضل الله عظيماً ومن ديدني في هذا الجمع أن لا أكثر من وجوه التفسير، بل اقتصر على ما ينحل به عقد الآي على وجه يسير مع توشيحات خلت عنها التفاسير الأول من المجلدات الصغر والكبر والطول وتذييلات ينسرّ بذكرها صدور أهل التذكير والعظة مع نبذ مزجت في كل مجلس من الأبيات الفارسية الدرية لتكون عبرة موقظة ومن دأبي أيضاً أن لا أغير عبارات المآخذ إلا لأن يتجاوب الكلم أو يكون المقام مما يقال فيه لا أو لم، وأشرت إلى بعض اللوائح بقولي يقول الفقير، وأدرجت بعضها في خلال التقرير، ووقع الشروع في هذا المجلد في العشر الثاني من الثلث الثالث من السدس الثاني من النصف الثاني من العشر الثاني من العشر الأول من العقد الثاني من الألف الثاني من الهجرة النبوية على صاحبها ألف ألف سلام وتحية. وكان البدء كالأول في مهاجري ومراغمي بلدة بروسة المحروسة لا زالت أقطارها بالأرواح القدسية مأنوسة، اللهم كما عودتني في الأول خيراً كثيراً، يسر لي الأمر في الآخر تيسيراً واجعل رقيمي هذا سبباً لبياض الوجه كما تبيض وجوه أوليائك، وامح مسودات صحائف أعمالي بجاه حبيبك محمد أحب أنبيائك ولم أكن بدعائك رب شقياً بكرة وعشياً ما دمت حياً، فلك الحمد في الأولى والأخرى على عناياتك الكبرى. وآخر دعواهم إن الحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾

الحمد لله الذي أنزل القرآن تبياناً لكل شيء وهدى، فإنه لم يكن من شأنه أن يترك الإنسان سدى، ونظمه في عقد الحفظ تنويراً للصدور وتزييناً للنحور، معجزة باقية على ممر الزمان والدهور، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم من بين الأنبياء والرسل، وروعي بنفث الروع الذي هو ألذ النزل، وعلى آله وأصحابه مجتلى ربيع القلوب الذي هو حضرة القرآن، ومن تبعهم من العرب والعجم والروم وسائر أصناف الإنسان «وبعد» فإن الملك القدير، منّ على عبده الفقير، الشيخ إسماعيل حقي نزيل بلدة بروسا، صينت عن المكاره والبوسى، فضحك بمداد أمداده وجوه القراطيس، وتبسم بأزهار فيضه جمال الكراريس، حتى جاء المجلد الثاني محتاجاً في الوصول في غاية الأمر، إلى برهة من الزمان وتنفس من العمر، مع ما يكتنفه من استجماع الشرائط وارتفاع الموانع، لا سيما الإمداد الملكوتي والفيض الجبروتي الجامع، فاسأل الله تعالى عناق هذه الأمنية، قبل إدراك المنية. وأن يصرف عني يد مصارعة الحوادث الملقية على التراب، وكف مصادمة النوائب الداعية إلى الهدم والخراب مع أني أقول متى أصبح وأمسى، ويومي خير من أمسي. وقد دنا من أم الدنيا الفطام والفصال، وحان انقطاع الأعصاب والأوصال، ولم يبق من عمر الإنسان، من حيث اقتراب الزمان، وإلا صبابة كصبابة المساء، وبقية الإناء، لكن الله إذا أراد شيئاً هيأ أسبابه، وفتح بيد التسهيل بابه، فهو المرجو في كل دعاء، ومنه حصول كل رجاء.

يا رب از ابر هدايت برسان باراني   پيشتر زانكه چو كردى زميان بر خيزم

١ ـ سورة الفاتحة

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ .

وجه التسمية بفاتحة الكتاب إما لافتتاح المصاحف والتعليم وقراءة القرآن والصلاة بها وإما لأن الحمد فاتحة كل كلام وإما لأنها أول سورة نزلت وإما لأنها أول ما كتب في اللوح المحفوظ وإما لأنها فاتحة أبواب المقاصد في الدنيا وأبواب الجنان في العقبى وإما لأن انفتاح أبواب خزائن أسرار الكتاب بها لأنها مفتاح كنوز لطائف الخطاب بانجلائها ينكشف جميع القرآن لأهل البيان لأن من عرف معانيها يفتح بها أقفال المتشابهات ويقتبس بسناها أنوار الآيات وسميت بأم القرآن وأم الشيء أصله لأن المقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة: إقرار بالألوهية والنبوة وإثبات القضاء والقدر لله تعالى فقوله: ﴿**الحمد لله رب العالمين الرحمٰن الرحيم**﴾ يدل على الألوهية وقوله: ﴿**مالك يوم الدين**﴾ يدل على المعاد وقوله: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ على نفي الجبر والقدر وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله تعالى، وسميت بالسبع المثاني لأنها سبع آيات أو لأن كل آية منها تقوم مقام سبع من القرآن فمن قرأها أعطي ثواب قراءة الكل أو لأن من فتح فاه بقراءة آياتها السبع غلقت عنه أبواب النيران السبعة هذه وجوه التسمية بالسبع وأما بالمثاني: فلأنها تثنى في كل صلاة أو في كل ركعة بالنسبة إلى الأخرى أو المراد تشفع في كل ركعة سورة حقيقة أو حكماً أو لأن نزولها مرتين مرة في مكة ومرة في المدينة، وسميت بسورة الصلاة وسورة الشفاء والشافية وأساس القرآن والكافية والوافية وسورة الحمد وسورة السؤال وسورة الشكر وسورة الدعاء لاشتمالها عليها وسورة الكنز لما يروى أن الله تعالى قال: «**فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشي**».

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ .

﴿**الحمد لله**﴾ لامه للعهد أي: الحمد الكامل وهو حمد الله لله أو حمد الرسل أو كمل أهل الولاء أو للعموم والاستغراق أي: جميع المحامد والاثنية للمحمود أصلاً والممدوح عدلاً والمعبود حقاً عينية كانت تلك المحامد أو عرضية من الملك أو من البشر أو من غيرهما كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] والحمد عند الصوفية: إظهار كمال المحمود وكماله تعالى صفاته وأفعاله وآثاره. قال الشيخ داود القيصري: الحمد قولي وفعلي وحالي أما القولي: فحمد اللسان وثناؤه عليه بما أثنى به الحق على نفسه على لسان أنبيائه عليهم السلام وأما الفعلي: فهو الإتيان بالأعمال البدنية من العبادات والخيرات ابتغاء لوجه الله تعالى وتوجهاً إلى جنابه الكريم لأن الحمد كما يجب على الإنسان باللسان كذلك يجب عليه بحسب كل عضو بل على كل عضو كالشكر وعند كل حال من الأحوال كما قال النبي عليه السلام: «الحمد لله على كل حال» وذلك لا يمكن إلا باستعمال كل عضو فيما خلق لأجله على الوجه المشروع عبادة للحق تعالى وانقياداً لأمره لا طلباً لحظوظ النفس ومرضاتها وأما

الحالي: فهو الذي يكون بحسب الروح والقلب كالاتصاف بالكمالات العلمية والعملية والتخلق بالأخلاق الإلّهية لأن الناس مأمورون بالتخلق بأخلاق الله تعالى بلسان الأنبياء عليهم السلام لتصير الكمالات ملكة نفوسهم وذواتهم وفي الحقيقة هذا حمد الحق أيضاً نفسه في مقامه التفصيلي المسمى بالمظاهر من حيث عدم مغايرتها له وأما حمده ذاته في مقامه الجمعي الإلهي قولاً فهو ما نطق به في كتبه وصحفه من تعريفاته نفسه بالصفات الكمالية وفعلاً فهو إظهار كمالاته الجمالية والجلالية من غيبه إلى شهادته ومن باطنه إلى ظاهره ومن علمه إلى عينه في مجالي صفاته ومحال ولاية أسمائه وحالاً فهو تجلياته في ذاته بالفيض الأقدس الأولى وظهور النور الأزلي فهو الحامد والمحمود جمعاً وتفصيلاً كما قيل:

لقد كنت دهراً قبل أن يكشف الغطا ... أخالك أني ذاكر لك شاكر

فلما أضاء الليل أصبحت شاهداً ... بأنك مذكور وذكر وذاكر

وكل حامد بالحمد القولي يعرف محموده بإسناد صفات الكمال إليه فهو يستلزم التعريف انتهى كلامه. والحمد شامل للثناء والشكر والمدح ولذلك صدر كتابه بأن حمد نفسه بالثناء في الله والشكر في رب العالمين والمدح في الرحمٰن الرحيم مالك يوم الدين ثم ليس للعبد أن يحمده بهذه الوجوه الثلاثة حقيقة بل تقليداً ومجازاً؛ أما الأول فلأن الثناء والمدح بوجه يليق بذاته أو بصفاته فرع معرفة كنههما وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٦٧] وأما الثاني فكما أن النبي عليه السلام لما خوطب ليلة المعراج بأن أثنِ$ علي قال: «لا أحصي ثناء عليك» وعلم أن لا بد من امتثال الأمر وإظهار العبودية «فقال: أنت كما أثنيت على نفسك» فهو ثناء بالتقليد وقد أمرنا أيضاً أن نحمده بالتقليد بقوله: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [النمل: ٥٩] كما قال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] كذا في «التأويلات النجمية». قال السعدي قدس سره:

عطا ييست هر موي ازو برتنم ... چه كونه بهر موي شكري كنم

وذكر الشيخ الإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله في «منهاج العابدين» أن الحمد والشكر آخر العقبات السبع التي لا بد للسالك من عبورها ليظفر بمبتغاه فأول ما يتحرك العبد لسلوك طريق العبادة يكون بخطرة سماوية وتوفيق خاص إلهي وهو الذي أشار إليه صاحب الشرع ﷺ بقوله: «إن النور إذا دخل قلب العبد انفتح وانشرح» فقيل: يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها؟ فقال: «التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله» فإذا خطر بقلب العبد أول كل شيء أن له منعماً بضروب من النعم، وقال إنه يطالبني بشكره وخدمته فلعله إن غفلت يزيل نعمته ويذيقني نقمته وقد بعث إلي رسولاً بالمعجزات وأخبرني بأن لي رباً عالماً قادراً على أن يثيب بطاعته ويعاقب بمعصيته وقد أمر ونهى فيخاف على نفسه عنده فلم يجد في طريق الخلاص من هذا النزاع سبيلاً سوى الاستدلال بالصنعة على الصانع فيحصل له اليقين بوجود ربه الموصوف بما ذكر فهذه عقبة العلم والمعرفة استقبلته في أول الطريق ليكون في قطعها على بصيرة بالتعلم والسؤال من علماء الآخرة فإذا حصل له اليقين بوجود ربه بعثته المعرفة على التشمر للخدمة ولكنه لا يدري كيف يعبده فيتعلم ما يلزمه من الفرائض الشرعية ظاهراً وباطناً فلما استكمل العلم والمعرفة بالفرائض انبعث للعبادة فنظر فإذا هو صاحب ذنوب كما هو حال أكثر الناس فيقول كيف أقبل على

الطاعة وأنا مصر متلطخ بالمعاصي فيجب أن أتوب إليه ليخلصني من أسرها وأتطهر من أقذارها فأصلح للخدمة فيستقبله هٰهنا عقبة التوبة فلما حصلت له إقامة التوبة الصادقة بحقوقها وشرائطها نظر للسلوك فإذا حوله عوائق من العبادة محدقة به فتأمل فإذا هي أربع: الدنيا، والخلق، والشيطان، والنفس، فاستقبلته عقبة العوائق فيحتاج إلى قطعها بأربعة أمور: التجرد عن الدنيا، والتفرد عن الخلق، والمحاربة مع الشيطان، والنفس وهي أشدها إذ لا يمكنه التجرد عنها ولا أن يقهرها بمرة كالشيطان إذ هي المطية والآلة ولا مطمع أيضاً في موافقتها على الإقبال على العبادة إذ هي مجبولة على ضد الخير كالهوى واتباعها له:

نمي تازد أين نفس سركش جنان كه عقلش تواند كرفتن عنان
كه بانفس وشيطان برآيد بزور مصاف بلنكان نيايد زمور

فاحتاج إلى أن يلجمها بلجام التقوى لتنقاد فيستعملها في المراشد ويمنعها عن المفاسد فلما فرغ من قطعها وجد عوارض تعترضه وتشغله عن الإقبال على العبادة فنظر فإذا هي أربعة: رزق تطلبه النفس ولا بد، واخطار من كل شيء يخافه أو يرجوه أو يريده أو يكرهه ولا يدري اصلاحه في ذلك أم فساده، والثالث: الشدائد والمصائب تنصب عليه من كل جانب لا سيما وقد انتصب لمخالفة الخلق ومحاربة الشيطان ومضارة النفس، والرابع: أنواع القضاء فاستقبلته هٰهنا عقبة العوارض الأربعة فاحتاج إلى قطعها بأربعة: بالتوكل على الله في الرزق والتفويض إليه في موضع الخطر والصبر عند الشدائد والرضى بالقضاء فإذا قطعها نظر فإذا النفس فاترة كسلى لا تنشط ولا تنبعث لخير كما يحق وينبغي وإنما ميلها إلى غفلة ودعة وبطالة بل إلى سرف وفضول فاحتاج إلى سائق يسوقها إلى الطاعة وزاجر يزجرها عند المعصية وهما: الرجاء والخوف، فالرجاء في حسن ما وعد من الكرامات والخوف من صعوبة ما أوعد من العقوبات والإهانات فهذه عقبة البواعث استقبلته فاحتاج إلى قطعها بهذين المذكورين فلما فرغ منها لم ير عائقاً ولا شاغلاً ووجد باعثاً وداعياً فعانق العبادة بلزام الشوق فنظر فإذا تبدو بعد كل ذلك آفتان عظيمتان هما الرياء والعجب فتارة يرائي بطاعته الناس وتارة يستعظم ذلك ويكرم نفسه فاستقبلته هٰهنا عقبة القوادح فاحتاج إلى قطعها بالإخلاص وذكر المنة فإذا قطعها بحسن عصمة الجبار وتأييده حصلت العبادة له كما يحق وينبغي ولكنه نظر فإذا هو غريق في بحور نعم الله من إمداد التوفيق والعصمة فخاف أن يكون منه إغفال للشكر فيقع في الكفران وينحط عن تلك المرتبة الرفيعة التي هي مرتبة أغذية الخالصين فاستقبلته هٰهنا عقبة الحمد والشكر فقطعها بتكثيرهما فلما فرغ منها فإذا هو بمقصوده ومبتغاه فيتنعم في طيب هذه الحالة بقية عمره بشخص في الدنيا وقلب في العقبى ينتظر البريد يوماً فيوماً ويستقذر الدنيا فاستكمل الشوق إلى الملأ الأعلى فإذا هو برسول رب العالمين يبشره بالرضوان من عند رب غير غضبان فينقلونه في طيبة النفس وتمام البشر والأنس من هذه الدنيا الفانية إلى الحضرة الإلهية ومستقر رياض الجنة فيرى لنفسه الفقيرة نعيماً وملكاً عظيماً قال الشيخ سعدي قدس سره:

عروسي بود نوبت ما تمت كرت نيك روزي بود خاتمت

قال خسرو عند وفاته:

زد نياميرود خسرو بزيرلب همي كويد دلم بكرفت ازغربت تمناي وطن دارم

﴿رب العالمين﴾ لما نبه على استحقاقه الذاتي بجميع المحامد بمقابلة الحمد باسم الذات أردفه بأسماء الصفات جمعاً بين الاستحقاقين وهو أي رب العالمين كالبرهان على استحقاقه

جميع المحامد الذاتي والصفاتي والدنيوي والأخروي، والرب بمعنى التربية والإصلاح أما في حق العالمين فيربيهم بأغذيتهم وسائر أسباب بقاء وجودهم وفي حق الإنسان فيربي الظواهر بالنعمة وهي النفس ويربي البواطن بالرحمة وهي القلوب ويربي نفوس العابدين بأحكام الشريعة ويربي قلوب المشتاقين بآداب الطريقة ويربي أسرار المحبين بأنوار الحقيقة ويربي الإنسان تارة بأطواره وفيض قوي أنواره في أعضائه فسبحان من أسمع بعظم وبصر بشحم وأنطق بلحم وأخرى بترتيب غذائه في النبات بحبوبه وثماره وفي الحيوان بلحومه وشحومه وفي الأراضي بأشجاره وأنهاره وفي الأفلاك بكواكبه وأنواره وفي الزمان بسكونك وتسكين الحشرات والحركات المؤذية في الليالي وحفظك وتمكينك من ابتغاء فضله بالنهار فيا هذا يربيك كأنه ليس له عبد سواك وأنت لا تخدمه أو تخدمه كأن لك رباً غيره، والعالمين جمع عالم، والعالم: جمع لا واحد له من لفظه، قال وهب لله ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها وما العمران في الخراب إلا كفسطاط في صحراء، وقال الضحاك ثلاثمائة وستون ثلاثمائة منهم حفاة عراة لا يعرفون خالقهم وهم حشو جهنم وستون عالماً يلبسون الثياب مر بهم ذو القرنين وكلمهم، وقال كعب الأحبار: لا يحصى لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الله تعالى خلق الخلق أربعة أصناف: الملائكة، والشياطين، والجن، والإنس، ثم جعل هؤلاء عشرة أجزاء تسعة منهم الملائكة وواحد الثلاثة الباقية ثم جعل هذه الثلاثة عشرة أجزاء تسعة منهم الشياطين وجزء واحد الجن والإنس ثم جعلهما عشرة أجزاء فتسعة منهم الجن وواحد الإنس ثم جعل الإنس مائة وخمسة وعشرين جزءاً فجعل مائة جزء في بلاد الهند منهم: ساطوح: وهم أناس رؤوسهم مثل رؤوس الكلاب، ومالوخ: وهم أناس أعينهم على صدورهم، وماسوخ: وهم أناس آذانهم كآذان الفيلة، ومالوف: وهم أناس لا يطاوعهم أرجلهم يسمون دوالياي ومصير كلهم إلى النار وجعل اثني عشر جزءاً منهم في بلاد الروم النسطورية والملكانية والإسرائيلية كل من الثلاث أربع طوائف ومصيرهم إلى النار جميعاً وجعل ستة أجزاء منهم في المشرق: يأجوج، ومأجوج، وترك، وخاقان، وترك حدخلخ، وترك خزر، وترك جرجير، وجعل ستة أجزاء في المغرب: الزنج والزط والحبشة والنوبة وبربر وسائر كفار العرب ومصيرهم إلى النار وبقي من الإنس من أهل التوحيد جزء واحد فجزأهم ثلاثاً وسبعين فرقة اثنتان وسبعون على خطر وهم أهل البدع والضلالات وفرقة ناجية وهم أهل السنة والجماعة وحسابهم على الله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وفي الحديث: «أن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين فرقة وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا فرقة واحدة» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «من هم على ما أنا عليه وأصحابي» يعني: ما أنا عليه وأصحابي من الاعتقاد والفعل والقول فهو حق وطريق موصل إلى الجنة والفوز والفلاح وما عداه باطل وطريق إلى النار إن كانوا إباحيين فهم خلود وإلا فلا.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾

﴿الرحمٰن الرحيم﴾ في التكرار وجوه، أحدها ما سبق من أن رحمتي البسملة ذاتيتان ورحمتي الفاتحة صفاتيتان كماليتان، والثاني ليعلم أن التسمية ليست من الفاتحة ولو كانت منها لما أعادهما لخلو الإعادة عن الفائدة، والثالث أنه ندب العباد إلى كثرة الذكر فإن من علامة حب الله حب ذكر الله وفي الحديث: «من أحب شيئاً أكثر ذكره»، والرابع: أنه ذكر رب

العالمين فبين أن رب العالمين هو الرحمٰن الذي يرزقهم في الدنيا الرحيم الذي يغفر لهم في العقبى ولذلك ذكر بعده مالك يوم الدين يعني أن الربوبية إما بالرحمانية وهي رزق الدنيا وإما بالرحيمية وهي المغفرة في العقبى، والخامس أنه ذكر الحمد وبالحمد، تنال الرحمة فإن أول من حمد الله تعالى من البشر آدم عطس فقال: الحمد لله وأجيب للحال يرحمك ربك ولذلك خلقك فعلم خلقه الحمد وبين أنهم ينالون رحمته بالحمد، والسادس أن التكرار للتعليل لأن ترتيب الحمد على هذه الأوصاف إمارة علية مأخذها فالرحمانية والرحيمية من جملتها لدلالتهما على أنه مختار في الإحسان لا موجب في ذلك استيفاء أسباب استحقاق الحمد من فيض الذات برب العالمين وفيض الكمالات بالرحمٰن الرحيم ولا خارج عنهما في الدنيا وفيض الأثوبة لطفاً والأجزية عدلاً في الآخرة ومن هذا يفهم وجه ترتيب الأوصاف الثلاثة، والفرق بين الرحمٰن والرحيم إما باختصاص الحق بالأول أو بعمومه أو بجلائل النعم فعلى الأول هو الرحمٰن بما لا يصدر جنسه من العبادة والرحيم بما يتصور صدوره منهم فذا كما روي عن ذي النون قدس سره: وقعت ولولة في قلبي فخرجت إلى شط النيل فرأيت عقرباً يعدو فتبعته فوصل إلى ضفدع على الشط فركب ظهره وعبر به النيل فركبت السفينة واتبعته فنزل وعدا إلى شاب نائم وإذا أفعى بقربه تقصده فتواثبا وتلادغا وماتا وسلم النائم ويحكى أن ولد الغراب إذا خرج من القشر يكون كلحم أحمر ويفر الغراب منه فيجتمع عليه البعوض فيلتقمه إلى أن ينبت ريشه فعند ذلك تعود الأم إليه ولهذا قيل: يا رازق النعاب في عشه وإما على أن الرحمٰن عام. فقيل: كيف ذلك وقلما يخلو أحد بل حالة له عن نوع بلوى؟ قلنا: الحوادث منها ما يظن أنه رحمة ويكون نقمة وبالعكس قال الله تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ١٩] الآية فالأول كما قال:

إن الشباب والفراغ والجده   مفسدة للمرء أي مفسده

وكل منها في الظاهر نعمة والثاني كحبس الولد في المكتب وحمله على التعلم بالضرب وكقطع اليد المتآكلة فالأبله يعتبر بالظواهر والعاقل ينظر إلى السرائر فما من بلية ومحنة إلا وتحتها رحمة ومنحة وترك الخير الكثير للشر القليل شر كبير فالتكاليف لتطهير الأرواح عن العلائق الجسدانية وخلق النار لصرف الأشرار إلى أعمال الأبرار وخلق الشيطان لتميز المخلصين من العباد، فشأن المحقق أن يبني على الحقائق كالخضر عليه السلام في قصة موسى عليه السلام معه فكل ما يكره الطبع فتحته أسرار خفية وحكمة بالغة فلولا الرحمة وسبقها للغضب لم يكن وجود الكون ولما ظهر للاسم المنعم عين. وإما على أن الرحمٰن لجلائل النعم فإنما أتبعه بالرحيم لدفع توهم أن يكون طلب العبد الشيء اليسير سوء أدب كما قيل لبعضهم: جئتك لحاجة يسيرة قال: اطلب لها رجلاً يسيراً فكأن الله يقول: لو اقتصرت على الرحمٰن لاحتشمت عني ولكني رحيم فاطلب مني حتى شراك نعلك وملح قدرك. قال الشيخ السعدي قدس سره العزيز:

محالست اكر سربرين درنهي   كه باز آيدت دست حاجت تهي

قال أهل الحقيقة الحضرات الكلية المختصة بالرحمٰن ثلاث: حضرة الظهور، وحضرة البطون، وحضرة الجمع، وكل موجود فله هذه المراتب ولا يخلو عن حكمها وعلى هذه المراتب تنقسم أحكام الرحمة في السعداء والأشقياء والمتنعمين بنفوسهم دون أبدانهم كالأرواح المجردة وبالعكس والجامعين بين الأمرين وكذا من أهل الجنة اعمال منهم سعداء من حيث

نفوسهم بعلومهم دون صورهم لكونهم لم يقدموا في الجنة الأعمال ما يستوجبون به النعيم الصوري وإن كان فنزر يسير بالنسبة إلى من سواهم وعكس ذلك كالزهاد والعباد الذين لا علم لهم فإن أرواحهم قليلة الحظ من النعيم الروحاني لعدم المناسبة بينهم وبين الحضرات العلمية الإلٰهية ولهذا لم تتعلق هممهم زمان العمل بما وراء العمل بل ظنوه الغاية فوقفوا عنده واقتصروا عليه رغبة فيما وعدوا به ورهبة مما حذروا منه وأما الجامعون بين النعيمين تماماً فهم الفائزون بالحظ الكامل في العلم والعمل كالرسل عليهم الصلاة والسلام ومن كملت وراثته منهم أعني الكمل من الأولياء: قال المولى جلال الدين قدس سره:

هركبوتر مي پرد درمذهبي ... وين كبوتر جانب بى جانبي

﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾

﴿**مالك يوم الدين**﴾ اليوم في العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس والمراد هٰهنا مطلق الوقت لعدم الشمس ثم أي مالك الأمر كله في يوم الجزاء فإضافة اليوم إلى الدين لأدنى ملابسة كإضافة سائر الظروف إلى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الأحزاب ويوم الفتح وتخصيصه إما لتعظيمه وتهويله أو لبيان تفرده بإجراء الأمر فيه وانقطاع العلائق بين الملاك والأملاك حينئذ بالكلية ففي ذلك اليوم لا يكون مالك ولا قاض ولا مجاز غيره وأصل الملك والملك الربط والشد والقوة فللّه في الحقيقة القوة الكاملة والولاية النافذة والحكم الجاري والتصرف الماضي وهو للعباد مجاز إذ لملكهم بداية ونهاية وعلى البعض لا الكل وعلى الجسم لا العرض وعلى النفس لا النفس وعلى الظاهر لا الباطن وعلى الحي لا الميت بخلاف المعبود الحق إذ ليس لملكه زوال ولا لملكه انتقال وقراءة مالك بالألف أكثر ثواباً من ملك لزيادة حرف فيه. يحكى عن أبي عبد الله محمد بن شجاع الثلجي رحمه الله تعالى أنه قال: كان من عادتي قراءة مالك فسمعت من بعض الأدباء أن ملك أبلغ فتركت عادتي وقرأت ملك فرأيت في المنام قائلاً يقول: لم نقصت من حسناتك عشراً أما سمعت قول النبيّ ﷺ: «من قرأ القرآن كتب له بكل حرف عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفعت له عشر درجات» فانتبهت فلم أترك عادتي حتى رأيت ثانياً في المنام أنه قيل لي: لم لا تترك هذه العادة أما سمعت قول النبيّ ﷺ: «اقرأوا القرآن فخماً مفخماً» أي عظيماً معظماً فأتيت قطرباً وكان إماماً في اللغة فسألته ما بين المالك والملك فقال: بينهما فرق كثير، أما المالك فهو الذي ملك شيئاً من الدنيا وأما الملك فهو الذي يملك الملوك. قال في تفسير الإرشاد: قرأ أهل الحرمين المحترمين ملك من الملك الذي هو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلي في أمور العامة والنهي وهو الأنسب بمقام الإضافة إلى يوم الدين انتهى. ولكل وجوه ترجيح ذكرت في التفاسير فلتطالع ثمة. والوجه في سرد الصفات الخمس كأنه يقول: خلقتك فأنا إله ثم ربيتك بالنعم فأنا رب ثم عصيت فسترت عليك فأنا رحمٰن ثم تبت فغفرت فأنا رحيم. ثم لا بد من الجزاء فأنا مالك يوم الدين.

وفي «التأويلات النجمية» الإشارة في ﴿**مالك يوم الدين**﴾ أن الدين في الحقيقة الإسلام يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] والإسلام على نوعين إسلام بالظاهر وإسلام بالباطن فإسلام الظاهر بإقرار اللسان وعمل الأركان فهذا الإسلام

جسداني والجسداني ظلماني ويعبر عن الليل بالظلمة وأما إسلام الباطن فبانشراح القلب والصدر بنور الله تعالى فهذا الإسلام الروحاني نوراني ويعبر عن اليوم بالنور فالإسلام الجسداني يقتضي إسلام الجسد لأوامر الله ونواهيه والإسلام الروحاني يقتضي استسلام القلوب والروح لأحكام الأزلي وقضائه وقدره فمن كان موقوفاً عند الإسلام الجسداني ولم يبلغ مرتبة الإسلام الروحاني وهو بعد في سير ليلة الدين متردد ومتحير فيرى ملوكاً وملاكاً كثيرة كما كان حال الخليل عليه السلام فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال: هذا ربي ومن تنفس صبح سعادته وطلعت شمس الإسلام الروحاني من وراء جبل نفسه من مشرق القلب فهو على نور من ربه واضح في كشف يوم الدين فيكون ورد وقته أصبحنا وأصبح الملك لله. فيشاهد بعين اليقين بل يكاشف حق اليقين أن الملك لله ولا مالك إلا مالك يوم الدين فإذا تجلى له النهار وكشف بالمالك جهاراً يخاطبه وجاهاً ويناجيه شفاهاً ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ ومن لطائف مالك يوم الدين أن مخالفة الملك تأول إلى خراب العالم وفناء الخلق فكيف مخالفة ملك الملوك كما قال الله تعالى في سورة مريم: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [مريم: ٩٠] والطاعة سبب المصالح كما قال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢] فعلى الرعية مطاوعة الملوك وعلى الملوك مطاوعة ملك الملوك لينتظم مصالح العالم، ومن لطائفه أيضاً أن مالك يوم الدين يبين أن كمال ملكه بعدله حيث قال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧] فالملك المجازي إن كان عادلاً كان حقاً فدرّت الضروع ونمت الزروع وإن كان جائراً كان باطلاً فارتفع الخير يحكى أن أنوشروان انقطع في الصيد عن القوم فانتهى إلى بستان فقال لصبي فيه: أعطني رمانة فأعطاه فاستخرج من حبها ماء كثيراً سكن به عطشه فأعجبه وأضمر أخذ البستان من مالكه فسأله أخرى فكانت عفصة قليلة الماء فسأل الصبي عنه فقال: لعل الملك عزم على الظلم فتاب قلبه وسأله أخرى فوجدها أطيب من الأولى فقال الصبي: لعل الملك تاب فتنبه أنوشروان وتاب بالكلية عن الظلم فبقي اسمه مخلداً بالعدول حتى روي عن رسول الله ﷺ أنه تفاخر فقال: «ولدت في زمن الملك العادل» قال الفناري في تفسير الفاتحة: بل لعله تفاخر بزمنه النوراني حتى ولد فيه مثله وذكر أنوشروان دليلاً على نورانية زمانه حيث لا يتصور في الكافر المسلط أحسن حالاً من العدل انتهى.

قال الإمام السخاوي في «المقاصد الحسنة» حديث: «ولدت في زمن الملك العادل» لا أصل له ولا صحة وإن صح فإطلاق العادل عليه لتعريفه بالاسم الذي كان يدعى به لا الوصفية بالعدل والشهادة له بذلك أو وصفه بذلك على اعتقاد المعتقدين فيه أنه كان عادلاً كما قال الله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ﴾ [هود: ١٠١] أي: ما كان عندهم آلهة ولا يجوز أن يسمي رسول الله ﷺ من يحكم بغير حكم الله عادلاً انتهى كلام المقاصد. قال رسول الله ﷺ: «يجاء بالوالي يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه فإن كان مطيعاً لله في عمله مضى فيه وإن كان عاصياً انخرق به الجسر فيهوي في جهنم مقدار خمسين عاماً» كذا في «تذكرة الموتى» للإمام القرطبي قال السعدي قدس سره:

كه بريك نسط مي نماند جهان — مهازور مندي مكن برجهان
بماند برو لعنت بايدار — نماند ستمكار بد روز كار

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾

﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ بنى الله سبحانه أول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتأمل في أسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه وتأثير سلطانه ثم قفىٰ بما هو منتهى أمره وهو أن يخوض لجة الوصول ويصير من أهل المشاهدة فيراه عياناً ويناجيه شفاهاً اللهم اجعلنا من الواصلين إلى العين دون السامعين للأثر، وفيه إشارة أيضاً إلى أن العابد ينبغي أن يكون نظره إلى المعبود أولاً وبالذات ومنه إلى العبادة لا من حيث إنها عبادة صدرت منه بل من حيث إنها نسبة شريفة ووصلة بينه وبين الحق فإن العارف إنما يحق وصوله إذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى أنه لا يلاحظ نفسه ولا حالاً من أحوالها إلا من حيث أنها ملاحظة له ومنتسب إليه ولذلك فضل ما حكي عن حبيبه حين قال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] على ما حكاه عن كليمه حيث قال: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢] وتقديم المفعول لقصد الاختصاص أي: نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك والعبادة غاية الخضوع والتذلل. وعن عكرمة: جميع ما ذكر في القرآن من العبادة التوحيد ومن التسبيح الصلاة ومن القنوت الطاعة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: قل يا محمد﴿إياك نعبد﴾ أي: إياك نؤمل ونرجو لا غيرك والضمير المستكن في﴿نعبد﴾ وكذا في﴿نستعين﴾ للقارىء ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة أوله ولسائر الموحدين أدرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها وتجاب ولهذا شرعت الجماعة. قال الشيخ الأكبر والمسك الأذفر قدسنا الله بسره الأطهر في كتاب «العظمة» إذا كنى العبد عن نفسه بنون نفعل فليست بنون التعظيم وإذا كنى عن الحق تعالى بضمير الأفراد فإن ذلك لغلبة سلطان التوحيد في قلب هذا العبد وتحققه به حتى سرى في كليته فظهر ذلك في نطقه لفظاً كما كان عقداً وعلماً ومشاهدة وعيناً وهذه النون نون الجمع فإن العبد وإن كان فرداني اللطيفة وحداني الحقيقة فإنه غير وحداني ولا فرداني من حيث لطيفته ومركبها وهيكلها وقالبها وما من جزء في الإنسان إلا والحق تعالى قد طالب الحقيقة الربانية التي فيه أن تلقى على هذه الأجزاء ما يليق بها من العبادات وهي في الجملة وإن كانت المدبرة فلها تكليف يخصها ويناسب ذاتها فلهذه الجمعية يقول العبد لله تعالى: نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد وإياك نعبد وأمثال هذا الخطاب ولقد سألني سائل من علماء الرسول عن هذه المسألة وكان قد حار فيها فأجبته بأجوبة منها هذا فشفى غليله والحمد لله انتهى كلام الشيخ قدس سره، وإنما خصص العبادة به تعالى لأن العبادة نهاية التعظيم فلا تليق إلا بالمنعم في الغاية وهو المنعم بخلق المنتفع وبإعطاء الحياة الممكنة من الانتفاع كما قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] الآية ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] ولأن أحوال العبد ماض وحاضر ومستقبل ففي الماضي نقله من العدم والموت والعجز والجهل إلى الوجود والحياة والقدرة والعلم بقدرته الأزلية وفي الحاضر انفتحت عليه أبواب الحاجات ولزمته أسباب الضروريات فهو رب الرحمٰن الرحيم وفي المستقبل مالك يوم الدين يجازيه بأعماله فمصالحه في الأحوال الثلاثة لا تستتب إلا بالله فلا مستحق للعبادة إلا الله تعالى، ثم قوله: ﴿نعبد﴾ يحتمل أن يكون من العبادة ومن العبودة

والعبادة هي العابدية والعبودة هي العبدية، فمن العبادة الصلاة بلا غفلة والصوم بلا غيبة والصدقة بلا منة والحج بلا إراءة والغزو بلا سمعة والعتق بلا أذية والذكر بلا ملالة وسائر الطاعات بلا آفة، ومن العبودة الرضى بلا خصومة والصبر بلا شكاية واليقين بلا شبهة والشهود بلا غيبة والإقبال بلا رجعة والإيصال بلا قطيعة، وأقسام العبادة على ما ذكره حجة الإسلام في كتابه المسمى «بالأربعين»: عشرة. كما أن الاعتقادات التي قبلها عشرة، فالمعتقدات الذات الأزلية الأبدية المنعوتة بصفات الجلال والإكرام الذي هو الأول والآخر والظاهر والباطن أي: الأول بوجوده والآخر بصفاته وأفعاله والظاهر بشهادته ومكوناته والباطن بغيبه ومعلوماته، ثم التقديس عما لا يليق بكماله أو يشين بجماله من النقائص والرذائل، ثم القدرة الشاملة للممكنات، ثم العلم المحيط بجميع المعلومات حتى بدبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء وما هو أخفى منه كهواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر، ثم الإرادة بجميع الكائنات فلا يجري في الملك والملكوت قليل أو كثير إلا بقضائه ومشيئته مريد في الأزل لوجود الأشياء في أوقاتها المعينة فوجدت كما أرادها، ثم السمع والبصر لا يحجب سمعه بعد ولا رؤيته ظلام فيسمع من غير أصمخة وآذان ويبصر من غير حدقة وأجفان، ثم الكلام الأزلي القائم بذاته لا بصوت ككلام الخلق وإن القرآن مقروء ومكتوب ومحفوظ ومع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى وأن موسى سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الأبرار ذات الله من غير شكل ولا لون، ثم الأفعال الموصوفة بالعدل المحض فلا موجود إلا وهو حادث بفعله وفائض من عدله إذ لا يضاف لغيره ملكاً ليكون تصرفه فيه ظلماً فلا يتصور منه ظلم ولا يجب عليه فعل فكل نعمة من فضله وكل نقمة من عدله، ثم اليوم الآخر، والعاشر النبوة المشتملة على إرسال الملائكة وإنزال الكتب، وأما العبادات العشرة: فالصلاة والزكاة والصوم والحج وقراءة القرآن وذكر الله في كل حال وطلب الحلال والقيام بحقوق المسلمين وحقوق الصحبة والتاسع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعاشر: اتباع السنة وهو مفتاح السعادة وأمارة محبة الله كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣٨]: قال المولى الجامي قدس سره:

يا نبي الله السلام عليك إنما الفوز والفلاح لديك
كر نرفتم طريق سنت تو هستم از عاصيان امت تو
مانداه ام زير بار عصيان بست افتم ازباي اكر نكيري دست

وجاء في بيان مراتب العبادة المتوجهين إلى الله: إن الإنسان إذا فعل براً إن قصد به أمراً ما غير الحق كان من الأحرار لا من العبيد وإن لم يقصد أمراً بعينه بل يفعله لكونه خيراً فقط أو لكونه مأموراً به لا مطلقاً بل من حيث الحضور منه مع الآمر فهو الرجل فإن ارتقى بحيث لا يقصد بعمله غير الحق كان تاماً في الرجولية فإن كان بحيث لا يفعل شيئاً إلا بالحق كما ورد في قرب النوافل صار تاماً في المعرفة والرجولية وإن انضم إلى ما سبق حضوره مع الحق في فعله بحيث يشهده بعين الحق لا بنفسه من حيث إضافة الشهود إلى الله والفعل والإضافة إليه لا إلى نفسه فهو العبد المخلص المخلص عمله فإن ظهرت عليه غلبة أحكام هذا المقام والذي قبله وهو مقام فبي يسمع غير متقيد بشيء منها ولا بمجموعها مع سريان حكم شهوده الأحدي في كل مرتبة ونسبة دون الثبات على أمر بعينه بل ثابتاً في سعته وقبوله كل وصف وحكم عن علم صحيح منه بما اتصف به وما انسلخ عنه في كل وقت وحال دون غفلة وحجاب فهو

الكامل في العبودية والخلافة والإحاطة والإطلاق كذا في تفسير الفاتحة للصدر القنوي قدس سره، قال في «التأويلات النجمية» في قوله: ﴿**إياك نعبد**﴾ رجع إلى الخطاب من الغيبة لأنه ليس بين المملوك ومالكه إلا حجاب ملك نفس المملوك فإذا عبر من حجاب ملك النفس وصل إلى مشاهدة مالك النفس كما قال أبو يزيد في بعض مكاشفاته: إلهي كيف السبيل إليك؟ قال له ربه: دع نفسك وتعال فللنفس أربع صفات: أمارة، ولوامة، وملهمة، ومطمئنة، فأمر العبد المملوك بأن يذكر مالكه بأربع صفات بالصفة الإلّهية والربوبية والرحمانية والرحيمية، فيعبر بعد مدح الإلهية وشكر الربوبية وثناء الرحمانية وتمجيد الرحيمية بقوة جذبات هذه الصفات الأربع من حجاب ممالك الصفات الأربع للنفس فيتخلص من ظلمات ليلة رين نفسه بطلوع صبح صادق مالك يوم الدين فيبقى العبد عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء فيرحمه مالكه ويذكره بلسان كرمه على قضية وعده ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] ويناديه ويخاطب نفسه ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر: ٢٧] ثم يجذبه من غيبة نفسه إلى شهود مالكية ربه بجذبة ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٨] فيشاهد جمال مالكه ويناديه نداء عبد خاضع خاشع ذليل عاجز كما قرأ بعضهم: ﴿**مالك يوم الدين**﴾ نصباً على نداء إياك نعبد، واعلم أن النفس دنيوية تعبد هواها الدنيوي لقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] والقلب أخروي يعبد الجنة لقوله تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠-٤١] والروح قربى يعبد القربة والعندية لقوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٥] والسر حضرتي يعبد الحق تبارك لقوله تعالى على لسان نبيه عليه السلام: «الإخلاص سر بيني وبين عبدي لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل» فلما أنعم الله على عبده بنعمة الصلاة قسمها بينه وبين عبده كما قال تعالى على لسان نبيه عليه السلام: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل» فتقرب العبد بنصفه إلى حضرة كماله بالحمد والثناء والشكر على صفات جماله وجلاله وتقرب الرب على مقتضى كرمه وإنعامه كما قال: «من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً» بنصفه إلى خلاص عبده من رق عبودية الأغيار بإخراجه من ظلمات بعضها فوق بعض من هوى الناس ومراد القلب وتعلق الروح بغير الحق إلى نور وحدانيته وشهود فردانيته فأشرقت أرض النفس وسموات القلب وعرش الروح وكرسي السر بنور ربها فآمنوا كلهم أجمعون بالله الذي خلقهم وهو مالكهم وملكهم وكفروا بطواغيتهم التي يعبدونها واستمسكوا بالعروة الوثقى وجعلوا كلهم واحداً وقالوا: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ كرر إياك للتنصيص على اختصاصه تعالى بالاستعانة أيضاً والاستعانة طلب العون ويعدى بالباء وبنفسه أي: تطلب العون على عبادتك أو على ما لا طاقة لنا به أو على محاربة الشيطان المانع من عبادتك أو في أمورنا بما يصلحنا في دنيانا وديننا والجامع للأقاويل نسألك أن تعيننا على أداء الحق وإقامة الفروض وتحمل المكاره وطلب المصالح وتقديم العبادة على الاستعانة ليوافق رؤوس الآي وليعلم منه أن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة وإياك نعبد لما أورثه العجب أردف إياك نستعين إزالة له وإفناء للنخوة، ففي الجمع بينهما افتخار وافتقار فالافتخار بكونه عبداً عابداً والافتقار إلى معونته وتوفيقه وعصمته، وفيه أيضاً تحقيق لمذهب أهل السنة والجماعة؛ إذ فيه إثبات الفعل من العبد والتوفيق من الله كالخلق ففيه رد الجبرية النافين للفعل من العبد بقوله: ﴿**إياك نعبد**﴾ ورد المعتزلة النافين للتوفيق والخلق من الله بقوله:

﴿**إياك نستعين**﴾ ثم تحقيقهما من العبد أن لا يخدم غير الله ولا يسأل إلا من الله. حكي عن سفيان الثوري رحمه الله أنه أم قوماً في صلاة المغرب فلما قال: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ خر مغشياً عليه فلما أفاق قيل له في ذلك فقال: خفت أن يقال فلم تذهب إلى أبواب الأطباء والسلاطين، وفي تخصيص الاستعانة بالتقديم اقتداء بالخليل عليه السلام في قيد النمرود حيث قال له جبريل عليه السلام: هل لك من حاجة؟ فقال: أما إليك فلا فقال: سله قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي بل زدت عليه أن الخليل قيد رجلاه ويداه لا غير فأما أنا فقيدت الرجلين فلا أسير واليدين فلا أحرنهما وعيني فلا أنظر بهما وأذني فلا أسمع بهما ولساني فلا أتكلم به وأنا مشرف على نار جهنم فكما لم يرض الخليل بغيرك معيناً لا أريد إلا عونك فإياك نستعين وكأنه تعالى يقول: فنحن أيضاً نريد حيث قلنا ثمة ﴿يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] وأما أنت فقد نجيناك من النار وأوصلناك إلى الجنة وزدنا سماع الكلام القديم وأمرنا نار جهنم تقول لك جزيا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي. قال المولى جلال الدين قدس سره:

ز آتش مؤمن ازين رو أي صفي ... ميشود دوزخ ضعيف ومنطفي
كويدش بكذر سبك أي محتشم ... ورنه ز آتشهاي تو مرد آتشم

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾

﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ بيان المعونة المطلوبة كأنه قيل: كيف أعينك؟ فقالوا: اهدنا الصراط المستقيم وأيضاً أن التعقيب بالدعاء بعد تمام العبادة قاعدة شرعية، قال في «التيسير»: ﴿**إياك نعبد**﴾ إظهار التوحيد ﴿**وإياك نستعين**﴾ طلب العون عليه وقوله: ﴿**اهدنا**﴾ لسؤال الثبات على دينه وهو تحقيق عبادته واستعانته وذلك لأن الثبات على الهداية أهم الحاجات إذ هو الذي سأله الأنبياء والأولياء كما قال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾ [يوسف: ١٠١] وسحرة فرعون: ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]، والصحابة: وتوفنا مع الأبرار، وذلك لأنه لا ينبغي أن يعتمد على ظاهر الحال فقد يتغير في المآل كما لإبليس وبرصيصا وبلعام بن باعوراء:

قال المولى جلال الدين قدس سره:

صد هزار إبليس وبلعم درجهان ... همجنين بودست بيدا ونهان
أين دورا مشهور كردانيداله ... تاكه باشند اين دوبر باقي كواه
أين دو دزد آويخت بردار بلند ... ورنه اندرقهربس دزدان بدند

وفي «تفسير القاضي» إذا قاله العارف الواصل إلى الله عنى به: أرشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات أحوالنا وتميط غواشي أبداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك، قال المولى الفناري: ومبناه أن السير في الله غير متناه كما قال قطب المحققين ولا نهاية للمعلومات والمقدورات فما دام معلوم أو مقدور فالشوق للعبد لا يسكن ولا يزول وأصل الهداية أن يُعدى باللام أو إلى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥] والصراط المستقيم استعارة عن ملة الإسلام والدين الحق تشبيهاً لوسيلة المقصود بوسيلة القصد أو لمحل التوجه الروحاني بمحل التوجه الجسماني وإنما سمي الدين صراطاً لأن الله سبحانه وإن كان متعالياً عن الأمكنة لكن العبد الطالب لا بد له من قطع المسافات ومس الآفات وتحمل المجافاة

ليكرم الوصول والموافاة، ثم في قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ مع أنه مهتدٍ وجوه، الأول: أن لا بد بعد معرفة الله تعالى والاهتداء بها من معرفة الخط المتوسط بين الإفراط والتفريط في الأعمال الشهوية والغضبية وإنفاق المال والمطلوب أن يهديه إلى الوسط، والثاني: أنه وإن عرف الله بدليل فهناك أدلة أخرى فمعنى اهدنا: عرفنا ما في كل شيء من كيفية دلالته على ذاتك وصفاتك وأفعالك، والثالث: أن معناه بموجب قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣] طلب الإعراض عما سوى الله وإن كان نفسه والإقبال بالكلية عليه حتى لو أمر بذبح ولده كإبراهيم عليه السلام أو بأن ينقاد للذبح كإسماعيل عليه السلام أو بأن يرمي نفسه في البحر كيونس عليه السلام أو بأن يتلمذ مع بلوغه أعلى درجات الغايات كموسى عليه السلام أو بأن يصير في الأمر بالمعروف على القتل والشق بنصفين كيحيى وزكريا عليهما السلام فعل وهذا مقام هائل إلا أن في قوله: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ دون أن يقول صراط الذين ضربوا وقتلوا تيسيراً ما وترغيباً إلى مقام الأنبياء والأولياء من حيث أنعامهم ثم الاستقامة الاعتدالية ثم الثبات عليها أمر صعب ولذا قال النبي ﷺ: «شيبتني هود وأخواتها» حيث ورد فيها ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢] فإن الإنسان من حيث نشأته وقواه الظاهرة والباطنة مشتمل على صفات وأخلاق طبيعية وروحانية ولكل منها طرفا إفراط وتفريط والواجب معرفة الوسط من كل ذلك والبقاء عليه وبذلك وردت الأوامر ونطقت الآيات كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ [الإسراء: ٢٩] الآية حرضه على الوسط بين البخل والإسراف وكقوله ﷺ لمن سأله مستشيراً في الترهب وصيام الدهر وقيام الليل كله بعد زجره إياه: «إن لنفسك عليك حقاً ولزوجك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً فصم وأفطر وقم ونم» وهكذا في الأحوال كلها نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]، ﴿لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٧] ولما رأى ﷺ عمر رضي الله عنه يقرأ رافعاً صوته سأله فقال: أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال عليه السلام: «اخفض من صوتك قليلاً» وأتى أبا بكر رضي الله عنه فوجده يقرأ خافضاً صوته فسأله فقال: قد أسمعت من ناجيت فقال عليه السلام: «ارفع من صوتك قليلاً» وهكذا الأمر في باقي الأخلاق فإن الشجاعة صفة متوسطة بين الهور والجبن والبلاغة بين الإيجاز المجحف والإطناب المفرط، وشريعتنا قد تكفلت ببيان ميزان الاعتدال في كل ترغيب وترهيب وحال وحكم وصفة وخلق حتى عينت للمذمومة مصارف إذا استعملت فيها كانت محمودة كالمنع لله والبغض لله، والمستقيم على أقسام منها: مستقيم بقوله وفعله وقلبه ومستقيم بقلبه وفعله دون قوله أي: لم يعلم أحداً ولهذين الفوز والأول أعلى ومستقيم بفعله وقوله دون قلبه وهذا يرجى له النفع بغيره ومنها مستقيم بقوله وقلبه دون فعله ومستقيم بقوله دون فعله وقلبه ومستقيم بقلبه دون قوله وفعله ومستقيم بفعله دون قوله وقلبه وهؤلاء الأربعة عليهم لا لهم وإن كان بعضهم فوق بعض وليس المراد بالاستقامة بالقول ترك الغيبة والنميمة وشبههما فإن الفعل يشمل ذلك إنما المراد بها إرشاد الغير إلى الصراط المستقيم وقد يكون عريا مما يرشد إليه مثال اجتماعها رجل تفقه في أمر صلاته وحققها ثم علمها غيره فهذا مستقيم في قوله ثم حضر وقتها فأداها على ما علمها محافظاً على أركانها الظاهرة فهذا مستقيم في فعله ثم علم أن مراد الله منه من تلك الصلاة حضور قلبه معه فأحضره فهذا مستقيم بقلبه وقس على ذلك بقية الأقسام.

وفي «التأويلات النجمية» أن أقسام الهداية ثلاثة: الأولى: هداية العامة، أي: عامة الحيوانات إلى جلب منافعها وسلب مضارها وإليه أشار بقوله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] وقوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، والثانية: هداية الخاصة أي: للمؤمنين إلى الجنة وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ [يونس: ٩] الآية، والثالثة: هداية الأخص وهي هداية الحقيقة إلى الله بالله وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠] وقوله: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩] وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣] وقوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: ٧] أي: كنت ضالاً في تيه وجودك فطلبتك بجودي ووجدتك بفضلي ولطفي وهديتك بجذبات عنايتي ونور هدايتي إلي وجعلتك نوراً فأهدي بك إلى من أشاء من عبادي فمن اتبعك وطلب رضاك فنخرجهم من ظلمات الوجود البشري إلى نور الوجود الروحاني، ونهديهم إلى صراط مستقيم كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ١٥ـ ١٦] والصراط المستقيم هو الدين القويم وهو ما يدل عليه القرآن العظيم وهو خلق سيد المرسلين ﷺ فيما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤] ثم هو إما إلى الجنة وذلك لأصحاب اليمين كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥] الآية وإما إلى الله تعالى وهذا للسابقين المتقربين كما قال تعالى: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢ـ ٥٣] وكل ما يكون لأصحاب اليمين يحصل للسابقين وهم سابقون على أصحاب اليمين بما لهم من شهود الجمال وكشف الجلال وهذا خاصة لسيد المرسلين ومتابعيه كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]: قال الشيخ سعدي قدس سره:

اكر جز بحق مي رود جاده ات در آتش فشانند سجاده ات

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾

﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ بدل من الأول بدل الكل والإنعام إيصال النعمة وهي في الأصل الحال التي يستلذها الإنسان فأطلقت على ما يستلذه من نعمة الدين الحق، قال أبو العباس بن عطاء: هؤلاء المنعم عليهم هم طبقات فالعارفون أنعم الله عليهم بالمعرفة والأولياء أنعم الله عليهم بالصدق والرضى واليقين والصفوة والأبرار أنعم الله عليهم بالحلم والرأفة والمريدون أنعم الله عليهم بحلاوة الطاعة والمؤمنون أنعم الله عليهم بالاستقامة، وقيل: هم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون كما قال تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] وأضيف الصراط هنا إلى العباد وفي قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣] إلى ذاته تعالى كما أضيف الدين والهدى تارة إلى الله تعالى نحو ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٨٣]، ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣] وتارة إلى العباد نحو ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] وسره من وجوه: الأول: بيان أن ذلك كله له شرعاً ولنا نفعاً كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ [الشورى: ١٣]، والثاني: أنه له ارتضاء واختياراً ولنا سلوكاً وائتماراً، والثالث: أنه أضافه إلى نفسه قطعاً لعجب العبد وإلى العبد تسلية لقلبه، والرابع: أنه أضافه إلى العبد تشريفاً له وتقريباً

وإلى نفسه قطعاً لطمع إبليس عنه كما قيل لما نزل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] قال الشيطان: إن لم أقدر على سلب عزة الله ورسوله أسلب عزة المؤمنين فقال الله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠] فقطع طمعه كذا في «التيسير»، وتكرار الصراط إشارة إلى أن الصراط الحقيقي صراطان: من العبد إلى الرب ومن الرب إلى العبد فالذي من العبد إلى الرب طريق مخوف كم قطع فيه القوافل وانقطع به الرواحل ونادى منادي العزة لأهل العزة الطلب رد والسبيل سد وقاطع الطريق يقطع على هذا الفريق ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] الآية والذي من الرب إلى العبد طريق آمن وبالأمان كائن قد سلم فيه القوافل وبالنعم محفوف المنازل يسير فيه سيارته ويقاد بالدلائل قادته ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [النساء: ٦٩] الآية أي: أنعم الله على أسرارهم بأنوار العناية وعلى أرواحهم بأسرار الهداية وعلى قلوبهم بآثار الولاية وعلى نفوسهم في قمع الهوى وقهر الطبع وحفظ الشرع بالتوفيق والرعاية وفي مكائد الشيطان بالمراقبة والكلاية، والنعم إما ظاهرة: كإرسال الرسل وإنزال الكتب وتوفيق قبول دعوة الرسل واتباع السنة واجتناب البدعة وانقياد النفس للأوامر والنواهي والثبات على قدم الصدق ولزوم العبودية، وإما باطنة: وهي ما أنعم على أرواحهم في بداية الفطرة بإصابة رشاش نوره كما قال عليه السلام: «إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن أخطأه فقد ضل» فكان فتح باب صراط الله إلى العبد من رشاش ذلك النور وأول الغيث رش ثم ينسكب فالمؤمنون ينظرون بذلك النور المرشوش إلى مشاهدة المغيث وينتظرون الغيث ويستعينون.

﴿**اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم**﴾ بجذبات ألطافك وفتحت عليهم أبواب فضلك ليهتدوا بك إليك فأصابوا بما أصابهم بك منك كذا في «التأويلات النجمية».

قال الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره في «الفكوك» في تأويل الحديث المذكور: لا شك أن الوجود المحض يتعقل في مقابلته العدم المضاد له فإن للعدم تعيناً في التعقل لا محالة وله الظلمة كما أن الوجود له النورانية ولهذا يوصف الممكن بالظلمة فإنه يتنور بالوجود فيظهر فظلمته من أحد وجهيه الذي يلي العدم وكل نقص يلحق الممكن ويوصف به إنما ذلك من أحكام النسبة العدمية وإليه الإشارة بقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليه من نوره فظهر» وخلق ههنا بمعنى التقدير فإن التقدير سابق على الإيجاد ورش النور كناية عن إفاضة الوجود على الممكنات فاعلم ذلك انتهى كلام الشيخ. ﴿**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾ بدل من الذين على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال، وكلمة غير على ثلاثة أوجه: الأول: بمعنى المغايرة وفارسيته «جز» قال الله تعالى: ﴿لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾ [الإسراء: ٧٣] والثاني: بمعنى لا وفارسيته «نا» قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣] والثالث: بمعنى إلا وفارسيته «مكر» قال تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٦﴾ [الذاريات: ٣٦] وصرفها ههنا على هذه الوجوه محتمل غير أن معنى الاستثناء مخصوص بقراءة النصب، والغضب ثوران النفس عند إرادة الانتقام يعني: إنه حالة نفسانية تحصل عند غليان النفس ودم القلب لشهوة الانتقام وهنا نقيض الرضى أو إرادة الانتقام أو تحقيق الوعيد أو الأخذ الأليم أو البطش الشديد أو هتك الأستار والتعذيب بالنار لأن القاعدة التفسيرية أن الأفعال التي لها أوائل بدايات وأواخر غايات إذا لم يمكن

إسنادها إلى الله باعتبار البدايات يراد بها حين الإسناد غاياتها كالغضب والحياء والتكبر والاستهزاء والغم والفرح والضحك والبشاشة وغيرها والضلال: العدول عن الطريق السوي عمداً أو خطأ، والمراد بالمغضوب عليهم العصاة وبالضالين الجاهلون بالله لأن المنعم عليهم هم الجامعون بين العلم والعمل فكان المقابل لهم من اختل إحدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمداً ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣] والمخل بالعلم جاهل ضال كقوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ﴾ [يونس: ٣٢] أو المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى في حقهم: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ﴾ [المائدة: ٦٠] والضالون النصارى لقوله تعالى في حقهم: ﴿قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا﴾ [المائدة: ٧٧] وليس المراد تخصيص نسبة الغضب باليهود ونسبة الضلال بالنصارى لأن الغضب قد نسب أيضاً إلى النصارى وكذا الضلال قد نسب إلى اليهود في القرآن بل المراد أنهما إذا تقابلا فالتعبير بالغضب الذي هو إرادة الانتقام لا محالة باليهود أليق لغاية تمردهم في كفرهم من اعتدائهم وقتلهم الأنبياء وقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾ [آل عمران: ١٨١] وغير ذلك، فإن قلت: من المعلوم أن المنعم عليهم غير الفريقين فما الفائدة في ذكرهما بعدهم، قلت: فائدته وصف إيمانهم بكمال الخوف من حال الطائفتين بعد وصفه بكمال الرجاء في قوله: ﴿**الذين أنعمت عليهم**﴾قال عليه السلام: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا».

واعلم أن حكم الغضب الإلهي تكميل مرتبة قبضة الشمال فإنه وإن كان كلتا يديه المقدستين يميناً مباركة لكن حكم كل واحدة يخالف الأخرى فالأرض جميعاً قبضته والسموات مطويات بيمينه فلليد الواحدة المضاف إليها عموم السعداء الرحمة والحنان وللأخرى القهر والغضب ولوازمهما فسرحكم الغضب هو التكميل المشار إليه في الجمع بين حكم اليدين والوقاية ولصاحب الأكلة إذا ظهرت في عضو واحد وقدر أن يكون الطبيب والده أو صديقه أو شقيقه فإنه مع فرط محبته يبادر لقطع العضو المعتل لما لم يكن فيه قابلية الصلاح والسر الثالث التطهير كالذهب الممزوج بالرصاص والنحاس إذا قصد تمييزه لا بد وأن يجعل في النار الشديدة والضلال هو الحيرة فمنها ما هي مذمومة ومنها ما هي محمودة ولها ثلاث مراتب حيرة أهل البدايات وحيرة المتوسطين من أهل الكشف والحجاب وحيرة أكابر المحققين وأول مزيل للحيرة الأولى تعين المطلب المرجح كرضى الله والتقرب إليه والشهود الذاتي ثم معرفة الطريق الموصل كملازمة شريعة الكمل ثم السبب المحصل كالمرشد ثم ما يمكن الاستعانة به في تحصيل الغرض من الذكر والفكر وغيرهما ثم معرفة العوائق وكيفية إزالتها كالنفس والشيطان فإذا تعينت هذه الأمور الخمسة حينئذٍ تزول هذه الحيرة وحيرة الأكابر محمودة لا تظنن أن هذه الحيرة سببها قصور في الإدراك ونقص مانع من كمال الجلاء هنا والاستجلاء لما هناك بل هذه حيرة يظهر حكمها بعد كمال التحقق بالمعرفة والشهود ومعاينة سر كل وجود والاطلاع التام على أحدية الوجود. وفي تفسير النجم ﴿**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾هم الذين أخطأهم ذلك النور فضلوا في تيه هوى النفس وتاهوا في ظلمات الطبع والتقليد فغضب الله عليهم مثل اليهود ولعنهم بالطرد والتبعيد حتى لم يهتدوا إلى الشرع القويم ووقعوا عن الصراط المستقيم أي عن المرتبة الإنسانية التي خلق فيها الإنسان في أحسن تقويم ومسخوا قردة وخنازير صورة أو معنى أو لما وقعوا عن الصراط المستقيم في سد البشرية نسوا ألطاف الربوبية وضلوا عن

صراط التوحيد فأخذهم الشيطان بشرك الشرك كالنصارى فاتخذوا الهوى إلهاً والدنيا إلهاً وقالوا: ثالث ثلاثة، ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] هذا بحسب أول الحال وفيه وجه آخر معتبر فيه عارض المآل وهو أن يراد غير المغضوب عليهم بالغيبة بعد الحضور والمحنة بعد السرور والظلمة غب النور نعوذ بالله من الحور بعد الكور أي من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة ولا الضالين بغلبة الفسق والفجور وانقلاب السرور بالشرور ووجه ثالث يعبر في السلوك إلى ملك الملوك وهو غير المغضوب عليهم بالاحتباس في المنازل والانقطاع عن القوافل ولا الضالين بالصدود عن المقصود، «آمين»، اسم فعل بمعنى استجب معناه يا الله استجب دعاءنا أو افعل يا رب بني على الفتح كأين وكيف لالتقاء الساكنين وليست من القرآن اتفاقاً لأنها لم تكتب في الإمام ولم ينقل أحد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم رضي الله تعالى عنهم أنها قرآن لكن يسن أن يقول القارىء بعد الفاتحة: آمين مفصولة عنها لقوله عليه السلام: «علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال إنه كالختم على الكتاب» وزاده علي ـ رضي الله عنه ـ توضيحاً فقال: [آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده] فسره أن الخاتم كما يمنع عن المختوم الاطلاع عليه والتصرف فيه يمنع آمين عن دعاء العبد الخيبة، وقال وهب: يخلق بكل حرف منه ملك يقول: اللهم اغفر لمن قال آمين. وفي الحديث «الداعي والمؤمن شريكان» يعني: به قوله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩] قال عليه السلام: «إذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا: آمين فإن الملائكة تقولها فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» وسره ما مر في كلام وهب أما الموافقة فقيل في الزمان وقيل في الإخلاص والتوجه الأحدي.

واختلف في هؤلاء الملائكة قيل هم الحفظة وقيل غيرهم ويعضده ما روي أنه عليه السلام قال: «فإن من وافق قوله قول أهل السماء» ويمكن أن يجمع بين القولين بأن يقولها الحفظة وأهل السماء أيضاً، قال المولى الفناري في تفسير الفاتحة: إن الفاتحة نسخة الكمال لمن أخرج للاستكمال من ظلمة العدم والاستهلاك في نور القدم إلى أنوار الروحانية ثم بواسطة النفخ إلى عامل الجسمانية ليكمل مرتبة الإنسانية التي لجمعيتها مظنة الأنانية فاحتاج إلى طلب الهداية إلى منهاج العناية التي منها جاء ليرجع من الوجود إلى العدم بل من الحدوث إلى القدم فيفقد الموجود فقداناً لا يجده ليجد المفقود وجداناً لا يفقده ولما حصل لهم رتبة الكمال بقبول هذا السؤال كما قال: «ولعبدي ما سأل» فأضافه إلى نفسه بلام التمليك ثم ختم أكرم الأكرمين نسخة حالهم بخاتم آمين إشارة إلى أن عباده المخلصين ليس لأحد من العالمين أن يتصرف فيهم بأن يفك خاتم رب العالمين ولهذا أيس إبليس فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٤٠]، وعدد آيات سورة الفاتحة سبع في قول الجمهور على أن إحداها ما آخرها ما أنعمت عليهم لا التسمية أو بالعكس وعدد كلماتها، ففي «التيسير» أنها خمس وعشرون وحروفها مائة وثلاثة وعشرون، وفي «عين المعاني» كلماتها سبع وعشرون وحروفها مائة واثنان وأربعون وسبب الاختلاف بعد عدم اعتبار البسملة اعتبار الكلمات المنفصلة كتابة أو المستقلة تلفظاً واعتبار الحروف الملفوظة أو المكتوبة أو غيرهما، وسئل عطاء أي وقت أنزلت فاتحة الكتاب؟ قال: أنزلت بمكة يوم الجمعة كرامة أكرم الله بها محمداً عليه السلام وكان معها سبعة آلاف ملك حين نزل بها جبريل على محمد عليهما السلام، روي أن عيراً قدمت من الشام لأبي جهل بمال عظيم وهي سبع فرق ورسول الله وأصحابه ينظرون إليها وأكثر الصحابة بهم جوع وعرى

فخطر ببال النبي ﷺ شيء لحاجة أصحابه فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧] أي: مكان سبع قوافل لأبي جهل لا ينظر إلى ما أعطيناك مع جلالة هذه العطية فلم تنظر إلى ما أعطيته من متاع الدنيا الدنية ولما علم الله أن تمنيه لم يكن لنفسه بل لأصحابه قال: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [النمل: ٧٠] وأمره بما يزيد نفعه على نفع المال فقال: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] فإن تواضعك أطيب لقلوبهم من ظفرهم بمحبوبهم ومن فضائلها أيضاً قوله عليه السلام: «لو كانت في التوراة لما تهود قوم موسى ولو كانت في الإنجيل لما تنصر قوم عيسى ولو كانت في الزبور لما مسخ قوم داود عليهم السلام وأيما مسلم قرأها أعطاه الله من الأجر كأنما قرأ القرآن كله وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة» ومن فضائلها أيضاً أن الحروف المعجمة فيها اثنان وعشرون وأعوان النبي ﷺ بعد الوحي اثنان وعشرون، وإن ليست فيها سبعة أحرف ثاء الثبور وجيم الجحيم وخاء الخوف وزاي الزقوم وشين الشقاوة وظاء الظلمة وفاء الفراق فمعتقد هذه السورة وقارئها على التعظيم والحرمة آمن من هذه الأشياء السبعة، وعن حذيفة رضي الله عنه أنه عليه السلام قال: «إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً فيقرأ صبي من صبيانهم في المكتب الحمد لله رب العالمين فيسمعه ويرفع عنهم بسببه العذاب أربعين سنة» وقد مر ما روي من إيداع علوم جميع الكتب في القرآن ثم في الفاتحة فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير الكل ومن قرأها فكأنما قرأ الكل، قال تفسير «الكبير»: والسبب أن المقصود من جميع الكتب علم الأصول والفروع والمكاشفات وقد علم اشتمالها عليها، قال الفناري وذلك لما علم أن أولها إلى قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ إشارة إلى العقائد المبدئية المتعلقة بالإلّهيات ذاتاً وصفة وفعلاً لأن حصر الحمد يقتضي حصر الكمالات الذاتية والوصفية والفعلية ثم بالنبوات والولايات لأنهما أجلاء النعم أو أخصاؤها ثم إلى العقائد المعادية لكونه مالكاً للأمر كله يوم المعاد وأوسطها من قوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ إلى أقسام الأحكام الرابطة بين الحق والعبد من العبادات وذلك ظاهر من المعاملات والمزاجر لأن الاستعانة الشرعية إما لجلب المنافع أو لدفع المضار وآخرها إلى طلب المؤمنين وجوه الهداية المرتبة على الإيمان المشار إليه في القسم الأول والإسلام المشار إليه في القسم الثاني وهي وجوه الإحسان أعني: المراتب الثلاث من الأخلاق الروحانية المحمودة ثم المراقبات المعهودة في قوله عليه السلام: «أن تعبد الله كأنك تراه» ثم الكمالات المشهودة عند الاستغراق في مطالع الجلال الرافع لكاف التشبيه الذي في ذلك الخبر والدافع لغضب تنزيه الجبر وضلال نسبة القدر وهذه هي المسماة بعلوم المكاشفات والله أعلم بأسرار كلية المبطنات.

٢ - سورة البقرة

مدنية وآياتها مائتان وست وثمانون

إن قلت أي سورة أطول وآيها أقصر؟ وأي آية أطول وآيها أقصر؟ قلت: قال أهل التفسير: أطول سورة في القرآن البقرة وأقصرها الكوثر وأطول آية آية الدين وأقصرها آية والضحى والفجر وأطول كلمة فيه كلمة ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢] فإن قلت: ما الحكمة في أن سورة البقرة أعظم السور ما عدا الفاتحة؟ الجواب: لأنها فُصِّلت فيها الأحكام وضُربت الأمثال وأقيمت الحجج إذ لم تشتمل سورة على ما اشتملت عليه ولذلك سميت فسطاط القرآن. قال ابن العربي في «أحكام القرآن»: سمعت بعض أشياخي يقول فيها: ألف أمر وألف نهي وألف حكم وألف خبر ولعظم فقهها أقام ابن عمر رضي الله عنهما ثماني سنين على تعلمها كذا في أسئلة الحكم. قال الإمام في التفسير «الكبير»: اعلم أنه مر على لساني في بعض الأوقات أن هذه السورة الكريمة يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة فاستبعد هذا بعض الحساد وقوم من أهل الجهل والغي والعناد وحملوا ذلك على ما ألفوه من أنفسهم من التصلفات الفارغة عن المعاني والكلمات الخالية عن تحقيق المعاقد والمباني فلما شرعت في تصنيف هذا الكتاب قدمت هذه المقدمة لتصير كالتنبيه على أن ما ذكرنا أمر ممكن الحصول قريب الوصول انتهى. وإنما سُوِّرت السور طوالاً وأوساطاً وقصاراً تنبيهاً على أن الطول ليس من شرط الإعجاز فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهي معجزة إعجاز سورة البقرة ثم ظهرت لذلك التسوير حكمة في التعليم وتدريج الأطفال من السور القصار إلى ما فوقها تيسيراً من الله تعالى على عباده وفي ذلك أيضاً ترغيب وتوسيع في الفضيلة في الصلاة وغيرها كسورة الإخلاص من القصار تعدل ثلث القرآن فمن فهم ذلك فاز بسر التسوير، فإن قلت ما الحكمة في تعدد مواطن نزول القرآن وتكرر مشاهده مكياً مدنياً ليلياً نهارياً سفرياً حضرياً صيفياً شتائياً نومياً برزخياً يعني بين الليل والنهار أرضياً سماوياً غارياً ما نزل في الغار يعني تحت الأرض برزخياً ما نزل بين مكة والمدينة عرشياً معراجياً ما نزل ليلة المعراج آخر سورة البقرة، الجواب الحكمة في ذلك تشريف مواطن الكون كلها بنزول الوحي الإلهي فيها وحضور الحضرة المحمدية عندها كما قيل: سر المعراج والإسراء به وسير المصطفى في مواطن الكون كلها كأن الكون والعرش والجنان يسأل كل موطن بلسان الحال أن يشرفه الله تعالى بقدوم قدم حبيبه وتكتحل أعين الأعيان والكبار بغبار نعال قدم سيد السادات ومفخر موجودات الولاة ما شم الكون رائحة الوجود وما بدا من حضرة الكمون لمعة الشهود كما ورد بلسان القدس (لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١﴾

﴿الٓمٓ﴾ إن قلت ما الحكمة في ابتداء البقرة بألم والفاتحة بالحرف الظاهر؟ المحكم الجواب قال السيوطي رحمه الله في الإتقان أقول في مناسبة ابتداء البقرة بألم أنه لما ابتدئت الفاتحة بالحرف المحكم الظاهر لكل أحد بحيث لا يعذر في فهمه ابتدئت البقرة بمقابله وهو الحرف المتشابه البعيد التأويل ليعلم مراتبه للعقلاء والحكماء ليعجزهم بذلك ليعتبروا ويدبروا آياته كذا في خواتم الحكم وحل الرموز وكشف الكنوز للعارف بالله الشيخ المعروف بعلي دده. واعلم أنهم تكلموا في شأن هذه الفواتح الكريمة وما أريد بها فقيل إنها من العلوم المستورة والأسرار المحجوبة أي: من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وهي سر القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها والألف الله واللام لطيف والميم مجيد أي: أنا الله اللطيف المجيد كما أن قوله تعالى: ﴿الٓرۚ﴾ [يونس: ١] أنا الله أرى و﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: ١] أنا الله الكريم الهادي الحكيم العليم الصادق وكذا قوله تعالى: ﴿قٓۚ﴾ [قٓ: ١] إشارة إلى أنه القادر القاهر و﴿نٓۚ﴾ [القلم: ١] إشارة إلى أنه النور الناصر فهي حروف مقطعة كل منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى والاكتفاء ببعض الكلمة معهود إلى العربية كما قال الشاعر:

قلت لها قفي فقالت ق

أي: وقفت وقيل: إن هذه الحروف ذكرت في أوائل بعض السور لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف التي هي «ا ب ت ث» فجاء بعضها مقطعاً وبعضها مؤلفاً ليكون إيقاظاً لمن تحدى بالقرآن وتنبيهاً لهم على أنه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا أنه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لأتوا بمثله هذا ما جنح إليه أهل التحقيق ولكن فيه نظر لأنه يفهم من هذا القول أن لا يكون لتلك الحروف معان وأسرار والنبي عليه السلام أوتي علم الأولين والآخرين فيحتمل أن يكون الم وسائر الحروف المقطعة من قبيل المواضعات المعميات بالحروف بين المحبين لا يطلع عليها غيرهما وقد واضعها الله تعالى مع نبيه عليه السلام في وقت لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ليتكلم بها معه على لسان جبريل عليه السلام بأسرار وحقائق لا يطلع عليها جبريل ولا غيره يدل على هذا ما روي في الأخبار أن جبريل عليه السلام لما نزل بقوله تعالى: ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: ١] فلما قال: «كاف» قال النبي عليه السلام: «علمت» فقال: «ها» فقال: «علمت» فقال «يا» فقال: «علمت» فقال: «عين» فقال: «علمت» فقال: «صاد» فقال: «علمت» فقال جبريل عليه السلام: كيف علمت ما لم أعلم؟!. وقال الشيخ الأكبر قدس سره في أول تفسير: ﴿الم ذلك الكتاب﴾ وأما الحروف المجهولة التي أنزلها الله تعالى في أوائل السور فسبب ذلك من أجل لغو العرب عند نزول القرآن فأنزلها سبحانه حكمة منه حتى تتوفر دواعيهم لما أنزل الله إذا سمعوا مثل هذا الذي ما عهدوه والنفوس من طبعها أن تميل إلى كل أمر غريب غير معتاد فينصتون عن اللغو ويقبلون عليها ويصغون إليها فيحصل المقصود فيما يسمعونه مما يأتي بعد هذه الحروف النازلة من عند

الله تعالى وتتوفر دواعيهم للنظر في الأمر المناسب بين حروف الهجاء التي جاء بها مقطعة وبين ما يجاورها من الكلم وأبهم الأمر عليهم من عدم اطلاعهم عليها فرد الله بذلك شراً كبيراً من عنادهم وعتوهم ولغوهم كان يظهر منهم فذاك رحمة للمؤمنين وحكمة منه سبحانه انتهى كلامه. قال بعض العارفين: كل ما قيل في شرحها بطريق النظر والاعتبار فتخمين النظر من قائله لا حقيقة إلا لمن كشف الله له عن قصده تعالى بها. يقول الفقير جامع هذه المعارف واللطائف شكر الله مساعيه وبسط إليه من عنده أياديه قال شيخي الأكمل في هامش كتاب «اللائحات البرقيات» له بعدما ذكر بعض خواص الم على طريق الحقيقة: زلق في أمثال هذا المتشابه أقدام الزائغين عن العلم وتحير عقول الراسخين في العلم وبعضهم توقف تأدباً مع الله تعالى ولم يتعرض بل قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] وبعضهم تأولوا لكن بوجوه بعيدة عن المرام والمقام بعداً بعيداً إلا أنها مستحسنة شرعاً مقبولة ديناً وعقلاً وما يذكر أي: بالمقصود والمرام على ما هو عليه في نفسه في الواقع إلا أولو الباب لكن بتذكير الله تعالى وإلهامه واطلاعه تخصيصاً لهم وتمييزاً لهم عما عداهم اختصاصاً إليها أزلياً لهم من عند الله لا بتفكر أنفسهم ونظر عقولهم بل بمحض فيض الله وإلهامه انتهى كلامه الشريف قدس سره اللطيف. وقال عبد الرحمٰن البسطامي قدس سره ـ مؤلف «الفواتح المسكية في بحر الوقوف»: ثم إن بعض الأنبياء علموا أسرار الحروف بالوحي الرباني والإلقاء الصمداني وبعض الأولياء بالكشف الجلي النوراني والفيض العلي الروحاني وبعض العلماء بالنقل الصحيح والعقل الرجيح وكل منهم قد أخبر أصحابه ببعض أسرارها إما بطريق الكشف والشهود أو بطريق الرسم والحدود والصحيح أن الله تعالى طوى علم أسرار الحروف عن أكثر هذه الأمة لما فيها من الحكم الإلهية والمصالح الربانية ولم يأذن للأكابر أن يعرفوا منه إلا بعض أسراره التي يشتمل عليها تركيبها الخاص المنتج أنواع التسخيرات والتأثيرات في العوالم العلويات والسفليات إلى غير ذلك انتهى كلام «بحر الوقوف». وفي «التأويلات النجمية» هيئة الصلاة التي ذكرت في القرآن ثلاث: القيام لقوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] والركوع لقوله تعالى: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣] والسجود لقوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩] فالألف في ألم إشارة إلى القيام واللام إشارة إلى الركوع والميم إشارة إلى السجود يعني من قرأ سورة الفاتحة التي هي مناجاة العبد مع الله في الصلاة التي هي معراج المؤمنين يجيبه الله تعالى بالهداية التي طلبها منه بقوله: اهدنا، ثم اعلم أن المتشابه كالمحكم من جهة أجر التلاوة لما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف» ففي الم تسع حسنات.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾

﴿ذلك الكتاب﴾ الم مبتدأ على أنه اسم القرآن على أحد الوجوه وذلك خبره إشارة إلى الكتاب فيكون الكتاب صفة والمراد به الكتاب الكامل الموعود إنزاله في الكتب المتقدمة وإنما أشار بذلك إلى ما ليس ببعيد لأن الكتاب من حيث كونه موعوداً في حكم البعيد قالوا: لما أنزل الله تعالى على موسى التوراة وهي ألف سورة كل سورة ألف آية قال موسى عليه السلام:

يا رب ومن يطيق قراءة هذا الكتاب وحفظه؟ فقال تعالى: إني أنزل كتاباً أعظم من هذا قال: على من يا رب؟ قال: على خاتم النبيين، قال: وكيف تقرؤه أمته ولهم أعمار قصيرة؟ قال: إني أيسره عليهم حتى يقرؤه صبيانهم قال: يا رب وكيف تفعل؟ قال: إني أنزلت من السماء إلى الأرض مائة وثلاثة كتب خمسين على شيث وثلاثين على إدريس وعشرين على إبراهيم والتوراة عليك والزبور على داود والإنجيل على عيسى وذكرت الكائنات في هذه الكتب فأذكر جميع معاني هذه الكتب في كتاب محمد وأجمع ذلك كله في مائة وأربع عشرة سورة وأجعل هذه السور في ثلاثين جزءاً، والأجزاء في سبعة أسباع ومعنى هذه الأسباع في سبع آيات الفاتحة ثم معانيها في سبعة أحرف وهي بسم الله ثم ذلك كله في الألف من الم ثم افتتح سورة البقرة فأقول: الم. ولما وعد الله ذلك في التوراة وأنزله على محمد عليه السلام، جحدت اليهود لعنهم الله أن يكون هذا ذلك فقال تعالى ﴿ذلك الكتاب﴾ كما في تفسير «التيسير» ولهذه الآية وجوه أخر من الإعراب ذكرت في التفاسير فلتطلب ثمة ﴿لا ريب﴾ كائن ﴿فيه﴾ فقوله ﴿ريب﴾ اسم لا و ﴿فيه﴾ خبرها وهو في الأصل من رابني الشيء إذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لأنه يقلق النفس ويزيد الطمأنينة وفي الحديث «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» فإن الشك ريبة والصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان لنوائبه، وفي التفسير المسمى بالتسير الريب شك فيه خوف وهو أخص من الشك فكل ريب شك وليس كل شك ريباً والشك هو التردد بين النقيضين لا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك ولم يقدم الظرف على الريب لئلا يذهب الفهم إلى أن كتاباً آخر فيه الريب لا فيه، فإن قلت: الكفار شكوا فيه فلم يقروا بكتاب الله تعالى والمبتدعون من أهل القبلة شكوا في معاني متشابهة فأجروها على ظاهرها وضلوا بها والعلماء شكوا في وجوهه فلم يقطعوا القول على وجه منها والعوام شكوا فيه فلم يفهموا معانيه، فما معنى نفي الريب عنه؟ فالجواب أن هذا نفي الريب على الكتاب لا عن الناس والكتاب موصوف بأنه لا يتمكن فيه ريب فهو حق صدق معلوم ومفهوم شك فيه الناس أو لم يشكوا كالصدق صدق في نفسه وإن وصفه الناس بالكذب والكذب كذب وإن وصفه الناس بالصدق فكذا الكتاب ليس مما يلحقه ريب أو يتمكن فيه عيب ويجوز أن يكون خبراً في معنى الأمر ومعناه: لا ترتابوا كقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] المعنى لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا كما في «الوسيط» و«العيون» ﴿هدى﴾ أي هو رشد وبيان ﴿للمتقين﴾ أي للضالين المشارفين التقوى الصائرين إليها ومثله حديث «من قتل قتيلاً فله سلبه»، وفي تفسير «الإرشاد» أي: المتصفين بالتقوى حالاً أو مآلاً وتخصيص الهدى بهم لما أنهم المقتبسون من أنواره المنتفعون بآثاره وإن كان ذلك شاملاً لكل ناظر من مؤمن وكافر وبذلك الاعتبار قال تعالى: ﴿هدى للناس﴾ أي: كلهم بياناً وهدى للمتقين على الخصوص إرشاداً، قال في «التيسير» وكذلك يقال في كل من انتفع بشيء دون غيره أنه لك على الخصوص أي: أنت المنتفع به وحدك وليس في كون بعض الناس لم يهتدوا ما يخرجه من أن يكون هدى فالشمس شمس وإن لم يرها الضرير والعسل عسل وإن لم يجد طعمه الممرور والمسك مسك وإن لم يدرك طيبه المأنوف فالخيبة كل الخيبة لمن عطش والبحر زاخر وبقي في الظلمة والبدر زاهر وخبث والطيب حاضر وذوي والروض ناظر والحسرة كل الحسرة لمن عصى وفسق والقرآن ناه آمر وفارق الرغبة والرهبة والوعد متواتر والوعيد متظاهر

ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٥٠﴾ [الحاقة: ٥٠]، والمتقي اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة قال البغوي: هو مأخوذ من الاتقاء، وأصله الحاجز بين الشيئين ومنه يقال: اتقى بترسه أي: جعله حاجزاً بين نفسه وبين ما يقصده وفي الحديث «كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله ﷺ» أي: إذا اشتد الحرب جعلناه حاجزاً بيننا وبين العدو فكان المتقي يجعل امتثال أمر الله والاجتناب عما نهاه حاجزاً بينه وبين العذاب، والتقوى في عرف الشرع: عبارة عن كمال التوقي عما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب:

الأولى: التوقي عن العذاب المخلد بالتبري من الكفر وعليه قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦]. والثانية: التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ [الأعراف: ٩٦]. والثالثة: أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل إليه بكليته وهو التقوى الحقيقية المأمور بها في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] وأقصى مراتب هذا النوع من التقوى ما انتهى إليه همم الأنبياء عليهم السلام حيث جمعوا رياستي النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الأشباح عن العروج إلى عالم الأرواح ولم تصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية، وهداية الكتاب المبين شاملة لأرباب هذه المراتب أجمعين فهداية العام بالإسلام وهداية الخاص بالإيقان والإحسان وهداية الأخص بكشف الحجب ومشاهدة العيان. وفي «التأويلات النجمية» المتقون هم الذين أوفوا بعهد الله من بعد ميثاقه وصلوا به ما أمر الله أن يوصل به من مأمورات الشرع ظاهراً وباطناً يدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] إلى قوله: ﴿وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١] أي: إذا أنتم أقررتم بربوبيتي بقولكم بلى يوم الميثاق أوفوا بعهدي الذي عاهدتموني عليه وهو العبودية الخالصة لي أوف بعهدكم الذي عاهدتكم عليه وهو الهداية إلي. وفي «الرسالة القشيرية» والمتقي مثل ابن سيرين كان له أربعون حباً سمناً، فأخرج غلامه فأرة من حب فسأله من أي حب؟ أخرجتها فقال: لا أدري فصبها كلها. ومثل أبي يزيد البسطامي اشترى بهمذان جانباً من حب القرطم فلما رجع إلى بسطام رأى فيه نملتين فرجع إلى همذان ووضع النملتين ـ وحكي أن أبا حنيفة رحمه الله ـ كان لا يجلس في ظل شجرة غريمه ويقول في الخبر (كل قرض جر نفعاً فهو ربا). وقيل: إن أبا يزيد غسل ثوبه في الصحراء مع صاحب له فقال له: نعلق الثوب في جدار الكروم فقال: لا نضرب الوتد في جدار الناس فقال: نعلقه في الشجر فقال: إنه يكسر الأغصان فقال: نبسطه على الأرض فقال: إنه علف الدواب لا نستره عنها فولى ظهره حتى جف جانب ثم قلبه حتى جف الجانب الآخر.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾.

﴿**الذين يؤمنون بالغيب**﴾ الجملة صفة مقيدة للمتقين إن فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل وموضحة إن فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو أصل الأعمال وأساس الحسنات من الإيمان

والصلاة والصدقة فإنها أمهات الأعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالباً ألا يرى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقوله عليه السلام: «الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الإسلام والإيمان هو التصديق بالقلب» لأن المصدق يؤمن المصدق أي: يجعله آمناً من التكذيب أو يؤمن نفسه من العذاب بفعله والله تعالى مؤمن لأنه يؤمن عباده من عذابه بفضله واستعماله بالباء هٰهنا لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فإن الواثق يصير ذا أمن وطمأنينة. قال في «الكواشي»: الإيمان في الشريعة هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان والإسلام الخضوع والانقياد فكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيماناً إذا لم يكن معه تصديق فقد يكون الرجل مسلماً ظاهرة غير مصدق باطناً ولا يكون مصدقاً باطناً غير منقاد ظاهراً. قال المولى أبو السعود رحمه الله في «تفسيره» هو في الشرع: لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة أنه من دين نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها وهل هو كاف في ذلك أو لا بد من انضمام الإقرار إليه للتمكن منه؟ الأول: رأى الشيخ الأشعري ومن تابعه، والثاني: مذهب أبي حنيفة رحمه الله ومن تابعه وهو الحق فإنه جعلهما جزأين له خلا أن الإقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الإكراه وهو مجموع ثلاثة أمور إعتقاد الحق والإقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالإقرار فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق اتفاقاً عندنا وكافر عند الخوارج وخارج عن الإيمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة.

والغيب مصدر سمي به الغائب توسعاً كقولهم للزائر: زور، وهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان: قسم لا دليل عليه وهو الذي أريد بقوله سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الأحكام والشرائع واليوم الآخر وأحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد هٰهنا. فالباء صلة الإيمان إما بتضمينه معنى الاعتراف أو بجعله مجازاً عن الوثوق وهو واقع موقع المفعول به وإن جعلت الغيب مصدراً على حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالاً من الفاعل أي: يؤمنون ملتبسين بالغيبة، أما عن المؤمن به أي: غائبين عن النبي ﷺ غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة ويدل عليه أنه قال حارث بن نغير لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: نحن نحتسب لكم يا أصحاب محمد ما سبقتمونا به من رؤية محمد ﷺ وصحبته فقال عبد الله: ونحن نحتسب لكم إيمانكم به ولم تروه وإن أفضل الإيمان إيمان بالغيب ثم قرأ عبد الله: ﴿**الذين يؤمنون بالغيب**﴾ كذا في تفسير «أبي الليث»، وأما عن الناس أي: غائبين عن المؤمنين لا كالمنافقين الذين ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤] وقيل المراد بالغيب القلب لأنه مستور والمعنى: يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم فالباء حينئذٍ للآلة. وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ما يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد منا فأقبل حتى جلس بين يدي رسول الله عليه السلام وركبته تمس ركبته فقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام! فقال النبي ﷺ: «إن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول

الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً» فقال: صدقت فتعجبنا من سؤاله وتصديقه ثم قال: فما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنة والنار وبالقدر خيره وشره» فقال: صدقت ثم قال: فما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال: صدقت، ثم قال: فأخبرني عن الساعة؟ فقال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» قال: صدقت قال: فأخبرني عن إماراتها؟ قال: «أن تلد الأمة ربتها وأن ترى العراة الحفاة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان» قال: صدقت. ثم انطلق فلما كان بعد ثالثة قال لي رسول الله ﷺ: «يا عمر هل تدري من الرجل» قلت: الله ورسوله أعلم قال: «ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم وما أتاني في صورة إلا عرفته فيها إلا في صورته هذه». وفي «التأويلات النجمية» ﴿**يؤمنون بالغيب**﴾ أي: بنور غيبي من الله في قلوبهم نظروا في قول محمد ﷺ فشاهدوا صدق قوله فآمنوا به كما قال عليه السلام: «المؤمن ينظر بنور الله». واعلم أن الغيب غيبان: غيب غاب عنك، وغيب غبت عنه، فالذي غاب عنك عالم الأرواح فإنه قد كان حاضراً حين كنت فيه بالروح وكذرة وجودك في عهد ألست بربكم واستماع خطاب الحق ومطالعة آثار الربوبية وشهود الملائكة وتعارف الأرواح من الأنبياء والأولياء وغيرهم فغاب عنك إذ تعلقت بالقالب ونظرت بالحواس الخمس أي: بالمحسوسات من عالم الأجسام وأما الغيب الذي غبت عنه فغيب الغيب وهو حضرة الربوبية قد غبت عنه بالوجود وما غاب عنك بالوجود وهو معكم أينما كنتم أنت بعيد منه وهو قريب منك كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] انتهى كلام الشيخ نجم الدين قدس سره قال الشيخ سعدي:

دوست نزديكتر ازمن بمنست ... وين عجبتركه من ازوي دورم
چه كنم باكه توان كفت كه او ... در كنار من ومن مهجورم

﴿**ويقيمون الصلاة**﴾ الصلاة اسم للدعاء كما في قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] أي: ادع لهم والثناء كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ﴾ [الأحزاب: ٥٦] والقراءة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء: ١١٠] أي: بقراءتك والرحمة كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٥٧] والصلاة المشروعة المخصوصة بأفعال وأذكار سميت بها لما في قيامها من القراءة وفي قعودها من الثناء والدعاء ولفاعلها من الرحمة. والصلاة في هذه الآية اسم جنس أريد بها الصلوات الخمس، وإقامتها عبارة عن المواظبة عليها من قامت السوق إذ نفقت أو عن التشمر لأدائها من غير فتور ولا توان من قولهم: قام بالأمر وأقامه إذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الأمر وتقاعد أو عن أدائها فإن قول المؤذن (قد قامت الصلاة) معناه أخذوا في أدائها عبر عن أدائها بالإقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح أو عن تعديل أركانها وحفظها من أن يقع في شيء من فرائضها وسننها وأدائها زيغ من أقام العود إذا قومه وعدله وهو الأظهر لأنه أشهر وإلى الحقيقة أقرب وأفيَد لتضمنه التنبيه على أن الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والإقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٥]. قال إبراهيم النخعي: إذا رأيت رجلاً يخفف الركوع والسجود فترحم على عياله يعني: من ضيق المعيشة. وذكر أن حاتماً الزاهد دخل على

عاصم بن يوسف فقال له عاصم: يا حاتم هل تحسن أن تصلي؟ فقال: نعم قال: كيف تصلي؟ قال: إذا تقارب وقت الصلاة أسبغ الوضوء ثم أستوي في الموضع الذي أصلي فيه حتى يستقر كل عضو مني وأرى الكعبة بين حاجبي والمقام بحيال صدري والله فوقي يعلم ما في قلبي وكأن قدمي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت خلفي وأظن أنها آخر الصلاة ثم أكبر تكبيراً بإحسان وأقرأ قراءة بتفكر وأركع ركوعاً بالتواضع وأسجد سجوداً بالتضرع ثم أجلس على التمام وأتشهد على الرجاء وأسلم على السنة ثم أسلمها للإخلاص وأقوم بين الخوف والرجاء ثم أتعاهد على الصبر قال عاصم: يا حاتم أهكذا صلاتك؟ قال: كذا صلاتي منذ ثلاثين سنة فبكى عاصم وقال: ما صليت من صلاتي مثل هذا قط. كذا في «تنبيه الغافلين»: قال السعدي:

كه داند چو دربند حق نيستي اكربي وضو درنماز ايستي

قال في تفسير «التيسير» المذكور في الآية إقامة الصلاة والله تعالى أمر في الصلاة بأشياء بإقامتها بقوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الروم: ٣١] وبالمحافظة عليها وإدامتها بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ٢٣] وبأدائها في أوقاتها بقوله: ﴿كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] وبأدائها في جماعة بقوله: ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣] وبالخشوع فيها بقوله ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ٢] وبعد هذه الأوامر صارت الناس على طبقات: طبقة لم يقبلوها ورأسهم أبو جهل لعنه الله قال الله تعالى في حقه: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾ [القيامة: ٣١] وذكر مصيرهم فقال: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: ٤٢ـ ٤٣] إلى قوله: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ [المدثر: ٤٦] وطبقة قبلوها ولم يؤدوها وهم أهل الكتاب قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [مريم: ٥٩] وهم أهل الكتاب ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريم: ٥٩] وذكر مصيرهم فقال: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] وهي دركة في جهنم هي أهيب موضع فيها تستغيث الناس منها كل يوم كذا وكذا مرة ثم قال الله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ [مريم: ٦٠] أي: من اليهودية والنصرانية ﴿وَءَامَنَ﴾ [مريم: ٦٠] أي: بمحمد ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [مريم: ٦٠] أي: حافظ على الصلاة، وطبقة أدوا بعضاً ولم يؤدوا بعضاً متكاسلين وهم المنافقون قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢] وذكر أن مصيرهم ويل وهو وادٍ في جهنم لو جعلت فيه جبال الدنيا لماعت أي: سالت قال النبي ﷺ: «من ترك صلاة حتى مضى وقتها عذب في النار حقباً» والحقب ثمانون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً كل يوم ألف سنة مما تعدون. قالوا وتأخير الصلاة عن وقتها كبيرة وأصغر الكبيرة ما قيل إنه يكون كأنه زنا بأمه سبعين مرة كما في «روضة العلماء». وطبقة قبلوها وهم يراعونها في مواقيتها بشرائطها ورأسهم المصطفى ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ﴾ [المزمل: ٢٠] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢] الآية وأصحابه كذلك فذكرهم الله تعالى بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١ـ ٢] وذكر مصيرهم فقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ [المؤمنون: ١٠ـ ١١] وهو أرفع موضع في الجنة وأبهاه ينال المؤمن فيه مناه وينظر إلى مولاه. قال الحكماء: كن نجماً فإن لم تستطع فكن قمراً فإن لم تستطع فكن شمساً أي: مصلياً جميع الليل كالنجم يشرق جميع الليل أو كالقمر يضيء

بعض الليل أو كالشمس تضيء بالنهار معناه: فصلٌ بالنهار إن لم تستطع بالليل كذا في «زهرة الرياض». واعلم أن الجماعة من فروض الكفاية وفيها فضل وليست بفرض عند عامة العلماء حتى إذا صلى وحده جاز وإن فاته فضل الجماعة.

وقال أحمد بن حنبل: إن الجماعة فرض وليست بنافلة حتى إذا صلى وحده لم تجز صلاته غير أنها وإن لم تكن فريضة عندنا فالواجب على المسلم أن يتعاهدها ويحفظها قال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١] قال بعضهم المراد من الداعي المؤذنون الذين يدعون إلى الجماعة في الصلوات الخمس وتارك الجماعة شر من شارب الخمر وقاتل النفس بغير حق ومن القتات ومن العاق لوالديه ومن الكاهن والساحر ومن المغتاب وهو ملعون في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وهو ملعون على لسان الملائكة لا يعاد إذا مرض ولا تشهد جنازته إذا مات قال النبي عليه الصلاة والسلام: «تارك الجماعة ليس مني ولا أنا منه ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً» أي: نافلة وفريضة فإن ماتوا على حالهم فالنار أولى بهم كذا في «روضة العلماء». وقال في «نصاب الاحتساب» قال عليه السلام: «لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس وانظر إلى أقوام يتخلفون عن الجماعة فأحرق بيوتهم» وهذا يدل على جواز إحراق بيت الذي يتخلف عن الجماعة لأن الهمَّ بالمعصية لا يجوز من الرسول عليه السلام لأنه معصية فإذا علم جواز إحراق البيت على ترك السنة المؤكدة فما ظنك في إحراق البيت على ترك الواجب والفرض وما ظنك في إحراق آلات المعصية انتهى كلام «النصاب» هذا.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بعث الله نبيه عليه السلام بشهادة أن لا إله إلا الله فلما صدق زاد الصلاة فلما صدق زاد الزكاة فلما صدق زاد الصيام فلما صدق زاد الحج ثم الجهاد ثم أكمل لهم الدين. قال مقاتل: كان النبي عليه السلام يصلي بمكة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشاء فلما عرج به إلى السماء أمر بالصلوات الخمس كما في «روضة الأخيار»، وإنما فرضت الصلاة ليلة المعراج لأن المعراج أفضل الأوقات وأشرف الحالات وأعز المناجات والصلاة بعد الإيمان أفضل الطاعات وفي التعبد أحسن الهيئات ففرض أفضل العبادات في أفضل الأوقات وهو وصول العبد إلى ربه وقربه منه. وأما الحكمة في فرضيتها فلأنه ﷺ لما أسري به شاهد ملكوت السموات بأسرها وعبادات سكانها من الملائكة فاستكثرها عليه السلام غبطة وطلب ذلك لأمته فجمع الله له في الصلوات الخمس عبادات الملائكة كلها لأن منهم من هو قائم ومنهم من هو راكع ومنهم من هو ساجد وحامد ومسبح إلى غير ذلك فأعطى الله تعالى أجور عبادات أهل السموات لأمته إذا قاموا الصلوات الخمس. وأما الحكمة في أن جعلها الله تعالى مثنى وثلاث ورباع فلأنه عليه السلام شاهد هياكل الملائكة تلك الليلة أي: ليلة الإسراء أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع فجمع الله ذلك في صور أنوار الصلوات عند عروج ملائكة الأعمال بأرواح العبادات لأن كل عبادة تتمثل في الهياكل النورانية وصورها كما وردت الإشارات في ذلك بل يخلق الملائكة من الأعمال الصالحة كما ورد في الأحاديث الصحيحة وكذلك جعل الله أجنحة الملائكة على ثلاث مراتب فجعل أجنحتك التي تطير بها إلى الله موافقة لأجنحتهم ليستغفروا لك. وأما الحكمة في كونها خمس صلوات فلأنه عليه السلام بعد سؤاله التخفيف ومراجعته قال له الله تعالى: «يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر حسنات فتلك خمسون صلاة وكانت خمسين على من قبلنا» فحطت ليلة المعراج إلى خمس

تخفيفاً وثبت جزاء الخمسين تضعيفاً. وحكمة أخرى في كونها خمس صلوات أنها كانت متفرقة في الأمم السالفة فجمعها سبحانه لنبيه وأمته لأنه عليه السلام مجمع الفضائل كلها دنيا وآخرة وأمته بين الأمم كذلك فأول من صلى الفجر آدم والظهر إبراهيم والعصر يونس والمغرب عيسى والعشاء موسى عليهم السلام فهذا سر القرار على خمس صلوات وقيل صلى آدم عليه السلام الصلوات الخمس كلها ثم تفرقت بعده بين الأنبياء عليهم السلام وأول من صلى الوتر رسول الله ﷺ ليلة المعراج لذلك قال: «زادني ربي صلاة» أي: الوتر على الخمس أو صلاة الليل فافهم. وأول من بادر إلى السجود جبريل عليه السلام ولذلك صار رفيق الأنبياء وخادمهم وأول من قال: سبحان الله جبريل والحمد لله آدم ولا إله إلا الله نوح والله أكبر إبراهيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كل ذلك في «كشف الكنوز وحل الرموز». وذكر في «الحكم الشاذلية وشرحها»: إنه لما علم الحق منه وجود الملل لون لك الطاعات لتستريح من نوع إلى نوع وعلم ما فيك من وجود الشره المؤدي إلى الملل القاطع عن بلوغ الأمل فحجرها عليك في الأوقات إذ جعل في اليوم خمساً وفي السنة شهراً وفي المائتين خمسة وفي العمر زورة ولكل واحدة في تفاصيلها وقت لا تصح في غيره كل ذلك رحمة بك وتيسيراً للعبودية عليك وقد قيد الله الطاعات بأعيان الأوقات كيلا ينفك عنها وجود التسويف ووسع الوقت عليك كي تبقى صفة الاختيار. قال المولى جلال الدين قدس سره:

كرنباشد فعل خلق اندرميان پس مكوكس راچرا كردي چنان
يك مثال أي: دل پي فرقي بيار تابداني جبررا از اختيار
دست كان لرزان بود ازار تعاش وانكه دستي را تولرزاني زجاش
هردوجنبش آفريده حق شناس ليك نتوان كرد اين با آن قياس

وفي «التأويلات النجمية» بداية الصلاة إقامة ثم إدامة فإقامتها بالمحافظة عليها بمواقيتها وإتمام ركوعها وسجودها وحدودها ظاهراً وباطناً وإدامتها بدوام المراقبة وجمع الهمة في التعرض لنفحات ألطاف الربوبية التي هي مودعة فيها لقوله عليه السلام: «إن لله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها» فصورة الصلاة صورة التعرض والآمر بها صورة جذبة الحق بأن يجذب صورتك عن الاستعمال لغير العبودية وسر الصلاة حقيقة التعرض ففي كل شرط من شرائط صورتها وركن من أركانها وسنة من سننها وأدب من آدابها وهيئة من هيئاتها سرّ يشير إلى حقيقة التعرض لها، ومن شرائط الصلاة الوضوء ففي كل أدب وسنة وفرض منه سرّ يشير إلى طهارة يستعد بها لإقامة الصلاة ففي غسل اليدين إشارة إلى تطهير نفسك عن تلوث المعاصي وتطهير قلبك عن تلطخ الصفات الذميمة الحيوانية والسبعية والشيطانية كما قال تعالى لحبيبه عليه السلام: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ [المدثر: ٤] جاء في «التفسير» أي: قلبك فطهر وغسل الوجه إشارة إلى طهارة وجه همتك من دنس ظلمة حب الدنيا فإنه رأس كل خطيئة.

ومن شرائط الصلاة استقبال القبلة وفيه إشارة إلى الإعراض عما سوى طلب الحق والتوجه إلى حضرة الربوبية لطلب القربة والمناجاة ورفع اليدين إشارة إلى رفع يد الهمة عن الدنيا والآخرة والتكبير تعظيم الحق بأنه أعظم من كل شيء في قلب العبد طلباً ومحبة وعظماً وعزة ومقارنة النية مع التكبير إشارة إلى أن صدق النية في الطلب ينبغي أن يكون مقروناً بتكبير الحق وتعظيمه في الطلب عن غيره فلا تطلب منه إلا هو فإن من طلب غيره فقد كبر وعظم

ذلك المطلوب لا الله تعالى فلا تجوز صلاته حقيقة كما لا تجوز صلاته صورة إلا بتكبير الله فإن قال الدنيا أكبر والعقبى أكبر لا يجوز حتى يقول الله أكبر فكذلك في الحقيقة وفي وضع اليمنى على اليسرى ووضعهما على الصدر إشارة إلى إقامة رسم العبودية بين يدي مالكه وحفظ القلب عن محبة ما سواه وفي افتتاح القراءة بوجهت إشارة إلى توجهه للحق خالصاً عن شرك طلبه غير الحق وفي وجوب الفاتحة وقراءتها وعدم جواز الصلاة بدونها إشارة إلى حقيقة تعرض العبد في الطلب لنفحات ألطاف الربوبية بالحمد والثناء والشكر لرب العالمين وطلب الهداية وهي الجذبات الإلهية التي توازي كل جذبة منها عمل الثقلين وتقرب العبد بنصف الصلاة المقسومة بين العبد والرب نصفين والقيام والركوع والسجود إشارة إلى رجوعه إلى عالم الأرواح ومسكن الغيب كما جاء منه فأول تعلقه بهذا العالم كان بالنباتية ثم بالحيوانية ثم بالإنسانية فالقيام من خصائص الإنسان والركوع من خصائص الحيوان والسجود من خصائص النبات كما قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ [الرحمٰن: ٦] فللعبد في كل مرتبة من هذه المراتب ربح وخسران والحكمة في تعلق الروح العلوي النوراني بالجسد السفلي الظلماني كان هذا الربح لقوله تعالى على لسان نبيه عليه السلام: «خلقت الخلق ليربحوا علي لا لأربح عليهم» ليربح الروح في كل مرتبة من مراتب السفليات فائدة لم توجد في مراتب العلويات وإن كان قد ابتلي أولاً ببلاء الخسران كما قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر: ١ ـ ٣] الآية فبنور الإيمان والعمل الصالح يتخلص العبد من بلاء خسران المراتب السفلية ويفوز بربحها فبالقيام في الصلاة بالتذلل وتواضع العبودية يتخلص من خسران التكبر والتجبر الذي من خاصته أن يتكامل في الإنسان ويظهر منه ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] ويفوز بربح علو الهمة الإنسانية التي إذا كملت في الإنسان لا يلتفت إلى الكون في طلب المكون كما كان حال النبي عليه السلام ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٦ ـ ١٨] فإذا تخلص من التكبر الإنساني يرجع من القيام الإنساني إلى الركوع الحيواني بالانكسار والخضوع فبالركوع يتخلص من خسران الصفة الحيوانية ويفوز بربح تحمل الأذى والحلم ثم يرجع من الركوع الحيواني إلى السجود النباتي فبالسجود يتخلص من خسران الذلة النباتية والدناءة السفلية ويفوز بربح الخشوع الذي يتضمن الفلاح الأبدي والفوز العظيم السرمدي كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢] فالخشوع أكمل آلات العروج في العبودية وقد حصل في تعلقه بالجسد النيراني وليس لأحد من العالمين هذا الخشوع وبهذا السر أبت الملائكة وغيرهم أن يحملن الأمانة فأشفقن منها لأن الاباء ضد الخشوع وحملها الإنسان باستعداد الخشوع وكمل خشوعه بالسجود إذ هو غاية التذلل في صورة الإنسان وهيئة الصلاة ونهاية قطع تعلق الروح من العالم السفلي وعروجه إلى العالم الروحاني العلوي برجوعه من مراتب الإنسانية والحيوانية والنباتية وكمال التعرض لنفحات ألطاف الحق وبذل المجهود وإنفاق الموجود من أنانية الوجود الذي هو من شرط المصلين كقوله تعالى: **﴿ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾** الرزق في اللغة العطاء. وفي العرف ما ينتفع به الحيوان وهو تناول الحلال والحرام عند أهل السنة والقرينة تخصصه ههنا بالحلال لأن المقام مقام المدح وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤوس الآي وإدخال من التبعيضية عليه للكف عن الإسراف المنهي عنه وصيغة الجمع في

رزقنا مع أنه تعالى واحد لا شريك له لأنه خطاب الملوك والله تعالى مالك الملك وملك الملوك والمعهود من كلام الملوك أربعة أوجه: الإخبار على لفظ الواحد نحو فعلت كذا وعلى لفظ الجمع فعلنا كذا وعلى ما لم يسم فاعله رسم لكم كذا وإضافة الفعل إلى اسمه على وجه المغايبة أمركم سلطانكم بكذا والقرآن نزل بلغة العرب فجمع الله فيه هذه الوجوه كلها فيما أخبر به عن نفسه فقال تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ⑪﴾ [المدثر: ١١] على صيغة الواحد وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ①﴾ [القدر: ١] على صيغة الجمع وقال فيما لم يسم فاعله ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] وأمثاله وقال في «المغايبة»: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [الروم: ٥٤] وأمثاله كذا في «التيسير». ويقول الفقير جامع هذه اللطائف: سمعت من شيخي العلامة أبقاه الله بالسلامة إن الإفراد بالنظر إلى الذات والجمع بالنظر إلى الأسماء والصفات ولا ينافي كثرة الأسماء والصفات وحدة الذات إذ كل منها راجع إليها والإنفاق والإنفاد أخوان خلا أن في الثاني معنى الإذهاب بالكلية دون الأول والمراد بهذا الإنفاق الصرف إلى سبيل الخير فرضاً كان أو نفلاً ومن فسره بالزكاة ذكر أفضل أنواعه والأصل فيه أو خصصه بها لاقترانه بما هي شقيقتها وأختها وهي الصلاة وقد جوز أن يراد به الإنفاق من جميع المعادن التي منحهم الله إياها من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله ﷺ: «إن علماً لا ينال به ككنز لا ينفق منه» وإليه ذهب من قال في تفسير الآية ومما خصصناهم من أنوار المعرفة يفيضون والأظهر أن يقال المراد من النفقة هي الزكاة وزكاة كل شيء من جنسه كما روي عن أنس بن مالك (زكاة الدار أن يتخذ فيها بيت للضيافة) كما في «الرسالة القشيرية». قالوا: إنفاق أهل الشريعة من حيث الأموال وإنفاق أرباب الحقيقة من حيث الأحوال: قال المولى جلال الدين قدس سره:

آن درم دادن سخي را لايق است جان سپر دن خود سخاي عاشق است

وإنفاق الأغنياء من أموالهم لا يدخرونها عن أهل الحاجة وإنفاق العابدين من نفوسهم لا يدخرونها عن وظائف الخدمة وإنفاق العارفين من قلوبهم لا يدخرونها عن حقائق المراقبة وإنفاق المحبين من أرواحهم لا يدخرونها عن مجاري الأقضية. والأقصر أن يقال إنفاق الأغنياء إخراج المال من الجيب وإنفاق الفقراء إخراج الأغيار من القلب ثم ذكر في الآية الإيمان وهو بالقلب ثم الصلاة وهي بالبدن ثم الإنفاق وهو بالمال وهو مجموع كل العبادات ففي الإيمان النجاة وفي الصلاة المناجاة وفي الإنفاق الدرجات وفي الإيمان البشارة وفي الصلاة الكفارة وفي الإنفاق الطهارة وفي الإيمان العزة وفي الصلاة القربة وفي الإنفاق الزيادة. وقيل: ذكر في هذه الآية أربعة أشياء: التقوى، والإيمان، والغيب، وإقامة الصلاة والإنفاق وهي صفة الخلفاء الراشدين الأربعة ففي الآية بيان فضلهم التقوى لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ⑤ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ⑥﴾ [الليل: ٥-٦] والإيمان بالغيب لعمر الفاروق رضي الله عنه قال الله تعالى: ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤] وإقامة الصلاة لعثمان ذي النورين رضي الله تعالى عنه قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ [الزمر: ٩] الآية والإنفاق لعلي المرتضى رضي الله تعالى عنه قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة: ٢٧٤] الآية، وعند القوم أي: الصوفية السخاء هو الرتبة الأولى ثم الجود بعده ثم الإيثار فمن أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئاً فهو صاحب جود والذي قاسى الضرورة وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب

إيثار وبالجملة في الإنفاق فضائل كثيرة.

وروي عن أبي عبد الله الحارث الرازي أنه قال: أوحى الله إلى بعض أنبيائه (أني قضيت عمر فلان نصفه بالفقر ونصفه بالغنى فخيره حتى أقدم له أيهما شاء) فدعا نبي الله عليه السلام الرجل وأخبره فقال حتى أشاور زوجتي فقالت زوجته: اختر الغنى حتى يكون هو الأول فقال لها: إن الفقر بعد الغنى صعب شديد والغنى بعد الفقر طيب لذيذ فقالت: لا بل أطعني في هذا فرجع إلى النبي عليه السلام فقال: أختار نصف عمري الذي قضى لي فيه بالغنى أن يقدم فوسع الله عليه الدنيا وفتح عليه باب الغنى فقالت له امرأته: إن أردت أن تبقى هذه النعمة فاستعمل السخاء مع خلق ربك فكان إذا اتخذ لنفسه ثوباً اتخذ لفقير ثوباً مثله فلما تم نصف عمره الذي قضى له فيه بالغنى أوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان (إني كنت قضيت نصف عمره بالفقر ونصفه بالغنى لكني وجدته شاكراً لنعمائي والشكر يستوجب المزيد فبشره أني قضيت باقي عمره بالغنى)، قال المولى جلال الدين قدس سره:

هر كه كادر كردد انبارش تهي ليكش اندر مزرعه باشد بهي
وانكه در انبار ماند وصرفه كرد اسپش وموش حوادثها ش خورد

قال الحافظ:

احوال كنج قارون كأيام داد برباد باغنچه باز كوييد تازر تهان ندارد

وفي «التأويلات النجمية» ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾ أي: من أوصاف الوجود يبذلون بحق النصف المقسوم من الصلاة بين العبد والرب فإذا بلغ السيل زباه والتعرض منتهاه أدركته العناية الأزلية بنفحات ألطافه وهداه إلى درجات قرباته فكما كان جذبة الحق للنبي عليه السلام في صورة خطاب (ادن) فجذبة الحق للمؤمن تكون في صورة خطاب ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩] ففي التشهد بعد السجود إشارة إلى الخلاص من حجب الأنانية والوصل إلى شهود جمال الحق بجذبات الربانية ثم بالتحيات يراقب رسوم العباد في الرجوع إلى حضرة الملوك بمراسم تحفة الثناء والتحنن إلى اللقاء وفي التسليم عن اليمين وعن الشمال إشارة إلى السلام على الدارين وعلى كل داع جاهل يدعوه عن اليمين إلى نعيم الجنات أو عن الشمال إلى اللذات والشهوات وهو في مقامات الإجابات والمناجاة ودرجات القربات مستغرق في بحر الكرامات مقيد بقيد الجذبات كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] فأهل الصورة بالسلام يخرجون من إقامة الصلاة وأهل الحقيقة بالسلام يدخلون في إدامة الصلاة كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ٢٣] فقوم يقيمون الصلاة والصلاة تحفظهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فهم ﴿**الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**﴾ بما لهم في الغيب معد بقوله: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» فعلموا أن ما هو المعد لهم لا تدركه الأبصار ولا الآذان ولا القلوب التي رزقهم الله وليس بينهم وبين ما هو المعد لهم حجاب إلا وجودهم فاشتاقوا إلى نار تحرق عليهم حجاب وجودهم فآنسوا من جانب طور صلاتهم ناراً لأن صلاتهم بمثابة الطور لهم للمناجاة فلما أتاها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين فجعلوا ما رزقهم الله من أوصاف الوجود حطب نار الصلاة ينفقونه عليها ويقيمون الصلاة حتى نودوا أنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها

واردون ومن لم يكن له نار تحرق في نار جهنم الصلاة حطب وجوده ووجود كل من يعبد من دون الله فلا بد له من الحرقة بنار جهنم الآخرة فالفرق بين النارين أن نار الصلاة تحرق لب وجودهم الذي هم به محجوبون عن الله تعالى ويبقى جلد وجودهم وهو الصورة والحجاب من لب الوجود لا من جلده وهذا سر عظيم لا يطلع عليه إلا أولو الألباب المحترقة ونار جهنم تحرق جلودهم ويبقى لب وجودهم لا جرم لا ترفع الحجب عنهم ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] لأن اللب باق والجلد وإن احترق بقي اللب كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] فمن أنفق لب الوجود وما تبدى منه له الوجود من المال والجاه في سبيل نار الصلاة والقربة إلى الله فينفق الله عليه وجود نار الصلاة كما قال لحبيبه عليه السلام: (أنفق عليك) فبقي بنار الصلاة بلا أنانية الوجود فتكون صلاته دائمة بنور نار الصلاة يؤمن بما أنزل على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿**والذين يؤمنون**﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب وما قبله إلى قوله تعالى: ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾ نزلت في مؤمني العرب ﴿**بما أنزل إليك**﴾ هو القرآن بأسره والشريعة عن آخرها والتعبير عن إنزاله بالماضي مع كون بعضه مترقباً حينئذٍ لتغليب المحقق على المقدر أو لتنزيل ما في شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠] مع أن الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعاً ولا كان الجمع إذ ذاك نازلاً.

وفي «الكواشي» لأن القرآن شيء واحد في الحكم ولأن المؤمن ببعضه مؤمن بكله انتهى ثم معنى ما أنزل إليك هو القرآن الذي يتلى والوحي الذي لا يتلى فالمتلو هو هذه الصورة والآيات وغير المتلو ما بين النبي عليه السلام من أعداد الركعات ونصب الزكوات وحدود الجنايات قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣ ـ ٤] والإنزال في هذه الآية بمعنى الوحي ويكون بمعنى الإعلاء وهو النقل من الأسفل إلى الأعلى وإن حمل على الإنزال الذي هو من العلو إلى السفل فمعناه إنزال جبريل لتبليغه كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣] يعني: أن الإنزال نقل الشيء من أعلى إلى أسفل وهو إنما يلحق المعاني بتوسط لحقوقه الذوات الحاملة لها فنزول ما عدا الصحف من الكتب الإلۤهية إلى الرسل عليهم السلام والله أعلم بأن يتلقاها الملك من جنابه عز وجل تلقياً روحانياً أو يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها إلى الرسل فيلقيها عليهم ﴿**وما أنزل من قبلك**﴾ التوراة والإنجيل وسائر الكتب السالفة والإيمان بالكل جملة فرض عين وبالقرآن تفصيلاً من حيث أنا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فإن في وجوبه على الكل عيناً حرجاً بيناً وإخلالاً بأمر المعاش. قال في «التيسير» الإيمان بكل الكتب مع تنافي أحكامها على وجهين أحدهما التصديق أن كلها من عند الله والثاني الإيمان بما لم ينسخ من أحكامها ﴿**وبالآخرة**﴾ تأنيث الآخر الذي يقابل الأول وهو في المعدودات اسم للفرد اللاحق وهي صفة الدار بدليل قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ [القصص: ٨٣] وهي من الصفات الغالبة وكذا الدنيا والآخرة بفتح الخاء الذي يلي الأول وسميت الدنيا دنيا لدنوها من الآخرة وسميت الآخرة آخرة لتأخرها وكونها بعد الدنيا ﴿**هم يوقنون**﴾ الإيقان إتقان العلم بالشيء بنفي الشك والشبهة عنه نظراً واستدلالاً ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقيناً وكذا العلوم الضرورية أي: يعلمون علماً قطعياً مزيحاً لما كان أهل الكتاب عليه من الشكوك والأوهام التي من جملتها زعمهم أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً أو نصارى وأن

النار لم تمسهم إلا أياماً معدودات واختلافهم في أن نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا أو لا وهل هو دائم أو لا فقال فرقة منهم يجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا وقال آخرون إن ذلك إنما احتيج إليه في هذه الدار من أجل نماء الأجسام ولمكان التوالد والتناسل وأهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون إلا بالنسيم والأرواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور وبناء يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من أهل الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته فإن اعتقادهم في أمور الآخرة بمعزل من الصحة فضلاً عن الوصول إلى مرتبة اليقين فدل التقديم على التخصيص بأن إيقان من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك مقصور على الآخرة الحقيقية لا يتجاوز إلى ما أثبته الكفار بالإقرار من أهل الكتاب.

قال أبو الليث رحمه الله في «تفسيره»: اليقين على ثلاثة أوجه يقين عيان ويقين خبر ويقين دلالة فأما يقين العيان فهو أنه إذا رأى شيئاً زال الشك عنه في ذلك الشيء وأما يقين الدلالة فهو أن يرى الرجل دخاناً ارتفع من موضع يعلم باليقين أن هناك ناراً وإن لم يرها وأما يقين الخبر فهو أن الرجل يعلم باليقين أن في الدنيا مدينة يقال لها بغداد وإن لم ينته إليها فههنا يقين خبر ويقين دلالة لأن الآخرة حق ولأن الخبر يصير معاينة عند الرؤية انتهى كلامه.

ويقال: علم اليقين ظاهر الشريعة وعين اليقين الإخلاص فيها وحق اليقين المشاهدة فيها والعلم اليقين هو العلم الحاصل بالإدراك الباطني بالفكر الصائب والاستدلال وهذا للعلماء الذين يوقنون بالغيب ولا تزيد هذه المرتبة العلمية إلا بمناسبة الأرواح القدسية فإذاً يكون العلم عيناً ولا مرتبة للعين إلا اليقين الحاصل من مشاهدة المعلوم ولا تزيد هذه المرتبة إلا بزوال حجاب الإثنينية فإذاً يكون العين حقاً وزيادة هذه المرتبة أي: حق اليقين عدم ورود الحجاب بعده وعينه للأولياء وحقه للأنبياء وهذه الدرجات والمراتب لا تحصل إلا بالمجاهدة مثل دوام الوضوء وقلة الأكل والذكر أو السكوت بالفكر في ملكوت السموات والأرض وبأداء السنن والفرائض وترك ما سوى الحق والغرض وتقليل المنام والعرض وأكل الحلال وصدق المقال والمراقبة بقلبه إلى الله تعالى فهذه مفاتيح المعاينة والمشاهدة كذا في «شرح النصوص المسمى بأسرار السرور بالوصول إلى عين النور». ثم ثمرة اليقين بالآخرة الاستعداد لها فقد قيل عشرة من المغرورين من أيقن أن الله خالقه ولا يعبده ومن أيقن أن الله رازقه ولا يطمئن به ومن أيقن أن الدنيا زائلة ويعتمد عليها ومن أيقن أن الورثة أعداؤه ويجمع لهم:

توباخود ببرتوشة خويشتن   كه شفقت نيايد زفر زندوزن

ومن أيقن أن الموت آت فلا يستعد له ومن أيقن أن القبر منزله فلا يعمره ومن أيقن أن الديان يحاسبه فلا يصحح حجته ومن أيقن أن الصراط ممره فلا يخفف ثقله ومن أيقن أن النار دار الفجار فلا يهرب منها ومن أيقن أن الجنة دار الأبرار فلا يعمل لها كما في «التيسير». قال ذو النون المصري: اليقين داع إلى قصر الأمل وقصر الأمل يدعو إلى الزهد والزهد يورث الحكمة والحكمة تورث النظر في العواقب. قال أبو علي الدقاق ـ رحمه الله ـ في قول النبي عليه السلام في عيسى ابن مريم عليهما السلام: «لو لم يزدد يقيناً ما مشى في الهواء» أشار بهذا الحديث إلى حال نفسه ﷺ ليلة المعراج لأن في لطائف المعراج أنه قال: رأيت البراق قد بقي ومشيت. وقال أبو تراب: رأيت غلاماً في البادية يمشي بلا زاد فقلت: إن لم يكن معه يقين فقد

هلك فقلت: يا غلام أتمشي في مثل هذا الموضع بلا زاد؟ فقال: يا شيخ ارفع رأسك هل ترى غير الله تعالى؟ فقلت: الآن فاذهب حيث شئت. قال إبراهيم الخواص: طلبت المعاش لآكل الحلال فاصطدت السمك فيوماً وقع في الشبكة سمكة فأخرجتها وطرحت الشبكة في الماء فوقعت أخرى فيها ثم عدت فهتف بي هاتف لم تجد معاشاً إلا أن تأتي إلى من يذكر الله فتقتلهم فكسرت القصبة وتركت كذا في «الرسالة القشيرية».

وذكر في «التأويلات النجمية» أن من تخلص من ذل الحجاب الوجودي يجد عزة الإيقان بالأمور الأخروية وكان مؤمناً بها من وراء الحجاب فصار موقناً بها بعد رفع الحجاب كما قال أمير المؤمنين على كرم الله وجه لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً لأن من كشف عنه غطاء الوجود لا يحجبه غطاء المحسوسات الدنيوية عن الأمور الأخروية فبكشف الحجب يتخلصون من مرتبة الإيمان إلى مرتبة الإيقان كما قال تعالى: ﴿**وبالآخرة هم يوقنون**﴾ ولكن هذا خاص أي: يوقنون بالآخرة دون ما أنزل على الأنبياء من الكتب فإنهم لا يتخلصون من مرتبة الإيمان بالله وكتبه أبداً وهذا سر عظيم وما رأيت أحداً فرق بين هاتين المرتبتين وذلك لأنه لا يمكن للإنسان أن يشاهد الأمور الأخروية كلها بطريق الكشف في الدنيا وأما بطريق المشاهدة في العقبى فيصير موقناً بها بعدما كان مؤمناً كما قال تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] فأما ما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته فلا يمكن لأحد أن يشاهده بالكلية لأنه منزه عن الكل والجزء فأرباب المشاهدة وإن فازوا بشهادة شهود صفات جماله وجلاله عين اليقين بل حق اليقين ولكن لم يتخلصوا من مرتبة الإيمان بما لم يشاهدوا بعد ولا يحيطون به علماً إلى أبد الآباد بل ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾

﴿**أولئك**﴾ الجملة في محل الرفع أن جعل أحد الموصولين مفصولاً عن المتقين خبر له وكأنه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك؟ أجيب بقوله: ﴿**الذين يؤمنون**﴾ إلى آخر الآيات وإلا فاستئناف لا محل لها فكأنه نتيجة الأحكام السابقة والصفات المتقدمة. وأولاء جمع لا واحد له من لفظه بني على الكسر وكافه للخطاب كالكاف في ذلك أي: المذكورون قبله وهم المتقون الموصوفون بالإيمان بالغيب وسائر الأوصاف المذكورة بعده وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك أكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله عز وجل: ﴿**على هدى**﴾ خبره وما فيه من الإبهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كأنه قيل على هدى أي: هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كما تقول: لو أبصرت فلاناً لأبصرت رجلاً وإيراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من يقبل الشيء ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد وذلك إنما يحصل باستفراغ الفكر وإدامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل يعني أكرمهم الله في الدنيا حيث هداهم وبين لهم طريق الفلاح قبل الموت ﴿**من ربهم**﴾ متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الإضافية إثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها أي: على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع أنواع هدايته تعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لغاية تفخيم

الموصوف والمضاف إليهم وتشريفهما. ثم في هذه الآية ذكر الهدى للموصوفين بكل هذه الصفات وفي قوله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾ [البقرة: ١٣٧] ذكر لهم الهداية بالإقرار والإعتقاد بدون سائر الطاعات بياناً لشرف الإيمان وجلال قدره وعلو أمره فإنه إذا قوي لم يبطله نفس المخالفات بل هو الذي يغلب فيرد إلى التوبة بعد التمادي في البطالات وكما هدى اليوم إلى الإيمان يهدي غداً إلى الجنان قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ [يونس: ٩] وذلك أن المطيعين يسعى نورهم بين أيديهم وبإيمانهم وهم على مراكب طاعاتهم والملائكة تتلقاهم قال تعالى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ۝٨٥﴾ [مريم: ٨٥] وتتلقاهم الملائكة وتبقي العصاة منفردين منقطعين في متاهات القيامة ليس لهم نور الطاعات ولا في حقهم استقبال الملائكة فلا يهتدون السبيل ولا يهديهم دليل فيقول الله لهم: عبادي ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ۝٥٥﴾ [يس: ٥٥] إن أهل الجنة من حسن الثواب لا يتفرغون لكم وأهل النار من شدة العقاب لا يرحمونكم معاشر المساكين سلام عليكم كيف أنتم إن كان أشكالكم سبقوكم ولم يهدوكم فأنا هاديكم إن عاملتكم بما تستوجبون فأين الكرم؟! كذا في «التيسير»، قال السعدي:

نه يوسف كه چندان بلاديد وبند ... چوحكمش روان كشت وقد رش بلند
كنه عفو كرد آل يعقوبرا ... كه معنى بود صورت خوبرا
بكردار بد شان مقيد نكرد ... بضاعات مزجاتشان ردنكرد
ز لطفت همي چشم داريم نيز ... برين بي بضاعت يخش أي: عزيز
بضاعت نياوردم إلا أميد ... خدايا زعفوم مكن نا أميد

﴿**وأولئك هم المفلحون**﴾ تكرير أولئك للدلالة على أن كل واحد من الحكمين مستبد في تميزهم به عن غيرهم فكيف بهما؟! وتوسط العطف بينهما تنبيه على تغايرهما في الحقيقة وفائدة الفصل بين المبتدأ والخبر الدلالة على أن ما بعده خبر لا صفة وأن المسند ثابت للمسند إليه دون غيره فصفة الفلاح مقصورة عليهم لا تتجاوز إلى من عداهم من اليهود والنصارى ولا يلزم من هذا أن لا يكون للمتقين صفة أخرى غير الفرح فالقصر قصر الصفة على الموصوف لا العكس حتى يلزم ذلك والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم نستغلق عليه والتركيب دال على معنى الشق والفتح والقطع ومنه سمي الزارع فلاحاً لأنه يشق الأرض وفي المثل الحديد بالحديد يفلح أي: يقطع والمعنى هم الفائزون بالجنة والناجون من النار يوم القيامة والمقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة. وحاصل الفلاح يرجع إلى ثلاثة أشياء:

أحدها: الظفر على النفس فلم يتابعوا هواها، والدنيا فلم يطغوا بزخارفها، والشيطان فلم يفتنوا بوساوسه، وقرناء السوء فلم يبتلوا بمكروهاتهم.

والثاني: النجاة من الكفر، والضلالة، والبدعة، والجهالة، وغرور النفس، ووسوسة الشيطان، وزوال الإيمان، وفقد الأمان، ووحشة القبور، وأهوال النشور، وزلة الصراط، وتسليط الزبانية الشداد الغلاظ، وحرمان الجنان، ونداء القطيعة والهجران.

والثالث: البقاء في الملك الأبدي، والنعيم السرمدي، ووجدان ملك لا زوال له، ونعيم لا انتقال له، وسرور لا حزن معه، وشباب لا هرم معه، وراحة لا شدة معها، وصحة لا علة

معها، ونيل نعيم لا حساب معه، ولقاء لا حجاب له كذا في تفسير «التيسير».

وقد تشبثت الوعيدية بالآية في خلود الفساق من أهل القبلة في العذاب ورد بأن المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح لهم رأساً كما في «تفسير البيضاوي».

قال الشيخ نجم الدين داية قدس سره: ذكر هدى بالنكرة أي: على كشف من كشوف ربهم ونور من أنواره وسر من أسراره ولطف من ألطافه وحقيقة من حقائقه فإن جميع ما أنعم الله به على أنبيائه وأوليائه بالنسبة إلى ما عنده من كمال ذاته وصفاته وإنعامه وإحسانه قطرة من بحر محيط لا يعتريه القصور من الإنفاق أبداً كما قال النبي ﷺ: «يمين الله ملأى لا ينقصها نفقة سخاء الليل والنهار» وفيه إشارة لطيفة وهي أنهم بذلك الهدى آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون وأولئك هم المفلحون الذين تخلصوا من حجب الوجود بنور نار الصلاة وشاهدوا الآخرة وجذبتهم العناية بالهداية إلى مقامات القربة وسرادقات العزة فما نزلوا بمنزل دون لقائه وما حطوا رحالهم إلا بفنائه فازوا بالسعادة العظمى والمملكة الكبرى ونالوا الدرجة العليا وحققوا قول الحق و ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨﴾ [العلق: ٨] انتهى كلام الشيخ في «تأويلاته» قال المولى جلال الدين قدس سره:

كرهمي خواهي كه بفروزي چوروز هستيء همچون شب خودرا بسور
هستيت درهست آن هستي نواز همچومس در كيميا اندر كداز

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾.

﴿إن الذين كفروا﴾ لما ذكر خاصة عباده وخالصة أوليائه بصفاتهم التي أهلتهم للهدى والفلاح عقبهم أضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يغني عنهم الآيات والنذر وتعريف الموصوف إما للعهد والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأحبار اليهود أو للجنس متناولاً كل من صمم على كفرهم تصميماً لا يرعوي بعده وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما أسند إليه. والكفر لغة: الستر والتغطية وفي الشريعة: إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول ﷺ به وإنما عدّ لباس الغيار وشد الزنار بغير اضطرار ونظائرهما كفراً لدلالته على التكذيب فإن من صدق النبي ﷺ لا يكاد يجترىء على أمثال ذلك إذ لا داعي إليه كالزنى وشرب الخمر لا لأنه كفر في نفسه. والكافر في القرآن على أربعة أوجه:

أحدها: نقيض المؤمن قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٨٨].

والثاني: الجاحد قال تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] أي: جحد وجوب الحج.

والثالث: نقيض الشاكر قال تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

والرابع: المتبرىء قال تعالى: ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٍ﴾ [العنكبوت: ٢٥] أي: يتبرأ بعضكم من بعض كذا في «التيسير». وقال في «البغوي»: الكفر على أربعة أوجه: كفر الإنكار: وهو أن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به وكفر الجحود: وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر إبليس قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩] وكفر العناد وهو أن يعرف بقلبه ولا يعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

وكفر النفاق وهو أن يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب وجميع هذه الأنواع سواء في أن من لقي الله بواحد منها لا يغفر له انتهى كلام البغوي لكن الكلام في أبي طالب سيجيء عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩] ﴿سواء عليهم﴾ أي: عندهم وهو اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر مبالغة قال الله تعالى: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] وارتفاعه على أنه خبر لأن وقوله تعالى: ﴿ءأنذرتهم﴾ يا محمد ﴿أم لم تنذرهم﴾ مرتفع على الفاعلية لأن الهمزة وأم مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق معنى الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الأمر والنهي لذلك عن معنييهما في قوله عز وجل: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] وحرف النداء في قولك: اللهم اغفر لنا أيتها العصابة وعن معنى الطلب لمجرد التخصيص كأنه قيل: إن الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كقولك إن زيداً مختصم أخوه وابن عمه. وأصل الإنذار الإعلام بأمر مخوف وكل منذر معلم وليس كل معلم منذراً كما في تفسير أبي الليث والمراد هٰهنا التخويف من عذاب الله وعقابه على المعاصي وإنما اقتصر عليه لما أنهم ليسوا بأهل للبشارة أصلاً ولأن الإنذار أوقع في القلوب وأشد تأثيراً في النفوس فإن دفع المضار أهم من جلب المنافع فحيث لم يتأثروا به فلأن لا يرفعوا للبشارة رأساً أولى، وإنما لم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الأصنام: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣] لأن إنذارك وترك إنذارك ليسا سواء في حقك لأنك تثاب على الإنذار وإن لم يؤمنوا فأما في حقهم فهما سواء لأنهم لا يؤمنون في الحالين وهو نظير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه يثاب به الآمر وإن لم يعمل به المأمور وكان هؤلاء القوم كقوم هود الذين قالوا لهود عليه السلام: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦] وقال تعالى في حق هؤلاء ﴿سواء عليهم﴾ الخ ويقال لهم في القيامة ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الطور: ١٦] واخبر عنهم أنهم يقولون ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١] فلما كان الوعظ وتركه سواء كان صبرهم في النار وتركه سواء وجزعهم فيها وتركه سواء وأنت إذا كان عصيانك في الشباب والشيب سواء وتماديك في الصحة والمرض سواء وإعراضك في النعمة والمحنة سواء وقسوتك على القريب والبعيد سواء وزيغك في السر والعلانية سواء أما تخشى أن تكون توبتك عند الموت وإصرارك عند النزع وسكوتك سواء وزيارة الصالحين لك وامتناعهم سواء وقيام الشفعاء بأمرك وتركهم سواء كذا في تفسير «التيسير» ﴿لا يؤمنون﴾ جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه من إجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الإعراب ثم هذا تخفيف للنبي عليه السلام وتفريغ لقلبه حيث أخبره عن هؤلاء بما أخبر به نوحاً صلوات الله عليه وعلى سائر الأنبياء في الانتهاء فإنه قال تعالى لنوح عليه السلام بعد طول الزمان ومقاساة الشدائد والأحزان ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦] فدعا بهلاكهم بعد ذلك وكذلك سائر الأنبياء. وفي الآية الكريمة إخبار بالغيب على ما هو به إن أريد بالموصول أشخاص بأعيانهم فهي من المعجزات الباهرة وفي الآية إثبات فعل العباد فإنه قال ﴿لا يؤمنون﴾ وفيه إثبات الاختيار ونفي الإكراه والإجبار فإنه لم يقل لا يستطيعون بل قال لا يؤمنون.

فإن قلت: لما علم الله أنهم لا يؤمنون فلم أمر النبي عليه السلام بدعائهم.

قلت: فائدة الإنذار بعد العلم بأنه لا ينجع إلزام الحجة كما أن الله تعالى بعث موسى إلى فرعون ليدعوه إلى الإسلام وعلم أنه لا يؤمن قال الله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ [طه: ١٣٤]. فإن قلت: لما أخبر الله رسوله أنهم لا يؤمنون؟ فهلا أهلكهم كما أهلك قوم نوح بعدما أخبر أنهم لا يؤمنون. قلت: لأن النبي عليه السلام كان رحمة للعالمين كما ورد به الكتاب وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣] ثم إن الإخبار بوقوع الشيء أو عدمه لا ينفي القدرة عليه كإخباره تعالى عما يفعله هو أو العبد باختياره فلا يلزم جواز تكليف ما لا يطاق.

قال الإمام القشيري: من كان في غطاء صفته محجوباً عن شهود حقه فسيان عنده قول من دلّه على الحق وقول من أعانه على استجلاب الحظ بل هو إلى داعي الغفلة أميل وفي الإصغاء إليه أرغب وكما أن الكافر لا يرعوي عن ضلالته لما سبق من شقاوته فكذلك المربوط بأغلال نفسه محجوب عن شهود غيبه وحقه فهو لا يبصر رشده ولا يسلك قصده. وقال أيضاً: إن الذي بقي في ظلمات دعاويه سواء عنده نصح الراشدين وتسويلات المبطلين لأن الله تعالى نزع من أحواله بركات الإنصاف فلا يصغي إلى داعي الرشاد كما قيل:

وعلى النصوح نصيحتي وعلى عصيان النصوح

وفي «التأويلات النجمية» ﴿إن الذين كفروا﴾ أي: جحدوا ربوبيتي بعد إقرارهم في عهد ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] بإجابة بلى وستروا صفاء قلوبهم برين ما كسبوا من أعمالهم الطبيعية النفسانية وأفسدوا حسن استعدادهم من فطرة الله التي فطر الناس عليها باكتساب الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية كما قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] وذلك بأن أرواحهم النفيسة لما نظروا بروزنة الحواس الخمس إلى عالم الصورة الخسيسة حجبت عن مألوفاتها ومحابها ثم ابتليت بصحبة النفوس الحيوانية واستأنست بها، ولهذا يسمى الإنسان إنساناً لأنه أنيس فبمجاورة النفس الخسيسة صار الروح النفيس خسيساً، فاستحسن ما استحسنت النفس واستلذّ به ما استلذّ به النفس واستمتع من المراتع الحيوانية فانقطع عنه الأغذية الروحانية ونسي حظائر القدس وجوار الحق في رياض الأنس ولهذا سمى الناس ناساً لأنه ناس فتاه في أودية الخسران واستهوته الشياطين في الأرض حيران، ولما نسوا الله بالكفران نسيهم بالخذلان حتى غلب عليهم الهوى وأوقعهم في مهالك الردى فأصبحوا بنفوس أحياء وقلوب موتى ﴿سواء عليهم ءأنذرتهم﴾ بالوعد والوعيد وخوفتهم بالعذاب الشديد ﴿أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ بما أخبرتهم ودعوتهم إليه وأنذرتهم عليه لأن روزنة قلوبهم إلى عالم الغيب منسدة بقساوة حلاوة الدنيا وقلوبهم مغلوقة بحب الدنيا وشهواتها مقفول عليها بمتابعة الهوى كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤] فما تنسموا روائح الأنس من رياض القدس بل هبّ عليهم صرصر الشقاوة من مهب حكم السابقة وأدركهم بالختم على أقفالها كما قال تعالى: ﴿ختم الله﴾ الآية، انتهى ما في التأويلات.

ومن أمثال الإنجيل: قلوبكم كالحصاة لا تنضجها النار ولا يلّينها الماء ولا تنسفها الريح.
قال السعدي:

چون بو داصل جوهري قابل تربيت را دراواثر باشد
هيچ صيقل نكو نداندكرد آهني راكه بد كهر باشد

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾

﴿ختم الله على قلوبهم﴾ لما ذكر هؤلاء الكفار بصفاتهم وحالاتهم ألحق به ذكر عقوباتهم فهو تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه.

والختم: الكتم، سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لأنه كتم له وبلوغ آخره، ومنه ختم القرآن نظراً إلى أنه آخر فعل يفعل في إحرازه ولا ختم على الحقيقة وإنما المراد به أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرّنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الإيمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن النظر الصحيح، فتجعل قلوبهم بحيث لا يؤثر فيها الإنذار ولا ينفذ فيها الحق أصلاً، وسمى هذه الهيئة على الاستعارة ختماً، وقد عبر عن إحداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النحل: ١٠٨] وبالإغفال في قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨] وبالإقساء في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣] وهي من حيث إن الممكنات بأسرها مسندة إلى الله تعالى واقعة بقدرته، أسندت إليه تعالى ومن حيث إنها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥] وقوله ذلك: ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [المنافقون: ٣] وردت الآية الكريمة ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم، فالختم مجازاة لكفرهم والله تعالى قد يسّر عليهم السبل فلو جاهدوا لوفقّهم فسقط الاعتراض بأنه إذا ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم فمنعهم عن الهدى فكيف يستحقون العقوبة.

قال الشيخ في «تفسيره»: وإسناد الختم إلى الله للتنبيه على أن إباءهم عن قبول الحق كالشيء الخلقي غير العرضي انتهى. وقال في التيسير: حاصل الختم عند أهل الحق عقوبة من الله تعالى لا تمنع العبد من الإيمان جبراً ولا تحمله على الكفر كرهاً بل هي زيادة عقوبة له على سوء اختياره وتماديه في الكفر وإصراره يحرم بها من اللطف الذي سهل به فعل الإيمان وترك العصيان يدل عليه أنهم بقوا مخاطبين بالإيمان بقوله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحديد: ٧] وملومين على الامتناع عنه لقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠﴾ [الانشقاق: ٢٠] ولو صاروا مجبورين وعن الإيمان عاجزين لزال الخطاب وسقط اللوم والعتاب كما في الختم على الأفواه يوم الحساب لما عجزوا به حقيقة عن الكلام لم يبق الخطاب بالكلام وتحقيق المذهب إثبات فعل العبد وتخليق الله تعالى.

والقلوب: جمع قلب وهو الفؤاد سمي قلباً لتقلبه في الأمور ولتصرفه في الأعضاء.

وفي تفسير الشيخ: القلب قطعة لحم مشكل بالشكل الصنوبري معلق بالوتين مقلوباً والوتين عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه ويقال له: الأبهر.

وفي «تفسير الكواشي» القلب قطعة سوداء في الفؤاد وزعم بعضهم إنه الشكل الصنوبري المعلق بالوتين مقلوباً.

وفي تعريفات السيد: القلب لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلّق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان: قال المولى الجامي:

نيست أين بيكر مخروطي دل بلكه هست أين قفص طوطي دل
كرتو طوطي زقفس تشناسي بخدا ناس نه نشناسي

والمراد بالقلب في الآية محل القوة العاقلة من الفؤاد وقد يطلق ويراد به المعرفة والعقل كما قال ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] ﴿و﴾ ختم الله ﴿على سمعهم﴾ أي: على آذانهم فجعلها بحيث تعاف استماع الحق ولا تصغي إلى خير ولا تعيه ولا تقبله كأنها مستوثق منها بالختم عقوبة لهم على سوء اختيارهم وميلهم إلى الباطل وإيثارهم.

والسمع هو إدراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها وهو المراد هٰهنا لأنه أشد مناسبة للختم وهو المختوم عليه أصالة. وفي توحيد السمع وجوه:

أحدها: أنه في الأصل مصدر والمصادر لا تجمع لصلاحيتها للواحد والاثنين والجماعة قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق: ١٥-١٦] فإن قالوا: فلم جمع الأبصار والواحد بصر وهو كالسمع؟ قلنا: إنه اسم للعين فكان اسماً لا مصدراً فجمع لذلك.

والثاني: أن فيه إضماراً أي: على مواضع سمعهم وحواسه كما في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي: أهلها وثبت هذا الإضمار دلالة أن السمع فعل ولا يختم على الفعل وإنما يختم على محله.

والثالث: أنه أراد سمع كل واحد منهم والإضافة إلى الجماعة تغني عن الجماعة وفي التوحيد أمن اللبس كما في قوله: كلوا في بعض بطنكم أي: بطونكم إذ البطن لا يشترك فيه.

والرابع: قول سيبويه إنه توسط جمعين فدل على الجمع وإن وحد كما في قوله: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] دل على الأنوار ذكر الظلمات وتقديم ختم قلوبهم للإيذان بأنها الأصل في عدم الإيمان وتقديم حال السمع على حال أبصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم في تلك الحال.

قالوا: السمع أفضل من البصر لأنه تعالى حيث ذكرهما قدم السمع على البصر ولأن السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله تعالى رسولاً أصم ولأن السمع وسيلة إلى استكمال العقل بالمعارف التي تتلقف من أصحابها ﴿وعلى أبصارهم﴾ جمع بصر وهو إدراك العين وقد يطلق مجازاً على القوة الباصرة وعلى العضوين وهو المراد هٰهنا لأنه أشد مناسبة للتغطية ﴿غشاوة﴾ أي: غطاء ولا تغشية على الحقيقة وإنما المراد بها إحداث حالة تجعل أبصارهم بسبب كفرهم لا تجتلي الآيات المنصوبة في الأنفس والآفاق كما تجتليها أعين المستبصرين وتصير كأنها غطي عليها وحيل بينها وبين الأبصار ومعنى التنكير إن على أبصارهم ضرباً من الغشاوة خارجاً مما يتعارفه الناس وهي غشاوة التعامي عن الآيات. قوله: ﴿غشاوة﴾ مبتدأ مؤخر خبره المقدم قوله: ﴿وعلى أبصارهم﴾ ولما اشترك السمع والقلب في الإدراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وإدراك الأبصار مما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة.

قال في التيسير: إنما ذكر في الآية القلوب والسمع والأبصار لأن الخطاب كان باستعمال هذه

الثلاثة في الحق كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص: ٧١] ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ أي: عقوبة شديدة القوة ومنه العظم والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه وسمي العذاب عذاباً لأنه يمنع عن الجناية إذا تأمل فيها العاقل ومنه الماء العذب لما أنه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فإنه يزيده ويدل عليه تسميتهم إياه نقاخاً لأنه ينقخ العطش أي: يكسره وفراتاً لأنه يرفته على القلب يعني الفرات وهو الماء العذب مأخوذ من الرفت وهو قلبه وقيل إنما سمي به لأنه جزاء ما استعذبه المرء بطبعه أي: استطابه ولذلك قال: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى﴾ [القمر: ٣٧] وإنما يذاق الطيب على معنى أنه جزاء ما استطابه واستحلاه بهواه في الدنيا. والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما أن الحقير دون الصغير. قال في «التيسير»: عظيم أم كبير أو كثير أو دائم وهو التعذيب بالنار أبداً ثم عظمه بأهواله وبشدة أحواله وكثرة سلاسله وأغلاله فتكون هذه الآية وعيداً وبياناً لما يستحقونه في الآخرة وقيل هو القتل والأسر في الدنيا والتحريق بالنار في العقبى ومعنى التوصيف بالعظيم إنه إذا قيس سائر ما يجانسه قصر عنه جميعه ومعنى التنكير أن لهم من الآلام نوعاً عظيماً لا يعلم كنهه إلا الله عز وجل. فعلى العاقل أن يجتنب عما يؤدي إلى العذاب الأليم والعقاب العظيم وهو الإصرار على الذنوب والإكباب على اقتراف الخطيئات والعيوب. قيل في سبب الحفظ من هذه العقوبة التي هي الختم على الكيس فلا يمنعه عن حق ووضع الختم على اللسان فلا يطلقه في باطل قال السعدي:

بكمراه كفتن نكو ميروي   كناه بزركست وجور قوي
مكو شهد شيرين شكر فأيقست   كسي راكه سقمونيا لايقست

قال النبي ﷺ: «إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد» قيل: وما جلاؤها قال: «تلاوة القرآن وكثرة ذكر الله وكثرة ذكر الموت» وأمهات الخطايا ثلاث: الحرص، والحسد، والكبر، فحصل من هؤلاء ست فصارت تسعاً: الشبع، والنوم، والراحة، وحب المال، وحب الجاه، وحب الرياسة فحب المال والرياسة من أعظم ما يجر صاحبه إلى الكفر والهلاك ـ حكي ـ أن ملكاً شاباً قال: إني لا أجد في الملك لذة فلا أدري أكذلك يجده الناس أم أنا أجده فقالوا له: كذلك يجدها الناس قال: فماذا يقيمه؟ قالوا: يقيمه لك أن تطيع الله فلا تعصيه فدعا من كان في بلده من العلماء والصلحاء فقال لهم: كونوا بحضرتي ومجلسي فما رأيتم من طاعة الله فائمروني وما رأيتم من المعصية فازجروني عنها ففعل ذلك فاستقام له الملك أربعمائة سنة ثم إن إبليس أتاه يوماً على صورة رجل وقال له: من أنت؟ قال الملك رجل من بني آدم قال: لو كنت من بني آدم لمت كما تموت بنو آدم ولكنك إله فادع الناس إلى عبادتك، فدخل في قلبه شيء ثم صعد المنبر فقال: أيها الناس إني أخفيت عليكم أمراً حان إظهاره وهو أني ملككم منذ كذا سنة ولو كنت من بني آدم لمت ولكني إله فاعبدوني فأوحى الله إلى نبي زمانه وقال: أخبره أني استقمت له ما استقام لي فتحول من طاعتي إلى معصيتي فبعزتي وجلالي لأسلطن عليه بخت نصر ولم يتحول عن ذلك فسلطه عليه فضرب عنقه وأوقر من خزينته سبعين سفينة من ذهب، قال المولى جلال الدين قدس سره:

جز عنايت كه كشايد چشم را   جز محبت كه نساند خشم را
جهد بي توفيق خود كس را مباد   در جهان والله أعلم بالرشاد

وفي «التأويلات النجمية» في الختم إشارة إلى بداية سوابق أحكام القدر بالسعادة والشقاوة على وفق الحكمة والإرادة الأزلية للخليقة كما قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥] مع حسن استعداد جميعهم بقبول الإيمان والكفر ولهذا لما خاطب الحق ذراتهم بخطاب الست بربكم قالوا: بلى جميعاً ثم أودع الله الذرات في القلوب والقلوب في الأجساد والأجساد في الدنيا في ظلمات ثلاث وكانت روزنة القلوب كلها مفتوحة إلى عالم الغيب بواسطة الذرات المودعات التي سمعت خطاب الحق وشاهدت كمال الحق إلى وقت ولادة كل إنسان كما قال عليه السلام: «كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه» وفيه إشارة إلى أن الله يكل الأشقياء إلى تربية الوالدين في معنى الدين حتى يلقنوهم تقليد ما ألفوا عليه آباءهم من الضلالة فيضلوهم كما قال تعالى: ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنبياء: ٥٤] فكانت تلك الشقاوة المقدرة مضمرة في ضلالة التقليد والصفات النفسانية الظلمانية والهوى والطبيعة ثم جعل تأثيرها وظلمتها ورينها يندرج إلى القلوب فيقسيها ويسودها ويغطيها ويسد روزنتها إلى الذرات فيعميها ويصمها حتى لا يبصر أهل الشقاوة ببصر الذرات من الحق ما كانوا يبصرون ولا يسمع بسمع الذرات من الحق ما كانوا يسمعون فينكرون على الأنبياء ويكفرون بهم وبما يدعونهم إليه فيختم الله شقاوتهم بكفرهم هذا ويطبع به على قلوبهم كقوله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥] فَسِرُّ القدر مستور لا يطلع عليه أحد إلا الله فيظهر آثار السعادة بإقرار السعداء ويظهر آثار الشقاوة بإنكار الأشقياء وكفرهم من القدر كالبذر في الأرض مستور فتظهر الشجرة منه وهو في الشجرة مستور فيخرج مع الأغصان من الشجرة وهو في الأغصان مستور حتى يخرج مع الثمرة من الأغصان وهو في الثمرة مستور حتى يظهر من الثمرة فيختم ظهور البذر بالثمرة فكذلك سر القدر وهو بذر السعادة أو الشقاوة مستور في علم الله تعالى فتظهر شجرة وجود الإنسان منه والسعادة والشقاوة مستورة فيها فتخرج مع أغصان الأخلاق وهي مستورة فيها فتخرج مع ثمرة الأعمال وهي الإقرار والإنكار والإيمان والكفر فيختم ظهور سر القدر وهو السعادة أو الشقاوة بثمرة الإيمان أو الكفر فيظهر سر القدر عند الختم بالسعادة أو الشقاوة فالذين ﴿**ختم الله على قلوبهم**﴾ إنما ختم بخاتم كفرهم وإن كان نقش خاتمهم هو الأحكام الأزلية وسر القدر حتى حرموا من دولة الوصال وبه ختم ﴿**على سمعهم**﴾ حتى لم يسمعوا خطاب الملك ذي الجلال ﴿**وعلى أبصارهم غشاوة**﴾ من العمي والضلال فلم يشاهدوا ذلك الجمال والكمال فلهم حرمان مقيم ﴿**ولهم عذاب عظيم**﴾ لأنهم منعوا من مرادهم وهو العلي العظيم فعظم العذاب يكون على قدر عظمة المراد الممنوع منه انتهى ما في «التأويلات».

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

﴿**ومن الناس**﴾ لما افتتح سبحانه وتعالى كتابه بشرح حاله وساق لبيانه ذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم وثنى بأضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهراً وباطناً ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلاً للتقسيم وهم أي: المنافقون أخبث الكفرة وأبغضهم إلى الله لأنهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعاً واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم. قال القاشاني الاقتصار في وصف الكفار

المصرين المطبوع على قلوبهم على آيتين والإطناب في وصف المنافقين في ثلاث عشرة آية للإضراب عن أولئك صفحاً إذ لا ينجع فيهم الكلام ولا يجدي عليهم الخطاب وأما المنافقون فقد ينجع فيهم التوبيخ والتعبير وعسى أن يرتدعوا بالتشنيع عليهم وتفظيع شأنهم وسيرتهم وتهجير عادتهم وخبث نيتهم وسريرتهم وينتهوا بقبيح صورة حالهم وتفضيحهم بالتمثيل بهم وبطريقتهم فتلين قلوبهم وتنقاد نفوسهم وتزكي بواطنهم وتضمحل رذائلهم فيرجعون عما هم عليه ويصيرون من المستثنى في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء: ١٤٦].

والناس اسم جمع للإنسان سمي به لأنه عهد إليه فنسي قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: ١١٥] ولذلك جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾ [العاديات: ٦] أي: نَسَّاء للنعم ذكار للمحن وقيل: لظهوره من آنس أي: أبصر لأنهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشراً كما سمي الجن جناً لاجتنانهم أي: استتارهم عن أعين الناس وقيل: هو من الإنس الذي هو ضد الوحشة لأنهم يستأنسون بأمثالهم أو يستأنس أرواحهم بأبدانهم وأبدانهم بأرواحهم واللام فيه للجنس ومَنْ في قوله: ﴿**من يقول**﴾ موصوفة إذ لا عهد فكأنه قال: ومن الناس ناس يقولون أي: يقرّون باللسان والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأي وللمذهب مجازاً ووحد الضمير في يقول باعتبار لفظ من وجمعه في قوله: ﴿**آمنا**﴾ وقوله: ﴿**وما هم**﴾ باعتبار معناها لأن كلمة من تصلح للواحد والجمع أو اللام فيه للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه ونظراؤه من المنافقين حيث أظهروا كلمة الإسلام ليسلموا من النبي عليه السلام وأصحابه واعتقدوا خلافها وأكثرهم من اليهود فإنهم من حيث إنهم صمموا على النفاق ودخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم زيادة زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس فإن الأجناس إنما تتنوع بزيادات يختلف فيها أبعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيماً للقسم الثاني ﴿**آمنا بالله**﴾ أي: صدقنا بالله ﴿**وباليوم الآخر**﴾ والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر إلى ما لا يتناهى أي: الوقت الدائم الذي هو آخر الأوقات المنقضية والمراد به البعث أو إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنه آخر الأيام المحدودة إذ لا حد وراءه وسمي بالآخر لتأخره عن الدنيا وتخصيصهم للإيمان بهما بالذكر له ادعاء أنهم قد حازوا الإيمان من قطريه وأحاطوا به من طرفيه وإيذان بأنهم منافقون فيما يظنون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لأن القوم كانوا يهوداً وكانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر إيماناً كلا إيمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وأن الجنة لا يدخلها غيرهم وأن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة وغيرها ويرون المؤمنين أنهم آمنوا مثل إيمانهم وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم فإن ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ذلك إيماناً فكيف وهم يقولونه تمويهاً على المسلمين واستهزاء بهم فكان خبثاً إلى خبث وكفراً إلى كفر ﴿**وما هم بمؤمنين**﴾ ما نائبة عن ليس ولهذا عقب بالباء أي: ليسوا بمصدقين لأنهم يضمرون خلاف ما يظهرون بل هم منافقون وفي الحكم عليهم بأنهم ليسوا بمؤمنين نفى ما ادعوه على سبيل البت والقطع لأنه نفى أصل الإيمان منهم بإدخال الباء في خبر ما ولذا لم يقل وما هم من المؤمنين فإن الأول أبلغ من الثاني.

دلت الآية على أن الدعوى مردودة إذا لم يقم عليها دلائل الصحة قال قائلهم: من تحلى بغير ما فيه فضح الامتحان ما يدعيه فإن من مدح نفسه ذم ومن ذم نفسه مدح قال فرعون عليه لعنات الله ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠] فقيل: ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]، وقال يونس عليه السلام: ﴿إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فقيل له: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الصافات: ١٤٣]، قال الحافظ قدس سره:

خوش بود كر محك تجربه آيد بميان تاسيه روى شود هركه دروغش باشد

ـ حكي ـ أن شيخاً كان له تلميذ يدعي أنه أمين والشيخ يعلم منه خلاف ذلك وهو يرد على الشيخ في ذلك ويدعي الأمانة ويطلب منه أن يكشف له سراً من أسرار الله تعالى فأخذ الشيخ يوماً تلميذاً من أصحابه وخبأه في بيت وعمد إلى كبش فذبحه وألقاه في عِدْل ودخل ذلك التلميذ المدعي فرأى الشيخ ملطخاً بالدماء والعدل أمامه والسكين في يده فقال له: يا سيدي ما شأنك؟ فقال له: غاظني فلان يعني ذلك التلميذ فقتلته يعني التلميذ يعني بقتله مخالفة هواه حتى لا يكذب الشيخ فتخيل التلميذ أنه في العدل فقال الشيخ: هذه أمانة فاستر علي وادفن معي هذا المذبوح الذي في هذا العدل فدفنه معه في الدار وقصد الشيخ نكاية ذلك التلميذ وأن يفعل معه ما يخرجه وجاء أبو ذلك المخبوء يطلب ابنه فقال له الشيخ هو عندي فمضى الرجل فلما كبر على الرجل نكاية الشيخ مشى إلى والد ذلك المخبوء وأخبره أن الشيخ قتله ودفنه معه ورفع ذلك إلى السلطان فتوقف السلطان في ذلك الأمر لما يعرفه من جلالة الشيخ وبعث إليه بالقاضي والفقهاء وأخذ ذلك التلميذ يسب الشيخ ووقف الشهود حتى حضروا إلى العدل فعاينوا الكبش وخرج التلميذ المخبوء وافتضح وندم حيث لا ينفعه الندم كذا في الرسالة المسماة «بالأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله من الشروط» للشيخ الأكبر قدس سره الأطهر فظهر من هذا أن الأسرار لا توهب إلا للأمناء والأنوار لا تفيض إلا على الأدباء، قال الحافظ قدس سره:

حديث دوست نكويم مكر بحضرت دوست كه آشنا سخن آشنا نكه دارد

وفي «التأويلات النجمية» ﴿**ومن الناس**﴾ هم الذين نسوا الله ومعاهدته يوم الميثاق فمنهم ﴿**من يقول آمنا بالله**﴾ يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم فإن الإيمان الحقيقي ما يكون من نور الله الذي يقذفه الله في قلوب خواصه ﴿**وباليوم الآخر**﴾ أي: بنور الله يشاهد الآخرة فيؤمن به فمن لم ينظر بنور الله فلا يكون مشاهداً لعالم الغيب فلا يعلم الغيب فلا يكون مؤمناً بالله وباليوم الآخر ولهذا قال: ﴿**وما هم بمؤمنين**﴾ أي: بالذين يؤمنون من نور الله تعالى وفيه معنى آخر وما هم بمستعدين للهداية إلى الإيمان الحقيقي لأنهم في غاية الغفلة والخذلان انتهى.

﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿**يخادعون الله**﴾ بيان ليقول في الآية السابقة وتوبيخ لما هو غرضهم مما يقولون أو استئناف وقع جواباً عن سؤال ينساق إليه الذهن كأنه قيل ما لهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الخ أي: يخدعون وإنما أخرج في زنة فاعل للمبالغة وخداعهم مع الله سبحانه ليس على ظاهره لأنه لا تخفى عليه خافية ولأنهم لم يقصدوا خديعته بل المراد إما مخادعة رسوله على حذف المضاف أو على أن معاملة الرسول معاملة الله من حيث أنه خليفته في أرضه

والناطق عنه بأوامره ونواهيه مع عباده ففيه رفع درجة النبي ﷺ حيث جعل خداعه خداعه، وإما أن صورة صنعهم مع الله من إظهار الإيمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم من إجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده تعالى أخبث الكفار وأهل الدرك الأسفل من النار استدراجاً لهم وامتثال الرسول والمؤمنين أمر الله تعالى في إخفاء حالهم وإجراء حكم الإسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المخادعين فتكون المخادعة بين الاثنين والخدع أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب أو يوهمه المساعدة على ما يريد هو به ليغتر بذلك فينجو منه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي إذا أمر الحارش يده على باب حجره يوهمه الإقبال عليه فيخرج من بابه الآخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فإنهم كانوا يريدون بما صنعوا أن يطلعوا على أسرار المؤمنين فيذيعوها إلى منابذيهم أي: يشيعوها إلى مخالفيهم وأعدائهم وأن يدفعوا عن أنفسهم ما يصيب سائر الكفرة من القتل والنهب والأسر وأن ينالوا به نظم مصالح الدنيا جميعاً كأن يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الإعطاء ﴿والذين آمنوا﴾ أي: يخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم آمنا وهم غير مؤمنين وهو عطف على الأول ويجوز حمله على الحقيقة في حقهم فإنهم وسعهم كذا في «التيسير» ﴿وما يخدعون إلا أنفسهم﴾ النفس ذات الشيء حقيقته وقد يقال للروح لأن نفس الحي به وللقلب لأنه محل الروح أو متعلقه وللدم لأن قوامها به وللماء أيضاً لشدة حاجتها إليه والمراد هنا هو المعنى الأول لأن المقصود بيان أن ضرر مخادعتهم راجع إليهم لا يتخطاهم إلى غيرهم أي: يفعلون ما يفعلون والحال أنهم ما يضرون بذلك إلا أنفسهم فإن دائرة فعلهم مقصورة عليهم ومن حافظ على الصيغة قال وما يعاملون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادعين إلا أنفسهم لأن ضررها لا يحيق إلا بهم ووبال خداعهم راجع إليهم لأن الله تعالى يطلع نبيه ﷺ على نفاقهم فيفضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى، قال المولى جلال الدين قدس سره:

بازىء خود ديدي أي: شطرنج باز بازىء خصمت ببين دور ودراز

وقيل يعاملهم على وفق ما عاملوا وذلك فيما جاء أنهم إذا ألقوا في النيران وعذبوا فيها طويلاً من الزمان استغاثوا بالرحمٰن قيل لهم: هذه الأبواب قد فتحت فاخرجوا فيتبادرون إلى الأبواب فإذا انتهوا إليها أغلقت دونهم وأعيدوا إلى الآبار والتوابيت مع الشياطين والطواغيت قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق: ١٥- ١٦] وفي الحديث «يؤمر بنفر من الناس يوم القيامة إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله تعالى لأهلها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثواب ما أعددت لأوليائك فيقول ذلك أردت بكم كنتم إذا خلوتم بي بارزتموني بالعظائم فإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس وتظهرون خلاف ما تنطوي قلوبكم عليه هبتم الدنيا ولم تهابوني أجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي» يعني: لأجل الناس فاليوم أذيقكم أليم عذابي مع ما حرمتكم يعني من جزيل ثوابي كذا «في روضة العلماء» و«تنبيه الغافلين» ﴿وما يشعرون﴾ حال من ضمير ما يخدعون أي: يقتصرون على خدع أنفسهم والحال أنهم ما يحسون بذلك لتماديهم في الغفلة والغواية جعل طوق وبال الخداع ورجوع ضررهم

إليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى إلا على مؤوف الحواس وهذا تنزيل لهم منزلة الجمادات وحط من مرتبة البهائم حيث سلب منهم الحس الحيواني فهم ممن قيل في حقهم ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩] فلا يشعرون أبلغ وأنسب من لا يعلمون. والشعور: الإحساس أي: علم الشيء علم حس ومشاعر الإنسان حواسه سميت به لكون كل حاسة محلاً للشعور والعظة فيه أن المنافق عمل ما عمل وهو لا يعلم بوبال ما عمل والمؤمن يعلم به فما عذره عند ربه ثم في هذه الآية نفي العلم عنهم وفي قوله: ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١] إثبات العلم لهم والتوفيق بينهما أنهم علموا به حقيقة ولكن لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا وهو كقوله عز وجل: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة: ٨١] فكانوا ناطقين سامعين ناظرين حقيقة لكن لم ينتفعوا بذلك فكانوا كأنهم صم بكم عمي فذو الآلة إذا لم ينتفع بها فهو وعادم الآلة سواء والعالم الذي لا يعمل بعلمه فهو والجاهل سواء والغني الذي لا ينتفع بماله فهو والفقير سواء فإثبات العلم للكفار إلزام الحجة وذكر الجهل إثبات المنقصة بخلاف المؤمنين فإن إثبات العلم لهم إثبات الكرامة وذكر الجهل تلقين عذر المعصية كذا في «التيسير». فعلى المؤمن أن يتحلى بالعلم والعمل، ويجتنب عن الخطأ والزلل ويطيع ربه خالصاً لوجهه الكريم ويعبده بقلب سليم وفي الحديث «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال: «الرياء يقول الله تعالى يوم يجازي العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون لهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم خيراً» وإنما يقال لهم ذلك لأن عملهم في الدنيا كان على وجه الخداع فيعاملون في الآخرة على وجه الخداع كذا في «تنبيه الغافلين»، قال السعدي:

چه قدر آورد بنده نزد رئيس كه زير قبا دارد اندام پيس

وفي «التأويلات النجمية» الإشارة أن الله تعالى لما قدر لبعض الناس الشقاوة في الأزل أثمر بذر سر القدر المستور في أعماله ثمرة مخادعة الله في الظاهر ولا يشعر أن المخادعة نتيجة بذر سر القدر بطريق تزيين الدنيا في نظره وحب شهواتها في قلبه كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ [آل عمران: ١٤] الآية فانخدع بزينة الدنيا وطلب شهواتها عن الله وطلب السعادة الأخروية فعلى الحقيقة هو المخادع الممكور كما قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] فعلى هذا ﴿وما يخدعون إلا أنفسهم﴾ حقيقة في صورة مخادعتهم الله والذين آمنوا لأنهم كانوا قبل مخادعتهم الله مستوجبين النار بكفرهم مع إمكان ظهور الإيمان منهم فلما شرعوا في إظهار النفاق بطريق المخادعة نزلوا بقدم النفاق الدرك الأسفل من النار فأبطلوا استعداد قبول الإيمان وإمكانه عن أنفسهم فكانت مفسدة خداعهم ومكرهم راجعة إلى أنفسهم ﴿وما يشعرون﴾ أي: ليس لهم الشعور بسر القدر الأزلي وإن معاملتهم في المكر والخداع من نتائجه لأن في قلوبهم مرضاً ومرض القلب ما يفهم من شعور سر القدر.

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً﴾ زاد يجيء متعدياً كما في هذه الآية ولازماً كما في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الصافات: ١٤٧] والمرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل في أفاعيله ويؤدي إلى الموت ومجاز في الأعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب

المعاصي وغير ذلك من فنون الكفر المؤدي إلى الهلاك الروحاني لأنها مانعة عن نيل الفضائل أو مؤدية إلى زوال الحياة الحقيقة الأبدية والآية الكريمة تحتملها فإن قلوبهم كانت متألمة تحرقاً على ما فات عنهم من الرئاسة وحسداً على ما يرون من ثبات أمر الرسول عليه السلام واستعلاء شأنه يوماً فيوماً فزاد الله غمهم بما زاد في إعلاء أمره ورفع قدره وأن نفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي عليه السلام ونحوها فزاد الله ذلك بأن طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بأنه لا يؤثر فيها التذكير والإنذار وبازدياد التكاليف الشرعية وتكرير الوحي وتضاعف النصر لأنهم كلما ازداد التكاليف بنزول الوحي يزدادون كفراً وقد كان يشق عليهم التكلم بالشهادة فكيف وقد لحقتهم الزيادات وهي وظائف الطاعات ثم العقوبة على الجنايات فازدادوا بذلك اضطراباً وارتياباً على ارتياب ويزدادون بذلك في الآخرة عذاباً على عذاب قال تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨] والمؤمنون لهم في الدنيا ما قال: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦] وفي العقبى ما قال: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٦].

قال القطب العلامة أمراض القلب إما متعلقة بالدين وهو سوء الاعتقاد والكفر أو بالأخلاق وهي إما رذائل فعلية كالغل والحسد وإما رذائل انفعالية كالضعف والجبن فحمل المرض أولاً على الكفر ثم على الهيئات الفعلية ثم على الهيئات الانفعالية ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **﴿فزادهم الله﴾** دعاء عليهم، فإن قلت فكيف يحمل على الدعاء والدعاء للعاجز عرفاً والله تعالى منزه عن العجز؟ قلت هذا تعليم من الله عباده أنه يجوز الدعاء على المنافقين والطرد لهم لأنهم شر خلق الله لأنه أعد لهم يوم القيامة الدرك الأسفل من النار وهذا كقوله تعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٠] ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٦٨] **﴿ولهم﴾** في الآخرة **﴿عذاب أليم﴾** يصل ألمه إلى القلوب وهو بمعنى المؤلم بفتح اللام على أنه اسم مفعول من الإيلام وصف به العذاب للمبالغة وهو في الحقيقة صفة المعذب بفتح الذال المعجمة كما أن الجد للجاد في قولهم جد جده وجه المبالغة إفادة أن الألم بلغ الغاية حتى سرى المعذب إلى العذاب المتعلق به **﴿بما كانوا يكذبون﴾** الباء للسببية أو للمقابلة وما مصدرية داخلة في الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لإفادة دوام كذبهم وتجدده أي: بسبب كذبهم المتجدد المستمر الذي هو قولهم آمنا الخ وفيه رمز إلى قبح الكذب وسماجته وتخييل أن العذاب الأليم لاحق بهم من أجل كذبهم نظراً إلى ظاهر العبارة المتخيلة لانفراده بالسببية مع إحاطة علم السامع بأن لحوق العذاب بهم من جهات شتى وأن الاقتصار عليه للإشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه.

والكذب: الإخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله. وأما ما روي أن إبراهيم عليه السلام: (كذب ثلاث كذبات) فالمراد به التعريض لكن لما شابه الكذب في صورته سمي به وإحدى الكذبات قوله: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] أي: ذاهب إلى السقم أو إلى الموت أو سيسقم لما يجد من الغيظ في اتخاذهم النجوم آلهة قاله ليتركوه من الذهاب معهم إلى عيد لهم حتى يخلوا سبيله فيكسر أصنامهم. والثانية قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣] هذا على الفرض والتقدير على سبيل الإلزام كأنه قال لو كان إلهاً معبوداً وجب أن يكون قادراً على أن يفعله فإذا لم يكن قادراً عليه يكون عاجزاً والعاجز بمعزل عن الألوهية واستحقاق العبادة فكيف حالكم في العكوف عليه فهذا القول تهكم بعقولهم. وثالثتها قوله في حق زوجته سارة رضي الله عنها: «هذه أختي» والمراد منه الأخوة في الدين وغرضه منه تخليصها من يد الظالم لأن من

دين ذلك الملك الذي يتدين به في الأحكام المتعلقة بالسياسة لا يتعرض إلا لذوات الأزواج لأن من دينه أن المرأة إذا اختارت الزوج فالسلطان أحق بها من زوجها وأما اللاتي لا أزواج لهن فلا سبيل عليهن إلا إذا رضين. وأما قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦] فهو من باب الاستدراج وهو إرخاء العنان مع الخصم وهو نوع من التعريض لأن الغرض منه حكاية قولهم كذا في «حواشي ابن تمجيد».

واعلم أن الكذب من قبائح الذنوب وفواحش العيوب ورأس كل معصية بها يتكدر القلوب وأبغض الأخلاق أنه مجانب للإيمان يعني الإيمان في جانب والكذب في جانب آخر مقابل له وهذا كناية عن كمال البعد بينهما وفي الحديث «ما لي أراكم تتهافتون على الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب كذباً لا محالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة أو يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما أو يحدث امرأته ليرضيها» مثل أن يقول لا أحد أحب إلي منك وكذا من جانب المرأة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما أداها إذا ارتبط بمقصود صحيح له أو لغيره كما قيل بالفارسية:

دروغ مصلحت آميز به أزراست فتنة انكيز

لكن هذا في حق الغير وأما في حق نفسه فالصدق أولى وإن لزم الضرر، كما قال السعدي:

تانيك نداني كه سخن عين صوابست بايد كه بكفتن دهن أزهم نكشابي
كرراست سخن كويي ودربندبماني به زانكه دروغت دهد ازبند رهايي

واعلم أن المراد بالكذب في الحقيقة الكذب في العبودية والقيام بحقوق الربوبية كما للمنافقين ومن يحذو حذوهم ولا يصح الاقتداء بأرباب الكذب مطلقاً ولا يعتمد عليهم فإنهم يجرون إلى الهلاك والفراق عن مالك الأملاك. قال في «المثنوي»:

صبح كاذب كار وانهارا زده است كه ببوي روز بيروي آمده است
صبح كاذب خلق را رهبر مباد كو دهد بس كاروانها را بباد

قال القاشاني في تأويل الآية: في قلوبهم حجاب من حجب الرذائل النفسانية الشيطانية والصفات البشرية عن تجليات الصفات الحقانية.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**في قلوبهم مرض**﴾ وهو التفات إلى غير الله ﴿**فزادهم الله مرضا**﴾ أي: زاد مرض الالتفات على مرض خداعهم فحرموا من الوصول والوصال ﴿**ولهم عذاب أليم**﴾ من حرمان الوصول إلى الله تعالى ﴿**بما كانوا يكذبون**﴾ بقولهم: إنا آمنا بالله فإنهم ليسوا بمؤمنين حقيقة والإيمان الحقيقي نور إذا دخل القلب يظهر على المؤمن حقيقته كما كان لحارثة لما سأله رسول الله ﷺ: «كيف أصبحت يا حارثة» قال: أصبحت مؤمناً حقاً قال: «يا حارثة إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك» قال: أعرضت نفسي عن الدنيا أي: زهدت وانصرفت فأظمأ نهارها وأسهر ليلها واستوى عندي حجرها وذهبها وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون وإلى أهل النار ينصاعون وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً فقال رسول الله ﷺ: «أصبت فالزم»، قال في «المثنوي»:

أهل صيقل رسته اند ازبو ورنك هر دمي بينند خوبي بي درنك
نقش وقشر علم را بكذا شتند رايت عين اليقين افرا شتند

بر ترنداز عرش وكرسي وخلا ساكنان مقعد صدق خدا
علم كان نبود زهو بي واسطه آن نبايد همچورنك ماشطه

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وإذا قيل لهم﴾ أي: قال المسلمون لهؤلاء المنافقين. **﴿لا تفسدوا في الأرض﴾** إسناد قيل إلى لا تفسدوا إسناد له إلى لفظه كأنه قيل وإذا قيل لهم هذا القول كقولك ألف ضرب من ثلاثة أحرف.

والفساد: خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع والفساد في الأرض تهيج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن أحوال العباد واختلال أمر المعاش والمعاد والمراد بما نهوا عنه ما يؤدي إلى ذلك من إفشاء أسرار المؤمنين إلى الكفار وإغرائهم عليه وغير ذلك من فنون الشرور فلما كان ذلك من صنيعهم مؤدياً إلى الفساد قيل: **﴿لا تفسدوا﴾** كما يقول الرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار إذا أقدم على ما هذه عاقبته وكانت الأرض قبل البعثة يعلن فيها بالمعاصي فلما بعث الله النبي ﷺ ارتفع الفساد وصلحت الأرض فإذا أعلنوا بالمعاصي فقد أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها كما في «تفسير أبي الليث» **﴿قالوا إنما نحن مصلحون﴾** جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى أنه لا يصلح مخاطبتنا بذلك فإن شأننا ليس إلا الإصلاح وإن حالنا متمحضة عن شوائب الفساد وإنما قالوا ذلك لأنهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨] فأنكروا كون ذلك فساداً وادعوا كونه إصلاحاً محضاً وهو من قصر الموصوف على الصفة مثل إنما زيد منطلق. قال ابن التمجيد: إن المسلمين لما قالوا لهم لا تفسدوا توهموا أن المسلمين أرادوا بذلك أنهم يخلطون الإفساد بالإصلاح فأجابوا بأنهم مقصورون على الإصلاح لا يتجاوزون منه إلى صفة الإفساد فيلزم منه عدم الخلط فهو من باب قصر الإفراد حيث توهموا أن المؤمنين اعتقدوا الشركة فأجابهم الله تعالى بعد ذلك بما يدل على القصر القلبي وهو قوله تعالى: **﴿ألا﴾** أيها المؤمنون اعلموا **﴿إنهم هم المفسدون﴾** فإنهم لما أثبتوا لأنفسهم إحدى الصفتين ونفوا الأخرى واعتقدوا ذلك قلب الله اعتقادهم هذا بأن أثبت لهم ما نفوه ونفى عنهم ما أثبتوا والمعنى هم مقصورون على إفساد أنفسهم بالكفر والناس بالتعويق عن الإيمان لا يتخطون منه إلى صفة الإصلاح من باب قصر الشيء على الحكم فهم لا يعدون صفة الفساد والإفساد ولا يلزم منه أن لا يكون غيرهم مفسدين ثم استدرك بقوله تعالى: ﴿ولكن لا يشعرون﴾ أنهم مفسدون للإيذان بأن كونهم مفسدين من الأمور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه.

قال الشيخ في «تفسيره»: ذكر الشعور بإزاء الفساد أوفق لأنه كالمحسوس عادة ثم فيه بيان شرف المؤمنين حيث تولى الله جواب المنافقين عما قالوه للمؤمنين كما كان في حق المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فإن الوليد بن المغيرة قال له: إنه مجنون فنفاه الله عنه بقوله: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾ [القلم: ٢] ثم قال في ذم ذلك اللعين ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [القلم: ١٠.

١٣] أي: حلاف حقير عياب يمشي بين الناس بالنميمة بخيل للمال ظالم فاجر غليظ القلب جاف ومع ذلك الوصف المذكور هو ولد الزنى وذلك لأنه ﷺ اتخذ ربه وكيلاً على أموره بمقتضى قوله: ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ [المزمل: ٩] فهو تعالى يكفي مؤونته كما قال أهل الحقائق: إن خوارق العادات قلما تصدر من الأقطاب والخلفاء بل من وزرائهم وخلفائهم لقيامهم بالعبودية التامة واتصافهم بالفقر الكلي فلا يتصرفون لأنفسهم في شيء ومن جملة كمالات الأقطاب ومنن الله عليهم أن لا يبتليهم بصحبة الجهلاء بل يرزقهم صحبة العلماء الأدباء الأمناء يحملون عنهم أثقالهم وينفذون أحكامهم وأقوالهم وذلك كما كان الكامل آصف بن برخيا وزير سليمان عليه الصلاة والسلام الذي كان قطب وقته ومتصرفاً وخليفة على العالم فظهر منه ما ظهر من إتيان عرش بلقيس كما حكاه الله تعالى في القرآن.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض﴾ الإشارة في تحقيق الآيتين أن الإنسان وإن خلق مستعداً لخلافة الأرض ولكنه في بداية الخلقة مغلوب الهوى والصفات النفسانية فيكون مائلاً إلى الفساد كما أخبرت عنه الملائكة وقالوا: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] الآية فبأوامر الشريعة ونواهيها يتخلص جوهر الخلافة عن معدن نفس الإنسان فأهل السعادة وهم المؤمنون ينقادون للداعي إلى الحق ويقبلون الأوامر والنواهي وأهل الشقاوة وهم الكافرون المنافقون يمرقون من الدين ويتبعون الهوى ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض﴾ أي: لا تسعوا في إفساد حسن استعدادكم وصلاحيتكم للخلافة في الأرض باتباعكم الهوى وحرصكم على الدنيا ﴿قالوا إنما نحن مصلحون﴾ لا يقبلون النصيحة غافلين عن حقيقتها، كما قال السعدي:

كسى را كه بند أر درسر بود ... مپندار هركز كه حق بشنود
زعلمش ملال آيد أز وعظ ننك ... شقايق بباران نرويد زسنك

فكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿ألا إنهم هم المفسدون﴾ يفسدون صلاح آخرتهم بإصلاح دنياهم ﴿ولكن لا يشعرون﴾ أي: لا شعور لهم بإفساد حالهم وسوء أعمالهم وعظم وبالهم من خسار حسن صنيعهم وادعائهم بالصلاح على أنفسهم كما قال الله تعالى ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ۝١٠٣﴾ [الكهف: ١٠٣] الآية. قال المولى جلال الدين قدس سره:

أي كه خودرا شير يزدان خوانده ... سالها شد باسكي درمانده
چون كند آن سك براي توشكار ... چون شكار سك شد ستي آشكار

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ۝١٣﴾

﴿وإذا قيل لهم﴾ من طرف المؤمنين بطريق الأمر بالمعروف إثر نهيهم عن المنكر إتماماً للنصح وإكمالاً للإرشاد فإن كمال الإيمان بمجموع الأمرين الإعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿لا تفسدوا في الأرض﴾ والإتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله تعالى: ﴿آمنوا﴾ حذف المؤمن به لظهوره أي: آمنوا بالله وباليوم الآخر أو أريد افعلوا الإيمان ﴿كما آمن الناس﴾ الكاف في محل النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد محذوف أي: آمنوا إيماناً مماثلاً لإيمانهم فما مصدرية أو كافة أي: حققوا إيمانكم كما تحقق إيمانهم.

واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الإنسانية العاملون بقضية العقل أو للعهد والمراد به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه أو من آمن من أهل بلدتهم أي: من أهل ضيعتهم كابن سلام وأصحابه والمعنى آمنوا إيماناً مقروناً بالإخلاص متمحضاً من شوائب النفاق مماثلاً لإيمانهم ﴿قالوا﴾ مقابلين للأمر بالمعروف بالإنكار المنكر واصفين للمراجيح الرزان بضد أوصافهم الحسان ﴿أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ الهمزة فيه للإنكار واللام مشار بها إلى الناس الكاملين أو المعهودين أو إلى الجنس بأسره وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة عقل وسخافة رأي يورثهما قصور العقل ويقابله الحلم والأناة وإنما نسبوهم إليه مع أنهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماك أنفسهم في السفاهة وتماديهم في الغواية وكونهم ممن زين له سوء عمله فرآه حسناً فمن حسب الضلال هدى يسمى الهدى لا محالة ضلالاً أو لتحقير شأنهم فإن كثيراً من المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالي كصهيب وبلال أو للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وأمثاله فإن قيل كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقوله: ﴿أنؤمن كما آمن السفهاء﴾؟ قلنا فيه أقوال:

الأول: أن المنافقين لعنهم الله كانوا يتكلمون بهذا الكلام في أنفسهم دون أن ينطقوا به بألسنتهم لكن هتك الله تعالى أستارهم وأظهر أسرارهم عقوبة على عداوتهم وهذا كما أظهر ما أضمره أهل الإخلاص من الكلام الحسن وإن لم يتكلموا به بالألسن تحقيقاً لولايتهم قال الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧] إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩] وكان هذا في قلوبهم فأظهره الله تعالى تشريفاً لهم وتشهيراً لحالهم هذا قول صاحب «التيسير».

والثاني: أن المنافقين كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين بذلك هذا قول البغوي.

والثالث: قول أبي السعود في «الإرشاد» حيث قال هذا القول وإن صدر عنهم بمحضر من المؤمنين الناصحين لهم جواباً عن نصيحتهم لكن لا يقتضي كونهم مجاهرين لا منافقين فإنه ضرب من الكفر أنيق وفن في النفاق عريق لأنه محتمل للشر كما ذكر في تفسيره وللخير بأن يحمل على ادعاء الإيمان كإيمان الناس وإنكار ما اهتموا به من النفاق على معنى أنؤمن كما آمن السفهاء والمجانين الذين لا اعتداد بإيمانهم لو آمنوا ولا نؤمن كإيمان الناس حتى تأمرون بذلك قد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم مرائين لإرادة المعنى الأخير وهم يقولون على الأول فرد عليهم ذلك بقوله عز وجل: ﴿ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ إنهم هم السفهاء ولا يحيطون بما عليهم من داء السفه والمؤمنون بإيمانهم وإخلاصهم هربوا من السفه وغبوا في العلم والحق وهم العلماء على الحقيقة والمستقيمون على الطريقة وهذا ردّ ومبالغة في تجهيلهم فإن الجاهل نجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع أعظم ضلالة وأتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فإنه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر.

واعلم أن قوله تعالى: ﴿وما يشعرون﴾ في الآية الأولى نفي الإحساس عنهم وفي الثانية نفي الفطنة لأن معرفة الصلاح والفساد يدرك بالفطنة وفي الآية الثالثة نفي العلم وفي نفيها على هذه الوجوه تنبيه لطيف ومعنى دقيق وذلك أنه بين في الأول أن في استعمالهم الخديعة نهاية الجهل الدال على عدم الحس وفي الثاني أنهم لا يفطنون تنبيهاً على أن ذلك لزم لهم لأن من لا حس له لا فطنة له وفي الثالث أنهم لا يعلمون تنبيهاً على أن ذلك أيضاً لازم لهم لأن من لا

فطنة له لا علم له فإن العلم تابع للعقل ـ كما حكي ـ أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام أتى إليه جبرائيل بثلاث تحف: العلم، والحياء، والعقل، فقال: يا آدم اختر من هذه الثلاث ما تريد فاختار العقل فأشار جبريل إلى العلم والحياء بالرجوع إلى مقرهما فقالا إنا كنا في عالم الأرواح مجتمعين فلا نرضى أن نفترق بعضنا عن بعض في الأشباح أيضاً فنتبع العقل حيث كان فقال جبريل عليه السلام استقرا فاستقر العقل في الدماغ والعلم في القلب والحياء في العين.

قال المولى جلال الدين قدس سره:

جملة حيوانرا پي إنسان بكش — جملة انسانرا بكش ازبهر هش

عقل جز وي هش بود اما نژند — هش چه باشد عقل كل أي: هو شمند

قهر أو ابله كند قابيل را — لطف أو عاقل كند مر نيل را

فليسارع العاقل إلى تحصيل العلم والمعرفة حتى يصل إلى توحيد الفعل والصفة.

قال الإمام القشيري رحمه الله: للعقل نجوم وهي للشيطان رجوم وللعلوم أقمار هي للقلوب أنوار واستبصار وللمعارف شموس ولها على أسرار العارفين طلوع والعلم اللدني هو الذي ينفتح في بيت القلب من غير سبب مألوف من الخارج وللقلب بابان: باب إلى الخارج يأخذ العلم من الحواس، وباب إلى الداخل يأخذ العلم بالإلهام، فمثل القلب كمثل الحوض الذي يجري فيه أنهار خمسة فلا يخلو ماؤه عن كدرة ما دام يحصل ماؤه من الأنهار الخمسة بخلاف ما إذا خرج ماؤه من قعره حيث يكون ماؤه أصفى وأجلى فكذا القلب إذا حصل له العلم من طريق الحواس الخمس الظاهرة لا يخلو عن كدرة وشك وشبهة بخلاف ما إذا ظهر من صميم القلب بطريق الفيض فإنه أصفى وأولى. وقال الشيخ زين الدين الحافي رحمه الله: والعجب ممن دخل في هذه الطريقة وأراد أن يصل إلى الحقيقة وقد حصل من الاصطلاحات ما يستخرج بها المعاني من كتاب الله وأحاديث رسوله ﷺ ثم لا يشتغل بذكر الله وبمراقبته والإعراض عما سواه لتنصبَّ إلى قلبه العلوم اللدنية التي لو عاش ألف سنة في تدريس الاصطلاحات وتصنيفها لا يشم منها رائحة ولا يشاهد من آثارها وأنوارها لمعة فالعلم بلا عمل عقيم والعمل بلا علم سقيم والعمل بالعلم صراط مستقيم. قال في «المثنوي»:

آنكه بي همت چه باهمت شده — وآنكه باهمت چه با نعمت شده

وفي «التأويلات النجمية» ﴿**وإذا قيل لهم**﴾أي: لأهل الغفلة والنسيان ﴿**آمنوا كما آمن الناس**﴾أي: بعض الناسين منكم الذين تفكروا في آلاء الله تعالى وتدبروا آياته بعد نسيان عهد ألست بربكم ومعاهدة الله تعالى على التوحيد والعبودية فتذكروا تلك العهود والمواثيق فآمنوا بمحمد ﷺ وبما جاء به ﴿**قالوا**﴾أي: أهل الشقاوة منهم ﴿**أنؤمن كما آمن السفهاء**﴾ فكذلك أحوال أصحاب الغفلات مدعي الإسلام إذا دعوا عن الإيمان التقليدي الذي وجدوه بالميراث إلى الإيمان الحقيقي المكتسب بصدق الطلب وترك محبة الدنيا واتباع الهوى والرجوع إلى الخلق والتمادي في الباطل ينسبون أرباب القلوب وأصحاب الكرامات العالية إلى السفه والجنون وينظرون إليهم بنظر العجز والذلة والقلة والمسكنة ويقولون أنترك الدنيا كما ترك هؤلاء السفهاء من الفقراء لنكون محتاجين إلى الخلق كما هم محتاجون ولا يعلمون أنهم هم السفهاء لقوله تعالى: ﴿**ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون**﴾فهم السفهاء بمعنيين أحدهما: إنهم يبيعون الدين بالدنيا والباقي بالفاني لسفاهتهم وعدم رشدهم والثاني: إنهم سفهوا أنفسهم

ولم يعرفوا حسن استعدادهم للدرجات العلى والقربة والزلفى فرضوا بالحياة الدنيا ورغبوا عن مراتب أهل التقى ومشارب أهل النهي كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠] فإنه من عرف نفسه فقد عرف ربه ومن عرف ربه ترك غيره وعرف أهل الله وخاصته فلا يرغب عنهم ولا ينسبهم إلى السفه وينظر إليهم بالعزة فإن الفقراء الكبراء هم الملوك تحت الأطمار ووجوههم المصفرة عند الله كالشموس والأقمار ولكن تحت قباب العزة مستورون وعن نظر الأغيار محجوبون. قال في «المثنوي»:

مهر پا كان درميان جان نشان دل مده الا بمهر دلخوشان
كرتوسنك صخره ومرمر شوي چون بصاحب دل رسي جوهر شوي
إنهم تحت قبابي كامنون جزكه يزدانشان نداند زآزمون

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وإذا لقوا الذين آمنوا﴾ بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صُدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير أي: هؤلاء المنافقون إذا عاينوا وصادفوا واستقبلوا الذين آمنوا بالحق وهم المهاجرون والأنصار ﴿قالوا﴾ كذباً ﴿آمنا﴾ كإيمانكم وتصديقكم روي أن عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضي الله عنهم فقال ابن أبيّ: انظروا كيف أرد هذه السفهاء عنكم فلما دنوا منهم أخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه فقال: مرحباً بالصديق سيد بني تميم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله ﷺ في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ ثم أخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحباً بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحباً بابن عم رسول الله وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له علي رضي الله عنه: يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فإن المنافقين شر خلق الله فقال له: مهلاً يا أبا الحسن أنى تقول هذا والله إن إيماننا كإيمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن أبيّ لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا ما فعلت فأثنوا عليه خيراً وقالوا: ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون إلى رسول الله ﷺ وأخبروه بذلك فنزلت الآية: ﴿وإذا خلوا﴾ أي: مضوا أو اجتمعوا على الخلوة وإلى بمعنى مع أو انفردوا، وإلى بمعنى الباء أو مع تقول خلوت بفلان وإليه إذا انفردت معه ﴿إلى شياطينهم﴾ أصحابهم المماثلين للشيطان في التمرد والعناد المظهرين لكفرهم وإضافتهم إليه للمشاركة في الكفر أو كبار المنافقين والقائلون صغارهم وكل عاتٍ متمرد فهو شيطان. وقال الضحاك المراد بشياطينهم كهنتهم وهم في بني قريظة كعب بن الأشرف وفي بني أسلم أبو بردة وفي جهينة عبد الدار وفي بني أسد عوف بن عامر وفي الشام عبد الله بن سوداء وكانت العرب تعتقد فيهم أنهم مطلعون على الغيب ويعرفون الأسرار ويداوون المرضى وليس من كاهن إلا وعند العرب معه شيطاناً يلقي إليه كهانته وسموا شياطين لبعدهم عن الحق فإن الشطون هو البعد كذا في «التيسير» ﴿قالوا إنا معكم﴾ إنا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم واعتقادكم لا نفارقكم في حال من الأحوال وكأنه قيل لهم عند قوله: ﴿إنا معكم﴾ فما بالكم توافقون المؤمنين في الإتيان

بكلمة الشهادة وتشهدون مشاهدهم وتدخلون مساجدهم وتحجون وتغزون معهم فقالوا: ﴿إنما نحن﴾ أي: في إظهار الإيمان عند المؤمنين ﴿مستهزئون﴾ بهم من غير أن يخطر ببالنا الإيمان حقيقة فنريهم أنا نوافقهم على دينهم ظاهراً وباطناً وإنما نكون معهم ظاهراً لنشاركهم في غنائمهم وننكح بناتهم ونطلع على أسرارهم ونحفظ أموالنا وأولادنا ونساءنا من أيديهم والاستهزاء التجهيل والسخرية والاستخفاف والمعنى أنا نجهل محمداً وأصحابه ونسخر بهم بإظهارنا الإسلام فرد الله عليهم بقوله:

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾

﴿الله يستهزىء بهم﴾ أي: يجازيهم على استهزائهم أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزىء بهم أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه أو يعاملهم معاملة المستهزىء بهم إما في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالإمهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان وإما في الآخرة فما يروى أنه يفتح لهم باب إلى الجنة وهم في جهنم فيسرعون نحوه فإذا وصلوا إليه سد عليهم الباب وردوا إلى جهنم والمؤمنون على الأرائك في الجنة ينظرون إليهم فيضحكون منهم كما ضحكوا من المؤمنين في الدنيا فذلك بمقابلة هذا ويفعل بهم ذلك مرة بعد مرة ﴿ويمدهم﴾ أي: يزيدهم ويقويهم من مدّ الجيش وأمده إذا زاده وقواه لا من المد في العمر فإنه يعدى باللام كأملى لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم ﴿في طغيانهم﴾ متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد في كل أمر والمراد إفراطهم في العتو وغلوهم في الكفر وفي إضافته إليهم إيذان باختصاصه بهم وتأييد لما أشير إليه من ترتب المد على سوء اختيارهم ﴿يعمهون﴾ أي: يترددون في الضلالة متحيرين عقوبة لهم في الدنيا لاستهزائهم وهو حال من الضمير المنصوب والمجرور لكون المضاف مصدراً فهو مرفوع حكماً.

والعمه في البصيرة كالعمي في البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدري أين يتوجه وفي الآيتين إشارات:

الأولى في قوله تعالى: ﴿إنا معكم﴾ وهي أنّ من رام أن يجمع بين طريق الإرادة وما عليه أهل العادة لا يلتئم له ذلك والضدان لا يجتمعان ومن كان له من كل ناحية خليط ومن كل زاوية من قلبه ربيط كان نهباً للطوارق ومنقسماً بين العلائق فهذا حال المنافق يذبذب بين ذلك وذلك يعني أن المنافقين لما أرادوا أن يجمعوا بين غبرة الكفار وصحبة المسلمين وأن يجمعوا بين مفاسد الكفر ومصالح الإيمان وكان الجمع بين الضدين غير جائز فبقوا بين الباب والدار كقوله تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣] وكذلك حال المتمنين الذين يدعون الإرادة ولا يخرجون عن العادة ويريدون الجمع بين مقاصد الدارين يتمنون أعلى مراتب الدين ويرتعون في أسفل مراتع الدنيا فلا يلتئم لهم ذلك قال عليه السلام: «ليس الدين بالتمني» وقال: «بعثت لرفع العادات ودفع الشهوات» وقال: «الدنيا والآخرة ضرتان فمن يدع الجمع بينهما فممكور ومغرور» فمن رام مع متابعة الهوى البلوغ إلى الدرجات العلى فهو كالمستهزىء بطريق هذا الفريق فكم في هذا البحر من أمثاله غريق فالله تعالى يمهلهم في طغيان النفس بالحرص على

الدنيا حتى يتجاوزوا في طلبها حد الاحتياج إليها ويفتح أبواب المقاصد الدنيوية عليهم ليستغنوا بها وبقدر الاستغناء يزيد طغيانهم كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦ ـ ٧] فكان جزاء سيئة تلونهم في الطلب الاستهزاء وجزاء سيئة الاستهزاء الخذلان والإمهال إلى أن طغوا وجزاء سيئة الطغيان العمه فيترددون في الضلال متحيرين لا سبيل لهم إلى الخروج من الباطل والرجوع إلى الحق.

والإشارة الثانية في قوله تعالى: ﴿الله يستهزىء بهم﴾ وهي أن ذلك يدل على شرف المؤمنين ومنزلتهم عند الله حيث أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاماً للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين إلى أن يعارضوهم باستهزاء مثله فناب الله عنهم واستهزأ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم عنده من باب الاستهزاء حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل والهوان ما لا يوصف به.

ودلت الآية على قبح الاستهزاء بالناس وقد قال: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١] وقال في قصة موسى عليه السلام: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] فأخبر أنه فعل الجاهلين وإذا كان الاستهزاء بالناس قبيحاً فما جزاء الاستهزاء بالله وهو فيما قال النبي ﷺ: «المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزىء بربه».

والإشارة الثالثة في قوله تعالى: ﴿ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾ وهي أن العبد ينبغي له أن لا يغتر بطول العمر وامتداده ولا بكثرة أمواله وأولاده والله تعالى يقول في أعدائه في حق المعمر ﴿ويمدهم﴾ وفي حق المال والبنين ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥﴾ [المؤمنون: ٥٥] وكان طول العمر لهم خذلاناً وكثرة الأموال والأولاد لهم حرماناً ولهم في مقابلة هذا المد مد قال الله تعالى: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩] وقد جعل الله لعدوه في الدنيا مالاً ممدوداً ولوليه في الآخرة ظلاً ممدوداً وقال الله جل جلاله لمحمد ﷺ ليلة المعراج: (إن من نعمتي على أمتك أني قصرت أعمارهم كيلا تكثر ذنوبهم وأقللت أموالهم كيلا يشتد في القيامة حسابهم وأخرت زمانهم كيلا يطول في القبور حبسهم) وروي أن الله تعالى قال لحبيبه ليلة المعراج: (يا أحمد لا تتزين بلين اللباس وطيب الطعام ولين الوطاء فإن النفس مأوى كل شر وهي رفيق سوء كلما تجرها إلى طاعة تجرك إلى معصية وتخالفك في الطاعة وتطيع لك في المعصية وتطغى إذا شبعت وتتكبر إذا استغنت وتنسى إذا ذكرت وتغفل إذا آمنت وهي قرينة للشيطان) كذا في «مشكاة الأنوار».

﴿أولئك﴾ المنافقون المتصفون بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عمن عداهم أكمل تمييز بحيث صاروا كأنهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الشر وسوء الحال ومحله الرفع على الابتداء وخبره قوله: ﴿الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ أصل الاشتراء بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الأشياء ثم استعير للإعراض عما في يده محصلاً به غيره ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعاً في غيره وهو هٰهنا عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية واشتروا الضلالة وهي الكفر والعدول عن الحق والصواب بالهدى وهو الإيمان والسلوك في الطريق المستقيم والاستقامة عليه مستعار لأخذها بدلاً منه أخذاً متصفاً بالرغبة فيها والإعراض عنه أي: اختاروها عليه واستبدلوها به وأخذوها مكانه وجعل الهدى كأنه في أيديهم لتمكنهم منه وهو الاستعداد به فبميلهم إلى الضلالة عطلوه وتركوه.

والباء تصحب المتروك في باب المعارضة وهذا دليل على أن الحكم يثبت بالتعاطي من غير تكلم بالإيجاب والقبول فإن هؤلاء سموا مشترين بترك الهدى وأخذ الضلال من غير التكلم بهذه المبادلة كما في «التيسير». ﴿**فما ربحت تجارتهم**﴾ترشيح للمجاز أي: ما ربحوا فيها فإن الربح مسند إلى أرباب التجارة في الحقيقة فإسناده إلى التجارة نفسها على الاتساع لتلبسها بالفاعل أو لمشابهتها إياه من حيث إنها سبب الربح والخسران ودخلت الفاء لتضمن الكلام معنى الشرط تقديره وإذا اشتروا فما ربحوا كما في «الكواشي» والتجارة صناعة التجار وهو التصدي بالبيع والشراء لتحصيل الربح وهو الفضل على رأس المال. ﴿وما كانوا مهتدين﴾أي: إلى طريق التجارة فإن المقصد منها سلامة رأس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح في صفقة فربما يتدارك في صفقة أخرى لبقاء الأصل وأما إتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعاً وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين لأن رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به إلى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين من الربح فاقدين الأصل نائين عن طريق التجارة بألف منزل.

واعلم أن المهتدي هو الذي ترك الدنيا والعادة ثم اشتغل بوظائف الطاعة والعبادة لا من اتبع كل ما يهواه وخلط هواه بهداه. حكي أنه كان للشيخ الأستاذ أبي علي الدقاق رضي الله عنه مريد تاجر متمول فمرض يوماً فعاده الشيخ وسأل منه سبب علته فقال التاجر: قمت هذه الليلة لمصلحة التهجد فلما أردت الوضوء بدا لي من ظهري حرارة فاشتد أمري حتى صرت محموماً فقال الشيخ: لا تفعل فعلاً فضولياً ولا ينفعك التهجد ما دمت لم تهجر دنياك وتخرج محبتها من قلبك فاللائق لك أولاً هو ذا ثم الاشتغال بوظائف النوافل فمن كان به أذى من رأسه من صداع لا يسكن ألمه بالطلاء على الرجل ومن تنجست يده لا يجد الطهارة بغسل ذيله وكمه. قال بعض المشايخ: من علامة اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بحقوق الواجبات وهذا غالب في الخلق إلا من عصمه الله ترى الواحد منهم يقوم بالأوراد الكثيرة والنوافل العديدة الثقيلة ولا يقوم بفرض واحد على وجهه. فعلى العاقل تحصيل رأس المال ثم تحصيل الربح المترتب عليه وذلك بالاختيار لا بالاضطرار وقد أوجب الله على العباد وجود طاعته لما علم من قلة نهوضهم إلى معاملته إذ ليس لهم ما يردهم إليه بلا علة وهذا حال أكثر الخلق بخلاف أهل المروءة والصفا. قال في «المثنوي»:

اختيار آمد عبادت رانمك ورنه ميكردد بنا خواه اين فلك
كردش اورا نه اجر ونه عقاب كاختيار آمد هنر وقت حساب
ائتيا كرهاً مهار عاقلان ائتيا طوعاً مهار بيدلان
اين محب دايه ليك از بهر شير وإن دكر دل داده بهر آن ستير

فأوجب الله عليك وجود طاعته وما أوجب عليك بالحقيقة إلا دخول جنته إذ الأمر آيل إليها والأسباب عدمية فإن تعللت النفس عن التشمير بما هي عليه من الاستغراق في كل دني وحقير فاعلم أن من استغرب أن ينقذه الله من شهوته التي اعتقلته عن الخيرات وأن يخرجه من وجود غفلته التي شملته في جميع الحالات فقد استعجز القدرة الإلهية وقد قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥] فأبان سبحانه أن قدرته شاملة صالحة لكل شيء وهذا

من الأشياء وإن أردت الاستعانة على تقوية رجائك في ذلك فانظر لحال من كان مثلك ثم أنقذه الله وخصه بعنايته كإبراهيم بن أدهم وفضيل بن عياض وابن المبارك وذي النون المصري ومالك بن دينار وغيرهم من مجرى البداية كذا في «شرح الحكم العطائية». قال الحافظ قدس سره:

عاشق كه شدكه يار بحالش نظر نكرد أي خواجه درد نيست وكرنه طبيب هست

قال القاشاني: في تأويل الآية الهدى النور الثاني في قوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥] وهو النور الفطري الأزلي المراد من قول المحققين هو الاستعداد من فيضه الأقدس والضلالة ظلمة النشأة الحاجبة له بسلوك طريق المطالب الطبيعية الفاسدة والمقاصد الهيولانية الفاسقة بهوى النفس وتتبع خطوات الشيطان والربح هو النور الأول المقدس الكمالي المكتسب بالتوجه إلى الحق والاتصال بعالم القدس والانقطاع والتبتل إلى الله من الغير والتبري بحوله وقوته من كل حول وقوة حتى يخلص روح المشاهدة من أعباء المكابدة بطلوع الوجه الباقي وإحراق سبحاته كل ما في بقعة الإمكان من الرسم الفاني وخسرانهم بإضاعة الأمرين هو الحجاب الكلي عن الحق بالرين كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٤ـ ١٥].

وفي «التأويلات النجمية» الإشارة في الآية أن من نتيجة طغيانهم وعمههم أن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وأشربوا في قلوبهم الضلالة وتمكنت فكانت هذه الحال من نتيجة معاملتهم فلهذا أضاف الفعل إليهم وقال: ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ وإنما قال بلفظ الاشتراء لأنهم أخرجوا استعداد قبول الهداية عن قدرتهم وتصرفهم فلا يملكون الرجوع إليه ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ لأن خسران من رضي بالدنيا من العقبى ظاهر ومن آثر الدنيا والعقبى على المولى فهو أشد خسراناً وأعظم حرماناً فإذا كان المصاب بفوات النعيم ممتحناً بنار الجحيم فما ظنك بالمصاب بفقد المطلوب وبعد المحبوب ضاعت منه الأوقات وبقي في أسر الشهوات لا إلى قلبه رسول ولا لروحه وصول ولا من الحبيب إليه وفود ولا لسره معه شهود فهذا هو المصاب الحقيقي ﴿وما كانوا مهتدين﴾ لإبطالهم حسن استعداد قبول الهداية.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿مثلهم﴾ المثل في الأصل بمعنى النظير ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده أي: المضروب كما ورد من غير تغيير ولا يضرب إلا بما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال أو قصة أو صفة لها شأن عجيب وفيها غرابة كقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥] وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠] أي: الوصف الذي له شأن من العظمة والجلال ولما جاء الله بحقيقة حال المنافقين عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فإن التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجامح الأبي كيف لا يلطف وهو إبداء للمنكر في صورة المعروف وإظهار للوحشي في هيئة المألوف وإراءة للخيل محققاً والمعقول محسوساً وتصوير للمعاني بصورة الأشخاص ومن ثمة كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد ولأمر

ما أكثر الله في كتبه الأمثال وفي الإنجيل سورة تسمى سورة الأمثال وفي القرآن ألف آية من الأمثال والعبر وهي في كلام الأنبياء عليهم السلام والعلماء والحكماء كثيرة لا تحصى.

ذكر السيوطي في «الإتقان»: من أعظم علم القرآن أمثاله والناس في غفلة عنه والمعنى حالهم العجيبة الشان ﴿كمثل الذي﴾ أي: كحال الذين من باب وضع واحد الموصول موضع الجمع منه تخفيفاً لكونه مستطالاً بصلته كقوله: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ [التوبة: ٦٩] والقرينة ما قبله وما بعده خلا أنه وحد الضمير في قوله تعالى: ﴿استوقد ناراً﴾ نظراً إلى الصورة وجمع في الأفعال الآتية نظراً إلى المعنى.

والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها.

والنار جوهر لطيف مضيء محرق حار والنور ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة أي: أوقد في مفازة في ليلة مظلمة ناراً عظيمة خوفاً من السباع وغيرها ﴿فلما أضاءت﴾ الإضاءة فرط الإنارة كما يعرب عنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥] أي: أنارت النار ﴿ما حوله﴾ أي: ما حول المستوقد من الأماكن والأشياء على أن ما مفعول أضاءت إن جعلته متعدياً وحول نصب على الظرفية وإن جعلته لازماً فهو مسند إلى ما والتأنيث لأن ما حوله أشياء وأماكن وأصل الحول الدوران ومنه الحول للعام لأنه يدور وجوابُ لَمَّا قولُه تعالى: ﴿ذهب الله بنورهم﴾ أي: أذهبه بالكلية وأطفأ نارهم التي هي مدار نورهم وإنما علق الإذهاب بالنور دون نفس النار لأنه المقصود بالاستيقاد وإسناد الإذهاب إلى الله تعالى إما لأن الكل بخلقه تعالى وإما لأن الإنطفاء حصل بسبب خفي أو أمر سماوي كريح أو مطر وإما للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والإمساك يقال ذهب السلطان بماله إذا أخذه وما أخذه الله تعالى فأمسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر إلى النور لأن ذهاب الضوء قد يجامع بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوى لعدم الضعيف والمراد إزالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى: ﴿وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾ فإن الظلمة هي عدم النور وانطماسه بالمرة لا سيما إذا كانت متضاعفة متراكمة متراكباً بعضها على بعض كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمي وما بعده من قوله: ﴿لا يبصرون﴾ لا يتحقق إلا بعد أن لا يبقى من النور عين ولا أثر وترك في الأصل بمعنى طرح وخلي وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى مجرى أفعال القلوب أي: صيرهم ﴿في ظلمات لا يبصرون﴾ ما حولهم فعلى هذا يكون قوله: ﴿في ظلمات﴾ وقوله: ﴿لا يبصرون﴾ مفعولين لصير بعد المفعول الأول على سنن الأخبار المتتابعة للمخبر عنه الواحد وإن حمل معناه على الأصل يكونان حالين من المفعول مترادفين أو متداخلين والمعنى أن حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي عبارة عن ظلمتي الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيامة ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢] وظلمة العقاب السرمدي بالهدى الذي هو الفطري النوري المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق كحال من استوقد ناراً عظيمة حتى كاد ينتفع بها فأطفأها الله تعالى وتركه في ظلمات هائلة لا يتسنى فيها الإبصار.

وفي «التيسير» و«العيون» إن المنافقين أظهروا كلمة الإيمان فاستناروا بنورها واستعزوا بعزها وآمنوا بسببها فناكحوا المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم وأمنوا على أموالهم

وأولادهم فإذا بلغوا إلى آخر العمر كل لسانهم عنها وبقوا في ظلمة كفرهم أبداً لا بد وعادوا إلى الخوف والظلمة.

﴿صم﴾ أي: هم صم عن الحق لا يقبلونه وإذا لم يقبلوا فكأنهم لم يسمعوا والصم انسداد خروق المسامع بحيث لا يكاد يصل إليها هواء يحصل الصوت بتموجه ﴿بكم﴾ خرس عن الحق لا يقولونه لما أبطنوا خلاف ما أظهروا فكأنهم لم ينطقوا وهو آفة في اللسان لا يتمكن بها أن يعتمد مواضع الحروف ﴿عمي﴾ أي: فاقدوا الأبصار عن النظر الموصل إلى العبرة التي تؤديهم إلى الهدى وفاقدوا البصيرة أيضاً لأن من لا بصيرة له كمن لا بصر له فالعمي مستعمل هٰهنا في عدم البصر والبصيرة جمعياً وهذه صفاتهم في الدنيا ولذلك عوقبوا في الآخرة بجنسها.

قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧] فلا يسمعون سلام الله ولا يخاطبون الله ولا يرونه والمسلمون كانوا سامعين للحق قائلين بالحق ناظرين إلى الحق فيكرمون يوم القيامة بخطابه ولقائه وسلامه. ﴿فهم لا يرجعون﴾ أي: هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون عن الضلالة إلى الهدى الذي تركوه والآية فذلكة التمثيل ونتيجته وأفادت أنهم كانوا يستطيعون الرجوع باستطاعة سلامة الآلات حيث استحقوا الذم بتركه وأن قوله تعالى: ﴿صم بكم عمي﴾ ليس بنفي الآلات بل هو نفي تركهم استعمالها، قال السعدي قدس سره:

زبان آمد ازبهر شكر وسپاس بغيبت نكردانداش حق شناس
كذركاه قرآن وپندست كوش به بهتان باطل شنيدن مكوش
دوچشم از پي صنع باري نكوست زعيب برادر فرو كير ودوست

ثم إن الله تعالى ندب الخلق إلى الرجوع بالائتمار بأمره والانتهاء بنهيه بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤)﴾ [الأعراف: ١٧٤] فمن لم يرجع إليه اختياراً رجعوا إليه بالموت والبعث كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧)﴾ [العنكبوت: ٥٧] ومن رجع إليه في الدنيا بفعله وحقق ذلك بقوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] كان رجوعه إليه بالكرامة ويخاطب بقوله: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨)﴾ [الفجر: ٢٧ـ ٢٨] ـ حكي ـ أن جباراً عاتياً في الزمن الأول بنى قصراً وشيده وزخرفه ثم آلى بيمينه أن لا يدنو من قصره هذا أحد فمن وقع بصره عليه قتله فكان يفعل ذلك ويقتل حتى جاءه رجل من أهل قريته فوعظه في ذلك فلم يلتفت إلى تحذيره ولم يعبأ بقوله فخرج ذلك الرجل الصالح من قريته وبنى كوخاً وهو بيت من قصب بلا كوة وجعل يعبد الله فيه فبينما هذا الجبار في قصره وأصحابه قيام بين يديه إذ تمثل له ملك الموت على صورة رجل شاب حسن الهيئة فجعل يطوف حول هذا القصر ويرفع رأسه إليه فقال بعض ندمائه أيها الملك إنا نرى رجلاً يطوف حول القصر وينظر إليه فتعالى الملك على منظر له فأبصره فقال: هذا مجنون أو غريب عابر سبيل ولكن انزل إليه فأرحه من نفسه فنزل إليه الرجل فلما أراد أن يرفع إليه السيف قبض روحه فخر ميتاً فقيل للملك: إن هذا قد قتل صاحبك فقال للآخر: انزل إليه فاقتله فلما نزل وأراد أن يقتله قبض روحه فخر ميتاً فرفع ذلك إلى الملك فامتلأ غضباً وأخذ السيف ونزل إليه بنفسه فقال: من أنت؟ أما رضيت أن دنوت من قصري حتى قتلت رجلين من أصحابي؟ فقال:

أوما تعرفني؟! أنا ملك الموت فارتعد الملك من هيبته حتى سقط السيف من يده قال: فعرفتك الآن وأراد أن ينصرف فقال له ملك الموت: إلى أين؟ إني أمرت بقبض روحك فقال: حتى أوصي أهلي وأودعهم فقال له: لِمَ لَمْ تفعل في طول عمرك قبل هذا؟ فقبض روحه فخر الملك ميتاً ثم جاء ملك الموت إلى ذلك الرجل الصالح في كوخه فقال له: أيها الرجل الصالح أبشر فإني ملك الموت وقد قبضت روح الملك الجبار فاعلم ذلك وأراد أن يرجع فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت أن اقبض روح الرجل الصالح فقال له ملك الموت: إني أمرت بقبض روحك قال: فهل لك يا ملك الموت أن أدخل القرية فأحدث بأهلي عهداً وأودعهم؟ فأوحى الله تعالى إليه أن أمهله يا ملك الموت فقال: إن شئت فرفع الرجل الصالح قدميه ليدخل القرية فتفكر ثم ندم فقال: يا ملك الموت إني أخاف إن رأيت أهلي أن يتغير قلبي فاقبض روحي فالله تعالى خير لهم مني فقبض روحه على المكان. قال بعض العارفين: والعجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه وهو مولاه الذي منّ عليه بكل خير وأولاه ويطلب ما لا بقاء له معه وهو ما يوافق النفس من شهوته وهواه وآخرته ودنياه فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

وأسباب عمي البصيرة ثلاثة: إرساله الجوارح في معاصي الله، والتصنع بطاعة الله، والطمع في خلق الله، فعند عماها يتوجه العبد للخلق ويعرض عن الحق.

وفي «التأويلات النجمية»: الإشارة في تحقيق الآيتين أن مثل المريد الذي له بداية جميلة يسلك طريق الإرادة مدة ويتعنى بمقاساة شدائد الصحبة برهة حتى تنور بنور الإرادة فاستوقد نار الطلب فأضاءت ما حوله فرأى أسباب السعادة والشقاوة فتمسك بحبل الصحبة فلازم الخدمة والخلوة وعزفت نفسه عن الدنيا وأقبل على قمع الهوى فشرقت له من صفاء القلب شوارق الشوق وبرقت له من أنوار الروح بوارق الذوق فأمن مكر الله وانخدع بخداع النفس فطرقته الهواجس وأزعجته الوساوس ثم رجع القهقرى إلى ما كان من حضيض الدنيا فغابت شمسه وأظلمت نفسه وانقطع حبل وصاله قبل وصوله وأخرج من جنة نواله بعد دخوله فبقدمي سأمه وملاله عاد إلى أسوأ حاله كما قال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]

﴿صم﴾ يعني بآذان قلوبهم التي سمعوا بها خطاب الله تعالى يوم الميثاق ﴿بكم﴾ بتلك الألسنة التي أجابوا ربهم بها بقولهم بلى ﴿عمي﴾ بالأبصار التي شاهدوا بها جمال ربوبيته فعرفوه ﴿فهم لا يرجعون﴾ إلى منازل حظائر القدس بل إلى ما كانوا فيه من رياض الأنس وذلك لأنهم سدوا روزنة قلوبهم التي كانت مفتوحة إلى عالم الغيب يوم الميثاق يتتبع الشهوات واستيفاء اللذات والخدعة والنفاق فما هبت عليهم من جناب القدس الرياح وما تنسموا نفحات الأرواح فمرضت قلوبهم ثم أرسل إليهم الطبيب الذي أنزل الداء فأنزل معه الدواء كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] الذين يصدقون الأطباء ويقبلون الدواء فلم يصدقوهم ولم يقبلوا الدواء ظلماً على أنفسهم فصار الدواء داء والشفاء وباء كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢] فلما لم يكونوا أهل الرحمة أدركتهم اللعنة الموجبة للصمم والعمي لقوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٣].

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَـٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿أو﴾ مثل المنافقين ﴿كصيب﴾ أي: كحال أصحاب صيب أي: مطر يصوب أي: ينزل ويقع من الصوب وهو النزول أصله صيوب والكاف مرفوع المحل عطف على الكاف في قوله: ﴿كمثل الذي﴾ وأو للتخيير والتساوي أي: كيفية قصة المنافقين شبيهة بكيفية هاتين القصتين والقصتان سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب وإن مثلتها بهما جميعاً فكذلك ﴿من السماء﴾ متعلق بصيب. والسماء: سقف الدنيا وتعريفها للإيذان بأن انبعاث الصيب ليس من أفق واحد فإن كل أفق من آفاقها أي: كل ما يحيط به كل أفق منها سماء على حدة، والمعنى أنه صيب عام نازل من غمام مطبق آخذ بآفاق السماء وفيه أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم أنه يأخذه من البحر.

قال الإمام: من الناس من قال: المطر إنما يتحصل من ارتفاع أبخرة رطبة من الأرض إلى الهواء فينعقد هناك من شدة برد الهواء ثم ينزل مرة أخرى وأبطل الله ذلك المذهب هنا بأن بين أن ذلك الصيب نزل من السماء.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن تحت العرش بحراً ينزل منه أرزاق الحيوانات يوحى إليه فيمطر ما شاء من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى سماء الدنيا ويوحى إلى السحاب أن غربله فيغربله فليس من قطرة تقطر إلا ومعها ملك يضعها موضعها ولا ينزل من السماء قطرة إلا بكيل معلوم ووزن معلوم إلا ما كان من يوم الطوفان من ماء فإنه نزل بلا كيل ولا وزن كذا في تفسير «التيسير» ﴿فيه﴾ أي: في الصيب ﴿ظلمات﴾ أنواع منها وهي ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة أظلال ما يلزمه من الغمام المطبق الآخذ بالآفاق مع ظلمة الليل وليس في الآية ما يدل على ظلمة الليل لكن يمكن أن يؤخذ ظلمة الليل من سياق الآية حيث قال تعالى بعد هذه الآية: ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ وبعده ﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ فإن خطف البرق البصر إنما يكون غالباً في ظلمة الليالي وكذا وقوف الماشي عن المشي إنما يكون إذا اشتد ظلمة الليل بحيث يحجب الأبصار عن إبصار ما هو أمام الماشي من الطريق وغيره وظلمة سحمة السحاب وتكاثفه في النهار لا يوجب وقوف الماشي عن المشي كذا في «حواشي ابن التمجيد». وجعل المطر محلاً للظلمات مع أن بعضها لغيره كظلمة الغمام والليل لما أنهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة في شدته وتهويلاً لأمره وإيذاناً بأنه من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام ورفع ظلمات بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف لأن الجملة في محل الجر صفة لصيب على وجه ﴿ورعد﴾ هو صوت قاصف يسمع من السحاب ﴿وبرق﴾ هو ما يلمع من السحاب إذا تحاكت أجزاؤه وكونهما في الصيب مع أن مكانهما السحاب باعتبار كونهما في أعلاه ومنصبه وملتبسين في الجملة به ووصول أثرهما إليه فهما فيه والمشهور بين الحكماء أن الرعد يحدث من اصطكاك أجرام السحاب بعضها ببعض أو من إقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح إياها سوقاً عنيفاً.

والصحيح الذي عليه التعويل ما روي عن الترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال عليه السلام: «ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوقه بها حيث شاء الله» فقالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع قال: «زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر» فقالوا: صدقت فالمراد بالرعد في الآية صوت ذلك الملك لا عينه كما في بعض الروايات من (أن الرعد ملك موكل بالسحاب

يصرفه إلى حيث يؤمر وأنه يجوز الماء في نقرة إبهامه وأنه يسبح الله فإذا سبح الله لا يبقى ملك في السماء إلا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل القطر) انتهى والمراد بالبرق ضربه السحاب بتلك المخاريق وهي جمع مخراق وهو في الأصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضاً أريد أنها آلة تزجر بها الملائكة السحاب.

قال مرجع الطريقة الجلوتية بالجيم الشيخ الشهير بافتاده افندي البروسوي التوفيق بين قول الحكماء وبين قوله ﷺ: «إن الرعد صوت ملك على شكل النحل» هو أنه يصيح من خارج هذا العالم ولكن يدخل فيه ويؤثر في داخله فنحن نسمع من داخله كما أن واحداً إذا أكل شيئاً نفاخاً يحصل في داخله رياح ذات أصوات فمنشأها من الخارج وظهورها في الداخل فكلام النبي ﷺ ناظر إلى مبدئها وكلام الحكماء ناظر إلى مظهرها. ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم﴾ الضمائر للمضاف المحذوف لأن التقدير أو كأصحاب صيب كما سبق ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفاً لأنه لما ذكر الرعد والبرق على ما يوذن بالشدة والهول فكأن قائلاً قال: كيف حالهم مع مثل ذلك الرعد؟ فقيل يجعلون أصابعهم في آذانهم والمراد أناملهم وفيه من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل كأنهم يدخلون من شدة الحيرة أصابعهم كلها في آذانهم لا أناملها فحسب كما هو المعتاد ويجوز أن يكون هذا إيماء إلى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم إلى حيث لا يهتدون إلى استعمال الجوارح على النهج المعتاد وكذا الحال في عدم تعيين الأصبع المعتاد أعني: السبابة وقيل لرعاية الأدب لأنها فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن ألا ترى أنهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والمهللة وغيرهما ولم يذكر من أمثال هذه الكنايات لأنها ألفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد ﴿من الصواعق﴾ متعلق بيجعلون أي: من أجل خوف الصواعق المقارنة للرعد وهي جمع صاعقة وهي قصفة رعد هائل تنقض معها شعلة نار لا تمر بشيء إلا أتت عليه لكنها مع حدتها سريعة الخمود للطافتها ـ حكي ـ أنها سقطت على نخلة فأحرقت نحو النصف ثم طفئت.

قالوا بين السماء وبين الكلة الرقيقة التي لا يرى أديم السماء إلا من ورائها نار منها تكون الصواعق تخرج النار فتفتق الكلة ويكون الصوت منها كما في «روضة العلماء». وقيل: تنقدح من السحاب إذا اصطكت أجرامه أو جرم ثقيل مذاب مفرغ من الأجزاء اللطيفة الأرضية الصاعدة المسماة دخاناً والمائية المسماة بخاراً حار حاد في غاية الحدة والحرارة لا يقع على شيء إلا ثقب وأحرق ونفذ في الأرض حتى بلغ الماء فانطفأ ووقف.

قالوا: إذا أشرقت الشمس على أرض يابسة تحللت منها أجزاء نارية يخالطها أجزاء أرضية يسمى المركب منهما دخاناً ويخلط بالبخار ويتصاعدان معاً إلى الطبقة الباردة فينعقد البخار سحاباً وينحبس الدخان فيه ويطلب الصعود إن بقي على طبيعته والنزول إن ثقل وكيف كان يمزق السحاب تمزيقاً عنيفاً فيحدث منه الرعد ثم قد يحدث شدة حركة ومحاكة فيحدث منه البرق إن كان لطيفاً والصاعقة إن كان غليظاً قال ابن عباس رضي الله عنهما من سمع صوت الرعد فقال: (سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير) فإن أصابته صاعقة فعلي ديته وكان ﷺ يقول إذا سمع الرعد وصواعقه: «اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك» كذا في «تفسير الشيخ» و«شرح الشرعة» ﴿حذر الموت﴾ منصوب بيجعلون على العلة أي: لأجل مخافة الهلاك والموت فساد بنية الحيوان ﴿والله

محيط﴾ أصل الإحاطة الإحداق بالشيء من جميع جهاته وهو مجاز في حقه تعالى أي: محدق بعلمه وقدرته ﴿بالكافرين﴾ أي: لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط حقيقة فيحشرهم يوم القيامة ويعذبهم والجملة اعتراضية منبهة على أن ما صنعوا من سد الآذان بالأصابع لا يغني عنهم شيئاً فإن القدر لا يدافعه الحذر والحيل لا ترد بأس الله عز وجل وفائدة وضع الكافرين موضع الضمير الراجع إلى أصحاب الصيب الإيذان بأن ما دهمهم من الأمور الهائلة المحكية بسبب كفرهم.

﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿يكاد البرق﴾ أي: يقرب استئناف آخر وقع جواباً عن سؤال مقدر كأنه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل: يكاد ذلك ﴿يخطف أبصارهم﴾ أي: يختلسها ويستلبها بسرعة من شدة ضوئه ﴿كلما أضاء لهم﴾ كلما ظرف والعامل فيه جوابها وهو مشوا وأضاء متعد أي: أنار البرق الطريق في الليلة المظلمة وهو استئناف ثالث كأنه قيل كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته أيفعلون بأبصارهم ما يفعلون بآذانهم أم لا؟ فقيل كلما نور البرق لهم ممشى ومسلكاً ﴿مشوا فيه﴾ أي: في ذلك المسلك أي: في مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف أن يخطف أبصارهم وإيثار المشي على ما فوقه من السعي والعدو للإشعار بعدم استطاعتهم لهما لكمال دهشتهم ﴿وإذا أظلم عليهم﴾ أي: خفي البرق واستتر فصار الطريق مظلماً. ﴿قاموا﴾ أي: وقفوا في أماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين لحظة أخرى عسى يتسنى لهم الوصول إلى المقصد أو الالتجاء إلى ملجأ يعصمهم. ﴿ولو شاء الله﴾ مفعوله محذوف أي: لو أراد أن يذهب الأسماع التي في الرأس والأبصار التي في العين كما ذهب بسمع قلوبهم وأبصارهم ﴿لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾ بصوت الرعد ونور البرق عقوبة لهم لأنه لا يعجز عن ذلك ﴿إن الله على كل شيء﴾ أي: على كل موجود بالإمكان والله تعالى وإن كان يطلق عليه الشيء لكنه موجود بالوجوب دون الإمكان فلا يشك العاقل أن المراد من الشيء في أمثال هذا ما سواه تعالى فالله تعالى مستثنى في الآية مما يتناوله لفظ الشيء بدلالة العقل فالمعنى على كل شيء سواه قدير كما يقال فلان أمين على معنى أمين على من سواه من الناس ولا يدخل فيه نفسه وإن كان من جملتهم كما في «حواشي ابن التمجيد». ﴿قدير﴾ أي: فاعل له على قدر ما تقتضيه حكمته لا ناقصاً ولا زائداً ثم إن هذا التمثيل كشف بعد كشف وإيضاح بعد إيضاح أبلغ من الأول شبه الله حال المنافقين في حيرتهم وما خبطوا فيه من الضلالة وشدة الأمر عليهم وخزيهم وافتضاحهم بحال من أخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق والموت هذا إذا كان التمثيل مركباً وهو الذي يقتضيه جزالة التنزيل فإنك تتصور في المركب الهيئة الحاصلة من تفاوت تلك الصور وكيفياتها المتضامة فيحصل في النفس منه ما لا يحصل من المفردات كما إذا تصورت من مجموع الآية مكابدة من أدركه الوبل الهطل مع تكاثف ظلمة الليل وهيئة انتساج السحاب بتتابع القطر وصوت الرعد الهائل والبرق الخاطف والصاعقة المحرقة ولهم من خوف هذه الشدائد حركات من تحذر الموت حصل لك منه أمر عجيب وخطب هائل بخلاف ما إذا تكلفت لواحد واحد مشبهاً به يعني إن حمل التمثيل على

التشبيه المفرق فشبه القرآن وما فيه من المعلوم والمعارف التي هي مدار الحياة الأبدية بالصيب الذي هو سبب الحياة الأرضية وما عرض لهم بنزوله من الغموم والأحزان وانكساف البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصاممهم عما يقرع أسماعهم من الوعيد بحال من يهوله الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيسد أذنه ولا خلاص له منها واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه أو رفد يحرزونه بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم وتحيرهم في أمرهم حين عنّ لهم مصيبة بوقوفهم إذا أظلم عليهم فهذه حال المنافقين قصارى عمرهم الحيرة والدهشة.

فعلى العاقل أن يتمسك بحبل الشرع القويم والصراط المستقيم كي يتخلص من الغوائل والقيود ومهالك الوجود وغاية الأمر خفية لا يدري بم يختم. قال رجل للحسن البصري: كيف أصبحت؟ قال: بخير قال كيف حالك؟ فتبسم الحسن ثم قال: لا تسأل عن حالي ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل إنسان منهم بخشبة على أي: حال هم قال الرجل على حال شديد قال الحسن: حالي أشد من حالهم فالموت بحري والحياة سفينتي والذنوب خشبتي فكيف يكون حال من وصفه هذا يا بني فلا بد من ترك الذنوب والفرار إلى علام الغيوب وفي الحديث «من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه» تأمل كيف كان جزاء كل مؤمل ما أمل واعتبر كيف لم يكرر ذكر الدنيا إشعاراً بعدم اعتبارها لخساستها ولأن وجودها لعب ولهو فكأنه كلا وجود كما قيل:

بـر مـردهـشـيـار دنـيـا خـسـسـت كـه هـرمـدتـي جـاي ديـكـر كـسـت

وانظر إلى قوله عليه السلام: «فهجرته إلى ما هاجر إليه» وما تضمن من أبعاد ما سواه تعالى وتدبر ذكر الدنيا والمرأة مع أنها منها إذ يشعر بأن المراد كل شيء في الدنيا من شهوة أو مال وإليه يرجع الأكوان وأن المراد بالحديث الخروج عن الدنيا بل وعن كل شيء لله تعالى، قال الحافظ:

غـلام هـمـت آنـم كـه زيـر چـرخ كـبـود زهـر چـه رنـك تـعـلـق پـذيـرد آزادسـت

يعني عن كل شيء يقبل التعلق من المال والمنال والأولاد والعيال فلا بد من التعلق بمحبة الملك المتعال.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿أو كصيب من السماء﴾ الإشارة في تحقيق الآيتين أن الله تعالى شبه حال متمني هذا الحديث واشتغالهم بالذكر وتتبع القرآن في البداية وتجلدهم في الطلب وما يفتح لهم من الغيب إلى أن تظهر النفس الملالة وتقع في آفة الفترة والوقفة بحال من يكون في المفازة سائراً في ظلمة الليل والمطر وشبه الذكر والقرآن بالمطر لأنه ينبت الإيمان والحكمة في القلب كما ينبت الماء البقلة ﴿فيه ظلمات﴾ أي: مشكلات ومتشابهات تظهر لسالك الذكر في أثناء السلوك ومعان دقيقة لا يمكن حلها وفهمها والخروج عن عهدة آفاتها إلا لمن كان له عقل منور بنور الإيمان مؤيد بتأييد الرحمٰن كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾ [الرحمٰن: ١ ـ ٢] فكما أن السير لا يمكن في الظلمات إلا بنور السراج كذلك لا يمكن السير في حقائق القرآن ودقائقه ولا في ظلمات البشرية إلا بنور هداية الربوبية ولهذا قال تعالى: ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه﴾ يعني نور الهداية ﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ يعني ظلمة

البشرية ﴿ورعد﴾ أي: خوف وخشية ورهبة تتطرق إلى القلوب من هيبة جلال الذكر والقرآن كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] ﴿وبرق﴾ وهو تلألؤ أنوار الذكر والقرآن يهتدي إلى القلوب فتلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله فيظهر فيها حقيقة القرآن والدين فيعرفها القلوب لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ [المائدة: ٨٣] الآية ولما لاح لهم أنوار السعادة خرجوا من ظلمات الطبيعة وتمسكوا بحبل الإرادة لينالوا درجات الفائزين ولكن يجعلون أصابعهم أي: أصابع آمالهم الفاسدة وأمانيهم الباطلة ﴿في آذانهم﴾ الواعية ﴿من الصواعق﴾ ودواعي الحق ﴿حذر﴾ من ﴿الموت﴾ موت النفس لأن النفس سمكة حياتها بحر الدنيا وماء الهوى لو أخرجت لماتت في الحال وهذا تحقيق قوله عليه السلام: «موتوا قبل أن تموتوا» ﴿والله محيط بالكافرين﴾ فيه إشارة إلى أن الكافر الذي له حياة طبيعية حيوانية لو مات بالإرادة من مألوفات الطبيعة لكان إحياء الله تعالى بأنوار الشريعة كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] فلما لم يمت بالإرادة فالله محيط بالكافرين أي: مهلكهم ومميتهم في الدنيا بموت الصورة وموت القلب وفي الآخرة بموت العذاب فلا يموت فيها ولا يحيى ﴿يكاد البرق﴾ أي: نور الذكر والقرآن ﴿يخطف أبصارهم﴾ أي: أبصار نفوسهم الأمارة بالسوء ﴿كلما أضاء لهم﴾ نور الهدى. ﴿مشوا فيه﴾ سلكوا طريق الحق بقدم الصدق ﴿وإذا أظلم عليهم﴾ ظلمات صفات النفس وغلب عليهم الهوى ومالوا إلى الدنيا. ﴿قاموا﴾ أي: وقفوا عن السير وتحيروا وترددوا وتطرقت إليهم الآفات واعترتهم الفترات واستولى عليهم الشيطان وسولت لهم أنفسهم الشهوات حتى وقعوا في ورطة الهلاك ﴿ولو شاء الله﴾ أي: لو كانت إرادته أن يهديهم ﴿لذهب بسمعهم﴾ أي: بسمع نفوسهم التي تصغي إلى وساوس الشيطان وغروره ﴿وأبصارهم﴾ أي: أبصار نفوسهم التي بها تنظر إلى زينة الدنيا وزخارفها كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣] ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ أي: قادر على سلب أسماعهم وأبصارهم حتى لا يسمعوا الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية ولا يبصروا المزخرفات الدنيوية والمستلذات الحيوانية لكيلا يغتروا بها ويبيعوا الدين بالدنيا ولكن الله يفعل بحكمته ما يشاء ويحكم بعزته ما يريد انتهى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿يا أيها الناس﴾ الآية مسوقة لإثبات التوحيد وتحقيق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام اللذين هما أصل الإيمان. والناس يصلح اسماً للمؤمنين والكافرين والمنافقين، والنداء تنبيه الغافلين أو إحضار الغائبين وتحريك الساكنين وتعريف الجاهلين وتفريغ المشغولين وتوجيه المعرضين وتهييج المحبين وتشويق المريدين. قال بعض العارفين أقبل عليهم بالخطاب جبراً لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب أي: يا مؤنس لا تنس أنسك بي قبل الولادة أو يا ابن النسيان تنبه ولا تنس حيث كنت نسياً منسياً ولم تك شيئاً مذكوراً فخلقتك وخمرتك طيناً ثم نطفة ثم دماً ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ولحوماً وعروقاً وجلوداً وأعصاباً ثم جنيناً ثم طفلاً ثم

صبياً ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً وأنت فيما بين ذلك تتمرغ في نعمتي وتسعى في خدمة غيري تعبد النفس والهوى وتبيع الدين بالدنيا لا تنس من خلقك وجعلك من لا شيء شيئاً مذكوراً كريماً مشكوراً علمك وقواك وأكرمك وأعطاك ما أعطاك فهذا خطاب للنفس والبدن.

قال في «التيسير»: وإذا كان الإنسان من النسيان ففيه عتاب وتلقين أما العتاب فكأنه يقول: أيها الناس قابلتم نعمنا بالكفران وأوامرنا بالعصيان وأما التلقين للعذر فكأنه يقول: أيها المخالف لنا ناسياً لا عامداً وساهياً لا قاصداً عذرناك لنسيانك وعفونا عنك لإيمانك. ﴿اعبدوا ربكم﴾ يقول للكفار وحدوا ربكم ويقول للعاصين أطيعوا ربكم ويقول للمنافقين أخلصوا بالتوحيد معرفة ربكم ويقول للمطيعين أثبتوا على طاعة ربكم واللفظ يحتمل لهذه الوجوه كلها وهو من جوامع الكلم كما في «تفسير أبي الليث».

والعبادة استفراغ الطاعة في استكمال الطاعة واستشعار الخشية في استبعاد المعصية ﴿الذي خلقكم﴾ صفة جرت عنه للتعظيم والتعليل معناه أطيعوا ربكم الذي خلقكم لخلقكم ولم تكونوا شيئاً. والخلق اختراع الشيء على غير مثال سبق. ﴿و﴾ خلق ﴿الذين من قبلكم﴾ أي: من زمن قبل زمانكم من الأمم فمن ابتدائية متعلقة بمحذوف وفي الوصف به إيماء إلى سبب وجوب عبادته تعالى فإن خلق أصولهم من موجبات العبادة كخلق أنفسهم وفيه دلالة على شمول القدرة وتنبيه من سنة الغفلة، أي: أنهم كانوا فمضوا وجاؤوا وانقضوا فلا تنسوا مصيركم ولا تستجيزوا تقصيركم. ﴿لعلكم تتقون﴾ حال من ضمير اعبدوا أي: راجين أن تدخلوا في سلك المتقين الفائزين بالهدي والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى. ولعل للترجي والأطماع وهي من الله تعالى واجب لأن الكريم لا يطمع إلا فيما يفعل والأولون والآخرون مخاطبون بالأمر بالتقوى وخص المخاطبين بالذكر تغليباً لهم على الغائبين كما في «الكواشي». وفيه تنبيه على أن التقوى منتهى درجة السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله تعالى وأن العابد ينبغي أن لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]. ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧] قال السعدي قدس سره:

اكر مردي از مرديء خود مكوى نه هر شهسواري بدر برد كوي

يعني ليس كل عابد يخلص إيمانه بسبب عبادته. ﴿الذي جعل لكم الأرض﴾ صفة ثانية لربكم. قال أهل اللغة الأرض بساط العالم وبسيطها من حيث يحيط بها البحر الذي هو البحر المحيط أربعة وعشرون ألف فرسخ كل فرسخ ثلاثة أميال وهو اثنا عشر ألف ذراع بالذراع المرسلة وكل ذراع ست وثلاثون أصبعاً كل أصبع ست حبات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعض فللسودان اثنا عشر ألف فرسخ وللبياض ثمانية وللفرس ثلاثة وللعرب ألف كذا في «كتاب الملكوت» وسمت وسط الأرض المسكونة حضرة الكعبة وأما وسط الأرض كلها عامرها وخرابها فهو الموضع الذي يسمى قبة الأرض وهو مكان يعتدل فيه الأزمان في الحر والبرد ويستوي الليل والنهار أبداً لا يزيد أحدهما على الآخر كما في «الملكوت».

وروي عن علي كرم الله وجهه أنه قال: إنما سميت الأرض أرضاً لأنها تتأرض ما في بطنها يعني: تأكل ما فيها وقال بعضهم لأنها تتأرض بالحوافر والأقدام ﴿فراشاً﴾ ومعنى جعلها فراشاً جعل بعضها بارزاً من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها والنوم فيها كالبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها سطحاً

حقيقياً وهو الذي له طول وعرض فإن كرية شكلها مع عظم جرمها مصححة لافتراشها﴿و﴾ جعل ﴿السماء﴾ وهو ما علاك وأظلك﴿بناء﴾ قبة مضروبة عليكم وكل سماء مطبقة على الأخرى مثل القبة والسماء الدنيا ملتزقة أطرافها على الأرض كما في «تفسير أبي الليث». ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ أي: مطراً ينحدر منها على السحاب ومنه على الأرض وهو رد لزعم أنه يأخذه من البحر ﴿فأخرج به﴾ أي: أنبت الله بسبب الماء الذي أنزل من السماء. ﴿من الثمرات﴾ هي هٰهنا المأكولات كلها من الحبوب والفواكه وغيرها مما يخرج من الأرض والشجر كما في «التيسير». ﴿رزقاً لكم﴾ وذلك بأن أودع في الماء قوة فاعلية وفي الأرض قوة منفعلة فتولد من تفاعلهما أصناف الثمار فهين المظلة والمقلة شبه عقد النكاح بإنزال الماء منها عليها والإخراج به من بطنها أشباه النسل المنتج من الحيوان من ألوان الثمار رزاقاً لبني آدم ومن للبيان ورزقاً أي: طعاماً وعلفاً لكم ولدوابكم والمعنى أن الله تعالى أنعم عليكم بذلك كله لتعرفوه بالخالقية والرازقية فتوحدوه﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ جمع ند وهو المثل أي: أمثالاً تعبدونهم كعبادة الله يعني لا تقولوا له شركاء تعبد معه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لا تقولوا لولا فلان لأصابني كذا ولولا كلبنا يصيح على الباب لسرق متاعنا. وعن النبي ﷺ أنه قال: «إياكم ولو فانه من كلام المنافقين قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا»، قال السعدي:

اكـر عـز وجـاهـسـت اكـر ذل وقـيـد من أزحق شناسم نه از عمرو وزيد

﴿وأنتم تعلمون﴾ أن الله هو الذي خلقكم ومن قبلكم وخلق السماء والأرض وخلق الأرزاق دون الأصنام فإنها لا تضر ولا تنفع والوعظ الكلي أنه قال في الآية: ﴿جعل لكم﴾ وقال: ﴿رزقاً لكم﴾ فلو قال لك في القيامة فعلت كذا كله لكم فما فعلتم لي فما تقول. وعن الشبلي رحمه الله أنه وعظ يوماً الناس فأبكاهم لما ذكر من القيامة وأهوالها فمر بهم أبو الحسين النوري قال: لا تفزعهم فإن حساب يومئذ ليس بهذا الطول إنما هو كلمتان «من ترا بودم تو كرا بودي» وأفادت الآية أنه ينبغي الإخلاص في العبادة بترك ملاحظة الأغيار وبشهود خالق الليل والنهار. قال السعدي:

كـرت بـيـخ إخـلاص در بـوم نـيـسـت درين در كسي چون تو محروم نيست

وفي توصية رسول الله ﷺ لمعاذ «يا معاذ إني محدثك بحديث إن أنت حفظته نفعك وإن أنت ضيعته انقطعت حجتك عند الله تعالى يا معاذ إن الله تبارك وتعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض فجعل لكل سماء من السبعة ملكاً بواباً فيصعد عليه الحفظة بعمل العبد من حين أصبح إلى حين أمسى له نور كنور الشمس حتى إذا طلعت به الملائكة إلى السماء الدنيا زكته وكثرته فيقول الملك الموكل للحفظة قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرني ربي أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يتجاوزني إنه كان يغتاب الناس».

زبـان آمـد از بـهـر شـكـر وسـپـاس بـغـيـبـت نـكـردانـدش حق شـنـاس

قال عليه السلام: «ثم يأتي الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به إلى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الفخر إنه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرني ربي أن لا أدع عمله يتجاوز إلى غيري إنه كان يفتخر على الناس في مجالسهم».

چـه زنـار مـغ درمـيـانـت چـه دلـق   كـه در يـوشـي از بـهـر پـنـدار خـلـق

قال عليه السلام: «ويصعد الحفظة بعمل عبد يبتهج نوراً من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيتجاوزون به إلى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إنه كان يتكبر على الناس في مجالسهم».

فـروتـن بـود هـو شـمـنـد كـزيـن   نـهـد شـاخ پـر مـيـوه سـربـر زمـيـن

قال عليه السلام: «ويصعد الحفظة بعمل عبد يزهو كما يزهو الكوكب الدري من صلاة وتسبيح وحج وعمرة حتى يجاوزون به إلى الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب العجب أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إنه كان إذا عمل عملاً أدخل العجب فيه».

چـو رويي بـخـدمـت نـهـى بـرزمـيـن   خـدارا ثـنـا كـوي خـودرا مـبـيـن

قال عليه السلام: «ويصعد الحفظة بعمل عبد حتى يجاوزون به إلى السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة إلى أهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الحسد إنه كان يحسد من يتعلم العلم ويعمل الله وكل من يأخذ بنصيب من العبادة كان يحسدهم ويعيبهم أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني».

عـقـبـه زيـن صـعـبـتـر در راه نـيـسـت   أي خنك آنكس حسد همراه نيست

قال عليه السلام: «ويصعد الحفظة بعمل عبد من صيام وصلاة وزكاة وحج وعمرة فيجاوزون به إلى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لا يرحم إنساناً من عباد الله قط وإذا أصابهم بلاء وضر كان يشمت فيهم أنا ملك موكل بالرحمة أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني».

اشك خـواهـي رحـم كـن بـراشـك بـار   رحـم خـواهـي بـر ضـعـيـفـان رحـم آر

قال عليه السلام: «ويصعد الحفظة إلى السماء السابعة بعمل عبد من صلاة وصوم وفقه واجتهاد وورع لها دويّ كدويّ النحل وضوء كضوء الشمس معها ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون بها إلى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واقفلوا على قلبه أنا أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به ربي إنه كان يعمل لغير الله إنه أراد به رفعة عند الفقهاء وذكراً عند العلماء وصيتاً في المدائن أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصاً لهو رياء».

بـروي ريـا خـرقـه سـهـلـسـت دوخـت   كـرش بـاخـدا در تـوانـي فـروخـت

قال عليه السلام: «ويصعد الحفظة بعمل عبد من زكاة وصوم وصلاة وحج وعمرة وخلق حسن وذكر لله ويشيعه ملائكة السموات حتى يقطعون الحجب كلها إلى الله عز وجل فيقفون بين يديه ليشهدوا له بالعمل الصالح المخلص لله فيقول الله عز وجل: أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على قلبه إنه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا فتلعنه السموات السبع ومن فيهن» قال معاذ: قلت: يا رسول الله كيف لي بالنجاة والخلوص؟ قال: «اقتد بي وعليك باليقين وإن كان في عملك تقصير وحافظ على لسانك من الوقيعة» أي: الغيبة «في إخوانك من حملة القرآن ولا تزك نفسك عليهم ولا تدخل

عمل الدنيا بعمل الآخرة ولا تمزق الناس فيمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار ولا تراء بعملك الناس» قال السعدي:

أي هنر هانهاده بر كف دست عيبها بر كرفته زير بغل

تاچه خواهي خريدن أي مغرور روز درماندكي بسيم دغل

وعن أبي يزيد البسطامي قدس سره قال: كابدت العبادة أي: أتعبت نفسي فيها ثلاثين سنة فرأيت قائلاً يقول: يا أبا يزيد خزائنه مملوءة بالعبادة إن أردت الوصول إليه فعليك بالذلة والاحتقار والإخلاص في العمل، قال أبو يزيد قدس سره:

چار چيز آورده ام شاها كه در كنج تونيست

نيستي وحاجت وجرم وكناه آورده ام

قاله لما طلب منه الهدية حين طلع مبشرات الحقيقة فلما عرض تلك الهدية قيل: ادخل جئت بهدية عظمى وحصل الاستحقاق للدخول.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿يا أيها الناس﴾ الإشارة في تحقيق الآيتين إنه تعالى خاطب ناسي عهود يوم الميثاق والإقرار بربوبيته ومعاهدته أن لا تعبدوا إلا إياه فخالفوه ونقضوا عهده وعبدوا الطواغيت من الأصنام والدنيا والنفس والهوى والشيطان فزل قدمهم عن جادة التوحيد ووقعوا في ورطة الشرك والهلاك فبعث إليهم الرسول وكتب إليه الكتاب وأخبرهم عن النسيان والشرك ودعاهم إلى التوحيد والعبودية وقال: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم﴾ يعني ذراتكم وذرات من قبلكم يوم الميثاق وأخذ مواثيقكم بالربوبية والتوحيد والعبادة فأوفوا بعهد العبودية بتوحيد اللسان وتجريد القلب وتفريد السر وتزكية النفس بترك المحظورات وإقامة الطاعات المأمورات ﴿لعلكم تتقون﴾ عن شرك عبادة غير الله فيوفي الله بعهد الربوبية بالنجاة من الدركات ورفع الدرجات بالجنان والإكرام بالقربات والكرامات في الآخرة كما أكرمكم في الدنيا ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء﴾ فيه إشارة إلى تعريفه بالقدرة الكاملة ومنته على عباده وفضيلتهم عنده على جميع المخلوقات أما تعريف نفسه بالقدرة الكاملة فقوله تعالى: ﴿الذي جعل﴾ وأما منته على عباده فقوله تعالى: ﴿لكم الأرض فراشاً والسماء بناء﴾ أي: خلق هذه الأشياء لكم خاصة وأما فضيلتهم على جميع المخلوقات بأن خلق السموات والأرض وما فيهما لأجلهم وسخره لهم لقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] فكان وجود السموات والأرض تبعاً لوجودهم وما كان وجوده تبعاً لوجود شيء لا يكون مقصوداً وجوده لذاته ولهذا السر أمر الله تعالى ملائكته بسجود آدم عليه السلام وحرم على آدم وأولاده سجود غير الله ليظهر أن الملائكة وإن كانوا قبل وجود آدم أفضل الموجودات فلما خلق آدم وجعله مسجوداً لهم كان هو أفضل المخلوقات وأكرمهم على الله تعالى ومتبوع كل شيء والكل تابع له ﴿وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم﴾ تحقيقه أن الماء هو القرآن وثمراته الهدى والتقى والنور والرحمة والشفاء والبركة واليمن والسعادة والقربة والحق اليقين والنجاة والرفعة والصلاح والفلاح والحكمة والحلم والعلم والآداب والأخلاق والعزة والغنى والتمسك بالعروة الوثقى والاعتصام بحبل الله المتين وجماع كل خير وختام كل سعادة وزهوق باطل الوجود الإنساني عند مجيء تجليات

حقيقة الصفات الربانية كقوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١] فأخرج بماء القرآن هذه الثمرات من أرض قلوب عباده فكما أن الله تعالى منّ على عباده بإخراج الثمرات رزقاً لكم وكان للحيوانات فيها رزق ولكن بتبعية الإنسان وهذا مما لا تدركه العقول المشوبة بالوهم والخيال بل تدركه العقول المؤيدة بتأييد الفضل والنوال ﴿فلا تجعلوا لله أندادا﴾ فيه ثلاثة معان:

أولها: إن هذا الذي جعلت لكم من خلق أنفسكم وخلق السموات والأرض وما فيها لكم ليس من شأن أحد غيري ﴿وأنتم تعلمون﴾ فلا تجعلوا لي أنداداً في العبودية.

وثانيها: إني جعلت السموات والأرض والشمس والقمر كلها واسطة أرزاقكم وأسبابها وأنا الرزاق فلا تجعلوا الوسائط أنداداً لي ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فصلت: ٣٧] الآية.

وثالثها: إني خلقت الموجودات وجعلت لكل شيء حظاً في شيء آخر وجعلت حظ الإنسان في محبتي ومعرفتي وكل محظوظ لو انقطع عنه حظه لهلك فلا تنقطعوا عن حظوظكم من محبتي ومعرفتي بأن تجعلوا لي أنداداً تحبونهم كحبي فتهلكوا في أودية الشرك يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة: ١٦٥] فالأنداد هي الأحباب غير الله ثم وصف الذين لم ينقطعوا عن حظ محبته بالإيمان وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] يعني الذين اتخذوا من دون الله آلهة في المحبة ما آمنوا حقيقة وإن زعموا أنا آمنا فافهم جداً ولا تغتر بالإيمان التقليدي الموروث حتى يصح على هذا المحل.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ أي: في شك من القرآن الذي نزلناه على محمد ﷺ في كونه وحياً منزلاً من عند الله تعالى.

والتنزيل النزول على سبيل التدريج وأنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا إلى بيت العزة ثم منه على النبي ﷺ مفرقاً منجماً في ثلاث وعشرين سنة ليحفظ فإنه عليه الصلاة والسلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ففرق عليه ليثبت عنده حفظه بخلاف غيره من الأنبياء فإنه كان كاتباً قارئاً فيمكنه حفظ الجميع من الكتاب ولذا قالوا: إن سائر الكتب الإلهية أنزلت جملة ﴿فائتوا﴾ جواب الشرط وهو أمر تعجيز ﴿بسورة﴾ وحد السورة قطعة من القرآن معلومة الأول والآخر أقلها ثلاث آيات، وإنما سميت سورة لكونها أقوى من الآية من سورة الأسد والشراب أي: قوته هذا إن كانت واوها أصلية وإن كانت منقلبة عن همزة فهي مأخوذة من السؤر الذي هي البقية من الشيء فالسورة قطعة من القرآن مفرزة باقية من غيرها ﴿من مثله﴾ أي: سورة كائنة من مثل القرآن في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم فالضمير لما نزلنا أي: ائتوا أنتم بمثل ما أتى هو إن كان الأمر كما زعمتم من كونه كلام البشر إذ أنتم وهو سواء في الجوهر والخلقة واللسان وليس هو أولى بالاختلاق منكم ثم القرآن وإن كان لا مثل له لأنه صفة الله وكلام الله ووحي الله ولا مثل لصفاته كما لا مثل لذاته لكن معناه من مثله على زعمكم فقد كانوا يقولون: لو شئنا لقلنا مثل هذا كما في «التيسير». ﴿وادعوا شهداءكم﴾ جمع شهيد

بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة أو الناظر ﴿من دون الله﴾ إما متعلقة بادعوا فالمعنى أدعوا متجاوزين الله من حضركم كائناً من كان للاستظهار في معارضة القرآن أو الحاضرين في مشاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم وأشرافكم الذين تفزعون إليهم في الملمات وتعولون عليهم في المهمات أو القائمين بشهادتكم الجارية فيما بينكم من أمنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة أو القائمين بنصركم حقيقة أو زعماً من الإنس والجن ليعينوكم وإما متعلقة بشهداءكم والمراد بهم الأصنام.

ودون بمعنى التجاوز على أنها ظرف مستقر وقع حالاً من ضمير المخاطبين والعامل ما دل عليه شهداءكم، أي: ادعوا أصنامكم الذين اتخذتموهم آلهة وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على الحق متجاوزين الله في اتخاذها كذلك.

ودلت الآية على أن الاستعانة بالخلق لا تغني شيئاً وما يغني رجوع العاجز عن العاجز فلا ترفع حوائجك إلا إلى من لا يشق عليه قضاؤها ولا تسأل إلا من لا تفنى خزائنه ولا تعتمد إلا على من لا يعجز عن شيء ينصرك من غير معين ويحفظك من كل جانب ومن غير صاحب ويغنيك من غير مال فيقل أعداد الأعداء الكثيرة إذا حماك ويكثر عدد المال القليل إذا كفاك ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أن محمداً تقوله من تلقاء نفسه وأن آلهتكم شهداؤكم وهو شرط جوابه محذوف تقديره فافعلوا أي: ﴿فائتوا بسورة من مثله﴾ ﴿فإن لم تفعلوا﴾ أي: ما أمرتم من الإتيان بالمثل بعد ما بذلتم في السعي غاية المجهود ﴿ولن تفعلوا﴾ فيما يستقبل أبداً وذلك لظهور إعجاز القرآن فإنه معجزة النبي عليه السلام اعتراض بين الشرط وجوابه وهذه معجزة باهرة حيث أخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الأمر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشيء بداية في الجملة لتناقله الرواة خلفاً على سلف ﴿فاتقوا النار﴾ أي: ولما عجزتم عن معارضة القرآن ومثله لزمتكم الحجة أن محمداً رسولي والقرآن كتابي ولزمكم تصديقه والإيمان به ولما لم تؤمنوا صرتم من أهل النار فاتقوها.

وفي «الكشاف»: لصيق اتقاء النار وضميمه ترك العناد من حيث أنه من نتائجه لأن من اتقى النار ترك المعاندة فوضع فاتقوا النار موضع فاتركوا العناد ﴿التي وقودها﴾ أي: حطبها وهو ما يوقد به النار ﴿الناس﴾ أي: العصاة ﴿والحجارة﴾ أي: حجارة الكبريت وإنما جعل حطبها منها لسرعة وقودها أي: التهابها وبطء خمودها وشدة حرها وقبح رائحتها ولصوقها بالبدن أو الحجارة هي الأصنام التي عبدوها وإنما جعل التعذيب بها ليتحققوا أنهم عذبوا بعبادتها وليروا ذلها ومهانتها بعد اعتقادهم عزها وعظمتها والكافر عبد الصنم واعتمده ورجاه فعذب به إظهاراً لجهله وقطعاً لأمله كاتباع الكبراء خدموهم ورجوهم وفي النار يسحبون معهم ليكون أشق عليهم وأقطع لرجائهم. فإن قلت أنار الجحيم كلها توقد بالناس والحجارة أم هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة؟ قلت: بل هي نار شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارًا تَلَظَّىٰ ١٤﴾ [الليل: ١٤] ولعل لكفار الجن ولشياطينهم ناراً وقودها الشياطين كما أن لكفرة الإنس ناراً وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب. ﴿أعدت للكافرين﴾ أي: هيئت للذين كفروا بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم. وفيه دلالة على أن النار مخلوقة موجودة الآن خلافاً للمعتزلة وفي الآية إشارة إلى أن ثمرة الأخذ بالقرآن والإقرار به وبمحمد ﷺ هو النجاة من النار التي وقودها

الناس والحجارة وفيه زيادة فضل القرآن وأهله.

قال البغوي عند قوله تعالى: ﴿فائتوا بسورة﴾ قيل: السورة اسم للمنزلة الرفيعة وسميت سورة لأن القارىء ينال بقراءتها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: يرجع أتباع إبليس كل عشية إلى سيدهم فيقول كل واحد منهم بين يديه فعلت كذا وغررت فلاناً الزاهد حتى يقول أصغرهم: أنا منعت صبياً من الكتاب فيقوم إبليس بين يديه ويقعده إلى جنبه فرحاً بما فعل وقالت الحكماء حق الولد على أبويه ثلاثة: أن يسمياه باسم حسن عند الولادة وأن يعلماه القرآن والأدب والعلم وأن يختناه ثم أن المقصد الأصلي هو العمل بالقرآن والتخلق بآدابه كما قيل:

مراد از نزول قرآن تحصيل سيرت خوبست
نه ترتيل سورة مكتوب

وللقرآن ظهر وبطن ولبطنه بطن إلى سبعة أبطن قال في «المثنوي»:

تو ز قرآن أي: پسر ظاهر مبين ديو آدم را نبيند جزكه طين
ظاهر قرآن چو شخص آدميست كه نقوشش ظاهر وجانش خفيست

قال الشيخ نجم دايه فظاهره يدل على ما فسره العلماء وباطنه يدل على ما حققه أهل التحقيق بشرط أن يكون موافقاً للكتاب والسنة ويشهدا عليه بالحق فإن كل حقيقة لا يشهد عليها الكتاب والسنة فهي إلحاد وزندقة لقوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] وقال أيضاً في تأويل الآية: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ جعل الله إعراض المعرضين قباب غيرته لحبيبه المرسل لئلا يشاهدوا من الله حبيبه وجعل اعتراض المعترضين سرادقات عزته لئلا يطلعوا على الله وكتابه وسماه عليه السلام بالعبد المطلق ولم يسم غيره إلا بالعبد المقيد باسمه كما قال: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ [ص: ٤١] ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ [ص: ١٧] وغيرهما وذلك لأن كمال العبودية ما تهيأ لأحد من العالمين إلا لحبيبه عليه السلام وكمال العبودية في كمال الحرية عما سوى الله وهو مختص بهذه الكرامة كما أثنى عليه بقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٧] ﴿فائتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله﴾ أي: الحاضرين معكم يوم الميثاق لأنكم وأنهم ومحمداً كنتم جميعاً مستمعين خطاب ألست بربكم مجتمعين في جواب بلى فلو كان محمد قادراً على إتيان القرآن من تلقاء نفسه فهو وأنتم في الاستعداد الإنساني الفطري سواء فائتوا بالقرآن من تلقاء أنفسكم أيضاً ﴿إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي﴾ هي القهر وصورة غضب الحق كما قال الله للنار (إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي) ﴿وقودها الناس﴾ أنانية الإنسان التي نسيان الله من خصوصيتها ﴿والحجارة﴾ أي: الذهب لأنه به يحصل مرادات النفس وشهواتها وما يميل إليه الهوى فعبر عما يعبده أنانية الإنسان بالحجارة لأن أكثر الأصنام كان من الحجارة وعن أنانية الإنسان بالناس لأنها إنما طلبت غير الله وعبدته لنسيان الحق ومعاهدة يوم الميثاق ثم جعلها وقود النار لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] ﴿أعدت للكافرين﴾ خاصة ولكن يظهر المذنبون بها بتبعية الكافرين كما أن الجنة خلقت وأعدت للمتقين ولكن يدخلها المذنبون من أهل الإيمان بعد تطهيرهم بورود النار والعبور عليها

بتبعية المتقين يدل عليه قول النبي ﷺ حكاية عن الله تعالى (خلقت الجنة وخلقت لها أهلها وبعمل أهل الجنة يعملون وخلقت النار وخلقت لها أهلها وبعمل أهل النار يعملون).

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وبشر الذين آمنوا﴾ البشارة الخبر السار الذي يظهر به أثر السرور في البشرة أي: أفرح يا محمد قلوب الذين آمنوا بأن القرآن منزل من عند الله تعالى فالخطاب للنبي عليه السلام وقيل: لكل من يتأتى منه التبشير كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «بشر المشائين إلى المساجد في ظلم الليالي بالنور التام يوم القيامة» فإنه عليه السلام لم يأمر بذلك واحداً بعينه بل كل أحد مما يتأتى منه ذلك ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي: فعلوا الفعلات الصالحات وهي كل ما كان لله تعالى وفي عطف العمل على الإيمان دلالة على تغايرهما وإشعار بأن مدار استحقاق البشارة مجموع الأمرين فإن الإيمان أساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء بأساس لا بناء عليه وطلب الجنة بلا عمل حال السفهاء لأن الله تعالى جعل العمل سبباً لدخول الجنة والعبد وإن كان يدخله الله الجنة بمجرد الإيمان لكن العمل يزيد نور الإيمان وبه يتنور قلب المؤمن وكم من عقبة كؤود تستقبل العبد إلى أن يصل إلى الجنة وأول تلك العقبات عقبة الإيمان أنه هل يسلم من السلب أم لا فلزم العمل لتسهيل العقبات ﴿أن لهم﴾ أي: بأن لهم ﴿جنات﴾ بساتين فيها أشجار مثمرة.

والجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم كذا قال الفراء ولفرط التفاف أغصان أشجارها وتسترها بالأشجار سميت جنة كأنها سترة واحدة لأن الجنة بناء مرة وإنما سميت دار الثواب بها مع أن فيها ما لا يوصف من الغرفات والقصور لما أنها مناط نعيمها ومعظم ملاذها. فإن قلت: ما معنى جمع الجنة وتنكيرها؟ قلت: الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنات كثيرة مرتبة مراتب على استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنة من تلك الجنان.

ثم الجنان ثمان: دار الجلال كلها من نور مدائنها وقصورها وبيوتها وأوانيها وشرفها وأبوابها ودرجها وغرفها وأعاليها وأسافلها وخيامها وحليها وكل ما فيها، ودار القرار كلها من المرجان، ودار السلام كلها من الياقوت الأحمر، وجنة عدن من الزبرجد كلها وهي قصبة الجنة وهي مشرفة على الجنان كلها، وباب جنة عدن مصراعان من زمرد وياقوت ما بين المصراعين كما بين المشرق والمغرب، وجنة المأوى من الذهب الأحمر كلها، وجنة الخلد من الفضة كلها، وجنة الفردوس من اللؤلؤ كلها وحيطانها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد وملاطها وما يجعل بين اللبنتين مكان الطين المسك وقصورها الياقوت وغرفها اللؤلؤ ومصاريعها الذهب وأرضها الفضة وحصباؤها المرجان وترابها المسك ونباتها الزعفران والعنبر، وجنة النعيم من الزمرد كلها. وفي الخبر «إن المؤمن إذا دخل الجنة رأى سبعين ألف حديقة في كل حديقة سبعون ألف شجرة على كل شجرة سبعون ألف ورقة وعلى كل ورقة لا إله إلا الله محمد رسول الله أمة مذنبة ورب غفور كل ورقة عرضها من مشرق الشمس إلى مغربها» ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ الجملة صفة لجنات والأنهار جمع نهر بفتح

الهاء وسكونها وهو المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل نهر مصر والمراد بها ماؤها. فإن قلت: كيف جري الأنهار من تحتها؟ قلت: كما ترى الأشجار النابتة على شواطىء الأنهار الجارية وعن مسروق أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود وهو الشق من الأرض بالاستطالة وأنزه البساتين وأكرمها منظراً ما كانت أشجاره مظللة والأنهار في خلالها مطردة ولولا أن الماء الجاري من النعمة العظمى وأن الرياض وإن كانت أحسن شيء لا تجلب النشاط حتى يجري فيها الماء وإلا كان السرور الأوفر مفقوداً وكانت كتماثيل لا أرواح لها وصور لا حياة لها لما جاء الله بذكر الجنات البتة مشفوعاً بذكر الأنهار الجارية من تحتها والأنهار هي الخمر واللبن والعسل والماء فإذا شربوا من نهر الماء يجدون حياة ثم إنهم لا يموتون وإذا شربوا من اللبن يحصل في أبدانهم تربية ثم إنهم لا ينقصون وإذا شربوا من نهر العسل يجدون شفاء وصحة ثم إنهم لا يسقون وإذا شربوا من نهر الخمر يجدون طرباً وفرحاً ثم إنهم لا يحزنون، قال في «المثنوي»:

آب صبرت جوى آب خلد شد   جوى شير خلد مهر تست وود
ذوق طاعت كشت جوى انكبين   مستي وشوقي توجوي خمر بين
أين سببها چون بفرمان تو بود   چار جوهم مرتراً فرمان نمود

وروي أنه كتب عرضاً بسم الله الرحمٰن الرحيم على ساق العرش فعين الماء تنبع من ميم بسم، وعين اللبن تنبع من هاء الله، وعين الخمر تنبع من ميم الرحمٰن، وعين العسل تنبع من ميم الرحيم، هذا منبعها وأما مصبها فكلها تنصب في الكوثر وهو حوض النبي عليه السلام وهو في الجنة اليوم وينتقل يوم القيامة إلى العرصات لسقي المؤمنين ثم ينقل إلى الجنة ويسقي أهل الجنة أيضاً من عين الكافور، وعين الزنجبيل، وعين السلسبيل، وعين الرحيق ومزاجه من تسنيم بواسطة الملائكة ويسقيهم الله الشراب الطهور بلا واسطة كما قال تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] ﴿كلما﴾ متى ﴿رزقوا منها﴾ أي: أطعموا من الجنة ﴿من ثمرة﴾ ليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة وإنما المراد نوع من أنواع الثمار ومن الأولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لأن الرزق قد ابتدىء من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدىء من ثمرة ﴿رزقا﴾ مفعول رزقوا وهو ما ينتفع به الحيوان طعاماً. ﴿قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾ أي: هذا مثل الذي رزقنا من قبل هذا في الدنيا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وإنما جعل ثمر الجنة كثمر الدنيا لتميل النفس إليه حين تراه فإن الطباع مائلة إلى المألوف متنفرة عن غير المعروف وليتبين لها مزية إذ لو كان جنساً غير معهود لظن أنه لا يكون إلا كذلك وإن كان فائقاً فحين أبصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وأن الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة وهي تشبع السكن أي: أهل الدار كان ذلك أبين للفضل وأجلب للسرور وأزيد في التعجب من أن يفاجئوا ذلك الرمان من غير عهد سابق بجنسه وعموم كمما يدل على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا فيما عدا المرة الأولى يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون كأنهم قالوا هذا عين ما رزقناه في الدنيا فمن أين له هذه الرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ليس في الجنة من أطعمة الدنيا إلا الاسم فإن ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة لا

لبيان أن لا تشابه بينهما أصلاً كيف وإطلاق الأسماء منوط بالاتحاد النوعي قطعاً. ﴿**وأتوا به**﴾ أي: جيئوا بذلك الرزق أو المرزوق في الدنيا والآخرة جميعاً فالضمير إلى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين ونظيره قوله تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: ١٣٥] أي: بجنس الغني والفقير ﴿**متشابها**﴾ في اللون والجودة فإذا أكلوا وجدوا طعمه غير ذلك أجود وألذ، يعني: لا يكون فيها رديء. وعن مسروق نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها أي: منضود بعضها على بعض، أي: متراكب ومجتمع ليس كأشجار الدنيا متفرقة أغصانها وثمرتها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى والعنقود اثنا عشر ذراعاً ولو اجتمع الخلائق على عنقود لأشبعهم وجاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون فقال: «نعم والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطي قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع» قال: فإن الذي يأكل له حاجة والجنة طيبة ليس فيها أذى قال عليه السلام: «حاجة أحدهم عرق كريح المسك» ﴿**ولهم فيها**﴾ أي: في الجنة ﴿**أزواج**﴾ أي: نساء وحور ﴿**مطهرة**﴾ مهذبة من الأحوال المستقذرة كالحيض والنفاس والبول والغائط والمني والمخاط والبلغم والورم والدرن والصداع وسائر الأوجاع والولادة ودنس الطبع وسوء الخلق وميل الطبع إلى غير الأزواج وغير ذلك. ومطهرة أبلغ من طاهرة ومتطهرة للإشعار بأن مطهراً طهرهن وما هو إلا الله سبحانه وتعالى. قال الحسن هن عجائزكم العمص العمش طهرن من قاذورات الدنيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما خلق الحور العين من أصابع رجليها إلى ركبتيها من الزعفران ومن ركبتيها إلى ثدييها من المسك الأذفر ومن ثدييها إلى عنقها من العنبر الأشهب أي: الأبيض ومن عنقها إلى رأسها من الكافور إذا أقبلت يتلألأ نور وجهها كما يتلألأ نور الشمس لأهل الدنيا ﴿**وهم فيها خالدون**﴾ أي: دائمون أحياء لا يموتون ولا يخرجون منها. قال عكرمة: أهل الجنة ولد ثلاث وثلاثين سنة رجالهم ونساؤهم وقامتهم ستون ذراعاً على قامة أبيهم آدم شباب جرد مرد مكحلون عليهم سبعون حلة تتلون كل حلة في كل ساعة سبعين لوناً لا يبزقون ولا يمتخطون وما كان فوق ذلك من الأذى فهو أبعد يزدادون كل يوم جمالاً وحسناً كما يزداد أهل الدنيا هرماً وضعفاً لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم.

واعلم أن معظم اللذات الحسية لما كان مقصوراً على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقضي به الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات إذ كل نعمة وإن جلت حيث كانت في شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فإنها منغصة غير صافية من شوائب الألم بشر المؤمنين بها وبدوامها تكميلاً للبهجة والسرور.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾ أي: يحصل لهم جنات القربة معجلة من بذر الإيمان الحقيقي. وأعمالهم القلبية الصالحة والروحية والسرية بالتوحيد والتجريد والتفريد من أشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والإخلاص والهدى والقناعة والعفة والمروءة والفتوة والمجاهدة والمكابدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والخوف والخشية والرجاء والصفاء والوفاء والطلب والإرادة والمحبة والحياء والكرم والسخاوة والشجاعة والعلم والمعرفة والعزة والرفعة والقدرة والحلم والعفو والرحمة والهمة العالية وغيرها من المقامات والأخلاق تجري من تحتها مياه

العناية والتوفيق والرأفة والعطفة والفضل. ﴿**كلما رزقوا منها**﴾ من هذه الأشجار. ﴿**من ثمرة**﴾ من ثمرات المشاهدات والمكاشفات والمعاينات. ﴿**رزقاً**﴾ أي: عطفاً وصحة وعطية. ﴿**قالوا هذا الذي رزقنا من قبل**﴾ وذلك لأن أصحاب المشاهدات يشاهدون أحوالاً شتى في صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم فيظن بعضهم من المتوسطين أن هذا المشاهد هو الذي يشاهده قبل هذا فتكون الصورة تلك الصورة ولكن المعنى هو حقيقة أخرى مثاله يشاهد السالك نوراً في صورة نار كما شاهد موسى عليه السلام نور الهداية في صورة نار كما قال: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ [طه: ١٠] فتكون تارة تلك النار صفة غضب كما كان لموسى عليه السلام إذا اشتد غضبه اشتعلت قلنسوته ناراً وتارة يشاهد النار وهي صفة الشيطنة وتارة تكون نار المحبة تقع في محبوبات النفس فتحرقها وتارة تكون نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة فتحرق عليهم بيت وجودهم فالصورة النارية المشاهدة متشابه بعضها ببعض كما قال تعالى: ﴿**وأتوا به متشابهاً**﴾ ولكن السالك الواصل يجد من كل نار منها ذوقاً وصفة أخرى. ﴿**ولهم فيها أزواج**﴾ أي: الأرباب الشهود في جنات القربات أزواج من أبكار الغيب. ﴿**مطهرة**﴾ من ملابسة الأغيار. ﴿**وهم فيها**﴾ في افتضاضها ﴿**خالدون**﴾ كما قال عليه السلام «إن من العلوم كهيئة المكنون لا يعلمها إلا العلماء بالله فإذا نطقوا بها لا ينكرها إلا أهل الغرة بالله».

واعلم أن كل شيء يشاهد في الشهادة كما أن له صورة في الدنيا له معنى حقيقي في الغيب ولهذا كان النبي عليه السلام يسأل الله تعالى بقوله: «اللهم أرنا الأشياء كما هي» فيكون في الآخرة صورة الأشياء وحقائقها حاصلة ولكن الحقائق والمعاني على الصور غالبة فيرى في الآخرة صورة شيء يعينه فيعرفه فيقول هذا الذي رزقنا من قبل فيكون الاسم والصورة كما كانت ولكنها في ذوق آخر غير ما كنت تعرفه ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ما ليس شيء في الجنة مما في الدنيا غير الأسماء وهذا كما قال رسول الله ﷺ: «كل كِلمة يكلمها المسلم في سبيل الله تكون يوم القيامة كهيئتها يوم طعنت انفجرت دماً اللون لون الدم والعرف عرف المسك» فالآن لون ذلك الدم حاصل في الشهادة ولكن عرفه في الغيب لا يشاهد هٰهنا ففي الآخرة يشاهد الصورة الدنيوية والمعاني الغيبية فافهم جداً واغتنم.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾

﴿**إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة**﴾ عن الحسن وقتادة لمّا ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله هذه الآية. والحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم وهو جار على سبيل التمثيل لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يمثل بها لحقارتها فمحل أن يضرب، أي: يذكر النصب على المفعولية وما اسمية إبهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر إبهاماً وشياعاً كأنه قيل مثلاً ما من الأمثال أي: مثل كان فهي صفة لما قبلها وبعوضة بدل من مثلاً والبعوضة صغار البق سميت بعوضة لأنها كأنها بعض البق. ﴿**فما فوقها**﴾ أي: فيذكر الذي هو أزيد منها كالذباب والعنكبوت أو فما دونها في الصغر قيل: إنه من الأضداد

ويطلق على الأعلى والأدنى وهو دابة يسترها السكون ويظهرها التحرك يعني لا تلوح للبصر الحاد إلا بتحركها. فإن قلت مثل الله آلهتهم بيت العنكبوت وبالذباب فأين تمثيلها بالبعوضة فما دونها. قلت في هذه الآية كأنه قال: إن الله لا يستحيي أن يضرب مثل آلهتكم بالبعوضة فما دونها فما ظنكم بالعنكبوت والذباب. قال الربيع بن أنس ضرب المثل بالبعوضة عبرة لأهل الدنيا، فإن البعوضة تحيا ما جاعت وتموت إذا شبعت فكذا صاحب الدنيا إذا استغنى طغى وأحاط به الردى. وقال الإمام أبو منصور: الأعجوبة في الدلالة على وحدانية الله تعالى في الخلق الصغير الجثة والجسم أكثر منها في الكبار العظام لأن الخلائق لو اجتمعوا على تصوير صورة من نحو البعوض والذباب وتركيب ما يحتاج من الفم والأنف والعين والرجل واليد والمدخل والمخرج ما قدروا عليه ولعلهم يقدرون على تصوير العظام من الأجسام الكبار منها فالبعوضة أعطيت على قدر حجمها الحقير كل آلة وعضو أعطيه الفيل الكبير القوي. وفيه إشارة إلى حال الإنسان وكمال استعداده كما قال عليه السلام: «إن الله خلق آدم على صورته» أي: على صفته فعلى قدر ضعف الإنسان أعطاه الله تعالى من كل صفة من صفات جماله وجلاله أنموذجاً ليشاهد في مرآة صفات نفسه كمال صفات ربه كما قال: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» وليس لشيء من المخلوقات هذه الكرامة المختصة بالإنسان كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، قال في «المثنوي»:

آدم خاكي زحق آموخت علم — تابهفتم آسمان افروخت علم
نام وناموس ملك را شكست — كوريء آنكس كه باحق درشكست
قطره دلرا يكي كوهر فتاد — كان بكردونها ودرباها نداد
جند صورت آخر أي: صورت پرست — جان بي معنيت از صورت نرست
كر بصورت آدمي إنسان بدي — أحمد وبو جهل خود يكسان بدي

قال بعضهم: إن الله تعالى قوى قلوب ضعفاء الناس بذكر ضعفاء الأجناس وعرف الخلق قدرته في خلق الضعفاء على هيئات الأقوياء فإن البعوض على صغره بهيئة الفيل على كبره وفي البعوض زيادة جناحين فلا يستبعد من كرمه أن يعطي على قليل العمل ما يعطي على كثير العمل من الخلق كما أعطى صغير الجثة مع أعطى كبير الجثة من الخلقة ومن العجيب أن هذا الصغير يؤذي هذا الكبير فلا يمتنع منه ومن لطف الله تعالى أنه خلق الأسد بغاية القوة والبعوض والذباب بغاية الضعف ثم أعطى البعوض والذباب جراءة أظهرها في طيرانهما في وجوه الناس وتماديهما في ذلك مع مبالغة الناس في ذبهما بالمذبة وركب الجبن في الأسد وأظهر ذلك بتباعده عن مساكن الناس وطرقهم ولو تجاسر الأسد تجاسر الذباب والبعوض لهلك الناس فمنّ الله تعالى وجعل في الضعيف التجاسر وفي القوي الجبن ومن العجب عجزك عن هذا الضعيف وقدرتك على ذلك الكبير ـ وحكي ـ أنه خطب المأمون فوقع ذباب على عينه فطرده فعاد مراراً حتى قطع عليه الخطبة فلما صلى أحضر أبا هذيل شيخ البصريين في الاعتزال فقال له: لم خلق الله الذباب قال: ليذل به الجبابرة قال: صدقت وأجازه بمال كذا في «روضة الأخيار» ففي خلق مثل الذباب حكم ومصالح. قال وكيع: لولا الريح والذباب لأنتنت الدنيا ومن الأعاجيب أن هذا الضعيف إذا طار في وجهك ضاق به قلبك ونغص به عيشك وفسد عليك بستانك وكرمك وأعجب منه جراءتك مع ضعفك على ما يورثك العار ويوردك النار فإذا

كان جزعك هذا من البعوض في الدنيا فكيف حالك إذا تسلطت عليك الحيات والعقارب في لظى.

قال القشيري رحمه الله: الخلق في التحقيق بالإضافة في قدرة الخالق أقل من ذرة من الهباء في الهواء وسيان في قدرته العرش والبعوضة فلا خلق العرش عليه أعسر ولا خلق البعوضة عليه أيسر سبحانه وتقدس عن لحوق العسر واليسر.

واعلم أنه يمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وإن كان الممثل أعظم من كل عظيم كما مثل في الإنجيل غل الصدر بالنخالة قال: لا تكونوا كمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويمسك النخالة كذلك أنتم تخرج الحكمة من أفواهكم وتبقون الغل في صدوركم ومثل مخاطبة السفهاء بإثارة الزنابير قال: لا تثيروا الزنابير فتلدغكم فكذلك لا تخاطبوا السفهاء فيشتموكم وقال فيه أيضاً: لا تدخروا ذخائركم حيث السوس والأرضة فتفسدها ولا في البرية حيث اللصوص والسموم فيسرقها اللصوص ويحرقها السموم ولكن ادخروا ذخائركم عند الله تعالى.

وجاء في الإنجيل أيضاً مثل ملكوت السماء كمثل رجل زرع في قريته حنطة جيدة نقية فلما نام الناس جاء عدوه فزرع الزوان وهو بفتح الزاي وضمها حب مر يخالط البر فقال عبيد الزراع: يا سيدنا أليس حنطة جيدة زرعت في قريتك؟ قال: بلى قالوا: فمن أين هذا الزوان؟ قال: لعلكم إن ذهبتم لتلقطوا الزوان تقلعوا معه حنطة دعوهما يتربيان جميعاً حتى الحصاد فأمر الحصادين أن يلقطوا الزوان من الحنطة وأن يربطوه حزماً ثم يحرق بالنار ويجمعوا الحنطة إلى الجرين. والتفسير الزراع أبو البشر والقرية العالم والحنطة الطاعة وزراع الزوان إبليس والزوان المعاصي والحصادون الملائكة يتوفون بني آدم. وللعرب أمثال مثل قولهم هو أجمع من ذرة يزعمون أنها تدخر قوت سبع سنين وأجرأ من الذباب لأنه يقع على أنف الملك وجفن الأسد فإذا ذب أي: منع آب أي: رجع وأسمع من قراد تزعم العرب أن القراد يسمع الهمس الخفي من مناسم الإبل أي: أخفافها على مسيرة سبع ليال أو سبعة أميال وفلان أعمر من القراد وذلك أنها تعيش سبعمائة سنة وقيل: أعمر من حية لأنها لا تموت إلا قتلاً ويقال: أعمر من النسر لأنه يعيش ثلاثمائة سنة وفلان أصرد من جرادة أي: أبرد لأنها لا تظهر في الشتاء أبداً لقلة صبرها على البرد وأطيش من فراشة أي: أخف منها وهي بالفارسية «پروانة» وأعز من مخ البعوض يقال لما لا يوجد ويقال كلفتني مخ البعوض في تكليف ما لا يطاق وأضعف من بعوضة وآكل من السوس وهو القمل الذي يأكل الحنطة والشعير والدويبة التي تقع على الصوف والجوخ وغيرهما فتأكلها. وبالجملة إن الله تعالى يضرب الأمثال للناس ولا يستحيي من الحق وله في أمثاله مطلقاً حكم ومصالح وما يتذكر إلا أولو الألباب، قال المولى جلال الدين قدس سره:

بيت من بيت نيست اقليمست هزل من هزل نيست تعليمست

﴿فأما الذين آمنوا﴾ بالقرآن محمد ﷺ والفاء للدلالة على ترتيب ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كأنه قيل: فيضربه ﴿فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه﴾ أي: المثل بالبعوضة والذباب ﴿الحق﴾ أي: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره ﴿من ربهم﴾ حال من الضمير المستكن في الحق أو من الضمير العائد إلى المثل أي: كائناً منه تعالى فيتفكرون في هذا المثل الحق ويوقنون أن الله هو خالق الكبير والصغير وكل ذلك في قدرته سواء فيؤمنون به. ﴿وأما الذين كفروا﴾ وهم

اليهود والمشركون ﴿فيقولون ماذا﴾ أي: ما الذي أو أي: شيء ﴿أراد الله بهذا﴾ أي: بالمثل الخسيس وفي كلمة هذا تحقير للمشار إليه واسترذال له. ﴿مثلاً﴾ أي: بهذا المثل فلما حذف الألف واللام نصب على الحال أي: ممثلاً أو على التمييز فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿يضل به﴾ أي: يخذل بهذا المثل والإضلال هو الصرف عن الحق إلى الباطل وإسناد الإضلال أي: خلق الضلال إليه سبحانه مبني على أن جميع الأشياء مخلوقة له تعالى وإن كانت أفعال العباد من حيث الكسب مستندة إليهم ﴿كثيراً﴾ من الكفار وذلك أنهم يكذبونه فيزدادون ضلالة ﴿ويهدي به﴾ أي: يوفق بهذا المثل ﴿كثيراً﴾ من المؤمنين لتصديقهم به فيزدادون هداية يعني يضل به من علم منهم أنه يختار الضلالة ويهدي به من علم أنه يختار الهدي. فإن قلت: لِمَ وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم؟ قلت: أهل الهدي كثير في أنفسهم وحين يوصفون بالقلة إنما يوصفون بها بالقياس إلى أهل الضلال وأيضاً فإن القليل من المهديين كثير في الحقيقة وإن قلوا في الصورة لأن هؤلاء على الحق وهم على الباطل.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه السواد الأعظم هو الواحد على الحق ﴿وما يضل به﴾ أي: لا يخذل بالمثل وتكذيبه ﴿إلا الفاسقين﴾ أي: الكافرين بالله الخارجين عن أمره. والفسق في اللغة الخروج وفي الشريعة الخروج عن طاعة الله بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الإصرار على الصغيرة وله طبقات ثلاث: الأولى: التغابي وهو ارتكابها أحياناً مستقبحاً لها والثانية: الانهماك في تعاطيها والثالثة: المثابرة عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي عليه يدور الإيمان.

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿الذين ينقضون عهد الله﴾ أي: يخالفون ويتركون أمر الله تعالى. والنقض الفسخ وفك التركيب. فإن قلت: من أين ساغ استعمال النقض في إبطال العهد؟ قلت: من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين قيل: عهد الله ثلاثة: الأول ما أخذه على ذرية آدم عليه السلام بأن يقروا بربوبيته تعالى والثاني: ما أخذه على الأنبياء عليهم السلام بأن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والثالث: ما أخذه على العلماء بأن يبينوا الحق ولا يكتموه ﴿من بعد ميثاقه﴾ أي: بعد توثيق ذلك العهد وتوكيده بالقبول فالضمير للعهد أو بعد توثيق الله ذلك بإنزال الكتب وإرسال الرسل فالضمير إلى الله فالمراد بالميثاق هنا نفس المصدر لا نفس العهد. ـ يحكى ـ عن مالك بن دينار رحمه الله أنه كان له ابن عم عامل سلطان في زمانهم وكان ظالماً جائراً فمرض ذلك الرجل ونذر وعهد على نفسه وقال: لو عافاني الله تعالى مما أنا فيه لا أدخل في عمل السلطان أبداً قال: فأبرأه الله من ذلك المرض فدخل في عمل السلطان ثانياً فظلم الناس أكثر مما ظلمهم في المرة الأولى فمرض ثانياً فنذر ثانياً أن لا يرجع إلى عمل السلطان فبرىء ونقض العهد ودخل فيه وظلم أكثر مما ظلم في المرتين فظهرت به علة شديدة فأخبر بذلك مالك بن دينار فزاره وقال: يا بني أوجب على نفسك شيئاً وعاهد مع الله عهداً لعلك تنجو من هذه العلة فقال المريض: عاهدت الله أن لو قمت من فراشي أن لا أعود إلى عمل السلطان أبداً فهتف هاتف يا مالك إنا قد جربناه مراراً فوجدناه

كذوباً فلا ينفعه نذره أي: جربناه بنفسه فأكذب نفسه فمات الفتى على هذه الحالة كذا في «روضة العلماء». قال في «المثنوي»:

نقض ميثاق وشكست توبها موجب لعنت شود در انتها

﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ محل أن يوصل النصب على أنه بدل من ضمير الموصول أي: ما أمر الله به أن يوصل وهو يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع الرحم وموالاة المؤمنين والتفرقة بين الأنبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير أو تعاطي شر فإنه يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد من الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل وفي الحديث «إذا أظهر الناس العلم وضيعوا العمل به وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا الأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم» وقال ﷺ: «ثلاثة في ظل عرش الله يوم القيامة: امرأة مات عنها زوجها وترك عليها يتامى صغاراً فخطبت فلم تتزوج وقالت أقوم على أيتامي حتى يغنيهم الله أو يميت» يعني اليتيم «أو هي ورجل له مال صنع طعاماً فأطاب صنعته وأحسن نفقته فدعا عليه اليتيم والمسكين ورجل وصل الرحم يوسع له في رزقه ويمد له في أجله ويكون تحت ظل عرش ربه» **﴿ويفسدون في الأرض﴾** بالمنع عن الإيمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه **﴿أولئك هم الخاسرون﴾** أي: المغبونون بالعقوبة في الآخرة مكان المثوبة في الجنة لأنهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها. قيل: ليس من مؤمن ولا كافر إلا وله منزل وأهل وخدم في الجنة فإن أطاعه تعالى أتى أهله وخدمه ومنزله في الجنة وإن عصاه ورثه الله المؤمن فقد غبن عن أهله وخدمه ومنزله.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا﴾** بنور الإيمان يشاهدون الحقائق والمعاني في صورة الأمثلة **﴿فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون﴾** حيث أنكروا الحق فجعل ظلمة إنكارهم غشاوة في أبصارهم فما شاهدوا الحقائق في كسوة الأمثلة كما أن العجم لا يشاهدون المعاني في كسوة اللغة العربية فكذلك الكفار والجهال عند تحيرهم في إدراك حقائق الأمثال قالوا: **﴿ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾** فبجهلهم زادوا إنكاراً على إنكار فتاهوا في أودية الضلالة بقدم الجهالة **﴿يضل به كثيراً﴾** ممن أخطأه رشاش النور في بدء الخلق كما قال عليه السلام: «إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن أخطأه فقد ضل» فمن أخطأه ذلك النور في عالم الأرواح فقد أخطأه نور الإيمان هٰهنا ومن أخطأه نور الإيمان فقد أخطأه نور القرآن فلا يهتدي ومن أصابه ذلك هنالك أصابه هٰهنا نور الإيمان ومن أصابه نور الإيمان فقد أصابه نور القرآن ومن أصابه نور القرآن فهو ممن قال: **﴿ويهدي به كثيراً﴾** وكان القرآن لقوم شفاء ورحمة ولقوم شقاء ونقمة لأنه كلامه، وصفته شاملة اللطف والقهر فبلطفه هدى الصادقين وبقهره أضل الفاسقين لقوله: **﴿كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين﴾** الخارجين من إصابة رشاش النور في بدء الخلقة ثم أخبر عن نتائج ذكر الخروج ونقض العهود كما قال الله تعالى: **﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾** أي: الذين ينقضون عهد الله الذي عاهدوه يوم الميثاق على التوحيد

والعبودية بالإخلاص من بعد ميثاقه ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ من أسباب السلوك الموصل إلى الحق وأسباب التبتل والانقطاع عن الخلق كما قال تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨] أي: انقطع إليه انقطاعاً كلياً عن غيره ﴿ويفسدون في الأرض﴾ أي: يفسدون بذر التوحيد الفطري في أرض طينتهم بالشرك والإعراض عن قبول دعوة الأنبياء وسقي بذر التوحيد بالإيمان والعمل الصالح ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ خسروا استعداد كمالية الإنسان المودعة فيهم كما تخسر النواة في الأرض استعداد النخلية المودعة فيها عند عدم الماء لقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ١-٣]

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٨ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩﴾

﴿كيف تكفرون﴾ كيف نصب حالاً من الضمير في تكفرون أي: معاندين تكفرون وتجحدون ﴿بالله﴾ أي: بوحدانيته معكم ما يصرفكم عن الكفر إلى الإيمان من الدلائل الأنفسية والآفاقية والاستفهام إنكاري لا بمعنى إنكار الوقوع بل بمعنى إنكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه لأن التعجب من الله يكون على وجه التعجيب والتعجيب هو أن يدعو إلى التعجب وكأنه يقول ألا تتعجبون أنهم يكفرون بالله كما في «تفسير أبي الليث». وقال القاضي: هو استخبار والمعنى أخبروني على أي: حال تكفرون ﴿وكنتم أمواتاً﴾ جمع ميت كأقوال جمع قيل أي: والحال أنكم كنتم أمواتاً أي: أجساماً لا حياة لها عناصر وأغذية ونطفاً ومضغاً مخلقة وغير مخلقة. قال في «الكشاف» فإن قلت كيف قيل لهم أموات حال كونهم جماداً وإنما يقال ميت فيما تصح منه الحياة من البنى. قلت: بل يقال ذلك لعادم الحياة لقوله تعالى: ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [الفرقان: ٤٩] ﴿فأحياكم﴾ بخلق الأرواح ونفخها فيكم في أرحام أمهاتكم ثم في دنياكم وهذا إلزام لهم بالبعث والفاء للدلالة على التعقيب فإن الأحياء حاصل إثر كونهم أمواتاً وإن توارد عليهم في تلك الحالة أطوار مترتبة بعضها متراخ عن بعض كما أشير إليه آنفاً ثم لما كان المقام في الدنيا قد يطول جاء بثم حرف التراخي فقال: ﴿ثم يميتكم﴾ عند انقضاء آجالكم وكون الأمانة من دلائل القدرة ظاهر وأما كونها من النعم فلكونها وسيلة إلى الحياة الثانية التي هي الحيوان الأبدي والنعمة العظمى ﴿ثم يحييكم﴾ للسؤال في القبور فيحيي حتى يسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين ويقال من ربك ومن نبيك وما دينك ودل ثم التي للتعقيب على سبيل التراخي على أنه لم يرد به حياة البعث فإن الحياة يومئذٍ يقارنها الرجوع إلى الله بالحساب والجزاء وتتصل به من غير تراخ فلا يناسب ثم إليه ترجعون ودلت الآية على إثبات عذاب القبر وراحة القبر كما في «التيسير» ﴿ثم إليه ترجعون﴾ بعد الحشر لا إلى غيره فيجازيكم بأعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر وإليه تنشرون من قبوركم للحساب فما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه. فإن قيل إن علموا أنهم كانوا أمواتاً فأحياهم ثم يميتهم لم يعلموا أنه يحييهم ثم إليه يرجعون. قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في إزاحة العذر سيما وفي الآية تنبيه على ما يدل به على صحتهما وهو أنه تعالى لما قدر أن أحياهم أو لا قدر أن يحييهم ثانياً فإن بدأ الخلق ليس بأهون عليه من إعادته.

﴿هو الذي خلق لكم﴾ هذا بيان نعمة أخرى أي: قدر خلقها لأجلكم ولانتفاعكم بها في دنياكم ودينكم لأن الأشياء كلها لم تخلق في ذلك الوقت ﴿ما في الأرض﴾ أي: الذي فيها من الأشياء ﴿جميعاً﴾ نصب حالاً من الموصول الثاني وقد يستدل بهذا على أن الأصل في الأشياء الإباحة كما في «الكواشي». وقال في «التيسير»: أهل الإباحة من المتصوفة الجهلة حملوا اللام في لكم في قوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم﴾ على الإطلاق والإباحة على الإطلاق وقالوا لا حظر ولا نهي ولا أمر فإذا تحققت المعرفة وتأكدت المحبة سقطت الخدمة وزالت الحرمة فالحبيب لا يكلف حبيبه ما يتعبه ولا يمنعه ما يريده ويطلبه وهذا منهم كفر صريح وقد نهى الله تعالى وأمر وأباح وحظر ووعد وأوعد وبشر وهدد والنصوص ظاهرة والدلائل متظاهرة فمن حمل هذه الآية على الإباحة المطلقة فقد انسلخ من الدين بالكلية انتهى كلام «التيسير». ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ قصد إليها أي: إلى خلقها بإرادته ومشيئته قصداً سوياً بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه من إرادة شيء آخر في تضاعيف خلقها أو غير ذلك ولا تناقض بين هذا وبين قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: ٣٠] لأن الدحو البسط. وعن الحسن خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر أي: الحجر ملء الكف عليها دخان يلتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعه ثم بسط منه الأرض كذا في «الكواشي». وقال ابن عباس رضي الله عنهما أول ما خلق الله جوهرة طولها وعرضها مسيرة ألف سنة في مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر إليها بالهيبة فذابت واضطربت ثم ثار منها دخان فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فجعل الزبد أرضاً والدخان سماء قالوا فالسماء من دخان خلقت وبريح ارتفعت وبإشارة تفرقت وبلا عماد قامت وبنفخة تكسرت ﴿فسواهن﴾ أي: أتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونات عن العوج والفطور لأنه سواهن بعد أن لم يكن كذلك والضمير فيه مبهم فسر بقوله تعالى: ﴿سبع سموات﴾ فهو نصب على أنه تمييز نحو ربه رجلاً. قال سلمان: هي سبع: اسم الأولى رقيع وهي من زمردة خضراء، واسم الثانية أرفلون وهي من فضة بيضاء، والثالثة قيدوم وهي من ياقوتة حمراء، والرابعة ماعون وهي من درة بيضاء، والخامسة دبقاء وهي من ذهب أحمر، والسادسة وفناء وهي من ياقوتة صفراء، والسابعة عروباء وهي من نور يتلألأ ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ فيه تعليل كأنه قال ولكونه عالماً بكنه الأشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الأكمل والوجه الأنفع واستدلال بأن من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الأنيق كان علمياً فإن إتقان الأفعال وأحكامها وتخصيصها بالوجه الأحسن الأنفع لا يتصور إلا من عالم حكيم رحيم وإزاحة لما يختلج في صدورهم من أن الأبدان بعدما تفتتت وتكسرت وتبددت أجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف يجمع أجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم إليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان. وفي هذه الآية إشارة إلى مراتب الروحانيات فالأول: عالم الملكوت الأرضية والقوى النفسانية، والثاني: عالم النفس، والثالث: عالم القلب، والرابع: عالم العقل، والخامس: عالم السر، والسادس: عالم الروح، والسابع: عالم الخفاء الذي هو السر الروحي، وإلى هذا أشار أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بقوله: سلوني عن طرق السماء فإني أعلم بها من طرق الأرض وطرقها الأحوال والمقامات كالزهد والتقوى والتوكل والرضى وأمثالها.

واعلم أن المراتب اثنتا عشرة على عدد السموات والعروش الخمسة. وكان الشيخ الشهير

بافتادة أفندي قدس سره يقول للتوحيد: اثنا عشر باباً فالجلوتية يقطعونها بالتوحيد لأن سرهم في اليقين والخلوتية يقطعونها بالأسماء لأن سرهم في البرزخ وهم يقولون جنة الأفعال وجنة الصفات وجنة الذات وذلك لأن الجنات على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما سبع فإذا كان أربع منها لأهل اليقين أعني الجلوتية فالثلاث لأهل البرزخ أعني الخلوتية وهي الأفعال والصفات والذات.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿كيف تكفرون بالله﴾إما خطاب توحيد للمؤمنين أي أتكفرون بالله وبأنبيائه لأنكم ﴿كنتم أمواتا﴾ذرات في صلب آدم ﴿فأحياكم﴾بإخراجكم من صلته وأسمعكم لذيذ خطاب ألست بربكم وأذاقكم لذات الخطاب ووفقكم للجواب بالصواب حتى قلتم بلى رغبة لا رهبة ﴿ثم يميتكم﴾بالرجعة إلى أصلاب آبائكم وإلى عالم الطبيعة الإنسانية ﴿ثم يحييكم﴾ببعثة الأنبياء وقبول دعوتهم ﴿ثم إليه ترجعون﴾بدلالة الأنبياء وقدم التوحيد على جادة الشريعة إلى درجات الجنات وإما خطاب تشريف للأنبياء والأولياء أي: أتكفرون وكنتم أمواتاً في كتم العدم فأحياكم بالتكوين في عالم الأرواح ورشاش النور فخمر طينة أرواحكم بماء نور العناية وتخمير يد المحبة بأربعي صباح الوصال ثم يميتكم بالمفارقة عن شهود الجمال إلى مقبرة الحس والخيال ثم يحييكم أما الأنبياء فبنور نور الوحي وأما الأولياء فبروح روح نور الإيمان ثم إليه ترجعون أما الأنبياء فبالعروج وأما الأولياء فبالرجوع بجذبات الحق كما قال تعالى: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٨] فلما أثبت أن الرجوع إليه أمر ضروري إما بالاختيار كقراءة يعقوب ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم وإما بالاضطرار كقراءة الباقين أشار إلى أن الذي ترجعون إليه ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾أي: ما خلقكم لشيء وخلق كل شيء لكم بل خلقكم لنفسه كما قال تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه: ٤١] معناه لا تكن لشيء غيري فإني لست لشيء غيرك فبقدر ما تكون لي أكون لك كما قال عليه السلام: «من كان لله كان الله له» وليس لشيء من الموجودات هذا الاستعداد أي: أن يكون هو لله على التحقيق وأن يكون الله له وفي هذا سر عظيم وإفشاء سر الربوبية كفر فلا تشتغل بما لك عمن أنت له فتبقى بلا هو ﴿ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات﴾فيه إشارة إلى أن وجود السموات والأرض كان تبعاً لوجود الإنسان ﴿وهو بكل شيء عليم﴾أي: عالم بخلق كل شيء خلقه ولأي شيء خلقه فكل ذرة من مخلوقاته تسبح بحمد ذاته وصفاته وتشهد على أحديته وصمديته وتقول: ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك، قال المولى الجامي قدس سره:

دوجهان جلوكاه وجدت تو   شهد الله كواه وجدت تو

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وإذ﴾مفعول اذكر مقدرة أي: اذكر لهم وأخبر وقت ﴿قال ربك﴾وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للمبالغة في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب الذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل عليها فإذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كأنها مشاهدة عياناً ﴿للملائكة﴾اللام للتبليغ وتقديم الجار والمجرور في هذا الباب مطرد لما في المقول من الطول غالباً مع ما فيه من الاهتمام بما

قدم والتشويق إلى ما أخر.

والملائكة جمع ملك والتاء لتأكيد تأنيث الجماعة وسموا بها فإنهم وسائط بين الله وبين الناس فهو رسله لأن أصل ملك ملأك مقلوب مألك من الألوكة وهي الرسالة. والملائكة عند أكثر المسلمين أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة والدليل أن الرسل كانوا يرونهم كذلك. وروي في شرح كثرتهم أن بني آدم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا إلى السماء السابعة ثم كل أولئك في مقابلة الكرسي نزر قليل ثم جمع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة ألف طول كل سرادق وعرضه وسمكه إذا قوبلت به السموات والأرض وما فيهما وما بينهما لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر إلا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم أشياع إسرافيل عليه السلام والملائكة الذين هم جنود جبريل عليه السلام لا يحصى أجناسهم ولا مدة أعمارهم ولا كيفيات عباداتهم إلا باريهم العليم الخبير على ما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] وروي أنه ﷺ حين عرج به إلى السماء رأى ملائكة في موضع بمنزلة شرف يمشي بعضهم تجاه بعض فسأل رسول الله جبريل عليهما السلام إلى أين يذهبون فقال جبريل عليه السلام: «لا أدري إلا أني أراهم منذ خلقت ولا أرى واحداً منهم قد رأيته قبل ذلك ثم سألا واحداً منهم منذ كم خلقت؟ فقال: لا أدري غير أن الله تعالى يخلق في كل أربعة آلاف سنة كوكباً وقد خلق منذ ما خلقني أربعمائة ألف كوكب فسبحانه من إله ما أعظم قدره وما أوسع ملكوته»، وأراد بهم الملائكة الذين كانوا في الأرض وذلك أن الله خلق السماء والأرض وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الأرض والجن هم بنو الجان والجان أبو الجن كآدم أبو البشر وخلق الله الجان من لهب من نار لا دخان لها بين السماء والأرض والصواعق تنزل منها ثم لما سكنوا فيها كثر نسلهم وذلك قبل آدم بستين ألف سنة فعمروا دهراً طويلاً في الأرض مقدار سبعة آلاف سنة ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فأفسدوا وقتلوا فبعث الله إليهم ملائكة سماء الدنيا وأمر عليهم إبليس وكان اسمه عزازيل وكان أكثرهم علماً فهبطوا إلى الأرض حتى هزموا الجن وأخرجوهم من الأرض إلى جزائر البحور وشعوب الجبال وسكنوا الأرض وصار أمر العبادة عليهم أخف لأن كل صنف من الملائكة يكون أرفع في السموات يكون خوفهم أشد وملائكة السماء الدنيا يكون أمرهم أيسر من الذين فوقهم وأعطى الله إبليس ملك الأرض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان له جناحان من زمرد أخضر وكان يعبد الله تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب فقال في نفسه: ما أعطاني الله هذا الملك إلا لأني أكرم الملائكة عليه وأيضاً كل من اطمأن إلى الدنيا أمر بالتحول عنها فقال الله تعالى له ولجنوده: ﴿إني جاعل﴾ أي: مصير ﴿في الأرض﴾ دون السماء لأن التباغي والتظالم كان في الأرض ﴿خليفة﴾ وهو آدم عليه السلام لأنه خلف الجن وجاء بعدهم ولأنه خليفة الله في أرضه أي: أريد أن أخلق في الأرض بدلاً منك ورافعكم إلي فكرهوا ذلك لأنهم كانوا أهون الملائكة عبادة.

واعلم أن الله تعالى يحفظ العالم بالخليفة كما يحفظ الخزائن بالختم وهو القطب الذي لا

يكون في كل عصر إلا واحداً فالبدء كان بآدم عليه السلام والختام يكون بعيسى عليه السلام والحكمة في الاستخلاف قصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي أمره بغير واسطة لأن المفيض تعالى في غاية التنزه والتقدس والمستفيض منغمس غالباً في العلائق الدنيئة كالأكل والشرب وغيرهما والعوائق الطبيعية كالأوصاف الذميمة فالاستفاضة منه إنما تحصل بواسطة ذي جهتين أي: ذي جهة التجرد وجهة التعلق وهو الخليفة أياً كان ولذا لم يستنبىء الله ملكاً فإن البشر لا يقدر على الاستفادة منه لكونه خلاف جنسه ألا يرى أن العظم لما عجز عن أخذ الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الله تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من اللحم ويعطي العظم وجعل السلطان الوزير بينه وبين رعيته إذ هم أقرب إلى قبولهم منه وجعل المستوقد الحطب اليابس بين النار وبين الحطب الرطب. وفائدة قوله تعالى: ﴿للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ أربعة أمور:

الأول: تعليم المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصائحهم وإن كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنياً عن المشاورة، قال في «المثنوي»:

مشورت إدراك وهشياري دهد عقلها مر عقل را ياري دهد
كفت پيغمبر بكم أي: رأى زن مشورت كه المستشار مؤتمن

ويقال: أعقل الرجال لا يستغني عن مشاورة أولي الألباب وأفره الدواب لا يستغني عن السوط وأورع النساء لا تستغني عن الزوج.

والثاني: تعظيم شأن المجعول بأن بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه.

والثالث: إظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وهو قوله: ﴿أتجعل﴾ الخ وجوابه وهو قوله: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ الخ.

والرابع: بيان أن الحكمة تقتضي ما يغلب خيره فإن ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير كقطع العضو الذي فيه آكلة شر قليل وسلامة جميع البدن خير كثير فلو لم يقطع ذلك العضو سرت تلك الآفة إلى جميع البدن وأدت إلى الهلاك الذي هو شر كثير ﴿قالوا﴾ استئناف كأنه قيل فما ذا قالت الملائكة حينئذٍ فقيل قالوا: ﴿أتجعل فيها﴾ أي: الأرض ﴿من يفسد فيها﴾ كما أفسدت الجن وفائدة تكرار الظرف تأكيد الاستبعاد ﴿ويسفك الدماء﴾ أي: يصبها ظلماً كما يسفك بنو الجان والتعبير عن القتل بسفك الدماء لما أنه أقبح أنواع القتل. قال بعض العارفين الملائكة الذين نازعوا في آدم ليسوا من أهل الجبروت ولا من أهل الملكوت السماوية فإنهم لغلبة النورية عليهم وإحاطتهم بالمراتب يعرفون شرف الإنسان الكامل ورتبته عند الله وإن لم يعرفوا حقيقته كما هي بل نازعت ملائكة الأرض والجن والشياطين الذين غلبت عليهم الظلمة والنشأة الموجبة للحجاب وفي قوله تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ بتخصيص الأرض بالذكر وإن كان خليفة في العالم كله في الحقيقة هو إيماء أيضاً بأن ملائكة الأرض هم الطاعنون إذ الظن لا يصدر إلا ممن هو في معرض ذلك المنصب وأهل السموات مدبرات للعالم العلوي فما قالت الملائكة الأرضية إلا بمقتضى نشأتهم التي هم عليها من غبطة منصب الخلافة في الأرض والغيرة على منصب ملكهم وتعبدهم بما هم عليه من التسبيح والتقديس فكل إناء يترشح بما فيه وأما الاعتراض على فعل الحكيم والنزاع في صنعه عند حضرته فمعفو عنه لكمال حكمته وإتقان صنعته، قال في «المثنوي»:

زانكه أين دمها اكر نالا يقست رحمت من بر غضب هم سابقست
ازپي إظهار أين سبق أي: ملك درتو بنهم داعيه اشكال وشك
تابكويي ونكير م پر تو من منكر حلمم نيارد دم زدن
صد پدر صد ما در اندر حلم ما هر نفس زايد درافتد درفنا
حلم ايشان كف بحر حلم ماست كف رود آيد ولي دريا بجاست

وفي «الفتوحات» أن هاروت وماروت من الملائكة الذين نازعوا آدم ولأجل هذا ابتلاهما الله تعالى بإظهار الفساد وسفك الدماء فافهم سر قوله عليه السلام: «دع الشماتة عن أخيك فيعافيه الله تعالى ويبتليك» وأيضاً من تلك الملائكة الطاعنين بسفك الدماء الملائكة التي أرسلها الله تعالى نصرة للمجاهدين وسفك الدماء غيرة على دين الله وشرعه كذا في «حل الرموز وكشف الكنوز» ﴿ونحن﴾ أي: والحال أنا ﴿نسبح﴾ أي: ننزهك عن كل ما لا يليق بشأنك ملتبسين ﴿بحمدك﴾ على ما أنعمت علينا من فنون النعم التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لإظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات الأنعام ﴿ونقدس﴾ تقديساً ﴿لك﴾ أي: نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق بك فاللام للبيان كما في سقياً لك متعلقة بمصدر محذوف ويجوز أن تكون مزيدة أي: نقدسك.

قال في «التيسير» التسبيح نفي ما لا يليق به والتقديس إثبات ما يليق به. وقال الشيخ داود القيصري قدس سره التسبيح أعم من التقديس لأنه تنزيه الحق عن نقائص الإمكان والحدوث والتقديس تنزيهه عنها وعن الكمالات اللازمة للأكوان لأنها من حيث إضافتها إلى الأكوان تخرج عن إطلاقها وتقع في نقائص التقييد انتهى وكأنه قيل أتستخلف من شأن ذريته الفساد مع وجود من ليس من شأنه ذلك أصلاً والمقصود عرض أحقيتهم منهم بالخلافة والاستفسار عما رجح بني آدم عليهم مع ما هو متوقع منهم من الفساد وكأنه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذٍ؟ فقيل: ﴿قال﴾ الله ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ من الحكمة والمصلحة باستخلاف آدم عليه السلام وإن من ذريته الطائع والعاصي فيظهر الفضل والعدل فلا تعترضوا على حكمي وتقديري ولا تستكشفوا عن غيبة تدبيري فليس كل مخلوق يطلع على غيب الخالق ولا كل أحد من الرعية يقف على سر الملك. وفي الآية تنبيه للسالك بأن يتأدب بين يدي الحق تعالى وخلفائه والمشايخ والعلماء لئلا يظهر بالأنانية وإظهار العلم عندهم لأنه سالك لطريق الفناء والفاني لا يكون كطاووس تعشق بنفسه وأعجب بذاته بل لا يرى وجوده أصلاً فقد وعظنا الله تعالى بزجره للملائكة بقوله: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾. قال السعدي:

نرود مرغ سوى دانه فراز چون دكر مرغ بيند اندربند
پند كير ازمصائب ديكران تانكيرند ديكران زتو پند

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ إنما قال جاعل وما قال خالق لمعنيين:

أحدهما: أن الجاعلية أعم من الخالقية فإن الجاعلية هي الخالقية وشيء آخر وهو أن يخلقه موصوفاً بصفة الخلافة إذ ليس لكل أحد هذا الاختصاص كما قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦] أي: خلقناك مستعداً للخلافة فأعطيناكها.

والثاني: أن للجعلية اختصاصاً بعالم الأمور وهو للملكوت وهو ضد عالم الخلق لأنه هو

عالم الأجسام والمحسوسات كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: الملك والملكوت فإنه تعالى حيث ذكر ما هو مخصوص بعالم الأمر ذكره بالجعلية لامتياز الأمر عن الخلق كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] فالسموات والأرض لما كانتا من الأجسام المحسوسات ذكرهما بالخلقية والظلمات والنور لما كانتا من الملكوتيات غير المحسوسات ذكرهما بالجعلية وإنما قلنا الظلمات والنور من الملكوتيات لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] فيفيد أنها من الملكوتيات لا من المحسوسات وأما الظلمات والنور التي من المحسوسات فإنها داخلة في السموات والأرض فافهم جداً فكذلك لما أخبر الله تعالى عن آدم بما يتعلق بجسمانيته ذكره بالخلقية كما قال: ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧١] ولما أخبر عما يتعلق بروحانيته ذكره بالجعلية وقال: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ وفي إني جاعل إشارة أخرى وهو إظهار عزة آدم عليه السلام على الملائكة لينظروا إليه بنظر التعظيم ولا ينكروا عليه بما يظهر منه ومن أولاده من أوصاف البشرية فإنه تعالى يقول ولذلك خلقهم وسماه خليفة وما شرف شيء من الموجودات بهذه الخلقة والكرامة وإنما سمي خليفة لمعنيين:

أحدهما: أنه يخلف عن جميع المخلوقات ولا يخلفه المكونات بأسرها وذلك لأن الله جمع فيه ما في العوالم كلها من الروحانيات والجسمانيات والسماويات والأرضيات والدنيويات والأخرويات والجماديات والنباتيات والحيوانيات والملكوتيات فهو بالحقيقة خليفة كل وأكرمه باختصاص كرامة ونفخت فيه من روحي وما أكرم بها أحداً من العالمين وأشار إلى هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] فلهذا الاختصاص ما صلح الموجودات كلها أن تكون خليفة لآدم ولا للحق تعالى.

والثاني: أنه يخلف وينوب عن الله صورة ومعنى أما صورة فوجوده في الظاهر يخلف عن وجود الحق في الحقيقة لأن وجود الإنسان يدل على وجود موجده كالبناء يدل على وجود الباني ويخلف وحدانية الإنسان عن وحدانية الحق وذاته عن ذاته وصفاته عن صفاته فيخلف حياته عن حياته وقدرته عن قدرته وإرادته عن إرادته وسمعه عن سمعه وبصره عن بصره وكلامه عن كلامه وعلمه عن علمه ولا مكانية روحه عن لا مكانيته ولا جهتيته عن لا جهتيته فافهم إن شاء الله تعالى وليس لنوع من المخلوقات أن يخلف عنه كما يخلف آدم وإن كان فيهم بعض هذه لأنه لا يجتمع صفات الحق في أحد كما يجتمع في الإنسان ولا يتجلى صفة من صفاته لشيء كما يتجلى لمرآة قلب الإنسان صفاته وأما الحيوانات فإنها وإن كان لها بعض هذه الصفات ولكن ليس لها علم بوجود موجدها وأما الملائكة فإنهم وإن كانوا عالمين بوجود موجدهم ولكن لا يبلغ حد علمهم إلى أن يعرفوا أنفسهم بجميع صفاتها ولا الحق بجميع صفاته ولذا قالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢] وكان الإنسان مخصوصاً بمعرفة نفسه بالخلافة وبمعرفة جميع أسماء الله تعالى وأما معنى فليس في العالم مصباح يستضيء بنار نور الله فيظهر أنوار صفاته في الأرض خلافة عنه إلا مصباح الإنسان فإنه مستعد لقبول فيض نور الله لأنه أعطى مصباح السر في زجاجة القلب والزجاجة في مشكاة الجسد وفي زجاجة القلب زيت الروح يكاد زيتها يضيء من صفات العقل ولو لم تمسسه نار النور وفي مصباح السر فتيلة الخفاء فإذا أراد الله أن يجعل في الأرض خليفة يتجلى بنور جماله لمصباح

السر الإنساني فيهدي لنوره فتيلة خفاء من يشاء فيستنير مصباحه بنار نور الله فهو على نور من ربه فيكون خليفة الله في أرضه فيظهر أنوار صفاته في هذا العالم بالعدل والإحسان والرأفة والرحمة لمستحقيها وبالعزة والقهر والغضب والانتقام لمستحقيها كما قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] وقال لحبيبه عليه السلام: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال في حقه وحق المؤمنين: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] ولم يظهر هذه الصفات لا على الحيوان ولا على الملك وناهيك بحال هاروت وماروت لما أنكرا على ذرية آدم منّ اتباع الهوى والقتل والظلم والفساد وقالا: لو كنا بدلاً منهم خلفاء الأرض ما كنا نفعل مثل ما يفعلون فالله تعالى أنزلهما إلى الأرض وألبسهما لباس البشرية وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير حق والزنى وشرب الخمر. قال قتادة فما مر عليهما شهر حتى افتتنا فشربا الخمر وسفكا الدم وزنيا وقتلا وسجدا للصنم فثبت أن الإنسان مخصوص بالخلافة وقبول فيضان نور الله فلو كان للملائكة هذه الخصوصية لما افتتنا بهذه الأوصاف المذمومة الحيوانية والسبعية كما كان الأنبياء عليهم السلام معصومين من مثل هذه الآفات والأخلاق وإن كانت لازمة لصفاتهم البشرية ولكن بنور التجلي تنور مصباح قلوبهم واستنار بنور قلوبهم جميع مشكاة جسدهم ظاهراً وباطناً وأشرقت الأرض بنور ربها فلم يبق لظلمات هذه الصفات مجال الظهور مع استعلاء النور فالملائكة من بدو الأمر لما نظروا إلى جسد آدم شاهدوا ظلمات البشرية والحيوانية والسبعية في ملكوت الجسد بالنظر الملكوتي الملكي ولم تكن تلك الصفات غائبة عن نظرهم ﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ فقولهم هذا يدل على معان مختلفة:

منها أن الله أنطقهم بهذا القول ليتحقق لنا أن هذه الصفات الذميمة في طينتنا مودعة وجبلتنا مركبة فلا نأمن من مكر أنفسنا الأمارة بالسوء ولا نعتمد عليها ولا نبرئها كما قال تعالى حكاية عن قول يوسف عليه السلام: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ﴾ [يوسف: ٥٣].

ومنها لنعلم أن كل عمل صالح نعمله هو بتوفيق الله إيانا وفضله ورحمته وكل فساد وظلم نعمله هو من شؤم طبيعتنا وخاصية طينتنا كما قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾ [النساء: ٧٩] وكل فساد وظلم لا يجري علينا ولا يصدر منافذ لك من حفظ الحق وعصمة الرب لقوله: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ﴾ [يوسف: ٥٣].

ومنها لنعلم أن الله تعالى من كمال فضله وكرمه قد قبلنا بالعبودية والخلافة وقال: من حسن عنايته في حقنا للملائكة المقربين ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ لكيلا نقنط من رحمته وننقطع عن خدمته.

ومنها لنعلم أن فساد الاستعداد أمر عظيم وبناء جسيم ومبنى الخلافة على الاستعداد والقابلية وليس للملائكة هذا الاستعداد والقابلية فلا نتغافل عن هذه السعادة ونسعى في طلبها حق السعاية.

ومنها أن الملائكة إنما قالوا: ﴿أتجعل فيها﴾ الخ لأنهم نظروا إلى جسد آدم قبل نفخ الروح فشاهدوا بالنظر الملكي في ملكوت جسده المخلوق من العناصر الأربعة المتضادة صفات

البشرية والبهيمية والسبعية التي تتولد من تركيب أضداد العناصر كما شاهدوها في أجساد الحيوانات والسباع الضاريات بل عاينوها فإنها خلقت قبل آدم فقاسوا عليها أحواله بعد أن شاهدوها وحققوها وهذا لا يكون غيباً في حقهم وإنما يكون غيباً لنا لأنا ننظر بالحس والملكوت يكون لأهل الحس غيباً ومنا من ينظر بالنظر الملكوتي فيشاهد الملائكة والملكوتيات بالنظر الروحاني كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ٧٥] وقال: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥] فحينئذٍ لا يكون غيباً فالغيب ما غاب عنك وما شاهدته فهو شهادة فالملكوت للملائكة شهادة والحضرة الإلّهية لهم غيب وليس لهم الترقي إلى تلك الحضرة وإن في الإنسان صورة من عالم الشهادة المحسوسة وروحاً من عالم الغيب الملكوتي غير المحسوس وسراً مستعداً لقبول فيض الأنوار الإلّهية فبالتربية يترقى من عالم الشهادة إلى عالم الغيب وهو الملكوت وبسر المتابعة وخصوصيتها يترقى من عالم الملكوت إلى عالم الجبروت والعظموت وهو غيب الغيب ويشاهد بنور الله المستفاد من سر المتابعة أنوار الجمال والجلال فيكون في خلافة الحق عالماً للغيب والشهادة كما أن الله تعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ﴾ [الجن: ٢٦] أي: الغيب المخصوص به وهو غيب الغيب ﴿أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦] يعني: من الملائكة ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٧] يعني: من الإنسان فهذا هو السر المكنون المركوز في استعداد الإنسان الذي كان الله يعلم منه والملائكة لا يعلمونه كما قال تعالى: **﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾**.

ومنها أن الملائكة لما نظروا إلى كثرة طاعتهم واستعداد عصمتهم ونظروا إلى نتائج الصفات النفسانية استعظموا أنفسهم واستصغروا آدم وذريته فقال: **﴿أتجعل فيها﴾** يعني: في الأرض **﴿خليفة﴾** مع أنه **﴿يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾** يعني: نحن لهذه الأوصاف أحق بالخلافة منه كما قال بنو إسرائيل حين بعث الله لهم ﴿طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ﴾ [البقرة: ٢٤٧] فأجابهم الله تعالى بأن استحقاق الملك ليس بالمال إنما هو بالاصطفاء والبسطة في العلم والجسم فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة: ٢٤٧] فكذلك هنا أجابهم الله تعالى بقوله: **﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾** إجمالاً ثم فصله بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٣٣] وبقوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] وبقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥] ليعلموا أن استعداد ملك الخلافة واستحقاقها ليس بكثرة الطاعات ولكنه مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء فلما تفاخر الملائكة بطاعتهم على آدم من الله تعالى على آدم بعلم الأسماء ليعلموا أنهم ولو كانوا أهل الطاعة والخدمة فإنه أهل العقل والمنة وأين أهل الخدمة من أهل المنة فبتفاخرهم على آدم صاروا ساجدين له ليعلموا أن الحق تعالى مستغن عن طاعتهم وبمنته على آدم صار مسجوداً لهم ليعلموا ﴿إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ﴾ [آل عمران: ٧٣]، وفي قوله: **﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾** إشارة أخرى إلى أنه كما يدل على أن لآدم فضائل لا يعلمها الملائكة فكذلك له رذائل وأوصاف مذمومة لا يعلمها الملائكة لأنهم لا يعلمون منه أوصافاً مذمومة هي من نتائج قالبه مشتركة مع الحيوانات مودعة في ملكوته غير أوصاف مذمومة تكون من نتائج النفس الأمارة عند تتابع نظر الروح إلى النفس حالة عدم

استعمال الشرع من العجب والرياء والسمعة والحسد واشتراء الحياة الدنيا بالآخرة والابتداع والزيغوغة واعتقاد السوء وغير ذلك مما لا يشاركه الحيوانات فيه انتهى ما في «التأويلات».

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ قال وهب بن منبه: لمّا أراد الله أن يخلق آدم أوحى إلى الأرض أي: أفهمها وألهمها إني جاعل منك خليفة فمنهم من يعطيني فأدخله الجنة ومنهم من يعصيني فأدخله النار فقالت الأرض مني تخلق خلقاً يكون للنار؟ قال: نعم فبكت فانفجرت منها العيون إلى يوم القيامة وبعث إليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من زواياها الأربع من أسودها وأبيضها وأحمرها وأطيبها وأخبثها وسهلها وصعبها وجبلها فلما أتاها جبريل ليقبض منها قالت الأرض: بالله الذي أرسلك لا تأخذ مني شيئاً فإن منافع التقرب إلى السلطان كثيرة ولكن فيه خطر عظيم كما قيل:

بدريا در منافع بيشمارست اكرخواهي سلامت در كنارست

فرجع جبريل عليه السلام إلى مكانه ولم يأخذ منها شيئاً فقال: يا رب حلفتني الأرض باسمك العظيم فكرهت أن أقدم عليها فأرسل الله ميكائيل عليه السلام فلما انتهى إليها قالت الأرض له كما قالت لجبريل فرجع ميكائيل فقال كما قال جبريل فأرسل الله إسرافيل عليه السلام وجاء ولم يأخذ منها شيئاً وقال مثل ما قال جبريل وميكائيل فأرسل الله ملك الموت فلما انتهى قالت الأرض أعوذ بعزة الله الذي أرسلك أن تقبض مني اليوم قبضة يكون للنار فيها نصيب غداً فقال ملك الموت: وأنا أعوذ بعزته أن أعصي له أمراً فقبض قبضة من وجه الأرض مقدار أربعين ذراعاً من زواياها الأربع فلذلك يأتي بنوه أخيافاً أي: مختلفين على حسب اختلاف ألوان الأرض وأوصافها فمنهم الأبيض والأسود والأحمر واللين والغليظ فصار كل ذرة من تلك القبضة أصل بدن للإنسان فإذا مات يدفن في الموضع الذي أخذت منه ثم صعد إلى السماء فقال الله له: أما رحمت الأرض حين تضرعت إليك؟ فقال: رأيت أمرك أوجب من قولها فقال: أنت تصلح لقبض أرواح ولده.

قال في «روضة العلماء»: فشكت الأرض إلى الله تعالى وقالت: يا رب نقص مني قال الله على أن أرد إليك أحسن وأطيب مما كان فمن ثمة يحنط الميت بالمسك والغالية انتهى. فأمر الله تعالى عزرائيل فوضع ما أخذ من الأرض في وادي نعمان بين مكة والطائف بعدما جعل نصف تلك القبضة في النار ونصفها في الجنة فتركها إلى ما شاء الله ثم أخرجها ثم أمطر عليها من سحاب الكرم فجعلها طيناً لازباً وصور منه جسد آدم.

واختلفوا في خلقة آدم عليه السلام فقيل: خلق في سماء الدنيا وقيل في جنة من جنات الأرض بغربيتها كالجنة التي يخرج منها النيل وغيره من الأنهار وأكثر المفسرين أنه خلق في جنة عدن ومنها أخرج كما في «كشف الكنوز»، وفي الحديث القدسي: (خمرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً) يعني: أربعين يوماً كل يوم منه ألف عام من أعوام الدنيا فتركه أربعين سنة حتى يبس وصار صلصالاً وهو الطين المصوت من غاية يبسه كالفخار فأمطر عليه مطر الحزن تسعاً وثلاثين سنة ثم أمطر عليه مطر السرور سنة واحدة فلذلك كثرت الهموم في بني آدم ولكن

يصير عاقبتها إلى الفرح كما قيل إن لكل بداية نهاية وإن مع العسر يسراً:

إن مع العسر چو يسرش قفاست شاد برانم كه كلام خداست

وكانت الملائكة يمرون عليه ويتعجبون من حسن صورته وطول قامته لأن طوله كان خمسمائة ذراع الله أعلم بأي ذراع وكان رأسه يمس السماء ولم يكونوا رأوا قبل ذلك صورة تشابهها فمر به إبليس فرآه ثم قال لأمر ما خلقت ثم ضربه بيده فإذا هو أجوف فدخل فيه وخرج من دبره وقال لأصحابه الذين معه من الملائكة هذا خلق أجوف لا يثبت ولا يتماسك ثم قال لهم: أرأيتم إن فضل هذا عليكم ما أنتم فاعلون؟ قالوا: نطيع ربنا فقال إبليس في نفسه والله لا أطيعه إن فضل علي ولئن فضلت عليه لأهلكنه:

عاقبت كرك زاده كرك شود

وجمع بزاقه في فمه وألقاه عليه فوقع بزاق اللعين على موضع سرة آدم عليه السلام فأمر الله جبريل فقور بزاق اللعين من بطن آدم فحفرة السرة من تقوير جبريل وخلق الله من تلك القوارة كلباً وللكلب ثلاث خصال فأنسه بآدم لكونه من طينة وطول سهره في الليالي من أثر مس جبريل عليه السلام وعضه الإنسان وغيره وأذاه من غير خيانة من أثر بزاق اللعين وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة وسمي بآدم لكونه من أديم الأرض لأنه مؤلف من أنواع ترابها ولما أراد الله أن ينفخ فيه الروح أمره أن يدخل فيه فقال الروح موضع بعيد القعر مظلم المدخل فقال له ثانياً ادخل فقال كذلك فقال له ثالثاً فقال كذلك فقال: ادخل كرهاً أي: بلا رضى واخرج كرهاً ولذا لا يخرج الروح من البدن إلا كرهاً فلما نفخه فيه مار في رأس آدم وجبينه وأذنيه ولسانه ثم مار في جسده كله حتى بلغ قدميه فلم يجد منفذاً فرجع منخريه فعطس فقال له ربه قل الحمد لله رب العالمين فقالها آدم فقال: يرحمك الله ولذا خلقتك يا آدم فلما انتهى إلى ركبتيه أراد الوثوب فلم يقدر فلما بلغ قدميه وثب فقال تعالى وخلق الإنسان عجولاً فصار بشراً لحماً ودماً وعظاماً وعصباً وأحشاء ثم كساه لباساً من ظفر يزداد جسده في كل يوم وهو في ذلك منتطق متوج وجعل في جسده تسعة أبواب: سبعة في رأسه أذنين يسمع بهما وعينين يبصر بهما ومنخرين يجد بهما كل رائحة وفماً فيه لساناً يتكلم به وحنك يجد به طعم كل شيء وبابين في جسده وهما قبله ودبره يخرج منهما ثقل طعامه وشرابه وجعل عقله في دماغه وشرهه في كليتيه وغضبه في كبده وشجاعته في قلبه ورغبته في رئته وضحكه في طحاله وفرحه وحزنه في وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم فلما سواه ونفخ فيه من روحه علمه أسماء الأشياء كلها أي: ألهمه فوقع في قلبه فجرى على لسانه بما في قلبه بتسمية الأشياء من عنده فعلمه جميع أسماء المسميات بكل اللغات بأن أراه الأجناس التي خلقها وعلمه أن هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وعلمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية وعلمه أسماء الملائكة وأسماء ذريته كلهم وأسماء الحيوانات والجمادات وصنعة كل شيء وأسماء المدن والقرى وأسماء الطير والشجر وما يكون وكل نسمة يخلقها إلى يوم القيامة وأسماء المطعومات والمشروبات وكل نعيم في الجنة وأسماء كل شيء حتى القصعة والقصيعة وحتى الجنة والمحلب. قال في «كشف الكنوز» اتفق جم غفير من أهل العلم على أن الأسماء كلها توقيفية من الله تعالى بمعنى أن الله تعالى خلق لآدم علماً ضرورياً بمعرفة الألفاظ والمعاني وأن هذه الألفاظ موضوعة لتلك المعاني.

وفي الخبر لما خلق الله آدم بث فيه أسرار الأحرف ولم يبث في أحد من الملائكة فخرجت الأحرف على لسان آدم بفنون اللغات فجعلها الله صوراً له ومثلت له بأنواع الأشكال. وفي الخبر علمه سبعمائة ألف لغة فلما وقع في أكل الشجرة سلب اللغات إلا العربية فلما اصطفاه بالنبوة رد الله عليه جميع اللغات فكان من معجزاته تكلمه بجميع اللغات المختلفة التي يتكلم بها أولاده إلى يوم القيامة من العربية والفارسية والرومية والسريانية واليونانية والعبرانية والزنجية وغيرها.

قال بعض المفسرين: علم الله آدم ألف حرفة من المكاسب ثم قال: قل لأولادك إن أردتم الدنيا فاطلبوها بهذه الحرف ولا تطلبوها بالدين وأحكام الشرائع وكان آدم حراثاً أي: زراعاً ونوح نجاراً وإدريس خياطاً وصالح تاجراً وداود زراداً وسليمان كان يعمل الزنبيل في سلطنته ويأكل من ثمنه ولا يأكل من بيت المال وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة وكان أكثر عمله صلى الله تعالى عليه وسلم في البيت الخياطة.

وفي الحديث «عمل الأبرار من الرجال الخياطة وعمل الأبرار من النساء الغزل» كذا في «روضة الأخيار» وقال العلماء الأسماء في قوله تعالى: ﴿**وعلم آدم الأسماء**﴾تقتضي الاستغراق واقتران قوله كلها يوجب الشمول فكما علمه أسماء المخلوقات علمه أسماء الحق تعالى فإذا كان تخصيصه بمعرفة أسماء المخلوقات يقتضي أن يصح سجود الملائكة له فما الظن بتخصيصه بمعرفة أسماء الحق وما الذي يوجب له ﴿**ثم عرضهم على الملائكة**﴾أي: عرضها أي: المسميات وإنما ذكر الضمير لأن في المسميات العقلاء فغلبهم والعرض إظهار الشيء للغير ليعرف العارض منه حاله. وفي الحديث «أنه عرضهم أمثال الذر» ولعله عز وجل عرض عليهم من أفراد كل نوع ما يصلح أن يكون أنموذجاً يتعرف منه أحوال البقية وأحكامها والحكمة في التعليم والعرض تشريف آدم واصطفاؤه وإظهاره الأسرار والعلوم المكنونة في غيب علمه تعالى على لسان من يشاء من عباده وهو المعلم المكرم آدم الصفي كيلا يحتج الملك وغيره بعلمه ومعرفته وذلك رحمة الله التي وسعت كل شيء. ﴿**فقال**﴾الله عز وجل تبكيتاً وتعجيزاً للملائكة وخطاب التعجيز جائز وهو الأمر بإتيان الشيء ولم يكن إتيانه مراداً ليظهر عجز المخاطب وإن كان ذلك محالاً كالأمر بإحياء الصورة التي يفعلها المصورون يوم القيامة ليظهر عجزهم ويحصل لهم الندم ولا ينفعهم الندم ﴿**أنبئوني**﴾أي: أخبروني ﴿**بأسماء هؤلاء**﴾ الموجودات ﴿**إن كنتم صادقين**﴾في زعمكم أنكم أحقاء بالخلافة ممن استخلفته كما ينبىء عنه مقالكم.

ويقال: هذه الآية دليل على أن أولى الأشياء بعد علم التوحيد تعلم علم اللغة لأنه تعالى أراهم فضل آدم بعلم اللغة. ودلت أيضاً على أن المدعي يطالب بالحجة فإن الملائكة ادعوا الفضل فطولبوا بالبرهان وبحثوا عن الغيب فقرعوا بالعيان أي: لا تعلمون أسماء ما تعاينون فكيف تتكلمون في فساد من لا تعاينون فيا أرباب الدعاوى أين المعاني ويا أرباب المعرفة أين المحبة ويا أرباب المحبة أين الطاعة. قال أبو بكر الواسطي: من المحال أن يعرفه العبد ثم لا يحبه ومن المحال أن يحبه ثم لا يذكره ومن المحال أن يذكره ثم لا يجد حلاوة ذكره ومن المحال أن يجد حلاوة ذكره ثم يشتغل بغيره.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿**قالوا**﴾ استئناف واقع موقع الجواب كأنه قيل فماذا قالوا حينئذٍ هل خرجوا من عهدة ما كلفوه أو لا؟ فقال: قالوا ﴿**سبحانك**﴾ أي: نسبحك عما لا يليق بشأنك الأقدس من الأمور التي من جملتها خلو أفعالك من الحكم والمصالح وهي كلمة تقدم على التوبة قال موسى عليه السلام: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقال يونس: ﴿سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وسبحان اسم واقع موقع المصدر لا يكاد يستعمل إلا مضافاً فإذا أفرد عن الإضافة كان اسماً علماً للتسبيح لا ينصرف للتعريف والألف والنون في آخرها. ﴿**لا علم لنا إلا ما علمتنا**﴾ اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه وإشعار بأن سؤالهم كان استفساراً ولم يكن اعتراضاً؛ إذ معناه لا علم لنا إلا ما علمتنا بحسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة لنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك لأفضته علينا وما مصدرية أي: إلا علماً علمتناه ومحله رفع بدل من موضع لا علم كقولك لا إله إلا الله ﴿**إنك أنت**﴾ ضمير فصل لا محل له من الإعراب. ﴿**العليم**﴾ الذي لا يخفى عليه خافية وهذه إشارة إلى تحقيقهم لقوله تعالى: ﴿**إني أعلم ما لا تعلمون**﴾ ﴿**الحكيم**﴾ المحكم لمبتدعاته والذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة.

وأفادت الآية أن العبد ينبغي له أن لا يغفل عن نقصانه وعن فضل الله وإحسانه ولا يأنف أن يقول لا أعلم فيما لا يعلم ولا يكتم فيما يعلم. وقالوا: لا أدري نصف العلم وسئل أبو يوسف القاضي عن مسألة فقال: لا أدري فقالوا له ترتزق من بيت المال كل يوم كذا كذا ثم تقول لا أدري فقال: إنما أرتزق بقدر علمي ولو أعطيت بقدر جهلي لم يسعني مال الدنيا ـ وحكي ـ أن عالماً سئل عن مسألة وهو فوق المنبر فقال: لا أدري فقيل له: ليس المنبر موضع الجهال فقال: إنما علوت بقدر علمي ولو علوت بقدر جهلي لبلغت السماء.

﴿**قال**﴾ استئناف أيضاً ﴿**يا آدم أنبئهم**﴾ أي: أعلمهم ﴿**بأسمائهم**﴾ التي عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصير هممهم عن بلوغ مرتبتها ﴿**فلما أنبأهم بأسمائهم**﴾ روي أنه رفع على منبر وأمر أن ينبىء الملائكة بالأسماء فلما أنبأهم بها وهم جلوس بين يديه وذكر منفعة كل شيء ﴿**قال**﴾ الله تعالى: ﴿**ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض**﴾ والاستفهام للتقرير أي: قد قلت لكم إني أعلم ما غاب فيهما ولا دليل عليه ولا طريق إليه ﴿**وأعلم ما تبدون**﴾ تظهرون من قولكم ﴿**أتجعل فيها من يفسد**﴾ الآية ﴿**وما كنتم تكتمون**﴾ تسرون من قولكم لن يخلق الله خلقاً أكرم عليه منا وهو استحضار لقوله تعالى: ﴿**إني أعلم ما لا تعلمون**﴾ لكنه جاء به على وجه أبسط ليكون كالحجة عليه فإنه تعالى كما علم ما خفي عليهم من أمور السموات والأرض وما ظهر لهم من أحوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون. وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الأولى من السؤال وهو أن يتوقفوا مترصدين لأن يبين لهم وهذه الآيات تدل على شرف الإنسان ومزية العلم وفضله على العبادة لأن الملائكة أكثر عبادة من آدم ومع ذلك لم يستحقوا الخلافة وتدل على أن العلم شرط في الخلافة بل العمدة فيها وأن آدم أفضل من هؤلاء الملائكة

لأنه أعلم منهم والأعلم أفضل لقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] فالعلم أشرف جوهراً ولكن لا بد للعبادة مع العلم فإن العلم بمنزلة الشجرة والعبادة بمنزلة الثمرة فالشرف للشجرة وهو الأصل لكن الانتفاع بثمرتها. وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه «حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة» فقيل: يا رسول الله أو من قراءة القرآن؟ قال: «وهل ينفع القرآن إلا بالعلم»، قال في «المثنوي»:

خاتم ملك سليمانست علم جملة عالم صورت وجانست علم

وفي الحديث «النظر إلى وجه الوالد عبادة والنظر إلى الكعبة المكرمة عبادة والنظر في المصحف عبادة والنظر في وجه العالم عبادة من زار عالماً فكأنما زارني ومن صافح عالماً فكأنما صافحني ومن جالس عالماً فكأنما جالسني ومن جالسني في الدنيا أجلسه الله معي يوم القيامة» وفي الحديث «من أراد أن ينظر إلى عتقاء الله من الناس فلينظر إلى المتعلمين فوالذي نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف أي: يذهب ويجيء إلى باب العالم إلا يكتب الله له بكل قدم عبادة سنة ويبني بكل قدم مدينة في الجنة ويمشي على الأرض والأرض تستغفر له ويمسي ويصبح مغفوراً له».

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ الأسماء على ثلاثة أقسام:

قسم منها أسماء الروحانيات والملكوتيات: وهي مقام الملائكة ومرتبتهم فلهم علم ببعضها واستعداد أيضاً لأن ينبؤوا بما لا علم لهم به فإن الروحانيات والملكوتيات لهم شهادة كالجسمانيات لنا.

والقسم الثاني منها أسماء الجسمانيات وهي مرتبة دون مرتبتهم فيمكن إنباؤهم لأن الجسمانيات لهم كالحيوانيات بالنسبة إلينا فإنها مرتبة دون مرتبة الإنسان فيمكن للإنسان الإنباء بأحوالها.

والقسم الثالث منها الإلّهيات وهي مرتبة فوق مرتبة الملائكة كما قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] فلا يمكن للإنسان أن ينبئهم بها ولا يمكن لهم الإنباء فوق ما علمهم الله منها لأنها غيب وليس لهم الترقي إلى عالم الغيب وهو عالم الجبروت وهم أهل الملكوت ولهم مقام معلوم لا يتجاوزون عنه كما قال جبريل عند سدرة المنتهى (لو دنوت أنملة لاحترقت) وإنما كان آدم مخصوصاً بعلم الأسماء لأنه خلاصة العالم وكان روحه بذر شجرة العالم وشخصه ثمرة شجرة العالم ولهذا خلق شخصه بعد تمام ما فيه كخلق الثمرة بعدم تمام الشجرة كما أن الثمرة تعبر على أجزاء الشجرة كلها حتى تظهر على أعلى الشجرة كذلك آدم عبر على أجزاء شجرة الموجودات علوها وسفلها وكان في كل جزء من أجزائها له منفعة ومضرة ومصلحة ومفسدة فسمي كل شيء منها باسم يلائم تلك المنفعة والمضرة بعلم علمه الله تعالى وهذا من جملة ما كان الله يعلم من آدم والملائكة لا يعلمون وكان من كمال حال آدم أن أسماء الله تعالى جاءت على منفعته ومضرته فضلاً عن أسماء غيره وذلك أنه لما كان مخلوقاً كان الله خالقاً ولما كان مرزوقاً كان الله رازقاً ولما كان عبداً كان الله معبوداً ولما كان معيوباً كان الله ستاراً ولما كان مذنباً كان الله غفاراً ولما كان تائباً كان الله تواباً ولما كان منتفعاً كان الله نافعاً ولما كان متضرراً كان الله ضاراً ولما كان ظالماً كان الله عدلاً ولما كان مظلوماً كان الله منتقماً فعلى هذا قس الباقي.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وإذ قلنا﴾ أي: اذكر يا محمد وقت قولنا ﴿للملائكة﴾ أي: لجمعهم لقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الحجر: ٣٠] ﴿اسجدوا لآدم﴾ أي: خروا له والسجود في الأصل تذلل مع تطامن وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به أما المعنى الشرعي فالمسجود له في الحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيماً لشأنه وأما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيماً له كسجود إخوة يوسف له وكان سجود التحية جائزاً فيما مضى ثم نسخ بقوله عليه السلام لسلمان حين أراد أن يسجد له: «لا ينبغي لمخلوق أن يسجد لأحد إلا لله تعالى ولو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» فتحية هذه الأمة هي السلام لكن يكره الانحناء لأنه يشبه فعل اليهود كما في «الدرر»، وكان هذا القول الكريم بعد إنبائهم بالأسماء قيل لما خلق آدم أشكل عليهم أن آدم أعلم أم هم فلما سألهم عن الأسماء فلم يعرفوا وسأل آدم فأخبر بها ظهر لهم أن آدم أعلم منهم ثم أشكل عليهم أنه أفضل أم هم فلما أمرهم بالسجود ظهر لهم فضله ومن لطف الله تعالى بنا أن أمر الملائكة بالسجود لأبينا ونهانا عن السجود لغيره فقال: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت: ٣٧] نقل الملائكة المقربين إلى آدم وسجدته ونقلنا إلى سجدته وخدمته.

وفي «التأويلات النجمية» في قوله: ﴿اسجدوا﴾ ثلاثة معان:

أحدها: أنكم تسجدون لله بالطبيعة الملكية والروحانية فاسجدوا لآدم خلافاً للطبيعة بل اعبدوا وأرقوا انقياداً للأمر وامتثالاً للحكم.

والثاني: ﴿اسجدوا لآدم﴾ تعظيماً لشأن خلافته وتكريماً لفضيلته المخصوصة به وذلك لأن الله تعالى يتجلى فيه فمن سجد له فقد سجد لله كما قال تعالى في حق حبيبه عليه السلام ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠].

والثالث: ﴿اسجدوا لآدم﴾ أي: لأجل آدم وذلك لأن طاعتهم وعبادتهم ليست بموجبة لثوابهم وترقي درجاتهم وفائدتها راجعة إلى الإنسان لمعنيين:

أحدهما: أن الإنسان يقتدي بهم في الطاعة ويتأدب بآدابهم في امتثال الأوامر وينزجر عن الآباء والاستكبار كيلا يلحق به اللعن والطرد كما لحق بإبليس ويكون مقبولاً ممدوحاً مكرماً كما كان الملائكة في امتثال الأمر لقوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

والثاني: أن الله تعالى من كمال فضله ورحمته مع الإنسان جعل همة الملائكة في الطاعة والتسبيح والتحميد مقصورة على استعداد المغفرة للإنسان كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥] فلذلك أمرهم بالسجود لأجلهم وليستغفروا لهم ﴿فسجدوا﴾ أي: سجد الملائكة لأنهم خلقوا من نور كما قال عليه السلام: «خلقت الملائكة من نور» والنور من شأنه الانقياد والطاعة وأول من سجد جبرائيل فأكرم بإنزال الوحي على النبيين وخصوصاً على سيد المرسلين ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة وقيل: أول من سجد إسرافيل فرفع رأسه وقد ظهر كل القرآن مكتوباً على جبهته كرامة له على

سبقه إلى الائتمار. والفاء في قوله ﴿فسجدوا﴾ لإفادة مسارعتهم إلى الامتثال وعدم تلعثمهم في ذلك ﴿إلا إبليس﴾ أي: ما سجد لأنه خلق من النار والنار من شأنها الاستكبار وطلب العلو طبعاً وللعلماء في هذا الاستثناء قولان:

الأول: إنه استثناء متصل لأن إبليس كان جنياً واحداً بين أظهر الألوف من الملائكة مغموراً بهم متصفاً بصفاتهم فغلبوا عليه في قوله ﴿فسجدوا﴾ ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم. وأكثر المفسرين على أن إبليس من الملائكة لأن خطاب السجود كان مع الملائكة قال البغوي وهو الأصح، قال في «التيسير»: أما وصف الملائكة بأنهم لا يعصون ولا يستكبرون فذلك دليل تصور العصيان منهم ولولا التصور لما مدحوا به لكن طاعتهم طبع وعصيانهم تكلف وطاعة البشر تكلف ومتابعة الهوى منهم طبع ولا يستنكر من الملائكة تصور العصيان فقد ذكر من هاروت وماروت ما ذكر، قال في «المثنوي»:

امتحان مي كرد شان زير وزبر كي بود سرمست را زاينها خبر

والقول الثاني: أنه منقطع لأنه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن بالنص قال تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠] وعن الحافظ أن الجن والملائكة جنس واحد فمن طهر منهم فهو ملك ومن خبث فهو شيطان ومن كان بين بين فهو جن ﴿أبى﴾ أي: امتنع عما أمر به من السجود والإباء امتناع باختيار ﴿واستكبر﴾ أي: تعظم وأظهر كبره ولم يتخذه وصلة في عبادة ربه أو تعظيمه وتلقيه بالتحية والتكبر أن يرى الرجل نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع أي: بالتزين بالباطل وبما ليس له وتقديم الإباء على الاستكبار مع كونه مسبباً عنه لظهوره ووضوح أثره، قال في «المثنوي»:

اين تكبر چيست غفلت ازلباب منجمد چون غفلت يخ زآفتاب
چون خبر شد زآفتابش يخ نماند نرم كشت وكرم كشت وتيز راند

قالوا لما سجد الملائكة امتنع إبليس ولم يتوجه إلى آدم بل ولاه ظهره وانتصب هكذا إلى أن سجدوا وبقوا في السجود مائة سنة وقيل خمسمائة سنة ورفعوا رؤوسهم وهو قائم معرض لم يندم من الامتناع ولم يعزم على الاتباع فلما رأوه عدل ولم يسجد وهم وفقوا للسجود سجدوا لله تعالى ثانياً فصار لهم سجدتان سجدة لآدم وسجدة لله تعالى وإبليس يرى ما فعلوه وهذا اباؤه فغير الله تعالى صفته وحالته وصورته وهيئته ونعمته فصار أقبح من كل قبيح قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] قال بعضهم جعل ممسوخاً على مثال جسد الخنازير ووجهه كالقردة وللشيطان نسل وذرية والممسوخ وإن كان لا يكون له نسل لكن لما سأل النظرة وأنظر صار له نسل. وفي الخبر قيل له من قبل الحق: اسجد لقبر آدم أقبل توبتك واغفر معصيتك فقال: ما سجدت لقالبه وجثته فكيف أسجد لقبره وميتته. وفي الخبر أن الله تعالى يخرجه على رأس مائة ألف سنة من النار ويخرج آدم من الجنة ويأمره بالسجود لآدم فيأبى ثم يرد إلى النار ﴿وكان من الكافرين﴾ أي: في علم الله تعالى أو صار منهم باستقباحه أمر الله إياه بالسجود لآدم اعتقاداً بأنه أفضل منه والأفضل لا يحسن أن يؤمر بالتخضع للمفضول والتوصل به كما أشعر به قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢] جواباً لقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] لا بترك الواجب وحده ومذهب أهل السنة أن الشقي قد يسعد والسعيد قد يشقى فالكافر إذا أسلم كان كافراً إلى وقت

إسلامه وإنما صار مسلماً بإسلامه إلا أنه غفر له ما سلف والمسلم إذا كفر والعياذ بالله كان مسلماً إلى ذلك الوقت إلا أنه حبط عمله ثم إنما قال من الكافرين ولم يكن حينئذٍ كافر غيره لأنه كان في علم الله أن يكون بعده كفار فذكر أنه كان من الكافرين أي: من الذين يكفرون بعده وهذا كما في قوله: ﴿**فتكونا من الظالمين**﴾ ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وأنه قد يفضي بصاحبه إلى الكفر والحث على الائتمار لأمره وترك الخوض في سره وأن الأمر للوجوب وأن الذي علم الله من حاله أنه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة إذ العبرة بالخواتم وإن كان بحكم الحال مؤمناً وهي مسألة الموافاة أي: اعتبار تمام العمر الذي هو وقت الوفاة فإذا كان العبرة بالخاتمة فليسارع العبد إلى الطاعات فكل ميسر لما خلق له خصوصاً في آخر السنة وخاتمتها كي يختم له الدفتر بالعمل الصالح. قالت رابعة العدوية لسفيان الثوري رحمهما الله: إنما أنت أيام معدودة فإذا ذهب يوم ذهب بعضك ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم فاعلم واعتبر ولا تقل ذهب لي درهم ودينار وسقط لي مال وجاه بل قل ذهب يومي ماذا عملت فيه فإن باليوم ينقضي العمر. واحتضر عابد فقال ما تأسفي على دار الأحزان وإنما تأسفي على ليلة نمتها ويوم أفطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله تعالى. وعن العلاء بن ذياد قال: ليس يوم يأتي من أيام الدنيا إلا يتكلم ويقول: يا أيها الناس إني يوم جديد وأنا على ما يعمل في شهيد وإني لو غربت شمسي لم أرجع إليكم إلى يوم القيامة. قيل: يا رسول الله من خير الناس؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله» قيل: فأي الناس شر قال: «من طال عمره وساء عمله وخيف شره ولم يرج خيره» قال الحسن لجلسائه يا معشر الشيوخ ما ينتظر بالزرع إذا بلغ قالوا: الحصاد قال: يا معشر الشباب فإن الزرع قد تركه الآفة قبل أن يبلغ وأنشد بعضهم:

ألا مهد لنفسك قبل موت … فإن الشيب تمهيد الحمام
وقد جد الرحيل فكن مجداً … لحط الرحل في دار المقام

وعن الحسن قال ابن آدم لا تحمل هم سنة على يوم كفى يومك بما فيه فإن تكن السنة من عمرك يأتك الله فيها برزقك وإلا تكن من عمرك فأراك تطلب ما ليس لك. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ما طلعت شمس إلا وبجنبتيها ملكان يناديان وإنهما ليسمعان من على ظهر الأرض غير الثقلين يا أيها الناس هلموا إلى ربكم إن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى وما غربت شمس قط إلا وبجنبتيها ملكان يناديان وإنهما ليسمعان من على ظهر الأرض غير الثقلين اللهم عجل لمنفق خلفاً وعجل للممسك تلفاً، قال في «المثنوي»:

نان دهى ازبهر حق نانت دهند … جان دهي ازبهر حق جانت دهند

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾

﴿**وقلنا يا آدم اسكن أنت**﴾ قال القرطبي في «تفسيره»: لا خلاف أن الله تعالى أخرج إبليس عند كفره وأبعده عن الجنة وبعد إخراجه قال: يا آدم اسكن أي: لازم الإقامة واتخذها

مسكناً وهو محل السكون وليس المراد به ضد الحركة بل اللبث والاستقرار ﴿وزوجك﴾ حواء يقال للمرأة الزوج والزوجة والزوج أفصح كما في «تفسير أبي الليث» وإنما لم يخاطبهما أولاً تنبيهاً على أنه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له ﴿الجنة﴾ هي دار الثواب بإجماع المفسرين خلافاً لبعض المعتزلة والقدرية حيث قالوا: المراد بالجنة بستان كان في أرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحاناً لآدم وأولوا الهبوط بالانتقال منه إلى أرض الهند كما في قوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْـرًا﴾ [البقرة: ٦١] وفيه نظر لأن الهبوط قد يستعار للانتقال إذا ظهر امتناع حقيقته واستبعادها وهناك ليس كذلك.

واختلفوا في خلقة حواء هل كانت قبل دخول الجنة أو بعده ويدل على الأول ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه بعث الله جنداً من الملائكة فحملوا آدم وحواء على سرير من الذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ والزمرد وعلى آدم منطقة مكللة بالدر والياقوت حتى أدخلوهما الجنة ويدل على الثاني ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه لما خلق الله الجنة وأسكن فيها آدم بقي فيها وحده فألقى الله عليه النوم ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه من الجانب الأيسر ووضع مكانه لحماً فخلق منه حواء ومن الناس من قال: لا يجوز أن يقال خلقت حواء من ضلع آدم لأنه يكون نقصاناً منه ولا يجوز القول بنقص الأنبياء قلنا هذا نقص منه صورة تكميل له معنى لأنه جعلها سكنه وأزال بها وحشته وحزنه فلما استيقظ وجدها عند رأسه قاعدة فسألها من أنت؟ فقالت: إني امرأة فقال: ولم خلقت؟ قالت: لتسكن إلي وأسكن إليك فقالت الملائكة: يا آدم ما اسمها قال: حواء قالوا: ولم قال لأنها خلقت من حي أو لأنها أصل كل حي أو لأنها كانت في ذقنها حوة أي: حمرة مائلة إلى السواد وقيل في شفتها وسميت مرأة لأنها خلقت من المرء كما أن آدم سمي بآدم لأنه خلق من أديم الأرض وعاشت بعد آدم سبع سنين وسبعة أشهر وعمرها تسعمائة سنة وسبع وتسعون سنة.

واعلم أن الله تعالى خلق واحداً من أب دون أم وهو حواء وآخر من أم دون أب وهو عيسى وآخر من أب وأم أي: أولاد آدم وآخر من غير أب وأم أي: آدم فسبحان من أظهر من عجائب صنعه ما يتحير فيه العقول.

ثم اعلم أن الله تعالى خلق حواء لأمر تقتضيه الحكمة ليدفع آدم وحشته بها لكونها من جنسه وليبقي الذرية على ممر الأزمان والأيام إلى ساعة القيام فإن بقاءها سبب لبعثة الأنبياء وتشريع الشرائع والأحكام ونتيجة لأمر معرفة الله فإن الله تعالى خلق الخلق لأجلها. وفي الزوجية منافع كثيرة دينية ودنيوية وأخروية ولم يذكر الله تعالى في كتابه من الأنبياء إلا المتزوجين وقالوا: إن يحيى عليه السلام قد تزوج لنيل الفضل وإقامة السنة ولكن لم يجامع لكون ذلك عزيمة في تلك الشريعة ولذلك مدحه الله بكونه حصوراً. وفي «الأشباه»: ليس لنا عبادة شرعت من عهد آدم إلى الآن ثم تلك العبادة لا تستمر في الجنة إلا الإيمان والنكاح. قيل: فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من المتأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب هذا كله لكون التزوج سبباً لبقاء النسل وحفظاً من الزنى والترغيب في النكاح يجري إلى ما يجاوز المائة الأولى من الألف الثاني كما قال عليه السلام: «إذا أتى على أمتي مائة وثمانون سنة بعد الألف فقد حلت العزوبة والعزلة والترهب على رؤوس الجبال» وذلك لأن الخلق في المائتين أهل الحرب والقتل فتربية جرو حينئذٍ خير من تربية ولد وأن تلد

المرأة حية خير من أن تلد الولد، كما قال السعدي:

زنان بار دار اي مرد هشيار اكر وقت ولادت مار زايند
ازان بهتر بنزديك خردمند كه فرزندان نا هموار زايند

﴿وكلا منها﴾ أي: من ثمار الجنة وجه الخطاب إليهما إيذاناً بتساويهما في مباشرة المأمور به فإن حواء أسوة له في الأكل بخلاف السكنى فإنها تابعة له فيها ثم معنى الأمر بهذا والشغل به مع أنه اختصه واصطفاه وللخلافة أبداه أنه مخلوق والذي يليق بالخلق هو السكون بالخلق والقيام باستجلاب الحظ. ﴿رغدا﴾ أي: أكلاً واسعاً رافهاً بلا تقدير وتقتير ﴿حيث شئتما﴾ أي: مكان من الجنة شئتما وسع الأمر عليهما إزاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين أشجارها الفائتة للحصر. ﴿ولا تقربا﴾ بالأكل ولو كان النهي عن الدنو لضمت الراء ﴿هذه الشجرة﴾ الشجرة نصب على أنه بدل من اسم الإشارة أو نعت له بتأويلها بمشتق أي: هذه الحاضرة من الشجرة أي: لا تأكلا منها وإنما علق النهي بالقرآن منها مبالغة في تحريم الأكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها البر والسنبلة وهو الأشهر والأجمع والأنسب عند الصوفية لأن النوع الإنساني ظهر في دور السنبلة وعليها من كل لون وثمرها أحلى من العسل وألين من الزبد وأشد بياضاً من الثلج كل حبة من حنطتها مثل كلية البقرة وقد جعلها الله رزق أولاده في الدنيا ولذلك قيل تناول سنبلة فابتلى بحرث السنبلة أو المراد الكرم ولذلك حرمت علينا أو التين ولهذا ابتلاه الحق بلباس ورقها كما ابتلاه بثمرها وهو البلاء الحسن وقيل غير ذلك والأولى عدم تعيينها لعدم النص القاطع ﴿فتكونا من الظالمين﴾ مجزوم على أنه معطوف على تقربا أو منصوب على أنه جواب للنهي والمعنى على الأول لا يكن منكما قربان الشجرة وكونكما من الظالمين وعلى الثاني أن تقربا هذه الشجرة تكونا من الظالمين وأيًا ما كان فالقرب أي: الأكل منها سبب لكونهما من الظالمين أي: الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعصية أو نقصوا حظوظهم بمباشرة ما يخل بالكرامة والنعيم أو تعدوا حدود الله.

قال القرطبي: قال بعض أرباب المعاني في قوله ﴿ولا تقربا﴾ إشعار بالوقوع في الخطيئة والخروج من الجنة وأن سكناهما فيها لا يدوم لأن المخلد لا يحظر عليه شيء ولا يؤمر ولا ينهى والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] فدل على خروجه منها.

قال الشيخ نجم الدين قدس سره أن آدم خاطبه مولاه خطاب الابتلاء والامتحان والنهي نهي تعزز ودلال كأنه قال: يا آدم أبحت لك الجنة وما فيها إلا هذه الشجرة فإنها شجرة المحبة والمعرفة والمحبة مطية المحنة وأن منعه منها كان تحريضاً على تناولها فإن الإنسان حريص على ما منع فسكنت نفس آدم إلى حواء وإلى الجنة وما فيها إلا إلى الشجرة المنهي عنها لأنها كانت مشتهى القلب وكان للنفس فيها حظ ولا يزال يزداد توقانه إليها فيقصدها حتى تناول منها فظهر سر الخلافة والمحبة والمحنة والتحقق بمظاهر الجمال والجلال كالتواب والغفور والعفو والقهار والستار. والحاصل أنه لما علم الله تعالى أنه يأكل من الشجرة نهاه ليكون أكله عصياناً يوجب توبة ومحبة وطهارة من تلوث الذنب كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فأورثه ذلك النهي عن أكل الشجرة عصياناً بسبب النسيان ثم توبة بسبب العصيان ثم محبة بسبب التوبة ثم طهارة بسبب المحبة كما ورد في الخبر «إذا أحب الله عبداً لم

يضره الذنب» أي: حفظه من الذنب وإذا وقع فيه وفقه للتوبة والندامة وكل زلة عاقبتها التوبة والتشريف والاجتباء فقيل: هي زلة تنزيه واستحقاق آدم اللوم بالنهي التنزيهي من قبيل حسنات الأبرار سيئات المقربين. قال مرجع طريقتنا الجلوتية الشيخ الشهير بالهدائي قدس سره المراد بالدعوة إلى الجنة الدعوة إلى مقام الروح في وجود بني آدم كأنه قال لقلب الإنسان: يا آدم القلب اسكن أنت وزوجك وهي النفس الإنسانية في الروح بالطاعات والعبادات ﴿وكلا منها رغداً﴾ أي: كلا من المعارف الإلهية لأن الروح مقام المعرفة التي تحصل بسبب الطاعات والعبادات. ﴿حيث شئتما﴾ أي: عمل أحببتما من الخيرات والصالحات. ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ أي: شجرة المخالفة فإن هذا الخطاب لما كان يشمل عامة العباد إلى يوم القيامة لم ينحصر في آدم وحواء عليهما السلام فينبغي للمؤمن أن يترقى إلى الله تعالى بسبب الطاعات والعبادات ويجتنب عن المخالفات حتى لا يقع في المهالك والدركات، قال في «المثنوي»:

داروي مردي بخور اندر عمل تا شوى خورشيد كرم اندر حمل
جهدكن تانور تو رخشان شود تا سلوك وخدمتت آسان شود
تا جلا باشد مران آيينه را كه صفا زايد ز طاعت سينه را

﴿فأزلهما الشيطان عنها﴾ أي: أذهب آدم وحواء وأبعدهما عن الجنة يقال زال عني كذا إذا ذهب والإزلال والإزلاق والزلة بالفتح الخطأ وهو الزوال عن الصواب من غير قصد والمقصود حملهما على الزلة بطريق التسبب وهو بالوسوسة والغرور والدعاء. فإن قلت: إبليس كافر والكافر لا يدخل الجنة فكيف دخل هو؟ قلت: منع من الدخول على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء ﴿فأخرجهما مما كانا فيه﴾ من النعيم والكرامة ولم يقصد إبليس إخراج آدم من الجنة وإنما قصد إسقاطه من مرتبته وإبعاده كما أبعد فلم يبلغ مقصده قال الله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢] قال الشيخ صدر الدين قدس سره في «الفكوك» لما سمع آدم قول إبليس: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠] صدقه هو وزوجته. وهذه القضية تشتمل على أمرين مشكلين: لم أر أحداً تنبه لهما ولا أجابني أحد من أهل العلم الظاهر والباطن عنهما وهو أنه عليه السلام بعد سجود الملائكة له بأجمعهم ومشاهدة رجحانه عليهم بذلك وبعلم الأسماء والخلافة ووصية الحق له كيف أقدم على المخالفة وتسوف بقول إبليس إلا أن تكونا ملكين وكيف لم يعلم أيضاً أن من دخل الجنة المعرفة بلسان الشريعة لم يخرج منها وأن النشأة الجنانية لا تقبل الكون والفساد فهي لذاتها تقتضي الخلود وكأن هذه الحال تدل دلالة واضحة على أن الجنة التي كان فيها ليست الجنة التي عرضها السموات والأرض والتي أرضها الكرسي الذي هو الفلك الثامن وسقفها عرش الرحمٰن فإن تلك الجنة لا يخفى على من دخلها أنها ليست محل الكون والفساد ولا أن يكون نعيمها موقتاً ممكن الانقطاع فإن ذلك المقام يعطي بذاته معرفة ما تقتضيه حقيقته وهو عدم انقطاع نعيمها بموت أو غيره كما قال الله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] أي: غير منقطع ولامتناه فافهم فحال آدم وحواء في هذه القضية كحال بني إسرائيل الذين قال الله في حقهم: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١] الآية ولهذه المناسبة والمشاركة أردف الحق قصة آدم في سورة البقرة بقصة موسى وبني إسرائيل مع ما بينهما من طول المدة فراعى سبحانه في ذلك

المضاهاة في الفعل والحال دون الزمان لهذا من أسرار القرآن انتهى كلام الشيخ.

فإن قلت: ما الحكمة في أن الله تعالى لم يخلق الإنسان في الجنة ابتداء ولم ابتلاه بالخروج إلى الدنيا؟ قلت: تعظيم النعم على العباد واجب فلو لم يخلقوا في الدنيا ابتداء ما عرفوا قدر الجنة وقيل: ليكونوا في الجنة على الجزاء لا على الابتداء وليأمنوا الزوال وقيل: خلقنا في الدنيا ليميز الله الخبيث من الطيب والمطيع من المخالف لاقتضاء الصفات الجلالية لأن الجنان ليست من مظاهر الجلال ولو خلقنا وبقينا في الجنة لما ظهر فينا صفات الجلال كما لم تظهر في الملك فالحكمة الإلَهية اقتضت خلق الإنسان في الدنيا وظهور المخالفة منه ليظهر فيه الرحمة والغفران فلو بقي آدم في الجنة لفاته نصف الكمال الذي هو التجليات القهرية فخرج ليتحقق بمظاهر أسماء الجمال والجلال ثم يرد إلى عالم الجنان كاملاً مكملاً بأنواع الفضائل والكمالات والمقصود أيضاً كما سبق تميز الخبيث من الطيب وقد قدر الله تعالى أن يخرج من صلبه سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وإخوانه من الأنبياء والأولياء والمؤمنين وخمر طينته بتراب كل مؤمن وعدو فأخرجه إلى الدنيا ليخرج من ظهره الذين لا نصيب لهم في الجنة.

قال الشيخ الكامل المكمل علي رده في هامش «كشف الكنوز وحل الرموز» وهو كتاب فريد في فنه وجدت تذكرة السؤال من بعض الملاحدة على كرسي سيدي ابن نور الدين في مجلس وعظ بجامع أيا صوفية من كلام خواجه حافظ شيرازي:

من ملك بودم وفردوس برين جايم بود آدم آورد دريـــن ديـــر خـــراب آبـــادم

فأجاب الشيخ بديهة وفهم مراد الملحد عن السؤال فقال: أنت أخرجت آدم من الجنة حيث هجت في صلبه باستعداد الفساد والإلحاد ولو لم يخرج أبونا آدم لبقيت الملاحدة والفجرة في الجنة فاقتضت غيرة الحق خروجه. وسئل أبو مدين قدس سره عن خروج آدم من الجنة على وجه الأرض ولم تعدى في أكل الشجرة بعد النهي فقال: لو كان أبونا يعلم أنه يخرج من صلبه مثل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لصار يأكل عرق الشجرة فكيف ثمرها ليسارع في الخروج على وجه الأرض ليظهر الكمال المحمدي والجمال الأحمدي. وسأل خليل الرحمٰن صلوات الله على نبينا وعليه فقال: يا رب لِمَ أخرجت آدم؟ فقال: أما علمت أن جفاء الحبيب شديد. وقال مرجع طريقتنا الجلوتية الشيخ الشهير بافتاده أفندي سر خروج آدم من الجنة أنه رأى مرتبة من مراتب التوحيد أعلى من مرتبته التي هو فيها فسألها من الله تعالى؟ فقيل له: لا تصل إليها إلا بالبكاء فأحب آدم أن يبكي فقيل: إن الجنة ليست موضع البكاء بل هي موضع السرور فطلب أن ينزل إلى الدنيا فكون ما صدر عنه ذنباً بالنسبة إليه باعتبار قصور مرتبته عن المرتبة المطلوبة على نهج حسنات الأبرار سيئات المقربين كذا في «واقعات الهدائي».

قال الشيخ نجم الدين قدس سره: والإشارة أن آدم عليه السلام أصبح محمود العناية مسجود الملائكة متوجاً بتاج الكرامة ملبساً بلباس السعادة في وسطه نطاق القربة وفي جيده طوق الزلفة لا حد فوقه في الرتبة ولا شخص معه في الرتبة يتوالى عليه النداء كل لحظة يا آدم فلما جاء القضاء ضاق الفضاء، قال في «المثنوي»:

چـون قـضـا آيـد شـود دانـش بـخـواب مـه سـيـه كـردد بـكـيـرد آفـتـاب

فلم يمس حتى نزع لباسه وسلب استئناسه تدفعه الملائكة بعنف أن أخرج بغير مكث ولا بحث ﴿فأزلهما﴾ يد التقدير بحسن التدبير ﴿الشيطان عنها﴾ أي: عن تلك العزة والقرابة وكان الشيطان المسكين في هذا الأمر كذئب يوسف لما أخذ بالجناية ولطخ فمه بدم كذب وإخوته قد ألقوه في غيابة الجب فأخذ الشيطان لعدم العناية ولطخ خرطومه بدم نصح كذب ﴿فأخرجهما مما كانا فيه﴾ من السلامة إلى الملامة ومن الفرح إلى الترح ومن النعمة إلى النقمة ومن المحبة إلى المحنة ومن القربة إلى الغربة ومن الإلفة إلى الكلفة ومن الوصلة إلى الفرقة وكان قبل أكل الشجرة مستأنساً بكل شيء ومؤانساً مع كل أحد ولذلك سمي إنساناً فلما ذاق شجرة المحبة استوحش من كل شيء واتخذ كل أحد عدواً وهكذا شرط صحة المحبة عداوة ما سوى المحبوب فكما أن ذات المحبوب لا يقبل الشركة في التعبد كذا لا يقبل الشركة في المحبة ولهذا قال: ﴿اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ وكذا كان حال الخليل في البداية يتعلق بالكوكب والقمر والشمس ويقول: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦] فلما ذاق شجرة الخلة قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨] ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧﴾ [الشعراء: ٧٧] ﴿وقلنا اهبطوا﴾ خطاب لآدم وحواء وجمع الضمير لأنهما أصلاً الجنس فكأنهما الجنس كله. وقيل هو لخمسة وخامسهم الطاووس وهذا الأمر وإن انتظمهم في كلمة فما كان هبوطهم جملة بل هبطا إبليس حين لعن وهبوط آدم وحواء كان بعده بكثير إلا أن يحمل على أن إبليس أخرج منها ثانياً بعدما كان يدخلها للوسوسة ودلت كلمة اهبطوا على أنهما كانا في جنة الخلد حيث أمرا بالانحدار وهو النزول من علو إلى سفل وقد سبق في الآيات السابقة ما سبق.

قال القرطبي في «تفسيره»: أن الصحيح في إهباطه وسكناه في الأرض ما قد ظهر من الحكمة الأزلية في ذلك وهي نشر نسله فيها ليكلفهم ويمتحنهم ويرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الأخروي إذ الجنة والنار ليستا بدار تكليف فكانت تلك الأكلة سبب إهباطهما من الجنة فأخرجهما لأنهما خلقا منها وليكون آدم خليفة الله في الأرض ولله أن يفعل ما يشاء وقد قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ [البقرة: ٣٠] وهذه منقبة عظيمة وفضيلة كريمة شريفة انتهى كلام القرطبي.

فهبوطه من الجنة هبوط التشريف والامتحان والتمييز بين قبضتي السعادة والشقاوة لأن ذلك من مقتضيات الخلافة الإلٓهية على ما في «كشف الكنوز». وأكثر المفسرين على أن المعنى انزلوا استخفافاً بكم لكن القول ما قالت حذام. قال المولى الشهير بابن الكمال في «رسالة القضاء والقدر» عتاب آدم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [الأعراف: ٢٢] عتاب تلطيف لا عتاب تعنيف وتعذيب وتنزيله من السماء إلى الأرض بقوله: ﴿اهبطوا منها جميعاً﴾ تكميل وتبعيد تقريب كما في قول الشاعر:

سأطلب بُعْدَ الدار عنكم لتقربوا

﴿بعضكم لبعض عدو﴾ حال استغنى فيها عن الواو بالضمير أي: متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله والعدو يصلح للواحد والجمع ولهذا لم يقل أعداء فإبليس عدو لهما وهما عدو لإبليس والحية عدو لبني آدم وهم عدوها هي تلسعهم وهم يدمغونها وإبليس يفتنهم وهم يلعنونه وكذا العداوة بين ذرية آدم وحواء بالتحاسد في الدنيا والاختلاف في الدين والعداوة مع

إبليس دينية فلا ترتفع ما بقي الدين والعداوة مع الحية طبيعية فلا ترتفع ما بقي الطبع ثم هذه عداوة تأكدت بيننا وبينهم لكن حزباً يكون الله معهم كان الظفر لهم ثم قوله ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ إخبار عن كونه أي: التعادي لا أمر بتحصيله ولما قال بعضكم لبعض عدو قال آدم الحمد لله حيث لم يقل أنا لكم عدو والعدو هو المجاوز حده في مكروه صاحبه. ﴿ولكم في الأرض مستقر﴾ أي: موضع قرار على وجهها أو في القبور. ثم المستقر ثلاثة: رحم الأم قال تعالى: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام: ٩٨] أودع في صلب الأب واستقر في رحم الأم، والثاني: الدنيا، قال تعالى: ﴿ولكم في الأرض مستقر﴾ والثالث: العقبى، أما في الجنة قال تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤] وأما في النار، قال تعالى: ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٦٦] الآية ﴿ومتاع﴾ أي: تمتع بالعيش وانتفاع به ﴿إلى حين﴾ إلى آخر أعماركم وهو حين الموت أو إلى القيامة. قال بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿إلى حين﴾ فائدة لآدم عليه السلام ليعلم إنه غير باق فيها ومنتقل إلى الجنة التي وعد بالرجوع إليها وهي لغير آدم دالة على المعاد فحسب ولما هبطوا وقع آدم بأرض الهند على جبل سرنديب ولذلك طابت رائحة أشجار تلك الأودية لما معه من ريح الجنة وكان السحاب يمسح رأسه فأصلع فأورث أولاده الصلع ووقعت حواء بجدة وبينهما سبعمائة فرسخ والطاووس بمرج الهند والحية بسجستان أو بأصفهان وإبليس بسد يأجوج ومأجوج وسجستان أكثر بلاد الله حيات ولولا العربد تأكلها وتفنى كثيراً منه لأخليت سجستان من أجل الحيات وكانوا في أحسن حال فابتلى آدم بالحرث والكسب وحواء بالحيض والحبل والطلق ونقصان العقل والميراث وجعل الله قوائم الحية في جوفها وجعل قوتها التراب وقبح رجلي الطاووس وجعل إبليس بأقبح صورة وأفضح حالة وكان مكث آدم وحواء في الجنة من وقت الظهر إلى وقت العصر من يوم من أيام الآخرة وكل يوم من أيامها كألف سنة من أيام الدنيا. يذكر أن الحية كانت خادم آدم عليه السلام في الجنة فخانته بأن مكنت عدوه من نفسها وأظهرت العداوة له هناك فلما أهبطوا تأكدت العداوة فقيل لها: أنت عدو بني آدم وهم أعداؤك وحيث لقيك منهم أحد شدخ رأسك قال عليه السلام: «اقتلوا الحيات واقتلوا ذات الطفيتين والأبتر فإنهما يخطفان البصر ويسقطان الحبل» فخصهما بالذكر مع أنهما داخلان في العموم ونبه على ذلك لسبب عظيم ضررهما وما لم يتحقق ضرره فما كان منها في غير البيوت قتل أيضاً لظاهر الأمر العام وما كان في البيوت لا يقتل حتى يؤذن ثلاثة أيام لقوله ﷺ: «إن بالمدينة جناً قد أسلموا فإذا رأيتم منها شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام» قال ابن الملك في «شرح المشارق» والجن لكونه جسماً لطيفاً يتشكل بشكل الحيات والجان من الحيات التي نهى عن قتلها وهي حية بيضاء صغيرة تمشي ولا تلتوي. والصحيح أن النهي عن قتل الحيات ليس مختصاً بالمدينة بل ينهى عن قتل حيات البيوت في جميع البلاد لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] الآية والأبتر وذات الطفيتين تقتلان من غير إيذان سواء كانتا من حيات المدينة أم لا وإذا رأى أحد شيئاً من الحيات في المساكن يقول: أنشدكم بالعهد الذي أخذه عليكم نوح عليه السلام وأنشدكم بالعهد الذي أخذه عليكم سليمان عليه السلام أن لا تؤذونا فإذا رأى منها شيئاً بعد فليقتله ومن خاف من مضرة الحية والعقرب فليقرأ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٠﴾ [الصافات: ٧٩ ـ ٨٠] فإنه يسلم بإذن الله تعالى.

واعلم أن ما كان من الحيوان أصله الأذية فإنه يقتل ابتداء لأجل أذيته من غير خلاف كالحية والعقرب والفأر والوزغ وشبهها. وفي «حواشي الخبازي» على «الهداية» قتل الحيوان إما لدفع المضرة أو لجلب المنفعة. قال الفقير جامع هذه المجالس الأنيقة يدخل فيه قتل نحلة العسل ودود القز ونحوهما إذا لم يمكن جلب منفعتها بدون القتل فالحية أبدت جوهرها الخبيث حيث خانت آدم بأن أدخلت إبليس بين فكيها ولو كانت تنذره ما تركها تدخل به وقال إبليس: أنت في ذمتي فأمر ﷺ بقتلها وقال: «اقتلوها وإن كنتم في الصلاة» يعني الحية والعقرب، والوزغة نفخت على نار إبراهيم عليه السلام من بين سائر الدواب فلعنت وفي الحديث «من قتل وزغة فكأنما قتل كافراً» والوزغة من ذوات السموم وتفسد الطعام خصوصاً الملح وإذا لم تجد طريقاً إلى إفساده ارتقت السقف وألقت خرءها فيه من موضع يحاذيه فجبلتها على الخبث والإفساد. والفأرة أبدت جوهرها بأن عمدت إلى حبال سفينة نوح عليه السلام فقطعتها. والغراب أبدى جوهره حيث بعثه نبي الله نوح عليه السلام من السفينة ليأتيه بخبر الأرض فأقبل على جيفة ونزل وكذا الحدأة والسبع العادي والكلب العقور كله في معنى الحية والأمر بقتل المضر من باب الإرشاد إلى دفع المضرة، قال السعدي قدس سره:

سنك بر دست ومار بر سر سنك   خيره رأيي بود قياس ودرنك

وقال أيضاً:

ترحم بر پلنك تيز دندان   ستمكاري بود بر كو سفندان

وفي «التأويلات النجمية»: أنه لما استقرت حبة المحبة كالبذر في قلب آدم جعل الله شخص آدم مستقر قلبه وجعل الأرض مستقر شخصه وقال: ﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ أي: التمتع والانتفاع لبذر المحبة بماء الطاعة والعبودية إلى حين إدراك ثمرة المعرفة كقوله تعالى: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥] وعلى التحقيق ما كانت ثمرة شجرة المخلوقات إلا المعرفة لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] أي: ليعرفون وثمرة المعرفة وإن ظهرت على أغصان العبادة ولكن لا تنبت إلا من حبة المحبة كما أخبر النبي عليه السلام: «أن داود عليه السلام قال: يا رب لماذا خلقت الخلق؟ قال: كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف» فثبت أن بذر المعرفة هو المحبة، قال في «المثنوي»:

آفتاب معرفت را نقل نيست   مشرق أو غير جان وعقل نيست

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ الفاء للدلالة على أن التوبة حصلت عقيب الأمر بالهبوط قبل تحقق المأمور به ومن ثمة قال القرطبي إن آدم تاب ثم هبط وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿اهبطوا﴾ ثانياً ومنه يعرف أن الأمر بالهبوط ليس للاستخفاف ومشوباً بنوع سخط إذ لا سخط بعد التوبة فآدم أهبط بعد أن تاب الله عليه ومعنى تلقى الكلمات استقبالها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها فإن قلت ما هن؟ قلت قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] الآية، قال الحافظ:

زاهد غرور داشت سلامت ببرد راه   رندا زره نياز بدار السلام رفت

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن أحب الكلام إلى الله تعالى ما قال أبونا آدم حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» وعن النبي ﷺ: «أن آدم قال بحق محمد أن تغفر لي قال: وكيف عرفت محمداً قال: لما خلقتني ونفخت في الروح فتحت عيني فرأيت على ساق العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه أكرم الخلق عليك حتى قرنت اسمه باسمك فقال: نعم وغفر له بشفاعته» أو الكلمات هي قول آدم عند هبوطه من الجنة يا رب ألم تخلقني بيدك من غير واسطة؟ قال: بلى قال: يا رب ألم تسكني جنتك؟ قال: بلى قال: يا رب ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلى قال: يا رب أرأيت إن أصلحت ورجعت وتبت أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: نعم فالكلمات هي العهود الإنسانية والمواثيق الآدمية والمناجاة الربانية من الخليفة إلى حضرة الحق تعالى فتاب آدم إلى الله بالرجوع عن المعصية والاعتراف بذنبه والاعتذار لخطئه وسهوه. ﴿فتاب عليه﴾ أي: فرجع الرب عليه بالرحمة وقبول التوبة وأصل التوب الرجوع فإذا وصف به العبد كان رجوعاً عن المعصية إلى الطاعة وإذا وصف به الباري تعالى أريد به الرجوع عن العقوبة إلى المغفرة والفاء للدلالة على ترتبه على تلقي الكلمات المتضمن لمعنى التوبة. وتمام التوبة من العبد بالندم على ما كان وبترك الذنب الآن وبالعزم على أن لا يعود إليه في مستأنف الزمان وبرد مظالم العباد وبإرضاء الخصم بإيصال حقه إليه باليد والاعتذار منه باللسان واكتفى بذكر آدم عليه السلام لأن حواء كانت تابعة له في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنن ﴿إنه هو التواب﴾ الرجاع على عباده بالمغفرة أو الذي يكثر إعانتهم على التوبة ﴿الرحيم﴾ المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالإحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى: ﴿فتاب عليه﴾ قال في «المثنوي»:

مركب توبه عجائب مر كبست | بر فلك تازد بيك لحظه زپست
چون برارند ازپشماني حنين | عرش لرزد از انين المذنبين

قال ابن عباس رضي الله عنهما: بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً ولم يقرب آدم حواء مائة سنة. وقال شهر بن حوشب: بلغني أن آدم لما هبط إلى الأرض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى قالوا: لو أن دموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع داود أكثر حيث أصاب الخطيئة ولو أن دموع داود ودموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة، قال في «المثنوي»:

چون خدا خواهد كه مان ياري كند | ميل مارا جانب زاري كند
أي خنك چشمي كه آن كريان أوست | وي هما يون دل كه آن بريان اوست
آخر هر كريه آخر خنده ايست | مرد آخر بين مبارك بنده ايست
باش چون دولاب نالان جشم تر | تا زصحن جان بر رويد خضر

فإذا كان حال من اقترف خطيئة دون صغيرة هذا فكيف حال من انغمس في بحر العصيان والتوبة بمنزلة الصابون فكما أن الصابون يزيل الأوساخ الظاهرة فكذا التوبة تزيل الأوساخ الباطنة العبد إذا رجع عن السيئة وأصلح عمله أصلح الله شأنه وأعاد عليه نعمته الفائتة. عن ابن أدهم بلغني أن رجلاً من بني إسرائيل ذبح عجلاً بين يدي أمه فيبست يده فبينما هو جالس إذ

سقط فرخ من وكره وهو يتبصبص فأخذه ورده إلى وكره فرحمه الله لذلك ورد عليه يده بما صنع ولا ريب أن العمل الصالح يمحو الخطيئات.

وفي «التأويلات النجمية»: أن أول نبت أنبتته أمطار الإلهامات الربانية من حبة المحبة في قلب آدم وطينة الإنسانية كان نبات ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] لأنه أبصر بنور الإيمان أنه ظالم لنفسه إذ أكل حبة المحبة ووقع في شبكة المحنة والمذلة وإن لم يعنه ربه بمغفرته ويقه برحمته لم يتخلص من حضيض بشريته الذي أهبط إليه ويخسر رأس مال استعداد السعادة الأزلية ولم يمكنه الرجوع إلى ذروة مقام القربة فاستغاث إلى ربه وقال: ربنا مضطراً وكانت الحكمة في إبعاده بالهبوط هذا الاضطرار والدعاء فإنه يجب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء فبسابقه العناية أخذ بيده وأفاض عليه سجال رحمته ﴿فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ للتائبين فأخرج من نبات الكلمات شجرة الاجتباء وأظهر على دوحتها زهرة التوبة وأثمر منها ثمرة الهداية وهي المعرفة كما قال: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١٢٢].

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿قلنا﴾ استئناف مبني على سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا وقع بعد قبول توبته فقيل قلنا: ﴿اهبطوا منها﴾ أي: من الجنة ﴿جميعاً﴾ نصب على الحال من ضمير الجمع تأكيد في المعنى للجماعة من آدم وحواء وإبليس والحية والطاووس كأنه قيل اهبطوا أنتم أجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد وكرر الأمر بالهبوط إيذاناً بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعاً لما عسى يقع في أمنيته عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك ولأن الأول دل على أن هبوطهم إلى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني أشعر بأنهم أهبطوا للتكليف فاختلف المقصود وكان يصح لو قرن المعنيان بذكر الهبوط مرة لكن اعترض بينهما كلام وهو تلقيه الكلمات ونيله قبول التوبة فأعاد الأول ليتصل المعنى الثاني به وهو الابتلاء بالعبادة والثواب على الطاعة والعقاب على المعصية. قال في «الإرشاد»: والثاني مقرون بوعد إيتاء الهدى المؤدي إلى النجاة وما فيه من وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصداً أولياً بل إنما هو دائر على سوء اختيار المكلفين. ثم إن في الآية دليلاً على أن المعصية تزيل النعمة عن صاحبها لأن آدم قد أخرج من الجنة بمعصية واحدة وهذا كما قال القائل:

إذا تم أمر دنا نقصه ... توقع زوالاً إذا قيل تم
إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١٢] ﴿فإما يأتينكم مني﴾ أي: أن يأتينكم والفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم من الأمر به ﴿هدى﴾ أي: رشد وبيان شريعة برسول أبعثه إليكم وكتاب أنزله عليكم والخطاب في قوله يأتينكم لآدم والمراد ذريته وإبليس وذريته لم يأتهم كتاب ولا رسول ولا يكون منهم اتباع وجواب الشرط هو الشرط الثاني مع جوابه وهو قوله تعالى: ﴿فمن تبع هداي﴾ أي: اقتدى بشريعتي وكرر لفظ

الهدى ولم يضمر بأن يقال فمن تبعه لأنه أراد بالثاني أعم من الأول وهو ما أتى به الرسل من الاعتقاديات والعمليات واقتضاه العقل أي: فمن تبع ما أتاه من قبل الشرع مراعياً فيه ما يشهد به العقل من الأدلة الآفاقية والأنفسية ﴿فلا خوف عليهم﴾ في الدارين من لحوق مكروه ﴿ولا هم يحزنون﴾ من فوات مطلوب فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع أي: لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا أنه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا أنه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن أصلاً بل يستمرون على السرور والنشاط كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاماً لجلال الله وهيبته واستقصاراً للجد والسعي في إقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩)﴾

﴿والذين كفروا﴾ عطف على من تبع الخ قسيم له كأنه قيل ومن لم يتبعه الخ وإنما أوثر عليه ما ذكر تفظيعاً لحال الضلالة وإظهاراً لكمال قبحها وإيراد الموصول بصيغة الجمع للإشعار بكثرة الكفرة أي: والذين كفروا برسلنا المرسلة إليهم ﴿وكذبوا بآياتنا﴾ المنزلة عليهم أو كفروا بالآيات جناناً وكذبوا بها لساناً ﴿أولئك﴾ إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب ﴿أصحاب النار﴾ ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها. وفي الصحبة معنى الوصلة فسموا أصحابها لاتصالهم بها وبقائهم فيها فكأنهم ملكوها فصاروا أصحابها ﴿هم فيها﴾ أي: في النار ﴿خالدون﴾ دائمون والجملة في حيز النصب على الحالية ففي هاتين الآيتين دلالة على أن الجنة في جهة عالية دل عليه قوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُواْ مِنْهَا﴾ [البقرة: ٣٢] وأن متبع الهدى مأمون العاقبة لقوله تعالى: ﴿فلا خوف﴾ الخ وأن عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وأن غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى: ﴿هم فيها خالدون﴾ فإنه يفيد الحصر. واعلم أن الشرف في اتباع الهدى كما قيل:

سك أصحاب كهف روزي چند ... بي نيكان كرفت مردم شد

فالمؤمن بين أن يطيع الله فيثيبه بالنعيم وبين أن يعصيه فيعاقبه بالجحيم ومن العجب أن الجمادات وغير المكلفين من العباد يخافون عذاب الله ويقومون بحقوق الله ولا يخافه المكلفون كما روي عن مالك بن دينار رحمه الله أنه مر يوماً على صبي وهو يلعب بالتراب يضحك تارة ويبكي أخرى قال: فهممت أن أسلم عليه فامتنعت نفسي تكبراً فقلت: يا نفس كان النبي ﷺ يسلم على الصغار والكبار فسلمت عليه فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا مالك بن دينار فقلت: من أين عرفتني ولم تكن رأيتني فقال: حيث التقت روحي بروحك في عالم الملكوت عرف بيني وبينك الحي الذي لا يموت فقلت: ما الفرق بين العقل والنفس قال: نفسك التي منعتك عن السلام وعقلك الذي بعثك عليه فقلت: ما بالك تلعب بهذا التراب فقال: لأنا منه خلقنا وإليه نعود فقلت: أراك تضحك تارة وتبكي أخرى قال: نعم إذا ذكرت عذاب ربي بكيت وإذا ذكرت رحمته ضحكت فقلت: يا ولدي أي: ذنب لك حتى تبكي؟ فقال: يا مالك لا تقل هذا فإني رأيت أمي لا توقد الحطب الكبار إلا ومعه الحطب الصغار، قال في «المثنوي»:

طفل يك روزه همي داند طريق ... كه بكيرم تارسد دايه شفيق

تو نمي داني كه دايه دايكان كم دهد بي كريه شير او رايكان
كفت فليبكوا كثيراً كوش دار تا بريزد شير فضل كردكار

والإشارة في تحقيق الآيتين أن الله تعالى لما ابتلى آدم بالهبوط إلى الأرض بشره بأن إلهامه ووحيه لا ينقطع عنه ولا ينقطع عن ذريته هداه بواسطة أنبيائه ووحيه وإنزال كتبه فإما يأتينكم مني هدى فمن أتاه منهم هدى من إلهامي ووحيي ورسولي وكتابي فمن تبع هداي كما تبعه آدم بالتوبة والنوح والبكاء والاستغفار وتربية بذر المحبة بالطاعة والعبودية حتى تثمر التوحيد والمعرفة فلا خوف عليهم في المستقبل من وبال إفساد بذر المحبة من طينة الصفات الحيوانية والسبعية وإبطال استعداد السعادة الأبدية باستيفاء التمتعات الدنيوية ولا هم يحزنون على هبوطهم إلى الأرض لتربية بذر المحبة إذ هم رجعوا بتبع الهداية وجذبات العناية إلى أعلى ذروة حظائر القدس كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾ [العلق: ٨] ثم ذكر من كفر بهداه وجعل النار مثواه فقال: ﴿والذين كفروا﴾ أي: ستروا بذر المحبة بتعلقات الشهوات النفسانية وظلموا على أنفسهم بتكذيب الآيات البينات من الجهالة الإنسانية حتى أفسدوا الاستعداد الفطري وكذبوا بآياتنا أي: معجزات أنبيائنا وكتبنا وما أنزلنا على الأنبياء بالوحي والإلهام والرشد في تربية بذر المحبة وتثمير الشجرة الإنسانية بثمار التوحيد والمعرفة والبلوغ إلى درجات القربات ونعيم الجنات والغرفات أولئك أصحاب النار نار جهنم ونار القطيعة ﴿هم فيها خالدون﴾ لأنهم خلدوا في أرض الطبيعة واتبعوا أهواءهم فما نبت بذر محبتهم بماء الشريعة فبقوا بإفساد استعدادهم في دركات الجحيم وخسران النعيم خالدين مخلدين.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١﴾

﴿يا بني إسرائيل﴾ البنون اسم للذكور والإناث إذا اجتمعوا وإسرائيل اسم يعقوب عليه السلام ومعناه عبد الله لأن إسرا بلغة العبرانية وهي لغة اليهود بمعنى العبد وإيل هو الله أي: يا أولاد يعقوب والخطاب لليهود المعاصرين للنبي ﷺ الذين كانوا حوالي المدينة من بني قريظة والنضير وكانوا من أولاد يعقوب وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير لما أنهم أوفر الناس نعمة وأكثرهم كفراً بها ﴿اذكروا نعمتي﴾ الذكر بضم الذال بالقلب خاصة بمعنى الحفظ الذي يضاد النسيان والذكر بكسر الذال يقع على الذكر باللسان والذكر بالقلب يكون أمراً بشكر النعمة باللسان وحفظها بالجنان أي: احفظوا بالجنان واشكروا باللسان نعمتي لأن النعمة اسم جنس بمعنى الجمع قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [النحل: ١٨] ﴿التي أنعمت﴾ بها ﴿عليكم﴾ وفيه إشعار بأنهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لا أنهم أهملوا شكرها فقط وتقييد النعمة بكونها عليهم لأن الإنسان غيور حسود بالطبع فإذا نظر إلى ما أنعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط ولذا قيل لا تنظر إلى من هو فوقك في الدنيا لئلا تزدري بنعمة الله عليك فإن من نظر إلى ما أنعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضى والشكر. قال أرباب المعاني ربط سبحانه وتعالى بني إسرائيل بذكر النعمة وأسقطه عن أمة محمد ﷺ ودعاهم إلى ذكره فقال: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢] ليكون نظر الأمم من النعمة

إلى المنعم ونظر أمة محمد من المنعم إلى النعمة والنعمة ما لم يحجبك عن المنعم ﴿وأوفوا﴾ أتموا ولا تتركوا ﴿بعهدي﴾ الذي قبلتم يوم الميثاق وهو عام في جميع أوامره من الإيمان والطاعة ونواهيه ووصاياه فيدخل في ذلك ما عهده تعالى إليهم في التوراة من اتباع محمد ﷺ والعهد حفظ الشيء ومراعاته حالاً فحالاً والمراد منه الموثق والوصية والعهد هنا مضاف إلى الفاعل ﴿أوف بعهدكم﴾ أتمم جزاءكم بحسن الإثابة والقبول ودخول الجنة والعهد يضاف إلى المعاهد والمعاهد وهو هنا مضاف إلى المفعول فإن الله عهد إليهم بالإيمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وإرسال الرسل وإنزال الكتب ووعد لهم بالثواب على حسناتهم وأول مراتب الوفاء منا هو الإتيان بكلمتي الشهادة ومن الله حقن المال والدم وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث تغفل عن أنفسنا فضلاً عن غيرنا ومن الله الفوز باللقاء الدائم كما قال القشيري ﴿أوفوا بعهدي﴾ في دار الحجبة ﴿أوف بعهدكم﴾ في دار القربة على بساط الوصلة بإدامة الأنس والرؤية وأوفوا بعهدي بقولكم أبداً ربي ربي أوف بعهدكم بجوابكم أبداً عبدي عبدي ﴿وإياي﴾ نصب بمحذوف تقديره وإياي ارهبوا ﴿فارهبون﴾ فيما تأتون وتذرون وخصوصاً في نقض العهد لا بارهبون لأن ارهبون قد أخذ مفعوله والأصل ارهبوني لكن حذفت الياء تخفيفاً لموافقة رؤوس الآي والفاء الجزائية دالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل إن كنتم راهبين شيئاً فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد لقوله ﴿أوف﴾ والوعيد لقوله: ﴿وإياي فارهبون﴾ دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وأن المؤمن ينبغي أن لا يخاف أحداً إلا الله للحصر المستفاد من تقديم إياي ﴿وآمنوا﴾ يا بني إسرائيل ﴿بما أنزلت﴾ إفراد الإيمان بالقرآن بالأمر به بعد اندراجه تحت العهد لما أنه العمدة القصوى في شأن الوفاء بالعهد أي: صدقوا بهذا القرآن الذي أنزله على محمد ﴿مصدقاً لما معكم﴾ أي: حال كون القرآن مصدقاً للتوراة لأنه نازل حسبما نعت فيها وتقييد المنزل بكونه مصدقاً لما معهم لتأكيد وجوب الامتثال بالأمر فإن إيمانهم بما معهم مما يقتضي الإيمان بما يصدقه قطعاً ﴿ولا تكونوا أول﴾ فريق ﴿كافر به﴾ أي: بالقرآن فإن وزر المقتدي يكون على المبتدي كما يكون على المقتدي، قال في «المثنوي»:

هر كه بنهد سنت بد اي فتا تادر افتد بعد أو خلق ازعما
جمع كردد بروي آن جمله بزه كوسري بودست وايشان دم غزه

أي: لا تسارعوا إلى الكفر به فإن وظيفتكم أن تكونوا أول من آمن به لما أنكم تعرفون شأنه وحقيقته بطريق التلقي مما معكم من الكتب الإلهية كما تعرفون أبناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم صدوره عنكم من كونكم أول كافر به. ودلت الآية على أنه عليه الصلاة والسلام قدم المدينة فكذبه يهود المدينة ثم بنو قريظة وبنو النضير ثم خيبر ثم تتابعت على ذلك سائر اليهود ﴿ولا تشتروا بآياتي﴾ أي: لا تأخذوا لأنفسكم بدلاً منها. ﴿ثمناً قليلاً﴾ هي الحظوظ الدنيوية فإنها وإن جلت قليلة مسترذلة بالنسبة إلى ما فات عنهم من حظوظ الآخرة بترك الإيمان. قيل: كانت عامتهم يعطون أحبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون إليهم الهدايا ويعطونهم الرشى على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يجرون عليهم الأموال ليكتموا ويحرفوا فلما كان لهم رياسة عندهم ومآكل منهم خافوا أن يذهب ذلك منهم أي: من

الأحبار لو آمنوا بمحمد واتبعوه وهم عارفون صفته وصدقه فلم يزالوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويغيرون نعت محمد ﷺ كما حكي أن كعب بن الأشرف قال لأحبار اليهود ما تقولون في محمد؟ قالوا: إنه نبي قال لهم: كان لكم عندي صلة وعطية لو قلتم غير هذا قالوا: أجبناك من غير تفكر فأمهلنا نتفكر وننظر في التوراة فخرجوا وبدلوا نعت المصطفى بنعت الدجال ثم رجعوا وقالوا ذلك فأعطى كل واحد منهم صاعاً من شعير وأربعة أذرع من الكرباس فهو القليل الذي ذكره الله في هذه الآية الكريمة، قال في «المثنوي»:

بـود در انـجـيـل نـام مـصـطـفـا آن سـر بـيـغـمـبـران بـحـر صـفـا
بـود ذكـر حـلـيـهـا وشـكـل أو بـود ذكـر غـزو وصـوم وأكـل أو

﴿وإياي فاتقون﴾ بالإيمان واتباع الحق والإعراض عن حطام الدنيا وأعاده لأن معنى الأول اخشوا في نقض العهد وهذا معناه في كتمان نعت محمد أو لأن الخطاب بالآية الأولى لما عم العالم والمقلد أمرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك وبالثانية لما خص أهل العلم أمرهم بالتقوى الذي هو منتهاه.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾ عطف على ما قبله واللبس بالفتح الخلط أي: لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما أو لا تجعلوا الحق ملتبساً بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله أو تذكرونه في تأويله ﴿و﴾ لا ﴿تكتموا الحق﴾ بإضمار لا أو نصب بإضمار أن على أن الواو للجمع أي: لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه فقوله: ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾ هو نهي عن التغيير وقوله ﴿وتكتموا الحق﴾ هو نهي عن الكتمان لأنهم كانوا يقولون لا نجد في التوراة صفة محمد ﷺ فاللبس غير الكتمان ﴿وأنتم تعلمون﴾ أي حال كونكم عالمين بأنكم لابسون كاتمون أو وأنتم تعلمون أنه حق نبي مرسل وليس إيراد الحال لتقييد المنتهى به بل لزيادة تقبيح حالهم إذ الجاهل قد يعذر.

وفي «التيسير»: يجوز صرف الخطاب إلى المسلمين وإلى كل صنف منهم وبيانه أيها السلاطين لا تخلطوا العدل بالجور وأيها القضاة لا تخلطوا الحكم بالرشوة وكذا كل فريق. فهذه الآية وإن كانت خاصة ببني إسرائيل فهي تتناول من فعل فعلهم فمن أخذ رشوة على تغيير حق وإبطاله أو امتنع من تعليم ما وجب عليه أو أداء ما علمه وقد تعين عليه حتى يأخذ عليه أجراً فقد دخل في مقتضى الآية قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «من تعلم علماً لا يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» أي: ريحها فمن رهب وصاحب التقوى لا يأخذ على علمه عوضاً ولا على وصيته ونصيحته صفداً بل يبين الحق ويصدع به ولا يلحقه في ذلك خوف ولا فزع قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «لا يمنعن أحدكم هيبة أحد أن يقول أو يقوم بالحق حيث كان» وفي التنزيل: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] ـ حكي ـ أن سليمان بن عبد الملك مر بالمدينة وهو يريد مكة فأقام بها أياماً فقال: هل بالمدينة أحد أدرك أحداً من أصحاب النبي ﷺ قالوا له أبو حازم فأرسل إليه فلما دخل عليه قال له: يا أبا حازم ما هذا الجفاء؟ قال له أبو

حازم: يا أمير المؤمنين وأي جفاء رأيت مني؟ قال: أتاني وجوه أهل المدينة ولم تأتني قال: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن ما عرفتني قبل هذا اليوم ولا أنا رأيتك قال: فالتفت إلى محمد بن شهاب الزهري فقال: أصاب الشيخ وأخطأت قال سليمان: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت فقال: لأنكم خربتم الآخرة وعمرتم الدنيا فكرهتم أن تنقلوا من العمران إلى الخراب قال: أصبت يا أبا حازم فكيف القدوم غداً على الله تعالى قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال: ليت شعري ما لنا عند الله قال: اعرض عملك على كتاب الله قال: وأي مكان أجده قال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣ـ ١٤] قال سليمان: فأين رحمة الله يا أبا حازم قال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] قال له سليمان: يا أبا حازم فأي عباد الله أكرم؟ قال: أولو المروة والنهي قال له سليمان: فأي الأعمال أفضل؟ قال: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال سليمان: فأي الدعاء أسمع؟ قال: دعاء المحسن إليه للمحسن فقال: أي الصدقة أفضل؟ قال: على السائل البائس وجهد المقل ليس فيها منّ ولا أذى قال: فأي القول أعدل قال: قول الحق عند من تخافه أو ترجوه قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: رجل عمل بطاعة الله ودل الناس عليها قال: فأي المؤمنين أحمق؟ قال: رجل انحط في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال سليمان: أصبت فما تقول فيما نحن فيه؟ قال: يا أمير المؤمنين اعفني قال له سليمان: لا ولكن نصيحة تلقيها إلي قال: يا أمير المؤمنين إن آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة على غير مشورة من المسلمين ولا رضاهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة فقد ارتحلوا عنها فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم فقال رجل من جلسائه بئس ما قلت يا أبا حازم قال أبو حازم كذبت إن الله أخذ ميثاق العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه قال سليمان: فكيف لنا أن نصلح قال: تدعون الصلف وتتمسكون بالمروءة وتقسمون بالسوية قال له سليمان: كيف لنا بالمأخذ؟ قال: تأخذه من حله وتضعه في أهله قال له سليمان: هل لك يا أبا حازم أن تصحبنا ونصيب منك؟ قال: أعوذ بالله قال: ولِمَ ذاك؟ قال: أخشى أن أركن إليكم شيئاً قليلاً فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات قال له: ارفع إلينا حوائجك قال: تنجيني من النار وتدخلني الجنة قال له سليمان: ليس ذاك إلي قال أبو حازم: فما لي إليك حاجة غيرها قال: فادع لي قال أبو حازم اللهم إن كان سليمان وليك فيسره لخيري الدنيا والآخرة وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى قال له سليمان عظني قال أبو حازم قد أوجزت وأكثرت إن كنت من أهله وإن لم تكن من أهله فما ينبغي أن أرمي عن قويس ليس لها وتر قال له سليمان: أوص قال سأوصيك وأوجز عظّم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك من حيث أمرك فلما خرج من عنده بعث إليه بمائة دينار وكتب أن أنفقها ولك عندي مثلها قال: فردها عليه وكتب إليه يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن يكون سؤالك إياي هزلاً أو ردي عليك بذلاً ما أرضاها لك فكيف لنفسي إن موسى بن عمران لما ورد ماء مدين وجد عليه رعاء يسقون ووجد من دونهم جاريتين تذودان فسقى لهما فقالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما فلما تولى إلى الظل قال رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير وذلك أنه كان جائعاً خائفاً لا يأمن فسأل ربه ولم يسأل الناس فلم يفطن الرعاء وفطنت الجاريتان فلما رجعتا إلى أبيهما أخبرتاه بالقصة وبقوله: فقال أبوهما وهو شعيب عليه السلام:

هذا رجل جائع قال لإحداهما: اذهبي فادعيه فلما أتته عظمته وغطت وجهها وقالت: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فشق على موسى حين ذكرت أجر ما سقيت لنا فلم يجد بداً من أن يتبعها لأنه كان بين الجبال جائعاً مستوحشاً فلما تبعها هبت الريح فجعلت تصفق ثيابها على ظهرها فتصف له عجزها وكانت ذات عجز وجعل موسى يعرض مرة ويغض أخرى فلما عيل صبره ناداها يا أمة الله كوني خلفي وأريني بقولك فلما دخل على شعيب إذا هو بالعشاء مهيئاً فقال له شعيب: اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى: أعوذ بالله فقال شعيب: لِمَ أما أنت جائع؟! قال: بلى ولكني أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما وأنا من أهل بيت لا نبيع شيئاً من ديننا بملء الأرض ذهباً فقال له شعيب: لا يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى فأكل فإن كانت هذه المائة دينار عوضاً لما حدثت ونصحت فالميتة والدم ولحم الخنزير في حال الاضطرار أحل من هذه وإن كانت لحق لي في بيت المال فلي فيها نظراء فإن ساويت بيننا وإلا فليس لي فيها حاجة.

قال القرطبي في «تفسيره» بعد إيراد هذه الحكاية قلت: هكذا يكون الاقتداء بالكتاب والأنبياء انتهى. وقد اختلف العلماء في أخذ الأجرة على تعليم القرآن والعلم لهذه الآية ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤١] والفتوى في هذا الزمان على جواز الاستئجار لتعليم القرآن والفقه وغيره لئلا يضيع قال ﷺ: «إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله» والآية في حق من تعين عليه التعليم فأبى حتى يأخذ عليه أجراً فأما إذا لم يتعين فيجوز له أخذ الأجرة بدليل السنة في ذلك كما إذا كان الغسال في موضع لا يوجد من يغسل الميت غيره كما في القرى والنواحي فلا أجر له لتعينه لذلك وأما إذا كان ثمة ناس غيره كما في الأمصار والمدن فله الأجر حيث لم يتعين عليه فلا يأثم بالترك وقد يتعين عليه إلا أنه ليس عنده ما ينفقه على نفسه ولا على عياله فلا يجب عليه التعليم وله أن يقبل على صنعته وحرفته. ويجب على الإمام أن يعين له شيئاً وإلا فعلى المسلمين لأن الصديق رضي الله عنه لما ولي الخلافة وعين لها لم يكن عنده ما يقيم به أهله فأخذ ثياباً وخرج إلى السوق فقيل له في ذلك فقال: ومن أين أنفق على عيالي؟ فردوه وفرضوا له كفايته وكذا يجوز للإمام والمؤذن وأمثالهما أخذ الأجرة وبيع المصحف ليس بيع القرآن بل هو بيع الورق وعمل أيدي الكاتب. وقالوا في زماننا تغير الجواب في بعض مسائل لتغير الزمان وخوف اندراس العلم والدين منها ملازمة العلماء أبواب السلاطين ومنها خروجهم إلى القرى لطلب المعيشة ومنها أخذ الأجرة لتعليم القرآن والأذان والإمامة ومنها العزل عن الحرة بغير إذنها ومنها السلام على شربة الخمور ونحوها فأفتى بالجواز منها خشية الوقوع فيما هو أشد منها وأضر كذا في «نصاب الأحساب» وغيره، قال في «المثنوي»:

عـاشـقـانـرا شـادمـانـي وغـم أوسـت   دست مزد واجرت خدمت هم أوست
غـيـر مـعـشـوق ازتـمـاشـايـي بـود   عـشـق نـبـود هـرزه سـودايـي بـود
عشق آن شعله است كوچون برفروخت   هركه جز معشوق باقي جمله سوخت

﴿وأقيموا الصلاة﴾ خطاب لبني إسرائيل أي: اقبلوها واعتقدوا فرضيتها وأدوها بشرائطها وحدوها كصلاة المسلمين فإن غيرها كلا صلاة. ﴿وآتوا الزكاة﴾ كزكاة المؤمنين فإن غيرها كلا زكاة، والزكاة من زكى الزرع إذا نما فإن إخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم أو من الزكاء بمعنى الطهارة فإنها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل. واعلم أن

الكفار لا يخاطبون بأداء ما يحتمل السقوط من العبادات كالصلاة والصوم ولا يعاقبون بتركها عند الحنفية فالتكليف عندهم راجع إلى الاعتقاد والقبول ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ أي: في جماعاتهم فإن صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس فإن الصلاة كالغزو والمحراب كمحل الحرب ولا بد للقتال من صفوف الجماعة فالجماعة قوة قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «ما اجتمع من المسلمين في جماعة أربعون رجلاً إلا وفيهم رجل مغفور له» فالله تعالى أكرم من أن يغفر له ويرد الباقي خائبين خاسرين. وإنما فضلت صلاة الجماعة على الفذ بسبع وعشرين لأن الجماعة مأخوذة من الجمع والجمع أقله ثلاثة وصلاة الإنسان وحده بعشر حسنات وعشر حسنات فيها واحداً أصل والتسع تضعيف بفضل الله تعالى فإذا اجتمعت التضعيفات كانت سبعاً وعشرين. قال القرطبي في «تفسيره»: وتجب على من أدمن التخلف عن الجماعة من غير عذر العقوبة. قال أبو سليمان الداراني أقمت عشرين سنة لم أحتلم فدخلت مكة فأحدثت بها حدثاً فما أصبحت إلا احتلمت وكان الحدث أن فاتته صلاة العشاء بجماعة. وفي الحديث «ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد فرضاً أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه من الصلاة لتعبد به ملائكته فمنهم راكع وساجد وقائم وقاعد» وينبغي للمصلي أن يبالغ في الحضور فكان السلف لو شغلهم ذكر مال يتصدقون به تكفيراً فالأصل عمل الباطن قال تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣] أي: من حب الدنيا أو كثرة الهموم ولا ينظر الله تعالى إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه فلا بد من دفع الخواطر، قال في «المثنوي»:

أول أي: جـان دفـع شـر مـوش كـن وانـكـه انـدر جـمـع كـنـدم كـوش كـن
بـشـنـو از اخـبـار آن صـدر صـدور لا صـلاة تـم إلا بـالـحـضـور

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي في وصاياه للعارف الهدائي قدس الله سرهما: إذا شرعت في الصلاة لا تتفكر في غير إظهار العبودية وتتميمها فإنه إذا تم العبودية يحصل المقصود وأما في غير الصلاة فليكن فكرك وملاحظتك نفي نفسك وإثبات وحدانيته تعالى فإنه المقصود لتوحيد ولا شيء أفضل من التوحيد ولذلك كان أول التكاليف فبعد قبول العبد التوحيد كلف بالصلاة ثم كلف بالصوم لأن فيهما إصلاح الطبيعة وبعدهما بالزكاة وفيها إصلاح النفس بإزالة شحها ثم بالحج وفيه نفع للطبيعة من جهة وللنفس من جهة بذل المال وقدم الثلاث الأول لعمومها للأغنياء والفقراء وأما الأخيران فالفقراء سالمون منهما ثم قال: إذا كان بيت الأغنياء من الجواهر يكون بيت الفقراء من النور حتى يتمنوا أن يكونوا فقراء، قال في «المثنوي»:

مـكـرهـاً دركـسـب دنـيـا بـاردسـت مـكـرهـاً در تـرك دنـيـا واردسـت
چـيـسـت دنـيـا ازخـدا غـافـل شـدن نـي قـمـاش ونـقـره فـرزنـد وزن
كـوزة سـربـسـتـه انـدر آب زفـت از دل پـربـاد فـوق آب رفـت
بـاد درويـشـي چـودر بـاطـن بـود بـر سـر آب جـهـان سـاكـن بـود

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وأقيموا الصلاة﴾ بمراقبة القلوب وملازمة الخضوع والخشوع ﴿وآتوا الزكاة﴾ أي: بالغوا في تزكية النفس عن الحرص على الأمور الدنيوية والأخلاق الذميمة وتطهير القلب عن رؤية الأعمال السيئة وترك مطالبة ما سوى الله فإنه مع

طلب الحق زيادة والزيادة على الكمال نقصان. ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ أي: اقتدوا في الانكسار ونفي الوجود بالمنكسرين الباذلين الوجود لنيل الموجود.

﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿أتأمرون الناس﴾ الخطاب لليهود والأمر القول لمن دونك افعل والمراد بالناس سفلتهم ﴿بالبر﴾ أي: الاعتراف بالنبي واتباع الأدلة وهو التوسع في الخير من البر الذي هو الفضاء الواسع والهمزة تقرير مع توبيخ وتعجيب. ﴿وتنسون أنفسكم﴾ وتتركونها من البر كالمنسيات لأن أصل السهو والنسيان الترك إلا أن السهو يكون لما علمه الإنسان ولما لم يعلمه والنسيان لما عزب بعد حضوره كانوا يقولون لفقرائهم الذين لا مطمع لهم فيهم بالسر آمنوا بمحمد فإنه حق وكانوا يقولون للأغنياء نرى فيه بعض علامات نبي آخر الزمان دون بعض فانتظروا الاستيفاء لما ينالون منهم ويؤخرون أمور أنفسهم فلا يتبعونه في الحال مع عزيمتهم أن يتبعوه يوماً وكذا حال من تمادى في العصيان وهو يقول: أتوب عند الكبر والشيب وربما يفجأه الموت فيبقى في حسرة الفوت. قال الحافظ:

ديدى آن قهقهة كبك خرامان حافظ كه زسر پنجة شاهين قضا غافل بود

﴿وأنتم تتلون الكتاب﴾ أي: والحال إنكم تتلون التوراة الناطقة بنعوته صلى الله تعالى عليه وسلم الآمرة بالإيمان به ﴿أفلا تعقلون﴾ أي: ليس لكم عقل تعرفون به أنه قبيح منكم عدم إصلاح أنفسكم والاشتغال بغيركم. والعقل في الأصل المنع والإمساك ومنه العقال الذي يشد به وظيف البعير إلى ذراعيه لحبسه عن الحراك سمي به النور الروحاني الذي به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية لأنه يحبس عن تعاطي ما يقبح ويعقل على ما يحسن ومحله الدماغ لأن الدماغ محل الحس وعند البعض محله القلب لأن القلب معدن الحياة ومادة الحواس وعند البعض هو نور في بدن الآدمي. ثم هذا التوبيخ ليس على أمر الناس بالبر بل لشرك العمل به فمدار الإنكار والتوبيخ هي الجملة المعطوفة وهي جملة تنسون أنفسكم دون ما عطفت هي عليه وهي أتأمرون الناس بالبر ولا يستقيم قول من لا يجوز الأمر بالمعروف لمن لا يعمل به لهذه الآية بل يجب العمل به ويجب الأمر به وقد قال عليه السلام: «مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به وانهوا عن المنكر وإن لم تنتهوا عنه» وهذا لأنه إذا أمر به مع أنه لا يعمل به فقد ترك واجباً وإذا لم يأمر به قد ترك واجبين فالأمر بالحسن حسن وإن لم يعمل به ولكن قلما نفعت موعظة من لم يعظ نفسه ومن أمر بخير فليكن أشد الناس مسارعة إليه ومن نهى عن شيء فليكن أشد الناس انتهاء عنه. وهذه الآية كما ترى ناعية على من يعظ غيره ولا يعظ نفسه سوى صنيعه وعدم تأثره وإن فعله فعل الجاهل بالشرع أو الأحمق الخالي عن العقل والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والإقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق وتقيم غيرها لا منع الفاسق من الوعظ فإن الإخلال بأحد الأمرين المأمور بهما لا يوجب الإخلال بالآخر ـ يروى ـ أنه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوي التصرف في القلوب وكان كثيراً ما يموت من أهل مجلسه واحداً واثنان من شدة تأثير وعظه وكان في بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه وتمنعه من حضور مجلس الواعظ فحضره يوماً على حين غفلة منها

فوقع من أمر الله تعالى ما وقع ثم إن العجوز لقيت الواعظ يوماً في الطريق فقالت:

أتهدي الأنام ولا تهتدي ألا إن ذلك لا ينفع
فيا حجر الشحذ حتى متى تسن الحديد ولا تقطع

فلما سمعها الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشياً عليه فحملوه إلى بيته فتوفى إلى رحمة الله تعالى، قال الحافظ:

واعظان كين جلوه در محراب ومنبر ميكنند
چون بخلوت ميروند آن كار ديكر ميكنند
مشكلي دارم زدانشمند مجلس باز پرس
توبه فرمايان چراخود توبه كمتر ميكنند

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «ليلة أسري بي مررت على ناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم يجزون نصيبهم في نار جهنم فيقال لهم: من أنتم فيقولون نحن الذين كنا نأمر الناس بالخير وننسى أنفسنا». قال الأوزاعي شكت النواويس إلى الله تعالى ما نجده من جيف الكفار فأوحى الله إليها بطون العلماء السوء أنتن مما أنتم فيه. وفي الحديث «ما من عبد يخطب خطبة إلا والله تعالى سائله عنها يوم القيامة ما أراد بها». قال الشيخ أفتادة أفندي: لو أن واعظاً يرى نفسه خيراً من المستمعين يشكل الأمر كذا إذا لم يكن من يصغي إلى كلامه مساوياً لمن يلطم على قفاه يشكل الأمر فلذلك قال عليه السلام: «كم من واعظ يلعب به الشيطان» اللهم إلا أن يقول ينتفع مني المسلمون وإن كنت معذباً في النار فهو نوع فناء لكن يخاف أن يجد حظه في ضمنه. وقال أيضاً: من كان يعظ الناس إما أن يعتقد أنهم يعرفون ما يعرفه أو يعتقد أنهم لا يعرفون ما يعرفه فعلى الأول لا يحتاج إلى وعظه وعلى الثاني قد أثبت لهم جهلاً ولنفسه فضلاً عليهم فهو محض كبر وبالجملة حيل النفس كثيرة لا تتيسر النجاة منها إلا بمحض لطف الله تعالى وأدنى الحال أن يلاحظ قوله عليه السلام: «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاسق» فما دام لم يصل السالك إلى الحقيقة لا يتخلص من الورطة قال عليه الصلاة والسلام: «الناس كلهم سكارى إلا العالمون» الحديث والمخلصون على خطر عظيم وإنما إلا من للمخلص بالفتح وهو الواصل إلى التوحيد الحقيقي الفاني عن القهر والكرم الخارج عن حد الوجود والعدم وهو الفناء الكلي وهم الذين أريدوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الإسراء: ٦٥] ولا بد من رعاية الشريعة في جميع المراتب فإن الكمال فيها وإلا فهو ناقص ولذلك إن المجاذيب لا يخلون عن النقصان ألا يرى أن الأنبياء عليهم السلام لم يسمع عن واحد منهم عروض السفه والجنون فالكامل في مرتبة الكمال يكون كامل العقل حتى يحس بصرير الباب في حال استغراقه اللهم أوصلنا إلى الكمال.

﴿واستعينوا﴾ يا بني إسرائيل على قضاء حوائجكم ﴿بالصبر﴾ أي: بانتظار الظفر والفرج توكلاً على الله تعالى أو بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس ﴿والصلاة﴾ أي: التوسل بالصلاة والالتجاء إليها حتى تجابوا إلى تحصيل المآرب وجبر المصائب كأنهم أي: بني إسرائيل لما أمروا بما شق عليهم لما فيه من ترك الكلفة وترك الرياسة

والإعراض عن المال عولجوا بذلك. روي أنه عليه السلام «كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة». وروي أن ابن عباس رضي الله عنهما نعي له بنت وهو في سفر فاسترجع وقال عورة سترها الله ومؤونة كفاها الله وأجر ساقه الله ثم تنحى عن الطريق وصلى ثم انصرف إلى راحلته وهو يقرأ ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ ﴿وإنها﴾ أي: الاستعانة بهما ﴿لكبيرة﴾ لثقيلة ساقه كقوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣] ﴿إلا على الخاشعين﴾ أي: المخبتين الخائفين والخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب أو الخشوع بالبصر والخضوع بسائر الأعضاء وإنما لم يثقل عليهم لأنهم يستغرقون في مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجري عليهم من المشاق والمتاعب لذلك قال ﷺ: «وقرة عيني في الصلاة» لأن اشتغاله عليه السلام بالصلاة كان راحة له وكان يعد غيرها من الأعمال الدنيوية تعباً.

﴿الذين يظنون﴾ أي: يوقنون لأن الظن يكون يقيناً ويكون شكاً فهو من الأضداد كالرجاء يكون أمناً وخوفاً كما في تفسير «الكواشي» ﴿أنهم ملاقوا ربهم﴾ معاينوه وهو كناية عن شهود مشهد العرض والسؤال يوم القيامة وهو الوجه فيما يروى في الأخبار لقي الله وهو عليه غضبان وما يجري مجراه. وقيل: أي: يعلمون أنهم يموتون قال النبي عليه الصلاة والسلام: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» وأراد به الموت ﴿وأنهم إليه راجعون﴾ أي: ويعلمون أنهم راجعون يوم القيامة إلى الله تعالى أي: إلى جزائه إياهم على أعمالهم وأما الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالمنافقين والمرائين فالصبر على الأذى والطاعات من باب جهاد النفس وقمعها عن شهواتها ومنعها من تطاولها وهم من أخلاق الأنبياء والصالحين. قال يحيى بن اليمان: الصبر أن لا تتمنى حالة سوى ما رزقك الله والرضى بما قضى الله من أمر دنياك وآخرتك وهو بمنزلة الرأس من الجسد، قال الحافظ:

كويند سنك لعل شود در مقام صبر   آرى شود وليك بخون جكر شود

ثم إن الله تعالى وصف جزاء الأعمال وجعل لها نهاية واحدة فقال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وجعل جزاء الصدقة في سبيل الله فوق هذا فقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١] الآية وجعل أجر الصابرين بغير حساب ومدح أهله فقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] وقد وصف الله نفسه بالصبر كما في الحديث «ليس شيء أصبر على أذى سمعه من الله تعالى أنهم ليدعون له ولداً وأنه ليعافيهم ويرزقهم» ووصف الله بالصبر إنما هو بمعنى الحلم وهو تأخير العقوبة عن المستحقين لها. والفرق بين الحليم والصبور أن المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصبور كما يأمنها في صفة الحليم. وقيل في الخشوع أتريد أن تكون إماماً للناس ولا تعرف الخشوع ليس الخشوع بأكل الخشن ولبس الخشن لكن الخشوع أن ترى الشريف والدنيء في الحق سواء وتخشع لله في كل فرض افترض عليك فمن أظهر خشوعاً فوق ما في قلبه فإنما أظهر نفاقاً على نفاق. قال سهل بن عبد الله لا تكون خاشعاً حتى تخشع كل شعرة على جسدك وهذا هو الخشوع المحمود لأن الخوف إذا سكن القلب أوجب خشوع الظاهر فلا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقاً متأدباً متذللاً وقد كان السلف يجتهدون في ستر ما يظهر من ذلك وأما المذموم فتكلفه والتباكي ومطأطأة الرأس كما يفعله الجهال ليروا بعين البر والإجلال

وذلك خدع من الشيطان وتسويل من نفس الإنسان وكان عمر رضي الله عنه إذا تكلم أسمع وإذا مشى أسرع وإذا ضرب أوجع وكان ناسكاً صدقاً وخاشعاً حقاً كما في «تفسير القرطبي».

وقال في «التأويلات النجمية»: ﴿واستعينوا بالصبر﴾ عن شهوات النفس ومتابعة هواها ﴿والصلاة﴾ أي: دوام الوقوف والتزام العكوف على باب الغيب وحضرة الرب ﴿وإنها﴾ أي: الاستعانة بهما ﴿لكبيرة﴾ أمر عظيم وشأن صعب ﴿إلا على الخاشعين﴾ وهم الذين تجلى الحق لأسرارهم فخشعت له أنفسهم كما قال عليه الصلاة والسلام: «وإذا تجلى الله لشيء خضع له» وقال: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨] فالتجلي يورث الإلفة مع الحق ويسقط الكلفة عن الخلق ﴿الذين يظنون﴾ أي: يوقنون بنور التجلي ﴿أنهم ملاقوا ربهم﴾ أنهم يشاهدون جمال الحق ﴿وأنهم إليه راجعون﴾ بجذبات الحق التي كل جذبة منها توازي عمل الثقلين.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿يا بني إسرائيل اذكروا﴾ اشكروا ﴿نعمتي التي أنعمت﴾ بها ﴿عليكم﴾ بإنزال المنّ والسلوى وتظليل الغمام وتفجير الماء من الحجر وغيرها وذكر النعم على الآباء إلزام الشكر على الأبناء فإنهم يشرفون بشرفهم ولذلك خاطبهم فقال تعالى ﴿فضلتكم﴾ ولم يقل فضلت آبائكم لأن في فضل آبائهم فضلهم ﴿و﴾ اذكروا ﴿أني فضلتكم على العالمين﴾ من عطف الخاص على العام للتشريف أي: فضلت آباءكم على عالمي زمانهم بما منحتهم من العلم والإيمان والعمل الصالح وجعلتهم أنبياء وملوكاً مقسطين وهم آباؤهم الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل أن يغيروا وهذا كما قال في حق مريم: ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] أي: نساء زمانك فإن خديجة وعائشة وفاطمة أفضل منها فلم يكن لهم فضل على أمة محمد ﷺ قال تعالى في حقهم ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] كما في «التيسير». فالاستغراق في العالمين عرفي لا حقيقي. قال بعضهم من آمن من أهل الكتاب بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له فضيلة على غيره وكان له أجران: أجر إيمانه بنبيه وأجر اتباعه لمحمد ﷺ. وقد روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «ثلاثة يعطيهم الله الأجر مرتين من اشترى جارية فأحسن تأديبها فأعتقها وتزوجها وعبد أطاع سيده وأطاع الله ورجل من أهل الكتاب أدرك النبي ﷺ فآمن به». قال القشيري: أشهد الله بني إسرائيل فضل أنفسهم فقال: فضلتكم على العالمين وأشهد محمداً ﷺ فضل ربه فقال: قل بفضل الله وبرحمته وشتان بين من مشهوده فضل نفسه وبين من مشهوده فضل ربه وشهوده فضل نفسه قد يورث الإعجاب وشهوده فضل ربه يورث الإيجاب ثم إن اليهود كانوا يقولون نحن من أولاد إبراهيم خليل الرحمٰن ومن أولاد إسحاق ذبيح الله والله تعالى يقبل شفاعتهما فينا فرد الله عليهم فأنزل هذه الآية وقال:

﴿واتقوا﴾ أي: واخشوا يا بني إسرائيل ﴿يوماً﴾ يوم القيامة أي: حساب يوم أو عذاب يوم يوم فهو من ذكر المحل وإرادة الحال ﴿لا تجزي﴾ أي: لا تقتضي فيه ولا تؤدي ولا تغني فالعائد محذوف والجملة صفة يوم ﴿نفس﴾ مؤمنة ﴿عن نفس﴾ كافرة ﴿شيئاً﴾ ما من الحقوق

التي لزمت عليها وهو نصب على المفعول به وإيراده منكراً مع تنكير النفس للتعميم والإقناط الكلي قال تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ [الممتحنة: ٣] وكيف تنفع وقد قال: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾ [عبس: ٣٤] الآية، قال في «المثنوي»:

چون يفر المرء آيد من أخيه يهرب المولود يوماً من أبيه
زان شود هر دوست آن ساعت عدو كه بت تو بود وازره مانع أو

وهذا في حق الكفار فأما المؤمن فقد استثناه فقال: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨ـ ٨٩] أي: خال عن الشرك ﴿لا يقبل منها﴾ أي: من النفس الأولى المؤمنة ﴿شفاعة﴾ إن شفعت للنفس الثانية الكافرة عند الله لتخليصها من عذابه والشفاعة مصدر الشافع والشفيع وهو طالب قضاء حاجة غيره مأخوذ من الشفع لأنه يشفع نفسه بمن يشفع له في طلب مراده ولا شفاعة في حق الكافر بخلاف المؤمن قال النبي عليه السلام: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» فمن كذب بها لم ينلها والآيات الواردة في نفي الشفاعة خاصة بالكفار ﴿ولا يؤخذ منها﴾ أي: من المشفوع لها وهي النفس الثانية العاصية ﴿عدل﴾ أي: فداء من مال أو رجل مكانها أو توبة تنجو بها من النار. والعدل بالفتح مثل الشيء من خلاف جنسه وبالكسر مثله من جنسه وسمى به الفدية لأنها تساويه وتماثله وتجري مجراه ﴿ولا هم ينصرون﴾ أي: يمنعون من عذاب الله تعالى ومن أيدي المعذبين فلا نافع ولا شافع ولا دافع لهم والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد والأناسي والنصرة هٰهنا أخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر. ثم هذه الآية في غاية البلاغة فإنها جمعت ذكر الوجوه التي بها يتخلص المرء من النكبة التي أصابته في الدنيا وهي أربع ينوب عنه غيره في تحمل ما عليه أو يفتدي بمال فيخلص منها أو يشفع له شافع فيوهب له أو ينصره ناصر فيمنعه فقطعها الله عنهم جميعاً. وعن عكرمة أنه قال: إن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول: يا بني إني أب لك في الدنيا وقد احتجت إلى مثقال حبة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترى فيقول له ولده إني أتخوف مثل الذي تخوفت أنت فلا أطيق أن أعطيك شيئاً ثم يتعلق بزوجته فيقول لها فلانة إني زوج لك في الدنيا فتثني عليه خيراً فيقول لها: إني أطلب منك حسنة واحدة تهبينها لي لعلي أنجو مما ترين فتقول: لا أطيق ذلك إني تخوفت مثل الذي تخوفت منه فيقول الله: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر: ١٨] يعني من أثقلته الذنوب لا يحمل أحد من ذنبه شيء، قال السعدي:

برفتند هر كس درود آنچه كشت نماند بجز نام نيكو وزشت
بر آن خورد سعدي كه بيخي نشاند كسى برد خر من كه تخمي فشاند

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ ظاهره عام وباطنه خاص مع قوم منهم قد علم الله فيهم خيراً فأسمعهم خطابه في السر فذكروا نعمته التي أنعم بها عليهم وهي استعداد قبول رشاش نوره يوم خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فآمنوا بمحمد عليه السلام من خاصية قبول ذلك الرشاش كما قال عليه السلام: «فمن أصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن أخطأه فقد ضل» ﴿وأني فضلتكم على العالمين﴾ أي: بهذه النعمة أي: فضلتكم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

بهذه النعمة عند رش النور على من لم يصبهم ذلك النور من العالمين ﴿واتقوا يوماً﴾ أي: عذاب يوم يخوف الله العام بأفعاله كما قال واتقوا النار ويخوف الخاص بصفاته كقوله: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: ٧٦] وقوله: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨] ويخوف خاص الخاص بذاته ويحذركم الله نفسه وقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨]. ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] في حق نفسها ولا في حق غيرها بغير الإذن كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨] أي: فداء ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النجم: ٣٩ـ ٤٠] والسعي المشكور ما يكون هٰهنا ﴿ولا هم ينصرون﴾ لأنهم ما نصروا الحق هٰهنا وقد قال الله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧].

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وإذ نجيناكم﴾ خطاب لبني إسرائيل أي: اذكروا وقت تنجيتنا إياكم أي: آباءكم فإن تنجيتهم تنجية لأعقابهم ومن عادة العرب يقولون قتلناكم يوم عكاظ أي: قتل آباؤنا آباءكم والنجو المكان العالي من الأرض لأن من صار إليه يخلص ثم سمي كل فائز ناجياً لخروجه من ضيق إلى سعة أي: جعلنا آباءكم بمكان حريز ورفعناكم عن الأذى. ﴿من آل فرعون﴾ واتباعه وأهل دينه، وفرعون لقب من ملك العمالقة ككسرى لملك الفرس وقيصر لملك الروم وخاقان لملك الترك والنجاشي للحبشة وتبع لأهل اليمن، والعمالقة الجبابرة وهم أولاد عمليق بن لاود بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام سكان الشام منهم سموا بالجبابرة وملوك مصر منهم سموا بالفراعنة ولعتوه اشتق منه تفرعن الرجل إذا عتا وتمرد فليس المراد الاستغراق بل الذين كانوا بمصر وفرعون موسى هو الوليد بن مصعب بن الريان وكان من القبط وعمر أكثر من أربعمائة سنة، وقيل إنه كان عطاراً أصفهانياً ركبته الديون فأفلس فاضطر إلى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام فدخل مصر فرأى في ظاهرها حملاً من البطيخ بدرهم وفي سوقها بطيخة بدرهم فقال في نفسه إن تيسر لي أداء الديون فهذا طريقه فخرج إلى السواد فاشترى حملاً بدرهم فتوجه به إلى السوق فكل من لقيه من المكاسين أي: العشارين أخذ بطيخة فدخل البلد وما معه إلا بطيخة فباعها بدرهم ومضى بوجهه ورأى أهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى أحد سياستهم وكان قد وقع بها وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فرأى ميتاً يدفن فتعرض لأوليائه فقال: أنا أمين المقابر فلا أدعكم تدفنونه حتى تعطوني خمسة دراهم فدفعوها إليه ومضى لآخر وآخر حتى جمع في مقدار ثلاثة أشهر مالاً عظيماً ولم يتعرض له أحد قط إلى أن تعرض يوماً لأولياء ميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فأبوا ذلك فقالوا: من نصبك هذا المنصب فذهبوا به إلى فرعون أي: إلى ملك المدينة فقال: من أنت ومن أقامك بهذا المقام قال: لم يقمني أحد وإنما فعلت ما فعلت ليحضرني أحد إلى مجلسك فأنبهك على اختلال حال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال فأحضره ودفعه إلى فرعون فقال: ولني أمورك ترني أميناً كافياً فولاه إياها فسار بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت أحوال

الرعية ولبث فيهم دهراً طويلاً وترامى أمره في العدل والصلاح فلما مات فرعون أقاموه مقامه فكان من أمره ما كان وكان فرعون يوسف عليه السلام ريان وبينهما أكثر من أربعمائة سنة **﴿يسومونكم﴾** أي: يبغونكم **﴿سوء العذاب﴾** وأقبحه بالنسبة إلى سائره ويريدونكم عليه ويكلفونكم الأعمال الشاقة ويذيقونكم ويديمون عليكم ذلك من سام السلعة إذا طلبها والسوم بمعنى البغاء وبغى يتعدى إلى مفعولين بلا واسطة فلذلك كان سوء العذاب منصوباً على المفعولية ليسومونكم والجملة حال من ضمير المفعول في نجيناكم والمعنى نجيناكم مسومين منهم أقبح العذاب كقولك: رأيت زيداً يضربه عمرو أي: رأيته حال كونه مضروباً لعمرو وذلك أن فرعون جعل بني إسرائيل خدماً وخولاً وصنفهم في الأعمال فصنف يبنون وصنف يحرثون ويزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن منهم في عمل وضع عليهم الجزية. وقال وهب: كانوا أصنافاً في أعمال فرعون فذوو القوة ينحتون السواري من الجبال حتى قرحت أعناقهم وأيديهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها وطائفة ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور وطائفة منهم يضربون اللبن ويطبخون الآجر وطائفة نجارون وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج ضريبة ويؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل أن يؤدي ضريبته غلت يمينه إلى عنقه شهراً والنساء يغزلن الكتان وينسجن وقيل: تفسير قوله **﴿يسومونكم سوء العذاب﴾** ما بعده وهو قوله تعالى: **﴿يذبحون أبناءكم﴾** كأنه قيل ما حقيقة سوء العذاب الذي يبغونه لنا فأجيب بأنهم يذبحون أبناءكم أي: يقتلونهم والتشديد للتكثير كما يقال فتحت الأبواب. والمراد من الأبناء هم الذكور خاصة وإن كان الاسم يقع على الذكور والإناث في غير هذا الموضع كالبنين في قوله تعالى: يا بني إسرائيل فإنهم كانوا يذبحون الغلمان لا غير وكذا أريد به الصغار دون الكبار لأنهم كانوا يذبحون الصغار **﴿ويستحيون نساءكم﴾** أي: يستبقون بناتكم ويتركونهن حيات وذكر النساء وإن كانوا يفعلون هذا بالصغار لأنه سماهن باسم المآل لأنهن إذا استبقوهن صرن نساء بعد البلوغ ولأنهم كانوا يستبقون البنات مع أمهاتهن والاسم يقع على الكبيرات والصغيرات عند الاختلاط، وذلك أن فرعون رأى في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس فأحاطت بمصر وأخرجت كل قبطي بها ولم تتعرض لبني إسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة والسحرة عن رؤياه فقالوا يولد في بني إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل وجمع القوابل فقال لهن: لا يسقط على أيديكن غلام يولد في بني إسرائيل إلا قتل ولا جارية إلا تركت ووكل القوابل فكن يفعلن ذلك حتى قيل إنه قتل في طلب موسى عليه السلام اثني عشر ألف صبي وتسعين ألف وليد وقد أعطى الله نفس موسى عليه السلام من القوة على التصرف ما كان يعطيه أولئك المقتولين لو كانوا أحياء ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة ثم أسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل فدخل رؤوس القبط على فرعون وقالوا: إن الموت وقع في بني إسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون عليه السلام في السنة التي لا يذبح فيها وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها فلم يرد اجتهادهم من قضاء الله شيئاً وشمر فرعون عن ساق الاجتهاد وحسر عن ذراع العناد فأراد أن يسبق القضاء ظهوره ويأبى الله إلا أن يتم نوره. **﴿وفي ذلكم﴾** إشارة إلى ما ذكر من التذبيح والاستحياء **﴿بلاء﴾** أي: محنة وبلية وكون استحياء نسائهم أي: استبقائهن على الحياة محنة مع أنه عفو وترك

للعذاب لما أن ذلك كان للاسترقاق والاستعمال في الأعمال الشاقة ولأن بقاء البنات مما يشق على الآباء ولا سيما بعد ذبح البنين ﴿من ربكم﴾ من جهته تعالى بتسليطهم عليكم ﴿عظيم﴾ صفة للبلاء وتنكيرهما للتفخيم ويجوز أن يشار بذلكم إلى الإنجاء من فرعون ومعنى البلاء حينئذٍ النعمة لأن أصل البلاء الاختبار والله تعالى يختبر عباده تارة بالمنافع ليشكروا فيكون ذلك الاختبار منحة أي: عطاء ونعمة وأخرى بالمضار ليصبروا فيكون محنة فلفظ الاختبار يستعمل في الخير والشر قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ [الأنبياء: ٣٥] ومعنى من ربكم أن يبعث موسى وبتوفيقه لتخليصكم منهم.

والإشارة أن النجاة من آل فرعون النفس الأمارة وهي صفاتها الذميمة وأخلاقها الرديئة في يوم سوء العذاب للروح الشريف بذبح أبناء الصفات الروحانية الحميدة واستحياء بعض الصفات القلبية لاستخدامهن في أعمال القدرة الحيوانية لا يمكن إلا بتنجية الله كما قال عليه الصلاة والسلام: «لن ينجي أحدكم عمله» قيل ولا أنت يا رسول الله قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضله» وفي ذلكم أي: في استيلاء صفات النفس على القلب والروح بلاء عظيم وامتحان عظيم بالخير والشر فمن يهده الله ويصلح باله يرجع إليه الله في طلب النجاة فينجيه الله ويهلك عدوه ومن يضلله ويخذله أخلد إلى الأرض واتبع هواه وكان أمره فرطاً. ثم في الآية الكريمة تنبيه على أن ما يصيب العبد من السراء والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر في المسار والصبر على المضار، كما قال الحافظ:

اكر بلطف بخواني مزيد الطافست وكر بقهر براني درون ما صافست

وسنته تعالى استدعاء العباد لعبادته بسعة الأرزاق ودوام المعافاة ليرجعوا إليه بنعمته فإن لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون لأن مراده تعالى رجوع العباد إليه طوعاً وكرهاً فالأول حال الأحرار والثاني حال الأغيار. قال داود بن رشيد من أصحاب محمد بن الحسن قمت ليلة فأخذني البرد فبكيت من العري فنمت فرأيت قائلاً يقول يا داود أنمناهم وأقمناك فتبكي علينا فما نام داود بعد تلك الليلة كذا في «روضة الأخيار»، قال في «المثنوي»:

درد پشتم داد حق تا من زخواب بر جهم هرنيم شب لا بد شتاب
تا نخسبم جمله شب چون كاوميش دردها بخشيد حق إز لطف خويش

روي أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه أنزلت بعبدي بلائي فدعاني فماطلته بالإجابة فشكاني فقلت: عبدي كيف أرحمك من شيء به أرحمك، ومن ظن انفكاك لطفه تعالى فذلك لقصور نظره في العقليات والعاديات والشرعيات، أما العقليات فما من بلاء إلا والعقل قاض بإمكان أعظم منه حتى لو قدرنا اجتماع بلايا الدنيا كلها على كافر وعوقب في الآخرة بأعظم عذاب أهل النار لكان ملطوفاً به إذ الله قادر على أن يعذبه بأكثر من ذلك، وأما العاديات فما وجدت قط بلية إلا وفي طيها خير وحفها لطف باعتبار قصرها على نوعها إذ المبتلي مثلاً بالجذام والعياذ بالله ليس كالأعمى وهما مع الغنى ليسا كهما مع الفقر واجتماع كل ذلك مع سلامة الدين أمر يسير. وأما الشرعيات فقد قال رسول الله ﷺ: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه وإن رضي اصطفاه» وليخفف ألم البلاء عنك علمك بأن الله هو المبتلي إما اعتباراً بأن كل أفعاله جميل أو لأنه عودك بالفعل الجميل والعطاء الجزيل.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿و﴾ اذكروا يا بني إسرائيل ﴿إذ فرقنا﴾ فصلنا ﴿بكم﴾ أي: بسبب إنجائكم فالباء للسببية وهو أولى لأن الكلام مسوق لتعداد النعم والامتنان وفي السببية دلالة على تعظيمهم وهو أيضاً من النعم وقيل الباء بمعنى اللام كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [لقمان: ٣٠] أي: لأن الله ﴿البحر﴾ وهو بحر القلزم بحر من بحار فارس أو بحر من ورائهم يقال له أساف حتى حصل اثنا عشر مسلكاً بعدد أسباط بني إسرائيل والسبط ولد الولد والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب وهم أولاد يعقوب ﴿فأنجيناكم﴾ أي: من الغرق بإخراجكم إلى الساحل ﴿وأغرقنا﴾ الغرق الرسوب في الشيء المائع ورسب الشيء في الماء رسوباً أي: سفل فيه والإغراق الإهلاك في الماء ﴿آل فرعون﴾ يريد فرعون وقومه للعلم بدخوله فيهم وكونه أولى به منهم ﴿وأنتم تنظرون﴾ بأبصاركم انفراق البحر حين سلكتم فيه وانطباقه على آل فرعون بعد سلامتكم منه وأيضاً تنظرون إليهم غرقى موتى حين رماهم البحر إلى الساحل.

قال القرطبي: إن الله تعالى لما أنجاهم وأغرق فرعون قالوا: يا موسى إن قلوبنا لا تطمئن أن فرعون قد غرق حتى أمر الله البحر فلفظه فنظروا إليه. روي أنه لما دنا هلاك فرعون أمر الله موسى عليه السلام أن يسري ببني إسرائيل من مصر ليلاً فأمرهم أن يخرجوا وأن يستعيروا الحلي من القبط وأمر أن لا ينادي أحد منهم صاحبه وأن يسرجوا في بيوتهم إلى الصبح ومن خرج لطخ بابه بكف من دم ليعلم أنه قد خرج فخرجوا ليلاً وهم ستمائة ألف وعشرون ألف مقاتل لا يعدون فيهم ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره والقبط لا يعلمون ووقع في القبط موت فجعلوا يدفنونهم وشغلوا عن طلبهم فلما أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى مشيخة بني إسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا: إن يوسف لما حضره الموت أخذ على إخوته عهداً أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد عليهم الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلمه أحد غير عجوز قالت: لو دللت على قبره أتعطيني كل ما سألتك فأبى عليها وقال حتى أسأل ربي فأمره الله بإيتاء سؤلها فقالت: إني عجوز كبيرة لا أستطيع المشي فاحملني وأخرجني من مصر هذا في الدنيا وأما في الآخرة فأسألك أن لا تنزل في غرفة إلا نزلتها معك قال: نعم قالت: إنه في جوف الماء في النيل فادع الله أن يحسر عنه الماء فدعا الله أن يؤخر طلوع الفجر إلى أن يفرغ من أمر يوسف فحفر موسى ذلك الموضع واستخرجه في صندوق من صنوبر قالوا: إن موسى استخرج تابوت يوسف من قعر النيل بالوفق وهو أول علم أوجده الله بنفسه وعلمه آدم عليه السلام فتوارثه الأنبياء آخراً عن أول ثم إنه حمله حتى دفنه بالشام ففتح لهم الطريق فساروا فكان هارون أمام بني إسرائيل وموسى على ساقتهم فلما علم بذلك فرعون جمع قومه فخرج في طلب بني إسرائيل وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف جواد ذكر ليس فيها رمكة على رأس كل واحد منهم بيضة وفي يده حربة فسارت بنو إسرائيل حتى وصلوا إلى البحر والماء في غاية الزيادة فأدركهم فرعون حين أشرقت الشمس فقال فرعون في أصحاب موسى إن هؤلاء لشرذمة قليلون فلما نظر أصحاب موسى إليهم بقوا متحيرين فقالوا لموسى: إنا لمدركون يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعدما جئتنا اليوم نهلك فإن البحر أمامنا إن دخلناه غرقنا وفرعون خلفنا إن أدركنا

قتلنا يا موسى كيف نصنع وأين ما وعدتنا قال موسى: كلا إن معي ربي سيهدين فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فأوحى الله إليه أن كَنِّه فضربه وقال: انفلق يا أبا خالد فانفلق فصار فيه اثنا عشر طريقاً كل طريق كالجبل العظيم فكان لكل سبط طريق يأخذون فيه وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبساً فخاضت بنو إسرائيل البحر وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضاً فقالوا: ما لنا لا نرى إخواننا وقال كل سبط قد قتل إخواننا قال: سيروا فإنهم على طريق مثل طريقكم قالوا: لا نرضى حتى نراهم فقال موسى: اللهم أعني على أخلاقهم السيئة فأوحى الله إليه أن قل بعصاك هكذا وهكذا يمنة ويسرة فصار فيها كوي ينظر بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم كلام بعض فساروا حتى خرجوا من البحر فلما جاز آخر قوم موسى هجم فرعون على البحر فرآه منفلقاً قال لقومه: انظروا إلى البحر انفلق من هيبتي حتى أدرك عبيدي الذين أبقوا فهاب قومه أن يدخلوه وقيل له: إن كنت ربّاً فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان أدهم أي: ذكر أسود من الخيل ولم يكن في قوم فرعون فرس أنثى فجاء جبريل على أنثى وديق وهي التي تشتهي الفحل وتقدمه إلى البحر فشم أدهم فرعون ريحها فاقتحم خلفها البحر أي: هجم على البحر بالدخول وهم لا يرونه ولم يملك فرعون من أمره شيئاً وهو لا يرى فرس جبريل وتبعته الخيول وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يعجلهم ويسوقهم حتى لا يشذ رجل منهم حتى خاضوا كلهم البحر ودخل آخر قوم فرعون وجاز آخر قوم موسى وهم أولهم بالخروج فأمر الله البحر أن يأخذهم فانطبق على فرعون وقومه فأغرقوا فنادى فرعون لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين القصة وقالت بنو إسرائيل الآن يدركنا فيقتلنا فلفظ البحر ستمائة وعشرين ألفاً عليهم الحديد فذلك قوله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: ٩٢] فلفظ فرعون وهو كأنه ثور أحمر فلم يقبل البحر بعد ذلك غريقاً إلا لفظه على وجه الماء.

واعلم أن هذه الوقعة كما أنها لموسى عليه الصلاة والسلام معجزة عظيمة لأوائل بني إسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها على ما هي عليه من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الأبية وتنقاد لها النفوس الغبية موجبة لأعقابها أن يتلقوها بالإذعان لأنه عليه السلام أخبرهم بذلك مع أنه كان أمياً لم يقرأ كتاباً وهذا غيب لم يكن له علم عند العرب فأخباره به دل على أنه أوحي إليه ذلك وذلك علامة لنبوته فما تأثرت أوائلهم بمشاهدتها ورؤيتها حيث اتخذوا العجل إلَهاً بعد الإنجاء ثم صار أمرهم إلى أن قتلوا أنبياءهم ورسلهم فهذه معاملتهم مع ربهم وسيرتهم في دينهم وسوء أخلاقهم ولا تذكرت أواخرهم بتذكيرها وروايتها حيث بدلوا التوراة وافتروا على الله وكتبوا بأيديهم واشتروا به عرضاً وكفروا بنبوة محمد ﷺ إلى غير ذلك فيا لها من عصابة ما أعصاها وطائفة ما أطغاها. وفي الآية تهديد للكافرين ليؤمنوا وتنبيه للمؤمنين ليتعظوا وينتهوا عن المعاصي في جميع الأوقات خصوصاً في الزمان الذي أنجى الله فيه موسى مع بني إسرائيل من الغرق وهو اليوم العاشر من المحرم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء فقال لهم: «ما هذا اليوم الذي تصومونه» فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فيه فرعون وقومه فصامه موسى شكراً فنحن نصومه

فقال رسول الله ﷺ: «نحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمر بصيامه» رواه مسلم وهذا يدل بظاهره على أن النبي عليه السلام إنما صام عاشوراء وأمر بصيامه اقتداء بموسى عليه السلام على ما أخبر به اليهود وليس كذلك لما روته عائشة رضي الله عنها قالت: كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك صيام يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه ـ يحكى ـ أنه هرب أسير من الكفار يوم عاشوراء فركبوا في طلبه فلما رأى الفرسان خلفه وعلم أنه مأخوذ رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم بحق هذا اليوم المبارك أسألك أن تنجيني منهم فأعمى الله أبصارهم جميعاً فنجا الأسير فصام ذلك اليوم فلم يجد ما يفطر عليه ويتعشى به فنام فأطعم وسقي في المنام فعاش بعذ ذلك عشرين سنة لم يكن له حاجة إلى الطعام والشراب قال النبي عليه السلام: «التمسوا فضله فإنه يوم مبارك اختاره الله من الأيام من صام ذلك اليوم جعل الله له نصيباً من عبادة جميع من عبده من الملائكة والأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين» هذا في الصوم.

وأما الصلاة الواردة في يوم عاشوراء فقد ذكرها الشيخ عبد القادر قدس سره عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث طويل فيه «ومن صلى أربع ركعات في يوم عاشوراء يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وخمسين مرة قل هو الله أحد غفر الله له ذنوب خمسين عاماً مستقبلاً وبنى له في الملأ الأعلى ألف منبر من نور» ويستحب إحياء ليلة عاشوراء ففي الحديث «من أحيا ليلة عاشوراء فكأنما عبد الله بعبادة ملائكته المقربين» والإشارة أن البحر هو الدنيا وماؤه شهواتها ولذاتها وموسى هو القلب وقومه صفات القلب وفرعون هو النفس الأمارة وقومه صفات النفس وهم أعداء موسى وقومه يطلبونهم ليقتلوهم وهم سائرون إلى الله تعالى والعدو من خلفهم وبحر الدنيا أمامهم ولا بد لهم في السير إلى الله من العبور على البحر ولا يخوضون البحر بلا ضرب عصا لا إله إلا الله على البحر بيد موسى القلب فإن له يداً بيضاء في هذا الشأن وإلا لغرقوا كما غرق فرعون وقومه ولو كانت هذه العصا في يد فرعون النفس لم يكن لها معجزة انفلاق البحر فإذا ضرب يد موسى القلب بعصا الذكر ينفلق بحر الدنيا وماء شهواتها يميناً وشمالاً ويرسل الله ريح العناية وشمس الهداية على قعر بحر الدنيا فيصير يابساً من ماء الشهوات فيخوض موسى القلب وصفاته فيجاوزونه وتنجيهم عناية الله إلى الساحل وأن إلى ربك المنتهى وقيل لفرعون النفس وقومه اغرقوا فادخلوا ناراً كذا لصاحب «التأويلات النجمية» قدس الله تعالى نفسه الزكية.

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿**و**﴾ اذكروا يا بني إسرائيل ﴿**إذ واعدنا**﴾ وقت وعدنا وصيغة المفاعلة بمعنى الثاني أو على أصله فإن الوعد وإن كان من الله فقبوله كان من موسى وقبول الوعد شبه الوعد أو أن الله تعالى وعده الوحي وهو وعده المجيء للميقات إلى الطور ﴿**موسى**﴾ مفعول أول لواعدنا «مو» بالعبرانية الماء و«شى» بمعنى الشجر فقلت الشين المعجمة سيناً في العربية وإنما سمي به لأن أمه جعلته في التابوت حين خافت عليه من فرعون وألقته في البحر فدفعته أمواج البحر

حتى أدخلته بين أشجار عند بيت فرعون فخرجت جواري آسية امرأة فرعون يغسلن فوجدن التابوت فأخذنه فسمي عليه السلام باسم المكان الذي أصيب به وهو الماء والشجر ونسبه عليه الصلاة والسلام موسى بن عمران بن يصهر بن فاهت بن لاوي بن يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام: ﴿أربعين ليلة﴾ أي: تمام أربعين ليلة على حذف المضاف مفعول ثانٍ أمره الله تعالى بصوم ثلاثين وهو ذو القعدة ثم زاد عليه عشراً من ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لأنها غرر الشهور وشهور العرب وضعت على سير القمر ولذلك وقع بها التاريخ فالليالي أولى الشهور والأيام تبع لها أو لأن الظلمة أقدم من الضوء ﴿ثم اتخذتم العجل﴾ وهو ولد البقرة بتسويل السامري إلٰهاً ومعبوداً ﴿من بعده﴾ أي: من بعد مضيه إلى الميقات وإنما ذكر لفظة ثم لأنه تعالى لما وعد موسى حضور الميقات لإنزال التوراة عليه وفضيلة بني إسرائيل ليكون ذلك تنبيهاً للحاضرين على علو درجتهم وتعريفاً للغائبين وتكملة للدين كان ذلك من أعظم النعم فلما أتوا عقب ذلك بأقبح أنواع الكفر والجهل كان ذلك في محل التعجب فهو كمن يقول: إنني أحسنت إليك وفعلت كذا وكذا ثم إنك تقصدني بالسوء والأذى ﴿وأنتم ظالمون﴾ بإشراككم ووضعكم للشيء في غير موضعه أي: وضع عبادة الله تعالى في غير موضعها بعبادة العجل وهو حال من ضمير اتخذتم.

﴿ثم عفونا عنكم﴾ أي: محونا جريمتكم حين تبتم ﴿من بعد ذلك﴾ أي: من بعد الاتخاذ الذي هو متناه في القبح فلم نعاجلكم بالإهلاك بل أمهلناكم إلى مجيء موسى فنبهكم وأخبركم بكفارة ذنوبكم ﴿لعلكم تشكرون﴾ لكي تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة فإن الأنعام يوجب الشكر وأصل الشكر تصور النعمة وإظهارها وحقيقته العجز عن الشكر، قال السعدي:

خردمند طبعان منت شناس بد وزند نعمت بميخ سپاس

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وإذ آتينا﴾ أعطينا ﴿موسى الكتاب والفرقان﴾ أي: التوراة الجامعة بين كونها كتاباً وحجة تفرق بين الحق والباطل كقولك لقيت الغيث والليث تريد الجامع بين الجود والجراءة فالمراد بالفرقان والكتاب واحد. ﴿لعلكم تهتدون﴾ لكي تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه وهذا بيان الحكمة دون العلة أي: الحكمة في إنزاله أن يتدبروا فيه فيعلموا أن الله تعالى لم يفعل ذلك به إلا للدلالة على صحة نبوته فيجتهدوا بذلك في اتباع الرشد وإذا فعلتم ذلك آمنتم بمحمد لأنه قد أتى من المعجزات بما يدلكم إذا تدبرتم على صحة دعواه النبوة.

روي أن بني إسرائيل لما أمنوا من عدوهم بإغراق الله آل فرعون ودخلوا مصر لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليها فوعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه: إني ذاهب لميقات ربي آتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وتذرون ووعدهم أربعين ليلة واستخلف عليهم أخاه هارون فلما أتى الوعد جاءه جبريل على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيئاً إلا حيي ليذهب بموسى إلى ربه فلما رآه السامري وكان رجلاً صائغاً من أهل باجرمي واسمه

ميحا ورأى مواضع الفرس تخضر من ذلك وكان منافقاً أظهر الإسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما رأى جبريل على ذلك الفرس قال: إن لهذا شأناً وأخذ قبضة من تربة حافر فرس جبريل وقيل: إنه عرف جبريل لأن أمه حين خافت عليه أن يذبح سنة ذبح فرعون أبناء بني إسرائيل خلفته في غابة وكان جبريل يأتيه فيغذيه بأصابعه فكان السامري يمص من إبهام يمينه عسلاً ومن إبهام شماله سمناً فلما رآه حين عبر البحر عرفه فقبض قبضة من أثر فرسه فلم تزل القبضة في يده حتى انطلق موسى إلى الطور وكان السامري سمعهم حين خرجوا من البحر وأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا: يا موسى اجعل لنا إلَهاً كما لهم آلهة ووقع في نفسه أن يفتنهم من هذا الوجه وكان بنو إسرائيل استعاروا حلياً كثيرة من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فأهلك الله تعالى فرعون وبقيت تلك الحلي في يدي بني إسرائيل فلما ذهب موسى إلى المناجاة عد بنو إسرائيل اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوماً قالوا: قد تم أربعون ولم يرجع موسى إلينا فخالفنا فقال السامري: هاتوا الحلي التي استعرتموها أو أن موسى أمرهم أن يلقوها في حفرة حتى يرجع ويفعل ما يرى فيها فلما اجتمعت الحلي صاغها السامري عجلاً في ثلاثة أيام ثم ألقى فيها القبضة التي أخذها من تراب سنبك فرس جبريل فخرجت عجلاً من ذهب مرصعاً بالجواهر كأحسن ما يكون فصار جسداً له حوار أي: صوت كصوت العجل وله لحم ودم وشعر وقيل: دخل الريح في جوفه من خلفه وخرج من فيه كهيئة الخوار فقال للقوم: هذا إلَهكم وإلَه موسى فنسي أي: أخطأ موسى الطريق وربه هنا وهو ذهب يطلبه فأقبلوا كلهم على عبادة العجل إلا هارون مع اثني عشر ألفاً اتبعوا هارون ولم يتبعه غيرهم وهارون قد نصحهم ونهاهم وقال: يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمٰن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا: لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى وقيل: كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشر وكانت فتنتهم في تلك العشر فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى وظنوا أنه قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامري عكفوا على العجل يعبدونه. قال أبو الليث في «تفسيره»: وهذا الطريق أصح فلما رجع موسى ووجدهم على ذلك ألقى الألواح فرفع من جملتها ستة أجزاء وبقي جزء واحد وهو الحلال والحرام وما يحتاجون وأحرق العجل وذراه في البحر فشربوا من مائه حباً للعجل فظهرت على شفاههم صفرة ورمت بطونهم فتابوا ولم تقبل توبتهم دون أن يقتلوا أنفسهم هذه حالهم وأما هذه الأمة فلا يحتاجون إلى قتل النفس في الصورة وتوبتهم الحقيقية إنما هي الرجوع إلى الله بقتل النفس الأمارة التي تعبد عجل الهوى، قال في «المثنوي»:

أي شهان كشتيم ما خصم برون   مانـد خصمـي زوبتردر اندرون
كشتن اين كار عقل وهوش نيست   شير باطن سخرة خركوش نيست
نفس ازدرها ست أوكي مرده است   ازغم بي آلتي افسرده است
كربـابـد آلت فرعـون أو   كـه بـامر أوهمي رفت آب جو
آنكه اوبنياد فرعوني كند   راه صد موسى وصد هارون زند

واعلم أن تعيين عدد الأربعين في الميعاد لاختصاصه في الكمالية وذلك لأن مراتب الأعداد أربع: الآحاد والعشرات والمئات والألوف والعشرة عدد في نفسها كلها كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] وإذا ضعفت العشرة أربع مرات وهو كمال مراتب الأعداد تكون

أربعين وهو كمال الكمال وهو إعداد أيام تخمير طينة آدم عليه السلام كقوله تعالى: «خمرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً» فللأربعين خاصية وتأثير لم توجد في غيره من الإعداد كما قال ﷺ: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك» الحديث كما أن انعقاد الطلسم الجسماني على وجه الكنز الروحاني كان مخصوصاً بالأربعين كذلك انحلاله يكون باختصاص الأربعين سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

وأما اختصاص الليل بالذكر في قوله أربعين ليلة فلمعنيين:

أحدهما: إن لليل خصوصية في التعبد والتقرب كقوله عليه السلام: «إن أقرب ما يكون العبد من الرب في جوف الليل» وهكذا قوله عليه السلام: «ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا» الحديث ولهذا المعنى قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩] الآية وقال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١] والآخر إنه لو ذكر اليوم دون الليل يظن أنه موعود بالتعبد في النهار دون الليل وإنما الليل جعل للاستراحة والسكون كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ [يونس: ٦٧] فلما خص الليل بالذكر علم موسى عليه السلام أن التعبد في الليل واليوم جميعاً كذا في «التأويلات النجمية»، قال الشيخ الشهير بافتادة أفندي قدس سره أن النبي عليه السلام لم يعين الأربعين بل اعتكف في العشر الأخير نعم فعل موسى عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾ [الأعراف: ١٢٢] والخلوتية أخذوا من ذلك كذا في «واقعات الشيخ الهدائي» قدس الله نفسه الزاكية.

قال في «التأويلات النجمية» أيضاً: الشكر على ثلاثة أوجه شكر بالأقوال وشكر بالأعمال وشكر بالأحوال. فشكر الأقوال أن يتحدث بالنعم مع نفسه إسراراً ومع غيره إظهاراً ومع ربه افتقاراً كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾ [الضحى: ١١] وقوله ﷺ: «التحدث بالنعم شكر» وشكر الأعمال أن يصرف نعمة الله في طاعته ولا يعصيه بها ويتدارك ما فاته من الطاعات وبادره من المعاصي كقوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣] وشكر الأحوال أن يتجلى المنعم بصفة الشكورية على سر العبد فلا يرى إلا المنعم في النعمة والشكور في الشكر ويرى المنعم في النعم والنعمة من المنعم والشكور في الشكر والشكر من الشكور ويرى وجوده وشكره نعمتين من نعم المنعم ورؤية النعمة فيكون نعمة وجوده مرآة جمال المنعم ويكون شكره مرآة جمال الشكور ورؤية المنعم والنعمة نعمة أخرى إلى غير نهاية فيعلم أن لا يقوم بأداء شكره ولا يشكره إلا الشكور ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور.

﴿و﴾ اذكروا يا بني إسرائيل هذا هو الإنعام الخامس ﴿**إذ قال موسى**﴾ وقت قوله: ﴿**لقومه**﴾ الذين عبدوا العجل ﴿**يا قوم**﴾ أي: يا قومي والإضافة للشفقة ﴿**إنكم ظلمتم أنفسكم**﴾ أي: ضررتم أنفسكم بإيجاب العقوبة عليها ونقصتم الثواب الواجب بالإقامة على عهد موسى ﴿**باتخاذكم العجل**﴾ أي: معبوداً قالوا أي: شيء نصنع قال: ﴿**فتوبوا**﴾ أي: فاعزموا على التوبة والفاء للسببية لأن الظلم سبب للتوبة ﴿**إلى بارئكم**﴾ أي: من خلقكم بريئاً من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة والتعرض لعنوان البارئية للإرشاد بأنهم بلغوا من الجهالة أقصاها ومن الغباوة منتهاها حيث تركوا عبادة العليم

الحكيم الذي خلقهم بلطيف حكمته بريئاً من التفاوت والتنافر إلى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة وإن من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بأن تسترد هي منه ولذلك أمروا بالقتل وفك التركيب وقالوا كيف نتوب؟ قال: ﴿**فاقتلوا أنفسكم**﴾ أي: ليقتل البريء منكم المجرم وإنما قال أنفسكم لأن المؤمنين إخوة وأخو الرجل كأنه نفسه قال تعالى: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحجرات: ١١] يعني: ذكر قتل الأنفس وأراد به قتل الإخوان وهذا كما قال ولا تلمزوا أنفسكم أي: ولا تغتابوا إخوانكم من المسلمين كذا في «التيسير» و«تفسير أبي الليث» والفاء للتعقيب وتوبتهم هي قتلهم أي: فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم كذا في «الكشاف» وقال في «التفسير الكبير» وليس المراد تفسير التوبة بقتل النفس بل بيان أن توبتهم لا تتم ولا تحصل إلا بقتل النفس وإنما كان كذلك لأن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن توبة المرتد لا تتم إلا بالقتل ﴿**ذلكم**﴾ أي: التوبة والقتل. ﴿**خير لكم عند بارئكم**﴾ أنفع لكم عند الله من الامتناع الذي هو إصرار وفيه عذاب لما أن القتل طهرة من الشرك ووصلة إلى الحياة الأبدية والبهجة السرمدية.

﴿**فتاب عليكم**﴾ خطاب منه تعالى أي: ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم بارئكم أي: قبل توبتكم وتجاوز عنكم وإنما لم يقل فتاب عليهم على أن الضمير للقوم لما أن ذلك نعمة أريد التذكير بها للمخاطبين لا لأسلافهم. فإن قلت إنه تعالى أمر بالقتل والقتل لا يكون نعمة. قلت: إن الله نبههم على عظيم ذنبهم ثم نبههم على ما به يتخلصون من ذلك العظيم وذلك من النعم في الدين. ﴿**إنه**﴾ الله تعالى ﴿**هو التواب**﴾ أي: الذي يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ في قبولها منهم ﴿**الرحيم**﴾ كثير الرحمة للمطيعين أمره حيث جعل القتل كفارة لذنوبهم، قال السعدي:

فرومانـد كـانـرا بـرحـمـت قـريـب تـضـرع كـنـانـرا بـدعـوت مـجـيـب

روي أنهم لما أمرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لأمر الله فجلسوا بالأفنية محتبين مذعنين وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه إلى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردود توبته وأصلت القوم عليهم الخناجر أي: حملوا عليهم الخناجر ورفعوا وضربوهم بها وكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره فلم يمكنهم المضي لأمر الله قالوا: يا موسى كيف تفعل؟ فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضاً فكانوا يقتلونهم إلى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهارون وبكيا وتضرعا وقالا: يا رب هلكت بنو إسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة ونزلت التوبة وأمرهم أن يكفوا عن القتل فقتل منهم سبعون ألفاً فكان من قتل شهيداً ومن بقي مغفورة ذنوبه وأوحى إلى موسى عليه السلام أني أدخل القاتل والمقتول الجنة هذا على رواية أن القاتل من المجرمين على أن معنى قوله ﴿**فاقتلوا أنفسكم**﴾ ليقتل بعض المجرمين بعضاً فالقاتل هو الذي بقي من المجرمين بعد نزول أمر الكف عن القتل وإلا فالقاتل على الرواية الأخرى هو البريء كما سبق في تفسير الآية. روي أن الأمر بالقتل من الأغلال التي كانت عليهم وهي المواثيق اللازمة لزوم الغل ومن الإصر وهو الأعمال الشاقة كقطع الأعضاء الخاطئة وعدم جواز صلاتهم في غير المسجد وعدم التطهير بغير الماء وحرمة أكل الصائم بعد النوم ومنع الطيبات عنهم بالذنوب وكون الزكاة ربع مالهم وكتابة ذنب الليل على الباب بالصبح وكما روي أن بني إسرائيل إذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا أيديهم إلى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية وحبس نفسه

على العبادة فهذه الأمور رفعت عن هذه الأمة تكريماً للنبي ﷺ.

فالتوبة نعمة من الله أنعم بها على هذه الأمة دون غيرها ولها أربع مراتب:

فالأولى مختصة باسم التوبة: وهي أول منزل من منازل السالكين وهي للنفس الأمارة وهذه مرتبة عوام المؤمنين وهي ترك المنهيات والقيام بالمأمورات وقضاء الفوائت ورد الحقوق والاستحلال من المظالم والندم على ما جرى والعزم على أن لا يعود.

والمرتبة الثانية الإنابة: وهي للنفس اللوامة وهذه مرتبة خواص المؤمنين من الأولياء والإنابة إلى الله بترك الدنيا والزهد في ملاذها وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس بمخالفة هواها والمداومة على جهادها فالنفس إذا تحلت بالإنابة دخلت في مقام القلب واتصفت بصفته لأن الإنابة من صفات القلب قال تعالى: ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [قَ: ٣٣].

والمرتبة الثالثة الأوبة: وهي للنفس الملهمة وهذه مرتبة خواص الأولياء والأوبة إلى الله من آثار الشوق إلى لقائه فالنفس إذا تحلت بالأوبة دخلت في مقام الروح ومن أمارات الأواب المشتاق أن يستبدل المخالطة بالعزلة ومنادمة الأخدان بالخلوة ويستوحش عن الخلق ويستأنس بالحق ويجاهد نفسه في الله حق جهاده ساعياً في قطع تعلقاتها عن الكونين.

والمرتبة الرابعة: وهي للنفس المطمئنة وهي مرتبة الأنبياء وأخص الأولياء قال تعالى: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٨] وهي صورة جذبة العناية الربوبية نفوس الأنبياء والأولياء تجذبها من أنانيتها إلى هوية ربوبيته راضية أي: طائعة تلك النفوس شوقاً إلى لقاء ربها مرضية أي: على طريقة مرضية في السير لربها باذلة نفسها في مشاهدة اللقاء طامعة لرفع الاثنينية ودوام الالتقاء. قيل لما قدم الحلاج لتقطع يده قطعت اليد اليمنى أولاً فضحك ثم قطعت اليد اليسرى فضحك ضحكاً بليغاً فخاف أن يصفر وجهه من نزف الدم فكب وجهه على الدم السائل ولطخ وجهه بدمه وأنشأ يقول:

الله يعلم أن الروح قد تلفت ... شوقاً إليك ولكني أمنيها
ونظرة منك يا سؤلي ويا أملي ... أشهى إليّ من الدنيا وما فيها
يا قوم إني غريب في دياركمو ... سلمت روحي إليكم فاحكموا فيها
ما أسلم النفس للأسقام تتلفها ... إلا لعلمي بأن الوصل يحييها
نفسُ المحب على الآلام صابرة ... لعل مسقمها يوماً يداويها

ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: يا مولاي إني غريب في عبادك وذكرك أغرب مني والغريب يألف الغريب ثم ناده رجل وقال: يا شيخ ما العشق؟ قال: ظاهره ما ترى وباطنه دق عن الورى.

وفي «التأويلات النجمية»: إن لكل قوم عجلاً يعبدونه من دون الله قوم يعبدون عجل الدراهم والدنانير وقوم يعبدون عجل الشهوات وقوم يعبدون عجل الجاه وقوم يعبدون عجل الهوى وهذا أبغضها على الله فالله تعالى يلهم موسى قلب كل سعيد ليقول: يا قوم ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] أي: ارجعوا إلى الله بالخروج عما سواه ولا يمكنكم إلا بقتل النفس ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ بقمع الهوى لأن الهوى هو حياة النفس وبالهوى ادعى فرعون الربوبية وعبد بنو إسرائيل العجل وبالهوى أبى واستكبر إبليس أو ارجعوا بالاستنصار على قتل النفس بنهيها عن هواها فاقتلوا أنفسكم بنصر الله وعونه فإن قتل النفس في

الظاهر ييسر للمؤمن والكافر فأما قتل النفس في الباطن وقهرها فأمر صعب لا يتيسر إلا لخواص الحق بسيف الصدق وبنصر الحق ولهذا جعل مرتبة الصديقين فوق مرتبة الشهداء وكان النبي ﷺ إذا رجع من غزو يقول: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» وذلك لأن المجاهد إذا قتل بسيف الكفار يستريح من التعب بمرة واحدة وإذا قتل بسيف الصدق في يوم ألف مرة تحيا كل مرة نفس على بصيرة أخرى وتزداد في مكرها فلا يستريح المجاهد طرفة عين من جهادها ولا يأمن مكرها وبالحقيقة النفس هي صورة مكر الحق ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴿ذلكم خير لكم عند بارئكم﴾ يعني قتل النفس بسيف الصدق خير لكم لأن بكل قتلة رفعة ودرجة لكم عند بارئكم فأنتم تتقربون إلى الله بقتل النفس وقمع الهوى وهو يتقرب إليكم بالتوفيق للتوبة والرحمة عليكم كما قال: «من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً» وذلك قوله: ﴿فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم﴾، قال «المثنوي»:

آب تـوبـش ده اكـر اوبـي نـم اسـت عمرا كربكذشت بيخش أين دم است
تـادرخـت عـمـر كـردد بـاثـبـات بـيـخ عـمـرت را بـده آب حـيـات

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وإذ قلتم﴾ هذا هو الإنعام السادس، أي: واذكروا يا بني إسرائيل وقت قول السبعين من أسلافكم الذين اختارهم موسى حين ذهبوا معه إلى الطور للاعتذار عن عبادة العجل وهم غير السبعين الذين اختارهم موسى أول مرة حين أراد الانطلاق إلى الطور بعد غرق فرعون لإتيان التوراة ﴿يا موسى لن نؤمن لك﴾ لن نصدقك لأجل قولك ودعوتك على أن هذا كتاب الله وأنك سمعت كلامه وأن الله تعالى أمرنا بقبوله والعمل به ﴿حتى نرى الله جهرة﴾ أي: عياناً لا ساتر بيننا وبينه كالجهر في الوضوح والانكشاف لأن الجهر في المسموعات والمعاينة في المبصرات ونصبها عن المصدرية لأنها نوع من الرؤية فكأنها مصدر الفعل الناصب أو حال من الفاعل والمعنى حتى نرى الله مجاهرين أو من المفعول والمعنى حتى نرى الله مجاهراً بفتح الهاء ﴿فأخذتكم الصاعقة﴾ هي نار محرقة فيها صوت نازلة من السماء وهي كل أمر مهول مميت أو مزيل للعقل والفهم وتكون صوتاً وتكون ناراً وتكون غير ذلك وإنما أحرقتهم الصاعقة لسؤالهم ما هو مستحيل على الله في الدنيا ولفرط العناد والتعنت، وإنما الممكن أن يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة وللأفراد من الأنبياء في بعض الأحوال في الدنيا ﴿وأنتم تنظرون﴾ إلى الصاعقة النازلة فإن كانت ناراً فقد عاينوها وإن كانت صوتاً هائلاً فقد مات بعضهم أولاً ورأى السابقون أنهم ماتوا ويسمى هذا رؤية الموت مجازاً.

﴿ثم بعثناكم﴾ أي: أحييناكم ﴿من بعد موتكم﴾ بتلك الصاعقة وقيد البعث بقوله من بعد موتكم مع أنه يكون بعد الموت لما أنه قد يكون من الإغماء أو من النوم. قال قتادة: أحياهم ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم وكان ذلك الموت بلا أجل وكانت تلك الموتة لهم كالسكتة لغيرهم قبل انقضاء آجالهم ولو ماتوا بآجالهم لم يبعثوا إلى يوم القيامة. فإن قلت كيف يجوز أن يكلفهم وقد أماتهم ولو جاز ذلك فلم لا يجوز أن يكلف أهل الآخرة إذا بعثوا بعد الموت؟ قلنا: الذي يمنع من تكليفهم في الآخرة هو الإماتة ثم الإحياء وإنما يمنع من ذلك لأنه قد

اضطرهم يوم القيامة إلى معرفته وإلى معرفة ما في الجنة من اللذات وما في النار من الآلام وبعد العلم الضروري لا تكليف فإذا كان المانع هو هذا لم يمتنع في هؤلاء الذين أماتهم الله بالصعقة أن لا يكون قد اضطرهم وإذا كان كذلك صح أن يكلفوا من بعد ويكون موتهم ثم الإحياء بمنزلة النوم أو بمنزلة الإغماء. ﴿**لعلكم تشكرون**﴾ نعمة الحياة بالتوحيد والطاعة أو لعلكم تشكرون وقت مشاهدتكم بأس الله بالصاعقة نعمة الإيمان التي كفرتموها بقولكم: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فإن ترك النعمة لأجل طلب الزيادة كفران لها أي: لعلكم تشكرون نعمة الإيمان فلا تعودون إلى اقتراح شيء بعد ظهور المعجزة.

وأصل القصة أن موسى عليه السلام لما رجع من الطور إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لأخيه والسامري ما قال وأحرق العجل وألقاه في البحر وندم القوم على ما فعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين أمر الله موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل فاختار موسى سبعين من قومه من خيارهم فلما خرجوا إلى الطور قالوا لموسى: سل ربنا حتى يسمعنا كلامه فسأل موسى عليه السلام ذلك فأجابه الله ولما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا من موسى ذلك الغمام حتى دخل فيه وقال للقوم ادخلوا فكلم الله موسى يأمره وينهاه وكلما كلمه تعالى أوقع على جبهته نوراً ساطعاً لا يستطيع أحد من السبعين النظر إليه وسمعوا كلامه تعالى مع موسى افعل لا تفعل فعند ذلك طمعوا في الرؤية وقالوا ما قالوا فأخذتهم الصاعقة فخروا صاعقين ميتين يوماً وليلة فلما ماتوا جميعاً جعل موسى يبكي ويتضرع رافعاً يديه إلى السماء يدعو ويقول: يا إلَهي اخترت من بني إسرائيل سبعين رجلاً ليكونوا شهودي بقبول توبتهم وماذا أقول لهم إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم لو شئت أهلكتهم قبل هذا اليوم مع أصحاب العجل أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله ورد إليهم أرواحهم وطلب توبة بني إسرائيل من عبادة العجل فقال: لا إلا أن يقتلوا أنفسهم قالوا إن موسى عليه السلام سأل الرؤية في المرة الأولى في الطور ولم يمت لأن صعقته لم تكن موتاً ولكن غشية بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وسأل قومه في المرة الثانية حين خرجوا للاعتذار وماتوا وذلك لأن سؤال موسى كان اشتياقاً وافتقاراً وسؤال قومه كان تكذيباً واجتراء ولم يسألوا سؤال استرشاد بل سؤال تعنت فإنهم ظنوا أنه تعالى يشبه الأجسام وطلبوا رؤيته رؤية الأجسام في الجهات والأحياز المقابلة للرائي وهي محال وليس في الآية دليل على نفي الرؤية بل فيها إثباتها وذلك أن موسى عليه السلام لما سأله السبعون لم ينههم عن ذلك وكذلك سأل هو ربه الرؤية فلم ينهه عن ذلك بل قال: ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] وهذا تعليق بما يتصور.

قال بعض العلماء الحكماء الحكمة في أن الله تعالى لا يرى في الدنيا وجوه:

الأول: أن الدنيا دار أعدائه لأن الدنيا جنة الكافر.

الثاني: لو رآه المؤمن لقال الكافر لو رأيته لعبدته ولو رأوه جميعاً لم يكن لأحدهما مزية على الآخر.

الثالث: أن المحبة على غيب ليست كالمحبة على عين.

الرابع: أن الدنيا محل المعيشة ولو رآه الخلق لاشتغلوا عن معائشهم فتعطلت.

الخامس: أنه جعلها بالبصيرة دون البصر ليرى الملائكة صفاء قلوب المؤمنين.

السادس: ليقدر قدرها إذ كل ممنوع عزيز.

السابع: إنما منعها رحمة بالعباد لما جبلوا عليه في هذه الدار من الغيرة إذ لو رآه أحد تصدع قلبه من رؤية غيره إياه كما تصدع الجبل غيرة من أن يراه موسى.

والإشارة في الآية أن مطالبة الرؤية جهرة هي تعريض مطالبة الذات غفلة فيوجب سوء الأدب وترك الحرمة وذلك من أمارات البعد والشقاوة فمن سطوات العظمة والعزة أخذتهم الرجفة والصعقة إظهاراً للعدل ثم أفاض عليهم سجال النعي إسبالاً للسر على هيئات العبيد والخدم وقال: ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ إظهاراً للفضل ومن علامات الوصلة ودلالات السعادة التولي بمكاشفات العزة مقروناً بملاطفات القربة فمن أصلح حاله لم يطلق لسان الجهل بل أتى البيت من بابه ويتأدب في سؤاله وجوابه، قال في «المثنوي»:

پيش بينايان كنى ترك أدب   نار شهوت را ازان كشتى حطب
چون نداري فطنت ونور هدا   بهر كوران روى را ميزن جلا

ولا بد من قتل النفس الأمارة حتى تحكم في عالم الحقيقة بما شئت. قال القشيري التوبة بقتل النفوس غير منسوخة في هذه الأمة إلا أن بني إسرائيل كان لهم قتل أنفسهم جهراً وهذه الأمة توبتهم بقتل أنفسهم في أنفسهم سراً وأول قدم هو القصد إلى الله والخروج من النفس لله قال: ولقد توهم الناس أن توبة بني إسرائيل كانت أشق وليس كما توهموا فإن ذلك كان مرة واحدة وأهل الخصوص من هذه الأمة قتلهم أنفسهم في كل لحظة كما قيل:

ليس من مات فاستراح بميت   إنما الميت ميت الاحياء

وفي «المثنوي»:

قوت ازحق خواهم وتوفيق ولاف   تابسوزن بر كنم اين كوه قاف
سهل شيري دانكه صفها بشكند   شير آنست آنكه خودرابشكند

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وظللنا عليكم الغمام﴾ هذا هو الإنعام السابع، أي: جعلنا الغمام ظلة عليكم يا بني إسرائيل وهذا جرى في التيه بين مصر والشام فإنهم حين خرجوا من مصر وجاوزوا البحر وقعوا في صحراء لا أبنية فيها أمرهم الله تعالى بدخول مدينة الجبارين وقتالهم فقبلوا فلما قربوا منها سمعوا بأن أهلها جبارون أشداء قامة أحدهم سبعمائة ذراع ونحوها فامتنعوا وقالوا لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] فعاقبهم الله بأن يتيهوا في الأرض أربعين سنة وكانت المفازة يعني التيه اثني عشر فرسخاً فأصابهم حر شديد وجوع مفرط فشكوا إلى موسى فرحمهم الله فأنزل عليهم عموداً من نور يدلى لهم من السماء فيسير معهم بالليل يضيء لهم مكان القمر إذا لم يكن قمر وأرسل غماماً؛ أبيض رقيقاً أطيب من غمام المطر يظللهم من حر الشمس في النهار وسمي السحاب غماماً لأنه يغم السماء أي يسترها والغم حزن يستر القلب ثم سألوا موسى الطعام فدعا ربه فاستجاب له وهو قوله تعالى: ﴿وأنزلنا عليكم المن﴾ أي: الترنجبين بفتح الراء وتسكين النون كان أبيض مثل الثلج كالشهد المعجون بالسمن أو المن جميع ما منّ الله به على عباده من غير تعب ولا زرع ومنه قوله عليه الصلاة

والسلام: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين» أي: مما منّ الله على عباده والظاهر أن مجرد مائه شفاء لأنه عليه السلام أطلق ولم يذكر الخلط ولما روي عن أبي هريرة أنه قال: عصرت ثلاثة أكمؤ وجعلت ماءها في قارورة فكحلت منه جارية لي فبرئت بإذن الله تعالى. وقال النووي رأينا في زماننا أعمى كحل عينه بمائها مجرداً فشفي وعاده إليه ثم لما ملّوا من أكله قالوا: يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم فأنزل الله عليهم السلوى وذلك قوله: ﴿والسلوى﴾ هو السماني كانت تحشره عليهم الريح الجنوب وكانت الريح تقطع حلوقها وتشق بطونها وتمعط شعورها وكانت الشمس تنضجها فكانوا يأكلونها مع المن وأكثر المفسرين على أنهم يأخذونها فيذبحونها فكان ينزل عليهم المن نزول الثلج من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وتأتيهم السلوى فيأخذ كل إنسان منهم كفايته إلى الغد إلا يوم الجمعة يأخذ ليومين لأنه لم يكن ينزل يوم السبت لأنه كان يوم عبادة فإن أخذ أكثر من ذلك دوّد وفسد ﴿كلوا﴾ أي: قلنا لهم كلوا: ﴿من طيبات﴾ حلالات ﴿ما رزقناكم﴾ من المن والسلوى ولا ترفعوا منه شيئاً ادخاراً ولا تعصوا أمري فرفعوا وجعلوا اللحم قديداً مخافة أن ينفد ولو لم يرفعوا لدام عليهم ذلك، والطيب: ما لا تعافه طبعنا ولا تكرهه شرعاً ﴿وما ظلمونا﴾ أي: فظلموا بأن كفروا تلك النعمة الجليلة وادخروا بعدما نهوا عنه وما ظلمونا أي: ما بخسوا بحقنا ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ باستيجابهم عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤونة في الدنيا ولا حساب في العقبى فرفعنا ذلك عنهم لعدم توكلهم علينا، قال في «المثنوي»:

سالها خوردي وكم نامد زخور ترك مستقبل كن وماضي نكر

قال رسول الله ﷺ: «لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا خيانة حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر» واستمر النتن من ذلك الوقت لأن البادىء للشيء كالحامل للغير على الإتيان به وكذلك استمرت الخيانة من النساء لأن أم النساء خانت بأن أغواها إبليس قبل آدم حتى أكلت من الشجرة ثم أتت آدم فزينت له ذلك حتى حملته على أن أكل منها فاستمرت تلك الخيانة من بناتها لأزواجها، قال السعدي:

كراخانه آباد وهمخوا به دوست خدارا برحمت نظر سوى اوست

قال في «الأشباه والنظائر»: الطعام إذا تغير واشتد تغيره تنجس وحرم واللبن والزيت والسمن إذا أنتن لا يحرم أكله انتهى. والإشارة في الآية أنه تعالى لما أدبهم بسوط الغربة أدركهم بالرحمة في وسط الكربة فأكرمهم بالإنعام وظللهم بالغمام ومنّ عليهم بالمن وسلاهم بالسلوى فلا شعورهم كانت تطول ولا أظفارهم كانت تنبت ولا ثيابهم كانت تخلق أو تنسخ وتدرن بل كانت تنمو صغارها حسب نمو الصغار والصبيان ولا شعاع الشمس كان ينبسط وكذلك سنته بمن حال بينه وبين اختياره يكون ما اختاره خيراً له مما يختاره العبد لنفسه فما ازدادوا بشؤم الطبيعة إلا الوقوع في البلوى كما قيل: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧] بأمر الشرع ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ [البقرة: ٥٧] إذ تصرفوا فيها بالطبع ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧] بالحرص على الدنيا ومتابعة الهوى. قال في التنوير وما أدخلك الله فيه تولى إعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك إليه فلا تكفر نعمة الله عليك فيما تولاك به من ذلك كان بعضهم يسير في البادية وقد أصابه العطش فانتهى إلى بئر فارتفع الماء إلى رأس البئر فرفع رأسه

إلى السماء وقال: أعلم أنك قادر ولكن لا أطيق هذا فلو قيضت لي بعض الأعراب يصفعني صفعات ويسقيني شربة ماء كان خيراً لي ثم إني أعلم أن ذلك الرفق من جهته فقد عرفت أن مكر الله خفي فلا تغرنك النعم الظاهرة والباطنة وليكن عزمك على الشكر والإقامة في حد أقامك الله فيه وإلا فتضل وتشقى. وقد قال الشيخ أبو عبد الله القرشي من لم يكن كارهاً لظهور الآيات وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور المعاصي فهي حجاب في حقه وسترها عنه رحمة فالنعمة كما أنها سبب للسعادة كذلك هي سبب للشقاوة استدراجاً، قال في «المثنوي»:

بنده مي نالد بحق ازدرد ونيش صد شكايت ميكند ازرنج خويش
حق همي كويدكه آخر رنج ودرد مرترا لابه كنان وراست كرد
أين كله زان نعمتي كن كت زند ازدرما دور ومطرودت كند

فلا بد للمؤمن السالك من الفناء عن الذات والصفات والأفعال والدور مع الأمر الإلهي في كل حال حتى يكون من الصديقين وأهل اليقين اللهم لا تؤمنا مكرك ولا تنسنا ذكرك واجعلنا من الذين معك في تقلباتهم وكل معاملاتهم آمين آمين آمين بجاه النبي الأمين.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وإذ قلنا﴾ هذا هو الإنعام الثامن لأنه تعالى أباح لهم دخول البلدة وأزال عنهم التيه أي: اذكروا يا بني إسرائيل وقت قولنا لآبائكم إثر ما أنقذتم من التيه. ﴿ادخلوا هذه القرية﴾ منصوب على الظرفية، أي: مدينة بيت المقدس والقرية بفتح القاف وكسرها ما يجتمع فيه الناس أخذاً من القرى ﴿فكلوا منها حيث شئتم رغداً﴾ أي: أكلاً واسعاً هنيئاً على أن النصب على المصدرية أو هو حال من الواو في كلوا أي: راغدين متوسعين وفيه دلالة على أن المأمور به الدخول على وجه الإقامة والسكنى. قال في «التيسير»: أي أبحنا لكم ووسعنا عليكم فتعيشوا فيها أنى شئتم بلا تضييق ولا منع وهو تمليك لهم بطريق الغنيمة وذكر الأكل لأنه معظم المقصود. ﴿وادخلوا الباب﴾ أي: باباً من أبواب القرية وكان لها سبعة أبواب والمراد الباب الثاني من بيت المقدس ويعرف اليوم بباب حطة أو باب القبة التي كان يتعبد فيها موسى وهارون ويصليان مع بني إسرائيل إليها ﴿سجدا﴾ أي: ركعاً منحنين ناكسي رؤوسكم بالتواضع على أن يكون المراد به معناه الحقيقي أو ساجدين لله تعالى شكراً على إخراجكم من التيه على أن يكون المراد به معناه الشرعي ﴿وقولوا حطة﴾ رفع بخبرية المبتدأ المحذوف أي: مسألتنا من الله أن يحط عنا ذنوبنا أو نصب أي: حط عنا ذنوبنا حطة وقيل أريد بها كلمة الشهادة أي: قولوا كلمة الشهادة الحاطة للذنوب ﴿نغفر لكم﴾ مجزوم على أنه جواب الأمر من الغفر وهو الستر أي: نستر عليكم ﴿خطاياكم﴾ جمع خطيئة ضد الصواب أي: ذنوبكم فلا نجازيكم بها لما تفعلون من السجود والدعاء وهم الذين عبدوا العجل ثم تابوا ﴿وسنزيد المحسنين﴾ ثواباً من فضلنا وهم الذين لم يعبدوا العجل والمحسن من أحسن في فعله وإلى نفسه وغيره وقيل المحسن من صحح عقد توحيده وأحسن سياسة نفسه وأقبل على أداء فرائضه وكف شره وقيل هو الفاعل ما يجمل طبعاً ويحمد شرعاً وأخرج ذلك عن صورة الجواب إلى الوعد إيذاناً بأن

المحسن بصدد زيادة الثواب وإن لم يقل حطة فكيف إذا قالها واستغفر وأنه يقول ويستغفر لا محالة أمرهم بشيئين بعمل يسير وقول صغير فالعمل الانحناء عند الدخول والقول التكلم بالمقول ثم وعد عليهما غفران السيئات والزيادة في الحسنات.

﴿فبدل الذين ظلموا﴾ أي: غيّر الذين ظلموا أنفسهم بالمعصية ما قيل لهم من التوبة والاستغفار ﴿قولاً﴾ آخر مما لا خير فيه فأحد مفعولي بدل محذوف ﴿غير الذي قيل لهم﴾ غير نعت لقولا وإنما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقاً لمخالفتهم وتنصيصاً على المغايرة من كل وجه.

روي أنهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل: قالوا بالنبطية وهي لغتهم حطاً سمقاناً يعنون حنطة حمراء استخفافاً بأمر الله تعالى وقال مجاهد: طوطىء لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فأبوا أن يدخلوا سجداً فدخلوا يزحفون على استاهم مخالفة في الفعل كما بدلوا القول وأما المحسنون ففعلوا ما أمروا به ولذا لم يقل فبدلوا بل قال فبدل الذين ظلموا وظاهره أنهم بدلوا القول وحده دون العمل وبه قال جماعة وقيل: بل بدلوا العمل والقول جميعاً ومعنى قوله: ﴿قولا غير الذي قيل لهم﴾ أي: أمراً غير الذي أمروا به فإن أمر الله قول وهو تغيير جميع ما أمروا به ﴿فأنزلنا﴾ أي: عقيب ذلك ﴿على الذين ظلموا﴾ أي: غيروا ما أمروا به ولم يقل عليهم على الاختصار وقد سبق ذكر الذين ظلموا في الآية لأنه سبق ذكر المحسنين أيضاً فلو أطلق لوقع احتمال دخول الكل فيه ثم هذا ليس بتكرار لأن الظلم أعم من الصغائر والكبائر والفسق لا بد وأن يكون من الكبائر فالمراد بالظلم هٰهنا الكبائر بقرينة الفسق والمراد بالظلم المتقدم هو ما كان من الصغائر ﴿رجزاً من السماء﴾ أي: عذاباً مقدراً والتنوين للتهويل والتفخيم. ﴿بما﴾ مصدرية ﴿كانوا يفسقون﴾ بسبب خروجهم عن الطاعة والرجز في الأصل ما يعاف ويستكره وكذلك الرجس والمراد به الطاعون. روي أنه مات في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً ودام فيهم حتى بلغ سبعين ألفاً. وفي الحديث «الطاعون رجز أرسل على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم فإذا سمعتم أن الطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها» وفي الحديث أيضاً «أتاني جبريل بالحمى والطاعون فأمسكت الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشأم فالطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم ورجس على الكافر» واعلم أن من مات من الطاعون مات شهيداً ويأمن فتنة القبر وكذا الصابر في الطاعون إذا مات بغير الطاعون يوقى فتنة القبر لأنه نظير المرابط في سبيل الله تعالى فالمطعون شهيد وهو من مات من الطاعون والصابر المحتسب في حكمه وكذا المبطون وهو الميت من داء البطن وصاحب الإسهال والاستسقاء داخل في المبطون لأن عقله لا يزال حاضراً وذهنه باقياً إلى حين موته ومثل ذلك صاحب السل وكذا الغرق شهيد وهو بكسر الراء من يموت غريقاً في الماء وكذا صاحب المهدم بفتح الدال ما يهدم وصاحبه من يموت تحته وكذا المقتول في سبيل الله وكذا صاحب ذات الجنب والحرق والمرأة الجمعاء وهي من تموت حاملاً جامعاً ولدها وليس موت هؤلاء كموت من يموت فجأة أو من يموت بالسام أو البرسام والحميات المطبقة أو القولنج أو الحصاة فتغيب عقولهم لشدة الألم ولورم أدمغتهم وإفساد أمزجتها.

واعلم أن الطاعون مرض يكثر في الناس ويكون نوعاً واحداً والوباء وهو المرض العام قد يكون بطاعون وقد لا يكون. وفي الحديث «فناء أمتي بالطعن والطاعون»» قيل: يا رسول

الله هذا الطعن قد عرفنا فما الطاعون قال: «وخز أعدائكم من الجن وفي كل شهادة» قال ابن الأثير الطعن القتل بالرمح والوخز طعن بلا نفاذ وهذا لا ينافي قوله عليه الصلاة والسلام في حديث آخر «غدة كغدة البعير تخرج في مراق البطن» وذلك أن الجني إذا وخز العرق من مراق البطن خرج من وخزة الغدة فيكون وخز الجني سبب الغدة الخارجة والغدة هي التي تخرج في اللحم والمراق أسفل البطن.

وفي الحديث: «إذا بخس المكيال حبس القطر وإذا كثر الزنى كثر القتل وإذا كثر الكذب كثر الهرج» والحكمة أن الزنى إهلاك النفس لأن ولد الزنى هالك حكماً فلذلك وقع الجزاء بالموت الذريع أي: السريع لأن الجزاء من جنس العمل ألا يرى أن بخس المكيال يجازى بمنع القطر الذي هو سبب لنقص أرزاقهم وكذا الكذب سبب للتفرق والعداوة بين الناس ولهذا يجازي بالهرج الذي هو الفتنة والاختلاط وإنما عمت البلية أينما وقعت لتكون عقوبة على إخوان الشياطين وشهادة ورحمة لعباد الله الصالحين إذ الموت تحفة للمؤمن وحسرة للفاسق ثم يبعثهم الله على قدر أعمالهم ونياتهم فيجازيهم والفرار من الطاعون حرام إذ الفرار نسيان الفاعل المختار كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: الطاعون فتنة على الفار والمقيم أما الفار فيقول بفراره نجوت وأما المقيم فيقول: أقمت فمت.

وفي الحديث «الفار من الطاعون كالفار من الزحف والصابر فيه كالصابر في الزحف» والزحف الجيش الذي يرى لكثرته كأنه يزحف أي: يدب دبيباً والمراد هنا الفرار من الجيش في الغزو ولكن يجب أن يقيد بالمثل أو الضعف فهذا الخبر يدل على أن النهي عن الخروج للتحريم وأنه من الكبائر وليس بعيداً أن يجعل الله الفرار منه سبباً لقصر العمر كما جعل الله تعالى الفرار من الجهاد سبباً لقصر العمر قال تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [الأحزاب: ١٦] وأما الخروج بغير طريق الفرار فمرخص فيه لكن الرخصة مشروطة بشرائط صعبة لا يقدر عليها إلا الأفراد منها حفظ أمر الاعتقاد والتحرز من الأسباب العادية للمرض كالهواء الفاسد وغيره فهو رخصة لكن مباشرة الحمية لأجل الخلاص من الموت سفه وعبث لا يشك في حرمتها عوام المسلمين فضلاً عن خواصهم قالوا في بعض الأمراض سراية إلى ما يجاوره بإذن الله تعالى كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «إن من القرف التلف» والقرف بالتحريك مداناة المرضى وأما قوله عليه السلام: «لا عدوى» فإنما هو نفي للتعدي طبعاً كما هو اعتقاد أهل الجاهلية حيث كانوا يرون التأثير من طبيعة المرض لا نفي للسراية مطلقاً والتسبب واجب للعوام والمبتدئين في السلوك والتوكل أفضل للمتوسطين وأما الكاملون فليس يمكن حصر أحوالهم فالتوكل والتسبب عندهم سيان، قال في «المثنوي»:

درحذر شوريدن شوروشر ست … روتو كل كن توكل بهترست
باقضا پنجه مزن اي تند وتيز … تانكيردهم قضا باتوستيز
مرده بايد بود پيش حكم حق … تانيايد زحم از رب الفلق

روي أن جالينوس دفع إلى أصحابه قرصين مثل البنادق وقال: اجعلوا أحدهما بعد موتي فوق الحديد الذي يعمل عليه الحدادون والآخر في حب مملوء من الماء ثم اكسروا الحب ففعلوا كما أوصى فذاب الحديد في الأرض ولم يجدوا منه شيئاً وانجمد الماء وقام بلا وعاء

قال الحكماء: أراد بذلك إني وإن قدرت إلى إذابة أصلب الأجساد وإقامة الماء الذي من طبعه السيلان ما وجدت للموت دواء ولذا قال بعضهم:

ألا يا أيها المغرور تب من غير تأخير ... فإن الموت قد يأتي ولو صيرت قارونا
بسل مات أرسطاليس بقراط بافلاج ... وأفلاطون ببرسام وجالينوس مبطونا

قال الشافعي رحمه الله أنفس ما يداوى به الطاعون التسبيح ووجهه بأن الذكر يرفع العقوبة والعذاب قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الصافات: ١٤٣] وكذا كثرة الصلاة على النبي المحترم صلى الله تعالى عليه وسلم لكن مثل هذا إنما يكون مؤثراً إذا اقترن بالشرائط الظاهرة والباطنة إذ ليس كل ذكر وصلاة شفيعاً عند الحضرة الإلهية، قال «المثنوي»:

كرنداري تودم خوش دردعا ... رودعا ميخواه از اخوان صفا
هركرا دل پاك شد از اعتدال ... آن دعايش ميرود تا ذو الجلال
آن دعاي بيخودان خودديكرست ... آن دعا ازونيست كفت داورست
آن دعا حق ميكندچون او فناست ... آن دعا وآن أجابت ازخداست
هين بجواين قوم را اي مبتلا ... هين غنيمت دارشان پيش ازيلا

﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿**وإذ استسقى موسى**﴾ نعمة أخرى كفروها، أي: اذكروا أيضاً يا بني إسرائيل إذ سأل موسى السقيا ﴿**لقومه**﴾ لأجل قومه وكان ذلك في التيه حين استولى عليهم العطش الشديد فاستغاثوا بموسى فدعا ربه أن يسقيهم ﴿**فقلنا**﴾ له بالوحي أن ﴿**اضرب بعصاك**﴾ وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نوراً حملها آدم من الجنة فتوارثها الأنبياء حتى وصلت إلى شعيب فأعطاها موسى ﴿**الحجر**﴾ اللام إما للعهد والإشارة إلى معلوم فقد روي أنه كان حجراً طورياً حمله معه وكان خفيفاً مربعاً كرأس الرجل له أربعة أوجه في كل وجه ثلاث أعين أو هو الحجر الذي فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله تعالى مما رموه به من الأدرة فأشار إليه جبريل أن ارفعه فإن الله تعالى فيه قدرة ولك فيه معجزة قال رسول الله ﷺ: «كان بنو إسرائيل ينظر بعضهم إلى سوءة بعض وكان موسى يغتسل وحده فوضع ثوبه على حجر ففر بثوبه فجمع موسى بأثره يقول: ثوبي يا حجر حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوءة موسى فقالوا والله ما بموسى أدرة» وهي بالضم نفخة بالخصية، وإما للجنس أي: اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وهو الأظهر في الحجة أي: أبين على القدرة فإن إخراج الماء بضرب العصا من جنس الحجر أي: حجر كان أدل على ثبوت نبوة موسى عليه السلام من إخراجه من حجر معهود معين لاحتمال أن يذهب الوهم إلى تلك الخاصية في ذلك الحجر المعين كخاصية جذب الحديد في حجر المغناطيس ﴿**فانفجرت**﴾ أي: فضرب فالفاء متعلقة بمحذوف والانفجار الانسكاب والانبجاس الترشح والرش فالرش أول ثم الانسكاب ﴿**منه**﴾ أي: من ذلك الحجر ﴿**اثنتا عشرة عيناً**﴾ ماء عذباً على عدد الأسباط لكل سبط عين وكان يضربه بعصاه إذا نزل فيتفجر ويضربه إذا ارتحل فييبس ﴿**قد علم كل أناس**﴾ أي: كل سبط من الأسباط الاثني عشر ﴿**مشربهم**﴾ أي: عينهم الخاصة بهم أو موضع

شربهم لا يدخل سبط على غيره في شربه والمشرب المصدر والمكان والحكمة في ذلك أن الأسباط كانت بينهم عصبية ومباهاة وكل سبط منهم لا يتزوج من سبط آخر وكل سبط أراد تكثير نفسه فجعل الله لكل سبط منهم نهراً على حدة ليستقوا منها ويسقوا دوابهم لكيلا يقع بينهم جدال ومخاصمة وكان ينبع من كل وجه من الحجر ثلاث أعين تسيل كل عين في جدول إلى سبط وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثني عشر ميلاً ثم أن الله تعالى قد كان قادراً على تفجير الماء وفلق البحر من غير ضرب لكن أراد أن يربط المسببات بالأسباب حكمة منه للعباد في وصولهم إلى المراد وليترتب على ذلك ثوابهم وعقابهم في المعاد ومن أنكر أمثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فإنه لما أمكن أن يكون من الأحجار ما يحلق الشعر ويمقر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع أن يخلق الله حجراً يسخره لجذب الماء تحت الأرض أو لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك.

قال القرطبي في «تفسيره»: ما ورد من انفجار الماء ونبعه من يد نبينا ﷺ وبين أصابعه أعظم في المعجزة فإنا نشاهد الماء يتفجر من الأحجار آناء الليل وأطراف النهار ومعجزة نبينا عليه السلام لم تكن لنبي قبل إذ لم يخرج الماء من لحم ودم. ﴿كلوا﴾ على إرادة القول أي: قلنا لهم أو قيل لهم كلوا ﴿واشربوا من رزق الله﴾ هو ما رزقهم من المنّ والسلوى والماء فالأكل يتعلق بالأولين والشرب بالثالث وإنما لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا إيذاناً بأن الأمر بالأكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عليه السلام. ﴿ولا تعثوا في الأرض﴾ العثي أشد الفساد فقيل لهم: لا تتمادوا في الفساد حال كونهم ﴿مفسدين﴾ فالمراد بهذه الحال تعريفهم بأنهم على الفساد لا تقييد العامل وإلا لكان مفهومه مفيداً معنى تمادوا في الفساد حال كونهم مصلحين وهذا غير جائز والأصل في العثي مطلق التعدي وإن غلب في الفساد فيكون التقييد بالحال تقييداً للعامل بالخاص. ودلت الآية على فضيلة أمة محمد ﷺ فإن بني إسرائيل احتاجوا إلى الماء فرجعوا إلى موسى ليسأل واحتاجوا إلى البقل والقثاء وسائر المأكولات ففعلوا ذلك وهذه الأمة أطلق لهم أن يسألوا الله كلما احتاجوه قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢] وقال: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وفيها بشارة عظيمة وسأل موسى ربه الماء لقومه بقولهم وسأل عيسى ربه المائدة بقولهم وسأل نبينا عليه الصلاة والسلام المغفرة لنا بأمر الله تعالى قال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [محمد: ١٩] فلما أجاب الله لهما فيما سألاه بطلب القوم فلأن يجيب نبينا فيما سأله بأمره أولى. وأفادت الآية أيضاً إباحة الخروج إلى الاستسقاء وهو إنما يكون إذا دام انقطاع المطر مع الحاجة إليه فالحكم حينئذٍ إظهار العبودية والفقر والمسكنة والذلة وقد استسقى نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج إلى المصلى متواضعاً متذللاً متخشعاً مترسلاً متضرعاً. وروي عن جندبة «أن أعرابياً دخل عليه ﷺ يوم الجمعة وقال: يا رسول الله هلكت الكراع والمواشي وأجدبت الأرض فادع الله أن يسقينا فرفع يديه ودعا قال أنس رضي الله عنه والسماء كأنها زجاجة ليس بها قزعة فنشأت سحابة ومطرت إلى الجمعة القابلة».

قال في «المثنوي»:

تافرود آيد بلا بي دافعي   چون نباشد ازتضرع شافعي
تاسقاهم ربهم آيد خطاب   تشنه باش الله أعلم بالصواب

وعدم الدعاء بكشف الضر مذموم عند أهل الطريقة لأنه كالمقاومة مع الله ودعوى التحمل لمشاقه كما قال الشيخ المحقق ابن الفارض قدس سره:

ويحسن إظهار التجلد للعدى ويقبح غير العجز عند الأحبه

وفي الحديث «لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمٰن عليه الصلاة والسلام فبهم تسقون وبهم تنصرون ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر».

كرنداري تودم خوش دردعا رودعا ميخواه ازاخوان صفا

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: «ما عام بأمطر من عام ولكنه إذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم فإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفيافي». قال الشيخ الشهير بافتاده أفندي ترقي الطالب برعاية السنن. وذكر أنه استسقى الناس مراراً في زمن الحجاج فلم ينزل لهم قطرة فقيل لهم: لو دعا شخص لم يترك سنة العصر وسنة الأولى من العشاء لحصل المقصود وإلا لا يحصل وإن دعوتم أربعين مرة فتفقدوا فلم يجدوا شخصاً على الصفة المذكورة فرجع الحجاج إلى نفسه فوجدها على ما ذكر فدعا فنزل مطر عظيم في هذا الحين وحصل المقصود وهذا ببركة رعاية سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع أنه مشهور بالظلم ولا بد في الاستسقاء من تقديم التوبة والصدقة والصوم وأن يجعل صلحاء الناس وسيلة وشفيعاً في ذلك ويستسقي للدواب العطاش والأنعام السائمة والأطفال الضعيفة فلعلهم يسقون ببركتها وليكن الداعي ربه على يقين الإجابة لأن رد الدعاء إما لعجز في إجابته أو لعدم كرم في المدعو أو لعدم علم المدعو بدعاء الداعي وهذه الأشياء منتفية عن الله تعالى فإنه كريم عالم قادر لا مانع له منا لإجابة وهو أقرب إلى المؤمنين منهم يسمع دعاءهم ويقبل تضرعهم والدعاء مهما كان أعم كان إلى الإجابة أقرب فإنه لا بد أن يكون في المسلمين من يستحق الإجابة فإذا أجاب الله دعاء البعض فهو أكرم من أن يرد الباقي وفي الحديث «ادعوا الله بألسنة ما عصيتموه بها» قالوا: يا رسول الله ومن لنا بتلك الألسنة قال: «يدعو بعضكم لبعض لأنك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك».

وفي تفسير الفاتحة للفناري: إن استقامة التوجه حال الطلب والنداء عند الدعاء شرط قوي في الإجابة فمن زعم أنه يقصد مناداة زيد وهو يستحضر غيره ثم لم يجد الإجابة فلا يلومن إلا نفسه إذ لم يناد القادر على الإجابة وإنما توجه إلى ما أنشأه من صفات تصوراته بالحالة الغالبة عليه إذ ذاك. روي أن فرعون قبل دعوى الإلٰهية أمر أن يكتب على باب داره بسم الله فلما لم يؤمن بموسى قال: إلٰهي إني أدعوه ولا أرى فيه خيراً قال: لعلك تريد إهلاكه أنت تنظر إلى كفره وأنا إلى ما كتبه على بابه فمن كتبه على سويداء قلبه ستين سنة أولى بالرحمة فإذا كان حال من كتبه على باب داره هكذا فكيف حال من نقشه على باب قلبه يستجاب دعاؤه لا محالة وأول شرائط الإجابة إصلاح الباطن باللقمة الطيبة وآخرها الإخلاص وحضور القلب يعني التوجه الأحدي.

والإشارة في تحقيق الآية أن الروح الإنساني وصفاته في عالم القلب بمثابة موسى وقومه وهو يستسقي ربه ليرويها من ماء الحكمة والمعرفة وهو مأمور بضرب عصا لا إله إلا الله ولها شعبتان من النفي والإثبات تتقدان نوراً عند الاستيلاء ظلمات صفات النفس وقد حملت من جنة حضرة العزة على حجر القلب الذي كالحجارة أو أشد قسوة فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً من

ماء الحكمة لأن كلمة لا إله إلا الله اثنا عشر حرفاً من كل حرف عين قد علم كل سبط من أسباط الصفات الإنسانية وهم اثنا عشر سبطاً من الحواس الخمس الظاهرة والحواس الخمس الباطنة والقلب والنفس ولكل واحد منهم مشرب من عين حرف من حروف الكلمة قد علم مشربه ومشرب كل واحد حيث ساقه رائده وقاده قائده فمشرب عذب فرات ومشرب ملح أجاج فالنفوس ترد مناهل المنى والشهوات والقلوب تشرب من مشارب التقى والطاعات والأرواح تشرب من زلال الكشوف والمشاهدات والأسرار تروى من عيون الحقائق بكأس تجلي الصفات عن ساقي وسقاهم ربهم شراب الاضمحلال في حقيقة الذات كلوا واشربوا كل واحد من رزق الله بأمره ورضاه ولا تعثوا في الأرض مفسدين بترك الأمر واختيار الوزر وبيع الدين بالدنيا وإيثار الآخرة على الأولى واختيارهما على المولى كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وإذ قلتم﴾ تذكير لجناية أخرى لأسلاف بني إسرائيل وكفرانهم لنعمة الله عز وجل خاطبهم تنزيلاً لهم مكان آبائهم لما بينهم من الاتحاد وكان هذا القول منهم في التيه حين سئموا من أكل المنّ والسلوى لكونهما غير مبدلين والإنسان إذا داوم شيئاً واحداً سئمه وتذكروا عيشهم الأول بمصر لأنهم كانوا أهل فلاحة فنزعوا إلى عكرهم عكر السوء واشتاقت طباعهم إلى ما جرت عليه عادتهم فقالوا: **﴿يا موسى لن نصبر على طعام واحد﴾** الطعام ما يتغذى به وكنوا عن المن والسلوى بطعام واحد وهما اثنان لأنهم كانوا يأكلون أحدهما بالآخر فيصيران طعاماً واحداً أو أريد بالواحد نفي التبدل والاختلاف ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل: لا يأكل فلان إلا طعاماً واحداً. وفي «تفسير البغوي»: والعرب تعبر عن الواحد بلفظ الاثنين كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] وإنما يخرج من الملح دون العذب وقيل: لن نصبر على الغنى فيكون جميعنا أغنياء فلا يقدر بعضنا على الاستعانة ببعض لاستغناء كل واحد بنفسه وكان فيهم أول من اتخذ العبيد والخدم **﴿فادع لنا ربك﴾** أي: سله لأجلنا بدعائك إياه والفاء لسببية عدم الصبر للدعاء **﴿يخرج لنا﴾** أي: يظهر لنا ويوجد شيئاً فالمفعول محذوف والجزم لجواب الأمر فإن دعوته سبب الإجابة أي: أن تدع لنا ربك يخرج لنا **﴿مما تنبت الأرض﴾** إسناد مجازي بإقامة القابل وهو الأرض مقام الفاعل وهو الله تعالى ومن تبعيضية وما موصولة **﴿من بقلها﴾** من بيانية واقعة موقع الحال من الضمير أي: مما تنبته كائناً من بقلها والبقل ما تنبت الأرض من الخضر والمراد أصناف البقول التي تأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهها **﴿وقثائها﴾** أخو القثد وهي شيء يشبه الخيار **﴿وفومها﴾** وهو الحنطة لأن ذكر العدس يدل على أنه المراد لأنه من جنسه وقيل: هو الثوم لأن ذكر البصل يدل على أنه هو المراد فإنه من جنسه. قال ابن التمجيد في «حواشيه» وحمله على الثوم أوفق من الحنطة لاقتران ذكره بالبصل والعدس فإن العدس يطبخ بالثوم والبصل **﴿وعدسها﴾** حب معروف يستوي كيله ووزنه **﴿وبصلها﴾** بقل معروف تطيب به القدور **﴿قال﴾** استئناف وقع

جواباً عن سؤال مقدر كأنه قيل: فماذا قال الله لهم أو موسى عليه السلام فقيل: قال إنكاراً عليهم ﴿أتستبدلون﴾ أي: أتأخذون لأنفسكم وتختارون ﴿الذي هو أدنى﴾ أي: أقرب منزلة وأدون قدراً ﴿بالذي هو خير﴾ أي: بمقابلة ما هو خير فإن الباء تصحب الزائل دون الآتي الحاصل وخيرية المن والسلوى في اللذاذة وسقوط المشقة وغير ذلك ولا كذلك الفوم والعدس والبصل وأمثالها.

قال بعضهم: الحنطة وإن كانت أعلى من المن والسلوى لكن خساستها هٰهنا بالنسبة إلى قيمتها وليس في الآية ما يدل قطعها على أنهم أرادوا زوال المن والسلوى وحصول ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال في صورة المناوبة لأنهم أرادوا بقولهم لن نصبر على طعام واحد أن يكون هذا تارة وذاك أخرى ﴿اهبطوا﴾ أي: انحدروا وانزلوا من التيه إن كنتم تريدون هذه الأشياء ﴿مصراً﴾ من الأمصار لأنكم في البرية فلا يوجد فيها ما تطلبون وإنما يوجد ذلك في الأمصار فالمراد ليس مصر فرعون لقوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١] وإذا وجب عليهم دخول تلك الأرض فكيف يجوز دخول مصر فرعون وهو الأظهر والمصر البلد العظيم من مصر الشيء بمصره أي: قطعه سمي به لانقطاعه عن الفضاء لعمارة وقد تسمى القرية مصراً كما تسمى المصر قرية وهو ينصرف ولا ينصرف فصرف هٰهنا لأن المراد غير معين وقيل: أريد به مصر فرعون وإنما صرف لسكون وسطه كهند ودعد ونوح أو لتأويله بالبلد دون المدينة فلم يوجد فيه غير العلمية ﴿فإن لكم ما سألتم﴾ تعليل للأمر بالهبوط أي: فإن لكم فيه ما سألتموه من بقول الأرض ﴿وضربت عليهم الذلة﴾ أي: الذل والهوان ﴿والمسكنة﴾ أي: الفقر يسمى الفقير مسكيناً لأن الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة أي: جعلتا محيطتين بهم إحاطة القبة بمن ضربت عليه وألصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم كما يضرب الطين على الحائط فهو استعارة بالكناية فترى اليهود وإن كانوا مياسير كأنهم فقراء ﴿وباؤوا﴾ أي رجعوا ﴿بغضب﴾ عظيم كائن ﴿من الله﴾ أي: استحقوه ولزمهم ذلك ومنه قوله ﷺ: «أبوء بنعمتك علي» أي: أقربها وألزمها نفسي وغضب الله تعالى ذمه إياهم في الدنيا وعقوبتهم في الآخرة ﴿ذلك﴾ أي: ضرب الذلة والمسكنة والبوء والغضب العظيم ﴿بأنهم﴾ أي: بسبب أن اليهود ﴿كانوا يكفرون﴾ على الاستمرار ﴿بآيات الله﴾ الباهرة التي هي المعجزات الساطعة الظاهرة على يدي موسى عليه السلام مما عاد أو لم يعد وكذبوا بالقرآن ومحمد عليه السلام وأنكروا صفته في التوراة وكفروا بعيسى والإنجيل ﴿ويقتلون النبيين بغير الحق﴾ كشعيب وزكريا ويحيى عليهم السلام وفائدة التقييد مع أن قتل الأنبياء يستحيل أن يكون بحق الإيذان بأن ذلك عندهم أيضاً بغير الحق إذ لم يكن أحد معتقداً بحقية قتل أحدهم عليهم السلام. فإن قيل: كيف جاز أن يخلي بين الكافرين وقتل الأنبياء. قيل ذلك كرامة لهم وزيادة في منازلهم كمثل من يقتل في سبيل الله من المؤمنين وليس ذلك بخذلان لهم. قال ابن عباس والحسن رضي الله عنهم لم يقتل قط من الأنبياء إلا من لم يؤمر بقتال وكل من أمر بقتال نصر فظهر أن لا تعارض بين قوله تعالى: ﴿ويقتلون النبيين بغير الحق﴾ وقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٢] مع أنه يجوز أن يراد به النصرة بالحجة وبيان الحق وكل منهم بهذا المعنى منصور. روي أنهم قتلوا في يوم واحد سبعين نبياً، قال في «المثنوي»:

چون سفيهاً نراست اين كار وكيا لازم آمد يقتلون الأنبيا
انبيارا كفته قوم راه كم از سفه إنا تطيرنا بكم

﴿ذلك﴾ أي: ما ذكر من الكفر بالآيات العظام وقتل الأنبياء عليهم السلام ﴿بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي أي: جرّ بهم العصيان والتمادي في العدوان إلى المشار إليه فإن صغار الذنوب إذا دووم عليها أدت إلى كبارها كما أن مداومة صغار الطاعات مؤدية إلى تحري كبارها وسقم القلب بالغفلة عن الله تعالى منعهم عن إدراك لذاذة الإيمان وحلاوته لأن المحموم ربما وجد طعم السكر مراً فالغفلة سم للقلوب مهلك فنفرة قلوب المؤمنين عن مخالفة الله نفرتك عن الطعام المسموم. واعلم أن لله مراداً وللعبد مراداً وما أراد الله خير فقوله: ﴿اهبطوا﴾ أي: عن سماء التفويض وحسن التدبير منالكم إلى أرض التدبير والاختيار منكم لأنفسكم موصوفين بالذلة والمسكنة لاختياركم مع الله وتدبيركم لأنفسكم مع تدبير الله ولو أن هذه الأمة هي الكائنة في التيه لما قالت مقال بني إسرائيل لشفوف أنوارهم ونفوذ أسرارهم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: عدلاً خياراً.

وفي «التأويلات»: كما أن بني إسرائيل لم يصبروا على طعام واحد كان ينزل عليهم من السماء وقالوا لموسى من خساسة طبعهم ما قالوا كذلك نفس الإنسان من دناءة همتها لم تصبر على طعام واحد يطعمها ربها الواحد من واردات الغيب كما كان يصبر نفس النبي عليه السلام ويقول: «لست كأحدكم فإني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» بل يقول لموسى القلب فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض البشرية من بقل الشهوات الحيوانية وقثاء اللذات الجسمانية قال: أتستبدلون الفاني بالباقي اهبطوا مصر القالب السفلي من مقامات الروح العلوي فإن لكم ما سألتم من المطالب الدنيئة وضربت عليهم الذلة والمسكنة كالبهائم والأنعام بل هم أضل لأنهم باؤوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بالواردات الغيبية والمكاشفات الروحانية بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق أي: يبطلون ما يفتح الله لهم من أنباء الغيب في مقام الأنبياء وينكرون أسرارهم ذلك يعني حصول هذه المقامات منهم بما عصوا ربهم في نقض العهود ببذل المجهود في طاعة المعبود وكانوا يعتدون من طلب الحق في مطالبة ما سواه انتهى باختصار، ثم إن في الآية الكريمة دليلاً على جواز أكل الطيبات والمطاعم المستلذات وكان النبي عليه السلام يحب الحلوى والعسل ويشرب الماء البارد العذب والعدس والزيت طعام الصالحين. وفي الحديث: «عليكم بالعدس فإنه مبارك مقدس وإنه يرقق القلب ويكثر الدمعة فإنه بارك فيه سبعون نبياً آخرهم عيسى ابن مريم» وكان عمر بن عبد العزيز يأكل يوماً خبزاً بزيت ويوماً بعدس ويوماً بلحم ولو لم يكن فيه فضيلة إلا أن ضيافة إبراهيم عليه السلام في مدينته لا تخلو منه لكان فيه كفاية وهو مما يجفف البدن فيخف للعبادة ولا تثور منه الشهوات كما تثور من اللحم والحنطة وأكل البصل والثوم وماله رائحة كريهة مباح. وفي الحديث «من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم» والمراد بالملائكة الحاضرون مواضع العبادات لا الملازمون للإنسان في جميع الأوقات ومعنى تأذيهم من هذه الروائح وأنه مخصوص بها أو عام لكل الروائح الخبيثة مما يفوض علمه إلى الشارع وهذا التعليل يدل على أنه لا يدخل المسجد وإن كان خالياً من الإنسان لأنه محل الملائكة قال عليه السلام: «إن كنتم لا بد لكم من أكلها فأميتوها طبخاً» وقاس قوم على

المساجد سائر مجامع الناس وعلى أكل الثوم ما معه رائحة كريهة كالبخر وغيره وإنما كره النبي عليه ﷺ أكل البصل ونحوه لما أنه يأتيه الوحي ويناجي الله تعالى ولكن رخص للسائر ويقال كان آخر ما أكله النبي ﷺ البصل إيذاناً لأمته بإباحته والعزيمة أن يقتدي الرجل في أقواله وأفعاله وأحواله برسول الله ﷺ، قال المولى الجامي:

يا نبي الله السلام عليك — إنما الفوز والفلاح لديك
كر نرفتم طريق سنت تو — هستم از عاصيان امت تو
مانده ام زير بار عصيان بست — افتم از پاي اكرنكيري دست

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿**إن الذين آمنوا**﴾ بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون بقرينة انتظامهم في سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بأن تلك المرتبة وإن عبر عنها بالإيمان لا تجديهم نفعاً أصلاً ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعاً. ﴿**والذين هادوا**﴾ أي: تهودوا من هاد إذا دخل في اليهودية. ويهود إما عربي من هاد إذا تاب سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة هائلة وإما معرب يهودا كأنهم سموا باسم أكبر أولاد يعقوب عليه السلام ويقال إنما سمي اليهود يهودا لأنهم إذا جاءهم رسول أو نبي هادوا إلى ملكهم فدلوه عليه فيقتلونه ﴿**والنصارى**﴾ جمع نصران كندامى جمع ندمان سمي بذلك لأنهم نصروا المسيح عليه السلام أو لأنهم كانوا معه في قرية يقال لها ناصرة فسموا باسمها أو لاعتزائهم إلى نصرة وهي قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام. ﴿**والصابئين**﴾ من صبأ إذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الكواكب والملائكة فكانوا كعبدة الأصنام وإن كانوا يقرؤون الزبور لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم وجاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: لم يسمى الصابئون صابئين فقال عليه السلام: «لأنهم إذا جاءهم رسول أو نبي أخذوه وعمدوا إلى قدر عظيم فأغلوه حتى إذا كان محمى صبوه على رأسه حتى ينفسخ» كذا في «روضة العلماء» ﴿**من**﴾ مبتدأ خبره فلهم أجر عظيم والجملة خبران ﴿**آمن**﴾ من هؤلاء الكفرة ﴿**بالله**﴾ وبما أنزل على جميع النبيين ﴿**واليوم الآخر**﴾ وهو يوم البعث أي: من أحدث منهم إيماناً خالصاً بالمبدأ والمبدأ والمعاد على الوجه اللائق ودخل في ملة الإسلام دخولاً أصيلاً ﴿**وعمل**﴾ عملاً ﴿**صالحاً**﴾ مرضياً عند الله ﴿**فلهم**﴾ بمقابلة تلك والفاء للسببية ﴿**أجرهم**﴾ الموعود لهم ﴿**عند ربهم**﴾ أي: مالك أمرهم ومبلغهم إلى كمالهم اللائق وعند متعلق بما تعلق به لهم من معنى الثبوت أخبر أن هؤلاء إذا آمنوا وعملوا الصالحات لم يؤاخذوا بتقديم فعلهم ولا بفعل آبائهم ولا ينقصون من ثوابهم. ﴿**ولا خوف عليهم**﴾ عطف على جملة فلهم أجرهم أي: لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب. ﴿**ولا هم يحزنون**﴾ حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما وتلخيصه من أخلص إيمانه وأصلح عمله دخل الجنة.

واعلم أن هذا الدين الحق حسنه موجود في النفوس وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية والتقليد فكل مولود إنما يولد في مبدأ الخلقة وأصل الجبلة على الفطرة السليمة والطبع المتهيىء لقبول الدين فلو ترك عليها استمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها كما قال عليه السلام: «ما من مولود إلا وقد يولد على فطرة الإسلام ثم أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه» قال ابن الملك في «شرح المشارق»: المراد بالفطرة قولهم بلى حين قال الله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فلا مخالفة بين هذا الحديث وبين قوله عليه السلام: «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً» والتحقيق إن الله تعالى لما أخرج ذرية آدم من ظهره وقال: ألست بربكم آمنوا كلهم لمشاهدتهم الحق بالمعاينة لكن لم ينفع إيمان الأشقياء لكونهم لم يؤمنوا من قبل فاختلط السعيد والشقي ولم يفرق بينهما في هذا العالم ثم إنهم إذ أنزلوا في بطون الأمهات تميز السعيد من الشقي لأن الكاتب لا ينظر إلى عالم الإقرار بل ينظر إلى ما في علم الله تعالى من أحوال الممكن من السعادة والشقاوة وغيرهما وإذا ولدوا يولدون على فطرة الإسلام وهي فطرة بلى فهٰهنا أربعة مقامات:

الأول: علم الله وهو البطن المعنوي ويقال له في اصطلاح الصوفية بطن الأم وأم الكتاب.

والثاني: مقام بلى ويقال له مولود معنوي.

والثالث: بطن الأم الصوري.

والرابع: مولود صوري وهو صورة المولود المعنوي لذلك لا يتميز السعيد من الشقي فيه كما لا يتميز في عالم ألست والبطن الصوري صورة علم الله لذلك يتميز السعيد من الشقي فيها فظهر لك معنى حديث النبي عليه السلام: «السعيد سعيد في بطن أمه والشقي شقي في بطن أمه» ومعنى الخبر الآخر «السعيد قد يشقى والشقي قد يسعد» ومعنى الحديث «كل مولود يولد على فطرة الإسلام» كذا حققه الشيخ بالي الصوفيوي قدس سره. يقول الفقير جامع هذه المجالس النفيسة قال شيخي العلامة أبقاه الله بالسلامة في كتابه المسمى «باللائحات البرقيات»: لاح ببالي أن المراد ببطن الأم على مشرب أهل التحقيق هو باطن الغيب المطلق الذاتي الأحدي يعني السعيد سعيد في باطن الغيب المطلق أزلاً وفي ظاهر الشهادة المطلقة أبداً ولم تتداخل الشقاوة في واحد منهما أصلاً والشقي شقي في باطن الغيب المطلق أزلاً وفي ظاهر الشهادة المطلقة أبداً ولم تتداخل السعادة في واحد منهما أصلاً إلا أن السعيد قد تتداخله الشقاوة والشقي قد تتداخله السعادة في البرزخ الجامع بينهما فيكون السعيد الشقي سعيداً بالسعادة الذاتية وشقياً بالشقاوة العارضية والشقي السعيد شقياً بالشقاوة الذاتية وسعيداً بالسعادة العارضية والسبق في الغاية للذاتي دون العارضي ويغلب حكم الذاتي على حكم العارضي ويختم به كما بدىء به ويختم آخر نفس الشقي بالشقاوة العارضية بالسعادة الذاتية وتزول شقاوته العارضية ويدخل في زمرة السعداء أبداً ويختم آخر نفس السعيد بالسعادة العارضية بالشقاوة الذاتية وتزول سعادته العارضية ويدخل في زمرة الأشقياء أبداً وإلى هذا التداخل والعروض البرزخي أشار بقوله السعيد قد يشقى والشقي قد يسعد والتبدل في العارضي لا في الذاتي والاعتبار بالذاتي لا العارضي انتهى فمن انشرح قلبه بنور الله فقد آمن بالله لا بالتقليد والرسم والعادة والاقتداء بالآباء وأهل البلد فلا خوف عليهم من حجب الأنانية ولا هم يحزنون

بالاثنينية لأنهم الواصلون إلى نون الوحدة والهوية.

﴿وإذ أخذنا ميثاقكم﴾ تذكير لجناية أخرى لأسلاف بني إسرائيل أي: اذكروا يا بني إسرائيل وقت أخذنا لعهد آبائكم بالعمل على ما في التوراة وذلك قبل التيه حين خرجوا مع موسى من مصر ونجوا من الغرق. ﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾ كأنه ظلة حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق والطور الجبل بالسريانية وذلك أن موسى عليه السلام جاءهم بالألواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل فقلع الطور من أصله ورفعه وظلله فوقهم وقال لهم موسى: إن قبلتم وإلا ألقي عليكم فلما رأوا أن لا مهرب لهم منها قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود لئلا ينزل عليهم فصارت عادة في اليهود لا يسجدون إلا على أنصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب ثم رفع الجبل ليقبلوا التوراة لم يكن جبراً على الإسلام لأن الجبر ما يسلب الاختيار وهو جائز كالمحاربة مع الكفار وأما قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وأمثاله فمنسوخ بالقتال. قال ابن عطية والذي لا يصح سواه أن الله جبرهم وقت سجودهم على الإيمان لأنهم آمنوا كرهاً وقلوبهم غير مطمئنة بذلك ﴿خذوا﴾ على إرادة القول أي: فقلنا لهم خذوا ﴿ما آتيناكم﴾ من الكتاب ﴿بقوة﴾ بجد وعزيمة ومواظبة ﴿واذكروا ما فيه﴾ أي: احفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه ﴿لعلكم تتقون﴾ رجاء منكم أن يكونوا متقين.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿ثم توليتم﴾ أي: أعرضتم عن الميثاق والوفاء به والدوام عليه ﴿من بعد ذلك﴾ الميثاق المؤكد ﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ عطفه بالإمهال وتأخير العذاب ﴿لكنتم من الخاسرين﴾ أي: من الهالكين ولكن تفضل عليكم حيث رفع الطور فوقكم حتى تبتم فزال الجبل عنكم ولولا ذلك لسقط عليكم والخسران في الأصل ذهاب رأس المال وهو هٰهنا هلاك النفس لأنها الأصل وقد منّ الله تعالى على أمة محمد ﷺ حيث فرض عليهم الفرائض واحدة بعد واحدة ولم يفرض عليهم جملة فإذا استقرت الواحدة في قلوبهم فرض عليهم الأخرى وأما بنو إسرائيل فقد فرض عليهم بدفعة واحدة فشق عليهم ذلك ولذا لم يقبلوا حتى رأوا العذاب ثم إن الله تعالى أمر بحفظ الأوامر والعمل وبعدم النسيان والتضييع وقال: واذكروا ما فيه وهو المقصود من الكتب الإلٰهية لأن العمدة العمل بمقتضاها لا تلاوتها باللسان وترتيبها فإن ذلك نبذ لها مثاله أن السلطان إذا أرسل منشوراً إلى واحد من أمرائه في ممالكه وأمره فيه أن يبني له قصراً في تلك الديار فوصل الكتاب إليه وهو لا يبني ما أمر به لكنه يقرأ المنشور كل يوم فلو حضر السلطان ولم يجد القصر حاضراً فالظاهر أنه يستحق العتاب بل العقاب فالقرآن إنما هو مثل ذلك المنشور قد أمر الله فيه عبيده أن يعمروا أركان الدين من الصوم والصلاة وغيرهما فمجرد قراءة القرآن بغير عمل لا يفيد قال في «المثنوي»:

هست قرآن حالهاي انبيا ... ماهيان بحر پاك كبريا
وربخواني ونة قرآن پذير ... انبيا وأوليارا ديده كير

روي أنه عليه السلام شخص ببصره إلى السماء يوماً ثم قال: «هذا أوان يختلس فيه العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء» فقال زياد بن لبيد الأنصاري كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا فقال ﷺ: «ثكلتك أمك يا زياد هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم» وفي الموطأ: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لإنسان: «إنك في زمان كثير فقهاؤه قليل قراؤه يحفظ فيه حدود القرآن ويضيع حروفه قليل من يسأل كثير من يعطي يطولون الصلاة ويقصرون الخطبة يبدون فيه أعمالهم قبل أهوائهم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير قراؤه يحفظ فيه حروف القرآن وتضيع حدوده كثير من يسأل قليل من يعطي يطولون فيه الخطبة ويقصرون الصلاة يبدون فيه أهواءهم قبل أعمالهم».

والإشارة في الآية أن أخذ الميثاق كان عاماً كما كان في عهد ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ولكن قوماً أجابوه شوقاً وقوماً أجابوه خوفاً ليتحقق أن الأمر بيد الله في كلتا الحالتين يسمع خطابه من يشاء موجباً للهداية ويسمع من يشاء موجباً للضلالة فإنه لا برهان أظهر من رفع الطور فوقهم عياناً فلما أوبقهم الخذلان لم ينفعهم إظهار البرهان وفي قوله: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ إشارة إلى أن أخذ ما يؤتي الله من الأوامر والنواهي والطاعات والعلوم وغير ذلك لا يمكن للقوة الإنسانية إلا بقوة ربانية وتأييد إلهي ﴿واذكروا ما فيه﴾ من الرموز والإشارات والدقائق والحقائق ﴿لعلكم تتقون﴾ بالله عما سواه ﴿ثم توليتم من بعد ذلك﴾ أي: أعرضتم عن طريق الحق واتباع الشريعة باستيلاء قوة الطبيعة بعد أخذ الميثاق وسلوك طريق الوفاق ابتلاء من الله ﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ وهو سبق العناية في البداية وتوفيق أخذ الميثاق بالقوة في الوسط وقبول التوبة وتوفيقها والثبات عليها في النهاية. ﴿لكنتم من الخاسرين﴾ المصرين على العصيان المغبونين بالعقوبة والخسران والمبتلين بذهاب الدنيا والعقبى ونكال الآخرة والأولى كما كان حال المصرين منكم والمعتدين.

﴿ولقد علمتم﴾ خطاب لمعاصري النبي ﷺ من اليهود أي: وبالله قد عرفتم يا بني إسرائيل ﴿الذين اعتدوا﴾ أي: تجاوزوا الحد ظلماً ﴿منكم﴾ من أسلافكم محله نصب على أنه حال ﴿في﴾ يوم ﴿السبت﴾ أي: جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد. وأصل السبت القطع لأن اليهود أمروا بأن يسبتوا فيه أي: يقطعوا الأعمال ويشتغلوا بعبادة الله ويسمى النوم سباتاً لأنه يقطع الحركات الاختيارية وفيه تحذير وتهديد فكأنه يقول إنكم تعلمون ما أصابهم من العقوبة فاحذروا كيلا يصيبكم مثل ما أصابهم. والقصة فيه أنهم كانوا في زمن داود عليه السلام بأرض يقال لها أيلة بين المدينة والشام على ساحل بحر القلزم حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان إذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك إما ابتلاء لأولئك القوم وإما لزيارة السمكة التي كان في بطنها يونس ففي كل سبت يجتمعن لزيارتها ويخرجن خراطيمهن من الماء حتى لا يرى الماء من كثرتها وإذا مضى السبت تفرقن ولزمن مقل البحر فلا يرى شيء منها ثم إن الشيطان وسوس إليهم وقال: إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت فعمد رجال من أهل تلك القرية فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منه إليها الأنهار فإذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فأقبل الموج بالحيتان إلى الحياض فلا يقدرن على الخروج لبعد عمقها وقلة مائها فإذا كان يوم الأحد يصطادونها فأخذوا وأكلوا

وملحوا وباعوا فكثرت أموالهم ففعلوا ذلك زماناً أربعين سنة أو سبعين لم تنزل عليهم عقوبة وكانوا يتخوفون العقوبة فلما لم يعاقبوا استبشروا وتجرؤوا على الذنب، وقالوا: ما نرى السبت إلا قد أحل لنا ثم استن الأبناء سنة الآباء فلو أنهم فعلوا ذلك مرة أو مرتين لم يضرهم فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية وكانوا نحواً من سبعين ألفاً ثلاثة أصناف صنف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه وصنف انتهك الحرمة وكان الناهون اثني عشر الفاً فنهوهم عن ذلك وقالوا: يا قوم إنكم عصيتم ربكم وخالفتم سنة نبيكم فانتهوا عن هذا العمل قبل أن ينزل بكم البلاء فلم يتعظوا وأبوا قبول نصحهم فعاقبهم الله بالمسخ وذلك قوله تعالى: ﴿**فقلنا لهم**﴾ قهراً ﴿**كونوا قردة**﴾ جمع قرد كالديكة جمع ديك بالفارسية «بوزينه» وهذا أمر تحويل لأنهم لم يكن لهم قدرة على التحول من صورة إلى صورة وهو إشارة إلى قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠] أي: لما أردنا ذلك صاروا كما أردنا من غير امتناع ولا لبث ﴿**خاسئين**﴾ هو وقردة خبران أي: كونوا جامعين بين القردية والخسيء وهو الصغار والطرد وذلك أن المجرمين لما أبوا قبول النصح قال الناهون والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار وصيروها بذلك ثنتين فلعنهم داود وغضب الله عليهم لإصرارهم على المعصية فمسخوا ليلاً فلما أصبح الناهون أتوا أبوابها فإذا هي مغلقة لا يسمع منها صوت ولا يعلو منها دخان فتسوروا الحيطان ودخلوا فرأوهم قد صار الشبان قردة والشيوخ خنازير لها أذناب يتعاوون فعرفت القردة أنسابهم من الإنس ولم يعرف الإنس أنسابهم من القردة فجعلت القردة تأتي نسيبها من الإنس فتشم ثيابه وتبكي فيقول: ألم ننهكم عن ذلك فكانوا يشيرون برؤوسهم أي: نعم والدموع تفيض من أعينهم ودل ذلك على أنهم لما مسخوا بقي فيهم الفهم والعقل ثم لم يكن ابتداء القردة من هؤلاء بل كانت قبلهم قردة وهؤلاء حولوا إلى صورتها لقبحها جزاء على قبح أعمالهم وأفعالهم وماتوا بعد ثلاثة أيام ولم يتوالدوا والقردة التي في الدنيا هي نسل قردة كانت قبلهم.

﴿**فجعلناها**﴾ أي: صيرنا مسخة تلك الأمة وعقوبتها ﴿**نكالاً**﴾ أي: عبرة تنكل من اعتبر بها أي: تمنعه من أن يقدم على مثل صنيعهم ﴿**لما بين يديها وما خلفها**﴾ أي: لما قبلها وما بعدها من الأمم والقرون لأن مسختهم ذكرت في كتب الأولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين فاستعير ما بين يديها للزمان الماضي وما خلفها للمستقبل ﴿**وموعظة**﴾ أي: تذكرة ﴿**للمتقين**﴾ الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم أو لكل متق سمعها فاللام للاستغراق العرفي على التقديرين، قال السعدي:

نرود مرغ سوى دانه فراز ... چون دكر مرغ بيند اندر بند
پند كيراز مصائب دكران ... تانكيرند ديكران زتو پند

واعلم أن هذا البلاء والخسران جزاء من لم يعرف قدر الإحسان ومن يكافىء المنعم بالكفران يرد من عزة الوصال إلى ذل الهجران وكان عقوبة الأمم بالخسف والمسخ على الأجساد وعقوبة هذه الأمة على القلوب وعقوبات القلوب أشد من عقوبات النفوس قال الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠] الآية هكذا حال من لم يتأدب في خدمة الملوك وينخرط في أثناء السلوك ومن لم يتخط بساط القربة بقدم الحرمة يستوجب الحرمان ويستجلب الخسران ويبتلي بسياسة السلطان. ثم علامة المسخ مثل الخنزير أن يأكل العذرات

ومن أكل الحرام فقلبه ممسوخ. ويقال علامة مسخ القلب ثلاثة أشياء لا يجد حلاوة الطاعة ولا يخاف من المعصية ولا يعتبر بموت أحد بل يصير أرغب في الدنيا كل يوم كذا في «زهرة الرياض». وروي عن عوف بن عبد الله أنه قال: كان أهل الخير يكتب بعضهم بثلاث كلمات من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته. قال محمد بن علي الترمذي صلاح أربعة أصناف في أربعة مواطن: صلاح الصبيان في الكتاب، وصلاح القطاع في السجن، وصلاح النساء في البيوت، وصلاح الكهول في المساجد.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿**وإذ قال موسى لقومه**﴾ توبيخ آخر لأخلاف بني إسرائيل بتذكير بعض جنايات صدرت من أسلافهم أي: واذكروا قول موسى عليه السلام لأجدادكم: ﴿**إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة**﴾ هي الأنثى من نوع الثور أو واحد البقر ذكراً كان أو أنثى من البقر وهو الشق سميت به لأنها تبقر الأرض أي: تشقها للحراثة وسببه أنه كان في بني إسرائيل شيخ موسر فقتله بنو عمه طمعاً في ميراثه فطرحوه على باب المدينة أو حملوه إلى قرية أخرى وألقوه بفنائها ثم جاؤوا يطالبون بديته وجاؤوا بناس يدعون عليهم القتل فسألهم موسى فجحدوا فاشتبه أمر القتيل على موسى وكان ذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم بدعائه فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيا فيخبرهم بقاتله. ﴿**قالوا**﴾ كأنه قيل: فماذا صنعوا هل سارعوا إلى الامتثال أو لا فقيل: قالوا ﴿**أتتخذنا هزواً**﴾ أي: أتجعلنا مكان هزء وسخرية وتستهزىء بنا نسألك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح بقرة ولا جامع بينهما قال بعض العلماء كان ذلك هفوة منهم وجهالة فما انقادوا للطاعة وذبحها ﴿**قال**﴾ موسى وهو استئناف كما سبق ﴿**أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين**﴾ لأن الهزؤ في أثناء تبليغ أمر الله جهل وسفه ودل أن الاستهزاء بأمر الدين كبيرة وكذلك بالمسلمين ومن يجب تعظيمه وأن ذلك جهل وصاحبه مستحق للوعيد وليس المزاح من الاستهزاء.

قال أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى: عنه لا بأس بفكاهة يخرج بها الإنسان من حد العبوس. روي أنه قدم رجل إلى عبيد الله بن الحسين وهو قاضي الكوفة فمازحه عبيد الله فقال: جبتك هذه من صوف نعجة أو من صوف كبش فقال: أتجهل أيها القاضي فقال له عبيد الله وأين وجدت المزاح جهلاً فتلا هذه الآية فأعرض عنه عبيد الله لأنه رآه جاهلاً لا يعرف المزاح من الاستهزاء، ثم إن القوم علموا أن ذبح البقرة عزم من الله وجد فاستوصفوها كما يأتي ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم وكانت تحته حكمة.

والقصة: أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة أتى بها إلى غيضة وقال: اللهم إني أستودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات الرجل فصارت العجلة في الغيضة عواناً أي: نصفاً بين المسنة والشابة وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان

باراً بوالدته وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلي ثلثاً وينام ثلثاً ويجلس عند رأس أمه ثلثاً فإذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به إلى السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي والدته ثلثه فقالت له أمه يوماً: إن أباك قد ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أن يردها عليك، وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يخيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تلك البقرة تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها لأن صفرتها كانت صفرة زين لا صفرة شين، فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال: أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة بإذن الله وقالت: أيها الفتى البار لوالدته اركبني فإن ذلك أهون عليك فقال الفتى: إن أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت: خذ بعنقها فقالت البقرة بإله بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي أبداً فانطلق فإنك إن أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بأمك فسار الفتى بها إلى أمه فقالت له: إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال بكم أبيعها قالت: بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها إلى السوق فبعث الله ملكاً ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بأمه وكان الله به خبيراً فقال له الملك: بكم تبيع هذه البقرة قال: بثلاثة دنانير واشترط عليك رضى والدتي فقال الملك: لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك فقال الفتى لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضى أمي فردها إلى أمه وأخبرها بالثمن فقالت: ارجع فبعها بستة دنانير على رضى مني فانطلق بها إلى السوق فأتى الملك فقال: استأمرت أمك فقال الفتى: أنها أمرتني أن لا أنقصها من ستة على أن استأمرها فقال الملك إني أعطيك اثني عشر على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع إلى أمه وأخبرها بذلك فقالت: إن الذي يأتيك ملك في صورة آدمي ليختبرك فإذا أتى فقل له أتأمر أن نبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال له الملك اذهب إلى أمك وقل لها أمسكي هذه البقرة فإن موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في بني إسرائيل فلا تبيعوها إلا بملء مسكها دنانير فأمسكوها وقدر الله تعالى على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفونها حتى وصف لهم تلك البقرة بعينها مكافأة له على بره بوالدته فضلاً منه ورحمة والوجه في تعيين البقرة دون غيرها من البهائم أنهم كانوا يعبدون البقرة والعجاجيل وحبب إليهم ذلك كما قال تعالى: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣] ثم تابوا وعادوا إلى طاعة الله وعبادته فأراد الله تعالى أن يمتحنهم بذبح ما حبب إليهم ليظهر منهم حقيقة التوبة وانقلاع ما كان منهم في قلوبهم وقيل: كان أفضل قرابينهم حينئذٍ البقر فأمروا بذبح البقرة ليجعل التقرب لهم بما هو أفضل عندهم.

﴿**قالوا**﴾ كأنه قيل فماذا قال قوم موسى بعد ذلك فقيل: توجهوا نحو الامتثال وقالوا يا موسى ﴿**ادع لنا**﴾ سل لأجلنا ﴿**ربك يبين لنا**﴾ أي: يوضح ويعرف ﴿**ما هي**﴾ ما مبتدأ وهي خبره والجملة في حيز النصب بيبين أي: يبين لنا جواب هذا السؤال وقد سألوا عن حالها وصفتها لما قرع أسماعهم ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فما هٰهنا سؤال عن الحال والصفة تقول ما زيد فيقال طبيب أو عالم أي: ما سنها وما صفتها من الصغر والكبر ﴿**قال**﴾ أي: موسى عليه السلام بعدما دعا ربه بالبيان وأتاه الوحي ﴿**إنه**﴾ أي: الله تعالى ﴿**يقول إنها**﴾ أي: البقرة المأمور بذبحها ﴿**بقرة لا**﴾ هي ﴿**فارض**﴾ أي: مسنة من الفرض وهو

القطع كأنها قطعت سنها وبلغت آخر ﴿ولا بكر﴾ أي: فتية صغيرة ولم يؤنث البكر والفارض لأنهما كالحائض في الاختصاص بالأنثى ﴿عوان﴾ أي: نصف ﴿بين ذلك﴾ المذكور من الفارض والبكر ﴿فافعلوا﴾ أمر من جهة موسى عليه السلام متفرع على ما قبله من بيان صفة المأمور به ﴿ما تؤمرون﴾ أي: ما تؤمرونه بمعنى ما تؤمرون به من ذبح البقرة وحذف الجار قد شاع في هذا الفعل حتى لحق بالأفعال المتعدية إلى مفعولين.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿قالوا﴾ كأنه قيل ماذا صنعوا بعد هذا البيان الثاني والأمر المكرر فقيل: قالوا ﴿ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها﴾ من الألوان حتى تتبين لنا البقرة المأمور بها واللون عرض مشاهد يتعاقب على بعض الجواهر ﴿قال﴾ موسى عليه السلام بعد المناجاة إلى الله تعالى ومجيء البيان ﴿إنه﴾ الله تعالى ﴿يقول إنها بقرة صفراء﴾ والصفرة لون بين البياض والسواد وهي الصفرة المعروفة وليس المراد بها هنا السواد كما في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [المرسلات: ٣٣] أي: سود والتعبير عن السواد بالصفرة لما أنها من مقدماته وإما لأن سواد الإبل يعلوه صفرة ﴿فاقع لونها﴾ مبتدأ وخبر والجملة صفة البقرة والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها يقال في التأكيد أصفر فاقع كما يقال أسود حالك وفي إسناده إلى اللون مع كونه من أحوال الملون لملابسته به ما لا يخفى من فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها كما في جد جده قيل: كانت صفراء الكل حتى القرن والظلف ﴿تسر الناظرين﴾ إليها يعجبهم حسنها وصفاء لونها ويفرح قلوبهم لتمام خلقتها ولطافة قرونها وأظلافها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه. وعن علي رضي الله تعالى عنه من لبس نعلاً صفراء قل همه لأن الله تعالى يقول تسر الناظرين. ونهى ابن الزبير ومحمد بن كثير عن لباس النعال السود لأنها تهم وذكر أن الخف الأحمر خف فرعون والخف الأبيض خف وزيره هامان والخف الأسود خف العلماء وروي أن خف النبي عليه السلام كان أسود.

﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ أسائمة هي أم عاملة. وفي «الكشاف»: هذا تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بياناً لوصفها والاستقصاء شؤم. وعن عمر بن عبد العزيز إذا أمرتك أن تعطي فلاناً شاة سألتني أضائن أم ماعز فإن بينت لك قلت: أذكر أم أنثى فإن أخبرتك قلت: أسوداء أم بيضاء فإذا أمرتك بشيء فلا تراجعني وفي الحديث «أعظم الناس جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لأجل مسألته» ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ أي: جنس البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا أيها نذبح فذكر البقر لإرادة الجنس أو لأن كل جمع حروفه أقل من واحده جاز تذكيره وتأنيثه ﴿وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾ إلى البقرة المراد ذبحها وفي الحديث «لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد».

﴿قال﴾ موسى ﴿إنه﴾ تعالى ﴿يقول إنها بقرة لا ذلول﴾ مذللة ذللها العمل يقال دابة ذلول بينة الذل بالكسر وهو خلاف الصعوبة وهو صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولم يقل ذلولة لأن

فعولاً إذا كان وصفاً لم تدخله الهاء كصبور ﴿تثير الأرض﴾ أي: تقلبها للزراعة وهي صفة ذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة ﴿ولا تسقي الحرث﴾ أي: ليست بسانية يسقى عليها بالسواقي ولا الأولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الأولى لأن المعنى لا ذلول تثير وتسقي على أن الفعلين صفتان لذلول كانه قيل: لا ذلول مثيرة وساقية كذا في «الكشاف». قال الإمام أبو منصور رحمه الله دلت الآية على أن البقرة كانت ذكراً لأن إثارة الأرض وسقي الحرث من عمل الثيران وأما الكنايات الراجعة إليها على التأنيث فللفظها كما في قوله وقالت طائفة فالتاء للتوحيد لا للتأنيث خلافاً لأبي يوسف إلا أن يكون أهل ذلك الزمان يحرثون بالأنثى كما يحرث أهل هذا الزمان بالذكر ﴿مسلمة﴾ أي: سلمها الله من العيوب أو معفاة من العمل سلمها أهلها منه أو مخلصة اللون من سلم له كذا إذا خلص له لم يشب صفرتها شيء من الألوان ويؤيده قوله تعالى: ﴿لا شية فيها﴾ يخالف لون جلدها فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها والأصل وشية كالعدة والصفة والزنة أصلها وعد ووصف ووزن واشتقاقها من وشى الثوب وهو استعمال ألوان الغزل في نسجه ﴿قالوا﴾ عندما سمعوا هذه النعوت ﴿الآن﴾ أي: هذا الوقت بني لتضمنه معنى الإشارة ﴿جئت بالحق﴾ أي: بحقيقة وصف البقرة وما بقي إشكال في أمرها ﴿فذبحوها﴾ الفاء فصيحة أي: فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلها بأن وجدوها مع الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهباً فذبحوها ﴿وما كادوا﴾ أي: وما قربوا ﴿يفعلون﴾ والجملة حال من ضمير ذبحوا أي: فذبحوها والحال أنهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه. تلخيصه ذبحوها بعد توقف وبطء قيل: مضى من أول الأمر إلى الامتثال أربعون سنة فعلى العاقل أن يسارع إلى الامتثال وترك التفحص عن حقيقة الحال فإن قضية التوحيد تستدعي ذلك، قال في «المثنوي»:

تاخيال دوست در اسرار ماست چاكري وجان سپاري كار ماست

وفي «الحكم العطائية» اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيباً ومن حضرته قريباً بالاستسلام لقهره، وذلك يقتضي وجود الحفظ من الله تعالى حتى لا يلم العبد بمعصية وإن ألم بها فلا تصدر منه وإذا صدرت منه فلا يصر عليها إذ الحفظ الامتناع من الذنب مع جواز الوقوع فيه والعصمة الامتناع من الذنب مع استحالة الوقوع في العصمة للأنبياء والحفظ للأولياء فقوله: ﴿الآن جئت بالحق﴾ يدل على الرجوع من الهفوة وعدم الإصرار وهذا إيمان محض.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ إشارة إلى ذبح بقرة النفس البهيمية فإن في ذبحها حياة القلب الروحاني وهذا هو الجهاد الأكبر الذي كان النبي عليه السلام يشير إليه بقوله: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» وبقوله: «المجاهد من جاهد نفسه» وقوله عليه السلام: «موتوا قبل أن تموتوا» أشار إلى هذا المعنى ﴿قالوا أتتخذنا هزواً﴾ أي: أتستهزىء بما في ذبح النفس وليس هذا من شأن كل ذي همة سنية. ﴿قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾ الذين يظنون أن ذبح النفس أمر هين ويستعد له كل تابع الهوى أو عابد الدنيا ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ أي: يعين أي: بقرة نفس تصلح للذبح بسيف الصدق فأشار إلى بقرة نفس ﴿لا فارض﴾ في سن الشيخوخة تعجز عن سلوك الطريق لضعف المشيب وخلل القوى النفسانية كما قال بعض المشايخ الصوفي بعد الأربعين فارض ﴿ولا بكر﴾ في سن شرح الشباب فإنه يستهويه سكره ﴿عوان بين ذلك﴾ أي: عند كمال العقل قال

تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥] ﴿فافعلوا ما تؤمرون﴾ فإنكم إن تقربتم إلى الله بما أمرتم فإن الله يتقرب إليكم بما وعدتم ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠] في الشيب والشباب ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها﴾ يعني ما لون بقرة نفس تصلح للذبح في الجهاد ﴿قال إنه يقول إنها بقرة صفراء﴾ إشارة إلى صفرة وجوه أرباب الرياضات وسيما أصحاب المجاهدات في طلب المشاهدات ﴿فاقع لونها﴾ يعني صفرة زين لا صفرة شين كما هي سيما الصالحين ﴿تسر الناظرين﴾ من نظر إليهم يشاهد في غرتهم بهاء قد ألبس من أثر الطاعات ويطالع من طلعتهم آثار شواهد الغيب من خمود الشهوات حتى أمن من أحوال البشرية بوجدان آثار الربوبية كقوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ إشارة إلى كثرة تشبه البطالين بزي الطالبين وكسوتهم وهيئتهم ﴿وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾ إلى الصادق منهم فالاهتداء إليهم يتعلق بمشيئة الله وبدلالته كما كان حال موسى والخضر عليهما السلام فلو لم يدل الله موسى لما وجده وقوله ﴿إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض﴾ إشارة إلى نفس الطالب الصادق وهي التي لا تحمل الذلة تثير بآلة الحرص علو أرض الدنيا لطلب زخارفها وتتبع هوى النفس وشهواتها كما قال عليه الصلاة والسلام «عز من قنع ذل من طمع» وقال «ليس للمؤمن أن يذل نفسه» ﴿ولا تسقي الحرث﴾ أي: حرث الدنيا بماء وجهه عند الخلق وبماء وجاهته عند الحق فيصرف في حرث الدنيا فيذهب ماؤه عند الخلق وعند الحق لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠] ﴿مسلمة لا شية فيها﴾ أي: نفس مسلمة من آفات صفاتها مستسلمة لأحكام ربها ليس منها طلب غير الله ولا مقصد لها إلا الله كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] إلى قوله: ﴿إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣] ﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾ يشير إلى أن ذبح النفس ليس من الطبيعة الإنسانية فمن ذبحها من الصادقين بسيف الصدق كان ذلك من فضل الله تعالى وحسن توفيقه فأما من حيث الطبيعة فما كادوا يفعلون.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وإذ قتلتم نفساً﴾ هذا مؤخر لفظاً مقدم معنى لأنه أول القصة أي: وإذ قتلتم نفساً وأتيتم موسى وسألتموه أن يدعو الله تعالى فقال موسى: إن الله يأمركم الآيات ولم يقدم لفظاً لأن الغرض إنما هو ذبح البقرة للكشف عن القاتل وأضيف القتل إلى اليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لرضاهم بفعل أولئك وخوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم والقتل نقض البنية الذي بوجوده تنتفي الحياة والمعنى واذكروا يا بني إسرائيل وقت قتل أسلافكم نفساً محرمة وهي عاميل بن شراحيل ﴿فادارأتم فيها﴾ أصله تدارأتم من الدرء وهو الدفع أي: تدافعتم وتخاصمتم في شأنها إذ كل واحد من الخصماء يدافع الآخر أي: يدفع الفعل عن نفسه ويحيل على غيره ﴿والله مخرج ما كنتم تكتمون﴾ أي: مظهر لا محالة ما كنتم وسترتم من أمر القتل لا يتركه مكتوماً مستوراً. فإن قلت كيف أعمل مخرج وهو في معنى المضي. قلت: قد حكى ما كان مستقبلاً في وقت التدارىء كما حكى الحاضر في قوله: ﴿بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ [الكهف: ١٨].

﴿فقلنا﴾ عطف على فادارأتم وما بينهما اعتراض ﴿اضربوه﴾ أي: النفس والتذكير على تأويل الشخص والإنسان ﴿ببعضها﴾ أي: ببعض البقرة أي: ببعض كان أو بلسانها لأنه آلة الكلام أو بعجب الذنب لأنه أول ما يخلق وآخر ما يبلى ويركب عليه الخلق أو بغير ذلك من الأعضاء والبعض أقل من النصف والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله: ﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾ - روي - أنه لما ضربوه قام بإذن الله وأوداجه تشخب دماً وقال: قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتاً فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك ثم إن موسى عليه السلام أمرهم بضربه ببعضها وما ضربه بنفسه نفياً للتهمة كيلا ينسب إلى السحر أو الحيلة ﴿كذلك﴾ على إرادة القول أي: فضربوه فحيي وقلنا كذلك فالخطاب في كذلك للحاضرين عند حياة القتيل أي: مثل ذلك الإحياء العجيب ﴿يحيي الله الموتى﴾ يوم القيامة. فإن قلت إن بني إسرائيل كانوا مقرين بالبعث فما معنى إلزامهم بقوله: ﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾. قلت: كانوا مقرين قولاً وتقليداً فثبته عياناً وإيقاناً وهو كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠] ويجوز أن يكون الخطاب لمنكري البعث في زمان النبي عليه السلام والحاضرين عند نزول الآية الكريمة فلا حاجة حينئذٍ إلى تقدير القول بل تنتهي الحكاية عند قوله تعالى ببعضها: ﴿ويريكم آياته﴾ دلائله الدالة على أنه تعالى على كل شيء قدير ﴿لعلكم تعقلون﴾ يقال: عقلت نفسي عن كذا أي: منعتها منه أي: لكي تكمل عقولكم وتعلموا أن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء الأنفس كلها وتمنعوا نفوسكم من هواها وتطيعوا الله فيما يأمركم به ولعل الحكمة في اشتراط ما اشترط في الإحياء من ذبح البقرة وضربه ببعضها مع ظهور كمال قدرته على إحيائه ابتداء بلا واسطة أصلاً لاشتماله على التقرب إلى الله تعالى وأداء الواجب ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الأولاد ونفع بر الوالد وأن من حق الطالب أن يقدم قربة ومن حق المتقرب أن يتحرى الأحسن ويغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه أنه ضحى بنجيبة اشتراها بثلاثمائة دينار وأن المؤثر هو الله تعالى وإنما الأسباب أمارات لا تأثيرها لأن الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل أن يتولد منها حياة وأن من رام أن يعرف أعدى عدوه الساعي في إماتته الموت الحقيقي فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التي هي قوته الشهوية حين زال عنها شره الصِّبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة من دنسها لاشية بها من قبائحها بحيث يتصل أثره إلى نفسه فيحيا به حياة طيبة ويعرف ما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارىء والجدال. قال بعض أهل المعرفة في قوله: ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى﴾ إنما جعل الله إحياء المقتول في ذبح البقرة تنبيهاً لعبيده أن من أراد منهم إحياء قلبه لم يتأت له إلا بإماتة نفسه فمن أماتها بأنواع الرياضات أحيا الله قلبه بأنوار المشاهدات فمن مات بالطبيعة يحيا بالحقيقة وكما أن لسان البقرة بعد ذبحها ضرب على القتيل وقام بإذن الله وقال: قتلني فلان فكذلك من ضرب لسان النفس المذبوحة بسكين الصدق على قتيل القلب بمداومة الذكر يحيى الله قلبه بنوره فيقول وما أبرىء نفسي أن النفس لأمارة بالسوء، قال السعدي:

نميتازد أين نفس سركش چنان — كه عقلش تواند كرفتن عنان
تو بر كرة توسني در كمر — نكر تا نپيجد زحكم تو سر

اكرپالهنك از كفت دركسيخت تن خويشتن كشت وخون توريخت

فيجب علينا غاية الوجوب أن نتقيد بإحياء نفوسنا بالحياة الحقيقية وإصلاح قلوبنا بالإصلاح الحقيقي وإخلاص أعمالنا بالإخلاص الحقيقي فإن المنظر الإلهي إنما هو القلوب والأعمال لا القصور والأموال كما ورد في الحديث «أن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم بل إلى قلوبكم وأعمالكم» فالمعتبر هو الباطن والسرائر دون السير والظواهر. والعاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والجاهل من نسي نفسه واتبع هواه وما يعقل ذلك إلا العالمون وما يعلمه إلا الكاملون، قال السعدي:

شخصم بچشم عالميان خوب منظرست وزخبث باطنم سر حجلت فتاده پيش
طاوس را بنقش ونكاري كه هست خلق تحسين كنندا وحجل ازپاي زشت خويش

وقد سئل بعض المشايخ عن الإسلام فقال: ذبح النفس بسيوف المخالفة ومخالفتها ترك شهواتها. قال السري السقطي: إن نفسي تطالبني مدة ثلاثين سنة أو أربعين سنة أن أغمس جوزة في دبس فما أطعمتها ورئي رجل جالس في الهواء فقيل له: بِمَ نلت هذا؟ قال: تركت الهوى فسخر لي الهواء وقيل لبعضهم إني أريد أن أحج على التجريد فقال: جرد أولاً قلبك من السهو ونفسك عن اللهو ولسانك عن اللغو ثم اسلك حيث شئت.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿ثم قست قلوبكم﴾ خطاب لأهل عصر النبي عليه السلام من الأحبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذكر ما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم أنتم تمترون والقسوة والقساوة عبارة عن الغلظ والصلابة كما في الحجر وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وأن المواعظ لا تؤثر فيها ﴿من بعد ذلك﴾ أي: من بعد سماع ما ذكر من إحياء القتيل ومسخ القردة والخنازير ورفع الجبل وغيرها من الآيات والقوارع التي تميع منها الجبال وتلين بها الصخور ﴿فهي﴾ أي: القلوب ﴿كالحجارة﴾ أي: مثل الحجارة في شدتها وقسوتها والفاء لتفريع مشابهتها لها على ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه كقولك أحمر خده فهو كالورد ﴿أو أشد﴾ منها ﴿قسوة﴾ تمييز وأو بمعنى بل أو للتخيير أي: إن شئتم فاجعلوها أشد منها كالحديد فأنتم مصيبون وإنما لم تحمل على أصلها وهو الشك والتردد لما أن ذلك محال على علام الغيوب. فإن قلت: لم قيل أشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه أفعل التفضيل وفعل التعجب. قلت لكونه أبين وأدل على فرط القسوة من لفظ أقسى لأن دلالته على الشدة بجوهر اللفظ الموضوع لها مع هيئة موضوعة للزيادة في معنى الشدة بخلاف لفظ الأقسى فإن دلالته على الشدة والزيادة في القسوة بالهيئة فقط ووجه حكمة ضرب قلوبهم مثلاً بالحجارة وتشبيهها بها دون غيرها من الأشياء الصلبة من الحديد والصفر وغيرهما لأن الحديد تلينه النار وهو قابل للتليين كما لان لداود عليه السلام وكذا الصفر حتى يضرب منها الأواني والحجر لا يلينه نار ولا شيء فلذلك شبه قلب الكافر بها وهذا والله أعلم في حق قوم علم الله أنهم لا يؤمنون. ﴿وإن من الحجارة﴾ بيان لفضل قلوبهم على الحجارة من شدة القسوة وتقرير

لقوله أو أشد قسوة ومن الحجارة خبر أن والاسم قوله: ﴿لما﴾ واللام للتأكيد أي: الحجر ﴿يتفجر﴾ أي: يتفتح بكثرة وسعة ﴿منه﴾ راجع إلى ما ﴿الأنهار﴾ جمع نهر وهو المجرى الواسع من مجاري الماء والمعنى وإن من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير أي: يتصبب ﴿وإن منها﴾ أي: من الحجارة ﴿لما يشقق﴾ أصله يتشقق أي: يتصدع والصدع جعل الشيء ذا نواحي ﴿فيخرج منه الماء﴾ أي: ينشق انشقاقاً بالطول أو بالعرض ينبع منه الماء أيضاً يعني العيون دون الأنهار ﴿وإن منها لما يهبط﴾ أي: يتردى وينزل من أعلى الجبل إلى أسفله ﴿من خشية الله﴾ وهي الخوف عن العلم وهنا مجاز عن انقيادها لأمر الله وأنها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء اليهود لا تنقاد ولا تلين ولا تخشع ولا تفعل ما أمرت به ﴿وما الله بغافل﴾ بساه ﴿عما تعملون﴾ أي: الذي تعملونه وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الأعمال السيئة فقلب الكافر أشد في القساوة من الحجارة وإنها مع فقد أسباب الفهم والعقل منها وزوال الخطاب عنها تخضع له وتتصدع قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] وقلب الكافر مع وجود أسباب الفهم والعقل وسعة هيئة القبول لا يخضع ولا يلين. قالت المعتزلة خشية الحجر على وجه المثل يعني لو كان له عقل لفعل ذلك ومذهب أهل السنة أن الحجر وإن كان جماداً لكن الله يفهمه ويلهمه فيخشى بإلهامه فإن لله تعالى علماً في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية كما قال جل ذكره ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] وقال: ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ [النور: ٢١] فيجب على المرء الإيمان به ويحيل علمه إلى الله تعالى روي أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل انزل عني فإني أخاف أن تؤخذ علي فيعاقبني الله بذلك فقال له جبل حراء إليّ إليّ يا رسول الله. وكان النبي ﷺ إذا خطب استند إلى جذع نخلة من سواري المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك السارية من فراق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحنت كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد ونزل رسول الله عليه السلام فاعتنقها فسكنت. قال في «المثنوي»:

آنكه اورا نبود ازاسرار داد — كي كند تصديق او ناله جماد

وبينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى استنقذها منه أي: استخلصها فالتفت إليه الذئب فقال: من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري فقال الناس: سبحان الله ذئب تكلم فقال رسول الله ﷺ: «أنا أومن به» وأبو بكر وعمر وعلى هذا إنطاق الله جلود الكفار يوم القيامة. وتسبيح الحصى في كفه عليه السلام. وكلام الشاة المسمومة. ومجيء الشجرتين إليه ﷺ حتى يستتر بهما في قضاء حاجته ثم رجوعهما إلى مكانهما وأمثال ذلك كثيرة. ذكر الشيخ قطب وقته الهدائي الإسكداري في «واقعاته» أنه كان يسمع في أثناء سلوكه من الماء الجاري ذكر يا دائم يا دائم، وفي «المثنوي»:

نطق آب ونطق خاك ونطق كل — هست محسوس حواس أهل دل
فلسفي كومنكر حنانه است — از حواس أوليا بيكانه است
هر كرا دردل شك وپيچانيست — درجهان أو فلسفي پنهانيست

قال بعض الحكماء معنى قوله: ﴿ثم قست قلوبكم﴾ يبست ويبس القلب أن ييبس عن

ماءين أحدهما ماء خشية الله تعالى والثاني ماء شفقة الخلق وكل قلب لا يكون فيه خشية الله ولا شفقة الخلق فهو كالحجارة أو أشد قسوة قال رسول الله ﷺ: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي» وقال أيضاً: «أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا».

والإشارة في تحقيق الآية أن اليهود وإن شاهدوا عظيم الآيات فحين لم تساعدهم العناية لم يزدهم كثرة الآيات إلا قسوة على قسوة فإن الله أراهم الآيات الظاهرة فرأوها بنظر الحسن ولم يرهم البرهان الذي يراه القلب فيحجزهم عن التكذيب والإنكار يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤] وهكذا حال بعض الممكورين حين يشرعون في الرياضات يلوح لهم من صفاء الروحانية ظهور بعض الآيات وخرق العادات فإذا لم يكن مقارناً برؤية البرهان ليكون مؤيداً بالتأييدات الإلهية لم يزدهم إلا العجب والغرور وأكثر ما يقع هذا للرهابين والمتفلسفة الذين استدرجهم الحق بالخذلان من حيث لا يعلمون وإنما تشبه قلوبهم بالحجارة لعدم اللين إلى الذكر الحقيقي وما يتداركه الحق بذكره كقوله: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] ومراتب القلوب في القسوة متفاوتة فبعضها بمرتبة الحجارة التي يتفجر منها الأنهار وهو قلب يظهر عليه بغلبات أنوار الروح لصفائه بعض الأشياء المشبهة لخرق العادات كما يكون لبعض الرهابين والكهنة وبعضها بمرتبة ﴿وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء﴾ وهو قلب يظهر عليه في بعض الأوقات عند انخراق حجب البشرية أنوار الروح فيريه بعض الآيات والمعاني المعقولة كما يكون لبعض الفلاسفة والشعراء وبعضها بمرتبة ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾ وهو قلب فيه بعض الصفاء فيكون بقدر صفائه قابل عكس أنوار الروح من وراء الحجب فيقع فيه الخوف والخشية كما يكون لبعض أهل الأديان والملل وهذه المراتب مشتركة بين قلوب المسلمين وغيرهم والفرق بينهم أن أحوال هذه المراتب للمسلمين مؤيدة بنور الإيمان فيزيدهم في قربهم بكرامات وفراسات تظهر لهم من تجلي أنوار الحق كما قال: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢] وبعض القلوب بمرتبة الحجر القاسي الذي لا يؤثر فيه القرآن والأخبار والحكمة والموعظة وهذا القلب مخصوص بالكافر والمنافق فإنه قلب مختوم عليه ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ فيجازيكم عاجلاً وآجلاً فأما عاجلاً بأن يجعل إنكاركم سبب مزيد قسوة قلوبكم فيقسيها بأعمالكم الفاسدة ويطبع عليها بطابع إنكاركم قال عليه السلام: «ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمٰن فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغه» وأما آجلاً فيعاقبكم يوم القيامة على قدر سيئات أعمالكم.

كذا في «التأويلات النجمية».

﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿أفتطمعون﴾ كان عليه السلام شديد الحرص على الدعاء إلى الحق وقبولهم الإيمان منه وكان يضيق صدره بسبب عنادهم وتمردهم فقص الله عليه أخبار بني إسرائيل في العناد العظيم مع مشاهدة الآيات الباهرة تسلية لرسوله فيما يظهر من أهل الكتاب في زمانه من قلة القبول

والاستجابة والخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه والهمزة لإنكار الواقع واستبعاده كما في قولك أتضرب أباك لا لإنكار الوقوع كما في قوله: اضرب أبي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي: أتسمعون أخبارهم وتعلمون أحوالهم فتطمعون ومآل المعنى أبعد إن علمتم تفاصيل شؤونهم المؤيسة منهم فتطمعون في ﴿أن يؤمنوا﴾ جميع اليهود أو علماؤهم فإنهم متماثلون في شدة الشكيمة والأخلاق الذميمة لا يتأتى من أخلاقهم إلا مثل ما أتى من أسلافهم فلا تحزنوا على تكذيبهم واللام في ﴿لكم﴾ لتضمين معنى الاستجابة أي: في إيمانهم مستجبين لكم أو للتعليل أي: في أن يحدثوا الإيمان لأجل دعوتكم ﴿و﴾ الحال ﴿قد كان فريق﴾ كائن ﴿منهم﴾ أي: طائفة ممن سلف منهم والفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط ﴿يسمعون كلام الله﴾ وهو ما يتلونه من التوراة ﴿ثم يحرفونه﴾ أي: يغيرون ما فيها من الأحكام كتغييرهم صفة محمد ﷺ وآية الرجم وقيل: كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما أمر به ونهى ثم قالوا: سمعنا الله يقول في آخره إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وإن شئتم أن لا تفعلوا فلا بأس.

قال في «التيسير»: الصحيح إنهم لم يسمعوا كلام الله بلا واسطة فإن ذلك كان لموسى على الخصوص لم يشركه فيه غيره في الدنيا ومعنى يسمعون كلام الله أي: التوراة من موسى بقراءته ﴿من بعد ما عقلوه﴾ أي: من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم شبهة في صحته يقول كيف يؤمن هؤلاء وهم يقلدون أولئك الآباء فهم من أهل السوء الذين مضوا بالعناد فلا تطعموا في الإيمان منهم ﴿وهم يعلمون﴾ أي: يحرفونه والحال أنهم يعلمون أنهم كاذبون مفترون.

﴿وإذا لقوا﴾ أي: اليهود ﴿الذين آمنوا﴾ من أصحاب النبي عليه السلام ﴿قالوا﴾ أي: منافقوهم ﴿آمنا﴾ كإيمانكم وأن محمداً هو الرسول المبشر به ﴿وإذا خلا﴾ مضى ورجع ﴿بعضهم﴾ الذين لم ينافقوا أي: إذا فرغوا من الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين ﴿إلى بعض﴾ أي: إلى الذين نافقوا بحيث لم يبق معهم غيرهم ﴿قالوا﴾ أي: الساكتون عاتبين لمنافقيهم على ما صنعوا ﴿أتحدثونهم﴾ تخبرونهم والاستفهام بمعنى النهي أي: لا تحدثوهم يعنون المؤمنين ﴿بما فتح الله عليكم﴾ أي: بينه الله لكم خاصة في التوراة من نعت النبي عليه السلام والتعبير عنه بالفتح للإيذان بأنه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه أحد ﴿ليحاجوكم به﴾ اللام متعلقة بالتحديث دون الفتح والضمير في به لما فتح الله أي: ليحتجوا عليكم به فيقطعوكم بالحجة ويبكتوكم ﴿عند ربكم﴾ أي: في حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله كذا أي: في كتابه وشرعه والمحدثون به وإن لم يحوموا حول ذلك الغرض وهو المحاجة لكن فعلهم ذلك لما كان مستتبعاً له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور إظهاراً لكمال سخافة عقلهم وركاكة آرائهم ﴿أفلا تعقلون﴾ متصل بكلامهم من التوبيخ والعتاب أي: ألا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطأ الفاحش وهو أن ذلك حجة لهم عليكم فالمنكَر عدم التعقل ابتداء أو أتفعلوان ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاحون إلى التنبيه عليه فالمنكر حينئذٍ عدم التعقل بعد الفعل.

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿أو لا يعلمون﴾ الهمزة للإنكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر ينساق إليه الذهن والضمير للموبخين أي: أيلومونهم على التحديث مخافة المحاجة ولا يعلمون ﴿أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ أي: جميع ما يسرونه وما يعلنونه ومن ذلك أسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان فحينئذٍ يظهر الله للمؤمنين ما أرادوا إخفاءه بواسطة الوحي إلى النبي عليه السلام فتحصل المحاجة والتبكيت كما وقع في آية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فأي فائدة في اللوم والعتاب.

﴿ومنهم﴾ أي: من اليهود ﴿أميون﴾ لا يحسنون الكتب ولا يقدرون على القراءة والأمي منسوب إلى أمة العرب وهي الأمة الخالية عن العلم والقراءة فاستعير لمن لا يعرف الكتابة والقراءة ﴿لا يعلمون الكتاب﴾ أي: لا يعرفون التوراة ليطالعوها ويتحققوا ما فيها من دلائل النبوة فيؤمنوا ﴿إلا أماني﴾ جمع أمنية من التمني والاستثناء منقطع لأنها ليست من جنس الكتب أي: لكن الشهوات الباطلة ثابتة عندهم وهي المفتريات من تغيير صفة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأنهم لا يعذبون في النار إلا أياماً معدودة وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم وأن الله لا يؤاخذهم بخطاياهم ويرحمهم ولا حجة لهم في صحة ذلك ﴿وإن هم﴾ أي: ما هم ﴿إلا يظنون﴾ ظناً من غير تيقن بها أي: ما هم إلا قوم قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يصلوا إلى مرتبة العلم فأنى يرجى منهم الإيمان المؤسس على قواعد اليقين.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فويل﴾ كلمة يقولها كل واقع في هلكة بمعنى الدعاء على النفس بالعذاب أي: عقوبة عظيمة وهو مبتدأ خبره ما بعده قال رسول الله ﷺ «الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره» وقال سعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنه: إنه واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره أي: ذابت ﴿للذين يكتبون الكتاب﴾ المحرف ﴿بأيديهم﴾ تأكيد لدفع توهم المجاز فقد يقول إنسان كتبت إلى فلان إذا أمر غيره أن يكتب عنه إليه ﴿ثم يقولون﴾ لعوامهم ﴿هذا﴾ أي: المحرف ﴿من عند الله﴾ في التوراة روي أن أحبار اليهود خافوا ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي عليه السلام المدينة فاحتالوا في تعويق أسافل اليهود عن الإيمان فعمدوا إلى صفة النبي عليه السلام في التوراة وكانت هي فيها حسن الوجه جعد الشعر أكحل العين ربعة أي: متوسط القامة فغيروها وكتبوا مكانه طوال أزرق سبط الشعر وهو خلاف الجعد فإذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرأوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفاً لصفته عليه السلام فيكذبونه ﴿ليشتروا به﴾ أي: يأخذوا لأنفسهم بمقابلة المحرف ﴿ثمناً﴾ هو ما أخذوه من الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتأويل الزائغ وإنما عبر عن المشترى الذي هو المقصود بالذات في عقد المعاوضة بالثمن الذي هو وسيلة فيه إيذاناً بتعكيسهم حيث جعلوا المقصود بالذات وسيلة والوسيلة مقصودة بالذات ﴿قليلاً﴾ لا يعبأ به إنما وصفه بالقلة إما لفنائه وعدم ثوابه وإما لكونه حراماً لأن الحرام لا بركة فيه ولا يربو عند الله كذا في «تفسير القرطبي» ﴿فويل لهم﴾ أي: العقوبة العظيمة ثابتة لهم ﴿مما كتبت أيديهم﴾ من أجل كتابتهم إياه ﴿وويل لهم مما يكسبون﴾ من أخذهم الرشوة وعملهم المعاصي وأصل

الكسب الفعل لجر نفع أو دفع ضر ولهذا لا يوصف به سبحانه.

وفي الآيات إشارات:

الأولى: إن علم الرجل ويقينه ومعرفته ومكالمته مع الله لا يفيده الإيمان الحقيقي إلا أن يتداركه الله بفضله ورحمته قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] وإن الله تعالى كلم إبليس وخاطبه بقوله: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وما أفاده الإيمان الحقيقي إذا لم يكن مؤيداً من الله بفضله ورحمته ولم يبق على الإيمان بعد العيان فكيف يؤمن بالبرهان، قال في «المثنوي»:

جز عنايت كه كشايد چشم را جز محبت كه نشاند خشم را

جهد بي توفيق خود كس را مباد درجهان والله أعلم بالسداد

جهد فرعوني چوبي توفيق بود هرچه أو مي دوخت آن تفتيق بود

والثانية: إن العالم المعاند والعامي المقلد سواء في الضلال لأن العالم عليه أن يعمل بعلمه وعلى العامي أن لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم وأن الدين ليس بالتمني فالذين ركنوا إلى التقليد المحض واغتروا بظنون فاسدة وتخمينات مبهمة فهم الذين لا تصيب لهم من كتبهم إلا قراءتها دون معرفة معانيها وإدراك أسرارها وحقائقها وهذا حال أكثر أهل زماننا من مدعي الإسلام فالمدعي والمتمني عاقبتهما خسران وضلال وحسرة وندامة ووبال. وفي «المثنوي»:

تشنه راكر ذوق آيد از سراب چون رسد دروي كريزد جويد آب

مفلسان كرخوش شوند از زر قلب ليك إن رسوا شود دردار ضرب

والثالثة: أن من بدل أو غير أو ابتدع في دين الله ما ليس منه فهو داخل في الوعيد المذكور وقد حذر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمته لما علم ما يكون في آخر الزمان فقال: «ألا أن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة» فحذرهم أن يحدثوا من تلقاء أنفسهم في الدين خلاف كتاب الله أو سنته أو سنة أصحابه فيضلوا به الناس وقد وقع ما حذره وشاع وكثر وذاع فإنا لله وإنا إليه راجعون، قال السعدي:

نخوا هي كه نفرين كنندا زپست نكوباش تابد نكويد كست

نه هر آدمي زاده ازدد بهست كه ددز آدمي زاده بدبهست

والرابعة: إن بعض المتسمين بالصوفية ينضم إلى الأولياء وأرباب القلوب ظاهراً ثم لا يصدق الإرادة ويميل إلى أهل الغفلة ويصغي إلى أقوالهم ويشتهي ارتكاب أفعالهم وكلما دعته هواتف الحظوظ سارع إلى الإجابة طوعاً وإذا قادته دواعي الحق تكلف كرهاً ليس له إخلاص في الصحبة في طريق الحق فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون من الإلحاد عن الحق واعتقاد السوء وإغراء الخلق وإضلالهم فهم الذين ضلوا وأضلوا كثيراً، وفي «المثنوي»:

صد هزار ان دام ودانه است أي: خدا ماچو مرغان حريص بي نوا

دمبدم ما بسته دام نويم هريكي كرباز وسيمر غي شويم

فعلى السالك أن يجتهد في الوصول إلى الموجود الحق ويتخلص من الموهوم المطلق

ولا يغتر بظواهر الحالات غافلاً عن بطون الاعتبارات فإن طريق الحق أدق من كل دقيق وماء عميق وفج سحيق وأجهل الناس من يترك يقين ما عنده من صفات نفسه التي لا شك فيها الظن ما عند الناس من صلاحية حاله. قال حارث بن أسد المحاسبي رضي الله عنه الراضي بالمدح بالباطل كمن يهزأ به فالعاقل لا يغتر بمثله بل يجتهد إلى أن يصل إلى الحقيقة فويل لواعظ تكبر وافتخر بتقبيل الناس يده ورأى نفسه خيراً من السامعين ويتقيد بالمدح والذم اللهم إلا أن يخرج ذلك من قلبه والمعيار مساواة المقبل واللاطم عنده بل رجحان اللاطم والضارب. قال في مجلس وعظه جنيد البغدادي لو لم أسمع قوله ﷺ: «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» لما اجترأت على الوعظ فأنا ذلك الرجل الفاجر.

﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿وقالوا﴾ إن اليهود زعماً منهم ﴿لن تمسنا النار﴾ أي: لا تصل إلينا النار في الآخرة ﴿إلا أياماً معدودة﴾ قليلة محصورة سبعة أيام فإنهم يقولون إن أيام الدنيا سبعة آلاف سنة فنعذب مكان كل ألف سنة يوماً أو يراد أربعين يوماً مقدار عباده آبائهم العجل. قال أبو منصور رحمه الله تصرف الأيام المعدودة إلى العمر الذي عصوا فيه وهم لم يروا التعذيب الأعلى قدر وقت العصيان أو كانوا لا يرون التخليد في النار كالجهمي أو لأنهم كانوا يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه فلا نعذب أبداً بل نعذب تعذيب الأب ابنه والحبيب حبيبه في وقت قليل ثم يرضى وهذا منهم باطل وعقوبة الكفر أبداً وثواب الإيمان كذلك لأن من اعتقد ديناً إنما يعتقده للأبد فعلى ذلك جزاؤه للأبد ﴿قل﴾ يا محمد تبكيتاً لهم وتوبيخاً ﴿أتخذتم﴾ بقطع الهمزة لأنه ألف استفهام بمعنى التوبيخ والألف المجتلبة ذهبت بالإدراج أي: اتخذتم ﴿عند الله عهداً﴾ خبراً أو وعداً بما تزعمون فإن ما تدعون لا يكون إلا بناءً على وعد قوي ولذلك عبر عنه بالعهد ﴿فلن﴾ الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف أي: إن اتخذتم عند الله عهداً وأماناً فلن ﴿يخلف الله﴾ الإخلاف نقض العهد ﴿عهده﴾ الذي عهده إليكم يعني ينجز وعده البتة. قال الإمام أبو منصور: لهذان وجهان: أحدهما هل عندكم خبر عن الله تعالى أنكم لا تعذبون أبداً لكن أياماً معدودة فإن كان لكم هذا فهو لا يخلف عهده ووعده والثاني ألكم عند الله أعمال صالحة ووعدكم بها الجنة فهو لا يخلف وعده ﴿أم تقولون﴾ مفترين ﴿على الله ما لا تعلمون﴾ وقوعه وأم معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى أي: الأمرين المتساويين كائن على سبيل التقرير لأن العلم واقع بكون أحدهما تلخيصه إن كان لكم عنده عهد فلا ينقض ولكنكم تخرصون وتكذبون روي أنهم إذا مضت تلك المدة عليهم في النار يقول لهم خزنة جهنم يا أعداء الله ذهب الأجل وبقي الأبد فأيقنوا بالخلود.

﴿بلى﴾ إثبات لما بعد النفي فهو جواب النفي ونعم جواب الإيجاب أي: قلتم لن تمسنا النار سوى الأيام المعدودة بلى تمسكم أبداً بدليل قوله: ﴿هم فيها خالدون﴾ وبين ذلك بالشرط والجزاء وهما ﴿من﴾ فهو رفع مبتدأ بمعنى الشرط ولذلك دخلت الفاء في خبره وإن كان جواباً للشرط ﴿كسب﴾ الكسب استجلاب النفع واستعماله في استجلاب الضر كالسيئة

على سبيل التهكم ﴿**سيئة**﴾ من السيئات يعني كبيرة من الكبائر ﴿**وأحاطت به خطيئته**﴾ تلك واستولت عليه من جميع جوانبه من قلبه ولسانه ويده كما يحيط العدو وهذا إنما يتحقق في الكافر ولذلك فسر السلف السيئة بالكفر ﴿**فأولئك**﴾ الموصوفون بما ذكر من كسب السيئات وإحاطة خطاياهم بهم أشير إليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى في كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ في الضمائر الثلاثة ﴿**أصحاب النار**﴾ أي: ملازموها في الآخرة حسب ملازمتهم في الدنيا لما يستوجبها من الأسباب التي من جملتها ما هم عليه من تكذيب آيات الله وتحريف كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وهو خبر أولئك والجملة خبر للمبتدأ ﴿**هم فيها خالدون**﴾ دائمون فأنى لهم التفصي منها بعد سبعة أيام أو أربعين كما زعموا والجملة في حيز النصب على الحالية لورود التصريح به في قوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [التغابن: ١٠] ولا حجة في الآية على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿**والذين آمنوا**﴾ أي: صدقوا بالله تعالى ومحمد عليه السلام بقلوبهم ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ أي: أدوا الفرائض وانتهوا عن المعاصي ﴿**أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون**﴾ لا يموتون ولا يخرجون منها أبداً جرت السنة الإلَهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما تقتضيه الحكمة في إرشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب أخرى والتبشير مرة والإنذار أخرى فإن باللطف والقهر يترقى الإنسان إلى الكمال ويفوز بجنة الجمال والجلال ـ حكي ـ أنه كان لشيخ مريد فقال له يوماً: لو رأيت أبا يزيد كان خيراً لك من شغلك فقال: كيف يكون هو خيراً وهو مخلوق ويتجلى الخالق كل يوم سبعين مرة ثم بالآخرة ذهب مع شيخه إلى أبي يزيد البسطامي فقالت امرأته لا تطلبوه فهو امرؤ ذهب للحطب فوقفا في طريقه فإذا هو حمل الحطب على أسد عظيم وبيده حية يضرب الأسد بها في بعض الأوقات فلما رآه المريد مات وقال أبو يزيد لشيخه: قد ربيت مريدك باللطف ولم ترشده إلى طريق القهر فلم يتحمل لما رآني فلا تفعل بعد اليوم وأرهم القهر أيضاً. قال حضرة الشيخ الشهير بافتده أفندي: إن أبا يزيد برؤية القهر واللطف من الطريق كان مظهراً لتجلي الذات بخلاف المريد فلما رآه فيه لم يتحمل، قال في «المثنوي»:

عاشقم بر قهر وبر لطفش بجد — بو العجب من عاش اين هردوضد
والله ارزين خاردر بستان شوم — همچو بلبل زين سبب نالان شوم
أين عجب بلبل كه بكشايد دهان — تاخورد أوخار را با كلستان
أين چه بلبل أين نهنك آتشيست — جملة ناخو شهاز عشق أو راخو شيست

والإشارة في الآيات إلى أن بعض المغرورين بالعقل من الفلاسفة والطبايعية وغيرهم لفرط غفلتهم ظنوا أن قبائح أعمالهم وأفعالهم وأقوالهم لا تؤثر في صفاء أرواحهم فإذا فارقت الأرواح الأجساد يرجع كل شيء إلى أصله فالأجساد ترجع إلى العناصر والأرواح إلى حظائر

القدس ولا يزاحمها شيء من نتائج الأعمال إلا أياماً معدودة وهذا فاسد لأن العاقل يشاهد حساً وعقلاً إن تتبع الشهوات الحيوانية واستيفاء اللذات النفسانية يورث الأخلاق الذميمة من الحرص والأمل والحقد والحسد والبغض والغضب والبخل والكبر والكذب وغير ذلك وهو من صفات النفس الأمارة بالسوء فتصير بالمجاورة والتعود أخلاق الروح فيتكدر صفاؤه ويتبدل أخلاقه الروحانية من الحلم والكرم والمروءة والصدق والحياء والعفة والصبر والشكر وغير ذلك بالأخلاق الحيوانية الشيطانية والذي يجتهد في قمع الهوى والشهوات يورث هذه المعاملات من مكارم الأخلاق وصفاء القلب وتحننه إلى وطنه الأصلي وغير ذلك فلا يساوي الروح المتبع للنفس الأمارة كما للعوام بعد المفارقة مع الروح المتبع لإلهامات الحق كما يكون للخواص وبعضهم قالوا وإن تدنست الأرواح بقدر تعلقها بمحبوبات طباعها فبعد المفارقة بقيت في العذاب أياماً معدودة على قدر انقطاع التعلقات عنها وزوال الكدورات ثم تخلص وهذا أيضاً خيال فاسد وكذبهم الله بقوله: بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته تظهر على مرآة قلبه بقدرها رينا فإن تاب محي عنه وإن أصر على السيئات حتى إذا أحاط بمرآة قلبه رين السيئات بحيث لا يبقى فيه الصفاء الفطري وخرج منه نور الإيمان وضوء الطاعات فأحاطت به الخطيئات **﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾** وفيه إشارة أيضاً إلى بعض أرباب الطلب ممن يركن إلى شهوات الدنيا في أثناء الطلب فيتظفر عليه الشيطان ويغره بزهده فيوقعه في ورطة العجب فينظر إلى نفسه بنظر التعظيم وإلى الخلق بنظر التحقير فيهلك أو يغتر بما ظهر في أثناء السلوك من بعض الوقائع الصادقة والرؤيا الصالحة وشيء من المشاهدات والمكاشفات الروحانية إلا الرحمانية فيظن المغرور أن ليس وراء عبادته قربة وأنه بلغ مبلغ الرجال فيسكت عن الطلب وتعتريه الآفات حتى أحاطت به خطيئته فرجع القهقرى إلى أسفل الطبيعة وأما الذين آمنوا من أهل الطلب **﴿وعملوا﴾** على قانون الشريعة بإشارة شيخ الطريقة الصالحات المبلغات إلى الحقيقة أولئك أصحاب الوصول إلى جنات الأصول خالدين فيها بالسير إلى أبد الآباد فإن المنازل والمقاصد وإن كانت متناهية لكن السير في المقصد غير متناه بخلاف الذين أحاطت بهم خطيئتهم فإنهم خالدون في نار القطيعة ولن تنفعهم المجاهدات والنظر في المعقولات والاستدلال بالشبهات.

﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ في التوراة والميثاق العهد الشديد وهو على وجهين عهد خلقة وفطرة وعهد نبوة ورسالة وإذا نصب بإضمار فعل خوطب به النبي عليه السلام والمؤمنون ليؤديهم التأمل في أحوالهم إلى قطع الطمع عن إيمان أخلافهم لأن قبائح أسلافهم مما تؤدي إلى عدم إيمانهم ولا يلد الحية إلا الحية ومن هٰهنا قيل:

إذا طـاب أصـل الـمـرء طـابـت فـروعـه

أو اليهود الموجودون في عصر النبوة توبيخاً لهم بسوء صنيع أسلافهم أي: اذكروا إذ أخذنا ميثاقهم بأن **﴿لا تعبدون إلا الله﴾** أي: أن لا تعبدوا فلما أسقط إن رفع تعبدون لزوال الناصب أو على أن يكون إخباراً في معنى النهي كما تقول تذهب إلى فلان تقول له كذا تريد به الأمر أي: اذهب وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي لما فيه من إيهام من المنهي حقه أن يسارع إلى الانتهاء عما نهى عنه فكأنه انتهى عنه فيخبر به الناهي أي: لا توحدوا إلا الله ولا تجعلوا الألوهية إلا لله وقيل إنه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قيل وأحلفناهم وقلنا بالله لا تعبدون

إلا الله ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ أي: وتحسنون إحساناً على لفظ تعبدون لأنه إخبار أو وأحسنوا على معناه لأنه إنشاء أي: براً كثيراً وعطفاً عليهما ونزولاً عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله ﴿وذي القربى﴾ أي: وتحسنون إلى ذي القرابة أيضاً مصدر كالحسنى ﴿واليتامى﴾ جمع يتيم وهو الصغير الذي مات أبوه قبل البلوغ ومن الحيوانات الصغير الذي ماتت أمه والإحسان بهم بحسن التربية وحفظ حقوقهم عن الضياع ﴿والمساكين﴾ بحسن القول وإيصال الصدقة إليهم جمع مسكين من السكون كأن الفقر أسكنه عن الحراك أي: الحركة وأثقله عن التقلب ﴿و﴾ قلنا ﴿قولوا للناس﴾ قولاً ﴿حسناً﴾ سماه حسناً مبالغة لفرط حسنه أمر بالإحسان بالمال في حق أقوام مخصوصين وهم الوالدان والأقرباء واليتامى والمساكين ولما كان المال لا يسع الكل أمر بمعاملة الناس كلهم بالقول الجميل الذي لا يعجز عنه العاقل يعني وألينوا لهم القول بحسن المعاشرة وحسن الخلق وائمروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر أي: وقولوا للناس صدقاً وحقاً في شأن محمد عليه السلام فمن سألكم عنه فأصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموا أمره ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ كما فرضا عليهم في شريعتهم ذكرهما تنصيصاً مع دخولهما في العبادة المذكورة تعميماً وتخصيصاً تلخيصه أخذنا عهدكم يا بني إسرائيل بجميع المذكور فقبلتم وأقبلتم عليه ﴿ثم توليتم﴾ على طريقة الالتفات أي: أعرضتم عن المضي على مقتضى الميثاق ورفضتموه ﴿إلا قليلاً منكم﴾ وهم من الأسلاف من أقام اليهودية على وجهها ومن الأخلاف من أسلم كعبد الله بن سلام وأضرابه ﴿وأنتم معرضون﴾ جملة تذييلية، أي: وأنتم قوم عادتكم الإعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق وليس الواو للحال لاتحاد التولي والإعراض فالجملة اعتراضاً للتأكيد في التوبيخ وأصل الإعراض الذهاب عن المواجهة والإقبال إلى جانب العرب.

واعلم أن في الآية عدة أشياء:

منها: العبادة فمن شرط العبودية تفرد العبد لعبادة المعبود وتجرده عن كل مقصود فمن لاحظ خلقاً أو استحلى ثناء أو استجلب بطاعته إلى نفسه حظاً من حظوظ الدنيا والآخرة أو داخله بوجه من الوجوه مزج أو شوب فهو ساقط عن مرتبة الإخلاص برؤية نفسه:

حجاب راه تويي حافظ از ميان برخيز   خوشا كسى كه ازين راه بي حجاب رود

ومنها: الإحسان إلى الوالدين وقد عظم الله حق الوالدين حيث قرن حقه بحقهما في آيات من القرآن لأن النشأة الأولى من عند الله والنشأة الثانية وهي التربية من جهة الوالدين ويقال: ثلاث آيات أنزلت مقرونة بثلاث آيات ولا تقبل إحداها بغير قرينتها إحداها قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩] والثانية: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] والثالثة: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] والإحسان إلى الوالدين معاشرتهما بالمعروف والتواضع لهما والامتثال إلى أمرهما وصلة أهل ودّهما والدعاء بالمغفرة بعد مماتهما، قال السعدي:

سالها برتو بكذرد كه كذر   نكني سوى تربت پدرت
تو بجاي پدرچه كردي خير   تاهمان چشم داري ازپسرت

وفي «التأويلات النجمية»: إن في قوله: ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ إشارة إلى أن أعز الخلق

على الولد والداه لأجل أنهما سببا وجوده في الظاهر ولكن ينبغي أن يحسن إليهما بعد خروجه من عهدة عبودية ربه إذ هو موجد وجوده ووجود والديه في الحقيقة ولا يختار على أداء عبوديته إحسان والديه فكيف الالتفات لغيرهما، ومنها البر إلى اليتامى:

برحمت بكن آبش از ديده پاك بشفق بيفشانش ازچهره خاك

وفي الحديث «ما قعد يتيم مع قوم على قصعتهم فلا يقرب قصعتهم الشيطان» وفي الحديث أيضاً «من ضم يتيماً من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله عز وجل غفرت له ذنوبه البتة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر ومن أذهب الله كريمتيه فصبر واحتسب غفرت له ذنوبه» قالوا: وما كريمتاه؟ قال: «عيناه ومن كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فأنفق عليهن وأحسن إليهن حتى يكبرن أو يمتن غفرت له ذنوبه البتة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر» فناداه رجل من الأعراب ممن هاجر فقال: يا رسول الله أو اثنتان فقال ﷺ: «أو اثنتان» وقال ﷺ: «كافل اليتيم أنا وهو كهاتين في الجنة» وأشار بالسبابة والوسطى والسبابة من الأصابع هي التي تلي الإبهام وكانت في الجاهلية تدعى بالسبابة لأنهم كانوا يسبون بها فلما جاء الله بالإسلام كرهوا هذا الاسم فسموها بالمشيرة لأنهم كانوا يشيرون بها إلى الله بالتوحيد والمشيرة من أصابع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانت أطول من الوسطى ثم الوسطى أقصر منها ثم البنصر أقصر من الوسطى فقوله عليه السلام: «أنا وهو كهاتين في الجنة» وقوله في الحديث الآخر: «أحشر أنا وأبو بكر وعمر يوم القيامة هكذا» وأشار بأصابعه الثلاث فإنما أراد ذكر المنازل والإشراف على الخلق فقال: نحشر هكذا ونحن مشرفون وكذلك كافل اليتيم يكون له منزلة رفيعة فمن لم يعرف شأن أصابع رسول الله ﷺ حمل تأويل الحديث على الانضمام واقتراب بعضهم من بعض في محل القربة وهذا معنى بعيد لأن منازل الرسل والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين مراتب متباينة ومنازل مختلفة كذا في «تفسير القرطبي».

ومنها: البر إلى المساكين وهم الذين أسكنتهم الحاجة وذللتهم وهذا يتضمن الحض على الصدقة والمواساة وتفقد أحوال المساكين والضعفاء وفي الحديث «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله» وكان طاوس يرى السعي على الأخوات أفضل من الجهاد في سبيل الله:

نخواهي كه باشي پرا كنده دل پرا كندكانرا ز خاطر مهل
پريشان كن امروز كنجينه چست كه فردا كليدش نه دردست تست

ومنها: القول الحسن ولما خرج الطالب من عهدة حق العبودية وعمت رحمته وشفقته الوالدين وغيرهما لزم له أن يقول للناس حسناً يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة إلى الله ويهديهم إلى طريق الحق ويخالقهم بحسن الخلق وأن يكون قوله ليناً ووجهه منبسطاً طلقاً مع البر والفاجر والسني والمبتدع من غير مداهنة ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه لأن الله تعالى قال لموسى وهارون عليهما السلام ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤] فليس بأفضل من موسى وهارون والفاجر ليس بأخسّ من فرعون وقد أمرهما الله باللين معه فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى فكيف بالحنيفي، قال الحافظ:

آسايش دوكيتي تفسير اين دو حرفست بادوستان تلطف با دشمنان مدارا

وقال السعدي:

درشتي نكيرد خرد مند پيش نه سستي كه ناقص كند قدر خويش

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ
تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ
عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ
بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وإذا أخذنا ميثاقكم﴾ أي: واذكروا أيها اليهود وقت أخذنا إقراركم وعهدكم في التوراة وقلنا لكم: ﴿لا تسفكون دماءكم﴾ لا يريقَ بعضكم دم بعض جعل غير الرجل نفسه إذا اتصل به أصلاً أو ديناً فلما بينهم من الاتصال القوي نسباً وديناً أجري كل واحد منهم مجرى أنفسهم وقيل إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لأنه يقتص منه وهو إخبار في معنى النهي كأنه سورع إلى الانتهاء فهو يخبر عنه ﴿ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ أي: لا يخرج بعضكم بعضاً من دياره أو لا تسبوا جيرانكم فتلجئوهم إلى الخروج وفي اقتران الإخراج من الديار بالقتل إيذان بأنه بمنزلة القتل.

﴿ثم أقررتم﴾ أي: بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه وبوجوب المحافظة عليه ﴿وأنتم تشهدون﴾ عليها توكيد للإقرار كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها أو أنتم اليوم أيها اليهود تشهدون على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق.

﴿ثم أنتم﴾ مبتدأ ﴿هؤلاء﴾ خبر ومناط الإفادة اختلاف الصفات المنزل منزلة اختلاف الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به والمعنى أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون والناقضون المتناقضون يعني: إنكم قوم آخرون غير أولئك المقرين كأنهم قالوا: كيف نحن فقيل: ﴿تقتلون أنفسكم﴾ أي: الجارين مجرى أنفسكم فهو بيان لقوله: ﴿ثم أنتم هؤلاء﴾ ﴿وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم﴾ الضمير للفريق وهو الطائفة ﴿تظاهرون عليهم﴾ بحذف إحدى التاءين حال من فاعل تخرجون أو من مفعوله مبينة لكيفية الإخراج رافعة لتوهم اختصاص الحرمة بالإخراج بطريق الأصالة والاستقلال دون المظاهرة والمعنى تقوون ظهوركم للغلبة عليهم ﴿بالإثم﴾ حال من فاعل تظاهرون أي: ملتبسين بالإثم وهو الفعل الذي يستحق فاعله الذم واللوم ﴿والعدوان﴾ أي: التجاوز في الظلم.

ودلت الآية على أن الظلم كما هو محرم فكذا إعانة الظالم على ظلمه كذا في «التفسير الكبير». ﴿وإن يأتوكم أسارى﴾ أي: جاؤوكم حال كونهم مأسورين أي: ظهروا لكم على هذه الحالة ولم يرد به الإتيان الاختياري والأسارى والأسرى جمع أسير وهو من يؤخذ قهراً فعيل بمعنى المفعول من الأسر بمعنى الشد والإيثاق والفرق أنهم إذا قيدوا فهم أسارى وإذا حصلوا في اليد من غير قيد فهم أسرى. ﴿تفادوهم﴾ أي: تخرجوهم من الأسر بإعطاء الفداء والمفاداة تجري بين الفادي وبين قابل الفداء ﴿وهو﴾ مبتدأ أي: الشان ﴿محرم عليكم إخراجهم﴾ محرم فيه ضمير قائم مقام الفاعل وقع خبراً عن إخراجهم والجملة خبر لضمير الشان وذلك أن

الله تعالى أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضاً ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم وأيما عبد أو أمة وجدتموه من بني إسرائيل فاشتروه وأعتقوه وكان قريظة والنضير من اليهود أخوين وكذا الأوس والخزرج وهم أهل شرك يعبدون الأصنام ولا يعرفون القيامة والجنة والنار والحلال والحرام فافترقوا في حرب شمر ووقعت بينهم عَداوة فكانت بنو قريظة معينة للأوس وحلفاءهم أي: ناصريهم والنضير معينة للخزرج وحلفاءهم فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قريظة مع الأوس والنضير مع الخزرج يظاهر كل قوم حلفاءهم على إخوانهم حتى يتسافكوا الدماء وإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم منها وبأيديهم التوراة يعرفون ما فيها مما عليهم ومالهم فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدى قريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم وافتدى النضير ما كان في أيدي الأوس منهم من الأسارى فعيرتهم العرب بذلك وقالوا كيف تقاتلونهم وتفدونهم فقالوا: أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم قالوا: فلم تقاتلونهم قالوا: إنا نستحيي أن يستذل حلفاؤنا فذمهم على المناقضة وتلخيصه أعرضتم عن الكل إلا الفداء لأن الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود ترك القتل وترك الإخراج وترك المظاهرة عليهم مع أعداهم وفداء أساراهم فأعرضوا عن الكل إلا الفداء ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب﴾ وهو الفداء والهمزة للإنكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام أي: أتفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب ﴿وتكفرون ببعض﴾ هو حرمة القتال والإخراج مع أن قضية الإيمان ببعضه الإيمان بالباقي لكون الكل من عند الله داخلاً في الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع إيمانهم بالبعض ﴿فما جزاء﴾ نفي أي: ليس جزاء ﴿من يفعل ذلك﴾ أي: الكفر ببعض الكتاب مع الإيمان بالبعض ﴿منكم﴾ يا معشر اليهود حال من فاعل يفعل ﴿إلا خزي﴾ استثناء مفرغ وقع خبراً للمبتدأ أي: ذل وهو أن مع الفضيحة وهو قتل بني قريضة وأسرهم، وإجلاء بني النضير إلى أذرعات وأريحا من الشام وقيل هو أخذ الجزية ﴿في الحياة الدنيا﴾ صفة خزي ولعل بيان جزائهم بطريق القصر على ما ذكر لقطع أطماعهم الفارغة من ثمرات إيمانهم ببعض الكتاب وإظهار أنه لا أثر له أصلاً مع الكفر بالبعض ﴿ويوم القيامة﴾ يوم تقام فيه الأجزية ﴿يردون﴾ أي: يرجعون والرد الرجع بعد الأخذ ﴿إلى أشد العذاب﴾ هو التعذيب في جهنم وهو أشد من خزيهم في الدنيا وأشد من كل عذاب كان قبله فإنه ينقطع وهذا لا ينقطع وفي الحديث «فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة» وإنما كان أشد لما أن معصيتهم كانت أشد المعاصي، وفي «المثنوي»:

هر كه ظالم تر چهش باهول تر عدل فرموده است بدتررا بتر

﴿وما الله بغافل﴾ بساه ﴿عما تعملون﴾ من القبائح التي من جملتها هذا المنكر أي: لا يخفى عليه شيء من أعمالهم فيجازيهم بها يوم البعث تهديد شديد وزجر عظيم عن المعصية وبشارة عظيمة على الطاعة لأن الغفلة إذا كانت ممتنعة عليه سبحانه مع أنه أقدر القادرين وصلت الحقوق إلى مستحقيها.

﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الأوصاف القبيحة ﴿الذين اشتروا الحياة الدنيا﴾ واستبدلوها ﴿بالآخرة﴾ وأعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فإن ما ذكر من الكفر ببعض أحكام الكتاب إنما كان مراعاة لجانب حلفائهم لما يعود إليهم منهم من بعض المنافع الدينية والدنيوية ﴿فلا يخفف عنهم العذاب﴾ دنيوياً كان أو أخروياً ﴿ولا هم ينصرون﴾ يمنعون من

العذاب بدفعه عنهم بشفاعة أو جبر.

اعلم أن الجمع بين تحصيل لذات الدنيا ولذات الآخرة ممتنع غير ممكن والله سبحانه مكن المكلف من تحصيل أيتهما شاء وأراد فإذا اشتغل بتحصيل إحداهما فقد فوت الأخرى على نفسه فجعل الله ما أعرض اليهود عنه من الإيمان بما في كتابهم وما حصل في أيديهم من الكفر ولذات الدنيا كالبيع والشراء وذلك من الله نهاية الذم؛ لهم لأن المغبون في البيع والشراء في الدنيا مذموم فإن يذم مشترى الدنيا بالآخرة أولى. فعلى العاقل أن يرغب في تجارة الآخرة ولا يركن إلى الدنيا ولا يسفك دمه بامتثال أوامر الشيطان في استجلاب حظوظ النفس ولا يخرج من ديار دينه التي كان عليها في أصل الفطرة فإنه إذا يضل ويشقى في قوله: ﴿ولا تسفكون دماءكم﴾ إشارة أخرى إلى أن العبد ولا يجوز له أن يقتل نفسه من جهد أو بلاء يصيبه أو يهيم في الصحراء ولا يأتي البيوت جهلاً في ديانته وسفهاً في حلمه فهو عام في جميع ذلك. وقد روي أن بعض الصحابة رضي الله عنهم عزموا أن يلبسوا المسوح وأن يهيموا في الصحراء ولا يأووا إلى البيوت ولا يأكلوا اللحم ولا يغشوا النساء فقال عليه السلام: «إني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأغشى النساء وآوي إلى البيوت وآكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني» فرجعوا عما عزموا قال تعالى: «وآت كل ذي حق حقه» فالكمال في التجاوز عن القيود والوصول إلى عالم الشهود وعين العارف لا ترى غير الله في المرايا والمظاهر فمن أي: شيء يهرب وإلى أين يهرب فأينما تولوا فثم وجه الله ولذا قيل: الذي يطلب العلم لله إذا قيل له غداً تموت لا يضيع الكتاب من يده لكونه وفى الحقوق مشتغلاً به لله مخلصاً له النية فلم ير أفضل مما هو فيه فيحب أن يأتيه الموت على ذلك.

واعلم أيضاً أن الأسارى أصناف شتى فمن أسير في قيد الهوى فإنقاذه بالدلالة على الهدى ومن أسير في قيد حب الدنيا فخلاصة بإخلاص ذكر الموت، وفي «المثنوي»:

ذكر حق كن بأنك غولانرا بسوز چشم نركس را ازين كركس بدوز

ومن أسير بقي في قيد الوسواس فقد استهوته الشياطين ففداؤه برشده إلى اليقين بلوائح البراهين لينقذه من الشكوك والظنون والتخمين ويخرجه من ظلمات التقليد وما تعود بالتلقين ومن أسير تجده في أسر هواجس نفسه ربيط زلاته ففك أسره في إرشاده إلى إقلاعها ومن أسير تجده في أسر صفاته وحبس وجوده فنجاته في الدلالة على الحق فيما يحل عنه وثاق الكون ومن أسير تجده في قبضة الحق فليس لأسيرهم فداء ولا لقتيلهم قود ولا لربيطهم خلاص ولا منهم بدل ولا معهم جدل ولا إليهم لغيرهم سبيل ولا لديهم إلا بهم دليل ولا بهم فرار ولا معهم قرار فهذا مقام الأولياء الكمل فمن اتخذ هذه الطريقة سبيلاً نال مراده ووصل إلى مقام فؤاده وتخلص من الخزي الذي هو عمى القلب عن مشاهدة الحق والعمه في تيه الباطل في الدنيا والآخرة، قال في «المثنوي»:

أصل صد يوسف جمال ذو الجلال أي كم أززن شو فداي آن جمال
أصل بيند ديده چون اكمل بود فرع بيند چونكه مرادا حول بود
سرمه توحيد از كحال حال يافته رسته زعلت واعتلال

ولا بد من العشق في طريق الحق ـ وحكي ـ أن عجوزاً أحضرت السوق قطعة غزل

وقالت: اكتبوني من مشتري يوسف حتى يوجد اسمي في دفتر العشاق اللهم لا تحجبنا عن جمالك وعنك واجعلنا من الفائزين بنوال وصالك منك.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿ولقد آتينا﴾ أي: بالله لقد أعطينا يا بني إسرائيل ﴿موسى﴾ لغة عبرانية قد سبق تفصيله عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ﴾ [البقرة: ٥١] الآية ﴿الكتاب﴾ أي: التوراة جملة واحدة ﴿وقفينا من بعده بالرسل﴾ يقال قَفَّاه به إذا أتبعه إياه أي: اتبعنا من بعد موسى رسولاً بعد رسول مقتفين أثره وهم يوشع وشمويل وداود وسليمان وشمعون وعشيا وأرميا وعزير وحزقيل وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام ﴿وآتينا عيسى﴾ بالسريانية اليسوع ومعناه المبارك والأصح أنه لا اشتقاق له ولأمثاله في العربية ﴿ابن﴾ بإثبات الألف وإن كان واقعاً بين العلمين لندرة الإضافة إلى الأم ﴿مريم﴾ بالسريانية بمعنى الخادمة والعابدة قد جعلتها أمها محررة لخدمة المسجد ولكمال عبادتها لربها سماها الحق تعالى في كتابه الكريم مع الأنبياء عليهم السلام سبع مرات وخاطبها كما خوطب الأنبياء كما قال تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: ٤٣] فشاركها مع الرجال ﴿البينات﴾ المعجزات الواضحات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات والإنجيل ﴿وأيدناه﴾ أي: قويناه ﴿بروح القدس﴾ من إضافة الموصوف إلى الصفة أي: بالروح المقدسة المطهرة وهي روح عيسى عليه السلام وصفت بالقدس للكرامة لأن القدس هو الله تعالى أو الروح جبريل ووصفه بالطهارة لأنه لم يقترف ذنباً وسمي روحاً لأنه كان يأتي الأنبياء بما فيه حياة القلوب ومعنى تقويته به أنه عصمه من أول حاله إلى كبره فلم يدن منه الشيطان عند الولادة ورفعه إلى السماء حين قصد اليهود قتله وتخصيص عيسى من بين الرسل ووصف بإيتاء البينات والتأييد بروح القدس لما أن بعثتهم كانت لتنفيذ أحكام التوراة وتقريرها وأما عيسى فقد نسخ بشرعه كثير من أحكامها وحسم مادة اعتقادهم الباطل في حقه ببيان حقيقته وإظهار كمال قبح ما فعلوا به وما بين موسى وعيسى أربعة آلاف نبي وقيل سبعون ألف نبي ﴿أفكلما جاءكم﴾ خاطب أهل عصر النبي عليه السلام بهذا وقد فعله أسلافهم يعني لم يوجد منهم القتل إن وجد الاستكبار لأنهم يتولونهم ويرضون بفعلهم والفاء للعطف على مقدر يناسب المقام أي: ألم تطيعوهم فكلما جاءكم ﴿رسول بما لا تهوى﴾ أي: لا تريد ﴿أنفسكم﴾ ولا يوافق هواكم من الحق الذي لا انحراف عنه ﴿استكبرتم﴾ أي: تعظمتم عن الاتباع له والإيمان بما جاء به من عند الله ﴿ففريقاً﴾ منهم ﴿كذبتم﴾ كعيسى ومحمد عليهما السلام ﴿وفريقاً تقتلون﴾ كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام. وقدم فريقاً في الموضعين للاهتمام وتشويق السامع إلى ما فعلوا بهم لا للقصر ولم يقل قتلتم وإن أريد الماضي تفظيعاً لهذه الحالة فكأنها وإن مضت حاضرة لشناعتها ولثبوت عارها عليهم وعلى ذريتهم بعدهم أو يراد وفريقاً تقتلونهم بعد وإنكم على هذه النية لأنكم حاولتم قتل محمد عليه الصلاة والسلام لولا أني أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة حتى قال عليه السلام عند موته: «ما زالت أكلة خيبر تعاودني» أي:

يراجعني أثر سمها في أوقات معدودة «فهذا أوان قطعت أبهري» وهو عرق منبسط في القلب إذا انقطع مات صاحبه. وقصته أنه لما فتحت خيبر وهو موضع بالحجاز أهديت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شاة فيها سمٌّ فقال رسول الله: «إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي فيه» قالوا: نعم يا أبا القاسم قال: «هل جعلتم في هذه الشاة سماً» قالوا: نعم قال: «فما حملكم على ذلك» قالوا: أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك وإن كنت صادقاً لم يضرك.

واعلم أن اليهود أنفوا من أن يكونوا أتباعاً وكانت لهم رياسة وكانوا متبوعين فلم يؤمنوا مخافة أن تذهب عنهم الرياسة فما دام لم يخرج حب الرياسة من القلب لا تكون النفس مؤمنة بالإيمان الكامل وللنفس صفات سبع مذمومة العجب والكبر والرياء والغضب والحسد وحب المال وحب الجاه ولجهنم أيضاً أبواب سبعة فمن زكى نفسه عن هذه السبع فقد أغلق سبعة أبواب جهنم ودخل الجنة وأوصى إبراهيم بن أدهم بعض أصحابه فقال: كن ذنباً ولا تكن رأساً فإن الرأس يهلك والذنب يسلم، قال في «المثنوي»:

تاتواني بنده شو سلطان مباش ... زخم كش چون كوي شوچوكان مباش

اشتهار خلق بند محكمست ... در ره أين از بند آهن كي كم است

وعن بعض المشايخ النقشبندية أنه قال: دخلت على الشيخ المعروف بدده عمر الروشني للعبادة فوجدته متغير الحال بسبب أنه داخله شيء من حب الرياسة لأنه كان مشهوراً في بلدة تبريز مرجعاً للأكابر والأصاغر فنعوذ بالله من الحور بعد الكور. وفي «شرح الحكم» ادفن وجودك أي: ما يكون سبب ظهور اختصاصك بين الخلق من علم أو عمل أو حال في أرض الخمول التي هي أحد ثلاثة أمور:

أحدهما: أن ترى ما جبلت عليه من النقص فلا تعتد بشيء يظهر منك لعلمك بدسائسك وخباثة نفسك.

الثاني: أن تنظر إليك من حيث أنت فلا ترى لائقاً بك إلا النقص وتنظر إلى مولاك فتراه أهلاً لكل كمال فكل ما يصدر لك من إحسان نسبته إليه اعتباراً بما أنت عليه من خمول الوصف.

الثالث: أن تظهر لنفسك ما يوجب نفي دعواها من مباح مستبشع أو مكروه لم يمنع دواء لعلة العجب لا محرماً متفقاً عليه إذ كما لا يصح دفن الزرع في أرض رديئة لا يجوز الخمول في حالة غير مرضية.

﴿**وقالوا**﴾ أي: اليهود الموجودون في عصر النبي عليه السلام ﴿**قلوبنا غلف**﴾ جمع اغلف مستعار من الأغلف الذي لم يختن أي: هي مغشاة بأغشية جبلية لا يكاد يصل إليها ما جاء به محمد ولا تفقهه ثم رد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لأنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق واضرب وقال: ﴿**بل لعنهم الله بكفرهم**﴾ أي: خذلهم وخلاهم وشأنهم بسبب كفرهم العارض وإبطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة ﴿**فقليلا ما يؤمنون**﴾ ما مزيدة للمبالغة أي: فإيماناً قليلاً يؤمنون وهو إيمانهم ببعض الكتاب والفاء لسببية اللعن لعدم الإيمان.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا

جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾

﴿ولما جاءهم كتاب﴾ كائن ﴿من عند الله﴾ وهو القرآن ووصفه بقوله من عند الله للتشريف ﴿مصدق لما معهم﴾ أي: موافق للتوراة في التوحيد وبعض الشرائع. قال ابن التمجيد المصدق به ما يختص ببعثة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما يدل عليها من العلامات والصفات لا الشرائع والأحكام لأن القرآن نسخ أكثرها ﴿وكانوا من قبل﴾ أي: قبل مجيء محمد ﷺ ﴿يستفتحون على الذين كفروا﴾ أي: يستنصرون به على مشركي العرب وكفار مكة ويقولون: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لأعدائهم قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ﴿فلما جاءهم ما عرفوا﴾ من الكتاب لأن معرفة من أنزل هو عليه معرفة له والفاء للدلالة على تعقيب مجيئه للاستفتاح به من غير أن يتخلل بينهما مدة منسية ﴿كفروا به﴾ حسداً وحرصاً على الرياسة وغيروا صفته وهو جواب لمّا الأولى والثانية تكرير للأولى ﴿فلعنة الله على الكافرين﴾ أي: عليهم وضعاً للظاهر موضع الضمير للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم والفاء للدلالة على ترتيب اللعنة على الكفر واللعنة في حق الكفار الطرد والإبعاد من الرحمة والكرامة والجنة على الإطلاق وفي حق المذنبين من المؤمنين الإبعاد عن الكرامة التي وعد بها من لا يكون في ذلك الذنب ومنه قوله عليه السلام: «من احتكر فهو ملعون» أي: من ادخر ما يشتريه وقت الغلاء ليبيعه وقت زيادة الغلاء فهو مطرود من درجة الأبرار لا من رحمة الغفار.

واعلم أن الصفات المقتضية لِلَّعن ثلاث: الكفر والبدعة والفسق وله في كل واحدة ثلاث مراتب:

الأولى: اللعن بالوصف الأعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعة أو الفسقة.

والثانية: اللعن بأوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى أو على القدرية والخوارج والروافض أو على الزناة والظلمة وأكل الربا وكل ذلك جائز.

والثالثة: اللعن على الشخص فإن كان ممن ثبت كفرهم شرعاً يجوز لعنه إن لم يكن فيه أذى على مسلم كقولك لعنة الله على فرعون وأبي جهل لأنه ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعاً وإن كان ممن لم يثبت شرعاً كلعنة زيد أو عمرو أو غيرهما بعينه فهذا فيه خطر لأن حال خاتمته غير معلوم وربما يسلم الكافر أو يتوب فيموت مقرباً عند الله فكيف يحكم بكونه ملعوناً ألا يرى أن وحشياً قتل عم النبي عليه السلام أعني حمزة رضي الله عنه ثم أسلم على يد النبي عليه السلام وبشره الله بالجنة وهذه حجة من لم يلعن يزيد لأنه يحتمل أن يتوب ويرجع عنه فمع هذا الاحتمال لا يلعن. قال بعضهم: لعن يزيد على اشتهار كفره وتواتر فظاعة شره لما أنه كفر حين أمر بقتل الحسين رضي الله عنه ولما قال في الخمر:

فإن حرمت يوماً على دين أحمد ... فخذها على دين المسيح ابن مريم

واتفقوا على جواز اللعن على من قتل الحسين رضي الله عنه أو أمر به أو أجازه أو رضي به كما قال سعد الملة والدين التفتازاني الحق أن رضى يزيد بقتل الحسين واستبشاره وإهانته

أهل بيت النبي عليه السلام مما تواتر معناه وإن كان تفاصيله آحاد فنحن لا نتوقف في شأنه بل في إيمانه لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه انتهى. وكان الصاحب بن عباد يقول إذا شرب ماء بثلج:

قعقعة الثلج بماء عذب تستخرج الحمد من أقصى القلب

ثم يقول اللهم جدد اللعن على يزيد ويكف اللسان عن معاوية تعظيماً لمتبوعه وصاحبه عليه السلام لأنه كاتب الوحي وذو السابقة والفتوحات الكثيرة وعامل الفاروق وذي النورين لكنه أخطأ في اجتهاده فتجاوز الله عنه ببركة صحبة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم. قال الخياط المتكلم ما قطعني إلا غلام قال ما تقول في معاوية قلت: أنا أقف فيه قال: فما تقول في ابنه يزيد قلت: ألعنه قال: فما تقول فيمن يحبه قلت ألعنه قال: أفترى أن معاوية كان لا يحب ابنه كذا في «روضة الأخبار». ثم اعلم أن اللعنة ترتد على اللاعن إن لم يكن الملعون أهلاً لذلك ولعن المؤمن كقتله في الاسم وربما يلعن شيئاً من ماله فتنزع منه البركة فلا يلعن شيئاً من خلق الله لا للجماد ولا للحيوان ولا للإنسان قال عليه السلام: «إذا قال العبد لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه» فالأولى أن يترك ويشتغل بدله بالذكر والتسبيح إذ فيه ثواب ولا ثواب في اللعن وإن كان يستحق اللعن قال عليه السلام: «أريت النار وأكثر أهلها النساء فإنهن يكثرن اللعن ويكفرن العشير فلو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم إذا رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط» قال علي كرم الله وجهه: من أفتى الناس بغير علم لعنته السماء والأرض وسألت بنت علي البلخي أباها عن القيء إذا خرج إلى الحلق فقال: يجب إعادة الوضوء فرأى رسول الله عليه السلام يقول: لا يا علي حتى يكون ملء الفم فقال: علمت أن الفتوى تعرض على رسول الله فآليت على نفسي أن لا أفتي أبداً كذا في «الروضة».

﴿بئسما﴾ ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس أي: بئس شيئاً ﴿اشتروا﴾ صفة واشترى بمعنى باع وابتاع والمراد هنا الأول ﴿به﴾ أي: بذلك الشيء ﴿أنفسهم﴾ المراد الإيمان وإنما وضع الأنفس موضع الإيمان إيذاناً بأنها إنما خلقت للعلم والعمل به المعبر عنه بالإيمان ولما بدلوا الإيمان بالكفر كانوا كأنهم بدلوا الأنفس به والمخصوص بالذم قوله تعالى: ﴿أن يكفروا بما أنزل الله﴾ أي: بالكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيقته ﴿بغياً﴾ علة لأن يكفروا أي: حسداً وطلباً لما ليس لهم كما أن الحاسد يطلب ما ليس له لنفسه مما للمحسود من جاه أو منزلة أو خصلة حميدة والباغي هو الظالم الذي يفعل ذلك عن حسده والمعنى بئس شيئاً باعوا به إيمانهم كفرهم المعلل بالبغي الكائن لأجل ﴿أن ينزل الله﴾ أو حسداً على أن فإن الحسد يستعمل بعلى ﴿من فضله﴾ الذي هو الحي ﴿على من يشاء﴾ أي: يشاؤه ويصطفيه ﴿من عباده﴾ المستأهلين لتحمل أعباء الرسالة والمراد هٰهنا محمد ﷺ كانت اليهود يعتقدون نبي آخر الزمان ويتمنون خروجه وهم يظنون أنه من ولد إسحاق فلما ظهر أنه من ولد إسماعيل حسدوه وكرهوا أن يخرج الأمر من بني إسرائيل فيكون لغيرهم ﴿فباؤوا﴾ أي: رجعوا ملتبسين ﴿بغضب﴾ كائن ﴿على غضب﴾ أي: صاروا مستحقين لغضب مترادف ولعنة إثر لعنة حسبما اقترفوا من كفر على كفر فإنهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه ﴿وللكافرين﴾ أي: لهم والإظهار في موضع الإضمار للإشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم ﴿عذاب مهين﴾ يراد به إهانتهم وإذلالهم لما أن كفرهم بما أنزل الله كان مبنياً على الحسد المبني على طمع النزول عليهم

وادعاء الفضل على الناس والاستهانة بمن أنزل الله عليه ﷺ ودل أن عذاب المؤمنين تأديب وتطهير وعذاب الكفار إهانة وتشديد وأن المراتب الدنيوية والأخروية كلها من فيض الله تعالى وفضله فليس لأحد أن يعترض عليه ويحسده على الألطاف الإلَهية فإن الكمالات مثل النبوة والولاية ليست من الأمور الاكتسابية التي يصل إليها العبد بجهد كثير وكمال اهتمام أما النبوة، أي: البعثة فاختصاص إلَهي حاصل لعينه الثابتة من التجلي الموجب للأعيان في العلم وهو الفيض الأقدس وأما الولاية فهو أيضاً اختصاص إلَهي غير كسبي بل جميع المقامات كذلك اختصاصية عطائية غير كسبية حاصلة للعين الثابتة من الفيض الأقدس وظهوره بالتدريج بحصول شرائطه وأسبابه يوهم المحجوب فيظن أنه كسبي بالتعمل وليس كذلك في الحقيقة فلا معنى للحسد لكن الجاهلين بحقيقة الحال يطيلون ألسنتهم بالقيل والقال ولا ضير فإنه رفع لدرجات العبد واقتضت سنة الله أن يشفع أهل الجمال بأهل الجلال ليظهر الكمال، قال الحافظ:

درين چمن كل بيخار كس بچيد آرى چراغ مصطفوي باشرار بولهبيست

ـ وحكي ـ أن المولى جلال الدين: لمَّا فقد الشمس التبريزي طاف البلاد بالحرارة في طلبه فمر يوماً أمام حانوت ذهبي للشيخ صلاح الدين زركوب فقال له تعالى يا مولانا فدخل في حانوته فقال: لأي شيء تجزع وتدور؟ قال: الفلك إذا فقد شمسه يدور لأجله ليتخلص من ظلمة الفراق فقال الشيخ: أنا شمسك قال مولانا: من أين أعرف أنك شمسي فأخبره عن المراتب التي أوصله إليها الشيخ شمس الدين فقبل يده واعتذر فقال: كان شمسي أراني أولاً بطانته فالآن أراني وجهه فاشتغل عنده فوصل إلى ما وصل ثم لما سمعه بعض أتباع مولانا أرادوا قتله وحسدوا عليه فأرسل إليه مولانا ابنه سلطان ولد فقال الشيخ: إن الله تعالى أعطاني قدرة على قلب السماء إلى الأرض فلو أردت لأهلكتهم بقدرة الله لكن الأولى أن نتحمل وندعو لإصلاح حالهم فدعا الشيخ فأمن سلطان ولد فلانت قلوبهم واستغفروا، قال في «المثنوي»:

چون كنى بربي حسد مكر وحسد زان حسد دل را سياهيها رسد

خاك شو مردان حق را زير پا خاك برسركن حسدرا همچوما

وهكذا أحوال الأنبياء والأولياء ألا يرى إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» وكان الأصحاب رضي الله عنهم يبكون دماً من أخلاق النفس ولا يزالون يسألون رسول الله ﷺ عما به يتخلصون من الأوصاف الذميمة ويتطهرون ظاهراً وباطناً طلباً للنجاة من العذاب المهين وأشده الفراق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وإذا قيل لهم﴾ أي: وإذا قال أصحاب رسول الله ﷺ ليهود أهل المدينة ومن حولها ومعنى اللام الإنهاء والتبليغ ﴿آمنوا بما أنزل الله﴾ من الكتب الإلَهية جميعاً ﴿قالوا نؤمن﴾ أي:

نستمر على الإيمان ﴿بما أنزل علينا﴾ يعنون به التوراة وما أنزل على أنبياء بني إسرائيل لتقرير حكمها ويدسون فيه أن ما عدا ذلك غير منزل عليهم وأسندوا الإنزال على أنفسهم لأن المنزل على نبي منزل على أمته معنى لأنه يلزمهم ﴿و﴾ هم ﴿يكفرون بما وراءه﴾ أي: سوى ما أنزل ﴿وهو﴾ أي: والحال إن ما وراء التوراة ﴿الحق﴾ أي: المعروف بالحقية الحقيق بأن يخص به اسم الحق على الإطلاق ﴿مصدقاً لما معهم﴾ من التوراة غير مخالف له حال مؤكدة من الحق والعامل فيها ما في الحق من معنى الفعل وصاحب الحال ضمير دل عليه الكلام أي: أحقه مصدقاً أي: حال كونه موافقاً لما معهم وفيه رد لمقالتهم لأنهم إذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الأنبياء مع ادعائهم الإيمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل نبي بقوله تعالى: ﴿قل﴾ يا محمد تبكيتاً لهم من جهة الله تعالى ببيان التناقض بين أقوالهم وأفعالهم ﴿فلم﴾ أصله لما لامه للتعليل دخلت على ما التي للاستفهام وسقطت الألف فرقاً بين الاستفهامية والخبرية ﴿تقتلون أنبياء الله من قبل﴾ صيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف أي: قل لهم إن كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعمون فلأي شيء تقتلون أنبياء الله من قبل وهو فيها حرام وأسند فعل الآباء وهو القتل إلى الأبناء للملابسة بين الآباء والأبناء. قال أبو الليث في «تفسيره»: وفي الآية دليل على أن من رضي بالمعصية فكأنه فاعل لها لأن اليهود كانوا راضين بقتل آبائهم فسماهم الله قاتلين حيث قال: ﴿قل فلم تقتلون﴾ الآية ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ جواب الشرط محذوف لدلالة ما سبق عليه أي: إن كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم وهو تكرير للاعتراض لتأكيد الإلزام وتشديد التهديد.

﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات﴾ من تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الأمر واللام للقسم أي: بالله قد جاءكم موسى ملتبساً بالمعجزات الظاهرة من العصا واليد وفلق البحر ونحو ذلك ﴿ثم اتخذتم العجل﴾ أي: إلَهاً ﴿من بعده﴾ أي: من بعد مجيئه بها وثم للتراخي في الرتبة والدلالة على نهاية قبح ما فعلوا ﴿وأنتم ظالمون﴾ حال من ضمير اتخذتم أي: عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة في غير موضعها.

﴿وإذ أخذنا ميثاقكم﴾ أي: العهد منكم ﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾ أي: الجبل قائلين لكم ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ أي: بجد واجتهاد ﴿واسمعوا﴾ ما في التوراة سماع قبول وطاعة ﴿قالوا﴾ كأنه قيل فماذا قالوا؟ فقيل قالوا: ﴿سمعنا﴾ قولك ولكن لا سماع طاعة ﴿وعصينا﴾ أمرك ولولا مخافة الجبل ما قبلنا في الظاهر فإذا كان حال أسلافهم هكذا فكيف يتصور من أخلافهم الإيمان، قال الفردوسي:

زيد كوهران بدنبا شد عجب سياهي نشايد بريدن زشت
زيد اصل چشم بهي داشتن بود خاك درديده انباشتن

﴿وأشربوا﴾ أي: والحال أنهم قد أشربوا ﴿في قلوبهم﴾ بيان لمكان الإشراب كقوله: إنما يأكلون في بطونهم ناراً ﴿العجل﴾ أي: حب العجل على حذف المضاف وأشرب قلبه كذا أي: حل محل الشراب أو اختلط كما خلط الصبغ بالثوب وحقيقة أشربه كذا جعله شارباً لذلك فالمعنى جعلوا شاربين حب العجل نافذاً فيهم نفوذ الماء فيما يتغلغل فيه. قال الراغب: من عاداتهم إذا أرادوا محاصرة حب أو بغض في القلب أن يستعيروا لها اسم الشراب إذ هو أبلغ

مساغاً في البدن ولذلك قالت الأطباء الماء مطية الأغذية والأدوية. ﴿بكفرهم﴾ أي: بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسمة أو حلولية ولم يروا جسماً أعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري وجعل حلاوة عبادة العجل في قلوبهم مجازاة لكفرهم. وفي القصص: أن موسى عليه السلام لما خرج إلى قومه أمر أن يبرد العجل بالمبرد ثم يذرى في النهر فلم يبقَ نهر يجري يومئذٍ إلا وقع فيه منه شيء ثم قال لهم: اشربوا منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربه ﴿قل﴾ توبيخاً لحاضري اليهود أثر ما بين أحوال رؤسائهم الذين يقتدون في كل ما يأتون ويذرون ﴿بئسما﴾ بئس شيئاً ﴿يأمركم به﴾ أي: بذلك الشيء ﴿إيمانكم﴾ بما أنزل عليكم من التوراة حسبما تدعون والمخصوص بالذم محذوف أي: ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفي إسناد الأمر إلى الإيمان تهكم بهم وإضافة الإيمان إليهم للإيذان بأنه ليس بإيمان حقيقة كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بالتوراة وإذ لا يسوغ الإيمان بها مثل تلك القبائح فلستم بمؤمنين بها قطعاً فقد علم أن من ادعى أنه مؤمن ينبغي أن يكون فعله مصدقاً لقوله وإلا لم يكن مؤمناً. قال الجنيد قدس سره التوحيد الذي تفرد به الصوفية هو إفراد القدم عن الحدوث والخروج عن الأوطان وقطع المحارب وترك ما علم وما جهل وأن يكون الحق سبحانه مكان الجميع:

طالب توحيد را بايد قدم برلازدن بعد ازان درعالم وحدت دم الا زدن

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما دخل على يعقوب النبي عليه السلام مبشر يوسف عليه السلام وبشره بحياته قال له يعقوب على أي: دين تركته؟ قال على دين الإسلام قال يعقوب عليه السلام: الآن قد تمت النعمة على يعقوب.

واعلم أن التوحيد أصل الأصول ومناط القبول ومكفر الخطايا ومستجلب العطايا ـ حكي ـ أن رسول الله ﷺ كان يحب إسلام دحية الكلبي لأنه كان تحت يده سبعمائة من أهل بيته وكانوا يسلمون بإسلامه وكان يقول: «اللهم ارزق دحية الكلبي الإسلام» فلما أراد دحية الإسلام أوحى الله إلى النبي عليه السلام بعد صلاة الفجر أن يا محمد إن الله يقرؤك السلام ويقول إن دحية يدخل عليك الآن وكان في قلوب الأصحاب شيء من دحية من وقت الجاهلية فلما سمعوا ذلك كرهوا أن يمكنوا دحية فيما بينهم فلما علم ذلك رسول الله ﷺ كره أن يقول لهم مكنوا دحية وكره أن يدخل دحية فيوحشوه فيبرد قلبه عن الإسلام فلما دخل دحية المسجد رفع النبي ﷺ رداءه عن ظهره وبسطه على الأرض بين يديه فقال دحية هٰهنا وأشار إلى ردائه فبكى دحية من كرم رسول الله ﷺ ورفع رداء وقبله ووضعه على رأسه وعينيه وقال ما شرائط الإسلام أعرضها علي فقال: «أن تقول أولاً لا إله إلا الله محمد رسول الله» فقال دحية ذلك ثم وقع البكاء على دحية فقال عليه السلام: «ما هذا البكاء وقد رزقت الإسلام» فقال: إني ارتكبت خطيئة وفاحشة كبيرة فقل لربك ما كفارته إن أمرني أن أقتل نفسي قتلتها وإن أمر أن أخرج من جميع ما لي خرجت فقال عليه السلام: «وما ذلك يا دحية» قال: كنت رجلاً من ملوك العرب واستنكفت أن تكون لي بنات لهن أزواج فقتلت سبعين من بناتي كلهن بيدي فتحير النبي عليه السلام في ذلك حتى نزل جبريل فقال: «يا محمد إن الله يقرؤك السلام ويقول: قل لدحية وعزتي وجلالي إنك لما قلت لا إله إلا الله غفرت لك كفر ستين سنة وسيئاتك ستين سنة فكيف لا أغفر لك قتل البنات» فبكى عليه السلام وأصحابه فقال عليه السلام: «إلهي غفرت

لدحية قتل بناته بشهادة أن لا إله إلا الله مرة واحدة فكيف لا تغفر للمؤمنين بشهادات كثيرة وبقول صادق وبفعل خالص»، وفي «المثنوي»:

اذكروا الله كارهر اوباش نيست ارجعي برپاي هرقلاش نيست

قال السعدي:

كر بمحشر خطاب قهر كند انبيارا چه جاي معذرتست
پرده ازروى لطف كوبردار كاشقيارا اميد مغفر تست

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة﴾ أي: الجنة **﴿عند الله﴾** ظرف للاستقرار في الخبر أعني لكم **﴿خالصة﴾** على الحالية من الدار أي: سالمة لكم خاصة بكم **﴿من دون الناس﴾** في محل النصب بخالصة أي: من دون محمد وأصحابه فاللام للعهد وتستعمل هذه اللفظة للاختصاص يقال هذا لي من دون الناس أي: أنا مختص به والمعنى إن صح قولكم لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً **﴿فتمنوا الموت﴾** أي: أحبوه واسألوه بالقلب واللسان وقولوا: اللهم أمتنا فإن من أيقن بدخول الجنة اشتاق إليها وتمنى سرعة الوصول إلى النعيم والتخلص من دار البوار وقرارة الأكدار ولا سبيل إلى دخولها إلا بعد الموت فاستعجلوه بالتمني **﴿إن كنتم صادقين﴾** في قولكم إن الجنة خاصة لكم فتمنوه وأصل التمني تقدير شيء في النفس وأكثر ما يستعمل فيما لا حقيقة له.

﴿ولن يتمنوه﴾ أي: الموت **﴿أبداً﴾** أي: في جميع الزمان المستقبل لأن ابداً اسم لجميع مستقبل الزمان كقط لماضيه وفيه دليل على أن لن ليس للتأبيد لأنهم يتمنون الموت في الآخرة ولا يتمنونه في الدنيا **﴿بما قدمت أيديهم﴾** بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي عليه السلام والقرآن وتحريف التوراة وخص الأيدي بالذكر لأن الأعمال غالباً تكون بها وهي من بين جوارح الإنسان مناط عامة صنائعه ومدار أكثر منافعه ولذا عبر بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة **﴿والله عليم بالظالمين﴾** بهم وبما صدر عنهم وهو تهديد لهم - روي - أن اليهود لو تمنوا الموت لغص كل واحد منهم بريقه أي: لامتلأ فمه بريقه فمات من ساعته ولما بقي على الأرض يهودي إلا مات فقوله ولن يتمنوه أبداً من المعجزات لأنه إخبار بالغيب وكان كما أخبر به كقوله ولن تفعلوا ولو وقع من أحد منهم تمنى موته لنقل واشتهر. فإن قلت: إن التمني يكون بالقلب فلا يظهر لنا أنهم تمنوه أولاً. قلت ليس التمني من أعمال القلوب إنما هو قول الإنسان بلسانه ليت لي كذا. وعن نافع جلس إلينا يهودي يخاصمنا فقال: إن في كتابكم فتمنوا الموت وأنا أتمنى فما لي لا أموت فسمع ابن عمر رضي الله عنهما هذا فدخل بيته وأخذ السيف ثم خرج ففر اليهودي حين رآه فقال ابن عمر: أما والله لو أدركته لضربت عنقه توهم هذا الجاهل أنه لليهود في كل وقت إنما هو لأولئك الذين كانوا يعاندونه ويجحدون نبوته بعد أن عرفوه. فإن قلت: إن المؤمنين أجمعوا على أن الجنة للمؤمنين دون

غيرهم ثم ليس أحد منهم يتمنى الموت فكيف وجه الاحتجاج على اليهود بذلك؟ قلت: إن المؤمنين لم يجعلوا لأنفسهم من الفضل والشرف والمرتبة عند الله ما جعلت اليهود ذلك لأنفسهم لأنهم ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه وأن الجنة خالصة لهم والإنسان ر يكره القدوم على حبيبه ولا يخاف انتقامه بالمصير إليه بل يرجو وصوله إلى محابه فقيل لهم: تمنوا ذلك فلما لم يتمنوه ظهر كذبهم في دعاويهم ولأن النبي عليه الصلاة والسلام نهى عن تمني الموت قال: «لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به ولكن ليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي» قال مقاتل:

لولا بناتي وسيئاتي لذبت شوقاً إلى الممات

فلا يلزمهم ما يلزم اليهود. قال سهل بن عبد الله التستري قدس سره: لا يتمنى الموت إلا ثلاثة رجل جاهل بما بعد الموت أو رجل يفر من أقدار الله عليه أو مشتاق يحب لقاء الله. قال في «المثنوي»:

شد هواي مرك طوق صادقان كه جهودانرا بد ان دم امتحان

روي عن صاحب «المثنوي» أنه لما دنت وفاته تمثل له ملك الموت وقام عند الباب ولما رآه المولى قدس سره قال:

پيشترآ پيشترآ جان من پيك در حضرت سلطان من

قال بعض الملوك لأبي حازم: كيف القدوم على الله عز وجل؟ فقال أبو حازم أما قدوم الطائع على الله فكقدوم الغائب على أهله المشتاقين إليه، وأما قدوم العاصي فكقدوم الآبق على سيده الغضبان. قال في «المثنوي»:

انبيارا تنك آمد اين جهان چون شهان رفتند اندر لامكان

چون مراسوي أجل عشق وهواست نهى لا تلقوا بأيديكم مراست

زانكه نهى ازدانه شيرين بود تلخ را خود نهى حاجت كي شو

واعلم أن الموت هو المصيبة العظمى والبلية الكبرى وأعظم منه الغفلة عنه والإعراض عن ذكره وقلة الفكر فيه وترك العمل له وأن فيه وحده لعبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر كما قيل كفى بالموت واعظاً ومن ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه لذته الحاضرة ومنعه عن تمنيها في المستقبل وزهده فيما كان منها يؤمل ولكن القلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعاظ وتزيين الألفاظ وإلا ففي قوله عليه السلام «أكثروا ذكر هاذم اللذات» وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ما يكفي السامع له ويشغل الناظر فيه، فعلى العاقل أن يسعى للموت بالاختيار قبل الموت بالاضطرار ويزكي نفسه عن سفساف الأخلاق. قال السعدي قدس سره:

أي برادر چوعاقبت خاكست خاك شوپيش ازانكه خاك شوى

اللهم يسر لنا الطريق.

﴿ولتجدنهم أحرص الناس﴾ من الوجدان العقلي وهو جار مجرى العلم خلا أنه مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها واللام لام القسم أي: والله لتجدن اليهود يا محمد أحرص من الناس ﴿على حياة﴾ لا يتمنون الموت والتنكير للنوع وهي الحياة المخصوصة المتطاولة وهي

حياتهم التي هم فيها لأنها نوع من مطلق الحياة ﴿ومن الذين أشركوا﴾ عطف على ما قبله بحسب المعنى كأنه قيل أحرص من الناس وأفرد المشركون بالذكر وإن كانوا من الناس لشدة حرصهم على الحياة. وفيه توبيخ عظيم لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون إلا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنتهم فإذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقاً بأعظم التوبيخ. فإن قلت: لم زاد حرصهم على حرص المشركين. قلت: لأنهم علموا لعلمهم بحالهم أنهم صائرون إلى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك ﴿يود أحدهم﴾ بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف أي: يريد ويتمنى ويحب أحد هؤلاء المشركين ﴿لو يعمر ألف سنة﴾ حكاية لودادهم ولو فيه معنى التمني كأنه قيل ليتني أعمر وكان القياس لو أعمر إلا أنه جرى على لفظ الغيبة لقوله تعالى ﴿يود أحدهم﴾ كقولك حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على أنه معمول يود إجراء له مجرى القول لأنه فعل قلبي والمعنى تمنى أحدهم أن يعطى البقاء والعمر ألف سنة وهي للمجوس، وخص هذا العدد لأنهم يقولون ذلك فيما بينهم عند العطاس والتحية عش ألف سنة، وألف نوروز، وألف مهرجان وهي بالعجمية «زي هزار سال» وصح إطلاق المشركين على المجوس لأنهم يقولون بالنور والظلمة ﴿وما﴾ حجازية ﴿هو﴾ أي: أحدهم اسم ما ﴿بمزحزحه﴾ خبر ما والباء زائدة والزحزحة التبعيد والإنجاء ﴿من العذاب﴾ من النار ﴿أن يعمر﴾ فاعل مزحزحه أي: تعميره ﴿والله بصير بما يعملون﴾ البصير في كلام العرب العالم بكنه الشيء الخبير به أي: عليم بخفيات أعمالهم من الكفر والمعاصي لا يخفى عليه فهو مجازيهم بها لا محالة بالخزي والذل في الدنيا والعقوبة في العقبى وهذه الحياة العاجلة تنقضي سريعة وإن عاش المرء ألف سنة أو أزيد عليها فمن أحب طول العمل للصلاح فقد فاز قال عليه السلام: «طوبى لمن طال عمره وحسن عمله» ومن أحبه للفساد فقد ضل ولا ينجو مما يخاف فإن الموت يجيء البتة واجتمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم ولا أجل معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك وكان مستعداً لذلك بعض الصالحين ينادي بالليل على سور المدينة الرحيل الرحيل فلما توفي فقد صوته أمير تلك المدينة فسأل عنه فقيل إنه مات فقال:

ما زال يلهج بالرحيل وذكره — حتى أناخ ببابه الجمال
فأصابه متيقظاً متشمراً — ذا أهبة لم تلهه الآمال

بأنك طبلت نمي كند بيدار — تومكر مرده نه درخوابي
توچراغي نهاده دره باد — خانه در ممر سيلابي

فإصابة الموت حق وإن كان العيش طويلاً والعمر مديداً وهو ينزل بكل نفس راضية كانت أو كارهة.

روى شارح «الخطب» عن وهب بن منبه أنه قال: مر دانيال عليه السلام ببرية فسمع يا دانيال قفْ ترَ عجباً فلم ير شيئاً ثم نودي الثانية قال: فوقفت فإذا بيت يدعوني إلى نفسه فدخلت فإذا سرير مرصع بالدر والياقوت فإذا النداء من السرير اصعد يا دانيال ترَ عجباً فارتقيت السرير فإذا فراش من ذهب مشحون بالمسك والعنبر فإذا عليه شاب ميت كأنه نائم وإذا عليه من الحلي والحلل ما لا يوصف وفي يده اليسرى خاتم من ذهب وفوق رأسه تاج من ذهب

وعلى منطقته سيف أشد خضرة من البقل فإذا النداء من السرير أن احمل هذا السيف واقرأ ما عليه قال: فإذا مكتوب عليه هذا سيف صمصام بن عوج بن عنق بن عاد بن إرم وإني عشت ألف عام وسبعمائة سنة وافتضضت اثني عشر ألف جارية وبنيت أربعين ألف مدينة وخرجت بالجور والعنف والحمق عن حد الإنصاف وكان يحمل مفاتح الخزائن أربعمائة بغل وكان يحمل إلى خراج الدنيا فلم ينازعني أحد من أهل الدنيا فادعيت الربوبية فأصابني الجوع حتى طلبت كفاً من ذرة بألف قفيز من در فلم أقدر عليه فمت جوعاً يا أهل الدنيا اذكروا أمواتكم ذكراً كثيراً واعتبروا بي ولا تغرنكم الدنيا كما غرتني فإن أهلي لم يحملوا من وزري شيئاً انتهى، قال السعدي:

چون همه نيك وبد ببايد مرد ... خنك آنكس كه كوى نيكى برد
برك عيشي بكور خويش فرست ... كس نيارد زپس زپيش فرست
عمر برفست آفتاب تموز ... اندكي ماند وخواجه غره هنوز

فعلى أهل القلوب القاسية أن يعالجوا قلوبهم بأمور:

أحدها: الإقلاع عما هي عليه بحضور مجالس العلم والوعظ والتذكير والتخفيف والترغيب وأخبار الصالحين فإن ذلك مما يلين القلوب وينجح فيها.

والثاني: ذكر الموت فيكثر من ذكر هاذم اللذات ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات.

والثالث: مشاهدة المحتضرين فإن في النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها ويطرد عن القلوب مسراتها ويمنع الأجفان من النوم والراحة من الأبدان ويبعث على العمل فيزيد في الاجتهاد والتعب ويستعد للموت قبل النزول فإنه أشد الشدائد. قيل لكعب الأحبار: يا كعب حدثنا عن الموت قال: هو كشجرة الشوك ادخلت في جوف ابن آدم فأخذت كل شوكة بعرق ثم اجتذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى. وفي الحديث «لو أن شعرة من وجع الميت وضعت على أهل السماوات والأرضين لماتوا أجمعين وإن في يوم القيامة لسبعين هولاً وإن أدنى هول ليضعف على الموت سبعين ضعفاً».

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿قل من كان عدواً لجبريل﴾ لما قدم النبي ﷺ المدينة أتاه عبد الله بن صوريا من اليهود بسكن فدك فقال: يا محمد كيف نومك؟ فإنا أخبرنا عن نوم النبي الذي يجيء في آخر الزمان فقال النبي ﷺ: «تنام عيناي وقلبي يقظان» قال: صدقت فأخبرني عن الولد أمن الرجل يكون أو من المرأة؟ قال: «أما العظم والعصب والعروق فمن الرجل وأما الدم واللحم والظفر والشعر فمن المرأة» قال: صدقت يا محمد قال: فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شيء أو يشبه أخواله ليس فيه من شبه أعمامه شيء؟ قال: «أيهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له» قال: صدقت يا محمد وسأله عن الطعام الذي حرم إسرائيل على نفسه قال: «إن

يعقوب مرض مرضاً شديداً فنذر إن شفاه الله حرم على نفسه أحب الطعام إليه وهو لحم الإبل وأحب الشراب إليه وهو ألبانها» قال: صدقت يا محمد وسأله عن أول نزل الجنة قال: «الحوت» قال: صدقت يا محمد ثم قال: بقيت خصلة إن قلتها آمنت بك واتبعتك أي: ملك يأتيك بما تقول من الله تعالى؟ فقال: «جبريل» قال ذاك عدونا لأنه ملك العذاب ينزل بالقتال والعذاب وكسر السفن والشدائد ورسولنا ميكائيل لأنه ملك الرحمة ينزل بالغيث والبشر والرخاء فقال له عمر: ما بدء عداوتكم له فقال: عادانا مراراً كثيرة وكان من أشد عداوته لنا أن الله تعالى أنزل على نبينا موسى عليه السلام أن البيت المقدس سيخرب في زمان رجل يقال له بخت نصر وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه فلما كان الحين الذي يخرب فيه بعثنا رجلاً من أقوياء بني إسرائيل في طلبه فانطلق حتى لقيه غلاماً مسكيناً ببابل ليست له قوة فأخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال لصاحبنا إن هو أمره بهلاككم لا يسلطكم عليه وإن لم يكن هذا فعلى أي: حق تقتلونه فصدقه صاحبنا فتركه وكبر بخت نصر وقوي فملك ثم غزانا فخرب بيت المقدس وقتلنا وأمر جبريل بوضع النبوة فينا فوضعها في غيرنا فلهذا اتخذناه عدواً وميكائيل عدو جبريل فقال عمر رضي الله عنه لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدواً لأحدهما كان عدواً للآخر ومن كان عدواً لهما كان عدواً لله تعالى. وجواب من محذوف أي: من عادى جبريل من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته ﴿فإنه﴾ يعني جبريل ﴿نزله﴾ أي: القرآن أضمره لكمال شهرته ﴿على قلبك﴾ زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحي فإنه القابل الأول له ومدار الفهم والحفظ أي: حفظه إياك ففهمكه وحق الكلام أن يقال على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به لما في النقل بالعبارة من زيادة تقرير لمضمون المقالة يعني قل كما تكلمت به من قولي إنه نزله على قلبك ﴿بإذن الله﴾ بأمره وتيسيره ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ أي: موافقاً لما قبله من الكتب الإلٰهية في التوحيد وبعض الشرائع حال من مفعول نزله ﴿وهدى﴾ أي: هادياً إلى دين الحق ﴿وبشرى﴾ أي: مبشراً بالجنة ﴿للمؤمنين﴾ فلا وجه لمعاداته فلو أنصفوا لأحبوه وشكروا له صنيعه في إنزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم ثم عمم الشرط والجزاء رداً عليهم بقوله:

﴿من كان عدواً لله﴾ أي: مخالفاً لأمره عناداً وخارجاً عن طاعته مكابرة ﴿وملائكته ورسله وجبريل وميكال﴾ أفردهما بالذكر لإظهار فضلهما كأنهما من جنس آخر أشرف مما ذكر تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الجنس. قال عكرمة جبروميك وإسراف هي العبد بالسريانية وإيل وآئيل هو الله ومعناها عبد الله أو عبد الرحمٰن ﴿فإن الله﴾ جواب الشرط ولم يقل فإنه لاحتمال أن يعود إلى جبريل وميكائيل ﴿عدو للكافرين﴾ أي: لهم جاء بالظاهر ليدل على أن الله إنما عاداهم لكفرهم والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشد العقاب فقال ابن صوريا لرسول الله ﷺ ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها فأنزل الله.

﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات﴾ واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله ﴿وما يكفر بها﴾ أي: بالآيات التي توضح الحلال والحرام وتفصل الحدود والأحكام ﴿إلا الفاسقون﴾ المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده فإن من ليس على تلك الصفة لا يجترىء على الكفر بمثل هاتيك البينات والأحسن أن يكون اللام إشارة إلى أهل الكتاب. قال الحسن إذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على عظم ذلك النوع من كفر أو غيره.

واعلم أن القرآن هو النور الإلهي الذي كشف الله به الظلمات واليهود أرادوا أن يطفئوا نور الله والله متم نوره وليس لهم في ذلك إلا الفضاحة والخزي كما إذا دخل الحمام ناس في ليل مظلم وفيهم الأصحاء وأهل العيوب فجاء واحد بسراج مضيء لا يسارع إلى إطفائه إلا أهل العيوب مخافة أن يظهر عيوبهم للأصحاء ويلحق بهم مذمة.

شمع رخشنده دران جمع نخوا هند كه تا
عيب شان درشب تاريك بماند مستور
وأي آن وقت روشن شودايـن راز چوروز
پرده برخيزد واين حال بيايد بظهور

﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠٠ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١﴾

﴿أو﴾ الهمزة للإنكار والعطف على مقدر يقتضيه المقام أي: أكفروا بآيات البينات وهي في غاية الوضوح ﴿كلما عاهدوا عهداً﴾ مصدر مؤكد لعاهدوا من غير لفظه ﴿نبذه فريق منهم﴾ أي: رموا بالذمام أي: العهد ورفضوه والفريق الطائفة ويكون للقليل والكثير وإسناد النبذ إلى فريق منهم لأن منهم من لم ينبذه ﴿بل أكثرهم لا يؤمنون﴾ بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنباً ولا يبالون به وهذا رد لما يتوهم من أن النابذين هم الأقلون.

﴿ولما جاءهم رسول﴾ هو النبي ﷺ ﴿من عند الله﴾ متعلق بجاء ﴿مصدق لما معهم﴾ من التوراة ﴿نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب﴾ أي: التوراة ﴿كتاب الله﴾ مفعول نبذ أي: الذي أوتوه وهو التوراة لأنهم لما كفروا بالرسول المصدق لما معهم فقد نبذوا التوراة التي فيها أن محمداً رسول الله وقد علموا أنها من الله ﴿وراء ظهورهم﴾ يعني رموا بالعناد كتاب الله وراء ظهورهم ولم يعملوا به مثل لتركهم وإعراضهم عنه بالكلية بما يرمي به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات إليه ﴿كأنهم لا يعلمون﴾ جملة حالية أي: نبذوه وراء ظهورهم متشبهين بمن لا يعلمه أنه كتاب الله. قيل: أصل اليهود أربع فرق ففرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني أهل الكتاب وهم الأقلون المشار إليهم بقوله عز وجل: ﴿بل أكثرهم لا يؤمنون﴾ وفرقة جاهروا بنبذ العهود تمرداً وفسوقاً وهم المعنيون بقوله سبحانه ﴿نبذه فريق منهم﴾ وفرقة لم يجاهدوا بنبذها ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم الأكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهراً ونبذوها خفية وهم المتجاهليون.

وفيه إشارة إلى أن من فعل فعل الجاهل وتعمد الخلاف مع علمه يلتحق بالجهال وهو والجاهل سواء فكما أن الجاهل لا يجيء منه خير فكذا العالم الذي لا يعمل ولذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «واعظ اللسان ضائع كلامه وواعظ القلب نافذ سهامه» فالأول هو العالم الغير العامل والثاني هو العالم العامل الذي يؤثر كلامه في القلوب وتنتج كلمته ثمرات الحكمة والعبرة والفكرة. فعلى العاقل أن يسارع إلى الامتثال خوفاً من بطش يد ذي الجلال.

ويقال: الندامة أربع: ندامة يوم وهي أن يخرج الرجل من منزله قبل أن يتغدى، وندامة سنة وهي ترك الزراعة في وقتها، وندامة عمر وهو أن يتزوج امرأة غير موافقة، وندامة الأبد

وهو أن يترك أمر الله ومجرد قراءة الكتاب بترياق الظاهر لا يدفع سم الباطن فلا بد من العمل كما أن من كان ينظر إلى كتب الطب وكان مريضاً فما دام لم يباشر العلاج لا يفيد نظره بالأدوية وكان خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن يعني يعمل بأوامره وينتهي عن نواهيه.

واعلم أن العمل بالعلوم الظاهرة لا يمكن إلا بعد معرفة المراتب الأربع مثلاً يعرف بالعلم الظاهر أن حكم الزنى الرجم والجلد ولكن في الوجود الإنساني محل يقتضي الوقاع والسفاح فأهل الإرشاد يقمعون المقتضى المذكور عن ذلك المحل وكذا الحال في الأكل والشرب وغيرهما والمرء وإن كان متبحراً في العلوم ومتفنناً في القوانين والرسوم فإن كان لم يصلح حاله بالعمل في تزكية النفس وتصفية القلب فإنه لا يعتبر بل جهله أغلب ونعم ما قيل:

حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

ـ حكي ـ أن نصير الدين الطوسي: دخل على ولي من أولياء الله تعالى لأجل الزيارة فقيل له هذا عالم الدنيا نصير الدين الطوسي قال الولي ما كماله قيل ليس له عديل في علم النجوم قال الولي الحمار الأبيض أعلم منه فانحرف الطوسي وقام من مجلسه فاتفق أنه نزل تلك الليلة على باب بيت طاحونة فقال الطحان: ادخل البيت فإنه سيكون الليلة مطر عظيم حتى لو لم يغلق الباب لأخذه السيل فسأل الطحان عن وجهه فقال لي حمار أبيض إذا حرك ذنبه إلى جانب السماء ثلاثاً لم تمطر السماء وإذا حركه إلى جانب الأرض يقع المطر فلما سمعه اعترف بعجزه وصدق الولي وزال غيظه ـ وحكي ـ أن ولياً قال لابن سينا: أفنيت عمرك في العلوم العقلية فإلى أي: مرتبة وصلت قال: وجدت ساعة من ساعات الأيام يكون الحديد فيها كالخمير فقال الولي: أخبرني عن تلك الساعة فلما جاءت الساعة أخبره وأخذ بيده حديداً فنفذ فيه أصبعه فبعد مضي الساعة قال الولي: هل تقدر على تنفيذ أصبعك أيضاً؟ قال: لا فإنه من خصائص تلك الساعة ولا يمكن فأخذه الولي ونفذ أصبعه فيه وقال ينبغي للعاقل أن لا يصرف عمره إلى الزائل الفاني فكما أن ابن سينا ادعى استقلال العقل في طريق الوصول فألقى في جهنم كذلك اليهود خذلهم الله انفوا من أتباع محمد ﷺ والعمل بما جاء به من عند الله وادعوا الاستقلال فخابوا وخسروا وبقوا في ظلمة الجهل والكفر، قال في «المثنوي»:

اي كه اندر چشمة شوراست جات توجه داني شط وجيحون وفرات
وأي آن زنده كه بامرده نشست مرده كشت وزنده كي أزوي بجست

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢﴾

﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ أي: نبذ اليهود كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا كتب السحرة التي تقرأها وتعمل بها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلو حكاية حال ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتمحض فيه والإقبال عليه بالكلية **﴿على ملك سليمان﴾** أي: على عهد ملكه وفي زمانه فحذف المضاف وعلى بمعنى في. قال السدي: كانت الشياطين تصعد

إلى السماء فيسمعون كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موت وغيره ويأتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا في كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها فاكتتب الناس ذلك وفشا في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب وبعث سليمان في الناس وجمع تلك الكتب وجعلها في صندوق ودفنه تحت كرسيه وقال: لا أسمع أحداً يقول إن الشيطان يعلم الغيب إلا ضربت عنقه فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان ودفنه الكتب وخلف من بعدهم خلف تمثل الشيطان على صورة إنسان فأتى نفراً من بني إسرائيل فقال: هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبداً؟ قالوا: نعم قال: فاحفروا تحت الكرسي وذهب معهم فأراهم المكان وقام ناحية فقالوا: ادن قال: لا ولكني هٰهنا فإن لم تجدوه فاقتلوني وذلك أنه لم يكن أحد من الشياطين يدنو من الكرسي إلا احترق فحفروا وأخرجوا تلك الكتب قال الشيطان: إن سليمان كان يضبط الجن والإنس والشياطين والطير بهذه ثم طار الشيطان وفشا في الناس أن سليمان كان ساحراً وأخذ بنو إسرائيل تلك الكتب فلذلك أكثر ما يوجد السحر في اليهود فلما جاء محمد ﷺ تعالى عليه وسلم برأ الله سليمان عليه السلام من ذلك وأنزل في عذر سليمان واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ﴿وما كفر سليمان﴾ بالسحر وعلمه يعني لم يكن ساحراً لأن الساحر كافر والتعرض لكونه كفراً للمبالغة في إظهار نزاهته عليه بالسلام وكذبه باهتيه بذلك ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ باستعمال السحر وتعليمه وتدوينه ﴿يعلمون الناس السحر﴾ أي: كفروا والحال أنهم يعلمونه إغواء وإضلالاً، روي أن السحر من استخراج الشياطين للطافة جوهرهم ودقة إفهامهم ﴿وما﴾ أي: ويعلمون الناس الذي ﴿أنزل على الملكين﴾ أي: ما ألهما وعلما وهو علم السحر أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافراً ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه كان مؤمناً كما قيل:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه

وهذا كما إذا أتى عرافاً فسأله عن شيء ليمتحن حاله ويختبر باطن أمره وعنده ما يميز به صدقه من كذبه فهذا جائز. قال الإمام فخر الدين: كان الحكمة في إنزالهما إن السحرة كانوا يسترقون السمع من الشياطين ويلقون ما سمعوا بين الخلق وكان بسبب ذلك يشتبه الوحي النازل على الأنبياء فأنزلهما الله إلى الأرض ليعلما الناس كيفية السحر ليظهر بذلك الفرق بين كلام الله وكلام السحرة ﴿ببابل﴾ الباء بمعنى في وهي متعلقة بانزل أو بمحذوف وقع حالاً من الملكين وهي بابل العراق أو بابل أرض الكوفة ومنع الصرف للعجمة والعلمية وأحسن ما قيل في تسميتها ببابل أن نوحاً عليه السلام لما هبط إلى أسفل الجودي بنى قرية وسماها ثمانين فأصبح ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة إحداهما اللسان العربي وكان لا يفهم بعضهم من بعض كذا في «تفسير القرطبي». ﴿هاروت وماروت﴾ عطف بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفها للعجمة والعلمية وما روي في قصتهما من أنهما شربا الخمر وسفكا الدم وزنيا وقتلا وسجدا للصنم فمما لا تعويل عليه لأن مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لأدلة العقل والنقل ولعله من مقولة الأمثال والرموز التي قصد بها إرشاد اللبيب الأريب وبالترغيب وذلك لأن المراد بالملكين العقل النظري والعقل العملي والمرأة المسماة بالزهرة هي النفس الناطقة الطاهرة في أصل نشأتها وتعرضهما لها تعليمهما لها ما تستعد به في النشأة الآخرة وحملها إياهما على المعاصي تحريضها إياهما بحكم الطبيعة المزاجية إلى السفليات المدنسة لجوهرهما

وصعودها إلى السماء بما تعلمت منها هو عروجها إلى الملأ الأعلى ومخالطتها مع القدسيين بسبب انتصافها ونصحها كذا ذكره وجوه القوم من المفسرين. يقول الفقير جامع هذه المجالس الشريفة قد تصفحت كتب أرباب الخبر والبيان وأصحاب الشهود والعيان فوجدت عامتها مشحونة بذكر ما جرى من قصتهما وكيف يجوز الاتفاق من الجم الغفير على ما مداره رواية اليهود خصوصاً في مثل هذا الأمر الهائل فأقول وصف الملائكة بأنهم لا يعصون ولا يستكبرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ويفعلون ما يؤمرون دليل تصور العصيان منهم ولولا ذلك لما مدحوا به إذ لا يمدح أحد على الممتنع لكن طاعتهم طبع وعصيانهم تكلف على عكس حال البشر كما في «التيسير» فهذا يقتضي جواز الوقوع مع أن فيما روي في سبب نزولهما ما يزيل الاشكال قطعاً وهو أنهم لما عيروا بني آدم بقلة الأعمال وكثرة الذنوب في زمن إدريس عليه السلام قال الله تعالى لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لفعلتم مثل ما فعلوا فقالوا: سبحانك ربنا ما كان ينبغي لنا أن نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم أهبطهما إلى الأرض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم فأهبطا بالتركيب البشري ففعلا ما فعلا وهذا ليس ببعيد إذ ليس مجرد هبوط الملك مما يقتضي العصيان وذلك ظاهر وإلا لظهر من جبريل وغيره ألا ترى أن إبليس له الشهوة والذرية مع أنه كان من الملائكة على أحد القولين لأنها مما حدثت بعد أن محى من ديوانهم فيجوز أن تحدث الشهوة في هاروت وماروت بعد أن أهبطا الأرض لاستلزام التركيب البشري ذلك. وقد قال في «آكام المرجان»: إن الله تعالى باين بين الملائكة والجن والإنس في الصورة والاشكال فإن قلب الله الملك إلى صورة الإنسان ظاهراً وباطناً خرج عن كونه ملكاً وكذلك لو قلب الشيطان إلى بنية الإنسان خرج بذلك عن كونه شيطاناً.

ـ روي ـ أنه لما استشفع لهما إدريس عليه السلام خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لكونه أيسر من عذاب الآخرة فهما في بئر بابل معلقان فيه بشعورهما إلى يوم القيامة. قال مجاهد ملىء الجب ناراً فجعلا فيه وقيل معلقان بأرجلهما ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلا أربع أصابع فهما يعذبان بالعطش. قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره رائحة الشمع الذي يعمل من الشحم كريهة تتألم منها الملائكة حتى يقال إن هاروت وماروت يعذبان برائحته وأما الشمع العسلي فرائحته طيبة كذا في «واقعات الهدائي» قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «اتقوا الدنيا فوالذي نفسي بيده إنها لأسحر من هاروت وماروت» قال العلماء إنما كانت الدنيا أسحر منهما لأنها تدعوك إلى التحارص عليها والتنافس فيها والجمع لها والمنع حتى تفرق بينك وبين طاعة الله وتفرق بينك وبين رؤية الحق ورعايته وسحر الدنيا محبتها وتلذذك بشهواتها وتمنيك بأمانيها الكاذبة حتى تأخذ بقلبك ولهذا قال رسول الله ﷺ: «حبك الشيء يعمي ويصم» أراد النبي عليه الصلاة والسلام إن من الحب ما يعمي عن طريق الحق والرشد ويصمك عن استماع الحق وأن الرجل إذا غلب الحب على قلبه ولم يكن له رادع من عقل أو دين أصمه حبه عن العذل وأعماه عن الرشد أو يعمي العين عن النظر إلى مساويه ويصم الأذن عن استماع العذل فيه أو يعمي ويصم عن الآخرة وفائدته النهي عن حب ما لا ينبغي الإغراق في حبه، قال خسرو الدهلوي:

بهر اين مردار چندت كاه زاري كاه زور

چون غليواجي كه شش مه ماده وشش مه نراست

ثم في هذه القصة إشارة إلى أنه لا يجوز الاعتماد إلا على فضل الله ورحمته فإن العصمة من آثار حفظ الله تعالى كمال قال في «المثنوي»:

همچو هاروت وچو ماروت شهير ازبطر خوردند زهر آلوده تير
اعتمادي بودشان پرقدس خويش چيست بر شير اعتماد كاوميش
كرچه أو باشاخ صد چاره كند شاخ شاخش شير نرپاره كند
كرشود پر شاخ همچون خارپشت شير خواهد كاورا ناپار كشت

﴿وما يعلمان من أحد﴾ من مزيدة في المفعول به لإفادة تأكيد الاستغراق الذي يفيده أحد والمعنى ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس ما أنزل على الملكين ويحملونهم على العمل به إغواء وإضلالاً والحال أن الملكين ما يعلمان ما أنزل عليهما من السحر أحداً من طالبيه ﴿حتى﴾ ينصحاه أولاً وينهياه عن العمل به والكفر بسببه و﴿يقولا إنما نحن فتنة﴾ وابتلاء من الله تعالى فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى عن العمل به أو اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على الإيمان والفتنة الاختبار والامتحان يقال: فتنت الذهب بالنار إذا جربته بها لتعلم أنه خالص أو مشوب وهي من الأفعال التي تكون من الله ومن العبد كالبلية والمعصية والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة وقد تكون الفتنة في الدين مثل الارتداد والمعاصي وإكراه الغير على المعاصي وأفردت الفتنة مع تعدد الملكين لكونها مصدراً وحملها عليهما مواطأة للمبالغة كأنهما نفس الفتنة والقصر لبيان أنه ليس لهما فيما يتعاطيانه شأن سواها لينصرف الناس عن تعلمه ﴿فلا تكفر﴾ باعتقاد حقيته بمعنى أنه ليس بباطل شرعاً وجواز العمل به ويقولان ذلك سبع مرات فإن أبى إلا التعليم علماه ﴿فيتعلمون﴾ عطف على الجملة المنفية فإنها في قوة المثبتة كأنه قيل: يعلمانهم بعد قولهما إنما نحن الخ والضمير لأحد حملا على المعنى أي: فالناس يتعلمون ﴿منهما﴾ أي: من الملكين ﴿ما يفرقون به﴾ أي: بسببه واستعماله ﴿بين المرء وزوجه﴾ بأن يحدث الله تعالى بينهما التباغض والفرك والنشوز عندما فعلوا من السحر على حسب جري العادة الإلّهية من خلق المسببات عقيب حصول الأسباب العادية ابتلاء لا أن السحر هو المؤثر في ذلك. قال السدي: كانا يقولان لمن جاءهما إنما نحن فتنة فلا تكفر فإن أبى أن يرجع قالا له ائت هذا الرماد فبل فيه فإذا بال فيه خرج نور يسطع إلى السماء وهو الإيمان والمعرفة وينزل شيء أسود شبه الدخان فيدخل في أذنيه ومسامعه وهو الكفر وغضب الله فإذا أخبرهما بما رآه من ذلك علماه ما يفرق به بين المرء وزوجه ويقدر الساحر على أكثر مما أخبر الله عنه من التفريق لأن ذلك خرج على الأغلب قيل يؤخذ الرجل على المرأة بالسحر حتى لا يقدر على الجماع. قال في «نصاب الاحتساب» إن الرجل إذا لم يقدر على مجامعة أهله وأطاق ما سواها فإن المبتلي بذلك يأخذ حزمة قصبات ويطلب فأساً ذا فقارين ويضعه في وسط تلك الحزمة ثم يؤجج ناراً في تلك الحزمة حتى إذا أحمى الفأس استخرجه من النار وبال على حده يبرأ بإذن الله تعالى ﴿وما هم﴾ أي: ليس الساحرون ﴿بضارين به﴾ أي: بما تعلموه واستعملوه من السحر ﴿من أحد﴾ أي: أحداً ﴿إلا بإذن الله﴾ الاستثناء مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالاً من ضمير ضارين أو من مفعوله وإن كان نكرة

لاعتمادها على النفي أو الضمير المجرور في به أي: ما يضرون به أحداً إلا مقروناً بعلم الله وإرادته وقضائه لا بأمره لأنه لا يأمر بالكفر والاضرار والفحشاء ويقضي على الخلق بها فالساحر يسحر والله يكوّن فقد يحدث عند استعمالهم السحر فعلاً من أفعاله ابتلاء وقد لا يحدثه وكل ذلك بإرادته ولا ينكر أن السحر له تأثير في القلوب بالحب والبغض وبإلقاء الشرور حتى يحول بين المرء وقلبه وذلك بإدخال الآلام وعظيم الأسقام وكل ذلك مدرك بالحس والمشاهدة وإنكاره معاندة وإن أردت التفصيل وحقيقة الحال فاستمع لما نتلو عليك من المقال وهو أن السحر إظهار أمر خارق للعادة من نفس شريرة خبيثة بمباشرة أعمال مخصوصة يجري فيه التعلم والتعليم وبهذين الاعتبارين يفارق المعجزة والكرامة.

واختلف العلماء في حقيقة السحر بمعنى ثبوته في الخارج فذهب الجمهور إلى ثبوته فيه. وقالت المعتزلة لا ثبوت له ولا وجود له في الخارج بل هو تمويه وتخييل ومجرد إراءة ما لا حقيقة له يرى الحبال حيات بمنزلة الشعوذة التي سببها خفة حركات اليد أو إخفاء وجه الحيلة وتمسكوا بقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] ولنا وجهان: الأول يدل على الجواز والثاني: يدل على الوقوع أما الأول فهو إمكان الأمر في نفسه وشمول قدرة الله فإنه الخالق وإنما الساحر فاعل وكاسب وأما الثاني فهو قوله تعالى: ﴿**ويتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله**﴾ وفيه إشعار بأنه ثابت حقيقة ليس مجرد إراءة وتمويه وبأن المؤثر والخالق هو الله تعالى وحده وأما الشعوذة وما يجري مجراها من إظهار الأمور العجيبة بواسطة ترتيب آلات الهندسة وخفة اليد والاستعانة بخواص الأدوية والأحجار فإطلاق السحر عليها مجاز أو لما فيها من الدقة لأنه في الأصل عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفي سببه ولذا يقال: سحر حلال وأكثر من يتعاطى السحر من الإنس النساء وخاصة في حال حيضهم والأرواح الخبيثة ترى غالباً للطبائع المغلوبة والنفوس الرذيلة وإن لم يكن لهم رياضة كالنساء والصبيان والمخنثين والإنسان إذا فسد نفسه أو مزاجه يشتهي ما يضره ويتلذذ به بل يعشق ذلك عشقاً يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله والشيطان خبيث فإذا تقرب صاحب العزائم والأقسام وكتب الروحانيات السحرية وأمثال ذلك إليهم بما يحبونه من الكفر والشرك صار ذلك كالرشوة والبرطيل لهم فيقضون بعض أغراضهم كمن يعطي رجلاً مالاً ليقتل من يريد قتله أو يعينه على فاحشة أو ينال منه فاحشة ولذلك يكتب السحرة والمعزمون في كثير من الأمور كلام الله تعالى بالنجاسة والدماء ويتقربون بالقرابين من حيوان ناطق وغير ناطق والبخور وترك الصلاة والصوم وإباحات الدماء ونكاح ذوات المحارم وإلقاء المصحف في القاذورات وغير ذلك مما ليس لله فيه رضى فإذا قالوا كفراً أو كتبوه أو فعلوه إعانتهم الشياطين لأغراضهم أو بعضها إما بتغوير ماء وإما بأن يحمل في الهواء إلى بعض الأمكنة وإما أن يأتيه بمال من أموال الناس كما يسرقه الشياطين من أموال الخائنين ومن لم يذكر اسم الله عليه ويأتي به وإما غير ذلك من قتل أعدائهم أو أمراضهم أو جلب من يهوونه وكثيراً ما يتصور الشيطان بصورة الساحر ويقف بعرفات ليظن من يحسن به الظن أنه وقف بعرفات وقد زين لهم الشيطان أن هذا كرامات الصالحين وهو من تلبيس الشيطان فإن الله تعالى لا يعبد إلا بما هو واجب أو مستحب وما فعلوه ليس بواجب ولا مستحب شرعاً بل هو منهي حرام ونعوذ بالله من اعتقاد ما هو حرام عبادة ولأهل الضلال الذين لهم عبادة على غير الوجه الشرعي مكاشفات أحياناً

وتأثيرات يأوون كثيراً إلى مواضع الشياطين التي نهى عن الصلاة فيها كالحمام والمزبلة وأعطان الإبل وغير ذلك مما هو من مواضع النجاسات لأن الشياطين تنزل عليهم فيها وتخاطبهم ببعض الأمور كما يخاطبون الكفار وكما كانت تدخل في الأصنام وتكلم عابدي الأصنام.

قال العلماء: إن كان في السحر ما يخل شرطاً من شرائط الإيمان من قول وفعل كان كفراً وإلا لم يكن كفراً وعامة ما بأيدي الناس من العزائم والطلاسم والرقى التي لا تفهم بالعربية فيها ما هو شرك وتعظيم للجن ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى التي لا يفهم بالعربية معناها لأنها مظنة الشرك وإن لم يعرف الراقي أنها شرك. وفي الصحيح عن النبي عليه السلام أنه رخص في الرقى ما لم تكن شركاً وقال: «من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل» ولذا نقول إنه يجوز أن يكتب للمصاب وغيره من المرضى شيء من كتاب الله وذكره بالمداد المباح ويغسل ويسقي أو يعلق عليه وفي أسماء الله تعالى وذكره خاصية قمع الشياطين وإذلالهم ولأنفاس أهل الحق تأثيرات عجيبة لأنهم تركوا الشهوات ولزموا العبادات على الوجه الشرعي وظهر لكم حكم قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية: ١٣] ولذا يطيعهم الجن والشياطين ويستعبدونهم كما استعبدها سليمان عليه السلام بتسخير الله تعالى وأقداره ـ حكى حضرة الهدائي قدس سره في «واقعاته» عن شيخه حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي أنه أرسل ورقة إلى سلطان الجن لأجل مصروع فامتثل أمره وعظمه وضرب عنق الصارع فخلص المصروع، قال في «المثنوي»:

هر پيمبر فرد آمد درجهان فرد بود وصد جهانش درنهان

عالم كبرى بقدرت سحره كرد كرد خودرا دركهين نقشي نورد

ابلهانش فرد ديدند وضعيف كي ضعيفست آنكه باشد شد حريف

واعلم أن حكم الساحر القتل ذكراً كان أو أنثى إذا كان سعيه بالإفساد والإهلاك في الأرض وإذا كان سعيه بالكفر فيقتل الذكر دون الأنثى فتضرب وتحبس لأن الساحرة كافرة والكافرة ليست من أهل الحرب فإذا كان الكفر الأصلي يدفع عنها القتل فكيف الكفر العارضي والساحر إن تاب قبل أن يؤخذ تقبل توبته وإن أخذ ثم تاب لا تقبل كما قال في «الأشباه» كل كافر تاب فتوبته مقبولة في الدنيا والآخرة إلا الكافر بسب نبي وبسب الشيخين أو أحدهما وبالسحر ولو امرأة وبالزندقة إذا أخذ قبل توبته والزنديق هو الذي قال بقدم الدهر وإسناد الحوادث إليه مع اعتراف النبوءة وإظهار الشرع هذا وأكثر المنقول إلى هنا من كتاب «آكام المرجان» وهو الذي ينبغي أن يكتب على الأحداق لا على القراطيس والأوراق **﴿ويتعلمون ما يضرهم﴾** لأنهم يقصدون به العمل ولأن العلم يجر إلى العمل غالباً **﴿ولا ينفعهم﴾** صرح بذلك إيذاناً بأنه ليس من الأمور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت وضرر محض لأنهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار بأكاذيب من يدعي النبوة مثلاً من السحرة أو تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه أن الاجتناب عما لا يؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن أن تجر إلى الغواية وإن قال من قال:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه. وذكر في «التجنيس» أن تعلم النجوم حرام إلا ما

يحتاج إليه للقبلة وفي الزوال ومن أحاديث «المصابيح» «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر» وإذا لم يكن في تعلم مثل هذه العلوم خير فكذا إمساك الكتب التي اشتملت عليها من كتب الفلاسفة وغيرها بل لا يجوز النظر إليها كما في «نصاب الاحتساب» ﴿ولقد علموا﴾ أي: هؤلاء اليهود في التوراة ﴿لمن اشتراه﴾ أي: من اختار السحر واستبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله واللام الأولى جواب قسم محذوف والثانية لام ابتداء ﴿ما له في الآخرة من خلاق﴾ أي: نصيب ﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم﴾ أي: باعوها لأن الشراء من الأضداد واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف أي: والله لبئس ما باعوا به أنفسهم السحر أو الكفر وعبر عن إيمانهم بأنفسهم لأن النفس خلقت للعلم والعمل والإيمان ﴿لو كانوا يعلمون﴾ جواب لو محذوف أي: لما فعلوا ما فعلوا من تعلم السحر وعمله أثبت لهم العلم أولاً بقوله ولقد علموا ثم نفى عنهم لأنهم لما لم يعملوا بعلمهم فكأنهم لم يعلموا فهذا في الحقيقة نفي الانتفاع بالعلم لا نفي العلم.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿ولو أنهم﴾ أي: اليهود ﴿آمنوا﴾ بالقرآن والنبي ﴿واتقوا﴾ السحر والشرك ﴿لمثوبة﴾ مفعلة من الثواب وثاب يثوب أي: رجع وسمي الجزاء ثواباً لأنه عوض عمل المحسن يرجع إليه وهو مبتدأ جواب لو والتنكير للتقليل أي: شيء قليل من الثواب كائن ﴿من عند الله خير﴾ خبر المبتدأ وأصله لأثيبوا مثوبة من عند الله خيراً مما شروا به أنفسهم فحذف الفعل وغير السبك إلى ما عليه النظم الكريم دلالة على إثبات المثوبة لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه إجلالاً للمفضل من أن ينسب إليه ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أن ثواب الله خير ومجرد العلم باللسان لا ينفع بدون أن يصل التأثير إلى القلب ويظهر ذلك التأثير بالمسارعة إلى الأعمال الصالحة والاتباع للكتاب والسنة فمن أمر السنة على نفسه أخذاً وتركاً حباً وبغضاً نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة.

قال الشيخ أبو الحسن: كل علم يسبق لك فيه الخواطر وتتبعها الصور وتميل إليه النفوس وتلذ به الطبيعة فارم به وإن كان حقاً وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسوله واقتدِ به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعده والأئمة المبرئين من الهوى ومتابعته تسلم من الظنون والشكوك والأوهام والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه وماذا عليك أن تكون عبداً لله ولا علم ولا عمل بلا اقتداء وحسبك من العلم العلم بالوحدانية ومن العمل محبة الله ومحبة رسوله ومحبة الصحابة واعتقاد الحق للجماعة.

قال بعض العلماء زيادة العلم في الرجل السوء كزيادة الماء في أصول الحنظل كلما ازداد رياً ازداد مرارة ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من الياقوت فما أشرف الوسيلة وما أخس المتوسل إليه والذي يحمل العبد على تعليم ما لا يليق به وذكر ما يجب صونه إنما هو إيثار الدنيا على الآخرة لكن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [القصص: ٦٠] فإن أردت أن تعرف قدرك عند الله فانظر فيماذا يقيمك وذلك لأن الأعمال علامات والأحوال كرامات والكرامات دليل والعلوم وسائل وقد جاء «من سره أن يعرف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله في قلبه فإن الله ينزل العبد عنده حيث أنزله العبد من

نفسه» والإنسان نسخة إلّهية قابلة للواردات الإلّهية فالنصف الأسفل منه بمنزلة الملك والنصف الأعلى بمنزلة الملكوت وبعبارة أخرى الطبيعة والنفس بمنزلة الملك والروح والسر بمنزلة الملكوت فإذا قطع العلائق بالعبادة الحقانية يتصرف في عالم الملك والملكوت اللذين في ملك وجوده وهو باب الملك والملكوت اللذين في الخارج.

واعلم أن وصلة العلماء على قدر علمهم واستدلالهم ووصلة الكمل على قدر مشاهدتهم وعيانهم لكن لا على وجه مشاهدة سائر الأشياء فإنه تعالى منزه عن الكيف والأين بل هي عبارة عن ظهور الوجود الحقيقي عند اضمحلال وجود الرائي وفنائه وأول ما يتجلى للسالك الأفعال ثم الصفات وأما تجلي الذات فلا يتيسر إلا للآحاد فهو لا يكون إلا بمحو الوجود وإفنائه لكن ذلك الفناء عين البقاء. وعن أبي يزيد البسطامي قدس سره كنت أعلم الإخلاص لبعض الفقراء وهو يعلمنا الفناء. قال السعدي:

تراكي بود چون چراغ التهاب كه ازخود پري همچو قنديل ازآب

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا﴾ لرسول الله ﷺ وهو إرشاد للمؤمنين إلى الخير **﴿راعنا﴾** المراعاة المبالغة في الرعي وهو حفظ الغير وتدبير أموره وتدارك مصالحه كان المسلمون يقولون لرسول الله ﷺ إذا ألقي عليهم شيئاً من العلم راعنا يا رسول الله أي: راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك وكانت لليهود كلمة عبرانية أو سريانية يتسابون بها بينهم وهي راعنا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهى المؤمنون عنها قطعاً لألسنة اليهود عن التلبيس وأمروا بما هو في معناها ولا يقبل التلبيس فقيل **﴿وقولوا انظرنا﴾** أي: انتظرنا من نظره إذا انتظره **﴿واسمعوا﴾** وأحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله ﷺ ويلقي عليكم من المسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا إلى الاستعادة وطلب المراعاة **﴿وللكافرين﴾** أي: ولليهود الذين تهاونوا برسول الله ﷺ وسبوه **﴿عذاب أليم﴾** وجيع لما اجترؤوا عليه من المسبة العظيمة. وفي هذه الآية دليلان أحدهما على تجنب الألفاظ المحتملة التي فيها التعريض وأما قولهم لا بأس بالمعاريض وهو أن يتكلم لرجل بكلمة يظهر من نفسه شيئاً ومراده شيء آخر فإنما أرادوا ذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب فأما إذا لم يكن حاجة ولا ضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعاً قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» بأن لا يتعرض لهم بما حرم من دمائهم وأعراضهم وقدم اللسان في الذكر لأن التعرض به أسرع وقوعاً وأكثر وخص اليد بالذكر لأن معظم الأفعال يكون بها. قال في «المثنوي»:

أين زبان چون سنك وهم آهن وشيست وانچه بجهد از زبان چون آتشيست
سنك وآهن رامزن برهم كزاف كه زروي نقل وكه ازروي لاف
زانكه تاريكست وهر سوپنبه زار درميان پنبه چون باشد شرار
عالمي رايك سخن ويران كند روبهان مرده را شيران كند

والثاني: التمسك بسد الذرائع وحمايتها والذريعة عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع. ووجه التمسك بها أن اليهود كانوا يقولون ذلك وهي سب بلغتهم فلما علم الله تعالى ذلك منهم منع من إطلاق ذلك اللفظ لأنه ذريعة للسبّ قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۢ﴾ [الأنعام: ١٠٨] فمنع من سب آلهتهم مخافة مقابلتهم بمثل ذلك وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعراف: ١٦٣] الآية فحرم الله عليهم الصيد في يوم السبت فكان الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعاً أي: ظاهرة فسدوا عليها يوم السبت وأخذوها يوم الأحد وكان السد ذريعة للاصطياد فمسخهم الله قردة وخنازير. وعن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ فقال رسول الله عليه السلام: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله» قال العلماء: ففعل ذلك أوائلهم ليستأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم ويعبدوا الله عند قبورهم فمضت لهم بذلك أزمان ثم إنهم خلف من بعدهم خلف جهلوا أغراضهم ووسوس لهم الشيطان إن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها فحذر النبي عليه الصلاة والسلام عن مثل ذلك وشدد النكير والوعيد على من فعل ذلك وسد الذرائع المؤدية إلى ذلك فقال عليه السلام: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد» وقال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد» وقال ﷺ: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به البأس» وقال عليه السلام: «إن من الكبائر شتم الرجل والديه» قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال: «نعم يسبّ أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه» فجعل التعرض لسب الآباء والأمهات كسب الآباء والأمهات وقال ﷺ: «الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات فمن اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه» فمنع عليه السلام من الإقدام على الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات وفي الحديث «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه منكم حتى ترجعوا إلى دينكم» والعينة: هو أن يبيع رجل من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذي باعها به وسميت عينة لحصول النقد لصاحب العينة وذلك أن العينة هو الحال الحاضر والمشتري إنما يشتريها ليبيعها بعين حاضرة تصل إليه من فوره وفي هذا الحديث ذم للزراع إذا كان زراعتهم ذريعة لترك الجهاد قال عليه الصلاة والسلام حين رأى آلة الحراثة في دار قوم: «ما دخل هذا بيت قوم إلا ذلوا» وذلك لأن الزراعة عمارة الدنيا وإعراض عن الجهاد فيستحق به الذل وعمارة الدنيا أصل في حق الكفار عارض في حق المسلمين فإن المسلمين يجعلونها وسيلة إلى الآخرة وأما الكفار فيعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن آخرتهم غافلون وقد قال عليه السلام: «الدنيا سجن المؤمن» أي: بالنسبة إلى ما أعد له من ثواب النعيم «وجنة الكافر» أي: بالإضافة إلى ما هيىء له من عذاب الآخرة والقطعية والهجران.

﴿ما يود الذين كفروا﴾ كان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون أنهم يودون لهم الخير فنزل تكذيباً لهم. والودّ حبّ الشيء مع تمنيه ونفي الود كناية عن الكراهة

أي: ما يحب الذين كفروا ﴿من أهل الكتاب ولا المشركين﴾ من للتبيين لأن الذين كفروا جنس تحته نوعان: أهل الكتاب والمشركون فكأنه قيل ما يود الذين كفروا وهم أهل الكتاب والمشركون فبين أن الذين كفروا باق على عمومه وأن المراد كلا نوعيه جميعاً والمعنى أن الكفار جميعاً لم يحبوا ﴿أن ينزل عليكم﴾ أي: على نبيكم لأن المنزل عليه منزل على أمته ﴿من خير﴾ هو قائم مقام فاعله ومن مزيدة لاستغراق الخير والخير الوحي والقرآن والنصرة ﴿من ربكم﴾ من لابتداء الغاية والمعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم فيحسدونكم ويكرهون أن ينزل عليكم شيء من الوحي أما اليهود فبناء على أنهم أهل الكتاب وأبناء الأنبياء الناشئون في مهابط الوحي وأنتم أميون وأما المشركون فإدلالاً بما كان لهم من الجاه والماء زعماً منهم أن رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالأسباب الظاهرة ولذا قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] وهم كانوا يتمنون أن تكون النبوة في أحد الرجلين نعيم بن مسعود الثقفي بالطائف والوليد بن المغيرة بمكة ثم أجاب عن قول من يقول: لم لم ينزل عليهم بقوله: ﴿والله يختص برحمته من يشاء﴾ يقال خصه بالشيء واختصه به إذا أفرده به دون غيره ومفعول من يشاء محذوف. والرحمة النبوة والوحي والحكمة والنصرة والمعنى يفرد برحمته من يشاء إفراده بها ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه الذاتي الفائض عليه بحسب إرادته عز وجل لا تتعداه إلى غيره لا يجب عليه شيء وليس لأحد عليه حق وما وقع في عبارة مشايخنا في حق بعض الأشياء أنه واجب في الحكمة يعنون به أنه ثابت متحقق لا محالة في الوجود لا يتصور أن لا يكون لا أنه يجب ذلك بإيجاب موجب ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ أي: على من يختاره بالنبوة والوحي لابتدائه بالإحسان بلا علة وهو حجة لنا على المعتزلة فإن المفضل عند الخلق هو الذي يعطي ويبذل ما ليس عليه لأن الذي يعطي ما عليه يكون قاضياً لا مفضلاً ولو كان يجب عليه فعل الأصلح لكان المناسب أن يكون ذو العدل بدل قوله ﴿ذو الفضل﴾ ثم فيه إشعار بأن إيتاء النبوة من الفضل وأن حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته فمن تعرض لردّ ما منّ الله به على عباده المؤمنين فقد جهل بحقيقة الأمر. وعباد الله المخلصون قسمان: قوم أقامهم الحق لخدمته وهم العباد والزهاد وأهل الأعمال والأوراد وقوم اختصهم بمحبته وهم أهل المحبة والوداد وكل من خدمته وتحت طاعته إذ كلهم قاصد وجهه ومتوجه إليه والعبودية صفة العبد لا تفارقه ما دام حياً ومن حقائق العبودية إخراج الحسد من القلب.

قال بعض الحكماء: بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه:

أولها: أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره.

والثاني: أنه يتسخط قسمته تعالى ويقول لربه: لو قسمت هكذا.

والثالث: أن فضل الله يؤتيه من يشاء وهو يبخل بفضله.

والرابع: أنه خذل ولي الله لأنه يريد خذلانه وزوال النعمة عنه.

والخامس: أنه أعان عدوه يعني إبليس.

واعلم أن حسدك لا ينفذ على عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرمي حجراً إلى عدوه ليصيب به مقلته فلا يصيبه بل يرجع إلى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه ثانياً فيعود ويرميه أشد من الأولى فيرجع على

عينه اليسرى فيعميها فيزداد غضبه ثالثاً فيعود ويرميه فيرجع الحجر على رأسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال وهو إليه راجع كرة بعد أخرى وأعداؤه حواليه يفرحون ويضحكون وهذا حال الحسود وسخرية الشياطين وقال بكر بن عبد الله: كان رجل يأتي بعض الملوك فيقوم بحذائه ويقول: أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء سيكفيه إساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به إلى الملك وقال: إنه هذا الرجل يزعم أن الملك أبخر فقال الملك: وكيف يصح ذلك عندي؟ قال: ندعو به إليك فانظر فإنه إذا دنا منك وضع يده على أنفه أن لا يشم ريح البخر فخرج من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاماً فيه ثوم فخرج الرجل من عنده فقام بحذاء الملك فقال على عادته مثل ما قال فقال له الملك: ادن مني فدنا منه واضعاً يده على فمه مخافة أن يشم الملك منه ريح الثوم فصدق الملك في نفسه قول الساعي قال: وكان الملك لا يكتب بخطه إلا لجائزة فكتب كتاباً بخطه إلى عامل له إذا أتاك الرجل فاذبحه واسلخه واحش جلده تبناً وابعث به إليّ فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فاستوهب منه ذلك الكتاب فأخذه منه بأنواع التضرع والامتناع ومضى إلى العامل فقال له العامل إن في كتابك أن أذبحك وأسلخك قال إنّ الكتاب ليس هو لي الله الله في أمري حتى أراجع الملك قال: ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبناً وبعث به ثم عاد الرجل كعادته فتعجب منه الملك فقال: ما فعلت بالكتاب؟ قال: لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته قال الملك: إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر فقال: كلا قال: فلم وضعت يدك على أنفك؟ قال: كان أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشمه قال: ارجع إلى مكانك فقد كفى المسيء إساءته ونعم ما قيل:

هركه او نيك ميكند يابد … نيك وبد هرچه ميكند يابد

اللهم احفظنا من مساوىء الأخلاق.

﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿**ما**﴾ شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية أي: أي شيء ﴿**ننسخ**﴾ ومحل قوله ﴿**من آية**﴾ نصب تمييز لما. والنسخ في اللغة: الإزالة والنقل يقال: نسخت الريح الأثر أي: أزالته ونسخت الكتاب أي ثقلته من نسخة إلى نسخة ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها أو بالحكم المستفاد منها أو بهما جميعاً. أما الأول: فكآية الرجم كما روي أن مما يتلى عليكم في كتاب الله [الشيخ والشيخة إذ زنيا فارجموهما البتة] فهو منسوخ التلاوة دون الحكم ومعنى النسخ في مثلها انتهاء التكليف بقراءتها عند نسخ تلاوتها.

وأما الثاني: فكآية عدة الوفاة بالحول قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠] نسخت بأربعة أشهر وعشراً لقوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] وكمصابرة الواحد لعشرة في القتال نسخت بمصابرة الواحد للاثنين فهو منسوخ الحكم دون التلاوة وهو المعروف من النسخ في القرآن فتكون الآية الناسخة والمنسوخة ثابتتين في التلاوة إلا أن المنسوخ لا يعمل بها ومعنى النسخ في مثلها بيان انتهاء التكليف بالحكم المستفاد منها عند نزول الآية المتأخرة عنها وحسن

بقاء التلاوة مع نسخ الحكم ورفعه ليبقى حصول الثواب بقراءتها فإن القرآن كما يتلى لحفظ حكمه لتيسير العمل به يتلى أيضاً لكونه كلام الله تعالى فيثاب عليه.

وأما الثالث: فكما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان مما يتلى في كتاب الله [عشر رضعات يحرمن ثم نسخ [بخمس رضعات يحرمن] فهو منسوخ الحكم والتلاوة جميعاً ومعنى النسخ في مثلها بيان انتهاء التكليف بقراءتها وبالحكم المستفاد منها عند نسخها.

قال القرطبي: الجمهور على أن النسخ إنما هو مختص بالأوامر والنواهي والخبر لا يدخله النسخ لاستحالة الكذب على الله تعالى ﴿أو ننسها﴾ إنساء الآية إذهابها من القلوب كما روي أن قوماً من الصحابة قاموا ليلة ليقرؤوا سورة فلم يذكروا منها إلا البسملة فغدوا إلى النبي عليه السلام وأخبروه فقال ﷺ: «تلك سورة رفعت بتلاوتها وأحكامها» روي أن المشركين أو اليهود قالوا: ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ما يقول إلا من تلقاء نفسه يقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً كما أمر في حد الزنى بإيذائهما باللسان حيث قال: ﴿فَـَٔاذُوهُمَآ﴾ [النساء: ١٦] ثم جعله منسوخاً وأمر بإمساكهن في البيوت حتى يتوفاهما الموت ثم جعله منسوخاً بقوله: ﴿فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾ [النور: ٢] يريدون بذلك الطعن في الإسلام ليضعفوا عزيمة من أراد الدخول فيه فبين الله الحكمة في النسخ بهذه الآية والمعنى أن كل آية تذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من إزالة لفظها أو حكمها أو كليهما معاً إلى بدل أو إلى غير بدل ﴿نأت بخير﴾ أي: بآية هي خير ﴿منها﴾ للعباد بحسب الحال في النفع والثواب من الذاهبة وليس المقصود أن آية خير من آية لأن كلام الله واحد وكله خير فلا يتفاضل بعض الآيات على بعض في أنفسها من حيث إنه كلام الله ووحيه وكتابه بل التفاضل فيها إنما هو بحسب ما يحصل منها للعباد ﴿أو مثلها﴾ في المنفعة والثواب فكل ما نسخ إلى الأيسر فهو أسهل في العمل وما نسخ إلى الأشق فهو في الثواب أكثر أما الأول فكنسخ الاعتداد بحول ونقله إلى الاعتداد بأربعة أشهر وعشراً وأما الثاني فكنسخ ترك القتال بإيجابه وقد يكون النسخ بمثل الأول لا أخف ولا أشق كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالتوجه إلى الكعبة وهذا الحكم غير مختص بنسخ الآية التامة فما فوقها بل جار فيما دونها أيضاً وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب.

واعلم أن الناسخ على الحقيقة هو الله تعالى ويسمى الخطاب الشرعي ناسخاً تجوزاً في الإسناد بناء على أن النسخ يقع به والمنسوخ هو الحكم المزال والمنسوخ عنه هو المتعبد بالعبادة المزالة وهو المكلف والحكمة في النسخ أن الطبيب المباشر لإصلاح البدن يغير الأغذية والأدوية بحسب اختلاف الأمزجة والأزمنة كذلك الأنبياء المباشرون لإصلاح النفوس يغيرون الأعمال الشرعية والأحكام الخلقية التي هي للنفوس بمنزلة العقاقير والأغذية للأبدان فإن أغذية النفوس وأدويتها هي الأعمال الشرعية والأخلاق المرضية فيغيرها الشارع على حسب تغير مصالحها فكما أن الشيء يكون دواء للبدن في وقت ثم قد يكون داء في وقت آخر كذلك الأعمال قد تكون مصلحة في وقت ومفسدة في وقت وقس عليه حال المرشد والمسترشد فإن التربية على القاعدة التسليكية بحسب أحوال المشارب ولا يلقاها من المرشدين إلا ذو حظ عظيم قال في «المثنوي»:

رمز ننسخ آية أو ننسها نأت خيراً درعقب مي دان مها

هر شريعت راكه حق منسوخ كرد | أو كيا برد وعوض آورده ورد
اندرين شهر حوادث مير اوست | در ممالك مالك تدبير أو ست
آنكه داند دوخت أو داند دريد | هرچه رايفروخت نيكوتر خريد

﴿ألم تعلم﴾ الخطاب للنبي عليه السلام ومعنى الاستفهام تقرير أي: أنك تعلم ﴿أن الله على كل شيء قدير﴾ فيقدر على النسخ والإتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير.

﴿ألم تعلم﴾ وخصه عليه السلام بالخطاب مع أن غيره داخل في الخطاب أيضاً حقيقة بناء على أن المقصود من الخطاب تقرير علم المخاطب بما ذكر ولا أحد من البشر أعلم بذلك منه عليه السلام إذ قد وقف من أسرار ملكوت السموات والأرض على ما لا يطلع عليه غيره وعلم غيره بالنسبة إلى علمه عليه السلام ملحق بالعدم لأن علم الأولياء من علم الأنبياء بمنزلة قطرة من سبعة أبحر وعلم الأنبياء من علم نبينا محمد عليه السلام بهذه المنزلة وعلم نبينا من علم الحق سبحانه بهذه المنزلة ﴿أن الله له ملك السموات والأرض﴾ فيفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله: ﴿أن الله على كل شيء قدير﴾ والملك تمام القدرة واستحكامها وتخصيص السموات والأرض بالذكر وإن كان الله تعالى له ملك الدنيا والآخرة جميعاً لكونهما أعظم المصنوعة وأعجبها شأناً ﴿وما لكم﴾ أيها المؤمنون ﴿من دون الله﴾ أي سوى الله وهو في حيز النصب على الحالية من الولي لأنه في الأصل صفة له فلما قدم انتصب حالاً ﴿من﴾ زائدة للاستغراق ﴿ولي﴾ قريب وصديق وقيل وال وهو القيم بالأمور ﴿ولا نصير﴾ أي: معين ومانع والفرق بين الولي والنصير أنّ الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبياً عن المنصور والمقصود التسكين لقلوب المؤمنين بأن الله وليهم وناصرهم دون غيره فلا يجوز الاعتماد إلا عليه ولا يصح الالتجاء إلا إليه والمعنى أن قضية العلم بما ذكر من الأمور الثلاثة وهو العلم «بأن الله على كل شيء قدير» والعلم «بأن الله له ملك السموات والأرض» والعلم «بأن ليس لهم من دون الله من ولي ولا نصير» هو الجزم والإيقان بأنه تعالى لا يفعل بهم في أمر من أمور دينهم أو دنياهم إلا ما هو خير لهم والعمل بموجبه شيء من الثقة والتوكل عليه وتفويض الأمر إليه من غير إصغاء إلى أقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التي هي من جملتها ما قالوا في أمر النسخ.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿أم تريدون﴾ أم معادلة للهمزة في ألم تعلم أي: ألم تعلموا أنه مالك الأمور وقادر على الأشياء كلها يأمر وينهى كما أراد أم تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى عليه السلام والمراد توصية المسلمين بالثقة به وترك الاقتراح عليه وهو المفاجأة بالسؤال من غير روية فكر ﴿أن تسألوا﴾ وأنتم مؤمنون ﴿رسولكم﴾ وهو في تلك الرتبة من علو الشأن وتقترحوا عليه ما تشتهون غير واثقين بأموركم بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤونه تعالى قيل: لعلهم كانوا يطلبون منه عليه السلام بيان تفاصيل الحكم الداعية إلى النسخ

﴿كما سئل موسى﴾ مصدر تشبيهي أي: نعت لمصدر مؤكد محذوف وما مصدرية أي: سؤالاً إلا مشبهاً بسؤال موسى عليه السلام حيث قيل له: اجعل لنا إلهاً وأرنا الله جهرة وغير ذلك. ﴿من قبل﴾ أي: من قبل محمد ﷺ متعلق بسئل جيء به للتأكيد. ﴿ومن يتبدل الكفر﴾ أي: يختره ويأخذه لنفسه ﴿بالإيمان﴾ بمقابلته بدلاً منه وحاصله ومن يترك الثقة بالآيات البينة المنزلة بحسب المصالح التي من جملتها الآيات الناسخة التي هي خير محض وحق بحت واقترح غيرها ﴿فقد ضل﴾ أي: عدل وحار من حيث لا يدري ﴿سواء السبيل﴾ عن الطريق المستقيم الموصل إلى معالم الحق والهدى وتاه في تيه الهوى وتردى في مهاوي الردى. وسواء السبيل وسط الطريق السويّ الذي هو بين الغلو والتقصير وهو الحق وأكثر المفسرين على أن سبب نزول الآية أن اليهود قالوا: يا محمد ائتنا بكتاب الله جملة كما جاء موسى بالتوراة جملة فنزلت كما قال: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [النساء: ١٥٣] إلى قوله: ﴿جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] فالمخاطبون بقوله أم تريدون هم اليهود وإضافة الرسول إليهم في قوله رسولكم باعتبار أنهم من أمة الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالإيمان ترك صرف قدرتهم إليه مع تمكنهم من ذلك وإيثارهم للكفر عليه. قال الإمام: وهذا أصح لأن الآية مدنية ولأن هذه السورة من أول قوله: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ﴾ [البقرة: ٤٧] حكاية عنهم ومحاجة معهم. وفي الآية إشارة إلى حفظ الآداب فمن لم يتأدب بين يدي مولاه ورسوله وخلفائه فقد تعرض للكفر وحقيقة الأدب اجتماع خصال الخير وعن النبي عليه السلام قال: «حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن مرضعه ويحسن أدبه فإنه مسؤول عنه يوم القيامة ومؤاخذ بالتقصير فيه».

قال في «بستان العارفين»: مثل الإيمان مثل بلدة لها خمسة من الحصون: الأول من ذهب، والثاني: من فضة، والثالث: من حديد، والرابع: من حبو كل والخامس من لبن فما دام أهل الحصن يتعاهدون الحصن الذي من اللبن فالعدو لا يبلغ فيهم فإذا تركوا التعاهد حتى خرب الحصن الأول طمع في الثاني ثم في الثالث حتى خرب الحصون كلها فكذلك الإيمان في خمسة من الحصون: أولها اليقين ثم الإخلاص ثم أداء الفرائض ثم إتمام السنن ثم حفظ الأدب فما دام يحفظ الأدب ويتعاهده فإن الشيطان لا يطمع فيه فإذا ترك الأدب طمع في السنن ثم في الفرائض ثم في الإخلاص ثم في اليقين وينبغي أن يحفظ الأدب في جميع أموره من أمر الوضوء والصلاة والبيع والشراء والصحبة وغير ذلك.

واعلم أن الشريعة هي الأحكام والطريقة هي الأدب وإنما رد من رد لعدم رعاية الأدب كإبليس وغيره من المردودين كما قيل:

بي أدب مرد كي شود مهتر — كرچه اورا جلالت نسبست
با ادب باش تابزرك شوي — كه بزر كي نتيجة أدبست

وسئل ابن سيرين أي: الأدب أقرب إلى الله فقال معرفة ربوبيته والعمل بطاعته والحمد على السراء والصبر على الضراء انتهى كلامه.

﴿ود كثير من أهل الكتاب﴾ هم رهط من أحبار اليهود وروي أن فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفراً من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر رضي الله عنهما بعد وقعة أحد ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل

ونحن أهدى منكم سبيلاً فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال: فإني قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود: أما عمار فقد صبا أي: خرج عن ديننا بحيث لا يرجى منه الرجوع إليه أبداً فكيف أنت يا حذيفة ألا تبايعنا قال حذيفة رضيت بالله رباً وبمحمد نبياً وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخواناً فقالوا: وإله موسى لقد أشرب في قلوبكما حب محمد ثم أتيا رسول الله عليه السلام وأخبراه فقال: «أصبتما خيراً وأفلحتما» والمعنى أحبّ وأراد كثير من اليهود ﴿لو يردونكم﴾ أي: أن يردوكم فإن لو من الحروف المصدرية إذا جاءت بعد فعل يفهم منه معنى التمني نحو قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ﴾ [القلم: ٩] أي: أن يصرفوكم عن التوحيد ﴿من بعد إيمانكم﴾ يا معشر المؤمنين ﴿كفارا﴾ أي: مرتدين حال من ضمير المخاطبين في يردونكم ويحتمل أن يكون مفعولاً ثانياً ليردونكم على تضمينه معنى يصيرونكم ﴿حسدا﴾ علة لقوله ودّ كأنه قيل ودّ كثير ذلك من أجل الحسد ﴿من عند أنفسهم﴾ يجوز أن يتعلق بود على معنى أنهم تمنوا ارتدادكم من عند أنفسهم وقبل شهوتهم وأهوائهم لا من قبل التدين والميل مع الحق ولو على زعمهم لأنهم ودوا ذلك فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق ويجوز أن يتعلق بحسداً أي: حسداً منبعثاً من أصل نفوسهم بالغاً أقصى مراتبه ﴿من بعد ما تبين لهم الحق﴾ أي: من بعد ما ظهر لهم أن محمداً رسول الله وقوله حق ودينه حق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التوراة ﴿فاعفوا﴾ العفو ترك عقوبة المذنب يقال عفت الريح المنزل درسته وعفا المنزل يعفو درس يتعدى ولا يتعدى ومن ترك المذنب فكأنه درس ذنبه من حيث إنه ترك المكافاة والمجازاة وذلك لا يستلزم الصفح ولذا قال تعالى: ﴿واصفحوا﴾فإنه قد يعفو الإنسان ولا يصفح. والصفح ترك التقريع باللسان والاستقصاء في اللوم يقال: صفحت عن فلان إذا أعرضت عن ذنبه بالكلية وقد ضربت عنه صفحاً إذا أعرضت عنه وتركته وليس المراد بالعفو والصفح المأمور بهما الرضى بما فعلوا لأن ذلك كفر والله تعالى لا يأمر به بل المراد بهما ترك المقاتلة والإعراض عن الجواب عن مساوىء كلامهم ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ أي: يحكم الله بحكمه الذي هو الإذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم أو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير.

ـ روي ـ أن الصحابة رضي الله عنهم استأذنوا رسول الله ﷺ في أن يقتلوا هؤلاء اليهود الذين كفروا بأنفسهم ودعوا المسلمين إلى الكفر فنزلت الآية بترك القتال والإعراض عن المكافأة إلى أن يجيء الإذن من الله تعالى ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ فيقدر على الانتقام منهم وينتقم إذا جاء أوانه.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ عطف على فاعفوا كأنه أمرهم بالصبر والمخالفة واللجأ إلى الله تعالى بالعبادة والبر فالمراد الأمر بملازمة طاعة الله تعالى من الفرائض والواجبات والتطوعات بقرينة قوله: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير﴾ فإن الخير يتناول أعمال البر كلها إلا

أنه تعالى خص من بينها إقام الصلاة وإيتاء الزكاة بالذكر تنبيهاً على عظم شأنهما وعلو قدرهما عند الله فإن الصلاة قربة بدنية ليكون عمل كل عضو شكراً لما أنعم الله عليه في ذلك والزكاة قربة مالية ليكون شكراً للأغنياء الذين فضلهم الله في الدنيا بالاستمتاع بلذيذ العيش بسبب سمعتهم في صنوف الأعمال وما تقدموا شرطية أي: أي: شيء من الخيرات صلاة أو صدقة أو غيرهما تقدموه وتسلفوه لمصلحة أنفسكم ﴿تجدوه﴾ أي: ثوابه وجزاءه لا عينه لأن عين تلك الأعمال لا تبقى ولأن وجدان عينها لا يرغب فيه ﴿عند الله﴾ أي: محفوظاً عنده في الآخرة فتجدوا الثمرة واللقمة فيها مثل أحد ولفظ التقديم إشارة إلى أن المقصود الأصلي والحكمة الكلية في جميع ما أنعم الله تعالى به على المكلفين في الدنيا أن يقدموه إلى معادهم ويدخروه ليومهم الآجل كما جاء في الحديث «إن العبد إذا مات قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم» ﴿إن الله بما تعملون بصير﴾ أن عالم لا يخفى عليه القليل ولا الكثير من الأعمال والعمل غير مقيد بالخير أو الشر فهو عام شامل للترغيب والترهيب فالترغيب من حيث إنه يدل على أنه تعالى يجازي على القليل من الخير كما يجازي على الكثير والترهيب من حيث إنه يجازي على القليل والكثير من الشر أيضاً فلا يضيع عنده عمل عامل. وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه مر ببقيع الغرقد فقال: السلام عليكم أهل القبور أخبار ما عندنا أن نساءكم قد تزوجن دوركم قد سكنت وأموالكم قد قسمت فأجابه هاتف يا بن الخطاب أخبار ما عندنا أن ما قدمناه وجدناه وما أنفقناه فقد ربحناه وما خلفناه فقد خسرناه» ولقد أحسن القائل:

قدم لنفسك قبل موتك صالحاً واعمل فليس إلى الخلود سبيل

قال السعدي:

توغافل درانديشة سود ومال كه سرماية عمر شد پايمال
غبار هوا چشم عقلت بدوخت سموم هوا كشت عمرت بسوخت
بكن سرمة غفلت از چشم پاك كه فرداشوي سرمة درچشم خاك

اعلم أن الإنسان إذا مات انقطع عمله إلا أن يبقى بعده واحد من الأولاد الأربعة التي لا ينقطع أجرها:

الأول: ما يتولد من مال الإنسان كبناء المساجد والجسور والرباط والأوقاف وغير ذلك من الخيرات، كما قال السعدي في البستان:

ازان كس كه خيري بماندروان دمادم رسد رحمتش برروان
نمرد آنكه ماند پس ازوي بجاي پل ومسجد وخان ومهمان سراي
هران كونماند از پسش ياد كار درخت وجودش نياورد بار
وكر رفت وآثار خيرش نماند نشايد پس مرك الحمد حواند

وإلى هذا أشار عليه السلام بقوله: «من صدقة جارية» في حديث «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث».

والثاني: ما يتولد من العقل الراجح كالعلم المنتفع به وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «أو علم ينتفع به» قيل: هو الأحكام المستنبطة من النصوص والظاهر أنه عام متناول ما خلفه من تصنيف أو تعليم في العلوم الشرعية وما يحتاج إليه في تعلمها قيد العلم بالمنتفع به لأن ما

لا ينتفع به لا يثمر أجراً كما أن كتم ما ينتفع به لا يثمر أجراً بل إثماً وعذاباً كما ورد في الحديث «من كتم علماً يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار». قال الإمام السخاوي يشمل هذا الوعيد حبس الكتب عمن يطلبها للانتفاع بها.

والثالث: ما يتولد من النفس كالبنين والبنات وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «أو ولد صالح يدعو له» قيد عليه الصلاة والسلام بالصالح لأن الأجر لا يحصل من غيره. وأما الوزر فلا يلحق بالأب من سيئة ولده إذا كانت نيته في تحصيله الخير وإنما ذكر الدعاء له تحريضاً للولد على الدعاء لأبيه لا لأنه قيد لأن الأجر يحصل للوالد من ولده الصالح كلما عمل عملاً صالحاً سواء دعا لأبيه أم لا كمن غرس شجرة يحصل له من أكل ثمرتها ثواب سواء دعا له من أكلها أم لم يدع وكذلك الأم. فإن قلت: ما التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله عليه السلام: «من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجراً وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة» وقوله عليه السلام: «من مات يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة». قلنا السنة المسنونة من جملة العلم المنتفع به ومعنى حديث المرابط أن ثواب عمله الذي قدمه في حياته ينمو له إلى يوم القيامة. أما الثلاث المذكورة في الحديث فإنها أعمال تحدث بعد وفاته لا تنقطع عنه لأنه سبب لها فيلحقه منها ثواب.

والرابع: ما يتولد من الروح وهي الأولاد المعنوية التي تولدت من التربية كأولاد المشايخ الكاملين من الصوفية المتشرعين المحققين وهذا القسم يمكن أن يندرج فيما قبله فافهم.

﴿وقالوا﴾ نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا في مجلس رسول الله عليه السلام مع اليهود فكذب بعضهم بعضاً فقالت اليهود لبني نجران لن يدخل الجنة إلا اليهود وقال بنو نجران لليهود لن يدخلها إلا النصارى فقال الله: قال أهل الكتاب من اليهود والنصارى ﴿لن يدخلِ الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴾ لم يقل كانوا حملاً للاسم على لفظ من وجمع الخبر حملاً على معناه. والهود جمع هائد أي: تائب نحو إنا هدنا إليك وكأنه كان في الأصل اسم مدح لمن تاب منهم من عبادة العجل ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازماً لجماعتهم كالعلم لهم. والنصارى جمع نصران كسكران ﴿تلك﴾ أي: ما قالوا بأن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً أو نصارى ﴿أمانيهم﴾ أي: شهواتهم الفاسدة التي تمنوها على الله بغير الحق لا حقيقة لها جمع أمنية وهي ما يتمنى أفعولة كالأعجوبة. والتمني التشهي والعرب تسمي الكلام العاري عن الحجة تمنياً وغروراً وضلالاً وأحلاماً مجازاً وجمع الأماني باعتبار صدورها عن الجميع من اليهود والنصارى ثم أومأ الله إلى بطلان أقوالهم بقوله لنبيه عليه السلام ﴿قل هاتوا﴾ أصله أتوا قلبت الهمزة هاء وهو أمر تعجبي أي: احضروا ﴿برهانكم﴾ حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ولم يقل براهينكم لأن الدعوى كانت واحدة وهي نفي دخول غيرهم الجنة والحجة على تلك الدعوى واحدة ﴿إن كنتم صادقين﴾ في دعواكم فإن كل قول لا دليل عليه غير ثابت.

﴿بلى﴾. اعلم أن قولهم لن يدخل الجنة الخ مشتمل على إيجاب ونفي أما الإيجاب فهو أن يدخل الجنة اليهود والنصارى وأما النفي فهو أن لا يدخل الجنة غيرهم فقوله بلى إثبات لما نفوه في كلامهم فكأنهم قالوا لا يدخل الجنة غيرنا فأجيبوا بقوله بلى يدخل الجنة غيركم وليس الأمر كما تزعمون ﴿من أسلم وجهه لله﴾ أي: أخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيئاً فإن إسلام شيء لشيء جعله سالماً له بأن لا يكون لأحد حق فيه لا من حيث التخليق والمالكية ولا

من حيث استحقاق العبادة والتعظيم عبر عنها بالوجه لكونه أشرف الأعضاء من حيث إنه معدن الحواس والفكر والتخيل فهو مجاز من باب ذكر الجزء وإرادة الكل ومنه قولهم كرم الله وجهه ويحتمل أن يكون إخلاص الوجه كناية عن إخلاص الذات لأن من جاد بوجهه لا يبخل بشيء من جوارحه ويكون بمعنى العضو المخصوص ﴿وهو محسن﴾ حال من ضمير أسلم أي: وهو مع إخلاصه وتسليم النفس إلى الله بالكلية بالخضوع والانقياد محسن في جميع أعماله بأن يعملها على وجهة يستصوبها فإن إخلاصها لله لا يستلزم كونها مستحسنة بحسب الشرع وحقيقة الإحسان والإتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفي التابع لحسنه الذاتي وقد فسره ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه وإن لم تكن تراه فإنه يراك» وهذا المعنى حقيقة الإيمان وظاهره الإحسان وأما باطنه فمرتبة كنت سمعه وبصره التي هي نتيجة قرب النوافل وهو كون ذات الحق ووجوده مرآة لصفات العبد ومظهراً لأحواله وأما قرب الفرائض فهو المصرح في قوله قال الله تعالى على لسان عبده (سمع الله لمن حمده) وهو كون صفات العبد وأحواله مرآة لذات الحق ومظهراً لوجوده وباعتبار قرب النوافل كان الظاهر والمرئي والمشهود هو العبد باعتبار قرب الفرائض هو الحق ﴿فله أجره﴾ ثوابه الذي وعد له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة وتصويره بصورة الأجر للإيذان بقوة ارتباطه بالعمل واستحالة نيله بدونه ﴿عند ربه﴾ أي: حال كون ذلك الأجر ثابتاً عند مالكه ومدبر أموره ومبلغه إلى كماله لا يضيع ولا ينقص والعندية للتشريف والجملة جواب من إن كانت شرطية وخبرها إن كانت موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط ﴿ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة عند دخول الجنة كما قال تعالى خبراً عن أهل الجنة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤] وأما في الدنيا فإنهم يخافون من أن يصيبوا الشدائد والأهوال العظام قدامهم ويحزنون على ما فاتهم من الأعمال الصالحة والطاعات المؤدية إلى الفوز بأنواع السعادات فإن المؤمن كما لا يقنط من رحمة الله لا يأمن من غضبه وعقابه كما قيل: لا يجتمع خوفان ولا أمنان فمن خاف في الدنيا أمن في الآخرة حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب فإن الخوف إنما يكون مما يتوقع في المستقبل كما أن الحزن إنما يكون على ما وقع سابقاً ومن أمن في الدنيا خاف في الآخرة. قال في «المثنوي»:

لا تخافوا هست نزل خائفان — هست در خور از براي خائف آن
هركه ترسد مروراً أيمن كنند — مردل ترسنده را ساكن كنند
آنكه خوفش نيست چون كويي مترس — درس چه دهي نيست أو محتاج درس

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿وقالت اليهود﴾ بيان لتضليل كل فريق من اليهود والنصارى صاحبه بخصوصه إثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم ﴿ليست النصارى على شيء﴾ أي: على أمر يصح أو يعتد به ﴿وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم﴾ أي: قالوا ما قالوا والحال أن كل فريق منهم ﴿يتلون الكتاب﴾ اللام للجنس أي إنهم من أهل العلم والكتاب والتلاوة للكتب

وحق من تلا كتاباً من كتب الله تعالى وآمن به أن لا يكفر بالباقي لأن كل واحد من كتب الله يصدق ما عداه ﴿**كذلك**﴾ أي: مثل ذلك القول الذي سمعت به من هؤلاء العلماء الضالة على أن الكاف في موضع النصب على أنه مفعول قال: ﴿**قال الذين لا يعلمون**﴾ من عبدة الأصنام والمعطلة ونحوهم من الجهلة أي: قالوا لأهل كل دين ليسوا على شيء. ﴿**مثل قولهم**﴾ بدل من محل الكاف وفيه توبيخ عظيم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم أصلاً. ﴿**فالله يحكم بينهم**﴾ بين الفريقين ﴿**يوم القيامة فيما كانوا فيه**﴾ متعلق بيختلفون قدم للمحافظة على رؤوس الآي ﴿**يختلفون**﴾ من أمر الدين. فإن قلت: بمَ يحكم؟ قلت: بما يقسم لكل فريق مما يليق به من العقاب وفعل الحكم يتعدى بجارين الباء وفي كما يقال حكم الحاكم في هذه القضية بكذا وفي الآية قد ذكر المحكوم فيه دون المحكوم به.

واعلم أن كل حزب بما لديهم فرحون وليس ذلك في الفرق الضالة خاصة بل ذلك يجري بين صوفي وصوفي وشيخ وشيخ وعالم وعالم فتخطئة كل فريق صاحبه مستمرة والأولى أن يتبع الهدى. قال بعض المشايخ من ادعى أنه صاحب قلب وإرشاد بدون تزكية النفس ومعرفة المبدأ والمعاد لأجل الدنيا الدنيئة كان عذابه أضعاف عذاب النساء اللاتي رآهن النبي عليه السلام ليلة المعراج يقطعن صدورهن بمقاريض فسأل جبريل فقال: «إنهن الزواني من النساء اللاتي جئن بأولاد من الزنى» فالدعوى باطلة بدون الدليل وصاحبها ضال مضلّ والمدعي كالزانية والتابع له على هواه كولد الزنى فإن ولد الزنى هالك حكماً لعدم المربي والاتباع لمبتدع لا ينتج إلا البدعة والإلحاد.

ـ وحكي ـ عن الشيخ صدر الدين التبريزي أنه قال: كان رجل مشهور في تبريز يقال له عارف قدم يوماً إلى مجلس بعض العارفين فقال له: ما اسمك؟ قال: محمود لكن يقال لي عارف قال له: هل عرفت ذاتك حتى قيل لك عارف؟ فقال: قرأت كتباً كثيرة من مقالات المشايخ والصوفية، قال له: ذلك كلامهم فما لك؟

بـپـر خـويـش بـايـد كـرد پـرواز ... ببـال ديـگـران نـتـوان پـريـدن

فمجرد النسخة لا يفيد بدون العمل بما فيها والتحقق بحقائقها وهذا كما أن تاجراً إذا وصل له كتاب من عبده المأذون في التجارة إني اشتريت كذا وكذا وأخبر سيده بما وقع تفصيلاً فبمجرد هذا الكتاب لا يقدر السيد أن يتجر بدون أن يصل إليه ما اشتراه العبد من السلعة فلو أدخل جماعة من المشترين في داره ليبيع متاعه لا يجد إلا خجالة لأن المحل الذي يعرض السلعة فيه على المشترين لا يفيده مجرد النسخة وقراءتها. قال في «المثنوي»:

مـرغ بـر بـالا پـران وسـايـه اش ... مـي دود بـر خـاك پـران مـرغ وش

ابـلـهـي صـيـاد آن سـايـه شـود ... مـي دود چـنـدانـكـه بـي مـايـه شـود

بي خبر كان عكس آن مرغ هواست ... بي خبر كه أصل آن سايه كجاست

تـيـر انـدازد بـسـوي سـايـه او ... تـركـشـش خـالـي شـود ازجـست وجـو

تـركـش عـمـرش تـهـي شـد عـمـر رفـت ... از دويـدن درشـكـار سـايـة تـفـت

سـايـه يـزدان چـوبـاشـد دايـه اش ... وارهـانـد ازخـيـال وسـايـه اش

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن

يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

﴿ومن أظلم﴾ سبب النزول أن ططيوس الرومي ملك النصارى وأصحابه غزوا بني إسرائيل فقتلوا مقاتليهم وسبوا ذراريهم وأحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خراباً حتى بناه أهل الإسلام في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك لما استولى عمَر رضي الله عنه على ولاية كسرى وغنم أموالهم عمّر بها بيت المقدس ثم صار في أيدي النصارى من الإفرنج أكثر من مائة سنة حتى فتحه واستخلصه الملك الناصر صلاح الدين من آل أيوب سنة خمسمائة وخمس وثمانين بعد الهجرة ومن في الأصل كلمة استفهام وهي هٰهنا بمعنى النفي أي لا أحد أظلم **﴿ممن منع مساجد الله﴾** المراد بيت المقدس وصيغة الجمع لكون حكم الآية عاماً لكل من فعل ذلك في أي: مسجد كان كما تقول لمن آذى صالحاً واحداً ومن أظلم ممن آذى الصالحين لأنه لا عبرة لخصوص السبب **﴿أن يذكر فيها اسمه﴾** ثاني مفعولي منع فإنه يقتضي ممنوعاً وممنوعاً عنه فتارة يتعدى إليهما بنفسه كما في قولك منعته الأمر وتارة يتعدى إلى الأول بنفسه وإلى الثاني بحرف الجر وهو كلمة عن أو من مذكورة كانت كما في قولك منعته من الأمر أو محذوفة كما في الآية أي: من أن يسبح ويقدس ويصلي له فيها **﴿وسعى﴾** أي: عمل **﴿في خرابها﴾** بالهدم والخراب اسم للتخريب كالسلام اسم للتسليم وأصله الثلم والتفريق **﴿أولئك﴾** المانعون **﴿ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾** أي: ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها إلا بخشية وخضوع فضلاً عن الاجتراء على تخريبها **﴿لهم في الدنيا خزي﴾** أي: خزي فظيع لا يوصف كالقتل والسبي في حق أهل الحرب والإذلال بضرب الجزية في حق أهل الذمة أو هو فتح مدائنهم قسطنطينية وورومية وعمورية **﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾** وهو عذاب النار الذي لا ينقطع لما أن سببه أيضاً وهو ما حكي من ظلمهم كذلك في العظم وقيل: نزلت الآية في مشركي العرب الذي منعوا رسول الله ﷺ عن الدعاء إلى الله تعالى بمكة وألجؤوه إلى الهجرة فصاروا بذلك مانعين له عليه السلام ولأصحابه أن يذكروا الله إلى المسجد الحرام وأيضاً أنهم صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن المسجد الحرام حين ذهب إليه من المدينة عام الحديبية وهي السنة السادسة من الهجرة، والحديبية: موضع على طريق مكة فعلى هذا يكون المسجد الذي نزلت الآية فيه المسجد الحرام فالمراد بالخراب في قوله وسعى في خرابها تعطيلهم المسجد الحرام عن الذكر والعبادة دون تخريبه وهدمه حقيقة وجعل تعطيل المسجد عنهما تخريباً له لأن المقصود من بنائه إنما هو الذكر والعبادة فيه فما دام لم يترتب عليه هذا المقصود من بنائه صار كأنه هدم وخرب أو لم يبن من أصله فإن عمارة المسجد كما تكون ببنائه وإصلاحه تكون أيضاً بحضوره ولزومه يقال فلان يعمر مسجد فلان إذا كان يحضره ويلزمه ويقال لسكان السموات من الملائكة عمارها قال النبي ﷺ: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان» وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٨] فجعل حضور المساجد عمارة لها. قال علي رضي الله عنه ست من المروءة: ثلاث في الحضر وثلاث في السفر. فأما اللاتي في الحضر: فتلاوة كتاب الله تعالى وعمارة مسجد الله واتخاذ الإخوان في الله. وأما اللاتي في السفر فبذل الزاد

وحسن الخلق والمزاح في غير معاصي الله.

وعد من علامات الساعة تطويل المنارات وتنقيش المساجد وتزيينها وتخريبها عن ذكر الله تعالى فتعطيل المساجد عن الصلاة والتلاوة وإظهار شعائر الإسلام أقبح سيئة لا سيما إذ اقترن بفتح أبواب بيوت الخمر وإغلاق أبواب المكاتب وغير ذلك ولقد شوهد هذا في أكثر البلاد الرومية في هذا الزمان فلنبك على غربة الدين أيها الإخوان. قال القشيري رحمه الله ومن أظلم ممن خرب بالشهوات أوطان العبادات وهي نفوس العابدين وخرب بالمنى والعلامات أوطان المعرفة وهي قلوب العارفين وخرب بالحظوظ والمساكنات أوطان المحبة وهي أرواح الواجدين وخرب بالتفات إلى القربات أوطان المشاهدات وهي أوطان الموحدين. ثم في الآية إشارة إلى شرف بيت المقدس والمسجد الحرام وفي الحديث «من زار بيت المقدس محتسباً أعطاه الله ثواب ألف شهيد وحرم الله جسده على النار ومن زار عالماً فكأنما زار بيت المقدس» كذا في «مشكاة الأنوار». وذكر في «القنية»: إن أعظم المساجد حرمة المسجد الحرام ثم مسجد المدينة ثم مسجد بيت المقدس ثم الجوامع ثم مساجد المحال ثم مساجد الشوارع فإنها أخف مرتبة حتى لا يعتكف فيها إذا لم يكن لها إمام معلوم ومؤذن ثم مساجد البيوت فإنه لا يجوز الاعتكاف فيها إلا للنساء انتهى. قال حضرة الشيخ الشهير بافتادة أفندي: لا مقام أشرف من الجامع الكبير ببروسة بعد الكعبة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف وقال: كان هو موضع بيت عجوز آمنت بنوح النبي عليه السلام فحفظها الله من الطوفان في ذلك البيت حين لم تدرك السفينة هكذا ظهر لبعض أهل الله بطريق الكشف ومن اشتغل فيه صانه الله من طوفان الغفلة. وقال أيضاً: الاشتغال في مكة يوماً يقوم مقام الاشتغال في سائر البلاد سنة بشرط رعاية آدابها قال وفي بلادنا للشغل موضعان أحدهما جامع السيد البخاري ببلدة بروسة والآخر مقام أبي أيوب الأنصاري بقسطنطينية.

عابدان اندر نماز وعارفان اندر نياز
عاشقان ازشوق وصل يار در سوز وكداز

اللهم اجعلنا من المشغولين بك.

﴿**ولله المشرق والمغرب**﴾ يريد بهما ناحيتي الأرض إذ لا وجه لإرادة موضعي الشروق والغروب بخصوصهما أي: له الأرض كلها لا يختص به من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان منها دون مكان فإن منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو الأقصى فقد جعلت لكم الأرض مسجداً ﴿**فأينما تولوا**﴾ أي: ففي أي: مكان فعلتم تولية وجوهكم القبلة. قال الإمام ولي إذا أقبل وولي إذا أدبر وهو من الأضداد والمراد هٰهنا الإقبال ﴿**فثم وجه الله**﴾ أي: هناك جهته التي أمر بها ورضيها قبلة فإن إمكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد أو مكان دون آخر أو فثمة ذاته بمعنى الحضور العلمي فيكون الوجه مجازاً من قبيل إطلاق اسم الجزء على الكل والمعنى ففي أي: مكان فعلتم التولية فهو موجود فيه يمكنكم الوصول إليه إذ ليس هو جوهراً أو عرضاً حتى يكون بكونه في جانب مفرغاً جانباً ولما امتنع عليه أن يكون في مكان أريد أن علمه محيط بما يكون في جميع الأماكن والنواحي أي: فهو عالم بما يفعل فيه ومثيب لكم على ذلك وفي الحديث «لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله»

معناه إن علم الله شمل جميع الأقطار فالتقدير لهبط على علم الله والله تعالى منزه عن الحلول في الأماكن لأنه كان قبل أن يحدث الأماكن كذا في «المقاصد الحسنة».

واعلم أن أين شرط في الأمكنة وهو هٰهنا منصوب بتولوا وما مزيدة للتأكيد وثم ظرف مكان بمنزلة هناك تقول لما قرب من المكان هنا ولما بعد ثم وهناك وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدأ والجملة في محل الجزم على أنها جواب الشرط ﴿إن الله واسع﴾ بإحاطته بالأشياء ملكاً وخلقاً فيكون تذييلاً لقوله ولله المشرق والمغرب وكذا إن فسرت السعة بسعة الرحمة فإن قوله ولله المشرق والمغرب لما اشتمل على معنى قولنا لا تختص العبادة والصلاة ببعض المساجد بل الأرض كلها مسجد لكم فصلوا في أي: بقعة شئتم من بقاعها فهم منه أنه واسع الشريعة بالترخيص والتوسعة على عباده في دينهم لا يضطرهم إلى ما يعجزون عن أدائه والمقصود التوسعة على عباده والتيسير عليهم في كل ما يحتاجون إليه فيدخل فيه التوسعة في أمر القبلة دخولاً أولوياً وهذا التعميم مستفاد من إطلاق واسع حيث لم يقيد بشيء دون شيء.

قال الغزالي في شرح الأسماء الحسنى: الواسع مشتق من السعة والسعة تضاف مرة إلى العلم إذا اتسع وأحاط بالمعلومات الكثيرة وتضاف أخرى إلى الإحسان وبسط النعم وكيفما قدر وعلى أي: شيء نزل فالواسع المطلق هو الله تعالى لأنه إن نظر إلى علمه فلا ساحل لبحر معلوماته بل تنفد البحار لو كانت مداداً لكلماته وإن نظر إلى إحسانه ونعمه فلا نهاية لمقدوراته وكل سعة وإن عظمت فتنتهي إلى طرف والذي لا يتناهى إلى طرف فهو أحق باسم السعة والله تعالى هو الواسع المطلق لأن كل واسع بالإضافة إلى ما هو أوسع منه ضيق وكل سعة تنتهي إلى طرف فالزيادة عليها متصورة وما لا نهاية له ولا طرف فلا يتصور عليه زيادة وسعة العبد في معارفه وأخلاقه فإن كثرت علومه فهو واسع بقدر سعة علمه وإن اتسعت أخلاقه حتى لم يضيقها خوف الفقر وغيظ الحسود وغلبة الحرص وسائر الصفات المذمومة فهو واسع وكل ذلك فهو إلى نهاية وإنما الواسع المطلق هو الله تعالى. قال في «المثنوي»:

أي سك كركين زشت از حرص وجوش ... پوستين شير را بر خود مپوش

غرة شيرت بخواهد امتحان ... نقش شير و انكه أخلاق سكان

﴿عليم﴾ بمصالحهم وأعمالهم كلها وهذا لا يخلو عن إفادة التهديد ليكون المصلي على حذر من التفريط والتساهل كما أنه يتضمن الوعد بتوفية ثواب المصلين في جميع الأماكن فقد ظهر أن هذه الآية مرتبطة بقوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله﴾ الآية وأن المعنى أن بلاد الله أيها المؤمنون تسعكم فلا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله إن تولوا وجوهكم نحو قبلة الله أينما كنتم من أرضه. وقال مجاهد والحسن لما نزل ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] قالوا: أين ندعوه فأنزل الله ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ بلا جهة وتحيز. إن قيل ما معنى رفع الأيدي إلى السماء عند الدعاء مع أنه تعالى منزه عن الجهة والمكان، قلنا: إن الأنبياء والأولياء قاطبة فعلوا كذلك لا بمعنى أن الله في مكان بل بمعنى أن خزائنه تعالى في السماء كما قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: ٢٢] وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١] فالعرش مظهر لاستواء الصفة الرحمانية فرفع الأيدي إذاً إلى السماء والنظر إليها وقت الدعاء

بمنزلة أن يشير سائل إلى الخزينة السلطانية ثم يطلب من السلطان أن يعطي له عطاء من تلك الخزينة.

- يروى - أن إمام الحرمين رفع الله درجته في الدارين: نزل ببعض الأكابر ضيفاً فاجتمع عنده العلماء والأكابر فقام واحد من أهل المجلس فقال: ما الدليل على تنزهه تعالى عن المكان وهو قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] فقال الدليل عليه: قول يونس عليه السلام في بطن الحوت ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فتعجب منه الناظرون فالتمس صاحب الضيافة بيانه فقال الإمام هٰهنا فقير مديون بألف درهم ادِّ عنه دينه حتى أبينه فقبل صاحب الضيافة دينه فقال: إن رسول الله ﷺ لما ذهب في المعراج إلى ما شاء الله من العلى قال: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» ولما ابتلى يونس عليه السلام بالظلمات في قعر البحر ببطن الحوت قال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فكل منهما خاطبه بقوله: أنت هو خطاب الحضور فلو كان هو في مكان لما صح ذلك فدل ذلك على أنه ليس في مكان وفي الحديث «لا تفضلوني على يونس بن متى فإنه رأى في بطن الحوت ما رأيته في أعلى العرش» يشير عليه السلام بذلك إلى ما وقع له وليونس عليه السلام من تجلي الذات وقيل: نزلت الآية لما طعن اليهود في نسخ القبلة.

- روي - أنه عليه السلام كان يصلي بمكة مع أصحابه إلى الكعبة فلما هاجر إلى المدينة أمره الله أن يصلي نحو بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود فصلى نحوه ستة عشر شهراً وكان يقع في روعه ويتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة لأنها قبلة أبيه إبراهيم وأقدم القبلتين وادعى للقرب إلى الإيمان كما قال الله تعالى: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ﴾ [البقرة: ١٤٤] وذلك في مسجد بني سلمة فصلى الظهر ولما صلى الركعتين نزل قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾ [البقرة: ١٤٤] فتحول في الصلاة فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين فلما تحولت القبلة أنكر من أنكر فكان هذا ابتلاء من الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ١٤٣] اللهم اهدنا وسددنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فللمؤمن حقاً أن يعتصم بالله ويدور مع الأمر الإلهي حيث يدور ويتبع الرسل ولا يتبع عقله العاجز وفمه القاصر ويتعلم الأدب من معدن الرسالة حيث لم يسأل تحويل القبلة بل انتظر إلى أمر الله فأكرمه الله بإعطاء مرامه وفضله على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

اعلم أن الذين شقت عليهم التحويلة طائفتان محجوبتان بالخلق عن الحق:

أما الطائفة الأولى: فقد عرفت أن التحويلة من الكعبة إلى بيت المقدس كانت صورة العروج من مقام المكاشفة أعني مقام القلب إلى مقام المشاهدة أعني مقام الروح فحسبوا التحويلة من بيت المقدس إلى الكعبة بعد أبعد القرب ونزولاً بعد العروج وظنوا ضياع السعي إلى المقام الأشرف والسقوط عن الرتبة فشق عليهم ولم يعلموا أنه صورة الرجوع إلى مقام القلب حالة التمكين للدعوة ومشاهدة الجمع في عين التفصيل والتفصيل في عين الجمع حتى لا يحتجب العبد بالوحدة عن الكثرة ولا بالكثرة عن الوحدة.

وأما الطائفة الثانية: فتقيدوا بصورة عملهم ولم يعرفوا حكمة التحويلة فحسبوا صحة العبادة الثانية دون الأولى فشق عليهم ضياعها على ما توهموا. وأما الذين سبقت لهم من الله الحسنى فلم يحتجبوا بحجاب واهتدوا إلى ما هو الصواب فوصلوا إلى التوحيد الذاتي المحمدي اللهم اجعلنا من المهتدين واحشرنا مع الأنبياء والمرسلين.

وقال أهل التأويل: ﴿ولله المشرق والمغرب﴾ أي: عالم النور والظهور الذي هو جهة النصارى وقبلتهم بالحقيقة باطنه وعالم الظلمة والاختفاء الذي هو جهة اليهود وقبلتهم بالحقيقة ظاهره ﴿فأينما تولوا﴾ أي أي جهة توجهوا من الظاهر والباطن ﴿فثم وجه الله﴾ أي: ذاته المتجلية بجميع صفاته الجمالية والجلالية إذ بعد الإشراق على قلوبكم بالظهور فيها والتجلي لها بصفة جماله حالة شهودكم وفنائكم فيه والقروب فيها بتستره وإحجابه بصفة جلاله حالة بقائكم بعد الفناء فأي جهة توجهوا حينئذٍ فثم وجهه ليس إلا هو وحده. قال الحافظ:

ميان كعبه وبتخانه هيچ فرقي نيست بهر طرف كه نظر ميكني برابر اوست

واعلم أن شهود الحق بالخلق وشهود الخلق بالحق من غير احتجاب بأحدهما عن الآخر هو مقام جمع الجمع والبقاء وذلك لا يحصل إلا بالتجلي العيني بعد العلمي. قال حضرة الشيخ الشهير بافتادة أفندي قدس سره: وإذا أمر بالإرشاد يعود لخدمة الحق ألا يرى أن موسى عليه السلام لما وصل إلى الطور لاقتباس النار لأهله ﴿نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١١ـ ١٢] فتجلي الربوبية أولاً ثم قيل: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه: ١٢] وهما الطبيعة والنفس أمر بتركهما ثم قيل: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه: ١٣ـ ١٤] فتجلي الألوهية ثم بعدهما تجلي الذات وأمر بإرشاد فرعون فترك أهله هناك ولم يلتفت وجاء إلى فرعون وكان دخوله بمصر في نصف الليل فدق باب فرعون بعصاه امتثالاً لأمر الله تعالى قيل: إنه شابت لحية فرعون في ذلك الوقت بمهابة دقه فقال: أكنت وليداً مر بي عندنا قال موسى: نعم ولذلك دعوتك قبل الكل لسبق حقك على رعاية له فأرادوا قتله فألقى عصاه فصارت ثعباناً مبيناً فبينا عزم على ابتلاعهم فاستأمنوا فأعطاهم الأمان وكان يريد أن يؤمن ولكنه منعه هامان فبعد دعوة فرعون جاء إلى أهله فوجدها قد وضعت الحمل فأحاطتها ذئاب من أطرافها لمحافظتها فلم يقدر أن يمر من هنا مار فانظر إلى قدرة الله تعالى.

ـ روي ـ أن الإمام الأعظم والهمام الأقدم رحمه الله: لم يشتغل بالدعوة إلى مذهبه إلا بالإشارة النبوية في المنام بعدما قصد الانزواء فهذا أعدل دليل إلى وصوله إلى الحقيقة وكان يقوم كل الليل وسمع رحمه الله هاتفاً في الكعبة أن يا أبا حنيفة أخلصت خدمتي وأحسنت معرفتي فقد غفرت لك ولمن تبعك إلى قيام الساعة كذا في «عين العلم» للشيخ محمد البلخي رحمه الله. وعن بعض العارفين قبلة البشر الكعبة وقبلة أهل السماء البيت المعمور وقبلة الكروبيين الكرسي وقبلة حملة العرش العرش ومطلوب الكل وجه الله سبحانه وتعالى.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾

﴿وقالوا﴾ نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله فضمير قالوا: راجع إلى الفرق الثلاث المذكورة سابقاً أما اليهود والنصارى

فقد ذكروا صريحاً وأما المشركون فقد ذكروا بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ﴾ [البقرة: ١١٣] أي: قال اليهود والنصارى وما شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون ﴿اتخذ الله ولداً﴾ الاتخاذ إما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى إلا إلى واحد وإما بمعنى التصيير والمفعول الأول محذوف أي: صير بعض مخلوقاته ولداً وادعى أنه ولده لا أنه ولده حقيقة وكما يستحيل عليه تعالى أن يلد حقيقة كذا يستحيل عليه التبني واتخاذ الولد فنزه الله تعالى نفسه عما قالوا في حقه فقال: ﴿سبحانه﴾ تنزيهه والأصل سبحه سبحاناً على أنه مصدر بمعنى التسبيح وهو التنزيه أي: منزه عن السبب المقتضي للولد وهو الاحتياج إلى من يعينه في حياته ويقوم مقامه بعد مماته وعما يقتضيه الولد وهو التشبيه فإن الولد لا يكون إلا من جنس والده فكيف يكون للحق سبحانه ولد وهو لا يشبهه شيء. قال في «المثنوي»:

لم يلد لم يولد است او از قدم نى پدر دارد نه فرزندو نه عم

﴿بل له ما في السموات والأرض﴾ ردّ لما قالوه واستدلال على فساده فإن الإضراب عن قول المبطلين معناه الرد والإنكار. وفي «الوسيط» بل أي: ليس الأمر كما زعموا والمعنى أنه خالق ما في السموات والأرض جميعاً الذي يدخل فيه الملائكة وعزير والمسيح دخولاً أولياء فكان المستفاد من الدليل أن يكون شيء ما مما في السموات والأرض ولداً سواء كان ذلك ما زعموا أنه ولد له أم لا ﴿كل﴾ أي: كل ما فيهما كائناً ما كان من أولي العلم وغيرهم ﴿له﴾ أي: لله سبحانه وتعالى: ﴿قانتون﴾ منقادون لا يمتنع شيء منهم على مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لأنه من حق الولد أن يجانس والده وإنما عبر عن جميع الموجودات أولاً بما يعبر به عن غير ذوي العلم وعبر عنه آخر بما يختص بالعقلاء وهو لفظ قانتون تحقيقاً لشأن العقلاء الذين جعلوه ولداً لله سبحانه.

﴿بديع السموات والأرض﴾ أي: هو مبدعهما على أن البديع بمعنى المبدع وهو الذي يبدع الأشياء أي: يحدثها أو ينشئها على غير مثال سبق والإبداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة أي: من غير مادة ومدة وسمي صاحب الهوى مبتدعاً لما لم يسبقه أحد من أرباب الشرع في إنشاء مثل ما فعله أو المعنى بديع سمواته وأرضه فعلى الأول من أبدع والإضافة معنوية وعلى الثاني من بدع إذا كان على شكل فائق وحسن رائق والإضافة لفظية وهو حجة أخرى لإبطال مقالتهم الشنعاء تقريرها أن الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله تعالى مبدع الأشياء كلها على الإطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والداً ومن قدر على خلق السموات والأرض من غير شيء كيف لا يقدر على خلق عيسى من غير أب ﴿وإذا قضى أمراً﴾ أي: أراد شيئاً وأصل القضاء الأحكام أطلق على إرادة الإلّهية المتعلقة بوجود الشيء لإيجابها إياه ألبتة. ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ أي: يحصل في الوجود سريعاً من غير توقف ولا إباء كلاهما من كان التامة أي: أحدث فيحدث. واعلم أن أهل السنة لا يرون تعلق وجود الأشياء بهذا الأمر وهو كن بل وجودها متعلق بخلقه وإيجاده وتكوينه وهو صفة أزلية وهذا الكلام عبارة عن سرعة حصول المخلوق بإيجاده وكمال قدرته على ذلك لكن لا يتعلق علم أحد بكيفية تعلق القدرة بالمعدومات فيجب الإمساك عن بحثها وكذا عن بحث كيفية وجود الباري وكيفية العذاب بعد الموت وأمثالها فإنها من الغوامض.

ثم اعلم أن السبب في هذه الضلالة وهي نسبة الولد إلى الله والقول بأنه اتخذ ولداً أن

أرباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون على الباري تعالى اسم الأب وعلى الكبير منهم اسم الإله حتى قالوا إن الأب هو الرب الأصغر وأن الله تعالى هو الأب الأكبر وكانوا يريدون بذلك أنه تعالى هو السبب الأول في وجود الإنسان وأن الأب هو السبب الأخير في وجوده فإن الأب هو معبود الابن من وجه أي: مخدومه ثم ظنت الجهلة منهم أن المراد به معنى الولادة الطبيعية فاعتقدوا ذلك تقليداً ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقاً أي: سواء قصد به معنى السببية أو معنى الولادة الطبيعية حسماً لمادة الفساد واتخاذ الحبيب أو الخليل جائز من الله تعالى لأن المحبة تقع على غير جوهر المحب. قالوا: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام ولدتك وأنت نبي فخفف النصارى التشديد الذي في ولدتك لأنه من التوليد وصحفوا بعض إعجام النبي بتقديم الباء على النون فقالوا: ولدتك وأنت بني تعالى الله عما يقول الظالمون وقال تعالى: يا أحبائي ويا أبناء رسلي فغيره اليهود وقالوا: يا أحبائي ويا أبنائي فكذبهم الله بقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة: ١٨] فالله سبحانه منزه عن الحدود والجهات ومتعال عن الأزواج والبنين والبنات ليس كمثله شيء في الأرض ولا في السموات قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: «كذبني ابن آدم» أي: نسبني إلى الكذب «ولم يكن له ذلك» أي: لم يكن التكذيب لائقاً به بل كان خطأ «وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فزعم أن لا أقدر أن أعيده كما كان وأما شتمه إياي فقوله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً» وإنما كان هذا شتماً لأن التولد هو انفصال الجزء عن الكل بحيث ينمو وهذا إنما يكون في المركب وكل مركب محتاج. فإن قلت قولهم اتخذ الله تكذيب أيضاً لأنه تعالى أخبر أنه لا ولد له وقولهم لن يعيدنا شتم أيضاً لأنه نسبة له إلى العجز فلم خص أحدهما بالشتم والآخر بالتكذيب. قلت: نفي الإعادة نفي صفة كمال واتخاذ الولد إثبات صفة نقصان له والشتم فحش من التكذيب والكذب على الله فوق الكذب على النبي عليه السلام وفي الحديث «إن كذباً علي ليس ككذب على أحد» يعني الكذب على النبي أعظم أنواع الكذب سوى الكذب على الله لأن الكذب على النبي يؤدي إلى هدم قواعد الإسلام وإفساد الشريعة والأحكام «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» فعلى المؤمن أن يجتنب عن الزيغ والضلال وأشنع الفعال وأسوأ المقال وأن يداوم على التوحيد في الأسحار والآصال إلى أن لا يبقى للشرك الخفي أيضاً مجال وفي الحديث «لو يعلم الأمير ماله في ذكر الله لترك إمارته ولو يعلم التاجر ما له في ذكر الله لترك تجارته ولو أن ثواب تسبيحة قسم على أهل الأرض لأصاب كل واحد منهم عشرة أضعاف الدنيا» وفي الحديث «للمؤمن حصون ثلاثة: ذكر الله وقراءة القرآن والمسجد» والمراد بالمسجد مصلاه سواء كان في بيته أو في الخارج ولا بد من الصدق والإخلاص حتى يظهر أثر التوحيد في الملك والملكوت. قال في «المثنوي»:

هست تسبيحت بخار آب وكل ... مرغ جنت شد زنفخ صدق دل

اللهم أوصلنا إلى اليقين وهيىء لنا مقاماً من مقامات التمكين آمين.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾

﴿وقال الذين لا يعلمون﴾ أي مشركو العرب الجاهلون حقيقة أو أهل الكتاب المتجاهلون ونفى عنهم العلم لعدم انتفاعهم بعلمهم لأن المقصود هو العمل. ﴿لولا يكلمنا الله﴾ لولا هنا للتحضيض وحروف التحضيض إذا دخلت على المضي كان معناها التوبيخ واللوم على ترك الفعل بمعنى لم لم يفعله ومعناها في المضارع تحضيض الفاعل على الفعل والطلب له في المضارع بمعنى الأمر والمعنى هلا يكلمنا الله عياناً بأنك رسوله كما يكلم الملائكة بلا واسطة أو يرسل إلينا ملكاً ويكلمنا بواسطة ذلك الملك أنك رسوله كما كلم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على هذا الوجه وهذا القول من الجهلة استكبار يعنون به نحن عظماء كالملائكة والنبيين فلم اختصوا به دوننا. ﴿أو﴾ للتخيير ﴿تأتينا آية﴾ حجة تدل على صدقك وهذا جحود منهم لأن يكون ما أتاهم من القرآن وسائر المعجزات آيات والجحود هو الإنكار مع العلم والعجب أنهم عظموا أنفسهم وهي أحقر الأشياء واستهانوا بآيات الله وهي أعظمها. ﴿كذلك قال الذين من قبلهم﴾ من الأمم الماضية ﴿مثل قولهم﴾ فقال اليهود لموسى عليه السلام: أرِنا الله جهرة ولن نصبر على طعام واحد ونحوه وقال النصارى لعيسى عليه السلام: هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ ونحوه وقوله كذلك قال مع قوله ﴿مثل قولهم﴾ على تشبيهين تشبيه المقول بالمقول في المؤدي والمحصول وتشبيه القول بالقول في الصدور بلا رؤية بل بمجرد التشهي واتباع الهوى والاقتراح على سبيل التعنت والعناد لا على سبيل الإرشاد وقصد الجدوى وكاف في كذلك منصوب المحل على أنه مفعول قال وقوله مثل قولهم مفعول مطلق أي: قال كفار الأمم الماضية مثل ذلك القول الذي قالوه قولاً مثل قولهم فيما ذكر فظهر أن أحد التشبيهين لا يغني عن الآخر. ﴿تشابهت قلوبهم﴾ أي: تماثلت قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والقسوة والعناد وهو استئناف على وجه تعليل تشابه مقالتهم بمقالة من قبلهم فإن الألسنة ترجمان القلوب والقلب إن استحكم فيه الكفر والقسوة والعمى والسفه والعناد لا يجري على اللسان إلا ما ينبىء عن التعلل والتباعد عن الإيمان كما قيل:

مـرد پـنـهـان بـود بـزيـر زبـان چـون بـكـويـد سـخـن بـدانـنـدش
خـوب كـويـد لـبـيـب كـويـنـدش زشـت كـويـد سـيـفـه خـوانـنـدش

﴿قد بينا الآيات﴾ أي: أنزلناها بينة بأن جعلناها كذلك في أنفسها كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لا أنا بيناها بعد أن لم تكن بينة ﴿لقوم يوقنون﴾ أي: يطلبون اليقين واليقين أبلغ العلم وأوكده بأن يكون جازماً أي: غير محتمل للنقيض وثابتاً أي: غير زائل بالتشكيك بعد أن يكون مطابقاً للواقع فالإيقان هنا مجاز عن طلب اليقين على طريق ذكر المسبب وإرادة السبب ولا بعد في نصب الدلائل لطلاب اليقين ليحصلوه بها وإنما حمل على المجاز لأن الموقن بالمعنى المذكور لا يحتاج إلى نصب الدلائل وبيان الآيات فبيان الآيات له طلب لتحصيل الحاصل.

﴿إنا أرسلناك﴾ حال كونك ملتبساً ﴿بالحق﴾ مؤيداً به والمراد الحجج والآيات وسميت به لتأديتها إلى الحق ﴿بشيراً﴾ حال كونك مبشراً لمن اتبعك بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد ﴿ونذيراً﴾ أي: منذراً ومخوفاً لمن كفر بك وعصاك والمعنى أن شأنك بعد إظهار صدقك في دعوى الرسالة بالدلائل والمعجزات ليس إلا الدعوة والإبلاغ

بالتبشير والإنذار لا أن تجبرهم على القبول والإيمان فلا عليك إن أصروا على الكفر والعناد فإن الأحوال أوصاف لذي الحال والأوصاف مقيدة للموصوف ﴿**ولا تسأل عن أصحاب الجحيم**﴾ ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت والجحيم المكان الشديد الحر وقرىء ولا تسأل بفتح التاء وجزم اللام على أنه نهي لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن السؤال عن حال أبويه على ما روي أنه عليه السلام قال: «ليت شعري ما فعل أبواي» أي: ما فعل بهما وإلى أي: حال انتهى أمرهما فنزلت.

واعلم أن السلف اختلفوا في أن أبوي النبي ﷺ هل ماتا على الكفر أو لا؟ ذهب إلى الثاني جماعة متمسكين بالأدلة على طهارة نسبه عليه الصلاة والسلام من دنس الشرك وشين الكفر وعبادة قريش صنماً وإن كانت مشهورة بين الناس لكن الصواب خلافه لقول إبراهيم عليه السلام ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وقوله تعالى في حق إبراهيم ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨] وذهب إلى الأول جمع منهم صاحب «التيسير» حيث قال ولما أمر رسول الله ﷺ بتبشير المؤمنين وإنذار الكافرين كان يذكر عقوبات الكفار فقام رجل فقال: يا رسول الله أين والدي فقال في النار فحزن الرجل فقال عليه السلام: «إن والديك ووالدي ووالدي إبراهيم في النار» فنزل قوله تعالى: ﴿**ولا تسأل عن أصحاب الجحيم**﴾ فلم يسألوه شيئاً بعد ذلك وهو كقوله ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] وذهب نفر من هذا الجمع بنجاتهما من النار منهم الإمام القرطبي حيث قال في «التذكرة» إن عائشة رضي الله عنها قالت: حج بنا رسول الله ﷺ حجة الوداع فمر على عقبة الحجون وهو باكٍ حزين مغتم فبكيت لبكاء رسول الله ﷺ ثم إنه ظفر فنزل فقال: «يا حميراء استمسكي» أي زمام الناقة فاستندت إلى جنب البعير فمكث عني طويلاً ثم إنه عاد إلي وهو فرح متبسم فقلت له بأبي أنت وأمي يا رسول الله نزلت من عندي وأنت باكٍ حزين مغتم فبكيت لبكائك يا رسول الله؟ ثم إنك عدت إلي وأنت فرح متبسم فعما ذا يا رسول الله فقال: «ذهبت لقبر آمنة أمي فسألت الله ربي أن يحييها فأحياها فآمنت» وروي أن الله أحيا له أباه وأمه وعمه أبا طالب وجده عبد المطلب قال الحافظ شمس الدين الدمشقي:

حبا الله النبي مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا أباه ... لإيمان به فضلاً لطيفا
فسلم فالقديم به قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفا

وفي «الأشباه والنظائر»: من مات على الكفر أبيح لعنه إلا والدي رسول الله ﷺ لثبوت أن الله تعالى أحياهما له حتى آمنا كذا في «مناقب الكردي». وذكر أن النبي عليه السلام بكى يوماً بكاء شديداً عند قبر أبويه وغرس شجرة يابسة وقال: «إن اخضرت فهو علامة إمكان إيمانهما» فاخضرت ثم خرجا من قبرهما ببركة دعاء النبي ﷺ وأسلما ثم ارتحلا. قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره ومما يدل على ذلك أن اسم أبيه كان عبد الله والله من الأعلام المختصة بذاته تعالى لم يسم به صنم في الجاهلية فإن اسم بعض أصنامهم اللات وبعضها العزى انتهى كلامه وليس إحياهما وإيمانهما به ممتنعاً عقلاً ولا شرعاً وقد ورد في الكتاب إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى وكذلك

نبينا عليه السلام أحيا الله على يديه جماعة من الموتى وإذا ثبت هذا فما يمنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضيلته وما روي من أنه عليه السلام زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: «استأذنت في أن استغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنت في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت» فهو متقدم على إحيائهما لأنه كان في حجة الوداع ولم يزل عليه السلام راقباً في المقامات السنية صاعداً في الدركات العلية صاعداً في الدرجات العلية إلى أن قبض الله روحه الطاهرة فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له عليه السلام بعد أن لم تكن. فإن قلت الإيمان لا يقبل عند المعاينة فكيف بعد الإعادة. قلت: الإيمان عند المعاينة إيمان يأس فلا يقبل بخلاف الإيمان بعد الإعادة وقد دل على هذا ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] وورد أن أصحاب الكهف يبعثون في آخر الزمان ويحجون ويكونون من هذه الأمة تشريفاً لهم بذلك وورد مرفوعاً «أصحاب الكهف أعوان المهدي فقد اعتد بما يفعله أصحاب الكهف بعد إحيائهم من الموت» ولا بدع أن يكون الله تعالى كتب لأبوي النبي عمراً ثم قبضهما قبل استيفائه ثم أعادهما لاستيفائه تلك اللحظة الباقية وآمنا فيها فيعتد به وتكون تلك البقية بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الإيمان من جملة ما أكرم الله تعالى به نبيه ﷺ كما أن تأخير أصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما أكرموا به ليجوزوا شرف الدخول في هذه الأمة.

وذهب خاتمة الحفاظ والمحدثين الإمام السخاوي في هذه المسألة إلى التوقف حيث قال في «المقاصد الحسنة» بعدما أورد الشعر المذكور للحافظ الدمشقي وقد كتبت فيه جزءاً والذي أراه الكف عن التعرض لهذا إثباتاً ونفياً انتهى.

وسئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد الأئمة المالكية عن رجل قال إن آباء النبي عليه السلام في النار فأجاب بأنه ملعون لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧] وفي الحديث «لا تؤذوا الأحياء بسبّ الأموات» وسئل الإمام الرستغفي عن قول بعض الناس عن آدم عليه السلام لما بدت منه تلك الزلة أسود منه جميع جسده فلما أهبط إلى الأرض أمر بالصيام والصلاة فصام وصلى فابيض جسده أيصح هذا القول قال لا يجوز في الجملة القول في الأنبياء عليهم السلام بشيء يؤدي إلى العيب والنقصان فيهم وقد أمرنا بحفظ اللسان عنهم لأن مرتبتهم أرفع وهم على الله أكرم وقد قال عليه السلام: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا» فلما أمرنا أن لا نذكر الصحابة رضي الله عنهم بشيء يرجع إلى العيب والنقص فلأن نمسك ونكف عن الأنبياء أولى وأحق فحق المسلم أن يمسك لسانه عما يخل بشرف نسب نبينا عليه السلام ليست من الاعتقاديات فلاحظ للقلب منها وأما اللسان فحقه أن يصان عما يتبادر منه النقصان خصوصاً إلى وهم العامة لأنهم لا يقدرون على دفعه وتداركه فهذا هو البيان الشافي في هذا الباب بطرقه المختلفة التقطته من الكتب النفيسة وقرنت كل نظير إلى مثله والحمد لله تعالى وحده.

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ إقناط له عليه السلام من طمعه

في إسلامهم حيث علق رضاهم عنه بما لا سبيل إليه ولا يستحيل وجوده وإذا لم يرضوا عنه فكيف يتبعون ملته أي: دينه أي: لن ترضى عنك اليهود إلا بالتهود إلى قبلتهم وهي المغرب ولا النصارى إلا بالتنصر والصلاة إلى قبلتهم وهي المشرق ووحد الملة لأن الكفر ملة واحدة وهذه حكاية لمقالتهم بأن قالوا لن نرضى عنك حتى تتبع ملتنا وادعوا بتلك المقالة أن ملتهم هي الهدى لا ما سواها فأمره الله تعالى بقوله: ﴿**قل**﴾ أن يرد عليهم بطريق قصر القلب ويقول: ﴿**إن هدى الله**﴾ الذي هو الإسلام ﴿**هو الهدى**﴾ إلى الحق لا ما تدعون إليه من الملة الزائغة فإنها هوى كما يعرب عنه قوله تعالى: ﴿**ولئن اتبعت أهواءهم**﴾ أي: آراءهم الزائغة الصادرة عنهم بقضية شهوات أنفسهم وهي التي عبر عنها فيما قبل بملتهم إذ هي التي ينتمون إليها.

وأما ما شرعه الله من الشريعة على لسان الأنبياء عليهم السلام وهو المعنى الحقيقي للملة فقد غيروها تغييراً. والأهواء جمع هوى وهو رأي عن شهوة داع إلى الضلال وسمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل واهية وفي الآخرة إلى الهاوية وإنما قال أهواءهم بلفظ الجمع ولم يقل أهواءهم تنبيهاً على أن لكل واحد هوى غير هوى الآخر ثم هوى كل واحد منهم لا يتناهى فلذلك أخبر أنه لا يرضى الكل إلا باتباع أهواء الكل.

واعلم أن الطريقة المشروعة تسمى ملة باعتبار أن الأنبياء الذين أظهروها قد أملوها وكتبوها لأمتهم كما أنها تسمى ديناً باعتبار طاعة العباد لمن سنها وانقيادهم لحكمه وتسمى أيضاً شريعة باعتبار كونها مورداً للمتعطشين إلى زلال ثوابه ورحمته والخطاب في قوله ﴿**ولئن اتبعت**﴾ متوجه إلى النبي عليه السلام في الحقيقة.

وما قيل من إنه تعالى حكم بعصمة الأنبياء وعلم منهم أنهم لا يعصون له ولا يخالفون أمره ولا يرتكبون ما نهى عنه فكانت عصمتهم واجبة فلا وجه لتحذيرهم عن اتباع هوى الكفرة فوجب أن يكون التحذير متوجهاً إلى الأمة لا إلى أنفسهم. فالجواب عنه أن التكليف والتحذير إنما يعتمد على كون المكلف به محتملاً ومتصوراً في ذاته من حيث تحقق ما يتوقف عليه وجوده من الآلات والقوى والامتناع الحاصل من حكمه تعالى بعصمتهم وعلمه بها امتناع بالغير وهو لا ينافي الإمكان الذاتي هو شرط التكليف والتحذير ﴿**بعد الذي جاءك من العلم**﴾ أي: القرآن الموحى إليك وهو حال من ضمير جاءك ﴿**ما لك من الله**﴾ أي: من جهته العزيزة وهو جواب لئن ﴿**من ولي**﴾ أي: قريب ينفعك من الولي وهو القرب ﴿**ولا نصير**﴾ يدفع عنك عقابه والفرق بين الولي والنصير العموم والخصوص من وجه لأن الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبياً عن المنصور كما يكون من أقرباء المنصور وهو مادة اجتماعهما وقوله ﴿**من ولي**﴾ مرفوع على الابتداء ولك خبره ومن صلة وقوله ﴿**من الله**﴾ منصوب المحل على أنه حال لأنه لما كان متقدماً على قوله من ولي امتنع أن يكون صفة له ونظيره قوله:

لـعـزة مـوحـشـاً طـلـل قـديـم

ولما ذكر قبائح المتعنتين الطالبين للرياسة من اليهود والنصارى اتبع ذلك بمدح من ترك طريق التعنت وحب الرياسة منهم وطلب مرضاة الله وحسن ثواب الآخرة وآثره على الحظوظ العاجلة الفانية فقال تعالى: ﴿**الذين آتيناهم الكتاب**﴾ يريد مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه من الذين أسلموا من اليهود وإنما خصهم بذكر الإيتاء لأنهم هم الذين عملوا به فخصوا به والكتاب التوراة ﴿**يتلونه حق تلاوته**﴾ بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر في معانيه

والعمل بما فيه وهو حال مقدرة من الضمير المنصوب في آتيناهم أو من الكتاب لأنهم لم يكونوا تالين له وقت الإتيان. وقوله حق تلاوته نعت لمصدر محذوف دل عليه الفعل المذكور أي: يتلونه تلاوة حق تلاوته واختار الكواشي كونه منصوباً على المصدرية على تقدير تلاوة حقاً فإن نعت المصدر إذا قدم عليه وأضيف إليه نصب المصادر نحو ضربت أشد الضرب بنصب أشد على المصدرية ﴿أولئك﴾ الموصوفون بإيتاء الكتاب وتلاوته كما هو حقه وهو مبتدأ ثان خبره قوله تعالى: ﴿يؤمنون به﴾ أي: بكتابهم دون المحرفين فإن بناء الفعل على المبتدأ وإن كان اسماً ظاهراً يفيد الحصر مثل الله يستهزىء بهم ﴿ومن يكفر به﴾ أي: بالكتاب سواء كان كفره بنفس التحريف أو بغيره كالكفر بالكتاب الذي يصدقه ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ أي: الهالكون المغبونون حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ ومن جملتها التوراة وذكر النعمة إنما يكون بشكرها وشكرها الإيمان بجميع ما فيها ومن جملته نعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن ضرورة الإيمان بها الإيمان به ﷺ ﴿و﴾ اذكروا ﴿أني فضلتكم على العالمين﴾ أي: عالمي زمانكم.

﴿واتقوا﴾ إن لم تؤمنوا ﴿يوماً﴾ أي: عذاب يوم وهو يوم القيامة ﴿لا تجزي﴾ تقول جزى عني هذا الأمر يجزي كما تقول قضى عني يقضي وزناً ومعنى أي: لا تقضي في ذلك اليوم ﴿نفس﴾ من النفوس ﴿عن نفس﴾ أخرى ﴿شيئاً﴾ من الحقوق التي لزمتها أي: لا تقضي نفس ليس عليها شيء من الحقوق التي وجبت على نفس أخرى أي: لا تؤخذ نفس بذنب أخرى ولا تدفع عنها شيئاً وأما إذا كان عليها شيء فإنها تجزي وتقضي بغير اختيارها بما لها من حسناتها ما عليها من الحقوق كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرض أو غيره فليستحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه» ﴿ولا يقبل منها﴾ أي: من النفس الأولى ﴿عدل﴾ أي: فداء وهو بفتح العين الفدية وهي ما يماثل الشيء قيمة وإن لم يكن من جنسه والعدل بالكسر ما يساوي الشيء في الوزن والجرم من جنسه والمعنى لا يؤخذ منها فدية تنجو بها من النار ولا تجد ذلك لتفتدى به وسميت الفدية عدلاً لأنها تعادل ما يقصد إنقاذه وتخليصه يقال فداه إذا أعطى فداءه فأنقذ ﴿ولا تنفعها شفاعة﴾ إن شفعت للنفس الثانية ﴿ولا هم ينصرون﴾ أي: يمنعون من عذاب الله تعالى.

واعلم أن المستوجب للعذاب يخلص منه في الدنيا بأحد أربعة أمور: إما بأن ينصره ناصر قوي فيخلصه ويدفع العذاب عنه قهراً أو بأن يفديه أي: بأن يعطي أحد أشياء غير ما عليه من الحق وذلك الشيء هو الفدية وهو الفداء فأنقذه به فالله تعالى بين هول يوم القيامة بأن نفى أن يدفع العذاب أحد عن أحد بشيء من هذه الوجوه المحتملة في الدنيا. قال السعدي قدس سره:

قيامت كه نيكان بأعلى رسند ز قعر ثرى بر ثريا رسند
ترا خود بماند سر ازننك پيش كه كردت بر آيد عملهاي خويش
برادر ز كار بدان شرم دار كه در روى نيكان شوى شرمسار
دران روز كزفعل پرسند وقول اولو العزم راتن بلرزد زهول
بجايي كه دهشت خورد أنبيا تو عذر كنه را چه داري بيا

ثم اعلم أن الله تعالى بدأ قصة بني إسرائيل بهاتين الآيتين ففي الآية الأولى تذكير النعمة وفي الأخرى تخويف العقوبة وبهما ختم القصة مبالغة في النصح وإيذاناً بأن المقصود من القصة ذلك ودل قوله تعالى: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ على قبح الصحبة بأهل الهوى والبدع والاتباع لهم في أقوالهم وأفعالهم وفي الحديث «من اتبع قوماً على أعمالهم حشر في زمرتهم» أي: في جماعتهم «وحوسب يوم القيامة بحسابهم وإن لم يعمل بأعمالهم» وربما يكون للإنسان شركة أي: في إثم القتل والزنى وغيرهما إذا رضي به من عامل واشتد حرصه على فعله وفي الحديث «من حضر معصية فكرهها فكأنما غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن حضرها» وحضور مجلس المعصية إذا كان لحاجة أو لاتفاق جريانها بين يديه ولا يمكن دفعها فغير ممنوع وأما الحضور قصداً فممنوع. ومن سنة السلف الصالحين الانقطاع عن مجالس أهل اللغو واللهو والمجانبة عن اتباع أهل الهوى والبدع. وروي أن ابن المبارك رئي في المنام فقيل له ما فعل ربك بك فقال: عاتبني وأوقفني ثلاثين سنة بسبب أني نظرت باللطف يوماً إلى مبتدع فقال: إنك لم تعاد عدوى في الدين فكيف حال القاعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين والمتمسك بسنة سيد المرسلين عند فساد الخلق واختلاف المذاهب والملل كان له أجر مائة شهيد وفي الحديث «سيأتي على الناس زمان تخلق فيه سنتي وتتجدد فيه البدعة فمن اتبع سنتي يومئذٍ صار غريباً وبقي وحيداً ومن اتبع بدع الناس وجد خمسين صاحباً أو أكثر» وللصحبة تأثير عظيم كما قيل:

عدوى البليد إلى البليد سريعة والجمر يوضع في الرماد فيخمد

قال الحافظ:

نخست موعظة پير مجلس اين حرفست كه از مصاحب ناجنس احتراز كنيد

﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿وإذ ابتلى إبراهيم﴾ قال القرطبي في «تفسيره»: تفسيره بالسريانية فيما ذكره الماوردي وبالعربية فيما حكى ابن عطية أب رحيم. قال السهيلي: وكثيراً ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي أو تقاربه في اللفظ ألا ترى أن إبراهيم تفسيره أب رحيم لمرحمته بالأطفال ولذلك جعل هو وسارة زوجته كافلين لأطفال المؤمنين الذين يموتون صغاراً إلى يوم القيامة. وقال في «تذكرة الموتى»: كان اسمه أبرم فزيد في اسمه هاء والهاء في السريانية التفخيم والتعظيم ﴿ربه﴾ الضمير لإبراهيم وقدم المفعول لفظاً وإن كان مؤخراً رتبة ووجه التقديم الاهتمام فإن الذهن يتشوق ويطلب معرفة المبتلى أي: واذكر وقت اختباري إبراهيم والمقصود من ذكر الوقت ذكر ما وقع فيه من الحوادث لأن الوقت مشتمل عليها فإذا استحضر كانت حاضرة

بتفاصيلها كأنها مشاهدة عياناً. والابتلاء في الأصل الاختبار أي: تطلب الخبر بحال المختبر بتعريضه لأمر يشق عليه غالباً فعله أو تركه وذلك إنما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الأمور. وأما من العليم الخبير فلا يكون إلا مجازاً عن تمكينه للعبد من اختيار أحد الأمرين ما يريد الله تعالى وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه بما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك كما علم الكفر من إبليس ولم يلعنه بعلمه ما لم يختبره بما يستوجب اللعنة به ﴿بكلمات﴾ جمع كلمه وهي اللفظ الموضوع لمعنى مفرد فيكون الكلمات عبارة عن الألفاظ المنظومة لكنها قد تطلق على المعاني التي تحتها لما بين الدال والمدلول من التضايف والمتضايفان متكافئان في الوجود التعقلي كما في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: قضية وحكمة وقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩] أي: للمعاني التي تبرز بالكلمات ﴿فأتمهن﴾ أي: قام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان ولذا قيل لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه كله إلا إبراهيم فكتب الله له البراءة فقال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: ٣٧]. وفسرت الكلمات بوجوه ذكرت في التفاسير. ومنها العشر التي هي من السنة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما هي عشر خصال كانت فرضاً في شرعه وهي سنة في شرعنا: خمس منها في الرأس وهي المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك. وخمس في البدن وهي الختان وحلق العانة ونتف الإبط وتقليم الأظفار والاستنجاء بالماء أي: غسل مكان الغائط والبول بالماء.

ولنذكر منها بعض ما يحتاج إلى البيان فنقول فرق شعر الرأس تفريقه وتقسيمه إلى نصفين وكان المشركون يفرقون أشعار رؤوسهم وأهل الكتاب يسدلون أي: يرسلون شعورهم على الجبين ويتخذونها كالقصة وهي شعر الناصية وكان النبي عليه الصلاة والسلام يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل فيه حكم لاحتمال أن يعملوا بما ذكر في كتابهم ثم نزل جبريل فأمره بالفرق.

واعلم أن أكثر حال النبي عليه الصلاة والسلام كان الإرسال وحلق الرأس منه معدود ولكن الإمام الغزالي كره الإرسال في زماننا لأنه صار شعار العلوية فإذا لم يكن علوياً كان تلبيساً. وذكر في جنايات «الذخيرة» إمساك الجعد في الغلام حرام لأنهم إنما يمسكون الجعد في الغلام للأطماع الفاسدة. وذكر أن شخصاً أحضر ولده بمجلس أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقد حلق بعض الشعر من رأسه وأبقى البعض فأمر أبو بكر رضي الله تعالى عنه بقتله فتاب واستغفر فعفا عنه. قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره ليس هذا أمراً بقتله في الحقيقة بل بيان أن من فعله يستحق القتل ومثله أنه ذكر في مجلس أبي يوسف أن النبي عليه السلام كان يحب القرع فقال رجل: أنا لا أحبه فأفتى أبو يوسف بقتله فتاب ورجع فعفا عنه.

وأما قص الشارب فهو قطعه بالمقص أي: بالمقراض وكان عليه السلام يقص شاربه كل جمعة قبل أن يخرج إلى صلاة الجمعة. قال النووي المختار فيه أن يقص حتى يبدو طرف الشفة ويكون مثل الحاجب. وفي «الإحياء»: ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر رضي الله تعالى عنه وغيره لأن ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام. وتوفير الشارب كتوفير الأظافير مندوب للمجاهد في دار الحرب وإن كان قطعهما من الفطرة وذلك ليكون أهيب في عين العدو والسنة تقصير الشارب فحلقه بدعة كحلق اللحية. وفي الحديث

«جزوا الشوارب واعفوا اللحى» الجز القص والإعفاء التوفير والترك على حالها وحلق اللحية قبيح بل مثلة وحرام وكما أن حلق شعر الرأس في حق المرأة مثلة منهي عنها وتشبه بالرجال وتفويت للزينة كذلك حلق اللحية مثلة في حق الرجال وتشبه بالنساء منهي عنه وتفويت للزينة. قال الفقهاء اللحية في وقتها جمال وفي حلقها تفويته على الكمال ومن تسبيح الملائكة سبحان من زين الرجال باللحى وزين النساء بالذوائب. وفي «الكشاف»: في مقام مدح الرجال عند قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤] وهم أصحاب اللحى والعمائم. قال في نصاب «الاحتساب»: ومن الأكساب التي يحتسب على أربابها حلق لحى الرجال ورأس النساء تشبهاً بالرجال ولا بأس بأخذ الزائد على القبضة من اللحية لأنه عليه السلام كان يأخذ من لحيته طولاً وعرضاً إذا زاد على قدر القبضة فإن الطول المفرط يشوه الحلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالنسبة إليه فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية ويكره نتف الشيب كما يفعله البعض في زماننا كرهاً للشيب وإراءة للشباب، قال الحافظ:

سواد نامة موي سياه چون طي شد ... بياض كم نشود كر صد انتخاب رود
يسود أعلاها ويبض أصلها ... ولا خير في الأعلى إذا فسد الأصل

وأما الختان فهو قطع الجلدة الزائدة من الذكر وجمهور العلماء على أن ذلك من مؤكدات السنن ومن فطرة الإسلام التي لا يسع تركها في الرجال إلا أن يولد الصبي مختوناً وقد ولد الأنبياء كلهم مختونين مسرورين أي: مقطوعي السرة كرامة لهم إلا إبراهيم خليل الله فإنه ختن نفسه ببلدة قدوم بالتخفيف والتشديد وهو ابن مائة وعشرين أو ثمانين ليستن بسنته بعده واختلفوا في الختان قيل لا يختن حتى يبلغ لأنه للطهارة ولا طهارة عليه حتى يبلغ وقيل إذا بلغ عشراً وقيل تسعاً وقيل فيما بين سبع سنين إلى عشر. قال الحدادي المستحب في وقت الختان من اليوم السابع من ولادته إلى عشر سنين ويكره الترك إلى وقت البلوغ وتوقف أبو حنيفة في وقته. واستحب العلماء في الرجل الكبير يسلم أن يختتن وإن بلغ ثمانين. وعن الحسن أنه كان يرخص للشيخ الذي يسلم أن لا يختتن ولا يرى به بأساً ولا يرد شهادته وذبيحته وحجه وصلاته. قال ابن عبد البر وعامة أهل العلم على هذا.

وأما تقليم الأظفار فهو قصها والقلامة بالضم ما يزال منها وندب قص الأظفار لأنه ربما يجنب ولا يصل الماء إلى البشرة من أجل الوسخ ولا يزال جنباً ومن أجنب فبقي موضع إبرة من جسده بعد الغسل غير مغسول فهو جنب على حاله حتى يعم الغسل جسده كله وفي الحديث «من قلم أظفاره يوم الجمعة أعاذه الله تعالى من البلايا إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام» وفي الحديث الآخر «من أراد أن يأمن من الفقر وشكاية العين فليقلم أظفاره يوم الخميس بعد العصر» قال في «المقاصد الحسنة» قص الأظفار لم يثبت في كيفيته ولا في تعيين يوم له عن النبي عليه السلام شيء وما يعزى من النظم في ذلك لعلي رضي الله تعالى عنه وهو:

تقليمك الأظفار فيه سنة وأدب ... يمينها خوابس يسارها أو خسب

فباطل عنه وقال في محل آخر حديث «من قص أظفاره مخالفاً لم ير في عينيه رمداً» هو في كلام غير واحد من الأئمة ولم أجده لكن كان الحافظ الشريف الدمياطي يأثر ذلك عن

بعض مشايخه ونص الإمام أحمد على استحبابه انتهى كلامه. وذكر الإمام النووي أن المستحب منه أن يبدأ باليدين قبل الرجلين فيبتدىء بمسبحة يده اليمنى ثم الوسطى ثم البنصر ثم الخنصر ثم الإبهام ثم يعود إلى اليسرى فيبدأ بخنصرها ثم ببنصرها إلى آخرها ثم يعود إلى الرجل اليمنى فيبدأ بخنصرها ويختم بخنصر الرجل اليسرى وهكذا قرره الإمام في «الاحياء» وفي الحديث «نقوا براجمكم» وهي مفاصل الأصابع والعقد التي على ظهرها يجتمع فيها الوسخ واحدها برجمة بضم الباء والجيم وسكون الراء بينهما وهو ظهر عقدة كل مفصل فظهر العقدة يسمى برجمة وما بين العقدتين يسمى راجبة وجمعها رواجب وذلك مما يلي طهرها وهو قصبة الأصابع فلكل أصبع برجمتان وثلاث رواجب إلا الإبهام فإن له برجمة وراجبتين فأمر بالتنقية لئلا يدرن فيبقى فيه الجنابة ويحول الدرن بين الماء والبشرة كذا في «تفسير القرطبي». وعن مجاهد قال: أبطأ جبرائيل عليه السلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له النبي عليه السلام: «ما حبسك يا جبريل» قال: وكيف آتيكم وأنتم لا تقصرون أظفاركم ولا تأخذون من شواربكم ولا تنقون براجمكم ولا تستاكون ثم قرأ ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤] قال كأنه قيل فماذا قال له ربه حين أتم الكلمات فقيل ﴿قال إني جاعلك للناس﴾أي: لأجل الناس ﴿إماماً﴾يأتمون بك في هذه الخصال ويقتدي بك الصالحون فهو نبي في عصره ومقتدى لكافة الناس إلى قيام الساعة وقد أنجز الله وعده فقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [النحل: ١٢٣] ونحو ذلك فلذلك اجتمعت أهل الأديان كلهم على تعظيمه وجميع أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يقولون في آخر صلاتهم: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد قيل في سببه إنا لما قلنا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد قيل لنا إن إبراهيم هو الذي طلب من الله تعالى أن يرسل إليكم مثل هذا الرسول الذي هو رحمة للعالمين حيث قال: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم﴾فما هديتكم فحينئذٍ نقول كما صليت على إبراهيم الخ ثم نلاحظ أن هذه الخيرات كلها من الله تعالى فنقول شكراً لإحسانه ربنا إنك حميد مجيد. وفي الخبر أن إبراهيم عليه السلام رأى في المنام جنة عريضة مكتوب على أشجارها لا إله إلا الله محمد رسول الله فسأل جبريل عنها فأخبره بالقصة فقال: يا رب اجر على لسان أمة محمد ذكري فاستجاب الله دعاءه وضمه في الصلاة مع محمد ﷺ قال كأنه قيل فماذا قال إبراهيم عليه السلام عنده فقيل: ﴿قال ومن ذريتي﴾عطف على الكاف في جاعلك ومن تبعيضية متعلقة بجاعل أي: وجاعل بعض ذريتي إماماً يقتدى به أي: اجعل لكنه راعى الأدب بالاحتراز عن صورة الأمر وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة إمامة الكل وإن كانوا على الحق والذرية نسل الرجل وقد تطلق على الآباء والأبناء من الذكور والإناث والصغار والكبار ومنه قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [يس: ٤١] أراد آباءهم الذين حملوا في السفينة وتقع الذرية على الواحد كما في قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨] يعني: ولداً صالحاً ﴿قال﴾الله استئناف أيضاً ﴿لا ينال﴾لا يصيب ﴿عهدي الظالمين﴾يعني أن أولادك منهم مسلمون وكافرون فلا تصل الإمامة والاستخلاف بالنبوة الذي عهدت إليك من كان ظالماً من أولادك وغيرهم وإنما ينال عهدي من كان بريئاً من الظلم لأن الإمام إنما هو لمنع الظلم فكيف يجوز أن يكون ظالماً وإن جاز فقد جاء المثل السائر «من استرعى الذئب الغنم ظلم». قال المعتزلة وفيه دليل

على أن الفاسق لا يصلح للإمامة ولا يقدم للصلاة قلنا الظالم أريد به الكافر والصبر على طاعة الإمام الجائر أولى من الخروج عليه لأن في منازعته والخروج عليه استبدال الأمن بالخوف وإراقة الدماء وإطلاق أيدي السفهاء وشن الغارات على المسلمين والفساد في الأرض. وفي الآية دليل على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الكبائر قبل البعثة وبعدها. قال ابن الشيخ في «حواشيه» فيه بحث لأن مدلول الآية أن الظالم ما دام ظالماً لا تناله الإمامة لا أن من كان ظالماً في وقت ما من الأوقات ثم تاب منه لا ينال الإمامة والفرق بينهما أن الظلم الحالي يخل بالمقصود من نصب الإمام وهو إخلاء وجه الأرض من الظلم والفساد وحماية أموال الناس وأعراضهم من تعرض الظلمة المفسدين بخلاف الظلم القديم الذي تاب عنه الظالم فإنه ليس بمخل للمقصود فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له. قال حضر الشيخ أفتادة أفندي قدس سره لا تعطى الولاية لولد الزنى قال: واشكر الله تعالى على أن جعلني أول ولد ولدته أمي فإنه أبعد من أن يصدر ألفاظ الكفر من أحد أبوي. قال المولى الهدائي قدس سره: قلت والفقير أيضاً كذلك. وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة»: حديث «لا يدخل الجنة ولد زنية» إن صح فمعناه إذا حمل بمثل عمل أبويه واتفقوا على أنه لا يحمل على ظاهره وقيل في تأويله أيضاً أن المراد به من يواظب الزنى كما يقال للشهود بنو الصحف وللشجعان بنو الحرب ولأولاد المسلمين بنو الإسلام انتهى كلامه. ثم في الآية إشارة إلى أن من أراد أن يبلغ درجة الأخيار ليقتدى به فليلازم التعب وجهد النفس في طاعة الله تعالى. قال السعدي:

چو يوسف كسى در صلاح وتميز   بسي ساله بايد كه كردد عزيز

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿وإذ جعلنا البيت﴾ أي: واذكر يا محمد وقت تصييرنا الكعبة المعظمة ﴿مثابة﴾ كائنة ﴿للناس﴾ أي: مباءة ومرجعاً للحجاج والمعتمرين يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه أي: يرجع إليه أعيان الذين يزورونه بأن يحجوه مرة بعد أخرى أو يرجع أمثالهم وأشباههم في كونهم وفد الله وزوار بيته فإنهم لما كانوا أشباهاً للزائرين أولاً كان ما وقع منهم من الزيادة ابتداء بمنزلة عود الأولين فتعريف الناس للعهد الذهني ﴿وأمناً﴾ موضع أمن فإن المشركين كانوا لا يتعرضون لسكان الحرم ويقولون البيت بيت الله وسكانه أهل الله بمعنى أهل بيته وكان الرجل يرى قاتل أبيه في الحرم فلا يتعرض له ويتعرضون لمن حوله وهذا شيء توارثوه من دين إسماعيل عليه السلام فبقوا عليه إلى أيام النبي عليه السلام أو يأمن حاجة من عذاب الآخرة من حيث أن الحج يجبّ ما قبله أي: يقطع ويمحو ما وجب قبله من حقوق الله تعالى الغير المالية مثل كفارة اليمين وأما حقوق العباد فلا يجبّها الحج كذا في «حواشي ابن الشيخ» ولكن روي أن الله تعالى استجاب دعاء النبي ﷺ ليلة المزدلفة في الدماء والمظالم كذا في «الكافي» و«تفسير الفاتحة للفناري» وغيرهما ﴿واتخذوا﴾ أي: وقلنا اتخذوا على إرادة القول لئلا يلزم عطف الإنشاء على الإخبار ﴿من مقام إبراهيم مصلى﴾ أي: موضع الصلاة ومن للتبعيض ومقام إبراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه أو الموضع الذي كان فيه حيث قام عليه ودعا الناس إلى الحج أو حين رفع بناء البيت والذي يسمى اليوم مقام إبراهيم هو موضع ذلك الحجر.

ـ روي ـ أنه لما أتى إبراهيم بإسماعيل وهاجر ووضعهما بمكة وأتت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج إسماعيل منهم امرأة وماتت هاجر استأذن إبراهيم سارة في أن يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فقدم إبراهيم وقد ماتت هاجر فذهب إلى بيت إسماعيل فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ذهب يتصيد وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيصيد فقال لها إبراهيم: هل عندك ضيافة؟ قالت: ليست عندي وسألها عن عيشهم فقالت: نحن في ضيق وشدة فشكت إليه فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه والمراد ليطلقك فإنك لا تصلحين له امرأة وذهب إبراهيم فجاء إسماعيل فوجد ريح أبيه فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه وقال: فما قال لك؟ قالت: قال أقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه قال: ذلك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ثم استأذن سارة في أن يزور إسماعيل فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل فقال لامرأته أين صاحبك؟ قالت: ذهب يتصيد وهو يجيء الآن إن شاء الله فانزل رحمك الله قال: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم فجاءت باللبن واللحم وسألها عن عيشهم قالت: نحن في خير وسعة فدعا لهما بالبركة ولو جاءت يومئذٍ بخبز برّ أو شعير أو تمر لكانت أكثر أرض الله برّاً أو شعيراً أو تمراً وقالت له: انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءت بالمقام فوضعته على شقه الأيمن فوضع قدمه عليه وهو راكب فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولته إلى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الأيسر فبقي أثر قدميه عليه وقال لها إذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: نعم جاء شيخ أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً فقال لي كذا وكذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه فقال: ذاك إبراهيم وأنت عتبة بابي أمرني أن أمسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً تحت دوحة قريبة من زمزم فلما رآه قام إليه فصنع كما يصنع الولد بالوالد ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر أتعينني عليه؟ قال: أعينك عليه قال: أمرني أن أبني هٰهنا بيتاً فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني فلما ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام إبراهيم على حجر المقام وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجر وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] ثم لما فرغ من بناء الكعبة قيل له: أذن في الناس بالحج فقال: كيف أنادي وأنا بين الجبال ولم يحضرني أحد؟ فقال الله: عليك النداء وعليّ البلاغ فصعد أبا قبيس وصعد هذا الحجر وكان قد خبيء في أبي قبيس أيام الطوفان فارتفع هذا الحجر حتى علا كل حجر في الدنيا وجمع الله له الأرض كالسفرة فنادى يا معشر المسلمين إن ربكم بنى لكم بيتاً وأمركم أن تحجوه فأجابه الناس من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات فمن أجابه مرة حج مرة ومن أجابه عشراً حج عشراً وفي الحديث «إن الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ولولا مماسة أيدي المشركين لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب» والمراد منهما الحجر الأسود والحجر الذي قام عليه إبراهيم عند بناء البيت ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل﴾ أي: أمرناهما أمراً مؤكداً ووصينا إليهما فإن العهد قد يكون بمعنى الأمر والوصية يقال عهد إليه أي: أمره ووصاه ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ [يس: ٦٠] وإنما سمي إسماعيل لأن إبراهيم كان يدعو إلى

الله أن يرزقه ولداً ويقول: اسمع يا إيل وإيل هو الله فلما رزق سماه به ﴿أن طهرا بيتي﴾ أي: بأن طهراه من الأوثان والأنجاس وما يليق به والمراد احفظاه من أن ينصب حوله شيء منها وأقراه على طهارته كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥] فإنهن لم يطهرن من نجس بل خلقهن طاهرات كقولك للخياط وسع كم القميص فإنك لا تريد أن تقول أزل ما فيه من الضيق بل المراد اصنعه ابتداء واسع الكم ﴿للطائفين﴾ الزائرين حوله ﴿والعاكفين﴾ المجارين الذين عكفوا عنده أي: أقاموا لا يرجعون وهذا في أهل الحرم والأول في الغرباء القادمين إلى مكة للزيارة والطواف وإن كان لا يختص بهم إلا أن له مزيد اختصاص بهم من حيث أن مجاوزة الميقات لا تصح لهم إلا بالإحرام ﴿والركع السجود﴾ أي: المصلين جمع راكع وساجد لأن القيام والركوع والسجود من هيئات المصلي ولتقارب الركوع والسجود ذاتاً وزماناً ترك العاطف بين موصوفيهما والجلوس في المسجد الحرام ناظراً إلى الكعبة من جملة العبادات الشريفة المرضية كما قال عليه السلام «إن لله تعالى في كل يوم عشرين ومائة رحمة تنزل على هذا البيت ستون للطائفين وأربعين للمصلين وعشرون للناظرين».

واعلم أنه تعالى لما قال: ﴿أن طهرا بيتي﴾ دخل فيه بالمعنى جميع بيوته تعالى فيكون حكمها حكمه في التطهير والنظافة وإنما خص الكعبة بالذكر لأنه لم يكن هناك غيرها. وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه سمع صوت رجل في المسجد فقال: ما هذا أما تدري أين أنت وفي الحديث «إن الله أوحى إلي يا أخا المنذرين يا أخا المرسلين انذر قومك أن لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بقلوب سليمة وألسنة صادقة وأيدي نقية وفروج طاهرة ولا يدخلوا بيتاً من بيوتي ما دام لأحد عندهم مظلمة فإني ألعنه ما دام قائماً بين يدي حتى يرد تلك الظلامة إلى أهلها فأكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين» انتهى.

ثم اعلم أن البيت الذي شرفه الله بإضافته إلى نفسه وهو بيت القلب في الحقيقة يأمر الله تعالى بتطهيره من دنس الالتفات إلى ما سواه فإنه منظر لله كما قيل:

دل بدست آوركه حج اكبرست — از هزاران كعبه يك دل بهترست

كعبه بنياد خليل آزرست — دل نظر كاه جليل اكبرست

فلا بد من تصفيته حتى تعكف عنده الأنوار الإلّهية والأسرار الرحمانية وتنزل السكينة والوقار فعند وصول العبد إلى هذه الرتبة فقد سجد لربه حقيقة وركع وناجى مع الله بسره.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿وإذ قال إبراهيم﴾ أي: واذكر يا محمد إذ دعا إبراهيم فقال: ﴿رب اجعل هذا﴾ المكان وهو الحرم ﴿بلداً آمناً﴾ ذا أمن يأمن فيه أهله من القحط والجدب والخسف والمسخ والزلازل والجنون والجذام والبرص ونحو ذلك من المثلات التي تحل بالبلاد فهو من باب النسب أي: بلداً منسوباً إلى الأمن كلابن وتامر فإنهما لنسبة موصوفهما إلى مأخوذهما كأنه قيل لبنيّ وتمريّ فالإسناد حقيقي أو المعنى بلداً آمناً أهله فيكون من قبيل الإسناد المجازي لأن الأمن الذي هو صفة لأهل البلد حقيقة قد أسند إلى مكانهم للملابسة بينهما وكان هذا الدعاء

في أول ما قدم إبراهيم عليه السلام مكة لأنه لما أسكن إسماعيل وهاجر هناك وعاد متوجهاً إلى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول إلى من تكلنا في هذا البلقع أي: المكان الخالي من الماء والنبات وهو لا يرد عليها جواباً حتى قالت آلله أمرك بهذا؟ فقال: نعم قالت: إذاً لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى إذا استوى على ثنية كداء أقبل على الوادي فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧] إلى آخر الآية ﴿وارزق أهله من الثمرات﴾ جمع ثمرة وهي المأكولات مما يخرج من الأرض والشجر فهو سؤال الطعام والفواكه وقيل: هي الفواكه وإنما خص هذا بالسؤال لأن الطعام المعهود مما يكون في كل موضع وأما الفواكه فقد تندر فسأل لأهله الأمن والسعة مما يطيب العيش ويدوم فاستجاب له في ذلك لما روي أنه لما دعا هذا الدعاء أمر الله جبريل بنقل قرية من قرى فلسطين كثيرة الثمار إليها فأتى فقلعها وجاء بها وطاف بها حول البيت سبعاً ثم وضعها على ثلاث مراحل من مكة وهي الطائف ولذلك سميت به ومنها أكثر ممرات مكة ويجيء إليه أيضاً من الأقطار الشاسعة حتى أنه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ﴿من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾ بدل من أهله والمعنى وارزق المؤمنين خاصة ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿ومن كفر﴾ معطوف على محذوف أي: ارزق من آمن ومن كفر قاس إبراهيم عليه الصلاة والسلام الرزق على الإمامة حيث سأل الرزق لأجل المؤمنين خاصة كما خص الله تعالى الإمامة بهم في قوله تعالى: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ فلما رد سؤاله الإمامة في حق ذريته على الإطلاق حسب أن يرد سؤاله الرزق في حق أهل مكة على الإطلاق فلذلك قيد بالإيمان تأدباً بالسؤال الأول فنبه سبحانه على أن الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الإمامة والتقدم ﴿فأمتعه﴾ أي: أمد له ليتناول من لذات الدنيا إثباتاً للحجة عليه ﴿قليلا﴾ أي: تمتيعاً قليلاً فإن الدنيا بكليتها قليلة وما يتمتع الكافر به منها قليل من القليل فإن نعمته تعالى في الدنيا وإن كانت كثيرة بإضافة بعضها إلى بعض فإنها قليلة بإضافتها إلى نعمة الآخرة وكيف لا يقل ما يتناهى بالإضافة إلى ما لا يتناهى فقليلاً صفة مصدر محذوف ويجوز أن يكون صفة ظرف محذوف أي: أمتعه زماناً قليلاً وهو مدة حياته ﴿ثم أضطره إلى عذاب النار﴾ الاضطرار في اللغة حمل الإنسان على ما يضره وهو في المتعارف حمل الإنسان بكفره على أن يفعل ما أكره عليه باختياره ترجيحاً لكونه أهون الضررين فلا شيء أشد من عذاب النار حتى يكره الكفار به ليختاروا عذاب النار لكونه أهون منه فلا يكون اضطرارهم إلى عذاب النار مستعملاً في معناه العرفي فهو مستعار للزهم وإلصاقهم به بحيث يتعذر عليهم التخلص منه كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ [القمر: ٤٨] فإنه صريح في أن لا مدخل لهم في لحوق عذاب الآخرة بهم ولا اختيار إلا أنهم سموا مضطرين إليه مختارين إياه على كره تشبيهاً لهم بالمضطر الذي لا يملك الامتناع عما اضطر إليه فالمعنى ألزه إليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم بحيث لا يمكنه الامتناع منه ﴿وبئس المصير﴾ المخصوص بالذم محذوف أي: بئس المرجع الذي يرجع إليه للإقامة فيه النار أو عذابها فللعبد في هذه الدنيا الفانية الإمهال أياماً دون الإهمال إذ كل نفس تجزى بما كسبت ولا تغرنك الزخارف الدنيوية فإن للمطيع والعاصي نصيباً منها وليس ذلك من موجبات الرفعة في الآخرة. قال الحافظ:

بمهلتي كه سپهرت دهد زراه مرو — تراكه كفت كه آن زال ترك دستان كفت

قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢] قال سهل في معنى هذه الآية نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فإذا ركنوا إلى النعمة وحجبوا عن المنعم أخذوا. وقال أبو العباس بن عطاء: يعني كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة فعلى العاقل أن لا يغتر بالزخارف الدنيوية بل لا يفرح بشيء سوى الله تعالى فإن ما خلا الله باطل وزائل والاغترار بالزائل الفاني من قضية كمال العقل والفهم والعرفان. فإن قلت: ما الحكمة في إمهال الله العصاة في الدنيا؟ قيل: إن الله تعالى أمهل عباده ولم يأخذهم بغتة في الدنيا ليري العباد سبحانه وتعالى أن العفو والإحسان أحبّ إليه من الأخذ والانتقام وليعلموا شفقته وبرّه وكرمه ولهذا خلق النار كرجل يضيف الناس ويقول: من جاء إلى ضيافتي أكرمته ومن لم يجيء فليس عليه شيء ويقول مضيف آخر من جاء إليّ أكرمته ومن لم يجيء ضربته وحبسته ليتبين غاية كرمه وهو أكمل وأتم من الكرم الأول والله تعالى دعا الخلق إلى دعوته بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥] ثم دفع السيف إلى رسوله فقال: من لم يجب ضيافتي فاقتله فعلى العاقل أنْ يجيب دعوة الله ويرجع إلى الله بحسن اختياره فإنه هو المقصود والكعبة الحقيقية وكل القوافل سائرة إليه.

واعلم أن البلد هو الصورة الجسمانية والكعبة القلب والطواف الحقيقي هو طواف القلب بحضرة الربوبية وأن البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهو في عالم الملكوت كما أن الهيكل الإنساني مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب والذي يقدر من العارفين على الطواف الحقيقي القلبي هو الذي يقال في حقه إن الكعبة تزوره. وفي الخبر «إن لله عباداً تطوف بهم الكعبة» وفرق بين من يقصد صورة البيت وبين من يقصد رب البيت.

ـ وروي ـ أن عارفاً من أولياء الله تعالى قصد الحج وكان له ابن فقال ابنه: إلى أين تقصد؟ فقال: إلى بيت الله فظن الغلام أن من يرى البيت يرى رب البيت قال: يا أبي لِمَ لا تحملني معك؟ فقال: أنت لا تصلح لذلك فبكى الغلام فحمله معه فلما بلغا الميقات أحرما ولبيا ودخلا الحرم فلما شوهد البيت تحرم الغلام عند رؤيته فخر ميتاً فدهش والده وقال: أين ولدي وقطعة كبدي فنودي من زاوية البيت: أنت طلبت البيت فوجدته وهو طلب رب البيت فوجد رب البيت فرفع الغلام من بينهم فهتف هاتف أنه ليس في حيز ولا في الأرض ولا في الجنة بل هو في مقعد صدق عند مليك مقتدر فمن أعرض سره عن الجهة في توجهه إلى الله صار الحق قبلة له فيكون هو قبلة الجميع كآدم عليه السلام كان قبلة الملائكة لأنه وسيلة الحق بينه وبين ملائكته لما عليه من كسوة جماله وجلاله قال الشيخ العطار قدس سره في «منطق الطير»:

حق تعالى كفت آدم غير نيست ... كور چشمي وترا اين سير نيست
شد نفخت فيه من روح آشكار ... سر جانان كشت بر خاك استوار

وقال في محل آخر:

از دم حق آمدي آدم تويي ... أصل كرمنا بني آدم تويي
قبلة كل آفر ينش آمدي ... پاي تاسر عين بينش آمدي

اللهم أوصلنا إلى العين وخلصنا من البين.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧)﴾

﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت﴾ حكاية حال ماضية حيث عبر بلفظ المضارع عن الرفع الواقع في الزمان المتقدم على زمان نزول الوحي بأن يقدر ذلك الرفع السابق واقعاً في الحال كأنك تصوره للمخاطب وتريه على وجه المشاهدة والعيان. والقواعد جمع قاعدة وهي في الأصل صفة بمعنى الثابتة ثم صارت بالغلبة من قبيل الأسماء بحيث لا يذكر لها موصوف ولا يقدر ولعل لفظ القعود حقيقة في الهيئة المقابلة للقيام ومستعار للثبات والاستقرار تشبيهاً له بها في أن كلاً منهما حالة مباينة للانتقال والنزول. وقوله ﴿من البيت﴾ حال من القواعد وكلمة من ابتدائية لا بيانية لعدم صحة أن يقال التي هي البيت. فإن قلت رفع الشيء أن يفصل عن الأرض ويجعل عالياً مرتفعاً والأساس أبداً ثابت على الأرض فما معنى رفعه؟ قلت: المراد برفع الأساس البناء عليه وعبر عن البناء على الأساس برفعه لأن البناء ينقله من هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع فيوجد الرفع حقيقة إلا أن أساس البيت واحد وعبر عنه بلفظ القواعد باعتبار أجزائه كأن كل جزء من الأساس أساس لما فوقه والمعنى واذكر يا محمد وقت رفع إبراهيم أساس البيت أي: الكعبة. ﴿وإسماعيل﴾ ولده وكان له أربعة بنين: إسماعيل وإسحاق ومدين ومداين وهو عطف على إبراهيم وتأخيره عن المفعول مع أن حق ما عطف على الفاعل أن يقدم على المفعول للإيذان بأن الأصل في الرفع هو إبراهيم وإسماعيل تبع له قيل: إنه كان يناوله الحجارة وهو يبنيها.

واعلم أن رفع الأساس الذي هو البناء عليه يدل على أن البيت كان مؤسساً قبل إبراهيم وأنه إنما بني على الأساس. واختلف الناس فيمن بنى البيت أولاً وأسسه. فقيل: هو الملائكة وذلك أن الله تعالى لما قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] قالت الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] فغضب عليهم فعاذوا بعرشه وطافوا حوله سبعة أطواف يسترضون ربهم حتى رضي عنهم وقال لهم: ابنوا لي بيتاً في الأرض يتعوذ به من سخطت عليه من بني آدم ويطوف حوله كما طفتم حول عرشي فأرضى عنهم فبنوا هذا البيت. وقيل: إن الله بنى في السماء بيتاً وهو البيت المعمور ويسمى ضراحاً وأمر الملائكة أن يبنوا الكعبة في الأرض بحياله على قدره ومثاله. وقيل: أول من بنى الكعبة آدم واندرست زمن الطوفان ثم أظهرها الله لإبراهيم عليه السلام.

روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: لما أهبط الله تعالى آدم من الجنة إلى الأرض قال له: يا آدم اذهب فابن لي بيتاً وطف به واذكرني عنده كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي فأقبل آدم يتخطى وطويت له الأرض وقبضت له المفاوز فلا يقع قدمه على شيء من الأرض إلا صار عامراً حتى انتهى إلى موضع البيت الحرام وإن جبرائيل ضرب بجناحه الأرض فأبرز عن الأس الثابت على الأرض السابعة السفلى وقدمت إليه الملائكة بالصخر فما يطيق حمل الصخرة منها ثلاثون رجلاً وأنه بناه من خمسة أجبل: طور سيناء، وطور زيتاء، ولبنان وهو جبل بالشام، والجودي وهو جبل بالجزيرة، وحرام وهو جبل بمكة وكان ربضه من حراء أي: الأساس المستدير بالبيت من الصخر فهذا بناء آدم.

وروي أن الله خلق موضع البيت قبل الأرض بألفي عام وكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحته فلما أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض استوحش فشكا إلى الله فأنزل الله البيت المعمور من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت وقال: يا آدم إني أهبطت لك بيتاً فطف به كما يطاف حول عرشي وصلِّ عنده كما يصلى عند عرشي وأنزل الحجر وكان أبيض فاسودّ من لمس الحيض في الجاهلية فتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشياً وقيض الله له ملكاً يدله على البيت. قيل لمجاهد: لم لم يركب؟ قال: وأي شيء كان يحمله إن خطوته مسيرة ثلاثة أيام فأتى مكة وحج البيت وأقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة فقالوا: برّ حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام، قال: ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حج آدم أربعين حجة من الهند إلى مكة على رجليه فبقي البيت يطوف به هو والمؤمنون من ولده إلى أيام الطوفان فرفعه الله في تلك الأيام إلى السماء الرابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه وبعث الله جبرائيل حتى خبأ الحجر الأسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق وكان موضع البيت خالياً إلى زمن إبراهيم عليه السلام ثم إن الله أمر إبراهيم ببناء بيت يذكر فيه فسأل الله تعالى أن يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهي ريح حجوج لها رأسان شبه الحية وأمر إبراهيم أن يبني حيث استقر السكينة فتبعها إبراهيم حتى أتيا مكة فتطوت السكينة على موضع البيت أي: تحوت وتجمعت واستدارت كتطوي الحجفة ودورانها فقالت لإبراهيم ابن على موضعي الأساس فرفع البيت هو وإسماعيل حتى انتهى إلى موضع الحجر الأسود فقال لابنه: يا بني ائتني بحجر أبيض حسن يكون للناس علماً فأتاه بحجر فقال: ائتني بأحسن من هذا فمضى إسماعيل يطلبه فصاح أبو قبيس: يا إبراهيم إن لك عندي وديعة فخذها فإذا هو بحجر أبيض من ياقوت الجنة كان آدم قد نزل به من الجنة كما وجد في بعض الروايات أو أنزله الله تعالى حين أنزل البيت المعمور كما مر فأخذ إبراهيم ذلك الحجر فوضعه مكانه فلما رفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت جاءت سحابة مربعة فيها رأس فنادت أن ارفعا على تربيعي فهذا بناء إبراهيم عليه السلام.

وروي أن إبراهيم وإسماعيل لما فرغا من بناء البيت أعطاهما الله تعالى الخيل جزاء معجلاً على رفع قواعد البيت وكانت الخيل وحشية كسائر الوحوش فلما أذن الله لإبراهيم وإسماعيل برفع القواعد قال الله: إني معطيكما كنزاً ادخرته لكما ثم أوحى إلى إسماعيل أن اخرج إلى أجياد فادع يأتك الكنز فخرج إلى أجياد ولا يدري ما الدعاء ولا الكنز فألهمه الله فدعا فلم يبق على وجه الأرض فرس بأرض العرب إلا جاءته فأمكنه من ناصيتها وذللها له فاركبوها وأعلفوها فإنها ميامين وهي ميراث أبيكم إسماعيل وإنما سمي الفرس عربياً لأن إسماعيل هو الذي أمر بدعائه وهو أتى إليه والعربي نسبة إلى عربة بفتحتين وهي باحة العرب لأن أباهم إسماعيل نشأ بها قيل: كان إبراهيم يتكلم بالسريانية وإسماعيل بالعربية وكل واحد منهم يفهم ما يقوله صاحبه ولا يمكنه التفوه به. وأما بنيان قريش إياه فمشهور وخبر الحية في ذلك مذكور وكانت تمنعهم من هدمه إلى أن اجتمعت قريش فعجوا إلى الله تعالى أي: رفعوا أصواتهم وقالوا: لم نراع وقد أردنا تشريف بيتك وتزيينه فإن كنت ترضى بذلك وإلا فما بدا لك فافعل فأسمعوا خواتاً في السماء والخوات دوي جناح الطير الضخم أي: صوته فإذا هم

بطائر أعظم من النسر أسود الظهر أبيض البطن والرجلين فغمز مخالبه في قفا الحية ثم انطلق بها تجر ذنبها أعظم من كذا وكذا حتى انطلق بها إلى أجياد فهدمتها قريش وجعلوا يبنونها بحجارة الوادي تحملها قريش على رقابها فرفعوها في السماء عشرين ذراعاً. وذكر عن الزهري أنهم بنوها حتى إذا بلغوا موضع الركن اختصمت قريش في الركن أي: القبائل تلي رفعه حتى شجر بينهم فقالوا حتى نحكم أول من يطلع علينا من هذه السكة فاصطلحوا على ذلك فأطلع عليهم رسول الله ﷺ فحكموه فأمر بالركن فوضع في ثوب ثم أمر سيد كل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب ثم ارتقى هو على البناء فرفعوا إليه الركن فأخذه من الثوب فوضعه في مكانه قيل: إن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من اليهود فإذا فيه أنا الله ذو مكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك احتفاء لا تزول حتى يزول أخشباها مبارك لأهلها في الماء واللبن. وعن أبي جعفر كان باب الكعبة على عهد العماليق وجرهم وإبراهيم بالأرض حتى بنته قريش. وعن عائشة رضي الله تعالى عنها سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الجدار أمن البيت هو قال: «نعم» قلت: فلم لم يدخلوه؟ قال: «إن قومك قصرت بهم النفقة» قلت: فما شأن بابه مرتفعاً قال: «فعل ذلك قومك ولولا حدثانهم بالجاهلية لهدمت الكعبة فألزق بابها بالأرض وجعلت لها بابين: باباً شرقياً وباباً غربياً وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فإن قريشاً اقتصرتها حيث بنت الكعبة فهذا بناء قريش» ثم لما غزا أهل الشام عبد الله بن الزبير ووهت الكعبة من حريقهم هدمها ابن الزبير وبناها على ما أخبرته عائشة فجعل لها بابين: باباً يدخلون منه وباباً يخرجون منه وزاد فيه مما يلي الحجر ست أذرع وكان طولها قبل ذلك ثماني عشرة ذراعاً ولما زاد في البناء مما يلي الحجر استقصر ما كان من طولها تسع أذرع فلما قتل ابن الزبير أمر الحجاج أن يقرر ما زاده ابن الزبير في طولها وأن ينقص ما زاده من الحجر ويردها إلى ما بناها قريش وأن يسد الباب الذي فتحه إلى جانب الغرب.

وروي أن هارون الرشيد ذكر لمالك بن أنس أنه يريد هدم ما بنى الحجاج من الكعبة وأن يردها إلى بناء ابن الزبير لما جاء عن النبي وامتثله ابن الزبير فقال له مالك: ناشدتك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك لا يشاء أحد منهم إلا نقض البيت وبناءه فتذهب الهيبة من صدور الناس. قالوا: بنيت الكعبة عشر مرات: بناء الملائكة وكان قبل خلق آدم عليه السلام، وبناء آدم، وبناء بني آدم، وبناء الخليل، وبناء العمالقة وبناء جرهم وبناء قصي بن كلاب، وبناء قريش، وبناء عبد الله بن الزبير، وبناء الحجاج بن يوسف، وما كان ذلك بناء لكلها بل لجدار من جدرانها. وقال الحافظ السهيلي: إن بناءها لم يكن في الدهر إلا خمس مرات: الأولى حين بناها شيث عليه الصلاة والسلام وروي في الخبر النبوي هذا البيت خامس خمسة عشر سبعة منها في السماء إلى العرش وسبعة منها إلى تخوم الأرض السفلى وأعلى الذي يلي العرش البيت المعمور لكل بيت منها حرم كحرم هذا البيت لو سقط منها بيت سقط بعضها على بعض إلى تخوم الأرض السابعة ولكل بيت من أهل السماء ومن أهل الأرض من يعمره كما يعمر هذا البيت ذكره المحدث الكازروني في «مناسكه». وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما كان العرش على الماء قبل خلق السموات والأرض بعث الله ريحاً فصفقت الماء فأبرزت خشبة في موضع البيت كأنها قبة على قدر البيت اليوم فدحا الله سبحانه من تحتها

الأرض فمادت ثم مادت فأوتدها بالجبال فكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس ولذلك سميت مكة بأم القرى. قال كعب بنى سليمان عليه السلام بيت المقدس على أساس قديم كما بنى إبراهيم الكعبة على أساس قديم وهو أساس الملائكة في وجه الماء إلى أن علا ﴿ربنا﴾ أي: يرفعانها قائلين ربنا ﴿تقبل منا﴾ الدعاء وغيره من القرب والطاعات التي من جملتها ما هما بصدده من البناء وفرق بين القبول والتقبل بأن التقبل لكونه على بناء التكلف إنما يطلق حيث يكون العمل ناقصاً لا يستحق أن يقبل إلا على طريق التفضل والكرم ولفظ القبول لا دلالة فيه على هذا المعنى فاختيار لفظ التقبل اعتراف منهما بالعجز والإنكار والقصور في العمل ﴿إنك أنت السميع﴾ لجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا وتضرعنا ﴿العليم﴾ بكل المعلومات التي من زمرتها نياتنا في جميع أعمالنا ودل هذا القول على أنه لم يقع منهما تقصير بوجه ما في إتيان المأمور به بل بذلاً في ذلك غاية ما في وسعهما فإن المقصر المتساهل كيف يتجاسر على أن يقول بأطلق لسان وأرق جنان إنك أنت السميع العليم. ودلت الآية أيضاً على أن الواجب على كل مأمور بعبادة وقربة إذا فرغ منها وأداها كما أمر بها وبذل في ذلك ما في وسعه أن يتضرع إلى الله ويبتهل ليتقبل منه وأن لا يرد عليه فيضيع سعيه وأن لا يقطع القول بأن من أدى عبادة وطاعة تقبل منه لا محالة إذ لو كان هكذا لما كان لدعائهما بطريق التضرع ليقبل منهما معنى فالقبول والرد إليه تعالى ولا يجب عليه شيء.

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾ أي: مخلصين لك فالمراد بالمسلم من يجعل نفسه وذاته خالصاً لله تعالى بأن يجعل التذلل والتعظيم الواقع منه للسان والأركان والجنان خالصاً له تعالى ولا يعظم معه تعالى غيره ويعتقد بأن ذاته وصفاته وأفعاله خالصة له تعالى خلقاً وملكاً لا مدخل في شيء منها لأحد سواه أو المعنى واجعلنا مستسلمين لك منقادين بالرضى بكل ما قدرت وبترك المنازعة في أحكامك فإن الإسلام إذا وصل باللام الجارة يكون بمعنى الاستسلام والانقياد والرضى بالقضاء. فإن قلت: لا شك أنهما كانا مخلصين ومستسلمين في زمان صدور هذا الدعاء منهما. قلت: المراد طلب الزيادة في الإخلاص والإذعان أو الثبات عليه فهذا تعليم منهما الناس الدعاء للتثبيت على الإيمان فإنهما لما سألا ذلك مع أمنهما من زواله عنهما فكيف غيرهما مع خوفه وسألا أيضاً الثبات على الانقياد فأجيبا إلى ذلك حتى أسلم إبراهيم للإلقاء في النار وإسماعيل للأمر بالذبح. ﴿ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ أي: واجعل بعض ذريتنا جماعة مخلصة لك بالعبادة والطاعة. وإنما خص الذرية بالدعاء مع أن الأنسب بحال أصحاب الهمم لا سيما الأنبياء أن لا يخصوا ذريتهم بالدعاء لكنهما خصاهم لوجهين الأول كونهما أحق بالشفقة كما في قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] فدعوا لأولادهما ليكثر ثوابهما بهم وفي الحديث «ما من رجل من المسلمين يخلف من بعده ذرية يعبدون الله تعالى إلا جعل الله له مثل أجورهم ما عبد الله منهم عابد حتى تقوم الساعة» والثاني: أنه وإن كان تخصيصاً صورة إلا أنه تعميم معنى لأن صلاح أولاد الأنبياء سبب وطريق لصلاح العامة

فكأنهما قالا وأصلح عامة عبادك بإصلاح بعض ذريتنا وخصا البعض من ذريتهما لما علما أن من ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين وطريق علمها بذلك أمر أن تنصيص الله تعالى بذلك بقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] والاستدلال بأن حكمة الله تعالى تقتضي أن لا يخلو العالم عن أفاضل وأوساط وأرذال فالأفاضل هم أهل الله الذين هم أخلصوا أنفسهم لله بالإقبال الكلي عليه والأوساط هم أهل الآخرة الذين يجتنبون المنكرات ويواظبون على الطاعات رغبة في نيل المثوبات والأرذال هم أهل الدنيا الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون جلّ همتهم عمارة الدنيا وتهيئة أسبابها. وقد قيل عمارة الدنيا بثلاثة أشياء: أحدها الزراعة والغرس، والثاني: الحماية والحرب، والثالث: جلب الأشياء من مصر إلى مصر، ومن أكب على هذه الأشياء ونسي الموت والبعث والحساب وسعى لعمارة الدنيا سعياً بليغاً ودقق في أعمال فكره تدقيقاً عجيباً فهو متوغل في الجهل والحماقة ولهذا قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا. وفي «المثنوي»:

أين جهان ويران شدي اندرزمان ... حرصها بيرون شدي ازمردمان
استن اين عالم اي جان غفلتست ... هو شياري اين جهان را آفتست
هو شياري زان جهانست وچوآن ... غالب آيدست كردد اين جهان
هو شياري آفتاب وحرص يخ ... هو شياري آب واين عالم وسخ

﴿وأرنا مناسكنا﴾ جمع منسك بفتح السين وكسرها أي: بصرنا مواضع نسكنا أو عرفنا مقتدراتنا أي: المواضع التي يتعلق بها النسك أي: أفعال الحج نحو المواقيت التي يحرم منها والموضع الذي يوقف فيه بعرفة وموضع الطواف والصفا والمروة وما بينهما من المسعى وموضع رمي الجمار ويحتمل أن يراد بالمناسك هٰهنا أفعال الحج نفسها لا مواضعها على أن يكون المنسك مصدراً لا اسم مكان ويكون جمعه لاختلاف أنواعه ويكون أرنا بمعنى عرفنا لأن نفس الأفعال لا تدرك بالبصر بل ترى بعين القلب والنسك كل ما يتعبد به إلى الله وشاع في أعمال الحج لكونها أشق الأعمال بحيث لا تتأتى إلا بمزيد سعي واجتهاد ﴿وتب علينا﴾ عما فرط منا سهواً من الصغائر ومن ترك الأولى وتجاوز عن ذنوب ذريتنا من الكبائر ولعلهما قالاه هضماً لأنفسهما وإرشاداً لذريتهما فإنهما لما بنيا البيت أرادا أن يسنا للناس ويعرفاهم أن ذلك البيت وما يتبعه من المناسك والمواقف أمكنة التفصي من الذنوب وطلب التوبة من علام الغيوب. ﴿إنك أنت التواب الرحيم﴾ لمن تاب أصل التوبة الرجوع وتوبة الله على العبد قبوله توبته وأن يخلق الإنابة والرجوع في قلب المسيء ويزين جوارحه الظاهرة بالطاعات بعدما لوثها بالمعاصي والخطيئات وتواب من صيغ المبالغة أطلق عليه تعالى للمبالغة في صدور الفعل منه وكثرة قبوله توبة المذنبين لكثرة من يتوب إليه.

﴿ربنا وابعث فيهم﴾ أي: في جماعة الأمة المسلمة من أولادنا ﴿رسولاً منهم﴾ أي: من أنفسهم فإن البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبي ﷺ فهو الذي أجيب به دعوتهما.

ـ روي ـ أنه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان وفي الحديث «إني عند الله مكتوب خاتم النبيين وأن آدم لمجدل في طينته وسأخبركم بأول أمري إني دعوة أبي إبراهيم

وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأيت حين وضعتني وقد خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام» وأراد بدعوة إبراهيم هذا فإنه دعا الله أن يبعث في بني إسرائيل رسولاً منهم ﴿**يتلو عليهم آياتك**﴾ يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من دلائل التوحيد والنبوة ﴿**ويعلمهم**﴾ بحسب قوتهم النظرية ﴿**الكتاب**﴾ أي: القرآن ﴿**والحكمة**﴾ وما يكمل به نفوسهم من المعارف الحقة والأحكام الشرعية. قال ابن دريد: كل كلمة وعظتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة ﴿**ويزكيهم**﴾ بحسب قوتهم العملية أي: يطهرهم من دنس الشرك وفنون المعاصي سواء كانت بترك الواجبات أو بفعل المنكرات ثم إن إبراهيم عليه السلام لما ذكر هذه الدعوات الثلاث ختمها بالثناء على الله تعالى فقال: ﴿**إنك أنت العزيز**﴾ الذي يقهر ويغلب على ما يريد ﴿**الحكيم**﴾ الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة فهو عزيز حكيم بذاته وكل ما سواه ذليل جاهل في نفسه. قال الإمام الغزالي قدس سره في «شرح الأسماء الحسنى» العزيز: هو الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة إليه ويصعب الوصول إليه فما لم تجتمع هذه المعاني الثلاثة لم يطلق العزيز فكم من شيء يقل وجوده ولكن إذا لم يعظم خطره ولم يكثر نفعه لم يسم عزيزاً وكم من شيء يعظم خطره ويكثر نفعه ولا يوجد نظيره ولكن إذا لم يصعب الوصول إليه لم يسم عزيزاً كالشمس مثلاً فإنها لا نظير لها والأرض كذلك والنفع عظيم في كل واحدة منهما والحاجة شديدة إليهما ولكن لا توصفان بالعزة لأنه لا يصعب الوصول إلى مشاهدتهما فلا بد من اجتماع المعاني الثلاثة. ثم في كل من المعاني الثلاثة كمال ونقصان فالكمال في قلة الوجود أن يرجع إلى واحد إذ لا أقل من الواحد ويكون بحيث يستحيل وجود مثله وليس هذا إلا الله تعالى فإن الشمس وإن كانت واحدة في الوجود فليست واحدة في الإمكان فيمكن وجود مثلها والكمال في النفاسة وشدة الحاجة أن يحتاج إليه كل شيء في كل شيء حتى في وجوده وبقائه وصفاته وليس ذلك الكمال إلا لله تعالى فهو العزيز المطلق الحق الذي لا يوازيه فيه غيره والعزيز من العباد من يحتاج إليه عباد الله في أهم أمورهم وهي الحياة الأخروية والسعادة الأبدية وذلك مما يقل لا محالة وجوده ويصعب إدراكه وهذه رتبة الأنبياء عليهم السلام ويشاركهم في العزّ من يتفرد بالقرب من درجتهم في عصره كالخلفاء وورثتهم من العلماء وعزة كل واحد بقدر علو رتبته عن سواه في النيل والمشاركة وبقدر عنائه في إرشاد الخلق والحق ذو الحكمة والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأجل العلوم وأجل الأشياء هو الله تعالى ولا يعرف كنه معرفته غيره فهو الحكيم المطلق لأنه يعلم أجلّ الأشياء بأجلّ العلوم إذ أجلّ العلوم هو العلم الأزلي الدائم الذي لا يتصور زواله المطابق للمعلوم مطابقة لا يتطرق إليها خفاء وشبهة ولا يتصف بذلك إلا علم الله تعالى وقد يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويحكمها ويتقن صنعتها حكيماً وكمال ذلك أيضاً ليس إلا لله تعالى فهو الحكيم المطلق ومن عرف جميع الأشياء ولم يعرف الله تعالى لم يستحق أن يسمى حكيماً لأنه لم يعرف أجلّ الأشياء وأفضلها والحكمة أجل العلوم وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم ولا أجلّ من الله ومن عرف الله فهو حكيم وإن كان ضعيف المنّة في سائر العلوم الرسمية كليل اللسان قاصر البيان فيها إلا أن نسبة حكمة العبد إلى حكمة الله تعالى كنسبة معرفته إلى معرفته بذاته وشتان بين المعرفتين فشتان بين الحكمتين ولكنه مع بعده عنه فهو أنفس المعارف وأكثرها خيراً ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يتذكر إلا أولو الألباب نعم من عرف الله كان كلامه

مخالفاً لكلام غيره فإنه قلما يتعرض للجزئيات بل يكون كلامه جملياً ولا يتعرض لمصالح العاجلة بل يتعرض لما ينفع في العاقبة ولما كانت الكلمات الكلية أظهر عند الناس من أحوال الحكيم من معرفته بالله ربما أطلق الناس اسم الحكمة على مثل تلك الكلمات الكلية ويقال للناطق بها حكيم وذلك مثل قول سيد الأنبياء عليه السلام «رأس الحكمة مخافة الله» «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله» «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى» «السعيد من وعظ بغيره» «القناعة مال لا ينفد» «الصبر نصف الإيمان» «اليقين الإيمان كله» فهذه الكلمات وأمثالها تسمى حكمة وصاحبها يسمى حكيماً انتهى كلام الغزالي. ثم إن في الآية إشارة إلى أن في إرسال الرسل حكمة أي: مصلحة وعاقبة حميدة لأن عمارة الظاهر وإنارة الباطن ونظام العالم بهم لا بغيرهم ولورثتهم من الأولياء الكاملين حظ أوفى في باب التزكية فلا بد للعبد من دليل ومرشد يهتدي به إلى مقصوده ومن لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان، قال الحافظ:

بكوي عشق منه بي دليل رآه قدم ... كه من بخويش نمودم صد اهتمام ونشد

والمرشد الكامل يزكي نفس السالك بإذن الله ويطهرها من دنس الالتفات إلى ما سوى الله ويتلو عليه الآيات الأنفسية والآفاقية ليكون من الموقنين ويغتنم النعيم الروحاني ويدخل في زمرة الصديقين فقوله تعالى: ﴿ويزكيهم﴾ يشير إلى السلوك والتسليك فاحفظ هذا وليكن على ذكر منك اللهم احفظنا من الموانع في طريق الوصول إليك فإن كل رجاء في حيز القبول لديك.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾

﴿**ومن يرغب عن ملة إبراهيم**﴾ من استفهامية قصد بها الإنكار والتقريع رغب في الشيء إذا أراده ورغب عنه إذا تركه أي: لا يترك دين إبراهيم أحد ولا يعرض عن شريعته وطريقته.

﴿**إلا من سفه نفسه**﴾ أي: أذلها وجعلها مهيناً حقيراً فانتصاب نفسه على أنه مفعول به.

روي ـ أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام فقال لهما: قد علمتما أن الله تعالى قال في التوراة: إني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر فأنزل الله هذه الآية ﴿**ولقد اصطفيناه في الدنيا**﴾ أي: وبالله لقد اخترنا إبراهيم في الدنيا من بين سائر الخلق بالنبوة والحكمة ﴿**وإنه في الآخرة**﴾ متعلق بقوله: ﴿**لمن الصالحين**﴾ أي: من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح فمن كان صفوة العباد في الدنيا مشهوداً له في الآخرة بالصلاح كان حقيقاً بالاتباع لا يرغب عن ملته إلا سفيه أي: في أصل خلقته أو متسفه يتكلف السفاهة بمباشرة أفعال السفهاء باختياره فيذل نفسه بالجهل والإعراض عن النظر والتأمل فقوله: ﴿**وإنه في الآخرة لمن الصالحين**﴾ بشارة له في الدنيا بصلاح الخاتمة ووعد له بذلك وكم من صالح في أول حاله ذهب صلاحه في مآله وكان في الآخرة لعذابه ونكاله كبلعم وبرصيصا وقارون وثعلبة.

﴿**إذ قال له**﴾ ظرف لاصطفيناه وتعليل له أي: اخترناه في وقت قال له: ﴿**ربه أسلم**﴾

أي: أخلص دينك لربك واستقم على الإسلام وأثبت عليه وذلك حين خرج من الغار ونظر إلى الكوكب والقمر والشمس فألهمه الله الإخلاص ﴿قال أسلمت لرب العالمين﴾ أي: أخلصت ديني له كقوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩] الآية وقد امتثل ما أمر به من الإخلاص والاستسلام وأقام على ما قال فسلم القلب والنفس والولد والمال ولما قال له جبريل حين ألقي في النار هل لك من حاجة فقال: أما إليك فلا فقال: ألا تسأل ربك؟ فقال: حسبي بسؤالي علمه بحالي. قال أهل التفسير: إن إبراهيم ولد في زمن النمرود بن كنعان وكان النمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس إلى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له إنه يولد في بلدك في هذه السنة غلام يغير دين أهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه قالوا: فأمر بذبح كل غلام يولد في ناحيته في تلك السنة فلما دنت ولادة أم إبراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فولدته في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفاء وهو نبت في الماء يقال له بالتركي «حصير قمشي» ثم رجعت فأخبرت زوجها بأنها ولدت وأن الولد في موضع كذا فانطلق أبوه فأخذه من ذلك المكان وحفر له سرباً أي: بيتاً في الأرض كالمغارة فواراه فيه وسدّ عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف إليه فترضعه وكان اليوم على إبراهيم في الشباب والقوة كالشهر في حق سائر الصبيان والشهور كالسنة فلم يمكث إبراهيم في المغارة إلا خمسة عشر شهراً أو سبع سنين أو أكثر من ذلك فلما شبّ إبراهيم في السرب قال لأمه: من ربي؟ قالت: أنا قال: فمن ربك؟ قالت أبوك قال: فمن رب أبي؟ قالت: اسكت، ثم رجعت إلى زوجها فقالت: أرأيت الغلام الذي كنا نحدث أنه يغير دين أهل الأرض فإنه ابنك ثم أخبرته بما قال فأتى أبوه آزر وقال له إبراهيم: يا أبتاه من ربي؟ قال: أمك قال: فمن رب أمي؟ قال: أنا قال: فمن ربك؟ قال: النمرود قال: فمن رب النمرود فلطمه لطمة وقال له: اسكت فلما جنّ عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فرأى السماء وما فيها من الكواكب فتفكر في خلق السموات والأرض فقال: إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني ربي الذي ما لي إله غيره ثم نظر في السماء فرأى كوكباً قال: هذا ربي ثم أتبعه بصره ينظر إليه حتى غاب فلما أفل قال: لا أحب الآفلين ثم رأى القمر ثم الشمس فقال فيهما كما قال في حق الكواكب، ثم إنهم اختلفوا في قوله ذلك فأجراه بعضهم على الظاهر وقالوا: كان إبراهيم في ذلك الوقت مسترشداً طالباً للتوحيد حتى وفقه الله إليه وأرشده فلم يضره ذلك في الاستدلال وأيضاً كان ذلك في حال طفوليته قبل أن يجري عليه القلم فلم يكن كفراً وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا: كيف يتصور من مثله أن يرى كوكباً ويقول هذا ربي معتقداً فهذا لا يكون أبداً ثم أولوا قوله ذلك بوجوه مذكورة في سورة الأنعام للإمام محيي السنة. والحاصل إن إبراهيم مستسلم للرب الكريم وإنه على الصراط المستقيم لا يرغب على طريقته إلا من سفه نفسه أي: لم يتفكر فيها كما تفكر إبراهيم في الأنفس والآفاق وقال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١] والسفاهة الجهل وضعف الرأي وكل سفيه جاهل وذلك أن من عبد غير الله فقد جهل نفسه لأنه لم يعرف الله خالقها وقد جاء في الحديث «من عرف نفسه فقد عرف ربه» وفي الأخبار «إن الله تعالى أوحى إلى داود اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء واعرفني بالقوة والقدرة والبقاء».

وفي «المثنوي»:

چيست تعظيم خدا افراشتن خويشتن را خاك وخواري داشتن
چيست توحيد خدا آموختن خويشتن رايش واحد سوختن
هستيت درهست آن هستي نواز همچو مس در كيميا اندر كداز
جمله معشو قست وعاشق پرده زنده معشوقست وعاشق مرده

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾

﴿ووصى﴾ لما كمل إبراهيم عليه السلام في نفسه كمل غيره بالتوصية وهو تقديم ما فيه خير وصلاح من قول أو فعل إلى الغير على وجه التفضل والإحسان سواء كان أمراً دينياً أو دنيوياً ﴿بها﴾ أي: بالملة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [البقرة: ١٣٠] ﴿إبراهيم بنيه﴾ أي: أولاده الذكور الثمانية عند البعض إسماعيل وأمه هاجر القبطية وإسحاق وأمه سارة وستة أمهم قنطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها إبراهيم بعد وفاة سارة وهم: مدين ومداين وزمران ويقشان ويشبق ونوح. ﴿ويعقوب﴾ رفع عطف على إبراهيم أي: وصى يعقوب أيضاً وهو ابن إسحاق بن إبراهيم بنيه الاثني عشر: روميل، وشمعون، ولاوي، ويهودا، ويستسوخور، وزبولون، وزوانا، ونفتونا، وكوزا، وأوشير، وبنيامين، ويوسف، وسمي يعقوب لأنه مع أخيه عيصو كانا توأمين فتقدم عيصو في الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب على أثره آخذاً بعقبه وذلك أن أم يعقوب حملت في بطن واحد لولدين توأمين فلما تكامل عدة أشهر الحمل وجاء وقت الوضع تكلما في بطنها وهي تسمع فقال أحدهما للآخر: طرق لي حتى أخرج قبلك وقال الآخر: لئن خرجت قبلي لأشقن بطنها حتى أخرج من خصرها فقال الآخر اخرج قبلي ولا تقتل أمي قال: فخرج الأول فسمته عيصو لأنه عصاها في بطنها وخرج الثاني وقد أمسك بعقبه فسمته يعقوب فنشأ عيصو بالغلظة والفظاظة صاحب صيد وقنص ويعقوب بالرحمة واللين صاحب زرع وماشية، وروي أنهما ماتا في يوم واحد ودفنا في قبر واحد قيل: عاش يعقوب مائة وسبعاً وأربعين سنة ومات بمصر وأوصى أن يحمل إلى الأرض المقدسة ويدفن عند أبيه إسحاق فحمله يوسف فدفنه عنده ﴿يا بني﴾ على إضمار القول عند البصريين تقديره وصى وقال: يا بني وذلك لأن يا بني جملة والجملة لا تقع مفعولاً إلا لأفعال القلوب أو فعل القول عندهم ﴿إن الله اصطفى لكم الدين﴾ أي: دين الإسلام الذي هو صفوة الأديان ولا دين عنده غيره ﴿فلا تموتن﴾ أي: لا يصادفكم الموت ﴿إلا وأنتم مسلمون﴾ أي: مخلصون بالتوحيد محسنون بربكم الظن وهذا نهي عن الموت في الظاهر وفي الحقيقة عن ترك الإسلام لأن الموت ليس في أيديهم وذلك حين دخل يعقوب مصر فرأى أهلها يعبدون الأصنام فأوصى بنيه بأن يثبتوا على الإسلام فإن موتهم لا على حال الثبات على الإسلام موت لا خير فيه وإنه ليس بموت السعداء وإن من حق هذا الموت أن لا يحل فيهم وتخصيص الأبناء بهذه الوصية مع أنه معلوم من حال إبراهيم أنه كان يدعو الكل أبداً إلى الإسلام والدين وللدلالة على أن أمر الإسلام أولى الأمور بالاهتمام حيث وصى به أقرب الناس إليه وأحراهم بالشفقة والمحبة وإرادة الخير مع أن صلاح أبنائه سبب لصلاح العامة لأن المتبوع إذا صلح في جميع

أحواله صلح التابع. روي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] جمع رسول الله ﷺ أقاربه وأنذرهم فقال: «يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئاً» يعني لا أقدر على دفع مكروه عنكم في الآخرة إن أراد الله أن يعذبكم وإنما أشفع لمن أذن الله لي فيه وإنما يأذن لي إذا لم يرد تعذيبه إنما قال عليه السلام في حقهم هكذا لترغيبهم في الإيمان والعمل لئلا يعتمدوا على قرابته ويتهاونوا ولا بد من الوصية والتحذير في باب الدين لأن الإنسان إذا أنس بأهل الشر يخاف أن يتخلق بأخلاقهم ويعمل عملهم فيجره ذلك الهوى إلى الهاوية كما قيل:

نفس از همنفس بكيرد خوي ... بر حذر باش از لقاي خبيث

باد چون برفضاي بد كذرد ... بوي بد كيرد از هواي خبيث

وكتب أبو عبيد الصوري إلى بعض إخوانه: أما بعد، فإنك قد أصبحت تأمل الدنيا بطول عمرك وتتمنى على الله الأماني بسوء فعلك وإنما تضرب حديداً بارداً والسلام وحسن الظن بالله تعالى إنما يعتبر بعد إصلاح الحال بالأخلاق والأعمال. قال الحسن: إن قوماً ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة. يقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي وكذب لو أحسن الظن لأحسن العمل وتلا قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ﴾ [فصلت: ٢٣] الآية اللهم وفقنا للعلم والعمل قبل الأجل.

﴿أم كنتم شهداء﴾ لأهل الكتاب الراغبين عن ملة إبراهيم عليه السلام وأم منقطعة مقدرة ببل والهمزة. قال في «التيسير»: أم إذا لم يتقدمها ألف الاستفهام كانت بمنزلة مجرد الاستفهام ومعنى الهمزة فيها الإنكار يعني أكنتم شهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر يريد ما كنتم حاضرين ﴿إذ حضر يعقوب الموت﴾ أي: إماراته وأسبابه وقرب خروجه من الدنيا نزلت حين قالت اليهود للنبي عليه السلام: ألست تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية يوم مات فقال تعالى: ما كنتم حاضرين حين احتضر يعقوب وقال لبنيه ما قال وإلا لما ادعيتم عليه اليهودية ولكان حرضكم على ملة الإسلام ﴿إذ قال لبنيه﴾ بدل من إذ حضر والعامل فيها شهداء ﴿ما تعبدون من بعدي﴾ أي: أيُّ شيء تعبدونه بعد موتي أراد به تقريرهم على التوحيد والإسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما. قال الراغب لم يعن بقوله: ما تعبدون من بعدي العبادة المشروعة فقط وإنما عنى أن يكون مقصودهم في جميع الأعمال وجه الله تعالى ومرضاته وأن يتباعدوا عما لا يتوسل به إليها وكأنه دعاهم إلى أن لا يتحروا في أعمالهم غير وجه الله تعالى ولم يخف عليهم الاشتغال بعبادة الأصنام وإنما خاف أن تشغلهم دنياهم ولهذا قيل ما قطعك عن الله فهو طاغوت ولهذا قال واجنبني وبني أن نعبد الأصنام أي: أن نخدم ما دون الله. قال في «المثنوي»:

چيست دنيا از خدا غافل شدن ... ني قماش ونقره وفر زند و وزن

قال النحرير التفتازاني: وما عامّ أي: يصح إطلاقه على ذي العقل وغيره عند الإبهام سواء كان للاستفهام أم غيره وإذا علم أن الشيء من ذي العقل والعلم فرق بمن وما فيخص من

بذي العلم وما بغيره وبهذا الاعتبار يقال إن ما لغير العقلاء انتهى كلامه وتم الإنكار عليهم عند قوله ما تعبدون من بعدي ثم استأنف وبين أن الأمر قد جرى على خلاف ما زعموا فقال: ﴿قالوا﴾ كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل: قالوا ﴿نعبد إلٰهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾ أي: نعبد الإلٰه المتفق على وجوده وإلٰهيته ووجوب عبادته وجعل إسماعيل وهو عمه من جملة الآباء تغليباً للأب والجد لأن العم أب والخالة أم لانخراطهما في سلك واحد وهو الإخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام: «عم الرجل صنو أبيه» أي: لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة. ﴿إلٰها واحدا﴾ بدل من إله آبائك وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشىء من تكرار المضاف أو نصب على الاختصاص كأنه قيل نريد ونعني بإلٰه آبائك إلٰهاً واحداً ﴿ونحن له مسلمون﴾ حال من فاعل نعبد.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾

﴿تلك﴾ إشارة إلى الأمة المذكورة التي هي إبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون ﴿أمة﴾ هي في الأصل المقصود كالعهدة بمعنى المعهود وسمي بها الجماعة لأن فرق الناس تؤمها أي: يقصدونها ويقتدون بها وهي خبر تلك ﴿قد خلت﴾ أي: مضت بالموت وانفردت عمن عداها وأصله صارت إلى الخلاء وهي الأرض التي لا أنيس بها والجملة نعت لأمة ﴿لها ما كسبت﴾ تقديم المسند لقصره على المسند إليه أي: لها كسبها لا كسب غيرها ﴿ولكم ما كسبتم﴾ لا كسب غيركم ﴿ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ أي: لا تؤاخذون بسيئات الأمة الماضية كما في قوله: ولا تسألون عما أجرمنا كما لا تثابون بحسناتهم فلكل أجر عمله وذلك لما ادعى اليهود أن يعقوب عليه السلام مات على اليهودية وأنه عليه السلام وصى بها بنيه يوم مات وردوا بقوله تعالى: ﴿أم كنتم شهداء﴾ الآية قالوا: هب أن الأمر كذلك أليسوا آباءنا وإليهم ينتمي نسبنا فلا جرم ننتفع بصلاحهم ومنزلتهم عند الله تعالى قالوا ذلك مفتخرين بأوائلهم فردوا بأنهم لا ينفعهم انتسابهم إليهم وإنما ينفعهم اتباعهم في الأعمال فإن أحداً لا ينفعه كسب غيره كما قال عليه السلام: «يا بني هاشم لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم» وقال عليه السلام: «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» يعني: من أخره في الآخرة عمله السيىء أو تفريطه في العمل الصالح لم ينفعه شرف نسبه ولم تنجبر نقيصته به قال الشاعر:

أتفخر باتصالك من علي وأصل البؤسة الماء القراح
وليس بنافع نسب زكي يدنسه صنائعك القباح

والأبناء وإن كانوا يتشرفون في الدنيا بشرف آبائهم إلا أنه إذا نفخ في الصور فلا أنساب والافتخار بمثل هذا كالافتخار بمتاع غيره وإنه من الجنون فلا بد من كسب العمل والإخلاص فيه فإنه المنجي بفضل الله تعالى وجاء في حديث طويل وهو أن رسول الله ﷺ قال: «إني رأيت البارحة عجباً رأيت رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاء بره لوالديه فرده عنه ورأيت رجلاً من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشاً كلما ورد حوضاً منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ورأيت رجلاً من أمتي والنبيون قعود حلقاً

حلقاً كلما دنا الحلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده وأقعده إلى جنبي ورأيت رجلاً من أمتي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير فيها فجاءته حجته وعمرته فاستخرجتاه من الظلمة وأدخلتاه في النور ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت: يا معشر المؤمنين كلموه كلموه ورأيت رجلاً من أمتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت ستراً على وجهه وظلاً على رأسه ورأيت رجلاً من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة ورأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله ورأيت رجلاً من أمتي قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه ورأيت رجلاً من أمتي قد خفّ ميزانه فجاءته إفراطه فنقلوا ميزانه ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنم فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ورأيت رجلاً من أمتي أهوي في النار فجاءته دموعه التي بكى بها من خشية الله فاستخرجته من النار ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى ورأيت رجلاً من أمتي على الصراط يزحف أحياناً ويحبو أحياناً ويتعلق أحياناً فجاءته صلاته علي فأخذت بيده وأقامته ومضى على الصراط ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة» قال رسول الله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة» قيل: يا رسول الله وما إخلاصها قال: «أن تحجزه عن محارم الله» فعلم من هذا التفصيل أن الخلاص وإن كان بفضل الله تعالى لكنه منوط بالأعمال الصالحة فالقرابة لا تغني شيئاً إذا فسد العمل وأما قول من قال:

إذا طاب أصل المرء طابت فروعه

فباعتبار الغالب فإن من عادته تعالى أن يخرج الحي من الميت والميت من الحي ونعم ما قيل:

أصل را اعتبار چندان نيست ... روى تر كل زخار خندان نيست
مي زغوره شود شكر ازني ... عسل ازنحل حاصلست بقي

والعود الذي تفوح رائحته وإن كان في الأصل شجرة كسائر الأشجار إلا أنه لما كان له استعداد لتلك المرتبة وحصل ذلك بالتربية فاق على الأقران وخرج من جنس الأصل وكذا المسك فإن أصله دم وكم من نسيب يعود على أصله بالعكس فيظهر فيه أثر الصلاح الباطن في أبيه إن كان أي: أبوه فاسقاً أو الفساد الباطن فيه إن كان صالحاً وكم من فرع يميل إلى أصله على وجه فانظر حال آدم عليه السلام وولديه هابيل وقابيل ومن بعدهم إلى قيام الساعة.

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

﴿**وقالوا كونوا هوداً أو نصارى**﴾ نزلت في رؤوس يهود المدينة وفي نصارى نجران أي: قالت اليهود كونوا هوداً فإن نبينا موسى أفضل الأنبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب وديننا أفضل الأديان وكفروا بعيسى والإنجيل وبمحمد والقرآن وقالت النصارى كونوا نصارى فإن نبينا عيسى أفضل الأنبياء وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب وديننا أفضل الأديان وكفروا بموسى والتوراة وبمحمد والقرآن. ﴿**تهتدوا**﴾ جواب للأمر أي أن تكونوا كذلك تجدوا الهداية من الضلالة ﴿**قل**﴾ يا محمد لهم على سبيل الرد وبيان ما هو الحق لا نكون ما تقولون ﴿**بل**﴾ نكون ﴿**ملة إبراهيم**﴾ أي: أهل ملته ودينه على حذف المضاف أي: بل نتبع ملته لأن كونوا معناه اتبعوا اليهودية والنصرانية ﴿**حنيفاً**﴾ أي: مائلاً عن كل دين باطل إلى دين الحق ومنحرفاً عن اليهودية والنصرانية وهو حال من المضاف إليه وهو إبراهيم كما في رأيت وجه هند قائمة لأن رؤية وجه هند يستلزم رؤيتها فالحال هنا تبين هيئة المفعول أو من المضاف وهو الملة وتذكير حنيفاً حينئذٍ بتأويل الملة بالدين لأنهما متحدان ذاتاً والتغاير بالاعتبار ﴿**وما كان من المشركين**﴾ تعريض بهم وإيذان ببطلان دعواهم اتباع إبراهيم مع إشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله، وفي الآية إرشاد إلى اتباع دين إبراهيم وهو الدين الذي عليه نبينا عليه السلام وأصحابه وأتباعه.

﴿**قولوا**﴾ أيها المؤمنون ﴿**آمنا بالله**﴾ وحده ﴿**وما أنزل إلينا**﴾ أي: بالقرآن الذي أنزل على نبينا والإنزال إليه إنزال إلى أمته لأن حكم المنزل يلزم الكل ﴿**وما أنزل إلى إبراهيم**﴾ من صحفه العشر ﴿**و**﴾ ما أنزل إلى ﴿**إسماعيل وإسحاق ويعقوب و**﴾ إلى ﴿**الأسباط**﴾ جمع سبط وهو في أصل شجرة واحدة لها أغصان كثيرة والمراد هنا أولاد يعقوب وهم اثنا عشر سموا بذلك لأنه ولد لكل منهم جماعة وسبط الرجل حافده أي: ولد ولده والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب والشعوب من العجم وهم جماعة من أب وأم وكان في الأسباط أنبياء والصحف وإن كانت نازلة إلى إبراهيم لكن من بعده حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت أحكامها جعلت منزلة إليهم كما جعل القرآن منزلاً إلينا ﴿**وما أوتي موسى وعيسى**﴾ من التوراة والإنجيل وتخصيصهما بالذكر لما أن الكلام مع اليهود والنصارى ﴿**وما أوتي النبيون**﴾ جملة المذكورين منهم وغير المذكورين. ﴿**من ربهم**﴾ في موضع الحال من العائد المحذوف والتقدير وبما أوتيه النبيون منزلاً عليهم من ربهم. ﴿**لا نفرق بين أحد منهم**﴾ كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض وكيف نفعل ذلك والدليل الذي أوجب علينا أن نؤمن ببعض الأنبياء وهو تصديق الله إياه بخلق المعجزات على يديه يوجب الإيمان بالباقين فلو آمنا ببعضهم وكفرنا بالبعض لناقضنا أنفسنا والجملة حال من الضمير في آمنا وإنما اعتبر عدم التفريق بينهم مع أن الكلام فيما أوتوه لا يستلزم عدم التفريق بينهم بالتصدق والتكذيب لعدم التفريق بين ما أوتوه واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه ﴿**ونحن له مسلمون**﴾ أي: والحال إنا مخلصون لله تعالى ومذعنون.

﴿**فإن آمنوا**﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿**بمثل ما**﴾ أي: بمثل الدين الذي ﴿**آمنتم به**﴾ هذا من باب التعجيز والتبكيت أي: إلزام الخصم وإلجائه إلى الاعتراف بالحق بإرخاء عنانه وسد طرق المجادلة عليه والمثل مقحم والمعنى فإن آمنوا بما آمنتم به وهو الله تعالى فإنه ليس لله تعالى مثل وكذا لدين الإسلام. ﴿**فقد اهتدوا**﴾ إلى الحق وأصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق ﴿**وإن تولوا**﴾ أي إن أغضوا عن الإيمان على الوجه المذكور بأن أخلوا بشيء

من ذلك كأن آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما هو ديدنهم ودينهم ﴿فإنما هم في شقاق﴾ أي: مستقرون في خلاف عظيم بعيد من الحق وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب إيمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون فقوله في شقاق خبر لقوله هم وجعل الشقاق ظرفاً لهم وهم مظروفون له مبالغة في الإخبار باستيلائه عليهم فإنه بلغ من قولك هم مشاقون والشقاق مأخوذ من الشقّ وهو الجانب فكأن كل واحد من الفريقين في شق غير شق صاحبه بسبب العداوة ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وأن ذلك مما يؤدي إلى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية رسول الله ﷺ وتفريح المؤمنين بوعد النصرة والغلبة وضمان التأييد والإعزاز بالسين للتأكيد الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل: ﴿فسيكفيكهم الله﴾ الضميران منصوباً المحل على أنهما مفعولان ليكفي يقال كفاه مؤنته كفاية وإن كثر استعماله معدى إلى واحد نحو كفاك الشيء والظاهر أن المفعول الثاني حقيقة في الآية هو المضاف المقدر أي: فسيكفي الله إياك أمر اليهود والنصارى ويدفع شرهم عنك وينصرك عليهم فإن الكفاية لا تتعلق بالأعيان بل بالأفعال وقد أنجز الله وعده الكريم بالقتل والسبي في بني قريظة والجلاء والنفي إلى الشام وغيره في بني النضير والجزية والذلة في نصارى نجران ﴿وهو السميع العليم﴾ تذييل لما سبق من الوعد وتأكيد له والمعنى أنه تعالى يسمع ما تدعو به ويعلم ما في نيتك من إظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك إلى مرادك.

﴿صبغة الله﴾ الصبغ ما يلون به الثياب والصبغ المصدر والصبغة الفعلة التي تبنى للنوع والحالة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع الصبغ عليها وهي أي: الصبغة في الآية مستعارة لفطرة الله التي فطر الناس عليها شبهت الخلقة السليمة التي يستعد بها العبد للإيمان وسائر أنواع الطاعات بصبغ الثوب من حيث أن كل واحدة منهما حلية لما قامت هي به وزينة له والتقدير صبغنا الله صبغة أي: فطرنا وخلقنا على استعداد قبول الحق والإيمان فطرته فهذا المصدر مفعول مطلق مؤكد لنفسه لأنه مع عامله المقدر بعينه وقع مؤكداً لمضمون الجملة المقدمة وهو قوله: ﴿آمنا بالله﴾ لا محتمل لها من المصادر إلا ذلك المصدر لأن إيمانهم بالله يحصل بخلق الله إياهم على استعداد اتباع الحق والتحلي بحلية الإيمان ويحتمل أن يكون التقدير طهرنا الله تطهيره لأن الإيمان يطهر النفوس من أوضار الكفر وسماه صبغة للمشاكلة وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوع ذلك الشيء في صحبة الغير إما بحسب المقال المحقق أو المقدر بأن لا يكون ذلك الغير مذكوراً حقيقة ويكون في حكم المذكور لكونه مدلولاً عليه بقرينة الحال فهي كما تجري بين فعلين كما هنا تجري بين قولين كما في (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) فإنه عبر عن ذات الله تعالى بلفظ النفس لوقوعه في صحبة لفظ النفس وعبر عن لفظ الفطرة بلفظ الصبغة لوقوعه في صحبة صبغة النصارى إذ كانوا يشتغلون بصبغ أولادهم في سابع الولادة مكان الختان للمسلمين بغمسهم في الماء الأصفر الذي يسمونه المعمودية على زعم أن ذلك الغمس وإن لم يكن مذكوراً حقيقة لكنه واقع فعلاً من حيث أنهم يشتغلون به فكان في حكم المذكور بدلالة قرينة الحال عليه من حيث اشتغالهم به ومن حيث أن الآية نزلت رداً لزعمهم ببيان أن التطهير المعتبر هو تطهير الله عباده لا تطهير أولادكم بغمسهم في المعمودية وهي اسم ماء غسل به عيسى عليه السلام فمزجوه بماء آخر وكلما استعملوا منه جعلوا مكانه ماء آخر ﴿ومن أحسن﴾ مبتدأ وخبر والاستفهام في معنى الجحد

﴿من الله صبغة﴾ نصب على التمييز من أحسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن صبغته أحسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما والمعنى أي: شخص تكون صبغته أحسن من صبغة الله فإنه يصبغ عباده بالإيمان ويطهرهم به من أوضار الكفر وأنجاس الشرك فلا صبغة أحسن من صبغته ﴿ونحن له﴾ أي: لله الذي أولانا تلك النعمة الجليلة ﴿عابدون﴾ شكراً له ولسائر نعمه وتقدم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو عطف على آمنا داخل تحت الأمر وهو قولوا فإذا كان حرفة العبد العبادة فقد زين نفسه بصبغ حسن يزينه ولا يشينه. وفي «المثنوي»:

كاورا رنك ازبرون مردرا ... ازدرون دان رنك سرخ ورردرا
رنكهاي نيك ازخم صفاست ... رنك زشتان ازسياه آب جفاست
صبغة الله نام آن رنك لطيف ... لعنة الله بوي اين رنك كثيف

وفي قوله تعالى: ﴿ونحن له عابدون﴾ إشارة إلى أن العارفين يعبدون ربهم لا لشوق الجنة ولا لخوف النار. قال الله تعالى في الزبور: «ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار فلو لم أخلق جنة ولا ناراً لم أكن مستحقاً لأن أعبد».

واعلم أن العابد هو العامل بحق العبودية في مرضاة الله تعالى والعبادة دون العبودية وهي دون العبودة لأن من لم يبخل بروحه فهو صاحب عبودة فالعبادة ببذل الروح فوق العبادة ببذل النفس. قال سهل بن عبد الله لا يصح التعبد لأحد حتى لا يجزع من أربعة أشياء: من الجوع والعري الفقر والذل. قال الشيخ أبو العباس رحمه الله: أوقات العبد أربعة لا خامس لها الطاعة والمعصية والنعمة والبلية ولكل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية فمن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله تعالى ومن كان وقته البلية فسبيله الرضى والصبر فعليك أن تراقب الأوقات إلى أن تصل أعلى الدرجات وغاية الغايات. وفي «المثنوي»:

كافرم من كر زيان كردست كس ... درره ايمان وطاعت يكنفس
سرشكسته نيست اين سررا مبند ... يك دوروزه جهد كن باقي بخند
تازه كن إيمان نه از كفت زبان ... أي هوارا تازه كرده درنهان
تاهواتازه است إيمان تازه نيست ... كين هواجز قفل آن دروازه نيست

ـ روي ـ أن السري قدس سره قال: مكثت عشرين سنة أخرس خلق الله تعالى فلم يقع في شبكتي إلا واحد كنت أتكلم في المسجد الجامع ببغداد يوم الجمعة وقلت عجبت من ضعيف عصى قوياً فلما كان يوم السبت وصليت الغداة إذا أنا بشاب قد وافى وخلفه ركبان على دواب بين يديه غلمان وهو راكب على دابته فنزل وقال: أيكم السري السقطي فأومأ جلسائي إلي فسلم علي وجلس وقال: سمعتك تقول عجبت من ضعيف عصى قوياً فما أردت به فقلت ما ضعيف أضعف من ابن آدم ولا قوي أقوى من الله تعالى وقد تعرض ابن آدم مع ضعفه إلى معصية الله تعالى قال: فبكى ثم قال: يا سري هل يقبل ربك غريقاً مثلي؟ قلت: ومن ينقذ الغرقى إلا الله تعالى قال: يا سري إن عليّ مظالم كثيرة كيف أصنع قال: إذا صححت الانقطاع إلى الله تعالى أرضى عنك الخصوم بلغنا عن النبي عليه السلام أنه قال: «إذا كان يوم القيامة

واجتمع الخصوم على ولي الله وكّل لكل منهم ملكاً يقول لا تروّعوا ولي الله فإن حقكم اليوم على الله تعالى» فبكى ثم قال: صف لي الطريق إلى الله فقلت: إن كنت تريد المقتصدين فعليك بالصيام والقيام وترك الآثام وإن كنت تريد طريق الأولياء فاقطع العلائق واتصل بخدمة الخالق فبكى حتى بلّ منديلاً له ثم انصرف وكان من أمره كيت وكيت من ترك الأهل والعيال والسكون عند المقابر وتغيير الحال حتى توفي ذلك الشاب على الإحالة التي أقبل عليها قال السري فحلمت يوماً عيناي فإذا به يرفل في السندس والاستبرق ويقول لي جزاك الله خيراً فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أدخلني الجنة ولم يسألني عن ذنب انتهى.

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾

﴿**قل أتحاجوننا**﴾ المحاجة المجادلة ودعوى الحق وإقامة الحجة على ذلك من كل واحد والهمزة للإنكار والتوبيخ، وسبب نزول هذه الآية أن اليهود والنصارى قالوا إن الأنبياء كانوا منا وعلى ديننا وديننا أقدم فقال الله تعالى: قل يا محمد لليهود والنصارى أتجادلوننا وتخاصموننا ﴿**في الله**﴾ أي: في دينه وتدعون أن دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء عليهما وتقولون تارة لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وتارة كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا ﴿**وهو ربنا وربكم**﴾ أي: والحال أنه لا وجه للمجادلة أصلاً لأنه تعالى مالك أمرنا وأمركم. ﴿**ولنا أعمالنا**﴾ الحسنة الموافقة لأمره ﴿**ولكم أعمالكم**﴾ السيئة المخالفة لحكمه فكيف تدعون أنكم أولى بالله ﴿**ونحن له**﴾ أي: لله تعالى ﴿**مخلصون**﴾ في تلك الأعمال لا نبتغي بها إلا وجهه فأنّى لكم المحاجة وادعاء حقية ما أنتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه ودعوة الناس إليه وأنتم به مشركون، والإخلاص تصفية العمل عن الشرك والرياء وحقيقته تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين.

﴿**أم تقولون**﴾ أم معادلة للهمزة في قوله تعالى: ﴿**أتحاجوننا**﴾ داخلة في حيز الأمر على معنى أي: الأمرين تأتون إقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما أنتم عليه والحال ما ذكر أم التشبث بذيل التقليد والافتراء على الأنبياء وتقولون ﴿**إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط**﴾ وهي حفدة يعقوب وهم أولاد أولاده الاثني عشر وعن الزجاج أنه قال: الأسباط في ولد إسحاق بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل فولد كل واحد من ولد إسحاق سبط ومن ولد إسماعيل قبيلة ﴿**كانوا هوداً أو نصارى**﴾ فنحن مقتدون بهم والمراد إنكار كلا الأمرين والتوبيخ عليهما أي: كيف تحاجون وكيف تقولون في حق الأنبياء الذين بعثوا قبل نزول التوراة والإنجيل أنهم كانوا هوداً أو نصارى ومن المحال أن يقتدي المتقدم بالمتأخر ويستن بسنته ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**ءأنتم**﴾ الاستفهام للتقرير والتوبيخ ﴿**أعلم**﴾ بدينهم ﴿**أم الله**﴾ أعلم ﴿**ومن أظلم**﴾ إنكار لأن يكون أحد أظلم فالاستفهام بمعنى النفي ﴿**ممن كتم**﴾ أي: ستر وأخفى عن الناس ﴿**شهادة**﴾ ثابتة ﴿**عنده**﴾ أي: عند من كائنة ﴿**من الله**﴾ قوله عنده ومن الله صفتان لشهادة أي: شهادة حاصلة عنده صادرة من الله تعالى يعني يا أهل الكتاب قد علمتم بشهادة حصلت

عندكم صادرة من الله تعالى بأن إبراهيم وبنيه كانوا حنفاء مسلمين بأن أخبركم الله بذلك في كتابكم ثم إنكم تكتمونها وتدعون خلاف ما شهد الله به في حقهم فلا أحد أظلم منكم حيث أجزأتم على تكذيب الله تعالى فيما أخبر به وتعليق الأظلمية بمطلق الكتمان للإيمان إلى أن مرتبة من يدريها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة عن دائرة البيان وعن ابن عباس أكبر الكبائر الإشراك بالله وشهادة الزور وكتمان الشهادة قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣] والمراد مسخ القلب ونعوذ بالله من ذلك ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ ما موصولة عامة لجميع ما يكتسب بالجوارح الظاهرة والقوى الباطنة ويدخل فيه كتمان شهادة الله دخولاً أولياً أي: هو محيط بجميع ما تأتون وما تدرون فيعاقبكم بذلك أشد عقاب ﴿تلك أمة﴾ أي: الأنبياء جماعة ﴿قد خلت﴾ أي: مضت بالموت ﴿لها ما كسبت﴾ من الأعمال ﴿ولكم ما كسبتم﴾ منها ﴿ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ أي: لا يسأل أحد عن عمل غيره بل يسأل عن عمله ويجزى به وهذا تكرير للآية السابقة بعينها للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على أعمالهم قال الله تعالى ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] ـ قيل ـ لما انصرف هارون الرشيد من الحج أقام بالكوفة أياماً فلما خرج وقف بهلول المجنون على طريقه وناداه بأعلى صوته يا هارون ثلاثاً فقال هارون: من الذي يناديني تعجباً؟ فقيل له: بهلول المجنون فوقف هارون وأمر برفع الستر وكان يكلم الناس وراء الستر فقال له: ألم تعرفني؟ قال: بلى أعرفك فقال: من أنا؟ قال: أنت الذي لو ظلم أحد في المشرق وأنت في المغرب سألك الله عن ذلك يوم القيامة فبكى هارون وقال: كيف ترى حالي؟ قال: اعرضه على كتاب الله وهي الجزء الثاني إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم وقال: أين أعمالنا؟ قال: إنما يتقبل الله من المتقين قال: وأين قرابتنا من رسول الله تعالى عليه وسلم؟ قال: فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم قال: وأين شفاعة رسول الله لنا؟ قال: يومئذٍ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمٰن ورضي له قولاً فلا بد من الأعمال الصالحة والإخلاص فيها فإن الله يتقبلها لا غيرها.

قال الجنيد: الإخلاص سر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله. قال الفضيل: ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك عنهما. وفي «التتارخانية» لو افتتح للصلاة خالصاً لله تعالى ثم دخل في قلبه الرياء فهو على ما افتتح والرياء على أنه لو خلا عن الناس لا يصلي ولو كان مع الناس يحسنها ولو صلى وحده لا يحسن فله ثواب أصل الصلاة دون الإحسان. قال بعض الحكماء: مثل من يعمل الطاعة للرياء والسمعة كمثل رجل يخرج إلى السوق وقد ملأ كيسه حصى فيقول الناس: ما أملأ كيس فلان ولا منفعة له سوى مقالة الناس وفي الحديث «أخلصوا أعمالكم لله تعالى فإن الله لا يقبل إلا ما خلص له ولا تقولوا هذا لله وللرحم وليس لله تعالى منه شيء» ومن أحاديث المشارق «لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله» قال النووي المراد الذبح باسم غير الله كمن ذبح للصنم أو لموسى أو غيرهما. ذكر الشيخ إبراهيم المراودي: إن ما يذبح عند استقبال السلطان تقرباً إليه أفتى أهل بخارى بتحريمه لأنه مما أهل به لغير الله.

وقال الرافعي: هذا غير محرم لأنهم إنما يذبحونه استبشاراً بقدومه فهو كذبح العقيقة لولادة المولود ومثل هذا لا يوجب التحريم انتهى كلامه وعليه تحمل أفعال المسلمين صيانة لهم عن الكفر وضياع الأعمال فإن الموحد مطمح نظره رضى مولاه والتعبد إليه بما تيسر له من القربات

اللهم اعصمنا من الزلات.

﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿سيقول السفهاء﴾ أي: الذين ضعفت عقولهم حال كونهم ﴿من الناس﴾ أي: الكفرة يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وإنما كانوا سفهاء لأنهم راغبون عن ملة إبراهيم وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠] أي: أذلها بالجهل والإعراض عن النظر وفائدة تقديم الإخبار به قبل وقوعه ليوطئوا عليه أنفسهم فلا يضطربوا عند وقوعه لأن مفاجأة المكروه أشد على النفوس وأشق وليعلمهم الجواب فإن العتيد قبل الحاجة إليه أرد لشغب لخصم الألد و«قبل الرمي يراش السهم» وهو مثل يضرب في تهيئة الآلة قبل الحاجة إليها ﴿ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ ما استفهامية إنكارية مرفوعة المحل على الابتداء وولاهم خبره والجملة في موضع النصب بالقول يقال تولّى عن ذلك أي: انصرف وولى غيره أي: صرفه والقبلة في الأصل الحالة التي عليها الإنسان من الاستقبال فنقلت في عرف الشرع في الجهة التي يستقبلها الإنسان للصلاة وهي من المقابلة وسميت قبلة: لأن المصلي يقابلها، والمعنى: أي شيء صرفهم وحولهم عن قبلتهم التي كانوا على التوجه إليها وهي بيت المقدس ولم انصرفوا منها إلى الكعبة.

ـ روي ـ أن النبي عليه السلام صلى إلى نحو بيت المقدس بعد مقدمه المدينة نحواً من سبعة عشر شهراً تأليفاً لقلوب اليهود ثم صارت الكعبة قبلة المسلمين إلى نفخ الصور ﴿قل﴾ كأنه قيل فماذا أقول عند ذلك فقيل قل: ﴿لله المشرق والمغرب﴾ أي: الأمكنة كلها والنواحي بأسرها لله تعالى ملكاً وتصرفاً فلا يستحق شيء منها لذاته أن يكون قبلة حتى يمتنع إقامة غيره مقامه والشيء من الجهات إنما يصير قبلة بمجرد أن الله تعالى أمر بالتوجه إليها فله أن يأمر في كل وقت بالتوجه إلى جهة من تلك الجهات على حسب ألوهيته واستيلائه ونفاذ قدرته ومشيئته فإنه لا يسأل عما يفعل بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فاللائق بالمخلوق أن يطيع خالقه ويأتمر بأمره من غير أن يتحرى خصوصية في المأمور به زائدة على مجرد كونه مأموراً به فإن الطاعة له ليس إلا بارتسام أمره أي: امتثاله لا تجري العلل والأغراض الداعية له تعالى إلى الأمر لأن أحكام الله تعالى وأفعاله ليست معللة بالدواهي والأغراض واليهود إنما استقبلوا جهة المغرب واتخذوها قبلة اتباعاً لهوى أنفسهم حيث زعموا أن موسى عليه السلام كان في جانب المغرب فأكرمه الله تعالى بوحيه وكلامه كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤] والنصارى أيضاً اتخذوا جهة المشرق قبلة اتباعاً لهواهم حيث زعموا أن مريم عليها السلام حين خرجت من بلدها مالت إلى جانب المشرق كما قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾ [مريم: ١٦] والمؤمنون استقبلوا الكعبة طاعة لله تعالى وامتثالاً لأمره لا ترجيحاً لبعض الجهات المتساوية بمجرد رأيهم

واجتهادهم مع أنها قبلة خليل الله تعالى ومولد حبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ وهو التوجه إلى بيت المقدس تارة والكعبة أخرى ووجه استقامته كونه مشتملاً على الحكمة والمصلحة موافقاً لهما. قال بعض أرباب الحقيقة: سمى الطاغين من اليهود والمشركين والمنافقين سفهاء لاحتجاب عقولهم عن حقية دين الإسلام ولو أدركوا الحق مطلقاً لأخلصوه كما أخلص المؤمنون فلم تبقَ محاجتهم معهم ولو كانت عقولهم رزينة لاستدلت بالآيات وأنكروا التحويل لأنهم كانوا معتدين بالجهة فلم يعرفوا التوحيد الوافي بالجهات كلها. قال المولى الجامي:

جهان مرآت حسن شاهد ماست فشاهد وجهه في كل ذرات

﴿وكذلك﴾ إشارة إلى مفهوم الآية المتقدمة أي: كما جعلناكم مهتدين إلى الصراط المستقيم ﴿جعلناكم﴾ توحيد الخطاب في كذلك مع القصد إلى المؤمنين لما أن المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين ﴿أمة وسطا﴾ أي: خياراً لأن الأوساط محمية محوطة والأطراف يتسارع إليها الخلل ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم ﴿ويكون الرسول﴾ أي: محمد ﷺ ﴿عليكم شهيداً﴾. إن قلت: إن الشاهد إذا أضر بشهادته عديت الشهادة بكلمة على وإذا نفع بها تعدى باللام فيقال شهد له والرسول عليه السلام لما زكى أمته وعدلهم بشهادته انتفعوا بها فالظاهر أن يقال ويكون الرسول لكم شهيداً بخلاف شهادة الأمة على الناس فإنها شهادة عليهم حيث استضروا بها فكلمة على فيها واقعة في موضعها. قلت: هذا مبني على تضمين الشهيد معنى الرقيب والمطلع فعدى تعديته والوجه في اعتبار تضمين الشهيد الإشارة إلى أن التعديل والتزكية إنما يكون عن خبرة ومراقبة بحال الشاهد فإذا شاهد منه الرشد والصلاح عدله وزكاه وأثنى عليه وإلا يسكت عنه وقدمت صلة الشهادة أي: عليكم لاختصاصهم بشهادته ﷺ على سبيل التزكية والتعديل وهو لا ينافي شهادته ﷺ للأنبياء بالتبليغ وعلى منكري التبليغ بالتكذيب.

ـ روي ـ أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الأمم ألم يأتكم نذير؟ فينكرون فيقولون: ما جاءنا من بشير ولا نذير؟ فيسأل الأنبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو أعلم بهم إقامة للحجة فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا فتقول الأمم الماضية: من أين علموا وإنهم أتوا بعدنا فيسأل هذه الأمة فيقولون: أرسلت إلينا رسولاً وأنزلت علينا كتاباً أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد عليه الصلاة والسلام فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم فيؤمر بالكفار إلى النار. قال بعض أرباب الحقيقة: معنى شهادتهم على الناس اطلاعهم بنور التوحيد على حقوق الأديان ومعرفتهم لحق كل دين وحق كل ذي دين من دينه وباطلهم الذي ليس حقهم الذي هو مخترعات نفوسهم وطريق الحق واحد فمن تحقق بحق دين تحقق بحق سائر الأديان وخاصة دين الإسلام الذي هو الحق الأعظم ومعنى شهادة الرسول عليهم اطلاعه على رتبة كل متدين بدينه وحقيقته التي هو عليها من دينه وحجابه الذي هو به محجوب عن كمال دينه فهو يعرف ذنوبهم وحقيقة إيمانهم وأعمالهم وحسناتهم وسيئاتهم وإخلاصهم ونفاقهم وغير ذلك بنور الحق وأمته يعرفون ذلك من سائر الأمم بنوره عليه الصلاة والسلام. قال بعضهم: جعلنا سبحانه وتعالى آخر الأمم تشريفاً لحبيبه وأمته لأنه لو قدمنا لاحتجنا أن ننتظر في قبورنا قدوم

الأمم الماضية فجعلهم سبحانه وتعالى في انتظارنا تشريفاً لنا وأيضاً جعلنا آخر الأمم لنكون يوم القيامة شهداء على جميع الأمم الماضية ويكفي شرفاً لهذه الأمة المرحومة ما قال ﷺ في حق علمائهم «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» وذكر الراغب الأصفهاني في «المحاضرات»: أنه قال الإمام الشاذلي صاحب حزب البحر: اضطجعت في المسجد الأقصى فرأيت في المنام قد نصب تخت خارج الأقصى في وسط الحرم فدخل خلق كثير أفواجاً أفواجاً فقلت: ما هذا الجمع؟ فقالوا: جمع الأنبياء والرسل قد حضروا ليشفعوا في حسين الحلاج عند محمد عليه أفضل الصلاة والسلام لإساءة أدب وقعت منه فنظرت إلى التخت فإذا نبينا محمد عليه السلام جالس عليه بانفراده وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على الأرض جالسون مثل إبراهيم وموسى وعيسى ونوح فوقفت أنظر وأسمع كلامهم فخاطب موسى نبينا عليه الصلاة والسلام وقال له: إنك قلت علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل فأرنا منهم واحداً فقال: هذا وأشار إلى الإمام الغزالي فسأله موسى سؤالاً فأجابه بعشرة أجوبة فاعترض عليه موسى بأن السؤال ينبغي أن يطابق الجواب والسؤال واحد والجواب عشرة فقال الإمام هذا الاعتراض وارد عليك أيضاً حين سئلت وما تلك بيمينك يا موسى وكان الجواب عصاي فعددت صفات كثيرة قال: فبينما أنا متفكر في جلالة قدر محمد عليه السلام وكونه جالساً على التخت بانفراده والخليل والكليم والروح جالسون على الأرض إذ رفسني شخص برجله رفسة مزعجة فانتبهت فإذا بقيم ثم غاب عني فلم أجده إلى يومي هذا ومن هذا قال:

فانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ... وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

اللهم يسر لنا شفاعته. ﴿وما جعلنا القبلة﴾ مفعول أول لجعلنا ﴿التي كنت عليها﴾ مفعول ثان له بتقدير موصوف أي: الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لأنه عليه السلام كان مأموراً بأن يصلي إلى الكعبة وهو بمكة ثم لما هاجر أمر بالصلاة إلى صخرة ببيت المقدس التي منها يصعد الملائكة إلى السماء ثم أعيد إلى ما كان عليه أولاً والمعنى ما رددناك إلى ما كنت عليه أي: على استقباله والتوجه إليه وما جعلنا ذلك لشيء من الأشياء ﴿إلا لنعلم من يتبع الرسول﴾ في التوجه إلى ما أمر به ﴿ممن ينقلب﴾ أي: ينصرف ويرجع ﴿على عقبيه﴾ العقب مؤخر القدم والانقلاب على العقبين مستعار للارتداد والرجوع عن الدين الحق إلى الباطل ومعنى لنعلم ليظهر علمنا على مظاهر الرسول والمؤمنين ويتميز عندهم الثابت على الإسلام الصادق فيه من المتردد الذي يرتد بأدنى سبب لقلته وضعف إيمانه لا أنه لم يعلم حالهم فعلم لأنه تعالى كان عالماً في الأزل بهم وبكل حال من أحوالهم التي تقع في كل زمان من أزمنة وجودهم مقارنة للزمان الذي تقع فيه تلك الحال وكل من يعلم شيئاً فإنما يعلم بأن يظهر ذلك العلم فيه ويقرب من هذا ما قيل المعنى ليعلم رسول الله والمؤمنون وإنما أسند علمهم إلى ذاته لأنهم خواصه وأهل الزلفى عنده هذا هو المعنى الذي اختاره القاشاني في تأويلاته وزيف ما عداه والعلم في قوله لنعلم بمعنى المعرفة أي: لنعرف الذي يتبع الرسول فلا يحتاج إلى مفعول ثان. فإن قيل إن الله لا يوصف بالمعرفة فلا يقال الله عارف فكيف يكون العلم بمعنى المعرفة هنا. قلت: إنما لا يوصف بها إذا كانت بمعناها المشهور وهو الإدراك المسبوق بالعدم وأما إذا كانت بمعنى الإدراك الذي لا يتعدى إلى مفعولين فيجوز أن يوصف الله بها وقوله ممن ينقلب حال من فاعل يتبع أي: متميزاً منه ﴿وإن كانت﴾ أي: القبلة المحولة ﴿لكبيرة﴾ أي: شاقة

ثقيلة على من يألف التوجه إلى القبلة المنسوخة فإن الإنسان ألوف لما يتعوده يثقل عليه الانتقال منه وإن هي المخففة من المثقلة واسمها محذوف وهو القبلة واللام هي الفارقة بينها وبين الناقة كما في قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا﴾ [الإسراء: ١٠٨] ﴿**إلا على الذين هدى الله**﴾ أي: هداهم إلى حكمة الاحكام وأرشدهم وعرفهم أن ما كلفه عباده متضمن لحكمة لا محالة وإن لم يهتدوا إلى خصوصية تلك الحكمة بعينها فتيقنوا بذلك أن السعيد الفائز من أطاع ربه الحكيم وأن الشقي الخاسر من عصى ربه العليم ثم بين أنهم مثابون على ذلك الثبات والاتباع وأن ذلك غير ضائع منهم فقال: ﴿**وما كان الله**﴾ مريداً ﴿**ليضيع إيمانكم**﴾ أي: ثباتكم على التصديق بجميع ما جاء به النبي عليه السلام من غير أن ترتابوا في شيء من ذلك ﴿**إن الله بالناس**﴾ متعلق برؤوف ﴿**لرؤوف**﴾ أي: ذو مرحمة عظيمة لهم حيث نقلهم برحمته من ذلك إلى هذا وهو أصح لهم ﴿**رحيم**﴾ يغفر ذنوبهم بالإيمان وإيصال الرزق، قال السعدي:

فرومانند كانرا برحمت قريب تضرع كنانرا بدعوت مجيب

ـ روي ـ أنه أخذ بعض أمراء الكفار وكان جائراً قاتلاً في زمن داود عليه السلام فصلب فوق الجبل عشاء ورجع الناس إلى منازلهم وبقي هذا على الخشبة وحده وتضرع إلى آلهته فلم يغنوا عنه شيئاً ثم رجع إلى الله وقال: أنت الله الحق أتيت إليك لتغيثني برحمتك قال تعالى: يا جبريل إن هذا عبد آلهته طويلاً فلم ينتفع ففزع إلي ودعاني فاستجبت له فأهبط إلى الأرض وضعه على الأرض في سلامة وعافية ففعل فلما أصبحوا رأوه وهو حي يصلي لله تعالى فأخبروا داود بذلك فدعا الله فيه مستكشفاً سره فأوحى الله إليه يا داود إني أرحم من آمن بي ودعاني فإن لم أفعل فأي فرق بيني وبين آلهته.

واعلم أن جماعة قد ارتدوا عن الإسلام عند تحويل القبلة لتعلقهم بما سوى الله تعالى وعدم فنائهم في الله ورضاهم بما يجيء عليهم من القضاء فأخذتهم الكدرة كالسيل وأما الذين سعدوا سعادة أزلية فلم يتعلقوا في الحقيقة بيت المقدس ولا بالكعبة بل الربّ الخالق لهما ولغيرهما وفنوا عن إرادتهم فجاءت إرادة الله لهم كالشهد المصفى فأخذهم السرور والصفا، قال الصائب:

مهياي فنارا ازعلايق نيست پروايي
نيند يشد زخار آنكس كه دامان بركمر دارد

ذكر أن أبا القاسم الجنيد البغدادي لما رأوه في وادي الوله: ظنوا أنه مرض أو جنّ فجعلوه في دار الشفاء فزاره بعض من يدعي حبه فقال لهم: من أنتم؟ فقالوا: نحن أحباؤك فرماهم بالأحجار ففروا من عنده وقالوا: قد غلب عليه الجنون فقال: تدعون الحب بأقوالكم وقد يكذبها أفعالكم فالمحب من أسره ما أصابه من الحبيب فلذلك قد عد أشد البلاء عند الأنبياء والأولياء ألذ من الحلوى فاكتسبوا حلل التسليم والاصطبار وغاصوا في لجج المكاشفات والمشاهدات واشتغلوا مع الجنان واللسان بالتوحيد وذكر الملك المنان حتى عدوا الالتفات إلى غيره ولو بأكل لقمة من الموانع فلذلك ارتقوا في الفناء والبقاء إلى غاية المبتغى ولما قال موسى عليه السلام: رب أرني أنظر إليك قال: يا موسى تراني في البساط الفاني اصبر حتى أجعله باقياً حتى تراني يا موسى رعيت غنم شعيب عشر سنين أتريد أن تراني بعبادة أربعين

يوماً ثم اصطفاه وأعطاه ما أعطاه فلما رجع إلى قومه رأى في الطريق الجبل الأعلى فسأل عنه متعجباً فقال الجبل: يا موسى كنت ترعى الغنم فيّ وعلى رأسك قلنسوة وفي يدك عصا فالله الذي اصطفاك برسالاته وبكلامه لقد جعلني الأعلى بفضله وإنعامه اللهم اجعلنا على صراطك المستقيم واتباع رسولك الكريم واهدنا التوجه إلى كعبة ذاتك والانجذاب إليك والوصول إلى مشاهدتك.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿قد﴾ لفظ قد في المضارع للتقليل وقد استعمل هٰهنا للتكثير بطريق الاستعارة للمجانسة بين الضدين في الضدية ﴿نرى﴾ مستقبل لفظاً ماض معنى ومتأخر تلاوة متقدم معنى لأنها رأس القصة والمعنى شاهدنا وعلمنا ﴿تقلب وجهك﴾ أي: تردد وجهك في تصرف نظرك ﴿في السماء﴾ أي: في جهتها تطلعاً للوحي وكان عليه السلام يقع في روعه ويتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة لأنها قبلة أبيه إبراهيم وأقدم القبلتين وأدعى للعرب إلى الإيمان من حيث أنها كانت مفخرة لهم وأمناً ومزاراً ومطافاً ولمخالفة اليهود فإنهم كانوا يقولون: إنه يخالفنا في ديننا ثم إنه يتبع قبلتنا ولولا نحن لم يدر أين يستقبل فعند ذلك كره أن يتوجه إلى قبلتهم حتى روي أنه ﷺ قال لجبريل «وددت أن الله صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها» فقال له جبريل: أنا عبد مثلك وأنت كريم على ربك فادعُ ربك وسله ثم ارتفع جبريل وجعل رسول الله ﷺ يديم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه جبريل بالذي سأل ربه فأنزل الله هذه الآية وأول ما نسخ من المنسوخات هو خمسون صلاة نسخت إلى خمس للتخفف ثم تحويل القبلة إلى بيت المقدس بمكة امتحاناً للمشركين بعد أن كان للمصلي أن يتوجه حيث شاء لقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] ثم تحويلها من بيت المقدس إلى الكعبة بالمدينة امتحاناً لليهود كذا في «تفسير الفاتحة» للمولى الفناري ﴿فلنولينك قبلة﴾ أي: فوالله لنعطينكها ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا أي: صيرته والياً له وولي الرجل ولاية أي: تمكن منه أو فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس من وليه ولياً أي: قربه ودنا منه وأوليته إياه ووليته أي: أدنيته منه ﴿ترضاها﴾ مجاز عن المحبة والاشتياق لأنه عليه السلام لم يكن ساخطاً للتوجه إلى بيت المقدس كارهاً له غير راض أي: تحبها وتتشوق إليها لا لهوى النفس والشهوة الطبيعية بل لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله تعالى ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ أي: اصرف وجهك أي: اجعل وجهك بحيث يلي شطره ونحوه والمراد بالوجه هٰهنا جملة البدن لأن الواجب على المكلف أن يستقبل القبلة بجملة بدنه لا بوجهه فقط ولعل تخصيص الوجه بالذكر التنبيه على أنه الأصل المتبوع في التوجه والاستقبال والمتبادر من لفظ المسجد الحرام هو المسجد الأكبر الذي فيه الكعبة والحرام المحرم أي: المحرم فيه القتال أو الممنوع من الظلمة أن يتعرضوا له وفي ذكر المسجد الحرام دون الكعبة إيذان بكفاية مراعاة جهة الكعبة باتفاق بين الحنفية

والشافعية لأن استقبال عينها للبعيد متعذر وفيه حرج عظيم بخلاف القريب ﴿وحيثما كنتم﴾ أي: في أي: موضع كنتم من الأرض من بحر أو بر شرق أو غرب وأردتم الصلاة ﴿فولوا وجوهكم شطره﴾ فإنه القبلة إلى نفخ الصور أمر لجميع المؤمنين بذلك بعدما أمر به النبي عليه السلام تصريحاً بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد حثاً للأمة على المتابعة ﴿وإن الذين أوتوا الكتاب﴾ من فريقي اليهود والنصارى ﴿ليعلمون أنه﴾ أي: التحويل إلى الكعبة ﴿الحق﴾ أي: الثابت كائناً ﴿من ربهم﴾ لما أن المسطور في كتبهم أنه عليه السلام يصلي إلى القبلتين بتحويل القبلة إلى الكعبة بعدما كان يصلي إلى بيت المقدس ومعنى من ربهم أي: من قبله تعالى لا شيء ابتدعه الرسول ﷺ من قبل نفسه فإنهم كانوا يزعمون أنه من تلقاء نفسه ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ خطاب للمسلمين واليهود جميعاً على التغليب فيكون وعداً للمسلمين بالإثابة وجزيل الجزاء ووعيداً وتهديداً لليهود على عنادهم.

﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية﴾ برهان قاطع على أن التوجه إلى الكعبة هو الحق ﴿ما تبعوا قبلتك﴾ عناداً ومكابرة وهذا في حق قوم معينين علم الله أنهم لا يؤمنون فإن منهم من آمن وتبع القبلة ﴿وما أنت بتابع قبلتهم﴾ حسم لأطماعهم إذ كانوا تناجوا في ذلك وقالوا: لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه إلى قبلتهم ﴿وما بعضهم بتابع قبلة بعض﴾ فإن اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل فريق فيما هو فيه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ جمع هوى وهو الإرادة والمحبة أي: ولئن وافقتهم في مراداتهم بأن صليت إلى قبلتهم مداراة لهم وحرصاً على إيمانهم ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ أي: من بعد ما علمت بالوحي القاطع أن قبلة الله هي الكعبة ﴿إنك إذاً﴾ حرف جواب وجزاء توسطت بين اسم إن وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة ﴿لمن الظالمين﴾ أي: المرتكبين الظلم الفاحش وهذه الجملة الشرطية الفرضية واردة على منهاج التهييج والإلهاب للثبات على الحق. وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة الهوى فإن من ليس من شأنه ذلك إذا نهى عنه ورتب على فرض وقوعه ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم فما ظن من ليس كذلك، قال في «المثنوي»:

تازه كن إيمان نه از كفت زبان أي: هوارا تازه كرده در نهان
تاهوا تازه است إيمان تازه نيست كين هوا جز قفل آن دروازه نيست

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦
ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ
يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨﴾

﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ إيتاء فهم ودراسة وهم الأحبار ﴿يعرفونه﴾ أي: الرسول ﷺ ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ أي: يعرفونه ﷺ بأوصافه الشريفة المكتوبة في كتابهم لا يشتبه عليهم كما لا يشتبه أبناؤهم وتخصيصهم بالذكر دون ما يعم البنات لكون الذكور أشهر وأعرف عندهم منهن وهم بصحبة الآباء ألزم وبقلوبهم ألصق. فإن قيل: لِمَ لم يقل كما يعرفون أنفسهم؟! مع

أن معرفة الشخص نفسه أقرب إليه من معرفة سائر الأشياء: فالجواب ما قال الراغب: لأن الإنسان لا يعرف نفسه إلا بعد انقضاء برهة من دهره ويعرف ولده من حين وجوده ﴿وإن فريقاً منهم﴾ هم الذين كابروا وعاندوا الحق ﴿ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ أن محمداً رسول الله ﷺ وأن الكعبة قبلة الله والباقون هم الذين آمنوا منهم فإنهم يظهرون الحق ولا يكتمونه وأما الجهلة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب ولا بما في تضاعيفه فما هم بصدد الإظهار ولا بصدد الكتم وإنما كفرهم على وجه التقليد.

﴿الحق﴾ الذي أنت عليه يا محمد ﴿من ربك﴾ خبر لقوله الحق ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ أي: الشاكين في كون الحق من ربك هذا خطاب له ﷺ والمقصود خطاب أمته ونهيهم عن الامتراء ومعنى نهي الأمة عن الامتراء أمرهم بضده الذي هو اليقين وطمأنينة القلب. قال القشيري حملهم مستكنات الحسد وسوء الاختيار على مكابرة ما علموا بالاضطرار وكذلك المغمور في ظلمات نفسه يلقي جلباب الحياء فلا ينجع فيه ملام ولا يرده عن انهماكه كلام. قال حضرة الشيخ الشهير بافتادة أفندي: عندنا ثلاث مراتب:

إحداها: مرتبة التقليد وهي لعامة الناس.

والثانية: مرتبة التحقيق والإيقان وهي للمجتهدين كالأئمة الأربعة ومن يحذو حذوهم.

والثالثة: مرتبة المشاهدة والعيان فهي للكمل من أهل السلوك قال: وإذا لم تتطهر النفس من الأخلاق الرديئة لا تحصل المعارف الإلّهية وإن كان كاملاً في العقل والعلوم ألا يرى أن الشيطان مع عقله وعلمه كيف استكبر وعصى أمر الله تعالى لما في نفسه من الكبر والحسد وكذلك حال أهل الكتاب في أمر القبلة وشأن النبي ﷺ حيث لم ينفع العلم والمعرفة لخبث باطنهم فلا بد من تزكية النفوس وتصفية القلوب والاستقامة في باب الحق إلى أن يأتي اليقين.

ـ حكي ـ أن يونس خدم شيخه طبق أمره ثلاثين سنة بالصدق حتى تورم ظهره من نقل الحطب فلم يظهر وكان شيخه نظر له فثقل ذلك على سائر الطالبين وقالوا: إنه يخدم الشيخ على محبة بنته حتى تكلموا في ذلك الشيخ فلما أتى بالحطب قال شيخه: نعم الحطب المستقيم يا يونس فقال: إن غير المستقيم لا يليق بهذا الباب وما تكلموا في حقه ليس على وجه النفاق بل لما رأوا أنهم لا يتحملون ما يتحمل يونس أشكل عليهم الأمر فحملوه على حب البنت وسؤال الشيخ أيضاً وجواب يونس بهذا الوجه إنما كان لإرشادهم وإزالة شبههم وإلا فالشيخ كان يعرف أحوال يونس ولم يحصل له سوء ظنّ من كلامهم لأن من كان مرشداً لا يعرف حال المريد بكلام الغير في المدح والذم ثم زوج الشيخ بنته له وقال حتى لا يكون الإخوان كاذبين ولا يحصل لهم الخجالة وكانت البنت متى قرأت القرآن يقف الماء فلم يمسها يونس إلى آخر عمره وقال: أنا لا أليق بها فللسالك في مرتبة الطبيعة أن يترك مقتضاها ويقتصر على قدر الكفاية من الأكل والشرب ولا يتقيد بتدارك ما تشتهيه طبيعته فإن الخير في مخالفتها ومن تربية النفس أن يجتنب عن حب الأموال والأولاد فإنهما فتنة ومعينان لها على كبرها بكثرتهما وأكثر الأنفس لا تحب صرفها بل تدخرها ليزداد استكبارها وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩] فما دام لم تصلح الطبيعة والنفس لا يصل الطالب إلى مطلوبه ففي الحج إشارة إلى ذلك فإن قاصد البيت المكرم يترك استراحة بدنه ويبذل ماله إلى أن يصل إلى مشاهدته فكذلك قاصد رب البيت يفنى عن جميع ما

سواه ويكون في توجهه وحدانياً هيولانياً حتى يشاهد ببصيرته ما يشاهد فالصلاة مستقبلاً إلى شطر المسجد الحرام عين التوجه إلى الذات الأحدية لأن الكعبة مثال صوري لحضرته تعالى وإن المراد من الاستقبال إليها الإقبال إليه تعالى مع أنه لا يتقيد التوجه حقيقة لكن الاستقبال صورة رعاية للأدب ودور مع الأمر الإلهي فإن الله تعالى في كل شيء حكمة ومصلحة ومن تخلص من القيود وانجذب إلى الرب المعبود فقد تجلى له قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١١٥] وظهر له سر الظاهر والمظهر:

عاشقي ديد از دل پر تاب — حضرت حق تعالى اندر خواب
دامنش را كرفت آن غمخور — كه ندارم من از تو دست دكر
چون بر آمدز خواب خوش درويش — ديد محكم كرفته دامن خويش

فطوبى لمن دار مع الأمر الإلٓهي وسلم من الاعتراض وتخلص من الانقباض وفني عن إضافة الوجود إلى نفسه وبقي بربه وبكمالاته اللهم اجعلنا من المهديين إلى هذه الرتبة العظمى والكعبة العليا واصرفنا في مسالكنا عن الانحراف إلى شيء من الآخرة والدنيا.

﴿ولكل﴾ أي: لكل أمة من الأمم أعني المسلمين واليهود والنصارى ﴿وجهة﴾ أي: قبلة وجهة ﴿هو﴾ راجع إلى كل ﴿موليها﴾ أي: محول وموجه إلى تلك الجهة وجهه فقبلة كل أمة من أهل الأديان المختلفة مغايرة لقبلة الأمة الأخرى ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ أي: إلى الخيرات بنزع الجار والمراد جميع أنواع الخيرات من أمر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين والمعنى لكل أمة قبلة يتصلبون في التوجه إليها بحيث لا ينصرفون عنها إلى القبلة الحق وإن أتيتهم بكل آية دالة على أن القبلة هي الكعبة وإذا كان الأمر كذلك فاستبقوا أنتم وبادروا إلى الفعلات الخيرات وهي ما ثبت أنه من الله تعالى ولا تقتفوا أثر المكابرين المستكبرين الذين يتبعون أهواءهم ويلقون الحق وراء ظهورهم فإنهم إنما يستبقون إلى الشر والفساد إذ ليس بعد الحق إلا الضلال. قال بعض أهل الحقيقة: معناه كل قوم اشتغلوا بغيرنا عنا وأقبلوا على غيرنا فكونوا معاشر العارفين لنا واشتغلوا بنا عن غيرنا فإن مرجعكم إلينا كما قال تعالى: ﴿أينما﴾ أي: في أي موضع ﴿تكونوا﴾ أنتم وأعداؤكم ﴿يأت بكم الله جميعاً﴾ يحشركم الله إلى المحضر للجزاء ويفصل بين المحق والمبطل فهو وعد لأهل الطاعة ووعيد لأهل المعصية ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ فيقدر على الإماتة والإحياء والجمع.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

﴿ومن حيث خرجت﴾ أي: من أي مكان وبلد خرجت إليه للسفر ﴿فول وجهك﴾ عند صلاتك ﴿شطر المسجد الحرام﴾ تلقاءه فإن وجوب التوجه إلى الكعبة لا يتغير بالسفر والحضر حالة الاختيار بل الحكم بالأسفار مثله حالة الإقامة بالمدينة ﴿وإنه﴾ أي هذا المأمور به وهو تحويل القبلة إلى الكعبة ﴿للحق من ربك﴾ أي الثابت الموافق للحكمة ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ فيجازيكم بذلك أحسن جزاء فهو وعد للمؤمنين.

﴿ومن حيث خرجت﴾ إليه في أسفارك ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم﴾ أيها المؤمنون من أقطار الأرض مقيمين أو مسافرين وصليتم ﴿فولوا وجوهكم﴾ من محالكم ﴿شطره﴾ كرر هذا الحكم وهو التحويل وتولية الوجه شطر المسجد لما أن القبلة لها شأن خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة وتسويل الشيطان فبالحري أن يؤكد أمرها مرة غب أخرى مع أنه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ متعلق بقوله فولوا والمعنى أن التولية عن الصخرة إلى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بأن المنعوت في التوراة قبلته الكعبة واحتجاج العرب بأنه يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته وقوله عليكم في الأصل صفة حجة فلما تقدم عليها امتنع الوصفية لامتناع تقدم الصفة على الموصوف فانتصب على الحالية ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ استثناء من الناس أي: لئلا يكون حجة لأحد من اليهود إلا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلاً إلى دين قومه وحباً لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء ولا لأحد من العرب من أهل مكة إلا للمعاندين منهم الذين قالوا: بدا له فرجع إلى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة مع أنها أفحش الأباطيل لأنهم كانوا يسوقونها مساقها ويوردونها موقعها فسميت حجة مجازاً تهكماً بهم ﴿فلا تخشوهم﴾ فلا تخافوهم في توجهكم إلى الكعبة ومظاهرهم عليكم لسببه فإن مطاعنهم لا تضركم شيئاً ﴿واخشوني﴾ بامتثال أمري فلا تخالفوا أمري وما رأيته مصلحة لكم فإني ناصركم ﴿ولأتم نعمتي عليكم﴾ علة لمحذوف أي: أمرتكم بتولية الوجوه شطره لإتمامي النعمة عليكم لما أنه نعمة جليلة وما وقع من أوامر الله تعالى وتكاليفه وائتمار المكلف بالتوجه إلى حيث وجهه الله تعالى وإن كان نعمة يتوصل به إلى الثواب الجزيل إلا أن أمره تعالى بالتوجه إلى قبلة إبراهيم تمام النعمة في أمر القبلة فإن القوم كانوا يفتخرون باتباع إبراهيم في جميع ما كانوا يفعلونه فلما وجهوا إلى قبلته بعد ما صرفوا عنها لمصلحة حادثة فقد أصابوا تمام النعمة في أمر القبلة فإن نعمة الله تعالى على عباده ضربان موهوب ومكتسب فالموهوب نحو صحة البدن وسلامة الأعضاء وغيرهما والمكتسب نحو الإيمان والعمل الصالح بامتثال الأوامر والاجتناب عن المناهي فإن ذلك كله يؤدي إلى سعادة الدارين ﴿ولعلكم تهتدون﴾ أي: ولإرادتي اهتداءكم إلى شعائر الملة الحنيفية وشرائع الدين القويم.

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم﴾ متصل بما قبله أي: ولأتم نعمتي عليكم في أمر القبلة إتماماً كائناً كإتمامي لها بإرسال رسول كائن منكم وهو محمد ﷺ فإن إرسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة لم تكافئها نعمة قط ﴿يتلو عليكم آياتنا﴾ وهو القرآن العظيم ﴿ويزكيكم﴾ أي: يحملكم على ما تصيرون به أزكياء طاهرين من دنس الذنوب المكدرة لجوهر النفس لأن شأن الرسل الدعوة والحث على أعمال يحصل بها طهارة نفوس الأمة من الشرك والمعاصي لا تطهيرهم إياهم بمباشرتهم من أول الأمر ﴿ويعلمكم الكتاب﴾ أي: ما في القرآن من المعاني والأسرار والشرائع والأحكام التي باعتبارها وصف القرآن بكونه هدى ونوراً فإنه عليه السلام

كان يتلوه عليهم ليحفظوا نظمه ولفظه فيبقى على ألسنة أهل التواتر مصوناً من التحريف والتصحيف ويكون معجزة باقية إلى يوم القيامة وتكون تلاوته في الصلاة وخارجها نوعاً من العبادة والقربة ومع ذلك كان يعلم ما فيه من الحقائق والأسرار ليهتدوا بهداه وأنواره ﴿والحكمة﴾ هي الإصابة في القول والعمل ولا يسمى حكيماً إلا من اجتمع له الأمران كذا قال الإمام: من أحكمت الشيء أي: رددته عما لا يعنيه وكأن الحكمة هي التي ترد عن الجهل والخطأ.

واعلم أن العمل بالقرآن متفرع على معرفة معناه وهو متفرع على معرفة ألفاظه والتزكية غاية أخيرة لأنها متفرعة على العمل لكنها قدمت في الذكر نظراً إلى تقدمها في التصور ﴿ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ قال الراغب: إن قيل ما معنى ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون وهل ذلك إلا الكتاب والحكمة قيل عني بذلك العلوم التي لا طريق إلى تحصيلها إلا من جهة الوحي على ألسنة الأنبياء ولا سبيل إلى إدراك جزئياتها وكلياتها إلا به وعنى بالحكمة والكتاب ما كان للعقل فيه مجال في معرفة شيء منه وأعاد ذكر ﴿ويعلمكم﴾ مع قوله ﴿ما لم تكونوا تعلمون﴾ تنبيهاً على أنه مفرد عن العلم المتقدم ذكره.

﴿فاذكروني﴾ بالطاعة لقوله عليه السلام: «من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وقراءته القرآن ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وقراءته القرآن» ﴿أذكركم﴾ بالثواب واللطف والإحسان وإفاضة الخير وفتح أبواب السعادات وأطلق على هذا المعنى الذكر الذي هو إدراك مسبوق بالنسيان والله تعالى منزله عن النسيان بطريق المجاز والمشاكلة لوقوعه في صحبة ذكر العبد ﴿واشكروا لي﴾ على ما أنعمت عليكم من النعم والذكر والطاعة هو الشكر فقوله واشكروا لي أمر تخصيص شكرهم به تعالى لأجل أفضاله وإنعامه عليهم وأن لا يشكروا غيره. وجعل صاحب «التيسير» قوله تعالى: ﴿فاذكروني﴾ أمراً بالقول وقوله: ﴿واشكروا لي﴾ أمراً بالعمل. قال الراغب: إن قيل ما الفرق بين شكرت لزيد وشكرت زيداً قيل: شكرت له هو أن تعتبر إحسانه الصادر عنه فتثني عليه بذلك وشكرته إذا لم تلتفت إلى فعله بل تجاوزت إلى ذكر ذاته دون اعتبار أحواله وأفعاله فهو أبلغ من شكرت له وإنما قال: واشكروا لي ولم يقل واشكروني علماً بقصورهم عن إدراكه بل عن إدراك آلائه كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤] فأمرهم أن يعتبروا بعض أفعاله في الشكر لله ﴿ولا تكفرون﴾ بجحد النعم وعصيان الأمر. فإن قيل: لم قال بعد واشكروا لي ولا تكفرون ولم يقتصر على قوله ﴿واشكروا لي﴾. قلنا لو اقتصر على قوله ﴿واشكروا لي﴾ لكان يجوز أن يتوهم أن من شكره مرة أو على نعمة ما فقد امتثل ولو اقتصر على قوله ﴿ولا تكفرون﴾ لكان يجوز أن يتوهم أن ذلك نهي عن تعاطي فعل قبيح دون حث على الفعل الجميل فجمع بينهما لإزالة هذا التوهم ولأن في قوله ولا تكفرون تنبيهاً على أن ترك الشكر كفران. فإن قيل: لم قال ولا تكفرون ولم يقل ولا تكفروا لي؟ قيل: خص الكفر به تعالى بالنهي عنه للتنبيه على أنه أعظم قباحة بالنسبة إلى كفر نعمه فإن كفران النعم قد يعفى عنه بخلاف الكفر به تعالى كذا في «تفسير الراغب» «الأصفهاني». قال بعض العلماء لما خص الله هذه الأمة بفضل قوة وكمال بصيرة وبالنسبة إلى بني إسرائيل قال لهم: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] فأمرهم بذكر نعمه المنسية المغفول عنها لينظروا منها إلى

المنعم وقال لهذه الأمة ﴿فاذكروني﴾ فأمرهم أن يذكروه بلا واسطة لقوة بصيرتهم، قال الصائب:

درسر هرخام طينت نشئة منصور نيست هرسفالي را صداي كاسة فغفور نيست

قال الإمام الغزالي: الذكر قد يكون باللسان وقد يكون بالقلب وقد يكون بالجوارح فذكرهم إياه باللسان أن يحمدوه ويسبحوه ويمجدوه ويقرؤوا كتابه. وذكرهم إياه بقلوبهم على ثلاثة أنواع: أحدها أن يتفكروا في الدلائل الدالة على ذاته وصفاته ويتفكروا في الجواب عن الشبه العارضة في ملك الله. وثانيها: أن يتفكروا في الدلائل الدالة على كيفية تكاليفه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده فإذا عرفوا كيفية التكليف وعرفوا ما في الفعل من الوعد وفي الترك من الوعيد سهل عليهم الفعل. وثالثها: أن يتفكروا في أسرار مخلوقات الله تعالى حتى يصير كل ذرة من ذرات المخلوقات كالمرآة المجلوة المحاذية لعالم القدس فإذا نظر العبد إليها انعكس شعاع بصره منها إلى عالم الجلال وهذا المقام مقام لا نهاية له. وأما ذكرهم إياه تعالى بجوارحهم فهو أن تكون جوارحهم مستغرقة في الأعمال التي أمروا بها وخالية عن الأعمال التي نهوا عنها وعلى هذا الوجه سمى الله تعالى الصلاة ذكراً بقوله: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] فصار الأمر بقوله: ﴿اذكروني﴾ متضمناً لجميع الطاعات ولهذا ذكر عن سعيد بن جبير أنه قال: اذكروني بطاعتي فأجمله حتى يدخل فيه جميع أنواع الذكر وأقسامه انتهى كلام الإمام. قال لقمان لابنه يا بني إذا رأيت قوماً يذكرون الله تعالى فاجلس معهم فإنك إن تك عالماً ينفعك علمك وإن تك جاهلاً علموك ولعل الله يطلع عليهم برحمته فيصيبك معهم وإذا رأيت قوماً لا يذكرون فلا تجلس معهم فإنك إن تك عالماً لا ينفعك علمك وإن تك جاهلاً يزيدوك جهلاً أو غياً ولعل الله يطلع عليهم بسخطه فيصيبك معهم اللهم اجعلنا من الذاكرين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا﴾ في كل ما تأتون وما تذرون ﴿بالصبر﴾ على الأمور الشاقة على النفس كالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس ﴿والصلاة﴾ التي هي أم العبادات ومعراج المؤمنين ومثاب رب العالمين.

- روي - أنه صلى الله تعالى عليه وسلم «كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة» وتلا هذه الآية. وإنما خص الصبر والصلاة بالذكر لأن الصبر أشد الأعمال الباطنة على البدن والصلاة أشد الأعمال الظاهرة عليها لأنها مجمع أنواع الطاعات من الأركان والسنن والآداب والحضور والخضوع والتوجه والسكون وغير ذلك مما لا يتيسر حفظه إلا بتوفيق الله تعالى. قال عصام الدين قدم الترك على الفعل لأن التخلية قبل التحلية ولهذا قدم النفي في كلمة التوحيد واكتفى بذكر الصلاة لأن الخطاب لكل من المؤمنين والمشترك بين الجميع بعد الإيمان الصبر عن المعاصي والصلاة وأما الزكاة فمختصة بأصحاب النصاب وأما الحج فبأصحاب الاستطاعة والصوم صبر عن معصية الأكل والشرب وغيرهما ﴿إن الله مع الصابرين﴾ بالنصرة وإجابة الدعوة فمعنى المعية الولاية الدائمة المستتبعة لهما ودخول مع على الصابرين لما أنهم المباشرون للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك الحيثية. قال عصام الدين في «التفسير الأجل»

إن الله مع الصابرين لأن الصابرين لا يذهلون عن ذكره بخلاف المجتنبين عن الصبر فإن قلوبهم لاهية عن ذكر الله والقلب اللاهي عنه ممتلىء من هموم الدنيا وإن كانت الدنيا بأسرها له انتهى كلامه. إن قيل: لم قال ﴿إن الله مع الصابرين﴾ ولم يقل مع المصلين وقال في الآية الأخرى ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ [البقرة: ٤٥] فاعتبر الصلاة دون الصبر. قيل لما كان فعل الصلاة أشرف وأعلى من الصبر إذ قد ينفك الصبر عن الصلاة ولا تنفك الصلاة عن الصبر ذكر هٰهنا الصابرين فمعلوم أنه تعالى إذا كان مع الصابرين فهو لا محالة يكون مع المصلين بطريق الأولى وقال هناك لكبيرة فذكر الصلاة دون الصبر تنبيهاً على أنها أشرف منزلة من الصبر.

واعلم أن الصبر الذي هو تحمل المشاق من غير جزع واضطراب ذريعة إلى فعل كل خير ومبدأ كل فضل فإن أول التوبة الصبر عن المعاصي وأول الزهد الصبر عن المباحات وأول الإرادة الصبر وطلب ترك ما سوى الله تعالى ولهذا قال ﷺ: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد» وقال: «الصبر خير كله» فمن تحلى بحلية الصبر سهل عليه ملابسة الطاعات والاجتناب عن المنكرات وكذا الصلاة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]:

صبر كن حافظ بسختي روز وشب   عاقبت روزي بيابي كام را

وفي الحديث «إذا جمع الله الخلائق نادى منادٍ أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم ناس وهم يسيرون سراعاً إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون إنا نراكم سراعاً إلى الجنة فمن أنتم قالوا نحن أهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم؟ قالوا: كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيىء إلينا عفونا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين، ثم ينادي مناد أين أهل الصبر فيقوم ناس يسيرون سراعاً إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون إنا نراكم سراعاً إلى الجنة فمن أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر فيقولون: ما كان صبركم قالوا: كنا نصبر على طاعة الله ونصبر عن معاصي الله فيقال لهم: ادخلوا الجنة ثم ينادي مناد أين المتحابّون في الله فيقوم ناس يسيرون سراعاً إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون من أنتم؟ فيقولون: نحن المتحابون في الله فيقولون وما كان تحابكم في الله؟ قالوا: كنا نتحاب في الله والجنة» كذا في «نزهة القلوب».

﴿ولا تقولوا﴾ نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلاً: ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار وكان الناس يقولون: ﴿لمن يقتل﴾ في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها فأنزل الله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل القتل نقض البنية الحيوانية ﴿في سبيل الله﴾ وهو الجهاد لأنه طريق إلى ثواب الله ورحمته ﴿أموات﴾ أي: هم أموات ﴿بل أحياء﴾ أي: كالأحياء في الحكم لا ينقطع ثواب أعمالهم لأنهم قتلوا لنصرة دين الله فما دام الدين ظاهراً في الدنيا وأحد يقاتل في سبيل الله فلهم ثواب ذلك لأنهم سنوا هذه السنة ﴿ولكن لا تشعرون﴾ كيف حالهم في حياتهم وفيه رمز إلى أنها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحياة الجسمانية وإنما هي أمر روحاني لا يدرك بالعقل بل بالوحي. وفي الآية دلالة على أن الأرواح جواهر قائمة بأنفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه الجمهور. فإن قلت الحياة الروحانية المستتبعة لإدراك اللذة والألم مشتركة في الجميع فما وجه تخصيص الشهداء بها؟ قلت: لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة ومن لم يبلغ منزلتهم لا تكون حياته معتداً بها فكأنه ليس بحي قال تعالى في حق أهل النار ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾

[طه: ٧٤].

واعلم أن نفس الإنسان وذاته الذي هو مخاطب مكلف مأمور منهي بأوامر الله ونواهيه جسماني لطيف سار في هذا البدن المحسوس سريان النار في الفحم وماء الورد في الورد وهو الذي يشير إليه كل أحد بقوله: أنا وهو الإنسان حقيقة وهو الولي والنبي والمثاب والمعاقب على أعماله وهو كان في صلب آدم حين سجد له الملائكة وهو الذي سأله الله بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وهو الذي يتوفى في المنام ويخرج ويسرح ويرى الرؤيا فيسر بما يرى أو يحزن فإن أمسكه الله ولم يرجع إلى جسده تبعه الروح والجسد الكثيف المعبر عنه بالبدن والروح السلطاني محل تعينه هو القلب الصنوبري والروح الحيواني محل تعينه هو الدماغ ويقال له القلب والعقل والنفس أيضاً سرى في جميع أعضاء البدن إلا أن سلطانه قوي في الدماغ فهو أقوى مظاهره وهو أي: الروح الحيواني إنما حدث بعد تعلق الروح السلطاني بهذا الهيكل فهو من انعكاس أنوار الروح السلطاني ليكون مبدأ الأفعال لأن الحياة أمر مغيب مستور في الحي لا يعلم إلا بآثارها كالحس والحركة والعلم والإرادة وغيرها وهذا يدور على الروح الحيواني فما دام هذا البخار باقياً على الوجه الذي يصلح أن يكون علاقة بينهما فالحياة قائمة وعند انتفائه وخروجه عن الصلاحية له نزول الحياة ويخرج الروح من البدن خروجاً اضطرارياً وهو الموت الحقيقي وكما يخرج الروح من البدن خروجاً اضطرارياً كذلك قد يخرج منه خروجاً اختيارياً ويعود إليه متى شاء وهو الذي سماه الصوفية بالانسلاخ فقد عرفت من هذا أن مذهب أهل السنة والجماعة أن الروح جسم لطيف مغاير لهذا الهيكل المحسوس وانكشف لك حال الروح ووقف على أسرار البرزخ وأحوال القبر وما فيه من الألم واللذة الجسمانيين وانحل عندك وجه كونه روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران فالشهداء أحياء بالحياة البرزخية متنعمون لأنهم أجسام لطيفة كالملائكة فإنهم موجودون أحياء قال المولى الفناري في «تفسير الفاتحة» كل نعيم يتنعم به الصديقون والشهداء والصالحون في البرزخ خيالي وكذا كل عذاب يتألم به الجهنميون ومصداق ذلك أنه إذا نفخ في الصور وبعث الخلق ينسى كل واحد منهم حاله في البرزخ ويتخيل أن ذلك الذي كان فيه منام كما تخيله المستيقظ وقد كان حين مات وانتقل إلى البرزخ كالمستيقظ هناك وأن الحياة الدنيا كانت له كالمنام في الآخرة يعتقد في أمر الدنيا والبرزخ أنه منام في منام وأن اليقظة الصحيحة هي التي هو عليها في الدار الآخرة حيث لا نوم فيها ولا نوم بعدها انتهى كلامه. قال في «أسئلة الحكم» إن أمور البرزخ والآخرة على النمط الغير المألوف في الدنيا والأرواح بعد الموت ليس لها نعيم ولا عذاب حسي جسماني لكن ذلك نعيم أو عذاب معنوي حتى تبعث أجسادها فترد إليها فتتنعم عند ذلك حساً ومعنى ألا ترى إلى بشر الحافي قدس سره لما رئي في المنام قيل له ما فعل الله بك قال: غفر لي وأباح لي نصف الجنة يعني روحه متنعمة بالجنة بما يليق بها في مقامه والنصف الآخر هو الجنة التي يدخلها ببدنه إذا حشر فيكمل النعيم بالنصف الآخر والأكل الذي رآه الميت بعد موته في البرزخ هو كالأكل الذي يراه النائم في النوم والنعيم به مثل النعيم به سواء كما قال عليه السلام: «إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» وكذلك كل شخص غير أن الفرق بين الرسول وغيره في هذه الصورة أن جسم النبي يبيت جائعاً ويستيقظ وهو شبعان وغير النبي يأكل في منامه وهو جيعان ويستيقظ وهو كذلك وإذا رأى الولي الوارث ذلك وقد وجد أثر الشبع أو

الري فذلك من أجزاء النبوة التي وردت في الميراث إذ الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة وقد رأى ذلك كثير من الأولياء وأصبحوا وعليهم رائحة الطعام الذي أكلوه وشبعوا فهذه وراثة نبوية فقوله عليه السلام: «إني لست كهيئتكم» باعتبار الغالب لا باعتبار الكل فتنعم الشهداء في البرزخ بمرتبة تنعم الولي الوارث في المنام فافهم هذا المقام فإن الجسم المبحوث عنه هٰهنا هو الجسم اللطيف وتنعم بما يليق بمرتبته في البرزخ سواء عبرت عنه بالخيالي أو بالمعنوي أو بالجسماني أي: المنسوب إلى الجسم اللطيف لا الكثيف فإن اللذة الجسمانية المتعلقة بالجسد الكثيف حال الدنيا لا غير. قيل: يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد؟ قال: «نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة».

وفي «التأويلات النجمية»: الإشارة لا تحسبوا من قتل من أهل الجهاد الأكبر بسيف جلال الله في سبيل الله بالفناء في الله أمواتاً وإن فنيت أوصاف وجودهم فإنهم أحياء بشهود موجدهم ومن كان فناؤه في الله كان بقاؤه بالله فتارة يفنيهم بسطوات تجلى صفات الجلال وتارة يحييهم بنفحات ألطاف الجمال فإنهم يسرحون في رياض الجمال ولكن لا تشعرون بأحوالهم ولا تطلعون عليها. قال القشيري: لئن فنيت في الله أشباحهم لقد بقيت بالله أرواحهم، وقال الجنيد: من كانت حياته بنفسه يكون مماته بذهاب روحه ومن كانت حياته بربه فإنه ينتقل من حياة الطبع إلى حياة الأصل وهو الحياة الحقيقية. وفي «المثنوي»:

مي كند دندان بدرا آن طبيب ... تا رهد ازدرد وبيماري حبيب
پس زيادتها درون نقصها ست ... مر شهيدا نرا حيات اندرفناست
كريكي سرراً ببرد از بدن ... صد هزاران سربر آرد درزمن
حلق ببريده خورد شربت ولي ... خلق ازلار سته مرده دربلي

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾

﴿**ولنبلونكم**﴾ اللام جواب قسم محذوف أي: والله لنعاملنكم معاملة المبتلي هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء أو لا إذ البلاء معيار كالمحك يظهر به جوهر النفس وذلك لنظهر لكم منكم المطيع من المعاصي لا لنعلم شيئاً لم نكن عالمين به ﴿**بشيء من الخوف**﴾ أي: بقليل من خوف الأعداء وإنما قلله لأن ما وقاهم منه أكثر بالنسبة إلى ما أصابهم بألف مرة ﴿**و**﴾ شيء من ﴿**الجوع**﴾ أي: القحط والسنة وإنما أخبرهم به قبل وقوعه ليوطئوا عليه نفوسهم ويسهل لهم الصبر عليه فإن مفاجأة المكره أشد على النفس من إصابته مع ترقبه ﴿**ونقص من الأموال**﴾ عطف على شيء أي: وبنقص شيء قليل من ذلك بالسرقة والإغارة وأخذ السلطان والهلاك والخسران ﴿**والأنفس**﴾ أي بالقتل والموت أو بالمرض والشيب ﴿**والثمرات**﴾ أي: وذهاب ثمرات الكروم والأشجار بالبرد والسموم والريح والجراد وغيرها من الآفات وقد يكون نقص الثمرات بترك عمارة الضياع للاشتغال بالجهاد.

وعن الشافعي رحمه الله: الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الأموال الزكاة والصدقات ومن الأنفس الأمراض ومن الثمرات موت الأولاد وفي الحديث «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم فيقول: أقبضتم ثمرة قلبه؟

فيقولون نعم فيقول الله ماذا قال عبدي؟ فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد». قال بعض أهل المعرفة: مطالبات الغيب إما أن تكون بالمال أو بالنفس أو بالأقارب أو بالقلب أو بالروح فمن أجاب بالمال فله النجاة ومن أجاب بالنفس فله الدرجات ومن صبر على فقد الأقارب فله الخلف والقربات ومن لم يؤخر عنه الروح فله دوام المواصلات ﴿وبشر﴾ الخطاب للرسول أو لمن يتأتى منه البشارة لتعظيم الصبر وتفخيمه لأنه فضيلة عظيمة الثواب وخصلة من خصال الأنبياء والأولياء فيستحق صاحبه أن يبشره كل أحد ﴿الصابرين﴾ على البلايا ﴿الذين إذا أصابتهم﴾ الإصابة ضد الخطأ ﴿مصيبة﴾ هي ما يصيب الإنسان من مكروه لقوله عليه السلام «كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة» وأصلها الوصول من صاب السهم المرمي وأصابه وصل إليه ﴿قالوا إنا لله﴾ أي: نحن عبيد الله والعبد وما في يده لمولاه فإن شاء أبقاه في أيدينا وإن شاء استرده منا فلا نجزع بما هو ملكه بل نصبر فإن عشنا فعليه رزقنا وإن متنا فإنا إليه راجعون وإليه مردنا وعنده ثوابنا ونحن راضون بحكمه فما أعطانا ربنا كان فضلاً منه ولا يليق بكرمه الارتجاع في عطاياه وإنما أخذه ليكون ذخيرة لنا عنده فقولنا إنا لله إقرار منّا له تعالى بالملك ﴿وإنا إليه راجعون﴾ إقرار على أنفسنا بالهلك وقيل الرجوع إليه تعالى ليس عبارة عن الانتقال إلى مكان وجهة فإن ذلك على الله محال بل المراد منه أن يصير إلى حيث لا يملك الحكم فيه سواه وذلك هو الدار الآخرة إذ لا حاكم فيها حقيقة وبحسب الظاهر إلا الله تعالى بخلاف دار الدنيا فإن غير الله قد يملك الحكم فيها بحسب الظاهر. وقول المصاب عند مصيبته ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ له فوائد. منها الاشتغال بهذه الكلمة عن كلام لا يليق. ومنها أنها تسلي قلب المصاب وتقلل حزنه. ومنها أنها تقطع طمع الشيطان في أن يوافقه في كلام لا يليق. ومنها أنه إذا سمعه غيره اقتدى به. ومنها أنه إذا قال ذلك بلسانه يتذكر بقلبه الاعتقاد الحسن والتسليم لقضاء الله وقدره فإن المصاب يدهش عند المصيبة فيحتاج إلى ما يذكر له التسليم المذكور وفي الحديث «ما من مصيبة تصيب عبداً فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني من مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها». قال سعيد بن جبير: ما أعطى أحد في المصيبة ما أعطى هذه الأمة يعني الاسترجاع ولو أعطيه أحد لأعطى يعقوب ألا تسمع إلى قوله في قصة فقد يوسف ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤] وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب بأن يتصور ما خلق لأجله وهو الانقياد لله تعالى في جميع ما كلفه به من التكاليف والتسليم لقضاء الله وقدره في جميع ما أخذه وأعطاه فإن من اختص لله تعالى ملكاً وملكاً كيف ينازعه في ملكه ولا يرضى بقضائه وملاحظة أن ما في عالم الملك كله لله تعالى يذكر نعم الله وتذكرها يستلزم العلم بأن ما أبقى عليه أضعاف ما استرده منه والمبشر به محذوف دل عليه قوله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿أولئك﴾ أي: الصابرون الموصوفون بما ذكر ﴿عليهم صلوات﴾ كائنة ﴿من ربهم ورحمة﴾ أي: رحمة ووجه الجمع في الصلوات الدلالة على الكثرة والتكرير واستغنى بتنكير التعظيم في رحمة عن إيرادها بلفظ الجمع ويندرج في رحمته تعالى إيصال المسار ودفع المضار في الدنيا والآخرة وجمع بين الصلاة والرحمة للإيذان بأن رحمته غير منقطعة فالمعنى عليهم

فنون الرحمة المتوالية الفائضة من مالك أمورهم ومبلغهم إلى كمالاتهم اللائقة بهم. قال بعضهم: الصلاة من الله المدح والثناء والتعظيم والرحمة اللطف والإحسان فلا تكرار ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب ولذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى. وعن ابن مسعود رضي الله عنه لأن أخرّ من السماء أحب إلي من أن أقول في شيء قضاه الله ليته لم يكن. وقال علي رضي الله عنه: من ضرب بيده على فخذه عند مصيبة فقد حبط أجره أي: بطل ثوابه. قيل المكاره التي تصيب الإنسان إذا أصابته من قبل الله تعالى يجب الصبر عليها لأن ما جاء من جهة العدل الحكيم ليس إلا مقتضى عدله وحكمته فيجب عليه أن يرضى لعلمه بأنه تعالى لا يقضي إلا بالحق وإن أصابته من جهة الظلمة فلا يجب عليه أن يصبر عليها بل جاز له أن يمانعه بل يحاربه وإن قتل بمحاربته يكون شهيداً.

واعلم أن البلاء سبب للتصفية كما قال عليه السلام: «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت» أي: ما صفي نبي مثل ما صفيت والوفاء والجفاء سيان عند العشاق كما قال:

صائب شكايت از ستم يار چون كند　　　هرجاكه عشوه هست وفا وجفا يكيست

قال الحسن رضي الله عنه: سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: «يا بني عليك بالقنوع تكن من أغنى الناس وأداء الفرائض تكن من أعبد الناس يا بني إن في الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة فلا ينشر لهم ديوان ولا ينصب لهم ميزان يصب عليهم الأجر صبا ثم قرأ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]» ولو لم يكن في الصبر إلا حكاية الطير الذي في عهد سليمان عليه السلام لكفى. وذلك أن طيراً في عهد سليمان عليه السلام كان له صوت حسن وصورة حسنة اشتراه رجل بألف درهم وجاءه طير آخر فصاح صيحة فوق قفصه وطار فسكت الطير وشكا الرجل إلى سليمان عليه السلام فقال: أحضروه فلما أحضروه قال سليمان عليه السلام لصاحبك عليك حق حتى اشتراك بثمن غال فلِمَ سكت؟ فقال: يا نبي الله قل له حتى يرفع قلبه عني إني لا أصيح أبداً ما دمت في القفص قال: لِمَ؟ قال: لأن صياحي كان من الجزع إلى الوطن والأولاد وقال لي ذلك الطير إنما حبسك لأجل صوتك فاسكت حتى تنجو فقال سليمان عليه السلام للرجل ما قال الطير؟ فقال الرجل: أرسله يا نبي الله فإني كنت أحبسه لصوته فأعطاه سليمان عليه السلام ألف درهم ثم أرسل الطير ثم طار وصاح سبحان من صورني وفي الهواء طيرني ثم في القفص صبرني ثم قال سليمان عليه السلام: إن الطير ما دام في الجزع لم يفرج عنه فلما صبر فرج عنه ومثل هذا في الحقيقة إشارة إلى الفناء عن أوصاف النفس فإن المرء ما لم يمت باختياره قبل اضطراره لا يصل إلى الحياة الحقيقية. قال في «المثنوي»:

دانه باشي مرغكانت برچنند　　　غنجه باشي كود كانت بركنند
هركه كرد أو حسن خودرا درمزاد　　　صد قضاي بد سوى أورونهاد
تن قفس شكلست وتن شد خارجان　　　در فريب داخلان وخارجان

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره: لا بدَّ من نفي الأنية واضمحلال الوجود في بحر الوجود الحقيقي حتى يتم المقصود ويحصل. قال الصائب:

ترك هستي كن كه اسودست از تاراج سيل
هركه پيش ازسيل رخت خود برون ازخانه ريخت

قال حضرة الشيخ افتاده أفندي قدس سره: العبور عن المراتب محله مرتبة يقال لها وادي الحيرة يعرف السالك فيها مطلوبه ولكن لا يقدر على الوصول فيدور في ذلك الوادي بالحيرة والحرارة ويحرق الأنية بتلك الحرارة ويقال له وادي الحيرة لأن السالك يتحير ولا يقدر على الذهاب والرجوع وقوله عليه السلام: «اللهم زدني حيرة» إشارة إلى ذلك وتلك المرتبة لا تتيسر لكثير والعبور عنها لا يمكن إلا بإرشاد مرشد كامل اللهم هيئنا لتجليات أسمائك وصفاتك وأفض علينا من كاسات مشاهدات كمال ذاتك.

﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾

﴿إن الصفا﴾ علم لجبل بمكة وسمي الصفا لأنه جلس عليه آدم صفى الله ﴿والمروة﴾ علم لجبل في مكة أيضاً وسمي المروة لأنها جلست عليها امرأة آدم حواء عليهما السلام ﴿من شعائر الله﴾ جمع شعيرة بمعنى العلامة أي: من أعلام طاعة فإن كل واحد من المواقف والمساعي والمنحر جعله الله تعالى علامة لنا نعرف به العبادة المختصة به.

ـ روي ـ أنه كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال له أساف وصنم على المروة على صورة امرأة يقال لها نائلة يروى أنهما كانا رجلاً وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان أهل الجاهلية إذا سعوا بين الصفا والمروة مسحوهما تعظيماً لهما فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان كره المسلمون الطواف بينهما لأنه فعل الجاهلية فأذن الله تعالى في الطواف بينهما وأخبر أنهما من شعائر الله.

والحكمة في شرعية السعي بين الصفا والمروة ما حكي أن هاجر لما ضاق عليها الأمر في عطشها وعطش إسماعيل سعت في هذا المكان إلى أن صعدت الجبل ودعت فأنبع الله لها زمزم وأجاب دعاءها فجعلها طاعة لجميع المكلفين إلى يوم القيامة. وفي الخبر «الصفا والمروة بابان من الجنة وموضعان من مواضع الإجابة ما بينهما قبر سبعين ألف نبي وسعيهما يعدل سبعين رقبة» ﴿فمن حج البيت أو اعتمر﴾ الحج في اللغة القصد والعمرة الزيارة وفي الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة ﴿فلا جناح عليه﴾ أي: لا إثم عليه وأصله من جنح أي: مال عن القصد والخير من الشر ﴿أن يطوف بهما﴾ أي: في أن يطوف بهما ويدور فأزال عنهم الجناح لأنهم توهموا أن يكون في ذلك جناح عليهم لأجل فعل الجاهلية وهو لا ينافي كون هذا الطواف واجباً كما عند الحنفية لأن قولنا لا إثم في فعل أمر كذا يصح إطلاقه على الواجب وأصل يطوف يتطوف وفي إيراد التفعل إيذان بأن من حق الطائف أن يتكلف في الطواف ويبذل فيه جهده ﴿ومن تطوع خيراً﴾ أصل التطوع الفعل طوعاً لا كرهاً كأنه قيل: من فعل أو أتى ما يتقرب به طائعاً فنصب خيراً بتضمين تطوع فعلاً يتعدى بنفسه أو التطوع بمعنى التبرع من قولهم طاع يطوع أي: تبرع فكأنه قيل من تبرع بما لم يفرض عليه من القربات مطلقاً فانتصاب خيراً حينئذٍ على إسقاط حرف الجر أي: من تطوع تطوعاً بخير ﴿فإن الله شاكر﴾ له أي: مجاز بعمله فإن الشاكر في وصف الله تعالى بمعنى المجازي على الطاعة بالإثابة عليها. قال ابن التمجيد في «حواشيه»: الشكر من الله بمعنى الرضى عن العبد والإثابة لازم الرضى والرضى ملزوم الشكر فالشكر مجاز في معنى الرضى ثم التجوز منه إلى معنى الإثابة مجاز في المرتبة الثانية

﴿عليم﴾ بطاعة المتطوع ونيته فيها. وفي الآية حث على نوافل الطاعات كما على فرائضها فمن أتى بنافلة واحدة فإن الله شاكر عليم فكيف بأكثر منها فبالصوم تحصيل قهر النفس وبالزكاة تزكيها وبالصلاة المعراج الروحاني وبالحج الوصول. وعن سفيان الثوري قال: حججت سنة ومن رأيي أن انصرف من عرفات ولا أحج بعد هذا فنظرت في القوم فإذا أنا بشيخ متكىء على عصا وهو ينظر إلي ملياً فقلت السلام عليك يا شيخ قال: وعليك يا سفيان ارجع عما نويت فقلت: سبحان الله من أين تعلم نيتي قال: ألهمني ربي فوالله لقد حججت خمساً وثلاثين حجة وكنت واقفاً بعرفات هٰهنا في الحجة الخامسة والثلاثين انظر إلى هذه الرحمة وأتفكر في أمري وأمرهم أن الله هل يقبل حجهم وحجي فبقيت متفكراً حتى غربت الشمس وأفاض الناس من عرفات إلى مزدلفة ولم يبق معي أحد وجنّ الليل ونمت تلك الليلة فرأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وحشر الناس وتطايرت الكتب ونصبت الموازين والصراط وفتحت أبواب الجنان والنيران فسمعت النار تنادي وتقول: اللهم وق الحجاج حريّ وبردي فنوديت يا نار سلي غيرهم فإنهم ذاقوا عطش البادية وحرّ عرفات ووقوا عطش القيامة ورزقوا الشفاعة فإنهم طلبوا رضاي بأنفسهم وأموالهم قال الشيخ: فانتبهت وصليت ركعتين ثم نمت ورأيت كذلك فقلت في نومي هذا من الرحمٰن أو من الشيطان فقيل لي بل من الله مدّ يمينك فمددت فإذا على كفي مكتوب من وقف بعرفة وزار البيت شفعته في سبعين من أهل بيته قال سفيان وأراني المكتوب حتى قرأته ثم قال الشيخ: فلم تمر علي منذ حينئذٍ سنة إلا وأنا حججت حتى تمّ لي ثلاث وسبعون حجة كذا في «زهرة الرياض». قال في «الأشباه والنظائر» بناء الرباط بحيث ينتفع به المسلمون أفضل من الحجة الثانية والحج تطوعاً أفضل من الصدقة النافلة وحج الفرض أولى من طاعة الوالدين بخلاف النفل وحج الغني أفضل من حج الفقير لأن الفقير يؤدي الفرض من مكة وهو متطوع في ذهابه وفضيلة الفرض أفضل من فضيلة التطوع، فعلى العاقل أن يقصد بيت الله ويزوره فإن لم يساعده المال فلتساعده الهمة والحال فإن المعتبر هو توجه القلب إلى جانب الغيب لا مجرد توجه القالب. قال في «المثنوي»:

ميل تو سوى مغيلانست وريك تا چه كل چيني زخار مرده ويك

وفي «التأويلات القاشانية»: ﴿إن الصفا﴾ وجود القلب ﴿والمروة﴾ وجود النفس ﴿من شعائر الله﴾ من أعلام دين الله ومناسكه القلبية كاليقين والتوكل والرضى والإخلاص والنفسية كالصبر والشكر والذكر والفكر ﴿فمن حج البيت﴾ أي: بلغ مقام الوحدة الذاتية ودخل الحضرة الإلٰهية بالفناء الكلي الذاتي ﴿أو اعتمر﴾ زار الحضرة بالبلوغ إلى مقام المشاهدة بتوحيد الصفات والفناء في أنوار تجليات الجمال والجلال ﴿فلا جناح﴾ فلا حرج ﴿عليه﴾ حينئذٍ في ﴿أن يطوف بهما﴾ أي: يرجع إلى مقامهما ويتردد بينهما لا بوجودهما التلويني فإنه جناح وذنب بل بالوجود الموهوب الحقاني بعد الفناء عند التمكين ولهذا نفى الجناح فإن في هذا الوجود سعة بخلاف الأول ﴿ومن تطوع خيراً﴾ أي: ومن تبرع خيراً من باب التكميل والتعليم والإرشاد وشفقة الخلق في مقام القلب ومن باب الأخلاق وطرف البر والتقوى ومعاونة الضعفاء والمساكين وتحصيل الهمم في مقام النفس بعد كمال السلوك حال البقاء بعد الفناء ﴿فإن الله شاكر﴾ شكر عمله بثواب المزيد ﴿عليم﴾ بأنه من باب التصرف في الأشياء بالله لا من باب التلوين والابتلاء والفترة انتهى كلام القاشاني:

يا خفي الذات محسوس العطاء أنت كالماء ونحن كالرّحاء
أنت كالريح ونحن كالغبار يختفي الريح وغبراه جهار

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾

﴿**إن الذين يكتمون**﴾ الآية نزلت في رؤساء اليهود وأحبارهم أو في كل من كتم شيئاً من أحكام الدين وهو الأقرب لأن اللفظ عام وعموم الحكم لا يأبى خصوص السبب والكتم والكتمان ترك إظهار الشيء قصداً مع الحاجة إليه وحصول الداعي إلى إظهاره وذلك قد يكون بمجرد ستره وإخفائه وقد يكون بإزالته ووضع شيء آخر في موضعه وهو الذي فعله هؤلاء في نعوت النبي ﷺ وغيرها ﴿**ما أنزلنا**﴾ حال كونه ﴿**من البينات**﴾ أي: من الآيات الواضحة الدالة على أمر محمد عليه السلام وعلى الرجم وتحويل القبلة الحرام والحلال ﴿**والهدى**﴾ أي: والآيات الهادية إلى كنه أمره ووجوب اتباعه عليه السلام والإيمان به ﴿**من**﴾ متعلق بيكتمون ﴿**بعد ما بيناه**﴾ أي: أوضحناه ولخصناه ﴿**للناس**﴾ جميعاً لا الكاتمين فقط ﴿**في الكتاب**﴾ أي: التوراة وتبيينه لهم إيضاحه بحيث يتلقاه كل أحد من غير أن يكون فيه شبهة. قال ابن الشيخ في «حواشيه»: فالمراد بالبينات ما أنزل على الأنبياء من الكتب والوحي دون أدلة العقل وأن قوله والهدى يدخل فيه الدلائل العقلية والنقلية وقوله تعالى في حق الهدى من بعد ما بيناه وما لخصناه في الكتاب لا يقتضي اتحادهما وأن يكون العطف لتغاير اللفظين لأن كون ما بيناه في الكتاب كما يجوز أن يكون بطريق كونه من جملة التنزيل يجوز أن يكون بطريق كونه فائدة ملخصة أي: مستفادة منه ﴿**أولئك**﴾ أي: أهل هذه الصفة ﴿**يلعنهم الله**﴾ أي: يطردهم ويبعدهم من رحمته بسبب كتمهم الحق ﴿**ويلعنهم اللاعنون**﴾ أي: الذين يتأتى منهم اللعن أي: الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومؤمني الثقلين. وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما تلاعن اثنان إلا ارتفعت اللعنة بينهما فإن استحقها أحدهما وإلا رجعت على اليهود الذين كتموا صفة محمد عليه السلام أو اللاعنون البهائم والهوام تلعن العصاة تقول اللهم العن عصاة بني آدم فبشؤمهم منع عنا القطر ﴿**إلا الذين تابوا**﴾ من الكتمان وسائر ما يجب أن يتاب منه الاستثناء متصل والمستثنى منه هو الضمير في يلعنهم ﴿**وأصلحوا**﴾ ما أفسدوا بالتدارك فإنه لا بد بعد التوبة من إصلاح ما أفسده مثلاً لو أفسد على غير دينه بإيراد شبهة عليه يلزمه إزالة تلك الشبهة وبعد ذلك لا بد له من أن يفعل ضد الكتمان وهو البيان وهو المراد بقوله تعالى: ﴿**وبينوا**﴾ أي: ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم فدلت الآية على أن التوبة لا تحصل إلا بترك كل ما لا ينبغي وبفعل كل ما ينبغي ﴿**فأولئك أتوب عليهم**﴾ أي: بالقبول وإفاضة الرحمة والمغفرة فإن التوبة إذا أسندت إليه تعالى بأن قيل: تاب الله أو يتوب تكون بمعنى المقبول وقبول التوبة يتضمن المغفرة أي: إزالة عقاب من تاب ﴿**وأنا التواب الرحيم**﴾ أي: المبالغ في قبول التوبة ونشر الرحمة ولما ذكر لعنتهم أحياء ذكر لعنتهم أمواتاً فقال:

﴿**إن الذين كفروا**﴾ أي: استمروا على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة ﴿**وماتوا وهم**

كفار﴾ مصرون على كفرهم لا يرتدعون عن حالتهم الأولى ﴿أولئك﴾ مستقر ﴿عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ أي: هم المخصوصون باللعنة الأبدية أحياء وأمواتاً فمن يعتد بلعنتهم وهم المؤمنون لأنهم هم الناس في الحقيقة لانتفاعهم بالإنسانية وأما الكفار فهم كالأنعام وأضل سبيلاً فلا اعتداد بهم عند الله أو الناس عام لأن الكفار يوم القيامة يلعن بعضهم بعضاً والله تعالى يلعنهم يوم القيامة ثم يلعنهم الملائكة ثم تلعنهم الناس والظالم يلعن الظالمين ومن لعن الظالمين وهو ظالم فقد لعن نفسه.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿خالدين فيها﴾ حال من المضمر في عليهم أي: دائمين في اللعنة لأنهم خلدوا في النار خلدوا في الإبعاد عن رحمة الله تعالى ﴿لا يخفف عنهم العذاب﴾ استئناف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف إثر بيان كثرته من حيث الكم أي: لا يرفع عنهم ولا يهون عليهم ﴿ولا هم ينظرون﴾ من الإنظار بمعنى الإمهال والتأجيل أي: لا يمهلون للرجعة ولا للتوبة ولا للمعذرة أو يعذبون على الدوام والاستمرار وأن كل وجه من وجوه عذابهم يتصل بوجه آخر مثله أو أشد منه وأنهم لا يمهلون ولا يؤجلون ساعة ليستريحوا فيها أو من النظر بمعنى الانتظار أي: لا ينتظرون ليعتذروا أو بمعنى الرؤية أي: لا ينظر إليهم نظر رحمة وإنما خلدوا في النار لأن نيتهم كانت عبادة الأصنام أبداً إن عاشوا فجوزوا بتأبيد العذاب وأما الدركات في النيران فلتفاوت سوء الأحوال والتفاوت في شدة الكفر فيرجع إلى شدة العذاب في الدركات لأن النيات متفاوتة كالأعمال والتأديب في الحكمة واجب ولما أساء الكفار بسوء الاعتقاد في حقه تعالى أدبوا بالحرمان من الجنة والخلود في النار ونعم ما قيل:

سفيها نرا بود تأديب نافع جنونانرا چو شربت كشت دافع

وإنما حمل هؤلاء اليهود على ما فعلوا من الكتمان وغيره حب الرياسة والدنيا لأنهم خافوا أن يذهب مأكلتهم من السفلة وما يغني عنهم ذلك شيئاً إذا كان مصيرهم إلى النار. وفي الخبر أن مؤمناً وكافراً في الزمان الأول انطلقا يصيدان السمك فجعل الكافر يذكر آلهته ويأخذ السمك حتى أخذ سمكاً كثيراً وجعل المؤمن يذكر الله كثيراً فلا يجيء شيء ثم أصاب سمكة عند الغروب فاضطربت فوقعت في الماء فرجع المؤمن وليس معه شيء ورجع الكافر وقد امتلأت شبكته فأسف ملك المؤمن الموكل عليه فلما صعد إلى السماء أراه الله مسكن المؤمن في الجنة فقال: والله ما يضره ما أصابه بعد أن يصير إلى هذا وأراه مسكن الكافر في جهنم فقال: والله ما يغني عنه ما أصابه في الدنيا بعد أن يصير إلى هذا كذا في «شرح الخطب»:

نركس اندر خواب غفلت يافت بلبل صد وصال

خفته نابينا بود دولت به بيداران حسد

ومرتكب المعاصي لو عرف عذاب الجحيم حق المعرفة لما ارتكبها حتى أن من قوي ظنه أنّ في هذه الثقبة حية لا يدخل يده فيها فما ظنك في ارتكاب المعاصي بملاحظة عذاب النار.

واعلم أن أحبار اليهود لما لم ينتفعوا بعلمهم ضلوا فأضلوا فخذلهم الله ولعنهم. وذكر

في الخالصة لن يهلك قوم بظلمهم وإنما أهلكهم ظلم ولاتهم. قال الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره: وكذا الحال في الإرشاد فإن الضلال والفساد في الطالبين من فساد مرشدهم فما دام المرشد على الصراط المستقيم يحفظ الله تعالى الطالب من الضلال فإن نزول البلاء على قوم من فساد رئيسهم.

ـ وحكي ـ أن أمنا حواء أكلت أولاً من الشجرة فلم يقع شيء فلما أكل منها أبونا آدم عليه السلام وقع الخروج من الجنة انتهى فويل لأرباب الرياسة الذين ظلموا أنفسهم وتجاوز ظلمهم إلى من عداهم فإنهم هم الواقعون في عذاب النار نار القطيعة والهجران وجهنم البعد عن الله ورحمته اللهم حفظنا.

﴿وإلهكم﴾ خطاب عام لكافة الناس أي: المستحق منكم للعبادة ﴿إله واحد﴾ فرد في الإلهية لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غيره إلهاً فلا معبود إلا هو وهو خبر مبتدأ وواحد صفة وهو الخبر في الحقيقة لأنه محط الفائدة ألا يرى أنه لو اقتصر على ما قبله لم يفد ﴿لا إله إلا هو﴾ تقرير للوحدانية وإزاحة لأن يتوهم أن في الوجود إلهاً ولكن لا يستحق منهم العبادة يعني بهذا فاعرفوه ودائماً فاعبدوه ولا ترجوا غيره ولا تخافوا سواه ولا تعبدوا إلا إياه والاستثناء بدل من اسم لا على المحل إذ محله الرفع على الابتداء والخبر محذوف أي: لا إله كائن لنا أو موجود في الوجود إلا الله.

واعلم أن الأسماء على ضربين: اسم ظاهر واسم ضمير وكلمة هو اسم ضمير فكونها ضميراً لا ينافي كونها اسماً وقد حقق الإمام في «التفسير الكبير»: اسمية هذه الكلمة فليراجع وعند أهل الحقيقة كلمة هو اسم بحت لأن كل ما يدل على الذات الأحدية فهو اسم محض عندهم سواء كان مظهراً أو مضمراً ولذا يقال عالم الهوية باللام فاعرف هذا فإنه ينفعك، وفي «المثنوي»:

از هواها كي رهي بي جام هو | أي ز هو قانع شده با نام هو
هيج نامي بي حقيقت ديدة | يا ز كاف ولام كل كل چيده
اسم خواندي رو مسماراً بجو | مه ببالا دان نه اندر آب جو
كرز نام وحرف خواهي بكذري | پاك كن خودرا زخودهان يكسري
همچو آهن زاهني بي رنك شو | در رياضت آينه بي ژنك شو
خويش را صافي كن از اوصاف خويش | تا بيبني ذات پاك صاف خويش
بيني اندر دل علوم أنبياء | بي كتاب وبي معيد واوستا
علم كان نبود ز هو بي واسطه | آن نپايد همچو رنك ماشطه

﴿الرحمٰن الرحيم﴾ أي: المولى لجميع النعم أصولها وفروعها ولا شيء سواه مستحق هذه الصفة فإن كل شيء سواه إما نعمة وإما منعم عليه فثبت أن غيره لا يستحق العبادة فلا يكون إلهاً فقوله: الرحمٰن الرحيم كالحجة على الوحدانية. وعن أسماء بنت يزيد أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن في هاتين الآيتين اسم الله الأعظم وإلٰهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمٰن الرحيم: والله لا إله إلا هو الحي القيوم» قيل: كان للمشركين حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا كيف يسع الناس إله واحد فإن كان محمد

صادقاً في توحيد الإله فليئتنا بآية نعرف بها صدقه فنزل قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ أي: في إبداعهما على ما هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدائع الصنائع التي يعجز عن فهمها عقول البشر وإنما جمع السموات وأفرد الأرض لأن كل سماء ليست من جنس الأخرى بين كل سماءين من البعد مسيرة خمسمائة عام أو لأن فلك كل واحدة غير فلك الأخرى والأرضون كلها من جنس واحد وهو التراب. قال ابن التمجيد في «حواشيه»: وعند الحكماء محدب كل سماء مماس لمقعر ما فوقه غير الفلك التاسع المسمى بالعرش فإن محدبه غير مماس لشيء من الأفلاك لأن ما فوقه خلاء وبعد غير متناه عندنا وعند الحكماء لا خلاء فيه ولا ملاء والعلم عند الله **﴿واختلاف الليل والنهار﴾** أي: في تعاقبهما في الذهاب والمجيء يخلف أحدهما صاحبه إذا جاء أحدهما جاء الآخر خلفه أي: بعده وفي الزيادة والنقصان والظلمة والنور **﴿والفلك التي تجري في البحر﴾** لا ترسب تحت الماء وهي ثقيلة كثيفة والماء خفيف لطيف وتقبل وتدبر بريح واحدة والفلك في الآية جمع وتأنيثه بتأويل الجماعة **﴿بما ينفع الناس﴾** ما اسم موصول والمصاحبة والجملة في موضع النصب على الحالية من فاعل تجري أي: تجري مصحوبة بالأعيان والمعاني التي تنفع الناس فإنهم ينتفعون بركوبها والحمل فيها للتجارة فهي تنفع الحامل لأنه يربح والمحمول إليه لأنه ينتفع بما حمل إليه **﴿وما﴾** أي: إن فيما **﴿أنزل الله من السماء﴾** من لابتداء الغاية أي: من جهة السماء **﴿من ماء﴾** بيان للجنس فإن المنزل من السماء يعم الماء وغيره والسماء يحتمل الفلك على ما قيل من أن المطر ينزل من السماء إلى السحاب ومن السحاب إلى الأرض ويحتمل جهة العلو سماء كانت أو سحاباً فإن كل ما علا الإنسان يسمى سماء ومنه قيل للسقف سماء البيت **﴿فأحيا به﴾** عطف على ما أنزل أي: تضر بالماء النازل **﴿الأرض﴾** بأنواع النبات والأزهار وما عليها من الأشجار **﴿بعد موتها﴾** أي: بعد ذهاب زرعها وتناثر أوراقها باستيلاء اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعها. قال ابن الشيخ في «حواشيه» لما حصل للأرض بسبب ما نبت فيها من أنواع النبات حسن وكمال شبه ذلك بحياة الحيوان من حيث أن الجسم إذا صار حياً حصل فيه أنواع من الحسن والنضارة والبهاء والنماء فكذلك الأرض إذا تزينت بالقوة المنبتة وما يترتب عليها من أنواع النبات **﴿وبث فيها﴾** أي: فرق ونشر في الأرض **﴿من كل دابة﴾** من كل حيوان يدب على وجهها من العقلاء وغيرهم وهو معطوف على فأحيا والمناسبة أن بث الدواب يكون بعد حياة الأرض بالمطر لأنهم ينمون بالخصب ويعيشون بالمطر **﴿وتصريف الرياح﴾** عطف على ما أنزل أي: في تقليبها في مهابها قبولاً ودبوراً وشمالاً وجنوباً وفي كيفيتها حارة وباردة وفي أحوالها عاصفة ولينة وفي آثارها عقماً ولواقح وقيل في إتيانها تارة بالرحمة وتارة بالعذاب. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أعظم جنود الله الريح والماء وسميت الريح ريحاً لأنها تريح النفوس. قال وكيع الجراح: لولا الريح والذباب لأنتنت الدنيا.

قال شريح القاضي: ما هبت الريح إلا لشفاء سقيم أو لسقم صحيح وقال بكر بن عباس:

لا تخرج من السحاب قطرة حتى تعمل في السحاب هذه الرياح الأربع فالصبا تهيجه والجنوب تقدره والدبور تلقحه والشمال تفرقه. وأصول الرياح هذه الأربع فالشمال من ناحية الشام والجنوب تقابلها والصبا هي القبول من المشرق والدبور تقابلها وكل ريح جاءت بين مهب ريحين فهي نكباء لأنها نكبت أي: عدلت ورجعت عن مهاب هذه الأربع. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: الرياح ثمان: أربع رحمة وأربع عذاب فالرحمة الناشرات وهي الرياح الطيبة والمبشرات وهي الرياح التي تبشر بالغيث واللواقح: وهي التي تلقح الأشجار والذاريات: وهي التي تذر والتراب وغيره والعذاب الصرصر والعقيم: وهما في البر والعاصف والقاصف: وهما في البحر والعقيم: هي التي لم تلقح سحاباً ولا شجراً والعاصف: الشديد الهجوم التي تقلع الخيام ﴿والسحاب المسخر﴾ عطف على تصريف أي: الغيم المذلل المنقاد الجاري على ما أجراه الله تعالى عليه وهو اسم جنس واحده سحابة وسمي سحاباً لأنه ينسحب في الجو أي: يسير في سرعة كأنه يسحب أي: يجر ﴿بين السماء والأرض﴾ صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما في قوله تعالى: ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ [الأعراف: ٥٧] أي: لا ينزل الأرض ولا ينكشف مع أن طبع السحاب يقتضي أحد هذين النزول والانكشاف. قيل: لأنه لو كان خفيفاً لطيفاً ينبغي أن يصعد ولو كثيفاً يقتضي أن ينزل ﴿لآيات﴾ اسم إن دخلته اللام لتأخره عن خبرها ولو كان في موضعه لما جاز دخول اللام عليه والتنكير للتفخيم كماً وكيفاً أي: آيات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الألوهية به سبحانه ﴿لقوم﴾ في محل النصب لأنه صفة لآيات فيتعلق بمحذوف ﴿يعقلون﴾ في محل الجر على أنه صفة لقوم أي: يتفكرون فيها وينظرون إليها بعيون العقول والقلوب ويعتبرون بها لأنها دلائل على عظم قدرة الله فيها وباهر حكمته فيستدلون بهذه الأشياء على موجدها فيوحدونه وفيه تعريض لجهل المشركين الذين اقترحوا على الرسول آية تصدقه في قوله تعالى: ﴿وإلٰهكم إله واحد﴾ وتسجيل عليهم بسخافة العقول إذ لو عقلوه لكفاهم بهذه التصاريف آية قال رسول الله ﷺ: «ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها» المج حقيقة قذف الريق ونحوه من الفم عدي بالباء لما فيه من معنى الرمي واستعير هٰهنا لعدم الاعتبار والاعتداد فإن من تفكر فيها فكأنه حفظها ولم يلقها من فيه.

واعلم أن قوله تعالى: ﴿وإلٰهكم إله واحد لا إله إلا هو﴾ أول آية نزلت في التوحيد بحسب الرتبة أي: أقدم توحيد من جهة الحق لا من جهتنا فإن أول رتبة التوحيد من طرفنا توحيد الأفعال وهذا هو توحيد الذات ولما بعد هذا التوحيد عن مبالغ أفهام الناس نزل إلى مقام توحيد الصفات بقوله الرحمٰن الرحيم ثم إلى توحيد الأفعال ليستدل به عليه فقال: إن في خلق الآية كذا في «التأويلات القاشانية».

ومن نتائج صفة الرحمٰن الرحيم في حق الإنسان ما أشار إليه في قوله إن في خلق الخ يعني أن الحكمة في خلق هذه الأشياء أن يكون كل شيء مظهر آية من آيات الله ولا فائدة لهذه الأشياء من الآيات المودعة فيها فإن فائدتها عائدة إلى الإنسان لأنهم قوم يعقلون الآيات كما قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] فالعالم بما فيه خلق بتبعية الإنسان لأن العالم مظهر آيات الحق والآيات المرئيات الإنسان والإنسان مظهر معرفة الحق ولهذا قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] أي: ليعرفون

فلو لم يكن لأجل معرفة الله ما خلق الإنسان ولو لم يكن لأجل الإنسان ما خلق العالم بما فيه كما قال للنبي عليه الصلاة والسلام: «لولاك لما خلقت الكون» وكان العالم مرآة يظهر فيه آيات كمال الحق وجلاله والإنسان هو المشاهد لآيات الجمال والجلال في مرآة العالم وهو مرآة يظهر فيه مرآة العالم وما يظهر فيه كما قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٢١﴾ [الذاريات: ٢١] وهذا تحقيق قوله: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» لأن نفسه مرآة جمال ربه وليس أحد غير الإنسان يشاهد حال ربه في مرآة العالم ومرآة نفسه بإراءة الحق كما قال: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ [فصلت: ٥٣] الخ فاعرف قدرك لتعرف قدر ربك يا مسكين ومما يدل على أن خلق السموات والأرض وما بينهما تبع لخلق الإنسان قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله» يعني إذا مات الإنسان الذي هو يقول الله الله قامت القيامة فلم تبق السموات والأرض لأن وجودهما كان تبعاً لوجود الإنسان فإذا لم يبق المتبوع ما بقي التابع كذا في «التأويلات النجمية». فعلى السالك أن يصل بالذكر الحقيقي إلى المقصود الأصلي فإن التوحيد ينفي الباطل وينفي الأغيار. روى عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ لأبي حصين «كم تعبد اليوم من إله» فقال: أعبد سبعاً ستاً في الأرض وواحداً في السماء قال: «وأيهم تعبده لرغبتك ورهبتك» فقال الذي في السماء فقال عليه الصلاة والسلام: «فيكفيك إله السماء» ثم قال: يا حصين لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك فأسلم حصين ثم قال: يا رسول الله علمني هاتين الكلمتين فقال عليه الصلاة والسلام: «قل اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي».

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ۝١٦٥﴾

﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله﴾ من لابتداء الغاية متعلق بيتخذ ودون في الأصل ظرف مكان استعمل هنا بمعنى غير مجازاً والاتخاذ بمعنى الصنع والعمل متعد إلى مفعول واحد وهو هنا قوله: ﴿أنداداً﴾ هي الأصنام التي بعضها أنداد لبعض أي: أمثال أو إنها أنداد الله تعالى بحسب ظنونهم الفاسدة من حيث أنهم كانوا يرجون من عندها النفع والضرر وقصدوها بالمسائل وقربوا لها القرابين فإرجاع ضمير العقلاء إليها في قوله تعالى: ﴿يحبونهم﴾ مبني على آرائهم الباطلة في شأنها من وصفهم بما لا يوصف به إلا العقلاء أو هي الرؤساء الذين يطيعونهم.

قال القاضي: ولعل المراد أعم منهما وهو ما يشغله عن الله تعالى فإنه قال الصوفية والعارفون كل شيء شغلت به قلبك سوى الله تعالى فقد جعلته في قلبك نداً له تعالى ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] ﴿يحبونهم﴾ الجملة صفة لأنداداً أي: يعظمونهم ويخضعون لهم ويطيعونهم تعظيم المحبوب وإطاعته ﴿كحب الله﴾ أي: حباً كائناً مثل حبهم الله تعالى أي: يسوون بينه تعالى وبينهم في الطاعة والتعظيم والمقصود من التشبيه ما في الوصف من القوة والضعف والمراد هٰهنا التسوية وهذه التسوية في التعظيم لا تنافي إقرارهم بربوبيته تعالى كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] ولفظ المحبة مأخوذ من الحب بالفتح كحبة الحنطة والشعير شبه حبة القلب أي: سويداءه بالحب المعروف في كون كل منهما منشأ ومبدأ للآثار العجيبة فاستعير

اسم الحب لها ثم اشتق من الحب المستعار للقلب الحب بمعنى ميل القلب لأنه أصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله تعالى إرادة طاعته في أوامره ونواهيه والاعتناء لتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد إرادة إكرامه واستعماله في الطاعة وصونه من المعاصي ثم فصل محبة المؤمنين بقوله: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ من حب الكفرة لأندادهم لأنه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الأنداد فإنها لأغراض فاسدة موهومة تزول بأدنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم إلى الله تعالى عند الشدائد ويعبدون الصنم زماناً فإذا رأوا صنماً يعجبهم أخذوه وطرحوا الأول. وروي أن باهلة عملت لها إلهاً من خس فأكلوه عام المجاعة ﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾ أي: لو يعلم هؤلاء الذين أشركوا باتخاذ الأنداد ووضعها موضع المعبود ﴿إذ يرون العذاب﴾ المعد لهم يوم القيامة أي: عاينوه فهي من الرؤية بالعين ﴿أن القوة﴾ أي: الغلبة والقدرة الإلّهية ﴿لله جميعاً﴾ نصب حالاً والجملة سادة مسد مفعولي يرى ﴿وأن الله شديد العذاب﴾ عطف على أن القوة لله وفائدته المبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الأمر فإن اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفواً مع القدرة عليه وجواب لو محذوف أي: لو علم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم بشركهم أن القدرة كلها لله على كل شيء من الثواب والعقاب دون أندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة لوقعوا من الحسرة والندامة على عبادة الأنداد فيما لا يكاد يوصف.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا﴾ بدل من إذ يرون وأصل التبري التخلص ويستعمل للتفصي والتنصل مما تكره مجاورته والمعنى إذ تبرأ الرؤساء المتبوعون ﴿من الذين اتبعوا﴾ أي: من الأتباع بأن اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا ويدعونهم إليه من فنون الكفر والضلال واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن ﴿ورأوا العذاب﴾ الواو حالية وقد مضمرة أي: تبرأوا حال رؤيتهم العذاب ﴿وتقطعت بهم الأسباب﴾ عطف على تبرأ وتوسط الحال بينهما للتنبيه على علة التبري أي: انقرضت عنهم الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد والأنساب والمحاب والأتباع والاستتباع فالباء في بهم بمعنى عن كما في قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] أو للسببية أي: تقطعت بسبب كفرهم الأسباب التي كانوا يرجون بها النجاة أو للتعدية أي: قطعتهم الأسباب كما تقول فرقت بهم الطريق أي: فرقتهم ﴿وقال الذين اتبعوا﴾ حين عاينوا تبري الرؤساء منهم وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم في الدنيا ﴿لو أن لنا كرة﴾ أي: ليت لنا رجعة إلى الدنيا وعودة ﴿فنتبرأ منهم﴾ هناك ﴿كما تبرأوا منا﴾ اليوم أي: تبرأ مثل تبرئهم فالكاف منصوب المحل على أنها صفة مصدر محذوف ﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك الإيراء الفظيع وهو نزول العذاب عليهم وتبري بعضهم من بعضهم من بعض ﴿يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم﴾ أي: ندمات شديدة فإن الحسرة شدة الندم والكمد وهي تألم القلب وانحساره عما يؤلمه بحيث يبقى النادم كالحسير من الدواب وهو الذي انقطعت قوته فصار بحيث لا ينتفع به وأصل الحسر الكشف ومن فات عنه ما يهواه وانكشف قلبه عنه يلزمه الندم

والتأسف على فواته فلذلك عبر عن الحسرة التي هي انكشاف القلب عما يهواه بلازمه الذي هو الندم والرؤية إن كانت بصرية تكون حسرات حالاً من أعمالهم والمعنى أن أعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون أعمالهم إلا حال كونها حسرات وإن كانت قلبية فهي ثالث مفاعيل يرى وعليهم يتعلق إما بخسرات والمضاف محذوف أي: على تفريطهم أو بمحذوف منصوب على أنه صفة لحسرات أي: حسرات مستولية عليهم فإن ما عملوه من الخيرات محبوطة بالكفر فيتحسرون لم ضيعوها ويتحسرون على ما فعلوه من المعاصي لم عملوها. قال السدي ترفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها لو أطاعوا الله فيقال لهم تلك مساكنهم لو أطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين وذلك حين يندمون ويتحسرون ﴿**وما هم بخارجين من النار**﴾ لأنهم خلقوا لأجلها.

- روي - أنه يساق أهل النار إلى النار لم يبق منهم عضو إلا لزمه عذاب إما حية تنهشه أو ملك يضربه فإذا ضربه الملك هوى في النار مقدار أربعين يوماً لا يبلغ قرارها ثم يرفعه اللهب ويضربه الملك فيهوي فإذا بدا رأسه ضربه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب فإذا عطش أحدهم طلب الشراب فيؤتى بالحميم فإذا دنا من وجهه سقط وجهه ثم يدخل في فيه فتسقط أضراسه ثم يدخل بطنه فيقطع أمعاءه وينضج جلده وهكذا يعذبون في النار لا يموتون فيها ولا يحيون ولا يخرجون. قال سعيد بن جبير إن الله تعالى يأمر يوم القيامة من أحرق نفسه في الدنيا على ربوبية الأصنام أن يدخلوا جهنم مع أصنامهم فلا يدخلون لعلمهم أن عذاب جهنم على الدوام ثم يقول للمؤمنين بين أيدي الكفار إن كنتم أحبائي فادخلوا جهنم فيقتحمون فيها وينادي مناد من تحت العرش والذين آمنوا أشد حباً لله لأن الله أحبهم أولاً ثم أحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم. قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] ومن لم يكن أهلاً لمحبة الله أزلاً طردته العزة إلى محبة الأنداد وهي كل ما يحب سوى الله فمن وكل إلى المحبة النفسانية تعلقت محبته بملائم هوى النفس من الأصنام فكما أن الكفار بعضهم يحبون اللات ويعبدونها وبعضهم يحبون الأولاد ويعبدونها فمحبة الأولاد والأزواج والأموال تمنع عن محبة الله ومن أحب الله يرى ما سواه بنظر العداوة كما قال الخليل عليه السلام فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ومن كان في الأزل أهلاً لمحبة الله جذبته العناية فتجلى له الحق فانعكست تلك المحبة لمرآة قلبه فلا تتعلق بغير الله لأنها من عالم الوحدة فلا تقبل الشركة والأعداء أحبوا الأنداد بمحبة فانية نفسانية والأحباء أحبوا الله بمحبة باقية ربانية بل أحبوه بجميع أجزائهم الفانية والباقية اللهم أوصلنا إلى حقيقة المحبة واليقين والتمكين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

﴿**يا أيها الناس**﴾ نزلت في قوم حرموا على أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس ﴿**كلوا مما في الأرض**﴾ أي: من بعض ما فيها من أصناف المأكولات لأن كل ما فيها لا يؤكل ﴿**حلالاً**﴾ حال من الموصول أي: حال كونه حلالاً وهو ما انحل عنه عقد الحظر ﴿**طيباً**﴾ طاهراً من جميع الشبه صفة حلالاً أو الحلال ما يستطيبه الشرع والطيب ما يستطيبه الشهوة المستقيمة أي: يستلذه الطبع ﴿**ولا تتبعوا خطوات الشيطان**﴾ الخطوة بالفتح المرة من نقل القدم وبالضم بعد ما

بين قدمي الماشي يقال: اتبع خطواته ووطىء على عقبه إذا اقتدى به واستن بسنته أي: لا تقتدوا بآثاره وطرقه ومذاهبه في اتباع الهوى وهي وساوسه فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام ﴿**إنه لكم عدو مبين**﴾ تعليل للنهي أي: ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وأما عند متبعي الهوى الذين لا بصيرة لهم فهو كولي حميم حيث يدلهم على مشتهات نفوسهم ولذائذ مراداتها المستحسنة فقوله مبين من أبان بمعنى بان وظهر وجعله الواحدي من أبان المتعدي حيث قال إنه عدو مبين قد أبان عداوته لكم بإبائه السجود لأبيكم آدم وهو الذي أخرجه من الجنة ﴿**إنما يأمركم**﴾ أي: يوسوس لكم شبه تسلطه عليهم بآمر مطاع وشبهوا في قبولهم للوسوسة وطاعتهم له بالطبع بمأمور مطيع وفيه رمز إلى أنهم بمنزلة المأمورين المنقادين له تسفيهاً لرأيهم وتحقيراً لشأنهم ﴿**بالسوء**﴾ وهو كل ما ساءك في عاقبتك يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من أعمال الجوارح أو أعمال القلوب لاشتراك كلها في أنها تسوء صاحبها وتحزنه ﴿**والفحشاء**﴾ من عطف الخاص على العام أي: أقبح أنواع المعاصي وأعظمها مساءة فالزنى فاحشة والبخل فاحشة وكل فعلة قبيحة فاحشة وأصل الفحش مجاوزة القدر في كل شيء وجعل البيضاوي المغايرة بين السوء والفحشاء بحسب المفهوم دون الذات فإنه سميت المعصية سوءاً لاغتمام العاقل بها وفحشاء باستقباحه إياها فإطلاق السوء والفحشاء على المعصية من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة مثل رجل عدل ﴿**وأن تقولوا**﴾ أي: يأمركم بأن تفتروا ﴿**على الله**﴾ بأنه حرم هذا أو ذاك ﴿**ما لا تعلمون**﴾ أن الله تعالى أمر به وهو أقبح ما أمر به الشيطان من القبائح لأن وصفه تعالى بما لا ينبغي أن يوصف به من أعظم أنواع الكبائر كما أن الفحشاء أقبح أنواع السوء. فإن قيل كيف يأمرنا الشيطان بذلك ونحن لا نراه ولا نسمع كلامه فكيف وسوسته وكيف وصوله إلى القلب. قلنا وهو كلام خفي على ما قيل تميل إليه النفوس والطبع وقد قيل: يدخل في جسد ابن آدم لأنه جسم لطيف يوسوس وهو أنه يحدث النفس بالأفكار الرديئة قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [الناس: ٥] ومن دعاء النبي ﷺ «اللهم اعمر قلبي من وساوس ذكرك واطرد عني وساوس الشيطان». قال في «أكام المرجان»: وينحصر ما يدعو الشيطان إليه ابن آدم ويوسوس له في ست مراتب:

المرتبة الأولى: مرتبة الكفر والشرك ومعاداة رسوله فإذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه واستراح من تعبه معه لأنه حصل منتهى أمنيته وهذا أول ما يريده من العبد.

المرتبة الثانية: البدعة وهي أحب إليه من الفسوق والمعاصي لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها لأن صاحبها يظنها حقيقة صحيحة فلا يتوب، فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى المرتبة الثالثة: وهي الكبائر على اختلاف أنواعها، فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى المرتبة الرابعة: وهي الصغائر التي إذا اجتمعت صارت كبيرة والكبائر ربما أهلكت صاحبها كما قال عليه السلام: «إياكم ومحقرات الذنوب» فإن مثل ذلك قوم نزلوا بفلاة من الأرض فجاء كل واحد بعود حطب حتى أوقدوا ناراً عظيمة وطبخوا وشبعوا، فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى المرتبة الخامسة وهي اشتغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب بل عقابها فوات الثواب الذي فات عليه باشتغاله بها. فإن عجز عن ذلك انتقل إلى المرتبة السادسة وهي أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ليزيح عنه الفضيلة ويفوته ثواب العمل الفاضل فيجره من الفاضل إلى المفضول ومن الأفضل إلى الفاضل ليتمكن من أن يجره من الفاضل إلى الشرور

بما يجره من الفاضل السهل إلى الأفضل الأشق كمائة ركعة بالنسبة إلى ركعتين ليصير ازدياد المشقة سبباً لحصول النفرة عن الطاعة بالكلية. وإنما خلق الله إبليس ليتميز به الخبيث من الطيب فخلق الله الأنبياء لتقتدي بهم السعداء وخلق إبليس لتقتدي به الأشقياء ويظهر الفرق بينهما فإبليس دلال وسمسار على النار والخلاف وبضاعته الدنيا ولما عرضها على الكافرين قيل ما ثمنها؟ قال: ترك الدين فاشتروها بالدين وتركها الزاهدون وأعرضوا عنها والراغبون فيها لم يجدوا في قلوبهم ترك الدين ولا الدنيا فقالوا له: أعطنا مذاقة منها حتى ننظر ما هي؟ فقال: إبليس أعطوني رهناً فأعطوه سمعهم وأبصارهم ولذا يحب أرباب الدنيا استماع أخبارها ومشاهدة زينتها لأن سمعهم وبصرهم رهن عند إبليس فأعطاهم المذاقة بعد قبض الرهن فلم يسمعوا من الزهاد عيب الدنيا ولم يبصروا قبائحها بل استحسنوا زخارفها ومتاعها فلذلك قيل: حبك الشيء يعمي ويصم.

فعلى العاقل أن يزهد ويرغب عن الدنيا ولا يقبل منها إلا الحلال الطيب. قال الحسن البصري: الحلال الطيب ما لا سؤال فيه يوم القيامة وهو ما لا بد منه قال النبي عليه السلام: «إن الله يهب لابن آدم ما لا بد منه ثوب يواري به عورته وخبز يرد جوعته وبيت كعش الطير» فقيل: يا رسول الله فكيف الملح فقال: «الملح مما يحاسب به».

وفي «التأويلات النجمية»: الحلال ما أباح الله أكله والطيب ما لم يكن مشوباً بشبهة حقوق الخلق ولا بسرف حظوظ النفس وكل طيب حلال وليس كل حلال طيباً ولهذا قال النبي عليه السلام: «إن الله طيب ولا يقبل إلا الطيب» يعني غير مشوب بعيب أو شبهة قيل: ولا يقال إن الله حلال.

واعلم أن أكل الحلال الطيب يورث القيام بطاعة الله والاجتناب عن خطوات الشيطان فالعمل الصالح نتيجة اللقمة الطيبة. وفي «المثنوي»:

علم وحكمت زايد ازلقمه حلال   عشق ورقت زايد ازلقمه حلال
چون زلقمه توحسد بيني ودام   جهل وغفلت زايد آنرادان حرام
هيچ كندم كاري وجو بردهد   ديدة اسبي كه كره خرد دهد
لقمه تخمست وبرش انديشها   لقمه بحر وكوهرش انديشها
زايد ازلقمة حلال اندردهان   ميل خدمت عزم سوى آن جهان

وطلب الحلال بالكسب المشروع سنة الأنبياء عليهم السلام. وفي الكسب فوائد كثيرة منها الزيادة على رأس المال إن عمل للتجارة والزراعة وغرس الأشجار وفيها صدقة لما أكلته الطيور وغيرها. ومنها اشتغال المكتسب بالكسب عن البطالة واللهو. ومنها كسر النفس وصيرورتها قليلة الطغيان. ومنها أن الكسب واسطة الأمان منَ الفقر الذي هو اسوداد الوجه في الدارين ولا يتحرك في الكسب لأجل عياله إلا قال له حافظاه بارك الله لك في حركاتك وجعل نفقاتك ذخراً لك في الجنة ويؤمن عليهما ملائكة السموات والأرض وأفضل الكسب الجهاد ثم التجارة ثم الحراثة ثم الصناعة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿وإذا قيل لهم﴾ نزلت في مشركي العرب وكفار قريش أمروا باتباع القرآن وسائر ما أنزل تعالى من البينات الباهرة فجنحوا للتقليد أي: وإذا قيل للمشركين من الناس على وجه النصيحة والإرشاد ﴿اتبعوا ما أنزل الله﴾ كتاب الله الذي أنزله فاعملوا بتحليل ما أحل الله وتحريم ما حرم الله في القرآن ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴿قالوا بل﴾ عاطفة للجملة التي تليها على الجملة المحذوفة قبلها ﴿نتبع ما ألفينا﴾ أي: وجدنا ﴿عليه آباءنا﴾ من اتخاذ الأنداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك لأنهم كانوا خيراً منا فقلدوا آباءهم فانظروا أيها العقلاء إلى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون؟ فقال الله تعالى رداً عليهم بهمزة الإنكار والتعجب مع واو الحال بعدها ﴿أو لو كان آباؤهم﴾ لما اقتضت الهمزة صدر الكلام والواو وسطه قدر بين الهمزة والواو جملة لتقع الهمزة في صدرها والمعنى أيتبعونهم ولو كان آباؤهم أي: في حال كون آبائهم ﴿لا يعقلون شيئاً﴾ من الدين لأنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا ﴿ولا يهتدون﴾ للصواب والحق يعني هذا منكر مستبعد جداً لأن اتباع من لا عقل له ولا اهتداء إلى طريق الحق لا وجه له أصلاً.

﴿ومثل﴾ واعظ ﴿الذين كفروا﴾ وداعيهم إلى الحق ﴿كمثل﴾ الراعي ﴿الذي ينعق﴾ نعق الراعي والمؤذن بعين مهملة صوت وبالمعجمة نغق للغراب والمعنى يصوت ﴿بما لا يسمع﴾ وهو البهائم أي: لا يدرك بالاستماع ﴿إلا دعاء﴾ صوتاً من الناعق ﴿ونداء﴾ زجراً مجرداً من غير فهم شيء آخر وحفظه كما يفهم العاقل ويجيب. قيل: الفرق بين الدعاء والنداء أن الدعاء للقريب والنداء للبعيد ويحتمل أن يكون الدعاء أعم من النداء والتشبيه المذكور في الآية من قبيل التشبيه المفرق شبه داعي الكافر بالناعق ونفس الكفرة بالبهائم المنعوق بها ودعاء داعي الكفرة بنعيق الناعق بالبهائم والمعنى مثلك يا محمد ومثل الذين كفروا في وعظهم ودعائهم إلى الله وعدم اهتدائهم كمثل الراعي الذي يصيح بالغنم ويكلمها ويقول: كلي واشربي وارعي وهي لا تفهم شيئاً مما يقول لها كذلك هؤلاء الكفار كالبهائم لا يعقلون عنك ولا عن الله شيئاً ﴿صم﴾ أي: هم صم يعني كأنهم يتصاممون عن سماع الحق ﴿بكم﴾ بمنزلة الخرس في أن لم يستجيبوا لما دعوا إليه ﴿عمي﴾ بمنزل العمى من حيث إعراضهم عن الدلائل كأنهم لم يشاهدوها ثم إنه تعالى لما شبههم بفاقدي هذه القوى الثلاث التي يتوسل بها إلى تمييز الحق من الباطل واختيار الحق فرع على هذا التشبيه قوله: ﴿فهم لا يعقلون﴾ أي: لا يكتسبون الحق بما جبلوا عليه من العقل الغريزي لأن اكتسابه إنما يكون بالنظر والاستدلال ومن كان كالأصم والأعمى في عدم استماع الدلائل ومشاهدتها كيف يستدل على الحق ويعقله ولهذا قيل: من فقد حساً فقد فقد علماً وليس المراد نفي أصل العقل لأن نفيه رأساً لا يصلح طريقاً للذم وهكذا لا ينفع الوعظ في آخر الزمان لأن آذان الناس مسدودة عن استماع الحق وأذهانهم مصدودة عن قبوله، ونعم ما قال السعدي:

فهم سخن چون نكند مستمع قوت طبع از متكلم مجوي
فسحت ميدان أرادت بيار تابزند مرد سخن كوي كوي

وفي قوله تعالى: ﴿ولو كان آباؤهم﴾ الآية إشارة إلى قطع النظر عن الأسلاف السوء واتباع أهل الأهواء المختلفة والبدع الذين لا يعقلون شيئاً من طريق الحق وضلوا في تيه محبة الدنيا ويدعون أنهم أهل العلم وليسوا من أهله اتخذوا العلم مكسباً للمال والجاه وقطعوا

الطريق على أهل الطلب. قال تعالى في بعض الكتب المنزلة: [لا تسألن عن عالم قد أسكره حب الدنيا فأولئك قطاع الطريق على عبادي] فمن كان على جادة الحق وصراط الشريعة وعنده معرفة سلوك مقامات الطريقة يجوز الاقتداء به إذ هو من أهل الاهتداء إلى عالم الحقيقة دون مدعي الشيوخة بطريق الإرث من الآباء ولا حظ لهم من طريق الاهتداء فإنهم لا يصلحون للاقتداء. قال السعدي:

چو كنعانرا طبيعت بي هنربود   پيمبر زادكي قدرش نيغزود
هنر بنمادى اكردارى به كوهر   كل ازخارست وإبراهيم از آزر

وفي «التأويلات النجمة»: إن ﴿مثل الذين كفروا﴾ كان في عالم الأرواح عند الميثاق إذ خاطبهم الحق بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ﴿كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء﴾ لأنهم كانوا في الصف الأخير إذ الأرواح كانوا جنوداً مجندة في أربعة صفوف فكان في الصف الأول أرواح الأنبياء عليهم السلام وفي الثاني أرواح الأولياء وفي الثالث أرواح المؤمنين وفي الرابع أرواح الكافرين فأحضرت الذرات التي استخرجت من ظهر آدم من ذرياته وأقيمت كل ذرة بإزاء روحها فخاطبهم الحق ألست بربكم فالأنبياء سمعوا كلام الحق كفاحاً بلا واسطة وشاهدوا أنوار جماله بلا حجاب ولهذا استحقوا هٰهنا النبوة والرسالة والمكالمة والوحي الله أعلم حيث يجعل رسالته والأولياء سمعوا كلام الحق وشاهدوا أنوار جماله من أنوار حجاب أرواح الأنبياء ولهذا هٰهنا احتاجوا لمتابعة الأنبياء فصاروا عند القيام بأداء حق متابعتهم مستحقي الإلهام والكلام من وراء الحجاب والمؤمنون سمعوا خطاب الحق من وراء حجاب الأنبياء وحجاب أرواح الأولياء ولهذا آمنوا بالغيب وقبلوا دعوة الأنبياء وإن بلغتهم من وراء حجاب رسالة جبريل وحجاب رسالة الأنبياء فقالوا سمعنا وأطعنا ومما يدل على هذه التقريرات قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] يعني الأولياء ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥١] يعني المؤمنين والكفار لما سمعوا من الخطاب نداء من وراء الحجب الثلاثة كانوا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء فما شاهدوا من أنوار كمال الحق لا قليلاً ولا كثيراً إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون وما فهموا شيئاً من كلام الحق لا أنهم سمعوا من ذرات المؤمنين من وراء الحجاب لما قالوا بلى فقالوا بالتقليد ولهذا هٰهنا قلدوا ما ألفوا عليه آباءهم لقوله تعالى ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] فلما تعلقت أرواحهم بالأجساد وتكدرت بكدورات الحواس والقوى النفسانية وأظلمت بظلمات الصفات الحيوانية وران على قلوبهم ما كانوا يكسبون من التمتعات البهيمية والأخلاق الشيطانية واللذات الجسمانية أصمهم الله وأعمى أبصارهم فهم الآن ﴿صم﴾ عن استماع دعوة الأنبياء بسمع القبول ﴿بكم﴾ عن قول الحق والإقرار بالتوحيد ﴿عمي﴾ عن رؤية آيات المعجزات ﴿فهم لا يعقلون﴾ أبداً لأنهم أبطلوا بالرين صفاء عقولهم الروحانية وحرموا من فيض الأنوار الربانية. قال الصائب:

چرا زغير شكايت كنم كه همچو حباب   هميشه خانه خراب هواي خويشتنم

وفي «المثنوي»:

كرچه ناصح را بود صد داعيه   پندرا اذني ببايد واعيه

تو بصد تلطيف پنداش ميدهي اوزپندت ميكند بهلوتهي
يك كس نامستمع زاستيزورد صدكس كوينده را عاجز كند
زانبيا ناصح تر وخوش لهجة تر كي بودكه رفت دمشان درحجر
زانچه كوه وسنك دركار آمدند مي نشد بد بخت را بكشاده بند
آنچنان دلها كه بدشان ماومن تعتشان شد بل أشد قسوه

فعلى العاقل أن يتدارك حاله بسلوك طريق الرضى والندم على ما مضى ويزكي نفسه عن سفساف الأخلاق ويصفي قلبه إلى أن تنعكس إليه أنوار الملك الخلاق وذلك لا يحصل غالباً إلا بتربية كامل من أهل التحقيق لأن المرء محجوب عن ربه وحجابه الغفلة وهي وإن كانت لا ترفع ولا تزول إلا بفضل الله تعالى لكنه بأسباب كثيرة ولا اهتداء إلى علاج المرض إلا بإشارة حكيم حاذق وذلك هو المرشد الكامل فإذا يزول الرين عن القلب وتنفتح روزنة البال إلى الغيب فيكون إقرار السالك تحقيقاً لا تقليداً وتوحيده تجريداً وتفريداً فحينئذٍ يعكس الأمر فيكون أصم عن سماع أخبار ما سوى المحبوب الحقيقي أبكم عن إفشاء سر الحقيقة أعمى عن رؤية الأغيار في هذه الدار الفانية اللهم خلصنا من التقليد وأوصلنا إلى حقيقة التوحيد إنك حميد مجيد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا﴾ رزقكم **﴿من طيبات ما رزقناكم﴾** أي: من حلالاته لأن ما رزقناكم أعم من الحلال والحرام عند أهل السنة أو من لذيذاته لأنه أعم أيضاً من المستلذ والمستكره. قال ابن الشيخ وهذا المعنى هو المناسب لهذا المقام وأولى من حمله على الحلال الطاهر من الشبهة لأن المقام مقام الامتنان بما رزقه من لذائذ الإحسان وطلب شكر المنعم المنان والطيب له ثلاثة معان المستلذ طبعاً والمباح شرعاً والطاهر وضعاً وفي الآية إشارة إلى أنه لا بأس بالتفكه بأنواع الفواكه لأنها من الطيبات وتركه أفضل لئلا ينقص من درجته ويدخل تحت قوله تعالى ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأحقاف: ٢٠] والأمر بأكل الطيبات لفائدتين: إحديهما أن يكون أكلهم بالأمر لا بالطبع فيمتازون عن الحيوانات ويخرجون من حجاب الظلمة الطبع بنور الشرع، والثاني ليثيبهم بائتمار أمر الأكل. **﴿واشكروا لله﴾** الذي رزقكموها وأحلها لكم والشكر صرف العبد جميع أعضائه الظاهرة والباطنة إلى ما خلقت لأجله وهذا الأمر ليس أمر إباحة بل هو للإيجاب إذ لا شك في أنه يجب على العاقل أن يعتقد بقلبه أن من أوجده وأنعم عليه بما لا يحصى من النعم الجليلة مستحق لغاية التعظيم وأن يظهر ذلك بلسانه وبسائر جوارحه **﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾** أي: إن كنتم مؤمنين بالله ومخصصين الله بالعبادة فاشكروا له فإن الإيمان يوجب ذلك وهو من شرائطه وهو مشهور في كلامهم يقول الرجل لصاحبه الذي عرف أنه يحبه إن كنت لي محباً فافعل كذا فيدخل حرف الشرط في كلامه تحريكاً له على ما يؤمر به وإعلاماً أنه من شرائط المحبة وليس المراد أن انتفاء الشرط يستلزم انتفاء المشروط فإن من لا يفعل هذه العبادة يجب الشكر عليه أيضاً وعن النبي ﷺ: «يقول الله تعالى إني والإنس

والجن لفي نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري». قال السعدي:

مكن كردن ازشكر منعم مپيسچ كه روز پسين سربر ارى بهيچ

﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾ أي: ما مات بغير ذكاة مما يذبح والسمك والجراد مستثنيات بالعرف لأنه إذا قيل فلان أكل ميتة لم يسبقا إلى الفهم ولا اعتبار للعادة قالوا: من حلف لا يأكل لحماً فأكل سمكاً لم يحنث وإن أكل لحماً في الحقيقة قال الله تعالى ﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: ١٤] والمراد بتحريم الميتة تحريم أكلها وشرب لبنها أو الانتفاع بها لأن الأحكام الشرعية إنما تتعلق بالأفعال دون الأعيان ﴿والدم﴾ الجاري والكبد والطحال مستثنيان أيضاً بالعرف فهما حلالان ﴿ولحم الخنزير﴾ قد انعقد الإجماع على أن الخنزير حرام لعينه فيكون جميع أجزائه محرماً وإنما خص الله لحمه بالذكر لأنه معظم ما ينتفع به من الحيوان فهو الأصل وما عداه تبع له ﴿وما أهل به لغير الله﴾ أي: وحرم ما رفع به الصوت عند ذبحه للصنم وأصل الاهلال رفع الصوت وكانوا إذا ذبحوا لآلهتهم يرفعون أصواتهم بذكرها ويقولون باسم اللات والعزى فجرى ذلك من أمرهم حتى قيل لكل ذابح وإن لم يجهر بالتسمية مهل.

قال العلماء لو ذبح مسلم ذبيحة وقصد بها التقرب إلى غير الله صار مرتداً وذبيحته ميتة وذبائح أهل الكتاب تحل لنا لقوله تعالى ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥] إلا إن سموا غير الله فإنها حينئذٍ لا تحل لهذه الآية فإن قوله تعالى ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ﴾ [المائدة: ٥] الخ عام وقوله ﴿وما أهل به لغير الله﴾ خاص مقدم على العام ﴿فمن﴾ يحتمل أن تكون شرطية وموصولة ﴿اضطر﴾ أي: أحوج وألجىء إلى أكل شيء مما حرم الله بأن لا يجد غيرها وجد أن الاضطرار أن يخاف على نفسه أو على بعض أعضائه التلف ﴿غير﴾ نصب على الحال فإنه إذا صلح في موضع لا فهو حال وإن صلح في موضع إلا فهو استثناء وإلا فهو صفة وذو الحال هٰهنا فاعل فعل محذوف بعد قوله اضطر تقديره فمن اضطره أحد أمرين إلى تناول شيء من هذه المحرمات أحدهما: الجوع الشديد مع عدم وجدان مأكول حلال بسد رمقه، وثانيهما: الإكراه على تناوله فتناول وأكل حال كونه غير ﴿باغ﴾ على مضطر آخر بأن حصل ذلك المضطر الآخر من الميتة مثلاً قدر ما يسد به جوعته فأخذه منه وتفرد بأكله وهلك الآخر جوعاً وهذا حرام لأن موت الآخر جوعاً ليس أولى من موته جوعاً ﴿ولا عاد﴾ من العدو وهو التعدي والتجاوز في الأمر لما حد له فيه أي: غير متجاوز حد الشبع عند الأكل بالضرورة بأن يأكل قدر ما يحصل به سد الرمق والجوعة ﴿فلا إثم عليه﴾ في تناوله عند الضرورة ﴿إن الله غفور﴾ لما أكل في حال الاضطرار ﴿رحيم﴾ بترخيصه ذلك ولم يذكر في هذه الآية سائر المحرمات لأنها ليست لحصر المحرمات بل هذه الآيات سيقت لنهيهم عن استحلال ما حرم الله وهم كانوا يستحلون هذه الأشياء فكانوا يأكلون الميتة ويقولون تأكلون ما أمتم ولا تأكلون ما أماته الله وكذا يأكلون الدم ولحم الخنزير وذبائح الأصنام فبين أنه حرمها فالمراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقاً. وقيل: ذكر الميتة يتناول المتردية وهي الساقطة في بئر أو ماء أو من علو والمنخنقة وهي ما اختنق بالشبكة أو بحبل أو خنق خانق والموقوذة وهي المضروبة بالخشب والنطيحة وهي المنطوحة وما أكل السبع ومتروك التسمية عمداً ونحوها ويكره عشرة من الحيوان الدم والعدة والقبل والدبر والذكر والخصيتان والمرارة والمثانة ونخاع الصلب. أما الدم فلقول تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المائدة: ٣] وأما ما سواه فلأنها من الخبائث.

قال الشيخ الشهير بأفتاده أفندي: ذكر أن النبي عليه السلام لم يأكل الطحال ولا الكلية ولا الثوم وإن لم يمنع عن أكلها فالأولى أن لا تؤكل اقتفاء لأثره ثم قيل في وجهه أن المني إذا نزل لم ينزل إلا بعد اتصاله بالكلية. وأما الطحال فلأنه من أطعمة أهل النار كذا في «واقعات الهدائي» قدس سره ومن امتنع من الميتة حال المخمصة أو صام ولم يأكل حتى مات أثم بخلاف من امتنع من التداوي حتى مات فإنه لا يأثم لأنه لا يقين بأن هذا الدواء يشفيه ولعله يصح من غير علاج. وذكر في «الأشباه والنظائر»: أنه يرخص للمريض التداوي بالنجاسات وبالخمر على أحد القولين واختار قاضي خان عدمه وإساغة اللقمة بها إذا غص اتفاقاً وإباحة النظر للطبيب حتى للعورة والسوأتين انتهى ويحل للعطشان شرب الخمر حالة الاضطرار على ما نص عليه في «الخانية» وما قال الصدر الشهيد من أن الاستشفاء بالحرام حرام فهو غير مجرى على إطلاقه لأن الاستشفاء بالمحرم إنما لا يجوز إذا لم نعلم أن فيه شفاء وأما إذا علم ذلك وليس له دواء آخر غيره يجوز له الاستشفاء به ومعنى قول ابن مسعود رضي الله عنه أن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم يحتمل أن عبد الله قال ذلك في داء عرف له دواء غير محرم لأنه حينئذٍ يستغني بالحلال عن الحرام، وفي «التهذيب»: يجوز للعليل شرب البول والدم للتداوي إذا أخبره طبيب مسلم أن شفاءه فيه ولم يجد من المباح ما يقوم مقامه كذا في شرح «الأربعين حديثاً» لعلامة الروم ابن الكمال. والإشارة في قوله تعالى **﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾** أنه كما حرم على الظواهر هذه المعهودات حرم على البواطن شهود غير الله فالميتة هي جيفة الدنيا **﴿والدم﴾** هي الشهوات النفسانية قال عليه السلام «إن الشيطان ليجري في ابن آدم مجرى الدم» ولولا أن الشهوات في الدم مستكنة لما كان للشيطان إليه سبيل ولهذا قال عليه السلام: «سددوا مجاري الشيطان بالجوع» لأن الجوع يقطع مادة الشهوات **﴿ولحم الخنزير﴾** إشارة إلى هوى النفس وتشبيه النفس بالخنزير لغاية حرصها وشرهها وخستها وخباثة ظاهرها وباطنها **﴿وما أهل به لغير الله﴾** هو كل ما يتقرب به إلى الله من الطاعات البدنية والخيرات المالية من غير إخلاص لله وفي الله بل للرياء والسمعة في سبيل الهوى **﴿فمن اضطر﴾** إما لضرورة الحاجة النفسانية وإما لضرورة أمر الشرع بإقامة أحكام الواجبات عليه فليشرع في شيء مما اضطر إليه **﴿غير باغ﴾** أي: غير حريص على الدنيا وجمعها من الحرام والحلال وغير مولع عن الشهوات بالحرام والحلال وغير مقبل إلى استيفاء حظوظ النفس في الحرام والحلال وغير مواظب على الرياء في الطاعات والخيرات من السنن والبدع **﴿ولا عاد﴾** أي: غير متجاوز من الدنيا حد القناعة وهي ما يسد الجوعة ويستر العورة **﴿فلا إثم عليه﴾** على من قام بهذه الشرائط **﴿إن الله غفور رحيم﴾** يغفر للعاملين له بآثار الرحمة والقائمين به بأنوار الرحمة والماحين فيه بأوصاف الرحمة التقطته من «التأويلات النجمية». والغفور والغفار هو الذي أظهر الجميل وستر القبيح والذنوب من جملة القبائح التي سترها بأسباب الستر عليها في الدنيا والتجاوز عن عقوبتها في الآخرة وحظ العبد من هذا الاسم أن يستر من غيره ما يحب أن يستر منه وقد قال عليه السلام: «من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة» والمغتاب والمتجسس والمكافىء على الإساءة بمعزل عن هذا الوصف وإنما المتصف به من لا يفشى من خلق الله إلا أحسن ما فيه كما روي عن عيسى عليه السلام أنه مر مع الحواريين بكلب قد غلب نتنه فقالوا ما أنتن هذه الجيفة فقال عليه السلام: ما أحسن بياض أسنانها تنبيهاً على أن الذي ينبغي أن يذكر من كل

شيء ما هو أحسن كذا في «شرح الأسماء الحسنى» للإمام الغزالي قدس سره.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿**إن الذين**﴾ نزلت في أحبار اليهود فإنهم كانوا يرجون أن يكون النبي المنعوت في التوراة منهم فلما بعث الله نبينا محمداً عليه السلام من غيرهم غيروا نعمته حتى إذا نظر إليه السفلة يجدونه مخالفاً لصفة محمد عليه السلام فلا يتبعونه فلا تزول رياستهم ﴿**يكتمون ما أنزل الله من الكتاب**﴾ حال من العائد المحذوف أي: أنزل الله حال كونه من الكتاب وهو التوراة المشتمل على نعت محمد عليه السلام ﴿**ويشترون به**﴾ أي: بدل المنزل المكتوم ﴿**ثمناً قليلاً**﴾ أي: يأخذون عوضاً حقيراً من الدنيا يعني المآكل التي يصيبونها من سفلتهم ﴿**أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار**﴾ أما في الآخرة فظاهر لأنهم لا يأكلون يوم القيامة إلا عين النار عقوبة لهم على أكلهم الرشوة في الدنيا وأما في الدنيا فبأكل سببها فإن أكلهم ما أخذوه من اتباعهم سبب مؤد إلى أن يعاقبوا بالنار فإطلاق النار عليه من قبيل إطلاق اسم المسبب على السبب ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال: أكل في بطنه وأكل في بعض بطنه يعني أن المقصود من ذكر بطونهم متعلقاً بقوله يأكلون إنما هو بيان محل الأكل ومقر المأكول فلما لم يقل يأكلون في بعض بطونهم علم أن محل الأكل هو تمام بطونهم فلزم امتلاءها ففيه مبالغة كأنهم ما كانوا متكئين على البطون عند الأكل فملؤوا بطونهم ﴿**ولا يكلمهم الله يوم القيامة**﴾ أي: لا يكلمهم الله بطريق الرحمة غضباً عليهم فليس المراد به نفي الكلام حقيقة لئلا يتعارض بقوله تعالى ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢] ونحوه بل هو كناية عن الغضب لأن نفي الكلام لازم للغضب عرفاً وعادة الملوك عند الغضب أنهم يعرضون عن المغضوب عليهم ولا يكلمونهم كما أنهم عند الرضى يتوجهون إليهم بالملاطفة ﴿**ولا يزكيهم**﴾ لا يثني عليهم ولا يطهرهم من دنس الذنوب يوم يطهر المؤمنين من ذنوبهم بالمغفرة ﴿**ولهم عذاب أليم**﴾ وجه دائم مؤلم.

﴿**أولئك**﴾ المشترون بكتاب الله ثمناً قليلاً ليسوا بمشترين للثمن وإن قل بل ﴿**الذين اشتروا**﴾ بالنسبة إلى الدنيا ﴿**الضلالة**﴾ التي ليست مما يمكن أن يشتري قطعاً ﴿**الهدى**﴾ الذي ليس من قبيل ما يبذل بمقابلة شيء وإن جل ﴿**والعذاب**﴾ أي: اشتروا بالنظر إلى الآخرة العذاب الذي لا يتوهم كونه من المشترى ﴿**بالمغفرة**﴾ التي يتنافس فيها المتنافسون ﴿**فما أصبرهم على النار**﴾ أي: ما أصبرهم على أعمال أهل النار حين تركوا الهدى وسلكوا مسالك الضلال فالمراد بالنار سببها أطلق عليه اسم النار للملابسة بينهما ومعنى التعجب راجع إلى العباد فهو تعجب أي: إيقاع للمخاطب في العجب لامتناع التعجب في شأنه تعالى لأن التعجب منشأه الجهل بالسبب فإنهم قالوا: التعجب انفعال النفس مما خفي سببه وخرج عن نظائره فلا يجوز على الله تعالى ﴿**ذلك**﴾ العذاب بالنار ﴿**بأن الله**﴾ أي: بسبب أنه ﴿**نزل الكتاب**﴾ أي: جنس الكتاب ﴿**بالحق**﴾ أي: حال كونه ملتبساً بالحق فلا جرم يكون من يرفضه بالتكذيب

والكتمان ويركب متن الجهل والغواية مبتلى بمثل هذا من أفانين العذاب ﴿**وإن الذين اختلفوا في الكتاب**﴾ أي: في جنس الكتاب الإلهي بأن آمنوا ببعض كتب الله وكفروا ببعضها أو في التوراة بأن آمنوا ببعض آياتها وكفروا ببعض كالآيات المغيرة المشتملة على أمر بعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونعوته الكريمة أو في القرآن بأن قال بعضهم أنه شعر وبعض سحر وبعض كهانة ﴿**لفي شقاق بعيد**﴾ أي: خلاف بعيد عن الحق والصواب مستوجب لأشد العذاب.

اعلم أن في هذه الآيات وعيداً عظيماً لكل من يكتم الحق لغرض فاسد دنيوي فليحذروا أي: العلماء أن يكتموا الحق وهم يعلمون وإنما يكتمونه عن الملوك والأمراء والوزراء وأرباب الدنيا إما خوفاً من اتضاع مرتبتهم ونقصان قدرهم عندهم وإما طموحاً إلى إحسانهم أو لأنهم شركاؤهم في بعض أحوالهم من حب الدنيا وجمعها والحرص في طلبها أو طلب مناصبها وحب رياستها أو بالتنعم في المأكول والمشروب والملبوس والمركوب والمسكن والأواني وآلات البيت والأمتعة والزينة في كل شيء والخدم والخيول وغير ذلك فعند ذلك يداهنون ويأكلون ثمناً قليلاً ولا يأكلون إلا نار الحرص والشهوة والحسد التي تطلع على الأفئدة وتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

واعلم أن في كل عمل وفعل وقول يصدر من العبد على خلاف الشرع شرراً يجتنى من نار السعير فتحصل في قلب العبد تلك النار في الحال وفي التي تصدر من العبد على وفق الشرع شرراً يجتنى من نار المحبة لتظهر في القلب فتحرق كل محبوب غير الله في قلب كما أن نار السعير تحرق في القلب الحسنات والأخلاق الحميدة فيأكلون ناراً في الحال وإنما قال ما يأكلون في بطونهم إلا النار لأن فسادهم كان في باطل فكان عذابهم في البطون وإنما لا يكلمهم الله يوم القيامة لأنهم كتموا كلام الله في الدنيا ولا تكلموه بالصدق فكان جزاء سيئة سيئة مثلها وإنما لا يزكيهم لأن تزكية النفس للإنسان مقدرة من الإيمان والأعمال الصالحة بصدق النية من تهذيب الأخلاق بآداب الشرع فأولئك المداهنون من العلماء هم الذين اشتروا حب الدنيا بهدى إظهار الحق وآثروا الخلق على الحق والمداهنة على أفضل الجهاد قال عليه السلام: «إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» وإنما كانت أفضل لأن الجهاد بالحجة والبرهان جهاد أكبر بخلاف الجهاد بالسيف والسنان فإنه جهاد أصغر ومدار كتمان الحق حب الدنيا وحبها رأس كل خطيئة. قال الحسن: إن الزبانية إلى فسقة حملة القرآن أسرع منهم إلى عبدة الأوثان فيقولون: ربنا ما بالنا يتقدمون إلينا فيقول الله ليس من يعلم كمن لا يعلم فمن اشترى الدنيا بالدين فقد وقع في خسران مبين وكان دائماً في منازعة الشيطان.

ـ كما حكي ـ أن رجلاً قال للشيخ أبي مدين ما يريد منا الشيطان؟ شكاية منه فقال الشيخ: إنه جاء قبلكم وشكا منك وقال: اعلم أنه سيشكوني ولكن الله ملكني الدنيا فمن نازعني في ملكي لا أتسلى بدون إيمانه فمن كف يده عن الدنيا وزينتها فقد استراح من تعبها ومحنتها. ـ وحكي ـ أن ذا القرنين اجتاز على قوم تركوا الدنيا وجعلوا قبور موتاهم على أبوابهم يقتاتون بنبات الأرض ويشتغلون بالطاعة فأرسل ذو القرنين إلى ملكهم فقال: ما لي حاجة إلى صحبة ذي القرنين فجاء ذو القرنين فقال: ما سبب قلة الذهب والفضة عندكم؟ قال: ليس للدنيا طالب عندنا لأنها لا تشبع أحداً فجعلنا القبور عندنا حتى لا ننسى الموت ثم اخرج رأس إنسان وقال: هذا رأس ملك من الملوك كان يظلم الرعية ويجمع حطام الدنيا فقبضه الله تعالى

وبقي عليه السيئات ثم أخرج رأساً آخر وقال أيضاً: هذا رأس ملك عادل مشفق فقبضه وأسكنه جنته ورفع درجته ثم وضع يده على رأس ذي القرنين وقال: من أي الرأسين يكون رأسك فبكى ذو القرنين وقال: إن ترغب في صحبتي شاطرتك مملكتي وسلمت إليك وزارتي فقال: هيهات وقال ذو القرنين: ولم قال لأن الناس أعداؤك بسبب المال والمملكة وجميعهم أحبابي بسبب القناعة، قال السعدي قدس سره:

در كوشة قناعت نان پاره وپينه

درپيش أهل معنى بهتر زصد خزينه

﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

﴿ليس البر﴾ هو كل فعل مرضي يفضي بصاحبه إلى الجنة ﴿أن تولوا﴾ أي أن تصرفوا يا أهل الكتابين ﴿وجوهكم﴾ في الصلاة ﴿قبل المشرق والمغرب﴾ أي: مقابلهما ظرف مكان لقوله ﴿تولوا﴾ والبر منصوب على أنه خبر مقدم وأن تولوا اسمها لكونه في تأويل المصدر والمصدر المؤول أعرف من المحلى باللام وهو يشبه الضمير من حيث أنه لا يوصف ولا يوصف به فالأولى أن يجعل الأعرف اسماً وغير الأعرف خبراً وذلك أن اليهود والنصارى أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين أن البر هو التوجه إلى قبلته فرد عليهم وقيل: ليس البر ما أنتم عليه فإنه منسوخ خارج من البر ﴿ولكن البر﴾ المعهود الذي ينبغي أن يهتم بشأنه ويجدّ في تحصيله ﴿من﴾ أي برّ من على حذف المضاف لأن اسم لكن من أسماء المعاني وخبرها من أسماء الأعيان فامتنع الحمل لذلك ﴿آمن بالله﴾ وحده إيماناً بريئاً من شائبة الإشراك لا كإيمان اليهود والنصارى المشركين بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله وقدم الإيمان بالله في الذكر لأنه أصل لجميع الكمالات العلمية والعملية ﴿واليوم الآخر﴾ أي: بالبعث الذي فيه جزاء الأعمال على أنه كائن لا محالة وعلى ما هو عليه لا كما يزعمون من أنهم لا تمسهم النار إلا أياماً معدودة وأن آباءهم الأنبياء ويشفعون لهم فالبر هو التوجه إلى المبدأ والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب في الحقيقة ولما كان الإيمان باليوم الآخر متفرعاً على الإيمان بالله لأنها ما لم نعلم باستحقاقه الألوهية وقدرته على جميع الممكنات لا يمكننا أن نعلم صحة الحشر والنشر وكان الإيمان به محركاً وداعياً إلى الانقياد بالله في جميع ما أمر به ونهى عنه خوفاً وطمعاً ذكر الإيمان به عقيب الإيمان بالله ﴿والملائكة﴾ كلهم بأنهم عباد الله ليسوا بذكور ولا إناث ولا بشر ولا أولاد الله مكرمون عنده متوسطون بينه وبين أنبيائه بإلقاء الوحي وإنزال الكتب واليهود أخلوا بذلك حيث أظهروا عداوة جبريل ﴿والكتاب﴾ أي: بجنس الكتاب الإلهي الذي من أفراده الفرقان واليهود أخلوا بذلك لأنه مع قيام الدليل على أن القرآن كتاب الله تعالى ردوه ولم يقبلوه. ﴿والنبيين﴾ جميعاً بأنهم المبعوثون إلى خلقه والقائمون بحقه والصادقون عنه في أمره ونهيه ووعده وأخباره من غير تفرقة بين أحد منهم واليهود أخلوا بذلك حيث قتلوا الأنبياء

وطعنوا في نبوة محمد عليه السلام.

واعلم أن الإيمان بالملائكة والكتاب مؤخر عن الإيمان بالنبيين إلا أنه قدم الإيمان بهما في الذكر رعاية للترتيب بحسب الوجود الخارجي ولم ينظر إلى الترتيب في العلم فإن الملك يوجر أولاً ثم يحصل بواسطته نزول الكتاب إلى الرسل فتدعو الرسل إلى ما فيها من الأحكام وهذا أي: الإيمان بالأمور الخمسة المذكورة أصول الدين وقواعد العقائد ﴿وآتى المال﴾ أي: الصدقة من ماله ﴿على حبه﴾ حال من الضمير في آتى والضمير المجرور للمال أي: آتاه كائناً على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل أي: الصدقة أفضل قال: «أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان». قال السعدي قدس سره:

پريشان كن امروز كنجينه جست — كه فردا كليدش نه دردست تست
كنون بر كف دست نه هرچه هست — كه فردا بدندان كزي بشت دست

﴿ذوي القربى﴾ مفعول أول لآتى بدلالة الحال وقدمهم لأنهم أحق بالصدقة لقوله عليه السلام: «صدقتك على المسلمين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان» لأنها صدقة وصلة وقال أيضاً «أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح» ﴿واليتامى﴾ الفقراء منهم لا الأغنياء وقدم اليتامى على سائر المصارف لأن الصغير الفقير الذي لا والد له ولا كاسب أشد احتياجاً من المساكين ومن ذكر بعدهم ﴿والمساكين﴾ جمع مسكين ضربان من يكف عن السؤال وهو المراد هٰهنا ومن ينبسط ويسأل وهذا القسم داخل في قوله والسائلين وهو مبالغة الساكن فإن المحتاج يزداد سكونه إلى الناس على حسب ازدياد حاجته ﴿وابن السبيل﴾ أي: المسافر البعيد عن ماله وسمي به لملازمته له كما تقول للص القاطع ابن الطريق وللمعمر ابن الليالي ولطير الماء ابن الماء والضيف لأنه جاء من السبيل فكأنه ولد منه قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» وأيضاً «أكرموا الضيف ولو كان كافراً» ﴿والسائلين﴾ الذين ألجأتهم الحاجة والضرورة إلى السؤال وفي الحديث «للسائل حق ولو جاء على ظهر فرسه». قال السعدي قدس سره:

نه خوا هندة بردر ديكران — بكشرانه خواهنده ازدرمران

﴿وفي﴾ تخليص ﴿الرقاب﴾ بمعاونة المكاتبين جمع رقبة وهي مؤخر العنق واشتقاقها من المراقبة لأنها مكان مراقبة الرقيب المشرف على القوم وإذا قيل أعتق الله رقبته يراد أن الله تعالى خلصه من مراقبة العذاب إياه. وقيل: المراد بهم أرقاء يشتريهم الأغنياء لإعتاقهم. وقيل المراد بهم الأسارى فإن الأغنياء يؤتون المال في تخليصهم فهذا هو البر ببذل الأموال على وفق مراد الله تعالى إلى المصارف المذكورة واليهود أخلوا بذلك لأنهم أكلوا أموال الناس بالباطل حيث كتموا دلائل حقيقة الإسلام على أتباعهم واشتروا به ثمناً قليلاً وعوضاً يسيراً وهو ما يعود إليهم من هدايا السفلة ﴿وأقام الصلاة﴾ المفروضة عطف على صلة من أي: من آمن وآتى وأقام واليهود كانوا يمنعون الناس من الصلاة والزكاة ﴿وآتى الزكاة﴾ المفروضة على أن المراد بما مر من إيتاء المال التنفل بالصدقة قدم على الفريضة مبالغة في الحث عليه أو الأول لبيان المصارف والثاني لبيان وجوب الأداء ﴿والموفون﴾ عطف على من آمن فإنه في قوة أن يقال ومن أوفوا

﴿بعهدهم﴾ من الأوامر والنواهي أو النذور ﴿إذا عاهدوا﴾ فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم وبين الناس إذا وعدوا أنجزوا وإذا حلفوا أو نذروا أوفوا وإذا قالوا صدقوا وإذا ائتمنوا أدوا وفي الحديث «من أعطى عهد الله ثم نقضه فالله لا ينظر إليه» أي: انقطع نظره عنه «ومن أعطى ذمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم غدر فالنبي خصمه يوم القيامة» واليهود نقضوا العهد قال الله تعالى: ﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾. وفي «المثنوي»:

چون درختست آدمي وبيخ عهد بيخ را نيمار مي بايد بجهد
عهد فاسد بيخ بوسيده بود وزثمار لطف ببريده بود
شاخ وبرك نخل اكرچه سبزبود بإفساد بيخ سبزي نيست سود
ورندارد برك سبز وبيخ هست عاقبت بيرون كند صدبرك دست
تومشوغره بعلمش عهد جو علم چون قشر است وعهدش مغزاو

﴿والصابرين﴾ منصوب على المدح أي بتقدير أعني وهو في الحقيقة والمعنى عطف على من آمن لكن غير سبكه تنبيهاً على فضيلة الصبر ومزيته أي وأعني الذين صبروا ﴿في البأساء﴾ أي: في الفقر والشدة ﴿والضراء﴾ أي: المرض والزمانة ﴿وحين البأس﴾ منصوب بالصابرين أي: وقت الشدة والبأس شدة القتال خاصة وهو في الأصل مطلق الشدة وزيادة الحين للإشعار بوقوعه أحياناً وسرعة انقضائه وأهل الكتاب أخلوا بذلك حيث كانوا في غاية الخوف والجبن والحاصل أنه لما حولت القبلة وكثر خَوض أهل الكتاب في نسخها صار كأنهم قالوا مدار البر والطاعة هو الاستقبال فأنزل الله هذه الآية كأنه تعالى قال: ما هذا الخوض الشديد في أمر القبلة مع الإعراض عن كل أركان الدين فصفة البر لا تحصل بمجرد استقبال المشرق والمغرب بل البر لا يحصل إلا بمجموع الأمور المذكورة ﴿أولئك﴾ أي: أهل هذه الصفة ﴿الذين صدقوا﴾ في الدين واتباع الحق وتحري البر حيث لم تغيرهم الأحوال ولم تزلزلهم الأحوال ﴿وأولئك هم المتقون﴾ عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الإشارة لزيادة تنويه شأنهم وتوسيط الضمير للإشارة إلى انحصار التقوى فيهم والآية جامعة للكمالات الإنسانية بأسرها دالة عليها صريحاً أو ضمناً فإنها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة أشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد أشير إلى الأول بقوله: من آمن إلي والنبيين وإلى الثاني بقوله وآتى المال إلي وفي الرقاب وإلى الثالث بقوله وأقام الصلاة إلى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظراً إلى إيمانه واعتقاده وبالتقوى اعتباراً بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق وإليه يشير قوله عليه السلام «من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان» قال شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة قيل لي في قلبي أحسن أخلاق المرء في معاملته مع الحق التسليم والرضى وأحسن أخلاقه في معاملته مع الخلق العفو والسخاء انتهى كلامه. وحب المال من أغلب أخلاق النفس وكذلك العجلة من الأخلاق الرديئة ولذلك قيل إن الصبر أفضل من الشكر وفي الخبر «يؤتى بأشكر أهل الأرض ليجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى بالصابر فيقول الله هذا أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لأضعفن لك الأجر فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين» والتحقيق أن تهذيب النفس إنما يكون بالتوحيد بطريقه المخصوص كما أن أصل الإيمان إنما يحصل بالتوحيد والشهادة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ

مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى**﴾ الخطاب لأئمة المؤمنين أوجب الله تعالى على الإمام وعلى من يجري مجراه ويقوم مقامه إقامة القصاص والتقدير يا أيها الأئمة فرض عليكم استيفاء القصاص إن أراد ولي الدم استيفاءه ويحتمل أن يكون الخطاب متوجهاً على القاتل والمعنى يا أيها القاتلون عمداً كتب عليكم تسليم أنفسكم عند مطالبة الولي بالقصاص وذلك لأن القاتل ليس له أن يمتنع عن القصاص لكونه حق العبد بخلاف الزاني والشارب فإن لهما الهرب من الحدود لكون ما عليهما من الحق حق الله تعالى. والقصاص أن يفعل بالإنسان مثل ما فعل فهو عبارة عن التسوية والمماثلة في الأنفس والأطراف والجراحات. والقتلى جمع قتيل وفي للسبب أي: بسبب قتل القتلى كما في قوله عليه السلام: «إن امرأة دخلت النار في هرة ربطتها» أي: بسبب ربطها إياها وحَسُن الوقف في قوله القتلى. ﴿**الحر بالحر**﴾ مبتدأ وخبر أي: الحر مأخوذ ومقتول بمثله ﴿**والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى**﴾ سبب النزول أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء في الجاهلية وكان لأحدهما طول على الآخر أي: قوة وفضل فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى والاثنين بالواحد فتحاكموا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين جاء الله بالإسلام فنزلت وأمرهم الله أن يتباروا أي: يتساووا ويتعادلوا. وقوله: الحر بالحر لا يفيد الحصر البتة بأن لا يجرى القصاص إلا بين الحرين وبين العبدين وبين الأنثيين بل يفيد شرع القصاص في القتلى المذكورين من غير أن يكون فيه دلالة على سائر الأقسام فإن قوله تعالى: ﴿**كتب عليكم القصاص في القتلى**﴾ جملة مستقبلة بنفسها. وقوله: الحر بالحر تخصيص لبعض جزئيات تلك الجملة بالذكر وتخصيص بعض جزئيات الجملة المستقلة بالذكر لا يمنع ثبوت الحكم لسائر الجزئيات بل ذلك التخصيص يمكن أن يكون لفائدة سوى نفي الحكم عن سائر الصور وهي إبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من أنهم كانوا يقتلون بالعبد منهم الحر من قبيلة القاتل بالعبد المقتول والأنثى القاتلة بالأنثى المقتولة وليس فيه نفي جريان القصاص بين الحر والعبد والذكر والأنثى بل فيه منع عن التعدي إلى غير القاتل انتهى كلامه. والثوري وأبو حنيفة يقتلان الحر بالعبد والمؤمن بالكافر ويستدلان بعموم قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥] فإن شريعة من قبلنا إذا قصت علينا في القرآن من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب على أنها شريعة لنا. وبما روي «المسلمون تتكافأ دماؤهم» وبأن التفاضل في النفس غير معتبر بدليل قتل الجماعة بالواحد وبأن القصاص يعتمد المساواة في العصمة وهي بالدين أو بالدار وهما سيان فيهما. ومالك والشافعي لا يقتلان الحر بالعبد ولا المؤمن بالكافر كما قال الشافعي رحمه الله:

خذوا بدمي هذا الغزال فإنه ... رماني بسهمي مقلتيه على عمد
ولا تقتلوه إنني أنا عبده ... وفي مذهبي لا يقتل الحر بالعبد

﴿**فمن**﴾ عبارة عن القاتل شرطية كانت أو موصولة ﴿**عفي له من أخيه**﴾ الضميران راجعان إلى من ﴿**شيء**﴾ أي: شيء من العفو قليل فارتفاع شيء على أنه قائم مقام فاعل عفي بناء على أنه في حكم المصدر أي: في حكم قولك عفي عفو فإن عفا وإن كان لازماً لا يتعدى

إلى المفعول به إلا أنه يتعدى إلى المفعول المطلق فيصلح أن يقام مصدره مقام الفاعل كما في قوله تعالى ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣] وقولهم سير بزيد بعض السير وشيء من السير وفائدة قوله شيء الإشعار بأنه إذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بأن يعفى عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب إلا الدية وعفا يتعدى إلى الجاني وإلى الذنب بعن فإذا تعدى إلى الذنب بعن كما في قوله تعالى ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ [التوبة: ٤٣] عدي إلى الجاني باللام يقال: عفوت لفلان إذ جني وعليه ما في الآية وعفو الجاني عبارة عن إسقاط موجب الجناية عنه وموجبها هٰهنا القصاص فكأنه قيل القاتل الذي عفي له عن جناية من جهة أخيه الذي هو ولي المقتول سواء كان العفو الواقع تاماً بأن اصطلح القاتل مع جميع أولياء القتيل على مال أو بعض العفو بأن وقع الصلح بينه وبين بعض الأولياء فإنه على التقديرين يجب المال ويسقط القصاص فإنه قد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية نزلت في الصلح عن القصاص على مال وسمى الله تعالى ولي الجناية أخاً للقاتل استعطافاً له عليه وتنبيهاً على أن أخوة الإسلام قائمة بينهما وأن القاتل لم يخرج من الإيمان بقتله ﴿**فاتباع بالمعروف**﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: وإذا حصل شيء من العفو وبطل الدم بعفو البعض فالأمر اتباع بالمعروف أي: على ولي المقتول أن يطالب القاتل ببدل الصلح بالمعروف بترك التشديد والتضييق في طلبه وإذا أخذ الدية لا يطلب الأكثر مما وجب عليه ﴿**وأداء إليه بإحسان**﴾ حث المعفو عنه وهو القاتل على تأدية المال بالإحسان أي: وعلى القاتل أن يؤدي المال إلى العافي بإحسان في الأداء بترك المطل والبخس والأذى ﴿**ذلك**﴾ أي: الحكم المذكور من العفو والدية ﴿**تخفيف من ربكم**﴾ أي: تيسير وتوسعة لكم ﴿**ورحمة**﴾ منه حيث لم يجزم بالعفو وأخذ الدية بل خيركم بين الثلاث القصاص والدية والعفو وذلك لأن في شرع موسى عليه السلام القصاص وهو العدل فقط وفي دين عيسى عليه السلام العفو وهو الفضل فحسب وفي ملتنا للتشفي القصاص وللترفه الدية وللتكرم العفو ﴿**فمن اعتدى**﴾ أي: تجاوز ما شرع له ﴿**بعد ذلك**﴾ التخفيف بأن قتل غير القاتل أو قتل القاتل بعد العفو أو أخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبول الدية ثم يظفر فيقتله وينبذ ماله إلى أوليائه ﴿**فله**﴾ باعتدائه ﴿**عذاب أليم**﴾ نوع من العذاب شديد الألم إما بالدنيا فبالاقتصاص بما قتله بغير حق وإما في الآخرة فبالنار.

﴿**ولكم في القصاص حياة**﴾ أي: في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة لأنهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة كما قتل مهلهل بن ربيعة بأخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع فيما بينهم التشاجر والهرج والمرج وارتفاع الأمن فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت فيه أي: حياة لأنه إذا علم القاتل أنه يقتل إذا قتل لا يقدم على القتل وإذا قتل فقتل ارتدع غيره فكان القصاص سبب حياة نفسين أو أكثر وهو كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده فإن ضدية شيء لآخر تستلزم أن يكون تحقق أحدهما رافعاً للآخر والقصاص لاستلزامه ارتفاع الحياة ضد لها وقد جعل ظرفاً لها تشبيهاً له بالظرف الحقيقي من حيث أن المظروف إذا حواه الظرف لا يصيبه ما يخل به ويفسده ولا هو يتفرق ويتلاشى بنفسه كذلك القصاص يحمي الحياة من الآفات فكان من هذا الوجه بمنزلة الظرف لها ولا شك فيه إذ جعل الضد حامياً لضده اعتبار لطيف في غاية الحسن والغرابة التي هي من نكات البلاغة وطرقها ﴿**يا أولي الألباب**﴾ أي: ذي العقول

الخالصة من شوب الأوهام ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس ﴿لعلكم تتقون﴾ تعملون عمل أهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به والإذعان أو تتقون عن القتل مخافة القود، وفيه تحذير عن القتل فإن من أعظم حقوق العباد الدماء وهي أول ما يحاسب به العبد بالنسبة إلى حقوق العباد كما أن الصلاة أول ما يحاسب به بالنسبة إلى حقوق الله تعالى وفي الحديث «يأتي المقتول معلقاً رأسه بإحدى يديه ملبباً قاتله بيده الأخرى تشخب أوداجه دماً حتى يوقفا فيقول المقتول لله سبحانه: هذا قتلني فيقول الله تعالى للقاتل: تعست ويذهب به إلى النار».

واعلم أن الذنوب على ثلاثة أوجه:

الأول فيما بين العبد وبين الله تعالى: كالزنى واللواطة والغيبة والبهتان ما لم يبلغ إلى من بهته واغتابه فإذا بلغه وجعله في حلّ وتاب المذنب فنرجو أن الله يغفر له وكذلك إذا زنى بامرأة ولها زوج فلم يجعله ذلك الرجل في حلّ لا يغفر له؛ لأن خصمه الآدمي فإذا تاب وجعله في حل فإنه يغفر له ويكتفى بحل منه ولا يذكر الزنى بأن قال: كل حق لي عليك فقد جعلتك في حل منه ومن كل خصومة بيني وبينك وهذا صلح بالمعلوم على المجهول وذلك جائز كرامة لهذه الأمة لأن الأمم السالفة ما لم يذكر الذنب لا يغفر لهم.

والثاني ذنب فيما بينه وبين أعمال الله: وهو أن يترك الصلاة والصوم والزكاة والحج فإن التوبة لا تكفيه ما لم يقض الصلاة وغيرها لأن شرط التوبة أن يؤدي ما ترك فإذا لم يؤد فكأنه لم يتب.

والثالث فيما بينه وبين عباد الله وهو أن يغصب أموالهم أو يضربهم أو يشتمهم أو يقتلهم فإن التوبة لا تكفيه إلا أن يرضى عنه خصمه أو يجتهد في الأعمال الصالحة حتى يوفق الله بينهما يوم القيامة فإنه إذ تاب العبد وكان عليه حقوق العباد فعليه أن يردها إلى أربابها وإن عجز عن إيصالها وأراد الله مغفرته يقول لخصمه يوم القيامة: ارفع رأسك فيرفع فيرى قصوراً عالية فيقول: يا رب لمن هذه؟ فيقول الله تعالى: أنت قادر عليها فإن ثمنها عفوك عن أخيك فيقول: قد عفوت فيقول الله تعالى خذ يد أخيك واذهبا إلى الجنة. والإشارة في الآية أن الله تعالى كتب عليكم القصاص في قتلاكم كما كتب على نفسه الرحمة في قتلاه كما قال: «من أحبني قتلته ومن قتلته فأنا ديته»، وفي «المثنوي»:

كـريـكـي سـررا بـبـرد ازبـدن	صـد هـزاران سـربـر آرد در زمـن
اقـتـلـونـي يـا ثـقـاتـي لائـمـا	إن فـي قـتـلـي حـيـاتـي دائـمـا
إن فـي مـوتـي حـيـاتـي يـا فـتـى	كـم أفـارق مـوطـنـي حـتـى مـتـى
شـيـر دنـيـا جـويـد أشـكـاري وبـرك	شـيـر مـولـى جـويـد آزادىء ومـرك
چـونـكـه انـدر مـرك بـيـنـد صد وجـود	هـمـچـو پـروانـه بـسـوزانـد وجـود

فعلى العاقل أن يقتل نفسه بالرياضات الشديدة ويحيي قلبه بالحياة الطيبة الباقية اللهم وفقنا لمداواة هذه القلوب المرضى آمين.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾

﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت﴾ أي: حضر أسبابه وظهر أمارته وآثاره من العلل والأمراض؛ إذ لا اقتدار على الوصية عند حضور نفس الموت والعامل في إذا مدلول كتب لأن الكتب بمعنى الإيجاب لا يحدث وقت حضور الموت بل الحادث تعلقه بالمكلف وقت حضور موته فكأنه قيل توجه عليكم إيجاب الله تعالى ومقتضى كتابه إذا حضر فعبر عن توجه الإيجاب وتعلقه بكتب للدلالة على أن هذا المعنى مكتوب في الأزل. ﴿إن ترك خيراً﴾ أي: مالاً قليلاً أو كثيراً يقال: فلان ذو مال ولا يطلق ذلك لمن له مال قليل. وعن عائشة رضي الله عنها «أن رجلاً أراد أن يوصي قالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف قالت: كم عيالك؟ قال: أربعة قالت: إنما قال الله إن ترك خيراً أو إن هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك» وأصل الخير أن يكون لكل ما يرغب فيه مما هو نافع لأنه ضد الشر. قال في «إخوان الصفا» الخير فعل ما ينبغي في الوقت الذي بنيغي من أجل ما ينبغي ﴿الوصية﴾ نائب فاعل كتب أي: فرض الإيصاء ﴿للوالدين والأقربين﴾ ممن يرث ومن لا يرث ﴿بالمعروف﴾ نصب حالاً أي: بالعدل لا يزيد على الثلث ولا يوصي لغني ويدع الفقير وكان السبب في نزول هذه الآية أن أهل الجاهلية كانوا يوصون بمالهم للبعدى رياء وسمعة طلباً للفخر والشرف ويتركون الأقارب في الفقر والمسكنة فصرف الله تعالى بهذه الآية في بدء الإسلام ما كان يصرف إلى الأبعدين إلى الوالدين والأقربين فعمل بها ما كان العمل بها صلاحاً وحكمة ثم نسختها آية المواريث في سورة النساء فالآن لا يجب على أحد أن يوصي لأحد قريب ولا بعيد وإذا أوصى فله أن يوصي لكل من الأقارب والأباعد إلا للوارث ﴿حقاً﴾ أي: أحق هذه الوصية حقاً ﴿على المتقين﴾ المجتنبين عن ضياع المال وحرمان القريب يعني إن كنتم متقين بالله لا تتركوا العمل بهذا. قال ابن الشيخ في «حواشيه»: فإن قيل قوله: على المتقين يقتضي أن يكون هذا التكليف مختصاً بالمتقين وقد دل الإجماع على أن الواجبات والتكاليف عامة في حق المتقين وغيرهم أجيب بأن المراد بقوله حقاً على المتقين أنه لازم لكل من آثر التقوى وتحراها وجعلها طريقاً له ومذهباً فيدخل فيه الكل. ﴿فمن بدله﴾ الضمير راجع إلى الوصية لكونها في تأويل الإيصاء أي: غير الإيصاء عن وجهه الشرعي والمشهور أن من غير إيصاء المحتضر هو الوصي أو الشاهد فالوصي يغير الوصية إما في الكتابة أو في قسمة الحقوق والشاهد يغيرها إما بتغيير وجه الشهادة أو بكتمها ويمكن أن يكون التبديل من سائر الناس بأن منعوا من وصول المال الموصى به إلى مستحقه فهؤلاء كلهم داخلون تحت قوله فمن بدله ﴿بعد ما سمعه﴾ أي: بعد ما وصل إليه وتحقق لديه ﴿فإنما إثمه﴾ أي: ما إثم الإيصاء المغير أو إثم التبديل إلا ﴿على الذين يبدلونه﴾ لأنهم خانوا وخالفوا الشرع لا على الموصي وهو الميت فإنه بريء من الإثم ﴿إن الله سميع﴾ بالإيصاء وتغييره ﴿عليم﴾ بثوابه وجزاء من غيره وهو يجازي كل واحد منهما بما يستحقه.

﴿فمن﴾ شرطية أو موصولة ﴿خاف﴾ أي: توقع وعلم فإنه إذا علم خاف فهو من إطلاق اسم اللازم على الملزوم ﴿من موص﴾ أي: من الذي أوصى وهو يجوز أن يتعلق بخاف على أنها لابتداء الغاية أو بمحذوف على أنها حال من جنفاً قدمت عليه لأنها في الأصل صفة له فلما تقدمت نصبت حالاً ﴿جنفاً﴾ أي: ميلاً عن الحق بالخطأ في الوصية ﴿أو إثماً﴾ أي: تعمداً للجنف يعني إذا جهل الموصي موضع الوصية أو زاد على مقدار الوصية أو أوصى بما لا يجوز إيصاؤه ﴿فأصلح﴾ الظاهر أن المراد بالمصلح هو الوصي لأنه أشد تعلقاً بأمر الوصية إلا أنه لا

وجه لتخصيصه بالوصي بل ينبغي أن يدخل تحته كل من يتأتى منه رفع الفساد في وصية الميت من الوالي والولي والوصي ومن يأمر بالمعروف والمفتي والقاضي والوارث ﴿بينهم﴾ أي: بين الموصى لهم وهم الوالدان والأقربون فغير وصيته بإجرائها على طريق الشرع ﴿فلا إثم عليه﴾ أي: لا وزر على المغير في هذا التبديل لأنه تبديل باطل إلى حق بخلاف الأول ﴿إن الله غفور رحيم﴾ وعد للمصلح بالإثابة وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الإثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم لأن بعض التبديل وهو التبديل إلى الباطل إثم وهذا من المشاكلة الصورية لا المعنوية لأن التبديل إلى خير ليس من جنس الإثم لكن صورته صورة ما يؤثم.

واعلم أن الوصية مستحبة لحاجة الناس إليها فإن الإنسان مغرور بأمله أي: يرجو الحياة مدة طويلة مقصر في عمله فإذا عرض له المرض وخاف الهلاك يحتاج إلى تدارك تقصيره بماله على وجه لو مات فيه يتحقق مقصده المآلي ولو أنهضه البرء يصرفه إلى مطلبه الحالي. وفي الحديث «إن الله تصدق عليكم بثلث أموالكم في آخر أعماركم زيادة لكم في أعمالكم تضعونها حيث شئتم» ويوصي بفدية صلاته وصيامه لكل مكتوبة نصف صاع من الحنطة وكذا الوتر ولكل يوم من صوم رمضان أيضاً نصف صاع من الحنطة وفي صوم النذر كذلك. قال في «تفسير الشيخ»: ومن كان عليه حج أو كفارة أي: شيء من الواجبات فالوصية واجبة وإلا فهو بالخيار وعليه الفتوى ويوصي بإرضاء خصمائه وديونه.

ـ حكي ـ أن الإمام الشافعي رحمه الله لما مرض مرض موته قال: مروا فلاناً يغسلني فلما مات بلغ خبر موته إليه فحضر وقال: ائتوني بتذكرته فأتى بها فنظر فيها فإذا على الشافعي سبعون ألف درهم ديناً فكتبها على نفسه وقضاها وقال: هذا غسلي إياه وإياه أراد. وفي الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ قال: «من لم يوصِ لم يؤذن له في الكلام مع الموتى» قيل: يا رسول الله وهل تتكلم الموتى؟ قال: «نعم ويتزاورون». قال الإمام نقلاً عن بعض الأئمة الأعلام: والأرواح قسمان منعمة ومعذبة، فأما المعذبة: فهي محبوسة مشغولة عن التزاور والتلاقي، وأما المنعمة: المرسلة غير المحبوسة فتتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا فيكون كل روح مع رفيقه الذي هو على مثله عمله وهذه المعية ثابتة في دار البرزخ وفي دار الجزاء والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاث في كل موطن وموقف، فعلى العاقل أن يختار صحبة الأخيار ويتأهب آناء الليل وأطراف النهار ولا يغتر بالمال والمنال ولا ينقطع عن الله بطول الآمال فإن الدنيا فانية وكل من عليها فانٍ فاتقوا الله كل حين وآن، قال الصائب:

درسر اين غافلان طول أمل داني كه چيست
آشيان كردست ماري در كبوترخانه

والإشارة في الآية أنه ﴿كتب عليكم﴾ على الأغنياء الوصية بالمال وكتب على الأولياء الوصية بالحال فالأغنياء يوصون في آخر أعمارهم بالثلث والأولياء يخرجون في مبادىء أحوالهم عن الكل ﴿إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية﴾ أي: يحضر قلب أحدهم مع الله ويموت بنفسه بالإرادة عن الصفات الطبيعية الحيوانية كما قال ﷺ: «موتوا قبل أن تموتوا» ويترك كل خير وشر كان مشربها من الدنيا والعقبى فعليه أن يوصي ﴿للوالدين﴾ وهما

الروح العلوي والبدن السفلي فإن النفس توالدت وحصلت بازدواجهما ﴿والأقربين﴾ وهم القلب والسر وباقي المتولدات البشرية بتركه وترك كل مشرب يظهر لهم من المشارب الروحانية الباقية والمشارب الجسمانية الفانية ﴿بالمعروف﴾ أي: بالاعتدال من غير إسراف يقضي إلى إتلاف محترزاً في الأحوال من الركون إلى شهوة من الشهوات وفي الأعمال مجتنباً عن الرسوم والعادات كما قال النبي عليه السلام «بعثت لرفع العادات وترك الشهوات» وقال: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» بأن يجعل المشارب مشرباً واحداً والمحابيب محبوباً واحداً والمذاهب مذهباً واحداً ﴿حقاً على المتقين﴾ يعني ما ذكرنا من الوصية بجملتها حق واجب على متقي الشرك الخفي ولهذا قال على المتقين وما قال على المسلمين والمؤمنين لأنهم أهل الظواهر والمتقون هم أهل البواطن كما قال عليه السلام: «التقوى هٰهنا» وأشار إلى صدره.

واعلم أن القرآن أنزل لأهل البواطن كما أنزل لأهل الظواهر لقوله عليه السلام: «إن للقرآن ظهراً وبطناً» فظاهره الأحكام لأهل الظواهر والأحكام تحتمل النسخ كما نسخت هذه الآية في الوصية الظاهرة وباطنه الحكم والحقائق فهي لا تحتمل النسخ أبداً ولهذا قال أهل المعاني: ليس شيء من القرآن منسوخاً يعني وإن كان دخل النسخ في أحكام ظاهره فلا يدخل في أحكام باطنه فيكون أبداً معمولاً بالمواعظ والأسرار والحقائق حقاً على المتقين لأنه مخصوص بهداية المتقين كقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] فحكم الوصية في حقهم غير منسوخ ابداً كذا في «التأويلات النجمية» قدس الله نفسه الزكية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ قال أصحاب اللسان يا حرف نداء وهو نداء من الحبيب للحبيب وأيها تنبيه من الحبيب للحبيب وآمنوا شهادة من الحبيب للحبيب. وقال الحسن: إذا سمعت الله يقول: يا أيها الذين آمنوا فارفع لها سمعك فإنه لأمر تؤمر به أو لنهي تنهى عنه. وقال جعفر الصادق لذة في النداء أزال بها تعب العبادة والعناء يشير إلى أن المحب يبادر إلى امتثال أمر محبوبه حتى لو أمره بإلقاء نفسه في النار ﴿كتب عليكم الصيام﴾ أي: فرض عليكم صيام شهر رمضان فإنه تعالى قال بعده ﴿أياماً معدودات﴾ وقال تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] بعد قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ [البقرة: ١٨٥] والصيام في الشريعة هو الإمساك نهاراً مع النية من أهله عن المفطرات المعهودة التي هي معظم ما تشتهيه الأنفس وهذا صوم عوام المؤمنين وأما صوم الخواص فالإمساك عن المنهيات وأما صوم أخص الخواص فالامساك عما سوى الله تعالى ﴿كما كتب﴾ محل كما النصب على أنه صفة مصدر محذوف أي: كتب كتاباً كائناً مثل ما كتب وما مصدرية أو على أنه حال من الصيام وما موصولة أي: كتب عليكم الصيام مشبهاً بالذي كتب ﴿على الذين من قبلكم﴾ من الأنبياء عليهم السلام والأمم من لدن آدم عليه السلام وفيه تأكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لأنفس المخاطبين فإن الصوم عبادة شاقة والشيء الشاق إذا عم سهل تحمله ويرغب كل أحد في إتيانه والظاهر أن التشبيه عائد إلى أصل

إيجاب الصوم لا إلى كمية الصوم المكتوب وبيان وقته فكان الصوم على آدم أيام البيض وصوم عاشوراء كان على قوم موسى والتشبيه لا يقتضي التسوية من كل وجهه كما يقال في الدعاء اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وكما قال عليه السلام: «إنكم سترون ربكم كالقمر ليلة البدر» فإن هذا تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي ﴿لعلكم تتقون﴾ المعاصي فإن الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما قال عليه السلام: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء» قوله: الشباب جمع شاب وهو عند أصحابنا من بلغ ولم يجاوز ثلاثين كذا قاله النووي والباءة: النكاح والتزوج وهو المباءة في المنزل لأن من تزوج امرأة بوأها منزلاً والوجاء نوع من الإخصاء وهو أن يرض عروق الأنثيين ويترك الخصيتين كما هما والمعنى على التشبيه أي: الصوم يقطع شهوة الجماع ويدفع شر المني كالخصاء والأمر في الحديث للوجوب لأنه محمول على حالة التوقان بإشارة قوله: يا معشر الشباب فإنهم ذوو التوقان على الجبلة السليمة.

قال العلماء: تسكين الشهوة يحصل بالصيام بالنهار والقيام بالليل وحذف الشهوات والتغافل عنها وترك محادثة النفس بذكرها، فإن قلت: إن الرجل يصوم ويقوم ولا يأكل ويجد من نفسه حركة واضطراباً، قلت: ذلك من فرط فضل شهوة مقيمة فيه من الأول فليقطع ذلك على نفسه بالهموم والأحزان الدائمة وذكر الموت وتقريب الأجل وقصر الأمل والمداومة على المراقبة والمحافظة على الطاعة.

﴿أياماً معدودات﴾ أي: موقتات ومقدرات بعدد معلوم أو قلائل فإن القليل من المال يعد عداً والكثير يهال هيلاً أي: يصب صباً على غير كيل وعدّ فالله تعالى لم يفرض علينا صيام الدهر ولا صيام أكثره تخفيفاً ورحمة وتسهيلاً لأمر التكليف على جميع الأمم وانتصاب أياماً بمضمر دل هو أي: الصيام عليه أعني صوموا إما على الظرفية أو المفعولية اتساعاً **﴿فمن كان منكم مريضاً﴾** أي: مرضاً يضره الصوم أو يضر معه **﴿أو على سفر﴾** أو راكب سفر وفيه إيماء بأن من سافر في أثناء اليوم لم يفطر لعدم استعلائه السفر استعلاء الراكب المركوب بل هو ملابس شيئاً من السفر والرخصة إنما أثبتت لمن كان على سفر وكلمة على فيها استعارة تبعية شبه تلبسه بالسفر باستعلاء الراكب واستيلائه على المركوب يتصرف فيه كيف يشاء وللدلالة على هذا المعنى عدل عن اسم الفاعل فلم يقل أو مسافراً إذ ليس فيه إشارة بالاستيلاء على السفر **﴿فعدة﴾** أي: فعليه صوم عدة أيام المرض والسفر فعدة من العد بمعنى المعدود ومنه يقال للجماعة المعدودة من الناس عدة **﴿من أيام أخر﴾** غير أيام مرضه وسفره إن أفطر متتابعاً أو غير متتابع والمقصود من الآية بيان أن فرض الصوم في الأيام المعدودات إنما يلزم الأصحاء المعتبرين وأما من كان مريضاً أو مسافراً فله تأخير الصوم عن هذه الأيام إلى أيام أخر **﴿وعلى الذين يطيقونه﴾** ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بالذين يطيقونه الأصحاء المقيمون خيّرهم في ابتداء الإسلام بين أمرين بين أن يصوموا وبين أن يفطروا ويفدوا لئلا يشق عليهم لأنهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله: **﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾** فالمعنى أي: وعلى المطيقين للصيام القادرين عليه إن أفطروا **﴿فدية﴾** أي: إعطاء فدية وهي **﴿طعام مسكين﴾** وهي نصف صاع من بر أو صاع من غيره والفدية في معنى الجزاء وهو عبارة

عن البدل القائم عن الشيء. وفي «تفسير الشيخ»: يطيق من أطاق فلان إذا زالت طاقته والهمزة للسلب أي: لا يقدرون على الصوم وهم الذين قدروا عليه في حال الشباب ثم عجزوا عنه في حال الكبر ﴿فمن تطوع خيراً﴾ أي: من تبرع بخير فزاد في الفدية أو تطوع تطوعاً خيراً ﴿فهو﴾ أي: التطوع ﴿خير له﴾ وذكر في الخير المتطوع ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يزيد على مسكين واحد فيطعم مكان كل يوم مسكينين أو أكثر.

وثانيها: أن يطعم المسكين الواحد أكثر من القدر الواجب.

وثالثها: أن يصوم مع الفدية فهو خير كله ﴿وأن تصوموا﴾ في تأويل المصدر مرفوع بالابتداء أي: صومكم أيها المرضى والمسافرون والذين يطيقونه ﴿خير لكم﴾ من الفدية ﴿إن كنتم تعلمون﴾ ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة والجواب محذوف ثقة بظهوره أي: اخترتموه، وفي «الأشباه»: الصوم في السفر أفضل إلا إذا خاف على نفسه أو كان له رفقة اشتركوا في الزاد واختاروا الفطر انتهى وإنما فضل الصوم للمسافر لأن الصوم عزيمة له والتأخير رخصة والأخذ بالعزيمة أفضل وأما ما روي أن النبي عليه السلام قال: «ليس من البر الصيام في السفر» فمحمول على ما إذا كان الصوم يضعفه حتى يخاف عليه الهلاك كذا في «شرح المجمع» لابن الملك، والسفر المبيح للفطر مسيرة ثلاثة أيام ولياليها عند أبي حنيفة رحمه الله.

واعلم أن الله تعالى أمرنا بصيام شهر كامل ليوافق عدد السنة في الأجر الموعود بقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠] فالشهر الكامل ثلاثمائة وستة أيام شوال ستون يوماً فإن نقص يوم من عدد الشهر لم ينقص من الثواب روي أن رسول الله ﷺ صام ثمانية رمضانات: خمسة منها كانت تسعة وعشرين يوماً والباقي ثلاثين يوماً وافترض الصيام بعد خمس عشرة سنة من النبوة بعد الهجرة بثلاث سنين. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بعث الله نبيه عليه السلام بشهادة أن لا إله إلا الله فلما صدق زاد الصلاة فلما صدق زاد الزكاة فلما صدق زاد الصيام فلما صدق زاد الحج ثم الجهاد ثم أكمل لهم الدين وأول ما فرض الصوم على الأغنياء لأجل الفقراء في زمن الملك طهمورث ثالث ملوك بني آدم وقع القحط في زمانه فأمر الأغنياء بطعام واحد بعد غروب الشمس وبإمساكهم بالنهار شفقة على الفقراء وإيثاراً عليهم بطعام النهار وتعبداً وتواضعاً لله تعالى. والصوم سبب للولوج في ملكوت السموات وواسطة الخروج عن رحم مضايق الجسمانيات المعبر عنه بالنشأة الثانية كما أشير إليه بقوله عيسى عليه السلام: [لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين] بل مجاهدة الصوم رابطة مشاهدة اللقاء وإليه يشير الحديث القدسي «الصوم لي وأنا أجزي» يعني: أنا جزاؤه لا حوري ولا قصوري ولهذا علق سبحانه نيل سعادة الرؤية بالجوع حيث قال في مخاطبة عيسى عليه السلام (تجوع تراني). قال السعدي:

ندارند تن پروران آكهي　　　كه پر معده باشد ز حكمت تهي

وإنما أضيف الصوم إلى الله في «الصوم لي» لأنه لا رياء فيه بل سر لا يعلمه إلا الله وإنما يكون الله سبحانه جزاء صومه إذا أمسك قلبه وسره وروحه عما سواه تعالى وهو الصوم الحقيقي عند الخواص. قال في «المثنوي»:

هركرا دارد هوسها جان پاك　　　زود بيند حضرت وايوان پاك

والإشارة في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ إن الصوم كما يكون للظاهر يكون للباطن وباطن الخطاب يشير إلى صوم القلب والروح والسر الذين آمنوا شهود أنوار الحضور مع الله فصوم القلب صومه عن مشارب المعقولات وصوم الروح عن ملاحظة الروحانيات وصوم السر صونه عن شهود غير الله فمن أمسك عن المفطرات فنهاية صومه إذا هجم الليل ومن أمسك عن الأغيار فنهاية صومه أن يشهد الحق وفي قوله عليه السلام: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته» عند التحقيق أنها عائدة إلى الحق فينبغي أن يكون صوم العبد ظاهراً أو باطناً لرؤية الحق وإفطاره بالرؤية قوله تعالى: ﴿كتب عليكم الصيام﴾ أي: على كل عضو في الظاهر وعلى كل صفة في الباطن. فصوم اللسان عن الكذب والفحش والغيبة. وصوم العين عن النظر في الغفلة والريبة. وصوم السمع عن استماع المناهي والملاهي وعلى هذا فقس الباقي. وصوم النفس عن التمني والحرص والشهوات. وصوم القلب عن حب الدنيا وزخارفها. وصوم الروح عن نعيم الآخرة ولذاتها. وصوم السر عن رؤية وجود غير الله وإثباته ﴿كما كتب على الذين من قبلكم﴾ هي إشارة إلى أن أجزاء وجود الإنسان من الجسمانية والروحانية قبل التركيب كانت صائمة عن المشارب كلها فلما تعلق الروح بالقالب صارت أجزاء القالب مستدعية للحظوظ الحيوانية والروحانية بقوة إمداد الروح وصار الروح بقوة حواس القالب متمتعاً من المشارب الروحانية والحيوانية فالآن كتب عليهم الصيام وهم مركبون كما كتب على الذين من قبلكم من المفردات ﴿لعلكم تتقون﴾ من مشارب المركبات وتصومون فيها مع حصول استعداد الشراب ليفطروا عن مشارب يشرب بها عباد الله إذا سقاهم ربهم شراباً طهوراً فيطهركم طهورية هذا الشراب من دنس استدعاء الحظوظ الحيوانية والروحانية كما قال ولكن يريد ليطهركم فلما أفل كوكب استدعاء الحظوظ طلعت شمس استدعاء اللقاء من مطلع الالتقاء فحينئذٍ يتحقق إنجاز ما وعد سيد الأنبياء بقوله: «للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه» ثم أخبر عن كمال لطفه مع العباد بتقليل الأعداد في قوله: ﴿أياماً معدودات﴾ والإشارة فيها هو أن صومكم في أيام قلائل معدودة متناهية وثمرات صومكم في أيام غير معدودة ولا متناهية فلا يهولنكم سماع ذكره كذا في «التأويلات النجمية».

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

﴿شهر رمضان﴾ مبتدأ خبره ما بعده فيكون المقصود من ذكر هذه الجملة المنبهة على فضله ومنزلته الإشارة إلى وجه تخصيصه من بين الشهور بأن فرض صومه ثم أوجب صومه بقوله: ﴿فمن شهد منكم الشهر﴾ المعهود ﴿فليصمه﴾ وسمي الشهر شهراً لشهرته، ورمضان مصدر رمض إذا احترق فأضيف إليه الشهر وجعل المجموع علماً ومنع من الصرف للتعريف والألف والنون. وإنما سمي بذلك إما لارتماض الأكباد واحتراقها من الجوع والعطش وإما لارتماض الذنوب بالصيام فيه أو لوقوعه أيام رمض الحر أي: شدة وقوعه على الرمل وغيره. قيل: إنهم نقلوا أسماء الشهور من اللغة القديمة فسموها بالأزمنة التي

وقعت هي فيها وقت التسمية فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسمي به كما يسمى بربيع لموافقته الربيع وجمادى لموافقته جمود الماء. أو رمضان اسم من أسماء الله تعالى والشهر مضاف إليه ولذلك روي «لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان ولكن قولوا جاء شهر رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى» ﴿الذي أنزل فيه القرآن﴾ جملة إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل به جبريل نجوماً في ثلاث وعشرين سنة حسبما تقتضيه المشيئة الربانية وعن النبي عليه السلام: «نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين منه والإنجيل لثلاث عشرة والقرآن لأربع وعشرين» والقرآن من القرء وهو الجمع لأنه مجمع علم الأولين والآخرين ﴿هدى للناس﴾ أي: أنزل حال كونه هداية للناس إلى سواء الصراط بما فيه من الإعجاز وغيره ﴿وبينات من الهدى والفرقان﴾ أي: وحال كونه آيات واضحات مما يهدي إلى الحق ويرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والأحكام فالهدى على قسمين: ما يكون بيناً جلياً وما لا يكون كذلك والأول أفضل القسمين فذكر الجنس أولاً ثم أردفه بإشراف نوعيه بل بالغ فيه فكأنه قيل: إنه هدى بل هو بين من الهدى ولا شك أنه في غاية المبالغة لأنه في المرتبة الثالثة فالعطف في وبينات من باب عطف التشريف ﴿فمن﴾ الفاء للتفريع والترتيب ﴿شهد﴾ أي: حضر موضع الإقامة من المصر أو القرية كائناً ذلك الحاضر ﴿منكم الشهر﴾ منصوب على الظرف أي: في الشهر دون المفعول به لأن المقيم والمسافر يشهدان الشهر ﴿فليصمه﴾ أي: فليصم فيه بحذف الجار وإيصال الفعل إلى المجرور اتساعاً، والمراد بالشاهد العاقل البالغ الصحيح لأن كل واحد من الصبي والمجنون يشهد موضع الإقامة في الشهر مع أنه لا يجب عليهما الصوم وهذا أي: الحتم ينسخ التخيير بين الصوم والإفطار والفداء ﴿ومن كان مريضاً﴾ وإن كان مقيماً حاضراً فيه ﴿أو على سفر﴾ وإن كان صحيحاً وعلى بمعنى في وحروف الصفات يقام بعضها مقام بعض ﴿فعدة من أيام أخر﴾ أي: فعليه صيام أيام أخر وأعاد تخيير المريض والمسافر وترخيصهما في الإفطار لأن الله تعالى ذكر في الآية الأولى تخيير المقيم المطيق والمسافر والمريض ونسخ في الثانية تخيير المقيم بقوله: ﴿فليصمه﴾ فلو اقتصر على هذا احتمل أن يعود النسخ إلى تخيير الجميع فأعاد بعض النسخ بترخيص المسافر والمريض ليعلم أنه باق على ما كان ﴿يريد الله بكم اليسر﴾ حيث أباح الفطر بالسفر والمرض واليسر ما تسهل ﴿ولا يريد بكم العسر﴾ أي: مشقة بالصوم في المرض والسفر لغاية رأفته وسعة رحمته. قال محمد بن علي الترمذي قدس سره: اليسر اسم الجنة لأن جميع اليسر فيها والعسر اسم جهنم لأن جميع العسر فيها معناه يريد الله بصومكم إدخال الجنة ولا يريد بكم إدخال النار، قال شيخنا العلامة الفضلي قدس سره في الآية أن مراده تعالى بأن يأمركم بالصوم يسر الدارين لا عسرهما أما اليسر في الدنيا فالترقي إلى الملكية والروحانية والوصول إلى اليقظة والمعرفة وأما العسر فيها فالبقاء مع البشرية والحيوانية والاتصاف بالأوصاف الطبيعية والنفسانية وأما اليسر في الآخرة فهو الجنة والنعمة والقربة والوصلة والرؤية وأما العسر فيها فهو الجحيم وعذابها ودركاتها انتهى كلامه.

وقال نجم الدين في «تأويلاته»: يعني يريد الله بكم اليسر الذي هو مع العسر فلا تنظر في امتثال الأمر إلى العسر ولكن انظر إلى اليسر الذي هو مع العسر فإن العاقل إذا سقاه الطبيب شراباً مراً أمر من بلاء المرض موجباً للصحة فلا ينظر العاقل إلى مرارة الشراب ولكن ينظر إلى

حلاوة الصحة ولا يبالي بمرارة الشراب فيشربه بقوة الهمة انتهى، قال السعدي قدس سره:

وبـالـسـت دادن بـرنـجـور قـنـد   كـه داروي تـلـخـش بـود سـودمـنـد
زعـلـت مـدار أي خـردمـنـد بـيـم   جـوداروي تـلـخـت فـرسـتـد حـكـيـم

﴿ولتكملوا العدة﴾ أي: وإنما أمرناكم بمراعاة العدة بعد إيجاب صوم رمضان كما قال تعالى: ﴿فعدة﴾ أي: فعليكم عدة ما أفطرتم لتكملوا عدد أيام الشهر بقضاء ما أفطرتم بسبب مرضكم أو سفركم ﴿ولتكبروا الله﴾ أي: إنما علمناكم كيفية القضاء وهو المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿من أيام أخر﴾ مطلقاً فإنه يجوز أن يقضي على سبيل التوالي أو التفريق لتعظموا الله حامدين ﴿على ما هداكم﴾ ما مصدرية أي: على هدايته إياكم إلى طريق الخروج عن عهدة التكليف ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أي: إنما رخصنا لكم بالإفطار لكي تشكروا الله على هذه النعمة باللسان والقلب والبدن وفي الحديث «من حافظ على ثلاث فهو ولي الله حقاً ومن ضيعهن فهو عدو الله حقاً الصلاة والصوم والغسل من الجنابة» وفي بعض الخبر «إن الجنان يشتقن إلى أربعة نفر صائمي رمضان، وتالي القرآن، وحافظي اللسان، ومطعمي الجيران وإن الله يغفر للعبد المسلم عند إفطاره ما مشت إليه رجلاه وما قبضت عليه يداه وما نظرت إليه عيناه وما سمعته أذناه وما نطق به لسانه وما حدث به قلبه» وفي الحديث «إذا كان يوم القيامة وبعث من في القبور أوحى الله إلى رضوان أني أخرجت الصائمين من قبورهم جائعين عاطشين فاستقبلهم بشهواتهم من الجنان فيصيح ويقول: أيها الغلمان والولدان عليكم بأطباق من نور فيجتمع أكثر من عدد الرمل وقطرات الأمطار وكواكب السماء وأوراق الأشجار بالفاكهة الكثيرة والأشربة اللذيذة والأطعمة الشهية فيطعم من لقي منهم ويقول: كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية» وعن النبي عليه السلام أنه قال: «رأيت ليلة المعراج عند سدرة المنتهى ملكاً لم أرَ مثله طولاً وعرضاً طوله مسيرة ألف ألف سنة وله سبعون ألف رأس من كل رأس سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف لسان وعلى كل رأس ألف ذؤابة من نور وعلى كل ذؤبة ألف ألف لؤلؤة متعلقة بقدرة الله تعالى وفي جوف كل لؤلؤة بحر من نور وفي ذلك البحر حيتان طول كل حوت مقدار مائتي عام مكتوب على ظهرهن لا إله إلا الله محمد رسول الله وذلك الملك واضع إحدى يديه على رأسه والأخرى على ظهره وهو في حظيرة القدس فإذا سبح اهتز العرش بحسن صوته فسألت عنه جبريل فقال: هذا ملك خلقه الله تعالى قبل آدم بألف عام فقلت: أين كان هذا إلى هذه الغاية؟ فقال: إن الله مرجاً في الجنة عن يمين العرش فكان هو فيه فأمره الله في ذلك المكان أن يسبح لك ولأمتك بسبب صوم شهر رمضان فرأيت صندوقين بين يديه على كل صندوق ألف قفل من نور وسألت جبريل عن الصندوقين فقال: سل منه فسألته فقال: إن فيهما براءة الصائمين من أمتك من عذاب النار طوبى لك ولأمتك».

اعلم أنه لا بد من النية في الأعمال خصوصاً في الصوم وهي أن يعلم بقلبه أنه يصوم ولا يخلو مثلاً عن هذا في ليالي شهر رمضان والإمساك قد يكون للعادة أو لعدم الاشتهاء أو للمرض أو للرياضة أو يكون للعبادة فلا يتعين له إلا بالنية وهي شرط لكل يوم لأن صوم كل يوم عبادة على حدة ألا يرى أنه لو أفسد صوم يوم لا يمنع صحة الباقي بخلاف التراويح فإنه لا يلزم النية في كل شفع لأن الكل بمنزلة صلاة واحدة وهو الأصح وتجوز النية إلى نصف النهار

دفعاً للحرج وما يروى من الأحاديث في نفي الصوم إلا بالتبييت فحمولة على نفي الفضيلة بخلاف القضاء والكفارات والنذر المطلق لأن الزمان غير متعين لها فوجب التبييت نفياً للمزاحمة ويعتبر نصف النهار من طلوع الفجر الثاني فيكون إلى الضحوة الكبرى فينوي قبلها ليكون الأكثر منوياً فيكون له حكم الكل حتى لو نوى بعد ذلك لا يجوز لخلو الأكثر عن النية تغليباً للأكثر. والاحتياط في النية في التراويح أن ينوي التراويح أو ينوي قيام الليل أو ينوي سنة الوقت أو قيام رمضان. والتراويح سنة مؤكدة واظب عليها الخلفاء الراشدون قال عليه السلام: «إن الله فرض عليكم الصيام وسننت قيامه» وأما قول عمر رضي الله عنه نعمت البدعة هذه يعني قيام رمضان فمعناه أن النبي ﷺ وإن كان قد صلاّها إلا أنه تركها ولم يحافظ عليها ولا جمع الناس إليها فمحافظة عمر عليها وجمع الناس إليها وندبهم بدعة لكنها بدعة محمودة ممدوحة كذا في «تفسير القرطبي» عند قوله تعالى ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] في الجزء الأول وكان النبي ﷺ بشر أصحابه بقدوم رمضان ويقول: «قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه الشياطين وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم».

قال بعض العلماء: هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضاً بشهر رمضان، قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» التهنئة بالشهور والأعياد مما اعتاده الناس وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رفعه «من لقي أخاه عند الانصراف من الجمعة فليقل تقبل الله منا ومنك» ويروى في جملة حقوق الجار من المرفوع «إن أصابه خير هنأه أو مصيبة عزاه أو مرض عاده». ومن آداب الصيام حفظ الجوارح الظاهرة وحراسة الخواطر الباطنة ولن يتم التقرب إلى الله تعالى إلا بترك ما حرم الله. قال أبو سليمان الداراني قدس سره لأن أصوم النهار وأفطر الليل عن لقمة حلال أحب إلي من قيام الليل والنهار وحرام على شمس التوحيد أن تحل قلب عبد في جوفه لقمة حرام ولا سيما في وقت الصيام فليجتنب الصائم أكل الحرام فإنه سم مهلك للدين. والسنة تعجيل الفطور وتأخير السحور فإن صوم الليل بدعة فإذا أخر الإفطار فكأنه وجد صائماً في الليل فصار مرتكباً للبدعة كذا في «شرح عيون المذاهب». ولنا ثلاثة أعياد: عيد الإفطار وهو عيد الطبيعة، والثاني: عيد الموت حين القبض بالإيمان الكامل وهو عيد كبير، والثالث: عيد التجلي في الآخرة وهو أكبر الأعياد وروى الترمذي وصححه عن زيد بن خالد «من فطر صائماً كان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء» وكان حماد بن سلمة الإمام الحافظ يفطر في كل ليلة من شهر رمضان خمسين إنساناً وإذا كان ليلة الفطر كساهم ثوباً ثوباً وكان يعد من الأبدال. وأخرج السيوطي في «الجامع الصغير» والسخاوي في «المقاصد» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال عليه السلام: «خيار أمتي في كل قرن خمسمائة والأبدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأربعون كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً آخر» قالوا: يا رسول الله دلنا على أعمالهم قال عليه السلام: «يعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلى من أساءهم ويتواسون فيما آتاهم الله» وفي الحديث «من أشبع جائعاً أو كسا عارياً أو آوى مسافراً أعاذه الله من أهوال يوم القيامة» وكان عبد الله بن المبارك ينفق على الفقراء وطلبة العلم في كل سنة مائة ألف درهم ويقول للفضيل بن عياض: لولاك وأصحابك ما اتجرت وكان يقول للفضيل وأصحابه: لا تشتغلوا بطلب الدنيا اشتغلوا بالعلم وأنا أكفيكم المؤونة. وكان يحيى

البرمكي يجري على سفيان الثوري كل شهر ألف درهم وكان سفيان يدعو له في سجوده ويقول: اللهم إن يحيى كفاني أمر الدنيا فاكفه أمر آخرته فلما مات يحيى رآه بعض أصحابه في النوم فقال: ما صنع الله بك قال: غفر لي بدعاء سفيان، قال الصائب:

تيره روزان جهانرا بچراغي درياب   تاپس ازمرك ترا شمع مزاري باشد

جعلنا الله وإياكم من العاملين بمقتضى كتابه ومدلول خطابه.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

﴿وإذا سألك عبادي عني﴾ وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن الله تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على أنه تعالى خبير بأحوالهم مطلع على ذكرهم وشكرهم سميع بأقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على أعمالهم تأكيداً له وحثاً عليه. وسبب النزول ما روي أن أعرابياً قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فقال تعالى إيماء إلى سرعة إجابة الدعاء منهم إذا سألك عبادي عني ﴿فإني قريب﴾ أي: فقل لهم إني قريب بالعلم والإحاطة فهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم فيكون لفظ قريب استعارة تبعية تمثيلية وإنما لم يحمل على القرب الحقيقي وهو القرب المكاني لأنه ممتنع في حقه تعالى لأنه لو كان في مكان لما كان قريباً من الكل فإن من كان قريباً من حملة العرش يكون بعيداً من أهل الأرض ومن كان قريباً من أهل المشرق يكون بعيداً من أهل المغرب وبالعكس، قال أبو موسى الأشعري لما توجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى خيبر أشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير لا إله إلا الله والله أكبر فقال رسول الله ﷺ: «اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم» وهذا باعتبار المشارب والمقامات واللائق بحال أهل الغفلات الجهر لقلع الخواطر كما أن المناسب لأهل الحضور الحفاء، قال السعدي:

دوست نزديكتر ازمن بمنست   وين عجبتركه من ازوى دورم

﴿أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ تقرير للقرب المجازي المراد في هذا المقام وهو الحالة الشبيهة بالقرب المكاني وقد تقرر أن إثبات ما يلائم المستعار منه للمستعار له يرشح الاستعارة ويقررها وأيضاً وعد للداعي بالإجابة، فإن قلت: إنا نرى الداعي يبالغ في الدعوات والتضرع فلا يجاب، قلت: إن هذه الآية مطلقة والمطلق محمول على المقيد وهو قوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ [الأنعام: ٤١] فالمعنى أجيب دعوة الداع إذا دعاني إن شئت أو إذا وافق القضاء أو إذا لم يسأل محالاً أو كانت الإجابة خيراً له والإجابة إعطاء ما سئل والله تعالى يقابل مسألة السائل بالإسعاف ودعاء الداعي بالإجابة وضرورة المضطرين بالكفاية ﴿فليستجيبوا لي﴾ أي: فليجيبوا إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أجيبهم إذا دعوني لمهماتهم واستجابه واستجاب له وأجابه واحد قطع مسألته بتبليغة مراده وأصله من الجوب والقطع ﴿وليؤمنوا بي﴾ أمر بالثبات على ما هم عليه. قال ابن الشيخ الاستجابة عبارة عن الانقياد والاستسلام والإيمان عبارة عن صفة القلب وتقديمها على الإيمان يدل على أن العبد لا يصل

إلى نور الإيمان وقوته إلا بتقديم الطاعات والعبادات. ومعنى الفاء فيه أنه تعالى قال: أنا أجيب دعاءك مع أني غني عنك مطلقاً فكن أنت أيضاً مجيباً لدعائي مع أنك محتاج إليّ من كل الوجوه فما أعظم هذا الكرم **﴿لعلهم يرشدون﴾** راجين إصابة الرشد وهو الاهتداء لمصالح الدين والدنيا ومعنى الآية أنهم إذا استجابوا وآمنوا اهتدوا لمصالح دينهم ودنياهم لأن الرشيد من كان كذلك.

اعلم أن عدم الدعاء بكشف الضر مذموم عند أهل الشريعة والطريقة لأنه كالمقاومة مع الله ودعوى التحمل لمشاقه، وفي «المثنوي»:

تــافــرود آيــد بــلا بــي دافــعــي   چــون نــبــاشــد از تــضــرع شــافــعــي

فالتسبب واجب للعوام والمبتدعين في السلوك والتوكل أفضل للمتوسطين. وأما الكاملون فليس يمكن حصر أحوالهم فالتوكل والتسبب عندهم سيان.

ـ روي ـ أن إبراهيم الخليل عليه السلام لما ألقي في النار لقيه جبريل في الهواء فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا فقال: فاسأل الله الخلاص فقال عليه السلام: حسبي من سؤالي علمه بحالي وهذا مقام أهل الحقيقة من المكملين الفانين عن الوجود وما يتعلق به والباقين بالرب في كل حال فأين أنت من هذا فاسأل الله عفوه ومغفرته وقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكلم الناس بقدر مراتبهم ولذا قال لأعرابي أرسل إبلاً له توكلاً عليه تعالى: «اعقلها وتوكل على الله» أمر بعقل الدابة لأنه أراد بالتوكل التحرز عن الفوات وحث بعضهم على التوكل كتوكل الطير وذلك إذا لم يسكن إلى سابق القضاء، ثم إجابة الدعاء وعد صدق من الله لا خلف فيه ومن دعا بحاجة فلم تقض للحال فذلك لوجوه: منها أن الإجابة حاصلة لا محالة فإن إجابة الدعوة غير قضاء الحاجة وقضاء الحاجة غير إجابة الدعوة فإن إجابة الدعوة هو أن يقول العبد: يا رب فيقول الله تعالى له: لبيك عبدي وهذا موعود موجود لكل متوجه راشد وقضاء الحاجة إعطاء المراد وإيصال المرتاد وذلك قد يكون للحال وقد يكون بعد مدة وقد يكون في الآخرة وقد يكون الخيرة له في غيره ومنها أن الإجابة ليست بجهة واحدة بل لها جهات وفي الحديث «دعوة المسلم لا ترد إلا لإحدى ثلاث: إما أن يدعو بإثم أو قطعية رحم وإما أن يدخر له في الآخر وإما أن يصرف السوء عنه بقدر ما دعا»، ومنها أن الإجابة مقيدة بالمشيئة كما سبق، ومنها أنه شرط لهذه الإجابة إجابة العبد إياه فيما دعاه إليه لقوله تعالى: **﴿فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي﴾**، ومنها أن للدعاء شرائط وآداباً وهي أسباب الإجابة فمن استكملها كان من أهل الإجابة ومن أخل بها كان من أهل الاعتداء فلا يستحق الجواب والأسباب منها ما يتعلق بأهل العموم ويطول ذكرها إن استوفيت هٰهنا، ومنها ما يتعلق بالخصوص وهي التزكية فالإجابة موقوفة على تزكية الداعي فعليه أن يزكي البدن أو لا فيصلحه بلقمة الحلال وقد قيل: الدعاء مفتاح باب السماء وأسنانه لقمة الحلال وقال عليه السلام: «الرجل يطيل السفر يمد يده إلى السماء أشعث أغبر يقول: يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك».

ـ حكي ـ أنه كان بالكوفة أناس يستجاب دعاؤهم كلما دخل عليهم وال كانوا يدعون عليه فيهلك فدبر الحجاج الحيلة عليهم حين ولي عمل الكوفة من ابن مروان فدعاهم إلى مأدبته فلما أكلوا قال: أمنت من دعائهم أن يستجاب حيث دخل في بطونهم طعام حرام ويزكي

الداعي نفسه ويطهرها من الأوصاف البشرية والأخلاق الذميمة لأنها قاطعات لطريق الدعاء ويزكي قلبه عن رين التعلقات الإنسانية من النفساني والروحاني ويصفيه بالأذكار وينوره بنور الأخلاق فإن هذه أسباب القربة بها يرفع الدعاء إلى الله كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] ويزكي الروح عن دنس الالتفات لغير الله ليتعرض لنفخات الطاقة ويزكي السر عن وصمة الشرك بأن يوجهه إلى الحق في الدعاء لطلب الحق لا لطلب غير الحق من الحق ليستجيب دعاءه ولا يخيب رجاءه كما قال: «ألا من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني» وإن الله وعد الإجابة على طلبه بالدعاء فقال: (أجيب دعوة الداعِ إذا دعان) أي: إذا طلبني، قال السعدي:

خلاف طريقت بود كاوليا نكمت كنند ازخدا جز خدا

فمن أخل ببعض هذه الشرائط لم يلزمه الإجابة كمن أخل بركن من أركان الصلاة لم يلزمه القبول إلا أن الجبار يجبر كل خلل وكسر يكون في أعمال العباد بفضله وكرمه وفي الحقيقة إن أفضاله مع العباد مقدم على أعمالهم وإنه يعطي قبل السؤال ويحقق مراد العبد بعد سؤاله بجميع النوال والدعاء على قسمين: داع بالدعاء وقارىء للدعاء فللداعي يفتح أبواب السموات حتى يبلغ دعاؤه العرش وقارىء الدعاء لا يبلغ إلا الإذن. قال الفناري في «تفسير الفاتحة»: ثم لصحة التصور وجودة الاستحضار أثر عظيم في الإجابة اعتبره النبي عليه الصلاة والسلام وحرض عليه علياً رضي الله تعالى عنه لما علمه الدعاء وفيه اللهم اهدني وسددني فقال له اذكر بهدايتك هداية الطريق وبالسداد سداد السهم فأمره باستحضار هذين الأمرين وقت الدعاء فهذا هو سر إجابة دعاء الرسل والكمل والأمثل فالأمثل واستقامة التوجه حال الطلب والنداء عند الدعاء شرط قوي في الإجابة فمن تصوره تصوراً صحيحاً من رؤية وعلم سابقين أو حاضرين حال الدعاء ثم دعاه سيما بعد أمره له بالدعاء والتزامه الإجابة فإنه يجيبه لا محالة أما من زعم أنه يقصد مناداة زيد وهو يستحضر غيره ثم لم يجد الإجابة فلا يلومن إلا نفسه إذ لم يناد القادر على الإجابة وإنما توجه إلى ما أنشأه من صفات تصوراته بالحالة الغالبة عليه إذ ذاك لكن سؤاله قد يثمر بشفاعة حسن ظنه بربه وشفاعة المعية الإلۤهية وحيطته فالمتوجه بالخطأ مصيب من وجه كالمجتهد المخطىء مأجور غير محروم بالكلية انتهى كلام الفناري. وفي «رسالة القشيري»: في الخبر المروي «إن العبد يدعو الله سبحانه وهو يحبه فيقول: يا جبريل أخّر حاجة عبدي فإني أحب أن أسمع صوته وإن العبد ليدعوه وهو يبغضه فيقول: يا جبريل اقض حاجة عبدي فإني أكره أن أسمع صوته».

ـ حكي ـ أنه وقع ببغداد قحط فأمر الخليفة المسلمين بالخروج للاستسقاء فخرجوا واستسقوا فلم يسقوا فأمر اليهود فخرجوا وسقوا فتحير الخليفة ودعا علماء المسلمين وسألهم فلم يفرجوا عنه فجاء سهل بن عبد الله وقال: يا أمير المؤمنين إنا معاشر المسلمين أحبنا الله لدين الإسلام وهدانا ويحب دعاءنا وتضرعنا فلهذا لم يعجل إجابتنا وهؤلاء أبغضهم ولعنهم فلهذا عجل إجابتهم وصرفهم عن بابه قال عليه السلام: «قوام الدنيا بأربعة أشياء: بعلم العلماء، وعدل الأمراء، وسخاوة الأغنياء، ودعوة الفقراء» وينبغي أن يسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى العظام والأدعية المأثورة عن السلف الكرام وينبغي أن يتوسل إلى الله تعالى بالأنبياء والأولياء الصالحين. وللدعاء أماكن يظن فيها الإجابة مثلاً عند رؤية الكعبة والمساجد الثلاثة

وبين الجلالتين من سورة الأنعام وفي الطواف وعند الملتزم وفي البيت وعند زمزم وعند شرب مائه وعلى الصفا والمروة وفي السعي وخلف المقام وفي عرفات والمزدلفة ومنى وعند الجمرات الثلاث وعند قبور الأنبياء عليهم السلام. وقيل: لا يصح قبر نبي بعينه سوى قبر نبينا عليه الصلاة والسلام وقبر إبراهيم عليه السلام داخل السور من غير تعيين وجرب استجابة الدعاء عند قبور الصالحين بشروط معروفة عند أهلها اللهم أفض علينا من بركات الصالحين.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

﴿أحل لكم﴾ تقديم الظرف على القائم مقام الفاعل للتشويق فإن ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة إليه فيتمكن عندها وقت وروده فضل تمكن أي: أبيح لكم **﴿ليلة الصيام﴾** أي: في ليلة يوم الصوم وهي الليلة التي يصبح الرجل في غداتها صائماً **﴿الرفث﴾** أصل الرفث قول الفحش والتكلم بالقبح ثم جعل ذلك اسماً لما يتكلم به عند النساء من معاني الإفضاء ثم جعل كناية عن الجماع لأن الجماع لا يخلو عن شيء من التصريح بما يجب أن يكنى عنه من الألفاظ الفاحشة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة كالغمز والتقبيل. **﴿إلى نسائكم﴾** عدي الرفث بإلى وإن كان المشهور تعديته بالباء تقول: رفثت بالمرأة لتضمنه معنى الإفضاء قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢١] أراد به الجماع وكان الرجل في ابتداء الإسلام إذا أمسى في رمضان حلّ له الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلي العشاء الأخيرة أو يرقد فإذا صلاّها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى القابلة ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الأخيرة فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه فأتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال: يا رسول الله إني أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة إني رجعت إلى أهلي بعد العشاء فوجدت رائحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت أهلي فقال عليه السلام: «ما كنت جديراً بذلك يا عمر» فقام رجال فاعترفوا بمثله فنزلت الآية وصارت زلته سبباً للرحمة في جميع الأمة **﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾** استئناف مبين لسبب الإحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة بهن وجعل كل من الرجل والمرأة لباساً للآخر لتجردهما عند النوم واعتناقهما واشتمال كل منهما على الآخر أو لأن كلاً منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور وعما لا يحل كما جاء في الحديث «من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه» أو المعنى هن سكن لكم وأنتم سكن لهن كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] ولا يسكن شيء إلى شيء كسكون أحد الزوجين إلى الآخر **﴿علم الله﴾** في الأزل **﴿أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾** تخونونها وتظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب بمباشرة النساء في ليالي الصوم والخيانة ضد الأمانة وقد ائتمن الله العباد على ما أمرهم به ونهاهم عنه فإذا عصوه في السر فقد خانوه وقد قال الله تعالى: ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ﴾[الأنفال: ٢٧] قال الصائب:

ترابكوهر دل كرده اند امانت دار زدزد امانت حق را نكاه دار مخسب

﴿فتاب عليكم﴾ عطف على علم أي: قبل توبتكم وتجاوز عنكم لما تبتم مما اقترفتموه ﴿وعفا عنكم﴾ أي: محا أثره عنكم ﴿فالآن﴾ أي: لما نسخ التحريم ظرف لقوله: ﴿باشروهن﴾ أصله فعل بمعنى حان ثم جعل اسماً للزمان الحاضر وعرف بالألف واللام وبقي على الفتحة. والمباشرة: إلزاق البشرة بالبشرة كنى بها عن الجماع الذي يستلزمها وجميع ما يتبعه يدخل فيه وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالكتاب إن كانت حرمة الأكل والشرب والجماع ثابتة بالسنة وأما إذا كان ثبوت حرمتها بشريعة من قبلنا فلا على ما ذهب إليه بعضهم ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ أي: واطلبوا ما قدره الله تعالى وأثبته في اللوح المحفوظ من الولد وفيه أن المباشر ينبغي أن يكون غرضه الولد والتناسل فإنه الحكمة في خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الشهوة وحدها وفي الحديث «تناكحوا تناسلوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة» ﴿وكلوا واشربوا﴾ ليالي الصوم عطف على قوله: ﴿باشروهن﴾ ﴿حتى يتبين﴾ يظهر ﴿لكم الخيط الأبيض﴾ هو أول ما يبدو من بياض النهار كالخيط الممدود دقيقاً ثم ينتشر ﴿من الخيط الأسود﴾ هو ما يمتد من سواد الليل مع بياض النهار فإن الصبح الصادق إذا بدا يبدو كأنه خيط ممدود في عرض الأفق ولا شك أنه يبقى معه بقية من ظلمة الليل بحيث يكون طرفها الملاصق لما يبدو من الفجر كأنه خيط أسود في جنب خيط أبيض لأن نور الصبح إنما ينشق في خلال ظلمة الليل فشبها بخيطين أبيض وأسود ﴿من الفجر﴾ أي: انشقاق عمود الصبح بيان للخيط الأبيض واكتفى ببيانه عن بيان الأسود لدلالته عليه والتقدير حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الفجر من الخيط الأسود من الليل. قوله ﴿حتى يتبين﴾ غاية للأمور الثلاثة أي: المباشرة والأكل والشرب ففي تجويز المباشرة إلى الصبح دلالة على جواز تأخير الغسل إليه وصحة صوم من أصبح جنباً لأن المباشرة إذا كانت مباحة إلى انفجار الصبح لم يمكنه الاغتسال إلا بعد الصبح بالضرورة وإلا لكانت المباشرة قبل آخر الليل بقدر ما يسع الاغتسال حراماً وهو مخالف لكلمة حتى ﴿ثم أتموا الصيام﴾ أي: أديموا الإمساك عن المباشرة والأكل والشرب في جميع أجزاء النهار ﴿إلى﴾ غاية ﴿الليل﴾ وهو دخول الليل وذاك بغروب الشمس والإتمام أداؤه على التمام وفي الحديث «إذا أقبل الليل وأدبر النهار وغابت الشمس فقد أفطر الصائم» أي: دخل وقت الإفطار وإنما ذكر الإقبال والإدبار وإن لم يكونا إلا بغروب الشمس لبيان كمال الغروب كيلا يظن أحد أنه إذا غاب بعض الشمس جاز الإفطار أو لأنه قد يكون في واد بحيث لا يشاهد غروب الشمس فيحتاج إلى أن يعمل بهما قالوا فيه دلالة على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى نفي صوم الوصال أما الأول فلأن الله تعالى لما أباح المباشرة والأكل والشرب إلى الفجر تبين أن ابتداء الصوم يكون بعد الفجر فيكون قوله أتموا ثم ابتدئوا بالصوم وأتموه إلى الليل فيكون هو أمراً بالصوم بعد الفجر والصوم ليس مجرد الإمساك بل هو الإمساك مع النية فيكون قوله ثم أتموا الصيام أمراً بنية الصوم بعد الفجر وأما الثاني فلأن الله تعالى جعل الليل غاية الصوم وغاية الشيء مقطعه فيكون بعدها الإفطار وينتفي الوصال قال بعضهم: الليل غاية وجوب الصوم فإذا دخل الليل لا يجب الصوم وأما أن الصوم لا يجوز بعد دخول الليل فلا دلالة للآية عليه ولأن مثل هذه الأوامر أي: باشروهن وكلوا واشربوا إنما يكون للإباحة والرخصة لا للوجوب فلا تدل الآية على نفي صوم الوصال ولما ظن أن حال

الاعتكاف كحال الصوم في أن المباشرة تحرم فيه نهاراً لا ليلاً بيّن أن المباشرة تحرم على المعتكف نهاراً وليلاً معاً فقال: ﴿ولا تباشروهن﴾ أي: لا تجامعوهن ﴿وأنتم﴾ أي: والحال أنتم ﴿عاكفون في المساجد﴾ مقيمون فيها بنية الاعتكاف وهو في الشرع لزوم المسجد والمكث لطاعة الله فيه والتقرب إليه وهو من الشرائع القديمة قال تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥] نزلت فيمن كان يعتكف في المسجد فإذا عرضت له حاجة إلى امرأته خرج فجامعها ثم اغتسل فرجع إلى المسجد فنهوا عن ذلك فالجماع يحرم على المعتكف ويفسد الاعتكاف ولفظ المساجد يدل على جواز الاعتكاف في كل مسجد إلا أن المسجد الجامع أفضل حتى لا يحتاج إلى الخروج إلى الجمعة، والاعتكاف من أشرف الأعمال إذا كان عن إخلاص لأن فيه تفريغ القلب عما سوى الله تعالى. قال عطاء مثل المعتكف كرجل له حاجة إلى عظيم فيجلس على بابه ويقول: لا أبرح حتى يقضي حاجتي فكذلك المعتكف يجلس في بيت الله ويقول: لا أبرح حتى يغفر لي وفي الحديث «من مشى في حاجة أخيه فكأنما اعتكف عشرين سنة ومن اعتكف يوماً جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق كل خندق أبعد مما بين الخافقين».

وفي الخلوة والانقطاع عن الناس فوائد جمة: يسلم منه الناس وسلم هو منهم وفيها خمول النفس والإعراض عن الدنيا وهو أول طريق الصدق والإخلاص وفيه الإنس بالله والتوكل والرضى بالكفاف فإن المعاشر للناس والمخالط يتكلف في معيشته البتة فإذا لا يفرق غالباً بين الحلال والحرام فيقع في الهلاك ويسلم المتخلي أيضاً من مداهنة الناس وغير ذلك من المعاصي التي يتعرض الإنسان لها غالباً بالمخالطة. قال حضرة الشيخ الشهير بأفتاده أفندي قدس سره: التصوف عبارة عن الاجتناب عن كل ما فيه شائبة الحرمة وصون لسانه عن الكلام اللغو والخلوة والأربعون ليست إلا هذا فإنه وحده في الكثرة والمقصود من الخلوة أيضاً ذلك ولكن ما يكون في الكثرة على الوجه الذي ذكرنا أثبت وأحكم لأن ما يكون بالخلوة يزول إذا اختلط بين الناس وليس كذلك ما ذكر فطريقنا طريق النبي عليه السلام وطريق الأصحاب رضي الله تعالى عنهم والنبي عليه السلام لم يعين الأربعين بل الاعتكاف في العشر الأخير من رمضان نعم فعل ذلك موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف: ١٤٢] والخلوتية أخذوا من ذلك كذا في «واقعات الهدائي» قدس سره ﴿تلك﴾ أي: الأحكام التي ذكرت من أول آية الصيام إلى هنا ﴿حدود الله﴾ جمع حد وهو الحاجز بين الشيئين وجعل ما شرعه الله تعالى لعباده من الأحكام حدوداً لهم لكونها أموراً حاجزة بين الحق والباطل ولكونها مانعة من مخالفاتها والتخطي عنها ﴿فلا تقربوها﴾ أي: إن تنتهوا فلا تقربوها فضلاً عن تجاوزها نهى أن يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلاً أن يتخطى كما قال عليه السلام: «إن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه» وهو أبلغ من قوله ﴿فلا تعتدوها﴾ ولما بين تعالى أحكام الصوم على وجه الاستقصاء في هذه الألفاظ القليلة بياناً شافياً قال بعده ﴿كذلك﴾ أي: بياناً مثل هذا البيان الوافي الواضح فالكاف في محل النصب على أنه صفة مصدر محذوف ﴿يبين الله آياته للناس﴾ والآيات دلائل الدين ونصوص الأحكام والمقصود من تعظيم البيان هدايته ورحمته على عباده في هذا البيان ﴿لعلهم يتقون﴾ مخالفة أوامره ونواهيه. والتقوى اتقاء الشرك. ثم بعده اتقاء

المعاصي والسيئات. ثم بعده اتقاء الشهوات. ثم يدع بعده الفضلات وفي الحديث «لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس»، قال السعدي قدس سره:

ترا آنكه چشم ودهان داد وكوش — اكر عاقلي در خلا فش مكوش
چو پاك آفريدت بهش باش وپاك — كه ننكست نا پاك رفتن بخاك
مرو زير بار كنه اي پسر — كه حمال عاجز بود در سفر
مكن عمر ضايع بافسوس وحيف — كه فرصت عزيز ست والوقت سيف

جعلنا الله وإياكم من أهل اليقظة واليقين.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾

﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ أي: لا يأكل بعضهم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى ولم يشرعه كالغصب والنهب والسرقة واليمين الكاذبة وكالأكساب الخبيثة كالقمار والرشى وحلوان الكاهن والمغني والنائحة وكالحيلة ووجوه الخيانة، قوله: **﴿بينكم﴾** نصب على الظرفية فيتعلق بقوله: **﴿تأكلوا﴾** ومعنى كون الأكل بينهم وقوع التداول والتناول لأجل الأكل بينهم وليس المراد بالأكل المنهي عنه نفس الأكل خاصة لأن جميع التصرفات المتفرعة على الأسباب الباطلة حرام إلا أنه شاع في العرف أن يعبر عن إنفاق المال بأي وجه كان بالأكل لأن الأكل معظم المقصود من المال وقوله: **﴿بالباطل﴾** متعلق بالفعل المذكور أي: لا تأكلوها بالسبب الباطل. نزلت في رجلين تخاصما في أرض بينهما فأراد أحدهما أن يحلف على أرض أخيه بالكذب فقال النبي عليه السلام: «إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي وأنتم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له شيئاً من حق أخيه فإنما أقضي له قطعة من نار» فبكيا وقال كل واحد منهما أنا حلّ لصاحبي فقال: «اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه». قوله ألحن بحجته أي: أقوم بها وأقدر عليها من صاحبه والتوخي قصد الحق والاستهام الاقتراع وفيه دلالة ظاهرة على أن حكم القاضي لا ينفذ باطناً كما عند الشافعي وحمله أبو حنيفة على الأموال والاملاك دون عقود النكاح وفسخها وموضع بيانه مشبعاً «كتاب القضاء في الفقه» **﴿وتدلوا بها إلى الحكام﴾** عطف على المنهي عنه فيكون مجزوماً بلا الناهية المذكورة بواسطة العاطف والإدلاء والإلقاء وضمير بها للأموال بتقدير المضاف والباء فيه مثلها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] والمعنى ولا تلقوا أمر الأموال والحكومة فيها إلى الحكام **﴿لتأكلوا﴾** بالتحاكم إليهم **﴿فريقاً﴾** أي طائفة وبعضاً **﴿من أموال الناس بالإثم﴾** الباء سببية متعلقة بقوله لتأكلوا أي بما يوجب إثماً كشهادة الزور واليمين الكاذبة والصلح مع العلم بأن المقضي له ظالم والمقضي به حق المقضي عليه وقيل ولا تلقوا بعضها إلى أمراء الظلم وقضاة السوء على وجه الرشوة **﴿وأنتم تعلمون﴾** أنكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبها أحق بالتوبيخ ويقال: الدنيا ثلاثة أشياء حلال وحرام وشبهة فالحرام يوجب العقاب والشبهة

توجب العتاب والحلال يوجب الحساب، قال الحكيم السنايي:

اين جهان برمثال مردارست / كر كسان اندرون هزار هزار
اين مرانرا همي زند مخلب / وان مرين را همي زند منقار
آخر الأمر بكذرند همه / وز همه باز ماند اين مردار

فعلى العاقل أن يجتنب عن حقوق العباد والمظالم.

ـ حكي ـ أنه لما مات أنوشروان كان يطاف بتابوته في جميع مملكته وينادي مناد من له علينا حق فليأت فلم يوجد أحد في ولايته له عليه حق من درهم.

ـ روي ـ أن أبا حنيفة كان له على بعض المجوس مال فذهب إلى داره ليطالبه به فلما وصل إلى باب داره وقع نعله على نجاسة فنفض نعله فانقلعت النجاسة عن نعله ووقعت على حائط دار المجوسي فتحير أبو حنيفة رحمه الله وقال: إن تركتها كان ذلك شيئاً يقبح جدار ذلك المجوسي وإن حككتها أحفر التراب من الحائط فدق الباب فخرجت الجارية فقال لها: قولي لمولاك إن أبا حنيفة بالباب فخرج إليه وظن أنه يطالبه بالمال وأخذ يعتذر فقال أبو حنيفة رحمه الله: هٰهنا ما هو أولى بالاعتذار وذكر قصة الجدار وأنه كيف السبيل إلى التطهير؟ فقال المجوسي فأنا أبدأ بتطهير نفسي فأسلم في الحال والنكتة أن أبا حنيفة لما احترز عن ظلم ذلك المجوسي في ذلك القدر القليل فلأجل بركة ذلك أسلم المجوسي ونجا من شقاوة الأبد فمن احترز عن الظلم نال سعادة الدارين وإلا فقد وقع في الخذلان.

ـ حكي ـ أن نصرانياً كان يحمل امرأته على حمار فأتى بعض قرى المسلمين فقطع واحد من الرنود ذنب حماره فوثب الحمار وسقطت المرأة وانكسرت يداها وألقت حملها أيضاً فذهب النصراني إلى قاضي تلك القرية شاكياً فقال القاضي لذلك الرند: خذ هذا الحمار وأمسكه حتى ينبت ذنبه والمرأة حتى تحمل حملاً وتصح عندك يداها فقال النصراني: أهكذا حكم شريعتكم ثم رفع رأسه إلى السماء وقال إلٓهي أنت حليم ولا صبر لي على هذا فاحكم يا ناظر الملهوفين ويا ناصر المظلومين فمسخ الله ذلك القاضي فصار حجراً من ساعته ففي هذه الحكاية شيئان:

الأول: أن هذا القاضي بظلمه وقع فيما وقع من البلاء العظيم.

والثاني: أنه يجب الاحتراز عن الظلم وإن كان المظلوم كافراً فإن دعاء الكافر يسمع.

والإشارة في الآية أن الأموال خلقت لمصالح قوام النفس وأن النفس خلقت للقيام بمراسم العبودية لقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] ليعلموا أن الأموال والأنفس لله فلا يتصرفون فيهما إلا بأمر الله.

﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ بهوى النفس والحرص والشهوة والإسراف على الغفلة وكلوا بالحق والقناعة والتقوية على الطاعة والقيام بالعبودية **﴿و﴾** لا **﴿تدلوا بها إلى الحكام﴾** وهي النفس الأمارة بالسوء **﴿لتأكلوا فريقاً من أموال الناس﴾** من الأموال التي خلقت للاستعانة بها على العبودية **﴿بالإثم﴾** أي: بالقطيعة والغفلة مستعينين بها على المعصية كالحيوانات والبهائم فيكون حاصلكم ومرجعكم ومثواكم النار ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم **﴿وأنتم تعلمون﴾** حاصل الأمر ولا تعملون به كذا في «التأويلات النجمية» **﴿يسألونك عن الأهلة﴾** روي أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاريين قالا: يا رسول الله ما

بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلىء ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا أولاً ولا يكون على حالة واحدة فأنزل الله تعالى ﴿**يسألونك عن الأهلة**﴾ وهي جمع هلال والهلال أول ما يظهر لك من نور القمر إلى ثلاث ليال وسمي هلالاً لأن الناس يرفعون أصواتهم بالذكر عند رؤيته من قولهم استهل الصبي إذا صرخ حين يولد وأهل القوم بالحج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**هي**﴾ الأهلة ﴿**مواقيت**﴾ جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان أن المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها إلى منتهاها والزمان مدة مقسومة إلى الماضي والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض لأمر ﴿**للناس**﴾ أي: لما يتعلق بهم من أمور معاملاتهم ومصالحهم ﴿**والحج**﴾ وأموره المتعلقة بأوقات مخصوصة. فإن قلت لما كانت الأهلة مواقيت يوقت بها الناس عامة مصالحهم علم منه كونها ميقاتاً للحج لأنه من جملة المصالح المتوقفة على الوقت فلم خصه بالذكر. قلت الخاص قد يذكر بعد العام للتنبيه على مزيته فالحج من حيث أنه يراعى في أدائه وقضائه الوقت المعلوم بخلاف سائر العبادات التي لا يعتبر في قضائها وقت معين وحال الخطاب أن الهلال يبدو دائماً ويظهر لكم على حسب مصلحتكم لقربه وبعده من الشمس كما بين في فن الهيئة. قال في «التيسير»: ثم الشمس على حالة واحدة لأنها ضياء للعام وقوام لمصالح الناس والقمر يتغير لأن الله علق به ما قلنا من المواقيت وذلك يعرف بهذه الاختلافات ودبر عز وجل هذا التدبير لحاجة الناس إلى ذلك انتهى ﴿**وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها**﴾ كان الأنصار إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة لم يدخل حائطاً ولا بيتاً ولا داراً من بابه فإن كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر بيته يدخل منه ويخرج أو يتخذ سلماً فيصعد منه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج من الباب حتى يحل من إحرامه ويرون ذلك براً إلا أن يكون من الحمس وهم قريش وسببه أنهم ظنوا أنه لا بد في الإحرام من تغيير جميع العادات فغيروا عادتهم في الدخول كما غيروا في اللباس والتطيب وقالوا لا ندخل بيوتاً من الأبواب حتى ندخل بيت الله تعالى وكان منهم من لا يستظل بسقف بعد إحرامه ولا يأقط الإقط ولا يجز الوبر وهذه أشياء وضعوها من عند نفوسهم من غير شرع فعرفهم الله تعالى أن هذا التشديد ليس ببر ولا قربة ﴿**ولكن البر**﴾ بر ﴿**من اتقى**﴾ المحارم والشهوات دون دخول البيت من ظهر. وفي «الكشاف»: فإن قلت ما وجه اتصاله بما قبله قلت كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم إن كان ما يفعله الله تعالى لا يكون إلا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها برّاً ﴿**واتتوا البيوت من أبوابها**﴾ حال الإحرام إذ ليس في العدول برّ ﴿**واتقوا الله**﴾ في تغيير أحكامه والاعتراض على أفعاله ﴿**لعلكم تفلحون**﴾ أي: لكي تظفروا بالبر والهدى. وللآية تأويل آخر قاله الحسن قال: كان في الجاهلية من همّ بسفر أو أمرٍ يصنعه فمنع عن ذلك لم يدخل داره من الباب حتى يحصل له ذلك وكان قريش وقبائل العرب من خرج لسفر أو حاجة ثم رجع ولم يظفر بذلك كان ذلك طيرة فنهاهم الله عن ذلك وأخبر أن الطيرة ليس ببرّ والبرّ برّ من لم يخف غيره وتوكل عليه.

ـ حكى الجاحظ ـ قال: تحاورت أنا وإبراهيم بن سيار المعروف بالنظام حيث الطيرة فقال: أخبرك أني جعت حتى أكلت الطين وما صبرت على ذلك حتى قلبت قلبي أتذكر هل

ثمة رجل أصيب عنده غداء أو عشاء فقصدت الأهواز وهي من بلدان فارس وما أعرف بها واحداً وما كان ذلك إلا شيئاً أمر به الضجر فوافيت الفرضة فلم أجد بها سفينة فتطيرت من ذلك ثم أني رأيت سفينة في صدرها خرق وهشم فتطيرت أيضاً فقلت للملاح: ما اسمك؟ قال: «ديوزاده» بالفارسي وهو اسم الشيطان فتطيرت وركبت معه فلما قربنا من الفرضة صحت يا حمال ومعي لحاف سمل وبعض ما لا بد لي منه فكان أول حمال أجابني أعور فازددت طيرة وقلت في نفسي الرجوع أسلم ثم ذكرت حاجتي إلى أكل الطين وقلت: من لي بالموت فلما صرت إلى الخان وأنا حائر ما أصنع سمعت قرع باب البيت الذي أنا فيه فقلت: من هذا؟ قال: رجل يريدك فقلت: من أنا؟ قال: إبراهيم بن سيار النظام فقلت في نفسي: هذا عدو أو رسول سلطان ثم إني تحاملت وفتحت الباب فقال: أرسلني إليه إبراهيم بن عبد العزيز ويقول لك وإن كان اختلفنا في المقالة فإنا نرجع بعد ذلك إلى حقوق الأخلاق والحرية وقد رأيتك حيث مررت على حال كرهتها وينبغي أن يكون برحت بك حاجة فإن شئت فأقم مكانك مدة شهر أو شهرين فعسى نبعث لك ببعض ما يكفيك زميناً من دهرك وإن اشتهيت الرجوع فهذه ثلاثون ديناراً فخذها وانصرف وأنت أحق من عذر قال فورد علي أمور أذهلتني أما واحدها فإني لم أكن ملكت قط ثلاثة دنانير والثاني أنه لم يطل مقامي وغيبتي عن أهلي والثالث ما تبين لي من الطيرة أنها باطلة كذا في «شرح رسالة الوزير ابن زيدون» فظهر أنه قد يكون ما تكرهه النفس خيراً كما حكي أنه وقع قحط في زمن شيخ فعين لكل من طلبته على طريق التفاؤل مكسباً فجاء في فال واحد منهم قطع الطريق فانتقل ذلك الرجل فلقي بعض الحرامية واجتمع بهم فنهبوا جماعة من التجار فبعد أخذ أموالهم ربطوا أيديهم وأمروا هذا الرجل أن يذبحهم بعيداً عنهم فتفكر الرجل فخطر بباله أن يطلقهم ويعطيهم السلاح ويطهروا الطريق من القطاع ففعلوا وهم غافلون ثم سألوا عن هذا الرجل فحكي حاله فجاؤوا إلى شيخه وسلموا الأموال وصاروا من جملة أحبائه فعليك بالتسليم والقبول لكي تنال المأمول، قال الصائب:

چون سرودر مقام رضا استاده أم   آسوده خاطرم زبهار وخزال خويش

ثم في قوله: ﴿**وليس البر**﴾ الآية إشارة إلى أن لكل شيء سبباً ومدخلاً لا يمكن الوصول إليه ولا الدخول إلا باتباع ذلك السبب والمدخل كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الكهف: ٨٤ ٨٥] فسبب الوصول إلى حضرة الربوبية والمدخل فيها هو التقوى وهي اسم جامع لكل بر من أعمال الظاهر وأحوال الباطن والقيام باتباع الموافقات واجتناب المخالفات وتصفية الضمائر ومراقبة السرائر فبقدر السلوك في مراتب التقوى يكون الوصول إلى حضرة المولى كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] وقال عليه السلام: «عليكم بتقوى الله فإنه جماع كل خير» فقوله: ﴿**وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها**﴾ أي: غير مدخلها بمحافظة ظواهر الأعمال من غير رعاية حقوق بواطنها بتقوى الأحوال ﴿**ولكن البر من اتقى**﴾ أي: حق التقوى كقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] قيل في معناه أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر ﴿**وائتوا البيوت من أبوابها**﴾ أي: ادخلوا الأمور من مداخلها ثم ذكر مدخل الوصول وقال: ﴿**واتقوا الله**﴾ أي: اتقوا بالله عما سواه يقال فلان اتقى بترسه يعني اجعلوا الله محرزكم ومتقاكم ومفركم ومفزعكم ومرجعكم منه إليه كما كان حال النبي عليه السلام يقول: «أعوذ بك منك» ﴿**لعلكم تفلحون**﴾ لكي تنجوا وتتخلصوا

من مهالك النفوس بإعانة الملك القدوس كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾

﴿وقاتلوا﴾ جاهدوا **﴿في﴾** نصرة **﴿سبيل الله﴾** وإعزازه والمراد بسبيل الله دينه لأنه طريق إلى الله ومرضاته **﴿الذين يقاتلونكم﴾** يعني قريشاً وكان ذلك قبل أن أمروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين لأن هذه الآية أول آية نزلت في القتال بالمدينة فلما نزلت كان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه أي: يقاتل من واجهه للقتال وناجزه ويكف عن قتال من لم يناجز وإن كان بينه وبينهم محاجزة وممانعة ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن هذه الآية نزلت في صلح الحديبية وذلك أن النبي عليه السلام خرج مع أصحابه للعمرة في ذي القعدة سنة ست من الهجرة وكانوا ألفاً وأربعمائة فنزل في الحديبية وهو موضع في قرب مكة كثير المياه والأشجار وصدهم المشركون عن البيت الحرام فأقام شهراً وصالحه المشركون على أن يرجع ذلك العام ويأتي مكة في العام المقبل ويعتمر فرضي بما قالوا وأن يصدوهم عن البيت وكره الأصحاب قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فأنزل الله تعالى **﴿وقاتلوا﴾** الآية **﴿ولا تعتدوا﴾** بابتداء القتال في الحرم محرمين **﴿إن الله لا يحب المعتدين﴾** أي: لا يريد بهم الخير.

﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ أين وجدتموهم في الحرم والحل وفي الأشهر الحرم وهم الذين هتكوا حرمة الشهر والحرم بالبداية فجازوهم بمثله وأصل الثقف الحذق في إدراك الشيء علماً كان أو عملاً فهو يتضمن معنى الغلبة **﴿وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾** أي: من مكة لأنهم أخرجوا المسلمين منها أولاً وأخرج عليه الصلاة والسلام منها ثانياً من لم يؤمن به منهم يوم الفتح **﴿والفتنة﴾** في الأصل عرض الذهب على النار لاستخلاصه من الغش ثم صار اسماً لكل ما كان سبباً للامتحان تشبيهاً بهذا الأصل أي: المحنة التي يفتتن بها الإنسان ويمتحن كالإخراج من الوطن **﴿أشد من القتل﴾** أصعب منه لدوام تعبها وتألم النفس بها فتكون هذه الجملة متعلقة بقوله: **﴿وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾** تذييلاً له وحثاً على الإخراج والمعنى أن إخراجكم إياهم ليس أهون عليهم من القتل بل هو أشد من قتلكم إياهم فيصلح جزاء لإصرارهم على الكفر ومناجزتهم لحربكم وقتالكم.

قيل لبعض الحكماء ما أشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الإخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ويحتمل أن تكون متعلقة بقوله: **﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾** فيكون المقصود حث المؤمنين على قتلهم إياهم في الحرم أي: لا تبالوا بقتلهم أينما وجدتموهم فإن فتنتهم أي: تركهم في الحرم وصدهم إياكم عن الحرم أشد من قتلكم إياهم فيه **﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام﴾** أي: لا تفاتحوهم بالقتل هناك وهتك حرمة المسجد الحرام **﴿حتى يقاتلوكم فيه﴾** حتى يبدؤوكم بالقتال في الحرم وهذا بيان لشرط كيفية قتالهم في هذه البقعة خاصة فيكون تخصيصاً لقوله: **﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾** **﴿فإن**

قاتلوكم﴾ ثمة ﴿فاقتلوهم﴾ فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمة لأنهم الذين هتكوا حرمته فاستحقوا أشد العذاب ﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك الجزاء على أن الكاف في محل الرفع بالابتداء ﴿جزاء الكافرين﴾ يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم.

﴿فإن انتهوا﴾ عن القتال وكذا عن الكفر فإن الانتهاء عن مجرد القتال لا يوجب استحقاق المغفرة فضلاً عن استحقاق الرحمة ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ يغفر لهم ما قد سلف ﴿وقاتلوهم﴾ أي: المشركين ﴿حتى لا تكون﴾ إلى أن لا توجد ولا تبقى ﴿فتنة﴾ أي: شرك يعني قاتلوهم حتى يسلموا فلا يقبل من الوثني إلا الإسلام فإن أبى قتل ﴿ويكون الدين لله﴾ خالصاً له ليس للشيطان نصيب فيه ﴿فإن انتهوا﴾ بعد مقاتلتكم عن الشرك ﴿فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ أي: فلا تعتدوا على المنتهين إذ لا يحسن أن يظلم إلا من ظلم فحذف نفس الجزاء وأقيمت علته مقامه والعلة لما كانت مستلزمة للحكمة كني بها عنه كأنه قيل فإن انتهوا فلا تعدوا عليهم لأن العدوان مختص بالظالمين والمنتهون عن الشرك ليسوا بظالمين فلا عدوان عليهم وسمي ما يفعل بالكفار عدواناً وظلماً وهو في نفسه حق وعدل لكونه جزاء الظلم للمشاركة كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ [الشورى: ٤٠].

﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٌۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾

﴿الشهر الحرام﴾ يقابل ﴿بالشهر الحرام﴾ في هتك الحرمة حيث صدهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة وكان بين القوم ترامي بسهام وحجارة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه سنة سبع من الهجرة وكرهوا أن يقاتلوهم لحرمته فنزلت هذه الآية وقيل لهم هذا الشهر الحرام بذلك الشهر وهتكه بهتكه فلا تبالوا به ﴿والحرمات قصاص﴾ يعني من هتك حرمة أي حرمة كانت من حرمة الشهر وحرمة الإحرام وحرمة الحرم اقتص منه فإن مراعاة هذه الحرمات إنما تجب في حق من يراعيها وأما من هتكها فإنه يقتص منه ويعامل معه بمثل فعله والأوضح أن المراد بالحرمات كل حرمة وهي ما يجب المحافظة عليه نفساً كان أو عرضاً يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد وهو عين التعرض للقتال فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة أي: قهراً وغلبة فإن منعوكم في هذه السنة عن قضاء العمرة بالمقاتلة ونحوها فاقتلوهم كما قال تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم﴾ أي: تجاوز بقتالكم في الشهر الحرام ﴿فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ أي: بعقوبة مماثلة لجناية اعتدائه وهذا اعتداء على سبيل القصاص وهو اعتداء مأذون فيه لا على سبيل الابتداء فإنه ظلم حرام وهو المراد بقوله تعالى ﴿فلا تعتدوا﴾ ﴿واتقوا الله﴾ إذا انتصرتم ممن ظلمكم فلا تظلموهم بأخذ أكثر من حقكم ولا تعتدوا إلى ما لم يرخص لكم ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ والمعية وهي القرب المعنوي تدل على أنه تعالى يحرسهم ويصلح شؤونهم بالنصر والتمكين.

ـ روي ـ أنه عليه السلام وأصحابه دخلوا ذلك العام مكة وطافوا بالبيت ونحروا الهدي وكان المشركون شرطوا له بعد قضاء العمرة الإقامة بمكة ثلاثاً وكان النبي عليه السلام تزوج ميمونة بنت الحارث فأحب المقام بمكة ليولم عليها فطالبوه بالخروج منها والوفاء بما عاهد ففعل وأولم على ميمونة وبنى بها بسرف.

واعلم أن الله تعالى أمرنا بالغزو في سبيله ليظهر من يدعي بذل الوجود في سبيل الله وأمرنا بالزكاة ببذل المال ليتبين من يدعي محبة الله فالغزو معيار المحبة الإلّهية لأن كل إنسان جبل على حب الحياة والمال فامتحن بالغزو والزكاة في سبيل الله قطعاً لدعوى المدعين لأن الكل يدعي محبة الله وهذا هو السر في الجهاد ولهذا قال سيدنا علي رضي الله تعالى عنه خير الخصال في الفتى الشجاعة والسخاوة وهما توأمان فكل شجيع سخي وعن عبد الله بن عمر عن أبيه رضي الله تعالى عنهما قال سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما الإسلام قال: «طيب الكلام وإطعام الطعام وإفشاء السلام» قيل: فأي المسلمون أفضل قال: «من سلم الناس من لسانه ويده» قيل: فأي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القيام» قيل: فأي الصدقة أفضل قال: «جهد من مقل» قيل: فأي الإيمان أفضل؟ قال: «الصبر والسماحة» قيل: فأي الجهاد أفضل؟ قال: «من عقر جواده وأهريق دمه» قيل: فأي الرقاب أفضل؟ قال: «أغلاها ثمناً» والجهاد جهادان ظاهر وباطن فالظاهر مع الكفار والباطن مع النفس والشيطان وهذا أصعب لأن الكافر ربما يرجع إما بالمحاربة أو بالصلح أو ببذل النفس والمال بوجه من الوجوه والشيطان لا يرجع عنك دون أن يسلب الدين، وفي «المثنوي»:

أي شهان كشتيم ما خصم برون ... ماند خصمي زوبتر درانـدرون
كشتن اين كار عقل وهوش نيست ... شير باطن سخرة خركوش نيست
سهل شيري دان كه صفها بشكند ... شير آنست آنكه خودرا بشكند

قال في «التأويلات القاشانية»: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ من الشيطان وقوى النفس الأمارة ﴿ولا تعتدوا﴾ في قتالها بأن تميتوها عن قيامها بحقوقها والوقوف على حدودها حتى تقع في التفريط والقصور والفتور ﴿إن الله لا يحب المعتدين﴾ لكونهم خارجين عن ظل المحبة والوحدة التي هي العدالة ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ أي: أزيلوا حياتهم وامنعوهم عن أفعالهم بهواها الذي هو روحها حيث كانوا ﴿وأخرجوهم من حيث﴾ مكة الصدر عند استيلائهم عليها كما ﴿أخرجوكم﴾ منها باستنزالكم إلى بقعة النفس وإخراجكم من مقر القلب ﴿والفتنة﴾ التي هي عبادة هواها وأصنام لذاتها وشهواتها ﴿أشد﴾ من قمع هواها وإماتتها بالكلية أو محنتكم وبلاؤكم بها عند استيلائكم أشد عليكم ﴿من القتل﴾ الذي هو إماتتها ومحوها بالكلية لزيادة الضرر والألم هناك ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام﴾ الذي هو مقام القلب أي: عند الحضور القلبي إذا وافقوكم في توجهكم فإنهم أعوانكم على السلوك حينئذٍ ﴿حتى يقاتلوكم﴾ فيه وينازعوكم في مطالبه ويجروكم عن حية القلب ودين الحق إلى مقام النفس ودينهم الذي هو عبادة العجل ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ من تنازعهم وتجاذب دواعيهم وتعبدهم الهوى ﴿ويكون الدين كله لله﴾ بتوجه جميعها إلى جناب القدس ومشايعها للسر في التوجه إلى الحق الذي ليس للشيطان والهوى فيه نصيب ﴿فإن انتهوا فلا عدوان﴾ عليهم ﴿إلا على الظالمين﴾ على العادين المجاوزين عن حدودهم انتهى ما في «التأويلات».

وقال الشيخ نجم الدين قدس سره في قوله تعالى: ﴿الشهر الحرام﴾ الآية الإشارة أن ما يفوتكم من الأقات والأوراد بتواني النفس وغلبات صفاتها فتداركوه الشهر بالشهر واليوم باليوم والساعة بالساعة والوقت بالوقت والأوراد بالأوراد واقضوا الفائت والحقوق فكل صفة من

صفات النفس إذا استولت عليكم فعالجوها بضدها البخل بالسخاوة والغضب بالحلم والحرص بالترك والشهوة بالرياضة وعلى هذا القياس واتقوا الله في إفراط الاعتداء احتراز عن هلاك النفس بكثرة المجاهدات واعلموا أن الله مع المتقين بالنصرة على جهاد النفس.

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾

﴿**وأنفقوا في سبيل الله**﴾ الإنفاق صرف المال إلى وجوه المصالح والمراد بالسبيل الدين المؤدي إلى ثواب الله ورحمته فكل ما أمر الله به من الإنفاق في إعزاز الدين وإقامته فهو داخل في هذه الآية سواء كان في إقامة الحج أو العمرة أو جهاد الكفار أو صلة الأرحام أو تقوية الضعفاء من الفقراء والمساكين أو رعاية حقوق الأهل والأولاد أو غير ذلك مما يتقرب به إلى الله تعالى أمر تعالى بالجهاد بالمال بعد الأمر به بالنفس أي: واصرفوا أموالكم في سبيل الله ولا تمسكوا كل الإمساك. ﴿**ولا تلقوا**﴾ الإلقاء الشيء حيث تراه ثم صار اسماً لكل طرح عرفاً وتعديته بإلى لتضمنه معنى الانتهاء ﴿**بأيديكم**﴾ الباء زائدة في المفعول به لأن ألقى يتعدى بنفسه قال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ﴾ [الشعراء: ٤٥] ولا يقال ألقي بيده إلا في الشر والمراد بالأيدي الأنفس فإن اليد لازم للنفس وتخصيص اليد من بين سائر الجوارح اللازمة لها لأن أكثر الأعمال يظهر بالمباشرة باليد والمعنى لا تطرحوا أنفسكم ﴿**إلى التهلكة**﴾ أي: الهلاك بالإسراف وتضييع وجه المعاش لتكون الآية نظير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧] أو بالكف عن الغزو والإنفاق في مهماته فإن ذلك مما يقوي العدو ويسلطه عليكم ويؤيده ما روي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه أنه قال: إن الله تعالى لما أعز دينه ونصر رسوله قلنا فيما بيننا إنا قد تركنا أهلنا وأموالنا حتى فشا الإسلام ونصر الله نبيه فلو رجعنا إلى أهلنا وأموالنا فأقمنا فيها وأصلحنا ما ضاع منا فأنزل الله تعالى ﴿**وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾ أي: إلى ما يكون سبباً لهلاككم من الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد فما زال أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى كان آخر غزوة غزاها بقسطنطينية في زمن معاوية فتوفي هناك ودفن في أصل سور قسطنطينية وهم يستشفون به وفي الحديث «من مات ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق» ﴿**وأحسنوا**﴾ أي: تفضلوا على الفقراء ﴿**إن الله يحب المحسنين**﴾ أي: يريد بهم الخير.

ـ روي ـ أن الحجاج لما ولي العراق كان يطعم في كل يوم على ألف مائدة يجمع على كل مائدة عشر أنفس وكان يرسل الرسل إلى الناس لحضور الطعام فكثر عليه ذلك فقال: أيها الناس رسولي إليكم الشمس إذا طلعت فأحضروا للغداء وإذا غربت فأحضروا للعشاء فكانوا يفعلون ذلك واستقلّ الناس يوماً فقال: ما بال الناس قد قلّوا؟ فقال رجل: أيها الأمير إنك أغنيت الناس في بيوتهم عن الحضور إلى مائدتك فأعجبه ذلك وقال: اجلس بارك الله عليك هذا كرم الحجاج وإحسانه إلى الخلق مع كونه أظلم أهل زمانه، قال السعدي قدس سره:

كرم كن كه فردا كه ديوان نهند　　منازل بمقدار إحسان نهند

وحكى الهدائي قال: أقبل ركب من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان فلقوا حاتماً وهو المشهور بالجود فقالوا: تركنا قوماً يثنون عليك خيراً وقد أرسلوا إليك رسالة فقال: ما هي؟ فأنشد الأسديون شعراً للنابغة فيه فلما أنشده قالوا: إنا نستحيي أن نسألك شيئاً وإن لنا لحاجة

قال: ما هي؟ قالوا: صاحب لنا قد أرجل يعني فقدت راحلته فقال حاتم: فرسي هذه فاحملوه عليها فأخذوها وربطت الجارية فلوها بثوبها فأفلت يتبع أمه وتبعته الجارية لترده فصاح حاتم ما يتبعكم فهو لكم فذهبوا بالفرس والفلو والجارية كذا في «شرح رسالة ابن زيدون الوزير» قيل لما عرج النبي عليه السلام اطلع على النار فرأى حظيرة فيه رجل لا تمسه النار فقال عليه السلام: ما بال هذا الرجل في هذه الحظيرة لا تمسه النار؟ فقال جبريل عليه السلام: هذا حاتم طي صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده كذا في «أنيس الوحدة وجليس الخلوة» وفي الأحاديث القدسية «يا عيسى أتريد أن تطير على السماء مع الملائكة المقربين كن في الشفقة كالشمس وفي الستر كالليل وفي التواضع كالأرض وفي الحلم كالميت وفي السخاوة كالنهر الجاري». قال بعض أهل الحقيقة وهو حسن جداً ﴿**وأنفقوا في سبيل الله**﴾ أرواحكم ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾ بمنعكم أنفسكم عن الشهادة ﴿**في سبيل الله**﴾ التي هي الحياة الأبدية فتهلكوا يعني بفوت هذه الحياة وأحسنوا تسليم أنفسكم إلى الله فقد اشتراها منكم ﴿**إن الله يحب المحسنين**﴾. وفي «المثنوي»:

مرك بي مركي بود مارا حلال ... برك بي بركي بود مارا نوال
ظاهرش مرك وبباطن زندكي ... ظاهرش ابتر نهان پايندكي
چون مرا سوى أجل عشق وهواست ... نهى لا تلقوا بأيديكم مراست
زانكه نهى ازدانة شرين بود ... تلخ را خود نهى حاجت كي شود
دانة كشه تلخ باشد مغز وپوست ... تلخي ومكروهيش خودنهي اوست
دانة مردن مرا شرين شده است ... بل هم أحياء پي من آمده است

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿**وأنفقوا في سبيل الله**﴾ بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾ بالامتناع عن تسليم المبيع فتهلكوا بمنع الثمن وهو الجنة وبإفراط الاعتداء وتفريطه في جهاد النفس بالإفراط بأن يبرز واحد على رهط وبالتفريط بأن يفر واحد من اثنين في جهاد الكفار ﴿**وأحسنوا**﴾ مع نفوسكم بوقايتها من نار الشهوات ومع قلوبكم برعايتها وحفظها من رين الغفلات ومع أرواحكم بحمايتها عن حجب التعلقات ومع أسراركم بكلاءتها عن ملاحظة المكونات ومع الخلق بدفع الأذيات واتصال الخيرات ومع الله بالعبودية في المأمورات والمنهيات والصبر على المضرات والبليات والشكر على النعم والمسرات والتوكل عليه في جميع الحالات وتفويض الأمور إليه في الجزئيات والكليات والتسليم للأحكام الأزليات والرضى بالأقضية الأوليات والفناء عن الإرادات المحدثات في إرادته القديمة بالذات ﴿**إن الله يحب المحسنين**﴾ الذين هم في العبادة بوصف المشاهدة انتهى ما في «التأويلات» بانتخاب.

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾

﴿**وأتموا الحج والعمرة**﴾ الحج فرض على من استطاع إليه سبيلاً بالاتفاق والعمرة سنة

عند أبي حنيفة رحمه الله لا تلزم إلا بالشروع كنفل الصلاة والمعنى أن من شرع في أي واحد منهما فليتمه قالوا ومن الجائز أن لا يكون الدخول في شيء واجباً ابتداء إلا أنه بعد الشروع فيه يكون إتمامه واجباً ﴿لله﴾ متعلق بأتموا واللام لام المفعول من أجله وفائدة التخصيص به هنا أن العرب كانت تقصد الحج للاجتماع والتظاهر وحضور الأسواق وكل ذلك ليس لله فيه طاعة ولا قربة فأمر الله بالقصد إليه لأداء فرضه وقضاء حقه والمعنى أكملوا أركانهما وشرائطهما وسائر أفعالهما المعروفة شرعاً لوجه الله تعالى من غير إخلال منكم بشيء منها وأخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والأغراض الدنيوية واجعلوا النفقة من الحلال.

وأركان الحج خمسة: الإحرام، والوقوف بعرفة، والطواف، والسعي بين الصفا والمروة، وحلق الرأس والتقصير فركن الحج ما لا يحصل التحلل إلا بالإتيان به وواجباته: هو الذي إذا ترك يجبر بالدم وسننه ما لا يجب بتركه شيء وكذا أفعال العمرة تشتمل على هذه الأمور الثلاثة فأركانها أربعة: الإحرام، والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، والحلق. وللحج تحللان وأسباب التحلل ثلاثة: رمي جمرة العقبة يوم النحر، وطواف الزيارة، والحلق إذا وجد شيئان من هذه الأشياء الثلاثة: حصل التحلل وبالثالث حصل التحلل الثاني وبعد التحلل الأول يستبيح جميع المحظورات أي: محظورات الإحرام إلا النساء وبالثاني يستبيح الكل واتفقت الأمة على أنه يجوز أداء الحج والعمرة على ثلاثة أوجه: الإفراد، والتمتع، والقران فصورة الإفراد أن يحرم بالحج مفرداً ثم بعد الفراغ منه يعتمر من الحل أي: الذي بين المواقيت وبين الحرم وصورة التمتع أن يبتدىء بإحرام العمرة في أشهر الحج ويأتي بمناسكها ثم يحرم بالحج من مكة فيحج في هذا العام وصورة القران أن يحرم بالحج والعمرة معاً بأن ينويهما بقلبه ويأتي بمناسك الحج وحينئذٍ يكون قد أتى بالعمرة أيضاً لأن مناسك العمرة هي مناسك الحج من غير عكس أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل أن يفتتح الطواف فيصير قارناً ولو أحرم بالحج ثم أدخل عليه العمرة لم ينعقد إحرامه بالعمرة والأفضل عندنا من هذه الوجوه هو القران وفي الحديث «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور جزاء إلا الجنة» ﴿فإن أحصرتم﴾ أي: منعتم وصددتم عن الحج والوصول إلى البيت بمرض أو عدو أو عجز أو ذهاب نفقة أو راحلة أو سائر العوائق بعد الإحرام بأحد النسكين وهذا التعميم عند أبي حنيفة رحمه الله لأن الخطاب وإن كان للنبي وأصحابه وكانوا ممنوعين بالعدو لكن الاعتبار لعموم اللفظ لا لخصوص السبب ﴿فما استيسر﴾ أي: فعليكم ما تيسر ﴿من الهدي﴾ من إما تبعيضية أو بيانية أي: حال كونه بعض الهدي أو الكائن من الهدي جمع هدية كتمر وتمرة وهو ما يهدى إلى البيت تقرباً إلى الله من النعم أيسره شاة وأوسطه بقرة وأعلاه بدنة ويسمى هدياً لأنه جار مجرى الهدية التي يبعثها العبد إلى ربه بأن بعثها إلى بيته والمعنى أن المحرم إذا أحصر وأراد أن يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة أو بقرة أو شاة حيث أحصر في أي: موضع كان عند الشافعي وأما عندنا فيبعث به إلى الحرم ويجعل للمبعوث على يده يوم ذبحه أمارة أي: علامة فإذا جاء اليوم وظن أنه ذبح تحلل لقوله تعالى: ﴿ولا تحلقوا رؤوسكم﴾ أي: لا تحللوا بحلق رؤوسكم ﴿حتى يبلغ الهدي محله﴾ حتى تعلموا أن الهدي المبعوث إلى الحرم بلغ مكانه الذي وجب أن ينحر فيه، والمحلّ بالكسر من الحلول وهو النزول يطلق على الزمان والمكان

فمحل الدين وقت وجوب قضائه ومحل الهدي المكان الذي يحل فيه ذبحه وهو الحرم عندنا لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٣٣] والمراد الحرم كله لأن كله يتبع البيت وهذا الحكم عام لجميع الحاج من المفرد والقارن والمتمتع والمعتمر يعني لا يجوز له أن يحلق رأسه إلا أن يذبح هديه وإن لم يحصر يعني في منى والحلق أفضل من التقصير ولو حلق ربع الرأس يكتفى به لكن حلق كله أولى اقتداء برسول الله ﷺ هذا في الحج وأما في غيره فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يحلق رأسه إلا قليلاً بل هو معدود ويتركه في أكثر الأزمان وكان علي رضي الله عنه يحلق رأسه منذ ما سمع قوله عليه السلام: «تحت كل شعرة جنابة» ﴿فمن﴾ يجوز أن تكون شرطية وموصولة ﴿كان منكم مريضاً﴾ مرضاً محوجاً إلى الحق حال الإحرام ومريضاً خبر كان ومنكم حال منه لأنه في الأصل صفة له فلما تقدم عليه انتصب حالاً ﴿أو به أذى﴾ أي: ألم كائن ﴿من رأسه﴾ كجراحة أو قمل أو صداع أو شقيقة والمعنى يثبت على إحرامه من غير حلق حتى يذبح هديه إلا أن يضطر إلى الحلق فإن حلق ضرورة ﴿ففدية﴾ أي: فعليه فدية ﴿من صيام﴾ أي: صيام ثلاثة أيام ﴿أو صدقة﴾ على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من برّ ﴿أو نسك﴾ بضمتين جمع نسيكة وهي الذبيحة أعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة وأو للتخيير ﴿فإذا أمنتم﴾ من خوفكم وبرئتم من مرضكم وكنتم في حال أمن وسعة لا في حال إحصار ﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج﴾ أي: فمن انتفع بالتقرب إلى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في أشهره أو من استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الإحرام إلى أن يحرم بالحج ﴿فما استيسر من الهدي﴾ أي: فعليه دم تيسر عليه بسبب التمتع وهو هدي المتعة وهو نسك عند أبي حنيفة رحمه الله لا يذبحه إلا يوم النحر ويأكل منه كالأضحية ﴿فمن لم يجد﴾ أي: الهدي ﴿فصيام ثلاثة أيام﴾ صيام مصدر أضيف إلى ظرفه معنى وهو في اللفظ مفعول به على الاتساع أي: فعليه صيام ثلاثة أيام ﴿في الحج﴾ أي: في وقته وأشهره بين الإحرامين إحرام العمرة وإحرام الحج إن شاء متفرقة وإن شاء متتابعة والأحب أن يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه فلا يصح يوم النحر وأيام التشريق ﴿وسبعة إذا رجعتم﴾ أي نفرتم وفرغتم من أعمال الحج أطلق عليه الرجوع على طريق إطلاق اسم المسبب وإرادة السبب الخاص وهو النفر والفراغ فإنه سبب للرجوع ﴿تلك﴾ أي: صيام ثلاثة وسبعة ﴿عشرة﴾ فذلكة الحساب وفائدتها أن لا يتوهم أن الواو بمعنى أو كما في قوله تعالى: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣] وأن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلاً وعلمان خير من علم فإن أكثر العرب لا يحسنون الحساب فكان الرجل إذا خاطب صاحبه بأعداد متفرقة جمعها له ليسرع فهمه إليها وإن المراد بالسبعة هو العدد دون الكثرة فإنه يطلق لهما ﴿كاملة﴾ صفة مؤكدة لعشرة فإن الوصف قد يكون للتأكيد إذا أفاد الموصوف معنى ذلك الوصف نحو إلٰهين اثنين والتأكيد إنما يصار إليه إذا كان الحكم المؤكد مما يهتم بشأنه والمحافظة عليه والمؤكد هٰهنا هو رعاية هذا العدد في هذا الصوم أكده لبيان أن رعايته من المهمات التي لا يجوز إهمالها البتة ﴿ذلك﴾ إشارة إلى نفس التمتع عندنا وإلى حكم التمتع عند الشافعي وهو لزوم الهدي لمن يجده من المتمتع ولزوم بدله لمن لا يجده ﴿لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ أي: لازم للذي لا يسكن مكة وأهل الرجل أخص الناس إليه وإنما ذكر الأهل لأن الغالب أن الإنسان يسكن حيث يسكن أهله فعبر بسكون الأهل عن سكون نفسه وحاضرو المسجد الحرام عندنا

هم أهل مكة ومن كان منزله داخل المواقيت فلا متعة ولا قران لهم فمن تمتع أو قرن منهم فعليه دم جناية لا يأكل منه وحاضرو المسجد الحرام ينبغي لهم أن يعتمروا في غير أشهر الحج ويفرد وأشهر الحج للحج والقارن والمتمتع الآفاقيان دمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعي حاضرو المسجد الحرام أهل الحرم ومن هو على مسافة لا تقصر فيها الصلاة ﴿**واتقوا الله**﴾ في المحافظة على أوامره ونواهيه وخصوصاً في الحج ﴿**واعلموا أن الله شديد العقاب**﴾ لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان. قال السعدي قدس سره:

مـرو زيـر بـاركـنـه أي پـسـر كـه حـمـال عـاجـز بـود در سـفـر
تـوبـيـش ازعـقـوبـت درعـفـو كـوب كـه سـودي نـدارد فـغـان زيـر جـوب

اعلم أن تمام الحج كما يكون عن طريق الظاهر كذلك يكون عن طريق الباطن. وعن بعض الصالحين أنه حج فلما قضي نسكه قال لصاحبه: هلم نتم حجنا ألم تسمع قول ذي الرمة.

تـمـام الـحـج أن تـقـف الـمـطـايـا عـلـى خـرقـاء واضـعـة الـلـثـام

وخرقاء اسم حبيبة الشاعر واضعة اللثام أي: مكشوفة الوجه مسفرة جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم إلا به وحقيقة ما قال هو أنه كما قطع البوادي حتى وصل إلى بيته وحرمه ينبغي أن يقطع أهواء النفس ويخرق حجب القلب حتى يصل إلى مقام المشاهدة ويبصر آثار كرمه بعد الرجوع عن حرمه.

قال في «التأويلات النجمية»: حج العوام قصد البيت وزيارته وحج الخواص قصد رب البيت وشهوده كما قال الخليل عليه السلام: إني ذاهب إلى ربي سيهدين وكما أن من قصد الله وطلبه وتوجه إليه بالكلية وفدى بنفسه وماله وولده في الله واتخذ ما سواه عدواً كما قال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧﴾ [الشعراء: ٧٧] كان الخليل عليه الصلاة والسلام وهذا كله من مناسك الحج الحقيقي فلذلك جعله الله أول من بنى بيت الله وطاف وحج وأذن في الناس بالحج وسن المناسك وكان الحج صورة ومعنى مقامه عليه السلام وكما كان له مقام كان لنبينا عليه السلام حال والحال أتم من المقام لأن المقامات من المنازل والأحوال من المواهب فيمكن سلوك المقامات بغير المواهب ولا يمكن المواهب بغير سلوك المقامات فلما كان الخليل من أهل المقامات قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩] ولما كان النبي عليه الصلاة والسلام من أهل المذاهب قيل: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] فلما كان ذهابه بنفسه في الحج الحقيقي بقي في السماء السابعة واحصر فقيل له: ﴿**فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي**﴾ فأهدي بإسماعيل ولما أسري بالنبي عليه السلام وكان ذهابه بالله ما أحصره شيء فقيل له: ﴿**فأتموا الحج والعمرة لله**﴾ فأتم حجه بأن ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٨ ـ ٩] ثم أتى عمرته بأن تجلى له أقمار المقصود عن كشف التعزز بالشهود وانجلت عنانة المحبة عن شموس الوصلة وجرى بين المحبين ما جرى فأوحى إلى عبده ما أوحى ثم نودي من سرادقات الجلال في إتمام الحج والإكمال يوم الحج الأكبر عند وقوفه بعرفات في حجة الوداع وهو آخر الحجات اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً انتهى ما في «التأويلات».

ثم اعلم أن كل قلب لا يصلح لمعرفة الرب ولا كل نفس تصلح لخدمة الرب ولا كل نفيس مال يصلح لخزانة الرب فتعجل أيها العبد في تدارك حالك وكن سخياً بمالك فإن لم يكن فبنفسك وإن كان لك قدرة على بذلهما فبهما ألا يرى أن إبراهيم عليه السلام كيف أعطى ماله للضيفان وبدنه للنيران وولده للقربان وقلبه للرحمان حتى تعجب الملائكة من سخاوته فأكرمه الله بالخلة قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥]. قال مالك بن دينار: خرجت إلى مكة فرأيت في الطريق شاباً إذا جن عليه الليل رفع وجهه نحو السماء وقال: يا من تسره الطاعات ولا تضره المعاصي هب لي ما يسرك واغفر لي ما لا يضرك فلما أحرم الناس ولبوا قلت له لم لا تلبي فقال: يا شيخ وما تغني التلبية عن الذنوب المتقدمة والجرائم المكتوبة والمعاصي السالفة أخشى أن أقول لبيك فيقال لي لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك ولا أنظر إليك ثم مضى فما رأيته إلا بمنى وهو يقول: اللهم اغفر لي اللهم إن الناس قد ذبحوا وتقربوا إليك وليس لي شيء أتقرب به إليك سوى نفسي فتقبلها مني ثم شهق شهقة وخر ميتاً اللهم عاملنا بكمال كرمك وأوصلنا إلى حضرتك العليا وحرمك.

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾﴾

﴿الحج﴾ بحذف المضاف أي: وقته لأن الحج فعل والفعل لا يكون أشهراً **﴿أشهر﴾** هي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عندنا وإنما سمي شهران وبعض شهر أشهراً مع أن جمع القلة لا يطلق على ما هو أقل من الثلاثة إقامة للبعض مقام الكل أو إطلاقاً للجمع على ما فوق الواحد **﴿معلومات﴾** معروفات بين الناس لأنهم توارثوا علمها والشرع جاء مقرراً لما عرفوه ولم يغير وقته عما كان قبله وفائدة توقيت الحج بهذه الأشهر ليعلم أن شيئاً من أفعال الحج لا يصح إلا فيها والإحرام وإن كان ينعقد في غيرها أيضاً عند أبي حنيفة إلا أنه مكروه يعني أن الإحرام عنده من شرائط الحج فيجوز تقديمه على وقت أدائه كما يجوز تقديم الطهارة على أداء الصلاة. وقولهم وقت الحج أشهر ليس المراد به أنها وقت إحرامه بل المراد أنها وقت أدائه بمباشرة أعماله ومناسكه والأشهر كلها وقت لصحة إحرامه لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] فجعل الأهلة كلها مواقيت للحج ومعلوم أن الأهلة كلها ليست مواقيت لصحة أداء الحج فتعين أن المراد أنها مواقيت لصحة الإحرام حتى من أحرم يوم النحر لأن يحج في السنة القابلة يصح إحرامه من غير كراهة عند أبي حنيفة كذا في «حواشي ابن الشيخ» **﴿فمن فرض فيهن الحج﴾** أي: أوجبه على نفسه بالتلبية أو تقليد الهدي وذلك لأن الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا يشرع بمجرد النية كالصلاة فلا بد من فعل يشرع به فيه وهو ما ذكرنا من التلبية أو تقليد الهدي وهو جعل القلادة في عنقه وسوقه **﴿فلا رفث﴾** أي: فلا جماع وما دونه مما يفضي إلى ذلك كالقبلة والغمز وهو محظور الإحرام فقبل الوقوف بعرفة مفسد وبعده موجب للبدنة وحرمت دواعيه لئلا يقع فيه والرفث وما يليه من الفسوق والجدال وإن كانت على صورة النفي بمعنى أن شيئاً منها لا يقع في خلال الحج إلا أن المراد بها النهي لأن إبقاءها خبراً على ظاهرها يستلزم الخلف في خبر الله للعلم بأن هذه الأشياء كثيراً ما تقع في خلال الحج وإنما أخرجت على صورة الأخبار للمبالغة في وجوب الانتهاء عنها كأن

المكلف أذعن كونها منهياً عنها فاجتنب عنها فالله تعالى يخبر بأنها لا توجد في خلال الحج ولا يأتي بها أحد منكم. ﴿ولا فسوق﴾ ولا خروج من حدود الشرع بارتكاب المحظورات والفسق هو المعاصي بأنواعها فيدخل فيه السباب والتنابز بالألقاب وغير ذلك ﴿ولا جدال﴾ أي: لا مراء مع الخدم والرفقة والمكارين لأنه يفضي إلى التضاغن وزوال التأليف فأما الجدال على وجه النظر في أمر من أمور الدين فلا بأس به ﴿في الحج﴾ أي في أيامه وإنما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لأنه مع الحج أقبح وأشنع كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القرآن والمنهي عنه التطريب الذي تخرج الحروف به عن هيئاتها كما يفعله بعض القراء من الألحان العجيبة والأنغام الموسيقية وأما تحسين القراءة ومدها فهو مندوب إليه قال عليه السلام: «حسنوا القرآن بأصواتكم» فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً والتطريب المقبول سبب للرقة وإقبال النفس وبه قال أبو حنيفة رحمه الله وجماعة من السلف ﴿وما﴾ شرطية ﴿تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ علم الله تعالى بما يفعله العبد من الخير كناية عن إثباته عليه. نهى عن ثلاثة أشياء من المعاصي ورغب في كل الطاعات فهو حث على فعل الخير عقيب النهي عن الشر فيدخل فيها استعمال الكلام الحسن مكان القبيح والبر والتقوى مكان الفسوق والوفاق والأخلاق الجميلة مكان الجدال ﴿وتزودوا﴾ أي: اجعلوا زادكم لمعادكم وآخرتكم اتقاء القبائح ﴿فإن خير الزاد التقوى﴾ لا ما يتخذ من الطعام وتحقيق الكلام أن الإنسان له سفران: سفر في الدنيا، وسفر من الدنيا، فالسفر في الدنيا لا بد له من زاد وهو الطعام والشراب والمركب والمال والسفر من الدنيا لا بد له أيضاً من زاد وهو معرفة الله ومحبته والإعراض عما سواه بالاشتغال في طاعته والاجتناب عن مخالفته ومناهيه وهذا الزاد خير من زاد المسافر في الدنيا لأن زاد الدنيا يخلصك من عذاب منقطع وزاد الآخرة يخلصك من عذاب دائم وزاد الدنيا فانٍ وزاد الآخرة يوصلك إلى لذات باقية خالصة. وقيل: كان أهل اليمن لا يتزودون ويخرجون بغير زاد ويقولون: نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله أفلا يطعمنا فيكون كلاً على الناس وإذا قدموا مكة سألوا الناس وربما يفضي بهم الحال إلى النهب والغصب فقال الله تعالى: ﴿تزودوا﴾ أي: ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم من الكعك والزيت والسويق والتمر ونحوها واتقوا الاستطعام وإبرام الناس والتثقيل عليهم ﴿فإن خير الزاد التقوى﴾ من السؤال والنهب ﴿واتقون يا أولي الألباب﴾ فإن قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم أمرهم بأن يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤوا عن كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص أولي الألباب بالخطاب فإن من لم يتقه فكأنه لا لب له. فعلى العاقل تخليص العقل من الشوائب وتهذيب النفس وتكميلها بالوصول إلى أعلى المراتب، قال الشاعر:

ولم أر في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

قال الإمام: اعلم أن الإنسان فيه قوى ثلاث: قوة شهوانية بهيمية، وقوة غضبية سبعية شيطانية، وقوة وهمية عقلية ملكية والمقصود من جميع العبارات قهر القوى الثلاث أعني الشهوانية والغضبية والوهمية فقوله: ﴿فلا رفث﴾ إشارة إلى قهر القوة الشهوانية وقوله: ﴿ولا فسوق﴾ إشارة إلى قهر القوة الغضبية التي توجب المعصية والتمدد وقوله: ﴿ولا جدال﴾ إشارة إلى قهر القوة الوهمية التي تحمل الإنسان على الجدال في ذات الله وصفاته وأفعاله وأحكامه

وأسمائه وهي الباعثة للإنسان على منازعة الناس ومماراتهم والمخاصمة معهم في كل شيء فلما كان الشر محصوراً في هذه الأمور الثلاثة لا جرم قال: ﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ أي: فيمن قصد معرفة الله ومحبته والاطلاع على نور جلاله والانخراط في سلك الخواص من عباده انتهى ما قال الإمام. قالوا: من سهل عليه المشي في طريق الحج فهو الأفضل فإن كان يضعف ويؤدي ذلك إلى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب أفضل كما أن الصوم أفضل للمسافر والمريض ما لم يفض إلى ضعف وسوء خلق. قال أبو جعفر محمد الباقر ما يعبأ بمن يؤم هذا البيت إذا لم يأت بثلاث: ورع يحجزه عن محارم الله، وحلم يكف به غضبه، وحسن الصحابة لمن يصحبه من المسلمين فهذه الثلاث يحتاج إليها المسافر خصوصاً إلى الحج فمن كملها فقد كمل حجه وإلا فلا، فنعم ما قال السعدي قدس سره:

ازمن بكوي حاجيء مردم كزايرا كويوستين خلق بآزار ميدرد

حاجي تونيستي شترست ازبراي آنك بيچار خار ميخورد وبار ميبرد

فينبغي أن يجتهد الحاج قبل مفارقة رفيقه والجمال في أن يتحالوا من الظالم إن كانت جرت بينهم مثل غيبة ونميمة أو أخذ عرض أو تعرض لمال فما سلم من ذلك إلا القليل وإذا ذكر رفيقه فليثن عليه خيراً وليغض عما سوى ذلك فقد كان السلف بعد قفولهم أي: رجوعهم من السفر لا يذكر أحدهم صاحبه إلا بخير وليحذر من نظفت صحيفة علمه من الذنوب بالغفران أن يرجع إلى وسخ المعاصي.

ثم الإشارة أن قصد القاصدين إلى الله تعالى إنما يكون في أشهر معلومات من حياتهم الفانية في الدنيا فأما بعد انقضاء الآجال فلا يفيد لأحد السعي كما لا يُنفع للحاج القصد بعد مضي أشهر الحج قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨] الآية وكما أن للحاج مواقيت معينة يحرمون منها فكذلك للقاصدين إلى الله ميقات وهي أيام الشباب من بلاغية الصورة إلى بلوغ الأربعين وهو حد بلاغية المعنى قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥] ولهذا قال المشايخ الصوفي بعد الأربعين نادر يعني إن كان ظهور إرادته وطلبه يكون بعد الأربعين فوصوله إلى المقصد الحقيقي يكون نادراً مع أركانه ولكن من يكون طلبه وصدقه في الإرادة قبل الأربعين وما أمكنته الوصلة يقرب في الاحتمال أن يكون بعد الأربعين حصول مقصوده بأن يبذل غاية مجهوده بشرائطه وحقوقه وحدوده ومن فاته أوان الطلب في عنفوان شبابه مستبعدة له الوصلة في حال مشيبه فجرى منه عليه الحيف بأن ضيع اللبن في الصيف ولكن يصلح للعبادة التي آخرها الجنة ووقف بعض المشايخ على باب الجامع والخلق يخرجون منه في ازدحام وغلبة وكان ينظر إليهم ويقول هؤلاء حشو الجنة وللمجالسة أقوام آخرون كذا في «التأويلات النجمية». وقال القاشاني: وقت الحج أزمنة وهو من وقت بلوغ الحلم إلى الأربعين ثلاثة أعصر كل عصر بمثابة شهر، عصر من سن النمو، وعصر من سر الوقوف، وبعض من سن الكهولة كما قال تعالى في وصف البقرة ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ﴾ [البقرة: ٦٨] بين ذلك انتهى، قال الحافظ:

عشق وشباب ورندى مجموعه مرادست

چون جمع شد معاني كوى بيان توان زد

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾

﴿ليس عليكم جناح﴾ أي: إثم من الجنوح وهو الميل عن القصد **﴿أن تبتغوا﴾** أي: في أن تقصدوا وتطلبوا **﴿فضلا من ربكم﴾** أي: عطاء ورزقاً منه يريد الربح بالتجارة في أيام الحج فإن الآية نزلت رداً على من يقول لا حج للتاجر والجمال لكن الحق أن التجارة وإن كانت مباحة في الحج إلا أن الأولى تركها فيه لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥] والإخلاص أن لا يكون له حامل على الفعل سوى كونه طاعة وعبادة **﴿فإذا أفضتم من عرفات﴾** الهمزة في أفضتم للتعدية والمفعول محذوف أي: دفعتم أنفسكم منها بكثرة بعد غروب الشمس ورجعتم بعد الوقوف بها. وفي «التيسير»: وحقيقة الإفاضة هنا هو اجتماع الكثير في الذهاب والمسير، وعرفات علم للموقف وليس بجمع حقيقة بل هو من قبيل ما زيدت حروفه لزيادة معناه فإنه للمبالغة في الإنباء عن المعرفة روي أنه نعته جبريل لإبراهيم عليهما السلام فلما أبصره عرفه فسمي ذلك الموضع عرفات أو لأن جبريل عليه الصلاة والسلام كان يدور به في المشاعر أي: مواضع المناسك ويقول: عرفت فيقول: عرفت فلما رآه قال: عرفت أو لأن آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط إلى الأرض وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا أو لغير ذلك كما ذكر في التفاسير. وفيه دليل على وجوب الوقوف بعرفات لأن الإضافة مأمور بها وهي موقوفة على الحضور فيها والوقوف بها وما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب فيكون الوقوف واجباً **﴿فاذكروا الله﴾** بالتلبية والتهليل والتسبيح والتحميد والثناء والدعوات **﴿عند المشعر الحرام﴾** قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام وعلى الميقدة. وفي المغرب «الميقدة»: هو موضع بالمشعر الحرام على قزح كان أهل الجاهلية يوقدون عليها النار وتقييد محل الذكر والوقوف بقوله: **﴿عند المشعر الحرام﴾** للتنبيه على أن الوقوف فيما يقرب من جبل قزح أفضل من الوقوف في سائر مواضع أرض مزدلفة وذلك لا ينافي صحة الوقوف في جميع مواضعها كما أن عرفات كلها موضع الوقوف لكن الوقوف بقرب جبل الرحمة أفضل وأولى والمشعر العلم أي: للعبادة. والشعائر العلامات من الشعار وهو العلامة ووصفه بالحرام لحرمته فلا يفعل فيه ما نهى عنه **﴿واذكروه كما هداكم﴾** أي: كما علمكم كيف تذكرونه مثل كون الذكر ذكراً كثيراً وعلى وجه التضرع والخيفة والطمع ناشئاً عن الرغبة والرهبة ومشاهدة جلال المذكور وجماله كما قال عليه السلام: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه» فالمقصود من الكاف مجرد التقييد لا التشبيه أي: اذكروه على الوجه الذي هداكم إليه لا تعدلوا عما هديتم إليه كما تقول افعل كما علمتك وليس هذا تكراراً لقوله: **﴿فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾** لأن الأول لبيان محل الذكر والوقوف وتعليم النسك المناسك لذلك المحل وأوجب بالثاني أن يكون ذكرنا أباه كهدايته إياناً أي: موازياً لها في الكم والكيف **﴿وإن﴾** هي المخففة واللام هي الفارقة **﴿كنتم من قبله﴾** أي: من قبل ما ذكر من هدايته إياكم **﴿لمن الضالين﴾** غير العالمين بالإيمان والطاعة.

قال القاشاني: إن الله تعالى هدى أولاً إلى الذكر باللسان في مقام النفس. ثم إلى الذكر بالقلب وهو ذكر الأفعال أي: تصور آلاء الله ونعمائه ثم إلى ذكر السر وهو معاينة الأفعال ومكاشفة علوم تجليات الصفات. ثم إلى ذكر الروح وهو مشاهدة أنوار تجليات الصفات مع ملاحظة نور الذات، ثم إلى ذكر الخفي وهو مشاهدة جمال الذات مع بقاء الاثنينية، ثم إلى ذكر الذات وهو الشهود الذاتي بارتفاع البعد وإن كنتم من قبل الهدي إلى هذه المقامات لمن الضالين عن طريق هذه الأذكار انتهى.

ولما أمر بذكر الله تعالى إذا فعلت الإفاضة أمر بأن تكون الإفاضة من حيث أفاض الناس مرتباً الأمر الثاني على الأول بكلمة ثم، فقال:

﴿ثم أفيضوا﴾ أي: ارجعوا ﴿من حيث أفاض الناس﴾ أي: من عرفة لا من المزدلفة كانت قريش وحلفاؤها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون: نحن أهل الله وسكان حرمه فلا نخرج من الحرم ويستعظمون أن يقفوا مع الناس بعرفات لكونها من الحل وسائر العرب كانوا يقفون بعرفات اتباعاً لملة إبراهيم عليه السلام فإذا أفاض الناس من عرفات أفاض الحمس من المزدلفة فأنزل الله هذه الآية فأمرهم أن يقفوا بعرفات وأن يفيضوا منها كما يفعله سائر الناس والمراد بالناس العرب كلهم غير الحمس. والحمس في الأصل جمع أحمس وهو الرجل الشجاع والأحمس أيضاً الشديد الصلب في الدين والقتال وسميت قريش وكنانة وجديلة وقيس حمساً لتشددهم في دينهم وكانوا لا يستظلون أيام منى ولا يدخلون البيوت من أبوابها وكذلك كان من حالفهم أو تزوج منهم ﴿واستغفروا الله﴾ من جاهليتكم في تغيير المناسك ومخالفتكم في الموقف ﴿إن الله غفور رحيم﴾ يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فأمر النبي عليه السلام أبا بكر رضي الله تعالى عنه أن يخرج بالناس جميعاً إلى عرفات فيقف بها.

ـ روي ـ أن الله تعالى يباهي ملائكته بأهل عرفات ويقول: «انظروا إلى عبادي جاؤوا من كل فج عميق شعثاً غبراً اشهدوا أني غفرت لهم» ويروى أن الشيطان ما رئي في يوم هو أصغر وأحقر وأذل منه يوم عرفة وما ذلك إلا بما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إذ يقال إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة وفي الحديث «أعظم الناس ذنباً من وقف بعرفة فظن أن الله تعالى لا يغفر له» والحجة الواحدة أفضل من عشرين غزوة في سبيل الله. وقيل: إن البعير إذا حج عليه مرة بورك في أربعين من أمهاته وإذا حج عليه سبع مرات كان حقاً على الله أن يرعاه في رياض الجنة ومصداق ذلك ما قال النهراني رحمه الله: بلغني أن وقاد تنور حمام أتى بسلسلة عظام حمل ليوقدها قال: فألقيتها في المستوقد فخرجت منه فألقيتها فعادت فخرجت فعدت فألقيتها الثالثة فعادت فخرجت بشدة حتى وقعت في صدري وإذا بصوت هاتف يقول: ويحك هذه عظام جمل قد سعى إلى مكة عشر مرات كيف تحرقها بالنار وإذا كانت هذه الرأفة والرحمة بمطية الحاج فكيف به؟ ثم إن الفضل على ثلاثة أقسام بالنسبة إلى أحوال العبد فإن التنوع راجع إلى تغيير أحوال العباد لا إلى تغيير صفة من صفات الحق تعالى. فالأول منها ما يتعلق بالمعاش الإنساني من المال والجاه ونوع يتعلق بالغذاء واللباس الضروري وهذا الفضل مفسر بالرزق قال الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]، والثاني: منها ما يتعلق بالمصالح الأخروية للعبد وهو نوعان ما يتعلق بأعمال البدن على وفق الشرع ومتابعة الشارع ومجانبة طريق الشيطان المنازع قال تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ

وَرِضْوَانًا﴾ [الحشر: ٨] وما يتعلق بأعمال القلب وتزكية النفس قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]، والقسم الثالث منها ما يتعلق بالله تعالى وهو نوعان ما يتعلق بمواهب القربة قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب: ٤٧] أي: قرباً كبيراً فإنه أكبر من الدنيا والآخرة وما يتعلق بمواهب الوصلة قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة: ٤] يعني فضل مواهب الوصلة أعظم من الكل ولكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة مقام في الابتغاء، أما الذي يتعلق بالمصالح الأخروية وهو فضل الرحمة فمقام ابتغائه بترك الموجود وبذل المجهود وهو في السير إلى عرفات، وأما الذي يتعلق بالله وهو فضل المواهب فمقام ابتغائه عند الوقوف بعرفات وعرفات إشارة إلى المعرفة وهي معظم أركان الوصلة، وأما الذي يتعلق بالمصالح الدنيوية وهو فضل الرزق فمقام ابتغائه بعد استكمال الوقوف بعرفات المعرفة عند الإفاضة، ففي الآية تقديم وتأخير أي: إذا أفضتم من عرفات فليس عليكم إلخ وذلك لأن حال أهل السلوك في البداية ترك الدنيا والتجريد عنها، وفي الوسط التوكل والتفريد، وفي النهاية المعرفة والتوحيد فلا يسلم الشروع في المصالح الدنيوية إلا لأهل النهاية لقوتهم في المعرفة وعلو همتهم بأن يطهر الله قلوبهم من رجز حب الدنيا الدنيوية ويملأها نوراً بالألطاف الخفية فلا اعتبار للدنيا وشهواتها أو نعيم الآخرة ودرجاتها عند الهمم العالية فلا يتصرفون في شيء منها وتصرفهم بالله وفي الله ولله لا لحظوظ النفس بل لصالح الدين وإصابة الخير إلى الغير كذا في «التأويلات النجمية»، قال في «المثنوي»:

كارپاكاثرا قياس ازخودمكير كرچه ماند در نوشتن شير شير

اللهم اجعل هممنا مقصورة على جنابك آمين.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾

﴿**فإذا قضيتم مناسككم**﴾ أي: أتممتم عباداتكم التي أمرتم بها في الحج وفرغتم منها ﴿**فاذكروا الله كذكركم آباءكم**﴾ يعني فاتركوا عادة الجاهلية واتبعوا سنن الإسلام واشتغلوا بذكر رب الأنام وكانت العرب إذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل ويذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن أيامهم يريد كل واحد منهم بذلك حصول الشهرة والترفع له بمآثر سلفه فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بأن يجعلوا بدل ذكرهم آباءهم ذكر الله تعالى وتمجيده والثناء عليه إذ الخير كله من عنده وآباؤهم عبيده ونالوا ما نالوا بأفضاله، قال السعدي قدس سره:

كراز حق نه توفيق خيري رسد كي ازبنده خيري بغيري رسد

﴿**أو أشد ذكراً**﴾ مجرور معطوف على الذكر بجعله ذاكراً على المجاز أي: اذكروه ذكراً كان مثل ذكركم المتعلق بآبائكم أو كذكر هو أشد منه وأبلغ ذكراً أو تحقيقه أن أفعل إنما يضاف إلى ما بعده إذا كان من جنس ما قبله كقولك وجهك أحسن وجه أي: أحسن الوجوه فإذا نصب ما بعده كان غير الذي قبله كقولك زيد أفره عبداً فالفراهة للعبد لا لزيد والمذكور قبل

أشد هنا هو الذكر والذكر لا يذكر حتى يقال أشد ذكراً إنما قياسه أن يقال للذكر أشد ذكر جراً إضافة فوجه النصب أنه يجعل الذكر ذاكراً مجازاً ويجوز نسبة الذكر إلى الذكر بأن يسمع إنسان الذكر فيذكر فكأن الذكر قد ذكر لحدوثه بسببه ﴿فمن الناس﴾ أي: من الذين يشهدون الحج ﴿من يقول﴾ في ذكره مقتصراً على طلب الدنيا ﴿ربنا آتنا في الدنيا﴾ أي: إيتاءنا ومنحتنا في الدنيا خاصة من الجاه والغنى والنصرة على الأعداء وما هو من الحظوظ العاجلة وهم المشركون لأنهم لا يسألون في حجهم إلا الدنيا ﴿وما له في الآخرة من خلاق﴾ أي: نصيب وحظ لأن همه مقصور على الدنيا حيث سأل في أعز المواقف أحقر المطالب وأعرض عن سؤال النعيم الدائم والملك العظيم ﴿ومنهم﴾ أي: من الذين يشهدون الحج ﴿من يقول﴾ في ذكره طالباً خير الدارين ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة﴾ هي الصحة والكفاف والتوفيق للخير. وفي «التيسير»: الحسنة جامعة لكل الخيرات في الدارين. ﴿وفي الآخرة حسنة﴾ هي الثواب والرحمة. قال الشيخ أبو القاسم الحكيم: حسنة الدنيا عيش على سعادة وموت على شهادة وحسنة الآخرة: بعث من القبر على بشارة وجواز على الصراط على سلامة. ﴿وقنا﴾ أي: احفظنا ﴿عذاب النار﴾ بالعفو والمغفرة، وعن علي كرم الله وجهه إن الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار المرأة السوء. قال السعدي:

چو مستور باشد زن خوب روي   بديدار اودر بهشتست شوي

وتلخيصه: أكثروا ذكر الله وسلوه سعادتكم في داريه وترك ذكر من قصر دعاءه على طلب الآخرة فقط لأن طالب الآخرة فقط بحيث لا يحتاج إلى طلب حسنة من الدنيا لا يوجد في الدنيا ﴿أولئك﴾ إشارة إلى الفريق الثاني وهم الداعون بالحسنتين لأنه تعالى ذكر حكم الفريق الأول بقوله: ﴿وما له في الآخرة من خلاق﴾ ﴿لهم نصيب مما كسبوا﴾ من للتبعيض أي: لهم نصيب عظيم كائن من جنس ما كسبوا من الأعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة أو من أجل ما كسبوا لأنهم استحقوا ذلك الثواب الحسن بسبب آمالهم الحسنة ومن أجلها فتكون من ابتدائية لأن العلة مبدأ الحكم ثم أومأ إلى قدرته محذراً من الموت وحاثاً على أعمال الخير بقوله: ﴿والله سريع الحساب﴾ والحساب يراد به نفس الجزاء على الأعمال فإن الحساب سبب للأخذ والعطاء وإطلاق اسم السبب على المسبب جائز شائع أي: يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة أعمالهم في مقدار لمحة لعدم احتياجه إلى عقد يد أو وعي صدر أو نظر وفكر فاحذروا من الإخلال بطاعة من هذا شأن قدرته أو يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب الناس. وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم يبق إلا صابة كصبابة الإناء فليبادر المؤمن إلى الطاعات واكتساب الحسنات والذكر في كل الحالات. قال الحسن البصري: اذكروني بما يذكر الصغير أباه فإنه أول ما يتكلم يقول يا أب يا أب، فعلى كل مسلم أن يقول يا رب يا رب وعن النبي عليه السلام: «أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع وكان رزقه كفافاً فصبر على ذلك» ثم نقر بيده فقال: «هكذا عجلت منيته قلت بواكيه قل ثراؤه» وكان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

والإشارة فإذا قضيتم مناسك: وصلتكم وبلغتم مبلغ الرجال البالغين من أهل الكمال فلا تأمنوا مكر الله ولا تهملوا وظائف ذكر الله فاذكروا الله كما تذكرون في حال طفوليتكم آباءكم

للحاجة والافتقار بالعجز والانكسار وفي حال رجوليتكم للحجة والافتخار بالمحبة والاستظهار فاذكروا الله افتقاراً وافتخاراً أو أشد ذكراً وآكد في الافتخار لأنه يمكن للطفل الاستغناء عن الله بولي وكذلك البالغ يحتمل أن يفتخر بغير الله ولكن العباد ليس لهم من دون الله من ولي ولا واقٍ فمن الناس من أهل الطلب والسلوك من يقول بتسويل النفس وغرورها بحسبان الوصول والكمال عند النسيان وتغير الأحوال ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني: تميل نفسه إلى الدنيا وتنسى المقصد الأصلي ويظن الطالب الممكور أنه قد استغنى عن الاجتهاد فأهمل وظائف الذكر ورياضة النفس ومخاطرة القلب ومراقبة السر فاستولت عليه النفس وغلب عليه الهوى واستهوته الشياطين في الأرض حيران حتى أوقعته في أودية الهجران والفراق وما له في الآخرة من خلاق ومنهم أي: من أهل الوصول وأرباب الفتوة من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة نعمة من النعم الظاهرة كالعافية والصحة والسعة والفراغة والطاعة واستطاعة البدن والوجاهة والإرشاد والأخلاق وفي الآخرة حسنة نعمة من النعم الباطنة هي الكشوف والمشاهدات وأنواع القربات والمواصلات وقنا عذاب النار أي: نار القطيعة وحرقة الفراق أولئك لهم نصيب أي: لهؤلاء البالغين الواصلين نصيب وافر مما كسبوا من المقامات والكرامات ومما سألوا من إيتاء الحسنات والله سريع الحساب لكلا الفريقين فيما سألوه أي: يعطيهم بحسب نياتهم على قدر هممهم وطوياتهم كذا في «التأويلات النجمية».

﴿۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

﴿واذكروا الله﴾ أي: كبِّروه أعقاب الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها ﴿في أيام معدودات﴾ في أيام التشريق هي ثلاثة أيام بعد يوم النحر أولها: يوم القر وهو الحادي عشر من ذي الحجة يستقر الناس فيه بمنى، والثاني يوم النفر الأول لأن بعض الناس ينفرون في هذا اليوم من منى، والثالث يوم النفر الثاني وهذه الأيام الثلاثة مع يوم النحر أيام رمي الجمار وأيام التكبير أدبار الصلوات وفي الحديث «كبر دبر كل صلاة من يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق» وسميت معدودات لقلتهن كقوله تعالى: ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: ٢٠] أي: قليلة، والأيام المعلومات في قوله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨] في سورة الحج عشر ذي الحجة آخرهن يوم النحر. وفي «الكواشي»: معدودات جمع معدودة وأيام جمع يوم ولا ينعت المذكر بمؤنث فلا يقال يوم معدودة وقياسه في أيام معدودة لأن الجمع قد ينعت بالمؤنث كقوله تعالى: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] قالوا ووجهه أنه أجرى معدودات على لفظ أيام وقابل الجمع بالجمع مجازاً انتهى ﴿فمن تعجل﴾ أي: استعجل وطلب الخروج من منى ﴿في يومين﴾ في تمام يومين بعد يوم النحر واكتفى برمي الجمار في يومين من هذه الأيام الثلاثة فلم يمكث حتى يرمي في اليوم الثالث ﴿فلا إثم عليه﴾ بهذا التعجيل وهو مرخص له فعند أبي حنيفة رحمه الله ينفر قبل طلوع الفجر من اليوم الثالث ومحصله أن على الحاج أن يبيت بمنى الليلة الأولى والثانية من أيام التشريق ويرمي كل يوم بعد الزوال إحدى وعشرين حصاة عند كل جمرة سبع حصيات ورخص في ترك البيتوتة لرعاء الإبل وأهل سقاية الحاج ثم كل من رمى اليوم الثاني من أيام التشريق وأراد أن

ينفر بعد البيتوتة في الليلة الأولى والثانية من أيام التشريق ورمى يوميهما فذلك له واسع لقوله تعالى: ﴿فمن تعجل فلا إثم عليه﴾ ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه أن يبيت حتى يرمي اليوم الثالث ثم ينفر ﴿ومن تأخر﴾ عن الخروج حتى رمى في اليوم الثالث قبل الزوال أو بعده ثم يخرج إذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس الآن وهو مذهب الشافعي والإمامين ﴿فلا إثم عليه﴾ بترك الترخص والمعنى أنهم مخيرون بين التعجيل والتأخير، فإن قلت أليس التأخير بأفضل؟ قلت: بلى ويجوز أن يقع التخيير بين الفاضل والأفضل كما خير المسافر بين الصوم والإفطار وإن كان الصوم أفضل وإنما أورد بنفي الإثم تصريحاً بالرد على أهل الجاهلية حيث كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثماً ومنهم من جعل المتأخر آثماً فورد القرآن بنفي الإثم عنهما جميعاً ﴿لمن اتقى﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: الذي ذكر من التخيير ونفي الإثم عن المتعجل والمتأخر لمن اتقى أي: مختص بمن اتقى المناهي لأنه الحاج على الحقيقة والمنتفع به لأنه تعالى قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] ومن كان ملوثاً بالمعاصي قبل حجه وحين اشتغاله به لا ينفعه حجه وإن كان قد أدى الفرائض ظاهراً ﴿واتقوا الله﴾ أي: حال الاشتغال بأعمال الحج وبعده ليعتد بأعمالكم فإن المعاصي تأكل الحسنات عند الموازنة ﴿واعلموا أنكم إليه تحشرون﴾ أي: تبعثون وتجمعون للجزاء على أعمالكم وهو تأكيد للأمر بالتقوى وموجب للامتثال به فإن علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك من أقوى الدواعي إلى ملازمة التقوى وكانوا إذا رجعوا من حجهم يجترئون على الله بالمعاصي فشدد في تحذيرهم.

قال أبو العالية: يجيء الحاج يوم القيامة ولا إثم عليه إذا اتقى فيما بقي من عمره فلم يرتكب ذنباً بعدما غفر له في الحج والمذنب المصر إذا حج فلا يقبل منه لعوده إلى ما كان عليه فعلامة الحج المبرور أن يرجع زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة فإذا رجع من الحج المبرور رجع وذنبه مغفور ودعاؤه مستجاب فلذلك يستحب تلقيه بالسلام وطلب الاستغفار منه. والحج المبرور مثل حج إبراهيم بن أدهم مع رفيقه الصالح الذي صحبه من بلخ فرجع من حجه زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة وخرج عن ملكه وماله وأهله وعشيرته وبلاده واختار بلاد الغربة وقنع بالأكل من عمل يده إما من الحصاد أو من نظارة البساتين، قال بعضهم: الحرّ الكريم لا ينقض العهد القديم وإذا دعتك نفسك إلى نقض عهد مولاك فقل لها معاذ الله إن ربي أحسن مثواي، وفي «المثنوي»:

نقض ميثاق وشكست توبها ... موجب لعنت شود در انتها

چون ترازوي توكژ بودودغا ... راست چون جويي ترازوي جزا

وعن بعضهم قدمت من الحج مع قوم فدعتني نفسي إلى أمر سوء فسمعت هاتفاً ناحية البيت يقول: ويلك ألم تحج؟! ويلك ألم تحج فعصمني الله إلى الساعة ولا شك أن بعض الأعمال يكون حجاباً للمرء إذا استند إليه واعتمد عليه.

ـ حكي ـ أن بعض الأتراك كان يلازم مجلس شيخ الإسلام أحمد النامقي الجامي قدس سره ويرى فوق قفاه نوراً كالترس فاتفق له أن يحج فلما رجع زالت عنه تلك الحال فسأل الشيخ عن سببه فقال: إنك كنت قبل الحج صاحب تضرع ومسكنة والآن غرك حجك وأعطيت نفسك قدراً ومنزلة فلذا نزلت عن رتبتك ولم ترَ النور، ؛ مما يجب على الحاج اتقاؤه المحارم

وأن لا يجعل نفقته من كسب حرام فإن الله لا يقبل إلا الطيب.

ـ وحكي ـ عن بعض من حج أنه توفي في الطريق في رجوعه فدفنه أصحابه ونسوا الفأس في قبره فنبشوه ليأخذوا الفأس فإذا عنقه ويداه قد جمعتا في حلقة الفأس فردوا عليه التراب ثم رجعوا إلى أهله فسألوهم عن حاله فقالوا: صحب رجلاً فأخذ ماله فكان يحج منه وفي الحديث «من حج بيت الله من كسب الحلال لم يخط خطوة إلا كتب الله له بها سبعين حسنة وحط عنه سبعين خطيئة ورفع له سبعين درجة» ذكره في «الخالصة» وإذا أراد أن يحج بمال حلال ليس فيه شبهة فإنه يستدين للحج ويقضي دينه من ماله. وعن أبي القاسم الحكيم: أنه كان يأخذ جائزة السلطان فكان يستقرض لجميع حوائجه وما يأخذه من السلطان كان يقضي به ديونه، وعن أبي يوسف قال هذا جواب أبيح في مثل هذا كذا في «خزانة الفتاوى».

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾

﴿ومن الناس من يعجبك قوله﴾ أي: تستحسن ظاهر قوله وتعده حسناً مقبولاً فإن الإعجاب استحسان الشيء والميل إليه والتعظيم له، قال الراغب التعجب حيرة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء وحقيقة أعجبني كذا ظهر لي ظهوراً لم أعرف سببه ﴿في الحياة الدنيا﴾ متعلق بالقول أي: يسرك ما يقوله في معنى الدنيا وحقها لأن دعواه محبتك إنما هو لطلب حظ من الدنيا فكلامه إذاً في الدنيا لا في الآخرة أو يعجبك قوله في الدنيا بحلاوته وفصاحته لا في الآخرة لما أنه يظهر هناك كذبه وقبحه ﴿ويشهد الله على ما في قلبه﴾ أي: يقول الله شاهد أن ما في قلبي من المحبة والإسلام موافق لما في لساني ﴿وهو ألد الخصام﴾ أي: أشد في العداوة والخصومة للمسلمين على أن الخصام مصدر كالقتال والجدال وإضافة الألد إليه بمعنى في. واللّدد شدة الخصومة، نزلت في الأخنس بن شريف الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويدعي الإسلام ودعوى المحبة والخلوص بدون المواطأة من فعل الملاحدة والزنادقة والمحب لا يفعل إلا ما يحب محبوبه قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن أحب مطيع

قال الحافظ:

بصدق كوش كه خورشيد زايد ازنفست ... كه ازدروغ سيه روى كشت صبح نخست

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦﴾

﴿وإذا تولى﴾ أي: أدبر وانصرف عن مجلسك أو إذا غلب وصار والياً ﴿سعى في الأرض﴾ السعي سير سريع بالأقدام وقد يستعار للجد في العمل والكسب وإنما جيء بقوله في الأرض مع أن السعي على كلا المعنيين لا يكون إلا في الأرض للدلالة على كثرة فساده فإن لفظ الأرض عام يتناول جميع أجزائها وعموم الظرف يستلزم عموم المظروف فكأنه قيل أي: مكان حل فيه من الأرض أفسد فيه فيلزم كثرة فساده ﴿ليفسد فيها﴾ علة لسعي ﴿ويهلك﴾ الإهلاك الإضاعة ﴿الحرث﴾ أي: الزرع ﴿والنسل﴾ ما خرج من كل أنثى من أجناس الحيوان

يقال نسل ينسل إذا خرج منفصلاً والحرث والنسل وإن كانا في الأصل مصدرين فالمراد بهما هٰهنا معنى المفعول فإن الولد نسل أبويه أي: مخرج منفصل منهما وذلك كما فعله الأخنس بثقيف إذ بيتهم أي: أتاهم ليلاً وأهلك مواشيهم وزرعهم لأنه كان بينه وبينهم عداوة أو كما يفعله ولاة السوء بالقتل والإتلاف أو بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل وفي الحديث «لما خلق الله تعالى أسباب المعيشة جعل البركة في الحرث والنسل» فإهلاكهما غاية الإفساد وفي الحديث «يجاء بالوالي يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه فإن كان مطيعاً لله في عمله مضى وإن كان عاصياً انخرق به الجسر فيهوي به في جهنم مقدار خمسين عاماً» ﴿والله لا يحب الفساد﴾ أي: لا يرتضيه ويبغضه ويغضب على من يتعاطاه، فإن قيل: كيف حكم الله تعالى بأنه لا يحب الفساد وهو بنفسه مفسد للأشياء؟ قيل: الإفساد في الحقيقة إخراج الشيء من حالة محمودة لا لغرض صحيح وذلك غير موجود في فعل الله تعالى ولا هو آمر به ولا محب له وما نراه من فعله ونظنه بظاهره فساداً فهو بالإضافة إلينا واعتبارنا له كذلك فأما النظر الإلهي فكله صلاح.

﴿وإذا قيل له﴾ أي: لهذا المنافق والمفسد على نهج العظة والنصيحة ﴿اتق الله﴾ خف من الله في صنعك السوء واترك ما تباشره من الفساد والنفاق ﴿أخذته العزة بالإثم﴾ أي: حملته الأنفة التي فيها وحميته الجاهلية على الإثم والذنب الذي نهى عنه أو على رد قول الواعظ لجاجاً وعناداً من قولك أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إياه فالباء للتعدية وصلة الفعل الذي قبلها ﴿فحسبه جهنم﴾ مبتدأ وخبر أي: كافيه دخول النار والخلود فيها على ما عمله وهو وعيد شديد ﴿ولبئس المهاد﴾ أي: والله لبئس الفراش جهنم. قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه من أكبر الذنب عند الله أن يقال للعبد اتقِ الله فيقول عليك نفسك، وقيل لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اتقِ الله فوضع خده على الأرض تواضعاً لله تعالى، ثم إنه تعالى لما وصف في الآية المتقدمة حال من يبذل دينه لطلب الدنيا ذكر في هذه الآية من يبذل دنياه ونفسه لطلب الدين وما عند الله يوم الدين فقال:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾

﴿ومن الناس من يشري نفسه﴾ أي: يبيعها ويبذلها فإن المكلف لما بذل نفسه في طاعة الله من الصوم والصلاة والحج والجهاد والزكاة وتوصل بذلك إلى وجدان ثواب الله صار المكلف كأنه باع نفسه من الله تعالى بما نال من ثوابه وصار تعالى كأنه اشترى منه نفسه بمقابلة ما أعطاه من ثوابه وفضله ﴿ابتغاء مرضاة الله﴾ أي: طلباً لرضاه ﴿والله رؤوف بالعباد﴾ ولذلك يكلفهم التقوى ويعرضهم للثواب ومن جملة رأفته بعباده أن ما اشتراه منهم من أنفسهم وأموالهم إنما هو خالص ملكه وحقه ثم إنه يشتري منهم ملكه الخالص المحصور بما لا يعد ولا يحصى من فضله ورحمته رحمة وإحساناً وفضلاً وإكراماً. وقيل: نزلت في صهيب بن سنان الرومي خرج من مكة يريد الهجرة إلى النبي عليه الصلاة والسلام بالمدينة وهو ابن مائة سنة اتبعه نفر من مشركي قريش وقتلوا نفراً كانوا معه وكان معه كنانة فيها سهامه وكان رامياً مصيباً فقال: يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً والله لا أضع سهمي إلا في قلب رجل وايم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي

ثم افعلوا ما شئتم ولن ينفعكم كوني فيكم فإني شيخ كبير ولي مال في داري بمكة فارجعوا وخذوه وخلوني وما أنا عليه من الإسلام ففعلوا وسار هو إلى المدينة فلما دخلها لقيه أبو بكر فقال له: ربح البيع يا صهيب فقال: وما ذاك يا أبا بكر فأخبره بما نزل فيه ففرح بذلك صهيب، فيشري حينئذٍ بمعنى يشتري لجريان الحال على صورة الشراء لأنه اشترى نفسه من المشركين ببذل ماله لهم.

واعلم أن المؤمنين باعوا باختيارهم أنفسهم فكان ثمن نفس المؤمن الجنة أما الأولياء فإنهم باعوا باختيارهم أنفسهم فكان ثمن نفس الأولياء مرضاة الله تعالى وبينهما فروق كثيرة فعلى السالك أن يخرج من أوطان البشرية ويغترب عن ديار الأقران حتى يكون مجاهداً حقيقياً وشهيداً معنوياً قال عليه الصلاة والسلام: «وطوبى للغرباء» وقال أيضاً: «من مات غريباً فقد مات شهيداً» يشير بذلك إلى الانقطاع من الخلق إلى الخالق وذلك لا يكون إلا بمخالفة الجمهور في العادات والشهوات، وفي الحديث: «يا أنس إن استطعت أن تكون أبداً على وضوء فافعل فإن ملك الموت إذا قبض روح العبد وهو على وضوء كتب له شهادة» وذلك لأن الوضوء وإشارة إلى الانفصال عما سوى الله تعالى كما أن الصلاة إشارة إلى الاتصال بالله تعالى وفي الحديث أيضاً «دم على الطهارة يوسع عليك الرزق» فالطهارة الصورية سبب لتوسيع الرزق الصوري وكذا طهارة الباطن سبب لتوسيع الرزق المعنوي من المعارف والإلهامات والواردات وعند ذلك يحيي القلب بالحياة الطيبة وتموت النفس عن صفاتها وليس ذلك إلا أثر الجهاد الحقيقي فمن تخلص من قيد النفس ومات بالاختيار فهو حي أبداً. وفي «المثنوي»:

أي يا نفس شهيد معتمد ... مرده در دنيا وزنده مي رود

ولا بد للعبد من العروج من الخلق إلى الخالق ومن الحاجة التامة لنفسه إلى الغنى التام بالحق في تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات فإذا فرّ إلى الله ووصل إلى جماله وغرق في مشاهدة جلاله شاهد سر قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ﴾ [الأنعام: ٩١] وأول الأمر ترك الأموال ثم ترك الأولاد ثم ترك النفس، فعند الأول يتجلى توحيد الأفعال، وعند الثاني يتجلى توحيد الصفات، وعند الثالث يتجلى توحيد الذات وهو أعلى الدرجات، فعلى العاقل إكثار ذكر الله فإنه سبب لتصفية الباطن وصقالة القلب قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥] ولا فلاح أعظم من أن يصل الطالب إلى المطلوب اللهم اجعلنا مفلحين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ بألسنتهم على أن الخطاب للمنافقين **﴿ادخلوا في السلم كافة﴾** أي: استسلموا الله تعالى وأطيعوه جملة ظاهراً وباطناً، فالسلم بمعنى الاستسلام والطاعة وكافة حال من ضمير الفاعل في ادخلوا وهذه حال تؤكد معنى العموم في ضمير الجمع فإن قولك قام القوم كافة بمنزلة قاموا كلهم وتاء كافة وقاطبة وعامة ليست للتأنيث وإن كان أصلها أن تدل عليه بل إنما دخلت لمجرد كون الكلمة منقولة إلى معنى كل وجميع أو المعنى ادخلوا في الإسلام لكليته ولا تخلطوا به غيره فالخطاب لمؤمني أهل الكتاب فإنهم كانوا يراعون بعض أحكام دينهم القديم كما روي أن عبد الله بن سلام وأصحابه كانوا يتمسكون ببعض شرائع التوراة من

تعظيم السبت وتحريم لحم الإبل وألبانها وأشياء كانوا يرون الكف عن ذلك مباحاً في الإسلام وإن كان واجباً في شريعتهم فثبتوا على ذلك مع اعتقادهم حلها استيحاشاً من مفارقة العادة وقالوا: يا رسول الله إن التوراة كتاب الله فدعنا فلنقرأ منها في صلاتنا بالليل فقال عليه السلام: «لا تتمسكوا بشيء مما نسخ ودعوا ما ألفتموه ولا تستوحشوا من النزوع عنه» فإنه لا وحشة مع الحق وإنما هو من تزيين الشيطان. ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ جمع خطوة بالضم والسكون وهو ما بين القدمين أي: لا تسلكوا مسالكه ولا تطيعوه فيما دعاكم إليه من السبل الزائغة والوساوس الباطلة ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ ظاهر العداوة يريد أن يفسد عليكم بهذه الوساوس إسلامكم.

﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾

﴿فإن زللتم﴾ الزلل في الأصل عثرة القدم ثم يستعمل في العدول عن الاعتقاد الحق والعمل الصائب فالمعنى أخطأتم الحق وتعديتموه علماً كان أو عملاً. ﴿من بعد ما جاءتكم البينات﴾ أي: الحجج والشواهد على أن ما دعيتم إلى الدخول فيه هو الحق. ﴿فاعلموا أن الله عزيز﴾ غالب على أمره لا يعجزه الانتقام منكم. ﴿حكيم﴾ لا ينتقم إلا بالحق، وفي الآية تهديد بليغ لأهل الزلل عن الدخول في السلم فإن الوالد إذا قال لولده: إن عصيتني فأنت عارف بي وبشدة سطوتي لأهل المخالفة يكون قوله هذا أبلغ في الزجر من ذكر الضرب وغيره وكما أنها مشتملة على الوعيد منبئة عن الوعد أيضاً من حيث أنه تعالى اتبعه بقوله ﴿حكيم﴾ فإن اللائق بالحكمة أن يميز بين المحسن والمسيء فكما يحسن أن ينتظر من الحكيم تعذيب المسيء فكذلك ينتظر منه إكرام المحسن وإثابته بل هذا أليق بالحكمة وأقرب إلى الرحمة ﴿هل ينظرون﴾ استفهام في معنى النفي ونظر بمعنى انتظر أي: ينتظر من يترك الدخول في السلم ويتبع خطوات الشيطان ﴿إلا أن يأتيهم الله﴾ أي: إلا إتيان الله أي: عذابه على حذف المضاف لأن الله تعالى منزه عن المجيء والذهاب المستلزمين للحركة والسكون لأن كل ذلك محدث فيكون كل ما يصح عليه المجيء والذهاب محدثاً مخلوقاً له والإله القديم يستحيل أن يكون كذلك، وسئل علي رضي الله عنه: أين كان تعالى قبل خلق السموات والأرض؟ قال: أين سؤال عن المكان وكان الله تعالى ولا مكان وهو اليوم على ما كان ومذهب المتقدمين في هذه الآية وما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظاهرها ويكل علمها إلى الله لأنه لا يأمن في تعيين مراد الله تعالى من الخطأ فالأولى السكوت ومذهب جمهور المتكلمين أن لا بدّ من التأويل على سبيل التفصيل ﴿في ظلل﴾ كائنة ﴿من الغمام﴾ والظلل: جمع ظلة وهي ما أظلك والغمام السحاب الأبيض الرقيق سمي غماماً لأنه يغم أي: يستر ولا يكون السحاب ظلة إلا إذا كان مجتمعاً متراكماً فالظلل من الغمام عبارة عن قطع متفرقة كل قطعة تكون في غاية الكثافة والعظم وكل قطعة ظلة ﴿والملائكة﴾ أي: ويأتيهم الملائكة فإنهم وسائط في إتيان أمره تعالى بل هم الآتون ببأسه على الحقيقة. وتلخيصه قد قامت الحجج فلم يبقَ إلا نزول العذاب، فإن قلت: لم لم يأتهم العذاب في الغمام كما فعل بقوم يونس وقوم عاد وقوم شعيب؟ قلت: لأن الغمام مظنة الرحمة فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول لأن الشر إذا جاء من حيث لا

يحتسب كان أغم كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر فكيف إذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الخير أي: الغيث ومن ثمه اشتد على المتفكرين في كتاب الله تعالى قوله: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] فإن تفسيره على ما قالوا عملوا أعمالاً حسبوها حسنات فإذا هي سيئات وذلك لتجويزهم أن يكون عملهم كذلك فيجيئهم الشر من حيث يتوقعون الخير فخافوا من ذلك.

ـ روي ـ أن محمد بن واسع تلا هذه الآية فقال: آه آه إلى أن فارق الدنيا **﴿وقضي الأمر﴾** أي: أتم أمر إهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على يأتيهم داخل في حيز الانتظار وإنما عدل إلى صيغة الماضي دلالة على الحقيقة فكأنه قد كان **﴿وإلى الله﴾** لا إلى غيره **﴿ترجع الأمور﴾** أي: أمور الخلق وأعمالهم هو القاضي بينهم يوم القيامة والمثيب والمعاقب فينبغي للمؤمن أن يكون في جانب الانقياد ويحترز عن الهوى وخطوات الشيطان وعن النبي عليه السلام أنه قال: «إن الله تعالى أظهر الشكاية من أمتي» وقال: «إني طردت الشيطان لأجلهم فهم يعصونني، ويطيعون الشيطان». قال السعدي قدس سره:

كجا سر بر آريم ازين عارونك ... كه با او بصلحيم وباحق بجنك
نظر دوست نادر كند سوى تو ... چو در روى دشمن بود روى تو
تداني كه كمتر نهد دوست پاي ... چو بيند كه دشمن بود در سراي

فمن أعظم الطاعات طرد الشيطان وأن يتهم النفس دائماً، كما روي أن رجلاً صام أربعين سنة ثم دعا الحاجة ومع ذلك لم تجب دعوته وذم نفسه وقال: يا مأوى الشر ذلك من شرك فأوحى إلى نبي ذلك الزمان قل له إن قتلكَ لنفسك أحب إليّ من صيام أربعين سنة. قال السعدي:

خورنده كه خيري بر آيد زدست ... به از صائم الدهر دنيا برست

واعلم أن في قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم﴾** معنى عاماً ومعنى خاصاً فالعام خطاب عام مع جميع من آمن أي: ادخلوا في شرائط الإسلام في الباطن كما في الظاهر ومن شرائطه ما قال النبي عليه السلام: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس». وأما المعنى الخاص فخطاب خاص مع شخص الإنسان وجميع أجزائه الظاهرة والباطنة فينبغي أن يدخل أركانه في الإسلام بالفعل، فالعين بالنظر، والأذن بالسمع، والفم بالأكل، والفرج بالشهوة، واليد بالبطش، والرجل بالمشي ودخول واحد منها في الإسلام بأن يستسلم لأوامر الحق ويجتنب نواهيه بل يترك ما لا يعنيه أصلاً ويقع على ما لا بد له منه، ودخول جميع أجزائه الظاهرة في شرائع الإسلام ميسر للمنافق، فأما إدخال أجزائه الباطنة فمعركة أبطال الدِّين ومنزلة الرجال البالغين فدخول النفس في الإسلام بخروجها عن كفر صفاتها الذميمة وترك مألوفاتها واطمئنانها بالعبودية ليستحق بها دخول مقام العباد المخصوصين به بخطابه تعالى إياها كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر: ٢٧] الآية، ودخول القلب في الإسلام بتصفيته عن رذائل أخلاق النفس وتحليته بشمائل أخلاق الروح، ودخول الروح في الإسلام بتخلقه بأخلاق الله وتسليم الأحكام الأزلية وقطع النظر والتعلق عما سوى

الله بتصرف جذبات الألوهية، ودخول السر في الإسلام بفنائه في الله وبقائه بالله ﴿**ولا تتبعوا خطوات الشيطان**﴾ أي: لا تكونوا على سيرته وصفته وهي الإباء والاستكبار فإنه ضد الإسلام ﴿**إنه لكم عدو مبين**﴾ لعداوته الغريزية لكم لاختلاف جبلته وجبلتكم وقصوره عن نور فطرتكم لكونه ناري الخلقة لا يطلب منكم إلا أن تكونوا ناريين مثله لا نوريين فهو عدو في الحقيقة في صورة المحب ﴿**فإن زللتم**﴾ أي: زلت أقدامكم عن صراط الإسلام الحقيقي ﴿**من بعد ما جاءتكم البينات**﴾ دلائل تجليات أفعال الصفات ﴿**فاعلموا أن الله عزيز**﴾ فلعزته لا يهدي إليه كل ذليل دني الهمة قصير النظر ﴿**حكيم**﴾ يهدي من يشاء إلى سرادقات عزته ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام**﴾ إلا أن يتجلى الله في ظل صفات قهرية من جملة تجليات الصفات الساترة لشمس الذات وهو ملائكة القوى السماوية ﴿**وقضي**﴾ في اللوح ﴿**الأمر**﴾ أمر إهلاكهم ﴿**وإلى الله ترجع الأمور**﴾ بالفناء كذا في «التأويلات النجمية».

﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾

﴿**سل**﴾ أمر للرسول عليه السلام بالسؤال أو لكل أحد يصلح أن يخاطب ﴿**بني إسرائيل**﴾ يعني هؤلاء الموجودين في عصرك من رؤساء بني إسرائيل ﴿**كم آتيناهم**﴾ أي: آتينا آبائهم وأسلافهم ﴿**من آية بينة**﴾ أي: معجزة ظاهرة على أيدي أنبيائهم لا يخفى على المتفكر أنها من عند الله كالعصا واليد البيضاء وإنزال المنّ والسلوى وغيرها أو المراد آيات كتبهم الشاهدة على صحة دين الإسلام، قوله: ﴿**كم آتيناهم**﴾ محل هذه الجملة النصب أو الخفض على أنها مفعول ثان للسؤال فإنه يتعدى إلى مفعولين إلى الأول بنفسه وإلى الثاني بحرف الجر إما عن وإما الباء نحو سألته عن كذا وبكذا. قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] وقد يحذف حرف الجر فمن ثمة جاز في محل كم النصب والخفض بحسب التقديرين وتمييزكم من آية بينة والأحسن إذا فصل بين كم ومميزها أن يؤتى بمن وهذا السؤال سؤال تقريع وتبكيت كما يسأل الكفرة يوم القيامة وتقرير لمجيء البينات فكم استفهامية خبرية وليس المراد حقيقة الاستفهام ﴿**ومن يبدل**﴾ التبديل تصيير الشيء على غير ما كان عليه أي: يغير ﴿**نعمة الله**﴾ التي هي آياته الباهرة فإنها سبب للهدى الذي هو أجل النعم وتبديلهم إياها أن الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم فكفروا بها وتركوا الشكر عليها ﴿**من بعد ما جاءته**﴾ أي: من بعد ما وصلت إليه وتمكن من معرفتها والتصريح بذلك مع أن التبديل لا يتصور قبل المجيء للإشعار بأنهم قد بدلوها بعد ما وقفوا على تفاصيلها ﴿**فإن الله شديد العقاب**﴾ تعليل للجواب كأنه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه أشد عقوبة فإنه شديد العقوبة لمن بدل النعمة في الدنيا والآخرة وقد عاقبهم في الدنيا بالقتل وذلك في بني قريظة وبالإجلاء وذلك في بني النضير ويوم القيامة يعذبون في السعير، قال ابن التمجيد: وتبديل النعمة جرم بغير علم ومع العلم أشد جرماً ولذلك كان وعيد العلماء المقصرين أشد من الجاهلين بالأحكام لأن الجهل قد يعذر به وإن كان الاعتذار به غير مقبول في باب التكاليف.

﴿**زين للذين كفروا الحياة الدنيا**﴾ أي: حسنت في أعينهم وأشربت محبتها في قلوبهم

حتى تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها والتزيين من حيث الخلق والإيجاد مستند إلى الله تعالى إذ ما من شيء إلا وهو خالقه، وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما في الدنيا من الأمور البهية والأشياء الشهية مزين بالعرض ﴿**ويسخرون من الذين آمنوا**﴾ أي: يستهزئون بالفقراء من المؤمنين كعبد الله بن مسعود وعمار وصهيب وحبيب وبلال وغيرهم رضي الله تعالى عنهم ويسترذلونهم ويقولون: تركوا لذات الدنيا وعذبوا أنفسهم بالعبادات وفوتوا الراحات وكراماتها وهو عطف على زين ومن للابتداء فكأنهم جعلوا السخرية مبتدأة منهم ﴿**والذين اتقوا**﴾ يعني أطاعوا الله واختاروا الفقر من المؤمنين وإنما ذكروا بعنوان التقوى للإيذان بأن إعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها مخلة بتبتلهم إلى جناب القدس شاغلة لهم وللإشارة إلى أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقي ﴿**فوقهم يوم القيامة**﴾ يعني فوق المشركين لأنهم في أعلى عليين وهم في أسفل سافلين فتكون الفوقية حقيقة أو لأنهم في أوج الكرامة وهم في حضيض الذل والمهانة فتكون الفوقية مجازاً. ويوم منصوب بالاستقرار الذي تعلق به فوقهم ﴿**والله يرزق من يشاء**﴾ أي: في الدارين ﴿**بغير حساب**﴾ كثير «بي اندازه» لأنه تعالى لا يخاف نفاد ما عنده لأنه غني لا نهاية لمقدوراته فالله تعالى يوسع بحسب الحكمة والمشيئة على عباده فمنهم من تكون التوسعة عليه استدراجاً كهؤلاء الكفرة وقارون وأضرابهم ومنهم من تكون كرامة كأغنياء المؤمنين وسليمان وأمثالهم قال رسول الله ﷺ: «وقفت على باب الجنة فرأيت أكثر أهلها المساكين ووقفت على باب النار فرأيت أكثر أهلها النساء» وإذا أهل الجسد محبوسون إلا من كان منهم من أهل النار فقد أمر به إلى النار، قال الحافظ:

ازين رباط دودر چون ضرورتست رحيل
رواق وطاق معيشت چه سربلند وچه پست
بهست ونيست مرنجان ضمير وخوش دل باش
كه نيستيست سرانجام هر كمال كه هست
ببال و پر مرو ازره كه تير پرتابي
هوا كرفت زماني ولي بخاك نشست

ـ يحكى ـ أن عيسى عليه السلام سافر ومعه يهودي فكان مع عيسى ثلاثة أقراص فأعطاها اليهودي وقال: احفظها ثم بعد ساعة أكل اليهودي واحداً منها فقال عيسى: أعطِ الأقراص الثلاثة فقدم قرصين فقال: أين ثالثها؟ فقال اليهودي: لم تكن أكثر من هذا فمشيا حتى شاهد من عيسى عجائب فأقسم عليه عيسى لذلك حتى يقر بالقرص الثالث فلم يقرَ فلحقا بثلاث لبنات من الذهب فقال اليهودي: اقسم ذلك فقال عيسى واحدة لي وواحدة لك وواحدة لمن أكل القرص الثالث فقال اليهودي: أنا أكلت القرص الثالث فقال عيسى: ابعد عني فقد شاهدت قدرة الله ولم تقرَّ به، والآن قد أقررت بالدنيا فترك اللبنات عند اليهودي ومشى وجاء ثلاثة من اللصوص وقتلوا اليهودي وأخذوا اللبنات ثم بعثوا من جملتهم واحداً ليأتي لهم بطعام فلما غاب عنهم تشاوروا في قتله وقالا إذا رجع قتلناه وأخذنا نصيبه فذهب واشترى سماً فطرحه في الطعام الذي اشتراه حتى يأكل ذلك الطعام صاحباه فيموتا ويأخذ اللبنات فلما قدم عليهما قاما وقتلاه ثم أكلا الطعام فماتا فعبر عليهم عيسى فوجد اليهودي وهؤلاء الثلاثة مقتولين فتعجب

من ذلك فنزل جبريل وأخبره بالقصة، فينبغي للعاقل أن لا يغتر بكثرة الدنيا وأن لا يهتم في جمعها بل يزرع فيها بذر العمل كي يحصد في الآخرة لأن الدنيا مزرعة الآخرة ولا ينبغي للأغنياء أن يحقروا الفقراء بالغرور بكثرة دنياهم ولا يسخروا منهم لأن هذه الصفة من صفات الكفرة. قال السعدي:

چو منعم كند سفله را روزكار نهد بردل تنك درويش بار
چوبام بلندش بودخود پرست كندبول وحاشاك بربام پست

والإشارة في الآية أن الله إذا فتح باب الملكوت على قلب عبد من خواصه يريه آياته في الملك والملكوت فإن تغير بأحواله أو تعجب بكماله فيقبل على شيء من مرادات النفس ويبدل نعمته بموافقة النفس ورضاها **﴿فإن الله شديد العقاب﴾** بأن يغير عليه أحواله ويسلب عنه كماله ويشهده قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] ومن شدة عقابه أنه إذا أذنب عبد ذنباً صغيراً ولم يتب منه وأصر عليه أن يعاقبه بالابتداء بكبيرة مثل تبدل النعمة ليعاقبه بزوال النعمة في الدنيا ودوام النقمة في العقبى، وأيضاً من شدة عقابه أن **﴿زين للذين كفروا الحياة الدنيا﴾** ويمكر بهم حتى يغلب عليهم حب الدنيا **﴿ويسخرون من الذين آمنوا﴾** من فقرائهم وكبرائهم حملهم شدة العقوبة على الوقيعة في أوليائه واستحقار أحبابه ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] **﴿والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء﴾** من درجات أعلى عليين ودركات أسفل سافلين **﴿بغير حساب﴾** بغير نهاية إلى أبد الآباد فإنَّ ما لا نهاية له لا مدخل له تحت الحساب وفيه معنى آخر بغير حساب يعني ما يرزق العبد في الدنيا من الدنيا فلحرامها عذاب ولحلالها حساب وما يرزق العبد في الآخرة من النعيم المقيم فبغير حساب كذا في «التأويلات النجمية».

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾

﴿كان الناس أمة واحدة﴾ أي: جماعة واحدة متفقين في الإيمان واتباع الحق من وقت آدم إلى مبعث نوح عليهما السلام وكان بينهما عشرة قرون كل قرن ثمانون سنة كما عند الأكثر **﴿فبعث الله النبيين﴾** أي: فاختلفوا فبعث الخ بدلالة قوله تعالى: **﴿ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾** **﴿مبشرين﴾** بالثواب لمن آمن وأطاع **﴿ومنذرين﴾** محذرين بالعقاب لمن كفر وعصى **﴿وأنزل معهم الكتاب﴾** أي: كتاب أو مع كل واحد منهم ممن له كتاب كتابه الخاص لا مع كل واحد منهم على الإطلاق إذ لم يكن لبعضهم كتاب وإنما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافي خصوص الضمير العائد إليه بمعونة المقام **﴿بالحق﴾** أي: حال كون ذلك الكتاب ملتبساً بالحق والعدل والصدق شاهداً به **﴿ليحكم﴾** أي: الله تعالى **﴿بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾** أي: في الحق الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق **﴿وما اختلف فيه﴾** أي: في الحق **﴿إلا الذين أوتوه﴾** أي: الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف والتعبير عن الإنزال بالإيتاء

للتنبيه من أول الأمر على كمال تمكنهم من الوقوف على ما في تضاعيفه من الحق فإن الإنزال لا يفيد تلك الفائدة أي: عكسوا الأمر حيث جعلوا ما أنزل لإزالة الاختلاف سبباً لاستحكامه ورسوخه ﴿**من بعد ما جاءتهم البينات**﴾ أي: رسخت في عقولهم ومن متعلق بما اختلف ولم تمنع إلا من ذلك كقولك: ما قام إلا زيد يوم الجمعة ﴿**بغياً بينهم**﴾ مفعول له لقوله: ﴿**وما اختلف**﴾ فالاستثناء متعلق بثلاثة أشياء والتقدير وما اختلف فيه إلا الذين الخ وما اختلفوا فيه إلا من بعد الخ، وما كان الاختلاف إلا للبغي والتهالك على الدنيا وللحسد والظلم كما فعل قابيل بهابيل وما قتله لإشكال الحق عليه بل حسداً منه على أخيه وهكذا في كل عصر وهذا فعل الرؤساء ثم العامة اتباعاً لهم وفعلهم مضاف إليهم فتبين أن الاختلاف في الحق أمر متقادم في الإسلام ﴿**فهدى الله الذين آمنوا**﴾ بالكتاب ﴿**لما اختلفوا فيه**﴾ متعلق بهدى وما موصولة ومعناه هدى إلى ما اختلفوا فيه ﴿**من الحق**﴾ بيان لما ﴿**بإذنه**﴾ أي: بأمره وتيسيره ولطفه وإرادته ورحمته حتى أبصروا الحق بنور التوفيق من الباطل ﴿**والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾ لا يضل سالكه.

﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة**﴾ خاطب به النبي عليه السلام والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الأمم على الأنبياء بعد مجيء الآيات تشجيعاً لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة فإن عاقبة الأمر النصر. وأم منقطعة الإخبار المتقدم إلى الإنكار المدلول عليه بهمزة الاستفهام أي: ما كان ينبغي أن تحسبوا ذلك فتقدر ببل والهمزة قبل إضراب عن وتظنوا أَوَلِمَ حسبتموه ﴿**ولما يأتكم**﴾ أي: والحال لم يجئكم ﴿**مثل الذين خلوا**﴾ أي: صفة الذين مضوا ﴿**من قبلكم**﴾ من الأنبياء ومن معهم من المؤمنين ولم تبتلوا بعد بما ابتلوا به من الأحوال الهائلة التي هي مثل في الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر ﴿**مستهم البأساء**﴾ بيان له على الاستئناف كأنه قيل: كيف كان مثلهم وحالهم العجيبة؟ فقيل: مستهم البأساء أي: الشدة من الخوف والفاقة ﴿**والضراء**﴾ أي: الآلام والأمراض ﴿**وزلزلوا**﴾ أي: أزعجوا إزعاجاً شديداً بما أصابهم من الشدائد ﴿**حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه**﴾ أي: انتهى أمرهم من الشدة إلى حيث اضطرهم الضجر إلى أن يقول الرسول وهو أعلم الناس بشؤون الناس وأوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون بآثاره المستضيئون بأنواره ﴿**متى**﴾ أي: يأتي ﴿**نصر الله**﴾ الذي وعدناه طلباً وتمنياً له واستطالة لمدة الشدة والعناء فإن الشدة وإن قصر فهو طويل في عين المبتلي بها فلا محالة يستبطىء النصر فأجابهم الله بقوله: ﴿**ألا إن نصر الله قريب**﴾ إسعافاً لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر أي: أنا ناصر أوليائي لا محالة ونصري قريب منهم فإن كل آتٍ قريب ولما كان الجواب بذكر القرب دل ذلك على أن السؤال كان واقعاً عن زمان النصر أقريب هو أم بعيد ولو كان السؤال عن وقوع أصل النصر بمعنى أنه هل يوجد أو لا لما كان الجواب مطابقاً للسؤال، وفي الآية إشارة إلى أن الوصول إلى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» كذا في «تفسير القاضي». ونعم ما قيل:

فلك مشام كسى خوش كند ببوي مراد ... كه خاك معركه باشد عبير وعنبر او

وعن خباب بن الأرت رضي الله تعالى عنه قال لما شكونا إلى رسول الله ﷺ ما نلقى من المشركين قال: «إن من كان قبلكم من الأمم كانوا يعذبون بأنواع البلاء فلا يصرفهم ذلك عن

دينهم حتى أن الرجل كان يوضع على رأسه المنشار فيشق فلقتين ويمشط الرجل بأمشاط الحديد بما دون العظم من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه وايم الله ليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب منكم من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون» قالوا: كل نبي بعث إلى أمته أجهد حتى قال متى نصر الله ووقع ذلك للرسول عليه السلام حين وقع له ضجر شديد قبل فتح مكة فقال في يوم الأحزاب حيث لم يبقَ لأصحابه صبر حتى ضجوا وطلبوا النصرة فأرسل الله ريحاً وجنوداً وهزم الكفار بهما، ومن شدائده عليه السلام غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وأنواع الأذى كما قال تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠] ولو اطلعت على ما أصابهم من عداوة اليهود وأسرار النفاق وأذى القوم يميناً وشمالاً ببذل المجهود حين هاجروا إلى المدينة لكفى ذلك عبرة في هذا الباب فنحن أولى بمقاساة أمثال هذه الشدائد خصوصاً في هذا الزمان الذي لا تجد بدّاً من طعن الناس وأذاهم إذ البلاء على الأنبياء ثم على الأولياء ثم الأمثل فالأمثل:

غبـار لازمـه آسيـا بـود صـائـب امان ز حادثة آسمان چه ميخواهي

قال في «التأويلات النجمية»: عند قوله تعالى: **﴿كان الناس أمة واحدة﴾** الآية الخصال الذميمة التي عليها أكثر الناس كلها عارضة لهم فإنهم كانوا حين أشهدهم الله على أنفسهم أمة واحدة وولدوا على الفطرة لقوله عليه السلام: «كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» وما قال عليه السلام أو يسلمانه لمعنيين: أحدهما: أن الكفر يحصل بالتقليد ولكن الإيمان الحقيقي لا يحصل به، والثاني: أن الأبوين الأصلين هما الأنجم والعناصر فعلى التقديرين الولد بتربية الآباء والأمهات يضل عن سبيل الحق ويزل قدمه عن الصراط المستقيم التوحيد والمعرفة ولو كان نبياً يحتاج إلى هادٍ يهدي إلى الحق كما قال تعالى لنبينا ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضحى: ٧] ولكل من السعادة والشقاوة كتاب كما قال عليه السلام: «ما من نفس إلا وقد كتب في كتابها من أهل الجنة أو النار وكتب شقية أو سعيدة» فقالوا: أفلا نتكل على كتابنا يا رسول الله وندع العمل قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة وأما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة» فلا بد من مقاساة بأساء الترك والتجريد والفقر والافتقار حتى يحصل دخول جنة الجمال ودار القرار فلم يضجروا من طول مدة الحجاب وكثرة الجهاد في الفراق وعيل صبرهم عن مشاهدة الجمال وذوق الوصال وطلبوا نصر الله بالتجلي على قمع صفات النفوس مع قوة مصابرتهم وحسن تحملهم لما يقول المحبوب ويريد بهم حتى جاء نصر الله فرفع الحجاب وظهر أنوار الجمال.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾

﴿يسألونك ماذا ينفقون﴾ أي: أيُّ شيء يتصدقون به من أصناف أموالهم، نزلت حين حث النبي عليه السلام على التصدق في سبيل الله وسأل عمرو بن الجموح وهو شيخ همّ أي فانٍ وله مال عظيم فقال: ماذا ننفق يا رسول الله من أموالنا وأين نضعها؟ **﴿قل ما أنفقتم من**

خير﴾ أي: أيُ شيء أنفقتم من أي: خير كان وهو بيان للمنفق والمال يسمى خيراً لأن حقه أن يصرف إلى جهة الخير فصار بذلك كأنه نفس الخير ﴿فللوالدين﴾، فإن قلت كيف طابق الجواب السؤال وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون وأجيبوا ببيان المصرف؟! قلت: قد تضمن قوله ﴿ما أنفقتم من خير﴾ بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبنى الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها ﴿والأقربين واليتامى﴾ أي: المحتاجين ﴿والمساكين وابن السبيل﴾ ولم يتعرض للسائلين والرقاب إما اكتفاء بما ذكر في المواقع الأخر وإما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى ﴿وما﴾ أي أي شيء ﴿تفعلوا من خير﴾ فإنه شامل لكل خير واقع في أي: مصرف كان ﴿فإن الله به عليم﴾ أي إن تفعلوا خيراً فإن الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه، والمراد بهذه الآية الحث على بر الوالدين وصلة الأرحام وقضاء حاجة ذي الحاجة على سبيل التطوع ولا ينافيه إيجاب الزكاة وحصر مصارفها في الأصناف الثمانية كما ذكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [التوبة: ٦٠].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

﴿كتب﴾ أي: فرض ﴿عليكم القتال﴾ أي: قتال الكفرة والجمهور على أن الجهاد فرض على الكفاية مثل صلاة الجنازة ورد السلام ﴿وهو﴾ أي: والحال أن القتال ﴿كره لكم﴾ شاق عليكم مكروه فالكره مصدر بمعنى الكراهة نعت به للمبالغة كأن القتال في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له وهذه الكراهة من حيث نفور الطبع منه لما فيه من مؤونة المال ومشقة النفس وخطر الروح لا أنهم كرهوا أمر الله تعالى وكراهة الطبع لا توجب الذم بل تحقق معنى العبودية إذا فعل ذلك اتباعاً للشرع مع نفرة الطبع فأما كراهة الاعتقاد فهي من صفات المنافقين. ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً﴾ وهو جميع ما كلفوه من الأمور الشاقة التي من جملتها القتال. ﴿وهو خير لكم﴾ لأن في الغزو إحدى الحسنيين إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة، وعسى كلمة تجري مجرى لعل وهي من العباد للترجي ومن الله للترجية. ﴿وعسى أن تحبوا شيئاً﴾ وهو جميع ما نهوا عنه من الأمور المستلذة التي من جملتها القعود عن الغزو ﴿وهو شر لكم﴾ لما فيه من فوات الغنيمة والأجر وغلبة الأعداء وتخريب الدار. ﴿والله يعلم﴾ ما هو خير لكم ديناً ودنيا فلذا يأمركم به. ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ذلك ولذلك تكرهونه. قال في «المثنوي»:

ما التصوف قال وجدان الفرح ... في الفؤاد عند إتيان الترح

جمله در زنجير بيم و ابتلا ... ميروند اين ره بغير اوليا

يعني: أن المقلد يجري إلى الحضرة بالاضطرار بخلاف الولي، قال ذو النون المصري رحمه الله: إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء: الأول ضعف النية بعمل الآخرة، والثاني: صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم، والثالث: غلب عليهم حلول الأمل مع قرب الأجل، والرابع: آثروا رضى المخلوقين على رضى الخالق، والخامس: اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة نبيهم وراء ظهورهم، والسادس: جعلوا قليل زلات السلف حجة أنفسهم ودفنوا كثير مناقبهم. فعلى العاقل أن يجاهد مع النفس والطبيعة ليرتفع الهوى والشهوات والبدعة ويتمكن في القلوب

حب العمل بالكتاب والسنة. قال إبراهيم الخواص رحمه الله: كنت في جبل لكام فرأيت رماناً فاشتهيته فدنوت فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركتها فرأيت رجلاً مطروحاً قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال: وعليك السلام يا إبراهيم فقلت كيف عرفتني؟ فقال: من عرف الله لا يخفى عليه شيء فقلت له: أرى لك حالاً مع الله فلو سألته أن يحميك ويقيك الأذى من هذه الزنابير فقال: وأرى لك حالاً مع الله فلو سألته أن يقيك شهوة الرمان فلدغ الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا فتركته ومشيت. قال السعدي قدس سره:

مبر طاعت نفس شهوت پرست | كه هر ساعتش قبلة دبكرست
كند مردرا نفس أمارة خوار | اكرهو شمندي عزيزش مدار

وفي «التأويلات القاشانية» ﴿كتب عليكم القتال﴾ قتال النفس والشيطان ﴿وهو كره﴾ مكروه ﴿لكم﴾ مر أمرّ من طعم العلقم وأشد من ضغم الضِيغم، وحقيقة الجهاد رفع الوجود المجازي فإنه الحجاب بين العبد والرب كما قيل وجودك ذنب لا يقاس عليه ذنب آخر وكما قال ابن منصور:

بيني وبينك أني قد يزاحمني | فارفع بجودك لي أني من البين

﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾ لاحتجابكم بهوى النفس وحب اللذة العاجلة عما في ضمنه من الخير الكثير واللذة العظيمة الروحانية التي تستحقر تلك الشدة السريعة الانقضاء بالقياس إلى ذلك الخير الباقي واللذات السرمدية. ﴿وعسى أن تحبوا شيئاً﴾ من اللذات الجسمانية وتمتعات النفس وهو شر لكم للنفس بحرمانها من اللذات الروحانية ﴿والله يعلم﴾ أن في كراهة النفوس ما أودع من راحة القلوب ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ أن حياة القلوب في موت النفوس وفي حياة النفوس موت القلوب كما قال قدس سره:

اقتلوني اقتلوني يا ثقات | إن في قتلي حياتاً في حيات
خنجر وشمشير شدريحان من | مرك من شد بزم ونر كسدان من

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢١٧)﴾

﴿يسألونك عن الشهر الحرام﴾ روي أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته ﷺ أخت أبيه في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهراً من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن أبي وقاص الزهري وعكاشة بن محصن الأسدي وعتبة بن غزوان السلمي وأبا حذيفة بن ربيعة وسهيل ابن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لأميرهم عبد الله بن جحش كتاباً وقال: «سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فإذا نزلت فافتح الكتاب وأقرأه على أصحابك ثم امض لِمَا أمرتك ولا تُكرِهنّ أحداً من أصحابك على السير معك» فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فإذا فيه «بسم الله الرحمٰن الرحيم أما بعد فسر على بركة الله

بمن تبعك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك أن تأتينا منها بخير» فلما نظر في الكتاب قال: سمعاً وطاعة ثم قال لأصحابه ذلك، وقال: إنه نهاني أن أكره أحداً منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كره فليرجع ثم مضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد حتى كاد يقعد فوق القزع بموضع من الحجاز يقال له: بحران فأضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما يعتقبانه فتخلفا في طلبه ومضى بقية أصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك مرت عير قريش تحمل زبيباً وأدماً وتجارة من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان فلما رأوا أصحاب رسول الله هابوهم فقال عبد الله بن جحش: إن القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم فليتعرض لهم فحلقوا رأس عكاشة ثم أشرف عليهم فقال قوم عمار لا بأس عليكم فأمنوا وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرونه من جمادى وهو من رجب فتشاور القوم وقالوا: إن تركتموهم الليلة ليدخلن الحرم فليمنعن منكم فأجمعوا أمرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله وكان أول قتيل من المشركين وهو أول قتيل في الهجرة واستأسروا الحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله وكانا أول أسيرين في الإسلام وأفلت نوفل على فرس له فأعجزهم واستاق المؤمنون العير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ فقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام شهراً يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس لمعايشهم أي: يتفرقون في البلاد فسفك فيه الدماء وأخذ الجرائب وعير بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا: يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عليه السلام لابن جحش وأصحابه «ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام» ووقف العير والأسيرين أي: جعلها موقوفة وما قسمها بين الغانمين وأبى أن يأخذ شيئاً من ذلك ينتظر الإذن من الله فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا أن قد هلكوا وسقط في أيديهم وقالوا: يا رسول الله إنا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى فأكثر الناس في ذلك فأنزل الله هذه الآية فأخذ رسول الله العير فعزل منها الخمس وكان أول خمس في الإسلام وقسم الباقي بين أصحاب السرية وكانت أول غنيمة في الإسلام وبعث أهل مكة في فداء أسيريهم فقال: بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وإن لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فأداهما فأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيداً وأما عثمان بن عبد الله فرجع إلى مكة فمات بها كافراً وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الأحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعاً وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال صلى الله تعالى عليه وسلم «خذوه فإنه خبيث خبيث الجيفة والدية»، والمعنى يسألك المسلمون استعلاماً أو الكفار تعنتاً عن الشهر الحرام أي: رجب سمي به لتحريم القتال فيه **﴿قتال فيه﴾** بدل اشتمال من الشهر لأن الشهر مشتمل على القتال **﴿قل﴾** يا محمد في جوابهم **﴿قتال فيه كبير﴾** إثم عظيم عند الله وقتال مبتدأ خبره كبير وجاز الابتداء بالنكرة لأنها وصف بفيه، والأكثر أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] **﴿وصد عن سبيل الله﴾** مبتدأ قد تخصص بالعمل فيما بعد أي: ومنع عن الإسلام الموصل للعبد إلى الله تعالى **﴿وكفر به﴾** أي: بالله تعالى

﴿**والمسجد الحرام**﴾ عطف على سبيل الله وحيث كان الصد عن سبيل الله فرداً من أفراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور في حسن هذا العطف لأنه ليس بأجنبي محض أي: منع المسلمين عن دخول مكة وزيارة بيت الله ﴿**وإخراج أهله**﴾ أي: أهل المسجد وهو النبي عليه السلام والمؤمنون ﴿**منه**﴾ أي: من المسجد الحرام وهو عطف على وكفر به وجعل المسلمين أهل المسجد وإن كانوا خارجين عن مكة لأنهم قائمون بما يجب عليهم من حقه لأنهم يصيرون أهلاً له في العاقبة فسماهم باسم العاقبة ولم يسم الكفار أهل المسجد وإن كانوا بمكة لأن مقامهم بمكة عارض ﴿**أكبر عند الله**﴾ خبر للأشياء المعدودة أي: هذه الأشياء الأربعة أكبر إثماً وعقوبة من قتل المسلمين ابن الحضرمي في الشهر الحرام لأن القتال يحل بحال والكفر لا يحل بحال ولأنهم كانوا متأولين في القتال لأنهم شكوا في اليوم ولا تأويل للكفار في الكفر ﴿**والفتنة**﴾ أي: ما ارتكبوه من الإخراج والشرك وصد الناس عن الإسلام ابتداء وبقاء ﴿**أكبر من القتل**﴾ أي: أفظع من قتل الحضرمي في الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أنيس إلى مؤمني مكة إذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم أنتم بالكفر وإخراج رسول الله من مكة ومنعهم المسلمين عن البيت ﴿**ولا يزالون يقاتلونكم**﴾ بيان لاستحكام عداوتهم وإصرارهم على الفتنة في الدين أي: لا يزال الكفار عن قتالكم أيها المؤمنون ﴿**حتى يردوكم عن دينكم**﴾ أي: كي يصرفوكم عن دينكم الحق إلى دينهم الباطل ﴿**إن استطاعوا**﴾ إشارة إلى تصلبهم في الدين وثبات قدمهم فيه كأنه قيل وأنّى لهم ذلك وهو كقول الرجل لعدوه إن ظفرت بي فلا تبق علي ولا ترحمني وهو واثق بأنه لا يظفر به وهو تطييب لقلوب المؤمنين ﴿**ومن يرتدد منكم عن دينه**﴾ إظهار التضعيف لسكون الدال الثانية وبالفتح والإدغام على التحريك لالتقاء الساكنين بأخف الحركات والارتداد النكوص وهو تحذير من الارتداد أي: من يفعل ذلك بإضلالهم وإغوائهم ﴿**فيمت وهو كافر**﴾ بأن لم يرجع إلى الإسلام، وفيه ترغيب في الرجوع إلى الإسلام بعد الارتداد إلى حين الموت ﴿**فأولئك**﴾ المصرون على الارتداد إلى حين الموت ﴿**حبطت**﴾ بطلت وتلاشت ﴿**أعمالهم**﴾ التي كانوا عملوها في حالة الإسلام حبوطاً لا تلافي له قطعاً ﴿**في الدنيا**﴾ وهو قطع حياته وقتله عند الظفر به لارتداده وفوات موالاة المسلمين ونصرهم والثناء الحسن وزوال النكاح وحرمانه من مواريث المسلمين ونحو ذلك مما يجري على نفس المرتد وأهله وماله ﴿**والآخرة**﴾ وهو الثواب وحسن المآب لأن عبادتهم لم تصح في الدنيا فلم يجازوا عليها في الآخرة وليس المراد من إحباط العمل إبطال نفس العمل لأن الأعمال أعراض كما توجد تفنى وتزول وإعدام المعدوم محال بل المراد به ما ذكر من أن الردة الحادثة تزيل ثواب الإيمان السابق وثواب ما سبق من ثمراته، وظاهر الآية يقتضي أن تكون الوفاة على الردة شرطاً لثبوت الأحكام المذكورة وهي حبوط الأعمال في الدنيا والآخرة وكون صاحبها من أصحاب النار خالداً فيها وأن لا يثبت شيء من هذه الأحكام إن أسلم المرتد بعد ردته ولهذا احتج الشافعي بهذه الآية على أن الردة لا تحبط الأعمال حتى يموت صاحبها عليها وعند أبي حنيفة رحمه الله أن الردة تحبط الأعمال مطلقاً أي: وإن رجع مسلماً تمسكاً بعموم قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] وقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة: ٥] ويتفرع عليك مسألتان:

الأولى: أن جماعة من المتكلمين قالوا شرط صحة الإيمان والكفر حصول الوفاة عليهما

فلا يكون الإيمان إيماناً إلا إذا مات المؤمن عليه وأيضاً لا يكون الكفر كفراً إلا إذا مات الكافر عليه.

والمسألة الثانية أن المسلم إذا صلى ثم ارتد والعياذ بالله ثم أسلم في الوقت قال الشافعي لا إعادة عليه، وقال أبو حنيفة يلزمه قضاء ما أدى وكذا الكلام في الحج ﴿**وأولئك أصحاب النار**﴾ ملازموها ﴿**هم فيها خالدون**﴾ كدأب سائر الكفرة فلا بد للمؤمن من العمل الصالح ومن الصون عما يبطله وسبب الارتداد عدم اليقين وإلا فكيف يحوم حول الموحد الحقيقي شيطان وشرك وهو قد تخلص من البرازخ والقيود ووصل إلى الرب المعبود والعمل الصالح هو ما أريد به وجه الله فإن غيره فاسد لا ينفع لصاحبه أصلاً، قال الحافظ:

فرداكه پيشكاه حقيقت شود بديد شرمنده رهروي كه عمل برمجاز كرد

وأحسن الحسنات التوحيد لأنه أس الكل ولذلك لا يوزن قال عليه السلام: «إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فإنها لا توضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقاً ووضعت السموات والأرضون السبع ما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك» وجميع الأعمال الصالحة يزيد في نور الإيمان، فعليك بالطاعة والحسنات والوصول إلى المعارف الإلَهية فإن العلم بالله أفضل الأعمال ولذلك لما قيل: يا رسول الله أي: الأعمال أفضل؟ قال: «العلم بالله» فقيل: نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال: «إن قليل العمل ينفع مع العلم وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل» وذلك إنما يحصل بتصفية الباطن مع صيقل التوحيد وأنواع الأذكار ولا يعقلها إلا العالمون. قال في «المثنوي»:

ذكر حق كن بانك غولانرا بسوز چشم نركس را ازين كركس بدوز

قال الشيخ الحسن محمد بن السراج: سمعت الجنيد قدس سره يقول: رأيت إبليس في المنام كأنه عريان فقلت: ألا تستحيي من الناس؟ فقال: لو كان هؤلاء من الناس لما أتلاعب بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة فقلت: ومن الناس؟ فقال: قوم في المسجد الشونيزي قد أنحلوا جسمي وأحرقوا قلبي كلما هممت بهم أشاروا إلى الله تعالى فأكاد أحرق بنور ذكرهم قال: فانتبهت وجئت إلى المسجد الشونيزي بليل فلما دخلت المسجد إذا أنا بثلاث أنفس: جلوس ورؤوسهم مغطاة بمرقعاتهم فلما أحسوا بي أخرج واحد رأسه فقال: يا أبا القاسم أنت كلما قيل بشيء صرت تقبله وتسمعه انظر إلى اجتهادهم في طاعة الله وصفاء أسرارهم عما سواه تعالى فهم من أهل الإسلام الحقيقي، يقول الفقير ناظم هذه الدرر قال لي شيخي العلامة أبقاه الله بالسلامة في قوله عليه السلام: «بدا الإسلام غريباً وسيعود غريباً» المراد بالإسلام هو الإسلام الحقيقي وصاحبه لا يرتد أبداً وكونه غريباً أن لا يوجد له أنيس. قال في «المثنوي»:

بود كبرى درزمان بايزيد كفت أورا يك مسلمان سعيد
كه چه باشد كرتو إسلام آورى تا بيابي صد نجات سروري
كفت اين إسلام اكرهست أي: مريد آنكه دارد شيخ عالم بايزيد
مؤمن إيمان اويم در نهان كرچه مهرم هست محكم بر دهان
باز ايمان كرخود ايمان شماست ني بدان ميلستم و ني مشتهاست
آنكه صد ميلش سوى ايمان بود چون شمارا ديد زآن فاترشود

زانكه نامي بيندو معنبش نى چون بيابانرا مفازه كفتني

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا﴾ نزلت في السرية فإن الله تعالى لما فرج عنهم بالآية السابقة ما كانوا فيه من الغم الشديد بقتالهم في الشهر الحرام طمعوا فيما عند الله من ثوابه فقالوا: يا رسول الله لا عقاب علينا فيما فعلنا فهل نعطى أجراً وثواباً ونطمع أن يكون سفرنا هذا سفر غزو وطاعة فأنزل الله تعالى هذه الآية لأنهم كانوا مؤمنين مهاجرين وكانوا بسبب هذه المقاتلة مجاهدين والمعنى: ثبتوا على إيمانهم فلم يرتدوا. **﴿والذين هاجروا﴾** أي: فارقوا منازلهم وأهلهم **﴿وجاهدوا﴾** المجاهدة استفراغ ما في الوسع أي: حاربوا المشركين. **﴿في سبيل الله﴾** في طاعته لإعلاء دينه **﴿أولئك يرجون﴾** بما لهم من مبادىء الفوز **﴿رحمة الله﴾** أي: ثوابه ولا يحبط أعمالهم كأعمال المرتدين أثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو للإيذان بأنهم عالمون بأن العمل غير موجب للأجر وإنما هو بطريق التفضل منه تعالى لا لأن في فوزهم اشتباهاً **﴿والله غفور﴾** مبالغ في مغفرة ما فرط من عباده خطأ. **﴿رحيم﴾** يجزل لهم الأجر والثواب، قال قتادة: هؤلاء خيار هذه الأمة ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وأنه من رجا طلب ومن خاف هرب.

ـ روي ـ أنه مر أبو عمر البيكندي يوماً بسكة فرأى أقواماً أرادوا إخراج شاب من المحلة لفساده وامرأة تبكي قيل إنها أمه فرحمها أبو عمر فشفع له إليهم وقال: هبوه مني في هذه المرة فإن عاد إلى فساده فشأنكم فوهبوه منه فمضى أبو عمر فلما كان بعد أيام اجتاز بتلك السكة فسمع بكاء العجوز من وراء ذلك الباب فقال في نفسه لعل الشاب عاد إلى فساده فنفي من المحلة فدق عليها الباب وسألها عن حال الشاب فقالت إنه مات فسألها عن حاله فقالت لما قرب أجله قال: لا تخبري الجيران بموتي فلقد آذيتهم فإنهم سيشتمونني ولا يحضرون جنازتي فإذا دفنتني فهذا خاتم لي مكتوب عليه بسم الله الرحمٰن الرحيم فادفنيه معي فإذا فرغت من دفني فتشفعي لي إلى ربي ففعلت وصيته فلما انصرفت عن رأس القبر سمعت صوته يقول انصرفي يا أماه فقد قدمت على رب كريم ونعم ما قيل:

ببهانه ميدهد ببها نميدهد

ـ قيل: ـ إن الحجاج لما أحضرته الوفاة كان يقول: اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل ومات بواسط سنة خمس وتسعين وهي مدينته التي أنشأها وكان يوم موته يسمى عرس العراق ولم يعلم بموته حتى أشرفت جارية من القصر وهي تبكي وتقول ألا إن مطعم الطعام ومفلق الهام قد مات ثم دفن ووقف رجل من أهل الشام على قبره فقال: اللهم لا تحرمنا شفاعة الحجاج وحلف رجل من أهل العراق بالطلاق أن الحجاج في النار فاستفتى طاوس فقال: يغفر الله لمن يشاء وما أظنها إلا طلقت فيقال إنه استفتى الحسن البصري فقال: اذهب إلى زوجتك وكن معها فإن لم يكن الحجاج في النار فما يضركما أنكما في الحرام فقد وقفت من هذا المذكور على أن الله تعالى غفور رحيم يغفر لعبده وإن جاء بمثل زبد البحر ذنباً

فاللازم للعباد الرجاء من الله تعالى، قال الراغب: وهذه المنازل الثلاثة التي هي الإيمان والمهاجرة والجهاد هي المعنية بقوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ [المائدة: ٣٥] ولا سبيل إلى المهاجرة إلا بعد الإيمان ولا إلى جهاد الهوى إلا بعد هجران الشهوات ومن وصل إلى ذلك فحق له أن يرجو رحمته.

واعلم أن الهجرة على قسمين، صورية وقد انقطع حكمها بفتح مكة كما قال عليه السلام: «لا هجرة بعد الفتح»، ومعنوية: وهي السير عن موطن النفس إلى الله لفتح كعبة القلب وتخليصها من أصنام الشرك والهوى فيجري حكمها إلى يوم القيامة، وكذا الجهاد في سبيل الله على قسمين، أصغر وهو الجهاد مع الكفار، وأكبر وهو الجهاد مع النفس وإنما كان هذا الجهاد أكبر لأن غاية الأول إصلاح الظاهر وغاية الثاني إصلاح الباطن وهو أصعب وأقوى، وأيضاً غاية الأول الوصول إلى الجنة والرحمة، وغاية الثاني الوصول إلى مشاهدة الحق والجمال المطلق، وأيضاً غاية الأول الشهادة، وغاية الثاني الصديقية والصديقون أعلى منزلة من الشهداء كما قال تعالى ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [النساء: ٦٩] فقدم ذكر الصديقين على ذكر الشهداء فإذا وصل المرء إلى صلاح النفس بالجهاد الأكبر الذي هو أعز من الكبريت الأحمر يرحم العباد ولا يقصد لهم الضرر.

ـ حكي ـ أن بعضهم جاء إلى بعض المشايخ وخدمه وقال له: أريد أن تعلمني الاسم الأعظم فقال له وفيك أهلية له قال: نعم قال: اذهب إلى باب البلد ثم أخبرني بما جرى فيه فذهب وجلس على باب البلد فإذا بشيخ حطاب معه حطب على حمار فضربه جندي وأخذ حطبه ظلماً فلما رجع الرجل إلى الشيخ وأخبره بالقصة قال له الشيخ: لو كنت تعلم الاسم الأعظم ما تصنع بالجندي قال: كنت أدعو عليه بالهلاك فقال له الشيخ: اعلم أن الحطاب هو الذي علمني الاسم الأعظم واعلم أن الاسم الأعظم لا يصلح إلا لمن يكون على هذه الصفة من الصبر والرحمة على الخلق والشفقة عليهم. قال السعدي قدس سره:

مكن تاتواني دل خلق ريش   وكرميكني ميكني بيخ خويش

ثم إن قلة الكلام من أنفع الأشياء في إصلاح النفس كما أن اللقمة الطيبة أنفع في إصلاح الطبيعة وصفاء القلب. قال في «المثنوي»:

طفل جان ازشير شيطان بازكن   بعد ازانش باملك انباز كن
تاتو تاريك وملول وتيرة   دانكه با ديو لعين همشيرة
لقمة كونور افزود وكمال   آن بود آورده از كسب حلال
روغني كايد چراغ ما كشد   آب خوانش چون چراغي راكشد

﴿يسألونك﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ما رأيت قوماً كانوا خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة كلها في القرآن ما كانوا يسألونه إلا عما ينفعهم وينفع المسلمين ﴿عن الخمر﴾ أي: عن حكم تعاطيها بقرينة الجواب لأن الحل والحرمة والإثم والطاعة إنما هي من عوارض أفعال المكلفين ولا إثم في ذوات الأشياء وأعيانها ويدخل في تعاطي الخمر البيع والشراء وغيرهما مما يدخل تحت التصرف على خلاف الشرع، والخمر مصدر خمره أي: ستره سمي به من عصير العنب ما غلى واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها العقل

والتمييز كأنها نفس الستر كما سميت سكراً لأنها تسكرهما أي: تحجزهما ﴿و﴾ عن تعاطي ﴿الميسر﴾ مصدر ميمي من يسر كالموعد والمرجع يقال: يسرته إذا قمرته واشتقاقه إما من اليسر لأنه أخذ المال بيسر من غير كد وتعب وإما من اليسار لأنه سلب له ويدخل فيه جميع أنواع القمار والشطرنج وغيرهما حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب ﴿قل فيهما﴾ أي: في تعاطي الخمر والميسر واستعمالها ﴿إثم كبير﴾ لما أن الأول مسلبة للعقول التي هي قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للأموال ﴿ومنافع للناس﴾ من كسب الطرب والمغالاة بثمن الخمر إذا جلبوها من الأطراف وفيها تقوية الضعيف وهضم الطعام والإعانة على الباءة أي: الجماع وتسلية المخزون وتشجيع الجبان وتسخية البخيل وتصفية اللون وإنطاق الفتى العي وتهييج الهمة، ومنافع الميسر إصابة المال من غير كد ولا تعب وانتفاع الفقراء بلحم الجزور فإنهم كانوا يفرقونها على المحتاجين، قال الواقدي: وربما قمر الواحد منهم في مجلس مائة بعير فيصيب مالاً عظيماً بلا نصب ولا ثمن ثم يعطيه المحتاجين فيكتسب المدح والثناء ﴿وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ وفي الخمر إيقاع العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهي تسفه الحليم ويصير شاربها بحيث يلعب ببوله وعذرته وقيئه كما ذكر ابن أبي الدنيا أنه مر على سكران وهو يبول في يده ويمسح به وجهه كهيئة المتوضىء ويقول الحمد لله الذي جعل الإسلام نوراً والماء طهوراً، وفي الميسر أنه إذا ذهب ماله من غير عوض ساءه ذلك فعادى صاحبه وقصده بالسوء، قال المفسرون تواردت في الخمر أربع آيات نزلت بمكة ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧] فطفق المسلمون يشربونها وهي لهم حلال يومئذٍ ثم إن عمر ومعاذاً ونفراً من الصحابة رضي الله تعالى عنهم قالوا: افتنا يا رسول الله في الخمر فإنها مذهبة للعقل فنزلت ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ الآية فشربها قوم وقالوا نأخذ منفعتها ونترك إثمها وتركها آخرون وقالوا لا حاجة لنا فيما فيه إثم كبير ثم إن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه دعا ناساً منهم فشربوا وسكروا قام أحدهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون إلى آخر السورة بدون لا في لا أعبد فنزلت ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣] الآية فقل من يشربها وقالوا لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة وشربها قوم في غير حين الصلاة حتى كان الرجل يشربها بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال عنه السكر ويشرب بعد الصبح فيصحو إذا جاء وقت الظهر ثم اتخذ عتبان بن مالك ضيافة ودعا رجالاً من المسلمين فيهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا منه وشربوا الخمر حتى سكروا منها ثم إنهم افتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الأشعار فأنشد سعد قصيدة فيها هجاء الأنصار وفخر لقومه فأخذ رجل لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد إلى رسول الله وشكا إليه الأنصاري فقال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزل ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ في المائدة إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩١] فقال عمر: انتهينا يا رب، وحرمت الخمر في السنة الثالثة من الهجرة بعد غزوة الأحزاب بأيام، قال القفال والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب أنه تعالى علم أن القوم كانوا ألفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم به كثيراً وعلم أنه لو منعهم دفعة واحدة لشق عليهم فلا جرم استعمل في التحريم هذا التدريج وهذا الرفق ثم لما نزل التحريم أريقت الخمر، قال ابن عمر رضي الله عنهما: خرجنا بالحباب إلى الطريق فمنا من كسر حبه ومنا من غسله بالماء

والطين ولقد غودرت أزقة المدينة بعد ذلك حيناً كلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت منها ريحها وحرمت الخمر ولم يكن يومئذٍ للعرب عيش أعجب منها وما حرم الله عليهم شيئاً أشد من الخمر.

- روي - أن جبريل عليه السلام قال للنبي عليه السلام: إن الله تعالى شكر لجعفر الطيار رضي الله عنه أربع خصال كان عليها في الجاهلية وهو عليها في الإسلام فسأل النبي عليه الصلاة والسلام جعفراً عن ذلك فقال: يا رسول الله لولا أن الله أطلعك عليها لما أخبرتك بها ما شربت الخمر قط لأني رأيتها تزيل العقل وأنا إلى أن أزيد فيه أحوج مني إلى أن أزيله، وما عبدت صنماً قط لأني رأيته لا يضر ولا ينفع وما زنيت قط لغيرتي على أهلي، وما كذبت قط لأني رأيته دناءة. قال عمرو بن الأدهم من أكابر سادة بني تميم ذاماً للخمر لو كان العقل يشترى ما كان شيء أنفس منه فالعجب لمن يشتري الحمق بماله فيدخله في رأسه فيقيء في جيبه ويسلح في ذيله، وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت في مكانها منارة لم أوذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف فنبت فيه الكلأ لم أرعه، وعن ابن عمر رضي الله عنهما لو أدخلت أصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الإيمان والتقى حقاً فينبغي للمسلم أن لا يخطر بباله شرب الخمر فضلاً عن شربها وينقطع عن شاربها فإنه إذا خالط شارب الخمر يخاف عليه أن يصيبه من عثاره، قال الحسين الواعظ الكاشي:

ترار حمان همي كويدكه أي: مؤمن مخورباده
ترا ترسا همي كويدكه در صفرا مخور حلوا
نمي ماني زنا پاكي براي كفته رحمان
بماني شهد وشكررا براي كفته ترسا

وعن بعض الصحابة أنه قال: من زوج ابنته لشارب الخمر فكأنما ساقها إلى الزنى معناه أن شارب الخمر يقع منه الطلاق وهو لا يشعر، فالذي يجب على الولي أن لا يزوج ابنته ولا أخته من فاسق ولا ممن يتعاطى المنكرات.

واعلم أن خل الخمر حلال ولو بعلاج كإلقاء الماء الحار أو الملح أو الخبز ولا يكره تخليلها وفي الحديث «خير خلكم خل خمركم» هذا هو البيان في الخمر، وأما الميسر فهو القمار والياسر القامر وكان أصل الميسر في الجزور وذلك أن أهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزوراً ويضمنون ثمنه ولا يؤدونه ليظهر بالقمار أنه على من يجب فينحرونها ويجزئونها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الأزلام والأقلام سبعة منها لها انصباء الفذ وله نصيب واحد والتوأم وله نصيبان والرقيب وله ثلاثة والحلس وله أربعة والنافس وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة منها لا أنصباء لها وهي المنيح والسفيح والوغد ثم يجعلون القداح في خريطة تسمى الربابة ويضعونها على يدي عدل عندهم يسمى المجيل والمفيض ثم يجيلها ويجلجلها أي: يحركها باليد ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحاً قدحاً فمن خرج له قدح من ذات الأنصباء أخذ النصيب المعين له ومن خرج له قدح مما لا نصيب له وهو الثلاثة لم يأخذ شيئاً وغرم ثمن الجزور وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لا يدخل فيه ويسمونه البرم وهو اللئيم

العديم المروءة والكرم فهذا أصل القمار الذي كانت العرب تفعله فنهى المسلمون عنه، واختلف في الميسر هل هو اسم لذلك القمار المعين أو هو اسم لجميع أنواع القمار، فقال بعض العلماء: المراد من الآية جميع أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما، وروي أن رجلاً خاطر رجلاً على أن يأكل كذا كذا بيضة على كذا كذا من المال فقال علي رضي الله عنه: هذا قمار، وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر وعن النبي عليه السلام «إياكم وهاتين الكعبتين المشؤومتين فإنهما من مياسر العجم» يريد أن النرد والشطرنج ميسر يشير به إلى أنهما حرام، وأما السبق في الخف والحافر والنشاب فخص بدليل، قال السعدي قدس سره:

كهل كشتي و همچنان طفلي ... شيخ بودي و همچنان شابي
توببازي نشسته درجب وراست ... ميرسد تير چرخ برتابي
جاي كريه است برمصيبت پير ... كه توكودك هنوز لعابي

والإشارة في الآية أن خمر الظاهر كما يتخذ من أجناس مختلفة من العنب والتمر والزبيب والحبوب كالحنطة والشعير والذرة فكذلك خمر الباطل من أجناس مختلفة كالغفلة والشهوة والهوى وحب الدنيا وأمثالها وهذه خمور تسكر منها النفوس والعقول الإنسانية وفيها إثم كبير ولهذا كل مسكر حرام وما يسكر كثيره فقليله حرام، ومنها ما يسكر القلوب والأرواح والأسرار فهو شراب الواردات في أقداح المشاهدات من ساقي تجلي الصفات فإذا دارت على النفوس وانخمدت شهواتها وسكرت القلوب بالمواجيد عن المواجيد والأرواح بالشهود عن الوجود والأسرار بلحظ الجمال عن ملاحظة الكمال فهذا شراب نافع للناس حلال فالعجب كل العجب أن قوماً أسكرهم وجود الشراب وقوماً أسكرهم شهود الساقي كقولهم:

فأسكر القوم دور كأس ... وكان سكرى من المدير

وفي «المثنوي»:

ما اكر قلاش اكر ديوانه ايم ... مست آن ساقي وآن بيمانه ايم
مست مي هشيار كردد ازدبور ... مست حق نايدبخود از نفخ صور
جرعة چون ريخت ساقي الست ... برسراين شوره خاك زير دست
جوش كردآن خاك وما زان چوششيم ... جرعة ديكركه بس بي كوششيم

وأتم الإعراض عن كؤوس الوصال في النهاية أكبر من نفع الطلب ألف سنة في البداية وكما أن سكران الخمر ممنوع من الصلاة فسكران الغفلة والهوى محجوب عن المواصلات وأما إثم الميسر فهو أن آثار القمار هي شعار أكثر الديار في سلوك طريق الحيل والخداع بالفعل والكذب والفحش في المقال وأنه كبير عند الأخيار بعيد عن خصال الأبرار وأما نفعه فعدم الالتفات إلى الكونين وبزل نقوش العالمين في فردانية نقش الكعبتين وإثمهما أكبر من نفعهما لأن إثمهما للعوام ونفعهما للخواص والعوام أكثر من الخواص وقليل ما هم كذا في «التأويلات النجمية» قدست نفسه الزكية ﴿ويسألونك ماذا ينفقون﴾ هو كما يصلح سؤالاً عن جنس المنفق يصلح سؤالاً عن كميته وقدره فإنه لما نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ﴾ [البقرة: ٢١٥] قال عمر بن الجموح ما أنفق فنزل قوله ﴿قل العفو﴾ أي: أنفقوا العفو وهو نقيض الجهد

وهو المشقة ونقيضه اليسر والسهولة فكأنه قيل قل أنفق ما سهل وتيسر ولم يشق عليك إنفاقه فالعفو من المال ما يسهل إنفاقه والجهد من المال ما يعسر إنفاقه والقدر المنفق إنما يكون إنفاقه سهلاً إذا كان فاضلاً عن حاجة نفسه وعياله ومن عليه مؤونته ﴿**كذلك**﴾ أي: مثل ما بين أن العفو أصلح من الجهد والكاف في محل النصب صفة لمصدر محذوف أي: تبييناً مثل هذا التبيين وإفراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل أو الفريق أو القوم مما هو مفرد اللفظ ومجموع المعنى ﴿**يبين الله لكم الآيات**﴾ الدالة على الأحكام الشرعية لا بياناً أدنى منه وتبيين الآيات تنزيلها مبينة الفحوى واضحة المدلول لا أنه تبيينها بعد أن كانت مشتبهة وملتبسة ﴿**لعلكم تتفكرون**﴾.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾

﴿**في الدنيا والآخرة**﴾ أي: لكي تتفكروا في أمور الدارين فتأخذوا بما هو أصلح لكم وأسهل في الدنيا وأنفع في العقبى وتتجنبوا عما يضركم في العقبى، قال البغوي: يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها فتزهدوا وفي إقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها وهذه الآية ترغب في التصدق لكن بشرط أن يكون ذلك من فضل المال وعفوه وعن النبي عليه السلام أن رجلاً أتاه ببيضة من ذهب أصابها في بعض المغازي فقال: يا رسول الله خذها مني صدقة فوالله لقد أصبحت ما أملك غيرها فأعرض عنه رسول الله فأتاه من الجانب الأيمن فقاله مثله فأعرض عنه ثم أتاه من الجانب الأيسر فأعرض عنه فقال: «هاتها» مغضباً فأخذها منه فحذفها حذفاً لو أصابه لشجه أو عقره ثم قال: «يجيء أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس إنما الصدقة عن ظهر غنى خذها فلا حاجة لنا فيها» وفي لفظ العفو إشارة إلى أن ما يعطيه المرء ينبغي أن يعفو أثره عن قلبه عند الإنفاق يعني بطيب القلب لأن أصل العفو المحو والطمس ثم الإخراج عن فاضل الأموال على قدر الكفاية طريقة الخواص. فأما خاص الخاص فطريقهم الإيثار وهو أن يؤثر غيره على نفسه وبه فاقه إلى ما يخرج وإن كان صاحبه الذي يؤثر به غنياً قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: أمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن نتصدق ووافق ذلك مالاً عندي فقلت: اليوم أسبق أبا بكر رضي الله عنه فجئت بنصف مالي فتصدقت به فقال لي رسول الله: «ما أبقيت لأهلك يا عمر» قلت نصف مالي يا رسول الله ثم قال لأبي بكر: «ما أبقيت لأهلك» قال: أبقيت لهم الله ورسوله فقلت: لا أسابقك بشيء بعدها روي أن النبي عليه السلام قال عند ذلك: «ما بينكما ما بين كلاميكما» ومنه يعرف فضل أبي بكر على عمر لكن الفاضلة من وجه لا تنافي المفضولية من وجه آخر فإن الكامل ليس يلزمه أن يكون كاملاً في جميع الأمور وإنما التقدم والتأخر بالنظر إلى العلم بالله. قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره: كان أبو بكر غالب المعرفة وعمر غالب الشريعة وعثمان غالب الطريقة وعلي غالب الحقيقة وإن كانوا كاملين في المراتب الأربع انتهى كلامه، قال الحسين الواعظ الكاشي:

مـايـة تـوفـيـق كـرم كـردن اسـت   كـنـج يـقـيـن تـرك درم كـردن اسـت

زادره مـــرك زنـــان دادن اســـت زنـدكـي عـشـق زجـان دادن اسـت

فسخاوة العوام اعطاء المال وسخاوة الخواص بذل الروح وهو قليل.

هـسـت جـو انـمـرد درم صـدهـزار كـار چـو بـاجـان فـتـد آنـسـت كـار

وحث النبي عليه السلام أصحابه على الصدقة فجعل الناس يتصدقون وكان أبو أمامة الباهلي جالساً بين يديه عليه السلام وهو يحرك شفتيه فقال له النبي عليه السلام: «ماذا تقول حيث تحرك شفتيك» قال: إني أرى الناس يتصدقون وليس معي شيء أتصدق به فأقول في نفسي: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «هؤلاء الكلمات خير لك من مدٍّ ذهباً تتصدق به على المساكين».

تـازنـده ايـم ذكـر لـبـش در زبـان مـاسـت يا دش انيس ومونس جان وروان ماست

ـ يروى ـ أن أول من قال سبحان الله جبريل عليه السلام وذلك أنه لما خلقه الله وقع نظره على العرش وعظمته، فقال: سبحان الله فمن قالها نال ثواب جبريل، وأول من قال الحمد لله آدم الصفي عليه الصلاة والسلام حين نفخ فيه الروح فمن قالها نال نصيباً من فضل آدم، وأول من قال لا إله إلا الله نوح النجي عليه السلام حين مشاهدة الطوفان وشدة البلاء فمن قالها أخذ حظاً وافراً من ثواب نوح، وأول من قال الله أكبر الخليل عليه السلام حين شاهد فداء إسماعيل وهو الكبش فمن قالها نال فيضاً من فيض إبراهيم اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين آمين يا رب العالمين ﴿ويسألونك عن اليتامى﴾ أي: عن مخالطتهم لأن السؤال عن الشيء ينصرف إلى ما هو معظم المقصود منه وهو هٰهنا المخالطة والكفالة وذلك بعد نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠] فتركوا مخالطتهم ومؤاكلتهم حتى لو كان عند رجل يتيم يجعل له بيتاً على حدة وطعاماً على حدة وعزلوا أموال اليتامى عن أموالهم وكان يصنع لليتيم طعام فيفضل منه شيء فيتركونه ولا يأكلونه حتى يفسد فاشتد ذلك عليهم فقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله ما لكنا منازل يسكنها اليتامى ولا كلنا نجد طعاماً وشراباً نفردهما لليتيم فنزلت هذه الآية ﴿قل إصلاح لهم﴾ أي: مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم ﴿خير﴾ من مجانبتهم وترك الخلطة والنظر عليهم، وإصلاح مصدر وحذف فاعله تقديره وإصلاحكم لهم خير للجانبين أي: جانبي المصلح والمصلح له أما الأول فلما فيه من الثواب وأما الثاني فلما فيه من توفر أموال اليتامى والتزايد ﴿وإن تخالطوهم﴾ وتعاشروهم على وجه ينفعهم ﴿فإخوانكم﴾ أي: فهم إخوانكم في الدين الذي هو أقوى من العلاقة النسبية ومن حق الأخ أن يخالط الأخ بالإصلاح والنفع، قال ابن عباس رضي الله عنهما: المخالطة أن تأكل من تمره ولبنه وقصعته وهو يأكل من تمرك ولبنك وقصعتك وهذا إذا أصاب من مال اليتيم بقدر عمله له أو دونه فلا يزيد على أجر مثله وقد قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦] وقد تكون المخالطة بخلط المال وتناول الكل منه وهو منهي شرعاً، قال أبو عبيد: هذه الآية عندي أصل لما يفعله الرفقاء في الأسفار فإنهم يتخارجون النفقات بينهم بالسوية وقد يتفاوتون في قلة المطعم وكثرته وليس كل من قل مطعمه تطيب نفسه بالتفضل عن رفيقه فلما كان هذا في أموال اليتامى واسعاً كان في غيرهم أوسع ولولا ذلك لخفت أن يضيق فيه الأمر على الناس وقد حملت المخالطة على المصاهرة وهو أن يكون ابناً

فيزوجه ابنته أو تكون بنتاً فيزوجها ابنه فتتأكد الألفة ويخلطه بنفسه وبعشيرته إيناساً لوحشته وإزالة لوحدته وهو مروي عن الحسن ﴿والله يعلم﴾ بمعنى المعرفة المتعدية إلى واحد ﴿المفسد﴾ لمال اليتيم ﴿من المصلح﴾ لماله أي: لا يخفى على الله من داخلهم بإفساد وإصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الإصلاح وفي تقديم المفسد مزيد تهديد ومن لتضمين العلم معنى التمييز أي: يعلم من يفسد في أمورهم عند المخالطة مميزاً له ممن يصلح فيها ﴿ولو شاء الله﴾ إعناتكم وهو الحمل على مكروه ولا يطيقه ﴿لأعنتكم﴾ لحملكم على العنت وهو المشقة فلم يطلق لكم مداخلتهم يقال: عنت فلان إذا وقع في أمر يخاف منه التلف ﴿إن الله عزيز﴾ غالب يقدر على الإعنات ﴿حكيم﴾ يحكم ما يقتضيه الحكمة وتسع له الطاقة وهو دليل على ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها.

واعلم أن مخالطة الأيتام من أخلاق الكرام وفي الترحم عليهم فوائد جمة قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «من وضع يده على رأس يتيم ترحماً عليه كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة» وفي الحديث «ثلاثة في ظل عرش الله يوم القيامة امرأة مات عنها زوجها وترك عليها يتامى صغاراً فخطبت فلم تتزوج وقالت: أقيم على اليتامى حتى يغنيهم الله أو يموت» يعني اليتيم «أو هي ورجل له مال صنع طعاماً فأطاب صنيعه وأحسن نفقته فدعا إليه اليتيم والمسكين وواصل الرحم يوسع له في رزقه ويمد له في أجله ويكون تحت ظل عرشه» قال الله تعالى: «يا موسى كن لليتيم كالأب الرحيم وكن للأرامل كالزوج الشفيق وكن للغريب كالأخ الرفيق أكن لك كذلك»، قال الحافظ:

تيمار غريبان سبب ذكر جميلست   جانا مكر اين قاعدة در شهر شمانيست

وفي الحديث «أنا وكافل اليتيم» أي: القائم بمصالحه سواء كان من مال نفسه أم من مال اليتيم وسواء كان اليتيم قريباً أم لا «كهاتين في الجنة» وأشار بالسبابة والوسطى يعني أن كافل اليتيم يكون في الجنة مع حضرة النبي عليه الصلاة والسلام لا أن درجته تبلغ درجته، قال الشيخ سعدي قدس سره:

چو بيني يتيمي سرافكنده پيش   مده بوسه بر روى فرزند خويش
ألا تا نكريد كه عرش عظيم   بلرزد همي چون بكريد يتيم

ويجتنب كل الاجتناب عن إخلال حق من حقوقه وأكل حبة من ماله وعن ظلمه وقهره.

ـ يحكى ـ أن رستم بن زال بارز مع اسفنديار فلم يقدر عليه مع زيادة قوته وكان اسفنديار يجرحه في كل حمل دون رستم وكان بدن اسفنديار كجلد السمك لا يعمل فيه شيء ثم إن رستم تشاور مع أبيه زال في ذلك فقال له أبوه: إنك لا تقدر عليه إلا أن تعمل سهماً ذا فقارين وتصيب به عيني اسفنديار ففعل ذلك فرمى فأصاب فغلب عليه بذلك فيحكى في سبب ذلك أن اسفنديار كان قد ضرب في شبيبته يتيماً بغصن ففقأ به عينه وأبكاه ثم إن اليتيم أخذ ذلك الغصن وغرسه فلما صار شجراً أخذ رستم غصناً من أغصانه ونحت منه سهمه الذي أصاب به عيني اسفنديار، ويؤدب اليتيم الذي في حجره كتأديبه ولده فإنه مسؤول عنه يوم القيامة ويصلح حاله، والتأديب على أنواع: منها الوعيد، ومنها الضرب، ومنها حبس المنافع والعطية والبرّ فإن بين النفوس تفاوتاً فنفس تخضع بالغلظة والشدة ولو استعملت معها الرفق والبر لأفسدها

ونفس بالعكس وقد جعل الله الحدود والتعزير لتأديب العباد على قدر ما يأتون من المنكر فأدب الأحرار إلى السلطان وأدب المماليك والأولاد إلى السادات والآباء وهو مأجور على التأديب ومسؤول عنه قال الله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] وفي الحديث «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» وفي قوله تعالى: ﴿**وإن تخالطوهم فإخوانكم**﴾ إشارة إلى أن المرء ينبغي أن يتعود الأكل مع الناس فإن شر الناس من أكل وحده وفي الحديث «إن من أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي» ذكره في «العوارف» وذكر في «المصابيح» أن أصحاب النبي عليه السلام قالوا: يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع قال: «لعلكم تفترقون» قالوا: نعم قال: «فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله تعالى»، ومن اللطائف ما يحكى أنه قيل لجمين صاحب النوادر أتغديت عند فلان؟ قال: لا ولكن مررت ببابه وهو يتغدى فقيل: كيف علمت؟ قال: رأيت غلمانه بأيديهم قسي البنادق يرمون الطير في الهواء قيل لبخيل من أشجع الناس فقال: من يسمع وقع أضراس الناس فلا تنشق مرارته وفي الحديث «من أضاف مؤمناً فكأنما أضاف آدم ومن أضاف اثنين فكأنما أضاف آدم وحواء» كذا في «الرسالة العلية» لحسين الواعظ.

﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٌ مِّن مُّشۡرِكَةٍ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٌ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٌ مِّن مُّشۡرِكٍ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾

﴿**ولا تنكحوا**﴾ بفتح التاء أي: لا تتزوجوا ﴿**المشركات**﴾ أي: الحربيات فإن الكتابيات وإن كانت من المشركات إلا أنه يجوز تزوجها عند الجمهور استدلالاً بقوله تعالى في سورة المائدة ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [المائدة: ٥] وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء أصلاً ﴿**حتى يؤمن**﴾ أي: يصدقن بالله وبمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم.

ـ روي ـ أنه عليه السلام بعث مرثداً الغنوي إلى مكة ليخرج منها أناساً من المسلمين سراً فأتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت: ألا تخلو فقال: إن الإسلام حال بيننا فقالت: هل لك أن تتزوج بي فقال: نعم ولكن استأمر رسول الله عليه السلام فاستأمره فنزلت ﴿**ولأمة مؤمنة**﴾ مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر ﴿**خير**﴾ بحسب الدين والدنيا ﴿**من مشركة**﴾ أي: امرأة مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفعة الشأن ﴿**ولو أعجبتكم**﴾ تلك المشركة بجمالها ومالها ونسبها وبغير ذلك من مباديء الإعجاب وموجبات الرغبة والواو للحال ومعنى كونها للحال كونها عاطفة لمدخولها على حال محذوفة قبلها والتقدير خير من مشركة على كل حال ولو في هذه الحالة والمقصود من مثل هذا التركيب استقصاء الأحوال.

وفي «تفسير الكواشي»: لو هنا بمعنى إن وكذا كل موضع وليها الفعل الماضي وكان جوابها مقدماً عليها والمعنى وإن كانت المشركة تعجبكم وتحبونها فإن المؤمنة خير لكم ﴿**ولا تنكحوا**﴾ بضم التاء من الإنكاح ﴿**المشركين**﴾ أي: الكفار أعم من الوثني وغيره أي: لا تزوجوا منهم المؤمنات سواء كن حرائر أم إماء ﴿**حتى يؤمنوا**﴾ ويتركوا ما هم عليه من الكفر، قال ابن الشيخ في «حواشيه»: أي: لا تزوجوهم الصغيرات من بناتكم ومن في حكمهن ممن هو تحت ولايتكم ولا تزوج البالغات من المؤمنات منهم أنفسهم فقوله: ﴿**ولا تنكحوا**﴾ من قبيل تغليب الذكور على الإناث ولا خلاف في هذا الحكم فإن المشرك هنا باق على همومه

ولا يحل تزويج المؤمنة من الكافر البتة على اختلاف أنواع الكفر ﴿ولعبد مؤمن﴾ مع ما به من ذل المملوكية ﴿خير من مشرك﴾ مع ما به من عز المالكية ﴿ولو أعجبكم﴾ بماله وجماله وخصاله ﴿أولئك﴾ المذكورون من المشركين والمشركات ﴿يدعون﴾ من يقارنهم ويعاشرهم ﴿إلى النار﴾ أي: إلى ما يؤدي إليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم ﴿والله﴾ أي: وأولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه تفخيماً لشأنهم ﴿يدعو إلى الجنة والمغفرة﴾ أي: إلى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين إليها فهم الأحقاء بالمواصلة ﴿بإذنه﴾ متعلق بيدعو أي: يدعو ملتبساً بتوفيقه الذي من جملته إرشاد المؤمنين لمقارنيهم إلى الخير ونصيحتهم إياهم ﴿ويبين آياته﴾ المشتملة على الأحكام الفائقة والحكم الرائقة ﴿للناس لعلهم يتذكرون﴾ أي: لكي يتذكروا ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا إليه من الجنة والغفران وإيراد التذكر هٰهنا للإشعار بأنه واضع لا يحتاج إلى التفكر كما في الأحكام السابقة، ففي الآية نهى عن مواصلة الكفار وترغيب في مواصلة المؤمنين ولا ينبغي للمؤمن أن تعجبه المشركة بمالها وجمالها فإن من المسلمات من تدفع التعجب، وفي «المحيط»: مسلم رأى نصرانية سمينة وتمنى أن يكون هو نصرانياً حتى يتزوجها يكفر وهذا من حماقته فإن السمان الحسنة كثيرة في الملة الحنيفية ولكن علة الضم هي الجنسية كما قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ [النور: ٣] وميل الطباع القذرة إلى الدنيا العذرة قال تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ [النور: ٢٦] ونعم ما قيل:

همه مرغان كندبا جنس پرواز ... كبوتر با كبوتر بازبا باز

ومن بلاغات الزمخشري لا ترض لمجالستك إلا أهل مجانستك أي: لا ترض أن يكون لك جليس من غير جنسك فإن العذاب الشديد ليس إلا هو، قال في «أسئلة الحكم» وأما اختلاف الأخلاق فمن تعارف الأرواح بعضها ببعض في عالم الأرواح قبل تلاقي الأشباح في عالم الشهادة فمن تعارف روحه بروح صالح صلح بتعارفه الأزلي فمن هنا اختلاف الأخلاق صلاحها وفسادها فلا بد من مناسبة إما من الجهة الجسمانية أو من الجهة الروحانية فالجهة الجسمانية راجعة إلى قابلية الطين والطبيعة الروحانية راجعة إلى المناسبة الروحانية السابقة انتهى.

قال الإمام السخاوي في «المقاصد الحسنة» عند قوله عليه السلام: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» سبب ورود هذا الحديث ما روته عائشة رضي الله عنها أن امرأة كانت بمكة تدخل على نساء قريش تضحكهن فلما هاجرن ووسع الله تعالى دخلت المدينة قالت عائشة: فدخلت علي فقلت لها فلانة إلى من قدمت قالت إليكن قلت: فأين نزلت؟ قالت على فلانة امرأة كانت تضحك بالمدينة قالت عائشة ودخل رسول الله ﷺ فقال: «فلانة المضحكة عندكم» قالت عائشة نعم قال: «فعلى من نزلت» قالت على فلانة المضحكة قال: «الحمد لله إن الأرواح» الخ، قال بعضهم:

بيني وبينك في المحبة نسبة ... مستورة عن سر هذا العالم

نحن اللذان تحابت أرواحنا ... من قبل خلق الله طينة آدم

انتهى كلام السخاوي، قال الحسين الكاشفي:

جاذب هر جنس راهم جنس دان / جنس برجنس است عاشق جاودان

وفي «المثنوي»:

تلخ باتلخان يقين ملحق شود / كي دم باطل قرين حق شود

طيبات آمد بسوى طيبين / مر خبيثين را خبيثا تست هين

واعلم أنه ركز في العقول الميل إلى الخير ومخالفة الشر فللعاقل أن يتذكر فإن من كان بصيراً بنفسه ومتأملاً في حاله ينقطع عن إخوانه الداعين إلى خلاف الحق ويصيخ إلى داعي الهوى وقد قال بعض كبار العجم: الله بسى باقي هوس قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف: ٧] والمقربون قد فروا إلى الله تعالى من جميع ما في أرض الوجود ولم يلتفتوا إلى شيء سوى وجهه الكريم ولم يريدوا من المولى غير المولى فكانوا أحسن نية وعملاً وهذا صراط مستقيم اللهم ألهمنا رشدنا وأعذنا من شر نفسنا إنك أنت المجيب.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٢٣﴾

﴿**ويسألونك**﴾ لعل حكاية الأسئلة الثلاثة بالواو وحكاية ما عداها بغير عطف إنهم سألوا عن هذه الحوادث في وقت واحد فكأنه قيل: يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الإنفاق والسؤال عن كذا وعن كذا بخلاف ما عداها فإنهم سألوها في أوقات متفرقة. ﴿**عن المحيض**﴾ مصدر كالمجيء والمبيت والحيض هو اللوث الخارج من الرحم في وقت معتاد والسؤال فيه نوع إبهام إلا أنه تبين بالجواب أن سؤالهم كان عن مخالطة النساء في حالة الحيض ﴿**قل هو أذى**﴾ أي: الحيض شيء مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه وكراهة له.

ـ روي ـ أن أهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحِيَّض، ولا يؤاكلوهن كدأب المجوس واليهود واستمر الناس على ذلك إلى أن سأل عن ذلك أبو الدحداح في نفر من الصحابة فقال: يا رسول الله كيف نصنع بالنساء إذا حضن أنقربهن أم لا فنزلت ﴿**فاعتزلوا النساء في المحيض**﴾ المحيض هنا اسم لمكان ظهور الحيض وهو الفرج أي: فاجتنبوا مجامعتهن لما روي أن المسلمين أخذوا بظاهر الاعتزال فأخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الأعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فإن آثرناهن هلك سائر أهل البيت وإن استأثرنا بها هلكت الحيض فقال ﷺ: «إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم» وهو الاقتصار بين إفراط اليهود وتفريط النصارى فإنهم كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض ﴿**ولا تقربوهن**﴾ بالجماع ﴿**حتى يطهرن**﴾ من الحيض أو ينقطع دمهن فذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى أن له أن يقربها إذا كانت أيامها عشرة بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل وفي أقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت صلاة ﴿**فإذا تطهرن**﴾ أي: اغتسلن فإن التطهر هو الاغتسال ﴿**فائتوهن من حيث أمركم الله**﴾ أي: من المأتي الذي حلله لكم وهو القبل ﴿**إن الله يحب التوابين**﴾ من الذنوب ﴿**ويحب المتطهرين**﴾ المتنزهين عن الفواحش والأقذار كمجامعة الحائض والإتيان في غير المأتي.

﴿نساؤكم حرث لكم﴾ أي: مواضع حرث لكم شبهن بها لما بين ما يلقي في أرحامهن من النطف وبين البذور من المشابهة من حيث أن كلاً منهما مادة لما يحصل منه، والفرق بين الحرث والزرع أن الحرث إلقاء البذر وتهيئة الأرض والزرع مراعاته وإنباته ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقعة: ٦٣- ٦٤] فأثبت لهم الحرث ونفى عنهم الزرع ﴿فأتوا حرثكم﴾ لما عبر عنه بالحرث عبر عن مجامعتهن بالإتيان ﴿أنى شئتم﴾ أنى هنا بمعنى كيف أي: كيف شئتم ومن أي: شق وجهة أردتم بعد أن يكون المأتي واحداً وهو موضع الحرث لأن الدبر ليس موضع الحرث فلم يمكن حمل قوله أنى شئتم على التخيير في الأمكنة حتى يجوز إتيان النساء في أدبارهن فيكون محمولاً على التخيير في الكيفيات ويدل على هذا ما روي في سبب نزول الآية من أن اليهود كانوا يزعمون أن من أتى امرأته في قبلها من دبرها يأتي ولده أحول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه فنزلت الآية رداً عليهم ببيان أن المقصود من عقد النكاح هو إتيان موضع الحراثة على أي: كيفية كانت وفي الحديث «ملعون من أتى امرأته من دبرها» وهو اللواطة الصغرى والإتيان في دبر الذكر أكبر لواطة منه، قال الإمام من قبّل غلاماً بشهوة فكأنما زنى بأمه سبعين مرة ومن زنى مع أمه مرة فكأنما زنى سبعين بكراً ومن زنى مع البكر مرة فكأنما زنى بسبعين ألف امرأة وحكم اللواطة التعزير والحبس في السجن حتى يتوب وعندهما يحد حد الزنى فيجلد إن لم يكن محصناً ويرجم إن كان محصناً. ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ من الأعمال الصالحة ما يكون الثواب الموعود له ذخيرة محفوظة لكم عند الله ليوم احتياجكم إليه ولا تكونوا في قربانهن على قيد قضاء الشهوة بل كونوا في قيد تقديم الطاعة، مع ملاحظة الحكم المقصود من شرع النكاح وهو الولد ﴿واتقوا الله﴾ بالاجتناب عن معاصيه التي من جملتها ما عد من الأمور ﴿واعلموا أنكم ملاقوه﴾ الهاء راجع إلى الله تعالى فلا بد من حذف مضاف، أي ملاقو جزائه فتزودوا ما لا تفضحون به ﴿وبشر﴾ يا محمد ﴿المؤمنين﴾ الذين تلقوا ما خوطبوا به من الأوامر والنواهي بحسن القبول والامتثال بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم:

درامان خانة ايمان بنشين ايمن باش كرامان بايدت البتة مروزين مأمن

فالعلامة في ذلك أن الذي يكون إيمانه عطاء يمنعه إيمانه من الذنوب ويرغبه في الطاعات والذي هو عارية لا يمنعه من الذنوب ولا يرغبه في الطاعات أي: لا يحثه على الطاعات لأنه لا تدبير له في مكان هو فيه عارية أي: لا يستقر الإيمان في مكان هو فيه عارية وفي قوله تعالى: ﴿واعلموا أنكم ملاقوه﴾ إشارة إلى أن على المرء أن يتذكر مرجعه ومصيره ويتدارك ما ينتفع به في معاده من الأعمال الصالحة وأقل المرتبة العمل للآخرة، وأما أعلى المراتب وأفضل المقاصد والمطالب فالله تعالى كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١] وذلك لأن العمل لله تعالى لا لطلب الجنة ولا لخوف النار.

وفي «التأويلات النجمية»: كما أن للنساء محيضاً في الظاهر وهو سبب نقصان إيمانهن لمنعهن عن الصلاة والصوم فكذلك للرجال محيض في الباطن هو سبب نقصان إيمانهم لمنعهم عن حقيقة الصلاة وهي المناجاة وعن حقيقة الصوم وهي الإمساك عن مشتهيات النفس وكما أن المحيض هو سيلان الدم من الفرج فكذلك الهوى هو غلبات دواعي الصفات البشرية والحاجات الإنسانية فكلما غلب الهوى تكدر الصفا وحصل الأذى وقد قيل قطرة من الهوى

تكدر بحراً من الصفا فحينئذٍ منعت النفس عن الصلاة والصوم في الحقيقة وإن كانت مشغولة بهما، وطبقات المؤمنين ثلاث: العوام، والخواص، وخاص الخاص.

أما العوام فلما كانوا أهل الغيبة عن الحقيقة أبيح لهم السكون إلى أشكالهم إذا كان على وصف الأذى وقيل لهم: ﴿نساؤكم حرث لكم فائتوا حرثكم﴾ أنى شئتم.

وأما الخواص فلما كانوا بوصف الحضور يلزم عليهم المساكنة إلى أمثالهم وقيل لهم: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١] فهم سلكوا مسالك التفريد حتى وصلوا إلى كعبة التوحيد.

وأما خاص الخاص فهم الرجال البالغون الواصلون إلى عالم الحقيقة المتصرفون فيما سوى الله بخلافة الحق فهم رجال الله وما دون الله نساؤهم فقيل لهم: ﴿نساؤكم حرث لكم فائتوا حرثكم أنى شئتم﴾ فهم الأنبياء وخواص الأولياء فكما أن الدنيا مزرعة الآخرة لقوم فالدنيا والآخرة مزرعتهم ومحرثهم يحرثون فيها أنى شاؤوا وكيف شاؤوا وما يشاؤون إلا أن يشاء الله فقد فنيت مشيئتهم في مشيئة الله وبقيت قدرة تصرفهم بتقويته فيقدمون لأنفسهم لا بأنفسهم بل هو المقدم لما يقدمون وهو المؤخر لما يؤخرون ثم قال: ﴿واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه﴾ يعني: يا خواص الأولياء المتصرفين في حرث الدنيا والآخرة اتقوا الله بالله فإنكم ملاقو الله لا يحجبكم عنه شيء. ﴿وبشر المؤمنين﴾ بأنهم ملاقو الله أيضاً إن اتقوا الله بالله يعني مرتبة خواص الأولياء ميسرة للمؤمنين إذا سعوا في طلبها حق سعيها، قال الحافظ:

جمال يارندارد نقاب وپرده ولي غبار ره بنشان تانظر تواني كرد

﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾

﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس﴾ روي أن بشير بن نعمان الأنصاري كان قد طلق زوجته التي هي أخت عبد الله بن رواحة وأراد أن يتزوجها بعد ذلك وكان عبد الله قد حلف على أن لا يدخل على بشير ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين أخه فإذا قيل له في ذلك قال: قد حلفت بالله أن لا أفعل ولا يحل لي إلا أن لا أحفظ يميني وأبر فيه فأنزل الله تعالى هذه الآية، والعرضة: فعلة بمعنى المعروض جعل اسماً لما يعرض دون الشيء أي: يجعل قدامه بحيث يصير حاجزاً ومانعاً منه من عرض العود على الإناء أي: جعل العود على الإناء وستره به بحيث يكون حاجزاً وحائلاً بين الإناء وما يتوجه إليه والمعنى لا تجعلوا ذكر الله والحلف به مانعاً لما حلفتم عليه من أنواع الخير كالبر والاتقاء والإصلاح فإن الحلف بالله لا يمنع ذلك فيكون لفظ الإيمان مجازاً مرسلاً عن الخيرات المحلوف عليها سمي المحلوف عليه يميناً لتعلق اليمين به واللام في لأيمانكم متعلق بقوله عرضة تعلق المفعولية لا تعلق العلية لأن العرضة ما عرضته دون الشيء فاعترضه أي: ما تجعله أنت قدام شيء آخر فيقع قدامه فيكون المعنى لا تجعلوا الحلف بالله شيئاً عرض أو وقع قدام المحلوف عليه الذي هو البر والخير ويصير مانعاً من الإتيان به وأن تبروا عطف بيان لأيمانكم أي: للأمور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والإصلاح ﴿والله سميع﴾ لإيمانكم ﴿عليم﴾ بنياتكم حتى إن تركتم الحلف تعظيماً لله وإجلالاً له من أن تستشهدوا باسمه الكريم في الأغراض العاجلة يعلم ما في

قلوبكم ونيتكم فحافظوا على ما كلفتموه. وفي «المثنوي»:

ازپي آن كفت حق خودرا سميع تاببندي لب ز كفتار شنيع
ازپي آن كفت حق خودرا بصير كه بود ديدويت هردم نذير
ازپي آن كفت حق خودرا عليم تانينديشي فسادي توزبيم

والآية عامة في كل من كان يحلف بالله أن لا يحسن لأحد ولا يتقي من العصيان فيعمل ما اشتهت نفسه وأن لا يصلح بين الناس إذا وقع فيهم العداوة والبغضاء فكأنه قال تعالى كل ذلك خير وطاعة لا يمنعها حلفكم فإن حلفتم عليها فلتكفروا عن حلفكم ولتفعلوا تلك الخيرات من البر والتقوى والإصلاح بين الناس ولا تقولوا: نحن حلفنا بالله فنخاف من اليمين به أن نفعله فنحنث في يميننا فالحنث أولى من البر فيما يتعلق بالبر والتقوى والإصلاح قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً فليكفر عن يمينه ثم ليفعل الذي هو خير» والكفارة قبل اليمين غير جائزة وبعد الحنث واجبة اتفاقاً. ولا تجوز قبل الحنث بعين اليمين عند إسحاق رحمه الله. وفي «الشرعة» ولا يروج سلعته أي: متاعه بالحلف لا صادقاً ولا كاذباً لأنه إن كان كاذباً فقد جاء باليمين الغموس وهي من الكبائر التي تزر الديار بلاقع وإن كان صادقاً قد جعل الله عرضة لإيمانه وأساء فيه إذ الدنيا أخس من أن يقصد ترويجها بذكر الله من غير ضرورة ومن حلف بالله في كل قليل وكثير انطلق لسانه بذلك ولا يبقى اليمين في قلبه فلا يؤمن أقدامه على الأيمان الكاذبة فيختل ما هو الغرض الأصلي من اليمين وفي الخبر «ويل للتاجر من بلى والله ولا والله»، وفي «بستان العارفين»: ويكره أن يصلى على النبي عليه السلام في عرض السلعة فيقول صلى الله على محمد ما أجود هذا وقال عليه السلام: «التجار هم الفجار» قيل: ولِمَ يا رسول الله وقد أحل الله البيع؟ فقال: «لأنهم يحلفون ويأثمون ويتحدثون فيكذبون» ولا يحلف على الله بشيء نحو أن يقول والله ليفعلن الله كذا ولو أقسم ولي الله مثل القسم المذكور لأبره الله وصدقه في يمينه كرامة له، وكان أبو حفص رحمه الله يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش فقال له أبو حفص: ما أصابك؟ قال: ضل حماري ولا أملك غيره فوقف أبو حفص وقال: وعزتك لا أخطو خطوة ما لم ترد حماره فظهر الحمار في الوقت كذا في «شرح المشارق».

﴿لا يؤاخذكم الله باللغو﴾ اللغو ما سقط من الكلام عن درجة الاعتبار يقال لغا لغواً إذا قال باطلاً ﴿في إيمانكم﴾ جمع يمين وهو الحلف وسميت بها لمعنيين: أحدهما أنها من اليمين التي هي اليد اليمنى وكانوا إذا تحالفوا في العهود تصافحوا بالأيمان فسميت بذلك. والثاني أن اليمين هي القوة قال تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥] وسميت به لأن الحالف يتقوى بيمينه على حفظ ما حلف عليه من فعل أو ترك والمراد باللغو في الأيمان ما لا عقد معه ولا قصد وهو أن يحلف الرجل بالله على شيء يظن أنه صادق فيه وليس كذلك سواء كان الذي يحلف عليه ماضياً أو غيره فليس له إثم ولا كفارة هذا عند أبي حنيفة وأما عند الشافعي فلغو اليمين ما سبق إليه اللسان بلا قصد الحلف نحو لا والله وبلى والله مما يوكدون به كلامهم من غير إخطار الحلف بالبال ولو قيل لواحد منهم سمعتك تحلف في المسجد الحرام لأنكر ذلك ولعله قال لا والله ألف مرة. وفي الآية معنيان أحدهما لا يعاقبكم الله باللغو في أيمانكم ظناً

أنكم صادقون فيه ﴿ولكن يؤاخذكم﴾ المؤاخذة مفاعلة من الأخذ وهي المعاقبة هٰهنا ﴿بما كسبت قلوبكم﴾ انطوت عليه واقترفت قلوبكم من قصد الإثم بالكذب في اليمين وهو أن يحلف الرجل على ما يعلم أنه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس وسميت بالغموس لانغماس صاحبها في الإثم بها. وثانيهما لا تلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن تلزمكم الكفارة بما نوت قلوبكم وقصدت من اليمين لا بكسب اللسان وحده، وفي «التيسير» إن هذه الآية في مؤاخذة الآخرة فأما المؤاخذة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [المائدة: ٨٩] فهي المؤاخذة الكفارة لكنها في اليمين المعقودة فالآيتان في مؤاخذتين مختلفتين ﴿والله غفور﴾ حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئاً عن قلة المبالاة ﴿حليم﴾ حيث لم يعجل بالمؤاخذة وفيه إيذان بأن المؤاخذة المعاقبة لا إيجاب الكفارة إذ هي التي تتعلق بها المغفرة والحلم دونه. والفرق بين الحليم والصبور أنه الذي لا يشمئز من الأمر ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٦١] وحظ العبد من وصف الحليم ظاهر فالحلم من محاسن خصال العباد وفي الحديث «إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم مرتبة الصائم القائم»، قال الحسين الواعظ الكاشفي:

علم باحلم حال روى بود   علم بي حلم خاك كوى بود
بردباري چوزينت خردست   هركرا حلم نيست زيور نيست

ثم إنه قال: قال العلماء إذا حلف بشيء فحنث إن كان مستقبلاً فعليه كفارة وهو اليمين المنعقدة وإن كان ماضياً فإن كان الحالف عالماً بالواقع وحلف على خلافه فاليمين كبيرة ولا كفارة عند أبي حنيفة في الكبائر وعند الشافعي تجب الكفارة فيه وهو اليمين الغموس وإن كان الحالف جاهلاً بالواقع ويرى أنه صادق فيه وليس كذلك لا كفارة فيه وهو يمين اللغو عند أبي حنيفة واليمين الغموس عند الشافعي ويحكم فيه بالكفارة واليمين بالله أو باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته فاليمين بالله أن يقول والذي أصلي له والذي نفسي بيده واليمين بأسمائه كقوله: والله والرحمٰن ونحوه واليمين بصفته كقوله وعزة الله وعظمته وجلال الله وقدرته ونحوها ومن حلف بغير الله مثل أن قال والكعبة وبيت الله ونبي الله أو حلف بأبيه ونحوه فلا يكون يميناً ولا تجب به الكفارة إذا خالف وهي يمين مكروهة قال الشافعي: وأخشى أن تكون معصية وفي الحديث «من حلف بغير الله فقد أشرك بالله» معناه من حلف بغير الله تعالى معتقداً تعظيم ذلك الغير فقد أشرك المحلوف به مع الله في التعظيم المختص به ولو لم يكن على قصد التعظيم والاعتقاد به فلا بأس به كقوله لا وأبي ونحو ذلك كما جرت به العادة، قال علي الرازي: أخاف الكفر على من قال بحياتي وبحياتك وما أشبهه ولولا أن العامة يقولونه ولا يعلمونه لقلت إنه الشرك لأنه لا يمين إلا بالله ولا يحلف بالبراءة من الإسلام فمن فعل ذلك صادقاً لن يرجع إلى الإسلام سالماً وإن كان كاذباً خيف عليه الكفر وفي الحديث «من حلف بملة غير الإسلام كاذباً فهو كما قال» وظاهر الحديث يدل على أن المسلم إن قال إن أفعل كذا فأنا يهودي ففعل يكفر وبه عمل الشافعي وقال الحنفية لا يكفر فحملوا الحديث على التهديد وأما إن علقه بالماضي كقوله: إن فعلت كذا فأنا يهودي وقد فعل فقد اختلفت الحنفية

والصحيح أنه لا يكفر إن كان يعلم أنه يمين وإن كان عنده أنه يكفر بالحلف يكفر لأنه رضي بالكفر وهو محمل الحديث عند الأكثر، وفي «الفتاوى البزازية» والفتوى على أنه يمين يلزم عليه الكفارة.

والإشارة في الآية أن ما يجري على الظواهر من غير قصد ونية في البواطن ليس له كثير خطر في الخير والشر ولا زيادة أثر ولو كان له أثر في الخير لما عاب على قوم ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١] وكذا ما يجري على اللسان بنية القلب بلا فعل الجوارح لو كان مؤثراً في القبول لما عاب قوماً بقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٣] ولو كان له أثر في البر لما وسع على قوم بقوله:

﴿**لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم**﴾ وما عفا عن قوم بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] وذلك لأن القلب كالأرض للزراعة والجوارح كالآلات للحراثة والأعمال والأقوال كالبذر فالبذر ما لم يقع في الأرض المربية للزراعة لا ينبت وإن كان في آلة من آلات الحراثة فافهم جداً، وأما إن كان لما يجري على الظواهر من الخير أدنى آثار في القلب ولو كان مثقال ذرة فإن الله من كمال فضله وكرمه لا يضيعه حتى يكون القليل كثيراً والصغير عظيماً وإن كان لما يجري على الظواهر من الشر أدنى أثر في القلب فإن الله تعالى من غاية لطفه وإحسانه لا يؤاخذ العبد به بل يحلم عنه ويتوب عليه ويغفر له كما قال: ﴿**والله غفور حليم**﴾ كذا في «التأويلات النجمية».

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٢٦ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٢٧﴾

﴿**للذين يؤلون من نسائهم**﴾ الإيلاء الحلف وحقه أن يستعمل بعلى لكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن أي: للذين يبعدون من نسائهم مؤلين ﴿**تربص أربعة أشهر**﴾ أي: انتظار هذه المدة وإضافته إلى الظرف على الاتساع في الظرف بجريه مجرى المفعول به كما يقال بينهما مسيرة يوم أي: مسيرة في يوم أي: لهم أن ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفيء أو طلاق. والإيلاء من الزوجة أن يقول الرجل والله لا أقربك أربعة أشهر فصاعداً على التقييد بالأشهر أو لا أقربك على الإطلاق ولو حلف على أن لا يطأها أقل من أربعة أشهر لا يكون مؤلياً بل هو حالف إذا وطئها قبل مضي تلك المدة يجب عليه كفارة يمين على الأصح. وللإيلاء حكمان: حكم الحنث، وحكم البر. فحكم الحنث وجوب الكفارة بالوطء في مدة الإيلاء إن كان اليمين بالله ولزوم الجزاء من نحو الطلاق أو العتاق أو النذر المسمى إن كان القسم بذلك وحكم البر وقوع طلقة بائنة عند مضي مدة الإيلاء وهي أربعة أشهر إن كانت المنكوحة حرة وإن كانت المنكوحة أمة الغير تبين بمضي شهرين. قال قتادة: كان الإيلاء طلاقاً لأهل الجاهلية. وقال سعيد بن المسيب كان ذلك من ضرار أهل الجاهلية كان الرجل لا يحب امرأته ولا يحب أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يقربها أبداً فيتركها لا أيماً ولا ذات بعل وكانوا في ابتداء الإسلام يفعلون ذلك أيضاً فأزال الله ذلك الضرر عنهن وضرب للزوج مدة يتروى فيها ويتأمل فإن رأى المصلحة في ترك هذه المضارة فعله وإن رأى المصلحة في المفارقة فارقها. ﴿**فإن فاؤوا**﴾ أي: إن رجعوا عما حلفوا عليه من ترك الجماع ﴿**فإن الله غفور رحيم**﴾ يغفر

للمولى بفيئته التي هي كتوبته إثم حنثه عند تكفيره أو ما قصد بالإيلاء من ضرار المرأة.

﴿وإن عزموا الطلاق﴾ أصل العزم أو العزيمة عقد القلب على إمضاء شيء تريد فعله أي: حققوه وأكدوه بأن ثبتوا في المدة على ترك القربان حتى مضت المدّة ﴿فإن الله سميع﴾ لطلاقهم ﴿عليم﴾ بغرضهم فيه.

والإشارة في تحقيق الآيتين أن يعلم العبد أن الله لا يضيع حق أحد من عباده لا على نفسه ولا على غيره فلما تقاصر لسان الزوجة لكونها أسيرة في يد الزوج فالله تعالى تولى الأمر بمراعاة حقها فأمر الزوج بالرجوع إليها أو تسريحها فإذا كان حق صحبة الاشكال محفوظاً عليك حتى لو أخللت به أخذك بحكمه فحق الحق أحق بأن يجب مراعاته. وفي تعيين تربص أربعة أشهر في الفيء إشارة عجيبة وهي أنها مدة تعلق الروح بالجنين كما قال عليه السلام: «إن أحدكم يجمع خلقه» أي يحرز ويقر مادة خلقه «في بطن أمه» أي: في رحمها من قبيل ذكر الكل وإرادة الجزء «أربعين يوماً» وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النطفة إذا وقعت في الرحم فأراد الله أن يخلق منها تنشر في بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعرة فتمكث أربعين ليلة ثم تنزل دماً في الرحم فذاك جمعها «ثم تكون علقة» وهي قطعة دم غليظ جامد «مثل ذلك» أربعين يوماً «ثم تكون مضغة» وهي قطعة لحم قدر ما تمضغ «مثل ذلك ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح» وهذا يدل على أن التصوير يكون في الأربعين الثالثة «ويؤمر بأربع كلمات» يعني يؤمر الملك بكتابة أربع قضاها وهو معطوف على قوله تكون علقة لأن الكتابة في الأربعين الثانية «يكتب رزقه» روي على صيغة المجهول والمعلوم «وأجله» وهو يطلق على مدة الحياة كلها وهو المراد هنا وعلى منتهاها ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٤] وعمله وشقي وهو من وجبت له النار أو سعيد وهو من وجبت له الجنة قدم ذكر الشقي لأنه أكثر الناس كذا قال القاضي المراد بكتبه هذه الأشياء إظهارها للملك وإلا فقضاؤه تعالى سابق على ذلك، فإذا تمهد هذا فمن وقع له من أهل القصد وقفة أو فترة في أثناء السلوك من ملالة النفس أو نفرة الطبع فعلى الشيخ وعلى الأصحاب أن لا يفارقوه في الحقيقة وأن يتعاونوا بالهمم العلية لاستجلابه ويتربصوا أربعة أشهر الرجوع فإن فاء إلى صدق الطلب ورعاية حق الصحبة واستغفر مما جرى منه ونفخ فيه روح الإرادة مرة أخرى أقبلوا عليه وعفوا عما لديه فإن هذا ربيع لا يرعاه إلا المهزولون وربع لا يسكنه إلا المعزولون ومنهل لا يرده إلا اللاهون وباب لا يقرعه إلا الماكثون بل هذا شراب لا يذوقه إلا العارفون وغناء لا يطرب عليه إلا العاشقون وإن عزموا بعد مضي أربعة أشهر طلاق منكوحة المواصلة وأصروا على ذنب المفارقة فلهم التمسك بعروة هذا فراق بيني وبينك فإن الله سميع بمقالتهم عليم بحالتهم، قال السعدي قدس سره:

نه مارا درميان عهد ووفابود   جفا كردي وبد عهدي نمودي
هنوزت كرسر صلحست بازآي   كزان محبوبتر باشي كه بودي

قال أوحد المشايخ في وقته أبو عبد الله الشيرازي رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول: من عرف طريقاً إلى الله فسلكه ثم رجع عنه عذبه الله بعذاب لم يعذب به أحداً من العالمين كذا في «لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية».

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ

يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

﴿والمطلقات﴾ المراد بها ذوات الأقراء من الحرائر المدخول بهن لأنه لا عدة على غير المدخول بها وأن عدة من لا تحيض لصغر أو كبر أو حمل بالأشهر ووضع الحمل وأن عدة الأمة قرءان أو شهران وأصل التطليق رفع القيد أي: المخليات من حبال أزواجهن ﴿يتربصن﴾ خبر في معنى الأمر أي: ليتربصن وينتظرن ﴿بأنفسهن﴾ الباء للتعدية أي: يحملن أنفسهن على التربص ويجعلنها متربصة ﴿ثلاثة قروء﴾ نصب على الظرفية أي: مدة ثلاثة قروء فلا تتزوجن إلى انقضائها. والقروء جمع قرء وهو من الأضداد في كلام العرب يقع على الطهر والحيض، والمشهور أنه حقيقة فيهما كالشفق اسم للحمرة والبياض جميعاً. ذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن القروء وهي الحيض لأن الله تعالى جعل الاعتداد بالأشهر بدلاً من الاعتداد بالقرء كما قال: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ [الطلاق: ٤] فلما شرع ذلك عند ارتفاع الحيض دل على أن الأصل كان هو الحيض وتمسك الشافعي بقوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١] على أن المراد بالقروء الإطهار لأن اللام في لعدتهن للوقت ووقت العدة لا يجوز أن يكون وقت الحيض لأنه تعالى أمر بالطلاق والطلاق في وقت الحيض منهي عنه. وجوابه أن معناه فطلقوهن مستقبلات لعدتهن وهي الحيض الثلاث فالطلاق يقع ثم تأخذ المرأة وتشرع في العدة وليس معنى الآية أن الطلاق واقع في العدة وفائدة الخلاف بين الشافعي وأبي حنيفة أن مدة العدة عند الشافعي أقصر وعند أبي حنيفة أطول حتى لو طلقها في حال الطهر يحسب بقية الطهر قرءاً وإن حاضت عقيبه في الحال فإذا شرعت في الحيضة الثالثة انقضت عدتها وعند أبي حنيفة ما لم تطهر من الحيضة الثالثة إن كان الطلاق في حال الطهر أو من الحيضة الرابعة إن كان الطلاق في حال الحيض لا يحكم بانقضاء عدتها ﴿ولا يحل لهن أن يكتمن﴾ أي: يخفين ﴿ما خلق الله في أرحامهن﴾ من الحبل والحيض بأن تقول المرأة لست بحامل أو لست بحائض وهي حائض لتبطيل حق الزوج من الولد والرجعة وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع وربما أسقطت الحمل خوفاً أن يعود ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها أو كتمت حيضها استعجالاً للطلاق لأن الطلاق السني إنما يكون في الطهر. وفيه دليل على قبول قولهن في ذلك نفياً وإثباتاً ﴿إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ أي: فلا يجترئن على ذلك فإن قضية الإيمان بالله واليوم الآخر الذي يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعاً. وفيه تهديد شديد على النساء وليس المراد أن ذلك النهي مشروط بكونها مؤمنة لأن المؤمنة والكافرة في هذا الحكم سواء ﴿وبعولتهن﴾ جمع بعل والبعلة المرأة وأصل البعل السيد والمالك سمي الزوج بعلاً لقيامه بأمر زوجته كأنه مالك لها ورب والتاء في البعولة لتأنيث الجمع فإن الجمع لكونه بمعنى الجماعة في حكم المؤنث والتاء زائدة لتأكيد التأنيث ودلت تسمية الزوج بعلاً بعد طلاقها الصريح على أن النكاح قائم والحل ثابت والضمير لبعض أفراد المطلقات لأن هن عام شامل للمطلقة بالطلاق الرجعي والبائن ولا حق لأزواج المطلقات البوائن في النكاح والرجعة. ﴿أحق بردهن﴾ إلى النكاح والرجعة إليهن ﴿في ذلك﴾ أي: في زمان التربص فإن حق الرجعة إنما يثبت للزوج ما دامت في العدة وإذا انقضى

وقت العدة بطل حق الرد والرجعة. وأفعل هنا بمعنى الفاعل والمعنى أن أزواجهن حقيقون بردهن إذ لا معنى للتفضيل هنا فإن غير الأزواج لا حق لهم فيهن البتة ولا حق أيضاً للنساء في ذلك حتى لو أبت من الرجعة لم يعتد بذلك ﴿إن أرادوا﴾ أي: الأزواج بالرجعة ﴿إصلاحاً﴾ لما بينهم وبينهن وإحساناً إليهن ولم يريدوا مضارتهن كما كانوا يفعلونه في الجاهلية كان الرجل يطلق امرأته فإذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم بعد مدة طلقها يقصد بذلك تطويل العدة عليها وليس المراد به شرطية قصد الإصلاح بصحة فإن الرجعة صحيحة وإن راجعها مضاراً بها بل هو الحث عليه والزجر عن قصد الضرار ثم أنه تعالى لما بين أن المقصود من الرجعة إصلاح حالها لا إيصال الضرر إليها بين أن لكل واحد من الزوجين حقاً على الآخر فقال: ﴿ولهن﴾ عليهم من الحقوق ﴿مثل الذي﴾ لهم ﴿عليهن بالمعروف﴾ قوله بالمعروف متعلق بما تعلق به لهن من الاستقرار أي: استقر لهن بالمعروف أي: بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفهن ما ليس لهم ولا يعنف أحد الزوجين صاحبه ووجه المماثلة بين الحقين هو الوجوب واستحقاق المطالبة لا الاتحاد في جنس الحقوق مثلاً إذا استحقت المرأة على الزوج المهر والنفقة والمسكن لا يستحق هو عليها أيضاً جنس هذه الحقوق ﴿وللرجال عليهن درجة﴾ أي: زيادة في الحق وفضل فيه وفضل الرجل على المرأة في العقل والدين وما يتفرع عليهما مما لا شك فيه وفضله المناسب بهذا المقام أمران: الأول كون ما يستحق هو عليها أفضل وأزيد مما تستحق هي عليه فإنه مالك لها مستحق لنفسها لا تصوم تطوعاً إلا بإذنه ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه وقادر على الطلاق فإذا طلقها فهو قادر على مراجعتها شاءت المرأة أو أبت. وأما المرأة فلا تملك شيئاً من هذه الأمور وإنما حقها فيه المهر والكفاف وترك الضرار. والثاني: ما أشار إليه الزجاج بقوله معناه أن المرأة تنال من الرجل من اللذات المتفرعة على النكاح مثل ما ينال الرجل منها وله الفضيلة عليها بنفقته والقيام عليها فالفضيلة على هذا فضيلة ما التزمه في حقها مما يتعلق بالرحمة والإحسان كالتزام المهر والنفقة والمسكن والذب عنها والقيام بمصالحها ومنعها عن مواقع الآفات عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كنت آمراً لأحد أن يسجد لأحد غير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» لما عظم الله من حقه عليها قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤] فكان قيام المرأة بخدمة الرجل آكد وجوباً لهذه الحقوق الزائدة ﴿والله عزيز﴾ يقدر على الانتقام ممن يخالف أحكامه ﴿حكيم﴾ تنطوي شرائعه على الحكم والمصالح.

واعلم أن مقاصد الزوجية لا تتم إلا إذا كان كل واحد من الزوجين مراعياً حق الآخر مصلحاً لأحواله مثل طلب النسل وتربية الولد ومعاشرة كل واحد منهما الآخر بالمعروف وحفظ المنزل وتدبير ما فيه وسياسة ما تحت أيديهما إلى غير ذلك مما يستحسن شرعاً ويليق عادة وفي الحديث «جهاد المرأة حسن التبعل» يقال امرأة حسنة التبعل إذا كانت تحسن عشرة زوجها والقيام بما عليها في بيت الزوج وفي الحديث «أيما امرأة ماتت وزوجها راضٍ عنها دخلت الجنة» كما في «رياض الصالحين». ومن الحقوق التزين قال ابن عباس رضي الله عنهما أني لأتزين لامرأتي كما تتزين لقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ويقال: أن المرأة مثل الحمامة إذا نبت لها جناح طارت كذا الرجل إذا زين امرأته بالثياب فلا تجلس بالبيت. وقال رجل ما دخل داري شر قط فقال حكيم ومن أين دخلت امرأتك، قال السعدي قدس سره:

دلارام باشد زن نيك خواه ولي اززن بد خدايا پناه

وقال بعضهم:

عصمت زن را بمقام جمال جلوه حرامست مكريا حلال

ـ حكي ـ أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح وكان له امرأة يحبها حباً شديداً فبعث الله إليه أن يسأله ثلاث حوائج فقال لامرأته حوائجي كثيرة لا أدري ما أعمل فقالت امرأته: اسأل حاجة لي وحاجتين لك قال: ما تريدين؟ قالت: اسأل ربك أن يصيرني في صورة ما كانت صورة أحسن منها وأجمل فسأل ربه فأضاء البيت من حسنها وجمالها فقامت لتخرج من بيتها فقال زوجها: إلى أين تذهبين؟ قالت: إلى بعض السلاطين أنا لا أضيع حسني وجمالي بمثلك ومنع الزوج خروجها ثم بلغ الخبر إلى بعض السلاطين فجاء أعوانه وأخذوها من زوجها جبراً فقال الرجل: اللهم بقي لي عندك حاجتان اجعلها قردة فمسخها الله تعالى قردة فردها الملك من عنده فجاءت إلى زوجها ثم قال الرجل: اللهم كما كانت أولاً فذهبت الحوائج كلها عبثاً لا هي أفلحت ولا هو.

والإشارة أن المطلقات لما أمرن بالعدة وفاء لحق الصحبة وإن كان الانقطاع من الزوج لا من الزوجة أمرن أن لا يقين غير مقامه بالسرعة ويصبرون حتى يمضي مقدار من المدة إلى آخر العدة وكلها دلالات على وفاء الربوبية في رعاية العبودية فإن الله تعالى من كمال كرمه يرخي زمام الفضل بالاصطناع وإن كان من العبد الفصل والانقطاع ويمهل العبد إلى انقضاء عدة الجفاء ولا يعرض عنه سريعاً لإقامة شرط الوفاء لعل العبد في مدة العدة ينتبه من نوم الغفلة وتتحرك داعيته في ضمير قلبه من نتائج محبة ربه وإن ابتلاه بمحنة الفرقة فيقرع بأصبع الندامة باب التوبة ويقوم على قدم الغرامة في طلب الرجعة والأوبة فيقال من كمال الفضل والنوال يا قارع الباب دع نفسك وتعال من طلب منا فلاحاً فليلزم عتبتنا مساء وصباحاً.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٢٢٩)﴾

﴿الطلاق﴾ أي: التطليق الرجعي المتقدم ذكره الذي قال تعالى فيه **﴿وبعولتهن أحق بردهن﴾** **﴿مرتان﴾** أي: دفعتان وذلك لا يكون إلا على سبيل التفريق فإن من أعطى إلى آخر درهمين لم يجز أن يقال أعطاه مرتين حتى يعطيه إياهما دفعتين فالجمع بين الطلقتين والثلاث في الإيقاع حرام عند أبي حنيفة رحمه الله إلا أنه سني الوقوع لا سني الإيقاع فالطلاق الذي يثبت فيه للزوج حق المراجعة هو أن يوجد طلقتان فقط وأما بعد الطلقتين بأن طلق ثلاثاً فلا يثبت للزوج حق الرجعة البتة ولا تحل له المرأة إلا بعد زوج آخر ثم قوله: **﴿الطلاق مرتان﴾** وإن كان ظاهره الخبر فإن معناه الأمر لأن حمله على ظاهره يؤدي إلى وقوع الخلف في خبر الله تعالى لأنه قد يوجد إيقاع الطلاق على وجه الجمع ولا يجوز الحلف في خبر الله فكان المراد منه الأمر كأنه قيل طلقوهن مرتين أي: دفعتين **﴿فإمساك﴾** أي: فالحكم بعد هاتين الطلقتين إمساك لهن **﴿بمعروف﴾** وهو أن يراجعها لا على قصد المضارة بل على قصد الإصلاح وحسن المعاشرة **﴿أو تسريح﴾** أي: تخلية **﴿بإحسان﴾** بأن يترك المراجعة حين تبين

بانقضاء العدة. ومعنى الإحسان في التسريح أنه إذا تركها أدى إليها حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها وجملة الحكم في هذا الباب أن الحر إذا طلق زوجته طلقة أو طلقتين بعد الدخول بها يجوز له أن يراجعها من غير رضاها ما دامت في العدة وإن لم يراجعها حتى تنقضي عدتها أو طلقها قبل الدخول بها أو خالعها فلا تحل له إلا بنكاح جديد بإذنها وإذن وليها فإن طلقها ثلاثاً فلا تحل له ما لم تنكح زوجاً غيره وأما العبد إذا كانت تحته أمة فطلقها طلقتين فإنها لا تحل له إلا بعد نكاح زوج آخر والاعتبار بالمرأة في عدد الطلاق عند أبي حنيفة رحمة الله فيملك العبد على زوجته الحرة ثلاث طلقات ولا يملك الحر على زوجته الأمة إلا طلقتين ﴿ولا يحل لكم﴾.

ـ روي ـ أن جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فأتت رسول الله عليه السلام وقالت: لا أنا ولا ثابت ولا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما أعيبه في دين ولا خلق ولكني أكره الكفر في الإسلام ما أطيقه بعضاً إني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدة فإذا هو أشدهم سواداً وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً فنزلت فاختلعت منه بحديقة أصدقها أي: سماها ثابت صداقاً لها يعني لما قالت جميلة ما قالت قال ثابت: يا رسول الله مرها فلترد علي الحديقة التي أعطيتها فقال عليه السلام لها: «ما تقولين» قالت: نعم وأزيده فقال عليه السلام: «لا حديقته فقط» ثم قال لثابت: «خذ منها ما أعطيتها وخل سبيلها» ففعل وكان ذلك أول خلع في الإسلام. والخطاب في لكم مع الأحكام ليطابق قوله تعالى: ﴿فإن خفتم﴾ فإنه خطاب مع الحكام والحكام وإن لم يكونوا آخذين ومؤتين حقيقة إلا أنهم هم الذين يأمرون بالأخذ والإيتاء عند الترافع إليهم فكأنهم هم الذين يأخذون ويؤتون ﴿أن تأخذوا مما آتيتموهن﴾ أي: تأخذوا منهن بمقابلة الطلاق ما أعطيتموهن من المهور ﴿شيئاً﴾ أي: نزراً يسيراً فضلاً عن استرداد الكثير ﴿إلا أن يخافا﴾ أي: الزوجان ﴿ألا يقيما حدود الله﴾ أي: أن لا يراعيا مواجب الزوجية، قوله: ﴿إلا أن يخافا﴾ استثناء مفرغ وأن يخافا محله النصب على أنه مفعول من أجله مستثنى من العام المحذوف تقديره ولا يحل لكم أن تأخذوا بسبب من الأسباب شيئاً إلا بسبب خوف عدم إقامة حدود الله ﴿فإن خفتم﴾ أيها الحكام ﴿ألا يقيما حدود الله﴾ أي: الحقوق التي أثبتها النكاح وذلك بمشاهدة بعض الأمارات والمخايل ﴿فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ أي: فيما أعطته المرأة من بدل الخلع لا على الزوج في أخذ ما فدت به نفسها ولا عليها في إعطائه إياه هذا إذا كان النشوز من قبل المرأة لأنها ممنوعة عن إتلاف المال بغير حق أما إذا كان النشوز من قبل الزوج فلا يحل له أن يأخذ شيئاً مما آتاها لقوله تعالى ﴿فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ﴾ [النساء: ٢٠] ولا يضيق عليها ليلجئها إلى الافتداء فإن ذلك منهي عنه قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٩] وعموم قوله تعالى: ﴿فيما افتدت به﴾ يشعر بجواز المخالعة على قدر المقبوض من الزوج وعلى الأزيد والأقل وعليه جمهور الفقهاء ثم أن ظاهر الآية أنه لا يباح الخلع إلا عند الغضب والخوف وجمهور المجتهدين على جوازه في حالة الخوف وفي غير حالة الخوف فلا بد حينئذٍ أن يجعل قوله: ﴿إلا أن يخافا﴾ استثناء منقطعاً كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔاۚ﴾ [النساء: ٩٢] أي: لكن إن قتل خطأ فدية مسلمة إلى أهله. قال البغوي ويجوز الخلع في غير حال النشوز غير أنه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب قال رسول

الله ﷺ: «إن من أبغض الحلال إلى الله الطلاق» ﴿**تلك**﴾ أي: الأحكام المذكورة ﴿**حدود الله**﴾ أوامره ونواهيه ﴿**فلا تعتدوها**﴾ أي: لا تتجاوزوا عنها بالمخالفة والرفض ﴿**ومن يتعد حدود الله فأولئك**﴾ المتعدون ﴿**هم الظالمون**﴾ أي: لأنفسهم بتعريضها لسخط الله وعقابه.

اعلم أن المرأة إذا برئت من مواقع الخلل واتصفت بالعفة فعلى الزوج أن يعاشرها بالمعروف ويصبر على سائر أوضاعها وسوء خلقها ويتأدب بآداب النبي ﷺ وكان عليه السلام يحسن المعاشرة مع أزواجه المطهرة فحسن معاشرتهن والصبر عليهن مما يحسن الأخلاق فلا جرم يعد الصابر من المجاهدين في سبيل الله.

ـ روي ـ أن بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته إلى أن ماتت وعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة أروح لقلبي قال: فرأيت في المنام بعد جمعة من وفاتها كأن أبواب السماء قد فتحت وكأن رجالاً ينزلون ويسيرون في الهواء يتبع بعضهم بعضاً فكلما نظر إلى واحد منهم يقول لمن وراءه: هذا هو المشؤوم فيقول الآخر: نعم ويقول الثالث كذلك فخفت أن أسألهم إلى أن مر بي آخرهم فقلت له: من هذا المشؤوم؟ فقال: أنت قلت: ولِمَ؟ قال: كنا نرفع عملك مع أعمال المجاهدين في سبيل الله تعالى فمنذ جمعة أمرنا أن نضع عملك مع المخالفين فلا ندري ما أحدثت فقال لإخوانه: زوجوني فلم يكن يفارقه زوجتان أو ثلاث. قال الكاشفي:

مردي كمان مبركه بزورست وبردلي ... بانفس اكر جهاد كنى مرد كاملي

ولا يتيسر هذا إلا لواحد بعد واحد كما قيل وللحروب رجال وإن أنت تريد الطلاق فطلق نفسك، كما قيل:

هركه زن نفس شوم را داد طلاق ... جفتش نبود بزير اين نيلي طاق

از مزبلة نفس قدم بيرون نه ... تاروحت كند نسيم وصل استنشاق

وما دام عجوز نفسك تشوش باطنك وتخرب بيت قلبك فالعروس التي هي تجلي الروح لا تتراءى من وراء نقاب السر ولا تجيء بيت مشاهدتك رحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد طوره.

والإشارة في الآية أن أهل الصحبة لا يفارقون بجريمة واحدة صدرت من الرفيق الشفيق والصديق الصدوق ولا بجريمتين بل يتجاوزون مرة أو مرتين. وفي الثالثة: ﴿**فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**﴾ إما صحبة جميلة أو فرقة جميلة كما تجاوز الخضر عن موسى عليهما السلام مرتين وفي الثالثة ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨] وأما الصحبة من غير تعظيم وحرمة وذهاب لذة العمر بالأخلاق الذميمة وإضاعة الوقت في تحصيل المقت فغير مرضية في الطريقة ولا محمودة في الشريعة بل قاطعة طريقة الحق وليس لأهل الصحبة إذا اتفقت المفارقة أن يستردوا خواطرهم من الرفقاء بالكلية ويقطعوا رحم الأخوة في الدين ويأخذوا منهم قلوبهم بعدما آتوهم الهمم العلية فإن العائد في هبته كالعائد في قيئه ﴿**إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله**﴾ في رعاية حقوق الصحبة ﴿**فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله**﴾ بأن تؤدي إلى مداهنة أو إهمال في حق حقوق الدين ﴿**فلا جناح عليهما فيما افتدت به**﴾ من الحظوظ لرعاية الحقوق ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٣] من الحظوظ والحقوق ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩] بترك

الحقوق لنيل الحظوظ كذا في «التأويلات النجمية» قدس الله تعالى نفسه الزاكية القدسية.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾

﴿**فإن طلقها**﴾ أي: بعد الطلقتين السابقتين ﴿**فلا تحل**﴾ تلك المرأة ﴿**له**﴾ لزوجها ﴿**من بعد**﴾ أي: من بعد الطلقة الثالثة لا بطريق الرجعة ولا بتجديد العقد ﴿**حتى تنكح**﴾ تتزوج تلك المرأة ﴿**زوجاً غيره**﴾ أي: غير المطلق ويسمى الأجنبي زوجاً لأنه بالعقد يصير زوجاً فسماه باسم العاقبة والنكاح هنا العقد دون الوطء وبه أخذ سعيد بن المسيب واللفظ يشهد له لا يقال حتى تطأ المرأة الزوج فإن المرأة موطوءة لا واطئة فالآية وإن كانت مطلقة لأنها إنما تدل على أن عدم حلها له يمتد إلى أن تتزوج بزوج آخر وينعقد بينهما عقد النكاح من غير تقييد ذلك العقد بكونه مؤدياً إلى جماع الزوج الثاني لكنها مقيدة بالسنة فالإجماع على اشتراط الإصابة لما روي أن امرأة رفاعة جاءت النبي عليه الصلاة والسلام فقالت: إن رفاعة طلقني فبت طلاقي أي: قطعه حيث طلقني ثلاثاً وأن عبد الرحمٰن بن الزبير تزوجني وأن ما معه أي: ذكره ليس بأغنى عني من هذه أي: الهدبة وأخذت من جلبابها فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال: «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة» قالت: نعم فقال: «لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك» والمراد بالعسيلة الجماع شبه لذة الجماع بالعسل ﴿**فإن طلقها**﴾ أي: الزوج الثاني بعد الدخول بها ﴿**فلا جناح عليهما**﴾ أي: لا إثم على الزوج الأول والمرأة ﴿**أن يتراجعا**﴾ أي: يرجع كل منهما إلى صاحبه بعقد جديد ﴿**إن ظنا أن يقيما حدود الله**﴾ أي: إن كان في ظنهما أنهما يقيما حدود الله أي: ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية ولم يقل إن علما لأن العواقب غير معلومة والإنسان لا يعلم ما في الغد وإنما يظن ظناً ﴿**وتلك**﴾ إشارة إلى الأحكام المذكورة إلى هنا ﴿**حدود الله**﴾ أي: أحكامه المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة ﴿**يبينها**﴾ بهذا البيان ﴿**لقوم يعلمون**﴾ أي: يفهمون ويعملون بمقتضى العلم وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما أنهم المنتفعون بالبيان والجاهل إذا بين له لا يحفظ ولا يتعاهد:

نكته كفتن پيش كزفهمان زحكمت بيكمان

جوهري چند ازجواهر ريختن پيش خرست

ثم إن الحكمة في اشتراط إصابة الزوج الثاني في التحليل وعدم كفاية مجرد العقد فيه الردع عن المسارعة إلى الطلاق فإن الغالب أن يستنكر الزوج أن يستفرش زوجته رجل آخر وهذا الردع إنما يحصل بتوقف الحل على الدخول وأما مجرد العقد فليس منه زيادة نفرة وتهييج غيرة فلا يصلح توقف الحل عليه رادعاً وزاجراً عن التسرع إلى الطلاق والنكاح المعقود بشرط التحليل وهو أن يشترط النكاح أن يقتصر على قدر التحليل ولا يستديم زوجيتها فاسد عند الأكثر وجائز عند أبي حنيفة مع الكراهة وعنه أنهما إن أضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة. وفي شرح «الزيلعي»: لو خافت المرأة المطلقة ثلاثاً أن لا يطلقها المحلل فقالت زوجتك نفسي على أن أمري بيدي أطلق نفسي كلما أردت فقبل جاز النكاح وصار الأمر بيدها. وفيه أيضاً ومن لطائف الحيل فيه أن تزوج المطلقة من عبد صغير تتحرك آلته ثم تملكه بسبب من الأسباب بعدما وطئها فيفسخ النكاح بينهما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «لعن

الله المحلل والمحلل له» المحلل بكسر اللام والمراد به الزوج الثاني والمحلل له بفتح اللام والمراد به الزوج الأول، فإن قلت ما معنى لعنهما؟ قلت: معنى اللعن على المحلل لأنه نكح على قصد الفراق والنكاح شرع للدوام وصار كالتيس المستعار والتيس هو الذكر من الغنم وقد يستعيره الناس لاستيلاد الغنم واللعن على المحلل له لأنه صار سبباً لمثل هذا النكاح والمتسبب شريك المباشر في الإثم والثواب، أو المراد من اللعن إظهار خساستهما أما خساسة المحلل فلمباشرته مثل هذا النكاح بدليل قوله عليه السلام: «ألا أنبئكم بالتيس المستعار» وأما خساسة المحلل له فلمباشرة ما ينفر عنه الطبع السليم من عودها إليه بعد مضاجعة غيره إياها واستمتاعه بها لا حقيقة اللعن إذ هو لا يليق بمنصب الرسالة في حق الأمة لأنه عليه الصلاة والسلام لم يبعث لعاناً.

والإشارة في الآية أن أهل الصحبة لما تجاوزوا عن زلة الإخوان مرة ومرتين ثم في الثالثة إن سلكوا طريق الهجران وخرجوا عن مصاحبة الإخوان فلا يحل للإخوان أن يواصلوا الخوان حتى يصاحب الخائن صديقاً مثله فإن ندم بعد ذلك على أفعاله وسئم من ذلك الصديق وأمثاله وترك صحبته وخرج عن خصاله ورجع إلى صحبة إخوانه وأشكاله ﴿**فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما**﴾ شرائط العبودية والصحبة في الله وتلك طرق قربات الله والسائرين إلى الله بينهما بالتصريح والتعريض والعبارات والإشارة ﴿**لقوم يعلمون**﴾ المعاريض ويفهمون الإشارات كذا في «التأويلات النجمية». قال أحمد بن حضرويه الطريق واضح والدليل لائح والداعي قد أسمع فما التحير بعد هذا إلا من العمى، قال الحافظ:

وصف وخسارة خورشيد زخفاش مپرس　　　كه درين آينه صاحب نظران حيرانند

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾

﴿**وإذا طلقتم النساء**﴾ أي: نساءكم ﴿**فبلغن أجلهن**﴾ أي: آخر عدتهن وشارفن منتهاها ولم يرد حقيقة انقضاء العدة لأن العدة إذا انقضت لم يكن للزوج إمساكها بالمعروف، نزلت في رجل من الأنصار يدعى ثابت بن يسار طلق امرأته حتى إذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها بقصد مضارتها ﴿**فأمسكوهن بمعروف**﴾ أي: راجعوهن من غير طلب إضرار لهن بالرجعة. والمعروف ما ألفته العقول واستحسنته النفوس شرعاً وعرفاً وعادة فالمراد به هنا حسن المعاشرة ﴿**أو سرحوهن بمعروف**﴾ أو خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل ﴿**ولا تمسكوهن ضراراً**﴾ أي: ولا تراجعوهن إرادة الإضرار بهن بتطويل العدة والحبس على أن يكون انتصاب ضراراً على العلة أو مضارين على الحال، فإن قلت: لا فرق بين قوله: ﴿**أمسكوهن بمعروف**﴾ وبين قوله: ﴿**لا تمسكوهن ضراراً**﴾ لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده فما الفائدة في التكرار. قلت: إن الأمر لا يفيد التكرار ولا يدل على كون امتثال المأمور به مطلوباً في كل الأوقات فدل لا تمسكوهن على المبالغة في التوصية بالإمساك بالمعروف لدلالته على أن الإمساك المذكور مطلوب منه في جميع الأوقات ﴿**لتعتدوا**﴾ متعلق بضراراً إذ المراد تقييده أي: لتظلموهن بالإلجاء إلى الافتداء ﴿**ومن يفعل ذلك**﴾ أي: ما ذكر من الإمساك المؤدي إلى الظلم

﴿فقد ظلم نفسه﴾ في ضمن ظلمه لهن بتعريضها للعقاب **﴿ولا تتخذوا آيات الله﴾** المنطوية على الأحكام المذكورة أو جميع آياته وهي داخلة فيها دخولاً أولياً **﴿هزواً﴾** أي: مهزواً بها بالإعراض عنها والتعاون في العمل بما فيها والنهي كناية عن الأمر بضده لأن المخاطبين مؤمنون ليس من شأنهم الهزؤ بآيات الله أي: جدوا في الأخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها، قال الحكيم السناني قدس سره:

دانشت هست وكاربستن كو خنجرت هست وصف شكستن كو

ولما رغبهم في رعاية التكاليف والعمل بها بالتهديد على التهاون بها أكد ذلك الأمر بذكر نعم الله عليهم بأن يشكروها ويقوموا بحقوقها فقال: **﴿واذكروا نعمة الله﴾** كائنة **﴿عليكم﴾** حيث هداكم إلى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية أي: قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها وقيل: واذكروا إنعام الله عليكم بأن خلقكم رجالاً وجعل لكم أزواجاً تسكنون إليها وجعل النكاح والطلاق والرجعة بأيديكم ولم يضيق عليكم كما ضيق على الأولين حين أحل لهم امرأة واحدة ولم يجوز لهم بعد موت المرأة نكاح أخرى **﴿وما أنزل عليكم﴾** عطف على نعمة الله أي: وما أنزله الله عليكم **﴿من الكتاب والحكمة﴾** أي: القرآن والسنة أفردهما بالذكر إظهاراً لشرفهما **﴿يعظكم به﴾** أي: بما أنزل عليكم حال من فاعل أنزل وهو ضمير أنزل أي: اذكروا نعمة الله وما أنزله عليكم واعظاً به لكم ومخوفاً **﴿واتقوا الله﴾** في شأن المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة **﴿واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾** فلا يخفى عليه شيء مما تأتون وما تذرون فيؤاخذكم بأفانين العذاب.

والإشارة في الآية أن الأذية والمضارة ليست من الإسلام ولا من آثار الإيمان ولا من شعار المسلمين عموماً كما قال عليه السلام: «المؤمن من أمنه الناس» وقال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» ويتضمن حسن المعاشرة مع الخلق جميعاً، فأما الزوجان ففيهما خصوصية بالأمر بحسن المعاشرة معهن وترك أذيتهن والمغايظة معهن على وجه اللجاج فإما تخلية سبيل من غير جفاء أو قيام بحق الصحبة على شرائط الوفاء بلا اعتداء **﴿ومن يفعل ذلك﴾** أي: من الأذية والمضارة والاعتداء بالجفاء **﴿فقد ظلم نفسه﴾** لأن الله تعالى يجازي الظالم والمظلوم يوم القيامة بأن يكافىء المظلوم من حسنات الظالم ويجازي الظالم من سيئات المظلوم والظالم إذا أساء إلى غيره صارت نفسه مسيئة وإذا أحسن صارت نفسه محسنة فترجع إساءة الظالم إلى نفسه لا إلى نفس غيره حقيقة فإنه ظلم نفسه لا غيره ولهذا قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧] قال السعدي قدس سره:

مكن تا تواني دل خلق ريش وكر ميكني ميكني بيخ خويش

﴿ولا تتخذوا آيات الله هزواً﴾ أي: بتلاوة ظاهرها من غير تدبر معانيها وتفهم إشاراتها وتحقق أسرارها وتتبع حقائقها والتنور بأنوارها والاتعاظ بمواعظها وحكمها. يقال إن الوعظ كالشاهين فإنما يقع على الحي لا على الميت فمن مات قلبه وتعوذ بالله من ذلك لم يتأثر بالمواعظ قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «أنتم اليوم على بينة من ربكم» يعني على بيان قد بين لكم طريقكم «ما لم تظهر فيكم السكرتان سكرة العيش وسكرة الجهل».

ـ روي ـ أنه ضلت راحلة الحسن البصري في طريق الحج فلقيه صبي فسأله فعرفها فلما

وجد الراحلة سأله الصبي يا شيخ ما تأكل وما تلبس؟ قال: آكل خبز الشعير وألبس الصوف لأكسر شهوتي بهما قال الصبي: كل ما شئت والبس كذلك بعد أن يكونا حلالين قال: وأين تبيت؟ قال: في الخص وهو بيت من القصب قال: لا تظلم وبت حيث شئت فقال الحسن: لولا صباك لكسبت منك ما تكلمت به فتبسم الصبي وقال: أراك غافلاً أخبرتك بالدنيا فقبلت وأخبرك بالدين فتأنف من كلامي ارجع إلى منزلك فلا حج لك. قال السعدي قدس سره:

مرد بايد كه كيرد اندر كوش ... ور نوشته است پند بر ديوار

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾

﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن﴾ أي: استوفين عدتهن فالبلوغ هنا عبارة عن حقيقة الانتهاء لأن المذكور بعده النكاح ولا يكون ذلك إلا بعد انقضاء العدة **﴿فلا تعضلوهن﴾** العضل المنع والحبس والتضييق. والمخاطب بالخطاب الأول هو الأزواج. وبالثاني هو الأولياء لما روي أن الآية نزلت في معقل بن يسار حين منع أخته جميلة أن ترجع إلى زوجها الأول البداح عبيد الله بن عاصم فإنه جاء يخطبها بعد انقضاء العدة وأرادت المرأة الرجوع فلما سمع معقل الآية قال: أرغم أنفي وأزوج أختي وأطيع ربي فالمعنى إذا طلقتم النساء أيها الأزواج فلا تعضلوهن أيها الأولياء وهذا وإن كان مما لا يخفى ركاكته إلا أن جملة الخلائق من حيث حضورهم في علمه تعالى لما كانت بمثابة جماعة واحدة صح توجيه أحد الخطابين الواقعين في كلام واحد إلى بعض وتوجيه الخطاب الآخر إلى البعض الآخر ولعل التعريض لبلوغ الأجل مع جواز تزوج الأول قبله أيضاً لدفع العضل المذكور حينئذٍ وليس فيه دلالة على أن ليس للمرأة أن تزوج نفسها وإلا لاحتيج إلى نهي الأولياء عن العضل لما أن النهي لدفع الضرر عنهن فإنهن وإن قدرن على تزويج أنفسهن لكنهن يحترزن عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة، وقيل: الخطابان للأزواج حيث كانوا يعضلون مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن من شِئْنَ من الأزواج ظلماً وقسراً واتباعاً لحمية الجاهلية **﴿أن ينكحن﴾** أي: لا تمنعوهن من أن يتزوجن وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن **﴿أزواجهن﴾** إن أريد بهم المطلقون فالزوجية إما باعتبار ما كان وإما باعتبار ما يكون وإلا فبالاعتبار الأخير على معنى أن ينكحن أنفسهن ممن شِئْنَ أن يكونوا أزواجاً لهن **﴿إذا تراضوا﴾** أي: الخطاب والنساء ظرف لقوله أن ينكحن أي: أن ينكحن وقت التراضي **﴿بينهم﴾** ظرف للتراضي مفيد لرسوخه واستحكامه **﴿بالمعروف﴾** حال من فاعل تراضوا أي: إذا تراضوا ملتبسين بالمعروف من العقد الصحيح والمهر الجائز والتزام حسن المعاشرة وشهود عدول، والمعروف ما يعرفه الشرع وتستحسنه المروءة وفيه إشعار بأن المنع من التزوج بغير كفؤ وبما دون مهر المثل ليس من باب العضل. **﴿ذلك﴾** إشارة إلى ما مضى ذكره أي: الأمر الذي تلي عليكم من ترك العضل أيها الأولياء أو الأزواج وتوحيد كاف الخطاب مع كون المخاطب جمعاً إما على تأويل القبيل أو كل واحد أو لكون الكاف لمجرد توجيه الكلام إلى الحاضر مع قطع النظر عن كونه واحداً أو جمعاً **﴿يوعظ به﴾** أي: ينهى ويؤمر به **﴿من كان يؤمن بالله واليوم الآخر﴾** لأنه المتعظ به والمنتفع **﴿ذلكم﴾** أي: الاتعاظ به والعمل بمقتضاه

﴿أزكى لكم﴾ أنمى لكم وأنفع من زكا الزرع إذا نما فيكون إشارة إلى استحقاق الثواب ﴿وأطهر﴾ من أدناس الآثام وأوضار الذنوب والمفضل عليه محذوف للعلم أي: من العضل ﴿والله يعلم﴾ ما فيه من النفع والصلاح والتفصيل ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ لقصور علمكم فإن المكلف وإن كان يعلم وجه الصلاح في هذه التكاليف على سبيل الإجمال إلا أن التفصيل غير معلوم له وأما الله تعالى فإنه العالم بتفاصيل الحكم في كل ما أمر به ونهى عنه وبينه لعباده:

برو علم يك ذره پوشيده نيست — كه پنهان وپيدا بنزدش يكيست

فدعوا رأيكم وامتثلوا أمره تعالى ونهيه في كل ما تأتون وما تذرون وذلك كما أن الوالد يحمي ولده عن بعض الأطعمة صوناً له عن انحراف مزاجه فذلك محض إصلاح له لما أنه يعلم ما لا يعلمه فقد وعظنا الله تعالى في الكتاب بكل ما هو خير وصواب ونهانا عن كل ما يؤدي إلى هلاك وتباب ولكن سماع النصيحة لا يتيسر إلا لأولي الألباب كما قال الإمام الغزالي قدس سره العالي: النصيحة سهل والمشكل قبولها لأنها من مذاق متبع الهوى مرٌّ؛ إذ المناهي محبوبة في قلوبهم فالواعظ إنما ينفع المؤمن الحقيقي وهو ما وصفه الله في كتابه فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] وعن ابن مسعود رضي الله عنه: السعيد من وعظ بغيره ومثالكم في استماعكم ما قيل أن رجلاً اصطاد طيراً فقال له: لا تذبحني فأي فائدة لك بل خلني وأعلمك ثلاث حكم تنفعك كلها: الأولى: لا تترك الفائدة المعلومة بالمظنونة، والثانية: لا تصدق الشيء المستحيل، والثالثة: لا تمدن يدك إلى ما لم تبلغه فلما خلاه وطار قال: إن في حوصلتي جوهرة كبيرة لو استخرجتها لفزت فأخذ يدنو منه والطير يتباعد عنه فقال: يا أحمق ما أسرع ما نسيت الحكم تركت الفائدة المعلومة بالمظنونة حيث خليتني والآن تمد يدك إلى ما لم تنل وصدقتني في المستحيل فإن حوصلتي لا تسع إلا حبة أو حبتين فكيف يحتمل فيه الجوهرة الكبيرة فكذلك أنتم في استماعكم.

ـ روي ـ أن شقيق البلخي قدس سره: كان تاجراً في أول أمره يتجر في بلاد النصارى فقال له أمير النصارى في أي: مدة تجيء وتذهب؟ فقال: أجيء في ثلاثة أشهر وأشتري السلع في ثلاثة وأذهب في ثلاثة وأبيع السلع في ثلاثة فقال الملك: فهذه الشهور السنة فما تعبد ربك فتأثر قلبه من هذا الكلام فقام عن التجارة واشتغل بالعبادة فإن كان التوفيق رفيق عبد لا يزال يقطع المسافات وإن مسه الآفات إلى أن يصل إلى المقصود وإذا وكل إلى نفسه لا يفيده ملام ولا يؤثر فيه كلام. ومن النصائح التي نصح بها رسول الله ﷺ أمته قوله عليه الصلاة والسلام: «علامة إعراض الله عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه وإن امرأ ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لجدير أن تطول عليه حسرته ومن جاوز الأربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار» وفي هذه النصيحة كفاية لأهل العلم، قال السعدي قدس سره:

بكوي آنچه داني سخن سودمند — وكر هيچ كس رانيايد پسند

كه فردا پشيمان بر آرد خروش — كه آوخ چراحق نكردم بكوش

اللهم اجعلنا من المتعظين بمواعظ كلمك.

﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ

ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾

﴿**والوالدات**﴾ أي: جميع الوالدات مطلقات كنّ أو مزوجات لأن اللفظ عام وما قام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه. ﴿**يرضعن**﴾ خبر في معنى الأمر أي: ليرضعن والرضع مص الثدي للبن ﴿**أولادهن**﴾ جمع ولد وهو المولود ذكراً كان أو أنثى ومعنى الأمر الندب ووجه الندب في تربية الطفل بلبن الأم أصلح له من سائر الألبان وإن شفقة الأم أتم من شفقة غيرها ثم إن حكم الندب إنما هو على تقدير أن لا يضطر الولد إلى لبن أمه أما إذا بلغ حالة اضطرار بأن لا يوجد غير الأم أو لا يرضع الطفل إلا منها أو عجز الوالد عن الاستئجار فحينئذٍ يجب عليها الإرضاع عند ذلك كما يجب على كل أحد مواساة المضطر في الطعام.

واعلم أن حق الإرضاع لهن إلى أن يتزوجن بغير آباء الأولاد إن كانت مطلقات لأنهن يشتغلن بخدمة الأزواج فلا يتفرغن لحضانتهم على الوجه الأليق ولأن الربيب يتضرر بالراب فإنه ينظر إليه شزراً وينفق عليه نزراً ﴿**حولين**﴾ سنتين أصله من حال الشيء يحول إذا انقلب والحول منقلب من الوقت الأول إلى الثاني ﴿**كاملين**﴾ تامين أكده بصفة الكمال لأنه مما يتسامح فيه فيقال أقمت عند فلان حولين بمكان كذا وإنما أقام فيه حولاً وبعض الحول ﴿**لمن أراد أن يتم الرضاعة**﴾ بيان للذي توجه إليه حكم الإرضاع كأنه قيل هذا الحكم لمن؟ فقيل لمن أراد أن يتم الرضاعة ومن يحتمل أن يراد بها الوالدات فقط أو هن والآباء معاً.

واعلم أن مدة الرضاع عند أبي حنيفة: حولان ونصف وعندهما حولان فقط استدلالاً بهذه الآية ولا يباح إرضاع بعد هذا الوقت المخصوص على الخلاف لأن إباحته ضرورية لأنه جزء الآدمي فيتقدر بقدر الضرورة. وقال أبو حنيفة: هذه الآية محمولة على مدة استحقاق الأجرة فإن الإجماع على أن مدة الرضاع في استحقاق أجر الرضاع على الأب مقدرة بحولين حتى أن الأب لا يجبر على إعطاء أجرة بعد الحولين قال تعالى ﴿**فإن أرادا فصالاً عن تراض**﴾ الآية ولو حرم الرضاع بعد الحولين لم يكن لقوله: ﴿**عن تراض منهما وتشاور**﴾.

فائدة: فالرضاع الذي ثبت به الحرمة هو ما يكون في ثلاثين شهراً عنده ولا يحرم ما يكون بعدها وعندهما هو ما يكون في الحولين ولا يحرم ما يكون بعد الحولين وهو مذهب الشافعي أيضاً ثم إن إتمام الحولين غير مشروط عند أبي حنيفة للآية أي: لأن في قوله تعالى: ﴿**لمن أراد أن يتم الرضاعة**﴾ دلالة على جواز النقص ولو أرادت التكميل لها مطالبة النفقة وإذا نقصت من غير إضرار لا تجبر على الكمال يعني: إذا فطم قبل مضي العدة واستغنى بالطعام لم تكن رضاعاً وإن لم يستغن يثبت به الحرمة وهو رواية عن أبي حنيفة وعليه الفتوى ذكره الزيلعي ثم إنه تعالى كما وصى الأم برعاية جانب الطفل في قوله والوالدات الخ وصى الأب برعاية جانب الأم حتى تتقوى على رعاية مصلحة الطفل فأمره بأن يرزقها ويكسوها بالمعروف سواء كان ذلك المعروف محدوداً بشرط وعقد أم لا وقد يكون غير محدود إلا من جهة العرف لأنه إذا قام بما يكفيها من طعامها وكسوتها فقد استغنى عن تقدير الأجرة فقال: ﴿**وعلى المولود له**﴾ أي: وعلى الذي يولد له وهو الوالد وإنما لم يقل على الوالد ليعلم أن الأولاد للآباء لأن الزوجة إنما تلد الولد للزوج ولذلك ينسبون إليهم لا إلى الأمهات.

ـ روي ـ أن المأمون بن الرشيد لما طلب الخلافة عابه بن علي فقال: بلغني أنك تريد الخلافة وكيف تصلح لها وأنت ابن أمة؟ فقال: كان إسماعيل عليه السلام ابن أمة، وإسحاق بن حرة فأخرج الله من صلب إسماعيل خير ولد آدم ﷺ وأنشد:

لا تزرين بفتى من أن يكون له ... أم من الروم أو سوداء دعجاء

فإنما أمهات الناس أوعية ... مستودعات وللأبناء آباء

مكن زنهار أصل عود چوبست ... به بين دورش چو مستثنى وخوبست

﴿رزقهن وكسوتهن﴾ أي: رزق الأمهات إذا أرضعن أولادهم ولباسهن وكذا أجر الرضاع للأظئار لأنهن يحتجن إلى ما يقمن به أبدانهن لأن الولد إنما يتغذى باللبن وإنما يحصل لها ذلك بالاغتذاء وتحتاج هي إلى التستر فكان هذا من الحوائج الضرورية ﴿بالمعروف﴾ حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه، فإن قيل: إذا كانت الزوجية باقية فهي مستحقة للنفقة والكسوة بسبب النكاح سواء أرضعت الولد أو لم ترضعه فما وجه تعلق هذا الاستحقاق بالإرضاع؟ قلنا: النفقة والكسوة تجبان في مقابلة التمكين فإذا اشتغلت بالحضانة والإرضاع لم تتفرغ لخدمة الزوج فربما يتوهم متوهم أن نفقتها وكسوتها تسقطان بالخلل الواقع في خدمة الزوج فقطع الله ذلك الوهم بإيجاب الرزق والكسوة وإن اشتغلت المرأة بالإرضاع هذا ما قال الواحدي في «البسيط». ﴿لا تكلف نفس إلا وسعها﴾ التكليف الإلزام ومعنى تكلف الأمر إظهار أثره وقوله ﴿وسعها﴾ مفعول ثان لأن كلف يتعدى إلى اثنين كأنه قيل: لم لم تجب مؤونة الأمهات على أنفسهن ولم قيدت تلك المؤون بكونها بالمعروف فأجيب بأنهن غير قادرات على الكسب لضعف بنيتهن واحتباسهن لمنفعة الأزواج فلو أوجب مؤونهن على أنفسهن لزم تكليف العاجز وكذا لو أوجب تلك المؤون على الأزواج على خلاف المعروف ﴿لا تضار والدة بولدها﴾ نهي أصله لا تضارر بكسر الراء الأولى فتكون المرأة على الفاعلة أو بفتح الراء الأولى فتكون المرأة هي المفعول بها الضرار وعلى الأول يكون المعنى لا تفعل المرأة الضرار بالأب بولدها أي: بسبب إيصال الضرر إلى الولد وذلك بأن تمتنع المرأة من إرضاعه مع أن الأب يوسع عليها في النفقة والكسوة فتلقى الولد عليه ﴿ولا مولود له بولده﴾ أي: لا يفعل الأب الضرار بالأم بأن ينزع الولد منها مع رغبتها في إمساكه وشدة محبتها له وعلى الوجه الثاني لا يفعل الأب الضرار بالأم بأن ينزع الولد منها ولا مولود له بولده أي: ولا تفعل الأم الضرار بالأب بأن تلقي الولد عليه والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد وهو أن يغيظ أحدهما صاحبه بسبب الولد وإضافة الولد إلى كل منهما لاستعطافهما إليه لأنه ليس بأجنبي من كل واحد منهما فالحق أن يشفق عليه كل منهما وللتنبيه على أنه جدير بأن يتفقا على استصلاحه ولا ينبغي أن يضرا به أو يتضارا بسببه ﴿وعلى الوارث﴾ وهو الذي لو مات الصبي ورثه أي: وارث الصبي عند عدم الأب ممن كان ذا رحم محرم منه بحيث لا يجوز النكاح على تقدير أن يكون أحدهما ذكراً والآخر أنثى لا كل وارث سواء كان ذا رحم محرم منه أو لم يكن وسواء كان من الرجال أو النساء ﴿مثل ذلك﴾ أي: مثل ما وجب على الأب من الرزق والكسوة وأجر الرضاع ونفقة المحارم تجب عندنا بهذه الآية ﴿فإن أرادا﴾ أي: الوالدان ﴿فصالاً﴾ وهو الفطام سمي فصالاً لأنه إنما يكون بفصل الطفل عن الاغتذاء بلبن أمه إلى غيره من الأقوات أي: فطاماً للصغير عن الرضاع قبل تمام الحولين صادراً ﴿عن تراض منهما﴾ أي:

من الوالدين لا من أحدهما فقط لاحتمال إقدامه على ما يضر بالولد بأن تمل المرأة الإرضاع ويبخل الأب بإعطاء الأجرة وربما يضر الفطام بجسمه بقطع غذائه قبل وقت فصاله ﴿وتشاور﴾ في شأن الولد وتفحص عن أحواله وإجماع منهما على استحقاقه للفطام. والتشاور من المشورة وهي استخراج الرأي من المستشار وإنما اعتبر اتفاق الوالدين لما في الأب من الولاية وفي الأم من الشفقة وهي أعلم بحال الصبي ﴿فلا جناح عليهما﴾ في ذلك ولا حرج لما أن تراضيهما إنما يكون بعد استقرار رأيهما واجتهادهما في أن صلاح الولد في الفطام وقلما يتفقان على الخطأ فالحاصل سواء زادا على الحولين إلى ثلاثين شهراً أو نقصاً فلا جناح عليهما في ذلك بعد استقرار رأيهما إلى ما هو خير للصبي ﴿وإن أردتم﴾ أيها الآباء ﴿أن تسترضعوا﴾ المراضع ﴿أولادكم﴾ فالمفعول الأول محذوف واسترضع يتعدى إلى اثنين بنفسه يقال رضع الولد أمه وأرضعت المرأة ولدها واسترضعتها الولد وقيل: يتعدى إلى الثاني بحرف الجر والتقدير لأولادكم أي: إذا طلبتم أن تأخذوا ظئراً لإرضاع أولادكم ﴿فلا جناح عليكم﴾ أي: لا إثم عليكم في الاسترضاع. وفيه دلالة على أن للأب أن يسترضع الولد ويمنع الأم من الإرضاع ﴿إذا سلمتم﴾ أي: إلى المراضع ﴿ما آتيتم﴾ أي: ما أردتم إيتاءه كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨] ﴿بالمعروف﴾ متعلق بسلمتم أي: بالوجه المتعارف المستحسن شرعاً وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو ندب إلى ما هو الأليق والأولى فإن المراضع إذا أعطين ما قدر لهن ناجزاً يداً بيد كان ذلك أدخل في إصلاح شؤون الأطفال. وقيل: المراد من المعروف أن يكون الأجر من الحلال لأن المرضع إذا أكلت الحلال كان اللبن أنفع للصبي وأقرب إلى صلاحه قالوا: العادة جارية أن من ارتضع امرأة فالغالب عليه أخلاقها من خير وشر ولذا قيل إنه ترضعه امرأة صالحة كريمة الأصل فإن لبن المرأة الحمقاء يسري وأثر حمقها يظهر يوماً ما وفي الحديث: «الرضاع يغير الطباع» ومن ثمه لما دخل الشيخ أبي محمد الجويني بيته ووجد ابنه الإمام أبا المعالي يرتضع ثدي غير أمه اختطفه منها ثم نكس رأسه ومسح بطنه وأدخل أصبعه في فيه ولم يزل يفعل ذلك حتى خرج ذلك اللبن قائلاً يسهل علي موته ولا تفسد طباعه بشرب لبن غير أمه ثم لما كبر الإمام كان إذا حصلت له كبوة في المناظرة يقول هذه من بقايا تلك الرضعة ﴿واتقوا الله﴾ في شأن مراعاة الأحكام المذكورة في أمر الأطفال والمراضع ﴿واعلموا أن الله بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم بذلك، وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى. قال الحسين الكاشي:

كـر بـرهـنـه بـره بـرون آيـي زود در تـهـمـت جـنـون آيـي
جـامـه ظـاهـري كـه نـست ببر تـوفـضـيـحـت شوى مـيـان بـشر
فـكـر آن كـن كـه بـي لـبـاس ورع چـه كـنـى درمـقـام هـول وفـزع
خـويـشـتـن در لـبـاس تـقـوى دار تـاشـوي دردوكـون بـر خـوردار

والآية مشتملة على تمهيد قواعد الصحبة وتعظيم محاسن الأخلاق في أحكام العشرة بل إنها اشتملت على شيوع الرحمة والشفقة على البرية فإن من لا يرحم لا يرحم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن ذكر أنه لم يقبل أولاده «إن الله لا ينزع الرحمة إلا من قلب شقي» وفي الحديث: «حب الأولاد ستر من النار وكراماتهم جواز على الصراط والأكل معهم براءة من

النار» وفي الحديث: «أربع نفقات لا يحسب العبد بهن يوم القيامة: نفقة على أبويه، ونفقة على إفطاره، ونفقة على سحوره، ونفقة على عياله» واللطف والمرحمة ممدوح جداً عموماً وخصوصاً وفي الحديث: «إن امرأة بغياً رأيت كلباً في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له فغفر لها» قال البخاري: فنزعت خفها فأوثقته أي: أحكمته بخمارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك والحديث يدل على غفران الكبيرة من غير توبة وهو مذهب أهل السنة وعلى أن من أطعم محتاجاً إلى الغذاء يستحق المثوبة والجزاء. فعلى العاقل العمل بالكتاب والسنة.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾

﴿**والذين يتوفون منكم**﴾ أي: يموتون ويقبض أرواحهم بالموت. وقرىء بفتح الياء أي: يستوفون آجالهم وأعمارهم. وأصل التوفي أخذ الشيء وافياً كاملاً يقال: توفي الشيء واستوفاء فمن مات فقد أخذ عمره وافياً كاملاً واستوفاء ﴿**ويذرون أزواجاً**﴾ أي: يتركون نساء من بعدهم وهو جمع زوج المنكوحة تسمى زوجاً وزوجة والتذكير أغلب قال تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] ويجمع أزواجاً على لغة التذكير وزوجات على لغة التأنيث ﴿**يتربصن بأنفسهن**﴾ الباء للتعدية أي: يجعلنها متربصة منتظرة بعد موتهم لئلا يبقى المبتدأ بلا عائد ﴿**أربعة أشهر وعشراً**﴾ أي: في تلك المدة فلا يتزوجن إلى انقضاء العدة قوله عشراً أي: عشرة أيام وتأنيث العشر باعتبار الليالي لأن التاريخ عند العرب بالليلة بناء على أنها أول الشهر واليوم تبع لها ولعل الحكمة في تقدير عدة الوفاة بأربعة أشهر وعشر أن الجنين إذا كان ذكراً يتحرك غالباً لثلاثة أشهر وإن كان أنثى يتحرك لأربعة فاعتبر أقصى الأجلين وزيد عليه العشر استظهاراً أي: استعانة بتلك الزيادة على العلم بفراغ الرحم إذ ربما تضعف الحركة في المبادىء فلا يحسن بها وكانت عدة الوفاة في أول الإسلام سنة فنسخت بهذه إلا الحوامل فإن عدتها بوضع الحمل قال تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤] وإلا الإماء فإن عدة المتوفى عنها زوجها إذا كانت أمة شهران وخمسة أيام نصف عدة الحرة بإجماع السلف وقوله تعالى: ﴿**والذين يتوفون منكم**﴾ خطاب مع المؤمنين فدل على أن الخطاب بهذه الفروع مختص بالمؤمنين فقط فلا وجه لإيجاب العدة المذكورة على الكتابية ﴿**فإذا بلغن أجلهن**﴾ أي: انقضت عدتهن ﴿**فلا جناح عليكم**﴾ الخطاب للحكام وصلحاء المسلمين لأنهن إن تزوجن في مدة العدة وجب على كل واحد منعهن عن ذلك إن قدر عليه وإن عجز وجب عليه أن يستعين بالسلطان ﴿**فيما فعلن في أنفسهن**﴾ من التزين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة ﴿**بالمعروف**﴾ حال من فاعل فعلن أي: فعلن ملتبسات بالوجه الذي لا ينكره الشرع ﴿**والله بما تعملون خبير**﴾ فيجازيكم عليه فلا تعملون خلاف ما أمرتم به.

هركه عاصي شود بامر خدا بيخ أورا بكند قهر خدا

واعلم أن المراد بالتربص هنا الامتناع عن النكاح والامتناع عن الخروج من المنزل الذي توفي عنها زوجها فيه والامتناع على التزين وهذا اللفظ كالمجمل لأنه ليس فيه بيان أنها تتربص في أي: شيء إلا أنا نقول: الامتناع عن النكاح مجمع عليه وأما الامتناع عن الخروج من المنزل فواجب إلا عند الضرورة والحاجة وأما ترك التزين فهو واجب لما روي عن عائشة

وحفصة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوجها أربعة أشهر وعشراً» وإنما وجب الحداد لأنه لما حرم عليها النكاح في العدة أمرت بتجنب الزينة حتى لا تكون بصفة الملتمسة للأزواج ولإظهار التأسف على فوت نعمة النكاح الذي كان سبب مؤونتها وكفايتها من النفقة والسكنى وغير ذلك. والحداد على الميت ثلاثة أيام وتمس المرأة الطيب في الثالث لئلا يزيد الحداد على ثلاثة أيام فإنها لو مسته في الرابع لازداد الحداد من اليوم الرابع. وهو حرام ومن السنة أن يتوقى رسوم الجاهلية من شق الجيوب وضرب الخدود وحلق الشعر كما كان عادة العرب وكذا قطعه كما كان عادة العجم وكذا رفع الصوت بالبكاء والنوح وقد بريء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ممن يفعل شيئاً من ذلك لأنها عادات الجاهلية وأكثر أهالي هذا الزمان في أكثر البلدان مبتلون بأمثال هذه العادات لا سيما النساء فإنهن يلبسن الألبسة السود إلى أن تمضي أيام بل شهور كثيرة وربما ترى رجلاً لا يلبس لباس الجمع والأعياد فلو سئل فيه لأجاب بقوله: مات أبي وأمي أو غيرهما وذلك بعد ما مضى من زمان الوفاة شهور. وكذا الرافضة قد تغالت في الحزن لمصيبة الحسين رضي الله عنه وأحدت عليها حيث اتخذوا يوم عاشوراء مأتماً لقتله رضي الله عنه فيقيمون في مثل هذا اليوم العزاء ويطيلون النوح والبكاء ويظهرون الحزن والكآبة ويفعلون فعل غير أهل الإصابة ويتعدون إلى سب بعض الصحابة وهذا عمل أهل الضلال المستوجبين من الله الخزي والنكال كأنهم لم يسمعوا ما ورد في النهي عن الحداد ومن الله الرشاد.

والإشارة في الآية: أن موت المسلم لم يكن فراقاً اختياراً للزوج فكانت مدة وفاته أطول فكذا العبد الطالب فإن حال الموت بينه وبين مطلوبه من غير اختياره فالوفاء بحصول مطلوبه في مدة كرم محبوبه كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠] ففي هذا تسلية قلوب المؤمنين لئلا يقطع عليهم طريق الطلب وساوس الشيطان وهو رجس النفس بأن طلب الحق أمر عظيم وشأن خطير وأنت ضعيف والعمر قصير فإن منادي الكرم من سرادقات الفضل ينادي ألا من طلبني وجدني فإن الطلاب في طلبي كذا في «التأويلات النجمية» قدس الله تعالى نفسه الزاكية القدسية المرضية.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

﴿**ولا جناح عليكم**﴾ علم الله تعالى أن المرأة إذا مات زوجها قد يكون لها مال أو جمال أو معنى يرغب الناس فيها فأطلق للراغب أن يعرض بالخطبة في العدة فقال تعالى ﴿**ولا جناح عليكم فيما عرضتم به**﴾ التعريض إفهام المعنى بالشيء المحتمل له ولغيره ﴿**من خطبة النساء**﴾ الخطبة بالكسر: التماس النكاح وبالضم الكلام المشتمل على الوعظ والزجر من الخطاب الذي هو الكلام يقال خطب المرأة أي: خاطبها في أمر النكاح والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وأما النساء اللاتي لا تكون منكوحة الغير ولا معتدته من طلاق رجعي فإن خطبتهن جائزة تصريحاً

وتعريضاً إلا أن يخطبها رجل فيجاب بالرضى صريحاً فهٰهنا لا يجوز لغيره أن يخطبها لقوله عليه السلام: «لا يخطبن أحدكم على خطبة أخيه» وإن أجيب بالرد صريحاً فهٰهنا يحل لغيره أن يخطبها وإن لم يوجد صريح الإجابة ولا صريح الرد ففيه خلاف والتي هي معتدة عن الطلاق الثلاث والبائن باللعان والرضاع ففي جواز التعريض بخطبتها خلاف وأما البائن التي يحل لزوجها نكاحها في عدتها كالمختلعة والتي انفسخ نكاحها بعيب أو عِنَّة أو إعسار نفقة فهٰهنا يجوز لزوجها التعريض والتصريح وأما غير الزوج فلا يحل له التصريح والتعريض لأنها معتدة يحل للزوج أن يستبيحها في عدتها فلا يحل له التعريض بخطبتها كالرجعية ثم التعريض بالخطبة أن يقول لها في العدة: إنك لجميلة صالحة ومن غرضي أن أتزوج أو أشتهي امرأة مثلك أو أنا محتاج إلى امرأة صفتها كذا، أو يقول: إني حسن الخلق كثير الإنفاق جميل العشرة محسن إلى النساء فيصف نفسه ليرغب فيه، أو يقول: رُبَّ راغب فيك وحريص عليك ونحو ذلك مما يوهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح بأن يقول: إني أريد أن أنكحك أو أتزوجك أو أخطبك أو غير ذلك فإنه كما لا يجوز أن ينكحها في عدتها لا يجوز له أن يخطبها صريحاً فيها ﴿**أو أكننتم في أنفسكم**﴾ مفعول أكننتم محذوف وهو الضمير الراجع إلى ما الموصولة في قوله: ﴿**فيما عرضتم**﴾ أي: أو أكننتموه في أنفسكم أي: أضمرتم في قلوبكم من نكاحهن فلم تذكروه صريحاً أو تعريضاً. الآية الأولى لإباحة التعريض في الحال وتحريم التصريح في الحال وهذه الآية إباحة لأن يعقد قلبه على أنه سيصرح بذلك بعد انقضاء زمان العدة ثم إنه تعالى ذكر الوجه الذي لأجله أباح ذلك فقال: ﴿**علم الله أنكم ستذكرونهن**﴾ لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن فالمقصود بيان وجه إباحة الخطبة بطريق التعريض ﴿**ولكن لا تواعدوهن سراً**﴾ نصب على أنه مفعول ثان لتواعدوهن وهو استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن أي: فاذكروهن وأظهروا لهن رغبتكم ولكن لا تواعدوهن نكاحاً بل اكتفوا بما رخص لكم من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لأن مسببه الذي هو الوطء مما يسر به. ﴿**إلا أن تقولوا قولاً معروفاً**﴾ استثناء مفرغ مما يدل عليه النهي أي: لا تواعدوهن مواعدة ما إلا مواعدة معروفة غير منكرة شرعاً وهي ما تكون بطريق التعريض والتلويح. ﴿**ولا تعزموا**﴾ العزم عبارة عن عقد القلب على فعل من الأفعال يتعدى بنفسه وبعلى، قال الراغب: ودواعي الإنسان إلى الفعل على مراتب السانح ثم الخاطر ثم التفكر فيه ثم الإرادة ثم الهمة ثم العزم فالهمة إجماع من النفس على الأمر والعزم هو العقد على إمضائه. ﴿**عقدة النكاح**﴾ أي: لا تعزموا عقد عقدة النكاح لأن العزم عبارة عن عقد القلب على فعل فلا يتعلق إلا بالفعل والإضافة في قوله: ﴿**عقدة النكاح**﴾ بيانية فلا تكون العقدة بمعنى ربط المكلف إجراء التصرف بل المراد به الحاصل بالمصدر وهو الارتباط الشرعي الحاصل بعقد العاقدين والمقصود النهي عن تزوج المعتدة في زمان عدتها إلا أنه نهى عن العزم على عقد النكاح للمبالغة في النهي عن النكاح في زمان العدة فإن العزم على الشيء متقدم عليه والنهي عن مقدمات الشيء يستلزم النهي عن ذلك الشيء بطريق الأولى. ﴿**حتى يبلغ الكتاب أجله**﴾ الكتاب بمعنى المكتوب وهو المفروض والمعنى حتى تبلغ العدة المفروضة آخرها. ﴿**واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم**﴾ من العزم على ما لا يجوز ﴿**فاحذروه**﴾ بالاجتناب عن العزم ابتداء وإقلاعاً عنه بعد تحققه ﴿**واعلموا أن الله غفور**﴾ لمن عزم ولم يفعل خشية من الله تعالى. ﴿**حليم**﴾ لا يعاجلكم

بالعقوبة فلا تستدلوا بتأخيرها على أن ما نهيتم عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخذة فاجتنبوا أسباب العقوبة واعملوا بما أمركم به ربكم واغتنموا زمان الحياة حتى لا تتأسفوا كما قال المفرطون المتحسرون:

چون توانستم ندانستم چه سود چون بدانستم توانستم نبود

وقد وبخ الله تعالى من مال إلى شهواته وهوى نفسه في هذه الآيات من غير أن يكون له رخصة شرعية فلا بد للعاقل أن يختار رضى الله تعالى على رضى نفسه ولا يكون له مطلب أعلى من مال أو امرأة أو غيرهما إلا الله تعالى قال عليه الصلاة والسلام: «من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه» فتأمل كيف جعل جزاء كل مؤمّل ما أمله وثواب كل قاصد ما قصده واعتبر كيف لم يكرر ذكر الدنيا إشعاراً بعدم اعتبارها لخساستها ولأن وجودها لعب ولهو فكأنه كلا وجود وانظر إلى قوله عليه السلام: «فهجرته إلى ما هاجر إليه» وما تضمن من إبعاد ما سواه تعالى وتدبر هذا الأمر إذ ذكر الدنيا والمرأة مع أنها منها يشعر بأن المراد كل شيء في الدنيا من شهوة أو مال وأن المراد بالحديث الخروج عن الدنيا بل وعن كل شيء لله. قال أبو سليمان الداراني قدس سره ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا طلب معاش أو تزوج امرأة أو كتب الحديث.

واعلم أنه ينبغي لطالب الحق أن يحصل من العلوم الشرعية ما يفرق به بين الحق والباطل ويشتغل بالعلوم الرسمية والقوانين المتداولة قدر ما يقدر على استخراج الحديث والتفسير من غير تعمق في الفلسفيات وغوامض العلوم فإنه زائد على قدر الكفاية منهي عنه على أصول أهل الشريعة والطريقة فهذا أول الأمر في هذا الباب. وأما أمر النهاية وهو ما بعد التحصيل والتكميل فإن السالك بقدر اشتغاله بالعلوم الظاهرة زاد بعداً عن درك الحق لأن السلوك يبتنى على التخلي والانقطاع وترك الكلام والاستماع وتفريغ الباطن من العلائق ولو كانت علوماً وطرح المشاغل الخارجية والداخلية من البين خصوصاً وعموماً فقول بعضهم بنفي الاشتغال لأهل السلوك يبتنى على هذا المعنى لا على الترك من الأصل كما يزعمه جهلة الصوفية نعوذ بالله من هذا فإن العلم مطلقاً هو النور وبه يهتدي السالك إلى مسالكه. وأما أرباب النهاية من أهل السلوك فلا يمكن حصر أحوالهم فإنهم لا يحتجبون لا بالكثرة عن الوحدة ولا بعكسها إذ هم تجاوزوا عن مقام الأغيار بل شاهدوا أينما قلبوا الأحداق الأنوار بل حققوا بالحقيقة فلا أغيار عندهم لا حقيقة ولا اعتباراً ولذا حبب إلى النبي عليه السلام النساء وذلك لأن محبته عليه السلام ليست كما يعرفها الناس بل سرها مستور لا يطلع عليه إلا من فاز بالوراثة الكبرى، يقول الفقير جامع هذه المجالس النفيسة إنما بسطت الكلام في هذا المقام لئلا يظن أحد أن قوله فيما سبق أو كتب من خرافات الصوفية بل له محمل على ما أشرت إليه ومن لم يسلك هذا الطريق لم يعرف قدر خطوات أهل التحقيق والتدقيق.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾

﴿لا جناح عليكم﴾ المراد من الجناح في هذه الآية وجوب المهر أي: لا تبعة من مهر

﴿إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن﴾ أي: غير ماسين لهن ومجامعين. قال ابن الشيخ الظاهر أن كلمة ما مصدرية ظرفية والزمان محذوف تقديره مدة عدم المسيس ﴿أو تفرضوا لهن فريضة﴾ كلمة أو بمعنى إلا أن كقولك لألزمنك أو تعطيني حقي أي: إلا أن تفرضوا لهن عند العقد مهراً والمعنى أنه لا تبعة على المطلق بمطالبة المهر أصلاً إذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال إلا في تسمية المهر فإن عليه حينئذٍ نصف المسمى وفي حال عدم تسميته عليه المتعة لا نصف مثل المهر وأما إذا كان بعد المساس فعليه في صورة التسمية تمام المسمى وفي صورة عدمها تمام مهر المثل. ﴿ومتعوهن﴾ عطف على مقدر أي: فطلقوهن ومتعوهن أي: أعطوهن ما يتبلغن وينتفعن به والحكمة في إيجاب المتعة جبر لما أوحشها الزوج بالطلاق وهو درع وهو ما يستر البدن وملحفة وهو ما يستر المرأة عند خروجها من البيت وخمار وهو ما يستر الرأس على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى: ﴿على الموسع﴾ يقال أوسع الرجل إذا اتسع حاله فصار ذا سعة وغنى أي: الذي له سعة ﴿قدره﴾ إمكانه وطاقته ﴿وعلى المقتر﴾ يقال: أقتر الرجل إذا افتقر وصار ذا قترة. والقترة الغبار وهو قليل من التراب أي: على المقل الضيق الحال ﴿قدره﴾ فالمتعة معتبرة بحاله لا بحالها لا تنقص عن خمسة دراهم ولا تزاد على نصف مهر المثل لأن المسمى أقوى من مهر المثل والمتعة لا تزاد على نصف المسمى فلأن لا تزيد على نصف مهر المثل أولى. والقدر والقدر لغتان وذهب جماعة إلى أن الساكن مصدر والمتحرك اسم كالعد والعدد والمد والمدد والقدر بالتسكين الوسع يقال هو ينفق على قدره أي: على وسعه وبالتحريك المقدار ﴿متاعاً﴾ اسم لمصدر الفعل المذكور من قبيل قوله تعالى: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح: ١٧] أي: تمتيعاً ملتبساً ﴿بالمعروف﴾ أي: بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة ﴿حقاً﴾ صفة متاعاً أي: متاعاً واجباً ﴿على المحسنين﴾ أي: الذين يحسنون إلى أنفسهم بالمسارعة إلى الامتثال. قال ابن التمجيد: اعلم أن للمطلقة أربع حالات: الأولى أن تكون غير ممسوسة ولم يسم لها مهر، والثانية: أن تكون ممسوسة وسمي لها، والثالثة: أن تكون ممسوسة ولم يسم لها، والرابعة: أن تكون غير ممسوسة وسمي لها ورفع الجناح بمعنى نفي المهر إنما هو في الصورة الأولى لا في البواقي من الصور الثلاث فإن فيها وجوب المهر ولم يجب في الصورة الأولى مهر لا بعضاً ولا كلاً، أما عدم وجوب البعض فلأن مهر المثل لا ينصف وأما عدم وجوب الكل فلكونها غير مدخول بها ولكن لها المتعة لقوله تعالى: ﴿ومتعوهن﴾ فإنه في حق من جرى ذكرهن وهي المطلقات الغير الممسوسة التي لم يفرض لهن فريضة إذ لو فرضت لكان لهن تمام المهر لا المتعة.

﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٣٧﴾

﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة﴾ أي: وإن طلقتموهن من قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن عند النكاح مهراً ﴿فنصف ما فرضتم﴾ أي: فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر وإن مات أحدهما قبل الدخول فيجب عليه كله لأن الموت كالدخول في تقرير المسمى كذلك في إيجاب مهر المثل إذا لم يكن في العقد مسمى. ﴿إلا أن يعفون﴾

استثناء من أعم الأحوال أي: فلهن نصف المفروض معيناً في كل حال إلا في حال عفوهن أي: المطلقات فإنه يسقط ذلك حينئذٍ بعد وجوبه ﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ أي: يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود إليه من نصف المهر الذي ساقه إليها كملاً على ما هو المعتاد تكرماً فإن ترك حقه عليها عفو بلا شبهة فالمراد بقوله الذي بيده عقدة النكاح الزوج لا الولي والمراد بعفوه أن يعطيها الصداق كاملاً النصف الواجب عليه والنصف الساقط العائد إليه بالتنصيف وتسمية الزيادة على الحق عفواً لما كان الغالب عندهم أن يسوق الزوج إليها كل المهر عند التزوج فإذا طلقها قبل الدخول فقد استحق أن يطالبها بنصف ما ساق إليها فإذا ترك المطالبة فقد عفا عنها. ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾ واللام في التقوى تدل على علة قرب العفو تقديره العفو أقرب من أجل التقوى إذ الأخذ كأنه عوض من غير معوض عنه أو ترك المروءة عند ذلك ترك للتقوى وفي الحديث «كفى بالمرء من الشح أن يقول آخذ حقي لا أترك منه شيئاً» وفي حديث الأصمعي أتى أعرابي قوماً فقال لهم: هذا في الحق أو فيما هو خير منه قالوا: وما خير من الحق؟ قال: التفضل والتغافل أفضل من أخذ الحق كله» كذا في «المقاصد الحسنة» للسخاوي ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ ليس المراد منه النهي عن النسيان لأن ذلك ليس في الوسع بل المراد منه الترك والمعنى لا تتركوا الفضل والإفضال فيما بينكم بإعطاء الرجل تمام الصداق وترك المرأة نصيبها حثهما جميعاً على الإحسان والإفضال وقوله بينكم منصوب بلا تنسوا. قال السعدي قدس سره:

كسى نيك بيند بهر دوسراي　　　كه نيكى رساند بخلق خداي

﴿إن الله بما تعملون بصير﴾ فلا يكاد يضيع ما عملتم من التفضل والإحسان، والبصر في حقه تعالى عبارة عن الوصف الذي به ينكشف كمال نعوت المبصرات وذلك أوضح وأجلى مما يفهم من إدراك البصر القاصر على ظواهر المرئيات، والحظ الديني للعبد من البصر أمران:

أحدهما: أن يعلم أنه خلق له البصر لينظر إلى الآيات وعجائب الملكوت والسموات فلا يكون نظره إلا عبرة قيل لعيسى عليه السلام هل أحد من الخلق مثلك فقال من كان نظره عبرة وصمته فكرة وكلامه ذكراً فهو مثلي.

والثاني: أن يعلم أنه بمرأى من الله ومسمع فلا يستهين بنظره إليه وإطلاعه عليه ومن أخفى عن غير الله ما لا يخفيه عن الله فقد استهان بنظر الله والمراقبة إحدى ثمرات الإيمان بهذه الصفة فمن قارف معصية وهو يعلم أن الله يراه فما أجسره وأخسره ومن ظن أنه لا يراه فما أكفره كذا في «شرح الأسماء الحسنى» للإمام الغزالي.

ثم الإشارة في الآيات أن مفارقة الإشكال من الأصدقاء والعيال لمصلحة دنيوية ﴿لا جناح عليكم﴾ فيها فكيف يكون جناح إن فارقتموهم لمصلحة دينية بل أنتم مأمورون بمفارقتهم لزيارة بيت الله فكيف لزيارة الله فإن الواجب في زيارة بيت الله مفارقة الأهالي والأوطان وفي زيارة الله مفارقة الأرواح والأبدان دع نفسك وتعال قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وقوله تعالى: ﴿ومتعوهن﴾ إشارة إلى أن من له من الطلاب وأهل الإرادة مال فليمتع به أقرباءه وأحباءه حين فارقهم في طلب الحق سبحانه ليزيل عنهم بحلاوة المال مرارة الفراق فإن الفطام عن المألوف شديد ولا ينفق المال عليهم بقدر قربهم في القرابة وبعدهم بل يقسم بينهم على فرائض الله كالميراث فإنه قد مات عنهم بالحقيقة وفي قوله تعالى: ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾

إشارة إلى أن الوصول إلى تقوى الله حق تقاته إنما هو بترك ما سوى الله والتجاوز عنه فإن المواصلة إلى الخالق على قدر المفارقة عن المخلوق والتقرب إلى الله بقدر التبعد عما سواه وفي قوله تعالى: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ هٰهنا في الدنيا فإن حلول الجنة ودخولها هناك لا يكون إلا من فضله كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٥] أن الله بما تعملون في وجدان الفضل وفقدانه ﴿بصير﴾ كذا في «التأويلات النجمية» وإنما يوجب للعبد الالتفات للخلائق فقدان النور الكاشف للخلائق وإلا فلو أشرق نور اليقين الهادي إلى العلم بأن الآخرة خير من الدنيا وأن ما عند الله خير وأبقى لرأيت الآخرة أقرب من أن يرحل إليها ولرأيت محاسن الدنيا وقد ظهرت كسفة الفناء عليها لأن الآتي قطعاً كالموجود في الحال لا سيما ومباديه ظاهرة من تغير الأحوال وانتقال الأهلين والأموال قال رسول الله ﷺ: «إن النور إذا دخل القلب انفسح وانشرح» قيل: يا رسول الله وهل له من علامة يعرف بها قال: «التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله» انتهى اللهم اجعلنا ممن استعد للقائك وتهيأ لنوال وصالك.

﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾

﴿حافظوا على الصلوات﴾ بالأداء لوقتها والمداومة عليها، والمراد بالصلوات: المكتوبات الخمس في كل يوم وليلة ثبت عددها بغيرها من الآيات والأحاديث المتواترة وبإشارة في هذه الآية وهو ذكر الوسطى وهي ما اكتنفه عددان متساويان وأقل ذلك خمسة لا يقال إن الثلاث بهذه الصفة لأنا نقول الثلاث لا يكتنفها عددان فإن الذي قبلها واحد والذي بعدها واحد وهو ليس بعدد فإن العدد ما إذا اجتمع طرفاه صارا ضعفه وليس له طرفاً فإنه ليس قبله شيء ﴿و﴾ حافظوا على ﴿الصلاة الوسطى﴾ أي: المتوسطة بينها على أن تكون الوسطى صفة مشبهة أو الفضلى منها على أن تكون أفعل تفضيل تأنيث الأوسط وأوسط الشيء خيره وأعدله وهي صلاة العصر لأنها بين صلاتي ليل وصلاتي نهار ولقوله عليه الصلاة والسلام يوم الأحزاب «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً» وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار قال رسول الله ﷺ: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله» أي: ليكن من فوتها حذراً كما يحذر من ذهاب أهله وماله ثم في حديث يوم الأحزاب حجة على من قال الصلاة الوسطى غير العصر وعلى من قال إنها مبهمة أبهمها الله تعالى تحريضاً للخلق على محافظتها كساعة الإجابة يوم الجمعة. فإن قيل: ما روت عائشة رضي الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام قال: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر» يدل على أن الوسطى غير العصر، قلت: يحتمل أن يكون الوسطى لقباً والعصر اسماً فذكرها باسمها كذا في «شرح المشارق» لابن الملك ﴿وقوموا لله﴾ أي: في الصلاة ﴿قانتين﴾ حال من فاعل قوموا أي: ذاكرين له في القيام لأن القنوت هو الذكر فيه أو خاشعين.

ـ روي ـ أنهم كانوا إذا قام أحدهم إلى الصلاة هاب الرحمٰن أن يمد بصره أو يلتفت أو يقلب الحصى أو يحدث نفسه بشيء من أمور الدنيا إلا ناسياً حتى ينصرف.

﴿فإن خفتم﴾ أي: إن كان بكم خوف من عدو أو غيره ﴿فرجالاً﴾ منصوب على الحال وعامله محذوف تقديره فصلوا راجلين والرجال جمع راجل مثل صحاب وصاحب ﴿أو ركباناً﴾ أي: راكبين وهو جمع راكب مثل فرسان وفارس. ومذهب أبي حنيفة أنهم لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند إمكان الوقوف يصلي واقفاً والدليل عليه قوله تعالى: ﴿فإن خفتم﴾ الآية ﴿فإذا أمنتم﴾ وزال خوفكم ﴿فاذكروا الله﴾ أي: فصلوا صلاة الأمن عبر عنها بالذكر لأنه معظم أركانها ﴿كما علمكم﴾ أي: ذكراً كائناً كتعليمه إياكم ﴿ما لم تكونوا تعلمون﴾ من كيفية الصلاة والمراد بالتشبيه أن تكون الصلاة المؤداة موافقة لما علمه الله وإيرادها بذلك العنوان لتذكير النعمة أو اشكروا لله شكراً يوازي تعليمه إياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرائع والأحكام التي من جملتها كيفية إقامة الصلاة حالتي الخوف والأمن.

واعلم أن الصلاة بمنزلة الضيافة قد هيأها الله للموحدين في كل يوم خمس مرات فكما في الضيافة تجتمع الألوان من الأطعمة ولكل طعام لذة ولون فكذلك فيها أركان وأفعال مختلفة لكل فعل لذة وتكفير للذنوب، وعن كعب الأحبار أنه قال: قال الله لموسى في مناجاته [يا موسى أربع ركعات يصليها أحمد وأمته وهي صلاة الظهر أعطيهم في أول ركعة منها المغفرة وفي الثانية أثقل موازينهم وفي الثالثة أوكل بهم الملائكة يسبحون ويستغفرون لهم لا يبقى ملك في السماء ولا في الأرض الا ويستغفر لهم ومن استغفرت له الملائكة لم أعذبه أبداً وفي الرابعة أفتح لهم أبواب السماء وتنظر إليهم الحور العين. يا موسى أربع ركعات يصليها أحمد وأمته وهي صلاة العصر ما يسألون مني حاجة إلا قضيت لهم. يا موسى ثلاث ركعات يصليها أحمد وأمته وهي صلاة المغرب أفتح لهم أبواب السماء، يا موسى أربع ركعات يصليها أحمد وأمته وهي صلاة العشاء خير لهم من الدنيا وما فيها ويخرجون من الدنيا كيوم ولدتهم أمهاتهم].

ثم اعلم أنه لا يرخص لمن سمع الأذان ترك الجماعة فإنها سنة مؤكدة غاية التأكيد بحيث لو تركها أهل ناحية وجب قتالهم بالسلاح لأنها من شعائر الإسلام ولو تركها أحد منهم بغير عذر شرعي يجب عليه التعزير ولا تقبل شهادته ويأثم الجيران والإمام والمؤذن بالسكوت عنه. وفي «غنية الفتاوى»: من حضر المسجد الجامع لكثرة جماعة في الصلاة فمسجد محلته أفضل قلّ أهل مسجده أو كثر لأن لمسجده حقاً عليه لا يعارضه كثرة الجماعة ولا زيادة تقوى غيره أو علمه ويبادر الصف الأول على محاذاة الإمام وروي عن النبي عليه السلام أنه قال: «يكتب للذي خلف الإمام بحذائه مائة صلاة وللذي في الجانب الأيمن خمس وسبعون صلاة وللذي في جانب الأيسر خمسون صلاة وللذي في سائر الصفوف خمس وعشرون صلاة» كذا في «القنية» ولا يتخطى رقاب الناس إلى الصف الأول إذا وجد فيه فرجة ويتلاصقون بحيث يكونون محاذين بالأعناق والمناكب قال عليه السلام: «رصوا صفوفكم وقاربوا بينها تقارب أشباحكم وحاذوا بالأعناق فوالذي نفسي بيده إني لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنه الحذف» الخلل بفتح الخاء المعجمة الفرجة والحذف بفتحتي الحاء المهملة والذال المعجمة الغنم السود الصغار الحجازية كذا في «التنوير»، والكلام في أداء الصلاة بالحضور والتوجه التام، قال بعضهم:

محراب ابروي توا كر قبله ام نبود ... كي برفلك برند ملائك نمازمن

ـ يحكى ـ أن الشيخ أبا العباس الجوالقي كان في بداية حاله يعمل الجوالق ويبيع فباع يوماً جوالقاً بنسيئة ونسي المشتري فلما قام إلى الصلاة تفكر في ذلك ثم لما سلم قال لتلميذه: وقعت لي خاطرة في الصلاة أني إلى أي شخص بعت الجوالق الفلاني فقال تلميذه: يا أستاذ أنت في أداء الصلاة أو في تحصيل الجوالق فأثر هذا القول في الشيخ فلبس جوالقاً وترك الدنيا واشتغل بالرياضة إلى أن وصل إلى ما وصل:

مردان بسعي ورنج بجايي رسيده اند   توبي هنر كجارسي از نفس پروري

والإشارة أن الله تعالى أشار في حفظ الصلاة بصيغة المبالغة التي بين الاثنين وقال: ﴿حافظوا على الصلوات﴾ يعني محافظة الصلاة بيني وبينكم كما قال: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل» فمعناه إني حافظكم بقدرة التوفيق والإجابة والقبول والإثابة عليها فحافظوا أنتم على الصلاة بالصدق والإخلاص والحضور والخضوع والمناجاة بالتذلل والانكسار والاستعانة والاستهداء والسكون والوقار والهيبة والتعظيم وحفظ القلوب بدوام الشهود فإنما هي الصلاة الوسطى لأن القلب الذي في وسط الإنسان هو واسطة بين الروح والجسد ولهذا يسمى القلب فالإشارة في تخصيص المحافظة على الصلاة هي صلاة القلب بدوام الشهود فإن البدن ساعة يحفظ صورة أركان الصلاة وهيئتها وساعة يخرج منها فلا سبيل إلى حفظ صورتها بنعت الدوام ولا إلى حفظ معانيها بوصف الحضور والشهود وإنما هو من شأن القلب كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧] وأنه من نعت أرباب القلوب إنهم في صلاتهم دائمون كذا في «التأويلات النجمية» فليسارع السالكون إلى حرم الحضور قبل الموت والقبور فإن الصلاة بالفتور غير مقبولة عند الله الغيور ولا بد من الإعراض عن الكائنات ليتجلى نور الذات وإلا فمن يستحضر عمراً وينادي زيداً فلا إجابة له أبداً، قال الشيخ سعدي الشيرازي قدس سره:

آنكه چون پسته ديديش همه مغز   پوست برپوست بود همچو پياز
پارسايان روى در مخلوق   پشت بر قبله ميكنند نماز

ومن الله التوفيق.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾

﴿والذين يتوفون منكم﴾ أي: يموتون يسمى المشارف إلى الوفاة متوفياً تسمية للشيء باسم ما يؤول إليه وقرينة المجاز امتناع الوصية بعد الوفاة ﴿ويذرون أزواجاً﴾ أي: يدعون نساء من بعدهم ﴿وصية لأزواجهم﴾ أي: يوصون وصية لهن والجملة خبر الذين ﴿متاعاً﴾ أي: يوصون متاعاً ﴿إلى الحول﴾ أو متعوهن تمتيعاً إلى الحول ﴿غير إخراج﴾ بدل من قوله ﴿متاعاً﴾ بدل اشتمال لتحقق الملابسة بين تمتيعهن حولاً وبين عدم إخراجهن من بيوتهن كأنه قيل يوصون لأزواجهم متاعاً أي: لا يخرجن من مساكنهن حولاً أو حال من أزواجهم أي: غير

مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون أن يوصوا قبل الاحتضار لأزواجهم بأن يمتعن بعدهم حولاً بالنفقة والسكنى. نزلت الآية في رجل من الطائف يقال له حكيم بن الحارث هاجر إلى المدينة وله أولاد ومعه أبواه وامرأته ومات فأنزل الله هذه الآية فأعطى النبي عليه السلام والديه وأولاده من ميراثه ولم يعط امرأته شيئاً وأمرهم أن ينفقوا عليها من تركة زوجها حولاً وكان عدة الوفاة في ابتداء الإسلام حولاً وكان يحرم على الوارث إخراجها من البيت قبل تمام الحول وكان نفقتها وسكناها واجبة في مال زوجها ما لم تخرج ولم يكن لها الميراث فإن خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها وكان على الرجل أن يوصي بها فكان كذلك حتى نزلت آية الميراث فنسخ الله تعالى نفقة الحول بالربع عند عدم الولد وولد الابن والثمن عند وجودهما وسقطت السكنى أيضاً عند أبي حنيفة ونسخ عدة الحول بأربعة أشهر وعشر فإنه وإن كان متقدماً في التلاوة متأخر في النزول ﴿**فإن خرجن**﴾ من منزل الأزواج باختيارهن ﴿**فلا جناح عليكم**﴾ أيها الأئمة والحكام ﴿**فيما فعلن في أنفسهن من معروف**﴾ لا ينكره الشرع كالتزين والتطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب وهذا يدل على أنه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وإنما كانت مخيرة بين الملازمة وأخذ النفقة وبين الخروج وتركه ﴿**والله عزيز**﴾ غالب على أمره يعاقب من خالفه ﴿**حكيم**﴾ يراعي في أحكامه مصالح عباده.

﴿**وللمطلقات**﴾ سواء كن مدخولاً بهن أم لا ﴿**متاع**﴾ أي: مطلق المتعة الشاملة للمستحبة والواجبة فإن كانت المطلقة مفوضة غير مدخول بها وجبت لها المتعة وإن كانت غيرها يستحب لها فلفظ التمتع المدلول عليه بمتعوهن في الآية السالفة يحمل على الواجب فلا منافاة بين الآيتين ﴿**بالمعروف**﴾ أي: متاع ملتبس بالمعروف شرعاً وعادة ﴿**حقاً على المتقين**﴾ أي: مما ينبغي على من كان متقياً فليس بواجب ولكن من شروط التقوى التبرع بهذا تطييباً لقلبها وإزالة للضغن.

﴿**كذلك**﴾ إشارة إلى ما سبق من أحكام الطلاق والعدة أي: مثل ذلك البيان الواضح ﴿**يبين الله لكم آياته**﴾ الدالة على أحكامه التي شرعها لعباده، قال القاضي وعد بأنه سيبين لعباده من الدلائل والأحكام ما يحتاجون إليه معاشاً ومعاداً ﴿**لعلكم تعقلون**﴾ لكي تفهموا ما فيها فتستعملوا العقل فيها وتعملوا بموجبها، وفي «المثنوي»:

كشتي بي لنكر آمد مردشر   كه زباد كژنيابد أو حذر
لنكر عقلست عاقل را امان   لنكري دريوزه كن ازعا قلان

والإشارة أن المطلقة لما ابتليت بالفراق جبراً لله تعالى كسر قلبها بالمتعة يشير بهذا إلى أن المريد الصادق لو ابتلي في أوان طلبه بفراق الأعزة والأقرباء وهجران الأحبة والأصدقاء والخروج من مال الدنيا وجاهها والهجرة من الأوطان وسكانها والتنقل في البلاد لصحبة خواص العباد ومقاساة الشدائد في طلب الفوائد فالله تعالى يبذل له إحسانه ويزيل عنه أحزانه ويجبر كسر قلبه بمتعة «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» فيكون للطالب الملهوف متاع بالمعروف من نيل المعروف كذلك يظهر الله لكم آياته أصناف ألطافه وأوصاف أعطافه لعلكم تعقلون بأنوار ألطافه كمالات أوصافه كذا في «التأويلات النجمية» فالعاقل لا ينظر إلى الدنيا وأعراضها بل يعبر عن منافعها وأغراضها ويقاسي الشدائد في طريق الحق إلى أن يصل إلى

الذات المطلق.

ـ يحكى ـ عن شقيق البلخي: أنه لم يجد طعاماً ثلاثة أيام وكان مشتغلاً بالعبادة فلما ضعف عن العبادة رفع يده إلى السماء وقال: يا رب أطعمني فلما فرغ من الدعاء التفت فرأى شخصاً ينظر إليه فلما التفت إليه سلم عليه وقال: يا شيخ تعال معي فقام شقيق وذهب معه فأدخله ذلك الرجل في بيت فرأى فيه ألواحاً موضوعة عليها ألوان الأطعمة وعند الخوان غلمان وجواري فأكل والرجل قائم فلما فرغ أراد أن يخرج شقيق من ذلك البيت فقال له الرجل: إلى أين يا شيخ؟ فقال: إلى المسجد فقال: ما اسمك قال شقيق فقال: يا شقيق اعلم أن هذه الدار دارك والعبيد عبيدك وأنا عبدك كنت عبداً لأبيك بعثني إلى التجارة فرجعت الآن وقد توفي أبوك فالدار وما فيها لك قال شقيق: إن كان العبيد لي فهم أحرار لوجه الله وإن كانت الأموال لي وهبتها لكم فاقتسموها بينكم فإني لا أريد شيئاً يمنعني عن العبادة، قال السعدي:

تعلق حجا بست وبي حاصلي — چوپيوندها بكسلي واصلي

والدنيا علاقة خصوصاً هذا الزمان زمان الفتنة والشرور فالراقد فيه خير من اليقظان.

ـ حكي ـ أن سليمان عليه السلام أتي بشراب الجنة فقيل له لو شربت هذا لا تموت فتشاور مع حشمه إلا القنفذ قالوا بأجمعهم اشرب ثم أرسل الفرس والبازي إلى القنفذ يدعوانه فلم يجبهما ثم أرسل إليه الكلب فأجابه فقال له سليمان: لم لم تجب الفرس والبازي قال: إنهما جافيان لأن الفرس يعدو بالعدو كما يعدو بصاحبه والبازي يطيع غير صاحبه كما يطيع صاحبه وأما الكلب فإنه ذو وفاء حتى أنه لو طرده صاحبه من الدار يرجع ثانياً فقال له: أشرب هذا الشراب قال: لا تشرب لأنه يطول عمرك في السجن فالموت في العز خير من العيش في السجن.

بهمه حال أسيري كه زبندي برهد — بهترش دان زاميريكه كرفتار آيد

فقال له سليمان: أحسنت وأمر بإهراقة في البحر فعذب ماء ذلك البحر:

تزود من الدنيا فإنك راحل — وبادر فإن الموت لا شك نازل
وإن امرأ قد عاش سبعين حجة — ولم يتزود للمعاد لجاهل
ودنياك ظل فاترك الحرص بعدما — علمت فإن الظل لا بد زائل

قال السعدي قدس سره:

كه اندر نعمتي مغرور غافل — كهي ازتنك دستي خسته وريش
چودر سرا وضرا حالت اينست — ندانم كي بحق پروازي ازخويش

اللهم احفظنا من الموانع.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم﴾ جمع دار أي: منازلهم وهذا الخطاب وإن كان بحسب الظاهر متوجهاً إلى النبي عليه السلام إلا أنه من حيث المعنى متوجه إلى جميع من سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأرباب التواريخ فمقتضى الظاهر أن يقال ألم تسمع قصتهم إلا أنه نزل سماعهم إياها منزلة رؤيتهم تنبيهاً على ظهورها واشتهارها عندهم فخوطبوا بألم تر وهو

تعجيب من حال هؤلاء وتقرير أي: حمل على الإقرار بما دخله النفي. قال الإمام الواحدي: ومعنى الرؤية هٰهنا رؤية القلب وهي بمعنى العلم انتهى فتعدية الرؤية بإلى مع أنها إدراك قلبي لتضمين معنى الوصول والانتهاء على معنى ألم ينته علمك إليهم.

قال العلماء: كل ما وقع في القرآن ألم تر ولم يعاينه النبي عليه السلام فهو بهذا المعنى، وفي «التيسير»: وتحقيقه اعلم ذلك، وفي «الكواشي»: معناه الوجوب لأن همزة الاستفهام إذا دخلت على النفي أو على الاستفهام صار تقريراً أو إيجاباً والمعنى قد علمت خبر الذين خرجوا الآية، قال ابن التمجيد في «حواشيه»: لفظ ألم تر قد يخاطب به من تقدم علمه بالقصة وقد يخاطب به من لم يتقدم علمه بها فإنه قد يقول الرجل لآخر ألم تر إلى فلان أي: شيء قال يريد تعريفه ابتداء فالمخاطبون به هٰهنا أما من سمعها وعلمها قبل الخطاب به من أهل التواريخ فذكرهم وعجبهم وأما من لم يسمعها فعرفهم وعجبهم وقيل: الخطاب عام لكل من يتأتى منه الرؤية دلالة على شيوع القصة وشهرتها بحيث ينبغي لكل أحد أن يعلمها أو يبصرها ويتعجب منها ﴿**وهم ألوف**﴾ جمع ألف الذي هو من جملة أسماء العدد واختلفوا في عدد مبلغهم والوجه من حيث اللفظ أن يكون عددهم أزيد من عشرة آلاف لأن الألوف جمع الكثرة فلا يقال في عشرة آلاف فما دونها ألوف ﴿**حذر الموت**﴾ مفعول له أي: خرجوا من ديارهم خوفاً من الموت ﴿**فقال لهم الله**﴾ على لسان ملك وإنما أسند إليه تعالى تخويفاً وتهويلاً لأن قول القادر القهار والملك الجبار له شأن ﴿**موتوا**﴾ التقدير فماتوا لاقتضاء قوله ثم أحياهم ذلك التقدير لأن الإحياء يستدعي سبق الموت ﴿**ثم أحياهم**﴾ أي: أعادهم أحياء ليستوفوا بقية أعمارهم وليعلموا أن لا فرار من القدر. قال ابن العربي عقوبة لهم ثم أحياهم وميتة العقوبة بعدها حياة للاعتبار وميتة الأجل لا حياة بعدها. وعن الحسن أيضاً أماتهم الله قبل آجالهم عقوبة لهم ثم بعثهم إلى بقية آجالهم.

وقصة هؤلاء ما ذكره أكثر أهل التفسير أنهم كانوا قوماً من بني إسرائيل بقرية من قرى واسط يقال لها داوودان وقع بها الطاعون فذهب أشرافهم وأغنياؤهم وأقام سفلتهم وفقراءهم فهلك أكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا: أصحابنا كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا كما بقوا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن إلى أرض لا وباء بها فوقع الطاعون من العام القابل فهرب عامة أهلها فخرجوا حتى نزلوا وادياً أفيح بين جبلين فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من أسفل الوادي وملك آخر من أعلاه أن موتوا فماتوا جميعاً من غير علة بأمر الله ومشيئته وماتت دوابهم كموت رجل واحد فأتت عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأروحت أجسادهم أي: أنتنت فخرج إليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فأحدقوا حولهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها فأتت على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم نبي يقال له حزقيل بن يوزي ثالث خلفاء بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام وذلك أن القيم بعد موسى بأمر بني إسرائيل كان يوشع بن نون ثم كالب بن يوحنا ثم حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لأن أمه كانت عجوزاً فسألت الله الولد بعدما كبرت وعقمت فوهبه الله لها. وقال الحسن: هو ذو الكفل وسمي حزقيل ذا الكفل لأنه كفل سبعين نبياً وأنجاهم من القتل وقال لهم: اذهبوا فإني إن قتلت كان خيراً لكم من أن تقتلوا جميعاً فلما جاء اليهود وسألوا ذا الكفل عن الأنبياء السبعين قال: إنهم

ذهبوا ولا أدري أين هم ومنع الله تعالى ذا الكفل من اليهود بفضله وكرمه فلما مر حزقيل على أولئك الموتى وقف عليهم لكثرة ما يرى فجعل يتفكر فيهم متعجباً فأوحى الله إليه أتريد أن أريك آية قال: نعم فقال الله ناد أيتها العظام إن الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمعت من أعلى الوادي وأدناه حتى التزق بعضها ببعض فصارت أجساداً من عظام لا لحم ولا دم ثم أوحى الله إليه ناد أيتها الأرواح إن الله يأمرك أن تقومي فقاموا وبعثوا أحياء يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت فبقيت فيهم بقايا من ريح النتن حتى أنه بقي في أولاد ذلك السبط من اليهود إلى اليوم ثم إنهم رجعوا إلى بلادهم وقومهم وعاشوا دهراً سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوباً إلا عاد دسماً مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي ثبتت لهم وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض لأسباب الشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام وأن الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه المفر فأولى أن يكون في سبيل الله ﴿**إن الله لذو فضل**﴾ عظيم ﴿**على الناس**﴾ قاطبة أما أولئك فقد أحياهم ليعتبروا بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى وأما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم إلى مسلك الاعتبار والاستبصار ﴿**ولكن أكثر الناس لا يشكرون**﴾ فضله كما ينبغي لعجز بعضهم وكفر بعضهم.

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾

﴿**وقاتلوا**﴾ الخطاب لهذه الأمة وهو معطوف على مقدر تقديره فأطيعوا وقاتلوا ﴿**في سبيل الله**﴾ لإعلاء دينه متيقنين أن الفرار من الموت غير مخلص وأن القدر واقع فلا تحرموا من أحد الحظين إما النصر والثواب وإما الموت في سبيل الله الملك الوهاب ﴿**واعلموا أن الله سميع**﴾ يسمع مقالة السابقين إلى الجهاد من ترغيب الغير فيه ومقالة المتخلفين عنه من تنفير الغير ﴿**عليم**﴾ بما يضمرونه في أنفسهم يعلم أن خلف المتخلف لأي غرض وأن جهاد المجاهد لأي سبب وأنه لأجل الدين أو الدنيا وهو من وراء الجزاء ثم إن قوله تعالى: ﴿**ألم تر**﴾ رد لتقبيح حال هؤلاء الذين خرجوا وقد جعل الله جزاء خروجهم الموت والخيبة في رجائهم الخلاص وكل ذلك يدل على كراهية الفرار فثبت بهذه الآية فضيلة القرار وفائدته وفي الحديث «الفار من الطاعون كالفار من الزحف» وهذا الحديث يدل على أن النهي عن الخروج للتحريم وأنه من الكبائر. قيل: إن عبد الملك هرب من الطاعون فركب ليلاً وأخرج غلاماً معه فكان ينام على دابته فقال للغلام: حدثني فقال: من أنا حتى أحدثك؟ فقال: على كل حال حدث حديثاً سمعته فقال: بلغني أن ثعلباً كان يخدم أسداً ليحميه ويمنعه مما يريده فكان يحميه فرأى الثعلب عقاباً فلجأ إلى الأسد فأقعده على ظهره فانقض العقاب واختلسه فصاح الثعلب يا أبا الحارث أغثني واذكر عهدك لي فقال: إنما أقدر على منعك من أهل الأرض فأما أهل السماء فلا سبيل إليهم فقال عبد الملك: وعظتني وأحسنت وانصرف ورضي بالقضاء. قال السعدي قدس سره:

قضا كشتي آنجاكه خواهد برد ... وكرنا خدا جامه برتن درد
در آبى كه پيدا نباشد كنار ... غرور شناور نيايد بكار

واعلم أن ما كان من القضاء حتماً مقضياً لا ينفعه شيء كما قال عليه السلام: «الحذر لا

ينفع من القدر» وأما المعلق فتنفعه الصدقة وأمثالها كما قال عليه السلام: «الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الأعمار» قال بعض المحققين: إن المقدرات على ضربين ضرب يختص بالكليات وضرب يختص بالجزئيات التفصيلية فالكليات المختصة بالإنسان ما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أنها محصورة في أربعة أشياء العمر والرزق والأجل والسعادة أو الشقاوة وهي لا تقبل التغير فالدعاء فيها لا يفيد كصلة الرحم إلا بطريق الفرض بمعنى أن لصلة الرحم مثلاً من الأثر في الخير ما لو أمكن أن يبسط في رزق الواصل ويؤخر في أجله بها لكان ذلك ويجوز فرض المحال إذا تعلق بذلك حكمة قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخرف: ٨١] وأما الجزئيات ولوازمها التفصيلية فقد يكون ظهور بعضها وحصوله للإنسان متوقفاً على أسباب وشروط ربما كان الدعاء أو الكسب والسعي والتعمد من جملتها بمعنى أنه لم يقدر حصوله بدون ذلك الشرط.

ـ حكي ـ أن قصاراً مر على عيسى عليه السلام مع جماعة من الحواريين فقال لهم عيسى: احضروا جنازة هذا الرجل وقت الظهر فلم يمت فنزل جبريل فقال: ألم تخبرني بموت هذا القصار فقال: نعم ولكن تصدق بعد ذلك بثلاثة أرغفة فنجا من الموت وقد سبق منا في الجزء الأول عند قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩] ما يتعلق بالطاعون والفرار منه فليرجع إليه. قال الإمام القشيري: في قوله تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ الآية يعني إن مسكم ألم فتصاعد منكم أنين فاعلموا أن الله سميع بأنينكم عليم بأحوالكم والآية توجب عليهم تسهيل ما يقاسونه من الألم قال قائلهم:

إذا ما تمنى الناس روحاً وراحة ... تمنيت أن أشكو إليك وتسمع

انتهى كلامه قدس سره اللهم اجعلنا من الذين يفرون إلى جنابك ويميلون.

﴿من﴾ استفهام للتحريض على التصدق مبتدأ ﴿ذا﴾ إشارة إلى المقرض خبر المبتدأ أي: من هذا ﴿الذي﴾ صفة ذا أو بدل منه ﴿يقرض الله﴾ أصل القرض القطع سمي به لأن المعطي يقرضه أي: يقطعه من ماله فيدفعه إليه ليرجع إليه مثله من الثواب وإقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه ﴿قرضاً﴾ مصدر ليقرض بمعنى إقراض كقوله تعالى: ﴿أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧] أي: إقراضاً ﴿حسناً﴾ أي: مقروناً بالإخلاص وطيب النفس ويجوز أن يكون القرض بمعنى المقرض أي: بمعنى المفعول على أنه مفعول ثان ليقرض وحسنه أن يكون حلالاً صافياً عن شوب حق الغير به. وقيل: القرض الحسن المجاهدة والإنفاق في سبيل الله ومن أنواع القرض قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ﴿فيضاعفه له﴾ منصوب بإضمار إن عطفاً على المصدر المفهوم من يقرض الله في المعنى فيكون مصدراً معطوفاً على مصدر تقديره من ذا الذي يكون منه إقراض فمضاعفة من الله أو منصوب على جواب الاستفهام في المعنى لأن الاستفهام وإن وقع عن المقرض لفظاً فهو عن الإقراض معنى كأنه قال أي: قرض الله أحد فيضاعفه وأصل التضعيف أن يزاد على الشيء مثله أو أمثاله ﴿أضعافاً﴾ جمع ضعف حال من الهاء في يضاعفه ﴿كثيرة﴾ هذا قطع للأوهام عن مبلغ الحساب أي: لا يعلم قدرها إلا الله. وقيل الواحد سبعمائة وحكمة تضعيف الحسنات لئلا يفلس العبد إذا اجتمع الخصماء فمظالم العباد توفي من التضعيفات لا من أصل حسناته لأن التضعيف فضل من الله تعالى وأصل الحسنة الواحدة عدل منه واحدة بواحدة. وذكر الإمام

البيهقي: أن التضعيفات فضل من الله تعالى لا يتعلق بها العباد كما لا يتعلق بالصوم بل يدخرها الحق للعبد فضلاً منه سبحانه فإذا دخل الجنة أثابه بها، قال السعدي:

نكو كاري از مردم نيك رأى يكي را بده مي نويسد خداي
كرم كن كه فردا كه ديوان نهند منازل بمقدار إحسان تهند

ولما حثهم على الإخراج سهل عليهم الإقراض وأخبر أنهم لا يمكنهم ذلك إلا بتوفيقه فقال: ﴿والله يقبض﴾ يقتر على بعض ﴿ويبسط﴾ يوسع على بعض أو يقتر تارة ويوسع أخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وإذا علم العبد ذلك هان عليه الإعطاء لأن الله تعالى هو الرزاق وهو الذي وسع عليه فهو يسأل منه ما أعطاه ولأنه يخلفه عليه في الدنيا ويثيبه عليه في العقبى فكأن الله تعالى يقول إذا علمتم أن الله هو القابض والباسط وأن ما عندكم إنما هو من بسطه وإعطائه فلا تبخلوا عليه فأقرضوه وأنفقوا مما وسع عليكم وأعطاكم ولا تعكسوا بأن تبخلوا لئلا يعاملكم مثل معاملتكم في التعكيس بأن يقبض بعدما بسط. ولعل تأخير البسط عن القبض في الذكر للإيماء إلى أنه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء. قال الإمام الغزالي في «شرح الأسماء الحسنى»: القابض الباسط: هو الذي يقبض الأرواح من الأشباح عند الممات ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة ويقبض الصدقات من الأغنياء ويبسط الأرزاق للضعفاء يبسط الرزق على الأغنياء حتى لا تبقى فاقة ويقبضه من الفقراء حتى لا تبقى طاقة ويقبض القلوب فيضيقها بما يكشف لها من قلة مبالاته وتعاليه وجلاله ويبسطها لما يقرب إليها من بره ولطفه وجماله والقابض الباسط من العباد من ألهم بدائع الحكم وأوتي جوامع الكلم فتارة يبسط قلوب العباد بما يذكرهم من آلاء الله ونعمائه وتارة يقبضها بما ينذرهم به من جلال الله وكبريائه وفنون عذابه وبلائه وانتقامه من أعدائه كما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قبض قلوب الصحابة عن الحرص على العبادة حيث ذكرهم أن الله يقول لآدم يوم القيامة ابعث بعث النار فيقول: كم؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فانكسرت قلوبهم حتى فتروا عن العبادة فلما أصبح ورآهم على ما هم عليه من القبض والفتور روح قلوبهم وبسطها فذكر أنهم في سائر الأمم كشامة سوداء في مسك ثور أبيض انتهى. قال القشيري في «رسالته»: القبض والبسط حالتان بقدر ترقي العبد عن حال الخوف والرجاء والقبض للعارف بمنزلة الخوف للمستأنف والبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمستأنف ﴿وإليه ترجعون﴾ فيجازيكم على ما قدمتم من الأعمال خيراً وشراً على الجود بالجنة وعلى البخل بالنار وهو وعد ووعيد أو هو تنبيه على أن الغني لمفارق ماله بالموت فليبادر إلى الإنفاق قبل الفوت.

واجتمع جماعة من الأغنياء والفقراء فقال غني: إن الله تعالى رفع درجاتنا حتى استقرض منا وقال فقير: بل رفع درجاتنا حتى استقرض لنا والواحد قد يستقرض من غير الحبيب ولك أن لا تستقرض إلا لأجل الحبيب وقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ودرعه عند يهودي بشعير أخذه لقوت عياله. انظر ممن استدان ولمن استدان وفي الحديث «يقول الله تعالى يوم القيامة ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال رب كيف أطعمك وأنت رب العزة قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي» فالقرض لا

يقع عند المحتاج فكأنه ذكر نفسه ونزل وصفه منزلة المحتاج كقوله: مرضت فلم تعدني جعت فلم تطعمني شفقة وتلطيفاً للفقير والمريض وهذا من باب التنزلات الرحمانية عند المحققين لتكميل محبة العبد وجذبه إلى حظرة أهل الشهود من عباده إذ جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين وذلك إذا شاهد العبد الفقير جلوة جمال الرحمٰن في أطوار تنزلاته في المشاهد الأعيانية، وفي «المثنوي»:

روي خوبان زانيه زيبا شود | روي إحسان از كدا پيدا شود
چون كدا آينه جودست هان | دم بود بر روى آينه زيان
پس ازين فرمود حق در والضحى | بانك كم زن اي محمد بر كدا

فالله تعالى من كمال فضله وكرمه مع عباده خلق أنفسهم وملكهم الأموال ثم اشترى منهم أنفسهم وأموالهم ثم ردها إليهم بالعادية ثم أكرمهم فيها بالاستقراض منهم ثم بشر بأضعاف كثيرة عليها فالعبد الصادق لا يطلب إلا على قدر همته ولا يريد العوض مما أعطاه إلا ذاته تعالى فيعطيه الله ما هو مطلوبه على قدر همته ويضاعف له مع مطلوبه ما أخفى لهم من قرة أعين أضعافاً كثيرة على قدر كرمه فمن يكون له متاع الدنيا بأسره قليلاً فانظر ما يكون له كثيراً اللهم متعنا بما ألهمت قلوب أوليائك واجعلنا من الذين قصروا أعينهم على استطلاع أنوار لقائك.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾

﴿ألم تر﴾ أي: ألم ينتهِ علمك ﴿إلى﴾ قصة ﴿الملإ﴾ أي: قد علمت خبرهم بإعلامي إياك فتعجب. الملأ: جماعة يجتمعون للتشاور سموا بذلك لأنهم أشراف يملؤون العيون مهابة والمجالس بهاءة لا واحد له من لفظه كالقوم ﴿من بني إسرائيل﴾ من للتبعيض حال من الملأ أي: كائنين بعض بني إسرائيل وهم أولاد يعقوب ﴿من﴾ ابتدائية متعلقة بما تعلق به الجار الأول ﴿بعد﴾ وفاة ﴿موسى إذ قالوا﴾ منصوب بالمضاف المقدر في الملأ أي: ألم تر إلى قصة الملأ أو حديثهم حين قالوا لأن الذوات لا يتعجب منها وإنما يتعجب من أحوالها ﴿لنبي لهم﴾ اشمويل وهو الأشهر الأظهر ﴿ابعث لنا ملكاً﴾ أي: أقم وانصب لنا سلطاناً يتقدمنا ويحكم علينا في تدبير الحرب ونطيع لأمره ﴿نقاتل﴾ معه وهو بالجزم على الجواب ﴿في سبيل الله﴾ طلبوا من نبيهم ما كان يفعل رسول الله ﷺ من التأمير على الجيوش التي كان يجهزها ومن أمرهم بطاعته وامتثال أوامره.

ـ وروي ـ أنه أمر الناس إذا سافروا أن يجعلوا أحدهم أميراً عليهم ﴿قال﴾ كأنه قيل فماذا قال لهم النبي حينئذٍ فقيل قال: ﴿هل عسيتم﴾ قاربتم ﴿إن كتب عليكم القتال﴾ مع الملك شرط معترض بين عسى وخبره وهو قوله: ﴿أن لا تقاتلوا﴾ معه. قال في «الكشاف»: والمعنى هل قاربتم أن لا تقاتلوا يعني هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون أراد أن يقول عسيتم أن لا تقاتلوا بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال، فأدخل هل مستفهماً عما هو متوقع عنده وأنه صائب في

توقعه كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾ [الإنسان: ١] معناه التقرير ﴿قالوا وما﴾ مبتدأ وهو استفهام إنكاري خبره قوله: ﴿لنا﴾ في ﴿أن لا نقاتل في سبيل الله﴾ أي: أي سبب وغرض لنا في ترك القتال ﴿وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ أي: والحال أنه قد عرض لنا ما يوجب القتال إيجاباً قوياً من الإخراج من الديار والأوطان والاغتراب عن الأهل والأولاد وأفراد الأبناء بالذكر لمزيد تقوية أسباب القتال قال بعضهم وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا جلاء وأسراً ومثله يذكر اتباعاً نحو:

وزججن الحواجب والعيونا

وكان سبب مسألتهم نبيهم ذلك أنه لما مات موسى عليه السلام خلف بعده في بني إسرائيل يوشع يقيم فيهم التوراة وأمر الله حتى قبضه الله ثم خلف فيهم كالب كذلك حتى قبضه الله ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الأوثان فبعث الله إليهم إلياس نبياً فدعاهم إلى الله وكانت الأنبياء من بني إسرائيل بعد موسى يبعثون إليهم بتجديد ما نسوا من التوراة ثم خلف بعد إلياس أليسع وكان فيهم ما شاء الله حتى قبضه الله وخلف فيهم الخلوف وعظمت الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البلنانا وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة أولاد عمليق بن عاد فظهروا على بني إسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيراً من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين غلاماً وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توارتهم ولقي بنو إسرائيل منهم بلاء شديداً ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبق منهم إلا امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها وجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاماً فولدت غلاماً فسمته أشمويل تقول: سمع الله دعائي وهو بالعبرانية إسماعيل والسين تصير شيناً في لغة عبران فكبر الغلام فأسلموه لتعلم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبنّاه فلما بلغ الغلام أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم إلى جنب الشيخ وكان لا يأتمن عليه أحداً فدعاه بلحن الشيخ يا أشمويل فقام الغلام مسرعاً إلى الشيخ فقال: يا أبتاه دعوتني؟ فكره الشيخ أن يقول لا لئلا يتفزع الغلام فقال: يا بني ارجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام دعوتني؟ فقال: ارجع فنم فإن دعوتك الثالثة فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل فقال له: اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك فإن الله قد بعثك فيهم نبياً فلما أتاهم كذبوه وقالوا له استعجلت بالنبوة ولم تأن لك وقالوا: إن كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله آية نبوتك وإنما كان قوام أمر بني إسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك لأنبيائهم فكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي يقيم أمره ويشير عليه برشده ويأتيه بالخبر من عند ربه ﴿فلما كتب عليهم القتال﴾ بعد سؤال النبي ذلك وبعث الملك ﴿تولوا﴾ أي: أعرضوا وتخلفوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله ولكن لا في ابتداء الأمر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته وإنما ذكر الله هٰهنا مآل أمرهم إجمالاً إظهاراً لما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين ﴿إلا قليلاً منهم﴾ وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد أهل بدر ﴿والله عليم بالظالمين﴾ وعيد لهم على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد وتنافي أقوالهم وأفعالهم.

والإشارة أن القوم لما أظهروا خلاف ما أضمروا وزعموا غير ما كتموا عرض نقد

دعواهم على محك معناهم فما أفلحوا عند الامتحان إذ عجزوا عن البرهان وعند الامتحان يكرم الرجل أو يهان، قال الحافظ:

خود بود كرمحك تجربه آمد بميان تاسيه روى شود هركه دروغش باشد

وهذه حال المدعين من أهل السلوك وغيرهم. قال أهل الحقيقة: عللوا القتال بما يرجع إلى حظوظهم فخذلوا ولو قالوا كيف لا نقاتل وقد عصوا الله وخربوا بلاد الله وقهروا عباد الله وأطفؤوا نور الله لنصروا. وأفادت الآية أن خواص الله فيهم قليلة قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] وهذا في كل زمان لكن الشيء العزيز القليل أعلى بهاء من الكثير الذليل، قال السعدي قدس سره:

خاك مشرق شنيده ام كه كنند بجهل سال كاسة چيني

صد بروزي كنند در بغداد لا جرم قيمتش همي بيني

وإنما كان أهل الحق أقل مع أن الجن والإنس إنما خلقوا لأجل العبادة كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] لأن المقصود الأعظم هو الإنسان الكامل وقد حصل أو لأن المهديين وإن قلوا بالعدد لكنهم كثيرون بالفضل والشرف كما قيل:

قليل إذا عدّوا كثير إذا شدّوا

أي: أظهروا الشدة. وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه السواد الأعظم هو الواحد على الحق والحكمة لا تقتضي اتفاق الكل على الإخلاص والإقبال الكلي على الله فإن ذلك مما يخل بأمر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا بل تقتضي ظهور ما أضيف إليه كل من اليدين فللواحدة المضاف إليها عموم السعداء الرحمة والجنان وللأخرى القهر والغضب ولوازمهما فلا بد من الغضب لتكميل مرتبة قبضة الشمال فإنه وإن كان كلتا يديه يميناً مباركة لكن حكم كل واحدة يخالف الأخرى، فعلى العاقل أن يحترز من أسباب الغضب ويجتهد في نيل كرم الرب. قال علي كرم الله وجهه: [من ظن أنه بدون الجهد يصل فهو متمنٍ، ومن ظن أنه ببذل الجهد فهو متعنٍ] اللهم أفضل علينا من سجال فضلك وكرمك وأوصلنا إليك بك يا أرحم الراحمين.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٤٧﴾

﴿وقال لهم نبيهم﴾ وذلك أن أشمويل لما سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكاً أتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له: إن صاحبكم الذي يكون ملكاً طوله طول هذه العصا وانظر القرن الذي فيه الدهن فإذا دخل عليك رجل ونش الدهن الذي في القرن فهو ملك بني إسرائيل فدهن به رأسه وملك عليهم. قال وهب: ضلت حمر لأبي طالوت فأرسله وغلاماً له في طلبها فمرا ببيت أشمويل فقال الغلام: لو دخلنا على هذا النبي فسألنا عن الحمر ليرشدنا ويدعو لنا بحاجتنا فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له شأن الحمر إذ نش الدهن الذي في القرن فقام أشمويل فقاس طالوت بالعصا فكان على طولها فقال لطالوت قرب رأسك فقربه فدهنه بدهن القدس ثم قال له: أنت ملك بني إسرائيل الذي أمرني الله أن أملكه عليهم قال: بأي آية؟ قال:

بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمره فكان كذلك ثم قال أشمويل لبني إسرائيل: **﴿إن الله قد بعث لكم طالوت﴾** اسم أعجمي ممتنع من الصرف لتعريفه وعجمته **﴿ملكاً﴾** حال منه أي: فأطيعوه وقاتلوا عدوكم معه **﴿قالوا﴾** متعجبين من ذلك ومنكرين قيل: إنهم كفروا بتكذيبهم نبيهم وقيل: كانوا مؤمنين لكن تعجبوا وتعرفوا وجه الحكمة في تمليكه كما قال الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] **﴿أنى يكون له الملك علينا﴾** من أين يكون له ذلك ويستأهل **﴿ونحن أحق بالملك منه﴾** أولى بالرياسة عليه منه بالرياسة علينا **﴿ولم يؤت سعة من المال﴾** أي: لم يعط ثروة وكثرة من المال فيشرف بالمال إذا فاته الحسب يعني كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال ولا بد للملك من مال يقتصد به. وسبب هذا الاستبعاد أن النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من أسباط بني إسرائيل وهو سبط لاود بن يعقوب ومنه كان موسى وهارون وسبط المملكة سبط يهودا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان ولم يكن طالوت من أحد هذين السبطين بل هو من ولد بنيامين بن يعقوب وكانوا عملوا ذنباً عظيماً ينكحون النساء على ظهر الطريق نهاراً فغضب الله عليهم ونزع الملك والثروة منهم وكانوا يسمونه سبط الإثم وكان طالوت يتحرف بحرفة دنية كان رجلاً دباغاً يعمل الأدم فقيراً أو سقاءً أو مكارياً **﴿قال﴾** لهم نبيهم رداً عليهم **﴿إن الله اصطفاه عليكم﴾** أي: اختاره فإن لم يكن له نسب ومال فله فضيلة أخرى وهو قوله: **﴿وزاده بسطة﴾** أي: سعة وامتداداً **﴿في العلم﴾** المتعلق بالملك أو به وبالديانات أيضاً **﴿والجسم﴾** بطول القامة وعظم التركيب لأن الإنسان يكون أعظم في النفوس بالعلم وأهيب في القلوب بالجسم وكان أطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى أن الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه وبفقره رد عليهم ذلك أولاً بأن ملاك الأمر هو اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم وثانياً بأن العمدة فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة أمور السياسة وجسامة البدن ليعظم خطره في القلوب ويقدر على مقاومة الأعداء ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى منهما بحظ وافر **﴿والله يؤتي ملكه من يشاء﴾** لما أنه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله أن يؤتيه من يشاء من عباده **﴿والله واسع﴾** يوسع على الفقير ويغنيه **﴿عليم﴾** بمن يليق بالملك ممن لا يليق به.

وفي «التأويلات النجمية»: إنما حرم بنو إسرائيل من الملك لأنهم كانوا معجبين بأنفسهم متكبرين على طالوت ناظرين إليه بنظر الحقارة من عجبهم قالوا ونحن أحق بالملك منه ومن تكبرهم عليه قالوا: أنى يكون له الملك علينا؟ ومن تحقيرهم إياه قالوا ولم يؤت سعة من المال فلمّا تكبروا وضعهم الله وحرموا من الملك، قال السعدي قدس سره:

يكي قطره باران زابري چكيد ... خجل شد چوپهناي دريا بديد
كه جايي كه درياست من كيستم ... كر أوهست حقاكه من نيستم
چو خودرا بچشم حقارت بديد ... صدف دركنارش بجان پروريد
سپهرش بجايي رسانيد كار ... كه شد نامور لؤلؤي شاهوار
بلندي ازان يافت كوپست شد ... درنيستي كوفت تاهست شد

ومن بلاغات الزمخشري كم يحدث بين الخبيثين ابن لا يعابن والفرث والدم يخرج من

بينهما اللبن يعني حدوثاً كثيراً يحدث بين الزوجين الخبيثين ابن طيب لا يعاب بين الناس ولا يذكر بقبيح وهذا غير مستبعد لأن اللبن يخرج من بين السرجين والدم وهما مع كونهما مستقذرين لا يؤثران في اللبن بشيء من طعمهما ولونهما بل يحدث اللبن من بينهما لطيفاً نظيفاً سائغاً للشاربين. قالوا: يخلق الله اللبن وسيطاً بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله. قيل: إذا أكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها وهو من الحيوان بمنزلة المعدة من الإنسان طبخته فكان أسفله فرثاً وأوسطه مادة اللبن وأعلاه مداة الدم والكبد مسلطة على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع وتبقي الفرث في الكرش فسبحان الله ما أعظم قدرته وألطف حكمته لمن تأمل والإنسان له استعداد الصلاح والفساد فتارة يظهر في الأولاد الصلاح المبطون في الآباء وتارة يكون الأمر بالعكس وأمر الإيجاد يدور على الإظهار والإبطان فانظر إلى آدم وإبنيه قابيل وهابيل ثم وثم إلى انتهاء الزمان. والحاصل أن طالوت ولو كان أخس الناس عند بني إسرائيل لكنه عظيم شريف عند الله لما أن النظر الإلهي إذا تعلق بحجر يجعله جوهراً وبشوك يجعله ورداً وريحاناً فلا معترض لحكمه ولا راد لقضائه فالوضيع من وضعه الله وإن كان قد رفعه الناس والرفيع من رفعه الله وإن كان قد وضعه الناس. والعاقل إذا تأمل أمثال هذا يجد من نفسه الإنصاف والسكوت وتفويض الأمر إلى الحي الذي لا يموت والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾

﴿**وقال لهم نبيهم**﴾ طلبوا علامة من نبيهم على كون طالوت ملكاً عليهم فقالوا: ما آية ملكه؟ فقال: ﴿**إن آية ملكه**﴾ أي: علامة سلطنته ﴿**أن يأتيكم التابوت**﴾ من التوب وهو الرجوع وسمي تابوتاً لأنه ظرف توضع فيه الأشياء وتودع فلا يزال يرجع إليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع إليه فيما يحتاج إليه من مودعاته والمراد به صندوق التوراة وكان قد رفعه الله بعد وفاة موسى عليه السلام سخطاً على بني إسرائيل لما عصوا واعتدوا، فلمّا طلب القوم من نبيهم آية تدله على ملك طالوت قال لهم: إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت من السماء والملائكة يحفظونه فأتاهم كما وصف والقوم ينظرون إليه حتى نزل عند طالوت وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما. وقال أرباب الأخبار: إن الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام تابوتاً فيه تماثيل الأنبياء عليهم السلام من أولاده وكان من عود الشمشار ونحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين فكان عند آدم عليه السلام إلى أن توفي فتوارثه أولاده واحد بعد واحد إلى أن وصل إلى يعقوب عليه السلام ثم بقي في أيدي بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التوراة ومتاعاً من متاعه وكان إذا قاتل قدمه فكانت تسكن إليه نفوس بني إسرائيل وكان عنده إلى أن توفي ثم تداولته أيدي بني إسرائيل وكانوا إذا اختلفوا في شيء تحاكموا إليه فيكلمهم ويحكم بينهم وكانوا إذا حضروا القتال يقدمونه بين أيديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فإذا سمعوا في التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وفسدوا

سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه في موضع البول والغائط فلما أراد الله أن يملك طالوت سلط الله عليهم البلاء حتى أن كل من بال عنده ابتلي بالبواسير وهلكت من بلادهم خمس مدائن فعلم الكفار أن ذلك سبب استهانتهم بالتابوت فأخرجوه وجعلوه على عجلة وعقلوها على ثورين فأقبل الثوران يسيران وقد وكل الله بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما حتى أتيا منزل طالوت فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال لهم النبي: إن آية ملكه أنكم تجدون التابوت في داره فلما وجدوه عنده أيقنوا بملكه فالإتيان على هذا مجاز لأنه أتى به ولم يأت هو بنفسه فنسب الإتيان إليه توسعاً كما يقال: ربحت التجارة وعلى الوجه الأول حقيقة ﴿فيه﴾ أي: في إتيان التابوت ﴿سكينة من ربكم﴾ أي: سكون لكم وطمأنينة كائنة من ربكم أو الضمير للتابوت، قال بعض المحققين السكينة تطلق على ثلاثة أشياء بالاشتراك اللفظي.

أولها ما أعطى بنو إسرائيل في التابوت كما قال تعالى: ﴿إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم﴾ قال المفسرون هي ريح ساكنة طيبة تخلع قلب العدو بصوتها رعباً إذا التقى الصفان وهي معجزة لأنبيائهم وكرامة الملوك.

والثانية: شيء من لطائف صنع الحق يلقي على لسان المحدث الحكمة كما يلقي الملك الوحي على قلوب الأنبياء مع ترويح الأسرار وكشف السر.

والثالثة: هي التي أنزلت على قلب النبي عليه السلام وقلوب المؤمنين وهي شيء يجمع نوراً وقوة وروحاً يسكن إليه الخائف ويتسلى به الحزين كما قال تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦] وقال بعضهم: التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والإخلاص وذكر الله الذي تطمئن إليه القلوب وإتيانه تصيير قلبه مقر العلم والوقار بعد أن لم يكن كذلك ﴿وبقية﴾ كائنة ﴿مما﴾ من للتبعيض ﴿ترك آل موسى وآل هارون﴾ هما رضاض الألواح وعصا موسى من آس الجنة وثيابه ونعلاه وعمامة هارون وشيء من التوراة وخاتم سليمان وقفيز من المن وهو الترنجبين الذي كان ينزل على بني إسرائيل ويأكلونه في أرض التيه. وآلهما أنفسهما والآل مقحم أو أبناؤهما أو اتباعهما ﴿تحمله الملائكة﴾ حال من التابوت أي إن آية ملكه إتيانه حال كونه محمولاً للملائكة أو استئناف كأنه قيل: كيف يأتي؟ فقيل: تحمله الملائكة ثم إن التابوت لم تحمله الملائكة في الروايتين بل نزل من السماء إلى الأرض بنفسه والملائكة كانوا يحفظونه في الرواية الأولى وأتى به على العجلة وعلى الثورين بسوق الملائكة على الرواية الأخيرة وإنما أضيف الحمل في القولين جميعاً إلى الملائكة لأن من حفظ شيئاً في الطريق جاز أن يوصف بأنه حمل ذلك الشيء وإن لم يحمله بل كان الحامل غيره كما يقول القائل: حملت الأمتعة إلى زيد إذا حفظها في الطريق وإن كان الحامل غيره ﴿إن في ذلك﴾ يحتمل أن يكون من تمام كلام النبي أن يكون ابتداء خطاب من الله أي: في رد التابوت أيها الفريق ﴿لآية﴾ عظيمة ﴿لكم﴾ دالة على ملك طالوت وصدق قول نبيكم في أن الله جعله ملكاً فإنه أمر مناقض للعادة ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ مصدقين بالله فصدقوا بتمليكه عليكم.

وفي الإشارة إلى أن آية ملك الخلافة للعبد أن يظفر بتابوت قلب فيه سكينة من ربه وهي: الطمأنينة بالإيمان والأنس مع الله وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون وهي عصا الذكر كلمة لا إله إلا الله وهي كلمة التقوى وهي الحية التي إذا فتحت فاها تلقف سحرة صفات

فرعون النفس فعصا ذكر الله في تابوت القلوب وقد أودعها الله بين أصبعي جماله وجلاله كما قال عليه السلام: «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمٰن» فبصفة الجلال يلهمها فجورها وبصفة الإكرام يلهمها تقواها كما قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٨] ولم يستودعها ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً فشتان بين أمة سكينتهم فيما للأعداء عليه تسلط وبين أمة سكينتهم فيما ليس للأولياء ولا للأنبياء عليه ولاية وإن كان في ذلك التابوت بعض التوراة موضوعاً ففي تابوت قلوب هذه الأمة جميع القرآن محفوظ وإن كان في تابوتهم بيوت فيها صور الأنبياء ففي تابوت قلوبهم خلوات ليس فيها معهم غير الله كما قال: «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن» فإذا تيسر لطالوت روح الإنسان أن يؤتى تابوت القلب الرباني فسلم ملك الخلافة وسرير السلطنة واستوثق عليه جميع أسباط الصفات الإنساني فلا يركن إلى الدنيا الغدارة المكارة بل يتهجر منها ويتبرز لقتال جالوت النفس الأمارة وهذا لا يتيسر إلا بفضل الله وأخذ الطريقة والتمسك بالحقيقة.

ره اينست روى از طريقت متاب بنه كام وكامي كه خواهي بياب

ومن أراد أن يزداد سكينة فليصلْ إلى المعرفة فإن المعرفة الإلهية توجب السكينة في القلب كما أن القلب يوجب السكون. وسئل أبو يزيد عن المعرفة فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤] أي: غيروا حالها عما هي عليه وكذلك إذا وردت الواردات الربانية على القلوب الممتلئة أخرجت منها كل صفة رديئة. وقيل لأبي يزيد: بم وجدت هذه المعرفة؟ فقال: ببطن جائع وبدن عار، قال السعدي قدس سره:

باندازه خور زاد اكر مردمي چنين پرشكم آدمي ياخمي
ندارند تن پروران آكهي كه پر معده باشدز حكمت تهي

اللهم احفظنا من الموانع في طريق الوصول إليك آمين آمين.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩﴾

﴿فلما فصل طالوت بالجنود﴾ الأصل فصل نفسه ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة اللازم كانفصل والمعنى انفصل عن بلده مصاحباً لهم لقتال العمالقة. والجنود جمع جند وهو الجيش الأشداء مأخوذ من الجند وهي الأرض الشديدة وكل صنف من الخلق جند على حدة.

ـ روي ـ أنهم لما رأوا التابوت لم يشكوا في النصر فتسارعوا إلى الجهاد فقال طالوت: لا يخرج معي شيخ ولا مريض ولا رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة مشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج امرأة ولم يبن بها ولا أبتغي إلا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع إليه ممن اختاره ثمانون ألفاً وكان الوقت قيظاً أي: شديد الحر وسلكوا مفازة فشكوا قلة الماء وسألوا أن يجري الله لهم نهراً **﴿قال﴾** أي: طالوت بإخبار من النبي أشمويل **﴿إن الله مبتليكم**

بنهرٍ﴾ أي: معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه وذلك الاختبار ليظهره عند طالوت من كان مخلصاً في نيته من غيره ليميزهم من العسكر لأن من لا يريد القتال إذا خالط عسكراً يدخل الضعف في العسكر فينهزمون بشؤمه:

آنكه جنك آرد بخون خويش بازي ميكند روز ميدان آنكه بكر يزيد بخون لشكري

فميز بينهما كالذهب والفضة فيهما الخبث فميز الخالص من غيره بالنار ﴿فمن شرب منه﴾ أي ابتدأ شربه من ماء النهر بأن كرع وهو تناول الماء بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء ﴿فليس مني﴾ أي: من جملتي وأشياعي المؤمنين فمن للتبعيض دخلت على نفس المتكلم للإشعار بأن أصحابه لقوة اختصاصهم واتصالهم به كأنهم بعضه أو ليس بمتحد معي فمن اتصالية كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧] أي: بعضهم متصل بالبعض الآخر ومتحد معه ﴿ومن لم يطعمه﴾ الطعم هنا بمعنى الذوق وهو التناول من الشيء تناولاً قليلاً يقال طعم الشيء إذا ذاقه مأكولاً أو مشروباً ﴿فإنه مني﴾ أي: من أهل ديني ﴿إلا من اغترف غرفة بيده﴾ استثناء من قوله فمن شرب منه واعتراض الجملة الثانية وهو من لم يطعمه للعناية بها لأن عدم الذوق منه رأساً عزيمة والاغتراف رخصة وبيان حال الأخذ بالعزيمة أهم من بيان الأخذ بالرخصة. والغرفة بالضم اسم للقدر الحاصل في الكف بالاغتراف والغرف أخذ ماء بآلة كالكف وهو في الأصل القطع والغرفة التي هي العلية قطعة من البناء والباء متعلقة باغترف. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت الغرفة الواحدة يشرب منها هو ودوابه وخدمه ويحمل منها، قال الإمام وهذا يحتمل وجهين: أحدهما أنه كان مأذوناً له أن يأخذ من الماء ما شاء مرة واحدة بقربة أو جرة بحيث كان المأخوذ في المرة الواحدة يكفيه ودوابه وخدمه ويحمل باقيه. وثانيهما أنه كان يأخذ القليل فيجعل الله فيه البركة حتى يكفي كل هؤلاء فيكون معجزة لنبي الزمان كما أنه تعالى يروي الخلق الكثير من الماء القليل في زمن محمد ﷺ ﴿فشربوا منه﴾ أي: فانتهوا إلى النهر وابتلوا وكرعوا فيه كروعاً مثل الدواب ولم يقنعوا بالاغتراف فضلاً عن أن لا يذوقوا منه شيئاً ﴿إلا قليلاً منهم﴾ وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً على عدد أهل بدر فإنهم اغترفوا فشربوا بالأكف ورووا وأما الذين خالفوا فشربوا كرعاً فازدادوا عطشاً واسودت شفاههم وبقوا على شط النهر فعرف طالوت الموافق من المخالف فخلف الأشداء:

نه بي حكم شرع آب خوردن خطاست وكر خون بفتوى بريزي رواست

ولما ردوا بالخلاف في صفة شرب ماء أصله حلال لكن على صفة مخصوصة وهلكوا بعد الرد فما حال من تناول الحرام المحض في الطعام والشراب كيف يقبل ويسلم. ثم إنه لا خلاف بين المفسرين في أن الذين عصوا رجعوا إلى بلدهم والصحيح أنهم لم يجاوزوا النهر وإنما رجعوا قبل المجاوزة لقوله تعالى: ﴿فلما جاوزه﴾ أي: النهر ﴿هو﴾ أي: طالوت ﴿والذين آمنوا﴾ وهم القليل الذين أطاعوه ولم يخالفوه فيما ندبهم إليه. وفيه إشارة إلى أن من عداهم بمعزل من الإيمان ﴿معه﴾ أي: مع طالوت متعلق بجاوز لا بآمنوا ﴿قالوا﴾ أي: بعض من معه من المؤمنين القليلين لبعض آخر منهم وهم الذين يظنون الآية فالمؤمنون الذين جاوزوا النهر صاروا فريقين فريقاً يحب الحياة ويكره الموت وكان الخوف والجزع غالباً على طبعه

وفريقاً كان شجاعاً قوي القلب لا يبالي بالموت في طاعة الله تعالى. والقسم الأول هم الذين قالوا: ﴿لا طاقة﴾ قوة ﴿لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ أي: بمحاربتهم ومقاومتهم فضلاً عن أن يكون لنا غلبة عليهم وذلك لما شاهدوا منهم من الكثرة والقوة وكانوا مائة ألف مقاتل شاكي السلاح. والقسم الثاني: هم الذين أجابوهم بقولهم: ﴿كم من فئة﴾ الآية ﴿قال﴾ كأنه قيل فماذا قال لهم مخاطبهم فقيل قال: ﴿الذين يظنون أنهم ملاقو﴾ نصر ﴿الله﴾ العزيز وتأييده ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة﴾ أي: كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة. والفئة اسم للجماعة من الناس قلّت أو كثرت ﴿بإذن الله﴾ أي: بحكمه وتيسيره فإن دوران كافة الأمور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وإن قل عدده ولا يعز من خذله وإن كثر أسبابه وعدده فنحن أيضاً نغلب جالوت وجنوده ﴿والله مع الصابرين﴾ بالنصرة على العدو وبتوفيق الصبر عند الملاقاة. قال الراغب: في القصة إيماء ومثال للدنيا وأبنائها وأن من يتناول قدر ما يتبلغ به اكتفى واستغنى وسلم منها ونجا ومن تناول منها فوق ذلك ازداد عطشاً ولهذا قيل: الدنيا كالملح من ازداد منها عطش وفي الحديث: «لو أن لابن آدم واديين من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً فلا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» يعني لا يزال حريصاً على الدنيا حتى يموت ويمتلىء جوفه من تراب قبره إلا من تاب فإن الله يقبل التوبة من التائب عن حرصه المذموم وعن غيره من المذمات وههنا نكتة وهي أن في ذكر ابن آدم دون الأنسال تلويحاً إلى أنه مخلوق من تراب ومن طبيعته القبض واليبس وإزالته ممكنة بأن يمطر الله عليه من غمام توفيقه فللعاقل أن لا يتعب نفسه في جمع حطام الدنيا فإن الرزق مقسوم. أوحى الله إلى داود [يا داود تريد وأريد فإن رضيت بما أريد كفيتك ما تريد وإن لم ترض بما أريد أتعبك ثم لا يكون إلا ما أريد] فالناس مبتلون بنهر هو منهل الطبيعة الجسمانية فمن شرب منه مفرطاً في الري منه بالحرص فليس من أهل الحقيقة لأنه من أهل الطبيعة وعبدة الشهوات المشتغل بها عن الله إلا من قنع من متاع الدنيا على ما لا بد منه من المأكول والمشروب والملبوس والمسكن ومحبة الخلق على الاضطرار بمقدار القوام فإنه من أولياء الله. والحاصل أن النهر هو الدنيا وزينتها ومن بقي على شطها واطمأن بها كثير ممن جاوزها ولم يلتفت إليها فإن أهل الله أقل من القليل وأهل الدنيا لا يحصى عددهم رزقنا الله وإياكم القوة والقناعة ولم يفصلنا عن أهل السنة والجماعة.

ـ روي ـ أنه عليه السلام قال في وصيته لأبي هريرة رضي الله عنه: «عليك يا أبا هريرة بطريق أقوام إذا فزع الناس لم يفزعوا وإذا طلب الناس الأمان من النار لم يخافوا» قال أبو هريرة: من هم يا رسول الله؟ قال: «قوم من أمتي في آخر الزمان يحشرون يوم القيامة محشر الأنبياء إذا نظر إليهم الناس ظنوهم أنبياء مما يرون من حالهم حتى أعرفهم أنا فأقول: أمتي أمتي فيعرف الخلائق أنهم ليسوا أنبياء فيمرون مثل البرق أو الريح تغشى أبصار أهل الجمع من أنوارهم» فقلت: يا رسول الله مرني بمثل عملهم لعلي ألحق بهم فقال: «يا أبا هريرة ركب القوم طريقاً صعباً آثروا الجوع بعدما أشبعهم الله والعري بعدما كساهم الله والعطش بعدما أرواهم الله تركوا ذلك رجاء ما عند الله تركوا الحلال مخافة حسابه صحبوا الدنيا بأبدانهم ولم يشتغلوا بشيء منها عجبت الملائكة والأنبياء من طاعتهم لربهم طوبى لهم وددت أن الله جمع بيني وبينهم» ثم بكى رسول الله ﷺ شوقاً إليهم ثم قال عليه السلام: «إذا أراد الله بأهل الأرض عذاباً فنظر إليهم صرف العذاب عنهم فعليك يا أبا هريرة

بطريقهم»، قال الشيخ العطار قدس سره:

درراه تومر دانند ازخويش نهان مانده
بي جسم وجهت كشته بي نام ونشان مانده
تنشان بشريعت هم دلشان بحقيقت هم
هم دل شده وهم جان نه اين ونه آن مانده

عليهم سلام الله ورحمته وبركاته اللهم اجعلنا من اللاحقين بهم آمين آمين.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾

﴿**ولما برزوا**﴾ أي: ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا إلى براز أي: فضاء من الأرض في موطن الحرب ﴿**لجالوت وجنوده**﴾ وشاهدوا ما عليهم من العدد والعدد وأيقنوا أنهم غير مطيقين لهم عادة ﴿**قالوا**﴾ أي: جميعاً عند تقوي قلوب الفريق الأول منهم بقول الفريق الثاني متضرعين إلى الله تعالى مستعينين به ﴿**ربنا**﴾ في ندائهم بقولهم ﴿**ربنا**﴾ اعتراف منهم بالعبودية وطلب لإصلاحهم لأن لفظ الرب يشعر بذلك دون غيره ﴿**أفرغ علينا**﴾ إفراغ الإناء إخلاؤه مما فيه أي: صبّ علينا وهو استعارة عن الإكمال والإكثار أتوا بلفظة على طلباً لأن يكون الصبر مستعلياً عليهم وشاملاً لهم كالظرف للمظروف ﴿**صبراً**﴾ على مقاساة شدائد الحرب واقتحام موارده الضيقة ﴿**وثبت أقدامنا**﴾ وهب لنا ما تثبت به في مداحض القتال ومزال النزال من قوة القلوب وإلقاء الرعب في قلوب العدو ونحو ذلك من الأسباب فالمراد بثبات القدم كمال القوة والرسوخ عند المقارنة وعدم التزلزل وقت المقامة لا مجرد التقرر في حيز واحد ﴿**وانصرنا على القوم الكافرين**﴾ بقهرهم وهزمهم ولقد راعوا في الدنيا ترتيباً بليغاً حيث قدموا سؤال إفراغ الصبر على قلوبهم الذي هو ملاك الأمر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه ثم سؤال النصر على العدو الذي هو الغاية القصوى.

﴿**فهزموهم**﴾ أي: كسروهم بلا مكث ﴿**بإذن الله**﴾ أي: بنصره وتأييده إجابة لدعائهم ﴿**وقتل داود جالوت**﴾ كان جالوت الجبار رأس العمالقة وملكهم وكان من أولاد عمليق بن عاد وكان من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة فيها ثلاثمائة رطل حديد وكان ظله ميلاً لطول قامته وكان أيشي أبو داود عليه السلام في جملة من عبر النهر مع طالوت وكان معه سبعة من أبنائه وكان داود أصغرهم يرعى الغنم فأوحى إلى نبي العسكر وهو أشمويل أن داود بن أيشي هو الذي يقتل جالوت فطلبه من الله فجاء به فقال النبي أشمويل: لقد جعل الله تعالى قتل جالوت على يدك فاخرج معنا إلى محاربته فخرج معهم فمر داود عليه السلام في الطريق بحجر فناداه يا داود احملني فإني حجر هارون الذي قتل بي ملك كذا فحمله في مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال له: احملني فإني حجر موسى الذي قتل بي كذا وكذا فحمله في مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال له: احملني فإني حجر الذي تقتل بي جالوت فوضعه في مخلاته وكان من عادته رمي القذافة وكان لا يرمي بقذافته شيئاً من الذئب والأسد والنمر إلا

صرعه وأهلكه فلما تصاف العسكران للقتال برز جالوت الجبار إلى البراز وسأل: من يخرج إليه؟ فلم يخرج إليه أحد فقال: يا بني إسرائيل لو كنتم على حق لبارزني بعضكم فقال داود لإخوته: من يخرج إلى هذا الأقلف فسكتوا فالتمس منه طالوت أن يخرج إليه ووعده أن يزوجه ابنته ويعطيه نصف ملكه ويجري له خاتمه فيه فلما توجه داود نحوه أعطاه طالوت فرساً ودرعاً وسلاحاً فلبس السلاح وركب الفرس فسار قريباً ثم انصرف إلى الملك فقال من حوله جبن الغلام فجاء فوقف على الملك فقال: ما شأنك؟ فقال: إن الله تعالى إن لم ينصرني لم يغن عني هذا السلاح شيئاً فدعني أقاتل كما أريد قال: نعم فأخذ داود مخلاته فتقلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت.

ـ روي ـ أنه لما نظر جالوت إلى داود قذف في قلبه الرعب فقال: يا فتى ارجع فإني أرحمك أن أقتلك قال داود: بل أنا أقتلك قال: ائتني بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب قال: نعم أنت شر من الكلب قال جالوت: لا جرم لأقسمن لحمك بين سباع الأرض وطير السماء قال داود: بل يقسم الله لحمك فقال: باسم إله إبراهيم وأخرج حجراً ثم أخرج الآخر وقال: باسم إله إسحاق ثم أخرج الثالث وقال: باسم إله يعقوب فوضع الأحجار الثلاثة في مقلاعه فصارت كلها حجراً واحداً ودور المقلاع ورمى به فسخر الله له الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة وخالط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلاً وهزم الله الجيش وخرّ جالوت قتيلاً فأخذ داود يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح المسلمون فرحاً شديداً وانصرفوا إلى المدينة سالمين فزوجه طالوت ابنته وأجرى خاتمه في نصف مملكته فمال الناس إلى داود وأحبوه وأكثروا ذكره فحسده طالوت وأراد قتله فتنبه له داود وهرب منه فسلط طالوت عليه العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه وانطلق داود إلى الجبل مع المتعبدين فتعبد فيه دهراً طويلاً فأخذ العلماء والعباد ينهون طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه أحد عن قتل داود إلا قتله فأكثر في قتل العلماء الناصحين فلم يكن يقدر على عالم في بني إسرائيل يطيق قتله إلا قتله ثم ندم على ما فعله من المعاصي والمنكرات وأقبل على البكاء ليلاً ونهاراً حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيبكي وينادي: رحم الله عبداً يعلم أن لي توبة إلا أخبرني بها فلما أكثر التضرع والإلحاح عليهم رقّ له بعض خواصه فقال له: إن دللتك أيها الملك لعلك أن تقتله فقال: لا والله بل أكرمه أتم الإكرام وانقاد إلى حكمه وأخذ مواثيق الملك وعهوده على ذلك فذهب به إلى باب امرأة تعلم اسم الله الأعظم فلما لقيها قبّل الأرض بين يديها وسألها هل له من توبة؟ فقالت: لا والله لا أعلم لك توبة ولكن هل تعلم مكان قبر نبي؟ فانطلق بها إلى قبر أشمويل فصلت ودعت ثم نادت صاحب القبر فخرج أشمويل من القبر ينفض رأسه من التراب فلما نظر إليهم سألهم وقال: ما لكم، أقامت القيامة؟ قالت: لا ولكن طالوت يسأل هل له من توبة؟ قال أشمويل: يا طالوت ما فعلت بعدي؟ قال: لم أدع من الشر شيئاً إلا فعلته وجئت لطلب التوبة قال: كم لك من الولد؟ قال: عشرة رجال قال: لا أعلم لك من التوبة إلا أن تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل أنت فتقتل آخرهم ثم رجع أشمويل إلى القبر وسقط ميتاً ورجع طالوت ففعل ما أمر به حتى قتل فجاء قاتله إلى داود ليبشره وقال: قتلت عدوك فقال داود: ما أنت بالذي تحيا بعده فضرب عنقه فكان ملك طالوت إلى أن قتل أربعين سنة وأتى بنو إسرائيل

بداود وأعطوه خزائن طالوت وملكوه على أنفسهم وملك داود بعد قتل طالوت سبعين سنة ﴿**وآتاه الله الملك**﴾ أي: ملك بني إسرائيل في مشارق الأرض المقدسة ومغاربها ولم يجتمعوا قبل داود على ملك ﴿**والحكمة**﴾ أي: النبوة ولم يجتمع في بني إسرائيل الملك والنبوة قبله إلا له بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط آخر وأنزل عليه الزبور أربعمائة وعشرين سورة وهو أول من تكلم بأما بعد وهو فصل الخطاب الذي أوتيه داود عليه السلام ﴿**وعلمه مما يشاء**﴾ أي: مما يشاء الله تعليمه إياه من صنعة الدروع بإلانة الحديد وكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل إلا من عمل يده ومنطق الطير وتسبيح الجبال وكلام الحكل والنمل والصوت الطيب والألحان الطيبة فلم يعط الله أحداً مثل صوته وكان إذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها وتطلبه الطير مصيخة له ويركد الماء الجاري وتسكن الريح ﴿**ولولا دفع الله**﴾ المصدر مضاف إلى فاعله أي: صرفه ﴿**الناس**﴾ مفعول الدفع ﴿**بعضهم**﴾ الذين يباشرون الشر والفساد وهو بدل من الناس بدل بعض من كل ﴿**ببعض**﴾ آخر منهم بردهم عما هم عليه بما قدر الله من القتل كما في القصة المحكية وغيره وهو متعلق بالمصدر ﴿**لفسدت الأرض**﴾ وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الأرض ويصلحها. وقيل: لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفجار لهلكت الأرض ومن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت جيرانه البلاء» ثم قرأ ﴿**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض**﴾ ثم إن فيه تنبيهاً على فضيلة الملك وأن لولاه لما انتظم أمر العالم. ولهذا قيل: الدين والملك توأمان ففي ارتفاع أحدهما ارتفاع الآخر لأن الدين أساس والملك حارس وما لا أس له فمهدوم وما لا حارس له فضائع والناس قد لا ينقادون للرسل تحت الرياسة مع ظهور الحجج فاحتيج إلى المجاهدة باللسان والسيف وذلك يكون من الأنبياء ومن يتابعهم ثم لهم آجال مضروبة عندها فوجب أن يكون لهم خلفاء بعدهم من كل عصر في إقامة الدين والجهاد فهذا دفع الله الناس بعضهم ببعض وتفصيله أن دفع الله الناس بعضهم ببعض على وجهين دفع ظاهر ودفع خفي. فالظاهر ما كان بالسواس الأربعة الأنبياء والملوك والحكماء المعنيين بقوله: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] والوعاظ. فسلطان الأنبياء عليهم السلام على الكافة خاصهم وعامهم ظاهرهم وباطنهم وسلطان الملوك على ظواهر الكافة دون البواطن كما قيل: نحن ملوك أبدانهم لا ملوك أديانهم وسلطان الحكماء على الخاصة دون العامة وسلطان الوعاظ بواطن العامة. وأما الدفع الخفي فسلطان العقل يدفع عن كثير من القبائح وهو السبب في التزام سلطان الظاهر ﴿**ولكن الله ذو فضل**﴾ عظيم لا يقادر قدره ﴿**على العالمين**﴾ كافة يعني لكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا تفسد الأرض وتنتظم به مصالح العالم وتنصلح أحوال الأمم. ففضله تعالى يعم العوالم كلها أما في عالم الدنيا فبهداية طريق الرشد والصلاح وأما في الآخرة فبالجنات والدرجات والنجاة والفلاح ومن جملة فضله تعالى على العالمين دفع البليات عن بعض عباده بلا واسطة كالأنبياء وكمل الأولياء ومن اقتفى أثرهم من أهل اليقين.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾

﴿**تلك**﴾ إشارة إلى ما سلف من حديث الألوف وتمليك طالوت وإتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت ﴿**آيات الله**﴾ المنزلة من عنده. ﴿**نتلوها عليك**﴾ أي: بواسطة

جبريل ﴿**بالحق**﴾ حال من مفعول نتلوها أي: ملتبسة بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه أهل الكتاب وأرباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما في كتبهم ﴿**وإنك لمن المرسلين**﴾ أي: من جملة الذين أرسلوا إلى الأمم لتبليغ رسالتنا وإجراء أوامرنا وأحكامنا عليهم وإلا لما أخبرت بتلك الآيات من غير تعرف ولا استماع والتأكيد لرد قول الكفار لست رسولاً قال بعضهم:

ألا أي: أحمد مرسل شو دهر مشكل ازتوحل

كنم وصف ترا مجمل تويي سلطان هر مولى

شريعت ازتوروشن شد طريقت هم مبرهن شد

حقيقت خود معين شد زهى سلطان بي همتا

والإشارة أن المجاهد مع جالوت النفس الأمارة لا يقوم بحوله وقوته حتى يرجع إلى ربه مستعيناً ﴿**ربنا أفرغ علينا صبراً**﴾ على الائتمار بطاعتك والانزجار عن معاصيك ﴿**وثبت أقدامنا**﴾ في التسليم عند الشدة والرخاء وهجوم أحكان القضاء في السراء والضراء ﴿**وانصرنا على القوم الكافرين**﴾ وهم أعداؤنا في الدين عموماً والنفس الأمارة التي هي أعدى عدونا بين جنبينا خصوصاً إذا كان الالتجاء عن صدق الرجاء برب الأرض والسماء يكون مقروناً بإجابة الدعاء والظفر على الأعداء ﴿**فهزموهم بإذن الله**﴾ بنصرة الله فإنه الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ﴿**وقتل داود**﴾ القلب ﴿**جالوت**﴾ النفس إذ أخذ حجر الحرص على الدنيا وحجر الركون إلى العقبى وحجر تعلقه إلى نفسه بالهوى حتى صارت الثلاثة حجراً واحداً وهو الالتفات إلى غير المولى فوضعه في مقلاع التسليم والرضى فرمى به جالوت النفس وسخر الله له ريح العناية حتى أصاب أنف بيضة هواها فأخرج منه الفضول وخرج من قفاها وقتل من ورائها ثلاثين من صفاتها وأخلاقها وهزم الله باقي جيشها وهو الشياطين وأحزابها ﴿**وآتاه الله الملك والحكمة**﴾ يعني آتى داود القلب ملك الخلافة وحكمة الإلهامات الربانية ﴿**وعلمه مما يشاء**﴾ من حقائق القرآن وأسراره وإشاراته ﴿**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض**﴾ يعني أرباب الطلب بالمشايخ الواصلين ﴿**لفسدت الأرض**﴾ أرض استعدادهم المخلوقة في أحسن التقويم لتشمير كمالات الدين القويم عن استيلاء جالوت النفس وجنود صفاتها في تخريب بلاد الأرواح بتبديل أخلاقها وتكدير صفاء ذواتها وترديدها إلى جحيم صفات البهائم والأنعام وأسفل دركاتها ﴿**ولكن الله ذو فضل على العالمين**﴾ يعني من كمال فضله ورحمته يحرك سلسلة طلب الطالبين ويلهم أسرارهم بإرادة المشايخ الكاملين ويوفقهم للتمسك بذيول تربيتهم والتسليم تحت تصرفاتهم وتنقيتهم ويثبتهم بالصبر والسكون على الرياضات والمجاهدات في حال تزكيتهم ويشير إلى المشايخ بقبولهم والإقبال عليهم ويقويهم على شدائد المخالفات فلو لم تكن هذه الألطاف من الله ما تيسر لهم تزكية نفوسهم أبداً فهذه إشارة لا تتحقق إلا لأهل الخير ولهذا خص الله حبيبه بتحقيقها وتحققها بقوله: ﴿**تلك آيات الله**﴾ يعني في ضمن هذه الآيات حقائق ودقائق ﴿**نتلوها عليك**﴾ أي: نجلوها لديك ﴿**بالحق**﴾ أي: بالحقيقة كما هي ﴿**وإنك لمن المرسلين**﴾ الذين عبروا على هذه المقامات وشاهدوا هذه الأحوال والكرامات كذا في «التأويلات النجمية».

- تم الجزء الثاني -

الجزء الثالث من الأجزاء الثلاثين

﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾

﴿**تلك الرسل**﴾ إشارة إلى الجماعة الذين من جملتهم النبي عليه الصلاة والسلام فاللام في الرسل للاستغراق ﴿**فضلنا بعضهم على بعض**﴾ بأن خصصناه بمنقبة ليست لغيره.

واعلم أن الأنبياء كلهم متساوون في النبوة لأن النبوة شيء واحد لا تفاضل فيها وإنما التفاضل باعتبار الدرجات. بلغ بعضهم منصب الخلة كإبراهيم عليه الصلاة والسلام ولم يحصل ذلك لغيره. وجمع لداود بين الملك والنبوة وطيب النغمة ولم يحصل هذا لغيره. وسخر لسليمان الجن والإنس والطير والريح ولم يحصل هذا لأبيه داود. وخص محمداً عليه وعليهم السلام بكونه مبعوثاً إلى الجن والإنس وبكون شرعه ناسخاً لجميع الشرائع المتقدمة. ومنهم من دعا أمته بالفعل إلى توحيد الأفعال وبالقوة إلى الصفات والذات. ومنهم من دعا بالفعل إلى الصفات أيضاً وبالقوة إلى الذات. ومنهم من دعا إلى الذات أيضاً بالفعل وهو إبراهيم عليه السلام فإنه قطب التوحيد إذ الأنبياء كانوا يدعون إلى المبدأ والمعاد وإلى الذات الأحدية الموصوفة ببعض الصفات الإلهية إلا إبراهيم عليه السلام فإنه دعا إلى الذات الإلهية الأحدية ولذا أمر الله نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم باتباعه بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣] فهو من أتباع إبراهيم باعتبار الجمع دون التفصيل إذ لا متمم لتفاصيل الصفات إلا هو ولذلك لم يكن غيره خاتماً فالأنبياء وإن كانوا متفاوتين في درجات الدعوة بحسب مشارب الأمم إلا أن كلهم واصلون فانون في الله باقون بالله لأن الولاية قبل النبوة حيث أن آخر درجات الولاية أول مقامات النبوة فهي تبتني على الولاية ومعنى الفناء في الله والبقاء بالله فالنبي لا يكون إلا واصلاً محرزاً جميع مراتب التوحيد من الأفعال والصفات والذات ﴿**منهم من كلم الله**﴾ أي: فضله الله بأن كلمه بغير واسطة وهو موسى عليه الصلاة والسلام فهو كليمه بمعنى مكالمه.

واختلفوا في الكلام الذي سمعه موسى وغيره من الله تعالى هل هو الكلام القديم الأزلي الذي ليس من جنس الحروف والأصوات.

قال الأشعري وأتباعه: المسموع هو ذلك الكلام الأزلي قالوا كما أنه لم تمتنع رؤية ما ليس بمكيف فكذا لا يستبعد سماع ما ليس بمكيف. وقيل: سماع ذلك الكلام محال وإنما المسموع هو الحروف والصوت ﴿**ورفع بعضهم درجات**﴾ أي: على درجات فانتصابه على نزع الخافض وذلك بأن فضله على غيره من وجوه متعددة أو بمراتب متباعدة والظاهر أنه أراد محمداً ﷺ لأنه هو المفضل عليهم حيث أوتي ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقبة إلى ثلاثة آلاف آية وأكثر ولو لم يؤتِ إلا القرآن وحده لكفى به فضلاً منيفاً على سائر ما أوتي الأنبياء لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات. وفي الحديث: «فضلت على الأنبياء بست: أوتيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي

الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون».

قال في «التأويلات النجمية»: اعلم أن فضل كل صاحب فضل يكون على قدر استعلاء ضوء نوره لأن الرفعة في الدرجات على قدر رفعة الاستعلاء كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] فالعلم هو الضوء من نور الوحدانية فكلما ازداد العلم زادت الدرجة فناهيك عن هذا المعنى قول النبي عليه السلام فيما يخبر عن المعراج «أنه رأى آدم في السماء الدنيا، ويحيى وعيسى في السماء الثانية، ويوسف في السماء الثالثة، وإدريس في السماء الرابعة، وهارون في السماء الخامسة، وموسى في السماء السادسة، وإبراهيم في السماء السابعة، وعبر النبي عليه السلام حتى رفع إلى سدرة المنتهى ومن ثم إلى قاب قوسين أو أدنى» فهذه الرفعة في الدرجة في القرب إلى الحضرة كانت له على قدر قوة ذلك النور في استعلاء ضوئه وعلى قدر غلبات أنوار التوحيد على ظلمات الوجود كانت مراتب الأنبياء بعضهم فوق بعض فلما غلب نور الوحدانية على ظلمة إنسانية النبي عليه السلام اضمحلت وتلاشت وفنيت ظلمة وجوده بسطوات تجلي صفات الجمال والجلال فكل نبي بقدر بقية ظلمة وجوده بقي في مكان من أماكن السموات فإنه صلى الله عليه وسلم ما بقي في مكان ولا في الإمكان لأنه كان فانياً عن ظلمة وجوده باقياً بنور وجوده ولهذا سماه الله نوراً وقال: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] فالنور هو محمد عليه السلام والكتاب هو القرآن فافهم واغتنم فإنك لا تجد هذه المعاني إلا هٰهنا انتهى كلام «التأويلات النجمية».

﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات﴾ الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من إحياء الموتى وشفاء المرضى وإبراء الأكمه والأبرص وخلق الطير من الطين والإخبار بالمغيبات والإنجيل وجعل معجزاته سبب تفضيله مع أن إيتاء البينات غير مختص بعيسى عليه الصلاة والسلام لأنها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره وخص عيسى عليه السلام بالتعيين مع أنه غير مختص بإيتاء البينات تقبيحاً لإفراط اليهود في تحقيره حيث أنكروا نبوته مع ما ظهر على يده من البينات القاطعة الدالة عليها ولإفراط النصارى في تعظيمه حيث أخرجوه عن مرتبة الرسالة ﴿وأيدناه﴾ أي قويناه ﴿بروح القدس﴾ أي: الروح المطهرة التي نفخها الله فيه فأبانه بها من غيره ممن خلق من اجتماع نطفتي الذكر والأنثى لأنه عليه السلام لم تضمه أصلاب الفحول ولم يشتمل عليه أرحام الطوامث.

فالقدس: بمعنى المقدس من قبيل رجل صدق أو القدس هو الله وروحه جبريل والإضافة للتشريف والمعنى: أعانه بجبريل في أول أمره وفي وسطه وفي آخره أما في الأول من أمره فلقوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢] وأما في وسطه فلأن جبريل عليه السلام علمه العلوم وحفظه من الأعداء وأما في آخر الأمر فحين أرادت اليهود قتله أعانه جبريل ورفعه إلى السماء ﴿ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم﴾ أي: من بعد الرسل من الأمم المختلفة أي: لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بأن جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق ﴿من﴾ متعلقة باقتتل ﴿بعد ما جاءتهم﴾ من جهة أولئك الرسل ﴿البينات﴾ المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة الدالة على حقيقة الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الإعراض عن سننهم المؤدي إلى القتال ﴿ولكن اختلفوا﴾ أي: لكن لم يشأ عدم اقتتالهم لأنهم اختلفوا اختلافاً فاحشاً ﴿فمنهم من آمن﴾ أي: بما جاءت به أولئك الرسل من البينات وعملوا

به ﴿ومنهم من كفر﴾ بذلك كفراً لا ارعواء له عنه فاقتضت الحكمة عدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء أحوالهم ﴿ولو شاء الله﴾ عدم اقتتالهم بعد هذه المرة أيضاً من الاختلاف والشقاق المستتبعين للاقتتال بحسب العادة. ﴿ما اقتتلوا﴾ وما نبض منهم عرق التطاول والتعاون لما أن الكل تحت ملكوته ﴿ولكن الله يفعل ما يريد﴾ أي: من الأمور الوجودية والعدمية التي من جملتها عدم مشيئته عدم اقتتالهم فإن الترك أيضاً من جملة الأفعال أي يفعل ما يريد حسبما يريد من غير أن يوجبه عليه موجب أو يمنعه منه مانع. وفيه دليل بين على أن الحوادث تابعة لمشيئته تعالى خيراً أو شراً إيماناً كان أو كفراً وهذا نذير على المعتزلة.

قال الإمام الغزالي قدس سره المتعالي في شرح اسمي الضار والنافع: هو الذي يصدر منه الخير والشر والنفع والضر وكل ذلك منسوب إلى الله تعالى إما بواسطة الملائكة والإنس والجمادات أو بغير واسطة فلا تظنن أن السمّ يقتل ويضر بنفسه وأن الطعام يشبع وينفع بنفسه وأن الملك أو الإنسان أو الشيطان أو شيئاً من المخلوقات من فلك الكواكب أو غيرها يقدر على خير أو شر بنفسه أو نفع أو ضر بل كل ذلك أسباب مسخرة لا يصدر منها إلا ما سخرت له وجملة ذلك بالإضافة إلى القدرة الأزلية كالقلم بالإضافة إلى الكاتب في اعتقاد العامي وكما أن السلطان إذا وقع لكرامة أو عقوبة لم يضر ذلك ولا نفعه من القلم بل من الذي القلم مسخر له فكذلك سائر الوسائط والأسباب وإنما قلنا في اعتقاد العامي لأن الجاهل هو الذي يرى القلم مسخراً للكاتب والعارف يعلم أنه مسخر في يده لله تعالى وهو الذي الكاتب مسخر له فإنه مهما خلق الكاتب وخلق له القدرة وسلط عليه الداعية الجازمة التي لا تردد فيها صدر منه حركة الأصبع والقلم لا محالة شاء أم أبى بل لا يمكنه أن لا يشاء فإذا الكاتب بقلم الإنسان ويده وهو الله تعالى وإذا عرفت هذا في الحيوان المختار فهو في الجمادات أظهر.

قال صاحب «روضة الأخيار»: المؤثر هو الله تعالى والكواكب أسباب عادية الشمس مظهر اسم الحي والزهرة للمريد وعطارد للمسقط والقمر للقابل ولذا كان بيت العزة في ملكه والمريخ للقادر والمشتري للعليم وزحل للجواد وأصول الأسماء أربعة هي الحياة والعلم والقدرة والإرادة وإسرافيل مظهر الحياة والأقساط مندرج فيها وجبريل مظهر العلم والقول وباعتبار الأول هو روح القدس وبالثاني الروح الأمين ولذا كان حامل الوحي وميكائيل مظهر الإرادة والجود مندرج فيها ولذا كان ملك الأرزاق وعزرائيل مظهر القدرة ولذا يقهر الجبابرة ويذلهم بالموت والفناء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم﴾ من تبعيضية أي: شيئاً مما رزقناكموه والتعرض لوصوله منه تعالى للحث على الإنفاق والمراد به الإنفاق الواجب أي: الزكاة بدلالة ما بعده من الوعيد والأكثر على أن الأمر يتناول الواجب والمندوب ﴿من﴾ لابتداء الغاية ﴿قبل أن يأتي يوم﴾ يوم الحساب والجزاء ﴿لا بيع فيه﴾ يتدارك به المقصر تقصيره وهو في التقدير جواب هل فيه بيع ولهذا رفع. والبيع استبدال المال بالثمن ﴿ولا خلة﴾ حتى يسامحكم أخلاؤكم بما تصنعون. والخلة المودة والصداقة فكأنها تتخلل الأعضاء أي: تدخل خلالها ووسطها والخليل

الصديق لمداخلته إياك والخلة تنقطع يوم القيامة بين الأخلاء إلا بين المتقين لقوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧] ﴿ولا شفاعة﴾ حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم والشفاعة المنفية يوم القيامة هي التي يستقل فيها الشفيع ويأتي بها وإن لم يؤذن له فيها فإن الدلائل قائمة على ثبوت الشفاعة للمؤمنين بعد أن يؤذن لهم فيها وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً ﴿والكافرون﴾ أي: والتاركون للزكاة وإيثاره عليه للتغليط والتهديد كما قال في آخر آية الحج ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [البقرة: ١٢٦] مكان ومن لم يحج وللإيذان بأن ترك الزكاة من صفات الكفار قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٦ ـ ٧] ﴿هم الظالمون﴾ أي: الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا المال في غير موضعه وصرفوه إلى غير وجهه:

زكات اكر ندهي ازززت زدادة وي علاج كي كنمت كاخر الدواء الكي

قال الراغب: حث المؤمنين على الإنفاق مما رزقهم من النعماء النفسية والبدنية الجارية وإن كان الظاهر في التعارف إنفاق المال ولكن قد يراد به بذل النفس والبدن في مجاهدة العدو والهوى وسائر العبادات ولمّا كانت الدنيا دار اكتساب وابتلاء والآخرة دار ثواب وجزاء بين أن لا سبيل للإنسان إلى تحصيل ما ينتفع به في الآخرة فابتلي بذكر هذه الثلاثة لأنها أسباب اجتلاب المنافع المفضية إليها. أحدها: المعارضة وأعظمها المبايعة. والثاني: ما تناوله بالمودة وهي المسمى بالصلات والهدايا. والثالث: ما يصل إليه بمعاونة الغير وذلك هو الشفاعة. ولمّا كانت العدالة بالقول المجمل ثلاثاً عدالة بين الإنسان ونفسه وعدالة بينه وبين الناس وعدالة بينه وبين الله. فكذلك الظلم له مراتب ثلاث وأعظم العدالة ما بين العبد وبين الله وهو الإيمان وأعظم الظلم ما يقابله وهو الكفر ولذلك قال: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ أي: هم المستحقون لإطلاق هذا الوصف عليهم بلا مشوبة. فليسارع العبد إلى تقوية الإيمان بالإنفاق والإحسان.

ـ حكي ـ أنه كان عابد من الشيوخ أراده الشيطان فلم يستطع منه شيئاً فقال له الشيطان: ألا تسألني عما أضل به بني آدم قال: بلى قال: فأخبرني ما أوثق شيء في نفسك أن تضلهم به قال الشيخ والحدة والسكر فإن الرجل إذا كان شحيحاً قللنا ماله في عينيه ورغبناه في أموال الناس وإن كان حديداً أدرناه بيننا كما تتداور الصبيان الكرة فلو كان يحيي الموتى بدعائه لم نيأس منه وإذا سكر اقتدناه إلى كل شهوة كما تقاد العنز بإذنها كذا في «آكام المرجان». وعن محمد بن إسماعيل البخاري يقول: بلغنا أن الله أوحى إلى جبريل عليه الصلاة والسلام فقال: يا جبريل لو أنا بعثتك إلى الدنيا وجعلتك من أهلها ما الذي عملت من الطاعات فيها فقال جبريل: أنت أعلم بشأني مني ولكني كنت أعمل ثلاثة أشياء: أولها كنت أعين صاحب العيال في النفقة على عياله. والثاني: كنت أستر عيوب الخلق وذنوبهم حتى لا يعلم أحد من خلقك عيوب عبادك وذنوبهم غيرك. والثالث: أسقي العطشان وأرويه من الماء كذا في «روضة العلماء»، قال السعدي قدس سره:

چو خودرا قوي حال بيني وخوش بشكرانه بار ضعيفان بكش

اكر خود همين صورتي چون طلسم بميري واسمت بميرد چو جسم

اكـر پـروراني درخـت كـرم بـرنـيـك نـامـي خـوري لا جـرم

اللهم اجعلنا من المنفقين والمستغفرين.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾

﴿الله﴾ هذا الاسم أعظم الأسماء التسعة والتسعين لأنه دال على الذات الجامعة لصفات الإلّهية كلها حتى لا يشذ منها شيء وسائر الأسماء لا تدل آحادها إلا على آحاد المعاني من علم أو قدرة أو فعل وغيره ولأنه أخص الأسماء إذ لا يطلقه أحد على غيره لا حقيقة ولا مجازاً وسائر الأسماء قد يسمى بها غيره كالقادر والعليم والرحيم وغيرها وينبغي أن يكون حظ العبد من هذا الاسم التأله وأعني به أن يكون مستغرق القلب والهمة في الله تعالى لا يرى غيره ولا يلتفت إلى سواه ولا يرجو ولا يخاف إلا إياه وكيف لا يكون كذلك وقد فهم من هذا الاسم أنه الموجود الحقيقي الحق وكل ما سواه فانٍ وهالك وباطل إلا به فيرى نفسه أول هالك وباطل كما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال: «أصدق بيت قالته العرب قول لبيد»:

ألا كـــل شـــيء مـــا خـــلا الله بـــاطـــل

وهذه الكلمة فوائد ليست في غيرها فان كل كلمة إذا أسقطت منها حرفاً يختل المعنى بخلاف هذه فإنك إن حذفت الألف يصير لله قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [النساء: ١٧٠] وإن حذفت اللام الأولى أيضاً يبقى له قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ [البقرة: ١٠٧] وإن حذفت اللام الثانية أيضاً يبقى الهاء وهو ضمير راجع إلى الله تعالى قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ [الحشر: ٢٢] وللأسماء تأثير بليغ خصوصاً للفظة الجلالة.

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره: لما جاء المولى علاء الدين الخلوتي ببروسة صعد المنبر في الجامع الكبير للوعظ وقد اجتمع جمع كثير منتظرين لكلامه فقال مرة واحدة: «يا الله» فحصل للجماعة حالة رقصوا وكادوا لا يرجعون عن البكاء والفزع.

- وحكي - أنه لما مات سلطان العصر عزم جماعة الرجال على قتل الوزير فجاء بيت الشيخ وفاء في القسطنطينية واستغاث منه فأدخله الشيخ إلى بيته فهجموا جميعاً إلى بيت الشيخ فخرج الشيخ وقال مرة واحدة: «يا الله» فهربوا جميعاً فانظر أنهم إذا ذكروا الله تظهر آثار عجيبة ونحن إذا ذكرنا ذلك الاسم بعينه لا يظهر له أثر وذلك لأنهم زكوا أنفسهم وبدلوا أخلاقهم وأما نحن فليس فينا هذا ولا القابلية لذلك وإنما الفيض من الله تعالى، قال الحافظ:

فـيـض روح الـقـدس اربـاز مـدد فـرمـايـد ديكران هم بكنند انچه مسيحا ميكند

﴿لا إله إلا هو﴾ الجملة خبر للمبتدأ وهو الجلالة والمعنى أنه المستحق للعبادة لا غير.

- وحكي - أن تسبيح قطب الأقطاب «يا هو ويا من هو هو ويا من لا إله إلا هو» فإذا قال ذلك بطريق الحال يقدر على التصرفات. وللتوحيد ثلاث مراتب: توحيد المبتدئين لا إله إلا الله، وتوحيد المتوسطين لا إله إلا أنت لأنهم في مقام الشهود فمقتضاه الخطاب، وأما الكمل فيسمعون التوحيد من الموحد وهو لا إله إلا أنا لأنهم في مقام الفناء الكلي فلا يصدر منهم شيء أصلاً. قال ابن الشيخ في حواشي سورة الإخلاص: لفظ هو إشارة إلى مقام المقربين

وهم الذين نظروا إلى ماهيات الأشياء وحقائقها من حيث هي هي فلا جرم ما رأوا موجوداً سوى الله لأن الحق هو الذي لذاته يجب وجوده وأما ما عداه فممكن والممكن إذا نظر إليه من حيث هو هو كان معدوماً فهؤلاء لم يروا موجوداً سوى الحق سبحانه وكلمة هو وإن كانت للإشارة المطلقة ومفتقرة في تعين المراد بها إلى سبق الذكر بأحد الوجوه أو إلى أن يعقبها ما يفسرها إلا أنهم يشيرون إلى الحق سبحانه ولا يفتقرون في تلك الإشارة إلى ما يميز الذات المرادة عن غيرها لأن الافتقار إلى المميز إنما يحصل حيث وقع الإبهام بأن يتعدد ما يصلح لأن يشار إليه وقد بينا أنهم لا يشاهدون بعيون عقولهم إلا الواحد فقط فلهذا السبب كأنه لفظة هو كافية في حصول العرفان التام لهؤلاء انتهى كلامه وإنما ذكرته هٰهنا ليكون حجة على من أنكر على جماعة الصوفية في كلمة هو ذاهباً إلى أنها ضمير ولا فائدة في الذكر به وقد سبق مني عند قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣] ما ينفك في هذا المقام قال شيخي وسندي الذي بمنزلة روحي في جسدي الذكر بـ«لا إله إلا الله» أفضل من الذكر بكلمة «الله الله» و«هو هو» عند العلماء بالله لأنها جامعة بين النفي والإثبات وحاوية لزيادة العلم والمعرفة فمن نفى بلا إله عين الخلق حكماً لا علماً فقد أثبت كون الحق حكماً وعلماً وأفادني أيضاً إذا قلت لا إله إلا الله فشاهد بالشهود الحقاني فناء أفعال الخلق وصفاتهم وذواتهم في أفعال الحق وصفاته وذاته وهذا مقتضى الجمع والأحدية. وتلك الكلمة في الحقيقة إشارة إلى هذه المرتبة وإذا قلت محمد رسول الله فشاهد بالشهود الحقاني أيضاً بقاء أفعالهم وصفاتهم وذواتهم فأفعاله تعالى وصفاته وذاته وهذا مقتضى الفرق والواحدية. وتلك الكلمة أيضاً إشارة إلى هذه المرتبة فإذا كان توحيد العبد على هذه المشاهدة فلا جرم أن توحيده يكون توحيداً حقيقاً حقانياً لا رسماً نفسانياً، قال المولى الجامي قدس سره:

كرچه «لا» داشت تيركي عدم — دارد «إلا» فروغ نور قدم
كرچه «لا» بودكان كفر وجحود — هست «الا» كليد كنج شهود
چون كند «لا» بساط كثرت طي — دهد «إلا» زجام وحدت مي
آن رهاند زنقش بيش وكمت — وين رساند بوحدت قدمت
تانسازي حجاب كثرت دور — ندهد افتاب وحدت نور
دائم آن آفتاب تابانست — ازحجاب تو ازتو پنهانست
كربرون آيي ازحجاب تويي — مرتفع كردد ازميانه دويي
در زمين زمان وكون مكان — همه أو بيني آشكار ونهان

اللهم أوصلنا إلى الجمع والعين واليقين. ﴿الحي﴾ خبر ثان. وهو في اللغة من له الحياة وهي صفة تخالف الموت والجمادية وتقتضي الحس والحركة الإرادية وأشرف ما يوصف به الإنسان الحياة الأبدية في دار الكرامة وإذا وصف الباري عز شأنه بها وقيل إنه حي كان معناه الدائم الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء فهو الموصوف بالحياة الأزلية الأبدية.

قال الإمام الغزالي في «شرح الأسماء الحسنى»: «الحي» هو الفعال الدراك حتى أن من لا فعل له أصلاً ولا إدراك فهو ميت وأقل درجات الإدراك أن يشعر المدرك بنفسه فما لا يشعر بنفسه فهو الجماد والميت فالحي الكامل المطلق هو الذي تندرج جميع المدركات تحت إدراكه

وجميع الموجودات تحت فعله حتى لا يشذ عن علمه مدرك ولا عن فعله مفعول وذلك هو الله تعالى فهو الحي المطلق وكل حي سواه فحياته بقدر إدراكه وفعله وكل ذلك محصور في قوله: ﴿**القيوم**﴾ قام بالأمر إذا دبره مبالغة القائم فإنه تعالى دائم القيام على كل شيء بتدبير أمره في إنشائه وترزيقه وتبليغه إلى كماله اللائق به وحفظه. قال الإمام الغزالي: اعلم أن الأشياء تنقسم إلى ما يفتقر إلى محل كالإعراض والأوصاف فيقال فيها أنها ليست قائمة بنفسها وإلى ما يحتاج إلى محل فيقال إنه قائم بنفسه كالجواهر إلا أن الجوهر وإن قام بنفسه مستغنياً عن محل يقوم به فليس مستغنياً عن أمور لا بد منها لوجوده وتكون شرطاً في وجوده فلا يكون قائماً بنفسه لأنه محتاج في قوامه إلى وجود غيره وإن لم يحتج إلى محل فإن كان في الوجود موجود يكفي ذاته بذاته ولا قوام له بغيره ولا شرط في دوام وجوده وجود غيره فهو القائم بنفسه مطلقاً فإن كان مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصور للأشياء وجود ولا دوام وجود إلا به فهو القيوم لأن قوامه بذاته وقوام كل شيء به وليس ذلك إلا الله تعالى ومدخل العبد في هذا الوصف بقدر استغنائه عما سوى الله تعالى انتهى كلام الغزالي. قيل: الحي القيوم اسم الله الأعصم. وكان عيسى عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن يحيي الموتى يدعو بهذا الدعاء يا حي يا قيوم ويقال دعاء أهل البحر إذا خافوا الغرق يا حي يا قيوم وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما كان يوم بدر جئت أنظر ما يصنع النبي ﷺ فإذا هو ساجد يقول: «يا حي يا قيوم فترددت مرات وهو على حاله لا يزيد على ذلك إلى أن فتح الله له» وهذا يدل على عظمة هذا الاسم.

وفي «التأويلات النجمية»: إنما أشير في معنى الاسم الأعظم إلى هذين الاسمين وهما الحي والقيوم لأن اسمه الحي مشتمل على جميع أسمائه وصفاته فإن من لوازم الحي أن يكون قادراً عالماً سميعاً بصيراً متكلماً مريداً باقياً. واسمه القيوم: مشتمل على افتقار جميع المخلوقات إليه فإذا تجلى الله لعبد بهاتين الصفتين فالعبد يكاشف عند تجلي صفة الحي معاني جميع أسمائه وصفاته ويشاهد عند تجلي صفة القيوم فناء جميع المخلوقات إذا كان قيامها بقيومية الحق لا بأنفسهم فلما جاء الحق زهق الباطل فلا يرى في الوجود إلا الحي القيوم إذا سلب الحي جميع أسماء الله وسلب القيوم قيام المخلوقات فترتفع الاثنينية بينهما وإذا فني التعدد وبقيت الوحدة فيصيران اسماً أعظم للمتجلي له فيذكره عند شهود عظمة الوحدانية بلسان عيان الفردانية لا بلسان بيان الإنسانية فقد ذكره باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى فأما الذاكر عند غيبه فكل اسم دعاه لا يكون الاسم الأعظم بالنسبة إلى حال غيبه وعند شهود العظمة فبكل اسم دعاه يكون الاسم الأعظم كما سئل أبو يزيد البسطامي قدس سره عن الاسم الأعظم فقال الاسم ليس له حد محدود ولكن فرغ قلبك لوحدانيته فإذا كنت كذلك فاذكره بأي اسم شئت انتهى ما في «التأويلات».

واعلم أن الاسم الأعظم عبارة عن الحقيقة المحمدية فمن عرفها عرفه وهي صورة الاسم الجامع الإلهي وهو ربها ومنه الفيض فاعرف تفز بالحظ الأوفى ﴿**لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾ السنة ثقلة من النعاس وفتور يعتري المزاج قبل النوم وليست بداخلة في حد النوم والنعاس أول النوم والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الإحساس رأساً وتقديم السنة عليه مع أن قياس المبالغة عكسه على

ترتيب الوجود الخارجي فإن الموجود منهما أولاً هو السنة ثم يعتري بعدها النوم وتوسيط كلمة لا للتنصيص على شمول النفي لكل منهما والمراد بيان انتفاء اعتراء شيء منهما له سبحانه لعدم كونهما من شأنه وإنما عبر عن عدم الاعتراء والعروض بعدم الأخذ لمراعاة الواقع إذ عروض السنة والنوم لمعروضهما إنما يكون بطريق الأخذ والاستيلاء والجملة نفي للتشبيه وتأكيد لكونه حياً قيوماً فإن من أخذه نعاس أو نوم كان مؤوف الحياة قاصراً في الحفظ والتدبير والمعنى لا يعتريه ما يعتري المخلوقين من السهو والغفلة والملال والفترة في حفظ ما هو قائم بحفظه ولا يعرض له عوارض التعب المحوجة إلى الاستراحة فيستريح بالنوم والسنة لأن النوم أخو الموت والموت ضد الحياة وهو الحي الحقيقي فلا يلحقه ضد الحياة فكما أنه موصوف بصفات الكمال فهو منزه عن جميع صفات النقصان.

ـ روي ـ أن موسى عليه السلام سأل الملائكة وكان ذلك في نومه أينام ربنا فأوحى الله تعالى إليهم أن يوقظوه ثلاثاً ولا يتركوه ينام ثم قال: خذ بيدك قارورتين مملوءتين فأخذهما فأخذه النوم فزالتا وانكسرتا ثم أوحى الله إليه أني أمسك السموات والأرض بقدرتي فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا كذا في «الكشاف». قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام» قال ابن الملك: هذا بيان لاستحالة وقوع النوم منه لأنه عجز والله تعالى يتعالى عنه انتهى وحظ العبد من هذا الوصف أن يترك النوم فإن الله تعالى وإن رخص للعباد في المنام بل هو فضل منه تعالى لكن كثرة المنام بطالة وإن الله تعالى لا يحب البطال. قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: لم يفتح لي شيء إلا بعد أن جعلت الليالي أياماً، قال السعدي قدس سره:

سرآنكه ببالين نهد هو شمند ... كه خوابش بقهر آورد دركمند

قيل: كان رجل له تلميذان اختلفا فيما بينهما فقال أحدهما النوم خير لأن الإنسان لا يعصي في تلك الحالة وقال الآخر: اليقظة خير لأنه يعرف الله في تلك الحالة فتحاكما إلى ذلك الشيخ فقال الشيخ: أما أنت الذي قلت بتفضيل اليقظة فالحياة خير لك وقيل: اشترى رجل مملوكة فلما دخل الليل قال: افرشي الفراش فقالت المملوكة: يا مولاي ألك مولى؟ قال: نعم قالت: ينام مولاك قال: لا فقالت: ألا تستحي أن تنام ومولاك لم ينم، ومن الأبيات التي كان يذكرها بلال الحبشي رضي الله عنه وقت السحر:

يا ذا الذي استغرق في نومه ... ما نوم عبد ربه لا ينام
أهل تقول إنني مذنب ... مشتغل الليل بطيب المنام

﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به على تفرده في الألوهية لأنه تعالى خلقهما بما فيهما والمشاركة إنما تقع فيما فيهما ومن يكن له ما فيهما فمحال مشاركته فكل من فيهما وما فيهما ملكه ليس لأحد معه فيه شركة ولا لأحد عليه سلطان فلا يجوز أن يعبد غيره كما ليس لعبد أحدكم أن يخدم غيره إلا بإذنه والمراد بما فيهما ما هو أعم من أجزائهم الداخلة فيهما ومن الأمور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم فهو أبلغ من أن يقال له السموات والأرض وما فيهن لأن قوله وما فيهن بعد ذكر السموات والأرض إنما يتناول الأمور الخارجة المتمكنة فيهن إذ لو أريد به ما يعم الأمور الداخلة فيهما والخارجة عنهما لأغنى ذكره عن ذكرهما **﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾** من مبتدأ وذا

خبره والذي صفة ذا أو بدل منه ولفظ من وإن كان استفهاماً فمعناه النفي ولذلك دخلت إلا في قوله: ﴿إلا بإذنه﴾ و﴿عنده﴾ فيه وجهان: أحدهما أنه متعلق بيشفع. والثاني: أنه متعلق بمحذوف في موضع الحال من الضمير في يشفع أي: لا أحد يشفع مستقراً عنده إلا بإذنه وقوي هذا الوجه بأنه إذا لم يشفع عنده من هو عنده وقريب منه فشفاعة غيره أبعد وإلا بإذنه متعلق بمحذوف لأنه حال من فاعل يشفع فهو استثناء مفرغ والباء للمصاحبة والمعنى لا أحد يشفع عنده في حال من الأحوال إلا في حال كونه مأذوناً له أو لا أحد يشفع عنده بأمر من الأمور إلا بإذنه والباء للاستعانة كما في ضرب بسيفه فيكون الجار والمجرور في موضع المفعول به وكان المشركون يقولون أصنامنا شركاء الله تعالى وهم شفعاؤنا عنده فوحد الله نفسه بالنفي والإثبات ليكون المعنى في ثبوت التوحيد ونفي الشرك أي: ليس لأحد أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه وقد أخبر أنه لا يأذن في الشفاعة للكفار وهو رد على المعتزلة في أنهم لا يرون الشفاعة أصلاً والله تعالى أثبتها للبعض بقوله: ﴿إلا بإذنه﴾.

وفي «التأويلات النجمية»: هذا الاستثناء راجع إلى النبي عليه الصلاة والسلام لأن الله قد وعد له المقام المحمود وهو الشفاعة فالمعنى من ذا الذي يشفع عنده يوم القيامة إلا عبده محمد فإنه مأذون موعود ويعينه الأنبياء بالشفاعة انتهى:

غم نخورد آنكه شفيعش تويي   پايه ده قدر رفيعش تويي
حاصلي ارنيست ز طاعت مرا   هست هست اميدي بشفاعت مرا

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة».

ـ روي ـ أن الأنبياء عليهم السلام يعينون نبينا ﷺ يوم القيامة للشفاعة فيأتي الناس إليه فيقول: أنا لها وهو المقام المحمود الذي وعده الله به يوم القيامة فيأتي ويسجد ويحمد الله بمحامد يلهمه الله تعالى إياها في ذلك الوقت لم يكن يعلمها قبل ذلك ثم يشفع إلى ربه أن يفتح باب الشفاعة للخلق فيفتح الله ذلك الباب فيأذن في الشفاعة للملائكة والرسل والأنبياء والمؤمنين فهذا يكون سيد الناس يوم القيامة فإنه شفع عند الله أن يشفع الملائكة والرسل ومع هذا تأدب ﷺ وقال: «أنا سيد الناس» ولم يقل سيد الخلائق فيدخل الملائكة في ذلك مع ظهور سلطانه في ذلك اليوم على الجميع وذلك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم جمع له بين مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم ولم يكن ظهر له على الملائكة ما ظهر لآدم عليهم من اختصاصه بعلم الأسماء كلها فإذا كان في ذلك اليوم افتقر إليه الجميع من الملائكة والناس من آدم فمن دونه في فتح باب الشفاعة وإظهار ماله من الجاه عند الله إذ كان القهر الإلَهي والجبروت الأعظم قد أخرس الجميع فدل على عظيم قدره عليه السلام حيث أقدم مع هذه الصفة الغضبية الإلَهية على مناجاة الحق فيما سأله فيه فأجابه الحق سبحانه كذا في «تفسير الفاتحة» للمولى الفناري عليه رحمة الباري.

واعلم أن رسول الله ﷺ هو أول من يفتح باب الشفاعة فيشفع في الخلق ثم الأنبياء ثم الأولياء ثم المؤمنون وآخر من يشفع هو أرحم الراحمين فإن الرحمٰن ما شفع عند المنتقم في أهل البلاء إلا بعد شفاعة الشافعين الذين لم تظهر شفاعتهم إلا بعد شفاعة خاتم الرسل إياهم

ليشفعوا ومعنى شفاعة الله سبحانه هو أنه إذا لم يبق في النار مؤمن شرعي أصلاً يخرج الله منها قوماً علموا التوحيد بالأدلة العقلية ولم يشركوا بالله شيئاً ولا آمنوا إيماناً شرعياً ولم يعلموا خيراً قط من حيث ما اتبعوا فيه نبياً من الأنبياء فلم يكن عندهم ذرة من إيمان فيخرجهم أرحم الراحمين فاعرف هذا فإنه من الغرائب أفاده لي شيخي العلامة إفادة كشفية وصادفته أيضاً في تفسير الفاتحة للمولى الفناري اللهم اغفر وارحم وأنت أرحم الراحمين **﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾** استئناف آخر لبيان إحاطة علمه بأحوال خلقه المستلزم لعلمه بمن يستحق الشفاعة ومن لا يستحقها أي: يعلم ما كان قبلهم من أمور الدنيا وما يكون بعدهم من أمر الآخرة أو ما بين أيديهم يعني الآخرة لأنهم يقدمون عليها وما خلفهم الدنيا لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم أو ما بين أيديهم من السماء إلى الأرض وما خلفهم يريد ما في السموات أو ما بين أيديهم بعد انقضاء آجالهم وما خلفهم أي ما كان قبل أن يخلقهم أو ما فعلوه من خير وشر وقدموه وما يفعلونه بعد ذلك والمقصود بهذا الكلام بيان أنه عالم بأحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق الثواب والعقاب. والضمير لما في السموات وما في الأرض لأن فيهم العقلاء فغلب من يعقل على غيره أو لما دل عليه من ذا من الملائكة والأنبياء فيكون للعقلاء خاصة. **﴿ولا يحيطون﴾** أي: لا يدركون يعني من الملائكة والأنبياء وغيرهم **﴿بشيء من علمه﴾** أي: من معلوماته **﴿إلا بما شاء﴾** أن يعلموه وأن يطلعهم عليه كأخبار الرسل فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول وإنما فسرنا العلم بالمعلوم لأن علمه تعالى الذي هو صفة قائمة بذاته المقدسة لا يتبعض فجعلناه بمعنى المعلوم ليصح دخول التبعيض والاستثناء عليه.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿يعلم﴾** محمد عليه السلام **﴿ما بين أيديهم﴾** من الأمور الأوليات قبل خلق الله الخلائق كقوله: أول ما خلق الله نوري **﴿وما خلفهم﴾** من أهوال القيامة وفزع الخلق وغضب الرب وطلب الشفاعة من الأنبياء وقولهم نفسي نفسي وحوالة الخلق بعضهم إلى بعض حتى بالاضطرار يرجعون إلى النبي عليه السلام لاختصاصه بالشفاعة **﴿ولا يحيطون بشيء من علمه﴾** يحتمل أن تكون الهاء كناية عنه عليه السلام يعني هو شاهد على أحوالهم يعلم ما بين أيديهم من سيرهم ومعاملاتهم وقصصهم وما خلفهم من أمور الآخرة وأحوال أهل الجنة والنار وهم لا يعلمون شيئاً من معلوماته **﴿إلا بما شاء﴾** أن يخبرهم عن ذلك انتهى. قال شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة في «الرسالة الرحمانية في بيان الكلمة العرفانية»: علم الأولياء من علم الأنبياء بمنزلة قطرة من سبعة أبحر وعلم الأنبياء من علم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بهذه المنزلة وعلم نبينا من علم الحق سبحانه بهذه المنزلة انتهى وفي القصيدة البردية:

وكلهم من رسول الله ملتمس ... غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم
وواقفون لديه عند حدهم ... من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

حاصله أن علوم الكائنات وإن كثرت بالنسبة إلى علم الله عز وجل بمنزلة نقطة أو شكلة ومشربها بحر روحانية محمد ﷺ فكل رسول ونبي وولي آخذون بقدر القابلية والاستعداد مما لديه وليس لأحد أن يعدوه أو يتقدم عليه. قوله النقطة فعلة من نقطت الكتاب نقطاً ومعناها الحاصل. والشكلة بالفتح فعلة من شكلت الكتاب قيدته بالإعراب **﴿وسع كرسيه السموات**

والأرض﴾ الكرسي ما يجلس عليه من الشيء المركب من خشبات موضوعة بعضها فوق بعض ولا يفضل على مقعد القاعدة وكأنه منسوب إلى الكرس الذي هو الملبد وهو ما يجعل فيه اللبدة أي: لم يضق كرسيه عن السموات والأرض لبسطته وسعته وما هو إلا تصوير لعظمته وتمثيل مجرد ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد. وتقريره أنه تعالى خاطب الخلق في تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه في ملوكهم وعظمائهم كما جعل الكعبة بيتاً له يطوف الناس به كما يطوفون بيوت ملوكهم وأمر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر في الحجر الأسود أنه يمين الله تعالى في أرضه ثم جعله موضعاً للتقبيل كما يقبل الناس أيدي ملوكهم وكذلك ما ذكر في محاسبة العباد يوم القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء فوضع الميزان وعلى هذا القياس أثبت لنفسه عرشاً فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] ثم أثبت لنفسه كرسياً فقال: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ والحاصل أن كل ما جاء من الألفاظ الموهمة للتشبيه في العرش والكرسي فقد ورد مثلها بل أقوى منها في الكعبة والطواف وتقبيل الحجر ولما توافقت الأمة هٰهنا على أن المقصود تعريف عظمة الله وكبريائه مع القطع بأنه تعالى منزه عن أن يكون في الكعبة ما يوهمه تلك الألفاظ فكذا الكلام في العرش والكرسي. والمعتمد كما قال الإمام: إن الكرسي جسم بين يدي العرش محيط بالسموات السبع لأن الأرض كرة والسماء الدنيا محيطة بها إحاطة قشر البيضة بالبيضة من جميع الجوانب والثانية محيطة بالدنيا وهكذا إلى أن يكون العرش محيطاً بالكل قال ﷺ: «ما السموات السبع والأرضون السبع من الكرسي إلا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة» ولعله الفلك الثامن وهو المشهور بفلك البروج. قال مقاتل: كل قائمة من الكرسي طولها مثل السموات السبع والأرضين السبع وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي أربعة أملاك لكل ملك أربعة وجوه وأقدامهم في الصخرة التي تحت الأرض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام. ملك على صورة سيد البشر آدم عليه الصلاة والسلام وهو يسأل للآدميين الرزق والمطر من السنة إلى السنة. وملك على صورة سيد الأنعام وهو الثور وهو يسأل للأنعام الرزق من السنة إلى السنة وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل. وملك على صورة سيد السباع وهو الأسد يسأل للسباع الرزق من السنة إلى السنة. وملك على صورة سيد الطير وهو النسر يسأل للطير الرزق من السنة إلى السنة.

وفي «التأويلات النجمية»: أما القول في معنى الكرسي فاعلم أن مقتضى الدين والديانة أن لا يؤول المسلم شيئاً من الأعيان مما نطق به القرآن والأحاديث بالمعاني إلا بصورها كما جاء وفسرها النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة وعلماء السلف الصالح اللهم إلا أن يكون محققاً خصصه الله بكشف الحقائق والمعاني والأسرار وإشارات التنزيل وتحقيق التأويل فإذا كوشف بمعنى خاص أو إشارة وتحقيق يقدر ذلك المعنى من غير أن يبطل صورة الأعيان مثل الجنة والنار والميزان والصراط وفي الجنة من الحور والقصور والأنهار والأشجار والثمار وغيرها من العرش والكرسي والشمس والقمر والليل والنهار ولا يؤول شيئاً منها على مجرد المعنى ويبطل صورته بل يثبت تلك الأعيان كما جاء ويفهم منها حقائق معانيها فإن الله تعالى ما خلق شيئاً في عالم الصورة إلا وله نظير في عالم المعنى وما خلق شيئاً في عالم المعنى وهو الآخرة إلا وله حقيقة في عالم الحق وهو غيب الغيب فافهم جداً وما خلق في العالمين شيئاً إلا

وله مثال وأنموذج في عالم الإنسان فإذا عرفت هذا فاعلم أن مثال العرش في عالم الإنسان قلبه إذ هو محل استواء الروح عليه ومثال الكرسي سر الإنسان والعجب كل العجب أن العرش مع نسبته إلى استواء الرحمانية قيل: هو كحلقة ملقاة بين السماء والأرض بالنسبة إلى وسعة قلب المؤمن انتهى ما في «التأويلات». وفي «المثنوي»:

كفت پيغمبر كه حق فرموده است … من نكنجم هيچ در بالا وپست
در زمين و آسمان و عرش نيز … من نكنجم اين يقين دان اين عزيز
دردل مؤمن بكنجم أي: عجب … كرمرا جويي دران لدها طلب
خود بزركي عرش باشد بس مديد … ليك صورت كيست چون معنى رسيد

﴿ولا يؤده﴾ يقال آده الشيء يأوده إذا أثقله ولحقه منه مشقة مأخوذ من الأوَد بفتح الواو وهو العوج ويعرض ذلك بالثقل أي: لا يثقله ولا يشق عليه تعالى: ﴿حفظهما﴾ أي: حفظ السموات والأرض إذ القريب والبعيد عنده سواء والقليل والكثير سواء وكيف يتعب في خلق الذرة وكل الكون عنده سواء فلا من القليل له تيسر ولا من الكثير عليه تعسر إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وإنما لم يتعرض لذكر ما فيهما لأن حفظهما مستتبع لحفظه ﴿وهو العلي﴾ أي: المتعالي بذاته عن الأشباه والأنداد ﴿العظيم﴾ الذي يستحقر بالنسبة إليه كل ما سواه. فالمراد بالعلو علو القدر والمنزلة لا علو المكان لأنه تعالى منزه عن التحيز وكذا عظمته إنما هي بالمهابة والقهر والكبرياء ويمنع أن يكون بحسب المقدار والحجم لتعالي شأنه من أن يكون من جنس الجواهر والأجسام. والعظيم من العباد الأنبياء والأولياء والعلماء الذين إذا عرف العاقل شيئاً من صفاتهم امتلأ بالهيبة صدره وصار متشوقاً بالهيبة قلبه حتى لا يبقى فيه متسع فالنبي عليه السلام عظيم في حق أمته والشيخ عظيم في حق مريده والأستاذ في حق تلميذه إذ يقصر عقله عن الإحاطة بكنه صفاته فإن ساواه أو جاوزه لم يكن عظيماً بالإضافة إليه. وهذه الآية الكريمة منطوية كما ترى على أمهات المسائل الإلّهية المتعلقة بالذات العلية والصفات الحلية فإنها ناطقة بأنه تعالى موجود متفرد بالإلّهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته موجود لغيره لما أن القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ من التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الأشباح ولا يعتريه ما يعتري النفوس والأرواح مالك الملك والملكوت ومبدع الأصول والفروع ذو البطش الشديد لا يشفع عنده إلا من أذن له فهو العالم وحده بجميع الأشياء جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما من شأنه أن يملك ويقدر عليه ولا يشق عليه شاق ولا يشغله شأن عن شأن متعال عما تناله الأوهام عظيم لا تحدق به الافهام ولذلك قال عليه السلام: «إن أعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله ملكاً يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته إلى الغد من تلك الساعة» يعني إنما صارت آية الكرسي أعظم الآيات لعظم مقتضاها فإن الشيء إنما يشرف بشرف ذاته ومقتضاه ومتعلقاته وآية الكرسي اقتضت التوحيد في خمسين حرفاً وسورة الإخلاص في خمسة عشر حرفاً.

قال الإمام في «الاتقان»: اشتملت آية الكرسي على ما لم تشتمل عليه آية في أسماء الله تعالى وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعاً فيها اسم الله تعالى ظاهراً في بعضها ومستكناً في بعض وهي الله وهو الحي القيوم وضمير لا تأخذه وله وعنده وبإذنه ويعلم وعلمه وشاء

وكرسيه ويؤده وضمير حفظهما المستتر الذي هو فاعل المصدر وهو العلي العظيم ويكفي في استحقاقها السيادة أن فيها الحي القيوم وهو الاسم الأعظم كما ورد به الخبر عن سيد المرسلين ﷺ وتذاكر الصحابة أفضل ما في القرآن فقال لهم عليّ أين أنتم عن آية الكرسي ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي» وعن علي كرم الله وجهه عن النبي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قرئت هذه الآية في دار إلا اهتجرتها الشياطين ثلاثين يوماً ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة يا علي علمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها» وعن علي أيضاً سمعت نبيكم على أعواد المنبر وهو يقول: «من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله» عن محمد بن أبي بن كعب عن أبيه أن أباه أخبره أنه كان له جرن فيه خضر فكان يتعاهده فوجده ينقص فحرسه ذات ليلة فإذا هو بدابة تشبه الغلام المحتلم قال: فسلمت فرددت عليها السلام وقلت: من أنت جن أم أنس؟ قالت: جن قلت: ناوليني يدك فناولتني يدها فإذا يد كلب وشعر كلب فقلت: هكذا خلقة الجن قالت: لقد علمت الجن ما فيهم أشد مني قلت: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: بلغني أنك رجل تحب الصدقة فأحببنا أن نصيب من طعامك فقال لها أبيّ: فما الذي يجيرنا منكم؟ قالت: هذه الآية التي في سورة البقرة: الله لا إله إلا هو الحي القيوم من قالها حين يصبح أجير منا حتى يمسي ومن قالها حين يمسي أجير منا حتى يصبح فلما أصبح أتى النبي عليه السلام فأخبره فقال النبي عليه السلام: «صدق الخبيث» وروي أن رجلاً أتى شجرة أو نخلة فسمع فيها حركة فتكلم فلم يجب فقرأ آية الكرسي فنزل إليه شيطان فقال: إن لنا مريضاً فبم نداويه قال: بالذي أنزلتني به من الشجرة. وخرج زيد بن ثابت إلى حائط له فسمع فيه جلبة فقال: ما هذا؟ قال: رجل من الجان أصابتنا السنة فأردنا أن نصيب من ثماركم أفتطيبونها؟ قال: نعم فقال له زيد بن ثابت: ألا تخبرني ما الذي يعيذنا منكم قال: آية الكرسي. وبالجملة إن آية الكرسي من أعظم ما انتصر به على الجن فقد جرب المجربون الذين لا يحصون كثرة أن لها تأثيراً عظيماً في طرد الشياطين عن نفس الإنسان وعن المصروع وعمن تعينه الشياطين مثل أهل الشهوة والطرب وأرباب سماع المكاء والتصدية وأهل الظلم والغضب إذا قرئت عليهم بصدق كما في «آكام المرجان في أحكام الجان»:

دل پــــر دردرا دوا قــــرآن … جــان مــجـروح را شــفــا قــرآن
هــرچــه جــويــي زنــص قــرآن جــو … كــه بــود كــنـج عــلـمــهـا قــرآن

وإنما قال إذا قرئت عليهم بصدق لأنه هو العمدة والصادق يبيض وجهه والكاذب يسود ألا ترى إلى الصبح الصادق والكاذب كيف أعقب الأول شمس منير دون الثاني، قال في «المثنوي»:

هــســت تــســبــيــحــت بــخــار آب وكــل … مــرغ جــنــت شــد زنــفــخ صــدق دل

وكل ما وقع بطريق الحال وجد عنده التأثير بخلاف ما وقع بطريق القال فقط ولذا ترى

أكثر الناس محرومين وإن دعوا بالاسم الأعظم اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها آمين.

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾

﴿لا إكراه في الدين﴾ قال بعضهم: نزلت هذه الآية في المجوس وأهل الكتاب من اليهود والنصارى أنه تقبل منهم الجزية ولا يكرهون على الإسلام ليس كمشركي العرب فإنه لا يقبل منهم إلا السيف أو الإسلام ولا تقبل منهم الجزية إن أسلموا فيها وإلا قتلوا قال الله تعالى: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَۖ﴾ [الفتح: ١٦] والمعنى لا إجبار في الدين لأن من حق العاقل أن لا يحتاج إلى التكليف والإلزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم لوضوح الحجة **﴿قد تبين الرشد﴾** هو لفظ جامع لكل خير والمراد هٰهنا الإيمان الذي هو الرشد الموصل إلى السعادة الأبدية لتقدم ذكر الدين **﴿من الغي﴾** أي: من الكفر الذي هو المؤدي إلى الشقاوة السرمدية. قال الراغب الغي كالجهل يقال اعتباراً بالاعتقاد والغي اعتباراً بالأفعال ولهذا قيل: زوال الجهل بالعلم وزوال الغي بالرشد **﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾** هو كل ما عبد من دون الله مما هو مذموم في نفسه ومتمرد كالإنس والجن والشياطين وغيرهم فلا يرد عيسى عليه الصلاة والسلام والكفر به عبارة عن الكفر باستحقاقه العبادة **﴿ويؤمن بالله﴾** بالتوحيد وتصديق الرسل لأن الكفر بالأنبياء والكتب يمنع حقيقة الإيمان بالله لأن الإيمان بالله حقيقة يستلزم الإيمان بأوامره ونواهيه وشرائعه المعلومة بالدلائل التي أقامها الله لعباده وتقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان به تعالى لتوقفه عليه فإن التخلية بالمعجمة متقدمة على التحلية بالمهملة **﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾** أي بالغ في التمسك بالحلقة الوكيدة. وعروة الجسم الكبير الثقيل الموضع الذي يتعلق به من يأخذ ذلك الجسم ويحمله. والوثقى فعلى للتفضيل تأنيث الأوثق كفضلى تأنيث الأفضل **﴿لا انفصام لها﴾** أي: لا انقطاع وهو استئناف لبيان قوة دلائل الحق بحيث لا يعتريها شيء من الشبه والشكوك فإن العروة الوثقى استعارة المحسوس للمعقول لأن من أراد إمساك هذا الدين تعلق بالدلائل الدالة عليه ولما كانت دلائل الإسلام أقوى الدلائل وأوضحها وصفها الله بأنها العروة الوثقى. قال المولى أبو السعود الكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض أصلاً لثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المأمون انقطاعه فلا استعارة في المفردات **﴿والله سميع﴾** بالأقوال **﴿عليم﴾** بالعزائم والعقائد يعلم غيها ورشدها وباطلها وحقها ويجري كلاً على وفق عمله وقوله وعقده وهو أبلغ وعد ووعيد.

واعلم أن حقيقة الإيمان كونه متعلقاً بالله على وجه الشهود والعيان ومجازه كونه متعلقاً به على وجه الرسم والبيان أو بالطاغوت وحقيقة الكفر كونه متعلقاً بالطاغوت ومجازه كونه متعلقاً بوحدة الله أو بنعمته فإن الكفر ثلاثة أقسام: كفر النعمة وكفر الوحدة وكفر الطاغوت وأفراد الإنسان ثلاثة أقسام أيضاً: أصحاب الميمنة وهم أرباب الجمال ومظاهره وأصحاب المشأمة وهم أرباب الجلال ومظاهره والمقربون وهم أصحاب الكمال ومظاهره وقلوب الفريق الأول في أيدي سدنة الجمال الإلٰهي من الملائكة المقربين وقلوب الفريق الثاني في أيدي سدنة

الجلال الإلّهي من الشياطين المتمردين يستعملونها في سبيل الشرور وقلوب الفريق الثالث في يد الله الملك المتعال يد الله فوق أيدي سدنة الجمال والجلال يقلبها كيف يشاء بين التجليات العاليات والعلوم والمعارف الإلّهيات ولما تعلق إيمان هذه الفرق بالله على وجه الشهود والعيان وتعلق كفرهم بالطاغوت جلياً أو خفياً كان إيمانهم وكفرهم حقيقيين وجاوزوا من عالم المجاز إلى عالم الحقيقة وأما الفريق الثاني فقد تعلق إيمانهم بالطاغوت مطلقاً جلياً أو خفياً وكفرهم بالوحدة والنعمة فكان إيمانهم وكفرهم مجازيين لكن إيمانهم مردود ككفرهم لأنه لم يتعلق بالله أصلاً بل كان كله مقصوراً على الطاغوت ولذا لم يتجاوزوا من عالم المجاز أصلاً ولم يصلوا إلى قرب عالم الحقيقة جداً فضلاً عن وصولهم إلى عالم الحقيقة قطعاً وأما الفريق الأول فلما تعلق إيمانهم بالله على وجه الرسم والبيان لا بالطاغوت الجلي جداً ولم يتعلق إيمانهم به على وجه الشهود ولم يتعلق إيمانهم به على الإخلاص حين تعلق به على وجه الرسم والبيان لتعلقه أيضاً بالطاغوت الخفي وتعلق كفرهم بالطاغوت الجلي فقط لا بالطاغوت الخفي كان إيمانهم وكفرهم مجازيين أيضاً لكن إيمانهم لم يكن ككفرهم مردوداً بل كان مقبولاً من وجه لعدم تعلقه بالطاغوت الجلي أصلاً فإن غلب تعلقه بالله على تعلقه بالطاغوت الخفي عند خاتمته فيدخل في الفلاح ثم في الآخرة إن تداركه الفضل الإلّهي فبها ونعمت فيغفر وإلا فيدخل الجحيم ويعذب بكفره الخفي ثم يخرج لعدم كفره بالله جلياً ويدخل النعيم لإيمانه بالله جلياً وكفره بالطاغوت وهم أيضاً لم يصلوا إلى عالم الحقيقة بل إنما وصلوا إلى قربه ولذا جاوزوا الجحيم ودخلوا النعيم في قرب عالم الحقيقة ولذا كانوا بالنسبة إلى نفس الحقيقة موطنين في عالم المجاز والفرقة لا في عالم الحقيقة والوصلة وأما الفريق الثاني فهم مخلدون في النار أبداً لإيمانهم بالطاغوت مطلقاً وكفرهم بالله كذلك ثم سعادة الفريق الثالث على ما هو المنصوص في القرآن قطعية الثبوت في آخر النفس وشقاوة الفريق الثاني وسعادة الفريق الأول ليست قطعية الثبوت بل محتملة الثبوت في آخر النفس بالنظر إلى الأفراد لجواز التبدل والتغير في عاقبة الأمر الدنيوية بالنظر إلى أفرادهم هذا ما التقطته من الكتاب المسمى «باللائحات البرقيات» لشيخي العلامة أبقاه الله بالسلامة.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾

﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ أي: محبهم ومعينهم أو متولي أمورهم لا يكلهم إلى غيره. فالولي قد يكون باعتبار المحبة والنصرة فيقال للمحب ولي لأنه يقرب من حبيبه بالنصرة والمعونة لا يفارقه وقد يكون باعتبار التدبير والأمر والنهي فيقال لأصحاب الولاية ولي لأنهم يقربون القوم بأن يدبروا أمورهم ويراعوا مصالحهم ومهماتهم والمعنى الله ولي الذين أراد إيمانهم وثبت في علمه أنهم يؤمنون في الجملة مآلاً أو حالاً وإنما أخرج عن ظاهره لأن إخراج المؤمن بالفعل من الظلمات تحصيل الحاصل ﴿يخرجهم من الظلمات﴾ التي هي أعم من ظلمات الكفر والمعاصي وظلمات الشبه والشكوك بل مما في بعض مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بالقياس إلى مراتبها القوية الجلية بل مما في جميع مراتبها بالنظر إلى مرتبة العيان ﴿إلى النور﴾ الذي يعم نور الإيمان ونور الإيقان بمراتبه ونور العيان أي: يخرج

بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التي وقع فيها إلى ما يقابلها من النور. وجمع الظلمات لأن فنون الضلالة متعددة والكفر ملل وأفرد النور لأن الإسلام دين واحد ويسمى الكفر ظلمة لالتباس طريقه ويسمى الإسلام نوراً لوضوح طريقه ﴿**والذين كفروا**﴾ أي: الذين ثبت في علمه كفرهم ﴿**أولياؤهم الطاغوت**﴾ أي: الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق من الكهنة وقادة الشر وإن حمل على الأصنام التي هي جمادات فالمعنى لا يكون على الموالاة الحقيقية التي هي المصادقة أو تولي الأمر بل يكون على أن الكفار يتولونهم أي: يعتقدونهم ويتوجهون إليهم. والطاغوت تذكر وتؤنث وتوحد وتجمع ﴿**يخرجونهم**﴾ بالوساوس وغيرها من طريق الإضلال والإغواء ﴿**من النور**﴾ أي: الإيمان الفطري الذي جبلوا عليه كافة ﴿**إلى الظلمات**﴾ أي: ظلمات الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات أو من نور اليقينيات إلى ظلمات الشكوك والشبهات وإسناد الإخراج إلى الطاغوت مجاز لكونها سبباً له وذلك لا ينافي كون المخرج حقيقة هو الله تعالى فالآية لا تصلح أن تكون متمسكاً للمعتزلة فيما ذهبوا إليه من أن الكفر ونحوه مما لا يكون أصلح للعبد ليس من الله تعالى بناء على أنه أضاف الكفر إلى الطاغوت لا إلى نفسه ﴿**أولئك**﴾ إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما يتبعه من القبائح ﴿**أصحاب النار**﴾ أي: ملابسوها وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم ﴿**هم فيها خالدون**﴾ ماكثون أبداً ولم يقل بعد قوله ﴿**يخرجهم من الظلمات إلى النور**﴾ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون تعظيماً لشأن المؤمنين لأن البيان اللفظي لا يفي بما أعد لهم في دار الثواب.

واعلم أن مراتب المؤمنين في الإيمان متفاوتة وهم ثلاث طوائف. عوام المؤمنين، وخواصهم، وخواص الخواص. فالعوام يخرجهم الله من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الإيمان والهداية كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾[محمد: ١٧]. والخواص يخرجهم من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية إلى نور الروحانية الربانية كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨] واطمئنان القلب بالذكر لم يكن إلا بعد تصفيته عن الصفات النفسانية وتحليته بالصفات الروحانية.

وخواص الخواص يخرجهم من ظلمات حدوث الحلقة الروحانية بإفنائهم عن وجودهم إلى نور تجلي صفة القدم لهم ليبقيهم به كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣] الآية نسبهم إلى الفتوة لما خاطروا بأرواحهم في طلب الحق وآمنوا بالله وكفروا بطاغوت دقيانوس فلما تقربوا إلى الله بقدم الفتوة تقرب إليهم بمزيد العناية فأخرجهم من ظلمات النفسانية إلى نور الروحانية فلما تنورت أنفسهم بأنوار أرواحهم اطمأنت إلى ذكر الله وآنست به واستوحشت عن محبة أهل الدنيا وما فيها فأحبوا الخلاء كما كان حال النبي عليه الصلاة والسلام في بدء الأمر قالت عائشة رضي الله عنها أول ما بدىء به عليه الصلاة والسلام كان حبب إليه الخلاء ولعمري هذا دأب كل طالب محق مريد صادق كذا في «التأويلات النجمية». قال الفخر الرازي: بطريق الاعتراض إن جمعاً من الصوفية يقولون الاشتغال بغير الله حجاب عن معرفة الله والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يدعون الخلق إلا إلى الطاعات والتكاليف فهم يشغلون الخلق بغير الله ويمنعونهم عن الاشتغال بالله فوجب أن لا يكون ذلك حقاً وصدقاً انتهى كلامه. يقول الفقير جامع هذه المجالس النفيسة هذا الاعتراض ليس بشيء

فإن الطاعات والتكاليف، وسائل إلى معرفة الله الملك اللطيف فالدعوة ليست إلا إلى معرفة الله حقيقة ألا يرى إلى تفسير ابن عباس رضي الله عنهما عند قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] بقوله: ليعرفون وإنما عدل عنه إلى ليعبدون مع أنه خلاف مقتضى الظاهر حينئذٍ إشعاراً بأن المعرفة المقبولة هي التي تحصل بطريق العبادة فالاشتغال بغير الله وبغير عبادته حجاب أيّ حجاب ولذلك كان بدء حال السلف الخلاء والانقطاع عن الناس اقتداء برسول الله ﷺ واهتماماً في رفع الحجاب الحاصل بالاختلاط، وفي «المثنوي»:

آدمي راهست درهر كار دست ليك ازو مقصود اين خدمت بدست

ما خلقت الجن والإنس أين بخوان جز عبادت نيست مقصود ازجهان

ناجلا باشد مران آيينه را كه صفا آيد زطاعت سينه راس

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾

﴿ألم تر﴾ أي: ألم ينته علمك الذي يضاهي العيان في الإيقان وحقيقته اعلم بأخبارنا فإنه مفيد لليقين ﴿إلى الذي﴾ أي: إلى قصة الملك الذي ﴿حاج﴾ أي: جادل وخاصم وقابل بالحجة ﴿إبراهيم﴾ في معارضة ربوبيته ﴿في ربه﴾ وفي التعرض لعنوان الربوبية مع أن الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام تشريف له وإيذان بتأييده في المحاجة والذي حاج هو نمرود بن كنعان بن سام بن نوح وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر وادعى الربوبية ﴿أن آتاه الله الملك﴾ أي: لأن آتاه فهو مفعول له لقوله حاج. وله معنيان: أحدهما أنه من باب العكس في الكلام بمعنى أنه وضع المحاجة موضع الشكر إذ كان من حقه أن يشكر في مقابلة إيتاء الملك ولكنه عكس ما هو الحق الواجب عليه كما تقول عاداني فلان لأني أحسنت إليه تريد أنه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لأجل الإحسان، والثاني أن إيتاء الملك حمله على ذلك لأنه أورثه الكبر والبطر فنشأ عنهما المحاجة والمعنى أعطاه كثرة المال واتساع الحال وملك جميع الدنيا على الكمال. قال مجاهد لم يملك الدنيا بأسرها إلا أربعة مسلمان وكافران فالمسلمان سليمان وذو القرنين والكافران نمرود وبخت نصر وهو شداد بن عاد الذي بنى إرم في بعض صحارى عدن. ثم هو حجة على من منع إيتاء الله الملك للكافر وهم المعتزلة لأن مذهبهم وجوب رعاية الأصلح للعبد على الله وإيتاء الله الملك للكافر تسليط له على المؤمنين وذلك ليس بأصلح لحال المؤمن قلنا إنما ملكه امتحاناً له ولعباده ﴿إذ قال إبراهيم﴾ ظرف لحاج ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ روي أنه عليه السلام لما كسر الأصنام سجنه ثم أخرجه ليحرقه فقال: من ربك الذي تدعونا إليه قال: ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ أي: يخلق الحياة والممات في الأجساد وجواب إبراهيم في غاية الصحة لأنه لا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة صفاته وأفعاله التي لا يشاركه فيها أحد من القادرين والإحياء والإماتة من هذا القبيل ﴿قال﴾ كأنه قيل كيف حاجه في هذه المقالة القوية الحقة فقيل قال: ﴿أنا أحيي وأميت﴾ روي أنه دعا برجلين قد حبسهما فقتل أحدهما وأطلق الآخر فقال: قد أحييت هذا وأمت هذا فجعل ترك القتل إحياء وكان هذا تلبيساً منه ﴿قال إبراهيم﴾ كأنه قيل: فماذا قال إبراهيم لمن في هذه الرتبة في

المحاجة وبماذا أفحمه فقيل قال: ﴿فإن الله﴾ جواب شرط مقدر تقديره قال إبراهيم: إذا ادعيت الإحياء والإماتة وأتيت بمعارضة مموهة ولم تعلم معنى الإحياء فالحجة أن الله ﴿يأتي بالشمس من المشرق﴾ تحريكاً قسرياً حسبما تقتضيه مشيئته والباء للتعدية ﴿فائت بها من المغرب﴾ تسييراً طبيعياً فإنه أهون إن كنت قادراً على مثل مقدوراته تعالى ولم يلتفت عليه السلام إلى إبطاله مقالة اللعين إيذاناً بأن بطلانها من الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد وأن التصدي بإبطالها من قبيل السعي في تحصيل الحاصل وأتى بمثال لا يجد اللعين فيه مجالاً للتمويه والتلبيس فهو عدول عن مثال إلى مثال آخر لإيضاح كلامه وليس انتقالاً من دليل إلى دليل آخر لأن ذلك غير محمود في باب المناظرة ﴿فبهت الذي كفر﴾ أي: صار مبهوتاً ومتحيراً مدهوشاً وإيراد الكفر في حيز الصلة للإشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون المحاجة كفراً، قال في «أسئلة الحكم» الحكمة في طلوع شمس قرب القيامة من مغربها إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال لنمرود ﴿إن الله يأتي بالشمس من المشرق فائت بها من المغرب فبهت الذي كفر﴾ وأن السحرة والمنجمة عن آخرهم ينكرون ذلك وأنه غير كائن فيطلعها الحق يوماً من المغرب ليرى المنكرين قدرته وأن الشمس في ملكه إن شاء أطلعها من المشرق أو المغرب ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ أي: الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب المخلد بسبب إعراضهم عن قبول الهداية إلى مناهج الاستدلال أي: عن قبول الدلائل القطعية الدالة على الحق دلالة واضحة بالغة في الوضوح والقوة إلى حيث جعل الخصم مبهوتاً متحيراً فمن ظلم نفسه بالامتناع عن قبول مثل هذه الدلائل لا يجعله الله مهتدياً بها لأن المعتبر في دار التكليف أن يهتدي وقت اختيارهم الكفر والظلم أي: لا يخلق فيهم فعل الهداية وهم يختارون فعل الضلال ويحتمل أنه لا يهدي طريق الجنة في الآخرة من كفر بالله في الدنيا.

ـ روي ـ أن النمرود لما عتا عتوا كبيراً وألقى إبراهيم في النار بعد هذه المحاجة سلط الله على قومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق إلا العظام والنمرود كما هو لم يصبه شيء فبعث الله بعوضة فدخلت في منخره فمكث أربعمائة سنة تضرب رأسه بالمطارق فعذبه الله أربعمائة سنة وهو الذي بنى صرحاً إلى السماء ببابل فأتى الله بنياهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم، قال الشيخ العطار قدس سره:

سوى أو خصمي كه تير انداخته بشه كارش كفايت ساخته

والإشارة أن الله تعالى أعطى النمرود ملكاً ما أعطي لأحد قبله ادعى الربوبية ما ادعى بها أحد قبله وذلك أن الله أعطى الإنسان حسن استعداد لطلب الكمال فمن حسن استعداده في الطلب وغاية لطافته في الجوهر دائم الحركة في طلب الكمال فحيثما توجه الكمال أخذ في السير فيها إلى أقصى مراتبها في العلوي والسفلي فإن وكل إلى نفسه في طلب الكمال فينظر بنظر الحواس الخمس إلى المحسوسات وهي الدنيا فلا يتصور إلا الدنيا فلا يتصور الكمال إلا فيها فيأخذ في السير لطلب الكمال وهذا السير موافق لسيره الطبيعي لأنه خلق من تراب والتراب سفلي الطبع فيميل إلى السفليات طبعاً والدنيا هي السفل فيسير فيها بقدمي الطبع وطلب الكمال ففي البداية يرى الكمال في جمع المال فيجمعه ثم يرى الكمال في الجاه فيصرف المال في طلب الجاه ثم يرى الكمال في المناصب والحكم ثم يرى في الإمارة والسلطنة فيسير فيها ما لم يكن مانع إلى أن يملك الدنيا بأسرها كما كان حال النمرود ثم لا

يسكن جوهر الإنسان في طلب الكمال بل كلما ازداد استغناؤه ازداد حرصه وكلما ازداد حرصه ازداد طلبه إلى أن لا يبقى شيء من السفليات دون أن يملكه ثم يقصد العلويات وإلى الآن كان ينازع ملوك الأرض والآن ينازع ملك الملوك ومالك الملك في السموات والأرض فيدعي الربوبية كالنمرود فإنه كان سبب طغيانه استغناؤه قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦ ـ ٧] فإذا كمل استغناؤه كمل طغيانه حتى يكفر بالنعمة فهذا كله عند فساد جوهره لما وكل إلى نفسه وإذا أصلح جوهره بالتربية ولم يكله إلى نفسه هدي إلى جهة الكمال المستعد له كقوله: ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨] فصاحب التربية وهو النبي أو خليفته وهو الشيخ المرشد يربيه وتربيته في تبرئته مما سوى الله إلى أن بلغ حد كماله في طلب الكمال وهو إفناء الوجود في وجود الموجود ليكون مفقوداً عن وجوده موجوداً بموجده فلما كان يقول عند فساد الجوهر وإبطال حسن الاستعداد بالكمال أنا أحيي وأميت فيقول عند صلاح الجوهر وصرف حسن الاستعداد في طلب الكمال ما في الوجود سوى الله فالمجد يدق بمطرقة لا إله إلا الله دماغ نمرود النفس إلى أن يؤمن بالله ويكفر بطاغوت وجوده ووجود كل موجود سوى الله والله لا يهدي القوم المشركين إلى عالم التوحيد والشرك ظلم عظيم فبالشرك ضل من ضل فزل عن الصراط المستقيم كذا في «التأويلات النجمية» فعلى العاقل أن يتخلص من الشرك الخفي ويزكي نفسه عن سفساف الأخلاق ولا يغتر بالمال والمنال بل يرجع إلى الله الملك المتعال. وقد وجدت صخرة عظيمة وعليها أسطر قديمة. فرحك بشيء من الدنيا دليل على بعدك من الله. وسكونك إلى ما في يدك دليل على قلة ثقتك بالله. ورجوعك إلى الناس في حال الشدة دليل على أنك لم تعرف الله انتهى، قال السعدي قدس سره:

شنيدم كه جمشيد فرخ سرشت ... بسر جشمة بر بسنكي نوشت
برين چشمه چون ما بسي دم زدند ... برفتند چون چشم برهم زدند
كرفتيم عالم بمردي وزور ... وليكن نبرديم باخود بكور
برفتند وهركس درود آنچه كشت ... نماند يجز نام نيكو وزشت

اللهم اجعلنا من الذين طال عمرهم وحسن عملهم وقصر أملهم وكمل عقلهم.

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٥٩﴾

﴿أو كالذي مر على قرية﴾ عطف على قوله ألم تر وتقديره أو رأيت مثل الذي فعل كذا أي ما رأيت مثله فتعجب منه وتخصيصه بحرف التشبيه لأن المنكر للإحياء كثير والجاهل بكيفيته أكثر من أن يحصى بخلاف مدعي الربوبية. والمار هو عزير بن شرخيا والقرية بيت المقدس على الأشهر الأظهر واشتقاقها من القرى وهو الجمع.

ـ روي ـ أن بني إسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد سلط الله عليهم بخت نصر البابلي فسار إليهم في ستمائة ألف راية حتى وطىء الشام وخرب بيت المقدس وجعل بني

إسرائيل أثلاثاً ثلثاً منهم قتلهم وثلثاً منهم أقرهم بالشام وثلثاً منهم سباهم وكانوا مائة ألف غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل ملك منهم أربعة غلمة وكان عزير من جملتهم فلما نجاه الله منهم بعد حين مر بحماره على بيت المقدس فرآه على أفظع مرأى وأوحش منظر وذلك قوله تعالى ﴿**وهي خاوية على عروشها**﴾ أي: خالية عن أهلها وساقطة على سقوفها بأن سقطت العروش ثم الحيطان سقطت عليها من خوت المرأة وخويت خوي أي: خلا جوفها عند الولادة وخوت الدار خواء بالمد وخوي البيت خوي بالقصر أي: سقط والعرش سقف البيت ويستعمل في كل ما هيىء ليستظل به ﴿**قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها**﴾ أي: يعمر الله تعالى هذه القرية بعد خرابها على هذا الوجه إذ ليس المراد بالقرية أهلها بل نفسها بدليل قوله: ﴿**وهي خاوية على عروشها**﴾ لم يقله على سبيل الشك في القدرة بل على سبيل الاستبعاد بحسب العادة ﴿**فأماته الله**﴾ أي: جعله ميتاً ﴿**مائة عام**﴾.

ـ روي ـ أنه لما دخل القرية نزل تحت ظل شجرة وهو على حمار فربط حماره وطاف في القرية ولم ير بها أحداً فقال ما قال وكانت أشجارها قد أثمرت فتناول من فواكهها التين والعنب وشرب من عصير العنب ونام فأماته الله في منامه وهو شاب وكان معه شيء من التين والعنب والعصير وكانت هذه الإماتة عبرة لا انقضاء مدة كإماتة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف وأمات حماره أيضاً ثم أعمى الله عن جسده وجسد حماره أبصار الإنس والسباع والطير فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله ملكاً عظيماً من ملوك فارس يقال له يوشك إلى بيت المقدس ليعمره ومعه ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلاثمائة ألف عامل فجعلوا يعمرون وأهلك الله بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقي من بني إسرائيل وردهم إلى بيت المقدس وتراجع إليه من تفرق منهم في الأكناف فعمروه ثلاثين سنة وكثروا وكانوا كأحسن ما كانوا فلما تمت المائة من موت العزير أحياه الله تعالى وذلك قوله تعالى: ﴿**ثم بعثه**﴾ من بعثت الناقة إذا أقمتها من مكانها ويوم القيامة يسمى يوم البعث لأنهم يبعثون من قبورهم وإنما قال ﴿**ثم بعثه**﴾ ولم يقل ثم أحياه لأن قوله ثم بعثه يدل على أنه عاد كما كان أولاً حياً عاقلاً فاهماً مستعداً للنظر والاستدلال في المعارف الإلّهية ولو قال ثم أحياه لم تحصل هذه الفوائد ﴿**قال**﴾ كأنه قيل فماذا قال بعد بعثه فقيل: قال الله تعالى أو ملك مأمور من قبله تعالى: ﴿**كم**﴾ يوماً أو وقتاً ﴿**لبثت**﴾ يا عزير ليظهر له عجزه عن الإحاطة بشؤونه تعالى وأن إحياءه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم أنه هين في الجملة بل مدة طويلة وتنحسم به مادة استبعاده بالمرة ويطلع في تضاعيفه على أمر آخر من بدائع آثار قدرته تعالى وهو إبقاء الغذاء المتسارع إلى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهراً طويلاً من غير تغير ما ﴿**قال لبثت يوماً أو بعض يوم**﴾ كقول الظان قاله بناء على التقريب والتخمين أو استقصاراً لمدة لبثه ﴿**قال**﴾ ما لبثت ذلك المقدار ﴿**بل لبثت مائة عام**﴾ يعني كنت ميتاً هذه المدة ﴿**فانظر**﴾ لتعاين أمراً آخر من دلائل قدرتنا ﴿**إلى طعامك وشرابك لم يتسنه**﴾ أي: لم يتغير في هذه المدة المتطاولة مع تداعيه إلى الفساد.

ـ روي ـ أنه وجد تينه وعنبه كما جني وعصيره كما عصر والجملة المنفية حال بغير واو من الطعام والشراب لأن المضارع المنفي إذا وقع حالاً يجوز أن يكون بالواو وبدونها وإفراد الضمير مع أن الظاهر أن يقال لم يتسنها أو لم يتسنيا لأن المذكور قبله شيئان: الطعام، والشراب، لجريانهما مجرى الواحد كالغذاء. والهاء في لم يتسنه إن كانت أصلية فهو من السنة

التي أصلها سنهة وإن كانت هاء سكت فهو من السنة التي أصلها سنوة واستعمال لم يتسنه في معنى لم يتغير من قبيل استعمال اللفظ في لازم معناه لأن المعنى الأصلي لقولنا تسنه أو تسنى مرت عليه السنون والأعوان ويلزمه التغير ﴿وانظر إلى حمارك﴾ كيف نخرت عظامه وتفرقت وتقطعت أوصاله وتمزقت ليتبين لك ما ذكر من لبثك المديد وتطمئن به نفسك ﴿ولنجعلك آية﴾ كائنة ﴿للناس﴾ الواو استئنافية واللام متعلقة بمحذوف والتقدير فعلنا ذلك أي: إحياءك وإحياء حمارك وحفظ ما معك من الطعام والشراب لنجعلك آية للناس الموجودين في هذا القرن بأن يشاهدوك وأنت من أهل القرون الخالية ويأخذوا منك ما طوى عنهم منذ أحقاب من علم التوراة ﴿وانظر إلى العظام﴾ تكرير الأمر مع أن المراد عظام الحمار أيضاً لما أن المأمور به أولاً هو النظر إليها من حيث دلالتها على ما ذكر من اللبث المديد وثانياً هو النظر إليها من حيث تعتريها الحياة ومباديها أي: وانظر إلى عظام الحمار لتشاهد كيفية الإحياء في غيرك بعدما شاهدت نفسه في نفسك ﴿كيف ننشزها﴾ يقال: أنشزته فنشز أي: رفعته فارتفع أي: نرفع بعضها من الأرض إلى بعض ونردها إلى أماكنها من الجسد فنركبها تركيباً لائقاً بها. والجملة حال من العظام والعامل فيها انظر تقديره انظر إلى العظام محياة أو بدل من العظام على حذف المضاف والتقدير انظر إلى حال العظام ﴿ثم نكسوها لحماً﴾ أي: نسترها به كما يستر الجسد باللباس وإنما وحد اللحم مع جمع العظام لأن العظام متفرقة متعددة صورة واللحم متصل متحد مشاهدة ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما أنها مما لا تقتضي الحكمة بيانه.

ـ روي ـ أنه سمع صوتاً من السماء أيتها العظام البالية المتفرقة إن الله يأمرك أن ينضم بعضك إلى بعض كما كان وتكتسى لحماً وجلداً فالتصق كل عظم بآخر على الوجه الذي كان عليه أولاً وارتبط بعضها ببعض الأعصاب والعروق ثم انبسط اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فإذا هو قائم ينهق ﴿فلما تبين له﴾ أي: ظهر له إحياء الميت عياناً ﴿قال أعلم أن الله على كل شيء﴾ من الأشياء التي من جملتها ما شاهده في نفسه وفي غيره من تعاجيب الآثار ﴿قدير﴾ لا يستعصي عليه أمر من الأمور.

ـ روي ـ أنه ركب حماره وأتى محلته وأنكره الناس وأنكر الناس وأنكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أدركت زمن عزير فقال لها عزير: يا هذه هذا منزل عزير قالت: نعم وأين ذكرى عزير وقد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديداً قال: فإني عزير قالت سبحان الله أنى يكون ذلك قال: قد أماتني الله مائة عام ثم بعثني قالت: إن عزيراً كان رجلاً مستجاب الدعوة فادع الله لي برد بصري حتى أراك فدعا ربه ومسح بين عينيها فصحتا فأخذ بيدها فقال: قومي بإذن الله فقامت صحيحة كأنها نشطت من عقال فنظرت إليه فقالت: اشهد أنك عزير فانطلقت إلى محلة بني إسرائيل وهم في أنديتهم وكان في المجلس ابن العزير قد بلغ مائة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت: انظروا فإني بدعائه رجعت إلى هذه الحالة فنهض الناس فأقبلوا إليه فقال ابنه: كان لأبي شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فإذا هو كذلك وقد كان قتل بخت نصر بيت المقدس من قراء التوراة أربعين ألف رجل ولم يكن يومئذٍ بينهم نسخة من التوراة ولا أحد يعرف التوراة فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير أن يخرم منها حرفاً أي: ينقص ويقطع فقال رجل من أولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر حدثني أبي عن جدي

أنه دفن التوراة يوم سبينا في خابية في كرم فإن أريتموني كرم جدي أخرجتها لكم فذهبوا إلى كرم جده ففتشوه فوجدوها فعارضوها بما أملى عليهم عزير عليه السلام عن ظهر القلب فما اختلفا في حرف واحد فعند ذلك قالوا: عزير ابن الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وفي القصة تنبيه على أن الداعي إذا راعى آداب الدعاء أجيب سريعاً من غير مشقة تلحقه وإذا ترك الأدب لحقته المشقة وأبطأت الإجابة فإن إبراهيم عليه السلام لما قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] وبدأ بالثناء ثم سأل إحياء الموتى أراه الله ذلك في غيره فإنه أراه في طيره وعجل له ذلك على فوره وعزير قال: ﴿أنى يحيي هذه الله بعد موتها﴾ فأرى ذلك في نفسه بعد مائة عام مضت على موته، قال السعدي:

نبايد سخن مفت ناساخته نشايد بريدن نينداخته

والإشارة في تحقيق الآية أن قوماً أنكروا حشر الأجساد مع أنهم اعتقدوا وأقروا بحشر الأرواح وقالوا: الأرواح كان تعلقها بالأجساد لاستكمالها في عالم المحسوس كالصبي يبعث إلى المكتب ليتعلم الأدب فلما حصل مقصوده من التعليم بقدر استعداده وخرج من المكتب ودخل محفل أهل الفضل وصاحبه سنين كثيرة واستفاد منهم أنواع العلوم التي لم توجد في المكتب إلا أنه استفاد العلوم من الفضلاء بقوة أدبه الذي تعلمه في المكتب وصار فاضلاً في العلوم فما حاجته بعد أن كبر شأنه وعظم قدره إلى أن يرجع إلى المكتب وحالة صباه فكذا الأرواح لما خرجت من سجن الأشباح واتصلت بالأرواح المقدسة بقوة علوم الجزئيات التي حصلتها من عالم الحس واستفادت من الأرواح العلوية علم الكليات التي لم توجد في عالم الحس فما حاجتها إلى أن ترجع إلى سجن الأجساد فكانت نفوسهم تسول لهم هذه التسويلات والشيطان يوسوسهم بمثل هذه الشبهات فالله سبحانه من كمال فضله ورحمته على عباده المخلصين أمات عزيراً مائة سنة وحماره معه ثم أحياهما جميعاً ليستدل به العقلاء على أن الله مهما يحيي عزير الروح يحيي معه حمار جسده فلا يشك العاقل بتسويل النفس ووسوسة الشيطان وشبهات الفلسفي في حشر الأجساد فكما أن عزير الروح يكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر يكون حمار جسده في الجنة فلعزير الروح مشرب من كؤوس تجلي صفحات الجمال والجلال عن ساقي وسقاهم ربهم شرباً طهوراً ولحمار الجسد مشرب من أنهار الجنات وحياض رياض ولكم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وقد علم كل أناس مشربهم:

شربنا وأهرقنا على الأرض جرعة وللأرض من كأس الكرام نصيب

كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٦٠﴾

﴿وإذ قال إبراهيم﴾ أي: اذكر وقت قوله وذكر الوقت يوجب ذكر ما وقع في ذلك الوقت من الحوادث بالطريق البرهاني ﴿رب﴾ كلمة استعطاف قدمت بين الدعاء مبالغة في استدعاء الإجابة ﴿أرني كيف تحيي الموتى﴾ أي: بصرني كيفية إحيائك للموتى بأن تحييها وأنا أنظر إليها إنما سأل ذلك ليصير علمه عياناً وقد شرفه الله بعين اليقين بل بحق اليقين الذي هو أعلى

المقامات. والفرق أن علم اليقين هو المستفاد من الأخبار. وعين اليقين هو المعاينة لا مرية فيه قال تعالى في حق الكفار ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر: ٧] فلما دخلوا النار وباشروا عذابها قال تعالى: ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥﴾ [الواقعة: ٩٣- ٩٥] ﴿قال﴾ ربه ﴿أو لم تؤمن﴾ أي: ألم تعلم يقيناً ولم تؤمن بأني قادر على الإحياء بإعادة التركيب والحياة قاله عز وعلا مع علمه بأنه أعرف الناس بالإيمان ليظهر إيمانه لكل سامع بقوله: بلى فيعلم السامعون غرضه من هذا القول وهو الوصول إلى العيان ﴿قال﴾ إبراهيم ﴿بلى﴾ علمت وآمنت بذلك ﴿ولكن﴾ سألت ما سألت ﴿ليطمئن قلبي﴾ أي: ليسكن ويحصل طمأنينته بالمعاينة فإن عين اليقين يوجب الطمأنينة لاعلمه. فإن قلت: ما معنى قول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، قلت: ما ازددت يقيناً بالإيمان بها وكان إذ رأى الآخرة أبصر بها من الفضائل والهيئات ما لم يحط به قبل ذلك وكذلك إبراهيم لما رأى كيفية الإحياء وقف على ما لم يقف عليه قبل ﴿قال﴾ ربه إن أردت ذلك ﴿فخذ أربعة من الطير﴾ طاووساً وديكاً وغراباً وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمام وإنما خص الطير لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص الحيوان ﴿فصرهن﴾ من صاره يصوره وبكسر الصاد من صاره يصيره والمعنى واحد أي: أملهن واضممهن واجمعهن ﴿إليك﴾ لتتأملها وتعرف أشكالها مفصلة حتى تعلم بعد الإحياء أن جزءاً من أجزائها لم ينتقل من موضعه الأول أصلاً.

- روي - أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ولحومها ويمسك رؤوسها ثم أمر بأن يجعل أجزاءها على الجبال وذلك قوله تعالى: ﴿ثم اجعل على كل جبل﴾ من الجبال التي بحضرتك وكانت سبعة أو أربعة فجزأها أربعة أجزاء فقال: تعالى ضع على كل جبل ﴿منهن﴾ أي: من كل الطيور ﴿جزءاً ثم ادعهن﴾ قل لهن تعالين بإذن الله تعالى ﴿يأتينك سعياً﴾ أي: ساعيات مسرعات طيراناً أو مشياً ففعل كما أمره فجعل كل جزء يطير إلى آخر حتى صارت جثثاً ثم أقبلن فانضمت كل جثة إلى رأسها فعادت كل واحدة إلى ما كانت عليه من الهيئة وجعل إبراهيم ينظر ويتعجب ﴿واعلم أن الله عزيز﴾ غالب على أمره لا يعجزه شيء عما يريده ﴿حكيم﴾ ذو حكمة بالغة في أفاعيله فليس بناء أفعاله على الأسباب العادية لعجزه عن إيجادها بطريق آخر خارق للعادات بل لكونه متضمناً للحكم والمصالح. قال القشيري طلب إبراهيم عليه السلام بهذه حياة قلبه فأشير إليه بذبح الطيور، وفي الطيور الأربعة أربعة معان هي: في النفس، في الطاووس زينة، وفي الغراب أمل وفي الديك شهوة، والبط حرص فأشار إلى أنه ما لم يذبح نفسه بالمجاهدة لم يحي قلبه بالمشاهدة، وفي «المثنوي»:

حرص بط يكتاست اين ينجاه تاست حرص شهوت مار ومنصب ازدهاست
حرص بط ازشهوت حلقست وفرج در رياست بيست چند انست درج
صد خورنده كنجد اندر كرد خوان دو رياست درنكنجد درجهان
كاغ كاغ ونعرة زاغ سياه دائماً باشد بدنيا عمر خواه
همچو ابليس از خداي پاك فرد تا قيامت عمرتن درخواست كرد
عمرو مرك اين هردو باحق خوش بود بي خدا آب حيات آتش بود
عمر خوش در قرب جان پروردنست عمر زاغ ازبهر سركين خوردنست

قال في «التأويلات النجمية»: الطيور الأربعة هي الصفات الأربع التي تولدت من العناصر الأربعة التي خمرت طينة الإنسان منها وهي التراب والماء والنار والهواء فتولدت من ازدواج كل عنصر مع قرينه صفتان فمن التراب وقرينه الماء تولد الحرص والبخل وهما قرينان حيث وجد أحدهما وجد قرينه ومن النار وقرينها الهواء تولد الغضب والشهوة وهما قرينان يوجدان معاً ولكل واحدة من هذه الصفات زوج خلق منها ليسكن إليها كحواء وآدم ويتولد منها صفات أخرى فالحرص زوجه الحسد والبخل زوجه الحقد والغضب زوجه الكبر وليس للشهوة اختصاص بزوج معين بل هي كالمعشوقة بين الصفات فيتعلق بها كل صفة ولها منها متولدات يطول شرحها فهي الأبواب السبعة للدركات السبع من جهنم منها يدخل الخلق جهنم التي لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم يعني من الخلق فمن كان الغالب عليه صفة منها فيدخل النار من ذلك الباب فأمر الله خليله بذبح هذه الصفات وهي الطيور الأربعة طاووس البخل فلو لم يزين المال في نظر البخيل كما زين الطاووس بألوانه ما بخل به وغراب الحرص وهو من حرصه أكثر في الطلب وديك الشهوة وهو بها معروف ونسر الغضب ونسبته إليه لتصريفه في الطيران فوق الطيور وهذه صفة المغضب فلما ذبح الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطعت منها متولداتها ما بقي له باب يدخل منه النار فلما ألقى فيها بالمنجنيق قهراً صارت النار عليه برداً وسلاماً.

والإشارة بتقطيعها بالمبالغة ونتف ريشها وتفريق أجزائها وتخليط ريشها ودمائها ولحومها بعضها ببعض إشارة إلى محو آثار الصفات الأربع المذكورة وهدم قواعدها على يدي إبراهيم الروح بأمر الشرع ونائب الحق وهو الشيخ. والأمر بتقسيم أجزائها وجعلها على كل جبل جزءاً فالجبال الأربعة هي النفوس التي جبل الإنسان عليها. أولها: النفس النامية وتسمى النفس النباتية، وثانيها: النفس الأمارة وتسمى الروح الحيواني، وثالثها: قوة الشيطنة وتسمى الروح الطبيعي، ورابعها: قوة الملكية وهو الروح الإنساني فطيور الصفات لما ذبحت وقطعت وخلطت أجزاء بعضها ببعض ووضع على كل جبل روح ونفس وقوة منها جزء بأمر الشرع تكون بمثابة أشجار وزروع تجعل عليها الترب المخلوطة بالزبل والقاذورات باستصواب دهقان ذي بصارة في الدهقنة بمقدار معلوم ووقت معلوم ثم يسقيها بالماء ليتقوى الزرع بقوة الترب والزبل وتتصرف النفس النامية النباتية في الترب المخلوطة الميتة فتحييها بإذن الله تعالى كقوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الروم: ٥٠] فكذلك الصفات الأربع وهي الحرص والبخل والشهوة والغضب مهما كانت كل واحدة منها على حالها غالبة على الجوهر الروحاني تكدر صفاءه وتمنعه من الرجوع إلى مقامه الأصلي ووطنه الحقيقي فإذا كسرت سطوتها ووهنت قوتها وأميتت شعلتها ومحيت آثار طباعها بأمر الشرع وخلطت أجزاؤها المتفرقة بعضها ببعض ثم قسمت بأربعة أجزاء وجعل كل جزء منها على جبل قوة أو نفس أو روح فيتقوى كل واحد من هؤلاء بتقويتها ويتربى بتربيتها فيتصرف فيها الروح الإنساني فيحييها ويبدل تلك الظلمات التي هي من خصائص تلك الصفات المذمومة بنور هو من خصائص الروح الإنساني والملكي فتكون تلك الصفات ميتة عن أوصافها حية بأخلاق الروحانيات انتهى كلام «التأويلات».

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾

﴿مثل﴾ نفقات ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ أي: في وجوه الخيرات من الواجب كالزكاة والنفل وقدر في الكلام حذف لأن الذين ينفقون لا يشبهون الحبة لأنه لا يشبه الحيوان بالجماد بل نفقاتهم تشبه الحبة ﴿كمثل حبة﴾ لزراع زرعها في أرض عامرة والحبة واحدة الحب وهو ما يزرع للاقتيات وأكثر إطلاقه على البر ﴿أنبتت﴾ أي: أخرجت وإسناد الإنبات إلى الحبة مجاز ﴿سبع سنابل﴾ أي: ساقات تشعب منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة ﴿في كل سنبلة مائة حبة﴾ كما يشاهد ذلك في الذرة والدخن في الأراضي المغلة بل أكثر من ذلك ﴿والله يضاعف﴾ تلك المضاعفة إلى ما شاء الله تعالى ﴿لمن يشاء﴾ أن يضاعف له بفضله وعلى حسب حال المنفق من إخلاصه وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب الأعمال في مقادير الثواب ﴿والله واسع﴾ لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة ﴿عليم﴾ بنية المنفق ومقدار إنفاقه وكيفية تحصيل ما أنفقه. فمثل المتصدق كمثل الزارع إذا كان حاذقاً في عمله وكان البذر جيداً وكانت الأرض عامرة يكون الزرع أكثر. فكذلك المتصدق إذا كان صالحاً والمال طيباً ووضع في موضعه يكون الثواب أكثر كما روي في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل» وإنما ذكر النبي عليه السلام التربية في الصدقة وإن كان غيرها من العبادات يزيد أيضاً بقبوله إشارة إلى أن الصدقة فريضة كانت أو نافلة أحوج إلى تربية الله لثبوت النقيصة فيها بسبب حب الطبع الأموال وفي الحديث «صدقة المؤمن تدفع عن صاحبها آفات الدنيا وفتنة القبر وعذاب يوم القيامة» وفي الحديث «السخاوة شجرة أصلها في الجنة وأغصانها متدليات في دار الدنيا فمن تعلق بغصن منها يسوقه إلى الجنة والبخل شجرة أصلها في النار وأغصانها متدليات في دار الدنيا فمن تعلق بغصن منها يسوقه إلى النار» وفي الحديث «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله» أي: الكاسب لتحصيل مؤونتهما كالمجاهد لأن القيام بمصالحهما إنما يكون بصبر عظيم وجهاد نفس لئيم فيكون ثوابه عظيماً، وفي «بستان» الشيخ السعدي قدس سره:

يكي از بزركان أهل تميز ... حكايت كند زابن عبد العزيز
كه بودش نكيني در انكشتري ... فرومانده از قيمتش مشتري
بشب كفتي آن جرم كيتي فروز ... دري بود در روشنايي چوروز
قضارا در آمد يكي خشك سال ... كه شد بدر سيماي مردم هلال
چو درمردم آرام وقوت نديد ... خود آسوده بودن مروت نديد
چو بيند كسى زهر دركام خلق ... كيش بكذرد آب شيرين بحلق
بفرمود بفرو ختندش بسيم ... كه رحم آمدش بر فقير ويتيم
بيك هفته نقدش بتاراج داد ... بدرويش ومسكين ومحتاج داد
فتادند دروي ملامت كنان ... كه ديكر بدستت نيايد چنان
شنيدم كه ميكفت باران دمع ... فروميدويدش بعارض چوشمع

كه زشتست پيرايه بر شهريار دل شهري از نا تواني فكار
مرا شايد انكشتري بي نكين نشايد دل خلق اندوهكين
خنك آنكه آسايش مرد وزن كزينند بر آسايش خو يشتن
نكردند رغبت هنر پروران بشاديء خويش از غم ديكران

واعلم أن الأعمال بالنيات، فإن قلت ما معنى قوله عليه السلام: «نية المؤمن خير من عمله»، قلت: مورد الحديث أن عثمان رضي الله تعالى عنه سمع رسول الله ﷺ أنه وعد بثواب عظيم على حفر بئر فنوى أن يحفرها فسبق إليه كافر فحفرها فقال عليه السلام: «نية المؤمن خير من عمله» أي: عمل الكافر. والجواب الثاني أن النية المجردة من المؤمن خير من عمله المجرد عن النية لأنه إذا فعل الخير بغير نية يكون عمله مع النية خيراً من ذلك لكن قال بعضهم ليس في بعض الأعمال أجر بغير نية كالصلاة لا تجوز بغير نية ولا يحتاج بعض الأعمال إلى النية كقراءة القرآن والأذكار. ثم اعلم أن الإنفاق على مراتب: إنفاق العامة بالمال فأجرهم الجنة. وإنفاق الخواص إصلاح الحال بتزكية النفس وتصفية القلب فأجرهم يوم القيامة النظر إلى وجه الله تعالى فينبغي للمؤمن أن يزكي نفسه ويصفي قلبه من حب المال بالإنفاق في سبيل الله الملك المتعال حتى ينال الشرف في الجنان ويحترز عن البخل حتى لا يكون عند الله تعالى من الخاسرين.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾

﴿**الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله**﴾ أي: يضعونها في مواضعها ﴿**ثم**﴾ لإظهار علو رتبة المعطوف ﴿**لا يتبعون ما أنفقوا**﴾ العائد محذوف أي: ما أنفقوه ﴿**منا**﴾ وهو أن يعتد على من أحسن إليه بإحسانه ويريه أنه أوجب بذلك عليه حقاً أي: لا يمنون عليهم بما تصدقوا بأن يقول المتصدق المانّ اصطنعتك كذا خيراً وأحسنت إليك كثيراً ﴿**ولا أذى**﴾ وهو أن يتطاول عليه بسبب إنعامه عليه أي: لا يؤذيه بأن يقول المتصدق المؤذي بأن قد أعطيتك فما شكرت أو إلى كم تأتيني وتؤذيني أو كم تسأل ألا تستحيي أو أنت أبداً تجيئني بالإبرام فرج الله عني منك وباعد ما بيني وبينك ﴿**لهم أجرهم عند ربهم**﴾ ثوابهم في الآخرة وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للإيذان بأن ترتب الأجر على ما ذكر من الإنفاق وترك المنّ والأذى أمر بين لا يحتاج إلى التصريح بالسببية ﴿**ولا خوف عليهم**﴾ مما يستقبلهم من العذاب ﴿**ولا هم يحزنون**﴾ على ما خلفوا من أمور الدنيا.

ـ روي ـ أن الحسن بن علي رضي الله عنهما اشتهى طعاماً فباع قميص فاطمة بستة دراهم فسأله سائل فأعطاها ثم لقي رجلاً يبيع ناقة فاشتراها بأجل وباعها من آخر فأراد أن يدفع الثمن إلى بائعها فلم يجده فحكي القضية إلى النبي عليه السلام فقال: أما السائل فرضوان وأما البائع فميكائيل وأما المشتري فجبرائيل فنزل قوله تعالى: ﴿**الذين ينفقون أموالهم**﴾ الآية، قال بعض أهل التفسير نزلت هذه الآية والتي قبلها في عثمان وعبد الرحمٰن رضي الله عنهما. أما عثمان فجهز جيش العسرة في غزوة تبوك بألف بعير بأقتابها وألف دينار فرفع رسول الله ﷺ يده يقول: «يا رب رضيت عنه فارض عنه» وأما عبد الرحمٰن بن عوف فتصدق بنصف ماله أربعة

آلاف دينار فقال: عندي ثمانية آلاف فأمسكت منها لنفسي وعيالي أربعة آلاف وأربعة آلاف أقرضتها ربي فقال عليه السلام: «بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت» فهذه حال عثمان وعبد الرحمن رضي الله عنهما حيث تصدقا ولم يخطر ببالهما شيء من المن والأذى. قال بعضهم المنّ يشبه بالنفاق والأذى يشبه بالرياء. ثم قال بعضهم إذا فعل ذلك فلا أجر له وعليه وزر فيما منّ وآذى على الفقير. قال وهب فلا أجر له ولا وزر له. وقال بعضهم له أجر الصدقة ولكن ذهبت مضاعفته وعليه الوزر بالمنّ.

واعلم أن الله تعالى نهى عباده أن يمنوا على أحد بالمعروف مع أنه تعالى قد منّ على عباده كما قال ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٧] وذلك لأن الله تعالى تام الملك والقدرة وملكه وقدرته ليس بغيره والعبد وإن كان فيه خصال الخير فتلك خصاله من الله ولم يكن ذلك بقوة العبد فالعبد ناقص والناقص لا يجوز له أن يمن على أحد أو يمدح نفسه والمن ينقص قدر النعمة ويكدرها لأن الفقير الآخذ منكسر القلب لأجل حاجته إلى صدقة غيره معترف باليد العليا للمعطي فإذا أضاف المعطي إلى ذلك إظهار ذلك الإنعام زاد ذلك في انكسار قلبه فيكون في حكم المضرّ به بعد أن نفعه وفي حكم المسيء إليه بعد أن أحسن إليه، قال الحسين الكاشفي قدس سره:

آنچه كه بده بدهي چود هنده خداست ... منت بيهوده نهادن خطاست
هرچه ده دهي مي ده ومنت منه ... وآنچه پشيمان شوي آن هم مده

وقال السعدي قدس سره:

چو انعام كردي مشوخود پرست ... كه من سرورم ديكران زير دست
چو بيني دعا كوي دولت هزار ... خداوندرا شكر نعمت كذار
كه چشم ازتودارند مردم بسي ... نه توچشم داري بدست كسى

قيل: إن إبراهيم عليه السلام كان له خمسة آلاف قطيع من الغنم وعليها كلاب المواشي بأطواق الذهب فتمثل له ملك في صورة البشر وهو ينظر أغنامه في البيداء فقال الملك [سبوح قدوس رب الملائكة والروح] فقال إبراهيم عليه السلام كرر ذكر ربي ولك نصف ما ترى من أموالي فكرر الملك فنادى ثانياً كرر تسبيح ربي ولك جميع ما ترى من مالي فتعجب الملائكة فقالوا جدير أن يتخذك الله خليلاً ويجعل لك في الملل والنحل ذكراً جميلاً، وفي «المثنوي»:

قرض ده زين دولت اندر اقرضوا ... تاكه صد دولت به بيني پيش رو
اندكي زين شرب كم كن بهر خويش ... تاكه حوض كوثري يابى به پيش

وفي «نوابغ الكلم».

«صنوان من منح سائله ومنّ ... ومن منع نائله وضنّ

واعلم أن الناس على ثلاث طبقات:

الأولى: الأقوياء وهم الذين أنفقوا جميع ما ملكوا وهؤلاء صدقوا فيما عاهدوا الله عليه من الحب كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه.

والثانية: المتوسطون وهم الذين لم يقدروا على إخلاء اليد عن المال دفعة ولكن أمسكوه لا للتنعم بل للإنفاق عند ظهور محتاج إليه وقنعوا في حق أنفسهم بما يقويهم على العبادة.

والثالثة: الضعفاء وهم المقتصرون على أداء الزكاة الواجبة اللهم اجعلنا من المتجردين عن غيرك والقانعين بك عما سواك.

﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾

﴿**قول معروف**﴾ رد جميل وهو أن يرد السائل بطريق جميل حسن تقبله القلوب والطباع ولا تنكره ﴿**ومغفرة**﴾ أي: ستر لما وقع من السائل من الإلحاف في المسألة وغيره مما يثقل على المسؤول وصفح عنه ﴿**خير من صدقة يتبعها أذى**﴾ لأن من جمع بين نفع الفقير وإضراره حرم الثواب فإن قالوا: أي: خير في الصدقة التي فيها أذى حتى يقال هذا خير منه قلنا يعني عندكم كذلك وهو كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ [الجمعة: ١١] أي: عندكم ذلك خير لكم اعلموا أن هذا خير لكم في الدنيا والآخرة مما تعدونه أنتم خيراً ﴿**والله غني**﴾ عما عندكم من الصدقة لا يحوج الفقراء إلى تحمل مؤونة المنّ والأذى ويرزقهم من جهة أخرى ﴿**حليم**﴾ لا يعاجل أصحاب المنّ والأذى بالعقوبة لا أنهم لا يستحقونها بسببهما. وفيه من السخط والوعيد لهم ما لا يخفى. قال في «مجالس حضرة الهدائي» قدس سره وإنما كان الرد الجميل خيراً من صدقة المانّ والمؤذي لأن القول الحسن وإن كان بالرد يفرح قلب السائل ويروح روحه ونفع الصدقة لجسده وسراية السرور لقلبه بالتبعية من تصور النفع فإذا قارن ما ينفع الجسد بما يؤذي الروح يكدر النفع حينئذٍ ولا ريب أن ما يروح الروح خير مما ينفع الجسد لأن الروحانية أوقع في النفوس وأشرف. قال الشعبي من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته. وبالغ السلف في الصدقة والتحرز فيها عن الرياء فإنه غالب على النفس وهو مهلك ينقلب في القلب إذا وضع الإنسان في قبره في صورة حية أي: يؤلم إيلام الحية والبخل ينقلب في صورة عقرب والمقصود في كل إنفاق الخلاص من رذيلة البخل فإذا امتزج به الرياء كان كأنه جعل العقرب غذاء الحية فتخلص من العقرب ولكن زاد في قوة الحية إذ كل صفة من الصفات المهلكة في القلب إنما غذاؤها وقوتها في إجابتها إلى مقتضاها. ثم إن الصدقة لا تنحصر في المال بل تجري في كل معروف فالكلمة الطيبة والشفاعة الحسنة والإعانة في حاجة واحد وعيادة مريض وتشييع جنازة وتطييب قلب مسلم كل ذلك صدقة:

كر خير كنى مراد بابي	در هر دوجهان كشاد يابي
إحسان كن وبهر توشه خويش	زادي بفرست توازين پيش

واعلم أن الدنيا وملكها لا اعتداد لها.

ـ حكي ـ عن بعض الملوك أنه حبست الريح في بطنه حتى قرب إلى الهلاك فقال كل من يزيل عني هذا البلاء أعطيته ملكي فسمعه شخص من أهل الله فجاء ومسح يده على بطنه فخرجت منه ريح منتنة وتعافى الملك من ساعته فقال: يا سيدي اجلس على سرير المملكة أنا عزلت نفسي فقال الرجل لا حاجة إلى متاع قيمته ضرطة منتنة ولكن أنت اتعظ من هذا فالشيء الذي اغتررت به قيمته هذا. وعن الحسن قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه فقال: «هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيراً. ألا إنه من رغب في الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر أمله أعطاه الله تعالى

علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية. ألا إنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك إلا بالقتل والتجبر ولا الغنى إلا بالفخر والبخل ولا المحبة إلا باتباع الهوى. ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى أعطاه الله تعالى ثواب خمسين صديقاً»، وفي «المثنوي»:

كوزة چشم حريصان پرنشد تا صدف قانع نشد پردر نشد

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾

﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى**﴾ فإن من فعل ذلك لا أجر له في صدقته وعليه وزر منه على الفقير ووزر إيذائه وقد سبق معنى المن والأذى والمراد بإبطال الصدقة إحباط أجرها لأن الصدقة لما وقعت وتقدمت لم يمكن أن يراد بإبطالها نفسها بل المراد إحباط أجرها وثوابها لأن الأجر لم يحصل بعد فيصح إبطاله بما يأتيه من المنّ والأذى ﴿**كالذي**﴾ المراد المنافق لأن الكافر معلن كفره غير مراء والكاف في محل النصب على أنه صفة لمصدر محذوف أي: لا تبطلوها إبطالاً كإبطال المنافق الذي ﴿**ينفق ماله رئاء الناس**﴾ أي: لأجل رئائهم يعني ليقال أنه كريم ﴿**ولا يؤمن بالله واليوم الآخر**﴾ لا يريد بإنفاقه رضى الله ولا ثواب الآخرة. ورئاء من راآى نحو قاتل قتالاً ومعنى المفاعلة هٰهنا مبني على أن المرائي في الإنفاق يراعي أن تراه الناس فيحمدوه ﴿**فمثله**﴾ أي: حالته العجيبة ﴿**كمثل صفوان**﴾ أي: حجر صاف أملس وهو واحد وجمع فمن جعله جمعاً فواحده صفوانة ومن جعله واحداً فجمعه صفى ﴿**عليه تراب**﴾ أي: يسير منه ﴿**فأصابه وابل**﴾ أي: مطر شديد الوقع كبير القطر ﴿**فتركه صلداً**﴾ أملس ليس عليه شيء من الغبار ﴿**لا يقدرون**﴾ كأنه قيل فماذا يكون حالهم حينئذٍ فقيل: لا يقدرون ﴿**على شيء مما كسبوا**﴾ أي: لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون له ثواباً قطعاً كقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] يقال: فلان لا يقدر على درهم أي: لا يجده ولا يملكه، فإن قلت: كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق؟ قلت: أراد بالذي ينفق الجنس أو الفريق الذي ينفق ولأن من والذي يتعاقبان فكأنه قيل كمن ينفق فجمع الضمير باعتبار المعنى ولما ذكر تعالى بطلان أمر الصدقة بالمن والأذى ذكر لكيفية إبطال أجرها بهما مثلين فمثله أولاً بمن ينفق ماله رئاء الناس وهو مع ذلك كافر بالله واليوم الآخر فإن بطلان أجر ما أنفقه هذا الكافر أظهر من بطلان أجر من يتبعها بالمن والأذى ثم مثله ثانياً بالصفوان الذي وقع عليه تراب وغبار ثم أصابه المطر فأزال ذلك الغبار عنه حتى صار كأنه ما كان عليه تراب وغبار أصلاً فالكافر كالصفوان والتراب مثل ذلك الإنفاق والوابل كالكفر الذي يحبط عمل الكافر وكالمن والأذى اللذين يحبطان عمل هذا المنفق فكما أن الوابل أزال التراب الذي وقع على الصفوان فكذا المن والأذى يجب أن يكونا مبطلين لأجر الإنفاق بعد حصوله وذلك صريح في القول بالإحباط والتكفير كما ذهب إليه المعتزلة القائلون بأن الأعمال الصالحة

توجب الثواب وأن الكبائر تحبط ذلك الثواب وأما أصحابنا القائلون بأن الثواب تفضل محض فإنهم قالوا: ليس المراد بقوله لا تبطلوا النهي عن إزالة هذا الثواب بعد ثبوته بل المراد النهي عن أن يأتي بهذا العمل باطلاً، وبيانه أن المنّ والأذى يخرجانه من أن يترتب عليه الأجر الموعود لأن العمل إنما يؤدي إلى الأجر الموعود إذا أتى به العامل تعبداً وطاعة وابتغاء لما عند الله تعالى من الأجر والرضوان وعملاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠] وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] فمن كان حامله على العمل ابتغاء ما عند الله مما وعده للمخلصين فقد جرى على سنن المبادلة التي وقعت بين العمل والثواب الذي وعده الله تعالى لمن أخلص عمله لله تعالى فلما كانت معاملته في الحقيقة مع الله تعالى لم يبق وجه لأن يمن على الفقير الذي تصدق عليه ولا لأن يؤذيه بأن يقول له مثلاً خذه بارك الله لك فيه ومن منّ عليه أو آذاه فقد أعرض عن جهة المبادلة مع الله ومال إلى جهة التبرع على الفقير من غير ابتغاء وجه الله وأتى بعمله من الابتداء على نعت البطلان فيكون محروماً من البدل الذي وعده الله لمن أقرض الله قرضاً حسناً إذ لم يقع عمله على وجه الإقراض ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ إلى الخير والرشاد، وفيه تعريض بأن كلاً من الرئاء والمنّ والأذى من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين أن يجتنبوها.

ـ روي ـ عن بعض العلماء أنه قال مثل من يعمل الطاعة للرئاء والسمعة كمثل رجل خرج إلى السوق وملأ كيسه حصى فيقول الناس ما أملأ كيس هذا الرجل ولا منفعة له سوى مقالة الناس فلو أراد أن يشتري به شيئاً لا يعطى به شيئاً، وقد بالغ السلف في إخفاء صدقتهم عن أعين الناس حتى طلب بعضهم فقيراً أعمى لئلا يعلم أحد من المتصدق، وبعضهم ربط في ثوب الفقير نائماً، وبعضهم ألقى في طريق الفقير ليأخذها وبذلك يتخلص من الرئاء، وفي «المثنوي»:

كفت پيغمبر بيك صاحب ريا ... صل أنك لم تصل يا فتى
از براي چاره اين خوفها ... آمد اندر هر نمازي اهدنا
كين نمازم را ميا ميز اي خدا ... با نماز ضالين واهل ريا

قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال: «الرياء يقول الله لهم يوم يجازي العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذي كنتم تراؤون لهم فانظروا هل تجدون عندهم جزاء» وقال ﷺ: «إن الله تعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعى به رجل جمع القرآن ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقارىء ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب قال فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقرأ آناء الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان قارىء فقد قيل ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد قال: بلى يا رب قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله كذبت وتقول الملائكة: كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ويؤتى

بالذي قتل في سبيل الله فيقول له: فيماذا قتلت؟ فيقول: يا رب أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله: كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك» ثم قال رسول الله ﷺ: «أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة»، قال السعدي:

طريقت همينست كاهل يقين ... نكو كار بودند وتقصير بين
بروي ريا خرقه سهلست دوخت ... كرش باخدا درتواني فروخت
همان به كر آبستن كوهري ... كه همچون صدف سر بخود دربري
وكر آوازه خواهي در اقليم فاش ... برون حله كن كودرون حشو باش
اكرمسك خالص نداري مكوي ... وكرهست خود قاش كردد ببوي
چه زنار مغ درميانت چه دلق ... كه در پوشي از بهر پندار خلق

والإشارة في الآية في المعاملات إذا كانت مشوبة بالأغراض ففيها نوع من الأعراض ومن أعرض عن الحق فقد أقبل على الباطل ومن أقبل على الباطل فقد أبطل حقوقه في الأعمال فماذا بعد الحق إلا الضلال وقد نهينا عن إبطال أعمال البر بالإعراض عن طلب الحق والإقبال على الباطل بقوله: ﴿لا تبطلوا صدقاتكم﴾ وهي من أعمال البر بالمنّ أي: إذا مننت بها على الفقير فقد أعرضت عن طلب الحق لأن قصدك في الصدقة لو كان طلب الحق لما مننت على الفقير بل كنت رهين منة الفقير حيث كان سبب وصولك إلى الحق ولهذا قال ﷺ: «لولا الفقراء لهلك الأغنياء» معناه لم يجدوا وسيلة إلى الحق وقد فسر بعضهم قوله عليه السلام: «اليد العليا خير من اليد السفلى» بأن اليد العليا هي يد الفقير والسفلى يد الغني تعطي السفلى وتأخذ العليا. والأذى هو الإقبال على الباطل لأن كل شيء غير الحق فهو باطل فمن عمل عملاً لله ثم يشوبه بغرض في الدارين فقد أبطل عمله بأن يكون لله فافهم جداً كذا في «التأويلات النجمية»، وفي «المثنوي»:

عاشقا نرا شادماني وغم اوست ... دست مزد واجرت خدمت هم اوست
غير معشوق ارتما شائي بود ... عشق نبود هرزه سودايي بود
عشق آن شعله است كوچون بر فروخت ... هرچه جز معشوق باقي جمله سوخت

فالعشق الإلّهي والحب الرحماني إذا استولى على قلب العبد يقطع عنه عرق الشركة في الأموال والأولاد والأنفس. والخدمة بالأجرة لا تناسب الرجولية فإن من علم أن مولاه كريم يقطع قلبه عن ملاحظة الأجرة وتجيء أجرته إليه من ذلك الكريم على الكمال، قال الحافظ:

تو بندكي چو كدايان بشرط مزد مكن ... كه خواجه خود روش بنده پروري داند

اللهم اقطع رجاءنا عن غيرك واجعلنا من الذين لا يطلبون منك إلا ذاتك.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾

﴿ومثل﴾ نفقات ﴿الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله﴾ أي: لطلب رضاه ﴿وتثبيتا من

أنفسهم﴾ أي: جعل بعض أنفسهم ثابتاً على الإيمان والطاعة ليزول عنها رذيلة البخل وحب المال وإمساكه والامتناع عن إنفاقه فإن النفس وإن كانت مجبولة على حب المال واستثقال الطاعات البدنية إلا أنها ما عودتها تتعود، قال صاحب البردة: [البسيط]

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

فمتى أهملتها فقد تمرنت واعتادت الكسل والبطالة والبخل وإمساك المال عن صرفه إلى وجوه الطاعات ومقتضيات الإيمان وحيث كلفتها وحملتها على مشاق العبادات البدنية والمالية تنقاد لك وتتزكى عن عاداتها الجبلية. فمن تبعيضية كما في قولهم: «هز من عطفه وحرك من نشاطه». فإن قلت كيف يكون المال بعضاً من النفس حتى تكون الطاعة ببذله طاعة لبعض النفس وتثبيتاً لها على الثمرة الإيمانية، قلت: إن النفس لشدة تعلقها بالمال كأنه بعض منها فالمال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها، وفي «المثنوي»:

آن درم دادن سخي را لايق است جان سپردن خود سخاي عاشق است
تان دهي از بهر حق نانت دهند جان دهي ازبهر حق جانت دهند
آن فتوت بخش هربي علت است پاكبازي خارج ازهر ملت است
در شريعت مال هركس مال اوست در طريقت ملك ما مملوك دوست

ويجوز أن يكون التثبيت بمعنى جعل الشيء صادقاً محققاً ثابتاً والمعنى تصديقاً للإسلام ناشئاً من أصل أنفسهم وتحقيقاً للجزاء فإن الإنفاق أمارة أن الإسلام ناشىء من أصل النفس وصميم القلب، فمن لابتداء الغاية كما في قوله تعالى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩] ولعل تحقيق الجزاء عبارة عن الإيقان بأن العمل الصالح مما يثيب الله ويجازي عليه أحسن الجزاء ﴿كمثل جنة﴾ بستان كائن ﴿بربوة﴾ مكان مرتفع مأمون من أن يصطلمه البرد أي: يفسده للطافة هوائه بهبوب الرياح الملطفة له فإن أشجار الربا تكون أحسن منظراً وأزكى ثمراً وأما الأراضي المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لكثافة أهوائها بركود الرياح. وقال بعضهم إن البستان إذا وقع في موضع مرتفع من الأرض لا تنفعه الأنهار وتضربه الرياح كثيراً فلا يحسن ريعه إلا إذا كان على الأرض المستوية التي لا تكون ربوة ولا وهدة فالمراد من الربوة حينئذٍ كون الأرض لينة جيدة بحيث إذا نزل المطر عليها انتفخت وربت ونمت فإن الأرض إذا كانت بهذه الصفة يكثر ريعها وتكمل أشجارها ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥] فإن المراد من ربوها ما ذكر ﴿أصابها وابل﴾ أي: وصل إليها مطر كبير القطر شديد الوقع ﴿فآتت﴾ أي: أعطت صاحبها أو أهلها ﴿أكلها﴾ ثمرتها وغلتها وهو بضمتين الشيء المأكول. ويجوز أن يكون آتت بمعنى أخرجت فيتعدى إلى مفعول واحد هو أكلها ﴿ضعفين﴾ أي: مثلي ما كانت تثمر في سائر الأوقات وذلك بسبب ما أصابها من الوابل. قال ابن عباس حملت في سنة من الريع ما يحمل غيرها في سنتين والمراد بالضعف المثل كما أريد بالزوج الواحد في قوله تعالى: ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [هود: ٤٠] ومن فسره بأربعة أمثال ما كانت تثمر حمل الضعف على أصل معناه وهو مثلا الشيء فيكون ضعفين أربعة أمثال ﴿فإن لم يصبها وابل فطل﴾ أي: فطل وهو المطر الصغير القطر يكفيها لجودتها وكرم

منبتها ولطافة هوائها. والطل إذا دام عمل عمل الوابل وجاز الابتداء بالنكرة لوقوعها في جواب الشرط وهو من جملة المسوغات للابتداء بالنكرة ومن كلامهم إن ذهب العير فعير في الرباط والمعنى تشبيه نفقات هؤلاء الذين ينفقون بسبب ما يحملهم عليه من الابتغاء والتثبيت زاكية عند الله لا تضيع بحال وإن كانت تلك النفقات تتفاوت في زكائها بحسب تفاوت ما ينضم إليها من أحوالها التي هي الابتغاء والتثبيت الناشىء من ينبوع الصدق والإخلاص إليها بحال جنة نامية زاكية بسببي الربوة والوابل أو الطل والجامع النمو المرتب على السبب المؤدي إليه. ويجوز أن يكون التشبيه من قبيل المفرق بأن يشبه زلفاهم من الله تعالى وحسن حالهم عنده بثمرة الجنة ووجه التشبيه الزيادة ويشبه نفقتهم الكثيرة والقليلة بالقوى المطر والضعيف منه من حيث أن كل واحد منهما سبب لزيادة في الجملة لأن النفقتين تزيد إن حسن حالهم كما أن المطرين يزيدان ثمرة الجنة ﴿**والله بما تعملون بصير**﴾ من عمل الإخلاص والرياء لا يخفى عليه شيء وهو ترغيب في الإخلاص مع تحذير عن الرياء ونحوه فعلى العاقل أن يعبد الله تعالى على الإخلاص ويكون دائماً في رجاء الخلاص عن الطاغوت الخفي وهو الشرك الخفي فإن الخلاص يبتنى على الإخلاص، قال السعدي قدس سره:

همينست پندت اكر بشنوي ... كه كر خاركاري سمن ندروي

يعني من زرع الشوك لم يحصد الأزهار والنبات ولا يثمر شجره وبالكأس التي تسقي تشرب عصمنا الله وإياكم من ضياع العمل وكساده واختلال الاعتقاد وفساده. وخالص الأعمال هو الذي تعمله لله لا تحب أن يحمدك عليه أحد وإذا قارن العمل بالإخلاص يكون كنحاس طرح فيه الأكسير وجسد نفخ فيه الروح ولذا يضاعف ثوابه. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي عليه السلام: «إن الصدقة إذا خرجت من يد صاحبها قبل أن تدخل في يد السائل تتكلم بخمس كلمات أولاها تقول كنت قليلة فكثرتني وكنت صغيرة فكبرتني وكنت عدواً فأحببتني وكنت فانياً فأبقيتني وكنت محروساً الآن صرت حارسك». وعن مكحول الشامي إذا تصدق المؤمن بصدقة رضي الله عنه ونادت جهنم يا رب ائذن لي بالسجود شكراً لك قد أعتقت واحداً من أمة محمد من عذابي لأني أستحيي من محمد أن أعذب أحداً من أمته ولا بد لي من طاعتك. ولفظ الصدقة أربعة أحرف كل منها إشارة إلى معنى. أما الصاد فالصدّ أي: الصدقة تصدّ وتمنع عن صاحبها مكروه الدنيا والآخرة. وأما الدال فالدليل لأنها تدل صاحبها إلى الجنة. وأما القاف فقربه إلى الله تعالى. وأما الهاء فهداية الله تعالى، قال بعضهم:

زان پيش كه دست ساقىء دهر ... در جام مرارت افكند زهر
ازسر بنه اين كلاه ودستار ... جهدي بكن ودلي بدست آر
كين سر همه سال باكله نيست ... وين روي هميشه همچومه نيست

فمن ساعده المال فلينفق في سبيل الله الملك المتعال وليشكر على غنى ومدد فلا يقطع رجاء أحد وفي الحديث: «من قطع رجاء من التجأ إليه قطع الله رجاءه».

ـ روي ـ أن بعض العلماء لما رأى هذا الحديث بكى بكاء شديداً وتحير في رعاية فحواه فقام وذهب إلى واحد من الصلحاء ليستفسر معنى هذا الحديث ويدفع شبهته فلما دخل عليه رأى ذلك الرجل الصالح يأخذ بيده خبزاً ويؤكله الكلب من يده فسلم فرد عليه السلام ولم يقم له كما كان يفعله قبل فلما أكل الكلب الخبز بالتمام قام له ولاطفه وقال معتذراً خذ العذر مني

حيث لم أقم امتثالاً لقول النبي عليه السلام «من قطع رجاء» الحديث وهذا الكلب رجا مني أكل الخبز ولم أقم خشية أن أقطع رجاءه فلما سمع هذا الكلام زاد تحيراً ولم يستفسر فتعجب من كرامته وقوته في باب الولاية.

واعلم أن ثمرات الإخلاص في طلب الحق ومرضاته تكون ضعفين بالنسبة إلى من ينفق ويعمل الخيرات والطاعات لأجل الثواب الأخروي ورفعة الدرجات في الجنان فإن حظه يكون من نعم الجنة فحسب والمخلص في طلب الحق يكون له ضعف من قربة الحق وذولة الوصال وشهود ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وضعف من نعيم الجنة أوفى وأوفر من ضعف طالب الجنة ونعيمها بأضعاف مضاعفة اللهم اهدنا إليك.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾

﴿أيود أحدكم﴾ الهمزة لإنكار الوقوع كما في قوله أأضرب أبي لا لإنكار الواقع كما في قوله أتضرب أباك أي: ما كان ينبغي أن يود رجل منكم ﴿أن تكون له جنة﴾ كائنة ﴿من نخيل وأعناب﴾ والجنة تطلق على الأشجار الملتفة المتكاثفة وهو الأنسب بقوله تعالى: ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ إذ على كونها بمعنى الأرض المشتملة على الأشجار الملتفة لا بد من تقدير مضاف أي: من تحت أشجارها ﴿له فيها من كل الثمرات﴾ الظرف الأول خبر والثاني حال والثالث مبتدأ أي: صفة للمبتدأ قائمة مقامه أي: له رزق من كل الثمرات كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: ١٦٤] أي: وما منا أحد إلا له الخ وليس المراد بالثمرات العموم بل إنما هو التكثير كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد: ١٥] قلت: النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها نفعاً خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وإن كانت محتوية على سائر الأشجار تغليباً لهما على غيرهما ثم أردفهما ذكر كل الثمرات ﴿و﴾ الحال أنه قد ﴿أصابه الكبر﴾ أي: كبر السن الذي هو مظنة شدة الحاجة إلى منافعها ومئنة كمال العجز عن تدارك أسباب المعاش ﴿وله ذرية ضعفاء﴾ أي: أصابه الكبر والحال أن له ذرية صغاراً لا يقدرون على الكسب وترتيب مبادي المعاش ﴿فأصابها﴾ أي: تلك الجنة ﴿إعصار﴾ أي: ريح عاصفة تستدير في الأرض ثم تنعكس منها ساطعة إلى السماء على هيئة العمود ﴿فيه نار﴾ شديدة ﴿فاحترقت﴾ فصارت نعمها إلى الذهاب وأصلها إلى الخراب فبقي الرجل متحيراً لا يجد ما يعود به عليها ولا قوة له أن يغرس مثلها ولا خير في ذريته من الإعانة لكونهم ضعفاء عاجزين عن أن يعينوه وهذا كما ترى تمثيل الحال من يفعل الأفعال الحسنة ويضم إليها ما يحبطها كرياء وإيذاء في الحسرة والأسف إذا كان يوم القيامة واشتدت حاجته إليها ووجدها محبطة بحال من هذا شأنه وأشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره إلى جنات الجبروت ثم نكص على عقبيه إلى عالم الزور والتفت إلى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثوراً، قال الحافظ:

زاهد ايمن مشو از بازيء غيرت زنهار
كه ره از صومعه تا دير مغان اين همه نيست

﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك البيان الواضح الذي بين فيما مر من الجهاد والإنفاق في سبيل الله وقصة إبراهيم وعزير وغير ذلك لكم أيها الفريق ﴿يبين الله لكم الآيات﴾ أي: الدلالات الواضحة في تحقيق التوحيد وتصديق الدين ﴿لعلكم تتفكرون﴾ أي: تتفكروا فيها وتعتبروا بما فيها من العبر وتعملوا بموجبها.

قال القشيري: هذه آيات ذكرها الله على جهة ضرب المثل للمخلص والمنافق والمنفق في سبيل الله والمنفق في الباطل هؤلاء يحصل لهم الخلف والشرف وهؤلاء يحصل لهم السرف والتلف وهؤلاء ضل سعيهم وهؤلاء شكر سعيهم وهؤلاء تزكو أعمالهم وهؤلاء حبطت أعمالهم وخسرت أموالهم وختمت بالسوء أحوالهم وتضاعف عليهم وبالهم وثقل ومثل هؤلاء كالذي أنبت زرعاً زكاً أصله ونما فضله وعلا فرعه وكثر نفعه ومثل هؤلاء كالذي خسرت صفقته وسرقت بضاعته وضاقت على كبر سنه غلته وتواترت من كل وجه محنته هل يستويان مثلاً وهل يتقاربان شبهاً انتهى.

فلا بد من إخلاص الأعمال فإن الثمرات تبتنى على الأصل. وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال حين بعث إلى اليمن يا رسول الله أوصني قال: «اخلص دينك يكفك العمل القليل»، وعلاج الرياء على ضربين: أحدهما قطع عروقه واستئصال أصوله وذلك بإزالة أسبابه وتحصيل ضده وأصل أسبابه حب الدنيا واللذة العاجلة وترجيحها على الآخرة. والثاني دفع ما يخطر من الرياء في الحال ودفع ما يعرض منه في أثناء العبادة فعليك في أول كل عبادة أن تفتش قلبك وتخرج منه خواطر الرياء وتقره على الإخلاص وتعزم عليه إلى أن تتم لكن الشيطان لا يتركك بل يعارضك بخطرات الرياء وهي ثلاث: مرتبة العلم باطلاع الخلق أو رجاؤه ثم الرغبة في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه فعليك رد كل منها، قال السعدي قدس سره:

قيامت كسي بيني اندر بهشت ... كه معني طلب كرد ودعوي بهشت
كنهكار اندپشناك از خداي ... بسي بهتر از عابد خود نماي

وفي «التاتارخانية» لو افتتح الصلاة خالصاً لله تعالى ثم دخل في قلبه الرياء فهو على ما افتتح والرياء لو خلا عن الناس لا يصلي ولو كان مع الناس يصلي فأما لو صلى مع الناس يحسنها ولو صلى وحده لا يحسن فله ثواب أصل الصلاة دون الإحسان ولا يدخل الرياء في الصوم روي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه الباري أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر جدد السفينة فإن البحر عميق وأكثر الزاد فإن السفر بعيد وأقل من الحمولة فإن الطريق مخوف وأخلص العمل فإن الناقد بصير» والمراد من تجديد السفينة تحقيق الإيمان وتكرير التوحيد ومن البحر هو جهنم قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧٢] والمراد بالسفر سفر الآخرة والقيامة قال تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥٠] وزاد النعيم الطاعات وزاد الجحيم السيئات والمراد بالحمولة الذنوب والخطايا وأريد بإقلالها نفيها رأساً وإنما كان طريق الآخرة مخوفاً لأن الزبانية يأخذون أصحاب الحمل الثقيل من الطريق وليس هناك أحد يعين على حمل أحد وينصره وإن كان من أقربائه قال تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨] والمراد بالناقد

هو الله تعالى وهو طيب لا يقبل إلا الطيب الخالص عن الشرك والرياء قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠] أي: خالصاً لوجهه تعالى ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] وفي الحديث قال الله تعالى: «أنا غني عن الشركاء فمن عمل لي وأشرك فيه غيري فإني بريء منه» وذكر عن وهب بن منبه أنه قال: أمر الله تعالى إبليس أن يأتي محمداً عليه السلام ويجيبه عن كل ما يسأله فجاءه على صورة شيخ وبيده عكازة فقال له: «من أنت» قال: أنا إبليس قال: «لماذا جئت» قال: أمرني ربي أن آتيك وأجيبك وأخبرك عن كل ما تسألني فقال رسول الله ﷺ: «فكم أعداؤك من أمتي» قال: خمسة عشر. أنت أولهم. وإمام عادل. وغني متواضع. وتاجر صدوق. وعالم متخشع. ومؤمن ناصح. ومؤمن رحيم القلب. وثابت على التوبة. ومتورع عن الحرام. ومؤمن مديم على الطهارة. ومؤمن كثير الصدقة. ومؤمن حسن الخلق مع الناس. ومؤمن ينفع الناس. وحامل القرآن المديم عليه. وقائم الليل والناس نيام قال عليه السلام: «فكم رفقاؤك من أمتي» قال: عشرة. سلطان جائر. وغني متكبر. وتاجر خائن. وشارب الخمر. والقتات. وصاحب الرياء. وآكل الربا. وآكل مال اليتيم. ومانع الزكاة. والذي يطيل الأمل وفي الحديث «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبين الله ترجمان ولا حجاب يحجبه فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا الله ولو بشق تمرة». قال شيخي العلامة أبقاء الله بالسلامة قيل لي في قلبي أحسن أخلاق المرء في معاملته مع الحق التسليم والرضى وأحسن أخلاقه في معاملته مع الخلق العفو والسخاء، قال السعدي:

غم وشادمان نماند وليك ... جزاي عمل ماند ونام نيك
كرم پاي دارد نه ديهيم وتخت ... بده كز تواين ماند اي نيكبخت
مكن تكيه برملك وجاه وحشم ... كه پيش ازتو بودست وبعد ازتوهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أمر المؤمنين بالإنفاق، ليزكي به نفوسهم عن سفساف الأخلاق، وهدي العارفين إلى بذل المال والروح، ليفتح لهم أبواب الفتوح، والصلاة على المتخلق بأخلاق مولاه، سيدنا محمد الذي جاء بالشفاعة لمن يهواه، وعلى آله وأصحابه ممن أثر الله على ما سواه، ووثق في أجر الإنفاق بربه الذي أعطاه، وبعد فإن العبد العليل سمي الذبيح إسماعيل، الناسح البروسي ثم الأسكوبي، أوصله الله إلى غاية المقام الحي، يقول لما ابتليت بالنصح والعظة، اهتممت في باب الموعظة، فكنت التقط من التفاسير، وأنظم في سلك التحرير، ما به ينحل عقد الآيات القرآنية، والبينات الفرقانية، من غير تعرض لوجوه المعاني مما يحتمله المباني قصداً إلى التكلم بقدر عقول الناس وتصدياً للاختصار الحامل على الاستئناس وأضم إلى كل آية ما يناسبها من الترغيب والترهيب وبعض من التأويل الذي لا يخفى على كل لبيب حتى انتهيت من سورة البقرة إلى ما هنا من آيات الإنفاق بعون الله الملك الخلاق فجعلت أول هذه الآية معنوناً ليكون هذا النظم مع ما يضم إليه مدوناً مقطوعاً عما قبله من الآيات مجموعاً بلطائف العظات ومن الله استمد أن يمهلني إلى أن آخذ بهذا المنوال القرآن العظيم وأقضي هذا

الوطر الجسيم وأتضرع أن يجعله منتفعاً به وذخر اليوم والمعاد ونعم المسؤول والمراد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ أي: من حلال ما كسبتم أو جياده لقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وفسر صاحب «الكشاف» الطيبات بالجياد حيث قال من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم. ذكر بعض الأفاضل أنه إنما فسر الطيب بالجيد دون الحلال لأن الحل استفيد من الأمر فإن الإنفاق من الحرام لا يؤمر به ولأن قوله تعالى بعده ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ والخبيث هو الرديء المستخبث يدل على أن المعنى أنفقوا مما يستطاب من أكسابكم ﴿ومما﴾ أي: ومن طيبات ما ﴿أخرجنا لكم من الأرض﴾ من الحبوب والثمار والمعادن ﴿ولا تيمموا﴾ أي: لا تقصدوا ﴿الخبيث﴾ أي: الرديء الخسيس. والخبيث نقيض الطيب ولهما جميعاً ثلاثة معان: الطيب الحلال والخبيث الحرام والطيب الطاهر والخبيث النجس والطيب ما يستطيبه الطبع والخبث ما يستخبثه ﴿منه تنفقون﴾ الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا أي: لا تقصدوا الخبيث قاصرين الإنفاق عليه والتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من إنفاق الخبيث خاصة لا تسويغ إنفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه ﴿ولستم بآخذيه﴾ حال من واو تنفقون أي: تنفقون والحال أنكم لا تأخذون الخبيث في معاملاتكم في وقت من الأوقات أو بوجه من الوجوه ﴿إلا أن تغمضوا فيه﴾ أي: إلا وقت إغماضكم فيه أو إلا بإغماضكم يعني لو كان لكم على رجل حق فجاء برديء ماله بدل حقكم الطيب لا تأخذونه إلا في حال الإغماض والتساهل مخافة فوت حقكم أو لاحتياجكم إليه من قولك أغمض فلان عن بعض حقه إذا غض بصره ويقال للبائع أغمض أي: لا تستقص كأنك لا تبصر ﴿واعلموا أن الله غني﴾ عن إنفاقكم وإنما يأمركم به لمنفعتكم. وفي الأمر بأن يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من إعطاء الخبيث وإيذان بأن ذلك من آثار الجهل بشأنه تعالى فإن إعطاء مثله إنما يكون عادة عند اعتقاد المعطي إلى الآخذ محتاج إلى ما يعطيه بل مضطر إليه ﴿حميد﴾ مستحق للحمد على نعمه العظام.

واعلم أن المتصدق كالزارع والزارع إذا كان له اعتقاد بحصول الثمرة يبالغ في الزراعة وجودة البذر لتحققه أن جودة البذر مؤثرة في جودة الثمرة وكثرتها فكذلك المتصدق إذا ازداد إيمانه بالله والبعث والثواب والعقاب يزيد في الصدقة وجودتها لتحققه أن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً والعبد كما أعطى الله أحب ما عنده فإن الله يجازيه بأحب ما عنده كما قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمان: ٦٠] ودلت الآية على جواز الكسب وأن أحسن وجوه التعيش هو التجارة والزراعة قال رسول الله ﷺ: «إن أطيب ما أكله الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه» وكذلك أطيب الصدقات ما كانت من عمل اليد:

بقنطار زر بخش كردن زكنج نباشد چو قيراط از دست رنج

قال رسول الله ﷺ: «لا يكسب عبد مالاً حراماً فيتصدق منه فيقبل منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار إلى الله تعالى لا يمحو السيىء بالسيىء ولكن يمحو السيىء بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث» ووجوه الإنفاق والصدقة كثيرة قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كانت له صدقة».

ـ روي ـ أن النبي ﷺ حثّ أصحابه على الصدقة فجعل الناس يتصدقون وكان أبو أمامة الباهلي جالساً بين يدي النبي عليه السلام وهو يحرك شفتيه فقال رسول الله ﷺ: «إنك تحرك شفتيك فماذا تقول» قال: إني أرى الناس يتصدقون وليس معي شيء أتصدق به فأقول في نفسي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فقال ﷺ: «هؤلاء الكلمات خير لك من مدّ ذهباً تتصدق به على المساكين». فعلى العاقل أن يواظب على الأذكار في الليل والنهار ويتصدق على الفقراء والمساكين بخلوص النية واليقين في كل حين:

كرامت جوا نمردي ونان دهيست — مقالات بيهوده طبل تهيست

وجلس الإسكندر يوماً مجلساً عاماً فلم يسأل فيه حاجة فقال: والله ما أعد هذا اليوم من ملكي قيل: ولم أيها الملك؟ قال: لأنه لا توجد لذة الملك إلا بإسعاف الراغبين وإغاثة الملهوفين ومكافأة المحسنين. قال السري السقطي قدس سره في وصف الصوفية أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرضى ومن تخليهم عن الأملاك ومفارقتهم إياها سموا فقراء فالصوفي ما لم يبذل ماله وروحه في طلب الله فهو صاحب دنيا والدنيا مانعة عن الوصول فعليك بالإيثار وكمال الافتقار.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾

﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ الوعد هو الإخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتباً على شيء من زمان أو غيره يستعمل في الشر استعماله في الخير قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ﴾ [الحج: ٧٢] والمعنى أن الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل: أمسك مالك فإنك إذا تصدقت به افتقرت ﴿ويأمركم بالفحشاء﴾ أي: بالخصلة الفحشاء أي: يغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر المأمور على فعل المأمور به والعرب تسمي البخيل فاحشاً ﴿والله يعدكم﴾ أي: في الإنفاق ﴿مغفرة﴾ لذنوبكم أي: مغفرة كائنة ﴿منه﴾ عز وجل ﴿وفضلا﴾ كائناً منه تعالى أي: خلفاً مما أنفقتم زائداً عليه في الدنيا وثواباً في العقبى وفيه تكذيب للشيطان ﴿والله واسع﴾ قدرة وفضلاً فيحقق ما وعدكم به من المغفرة وإخلاف ما تنفقونه ﴿عليم﴾ مبالغ في العلم فيعلم إنفاقكم فلا يكاد يضيع أجركم.

﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ٢٧٠﴾

﴿يؤتي الحكمة﴾ أي: مواعظ القرآن ومعنى إيتائها تبيينها والتوفيق للعلم والعمل بها أي: يبينها ويوفق للعمل بها ﴿من يشاء﴾ من عباده أي: يؤتيها إياه بموجب سعة فضله وإحاطة علمه

كما آتاكم ما بينه في ضمن الآي من الحكم البالغة التي عليها يدور فلك منافعكم فاغتنموها وسارعوا إلى العمل بها. والموصول مفعول أول ليؤتي قدم عليه الثاني للعناية به ﴿ومن يؤت الحكمة﴾ أي: يعط العلم والعمل ﴿فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ أي: أي خير كثير فإنه قد حيز له خير الدارين ﴿وما يذكر﴾ أي: وما يتعظ بما أوتي من الحكمة ﴿إلا أولو الألباب﴾ أي: العقول الخالصة من شوائب الوهم والركون إلى متابعة الهوى. فالمراد منهم الحكماء العلام العمال ولا يتناول كل مكلف وإن كان ذا عقل لأن من لا يغلب عقله على هواه فلا ينتفع به فكأنه لا عقل له قيل: من أعطى علم القرآن ينبغي أن لا يتواضع لأهل الدنيا لأجل دنياهم لأن ما أعطيه خير كثير والدنيا متاع قليل ولقوله عليه السلام: «القرآن غني لا غنى بعده».

والإشارة أن الشيطان فقير يعد بالفقر ظاهراً فهو يأمر بالفحشاء حقيقة. والفحشاء اسم جامع لكل سوء لأن عدته بالفقر تتضمن معاني الفحشاء وهي البخل والحرص واليأس من الحق والشك في مواعيد الحق للخلق بالرزق والخلف للمنفق ومضاعفة الحسنات وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه وتكذيب قول الحق ونسيان فضله وكرمه وكفران النعمة والإعراض عن الحق والإقبال على الخلق وانقطاع الرجاء من الله تعالى وتعلق القلب بغيره ومتابعة الشهوات وإيثار الحظوظ الدنيوية وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو رأس كل خطيئة وبزر كل بلية فمن فتح على نفسه باب وسوسته فسوف يبتلى بهذه الآفات ومن سد هذا الباب فإن الله يكرمه بأنواع الكرامات ورفعة الدرجات والله واسع عليم يؤتي من اجتنب عن وساوسه الحكمة وهي من مواهبه ترد على قلوب الأنبياء والأولياء عند تجلي صفات الجلال والجمال وفناء أوصاف الخلقية بشواهد صفات الخالقية فيكاشف الأسرار بحقائق معان أورثتها تلك الأنوار سراً بسر وإضماراً بإضمار. فحقيقة الحكمة نور من أنوار صفات الحق يؤيد الله به عقل من يشاء من عباده فهذه ليست مما تدرك بالعقول والبراهين العقلية والنقلية وأما المعقولات فهي مشتركة بين أهل الدين وأهل الكفر فالمعقول ما يحكم العقل عليه ببرهان عقلي وهذا ميسر لكل عاقل بالدراية وعالم بالقراءة فمن صفى عقله عن شوب الوهم والخيال فيدلك عقله المعقول بالبرهان دراية عقلية ومن لم يصف العقل عن هذه الآفات فهو يدرك المعقول قراءة بتفهيم أستاذ مرشد فأما الحكمة فليست من هذا القبيل وما يذكر إلا أولو الألباب وهم الذين لم يقنعوا بقشور العقول الإنسانية بل سعوا في طلب لبها بمتابعة الأنبياء عليهم السلام فأخرجوهم من ظلمات قشور العقول الإنسانية إلى نور لبّ المواهب الربانية فتحقق لهم أن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور فانتبه أيها المغرور المفتون بدار الغرور فلا يغرنك بالله الغرور قال من قال:

نكر تاقضا از كجاسير كرد ... كه كوري بودتكيه بر غير كرد
فغان ازبديها كه در نفس ماست ... كه ترسم شود ظن إبليس راست

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاب الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه» قال: «وعرشه على الماء وبيده الأخرى القبض يرفع ويخفض» فالمؤمن يتخلق بأخلاق الله ويجود على الفقراء ويدفع ما وسوس إليه الشيطان من خوف الفقر فإن الله بيده مفاتيح الأرزاق وهو المعطي على الإطلاق ﴿وما﴾ كلمة شرط وهي للعموم ﴿أنفقتم من نفقة﴾ أي: أي نفقة كانت في حق أو

باطل في سر أو علانية قليلة أو كثيرة ﴿أو نذرتم﴾ النذر عقد الضمير على شيء والتزامه وهو في الشرع التزام بر له نظير في الشرع ولهذا لو نذر سجدة مفردة لا يصح إلا أن تكون للتلاوة عند أبي حنيفة وأصحابه ﴿من نذر﴾ أي: نذر كان في طاعة أو معصية بشرط أو بغير شرط متعلق بالمال أو بالأفعال كالصلاة والصيام ونحوهما ﴿فإن الله يعلمه﴾ الضمير عائد إلى ما أي: فإنه تعالى يجازيكم عليه البتة إن خيراً فخير وإن شراً فشر فهو ترغيب وترهيب ووعد ووعيد ﴿وما للظالمين﴾ بالإنفاق والنذر في المعاصي أو بمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذور أو بإنفاق الخبيث أو بالرياء والمنّ والأذى وغير ذلك مما ينتظمه معنى الظلم الذي هو عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه الذي يحق أن يوضع فيه ﴿من أنصار﴾ أي: أعوان ينصرونهم من بأس الله وعقابه لا شفاعة ولا مدافعة وإيراد صيغة الجمع لمقابلة الظالمين أي: وما لظالم من الظالمين من نصير من الأنصار.

﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾

﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي﴾ أي: إن تظهروا الصدقات فنعم شيء إبداؤها بعد أن لم يكن رياء وسمعة وهذا في الصدقات المفروضة وأما في صدقة التطوع فالإخفاء أفضل وهي التي أريد بقوله: ﴿وإن تخفوها﴾ أي: تعطوها خفية ﴿وتؤتوها الفقراء﴾ ولعل التصريح بإيتائها الفقراء مع أنه واجب في الإبداء أيضاً لما أن الإخفاء مظنة الالتباس والاشتباه فإن الغني ربما يدعي الفقر ويقدم على قبول الصدقة سراً ولا يفعل ذلك عند الناس ﴿فهو خير لكم﴾ أي: فالإخفاء خير لكم من الإبداء وكل متقبل إذا صلحت النية وهذا في التطوع ومن لم يعرف بالمال وأما في الواجب فبالعكس ليقتدى به كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل والنافلة في البيت ولنفي التهمة وسوء الظن حتى إذا كان المزكّي ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل خوف الظلمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفاً وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفاً ﴿و﴾ الله ﴿يكفر عنكم من سيئاتكم﴾ من تبعيضية أي: شيئاً من سيئاتكم لأنه يمحو بعض الذنوب بالتصدق في السر والعلانية أو زائدة على رأي الأخفش فالمعنى يمحو عنكم جميع ذنوبكم ﴿والله بما تعملون﴾ من الأسرار والإعلان ﴿خبير﴾ فهو ترغيب في الإسرار. ذكر الإمام في أن الإسرار والإخفاء في صدقة التطوع أفضل وجوهاً:

الأول: أنها أبعد من الرياء والسمعة قال ﷺ: «لا يقبل من مسمع ولا مرائي ولا منّان» والمتحدث في صدقة لا شك أنه يطلب السمعة والمعطي في ملأ من الناس يطلب الرياء فالإخفاء والسكوت هو المخلص منهما. وقد بالغ قوم في صدقة الإخفاء واجتهدوا أن لا يعرفهم أحد فكان بعضهم يلقيها في يد أعمى وبعضهم يلقيها في طريق الفقير في موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطي وبعضهم كان يشدها في ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره.

ثانيها: أنه إذا أخفى صدقته لم يحصل له من الناس شهرة وتمدح وتعظيم فكان ذلك أشق على النفس فوجب أن يكون أكثر ثواباً.

وثالثها: قوله ﷺ: «أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير في سر» وقال أيضاً: «إن العبد يعمل عملاً إن في السر فيكتبه الله تعالى سراً فإن أظهره نقل من السر وكتب في العلانية فإن تحدث نقل من السر والعلانية وكتب في الرياء» وفي الحديث: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عدل وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال: إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» وقال ﷺ: «صدقة السر تطفىء غضب الرب».

وأما الوجه في جواز إظهار الصدقة فهو إن الإنسان إذا علم أنه إذا أظهرها صار في ذلك سبباً لاقتداء الخلق به فالإظهار أفضل. قال محمد بن علي الحكيم الترمذي أن الإنسان إذا أتى بعمله وهو يخفيه عن الخلق وفي نفسه شهوة أن يرى الخلق منه ذلك وهو يدفع تلك الشهوة فهٰهنا الشيطان يردد عليه رؤية الخلق والقلب ينكر ذلك ويدفعه فهذا الإنسان في محاربة الشيطان فضوعف العمل في السرّ سبعين ضعفاً على العلانية ثم إن تقرب العبد إلى الله إنما يكون بفرض أوجبه الله عليه أو بنفل أوجبه العبد على نفسه. فعلى كلا التقديرين الله عليم بهما فيجازي العبد بهما كما قال في حديث رباني «لن يتقرب إليّ المتقربون بمثل ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش» ولكن الشأن إخلاص العمل لله من غير شوبه بعلة دنيوية أو أخروية فإنها شرك والشرك ظلم عظيم فلا بد من الاجتناب:

چو رويي بخدمت نهي بر زمين ... خدارا ثنا كوي وخودرا مبين

فإخفاء الصدقة إشارة في الحقيقة الى تخليصها من شوب الحظوظ النفسانية لتكون خالصة لله فصاحبها يكون في ظل الله وإن كانت صدقته للجنة فيكون في ظل الجنة وإن كانت صدقته للهوى فيكون في ظل هاوية فافهم جداً:

رطب ناورد چوب خر زهره بار ... چه تخم افكني بر همان چشم دار

﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾

﴿ليس عليك هداهم﴾ أي: لا يجب عليك يا محمد أن تجعلهم مهديين إلى الإتيان بما أمروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وإنما الواجب عليك الإرشاد إلى الخير والحث عليه والنهي عن الشر والردع عنه بما أوحي إليك من الآيات والذكر الحكيم والخطاب خاص والمراد عام يتناول كل أهل الإسلام ﴿ولكن الله يهدي﴾ هداية خاصة موصلة إلى المطلوب حتماً ﴿من يشاء﴾ هدايته إلى ذلك ممن يتذكر بما ذكر ويتبع ويختار الخير فهدى التوفيق على الله وهدى البيان على النبي ﷺ. وقيل لما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله ﷺ المسلمين عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الإسلام فنزلت أي: ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لأجل دخولهم في الإسلام وفيه إيماء إلى أن الكفر لا يمنع صدقة التطوع واختلف في الواجب فجوزه أبو حنيفة وأباه غيره ﴿وما تنفقوا من خير﴾ أي: أي شيء تتصدقوا كائن من مال ﴿فلأنفسكم﴾ أي: فهو لأنفسكم لا

ينتفع به غيركم فلا تمنّوا على من أعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث أو فنفعه الديني لكم لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه ممن لا ينتفع به من حيث الدين من فقراء المشركين. وعن بعض العلماء لو كان شرّ خلق الله لكان لك ثواب نفقتك ﴿وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله﴾ استثناء من أعم العلل أو أعم الأحوال أي: ليست نفقتكم لشيء من الأشياء إلا لابتغاء وجه الله أوليست في حال من الأحوال إلا حال ابتغاء وجه الله فما بالكم تمنّون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله إلى الله ﴿وما تنفقوا﴾ أي: أي شيء تنفقوا ﴿من خير﴾ في أهل الذمة وغيرهم ﴿يوف إليكم﴾ أي: يوفر لكم أجره وثوابه أضعافاً مضاعفة فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن إنفاقه على أحسن الوجوه وأجملها ﴿وأنتم لا تظلمون﴾ أي: لا تنقصون شيئاً مما وعدتم من الثواب المضاعف.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾

﴿للفقراء﴾ أي: اجعلوا ما تنفقونه للفقراء ﴿الذين أحصروا في سبيل الله﴾ أي: حبسوا نفوسهم في طاعته من العزو والجهاد ﴿لا يستطيعون﴾ لاشتغالهم به ﴿ضرباً في الأرض﴾ أي: ذهاباً فيها وسيراً في البلاد للكسب والتجارة وقيل: هم أصحاب الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله فكان من عنده فضل أتاهم به إذا أمسى وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقف رسول الله ﷺ يوماً على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال: «أبشروا يا أصحاب الصفة فمن لقي الله من أمتي على النعت الذي أنتم عليه راضياً بما فيه فإنه من رفقائي» ﴿يحسبهم الجاهل﴾ أي: يظنهم الجاهل بحالهم وشأنهم ﴿أغنياء من التعفف﴾ أي: من أجل تعففهم عن المسألة وهو ترك الطلب ومنع النفس عن المراد بالتكلف استحياء ﴿تعرفهم﴾ أي: تعرف فقرهم واضطرارهم ﴿بسيماهم﴾ أي: بما تعاين منهم من الضعف ورثا رثة الحال. والسيما والسيمياء العلامة التي تعرف بها الشيء ﴿لا يسألون الناس إلحافا﴾ مفعول له ففيه نفي السؤال والإلحاف جميعاً أي: لا يسألون الناس أصلاً فيكون إلحافاً والإلحاف الإلزام والإلحاح وهو أن يلازم السائل المسؤول حتى يعطيه ويجوز السؤال عند الحاجة والإثم مرفوع قال رسول الله ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أشياءه أعطوه أو منعوه» وعن النبي ﷺ: «إن الله يحب الحي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف» ﴿وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم﴾ فيجازيكم بذلك أحسن جزاء فهو ترغيب في الصدق لا سيما على هؤلاء ثم زاد التحري عليه بقوله:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾

﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية﴾ أي: يعمون الأوقات والأحوال

بالخير والصدقة فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل: نزلت في شأن الصديق رضي الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة آلاف منها بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سراً وعشرة علانية ﴿فلهم أجرهم﴾ أي: ثوابهم حاضر ﴿عند ربهم ولا خوف عليهم﴾ من مكروه آت ﴿ولا هم يحزنون﴾ من محبوب فات.

واعلم أن الاتفاق على سادة اختاروا الفقر على الغنى محبة لله واقتداء بسنة رسول الله ﷺ حرفة فإنه ﷺ يقول: «لي حرفتان الفقر والجهاد» وهم أحق بها وأولى والعبد إذا أنفق من كل معاملة فيها خير من المال أو الجاه أو خدمة النفس أو إعزاز أو إكرام أو إعظام أو إرادة بالقلب حتى السلام على هؤلاء السادة استحقاقاً وإجلالاً لا استخفافاً وإذلالاً فإن الله به عليم فإن تقرب إليه في الإنفاق بشبر يتقرب هو إليه في المجازاة بذراع وإن تقرب بذراع يتقرب إليه بباع فلا نهاية لفضله ولا غاية لكرمه فطوبى لمن ترك الدنيا بطيب القلب واختار الله على كل شيء ومن كان لله كان الله له. روي أن حسن ستة أشياء في ستة: العلم، والعدل، والسخاوة، والتوبة، والصبر، والحياء. العلم في العمل. والعدل في السلطان. والسخاوة في الأغنياء. والتوبة في الشباب. والصبر في الفقر. والحياء في النساء. العلم بلا عمل كبيت بلا سقف والسلطان بلا عدل كبئر بلا ماء. والغنى بلا سخاوة كسحاب بلا مطر. والشباب بلا توبة كشجر بلا ثمر. والفقر بلا صبر كقنديل بلا ضياء. والنساء بلا حياء كطعام بلا ملح. فعلى الغني أن يمطر من سحاب غني بركات الدين والدنيا وتسبب لإحياء قلوب ماتت بالفقر والاحتياج فإن الله لا يضيع أجر المحسنين:

بسند يده رأيي كه بخشيد وخورد جهان ازپي خويشتن كرد كرد

يعني إن الذي له رأي صائب هو الذي تنعم بماله وأنعم وجمع الدنيا لأجله لا لغيره فإن من جمع مالاً ولم يأكل منه ولم يعط فهو جامع لغيره في الحقيقة إذ هو لوارثه بعده.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾

﴿الذين يأكلون الربا﴾ أي: يأخذونه وعبر عنه بالأكل لأنه معظم المقصود من المال ولشيوعه في المطعومات والربا فضل في الكيل والوزن خال عن العوض عند أبي حنيفة وأصحابه ويجري في الأشياء الستة الذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر والملح وكتب بالواو تنبيهاً على أصله لأنه من ربا يربو وزيدت الألف تشبيهاً بواو الجمع ﴿لا يقومون﴾ أي: من قبورهم إذا بعثوا ﴿إلا كما يقوم﴾ أي: إلا قياماً مثل قيام ﴿الذي يتخبطه﴾ أي: يضربه ويصرعه ﴿الشيطان من المس﴾ أي: الجنون متعلق بلا يقومون يعني لا يقومون من المس الذي بهم إلا كقيام المصروع المختل أي: فاسد العقل ويكون ذلك سيماهم يعرفون به عند أهل الموقف وقيل: الذين يخرجون من الأجداث يوفضون إلا أكلة الربا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لأنهم أكلوا الربا فأرباه الله تعالى في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإيفاض ﴿ذلك﴾ أي: العذاب النازل بهم ﴿بأنهم قالوا﴾ أي: بسبب قولهم ﴿إنما البيع مثل الربا﴾ فنظموا الربا والبيع في سلك واحد لإفضائهما إلى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا:

يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين وحق الكلام أن يقال: إنما الربا مثل البيع إلا أنه على المبالغة أي: اعتقدوه حلا حتى ظنوا أنه أصل أو قالوا: إنما البيع مثل الربا فلم لا يحل فإن الزيادة في أوله كما هي في آخره.

ـ روي ـ أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا حلّ ماله على غريمه فطالبه به يقول الغريم لصاحب الأجل زدني شيئاً في الأجل حتى أزيدك في المال فيفعلان ذلك ويقولان سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند المحل لأجل التأخير فكذبهم الله وقال: ﴿**وأحل الله البيع وحرم الربا**﴾ أي: كيف يتماثلان والبيع محلل بتحليل الله والربا محرم بتحريم الله تعالى ﴿**فمن جاءه موعظة**﴾ أي: فمن بلغه وعظ وزجر كالنهي عن الربا ﴿**من ربه فانتهى**﴾ أي: فاتعظ بلا تراخ وتبع النهي ﴿**فله ما سلف**﴾ أي: مضى من ذنبه فلا يؤاخذ به لأنه أخذ قبل نزول التحريم وجعل ملكاً له ولا يسترد منه ﴿**وأمره إلى الله**﴾ يجازيه على انتهائه إن كان عن قبول الموعظة وصدق النية. وقيل: يحكم في شأنه يوم القيامة وليس من أمره إليكم شيء فلا تطالبوه به ﴿**ومن عاد**﴾ إلى الربا مستحلاً بعد النهي كما استحل قبله ﴿**فأولئك**﴾ إشارة إلى من باعتبار المعنى ﴿**أصحاب النار**﴾ أي: ملازموها ﴿**هم فيها خالدون**﴾ ماكثون أبداً.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾

﴿**يمحق الله الربا**﴾ المحق نقصان الشيء حالاً بعد حال حتى يذهب كله كما في محاق الشهر وهو حال آخذ الربا فإن الله يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ولا ينتفع به ولده بعده ﴿**ويربي الصدقات**﴾ يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذي أخرجت منه الصدقة.

ـ روي ـ عنه ﷺ: «إن الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي أحدكم مهره» وعنه أيضاً «ما نقصت زكاة من مال قط» ﴿**والله لا يحب**﴾ أي: لا يرضى لأن الحب مختص بالتوابين ﴿**كل كفار**﴾ مصر على تحليل المحرمات ﴿**أثيم**﴾ منهمك في ارتكابها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾

﴿**إن الذين آمنوا**﴾ بالله ورسوله ﷺ وبما جاءهم به ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ أي: الطاعات ﴿**وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾ تخصيصهما بالذكر مع اندراجهما في الصالحات لإنافتهما على سائر الأعمال الصالحة ﴿**لهم أجرهم**﴾ الموعود لهم حال كونه ﴿**عند ربهم ولا خوف عليهم**﴾ من مكروه آت ﴿**ولا هم يحزنون**﴾ من محبوب فات.

واعلم أن آكل الربا لحرصه على الدنيا مثله كمثل من به جوع الكلب فيأكل ولا يشبع حتى ينتفخ بطنه ويثقل عليه فكلما يقوم يصرعه ثقل بطنه فكذا حال أهل الربا يوم القيامة، ونعم ما قيل:

توان بحلق فرو بردن استخوان درشت ولي شكم بدرد چون بكير دندار ناف

فالعاقل لا يأكل ما لا يتحمله في الدنيا والآخرة فطوبى لمن يقتصد في أخذ الدنيا ولا يحمله الحرص على أخذها بغير حقها فهو ينجو من وبالها وهو مثل التاجر الذي يكسب المال بطريق البيع والشراء ويؤدي حقه وإن كان له حرص في الطلب والجمع ولكن لما كان بأمر الشرع وطريق الحل ولا يمنع ذا الحق حقه ما أضرّ به كما أضرّ بآكل الربا.

ـ روي ـ أن النبي ﷺ نهى عن ثمن الدم وكسب البغي ولعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه والواشمة والمستوشمة والمصور قال عليه السلام: «الربا بضع وسبعون باباً أدناها كإتيان الرجل أمه» يعني كالزنى بأمه والعياذ بالله فمن سمع هذا القول العظيم فليبادر بالتوبة إلى باب المولى الكريم ذلك لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. ومن أقرض شيئاً بشرط أن يرد عليه أفضل فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا وكان لأبي حنيفة رحمه الله على رجل ألف درهم سود فرد عليه ألف درهم بيض فقال أبو حنيفة: لا أريد هذا الأبيض بدل دراهمي فأخاف أن يكون هذا البياض ربا فرده وأخذ مثل دراهمه. قال أبو بكر: لقيت أبا حنيفة على باب رجل وكان يقرع الباب ثم يتنحى ويقوم في الشمس فسألته عنه فقال: إن لي على صاحبه ديناً وقد نهى عن قرض جرّ منفعة فلا أنتفع بظل حائطه. ويقرب منه ما روي عن أبي يزيد البسطامي قدس سره من أنه اشترى من همذان حب القرطم ففضل منه شيء فلما رجع إلى بسطام رأى فيه نملتين فرجع إلى همذان ووضع النملتين فهذا هو الورع وكمال التقوى ومثل هذا لا يوجد في هذا الزمان وإن وجد فأقل من القليل وأكثر الناس ولو كانوا صوفية لا يفرقون بين الحلال والحرام والشبهات ولذا ترى أمر الدين صار مهملاً وعاد غريباً هدانا الله وإياكم إلى سواء الطريق إنه ولي التوفيق، قال جلال الدين الرومي:

اي زخودت بي وقوف لاف ترا يوف يوف

فضل نبخشد تراجبه ودستار وصوف

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ أي: قوا أنفسكم عقابه **﴿وذروا ما بقي من الربا﴾** أي: واتركوا تركاً كلياً ما بقي لكم غير مقبوض من مال الربا على من عاملتموه به **﴿إن كنتم مؤمنين﴾** على الحقيقة فإن ذلك مستلزم لامتثال ما أمرتم به البتة.

ـ روي ـ أنه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربا فنزلت **﴿فإن لم تفعلوا﴾** أي: ما أمرتم به من الاتقاء وترك البقاء إما مع إنكار حرمته وإما مع الاعتراف بها **﴿فائذنوا﴾** أي: فاعلموا من أذن بالأمر إذا أعلم به **﴿بحرب﴾** أي: بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره كائن **﴿من﴾** عند **﴿الله ورسوله﴾** وحرب الله حرب ناره أي: بعذاب من عنده وحرب رسوله نار حربه أي: القتال والفتنة فلما نزلت قالت ثقيف لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله **﴿وإن تبتم﴾** من الارتباء مع الإيمان بحرمته بعد ما سمعتموه من الوعيد **﴿فلكم رؤوس أموالكم﴾** تأخذونها كملاً **﴿لا تظلمون﴾** غرماءكم بأخذ الزيادة **﴿ولا تظلمون﴾** أنتم من قبلهم بالمطل وانتقص عن رأس المال هذا هو الحكم إذا تاب ومن لم يتب من المؤمنين وأصرّ على عمل الربا فإن لم يكن ذا شوكة عزر وحبس إلى أن يتوب وإن كان ذا شوكة حاربه الإمام كما يحارب الباغية كما حارب أبو بكر رضي الله عنه مانع الزكاة وكذا القول لو اجتمعوا على ترك الأذان أو ترك دفن الموتى.

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾

﴿وإن كان ذو عسرة﴾ أي: وإن وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة وهي بالإعدام أو كساد

المتاع ﴿**فنظرة**﴾ أي: فالحكم نظرة وهي من الإنظار والإمهال ﴿**إلى ميسرة**﴾ أي: إلى يسار ﴿**وإن تصدقوا**﴾ أي: وتصدقكم بإسقاط الدين كله عمن أعسر من الغرماء أو بالتأخير والإنظار ﴿**خير لكم**﴾ أي: أكثر ثواباً ﴿**إن كنتم تعلمون**﴾ جوابه محذوف أي: إن كنتم تعلمون أنه خير لكم عملتموه قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة» وقال ﷺ: «من أنظر معسراً أو وضع له أنجاه الله من كرب يوم القيامة» وفي القرض والإدانة فضائل كثيرة.

- روي - أن أمامة الباهلي رضي الله عنه رأى في المنام على باب الجنة مكتوباً القرض بثمانية عشر أمثاله والصدقة بعشر أمثالها فقال: ولم هذا؟ فأجيب بأن الصدقة ربما وقعت في يد غني وإن صاحب القرض لا يأتيك إلا وهو محتاج قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل من أي: أبواب الجنة شاء وزوج من حور العين كم شاء من عفا عن قاتل وقرأ دبر كل صلاة مكتوبة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] عشر مرات ومن أدان ديناً لمن يطلب منه» فقال أبو بكر الصديق أو إحداهن يا رسول الله قال: «أو إحداهن».

واعلم أن الاستدانة في أحوال ثلاث في ضعف قوته في سبيل الله وفي تكفين فقير مات عن قلة وفقر وفي نكاح يطلب به العفة عن فتنة العذوبة فيستدين متوكلاً على الله فالله تعالى يفتح أبواب أسباب القضاء قال ﷺ: «من أدان ديناً وهو ينوي قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه» وكان جماعة السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر إليه ولو قبل وقته وعن النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام: «الشهادة تكفر كل شيء إلا الدين يا محمد» ثلاثاً. فعلى العاقل أن يقضي ما عليه من الديون ويخاف من وبال سوء نيته يوم يبعثون وهذا حال من أدى الفرض فإنه يهون عليه أن يؤدي القرض. وأما المرتكب وتارك الفرائض فلا يبالي بالفرائض فكيف بالديون والإقراض ولذا قيل:

وامش مده آنكه بي نما زست ... ور خود دهنش زفاقه بازست
كو فرض خدا نمي كذارد ... از قرض تو نيز غم ندارد

وأحوال هذا الزمان مختلة كإخوانه فطوبى لمن تمسك بالقناعة في زمانه. ومن شرط المؤمن الحقيقي اتقاؤه بالله في ترك زيادات لا يحتاج إليها في أمر الدين بل تكون شاغلة له عن الترقي في مراتب الدين كما قال عليه السلام: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾

﴿**واتقوا يوماً**﴾ نصب ظرفاً تقديره واتقوا عذاب الله يوماً أو مفعولاً به كقوله: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا﴾ [المزمل: ١٧] أي: كيف تتقون هذا اليوم الذي هذا وصفه مع الكفر بالله ﴿**ترجعون فيه**﴾ على البناء للمفعول من الرجع أي: تصيرون فيه ﴿**إلى الله**﴾ لمحاسبة أعمالكم ﴿**ثم توفى كل نفس**﴾ من النفوس أي: تعطي كملاً ﴿**ما كسبت**﴾ أي: جزاء ما عملت من خير أو شر ﴿**وهم لا يظلمون**﴾ أي: لا ينقصون من ثوابهم ولا يزادون على عقابهم وهو حال من كل نفس تفيد أن المعاقبين وإن كانت عقوباتهم مؤبدة غير مظلومين في ذلك لما أنه من قبل أنفسهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه آخر آية نزلت ولقي رسول الله ربه بعدها بسبعة أو تسعة أيام أو أحد وعشرين أو أحد وثمانين يوماً أو ثلاث ساعات وقال له جبريل عليه السلام

ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة فجعلت بين آية الدين وآية الربا تأكيداً للزجر عن الربا.

ـ روي ـ أن رسول الله ﷺ ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين وكان مريضاً ثمانية عشر يوماً يعوده الناس وكان آخر ما يقول ﷺ: «الصلاة وما ملكت أيمانكم الصلاة فإنا لله وإنا إليه راجعون» قال رسول الله ﷺ: «من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها أعظم المصائب» وقال عليه السلام: «من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما الجنة» فقالت له عائشة رضي الله عنها فمن كان له فرط من أمتك قال: «أنا فرط لأمتي لن يصابوا بمثلي» قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فكانت حياته ومماته رحمة قال ﷺ: «إذا أراد الله بأمة رحمة قبض نبيها قبلها فجعله سلفاً وفرطاً لها» ورثاه ﷺ بعض الأنصار فقال:

الصبر يحمد في المواطن كلها ... إلا عليك فإنه مذموم

واعلم أن الله تعالى جمع في هذه الآية خلاصة ما أنزله في القرآن وجعلها خاتم الوحي والإنزال كما أنه جمع خلاصة ما أنزل من الكتب على الأنبياء في القرآن وجعله خاتم الكتب كما أن النبي عليه السلام خاتم الأنبياء عليهم السلام وقد جمع فيه أخلاق الأنبياء.

فاعلم أن خلاصة جميع الكتب المنزلة وفائدتها بالنسبة إلى الإنسان عائدة إلى معنيين. أحدهما نجاته من الدركات السفلى. وثانيهما فوزه بالدرجات العليا فنجاته في خروجه عن الدركات السفلى وهي سبعة الكفر والشرك والجهل والمعاصي والأخلاق المذمومة وحجب الأوصاف وحجاب النفس وفوزه في ترقيه على الدرجات العليا وهي ثمانية المعرفة لله والتوحيد لله والعلم والطاعات والأخلاق الحميدة وجذبات الحق والفناء عن أنانيته والبقاء بهويته فهذه الآية تشير إلى مجموعها إجمالاً قوله تعالى: ﴿**واتقوا**﴾ هي لفظة شاملة لما يتعلق بالسعي الإنساني من هذه المعاني لأن حقيقة التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله ومباشرة ما يقربك إليه دليله قول النبي عليه السلام: «**جماع التقوى** قول الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]» الآية فيندرج تحت التقوى على هذا المعنى الخروج عن الدرجات السفلى والترقي على الدرجات العليا. فتقوى العوام الخروج عن الكفر بالمعرفة وعن الشرك بالتوحيد وعن الجهل بالعلم وعن المعاصي بالطاعات وعن الأخلاق المذمومة بالأخلاق المحمودة وهٰهنا ينتهي سير العوام لأن نهاية كسب الإنسان وغاية جهد المجتهدين في إقامة شرائط جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا. فمن هٰهنا تقوى الخواص المجذوبين بجذبات لنهديهم سبلنا فتخرجهم الجذبة من حجب أوصافهم إلى درجة تجلي صفات الحق فهٰهنا ينقضي سلوك الخواص فيستظلون بظل سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فينتفعون من مواهب إذ يغشى السدرة ما يغشى. وأما تقوى خواص الخواص فبجذبة رفرف العناية بجذب ما زاغ البصر وما طغى من سدرة منتهى الأوصاف إلى قاب قوسين نهاية حجب النفس وبداية أنوار القدس فهناك من عرف نفسه فقد عرف ربه فبالتقوى الحقيقية يجد الإيمان الحقيقي فمعنى ﴿**واتقوا**﴾ جاهدوا فينا بجهدكم وطاقتكم ﴿**يوماً**﴾ يعني ليوم فيه لنهدينكم بجذبات العناية ﴿**ترجعون إلى الله**﴾ أشار بلفظ الرجوع إليه ليعلم أن الشروع كان منه هدانا الله وإياكم إلى مقام الجمع واليقين وشرفنا بلطائف التحقيق والتمكين إنه نصير ومعين يصيب برحمته من يشاء من عباده الصالحين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ
بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ
ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ
هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ
مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا
دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ
وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا
تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين﴾ أي: إذا داين بعضكم بعضاً وعامله نسيئة معطياً أو آخذاً كما تقول بايعته إذا بعته أو باعك وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة والتنبيه على تنوعه إلى الحال والمؤجل وأنه الباعث على الكتب وتعيين المرجع للضمير المنصوب المتصل بالأمر وهو فاكتبوه **﴿إلى أجل﴾** متعلق بتداينتم **﴿مسمى﴾** بالأيام أو الأشهر أو السنة وغيرها مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد والدياس وقدوم الحاج مما لا يرفعها **﴿فاكتبوه﴾** أي: الدين بأجله لأنه أوثق وأدفع للنزاع والجمهور على استحبابه **﴿وليكتب بينكم كاتب﴾** بيان لكيفية الكتابة المأمور بها وتعيين لمن يتولاها إثر الأمر بها إجمالاً وقوله بينكم للإيذان بأن الكاتب ينبغي أن يتوسط بين المتداينين ويكتب كلامهما ولا يكتفي بكلام أحدهما **﴿بالعدل﴾** أي: كاتب كائن بالعدل أي: وليكن المتصدي للكتابة من شأنه أن يكتب بالتسوية من غير ميل إلى أحد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو أمر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين يجيء كتابه موثقاً به معدلاً بالشرع **﴿ولا يأب كاتب﴾** أي: لا يمتنع أحد من الكتاب **﴿أن يكتب﴾** كتاب الدين **﴿كما علمه الله﴾** على طريقة ما علمه الله من كتب الوثائق **﴿فليكتب﴾** تلك الكتابة المعلمة أمر بها بعد النهي عن إبائها تأكيداً لها **﴿وليملل الذي عليه الحق﴾** الإملال هو الإملاء وهو إلقاء المعنى على الكاتب للكتابة أي: ليكن المملل أي مورد المعنى على الكاتب من عليه الحق أي: الدين لأنه المشهود عليه فلا بد أن يكون هو المقر **﴿وليتق الله ربه﴾** جمع بين الاسم الجليل والنعت الجميل للمبالغة في التحذير أي: وليتق المملي دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى: **﴿ولا يبخس منه﴾ أي**: من الحق الذي يمليه على الكاتب **﴿شيئاً﴾** فإنه هو الذي يتوقع منه البخس خاصة. **وأما الكاتب** فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس وإنما شدد في تكليف المملي حيث جمع فيه بين الأمر بالاتقاء والنهي عن البخس لما فيه من الدواعي إلى المنهي عنه فإن الإنسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف ما في ذمته **﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً﴾** ناقص العقل مبذراً مجازفاً **﴿أو ضعيفاً﴾** صبياً أو شيخاً مختلاً **﴿أو لا يستطيع أن يمل هو﴾** أي: غير مستطيع للإملاء بنفسه لخرس أو عيّ أو جهل أو غير ذلك من العوارض **﴿فليملل وليه﴾** أي: الذي يلي أمره ويقوم مقامه من قيم أو وكيل أو مترجم **﴿بالعدل﴾** أي: من غير نقص ولا زيادة **﴿واستشهدوا شهيدين﴾** أي: اطلبوهما ليتحملا الشهادة على ما جرى بينكما من المداينة وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف منزلة الكائن **﴿من**

رجالكم﴾ متعلق باستشهدوا أي: من أهل دينكم يعني من الأحرار البالغين المسلمين إذ الكلام في معاملاتهم فإن خطابات الشرع لا تنتظم العبيد بطريق العبارة وأما إذا كانت المداينة بين الكفرة أو كان من عليه الحق كافراً فيجوز استشهاد الكافر عندنا **﴿فإن لم يكونا﴾** أي: الشهيدان جميعاً على طريقة نفي الشمول لا شمول النفي **﴿رجلين﴾** أما لإعوازهما أو لسبب آخر من الأسباب **﴿فرجل وامرأتان﴾** أي: فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال في الأموال جائزة بالإجماع دون الحدود والقصاص فلا بد فيهما من الرجال **﴿ممن ترضون﴾** متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان أي: كائنون مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره في كل شهيد لقلة اتصاف النساء به **﴿من الشهداء﴾** متعلق بمحذوف وقع حالاً من الضمير المحذوف الراجع إلى الموصول أي: ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم وثقتكم بهم وإدراج النساء في الشهداء بطريق التغليب **﴿أن تضل إحداهما﴾** أي: إحدى المرأتين الشاهدتين **﴿فتذكر إحداهما الأخرى﴾** وهذا تعليل لاعتبار العدد في النساء والعلة في الحقيقة هي التذكير ولكن الضلال لما كان سبباً له نزل منزلته كما في قولك أعددت السلاح أن يجيء عدو فأدفعه فالإعداد للدفع لا لمجيء العدو لكن قدم عليه المجيء لأنه سببه كأنه قيل لأجل أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت الشهادة بأن نسيت ثم حثّ الشهداء على إقامة الشهادة بقوله: **﴿ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا﴾** لأداء الشهادة أو لتحملها وما مزيدة **﴿ولا تسأموا﴾** أي: لا تملوا من كثرة مدايناتكم **﴿أن تكتبوه﴾** أي: من أن تكتبوا الدين أو الحق أو الكتاب **﴿صغيراً أو كبيراً﴾** حال من الضمير أي: حال كونه صغيراً أو كبيراً أي: قليلاً أو كثيراً أو مجملاً أو مفصلاً **﴿إلى أجله﴾** متعلق بمحذوف وقع حالاً من الهاء في تكتبوه أي: مستقراً في الذمة إلى وقت حلوله الذي أقر به المديون **﴿ذلكم﴾** أي: كتب الحق إلى أجله أيها المؤمنون **﴿أقسط﴾** أي: أعدل **﴿عند الله﴾** أي: في حكمه تعالى **﴿وأقوم للشهادة﴾** أي: أثبت لها وأعون على إقامتها **﴿وأدنى أن لا ترتابوا﴾** أي: أقرب إلى انتفاء ريبكم في جنس الدين وقدره وأجله وشهوده ونحو ذلك **﴿إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم﴾** استثناء منقطع من الأمر بالكتابة أي: لكن وقت كون تداينكم أو تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم بتعاطيها يداً بيد **﴿فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها﴾** أي: فلا بأس بأن لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان **﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾** أي: هذا التبايع أو مطلقاً لأنه أحوط. والأوامر الواردة في الآية الكريمة للندب عند الجمهور **﴿ولا يضار﴾** يحتمل البناء على الفاعل وعلى المفعول فعلى الأول نهي للكاتب عن ترك الإجابة إلى ما يطلب منه وعن التحريف والزيادة والنقصان أي: لا يمتنع **﴿كاتب﴾** عن الكتابة المقصودة **﴿ولا شهيد﴾** أي: ولا يمتنع الشاهد عن إقامة الشهادة المعلومة وعلى الثاني النهي عن الضرار بالكاتب والشاهد أي: لا يوصل أحد مضرة للكاتب والشهيد إذا كانا مشغولين بما يهمهما ويوجد غيرهما فلا يضاران بإبطال شغلهما وقد يكون إضرار الكاتب والشهيد بأن لا يعطى حقهما من الجعل فيكون النهي عن ذلك **﴿وإن تفعلوا﴾** ما نهيتم عنه من الضرار **﴿فإنه﴾** أي: فعلكم ذلك **﴿فسوق بكم﴾** أي: خروج عن الطاعة ملتبس بكم **﴿واتقوا الله﴾** في مخالفة أوامره ونواهيه التي من جملتها نهيه عن المضارة **﴿ويعلمكم الله﴾** أحكامه المتضمنة لمصالحكم **﴿والله بكل شيء عليم﴾** فلا يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك. ثم هذه الآية أطول آية في القرآن وأبسطها

شرحاً وأبينها وأبلغها وجوهاً يعلم بذلك أن مراعاة حقوق الخلق واجبة والاحتياط على الأموال التي بها أمور الدين والدنيا لازم فمن سعى بالحق فقد نجا وإلا فقد غوى:

كسي راكه سعي قدم بيشتر بدركاه حق منزلش پيشتر

والله تعالى من كمال رحمته على عباده علمهم كيفية معاملاتهم فيما بينهم لئلا يجري من بعضهم على بعض حيف ولئلا يتخاصموا ويتنازعوا فيحقد بعضهم على بعض فأمر بتحصين الحقوق بالكتابة والإشهاد وأمر الشهود بالتحمل ثم بالإقامة وأمر الكاتب أن يكتب كما علمه الله بالعدل وراعى في ذلك دقائق كثيرة كما ذكرها، فيشير بهذه المعاني إلى ثلاثة أحوال:

أولها: حال الله تعالى مع عباده فيظهر من آثار ألطافه معهم أنه تعالى كيف يرفق بهم ويعلمهم كيفية معاملاتهم الدنيوية حتى لا يكونوا في خسران من أمر دنياهم ولا يكون فيما بينهم عداوة وخصومة تؤدي إلى تنغيص عيشهم في الدنيا وعقوبة في الآخرة فيستدلوا بها على أن تكاليف الشرع التي أمروا بها أيضاً من كمال مرحمته استعملهم بها ليفيض بها عليهم سجال نعمه كقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦] الآية.

وثانيها: حال العباد مع الله ليعلموا برعاية هذه الدقائق للأمور الدنيوية الفانية أن للأمور الأخروية الباقية فيما بينهم وبين الله أيضاً دقائق كثيرة والعباد بها محاسبون وعلى مثقال ذرة من خيرها مثابون وعلى مثقال ذرة من شرها معاقبون وأنها بالرعاية أولى وأحرى من أمور الدنيا وأن الله تعالى كما أمر العباد أن يكتبوا كتاب المبايعة فيما بينهم ويستشهدوا عليهم العدول قد كتب كتاب مبايعة جرت بينه وبين عباده في الميثاق فإن الله تعالى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وعلى هذا عاهدهم وأشهد الملائكة الكرام عليه ثم رقم في الكتاب أن ياقوتة من الجنة وديعة وهي الحجر الأسود.

وثالثها: حال العباد فيما بينهم فليعتبر كل واحد منهم من ملاطفات الحق معهم وليتخلق بأخلاق الحق في مخالقتهم وليتوسل إلى الله بحسن مرافقتهم وليحفظ حدود الله في مخالفتهم وموافقتهم وليتمسك بعروة محبتهم في الله وجذبتهم لله ونصحهم بالله ليحرز في رفقتهم صراطاً مستقيماً ويفوز من زمرتهم فوزاً عظيماً ففي جميع الأحوال كونوا مع الله كما قال: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ أي: اتقوا في الأحوال الثلاثة كما يعلمكم الله بالعبارات والإشارات ﴿والله بكل شيء﴾ تعملونه في جميع الأحوال من الأقوال والأفعال ﴿عليم﴾ يعلم مضمون ضمائركم ومكنون سرائركم فيجازيكم على حسن معاملتكم بقدر خلوصكم وصفاء نياتكم وصدق طوياتكم فطوبى لمن صفى قلبه عن سفساف الأخلاق وعزم إلى عالم السر والإطلاق وأحسن المعاملة مع الله في جميع الحالات ووصل إلى الدرجات العاليات:

حقائق سرايست آراسته هوا وهوس كرد برخاسته
نه بيني كه جايي كه برخاست كرد نه بيند نظر كرچه بيناست مرد

يعني أن عالم الغيب كالبيت المزين والهوى كالنقع المثار فما دام لم يترك المرء هواه لا يرى ما يهواه فإن الحجاب إذا توسط بين الرائي والمرئي يمنع من الرؤية فارفع الموانع من البين وتشرف بوصول العين.

﴿۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾

﴿وإن كنتم على سفر﴾ أي: مسافرين أي: متوجهين إليه ومقبلين ﴿ولم تجدوا كاتباً﴾ في المداينة بأن لا يحسن الكتابة أو لا توجد الصحيفة أو الدواة والقلم ولم يتعرض لحال الشاهد لما أنه في حكم الكاتب توثقاً وإعوازاً ﴿فرهان﴾ جمع رهن أي: فالتوثق رهن ﴿مقبوضة﴾ أي: مسلمة إلى المرتهن ولا بد من القبض حتى لو رهن ولم يسلم لا يجبر الراهن على التسليم وإنما شرط السفر في الارتهان مع أن الارتهان لا يختص به سفر دون حضر لأن السفر لما كان مظنة عدم الكتب بإعواز الكاتب والشاهد أمر بالارتهان ليقوم مقامهما تأكيداً وتوثيقاً لحفظ المال فالكلام خرج على الأعم الأغلب لا على سبيل الشرط وقد رهن رسول الله ﷺ درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعاً من شعير وأخذه لأهله ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً﴾ أي: بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به واستغنى بأمانته عن الارتهان فلم يطلب منه الرهن ﴿فليؤد الذي اؤتمن﴾ وهو المديون والائتمان الوثوق بأمانة الرجل وإنما عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقاً للإعلام ولحمله على الأداء ﴿أمانته﴾ أي: فليقض المطلوب الأمين ما في ذمته من الدين من غير رهن منه وسمي الدين أمانة لتعلقه بالذمة كتعلق الأمانة ﴿وليتق الله ربه﴾ في رعاية حقوق الأمانة وأداء الدين من غير مطل ﴿ولا تكتموا الشهادة﴾ أيها الشهود إذا دعيتم إلى الحاكم لأدائها على وجهها ﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾ فاعل آثم كأنه قيل فإنه يأثم قلبه. فإن قلت: هلا اقتصر على قوله فإنه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده. قلت: كتمان الشهادة هو أن يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان الإثم مقترفاً بالقلب أسند إليه لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ ألا تراك تقول: إذا أردت التوحيد هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني ومما عرفه قلبي ولأن القلب هو رأس الأعراض والمضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الإثم في أصل نفسه وملك أشرف مكان منه ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم أن القلب أصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولأن أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح وهي لها كالأصول التي تتشعب منها ألا ترى أن أصل الحسنات والسيئات الإيمان والكفر وهما من أفعال القلوب فإذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما أكبر الكبائر الإشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة ﴿والله بما تعملون عليم﴾ فيجازيكم به إن خيراً فخير وإن شراً فشر وكتمان الشهادة وشهادة الزور من الأعمال التي تجر صاحبها إلى النار فإنهما من علامات سنخ القلب قال تعالى: ﴿فإنه آثم قلبه﴾ والمراد سنخ القلب ونعوذ بالله من ذلك وهما أسهل وقوعاً بين الناس والحوامل عليهما كثيرة كالعداوة وغيرها.

واعلم أن أهل الدين طائفتان الواقفون، والسائرون. فالواقف من لزم عتبة الصورة ولم يفتح له باب إلى عالم المعنى فهو كالفرخ المحبوس في قشر البيضة فيكون مشربه من عالم

المعاملات البدنية فلا سبيل له إلى عالم القلب ومعاملاته فهو محبوس في سجن الجسد وعليه موكلان من الكرام الكاتبين يكتبان عليه أعماله الظاهرة بالنقير والقطمير. والسائر من لم يقم ولم ينزل في منزل فهو مسافر من عالم الصورة إلى عالم المعنى ومن مضيق الأجساد إلى متسع الأرواح وهم صنفان: صنف سيار وصنف طيار. فالسيار من يسير بقدم الشرع والعقل على جادة الطريقة. والطيار من يطير بجناحي العشق والهمة في قضاء الحقيقة وفي رجله جلجلة الشريعة فالإشارة في قوله: ﴿**وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً**﴾ إلى السيار الذي تخلص من سجن الجسد وقيد الحواس وزحمة التوكل فلم يجد له كاتباً يكتب عليه كما قال بعضهم ما كتب على صاحب الشمال منذ عشرين سنة وقال بعضهم كاشف لي صاحب اليمين وقال لي أمل عليّ شيئاً من معاملات قلبك لأكتبه فإني أريد أن أتقرب به إلى الله قال فقلت له: حسبك الفرائض فالحبس والقيد والتوكيل لمن لم يؤد حق صاحب الحق أو يكون هارباً منه فيحبس ويقيد ويوكل عليه فأما الذي آناء الليل وأطراف النهار يغدو ويروح في طلب غريمه وما برح في جريمه فلا يحتاج إلى التوكيل والتقييد فقوله: ﴿**ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة**﴾ إشارة إلى اليسار الذي له قلب فيرهنه عند الله تعالى فالرهان هي القلوب التي ليس فيها غير الله المقبوضة بين أصبعين من أصابع الرحمٰن فأما الطيار الذي هو عاشق مفقود القلب مسلوب العقل مجذوب السير فلا يطالب بالرهن فإنه مبطوش ببطشه الشديد:

مستهام ضاق مذهبه ... في هوى من عز مطلبه
كل أمر في الهوى عجب ... وخلاصي منه أعجبه

فلم يوجد في السموات والأرض ولا في الدنيا والآخرة أمين يؤتمن لحمل أعباء أمانته إلا العاشق المسكين.

﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾

﴿**لله ما في السموات وما في الأرض**﴾ من الأمور الداخلة في حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من أولي العلم وغيره أي: كلها له تعالى خلقاً وملكاً وتصرفاً لا شركة لغيره في شيء منها بوجه من الوجوه فلا تعبدوا أحداً سواه ولا تعصوه فيما يأمركم وينهاكم ﴿**وإن تبدوا**﴾ أي: تظهروا ﴿**ما في أنفسكم**﴾ أي: في قلوبكم من السوء والعزم عليه وذلك بالقول أو بالفعل ﴿**أو تخفوه**﴾ أي: تكتموه عن الناس ولا تظهروه بأحد الوجهين ككتمان الشهادة وموالاة المشركين وغيرهما من المناهي ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه البشر من الوساوس وأحاديث النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها إذ التكليف بحسب الوسع ودفع ذلك مما ليس في وسعه ﴿**يحاسبكم به الله**﴾ أي: يجازيكم به يوم القيامة وهو حجة على منكري الحساب من المعتزلة والروافض ﴿**فيغفر**﴾ أي: فهو يغفر بفضله ﴿**لمن يشاء**﴾ أن يغفر له وإن كان ذنبه كبيراً ﴿**ويعذب**﴾ بعدله ﴿**من يشاء**﴾ أن يعذبه وإن كان ذنبه حقيراً حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ويعذب الكفار لا محالة لأنه لا يغفر الشرك وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه ﴿**والله على كل شيء قدير**﴾ فكمال قدرته تعالى على جميع الأشياء موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب. قال في

«التيسير» دل ظاهر قوله أو تخفوه على المؤاخذة بما يكون من القلب وجملته إن عزم الكفر كفر وحضرة الذنوب من غير عزم مغفورة وعزم الذنوب إذا ندم عليه ورجع عنه واستغفر منه مغفور فأما الهمّ بالسيئة ثم يمتنع عنه بمانع لا باختياره وهو ثابت على ذلك فإنه لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله يعني بالعزم على الزنى لا يعاقب عقوبة الزنى وهل يعاقب على الخاطر عقوبة عزم الزنى قيل: هو معفو لقوله ﷺ: «إن الله عفا لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم يعمل أو يتكلم» وأكثرهم على أن الحديث في الحضرة دون العزمة وأن المؤاخذة في العزمة ثابتة وكذا قال الإمام أبو منصور رحمه الله انتهى ما في «التيسير». وربما يكون للإنسان شركة في الإثم مثل القتل والزنى وغيرهما إذا رضي به من عامله واشتد حرصه على فعله وفي الحديث «من حضر معصية فكرهها فكأنما غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن حضرها» وفي حديث آخر «من أحب قوماً على أعمالهم حشر في زمرتهم» أي: جماعتهم «وحوسب يوم القيامة بحسابهم وإن لم يعمل بأعمالهم» فعلى العاقل أن يرفع عن قلبه الخواطر الفاسدة ولا يجالس الجماعة الفاسقة كيلا يحشر في زمرتهم:

كر نشيند فرشته باديو وحشت آموزد وخيانت وريو
ازبدان نيكويي نياموزي نه كند كرك پوستين دوزي

والإشارة في الآية أن الله يطالب العباد بالاستدامة المراقبة واستصحاب المحاسبة لئلا يغفلوا عن حفظ حركات الظاهر وضبط خطرات الباطن فيقعوا في آفة ترك أدب من آداب العبودية فيهلكوا بسطوات الألوهية.

واعلم أن الإنسان مركب من عالمي الأمر والخلق فله روح نوراني من عالم الأمر وهو الملكوت الأعلى وله نفس ظلمانية سفلية من عالم الخلق ولكل واحدة منهما ميل إلى عالمها فقصد الروح إلى جوار رب العالمين وقربه وقصد النفس إلى أسفل السافلين وغاية البعد عن الحق فبعث النبي ﷺ ليزكي النفوس عن ظلمة أوصافها لتستحق بها جوار رب العالمين لتزكيتها في إخفاء ظلمة أوصافها بإبداء أنوار أخلاق الروح عليها في تحليتها بها فهذا مقام الأولياء مع الله يخرجهم من الظلمات إلى النور وبعث الشيطان إلى أوليائه وهم أعداء الله ليخرج أرواحهم من النور الروحاني إلى الظلمات النفسانية بإخفاء أنواع أخلاقها في إبداء ظلمات أخلاق النفس عليها لتستحق بها دركة أسفل السافلين. فمعنى الآية في التحقيق ﴿**إن تبدوا ما في أنفسكم**﴾ مودع من ظلمات الأوصاف النفسانية في الظاهر بمخالفات الشريعة وفي الباطن بموافقات الطبيعة ﴿**أو تخفوه**﴾ بتصرفات الطريقة في موافقات الشريعة ومخالفات الطبيعة ﴿**يحاسبكم به الله**﴾ بطهارة النفس لقبول أنوار الروح وأخلاقه أو بتلوث الروح لقبول ظلمات النفس وأخلاقها ﴿**فيغفر لمن يشاء**﴾ فينور نفسه بأنوار الروح وروحه بأنوار الحق ﴿**ويعذب من يشاء**﴾ فيعاقب نفسه بنار دركات السعير وروحه بنار فرقة العلي الكبير ﴿**والله على كل شيء**﴾ من إظهار اللطف والقهر على تركيب عالمي الخلف والأمر ﴿**قدير**﴾ كذا في «تأويلات الكامل نجم الدين دايه» قدس سره.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾

﴿آمن الرسول﴾ أي: صدق النبي عليه السلام ﴿بما أنزل﴾ أي: بكل ما أنزل ﴿إليه من ربه﴾ من آيات القرآن إيماناً تفصيلياً متعلقاً بجميع ما فيه من الشرائع والأحكام والقصص والمواعظ وأحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث أنه منزل منه تعالى. والإيمان بحقيقة أحكامه وصدق أخباره ونحو ذلك من فروع الإيمان به من الحيثية المذكورة ولم يرد به حدوث الإيمان فيه بعد أن لم يكن كذلك لأنه كان مؤمناً بالله وبوحدانيته قبل الرسالة منه ولا يجوز أن يوصف بغير ذلك لكن أراد به الإيمان بالقرآن فإنه قبل إنزال القرآن إليه لم يكن عليه الإيمان به وهو معنى قوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢] أي: ولا الإيمان بالكتاب فإنه قال: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [القصص: ٨٦] ﴿والمؤمنون﴾ أي: الفريق المعروف بهذا الاسم وهو مبتدأ ﴿كل﴾ مبتدأ ثان ﴿آمن﴾ خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول والرابط بينهما الضمير الذي ناب منابه التنوين وتوحيد الضمير في آمن مع رجوعه إلى كل المؤمنين لما أن المراد بيان إيمان كل فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع وتغيير سبك النظم عما قبله لتأكيد الإشعار بما بين إيمانه ﷺ المبني على المشاهدة والعيان وبين إيمانهم الناشىء عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلي كأنهما متخالفان من كل وجه حتى في الهيئة الدالة عليهما أي: كل منهم آمن ﴿بالله﴾ وحده من غير شريك له في الألوهية والمعبودية هذا إيمان إثبات وتوحيد ﴿وملائكته﴾ أي: من حيث أنهم عباد مكرمون له تعالى من شأنهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بإنزال الكتب وإلقاء الوحي وهذا إيمان تصديق أنهما من عند الله وتحليل ما أحله وتحريم ما حرمه ﴿وكتبه ورسله﴾ أي: من الحيثية المذكورة، هذا إيمان اتباع وإطاعة ولم يذكر الإيمان باليوم الآخر لاندراجه في الإيمان بكتبه. وهذا على تقدير أن يوقف على قوله تعالى من ربه ويجعل والمؤمنون كلاماً ابتدائياً واختاره أبو السعود العمادي. ويجوز أن يكون قوله والمؤمنون معطوفاً على الرسول فيوقف عليه والضمير الذي عوض عنه التنوين راجع إلى المعطوفين معاً كأنه قيل: آمن الرسول والمؤمنون بما أنزل إليه من ربه ثم فصل ذلك. وقيل: كل واحد من الرسول والمؤمنون آمن بالله خلا أنه قدم المؤمن به على المعطوف اعتناء بشأنه وإيذاناً بأصالته ﷺ في الإيمان به واختار الكواشي هذا الوجه حيث قال والاختيار الوقف على المؤمنون وهو حسن ليكون المؤمنون داخلين فيما دخل النبي ﷺ فيه أي: الإيمان ﴿لا نفرق﴾ أي: يقول الرسول والمؤمنون لا نميز ﴿بين أحد من رسله﴾ بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما قال اليهود والنصارى. وأحد هٰهنا بمعنى الجمع أي: الآحاد فلذلك أضيف إليه بين لأنه لا يضاف إلا إلى المتعدد والأحد وضع لنفي ما يذكر معه من العدد والواحد اسم لمفتتح العدد والواحد الذي لا نظير له والوحيد الذي لا نصير له ﴿وقالوا﴾ عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار المعنى وهو حكاية لامتثالهم الأوامر أثر حكاية إيمانهم ﴿سمعنا﴾ أي: فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقناً بصحته ﴿وأطعنا﴾ ما فيه من الأوامر والنواهي. قيل: لما نزلت هذه الآية قال جبرائيل عليه السلام للرسول ﷺ: إن الله قد أثنى عليك وعلى أمتك فسل تعط فقال الرسول عليه السلام: ﴿غفرانك ربنا﴾ أي: اغفر لنا غفرانك كما قال ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤] أي: فاضربوا أو نسألك غفرانك ذنوبنا المتقدمة أو ما لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة حقوقك وهذا الوجه أولى لئلا يتكرر الدعاء بقوله في آخر السورة واغفر لنا وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما أن تقديم الوسيلة على المسؤول أدعى إلى الإجابة

والقبول ﴿وإليك المصير﴾ أي: الرجوع بالموت والبعث لا إلى غيرك.

قال القاشاني: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾ أي: صدقه بقبوله والتخلق به كما قالت عائشة رضي الله عنها: كان خلقه القرآن ومجرد قراءة القرآن بغير عمل لا يفيد. قال في «تفسير الحنفي» مثاله: إن السلطان إذا وهب لأحد من مماليكه إمارة وأعطاه رياسة أو نيابة وكتب له توقيعاً أن يطيعه أهل البلد كلها فإذا جاء إلى البلد وقعد على المملكة وأطاعه الخلق ثم إن السلطان كتب له كتاباً وأمر له فيه أن يبني له قصراً أو داراً واسعة حتى لو حضر السلطان وجاء إلى تلك المدينة ينزل في تلك الدار أو القصر فوصل الكتاب إليه وهو لا يبني ما أمر به في الكتاب لكنه يقرأه كل يوم فلو حضر السلطان ولم يجد ما أمره به حاضراً هل يستحق ذلك الأمير خلعة من السلطان أو ثناء أو لا بل ظاهره أنه يستحق الضرب والشتم والحبس وكذلك القرآن إنما هو مثل هو ذلك المنشور قد أمر الله فيه لعبيده أن يعمروا أركان الدين كما قال لداود عليه السلام: [فرغ إلي بيتاً أسكنه] وبين لهم بما يكون عمارة الدين فقال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النور: ٥٦] ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] فصارت قراءة القرآن كقراءة منشور السلطان ولا تحصل الجنة بمجرد القرآن لأنه قال: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ٢٤]، كما قيل:

«مراد از نزول قرآن تحصيل سيرت خوبست نه ترتيل سورة مكتوب بتجويد»

ثم في قوله: ﴿غفرانك ربنا﴾ إشارة إلى أن من نتائج الإيمان وآثار العبودية أن يرى العبد نفسه أهلاً لكل شر ومولاه أهلاً لكل خير فينسب كل ما يستحسنه لسيده مستعملاً حسن الأدب معه في كل أوقاته وذلك بأن يحمده على ما دق وجل ويستغفره من تفسيره في شكره له عليه ويتبرأ من حوله وقوته له في ذلك كله وبحسب هذا يكون شعاره الحمد لله استغفر الله لا حول ولا قوة إلا بالله في جميع أوقاته وهو الذكر المنجي من عذاب الله في الدنيا والآخرة المقرب للفتح لمن لازمه.

واعلم أنك لا تصل إلى التحقيق إلا بمراقبة الأوقات بأحكامها من التوبة والاستغفار عند العصيان وشهود المنّة في الطاعة ووجود الرضى في النية ووجود الشكر في النعمة ولن تصل إلى ذلك إلا بتعلق قلبك بصلاح قلبك واتهام نفسك حتى في خروج نفسك وتصل إلى هذا بأحد أربعة أوجه: نور يقذفه الله في قلبك بلا واسطة، أو علم متسع في عقل كامل، أو فكرة سالمة من الشواغل، أو صحبة شيخ أو أخ هذه حاله. وقد قال الشيخ أبو مدين قدس سره: الشيخ من هذبك بأخلاقه وأدبك بإطراقه وأنار باطنك بإشراقه، الشيخ من جمعك في حضوره وحفظك في مغيبه فاعمل أيها العبد على تخليص نفسك من عالم جسمك حتى تخرج عن دائرة رسمك وتصل إلى تحقيق فهمك وعلمك:

از هشتي خويش تاتوغافل مشوي | هركز بمراد خويش واصل نشوي
از بحر ظهور تا بساحل نشوي | در مذهب أهل عشق كامل نشوي

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ إخبار من الله تعالى وليس من كلام المؤمنين.

- روي - أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ الآية اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم فأتوه عليه السلام ثم بركوا على الركب فقالوا: أي: رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والحج والجهاد وقد أنزل إليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا» قالوا: بل سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فقرأها القوم فأنزل الله تعالى ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾ إلى قوله تعالى: ﴿غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ فمسؤولهم الغفران المعلق بمشيئته تعالى في قوله تعالى: ﴿فيغفر لمن يشاء﴾ ثم أنزل الله تعالى ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ تهويناً للخطب عليهم ببيان أن المراد بما في أنفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يعم الخواطر التي لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف إلزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه أي: سنته أن لا يكلف نفساً من النفوس إلا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود فضلاً منه تعالى ورحمة لهذه الأمة كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه. أما الأول فلأنه لو كان وقع لزم الكذب في كلامه تعالى تعالى عن ذلك علواً كبيراً. وأما الثاني فلأنه تعالى نفي مطلقاً ولا يلزم منه نفي مقيد الذي هو الامتناع لأن العام من حيث هو عام لا يدل على الخاص بوجه من الدلالات ﴿لها﴾ أي: للنفس ثواب ﴿ما كسبت﴾ من الخير الذي كلفت فعله لا لغيرها استقلالاً أو اشتراكاً ضرورة شمول كلمة ما لكل جزء من أجزاء مكسوبها ﴿وعليها﴾ لا على غيرها بأحد الطريقين المذكورين عقاب ﴿ما اكتسبت﴾ من الشر الذي كلفت تركه وإيراد الاكتساب في جانب الشر لأن الشر فيه اعتمال أي: اجتهاد في العمل فإنه لما كان مشتهى النفس كان فيه جد وسعي بخلاف الخير وصيغة الافتعال للتكلّف ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ شروع في حكاية بقية دعواتهم إثر بيان سر التكليف أي: يقولون ربنا لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الأمور المؤدية إلى النسيان أو الخطأ من تفريط وقلة مبالاة ونحوهما مما يدخل تحت التكليف ودل هذا على جواز المؤاخذة في النسيان والخطأ فإن التحرز عنهما في الجملة ممكن ولولا جواز المؤاخذة في النسيان والخطأ لم يكن للسؤال معنى وخفف الله عن هذه الأمة فرفع عنها المؤاخذة وقال النبي ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» فدل أنهم مخصوصون بهما وأمم السالفة كانوا مؤاخذين فيهما ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً﴾ عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لإبراز مزيد الضراعة. والإصر العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه أي: يحبسه مكانه والمراد به التكاليف الشاقة ﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾ أي: حملاً مثل حملك إياه على من قبلنا وهو ما كلفه بنو إسرائيل من قتل النفس في توبة وقطع الأعضاء الخاطئة وقطع موضع النجاسة وعدم التطهير بغير الماء وخمسين صلاة في يوم وليلة وعدم جواز صلاتهم في غير المسجد وحرمة أكل الصائم بعد النوم ومنع بعض الطيبات عنهم بالذنوب وكون الزكاة ربع مالهم وكتابة ذنب الليل على الباب بالصبح وغير ذلك من التشديدات وقد عصم الله عز وجل ورحم هذه الأمة من أمثال ذلك وأنزل في شأنهم ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وقال ﷺ: «بعثت بالحنيفة السهلة السمحة»

وعن العقوبات التي عوقب بها الأولون من المسخ والخسف وغير ذلك قال ﷺ: «رفع عن أمتي الخسف والمسخ والغرق» ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ عطف على ما قبله واستعفاء من العقوبات التي لا تطاق بعد الاستعفاء مما يؤدي إليها من التكاليف الشاقة التي لا يكاد من كلفها يخلو عن التفريط فيها كأنه قيل: لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا في المحافظة عليها فيكون التعبير عن إنزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدي إليها. قال في «التيسير» أي: لا تكلفنا ما يشق علينا الدوام عليه ولم يرد به عدم الطاقة أصلاً فإنه لا يكون فلا يسأل ﴿واعف عنا﴾ أي: آثار ذنوبنا ﴿واغفر لنا﴾ واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤوس الأشهاد. قال في «التيسير» وليس بتكرار. فإن الأول تركه حتى لا يؤاخذ به ومحوه حتى لا يبقى. والثاني ستره حتى لا يظهر وقد يتجاوز عن الشيء فلا يؤاخذ بجزائه لكن يذكر ذلك ويظهر والمؤمنون أمروا أن يسألوا التجاوز عنها وإخفاءها حتى لا يظهر حالهم لأحد فلا يفتضحوا به ﴿وارحمنا﴾ وتعطف بنا وتفضّل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما أن التخلية سابقة على التحلية ﴿أنت مولانا﴾ سيدنا ونحن عبيدك أو ناصرنا أو متولي أمورنا ﴿فانصرنا على القوم الكافرين﴾ أي: أعنّا عليهم وادفع عنا شرهم فإن من حق المولى أن ينصر عبيده ومن يتولى أمره على الأعداء والنصرة على الكفار تكون بالظفر وتكون بالحجة وتكون بالدفع وهو سؤال العصمة من الشياطين أيضاً لأنهم منهم.

ـ روي ـ أنه لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال إذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال فأعطى رسول الله عليه السلام ثلاثاً أعطى الصلوات الخمس وأعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من أمته قال ﷺ في خبر المعراج: «قربني الله وأدناني إلى سند العرش ثم ألهمني الله أن قلت آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله كما فرقت اليهود والنصارى قال: فما قالوا؟ قلت: قالوا سمعنا وعصينا والمؤمنون قالوا سمعنا وأطعنا فقال: صدقت فسل تعط فقلت: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ قال: قد رفعت عنك وعن أمتك الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فقلت: ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا يعني اليهود قال لك ذلك ولأمتك قلت: ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال: قد فعلت قلت: واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت». وعنه ﷺ «أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمٰن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي عام من قرأهما بعد العشاء الأخيرة أجزأتاه عن قيام الليل». وعنه ﷺ «من قرأ آيتين من آخر سورة البقرة كفتاه» أي: عن قيام الليل أو عن حساب يوم القيامة وهو حجة على من استكره أن يقول سورة البقرة وقال ينبغي أن يقال السورة التي تذكر فيها البقرة كما قال ﷺ: «السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن» أي: مصره الجامع «فتعلموها فإن تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة» قيل: وما البطلة قال عليه السلام: «السحرة» أي: لا تستطيع البطلة أن تسحر قارئها «ولا تقرأ في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان» وكان معاذ إذا ختم سورة البقرة يقول آمين.

عن أبي الأسلم الديلمي قلت لمعاذ بن جبل: أخبرني عن قصة الشيطان حين أخذته

فقال: جعلني رسول الله عليه السلام على صدقة المسلمين فجعلت التمر في غرفة فوجدت فيه نقصاناً فأخبرت رسول الله ﷺ بذلك فقال: هذا الشيطان يأخذه فدخلت الغرفة وأغلقت الباب فجاءت ظلمة عظيمة فغشيت الباب ثم تصور في صورة أخرى فدخل من شق الباب فشددت إزاري علي فجعل يأكل من التمر فوثبت إليه فقبضته فالتفت يداي عليه فقلت: يا عدو الله فقال: خل عني فإني كبير ذو عيال كثير وأنا فقير من جن نصيبين وكانت لنا هذه القرية قبل أن يبعث صاحبكم فلما بعث أخرجنا منها فخلّ عني فلن أعود إليك فخلّيت سبيله وجاء جبريل عليه السلام فأخبر رسول الله عليه السلام بما كان فصلى رسول الله ﷺ فناداني مناديه وقال: «ما فعل أسيرك» فأخبرته فقال: «أما إنه سيعود فعد» قال: فدخلت الغرفة وأغلقت علي الباب فجاء فدخل من شق الباب فجعل يأكل من التمر فصنعت به كما صنعت في المرة الأولى فقال: خلّ عني فإني لن أعود إليك فقلت: يا عدو الله ألم تقل إنك لن تعود؟ قال: فإني لن أعود وآية ذلك أنه إذا قرأ أحد منكم خاتمة البقرة لا يدخل أحد منا في بيته تلك الليلة.

تم المجلد الأول بتوفيق الله تعالى من تفسير القرآن المسمى

بـ«روح البيان» ويليه المجلد الثاني إن شاء الله تعالى أوله تفسير سورة آل عمران

٣ ـ سورة آل عمران

مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾.

﴿الم﴾ الألف إشارة إلى الله واللام إلى اللطيف والميم إلى المجيد **﴿الله﴾** مبتدأ **﴿لا إله إلا هو﴾** خبره أي: هو المستحق للمعبودية لا غير **﴿الحي القيوم﴾** خبر آخر له أي: الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء والدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه.

ـ روي ـ عنه ﷺ «اسم الله الأعظم في ثلاث سور في سورة البقرة: **﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾**، وفي آل عمران: **﴿الم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾**، وفي طه: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾ [طه: ١١١] وهذا رد على من زعم أن عيسى عليه السلام كان رباً فإنه روي أن وفد نجران قدموا على رسول الله ﷺ وكانوا ستين راكباً: فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، ثلاثة منهم أكابر إليهم يؤول أمرهم، أحدهم أميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح، وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الأبهم، وثالثهم حبرهم وأسقفهم وصاحب مدارسهم أبو حارثة أحد بني بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم شرفوه ومولوه وأكرموه لما شاهدوا من علمه واجتهاده في دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران ركب أبو حارثة بغلته وكان أخوه كرز بن علقمة إلى جنبه فبينا بغلة أبي حارثة تسير إذ عثرت فقال كرز: تعساً للأبعد، يريد به رسول الله عليه السلام فقال له أبو حارثة: بل تعست أمك فقال كرز: ولمَ يا أخي؟ قال إنه والله النبي الذي كنا ننتظر فقال له كرز فما يمنعك عنه وأنت تعلم هذا؟ قال: لأن هؤلاء الملوك أعطونا أموالاً كثيرة وأكرمونا فلو آمنا به لأخذوها منا كلها فوقع ذلك في قلب كرز وأصره إلى أن أسلم فكان يحدث بذلك فأتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله عليه السلام بعد صلاة العصر عليهم ثياب خيرات من جبب وأردية فاخرة يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي عليه السلام: ما رأينا وفداً مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا ليصلوا في المسجد فقال عليه السلام: «دعوهم» فصلوا إلى المشرق ثم تكلم أولئك الثلاثة مع رسول الله

ﷺ فقالوا: تارة عيسى هو الله لأنه كان يحيي الموتى ويبرىء الأسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير وتارة أخرى هو ابن الله إذ لم يكن له أب يعلم وتارة أخرى أنه ثالث ثلاثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان أحداً لقال: فعلت وقلت فقال لهم رسول الله ﷺ: «أسلموا» قالوا: أسلمنا قبلك قال عليه السلام: «كذبتم يمنعكم من الإسلام ادعاؤكم لله تعالى ولداً» قالوا: إن لم يكن ولداً لله فمن أبوه فقال عليه السلام: «ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه» فقالوا: بلى قال ﷺ: «ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء» قالوا: بلى قال عليه السلام: «ألستم تعلمون أن ربنا قيوم على كل شيء يحفظه ويرزقه» قالوا: بلى قال ﷺ: «فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً» قالوا: لا فقال عليه السلام: «ألستم تعلمون أن الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء» قالوا: بلى قال عليه السلام: «فهل يعلم عيسى شيئاً من ذلك إلا ما علم» قالوا: لا قال ﷺ: «ألستم تعلمون أن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وأن ربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث» قالوا: بلى قال ﷺ: «ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث» قالوا: بلى قال ﷺ: «فكيف يكون هذا كما زعمتم» فسكتوا فأبوا إلا جحوداً فأنزل الله تعالى من أول السورة إلى نيف وثمانين آية تقريراً لما احتج به عليه السلام عليهم وأجاب به عن شبههم وتحقيقاً للحق الذي فيه يمترون.

﴿**نزل عليك الكتاب**﴾أي: القرآن عبر عنه باسم الجنس إيذاناً بكمال تفوقه على بقية الأفراد في حيازة كمالات الجنس كأنه هو الحقيق بأن يطلق عليه اسم الكتاب. فإن قلت: لم قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والإنجيل؟ قلت: لأن التنزيل للتكثير والقرآن نزل منجماً ونزل الكتابان جملة وذكر في آخر الآية الإنزال وأراد به من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا جملة في ليلة القدر في شهر رمضان والمراد هنا هو تنزيله إلى الأرض ففي القرآن جهتا الإنزال والتنزيل ﴿**بالحق**﴾ملتبساً ذلك الكتاب بالعدل في أحكامه أو بالصدق في أخباره التي من جملتها خبر التوحيد وما يليه أو في وعده ووعيده ﴿**مصدقا لما بين يديه**﴾أي: في حال كونه مصدقاً للكتب قبله في التوحيد والنبوات والأخبار وبعض الشرائع قبله ﴿**وأنزل التوراة والإنجيل**﴾اسمان أعجميان: الأول عبري والثاني سرياني ﴿**من قبل**﴾أي: أنزلهما جملة على موسى وعيسى عليهما السلام من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور الأمر للمبالغة في البيان ﴿**هدى للناس**﴾علة للإنزال أي: أنزلهما لهداية الناس وفيه لف بدون النشر لعدم اللبس لأن كون التوراة هدى للناس في زمان موسى وكون الإنجيل هدى لهم في زمان عيسى معلوم فاختصر لذلك ﴿**وأنزل الفرقان**﴾أي: جنس الكتب السماوية لأن كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل أو هو القرآن كرر ذكره تعظيماً لشأنه وإظهاراً لفضله ﴿**إن الذين كفروا بآيات الله**﴾أي: بالقرآن ومعجزات النبي عليه السلام ﴿**لهم**﴾بسبب كفرهم بها ﴿**عذاب شديد**﴾لا يقادر قدره ﴿**والله عزيز**﴾لا يغالب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿**ذو انتقام**﴾عظيم لا يقدر على مثله منتقم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾.

﴿إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾ أي: مدرك الأشياء كلها يعني هو مطلع على كفر من كفر به وإيمان من آمن به وعلى جميع أعمالهم فيجازيهم يوم القيامة ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ أي: يجعلكم على هيئة مخصوصة في أرحام أمهاتكم من ذكر وأنثى وأسود وأبيض وتام وناقص وطويل وقصير وحسن وقبيح وهو رد على الذين قالوا عيسى الله أو ابن الله لأن من صور في الرحم يمتنع أن يكون إلهاً وولداً لله لكونه مركباً وحالاً في المركب وفي عرض الفناء والزوال ﴿لا إله إلا هو﴾ نزه نفسه أن يكون عيسى ابناً له ﴿العزيز الحكيم﴾ المتناهي في القدرة والحكمة فربكم يخلقكم على النمط البديع قال رسول الله ﷺ: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه الملك بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد» قال: «وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» وقال عليه السلام: «يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو بخمس وأربعين ليلة فيقول: يا رب أشقي أم سعيد؟ فيكتبان فيقول: أي رب أذكر أم أنثى؟ فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص ثم يقول الملك: يا رب ما أصنع بهذا الكتاب؟ فيقول علقه في عنقه إلى قضائي عليه فذلك قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣] أي عمله من خير وشر الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كأنه طار إليه من وكر الغيب والقدر. قال القاضي المراد بكتبه هذه الأشياء إظهارها للملك وإلا فقضاؤه تعالى سابق على ذلك وكل ميسر لما خلق له فعلى العاقل أن لا يتكاسل عن الأعمال في جميع الأحوال ولا يفوت أيام الفرصة والليال:

خبرداری أي استخواني قفس ... كه جان تومر غيست نامش نفس
چو مرغ از قفس رفت وبكسست قيد ... دكر ره نكردد بسعى تو صيد
نكه دار فرصت كه عالم دميست ... دمى بيش دانا به از عالميست

والإشارة أن الله تعالى كما يصور الجنين بصورة الإنسانية على نطفة سقطت في الرحم بتدبير الأربعينات فكذلك إذا سقطت من صلب ولاية رجل من رجاله نطفة إرادة في رحم قلب مريد صادق والمريد يستسلم لتصرفات ولاية الشيخ وهي بمثابة ملك الأرحام ويضبط أحوال ظاهره وباطنه على وفق أمر الشيخ ويختار الخلوة والعزلة كيلا يصدر منه حركة عنيفة أو يجد رائحة غريبة يلزم منها سقوط النطفة وفسادها ويقعد بأمر الشيخ وتدبيره فالله تعالى يصرف ولاية الشيخ المؤيد بتأييد الحق بمرور كل أربعين عليه بشرائطها يحولها من حال إلى حال وينقلها من مقام إلى مقام إلى أن يرجع إلى حظائر القدس ورياض الأنس التي منها صدر إلى عالم الإنس بقدم الأربعينات الأولى فلما وصل إلى مقامه الأول أيضاً بقدم الأربعينات كما جاء تم خلق الجنين في رحم القلب وهو يجعل خليفة الله في أرضه فيستحق الآن أن ينفخ فيه الروح المخصوص بأبناء أوليائه وهو روح القدس الذي هو متولي إلقائه كقوله تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ١٥] وقال: ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] ولهذه الفائدة العظيمة والنعمة الجسيمة أهبط الأرواح من أعلى عليين القرب إلى

أسفل سافلين البعد كما قال: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] فإذا نفخ فيه الروح يكون آدم وقته فيسجد له بالخلافة الملائكة كلهم أجمعون فاحفظه تفهم إن شاء الله تعالى كذا في «تأويلات الشيخ الكامل نجم الدين الكبرى» أفاض الله علينا من سجال معارفه وحقائقه ولطائفه آمين.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾

﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب﴾ أي القرآن **﴿منه﴾** أي من الكتاب **﴿آيات محكمات﴾** أي قطعية الدلالة على المعنى المراد محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال والاشتباه **﴿هن أم الكتاب﴾** أي أصل فيه وعمدة يرد إليها غيرها بالتأويل فالمراد بالكتاب كله والإضافة بمعنى في **﴿وأخر﴾** أي ومنه آيات أخر **﴿متشابهات﴾** أي محتملات لمعان متشابهة لا يمتاز بعضها من بعض في استحقاق الإرادة بها ولا يتضح الأمر إلا بالنظر الدقيق والتأمل الأنيق فالتشابه في الحقيقة وصف للمعاني وصف به الآيات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول.

واعلم أن اللفظ إما أن لا يحتمل غير معنى واحد أو يحتمل. والأول هو النص كقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [البقرة: ١٦٣]. والثاني إما أن تكون دلالته على مدلوليه أو مدلولاته متساوية أو لا والأول هو المجمل كقوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. وأما الثاني فهو بالنسبة إلى الراجح ظاهر كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٢٢] وبالنسبة إلى المرجوح مؤول كقوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح: ١٠] والنص والظاهر كلاهما محكم والمجمل والمؤول متشابه وهو كقوله تعالى: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١١٥] قد رد إلى قوله تعالى: ﴿وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ﴾ [البقرة: ١٤٤] ثم إن الله تعالى جعل القرآن كله محكماً في قوله ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١] ومعناه أن كله حق لا ريب فيه ومتقن لا تناقض فيه ومحفوظ من اعتراء الخلل أو من النسخ. وجعله كله متشابهاً في قوله: ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] ومعناه يشبه بعضه بعضاً في صحة المعنى وجزالة النظم وحقيقة المدلول وجعل بعضه محكماً وبعضه متشابهاً في هذه الآية وقد سبق وإنما لم يجعل الله القرآن كله محكماً لما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه كابتلاء بني إسرائيل بالنهر في اتباع نبيهم ولأن النظر في المتشابه والاستدلال لكشف الحق يوجب عظم الأجر ونيل الدرجات عند الله **﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾** أي ميل عن الحق إلى الأهواء الباطلة **﴿فيتبعون ما تشابه منه﴾** معرضين عن المحكمات أي يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب أو بتأويل باطل لا تحرياً للحق بعد الإيمان بكونه من عند الله تعالى بل **﴿ابتغاء الفتنة﴾** أي طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه **﴿وابتغاء تأويله﴾** أي طلب أن يؤولوه حسبما يشتهونه من التأويلات الزائغة والحال أنهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل **﴿وما يعلم تأويله﴾** أي تأويل المتشابه **﴿إلا الله والراسخون في العلم﴾** أي لا يهتدي إلى تأويله الحق الذي يجب أن يحمل عليه إلا الله وعباده الذين رسخوا في العلم أي ثبتوا فيه وتمكنوا أو فوضوا فيه لنص قاطع ومنهم من يقف على

قوله: ﴿إلا الله﴾ ويبتدىء بقوله: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به﴾ ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية في قوله: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر: ٣٠] ومدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة والصوم وعدد الركعات في الصلوات الخمس والأول هو الوجه فإن الله تعالى لم ينزل شيئاً من القرآن إلا لينتفع به عباده ويدل به على معنى أراده فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره للزمنا للطاعن مقال وهل يجوز أن يقال إن رسول الله ﷺ لم يكن يعرف المتشابه وإذا جاز أن يعرفه مع قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته وإن لم يعرفه النبي ﷺ وصحابته والعلماء الراسخون وقالوا: علمه عند ربنا لم يكن لهم فضل على الجهال لأنهم جميعاً يقولون ذلك قالوا: ولم يزل المفسرون إلى يومنا هذا يفسرون ويؤولون كل آية ولم نرهم وقفوا عن شيء من القرآن فقالوا: هذا متشابه لا يعلمه إلا الله بل فسروا نحو حروف التهجي وغيرها ﴿يقولون آمنا به﴾ أي بالمتشابه والجملة على الأول استئناف موضح لحال الراسخين وعلى الثاني خبر لقوله والراسخون ﴿كل﴾ أي كل واحد من المحكم والمتشابه ﴿من عند ربنا﴾ منزل من عنده تعالى لا مخالفة بينهما ﴿وما يذكر﴾ حق التذكر ﴿إلا أولو الألباب﴾ أي العقول الخالصة عن الركون إلى الأهواء الزائغة وهو مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر وإشارة إلى ما به استعدوا للاهتداء إلى تأويله من تجرد العقل عن غواشي الحس.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ أي يقولون: لا تمل قلوبنا عن نهج الحق إلى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه ﴿بعد إذ هديتنا﴾ إلى الحق والتأويل الصحيح أو إلى الإيمان ﴿وهب لنا من لدنك﴾ أي من عندك ﴿رحمة﴾ واسعة تزلفنا إليك ونفوز بها عندك ﴿إنك أنت الوهاب﴾ وإطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب. وفيه دلالة على أن الهدى والضلال من قبله وأنه متفضل بما ينعم به على عباده من غير أن يجب عليه شيء ﴿ربنا إنك جامع الناس﴾ بعد الموت ﴿ليوم﴾ أي لجزاء يوم وحسابه وهو يوم القيامة ﴿لا ريب فيه﴾ أي في وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم إلى الرحمة وأنها المقصد الأسنى عندهم ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ الوعد يعني الألوهية تنافي خلف الوعد في البعث واستجابة الدعاء وهذا حال الراسخين في الدعاء فانظر كيف لا يأمنون سوء الخاتمة وأداهم الخوف والخشية إلى الرجاء فإياك والزيغ عن الصراط المستقيم باتباع الهوى والشهوات قال رسول الله ﷺ: «ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمٰن إذا شاء أن يقيمه أقامه وإذا شاء أزاغه» يعني قلب المؤمن بين توفيقه وخذلانه وإنما قال من أصابع الرحمٰن ولم يقل من أصابع الله إشعاراً بأنه هو المتمكن من قلوب العباد والمتصرف فيها كيف يشاء ولم يكلها إلى أحد من ملائكته رحمة منه وفضلاً لئلا يطلع على سرائرهم غيره وكان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك» والميزان بيد الرحمٰن يرفع قوماً ويضع آخرين إلى يوم القيامة وقال ﷺ: «مثل القلب كريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهراً لبطن». قال الجنيد رحمه الله: من أراد أن يسلم له دينه ويستريح في بدنه وقلبه فليعتزل الناس فإن هذا زمان وحشة

والعاقل من اختار الوحدة قال عليه السلام لأصحابه: «أين تنبت الحبة» قالوا في الأرض قال: «فكذلك الحكمة إنما تنبت في قلب مثل الأرض» فدفن حبة الفؤاد والوجود في أرض الخمول مما ينتج ويتم نتاجه جداً فما نبت مما لم يدفن لم يتم نتاجه وإن ظهر نوره وإنتاجه كالذي ثبت في حميل السيل. فعليك بتزكية النفس وإصلاح الوجود كي تدرك نور الشهود وتقبل إلى الاستقامة وتخلص من الزيغ والضلال في جميع الأحوال وكم من زائغ قلبه وهو صورة مستقيم وكم من مستقيم فؤاده وهو في الظاهر غير مستقيم، كما قيل:

بس قامت خاشاك كه برجا باشد چون باد بر آنها بوزد نا باشد

والقلب هو محل النظر لا الصورة كما قال عليه السلام: «إن الله لا ينظر إلى صوركم بل إلى قلوبكم وأعمالكم» فأي فائدة في القلب الزائغ عن الحق فنعوذ بالله منه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾

﴿إن الذين كفروا لن تغني عنهم﴾ أي لن تنفعهم **﴿أموالهم﴾** التي يبذلونها في جلب المنافع ودفع المضار قدم الأموال على الأولاد لأنها أول عدة يفزع إليها عند نزول الخطوب **﴿ولا أولادهم﴾** الذين بهم يتناصرون في الأمور المهمة وعليهم يعولون في الخطوب الملمة وتوسيط حروف النفي لعراقة الأولاد في كشف الكروب **﴿من الله﴾** أي عذابه تعالى: **﴿شيئاً﴾** أي شيئاً من الإغناء ومعناه لا يصرف عنهم كثرة الأموال والأولاد والتناصر بهما عذابه وكانوا يقولون نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين قال تعالى في ردهم ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [سبا: ٣٧] **﴿وأولئك﴾** أي أولئك المتصفون بالكفر **﴿هم وقود النار﴾** حطب النار وحصبها الذي تسعر به **﴿كدأب آل فرعون﴾** الدأب مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه وتعب غلب استعماله في معنى الشأن والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي دأب هؤلاء في الكفر وعدم النجاة من أخذ الله تعالى وعذابه كدأب آل فرعون **﴿والذين من قبلهم﴾** أي آل فرعون من الأمم الكافرة كقوم نوح وثمود وقوم لوط وهو عطف على ما قبله **﴿كذبوا بآياتنا﴾** بيان وتفسير لدأبهم الذي فعلوا على الاستئناف المبني على السؤال كأنه قيل: كيف كان دأبهم فقيل: كذبوا بآياتنا أي بكتبنا ورسلنا **﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾** تفسير لدأبهم الذي فعل بهم أي فأخذهم الله تعالى وعاقبهم ولم يجدوا من بأس الله تعالى محيصاً فدأب هؤلاء الكفرة أيضاً كدأبهم والذنب في الأصل: التلو والتابع وسميت الجريمة ذنباً لأنها تتلو أي يتبع عقابها فاعلها **﴿والله شديد العقاب﴾** لمن كفر بالآيات والرسل.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾

﴿قل للذين كفروا﴾ المراد بهم اليهود لما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما **«أن** يهود المدينة لما شاهدوا غلبة رسول الله ﷺ على المشركين يوم بدر قالوا: والله إنه النبي **الأمي**

الذي بشرنا به موسى وفي التوراة نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر إلى وقعة له أخرى فلما كان يوم أحد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد إلى مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكباً إلى أهل مكة فأجمعوا أمرهم على قتال رسول الله ﷺ فنزلت».

﴿**ستغلبون**﴾البتة عن قريب في الدنيا قد صدق الله وعده بقتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من أوضح شواهد النبوة ﴿**وتحشرون**﴾ أي في الآخرة ﴿**إلى جهنم**﴾والحشر السوق والجمع أي يغلبون في الدنيا ويساقون في الآخرة مجموعين إلى جهنم ﴿**وبئس المهاد**﴾أي بئس الفراش والمقر جهنم.

﴿**قد كان لكم**﴾جواب قسم محذوف وهو من تمام القول المأمور به أي والله قد كان لكم أيها اليهود المغترون بعددهم وعددهم ﴿**آية**﴾عظيمة دالة على صدق ما أقول لكم إنكم ستغلبون ﴿**في فئتين**﴾أي جماعتين فإن المغلوبة منهما كانت مدلة بكثرتها معجبة بعزتها وقد لقيها ما لقيها فسيصيبكم ما يصيبكم ﴿**التقتا**﴾أي تلاقيا بالقتال يوم بدر ﴿**فئة**﴾خبر مبتدأ محذوف أي إحداهما فئة ﴿**تقاتل**﴾تجاهد ﴿**في سبيل الله**﴾وهم لا كثرة فيهم ولا شوكة وهم أصحاب محمد ﷺ: ﴿**وأخرى**﴾أي وفئة أخرى ﴿**كافرة**﴾بالله ورسوله ﴿**يرونهم**﴾أي ترى الفئة الأخيرة الكافرة الفئة الأولى المؤمنة والجملة صفة للفئة الأخيرة ﴿**مثليهم**﴾أي مثلي عدد الرائين قريباً من ألف كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلاً رأسهم عتبة من ربيعة بن عبد شمس وفيهم أبو سفيان وأبو جهل وكان فيهم من الخيل والإبل مائة فرس وسبعمائة بعير ومن أصناف الأسلحة عدد لا يحصى. وعن سعد بن أوس أنه قال: أسر المشركون رجلاً من المسلمين فسألوه كم كنتم قال: ثلاثمائة وبضعة عشر قالوا: ما كنا نراكم إلا تضعفون علينا أو مثلي عدد المرئيين أي ستمائة ونيفاً وعشرين حيث كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً سبعة وسبعون رجلاً من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون من الأنصار رضي الله عنهم وكان صاحب راية النبيّ ﷺ والمهاجرين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله عنه وكان في العسكر تسعون بعيراً وفرسان أحدهما للمقداد بن عمرو والآخر لمرثد بن أبي مرثد وست أدرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذٍ من المسلمين أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار أراهم الله عز وجل كذلك مع قلتهم ليهابوهم ويتجنبوا عن قتالهم مدداً لهم منه سبحانه كما أمدهم بالملائكة عليهم السلام. فإن قلت فهذا مناقض لقوله في سورة الأنفال ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤]. قلت: قللهم أولاً في أعينهم حتى اجترأوا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى أبلغ في القدرة وإظهار الآية ﴿**رأي العين**﴾نصب على المصدر يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات ﴿**والله يؤيد**﴾أي يقوي ﴿**بنصره من يشاء**﴾أي يريد من غير توسيط الأسباب العادية كما أيد الفئة المقاتلة في سبيله بما ذكر من النصر وهو من تمام القول المأمور به ﴿**إن في ذلك**﴾إشارة إلى ما ذكر من رؤية القليل كثيراً المستتبعة لغلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح ﴿**لعبرة**﴾من العبور كالجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فإنه نوع من العبور أي لعبرة عظيمة كائنة ﴿**لأولي الأبصار**﴾لذوي العقول والبصائر. فعلى العاقل أن يعتبر بالآيات ولا يغتر

بكثرة الأعداد من الأموال والأولاد وعدم اجتهاده لمعاده فإن الله يمتعه قليلاً ثم يضطره إلى عذاب غليظ.

واعلم أن المبتلى بالكفر مغلوب الحكم الأزلي بالشقاوة ثم مغلوب الهوى والنفس والشيطان ولذات الدنيا فغلبات الهوى والنفس ترد إلى أسفل سافلين الطبيعة فيعيش فيها ثم يموت على ما عاش فيه ويحشر على ما مات عليه في قعر جهنم وبئس المهاد فإنه مهده في معاشه والنار ناران: نار الله ونار الجحيم، فأما نار الله فهي نار حسرة القطيعة عن الله فيها يعذب قلوب المحجوبين عن الله كقوله تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾﴾ [الهمزة: ٦-٧] وأما نار الجحيم فهي نار الشهوات والمعاملات على الغفلات من المخالفات فهي تحرق قشور الجلود كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾ [النساء: ٥٦] ولا يتخلص من هذه النار إلا لب القلوب وإن عذاب حرقة الجلد بالنسبة إلى عذاب حرقة القلوب كنسيم الحياة وسموم الممات فلا بد من تزكية النفس فإنها سبب للخلاص من عذاب الفرقة. قيل لبعضهم: بم يتخلص العبد من نفسه؟ قال: بربه انتهى فإذا أراد الله أن ينصر عبده على ما طلب منه أمده بجنود الأنوار فكلما اعترته ظلمة قام لها نور فأذهبها وقطع عنه مواد الظلم والأغيار فلم يبق للهوى مجال ولا للشهوة والأخلاق الذميمة مقال ولا قال فالنور جند القلب كما أن الظلمة جند النفس والمراد بالنور حقائق ما يستفاد من معاني الأسماء والصفات وبالظلمة معاني ما يستفاد من الهوى والعوائد الرديئة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [النمل: ٣٤] أي غيروا حالها عما هي عليه وكذلك إذا وردت الواردات الربانية على القلوب الممتلئة أخرجت منها كل صفة رديئة وكستها كل خلق زكية فهذه الدولة إنما تنال بترك الدنيا والعقبى فكيف يمتلىء بالأنوار قلب من خالط الأغيار وأحب المال والأولاد ولم يخف من رب العباد. وقدم على الأستاذ أبي علي الدقاق رحمه الله فقير وعليه مسح وقلنسوة فقال له بعض أصحابه: بكم اشتريت هذا المسح على وجه المطايبة؟ فقال: اشتريته بالدنيا فطلب مني بالآخرة فلم أبعه. قال أبو بكر الوراق رحمه الله: طوبى للفقراء في الدنيا والآخرة فسألوه عنه فقال: لا يطلب السلطان منه في الدنيا الخراج ولا الجبار في الآخرة الحساب.

قناعت سر افرازد أي مرد هوش سرير طمع برنيايد زدوش
كر آزاده برزمين خسب وبس مكن بهر مالي زمين بوس كس

حققنا الله وإياكم بحقائق التوحيد.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾

﴿زين للناس﴾ أي حسن لهم والمزين هو الله لقوله تعالى: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [النمل: ٤] وذلك على جهة الامتحان أو هو الشيطان لقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [النمل: ٢٤] وذلك على جهة الوسوسة ﴿حب الشهوات﴾ أي: محبة مرادات النفوس والشهوة نزوع النفس إلى ما تريده وهي مصدر أريد به المفعول أي المشتهيات لأن الأعيان التي ذكرها كلها مشتهيات وإنما عبر عنها بالمصدر مبالغة في كونها مشتهاة مرغوباً فيها كأنها نفس الشهوات والوجه أن

يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لأن الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية. قالوا: خلق الله الملائكة عقولاً بلا شهوة والبهائم ذات شهوات بلا عقل وجعلهما في الإنسان فمن غلب عقله شهوته فهو أفضل من الملائكة ومن غلب عليه شهوته فهو أرذل من البهائم ﴿**من النساء**﴾ حال من الشهوات أي حال كونها من طائفة النساء وإنما بدأ بهن لعراقتهن في معنى الشهوات فإنهن حبائل الشيطان ﴿**والبنين**﴾ والفتنة بهم أن الرجل يحرص بسببهم على جمع المال من الحلال والحرام ولأنهم يمنعونه عن محافظة حدود الله. قيل: أولادنا فتنة إن عاشوا فتنونا وإن ماتوا أحزنونا وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد في حبهن ﴿**والقناطير المقنطرة**﴾ جمع قنطار وهو المال الكثير أي الأموال الكثيرة المجتمعة أو هو مائة ألف دينار أو مليء مسك ثور أو سبعون ألفاً أو أربعون ألف مثقال أو ثمانون ألفاً أو مائة رطل أو ألف ومائتا مثقال أو ألف دينار أو مائة منّ ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم أو دية النفس. وفي الكشاف المقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم ألوف مؤلفة وبدر مبدرة ﴿**من الذهب والفضة**﴾ بيان للقناطير أي من هذين الجنسين وإنما سمي الذهب ذهباً لأنه يذهب ولا يبقى والفضة لأنها تنفض أي تتفرق ﴿**والخيل**﴾ عطف على القناطير. والخيل جمع لا واحد له من لفظه واحده فرس وهو مشتق من الخيلاء لاختيالها في مشيها أو من التخيل فإنها لم يتخيل في عين صاحبها أعظم منها لتمكنها من قلبه ﴿**المسومة**﴾ أي المعلمة وهي التي جعلت فيها العلامة بالسيمة واللون أو بالكي أو المرعية من سامت السائمة أي رعت ﴿**والأنعام**﴾ أي الإبل والبقر والغنم جمع نعم ﴿**والحرث**﴾ أي الزرع. قيل: كل منها فتنة للناس. أما النساء والبنون ففتنة للجميع. والذهب والفضة فتنة للتجار. والخيل فتنة للملوك. والأنعام فتنة لأهل البوادي. والحرث فتنة لأهل الرساتيق ﴿**ذلك**﴾ أي ما ذكر من الأشياء المعهودة ﴿**متاع الحياة الدنيا**﴾ أي ما يمتنع به في الحياة الدنيا أياماً قلائل فيفنى سريعاً ﴿**والله عنده حسن المآب**﴾ أي حسن المرجع وهو الجنة. وفيه دلالة على أن ليس فيما عدد عاقبة حميدة وهذا تزهيد في طيبات الدنيا الفانية وترغيب فيما عند الله من النعيم المقيم فعلى العاقل أن يأخذ من الدنيا قدر البلغة ولا يستكثر بالاستكثار الذي يورط صاحبه في المحظور ويورثه المحذور.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾

﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**أؤنبئكم بخير من ذلكم**﴾ الهمزة للتقرير أي أخبركم بما هو خير مما فصل من تلك المستلذات المزينة لكم ﴿**للذين**﴾ خبر مبتدأ قوله جنات ﴿**اتقوا**﴾ والمراد بالتقوى هو التبتل إلى الله تعالى والإعراض عما سواه كما ينبيء عنه النعوت الآتية ﴿**عند ربهم**﴾ نصب على الحالية من قوله: ﴿**جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها**﴾ حال مقدرة ﴿**وأزواج مطهرة**﴾ أي زوجات مبرأة من العيوب الظاهرة كالحيض والامتخاط وإتيان الخلاء ومن الباطنة كالحسد والغضب والنظر إلى غير أزواجهن.

- روي - عن النبي عليه السلام «شبر من الجنة خير من الدنيا وما فيها» ﴿**ورضوان**﴾ أي رضوان وأي رضوان لا يقادر قدره كائن ﴿**من الله**﴾ قال الحكماء: الجنات بما فيها إشارة إلى الجنة الجسمانية والرضوان إشارة إلى الجنة الروحانية وأعلى المقامات الجنة الروحانية وهي عبارة عن تجلي نور جلال الله تعالى في روح العبد واستغراق العبد في معرفة الله ثم يصير في

أول هذه المقامات راضياً عن الله وفي آخرها مرضياً عنده تعالى وإليه الإشارة بقوله: ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٨]﴿والله بصير بالعباد﴾ وبأعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾

﴿**الذين**﴾ كأنه قيل من أولئك المتقون الفائزون بالكرامات السنية فقيل هم الذين﴿**يقولون ربنا إننا آمنا**﴾ أي صدقنا بك وبنبيك وفي ترتيب الدعاء بقوله﴿**فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار**﴾ على مجرد الإيمان دلالة على كفايته في استحقاق المغفرة والوقاية من النار﴿**الصابرين**﴾ نصب على المدح بإضمار أعني والمراد بالصبر هو الصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء والضراء وحين البأس﴿**والصادقين**﴾ في أقوالهم ونياتهم وعزائمهم﴿**والقانتين**﴾ أي: المداومين على الطاعات المواظبين على العبادات﴿**والمنفقين**﴾ أموالهم في سبيل الله﴿**والمستغفرين بالأسحار**﴾ وتوسط الواو بين الصفات المذكورة مؤذن بأن كل صفة مستقلة بالمدح ومؤذن بأن منهم صابر ومنهم صادق. ثم الصبر حبس النفس عن شهواتها المحظورة في الشرع. وجميع أجناس الصبر ثلاثة: الصبر على الطاعة، والصبر على المعصية، والصبر على المكروه، قال النبي ﷺ: «من صبر على مصيبة فله ثلاثمائة درجة وبين الدرجتين كما بين السماء والأرض ومن صبر على الطاعة فله ستمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ومن صبر على المعصية فله تسعمائة درجة بين الدرجتين كما بين العرش والكرسي». والصدق يجري في القول وهو مجانبة الكذب وفي الفعل وهو إتيانه وترك الانصراف عنه قبل تمامه وفي النية وهو العزم عليه حتى يفعل. والإنفاق يتناول الإنفاق على نفسه وأهله وأقاربه وصلة رحمه وفي الجهاد وسائر وجوه البر. والاستغفار سؤال المغفرة من الله وتخصيص الأسحار بالاستغفار لأن الدعاء أقرب إلى الإجابة إذ العبادة حينئذٍ أشق والنفس أصفى والروح أجمع لا سيما للمجتهدين. قال مجاهد في قول يعقوب عليه السلام: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٩٨] أخره إلى وقت السحر فإن الدعاء فيه مستجاب وقال: إن الله تعالى لا يشغله صوت عن صوت لكن الدعاء في السحر دعوتي في الخلوة وهي أبعد من الرياء والسمعة فكانت أقرب إلى الإجابة قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حتى يبقى ثلث الليل فيقول: أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له» ومعنى ينزل محمول على نزول ملكه أو على الاستعارة فمعناه الإقبال على الداعين باللطف والإجابة ولهذا قال إلى السماء الدنيا أي القربى. وفي هذا الكلام توبيخ لهم على غفلتهم في الدعاء والسؤال منه والاستغفار. قال لقمان لابنه: يا بني لا تكونن أعجز من هذا الديك يصوت بالأسحار وأنت نائم على فراشك.

دلا بر خيز وطاعت كن كه طاعت به زهر كارست
سعادت آن كسى دار دكه وقت صبح بيدارست
خروسان در سحر كويندكه قم يا أيها الغافل
تواز مستي نمى داني كسى داندكه هشياراست

قال رسول الله ﷺ: «لما أسري بي إلى السماوات رأيت عجائب من عجائب الله تعالى

فمن ذلك أن في السماء الدنيا ديكاً له زغب أخضر وريش أبيض وبياض ريشه كأشد بياض رأيته وزغبة تحت ريشه كأشد خضرة رأيتها فإذا رجلاه في تخوم الأرض السابعة السفلى وإذا رأسه عند عرش الرحمٰن ثاني عنقه تحت العرش له جناحان في منكبيه إذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب فإذا كان بعض الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح لله يقول: سبحان الملك القدوس سبحان الكريم» أو قال: «الكبير المتعال لا إله إلا الله الحي القيوم فإذا فعل ذلك سبحت ديكة الأرض كلها وخفقت بأجنحتها فإذا سكن ذلك الديك سكنت ديكة الأرض كلها ثم إذا كان بعض الليل نشر جناحيه فجاوز بهما المشرق والمغرب وخفق بهما ثم صرخ بالتسبيح لله يقول: سبحان الله العلي العظيم سبحان العزيز القهار سبحان الله رب العرش الرفيع فإذا فعل ذلك سبحت ديكة الأرض بمثل قوله وخفقت بأجنحتها وأخذت في الصراخ وإذا سكن ذلك الديك سكنت ديكة الأرض ثم إذا هاج بنحو فعله في السماء هاجت الديكة في الأرض يجاوبونه تسبيحاً لله تعالى بنحو قوله» والمقصود من هذا أن التسبيح إذا كان من فعل أهل السماء والأرض خصوصاً الحيوانات العجم بل النباتات كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] فإن الإنسان أولى بأن يشتغل بالدعاء والتسبيح خصوصاً في الخلوات وأوقات الأسحار.

قال الإمام القشيري رحمه الله: الصابرين على ما أمر الله والصادقين فيما عاهدوا الله والقانتين بالاستقامة في محبة الله والمنفقين في سبيل الله والمستغفرين من جميع ما فعلوا لرؤية تقصيرهم.

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾

﴿شهد الله أنه﴾ بأنه **﴿لا إله إلا هو﴾** نزلت حين جاء رجلان من أحبار الشام فقالا للنبي عليه السلام أنت محمد قال: «نعم» فقالا: أنت أحمد قال: «أنا محمد وأحمد» قالا: أخبرنا عن أعظم الشهادة في كتاب الله فأخبرهما أي: أثبت الله بالحجة القطعية وأعلم بمصنوعاته الدالة على توحيده أنه واحد لا شريك له في خلقه الأشياء إذ لا يقدر أحد أن ينشىء شيئاً منها. قال ابن عباس: خلق الله تعالى الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة فشهد لنفسه قبل خلق الخلق حين كان ولم يكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر فقال: **﴿شهد الله﴾** الآية **﴿والملائكة﴾** عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي شامل للإقرار والإيمان بطريق عموم المجاز أي: أقرت الملائكة بذلك لما عاينت من عظم قدرته **﴿وأولو العلم﴾** أي: آمنوا به واحتجوا عليه بالأدلة التكوينية والتشريعية وهم الأنبياء والمؤمنون الذين علموا توحيده وأقروا به اعتقاداً صحيحاً فشبه دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره تعالى وإقرار الملائكة وأولي العلم بذلك بشهادة الشاهد في البيان والكشف **﴿قائماً بالقسط﴾** نصب على الحال المؤكدة من هو دون من ذكر معه لأمن اللبس إذ القيام بالقسط من الصفات الخاصة به تعالى ومثله جاء زيد وهند راكباً جاز لأجل التذكير ولو قلت: جاء زيد وعمرو راكباً لم يجز للبس أي: مقيماً بالعدل في قسمة الأرزاق

والآجال والإثابة والمعاقبة وما يأمر به عباده وينهاهم عنه من العدل والتسوية فيما بينهم ودفع الظلم عنهم ﴿**لا إله إلا هو العزيز الحكيم**﴾ كرر المشهود به لتأكيد التوحيد ليوحدوه ولا يشركوا به شيئاً لأنه ينتقم ممن لا يوحده بما لا يقدر على مثله منتقم ويحكم ما يريد على جميع خلقه لا معقب لحكمه لغلبته عليهم ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾ جملة مستأنفة مؤكدة للأولى أي: لا دين مرضياً لله تعالى سوى الإسلام الذي هو التوحيد والتشرع بالشريعة الشريفة وهو الدين الحق منذ بعث الله آدم عليه السلام وما سواه من الأديان فكلها باطلة. قال شيخنا العلامة في بعض تحريراته: المقصود من إنزال الكلام مطلق الدعوة إلى الدين الحق والدين الحق من زمن آدم إلى نبينا عليهما الصلاة والسلام الإسلام كما قال تعالى: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾ وحقيقة دين الإسلام التوحيد وصورته الشرائع التي هي الشروط وهذا الدين من ذلك الزمان إلى يوم القيامة واحد بحسب الحقيقة وسواء بين الكل ومختلف بحسب الصورة والشروط وهذا الاختلاف الصوري لا ينافي الاتحاد الأصلي والوحدة الحقيقة انتهى.

وعن قتادة أن الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله. وعن غالب القطان قال: أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريباً من الأعمش فكنت أختلف إليه فلما كنت ذات ليلة أردت أن أحدر إلى البصرة قام من الليل متهجداً فمر بهذه الآية ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم**﴾ قال الأعمش: وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة أن الدين عند الله الإسلام قالها مراراً قلت: لقد سمع فيها شيئاً فصليت معه وودعته ثم قلت: آية سمعتك ترددها فما بلغك فيها قال: والله لا أحدثك بها إلى سنة فلبثت على بابه من ذلك اليوم فأقمت سنة فلما مضت السنة قلت: يا أبا محمد قد مضت السنة قال: حدثني أبو وائل عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله: إن لعبدي هذا عندي عهداً وأنا أحق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة» ويناسب هذا ما يقال عهدنا لله. عن أبي مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأصحابه ذات يوم: «أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهداً» قالوا: وكيف ذلك؟ قال: «يقول كل صباح ومساء: «اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك وأنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير وإني لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عهداً توفينيه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع» أي: ختم عليه بخاتم «ووضع تحت العرش فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذي لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة» فلا بد من الدعاء في الصبح والمساء لله الذي هو خالق الأرض والسماء ومن الإخلاص الذي هو ملاك الأمر كله في طاعة المرء وعمله:

عبادت بإخلاص نيت نكوست وكرنه چه آيد زبى مغز پوست

﴿**وما اختلف الذين أوتوا الكتاب**﴾ نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام الذي جاء به النبي عليه السلام وأنكروا نبوته ﴿**إلا من بعد ما جاءهم العلم**﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو أعم الأوقات أي: وما اختلفوا في دين الله الإسلام ونبوة محمد عليه السلام في حال من الأحوال أو في وقت من الأوقات إلا بعد أن علموا بأنه الحق الذي لا محيد عنه أو بعد أن علموا حقيقة الأمر وتمكنوا من العلم بها بالحجج والآيات الباهرة. وفيه من الدلالة

على ترامي حالهم في الضلالة ما لا مزيد عليه فإن الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل ﴿بغياً بينهم﴾ مفعول له لقوله: اختلف أي: حسداً كائناً بينهم وطلباً للرياسة لا شبهة وخفاء في الأمر وهو تشنيع إثر تشنيع ﴿ومن يكفر بآيات الله﴾ الناطقة بما ذكر من أن الدين عند الله الإسلام ولم يعمل بمقتضاها ﴿فإن الله سريع الحساب﴾ قائم مقام جواب الشرط علة له أي: ومن يكفر بآياته تعالى فإنه يجازيه ويعاقبه عن قريب فإنه سريع الحساب أي: يأتي حسابه عن قريب أو سريع في محاسبة جميع الخلائق لأنه يحاسبهم في أقل من لمحة بحيث يظن كل أحد منهم أنه أي: الله يحاسب نفسه فقط.

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿فإن حاجوك﴾ أي: في كون الدين عند الله الإسلام ﴿فقل أسلمت وجهي﴾ أي: أخلصت نفسي وقلبي وجملتي ﴿لله﴾ وحده لم أجعل فيها لغيره شركاً بأن أعبده وأدعوه إلَهاً معه يعني دين التوحيد وهو القديم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ﴿ومن اتبعن﴾ عطف على المتصل في أسلمت وحسن ذلك لمكان الفصل الجاري مجرى التأكيد بالمنفصل أي: وأسلم من اتبعني وجوههم أيضاً ﴿وقل للذين أوتوا الكتاب﴾ أي: من اليهود والنصارى ﴿والأميين﴾ الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ﴿أأسلمتم﴾ متبعين لي كما فعل المؤمنون فإنه قد آتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة فهل أسلمتم وعملتم بقضيتها أم أنتم بعد على كفركم؟ وهو استفهام بمعنى الأمر أي: أسلموا وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقاً إلا سلكته: فهل فهمتها ﴿فإن أسلموا﴾ أي: كما أسلمتم وأخلصتم ﴿فقد اهتدوا﴾ أي: فازوا بالحظ الأوفر ونجوا من مهاوي الضلال ﴿وإن تولوا﴾ أي: أعرضوا عن الاتباع وقبول الإسلام ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ قائم مقام الجواب أي: لم يضروك شيئاً إذ ما عليك إلا البلاغ أي: التبليغ بالرسالة دون الهداية وقد فعلت على أبلغ وجه.

- روي - أن رسول الله ﷺ (لما قرأ هذه الآية على أهل الكتاب قالوا: أسلمنا فقال ﷺ لليهود «أتشهدون أن عيسى كلمة الله وعبده ورسوله» فقالوا: معاذ الله وقال ﷺ للنصارى: «أتشهدون أن عيسى عبد الله ورسوله» فقالوا: معاذ الله أن يكون عيسى عبداً) وذلك قوله عز وجل ﴿وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد﴾ عالم بجميع أحوالهم وهو وعد ووعيد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إن الذين يكفرون بآيات الله﴾ أي: آية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالآيات الناطقة بحقية الإسلام ﴿ويقتلون النبيين بغير حق﴾ هم أهل الكتاب قتل أولوهم الأنبياء عليهم السلام وقتلوا أتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حاولوا قتل النبي ﷺ والمؤمنين لولا عصمهم الله

وقد أشير إليه بصيغة الاستقبال قال في سورة البقرة: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١] أي: بغير الحد الذي حده الله وأذن فيه والنكرة هٰهنا على معنى أن القتل يكون بوجوه من الحق فمعناه يقتلون بغير حق من تلك الحقوق ﴿ويقتلون الذين يأمرون بالقسط﴾ أي: بالعدل ﴿من الناس﴾ عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت: يا رسول الله أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟ قال: «رجل قتل نبياً أو رجلاً أمر بمعروف أو نهى عن منكر» ثم قرأها ثم قال: «يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول نهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار» ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ أي: وجيع دائم جعل لهم بدل البشارة وهو الاخبار السار الاخبار بالنار وهو كقول القائل تحية بينهم ضرب وجيع.

﴿أولئك﴾ المتصفون بتلك الصفات القبيحة ﴿الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾ الذين بطلت أعمالهم التي عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها أثر في الدارين بل بقي لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة ﴿وما لهم من ناصرين﴾ ينصرونهم من بأس الله وعذابه في إحدى الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع في مقابلته لا لنفي تعدد الأنصار من كل واحد منهم كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠] ففي الآية ذم لمن قتل الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر فبئس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون بالمعروف والناهين عن المنكر وبئس القوم قوم لا يقومون بالقسط بين الناس وبئس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فعليك بالعدل والإنصاف وإياك الجور والظلم والاعتساف، فاصدع بأوامر الحق ونواهيه ولا تخف غير الله فيما أنت فيه وإنما عليك البلاغ:

كرچه دانى كه نشنوند بكوى هرچه مى دانى از نصيحت وپند
زود باشد كه خيره سر بينى بدو پاى او فتاده اندر بند
دست بردست مى زند كه دريغ نشنيدم حديث دانشمند

ولا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أبداً ولكنه لا ينفع الوعظ والزجر في آخر الزمان حين تشتد القلوب قساوة وتكون الأنفس مولعة بلذات الدنيا.

ـ روي ـ أن يهودياً قال لهارون الرشيد في سيره مع عسكره: اتق الله فلما سمع هارون قول اليهودي نزل عن فرسه وكذا العسكر نزلوا تعظيماً لاسم الله العظيم. ومن أكبر الذنوب أن يقول الرجل لأخيه اتق الله فيقول في جوابه عليك نفسك أأنت تأمرني بهذا؟ ومن الله العظة والتوفيق إلى سواء الطريق.

﴿ألم تر﴾ تعجيب لرسول الله ﷺ أو لكل من تتأتى منه الرؤية من حال أهل الكتاب وسوء صنيعهم أي: ألم تنظر ﴿إلى الذين أوتوا نصيباً﴾ حظاً وافراً ﴿من الكتاب﴾ أي: التوراة والمراد بما أوتوه منها ما بين لهم فيها من العلوم والأحكام التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي عليه السلام وحقية الإسلام ﴿يدعون إلى كتاب الله﴾ الذي أوتوا نصيباً منه وهو التوراة كأنه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر إليهم فقيل يدعون إلى كتاب الله فالجملة استئناف ﴿ليحكم﴾ ذلك الكتاب ﴿بينهم﴾ وفي الكتاب بيان الحكم فأضيف إليه الحكم كما في صفة القرآن بشيراً ونذيراً لأن فيه بيان التبشير والإنذار وذلك أن رسول الله ﷺ دخل مدارس اليهود فدعاهم إلى الإيمان فقال له رئيسهم نعيم بن عمرو: على أي دين أنت؟ قال ﷺ: «على ملة إبراهيم» قال:

إن إبراهيم كان يهودياً قال ﷺ: «إن بيننا وبينكم التوراة فهاتوها فأبوا» وقال الكلبي: نزلت الآية في الرجم فجر رجل وامرأة من أهل خيبر وكانا في شرف منهم وكان في كتابهم الرجم فأتوا رسول الله ﷺ رجاء رخصة عنده فحكم عليهم بالرجم فقالوا: جرت علينا ليس عليهما الرجم فقال ﷺ: «بيني وبينكم التوراة» قالوا: قد أنصفتنا قال: «فمن أعلمكم بالتوراة» قالوا: ابن صوريا فأرسلوا إليه فدعا النبي عليه الصلاة والسلام بشيء من التوراة فيه الرجم دله على ذلك ابن سلام فقال له: «اقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع كفه عليها» وقام ابن سلام فرفع أصبعه عنها ثم قرأ على رسول الله ﷺ وعلى اليهود بأن المحصن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما البينة رجماً وإن كانت المرأة حبلى تربص حتى تضع ما في بطنها وأمر رسول الله ﷺ باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك ورجعوا كفاراً فأنزل الله هذه الآية.

﴿ثم يتولى فريق منهم﴾ استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع إليه ولم يصف به الكل لأنه قال في هذه السورة ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ [آل عمران: ١١٣] وقال تعالى: ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩] ﴿وهم معرضون﴾ إما حال من فريق لتخصصه بالصفة أي: يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم أو اعتراض أي: وهم قوم ديدنهم الإعراض عن الحق والإصرار على الباطل.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿ذلك﴾ أي: التولي والإعراض ﴿بأنهم﴾ أي: حاصل بسبب أنهم ﴿قالوا لن تمسنا النار﴾ باقتراف الذنوب وركوب المعاصي ﴿إلا أياماً معدودات﴾ أربعين يوماً وهي مدة الأيام التي عبدوا فيها العجل ورسخ اعتقادهم على ذلك وهونوا عليهم الخطوب ﴿وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون﴾ من قولهم ذلك وما أشبهه من قولهم إن آباءنا الأنبياء يشفعون لنا أو أن الله تعالى وعد يعقوب عليه السلام أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح. قال ابن عباس رضي الله عنهما زعمت اليهود أنهم وجدوا في التوراة أن ما بين طرفي جهنم أربعون سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم وإنما نعذب حتى نأتي إلى شجرة الزقوم فتذهب جهنم وتهلك وأصل الجحيم سقر وفيها شجرة الزقوم فإذا اقتحموا من باب جهنم وتبادروا في العذاب حتى انتهوا إلى شجرة الزقوم وملؤوا البطون قال لهم خازن سقر زعمتم أن النار لن تمسكم إلا أياماً معدودات قد خلت أربعون سنة وأنتم في الأبد ﴿فكيف﴾ أي: فكيف يصنعون وكيف يكون حالهم وهو استعظام لما أعد لهم وتهويل لهم وأنهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والمخلص منه وأن ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون ﴿إذا جمعناهم ليوم﴾ أي: لجزاء يوم ﴿لا ريب فيه﴾ أي: في وقوعه ووقوع ما فيه.

- روي - أن أول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفرة راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الاشهاد ثم يأمر بهم إلى النار ﴿ووفيت كل نفس ما كسبت﴾ أي: جزاء ما كسبت من غير نقص أصلاً كما يزعمون. وفيه دلالة على أن العبادة لا تحبط وأن المؤمن لا يخلد في النار لأن توفية جزاء إيمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فإذا هي بعد الخلاص منها ﴿وهم﴾ أي: كل الناس المدلول عليهم بكل نفس ﴿لا يظلمون﴾ بزيادة عذاب أو بنقص ثواب

بل يصيب كلاً منهم مقدار ما كسبه فالله تعالى ليس من شأنه العظيم أن يظلم عباده ولو مثقال ذرة فيجازي المؤمنين بإيمانهم والكافرين بكفرهم. فعلى العاقل أن لا يقطع رجاءه من الله تعالى وإن كانت ذنوبه مثل زبد البحر فالله تعالى عند حسن ظن العبد به.

ـ روي ـ «أنه إذا كان يوم القيامة وسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار إذا بصوت حزين ينادي من داخل النار يا حنان يا منان ياذا الجلال والإكرام» فيقول الله تعالى: يا جبريل اخرج هذا العبد الذي في النار قال: فيخرجه أسود كفرخ الحمام قد تناثر لحمه وذاب جسمه فينادي يا جبريل لا توقفني بين يدي الله فأفزع فيؤتى به إلى الله فيقول له عبدي: أتذكر ذنب كذا وكذا في سنة كذا وكذا فيقول: نعم يا رب فيقول الله اذهبوا بعبدي إلى النار فيكون من العبد التفات فيقول الله: ردوا عبدي إلي فيرد إليه فيقول له: عبدي ما كان التفاتك وهو أعلم فيقول: يا رب أذنبت ولم أقطع رجائي منك وحاسبتني ولم أقطع رجائي منك وأدخلتني النار ولم أقطع رجائي منك وأخرجتني منها إليك ولم أقطع رجائي منك ثم رددتني إليها ولم أقطع رجائي منك فيقول الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي وارتفاعي في علو مكاني لأكونن عند ظن عبدي بي ولأحققن رجاءه فيَّ اذهبوا بعبدي إلى الجنة»

خدايا بعزت كه خوارم مكى   بذل بزه شر مسارم مكن

قال رسول الله ﷺ: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت ولا في قبورهم ولا في منشرهم كأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم وهم يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن» فالواجب على من كان مؤمناً وليس من أهل البدع أن يحمد الله على ما هداه وجعله مسلماً من الأمة الشريفة. ولذا قيل: من علامات سوء العاقبة أن لا يشكر العبد على ما هدى به من الإيمان والتوحيد. وأهل الغرور في الدنيا مخدوع بهم في الآخرة فليس لهم عناية رحمانية وإنما يقبل رجاء العبد إذ قارنه العمل والكاملون بعد أن بالغوا في تزكية النفس ما زالوا يخافون من سوء العاقبة ويرجون رحمة الله فكيف بنا ونحن متورطون في آبار الأوزار لا توبة لنا ولا استغفار غير العناد والإصرار. قال الإمام الهمام محمد الغزالي رحمه الله في منهاج العابدين: مقدمات التوبة ثلاث: إحداها ذكر غاية قبح الذنوب. والثانية ذكر غاية عقوبة الله وأليم سخطه وغضبه الذي لا طاقة لك به. والثالثة: ذكر ضعفك وقلة حيلتك فإن من لا يحتمل حر الشمس ولطمة شرطي وقرص نملة كيف يحتمل حر نار جهنم وضرب مقامع الزبانية ولسع حيات كأعناق البخت وعقارب كالبغال خلقت من النار في دار الغضب والبوار نعوذ بالله من سخطه وعذابه.

مرامى بباید چو طفلان كریست   زشرم كناهان زطفلانه زیست
نكو كفت لقمان كه نازیستن   به ازسالها بر خطا زیستن
هم ازبامداد آن در كلبه بست   به ازسود وسرمایه دادن زدست

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قل اللهم﴾ أصله يا الله فالميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل وشددت لقيامها مقام حرفين. وقيل أصله يا الله أُمَّنا بخير أي: اقصدنا

به فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته ﴿**مالك الملك**﴾ أي: مالك جنس الملك على الإطلاق ملكاً حقيقياً بحيث يتصرف فيه كيف ما يشاء له إيجاداً وإعداماً وإحياء وإماتة وتعذيباً وإثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه فإن الميم عنده تمنع الوصفية لأنه ليس في الأسماء الموصوفة شيء على حد اللهم ﴿**تؤتي الملك**﴾ بيان لبعض وجوه التصرف الذي يستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تعالى وكون مالكية الغير بطريق المجاز كما ينبىء عنه إيثار الإيتاء الذي هو مجرد الإعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة ﴿**من تشاء**﴾ إيتاءه إياه ﴿**وتنزع الملك ممن تشاء**﴾ نزعه منه فالملك الأول حقيقي عام ومملوكيته حقيقية والآخران مجازيان خاصان ونسبتهما إلى صاحبهما مجازية ﴿**وتعز من تشاء**﴾ أن تعزه في الدنيا أو في الآخرة أو في فيهما بالنصر والتوفيق ﴿**وتذل من تشاء**﴾ أن تذله في إحداهما أو فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة ﴿**بيدك الخير**﴾ وتعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص أي: بقدرتك الخير كله لا بقدرة أحد من غيرك تتصرف فيه قبضاً وبسطاً حسبما تقتضيه مشيئتك وتخصيص الخير بالذكر لأن الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه إلى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة فقال: بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك ولأن كل أفعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كإيتاء الملك ونزعه أو لمراعاة الأدب فإن الخطاب بأن الشر منك وبيدك ترك أدب وإن كان الكل من الله تعالى.

ـ روي ـ أن رسول الله ﷺ لما خط الخندق عام الأحزاب وقطع لكل عشرة من أهل المدينة أربعين ذراعاً وجميع من وافى الخندق من القبائل عشرة آلاف وأخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق صخرة كالفيل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان إلى رسول الله ﷺ يخبره فجاء عليه السلام وأخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها مقدار ثلثها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها كأنه مصباح في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال: «أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب» ثم ضرب الثانية فقال: «أضاءت لي منها القصور الحمر في أرض الروم» ثم ضرب الثالثة فقال: «أضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني جبريل عليه السلام أن أمتي ظاهرة على الأمم كلها فأبشروا» فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزلت ﴿**إنك على كل شيء قدير**﴾ من الاعزاز والاذلال.

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾

﴿**تولج**﴾ أي: تدخل ﴿**الليل في النهار**﴾ بنقص الأول وزيادة الثاني حتى يصير النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات ﴿**وتولج النهار في الليل**﴾ حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات ﴿**وتخرج الحي من الميت**﴾ أي: تظهر الحيوان من النطفة أو الطير من البيضة أو العالم من الجاهل أو المؤمن من الكافر أو النبات من الأرض اليابسة ﴿**وتخرج الميت من الحي**﴾ وهذا عكس الأول ﴿**وترزق من تشاء بغير حساب**﴾ قال أبو

العباس المقري: ورد لفظ الحساب في القرآن على ثلاثة أوجه بمعنى التعب قال تعالى: ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٧] وبمعنى العدد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] وبمعنى المطالبة قال تعالى: ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩] والباء متعلقة بمحذوف وقع حالاً من فاعل ترزق أو من مفعوله وفيه دلالة على أن من قدر على أمثال هاتيك الأفاعيل العظام المحيرة للعقول فقدرته على أن ينزع الملك من العجم ويذل ويؤتيه العرب ويعزهم أهون من كل هين. عن علي رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين من آل عمران شهد الله أنه لا إله إلا هو إلى قوله تعالى إن الدين عند الله الإسلام وقل اللهم إلى قوله تعالى بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب قلن: يا رب أتهبطنا إلى أرضك وإلى من يعصيك؟ قال الله عز وجل: إني حلفت أنه لا يقرأكن أحد دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه وأسكنته في حظيرة القدس ونظرت إليه بعيني كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين حاجة أدناها المغفرة وأعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم» وفي بعض الكتب [أنا الله ملك الملوك، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فإن العباد أطاعوني جعلتهم لهم رحمة وإن العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسبب الملوك ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم] وهو معنى قوله عليه السلام: «كما تكونون يولى عليكم» معناه إن كنتم من أهل الطاعة يول عليكم أهل الرحمة وإن كنتم من أهل المعصية يول عليكم أهل العقوبة. وجاء في الخبر أن موسى عليه السلام قال في مناجاته [يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض فما علامة سخطك من رضاك؟ فأوحى الله إليه إذا استعملت على الناس خيارهم فهو علامة رضاي وإذا استعملت شرارهم فهو علامة سخطي عليهم]. قال الحجاج بن يوسف حين قيل له: لم لا تعدل مثل عمر رضي الله عنه وأنت قد أدركت خلافته أفلم تر عدله وصلاحه؟ فقال في جوابهم: تبذروا أَتَعَمَّرَ لكم، أي: كونوا كأبي ذر في الزهد والتقوى أعاملكم معاملة عمر في العدل والإنصاف. وفيه إشارة إلى أن الولاة إنما يكونوا على حسب أعمال الرعايا وأحوالهم صلاحاً وفساداً فعلى كل واحد من المسلمين التضرع لله تعالى والإنابة إليه بالتوبة والاستغفار عند فشوّ الظلم وشمول الجور ويظهر جور الوالي وعدله في الضرع والزرع والأشجار والأثمار والمكاسب والحرف يعني يقل لبن الضرع وتنزع بركة الزرع وتنقص ثمار الأشجار وتكسد معاملة التجار وأهل الحرف في الأمصار التي ملك فيها ذلك الملك الجائر بشؤم ظلمه وسوء فعله ويكون الأمر على العكس إذا عدل ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه طاوس إن أردت أن يكون عملك خيراً كله فاستعمل أهل الخير فقال كفى بها موعظة.

پندم اكر بشنوى أي: پادشاه ... درهمه دفتر به ازين پند نيست
جز بخردمند مفرما عمل ... كرچه عمل كار خردمند نيست

قال النبي ﷺ: «سيأتي زمان لأمتي يكون أمراؤهم على الجور، وعلماؤهم على الطمع وعبادهم على الرياء وتجارهم على أكل الربا ونساؤهم على زينة الدنيا».

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾

﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء﴾ نهوا عن موالاتهم لقرابة أو صداقة جاهلية أو جوار ونحوها من أسباب المصادقة والمعاشرة حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم إلا لله تعالى أو عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الأمور الدينية﴿من دون المؤمنين﴾ في موضع الحال أي: متجاوزين المؤمنين إليهم استقلالاً أو اشتراكاً. وفيه إشارة إلى أنهم الاحقاء بالموالاة وأن في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكافرين أي: استغناء فلا تؤثروهم عليهم في الولاية﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي: اتخاذهم أوليا﴿فليس من الله﴾ أي: من ولايته تعالى﴿في شيء﴾ يصح أن يطلق عليه اسم الولاية يعني أنه منسلخ من ولاية الله رأساً وهذا أمر معقول فإن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان، قال:

تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ليس النوك عنك بعازب

النوك الحمق. والعازب البعيد والمعنى الصديق هو من يودك ويبغض عدوك. والأعداء أيضاً ثلاثة عدوك وعدو صديقك وصديق عدوك.

بشوى أي خرمند ازان دوست دست كه بادشمنانت بود هم نشست

﴿إلا أن تتقوا﴾ استثناء من أعم الأحوال كأنه قيل: لا تتخذوهم أولياء ظاهراً وباطناً في حال من الأحوال إلا حال اتقائكم﴿منهم﴾ أي: من جهتهم﴿تقاة﴾ أي: اتقاء بأن تغلب الكفار أو يكون المؤمن بينهم فإن إظهار الموالاة حينئذٍ مع اطمئنان النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من شق العصا وإظهار ما في الضمير كما قال عيسى عليه السلام: [كن وسطاً وامش جانباً] أي: كن فيما بينهم صورة وتجنب عنهم سيرة [ولا تخالطهم مخالطة الاوداء ولا تتسير بسيرتهم] وهذا رخصة فلو صبر حتى قتل كان أجره تعظيماً ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ أي: يخوفكم الله ذاته المقدسة كقوله تعالى: ﴿فاتقون﴾ [البقرة: ٤١] ﴿وَٱخۡشَوۡنِي﴾ [البقرة: ١٥٠] أي: من سخطي وعقوبتي فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد ﴿وإلى الله المصير﴾ أي: إلى جزاء الله مرجع الخلق فيجزي كلاً بعمله.

﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٩﴾

﴿قل إن تخفوا ما في صدوركم﴾ من الضمائر التي من جملتها ولاية الكفرة﴿أو تبدوه﴾ فيما بينكم﴿يعلمه الله﴾ فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم إليه﴿ويعلم ما في السموات وما في الأرض﴾ لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم وهو من باب إيراد العام بعد الخاص تأكيداً له وتقريراً﴿والله على كل شيء قدير﴾ فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه إن لم تنتهوا عما نهيتم عنه وهذا بيان لقوله تعالى:﴿ويحذركم الله نفسه﴾ لأن نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون المعلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها أن تحذر وتتقي فلا يجسر أحد على قبيح ولا يقصر على واجب فإن ذلك مطلع عليه لا محالة ولاحق به العذاب ولو علم بعض عبيد السلطان أنه أراد الاطلاع على أحواله مما يورد ويصدر ونصب عليه عيوناً وبث من يتجسس عن بواطن أموره لأخذ حذره وتيقظ في أمره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم أن الله الذي يعلم السر وأخفى مهيمن عليه

وهو آمن اللهم إنا نعوذ بك من اغترارنا بسترك كذا في «الكشاف». فالعاقل يخاف من الله ويكون حبه وبغضه لله يوالي المؤمنين ويعادي الكافرين قال رسول الله ﷺ: «أربعة من الكبائر لبس الصوف لطلب الدنيا وادعاء محبة الصالحين وترك فعلهم وذم الأغنياء والأخذ منهم ورجل لا يرى الكسب ويأكل من كسب الناس».

كر آنهاكه ميكفتمى كردمى نكو سيرت پارسا بودمى

والحب في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان وخلق سني والمحبة الصادقة لا تكون إلا عند المصافاة في الباطن وهي مبنية على اتفاق العقيدة والوجهة لأن القلوب تتناسب فتتصافى فإن لم يكن بينها التوافق المعنوي واتفق بين أربابها المصالحة والمؤانسة بحسب المماثلة النوعية والإلفة النفسية والجنسية الصورية أعدت الرذائل صاحب الفضائل باستغراق النفس فتشابه وتخالق كما قيل:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقال علي رضي الله عنه:

[فلا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى حليماً حين أخاه
يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه]

وإذا كان الرجل مبتلى بصحبة الفجار في سفره للحج أو للغزاء لا يترك الطاعة بصحبتهم ولكن يكره بقلبه ولا يرضى به فلعل الفاسق يتوب ببركة كراهة قلبه.

ـ حكي ـ أن حاتماً وشقيقاً خرجا في سفر فصحبهما شيخ فاسق وكان يضرب بالمعزف في الطريق ويطرب ويغني وكان حاتم ينتظر أن ينهاه شقيق فلم يفعل ذلك فلما كان في آخر الطريق وأرادوا أن يتفرقوا قال لهما ذلك الشيخ الفاسق: لم أر أثقل منكما قد طربت بين أيديكما كل الطرب فلم تنظرا إلى طربي فقال له حاتم: يا شيخ اعذرنا فإن هذا شقيق وأنا حاتم فتاب الرجل وكسر ذلك المعزف وجعل يتلمذ عندهما ويخدمهما فقال شقيق لحاتم: كيف رأيت صبر الرجال؟

نه آنكه بر در دعوى نشيند از خلقى كه كر خلاف كنندش بجنك برخيزد
وكر زكوه فرو غلطد آسيا سنكى نه عارفست كه از راه سنك برخيزد

وينبغي أن يعلم أن المؤمن كما يلزم له أن يقطع الموالاة عن الكفار كذلك يقطع ذلك عن الأقرباء الفجار كما قيل:

چون نبود خويش را ديانت وتقوى قطع رحم بهتر از مودت قربى

فإن قلت: هذا مخالف للقرآن فإنه ناطق بصلة الأرحام مطلقاً، قلت: هو موافق كما قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [لقمان: ١٥] فمن تسبب لشقاوتك يجب تقاطعك عنه وإن كان ذا قرابتك:

هزار خويش كه بيكانه از خدا باشد فداي يك تن بيكانه كاشنا باشد

فعليك بقطع التعلق من الأغيار وبالاقتداء بهدي الأنبياء الأخيار قال خليل الله عليه السلام: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٧] ومن موالاة الكفار المواكلة معهم

بغير عذر اقتضاها. ومن القول الشنيع أن يقال لهم جلبي كما يقول لهم سفهاء زماننا فإن معنى جلبي منسوب إلى جلب وجلب اسم الله تعالى وهم ناري دون نوري فكيف يصح نسبتهم إلى الله والعياذ بالله.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿يوم﴾ منصوب بتود **﴿تجد كل نفس﴾** أي: من النفوس المكلفة **﴿ما عملت من خير محضراً﴾** عندها بأمر الله تعالى **﴿وما عملت من سوء﴾** عطف على ما عملت والإحضار معتبر فيه أيضاً إلا أنه خص بالذكر في الخير للإشعار بكون الخير مراداً بالذات وكون إحضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية **﴿تود﴾** أي: تحب وتتمنى يوم تجد صحائف أعمالها من الخير والشر أو أجزيتها محضرة **﴿لو أن بينها وبينه﴾** أي: بين النفس وبين ذلك اليوم وهوله أو بين العمل السوء **﴿أمداً بعيداً﴾** أي: مسافة واسعة كما بين المشرق والمغرب ولم تحضر ذلك اليوم أو لم تعمل ذلك السوء قط **﴿ويحذركم الله نفسه﴾** أي: يقول الله إياكم ونفسي يعني احذروا من سخطي وهو تكرير لما سبق ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه **﴿والله رؤوف بالعباد﴾** يعني أن تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لأنهم إذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك إلى طلب رضاه واجتناب سخطه فيحذرهم تحذير الوالد المشفق على ولده عما يوبقه.

قال القشيري رحمه الله: هذا للمستأنفين وقوله: **﴿ويحذركم الله نفسه﴾** للعارفين أولئك أصحاب التخفيف والتسهيل وهؤلاء أصحاب التخويف والتهويل ونظيره بشر المذنبين وأنذر الصديقين فالله تعالى يمهل ولا يهمل فيجب أن لا يغتر العبد بإمهاله بل يتأهب ليوم حسابه وجزائه:

در خير بازاست وطاعت وليك ... نه هركس تواناست بر فعل نيك

واعلم أن ما يعمله الإنسان أو يقوله ينتقش في صحائف النفوس السماوية وإذا تكرر صار ملكة راسخة لكنه مشغول عن تلك الهيآت الثابتة في نفسه ونقوشها بالشواغل الحسية والوهمية والفكرية فإذا فارقت النفس الجسد وقامت قيامتها وجدت ما عملت من خير وشر محضراً لارتفاع الشواغل المانعة كقوله تعالى: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦] فإن كان شراً تتمنى البعد فيما بينها وما بين ذلك اليوم أو ذلك العمل لتعذبها به فتصير تلك الهيآت صورتها إن كانت راسخة والصورة تعذبها وتعذبت بحسبها ومن الله العصمة، قال مولانا جلال الدين الرومي قدس سره:

هر خيالي كو كند در دل وطن ... روز محشر صورتي خواهد شدن

سيرتى كان در وجودت غالب است ... هم بر آن تصوير حشرت واجب است

فعلى العاقل أن يزكي نفسه عن الأخلاق الذميمة ويطهر قلبه عن لوث العلائق الدنيوية ويجتهد في تحصيل مرضاة الله بالأعمال الصالحة والأقوال الحقة كي يجدها عند ربه يوم احتياجه ويفوز بالسعادة قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأظمأ ما كانوا قط وأعرى ما كانوا قط وأنصب ما كانوا قط فمن أطعم لله أطعمه ومن سقى لله سقاه

ومن كسا لله كساه ومن عمل لله كفاه» وكان رسول الله ﷺ يقول: «يا حنان يا منان يا ذا الجلال والإكرام باعد بيني وبين خطيئتي كما باعدت بين المشرق والمغرب ونقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس واغسلني بماء الثلج والبرد سبحان الله وبحمده أستغفر الله العظيم وأتوب إليه» ونظر رسول الله ﷺ يوماً إلى أصحابه حوله فقال: «أيها الناس لا تعجبوا بأنفسكم وبكثرة أعمالكم وبقلة ذنوبكم ولا تعجبوا بامرىء حتى تعلموا بم يختم له» قال عليه السلام: «فإنما الأعمال بخواتيمها ولو أن أحدكم جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبياً لتمنى الزيادة لهول ما يقدم عليه يوم القيامة».

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني﴾أثبت فيه الياء لأنه أصل ولم يثبت في فاتقون وأطيعون لأنه ختم آية ينوي بها الوقف **﴿يحببكم الله﴾**نزلت حين دعا رسول الله ﷺ كعب بن الأشرف ومن تابعه إلى الإيمان فقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨] فقال تعالى لنبيه عليه السلام: قل لهم: إني رسول الله أدعوكم إليه فإن كنتم تحبونه فاتبعوني على دينه وامتثلوا أمري يحببكم الله ويرض عنكم والمحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها إليه والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله وأن كل ما يراه كمالاً من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبه إلا لله وفي الله وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول ﷺ في طاعته والحرص على مطاوعته **﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾**أي: يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جنات عزه ويبوئكم في جوار قدسه. عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة أو المشاكلة **﴿والله غفور رحيم﴾**أي: لمن كان يتحبب للنصارى ويتبع عيسى ابن مريم فنزل قوله تعالى: **﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾**أي: في جميع الأوامر والنواهي فيدخل في ذلك الطاعة في اتباعه ﷺ دخولاً أولياً **﴿فإن تولوا﴾**إما من تمام مقول القول فهي صيغة المضارع المخاطب بحذف إحدى التاءين أي: تتولوا وتعرضوا، وإما كلام متفرع مسوق من جهته تعالى فهي صيغة الماضي الغائب وفي ترك ذكر احتمال الإطاعة كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا۟﴾ [آل عمران: ٢٠] تلويح إلى أنه غير محتمل عنهم **﴿فإن الله لا يحب الكافرين﴾**نفي المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم أي: لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم. ودلت الآية على شرف النبي عليه السلام فإنه جعل متابعته متابعة حبيبه وقارن طاعته بطاعته فمن ادعى محبة الله وخالف سنة نبيه فهو كذاب بنص كتاب الله تعالى كما قيل:

تعصي الاله وأنت تظهر حبه ... هذا محال في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وإنما كان من ادعى محبة الله وخالف سنة رسوله كاذباً في دعواه لأن من أحب آخر يحب خواصه والمتصلين به من عبيده وغلمانه وبيته وبنيانه ومحله ومكانه وجداره وكلبه وحماره وغير ذلك فهذا هو قانون العشق وقاعدة المحبة وإلى هذا المعنى أشار المجنون العامري حيث قال:

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

قال الإمام القشيري رحمه الله: قطع الله أطماع الكل أن يسلم لأحدهم نفسه إلا ومقتداهم سيد الأولين والآخرين.

وقال القاشاني: محبة النبي عليه السلام إنما تكون بمتابعته وسلوك سبيله قولاً وعملاً وخلقاً وحالاً وسيرة وعقيدة ولا تتمشى دعوى المحبة إلا بهذا فإنه قطب المحبة ومظهرها وطريقته ﷺ المحبة فمن لم يكن له من طريقته نصيب لم يكن له من المحبة نصيب وإذا تابعه حق المتابعة ناسب باطنه وسره وقلبه ونفسه باطن النبي وسره وقلبه ونفسه وهو مظهر المحبة فلزم بهذه المناسبة أن يكون لهذا التابع قسط من محبة الله بقدر نصيبه من المتابعة فيلقي الله محبته عليه ويسري من روح النبي نور تلك المحبة أيضاً إلى قلبه أسرع ما يكون إذ لولا محبة الله لم يكن محباً له ثم نزل عن هذا المقام لأنه أعز من الكبريت الأحمر ودعاهم إلى ما هو أعم من مقام المحبة وهو مقام الإرادة فقال: ﴿**قل أطيعوا الله والرسول**﴾ أي: إن لم تكونوا محبين ولم تستطيعوا متابعة حبيبي فلا أقل من أن تكونوا مريدين مطيعين لما أمرتم به فإن المريد يلزمه طاعة المراد وامتثال أمره ﴿**فإن تولوا**﴾ أي: إن أعرضوا عن ذلك أيضاً فهم كفار محجوبون انتهى.

وروى البخاري عن عبد الله بن هشام أنه كان مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال عمر: يا رسول الله أنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي فقال عليه السلام: «والذي نفس محمد بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه» فقال عمر: فإنه الآن والله أنت أحب إلي من نفسي فقال عليه السلام: «الآن يا عمر صار إيمانك كاملاً» وقال ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا ومن يأبى قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» وعن جابر بن عبد الله أنه قال: جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً فقالوا كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها له يفقهها فقالوا: الدار الجنة والداعي محمد فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله ومن عصى محمداً فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس فبمتابعة النبي ﷺ تحصل الجنة والقربة والوصلة.

ـ روي ـ أن محموداً الغازي دخل على الشيخ الرباني أبي الحسن الخرقاني قدس سره لزيارته وجلس ساعة ثم قال: يا شيخ ما تقول في حق أبي يزيد البسطامي قدس سره؟ فقال الشيخ: هو رجل من اتبعه اهتدى واتصل بسعادة لا تخفى فقال محمود وكيف ذلك وأبو جهل رأى رسول الله عليه السلام ولم يخلص من الشقاوة؟ فقال الشيخ في جوابه: إن أبا جهل ما رأى رسول الله إنما رأى محمد بن عبد الله حتى لو كان رأى رسول الله عليه السلام لخرج من الشقاوة ودخل في السعادة ثم قال ومصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨] فالنظر بعين الرأس لا يوجب هذه السعادة بل النظر بعين السر والقلب والمتابعة التامة تورث ذلك. وأمته ﷺ من اتبعه ولا يتبعه إلا من أعرض عن الدنيا فإنه عليه السلام ما دعا إلا إلى الله واليوم الآخر وما صرف إلا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما

أعرضت عنها وأقبلت على الله وصرفت الأوقات لأعمال الآخرة فقد سلكت سبيله الذي يسلكه ويقدر ما اتبعته صرت من أمته وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله وأعرضت عن متابعته ولحقت بالذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾ [النازعات: ٣٨. ٣٩] ولو خرجت عن مكمن الغرور وأنصفت من نفسك يا رجل ـ وكلنا ذلك الرجل ـ لعلمت أنك من حين تمسي إلى حين تصبح لا تسعى إلا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك إلا برجل الدنيا الفانية ثم تطمع في أن تكون غداً من أمته وأتباعه ويحك ما أبعد ظننا؟ وما أفحش طمعنا؟ قال الله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم: ٣٥. ٣٦].

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿إن الله اصطفى آدم﴾ الاصطفاء أخذ ما صفا من الشيء كالاستصفاء أي: اختار آدم بالنفس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية والكمالات الجسمانية المستتبعة للرسالة في نفس المصطفى كما في كافة الرسل عليهم السلام أو فيمن يلابسه وينشأ منه كما في مريم أو اصطفاه بأن خلقه بيده في أحسن تقويم وبتعليم الأسماء وإسجاد الملائكة إياه وإسكانه الجنة ﴿و﴾ اصطفى ﴿نوحاً﴾ بما ذكر من الوجه الأول أو اصطفاه بكونه أول من نسخ الشرائع إذ لم يكن قبل ذلك تزويج المحارم حراماً وبإطالة عمره وجعل ذريته هم الباقين واستجابة دعوته في حق الكفرة والمؤمنين وحمله على متن الماء ﴿و﴾ اصطفى ﴿آل إبراهيم﴾ وهو إسماعيل وإسحٰق والأنبياء من أولادهما الذين من جملتهم النبي ﷺ ويفهم من اصطفائهم اصطفاء إبراهيم بطريق الأولوية ﴿و﴾ اصطفى ﴿آل عمران﴾ وهو عيسى وأمه مريم ابنة عمران بن ماتان بن العادر بن أبي هود بن رب بابل بن ساليان بن يوحنا بن اوشا بن أوموذر بن ميشك بن خارقا بن يونام بن غرزيا بن يوزان بن ساقط بن ايشا بن راجقيم بن سليمان بن داود عليهما السلام بن ايشا بن عويل بن سلمون بن ياعر بن ممشون بن عمياد بن دام بن حضروم بن فارض بن يهودا بن يعقوب عليه السلام. وقيل آل عمران هو موسى وهارون عليهما السلام ابنا عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة فيكون اصطفاء عيسى عليه السلام بالاندراج في آل إبراهيم والأول هو الأظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم واصطفاء موسى وهارون عليهما السلام بالانتظام في سلك آل إبراهيم انتظاماً ظاهراً ﴿على العالمين﴾ جمع عالم وهو اسم لنوع من المخلوقين فيه علامة يمتاز بها عن خلافه من الأنواع كالملك والجن والإنس يقال عالم البر وعالم البحر وعالم الأرض وعالم السماء والمراد بالعالمين أهل زمان كل واحد منهم أي: اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه ﴿ذرية﴾ نصب على البدلية من الآلين. والذر بفتح الذال: البث والتفريق، وسمي نسل الثقلين ذرية لأن الله تعالى قد بثهم في الأرض أو لأن الله أخرج نسل آدم عليه السلام من صلبه كهيئة الذر وهو جمع ذرة وهي أصغر النمل والذرء أيضاً: الخلق والله تعالى خلقهم وأظهرهم من العدم إلى الوجود ﴿بعضها من بعض﴾ في محل النصب على أنه صفته لذرية يعني أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض فإن آل إبراهيم أعني إسماعيل وإسحٰق متشعبان من إبراهيم المتشعب من نوح المتشعب من آدم وأولادهما إلى آخر أنبياء بني إسرائيل وإلى خاتم الأنبياء

والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين متشعبون منهما وآل عمران وهو موسى وهارون من ذرية إبراهيم ونوح وآدم وكذا عيسى وأمه مريم عليهما السلام ﴿**والله سميع**﴾ لأقوال العباد ﴿**عليم**﴾ بأعمالهم البادية والخافية فيصطفي من بينهم لخدمته من يظهر استقامته قولاً وفعلاً على نهج قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٣٤]. ودلت الآية على صحة أنكحة الكفار حيث ثبت نسب بعضهم من بعض بها قال ﷺ: «ولدت من نكاح لا من سفاح».

واعلم أن الاصطفاء أعم من المحبة والخلة فيشمل الأنبياء كلهم لأنهم خيرة الله وصفوته وتتفاضل فيه مراتبهم كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] فأخص المراتب هو المحبة المشار إليها بقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] فلذلك كان أفضلهم حبيب الله محمداً عليه السلام ثم الخلة التي هي صفة إبراهيم عليه السلام وأعمها الصفاء الذي هو صفة آدم صفي الله عليه السلام ﴿**ذرية بعضها من بعض**﴾ في الدين والحقيقة إذ الولادة قسمان: صورية ومعنوية فكل نبي يتبع نبياً آخر في التوحيد والمعرفة وما يتعلق بالباطن من أصول الدين فهو ولده كأولاد المشايخ في زماننا هذا وكما قيل الآباء ثلاثة: أب ولدك، وأب رباك، وأب علمك، وكما أن وجود البدن في الولادة الصورية يتولد في رحم أمه من نطفة أبيه فكذلك وجود القلب في الولادة الحقيقية يظهر في رحم استعداد النفس من نفخة الشيخ والمعلم وإلى هذه الولادة أشار عيسى عليه السلام بقوله: [لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين].

ثم اعلم أن الولادة المعنوية أكثرها تتبع الصورية في التناسل ولذلك كان الأنبياء في الظاهر أيضاً نسلاً واحداً ثمرة شجرة واحدة وسببه أن الروح في الصفاء والكدورة يناسب المزاج في القرب من الاعتدال الحقيقي وعدمه وقت التكون فلكل روح مزاج يناسبه ويخصه إذ الفيض يصل بحسب المناسبة وتتفاوت الأرواح في الأزل بحسب صفوتها ومراتبها في القرب والبعد عن الحضرة الأحدية فتتفاوت الأمزجة بحسبها في الأبد لتتصل بها والأبدان المتناسلة بعضها من بعض متشابهة في الأمزجة على الأكثر اللهم إلا لأمور عارضة اتفاقية فكذلك الأرواح المتصلة بها متقاربة في الرتبة متناسبة في الصفة وهذا مما يقوي أن المهدي يكون من نسل محمد عليه السلام. والأغذية مؤثرة في البدن. فمن كان غذاؤه حلالاً طيباً وهيآت نفسه فاضلة نورانية ونياته صادقة حقانية جاء ولده مؤمناً صديقاً أو ولياً أو نبياً. ومن كان غذاؤه حراماً وهيآت نفسه خبيثة ظلمانية ونياته فاسدة رديئة جاء ولده فاسقاً أو كافراً أو زنديقاً إذ النطفة التي يكون الولد منها متولدة من ذلك الغذاء مرباة في تلك النفس فيناسبها ولهذا قال رسول الله ﷺ: «الولد سر أبيه» وكان صدق مريم ونبوة عيسى ببركة صدق نيتها.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿**إذ**﴾ منصوب باذكر ﴿**قالت امرأة عمران**﴾ وهي امرأة عمران بن ماثان أم مريم البتول جدة عيسى عليه السلام وهي حنة بنت فاقوذا. فإن قلت: كان لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهارون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما أدراك أن عمران هذا هو أبو

مريم البتول دون عمران أبي مريم التي هي أخت موسى وهارون. قلت: كفى بكفالة زكريا دليلاً على أنه عمران أبو البتول لأن زكريا بن أذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته ايشاع أخت مريم فكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابني خالة.

ـ روي ـ أنها كانت عاقراً لم تلد إلى أن عجزت فبينا هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخاً له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت: اللهم إن لك عليّ نذراً شكراً إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل وذلك قوله تعالى: ﴿**رب إني نذرت لك**﴾والنذر ما يوجبه الإنسان على نفسه ﴿**ما في بطني**﴾عبر عن الولد بما لإبهام أمره وقصوره عن درجة العقلاء ﴿**محررا**﴾أي: معتقاً لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا أستخدمه ولا أشغله بشيء أو خالصاً لله ولعبادته لا يعمل عمل الدنيا ولا يتزوج فيتفرغ لعمل الآخرة وكان هذا النذر مشروعاً عندهم لأن الأمر في دينهم أن الولد إذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمة الأبوين فكانوا بالنذر يتركون ذلك النوع من الانتفاع ويجعلونهم محررين لخدمة المسجد ولم يكن أحد من الأنبياء إلا ومن نسله محرر لبيت المقدس ولم يكن يحرر إلا الغلمان ولا تصح له الجارية لما يصيبها من الحيض والأذى فتحتاج إلى الخروج ولكن حررت حنة ما في بطنها مطلقاً إما لأنها بنت الأمر على تقدير الذكورة أو لأنها جعلت ذلك النذر وسيلة إلى طلب الولد الذكر ﴿**فتقبل مني**﴾ أي: ما نذرته والتقبل. أخذ الشيء على وجه الرضى وهذا في الحقيقة استدعاء للولد إذ لا يتصور القبول بدون تحقق المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الأنثى ﴿**إنك أنت السميع**﴾ لجميع المسموعات التي من جملتها تضرعي ودعائي ﴿**العليم**﴾لكل المعلومات التي من زمرتها ما في ضميري لا غير ﴿**فلما وضعتها**﴾أي: ولدت النسمة وهي أنثى ﴿**قالت**﴾حنة وكانت ترجو أن تكون غلاماً ﴿**رب إني**﴾التأكيد للرد على اعتقادها الباطل ﴿**وضعتها أنثى**﴾ تحسراً على ما رأته من خيبة رجائها وعكس تقديرها والضمير المتصل عائد إلى النسمة وأنثى حال منه ﴿**والله أعلم بما وضعت**﴾تعظيم من جهته تعالى لموضوعها فإنها لما تحسرت وتحزنت على أن ولدت أنثى قال الله تعالى إنها لا تعلم قدر هذا الموهوب والله هو العالم بالشيء الذي وضعته وما علق به من العجائب وعظائم الأمور فإنه تعالى سيجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم به فلذلك تحسرت وتحزنت ﴿**وليس الذكر كالأنثى**﴾قول لله أيضاً مبين لتعظيم موضوعها ورفع منزلته. واللام فيهما للعهد أي: ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالاً قصاراه أن يكون كواحد من السدنة كالأنثى التي وهبت لها فإن دائرة علمها وأمنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الأمور فهي أفضل من مطلوبها وهي لا تعلم وهاتان الجملتان من مقول الله تعالى اعتراضان بين قول أم مريم ﴿**إني وضعتها أنثى**﴾وقولها: ﴿**وإني سميتها مريم**﴾وفائدتهما التسلية لنفس حنة والتعظيم لوضعها ﴿**وإني سميتها مريم**﴾من مقول حنة عطف على قولها ﴿**إني وضعتها**﴾أي: إني جعلت اسمها مريم وغرضها من عرضها على علام الغيوب التقرب إليه تعالى واستدعاء العصمة لها فإن مريم في لغتهم بمعنى العابدة وخادم الرب وإظهار أنها غير راجعة في نيتها وإن كان ما وضعته أنثى وإنها لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه وظاهر هذا الكلام يدل على أن عمران كان قد مات قبل وضع حنة مريم وإلا لما تولت الأم تسمية المولود لأن العادة أن التسمية يتولاها الآباء

﴿وإني أعيذها بك﴾أي: أجيرها بحفظك ﴿وذريتها﴾عطف على الضمير المنصوب أي: أولادها ﴿من الشيطان الرجيم﴾أي: المطرود. وأصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي ﷺ: «ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مسه إلا مريم وابنها» ومعناه أن الشيطان يطمع في إغواء كل مولود بحيث يتأثر منه إلا مريم وابنها فإن الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿فتقبلها﴾أي: أخذ مريم ورضي بها في النذر مكان الذكر ﴿ربها﴾مالكها ومبلغها إلى كمالها اللائق ﴿بقبول حسن﴾بوجه حسن يقبل به النذائر وهو قبول تلك الأنثى مع أنوثتها وصغرها فإن المعتاد في تلك الشريعة أن لا يجوز التحرير إلا في حق غلام عاقل قادر على خدمة المسجد وهنا لما علم الله تعالى تضرع حنة قبل بنتها حال صغرها وعدم قدرتها على خدمة المسجد ﴿وأنبتها نباتاً حسناً﴾مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها مما يصلح في جميع أحوالها ثم إن الله تعالى ذكر قبولها منها وذلك لضعفها وصدق نيتها في الابتداء وحيائها في الانتهاء وكان في ذلك الزمان أربعة آلاف محرر لم يشتهر خبر أحد منهم اشتهار خبرها. وفيه تنبيه للعبد على أن يرى من نفسه التقصير بعد جهدها ليقبل الله عملها لإظهار إفلاسها وإضمار إخلاصها رزقنا الله وإياكم:

طريقت همينست كاهل يقين ... نكو كار بودند وتقصير بين

واعلم أنه سبحانه قطع السائرين له وهم المريدون والواصلين إليه وهم المرادون عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم. أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها فانقطعوا إليه برؤية تقصيرهم. وأما الواصلون فلأنه غيبهم شهوده عنها لأنه الفعال وهم آلة مسخرة.

ولما دخل الواسطي نيسابور سأل أصحاب الشيخ أبي عثمان المغربي بم يأمركم شيخكم؟ قالوا: كان يأمرنا بالتزام الطاعة ورؤية التقصير فيها فقال: أمركم بالمجوسية المحضة هلا آمركم بالغيبة عنها بشهود منشئها ومجريها. قال القشيري وإنما أراد الواسطي صيانتهم عن محل الإعجاب لا تعريجاً في أوطان التقصير أو تجويزاً للإخلال بأدب من الآداب. قال النهرجوري من علامة من تولاه الله في أعماله أن يشهد التقصير في إخلاصه والغفلة في أذكاره والنقصان في صدقه والفتور في مجاهدته وقلة المراعاة في فقره فتكون جميع أحواله عنده غير مرضية ويزداد فقراً إلى الله في فقره وسيره حتى يفنى عن كل ما دونه. قال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه في إشارة قوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الحج: ٦١] يولج المعصية في الطاعة ويولج الطاعة في المعصية يطيع العبد الطاعة فيعجب بها ويعتمد عليها ويستصغر من لم يفعلها ويطلب من الله العوض عليها فهذه حسنة أحاطت بها سيئات ويذنب الذنب فيلجأ إلى الله فيه ويستصغر نفسه ويستعظم من لم يفعله فهذه سيئة أحاطت بها حسنات فأيتهما الطاعة وأيتهما المعصية فعلى السالك أن يجتهد في الطاعات ولا يغتر بالعبادات لعله يصل إلى غاية الغايات في روضات الجنات:

چه زرها بخاك سيه دركنند ... كه باشد كه روزى مسى زركنند

يعني أن المشتغلين بتحصيل صنعة الكيمياء يجعلون دنانير كثيرة تحت التراب أي: يبذلونها لتحصيلها ويفرقونها في أسبابها كي يصير النحاس في أيديهم ذهباً بحتاً ويتشرفوا بوصولها:

زر ازبهر چيزى خريدن نكوست چه خواهي خريدن به ازوصل دوست

فالسعي في الأعمال إنما هو لطلب رضى الله ووصول جنابه وهو الذي يبذل في طريقه المال والروح لينفتح باب الفتوح. قال الشيخ الشاذلي قدس سره في «لطائف المنن»: واعلموا أن الله أودع أنوار الملكوت في أصناف الطاعات فأي من فاته من الطاعات صنف أو أعوزه من الموافقات جنس فقد فقد من النور بمقدار ذلك ولا تهملوا شيئاً عن الطاعات ولا تستغنوا عن الأوراد بالواردات ولا ترضوا لأنفسكم بما رضي به المدعون بحر الحقائق على ألسنتهم وخلوا أنوارها من قلوبهم انتهى، فينبغي للعبد أن يواظب على أصناف الطاعات وينساها بعدما عملها كيلا يبطلها العجب لأنه يقال حفظ الطاعة أشد من فعلها لأن مثلها كمثل الزجاج يسرع إليه الكسر ولا يقبل الجبر وكذا الخيرات إذا أزيلت بالمخالفات **﴿وكفلها زكريا﴾** الفعل لله تعالى بمعنى وضمنها الله إلى زكريا وجعله كافلاً لها وضامناً لمصالحها قائماً بتدابير أمورها والكافل هو الذي ينفق على إنسان ويهتم بإصلاح مصالحه وفي الحديث: «أنا وكافل اليتيم كهاتين» وهو زكريا بن أذن بن مسلم بن صدون من أولاد سليمان عليه السلام ابن داود عليه السلام.

ـ روي ـ أن حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم: دونكم هذه النذيرة أي: خذوها فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم فإن بني ماثان كانت رؤوس بني إسرائيل وملوكهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقرع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين إلى نهر قيل هو نهر الأردن فألقوا فيه أقلامهم التي كانوا يكتبون بها الوحي على أن كل من ارتفع قلمه فهو الراجح فألقوا ثلاث مرات ففي كل مرة يرتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فتكفلها. قال الشيخ في تفسيره وهو معنى قوله **﴿فتقبلها ربها﴾** الآية **﴿كلما﴾** أي: كل وقت **﴿دخل عليها﴾** أي: على مريم **﴿زكريا﴾** فاعل دخل **﴿المحراب﴾** أي: في المحراب قيل: بنى لها محراباً في المسجد أي: غرفة تصعد إليها بسلم أو المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس أو كانت مساجدهم تسمى المحاريب.

ـ روي ـ أنها لا يدخل عليها إلا هو وحده فإذا خرج غلق عليها سبعة أبواب فكلما دخل **﴿وجد عندها رزقاً﴾** أي: نوعاً منه غير معتاد إذ كان ينزل ذلك من الجنة وكان يجد عندها في الصيف فاكهة الشتاء وفي الشتاء فاكهة الصيف ولم ترضع ثدياً قط **﴿قال﴾** كأنه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام عند مشاهدة هذه الآية؟ فقيل قال: **﴿يا مريم أنى لك هذا﴾** أي: من أين يجيء لك هذا الذي لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والأبواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به إليك **﴿قالت﴾** مريم وهي صغيرة لا قدرة لها على فهم السؤال ورد الجواب قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد **﴿هو من عند الله﴾** فلا تعجب ولا تستبعد **﴿إن الله يرزق من يشاء﴾** أن يرزقه **﴿بغير حساب﴾** أي: بغير تقدير لكثرته أو بلا محاسبة أو من حيث لا يحتسب وهو تعليل لكونه من عند الله إما من تمام كلامها فيكون في محل النصب

وإما من كلامه عز وجل فهو مستأنف. وفي الآية دليل على جواز الكرامة للأولياء ومن أنكرها جعل هذا إرهاصاً وتأسيساً لرسالته عليه السلام. عن النبي ﷺ أنه جاع في زمن قحط فأهدت له فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها إليها وقال: «هلمي يا بنية» فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزاً ولحماً فبهتت وعلمت أنها نزلت من عند الله فقال لها ﷺ: «أنى لك هذا» فقالت: هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال ﷺ: «الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة بني إسرائيل» ثم جمع رسول الله ﷺ علياً والحسنين - رضي الله عنهم - وجمع أهل بيته عليه فأكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو فأوسعت فاطمة رضي الله عنها على جيرانها. وقد ظهر على السلف رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين ثم على من بعدهم من الكرامات. قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه أكبر الكرامات أن تبدل خلقاً مذموماً من أخلاقك. قال الشيخ أبو العباس رحمه الله: ليس الشأن من تطوي له الأرض فإذا هو بمكة وغيرها من البلدان إنما الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه. وقيل لأبي يزيد: إن فلاناً يمشي على الماء قال الحوت أعجب منه إذ هو شأنه، فقيل له: إن فلاناً يمشي في الهواء قال: الطير أعجب من ذلك إذ هو حاله، قيل له: كان فلان يمشي إلى مكة ويرجع من يومه قال إبليس: أعجب من ذلك إذ هو حاله تطوى له الأرض كلها في لحظة وهو في لعنة الله فالطي الحقيقي أن تطوي مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب إليك منك لأن الأرض تطوي لك فإذا أنت حيث شئت من البلاد لأن هذا ربما جر إلى الاغترار وذلك يؤدي للتعلق بالواحد القهار.

- وحكي - عن أبي عنوان الواسطي قال: انكسرت السفينة وبقيت أنا وامرأتي أياماً على لوح وقد ولدت في تلك الحالة صبية فصاحت بي فقالت: يقتلني العطش فرفعت رأسي فإذا رجل في الهواء جالس وفي يده سلسلة من ذهب وفيها كوز من ياقوت أحمر وقال: هاك اشربا قال: فأخذت الكوز وشربنا منه فإذا هو أطيب من المسك وأحلى من العسل فقلت: من أنت يرحمك الله قال: أنا عبد لمولاك فقلت: بم وصلت إلى هذا فقال: تركت هواي لمرضاته فأجلسني في الهواء ثم غاب عني فلم أره. وحج سفيان الثوري مع شيبان الراعي - رضي الله عنهما - فعرض لهما سبع فقال سفيان لشيبان أما ترى هذا السبع؟ فقال: لا تخف وأخذ شيبان أذنيه فعركهما فتبصبص وحرك ذنبه فقال سفيان: ما هذه الشهرة؟ فقال: لولا مخافة الشهرة لما وضعت زادي إلا على ظهره حتى آتى مكة:

توهم كردن از حكم داور مپيچ ... كه كردن نه پيچدز حكم توهيج
محالست چون دوست داردترا ... كه دردست دشمن كذا رد ترا

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨ فَنَادَتۡهُ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا
وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ
كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ٤٠ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ
إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٤١﴾

﴿هنالك﴾ أي: حيث كان قاعداً عند مريم في المحراب ولما رأى زكريا عليه السلام

حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب في أن يكون له من إيشاع ولد مثل ولد أختها حنة في النجابة والكرامة على الله وإن كانت عاقراً عجوزاً فقد كانت أختها كذلك﴿**دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك**﴾ أي: أعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد﴿**ذرية طيبة**﴾ أي: ولداً صالحاً مباركاً تقياً رضياً مرضياً. والذرية: النسل تقع على الواحد والجمع والذكر والأنثى والمراد هٰهنا ولد واحد. والطيب هو الذي تستطاب أفعاله وأخلاقه فلا يكون فيه أمر يستخبث ويعاب﴿**إنك سميع الدعاء**﴾ أي: مجيبه كما في قولهم سمع الله لمن حمده وهذا لأن من لم يجب فكأنه لم يسمع، فإن قيل: إن زكريا كان عالماً أن في قدرة الله ذلك قبل رؤية حال مريم فهلا سأل قبل ذلك، قلنا: يزداد الإنسان رغبة في الشيء إذا عاينه وإن كان عالماً به قبله.

﴿**فنادته الملائكة**﴾ أي: جبرائيل وحكم الواحد من الجنس قد ينسب إلى الجنس نفسه نحو فلان يركب الخيل وإنما يركب واحداً من أفرادها ولما كان جبرائيل رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيماً له﴿**وهو**﴾ حال من مفعول النداء أي: والحال أن زكريا عليه السلام﴿**قائم يصلي في المحراب**﴾ أي: في المسجد أو في غرفة مريم﴿**أن الله**﴾ مفعول ثان لنادته أي: بأن الله تعالى﴿**يبشرك بيحيى**﴾ أي: بولد اسمه يحيى لأنه حيى به رحم أمه ولأنه تحيي به المجالس من وعظه والتقدير بولادة ولد اسمه يحيى فإن التبشير لا يتعلق بالأعيان﴿**مصدقاً بكلمة من الله**﴾ أي: بعيسى عليه السلام، وإنما سمي كلمة لأنه وجد بكلمة كن من غير أب فشابه البديعيات التي هي عالم الأمر وهو أول من آمن بعيسى وصدق بأنه كلمة الله وروح منه ويسمى روحاً أيضاً لأنه تعالى أحيى به من الضلالة كما يحيي الإنسان بالروح. قال السدي: لقيت أم يحيى أم عيسى فقالت: يا مريم أشعرت بحبلي؟ فقالت مريم: وأنا أيضاً حبلى قالت: فإني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى:﴿**مصدقاً**﴾ الخ وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ثم قتل يحيى قبل أن يرفع عيسى إلى السماء﴿**وسيداً**﴾ عطف على مصدقاً أي: رئيساً يسود قومه ويفوقهم في الشرف وكان فائقاً للناس قاطبة فإنه لم يلم بخطيئة ولم يهم بمعصية فيا لها ما أسناها﴿**وحصوراً**﴾ أي: مبالغاً في حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة.

- روي - أنه مر في صباه بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال: ما للعب خلقت. والحصور الممتنع من النساء مع القدرة عليهما وقد تزوج مع ذلك ليكون أغض لبصره﴿**ونبيّا**﴾ أي: يوحى إليه إذا بلغ هو مبلغه﴿**من الصالحين**﴾ أي: ناشئاً منهم لأنه كان من أصلاب الأنبياء عليهم السلام. والصلاح صفة تنتظم الخير كله والمراد به هنا ما فوق الصلاح الذي لا بد منه في منصب النبوة البتة من أقاصي مراتبه.

﴿**قال**﴾ عند نداء الملائكة إياه وبشارتهم له بالولد بالاستفهام متعجباً من حيث العادة ومسروراً بالولد﴿**رب أنى يكون لي**﴾ أي: كيف يحصل لي﴿**غلام**﴾ وفيه دلالة على أنه خبر بكونه غلاماً عند التبشير﴿**وقد بلغني الكبر**﴾ أي: أدركني كبر السن وأثر فيّ، وفيه دلالة على أن كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت طالب للإنسان لا يكاد يتركه قيل: كان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون﴿**وامرأتي عاقر**﴾ أي: ذات عقر وعقيم لا تلد﴿**قال**﴾ أي: الله﴿**كذلك**﴾ إشارة إلى مصدر يفعل في قوله تعالى:﴿**الله يفعل ما يشاء**﴾ أي: ما يشاء

أن يفعله من تعاجيب الأفاعيل الخارقة للعادات. فالله مبتدأ ويفعل خبره والكاف في محل النصب على أنها في الأصل نعت لمصدر محذوف أي: الله يفعل ما يشاء أن يفعله فعلاً مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذي هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر.

﴿قال رب اجعل لي آية﴾ أي: علامة تدل أي تحقق المسؤول أو وقوع الحبل وإنما سألها لأن العلوق أمر خفي لا يوقف عليه فأراد أن يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة منه حين حصولها بالشكر ولا يؤخره إلى أن يظهره ظهوراً معتاداً **﴿قال آيتك﴾** أي: علامة حدوث الولد **﴿أن لا تكلم الناس﴾** أي: أن لا تقدر على تكليمهم **﴿ثلاثة أيام﴾** أي: متوالية مع لياليها فإن ذكر الليالي أو الأيام يقتضي دخول الأخرى فيها لغة وعرفاً وإنما جعلت آيته ذلك لتخليص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة **﴿إلا رمزاً﴾** أي: إشارة بيد أو رأس أو نحوهما وسمي الرمز كلاماً لأنه يؤدي ما يؤدي الكلام ويفهم منه ما يفهم من الكلام فلهذا جاز الاستثناء المتصل منه ثم أمره تعالى بذكره لعدم منعه عن ذكر الله فقال: **﴿واذكر ربك﴾** أي: في أيام الحبسة شكراً لحصول التفضل والإنعام **﴿كثيرا﴾** أي: ذكراً كثيراً **﴿وسبح بالعشي﴾** أي: سبحه تعالى أي: من الزوال إلى الغروب **﴿والإبكار﴾** من طلوع الفجر إلى الضحى. قال الإمام في قوله تعالى: **﴿واذكر ربك كثيرا﴾** فيه قولان: أحدهما أنه تعالى أمر بحبس لسانه عن أمور الدنيا إلا رمزاً فأما في الذكر والتسبيح فقد كان لسانه جيداً وكان ذلك من المعجزات الباهرة، والقول الثاني إن المراد منه الذكر بالقلب وذلك لأن المستغرقين في بحار معرفة الله تعالى عادتهم في أول الأمر أن يواظبوا على الذكر اللساني مدة فإذا امتلأ القلب من نور ذكر الله سكتوا باللسان وبقي الذكر بالقلب ولذلك قالوا: من عرف الله كل لسانه فكان زكريا عليه السلام أمر بالسكوت باللسان والاستحضار معاً في الذكر والمعرفة واستدامتهما انتهى.

واعلم أن الذكر على مراتب والذكر اللساني بالنسبة إلى الذكر القلبي تنزل.

ـ روي ـ أن عيسى عليه السلام حين ترقى إلى أعلى مراتب الذكر جاءه إبليس فقال: يا عيسى اذكر الله فتعجب عيسى من أمره بالذكر مع أن جبلته على المنع منه ثم ظهر أنه أراد أن يغويه وينزله من مرتبة الذكر القلبي إلى مرتبة الذكر اللساني وذلك كان تنزلاً بالنسبة إلى مقامه عليه السلام، فعلى العاقل أن يداوم على الأذكار آناء الليل وأطراف النهار فإن الذكر يدفع هوى النفس فإذا طرد ذلك من الباطن فلا سبيل للشيطان أيضاً في الظاهر فتعلق أبواب المنهيات بالكليات ويتصفى القلب ويتكدر:

پيا پي بيفشان از آيينه كرد   كه صيقل نكيرد چو ژنكار خورد

قال القشيري: فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب والتأثير للذكر فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه. قال سهل بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ: ما من يوم إلا والجليل سبحانه ينادي عبدي ما أنصفتني أذكرك وتنساني وأدعوك إليّ وتذهب إلى غيري واذهب عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا يا ابن آدم ما تقول غداً إذا جئتني. وقال الحسين: افتقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء في الصلاة والذكر والقراءة فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق. قيل: إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان صرخ كما يصرخ الإنسان إذا دنا منه الشيطان فيجتمع عليه الشياطين فيقولون ما لهذا فيقول قد مسه الإنس. قال بعضهم وصف لي ذاكر في أجمة فأتيته فبينما هو جالس إذا سبع عظيم ضربه

ضربة واستلب منه قطعة فغشي عليه وعليّ فلما أفقت قلت: ما هذا؟ فقال: قيض الله هذا السبع لي فكلما داخلتني فترة غضني كما رأيت أوصلنا الله وإياكم إلى مرتبة اليقين وشرفنا بمقام التمكين وأذاقنا حلاوة الذكر في كل حين وأدخلنا الجنة المعنوية مع عباده الصالحين أجمعين.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وإذ قالت الملائكة﴾ أي: اذكر وقت قول الملائكة وهو جبريل بدلالة قوله تعالى في سورة مريم ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم: ١٧] أي: سوى الخلق لتستأنس به وإنما جمع تعظيماً له لأنه كان رئيس الملائكة **﴿يا مريم﴾** وكلام جبريل معها لم يكن وحياً إليها فإن الله يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء :٧] ولا نبوة في النساء بالإجماع. فكلمها شفاهاً كرامة لها وكرامات الأولياء حق أو إرهاصاً لنبوة عيسى عليه السلام وهو من الرهص بالكسر وهو الصف الأسفل من الجدار وفي الاصطلاح أن يتقدم على دعوى النبوة ما يشبه المعجزة كإظلال الغمام لرسول الله ﷺ وتكلم الحجر والمدر والرمي بالشهب وقصة الفيل وغير ذلك **﴿إن الله اصطفاك﴾** أولا حيث تقبلك من أمك بقبول حسن ولم يتقبل غيرك أنثى ورباك في حجر زكريا عليه السلام ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات السنية **﴿وطهرك﴾** من الكفر والمعصية ومن الأفعال الذميمة والعادات القبيحة ومن مسيس الرجال ومن الحيض والنفاس قالوا: كانت مريم لا تحيض ومن تهمة اليهود وكذبهم بإنطاق الطفل **﴿واصطفاك﴾** آخراً **﴿على نساء العالمين﴾** بأن وهب لك عيسى عليه السلام من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء وجعلكما آية للعالمين **﴿يا مريم اقنتي لربك﴾** أي: قومي في الصلاة وأطيلي القيام فيها له تعالى **﴿واسجدي واركعي مع الراكعين﴾** أمرت بالصلاة بالجماعة بذكر أركانها القنوت وهو طول القيام والسجود والركوع مبالغة في إيجاب رعايتها وإيذاناً بفضيلة كل منها وأصالته. وتقديم السجود على الركوع إما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك وإما لكون السجود أفضل أركان الصلاة وأقصى مراتب الخضوع ولا يقتضي ذلك كون الترتيب الخارجي كذلك بل اللائق به الترقي من الأدنى إلى الأعلى وإما ليقترن اركعي بالراكعين للإشعار بأن من لا ركوع في صلاتهم ليسوا مصلين قيل لما أمرت بذلك قامت في الصلاة حتى تورمت قدماها وسالت دماً وقيحاً.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿ذلك﴾ أي: ما ذكرنا في القصص من حديث حنة ومريم وعيسى وزكريا ويحيى **﴿من أنباء الغيب﴾** أي: من أخبار الغيب التي لا يوقف عليها إلا بمشاهدة أو قراءة كتاب أو تعلم من عالم أو بوحي من عند الله تعالى وانعدمت الثلاثة الأول فتعينت الرابعة وهو الوحي **﴿نوحيه إليك﴾** أي: ننزله عليك دلالة على صحة نبوتك وإلزاماً على من يحاجونك من الكفار.
والوحي في القرآن لمعان للإرسال إلى الأنبياء قال تعالى: ﴿نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾ [يوسف: ١٩٠] وللإلهام قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص: ٧] وللإلقاء المعنى المراد قال تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ [الزلزلة: ٥] وللإشارة قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]

وأصل ذلك كله الإعلام في خفاء ﴿وما كنت لديهم﴾ أي: عند الذين اختلفوا وتنازعوا في تربية مريم وهو تقرير لكونه وحياً على طريقة التهكم بمنكريه أي: أنهم عالمون لا يشكون أنك لم تقرأ كتاباً ولم تصحب من علم تلك الأنباء حتى تسمع منهم فلم يبق إلا المشاهدة وهي منتفية بالضرورة فكأنهم ادعوا هذا المحال لكونه يلزم من إنكارهم الوحي أي: إن لم يكن بالوحي كما زعموا فلا بد من دعوى المشاهدة ولم تمكن.

قال ابن الشيخ في حواشيه: كأنه قيل: أيها المنكرون لأن أوحي إليه والمتهمون في دعوى نبوته ليس لكم في سبب الاتهام سوى احتمال المشاهدة والعيان وأنه غاية السفاهة ونهاية الخذلان ومن أضل ممن عدل عن الاحتمال الثابت بالمعجزات الساطعة والبراهين القاطعة إلى احتمال لا يذهب إليه وهم أحد وأي حالة أدعى إلى الضحك والاستهزاء والسخرية من حال هؤلاء انتهى ﴿إذ يلقون أقلامهم﴾ التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركاً بها ﴿أيهم يكفل مريم﴾ متعلق بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم أي: يلقونها ينظرون أو ليعلموا أيهم يكفلها ﴿وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ أي: في شأنها تنافساً في كفالتها وقد ذكر فيما سبق. وفي الآية دلالة على فضيلة مريم حيث اصطفاها الله على نساء العالمين فإن جميع ما ذكر من التربية الجسمانية اللائقة بحال صغرها والتربية الروحانية المتعلقة بحال كبرها لم يتفق لغيرها من الإناث. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية» حديث حسن يوافق الآية في الدلالة على أن مريم أفضل من جميع نساء العالمين. وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون» وهو يدل على أن هؤلاء الأربع أفضل من سائر النساء.

واعلم أن أهل الكمال من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير هذه الأربع ومعنى الكمال التناهي في الفضائل والبر والتقوى وحسن الخصائل والكمال في شيء ما يكون حصوله للكامل أولى من غيره والنبوة ليست أولى للنساء لأن مبناها على الظهور والدعوة وحالهن الاستتار ولا تكون النبوة في حقهن كمالاً بل الكمال في حقهن الصديقية وهي قريب من النبوة والصديق من صدق في جميع أقواله وأفعاله وأحواله فمن النساء كاملات عارفات واصلات إلى مقام الرجال فهن رجال في المعنى. وسئل بعضهم عن الأبدال فقال أربعون نفساً فقيل له لم لا تقول أربعون رجلاً قال: لأن فيهم النساء، قال بعضهم:

ولو كان النساء كمن ذكرنا لفضلت النساء على الرجال
فلا التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

ويناسب هذا ما حكي أن أم محمد والدة الشيخ أبي عبد الله بن الخفيف رحمهما الله تعالى كانت من العابدات القانتات وكان ابنها أبو عبد الله يحيي العشرة الأخيرة من رمضان ليدرك ليلة القدر ومن دأبه الملازمة إلى الصلاة فوق البيت وكانت والدته متوجهة إلى الله في البيت فليلة أن أخذت تظهر أنوار ليلة القدر نادت ابنها: أن يا محمد إن الذي تطلبه هو عندنا فتعال فنزل الشيخ فرأى الأنوار فخر على قدم أمه وكان يقول: علمت قدر والدتي منذ شاهدت فهذه هي حال والدته فانظر كيف أرشدت ابنها وكيف تفوقت عليه في الفضل والشرف مع كثرة رياضته واجتهاده أيضاً فظهر أن من النساء من هي أفضل من الرجال وذلك بالوصول إلى جناب

القدس وليس ذلك إلا بحسن الاستعداد والهداية الخاصة من الله تعالى أسعدنا الله وإياكم ونعوذ بالله من نساء زماننا حيث لا يرى فيهن من هي من أهل التقوى قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما» يعني في عصره عليه السلام لطهارة ذلك العصر بل حدثا بعده «قوم معهم سياط» يعني أحدهما قوم في أيديهم سياط جمع سوط «كأذناب البقر يضربون بها الناس» وهم الذين يضربون بها السارقين عراة أو الطوافون على أبواب الظلمة كالكلاب يطردون الناس عنها بالضروب والسباب «ونساء» يعني ثانيهما نساء «كاسيات» في الحقيقة «عاريات» في المعنى من لباس التقوى «مميلات» أي: قلوب الرجال إلى الفساد «مائلات» أي: إلى الرجال «رؤوسهن كأسنمة البخت» يعني يعظمن رؤوسهن بالخمر والقلنسوة حتى تشبه اسنمة البخت «المائلة» من الميل لأن أعلى السنام يميل لكثرة شحمه «لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» أي: يوجد من مسيرة أربعين عاماً.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿إذ قالت الملائكة﴾ بدل من وإذ قالت الملائكة منصوب بناصبه والمراد بالملائكة جبريل وجمع تعظيماً له وقد مر **﴿يا مريم إن الله يبشرك﴾** أي: يفرحك **﴿بكلمة﴾** كائنة **﴿منه﴾** عز وجل وأطلق على عيسى لفظ الكلمة بطريق إطلاق السبب على المسبب لأن سبب ظهوره وحدوثه هو الكلمة الصادرة منه تعالى وهي كن وحدوث كل مخلوق وإن كان بسبب هذه الكلمة لكن السبب المتعارف للحدوث لما كان مفقوداً في حق عيسى عليه السلام كان إسناد حدوثه إلى الكلمة أتم وأكمل فجعل عليه السلام بهذا الاعتبار كأنه نفس الكلمة **﴿اسمه﴾** أي: اسم المسمى بالكلمة عبارة عن مذكر **﴿المسيح﴾** لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحاً بالعبرانية ومعناه المبارك **﴿عيسى﴾** بدل من المسيح معرب من ايشوع **﴿ابن مريم﴾** صفة لعيسى وتوجه الخطاب إلى مريم يقتضي أن يقال عيسى ابنك إلا أنه قيل: عيسى ابن مريم تنبيهاً على أن الأبناء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات فأعلمت بنسبته إليها أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين. فإن قلت: لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة أشياء الاسم منها عيسى وأما المسيح والابن فلقب وصفة، قلت: الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكأنه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة. وفي التيسر اللقب إذا عرف صار كالاسم **﴿وجيها﴾** حال من الكلمة وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجيه ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف **﴿في الدنيا﴾** بالنبوة والتقدم على الناس **﴿والآخرة﴾** بالشفاعة وعلو الدرجة في الجنة **﴿ومن المقربين﴾** أي: عند ربه بارتفاعه إلى السماء وصحبة الملائكة فيها **﴿ويكلم الناس في المهد وكهلا﴾** أي: يكلمهم حال كونه طفلاً وكهلاً كلام الأنبياء عليهم السلام من غير تفاوت يعني أن تكلمه في حالة الطفولية والكهولة على حد واحد وصفة واحدة من غير تفاوت بأن يكون كلامه في حال الطفولية مثل كلام الأنبياء والحكماء لا شك أنه من أعظم المعجزات. قال مجاهد قالت مريم: إذا خلوت أنا وعيسى حدثني وحدثته فإذا شغلني عنه إنسان يسبح في بطني وأنا أسمع وتكلمه معهم دليل على حدوثه لحدوث الأصوات والحروف.

ـ روي ـ أنه لما بلغ عمره ثلاثين سنة أرسله الله إلى بني إسرائيل فمكث في رسالته ثلاثين شهراً ثم رفع إلى السماء أو جاءه الوحي على رأس ثلاثين سنة فمكث في نبوته ثلاث سنين وأشهراً ثم رفع. والكهل من تجاوز الثلاثين إلى الأربعين وقارب الشيب من اكتهل النبت قارب اليبس فعلى هذا صح أن يقال إنه بلغ سن الكهولة وكلم الناس فيه ثم رفع وأما على قول من يقول إن أول سن الكهولة أربعون سنة فلا بد أن يقال إنه رفع شاباً ولا يكلم الناس كهلاً إلا بعد أن ينزل من السماء في آخر الزمان فإنه حينئذٍ يكلم الناس ويقتل الدجال **﴿ومن الصالحين﴾** هذه الأربعة أحوال مقدرة من كلمة والمعنى يبشرك به موصوفاً بهذه الصفات وذكر قوله ومن الصالحين بعد ذكر الأوصاف المتقدمة دليل على أنه لا رتبة أعظم من كون المرء صالحاً لأنه لا يكون المرء كذلك إلا بأن يكون في جميع الأفعال والتروك مواظباً على النهج الأصلح والطريق الأكمل ومعلوم أن ذلك يتناول جميع المقامات في الدين والدنيا في أفعال القلوب وفي أفعال الجوارح.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿قالت﴾ مريم متضرعة إلى ربها **﴿رب أنى يكون﴾** أي: كيف يكون أو من أين يكون **﴿لي ولد﴾** على وجه الاستبعاد العادي والتعجب من استعظام قدرة الله فإن البشرية تقتضي التعجب مما وقع على خلاف العادة إذ لم تجر عادة بأن يولد ولد بلا أب **﴿ولم يمسسني بشر﴾** آدمي وسمي بشراً لظهوره وهو كناية عن الجماع أي: والحال أني على حالة منافية للولد **﴿قال﴾** أي: الله عز وجل أو جبريل عليه السلام **﴿كذلك﴾** إشارة إلى مصدر يخلق في قوله عز وجل **﴿الله يخلق ما يشاء﴾** أن يخلقه أي: الله يخلق ما يشاء أن يخلقه خلقاً مثل ذلك الخلق العجيب والإحداث البديع الذي هو خلق الولد من غير أب فالكاف في محل النصب على أنها في الأصل نعت لمصدر محذوف **﴿إذا قضى أمراً﴾** أي: أراد شيئاً وأصل القضاء الإحكام أطلق على الإرادة الإلهية القطعية المتعلقة بوجود الشيء لإيجابه إياه البتة **﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾** من غير ريث وهو تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة تأتي المقدورات حسبما تقتضيه مشيئته وتصوير لسرعة حدوثها بما علم فيها من إطاعة المأمور المطيع للآمر القوي المطاع وبيان لأنه تعالى كما يقدر على خلق الأشياء مدرجاً بأسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة إلى شيء من الأسباب والمواد. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن مريم ـ رضي الله عنها ـ كانت في غرفة قد ضربت دونها ستراً إذا هي برجل عليه ثياب بيض وهو جبريل تمثل لها بشراً سوياً أي: تام الخلق فلما رأته قالت: أعوذ بالرحمٰن منك إن كانت تقياً ثم نفخ في جيب درعها حتى وصلت النفخة إلى الرحم فاشتملت. قال وهب: وكان معها ذو قرابة يقال له يوسف النجار وكان يوسف هذا يستعظم ذلك فإذا أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وإذا أراد أن يبرئها رأى ما ظهر عليها فكان أول ما كلمها أن قال لها: قد دخل في صدري شيء أردت كتمانه فغلبني ذلك فرأيت الكلام أشفى لصدري قالت: قل قال: فحدثيني هل ينبت الزرع من غير بذر؟ قالت: نعم قال: فهل ينبت شجر من غير أصل؟ قالت: نعم قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر

يومئذٍ إنما صار من الزرع الذي أنبت من غير بذر ألم تعلم أن الله خلق آدم وحواء من غير أنثى ولا ذكر فلما قالت له ذلك وقع في نفسه أن الذي بها شيء أكرمها الله به.

- روي - أن عيسى عليه السلام حفظ التوراة وهو في بطن أمه وكانت مريم تسمع عيسى وهو يدرس في بطنها ثم لما شرف عالم الشهود أعطاه الله الزهادة في الدنيا فإنه كان يلبس الشعر ويتوسد الحجر ويستنير القمر وكان له قدح يشرب فيه الماء ويتوضأ فيه فرأى رجلاً يشرب بيده فقال لنفسه: يا عيسى هذا أزهد منك فرمى القدح وكسره واستظل يوماً في ظل خيمة عجوز فكان قد لحقه حر شديد فخرجت العجوز فطردته فقام وهو يضحك فقال: يا أمة الله ما أنت أقمتني وإنما أقامني الذي لم يجعل لي نعيماً في الدنيا ولما رفع إلى السماء وجد عنده إبرة كان يرقع بها ثوبه فاقتضت الحكمة الإلهية نزوله في السماء الرابعة. وفيه إشارة إلى أن السالك لا بد وأن ينقطع عن كل ما سوى الله ويتجرد عن العوائق حتى يسير مع الملأ الأعلى ويطير إلى مقام قاب قوسين أو أدنى.

- روي - أن موسى عليه السلام ناجى ربه فقال: اللهم أرني ولياً من أوليائك فأوحى الله تعالى إليه أن اصعد إلى جبل كذا وأدخل زاوية كذا في كهف كذا حتى ترى وليي ففعل فرأى فيه رجلاً ميتاً توسد بلبنة وفوق عورته خرقة وليس فيه شيء غيره فقال: اللهم سألتك أن تريني وليك فأريتني هذا فقال: هذا هو وليي فوعزتي وجلالي لا أدخله الجنة حتى أحاسبه باللبنة والخرقة من أين وجدهما فحال أولياء الله الافتخار بالفقر وترك الدنيا والصبر على ما قدره الله:

صبر باشد مشتهاي زيركان هست حلوا آرزوى كودكان

هركه صبر آورد كردون بررود هركه حلوا خورداوپس تررود

فالقوة الروحانية التي بها يصير الإنسان كالملائكة إنما تحصل بالصبر عن المشتهيات فانظر إلى حال عيسى عليه السلام يكفك في هذا اعتباراً ومن الله التوفيق إلى الإعراض عن حطام الدنيا وقطع التعلق من الدارين قطعاً ﴿**ويعلمه**﴾ كلام مستأنف أي: ويعلم الله عيسى ﴿**الكتاب**﴾ أي: الكتابة والخط بالقلم بالإلهام والوحي وكان أحسن الناس خطا في زمانه ﴿**والحكمة**﴾ أي: العلوم العقلية والشرعية وتهذيب الأخلاق لأن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به ومجموعهما هو المسمى بالحكمة ﴿**والتوراة والإنجيل**﴾ فيحفظهما عن ظهر القلب وهذا الكلام أعني يعلمه الخ سيق تطبيباً لقلب مريم وإزاحة لما أهمها من خوف اللائمة لما علمت أنها تلد من غير زوج.

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿**و**﴾ يجعله ﴿**رسولا إلى بني إسرائيل**﴾ أي: يكلمهم وقال بعض اليهود إنه كان مبعوثاً إلى قوم مخصوصين وكان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما السلام ﴿**أني قد جئتكم**﴾ معمول لرسول لما فيه من معنى النطق أي: رسولاً ناطقاً بأني قد جئتكم ملتبساً ﴿**بآية**﴾ عظيمة كائنة ﴿**من ربكم**﴾ وهي ما ذكر بعده من خلق الطير وغيره ﴿**أني أخلق**﴾ بدل

من أني قد جئتكم أي: أقدر وأشكل لأنه قد ثبت أن العبد لا يكون خالقاً بمعنى التكوين والإبداع فوجب أن يكون بمعنى التقدير والتسوية ﴿لكم﴾ أي: لأجلكم بمعنى التحصيل لإيمانكم ورفع تكذيبكم إياي ﴿من الطين﴾ شيئاً ﴿كهيئة الطير﴾ أي: مثل صورة الطير ﴿فأنفخ فيه﴾ الضمير للكاف أي: في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير ﴿فيكون طيراً﴾ حياً طياراً كسائر الطيور ﴿بإذن الله﴾ بأمره تعالى أشار بذلك إلى أن إحياءه من الله تعالى لا منه لأن الله هو الذي خلق الموت والحياة فهو يخلق الحياة في ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى عليه السلام فيه على سبيل إظهار المعجزات.

ـ روي ـ أن عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة وأظهر المعجزات طالبوه بخلق خفاش فأخذ طيناً وصوره ثم نفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض. قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً ليتميز فعل الخلق من فعل الله قيل: إنما طلبوا خلق الخفاش لأنه أعجب من سائر الخلق ومن عجائبه أنه لحم ودم يطير بغير ريش ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما يبيض سائر الحيوان من الطيور ويكون له الضرع ويخرج منه اللبن ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وإنما يرى في ساعتين ساعة بعد غروب الشمس وساعة بعد طلوع الفجر قبل أن يسفر جداً ويضحك كما يضحك الإنسان وله أسنان ويحيض كما تحيض المرأة ولما دل القرآن على أن عيسى عليه السلام إنما تولد من نفخ جبريل في مريم وجبريل روح محض وروحاني محض فلا جرم كانت نفخة عيسى سبباً للحياة والروح ﴿وأبرىء﴾ أي: أشفي وأصحح ﴿الأكمه﴾ أي: الذي ولد أعمى. قال الزمخشري: لم يوجد في هذه الأمة أكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير ﴿والأبرص﴾ وهو الذي به برص أي: بياض في الجلد يتطير به وإذا استحكم فلا برء له ولا يزول بالعلاج ولم تكن العرب تنفر من شيء نفرتها منه. وإنما خصهما بالذكر للشفاء لأنهما مما أعيى الأطباء في تداويهما وكانوا في غاية الحذاقة في زمن عيسى عليه السلام وسألوا الأطباء عنهما. فقال جالينوس وأصحابه إذا ولد أعمى لا يبرأ بالعلاج وكذا الأبرص إذا كان بحال لو غرزت الإبرة فيه لا يخرج منه الدم لا يقبل العلاج فرجعوا إلى عيسى وجاؤوا بالأكمه والأبرص فمسح يده بعد الدعاء عليهما فأبصر الأعمى وبرىء الأبرص فآمن به البعض وجحد البعض وقالوا هذا سحر.

ـ روي ـ أنه أبرأ في يوم واحد خمسين ألفاً من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى عليه السلام وكان يداويهم بالدعاء وحده على شرط الإيمان ثم قال عيسى عليه السلام: ﴿وأحيي الموتى بإذن الله﴾ فسألوا جالينوس عنه فقال الميت لا يحيى بالعلاج فإن كان هو يحيي الموتى فهو نبي وليس بطبيب فطلبوا أن يحيي الموتى فأحيى أربعة أنفس أحيى العازر وكان صديقاً له فأرسل أخته إلى عيسى أن أخاك العازر يموت فأْتِهِ فكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقال أخته انطلقي بنا إلى قبره فانطلقت معهم إلى قبره وهو في صخرة مطبقة فقال عيسى عليه السلام: اللهم رب السموات السبع والأرضين السبع إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك وأخبرهم أني أحيي الموتى فأحي العازر فقام العازر وودكه يقطر فخرج من قبره وبقي وولد له، وأحيى ابن عجوز مر به ميتاً على عيسى على سرير يحمل فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله فبقي وولد له وأحيى ابنة العاشر الذي

يأخذ العشور قيل له أحيها وقد ماتت أمس فدعا الله تعالى فعاشت وبقيت وولد لها فقالوا: يحيي من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا بل أصابتهم سكتة فأحيي لنا سام بن نوح فقال عيسى دلوني على قبره فخرج والقوم معه حتى انتهى إلى قبره فدعا الله تعالى بالاسم الأعظم فخرج من قبره وقد شاب رأسه فقال عيسى كيف شاب رأسك ولم يكن في زمانك شيب قال: يا روح الله لما دعوتني سمعت صوتاً يقول أجب روح الله فظننت أن القيامة قد قامت فمن هول ذلك شاب رأسي فسأله عن النزع فقال: يا روح الله إن مرارته لم تذهب عن حنجرتي وقد كان من وقت موته أكثر من أربعة آلاف سنة فقال للقوم صدقوه فإنه نبي فآمن به بعضهم وكذبه آخرون ثم قال له: مت قال: بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت فدعا الله ففعل ثم طلبوا آية أخرى دالة على صدقه فقال: ﴿**وأنبئكم بما تأكلون**﴾ من أنواع المآكل ﴿**وما تدخرون**﴾ أي وما تخبأون للغد ﴿**في بيوتكم**﴾ فكان يخبر الرجل بما أكل قبل وبما يأكل بعد ويخبر الصبيان وهو في المكتب بما يصنع أهلهم وبما يأكلون ويخبأون لهم وكان الصبي ينطلق إلى أهله ويبكي عليهم حتى يعطوه ما خبأوا له ثم قالوا لصبيانهم لا تلعبوا مع هذا الساحر وجمعوهم في بيت فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا: ليسوا في هذا البيت فقال: فمن في هذا البيت؟ قالوا خنازير فقال عليه السلام: كذلك يكونون فإذا هم خنازير ﴿**إن في ذلك**﴾ أي: ما ذكر من الخوارق والأمور العظام ﴿**لآية**﴾ عظيمة ﴿**لكم**﴾ دالة على صحة رسالتي دلالة واضحة ﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾ انتفعتم بها.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿**ومصدقاً**﴾ أي: قد جئتكم ملتبساً بآية الخ ومصدقاً ﴿**لما بين يدي**﴾ أي: لما تقدمني ﴿**من التوراة**﴾ أي: موافقاً على ما كان قبلي ﴿**و**﴾ جئتكم ﴿**لأحل لكم**﴾ لأن أرخص لكم ﴿**بعض الذي حرم عليكم**﴾ أي: في شريعة موسى عليه السلام من لحوم السمك ولحوم الإبل والشحوم والثروب جمع ثرب وهو شحم رقيق يتصل بالأمعاء ولحم كل ذي ظفر فاحل لهم عيسى من السمك والطير ما لا اصطبة له وهي شوكة الحائك التي بها يسوى السد أو اللحمة ﴿**وجئتكم**﴾ ملتبساً ﴿**بآية من ربكم**﴾ ببرهان بين شاهد على صحة رسالتي ﴿**فاتقوا الله**﴾ في عدم قبولها ومخالفة مدلولها ﴿**وأطيعون**﴾ فيما آمركم به وأنهاكم عنه بأمر الله تعالى وتلك الآية هي قوله ﴿**إن الله ربي وربكم فاعبدوه**﴾ ولا تعصوه بالشرك ﴿**هذا**﴾ أي: الإيمان بالله ورسوله والطاعة ﴿**صراط مستقيم**﴾ طريق سوي يؤدي صاحبه إلى الجنة وهو الحق الصريح الذي أجمع عليه الرسل قاطبة فتكون آية بينة على أنه عليه السلام من جملتهم فقوله ﴿**إن الله ربي وربكم**﴾ إشارة إلى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال: ﴿**فاعبدوه**﴾ إشارة إلى استكمال القوة العلمية فإنه يلازم الطاعة التي هي الإتيان بالأوامر والانتهاء عن المناهي، ثم قرر ذلك بأن بين أن الجمع بين الأمرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله ﷺ: «قل آمنت ثم استقم» فالعلم والعمل من مبادي الاستقامة فعليك بالتمسك بالحجة القوية. وسئل الجنيد كيف السبيل إلى الانقطاع إلى الله فقال بتوبة تزيل الإصرار وخوف يزيل التسويف ورجاء يبعث على مسالك العمل وذكر الله تعالى على اختلاف الأوقات وإهانة النفس بقربها من الأجل

وبعدها من الأمل قيل له: فبماذا يصل العبد إلى هذا؟ فقال: بقلب مفرد فيه توحيد مجرد، وقال الحسن البصري - رضي الله عنه -: ما طلب رجل هذا الخير يعني الجنة إلا اجتهد ونحل وذبل واستمر واستقام حتى يلقي الله تعالى أما ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠].

واعلم أن الاستقامة لا يطيقها إلا الأكابر لأنها الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق قال رسول الله ﷺ: «لا يكونن أحدكم كالعبد السوء إن خاف عمل ولا كالأجير السوء إن لم يعط لم يعمل» قيل: ولا يصح رفع الهمة عن الحظوظ جملة لأن ذلك مكابرة مع الربوبية وإنما المراد أن لا يطلب بالعمل فعلامة العبد الأديب أن يستمر على الطاعة في باب مولاه ولا ينظر إلى شيء سواه لا إلى الجنة ولا إلى النار فإذا جرد عمله وتوحيده عن الأغراض فقد استقام واتخذ الصراط المستقيم مذهباً والإرشاد إلى هذا الطريق إنما يفيد لمن كان له استعداد أزلي وقابلية أصلية فبالتربية يصير العبد قابل أنوار الصفات الإلهية ويخرج من الظلمات البشرية فعليك بخدمة الكاملين والاستقامة في طريق اليقين.

زخود بهترى جوى وفرصت شمار كه باچون خودى كم كنى روز كار

وفي الاتباع شرف عظيم قال تعالى مخاطباً لحبيبه عليه السلام ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] وطاعة الرسول واتباعه من لوازم تقوى الله تعالى ألا ترى إلى قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ﴿**فاتقوا الله وأطيعون**﴾ فإذا داوم العبد الاتباع يصل إلى الاستقامة فإنها ليست مما يحصل في أول الأمر، قال مولانا جلال الدين الرومي قدس سره العزيز.

سالها بايد كه اندر آفتاب لعل يابد رنك ورخشاني وتاب

﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿**فلما**﴾ الفاء فصيحة تفصح عن تحقق جميع ما قالته الملائكة وخروجه من القوة إلى الفعل كأنه قيل: فحملته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت ﴿**أحس عيسى**﴾ أحس استعارة للعلم اليقيني الذي لا شبهة فيه كالإحساس وهو وجدان الشيء بالحاسة كأنه قبل فلما علم ﴿**منهم الكفر**﴾ علماً لا شبهة فيه كما يدرك بالحواس من الضروريات منهم الكفر أي: من بني إسرائيل وأرادوا قتله وأنهم لا يزدادون على رؤية الآيات إلا الإصرار على الجحود ﴿**قال**﴾ لخُلص أصحابه مستنصراً على الكفار ﴿**من أنصاري**﴾ الأنصار جمع نصير ﴿**إلى الله**﴾ متعلق بمحذوف وقع حالاً من الياء أي: من أنصاري متوجهاً إلى الله ملتجئاً إليه ومن أعواني على إقامة الدين ﴿**قال الحواريون**﴾ جمع حواري يقال فلان حواري فلان أي: صفوته وخاصته وهم اثنا عشر بعضهم من الملوك وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لأنهم كانوا أنصار عيسى عليه السلام وأعوانه والمخلصين في محبته وطاعته ﴿**نحن أنصار الله**﴾ أي: أنصار دينه ورسوله قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧] والله ينصر من ينصر دينه ورسله ﴿**آمنا بالله**﴾ استئناف جار مجرى العلة لما

قبله فإن الإيمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن أوليائه والمحاربة مع أعدائه ﴿**واشهد بأنا مسلمون**﴾ مخلصون في الإيمان منقادون لما تريد من أمر نصرتك طلبوا منه عليه السلام الشهادة بذلك يوم القيامة يوم تشهد الرسل عليهم السلام لأممهم إيذاناً بأن مرمى غرضهم السعادة الأخروية.

﴿**ربنا آمنا بما أنزلت**﴾ من الإنجيل على عيسى وهو تضرع إلى الله تعالى وعرض لهم عليه تعالى بعد عرضها على الرسول مبالغة في إظهار أمرهم ﴿**واتبعنا الرسول**﴾ أي: عيسى على دينه في كل ما يأتي ويذر من أمور الدين فيدخل فيه الاتباع في النصرة دخولاً أولياً ﴿**فاكتبنا مع الشاهدين**﴾ أي: مع الذين يشهدون بوحدانيتك أو مع الأنبياء الذين يشهدون لأتباعهم أو مع أمة محمد ﷺ فإنهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال من مفعول اكتبنا.

وفيه إشارة إلى أن كتاب الأبرار إنما يكون في السموات مع الملائكة قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝١٨﴾ [المطففين: ١٨] فإذا كتب الله ذكرهم مع الشهداء المؤمنين كان ذكرهم مشهوراً في الملأ الأعلى وعند الملائكة المقربين.

﴿**ومكروا**﴾ أي: الذين علم عيسى كفرهم من اليهود بأن وكلوا به من يقتله غيلة وهو أن يخدعه فيذهب به إلى موضع فإذا صار إليه قتله ﴿**ومكر الله**﴾ بأن رفع عيسى عليه السلام وألقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل ﴿**والله خير الماكرين**﴾ أقواهم مكراً وأنفذهم كيداً واقدرهم على إيصال الضرر من حيث لا يحتسب.

ـ روي ـ أن ملك بني إسرائيل لما قصد قتله عليه السلام أمره أن يدخل بيتاً فيه روزنة فرفعه جبريل عليه السلام من تلك الروزنة إلى السماء وكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة حول العرش وكان إنسياً ملكياً سماوياً أرضياً ثم قال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فألقى الله عز وجل شبهه عليه السلام عليه فخرج يخبرهم أنه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه ثم قالوا: وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وإن كان صاحبنا فأين عيسى فوقع بينهم مقال عظيم ولما صلب المصلوب جاءت مريم ومعها امرأة أبرأها الله من الجنون بدعاء عيسى وجعلتا تبكيان على المصلوب فأنزل الله عيسى عليه السلام فجاءهما فقال: على من تبكيان قالتا عليك فقال: إن الله رفعني ولم يصبني إلا خير وإن هذا شيء شبه لهم فلما كان بعد سبعة أيام قال الله لعيسى اهبط إلى المجدلانية على موضع في جبلها فإنه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن أحد حزنها ثم استجمع الحواريين فبثهم أي: فاجعلهم متفرقين في الأرض دعاة إلى الله فأهبطه الله عليها فاشتعل الجبل حين هبط نوراً فجمعت له الحواريون فبثهم في الأرض دعاة ثم رفعه الله إليه وتلك الليلة هي الليلة التي تدخن فيها النصارى فلما أصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى إليهم فذلك قوله ﴿**ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين**﴾ والمكر من المخلوقين الخبث والخديعة والحيلة والمكر من الله استدراج العبد وأخذه بغتة من حيث لا يعلم فيها أيها العبد خف من وجود إحسان مولاك إليك ودوام إساءتك معه في دوام لطفه بك وعطفه عليك أن يكون ذلك استدراجاً لك حتى تقف معها وتغتر بها وتفرح بما أوتيت فتؤخذ بغتة قال الله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]. قال سهل رضي الله عنه في معنى هذه الآية نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فإذا ركنوا إلى النعمة وحجبوا عن

المنعم أخذوا. وقال أبو العباس بن عطاء يعني كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة أو أنسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة ومن جهل المريد بنفسه وبحق ربه أن يسيء الأدب بإظهار دعوى أو تورط في بلوى فتؤخر العقوبة عنه إمهالاً له فيظنه إهمالاً فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد وأوجب الإبعاد اعتباراً بالظاهر من الأمر من غير تعريج على ما وراء ذلك وما ذاك إلا لفقد نور بصيرته أو ضعف نورها وإلا فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر حتى ربما ظن أنه متوفر في عين تقصير ولو لم يكن من قطع المدد إلا منع المزيد لكان قطعاً لأن من لم يكن في زيادة فهو في نقصان قال عليه السلام: «من استوى يوماه فهو مغبون» ولو لم يكن من الابعاد إلا أن يخليك وما تريد فيصرفك عنه بمرادك هذا والعياذ بالله مكر وخسران. وعن ابن حنبل أنه كان يوصي به أصحابه فقال: خف سطوة العدل وارج رقة الفضل ولا تأمن من مكره تعالى ولو أدخلك الجنة ففي الجنة وقع لأبيك آدم ما وقع وقد يقطع بأقوام فيها فيقال لهم: كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية فقطعهم بالأكل والشرب عنه وأي مكر فوق هذا وأي خسران أعظم منه.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿إذ قال الله﴾ أي: اذكر وقت قول الله **﴿يا عيسى إني متوفيك﴾** أي: مستوفي أجلك ومعناه إني عاصمك من أن يقتلك الكفار ومؤخرك إلى أجل كتبته لك ومميتك حتف أنفك لا قتلا بأيديهم **﴿ورافعك﴾** الآن **﴿إلي﴾** أي: إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي وجعل ذلك رفعاً إليه للتعظيم ومثله قوله ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾ [الصافات: ٩٩] وإنما ذهب إبراهيم عليه السلام من العراق إلى الشام وقد يسمى الحجاج زوار الله والمجاورون جيران الله وكل ذلك للتفخيم فإنه تعالى يمتنع كونه في المكان **﴿ومطهرك﴾** أي: مبعدك ومنحيك **﴿من الذين كفروا﴾** أي: من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم. قيل: سينزل عيسى عليه السلام من السماء على عهد الدجال حكماً عدلاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية فيفيض المال حتى لا يقبله أحد ويهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويقتل الدجال ويتزوج بعد قتله امرأة من العرب وتلد منه ثم يموت هو بعدما يعيش أربعين سنة من نزوله فيصلي عليه المسلمون لأنه سأل ربه أن يجعله من هذه الأمة فاستجاب الله دعاءه **﴿وجاعل الذين اتبعوك﴾** وهم المسلمون لأنهم متبعوه في أصل الإسلام وإن اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى **﴿فوق الذين كفروا﴾** وهم الذين مكروا به عليه السلام ومن يسير بسيرتهم من اليهود فإن أهل السلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة **﴿إلى يوم القيامة﴾** غاية للجعل لا على معنى أن الجعل ينتهي حينئذٍ ويتخلص الكفرة من الذلة بل على معنى أن المسلمين يعلونهم إلى تلك الغاية فأما بعدها فيفعل الله تعالى بهم ما يريد **﴿ثم إلي مرجعكم﴾** أي: رجوعكم بالبعث والضمير لعيسى عليه السلام وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على الغائب في ضمن الالتفات فإنه أبلغ في التبشير والإنذار **﴿فأحكم بينكم﴾** يومئذٍ إثر رجوعكم إلي **﴿فيما كنتم فيه تختلفون﴾** من أمور الدين.

﴿فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديداً في الدنيا﴾ بالسيف والسبي وأخذ الجزية وإيصال الأمراض والمصائب فإنها من العقوبات في حق الكافر ومن المثوبات في حق المؤمن لأنها ابتلاء محض له ﴿والآخرة﴾ بعذاب النار ﴿وما لهم من ناصرين﴾ يخلصونهم من عذاب الله في الدارين وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع أي: ليس لواحد منهم ناصر واحد.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وأما الذين آمنوا﴾ بما أرسلت به ﴿وعملوا الصالحات﴾ كما هو ديدن المؤمنين ﴿فيوفيهم أجورهم﴾ أي: يعطيهم أجور أعمالهم كاملة ولعل الالتفات إلى الغيبة للإيذان بما بين مصدري التعذيب والإثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال ﴿والله لا يحب الظالمين﴾ أي: يبغضهم ولا يرضى عنهم ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما سلف من نبأ عيسى عليه السلام وغيره ﴿نتلوه عليك﴾ أي: نقرأه عليك يا محمد وأسند تلاوته إلى نفسه مع أن التالي هو الملك المأمور بها على طريق إسناد الفعل إلى السبب الآمر وفيه تعظيم بليغ وتشريف عظيم للملك وإنما حسن ذلك لأن تلاوة جبريل لما كانت بأمره تعالى من غير تفاوت أصلاً أضيف ذلك إليه تعالى: ﴿من الآيات﴾حال من الضمير المنصوب أي: من العلامات الدالة على ثبوت رسالتك لأنها إخبار لا يعلمها إلا قارىء الكتاب أو من يوحى إليه فظاهر أنك لا تكتب ولا تقرأ فبقي أن ذلك من الوحي ﴿والذكر﴾ أي: القرآن ﴿الحكيم﴾ أي: المشتمل على الحكم أو المحكم الممنوع من تطرق الخلل إليه. والإشارة أن الله تعالى قال لعيسى عليه السلام يا عيسى ﴿إني متوفيك﴾ عن الصفات النفسانية والأوصاف الحيوانية ﴿ورافعك إلي﴾ بجذبات العناية فمن لم يصر فانياً عما سوى الله لا يكون له وصول إلى مقام معرفة الله فعيسى لما رفع إلى السماء صارت له حالة كحال الملائكة في زوال الشهوات والغضب والأخلاق الذميمة. فعلى السالك أن ينهى نفسه عن الهوى ويتبع طريق الهدى ويعتبر بالآيات والذكر الحكيم كي يصل إلى النعيم المقيم ويجتنب الظلم فإن الله تعالى قال: ﴿والله لا يحب الظالمين﴾ أي: الذين يظلمون على أنفسهم بانقضاء العمر في طلب غير الله:

خلاف طريقت بود كاوليا تمنا كنند ازخدا جز خدا

فأهل الطريقة هم الذين يمحون نقش الغير عن صفحات القلب ويزكون نفوسهم عن الأوصاف المذمومة فإنها مانعة من العروج إلى سماء المعرفة وعلو الوصال، قال مولانا جلال الدين رومي قدس سره.

آن يكي نحوى بكشتى درنشست روبكشتيبان نهادآن خود پرست
كفت هيچ ازنحو حواندى كفت لا كفت نيم عمر توشد در فنا
دل شكسته كشت كشتبيان زتاب ليك آن دم كشت خواموش از جواب
باد كشتى را بكردابى فكند كفت كشتيبان بدان نحوى بلند
هيچ دانـي آشنا كردن بكو كفت نى أي: خوش جواب خوب رو
كفت كل عمرت أي: نحوى فناست زانك كشتى غرق اين كردا بهاست
محو مى بايد نه نحو اينجابدان كرتو محوى بيخطر در آب ران

آب دريا مرده را بر سر نهد وربود زنده زدريا كي رهد
چون بمردى تو زاوصاف بشر بحر اسرارت نهد بر فرق سر

فقد ظهر أن الذين يطلبون غير الله هم غرقى في بحر الهوى والشهوات لا يقدرون على التصعد إلى الأعلى وأما الذين تخلصوا من قشر الوجود ووصلوا بالفناء عن ذواتهم إلى عالم الشهود فهم يطيرون بأجنحة أنوار حالهم مع الملائكة المقربين لتخلصهم من الأثقال الدنيوية والأشغال القالبية والبدنية قال تعالى: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرحمان: ٣٣] أي: بالتجرد عن الهيآت الجسمانية والتعلقات البدنية ﴿فَٱنفُذُواْ﴾ لتنخرطوا في سلك الإرادة الملكوتية والنفوس الجبروتية وتصلوا إلى الحضرة العلية ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمان: ٣٣] أي: بحجة بينة هي التوحيد والتجريد والتفريد بالعلم والعمل والفناء إلى الله تعالى قال عيسى عليه السلام: [لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين] والولادة نوعان: اضطراري بخلق الله تعالى ولا دخل فيه للكسب والاختيار وذلك ظاهر، واختياري يحصل بالكسب وهو الذي أشار إليه عيسى عليه السلام وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى ويداوي بدواء أفضاله هذه النفوس المرضى إنه بكل شيء قدير وبتيسيره يسهل كل أمر عسير.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾

﴿إن مثل عيسى﴾ أي: شأنه البديع المنتظم لغرابته في سلك الأمثال **﴿عند الله﴾** أي: في تقديره وحكمه **﴿كمثل آدم﴾** أي: كحاله العجيبة التي لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع **﴿خلقه من تراب﴾** تفسير للمثل لا محل له من الأعراب أي: خلق قالب آدم من تراب. فإن قيل: الضمير في خلقه راجع إلى آدم وحين كان تراباً لم يكن آدم موجوداً. قلنا: لما كان ذلك الهيكل بحيث سيصير آدم عن قريب سماه آدم قبل ذلك تسمية لما سيقع بالواقع **﴿ثم قال له كن﴾** أي: انشأ بشراً **﴿فيكون﴾** والمقتضى أن يقال فكان أي: كان كما أمره الله إلا أنه عدل إلى المضارع حكاية للحال التي كان آدم عليها أي: تصويراً لذلك الإيجاد الكامل بصورة المشاهد الذي يقع الآن.

ـ روي ـ أن وفد نجران قدموا المدينة وهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم: منهم السيد وهو كبيرهم واسمه أهيب، والعاقب الذي بعده وهو صاحب رأيهم واسمه عبد المسيح، والثالث أبو حارثة بن علقمة الأسقف وكان في شرف وخطر عظيم وكان ملك الروم بنى له الكنائس وكان يبعث له بالكرامات فأقبلوا حتى قدموا على النبي عليه السلام في مسجد المدينة بعد العصر عليهم ثياب حسان ولهم وجوه جسام فقاموا وصلوا واستقبلوا قبلتهم وأراد أصحاب النبي ﷺ أن يمنعوهم فقال ﷺ: «دعوهم» وقد كان نزل على النبي عليه السلام قبل قدومهم صدر آل عمران لمحاجتهم ثم انتهى أبو حارثة هذا وآخر معه إلى النبي عليه السلام فقال لهما ﷺ: «أسلما» فقالا: أسلمنا قبلك فقال ﷺ: «كذبتما يمنعكما عن الإسلام ثلاث: عبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير، وزعمكما أن لله ولداً» قالوا: يا محمد فلم تشتم صاحبنا عيسى؟ قال: «وما أقول» قالوا: تقول إنه عبد قال: «أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى

العذراء البتول» فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً من غير أب فحيث سلمت أنه لا أب له من البشر وجب أن يكون هو الله فقال ﷺ: «إن آدم عليه السلام ما كان له أب ولا أم» ولم يلزم من ذلك كونه ابناً لله تعالى فكذا حال عيسى عليه السلام فالوجود من غير أب وأم أخرق للعادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع لشبهة الخصم إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه.

﴿الحق﴾ أي: ما قصصنا عليك من نبأ عيسى وأمه هو الحق كائناً **﴿من ربك﴾** لا قول النصارى إنه ابن الله وقولهم ولدت مريم إلهاً ونحو ذلك **﴿فلا تكن من الممترين﴾** أي: من الشاكين في ذلك الخطاب للنبي عليه السلام على طريقة الإلهاب والتهييج لزيادة التثبيت لأن النهي عن الشيء حقيقة يقتضي أن يتصور صدور المنهي عنه من المنهي ولا يتصور كونه عليه السلام شاكاً في صحة ما أنزل عليه والمعنى دم على يقينك وعلى ما أنت عليه من الاطمئنان على الحق والتنزه عن الشك فيه. قال الإمام أبو منصور رحمه الله: العصمة لا تزيل المحنة ولا ترفع النهي.

﴿فمن حاجك﴾ أي: من النصارى إذ هم المتصدون للمحاجة **﴿فيه﴾** أي: في شأن عيسى عليه السلام وأمه زعماً منهم أنه ليس على الشأن المحكي **﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾** أي: ما يوجبه إيجاباً قطعياً من الآيات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا عما هم عليه من الضلال والغي **﴿فقل﴾** أي: فاقطع الكلام معهم وعاملهم بما يعامل به المعاند وهو أن تدعوهم إلى الملاعنة فقل لهم: **﴿تعالوا﴾** التعالي في الأصل: التصاعد كأن الداعي في علو والمدعو في سفل فأمره أن يتعالى إليه ثم صار ذلك لكل مدعو أين كان أي هلموا بالرأي والعزيمة لا بالأبدان لأنهم مقبلون وحاضرون عنده بأجسادهم **﴿ندع أبناءنا وأبناءكم﴾** اكتفى بهم عن ذكر البنات لظهور كونهم أعز منهن. وأما النساء فتعلقهن من جهة أخرى **﴿ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾** أي: ليدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله وألصقهم بقلبه إلى المباهلة ويحملهم عليها **﴿ثم نبتهل﴾** أي: نتباهل بأن نلعن الكاذب ونقول لعنة الله على الكاذب منا ومنكم **﴿فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾** عطف على نبتهل مبين لمعناه.

ـ روي ـ أنهم لما دعوا إلى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما خلا بعضهم ببعض قالوا لعبد المسيح ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فإن أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله ﷺ وقد خرج محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها رضي الله عنه وهو يقول: «إذا أنا دعوت فأمنوا» فقال أسقف نجران: أي أعلمهم بأمور دينهم وهو أبو حارثة يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو شاء الله تعالى أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة فقالوا: يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وأن تترك على دينك ونثبت على ديننا فقال ﷺ: «فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين» فأبوا فقال: «فإني أحاربكم» فقالوا: مالنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة ألف في صفر وألف في رجب

وثلاثين درعاً عادية من حديد فصالحهم على ذلك وكتب لهم كتاباً بذلك وقال: «والذي نفسي بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي ناراً ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا».

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿إن هذا﴾ أي: ما قص من نبأ عيسى عليه السلام وأمه **﴿لهو القصص الحق﴾** دون ما عداه من أكاذيب النصارى **﴿وما من إله﴾** ما إله **﴿إلا الله﴾** صرح فيه بمن الاستغراقية تأكيداً للرد على النصارى في تثليثهم **﴿وإن الله لهو العزيز الحكيم﴾** القادر على جميع المقدورات. الحكيم المحيط بالمعلومات لا أحد يشاركه في القدرة والحكمة ليشاركه في الألوهية.

﴿فإن تولوا﴾ أي: أعرضوا عن قبول التوحيد والحق الذي قص عليك بعدما عاينوا تلك الحجج النيرة والبراهين الساطعة **﴿فإن الله عليم بالمفسدين﴾** أي: فاقطع كلامك عنهم وفوض أمرهم إلى الله فإن الله عليم بفساد المفسدين مطلع على ما في قلوبهم من الأغراض الفاسدة قادر على مجازاتهم.

واعلم أن لمباهلة الأنبياء تأثيراً عظيماً سببه اتصال نفوسهم بروح القدس وتأييد الله إياهم به وهو المؤثر بإذن الله في العالم العنصري فيكون انفعال العالم العنصري منه كانفعال بدننا من روحنا بالهيآت الواردة عليها كالغضب والخوف والسرور والفكر في أحوال المعشوق وغير ذلك من تحريك الأعضاء عند حدوث الإرادات والعزائم وانفعال النفوس الملكية تأثيرها في العالم عند التوجه الاتصالي تأثير ما يتصل به فينفعل أجرام العناصر والنفوس الناقصة الإنسانية فيه بما أراد ألم تر كيف انفعلت نفوس النصارى من نفسه عليه السلام قبل المباهلة بالخوف وأحجمت عن المباهلة فطلبت الموادعة بالجزية؟ كذا في «التأويلات القاشانية». وكذا حال الولي إذا دعا على إنسان يكون له تأثير بالمرض أو الموت أو غير ذلك من البلايا.

ـ روي ـ أن الشاعر البساطي رأى يوماً الشيخ كمال الدين الخجندي في مجلس الشعراء فقال:

از كجايى از كجايى أي: لوند

فقال الشيخ في جوابه على الفور:

از خجندم از خجند

ولكنه تأذى من سوء أدبه ومعاملته معه هكذا وحمله على سكره فقال الغالب: إن هذا الشاب سكران فسمعه البساطي وقال بالبداهة:

سيهٔ چشميست مردم كش خراب غمزه اويم
ازان در عين هشياري سخن مستانه ميكويم

ثم قال بطريق الهجو له:

اي ملحد خجندي ريش بزرك داري   كزغايت بزركي ده ريش ميتوان كفت

فلما سمعه الشيخ تألم منه تألماً شديداً فدعا عليه في ذلك المجلس فمات من ساعته من تأثير نفسه الشريف في حقه فليجانب العاقل أذية الصلحاء فإن مكره يعود إليه دونهم قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]، قيل ونعم ما قيل:

ناي كند ناله بدين قول راست از نفس پير بترس أي: جوان

فحفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم سبب للترقي إلى المطالب العالية وباعث للاحترام والإكرام قال رسول الله ﷺ: «ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه» قال المشايخ عقوق الأستاذين لا توبة منه.

ـ ويحكى ـ عن أبي الحسن الهمداني قال: كنت ليلة عند جعفر الخالدي وكنت أمرت في بيتي أن يعلق لي طير في التنور وكان قلبي معه فقال لي جعفر: أقم عندنا الليلة فتعللت بشيء ورجعت إلى منزلي فأخرج الطير من التنور ووضع بين يدي فدخل كلب من الباب وحمل الطير عند تغافل الحاضرين وأتى بالجوذاب الذي تحته فتعلق به ذيل الخادمة فانصب فلما أصبحت دخلت على جعفر فحين وقع بصره علي قال: من لم يحفظ قلوب المشايخ يسلط عليه كلب يؤذيه. قال الشيخ أبو علي الدقاق قدس سره لما نفى أهل بلخ محمد بن الفضل من البلد دعا عليهم وقال: اللهم امنعهم الصدق فلم يخرج من بلخ بعده صديق عصمنا الله وإياكم من المخالفة آمين.

﴿**قل يا أهل الكتاب**﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿**تعالوا**﴾ كان عليه السلام حريصاً على إيمانهم فأمره الله تعالى بأن يعدل عن طريق المجادلة والاحتجاج إلى نهج يشهد كل عقل سليم أنه كلام مبني على الإنصاف وترك الجدال لا ميل فيه إلى جانب حتى يكون فيه شائبة التعصب فهو كلام ثابت في المركز نسبته إلينا وإليكم على سواء واعتدال فقال: قل يا أهل الكتاب تعالوا أي: هلموا والمراد تعيين ما دعوا إليه والتوجه إلى النظر فيه وإن لم يكن انتقالاً من مكان إلى مكان لأن أصل اللفظ مأخوذ من التعالي وهو الارتفاع من موضع هابط إلى مكان عال ثم كثر استعماله حتى صار دالاً على طلب التوالي حيث يدعى إليه ﴿**إلى كلمة سواء بيننا وبينكم**﴾ لا يختلف فيها الرسل والكتب فيها إنصاف من بعضنا لبعض ولا ميل فيها لأحد على صاحبه وهي ﴿**أن لا نعبد إلا الله**﴾ أي: نوحده بالعبادة ونخلص فيها ﴿**ولا نشرك به شيئاً**﴾ ولا نجعل غيره شريكاً في استحقاق العبادة ولا نراه أهلاً لأن نعبده ﴿**ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله**﴾ بأن نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الأحبار فيما أحدثوا من التحليل والتحريم لأن كلاً منهم بعضنا وبشر مثلنا. وعن الفضيل لا أبالي أطعت مخلوقاً في معصية الخالق أم صليت لغير القبلة ﴿**فإن تولوا**﴾ عما دعوتم إليه من التوحيد وترك الإشراك ﴿**فقولوا**﴾ أي: قل لهم أنت والمؤمنون ﴿**اشهدوا بأنا مسلمون**﴾ أي: لزمتكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم.

ـ روي ـ أن رسول الله ﷺ كتب إلى قيصر «من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد: فإني أدعوك برعاية الإسلام أسلم تسلم» أي: من السبي في الدنيا ومن العذاب في الآخرة «وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿**يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً**﴾ إلى قوله: ﴿**فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**﴾. وجاء في الخبر الصحيح أن هرقل سأل عن حال النبي عليه السلام وعرفها ممن جاء بكتابه فقال: لو كنت عنده لقبلت قدميه لمعرفته صدق

النبي عليه السلام بعلاماته المعلومة له من الكتب القديمة لكن خاف من ذهاب الرياسة. ثم إنه كتب جواب كتابه عليه السلام إنا نشهد أنك نبي ولكنا لا نستطيع أن نترك الدين القديم الذي اصطفاه الله لعيسى عليه السلام فعجب النبي عليه السلام فقال: «لقد ثبت ملكهم إلى يوم القيامة أبداً». وكتب إلى كسرى ملك فارس فمزق كتابه ورجع الرسول بعدما أراد قتله فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «خرق الله ملكهم فلا ملك لهم أبداً» فكان كذلك.

والإشارة في الآية أن أصول الأديان كلها إخلاص العبودية كما قال تعالى: ﴿**أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً**﴾ يعني كما لا نعبد إلا الله لا نطلب منه غيره ﴿**ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله**﴾ في طلب الرزق ورؤية الأمور من الوسائط ﴿**فإن تولوا**﴾ يعني من أعرض عن هذا الأصل ﴿**فقولوا**﴾ أنتم لهم ﴿**اشهدوا بأنا مسلمون**﴾ مستسلمون لما دعانا الله إليه من التوحيد والإخلاص في العبودية ونفي الشرك والسر في الإشهاد على الإسلام ليشهد الكفار لهم يوم القيامة على الإسلام والتوحيد كما يشهد لهم المؤمنون كما قال النبي عليه السلام لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «إني أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت في غنمك وباديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة» فيكون شهادة الكفار لهم بالتوحيد يوم القيامة حجة على أنفسهم. فالتوحيد هي العروة الوثقى وأصل الأصول يهب من جانب الغيب لمن أخلصه قبول القبول. فعلى العاقل أن لا يخالف كتاب الله بالإعراض عن فحاويه وعدم التدبر في معانيه بل يسلك سبيل العلم والأعمال ويجتنب الجهل والغي والضلال قبل أن يهال عليه التراب ويلف في الأكفان من الأثواب، قال الفاضل عبد الرحمن الجامي قدس سره:

پيش كسرى زخردمند حكيمان ميرفت ... سخن ازسخت ترين موج درين لجه غم
آن يكى كفت كه بيمارى واندوه دراز ... وإن دكر كفت كه نادارى وبيريست بهم
سبومين كفت كه قرب اجل وسوء عمل ... عاقبت رفت بترجيح سوم حكم حكم

يعني اجتمع يوماً في مجلس أنوشروان ثلاثة من الحكماء فانجر الكلام إلى أن أشد الشدائد ما هو؟ فقال الحكيم الرومي: هو الشيخوخة مع الفقر. وقال الحكيم الهندي: المرض وعلة البدن مع كثرة الغموم والهموم. وقال الحكيم بزرجمهر: هو قرب الأجل وسوء العمل فاتفقوا على قوله رزقنا الله وإياكم حلاوة الطاعات وأيدنا بتوفيقه قبل قدوم هاذم اللذات آمين.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿**يا أهل الكتاب**﴾ من اليهود والنصارى ﴿**لم تحاجون**﴾ تجادلون ﴿**في**﴾ ملة ﴿**إبراهيم**﴾ وشريعته تنازعت اليهود والنصارى في إبراهيم عليه السلام وزعم كل واحد منهما أنه عليه السلام منهم وترافعا إلى رسول الله ﷺ فنزلت والمعنى لم تدعون أنه عليه السلام كان منكم ﴿**وما أنزلت التوراة**﴾ على موسى عليه السلام ﴿**والإنجيل**﴾ على عيسى عليه السلام ﴿**إلا من**

بعده﴾ أي: من بعد موته وأنتم سميتم باليهودية والنصرانية بعد نزول الكتاب ﴿**أفلا تعقلون﴾** أي: ألا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم فتجادلون بالجدال المحال لأن بين إبراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى ألفي سنة فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة؟.

﴿**ها أنتم هؤلاء﴾** جملة من مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم بينت بجملة مستأنفة إشعاراً بكمال غفلتهم أي: أنتم هؤلاء الحمقى حيث ﴿**حاججتم فيما لكم به علم﴾** من التوراة والإنجيل من نبوة محمد عليه السلام ﴿**فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾** فيما لا ذكر له في كتابكم ولا علم لكم به من دين إبراهيم إذ لا ذكر لدينه عليه السلام في أحد الكتابين قطعاً ﴿**والله يعلم﴾** ما حاججتم فيه فيعلمنا ﴿**وأنتم لا تعلمون﴾** أي: محل النزاع.

﴿**ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً﴾** تصريح بما نطق به البرهان المقرر ﴿**ولكن كان حنيفاً﴾** أي: مائلاً عن العقائد الزائغة كلها ﴿**مسلماً﴾** أي: منقاداً لله تعالى وليس المراد أنه كان على ملة الإسلام وإلا لاشترك الإلزام ﴿**وما كان من المشركين﴾** تعرض بأنهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ورد لادعاء المشركين أنهم على ملته عليه السلام.

﴿**إن أولى الناس بإبراهيم﴾** أي: إن أحق الناس بدعواه أنه على دين إبراهيم ﴿**للذين اتبعوه﴾** في زمانه ﴿**وهذا النبي﴾** أي: محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه اتبعه ﴿**والذين آمنوا﴾** بالله وبمحمد ﷺ من هذه الأمة لموافقتهم في أكثر ما شرعه لهم على الأصالة ﴿**والله ولي المؤمنين﴾** ينصرهم ويجازيهم الحسنى بإيمانهم.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿**ودت طائفة من أهل الكتاب﴾** أي: أحبت ﴿**لو﴾** أي: أن ﴿**يضلونكم﴾** يصرفونكم عن دين الإسلام إلى دين الكفر وإنما قال طائفة لأن من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله ﴿**وما يضلون إلا أنفسهم﴾** جملة حالية جيء بها للدلالة على كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم على ما هم عليه من الدين القويم أي: وما يتخطاهم الإضلال ولا يعود وباله إلا إليهم لما أنه يضاعف به عذابهم ﴿**وما يشعرون﴾** أي: باختصاص وباله وضرره بهم.

اعلم أنه تعالى لمّا بَيَّنَ أن من طريقة أهل الكتاب العدول عن الحق والإعراض عن قبول الحجة بين أنهم لا يقتصرون على هذا القدر بل يجتهدون في إضلال من آمن بالرسول عليه السلام بإلقاء الشبهات. فعلى العاقل أن لا يضل عن الطريق القويم بالقاآت كل شيطان رجيم من ضلال الإنس والجان أصلحهم الله الملك المنان وماذا بعد الحق إلا الضلال. قال ابن مسعود رضي الله عنه: لمّا دنا فراق رسول الله ﷺ جمعنا في بيت أُمِنّا عائشة رضي الله عنها ثم نظر إلينا فدمعت عيناه وقال: «مرحباً بكم حياكم الله رحمكم الله أوصيكم بتقوى الله وطاعته قد دنا الفراق وحان المنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى يغسلني رجال أهل بيتي ويكفنونني في ثيابي هذه إن شاؤوا أو في حلة يمانية فإذا غسلتموني وكفنتموني ضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير لحدي ثم اخرجوا عني ساعة فأول من يصلي علي حبيبي جبريل عليه السلام ثم ميكائل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنودهم ثم أدخلوا علي فوجاً فوجاً صلوا علي» فلما سمعوا فراقه صاحوا وبكوا وقالوا: يا رسول الله أنت رسول ربنا وشمع

جمعنا وسلطان أمرنا إذا ذهبت عنا فإلى من نراجع في أمورنا؟ قال: «تركتم على المحجة البيضاء» أي: على الطريق الواسع الواضح «ليلها كنهارها» في الوضوح و«لا يزيغ بعدها إلى غيرها إلا هالك وتركت لكم واعظين ناطقاً وصامتاً فالناطق القرآن والصامت الموت فإذا أشكل عليكم أمر فارجعوا إلى القرآن والسنة وإذا قسا قلبكم فلينوه بالاعتبار في أحوال الأموات».

جهان أي: پسر ملك جاويد نيست زدنيا وفادارى اميد نيست

والناس في الاعتقاد والعمل متفاوتون. فمنهم من هو متين كالحصن الحصين لا يزول عما هو عليه وإن اتفق الناس في إضلاله وهو المرتبة القصوى في باب الدين التي نالها الأنبياء والأولياء والأفراد من المؤمنين قال علي كرم الله وجهه [لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً] ولا يطرأ الشك في المحسوس فكذا ما هو في حكمه. ومنهم من هو ضعيف لا متانة فيه تذروه رياح الهوى حيث شاءت بعد إن لم تساعد له العناية الأزلية قال رسول الله ﷺ: «الناس كمعادن الذهب والفضة» يعني: أن الناس معادن الأعمال والأخلاق والأقوال ولكن يتفاوتون فيها كما تتفاوت معادن الذهب والفضة إلى أن تنتهي إلى الأدنى فالأدنى. قال في «شرح المصباح» وفيه إشارة إلى أن ما في معادن الطباع من جواهر مكارم الأخلاق ينبغي أن تستخرج برياضة النفوس كما يستخرج الجواهر من المعادن بالمقاساة والتعب ولقد أجاد من قال:

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلى سهر الليالي

تروم العز ثم تنام ليلاً يغوص البحر من طلب اللآلي

فلا بد من الاجتهاد والاستمداد من الأبدال والأوتاد لعل الله يسهل سلوك هذا الطريق ويخلص من خطر هذا البحر العميق:

بارى كه آسمان وزمين سر كشيد ازان مشكل بود بياورىء جسم وجان كشيد

همت قوى كن ازمدد رهروان عشق كان باررا بقوت همت توان كشيد

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝٧٠ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٧١ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٧٢﴾

﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله﴾ أي: بما نطقت به التوراة والإنجيل ودلت على نبوة محمد ﷺ **﴿وأنتم تشهدون﴾** أي: والحال أنكم تشهدون أنها آيات الله **﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون﴾** أي: تخلطون **﴿الحق بالباطل﴾** المراد بالحق كتاب الله الذي أنزله على موسى وعيسى عليهما السلام. وبالباطل ما حرفوه وكتبوه بأيديهم وبخلط أحدهما بالآخر إبراز باطلهم في صورة الحق بأن يقولوا الكل من عند الله تعالى **﴿وتكتمون الحق﴾** أي: نبوة محمد ﷺ ونعته **﴿وأنتم تعلمون﴾** أنه حق ثابت في كتابكم.

﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب﴾ وهم رؤساؤهم ومقتدوهم لأعقابهم **﴿آمنوا بالذي﴾** أي: أظهروا الإيمان بالقرآن الذي **﴿أنزل على الذين آمنوا﴾** أي: على المسلمين **﴿وجه النهار﴾** أي: في أوله لأن أول النهار هو أول ما ظهر منه كما أن الوجه أول ما يظهر من أعضاء الإنسان عند الملاقاة **﴿واكفروا آخره﴾** أي: أظهروا ما أنتم عليه من الكفر به في آخر النهار مرائين لهم أنكم آمنتم به بادي الرأي من غير تأمل ثم تأملتم فيه فوقفتم على خلل رأيكم الأول فرجعتم

عنه ﴿لعلهم﴾ أي: المؤمنين ﴿يرجعون﴾ عما هم عليه من الإيمان به كما رجعتم. والمراد بالطائفة كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف قالا لأصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلوا إليها أول النهار ثم صلوا إلى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون.

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

﴿ولا تؤمنوا﴾ أي: لا تقروا بتصديق قلبي ﴿إلا لمن تبع دينكم﴾ أي: لأهل دينكم لا لمن تبع محمداً وأسلم لما قالت الطائفة المتقدمة لاتباعهم أظهروا الإيمان بالقرآن أول النهار كان من بقية كلامها لهم إنكم لا تصدقوا بحقية الإسلام والقرآن بقلوبكم لكن لا تظهروه للمسلمين ولا تقروا بذلك إلا لأهل دينكم ﴿قل﴾ يا محمد للرؤساء ﴿إن الهدى هدى الله﴾ يهدي به من يشاء إلى الإيمان ويثبته عليه فإذا كانت الهداية والتوفيق من الله فلا يضر كيدكم وحيلكم وهو اعتراض مقيد لكون كيدهم غير مجد لطائل ﴿أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم﴾ علة بتقدير اللام لفعل محذوف أي: قلتم ذلك القول ودبرتم الكيد لأن يعطى أحد مثل ما أعطيتم من فضل الكتاب والعلم لا لشيء آخر يعني ما بكم من الحسد صار داعياً لكم إلى أن قلتم ما قلتم ﴿أو يحاجوكم﴾ عطف على أن يؤتى وضمير الجمع عائد إلى أحد لأنه في معنى الجمع أي: دبرتم ما دبرتم لذلك ولأن يحاجوكم عند كفركم بما يؤتى أحد من الكتاب مثل كتابكم ﴿عند ربكم﴾ يوم القيامة فيغلبوكم بالحجة فإن من آتاه الله الوحي لا بد أن يحاج مخالفيه عند ربه ﴿قل إن الفضل﴾ أي: الهدى والتوفيق وإيتاء العلم والكتاب ﴿بيد الله﴾ أي: بقدرته ومشيئته ﴿يؤتيه من يشاء﴾ من عباده ﴿والله واسع﴾ أي: كامل القدرة ﴿عليم﴾ أي: كامل العلم فلكمال القدرة يصح أن يتفضل على أي عبد يشاء بأي تفضل شاء ولكمال علمه لا يكون شيء من أفعاله إلا على وجه الحكمة والصواب.

﴿يختص برحمته﴾ أي: يجعل رحمته مقصورة على ﴿من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ كلاهما تذييل لما قبله مقرر لمضمونه.

والإشارة في تحقيق الآيات أن الحسد وإن كان مركوزاً في جبلة الإنسان ولكن له اختصاص بعالم يتعلم العلم ليماري به السفهاء ويباهي به العلماء ويجعله وسيلة لجمع المال وحصول الجاه والقبول عند أرباب الدنيا فيحسد على كل عالم آتاه الله كلمة فهو ينشرها ويفيد الخلق كما قال عليه السلام: «لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في حق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها» أي: لا حسد كحسد الحاسد على هذين الرجلين وكان حسد أحبار اليهود على النبي عليه السلام من هذا القبيل. قال رسول الله ﷺ: «ستة يدخلون النار قبل الحساب» قيل يا رسول الله من هم قال: «الأمراء من بعدي بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة وأهل الرستاق بالجهل وأهل العلم بالحسد» قال رسول الله ﷺ: «ثلاث هن أصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن إياكم والكبر فإن إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم»، قال المولى الجامي:

لاف بي كبرى مزن كان ازنشان پاي مور　　درشب تاريك برسنك سيه پنهان ترست
وزدرون كردن برون انرامكير آسان كزان　　كوه را كندن بسوزن اززمين آسان ترست

«وإياكم والحرص فإن آدم حمله الحرص على أن أكل من الشجرة»، وقال أيضاً:

درهر دلى كه عزقناعت نهاد پاي　　ازهرچه بود حرص وطمع را ببست دست
هرجا كه عرضه كرد قناعت متاع حويش　　بآزار حرص ومعركة آزرا شكست

«وإياكم والحسد فإن ابني آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسداً»، قال الشيخ السعدي:

توانم انكه نيازارم اندرون كسى　　حسود راچه كنم كوز خودبرنج درست
بميرتا برهى أي حسود كين رنجيست　　كه از مشقت ان جز بمرك نتوان رست

وقال الأصمعي: رأيت أعرابياً أتى عليه مائة وعشرون سنة فقلت: ما طول عمرك؟ فقال: تركت الحسد فبقيت. وفي بعض الآثار أن في السماء الخامسة ملكاً يمر به عمل عبد له ضوء كضوء الشمس فيقول: قف فأنا ملك الحسد اضربوا به وجه صاحبه فإنه حاسد. وقيل: من علامات الحاسد أن يتملق إذا شهد ويغتاب إذا غاب ويشمت بالمصيبة إذا نزلت وأنشدوا:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت　　أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت　　ما كان يعرف طيب عرف العود

فالحسد من الأخلاق المذمومة للنفس فلا بد من إزالته عنها بكثرة التوحيد والإذكار ورؤية الآثار من الله الجبار فإن تباين مقامات أفراد الإنسان في العلم والعمل والخلق وسائر الصفات الفاضلة رحمة لهم ولم يكن ذلك إلا بتقدير العزيز العليم في الأزل فالحاسد يسفه الحق سبحانه وأنه أنعم على من لا يستحق تعالى الله عما يقول الظالمون وقد ذم الله الحاسدين في كتابه قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤] وأما الغبطة فهي محمودة نسأل الله أن يحلينا بالصفات الشريفة والأخلاق اللطيفة ويخلينا من الرذائل النفسية آمين يا رب العالمين.

﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار﴾ يقال: أمنته بكذا فالباء للالصاق بالأمانة فإن من ائتمن على شيء صار ذلك الشيء في معنى الملصق به لقربه به منه واتصاله بحفظه والمراد بالقنطار هٰهنا العدد الكثير **﴿يؤده إليك﴾** من غير جحد ونقص كعبد الله بن سلام استودعه قرشي ألفاً ومائتي أوقية ذهبا فأداها إليه فأهل الأمانة من أهل الكتاب هم الذين أسلموا **﴿ومنهم من إن تأمنه بدينار﴾** والمراد بالدينار هٰهنا العدد القليل **﴿لا يؤده إليك﴾** وهو كعب بن الأشرف استودعه رجل من قريش ديناراً فلم يؤده وجحده فذمه تعالى فأهل الخيانة منهم هم الذين بقوا على اليهودية والنصرانية والمعنى أن فيهم من هو في غاية الأمانة حتى لو اؤتمن على الأموال الكثيرة أدى الأمانة فيها ومنهم من هو في غاية الخيانة حتى لو اؤتمن في الشيء القليل فإنه يخون **﴿إلا ما دمت عليه قائماً﴾** استثناء مفرغ من أعم الأحوال والأوقات أي لا يؤده إليك في حال من الأحوال أو في وقت من الأوقات إلا في حال دوام قيامك أو في وقت قيامك على

رأسه مبالغاً في مطالبته بالتقاضي وإقامة البينة ﴿ذلك﴾ أي تركهم أداء الحقوق ﴿بأنهم﴾ أي بسبب أنهم ﴿قالوا ليس علينا في الأميين﴾ أي في شأن من ليس من أهل الكتاب ﴿سبيل﴾ أي عتاب ومؤاخذة ونفي السبيل نفي المطالبة فإن المطالب لا يتمكن من المطالبة إلا إذا وجد السبيل إلى المطلوب. والأمي منسوب إلى الأم وسمي النبي عليه السلام أمياً لأنه كان لا يكتب وذلك لأن الأم أصل الشيء فمن لا يكتب فقد بقي على أصل حاله في أن لا يكتب. وقيل لأنه عليه السلام نسب إلى مكة وهي أم القرى ﴿ويقولون على الله الكذب﴾ بادعائهم أن ذلك في كتابهم ﴿وهم يعلمون﴾ أنهم كاذبون مفترون على الله وذلك لأنهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل في التوراة في حقهم حرمة فقد كذبوا في ذلك على الله فإن أداء الأمانة واجب في الأديان كلها وحبس مال الغير والإضرار به والخيانة إليه حرام ﴿بلى﴾ إثبات لما نفوه أي بلى عليهم في الأميين سبيل ﴿من أوفى بعهده﴾ الضمير راجع إلى من أي من أتم بعهد الوافي أو بعهد الله الذي عهده إليهم في التوراة وأخذ ميثاقهم عليه من الإيمان بمحمد وأداء الأمانة ﴿واتقى﴾ أي الشرك والخيانة وجواب الشرط وهو من قوله ﴿فإن الله يحب المتقين﴾ عن الغدر والخيانة ونقض العهد أي فإن الله يحبه فقام عموم المتقين مقام الضمير الراجع من الجزاء إلى من يعني التقوى تعم وفاء ما عاهدوا الله عليه من الإيمان بمحمد عليه السلام وبما جاء به مما يتعلق بتكميل القوة النظرية والعملية. ودلت الآية على تعظيم أمر الوفاء بالعهد وذلك لأن الطاعات مقصورة على أمرين التعظيم لأمر الله تعالى والشفقة على خلق الله فالوفاء بالعهد مشتمل عليهما معاً إذ ذلك سبب لمنفعة الخلق فهو شفقة على خلق الله ولما أمر الله به كان الوفاء به تعظيماً لأمر الله قال رسول الله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا ائتمن»، أي: جعل أميناً ووضع عنده أمانة «خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر»، أي: ترك الوفاء «وإذا خاصم فجر» أي مال عن الحق. قال صاحب «التحفة» وليس الغرض أن آية المنافق محصورة فيها بل كل من أبطن خلاف ما أظهر فهو من المنافقين فصدور العدد من خير الأنام يكون باعتبار اقتضاء المقام والوفاء بالعهد كما يمكن أن يكون في حق الغير يمكن أيضاً في حق النفس لأن الوافي بعهد النفس هو الآتي بالطاعات والتارك للمحرمات لأنه عند ذلك تفوز النفس بالثواب وتبعد عن العقاب. فعلى العاقل أن يوفي بعهده في السراء والضراء ويجتهد في محافظته.

ـ حكي ـ أن شاباً عقد مع الله عقداً أن لا ينظر إلى شيء من مستحسنات الدنيا فمر يوماً بسوق فرأى منطقة مرصعة بالدر والجوهر فنظر إليها فأعجبته ثم مضى عنها وقد نظر إليه صاحبها فلما ذهب عنه افتقدها فلم يجدها فوثب مسرعاً حتى تعلق بالشاب وقال يا عيار أنت سارق منطقتي فحمله إلى السلطان فلما نظر إليه قال: ليس هذا من أهل السرقات فقال: بل هو سارق منطقتي وصفتها كيت كيت فأمر بتفتيشه فوجدوها على وسطه فقال له السلطان يا فتى أما تستحيي تلبس لباس الأخيار وتعمل عمل الفجار؟ فنظر الفتى إلى المنطقة فقال مولاي: الإقالة الإقالة الهي لا أعود إلى مثلها فأمر السلطان أن يضرب فجرد ليضربوه فإذا هم بصوت يسمع ولا يرى يقول: دعوه ولا تضربوه إنما أردنا تأديبه فوثب السلطان إلى الفتى وقبله بين عينيه ثم قال: أخبرني عن قصتك فأخبره فتعجب من ذلك ثم قرأ ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟﴾ [البقرة: ١٧٧] فقال صاحب المنطقة: سألتك بالله إلا ما قبلتها مني واجعلني في حل فقال: إليك

عني ليس هذا من صنعتك إنما الصنع لصاحب الصنع ولا مؤثر في الوجود غير الحق وليس في الدار غيره ديار.

چه خوش كفت بهلول فر خنده خوى چو بكذشت بر عارفى جنك جوى
كر اين مدعى دوست بشناختى به پيكار دشمن نپرداختى
كر از هستىء حق خبر داشتى همه خلق را نيست پنداشتى

فإذا وقفت على هذا الخبر فقم في تربية نفسك إلى أن تصل إلى الهوية المطلقة مميطاً لثام الإثنينية مشاهداً وجود الحق في كل شيء رزقنا الله وإياكم مشاهدته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾

﴿إن الذين يشترون﴾ أي يستبدلون ويأخذون ﴿بعهد الله﴾ أي بدل ما عاهدوا عليه من الإيمان بالرسول عليه السلام والوفاء بالأمانات ﴿وإيمانهم﴾ وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن به ولننصرنه ﴿ثمنا قليلا﴾ هو حطام الدنيا ﴿أولئك﴾ الموصوفون بتلك الصفات القبيحة ﴿لا خلاق﴾ لا نصيب ﴿لهم في الآخرة﴾ ولا في نعيمها ﴿ولا يكلمهم الله﴾ وهو كناية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله من ذلك ﴿ولا ينظر إليهم يوم القيامة﴾ وهو مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم ﴿ولا يزكيهم﴾ أي لا يثني عليهم كما يثني على أوليائه مثل ثناء المزكي للشاهد. والتزكية من الله تعالى قد تكون على ألسنة الملائكة كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣ـ ٢٤] وقد تكون بغير واسطة، إما في الدنيا فكقوله تعالى: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] وإما في الآخرة فكقوله تعالى: ﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨] ﴿ولهم عذاب أليم﴾ على ما فعلوه من المعاصي. والآية نزلت في اليهود الذين حرفوا التوراة وبدلوا نعت رسول الله ﷺ وأخذوا الرشوة على ذلك.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿وإن منهم﴾ أي من اليهود المحرفين ﴿لفريقا﴾ ككعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وأضرابهما ﴿يلوون﴾ من اللي وهو الفتل ﴿ألسنتهم بالكتاب﴾ أي يفتلونها بقراءته فيميلونها من المنزل إلى المحرف ﴿لتحسبوه﴾ أي المحرف المدلول عليه بقوله يلوون ﴿من الكتاب﴾ أي من جملته ﴿وما هو من الكتاب﴾ حال من الضمير المنصوب أي والحال أنه ليس منه في نفس الأمر وفي اعتقادهم أيضاً ﴿ويقولون﴾ مع ما ذكر من اللي والتحريف على طريقة التصريح لا بالتوراة والتعريض ﴿هو﴾ أي المحرف ﴿من عند الله﴾ أي منزل من عند الله ﴿وما هو من عند الله﴾ أي: والحال أنه ليس من عنده تعالى في اعتقادهم أيضاً ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ أنهم كاذبون ومفترون على الله وهو تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف وغيروا التوراة وكتبوا كتاباً بدلوا فيه صفة رسول الله ﷺ ثم أخذت قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب.

والإشارة في الآيتين ﴿إن الذين يشترون بعهد الله﴾ الذي عاهدهم الله به يوم الميثاق في التوحيد وطلب الوحدة ﴿وأيمانهم﴾ التي يحلفون بها هٰهنا ﴿ثمناً قليلاً﴾ من متاع الدنيا وزخارفها مما يلائم الحواس الخمس والصفات النفسانية ﴿أولئك لا خلاق لهم في الآخرة﴾ الروحانية من نسيم روائح الأخلاق الربانية ﴿ولا يكلمهم الله﴾ تقريباً وتكريماً وتفهيماً ﴿ولا ينظر إليهم يوم القيامة﴾ بنظر العناية والرحمة فيرحمهم ويزكيهم عن الصفات التي بها يستحقون دركات جهنم ﴿ولا يزكيهم﴾ عن الصفات الذميمة التي هي وقود النار بالنار إلى الأبد ولا يتخلصون منها أبداً ﴿ولهم عذاب أليم﴾ فيما لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم.

﴿وإن منهم﴾ أي من مدعي أهل المعرفة ﴿لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب﴾ أي بكلمات أهل المعرفة ﴿لتحسبوه﴾ من المعرفة ﴿وما هو من الكتاب﴾ الذي كتب الله في قلوب العارفين ﴿ويقولون هو من عند الله﴾ يعني من العلم اللدني ﴿وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب﴾ بإظهار الدعاوي عند فقدان المعاني ﴿وهم يعلمون﴾ ولا يعلمون أنهم يقولون ما لا يفعلون، قال السعدي قدس سره:

كرا جامه پاكست وسيرت پليد   در دوزخش را نبايد كليد

يعني يدخل جهنم من قبل أن يحاسب على ما فعله لأن مآله إلى النار والمحاسبة وإن كانت نوعاً من التعذيب إلا أن عذاب جهنم أشد منها.

اكر مردى از مردىء خود مكوى   نه هر شهسوارى پدر برد كوى

يعني كل عابد لا يخلص إيمانه في عاقبته بل من المتعيشين بالصلاح من يموت على الطلاح والعياذ بالله:

كسى سر بزركى نباشد بچيز   كدو سر بزركست وبى مغز نيز
ميفر ازكردن بدستار وريش   كه دستار پنبه است وسبلت حشيش

أي النبات اليابس. فيا أرباب الدعاوي أين المعاني. ويا أرباب المعرفة أين المحبة. ويا أرباب المحبة أين الطاعة.

ـ روي ـ أن رسول الله ﷺ رأى ليلة المعراج نساء بيد كل واحدة منهن مقراض تقرض صدرها وتقطعه قطعة قطعة فسأل جبريل عليه السلام عنهن فقال: «هن اللاتي ولدن أولاداً من الزنى مع وجود أزواجهن وأولادهن» قال الشيخ الصفي قدس سره: إن الذين يدعون المعرفة وتمكنهم في مقام الإرشاد ويراؤون جلباً لحطام الدنيا عذابهم أشد من عذاب هؤلاء النساء سبعين مرة فمن جعل القرآن وسيلة لجلب زخارف الدنيا أولى منه من يجلبها بالمعازف وآلات اللهو مثلاً إذا كان في محل رفيع حيث لا تصل إليه اليد وليس هناك غير مصحف وطنبور فالأولى أن يجعل الطنبور تحت القدم للوصول دون المصحف وهكذا فيما نحن فيه، قيل:

دين فروشى مايه كردن هست خسران مبين
سودمند آنكس كه دنيا صرف كرد ودين خريد

فلو نظرت إلى شيوخ الزمان وجدت أكثرهم مدعين ما لم يتحققوا به يضلون الناس بأكاذيب ويروون أساليب ليس فيها أثر من المعاني والحقيقة. فعلى العاقل أن لا يغتر بظاهرهم ولا يخرج عن المنهاج مقتفياً بآثارهم بل يجتهد إلى أن يميز بين الحق والباطل والعارف

والجاهل وماذا بعد الحق إلا الضلال عصمنا الله وإياكم من الزيغ وسيآت الأعمال آمين يا متعال.

﴿ما كان لبشر﴾ بيان لافترائهم على الأنبياء عليهم السلام حيث قال نصارى نجران إن عيسى عليه السلام أمرنا أن نتخذه رباً حاشاه عليه السلام. وجاء رجل من المسلمين فقال: يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك فقال: «معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غير الله» أي ما صح وما استقام لأحد سواء كان بشراً أولا وإنما قيل لبشر إشعاراً بعلة الحكم فإن البشرية منافية للأمر الذي أسنده الكفرة إليهم ﴿أن يؤتيه الله الكتاب﴾ الناطق بالحق الآمر بالتوحيد الناهي عن الإشراك كالتوراة والإنجيل والقرآن ﴿والحكم﴾ أي الفهم والعلم ﴿والنبوة﴾ وإيتاء الكتاب يستلزم إيتاء الحكم وهو الحكمة المعبر عنها بإتقان العلم والعمل فلذلك قدم الكتاب على الحكم لأن المراد بالحكم هو العلم بالشريعة وفهم مقاصد الكتاب وأحكامه فإن أهل اللغة والتفسير اتفقوا على أن هذا الحكم هو العلم قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢] يعني العلم والفهم. فالكتاب السماوي ينزل أولاً ثم إنه يحصل في عقل النبي فهم ذلك الكتاب وأسراره وبعدما حصل فهم الكتاب يبلغ النبي ذلك المفهوم إلى الخلق وهو النبوة والإخبار فما أحسن هذا الترتيب ﴿ثم يقول﴾ ذلك البشر بعدما شرفه تعالى بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق وأطلعه على شؤونه العالية ﴿للناس كونوا عباداً﴾ كائنين ﴿لي من دون الله﴾ من متعلق بلفظ عباداً لما فيه من معنى الفعل ﴿ولكن﴾ يقول لهم ﴿كونوا ربانيين﴾ الرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون كاللحياني إذا وصف بطول اللحية ففيه الدلالة على الكمال في هذه الصفة وإذا نسب إلى اللحية من غير قصد المبالغة يقال لحوي فالرباني هو الكامل في العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله تعالى ودينه كما يقال رجل إلّهي إذا كان مقبلاً على معرفة الإله وطاعته ﴿بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ أي بسبب مثابرتكم على تعليم الكتاب ودراسته أي قراءته وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها.

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً﴾ بالنصب عطف على ثم يقول ولا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله تعالى: ﴿ما كان لبشر﴾ أن يستنبئه الله تعالى ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً كما قال قريش والصابئون الملائكة بنات الله واليهود والنصارى عزير ابن الله والمسيح ابن الله ﴿أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ إنكار لما نفى عن البشر والضمير له يعني أيأمركم بعبادة الملائكة والسجدة للأنبياء بعد كونكم مخلصين بالتوحيد لله فإنه لو أمركم بذلك لكفر ونزع منه النبوة والإيمان ومن آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة يكون أعلم الناس وأفضلهم فيمنعه ذلك من ادعاء الألوهية فإنه تعالى لا يؤتي الوحي والكتاب إلا نفوساً طاهرة وأرواحاً طيبة فلا يجمع بشر بين النبوة وبين دعاء الخلق إلى عبادة غير الله.

واعلم أن العلم والدراسة جعلا سبباً للربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله وكفى هو دليلاً على خيبة سعي من جهد نفسه وكدّ روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة إلى العمل

فكان مثل من غرس شجرة حسناء تؤنقه أي تعجبه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها فالعمل بغير العلم والعلم بغير العمل لا يثبت كل منهما بانفراده النسبة إلى الرب فعلم أن العالم الذي لا يعمل بعلمه منقطع النسبة بينه وبين ربه كالعامل الجاهل فكل منهما ليس من الله في شيء حيث لم تثبت النسبة إلا للتمسك بالعمل المبني على العلم. قال علي رضي الله عنه قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك لأن العالم ينفر الناس عن العلم بتهتكه والجاهل يرغب الناس في الجهل بتنسكه قال رسول الله ﷺ: «نعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع» فعلى المعلم والمتعلم أن يطلب بعلمه مرضاة الله وبعمله الربانية فمن اشتغل بالتعليم والتعلم لا لهذا المقصد ضاع سعيه وخاب عمله.

والإشارة أن من دأب أهل الحقيقة تربية الأتباع والمريدين ليكونوا ربانيين متخلقين بأخلاق الربانية العاملين بما يعلمون من الكتاب وبما كانوا يدرسون من العلوم لا يقنعون على دراستها ولا يفترون بمقالات أخذوها من أفواه القوم وبعض مدعي هذا الشأن الذين غلبت عليهم أهواؤهم وصفات بشريتهم يدعون الشيخوخة من رعونة النفس قبل أوانها ويخدعون الخلق بأنواع الحيل ويستتبعون بعض الجهلة ويصيدونهم بكلمات أخذوها من الأفواه ويمكرون ببعض أهل الصدق من الطلبة ويقطعون عليهم طريق الحق بأن يمنعوهم من صحبة أهل الحق ومشايخ الطريقة ويأمروهم بالتسليم والرضى فيما يعاملونهم ولا يعرفون غيرهم فيعبدونهم من دون الله كما هو دأب أكثر مشايخ زماننا هذا فإنه ليس من دأب من يؤتى الكتاب والحكم والنبوة، قال السعدي في ذم أمثال هؤلاء المشايخ:

دمادم بشويند چون كربه روى طمع كرده در صيد موشان كوى
رياضت كش ازبهر نام وغرور كه طبل تهى را رود بانك دور

يعني: يصل صوت الطبل إلى البعيد ويسمع من البعيد لكونه خالياً فكذلك أمثالهم يشتهر ذكرهم بين الناس وليس ذلك إلا لكونهم خالين عن الحقيقة إذ المرء الصادق في طلبه والواصل إلى ربه يحب الخمول والنفرة عن الخلق فشأنه التجنب من كل شيء سوى الله دون تشهير نفسه وجلب المال من أيدي الناس بل من الناس من يرغب عنه وهو مرغوب:

كسى راكه نزديك ظنت بداوست چه دانى كه صاحب ولايت خود اوست
در معرفت بر كسانيست باز كه درهاست برروى ايشان فرار

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَٰقَ النَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾ قال قوم إن الله تعالى أخذ الميثاق من النبيين خاصة أن يصدق بعضهم بعضاً وأخذ العهد على كل نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده من الأنبياء وينصره إن أدركه وإن لم يدركه أن يأمر قومه بالإيمان به وبنصرته إن أدركوه فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد عليه السلام وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم بذلك أولى وأحرى أي اذكر يا محمد وقت أخذ الله ميثاق الأنبياء وأممهم **﴿لما آتيتكم﴾** اللام موطئة لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما مبتدأ موصولة وآتيتكم صلتها والعائد محذوف

تقديره للذي آتيناكموه ﴿من كتاب وحكمة﴾ وهي بيان أحكام الحلال والحرام والحدود حال من الموصول ﴿ثم جاءكم رسول﴾ عطف على الصلة والمعطوف على الصلة صلة فلا بد من الرابط فالتقدير رسول به ﴿مصدق لما معكم﴾ من الكتاب ﴿لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ جواب قسم مقدر وهذا القسم المقدر وجوابه خبر للمبتدأ والله لتصدقنه برسالته وتنصرنه على أعدائه لإظهار دين الحق. فإن قيل: ما وجه قوله تعالى: ﴿ثم جاءكم رسول﴾ والرسول لا يجيء إلى النبيين وإنما يجيء إلى الأمم؟ والجواب إن حملنا قوله: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾ على أخذ ميثاق أممهم فقد اندفع الإشكال وإن حملناه على أخذ ميثاق النبيين أنفسهم كان معنى قوله: ﴿ثم جاءكم﴾ أي جاء في زمانكم ﴿قال﴾ أي الله تعالى بعدما أخذ الميثاق ﴿أأقررتم﴾ أي بالإيمان والنصر له والاستفهام للتقرير والتأكيد عليهم لاستحالة حقيقة الاستفهام في حقه تعالى ﴿وأخذتم على ذلكم﴾ الميثاق ﴿إصري﴾ أي عقدي الذي عقدته عليكم. والإصر الثقل الذي يلحق الإنسان لأجل ما يلازمه من العمل والإصر هٰهنا العهد الثقيل لأنه ثقل على صاحبه من حيث إنه يمنع عن مخالفته إياه ﴿قالوا أقررنا﴾ بذلك واكتفى به عن ذكر أخذهم الإصر ﴿قال﴾ سبحانه وتعالى ﴿فاشهدوا﴾ أيها الأنبياء والأمم بإقرار بعضكم على بعض ﴿وأنا معكم من الشاهدين﴾ أي وأنا أيضاً شاهد على إقراركم ذلك مصاحب لكم وإدخال مع علي المخاطبين لما أنهم المباشرون للشهادة حقيقة والمقصود منه التأكيد والتحذير من الرجوع إذا علموا شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض.

﴿فمن تولى﴾ أي أعرض عما ذكر ﴿بعد ذلك﴾ الميثاق والتوكيد بالإقرار والشهادة ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فإن الفاسق من كل طائفة من كان متجاوزاً عن الحد. قال في «التيسير» والتولي لا يقع من الأنبياء ولا يوصفون بالفسق لكن له وجهان: أحدهما أن الميثاق كان على الأنبياء وأممهم على التبعية والتولي من الأمم خاصة، والثاني أن العصمة لا تزيل المحنة انتهى وهذا الميثاق لما كان مذكوراً في كتبهم وهم كانوا عارفين بذلك فقد كانوا عالمين بصدق محمد عليه السلام في النبوة فلم يبق لكفرهم سبب إلا مجرد العداوة والحسد فصاروا كإبليس الذي دعاه الحسد إلى الكفر فأعلمهم الله تعالى أنهم متى كانوا كذلك كانوا طالبين ديناً غير دين الله ومعبوداً سوى الله بقوله تعالى:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿أفغير دين الله يبغون﴾ عطف على مقدر أي أيتولون فيبغون غير دين الله ويطلبونه ﴿وله أسلم﴾ أي لله أخلص وانقاد ﴿من في السموات والأرض﴾ أي أهلهما ﴿طوعاً﴾ وهم الموحدون ﴿وكرهاً﴾ أي بإباء وهم الجاهدون بما فيهم من آثار الصنع ودلائل الحدوث وتصريفهم كيف يشاء إلى صحة ومرض وغنى وفقر وسرور وحزن وسائر الأحوال فلا يمكنهم دفع قضائه وقدره ﴿وإليه يرجعون﴾ أي من فيهما والمراد أن من خالفه في العاجل فسيكون مرجعه إليه من حيث لا يملك الضر والنفع سواه وهذا وعيد عظيم لمن خالف الدين الحق. فعلى العاقل أن يطيع ربه ولا يعصيه بنقض ما عهد إليه يوم الميثاق. فعهد الله مع الأنبياء والأولياء والمؤمنين التوحيد وإقامة الدين وعدم التفرق فيه وتصديق بعضهم بعضاً ودعوة الخلق

إلى الطاعة وتخصيص العبادة بالله فالله تعالى لا يطلب من العبد إلا الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية قال الشيخ الشاذلي قدس سره: متى رزقك الله الطاعة والفناء به عنها فقد أسبغ عليك نعمة ظاهرة، إذ أراح ظاهرك من مخالفة أمره. وباطنة إذ رزقك الاستسلام لقهره، وهذا هو مطلب الحق منك. قيل لابراهيم بن أدهم قدس سره: لو جلست لنا في المسجد حتى نسمع منك شيئاً فقال: إني مشغول عنكم بأربعة أشياء فلو تفرغت منها لجلست معكم قيل وما هي يا أبا إسحاق؟ قال: أولها أني تذكرت حين أخذ الله الميثاق على آدم فقال هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي فلم أدر من أي الفريقين كنت، الثاني أني تفكرت أن الولد إذا قضى الله سبحانه بخلقه في بطن أمه ونفخ فيه الروح فيقول الملك الموكل به يا رب أشقي أم سعيد؟ فلم أدر كيف خرج جوابي في ذلك الوقت، الثالث حين ينزل ملك الموت فإذا أراد أن يقبض الروح فيقول: يا رب أقبضها مع الإسلام أو مع الكفر فلا أدري كيف يخرج جوابي في ذلك الوقت، الرابع تفكرت في قوله: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يس: ٥٩] فلا أدري من أي الفريقين أكون؟ ففي هذا شغلني عن الجلوس لكم والحديث معكم. ففي هذا الإشارة إلى أن العبد مع كونه مستسلماً لقضاء الله لا بد وأن يراعي وظيفة التكليف إذ الخير أو الشر مقضي في حقه ولكن الرسول ﷺ قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» فليجاهد العاقل في تزكية نفسه أولاً ثم الوصية إلى عباد الله ولا يكلف المرء إلا بقدر وسعه والناس في المراتب مختلفون فطوبى لمن وصل إلى أعلى المطالب:

بقدر حوصله خويش دانه چيند مرغ ... بصعوه نتوان داد طمعه شبهاز

وقيل للشيخ الصفي قدس سره: إذا قطع الطالب المنازل فهل يبقى بعد ذلك مرتبة لم يصل إليها بعد؟ قال: بلى يبقى علم أنه هل كان مقبولاً للرب تعالى أو لا، وفي القشيري ما حاصله أن الولي في الحال يجوز أن يتغير حاله في المآل ويجوز أن يكون من جملة كرامات الولي أن يعلم أنه مأمون العاقبة عصمنا الله وإياكم بحسن الخاتمة.

همه عالم همي كويند هر آن ... كه يا رب عاقبت محمود كردان

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿قل آمنا بالله﴾ أمر للرسول ﷺ بأن يخبر عن نفسه بالإيمان بما ذكر وجمع الضمير في آمنا لإظهار جلالة قدره ﷺ ورفعة محله بأمره بأن يتكلم عن نفسه على ديدن الملوك **﴿وما أنزل علينا﴾** وهو القرآن والنزول كما يعدى بإلى لانتهائه إلى الرسول يعدى بعلى لأنه من فوق **﴿وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾** من الصحف. والأسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام وأبناؤه الاثنا عشر وذراريهم فإنهم حفدة إبراهيم عليه السلام **﴿وما أوتي موسى وعيسى﴾** من التوراة والإنجيل وسائر المعجزات الظاهرة بأيديهما وتخصيصهما بالذكر لما أن الكلام مع اليهود والنصارى **﴿والنبيون﴾** أي وما أوتي

النبيون من المذكورين وغيرهم **﴿من ربهم﴾** من الكتب والمعجزات **﴿لا نفرق بين أحد منهم﴾** كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة كل منهم وبحقية ما أنزل إليهم في زمانهم. قال الإمام في تفسيره: اختلف العلماء في كيفية الإيمان بالأنبياء المتقدمين الذين نسخت شرائعهم وحقيقة الخلاف أن شرعه لما صار منسوخاً فهل تصير نبوته منسوخة؟ فمن قال: إن نبوته منسوخة قال: نؤمن بأنهم كانوا أنبياء ورسلاً ولا نؤمن بأنهم أنبياء ورسل في الحال ومن قال إن نسخ الشريعة لا يقتضي نسخ النبوة قال: نؤمن بأنهم أنبياء ورسل في الحال فتنبه لهذا الموضع **﴿ونحن له مسلمون﴾** أي منقادون على أن يكون الإسلام بمعنى الاستسلام وهو الانقياد أو مخلصون له تعالى أنفسنا لا نجعل له شريكاً فيها على أن يكون من السلامة. وفيه تعريض بإيمان أهل الكتاب فإنه بمعزل عن ذلك.

﴿ومن يبتغ غير الإسلام﴾ أي غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحاً والمدعين للتوحيد مع إشراكهم كأهل الكتابين **﴿ديناً﴾** ينتحل إليه وهو نصب على أنه مفعول ليبتغ وغير الإسلام حال منه لأنه في الأصل صفة له فلما قدم انتصب حالاً **﴿فلن يقبل﴾** ذلك **﴿منه﴾** أبداً بل يرد أشد رد وأقبحه **﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾** أي الواقعين في الخسران بحرمان الثواب وحصول العقاب ويدخل فيه ما يلحقه من التأسف والتحسر على ما فاته في الدنيا من العمل الصالح وعلى ما تحمله من التعب والمشقة في الدنيا في تقرير ذلك الدين الباطل. والمعنى أن المعرض عن الإسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بإبطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها.

واعلم أن ظاهر الآية يدل على أن الإيمان هو الإسلام إذ لو كان غير الإسلام لوجب أن لا يكون الإيمان مقبولاً لقوله تعالى: **﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾** والجواب أنه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره.

﴿كيف يهدي الله﴾ إلى الحق **﴿قوماً كفروا بعد إيمانهم﴾** قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعدما آمنوا ولحقوا بمكة وهو استبعاد لأن يهدي قوماً هم معاندون للحق مكابرون فيه غير خاضعين له بأن يخلق فيهم الاهتداء ويوفقهم لاكتساب الاهتداء وإنما يخلق الاهتداء ويوفق على كسب ذلك ويقدرهم عليه إذا كانوا خاضعين للحق راغبين فيه فالمراد من الهداية خلق الاهتداء وقد جرت سنة الله في دار التكليف على أن كل فعل يقصد العبد إلى تحصيله فإن الله تعالى يخلقه عقب قصد العبد فكأنه تعالى قال: كيف يخلق فيهم المعرفة والاهتداء وهم قصدوا تحصيل الكفر وأرادوه **﴿وشهدوا أن الرسول حق﴾** أي صادق فيما يقول **﴿وجاءهم البينات﴾** أي الشاهد من القرآن على صدقه، قوله: وشهدوا عطف على إيمانهم باعتبار انحلاله إلى جملة فعلية فإنه في قوة أن يقال بعد أن آمنوا وبعد أن شهدوا وهو دليل على أن الإقرار باللسان خارج عن حقيقة الإيمان ضرورة أن المعطوف مغاير للمعطوف عليه **﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾** أي الذين ظلموا أنفسهم بالإخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الإيمان فكيف من جاء الحق وعرفه ثم أعرض عنه. فإن قيل ظاهر الآية يقتضي أن من كفر بعد إسلامه لا يهديه الله ومن كان ظالماً لا يهديه الله وقد رأينا كثيراً من المرتدين أسلموا وهداهم وكثيراً من الظالمين تابوا عن الظلم، فالجواب أن معناه لا يهديهم ما داموا مقيمين على الرغبة في الكفر وفي الثبات عليه ولا يقبلون على الإسلام وأما إذا تحروا إصابة الحق والاهتداء بالأدلة المنصوبة فحينئذٍ يهديهم الله بخلق الاهتداء فيهم.

﴿أُولَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾

﴿أولئك﴾ المذكورون باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الشنيعة **﴿جزاؤهم أن عليهم لعنة الله﴾** وهو إبعاده من الجنة وإنزال العقوبة والعذاب **﴿والملائكة﴾** ولعنهم بالقول كالناس **﴿والناس أجمعين﴾** والمراد بالناس المؤمنون لأنه لو أريد به جميع الناس لزم أن يلعن كل واحد منهم جميع من يوافقهم ويخالفهم ولا وجه لأن يلعن الإنسان من يوافقه ويحتمل أن يراد به الجميع بناء على أن جميع الخلق يلعنون المبطل والكافر ولكنه يعتقد في نفسه أنه ليس بمبطل ولا كافر فإذا لعن الكافر وكان هو في علم الله كافراً فقد لعن نفسه وإن كان لا يعلم ذلك.

﴿خالدين فيها﴾ حال من الضمير في عليهم أي في اللعنة والعقوبة ومعنى الخلود في اللعن أنهم يوم القيامة لا تزال تلعنهم الملائكة والمؤمنون ومن معهم في النار ولا يخلو شيء من أحوالهم من اللعنة **﴿لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾** الإنظار التأخير أي لا يجعل عذابهم أخف ولا يؤخر العقاب من وقت إلى وقت فإن العذاب الملحق بالكفار مضرة خالصة من شوائب المنافع دائمة غير منقطعة نعوذ بالله من ذلك وما يؤدي إليه.

﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك﴾ أي من بعد الارتداد **﴿وأصلحوا﴾** أي ما أفسدوا **﴿فإن الله غفور رحيم﴾** فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم وعطف قوله **﴿وأصلحوا﴾** على قوله **﴿إلا الذين تابوا﴾** يدل على أن التوبة وحدها وهي الندم على ما مضى من الارتداد والعزم على تركه في المستقبل لا تكفي حتى ينضاف إليها العمل الصالح أي وأصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات ومع الخلق بالمعاملات وهذا الندم والتوبة إنما يحصل لمن لم ترسخ فيه بعد هيئة استيلاء النفس الأمارة على قلبه ولم تصر رينا وبقي فيه من وراء حجاب صفات النفس مسكة من نور استعداده فيتداركه الله برحمته وتوفيقه فيندم ويواظب على الرياضات من باب التزكية والتصفية.

ـ يحكى ـ عن السري السقطي؟ قدس سره أنه قال: قلت يوماً عجبت من ضعيف عصى قوياً فلما كان الغداة وصليت الغداة إذا أنا بشاب قد وافى وخلفه ركبان على دواب بين يديه غلمان وهو راكب على دابة فنزل وقال: أيكم السري السقطي فأومأ جلسائي إلي فسلم علي وجلس وقال: سمعتك تقول عجبت من ضعيف عصى قوياً فما أردت به؟ فقلت: ما ضعيف أضعف من ابن آدم ولا قوي أقوى من الله تعالى وقد تعرض ابن آدم مع ضعفه إلى معصية الله قال: فبكى ثم قال: يا سري هل يقبل ربك غريقاً مثلي؟ قلت: ومن ينقذ الغرقى إلا الله تعالى قال: يا سري إن علي مظالم كثيرة كيف أصنع؟ قال: إذا صححت الانقطاع إلى الله أرضى عنك الخصوم بلغنا عن النبي ﷺ «إذا كان يوم القيامة واجتمع الخصوم على ولي الله تقول الملائكة لهم: لا تروّعوا ولي الله فإن الحق اليوم على الله فيهب الله لهم مقامات عالية بدل حقوقهم فيتجاوزون عن الولي» قال: فبكى ثم قال: صف لي الطريق إلى الله فقلت: إن كنت تريد طريق المقتصدين فعليك بالصيام والقيام وترك الآثام وإن كنت تريد طريق الأولياء فاقطع العلائق واتصل بخدمة الخالق، فعلى السالك أن يتوب من جميع الآثام ولا يشغل سره سوى مشاهدة الله العلام.

بهشت تن اساني آنكه خوري كه بردوزخ نيستي بكذرى

يعني لا تصل إلى الحضور الباقي والحياة الأبدية إلا بإفناء وجودك في وجود الحق وتبديل الأخلاق الذميمة بالأخلاق الحميدة فإذا جاوزت هذا الصراط الأدق وصلت إلى الجناب المطلق. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» أي لا تركن إليها ولا تتخذها وطناً ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله «وعد نفسك من أصحاب القبور» وفيه إشارة إلى الفناء عن إضافة الوجود إلى نفسه بل الوجود كله لله تعالى فالبدن للروح بمنزلة القبر للميت فكما أن الميت في قبره يسلم لأمر مولاه ولا يتعرض إلى شيء أصلاً كذلك ينبغي أن لا يتعرض العبد لشيء من الآفات البدنية والقلبية بل يدور حيث أوقفه الله من الفطرة الأصلية والشهود التام وقل من سلم من هذه الآفات إلا أن العبد بالتوبة يتدارك ما فات فإياك أن ترخص لنفسك في فعل شر فإذا قد فتحت بابه فأول الشر الخطرة كما أن أول السيل القطرة قال رسول الله ﷺ: «ما بال أقوام يشرفون المسرفين ويستخفون بالعابدين يعملون بالقرآن ما وافق أهواءهم وما خالف أهواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك من القدر المحتوم والرزق المقسوم والأجل المكتوب ولا يسعون فيما لا يدرك إلا بالسعي من الأجر الموفور والسعي المشكور والتجارة التي لا تبور» فإذا وقفت على هذا جعلت سعيك للآخرة لا للدنيا بل لم تطلب من الله إلا الله رزقنا الله وإياكم ذلك آمين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿إن الذين﴾ كاليهود **﴿كفروا﴾** بعيسى والإنجيل **﴿بعد إيمانهم﴾** بموسى والتوراة **﴿ثم ازدادوا كفراً﴾** حيث كفروا بمحمد عليه السلام والقرآن أو كفروا به عليه السلام بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفراً بالإصرار عليه والطعن فيه والصد عن الإيمان ونقض الميثاق **﴿لن تقبل توبتهم﴾** لأنهم لا يتوبون إلا عند إشرافهم على الهلاك فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظاً في شأنهم وإبرازاً لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة أو لأن توبتهم لا تكون إلا نفاقاً لارتدادهم وازديادهم كفراً وذلك لم تدخل فيه الفاء **﴿وأولئك هم الضالون﴾** على سبيل الكمال فهو من قبيل حصر الكمال وإلا فكل كافر ضال سواء كفر بعد الإيمان أو كان كافراً في الأصل ومن جملة كمالهم في الضلال ثباتهم عليه وعدم كون الاهتداء متوقعاً منهم.

﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل﴾ لما كان الموت على الكفر سبباً لامتناع قبول الفدية دخلت الفاء هٰهنا إيذاناً بسببية المبتدأ لخبره **﴿من أحدهم﴾** فدية **﴿ملء الأرض ذهبا﴾** تمييز أي ما يملأون من شرقها إلى غربها **﴿ولو افتدى به﴾** أي بملء الأرض ذهباً. فإن قيل نفي قبول الافتداء يوهم أن الكافر يملك يوم القيامة من الذهب ما يفتدي به وهو لا يملك فيه نقيراً ولا قطميراً فضلاً عن أن يملك ملء الأرض ذهباً. قلنا: الكلام وارد على سبيل الفرض والتقدير فالذهب كناية من أعز الأشياء وكونه ملء الأرض كناية عن كونه في غاية الكثرة

والتقدير لو أن الكافر يوم القيامة قدر على أعز الأشياء بالغاً إلى غاية الكثرة وقدر على بذله لنيل أعز المطالب لا يقدر على أن يتوسل بذلك إلى تخليص نفسه من عذاب الله تعالى والمقصود بيان أنهم آيسون من تخليص أنفسهم من العقاب ﴿**أولئك**﴾ إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة ﴿**لهم عذاب أليم**﴾ أي مؤلم ﴿**وما لهم من ناصرين**﴾ في دفع العذاب عنهم أو في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لمراعاة الضمير أي ليس لواحد منهم ناصر واحد. قال رسول الله ﷺ: «يقول الله لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفدي به؟ فيقول: نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي». قال الإمام: اعلم أن الكافر على ثلاثة أقسام: أحدها الذي يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة وهو الذي ذكره الله في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾ [النور: ٥]، وثانيها الذي يتوب عن ذلك الكفر توبة فاسدة وهو الذي ذكره الله تعالى في الآية المتقدمة وقال: ﴿**لن تقبل توبتهم**﴾، وثالثها الذي يموت على الكفر من غير توبة البتة وهو المذكور في هذه الآية ﴿**إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار**﴾ الآية انتهى وهم الذين رسخت هيئة استيلاء النفوس الأمارة على قلوبهم وتمكنت وصارت ريناً وتناهوا في الشر والغي وتمادوا في العناد والبغي فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض إذ لا يقبل هناك إلا الأمور النورانية الباقية لأن الآخرة هي عالم النور والبقاء فلا وقع ولا خطر للأمور الظلمانية الفانية فيها وهل كان سبب كفرهم واحتجابهم إلا محبة هذه العوائق الفانية فكيف تكون فداءهم وسبب نجاتهم وقربهم وقبولهم وهي بعينها سبب هلاكهم وبعدهم وخسرانهم وحرمانهم فإياك من أوصاف الكفر وهي حب الدنيا واتباع الهوى والإقبال على شهوات النفس والإعراض عن الحق.

تراشهوت وكبر وحرص وحسد چوخون درركند وچوجان در جسد

يعني كما أن الدم ساري في العروق وجاري فيها وكذا الروح في الجسد فكذلك هذه الصفات الذميمة محيطة بك.

كراين دشمنان تقويت يافتند سر ازحكم ورأى توبر تافتند

هوا وهوس را نماند ستيز چوبينند سرپنچة عقل تيز

يعني إذا كان المرء تابعاً للشرع وقضية العقل يكون غالباً على هواه فلا تجادله الصفات السبعية الشيطانية قال رسول الله ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة». قال ذو النون المصري مفتاح العبادة الفكرة وعلامة الإصابة مخالفة النفس والهوى ومخالفتها ترك شهواتها. قال جعفر بن نصير دفع إلي الجنيد درهماً فقال: اشتر به التين الوزيري فاشتريته فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها في فيه ثم ألقاها وبكى وقال: احمله فقلت له في ذلك فقال: هتف في قلبي أما تستحي شهوة تركتها من أجله تعالى ثم تعود إليها. قال أبو سليمان الداراني رحمه الله من أحسن في ليله كوفي في نهاره ومن أحسن في نهاره كوفي في ليله، ومن صدق في ترك شهوة كفى مؤونتها والله أكرم من أن يعذب قلباً ترك شهوة لأجله.

واعلم أن النفس عين لطيفة هي معدن الأخلاق الذميمة مودعة بين جنبي الإنسان أي جميع جسده وهي أمارة بالسوء وهي مجبولة على صد الروحانية المخلوقة من الملكوت الأعلى

فإنهم يأمرون بالخير وينهون عن الشر وهي مخلوقة من الملكوت السفلي كالشياطين وهم لا يأمرون إلا بالشر ومن طبعهم التمرد والإباء والاستكبار ولهذا تأبى النفس من قبول الموعظة وتظهر التمرد كما قال الشيخ في قصيدة البردة:

فإن أمارتي بالسوء ما اتعظت   من جهلها بنذير الشيب والهرم

يعني أن النفس الأمارة بالسوء والعيب ما قبلت الوعظ من نذير الشيب فتمادت في غواية الجهل بعد الهرم وما كبحت عنان جماح الشهوة بأيدي الندم وقد خلق الله النفس على صورة جهنم وخلق بحسب كل دركة فيها صفة لها وهي باب من جهنم يدخل فيها من هذا الباب إلى دركة من دركاتها السبع وهي سبع صفات الكبر والحرص والشهوة والحسد والغضب والبخل والحقد فمن زكى نفسه عن هذه الصفات فقد عبر عن هذه الدركات السفلية ووصل إلى درجات الجنان العلوية كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾ [الشمس: ٩] ومن لم يزك نفسه عن هذه الصفات بقي في دركات جهنم خائباً خاسراً كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ١٠] عصمنا الله وإياكم من كيد النفس الأمارة وشر الشيطان وأصلح حالنا ما دامت الأرواح في الأبدان آمين يا مستعان.

- تم الجزء الثالث -

الجزء الرابع من الأجزاء الثلاثين

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿لن تنالوا البر﴾ من ناله نيلاً إذا أصابه أي لن تبلغوا أيها المؤمنون حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شأوه ولن تلحقوا بزمرة الأبرار أو لن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته **﴿حتى تنفقوا﴾** أي في سبيل الله رغبة فيما عنده **﴿مما تحبون﴾** أي بعض ما تهوونه ويعجبكم من كرائم أموالكم وأحبها إليكم أو ما يعمها وغيرها من الأعمال والمهجة على أن المراد بالانفاق مطلق البذل. وفيه من الإيذان بعزة منال البر ما لا يخفى **﴿وما تنفقوا من شيء﴾** أي أي شيء تنفقوا طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه فمحل الجار والمجرور النصب على التمييز **﴿فإن الله به عليم﴾** تعليل لجواب الشرط واقع موقعه أي فمجازيكم بحسبه جيداً كان أو رديئاً فإنه تعالى عليم بكل شيء تنفقونه علماً كاملاً بحيث لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته. وفيه من الترغيب في اتفاق الجيد والتحذير من إنفاق الرديء ما لا يخفى، فالوصول إلى المطلوب لا يحصل إلا بالانفاق المحبوب ولذلك كان السلف إذا أحبوا شيئاً جعلوه لله ذخيرة ليوم يحتاجون إليه والإنسان لا ينفق محبوبه إلا إذا أيقن أنه يتوصل بذلك إلى وجدان محبوب أشرف من الأول فالإنسان لا ينفق محبوبه في الدنيا إلا إذا تيقن بوجود الصانع العالم القادر وتيقن بالبعث والحساب والجزاء وأن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ولزم منه أن الإنسان لا يمكنه إنفاق محبوبه في الدنيا إلا إذا كان مستجمعاً لجميع الخصال المحمودة في الدين فلا تقتضي الآية أن من أنفق ما أحب وصل إلى الثواب العظيم وإن لم يأت بسائر الطاعات.

ـ روي ـ أنها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال: يا رسول الله إن أحب أموالي إليّ بيرحاء وهو ضيعة له في المدينة مستقبل مسجد النبي ﷺ فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال ﷺ: «بخ بخ ذاك مال رابح أو رائج فإني أرى أن تجعلها في الأقربين فقسمها في أقاربه» وفيه دلالة على أن إنفاق أحب الأموال على أقرب الأقارب أفضل.

ـ وروي ـ عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه كانت لزوجته جارية بارعة في الجمال وكان عمر راغباً فيها وكان قد طلبها منها مراراً فلم تعطه إياها. ثم لما ولي الخلافة زينتها وأرسلتها إليه فقالت: وهبتكها يا أمير المؤمنين فلتخدمك قال: من أين ملكتها؟ قالت: جئت بها من بيت أبي عبد الملك ففتش عن تملكه إياها فقيل: إنه كان على فلان العامل ديون فلما توفي أخذت من تركته ففتش عن حال العامل وأحضر ورثته وأرضاهم جميعاً بإعطاء المال ثم توجه إلى الجارية وكان يهواها هوى شديداً فقال: أنت حرة لوجه الله فقيل: لِمَ يا أمير المؤمنين وقد أزحت عن أمرها كل شبهة قال: لست إذاً ممن نهى النفس عن الهوى.

ـ يحكى ـ أن الربيع ضربه الفالج فكان السائل يقوم على بابه فيسأل فيقول الربيع: أطعميه السكر فإن الربيع يحب السكر يتأول قوله **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾** وطال به

وجعه فاشتهى لحم دجاج فكف نفسه أربعين يوماً فأبت فقال لزوجته: قد اشتهيت لحم دجاج منذ أربعين يوماً فكففت نفسي رجاء أن تكف فأبت فقالت امرأته سبحان الله وأي شيء هذا تكف نفسك عنه وقد أحله الله تعالى لك؟ فأرسلت امرأته إلى السوق فاشترت له دجاجة بدرهم ودانقين فذبحتها وشوتها وخبزت له خبزاً وجعلت له أصباغاً ثم جاءت بالخوان فوضعته بين يديه فقام سائل على الباب فقال تصدقوا علي بارك الله فيكم فكف عن الأكل وقال لامرأته خذي هذا وادفعيه إليه فقالت له امرأته سبحان الله قال: افعلي ما آمرك به قالت: فاصنع ما هو خير له قال: وما هو؟ قالت نعطيه ثمن هذا وتأكل أنت شهوتك قال: قد أحسنت ائتني بثمنه فجاءت بثمنه فقال: ضعيه على هذا وخذيه وادفعيه جميعاً ففعلت.

باحسانى آسوده كردن دلى   به از الف ركعت بهر منزلى

وقيل في هذا المعنى:

دل بدست آوركه حج اكبر ست   از هزاران كعبه يك دل بهترست
كعبه بنياد خليل آزرست   دل نظر كاه جليل اكبرست

ويقال إذا كنت لاتصل إلى البر إلا بإنفاق محبوبك فمتى تصل إلى البار وأنت تؤثر عليه حظوظك؟ قال القشيري: من أراد البر فلينفق بعض ما يحبه ومن أراد البار تعالى فلينفق جميع ما يحبه.

قال نجم الدين الكبري في قوله تعالى: ﴿**فإن الله به عليم**﴾ فبقدر ما تكونون له يكون لكم كما قال: «من كان لله كان الله له فإن الفراش ما نال من بر الشمع وهو شعلته حتى أنفق مما أحبه وهو نفسه».

قال القاشاني: كل فعل يقرب صاحبه من الله فهو بر ولا يمكن التقرب إليه إلا بالتبري مما سواه فمن أحب من دون الله شيئاً فقد حجب به عن الله وأشرك شركاً خفياً لتعلق محبته بغير الله:

تراهرچه مشغول دارد زدوست   اكر راست خواهى دلارامت اوست

فلا يزول البعد ولا يحصل القرب إلا ببذل المال والمهجة وقطع محبة غير الله وإفناء النفس بالكلية عن صفاتها الرذيلة:

اكر يارى از خويشتن دم مزن   كه شركست بايار وباخويشتن

﴿**كل الطعام**﴾ لما نزل قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠] الآية وقوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٤٦] أنكر اليهود وغاظهم ذلك وبرأوا ساحتهم من الظلم وجحدوا ما نطق به القرآن وقالوا: لسنا بأول من حرمت عليه تلك المطعومات وما هو إلا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعده وهلم جرا حتى انتهى التحريم إلينا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله وأكل الربا وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم فقيل: كل المطعومات أو كل أنواع الطعام والطعام المطلق البر والعرف يشهد لكل ما يطعم حتى الماء ﴿**كان حلا لبني إسرائيل**﴾ أي حلالاً لهم والمراد أكله إذ لا يوصف بنحو الحل والحرمة إلا أفعال المكلف لا الأعيان فشرب الخمر حرام بالذات ونفسها حرام بالعرض ﴿**إلا ما حرم**

إسرائيل على نفسه﴾ استثناء متصل من اسم كان أي كان كل المطعومات حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل أي يعقوب عليه السلام على نفسه وهو الإبل وألبانها.

ـ روي ـ أن يعقوب عليه السلام كان نذر إن وهب الله له اثني عشر ولداً وأتى بيت المقدس صحيحاً أن يذبح آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة فقال له: يا يعقوب إنك رجل قوي فهل لك في الصراع فعالجه فلم يصرع واحد منهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال: أما إني لو شئت أن أصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لأنك كنت نذرت إن أتيت بيت المقدس صحيحاً ذبحت آخر ولد لك وجعل الله لك بهذه الغمزة مخرجاً من ذلك الذبح ثم إن يعقوب عليه السلام لما قدم بيت المقدس أراد ذبح ولده ونسي قول الملك فأتاه الملك فقال: إنما غمزتك للمخرج وقد وفى نذرك فلا سبيل لك إلى ولدك ثم إنه حين ابتلي بذلك المرض لقي من ذلك بلاء وشدة وكان لا ينام الليل من الوجع فحلف لئن شفاه الله لا يأكل أحب الطعام إليه فحرم لحوم الإبل وألبانها إما حمية الدين أو حمية النفس وتحريم الحلال على نفسه جائز للكل وفيه كفارة اليمين **﴿من قبل أن تنزل التوراة﴾** متعلق بقوله كان حلا ولا ضير في توسيط الاستثناء بينهما المعنى أن المطعومات كانت حلاً لهم قبل نزول التوراة ثم حرمت بسبب بغيهم وظلمهم فكيف يكون ذلك حراماً على نوح وإبراهيم وغيرهما. وظاهر الآية يدل على أن الذي حرمه إسرائيل على نفسه قد حرمه الله على بني إسرائيل وهو رد على اليهود في دعواهم البراءة من الظلم وتبكيت لهم في منع النسخ والطعن في دعوى الرسول ﷺ موافقته لإبراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الإبل وألبانها **﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها﴾** أمره عليه السلام بأن يحاجهم بكتابهم الناطق بأن تحريم ما حرم تحريم حادث مرتب على ظلمهم وبغيهم ويكلفهم إخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم **﴿إن كنتم صادقين﴾** فأتوا بالتوراة فاتلوها فإن صدقكم مما يدعوكم إلى ذلك البتة.

ـ روي ـ أنهم لم يجترئوا على إخراج التوراة فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك من الحجة النيرة على صدق النبي ﷺ وجواز النسخ الذي يجحدونه ما لا يخفى.

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿فمن افترى على الله الكذب﴾ أي اختلق عليه سبحانه بزعمه أنه حرم ما ذكر قبل نزول التوراة على بني إسرائيل ومن تقدمهم من الأمم **﴿من بعد ذلك﴾** أي من بعدما ذكر من أمرهم بإحضار التوراة وتلاوتها وما ترتب عليه من التبكيت والإلزام **﴿فأولئك﴾** المصرون على الافتراء بعد أن ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم حيلة المحاجة والجدال **﴿هم الظالمون﴾** المفرطون في الظلم والعدوان المبعدون فيهما.

﴿قل صدق الله﴾ أي ظهر وثبت صدقه تعالى فيما أنزل في شأن التحريم **﴿فاتبعوا ملة إبراهيم﴾** أي ملة الإسلام التي هي في الأصل ملة إبراهيم عليه السلام فإنكم ما كنتم متبعين لملته كما تزعمون **﴿حنيفاً﴾** حال من إبراهيم أي مائلاً عن الأديان الزائغة كلها **﴿وما كان من المشركين﴾** أي في أمر من أمور دينهم أصلاً وفرعاً وفيه تعريض بإشراك اليهود وتصريح بأنه عليه السلام ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعاً والغرض بيان أن النبي عليه السلام على دين

إبراهيم في الأصول لأنه لا يدعو إلا إلى التوحيد والبراءة من كل معبود سواه سبحانه وتعالى.

قال نجم الدين في «التأويلات»: الإشارة في تحقيق الآيات أن الله تعالى خلق الخلق على ثلاثة أصناف: صنف منها الملك الروحاني العلوي اللطيف النوراني وجعل غذاءهم من جنسهم الذكر وخلقهم للعبادة، وصنف منها الحيوان الجسماني السفلي الكثيف الظلماني وجعل غذاءهم من جنسهم الطعام وخلقهم للعبرة والخدمة، وصنف منها الإنسان المركب من الملكي الروحاني والحيواني الجسماني وجعل غذاءهم من جنسهم لروحانيهم الذكر ولجسمانيهم الطعام وخلقهم للعبادة والمعرفة، فمنهم ظالم لنفسه وهو الذي غلبت حيوانيته على روحانيته فبالغ في غذاء جسمانيته وقصر في غذاء روحانيته حتى مات روحه واستولت حيوانيته أولئك كالأنعام بل هم أضل:

مرودرپي هرچه دل خواهدت　　كه تمكين تن نورجان كاهدت
زدوران بسى نامرادى بسرى　　اكرهرچه باشد مرادت خورى
كندمردرا نفس أماره خوار　　اكرهو شمندى عزيزش مدار
دريغ آدمى زادة پر محل　　كمكه باشد چوانعام بل هم أضل

ومنهم مقتصد وهو الذي تساوت روحانيته وحيوانيته، فغذي كل واحدة منهما غذاءها، خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم، ومنهم سابق بالخيرات وهو الذي غلبت روحانيته على حيوانيته، فبالغ في غذاء روحانيته وهو الذكر. وقصر في غذاء روحانيته وهو الطعام حتى ماتت نفسه، واستوت قوى روحه، أولئك هم خير البرية، فكان كل الطعام حلالاً لهم كما كان حلالاً للحيوان، إلا ما حرم الإنسان السابق بالخيرات على نفسه بموت النفس وحياة القلب واستيلاء الروح ﴿من قبل﴾ أن ينزل عليه الوحي والإلهام، كما قيل المجاهدات تورث المشاهدات ﴿فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك﴾ بأن يهتدي إلى الحق من غير جهاد النفس ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ الذين يضعون الشيء في غير موضعه، وقد قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ [الحج: ٧٨] قل صدق الله فيما قال: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ ﴿فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً﴾ وكانت ملته انفاق المال على الضيفان، وبذل الروح عند الامتحان وتسليم القربان، وهذه ملة الخلة ﴿وما كان من المشركين﴾ الذين يتخذون مع الله خليلاً آخر ويجعلون الشركة في الخلة.

الرجز بحق مير ودجاده آت　　در آتش فشانند سجاده ات

فالأولياء هم الذين يحبون الله، ومن يحبه الله، فإن محبة أهل الحق محبة الله وليس فيها شرك، قال الفضيل بن عياض قدس سره: يقول الله تعالى يوم القيامة: يا ابن آدم أما زهدك في الدنيا فإنما طلبت الراحة لنفسك في الآخرة، وأما انقطاعك إليَّ فإنما طلبت العز لنفسك، لكن هل هاديت لي عدواً أو واليت لي ولياً في الله؟ فعلامة اتباع ملة إبراهيم هو الإطاعة للحق، والتبري من كل دين سوى دين الإسلام ومحبة الأولياء، وعداوته الأعداء ولو كان المرء آتياً بجميع الطاعات وليس في قلبه خلوص المحبة فإنما يضرب حديداً بارداً، والله تعالى لا يحب القلب المشترك بمحبة غيره من شهوة أو غيرها؛ قال محمد بن حسان ـ رحمه الله ـ: بينما أنا أدور في جبل لبنان إذ خرج علي شاب قد أحرقته السموم والرياح، فلما رآني ولى هارباً، فتبعته وقلت: عظني بكلمة أنتفع بها، قال: احذره تعالى فإنه غيور لا يحب أن يرى في قلب

عبد سواه؛ فعلى العاقل أن يجتهد في سلوك هذا الطريق إلى أن يصل إلى منزل التحقيق، ومن الله التوفيق، في كل أمر خفي وجلي ودقيق.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿إن أول بيت﴾ البيت ما يبيت فيه أحد ثم استعمل في المكان مطلقاً **﴿وضع للناس﴾** ـ روي ـ أنه لما حولت القبلة إلى الكعبة طعن اليهود في نبوته عليه السلام وقالوا: إن بيت المقدس أفضل من الكعبة وأحق بالاستقبال، لأنه وضع قبل الكعبة، وهو أرض المحشر، ومهاجر الأنبياء وقبلتهم، والأرض المقدسة التي بارك الله فيها للعالمين، ففيها الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام، فتحويل القبلة منه إلى الكعبة باطل فنزلت، أي **﴿إن أول بيت وضع﴾** للعباد وجعل متعبداً لهم، والواضع هو الله تعالى **﴿للذي ببكة﴾** خبر لإن، أي للبيت الذي في بكه، وهو علم للبلد الحرام، من بكة إذا زحمه الازدحام الناس فيه، ولأنها تبك أعناق الجبابرة... الخ.

أي تدقها لم يقصدها جبار إلا قصمه الله عز وجل. وما روي أن الحجاج حبس عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ في المسجد الحرام وضرب المنجنيق على أبي قبيس ورمى به داخل المسجد وقتل عبد الله فليس ذلك إضراراً بالبيت وقصداً بالسوء لأن مقصود الحجاج كان أخذ عبد الله.

ـ روي ـ أنه ﷺ سئل عن أول بيت وضع للناس فقال: «المسجد الحرام ثم بيت المقدس» وسئل كم بينهما فقال: «أربعون سنة».

ـ روي ـ أن الله وضع تحت العرش بيتاً وهو البيت المعمور وأمر الملائكة أن يطوفوا به ثم أمر الملائكة الذين هم سكان الأرض أن يبنوا في الأرض بيتاً على مثاله فبنوا وأمر من في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور.

ـ وروي ـ أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفي عام فلما أهبط آدم إلى الأرض قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا حوله قبلك بألفي عام فطاف به آدم ومن بعده إلى زمن نوح عليه السلام فلما أراد الله الطوفان حمل إلى السماء الرابعة وهو البيت المعمور بحيال الكعبة يطوف به ملائكة السموات. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أول بيت بناه آدم في الأرض فنسبة بناء الكعبة إلى إبراهيم على هذه الروايات ليس لأنه عليه السلام بناها ابتداء بل لرفعه قواعدها وإظهاره ما درس منها فإن موضع الكعبة اندرس بعد الطوفان وبقي مختفياً إلى أن بعث الله جبريل إلى إبراهيم عليه السلام ودله على مكان البيت وأمره بعمارته ولما كان الآمر بالبناء هو الله والمبلغ والمهندس هو جبريل عليه السلام والباني هو الخليل والتلميذ المعين له إسماعيل عليهما السلام. قيل: ليس في العالم بناء أشرف من الكعبة **﴿مباركاً﴾** حال من المستكن في الظرف لأن التقدير للذي ببكة هو أي كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف به وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب **﴿وهدى للعالمين﴾** لأنه قبلتهم ومتعبدهم ولأن فيه آيات عجيبة دالة على عظيم قدرته وبالغ حكمته كما قال:

﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿فيه آيات بينات﴾ واضحات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الأعصار

ومخالطة ضواري السباع الطيور في الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كأصحاب الفيل **﴿مقام إبراهيم﴾** إثر قدميه عليه السلام في الصخرة التي كان عليه السلام يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه أو عند غسل رأسه على ما روي أنه عليه السلام جاء زائراً من الشام إلى مكة فقالت له امرأة إسماعيل عليه السلام انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الأيمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شقي رأسه ثم حولته إلى شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي أثر قدميه عليه وهو بدل من آيات بدل البعض من الكل **﴿ومن دخله﴾** أي حرم البيت **﴿كان آمناً﴾** من التعرض له وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يطلب ولذلك قال أبو حنيفة رحمه الله: من لزمه القتل في الحل بقصاص أو ردة أو زنى فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض له إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج وهذا في حق من جنى في الحل ثم التجأ إلى الحرم وأما إذا أصاب الحد في الحرم فيقام عليه فيه فمن سرق فيه قطع ومن قتل فيه قتل قال تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١] أباح لهم القتل عند المسجد الحرام إذا قاتلونا فعلى ذلك يقام الحد إذا أصاب وهو فيه وإذا أصاب في غيره ثم لجأ إليه لم يقم كما لا نقاتل إذا لم يقاتلونا أو المعنى ومن دخله كان آمناً من النار. وفي الحديث «من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمناً» وعنه ﷺ «الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينشران في الجنة» وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وقف رسول الله ﷺ على ثنية الحجون وليس بها يومئذٍ مقبرة فقال: «يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم سبعين ألفاً وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفاً وجوههم كالقمر ليلة البدر» وعنه ﷺ «من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائتي عام» **﴿ولله على الناس﴾** وهم المؤمنون دون الكفار فإنهم غير مخاطبين بأداء الشرائع عندنا خلافاً للشافعي أي استقر لله عليهم **﴿حج البيت﴾** اللام للعهد والحج بالفتح لغة أهل الحجاز والكسر لغة نجد وأياماً كان فهو القصد للزيارة على الوجه المخصوص المعهود يعني أنه حق واجب لله في ذمم الناس ولا انفكاك لهم عن أدائه والخروج من عهدته **﴿من استطاع إليه سبيلاً﴾** في محل الجر على أنه بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه فالضمير العائد إلى المبدل منه محذوف أي من استطاع منهم وقدر وأطاق إلى البيت سبيلاً أي قدر على الذهاب إليه وأراد به قدرة سلامة الآلات والأسباب فالزاد والراحلة من أسباب الوصول وهذه القدرة تتقدم على الفعل والاستطاعة التي هي شرط لوجوب الفعل هي الاستطاعة بهذا المعنى لا الاستطاعة التي هي شرط حصول الفعل وهي لا تكون إلا مع الفعل لأنها علة وجود الفعل وسببه فلا تكون إلا معه فالاستطاعة الأولى شرط الوجوب والثانية شرط حصول الفعل **﴿ومن كفر﴾** وضع من كفر موضع من لم يحج تأكيداً لوجوبه وتشديداً لتاركه أي من لم يحج مع القدرة عليه فقد قارب الكفر وعمل ما يعمله من كفر بالحج **﴿فإن الله غني عن العالمين﴾** وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من جملتهم داخلاً فيها دخولاً أولياً اكتفى بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء قال رسول الله ﷺ: «من لم يحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً» وإنما خص هذين

لأن اليهود والنصارى هم الذين لا يرون الحج ولا فضل الكعبة.

واعلم أنه لا يؤثر الإكثار من التردد إلى تلك الآثار إلا حبيب مختار.

ـ روي ـ عن علي بن الموفق ـ رحمه الله ـ أنه حج ستين حجة قال: فلما كنت بعد ذلك في الحجر أفكر في حالي وكثرة ترددادي إلى ذلك المكان ولا أدري هل قبل حجي أو لا نمت فرأيت قائلاً يقول: يا ابن الموفق هل تدعو إلى بيتك إلا من تحب؟ فاستيقظت وقد سرى عني ففيه إشارة إلى أن من لم يحج مع القدرة عليه فقد ترك عن الدعوة إلى ضيافة الله تعالى ولا يترك عنها إلا من لا استحقاق له بها. وفيه تقبيح لحاله حيث لم يجتهد في تحصيل الاستعداد بل أقام على البغي والفساد واقتضت حكمة الله تعالى توقان النفس كل عام إلى تلك الأماكن النفيسة والمعاهد المقدسة المحروسة لإجابة دعوة إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧] أي تحن قال رسول الله ﷺ: «أفضل الأعمال إيمان بالله ورسوله ثم جهاد في سبيله ثم حج مبرور» قيل مغفرة الذنوب بالحج ودخول الجنة به مترتب على كون الحج مبروراً. وإنما يكون مبروراً باجتماع أمرين فيه: الأول الاتيان فيه بأعمال البر والبر هو الإحسان للناس وإطعام الطعام وإفشاء السلام، والثاني ما يكمل به الحج وهو اجتناب أفعال الإثم فيه من الرفث والفسوق والمعاصي. قال أبو جعفر الباقر: ما يعبأ من يؤم هذا البيت إذا لم يأت بثلاث ورع يحجره أي يمنعه عن محارم الله وحلم يكف به غضبه وحسن الصحابة لمن يصحبه من المسلمين فهذه الثلاث يحتاج إليها من يسافر خصوصاً إلى الحج فمن كملها فقد كمل حجه فعلى السالك أن يخالق الناس بخلق حسن:

ازمن بكوى حاجىء مردم كزايرا كاوپوستين خلق بازار مي درد
حاجى تونيستى شترست ازبراى آنك بيچاره خار ميخورد وبارميبرد

قال بعض المشايخ علامة الحج المبرور أن يرجع زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة.

قال نجم الدين الكبرى في «تأويلاته»: والإشارة أن الله تعالى جعل البيت والحج إليه وأركان الحج والمناسك كلها إشارات إلى أركان السلوك وشرائط السير إلى الله وآدابه. فمن أركانه الإحرام وهو إشارة إلى الخروج عن الرسوم وترك المألوف والتجرد عن الدنيا وما فيها والتطهر من الأخلاق وعقد إحرام العبودية بصحة التوجه. ومنها الوقوف بعرفة وهو إشارة إلى الوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عقبة جبل الرحمة بصدق الالتجاء وحسن العهد والوفا. ومنها الطواف وهو إشارة إلى الخروج عن الأطوار البشرية السبعية بالأطواف السبعة حول كعبة الربوبية. ومنها السعي وهو إشارة إلى السير بين صفا الصفات ومروة الذات. ومنها الحلق وهو إشارة إلى محو آثار العبودية بموسى أنوار الإلهية وعلى هذا فقس المناسك كلها. والحج يشير إلى عين الطلب والقصد إلى الله بخلاف سائر أركان الإسلام فإن كل ركن منه يشير إلى طرف من استعداد الطلب فالله تعالى خاطب العباد بقوله: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ وما قال في شيء آخر من الأركان والواجبات ولله على الناس وفائدته أن المقصود المشار إليه من الحج هو الله وفي سائر العبادات المقصود هو النجاة والدرجات والقربات والمقامات والكرامات، والاستطاعة في قوله ﴿من استطاع إليه سبيلا﴾ هي جذبة الحق التي توازي عمل الثقلين ولا يمكن السير إلى الله والوصول إليه إلا بها ﴿ومن كفر﴾ أي لا يؤمن بوجدان الحق ولا يتعرض لنفحات ألطاف الرب لا يتقرب بجذبات الألوهية كما يشير إليها

أركان الحج ﴿فإن الله غني عن العالمين﴾ بأن يستكمل بهم وإنما الاستكمال للعالمين به ولا غنى به عنه تعالى جعلنا الله وإياكم من الكاملين والواصلين إلى كعبة اليقين والتمكين.

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿قل يا أهل الكتاب﴾ هم اليهود والنصارى سموا بذلك فإن الكتاب لا يختص بالمنزل فنسبوا إلى ما كتبوا سواء كان من إلقاء الروح الأمين أو تلقاء النفس ﴿لم تكفرون بآيات الله﴾ توبيخ وإنكار لأن يكون لكفرهم بها سبب من الأسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد بآياته تعالى ما يعم الآيات القرآنية التي من جملتها ما تلي في شأن الحج وغيره وما في التوراة والإنجيل من شواهد نبوته ﷺ ﴿والله شهيد على ما تعملون﴾ حال من فاعل تكفرون والمعنى لأي سبب تكفرون بآياته عز وجل والحال أنه تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع أعمالكم وفي مجازاتكم عليها ولا ريب في أن ذلك يسد جميع أنحاء ما تأتونه ويقطع أسبابه بالكلية.

﴿قل يا أهل الكتاب لم تصدون﴾ أي تصرفون ﴿عن سبيل الله﴾ أي دينه الحق الموصل إلى السعادة الأبدية وهو التوحيد وملة الإسلام ﴿من آمن﴾ مفعول تصدون كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون إن صفته ﷺ ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم ﴿تبغونها﴾ بحذف الجار وإيصال الفعل إلى الضمير أي تبغون لها لأن البغي لا يتعدى إلا إلى مفعول يقال بغيت المال والضمير للسبيل وهو يذكر ويؤنث أي تطلبون سبيل الله التي هي أقوم السبل ﴿عوجاً﴾ اعوجاجاً وميلاً عن القصد والاستقامة بأن تلبسوا على الناس حتى توهموهم أن فيها عوجاً بقولكم إن شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله ﷺ عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون. والعوج بكسر العين وفتحها الميل والانحراف لكن المكسور يختص بالمعاني والمفتوح بالأعيان تقول في دينه وكلامه عوج بالكسر وفي الجدار والقناة والشجر عوج بالفتح ﴿وأنتم شهداء﴾ حال من فاعل تصدون باعتبار تقيده بالحال الأولى أو والحال أنكم شهداء تشهدون بأنها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وأن الصد عنها إخلال ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ أي من الصد عن سبيله وكتمان الشهادة لنبيه، ولما وبخ أهل الكتاب بصد المؤمنين نهى المؤمنين عن اتباع هؤلاء الصادين فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً﴾ طائفة وإنما خص فريقاً لأن منهم من آمن ﴿من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ قوله كافرين مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير. قال عكرمة نزلت في شاس بن قيس اليهودي رأى منتدى محتوياً على زخام من أوس وخزرج فغاظه الفتهم فأرسل شاباً ينشدهم أشعار يوم بغاث وكان ذلك يوماً عظيماً اقتتل فيه الحيان المذكوران وكان الظفر فيه للأوس فنعر عرق الداء الدفين فتشاجروا فأخبر النبي عليه السلام فخرج يصلح ذات بينهم.

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

﴿وكيف تكفرون﴾ إنكار وتعجب ﴿وأنتم تتلى عليكم آيات الله﴾ أي القرآن ﴿وفيكم

رسوله﴾ والمعنى من أين يتطرق إليكم الكفر والحال أن القرآن المعجز يتلى عليكم على لسان الرسول غضاً طرياً وبين أظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم فالعدول عن الإيمان والدخول في الكفر مع تحقق هذه الأمور أبعد وأعجب ﴿ومن يعتصم بالله﴾ أي ومن يتمسك بدينه الحق الذي بينه بآياته على لسان رسوله عليه السلام وهو الإسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله ﴿فقد هدي﴾ جواب الشرط. وقد لإفادة معنى التحقق كأن الهدى حصل فهو يخبر عنه حاصلاً ومعنى التوقع فيه ظاهر فإن المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما أن قاصد الكريم متوقع للنداء أي وفق وأرشد ﴿إلى صراط مستقيم﴾ موصل إلى المطلوب.

واعلم أن ظاهر الخطاب مع أهل الكتاب وباطنه مع العلماء السوء الذين يبيعون الدين بالدنيا ولا يعملون بما يعلمون فهم الذين يكفرون بما جاء به القرآن من الزهد في الدنيا والورع والتقوى ونهي النفس عن الهوى وإيثار ما يفنى على ما يبقى والإعراض عن الخلق والتوجه إلى الحق وبذل الوجود لنيل المقصود والله شهيد على ما تعملون حاضر معهم ناظر إلى نياتهم في أعمال الخير والشر فيجازيهم بها وهم يصرفون بحرصهم على الدنيا واتباعهم الهوى المؤمنين الذين يتبعونهم بحسن الظن ويحسبون أن أعمالهم وأحوالهم على قاعدة الشريعة ومنهاج الطريقة عن سبيل الله وطريق الحق الذي أمر الأنبياء بدعوة الخلق إليه وهم يطلبون اعوجاج طريق الحق بالسير في طريق الباطل وقد وصى الله المؤمنين بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الآية حتى لا يرتدوا عن طريق الهداية بعد الإيمان بالاتباع بسيرتهم وهواهم قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] قال بعض المشايخ خير العلم ما كانت الخشية معه وذلك لأن الخشية إنما تنشأ عن العلم بصفات الحق فشاهد العلم الذي هو مطلوب لله الخشية وشاهد الخشية موافقة الأمر. وأما العلم الذي تكون معه الرغبة في الدنيا والتملق لأربابها وصرف الهمة لاكتسابها، والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار وطول الأمل ونسيان الآخرة فما أبعد من هذا العلم علمه من أن يكون من ورثة الأنبياء وهل ينتقل الشيء الموروث إلى الوارث إلا بالصفة التي كان بها عند الموروث وما مثل من هذه الأوصاف أوصافه من العلماء إلا كمثل الشمعة تضيء على غيرها وهي تحرق نفسها:

ترك دنيا بمردم آموزند خويشتن سيم وغله اندوزند
عالمى راكه كفت باشد وبس چون بكويد نكيرد اندركس
عالم آنكس بود كه بد نكند نه بكويد بخلق وخود نكند

قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه قلوبهم خربة من الهدى ومساجدهم عامرة بأبدانهم شر من تظل السماء يومئذٍ علماؤهم منهم تخرج الفتنة وإليهم تعود». وعن فضيل بن عياض بلغنا أن الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان. فعلى العاقل أن لا يغتر بظاهر حالهم بل ينظر إلى وهن اعتقادهم وفساد بالهم فيعتبر كل الاعتبار ويتجنب من هذه سيرتهم ويسلك طريق الأخيار ويعتصم بالله بالانقطاع عما سواه ويتمسك بالتوحيد الحقيقي حتى يهتدي إلى الصراط المستقيم فمن انقطع إليه بالفناء في الوحدة كان صراطه صراط الله فلا يصده عنه أحد ولا يضره شيء ولا يضله كيد عدوه وشره فإن من كان مع الله كان الله معه فهو حافظه وناصره وهذا الاستمساك ليس من شأن كل السلاك لكن الله تعالى قادر على أن يأخذ بيد عبده ويوصله

إلى مراده وإذا صح الطلب من العبد فلا يحرم الإجابة البتة فإن من طلب وجدّ وجد ومن قرع باباً ولج ولج عصمنا الله وإياكم من كيد الشيطان ومكر النفس الأمارة بالسوء كل آن آمين يا مستعان.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله**﴾ الاتقاء افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة ﴿**حق تقاته**﴾ أي حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم ونحوها فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئاً ﴿**ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾ أي مخلصون نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة لما سواه أصلاً وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تموتن على حال من الأحوال إلا حال تحقق إسلامكم وثباتكم عليه فهو في الصورة نهي عن موتهم على غير هذه الحالة والمراد دوامهم على الإسلام ﴿**واعتصموا بحبل الله**﴾ أي بدين الإسلام أو بكتابه فلفظ الحبل مستعار لأحد هذين المعنيين فإن كل واحد منهما يشبه الحبل في كونه سبباً للنجاة من الردى والوصول إلى المطلوب فإن من سلك طريقاً صعباً يخاف أن تزلق رجله فيه فإذا تمسك بحبل مشدود الطرفين بجانبي ذلك الطريق أمن من الخوف كذلك طريق السعادة الأبدية ومرضاة الرب طريق زلق ودواعي الضلال عنها متكثرة زلق رجل أكثر الخلق فيها. فمن اعتصم بالقرآن العظيم وبقوانين الشرع القويم وبينات الرب الكريم فقد هدي إلى صراط مستقيم وأمن من الغواية المؤدية إلى نار الجحيم كما يأمن المتمسك بالحبل من العذاب الأليم ﴿**جميعاً**﴾ حال من فاعل اعتصموا أي مجتمعين في الاعتصام ﴿**ولا تفرقوا**﴾ أي لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب ﴿**واذكروا نعمة الله عليكم**﴾ متعلق بنعمة ﴿**إذ كنتم**﴾ ظرف له أي اذكروا إنعامه عليكم وقت كونكم ﴿**أعداء**﴾ في الجاهلية بينكم الإحن والعداوة والحروب المتواصلة. وقيل: هم الأوس والخزرج كانوا أخوين لأب وأم فوقعت بين أولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة ﴿**فألف بين قلوبكم**﴾ بتوفيقكم للإسلام ﴿**فأصبحتم**﴾ أي فصرتم ﴿**بنعمته**﴾ التي هي ذلك التألف ﴿**إخواناً**﴾ خبر أصبحتم أي إخواناً متحابين مجتمعين على الأخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق ﴿**وكنتم على شفا حفرة من النار**﴾ شفا الحفرة وشفتها حرفها وجانبها أي كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم إذ لو أدرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها تمثيل لحياتهم التي تتوقع بعد الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشرفين على الوقوع فيها ﴿**فأنقذكم**﴾ أي خلصكم ونجاكم بأن هداكم للإسلام ﴿**منها**﴾ أي الحفرة ﴿**كذلك**﴾ إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده أي مثل ذلك التبيين الواضح ﴿**يبين الله لكم آياته**﴾ أي دلائله ﴿**لعلكم تهتدون**﴾ طلباً لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه.

والإشارة أن أهل الاعتصام طائفتان: أحدهما أهل الصورة وهم المتعلقون بالأسباب لأن مشربهم الأعمال، والثانية أهل المعنى وهم المنقطعون عن الأسباب لأن مشربهم الأحوال فقال تعالى لهم: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾ [الحج: ٧٨] هو مولاكم أي مقصودكم. وقال للمتعلقين بالأسباب

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾ وهو كل سبب يتوسل به إلى الله فالمعتصم بحبل الله هو المتقرب إلى الله بأعمال البر ووسائط القربة وإذا وجد الاعتصام وجد عدم التفرق بخلاف عدم الاعتصام فإنه سبب للتفرق في الظاهر والباطن. فأما في الظاهر فيلزم منه مفارقة الجماعة فاقتلوه كائناً من كان. وأما في الباطن فيظهر منه الأهواء المختلفة التي توجب تفرق الأمة كما قال عليه السلام: «ستفترق أمتي اثنتين وسبعين فرقة الناجية منهم واحدة» قالوا: يا رسول الله ومن الفرقة الناجية؟ قال: «من كانوا على ما أنا عليه وأصحابي».

واعلم أنه تعالى أمر المؤمنين أولاً بالتقوى وثانياً بالاعتصام وثالثاً بتذكر النعمة لأن فعل الإنسان لا بد وأن يكون معللاً إما بالرهبة وإما بالرغبة والرهبة متقدمة على الرغبة لأن دفع الضرر مقدم على جلب النفع كما أن التخلية قبل التحلية فقوله: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ إشارة إلى التخفيف من عقاب الله ثم جعله سبباً للأمر بالتمسك بدين الله ثم أردفه بالرغبة وهي قوله تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ فعلى العاقل الانقياد لأمر الله والطاعة لحكمه والاعتصام بحبله وعدم التفرق في الدين والتقوى حق التقى من الله سبحانه قيل ونعم ما قيل:

متقى را بود چهار نشان حفظ أحكام شرع أول دان
ثانياً انچه دست رس باشد بر فقيران وبيكسان بخشد
عهدرا با وفا كند پيوند هرچه باشد ازان شودخرسند

وهذا معنى قول الشيخ النصر آبادي: علامة المتقي أربعة: حفظ الحدود، وبذل المجهود، والوفاء بالعهود، والقناعة بالموجود. قال القشيري ـ رحمه الله ـ: حق التقوى أن يكون على وفق الأمر لا يزيد من قبل نفسه ولا ينقص. وحق التقوى أولاً اجتناب الزلة، ثم اجتناب الفضلة، ثم التوقي عن كل خلة، ثم التنقي عن كل علة فإذا اتقيت عن شهود تقواك بعد اتصافك بتقواك فقد اتقيت حق تقواك انتهى، فمن بقي فيه شيء من أثر الوجود فقد أشرك شركاً خفياً ولم يصل إلى حقيقة الشهود:

حضورى كر همى خواهى ازو غائب مشو حافظ

متى ما تلق من تهوى دع الدنيا وأهملها

قال أبو مدين ـ رحمه الله ـ: شتان بين من همته الحور والقصور ومن همته رفع الستور ودوام الحضور فطوبى لمن سار إليه بالجذبات الإلهية على قدم التحقيق وطار بتجلي الصفات الربانية وجناح التوفيق. قال سهل رضي الله عنه: ليس للعبد إلا مولاه وأحسن أحواله أن يرجع إلى مولاه إذا عصى قال: يا رب استر علي فإذا ستر عليه قال: يا رب تب علي فإذا تاب عليه قال: يا رب وفقني حتى أعمل فإذا عمل قال: يا رب وفقني حتى أخلص فإذا أخلص قال: يا رب تقبل مني. فعلى العاقل أن يتمسك بهذا الحبل المتين.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿ولتكن منكم﴾ أي لتوجد منكم ﴿أمة يدعون إلى الخير﴾ جماعة داعية إلى الخير أي إلى ما فيه صلاح ديني ودنيوي فالدعاء إلى الخير عام في التكليف من الأفعال والتروك ثم عطف عليه الخاص إيذاناً بفضله فقال: ﴿ويأمرون بالمعروف﴾ وهو ما استحسنه الشرع والعقل

وهو الموافقة ﴿وينهون عن المنكر﴾ وهو ما استقبحه الشرع والعقل وهو المخالفة ﴿وأولئك﴾ الموصوفون بتلك الصفات الكاملة والأفراد في كاف الخطاب لأن المخاطب كل من يصلح للخطاب ﴿هم المفلحون﴾ أي هم الأخصاء بكمال الفلاح. وهم ضمير فصل يفيد اختصاص المسند بالمسند إليه ثم إن من في قوله منكم للتبعيض وتوجيه الخطاب إلى الكل مع اسناد الدعوة إلى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وأنها واجبة على الكل لكن بحيث إن أقامها البعض سقطت عن الباقين ولو أخل بها الكل أثموا جميعاً لا بحيث يتحتم على الكل إقامتها ولأنها من عظائم الأمور وعزائمها التي لا يتولاها إلا العلماء بأحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية إقامتها فإن الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تمادياً أو على من الإنكار عليه عبث كالإنكار على أصحاب المآصر والجلادين وأضرابهم. وقيل: من للتبيين وكان ناقصة أي كونوا أمة يدعون الآية ولا يقتضي ذلك كون الدعوة فرض عين فإن الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطاب للعامة، عن النبي عليه السلام أنه سئل وهو على المنبر من خير الناس؟ قال: «آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم للرحم»؟ وقال عليه السلام: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه»؟، وعن حذيفة يأتي على الناس زمان يكون فيهم جيفة الحمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر. وعن سفيان الثوري إذا كان الرجل محباً في جيرانه محموداً عند إخوانه فاعلم أنه مداهن قال رسول الله ﷺ: «مثل المدهن في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها فكان الذي في أسفلها يمر بالماء على الذين في أعلاها فتأذوا به فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه فقالوا: ما لك؟ قال: تأذيتم بي ولا بد لي من الماء فإن أخذوا على يديه أنجوه وأنجوا أنفسهم وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم» قال ﷺ: «إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله بعذابه» وقال رسول الله ﷺ: «يحشر يوم القيامة ناس من أمتي من قبورهم إلى الله على صورة القردة والخنازير بما داهنوا أهل المعاصي وكفوا عن نهيهم وهم يستطيعون» فلا بد من توطين النفس على الصبر وتقليل العلائق وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة قال رسول الله ﷺ: «عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفاً عملهم عمل الأنبياء عليهم السلام» قالوا: يا رسول الله كيف؟ قال: «لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر» ثم الأمر بالمعروف تابع للمأمور به إن كان واجباً فواجب وإن كان ندباً فندب. وأما النهي عن المنكر فواجب كله لأن جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح وطريق الوجوب السمع والعقل وعند البعض السمع وحده وشرط النهي بعد معرفة المنهي عنه أن لا يكون ما ينهى عنه واقعاً لأن الواقع لا يحسن النهي عنه وإنما يحسن الذم عليه والنهي عن المعاودة إلى مثله أن يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو أن يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر بإعداد آلاته وأن لا يغلب على ظنه إن أنكر لحقته مضرة عظيمة. فإن قلت: كيف يباشر الإنكار؟ قلت: يبدأ بالسهل فإن لم ينفع ترقى إلى الصعب لأن الغرض كف المنكر قال تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩] ثم قال: ﴿فَقَٰتِلُوا۟﴾ [الحجرات: ٩] والمباشر كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد أجمعوا أن

من رأى غيره تاركاً للصلاة وجب عليه الإنكار لأنه معلوم قبحه لكل أحد. وأما الإنكار الذي بالقتال فالإمام وخلفاؤه أولى لأنهم أعلم بالسياسة ومعهم عدتها. فإن قلت: فمن يؤمر وينهى؟ قلت: كل مكلف وغير المكلف إذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤمرون بالصلاة ليمرنوا عليها والعاصي يجب عليه النهي عما ارتكبه إذ يجب عليه تركه والإنكار لا يجب فلا يسقط بترك أحدهما وجوب شيء منهما قال النبي عليه السلام: «إن الله ليؤيد هذا الدين بأهل الفسوق» والتوبيخ في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤] إنما هو على نسيان أنفسهم لا على أمرهم بالبر، وعن السلف مروا بالخير وإن لم تفعلوا، وعن بعض الصحابة أن الرجل إذا لم يستطع الإنكار على منكر رآه فليقل ثلاث مرات اللهم إن هذا منكر وإذا فعل ذلك فقد فعل ما عليه:

كرت نهي منكر بر آيد زدست نشايد چوبى دست وپايان نشست
چودست وزبانرا نماند مجال بهمت نمايند مردى رجال

يعني إذا لم يستطع أن يغير المنكر بلسانه ويده فلينكره بقلبه فإن الرجال يرون الرجولية بالهمة ويتضرعون إلى الله في دفع ما لا يقدرون على دفعه.

والإشارة في الآية أن الأمة التي يدعون إلى الخير بالأفعال دون الأقوال هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون من وعيد من يأمر بالمعروف ولا يأتيه والذي يدل عليه ما روى أسامة عن رسول الله ﷺ قال: سمعته يقول: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتزلق أقتابه في النار فيدور بها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ما شأنك ألست تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه» والداعي إلى الخير في الحقيقة شيوخ الطريقة فإن من لم يعرف الله لم يعرف الخير إذ الخير المطلق هو الكمال المطلق الذي يكون للإنسان بحسب النوع من معرفة الحق والوصول إليه كما كان للنبي عليه السلام والإضافي ما يتوصل به إلى المطلق فالخير المدعو إليه إما الحق وإما طريق الوصول إليه والمعروف كل ما يقرب إليه والمنكر كل ما يبعد عنه فمن لم يكن له التوحيد والاستقامة لم يكن له مقام الدعوة فغير المستقيم وإن كان موحداً ربما أمر بما هو معروف عنده منكر في نفس الأمر وربما نهى عما هو منكر عنده معروف في نفس الأمر كمن بلغ في مقام الجمع واحتجب بالحق عن الخلق فكثيراً ما يستحل محرماً ويحرم حلالاً فهم أهل الحجاب وأهل الفلاح المطلق هم الذين لم يبق لهم حجاب وهم خلفاء الله في أرضه أوصلنا الله وإياكم إلى معرفة حقيقة الحال وشرفنا بالوصول إلى جنابه المتعال.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿**ولا تكونوا كالذين تفرقوا**﴾ هم أهل الكتابين حيث تفرقت اليهود والنصارى فرقاً ﴿**واختلفوا**﴾ باستخراج التأليفات الزائغة وكتم الآيات الناطقة وتحريفها بما أخلدوا إليه من حطام الدنيا الدنية. قال الإمام: تفرقوا بأبدانهم بأن صار كل واحد من أولئك الأحبار رئيساً في بلد ثم اختلفوا بأن صار كل واحد منهم يدعي أنه على الحق وأن صاحبه على الباطل. وأقول:

إنك إذا أنصفت علمت أن أكثر علماء هذا الزمان صاروا موصوفين بهذه الصفة فنسأل الله العفو والرحمة انتهى ﴿من بعد ما جاءهم البينات﴾ أي الآيات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة ﴿وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ في الآخرة بسبب تفرقهم فإنه يدوم ولا ينقطع ولما أمر الله هذه الأمة بأن يكونوا آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر وذلك لا يتم إلا إذا كان الآمر بالمعروف قادراً على تنفيذ هذا التكليف على الظلمة والمتغلبين ولا تحصل هذه القدرة إلا إذا حصلت الإلفة والمحبة بين أهل الحق والدين فلا جرم حذرهم الله عن التفرقة والاختلاف لكيلا يصير ذلك سبباً لعجزهم عن القيام بهذا التكليف. فعلى المؤمنين أن لا يكونوا ناشئين بمقتضى طباعهم غير متابعين لإمام ولا متفقين على كلمة واحدة باتباع مقدم يجمعهم على طريقة واحدة فإن لم يكن لهم مقتدى وإمام تتحد عقائدهم وسيرهم وآراؤهم بمتابعته وتتفق كلمتهم في الآخرة على محسوس أوضح من ظهوره في الدنيا ممن دعا إلى الله على بصيرة كالرسول وأتباعه الذين ألحقهم الله بدرجات الدنيا في الدعاء إليه على بصيرة كلماتهم وعاداتهم وأهوائهم لمحبته وطاعته كانوا مهملين متفرقين فرائس للشيطان كشريدة الغنم تكون للذئب ولهذا قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا بد للناس من إمام بار أو فاجر ولم يرسل نبي الله رجلين فصاعداً لشأن إلا وأمر أحدهما على الآخر وأمر الآخر بمتابعته وطاعته ليتحد الأمر وينتظم وإلا وقع الهرج والمرج واضطرب أمر الدين والدنيا واختل نظام المعاش والمعاد قال عليه السلام: «من فارق الجماعة قيد شبر لم ير بحبوحة الجنة» وقال: «يد الله مع الجماعة» فإن الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد» ألا يرى أن الجمعية الإنسانية إذا لم تنضبط برياسة القلب وطاعة العقل كيف اختل نظامها وآلت إلى الفساد والتفرق الموجب لخسارة الدنيا والآخرة ولما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣] خط رسول الله ﷺ خطاً فقال: «هذا سبيل الرشاد» ثم خط عن يمينه وشماله خطوطاً فقال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» فعلى العاقل أن يسلك إلى صراط التوحيد ولوازمه وحقوقه ويجتنب عن سبل الشيطان وأسباب الدخول فيها قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس» إلى أن قال: «وحسابهم على الله» أراد بقوله وحسابهم على الله أنه لا يعلم أنهم قالوها معتقدين لها فالمشرك لا قدم له على صراط التوحيد وله قدم على صراط الوجود والمعطل لا قدم له على صراط الوجود فالمشرك ما وحد الله هنا فهو من الموقف إلى النار مع المعطلة ومن هو من أهل النار إلا المنافقين فلا بد لهم أن ينظروا إلى الجنة وما فيها من النعيم فيطمعون فذلك نصيبهم من الجنان ثم يصرفون إلى النار وهذا من عدل الله فقوبلوا بأعمالهم فالشرع هنا هو الصراط المستقيم ولا تزال في كل ركعة من الصلاة نقول: اهدنا الصراط المستقيم فهو أحدّ من السيف وأدق من الشعر وظهوره على علم وكشف. قال علي كرم الله وجهه: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً فمن تمسك بالشرع المتين والقرآن المبين واهتدى إلى هذا الصراط المستقيم وتخلص من التفرق الموجب للعذاب الأليم فليس عليه حساب ولا صراط في الآخرة بل هو مع الأنبياء والأولياء في النعيم المقيم ومن زلت قدمه عن الشرع في الدنيا بارتكاب المحظورات زلت في الآخرة أيضاً إذ من كان في الدنيا أعمى محجوباً غير واصل كان في الآخرة أيضاً كذلك والعياذ بالله قال رسول الله ﷺ: «الزالون على الصراط كثير وأكثر من يزل عنه النساء» وقال: «رأيت النار وأكثر أهلها

النساء فإنهن يكثرن اللعن ويكفرن العشير فلو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم إذا رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط» فانظر كيف زلت أقدامهن عن الصراط في الآخرة وما ذلك إلا لكونها زالة عن صراط الشرع في الدنيا بالاعتقاد والأعمال، ونعم ما قال الجامي:

عقل زن ناقص است ودينش نيز هر كزش كامل اعتقاد مكن
كر بدست ازوى اعتبار مكير ورنكو بروى اعتماد مكن

فإذا وقفت على هذا التفصيل فاجتهد أيها العبد الذليل في طريق المتابعة والموافقة للأنبياء والكاملين وتمسك بذيل شيخ واصل إلى اليقين لعله يجمع بإذن الله شملك بعدما تبدد وصلك وتفرق حالك فإن الطريق المجهول لا بد له من مرشد وإلا فالهلاك عصمنا الله وإياكم من الخلاف والاختلاف وأسلكنا طريق الأخيار من الأسلاف وثبتنا فيه إلى آخر الآجال وحشرنا بأهل الفضل والكمال.

﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ أي اذكروا أيها المؤمنون يوم تبيض وجوه كثيرة وتسود وجوه كثيرة. وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكمون الخوف فيه يقال لمن نال بغيته وفاز بمطلوبه ابيض وجهه أي استبشر ولمن وصل إليه مكروه اغبر لونه وتبدلت صورته. فمعنى الآية أن المؤمن يرد يوم القيامة على ما قدمت يداه فإن كان ذلك من الحسنات استبشر بنعم الله وفضله وإذا رأى الكافر أعماله القبيحة اشتد حزنه وغمه. وقيل: بياض الوجه وسواده حقيقتان فيوسم أهل الحق ببياض الوجوه والصحيفة وإشراق البشرة وسعي النور بين يديه ويمينه وأهل الباطل بأضداد ذلك والحكمة في ظهورهما في الوجوه حقيقة أن السعيد يفرح بأن يعلم قومه أنه من أهل السعادة قال تعالى مخبراً عنه: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٧﴾ [يس: ٢٦-٢٧] والشقي يغتم بعكس ذلك.

﴿فأما الذين اسودت وجوههم﴾ فيقال لهم: ﴿أكفرتم بعد إيمانكم﴾ الهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم والظاهر أنهم أهل الكتابين وكفرهم بعد إيمانهم كفرهم برسول الله ﷺ بعد إيمانهم به قبل مبعثه عليه السلام أو جميع الكفرة حيث كفروا بعدما أقروا بالتوحيد يوم الميثاق ﴿فذوقوا العذاب﴾ المعهود الموصوف بالعظم ﴿بما كنتم تكفرون﴾ بالقرآن ومحمد عليه السلام.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١٠٧ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٨﴾

﴿وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله﴾ أي الجنة والنعيم المقيم المخلد عبر عنها بالرحمة تنبيهاً على أن المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله تعالى فإنه لا يدخل الجنة إلا برحمته تعالى ﴿هم فيها خالدون﴾ كأنه قيل: كيف يكونون فيها فقيل: هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون ﴿تلك﴾ إشارة إلى الآيات المشتملة على تنعيم الأبرار وتعذيب الكفار وهو مبتدأ ﴿آيات الله﴾ خبره ﴿نتلوها﴾ جملة حالية من الآيات ﴿عليك﴾ أي نقرأها عليك يا محمد بواسطة جبريل ﴿بالحق﴾ حال مؤكدة من فاعل نتلوها أو من مفعوله أي ملتبسين أو ملتبسة بالحق والعدل ليس في حكمها شائبة جور بنقص ثواب المحسن أو بزيادة عقاب المسيء أو بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم بأعمالهم بموجب الوعد والوعيد ﴿وما الله يريد ظلماً﴾ أي شيئاً من الظلم ﴿للعالمين﴾ لأحد من خلقه كيف

والظلم تصرف في ملك الغير وهو تعالى إنما يتصرف في ملك نفسه أو أنه وضع الشيء في غير موضعه وذلك قد يكون بمنع حق المستحق منه وقد يكون بفعل ما منع منه ولا ينبغي له أن يفعله وكل ذلك لا يتصور في حقه تعالى فيستحيل تصور الظلم من الله فإنه لا حق لأحد فيظلم بمنعه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله بل هو المالك على الإطلاق وأفعاله محض حكمة وعدل.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ أي له تعالى وحده من غير شركة أصلاً ما فيهما من المخلوقات الفائتة للحصر ملكاً وخلقاً إحياء واماتة إثابة وتعذيباً وإيراد كلمة ما إما لتغليب غير العقلاء على العقلاء وإما لتنزيلهم منزلة غيرهم إظهاراً لحقارتهم في مقام بيان عظمته تعالى **﴿وإلى الله﴾** أي إلى حكمه وقضائه لا إلى غيره شركة واستقلالاً **﴿ترجع الأمور﴾** أي أمورهم فيجازي كلاً منهم بما وعد له وأوعده من غير دخل في ذلك لأحد قط. فإن قيل: الرجوع إليه يكون بعد الذهاب عنه ولم يكن فلم قال ذلك؟ قلنا: كانت كالذاهبة بهلاكها ثم إعادتها لأن في الدنيا يملك بعض الخلق بالتدبير وفي القيامة يكون كل ذلك لله تعالى.

والإشارة أن الذين تبيض وجوههم يوم القيامة هم الذين ابيضت قلوبهم اليوم بنور الإيمان والجمعية والوفاق مع الله والذين تسود وجوههم يومئذٍ هم الذين اسودت قلوبهم بالكفر والتفرق والاختلاف من الله وذلك لأن الوجوه تحشر بلون القلوب كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾ [الطارق: ٩] أي يجعل ما في الضمائر على الظواهر:

زر اندود كانرا بآتش برند بديد آيد آنكه كه مس يازرند

﴿فأما الذين اسودت وجوههم﴾ فيقال لهم: **﴿أكفرتم بعد إيمانكم﴾** وهم أرباب الطلب السائرون إلى الله الذين انقطعوا في بادية النفس واتبعوا غول الهوى وارتدوا على أعقابهم القهقرى **﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾** تسترون الحق بالباطل وتعرضون عن الحق في طلب الباطل وكنتم معذبين بنار الهجران والقطيعة في الدنيا ولكن ما كنتم تذوقون عذابها لأن الناس نيام والنائم لا يذوق ألم الجراحات حتى ينتبه فإذا ماتوا انتبهوا فيذوقوا ألم جراحات الانقطاع والإعراض عن الله **﴿وأما الذين ابيضت وجوههم فـ﴾**هم **﴿في رحمة﴾** الجمعية والوفاق مع **﴿الله﴾** في الدنيا و**﴿هم فيها خالدون﴾** في الآخرة لأنه يموت المرء على ما عاش فيه ويحشر على ما مات عليه قال رسول الله ﷺ: «يبعث كل عبد على ما مات عليه» وقال: «من مات سكران فإنه يعاين ملك الموت سكران ويعاين منكر ونكير سكران ويبعث يوم القيامة سكران إلى خندق في وسط جهنم يسمى السكران فيه عين يجري ماؤها دماً لا يكون له طعام ولا شراب إلا منه» وقال رسول الله ﷺ: «أخبرني جبريل عليه السلام أن لا إله إلا الله أنس للمسلم عند موته وفي قبره وحين يخرج من قبره يا محمد لو تراهم حين يمرقون من قبورهم وينفضون عن رؤوسهم التراب هذا يقول لا إله إلا الله والحمد لله فيبيض وجهه وهذا ينادي

يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله مسودة وجوههم» قال رسول الله ﷺ: «النياحة على الميت من أمر الجاهلية وأن النائحة إذا لم تتب قبل أن تموت فإنها تبعث يوم القيامة عليها سرابيل من قطران ثم يعلى عليها بدرع من لهب النار» وفي التنزيل ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [البقرة: ٢٧٥] قال أهل التأويل: كلهم يبعث كالمجنون عقوبة لهم وتمقيتاً عند أهل الحشر فجعل الله هذه العلامة لأكلة الربا وذلك أنه أرباه في بطونهم فأثقلهم فهم إذا خرجوا من قبورهم يقومون ويسقطون لعظم بطونهم وثقلها عليهم نسأل الله الستر في الدنيا والآخرة وهو الموفق للصالحات من الأعمال والأفعال.

﴿**كنتم خير أمة**﴾ كنتم من كان الناقصة التي تدل على تحقق شيء بصفة في الزمان الماضي من غير دلالة على عدم سابق أو لاحق ويحمل على الدوام أو الانقطاع بحسب معونة المقام ودلالة القرائن فقولك: كان زيد قائماً محمول على الانقطاع وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٠] محمول على الدوام ومنه قوله تعالى: ﴿**كنتم خير أمة**﴾ ﴿**أخرجت للناس**﴾ صفة لأمة أظهرت لأجلهم ومصلحتهم ونفعهم ﴿**تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**﴾ جملة مستأنفة بين بها كونهم خير أمة كأنه قيل: السبب في كونهم خير الأمم هذه الخصال الحميدة والمقصود بيان علة تلك الخيرية كقولك زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم لأن ذكر الحكم مقروناً بالوصف المناسب له يشعر بالعلية ﴿**وتؤمنون بالله**﴾ أي إيماناً متعلقاً بكل ما يجب أن يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء ﴿**ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم**﴾ أي لو آمنوا كإيمانكم لكان ذلك خيراً لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الإيمان من إيتاء الأجر مرتين ﴿**منهم المؤمنون**﴾ كأنه قيل: هل منهم من آمن أو كلهم على الكفر فقيل: منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿**وأكثرهم الفاسقون**﴾ المتمردون في الكفر الخارجون عن الحدود ﴿**لن يضروكم إلا أذى**﴾ استثناء مفرغ من المصدر العام أي لن يضروكم أبداً ضرراً ما إلا ضرر أذى لا يبالي به من طعن وتهديد لا أثر له ﴿**وإن يقاتلوكم**﴾ أي إن خرجوا إلى قتالكم ﴿**يولوكم الأدبار**﴾ مفعول ثان ليولوكم أي يجعلوا ظهورهم ما يليكم ويرجعوا إلى أدبارهم منهزمين من غير أن ينالوا منكم شيئاً من قتل أو أسر ﴿**ثم لا ينصرون**﴾ عطف على الشرطية وثم للتراخي في المرتبة أي لا ينصرون من جهة أحد ولا يمنعون منكم قتلاً وأخذاً وفيه تثبيت لمن آمن منهم فإنهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بأنهم لا يقدرون على أن يتجاوزوا الأذى بالقول إلى ضرب يعبأ به مع أنه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وأن عاقبة أمرهم الخذلان والذل فلا ينهضون بجناح ولا ترجع إليهم قوة ونجاح كما كان من حال بني قريظة والنضير وقينقاع ويهود خيبر.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿**ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا**﴾ أي في أي مكان وأي زمان وجدوا في دار الإسلام الزموا الذل أي هدر النفس والمال والأهل بحيث صار كشيء يضرب على الشيء فيحيط به

﴿إلا بحبل من الله وحبل من الناس﴾ استثناء من أعم الأحوال أي ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على من هي عليه في جميع الأحوال إلا حال كونهم معتصمين بذمة الله وذمة المسلمين واستعير الحبل للعهد لأنه سبب للنجاة والفوز بالمراد. وعطف قوله ﴿وحبل من الناس﴾ على قوله: ﴿بحبل من الله﴾ يقتضي المغايرة.

قال الإمام في وجهه الأمان الحاصل للذمي قسمان: أحدهما الذي نص الله عليه وهو الأمان الحاصل له بإعطاء الجزية عن يد وقبوله إياها، والثاني الأمان الذي فوض إلى رأي الإمام واجتهاده فيعطيهم الأمان مجاناً تارة وببدل زائد أو ناقص أخرى على حسب اجتهاده فالأول هو المسمى بحبل الله والثاني هو المسمى بحبل المؤمنين فالأمانان واقعان بمباشرة المسلمين إلا أنهما متغايران بالاعتبار ﴿وباؤوا بغضب من الله﴾ أي رجعوا بغضب كائن منه تعالى مستوجبين له ﴿وضربت عليهم المسكنة﴾ أي زي الافتقار فهي محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود في غالب الأمر فقراء إما في نفس الأمر وإما أنهم يظهرون من أنفسهم الفقر وإن كانوا أغنياء موسرين في الواقع ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم ﴿بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله﴾ أي ذلك الذي ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بآيات الله الناطقة بنبوة محمد عليه السلام وتحريفهم لها ولسائر الآيات القرآنية ﴿ويقتلون الأنبياء بغير حق﴾ أي في اعتقادهم أيضاً وهؤلاء المتأخرون وإن لم يصدر عنهم قتل الأنبياء لكنهم كانوا راضين بفعل أسلافهم مصوبين لهم في تلك الأفعال القبيحة وطالبين للقتل لو ظفروا به فكانوا بذلك كأنهم فعلوه بأنفسهم فلذا أسند القتل إليهم ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما ذكر من الكفر والقتل ﴿بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ أي كان بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار فإن الإصرار على الصغائر يفضي إلى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يؤدي إلى الكفر فإن من توغل في المعاصي والذنوب واستمر عليها لا جرم تتزايد ظلمات المعاصي على قلبه حالاً فحال ويضعف نور الإيمان في قلبه حالاً فحال ولم يزل الأمر كذلك إلى أن يبطل نور الإيمان وتحصل ظلمة الكفر نعوذ بالله من ذلك وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤] فقوله تعالى: ﴿ذلك بما عصوا﴾ إشارة إلى علة العلة ولهذا المعنى قال أرباب المعاملات: من ابتلي بترك الأدب وقع في ترك السنن ومن ابتلي بترك السنن وقع في ترك الفريضة ومن ابتلي بترك الفريضة وقع في استحقار الشريعة ومن ابتلي بذلك وقع في الكفر. فعلى المؤمن أن لا يفتح باب المعصية على نفسه خوفاً مما يؤدي إليه بل ويترك أيضاً بعض ما أبيح له في الشرع وذلك هو كمال التقوى قال عليه السلام: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به البأس» وقال ﷺ: «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات فمن اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه» الحديث فمنع من الإقدام على الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات وذلك سد للذريعة والعارف متى قصد مخالفة أمره تعالى يجد من قلبه استحياء منه تعالى فينتهي عما نوى وعزم ويجتهد في عبادة ربه. قال الجنيد رحمه الله: العبادة على رؤوس العارفين كالتيجان على رؤوس الملوك ورؤي في يده سبحة فقيل له: أنت مع شرفك تأخذ في يدك سبحة فقال طريق وصلنا به إلى ما وصلنا لا نتركه أبداً. قال الشيخ أبو طالب رحمه الله: مداومة الأوراد من أخلاق المؤمنين وطريق

العابدين وهي مزيد الإيمان وعلامة الإيقان.

قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله: سألت أستاذي عن ورد المحققين فقال: إسقاط الهوى ومحبة المولى أبت المحبة أن تستعمل محباً لغير محبوبه وقال الورد ردّ النفس بالحق عن الباطل في عموم الأوقات فليواظب العبد على الأوراد والطاعات وليجانب المعاصي والسيآت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم لأصحابه: «استحيوا من الله حق الحياء» قالوا: إنا نستحي يا رسول الله والحمد لله قال: «ليس ذلك ولكن من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى وليحفظ البطن وما وعى وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء»

مبر طاعت نفس شهوت پرست كه هر ساعتى قبله ديكر ست

قال بعض المشايخ: لو أن رجلاً عاش مائتي سنة ولا يعرف هذه الأربعة فليس شيء أحق به من النار أحدها معرفة الله تعالى في السر والعلانية وأن لا معطى ولا مانع غيره، والثاني معرفة عمل الله بأن يعرف أن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لرضى الله تعالى، والثالث معرفة نفسه بأن يعرف ضعفه أنه لا يستطيع أن يرد شيئاً مما قضى الله عليه، والرابع معرفة عدو الله وعدو نفسه فيحاربه بالمعرفة حتى يكسره فإن المعرفة سلاح العارف فمن كان عنده المعرفة الحقيقية كان غالباً على أعدائه الظاهرة والباطنة ووصل إلى مراده والنفس عين العدو فعليك بالاحتراز من شره ومحاربته كل آن بالذكر والفكر والعمل الصالح عصمنا الله وإياكم من الشرور.

﴿۞ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿ليسوا سواء﴾ أي ليس أهل الكتاب جميعاً مستوين متعادلين في المساوي والقبائح والمراد بنفي المساواة نفي المشاركة في أصل الاتصاف بالقبائح المذكورة لا نفي المساواة في مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة في أصل الاتصاف بها **﴿من أهل الكتاب أمة قائمة﴾** كلام مستأنف لبيان عدم استوائهم وتمام الكلام يقتضي أن يقال ومنهم أمة مذمومة إلا أنه أضمر بناء على أن ذكر أحد الضدين يغني عن الآخر أي من أهل الكتاب جماعة قائمة أي مستقيمة عادلة من أقمت العود فقام بمعنى استقاموا وهم الذين أسلموا منهم كعبد الله بن سلام وغيره. نزلت حين قالت أحبار اليهود لعبد الله بن سلام وغيره من الذين أسلموا من اليهود ما آمن بمحمد الا شرارنا فلو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم أو نزلت في قوم يصلون صلاة الأوابين وهي اثنتا عشرة ركعة بعد صلاة المغرب **﴿يتلون آيات الله﴾** أي القرآن صفة أخرى لأمة **﴿آناء الليل﴾** ظرف ليتلون أي في ساعاته جمع أنى كعصا **﴿وهم يسجدون﴾** الجملة حال من فاعل يتلون أي يصلون إذ لا تلاوة في السجود وقال عليه الصلاة والسلام: «ألا إني نهيت أن أقرأ راكعاً وساجداً» وتخصيص السجود بالذكر من سائر أركان الصلاة لكونه أدل على كمال الخضوع والمراد بصلاتهم التهجد إذ هو أدخل في مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فإنها في المكتوبة وظيفة للإمام واعتبار حالهم عند الصلاة على الانفراد يأباه مقام المدح.

﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ على الوجه الذي نطق به الشرع تعريض بأن إيمان اليهود به مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته ليس من الإيمان بهما في شيء أصلاً ﴿ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ تعريض بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم في الأمر بإضلال الناس وصدهم عن سبيل الله فإنه أمر بالمنكر ونهي عن المعروف ﴿ويسارعون في الخيرات﴾ المسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لأن من رغب في الأمر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي أي يبادرون مع كمال الرغبة في فعل أصناف الخيرات اللازمة والمتعدية تعريض بتباطىء اليهود فيها بل بمبادرتهم إلى الشر ﴿وأولئك﴾ المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها ﴿من الصالحين﴾ أي من جملة من صلحت أحوالهم عند الله تعالى واستحقوا رضاه وثناءه.

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿وما يفعلوا من خير﴾ كائناً ما كان مما ذكر أو لم يذكر ﴿فلن يكفروه﴾ فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة وسمي منع الثواب ونقصه كفراناً مع أنه لا يجوز أن يضاف الكفران إلى الله تعالى إذ ليس لأحد عليه تعالى نعمة حتى يكفرها نظراً إلى أنه تعالى سمى إيصال الجزاء والثواب شكراً حيث قال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨] فلما جعل الشكران مجازاً عن توفية الثواب جعل الكفران مجازاً عن منعه وتعديته إلى مفعولين وهما ما قام مقام الفاعل والهاء لتضمنه معنى الحرمان ﴿والله عليم بالمتقين﴾ بشارة لهم بجزيل الثواب وإشعار بأن التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وأن الفائز عند الله هو أهل التقوى.

والإشارة في قوله: ﴿وما يفعلوا من خير﴾ أي من خير يقربهم إليه فالله يشكره بتقربه إليهم أكثر من تقربهم إليه كما قال: «من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه باعاً» وقال: «أنا جليس من ذكرني وأنيس من شكرني ومطيع من أطاعني» أي كما أطعتموني بتصفية الاستعداد والتوجه نحوي أطعتكم بإفاضة الفيض على حسبه والإقبال إليكم ﴿والله عليم بالمتقين﴾ بالذين اتقوا ما يحجبهم عنه فتجلى لهم بقدر زوال الحجاب. قال أبو بكر الكتاني: رأيت في المنام شاباً لم أر أحسن منه فقلت: من أنت؟ فقال: التقوى قلت: فأين تسكن؟ قال: في كل قلب حزين ثم التفت إليّ فإذا امرأة سوداء أوحش ما يكون فقلت: من أنت؟ فقالت: الضحك فقلت: أين تسكنين؟ فقالت: في كل قلب فرح مرح قال: فانتبهت واعتقدت أن لا أضحك إلا غلبة فعلى السالك أن يتمسك بحبل التقوى ويأنس به في الدنيا لعل الله يجعله أنيساً له في قبره وحشره فالتقوى من ديدن الصلحاء وهم الذين يسارعون إلى الخيرات ما داموا في الحياة. قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله: أفضل ما يسأل العبد من الله خيرات الدين ففي خيرات الدين خيرات الآخرة وفي خيرات الآخرة خيرات الدنيا وفي خيرات الدنيا ظهور خصائص الأولياء وهي أربعة أوصاف: العبودية، ونعوت الربوبية، والإشراف على ما كان ويكون، والدخول على الله في كل يوم سبعين مرة والخروج كذلك قال رسول الله ﷺ: «إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة» واستغفاره عليه الصلاة والسلام من نقص ما رقي عنه باعتبار ما ترقى إليه إذ ذلك الاستغفار من مقتضى البشرية التي لا يمكن دفعها ووجه الاستغفار منه عليه السلام التفريق بين حالين كان فيهما بالعبودية إذ لا يلحق النبي نقص بوجه ولا فتور بحال لثبوت عصمته ولكن حسنات الأبرار سيآت المقربين فينبغي

للإنسان أن يأخذ على نفسه أن لا يضيع لحظة حتى يأخذها بالذكر والشكر ومتى رأى خللاً رفعه بالاستغفار وذكر الله تعالى علم الإيمان وبراءة من النفاق وحصن من الشيطان وحرز من النار قال رسول الله ﷺ: «لما بعث الله يحيى بن زكريا عليهما السلام إلى بني إسرائيل أمره أن يأمرهم بخمس خصال ويضرب لكل خصلة مثلاً. أمرهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وضرب لهم مثل الشرك كرجل اشترى عبداً من ماله ثم أسكنه داراً وزوجه ودفع إليه مالاً وأمره أن يتجر فيه ويأكل منه ما يكفيه ويؤدي إليه فضل الربح فعمد العبد إلى فضل الربح فجعل يعطيه لعدو سيده ويعطي لسيده منه شيئاً يسيراً فأيكم يرضى بفعال هذا العبد؟ وأمرهم بالصلاة وضرب لهم مثلاً للصلاة كمثل رجل استأذن على ملك من الملوك فأذن له فدخل عليه فأقبل عليه الملك بوجهه ليستمع مقالته ويقضي حاجته فالتفت يميناً وشمالاً ولم يهتم لقضاء حاجته فأعرض عنه الملك فلم يقض حاجته. وأمرهم بالصيام وضرب لهم مثلاً فقال: مثل الصائم كمثل رجل لبس جبة للقتال وأخذ سلاحه فلم يصل إليه عدوه ولم يعمل فيه سلاح عدوه. وأمرهم بالصدقة وضرب لهم مثلاً للمتصدق فقال مثل المتصدق كمثل رجل أسره عدوه فاشترى منهم نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل في بلادهم ويؤدي إليهم من كسبه القليل والكثير حتى يفتدي منهم نفسه فعتق وفك رقبته. وأمرهم بذكر الله تعالى وضرب لهم مثلاً للذكر فقال: مثل الذكر كمثل قوم لهم حصن وبقربهم عدو لهم فدخلوا حصنهم وأغلقوا بابه وحصنوا أنفسهم من العدو» ثم قال النبي ﷺ: «وأنا آمركم بالخصال الخمس التي أمر بها يحيى عليه السلام وآمركم بخمس أخرى: أمرني الله بها عليكم بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد» فليسارع العبد إلى الخيرات والحسنات وجميع الحالات ولا يتيسر ذلك إلا لأرباب الإرادات وأصحاب المجاهدات:

نيايد نكوكارى از بدركان — محالست دوزندكى از سكان
توان پاك كردن ز زنك آينه — وليكن نيايد ز سنك آينه
بكوشش نرويد كل از شاخ بيد — نه زنكى بكرما به كردد سفيد

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾

﴿إن الذين كفروا﴾ أي بما يجب أن يؤمن به **﴿لن تغني عنهم﴾** أي لن تدفع عنهم **﴿أموالهم ولا أولادهم من الله﴾** أي من عذابه تعالى **﴿شيئاً﴾** أي شيئاً يسيراً منه أو شيئاً من الإغناء رد للكفار كافة حيث فاخروا بالأموال والأولاد قائلين: نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين وكانوا يعيرون رسول الله ﷺ وأتباعه بالفقر ويقولون: لو كان محمد على الحق لما تركه ربه في الفقر والشدة. وخص الأموال والأولاد بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد فأنفع الجمادات هو المال وأنفع الحيوانات هو الولد فالكافر إذا لم ينتفع بهما في الآخرة البتة دل ذلك على عدم انتفاعه بسائر الأشياء بالطريق الأولى **﴿وأولئك أصحاب النار﴾** أي مصاحبوها على الدوام وملازموها **﴿هم فيها خالدون﴾** أبدا ولما بين أن أموال الكفار لا تغني عنهم شيئاً ثم إنهم ربما أنفقوا أموالهم في وجوه الخيرات فيخطر ببال الإنسان أنهم ينتفعون بذلك فأزال الله بهذه الآية تلك الشبهة وبين أنهم لا

ينتفعون بتلك الإنفاقات وإن كانوا قد قصدوا بها وجه الله فقال: ﴿**مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا**﴾ أي حال ما ينفقه الكفرة قربة أو مفاخرة وسمعة وطلباً لحسن الذكر بين الناس وعداوة لأهل الإسلام كما أنفق أبو سفيان وأصحابه مالاً كثيراً على الكفار يوم بدر واحد ﴿**كمثل ريح فيها صر**﴾ أي برد شديد مهلك فإنه في الأصل مصدر وإن شاع إطلاقه على الريح البارد كالصرصر ﴿**أصابت حرث قوم**﴾ أي زرع قوم ﴿**ظلموا أنفسهم**﴾ بالكفر والمعاصي فباؤوا بغضب من الله وإنما وصفوا بذلك لأن الإهلاك عن سخط أشد وأفظع ﴿**فأهلكته**﴾ عقوبة لهم ولم تدع منه أثراً ولا عثيراً والمراد تشبيه ما أنفقوا في ضياعه وذهابه بالكلية من غير أن يعود إليهم نفع مّا بحرث كفار ضربته صرّ فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة بوجه من الوجوه فهو من التشبيه المركب ﴿**وما ظلمهم الله**﴾ بما بين من ضياع ما أنفقوا من الأموال ﴿**ولكن أنفسهم يظلمون**﴾ لما أنهم أضاعوها بإنفاقها لا على ما ينبغي وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص.

واعلم أن إنفاق الكفار إما أن يكون لمنافع الدنيا أو لمنافع الآخرة فإن كان لمنافع الدنيا لم يبق منه أثر البتة في الآخرة في حق المسلم فضلاً عن الكافر وإن كان لمنافع الآخرة ولعلهم أنفقوا أموالهم في الخيرات ببناء الرباطات والقناطر والإحسان إلى الضعفاء والأيتام والأرامل وكان ذلك المنفق يرجو من ذلك الإنفاق خيراً كثيراً فإذا قدم الآخرة رأى كفره مبطلاً لآثار الخيرات وكان كمن زرع زرعاً وتوقع منه نفعاً كثيراً فأصابه ريح فأحرقه ولا يبقى معه إلا الحزن والأسف هذا إذا أنفقوا الأموال في وجوه الخيرات. أما إذا أنفقوها فيما ظنوا أنه من الخيرات لكنه كان من المعاصي مثل إنفاق الأموال في إيذاء الرسول وفي قتل المؤمنين وتخريب ديارهم فالذي قلنا فيه أشد وأشد ونظير هذه الآية ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣] ويدخل فيه ما ينفقه بعض صاحبي الغرض لنفي رجل صالح من بلده أو قتله أو إيذائه ونعوذ بالله من ذلك قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيم أفناه وعن جسده فيم أبلاه وعن علمه ما عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه» فليبادر العاقل إلى الإنفاق من ماله والإخلاص في عمله قال عليه الصلاة والسلام: «يجاء يوم القيامة بصحف مختومة فتنصب بين يدي الله عز وجل فيقول الله تعالى للملائكة ألقوا هذا واقبلوا هذا فتقول الملائكة وعزتك ما رأينا إلا خيراً فيقول وهو أعلم: إن هذا كان لغيري ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أبتغي به وجهي».

ز عمرو اي پسر چشم أجرت مدار   چو در خانه زيد باشى بكار
چه قدر آورد بنده حورديس   كه زير قبا دارد اندام پيس

قال منصور بن عمار رحمه الله: كان لي أخ في الله يعتقدني ويزورني في شدتي ورخائي وكان كثير العبادة والتهجد والبكاء ففقدته أياماً فقيل لي هو ضعيف مريض فأتيت بابه فطرقته فخرجت ابنته فدخلت فوجدته في وسط الدار وهو مضطجع على فراشه وقد اسود وجهه وازرقت عيناه وغلظت شفتاه فقلت له: يا أخي أكثر من قول لا إله إلا الله ففتح عينيه ونظر إليّ شزرا ثم وثم حتى قلت له: لئن لم تقلها لا غسلتك ولا كفنتك ولا صليت عليك فقال: يا أخي منصور هذه كلمة قد حيل بيني وبينها فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فأين تلك الصلاة والصيام والتهجد والقيام؟ فقال: يا أخي كل ذلك كان لغير وجه الله إنما كنت أفعل ذلك ليقال وأذكر به وإذا خلوت بنفسي غلقت الأبواب وأرخيت الستور وبارزت ربي بالمعاصي:

ور آوازه خـواهـى در إقـلـيـم فـاش بـرون حـلـه كـن درون حـشـو بـاش

فلا غرور للعاقل بكثرة الأعمال والأولاد والأموال إذا لم تكن نيته صحيحة فيما يجري عليه من الأحوال فأين الذين آثروا العقبى بل المولى على كل ما سواه فوجدوا الفقر أعز من الغنى والذل ألذ من العزة وبذلوا أموالهم وأرواحهم في سبيل الله لعمري قوم عزيز الوجود وقليل ما هم وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر: ١ـ ٢] ثم قال: «يقول ابن آدم: مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت» قال عليه الصلاة والسلام: «يا عائشة إن أردت اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تستخلقي ثوباً حتى ترقعيه» وقال عليه السلام: «اللهم من أحبني فارزقه العفاف والكفاف ومن أبغضني فأكثر ماله وولده» فقد وقفت أيها العبد على حقيقة الحال وأن المال لا يغني عن المرء شيئاً فعليك بالقناعة وتقليل الدنيا ولا تغتر بأصحاب الأموال والجاه.

از پـي ذكـر وشـوق حـق مـارا در دو عـالـم دل وز بـانـى بـس
وز طـعـام ولـبـاس أهـل جـهـان كـهـنـه دلـقـى ونـيـم نـانـى بـس

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝١١٨ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١١٩﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهاهم الله عن ذلك بقوله: **﴿لا تتخذوا بطانة﴾** بطانة الرجل صاحب وليجته من يعرف أسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب التي تلي بطنه كما شبه بالشعار قال عليه السلام: «الأنصار شعار والناس دثار» **﴿من دونكم﴾** أي: من دون المسلمين متعلق بلا تتخذوا **﴿لا يألونكم خبالا﴾** يقال: ألا في الأمر إذا قصر فيه ثم استعمل معدى إلى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحاً على تضمين معنى المنع أي لا أمنعك نصحاً والخبال الفساد أي لا يقصرون لكم في الفساد بالمكر والخديعة ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر **﴿ودوا ما عنتم﴾** أي تمنوا عنتكم أي مشقتكم وشدة ضرركم في دينكم ودنياكم والفرق بين الجملة الأولى وبين هذه أن معناهما أنهم لا يقصرون ضرراً في أمور دينكم ودنياكم فإن عجزوا عن ذلك فحب ذلك وتمنيه غير زائل من قلوبهم **﴿قد بدت البغضاء من أفواههم﴾** البغضاء شدة البغض أي قد ظهرت علامة العداوة في كلامهم الخارج من أفواههم لما أنهم يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين **﴿وما تخفي صدورهم أكبر﴾** مما بدا لأن بدوه ليس عن روية واختيار **﴿قد بينا لكم الآيات﴾** الدالة على وجوب الإخلاص في الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين **﴿إن كنتم تعقلون﴾** ما بينا لكم فتعملون به والظاهر أن الجمل من قوله لا يألونكم إلى هنا تكون مستأنفات على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة.

﴿ها أنتم أولاء﴾ أي أنتم أيها المؤمنون أولاء المخطئون في موالاتهم **﴿تحبونهم ولا يحبونكم﴾** لما بينكم من مخالفة الدين **﴿وتؤمنون بالكتاب كله﴾** أي بجنس الكتاب جميعاً وهو حال من الضمير المفعول في لا يحبونكم والمعنى لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم

فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ﴿وإذا لقوكم قالوا آمنا﴾ نفاقاً ﴿وإذا خلوا﴾ فكان بعضهم مكان بعض ﴿عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾ أي: من أجله تأسفاً وتحسراً حيث لم يجدوا إلى التشفي سبيلاً. والأنامل جمع أنملة بضم الميم وهو الطرف الأعلى من الأصبع. والغيظ شدة الغضب. قال الإمام: والمعنى أنه إذا خلا بعضهم ببعض أظهروا شدة الغيظ على المؤمنين حتى تبلغ تلك الشدة على عض الأنامل كما يفعل ذلك أحدنا إذا اشتد غيظه وعظم حزنه على فوات مطلوبه ولما كثر هذا الفعل من الغضبان صار ذلك كناية عن الغضب حتى يقال في الغضبان إنه يعض يده غيظاً وإن لم يكن هناك عض وإنما حصل لهم هذا الغيظ الشديد لما رأوا من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم ﴿قل موتوا بغيظكم﴾ دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله إلى أن يهلكوا به أو باشتداده إلى أن يهلكهم فالمراد اللعن والطرد لا على وجه الإيجاب وإلا لماتوا من ساعتهم ﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾ أي: قل لهم إن الله عليم بعداوة الصدور فيعلم ما في صدوركم من البغضاء والحنق.

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾

﴿إن تمسسكم حسنة﴾ أي تصبكم أيها المؤمنون حسنة بظهوركم على عدو لكم وغنيمة تنالونها وتتابع الناس في الدخول في دينكم وخصب في معاشكم ﴿تسؤهم﴾ أي تحزنهم حسداً إلى ما نلتم من خير ومنفعة ﴿وإن تصبكم سيئة﴾ مساءة بإخفاق سرية لكم أو إصابة عدو منكم أو اختلاف يكون بينكم أو جدب ونكبة ﴿يفرحوا بها﴾ يشمتون مما أصابكم من ضرر وشدة وذكر المس مع الحسنة والإصابة مع السيئة للإيذان بأن مدار مساءتهم أدنى مراتب إصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام إصابة السيئة ﴿وإن تصبروا﴾ على عداوتهم أو على مشاق التكاليف ﴿وتتقوا﴾ ما حرم الله عليكم ونهاكم عنه ﴿لا يضركم كيدهم﴾ مكرهم وحيلتهم التي دبروها لأجلكم. والكيد حيلة لطيفة تقرب وقوع المكيد به فيها ﴿شيئاً﴾ نصب على المصدرية أي لا يضركم شيئاً من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولأن المجد في الأمر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون جريئاً على الخصم ﴿إن الله بما يعملون﴾ في عداوتكم من الكيد ﴿محيط﴾ علماً فيعاقبهم على ذلك. والإحاطة إدراك الشيء بكماله، فينبغي للمرء أن يجانب أعداء الله ويصبر على أذاهم فإنه امتحان له من الله مع أنهم لا يقدرون على غير القدح باللسان كما قال تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ [آل عمران: ١١١] والطعن لم يتخلص منه الأنبياء والأولياء فكيف أنت يا رجل وكلنا ذلك الرجل:

توروى ازپر ستيدن حق مپيچ مهل تانكيرند خلقت بهيج
رهايى نيابدكس ازدست كس كرفتاررا چاره صبرست وبس

وفي قوله تعالى: ﴿لا تتخذوا بطانة من دونكم﴾ إشارة إلى أن الحامل لأسرار الرجل ينبغي أن يكون من جنسه معتمداً عليه مؤتمناً وربما يفشي الرجل سره إلى من لم يجربه في كل حاله فيفتضح عند الناس:

إن الـرجـال صـنـاديـق مـقـفـلـة ... ومـا مـفـاتـيـحـهـا إلا الـتـجـاريـب

فلا تغتر بظاهر إنسان حتى تعرف سريرته، قال الإمام الغزالي: ولا تعول على مودة من لم تختبره حق الخبرة بأن تصحبه مدة في دار أو موضع واحد فتجربه في عزله وولايته وغناه وفقره أو تسافر معه أو تعامله في الدينار والدرهم أو تقع في شدة فتحتاج إليه فإن رضيته في هذه الأحوال فاتخذه أباً لك إن كان كبيراً أو ابناً إن كان صغيراً أو أخاً إن كان مثلاً لك وإذا بلغك من الإخوان غيبة أو رأيت منهم شراً أو أصابك منهم ما يسوؤك فكل أمرهم إلى الله ولا تشغل نفسك بالمكافاة فيزيد الضرر ويضيع العمر لشغله، ومن بلاغات الزمخشري ما قدع السفيه بمثل الإعراض وما أطلق عنانه بمثل العراض أي المعارضة، ونعم ما قيل:

اصبـر عـلـى مـضـض الـحـسـو ... د فـإن صـبـرك قـاتـلـه

والـنـار تـأكـل نـفـسـهـا ... إن لـم تـجـد مـا تـأكـلـه

فالمجاملة من سير الصالحين.

وكان إبراهيم بن أدهم في جماعة من أصحابه فكان يعمل بالنهار وينفق عليهم ويجتمعون بالليل في موضع وهم صيام فكان يبطىء في الرجوع من العمل فقالوا ليلة: تعالوا بنا نجعل فطورنا دونه حتى يعود بعد هذا أسرع فأفطروا وناموا فلما رجع إبراهيم وجدهم نياماً فقال: مساكين لعلهم لم يكن لهم طعام فعمد إلى شيء من الدقيق هناك فعجنه وأوقد النار وطرح الملة فانتبهوا وهو ينفخ في النار واضعاً محاسنه على التراب فقالوا له في ذلك فقال: قلت لعلكم لم تجدوا فطوراً فنمتم فأحببت أن تستيقظوا والملة قد أدركت فقال بعضهم لبعض: أبصروا أيّ شيء عملنا وما الذي به يعاملنا:

بـدى را بـدى سـهـل بـاشـد جـزا ... اكـر مـردى أحـسـن إلـى مـن أسـاء

قال ذو النون رحمه الله: لا تصحب مع الله إلا بالموافقة ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ولا مع النفس إلا بالمخالفة ولا مع الشيطان إلا بالعداوة فليسارع العبد إلى تحصيل حسن الخلق وتوطين النفس على الصبر على المكاره حتى يفوز مع الفائزين. قال بعضهم: كنت بمكة فرأيت فقيراً طاف بالبيت وأخرج من جيبه رقعة ونظر فيها ومر فلما كان بالغد فعل مثل ذلك فترقبته أياماً وهو يفعل مثله فيوماً من الأيام طاف ونظر في الرقعة وتباعد قليلاً وسقط ميتاً فأخرجت الرقعة من جيبه وإذا فيها ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في وصيته لابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «إن استطعت أن تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل وإلا ففي الصبر على ما تكره خير كثير» ومقاساة المجاهدات ومخالفة النفس وترك الشهوات واللذات والتزام الفقر والصبر على المكروهات من ديدن السلف الصالحين وأهل النفس الأمارة وإن كان يبدو من فمه علامات البغض لأمثال هؤلاء الأخيار لكنه في الحقيقة يعود ضرره إلى نفسه والمرء بالصبر على ما جاء به من مكاره اعتراضه الفاسد يكون مأجوراً ومثاباً عند الله تعالى وتباين الناس بالصلاح والفساد وغير ذلك خير محض يعتبره العاقل ويزكي نفسه به فيا أيها الصلحاء إن الأشرار متسلطون على الأخيار بالطعن وقصد الأضرار ولكن المتقي في حصن الله الملك الجبار.

﴿**وإذ غدوت**﴾ أي اذكر لهم يا محمد وقت خروجك غدوة أي أول النهار إلى أحد ليتذكروا ما وقع فيه من الأحوال الناشئة عن عدم الصبر فيعلموا أنهم إن لزموا الصبر والتقوى لا

يضرهم كيد الكفرة ﴿من أهلك﴾ من منزل عائشة رضي الله عنها في المدينة وهذا نص على أن عائشة رضي الله عنها كانت أهلاً للنبي ﷺ قال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ [النور: ٢٦] فدل هذا على أنها كانت مطهرة مبرأة من كل قبيح ألا يرى أن ولد نوح لما كان كافراً قال: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ [هود: ٤٦] وكذا امرأة لوط ﴿تبوىء المؤمنين﴾ أي تنزلهم ﴿مقاعد﴾ كائنة ومهيئة ﴿للقتال﴾ أو متعلق بقوله: تبوىء أي لأجل القتال. والمقاعد جمع مقعد وهو اسم لمكان القعود عبر عن تلك الأماكن التي عينت لكل واحد من الصحابة أن يبيت في ما عين له من تلك الأماكن إما بأن يتسع في استعمال القعود لمجرد المكان مع قطع النظر عن كونه مكان القعود كما في قوله تعالى: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾ [القمر: ٥٥] وإما لأن كل مكان إنما عين لصاحبه لأن يقعد وينتظر فيه إلى أن يجيء العدو فيقوموا عند الحاجة إلى المحاربة فسميت تلك الأماكن بالمقاعد لهذا الوجه.

ـ روي ـ أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار رسول الله ﷺ أصحابه ودعا عبد الله ابن أبي ابن سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله وأكثر الأنصار: يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم الصبيان والنساء بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم: يا رسول الله اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلب لا يرون أنا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام: «إني رأيت في منامي بقراً مذبحة حولي» أي قطيعاً منها «فأولتها خيراً ورأيت في ذبان سيفي ثلماً» أي كسرا «فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم» فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد: أخرج بنا إلى أعدائنا طلباً لسعادة الشهادة وطمعاً في الحسنى والزيادة فلم يزالوا به عليه الصلاة والسلام حتى دخل وليس لأمته أي درعه فلما رأوا ذلك ندموا وقالوا: بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي يأتيه وقالوا: اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال: «ما ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل» وكان قد أقام المشركون بأحد يوم الأربعاء والخميس فخرج رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم الجمعة بعد ما صلى الجمعة وصلى على رجل من الأنصار مات فيه فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة فمشى على راحلته فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح إن رأى صدراً خارجاً قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي أي طرفه وجانبه وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم: «انضحوا عنا بالنبل» أي ادفعوا العدو عنا بالسهم حتى لا يأتونا من ورائنا «ولا تبرحوا مكانكم فإذا عاينوكم وولوكم الأدبار فلا تطلبوا المدبرين» ثم إن الرسول ﷺ لما خالف رأى عبد الله بن أبي وكان من قدماء أهل المدينة ورئيس المنافقين شق عليه ذلك وقال: أطاع الولدان وعصاني ثم قال لأصحابه إن محمداً إنما يظفر بعدوه بكم وقد وعد أصحابه أن أعداءهم إذا عاينوهم انهزموا فإذا رأيتم أعداءهم فانهزموا فسيتبعونكم ويصير الأمر على خلاف ما قاله محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلما التقى الفريقان انهزم عبد الله بالمنافقين وكان عليه السلام قد خرج في ألف رجل أو تسعمائة وخمسين رجلاً فلما بلغوا الشوط رجع ابن أبيّ بثلاثمائة وبقيت سبعمائة فقال لقومه: يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟

فتبعهم أبو جابر السلمي وقال: أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم وكان الحيان من الأنصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس جناحي عسكر رسول الله ﷺ فهمّا باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله ﷺ وقواهم الله تعالى حتى هزموا المشركين فلما رأى المؤمنون انهزام القوم طمعوا أن تكون هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين فتركوا الموضع الذي أمرهم النبي عليه السلام بالثبات فيه ثم اشتغلوا بطلب الغنائم وخالفوا أمر الرسول ﷺ فأراد الله أن يفطمهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مخالفة الرسول ﷺ وليعلموا أن ظفرهم إنما حصل يوم بدر ببركة طاعتهم لله ولرسوله ومتى تركهم الله مع عدوهم لم يقوموا لهم فنزع الله الرعب من قلوب المشركين وكانوا ثلاثة آلاف رجل فحملوا على المؤمنين وتفرق العسكر عن رسول الله عليه السلام حتى بقي معه سبعة من الأنصار ورجلان من قريش فلما قصد الكفار النبي عليه الصلاة والسلام شجوا رأسه وكسروا رباعيته وثبت معه عليه السلام يومئذٍ طلحة ووقاه بيده فشلت أصبعاه وصار مجروحاً في أربعة وعشرين موضعاً ولما أصابه عليه السلام ما أصاب من الشجة وكسر الرباعية وغلب عليه الغشي احتمله طلحة ورجع القهقرى وكلما أدركه واحد من المشركين كان يضعه عليه السلام ويقاتله حتى أوصله إلى الصيحة وكان عليه السلام يقول: «أوجب طلحة» ووقعت الصيحة في العسكر أن محمداً قد قتل وكان في جملة الصحابة رجل من الأنصار يكنى أبا سفيان نادى الأنصار وقال: هذا رسول الله فرجع إليه المهاجرون والأنصار فشمل عز الشهادة اثنين وسبعين من المؤمنين واختص بشرائف نعم الله وجلائل كرمه حمزة سيد الشهداء وهنيئاً له إذ مثل به وكثر فيهم الجراح فقال عليه الصلاة والسلام: «رحم الله رجلاً ذب عن إخوانه وشد على المشركين بمن معه حتى كشفهم عن القتلى والجرحى وأعانهم الله حتى هزموا الكفار» ثم إن كل ذلك يؤكد قوله تعالى: **﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً﴾** وأن المقبل من أعانه الله والمدبر من خذله الله ومن الله العصمة **﴿والله سميع عليم﴾** لما شاور النبي عليه السلام أصحابه في ذلك الحرب وقال بعضهم: أقم بالمدينة وقال آخرون: اخرج إليهم وكان لكل أحد غرض في قوله فمن موافق ومن منافق قال تعالى: أنا سميع لما يقولون عليم بما يسرون.

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿إذ همت﴾ بدل من إذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير. والهم تعلق الخاطر بما له قدر **﴿طائفتان منكم﴾** أيها المؤمنون وهما بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس **﴿أن تفشلا﴾** أي بأن تجبنا وتضعفا وترجعا لظنهما الصواب فيه. والفشل الضعف والظاهر أن همهما ليس بمعنى العزم والقصد المصمم وإنما هو خطرات وحديث نفس كما لا تخلو النفس عند الشدائد من بعض الهلع ثم يردها صاحبها إلى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه **﴿والله وليهما﴾** أي عاصمهما من اتباع تلك الخطرات والجملة اعتراض **﴿وعلى الله﴾** وحده دون ما عداه مطلقاً استقلالاً واشتراكاً **﴿فليتوكل المؤمنون﴾** في جميع أمورهم فإنه حسبهم وفيه إشعار بأن

وصف الإيمان من دواعي التوكل وموجباته والتوكل الاعتماد على الغير وإظهار العجز.

قال الإمام: وفي الآية إشارة إلى أنه ينبغي أن يدفع الإنسان ما يعرض له من مكروه وآفة بالتوكل على الله وأن يصرف الجزع عن نفسه بذلك التوكل. قال سهل بن عبد الله التستري: جملة العلوم أدنى باب من التعبد وجملة التعبد أدنى باب من الورع وجملة الورع أدنى باب من الزهد وجملة الزهد أدنى باب من التوكل. وقال أيضاً علامة المتوكل ثلاث لا يسأل ولا يرد ولا يحبس. وكان إبراهيم الخواص رحمه الله مجرداً في التوكل وكان لا يفارقه إبرة وخيوط وركوة ومقراض فقيل له: يا أبا إسحٰق لم تحمل هذا وأنت ممتنع من كل شيء؟ فقال: مثل هذا لا ينقص التوكل لأن لله علينا فرائض والفقير لا يكون عليه غير ثوب واحد فربما يتمزق ثوبه فإذا لم يكن معه إبرة وخيوط تبدو عورته فتفسد عليه صلاته. قال أبو حمزة الخراساني حججت سنة من السنين فبينما أنا أمشي في الطريق إذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي أن أستغيث فقلت: لا والله لا أستغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر: تعال حتى نسدّ رأس هذا البئر لئلا يقع فيها أحد فأتوا بقصب وطمسوا البئر فهممت أن أصيح ثم قلت في نفسي أشكو إلى من هو أقرب منهما فسكت فبينما أنا بعد ساعة إذ أنا بشيء قد جاء وكشف عن رأس البئر وأدخل رجله وكأنه يقول لي: تعلق بي في هينمة له كنت أعرف ذلك منها فتعلقت به فأخرجني فإذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف يا أبا حمزة أليس هذا أحسن؟ نجيناك من التلف بالتلف فمشيت. قال بعضهم: من وقع في ميدان التفويض يزف إليه المراد كما تزف العروس إلى أهلها، ولما زج بإبراهيم عليه السلام في المنجنيق وأتاه جبريل فقال: ألك حاجة؟ قال: إما إليك فلا وإما إلى الله فبلى قال: سله قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي وقد قال نبينا عليه السلام: «يقول الله تعالى فمن شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» فعلى السالك أن يتوكل على الله ويفوض أمره إليه فإن كل ما قضى وقدر لا يرد ألبتة وإن تعدت نفسك في ذلك.

قضا كشتى آنجا كه خواهد برد   وكرنا خدا جامه برتن درد

يكفيك علم الله بحالك فاقطع نظرك عن الأسباب والفتح ليس إلا من مفتح الأبواب.

مكن سعديا ديده بردست كس   كه بخشنده برورد كارست وبس

اكر حق پرستى زدرها بست   كه كروى بداند نخواند كست

﴿ولقد نصركم الله ببدر﴾ تذكير ببعض ما أفادهم التوكل. وبدر بئر ماء بين مكة والمدينة حافرها رجل اسمه بدر فسمي به وكانت وقعة بدر في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة ﴿وأنتم أذلة﴾ حال من الضمير جمع ذليل وإنما قال أذلة ولم يقل ذلائل بجمع الكثرة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلاً وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد للمقداد بن الأسود وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله وتسعون بعيراً وست أدرع وثمانية سيوف وقلتهم أنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، ستة وسبعون من المهاجرين وبقيتهم من الأنصار وكان عدوهم في حال كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة وكان صاحب راية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ

﴿**فاتقوا الله**﴾ في الثبات مع رسوله كما اتقيتم يومئذٍ ﴿**لعلكم تشكرون**﴾ أي راجين أن تشكروا بما ينعم به عليكم بتقواكم من النصرة ﴿**إذ تقول**﴾ ظرف لنصركم وقت قولك ﴿**للمؤمنين**﴾ حين أظهروا العجز عن المقاتلة ﴿**ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة**﴾ الكفاية سد الخلة والقيام بالأمر. والإمداد إعانة الجيش بالجيش والمعنى إنكار عدم كفاية الإمداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة أن للاشعار بأنهم كانوا حينئذٍ كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرته ﴿**منزلين**﴾ أي حال كونهم نازلين من السماء بإذنه تعالى. قيل: أمدهم الله أولاً بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة وإنما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويتقووا بنصر الله.

﴿**بلى**﴾ إيجاب لما بعد أن وتحقيق له أي بلى يكفيكم ذلك ثم وعدهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثاً لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال: ﴿**إن تصبروا**﴾ على لقاء العدو ومناهضتهم ﴿**وتتقوا**﴾ معصية الله ومخالفة نبيه ﷺ ﴿**ويأتوكم**﴾ أي إن يجيئكم المشركون ﴿**من فورهم هذا**﴾ أي من ساعتهم هذه ﴿**يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة**﴾ في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم يريد أن الله يعجل نصرتكم ويسهل فتحكم إن صبرتم واتقيتم ﴿**مسومين**﴾ من التسويم الذي هو إظهار سيما الشيء أي معلمين أنفسهم أو خيلهم في أذنابها ونواصيها بالصوف الأبيض قال عليه السلام لأصحابه: «تسوموا فإن الملائكة قد تسومت».

ـ روي ـ أن الملائكة كانوا بعمائم بيض إلا جبريل عليه السلام فإنه كان بعمامة صفراء على مثال الزبير بن العوام ونزلوا على الخيل البلق موافقة لفرس المقداد وإكراماً له.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿**وما جعله الله**﴾ عطف على مقدر أي فأمدكم به وما جعل الله ذلك الإمداد بإنزال الملائكة عياناً بشيء من الأشياء ﴿**إلا بشرى لكم**﴾ بأنكم تنصرون ﴿**ولتطمئن قلوبكم به**﴾ أي بالإمداد وتسكن إليه من الخوف كما كانت السكينة لبني إسرائيل ﴿**وما النصر إلا**﴾ كائن ﴿**من عند الله**﴾ لا من العدة والعدد وهو تنبيه على أنه لا حاجة في نصرهم إلى مدد وإنما أمدهم بشارة لهم وربطاً على قلوبهم من حيث إن نظر العامة إلى الأسباب أكثر فينبغي للمؤمن أن لا يركن إلى شيء من ذلك فإن ترتب النصر عليها ليس إلا بطريق جري العادة ﴿**العزيز**﴾ الذي لا يغالب في حكمه وقضيته ﴿**الحكيم**﴾ الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة.

﴿**ليقطع**﴾ متعلق بنصركم أي نصركم الله يوم بدر ليهلك وينقص ﴿**طرفاً من الذين كفروا**﴾ أي طائفة منهم بقتل وأسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون وأسر سبعون ﴿**أو يكبتهم**﴾ أي يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فإن الكبت شدة غيظ أو وهن يقع في القلب من كبته بمعنى كبده إذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وأو للتنويع دون الترديد ﴿**فينقلبوا خائبين**﴾ غير ظافرين بمبتغاهم وينهزموا منقطعي الآمال. والخيبة هو الحرمان من المطلوب

والفرق بينها وبين اليأس أن الخيبة لا تكون إلا بعد التوقع وأما اليأس فإنه قد يكون بعد التوقع وقبله فنقيض اليأس الرجاء ونقيض الخيبة الظفر **﴿ليس لك من الأمر شيء﴾** اعتراض **﴿أو يتوب عليهم أو يعذبهم﴾** عطف على قوله أو يكبتهم والمعنى أن الله مالك أمرهم على الإطلاق فإما أن يهلكهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم تعذيباً شديداً أخروياً إن أصروا وليس لك من أمرهم شيء وإنما أنت عبد مأمور لإنذارهم وجهادهم **﴿فإنهم ظالمون﴾** قد استحقوا التعذيب بظلمهم **﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾** من الموجودات خلقاً وملكاً لا مدخل فيه لأحد أصلاً فله الأمر كله **﴿يغفر لمن يشاء﴾** أن يغفر له مشيئة مبنية على الحكم والمصالح **﴿ويعذب من يشاء﴾** أن يعذبه وقدم المغفرة لسبق رحمته تعالى غضبه وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له **﴿والله غفور رحيم﴾** لعباده والمقصود بيان أنه وإن حسن كل ذلك منه إلا أن جانب الرحمة والمغفرة غالب لا على سبيل الوجوب بل على سبيل الفضل والإحسان، فليبادر العاقل إلى الأعمال التي يستوجب بها رحمة الله تعالى ولا ييأس من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون. أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام [يا داود بشر المذنبين وأنذر الصديقين] قال: يا رب فكيف أبشر المذنبين وأنذر الصديقين قال: [بشر المذنبين بأني لا يتعاظمني ذنب إلا أغفره وأنذر الصديقين أن لا يعجبوا بأعمالهم وإني لا أضع عدلي وحسابي على أحد إلا أهلكه] وروي عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه دخل على النبي عليه السلام فوجده يبكي فقال: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: «جاءني جبريل فقال: إن الله يستحيي أن يعذب أحداً قد شاب في الإسلام فكيف لا يستحي من شاب في الإسلام أن يعصي الله» فالواجب على الشيخ أن يعرف هذه الكرامة ويشكر الله ويستحي منه ومن الكرام الكاتبين ويمتنع من المعاصي ويكون مقبلاً على طاعة ربه فإنه في ساحل بحر المنون.

ـ روي ـ أن الحجاج لما أقام بالعراق يرهب ويفتك حتى استوثقت له الأمور خرج عليه عبد الرحمٰن بن الأشعث بأهل العراق فأمده عبد الملك بأهل الشام فكانوا شيعته واستمرت بينه وبين ابن الأشعث الوقائع حتى هزمه الحجاج بدير الجماجم بعد ثمانين وقعة في ستة أشهر وكان مع ابن الأشعث أكثر من مائتي ألف فلما هزموا قال الحجاج لأصحابه: اتركوهم فليتبددوا ولا تتبعوهم ثم نادى مناديه من رجع فهو آمن ودخل الكوفة وجاء الناس من المنهزمين يبايعونه فكان يقول لمن جاء يبايعه اشهد على نفسك بالكفر وخروجك عن الجماعة ثم تب فإن شهد وإلا قتله فأتاه رجل من خثعم فقال: اشهد على نفسك بالكفر فقال: إن كنت عبدت ربي ثمانين سنة ثم اشهد على نفسي بالكفر لبئس العبد أنا والله ما بقي من عمري إلا ظمىء حمار وإنني أنتظر الموت صباحاً ومساءاً فأمر به فضرب عنقه وقدم بعده شيخ فقال الحجاج: ما أظن الشيخ يشهد على نفسه بالكفر فقال: يا حجاج أخادعي أنت عن نفسي أنا أعرف بها منك وأني لأكفر من فرعون وهامان فضحك الحجاج وخلى سبيله فانظر إلى ضعف إيمانه كيف ارتكب هذا القبح بعدما جاوز حد الشباب الذي ليس بعده إلا انتظار الموت صباحاً ومساءً من إقراره بالكفر مع غاية شيبه ومن لم تتداركه العناية الأزلية لم يجىء منه شيء. فعلى السالك أن يطمئن قلبه بالإيمان ويجتهد إلى أن يصل إلى قوة اليقين ومن قوة اليقين التوحيد وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ويرى الوسائط مسخرة لحكمه ولا ريب أن قوة

اليقين بتصفية القلب عن كدورات النفس.

چو پاك آفريدت بهش باش پاك كه ننكست نا پاك رفتن بخاك

پيا پي بيفشان از آيينه كرد كه صيقل نكيرد چو زينكار خورد

وجلاء القلب إنما يحصل بذكر الله وتلاوة القرآن والصلاة على النبي عليه السلام وخير الأذكار كلمة التوحيد وهي العروة الوثقى، قال إبراهيم الخواص قدس سره: دواء القلب خمسة: تلاوة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع إلى الله تعالى عند السحر، ومجالسة الصالحين. فعليك بالمواظبة لهذه الخصال لعلك تصل إلى التزكية ودرجة الكمال بعون الله الملك العزيز المتعال.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا**﴾ والمراد بأكله أخذه وإنما عبر عنه بالأكل لأنه معظم ما يقصد بالأخذ ولشيوعه في المأكولات مع ما فيه من زيادة التشنيع ﴿**أضعافاً مضاعفة**﴾ زيادات مكررة كان الرجل في الجاهلية إذا كان له على إنسان مائة درهم إلى أجل ولم يكن المديون واجداً لذلك المال قال: زدني في المال حتى أزيد في الأجل فربما جعله مائتين ثم إذا حل الأجل الثاني فعل مثل ذلك ثم إلى آجال كثيرة فيأخذ بسبب تلك المائة أضعافها. وأضعافاً جمع ضعف حال من الربا أي متضاعفاً ولما كان جمع قلة والمقصود الكثرة اتبعه بما يدل على الكثرة حيث وصفه بقوله مضاعفة وهي اسم مفعول لا مصدر وهذه الحال ليست لتقييد النهي بها حيث تنتفي الحرمة عند انتفائها بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخاً لهم على ذلك ﴿**واتقوا الله**﴾ فيما نهيتم عنه خصوصاً الربا وعمله ﴿**لعلكم تفلحون**﴾ راجين الفلاح.

﴿**واتقوا النار التي أعدت للكافرين**﴾ بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي ما يتعاطونه وفيه تنبيه على أن النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة. وكان أبو حنيفة رحمه الله يقول: هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في أصناف محارمه.

﴿**وأطيعوا الله**﴾ في كل ما أمركم به ونهاكم عنه ﴿**والرسول**﴾ الذي يبلغكم أوامره ونواهيه ﴿**لعلكم ترحمون**﴾ راجين لرحمته ولعل وعسى في أمثال ذلك دليل عزة التوصل إلى ما جعل خبراً له.

قال القاشاني: ولا يخفى على الفطن ما فيه من المبالغة في التهديد على الربا حيث أتى بلعل في فلاح من اتقاه واجتنبه لأن تعليق إمكان الفلاح ورجاءه بالاجتناب منه يستلزم امتناع الفلاح لهم إذا لم يجتنبوه ويتقوه مع إيمانهم. ثم أوعد عليه بالنار التي أعدت للكافرين مع كونهم مؤمنين فما أعظمها من مصيبة توجب عقاب الكفار للمؤمنين وما أشده من تغليظ عليه ثم أمد التغليظ بالأمر بطاعة الله ورسوله تعريضاً بأن آكل الربا منهمك في المعصية لا طاعة له ثم علق رجاء المؤمنين بطاعة الله ورسوله إشعاراً بأنه لا رجاء للرحمة مع هذا النوع من العصيان فهو يوجب اليأس من رحمته للمؤمنين لامتناعها لهم معه فانظر كيف درج التغليظ في التهديد حتى ألحقه بالكفار في الجزاء والعقاب انتهى بعبارته. قال رسول الله ﷺ: «لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه والمحلل» والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال على الوجه

الذي نهى الله عنه وهو قسمان: ربا النسيئة، وربا الفضل. أما ربا النسيئة فهو ما كان يتعارفه أهل الجاهلية ويتعاملون به وقد سبق آنفاً. وأما ربا الفضل أي أخذ الفضل عند مقابلة الجنس بالجنس نقداً فهو أن يباع منّ من الحنطة بمنين منها وما أشبه ذلك وقد اتفق جمهور العلماء على تحريم الربا في القسمين.

واعلم أن الربا يؤدي إلى الحرص على طلب الدنيا أضعافاً مضاعفة إلى ما لا يتناهى كما قال عليه الصلاة والسلام: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب» والحرص درك من دركات النيران فلذا قال: ﴿**واتقوا النار التي أعدت للكافرين**﴾.

قناعت كن اي نفس بد اند كى   كه سلطان ودرويش بينى يكى

فالحرص على الدنيا وسعيها وجمعها مذموم منهي عنه والبذل والإيثار وترك الدنيا والقناعة فيها محمود مأمور به يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا وَيُرْبِي الصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦] فمن أخذ الربا لتكثير المال بلا احتياج كان كمن يقع على أمه نعوذ بالله.

ـ روي ـ عن عبد الله بن سلام للربا اثنان وسبعون حوباً أصغرها كمن أتى أمه في الإسلام كذا في «تنبيه الغافلين». وإذا أخذه بوجه شرعي مع الاحتياج يجوز في الفتوى ولكن التقوى فوق أمر الفتوى والحيلة الشرعية فيه ذكرها قاضيخان حيث قال رجل له على رجل عشرة دراهم فأراد أن يجعلها ثلاثة عشر قالوا: يشتري من المديون شيئاً بتلك العشرة ويقبض المبيع ثم يبيعه من المديون بثلاثة عشر إلى سنة فيقع التحرز عن الحرام ومثل هذا مروي عن رسول الله ﷺ وإذا احتاج إلى الاستقراض فاستقرض من رجل فلم يعطه إلا بالربا فالإثم على آخذ الربا دون معطيه لأن له فيه ضرورة وهذا إذا كان الآخذ غنياً كما عرفت فالمرء الصالح يتباعد عن مثل هذه المعاملات فإن الربا يضر بإيمان المؤمنين وهو وإن كان زيادة في الحال لكنه نقصان في الحقيقة فإن الفقراء الذين يشاهدون أن المرابي يأخذ أموالهم بسبب الربا يلعنونه ويدعون عليه وذلك يكون سبباً لزوال الخير والبركة عنه في نفسه وماله بل عما يتفرع من نقص عرضه وقدره وتوجه مذمة الناس إليه وسقوط عدالته وزوال أمانته وفسق القلب وغلظته. وآخذ الربا لا يقبل الله منه صدقة ولا جهاداً ولا حجاً ولا صلاة وقد ثبت في الحديث «أن الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام» فإذا كان الغني من الوجه الشرعي الحلال كذلك فما ظنك بالغني من الوجه الحرام؟ فالإنسان مع فقره وحاجته إذا توكل على الله وأحسن إلى عبيده فالله تعالى لا يتركه ضائعاً جائعاً في الدنيا بل يزيد كل يوم في جاهه وذكره الجميل ويميل قلوب الناس إليه. وأما إذا كان بخلاف ذلك فيكون أمره عسيراً في الدنيا والآخرة والعمل السوء ينزع به الإيمان عند الموت فيستحق به صاحبه الخلود في النار كالكفار نعوذ بالله من ذلك. وروى أبو بكر الوراق عن أبي حنيفة رحمه الله أكثر ما ينزع الإيمان لأجل الذنوب من العبد عند الموت وأسرعها نزعاً للإيمان ظلم العباد فاتق أيها المؤمن من الله ولا تظلم عباد الله بأخذ أموالهم من أيديهم بغير حق فإنه حوب كبير عصمنا الله وإياكم من سوء الحال.

﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

﴿وسارعوا﴾ أي بادروا وأقبلوا ﴿إلى مغفرة﴾ كائنة ﴿من ربكم وجنة﴾ إلى ما يستحقان به كالإسلام والتوبة والإخلاص وأداء الواجبات وترك المنهيات ﴿عرضها السموات والأرض﴾ أي كعرضهما صفة لجنة وذكر العرض للمبالغة في وضعها بالسعة على طريقة التمثيل فإن العرض في العادة أدنى من الطول ﴿أعدت للمتقين﴾ أي هيئت لهم صفة أخرى الجنة. وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة الآن وأنها خارجة عن هذا العالم. أما الأول فلدلالة لفظ الماضي. وأما الثاني فلأن ما يكون عرضه كعرض جميع هذا العالم لا يكون داخلاً فيه.

ـ روي ـ أن رسول هرقل سأل رسول الله ﷺ فقال: إنك تدعو إلى جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فقال عليه السلام: «سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار» والمعنى والله أعلم إذا دار الفلك حصل النهار في جانب من العالم والليل في ضد ذلك الجانب فكذا الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل.

﴿الذين ينفقون﴾ كل ما يصلح للإنفاق وهو صفة مادحة للمتقين ﴿في السراء والضراء﴾ أي في حالتي الرخاء والشدة أي الغنى والفقر واليسر والعسر وفي الأحوال كلها إذ الإنسان لا يخلو عن مسرة أو مضرة أي لا يخلون في حال ما بإنفاق ما قدروا عليه من قليل أو كثير ﴿والكاظمين الغيظ﴾ عطف على الموصول والكظم الحبس والغيظ توقد حرارة القلب من الغضب أي الممسكين عليه الكافين عن إمضائه مع القدرة عليه ﴿والعافين عن الناس﴾ أي التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته ﴿والله يحب المحسنين﴾ الذين عمت فواضلهم وتمت فضائلهم. ولامه يصلح للجنس فيدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون الإشارة إليهم.

واعلم أن الإحسان إلى الغير إما أن يكون بإيصال النفع إليه أو بدفع الضرر عنه. أما إيصال النفع إليه فهو المراد بقوله: ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء﴾ ويدخل فيه إنفاق العلم وذلك بأن يشتغل بتعليم الجاهلين وهداية الضالين. ويدخل فيه إنفاق المال في وجوه الخيرات والعبادات قال عليه الصلاة والسلام: «السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار» وأما دفع الضرر عن الغير فهو إما في الدنيا وهو أن لا يشتغل بمقابلة تلك الإساءة بإساءة أخرى وهو المراد بكظم الغيظ قال رسول الله ﷺ: «من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً» وأما في الآخرة وهو أن يبرىء ذمته من التبعات والمطالبات في الآخرة وهو المراد بقوله: ﴿والعافين عن الناس﴾.

ـ روي ـ أنه ينادي مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله تعالى فلا يقوم إلا من عفا وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «إن هؤلاء في أمتي قليل إلا من عصمه الله وقد كانوا كثيراً في الأمم التي مضت» فهذه الآية دالة على جميع جهات الإحسان إلى الغير ولما كانت هذه الأمور الثلاثة مشتركة في كونها إحساناً إلى الغير ذكر ثوابها فقال: ﴿والله يحب المحسنين﴾ فإن محبة الله العبد أعظم درجات الثواب. قال الفضيل بن عياض: الإحسان بعد الإحسان مكافأة والإساءة بعد الإساءة مجازاة والإحسان بعد الإساءة كرم وجود والإساءة بعد الإحسان لؤم وشؤم.

ـ حكي ـ أن خادماً كان قائماً على رأس الحسن بن علي رضي الله عنهما وهو مع أضيافه في المائدة فانحرفت قصعة كانت في يد الخادم فسقط منها شيء على الحسن فقال: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ قال: قد عفوت عنك فقال: ﴿والله يحب المحسنين﴾

قال: أنت حر لوجه الله وقد زوجتك فلانة فتاتي وعليّ ما يصلحكما، قال الفاضل الجامي:

جوانمردا جوانمردى بياموز زمردان جهان مردى بياموز
درون ازكين كين جويان نكه دار زبان از طعن بدكويان نكه دار
نكويى كن بآن كوبا تويد كرد كزان بدرخنه در اقبال خودكرد
چو آيين نكو كارى كنى ساز نكردد جزبتو آن نكويى باز

فعلى العاقل أن يسارع إلى العمل بالحسنات من الإحسان وأنواع الخيرات سريعاً قبل الفوات لأن في التأخير آفات:

كنون وقت تخمست اكر پروري كراميد دارى كه خرمن برى

يعني إن كنت تأمل الجنة فاعبد ربك بأنواع العبادات ما دمت في الحياة فإن الفرصة غنيمة والمتأخر عن السير إلى الله مغبون قيل:

بيا ساقي كه في التأخير آفات

ومن أضاع عمره في الهوى فلا يلحقه يوم القيامة إلا الحسرة والندامة.

بمايه توان اى پسر سود كرد چه سود آيد آنراكه سرمايه خورد

والله تعالى خلق الإنسان لدخول الجنة ودرجاتها والنار ودركاتها ثم أرسل المرسلين مبشرين بالجنة ومنذرين بالنار وحث بالاتقاء والحذر عن النار كما قال: **﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾** وحرض على المسارعة إلى الجنة بقوله: **﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾** أي سارعوا بقدم التقوى إلى مقام من مقامات قرب ربكم **﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾** يعني طولها فوق السموات والأرض. والإشارة فيه أن الوصول إليها بعد العبور من ملك السموات والأرض وهو المحسوسات التي تدركها الحواس الخمس والعبور عنها إنما يكون بقدم التقوى الذي هو تزكية النفس عن الأخلاق الذميمة كما قال: **﴿أعدت للمتقين﴾** فإن قدم التقوى الذي يولج به في عالم الملكوت هو التزكية ويدل عليه ما قال عيسى عليه الصلاة والسلام: [لن يلج ملكوت السموات والأرض من لم يولد مرتين] فالولادة الثانية هي الخروج عن الصفات الحيوانية بتزكية النفس عنها وولوج الملكوت وهو التحلية بالصفات الروحانية وقوله: **﴿أعدت للمتقين﴾** أي هم مخصوصون بها ومراتبهم في الدرجات العلى وهو بقدر تقوى النفوس وتزكيتها عصمنا الله وإياكم من الشرور والأوزار وشرفنا بمقامات الأبرار والأخيار.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾.

﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾ أي فعلة بالغة في القبح كالزنى **﴿أو ظلموا أنفسهم﴾** بأن أذنبوا أي ذنب كان مما يؤاخذ به الإنسان أو الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك **﴿ذكروا الله﴾** تذكروا حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء أو وعيده **﴿فاستغفروا لذنوبهم﴾** بأن يندموا على ما مضى مع العزم على ترك مثله في المستقبل وأما مجرد الاستغفار باللسان فلا أثر له في إزالة الذنب وإنما هو حظ اللسان من الاستغفار وهو توبة الكذابين **﴿ومن﴾** استفهام إنكاري أي لا **﴿يغفر الذنوب﴾**

أي جنس الذنوب أحد ﴿إلا الله﴾ بدل من الضمير المستكن في يغفر وهو اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه تصويباً للتائبين وتطييباً لقلوبهم وبشارة لهم بوصف ذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وإجلالاً لهم وإعلاء لقدرهم بأنهم علموا أن لا مفزع للمذنبين إلا فضله وكرمه وأن من كرمه أن التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وأن العبد إذا التجأ إليه في الاعتذار والتنصل بأقصى ما يقدر عليه عفا عنه وتجاوز عن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم وتحريضاً للعباد على التوبة وبعثاً عليها وعلى الرجاء وردعاً عن اليأس والقنوط ﴿ولم يصروا﴾ عطف على فاستغفروا أي لم يقيموا ﴿على ما فعلوا﴾ من الذنوب فاحشة كانت أو ظلماً غير مستغفرين لقوله عليه السلام: «ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة» و«لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار» أي الصغيرة مع الإصرار كبيرة ﴿وهم يعلمون﴾ حال من فاعل يصروا أي لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه وبالنهي عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لما أنه قد يعذر من لا يعلم ذلك إذا لم يكن عن تقصير في تحصيل العلم به.

﴿أولئك﴾ أي أهل هذه الصفات ﴿جزاؤهم﴾ أي ثوابهم ﴿مغفرة﴾ كائنة ﴿من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ أي لهم ذخر لا يبخس وأجر لا يوكس وجنات لا تنقضي ولذات لا تمضي ﴿ونعم أجر العاملين﴾ المخصوص بالمدح محذوف أي ونعم أجر العاملين ذلك أي ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالأجر المشعر بأنهما تستحقان بمقابلة العمل وإن كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي قال رسول الله ﷺ عن ربه تبارك قال: «ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك. ابن آدم إنك إن تلقني بقراب الأرض خطايا لقيتك بقرابها مغفرة بعد أن لا تشرك بي شيئاً. ابن آدم إنك إن تذنب حتى يبلغ ذنبك عنان السماء ثم تستغفرني أغفر لك» قال ثابت البناني: بلغني أن إبليس بكى حين نزلت هذه الآية وهي قوله: ﴿والذين﴾ الآية وقال ﷺ: «ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم ويصلي ثم يستغفر الله إلا غفر الله له».

- روي - أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام [ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل يا موسى كيف أجود برحمتي على من يبخل بطاعتي]. وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة، وعن رابعة البصرية أنها كانت تنشد:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

قال القشيري رحمه الله: أوحى الله سبحانه إلى موسى عليه السلام: [قل للظلمة حتى لا يذكروني فإني أوجبت أن أذكر من يذكرني وذكري للظلمة باللعنة].

واعلم أن العمدة هي الإيمان وذلك إنما يحصل بالتوحيد المنافي للشرك وهو المؤدي إلى التوبة والاستغفار ولكونه عمدة عد المؤمن الموحد من المتقين وصار سبباً لدخول الجنة، فينبغي للعبد أن يصرف اختياره إلى جانب الامتثال للأمر والاجتناب عن النهي فالله تعالى خالقه وإن كان التوفيق إلى جانب العمل أيضاً من عنايته تعالى.

نخست أو أرادت بدل درنهاد پس اين بنده برآستان سرنهاد

وفقني الله وإياكم إلى ما يحب ويرضى ويداوي بلطفه وكرمه هذه القلوب المرضى فإن

بيده مفاتيح الإصلاح والفوز بالبغية والظفر بالفلاح.

شنيدستم كه إبراهيم ادهم ... شبى بر تخت دولت خفت خرم
زسقف خود شنيد آواز پايى ... زجا برجست چون آشفته رايى
بتندى كفت أوكين كيست بربام ... كه دارد بر سپهر قصر ما كام
جواب آمد كه أي شاه جهانكير ... شتركم كرده مرد مفلسم پير
زخنده كشت شه برجاي خودست ... كه بربام آدمى هركز شترجست
دكربار پاسخ آمد كاى جوان بخت ... خدا جويى كسى كردست برتخت
خدا جويى وخورد وخواب وآرام ... شتر جويى بود بر كوشه بام
چو بشنيد اين پيام از هاتف غيب ... فراغت كرد ازدنيا بلا ريب
رسيد ازراه تجريدى بمنزل ... پس از ادبارشد مقبول ومقبل

فالواجب على طالب الحق أن يحفظ الأدب حتى يرتقي بذلك إلى أعلى الرتب ألا ترى إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف كان يستغفر كل يوم سبعين مرة مع أن ذنبه كان مغفوراً وبكمال أدبه وصل إلى ما وصل حتى صار أتباعه سبباً لمحبة الله تعالى كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] ومع ذلك كان خوفه وإجلاله في غاية الكمال وهكذا ينبغي لمن اقتدي به. ورتبة المحسن وإن كانت أولى لكن التدارك أحسن من الإصرار فطوبى لمتدارك وصل إلى الإحسان وأجير نال إلى المحبوبية عند الله الرحمٰن.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾

﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ أصل الخلو الانفراد والمكان الخالي هو المنفرد عمن يسكن فيه ويستعمل أيضاً في الزمان الماضي لأن ما مضى انفرد عن الوجود وخلا عنه وكذا الأمم الخالية والسنن الوقائع أي قد مضت من قبل زمانكم وقائع سنها الله في الأمم المكذبة أي وضعها طريقة يسلكها على وفق الحكمة فالمراد بسنن الله تعالى معاملات الله في الأمم بالهلاك والاستئصال بدليل قوله تعالى: **﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾** **﴿فسيروا في الأرض﴾** أي إن شككتم في ذلك فسيروا وليس المراد الأمر بالمسافرة في الأرض بسير الاقدام لا محالة بل المقصود تعرف أحوالهم فإن حصلت المعرفة بغير السير حصل المقصود ولعل اختيار لفظ سيروا مبني على أن أثر المشاهدة أقوى من أثر السماع كما قيل ليس الخبر كالمعاينة وفي هذا المعنى قيل:

إن آثارنا تدل علينا ... فانظروا بعدنا إلى الآثار

﴿فانظروا﴾ بنظر العين والمشاهدة **﴿كيف﴾** خبر مقدم لكان معلق لفعل النظر والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض لأن الأصل استعماله بالجار **﴿كان عاقبة المكذبين﴾** رسلي وأوليائي.

﴿هذا﴾ إشارة إلى ما سلف من قوله قد خلت الخ **﴿بيان للناس﴾** وهم المكذبون أي إيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فإن الأمر بالسير والنظر وإن كان خاصاً بالمؤمنين

لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين أيضاً على أن ينظروا إلى عواقب ما قبلهم من أهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينون من آثار دمارهم وإن لم يكن الكلام مسوقاً لهم والبيان هو الدلالة على الحق في أي معنى كان بإزالة ما فيه من الشبهة ﴿**وهدى**﴾ أي زيادة بصيرة وهو مختص بالدلالة والإرشاد إلى طريق الدين القويم والصراط المستقيم ليتدين به ويسلك ﴿**وموعظة**﴾ وهو الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في الدين ﴿**للمتقين**﴾ أي لكم والإظهار للإيذان بعلة الحكم فإن مدار كونه هدى وموعظة لهم إنما هو تقواهم.

واعلم أن الأمم الماضية خالفوا الأنبياء والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم أثر وبقي عليهم اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة فرغب الله تعالى أمة محمد ﷺ المصدقين في تأمل أحوال هؤلاء الماضين ليصير ذلك داعياً لهم إلى الإنابة والإعراض عن الاغترار بالحظوظ الفانية واللذات المقتضية فإن الدنيا لا تبقى مع المؤمن ولا مع الكافر فالمؤمن يبقى له بعد موته الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى والكافر بخلافه فاللائق أن يجتهد فيما هو خير وأبقى ولا ينظر إلى زخارف الدنيا. ثم في هذا تسلية للمؤمنين فيما أصابهم يوم أحد فإن الكفار وإن نالوا من المؤمنين بعض النيل لحكمة اقتضته فالعاقبة للمؤمنين قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١- ١٧٣]، و﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] ولو كانت الغلبة كل مرة للمؤمنين لصار الإيمان ضرورياً وهو خلاف ما تقتضيه الحكمة الإلهية. فعلى العاقل أن يفوض الأمر إلى الله ويعتبر بعين البصيرة في الأمور الخفية والجلية وقد قال الله تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

نرود مرغ سوى دانه فراز چون دكر مرغ بيند اندر بند

پندكير از مصائب دكران تانكيرند ديكران زتو پند

والخوف من العاقبة من الصفات السنية للصلحاء.

ـ روي ـ أنه يعذب الرجل في النار ألف سنة ثم يخرج منها إلى الجنة قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: يا ليتني كنت ذلك الرجل وإنما قال الحسن ذلك لأنه يخاف عاقبة أمره وهكذا كان الصالحون يخافون عاقبة أمرهم وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك» قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله إنك لتكثر القول بهذا الدعاء فهل تخشى؟ قال رسول الله ﷺ: «ما يؤمنني يا عائشة وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمٰن فإذا أراد أن يقلب قلباً قلبه». قال السدي إني لأنظر في المرآة كل يوم مراراً مخافة أن يكون قد اسود وجهي.

والإشارة في الآيتين أن الله خص السائرين إلى الله بالمهاجرة عن الأوطان والمسافرة إلى البلدان بمفارقة الخلان والأخدان ومصاحبة الإخوان غير الخوّان ليعتبروا من سنن أهل السنن فقال تعالى: ﴿**قد خلت من قبلكم سنن**﴾ أي أمم لهم سنن ﴿**فسيروا**﴾ على سنن أهل السنة ﴿**في الأرض**﴾ في أرض نفوسكم الحيوانية بالعبور عن أوصافها الدنية وأخلاقها الردية لتبلغوا سماء قلوبكم الروحانية وتتخلقوا بالأخلاق الربانية ﴿**فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**﴾ أي كيف صار حاصل أمر النفوس الكذبة بهذه المقامات الروحانية والمكاشفات الربانية عند الوصول إليها ﴿**هذا بيان للناس**﴾ أي لأهل الغفلة والغيبة الناسين عهد الميثاق ﴿**وهدى وموعظة**

للمتقين﴾ أي وعيان لأهل الهداية والشهود الذاكرين للعهود الذين اتعظوا بالتجارب والتقوى عما سوى الله تعالى. قال بعض العلماء: يا مغرور امسك وقس يومك بأمسك واتعظ بمن مضى من أبناء جنسك فإنك بك قد خللت في رمسك أين من أسخط مولاه بنيل ما يهواه أين من أفنى عمره في خطاياه فتذكر أنت أيها الغافل مصارعهم وانظر مواضعهم هل نفعهم رفيق رافقوه أو منعهم أما خلوا بخلالهم أما انفردوا بأعمالهم فستصير في مصيرهم فتدبر أمرك وستسكن في مثل مساكنهم فاعمر قبرك يا مسروراً بمنزله الرحب الأنيق ستفارقه يا مشمئزاً من التراب ستعانقه اعتبر بمن سبقك فأنت لاحقه واذكر العهد الأزلي فزك نفسك حياء من الله لعلك تصل إلى ما تهواه من جنات وعيون ومقام كريم ووصال إلى رب رحيم قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠] فما ذا يقعدك عن رفقة الصالحين وهل ترضى لنفسك يا مسكين أن تقف في مقام الجهال المعتدين أما علمت أنك غداً تدان كما تدين أصلح الله أحوالنا وصحح أقوالنا وأفعالنا وأعطانا آمالنا وختمنا بالخير إذا بلغنا آجالنا.

﴿ولا تهنوا﴾ من الوهن وهو الضعف أي لا تضعفوا عن الجهاد بما أصابكم من الجراح يوم أحد ﴿ولا تحزنوا﴾ على من قتل منكم وهي صيغة نهي ورد للتسكين والتصبير لا النهي عن الحزن ﴿وأنتم الأعلون﴾ أي والحال أنكم الأعلون الغالبون دون عدوكم فإن مصير أمرهم إلى الدمار حسبما شاهدتم في أحوال أسلافهم لأن الباطل يكون زهوقا وأصله أعليون فكرهوا الجمع بين أخت الكسرة والضمة ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ والجواب محذوف دل عليه المذكور أي إن كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا فإن الإيمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة بأعدائه ولا يتعلق بالنهي المذكور لأن الجزاء لا يتقدم على الشرط لكونهما كالكلمة الواحدة.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

﴿إن يمسسكم﴾ أي يصبكم ﴿قرح﴾ فتحاً وضماً أي جراحة ﴿فقد مس القوم﴾ أي الكفار ببدر ﴿قرح مثله﴾ قيل قتل المسلمون من الكافرين ببدر سبعين وأسروا سبعين وقتل الكافرون من المسلمين بأحد سبعين وأسروا سبعين والمعنى إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فأنتم أولى بأن لا تضعفوا فإنكم ترجون من الله ما لا يرجون ﴿وتلك الأيام﴾ إشارة إلى الأيام الجارية فيما بين الأمم الماضية والآتية كافة لا إلى المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم أحد بل هي داخلة فيها دخولاً أولياً والمراد بها أوقات الظفر والغلبة ﴿نداولها بين الناس﴾ ونصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى كقول من قال:

فيوماً علينا ويوماً لنا ويوماً نساء ويوماً نسرّ

والمداولة نقل الشيء من واحد إلى واحد وقالوا تداولته الأيدي أي تناقلته وليس المراد من هذه المداولة أن الله تعالى تارة ينصر المؤمنين وأخرى ينصر الكافرين وذلك لأن نصره تعالى منصب شريف فلا يليق بالكافر بل المراد أنه تعالى تارة يشدد المحنة على الكفار وأخرى على المؤمنين وأنه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الأوقات وأزالها عن المؤمنين في

جميع الأوقات لحصل العلم الضروري والاضطراري بأن الإيمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا المعنى تارة يسلط الله المحنة على أهل الإيمان وأخرى على أهل الكفر لتكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل الدالة على صحة الإسلام فيعظم ثوابه عند الله ولأن المؤمن قد يقدم على بعض المعاصي فيكون إما تشديد المحنة عليه في الدنيا أدباً له وإما تشديد المحنة على الكافر فإنه يكون غضباً من الله ﴿**وليعلم الله الذين آمنوا**﴾ عطف على علة محذوفة أي نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم الله إيذاناً بأن العلة فيما فعل غير واحدة وإنما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم وهو إما من باب التمثيل أي ليعاملكم معاملة من يريد أن يعلم المخلصين الثابتين على الإيمان من غيرهم أو العلم فيه مجاز عن التمييز بطريق إطلاق اسم السبب على المسبب أي ليميز الثابتين على الإيمان من غيرهم أو هو على حقيقة معتبرة من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث إنه موجود بالفعل إذ هو الذي يدور عليه فلك الجزاء لا من حيث إنه موجود بالقوة فالمعنى ليعلم الله الذين آمنوا علماً يتعلق به الجزاء ﴿**ويتخذ منكم شهداء**﴾ جمع شهيد أي ويكرم ناساً منكم بالشهادة وهم شهداء أحد ﴿**والله لا يحب الظالمين**﴾ ونفي المحبة كناية عن البغض أي يبغض الذين يضمرون خلاف ما يظهرون أو الكافرين وهو اعتراض. وفيه تنبيه على أنه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وإنما يغلبهم أحياناً استدراجاً لهم وابتلاء للمؤمنين.

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾

﴿**وليمحص الله الذين آمنوا**﴾ عطف على يتخذ أي ليصفيهم ويطهرهم من الذنوب إن كانت الدولة عليهم ﴿**ويمحق الكافرين**﴾ ويهلكهم إن كانت عليهم. والمحق نقص الشيء قليلاً قليلاً والمراد بهم الذين حاربوا رسول الله ﷺ يوم أحد وأصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعاً. قال القاشاني: ومن فوائد الابتلاء خروج ما في استعداداتهم من الكمالات إلى الفعل كالصبر والشجاعة وقوة اليقين وقلة المبالاة بالنفس واستيلاء القلب عليها والتسليم لأمر الله وأمثالها.

قال نجم الدين الكبرى ﴿**ولا تهنوا**﴾ يا سائرين إلى الله في السير إليه ﴿**ولا تحزنوا**﴾ على ما فاتكم من التنعمات الدنيوية والكرامات الأخروية ﴿**وأنتم الأعلون**﴾ من أهل الدنيا والآخرة في المقام عند ربكم ﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾ مصدقين بهذه الأخبار تصديق الائتمار به ﴿**إن يمسسكم قرح**﴾ في أثناء السير من المجاهدات وأنواع البلاء والابتلاء ﴿**فقد مس القوم**﴾ من الأنبياء والأولياء ﴿**قرح**﴾ من المحن ﴿**مثله وتلك الأيام**﴾ وأيام المحن والبلاء والابتلاء والامتحان ﴿**نداولها بين الناس**﴾ بين السائرين يوماً نعمة ويوماً نقمة ويوماً منحة ويوماً محنة ﴿**وليعلم الله الذين آمنوا**﴾ وليختبرهم الله بالامتحان ويجعلهم مستعدين لمقام الشهادة ﴿**ويتخذ منكم شهداء**﴾ يا مبتلين بالنعمة والنقمة في أثناء السير أرباب الشهود والمشاهدة ﴿**والله لا يحب الظالمين**﴾ الذين يصرفون استعدادهم في طلب غير الحق والسير إليه ﴿**وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين**﴾ يعني أن كل غم وهم ومصيبة تصيب المؤمنين في الله يكون تكفيراً لذنوبهم وتطهيراً لقلوبهم وتخليصاً لأرواحهم وتمحيصاً لأسرارهم وما يصيب الكافرين من نعمة

ودولة وحبور يكون سبباً لكفرانهم ومزيداً لطغيانهم وعمى لقلوبهم وتمردا لنفوسهم ومحقاً لأرواحهم وسحقاً لأسرارهم فأهل المحبة والمعرفة لا يخلون عن الابتلاء بقلة أو ذلة أو علة فإن مقتضى الحكمة ذلك ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «أشد البلاء على الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل».

ـ حكي ـ أن عيسى عليه السلام اجتاز جبلاً فيه عابد يعبد الله عند عين من ماء لطهارته وشربه وبستان ينبت له الهندباء لقوته فسلم عليه المسيح فرد السلام عليه فقال له: منذ كم أنت هٰهنا تعبد الله؟ قال: منذ ثمانين سنة أسأل حاجة من الله فلم يقضها لي فقال عيسى: وما هي؟ قال: أن يسكن قلبي ذرة من معرفته ومحبته فلا يفعل وأنت نبيه فسل لي هذه الحاجة فتوضأ عيسى من العين وصلى ركعتين وسأل حاجته ثم مضى وبقي ما بقي في سفره فلما رجع إلى ذلك المكان رآه خالياً والعين غائرة والبستان خراب فقال: يا رب سألتك له المعرفة والمحبة قبضت روحه فأوحى الله إليه يا عيسى أما علمت أن خراب الدنيا في محبتي ومعرفتي ومن عرفني وأحبني لا يسكن إلا إليّ ولا يقر قراراً فإن أحببت أن تراه فأشرف عليه في هذا الوادي فأشرف عليه فإذا هو جالس قد ذهل وتحير وخرج لسانه على صدره شاخصاً ببصره نحو السماء فناداه عيسى والعابد لا يسمع فناداه وحركه فلم يشعر فأوحى الله إلى عيسى فوعزتي وجلالي لو قطعته بالسيف ما شعر به لأني أسكنت قلبه معرفتي ومحبتي وهو أقل من ذرة ولو زدته أدنى شيء لطار بين السماء والأرض وطاش فانظر إلى أهل الله كيف تكون دنياهم خراباً لا يخلون من البلايا فاجتهد أنت أيضاً أيها العبد في تصحيح الدين لعلك تصل إلى مقام اليقين والتمكين والمجاهدة تورث المشاهدة.

چو يوسف كسى در صلاح وتميز ... بسى سال بايدكه كردد عزيز

﴿أم حسبتم﴾ أم منقطعة والهمزة للإنكار والاستبعاد والحسبان الظن والخطاب للذين انهزموا يوم أحد أي بل أظننتم ﴿أن تدخلوا الجنة﴾ وتفوزوا بنعيمها ﴿ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ حال من ضمير تدخلوا مؤكدة للإنكار فإن رجاء الأجر بغير عمل بعيد ممن يعلم أنه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم أي لما تجاهدوا لأن وقوع الشيء يستلزم كونه معلوماً لله ونفي اللازم يستلزم نفي الملزوم فنزل نفي العلم منزلة نفي الجهاد للتأكيد والمبالغة لأن انتفاء اللازم برهان على انتفاء الملزوم وفيه إشعار بأن علمه بالأشياء على ما هي عليه ضروري يقول الرجل: ما علم الله في فلان خيراً يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم إلا أن فيه ضرباً من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل تقول وعدني أن يفعل كذا ولما يفعل أي لم يفعل وأنا أتوقع فعله ﴿ويعلم الصابرين﴾ نصب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع والمعنى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة والحال أنه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر على الشدائد أي الجمع بينهما فلا ينبغي أن تحسبوا دخولها كما دخل الذين قتلوا وبذلوا مهجتهم وثبتوا على ألم الجراح والضرب من غير أن تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم ومن البعيد أن يصل الإنسان إلى السعادة والجنة مع عدم أعمال هذه الطاعة.

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ

خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿ولقد كنتم تمنون الموت﴾ أي الحرب فإنها من مبادي الموت أو الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدراً وكانوا يتمنون أن يشهدوا مع رسول الله ﷺ مشهداً لينالوا ما ناله شهداء بدر من الكرامة فألحوا على رسول الله ﷺ في الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك **﴿من قبل أن تلقوه﴾** أي من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته **﴿فقد رأيتموه﴾** أي ما تتمنونه من أسباب الموت أو الموت بمشاهدة أسبابه **﴿وأنتم تنظرون﴾** معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من إخوانكم وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم لا على تمني الشهادة بناء على أن في تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم لأن قصد متمني الشهادة إلى نيل كرامة الشهداء من غير أن يخطر بباله شيء غير ذلك فلا يستحق العتاب من تلك الجهة كما أن من يشرب دواء الطبيب النصراني يقصد إلى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة وإحساناً إلى عدو الله وتنفيقاً لصناعته.

واعلم أن حاصل الكلام أن حب الدنيا لا يجتمع مع سعادة الآخرة فبقدر ما يزداد أحدهما ينتقص الآخر وذلك لأن سعادة الدنيا لا تحصل إلا باشتغال القلب بطلب الدنيا وسعادة الآخرة لا تحصل إلا بفراغ القلب من كل ما سوى الله وامتلائه من حب الله وهذان الأمران مما لا يجتمعان فلهذا السر وقع الاستبعاد الشديد في هذه الآية من اجتماعهما. وأيضاً حب الله وحب الآخرة لا يتم بالدعوى فليس كل من أقر بدين الله كان صادقاً ولكن الفصل فيه تسليط المكروهات والمحرمات فإن الحب هو الذي لا ينتقص بالجفاء ولا يزداد بالوفاء فإن بقي الحب عند تسلط أسباب البلاء ظهر أن ذلك الحق كان حقيقياً فلهذه الحكمة قال: **﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة﴾** بمجرد تصديقكم الرسول قبل أن يبتليكم الله بالجهاد وتشديد المحنة. قال القشيري رحمه الله: من ظن أنه يصل إلى محل عظيم دون مقاساة الشدائد ألقته أمانيه في مهواة الهلاك وأن من عرف قدر مطلوبه سهل عليه بذل مجهوده قال الشاعر:

وما جاد دهر بلذاته ... على من يضن بخلع العذار

فالدولة العظمى هي سعادة الآخرة فإنها باقية ودولة الدنيا فانية كما قيل:

جهان مثال چراغيست در كذركه باد ... غلام همت آنم كه دل برو ننهاد

وسئل الشبلي عن نعت العارف فقال: لسانه بذكر الله ناطق وقلبه بحجة الله صادق وسره بوعد الله واثق وروحه إلى سبيل الله سابق وهو أبداً على الله عاشق فلا بد لأن يكون المرء من العارفين من ترك الدعوى والإقبال إلى المولى وبذل الروح في طريقه.

ـ حكي ـ عن حاتم الأصم أنه قال: لقينا الترك وكان بيننا صولة فرماني تركي بوهق فأقبلني عن فرسي ونزل عن دابته وقعد على صدري وأخذ بلحيتي هذه الوافرة وأخرج من خفه سكيناً ليذبحني قال: فوحق سيدي ما كان قلبي عنده ولا عند سكينه وأنا ساكت متحير أقول سيدي أسلمت نفسي إليك إن قضيت على أن يذبحني هذا فعلى الرأس والعين أما أنا لك وملكك فبينا أنا أخاطب سيدي وهو قاعد على صدري إذ رماه بعض المسلمين بسهم فما أخطأ

حلقه فسقط عني فقمت أنا إليه فأخذت السكين من يده فذبحته بها فيا هؤلاء لتكن قلوبكم عند السيد حتى ترون من عجائب لطفه ما لا ترون من الآباء والأمهات واعلموا أن من صبر واستسلم ظفر ومن فرّ اتبع فلم يتخلص ونعم العون الصبر عند الشدائد:

تحمل چو زهرت نمايد نخست ولى شهد كردد چو در طبع رست
زعلت مدار أي خردمند بيم چو داروى تلخت فرستد حكم

ثبتنا الله وإياكم.

﴿وما محمد﴾ هو المستغرق لجميع المحامد لأن الحمد لا يستوجبه إلا الكامل والتحميد فوق الحمد فلا يستحقه إلا المستولي على الأمد في الكمال وأكرم الله نبيه وصفيه باسمين مشتقين من اسمه جل جلاله محمد وأحمد ﴿إلا رسول﴾.

ـ روي ـ أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى الشعب من أحد في سبعمائة رجل جعل عبد الله بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين راجلاً وقال: «أقيموا بأصل الجبل وادفعوا عنا بالنبل لا يأتوننا من خلفنا ولا تنتقلوا من مكانكم حتى أرسل إليكم فلا نزال غالبين ما دمتم في مكانكم» فجاء المشركون ودخلوا في الحرب مع النبي عليه السلام وأصحابه حتى حميت الحرب فأخذ رسول الله ﷺ سيفاً وقال: «من يأخذه بحقه» فأخذه أبو دجانة فقاتل في نفر من المسلمين قتالاً شديداً وقاتل علي بن أبي طالب حتى التوى سيفه وقاتل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وكان النبي عليه السلام يقول لسعد «ارم فداك أبي وأمي» فحمل هو وأصحابه على المشركين فأنزل الله نصره عليهم فهزموا المشركين فلما نظر الرماة إلى قوم هاربين أقبلوا على النهب بترك مركزهم فقال لهم عبد الله بن جبير: لا تبرحوا مكانكم فقد عهد إليكم نبيكم فلم يلتفتوا إلى قوله فجاؤوا لأجل الغنيمة فبقي عبد الله بن جبير مع ثمانية نفر فخرج خالد بن الوليد مع خمسين ومائتي فارس من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقي من الرماة ودخلوا خلف أقفية المسلمين فهزموهم ورمي ابن قميئة النبي عليه السلام بحجر فكسر رباعيته وشجه وفيه يقول حسان بن ثابت:

ألم تر أن الله أرسل عبده ببرهانه والله أعلى وأمجد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

وتفرق عنه أصحابه وحمل ابن قميئة لقتل النبي عليه السلام فذب عنه مصعب بن عمير صاحب الراية يومئذٍ فقتله ابن قميئة ورجع فظن أنه كان قتل النبي عليه السلام فقال: قتلت محمداً وصرخ صارخ ألا إن محمداً قد قتل وكان ذلك إبليس فرجع أصحابه منهزمين متحيرين فأقبل أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وطلحة بن عبد الله في رجال من المهاجرين والأنصار فقال لهم ما يحبسكم قالوا: قتل محمد ﷺ فقال ما تصنعون في الحياة بعده موتوا كراماً على ما مات عليه نبيكم ثم أقبل نحو العدو فقاتل حتى قتل قال كعب بن مالك أنا أول من عرف رسول الله ﷺ من المسلمين رأيت عينيه من تحت المغفر تزهران ينادي بأعلى صوته «إليّ عباد الله إليّ عباد الله» فاجتمعوا إليه فلامهم رسول الله على هزيمتهم فقالوا: يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر سوء فرعبت قلوبنا له فولينا مدبرين فوبخهم الله تعالى بقوله: ﴿وما محمد إلا رسول﴾ كسائر الرسل ﴿قد خلت من قبله الرسل﴾ فسيخلوا كما خلوا وكما أن أتباعهم بقوا متمكسين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن

تتمسكوا بدينه بعد خلوه لأن الغرض من بعثة الرسول الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ إنكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين بخلوه عليه السلام بموت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به ﴿ومن ينقلب على عقبيه﴾ بإدباره عما كان يقبل عليه رسول الله ﷺ من أمر الجهاد وغيره ﴿فلن يضر الله﴾ بما فعل من الانقلاب ﴿شيئا﴾ أي شيئاً من الضرر وإنما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب والله منزه عن النفع والضرر ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾ أي الثابتين على دين الإسلام الذي هو أجل نعمة وأعز معروف سموا بذلك لأن الثبات عليه شكر له وإيفاء لحقه وفيه إيماء إلى كفران المنقلبين. ولما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اضطرب المسلمون فمنهم من دهش ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام ومنهم من أنكر موته بالكلية حتى غفل عمر رضي الله عنه عن هذه الآية الكريمة عند وفاته ﷺ وقام في الناس فقال: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أنه عليه السلام توفي إن رسول الله ﷺ ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله ﷺ ولأقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمونه أن رسول الله ﷺ مات ولم يزل يكرر ذلك إلى أن قام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا ﴿وما محمد إلا رسول﴾ قال الراوي: والله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه فاستيقن الناس كلهم بموته ﷺ وكانت الجمادات تتصدع من ألم مفارقة الرسول فكيف بقلوب المؤمنين ولما فقده الجذع الذي يخطب عليه قبل اتخاذ المنبر حن إليه وصاح كما يصيح الصبي فنزل إليه فاعتنقه فجعل يهدي كما يهدي الصبي الذي يسكن عند بكائه وقال: «لو لم أعتنقه لحن إلى يوم القيامة» ما أمرّ عيش من فارق الأحباب خصوصاً من كانت رؤيته حياة الألباب ولما ثقل النبي عليه السلام جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة رضي الله عنها واكرب أبتاه فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه جنة الفردوس مأواه فلما دفن قالت فاطمة يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على نبيكم التراب» وعاشت فاطمة بعد موته ﷺ ستة أشهر ثم ماتت.

جهان اى برادر نماند بكس دل اندر جهان آفرين بندوبس

فعلى العاقل أن يتدارك حاله قبل منيته حتى لا يفتضح عند رؤوس الخلائق يوم القيامة وكيف لا يسارع إلى الأعمال الصالحة من يعلم أن يوم القيامة يوم يفزع فيه الأنبياء والأولياء.

دران روز كز فعل پرسند وقول أولو العزم راتن بلرزد زهول
بجايى كه وحشت خورد انبيا توعذر كنه را چه داري بيا

يعني بأي عذر ترتكب الآثام ولا تبالي بحالك ثم إن الخلاص والفوز بالمرام في الإيمان التحقيقي.

قال الشيخ نجم الدين الكبرى: الإشارة في الآية أن الإيمان التقليدي لا اعتبار له فينقلب المقلد عن إيمانه عند عدم المقلد به فمن كان إيمانه بتقليد الوالدين أو الأستاذ أو أهل البلد ولما يدخل الإيمان في قلبه ولم ينشرح صدره بنور الإسلام فعند انقطاعه بالموت عن هذه الأسباب المقلدة يعجز عن جواب سؤال الملكين في قولهما من ربك فيقول هاه لا أدري وإذ

يقولان ما تقول في هذا الرجل فيقول هاه لا أدري كنت أقول فيه ما قال الناس فيقولان له لا دريت ولا تليت:

زدانند كان بشنو امروز قول كه فردا نكيرت بپرسد بهول
غنيمت شمار اين كرامى نفس كه بيمرغ قيمت ندارد قفس

يعني البدن ليس له قدر بدون الروح فلا بد أن يغنم العاقل أنفاسه قبل أن يخرج الروح من قفصه.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله﴾ استثناء مفرغ من أعم الأسباب أي وما كان الموت حاصلاً لنفس من النفوس بسبب من الأسباب إلا بمشيئته تعالى أو إلا بإذنه لملك الموت في قبض روحها والمعنى أن لكل نفس أجلاً مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالإحجام عن القتال والإقدام عليه. وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد الرسول بالحفظ وتأخير الأجل ورد على المنافقين قولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فالمجاهد لا يموت بغير أجله والمتخلف عنه لا يسلم مع حضور أجله:

بروز أجل نيزه جوشن درد ز پيراهن بى أجل نكذرد

﴿كتاباً﴾ مصدر مؤكد لما قبله إذ المعنى كتب الموت كتاباً **﴿مؤجلا﴾** موقتاً بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ولو ساعة وبعد تحقيق أن مدار الموت والحياة على محض مشيئة الله من غير أن يكون فيه مدخل لأحد أصلاً أشير إلى أن توفية ثمرات الأعمال دائرة على إرادتهم ليصرفوها عن الأعراض الدنية إلى المطالب السنية فقيل: **﴿ومن يرد﴾** أي بعمله **﴿ثواب الدنيا نؤته منها﴾** أي من ثوابها ما نشاء أن نؤتيه إياه. وفيه تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم أحد **﴿ومن يرد ثواب الأخرة نؤته منها﴾** أي من ثوابها ما نشاء من الأصناف حسبما جرى به الوعد الكريم **﴿وسنجزي الشاكرين﴾** نعمة الإسلام الثابتين عليه الصارفين ما آتاهم الله من القوى والقدر إلى ما خلقت هي لأجله من طاعة الله لا يلويهم عن ذلك صارف أصلاً. ويدخل في جنس الشاكرين المجاهدون المعهودون من الشهداء في أحد وغيرهم والآية وإن وردت في الجهاد خاصة لكنها عامة في جميع الأعمال وذلك لأن المؤثر في طلب الثواب والعقاب المقصود والدواعي لا ظواهر الأعمال فإن من وضع الجبهة على الأرض في صلاة الظهر والشمس قدامه فإن قصد بذلك السجود عبادة الله كان ذلك من أشرف دعائم الإسلام وإن قصد به عبادة الشمس كان ذلك من أعظم دعائم الكفر. وروى أبو هريرة عنه عليه الصلاة والسلام «أن الله تعالى يقول يوم القيامة لمن قتل في سبيل الله فيماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت بل أردت أن يقال فلان محارب وقد قيل ذلك ثم إن الله تعالى يأمر به إلى النار» فالمقاتل في سبيل الله تحقيقاً هو الذي يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا لا للذكر الجميل وإراءة المكان وإصابة الغنيمة.

عبادت بإخلاص نيت نكوست وكرنه چه آيد زبى مغز پوست
بروى ريا خرقه سهلست دوخت كرش باخدا درتواني فروخت

قال رسول الله ﷺ: «من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه شمله ولا يأتيه منها إلا ما كتب له» وقال أيضاً: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه» فمن عمل شوقاً إلى الجنة فقد رأى نعمة الجنة فثوابه في الآخرة ومن عمل شوقاً إلى الحق فقد رأى نعمة وجود المنعم فثوابه في الدنيا لأنه حاضر لا غيبة له قريب لا يبعد وهو معكم أينما كنتم وقال: «ألا من طلبني وجدني ومن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً».

خليليّ هل أبصرتما أو سمعتما ... بأكرم من مولى تمشى إلى عبد
أتى زائراً من غير وعد وقال لي ... أجلك عن تعذيب قلبك بالوعد

فعلى السالك أن يهاجر إلى الله ويجاهد من غير أن يخاف لومة لائم حتى يصل إلى الله ويتخلص من الاضطرار.

قال القاشاني في تأويلاته: من كان موقناً لسر القدر شاهداً لمعنى قوله تعالى: **﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله﴾** كان من أشجع الناس.

- حكي - عن حاتم الأصم أنه شهد مع شقيق البلخي بعض غزوات خراسان قال: فلقيني شقيق وقد حمي الحرب فقال: كيف تجد قلبك يا حاتم قلت: كليلة الزفاف لا أفرق بين الحالتين فوضع سلاحه وقال: أما أنا فهكذا ووضع رأسه على ترسه ونام بين المعركة حتى سمع غطيطه وهذا غاية في سكون القلب إلى الله تعالى ووثوقه به انتهى فإذا صحح العبد باطنه يسهل الله عليه كل عسير ويسخر له كل ما يخاف منه.

- حكي - عن إبراهيم الرقي أنه قال: قصدت أبا الخير الخراساني مسلماً عليه فصلى صلاة المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستوياً فقلت في نفسي: ضاعت سفرتي فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدني السبع فعدت إليه وقلت: إن الأسد قصدني فخرج وصاح على الأسد وقال: ألم أقل لك لا تتعرض لأضيافي فتنحى فتطهرت فلما رجعت قال: اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الأسد واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الأسد.

أوليا محبوب الله است دان ... كس نيازارد حبيبش درجهان

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾

﴿وكأين﴾ أصله: أي دخلت الكاف عليها فحدث فيها معنى التكثير فهي بمعنى كم الخبرية **﴿من نبي﴾** تمييز لها والغالب في تمييزها أن يكون مجروراً بمن ولم يجىء في التنزيل إلا كذا وجره ممتنع لأن آخره تنوين وهو لا يثبت مع الإضافة **﴿قاتل معه ربيون كثير﴾** خبر لقوله: كأين لأنها مبتدأ والفعل مسند إلى ظاهره. والربي منسوب إلى الرب كالرباني وكسر الراء من تغييرات النسب فإن العرب إذا نسبت شيئاً إلى شيء غيرت كما قالوا بصري في النسبة إلى بصرة أو منسوب إلى الربة وهي الجماعة والمعنى كثير من الأنبياء قاتل معه لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه علماء أتقياء أو جماعات كثيرة **﴿فما وهنوا﴾** عطف على قاتل أي فما فتروا وما

انكسرت همتهم ﴿لما أصابهم﴾ في أثناء القتال وهو علة للمنفي دون النفي ﴿في سبيل الله﴾ إن جعل الضميران لجميع الربيين فما في ما أصابهم عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره اللاحقة للكل وإن جعلا للبعض الباقين بعد ما قتل الآخرون فهي عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل إخوانهم والخوف والحزن وغير ذلك ﴿وما ضعفوا﴾ عن العدو أو الجهاد أو في الدين ﴿وما استكانوا﴾ أي وما خضعوا للعدو. وأصله استكن من السكون لأن الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والألف لإشباع الفتحة. أو استكون من الكون لأنه يطلب أن يكون لم يخضع له وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والإرجاف بقتل النبي عليه السلام وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بابن أبي المنافق في طلب الأمان من أبي سفيان ﴿والله يحب الصابرين﴾ أي على مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره في سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿وما كان قولهم﴾ بالنصب خبر لكان واسمها أن وما بعدها في قوله تعالى: ﴿إلا أن قالوا﴾ والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء أي ما كان قولاً لهم عند لقاء العدو واقتحام مضايق الحرب وإصابة ما أصابهم من فنون الشدائد والأهوال شيء من الأشياء إلا أن قالوا ﴿ربنا اغفر لنا ذنوبنا﴾ أي صغائرنا ﴿وإسرافنا في أمرنا﴾ أي تجاوزنا الحد في ارتكاب الكبائر أضافوا الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين برآء من التفريط في جنب الله هضماً لها واستقصاراً لهم وإسناداً لما أصابهم إلى أعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الأهم بحسب الحال من الدعاء بقولهم ﴿وثبت أقدامنا﴾ أي في مواطن الحرب بالتقوى والتأييد من عندك أو ثبتنا على دينك الحق ﴿وانصرنا على القوم الكافرين﴾ تقريباً له إلى حيز القبول فإن الدعاء المقرون بالخضوع الصادر عن زكاء وطهارة أقرب إلى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين على هذا الدعاء من غير أن يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والتزلزل في مواقف الحرب ومراصد الدين. وفيه من التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى.

﴿فآتاهم الله﴾ بسبب دعائهم ذلك ﴿ثواب الدنيا﴾ أي النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل ﴿وحسن ثواب الآخرة﴾ أي وثواب آخرة الحسن وهي الجنة والنعيم المخلد وتخصيص وصف الحسن به للإيذان بفضله ومزيته وأنه المعتد به عنده تعالى: ﴿والله يحب المحسنين﴾ ومحبة الله للعبد عبارة عن رضاه عنه وإرادة الخير به فهي مبدأ لكل سعادة.

والإشارة أن الله تعالى لما زاد لخواص عباده كرامة التخلق بأخلاقه ابتلاهم بقتال العدو وثبتهم عند الملاقاة فاستخرج من معادن ذواتهم جواهر صفاته المكنونة فيها المكرمة بها بنو آدم والصبر والإحسان من صفات الله والله تعالى يحب من تخلق بصفاته ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. قال الإمام في قوله تعالى: ﴿والله يحب المحسنين﴾ فيه لطيفة دقيقة وهي أن هؤلاء اعترفوا بكونهم مسيئين حيث قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا فلما اعترفوا بذلك سماهم الله محسنين كأنه تعالى يقول لهم: إذا عرفت بإساءتك وعجزك فأنا أصفك بالإحسان وأجعلك حبيباً لنفسي حتى يعلم أنه لا سبيل

للعبد إلى الوصول إلى حضرة الله إلا بإظهار الذلة والمسكنة والعجز:

كنون بايدت عذر تقصير كفت | نه چون نفس ناطق ز كفتن بخفت
تو پيش ازعقوبت درعفو كوب | كه سودى ندارد فغان زير چوب

ـ حكي ـ أن آصف بن برخيا أذنب ذنباً يوماً من الأيام فأتى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فقال له: ادع الله أن يغفر لي فدعا فغفر له ثم فعل ثانياً فغفر له بدعائه ثانياً ثم وثم إلى أن أوحى الله إلى سليمان عليه السلام أن لا أجيب دعوتك في حقه إن عاد بعد فلم يمكث أن فعل مرة أخرى فجاء إلى سليمان عليه السلام لكي يدعو فأخبره بأن الله لا يغفر له فرفع الرجل العصا وخرج إلى الصحراء وضرب العصا إلى الأرض ورفع يده وقال: يا رب أنت أنت وأنا أنا أنت العائد بالمغفرة وأنا العائد بالمعصية أنا الضعيف المجرم وأنت الغفور الرحيم إن لم تعصمني من الذنوب فلأعودن ثم لأعودن كررها حتى غشي عليه فأوحى الله إلى سليمان عليه السلام أن قل لابن خالتك إن عدت فأغفر لك ثم أغفر لك ثم أغفر لك وأنا الغفار.

كنونت كه چشمست اشكى ببار | زبان دردهانست عذرى بيار
فراشو چوبينى در صلح باز | كه ناكه درتوبه كردد فراز
مرو زير باركنه اي پسر | كه حمال عاجز بوددر سفر

فلا يغرنك الشيطان بتزيين الدنيا عليك فإنك تعلم فناءها. وأوحى الله إلى داود عليه السلام [إني منزلك وذريتك إلى دار بنيتها على أربعة أركان: أحدها أن أخرب ما تعمرون. والثاني أن أقطع ما تصلون. والثالث أن أميت ما تلدون. والرابع أن أفرق ما تجمعون] ومن الله العصمة والتوفيق إلى سواء الطريق.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى دينكم وإخوانكم ولو كان نبياً لما غلب وقتل فقال تعالى: يا أيها المؤمنون **﴿إن تطيعوا الذين كفروا﴾** وهم المنافقون وصفوا بالكفر قصداً إلى مزيد التنفير عنهم والتحذير من طاعتهم **﴿يردوكم على أعقابكم﴾** يدخلوكم في دينهم أضاف الرد إليهم لدعائهم إليه والارتداد على العقب علم في انتكاس الأمر ومثل في الحور بعد الكور **﴿فتنقلبوا خاسرين﴾** كرامة الدنيا وسعادة الآخرة أما الأولى فلأن أشق الأشياء على العقلاء في الدنيا الانقياد للعدو والتذلل له وإظهار الحاجة إليه وأما الثانية فلأنه يحرم من الثواب المؤيد ويقع في العذاب المخلد.

﴿بل الله مولاكم﴾ أي ليسوا أنصاركم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره فأطيعوه واستغنوا به عن موالاتهم **﴿وهو خير الناصرين﴾** فخصوه بالطاعة والاستعانة.

﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة. والرعب خوف يملأ القلب **﴿بما**

أشركوا بالله﴾ أي بسبب إشراكهم به تعالى فإنه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم **﴿ما لم ينزل به﴾** أي بإشراكه **﴿سلطاناً﴾** أي حجة وبرهاناً وما مفعول بوقوع أشركوا عليه أي آلهة ليس على إشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطاناً وأصل السلطان القوة فسلطان الملك قوته وسلطان المدعي حجته وبها يقوى على دفع المبطل. وفيه إيذان بأن المتبع في الباب هو البرهان السماوي دون الآراء والأهواء الباطلة **﴿ومأواهم﴾** أي ما يأوون إليه في الآخرة **﴿النار﴾** لا ملجأ لهم غيرها **﴿وبئس مثوى الظالمين﴾** والمخصوص بالذم محذوف أي النار وفي جعلها مثواهم بعد جعلها مأواهم نوع رمز إلى خلودهم فيها فإن المثوى مكان الإقامة المنبئة عن المكث وأما المأوى فهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان.

والإشارة أن الله تعالى هو الذي يلقي الرعب والأمن والرغبة والرهبة وغير ذلك في قلوب العباد كما قال عليه السلام: «قلوب العباد بيد الله يقلبها كيف يشاء» وقال: «ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمان إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه» فعلى العبد أن يتضرع إلى الله ويسأل منه الغلبة على النفوس الكافرة خصوصاً النفس الأمارة فإنه إن اتبع هواها وأطاعها في مشتهاها ترده إلى أسفل سافلين البشرية فينقلب خاسراً.

نمي تازد اين نفس سركش چنان كه عقلش تواند كرفتن عنان
كه بانفس وشيطان بر آيد بزور مصاف پلنكان نيايد زمور

قال الشيخ أبو علي الروذبادي قدس سره: دخلت الآفة من ثلاثة: سقم الطبيعة، وملازمة العادة، وفساد الصحبة. فقيل له ما سقم الطبيعة؟ قال: أكل الحرام. فقيل: وما ملازمة العادة؟ قال: النظر والاستماع بالحرام والغيبة. فقيل: فما فساد الصحبة؟ قال: كلما هاج في النفس شهوة تتبعها ومن لم يصحبه في هذا الباب توفيق من ربه كان متروكاً في ظلمة نفسه ألا ترى إلى قوله تعالى: **﴿بل الله مولاكم﴾** أي يخرجكم من ظلمات البشرية إلى أنوار الربوبية فمن اتبع هواه وجعله مولى لنفسه فكيف يصاحبه الخروج من الظلمات وإنما سببه أن ينقطع العبد إلى مولاه الحقيقي ولا يعبد إلا إياه.

- حكي - عن الأصمعي أنه قال: إن فتى جميلاً خرج في سفر له فوقع في فلاة من الأرض وصاحبته امرأة فعشقته فقالت: أيها الفتى هل تحسن شيئاً من الشعر؟ قال: نعم قالت: قل فأنشد:

ولست من النساء ولسن مني ولا أبغي الفجور إلى الممات
فلا لا تطمعي فيما لدينا ولو قد طال سير في الفلاة
فإن الله يبصر فوق عرش ويغضب للفعال الموبقات

قالت: دعنا من شعرك هل تقرأ شيئاً من القرآن؟ قال: نعم قالت: قل فقرأ قول الله تعالى ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢] قالت دعني من قراءتك هذه فرجعت وهي خائبة فانظر إلى حال الفتى وتوقيه عن شهوته كيف صبر عن المعصية والله يحب الصابرين [جوان چست مي بايدكه از شهوت بپرهيزر كه پيرسست رغبت را خود آلت برنمي خيزد] ولذلك قال بعض المشايخ: من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة وذلك لأن الزهد بعد الأربعين بارد لا يثمر نفعاً كثيراً ولا يغرنك هذا الخبر ويحملك على التكاسل فإن المرء لا يصل إلى حيث يسقط عنه الأمر والنهي والغرض هو العبادة إلى أن يأتي

اليقين فالشبان والشيوخ في باب التكليف متساوون وربما يتدارك في الشيخوخة ما لا يتدارك في الشاب، قال الحافظ الشيرازي:

اي دل شباب رفت ونچيدي كلى زعمر پيرانه سربكن هنرى ننك ونام را

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿**ولقد صدقكم الله وعده**﴾ نصب على أنه مفعول ثان لصدق صريحاً أو بنزع الجار أي في وعده. نزلت حين قال ناس من المؤمنين عند رجوعهم إلى المدينة: من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله بالنصر؟ وهو ما وعدهم على لسان نبيه ﷺ من النصر حيث قال للرماة لا تبرحوا مكانكم فإنا لا نزال غالبين ما دمتم في هذا المكان وقد كان كذلك فإن المشركين لما أقبلوا جعل الرماة يرشقون نبلهم والباقون يضربون بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلاً ذريعاً وذلك قوله تعالى: ﴿**إذ تحسونهم**﴾ أي تقتلونهم قتلاً كثيراً فاشياً من حسه إذا أبطل حسه وذلك يكون بالقتل وهو ظرف لصدقكم ﴿**بإذنه**﴾ ملتبسين بمشيئته وتيسيره وتوفيقه حال من فاعل تحسونهم ﴿**حتى**﴾ ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية ﴿**إذا فشلتم**﴾ أي جبنتم وضعف رأيكم أو ملتم إلى الغنيمة فإن الحرص من ضعف القلب ﴿**وتنازعتم في الأمر**﴾ أي في أمر الرسول ﷺ فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون وولوا هاربين والمسلمون على أعقابهم قتلاً وضرباً: فما موقفنا هذا؟ وقال رئيسهم عبد الله بن جبير: لا نخالف أمر الرسول عليه الصلاة والسلام فثبت مكانه في نفر دون العشرة من أصحابه ونفر الباقون للنهب وذلك قوله تعالى: ﴿**وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون**﴾ أي من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما رأى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب وقتلوا أمير الرماة ومن معه من أصحابه وقد سبق وقيد العصيان بما بعده تنبيهاً على عظم المعصية لأنهم لما شاهدوا أن الله تعالى أكرمهم بإنجاز الوعد كان من حقهم أن يمتنعوا عن المعصية وجواب إذا محذوف وهو منعكم نصره ﴿**منكم من يريد الدنيا**﴾ وهم الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب قال ابن مسعود رضي الله عنه ما علمت أن أحداً منا يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية ﴿**ومنكم من يريد الآخرة**﴾ وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة ﴿**ثم صرفكم عنهم**﴾ عطف على الجواب المحذوف كما أشير إليه أي ردكم عن الكفار وكفكم بالهزيمة بعد أن أظفركم عليهم فحالت الريح دبوراً بعدما كانت صبا ﴿**ليبتليكم**﴾ أي يعاملكم معاملة من يمتحنكم ليظهر ثباتكم على الإيمان عندها ﴿**ولقد عفا عنكم**﴾ تفضلاً أو لما علم من ندمكم على المخالفة ﴿**والله ذو فضل على المؤمنين**﴾ أي شأنه أن يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم في جميع الأحوال أديل لهم أو أديل عليهم إذ الابتلاء أيضاً رحمة بحسب اقتضاء أحوالهم ذلك.

﴿۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

﴿**إذ تصعدون**﴾ متعلق بصرفكم. والإصعاد الذهاب والإبعاد في الأرض ﴿**ولا تلوون**

على أحد﴾ أي: لا تلتفتون إلى ما وراءكم ولا يقف واحد منكم لواحد **﴿والرسول يدعوكم﴾** كان ﷺ يدعوهم إليّ عباد الله أنا رسول الله من يكرّ فله الجنة أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وهو الانهزام وترك قتال الكفار لا استعانة بهم **﴿في أخراكم﴾** في ساقتكم وجماعتكم الأخرى والمعنى أنه عليه السلام كان يدعوهم وهو واقف في آخرهم لأن القوم بسبب الهزيمة قد تقدموه **﴿فأثابكم﴾** عطف على صرفكم أي فجازاكم الله بما صنعتم **﴿غما﴾** موصولاً **﴿بغم﴾** من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والإرجاف بقتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو غما بمقابلة غم أذقتموه رسول الله ﷺ بعصيانكم له **﴿لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم﴾** أي لتتمرنوا على الصبر في الشدائد وتعتادوا تجرع الغموم فلا تحزنوا على نفع فات أو ضرّ آت **﴿والله خبير بما تعملون﴾** أي عالم بأعمالكم وبما قصدتم بها.

واعلم أن الصبر واليقين والتوكل على الله والاتقاء عن ميل الدنيا وزخارفها ومخالفة الرسول مستلزم لامداد النصر والظفر والفشل والتنازع والميل إلى الدنيا وعصيان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم موجب للابتلاء والصرف عن العدو فمن أراد النصرة على الأعداء الظاهرة والباطنة لا يسلك طريقاً غير ما عينه الشارع ويرضى بالابتلاء ولا يغتم لآخرته بل يجد غم طلب الحق ألذ من نعيم الدنيا والآخرة ويصبر على مقاساة الشدائد في باب الدين.

صبر آرد آرزوراني شتاب صبركن والله أعلم بالصواب

قال ذو النون قدس سره العزيز: إن أدنى منازل المريد أن الله تعالى لو أدخله النار وأحاط به عذابه مع هذه الإرادة لم يزدد قلبه إلا حباً له وأنساً به وشوقاً إليه وكانت الجنة عنده أصغر في جنب إرادته من خردلة بين السماء والأرض فعلى السالك أن يذيق نفسه مرارة الطاعة ويدخلها في باب التسليم ليكون عند الله مما له قدر وسبق.

- حكي - عن علي كرم الله وجهه أنه قال: قلت لخليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه يا خليفة رسول الله بم بلغت هذه المنزلة حتى سبقتنا سبقاً فقال: بخمسة أشياء: أولها وجدت الناس صنفين مريد الدنيا ومريد العقبى فكنت أنا مريد المولى. والثاني مذ دخلت في الإسلام ما شبعت من طعام الدنيا لأن لذة معرفة الله شغلتني عن لذائذ طعام الدنيا. والثالث مذ دخلت في الإسلام ما رويت من شراب الدنيا لأن محبة الله شغلتني عن شراب الدنيا. والرابع كلما استقبلني عملان عمل الدنيا وعمل الآخرة اخترت عمل الآخرة على عمل الدنيا. والخامس صحبت النبي ﷺ فأحسنت صحبته أقول ولذلك لم ينفك عن ملازمة صحبته ساعة حتى دخل معه في الغار وقاسى ما قاسى من الشدائد في حقه - صلى الله تعالى عليه وسلم - ومع ذلك لم يزغ قلبه عن مواصلته قط ولم يهم بمخالفته أصلاً كما وقع ذلك من بعض الصحابة كما في المنهزمين.

كيست داني صوفى صافى زرنك تفرقه آنكه دارد روبيك رنكى درين كاخ دورنك
نكسلد سررشته سرش زجانان كر بفرض روبرو كيرد زيك سوشير وديكر سوپلنك

أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام أن يا إبراهيم أنت خليلي وأنا خليلك فانظر في أن لا تشغل سرك بغيري وأنا أنظر في سرك فأراه مشتغلاً بغيري فتقطع خلتي منك لأن الصادق في دعوى خلتي من لو أحرق بالنار لم يجعل سره إلى غيري إجلالاً لحرمتي لأن كل سر انفصل ساعة عن مشاهدتي لا يصلح لمحادثتي ونظري ثم قال له أسلم قال: أسلمت لرب العالمين ثم

ابتلاه حين رمى بالمنجنيق في النار ولم يجزع على ما أصابه بل فوض أمره إلى الله حتى شرفه الله بالخلة وجعل النار له برداً وسلاماً فحسن الرضى على ما جاء من عند الله يوصل العبد إلى المقامات العلية والحالات السنية والعمدة هو التوحيد وبه تسهل قوة اليقين والوصول إلى مقام الولاية. وسئل يحيى بن معاذ عن صفة الولي فقال: الصبر شعاره والشكر دثاره والقرآن معينه والحكمة علمه والتوكل صابونه والفقر منيته والتقوى مطيته والغربة ملازمته والحزن رفيقه والذكر جليسه والله تعالى أنيسه.

قوت روح أوليا ذكر حقست پيشه ايشان شكر مطلقست
كر خبر داری زاسرار خدا روبراه ذكر وطاعت حقيا

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾

﴿ثم أنزل عليكم﴾ عطف على قوله فأثابكم وأنزل مجاز أي أعطى ووهب لكم أيها المؤمنون **﴿من بعد الغم﴾** المذكور **﴿أمنة﴾** أي: أمناً نصب على المفعولية **﴿نعاسا﴾** بدل منها وهو الوسن. قال أبو طلحة رفعت رأسي يوم أحد فجعلت لا أرى أحداً من القوم إلا وهو يميد تحت جحفته من النعاس وكنت ممن ألقي عليه النعاس يومئذٍ فكان السيف يسقط من يدي فآخذه ثم يسقط السوط فآخذه وفيه دلالة على أن من المؤمنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبىء عنه قوله تعالى: **﴿يغشى طائفة منكم﴾** وهم المهاجرون وعامة الأنصار ولا يقدح ذلك في عموم الإنزال للكل والجملة في محل النصب على أنها صفة لنعاساً **﴿وطائفة﴾** مبتدأ وهم المنافقون **﴿قد أهمتهم أنفسهم﴾** أي أوقعتهم في الهموم والأحزان أو ما بهم إلا همّ أنفسهم وقصد خلاصها **﴿يظنون بالله﴾** حال من ضمير أهمتهم **﴿غير الحق﴾** غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به سبحانه **﴿ظن الجاهلية﴾** بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية وأهلها **﴿يقولون﴾** بدل من يظنون أي لرسول الله ﷺ على صورة الاسترشاد **﴿هل لنا من الأمر﴾** أي: من أمر الله تعالى ووعده من النصر والظفر **﴿من شيء﴾** من نصيب قط **﴿قل إن الأمر كله لله﴾** أي: الغلبة بالآخرة لله تعالى ولأوليائه فإن حزب الله هم الغالبون **﴿يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك﴾** حال من ضمير يقولون أي مظهرين أنهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الإنكار والتكذيب **﴿يقولون﴾** كأنه قيل أي شيء يخفون فقيل: يحدثون أنفسهم أو يقول بعضهم لبعض فيما بينهم خفية **﴿لو كان لنا من الأمر شيء﴾** كما وعد محمد ﷺ من أن الغلبة لله ولأوليائه وأن الأمر كله لله **﴿ما قتلنا هٰهنا﴾** ما غلبنا أو ما قتل من قتل منا في هذه المعركة على أن النفي راجع إلى نفس القتل لا إلى وقوعه فيها فقط أو لو كان لنا اختيار في الخروج وتدبير لم نبرح كما كان رأى ابن أبي وغيره **﴿قل﴾** يا محمد تكذيباً لهم وإبطالاً لمعاملتهم **﴿لو كنتم في بيوتكم﴾** أي لو لم تخرجوا إلى أحد وقعدتم بالمدينة كما تقولون **﴿لبرز﴾** أي لخرج **﴿الذين كتب عليهم القتل﴾** أي في اللوح المحفوظ بسبب من الأسباب الداعية إلى البروز **﴿إلى**

مضاجعهم﴾ إلى مصارعهم التي قدره الله تعالى فيها وقتلوا هناك البتة ولم تنفع العزيمة على الإقامة بالمدينة قطعاً فإن قضاء الله لا يرد وحكمه لا يعقب **﴿وليبتلي الله ما في صدوركم﴾** علة لفعل مقدر قبلها معطوفة على علل لها أخرى مطوية للإيذان بكثرتها كأنه قيل فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلي أي ليعاملكم معاملة من يبتلي ما في صدوركم من الإخلاص والنفاق ويظهر ما فيها من السرائر **﴿وليمحص ما في قلوبكم﴾** من مخفيات الأمور ويكشفها أو يخلصها من الوساوس **﴿والله عليم بذات الصدور﴾** أي السرائر والضمائر التي لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾

﴿إن الذين تولوا﴾ اعرضوا **﴿منكم يوم التقى الجمعان﴾** من المسلمين والكافرين وهم الذين انهزموا يوم أحد **﴿إنما استزلهم الشيطان﴾** أي إنما كان سبب انهزامهم أن الشيطان طلب منهم الزلل ودعاهم إليه **﴿ببعض ما كسبوا﴾** من الذنوب والمعاصي التي هي مخالفة أمر النبي عليه السلام وترك المركز والحرص على الغنيمة والحياة فحرموا التأييد وقوة القلب **﴿ولقد عفا الله عنهم﴾** لتوبتهم واعتذارهم **﴿إن الله غفور﴾** للذنوب **﴿حليم﴾** لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والنكتة فيه أن الشيطان خلق من النار فبالشيطان ونار وسوسته استخرج من معدن الإنسان حديد ما كسبوا من التولي ليجعله مرآة ظهور صفاته العفو والمغفرة والحلم وهذا قوله عليه الصلاة والسلام: «لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم» ليعلم أن لله تعالى في كل شيء من الخير والشر أسراراً لا يبلغ كنهها إلا هو ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء والشيطان لا يقدر على إغواء المخلصين من أهل اليقين والنورانيين وما لم يكن في القلب ظلمة وشوب من الهوى بسبب ارتكاب الذنوب لم يكن له مجال للوسوسة فالسالكون الذين نجوا من ظلمات النفس لا يقدر الشيطان أن يقرب منهم فضلاً عن وسوستهم.

- قيل - رأى الجنيد إبليس في منامه عرياناً فقال: ألا تستحيي من الناس فقال: هؤلاء ناس؟ الناس أقوام في مسجد الشونيزية افنوا جسدي وأحرقوا كبدي قال الجنيد: فلما انتبهت غدوت إلى المسجد فرأيت جماعة وضعوا رؤوسهم على ركبهم متفكرين فلما رأوني: قالوا لا يغرنك حديث الخبيث فإذا تنور القلب بنور المعرفة لا يحوم حوله بالوسوسة الشيطان الناري. وعن أبي سعيد الخراز قدس سره قال: رأيت إبليس في المنام فأخذت عصاي لأضربه فقيل لي: إنه لا يفزع من هذا إنما يخاف من نور يكون في القلب. قال: حجة الإسلام الغزالي في الإحياء حكي أن إبليس بث جنوده في وقت الصحابة فرجعوا إليه مخسورين فقال: ما شأنكم قالوا: ما رأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئاً وقد أتعبونا فقال: إنكم لا تقدرون عليهم وقد صحبوا نبيهم وشهدوا نزول الوحي ولكن سيأتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا إليه منكسرين فقالوا: ما رأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب فإذا آن آخر النهار أخذوا في الاستغفار فتبدل سيآتهم حسنات فقال: إنكم لن تنالوا من هؤلاء شيئاً لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبيهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعباً وتقودونهم بأزمة أهوائهم

كيف شئتم لا يستغفرون فيغفر لهم فلا يتوبون فتبدل سيآتهم حسنات قال: فجاء قوم بعد القرون الأولى فبث فيهم الاهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها ديناً لا يستغفرون منها ولا يتوبون عنها فسلط إبليس عليهم الأعداء وقادوهم حيث شاؤوا.

نه ابليس در حق ما طعنه زد كزينان نيايد بجز كار بد
فغان ازبديها كه در نفس ماست كه ترسم شود ظن إبليس راست
چو ملعون پسند آمدش قهرما خدايش بر انداخت ازبهرما
كجا بر سر آريم ازين عاروننك كه با أو بصلحيم وباحق بجنك

(من بستان السعدي).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾

﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا**﴾ وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هٰهنا ﴿**وقالوا لإخوانهم**﴾ لأجل إخوانهم وفي حقهم ومعنى الإخوة اتفاقهم نسباً أو مذهباً وعقيدة ﴿**إذا ضربوا في الأرض**﴾ أي سافروا فيها وأبعدوا للتجارة وسائر المهام فماتوا في سفرهم ﴿**أو كانوا**﴾ أي إخوانهم ﴿**غزى**﴾ جمع غازي كعفى جمع عافي وسجد جمع ساجد أي إذا خرجوا إلى الغزو فقتلوا ﴿**لو كانوا عندنا**﴾ أي مقيمين بالمدينة ﴿**ما ماتوا**﴾ في سفرهم ﴿**وما قتلوا**﴾ في الغزو وليس المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في الاعتقاد بمضمونه والحكم بموجبه ﴿**ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم**﴾ متعلق بقالوا على أن اللام لام العاقبة كما في قوله ربيته ليؤذيني وليست لام العلة والغرض لأنهم لم يقولوه لذلك وإنما قالوه لتثبيط المؤمنين عن الجهاد والمعنى أنهم قالوا ذلك القول واعتقدوه لغرض من أغراضهم فكان عاقبة ذلك القول ومصيره إلى الحسرة وهي أشد الندامة التي تقطع القوة والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك أصلاً ووجه كون تكلم ذلك الكلام حسرة في قلوبهم زاعمين أن من مات أو قتل منهم إنما مات أو قتل بسبب تقصيرهم في منع هؤلاء القتلى عن السفر والغزو ومن اعتقد ذلك لا شك أنه تزداد حسرته وتلهفه وأما المسلم الذي يعتقد أن الموت والحياة لا يكون إلا بتقدير الله وقضائه لا يحصل في قلبه هذه الحسرة ﴿**والله يحيي ويميت**﴾ ردٌّ لقولهم الباطل أي هو المؤثر في الحياة والممات وحده من غير أن يكون للإقامة أو للسفر مدخل في ذلك فإنه تعالى قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما لموارد الحتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لأسباب السلامة.

أي بسا اسب تيزروكه بماند كه خرلنك جان بمنزل برد
بس كه درخاك تن درستان را دفن كردندو زحم خورده نمرد

﴿**والله بما تعملون بصير**﴾ فلا تكونوا مثل هؤلاء المنافقين.

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

﴿**ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم**﴾ في سبيله وأنتم مؤمنون واللام هي الموطئة للقسم

المحذوف وجوابه قوله تعالى: ﴿لمغفرة من الله ورحمة﴾ وحذف جواب الشرط لسد جواب القسم مسده لكونه دالاً عليه والمعنى أن السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الأجل أصلاً ولئن وقع ذلك بأمر الله تعالى لنفحة يسيرة من مغفرة ورحمة كائنتين من الله تعالى بمقابلة ذلك ﴿خير مما يجمعون﴾ أي الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة أعمارهم. فإن قيل كيف تكون المغفرة موصوفة بأنها خير مما يجمعون ولا خير فيما يجمعون أصلاً. قلنا إن الذي يجمعونه في الدنيا قد يكون من باب الحلال الذي يعد خيراً وأيضاً هذا وارد على حسب قولهم ومعتقدهم أن تلك الأموال خيرات فقيل: المغفرة خير من هذه الأشياء التي تظنونها خيرات ﴿ولئن متم أو قتلتم﴾ أي على أي وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الإرادة الإلٓهية ﴿لإلى الله﴾ أي إلى المعبود بالحق العظيم الشان الواسع الرحمة الجزيل الإحسان ﴿تحشرون﴾ لا إلى غيره فيوفي أجوركم ويجزل لكم عطاياكم.

واعلم أن هذه الآيات على ترتيب أنيق فإنه قال في الآية الأولى ﴿لمغفرة من الله﴾ وهي التجاوز عن السيآت وذلك إشارة إلى من يعبد الله خوفاً من عقابه ثم قال ﴿ورحمة﴾ وهي التفضل بالمثوبات وهو إشارة إلى من يعبده ثوابه ثم قال في آخر الآية ﴿لإلى الله تحشرون﴾ وهو إشارة إلى من يعبد الله لمجرد الربوبية والعبودية وهذا أعلى المقامات، قال عبد الرحمٰن الجامي:

جانا زدرتو دور نتوانم بود قانع ببهشت وحور نتوانم بود
سربر در توبحكم عشقم نه بمزد زين درجه كنم صبور نتوانم بود

فبين الحشر إلى مغفرة الله والحشر إلى الله فرق كثير.

ـ روي ـ أن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام مر بأقوام نحفت أبدانهم واصفرت وجوههم ورأى عليهم آثار العبادة فقال: ماذا تطلبون فقالوا: نخشى عذاب الله فقال: هو أكرم من أن لا يخلصكم من عذابه ثم مر بأقوام آخرين فرأى عليهم تلك الآثار فسألهم فقالوا: نطلب الجنة والرحمة فقال: هو أكرم من أن يمنعكم رحمته ثم مر بقوم ثالث ورأى آثار العبودية عليهم أكثر فسألهم فقالوا: نعبده لأنه الهنا ونحن عبيده لا لرغبة ولا لرهبة فقال: أنتم العبيد المخلصون والمتعبدون المحقون.

كركند جاي بدل عشق جمال ازلت چشم اميد بحوران بهشتى ننهى
كى مسلم شودت عشق جمال ازلى تابر آفاق همه تهمت زشتى ننهى

ـ حكي ـ أن امرأة قالت لجماعة: ما السخاء عندكم قالوا: بذل المال قالت هو سخاء أهل الدنيا والعوام فما سخاء الخواص قالوا: بذل المجهود في الطاعة قالت: ترجون الثواب قالوا: نعم قالت: تأخذون العشرة بواحد لقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] فأين السخاء؟ قالوا: فما عندك؟ قالت: العمل لله لا للجنة ولا للنار ولا للثواب وخوف العقاب وذلك لا يمكن إلا بالتجريد والتفريد والوصول إلى حقيقة الوجود. فعلى السالك أن يعرض عن الدنيا والآخرة ويقبل على الله حتى يكشف عن وجهه الحجاب ويصل إلى رب الأرباب. قال الإمام في تفسيره: الإنسان إذا توجه إلى الجهاد أعرض قلبه عن الدنيا وأقبل على الآخرة فإذا مات فكأنه تخلص من العدو ووصل إلى المحبوب وإذا جلس في بيته خائفاً من الموت حريصاً على جمع الدنيا فإذا مات فكأنه حجب عن المعشوق وألقي في دار

الغربة ولا شك في كمال سعادة الأول وكمال شقاوة الثاني انتهى فحشر الغافلين بالحجاب وحشر الواصلين بإظهار الجناب فمن كان في هذه الدنيا أعمى بحب المال والمنال كان في الآخرة محجوباً عن مشاهدة الجمال.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾

﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم**﴾ ما مزيدة للتأكيد أي فبرحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى وهي ربطه على جأشه وتخصيصه بمكارم الأخلاق كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق والتلطف بعدما كان منهم ما كان من مخالفة أمرك وإسلامك للعدو ﴿**ولو**﴾ لم تكن كذلك بل ﴿**كنت فظًّا**﴾ جافياً في المعاشرة قولاً وفعلاً ﴿**غليظ القلب**﴾ قاسيه غير رقيق. فالفظ سيىء الخلق وغليظ القلب هو الذي لا يتأثر قلبه من شيء فقد لا يكون الإنسان سيىء الخلق ولا يؤذي أحداً ولكنه لا يرق لهم ولا يرحمهم فظهر الفرق بينهما ﴿**لانفضوا من حولك**﴾ أي لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا إليك وتردوا في مهاوي الردى ﴿**فاعف عنهم**﴾ فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم ﴿**واستغفر لهم**﴾ فيما يتعلق بحقوقه تعالى إتماماً للشفقة عليهم وإكمالاً للبرّ بهم ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾ أي استخرج آراءهم واعلم ما عندهم في أمر الحرب إذ هو المعهود أو فيه وفي أمثاله مما تجري فيه المشاورة عادة استظهاراً بآرائهم وتطييباً لقلوبهم ورفعاً لأقدارهم وتمهيداً لسنة المشاورة للأمة ﴿**فإذا عزمت**﴾ أي عقيب المشاورة على شيء واطمأنت به نفسك ﴿**فتوكل على الله**﴾ في إمضاء أمرك على ما هو أرشد وأصلح فإن ما هو أصلح لك لا يعلمه إلا الله لا أنت ولا من تشاور ﴿**إن الله يحب المتوكلين**﴾ عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم إلى ما فيه خير لهم وصلاح والتوكل تفويض الأمر إلى الله والاعتماد على كفايته. قال الإمام: دلت الآية على أنه ليس التوكل أن يهمل الإنسان نفسه كما يقوله بعض الجهال وإلا لكان الأمر بالمشاورة منافياً للأمر بالتوكل بل التوكل هو أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحكمة.

واعلم أن الله تعالى بين أن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام يتفرقون عنه لو كان فظاً غليظاً مع أن اتباعه دين وفراقه كفر فكيف يتوقع من يعامل الناس على خشونة اللفظ مع قسوة القلب أن ينقاد الناس كلهم له ويتابعوه ويطاوعوه فاللين في القول أنفذ في القلوب وأسرع إلى الإجابة وادعى إلى الطاعة ولذلك أمر الله موسى وهارون به فقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤].

بنرمی زدشمن توان کند پوست   چو بادوست سختی کنی دشمن اوست

چو سندان کسی سخت رویی نبرد   که خایسك تأديب بر سر نخورد

قال الإمام في تفسيره: اللين والرفق إنما يجوز إذا لم يفض إلى إهمال حق من حقوق الله فأما إذا أدى إلى ذلك لم يجز قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ﴾ [التوبة: ٧٣] وقال للمؤمنين في إقامة حد الزنى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢]

والتحقيق أن طرفي الإفراط والتفريط مذمومان والفضيلة في الوسط فورود الأمر بالتغليظ مرة وأخرى بالنهي عنه إنما كان لأجل أن يتباعد عن الإفراط والتفريط فيبقى على الوسط الذي هو الصراط المستقيم ولهذا السر مدح الله تعالى الوسط فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] قال عليه السلام: «لا تكن مرّاً فتعقى ولا حلواً فتسترط».

چو نرمی کنی خصم کردد دلیر وکر خشم کیری شوند ازتو سیر
درشتی ونرمی بهم در بهست چورك زن كه جراح ومرهم نهست

واعلم أن المقصود من البعثة أن يبلغ الرسول تكليف الله إلى الخلق وهذا المقصود لا يتم إلا إذا مالت قلوبهم إليه وسكنت نفوسهم لديه وهذا لا يتم إلا إذا كان كريماً رحيماً يتجاوز عن ذنبهم ويعفو عن إساءتهم ويخصهم بوجوه البر والمكرمة والشفقة فلهذه الأسباب وجب أن يكون الرسول متبرئاً من سوء الخلق وحيث يكون كذلك وجب أن يكون غير غليظ القلب بل يكون كثير الميل إلى إعانة الضعفاء كثير القيام بإعانة الفقراء كثير التجاوز عن سيآتهم كثير الصفح عن زلاتهم فلهذا المعنى قال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ولو انفضوا من حولك فات المقصود من البعثة والرسالة وهكذا ينبغي أن يكون علماء الآخرة الوارثون والمشايخ فإن الناس على دين متبوعهم في الظاهر والباطن وقلما يوجد من يتصف بالأخلاق الحسنة من المشايخ والعلماء في هذا الزمان، إلا من عصمه الله وهداه إلى التمسك بالشريعة والتحقق بآداب الحقيقة وهذه الحال ليست إلا لواحد بعد واحد.

ـ روي ـ أنه خلا بأحنف المضروب به المثل في الحلم رجل فسبه سباً قبيحاً فقام الأحنف وهو يتبعه فلما وصل إلى قومه وقف وقال: يا أخي إن كان قد بقي من قولك فضلة فقل الآن ولا يسمعك قومي فتؤذى فانظر إلى خلق الأحنف كيف عامل مع الرجل وجامل وقال له رجل دلني على المروة فقال: عليك بالخلق الفسيح والكف عن القبيح.

قال نجم الدين الكبرى في «تأويلاته»: كل لين يظهر في قلوب المؤمنين بعضهم على بعض فهو رحمة الله ونتيجة لطفه مع عباده لا من خصوصية أنفسهم فإن النفس لأمارة بالسوء وإن كانت نفس الأنبياء عليهم السلام انتهى.

وفي هذا الكلام تنبيه على أن الأنبياء وإن كان سلوكهم من النفس المطمئنة إلى الراضية والمرضية والصافية إلى أن بلغوا مبلغ النبوة والرسالة لكن نفوسهم متصفة بالأمارية كسائر الناس ولكن الله يعصمهم من مقتضاها فافهم فإنه محل اعتبار وإمعان.

﴿إن ينصركم الله﴾ النصر نوعان: معونة ومنع أي إن يعنكم الله ويمنعكم من عدوكم كما فعل ذلك يوم بدر **﴿فلا غالب لكم﴾** فلا أحد يغلبكم **﴿وإن يخذلكم﴾** الخذلان القعود عن النصرة والإسلام للهلكة أي إن يترككم فلم ينصركم كما فعله يوم أحد **﴿فمن ذا الذي ينصركم﴾** استفهام إنكاري مفيد لانتفاء الناصر ذاتاً وصفة بطريق المبالغة **﴿من بعده﴾** أي من بعد خذلانه وهذا تنبيه على أن الأمر كله لله ولذا أمر بالتوكل عليه فقال: **﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾** فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا أن لا ناصر سواه وآمنوا به من قبل ومن التوكل أن لا تطلب لنفسك ناصراً غير الله تعالى ولا لرزقك خازناً غيره ولا لعلمك شاهداً غيره. وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ «يدخل سبعون ألفاً من أمتي الجنة بغير حساب» قيل: يا رسول الله من هم قال: «هم الذين لا يكتدون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم

يتوكلون» فقال عكاشة بن محصن: يا رسول الله ادع الله تعالى أن يجعلني منهم قال: «أنت منهم» ثم قام آخر فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «سبقك بها عكاشة» وقال ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً». وعن بعضهم قال: كنت في البادية فتقدمت القافلة فرأيت قدّامي واحداً فسارعت حتى أدركته فإذا هو امرأة بيدها ركوة وعكازة تمشي على الرعدة فظننت أنها أعيت فأدخلت يدي في جيبي فأخرجت عشرين درهماً فقلت: خذي هذه وامكثي حتى تلحقك القافلة فتكتري بها ثم ائتني الليلة حتى أصلح أمرك فقالت: بيدها هكذا في الهواء فإذا في كفها دنانير فقالت: أنت أخذت الدراهم من الجيب وأنا أخذت الدنانير من الغيب، قال الحافظ الشيرازي:

برو ازخانه كردون بدرونان مطلب كاين سيه كاسه در آخر بكشد مهما نرا

قال القشيري: حقيقة النصر أن ينصرك على نفسك فإنها أعدى عدوك وهي أن يهدم عنك دواعي فتنتها بعواصم رحمته حتى ينفض جنود الشهوات بهجوم وفور المنازلات فتبقى الولاية لله تعالى خالصة من رعونات الدواعي التي هي أوصاف البشرية وشهوات النفوس وإن يخذلكم فالخذلان التخلية بينه وبين المعاصي فمن نصره قبض على يده عند الهم بتعاطي المكروه ومن خذله ألقى حبله على غاربه ووكله إلى سوء اختياره فيهيم على وجهه في فيافي البعد فتارة يشرق غير محتشم وتارة يغرب غير محترم ومن سيبه الحق فلا آخذ ليده ولا جابر لكسره وعلى الله فليتوكل المؤمنون في وجدان الأمان من هذه الأخطار عند صدق الابتهال وإسبال ثوب العفو على الإجرام عند خلوص الالتجاء بالتبري من الحول والقوة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم:

جهان آفرين كر نه يارى كند كجابنده پرهيز كاري بود

﴿وما كان لنبي﴾ أي وما صح لنبي من الأنبياء عليهم السلام وما استقام له ﴿أن يغلّ﴾ أي يخون في المغنم فإن الغلول هو أخذ شيء من مال الغنيمة خفية وخيانة لكونها سبباً للعار في الدنيا وللنار في العقبى تنافي منصب النبوة التي هي أعلى المناصب الإنسانية والمراد إما تنزيه ساحة رسول الله عليه السلام عما ظن به الرماة يوم أحد حتى تركوا المركز وأفاضوا في الغنيمة وقالوا: نخشى أن يقول رسول الله ﷺ من أخذ شيئاً فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم ﷺ: «ألم أعهد إليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري» فقالوا: تركنا بقية إخواننا وقوفاً فقال ﷺ: «بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم بينكم» وأما المبالغة في النهي لرسول الله ﷺ على ما روي أنه بعث طلائع فغنم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعدهم فقسمها بين الحاضر ولم يترك للطلائع شيئاً فنزلت والمعنى ما كان لنبي أن يعطي قوماً من العسكر ويمنع آخرين بل عليه أن يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظاً وتقبيحاً لصورة الأمر ﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة﴾ أي يأت بالذي غل بعينه يحمله على عنقه فيفتضح به على رؤوس الأشهاد وهو كقوله عليه السلام: «من غصب قدر شبر من الأرض طوقه الله يوم القيامة من سبع أرضين» قال عليه السلام: «من بعثناه على عمل فغل شيئاً جاء يوم القيامة يحمله على عنقه» وقال ﷺ: «هدايا الولاة غلول» أي قبول الولاة الهدايا غلول لأنه في معنى الرشوة. وروي أنه ﷺ قال: «ألا لا أعرفن أحدكم يأتي ببعير له رغاء وببقر له خوار وشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيئاً فقد

بلغتك» وقيل لأبي هريرة رضي الله عنه: كيف يأتي بما غل وهو كثير كبير بأن غل أموالاً جمة فقال: أرأيت من كان ضرسه مثل أحد وفخذه مثل ودقان وساقه مثل جبل ومجلسه ما بين المدينة وريدان يحمل مثل هذا ويجوز أن يراد بما احتمل من وباله وإثمه ﴿**ثم توفى كل نفس ما كسبت**﴾ أي تعطى وافياً جزاء ما كسبت خيراً أو شراً كثيراً أو يسيراً وكان اللائق بما قبله أن يقال: ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فإنه إذا كان كل كاسب مجزياً بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك أولى ﴿**وهم**﴾ أي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس ﴿**لا يظلمون**﴾ بزيادة عقاب أو بنقص ثواب.

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿**أفمن اتبع رضوان الله**﴾ الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف والتقدير أمن اتقى فاتبع رضوان الله أي سعى في تحصيله وانتحى نحوه حيثما كان يفعل الطاعات ويترك المنكرات كالنبي ومن يسير بسيرته ﴿**كمن باء**﴾ أي رجع ﴿**بسخط**﴾ غضب عظيم لا يقادر قدره كائن ﴿**من الله**﴾ بسبب معاصيه كالغال ومن تدين بدينه والمراد أنهما لا يستويان ﴿**ومأواه**﴾ أي مأوى من باء بسخط من الله ﴿**جهنم وبئس المصير**﴾ والفرق بينه وبين المرجع أن المصير يجب أن يخالف الحالة الأولى ولا كذلك المرجع.

﴿**هم**﴾ راجع إلى الموصولين باعتبار المعنى ﴿**درجات عند الله**﴾ أي طبقات مختلفة متفاوتة في علمه وحكمه تعالى شبهوا في تفاوت الأحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وإيذاناً بأن بينهم تفاوتاً ذاتياً كالدرجات ومراتب الخلق في أعمال المعاصي والطاعات متفاوتة فوجب أن تتفاوت مراتبهم في درجات العقاب والثواب لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧-٨] والمعنى ذو درجات ﴿**والله بصير بما يعملون**﴾ من الأعمال ودرجاتها فمجازيهم بحسبها.

واعلم أن الغلول من الكبائر والغال خائن ومن حاله أن يكون الغالب عليه النفس وهواها والأنبياء منسلخون عن صفات البشرية متصفون بصفات الربوبية معصومون من الرذائل وصفات النفس ودواعي الشيطان قائمون بالله فلا يمكن صدور أمثال ذلك منهم فالنبي في جنة الصفات ومقام الرضوان والغال في جحيم النفس وهاوية الهوى فلا يساوي حال الغال أحوال الأنبياء ولذلك قال: ﴿**هم درجات عند الله**﴾. فعلى العاقل أن يسارع إلى تكميل الدرجات والوصول إلى أحسن الحالات. قالوا أهل الجنة أربعة أصناف: الرسل والأنبياء، ثم الأولياء وهم أتباع الرسل على بصيرة وبينة من ربهم، ثم المؤمنون وهم المصدقون بهم عليهم السلام، ثم العلماء بتوحيد الله أنه لا إله إلا هو من حيث الأدلة العقلية وهم المراد بأولي العلم في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٨] وفيهم يقول الله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [المجادلة: ١١] وهؤلاء الطوائف الأربع يتميزون في جنات عدن عند رؤية الحق في الكثيب الأبيض وهم فيه على أربعة مقامات: طائفة منهم أصحاب منابر وهي الطبقة العليا الرسل والأنبياء، والطائفة الثانية هم الأولياء ورثة الأنبياء قولاً وعملاً وحالاً وهم أصحاب الأسرة والعرش، والطبقة الثالثة العلماء بالله من طريق النظر البرهاني العقلي وهم أصحاب

الكرسي، والطبقة الرابعة هم المؤمنون المقلدون في توحيدهم ولهم المراتب وهم في المحشر مقدمون على أصحاب النظر العقلي وهم في الكثيب يتقدمون على المقلدين:

قيامت كه نيكان باعلى رسند زقعر ثرا بر ثريا رسند
تراخود بما ندسر ازننك پيش كه كردت بر آيد عملهاى خويش
قيامت كه بازار مينونهند منازل بأعمال نيكونهد

والخلق متفاوتون في الأعمال وتفاضلهم على مراتب: فمنها بالسن ولكن في الطاعة والإسلام فيفضل الكبير السن على الصغير السن إذا كانا على مرتبة واحدة من العمل. ومنها بالزمان فإن العمل في رمضان وفي يوم الجمعة وفي ليلة القدر وفي عشر ذي الحجة في عاشوراء أعظم من سائر الأيام والأزمان. ومنها بالمكان فالصلاة في المسجد الحرام أفضل منها في مسجد المدينة وهي من الصلاة في المسجد الأقصى وهي منها في سائر المساجد. ومنها بالأحوال فإن الصلاة بالجماعة أفضل من صلاة الشخص وحده. ومنها بنفس الأعمال فإن الصلاة أفضل من إماطة الأذى. ومنها في العمل الواحد فالمتصدق على رحمه صاحب صلة رحم وصدقة وكذا من أهدى هدية لشريف من أهل البيت أفضل من أن يهدي لغيره وأحسن إليه ومن الناس من يجمع في الزمن الواحد أعمالاً كثيرة فيصرف سمعه وبصره ويده فيما ينبغي في زمان صومه وصدقته بل في زمان صلاته في زمان ذكره في زمان نيته من فعل وترك فيؤجر في الزمان الواحد من وجوه كثيرة فيفضل غيره ممن ليس كذلك.

بضاعت بچندانكه آرى برى اكر مفلسى شر مسارى برى

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «ليس من يوم يأتي على ابن آدم إلا ينادي فيه يا ابن آدم أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل عليك غداً شهيد فاعمل فيّ خيراً أشهد لك به غداً فإني لوقد مضيت لم ترني أبداً ويقول الليل مثل ذلك» فاعمل يا أخي عمل من يعلم أنه راجع إلى الله وقادم عليه يجازي على الصغير والكبير والقليل والكثير وقد قال تعالى: ﴿**والله بصير بما يعملون**﴾ فينبغي أن لا يغفل الإنسان في كل ساعاته.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿**لقد منّ الله على المؤمنين**﴾ جواب قسم محذوف أي والله لقد أنعم الله على من آمن مع الرسول عليه السلام من قومه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للأسود والأحمر لزيادة انتفاعهم بها ﴿**إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم**﴾ أي من نسبهم أو من جنسهم عربياً مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والأمانة مفتخرين به وفي ذلك شرف عظيم لهم قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] وقرىء من أنفسهم أي أشرفهم فإنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من أشرف قبائل العرب وبطونها ﴿**يتلو عليهم آياته**﴾ أي القرآن بعدما كانوا جهالاً لم يسمعوا الوحي ﴿**ويزكيهم**﴾ أي يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والأعمال وأوضار الأوزار ﴿**ويعلمهم الكتاب والحكمة**﴾ أي القرآن والسنة ﴿**وإن كانوا من قبل**﴾ أي من قبل بعثته ﷺ وتزكيته وتعليمه ﴿**لفي ضلال مبين**﴾ بين لا ريب في كونه

ضلالاً. وإن هي المخففة من الثقيلة وضمير الشأن محذوف واللام فارقة بينها وبين النافية.

واعلم أن الله تعالى أرسل محمداً إلى أقوام عتاة أشراس فذلل منهم كل من عتا وعاس ونكس بمولده الأصنام على الرأس وانشق إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرافة بعدد من سيملك من الناس وخمدت نار فارس وبحيرة ساوة غاضت على غير القياس واختاره مولاه وقدمه على الخلق فهو بمنزلة العين من الرأس وأيام دولته كأيام التشريق وليلات الأعراس فتعجبت قريش من غنى بالفضل بعد فقر الإفلاس فرماهم القرآن بسهام الجدل لا عن أقواس أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس فهو رحمة عامة للأنام وله خطر جليل عند الخواص والعوام وفيما خطب به أبو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر «الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضيء معدّ وعنصر مضر وجعلنا خضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا الحكام على الناس ثم ابن أخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل» وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «قال لي جبريل يا محمد قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ولم أجد بني أب أفضل من بني هاشم» آدم ومن دونه تحت اللواء.

زانكه بهر اوست خلق ما سوا

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في طلبه.

نور بهار عالم نور بهار آدم

وذكر أن عبد المطلب جد النبي ﷺ بينا هو نائم في الحجر انتبه مذعوراً قال العباس فتبعته وأنا يومئذٍ غلام أعقل ما يقال فأتى كهنة قريش فقال: رأيت كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهري ولها أربعة أطراف: طرف قد بلغ مشارق الأرض، وطرف قد بلغ مغاربها، وطرف قد بلغ عنان السماء، وطرف قد جاوز الثرى، فبينا أنا أنظر عادت شجرة خضراء لها نور فبينا أنا كذلك قام علي شيخان فقلت لأحدهما: من أنت؟ قال: أنا نوح نبي رب العالمين وقلت للآخر: من أنت؟ قال إبراهيم خليل رب العالمين ثم انتبهت قالوا: إن صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك نبي ويؤمن به أهل السموات وأهل الأرض ودلت السلسلة على كثرة أتباعه وأنصاره وقوتهم لتداخل حلق السلسلة ورجوعها شجرة تدل على ثبات أمره وعلو ذكره وسيهلك من لم يؤمن به كما هلك قوم نوح وستظهر به ملة إبراهيم وإلى هذا وقعت إشارة النبي عليه الصلاة والسلام يوم حنين حيث قال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

كأنه يقول: أنا ابن صاحب تلك الرؤيا مفتخراً بها لما فيها من علم نبوته وعلو كلمته ثم إنه لا نهاية لأوصافه الشريفة وأخلاقه الحميدة وإنما الكلام في أن يكون المرء ممتلئاً بمحبته مقتفياً بآثار سنته حتى يكون من أمته حقيقة والخدمة في عتبة بابه من جهة الشريعة والطريقة من أقوى الوسائل إلى الوصول.

ـ حكي ـ أن مريداً مدعياً قال: إن شيخي يعرف مقامي في هذه الطريقة واستحقاقي

للخلافة والنصب في مقام الإرشاد فما له لا يجيزني بالخلافة فسمع ذلك شيخه فاستخدمه أياماً فأظهر ذلك الصوفي الكسل في خدمته ولم يخدمه بالشوق والاجتهاد فرأى حاله الشيخ فقال منكراً لما ادعاه من لا يقدر على خدمة الخلق كيف يقدر على خدمة الخالق؟ فانظر كيف جعل خدمة الخلق من أسباب خدمة الخالق والوصول إليه وهكذا من كان في قلبه ميل إلى وصول الحق فلا بد له أن يرجع أولاً إلى خدمة شريعة النبي ﷺ وسننه حتى يحبه النبي عليه الصلاة والسلام فيحبه الله تعالى.

محالست سعدى كه راه صفا تـوان رفت جز درپى مصطفا

شرفنا الله وإياكم برعاية سننه وآدابه والاقتفاء بآثار آله وأصحابه إنه المنان جزيل الإحسان واسع الغفران في كل زمان **﴿أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا﴾** الواو عاطفة لمدخولها على محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم مضاف إلى ما بعده وقد أصبتم في محل الرفع على أنه صفة لمصيبة والمراد بها ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم وبمثليها ما أصاب المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم وأسر سبعين وأنى هذا مقول قلتم والمعنى أحين أصابكم من المشركين نصف ما قد أصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من أين أصابنا هذا فالهمزة للتقرير والتقريع على قولهم لو كان رسولاً من عند الله لما انهزم عسكره من الكفار يوم أحد وأدى ذلك إلى أن قالوا: من أين هذه المغلوبية للمشركين فكيف صاروا منصورين علينا مع شركهم وكفرهم بالله ونحن ننصر رسول الله ودين الإسلام وهو استفهام على سبيل الإنكار فأمر الله تعالى ورسوله عليه السلام بأن يجيب عن سؤالهم الفاسد فقال: **﴿قل هو من عند أنفسكم﴾** أي هذا الانهزام إنما حصل بشؤم عصيانكم حيث خالفتم الأمر بترك المركز والحرص على الغنيمة **﴿إن الله على كل شيء قدير﴾** ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن الطاعة أصابكم منه تعالى ما أصابكم.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان﴾ أي جمعكم وجمع المشركين يريد يوم أحد **﴿فبإذن الله﴾** أي فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها إذناً لأنها من لوازمه **﴿وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا﴾** أي: وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر إيمان هؤلاء وكفر هؤلاء **﴿وقيل لهم﴾** عطف على نافقوا داخل معه في هذه الصلة وهم عبد الله بن أبي وأصحابه حيث انصرفوا يوم أحد عن رسول الله ﷺ فقال لهم عبد الله بن حرام أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم إلى القتال وذلك قوله تعالى: **﴿تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا﴾** عنا العدو بتكثير سوادنا إن لم تقاتلوا معنا فإن كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه **﴿قالوا﴾** حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين **﴿لو نعلم قتالاً لاتبعناكم﴾** أي لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالاً لاتبعناكم فيه لكن ما أنتم عليه ليس بقتال بل إلقاء النفس إلى التهلكة أو ولو نحسن قتالاً لاتبعناكم وإنما قالوه دخلاً واستهزاء **﴿هم للكفر يومئذٍ أقرب منهم للإيمان﴾** ومعنى كون قربهم إلى الكفر أزيد يومئذٍ من قربهم إلى الإيمان أنهم كانوا قبل ذلك الوقت كاتمين للنفاق فكانوا في الظاهر أبعد

من الكفر فلما ظهر منهم ما كانوا يكتمون صاروا أقرب للكفر فإن كل واحد من انخذالهم برجوعهم عن معاونة المسلمين وكلامهم المحكي عنهم يدل على أنهم ليسوا من المسلمين ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطىء قلوبهم ألسنتهم بالإيمان وإضافة القول إلى الأفواه تأكيد وتصوير فإن الكلام وإن كان يطلق على اللسان والنفساني إلا أن القول لا يطلق إلا على ما يكون باللسان والفم فذكر الأفواه بعده تأكيد كقوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] وتصوير لحقيقة لقول بصورة فرده الصادر عن آلته التي هي الفرد ﴿والله أعلم بما يكتمون﴾ من النفاق وما يخلو به بعضهم إلى بعض فإنه يعلمه مفصلاً بعلم واجب وأنتم تعلمونه مجملاً بأمارات.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

﴿الذين قالوا﴾ مرفوع على أنه بدل من واو يكتمون ﴿لإخوانهم﴾ لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد أو إخوانهم في النسب وفي سكنى الدار فيندرج فيهم بعض الشهداء ﴿وقعدوا﴾ حال من ضمير قالوا بتقدير قد أي قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخذال ﴿لو أطاعونا﴾ أي فيما أمرناهم ووافقونا في ذلك ﴿ما قتلوا﴾ كما لم نقتل وفيه إيذان بأنهم أمروهم بالانخذال حين انخذلوا وأغووهم كما غووا ﴿قل﴾ تبكيتاً لهم وإظهاراً لكذبهم ﴿فادرأوا﴾ أي ارفعوا ﴿عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ جواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله أي إن كنتم صادقين فيما ينبىء عنه قولكم من أنكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن أنفسكم الموت الذي كتب عليكم معلقاً بسبب خاص موقتاً بوقت معين بدفع سببه فإن أسباب الموت في إمكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وأنفسكم أعز عليكم من إخوانكم وأمرها أهم لديكم من أمرهم والمعنى أن عدم قتلكم كان بسبب أنه لم يكن مكتوباً لا بسبب أنكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فإن ذلك مما لا سبيل إليه بل قد يكون القتال سبباً للنجاة والقعود مؤدياً إلى الموت.

زپيش خطر تاتواني كريز ... وليكن مكن باقضا پنجه تبز
كرت زندكاني نبشتست دير ... نه مارت كر آيدنه شمشيروتير

واعلم أن الموت ليس له سن معلوم ولا أجل معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك مستعداً لذلك وكان بعض الصالحين ينادي بالليل على سور المدينة الرحيل الرحيل فلما توفي فقد صوته أمير تلك المدينة فسأل عنه فقيل: إنه مات فقال:

ما زال يلهج بالرحيل وذكره ... حتى أناخ ببابه الجمال
فأصابه متيقظاً متشمراً ... ذا أهبة لم تلهه الآمال

- روي - أنه مر دانيال عليه السلام ببرية فسمع منادياً يا دانيال قف ساعة تر عجباً فلم ير شيئاً ثم نادى الثانية قال: فوقفت فإذا بيت يدعوني إلى نفسه فدخلت فإذا سرير مرصع بالدر والياقوت فإذا النداء من السرير اصعد يا دانيال تر عجباً فارتقيت السرير فإذا فراش من ذهب

مشحون بالمسك والعنبر فإذا عليه شاب ميت كأنه نائم وإذا عليه من الحلي والحلل ما لا يوصف وفي يده اليسرى خاتم من ذهب وفوق رأسه تاج من ذهب وعلى منطقته سيف أشد خضرة من البقل فإذا النداء من السرير أن احمل هذا السيف واقرأ ما عليه قال: فإذا مكتوب عليه هذا سيف صمصام بن عوج بن عنق بن عاد بن ارم وأني عشت ألف عام وسبعمائة وافتضضت اثني عشر ألف جارية وبنيت أربعين ألف مدينة وهزمت سبعين ألف جيش وفي كل جيش قائد مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل وباعدت الحكيم وقربت السفيه وخرجت بالجور والعنف والحمق عن حد الإنصاف وكان يحمل مفاتيح الخزائن أربعمائة بغل وكان يحمل إلي خراج الدنيا فلم ينازعني أحد من أهل الدنيا فادعيت الربوبية فأصابني الجوع حتى طلبت كفاً من ذرة بألف قفيز من درّ فلم أقدر عليه فمت جوعاً يا أهل الدنيا اذكروا أمواتكم ذكراً كثيراً واعتبروا بي ولا تغرنكم الدنيا كما غرتني فإن أهلي لم يحملوا من وزري شيئاً. فعلى العاقل أن لا يركن إلى الدنيا ويتذكر مرجعه ويتجنب عن المنافقة والظلم والجور ويتصف بالإخلاص والعدل والإحسان فإنه هو المفيد، قال ابن الكمال:

پرده داری ميكند در طاق كسرى عنكبوت
بوم نوبت ميزند بر قلعة افراسياب
تخم احسانرا چه داری برفشان اي بی خبر
چونكه دانی دانه عمرت خوردايـن آسياب

جعلنا الله وإياكم من المتيقظين الواصلين إلى ذروة اليقين قبل حلول الأجل والحين.

﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا﴾ المراد بهم شهداء أحد وكانوا سبعين رجلاً أربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمرو وعثمان بن شهاب وعبد الله بن جحش وباقيهم من الأنصار.

قال القاشاني: الأفصح الأبلغ أن يجعل الخطاب في **﴿ولا تحسبن﴾** لكل أحد لأنه أمر خطير يجب أن يبشر به كل واحد لتتوفر دواعيهم إلى الجهاد وليتيقنوا بحسن الجزاء وإن كان للرسول ﷺ فالمراد به نهي الأمة وتنبيهم على حالهم وإلا فرسول الله أجل مرتبة من ذلك الحسبان **﴿بل أحياء﴾** أي بل هم أحياء **﴿عند ربهم﴾** خبر ثان للمبتدأ المقدر والعندية المكانية مستحيلة فتعين حملها على أنهم مقربون منه تعالى قرب التكريم والتعظيم **﴿يرزقون﴾** من ثمار الجنة وتحفها وفيه تأكيد لكونهم أحياء وتحقيق لمعنى حياتهم **﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾** وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الأبدية والزلفى من الله تعالى والتمتع بالنعيم المخلد عاجلاً **﴿ويستبشرون﴾** معطوف على قوله فرحين عطف الفعل على الاسم لكون الفعل في تأويل الاسم كأنه قيل: فرحين ومستبشرين وبناء استفعل ليس للطلب بل هو بمعنى المجرد نحو استغنى الله أي غنى وقد سمع بشر الرجل بكسر العين فيكون استبشر بمعناه وقيل هو مطاوع ابشر نحو أراحه فاستراح فإن البشرى حصلت لهم بإبشار الله تعالى وإليه أشار الزمخشري في الكشاف بقوله: بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به والبيضاوي بقوله: يسرون بالبشارة **﴿بالذين لم يلحقوا بهم﴾** أي بإخوانهم الذين لم يقتلوا بعده في سبيل الله فيلحقوا بهم **﴿من خلفهم﴾** متعلق بيلحقوا والمعنى أنهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم **﴿أن لا خوف عليهم ولا هم**

يحزنون﴾ بدل من الذين بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال إخوانهم لا بذواتهم وإن هي المخففة أي يفرحون بما بشر لهم وبين من حيث حال إخوانهم الذين تركوهم وهو أنهم إذا ماتوا أو قتلوا يفوزون بحياة أبدية لا يدركها خوف وقوع محذور ولا حزن فوت مطلوب والخوف يكون بسبب توقع المكروه النازل في المستقبل والحزن يكون بسبب فوت المنافع التي كانت موجودة في الماضي فبين الله أنه لا خوف عليهم مما سيأتيهم من أهوال القيامة وأحوالها ولا حزن لهم مما فاتهم من نعم الدنيا ولذاتها.

﴿۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿يستبشرون بنعمة﴾ كائنة **﴿من الله﴾** كرر لبيان أن الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهي ثواب أعمالهم **﴿وفضل﴾** أي زيادة عظيمة كما في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] **﴿وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾** كافة سواء كانوا شهداء أو غيرهم وهو بفتح أن عطف على فضل منتظم معه في سلك المستبشر به. قال الإمام: الآية تدل على أن استبشارهم بسعادة إخوانهم من استبشارهم بسعادة أنفسهم لأن الاستبشار الأول في الذكر هو بأحوال الإخوان وهذا تنبيه من الله على أن فرح الإنسان بصلاح حال إخوانه ومتعلقه يجب أن يكون أتم وأكمل من فرحه وصلاح أحوال نفسه.

واعلم أن ظاهر الآية يدل على أن هؤلاء المقتولين وإن فارقت أرواحهم من أجسادهم إلا أنهم أحياء في الحال. واختلف القائلون بحياتهم في الحال أنها للروح أو للبدن ولا بد هٰهنا من تقديم مقدمة ليتضح بها المقام وهي أن الإنسان المخصوص ليس عبارة عن مجموع هذه البنية المخصوصة بل هو شيء مغاير لها وذلك لأن أجزاء هذه البنية في الذوبان والانحلال والتبدل والتغير بالسمن وضده والصغر وخلافه والإنسان المخصوص شيء واحد باق من أول عمره إلى آخره والباقي مغاير للمتبدل فثبت أن الإنسان مغاير لهذا البدن المخصوص ثم بعد هذا يحتمل أن يكون جسماً مخصوصاً سارياً في هذه الجثة سريان النار في الفحم والدهن في السمسم وماء الورد في الورد ويحتمل أن يكون جوهراً قائماً بنفسه ليس بجسم ولا حال في الجسم وعلى كلا المذهبين لا يبعد أن ينفصل ذلك الشيء حياً عند موت البدن فيثاب ويعذب على حسب أعماله والدلائل العقلية والنقلية الدالة على بقاء النفوس بعد موت الأجساد كثيرة متعاضدة فوجب المصير إليه وبه تزول الشبهات الواردة على القول بثواب القبر كما في هذه الآية وعلى القول بعذاب القبر كما في قوله تعالى: ﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [نوح: ٢٥] إذا لم تمت النفوس بموت الأبدان أو قلنا بأنه تعالى أماتها ثم أعاد الحياة إليها كما يدل عليه ما روي في بعض الأخبار أنه قال ﷺ في صفة الشهداء «إن أرواحهم في أجواف طير خضر وإنها ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح في الجنة حيث شاءت وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش فلما رأوا طيب مطعمهم ومسكنهم ومشربهم قالوا: يا ليت قومنا يعلمون ما نحن فيه من النعيم وما صنع الله بنا كي يرغبوا في الجهاد فقال الله تعالى: أنا مخبر عنكم ومبلغ إخوانكم ففرحوا بذلك واستبشروا» فأنزل الله هذه الآية. والذين أثبتوا هذه الحياة للأجساد اختلفوا. فقال بعضهم: إنه تعالى يصعد أجساد هؤلاء الشهداء إلى السموات إلى قناديل تحت العرش ويوصل أنواع

السعادات والكرامات إليها. ومنهم من قال: يتركها في الأرض ويحييها ويوصل هذه السعادات إليها كذا في «تفسير الإمام» ولابن سينا رسالة في علم النفس ولعمري قد بلغ القصوى في التحقيق فليطلبها من أراد، وفضائل الشهداء لا نهاية لها قال رسول الله ﷺ: «الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم القرصة وله سبع خصال يغفر له في أول قطرة قطرت من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج بثلاث وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقربائه».

ـ ويروى ـ أنه إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى ادعوا إلي خيرتي من خلقي فيقولون: يا رب من هم فيقول الشهداء الذين بذلوا دماءهم وأموالهم وأنفسهم فيمرون على رب العزة وسيوفهم على أعناقهم فيدخلون مساكنهم في الجنة وينصب يوم القيامة لواء الصدق لأبي بكر وكل صديق يكون تحت لوائه ولواء العدل لعمر وكل عادل يكون تحت لوائه ولواء السخاوة لعثمان وكل سخي يكون تحت لوائه ولواء الشهداء لعلي وكل شهيد يكون تحت لوائه وكل فقيه تحت لواء معاذ بن جبل وكل زاهد تحت لواء أبي ذر وكل فقير تحت لواء أبي الدرداء وكل مقرىء تحت لواء أبي بن كعب وكل مؤذن تحت لواء بلال وكل مقتول ظلماً تحت لواء الحسين بن علي رضي الله عنهما فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] قيل: أرواح الشهداء وإن كانت في عليين إلا أنها تزور قبورها كل جمعة على الدوام ولذلك يستحب زيارة القبور ليلة الجمعة ويوم الجمعة قال عليه السلام: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه». قال الجنيد قدس سره: من كانت حياته بنفسه يكون مماته بذهاب روحه ومن كانت حياته بربه فإنه ينتقل من حياة الطبع إلى حياة الأصل وهي الحياة الحقيقة وإذا كان القتيل بسيف الشريعة حياً مرزوقاً فكيف من قتل بسيف الصدق والحقيقة.

هر كز نميرد آنكه دلش زنده شد بعشق ثبتست بر جريدة عالم دوام ما

قال القاشاني المقتول في سبيل الله صنفان: مقتول بالجهاد الأصغر وبذل النفس طلباً لرضى الله كما هو الظاهر. ومقتول بالجهاد الأكبر وكسر النفس وقتلها بسفرة الحب وقمع الهوى كما روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال عند رجوعه من بعض الغزو: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» وكلا الصنفين ليسوا بأموات بل أحياء عند ربهم بالحياة الحقيقة مجردين من دنس الطبائع مقربين في حضرة القدس يرزقون في الجنة المعنوية من الأرزاق المعنوية أي المعارف والحقائق واستشراق الأنوار ويرزقون في الجنة الصورية كما يرزق الأحياء أو من كليهما فإن للجنان مراتب بعضها معنوية وبعضها صورية ولكل منهما درجات على حسب المعارف والعلوم والمكاسب والأعمال فالمعنوية جنة الذات وجنة الصفات وتفاضل درجاتها بحسب تفاضل المعارف والترقي في الملكوت والجبروت والصورية جنة الأفعال وتفاوت درجاتها بحسب تفاوت الأعمال والتدرج في مراتب عالم الملك من السموات العلى والجنات المحتوية على جميع المنى وما روي من الحديث في شهداء أحد فالطير الخضر فيه إشارة إلى الأجرام السماوية والقناديل هي الكواكب أي تعلقت بالنيرات من الأجرام السماوية لنزاهتها وأنهار الجنة منابع العلوم ومشارعها ثمارها الأحوال والكشوف

والمعارف أو الأنهار والثمار الصورية على حسب جنتهم المعنوية أو الصورية فإن كل ما وجد في الدنيا من المطاعم والمشارب والمناكح والملابس وسائر الملاذ والمشتهيات موجود في الآخرة في عالم المثال وفي طبقات السماء ألذ وأصفى مما في الدنيا يستبشرون بنعمة الأمن من العقاب اللازم للنقص والتقصير والنجاة من الحزن على فوات نعمة الدنيا لحصول ما هو أشرف وأصفى وألذ وأبقى من جنات الأفعال وفضل هو زيادة جنات الصفات المشار إليها بالرضوان أو نعمة جنة الصفات وفضل جنة الذوات وأن أجر إيمانهم من جنة الأفعال لا يضيع مع ذلك انتهى كلامه فلا بد للسالك من بذل المال والبدن والروح حتى يحصل لهم أنواع الفتوح.

دلا طمع مبراز لطف بى نهايت دوست چولاف عشق زدى سرباز چابك وچست

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾

﴿الذين استجابوا لله والرسول﴾ أي أجابوا وأطاعوا فيما أمروا به ونهوا عنه كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟﴾ [البقرة: ١٨٦] ﴿من بعد ما أصابهم القرح﴾ أي الجرح في غزوة أحد ﴿للذين أحسنوا منهم﴾ يدخل تحته الإتيان بجميع المأمورات ﴿واتقوا﴾ يدخل تحته الانتهاء عن جميع المنهيات ﴿أجر عظيم﴾ ثواب عظيم وجملة قوله للذين خبر مقدم مبتدأه أجر عظيم والجملة في محل الرفع خبر الذين استجابوا وكلمة من في قوله منهم ليست للتبعيض لأن الذين استجابوا لله والرسول كلهم قد أحسنوا لا بعضهم بل هي لبيان الجنس ومحصل المعنى حينئذٍ الذين استجابوا لله والرسول لهم أجر عظيم إلا أنهم وصفوا بوصفي الإحسان والتقوى مدحاً لهم وتعليلاً لعظم أجرهم بحسن فعالهم لا تقييداً.

ـ روي ـ أن أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا من أحد فبلغوا الروحاء وهو موضع بين مكة والمدينة ندموا وهموا بالرجوع حتى يستأصلوا ما بقي من المؤمنين فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال: لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا بالأمس أي وقعتنا والعرب تسمي الوقائع أياماً ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥] فخرج رسول الله عليه السلام إراءة من نفسه ومن أصحابه جلداً وقوة ومعه جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم أي حملوا المشقة على أنفسهم كيلا يفوتهم الأجر وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت، فهذه هي غزوة حمراء الأسد متصلة بغزوة أحد، وأما غزوة بدر الصغرى فقد وقعت بعدها بسنة وإليها الإشارة بقوله تعالى:

﴿الذين قال لهم الناس﴾ يعني الركب استقبلوهم من عبد قيس أو نعيم بن مسعود الأشجعي وإطلاق الناس عليه لما أنه من جنسهم وكلامه كلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله سوى فرس فرد وغير ثوب واحد أو لأنه انضم إليه ناس من المدينة وأذاعوا كلامه ﴿إن الناس﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه ﴿قد جمعوا لكم﴾ أي اجتمعوا ﴿فاخشوهم﴾.

ـ روي ـ أن أبا سفيان لما عزم على أن ينصرف من المدينة إلى مكة نادى: يا محمد

موعدنا موسم بدر الصغرى لقابل نقتتل بها إن شئت فقال ﷺ: «إن شاء الله» فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فألقى الله في قلبه الرعب وبدا له أن يرجع فمر به ركب من بني عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب أن ثبطوا المسلمين أو لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمراً فقال: يا نعيم إني واعدت محمداً أن نلتقي بموسم بدر إلا أن هذا العام عام جدب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي أن ارجع ولكن إن خرج محمد ولم أخرج زاده ذلك جراءة فاذهب إلى المدينة فثبطهم ولك عندي عشرة من الإبل وضمنها سهيل بن عمرو فجاء نعيم المدينة فوجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم: ما هذا بالرأي أتوكم في دياركم فلم يفلت منكم أحد أي لم يتخلص إلا شريد وهو الفار النافر المبعد أفترون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم فإن ذهبتم إليهم لم يرجع منكم أحد فأثر هذا الكلام في قلوب قوم منهم فلما عرف رسول الله ﷺ ذلك منهم قال: «والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكباً كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل» ﴿**فزادهم**﴾ القول ﴿**إيمانا**﴾ والمعنى لم يلتفتوا إلى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله وازداد اطمئنانهم وأظهروا حمية الإسلام وأخلصوا النية عنده ﴿**وقالوا حسبنا الله**﴾ أي محسبنا وكافينا من أحسبه إذا كفاه ﴿**ونعم الوكيل**﴾ أي: الموكول إليه هو أي الله.

﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿**فانقلبوا بنعمة من الله**﴾ الفاء فصيحة، أي: خرجوا إليهم ووافوا الموعد فرجعوا من مقصدهم ملتبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها كائنة من الله تعالى وهي العافية والثبات على الإيمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم ﴿**وفضل**﴾ أي: ربح في التجارة عظيم ﴿**لم يمسسهم سوء**﴾ سالمين من السوء أي لم يصبهم أذى ولا مكروه.

ـ روي ـ أنه ﷺ وافى بجيشه بدراً الصغرى وكانت موضع سوق لبني كنانة يجتمعون فيها كل عام ثمانية أيام ولم يلق صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه هناك أحداً من المشركين وأتوا السوق وكانت معهم نفقات وتجارات فباعوا واشتروا ارياً وزبيباً وربحوا وأصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين ورجع أبو سفيان إلى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا: إنما خرجتم لتشربوا السويق ﴿**واتبعوا**﴾ في كل ما أتوا من قول وفعل وهو عطف على انقلبوا ﴿**رضوان الله**﴾ الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم ﴿**والله ذو فضل عظيم**﴾ حيث تفضل بالتثبيت وزيادة الإيمان والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد والتصلب في الدين وإظهار الجرأة على العدو وحفظهم من كل ما يسوؤهم مع إصابة النفع الجليل. وفيه تحسير لمن تخلف عنهم وإظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا أنفسهم ما فاز به هؤلاء وروي أنهم قالوا: هل يكون هذا غزواً؟ فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم.

﴿**إنما ذلكم**﴾ أي المثبط أيها المؤمنون وهو مبتدأ ﴿**الشيطان**﴾ خبره ﴿**يخوف أولياءه**﴾ المنافقين غلبة المشركين وقهرهم ليقعدوا عن قتالهم فهم المنافقون الذين في قلوبهم مرض وقد

تخلفوا عن رسول الله في الخروج والمعنى أن تخويفه بالكفار إنما يتعلق بالمنافقين الذين هم أولياؤه وأما أنتم أيها المؤمنون فأولياء الله وحزبه الغالبون لا يتعلق بكم تخويفه ﴿**فلا تخافوهم**﴾ أي الشيطان وأولياءه من أبي سفيان وغيره ﴿**وخافون**﴾ في مخالفة أمري ﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾ فإن الإيمان يقتضي إيثار خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعي الأمن من شر الشيطان وأوليائه. والخوف على ثلاثة أقسام: خوف العام وهو من عقوبة الله، وخوف الخاص وهو من بعد الله، وخوف الأخص وهو من الله وإلى هذه المراتب أشار النبي عليه السلام بقوله: «أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك» فعلى السالك أن يفنى عن نفسه وصفاتها ولا يرى في الكون وجوداً غير وجوده فلا يخاف إلا منه فإنه هو القاهر فوق عباده وهو الكافي جميع الأمور. قال نجم الدين الكبرى قدس سره آخر مقام الخلة أن يكبر على نفسه وجميع المكونات أربع تكبيرات ويتحقق له أن الله حسبه من كل شيء وهو نعم الوكيل عن نفسه وما سواه، قال الحافظ الشيرازي:

من همان دمكه وضو ساختم ازچشمه عشق
چار تكبير زدم يكسره بر هرچه كه هست

يشير إلى أنه وقت قيامه بالعشق رأى وجود غير الله ميتاً بمنزلة الجماد وقد قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] وصلاة الميت بأربع تكبيرات لا غير وهذا هو الفناء عن نفسه وعن المكونات حققنا الله تعالى بحقيقة التوحيد. قال أبو يزيد: كنت اثنتي عشرة سنة حداداً لنفسي وخمسين سنة مرآة قلبي وسنة انظر فيها فإذا في وسطي زنار ظاهر فعملت في قطعه اثنتي عشرة سنة ثم نظرت فإذا في باطني زنار فعملت في قطعه خمس سنين انظر كيف أقطع فكشف لي فنظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات، وقيل لأبي يزيد البسطامي بعد وفاته كيف كان حالك مع منكر ونكير فقال: لما قالا لي من ربك قلت لهما اسألا ربي فإن قال: هو عبدي يكفي وإلا فلو قلت: أنا عبده مراراً لا يفيد بلا قبوله وحقيقة العبودية بالتبري من جميع ما سوى الله ولو من صومه وصلاته وسائر عباداته.

ـ روي ـ أن أبا يزيد في آخر عمره دخل محرابه وقال: إلهي لا أذكر صومي ولا صلاتي ولا غيرهما بل أقول أفنيت عمري في الضلالة فالآن قطعت زناري وجئت بابك بالاستسلام وهو الإسلام وهذا هو الإنصاف من نفسه حقيقة. قال الشيخ السعدي في حق شيخه السهروردي:

شبى دائم ازهول دوزخ نخفت بكوش آمدم صبحكاهى كه كفت
چه بودى كه دوزخ زمن پرشدى مكر ديكرانرا رهايى بدى

فالعاقل لا يزكي نفسه ولا يراها محلاً لكرامة الله بل يتواضع بحيث يرى أعماله السيئة كثيرة بالنسبة إلى أعماله الصالحة بل ولا يرى في نفسه إلا العدم المحض.

واعلم أن من شعار المسلمين وعادة المؤمنين أن يجاهدوا في سبيل الله ولا يخافوا لومة اللائمين ألا يرى أن الله تعالى كيف مدح قوماً حالهم كذلك بقوله: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤] فمن كان مع الله فهو يعصمه وينصره على أعدائه خصوصاً عدو النفس الأمارة:

كسى رادانم أهل استقامت كه باشد برسر كوى ملامت
زاوصاف طبيعت پاك مرده باطلاق هويت جان سپرده
برفته سايه وخرشيد مانده تمام ازكرد خوددا من فشانده

أوصلنا الله وإياكم إلى الخلوص واليقين والتمكين آمين ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ أي يقعون فيه سريعاً لغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه وهم المنافقون المتخلفون الذين يسارعون إلى ما أبطنوه من الكفر مظاهرة للكفار وسعياً في إطفاء نور الله ﴿إنهم لن يضروا الله شيئاً﴾ أي لن يضروا بذلك أولياء الله ودينه البتة شيئاً من الضرر ﴿يريد الله أن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة﴾ أي يريد الله بذلك أن لا يجعل لهم في الآخرة نصيباً ما من الثواب ولذلك تركهم في طغيانهم يعمهون إلى أن يهلكوا على الكفر. وفي ذكر الإرادة إشعار بأن كفرهم بلغ النهاية حتى أراد أرحم الراحمين أن لا يكون لهم حظ من رحمته وأن مسارعتهم إلى الكفر لأنه تعالى لم يرد لهم أن يكون لهم حظ في الآخرة ﴿ولهم﴾ مع ذلك الحرمان الكلي بدل الثواب ﴿عذاب عظيم﴾ لا يقادر قدره.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾

﴿إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان﴾ أي أخذوه بدلاً منه رغبة فيما أخذوه وإعراضاً عما تركوه ﴿لن يضروا الله شيئاً ولهم عذاب أليم﴾ ولما جرت العادة باغتباط المشتري بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتأمله عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالإيلام مراعاة لذلك.

﴿ولا يحسبن الذين كفروا﴾ الموصول مع صلته فاعل لا يحسبن ﴿أنما﴾ بما في حيزها سادة مسد مفعوليه لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبي بالنسبة بين المبتدأ والخبر وما مصدرية أو موصولة حذف عائدها وكان حقها في قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت في مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الإمام في خط المصاحف ﴿نملي لهم﴾ الإملاء الإمهال وإطالة المدة والملي مقصوراً الدهر والملوان الليل والنهار لتعاقبهما أي أن إملاءنا لهم أو أن ما نمليه لهم ﴿خير لأنفسهم﴾ من منعهم عن إرادتهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم ﴿إنما﴾ كافة حقها الاتصال ﴿نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾ اللام لام الإرادة عند أهل السنة القائلين بأنه تعالى فاعل الخير والشر مريد لهما فإن الإملاء الذي هو إطالة العمر لا شك أنه من أفعاله تعالى وأنه ليس بخير لهم لأنهم يتوسلون به إلى ازدياد الإثم والطغيان فهو تعالى لما أمهلهم وأطال عمرهم بإرادته واكتسبوا بذلك مآثم من الكفر والطغيان كان خالقاً لتلك المآثم أيضاً ولا تخلق إلا بالإرادة فهو مريد لها كما أنه مريد لأسبابها المؤدية إليها وليست لام العلة لأن أفعاله تعالى ليست معللة بالأغراض وعند المعتزلة لام العاقبة ﴿ولهم عذاب مهين﴾ أي يهانون به في الآخرة قال عليه السلام: «خير الناس من طال عمره وحسن

عمله وشر الناس من طال عمره وساء عمله». ودلت الآية على أن إطالة عمر الكافر والفاسق وإيصاله إلى مراداته في الدنيا ليس بخير بل هي نعمة في الصورة ونقمة في الحقيقة ألا يرى أن من أطعم إنساناً خبيصاً مسموماً لا يعد ذلك نعمة عند الحقيقة لإفضائه إلى الهلاك والعقوبة فينبغي للعبد أن لا يغتر بطول العمر وامتداده ولا بكثرة أمواله ولا أولاده:

غره مشو بآن كه جهانت عزيز كرد اي بس عزيز راكه جهان كردزود خوار
مارست اين جهان وجها نجوى ماركير وزماركير مار برآرد كهى دمار

قال الله لرسول الله ﷺ ليلة المعراج: «إن من نعمي على أمتك أني قصرت أعمارهم كيلا تكثر ذنوبهم وأقللت أموالهم كيلا يشتد في القيامة حسابهم وأخرت زمانهم كيلا يطول في القبور حبسهم» وقال أيضاً: «يا أحمد لا تتزين بلين اللباس وطيب الطعام ولين الوطاء فإن النفس مأوى كل شر وهي رفيق سوء كلما تجرها إلى طاعة تجرك إلى معصية وتخالفك في الطاعة وتطيع لك في المعصية وتطغى إذا شبعت وتتكبر إذا استغنت وتنسى إذا ذكرت وتغفل إذا أمنت وهي قرينة للشيطان» وقيل مثل النفس كمثل النعامة تأكل الكثير وإذا حملت عليها لا تطير وإذا قيل أنت طائر قالت أنا بعير وهذه رجلي وإذا حملت عليها شيئاً قالت أنا طائر وهذا جناحي فكثرة المال وكمال الاستغناء تغر النفس قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦ ـ ٧].

مبر طاعت نفس شهوت پرست كه هر ساعتش قبله ديكر ست

قال السعدي قدس سره:

شنيده ام كه بقصاب كوسفندى كفت دران زمانكه بخنجر سرش زتن ببريد
جزاي هر بن خارى كه خورده ام ديدم كسى كه بهلوى چر بم خورد چه خواهد ديد

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قلت يا رسول الله ألا تستطعم الله فيطعمك؟ قالت: وبكيت لما رأيت به من الجوع وشد الحجر من السغب فقال: «يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها. يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد» قال عليه السلام: «الدنيا والآخرة ضرتان فمن يطلب الجمع بينهما فهو ممكور ومن يدعي الجمع بينهما فهو مغرور» فمن رام مع متابعة الهوى البلوغ إلى الدرجات العلى فهو غريق في الغفلة فالله تعالى يمهله في طغيان النفس بالحرص على الدنيا حتى يتجاوز في طلبها حد الاحتياج إليها ويفتح أبواب المقاصد الدنيوية عليه ليستغني بها وبقدر الاستغناء يزيد طغيانه:

بناز ونعمت دنيا منه دل كه دل بر داشتن كاريست مشكل

فيا أيها الإخوان الذين مضوا قبلنا من الأمم قد عاشوا طويلاً وجمعوا كثيراً فتذكروا موتهم ومصارعهم تحت التراب وتأملوا كيف تبددت أجزاؤهم وكيف أرملوا نساءهم وأيتموا أولادهم وضيعوا أموالهم وهلكت بعدهم صغارهم وكبارهم وانقطعت آثارهم وديارهم فلم يرجع من كفر بنعمة الله إلا إلى العذاب والخسران ولم يصر إلا إلى دركات النيران فمن كانت غفلته كغفلتهم فسيصير إلى ما صاروا إليه وإن عاش طويلاً فإن الله يمهل ولا يهمل قال تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٢٤﴾ [لقمان: ٢٤] وما الحياة والتمتع بها إلا قليل.

فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة لعلك تلحق بالجماعة من أهل الوصول وأرباب القبول. وجميع الطاعات من أسباب الفلاح خصوصاً الصلاة أفضل العبادات وأعلاها وأشرف الطاعات وأسناها. والصوم سبب الولوج في ملكوت السموات وواسطة الخروج من رحم مضايق الجسمانيات المعبر عنه بالنشأة الثانية كما أشير إليه بقول عيسى عليه السلام: [لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين] بل مجاهدة الصوم رابطة مشاهدة اللقاء وإليه يشير الحديث القدسي وهو قوله جل شأنه «الصوم لي وأنا أجزي به» يعني أنا جزاؤه ولهذا علق سبحانه نيل سعادة الرؤية بالجوع حيث قال في مخاطبة عيسى عليه السلام: [تجوع تراني].

همي آيد ازحق ندا متصل تجوع تراني تجرد تصل

رزقنا الله وإياكم.

﴿**ما كان الله**﴾ مريداً ﴿**ليذر**﴾ لأن يترك ﴿**المؤمنين**﴾ المخلصين ﴿**على ما أنتم عليه**﴾ الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره ﴿**حتى يميز الخبيث من الطيب**﴾ ماز الشيء يميزه ميزاً عزله وأفرزه والمعنى ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعاً حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي إلى نبيه بأحوالكم أو بالجهاد أو بالهجرة ﴿**وما كان الله ليطلعكم على الغيب**﴾ أي وما كان الله ليؤتى أحدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وإيمان ﴿**ولكن الله يجتبي**﴾ يصطفي ﴿**من رسله من يشاء**﴾ فيوحي إليه ويخبره ببعض المغيبات أو ينصب له ما يدل عليها ﴿**فآمنوا بالله ورسله**﴾ بصفة الإخلاص أو بأن تعلموه وحده مطلعاً على الغيب وتعلموهم عباداً مجتبين لا يعلمون إلا ما علمهم الله ولا يعلمون إلا ما أوحى إليهم ﴿**وإن تؤمنوا**﴾ حق الإيمان ﴿**وتتقوا**﴾ النفاق ﴿**فلكم**﴾ بمقابلة ذلك الإيمان والتقوى ﴿**أجر عظيم**﴾ لا يبلغ كنهه وهذا الأجر على قدر عظم التقوى فإن السير إلى المقصد الأعلى والوصول إلى منازل الاجتباء لا يتهيأ إلا بقدمي التقى:

قدم بايد اندر طريقت نه دم كه أصلى ندارد دم بى قدم

قال إبراهيم بن أدهم: بت ليلة تحت صخرة بيت المقدس فلما كان بعض الليل نزل ملكان فقال أحدهما لصاحبه: من هٰهنا؟ فقال الآخر: إبراهيم بن أدهم فقال ذلك الذي حط الله درجة من درجاته فقال: لم؟ قال: لأنه اشترى بالبصرة التمر فوقعت تمرة على تمره من تمر البقال قال إبراهيم: فمضيت إلى البصرة واشتريت التمر من ذلك الرجل وأوقعت تمرة على تمره ورجعت إلى بيت المقدس وبت في الصخرة فلما كان بعض الليل إذا أنا بملكين قد نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه: من هٰهنا؟ فقال أحدهما: ذلك الذي رد التمرة إلى مكانه فرفعت درجته فهذا هو التقوى على الحقيقة ومراعاة الحقوق على الوجه اللائق ولا يتيسر ذلك إلا بالتوسل إلى جناب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فإن غيب الحقائق والأحوال لا ينكشف بلا واسطة الرسول وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن**﴾ الخ وكيف يترقى إلى حقيقة التقوى وعالم الاطلاق من تقيد برأيه واختياره قال الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] فلا بد من متابعة النبي عليه السلام.

حقا كه بى متابعت سيد رسل هر كز كسى بمنزل مقصود ره نيافت
ازهيج أو بهيج درى ره نمى دهند انرا كه زآستانه او روى دل بتافت

فالإيمان بالله وبرسوله هو التصديق القلبي والإرادة والتمسك بالشريعة والنجاة فيه لا في غيره.

ـ روي ـ أن المؤمن إذا ورد النار بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] يصير الله ثواب التوحيد سفينة والقرآن حبلها والصلاة شراعها ويكون المصطفى عليه السلام ملاحها والمؤمنون يجلسون عليها ويكبرون الله وتجري السفينة على بحر نار جهنم بريح طيبة فيعبرون عنها سالمين. فيا أخي لا تضيع أيامك فإن أيامك رأس مالك وإنك ما دمت قابضاً على رأس مالك فإنك قادر على طلب الربح فاجتهد في تحصيله بالتوغل في الطاعات والعبادات وإحياء سنة رسول الله ﷺ والصلاة عليه قبل الموت والفوت فإن الموتى يتمنون أن يؤذن لهم بأن يصلوا ركعتين أو يقولوا مرة لا إله إلا الله أو يسبحوا مرة فلا يؤذن لهم ويتعجبون من الأحياء كيف يضيعون أيامهم في الغفلة.

اكر مرده مسكين زبان داشتى بفرياد وزارى فغان داشتى

كه اي زنده هست إمكان كفت لب ازذ كرچون مرده برهم مخفت

چومارا بغفلت بشد روز كار توبارى دمى چند فرصت شمار

قال عليه السلام: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» فتميز المنافق من المخلص كما يكون في الدنيا بالأقوال والأفعال وغيرهما كذلك يكون في الآخرة ببياض وجه هذا وسواد وجه ذلك كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] فعلى العاقل أن يتحمل مشاق الطاعات والتكاليف والامتحانات الإلَهية لعله يفوز بالمرام ويظفر بالبغية يوم يخيب المعرضون والمنافقون ويخسرون.

خوش بود كر محك تجربه آيدبميان باسيه روى شود هر كه دروغش باشد

قال بعض الكبار: وعند الامتحان يكرم الرجل أو يهان عصمنا الله وإياكم من المخالفة.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾

﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله﴾ الموصول فاعل لا يحسبن والمفعول الأول محذوف لدلالة يبخلون عليه أي ولا يحسبن البخلاء بخلهم **﴿هو﴾** ضمير فصل لا محل له من الإعراب **﴿خيراً لهم﴾** من إنفاقهم مفعول ثانٍ للفعل المذكور **﴿بل هو﴾** أي البخل **﴿شر لهم﴾** لاستجلاب العقاب عليهم **﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾** بيان لقوله هو شر لهم أي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق إذ لا طوق ثمة فيكون من قبيل الاستعارة التمثيلية شبه لزوم وبال البخل وإثمه بهم بلزوم طوق نحو الحمامة بها في عدم زوال كل واحد منهما عن صاحبه فعبر عن لزوم الوبال بهم بالتطويق واشتق منه يطوقون كما يقال منة فلان طوق في رقبة فلان وقيل: هو على حقيقته وأنهم يطوقون حية أو طوقاً من نار استدلالاً بالحديث وسيجيء **﴿ولله﴾** وحده لا لأحد غيره استقلالاً واشتراكا **﴿ميراث السموات والأرض﴾** أي ما يتوارثه أهلهما من مال وغيره من الرسالات التي يتوارثها أهل السموات فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله أو أنه يورث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله تعالى عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة **﴿والله بما تعملون﴾**

من المنع والإعطاء ﴿خبير﴾ فيجازيكم على ذلك.

واعلم أن البخل عبارة عن امتناع أداء الواجب والامتناع عن التطوع لا يكون بخلاً ولذلك قرن به الوعيد والذم والواجب كثير كالإنفاق على النفس والأقارب الذين يلزمه مؤونتهم والصدقة على الغير حال المخمصة وفي حال الجهاد عند الاحتياج إلى التقوية بالمال.

ثم إن في الآية إشارة إلى أن البخل إكسير الشقاوة كما أن السخاء إكسير السعادة وذلك لأن الله تعالى سمى المال فضله كما قال: ﴿من فضله﴾ والفضل لأهل السعادة فبإكسير البخل يصير الفضل قهراً والسعادة شقاوة كما قال: ﴿هو خيراً لهم بل هو شر لهم﴾ يعني بإكسير البخل يجعلون خيرية ما آتاهم الله من فضله شراً لهم ولو أنهم طرحوا على ما هو فضله إكسير السخاء لجعلوه خيراً لهم فصيروه سعادة ولصاروا بها أهل الجنة ولن يلج الجنة الشحيح ثم عبر عن آفة حب الدنيا والمال بالطوق لأنها تحيط بالقلب ومنها تنشأ معظم الصفات الذميمة مثل البخل والحرص والحسد والحقد والعداوة والكبر والغضب وغير ذلك ولهذا قال النبي عليه السلام: «حب الدنيا رأس كل خطيئة» فبمنع الزكاة يصير الروح الشريف العلوي النوراني محفوفاً بهذه الصفات الخسيسة السفلية الظلمانية مطوقاً بآفاتها وحجبها وعذابها يوم القيامة وبعد المفارقة فإنه من مات فقد قامت قيامته:

نه منعم بمال ازكسى بهترست   خررا جل اطلس بپوشد خرست
هنر بايد وفضل ودين وكمال   كه كه آيد وكه رود جاه ومال
پسنديده رأيى كه بخشيد وخورد   جهان ازپى خويشتن كرد كرد

قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه» يعني بشدقيه «ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون﴾ الآية» في رواية «يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه إلى قدمه وتنقر رأسه وتقول أنا مالك» وقال ﷺ: «ما من رجل يكون له إبل أو بقر أو غنم لا يؤدي حقها إلا أتى بها يوم القيامة أعظم ما تكون واسمنه تطأه بأخفافها وتنطحه بقرونها كلما جازت أخراها ردت عليه أولاها حتى يقضي بين الناس». قال أبو حامد: مانع زكاة الإبل يحمل بعيراً على كاهله له رغاء وثقل يعدل الجبل العظيم. ومانع زكاة البقر يحمل ثوراً على كاهله له خوار وثقل يعدل الجبل العظيم. ومانع زكاة الغنم يحمل شاة لها ثغاء وثقل يعدل الجبل العظيم والرغاء والخوار والثغاء كالرعد القاصف. ومانع زكاة الزرع يحمل على كاهله اعدالا قد ملئت من الجنس الذي كان يبخل به براً كان أو شعيراً أثقل ما يكون ينادي تحته بالويل والثبور. ومانع زكاة المال يحمل شجاعاً أقرع له زبيبتان وذنبه قد انساب في منخريه واستدار بجيده وثقل على كاهله كأنه طوق بكل رحى في الأرض وكل واحد ينادي ما هذا فيقول الملائكة: هذا ما بخلتم به في الدنيا رغبة فيه وشحاً عليه فمنع الزكاة سبب للعقاب في العقبى كما أن إيتاءها سبب للثواب في الأخرى وحصن لماله في الدنيا قال ﷺ: «حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا البلايا بالدعاء» قال عليه السلام: «لا صلاة لمن لا زكاة له».

ـ روي ـ أن موسى عليه السلام مرّ برجل وهو يصلي مع حضور وخشوع فقال: يا رب ما أحسن صلاته قال الله تعالى: «لو صلى في كل يوم وليلة ألف ركعة وأعتق ألف رقبة وصلى

على ألف جنازة وحج ألف حجة وغزا ألف غزوة لم ينفعه حتى يؤدي زكاة ماله» وقال عليه الصلاة والسلام: «ملعون مال لا يزكى كل عام وملعون بدن لا يبتلى في كل أربعين ليلة ومن البلاء العثرة والنكبة والمرضة والخدشة واختلاج العين فما فوق ذلك» فإذا سمعت هذه الأخبار وقفت على وزر من وقف على الإصرار ولم يؤد زكاة ماله بطيبة النفس وصفاء البال إلى أن يرجع فقيراً ميتاً بعدما ساعدته الأحوال والأموال.

پريشان كن امروز كنجينه چست … كه فردا كليدش نه دردست تست
تو باخود ببر توشه خويشتن … كه شفقت نيايد ز فرزند وزن
بخيل توانكر بدينار وسيم … طلسمست بالاى كنجى مقيم
ازان سالها مى بماند زرش … كه لرزد طلسمى چنين بر سرش
بسنك أجل ناكهان بشكنند … بآسودكي كنج قسمت كنند
چو در زندكاني بدي باعيال … كرت مرك خواهند از ايشان منال
تو غافل در انديشه سود مال … كه سر ماية عمر شد بإيمال
بكن سرمة غفلت از چشم پاك … كه فردا شوى سرمه درچشم خاك

﴿لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾

﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ قالته اليهود لما سمعوا قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥].

ـ روي ـ أنه عليه الصلاة والسلام كتب مع أبي بكر رضي الله تعالى عنه إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً فدخل أبو بكر رضي الله عنه ذات يوم بيت مدارسهم فوجد ناساً كثيراً من اليهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال له اشيع فقال أبو بكر لفنحاص: اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة فآمن وصدق وأقرض الله قرضاً حسناً يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال: فنحاص يا أبا بكر تزعم أن ربنا يستقرض أموالنا وما يستقرض إلا الفقير من الغني فإن كان ما تقول حقاً فإن الله إذاً لفقير ونحن أغنياء وأنه ينهاكم عن الربا ويعطينا ولو كان غنياً ما أعطانا الربا فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص إلى النبي ﷺ فشكاه وجحد ما قاله فنزلت رداً عليه وتصديقاً لأبي بكر، والجمع حينئذٍ مع كون القائل واحداً لرضى الباقين بذلك والمعنى أنه لم يخف عليه تعالى وأعد له من العقاب كفاءه والتعبير عنه بالسماع للإيذان بأنه من الشناعة والسماجة بحيث لا يرضى قائله بأن يسمعه سامع. **﴿سنكتب ما قالوا﴾** أي سنكتب ما قالوه من الخطة الشنعاء في صحائف الحفظة أو سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب. والسين للتأكيد أي لن يفوتنا أبداً تدوينه وإثباته لكونه في غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن العظيم والرسول الكريم عليه

السلام. ﴿**وقتلهم الأنبياء**﴾ عطف عليه إيذاناً بأنهما في العظم إخوان وتنبيهاً على أنه ليس بأول جريمة ارتكبوها بل لهم فيه سوابق وأن من اجترأ على قتل الأنبياء لم يبعد منه أمثال هذه العظائم والمراد بقتلهم الأنبياء رضاهم بفعل أسلافهم ﴿**بغير حق**﴾ متعلق بمحذوف وقع حالاً من قتلهم أي كائناً بغير حق وجرم في اعتقادهم أيضاً كما هو في نفس الأمر ﴿**ونقول**﴾ عند الموت أو عند الحشر أو عند قراءة الكتاب ﴿**ذوقوا عذاب الحريق**﴾ أي وننتقم منهم بعد الكتبة بأن نقول لهم: ذوقوا العذاب المحرق كما أذقتم المرسلين الغصص ﴿**ذلك**﴾ إشارة إلى العذاب المذكور ﴿**بما قدمت أيديكم**﴾ بسبب ما اقترفتموه من قتل الأنبياء والتفوه بمثل تلك العظيمة وغيرها من المعاصي والتعبير عن الأنفس بالأيدي لأن أكثر الأعمال يزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب. ﴿**وأن الله ليس بظلام للعبيد**﴾ محله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراض تذييلي مقررة لمضمون ما قبلها أي والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلاً عن كونه ظلماً بالغاً لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك الإثابة على الأعمال بإضاعتها مع أن الأعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بإبراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم.

والإشارة في تحقيق الآيتين أن العبد إذا غلبت عليه الصفات الذميمة واستولى عليه الهوى والشيطان ومات قلبه تكاملت الصفة الأمارية لنفسه فما ينطق إلا عن الهوى إن هو إلا وحي يوحيه إليه الشيطان كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١] والنفس إذا تكملت بالهوى تدعي الربوبية كما ادعى فرعون وقال: أنا ربكم الأعلى فيكون كلامها من صفات الربوبية وأن من صفات الربوبية قوله: ﴿**والله الغني وأنتم الفقراء**﴾ فإذا تم فساد حال النفس الأمارة بالسوء أثبتت صفات الربوبية لنفسها وصفات العبودية لربها كقوله: ﴿**لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء**﴾ أثبتوا لنفسهم صفات الربوبية وهي الغنى وأثبتوا لله صفة العبودية وهي الفقر ﴿**سنكتب ما قالوا**﴾ أي سنميت قلوبهم بأقوالهم هذه كما امتناها بأفعالهم ﴿**و**﴾ هي ﴿**قتلهم الأنبياء بغير حق**﴾ يشير إلى أن جزاء هذه الأقوال في حق الله مثل جزاء هذه الأفعال في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿**ونقول ذوقوا عذاب**﴾ القلب الميت ﴿**الحريق**﴾ بنار القهر والقطيعة ﴿**ذلك بما قدمت أيديكم**﴾ أي بشؤم معاملاتكم القولية والفعلية على وفق الهوى والطبيعة وخلاف الرضى والشريعة ﴿**وأن الله ليس بظلام للعبيد**﴾ بأن يضع الشيء في غير موضعه يعني لا يجعل المصلح منهم مظهر صفة قهره ولا المفسد منهم مظهر صفة لطفه كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ٢٤] وهذا كما يقال:

نـدهـد هـو شـمـنـد روشـن رأى   بـفـرومـايـه كـارهـاى خـطـيـر
بـوريـاباف اكـرچـه بـافـنـده است   نـبـرنـدش بـكـار كـاه حـريـر

وإذا كان للعبد حسن الاستعداد يتحول القهر في حقه إلى اللطف بشرط أن يجتهد ويبذل ما في وسعه وطاقته وكم من مؤمن يصير في مآله كافراً وكم من عكسه فإذا جاء حين السعادة انقلب الحال وكذا الشقاوة. قال بعض المشايخ العباد على قسمين في أعمارهم فرب عمر اتسعت آماده وقلّت امداده كأعمار بني إسرائيل إذ كان الواحد منهم يعيش الألف ونحوها ولم

يحصل على شيء مما تحصل لهذه الأمة مع قصر أعمارها ورب عمر قليلة آماده كثيرة امداده كعمر من فتح عليه من هذه الأمة فوصل إلى عناية الله بلمحة. فقد قال أحمد بن الحواري رحمه الله: قلت لأبي سليمان الداراني إني قد غبطت بني إسرائيل قال: بأي شيء؟ قلت بثمانمائة سنة حتى يصيروا كالشنان البالية وكالحنايا وكالأوتار قال: ما ظننت إلا وقد جئت بشيء والله ما يريد الله منا أن ييبس جلودنا على عظامنا ولا يريد منا إلا صدق النية فيما عنده هذا إذا صدق في عشرة أيام نال ما ناله ذلك في عمره الطويل فإن من بورك له في عمره أدرك في يسير من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الإشارة لكثرته وعظمه ودقته ورفعته. وقد قال الشيخ الشاذلي رحمه الله في كتاب «تاج العروس» من قصر عمره فليذكر بالأذكار الجامعة مثل سبحان الله عدد خلقه ونحو ذلك ويعني بقصر العمر والله أعلم أن يكون رجوعه إلى الله في معترك المنايا ونحوها من الأمراض المخوفة والأعراض المهولة وإذا كان الأمر على ما ذكر فالخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه إليه بصدق النية حتى يفتح عليك بما لا تصل الهمم إليه وتقل عوائقك ثم لا ترحل إليه عن عوالم نفسك والاستئناس بيومك وأمسك فقد جاء خصلتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ومعناه ـ والله أعلم ـ أن الصحيح ينبغي أن يكون مشغولاً بدين أو دنيا وإلا فهو مغبون فيهما عصمنا الله وإياكم من الغبن والخذلان والخسران.

مهل كه عمر به بيهوده بكذرد حافظ   بكوش وحاصل عمر عزيزرا درياب

قيل: الدنيا غنيمة الأكياس وغفلة الجهال.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾

﴿الذين﴾ أي الذين **﴿قالوا﴾** وهم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وفنحاس بن عازوراء ووهب بن يهودا **﴿إن الله عهد إلينا﴾** أي أمرنا في التوراة وأوصانا **﴿أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار﴾** فيكون دليلاً على صدقه. والقربان كل ما يتقرب به العبد إلى الله من نسيكة وصدقة وعمل صالح وهو فعلان من القربة. قال عطاء: كانت بنو إسرائيل يذبحون لله تعالى فيأخذون الثروب وأطايب اللحم فيضعونها وسط البيت والسقف مكشوف فيقوم النبي عليه السلام في البيت ويناجي ربه وبنو إسرائيل خارجون واقفون حول البيت فتنزل نار بيضاء لا دخان لها ولها دويّ وهفيف حين تنزل من السماء فتأكل ذلك القربان أي تحيله إلى طبعها بالإحراق فيكون ذلك علامة القبول وإذا لم يقبل بقي على حاله وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم لأن أكل القربان النار لم يوجب الإيمان إلا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل أن عدم إيمانهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعدم إتيانه بما قالوا ولو تحقق الإتيان به لتحقق الإيمان رد عليهم بقوله تعالى: **﴿قل﴾** أي: تبكيتاً لهم وإظهاراً لكذبهم. **﴿قد جاءكم﴾** أي: جاء أسلافكم وآباءكم **﴿رسل﴾** كثيرة العدد كبيرة المقدار **﴿من قبلي بالبينات﴾** أي المعجزات الواضحة **﴿وبالذي قلتم﴾** بعينه من القربان الذي تأكله النار فقتلتموهم **﴿فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾** أي فيما يدل عليه

كلامكم من أنكم تؤمنون لرسول يأتيكم بما اقترحتموه فإن زكريا ويحيى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام قد جاؤوكم بما قلتم في معجزات أخر فما لكم لم تؤمنوا حتى اجترأتم على قتلهم. ﴿**فإن كذبوك**﴾ شروع في تسلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. ﴿**فقد كذب رسل من قبلك**﴾ تعليل لجواب الشرط أي فتسل واصبر فقد كذب الخ ﴿**جاؤوا بالبينات**﴾ المعجزات الواضحات صفة لرسل ﴿**والزبر**﴾ جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرته إذا حسنته أو الزبر المواعظ والزواجر من زبرته إذا زجرته ﴿**والكتاب المنير**﴾ أي التوراة والإنجيل والزبور. والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والأحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة المواقع. والمنير أي المضيء البين بالأمر والنهي.

والإشارة أن الله تعالى كما قدر أن بعض الأمم يغلبون بعض أنبيائهم ويقتلونهم قبل الإيمان أو بعد الإيمان بهم كذلك قدر أن بعض الصفات النفسانية يغلب على بعض الإلهامات الربانية والواردات الرحمانية فيمحوها كما قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] قبل انقيادها لها أو بعدما انقادت لها ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وبالجملة أن الروح يصير بمجاورة الصفات النفسانية كالنفس في الدناءة فتصير الصفات الذميمة غالبة عليه كما تغلب على الإلهامات فعلى السالك أن يتجنب عن مصاحبة المفسدين ومجاورة صفات النفس.

نفس ازهم نفس بكيرد خوى ... بر حذر باش ازلقاى خبيث
باد چون بر فضاى بد كذرد ... بوي بدكيرد ازهواى خبيث

فطوبى لعبد طهر نفسه من الصفات الرذيلة والعناد والإصرار ورأى الحق حقاً والباطل باطلاً وانقطع عن ميل الدنيا واتباع الهوى وموافقة غير الله.

- روي - أن عيسى عليه السلام مر بقرية فإذا أهلها موتى في الأفنية والطرق فقال: يا معشر الحواريين إن هؤلاء ماتوا على سخط ولو ماتوا على غير ذلك لتدافنوا فقالوا: يا روح الله وددنا أنا علمنا خبرهم فسأل ربه فأوحى الله إليه إذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل أشرف على الموتى ثم نادى يا أهل القرية فأجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال: ما حالكم وما قصتكم؟ قال: بتنا في عافية وأصبحنا في هاوية قال: وكيف ذلك؟ قال: لحبنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصي قال: وكيف كان حبكم الدنيا؟ قال: كحال حب الصبي لأمه إذا أقبلت فرحنا وإذا أدبرت حزنا قال: فما بال أصحابك لم يجيبوني؟ قال: لأنهم ملجمون بلجام من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد قال: كيف أجبتني من بينهم؟ قال: لأني كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابني فأنا معلق على شفير جهنم لا أدري أأنجو منها أم أكبكب فيها؟!.

واعلم أن الإنكار والتكذيب من حب الدنيا والميل إليها لأن الأنبياء والأولياء يدعون إلى الجنة والمولى وحفت الجنة بالمكاره والإنسان إذا رأى ما يكرهه يتنفر عنه ثم إذا أقدم على الإتيان به وأكره يأخذ بالإنكار قال الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] وقد وصى الحكماء الإلهية أن لا يجالس المريد أهل الإنكار بل لا يلتفت إليهم أصلاً إذ للمجاورة تأثير عظيم كما قيل:

عدوى البليد إلى الجليد سريعة ... والجمر يوضع في الرماد فيخمد
بابدان يار كشت همسر لوط ... خاندان نبوتش كم شد
سك أصحاب كهف روزي چند ... پي مردم كرفت ومردم شد

قال مولانا جلال الدين قدس سره في هذا المعنى:

كرتوسنك وصخره ومرمر شوى چون بصاحب دل رسى كوهر شوى

ساقنا الله وإياكم إلى طريقة أوليائه ومجالسة أحبائه آمين.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾

﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ أي تخرج وتنفك من البدن بأدنى شيء من الموت فكنى بالذوق عن القلة وهو وعد ووعيد للمصدق والمكذب من حيث إنه كناية عن أن هذه الدار بعدها دار أخرى يتميز فيها المحسن من المسيء ويتوفر على كل أحد ما يليق به من الجزاء وفي الحديث: «لما خلق الله آدم اشتكت الأرض إلى ربها لما أخذ منها فوعدها أن يرد فيها ما أخذ منها فما من أحد إلا ويدفن في التربة التي خلق منها» **﴿وإنما توفون أجوركم﴾** أي تعطون جزاء أعمالكم خيراً كان أو شراً تاماً وافياً **﴿يوم القيامة﴾** أي يوم قيامكم من القبور وفي لفظ التوفية إشارة إلى أن بعض أجورهم يصل إليهم قبله كما ينبىء عنه قوله عليه السلام: «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران» **﴿فمن زحزح عن النار﴾** أي بعد عنها يومئذٍ ونحي. والزحزحة في الأصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة **﴿وأدخل الجنة فقد فاز﴾** بالنجاة ونيل المراد. والفوز الظفر بالبغية وعن النبي ﷺ: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس بما يحب أن يؤتى به إليه» **﴿وما الحياة الدنيا﴾** أي لذاتها وزخارفها **﴿إلا متاع الغرور﴾** شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة ومن آثر الآخرة عليها فهي له متاع بلاغ أي تبليغ إلى الآخرة وإيصال إليها فلذلك سماه الله خيراً حيث قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات: ٨] فالعاقل لا يغتر بالدنيا فإنها لين مسها قاتل سمها ظاهرها مطية السرور وباطنها مطية الشرور:

ترا دنيا همي كويد شب وروز كه هان از صحبتم پرهيز وپرهيز

مده خودرا فريب از رنك وبويم كه هست اين خنده من كريه آميز

قال رسول الله ﷺ: «يقول الله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرأوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧]، وإن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرأوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الواقعة: ٣٠] ولموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما عليها واقرأوا إن شئتم: **﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾**.

بناز ونعمت دنيا منه دل كه دل بر داشتن كاريست مشكل

فمن أتى بالطاعات واجتنب عن السيئات وأعرض عن الدنيا ولذاتها فاز بالجنة ودرجاتها ومن عكس الأمر عوقب بالحرمان في دركات النيران.

ـ روي ـ أن جبريل عليه السلام جاء النبي ﷺ متغير اللون فسأله النبي ﷺ عن تغير لونه

فقال: جئتك وقد أمر الله أن ينفخ في نار جهنم فقال عليه السلام: «صف لي جهنم فقال: لما خلق الله جهنم أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اصفرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت والذي بعثك بالحق نبياً لو أن جمرة منها وقعت لاحترقت أهل الدنيا ولو أن ثوباً من أثوابها علق بين السماء والأرض لماتوا من نتن رائحته لها سبعة أبواب بعضها أسفل من بعض فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من سكان هذه الأبواب فقال: الباب الأول فيه المنافقون واسمه الهاوية والباب الثاني فيه المشركون واسمه الجحيم والباب الثالث فيه الصابئون واسمه سقر والباب الرابع فيه إبليس وأتباعه والمجوس واسمه لظى والباب الخامس فيه اليهود واسمه الحطمة والباب السادس فيه النصارى واسمه السعير والباب السابع فيه عصاة الموحدين واسمه النار يدخلونها ثلاثة أيام فأخبر سلمان حال النبي عليه السلام لفاطمة فسألت النبي فأخبرها النبي عليه السلام فقالت فاطمة رضي الله عنها كيف يدخلونها فقال ﷺ: أما الرجال فباللحى وأما النساء فبالذوائب ثم إنهم يخرجون من النار بشفاعة النبي عليه السلام» فتبين أن من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وأنزل الله على بعض أنبيائه يا ابن آدم تشتري النار بثمن غال ولا تشتري الجنة بثمن رخيص قيل في معناه إن فاسقاً يتخذ ضيافة للفساق بمائة درهم أو مائتين فيشتري النار ولو اتخذ ضيافة للفقراء بدرهم أو درهمين يكون ثمن الجنة.

غم وشادمانى نماند وليك جزاى عمل ماند ونام نيك
كرم پاي دارد نه ديهيم وتخت بده كزتو اين ماند اي نيكبخت
مكن تكيه برملك وجاه وحشم كه پيش ازتوبودست وبعد ازتوهم

واعلم أن البعد عن النار ودخول الجنة بالاجتناب عن المعاصي والمسارعة إلى الطاعة وذلك بالهرب عن مقام النفس والدخول في مقام القلب فإن من دخل حرم القلب كان آمناً كما قال تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] فمن وصل إلى ذلك الحرم فقد خلص من أنواع الألم فهو جنة عاجلة. قال بعضهم للعارف: جنة عاجلة وهي جنة المعرفة. ثم إن أعظم أسباب دخول الجنة كلمة الإخلاص والتوحيد وفقنا الله وإياكم. ثم اعلم أن النفوس على ثلاثة أقسام: قسم منها يموت ولا حشر له للبقاء كسائر الحيوانات، وقسم يموت في الدنيا ويحشر في الآخرة كنفوس الإنسان والملائكة والجن والشياطين، وقسم منها يموت في الدنيا ويحشر في الدنيا والآخرة جميعاً وهي نفوس خواص الإنسان كما قال عليه الصلاة والسلام: «المؤمن حي في الدارين» على أن لها موتاً معنوياً في الدنيا كما قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] وهو البقاء بنور الله ففي قوله: **﴿كل نفس ذائقة الموت﴾** إشارة إلى أن كل نفس مستعدة للفناء في الله فلا بد لها من موت فمن كان موته بالأسباب تكون حياته بالأسباب ومن كان فناؤه في الله يكون بقاؤه بالله **﴿وإنما توفون أجوركم﴾** على قدر تقواكم وفجوركم **﴿فمن زحزح عن النار﴾** أي عن نار القطيعة وأخرج من جحيم الطبيعة على قدمي الشريعة والطريقة **﴿وأدخل الجنة﴾** الحقيقية **﴿فقد فاز فوزاً عظيماً وما الحياة الدنيا﴾** ونعيمها **﴿إلا متاع الغرور﴾** أي متاع يغتر به المغرور والممكور **﴿لتبلون﴾** أصل الابتلاء الاختبار أي تطلب الخبرة بحاله المختبر بتعريضه لأمر يشق عليه غالباً ملابسة أو مفارقة وذلك إنما يتصور ممن لا وقوف له على عواقب الأمور وأما من جهة العليم الخبير فلا يكون

إلا مجازاً من تمكينه للعبد من اختيار أحد الأمرين أو الأمور قبل أن يرتب عليه شيئاً هو من مباديه العادية. والجملة جواب قسم محذوف أي والله لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والأعمال الحسنة **﴿في أموالكم﴾** بما يقع فيها من ضروب الآفات المؤدية إلى الهلاك **﴿وأنفسكم﴾** بالقتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أصناف المتاعب والمخاوف والشدائد ونحو ذلك **﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾** أي من قبل إيتائكم القرآن وهم اليهود والنصارى **﴿ومن الذين أشركوا﴾** من العرب كأبي جهل والوليد وأبي سفيان وغيرهم **﴿أذى كثيراً﴾** من الطعن في الدين الحنيف والقدح في أحكام الشرع الشريف وصد من أراد أن يؤمن وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الأشرف وأصحابه من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على مضادة رسول الله ﷺ ونحو ذلك مما لا خير فيه أخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا أنفسهم على الصبر والاحتمال على المكروه ويستعدوا للقائها فإن هجوم الأوجال مما يزلزل أقدام الرجال والاستعداد للكروب مما يهون الخطوب **﴿وإن تصبروا﴾** على تلك الشدائد والبلوى عند ورودها وتقابلوها بحسن التقابل. **﴿وتتقوا﴾** أي: تتبتلوا إلى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث يتساوى عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه **﴿فإن ذلك﴾** يعني: الصبر والتقوى **﴿من عزم الأمور﴾** من معزوماتها التي تنافس فيها المتنافسون أي مما يجب أن يعزم عليه كل أحد لما فيه من كمال المزية والشرف أو مما عزم الله تعالى عليه وأمر به وبالغ فيه يعني أن ذلك عزمة من عزمات الله لا بد أن تصبروا وتتقوا.

واعلم أن مقابلة الإساءة تفضي إلى ازدياد الإساءة فأمر بالصبر تقليلاً لمضار الدنيا وأمر بالتقوى تقليلاً لمضار الآخرة فالآية جامعة لآداب الدنيا والآخرة. فعلى العاقل أن يتخلق بأخلاق الأنبياء والأولياء ويتأدب بآدابهم فإنهم كانوا يصبرون على الأذى ولا يقابلون السفيه بمثل مقابلته وإذا مروا باللغو مروا كراماً.

بدى را بدى سهل باشد جزا ... اكر مردى احسن الى من أساء

وقد مدح الله تعالى نبيه ﷺ بقوله: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾** [القلم: ٤] قالت عائشة رضي الله عنها: كان خلق النبي ﷺ القرآن، يعني تأدب بآداب القرآن قيل مدار عظم الخلق بذل المعروف وكف الأذى أي احتماله ورسول الله عليه الصلاة والسلام كان موصوفاً بها وقد أنزل الله في معروفه **﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾** [الإسراء: ٢٩] وتحمل الأذى إنما يكون بصبر قوي وهو عليه السلام كان صبوراً لتحمل الأذى أكثر من أن يحصى قال عليه السلام: «صل من قطعك واعف عمن ظلمك وأحسن إلى من أساء إليك» وما أمر عليه السلام غيره بها إلا بعد أن تخلق بها وأمته لا بد أن تتبعه في تحمل الأذى وغيرها لا تسمع بدون الحجة القوية والابتلاآت التي ترد من طرف الحق كلها لتصفية النفس وتوجيهها من الخلق إلى الخالق ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت» كأنه قال ما صفي نبي مثل ما صفيت وقيل لرسول الله ﷺ ادع الله على المشركين فقال: «إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً» فالابتلاء رحمة ونعمة، قال جلال الدين قدس سره:

درد پشتم داد حق تامن زخواب ... بر جهم درنيم شب باسوز وتاب
تانخسبم جمله شب چون كاوميش ... دردها بخشيد حق از لطف خويش

والإشارة في الآية **﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم﴾** بالجهاد الأصغر هل تجاهدون بها

وتنفقونها في سبيل الله وبالجهاد الأكبر أما الأموال فهل تؤثرون على أنفسكم ولو كان بكم خصاصة وأما الأنفس فهل تجاهدون في الله حق جهاده أو لا **﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾** يعني أهل العلم الظاهر **﴿ومن الذين أشركوا﴾** أي أهل الرياء من القراء والزهاد **﴿أذى كثيرا﴾** بالغيبة والملامة والإنكار والاعتراض **﴿وإن تصبروا﴾** على جهاد النفس وبذل المال وأذية الخلق **﴿وتتقوا﴾** بالله عما سواه **﴿فإن ذلك من عزم الأمور﴾** الذي هو من أمور أولي العزم كما قال **﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾** [الأحقاف: ٣٥] ومن لم يحافظ على هذه الأمور كان من المدعين.

مشكل آيد خلق را تغيير خلق ... آنكه بالذات است كى زائل شود

أصل طبع است وهمه أخلاق فرع ... فرع لا بد أصل را مائل شود

فظهر أن من لم يهد الله لا يهتدي إلى مكارم الأخلاق وحسان الخصال وسنيات الأحوال.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

﴿وإذ أخذ الله﴾ أي: اذكر يا محمد وقت أخذه تعالى **﴿ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾** وهم علماء اليهود والنصارى وذلك أخذ على لسان الأنبياء عليهم السلام **﴿لتبيننه﴾** حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب قسم ينبىء عنه أخذ الميثاق كأنه قيل لهم بالله لتبيننه **﴿للناس﴾** وتظهرنّ جميع ما فيه من الأحكام والأخبار التي من جملتها أمر نبوته ﷺ وهو المقصود بالحكاية **﴿ولا تكتمونه﴾** عطف على الجواب وإنما لم يؤكد بالنون لكونه منفياً كما في قولك: والله لا يقوم زيد. **﴿فنبذوه﴾** النبذ الرمي والإبعاد أي طرحوا ما أخذ منهم من الميثاق الموثوق بفنون التأكيد وألقوه **﴿وراء ظهورهم﴾** ولم يراعوه ولم يلتفتوا إليه أصلاً فإن نبذ الشيء وراء الظهر مثل في الاستهانة به والإعراض عنه بالكلية كما أن جعله نصب العين علم في كمال العناية **﴿واشتروا به﴾** أي: بالكتاب الذي أمروا ببيانه ونهوا عن كتمانه والاشتراء مستعار لاستبدال متاع الدنيا بما كتموا أي تركوا ما أمروا به وأخذوا بدله. **﴿ثمنا قليلا﴾** أي شيئاً تافهاً حقيراً من حطام الدنيا وأعراضها، وهو ما تناولوه من سفلتهم فلما كرهوا أن يؤمنوا فينقطع ذلك عنهم كتموا ما علموا من ذلك وأمروهم أن يكذبوه **﴿فبئس ما يشترون﴾** ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس ويشترون صفة والمخصوص بالذم محذوف أي بئس شيئاً يشترونه ذلك الثمن وظاهر الآية وإن دل على نزولها في حق اليهود والنصارى الذين كانوا يخفون الحق ليتوسلوا بذلك إلى وجدان شيء من الدنيا إلا أن حكمهما يعم من كتم من المسلمين أحكام القرآن الذي هو أشرف الكتب وأنهم أشراف أهل الكتاب. قال صاحب الكشاف وكفى به دليلاً على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيئاً لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم أو لجر منفعة من حطام الدنيا لنفسه مما لا دليل عليه ولا أمارة أو لبخل بالعلم وغيرة أن ينسب إلى غيرهم انتهى بعبارته فكل من لم يبين الحق للناس وكتم شيئاً من هذه الأمور دخل تحت وعيد الآية كذا في «تفسير الإمام». فعلى المرء أن يحسن نيته حال الإضمار والإظهار ويطهر سريرته من لوث الإعراض والأوزار والإنكار:

زيـان مـى كـنـد مـرد تـفـسـيـر دان　　كـه عـلـم وأدب مـيـفـروشـد بـنـان
بـديـن اي فـرومـايـه دنـى مـخـر　　چـوخـر بـانـجـيـل عـيـسـى مـخـر

يعني لا تشتر بالعلم والقرآن ما تربي به نفسك من شهواتك ولا تخف من الخلق في إظهار الأحكام واصدع بما أمرت به.

ـ حكي ـ أن الحجاج أرسل إلى الحسن وقال: ما الذي بلغني عنك؟ فقال: ما كل الذي بلغك قلته ولا كل ما قلته بلغك قال: أنت الذي قلت إن النفاق كان مقموعاً فأصبح قد تعمم وتقلد سيفاً فقال: نعم فقال: وما الذي حملك على هذا ونحن نكرهه قال: لأن الله أخذ ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه. قال قتادة مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب وكان يقول: طوبى لعالم ناطق ولمستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خبراً فوعاه قال ﷺ: «من كتم علماً على أهله ألجم بلجام من نار». قال الفضيل ـ رحمه الله ـ: لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وشحوا على دينهم وأعزوا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعاً وعز الإسلام وأهله ولكنهم أذلوا أنفسهم ولم يسألوا ما نقص من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم فبذلوا علمهم لأبناء الدنيا ليصيبوا بذلك مما في أيدي الناس فذلوا وهانوا على الناس. وعن الفضيل أيضاً قال: بلغني أن الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأصنام فيقولون: ربنا ما بالنا فيقول الله ليس من يعلم كمن لا يعلم فمن اشترى الدنيا بالدين فقد وقع في خسران مبين ولا يخفى أن مداره على حب الدنيا ساقنا الله وإياكم إلى طريق القناعة.

ـ حكي ـ أن ذا القرنين اجتاز على قوم تركوا الدنيا وجعلوا قبور موتاهم على أبوابهم يقتاتون بنبات الأرض ويشتغلون بالطاعة فأرسل ذو القرنين إلى رئيسهم فقال: ما لي حاجة إلى صحبة ذي القرنين فجاء ذو القرنين فقال: ما سبب قلة الذهب والفضة عندكم؟ قال: ليس للدنيا طالب عندنا لأنها لا تشبع أحداً فجعلنا القبور عندنا حتى لا ننسى الموت ثم أخذ قحف إنسان وقال: هذا رأس ملك من الملوك كان يظلم الرعية ويجمع حطام الدنيا فقبضه الله تعالى وبقي عليه السيآت ثم أخرج آخر وقال هذا أيضاً رأس ملك عادل مشفق فقبضه وأسكنه جنته ورفع درجته ثم وضع يده على رأس ذي القرنين وقال: من أي الرأسين يكون رأسك؟ فبكى ذو القرنين وقال: إن رغبت في صحبتي شاطرتك مملكتي وسلمت إليك وزارتي فقال: هيهات فقال ذو القرنين: ولم؟ قال: لأن الناس أعداؤك بسبب المال والمملكة وجميعهم أحبابي بسبب القناعة.

نـيـرزد عـسـل جـان مـن زخـم نـيـش　　قـنـاعـت نـكـوتـر بـدو شـاب خـويـش
كـدايـى كـه هـر خـاطـرش بـنـدنـيـسـت　　بـه ازپـاد شـاهـى كـه خـرسـنـد نـيـسـت
اكـرپـادشـا هـسـت اكـر بـيـنـه دوز　　چـو خـفـتـنـد كـرددشـب هـردوروز

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾

﴿لا تحسبن﴾ يا محمد أو الخطاب لكل أحد ممن يصلح له **﴿الذين يفرحون بما أتوا﴾**

أي: بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق. ﴿ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾ من الوفاء بالميثاق وإظهار الحق والإخبار بالصدق ﴿فلا تحسبنهم﴾ تأكيد لقوله لا تحسبن والمفعول الثاني له قوله: ﴿بمفازة من العذاب﴾ أي ملتبسين بنجاة منه ﴿ولهم عذاب أليم﴾ بكفرهم وتدليسهم ﴿ولله﴾ أي: خاصة ﴿ملك السموات والأرض﴾ أي السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيف يشاء ويريد إيجاداً وإعداماً إحياء وإماتة تعذيباً وإثابة من غير أن يكون لغيره شائبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه وهو يملك أمرهم ويعذبهم بما فعلوا لا يخرجون عن قبضة قدرته ولا ينجون من عذابه يأخذهم متى شاء ﴿والله على كل شيء قدير﴾ فيقدر على عقابهم وكيف يرجو النجاة من كان معذبه هذا المالك القادر.

- روي - أنه عليه السلام سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فأخبروه بخلاف ما كان فيه وأروه أنهم قد صدقوا وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل: هم المنافقون كافة وهو الأنسب بظاهر قوله تعالى: ﴿ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾ فإنهم كانوا يفرحون بما فعلوه من إظهار الإيمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون إلى المسلمين بالإيمان وهم عن فعله بألف منزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم في الغاية القاصية من العداوة والأولى إجراء الموصول على عمومه شاملاً لكل من يأتي بشيء من الحسنات فيفرح به فرح إعجاب ويود أن يمدحه الناس بما هو عار من الفضائل وأنواع البر وكون السبب خاصاً لا يقدح في عمومية حكم الآية.

واعلم أن الفرح بمتاع الدنيا وحب مدح الناس من صفات أرباب النفس الأمارة المغرورين بالحياة الدنيا وتمويهات الشيطان المحجوبين عن السعادات الأخروية والقربات المعنوية. قال الإمام في تفسيره وأنت إذا أنصفت عرفت أن أحوال أكثر الخلق كذلك فإنهم يأتون بجميع وجوه الحيل في تحصيل الدنيا ويفرحون بوجدان مطلوبهم ثم يحبون أن يحمدوا بأنهم من أهل العفاف والصدق والدين.

اي برادر ازتو بهتر هيچ كس نشناسدت
زانجه هستى يك سرمو خويش را افزون منه
كرفزون از قدرتو بشناسدت تابخردى
قدر خود بشناس وپاى ازحد خود بيرون منه

فعلى العاقل أن لا يتعدى طوره ولا يفرح بما ليس فيه فإنه لا يغني عنه شيئاً. قال بعض المشايخ: الناس يمدحونك لما يظنون فيك من الخير والصلاح اعتباراً بما يظهر من ستر الله عليك فكن أنت ذاماً لنفسك لما تعلمه منها من القبائح والمؤمن إذا مدح استحيى من الله أن يثني عليه بوصف لا يشهده من نفسه وأجهل الناس من يترك يقين ما عنده من صفات نفسه التي لا شك فيها لظن ما عند الناس من صلاحية حاله. قال الحارث بن المحاسبي رحمه الله: الراضي بالمدح بالباطل كمن يهزأ به ويقال إن العذرة التي تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك ويفرح بذلك ويرضى بالسخرية به:

بحبل ستايش فراچه مشو چو حاتم اصم باش وعيبت شنو

يعني لا تغتر بالمدح حتى لا تقع في بئر الهلاك وكن كالشيخ حاتم الأصم صورة فإن الخلق إذا ظنوك يتكلمون في حقك ما لا ترضى به من القول لو سمعت فأذن تسمع عيوبك

منهم وفي ذلك فائدة عظيمة لك لأن المرء إذا عرف عيبه يجتهد في قمعه والتحلي بالأوصاف الجميلة والعارف هو الذي يستوي قلبه في المدح والذم لا ينقبض من الذم ولا ينبسط من المدح وكيف ينبسط بما يتحقق به مما يقوله الخلق من هو أعرف بحال نفسه وإن انبسط فهو المغرور والمدعي هو الذي يرى نفسه صادقاً في الأحوال والمعاملات وكل الحالات كأنه لا يتعرض لشيء من الدنيا أصلاً وحاله شاهدة عليه في هذا الباب فإن المرء له محك في أقواله وأفعاله وأحواله قال عليه السلام: «إنما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء أن لا تبل قدماه فمن هذا يعرف جهالة الذين يزعمون أنهم يخوضون في نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة الشيطان بل هم لو أخرجوا مما هم فيه لكانوا أعظم المتفجعين بفراقها فكما أن المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة». قال الشيخ أبو عبد الله القرشي ـ رحمه الله ـ: شكا بعض الناس لرجل من الصالحين أنه يعمل البر ولا يجد حلاوته في القلب فقال: لأن عندك ابنة إبليس في قلبك وهي الدنيا ولا بد للأب أن يزور ابنته في بيتها وهو قلبك ولا يؤثر دخوله إلا فساداً قال الله تعالى: [يا داود إن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فإن حبي وحبها لا يجتمعان في قلب أبداً]. وروي أن عيسى عليه السلام قال لأصحابه: لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قالوا: ومن الموتى؟ قال: الراغبون في الدنيا المحبون لها.

بـرمـرد هـشـيـار دنـيـا خـسـسـت　　　كـه هـرمـدتـي جـاى ديـكـر كـسـسـت
مـنـه بـرجـهـان دل كـه بيـكـانـه ايـسـت　　　چـو مـطـرب كـه هرروزدر خـانـه ايـسـت
نــه لايــق بــود عــشــق بــادلــبــرى　　　كــه هــر بــامــدادش بــود شــو هــرى

عصمنا الله وإياكم. ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ وذلك أن أهل مكة سألوا رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يأتيهم بآية لصحة دعواه لأنه كان يدعوهم إلى عبادة الله وحده فنزل ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ خلقين عظيمين ويقال فيما خلق الله في السموات من الشمس والقمر والنجوم وما خلق الله في الأرض من الجبال والبحار والأشجار والوحوش والطيور ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ يعني ذهاب الليل ومجيء النهار ويقال في اختلاف لونيهما أو في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة إلينا قرباً وبعداً بحسب الأزمنة ﴿لآيات لأولي الألباب﴾ لعبرات كثيرة لذوي العقل الخالص من شوائب الأوهام والخيالات. واللب خالص العقل فإن العقل له ظاهر وله لب ففي أول الأمر يكون عقلاً وفي حال كماله ونهاية أمره يكون لباً.

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾

﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ نعت لأولي الألباب أي يذكرونه دائماً على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين فإن الإنسان لا يخلو عن هذه الهيآت غالباً. ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾ يعني: يعتبرون في خلقهما، وإنما خصص التفكر بالخلق لقوله عليه السلام: «تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق» وإنما نهى عن التفكر في

الخالق لأن معرفة حقيقته المخصوصة غير ممكنة للبشر فلا فائدة في التفكر في ذات الخالق. ولما كان الإنسان مركباً من النفس والبدن كانت العبودية بحسب النفس وبحسب البدن فأشار إلى عبودية البدن بقوله: ﴿**الذين يذكرون الله**﴾ الخ فإن ذلك لا يتم إلا باستعمال الجوارح والأعضاء وأشار إلى عبودية القلب والروح بقوله: ﴿**ويتفكرون في خلق السموات والأرض**﴾. وعن عطاء بن أبي رباح قال: دخلت مع ابن عمر وعبيد الله بن عمر على عائشة رضي الله عنها فسلمت عليها فقالت: من هؤلاء؟ فقلت: عبيد الله بن عمر فقالت: مرحباً بك يا عبيد الله بن عمر ما لك لا تزورنا؟ فقال عبيد الله: زر غباً تزدد حباً قال ابن عمر: دعونا من هذا حدثينا بأعجب ما رأيت من رسول الله عليه السلام فبكت بكاء شديداً فقالت: كل أمره عجيب أتاني في ليلتي فدخل في فراشي حتى ألصق جلده بجلدي فقال: «يا عائشة أتأذنين لي أن أتعبد لربي» فقلت: والله إني لأحب قربك وهواك قد أذنت لك فقام إلى قربة من ماء فتوضأ منها ثم قام فبكى وهو قائم حتى بلغ الدموع حقويه حتى اتكأ على شقه الأيمن ووضع يده اليمنى تحت خده الأيمن فبكى حتى ادرّت الدموع وبلغت الأرض ثم أتاه بلال بعدما أذن للفجر فلما رآه يبكي قال: لم تبكي يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «يا بلال أفلا أكون عبداً شكوراً وما لي لا أبكي وقد أنزلت علي الليلة ﴿**إن في خلق السموات والأرض**﴾ إلى قوله: ﴿**فقنا عذاب النار**﴾ ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» وفي الحديث «تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة». وفي التفضيل وجهان:

أحدهما: أن التفكر يوصلك إلى الله، والعبادة توصلك إلى ثواب الله والذي يوصلك إلى الله خير مما يوصلك إلى غير الله.

والثاني: أن التفكر عمل القلب والطاعة عمل الجوارح والقلب أشرف من الجوارح فكان عمل القلب أشرف من عمل الجوارح. ثم شرع في تعليم الدعاء تنبيهاً على أن الدعاء إنما يجدي ويستحق الإجابة إذا كان بعد تقديم الوسيلة وهي إقامة وظائف العبودية من الذكر والفكر فقال: ﴿**ربنا**﴾ يعني يتفكرون ويقولون ربنا ﴿**ما خلقت هذا**﴾ أي السموات والأرض وتذكير الضمير لما أنهما باعتبار تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق ﴿**باطلا**﴾ أي خلقاً باطلاً عبثاً ضائعاً عن الحكمة خالياً عن المصلحة كما ينبىء عنه أوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظماً لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها أن يكون مداراً لمعايش العباد ومناراً يرشدهم إلى معرفة أحوال المبدأ والمعاد حسبما أفصحت عنه الرسل والكتب الإلّهية ﴿**سبحانك**﴾ أي ننزهك عما لا يليق بك من الأمور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه ﴿**فقنا عذاب النار**﴾ أي من عذاب النار الذي هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك وفائدة الفاء هي الدلالة على أن علمهم بما لأجله خلقت السموات والأرض حملهم على الاستعاذة. وفيه إشارة إلى عظم ذكر الله وإشارة إلى ثلاث مراتب: أولاها الذكر باللسان، وثانيتها التفكر بالقلب، وثالثتها المعرفة بالروح لأن ذكر اللسان يوصل صاحبه إلى ذكر القلب فهو التفكر في قدرة الله وذكر القلب يوصل إلى مقام الروح فيعرف في ذلك حقائق الأشياء ويشاهد الحكم الإلّهية في خلق الله فيقول بعد المشاهدة ﴿**ربنا ما خلقت هذا باطلا**﴾ فينبغي للمؤمن أن يلازم ذكر الله بلسانه في جميع الأحوال حتى يصل بسبب الذكر باللسان إلى ذكر القلب ثم إلى ذكر الروح ويحصل له اليقين والمعرفة ويخلص من ظلمة الجهل ويتنور بنور المعرفة. قال بعضهم: معنى لا إله إلا

الله للعوام لا معبود إلا الله. ومعناها للخواص لا محبوب ولا مقصود إلا الله. ومعناها لأخص الخواص لا موجود إلا الله فإنه يكون في تلك الحالة مستهلكاً في بحر الشهود فلا يشعر بشيء سوى الله ولا يرى موجوداً. وفي «تفسير الحنفي» منقول في التوحيد أربع مراتب وهو ينقسم إلى لب وإلى لب اللب وإلى قشر وإلى قشر القشر. وتمثيل ذلك تقريباً إلى الأفهام الضعيفة بالجوز في قشرتيه العليا والسفلى فإن له قشرتين وله لب وللب دهن وهو لب اللب. فالمرتبة الأولى من التوحيد أن يقول الإنسان باللسان لا إله إلا الله وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافق. والثانية أن يصدق بمعناه قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد. والثالثة أن يشاهد ذلك بواسطة نور إلهي وذلك أن يرى الأشياء صادرة من الواحد القهار. والرابعة أنه لا يرى في الوجود إلا وجوداً وهو مشاهدة الصديقين وهو الفناء في التوحيد بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه. فالأول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا من السيف والسنان. والثاني موحد بمعنى أنه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال من التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقد على القلب ليس فيه انشراح وانفتاح ولكنها تحفظ صاحبها من العذاب في الآخرة إن توفي عليها ولم يضعف بالمعاصي عقدتها ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة. والثالث موحد بمعنى أنه لم يشاهد إلا فاعلاً واحداً إذا انكشف له لا فاعل بالحقيقة كما هي عليه لأنه كلف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فإن ذلك رتبة العوام والمتكلمين إذ لا فرق بينهما في الاعتقاد بل فيه صفة تلفيق الكلام. والرابع موحد بمعنى أنه لا يرى غير الواحد وهذه الغاية القصوى في التوحيد. فالأول كالقشرة العليا من الجوز. والثاني كالقشرة السفلى. والثالث كاللب. والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما أن القشرة العليا لا خير فيها بل إن أكل فهو مر المذاق وإن نظر إلى باطنه فهو كريه المنظر وإن أخذ حطباً أطفأ النار وأكثر الدخان وإن ترك في البيت ضيق المكان ولا يصلح إلا أن يترك مدة على الجوز للصون ثم يرمى فكذلك التوحيد بمجرد اللسان عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى إلى وقت الموت والقشرة السفلى هي البدن فيصون من السيف وإنما يتجرد عند الموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما أن القشرة السفلى ظاهرة النفع بالإضافة إلى القشرة العليا فإنه يصون اللب ويحرسه من الفساد عند الادخار وإذا فصل أمكن أن ينتفع به حطباً لكونه لا قدر له بالنسبة إلى اللب فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالإضافة إلى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالإضافة إلى الكشف والمجاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفتاحه وإشراق نور الحق فيه إذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢] وقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وكما أن اللب نفيس بالإضافة إلى القشرة لأنه المقصود لكن لا يخلو عن شوب بالنسبة إلى الدهن كذلك هذا التوحيد لا يخلو عن ملاحظة الغير والالتفات إلى الكثرة بالإضافة إلى من لم ير سوى الواحد الحق انتهى ما في الحنفي.

واعلم أن الآية تدل على جواز ذكر الله تعالى قائماً ولهذا قال المشايخ ولا بأس أن يقوموا ترويحاً لقلوبهم ولا يتحركوا في ذلك ولا يستظهروا بحال ليس عندهم منه حقيقة. والحاصل أن التوحيد إذا قرن بالآداب فليس له وضع مخصوص يجوز قائماً وقاعداً ومضطجعاً ولكن ورد في الأحاديث ما يدل على استحباب الإخفاء في ذكر الله وذكر شارح الكشاف أن

هذا بحسب المقام والشيخ المرشد يأمر المبدأ برفع الصوت لتنقلع عن قلبه الخواطر الراسخة فيه كذا في «شرح المشارق» ويوافقه ما ذكر في «المظهر» حيث قال: الذكر برفع الصوت جائز بل مستحب إذا لم يكن عن رياء ليغتنم الناس بإظهار الدين ووصول بركة الذكر إلى السامعين في الدور والبيوت والحوانيت ويوافق الذاكر من سمع صوته ويشهد له يوم القيامة كل رطب ويابس سمع صوته وبعض المشايخ اختار الإخفاء لأنه أبعد عن الرياء وهذا يتعلق بالنية فمن كانت نيته صادقة فرفع صوته بقراءة القرآن والذكر أولى لما ذكرنا ومن خاف من نفسه الرياء فالأولى له إخفاء الذكر لئلا يقع في الرياء انتهى قيل: إذا كان وحده فإن كان من الخواص فالإخفاء في حقه أولى وإن كان من العوام فالجهر في حقه أولى وإذا كانوا مجتمعين على الذكر فالأولى في حقهم رفع الصوت بالذكر والقوة فإنه أكثر تأثيراً في رفع الحجب ومن حيث الثواب فلكل واحد ثواب ذكر نفسه وسماع ذكر رفقائه قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] شبه القلوب بالحجارة ومعلوم أن الحجر لا ينكسر إلا بقوة فقوة ذكر جماعة مجتمعين على قلب واحد أشد من قوة ذكر شخص واحد كذا في «ذخرة العابدين»، قال حسين الواعظ الملقب بالكاشفي:

كفت وكوى عاشقان دركار رب ... جوشس عشقست نه ترك ادب
هركه كرد ازجام حق يك جرعه نوش ... نه ادب ماند درو نه عقل وهوش

والمقصود أن السالك إذا سلب اختياره عند التوحيد بغلبة الوجد فلا دخل لشيء من أوضاعه وحركاته فإنه إذاً ليس في يده فلا يرد ما قيل:

كار نادان كوته انديشست ... ياد كردن كسى كه درپيشست

فإن الجهر وحركات الموحد بالنسبة إلى مقامه وحاله ممدوحة جداً وأما المتصلفون المتكلفون فحركاتهم وأفعالهم من عند أنفسهم وقد نهى المشايخ في كتبهم عن أمثال هؤلاء وأفعالهم وأقوالهم. فعلى العاقل أن يراعي الآداب والأطوار ولا ينفك لحظة عن ذكر الملك الغفار.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾

﴿**ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته**﴾ غاية الإخزاء ونظيره قولهم: «من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك» أي المرعى الذي لا مرعى بعده والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيهاً على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه إشعار بأن العذاب الروحاني أفظع. ﴿**وما للظالمين من أنصار**﴾ أراد بهم المدخلين وجمع الأنصار بالنظر إلى جمع الظالمين أي وما لظالم من الظالمين نصير من الأنصار والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس في الآية دلالة على نفي الشفاعة لأنها هي الدفع بطريق اللين والمسألة فنفي النصرة لا يستلزم نفي الشفاعة ﴿**ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان**﴾ أوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه والمراد به الرسول عليه السلام فإنه ينادي ويدعو إلى الإيمان حقيقة قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥] ﴿**أن آمنوا**﴾ أي آمنوا على أن أن تفسيرية أو بأن آمنوا على أنها مصدرية

﴿بربكم﴾ بمالككم ومتولي أموركم ومبلغكم إلى الكمال ﴿فآمنا﴾ أي فامتثلنا بأمره وأجبنا نداءه ﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا﴾ أي: كبائرنا فإن الإيمان يجب ما قبله ﴿وكفر عنا سيئاتنا﴾ أي: صغائرنا فإنها مكفرة عن مجتنب الكبائر ﴿وتوفنا﴾ أي: اقبض أرواحنا ﴿مع الأبرار﴾ أي: مخصوصين بصحبتهم مغتنمين بجوارهم معدودين من زمرتهم فالمراد من المعية ليس المعية الزمانية لأن ذلك محال ضرورة أن توفيهم إنما هو على سبيل التعاقب بل المراد المعية في الاتصاف بصفة الأبرار حال التوفي. وفيه إشعار بأنهم كانوا يحبون لقاء الله ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه فمن جعل الله ممن آمن بداعي الإيمان فقد أكرمه مع أوليائه في الجنان فطوبى للذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وطوبى لمن اتعظ بالموعظة الحسنة، قال الحافظ:

نصيحت كوش كن جانا كه ازجان دوست تردارند   جوانان سعاد تمند پند پيردانارا

قال الشيخ السعدي:

بكوى آنچه دانى سخن سود مند   وكر هيچ كس را نيايد پسند
كه فردا پشيمان بر آرد خروش   كه أوخ چراحق نكردم بكوش

قال أبو عامر الواعظ: بينما أنا جالس بمسجد رسول الله ﷺ إذ جاءني غلام وأعطاني رقعة فإذا فيها أسعدك الله يا أخي أبا عامر بلغني قدومك واشتقت إلى رؤيتك فذهبت مع الغلام فوصلنا إلى بيت في خربة له باب من جريد النخل وإذا فيه شيخ مقعد مستقبل القبلة محزون من الخشية قد ذهبت عيناه من البكاء فسلمت عليه فرد علي السلام فقال: يا أبا عامر لم يزل قلبي إلى استماع موعظتك مشتاقاً وبي داء قد أعيى الواعظين علاجه فقلت: أيها الشيخ ارم ببصر قلبك في ملكوت السماء وتنقل بحقيقة إيمانك إلى جنة المأوى تر ما أعد الله فيها للأولياء ثم انظر في نار لظى تر ما أعد الله للأشقياء فشتان ما بين الدارين وليس الفريقان على السواء فلما سمع قولي أنّ وصاح صيحة ثم قال: والله لقد وقع دواؤك على الداء زدني رحمك الله فقلت: إن الله عالم بسريرتك فيطلع عليك عند استتارك ومبارزتك فلما سمع صاح صيحة أعظم من الأولى فخر ميتاً فعند ذلك خرجت جارية عليها مدرعة وخمار من صوف قد ذهب السجود بجبهتها فقالت: أحسنت يا مداوي قلوب العارفين إن هذا الشيخ كان والدي وهو مبتلى بالسقم منذ عشرين سنة وكان يتمناك من الله ويقول: حضرت مجلس أبي عامر فأحي قلبي وطر عني غفلتي وإن سمعته ثانياً قتلني فجزاك الله خيراً ثم أكبت على والدها وجعلت تقبل بين عينيه وتبكي فقلت لها: يا أيتها الباكية إن أباك نحبه قد مضى وورد دار الجزاء فإن كان محسناً فله الزلفى فإن كان مسيئاً فوارد دار من أساء فصاحت ثم ماتت فبقيت حزيناً عليهما فرأيتهما في المنام في أحسن مقام عليهما حلتان خضراوتان فسألت عن حاليهما فقال الشيخ:

أنت شريكي في الذي نلته   فقم وشاهد يا أبا عامر
وكل من أيقظ ذا غفلة   فنصف ما يعطاه للآمر

ثم قال: قدمت على رب كريم غير غضبان فأسكنني الجنان وزوجني من الحور الحسان فاحرص يا أبا عامر على كثرة الدعاء والاستغفار إلى الله الملك الغفار وطلب المغفرة آناء الليل وأطراف النهار من شيم الأخيار والأبرار.

واعلم أن من تنصح بكلمة فقد آمن بمنادي الحق على لسان عبده فنجا من نيرانه ووصل إلى المغفرة والرحمة في جنانه.

ـ روي ـ أن حداداً كان يمسك الحديد المحمي بيده فسئل عنه فقال: عشقت امرأة فراودتها وعرضت عليها مالاً فقالت: إن لي زوجاً لا أحتاج إلى المال ثم مات زوجها فطلبت أن أتزوجها فامتنعت وقالت: لا أريد إذلال أولادي ثم بعد زمان احتاجت فأرسلت إلي فقلت: لا أعطيك شيئاً حتى تعطيني مرادي فلما دخلت معها موضعاً ارتعدت فقلت: ما لك؟ فقالت: أخاف الله السميع البصير فتركتها فقالت: أنجاك الله من النار فمن ذلك الوقت لا تحرقني نار الدنيا وأرجو من الله تعالى أن لا تحرقني نار الآخرة فمن خشي الرحمٰن وذكر أنه بمحضر من الله فهو لا يجترىء على الذنب والآثام فيسلم من عذاب النار ويتنعم في دار السلام عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب» وأما الدعاء فهو مخ العبادة وينفع في الدنيا فيدفع الآفات وأما في الآخرة فإن الله يعطيه هدايا على أيدي الملائكة ويقول: إن هذه في مقابلة دعائك في الدنيا:

از آستان حضرت حق سرچرا كشم دولت درين سرا وكشايش درين درست

قال الحافظ:

هركه خواهد كوبيا وهرچه خواهد كوبكو

كبروناز وحاجب ودربان درين دركاه نيست

حقق الله رجاءنا وقبل دعاءنا وأعطانا ما هو خير لنا في الدنيا والآخرة.

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾

﴿ربنا وآتنا﴾ أعطنا **﴿ما وعدتنا على رسلك﴾** على تصديق رسلك أو على ألسنة رسلك من الثواب والكرامة **﴿ولا تخزنا﴾** لاتهنا **﴿يوم القيامة﴾** بأن تعصمنا مما يقتضيه **﴿إنك لا تخلف الميعاد﴾** اسم مصدر بمعنى الوعد وهذه الدعوات وما في تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال ليست لخوفهم من إخلاف الميعاد بل لخوفهم أن لا يكونوا من جملة الموعودين لسوء عاقبة. أو قصور في الامتثال فمرجعها إلى الدعاء بالتثبيت أو للمبالغة في التعبد والخشوع. ثم قوله: **﴿ولا تخزنا يوم القيامة﴾** شبيه بقوله: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] فإنه ربما ظن الإنسان أنه على الاعتقاد الحق والعمل الصالح ثم إنه يوم القيامة يظهر له أن اعتقاده كان ضالاً وعمله كان ذنباً فهناك تحصل الخجالة العظيمة والحسرة الكاملة والأسف الشديد وذلك هو العذاب الروحاني وهو أشد من العذاب الجسماني ومما يدل على هذا أنه سبحانه حكى عن هؤلاء العباد المؤمنين أنهم طلبوا في هذه الأنواع الخمسة من الدعاء أشياء فأول مطالبهم الاحتراز عن العذاب الجسماني وهو قوله: **﴿فقنا عذاب النار﴾** وآخرها الاحتراز عن العقاب الروحاني وهو قوله: **﴿ولا تخزنا يوم القيامة﴾** ذلك يدل على ما قلنا ولذلك قالوا: الفرقة أشد من الحرقة، قال مولانا جلال الدين رومي قدس سره:

جور دوران وهرآن رنجي كه هست سهلتر از بعد حق وغفلتست

كر جهاد وصوم سختست وخشن ليك اين بهتر زبعد اي ممتحن

فليسارع المؤمن إلى الطاعات ليدخل في زمرة من وعد الله لهم من الكرامات. عن جابر رضي الله عنه كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «ألا أحدثكم بغرف الجنة» قلنا: بلى يا رسول الله قال: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت» قلت: يا رسول الله لمن هذه الغرف؟ قال: «لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام». وعن أبي بكر الوراق رحمه الله: طلبنا أربعة فوجدناها في أربعة. وجدنا رضى الله في طاعته. وسعة الرزق في صلاة الضحى وسلامة الدين في حفظ اللسان. ونور القبر في صلاة الليل.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل يمشي مرة ويسقط أخرى، وتأخذه النار فإذا جاوزها التفت إليها، ويقول: سبحان من نجاني منك قد أعطاني شيئاً ما أعطاه لأحد من الأولين والآخرين فيرفع له شجرة عظيمة الظل فيشتاق إلى ظلها فيقول: أي رب ادنني منها ولا أسألك غيرها فيدنيه منها ويشرب من مائها ثم يرفع له شجرة أعظم من الأولى فيقول: أي رب ادنني منها ويعاهد أن لا يسأل غيرها فيدنيه منها فيرفع له شجرة أعظم مما تقدم فيسأله أن يدنيه فإذا أدنى سمع أصوات أهل الجنة ويقول: أي رب لو أوصلتها لا أسألك فيقول الله: يا ابن آدم ما أغدرك كم تعاهد وتكذب أترضى أن أعطيك مثل الدنيا ومثلها؟ فيقول: أتستهزىء بي وأنت رب العالمين» ثم ضحك ابن مسعود فقالوا: مم تضحك؟ فقال: ضحك رسول الله ﷺ فقالوا: مم ضحك رسول الله قال: من ضحك رب العالمين «فيقول الله لا أستهزىء ولكني على ما أشاء قدر.

ـ حكي ـ أن والدي معروف الكرخي كانا من النصارى وكان معلم النصارى يقول لمعروف: قل ثالث ثلاثة، فيقول معروف: بل هو الأحد الصمد، فيضربه المعلم. فهرب يوماً فقال والداه: لو جاء معروف فعلي أي دين وجدناه تبعناه، فجاء على دين الإسلام فأسلما، قال النبي عليه السلام: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر عن يمينه فلا يرى إلا شيئاً قدمه ثم ينظر عن يساره فلا يرى إلا شيئاً قدمه، فيستقبله الناس فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل».

ـ حكي ـ أن عجوزاً كافرة كانت تطعم الطير ذرة في أيام الشتاء، فرآها ذو النون المصري فقال: إن الله تعالى لا يقبل من عدو. ثم رآها في الكعبة قد أسلمت فقالت: يا ذا النون إنه أعطاني الإسلام بما رأيته.

بى كرم آدمى نه از بشرست از شجر بلكه از حجر بترست
شجرى كان نمى دهد ثمرى معتبر نيست لائق تبراست

عصمنا الله تعالى وإياكم من النار وأدخلنا الجنة مع الأسخياء والأبرار ﴿**فاستجاب لهم ربهم**﴾ إلى طلبتهم وهو أخص من أجاب فإن إجاب أعطاه الجواب وهو قد يكون بتحصيل المطلوب وبدونه واستجاب إنما يقال لتحصيل المطلوب ويعدى بنفسه وباللام ﴿**أني**﴾ أي بأني ﴿**لا أضيع عمل عامل منكم**﴾ وهو ما حكي عنهم من المواظبة على ذكر الله تعالى في جميع حالاتهم والتفكر في مصنوعاته استدلالاً واعتباراً والثناء على الله بالاعتراف بربوبيته وتنزيهه عن العبث وخلق الباطل والاشتغال بالدعاء وجعل هذه الأعمال سبباً للاستجابة يدل على أن

استجابة الدعاء مشروطة بهذه الشروط وبهذه الأمور فلما كان حصول هذه الشرائط عزيزاً لا جرم كان الشخص الذي يكون مجاب الدعاء عزيزاً ﴿**من ذكر أو أنثى**﴾ بيان لعامل وتأكيد لعمومه وهذا يدل على أنه لا تفاوت في الإجابة وفي الثواب بين الذكر والأنثى إذا كانا جميعاً في التمسك بالطاعة على التوبة والفضل في باب الدين بالأعمال لا بسائر صفات العالمين لأن كون بعضهم ذكراً أو أنثى أو من نسب خسيس أو شريف لا تأثير له في هذا الباب ﴿**بعضكم من بعض**﴾ لأن الذكر من الأنثى والأنثى من الذكر. قال الإمام: فيه وجوه أحسنها أن يقال من بمعنى الكاف أي بعضكم كبعض الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية. قال القفال: هذا من قولهم فلان مني أي على خلقي وسيرتي وهي معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال.

ـ روت ـ أم سلمة قالت: يا رسول الله إني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزل قوله تعالى: ﴿**أني لا أضيع**﴾ إلى آخره، أي كما أن بعضكم من بعض كذلك أنتم في ثواب العمل تثاب المرأة العاملة كما يثاب الرجل العامل وبالعكس فلا أثيب بعضاً وأحرم آخر ﴿**فالذين هاجروا**﴾ تفصيل لأعمال العمال منهم وما أعدلهم.

من الثواب على المدح والتعظيم كأنه قال فالذين عملوا هذه الأعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة من مبتدأ أوطانهم فارّين إلى الله بدينهم من دار الفتنة ﴿**وأخرجوا من ديارهم**﴾ أي اضطروا إلى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشأوا بإيذاء المشركين. قال الإمام المراد من قوله ﴿**فالذين هاجروا**﴾ الذين اختاروا المهاجرة من أوطانهم في خدمة الرسول والمراد من الذين أخرجوا من ديارهم الذين ألجأهم الكفار ولا شك أن رتبة الأولين أفضل لأنهم اختاروا خدمة الرسول وملازمته على الاختيار فكانوا أفضل ﴿**وأوذوا في سبيلي**﴾ في سبيل الحق ودين التوحيد بسبب إيمانهم بالله ومن أجله وهو متناول لكل أذية نالتهم من قبل المشركين ﴿**وقاتلوا**﴾ أي الكفار في سبيل الله ﴿**وقتلوا**﴾ استشهدوا في القتال ﴿**لأكفرن عنهم سيآتهم**﴾ أي والله لأمحوّن عنهم سيآتهم ﴿**ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً**﴾ الثواب في الأصل اسم لما يثاب به كالعطاء اسم لما يعطى إلا أنه قد يوضع موضع المصدر فهو مصدر مؤكد بمعنى إثابة لأن تكفير السيآت وإدخال الجنة في معنى الإثابة أي لأثيبنهم بذلك إثابة ﴿**من عند الله**﴾ صفة له أي كائنة من عند الله قصد بتوصيفه به تعظيم شأنه فإن السلطان العظيم الشأن إذا قال لعبده ألبسك خلعة من عندي دل ذلك على كون تلك الخلعة في غاية الشرف وأكد كون ذلك الثواب في غاية الشرف بقوله: ﴿**والله عنده حسن الثواب**﴾ أي حسن الجزاء على الطاعات قادر عليه وهو نعيم الجنة الباقي لا كنعيم الدنيا الفاني:

نعيم آخرت باقيست اي دل   خنك آنكس كه باشد عبد مقبل

ولا يخفى أن هذا الجزاء العظيم والأجر الجسيم للذين جمعوا بين المهاجرة والإخراج من الأوطان والتأذي في سبيل الله والقتال والمقتولية. فعلى السالك أن يهاجر من وطن النفس والعمل السيىء والخلق الذميم ويخرج من ديار الطبيعة إلى عالم الحقيقة حتى يدخل مقام العندية الخاصة فإن ثمرات المجاهدات المشاهدات والعمل الصالح يستدل به على حسن العاقبة.

ـ روي ـ أن صفوان بن سليم كان يجتهد في العبادة والقيام وكان يبيت على السطح في

أيام الشتاء لئلا يستريح من البرد وفي الصيف ينزل إلى بيته ليعذب نفسه بحر الهواء وكان عادته ذلك إلى أن مات في سجدته ووصل إلى رحمة الله وجنته فهذا هو الاجتهاد فعليك به فإن احتالت نفسك عليك في ذلك فحدثها بأخبار السلف وأحوالهم وحكاياتهم كي ترغب في الطاعة والاجتهاد فإن في ذلك نفعاً كلياً وتأثيراً عظيماً، قال الفاضل الجامي قدس سره:

هجوم نفس وهوا كز سپاه شيطانند   چو زور بردل مرد خدا پرست آرد
بجز جنود حكايات رهنمايا خود   چه تاب آنكه بران رهزنان شكست آرد

فإن قالت النفس إنهم كانوا رجالاً أقوياء كيف يداني بهم في الطاعة من خلفهم فحدثها بأخبار النساء كيف كن إناثاً ومع ذلك لم يتخلفن عن مجاهدات الرجال حتى وصلن إلى ما وصلوا إليه كرابعة العدوية وغيرها، قال بعضهم:

ولو كان النساء كمن ذكرنا   لفضلت النساء على الرجال
فلا التأنيث لاسم الشمس عيب   ولا التذكير فخر للهلال

قال الشيخ السعدي قدس سره:

زناني كى طاعت برغبت برند   زمردان نا پارسا بكذرند
تراشرم نايد زمردىء خويش   كه باشد زنانرا قبول ازتوبيش

قال الحسن البصري رحمه الله يا عجباً لأقوام بلا زاد وقد نودوا بالرحيل وحبس أولهم لآخرهم وهم قعود يلعبون.

ـ حكي ـ أن ملك الموت دخل على بعض الصالحين ليقبض روحه فقال مرحباً أنا والله منذ خمسين سنة أتأهب لك. ولما بلغ عبد الله بن المبارك النزع فتح عينه ثم ضحك فقال لمثل هذا فليعمل العاملون. قال بعض العلماء: من أراد أن ينال الجنة فعليه أن يداوم على خمسة أشياء. الأول أن يمنع نفسه من المعاصي قال الله تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١] والثاني أن يرضى باليسير من الدنيا لأنه روي في الخبر «إن ثمن الجنة الطاعة وترك الدنيا». والثالث أن يكون حريصاً على الطاعات ويتعلق بكل طاعة فلعل تلك الطاعة تكون سبب المغفرة ووجوب الجنة قال الله تعالى ﴿تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]. والرابع أن يحب الصالحين وأهل الخير ويخالطهم ويجالسهم فإن الصالح إذا غفر له يشفع لإخوانه وأصحابه. والخامس أن يكثر الدعاء ويسأل الله تعالى أن يرزقه ويختم له بخير والحاصل أنه لا بد للعاقل من التأهب لمعاده بتزكية النفس وإصلاح القلب.

قال القاشاني في تأويلاته ﴿**أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر**﴾ القلب من الأعمال القلبية كالإخلاص واليقين والمكاشفة ﴿**أو أنثى**﴾ النفس من الأعمال القالبية كالطاعات والمجاهدات والرياضيات ﴿**بعضكم من بعض**﴾ يجمعكم أصل واحد وحقيقة واحدة هي الروح أن بعضكم منشأ من بعد فلا أثيب بعضاً وأحرم آخر ﴿**فالذين هاجروا**﴾ من أوطان مألوفات النفس ﴿**وأخرجوا من ديارهم**﴾ من ديار صفاتها أو هاجروا من أحوالهم التي التذوا بها وأخرجوا من مقاماتهم التي يسكنون إليها ﴿**وأوذوا في سبيلي**﴾ أي ابتلوا في سلوك سبيل أفعالي بالبلاء والمحن والشدائد والفتن ليتمرنوا بالصبر ويفوزوا بالتوكل أو في سلوك سبيل صفاتي بسطوات تجليات الجلال والعظمة والكبرياء ليصلوا إلى مقام الرضى ﴿**وقاتلوا**﴾ البقية بالجهاد

في ﴿وقتلوا﴾ في الحب في بالكلية ﴿لأكفرن عنهم سيآتهم﴾ كلها من صغائر ظهور أفعالهم وصفاتهم وكبائر بقايا ذواتهم في تلويثاتهم ﴿فلأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ الجنات الثلاث المذكورة ﴿ثواباً من عند الله﴾ أي عوضاً عما أخذت منهم من الوجودات الثلاثة ﴿والله عنده حسن الثواب﴾ ولا يكون عند غيره الثواب المطلق الذي لا ثواب وراءه ولهذا قال: والله لأنه اسم الذات الجامع لجميع الصفات فلم يحسن أن يقع غيره من الرحمٰن أو الرحيم أو سائر الأسماء موقعه.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾

﴿لا يغرنك﴾ الخطاب للنبي عليه السلام لأن العصمة لا تزيل النهي فإنه لو زال النهي عنه بذلك لبطلت العصمة فإن العصمة هي الحفظ من الخلاف وإذا زال النهي لم يكن خلاف فلا تكون عصمة فالمراد تثبيته على ما هو عليه من عدم التفاته إلى الدنيا أو الخطاب له والمراد أمته كما يخاطب سيد القوم ومقدمهم والمراد به كلهم كأنه قيل: لا يغرنكم ﴿تقلب الذين كفروا في البلاد﴾ والنهي في المعنى للمخاطب وإنما جعل للتقلب تنزيلاً للسبب وهو التقلب منزلة المسبب وهو اغترار المخاطب للمبالغة والمعنى لا تمدن عينيك ولا تستشرف نفسك إلى ما هم عليه من سعة الرزق وإصابة حظوظ الدنيا ولا تغتر بظاهر حالهم من التبسط في الأرض والتصرف في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون.

ـ روي ـ أن بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت ﴿متاع قليل﴾ أي ذلك التقلب متاع قليل لا قدر له في جنب ما أعد الله للمؤمنين قال عليه السلام: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع» فإذا لا يجدي وجوده لواجديه ولا يضر فقدانه لفاقديه ﴿ثم مأواهم﴾ أي مصيرهم الذي يأوون إليه لا يبرحونه ﴿جهنم﴾ التي لا يوصف عذابها يعني أنه مع قلته سبب الوقوع في نار جهنم أبد الآباد والنعمة القليلة إذا كانت سبباً للمضرة العظيمة لم يعد ذلك نعمة ﴿وبئس المهاد﴾ أي بئس ما يمهدون لأنفسهم جهنم ﴿لكن الذين اتقوا ربهم﴾ أي خافوه فلم يخالفوا أمره ولا نهيه ﴿لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ وجه الاستدراك أنه تعالى لما وصف الكفار بقلة نفع تقلبهم في البلاد لأجل التجارة وجاز أن يتوهم متوهم أن قلة النفع من لوازم التقلب من حيث هو استدرك أن المتقين وإن تقلبوا وأصابوا ما أصابه الكفار أو لم يصيبوا لهم مثوبات حسنى لا يقادر قدرها ﴿نزلاً من عند الله﴾ حال من جنات لتخصصها بالوصف. والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما ﴿وما عند الله﴾ لكثرته ودوامه ﴿خير للأبرار﴾ مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله. وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها أما البرة فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨] وأما الفاجرة فإنه يقول: ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جئت فإذا رسول الله ﷺ في مشربة وأنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف وأن عند رجليه قرظاً

مصبوراً وعند رأسه أهب معلقة فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال: «ما يبكيك» فقلت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله ﷺ فقال: «أما ترضى أن يكون لهما الدنيا ولنا الآخرة».

ازپـي ذكـر وشـوق حـق مـارا دردو عـالـم دل وزبـانـي بـس
وزطـعـام ولـبـاس أهـل جـهـان كـهـنـه دلـقـي ونـيـم نـانـي بـس

ومما وجد في خزائن الإسكندر مكتوباً بالذهب الأحمر حركات الأفلاك لا تبقى على أحد نعمة فإذا أعطى العبد مالاً أو جاهاً أو رفعة فلتكن همته في انتهاز الفرصة وتقليد المنن أعناق الرجال فإن الدنيا والجاه والرفعة تزول إما ندم طويل أو مدح جزيل فأكرموا من له حسب في الأصل أو قدم في المروءة ولا يغرنكم تقلب الزمان بأهله فإن للدهر عثرات يجبر كما يكسر ويكسر كما يجبر والأمر إلى الله تعالى، قال جلال الدين الرومي قدس سره:

چـنـد كـويـى مـن بـكـيـرم عـالـمـى ايـن جـهـانـرا پـركـنـم ازخـود هـمـى
كـرجـهـان پـربـرف كـردد سـربـسـر تـاب خـور بـكـدازدش ازيـك نـظـر

وعن الحسن قال خرج رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه فقال: «هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيراً. ألا إنه من رغب في الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر أمله أعطاه الله تعالى علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية. ألا إنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك إلا بالقتل والتجبر ولا الغنى إلا بالفخر والبخل ولا المحبة إلا باتباع الهوى. ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى أعطاه تعالى ثواب خمسين صديقاً» قال ابن عباس رضي الله عنهما يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء وأنيابها بادية مشوهة خلقها وتشرف على الخلائق فيقال: أتعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه، فيقال: هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها بها تقاطعتم الأرحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم، ثم تقذف في جهنم فتنادي: يا رب أين أتباعي وأشياعي، فيقول الله تعالى: ألحقوا بها أتباعها، قال عليه السلام: «يحشر أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة ويؤمر بهم إلى النار» قالوا: يا رسول الله مصلين قال: «نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون سنة من الليل فإذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه» قالت عائشة رضي الله عنها قلت: يا رسول الله ألا تستطعم الله فيطعمك قالت: وبكيت لما رأيت به من الجوع وشد الحجر على بطنه من السغب فقال: «يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد».

ـ وروي ـ أنه عليه السلام عرض عليه عشار من النوق وهي الحوامل منها فأعرض عنها وغض بصره مع أنها من أحب الأموال إليهم وأنفسها عندهم لأنها كانت تجمع الظهر واللحم واللبن ولعظمتها في قلوبهم قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾ [التكوير: ٤] فلما لم يلتفت إليها قيل له يا رسول الله هذه أنفس أموالنا فلم لم تنظر إليها قال: «قد نهى الله عن ذلك» ثم تلا قوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ﴾ [الحجر: ٧] الآية هذا معاملته مع

الدنيا. وفي التوجه إلى الآخرة ما كان يريد إلا الرفيق الأعلى قال ﷺ: «أنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم ومن دونه ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر» والمقصود أن في الفقر والقناعة فضيلة وأن الفقراء يدخلون الجنة مع رسول الله ﷺ قبل الأغنياء:

أى قناعت توانكرم كردان   كه وراى توهيچ نعمت نيست
كنج صبر اختيار لقما نست   هركرا صبر نيست حكمت نيست

فعلى العبد العاقل أن يجتنب عن الدنيا وإخوانها ويرغب في الآخرة وجنانها بل يترقى إلى الوصول إلى الله تعالى. قال أبو يزيد البسطامي قدس سره في عباد الله عبد لو أعطى الجنات بزينتها لهرب كما يهرب أهل النار من النار وهو الذي غلب عليه محبة الله فلا يميل إلى غيره ومن ذلك المقام قال أبو يزيد غاب قلبي عني ثمانين سنة فلما أردت أن آخذه قيل: أتطلب غيرنا.

ـ وحكي ـ عن بعض الصالحين أنه رأى في المنام معروف الكرخي شاخصاً بصره نحو العرش قد اشتغل عن الحور العين وقصور الجنة فسأل رضوان من هذا قال معروف الكرخي مات مشتاقاً إلى الله فأباح له أن ينظر إليه فمطمح نظر العارف الجنة المعنوية وهي جنة معرفة الله ووصوله التي هي خير من جنة الفردوس وأعلى عليين فليسارع السالك إلى وصول هذه الجنة ودخولها قبل إدراك منيته وانقضاء عمره ومجيء أجله:

حضورى كرهمى خواهى ازوغائب مشو حافظ
متى ما تلق من تهوى دع الدنيا وأهملها

أوصلنا الله وإياكم إلى الحضور واليقين.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۗ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾

﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾ نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل في أربعين من نجران واثنين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فأسلموا وقيل في أصحمة النجاشي فإنه لما مات نعاه جبريل لرسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه فقال ﷺ لأصحابه: «اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم» فقالوا: من هو؟ قال: «النجاشي» فخرج إلى البقيع وكشف له إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي فصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني حبشي لم يره قط وليس على دينه فأنزل الله هذه الآية **﴿وما أنزل إليكم﴾** من القرآن **﴿وما أنزل إليهم﴾** من الكتابين **﴿خاشعين لله﴾** أي متواضعين له من خوف عذابه ورجاء ثوابه وهو حال من فاعل يؤمن لأن من في معنى الجمع **﴿لا يشترون﴾** لا يأخذون **﴿بآيات الله﴾** المكتوبة في التوراة والإنجيل من نعت النبي عليه السلام **﴿ثمناً قليلاً﴾** أي عرضاً يسيراً من حطام الدنيا خوفاً على الرسالة كفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم والجملة حال مما قبله **﴿أولئك﴾** أي أهل هذه الصفة **﴿لهم أجرهم﴾** أي المختص بهم الموعود لهم في قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص:

[٥٤] ﴿عند ربهم﴾ نصب على الحالية من أجرهم والمراد به التشريف ﴿إن الله سريع الحساب﴾ لنفوذ علمه بجميع الأشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الأجر من غير حاجة إلى تأمل ووعي صدر وكتب يد والمراد أن الأجر الموعود سريع الوصول إليهم فإن سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء.

والإشارة في قوله: ﴿إن الله سريع الحساب﴾ إلى أن العلماء المتقين الذين يؤمنون بالواردات والإلهامات والكشوف بأرباب القلوب والخواطر الرحمانية وهم الحكماء الإلٓهية يعجل الله في جزاء أعمالهم بحسب نياتهم لتبليغهم إلى مقاماتهم في القرب قبل وفاتهم ولا يؤجل إلى ما بعد وفاتهم فإن من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى والإنسان يموت كما يعيش ويبعث على ما مات عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام وهو يقول: ما لي أراك مغموماً حزيناً قال عليه السلام: «يا جبريل طال تفكري في أمتي يوم القيامة» قال في أمر أهل الكفر أم في أهل الإسلام فقال: «يا جبريل في أمر أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله» فأخذ بيده حتى أقامه إلى مقبرة بني سلمة ثم ضرب بجناحه الأيمن على قبر ميت فقال: قم بإذن الله فقام رجل مبيض الوجه وهو يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال جبريل عد إلى مكانك فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه الأيسر فقال: قم بإذن الله فخرج رجل مسود الوجه أزرق العينين وهو يقول: واحسرتاه واندامتاه فقال له جبريل: عد إلى مكانك فعاد كما كان ثم قال: يا محمد على هذا يبعثون يوم القيامة وعند ذلك قال رسول الله ﷺ: «تموتون كما تعيشون وتبعثون كما تموتون» فظهر أن الله سريع الحساب يوصل إلى كل جزاء عمله. فأما الواصلون فهم في الجنة المعنوية في الدنيا يتنعمون. وأما الغافلون فهم في نار البعد والفراق ولكنهم لا يحسون الألم قبل وفاتهم فإذا ماتوا انقلب الحال من المعنى إلى الحس عصمنا الله وإياكم من نار البعد وعذاب السعير وشرفنا بنعيم وصاله ورؤية جماله المنير:

كنون بايد أي خفته بيدار بود ... چومرك اندر آرد زخوابت چه سود
تو پاك آمدي بر حذر باش وپاك ... كه ننكست نا پاك رفتن بخاك
كنون بايد اين مرغ را پاي بست ... نه آنكه كه سر رشته بردت زدست

وذكر أن إبراهيم بن أدهم رحمة الله أراد أن يدخل الحمام فمنعه الحمامي وقال: لا تدخل إلا بأجرة فبكى إبراهيم وقال: لا يؤذن لي أن أدخل بيت الشياطين مجاناً فكيف بالدخول إلى بيت النبيين والصديقين مجاناً فظهر أن من كان في الدنيا غافلاً فهو في الآخرة مع الغافلين وحسابه في الآخرة على مقدار عمله فمن لم يعمل صالحاً كان هناك خالياً عن المثوبات:

برفتند وهركس درود آنچه كشت ... نماند بجز نام نيكو وزشت

قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة حوراء يقال لها لعبة لو بصقت في البحر بصقة لعذب البحر مكتوب على نحرها من أحب أن يكون له مثلي فليعمل بطاعة ربي» ونعم ما قيل:

بقدر الكد تكتسب المعالي ... ومن طلب العلى سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلا ... يغوص البحر من طلب اللآلي

فلا بد من تدارك أمر الآخرة. وتوفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه أهل البصرة وخرج فيها الحسن البصري فقال الحسن للفرزدق يا أبا فراس ما أعددت لهذا اليوم قال شهادة أن لا

إله إلا الله منذ ثمانين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها وأنشد هذه الأبيات:

أخاف وراء القبر إن لم يعافني أشد من القبر التهاباً وأضيقا
إذا جاءني يوم القيامة قائد عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى إلى النار مغلول القلادة أزرقا

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار» فنسأل الله سبحانه أن يجيرنا من النار ويدخلنا الجنة مع الأبرار ويوفقنا للأعمال الصالحة المنجية ويجعلنا من الفرقة الناجية بحق النبي الذي به وصل من وصل إلى الله عز وجل في المشارق والمغارب وانتهى إلى منازل المقاصد والمآرب ﴿**يا أيها الذين آمنوا اصبروا**﴾ على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد كالمرض والفقر والقحط والخوف وغير ذلك من المشاق ﴿**وصابروا**﴾ وغالبوا أعداء الله في الصبر على شدائد الحرب وأعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى. والمصابرة نوع خاص من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصاً لشدته وصعوبته وكونه أكمل وأفضل من الصبر على ما سواه والصبر هو حبس النفس عما لا يرضاه الله وأوله التصبر وهو التكلف لذلك ثم المصابرة وهي معارضة ما يمنعه عن ذلك ثم الاصطبار والاعتبار والالتزام ثم الصبر وهو كماله وحصوله من غير كلفة ﴿**ورابطوا**﴾ أبدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين وأنفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط» ﴿**واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾ واتقوه بالتبري مما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح أو اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاثة المرتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة فعلم من هذا أن الصبر دون المصابرة والمصابرة دون المرابطة قيل:

توكز سراي طبيعت نميروي بيرون كجا بكوى طريقت كذر تواني كرد

ولا بد من السلوك حتى يتجاوز العبد عن الأحوال والمقامات إلى أقصى النهايات.

- وحكي - عن إبراهيم بن أدهم أنه كان يسير إلى بيت الله راجلاً فإذا أعرابي على ناقة فقال: يا شيخ إلى أين؟ فقال إبراهيم إلى بيت الله قال: كيف وأنت راجل لا راحلة لك فقال: إن لي مراكب كثيرة فقال: ما هي قال: إذا نزلت عليّ بلية ركبت مركب الصبر وإذا نزلت عليّ نعمة ركبت مركب الشكر وإذا نزل بي القضاء ركبت مركب الرضى وإذا دعتني النفس إلى شيء علمت أن ما بقي من العمر أقل مما مضى فقال الأعرابي: أنت الراكب وأنا الراجل سر في بلاد الله فالاشتغال طول العمر بالمجاهدة لازم حتى تنقلع الأخلاق الذميمة من النفس وتتبدل بالأوصاف الشريفة من الصبر وغيره ومثل هذه المجاهدة هي المرابطة.

- روي - أن واحداً من الصلحاء كان يختم كل ليلة ويجتهد في العبادة فقيل له: إنك تتعب نفسك وتوقعها في المشقة فقال: كم عمر الدنيا فقيل: سبعة آلاف سنة فقال: وكم مقدار يوم القيامة فقيل: خمسون ألف سنة فقال: لو عمر المرء بعمر الدنيا لحق له أن يجتهد في العبادة لهذا اليوم الطويل فإنه أسهل بالنسبة إليه. وكانت معاذة العدوية امرأة صالحة كانت إذا

جاء النهار تقول: هذا اليوم يوم موتي فتشتغل بالعبادة إلى المساء فإذا جاء الليل تقول: هذه الليلة ليلة موتي فتحييها إلى الصباح إلى أن ماتت على هذه النمط قال رسول الله ﷺ: «من رابط يوماً وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته إلا لحاجة» فهذا في الجهاد الأصغر فكيف الحال في الجهاد الأكبر يعني أن المثوبات والدرجات أكثر في حفظ النفس ومراقبتها وحبسها على الطاعات والعبادات:

نكه دار فرصت كه عالم دميست دمى پيش دانابه ازعالميست
سراز جيب غفلت بر آور كنون كه فردا نمانى بخجلت نكون

قال الحافظ:

داناكه زد تفرج اين چرخ حقه باز هنكامه بازچيد ودر كفت وكوببست

قال أبو يزيد البسطامي رحمه الله العارف من كان همه هماً واحداً ولم ينتقل قلبه إلى ما رأت عيناه وسمعت أذناه.

ـ روي ـ أن زاهداً كان يجتهد في العبادة فرآه رجل قد صار لباسه ذا وسخ فقال: أيها العابد لم لا تغسل ثوبك قال العابد لأنه إن غسلته يتوسخ ثانياً قال الرجل فاغسله مرة أخرى قال العابد إن الله لم يخلقنا لأن نغسل ثيابنا ويذهب عمرنا بهذا العمل بل للطاعة والعبادة، قال مولانا جلال الدين قدس سره:

أول استعداد جنت بايدت تا زجنت زندكاني زايدت

تداركنا الله تعالى بلطفه، وجاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: إني أصوم شهر رمضان وأصلي كل يوم خمس صلوات ولا أزيد على هذا لأني فقير ليس عليّ زكاة ولا حج فإذا قامت القيامة ففي أي دار أكون أنا؟ فضحك النبي ﷺ وقال: «إذا حفظت عينيك عن اثنين عن النظر إلى المحرمات والنظر إلى الخلق بعين الاحتقار وحفظت قلبك عن اثنين عن الغل والحسد وحفظت لسانك عن اثنين عن الكذب والغيبة تكون معي في الجنة».

٤ - سورة النساء

وهي مائة وخمس أو ست أو سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾

﴿يا أيها الناس﴾ خطاب عام يتناول الموجودين في زمان الخطاب ومن بعدهم دون المنقرضين بدليل أنهم ما كانوا متعبدين بشرعنا فلو كان عاماً لجميع بني آدم لزم أن يتعبدوا بشرعنا وهو محال **﴿اتقوا ربكم﴾** في حفظ ما بينكم من الحقوق وما يجب وصله ومراعاته ولا تضيعوه ولا تقطعوا ما أمرتم بوصله **﴿الذي خلقكم﴾** أي قدر خلقكم حالاً بعد حال على اختلاف صوركم وألوانكم **﴿من نفس واحدة﴾** أي من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم وعقب الاتقاء بمنة الخلق كيلا يتقي إلا الخالق وبين اتحاد الأب فإن في قطع التزاحم حضاً على التراحم **﴿وخلق منها﴾** أي من تلك النفس يعني من بعضها **﴿زوجها﴾** أمكم حواء بالمد من ضلع من أضلاعه اليسرى.

ـ روي ـ أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام وأسكنه الجنة ألقى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء من قصيراه فلما انتبه وجدها عنده فمال إليها وألفها لأنها كانت مخلوقة من جزء من أجزائه وأخرت حواء في الذكر وإن كانت مقدمة في الخلق لأن الواو لا ترتيب فيها **﴿وبث﴾** أي فرق ونشر **﴿منهما﴾** من تلك النفس وزوجها المخلوقة بطريق التوالد والتناسل **﴿رجالاً كثيراً﴾** تذكيره للحمل على الجمع والعدد **﴿ونساء﴾** أي بنين وبنات كثيرة. واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها إذ الحكمة تقتضي أن يكون أكثر. وترتيب الأمر بالتقوى على هذه القصة لأن المراد به تمهيد للأمر بالتقوى فيما يتصل بحقوق أهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها فكأنه قيل: اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنواناً متفرعة من أرومة واحدة فيما يجب لبعضكم على بعض من حقوق المواصلة التي بينكم فحافظوا عليها ولا تغفلوا عنها **﴿واتقوا الله﴾** أي لا تقطعوا في الدين والنسب أغصاناً تتشعب من جرثومة واحدة **﴿الذي تساءلون به﴾** فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض اسألك بالله **﴿والأرحام﴾** أي يسأل بعضكم بعضاً بالله فيقول: بالله وبالرحم وأناشدك الله

والرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وجرت عادة العرب على أن أحدهم إذا استعطف غيره يقرن الرحم في السؤال والمناشدة بالله ويستعطف به. فقوله والأرحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمراً أو على الله أي اتقوا الله واتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها وقد نبه سبحانه إذ قرن الأرحام باسمه على أن صلتها بمكان منه وعنه ﷺ «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله» وقال ﷺ: «ما من عمل حسن أسرع ثواباً من صلة الرحم وما من عمل سيئة أسرع عقوبة من البغي» فينبغي للعباد مراعاة الحقوق لأن الكل أخ لأب وأم هما آدم وحواء سيما المؤمنين لأن فيهم قرابة الإيمان والدين وكذا الحال في قرابة الطين **﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾** الرقيب هو المراقب الذي يحفظ عليك جميع أفعالك أي حافظاً مطلعاً على جميع ما يصدر عنكم من الأفعال والأقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات مريداً لمجازاتكم بذلك فبين الله تعالى أنه يعلم السر وأخفى وأنه إذا كان كذلك فيجب أن يكون المرء حذراً خائفاً فيما يأتي ويذر.

واعلم أن التقوى هي العمدة وهي سبب الكرامة العظمى في الدنيا والعقبى.

ـ حكي ـ أنه كان بالبصرة رجل معروف بالمسكى لأنه كان يفوح منه رائحة المسك فسئل عنه فقال: كنت من أحسن الناس وجهاً وكان لي حياء فقيل لأبي: لو أجلسته في السوق لانبسط مع الناس فأجلسني في حانوت بزاز فجازت عجوز وطلبت متاعاً فأخرجت لها ما طلبت فقالت: لو توجهت معي لثمنه فمضيت معها حتى أدخلتني في قصر عظيم فيه قبة عظيمة فإذا فيها جارية على سرير عليه فرش مذهبة فجذبتني إلى صدرها فقلت: الله الله فقالت: لا بأس فقلت: إني حازق فدخلت الخلاء وتغوطت ومسحت به وجهي وبدني فقيل: إنه مجنون فخلصت ورأيت الليلة رجلاً قال لي: أين أنت من يوسف بن يعقوب ثم قال: أتعرفني؟ قلت: لا قال: أنا جبريل ثم مسح بيده على وجهي وبدني فمن ذلك الوقت يفوح المسك علي من رائحة جبريل عليه السلام وذلك ببركة التقوى. والتقوى في عرف الشرع وقاية النفس عما يضرها في الآخرة وهي على مراتب: الأولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري من الشرك وعليه قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦]، والثانية التجنب عن كل إثم وهو المتعارف باسم التقوى وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا﴾ [المائدة: ٦٥]، والثالثة التنزه عن جميع ما يشغله وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ومن هذا القبيل ما حكي عن ذي النون المصري أنه لما جاء إليه بعض الوزراء وطلب الهمة وأظهر الخشية من السلطان قال له: لو خشيت أنا من الله كما تخشى أنت من السلطان لكنت من جملة الصديقين:

كرنبودى اميد راحت ورنج ... پاي درويش بر فلك بودى
وروزير ازخدا بترسيدى ... همچنان كزملك ملك بودى

فينبغي للسالك أن يتقي ربه ويراقب الله في جميع أحواله كما قال تعالى: **﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾** والمراقبة: علم العبد باطلاع الرب سبحانه عليه فاستدامته لهذا العلم مراقبة لربه وهذا أصل كل خير ولا يكاد يصل إلى هذه الرتبة إلا بعد فراغه من المحاسبة فإذا حاسب نفسه على ما سلف وأصلح حاله في الوقت ولازم طريق الحق وأحسن ما بينه وبين الله من مراعاة القلب وحفظه مع الله الأنفاس وراقب الله سبحانه في عموم أحواله فيعلم أنه عليه رقيب ومن

قلبه قريب يعلم أحواله ويرى أفعاله ويسمع أقواله ومن تغافل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بداية الوصلة فكيف عن حقائق القربة؟ قال سليمان بن علي لحميد الطويل: عظني قال: لئن كنت عصيت الله خالياً وظننت أنه يراك فقد اجترأت على أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك فقد كفرت لقوله تعالى: ﴿**إن الله كان عليكم رقيباً**﴾. وكان بعض الصالحين له تلامذة وكان يخص واحداً منهم بإقباله عليه أكثر مما يقبل على غيره فقالوا له في ذلك فقال: أبين لكم فدفع لكل واحد من تلامذته طائراً وقال له: اذبحه بحيث لا يراك أحد ودفع إلى هذا أيضاً فمضوا ورجع كل واحد منهم وقد ذبح طيره وجاء هذا بالطير حياً فقال له: هلا ذبحته؟ فقال: أمرتني أن أذبحه بحيث لا يراه أحد ولم أجد موضعاً لا يراه أحد فقال: لهذا أخصه بإقبالي عليه.

جهان مرآت حسن شاهد ماست فشاهد وجهه في كل ذرات

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾﴾

﴿**وآتوا اليتامى أموالهم**﴾ اليتامى جمع يتيم وهو من الناس المنفرد عن الأب بموته ومن سائر الحيوانات عن الأم وحق هذا الاسم أن يقع على الصغير والكبير لبقاء معنى الانفراد عن الأب إلا أنه غلب استعماله في الصغير لاستغناء الكبير بنفسه عن الكافل فكأنه خرج عن معنى اليتم وهو الانفراد والمراد بإيتاء أموالهم قطع المخاطبين أطماعهم الفارغة عنها وكف أكفهم الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها غير متعرض لها بسوء حتى تأتيهم وتصل إليهم سالمة لا الإعطاء بالفعل فإنه مشروط بالبلوغ وإيناس الرشد وإنما عبر عما ذكر بالإيتاء مجازاً للإيذان بأنه ينبغي أن يكون مرادهم بذلك إيصالها إليهم لا مجرد ترك التعرض لها والمعنى أيها الأولياء والأوصياء احفظوا أموال اليتامى ولا تتعرضوا لها بسوء وسلموها إليهم وقت استحقاقهم تسليمها إليهم ﴿**ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب**﴾ تبدل الشيء بالشيء واستبداله به أخذ الأول بدل الثاني بعد أن كان حاصلاً له أو في شرف الحصول أي لا تستبدلوا الحلال المكتسب بالحرام المغتصب يعني لا تستبدلوا مال اليتامى وهو حرام بالحلال وهو مالكم وما أبيح لكم من المكاسب ورزق الله المبعوث في الأرض فتأكلوه مكانه ﴿**ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم**﴾ المراد من الأكل التصرف لأن أكل مال اليتيم كما يحرم فكذا سائر التصرفات المهلكة لتلك الأموال محرمة والدليل عليه أن في المال ما لا يصح أن يؤكل وإنما ذكر الأكل لأنه معظم ما يقع لأجله التصرف وإلى بمعنى مع قال تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧] أي مع الله والأصح أن المعنى لا تأكلوها مضمومة إلى أموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وقد خص من ذلك مقدار أجر المثل عند كون الولي فقيراً وإذا أكل مال اليتيم وله مال كان ذلك أقبح ولذا ورد النهي عن أكله مع مال نفسه بعد أن قال: ولا تتبدلوا الخ ﴿إنه﴾ أي الأكل المفهوم من النهي ﴿**كان حوبا كبيرا**﴾ أي ذنباً عظيماً عند الله فاجتنبوه.

ـ روي ـ أن رجلاً من بني غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا إلى النبي عليه السلام فنزلت هذه الآية فلما سمع العم قال: أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع إليه ماله فقال النبي ﷺ: «من يوق شح نفسه

ويطع ربه هكذا فإنه يحل داره» يعني: جنته فلما قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله فقال عليه السلام: «ثبت الأجر وبقي الوزر» فقالوا: كيف بقي الوزر؟ فقال: «ثبت الأجر للغلام وبقي الوزر على والده»، قال الشيخ السعدي قدس سره:

از زر وسيم راحتى برسان خويشتن هم تمتعى بر كير
چونكه اين خانه ازتو خواهد ماند خشتى ازسيم وخشتى از زركير

قال تعالى: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ تزكية من آفة الحرص والحسد والدناءة والخسة والطمع وتحلية بالأمانة والديانة وسلامة الصدر وقال: ﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾ تزكية من الجور والحيف والظلم وتحلية بالعدل والإنصاف فإن اجتماع هذه الرذائل ﴿إنه كان حوباً كبيراً﴾ أي حجاباً عظيماً. فعلى العاقل أن يزكي نفسه من الأخلاق الرديئة ولا يطمع في حق أحد جل أو قل بل يكون سخياً باذلاً ماله على الأرامل والأيتام ويراعي حقوقهم بقدر الإمكان. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ست موبقات ليس لهن توبة: أكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، والسحر، والشرك بالله، وقتل نبي من الأنبياء. ويقال: طوبى للبيت الذي فيه يتيم. وويل للبيت الذي فيه يتيم يعني ويل لأهل البيت الذين لم يعرفوا حق اليتيم وطوبى لهم إذا عرفوا حقه.

يكى خار پاي يتيمى بكند بخواب اندرش ديد صدر خجند
كه ميكفت ودر روضها مى چميد كزان خار بر من چه كلها دميد

- وروي - أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: عندي يتيم مما ضربه قال: «مما تضرب ولدك» يعني لا بأس أن تضربه للتأديب ضرباً غير مبرح مثل ما يضرب الوالد ولده.

- وروي - عن الفضيل بن عياض أنه قال: رب لطمة انفع لليتيم من أكلة خبيص. قال الفقيه في «تنبيه الغافلين» إن كان هذا يقدر أن يؤدبه بغير ضرب ينبغي له أن يفعل ذلك ولا يضربه فإن ضرب اليتيم أمر شديد قال رسول الله ﷺ: «إن اليتيم إذا ضرب اهتز عرش الرحمٰن لبكائه فيقول الله: يا ملائكتي من أبكى الذي غيبت أباه في التراب وهو أعلم به قال: تقول الملائكة: ربنا لا علم لنا قال: فإني أشهدكم أن من أرضاه أرضه من عندي يوم القيامة».

چوبينى يتيمى سرافكند پيش مده بوسه برروى فرزند خويش
يتيم اربكريد كه بارش برد وكر خشم كيرد كه نازش خرد
ألا تانكريد كه عرش عظيم بلرزد همى چون بكريد يتيم
اكرسايه خودبرفت ازسرش تو درسايه خويشتن پرورش

قال الله تعالى لداود النبي عليه السلام: [كن لليتيم كالأب الرحيم واعلم أنك كما تزرع كذلك تحصد].

واعلم أن المرأة الصالحة لزوجها كالملك المتوّج بالذهب كلما رآها قرت عينه والمرأة السوء لبعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير:

كراخانه آباد وهمخوابه دوست خدارا برحمت نظر سوى اوست
دلارام باشد زن نيك خواه وليك از زن بدخدايا پناه
تهى پاى رفتن به از كفش تنك بلاى سفر به كه درخانه جنك

﴿وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى﴾ الإقساط العدل والمراد بالخوف العلم عبر عنه

بذلك إيذاناً بكون المعلوم مخوفاً محذوراً لا معناه الحقيقي لأن الذي علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور المخوف لا الخوف منه وإلا لم يكن الأمر شاملاً لمن يصبر على الجور ولا يخافه وسبب النزول أنهم كانوا يتزوجون من يحل لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن لا لرغبة فيهن بل في مالهن ويسيئون في الصحبة والمعاشرة ويتربصون بهن أن يمتن فيرثوهن وقيل: هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بأدنى من سنة نسائها فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق وأمروا أن ينكحوا من سواهن من النساء والمعنى وإن خفتم أن لا تعدلوا في حق اليتامى إذا تزوجتم بهن بإساءة العشرة أو بنقص الصداق ﴿فانكحوا ما﴾ موصولة أو موصوفة أوثرت على من ذهاباً بها إلى الوصف أي نكاحاً ﴿طاب لكم من النساء﴾ أي غير اليتامى بشهادة قرينة المقام أي فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الأجنبيات ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ حال من فاعل طاب أي فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثاً وثلاثاً وأربعاً وأربعاً حسبما تريدون على معنى أن لكل واحد منهم أن يختار أي عدد شاء من الأعداد المذكورة لا أن بعضها لبعض منهم وبعضها لبعض آخر. ﴿فإن خفتم أن لا تعدلوا﴾ أي فيما بينهن ولو في أقل الأعداد المذكورة كما خفتموه في حق اليتامى أو كما لم تعدلوا فيما فوق هذه الأعداد ﴿فواحدة﴾ فالزموا أو فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية ﴿أو ما﴾ ولم يقل من إيذاناً بقصور رتبة الإماء عن رتبة العقلاء ﴿ملكت أيمانكم﴾ أي من السراري بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة على أن اللزوم والاختيار فيه بطريق التسري لا بطريق النكاح كما فيما عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين في الموضعين وإنما سوي في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السراري من غير حصر في عدد لقلة تبعيتهن وخفة مؤنهن وعدم وجوب القسم فيهن ﴿ذلك﴾ إشارة إلى اختيار الواحدة ﴿أدنى أن لا تعولوا﴾ العول الميل من قولهم عال الميزان عولاً إذا مال وعال في الحكم جار والمراد هٰهنا الميل المحظور المقابل للعدل أي ما ذكر من اختيار الواحدة والتسري أقرب بالنسبة إلى ما عداهما من أن لا يميلوا ميلاً محظوراً لانتفائه رأساً بانتفاء محله في الأول وانتفاء حظره في الثاني بخلاف اختيار العدد في المهائر فإن الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل والحظر.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾

﴿وآتوا النساء﴾ أي اللاتي أمر بنكاحهن ﴿صدقاتهن﴾ جمع صدقة وهي المهر. ﴿نحلة﴾ فريضة من الله لأنها مما فرضه الله في النحلة أي الملة والشريعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات أي أعطوهن مهورهن حال كونها فريضة من الله أو تديناً فانتصابها على أنه مفعول له أي أعطوهن ديانة وشرعة أو هبة وعطية من الله وتفضلاً منه عليهن فانتصابها على الحالية منها أيضاً أو عطية من جهة الأزواج من نحله إذا أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلاً والتعبير عن إيتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الأزواج لإفادة معنى الإيتاء عن كمال الرضى وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لأن الإيتاء والنحلة بمعنى الإعطاء كأنه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أي أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم فالخطاب للأزواج وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون: هنيئاً لك النافجة لمن يولد له

بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك أي: تعظم ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه﴾ الضمير للصدقات وتذكيره لإجرائه مجرى ذلك فإنه قد يشار به إلى المتعدد واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافي والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء أي كائن من الصداق وفيه بعث لهن إلى تقليل الموهوب ﴿نفساً﴾ تمييز والتوحيد لما أن المقصود بيان الجنس أي وهبن لكم شيئاً من الصداق متجافياً عن نفوسهن طيبات غير خبيثات بما يضطرهن إلى البذل من شكاية أخلاقكم وسوء معاشرتكم ﴿فكلوه﴾ أي: فخذوا ذلك الشيء الذي طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تملكاً وتخصيص الأكل بالذكر لأنه معظم وجوه التصرفات المالية ﴿هنيئاً مريئاً﴾ صفتان من هنأ الطعام ومرأ إذا كان سائغاً لا تنغيص فيه ونصبهما على أنهما صفتان للمصدر أي أكلاً هنيئاً مريئاً وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الإباحة وإزالة التبعة.

ـ روي ـ أن ناساً كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيئاً مما ساقه إليها فنزلت.

وفي الآية دليل على وجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس ولذا قيل: يجوز الرجوع بما وهبن إن خدعن من الأزواج وبيان لجواز معروفها وترغيب في حسن المعاشرة بينهما فإن خير الناس خيرهم لأهله وأنفعهم لعياله وفي الحديث «جهاد المرأة حسن التبعل» وكانت المرأة على عهد النبي عليه السلام تستقبل زوجها إذا دخل وتقول مرحباً بسيدي وسيد أهل بيتي وتقصد إلى أخذ ردائه فتأخذه من عنقه وتعمد إلى نعله فتخلعه فإن رأته حزيناً قالت: ما يحزنك إن كان حزنك لآخرتك فزاد الله فيها وإن كان لدنياك فكفاك الله فقال النبي ﷺ: «يا فلان اقرئها مني السلام وأخبرها أن لها نصف أجر الشهيد» وعلامة الزوجة الصالحة عند أهل الحقيقة أن يكون حسنها مخافة الله وغناها القناعة وحليها العفة أي التكفف عن الشرور والمفاسد وعبادتها بعد الفرائض حسن الخدمة للزوج وهمتها الاستعداد للموت.

اكر پارسا باشد وخوش سخن   نكه درنكويى وزشتى مكن
زن خوب وخوش طبع كنجست ومار   رهاكن زن زشت ناساز كار

يعني لا تلتفت إلى امرأة ليس لها حسن ولا موافقة لك بحسن الخلق.

ـ روي ـ أن الإسكندر كان يوماً عنده جمع من ندمائه فقال واحد منهم: إن الله تعالى أعطى لك مملكة كثيرة وشوكة وافرة فأكثر من النساء حتى يكثر أولادك ويبقوا بعدك قال الإسكندر: أولاد الرجال ليست ما ذكرت بل هي العادات الحسنة والسير المرضية والأخلاق الكريمة وليس مما يليق بالرجل الشجيع أن تغلب عليه النساء بعد أن غلب هو على أهالي الدنيا ونعم ما قيل:

يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام

چونيست پيش بدراين قدر يقين كه پسر   زخيل بى خردانست يا خرد مندان
بسست سيرت نيكو حكيم را فرزند   زبون زن چه شود برامید فرزندان

قال الشيخ السعدي قدس سره في «البستان»:

چه نغز آمداين يك سخن زان دوتن   كه سركشته بودنداز دست زن
يكى كفت كس را زن بد مباد   دكر كفت زن درجهان خودمباد
زن نو كن اي دوست هر نوبهار   كه تقويم پارين نيايد بكار

قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة من أمتي يكونون في جهنم كعمر الدنيا سبع مرات: أولهم

متسمنون مهزولون، والثاني كاسون عارون، والثالث عالمون جاهلون» قيل من هؤلاء يا رسول الله قال: «أما المتسمنون المهزولون فالنساء متسمنات باللحم مهزولات في أمور الدين وأما الكاسون العارون فهن النساء كاسيان من الثياب عاريات من الحياء وأما العالمون الجاهلون فهم أهل الدنيا التاجرون الكاسبون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون» فهؤلاء عالمون في أمور الدنيا جاهلون في أمور الآخرة لا يبالون من أين يجمعون المال وهم لا يشبعون من الحلال ولا يبالون من الحرام نعوذ بالله.

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾

﴿**ولا تؤتوا**﴾ أيها الأولياء ﴿**السفهاء**﴾ أي: المبذرين من الرجال والنساء والصبيان واليتامى ﴿**أموالكم**﴾ أضاف الأموال إلى الأولياء تنزيلاً لاختصاصها بأصحابها منزلة اختصاصها بالأولياء فكان أموالهم عين أموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسي والنسبي مبالغة في حملهم على المحافظة عليها وقد أيد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطاً لمعاش أصحابها بجعلها مناطاً لمعاش الأولياء بقوله: ﴿**التي جعل الله لكم قياماً**﴾ أي جعلها الله شيئاً تقومون به وتنتعشون فلو ضيعتموه لضعتم ولما كان المال سبباً للقيام والاستقلال سماه بالقيام إطلاقاً لاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة فكأنها من فرط قيامهم بها واحتياجهم إليها نفس قيامهم ﴿**وارزقوهم فيها واكسوهم**﴾ الرزق من الله العطية من غير حد ومن العباد إجراء موقت محدود أي أطعموهم منها ولم يقل منها لئلا يكون ذلك أمراً بأن يجعلوا بعض أموالهم رزقاً لهم بل أمرهم أن يجعلوا أموالهم مكاناً لرزقهم بأن يتجروا فيها ويثمروا فيجعلوا أرزاقهم من الأرباح لا من أصول الأموال. ﴿**وقولوا لهم قولاً معروفاً**﴾ كلاماً ليناً تطيب به نفوسهم. قال القفال: القول المعروف هوانه إن كان المولى عليه صبياً فالولي يعرفه أن المال ماله وهو خازن له وأنه إذا زال صباه فإنه يرد المال إليه وإن كان المولى عليه سفيهاً وعظه ونصحه وحثه على الصلاة ورغبه في ترك التبذير والإسراف وعرفه أن عاقبة التبذير الفقر والاحتياج إلى الخلق إلى ما يشبه هذا النوع من الكلام وإذا كان رشيداً فطلب ماله ومنعه الولي يأثم. وفي الآية تنبيه على عظم خطر المال وعظم نفعه. قال السلف: المال سلاح المؤمن هيىء للفقر الذي يهلك دينه وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فإنكم في زمان إذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلاً في جنازة فقالوا له: اذهب إلى دكانك، قال الإمام وقد رغب الله في حفظ المال في آية المداينة حيث أمر بالكتاب والشهادات والرهن والعقل أيضاً يؤيد ذلك لأن الإنسان ما لم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بتحصيل الدنيا والآخرة ولا يكون فارغ البال إلا بواسطة المال لأنه به يتمكن من جلب المنافع ودفع المضار.

شب پرا كنده خسبد آنكه بديد نبود وجه بامدادانش
مور كرد آورد بتابستان تا فراغت بود زمستانش

فمن أراد الدنيا بهذا الغرض كانت الدنيا في حقه من أعظم الأسباب المعينة على اكتساب سعادة الآخرة أما من أرادها لنفسها وعينها كانت من أعظم المعوقات عن كسب سعادة الآخرة فخير المال ما كان متاع البلاغ ولا ينبغي للمرء أن يسرف في المال الذي يبلغه إلى الآخرة والجنة والقربة.

چودخلت نيست خرج آهسته تركن كه ملاحان همى كويند سرودى
اكر باران بكوهستان نبارد بسالى دجله كردد خشك رودي
درخت اندر خزانها برفشاند زمستان لا جرم بي برك ماند

والإشارة أن الله تعالى جعل المال قياماً لمصالح دين العباد ودنياهم فالعاقل منهم من يجعله قياماً لمصالح دينه ما أمكنه ولمصالح دنياه بقدر حاجته الضرورية إليه والسفيه من جعله لمصالح دنياه ما أمكنه والمنهي عنه أن تؤتوا إليه أموالكم كائناً من كان ومن جملة السفهاء النفس التي هي أعدى عدوك وكل ما أنفقه الرجل على نفسه بهواها ففيه مفاسد دينه ودنياه إلا المستثنى منه كما أشار تعالى بقوله: ﴿وارزقوهم فيها﴾ يعني: ما يسد به جوع النفس ﴿واكسوهم﴾ يعني: ما يستر عورتها فإن ما زاد على هذا يكون إسرافاً في حق النفس والإسراف منهي عنه. ﴿وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ فالقول المعروف مع النفس أن يقول: أكلت رزق الله ونعمه فأدي شكر نعمته بامتثال أوامره ونواهيه وأذيبي طعامك بذكر الله كما قال عليه السلام «أذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر» وأقل ذلك أن يصلي ركعتين أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزءاً من القرآن عقيب كل أكلة وسببه أنه إذا نام على الطعام من غير إذابته بالذكر والصلاة بعد أكله يقسو قلبه ونعوذ بالله من قسوة القلب ففي الإذابة رفع القسوة وأداء الشكر.

واعلم أن في قوله تعالى: ﴿ولا تؤتوا السفهاء﴾ الخ إشارة أخرى وهي أن أموال العلوم وكنوز المعارف لا تؤتى لغير أهلها من العوام ولا تذكر كما حكي أن بعض الكبار ذكر بعض الكرامات لولي فنقل ذلك بعض السامعين في مجلس آخر وأنكره رجل فلما رجع إلى الأصل قال: لا يباع الإبل في سوق الدجاج.

دريغست باسفله كفت ازعلوم كه ضايع شهود تخم درشوره بوم

﴿وابتلوا اليتامى﴾ أي: واختبروا أيها الأولياء والأوصياء من ليس من اليتامى بين السفه قبل البلوغ بتتبع أحوالهم في صلاح الدين والاهتداء إلى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فإن كانوا من أهل التجارة فبأن تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه بيعاً وابتياعاً وإن كانوا ممن له ضياع وأهل وخدم فبأن تعطوا منه ما يصرفونه إلى نفقة عبيدهم وخدمهم وأجرائهم وسائر مصارفهم حتى يتبين لكم كيفية أحوالهم. ﴿حتى إذا بلغوا النكاح﴾ بأن يحتلموا لأنهم يصلحون عنده للنكاح. ﴿فإن آنستم﴾ أي: شاهدتم وتبينتم. ﴿منهم رشداً﴾ صلاحاً في دينهم واهتداء إلى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير ﴿فادفعوا إليهم أموالهم﴾ من غير تأخير عن حد البلوغ. وظاهر الآية الكريمة أن من بلغ غير رشيد إما بالتبذير أو بالعجز لا يدفع إليه ماله أبداً وبه أخذ أبو يوسف ومحمد، وقال أبو حنيفة ينتظر إلى خمس وعشرين سنة لأن البلوغ بالسن ثماني عشرة فإذا زادت عليها بسبع سنين وهي مدة معتبرة في تغيير أحوال الإنسان لما قال عليه السلام: «مروهم بالصلاة لسبع» دفع إليه ماله أونس منه رشد أو لم يونس. ﴿ولا تأكلوها إسرافاً﴾ بغير حق حال أي: مسرفين وليس فيه إباحة القليل وتحريم

الإسراف بل هو بيان أنه إسراف ﴿وبداراً﴾ أي مبادرين ومسارعين إلى إنفاقها مخافة ﴿أن يكبروا﴾ فتفرطون في إنفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل أن تكبر اليتامى رشداً فينتزعوها من أيدينا ويلزمنا تسليمها إليهم ﴿ومن كان غنياً﴾ من الأولياء والأوصياء ﴿فليستعفف﴾ فليتنزه عن أكلها وليمتنع وليقنع بما آتاه الله من الغنى والرزق إشفاقاً على اليتيم وإبقاء على ماله واستعفف أبلغ من عف كأنه يطلب زيادة العفة ﴿ومن كان﴾ من الأولياء والأوصياء ﴿فقيراً فليأكل بالمعروف﴾ أي بما عرف في الشرع بقدر حاجته الضرورية وأجرة سعيه وخدمته وفيه ما يدل على أن للوصي حقاً لقيامه عليها ﴿فإذا دفعتم إليهم أموالهم﴾ بعدما راعيتم الشرائط المذكورة ﴿فأشهدوا عليهم﴾ بأنهم تسلموها وقبضوها وبرئت منها ذممكم لما أن ذلك أبلغ من التهمة وأنفى للخصومة وأدخل في الأمانة وبراءة الساحة وإن لم يكن واجباً عند أصحابنا فإن الوصي مصدق في الدفع مع اليمين وقال مالك والشافعي لا يصدق في دعواه إلا بالبينة ﴿وكفى بالله﴾ الباء صلة ﴿حسيباً﴾ محاسباً وحافظاً لأعمال خلقه فلا تخالفوا ما أمرتم به ولا تجاوزوا ما حدّ لكم واعلموا أن اللائق للعاقل أن يحترز عن حق الغير خصوصاً اليتيم فإنه يجره إلى نار الجحيم فأكل حقه من الكبائر ومن ابتلي بحق من حقوق العباد فعليه بالاستحلال قبل الانتقال إلى دار السؤال قال رسول الله ﷺ: «من كانت عنده مظلمة لأخيه أو شيء فليتحلله منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمة وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فحمل عليه» ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسرّ ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الإخلاص حيث لا يطلع عليه إلا الله فعساه يقربه ذلك إلى الله فينال به لطفه الذي ادخره لأرباب الإيمان في دفع مظالم العباد عنهم بإرضائه إياهم».

قال العلماء: إذا زنى بامرأة ولها زوج فما لم يجعل ذلك الرجل في حل لا يغفر له لأن خصمه الآدمي فإذا تاب وجعله في حل فإن يغفر له ويكتفي بحل منه ولا يذكر الزنى ولكن يقول كل حق لك علي فاجعلني في حل منه ومن كل خصومة بيني وبينك وهذا صلح بالمعلوم على المجهول وذلك جائز كرامة لهذه الأمة لأن الأمم السالفة ما لم يذكروا الذنب لا يغفر لهم وكذا غصب أموال عباد الله وأكلها وضربهم وشتمهم وقتلهم كلها من الحقوق التي يلزم فيها إرضاء الخصماء والتوبة والمبادرة إلى الأعمال الصالحة والأفعال الحسنة فإذا لم يتب العبد من أمثال هذه ولم يرض خصماءه كان خاسراً خالياً عن العمل عند العرض الأكبر.

نماند ستمكار بد روزكار   بماند برو لعنت پايدار
چنان زى كه ذكرت بتحسين كنند   چومردى نه بركور نفرين كنند
نبايد برسم بد آيين نهاد   كه كويند لعنت بران كين نهاد

فينبغي للظالم أن يتوب من الظلم ويتحلل من المظلوم في الدنيا فإذا لم يقدر عليه ينبغي أن يستغفر له ويدعو له فإن يرجى أن يحلله بذلك. وعن فضيل بن عياض رحمه الله أنه قال: قراءة آية من كتاب الله والعمل بها أحب إلي من ختم القرآن ألف ألف مرة وإدخال السرور على المؤمن وقضاء حاجته أحب إلي من عبادة العمر كله وترك الدنيا ورفضها أحب إليّ من التعبد بعبادة أهل السموات والأرض وترك دانق من حرام أحب إلي من مائتي حجة من المال الحلال. وقال أبو القاسم الحكيم: ثلاثة أشياء تنزع الإيمان من العبد: أولها ترك الشكر على

الإسلام، والثاني: ترك الخوف على ذهاب الإسلام، والثالث: الظلم على أهل الإسلام وعن أبي ميسرة قال: أتى بسوط إلى رجل في قبره بعدما دفن يعني جاءه منكر ونكير فقالا له: إنا ضارباك مائة سوط فقال الميت: أنا كنت كذا وكذا يتشفع حتى حطا عنه عشراً ثم لم يزل بهما حتى صارت إلى ضربة واحدة فقالا له: إنا ضارباك ضربة واحدة فضرباه ضربة واحدة التهب القبر ناراً فقال: لم ضربتماني قالا مررت برجل مظلوم فاستغاث بك فلم تغثه فهذا حال الذي لم يغث المظلوم فكيف يكون حال الظالم.

واعلم أن الكبار يكفون أنفسهم عن المشتبهات فضلاً عن الحرام فإن اللقمة الطيبة لها أثر عظيم في إجابة الدعاء ولذا قال الشيخ نجم الدين الكبرى قدس سره: أول شرائط إجابة الدعاء إصلاح الباطن بلقمة الحلال وآخر شرائطها الإخلاص وحضور القلب يعني التوجه الأحدي إذ القلب الحاضر في الحضرة شفيع له قال تعالى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤] فحركة الإنسان باللسان وصياحه من غير حضور القلب ولولة الواقف على الباب وصوت الحارس على السطح فعلى العاقل أن يحترز عن الحرام والمشتبهات كي يستجاب دعاؤه في الخلوات **﴿للرجال نصيب﴾**.

ـ روي ـ أن أوس بن صامت الأنصاري رضي الله عنه خلف زوجته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فإنهم ما كانوا يورثون النساء والأطفال ويقولون: إنما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت أم كحة إلى رسول الله ﷺ في مسجد الفضيخ فشكت إليه فقال: «ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله» فنزلت هذه الآية فبعث إليهما لا تفرقا من مال أوس شيئاً فإن الله قد جعل لهن نصيباً ولم يبين حتى يبين فنزل يوصيكم الله الخ فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم والمعنى لذكور أولاد الميت حظ كائن **﴿مما ترك الوالدان والأقربون﴾** من ذوي القرابة للميت والمراد المتوارثون منهم دون المحجوبين عن الإرث وهم الأبوان والزوجان والابن والبنت **﴿وللنساء﴾** أي لجماعة الإناث **﴿نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر﴾** مما الأخيرة بإعادة الجار بدل وإليها يعود الضمير المجرور وهذا البدل مراد في الجملة الأولى أيضاً محذوف للتعويل على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الأموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال وتحقيق أن لكل من الفريقين حقاً من كل ما جل ودق. **﴿نصيباً مفروضاً﴾** نصب على الاختصاص أي أعني نصيباً مقطوعاً مفروضاً واجباً لهم وفيه دليل على أن الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه.

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾

﴿وإذا حضر القسمة﴾ أي: قسمة التركة والميراث. **﴿أولو القربى﴾** للميت ممن لا يرث منه **﴿واليتامى والمساكين﴾** من الأجانب **﴿فارزقوهم منه﴾** أي: أعطوهم شيئاً من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة أو مما ترك الوالدان والأقربون وهو أمر ندب كلف به البالغون من الورثة تطييباً لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقاً عليهم وكان المؤمنون يفعلون ذلك إذا

اجتمعت الورثة وحضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بشيء من ورثة المتاع فحثهم الله على ذلك تأديباً من غير أن يكون فريضة فلو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق **﴿وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾** وهو أن يدعوا لهم ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويستقلوا ما أعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم وكل ما سكنت إليه النفس وأحبته لحسنه شرعاً أو عقلاً من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته لقبحه شرعاً أو عقلاً فهو منكر وفي الحديث «كل معروف صدقة» وفي المثل أصنع المعروف والقه في الماء فإن لم يعرفه السمك يعرفه من سمك السماء:

تونيكى كن بآب اندازاى شاه اكر ما هي نداند داند الله

ـ حكي ـ أن حية أتت رجلاً صالحاً فقالت: أجرني من عدوي أجارك الله ففتح لها رداءه فقالت: يراني فيه فإن أردت المعروف فافتح فاك حتى أدخل فيه فقال: أخشى أن تهلكيني قالت: لا والله والله وسكان سمواته وأرضه شاهدة على ذلك ففتح فاه فدخلت ثم عارضه رجل في ذلك فأنكر فلما اندفع خوفها قالت: يا أحمق اختر لنفسك كبدك أو فؤادك فقال: أين العهد واليمين قالت: ما رأيت أحمق منك إذ نسيت العداوة التي بيني وبين أبيك آدم وما الذي حملك على اصطناع المعروف مع غير أهله فقال: مهليني حتى آتي تحت هذا الجبل ثم توجه إلى الله فظهر رجل حسن الوجه طيب الرائحة وأعطاه ورقة خضراء وأمره بالمضغ ففعل فلم يلبث إلا خرج قطع الحية من الأسفل فخلصه الله تعالى من شرها ثم سأل من أنت؟ فقال: أنا المعروف وموضعي في السماء الرابعة وأنت لما دعوت الله ضجت الملائكة في السموات السبع إلى الله فانطلقت إلى الجنة وأخذت من شجرة طوبى ورقة بأمر الله فاصنع المعروف فإنه لا يضيع عند الله وإن ضيعه المصطنع إليه.

نكو كارى ازمردم نيك رأى يكى را بده مى نويسد خداى

ومما يكتب من الصدقة الكلمة الطيبة والشفاعة الحسنة والمعونة في الحاجة وعيادة المريض وتشييع الجنازة وتطييب قلب مسلم وغير ذلك.

واعلم أن الرجال في الحقيقة أقوياء الطلبة والسلاك فلهم نصيب بقدر صدقهم في الطلب ورجوليتهم في الاجتهاد مما ترك المشايخ والإخوان في الله والأعوان على الطلب وتركتهم بركنهم وسيرتهم في الدين وأنوار هممهم العلية ومواهب ولايتهم السنية والنساء ضعفاء القوم فلهم أيضاً نصيب مفروض أي قدر معلوم على وفق صدق التجائهم إليه وجدهم في الطلب وحسن استعدادهم لقبول فيض الولاية وهذا حال المجتهدين الذين هم ورثة المشايخ كما أنهم ورثة الأنبياء فأما المنتمون إلى ولايتهم بالإرادة وحسن الظن والمقتبسون من أنوارهم والمقتفون على آثارهم والمشبهون بزيهم والمتبركون بهم على تفاوت درجاتهم فهم بمثابة أولي القربى واليتامى والمساكين إذا حضروا القسمة عند محافل صحبتهم ومجامع سماعهم ومجالس ذكرهم فإنها مقاسم خيراتهم وبركاتهم فارزقوهم منه أي من مواهب ولايتهم وآثار هدايتهم وإعطاف عنايتهم وإلطاف رعايتهم وقولوا لهم قولاً معروفاً في التشويق وإرشاد الطريق والحث على الطلب والتوجه إلى الحق والإعراض عن الدنيا وتقرير هوانها على الله وخسارة أهلها وعزة أهل الله في الدارين وكمال سعادتهم في المنزلين فإذا وقفت على هذا فاجتهد حتى لا تحرم من ميراثه الحقيقة ونصيب المعرفة ونعم ما قيل:

ميراث پدر خواهى تو علم پدر آموز كين مال پدر خرج توآن كردبده روز

رزقنا الله وإياكم ثمرات الأحوال وبلغنا إلى تصفية الباطن وإصلاح البال. ﴿**وليخش الذين**﴾ صفتهم وحالهم أنهم ﴿**لو تركوا**﴾ أي: لو شارفوا أن يتركوا ﴿**من خلفهم**﴾ أي: بعد موتهم ﴿**ذرية ضعافاً**﴾ أولاداً عجزة لا غنى لهم وذلك عند احتضارهم ﴿**خافوا عليهم**﴾ أي: الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم والفقر والتكفف والمراد بالذين هم الأوصياء أمروا أن يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى وليشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافاً وشفقتهم عليهم وأن يقدروا ذلك في أنفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ﴿**فليتقوا الله**﴾ في ذراري غيرهم ﴿**وليتولوا قولاً سديداً**﴾ أي: وليقولوا لليتامى مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة وحسن الأدب والترهيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي ولا يؤذوهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾

﴿**إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً**﴾ ظالمين أو على وجه الظلم من أولياء السوء وقضاته وإنما قيد به لأنه إذا أكل منه بالمعروف عند الحاجة أو بما قدر له به القاضي بقدر عمله فيه لم يعاقب عليه ﴿**إنما يأكلون في بطونهم**﴾ أي: ملىء بطونهم يقال: أكل في بطنه إذا ملأه وأسرف وفي معاه إذا اقتصد فيه ﴿**ناراً**﴾ أي: ما يجر إلى النار ويؤدي إليه فكأنه نار في الحقيقة ﴿**وسيصلون**﴾ أي: سيدخلون يوم البعث ﴿**سعيراً**﴾ أي: ناراً مسعرة أو هائلة مبهمة الوصف.

- روي - أن آكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه وأذنيه وعينيه ويعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا.

- وروي - أنه لما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الأمر على اليتامى فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ [البقرة: ٢٢٠] الآية وفي الحديث قال النبي عليه السلام: «رأيت ليلة أسري بي قوماً لهم مشافر كمشافر الإبل إحداهما قالصة على منخريه والأخرى على بطنه وخزنة جهنم يلقمونه جمر جهنم وصخرها فقلت: يا جبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً».

كسى كز صرصر ظلمش دمادم ... چراغ عيش مظلومان بميرد
نمى ترسد ازين كايزد تعالى ... اكرچه دير كيرد سخت كيرد

وقد أمر الله تعالى أن لا يؤذى اليتيم ويقال له القول السديد فكيف يكون حال من آذاه وغيره من المؤمنين وأكل أموالهم بالغصب والظلم.

- روي - أن لجهنم جبابا يعني مواضع كساحل البحر فيها حيات كالبخاتي وعقارب كالبغال الدلم فإذا استغاث أهل جهنم أن يخفف عنهم قيل لهم اخرجوا إلى الساحل فيخرجون فتأخذ الحياة شفاههم ووجوههم ما شاء الله فيكشطن فيستغيثون فراراً منها إلى النار فيسلط عليهم الجرب فيحك أحدهم جلده حتى يبدو العظم فيقال يا فلان هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم فيقال: ذلك بما كنت تؤذي المؤمنين. فعلى المرء أن يجتنب عن الإيذاء وإيصال الألم إلى الخلق فإن الدعاء السوء من المظلومين يقبل البتة في حق الظالم والمؤذي.

خرابى كند مرد شمشيرزن ... نچندانكه دود دل طفل وزن
رياست بدست كسانى خطاست ... كه ازدست شان دستها برخداست

مكافات مؤذى بمالش مكن كه بيخش بر آورد بايد زبن
سر كرك بايد هم أول بريد نه چون كوسفندان مردم دريد

قال رسول الله ﷺ: «تقبلوا لي ستاً أتقبل لكم الجنة إذا حدثتم فلا تكذبوا وإذا وعدتم فلا تخلفوا وإذا ائتمنتم فلا تخونوا وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم عن الحرام وادخلوا الجنة».

- وروي - عن ابن المبارك أنه قال: ترك فلس من حرام أفضل من مائة ألف فلس يتصدق بها عنه. وعنه أنه كان بالشام يكتب الحديث فانكسر قلمه فاستعار قلماً فلما فرغ من الكتابة نسي فجعل القلم في مقلمته فلما رجع إلى مرو رأى القلم وعرفه فتجهز للخروج إلى الشام قال رسول الله ﷺ: «لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار فما ينفعكم إلا بالورع». قال إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - الزهد ثلاثة أصناف: زهد فرض، وزهد فضل، وزهد سلامة. فزهد الفرض هو الزهد في الحرام، وزهد الفضل هو الزهد في الحلال، وزهد السلامة هو الزهد في الشبهات. وكان حسان بن أبي سنان لا ينام مضطجعاً ولا يأكل سميناً ولا يشرب بارداً ستين سنة فرؤي في المنام بعد ما مات فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: خيراً غير أني محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها. ومر عيسى عليه السلام بمقبرة فنادى رجلاً منهم فأحياه الله تعالى فقال: من أنت؟ فقال: كنت حمالاً أنقل للناس فنقلت يوماً لإنسان حطباً فكسرت منه خلالاً تخللت به فأنا مطالب به منذ مت.

خوف داري اكر زقهر خدا نروى راه حرام دنيا

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾

﴿يوصيكم الله﴾ أي: يأمركم ويعهد إليكم **﴿في أولادكم﴾** أولاد كل واحد منكم أي: في شأن ميراثهم وهو إجمال تفصيله **﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾** والمعنى منهم فحذف للعلم به أي: يعد كل ذكر بأنثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه **﴿فإن كن﴾** أي: الأولاد والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله تعالى: **﴿نساء﴾** أي: خلصا ليس معهن ذكر **﴿فوق اثنتين﴾** خبر ثان **﴿فلهن ثلثا ما ترك﴾** أي المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام وحكم البنتين كحكم ما فوقهما **﴿وإن كانت﴾** أي: المولودة **﴿واحدة﴾** أي: امرأة واحدة ليس معها أخ ولا أخت **﴿فلها النصف﴾** مما ترك **﴿ولأبويه﴾** أي: لأبوي الميت **﴿لكل واحد منهما السدس﴾** كائناً ذلك السدس **﴿مما ترك﴾** المتوفى **﴿إن كان له﴾** أي: للميت **﴿ولد﴾** أو ولد ابن ذكراً كان أو أنثى واحداً أو متعدداً غير أن الأب في صورة الأنوثة بعد ما أخذ فرضه المذكور يأخذ ما بقي من ذوي الفروض بالعصوبة **﴿فإن لم يكن له ولد﴾** ولا ولد ابن **﴿وورثه أبواه﴾** فحسب **﴿فلأمه الثلث﴾** مما ترك والباقي للأب هذا إذا لم يكن معهما أحد الزوجين أما إذا كان معهما أحد الزوجين فلأمه ثلث ما بقي من فرض أحدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس - رضي الله عنهما -

فإنه يفضي إلى تفضيل الأم على الأب مع كونه أقوى منها في الإرث بدليل إضعافه عليها عند انفرادهما عن أحد الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع **﴿فإن كان له إخوة﴾** أي: عدد من الإخوة من غير اعتبار التثليث سواء كانت من جهة الأبوين أو من جهة أحدهما وسواء كانوا ذكوراً أو إناثاً أو مختلطين وسواء كان لهم ميراث أو محجوبين بالأب **﴿فلأمه السدس﴾** وأما السدس الذي حجبوها عنه فهو للأب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور **﴿من بعد وصية﴾** متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها أي: هذه الأنصباء للورثة من بعدما كان من وصية **﴿يوصي بها﴾** الميت وفائدة الوصف الترغيب في الوصية والندب إليها **﴿أو دين﴾** عطف على وصية إلا أنه غير مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة أو الإقرار في الصحة وإنما قال بأو التي للإباحة دون الواو للدلالة على أنهما متساويان في الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة في الحكم لأنها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب إليها الجميع والدين إنما يكون على الندور **﴿آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً﴾** الخطاب للورثة أي: أصولكم وفروعكم الذين يتوفون لا تدرون أيهم أنفع لكم أمن يوصي ببعض ماله فيعرضكم لثواب الآخرة بتنفيذ وصيته؟ أم من لا يوصي بشيء فيوفر عليكم عرض الدنيا؟ يعني الأول أنفع إن كنتم تحكمون نظراً إلى ظاهر الحال بأنفعية الثاني وذلك لأن ثواب الآخرة لتحقق وصوله إلى صاحبه ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحياة الدنيا أقرب وأحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده وفنائه أبعد وأقصى. **﴿فريضة من الله﴾** أي: فرض الله ذلك الميراث فرضاً **﴿إن الله كان عليماً﴾** بالخلق ومصالحهم **﴿حكيماً﴾** في كل ما قضى وقدر ودبر.

واعلم أن في هذه الآية تنبيهاً على أن العبد ينبغي أن يجانب الميل إلى جانبي الإفراط والتفريط برأيه وعمله بل يستمسك بالعروة الوثقى التي هي العدالة في الأمور كلها وهو الميزان السوي فيما بين الضعيف والقوي وذلك لا يوجد إلا بمراعاة أمر الله تعالى والمحافظة على الأحكام المقضية الصادرة من العليم بعواقب الأمور الحكيم الذي يضع كل شيء في مرتبته فعليكم بالعدل الذي هو أقرب للتقوى والتجانب عن الجور بين العباد في جميع الأمور خصوصاً فيما بين الأقارب فإن لهم مزيد فضل على الأجانب ولمكانة صلة الرحم عند الله قرن الأرحام باسمه الكريم في قوله تعالى: **﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾** [النساء: ١] فحافظوا على مراعاة حقوق أصولكم وفروعكم وآتوا كل ذي حق حقه فمن حقوق الوالدين على الولد ترك التأفيف والبر والتكلم بقول لطيف. وفي الخبر يسأل الولد عن الصلاة ثم عن حق الوالدين وتسأل المرأة عن الصلاة ثم عن حق زوجها ويسأل العبد عن الصلاة ثم عن حق المولى ثم إن الحق للوالدة أعظم من الوالد لكونها أكثر زحمة ورحمة.

ـ روي ـ أن رجلاً قال: يا رسول الله إن أمي هرمت عندي فأطعمها بيدي وأسقيها بيدي وأوضيها وأحملها على عاتقي فهل جازيت حقها؟ قال: «لا ولا واحداً من مائة» قال: ولم يا رسول الله؟ قال: «لأنها خدمتك في وقت ضعفك مريدة حياتك وأنت تخدمها مريداً مماتها ولكنك أحسنت والله يثيبك على القليل كثيراً» وجاء رجل إلى النبي عليه السلام ليستشيره في الغزو فقال: «ألك والدة» قال: نعم قال عليه السلام: «فالزمها فإن الجنة تحت رجليها» ذكره في الإحياء قيل فيه ونعم ما قيل:

جنت كه سراى ما درانست زير قد مات ما درانست
روزي بكن أي: خداى مارا چيزى كه رضاي ما درانست

ويطيع الوالدين فيما أبيح في دين الإسلام وإن كانا مشركين ويهجرهما إن أمراه بشرك أو معصية قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [لقمان: ١٥].

چون نبود خويش را ديانت وتقوى قطع رحم بهترازمودت قربى

قال بعضهم: كل ما لا يؤمن من الهلاك مع الجهل فطلب علمه فرض عين سواء كان من الأمور الاعتقادية كمعرفة الصانع وصفاته وصدق النبي عليه السلام في أقواله وأفعاله أو من الأعمال الحسنة المتعلقة بالظاهر كالصلاة والصوم وغيرهما أو بالباطن كحسن النية والإخلاص والتوكل وغيرها أو من السيئة المتعلقة بالظاهر كشرب الخمر وأكل الربا والنظر إلى أجنبية بشهوة أو بالباطن كالكبر والعجب والحسد وسائر الأخلاق الرديئة للنفس فإن معرفة هذه الأمور فرض عين يجب على المكلف طلبها وإن لم يأذن له أبواه وأما ما سواها من العلوم فقيل: لا يجوز له الخروج لطلبه إلا بإذنهما. وفي «فتاوى قاضي خان»: رجل طلب العلم وخرج بغير إذن والديه فلا بأس به ولم يكن عقوقاً قيل هذا إذا كان ملتحياً فإذا كان أمرد صبيح الوجه فلأبويه أن يمنعاه. وأما حق الولد على الوالد فكالتسمية باسم حسن كأسماء الأنبياء والمضاف إلى اسمه تعالى لأن الإنسان يدعى في الآخرة باسمه واسم أبيه قال عليه السلام: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم» ولذا قيل: يستحب تغيير الأسماء القبيحة المكروهة فإن النبي ﷺ سمى المسمى بالعاصي مطيعاً. وجاء رجل اسمه المضطجع فسماه المنبعث. ومن حقه عليه الختان وهو سنة. واختلفوا في وقته قيل: لا يختن حتى يبلغ لأنه للطهارة ولا طهارة عليه حتى يبلغ وقيل إذا بلغ عشراً وقيل تسعاً والأولى تأخير الختان إلى أن يثغر الولد ويظهر سنه لما فيه من مخالفة اليهود لأنهم يختنون في اليوم السابع من الولادة. ومن حقه أن يرزقه بالحلال الطيب وأن يعلمه علم الدين ويربيه بآداب السلف الصالحين، قال الشيخ سعدي قدس سره في حق الأولاد:

بخردى درش زجر وتعليم كن به نيك وبدش وعده وبيم كن
بياموز پرورده رادست رنج وكردست دارى چوقارون كنج
بپايان رسد كيسه سيم وزر نكردد تهى كيسه پيشه ور

- وروى - أنس رضي الله عنه عن النبي عليه السلام قال: «يعق عنه في اليوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب وإذا بلغ سبع سنين عزل فراشه وإذا بلغ عشر سنين ضرب على الصلاة وإذا بلغ ست عشرة زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال: قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة». والحاصل أنه ينبغي أن لا يعتمد الإنسان على رأي نفسه بل يكل أمره إلى الله فإنه أعلم وأرحم.

والإشارة في الآيات أن المشايخ للمريدين بمثابة الآباء للأولاد فإن الشيخ في قومه كالنبي في أمته على ما قاله عليه السلام وقال ﷺ: «أنا لكم كالوالد لولده» ففي قوله: ﴿يوصيكم الله﴾ الآية إشارة إلى وصايات المشايخ والمريدين ووراثتهم في قرابة الدين لقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ١٠﴾ [المؤمنون: ١٠] فكما أن الوراثة الدنيوية بوجهين بالسبب والنسب فكذلك الوراثة الدينية بهما. أما السبب فهو الإرادة ولبس خرقتهم والتبرك بزيهم والتشبه بهم. وأما النسب فهو

الصحبة معهم بالتسليم لتصرفات ولايتهم ظاهراً وباطناً بصدق النية وصفاء الطوية مستسلماً لأحكام التسليك والتربية ليتوالد السالك بالنشأة الثانية فإن الولادة تنقسم على النشأة الأولى وهي ولادة جسمانية بأن يتولد المرء من رحم الأم إلى عالم الشهادة وهو الملك والنشأة الثانية وهي ولادة روحانية بأن يتولد السالك من رحم القلب إلى عالم الغيب وهو الملكوت كما حكي النبي عليه السلام عن عيسى عليه السلام أنه قال: [لن يلج ملكوت السموات والأرض من لم يولد مرتين] فالشيخ هو الأب الروحاني والمريدون المتولدون من صلب ولايته هم الأولاد الروحانيون وهم فيما بينهم أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال عليه السلام: «الأنبياء إخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد» ولهذا قال عليه السلام: «كل حسب ونسب ينقطع إلا حسبي ونسبي» لأن نسبه كان بالدين كما سئل من النبي ﷺ من آلك يا رسول الله؟ قال: «آلي كل مؤمن تقي» وإنما يتوارث أهل الدين على قدر تعلقاتهم السببية والنسبية والذكورة والأنوثة والاجتهاد وحسن الاستعداد وإنما مواريثهم العلوم الدينية واللدنية كما قال ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر»، قال مولانا جلال الدين الرومي قدس سره:

چون كزيدى پير نازك دل مباش ... سست وريزيده چو آب وكل مباش
چون كرفتى پيرهين تسليم شو ... همچو موسى زير حكم خضررو
كرتوسنك وصخره ومرمر شوى ... چون بصاحب دل رسى كوهر شوى
نار خندان باغ را خندان كند ... صحبت مردانت از مردان كند

﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم﴾ من المال إذا متن وبقيتم بعدهن **﴿إن لم يكن لهن ولد﴾** أي: ولد وارث من بطنها أو من صلب بنيها أو بني بنيها وإن سفل ذكراً كان أو أنثى واحداً كان أو متعدداً منكم أو من غيركم والباقي لورثتهن من ذوي الفروض والعصبات أو غيرهم أو لبيت المال إن لم يكن لهن وارث آخر أصلاً **﴿فإن كان لهن ولد﴾** على نحو ما فصل **﴿فلكم الربع مما تركن﴾** أي: تركت أزواجكم من المال والباقي لباقي الورثة **﴿من بعد وصية﴾** متعلق بكلتا الصورتين لا بما يليه وحده **﴿يوصين بها أو﴾** من بعد قضاء **﴿دين﴾** سواء كان ثبوته بالبينة أو بالإقرار **﴿ولهن الربع مما تركتم﴾** إن متم وبقين بعدكم **﴿إن لم يكن لكم ولد﴾** ذكر أو أنثى منهن أو من غيرهن أو ولد ابن والباقي لبقية وراثتكم من أصحاب الفروض والعصبات أو ذوي الأرحام أو لبيت المال إن لم يكن لكم وارث آخر أصلاً **﴿فإن كان لكم ولد﴾** على التفصيل المذكور **﴿فلهن الثمن مما تركتم﴾** من المال والباقي للباقين **﴿من بعد**

وصية توصون بها أو دين﴾ أي: بعد إخراج الوصية وقضاء الدين هذا كله إذا لم يمنع مانع من الموانع الأربعة كقتل واختلاف دين ورق واختلاف دار **﴿وإن كان رجل﴾** أي: ذكر ميت **﴿يورث﴾** أي: يورث منه من ورث لا من أورث صفة رجل **﴿كلالة﴾** خبر كان أي: من لا ولد له ولا والد وهي في الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو الإعياء في التكلم ونقصان القوة فيه فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لضعفها بالنسبة إلى القرابة من جهتهما **﴿أو امرأة﴾** عطف على رجل مقيد بما قيد به أي: إن كان الميت أنثى يورث منها كلالة **﴿وله﴾** أي: وللميت الموروث منه سواء كان رجلاً أو امرأة **﴿أخ أو أخت﴾** كلاهما من الأم بالإجماع لأن حكم غيرهما سيبين في آخر السورة **﴿فلكل واحد منهما﴾** أي: أي من الأخ والأخت من الأم **﴿السدس﴾** من غير تفضيل للذكر على الأنثى لأن الإدلاء إلى الميت بمحض الأنوثة **﴿فإن كانوا﴾** أي: أولاد الأم **﴿أكثر﴾** في الوجود **﴿من ذلك﴾** أي: من الأخ أو الأخت المنفردين بواحد أو أكثر **﴿فهم شركاء في الثلث﴾** يقتسمونه بالسوية لا يزيد نصيب ذكرهم على أنثاهم والباقي لبقية الورثة من أصحاب الفروض والعصبات **﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار﴾** قوله: غير مضار نصب حالاً من فاعل يوصى المقدر المدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول أي: يوصي الميت بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مدخل الضرر على الورثة بما زاد على الثلث أو تكون الوصية لقصد الإضرار بهم وبأن يقر في المرض بدين كاذباً **﴿وصية من الله﴾** أي: يوصيكم الله وصية بها لا يجوز تغيرها قال عليه السلام: «من قطع ميراثاً فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة» **﴿والله عليم﴾** بالمضار وغيره **﴿حليم﴾** لا يعاجل بالعقوبة فلا يغتر بالإمهال.

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿تلك﴾ أي: الأحكام التي تقدمت في أمر اليتامى والوصايا والمواريث **﴿حدود الله﴾** شرائعه التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها **﴿ومن يطع الله ورسوله﴾** في جميع الأوامر والنواهي التي من جملتها ما فصل هٰهنا **﴿يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾** صيغة الجمع أي: خالدين بالنظر إلى جمعية من بحسب المعنى **﴿وذلك﴾** أي: هذا الثواب **﴿الفوز العظيم﴾** أي: النجاة الوافرة يوم القيامة والظفر الذي لا ظفر وراءه **﴿ومن يعص الله ورسوله﴾** ولو في بعض الأوامر والنواهي **﴿ويتعد حدوده﴾** شرائعه المحدودة في جميع الأحكام **﴿يدخله ناراً﴾** أي: عظيمة هائلة لا يقادر قدرها **﴿خالداً فيها وله عذاب مهين﴾** أي: وله غير عذاب الحريق الجسماني عذاب آخر لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه والجملة حالية وأفرد خالداً في أهل النار وجمع في أهل الجنة لأن في الانفراد وحشة وعذاباً للنفس وذلك أنسب بحال أهل النار.

اعلم أن الإطاعة سبب لنيل المطالب الدنيوية والأخروية ويرشدك على شرف الإطاعة أن كلب أصحاب الكهف لما تبعهم في طاعة الله وعد له دخول الجنة.

بابدان يار كشت همسر لوط خاندان نبوتش كم شد

سـك أصـحـاب كـهـف روزى چـنـد   پـى مـردم كـرفـت ومـردم شـد

فإذا كان من اتبع المطيعين كذلك فما ظنك بالمطيعين؟ قال حاتم الأصم قدس سره: ألزم خدمة مولاك تأتك الدنيا راغمة والآخرة راغبة. ومن كلامه: من ادعى ثلاثاً بغير ثلاث فهو كذاب، من ادعى حب الجنة من غير إنفاق ماله فهو كذاب، ومن ادعى محبة الله من غير ورع عن محارم الله فهو كذاب، ومن ادعى محبة النبي عليه السلام من غير محبة الفقراء فهو كذاب وكلما ازداد العبد في عبادة الله وطاعته ازداد قرباً منه وبعداً من كيد الشيطان. قال السري: سألت معروف الكرخي عن الطائعين لله بأي شيء قدروا على الطاعة: قال بخروج الدنيا من قلوبهم ولو كانت في قلوبهم ما صحت لهم سجدة، قال جلال الدين الرومي قدس سره:

بـنـد بـكـسـل بـاش آزاد اى   چـنـد بـاشـى بـنـد سـيـم وبـنـد زر

هـركـه از ديـدار بـرخـوردار شـد   ايـن جـهـان درچـشـم أو مـردارشـد

ذكـر حـق كـن بـانـك غـولانـرا بـسـوز   چـشـم نـركـس را ازيـن كـركـس بـدوز

ومن أكرمه الله بمعرفة عظمته اضطر إلى كمال طاعته.

ـ حكي ـ أن شاباً من بني إسرائيل رفض دنياه واعتزل الناس وجعل يتعبد في بعض النواحي فخرج إليه رجلان من مشايخ قومه ليرداه إلى منزله فقالا له: يا من أخذت بأمر شديد لا صبر عليه فقال لهما الشاب: قيامي بين يدي الله أشد من هذا فقالا: إن كل أقربائك مشتاق إليك فعبادتك فيهم أفضل فقال الشاب: إن الله تعالى إذا رضي عني يرضى كل قريب وبعيد فقالا له: أنت شاب لا تعلم وإنا جربنا هذا الأمر وإنا نخاف العجب فقال لهما الشاب: من عرف نفسه لم يضره العجب فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال له: قم فإن هذا الشاب وجد ريح الجنة ولا يقبل قولنا. وعن وهب بن منبه كان داود عليه السلام جعل نوبة عليه وعلى أهله وأولاده ولا تمر ساعة من الليل إلا وهو يصلي ويذكر ففي سره تحرك قلبه بالنظر إلى طاعته وكان بين يديه نهر فأنطق الله ضفدعاً فقال: والذي أكرمك بالنبوة إنه منذ خلقني الله تعالى وأنا قائم على رجل ما استرحت مع أني لا أرجو الثواب ولا أخاف العقاب فما عجبك فيه يا داود؟ فعلم أن المحسن هو الذي يعلم أنه مسيء ولا يعجب بطاعته فلا بد للمؤمن من العمل الصالح ومن الصون عما يبطله من رؤيته وسائر الأمراض الفاسدة ولذلك كان الكبار يختارون الوحدة. قال الإمام جعفر الصادق وكذا سفيان الثوري: هذا زمان السكوت وملازمة البيوت فقيل لسفيان: إذا لازمنا بيوتنا فمن أين يحصل لنا الرزق؟ قال: اتقوا الله فإن الله يرزق المتقين من غير كسب كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]، قال جلال الدين الرومي:

بـردل خـودكـم نـه انـديـشـه مـعـاش   عـيـش كـم نـايـد تـوبـر دركـاه بـاش

﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۝١٥ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۝١٦﴾

﴿واللاتي﴾ جمع التي **﴿يأتين الفاحشة﴾** الإتيان الفعل والمباشرة والفاحشة الفعلة القبيحة أريد بها الزنى لزيادة قبحه على كثير من القبائح أي: اللاتي يفعلن الزنى كائنات **﴿من نسائكم﴾**

أي: من زوجاتكم **﴿فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾** أي: فاطلبوا أن يشهد عليهن بإتيانها أربعة من رجال المؤمنين وأحرارهم **﴿فإن شهدوا﴾** عليهن بذلك **﴿فأمسكوهن في البيوت﴾** فاحبسوهن فيها واجعلوها سجناً عليهن **﴿حتى يتوفاهن الموت﴾** أي يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن. وفيه تهويل للموت وإبراز له في صورة من يتولى قبض الأرواح أو يتوفاهن ملائكة الموت **﴿أو يجعل الله لهن سبيلاً﴾** أي: طريقاً يخرجن به من الحبس بأن تنكح فإنه مغن عن السفاح أي: الزنى **﴿واللذان﴾** تثنية الذي **﴿يأتيانها﴾** أي: الفاحشة **﴿منكم﴾** هما الزاني والزانية بطريق التغليب. قال السدي: أريد بهما البكران منهما كما ينبىء عنه كون عقوبتهما أخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار **﴿فآذوهما﴾** فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله وذلك بعد الثبوت **﴿فإن تابا﴾** عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر الأذية وقوارع التوبيخ **﴿وأصلحا﴾** أي: لعملهما وغير الحال **﴿فأعرضوا عنهما﴾** بقطع الأذية والتوبيخ فإن التوبة والإصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب **﴿إن الله كان تواباً﴾** مبالغاً في قبول التوبة **﴿رحيماً﴾** واسع الرحمة.

واعلم أن الرجل إذا زنى بامرأة وهما محصنان فحدهما الرجم لا غير وإن كانا غير محصنين فحدهما الجلد لا غير وإن كان أحدهما محصناً والآخر غير محصن فعلى المحصن منهما الرجم وعلى الآخر الجلد والمحصن هو أن يكون عاقلاً بالغاً مسلماً حراً دخل بامرأة بالغة عاقلة حرة مسلمة بنكاح صحيح فالرجم كان مشروعاً في التوراة ثم نسخ بآية الإيذاء من القرآن ثم صار الإيذاء منسوخاً بآية الحبس وآية الإيذاء وإن كانت متأخرة في الترتيب والنظم إلا أنها سابقة على الأولى نزولاً ثم صار الحبس منسوخاً بحديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ «البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة» ثم نسخ هذا كله بآية الجلد ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢] وصار الحد هو الجلد في كل زان وزانية ثم صار هذا منسوخاً بالرجم في حق المحصن بحديث ماعز رضي الله عنه وبقي غير المحصن في حكم الجلد وهو الترتيب في الآيات والأحاديث وعليه استقر الحكم عندنا كذا في تفسير «التيسير». فالواجب على كل مسلم أن يتوب من الزنى وينهى الناس عن ذلك فإن كل موضع ظهر فيه الزنى ابتلاهم الله بالطاعون ويزيد فقرهم. قال ابن مسعود رضي الله عنه سألت رسول الله ﷺ أي: ذنب أعظم عند الله قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قلت ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزني بحليلة جارك» وأشد الزنى ما هو مصر عليه وهو الرجل الذي يطلق امرأته وهو يقيم معها بالحرام ولا يقر عند الناس مخافة أن يفتضح فكيف لا يخاف فضيحة الآخرة يوم تبلى السرائر يعني تظهر الأسرار فاحذر فضيحة ذلك اليوم واجتنب الزنى ولا تصر عليه فإنه لا طاقة لك مع عذاب الله وتب إلى الله فإن الله كان يقبل التوبة عن عباده إن الله كان تواباً رحيماً، قال مولانا جلال الدين الرومي قدس سره:

مركب توبه عجائب مركبست	بر فلك تازد بيك لحظه زپست
چون برآرند از پشيمانى انين	عرش لرزد ازانين المذنبين
عمرا كربكذشت بيخش اين دم است	آب توبه اش ده اكر اوبى نمست
بيخ عمرت رابده آب حيات	تادرخت عمر كردد باثبات
جمله ماضيها ازين نيكو شوند	زهر پارينه ازين كرد دچوقند

والإشارة في تحقيق الآيتين أن ﴿**واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم**﴾ هي النفوس الأمارة بالسوء والفاحشة ما حرمته الشريعة من أعمال الظاهر وحرمته الطريقة من أحوال الباطن وهي الركون إلى غير الله قال عليه السلام: «سعد غيور وأنا أغير منه والله أغير منا» ولهذا حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴿**فاستشهدوا عليهن**﴾ على النفوس بإتيان الفاحشة ﴿**أربعة منكم**﴾ أي: من خواص العناصر الأربعة التي أنتم منها مركبون وهي التراب ومن خواصه الخسة والركاكة والذل والطمع والمهانة واللؤم. والماء ومن خواصه اللين والعجز والكسل والأنوثة والشره في المأكل وفي المشرب. والهواء ومن خواصه الحرص والحسد والبخل والحقد والعداوة والشهوة والزينة. والنار ومن خواصها التبختر والتكبر والفخر والصلف والحدة وسوء الخلق وغير ذلك مما يتعلق بالأخلاق الذميمة ورأسها حب الدنيا والرياسة واستيفاء لذاتها وشهواتها ﴿**فإن شهدوا**﴾ أي: ظهر بعض هذه الصفات من النفوس ﴿**فأمسكوهن في البيوت**﴾ فاحبسوهن في سجن المنع عن التمتعات الدنيوية فإن الدنيا سجن المؤمن وأغلقوا عليهن أبواب الحواس الخمس ﴿**حتى يتوفاهن الموت**﴾ أي: تموت النفس إذا انقطع عنها حظوظها دون حقوقها وإلى هذا أشار بقوله عليه السلام: «موتوا قبل أن تموتوا» ﴿**أو يجعل الله لهن سبيلاً**﴾ بانفتاح روزنة القلوب إلى عالم الغيوب فتهب منها ألطاف الحق وجذبات الألوهية التي جذبة منها توازي عمل الثقلين ﴿**واللذان يأتيانها منكم**﴾ أي: النفس والقالب يأتيان الفواحش في ظاهر الأفعال والأعمال وباطن الأحوال والأخلاق ﴿**فآذوهما**﴾ ظاهراً بالحدود وباطناً بترك الحظوظ وكثرة الرياضات والمجاهدات ﴿**فإن تابا**﴾ ظاهراً وباطناً ﴿**وأصلحا**﴾ لذلك ﴿**فأعرضوا عنهما**﴾ باللطف بعد العنف وباليسر بعد العسر فإن مع العسر يسراً. ﴿**إن الله كان توابا**﴾ لمن تاب ﴿**رحيما**﴾ لمن أصلح من «تفسير نجم الدين الرازي الكبرى».

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾

﴿**إنما التوبة على الله**﴾ أي: أن قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه إذا قبل توبته. ﴿**للذين يعملون السوء**﴾ أي: المعصية صغيرة كانت أو كبيرة. فقوله: إنما التوبة على الله مبتدأ وخبره ما بعده ﴿**بجهالة**﴾ أي: يعملون ملتبسين بها أي: جاهلين سفهاء فإن ارتكاب الذنب مما يدعو إليه الجهل ولذلك قيل: من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته. وفي «التيسير» ليست هذه جهالة عدم العلم لأنه ذنب لأن ذلك عذر لكنها التغافل والتجاهل وترك التفكر في العاقبة كفعل من يجهله ولا يعلمه ﴿**ثم يتوبون من قريب**﴾ أي: من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت أي: قبل أن يغرغروا وسماه قريباً لأن أمد الحياة الدنيا قريب قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧] فعمر الدنيا قليل قريب الانقضاء فما ظنك بعمر فرد ومن تبعيضية أي: يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمي ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زماناً قريباً ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب ﴿**فأولئك يتوب الله عليهم**﴾ أي: : يقبل توبتهم ﴿**وكان الله عليما**﴾ بخلقه يعلم إخلاصهم في التوبة ﴿**حكيماً**﴾ في صنعه والحكيم لا يعاقب التائب. فعلى المؤمن أن يتدارك الزلة بالتوبة والاستغفار ويسارع في الرجوع إلى الملك الغفار.

ـ روي ـ أن جبريل عليه السلام أتاه عند موته فقال: يا محمد الرب يقرئك السلام ويقول: من تاب قبل موته بجمعة قبلت توبته قال ﷺ: «الجمعة كثيرة» فذهب ثم رجع وقال: قال الله تعالى: من تاب قبل موته بساعة قبلت توبته فقال: «الساعة كثيرة» فذهب ثم رجع وقال: إن الله يقرئك السلام ويقول: إن كان هذا كثيراً فلو بلغ روحه الخلق ولم يمكنه الاعتذار بلسانه واستحيى مني وندم بقلبه غفرت له ولا أبالي قال ﷺ: «إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر» أي: لم يبلغ روحه الحلقوم وعند ذلك يعاين ما يصير إليه من رحمة أو هوان ولا ينفع حينئذٍ توبة ولا إيمان قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [فاطر: ٨٥] فالتوبة مبسوطة للعبد يعاين قابض الأرواح وذلك عند غرغرته بالروح وإنما يغرغر به إذا قطع الوتين فشخص من الصدر إلى الحلقوم فعندها المعاينة وعندها حضور الموت فيجب على الإنسان أن يتوب قبل المعاينة والغرغرة وهو معنى قوله تعالى: ﴿ثم يتوبون من قريب﴾ وإنما صحت منه التوبة في هذا الوقت لأن الرجاء باق ويصح الندم والعزم على ترك الفعل، قال السعدي قدس سره:

طريق بدست آر وصلحى بجوى   شفيعى برانكيز وعذرى بكوى
كه يك لحظه صورت نبندد آمان   چو پيمانه پرشد بدور وزمان

والتوبة فرض على المؤمنين ولها شروط أربعة: الندم بالقلب، وترك المعصية في الحال. والعزم على أن لا يعود إلى مثلها وأن يكون ذلك حياء من الله تعالى وخوفاً منه لا من غيره.

قال الحسن البصري: استغفارنا يحتاج إلى استغفار، قال القرطبي في «تذكرته»: هذا يقوله في زمانه فكيف في زماننا هذا الذي يرى فيه الإنسان مكباً على الظلم حريصاً عليه لا يقلع والسبحة في يده زاعماً أنه يستغفر من ذنبه وذلك استهزاء منه واستخفاف ومن أظلم ممن اتخذ آيات الله هزؤاً فيلزم حقيقة الندم.

ـ روي ـ أن الملائكة تعرج إلى السماء بسيآت العبد فإذا عرضوها على اللوح المحفوظ يجدون مكانها حسنات فيخرون على وجوههم ويقولون: ربنا إنك تعلم أنا ما كتبنا عليه إلا ما عمل فيقول الله تعالى: صدقتم ولكن عبدي ندم على خطيئته واستشفع إليّ بدمعه فغفرت ذنبه وجدت عليه بالكرم وأنا أكرم الأكرمين، قال مولانا جلال الدين قدس سره:

ازپى هر كريه آخر خنده ايست   مرد آخر بين مبارك بنده ايست
هركجا آب روان سبزه بود   هركجا اشك روان رحمت شود
تانكريد ابركى خندد چمن   تانكريد طفل كى جوشد لبن

قال أحمد بن عبد الله المقدسي: سألت إبراهيم بن أدهم عن بدء حاله فقال: نظرت من شباك قصري فرأيت فقيراً بفناء القصر قد أكل الخبز بالماء والملح ثم نام فدعوته وقلت له: قد شبعت وتهيأت للنوم قال: نعم فتبت إلى الله ولبست الليلة مسوحاً وقلنسوة من صوف وخرجت حافياً إلى مكة.

واعلم أن الله إذا أراد بعبد خيراً اصطفاه لنفسه وجعل في قلبه سراجاً يفرق بين الحق الباطل ويبصر عيوب نفسه حتى يترك الدنيا وحطامها ويلقي عليها زمامها، قال جلال الدين رومي قدس سره:

ملك برهم زن تو ادهم وار زود   تابيابى همچو أو ملك خلود

اين جهان خود حبس جانهاى شماست هين رويد آن سوكه صحراى شماست

قال العطار قدس سره:

نقاب ازروي چون خورشيد بردار اكر هستى زروي خود خبر دار
زكوه قاف جسمانى كذركن بدار الملك روحاني سفركن
مشو مغرور اين ملك مزور نه عزت ماند ونه مال ونه زر
اكر رنكت فروشويند زرخسار خريدارت بنامش كس ببازار

عصمنا الله وإياكم من الركون إلى الدنيا وموت القلب بالإصرار على الهوى في الصبح والمساء.

﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾

﴿وليست التوبة للذين يعملون السيآت﴾ أي الذنوب **﴿حتى إذا حضر أحدهم الموت﴾** أي وقع في سكرات الموت وشاهد ملك الموت سوى علاماته فإن التوبة تقبل فيها **﴿قال﴾** عند النزع ومشاهدة ما فيه **﴿إني تبت الآن﴾** من ذنوبي يعني لا يقبل التوبة منه ثمة لأنها حالة الاضطرار دون حالة الاختيار **﴿ولا الذين يموتون﴾** عطف على الذين يعملون السيآت أي ليست التوبة للذين ماتوا **﴿وهم كفار﴾** مصرون على كفرهم إذا تابوا عند قرب الموت أو عند معاينة العذاب في الآخرة **﴿أولئك﴾** أي الفريقان **﴿أعتدنا﴾** أصله أعددنا أبدلت الدال الأولى تاء **﴿لهم عذاباً أليماً﴾** أي هيأنا لهم عذاباً وجيعاً دائماً.

اعلم أن الله تعالى سوى بين من سوف التوبة وأخرها إلى حضور الموت من الفسقة وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة كأنه قال: توبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء في أنه لا توبة لهم لأن حضرة الموت أول أحوال الآخرة فكما أن الميت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف إلى حضرة الموت لعدم محلها وتلك التسوية لكيلا يهمل المذنب في أمر التوبة ولا يتأهل العاقل في المسارعة إلى طلب المغفرة، قال جلال الدين رومي قدس سره:

كرسيه كردى تونامه عمر خويش توبه كن زانهاكه كردستى توپيش
توبه آرند وخدا توبه پذير امر او كيرند واو نعم الأمير

وإذا هب من الله رياح العناية تجد العبد يسرع إلى التوبة ويمد نفسه إلى أسبابها ويتأثر بشيء يسير فيتوب عن قبح معاملته. قال أبو سليمان الداراني: اختلفت إلى مجلس قاص فأثر في قلبي كلامه فلما قمت لم يبق في قلبي شيء فعدت ثانياً فبقي أثر كلامه في قلبي حتى رجعت إلى منزلي وكسرت آلة المخالفات ولزمت الطريق فحكي هذه الحكاية ليحيى بن معاذ فقال: عصفور اصطاد كركيا أراد بالعصفور ذلك القاص وبالكركي أبا سليمان:

مرد بايد كيردا ندر كوش ورنوشته اسد پند برديوار

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فمسارعة المذنب بالتوبة وترك الإصرار والرجوع إلى باب الملك الغفار ومسارعة المطيع بالاجتناب عن السيآت وزيادة الخيرات والحسنات قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «صاحب اليمين أمين على

صاحب الشمال فإذا عمل العبد حسنة يكتب له صاحب اليمين عشراً»:

نكو كارى از مردم نيك رأى يكى رابده مى نويسد خداي

«وإذا عمل سيئة وأراد صاحب الشمال أن يكتب قال صاحب اليمين امسك فيمسك ست ساعات أو سبع ساعات فإن استغفر فيها لم يكتب عليه وإن لم يستغفر كتب سيئة واحدة» فالواجب على كل مسلم أن يتوب إلى الله حين يصبح وحين يمسي ولا يؤخرها. قال أبو بكر الواسطي قدس سره التأني في كل شيء حسن إلا في ثلاث خصال عند وقت الصلاة وعند دفن الميت والتوبة عند المعصية وكان في الأمم الماضية إذا أذنبوا حرم عليهم حلال وإذا أذنب واحد منهم ذنباً وجد على بابه أو على جبهته مكتوباً أن فلان ابن فلان قد أذنب كذا وتوبته كذا فسهل الله الأمر على هذه الأمة فقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

ـ روي ـ أن الله لما لعن إبليس سأله النظرة فأنظره أي أمهله إلى قيام الساعة فقال انظر ماذا ترى؟ فقال: وعزتك لا أخرج من صدر عبدك حتى تخرج نفسه فقال الرب: وعزتي وجلالي لا أحجب التوبة عن عبدي حتى تخرج نفسه فانظر إلى رحمة الله ورأفته على عباده أنه سماهم مؤمنين بعدما أذنبوا فقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١] وأحبهم بعد التوبة فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، قال الحافظ قدس سره:

بمهلتى كه سپهرت دهد زراه مرو تراكه كفت كه اين زال ترك دستان كفت

فينبغي أن لا يغتر الإنسان بشيء من الأشياء في حال من الأحوال فإنه وإن كان يمهل ولكن لا يهمل فإن الموت يجيء البتة إذا فنى العمر وامتلأ الإناء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها﴾ مصدر في موضع الحال من النساء كان الرجل إذا مات قريبه يلقي ثوبه على امرأته أو على خبائها ويقول: أرث امرأته كما أرث ماله فيصير بذلك أحق بها من كل أحد ثم إن شاء تزوجها بصداقها الأول وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ولم يعطها منه شيئاً وإن شاء عضلها أي حبسها وضيق عليها لتفتدي بما ورثت من زوجها وإن ذهبت المرأة إلى أهلها قبل إلقاء الثوب فهي أحق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم أن تأخذوهن بطريق الإرث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك **﴿ولا تعضلوهن﴾** عطف على ترثوا ولا لتأكيد النفي والخطاب للأزواج. والعضل الحبس والتضييق وداء عضال ممتنع عسر العلاج وكان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها لتفتدي منه بمالها وتخلع فقيل لهم: ولا تعضلوهن أي لا تضيقوا عليهن **﴿لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن﴾** أي من الصداق بأن يدفعن إليكم بعضه اضطراراً فتأخذوه منهن **﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾** من بين بمعنى تبين أي القبح من النشوز وشكاسة الخلق وإيذاء الزوج وأهله بالبذاء أي: الفحش والسلاطة أي حدة اللسان أو الفاحشة الزنى وهو استثناء من أعم الأحوال أو أعم الأوقات أو أعم العلل ولا يحل لكم

عضلهن في حال من الأحوال أو في وقت من الأوقات أو لعلة من العلل إلا في حال إتيانهن بفاحشة أو إلا في وقت إتيانهن بها أو إلا لإتيانهن بها فإن السبب حينئذٍ يكون من جهتهن وأنتم معذورون في طلب الخلع **﴿وعاشروهن بالمعروف﴾** خطاب للذين يسيئون العشرة معهن. والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة والمراد هٰهنا النصفة في المبيت والنفقة والإجمال في القول ونحو ذلك **﴿فإن كرهتموهن﴾** وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير أن يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الأمور المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن **﴿فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾** والمراد بالخير الكثير هٰهنا الولد الصالح أو المحبة والألفة والصلاح في الدين وهو علة للجزاء أقيمت مقامه للإيذان بقوة استلزامها إياه كأنه قيل: فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيراً كثيراً ليس فيما تحبونه. وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر أي فقد قربت كراهتك شيئاً وجعل الله فيه خيراً كثيراً فإن النفس ربما تكره ما هو أصلح في الدين وأحمد عاقبة وأدنى إلى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم إلى ما فيه خير وصلاح دون ما تهوى أنفسكم.

اعلم أن معاشرتهن بالمعروف والصبر عليهن فيما لا يخالف رضى الله تعالى وإلا فالرد من مواضع الغيرة واجب فإن الغيرة من أخلاق الله وأخلاق الأنبياء والأولياء قال عليه السلام: «أتعجبون من غيرة سعد وأنا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن» أي ما كان من أعمال الظاهر وهو ظاهر وأحوال الباطن وهو الركون إلى غير الله والطريق المنبيء عن الغيرة أن لا يدخل عليها الرجال ولا تخرج هي إلى الأسواق دون الحمام قال الإمام قاضي خان: دخول الحمام مشروع للرجال والنساء خلافاً لما قاله البعض.

ـ روي ـ أن رسول الله ﷺ دخل الحمام وتنوّر، وخالد بن وليد دخل حمام حمص لكن إنما يباح إذا لم يكن فيه إنسان يكشف العورة انتهى والناس في زماننا لا يمتنعون عن كشف العورة أعاليهم وأسافلهم فالمتقي يجتنب عن الدخول في الحمام من غير عذر والحاصل أن المرأة إذا برئت من مواقع الخلل واتصفت بالعفة فعلى الزوج أن يعاشرها بالمعروف ويصبر على سائر أوضاعها وسوء خلقها بخلاف ما إذا كانت غير ذلك، قال الشيخ السعدي:

چو مستور باشد زن خوبروى بديدار أو دربهشت است شوى
اكر پارساباشد وخوش سخن نكه درنكويى وزشتى مكن
چوزن راه پازار كيرد بزن وكرنه تودرخانه بنشين چوزن
زبيكانكان چشم زن كورباد چو بيرون شدازخانه در كورباد
شكوهى نماند دران خاندان كه بانك خروش آيدازما كيان
كريز از كفش دردهان نهنك كه مردن به اززندكانى به ننك

ثم اعلم أن معاملة النساء أصعب من معاملة الرجال لأنهن أرق ديناً واضعف عقلاً وأضيق خلقاً فحسن معاشرتهن والصبر عليهن مما يحسن الأخلاق فلا جرم يعد الصابر من المجاهدين في سبيل الله وكان عليه السلام يحسن المعاشرة مع أزواجه المطهرة.

ـ روي ـ أن بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته إلى أن ماتت وعرض عليه التزوج فامتنع وقال: الوحدة أروح لقلبي قال: فرأيت في المنام بعد جمعة من وفاتها كأن

أبواب السماء قد فتحت وكأن رجالاً ينزلون ويسيرون في الهواء يتبع بعضهم بعضاً وكلما نظر إلي واحد منهم يقول لمن وراءه هذا هو المشؤوم فيقول الآخر: نعم ويقول الثالث: كذلك فخفت أن أسألهم إلى أن مرّ بي آخرهم فقلت له: من هذا المشؤوم؟ قال: أنت قال: فقلت ولم؟ قال: كنا نرفع عملك مع أعمال المجاهدين في سبيل الله فمنذ جمعة أمرنا أن نضع عملك مع الخالفين فلا ندري ما أحدثت؟ فقال لإخوانه: زوجوني فلم يكن يفارقه زوجتان أو ثلاث وكثرة النساء ليست من الدنيا لأن الزهاد والعباد كانوا يتزوجون ثلاثاً وأربعاً قال ﷺ: «حبب إلي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة»، قال بعض أرباب الأحوال: كنت بمجلس بعض القصاصّ فقال: ما سلم أحد من الهوى ولا فلان وسمى بمن لا يليق ذكره في هذا المقام لعظم الشأن فقلت: اتق الله فقال: ألم يقل: «حبب إلي» فقلت: ويحك إنما قال: حبب ولم يقل أحببت قال: ثم خرجت بالهم فرأيت النبي عليه السلام فقال: لا تهتم فقد قتلناه قال: فخرج ذلك القاص إلى بعض القرى فقتله بعض قطاع الطريق، فقال بعض العلماء: إكثاره عليه السلام في أمر النكاح بفعل بواطن الشريعة، قال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول الأنبياء زيدوا في القوة بفضل نبوتهم وذلك أن النور إذا امتلأت منه الصدور ففاض في العروق التذت النفس والعروق فأثار الشهوة وقواها وأما الطيب فإنه يزكي الفؤاد ويقوي القلب وأصل الطيب إنما خرج من الجنة بهبوط آدم منها بورقة تستر بها فتركت عليه. وأما الصلاة فهي مناجاة الله كما قال عليه السلام: «المصلي يناجي ربه» فإذا عرفت حقيقة الحال فإياك والإنكار فإن كل عمل عند الأخيار له سر من الأسرار ولكن عقول العوام لا تحيط به وإن عاشوا ألف عام، قال مولانا جلال الدين قدس سره:

ازمحقق تامقلد فرقها ست ... كين چوداودست وآن ديكر صداست

كار درويشي وراى فهم تست ... سوى درويشان بمنكر سست سست

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾

﴿وإن أردتم استبدال زوج﴾ أي: تزوج امرأة ترغبون فيها **﴿مكان زوج﴾** ترغبون عنها بأن تطلقوها **﴿وآتيتم إحداهن﴾** أي: إحدى الزوجات فالمراد بالزوج هو الجنس **﴿قنطاراً﴾** أي: مالاً كثيراً **﴿فلا تأخذوا منه﴾** أي ذلك القنطار **﴿شيئاً﴾** يسيراً فضلاً عن الكثير **﴿أتأخذونه﴾** أي: شيئاً منه **﴿بهتاناً﴾** باهتين أو مفعول له أي للبهتان والظلم العظيم فإن أحدهم كان إذا تزوج امرأة فأعجبه غيرها وأراد أن يتزوجها بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزويج الجديدة فنهوا عن ذلك. والبهتان في اللغة الكذب الذي يواجه الإنسان به صاحبه على جهة المكابرة وأصله من بهت الرجل إذا تحير فالبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل في الفعل الباطن ولذلك فسر هٰهنا بالظلم **﴿وإثماً مبيناً﴾** أي: آثمين عياناً أو للذنب الظاهر. **﴿وكيف تأخذونه﴾** أي: لأي وجه ومعنى تفعلون هذا **﴿وقد﴾** والحال أنه قد **﴿أفضى بعضكم إلى بعض﴾** قد جرى بينكم وبينهن أحوال منافية له من الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك **﴿وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾** عطف

على ما قبله داخل في حكمه أي أخذن منكم عهداً وثيقاً وهو حق الصحبة والممازجة والمعاشرة أو ما أوثق الله عليكم في شأنهن بقوله تعالى ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] أو ما أشار إليه النبي عليه السلام بقوله: «أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله».

اعلم أن هذه المعاملات من تضييق النساء ومنعهن من الأزواج وأخذ ما في أيديهن ظلماً بعدما أخذن ميثاقاً غليظاً في رعاية حقوقهن كلها وأمثالها ليست من أمارة الإيمان ونتائجه وثمراته لأن المؤمن أخ المؤمن لا يظلمه ولا يشتمه قال عليه السلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وقال: «الدين النصيحة» وقد صرح بنفي الإيمان عمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير».

هر آنكه تخم بدى كشت وچشم نيكى داشت دماغ بيهده پخت وخيال باطل بست
زكوش پنبه برون آر وداد خلق بده اكر تومى ندهى داد روز دادى هست

فعلى المرء أن ينصف في جميع أحواله للأجانب خصوصاً الأقارب والأزواج فإن تحري العدل لهم من الواجبات.

واعلم أن الآية لا دلالة فيها على جواز المغالاة في المهر لأن قوله تعالى: ﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً﴾ لا يدل على جواز إيتاء القنطار كما أن قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] لا يدل على حصول الآلهة. والحاصل أنه لا يلزم من جعل الشيء شرطاً لشيء آخر كون ذلك الشرط في نفسه جائز الوقوع كذا قال الإمام في تفسيره ويؤيد ما قيل في «مرشد المتأهلين» أن المرأة التي يراد نكاحها يراعى فيها خفة المهور قال ﷺ: «خير نسائكم أحسنهن وجوهاً وأخفهن مهوراً» وتزوج رسول الله ﷺ نساءه على عشرة دراهم وأثاث البيت وكان رحى وجرة ووسادة من أديم حشوها ليف وفي الخبر «من بركة المرأة سرعة تزوجها وسرعة رحمها إلى الولادة ويسر مهرها» ولا بد للرجل أن يوفيها صداقها كملاً أو ينوي ذلك فمن نوى أن يذهب بصداقها جاء يوم القيامة زانياً كما أن من استدان ديناً وهو ينوي أن لا يقضيه يصير سارقاً ولا يماطل مهرها إلا أن يكون فقيراً أو تؤجله المرأة طوعاً ويعلمها أحكام الطهارة والحيض والصلاة وغير ذلك بقدر ما تؤدي به الواجب ويلقنها اعتقاد أهل السنة ويردها عن اعتقاد أهل البدعة وإن لم يعلم فليسأل ولينقل إليها جواب المفتي وإن لم يسأل فلا بد لها من الخروج للسؤال ومتى علمها الفرائض فليس لها الخروج إلى تعلم أو مجلس ذكر إلا برضاه فمهما أهمل المرء حكماً من أحكام الدين ولم يؤدبها ولم يعلمها أو منعها عن التعلم شاركها في الإثم وفي الحديث «أشد الناس عذاباً يوم القيامة من أجهل أهله» قال عليه السلام: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾ ذكر ما دون من لأنه أريد به الصفة. وقوله من النساء بيان لما نكح واسم الآباء ينتظم الأجداد مجازاً كان أهل الجاهلية يتزوجون بأزواج آبائهم فنهوا عن ذلك أي لا تنكحوا التي نكحها آباؤكم ﴿إلا ما قد سلف﴾ استثناء مما نكح مفيد

للمبالغة في التحريم بإخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال أي لا تنكحوا حلائل آبائكم إلا من ماتت منهن والمقصود سد طريق الإباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] ﴿إنه﴾ أي نكاحهن ﴿كان فاحشة﴾ أي فعلة قبيحة ومعصية شديدة عند الله ما رخص فيه لأمة من الأمم ﴿ومقتاً﴾ ممقوتاً عند ذوي المروآت والمقت أشد البغض ﴿وساء سبيلا﴾ نصب على التمييز أي بئس السبيل سبيل من يراه ويفعله فإنه يؤدي صاحبه إلى النار. قيل: مراتب القبح ثلاث: القبح العقلي وإليه أشير بقوله: ﴿إنه كان فاحشة﴾، والقبح الشرعي وإليه أشير بقوله: ﴿مقتا﴾، والقبح العادي وإليه الإشارة بقوله: ﴿وساء سبيلا﴾ ومتى اجتمعت فيه هذه المراتب فقد بلغ أقصى مراتب القبح.

والإشارة في الآية أن الآباء هي العلويات والأمهات هي السفليات وبازدواجهما خلق الله تعالى المتولدات منهما فيما بينهما ففي قوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾ إشارة إلى نهي التعلق والتصرف في السفليات التي هي الأمهات المتصرفة فيها آباؤكم العلوية ﴿إلا ما قد سلف﴾ من التدبير الإلهي في ازدواج الأرواح والأشباح فالحاجات الضرورية للإنسان مسيسة به ﴿إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا﴾ يعني التصرف في السفليات والتعلق بها والركون إليها مما يلوث الجوهر الروحاني بلوث الصفات الحيوانية ويجعله سفلي الطبع بعيداً عن الحضرة محباً للدنيا ناسياً للرب ممقوتاً للحق وساء سبيلاً إلى الهداية بالضلالة، قال حافظ:

غلام همت آنم كه زير چرخ كبود ... زهرچه رنك تعلق پذيرد آزاداست

قال مولانا الجامي:

اى كه درشرع خداوندان حال ... ميكنى ازسنت وفرضم سؤال
سنت آمد دل زدنيا تافتن ... فرض راه قرب مولا يافتن

قال رسول الله ﷺ: «إن أقرب الناس مجلساً إلى الله يوم القيامة من طال حزنه وجوعه في الدنيا افترش الناس الفراش وافترش الأرض فالراغب من رغب في مثل ما رغبوا والخاسر من خالفهم أكلوا الشعير ولبسوا الخرق وخرجوا من الدنيا سالمين»، قال مولانا جلال الدين:

هركه محجوبست اوخود كودكيست ... مرد آن باشدكه بيرون از شكيست
أي خنك آنكه جهادى ميكند ... بر بدن زجرى ودادى ميكند
اى بساكاراكه أول صعب كشت ... بعد ازان بكشاده شد سختى كذشت
اندرين ره مى تراش و مي خراش ... تا دمى آخر دمى فارغ مباش

قال أبو علي الدقاق ـ رحمه الله ـ: من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سريرته بالمشاهدة قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

واعلم أن من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة. قال أبو الحسن الوراق: كان أجل أحكامنا في مبادي أمرنا في مسجد أبي عثمان الإيثار حتى يفتح علينا وأن لا نبيت على معلوم ومن استقبلنا بمكروه لا ننتقم لأنفسنا بل نعتذر إليه ونتواضع له وإذا وقع في قلوبنا حقارة لأحد قمنا في خدمته والإحسان إليه حتى يزول. قال أبو حفص: ما أسرع هلاك من لا يعرف عيبه فإن المعاصي بريد الكفر:

عيب رندان مكن اي زاهد پاكيزه سرشت ... كه كناه دكران برتو نخواهند نوشت
من اكرنيكم وكربدتو بروخود را باش ... هركسى آن درود عاقبت كاركه كشت

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿**حرمت عليكم أمهاتكم**﴾ أي نكاحهن لأن المفهوم في العرف من حرمة كل شيء ما هو الغرض المقصود منه فيفهم من تحريم النساء تحريم نكاحهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم أكله. والأمهات تعم الجدات وإن علون من الأب والأم أو من قبل أحدهما ﴿**وبناتكم**﴾ الصلبية وبنات الأولاد وإن سفلن ﴿**وأخواتكم**﴾ من قبل الأب والأم أو من قبل أحدهما فيتضمن الأخوات من الجهات الثلاث.

واعلم أن حرمة الأمهات والبنات كانت ثابتة من زمن آدم عليه السلام إلى هذا الزمان ولم يثبت حل نكاحهن في شيء من الأديان الإلَهية بل إن زرادشت رسول المجوس قال بحله إلا أن أكثر المسلمين اتفقوا على أنه كان كذاباً أما نكاح الأخوات فقد نقل أن ذلك كان مباحاً في زمن آدم عليه السلام وإنما حكم الله بإباحة ذلك على سبيل الضرورة. وذكر العلماء أن السبب لهذا التحريم أن الوطء إذلال وإهانة فإن الإنسان يستحيي من ذكره ولا يقدم عليه إلا في الموضع الخالي وأكثر أنواع الشتم لا يكون إلا بذكره وإذا كان الأمر كذلك وجب صون الأمهات عنه لأن إنعام الأم على الولد أعظم وجوه الانعام فوجب صونها عن هذا الإذلال والبنت جزء من الإنسان وبعض منه فيجب صونها عن هذا الإذلال لأن المباشرة معها تجري مجرى الإذلال وكذا القول في البقية ذكره الإمام في «تفسيره» ﴿**وعماتكم**﴾ العمة كل أنثى ولدها من ولد والدك قريباً أو بعيداً ﴿**وخالاتكم**﴾ الخالة كل أنثى ولدها من ولد والدتك قريباً أو بعيداً يعني العمات تعم أخوات الآباء والأجداد وكذا الخالات تعم أخوات الأمهات والجدات سواء كن من قبل الأب والأم أو من قبل أحدهما ﴿**وبنات الأخ وبنات الأخت**﴾ من كل جهة ونوافلهما وإن بعدت.

واعلم أن الله تعالى نص على تحريم أربعة عشر صنفاً من النسوان سبع منهن من جهة النسب وهن هذه المذكورات وسبع أخرى من جهة السبب وإلى تعدادها شرع فقال: ﴿**وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة**﴾ أي حرم نكاح الأمهات والأخوات كلتاهما من الرضاعة كما حرمتا من النسب نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة أما للرضيع والمراضعة اختاً وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الإرضاع وبعده فهم إخوته وأخواته لأبيه وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم إخوته وأخواته لأبيه وأمه ومن ولد لها من غيره فهم إخوته وأخواته لأمه ومنه قوله ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» وهو حكم كلي جار على عمومه وأما أم أخيه لأب وأخت ابنه لأم وأم أم ابنه وأم عمه وأم خاله لأب فليست حرمتهن من جهة النسب حتى تحل بعمومه ضرورة حلهن في صور الرضاع بل من جهة المصاهرة ألا يرى أن الأولى موطوءة أبيه والثانية بنت موطوءته والثالثة أم موطوءته والرابعة

موطوءة جده الصحيح والخامسة موطوءة جده الفاسد ﴿**وأمهات نسائكم**﴾ المراد بالنساء المنكوحات على الإطلاق سواء كن مدخولاً بهن أم لا وعليه جمهور العلماء وقد روي عن النبي عليه السلام أنه قال في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل الدخول بها: «إنه لا بأس بأن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج أمها» ويلحق بهن الموطوءات بوجه من الوجوه المعدودات فيما سبق آنفاً والممسوسات ونظائرهن وأمهات تعم المرضعات كما تعم الجدات ﴿**وربائبكم اللاتي في حجوركم**﴾ أي حرم نكاح الربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لأنه يربه كما يرب ولده في غالب الأمر فعيل بمعنى مفعول والتاء للنقل إلى الاسمية. قال الإمام والحجور جمع حجر وفيه لغتان قال ابن السكيت حجر الإنسان وحجره بالفتح والكسر هو ما يجمع على فخذيه من ثوبه والمراد بقوله في حجوركم أي في تربيتكم يقال فلان في حجر فلان إذا كان في تربيته والسبب في هذه الاستعارة أن كل من ربى طفلاً أجلسه في حجره فصار الحجر عبارة عن التربية كما يقال فلان في حضانة فلان وأصله من الحضن الذي هو الإبط ثم إن كون التربية في حجر الرابّ ليس بشرط للحرمة عند جمهور العلماء والوصف في الآية خرج على الأغلب لأنهن كن لا يتزوجن غالباً إذا كانت لهن أولاد كبار ويتزوجن مع الأولاد الصغار ليستعن بالأزواج على تربية الأولاد فخرج الكلام مخرج الغالب لا على الاشتراط كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] والمباشرة في غير المساجد حالة الاعتكاف حرام أيضاً ﴿**من نسائكم اللاتي دخلتم بهن**﴾ أي كائنة تلك الربائب من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فمن متعلقة بمحذوف وقع حالاً من ربائبكم ومعنى الدخول بهن إدخالهن الستر والباء للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفي حكم الدخول اللمس ونظائره ﴿**فإن لم تكونوا**﴾ أي: فيما قبل ﴿**دخلتم بهن**﴾ أصلاً ﴿**فلا جناح عليكم**﴾ أي في نكاح الربائب فارقتموهن أي أمهاتهن أو متنّ وهو تصريح بما أشعر به ما قبله ﴿**وحلائل أبنائكم**﴾ أي: وحرم عليكم زوجات أبنائكم سميت الزوجة حليلة لحلها للزوج أو لحلولها في محله وقيل لحل كل منهما إزار صاحبه وفي حكمهن مزنياتهم ومن يجري مجراهن من الممسوسات ونظائرهن ﴿**الذين من أصلابكم**﴾ لإخراج الأدعياء دون أبناء الأولاد والأبناء من الرضاع فإنهم وإن سفلوا في حكم الأبناء الصلبية فالمتبنى إذا فارق امرأته يجوز للمتبني نكاحها وقد تزوج النبي عليه السلام زينب ابنة جحش الأسدية بنت عمته أميمة ابنة عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وكان قد تبناه وادعاه ابنا فعيره المشركون بذلك لأن المتبنى في ذلك الوقت كان بمنزلة الابن فأنزل الله تعالى ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤]، ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ [النساء: ٢٣] أي وحرم عليكم الجمع بين الأختين في النكاح لا في ملك اليمين وأما جمعهما في الوطء بملك اليمين فيلحق به بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار ﴿**إلا ما قد سلف**﴾ استثناء منقطع أي لكن ما قد مضى لا تؤاخذون به ﴿**إن الله كان غفوراً**﴾ لمن فعل ذلك في الجاهلية ﴿**رحيماً**﴾ لمن تاب من ذنوبه وأطاع لأمر ربه في الإسلام.

الجزء الخامس من الأجزاء الثلاثين

﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿والمحصنات﴾ هن ذوات الأزواج أحصنهن التزوج أو الأزواج أو الأولياء أي: عفهن عن الوقوع في الحرام. وقد ورد الإحصان في القرآن بإزاء أربعة معان: الأول التزوج كما في هذه الآية، والثاني: العفة كما في قوله ﴿مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ [النساء: ٢٤]، والثالث: الحرية كما في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [النساء: ٢٥]، والرابع: الإسلام كما في قوله: **﴿فإذا أحصن﴾** قيل في تفسيره أي: أسلمن وهي معطوفة على المحرمات السابقة أي وحرم عليكم ذوات الأزواج كائنات **﴿من النساء﴾** وفائدته تأكيد عمومها لا دفع توهم شمولها للرجال بناء على كونها صفة للأنفس كما توهم **﴿إلا ما ملكت أيمانكم﴾** يريد ما ملكت أيمانكم من اللاتي سبين ولهن الأزواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين إن كن محصنات.

قال نجم الدين الكبرى ـ قدس سره ـ: إن الله تعالى حرم المحصنات من النساء على الرجال عفة للحضانة وصحة للنسب ونزاهة لعرض الرجال عن خسة الاشتراك في الفراش علواً للهمة فإن الله يحب معالي الأمور ويبغض سفاسفها وقال: **﴿إلا ما ملكت أيمانكم﴾** يعني: ملكتم بالقوة والغلبة على أزواجهن من الكفار واقتطاعهن من حيز الاشتراك وإفساد نسب الأولاد وتخليطه ولهذا أوجب الشرع فيها الاستبراء بحيضة **﴿كتاب الله عليكم﴾** مصدر مؤكد أي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتاباً وفرضه فرضاً **﴿وأحل لكم﴾** عطف على حرمت عليكم وتوسيط قوله **﴿كتاب الله عليكم﴾** بينهما للمبالغة في الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة **﴿ما وراء ذلكم﴾** إشارة إلى ما ذكر من المحرمات المعدودة أي: أحل لكم نكاح ما سواهن انفراداً وجمعاً وخص منه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها **﴿أن تبتغوا﴾** متعلق بالفعلين المذكورين أي: حرمت وأحل على أنه مفعول له لكن لا باعتبار بيانهما وإظهارهما أي: بين لكم تحريم المحرمات المعدودة وإحلال ما سواهن إرادة أن تبتغوا النساء أي تطلبوهن **﴿بأموالكم﴾** بصرفها إلى مهورهن أو أثمانهن **﴿محصنين﴾** حال من فاعل تبتغون والإحصان العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب **﴿غير مسافحين﴾** حال ثانية منه والسفاح الزنى والفجور من السفح الذي هو صب المني سمي به لأنه الغرض منه ومفعول الفعلين محذوف أي: محصنين فروجكم غير مسافحين الزواني وهي في الحقيقة حال مؤكدة لأن المحصن غير مسافح البتة والمعنى لا تضيعوا أموالكم في الزنى لئلا يذهب دينكم ودنياكم ولكن تزوجوا بالنساء فهو خير لكم وذكر الأموال يدل على أن غير المال لا يصلح مهراً وأن القليل لا يكفي مهراً فإن الدرهم ونحوه لا يسمى مالاً ثم هو عندنا لا يكون أقل من عشرة دراهم قال ﷺ: «لا مهر أقل من عشرة» **﴿فما استمتعتم به منهن﴾** أي: فالذي انتفعتم به من النساء بالنكاح الصحيح من جماع أو خلوة

صحيحة أو غير ذلك ﴿فآتوهن أجورهن﴾ مهورهن فإن المهر في مقابلة الاستمتاع ﴿فريضة﴾ حال من الأجور بمعنى مفروضة ﴿ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به﴾ أي: في أن تراضيتم بعد النكاح على زيادة المهر من جانب الزوج أو على الحط من المهر من جانب الزوجة وأن تهب لزوجها جميع مهرها ﴿من بعد الفريضة﴾ أي بعد المفروضة للزوجة ﴿إن الله كان عليما﴾ بمصالح العباد ﴿حكيما﴾ فيما شرع لهم من الأحكام ولذلك شرع لكم هذه الأحكام اللائقة بحالكم.

اعلم أن المحرم عندنا من حرم نكاحه على التأبيد بنسب أو مصاهرة أو رضاع ولو بوطء حرام فخرج بالأول ولد العمومة والخؤولة وبالثاني أخت الزوجة وعمتها وخالتها وشمل أم المزني بها وبنتها وأبا الزاني وابنه وأحكامه تحريم النكاح وجواز النظر والخلوة والمسافرة إلا المحرم من الرضاع فإن الخلوة بها مكروهة وكذا بالصهرة الشابة وحرمة النكاح على التأبيد لا مشاركة للمحرم فيها فإن الملاعنة تحل إذا كذب نفسه أو خرج من أهلية الشهادة والمجوسية تحل بالإسلام أو بتهودها أو تنصرها والمطلقة ثلاثاً بدخول الثاني وانقضاء عدته ومنكوحة الغير بطلاقها وانقضاء عدتها ومعتدة الغير بانقضائها وكذا لا مشاركة للمحرم في جواز النظر والخلوة والسفر وإما عبدها فكالأجنبي على المعتمد لكن الزوج يشارك المحرم في هذه الثلاثة والنساء الثقات لا يقمن مقام المحرم والزوج في السفر. ويختص المحرم النسيب بأحكام: منها عتقه على قريبه لو ملكه ولا يختص بالأصل والفرع، ومنها وجوب نفقة الفقير العاجز على قريبه الغني فلا بد من كونه رحماً من جهة القرابة فابن العم والأخ من الرضاع لا يعتق ولا تجب نفقته ويغسل المحرم قريبه، ومنها أنه لا يجوز التفريق بين الصغير ومحرم ببيع أو هبة إلا في عشر مسائل، ومنها أن المحرمية مانعة من الرجوع في الهبة. وتختص الأصول والفروع من بين سائر المحارم بأحكام، منها أنه لا يقطع أحدهما بسرقة مال الآخر، ومنها لا يقضي ولا يشهد أحدهما للآخر، ومنها تحريم موطوءة كل منهما على الآخر ولو بزنى، ومنها تحريم منكوحة كل منهما على الآخر بمجرد العقد، ومنها لا يدخلون في الوصية للأقارب. وتختص الأصول بأحكام، منها لا يجوز له قتل أصله الحربي إلا دفعاً عن نفسه وإن خاف رجوعه ضيق عليه وألجأه ليقتله غيره وله قتل فرعه الحربي كمحرمه، ومنها لا يقتل الأصل بفرعه ويقتل الفرع بأصله، ومنها لا يحد الأصل بقذف فرعه ويحد الفرع بقذف أصله، ومنها لا تجوز مسافرة الفرع إلا بإذن أصله دون عكسه، ومنها لو ادعى الأصل ولد جارية ابنه ثبت نسبه والجد أب الأب كالأب عند عدمه بخلاف الفرع إذا ادعى ولد جارية أصله لم يصح إلا بتصديق الأصل، ومنها لا يجوز الجهاد إلا بإذنهم بخلاف الأصول لا يتوقف جهادهم على إذن الفروع، ومنها لا تجوز المسافرة إلا بإذنهم إن كان الطريق مخوفاً وإلا فإن لم يكن ملتحياً فكذلك وإلا فلا، ومنها إذا دعا أحد أبويه في الصلاة وجبت إجابته إلا أن يكون عالماً بكونه فيها ولم أر حكم الأجداد والجدات وينبغي الإلحاق. - ومنها كراهة حجه بدون إذن من كرهه من أبويه إن احتاج إلى خدمته، ومنها جواز تأديب الأصل فرعه والظاهر عدم الاختصاص بالأب فالأم والأجداد والجدات كذلك، ومنها تبعية الفرع للأصل في الإسلام، ومنها لا يحبسون بدين الفرع والأجداد والجدات كذلك واختصت الأصول الذكور بوجوب الإعفاف. واختص الأب والجد لأب بأحكام، منها ولاية المال فلا ولاية للأم في مال الصغير إلا الحفظ وشراء ما لا بد منه

للصغير، ومنها تولي طرفي العقد فلو باع الأب ماله من ابنه أو اشترى وليس فيه غبن فاحش انعقد بكلام واحد، ومنها عدم خيار البلوغ في تجويز الأب والجد فقط وأما ولاية الإنكاح فلا تختص بهما فتثبت لكل ولي سواء كان عصبة أو من ذوي الأرحام، وكذا الصلاة على الجنازة لا تختص بهما، وفي «الملتقط» من النكاح لو ضرب المعلم الولد بإذن الأب فهلك لم يغرم إلا أن يضربه ضرباً لا يضرب مثله ولو ضرب بإذن الأم غرم الدية إذا هلك والجد كالأب عند فقده إلا في ثنتي عشرة مسألة.

فائدة: يترتب على النسب اثنا عشر حكماً توريث المال والولاء وعدم صحة الوصية عند المزاحمة ويلحق بها الإقرار بالدين في مرض موته وتحمل الدية وولاية التزويج وولاية غسل الميت والصلاة عليه وولاية المال وولاية الحضانة وطلب الحد وسقوط القصاص هذا كله من «الأشباه والنظائر» نقلته هٰهنا لفوائده الكثيرة وملاءمته المحل على ما لا يخفى.

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات﴾ من لم يستطع أي من لم يجد كما يقول الرجل لا أستطيع أن أحج أي لا أجد ما أحج به. ومنكم حال من فاعل يستطيع أي حال كونه منكم. والطول القدرة وانتصابه على أنه مفعول يستطيع وأن ينكح في موضع النصب على أنه مفعول القدرة والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فإن حريتهن أحصنتهن عن ذل الرق والابتذال وغيرهما من صفات القصور والنقصان والمعنى ومن لم يجد طول حرة أي ما يتزوج به الحرة المسلمة **﴿فمن ما ملكت أيمانكم﴾** فلينكح امرأة أو أمة من النوع الذي ملكته أيمانكم **﴿من فتياتكم المؤمنات﴾** حال من الضمير المقدر في ملكت الراجع إلى ما أي من إمائكم المسلمات. والفتاة أصلها الشابة والفتاء بالمد الشباب والفتى الشاب والأمة تسمى فتاة والعبد يسمى فتى وإن كانا كبيرين في السن لأنهما لا يوقران للرق توقير الكبار ويعاملان معاملة الصغار **﴿والله أعلم بإيمانكم﴾** تأنيس بنكاح الإماء وإزالة الاستنكاف منه أي أعلم بتفاضل ما بينكم وبين أرقائكم في الإيمان فربما كان إيمان الأمة أرجح من إيمان الحرة وإيمان المرأة من إيمان الرجل. فلا ينبغي للمؤمن أن يطلب الفضل والرجحان إلا باعتبار الإيمان والإسلام لا بالأحساب والأنساب **﴿بعضكم من بعض﴾** أنتم وأرقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الإسلام كما قيل:

الناس من جهة التمثال أكفاء ... أبوهمو آدم والأم حواء

فبينكم وبين ارقائكم المواخاة الايمانية والجنسية الدينية لا يفضل حر عبدا إلا برجحان في الايمان وقدم في الدين **﴿فانكحوهن بإذن أهلهن﴾** اي وإذ قد وقفتم على جلية الامر فانكحوهن بإذن مواليهن ولاتترفعوا عنهن وفي اشتراط إذن الموالي دون مباشرتهم للعقد اشعار بجواز مباشرتهن له **﴿وآتوهن أجورهن بالمعروف﴾** أي أدوا إليهن مهورهن بغير مطل وضرار

وإلجاء إلى الافتداء واللز أي المضايقة والإلحاح **﴿محصنات﴾** حال من مفعول فانكحوهن أي حال كونهن عفائف عن الزنى **﴿غير مسافحات﴾** حال مؤكدة أي غير مجاهرات به والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني لأن غرضه مجرد صب الماء **﴿ولا متخذات أخدان﴾** جمع خدن وهو الصديق سراً والجمع للقابلة بالانقسام على معنى أن لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى أن لا يكون لها أخدان أي غير مجاهرات بالزنى ولا مسرات له وكان زناهن في الجاهلية من وجهين السفاح وهو بالأجر من الراغبين فيها والمخادنة وهي مع صديق لها على الخصوص وكان الأول يقع إعلاناً والثاني سراً وكانوا لا يحكمون على ذات الخدن بكونها زانية ولذا أفرد الله كل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على حرمتهما معاً **﴿فإذا أحصن﴾** أي بالتزويج **﴿فإن أتين بفاحشة﴾** أي فعلن فاحشة وهي الزنى **﴿فعليهن﴾** فثابت عليهن شرعاً **﴿نصف ما على المحصنات﴾** أي الحرائر الابكار **﴿من العذاب﴾** من الحد الذي هو جلد مائة فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالإحصان كتفاوت حد الحرائر ولا رجم عليهن لأن الرجم لا يتنصف وجعلوا حد العبد مقيساً على الأمة والجامع بينهما الرق والإحصان عبارة عن بلوغ مع عقل وحرية ودخول في نكاح صحيح وإسلام خلافاً للشافعي في الإسلام **﴿ذلك﴾** أي نكاح المملوكات عند عدم الطول لمن **﴿خشي العنت منكم﴾** أي خاف الزنى وهو في الأصل انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر أعظم من موافقة الاسم بأفحش القبائح وإنما سمي الزنى به لأنه سبب المشقة بالحد في الدنيا والعقوبة في العقبى **﴿وأن تصبروا﴾** أي عن نكاحهن متعففين كافين أنفسكم عما تشتهيه من المعاصي **﴿خير لكم﴾** من نكاحهن وإن سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق ولأن حق المولى فيها فلا تخلص للزوج خلوص الحرائر ولأن المولى يقدر على استخدامها كيف ما يريد في السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادي. وفيه من اختلال حال الزوج وأولاده ما لا مزيد عليه ولأنها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة سارية إلى الناكح والعزة هي اللائقة بالمؤمنين ولأن مهرها لمولاها فلا تقدر على التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينتظم أمر المنزل وقد قال ﷺ: «الحرائر صلاح البيت والإماء هلاك البيت» **﴿والله غفور﴾** لمن لم يصبر **﴿رحيم﴾** بالرخصة والتوسعة فنكاح الأمة عند الطول والقدرة على نكاح الحرة لا يحل عند الشافعي وعند الحنفية يحل ما لم يكن عنده امرأة حرة ومحصله أن الشافعي أخذ بظاهر الآية وقال: لا يجوز نكاح الأمة إلا بثلاثة شرائط اثنان في الناكح عدم طول الحرة وخشية العنت والثالث في المنكوحة وهي أن تكون أمة مؤمنة لا كافرة كتابية وعند أبي حنيفة شيء من ذلك ليس بشرط فهو حمل عدم استطاعة الطول على عدم ملك فراش الحرة بأن لا يكون تحته حرة فحينئذ يجوز نكاح الامة وحمل النكاح على الوطء وحمل قوله: **﴿من فتياتكم المؤمنات﴾** على الأفضل أي نكاح الأمة المؤمنة أفضل من نكاح الكتابية فجعله على الندب واستدل عليه بوصف الحرائر مع كونه ليس بشرط.

قال في التيسر وأما قوله: **﴿من فتياتكم المؤمنات﴾** ففيه إباحة المؤمنات وليس فيه تحريم الكتابيات فالغنى والفقر سواء في جواز نكاح الأمة سواء كانت مؤمنة أو يهودية أو نصرانية.

اعلم أن النكاح من سنن المرسلين وشرعة المخلصين إلا أن الحال يختلف فيه باختلاف أحوال الناس فهو واجب بالنسبة إلى صاحب التوقان ومستحب بالنسبة إلى من كان في حد

الاعتدال ومكروه بالنسبة إلى من عجز عن الوقاع والإنفاق. قال في «الشرعة» وشرحها: ويختار للتزوج المرأة ذات الدين فإن المرأة الصالحة خير متاع الدنيا فإن بها يحصل تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكلف بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الأواني وتهيئة أسباب المعيشة فإن الإنسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعسر عليه العيش في منزله وحده إذ لو تكفل بجميع أشغال المنزل لضاعت أكثر أوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل معينة على الدين بهذا الطريق واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش ولذلك قال أبو سليمان الداراني: الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فإنها تفرّغك للآخرة، قال الشيخ السعدي قدس سره:

زن خوب فرمان بر پارسا كند مرد درويش را پادشا
سفر عيد باشد بران كتخداي كه يارى زشتش بود درسراي

ثم إن بعضهم اختاروا البكر وقالوا: إنها تكون لك فأما الثيب فإن لم يكن لها ولد فنصفها لك وإن كان لها ولد فكلها لغيرك تأكل رزقك وتحب غيرك والحاصل أن اختيار نكاح المملوكات رخصة والصبر عنه عزيمة ولا ريب أن العزيمة أولى لأنه بالصبر يترقى العبد إلى الدرجات العلي وفي الخبر «يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله تعالى جزاء الشاكرين ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له: أترضى أن نجزيك جزاء الشاكرين فيقول: نعم يا رب فيقول الله كلا أنعمت عليك فشكرت وابتليتك فصبرت لأضعفن لك الأجر عليه فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين» وقد يجمع العبد فضيلتي الصبر والشكر بأن يصبر على مقتضى النفس زماناً ثم بعد النيل والفوز، يشكر على نعمه الجزيلة حققنا الله وإياكم بحقائق الصبر والشكر:

نعمت حق شمار وشكر كذار نعمتش را اكرچه نيست شمار
شكر باشد كليد كنج مزيد كنج خواهى منه زدست كليد

وقيل في حق الصبر:

جون بماني بسته دربند حرج صبر كن كه الصبر مفتاح الفرج
صبركن حافظ بسختى روزشب عاقبت روزي بيابي كام را

ثم إن رحمته لعباده أوسع من أن تذكر ولذلك قال: ﴿**والله غفور رحيم**﴾ ومن جملة رحمته بيان طرائق من سلف وتقدم من أهل الرشاد ليسلكوا مناهجهم وينالوا إلى المراد وقال عليه السلام: «يا كريم العفو» فقال جبريل أتدري ما معنى كريم العفو؟ هو أن يعفو عن السيآت برحمته ثم يبدلها بحسنات بكرمه، قال جلال الدين الرومي قدس سره:

توبه آرند وخدا توبه بذير أمر أو كيرند أو نعم الأمير
سيآت را مبدل كرد حق تاهمه طاعت شود آن ما سبق

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿**يريد الله ليبين لكم**﴾ اللام مزيدة لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للإرادة ومفعول يبين محذوف أي يريد الله أن يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل أعمالكم أو ما

تعبدكم به من الحلال والحرام ﴿**ويهديكم سنن الذين من قبلكم**﴾ أي يدلكم على مناهج من تقدمكم من الأنبياء والصالحين لتقتدوا بهم ﴿**ويتوب عليكم**﴾ يرجع بكم عن معصيته إلى طاعته بالتوفيق للتوبة ما كنتم عليه من الخلاف وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده عن ارادته فيمن لم يتب منهم بل لطائفة معينة حصلت لهم هذه التوبة ﴿**والله عليم**﴾ بكم ﴿**حكيم**﴾ فيما يريده لكم ﴿**والله يريد أن يتوب عليكم**﴾ بيان لكمال منفعة ما اراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريد الفجرة بخلاف الأول فإنه بيان ارادته تعالى لتوبته عليهم فلا تكرار ﴿**ويريد الذين يتبعون الشهوات**﴾ يعني الفجرة فإن اتباع الشهوات الائتمار لها وأما المتعاطي لما سوغه الشرع من المشتهيات دون غيره فهو متبع له لا لها. وقيل المجوس حيث كانوا يحلون الأخوات من الأب وبنات الأخ وبنات الأخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا: فإنكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع أن العمة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الأخ والأخت فنزلت ﴿**أن تميلوا**﴾ عن القصد والحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم ﴿**ميلاً عظيماً**﴾ أي بالنسبة إلى ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال ﴿**يريد الله أن يخفف عنكم**﴾ ما في عهدتكم من مشاق التكاليف فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كإحلال نكاح الأمة وغيره من الرخص ﴿**وخلق الإنسان ضعيفاً**﴾ عاجزاً عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات. قال الكلبي: أي لا يصبر عن النساء. قال سعيد بن المسيب ما أيس الشيطان من ابن آدم إلا أتاه من قبل النساء وقد أتى عليّ ثمانون سنة وذهبت إحدى عيني وأنا أعشو بالأخرى وإن أخوف ما أخاف على نفسي فتنة النساء. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: اللهم إني أعوذ بك من أن أزني وأسرق فقيل له كبر سنك وأنت صاحب رسول الله ﷺ أتخاف على نفسك من الزنى والسرقة؟ قال: كيف آمن على نفسي وإبليس حي؟ قال الحافظ:

چه جاي من كه بلغزد سپهر شعبده باز ازين حيل كه در انبانه بهانه تست

والإشارة في تحقيق الآيات أن الله تعالى أنعم على هذه الأمة بإرادة أربعة أشياء: أولها التبيين وهو أن يبين لهم صراط المستقيم إلى الله، وثانياً الهداية وهو أن يهديهم إلى الصراط المستقيم بالعيان بعد البيان، وثالثها التوبة عليهم وهي أن يرجع بهم إلى حضرته على صراط الله، ورابعها التخفيف عنهم وهو أن يوصلهم إلى حضرته بالمعونة ويخفف عنهم المؤونة. وهذا مما اختص به نبينا عليه السلام وأمته لوجهين: أحدهما أن الله أخبر عن ذهاب إبراهيم عليه السلام إلى حضرته باجتهاده وهو المؤونة بقوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ [الصافات: ٩٩] وأخبر عن موسى عليه السلام بمجيئه وهو أيضاً المؤونة وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٤٣] وأخبر عن حال نبينا عليه السلام بقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] وهو المعونة فخفف عنه المؤونة وأخبر عن حال هذه الأمة بقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] وهو أيضاً بالمعونة وهي جذبات العناية، والوجه الثاني أن النبي ﷺ وأمته مخصوصون بالوصول والوصال مخفف عنهم كلفة الفراق والانقطاع فأما النبي عليه السلام فقد خص بالوصول إلى مقام قاب قوسين أو أدنى وبالوصال بقوله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١] وانقطع سائر الأنبياء عليهم السلام

في السموات السبع كما رأى ليلة المعراج آدم في سماء الدنيا إلى أن رأى إبراهيم عليه السلام في السماء السابعة فعبر عنهم جميعاً إلى كمال القرب والوصول. وأما الأمة فقال في حقهم «من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً» فهذا هو حقيقة الوصول والوصال ولكن الفرق بين النبي والولي في ذلك أن النبي مستقل بنفسه في السير إلى الله والوصول ويكون حظه من كل مقام بحسب استعداده الكامل والولي لا يمكنه السير إلا في متابعة النبي وتسليكه في سبيل الله ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨] ويكون حظه من المقامات بحسب استعداده فينبغي أن يسارع العبد إلى تكميل المراتب والدرجات برعاية السنة وحسن المتابعة لسيد الكائنات. قال جنيد البغدادي قدس سره مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة. قال علي كرم الله وجهه: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر رسول الله ﷺ.

كرت بايدكه بينى روى إيمان رخ از آيينه امرش مكردان

زشرعش سر مپيچ أزهيچ رويى كه همچون شانه ميكردى بمويى

قال الشيخ السعدي قدس سره:

خلاف پيمبر كسى ره كزيد كه هركز بمنزل نخواهد رسيد

محالست سعدي كه راه صفا توان رفت جز بربى مصطفا

ثم في قوله تعالى: ﴿**وخلق الإنسان ضعيفاً**﴾ إشارة إلى أن الإنسان لا يصبر عن الله لحظة لضعفه مهما يكون على الفطرة الإنسانية فطرة الله التي فطر الناس عليها فإنه يحبهم ويحبونه وهو ممدوح بهذا الضعف فإن من عداه يصبرون عن الله لعدم اضطرارهم في المحبة والإنسان مخصوص بالمحبة.

واعلم أن هذا الضعف سبب لكمال الإنسان وسعادته وسبب لنقصانه وشقاوته لأنه يتغير لضعفه من حال إلى حال ومن صفة إلى أخرى فيكون ساعة بصفة بهيمة يأكل ويشرب ويجامع ويكون ساعة أخرى بصفة ملك يسبح بحمد ربه ويقدس له ويفعل ما يؤمر ولا يعصي فيما نهاه عنه وهذه التغيرات من نتائج ضعفه وليس هذا الاستعداد لغيره حتى الملك لا يقدر أن يتصف بصفات البهيمة والبهيمة لا تقدر أن تتصف بصفة الملك لعدم ضعف الإنسانية وإنما خص الإنسان بهذا الضعف لاستكماله بالتخلق بأخلاق الله واتصافه بصفات الله كما جاء في الحديث الرباني «أنا ملك حي لا أموت أبداً عبدي أطعني أجعلك ملكاً حياً لا يموت أبداً» فعند هذا الكمال يكون خير البرية وعند اتصافه بالصفات البهيمية يصير شر البرية:

كي شوى انسان كام أي دل ناقص عقل

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا**﴾ أي: لا تأخذوا وعبر عن الأخذ بالأكل لأن المقصود الأعظم من الأموال الأكل فكما أن الأكل محرم فكذلك سائر وجود التصرفات ﴿**أموالكم بينكم بالباطل**﴾ أي: بوجه غير شرعي كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربا والرشوة واليمين الكاذبة وشهادة الزور والعقود الفاسدة ونحوها. ﴿**إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم**﴾

استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة أي إلا أن تكون التجارة تجارة عن تراض أو إلا أن تكون الأموال أموال تجارة وتلحق بها أسباب الملك المشروعة كالهبة والصدقة والإرث والعقود الجائزة لخروجها عن الباطل وإنما خص التجارة بالذكر لكونها أغلب أسباب المكاسب وقوعاً وأوفقها لذوي المروءات والمراد بالتراضي مراضاة المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال المبايعة وقت الإيجاب والقبول عندنا وعند الشافعي حالة الافتراق عن مجلس العقد. **﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾** بالبخع كما يفعله جهلة الهند أو بإلقاء النفس إلى الهلكة. ويؤيده ما روي أن عمراً بن العاص رضي الله عنه تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي ﷺ أو بارتكاب المعاصي المؤدية إلى هلاكها في الدنيا والآخرة أو باقتراف ما يذللها ويرديها فإنه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالنفس من كان من جنسهم من المؤمنين فإن كلهم كنفس واحدة **﴿إن الله كان بكم رحيما﴾** أي أمر بما أمر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه إن كان بكم يا أمة محمد رحيماً حيث أمر بني إسرائيل بقتل الأنفس ونهاكم عنه.

﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي القتل أو إياه وسائر المحرمات المذكورة فيما قبل **﴿عدواناً وظلماً﴾** إفراطاً في التجاوز عن الحد وإتياناً بما لا يستحقه وقيل: أريد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم الظلم على النفس لتعريضها للعقاب ومحلهما النصب على الحالية أي متعدياً وظالماً **﴿فسوف نصليه﴾** أي ندخله **﴿ناراً﴾** أي ناراً مخصوصة هائلة شديدة العذاب **﴿وكان ذلك﴾** أي إصلاء النار **﴿على الله يسيراً﴾** لتحقق الداعي وعدم الصارف. قال الإمام: واعلم أن الممكنات بالنسبة إلى قدرة الله على السوية وحينئذٍ يمتنع أن يقال إن بعض الأفعال أيسر عليه من بعض بل هذا الخطاب نزل على القول المتعارف بيننا أو يكون معناه المبالغة في التهديد وهو أن أحداً لا يقدر على الهرب منه ولا على الامتناع عليه. فعلى العاقل أن يتجنب عن الوقوع في المهالك ويبالغ في حفظ الحقوق وقد جمع الله في التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لأنه شقيقها من حيث إنه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفاء فضائلها ولذلك قيل:

توانكرانرا وقفست وبذل ومهانى   زكاة وفطرة واعتاق وهدى وقربانى
توكى بدولت ايشان رسى كه نتوانى   جزاين دور كعت وآن هم بصدير يشانى

فإن وفقت للمال فاشكر له وإلا فلا تتعب نفسك ولا تقتلها كما يفعله بعض من يفتقر بعد الغنى لغاية ألمه واضطرابه من الفقر قال رسول الله ﷺ: «من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة» وقال ﷺ: «كان فيمن قبلكم جرح برجل ارابه فجزع منه فأخرج سكيناً فجز بها يده فما رقأ الدم حتى مات فقال الله تعالى بارزني عبدي بنفسه فحرمت عليه الجنة» كذا في «تفسير البغوي» وكذلك حكم من قتل نفسه لفقر أو لغير ذلك من الأسباب.

واعلم أن أكل المال بالباطل مما يفسد دين الرجل ودنياه بل يضر بنفسه ويكون سبباً لهلاكه فإن بعض الأعمال يظهر أثره في الدنيا.

ـ روي ـ أن رجلاً ظالماً غصب سمكة من فقير فطبخها فلما أراد أكلها عضت يده فأشار إليه الطبيب بالقطع فلم يزل يقطع من كل مفصل حتى وصل إلى الإبط فجاء إلى ظل شجرة فأخذت عيناه فقيل له: لا تتخلص من هذا إلا بإرضاء صاحبها المظلوم فلما أرضاه سكن وجعه ثم إنه تاب وأقلع عما فعل فرد الله إليه يده فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام [وعزتي لولا أنه أرضى المظلوم لعذبته طول حياته]. قال العلماء حرمة مال المسلم كحرمة دمه قال

عليه السلام: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله» وقال عليه السلام: «لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيبة نفس منه» فالظلم حرام شرعاً وعقلاً، قال الجامي قدس سره:

هزار كونه خصومت كنى بخلق جهان | زبس كه در هوس سيم وآرزوي زرى
تراست دوست زروسيم خصم صاحب آن | كه كيرى از كفش آترا بظلم وحيله كرى
نه مقتضاي خرد باشد ونتيجة عقل | كه دوست بكذارى وخصم را ببرى

فعلى السالك أن يجتنب عن الحرام ويأكل من الحلال الطيب ولبعض الكبار دقة عظيمة واهتمام تام في هذا الباب.

ـ حكي ـ أن بعض الملوك أرسل إلى الشيخ ركن الدين علاء الدولة غزالاً وقال: إنها حلال فقال الشيخ: كنت بمشهد طوس فجاء إلى بعض الأمراء بأرنب قال: كل منها فاني رميتها بيدي فقلت: الأرنب حرام على قول الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه. قال في حياة الحيوان يحل أكل الأرنب عند العلماء كافة إلا ما حكي عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابن أبي ليلى أنهما كرها أكلها ثم إنه جاء يوم بغزال فقال: كل منها فاني رميتها بسهم عملته بيدي على فرس ورثتها عن أبي فقلت: خطر ببالي أن واحداً من الأمراء جاء إلى مولانا الجمال بإوزتين وقال: كل منهما فاني قد أخذتهما ببازي فقال مولانا ليس الكلام في الإوزتين وإنما الكلام في قوت البازي من دجاجة أية عجوز أكل حتى قوي للاصطياد فالغزال التي رميتها على فرسك وإن كانت من الصيد لكن قوت الفرس من شعير أي مظلوم حصل فلم يأكل منها.

ـ حكي ـ أن خياطاً قال لبعض الكبار: هل أكون معيناً للظلمة بخياطة ثيابهم فقال: ليس الكلام فيك وإنما الكلام في الحداد الذي يعمل الإبرة. والحاصل أن لا بد من الاهتمام في طلب الحلال وإن كان في زماننا هذا نادراً والوصول إليه عزيزاً، قال الجامي قدس سره:

خواهى كه شوى حلال روزى | همخانه مكن عيال بسيار
دانى كه درين سراچه تنك | حاصل نشود حلال بسيار

رزقنا الله وإياكم من فضله إنه الجواد.

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

﴿إن تجتنبوا﴾ الاجتناب التباعد ومنه الأجنبي **﴿كبائر ما تنهون عنه﴾** كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها **﴿نكفر عنكم﴾** التكفير إماطة المستحق من العقاب بثواب أزيد أو بتوبة والإحباط نقيضه وهو إماطة الثواب المستحق بعقاب أزيد أو بندم على الطاعة والمعنى نغفر لكم **﴿سيآتكم﴾** صغائركم ونمحها عنكم **﴿وندخلكم مدخلا﴾** بضم الميم اسم مكان هو الجنة **﴿كريماً﴾** أي حسناً مرضياً أو مصدر ميمي أي: إدخالاً مع كرامة. قال المفسرون الصلاة إلى الصلاة والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر إذا اجتنب الكبائر. واختلف في الكبائر والأقرب أن الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد أو صرح بالوعيد فيه. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: إنكم تعملون اليوم أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر كنا نعدها على رسول الله ﷺ من الكبائر. وقال القشيري: الكبائر على لسان أهل الإشارة الشرك الخفي ومن جملة ذلك ملاحظة الخلق واستجلاب قلوبهم والتودد إليهم والإغماض عن حق الله بعينهم.

واعلم أن اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر وعند انتفاء الصغائر والكبائر يمكن الدخول في المدخل الكريم وهو حضرة أكرم الأكرمين قال عليه السلام: «إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب». وجملة الكبائر مندرجة في ثلاثة أشياء: أحدها اتباع الهوى والهوى ميلان النفس إلى ما يستلذ به من الشهوات فقد يقع الإنسان به في جملة من الكبائر مثلاً البدعة والضلالة والارتداد والشبهة وطلب الشهوات واللذات والتنعمات وحظوظ النفس بترك الصلاة والطاعات كلها وعقوق الوالدين وقطع الرحم وقذف المحصنات وأمثال ذلك ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] وقال عليه السلام: «ما عبداً له أبغض على الله من الهوى»:

غبار هوا چشم عقلت بدوخت سموم هوس كشت عمرت بسوخت
بكن سرمه غفلت از چشم پاك كه فردا شوى سرمه درچشم خاك

وثانيها حب الدنيا فإنه مطية كثير من الكبائر مثل القتل والظلم والغصب والنهب والسرقة والربا وأكل مال اليتيم ومنع الزكاة وشهادة الزور وكتمانها واليمين الغموس والحيف في الوصية وغيرها واستحلال الحرام ونقض العهد وأمثاله ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]، وقال عليه السلام: «حب الدنيا رأس كل خطيئة» وعنه ﷺ: «أتاني جبريل وقال: إن الله تعالى قال: وعزتي وجلالي إنه ليس من الكبائر كبيرة هي أعظم عندي من حب الدنيا»:

عاقلان ميل بسويت نكنند اى دنيا هم اميد كرم ولطف تو جاهل دارد
هركه خواهد بكنداز تو مرادى حاصل حاصل آنست كه انديشه باطل دارد

وثالثها رؤية الغير فإن منها ينشأ الشرك والنفاق والرياء وأمثاله ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] وقال عليه السلام: «اليسير من الرياء شرك». وقال بعض المشايخ: وجودك ذنب لا يقاس به ذنب آخر فمن تخلص من ذنب وجوده فلا يرى غير الله فلا ينتشىء منه الشرك ولا حب الدنيا وتخلص من الهوى فيتحقق له الوصول واللقاء قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] لعمري إن هذا لهو المدخل الكريم والفوز العظيم والنعيم المقيم، فعلى العاقل أن يتخلص من الأغيار ويشاهد في المجالي أنوار الواحد القهار.

كرچه زندانست بر صاحب دلان هركجا بويى زوصل يار نيست
هيچ زندان عاشق محتاج را تنك تراز صحبت أغيار نيست

ولذا قيل: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وما سوى الحق أغيار، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧﴾ [الشعراء: ٧٧] فلا بد للسالك أن يجتهد في سلوكه ويتخلص من رق الغير كي يصل إلى المراد والعاشق الصادق لا يكون في عبودية غير معشوقة ولا يتسلى عن الدنيا والآخرة إلا بوصاله فليس له مطلب سواه:

عاشق كه زهجر دوست دادى خواهد يابر در وصلش ايستادى خواهد
ناكس ترا زو كس نبود درعالم كزدوست بجزدوست مرادى خواهد

وهذا مقام شريف ومطلب عزيز أوصلنا الله تعالى وإياكم.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿ولا تتمنوا﴾ التمني عبارة عن إرادة ما يعلم أو يظن أنه لا يكون **﴿ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾** أي عليكم أن لا تتمنوا ما أعطاه الله بعضكم من الأمور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجري فيه التنافس دونكم فإن ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير لائق بأحوال العباد مترتب على الإحاطة بجلائل شؤونهم ودقائقها. فعلى كل أحد من المفضل عليهم أن يرضى بما قسم له ولا يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما أنه معارضة لحكمة القدر فالانصباء كالاشكال وكما أن اختلاف الاشكال مقتضى حكمة إلهية لم يطلع على سرها أحد فكذلك الاقسام. وقيل: لما جعل الله تعالى في الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين قالت النساء: نحن أحوج أن يكون لنا سهمان وللرجال سهم واحد لأنا ضعفاء وهم أقوياء وأقدر على طلب المعاش منا فنزلت وهذا هو الأنسب بتعليل النهي بقوله تعالى: **﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾** فإنه صريح في جريان التمني بين فريق الرجال والنساء والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار مما أصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه إياه تأكيداً لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه إلى غيره فإن ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمني المذكور **﴿واسألوا الله من فضله﴾** أي لا تتمنوا ما يختص بغيركم من نصيبه المكتسب له واسألوا الله تعالى ما تريدون من خزائن نعمه التي لا نفاد لها فإنه يعطيكموه **﴿إن الله كان بكل شيء عليماً﴾** فهو يعلم ما يستحقه كل إنسان ففضله عن علم وحكمة وتبيان وفي الحديث «لن يزال الناس بخير ما تباينوا» أي تفاوتوا «فإذا تساووا هلكوا» وذلك لاختلال النظام المرتبط بذلك. وقد يقال معناه أنه لا يغتم لتفاوت الناس في المراتب والصنائع بأن يكون مثلاً بعضهم أميراً وبعضهم سلطاناً وبعضهم وزيراً وبعضهم رئيساً وبعضهم أهل الصنائع لتوقف النظام عليه.

واعلم أن مراتب السعادات إما نفسانية كالذكاء التام والحدس الكامل والمعارف الزائدة على معارف الغير بالكمية والكيفية وكالعفة والشجاعة وغير ذلك وإما بدنية كالصحة والجمال والعمر الطويل في ذلك مع اللذة والبهجة وإما خارجية ككثرة الأولاد الصلحاء وكثرة العشائر وكثرة الأصدقاء والأعوان والرياسة التامة ونفاذ القول وكونه محبوباً لقلوب الناس حسن الذكر فيهم فهي مجامع السعادات والإنسان إذا شاهد أنواع الفضائل حاصلة لإنسان ووجد نفسه خالياً عن جملتها أو عن أكثرها فحينئذٍ يتألم قلبه ويتشوش خاطره ثم يعرض هٰهنا حالتان: إحداهما أن يتمنى زوال تلك السعادات عن ذلك الإنسان والأخرى أن لا يتمنى ذلك بل يتمنى حصول مثلها له والأول هو الحسد المذموم لأن المقصود الأول لمدبر العالم وخالقه الإحسان إلى عبيده والجود إليهم وإفاضة أنواع الكرم عليهم فمن تمنى زوال ذلك فكأنه اعترض على الله فيما هو المقصود بالقصد الأول من خلق العالم وإيجاد المكلفين وأيضاً ربما اعتقد في نفسه أنه أحق

بتلك النعم من ذلك الإنسان فيكون هذا اعتراضاً على الله وقدحاً في حكمته وكل ذلك مما يلقيه في الكفر وظلمات البدعة ويزيل عن قلبه نور الإيمان وكما أن الحسد سبب الفساد في الدين فكذلك هو سبب الفساد في الدنيا فإنه يقطع المودة والمحبة والموالاة وينقلب كل ذلك إلى أضدادها فلهذا السبب نهى الله عباده عنه بقوله: ﴿**ولا تتمنوا**﴾ الآية فلا بد لكل عاقل من الرضى بقضاء الله تعالى.

ـ حكى ـ الرسول ﷺ عن رب العزة أنه قال: «من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر لنعمائي كتبته صديقاً وبعثته يوم القيامة مع الصديقين ومن لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر لنعمائي فليطلب رباً سواي».

حاشا كه من ازجور وجفاي توبنا لم بيداد لطفيان همه لطفست وكرامت

فهذا هو الكلام فيما إذا تمنى زوال تلك النعمة عن ذلك الإنسان. ومما يؤكد ذلك ما روى ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يخطب الرجل على خطبة أخيه ولا يسوم على سوم أخيه ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتقوم مقامها فإن الله هو رازقها» والمقصود من كل ذلك المبالغة في المنع من الحسد أما إذا لم يتمن ذلك بل تمنى حصول مثلها له فمن الناس من جوز ذلك إلا أن المحققين قالوا هذا أيضاً لا يجوز لأن تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين ومضرة عليه في الدنيا فلهذا السبب قال المحققون إنه لا يجوز للإنسان أن يقول: اللهم أعطني داراً مثل دار فلان وزوجة مثل زوجة فلان بل ينبغي أن يقول: اللهم أعطني ما يكون صلاحاً في ديني ودنياي ومعادي ومعاشي وإذا تأمل الإنسان كثيراً لم يجد أحسن مما ذكره الله في القرآن تعليماً لعباده وهو قوله: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]. وعن الحسن لا يتمنى أحد المال فلعل هلاكه في ذلك المال كما في حق ثعلبة وهذا هو المراد من قوله: ﴿**واسألوا الله من فضله**﴾ . قال الشيخ كمال الدين القاشاني: ﴿**فلا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض**﴾ من الكمالات المترتبة بحسب استعداد الأولية فإن كل استعداد يقتضي بهويته في الأزل كمالاً وسعادة تناسبه وتختص به وحصول ذلك الكمال الخاص لغيره محال ولذلك ذكر طلبه بلفظ التمني الذي هو طلب ما يمتنع حصوله للطالب لامتناع سببه ﴿**للرجال**﴾ أي الأفراد الواصلين ﴿**نصيب مما اكتسبوا**﴾ بنور استعدادهم الأصلي ﴿**وللنساء**﴾ أي الناقصين القاصرين عن الوصول ﴿**نصيب مما اكتسبن**﴾ بقدر استعدادهم ﴿**واسألوا الله من فضله**﴾ أي اطلبوا منه إفاضة كمال يقتضيه استعدادكم بالتزكية والتصفية حتى لا يحول بينكم وبينه فتحتجبوا وتعذبوا بنيران الحرمان منه ﴿**إن الله كان بكل شيء**﴾ مما يخفى عليكم كامناً في استعدادكم بالقوة ﴿**عليما**﴾ فيجيبكم بما يليق بكم كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤] أي بلسان الاستعداد الذي ما دعاه أحد به إلا أجاب، كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] انتهى. وعلى هذا التأويل يكون قوله: ﴿**ولا تتمنوا**﴾ نهياً ومنعاً عن طلب المحال الذي فوق الاستعداد الأزلي ويكون قوله: ﴿**واسألوا الله من فضله**﴾ أمراً وحثاً على طلب الممكن الذي هو قدر استعدادكم كي لا تضيع فضيلة الإنسانية فإن بعض المقدورات قد يكون معلقاً على الكسب، فينبغي أن لا يتكاسل العبد في العبادات وكسب الفضائل لينال الكمالات الكامنة في خزانة الاستعداد ويسأل الله تعالى دائماً من فضله فإنه مجيب الدعوات وولي الهداية والرشاد فمن طلب شيئاً وجدّ وجد ومن قرع باباً ولجّ

ولج، قال مولانا جلال الدين قدس سره:

چون دَرِ معنى زنى بازت كنند پرّ فكرت زن كه شبهازت كنند
چون طلب كردى بجد آيد نظر جد خطا نكند چنين آمد خبر
چون زچاهى ميكنى هرزوز خاك عاقبت اندر رسى در آب پاك
كفت پيغمبركه چون كوبى درى عاقبت زان دربرون آيد سرى
در طلب زن دائماً توهر دودست كه طلب درراه نيكور هبرست

﴿ولكل﴾ أي: لكل تركة ومال. ﴿جعلنا موالي﴾ جمع مولى أي: ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويحرزون منها أنصباءهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث ﴿مما ترك الوالدان والأقربون﴾ بيان لكل مع الفصل بالمعامل وهو جعلنا لأن لكل مفعول ثان له قدم عليه لتأكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض، والموالي هم أصحاب الفرائض والعصبات وغيرهما من الوراث ويجوز أن يكون المعنى ولكل قوم جعلناهم موالي أي وراثاً نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين مما ترك الوالدان والأقربون على أن جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع إليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله إنساناً نصيب من رزق أي حظ منه ﴿والذين عقدت أيمانكم﴾ هم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأحزاب: ٦] وعند أبي حنيفة إذا أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله إرثه إن لم يكن له وارث أصلاً فهو مؤخر عن ذوي الأرحام وإسناد العقد إلى الإيمان لأن المعتاد المماسكة بها عند العقد والمعنى عقدت أيمانكم عهودهم حذف العهود وأقيم المضاف إليه مقامه ثم حذف وهو مبتدأ متضمن لمعنى الشرطِ ولذلك صدر الخبر أعني قوله تعالى: ﴿فآتوهم نصيبهم﴾ بالفاء أي حظهم من الميراث ﴿إن الله كان على كل شيء﴾ من الأشياء التي من جملتها الإيتاء والمنع ﴿شهيداً﴾ أي شاهداً ففيه ترغيب في الإعطاء وتهديد على منع نصيبهم قال بعضهم المراد ﴿من الذين عقدت أيمانكم﴾ الحلفاء والمراد بقوله: ﴿فآتوهم﴾ النصرة والنصيحة والمصافاة في العشرة والمخالصة في المخالطة. فعلى كل أحد أن ينصر أخاه المؤمن ويخالطه على وجه الخلوص والنصيحة لا على النفاق والعداوة قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

بني آدم أعضاي يكديكرند كه در آفرينش زيك جوهرند
چو عضوي بدرد آورد روز كار دكر عضو هارا نماند قرار
توكز محنت ديكران بي غمي نشايد كه نامت نهند آدمي

فالواجب أن يحب المرء للناس ما يحب لنفسه من الخير وينصح لهم في ظاهر الأمر فإن النصيحة عماد الدين ويزيل ما يوجب التأذي عن ظاهرهم وأعمالهم بالموعظة والزجر أي المنع عما لا يليق ويعاملهم بالرحمة والشفقة ولا يذكر أحداً بما يكره فإن ملكاً وكل بالعبد يرد عليه ما يقول لصاحبه ولا يستبشر بمكروه أحد كائناً من كان:

مكن شادمانى بمرك كسى كه دهرت نماند پس ازوى بسى

ويتودد إلى الناس بالإحسان إلى برهم وفاجرهم وإلى من هو أهل الإحسان وإلى من

ليس بأهل له ويتحمل الأذى منهم وبه يظهر جوهر الإنسان:

تحمل چو زهرت نمايد نخست ولى شهد كردد چو در طبع رست

ويجعل من شتمه أو جفاه أو آذاه إيذاء في حل منه ولا يطمع في السلامة من أذاهم فإنه محال فإن الله لم يقطع لسان الخلق عن نفسه فكيف يسلم مخلوق من مخلوق.

- روي - أن موسى عليه السلام قال: إلٰهي أسألك أن لا يقال لي ما ليس في فأوحى الله إليه ما فعلت ذلك لنفسي فكيف أفعل لك؟ ويقوم بحاجات الناس ومهماتهم ففي الحديث: «من سعى في حاجة لأخيه المسلم لله وله فيها صلاح فكأنما خدم الله ألف سنة وييسر على المعسر تيسيراً ويفرج عن الغموم فإن الله تعالى في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه المسلم» وفي الحديث: «إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على قلب أخيك المسلم».

قال الشيخ نجم الدين الكبرى في قوله تعالى: ﴿**والذين عقدت أيمانكم**﴾ يعني: الذين جرى بينكم وبينهم عقد الأخوة في الله بأن أخذتم بأيمانكم أيمانهم بالإرادة وصدق الالتجاء وتابوا على أيديكم ﴿**فآتوهم**﴾ بالنصح وحسن التربية والاهتمام بهم والقيام بمصالحهم على شرائط الشيخوخة والتسليك بهم ﴿**نصيبهم**﴾ الذي أودع الله تعالى لهم عندكم بعلمه وحكمته ﴿**إن الله كان على كل شيء**﴾ من الودائع أينما أودعه ولمن أودعه ﴿**شهيدا**﴾ يشهد عليهم يوم القيامة إن يخونوا في إعطاء ودائعهم بالخيانة ويسألكم عنها ويشهد لكم بالأمانة ويجازيكم عليها خير الجزاء انتهى فالكاملون لا يخونون في الأمانات بل يسلمون الودائع إلى الأرباب بحسب الاستعدادات ولا يفشون السر إلى من ليس له أهلية في هذا الباب وألا يلزم الخيانة في أسرار رب الأرباب، قال مولانا جلال الدين الرومي قدس سره:

عارفاً نكه جام حق نوشيده اند رازها دانسته وپوشيده اند
هركرا اسرار كار آموختند مهر كردندو دهانش دوختند
برلبش قفلست ودردل رازها لب خموش ودل پراز آوازها
كوش آن كس نوشد أسرار جلال كوچوسوسن صدزبان افتا دولال
تانكوئي سر سلطانرا بكس تانريزى قندرا پيش مكس
درخور دريا نشد جز مرغ آب فهم كن والله أعلم بالصواب

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾

﴿**الرجال قوامون على النساء**﴾ قائمون بالأمر بالمصالح والنهي عن الفضائح قيام الولاة على الرعية مسلطون على تأديبهم وعلل ذلك بأمرين وهبي وكسبي فقال: ﴿**بما فضل الله بعضهم على بعض**﴾ الضمير البارز لكلا الفريقين تغليباً أي بسبب تفضيله الرجال على النساء بالحزم والعزم والقوة والفتوة والمير والرمي والحماسة والسماحة والتشمير لخطة الخطبة وكتبة الكتابة وغيرها من المخايل المخيلة في استدعاء الزيادة والشمائل الشاملة لجوامع السعادة ﴿**وبما أنفقوا من أموالهم**﴾ أي: وبسبب إنفاقهم من أموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة وهذا

أدل على وجوب نفقات الزوجات على الأزواج.

ـ روي ـ أن سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار رضي الله عنهم نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير فلطمها فانطلق بها أبوها إلى رسول الله ﷺ وشكا فقال عليه السلام: «لنقتصن منه» فنزلت فقال ﷺ: «أردنا أمراً وأراد الله أمراً والذي أراد الله خير» ورفع القصاص فلا قصاص في اللطمة ونحوها والحكم في النفس وما دونها مذكور في الفروع. ﴿فالصالحات﴾ منهن ﴿قانتات﴾ مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الأزواج ﴿حافظات للغيب﴾ أي: لمواجب الغيب أي: لما يجب عليهن حفظه في حال غيبة الأزواج من الفروج والأموال والبيوت. وعن النبي ﷺ: «خير النساء امرأة إنْ نظرتَ إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك وإذا غبتَ عنها حفظتك في مالها ونفسها» وتلا الآية وإضافة المال إليها للإشعار بأن ماله في حق التصرف في حكم مالها ﴿بما حفظ الله﴾ ما مصدرية أي بحفظه تعالى إياهن بالأمر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له. أو موصولة أي بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن ﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾ خطاب للأزواج وإرشاد لهم إلى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل في القلب عند حدوث أمر مكروه أو عند الظن أو العلم بحدوثه وقد يراد به أحدهما أي تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم ﴿فعظوهن﴾ فانصحوهن بالترغيب والترهيب. قال الإمام أبو منصور: العظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة وهي بتذكير العواقب ﴿واهجروهن﴾ بعد ذلك إن لم ينفع الوعظ والنصيحة والهجر الترك عن قلى ﴿في المضاجع﴾ أي في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن جمع مضجع وهو موضع وضع الجنب للنوم ﴿واضربوهن﴾ إن لم ينجع ما فعلتم من العظة والهجران غير مبرح ولا شائن ولا كاسر ولا خادش فالأمور الثلاثة مترتبة ينبغي أن يدرج فيها ﴿فإن أطعنكم﴾ بذلك كما هو الظاهر لأنه منتهي ما يعد زاجراً ﴿فلا تبغوا عليهن سبيلا﴾ بالتوبيخ والأذية أي فأزيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ﴿إن الله كان عليا﴾ أي أعلى عليكم قدرة منكم عليهن ﴿كبيرا﴾ أي أعظم حكماً عليكم منكم عليهن فاحذروا واعفوا عنهن إذا رجعن لأنكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عمن جنى عليكم إذا رجع. قال في «الشرعة» وشرحها: إذا وقف واطلع من زوجته على فجور أي: فسق أو كذب أو ميل إلى الباطن فإنه يطلقها إلا أن لا يصبر عنها فيمسكها.

ـ روي ـ أنه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله لي امرأة لا ترد يد لامس قال: «طلقها» قال: أحبها قال: «أمسكها» خوفاً عليه بأنه إن طلقها اتبعها وفسد هو أيضاً معها فرأى ما في دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه أولى فلا بد للرجال من تحمل المكاره إلا أنه لا ينبغي للمرء أن يكون ديوثاً كما قال بعض العارفين:

كريز از كفش دردهان نهنك كه مردن به از زندكانى به ننك

وكان بعض العلماء يقول: التحمل على أذى واحد من المرأة احتمال في الحقيقة من عشرين أذى منها مثلاً فيه نجاة الولد من اللطمة ونجاة القدر من الكسر ونجاة العجل من الضرب ونجاة الهرة من الزجر أي المنع من أكل فضول الخوان وسقاطه والثوب من الحرق والضيف من الرحيل قال رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» وقال أيضاً:

«أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة» وقال أيضاً: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجه من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا» قال النبي عليه السلام مخاطباً لعائشة رضي الله عنها «أيما امرأة تؤذي زوجها بلسانها إلا جعل الله لسانها يوم القيامة سبعين ذراعاً ثم عقد خلف عنقها. يا عائشة وأيما امرأة تصلي لربها وتدعو لنفسها ثم لا تدعو لزوجها إلا ضرب بصلاتها وجهها حتى تدعو لزوجها ثم تدعو لنفسها. يا عائشة وأيما امرأة جزعت على ميتها فوق ثلاثة أيام أحبط الله عملها. يا عائشة وأيما امرأة ناحت على ميتها إلا جعل الله لسانها سبعين ذراعاً وجرت إلى النار مع من تبعها. يا عائشة أيما امرأة أصابتها مصيبة فلطمت وجهها ومزقت ثيابها إلا كانت مع امرأة لوط ونوح في النار وكانت آيسة من كل خير وكل شفاعة شافع يوم القيامة يا عائشة وأيما امرأة زارت المقابر إلا لعنها الله تعالى ولعنها كل رطب ويابس حتى ترجع فإذا رجعت إلى منزلها كانت في غضب الله ومقته إلى الغد من ساعته فإن ماتت من وقتها كانت من أهل النار. يا عائشة اجتهدي ثم اجتهدي فإنكن صواحبات يوسف وفاتنات داود ومخرجات آدم من الجنة وعاصيات نوح ولوط. يا عائشة ما زال جبريل يوصيني في أمر النساء حتى ظننت أنه سيحرم طلاقهن. يا عائشة أنا خصم كل امرأة يطلقها زوجها» ثم قال: «يا عائشة وما من امرأة تحبل من زوجها حين تحبل إلا ولها مثل أجر الصائم بالنهار والقائم بالليل الغازي في سبيل الله. يا عائشة ما من امرأة أتاها الطلق إلا ولها بكل طلقة عتق نسمة وبكل رضعة عتق رقبة. يا عائشة أيما امرأة خففت عن زوجها من مهرها إلا كان لها من العمل حجة مبرورة وعمرة متقبلة وغفر لها ذنوبها كلها حديثها وقديمها سرها وعلانيتها عمدها وخطأها أولها وآخرها. يا عائشة المرأة إذا كان لها زوج فصبرت على أذى زوجها فهي كالمتشحطة في دمها في سبيل الله وكانت من القانتات الذاكرات المسلمات المؤمنات التائبات» كذا في «روضة العلماء» وفيه تطويل قد اختصرته وحذفت بعضه.

والإشارة في الآية أن الله تعالى جعل الرجال قوامين على النساء لأن وجودهن تبع لوجودهم وهم الأصول وهن الفروع فكما أن الشجرة فرع الثمرة بأنها خلقت منها فكذلك النساء خلقن من ضلوعهم فكما كان قيام حواء قبل خلقها وهي ضلع بآدم عليه السلام وهو قوام عليها فكذلك الرجال على النساء بمصالح أمور دينهن ودنياهن قال تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦] واختص الرجال باستعدادية الكمالية للخلافة والنبوة فكان وجودهم الأصل ووجودهن تبعاً لوجودهم للتوالد والتناسل قال عليه السلام: «كمل من الرجال كثير وما كمل من النساء إلا آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وفضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» ومع هذا ما بلغ كمالهن إلى حد يصلحن للخلافة أو النبوة وإنما كان كمالهن بالنسبة إلى النسوة لا إلى الرجال لأنهن بالنسبة إليهم ناقصات عقل ودين حتى قال في عائشة رضي الله عنها مع فضلها على سائر النساء «خذوا ثلثي دينكم عن هذه الحميراء» فهذا بالنسبة إلى الرجال نقصان حيث لم يقل خذوا كمال دينكم ولكن بالنسبة إلى النساء كمال لأنه على قاعدة قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النساء: ١١] يكون حظ النساء من الدين الثلث فكماله كان الثلثين بمثابة الذكور بمثل حظ الأنثيين، قال الفقير جامع هذه المجالس النفيسة:

مرد بايد تاكه اقدامي كند در طريقت غيرت نامى كند
چون نه كامل زمردى دم مزن چون نه دلبر مكو از حسن تن
زن كه كامل شد زمردان دست برد مرد ناقص چون زن ناقص بمرد

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

﴿وإن خفتم﴾ أي علمتم أو ظننتم أيها الحكام **﴿شقاق بينهما﴾** أي خلافاً بين المرأة وزوجها ولا تدرون من قبل أيهما يقع النشوز والشقاق المخالفة إما لأن كلا منهما يريد ما يشق على الآخر وإما لأن كلاً منهما في شق غير شق الآخر. قال ابن عباس رضي الله عنهما والجزم بوجود الشقاق لا ينافي بعث الحكمين لأنه لرجاء إزالته لا لتعرف ودوده بالفعل **﴿فابعثوا﴾** أي إلى الزوجين لإصلاح ذات البين **﴿حكماً﴾** رجلاً عادلاً صالحاً للحكومة والإصلاح **﴿من أهله﴾** من أهل الزوج **﴿وحكما﴾** آخر على صفة الأول **﴿من أهلها﴾** أي: أهل الزوجة فإن الأقارب أعرف ببواطن أحوالهم وأطلب للصلاح بينهم وانصح لهم وأسكن لنفوسهم لأن نفوس الزوجين تسكن إليهما وتبرز ما في ضمائرهما من حب أحدهما الآخر وبغضه **﴿إن يريدا﴾** أي الزوج والزوجة **﴿إصلاحا﴾** لهما أي ما بينهما من الشقاق **﴿يوفق الله بينهما﴾** يوقع بين الزوجين الموافقة والإلفة بحسن سعي الحكمين ويلقي في نفوسهما المودة والرأفة. وفيه تنبيه على أن من أصلح نيته فيما يتحراه وفقه الله لما ابتغاه **﴿إن الله كان عليماً خبيراً﴾** بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشاق ويوقع الوفاق. وفي الآية حث على إصلاح ذات البين قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة» قالوا: بلى قال: «إصلاح ذات البين» وقال ﷺ: «ألا إنما الدين النصيحة» قالها ثلاثاً قالوا: لمن يا رسول الله قال: «لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المؤمنين ولعامتهم» فالنصيحة لله تعالى أن تؤمن بالله ولا تشرك به شيئاً وتعمل بما أمر الله تعالى به وتنتهي عما نهى عنه وتدعو الناس إلى ذلك وتدلهم عليه وأما النصيحة لرسوله أن تعمل بسنته وتدعو الناس إليها. وأما النصيحة لكتابه أن تؤمن به وتتلوه وتعمل بما فيه وتدعو الناس إليه. وأما النصيحة للأئمة أن لا تخرج عليهم بالسيف وتدعو لهم بالعدل والإنصاف وتدل الناس عليه. وأما النصيحة للعامة فهو أن تحب لهم ما تحب لنفسك وأن تصلح بينهم ولا تهجرهم وتدعو لهم بالصلاح. ولا شك أن المصلحين هم خيار الناس بخلاف المفسدين فإنهم شرار الخلق إذ هم يسعون في الأرض بالفساد والتفريق وإيقاظ الفتنة دون إزالتها وقد ورد: «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها»:

ازان همنشين تاتواني كريز كه مر فتنه خفته را كفت خيز

ومن المفسدين من يوصل كلام أحد إلى أحد فيه ما يسوؤه ويحزنه فالعاقل لا يصيخ إلى مثل هذا القائل:

بدى درقفاعيب من كرد وخفت بتر زو قريني كه آورد وكفت
يكى تيرى افكنده ودرره فتاد وجودم نيازرد ورنجم نداد
توبر داشتى وآمدى سوى من همى در سپوزى به بهلوى من

والإشارة في الآية أنه إذا وقع الخلاف بين الشيخ الواصل والمريد المتكاسل **﴿فابعثوا﴾**

متواسطين أحدهما من المشايخ المعتبرين والثاني من معتبري السالكين لينظرا إلى مقالهما ويتحققا أحوالهما ﴿إن يريدا إصلاحا﴾ بينهما بما رأيا فيه صلاحهما ﴿يوفق الله بينهما﴾ بالإرادة وحسن التربية ﴿إن الله كان﴾ في الأزل ﴿عليما﴾ بأحوالهما ﴿خبيرا﴾ بمآلهما فقدر لكل واحد منهما بما عليهما وبما لهما كذا في «تأويلات» الشيخ العارف نجم الدين الكبرى قدس سره وقد عرف منه أن التهاجر والمخالفة تقع بين الكاملين كما بين عوام المؤمنين ولا يمنع اختلافهم الصوري اتفاقهم المعنوي وقد اقتضت الحكمة الإلّهية ذلك فلمثل هذا سر لا يعرفه عقول العامة، قال مولانا جلال الدين في بيان اتحاد الأولياء والكاملين:

چون ازيشان مجتمع بيني دويار هم يكى باشند وهم شش صد هزار
بر مثال موجها إعداد شان در عدد آورده باشد پادشان
تفرقه در روح حيواني بود نفس واحد روح انساني بود
مؤمنان معدود ليك إيمان يكى جسم شان معدود ليكن جان يكى

والحاصل أن أهل الحق كلهم نفس واحدة والتفرقة بحسب البشرية والتخالف سبب لا ينافي توافقهم في المعنى من كل وجه وجهة.

﴿۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦)﴾

﴿واعبدوا الله﴾ العبادة عبارة عن كل فعل وترك يؤتى به بمجرد أمر الله تعالى بذلك وهذا يدخل فيه جميع أعمال القلوب وجميع أعمال الجوارح ﴿ولا تشركوا به شيئاً﴾ من الأشياء صنماً أو غيره أو شيئاً من الإشراك جلياً وهو الكفر أو خفياً وهو الرياء ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ أي: وأحسنوا إليهما إحساناً. فالباء بمعنى إلى كما في قوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ﴾ [يوسف: ١٠٠] وبدأ بهما لأن حقهما أعظم حقوق البشر فالإحسان إليهما بأن يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ولا يخشن في الكلام معهما ويسعى في تحصيل مطالبهما والإنفاق عليهما بقدر القدرة ﴿وبذي القربى﴾ وبصاحب القرابة من أخ أو عم أو خال أو نحو ذلك بصلة الرحم والمرحمة إن استغنوا والوصية وحسن الإنفاق إن افتقروا ﴿واليتامى﴾ بإنفاق ما هو أصلح لهم أو بالقيام على أموالهم إن كان وصياً ﴿والمساكين﴾ بالمبار والصدقات وإطعام الطعام أو بالرد الجميل ﴿والجار ذي القربى﴾ أي الذي قرب جواره أو الذي له مع الجوار اتصال بنسب أو دين قال عليه السلام: «والذي نفسي بيده لا يؤدي حق الجار إلا من رحم الله وقليل ما هم أتدرون ما حق الجار إن افتقر أغنيته وإن استقرض أقرضته وإن أصابه خير هنأته وإن أصابه شر عزيته وإن مرض عدته وإن مات شيعت جنازته» ﴿والجار الجنب﴾ أي: البعيد أو الذي لا قرابة له. وعنه عليه السلام: «الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام وجار له حق واحد هو حق الجوار وهو الجار من أهل الكتاب» ﴿والصاحب بالجنب﴾ أي: الرفيق في أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فإنه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك في مسجد أو مجلس أو غير ذلك من أدنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك أن ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة إلى الإحسان

﴿وابن السبيل﴾ هو المسافر الذي سافر عن بلده وماله والإحسان بأن تؤويه وتزوده أو هو الضيف الذي ينزل عليك وحقه ثلاثة أيام وما زاد على ذلك فهو صدقة ولا يحل له أن يقيم عنده حتى يخرجه ﴿وما ملكت أيمانكم﴾ من العبيد والإماء والإحسان إليهم بأن يؤدبهم ولا يكلفهم ما لا طاقة لهم ولا يكثر العمل لهم طول النهار ولا يؤذيهم بالكلام الخشن بل يعاشرهم معاشرة حسنة ويعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون إليه. قال بعضهم كل حيوان فهو مملوك والإحسان إليه بما يليق به طاعة عظيمة ﴿إن الله لا يحب من كان مختالاً﴾ أي متكبراً يأنف من أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت إليهم ﴿فخوراً﴾ بما لا يليق يتفاخر عليهم ولا يقوم بالحقوق ويقال فخوراً في نعم الله لا يشكر قال الله تعالى لموسى عليه السلام: [يا موسى إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وحدي لا شريك لي فمن لم يرض بقضائي ولم يشكر على نعمائي ولم يصبر على بلائي ولم يقنع بعطائي فليعبد ربا سواي. يا موسى لولا من يسجد لي ما أنزلت من السماء قطرة ولا أنبت في الأرض شجرة ولولا من يعبدني مخلصاً لما أمهلت من يجحدني طرفة عين ولولا من يشكر نعمتي لحبست القطر في الجو. يا موسى لولا التائبون لخسفت بالمذنبين ولولا الصالحون لأهلكت الصالحين].

واعلم أن العبادة أن تعبد الله وحده بطريق أوامره ونواهيه ولا تعبد معه شيئاً من الدنيا والعقبى فإنك لو عبدت الله خوفاً من شيء أو طمعاً في شيء فقد عبدت ذلك الشيء والعبودية طلب المولى بالمولى بترك الدنيا والعقبى والتسليم عند جريان القضاء شاكراً صابراً في النعم والبلوى فلا بد من التوحيد الصرف وترك الشرك حتى يوصله الله إلى مبتغاه، قال بعض العارفين:

نقد هستى محو كن در «لا اله» تابه بينى دار ملك پادشاه
غير حق هرذره كان مقصودتست تيغ «لا» بركش كه آن معبودتست
«لا» كه عرش وفرش رابرمى درد از فنا سوى بقاره ميبرد
«لا» ترا از تو رهايى ميدهد با خدايت آشنايى ميدهد
چون توخودرا از ميان برداشتى قصر ايمانرا درى افراشتى

فإذا حصل المقصود ووصل العابد إلى المعبود فحينئذٍ يصح منه بالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين الآية لأن الإحسان صفات الله تعالى لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧] والإساءة من صفات الإنسان لقوله: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] فالعبد لا يصدر منه الإحسان إلا أن يكون متخلقاً بأخلاق نفسه كما قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩] وفيه إشارة أخرى وهي أن شرط العبودية الإقبال على الله بالكلية والإعراض عما سواه ولا يصدر منه الإحسان إلا إذا اتصف بأخلاق الله حتى يخرج من عهدة العبودية بالوصول إلى حضرة الربوبية فتفنى عنك به وتبقى به للوالدين وغيرهما محسناً لإحسانه بلا شرك ولا رياء فإن الشرك والرياء من بقاء النفس ولهذا قال عقيب الآية ﴿إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا﴾ لأن الاختيال والفخر من أوصاف النفس والله تعالى لا يحب النفس ولا أوصافها لأن النفس لا تحب الله ولا المحبة من أوصافها فإنها تحب الدنيا وزخارفها وما يوافق مقتضاها قال ﷺ: «الشرك أخفى في ابن آدم من دبيب النملة على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء» ومن خدم مخلوقاً خوفاً من مضرته أو طمعاً في منفعته فقد أشرك عملاً:

كه دانند چو دربند حق نيستى اكر بى وضو درنماز ايستى
بروى ريا خرقة سهلست دوخت كرش باخدا درتوانى فروخت
اكرجز بحق ميرود جاده ات در آتش فشانند سجاده ات

قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣] يعني الأعمال التي عملوها لغير وجه الله أبطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس وجاء رجل إلى النبي عليه السلام فقال: يا رسول الله إني أتصدق بالصدقة فالتمس بها وجه الله تعالى وأحب أن يقال لي فيه خير فنزل قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف: ١١٠] يعني من خاف المقام بين يدي الله تعالى ويريد ثوابه ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] رزقنا الله وإياكم الإخلاص.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿الذين يبخلون﴾ بما منحوا به وهو مبتدأ خبره محذوف أي احقاء بكل ملامة **﴿ويأمرون الناس بالبخل﴾** به أي بما منحوا به عطف على ما قبله **﴿ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾** أي من المال والغنى **﴿وأعتدنا للكافرين عذاباً مهينا﴾** وضع الظاهر موضع المضمر إشعار بأن من هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله ومن كان كافراً بنعمة الله فله عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء. والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للأنصار بطريق النصيحة لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر.

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس﴾ أي للفخار وليقال ما أسخاهم وما أجودهم لا لابتغاء وجه الله وهو عطف على الذين يبخلون ورئاء الناس مفعوله وإنما شاركهم في الذم والوعيد لأن البخل والسرف الذي هو الإنفاق فيما لا ينبغي من حيث إنه طرفا تفريط وإفراط سواء في القبح واستتباع الذم واللوم **﴿ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾** ليحوزوا بالإنفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة المنفقون أموالهم في عداوة رسول الله ﷺ: **﴿ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾**. أي: بئس الصاحب والمقارن الشيطان وأعوانه حيث حملوهم على تلك القبائح وزينوها لهم **﴿وماذا عليهم﴾** أي على من ذكر من الطوائف **﴿لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله﴾** ابتغاء لوجه الله لأن ذكر الإيمان بالله واليوم الآخر يقتضي أن يكون الإنفاق لابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البتة أي وما الذي عليهم في الإيمان بالله تعالى والإنفاق في سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم إلى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة وتنبيه على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجيب إليه احتياطاً فكيف إذا كان فيه منافع لا تحصى **﴿وكان الله بهم﴾** وبأحوالهم المحققة **﴿عليماً﴾** فهو وعيد لهم بالعقاب فقد أخبر الله تعالى بدناءة همة الأشقياء وقصور نظرهم وأنهم يقنعون بقليل من الدنيا الدنية

ويحرمون من كثير من المقامات الأخروية السنية ولا ينفقونه في طلب الحق ورضاه بل ينفقونه فيما لا ينبغي:

هركه مقصودش ازكرم آنست   كه بر آرد بعالم آوازه
باشد از مصر فضل وجود وكرم   خانه أو برون ز در وازه

قال بعض الحكماء: مثل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة كمثل رجل خرج إلى السوق وملأ كيسه حصى فيقول الناس: ما أملأ كيس هذا الرجل ولا منفعة له سوى مقالة الناس ولو أراد أن يشتري به شيئاً لا يعطى له شيء كذلك الذي عمل للرياء والسمعة. قال حامد اللفاف: إذا أراد الله هلاك امرىء عاقبه بثلاثة أشياء: أولها يرزقه العلم ويمنعه عن عمل العلماء، والثاني يرزقه صحبة الصالحين ويمنعه عن معرفة حقوقهم، والثالث يفتح عليه باب الطاعة ويمنعه الإخلاص وإنما يكون ذلك المذكور لخبث نيته وسوء سريرته لأن النية لو كانت صحيحة لرزقه الله منفعة العلم ومعرفة حقوقهم وإخلاص العمل:

عبادت بإخلاص نيت نكوست   وكرنه چه آيد زبى مغز پوست
چه زنار مغ درميانت چه دلق   كه درپوشى ازبهر پندار خلق

فعلى الفتى أن يتخلص من الرياء في إنفاقه وفي كل أعماله ويكون سخياً لا شحيحاً فإن شكر المال إنفاقه في سبيل الله، قال الشيخ العطار قدس سره:

توانكر كه ندارد پاس درويش   زدست غير تش برجان رسدنيش

ويناسبه ما قال الحافظ:

كنج قارون كه فروميرود از فكر هنوز
خوانده باشى كه هم از غيرت درويشانست

وإذا كان بخيلاً ومع هذا أمر الناس بالبخل يكون ذلك وزراً على وزر. قال صاحب «الكشاف» ولقد رأينا ممن بلى ببلاء البخل من إذا طرق سمعه أن أحداً جاد على أحد شخص بصره وحل حبوته واضطرب وزاغت عيناه في رأسه كأنما نهب رحله وكسرت خزائنه ضجراً من ذلك وحسرة على وجوده انتهى وهذا مشاهد في كل زمان لا يعطون ويمنعون من يعطي إن قدروا. والحاصل أنهم يجتهدون في منع من قصد خيراً كبناء القناطر والجسور وحفر الآبار وسائر الخيرات وذلك لكمال دناءتهم وقصور نظرهم وعدم شكرهم واللئيم لا يفعل إلا ما يناسب طبعه:

چو منعم كند سفله را روزكار   نهد بردل تنك درويش بار
چو بام بلندش بود خود پرست   كندبول وخاشاك برباك پست

قال بشير بن الحارث النظر إلى البخيل يقسي القلب فلا بد من مجانبة مجالسته وصحبته:

چونكه باشد مجاورت لازم   همجوار كريم بايد بود
كركنى باكسى مشاوره   آن مشاور حكيم بايد بود

ففي السخاء بركات في الدين والدنيا والآخرة. قيل: إن مجوسياً تصدق بمائة دينار فرأى الشبلي ذلك فقال: ما تنفعك هذه الصدقة؟ فبكى المجوسي ونظر إلى السماء فإذا رقعة وقعت عليه مكتوب فيها بخط أخضر:

مكافأة السماحة دار خلد وأمن من مخافة يوم بوس
وما نار بمحرقة جوادا ولو كان الجواد من المجوس

يعني: أن الله تعالى يوفق السخي للإيمان إن كان كافراً ولزيادة الطاعة والإخلاص فيها إن كان مؤمناً فيترقى إلى الدرجات العلى ويليق بمشاهدة ربه الأعلى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ لا ينقص من الأجر ولا يزيد في العقاب شيئاً مقدار ذرة وهي النملة الصغيرة الحمراء التي لا تكاد ترى من صغرها أو الصغير جداً من أجزاء التراب أو ما يظهر من أجزاء الهباء المنبث الذي تراه في البيت من ضوء الشمس وهو الأنسب بمقام المبالغة وهذا نفي للظلم لأنه إذا نفى القليل نفى الكثير لأن القليل داخل في الكثير **﴿وإن تك حسنة﴾** أي وإن يك مثقال الذرة حسنة أنث الضمير لتأنيث الخبر أو لإضافة المثقال إلى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيهاً بحروف العلة وتخفيفاً لكثرة الاستعمال **﴿يضاعفها﴾** أي يضاعف ثوابها لأن تضاعف نفس الحسنة بأن يجعل الصلاة الواحدة صلاتين مما لا يعقل **﴿ويؤت من لدنه﴾** ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضيل زائداً على ما وعد في مقابلة العمل **﴿أجراً عظيماً﴾** عطاء جزيلاً وإنما سماه أجراً لكونه تابعاً للأجر مزيداً عليه. قال في «التيسير»: وما وصفه الله بالعظم فمن يعرف مقداره؟ مع أنه سمى الدنيا وما فيها قليلاً وسمى هذا الفضل عظيماً.

ـ روي ـ أنه يؤتى يوم القيامة بالعبد وينادي منادٍ على رؤوس الأولين والآخرين هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه ثم يقال له: اعط هؤلاء حقوقهم فيقول: يا رب من أين وقد ذهبت الدنيا؟ فيقول الله لملائكته: انظروا في أعماله الصالحة فأعطوهم منها فإن بقي مثقال ذرة من حسنة ضعفها الله تعالى لعبده وأدخله الجنة بفضله ورحمته والظاهر أن ذلك التضعيف يكون من جنس اللذات الموعود بها في الجنة وأما هذا الأجر العظيم الذي يؤتيه من لدنه فهو اللذة الحاصلة عند الرؤية وعند الاستغراق في المحبة والمعرفة وإنما خص هذا النوع بقوله من لدنه لأن هذا النوع من الغبطة والسعادة والكمال لا ينال بالأعمال الجسدية بل إنما ينال مما يودع الله في جوهر النفس المقدسة من الإشراق والصفاء والنور وبالجملة فذلك التضعيف إشارة إلى السعادات الجسمانية وهذا الأجر العظيم إشارة إلى السعادات الروحانية.
ورد في الخبر الصحيح: «إن الله تعالى يقول لملائكته حين دخل أهل الجنة الجنة أطعموا أوليائي فيؤتى بألوان الأطعمة فيجدون لكل نعمة لذة غير ما يجدون للأخرى فإذا فرغوا من الطعام يقول الله تعالى: اسقوا عبادي فيؤتى بأشربة فيجدون لكل شربة لذة بخلاف الأخرى فإذا فرغوا يقول الله تعالى: أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فاسألوني أعطكم قالوا: ربنا نسألك رضوانك مرتين أو ثلاثاً فيقول: رضيت عنكم ولدي المزيد فاليوم أكرمكم بكرامة أعظم من ذلك كله فيكشف الحجاب فينظرون إليه ما شاء الله فيخرون إليه سجداً فيكونون في السجود ما شاء الله تعالى ثم يقول لهم: ارفعوا رؤوسكم ليس هذا موضع عبادة فينسون كل نعمة كانوا فيها

ويكون النظر إليه أحب إليهم من جميع النعم».

جان بيجمال جانان ميل جهان ندارد وانكس كه اين ندارد حقاكه آن ندارت

«فيهب ريح من تحت العرش على تل من مسك أذفر فينشر المسك على رؤوسهم ونواصي خيولهم فإذا رجعوا إلى أهليهم يرون أزواجهم في الحسن والبهاء أفضل مما تركوهن ويقول لهم أزواجهم قد رجعتم أحسن مما كنتم» ومطمح نظر العارف الجنة المعنوية. قال أبو يزيد البسطامي حلاوة المعرفة الإلهية خير من جنة الفردوس وأعلى عليين لو فتحوا لي الجنات الثمان واعطوني الدنيا والآخرة لم يقابل أنيني وقت السحر طال أنسي بالله. وقال مالك بن دينار: خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا أطيب الأشياء قيل: وما هو؟ قال: معرفة الله تعالى، قال جلال الدين قدس سره:

أي خنك انراكه ذات خود شناخت اندر امن سرمدي قصري بساخت
پس چو آهن كرچه تيره هيكلي صيقلى كن صيقلى كن صيقلى
دفع كن از مغز ازبينى زكام تاكه ريح الله درآيد از مشام
هيچ مكذار ازتب وصفرا اثر تابيابى درجهان طعم شكر

أوصانا الله وإياكم إلى معرفته وأدخلنا الجنة برحمته ﴿فكيف﴾ محلها النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال أو الظرف أي فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم ﴿إذا جئنا﴾ يوم القيامة ﴿من كل أمة﴾ من الأمم ﴿بشهيد﴾ يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقائد وقبائح الأفعال وهو نبيهم ﴿وجئنا بك﴾ أحضرناك يا محمد ﴿على هؤلاء﴾ إشارة إلى الشهداء المدلول عليهم بما ذكر من قوله بشهيد ﴿شهيدا﴾ تشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم لاستجماع شرعك لمجامع قواعدهم أو إشارة إلى المكذبين المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما يشهد سائر الأنبياء على أممهم ﴿يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول﴾ بيان لحالهم التي أشير إلى شدتها وفظاعتها بقوله تعالى: ﴿فكيف﴾ الخ وعصيان الرسول محمول على المعاصي المغايرة للكفر فلا يلزم عطف الشيء على نفسه أي يتمنى الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول والمراد الذين كفروا والذين عصوا الرسول ﴿لو تسوى بهم الأرض﴾ لو بمعنى أن المصدرية والجملة مفعول يود أي يودون أن يدفنوا فتسوى بهم الأرض كالموتى فتسوية الأرض بهم كناية عن دفنهم أو يودون أنهم لم يبعثوا ولم يخلقوا وكأنهم والأرض سواء. قال بعض الأفاضل الباء للملابسة أي تسوى الأرض ملتبسة بهم ولا حاجة إلى الحمل على القلب لقلة الفرق بين تسويتهم بالأرض والتراب وتسويتها بهم ﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾ عطف على يود أي: ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم أو الواو للحال أي يودون أن يدفنوا في الأرض وهم لا يكتمون منه تعالى حديثاً ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين إذ روي أنهم إذا قالوا ذلك ختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الأمر عليهم فيتمنون أن تسوى بهم الأرض قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم فيقال لأمته هل بلغكم؟ فتقول: ما جاءنا من نذير فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيداً ثم يدعى غيره من الأنبياء عليهم السلام ثم ينادى كل إنسان باسمه واحداً واحداً وتعرض أعمالهم على رب العزة قليلها وكثيرها حسنها وقبيحها». وذكر أبو حامد

في كتاب «كشف علوم الآخرة» إن هذا يكون بعد ما يحكم الله تعالى بين البهائم ويقتص للجماء من القرناء ويفصل بين الوحوش والطير ثم يقول لهم: كونوا تراباً فتسوى بهم الأرض فحينئذٍ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ويتمنى الكافر فيقول: يا ليتني كنت تراباً.

واعلم أنه يعرض على النبي عليه السلام أعمال أمته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم وتعرض على الله يوم الخميس ويوم الاثنين وعلى الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة فتفكر يا أخي وإن كنت شاهدا عدلاً بأنك مشهود عليك في كل أحوالك من فعلك ومقالك وأعظم الشهود لديك المطلع عليك الذي لا يخفى عليه خائنة عين ولا يغيب عنه زمان ولا أين فاعمل عمل من يعلم أنه راجع إليه وقادم عليه يجازى على الصغير والكبير والقليل والكثير:

در خير بازست وطاعت وليك نه هركس تواناست بر فعل نيك
همه برك بودن همه ساختى بتدبير رفتن نپرداختى

فلا تضيع أيامك فإن أيامك رأس مالك وإنك ما دمت قابضاً على رأس مالك فإنك قادر على طلب الربح لأن بضاعة الآخرة كاسدة في يومك هذا فاجتهد حتى تجمع بضاعة الآخرة في وقت الكساد فإنما يجيء يوم تصير هذه البضاعة عزيزة فأكثر منها في يوم الكساد ليوم العزة فإنك لا تقدر على طلبها في ذلك اليوم.

ـ روي ـ أن الموتى يتمنون أن يؤذن لهم بأن يصلوا ركعتين أو يؤذن لهم أن يقولوا مرة واحدة لا إله إلا الله أو يؤذن لهم في تسبيحة واحدة فلا يؤذن لهم ويتعجبون من الأحياء أنهم يضيعون أيامهم في الغفلة.

مهلكه عمر به بيهوده بكذرد حافظ بكوش وحاصل عمر عزيزرا درياب

قال القاشاني في قوله تعالى: ﴿**فكيف إذا جئنا**﴾ الشهيد والشاهد ما يحضر كل أحد مما بلغه من الدرجة وهو الغالب عليه فهو يكشف عن حاله وعمله وسعيه ومبلغ جهده مقاماً كان أو صفة من صفات الحق أو رأيا فلكل أمة شهيد بحسب ما دعاهم إليه نبيهم وعرفه إليهم ولم يبعث إلا بحسب ما يقتضيه استعداد أمته فما دعاهم إلا إلى ما يطلب استعدادهم مما وصل إليه النبي من مقامه في المعرفة فلا يعرف أحد باطن أمرهم وما هم عليه من أحوالهم كنبيهم ولذلك جعل كل نبي شهيداً على أمته وقد ورد في الحديث «إن الله يتجلى لعباده في صورة معتقدهم فيعرفه كل واحد من أهل الملل والمذاهب ثم يتحول عن تلك الصورة فيبرز في صورة أخرى فلا يعرفه إلا الموحدون الواصلون إلى حضرة الأحدية من كل باب» وكما أن لكل أمة شهيداً فلكل أهل مذهب شهيد ولكل أحد شهيد يكشف عن حال مشهوده. وأما المحمديون فهم شهداء على الأمم ونبيهم شهيد عليهم لكونهم من الأمم ولكون نبيهم حبيباً مؤتى بجوامع الكلم متمماً لمكارم الأخلاق فلا جرم يعرفون الله عند التحول في جميع الصور إذا تابعوا نبيهم حق المتابعة ونبيهم يشهدهم ويعرف أحوالهم انتهى بعبارته جعلنا الله وإياكم من الكاملين الواصلين إلى حق اليقين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى

سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾ .

ـ روي ـ أن عبد الرحمٰن بن عوف صنع طعاماً وشراباً فدعا نفراً من أفاضل الصحابة رضي الله عنهم حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا أحدهم ليصلي بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد إلى آخرها بطرح اللا آت فنزلت فكانوا لا يشربون في أوقات الصلاة فإذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون إلا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها وتوجيه النهي إلى قربان الصلاة مع أن المراد هو النهي عن إقامتها للمبالغة في ذلك. قال في «التيسير» ثم النهي ليس عن عين الصلاة فإنها عبادة فلا ينهى عنها بل هو نهي اكتساب السكر الذي يعجز به عن الصلاة على الوجه. قال الإمام أبو منصور رحمه الله: وكذلك قول رسول الله ﷺ: «لا صلاة للعبد الآبق ولا للمرأة الناشزة» ليس فيه النهي عن الصلاة لكن النهي عن الاباق والنشوز وهذا لأن الاباق والنشوز والسكر ليست بالتي تعمل في إسقاط الفرض فالمعنى لا تقيموها حالة السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولون إذ بتلك التجربة يظهر أنهم يعلمون ما سيقرؤونه في الصلاة والسكر اسم لحالة تعرض بين المرء وعقله وأكثر ما يكون من الشراب وقد يكون من العشق والنوم والغضب والخوف لكنه حقيقة في الأول فيحمل عليه هنا. والسكارى جمع سكران كالكسالى جمع كسلان وأجمعوا على أنه لا يجوز بيع السكران وشراؤه ويؤاخذ بالاستهلاكات والقتل والحدود وصح طلاقه وعتاقه عقوبة له عندنا خلافاً للشافعي **﴿ولا جنباً﴾** عطف على قوله: وأنتم سكارى فإنه في حيز النصب كأنه قيل: لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنباً. والجنب من أصابته الجنابة يستوي في المؤنث والمذكر والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر وأصل الجنابة البعد والجنب مبعد عن القراءة والصلاة وموضعها **﴿إلا عابري سبيل﴾** استثناء مفرغ من أعم الأحوال محله النصب على أنه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقيده بالحال الثانية دون الأولى والعامل فيه النهي أي لا تقربوا الصلاة جنباً في حال من الأحوال إلا حال كونكم مسافرين فتعذرون بالسفر فتصلون بالتيمم **﴿حتى تغتسلوا﴾** غاية للنهي عن قربان الصلاة حالة الجنابة. وفي الآية الكريمة إشارة إلى أن المصلي حقه أن يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه وأن يزكي نفسه عما يدنسها ولا يكتفي بأدنى مراتب التزكية عند إمكان أعاليها **﴿وإن كنتم مرضى﴾** جمع مريض. والمرض على ثلاثة أقسام:

أحدها أن يكون بحيث لو استعمل الماء لمات كما في الجدري الشديد والقروح العظيمة.

وثانيها أن لا يموت باستعمال الماء ولكنه يجد الآلام العظيمة ويشتد مرضه أو يمتد.

وثالثها أن لا يخاف الموت ولا الآلام الشديدة لكنه يخاف بقاء شين أو عيب في البدن فالفقهاء جوزوا التيمم في القسمين الأولين وما جوزوه في القسم الثالث **﴿أو على سفر﴾** عطف على مرضى أي أو كنتم على سفر ما طال أو قصر وإيراده مع سبق ذكره بطريق الاستثناء لبناء

الحكم الشرعي عليه وبيان كيفيته وتعليق التيمم بالمرض والسفر مع أتم الحكم كذلك في كل موضع تحقق العجز حتى قال أبو حنيفة: يجوز التيمم للجنابة في المصر إذا عدم الماء الحار لأن العجز عن استعمال الماء يقع فيها غالباً **﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾** وهو المكان المنخفض المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث لأن المعتاد أن من يريده يذهب إليه ليواري شخصه عن أعين الناس **﴿أو لامستم النساء﴾** أي جامعتموهن يعني إذا أصابكم المرض أو السفر أو الحدث أو الجنابة **﴿فلم تجدوا ماء﴾** أي لم تقدروا على استعماله لعدمه أو لبعده أو لفقد آلة الوصول إليه من الدلو والرشاء أو المانع عنه من حية أو سبع أو عدو **﴿فتيمموا صعيداً طيباً﴾** فاقصدوا شيئاً من وجه الأرض طاهراً. قال الزجاج: الصعيد وجه الأرض تراباً أو غيره وإن كان صخراً لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله **﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾** إلى المرفقين لما روي أنه ﷺ تيمم ومسح يديه إلى مرفقيه ولأنه بدل من الوضوء فيتقدر بقدره والباء زائدة أي فامسحوا وجوهكم وأيديكم منه أي من الصعيد **﴿إن الله كان عفواً غفوراً﴾** تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما فإن من عادته المستمرة أن يعفو عن الخطائين ويغفر للمذنبين لا بد من أن يكون ميسراً لا معسراً.

والإشارة أن الصلاة معراج المؤمن وميقات مناجاته والمصلي هو الذي يناجي ربه يعني يا مدعي الإيمان **﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾** أي: لا تجدوا القربة في الصلاة وأنتم سكارى من الغفلات وتتبع الشهوات لأن كل ما أوجب للقلب الذهول عن الله فهو ملتحق بالسكر ومن أجله جعل السكر على أقسام: فسكر من الخمر وسكر من الغفلة لاستيلاء حب الدنيا وأصعب السكر سكرك من نفسك فإن من سكر من الخمر فقضاؤه الحرقة ومن سكر من نفسه ففي الوقت على الحقيقة له القطيعة والفرقة.

أي اسيرننك نام خويشتن	بستة خودرا بدام خويشتن
ورنكنجى باخود اندر كوى أو	كم شو ازخود تابيابى كوى أو
تاتونزديك خودى زين حرف دور	غائبى يابى اكر خواهى حصور
تاتو ازغفلت چوباده مست شدى	لا جرم ازطور وصلت پست شدى

﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾ ولماذا تقولون كما تقولون الله أكبر لتكبيرة الإحرام عند رفع اليدين ومعناه الله أعظم وأجل من كل شيء فإن كنت تعلم عند التقول به فينبغي أن لا يكون في تلك الحالة في قلبك عظمة شيء آخر وأمارة ذلك أن لا تجد ذكر شيء في قلبك مع ذكره تعالى ولا محبة شيء مع محبته ولا طلب شيء مع طلبه فإنه تبارك وتعالى واحد لا يقبل الشركة في جميع صفاته وإلا كنت كاذباً في قولك الله أكبر بالنسبة إلى حالك وكنت كالسكران لا تجد القربة من صلاتك لأن القربة مشروطة بشرط السجود كما خوطب به **﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾** [العلق: ١٩] والسجود أن تنزل من مركب أوصاف وجودك لتحمل على رفرف جوده إلى قاب قوسين أوصاف وجوده لشهود جماله وجلاله وهذا هو سر التشهد بعد السجود ثم قال: **﴿ولا جنباً إلا عابري سبيل﴾** يعني كما لا تجدون القربة وأنتم سكارى من الغفلات أيضاً لا تجدونها مع جنابة استحقاق البعد وهي ملابسة الدنيا الدنية إلا على طريق العبور بقدم ظاهر الشرع في سبيل الأوامر والنواهي كعبور طريق الاعتداد بالمطعم والمشرب لسد الرمق وحفظ القوة

والاكتساء لدفع الحر والبرد وستر العورة والمباشرة لحفظ النسل ﴿**حتى تغتسلوا**﴾ بماء القربة والإنابة وصدق الطلب وحسن الإرادة وخلوص النية من جنابة ملابسة الدنيا وشهواتها ﴿**وإن كنتم مرضى**﴾ بانحراف مزاج القلب في طلب الحق ﴿**أو على سفر**﴾ التردد بين طلب الدنيا وطلب العقبى والمولى ﴿**أو جاء أحد منكم من الغائط**﴾ من غائط تتبع الهوى ﴿**أو لامستم النساء**﴾ أي لابستم الأشغال الدنيوية فأجنبتم وتباعدتم عن الله بعدما كنتم مجاوري حظائر القدس ووقعتم في رياض الأنس ﴿**فلم تجدوا ماء**﴾ صدق الإنابة والرجوع إلى الحق بالإعراض والانقطاع عن الخلق ﴿**فتيمموا صعيداً طيباً**﴾ وهو تراب أقدام الرجال الطيبين من سوء الأخلاق والأعمال ﴿**فامسحوا بوجوهكم**﴾ تراب أقدامهم وتمسكوا ﴿**بأيديكم**﴾ أذيال كرمهم مستسلمين بصدق الإرادة لأحكامهم ﴿**إن الله كان عفوا**﴾ يعفو عنكم التعصب وعدم الانقطاع إليه بالكلية ولعله يعفو عنكم التلوث بالدنيا الدنية بهذه الخصلة مرضية ﴿**غفورا**﴾ لكم آثار الشقوة من غبار الشهوة فإنهم يسعد بهم لأنهم قوم لا يشقى بهم جليسهم:

كليد كنج سعادت قبول أهل دلست   مبادكس كه درين نكته شك وريب كند
شبان واديء أيمن كهي رسد بمراد   كه چند سال بجان خدمت شعيب كند

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾

﴿**ألم تر**﴾ الخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية من المؤمنين والرؤية بصرية لشهرة شنائع الموصوفين حتى انتظمت في سلك الأمور المشاهدة ﴿**إلى الذين أوتوا نصيبا**﴾ حظاً كائنا ﴿**من الكتاب**﴾ من علم الكتاب وهو التوراة والمراد بهم أحبار اليهود أي ألم تنظر إليهم فإنهم أحقاء بأن تشاهدهم وتتعجب من أحوالهم. نزلت في حبرين من أحبار اليهود كانا يأتيان رئيس المنافقين عبد الله بن أبي ورهطه يثبطانهم عن الإسلام ﴿**يشترون الضلالة**﴾ كأنه قيل: ماذا يصنعون حتى ينظر إليهم؟ فقيل: يأخذون الضلالة ويتركون ما أوتوه من الهداية ﴿**ويريدون**﴾ أي لا يكتفون بضلالة أنفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته ﷺ: ﴿**أن تضلوا**﴾ أنتم أيضاً أيها المؤمنون ﴿**السبيل**﴾ المستقيم الموصل إلى الحق وإنما أرادوا ذلك ليكون الناس كلهم على دينهم فتكون لهم الرياسة على الكل وأخذ المرافق من الكل.

﴿**والله أعلم**﴾ أي: منكم ﴿**بأعدائكم**﴾ جميعاً ومن جملتهم هؤلاء وقد أخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون لكم لتكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم أو هو أعلم بحالهم ومآل أمرهم ﴿**وكفى بالله**﴾ الباء مزيدة ﴿**ولياً**﴾ متكفلاً في جميع أموركم ومصالحكم أو محباً لكم ﴿**وكفى بالله نصيراً**﴾ في كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره أو لا تبالوا بهم وبما يسومونكم من السوء فإنه تعالى معين يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد.

والإشارة أن من رزق شيئاً من علم الكتاب ظاهراً ولم يرزق أسراره وحقائقه وهم علماء السوء المداهنون في دين الله حرصاً على الدنيا وطمعاً في المال والجاه وحباً للرياسة والقبول ﴿**يشترون الضلالة**﴾ وهي المداهنة واتباع الهوى فيبيعون الدين بالدنيا ﴿**ويريدون أن تضلوا السبيل**﴾ يا معشر العلماء الأتقياء وورثة الأنبياء وطلاب الحق من بين الخلق عن سبيل الحق بما يحسدونكم وينكرون عليكم ويلومونكم ويؤذونكم بطريق النصح وإظهار المحبة ﴿**والله أعلم**

بأعدائكم﴾ فلا تقبلوا نصيحتهم فيما يقطعون عليكم طريق الحق ويردونكم عنه ويصدونكم عن الله بالتحريض على طلب غير الله ورعاية حق غير الله وأطيعوا أمر الله تعالى فيما أمركم به.

واعلم أنك لا ترى حالاً أسوأ ولا أقبح ممن جمع بين هذين الأمرين أعني الضلال والإضلال وأكثر ما يكونان في العلماء يطمعون فيما في أيدي الخلق فيداهنون فيضلون فسبب زوال المداهنة قطع الطمع.

ـ روي ـ عن بعض المشايخ أنه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئاً من الغدد لسنوره فرأى على القصاب منكراً فدخل وأخرج السنور أولاً ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب: لا أعطيك بعد اليوم لسنورك شيئاً فقال: ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج السنور وقطع الطمع منك فهو كما قال: فمن طمع في أن تكون قلوب الناس عليه طيبة لم يتيسر له الحسبة. فعلى العاقل أن يزكي نفسه عن الأخلاق الرديئة ويطهرها من الخصال الذميمة:

چون طهارت نبود كعبه وبتخانه يكيست نبود خير در آن خانه كه عصمت نبود

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿من الذين هادوا﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: من الذين هادوا قوم **﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾** الكَلِم اسم جنس ولذا ذكر الضمير في مواضع وجمع المواضع لتكرره في التوراة في مواضع بحسب الجنس أي: يزيلون لأنهم لما غيروه ووضعوا مكانه غيره فقد أزالوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وأمالوه عنها.

والتحريف نوعان: أحدهما صرف الكلام إلى غير المراد بضرب من التأويل الباطل كما يفعل أهل البدعة في زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذاهبهم. والثاني: تبديل الكلمة بأخرى وكانوا يفعلون ذلك نحو تحريفهم في نعت النبي ﷺ أسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله. **﴿ويقولون﴾** في كل أمر مخالف لأهوائهم الفاسدة سواء كان بمحضر النبي عليه السلام أم لا بلسان المقال والحال **﴿سمعنا﴾** قولك **﴿وعصينا﴾** أمرك عناداً وتحقيقاً للمخالفة **﴿واسمع﴾** أي: قولنا **﴿غير مسمع﴾** حال من المخاطب وهو كلام ذو وجهين: أحدهما المدح بأن يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروهاً، والثاني الذم بأن يحمل على معنى أسمع حال كونك غير مسمع كلاماً أصلاً بصمم أو موت أي مدعو عليك بلا سمعت لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مسمع فكأنهم قالوا ذلك تمنياً لإجابة دعوتهم عليه كانوا يخاطبون به النبي عليه السلام مظهرين له إرادة المعنى الأول وهم مضمرون في أنفسهم المعنى الأخير مطمئنون به **﴿وراعنا﴾** كلمة ذات جهتين أيضاً: محتملة للخير بحملها على معنى ارقبنا وانتظرنا واصرف سمعك إلى كلامنا نكلمك، وللشر بحملها على السب بالرعونة أي الحمق أو بإجرائها مجرى شبهها من كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعنا كانوا يخاطبون به النبي ﷺ ينوون الشتيمة والإهانة ويظهرون التوقير والاحترام. فإن قلت: كيف جاؤوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد

ما صرحوا وقالوا: سمعنا وعصينا؟ قلت: جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء حشمة منه عليه السلام وخوفاً من بطش المؤمنين. **﴿ليا بألسنتهم﴾** انتصابه على العلية أي: يقولون ذلك للفتل بها ولصرف الكلام عن نهجه إلى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا استمعت مكروهاً وأجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى انظرنا أو فتلا بها وضما لما يظهرون من الدعاء والتوقير إلى ما يضمرون من السب والتحقير **﴿وطعنا في الدين﴾** أي: قدحاً فيه بالاستهزاء والسخرية **﴿ولو أنهم﴾** عندما سمعوا شيئاً من أوامر الله ونواهيه **﴿قالوا﴾** بلسان المقال أو بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا **﴿سمعنا وأطعنا﴾** وبدل قولهم واسمع غير مسمع **﴿واسمع﴾** ولا يلحقون به غير مسمع وبدل قولهم راعنا **﴿وانظرنا﴾** ولم يدسوا تحت كلامهم شراً وفساداً أي لو ثبت أنهم قالوا هذا مكان ما قالوا من الأقوال. **﴿لكان﴾** قولهم ذلك **﴿خيراً لهم﴾** مما قالوا **﴿وأقوم﴾** أي: أعدل وأسد في نفسه وأصوب من القيم أي: المستقيم، قالوا لمّا لم يكن في الذي اختاروه خير أصلاً فلِمَ جعل هذا خيراً من ذلك وجوابه أنه كذلك على زعمهم فخوطبوا على ذلك وهو كقوله: ﴿خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩] **﴿ولكن لعنهم الله بكفرهم﴾** أي: ولكن قالوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ذلك **﴿فلا يؤمنون﴾** بعد ذلك **﴿إلا قليلا﴾** استثناء من ضمير المفعول في لعنهم أي: ولكن لعنهم الله إلا فريقاً قليلاً فإنه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب الإيمان وقد آمن بعد ذلك فريق من الأحبار كعبد الله بن سلام وكعب وأضرابهما وهو استثناء من ضمير لا يؤمنون أي: لا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً وهو إيمانهم بموسى وكفرهم بمحمد عليهما السلام.

والإشارة أن العلماء السوء من هذه الأمة **﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾** بالفعال لا بالمقال كما كان أهل الكتاب يحرفونه بالمقال. **﴿ويقولون سمعنا﴾** بالمقال فيما أمر الله به من ترك الدنيا وزينتها واتباع الهوى ومن إيثار الآخرة على الأولى والانقطاع عن الخلق في طلب المولى **﴿وعصينا﴾** بالفعال إذ لا يشمون روائح هذه المعاملات ولا يدورون حول هذه المقامات وينكرون على أهل هذه الكرامات ويستهزئون بأنواع المقالات فلا يؤمنون بالقلوب السليمة إلا قليلاً منهم بأن يكفروا بهوى نفوسهم ويؤمنوا بالإيمان الحقيقي الذي هو من نتائج الإرادة والصدق في طلب الحق والإخلاص في العمل لله وترك الدنيا وزخارفها بل بذل الوجود في طلب المعبود، قال العطار قدس سره:

مشو مغرور اين نطق مزور   بنادانى مكن خودرا تو سرور
اكر علم همه عالم بخوانى   چوبى عشقى ازو حروفى ندانى

قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علماً لا يبتغي به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة» أي: ريحها. قال الشيخ الشاذلي: العلم النافع هو الذي يستعان به على طاعة الله ويلزمك المخافة من الله والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة بالله. قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: العلوم كالدنانير والدراهم إن شاء نفعك بها وإن شاء أضرك معها والعلم إن قارنته الخشية فلك أجره وثوابه وحصول النفع به وإلا فعليك وزره وعقابه وقيام الحجة به وعلامة خشية الله ترك الدنيا والخلق ومحاربة النفس والشيطان، قال الشيخ السعدي قدس سره:

دعوى كنى كه بر ترم ازديكران بعلم چون كبر كردى ازهمه دونان فروترى
شاخ درخت علم ندانم بجز عمل تا علم باعمل نكنى شاخ بى برى
علم آدميتست وجوا نمردى وادب ورنه بدى بصورت الإنسان برابرى
ترك هواست كشتى درياى معرفت عارف بذات شونه بدين قلندرى
هر علم راكه كارنه بندى چه فائدة چشم از براى آن بود آخركه بنكرى

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب﴾ أي التوراة **﴿آمنوا بما نزلنا﴾** من القرآن حال كونه **﴿مصدقا لما معكم﴾** من التوراة ومعنى تصديقه إياها نزوله حسبما نعت لهم فيها أو كونه موافقاً لها في القصص والمواعيد والدعوة إلى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وأما ما يتراءى من مخالفته لها في جزئيات الأحكام بسبب تفاوت الأمم بالاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي عين الموافقة من حيث إن كلاً منهما حق بالإضافة إلى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعاً ولذلك قال ﷺ: «لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي» **﴿من قبل أن نطمس وجوهاً﴾** الطمس محو الآثار وإزالة الأعلام أي آمنوا من قبل أن نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها من عين وحاجب وأنف وفم **﴿فنردها على أدبارها﴾** فنجعلها على هيئة أدبارها وهي الإقفاء مطموسة مثلها وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما نجعلها كخف البعير وحافر الدابة فتكون الفاء للتسبيب أي بأن نردها على أدبارها أو ننكسها بعد الطمس فنردها إلى موضع الأقفاء والأقفاء إلى موضعها على أنهم توعدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر طمسها ثم ردها على أدبارها **﴿أو نلعنهم﴾** أو نخزي أصحاب الوجوه بالمسخ. **﴿كما لعنا أصحاب السبت﴾** مسخناهم قردة وخنازير ووقوع الوعيد مشروط بالإيمان ومعلق به وجوداً وعدماً بمعنى إن وجد منهم الإيمان لم يقع وإلا وقع وقد وجد الإيمان منهم حيث آمن ناس منهم فلم يقع الوعيد **﴿وكان أمر الله﴾** أي عذابه **﴿مفعولا﴾** كائناً لا محالة وهذا وعيد شديد لهم يعني: أنتم تعلمون أنه كان تهديد الله في الأمم السالفة واقعاً لا محالة فكونوا على حذر من هذا الوعيد وارجعوا عن الكفر إلى الإيمان والإقرار بالتوبة والاستغفار.

اعلم أن المسخ قد وقع في هذه الأمة أيضاً، ومنه ما روي عن أبي علقمة أنه قال: كنت في قافلة عظيمة فأمرنا رجلاً نرتحل بأمره وننزل بأمره فنزلنا منزلاً وهو يشتم أبا بكر وعمر فقلنا له في ذلك فلم يجب إلينا بشيء فلما أصبحنا وأوقرنا وأصلحنا الراحلة لم يناد مناديه فجئناه ننظر ما حاله وما يصنع فإذا هو متربع وقد غطى رجليه بكساء له فكشفنا عنهما فإذا هو قد صار رجلاه كرجلي الخنازير فهيأنا راحلته وحملناه إليها فوثب من راحلته وقام برجليه وصاح ثلاث مرات صيحة الخنازير واختلط بالخنازير وصار خنزيراً حتى لا يعرفه منا أحد كذا في «روضة العلماء».

ـ روي ـ أن واحداً من رواة الأحاديث تحول رأسه رأس حمار لإنكار وقوع مضمون

حديث صحيح ورد في حق المقتدي بالإمام الرافع رأسه قبله أو واضعه وحاصل الحديث: «أن من رفع رأسه قبل الإمام أو وضعه كيف لا يخاف من أن يصير رأسه رأس حمار»، فوقع فيما وقع وهذا هو مسخ الصورة ومسخ المعنى أشد وأصعب منه فإن أعمى الصورة مثلاً يمكن أن يكون في الآخرة بصيراً ولكن من كان في هذه أعمى يعني بالقلب فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً وفضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة. فعلى السالك أن يجتهد حتى لا يرد وجهه الناطق إلى الله تعالى على الدنيا واتباع الهوى ولا يمسخ صفاته الإنسانية بالسبعية والشيطانية، قال الشيخ السعدي:

باتو ترسم نشود شاهد روحاني دوست كالتماس توبجز عالم جسماني نيست
سعى كن تاز مقام حيوان در كذرى كاهنست آينه ما دامكه نوراني نيست
خفتكانرا چه خبر زمزمه مرغ سحر حيوانرا خبر از عالم انساني نيست

قال الإمام في تفسير الآية وتحقيق القول فيها إن الإنسان في مبدأ خلقته ألف هذا العالم المحسوس ثم إنه عند الفكر والعبودية كأنه يسافر من عالم المحسوسات إلى عالم المعقولات فقدامه عالم المعقولات ووراءه عالم المحسوسات فالمخذول هو الذي يرد من قدامه إلى خلفه كما قال تعالى في وصفهم ﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ [السجدة: ١٢] انتهى فنعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الشر بعد الخير، عن عبد الله بن أحمد المؤذن قال: كنت أطوف حول البيت وإذا أنا برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم أخرجني من الدنيا مسلماً لا يزيد على ذلك شيئاً فقلت له: لم لا تزيد على هذا الدعاء فقال: لو علمت قصتي كنت تعذرني فقلت: وما قصتك؟ قال: كان لي أخوان وكان الأكبر منهما مؤذناً أذن أربعين سنة احتساباً فلما حضره الموت دعا بالمصحف فظننا أن يتبرك به فأخذه بيده وأشهد على نفسه من حضر أنه بريء مما فيه ثم تحول إلى دين النصرانية فمات نصرانياً فلما دفن أذن الآخر ثلاثين سنة فلمّا حضره الموت فعل كما فعل الآخر فمات على النصرانية وإني أخاف على نفسي أن أصير مثلهما فأدعو الله تعالى أن يحفظ عليّ ديني فقلت: ما كان ديدنهما؟ فقال: كانا يتتبعان عورات النساء وينظران إلى المردان فهذا من آثار الرد واللعن والمسخ فنسأل الله تعالى أن يوفقنا لتزكية النفس وإصلاحها ويختم عاقبتنا بالخير.

خدايا بحب بني فاطمة كه بر قول ايمان كنم خاتمه

﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ أي: لا يغفر الكفر ممن اتصف به بلا توبة وإيمان لأن الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا إيمان مما يؤدي إلى فتحه ولأن ظلمات الكفر والمعاصي إنما يسترها نور الإيمان فمن لم يكن له إيمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي **﴿ويغفر ما دون ذلك﴾** أي: ويغفر ما دون الشرك في القبح من المعاصي صغيرة كانت أو كبيرة تفضلاً من لدنه وإحساناً من غير توبة عنها لكن لا لكل أحد بل **﴿لمن يشاء﴾** أن يغفر له ممن اتصف به فقط أي: لا بما فوقه. قال شيخنا السيد الثاني سمي جامع القرآن: وهم المؤمنون الذين اتقوا من الإشراك بالله تعالى فيغفر لهم ما دون الإشراك من الصغائر والكبائر لعدم إشراكهم به ولا يغفر للمشركين ما دون الإشراك أيضاً لإشراكهم به فكما أن إشراكهم لا يغفر فكذلك ما دون إشراكهم لا يغفر بخلاف المؤمنين فإنه تعالى كما وقاهم من عذاب الإشراك بحفظهم عنه كذلك وقاهم من عذاب ما دونه بمغفرته لهم **﴿ومن يشرك بالله**

فقد افترى إثماً عظيماً﴾ أي: من افترى واختلق مرتكباً إثماً لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعاً. وهذه الآية من أجل الآيات التي كانت خيراً لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وما غربت وأعظمها لأنها تؤذن بأن ما دون الشرك من الذنب مغفور بحسب المشيئة والوعد المعلق بالمشيئة من الكريم محقق الإنجاز خصوصاً لعباده الموحدين المخلصين من المحمديين كما قال لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣].

ـ روي ـ أن وحشياً قاتل حمزة عم النبي عليه السلام كتب إلى رسول الله ﷺ إني أريد أن أسلم ولكن يمنعني من الإسلام آية في القرآن نزلت عليك وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ﴾ [الفرقان: ٦٨] وإني قد فعلت هذه الأشياء الثلاثة فهل لي من توبة؟ فنزلت هذه الآية ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ [الفرقان: ٧٠] فكتب أن في الآية شرطاً وهو العمل الصالح فلا أدري أنا أقدر على العمل الصالح أم لا؟ فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] فكتب بذلك إلى وحشي فكتب إليه أن في الآية شرطاً فلا أدري أيشاء أن يغفر لي أم لا فنزل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣] فكتب إلى وحشي فلم يجد الشرط فقدم المدينة وأسلم قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يشرك بالله شيئاً دخل الجنة» ورأى أبو العباس شريح في مرض موته كأن القيامة قد قامت وإذا الجبار سبحانه وتعالى يقول: أين العلماء؟ فجاؤوا فقال: ماذا عملتم فيما علمتم فقلنا: يا رب قصرنا وأسأنا فأعاد السؤال فكأنه لم يرض به وأراد جواباً آخر فقلت: أما أنا فليس في صحيفتي شرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه فقال الله تعالى اذهبوا فقد غفرت لكم ومات شريح بعده بثلاث ليال وهذا من حسن الظن بالله تعالى.

كنونت كه چشمست اشكى ببار ... زبان در دهانست عذرى بيار
كنون بايدت عذر تقصير كفت ... نه چون نفس ناطق زكفتن بخفت
غنيمت شمار اين كرامى نفس ... كه بي مرغ قيمت ندارد قفس

واعلم أن للشرك مراتب وللمغفرة مراتب. فمراتب الشرك ثلاث: الجلي والخفي والأخفى. وكذلك مراتب المغفرة. فالشرك الجلي بالأعيان وهو للعوام وذلك بأن يعبد شيء من دون الله تعالى كالأصنام والكواكب وغيرها فلا يغفر إلا بالتوحيد وهو إظهار العبودية في إثبات الربوبية مصدقاً بالسر والعلانية. والشرك الخفي بالأوصاف وهو للخواص وذلك شوب العبودية بالالتفات إلى غير الربوبية في العبادة كالدنيا والهوى وما سوى المولى فلا يغفر إلا بالوحدانية وهي إفراد الواحد للواحد بالواحد. والشرك الأخفى وهو للأخص وذلك رؤية الأغيار والأنانية فلا يغفر إلا بالوحدة وهي فناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية ليبقى بالهوية دون الأنانية فإن الله لا يغفر بمراتب المغفرة أن يشرك به بمراتب الشرك ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء أي لمن يشاء المغفرة فيستغفر الله تعالى من مراتب الشرك فيغفر له بمراتب المغفرة ومن يشرك بالله بمراتب الشرك فقد افترى إثماً عظيماً أي جعل بينه وبين الله حجاباً من إثبات وجود الأشياء وأنانيته وهي أعظم الحجب كما قيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب:

نيستى جولانكه أهل دلست ... شاهراه عاشقان كاملست

چون وجودت محو كردى ازميان ... نور وحدت چشم دل را شد عيان
شرك رهزن باشد اي دل در طريق ... ذكر توحيد خدارا كن رفيق

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم﴾ خطاب للنبي عليه السلام على وجه التعجيب أي: ألم تنظر إلى اليهود الذين يطهرون نفوسهم من الذنوب وألسنتهم ولم يزكوها حقيقة بقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه وبقولهم: نحن كالأولاد الصغار فهل عليهم ذنب أي: انظر إليهم وتعجب من حالهم وادعائهم أنهم أزكياء عند الله مع ما هم عليه من الكفر والإثم العظيم واللفظ عام يشتمل كل من زكى نفسه ووصفها بزيادة التقوى والطاعة والزلفى عند الله ففيه تحذير من إعجاب المرء بعمله ﴿بل الله﴾ يعني هم لا يزكونها في الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله ﴿يزكي من يشاء﴾ تزكيته ممن يستأهلها من المرتضين من عباده المؤمنين فإنه العالم بما ينطوي عليه الإنسان من حسن وقبيح وقد وصفهم بما هم متصفون به من القبائح ﴿ولا يظلمون﴾ أي يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب ﴿فتيلا﴾ أي: أدنى ظلم وأصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة والظلم في حق المعاقب الزيادة على حقه وفي حق المثاب النقصان منه ﴿انظر كيف﴾ أي: في أي حال أو على أي حال ﴿يفترون على الله الكذب﴾ في زعمهم أنهم أبناء الله وأزكياء عنده والتصريح بالكذب مع أن الافتراء لا يكون إلا كذباً للمبالغة في تقبيح حالهم ﴿وكفى به﴾ بافترائهم هذا من حيث هو افتراء عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية أنفسهم وسائر آثامهم العظام. ﴿إثماً مبيناً﴾ ظاهراً بيناً كونه إثماً والمعنى كفى بذلك وحده في كونهم أشد إثماً من كل كافر أثيم ولو لم يكن لهم من الذنوب إلا هذا الافتراء لكان إثماً عظيماً ونصب إثماً مبيناً على التمييز. قال الإمام أبو منصور رحمه الله: قول الرجل أنا مؤمن ليس بتزكية النفس بل إخبار عن شيء أكرم به وإنما التزكية أن يرى نفسه تقياً صالحاً ويمدح به. قال السري قدس سره: من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله تعالى. فيجب على العبد المؤمن أن يمتنع عن مدح نفسه ألا يرى إلى قوله عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم» كيف عقبه بقوله: «ولا فخر» أي: لست أقول هذا تفاخراً كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم لأن افتخاره عليه السلام كان بالله وتقربه من الله لا بكونه مقدماً على أولاد آدم كما أن المقبول عند الملك قبولاً عظيماً إنما يكون بقبوله إياه وبه يفرح لا بتقديمه على بعض رعاياه:

اكر مردى ازمردىء خود مكوى ... نه هر شهسوارى بدر برد كوى
كنهكار انديشناك از خدا ... بسى بهتر از عابد خود نما
اكر مشك خالص ندارى مكوى ... وكرهست خود فاش كردد ببوى

ونعم ما قيل:

جوز خالى درميان جوزها ... مى نمايد خويشتن را از صدا

والإشارة في الآيتين أن الذين يزكون أنفسهم من أهل العلوم الظاهرة بالعلم ويباهون به العلماء ويمارون به السفهاء لا تزكى أنفسهم بمجرد تعلم العلم بل تزيد صفاتهم المذمومة مثل

المباهاة والمماراة والمجادلة والمفاخرة والكبر والعجب والحسد والرياء وحب الجاه والرياسة وطلب الاستيلاء والغلبة على الأقران والأمثال ﴿**بل الله يزكي من يشاء**﴾ التزكية ويتهيأ لها بتسليم النفس إلى أرباب التزكية وهم العلماء الراسخون والمشايخ المحققون كما يسلم الجلد إلى الدباغ ليجعله أديماً فمن يسلم نفسه للتزكية إلى المزكي ويصبر على تصرفاته كالميت في يد الغسال ويصغ إلى إشاراته ولا يعترض على معاملاته ويقاس شدائد أعمال التزكية فقد أفلح بما تزكى والمزكي هو النبي عليه السلام في أيام حياته كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الجمعة: ٢] الآية وبعدهم العلماء الذين أخذوا التزكية ممن أخذوا منه قرناً بعد قرن من الصحابة والذين اتبعوهم بإحسان إلى يومنا هذا ولعمري إنهم في هذا الزمان أعز من الكبريت الأحمر، قال الشيخ الحسيني:

در طريقت رهبر دانا كزين ... زانكه ره دورست ورهزن در كمين
رهبرى بايد بمعنى سر بلند ... از شريعت وز طريقت بهره مند
أصل وفرع وجزء وكل آموخته ... شمع از نور علم افروخته
ظاهرش از علم كسبي باخدا ... باطنش ميراث دار مصطفا
هركه از دست عنايت بر كرفت ... روز أول دامن رهبر كرفت
هركه در زندان خود رأيى فتاد ... بند اورا سالها نتوان كشاد
اي سليم القلب دشوارست كار ... تانپندارى كه پندارست كار

فعلى السالك أن يتمسك بذيل المرشد ويتشبث به إلى الوقوف على علم التوحيد ثم الفناء عن نفسه لأن مجرد العرفان غير منج ما لم يحصل التحقيق بحقيقة الحال ولذا قال عليه السلام: «شر الناس من قامت عليه القيامة وهو حي» أي: وقف على علم التوحيد ونفسه لم تمت بالفناء حتى يحيى بالله فإنه حينئذٍ زنديق قائل بالإباحة في الأشياء عصمنا الله وإياكم من المعاصي والفحشاء.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿**ألم تر إلى الذين**﴾ إلى اليهود الذين ﴿**أوتوا نصيباً من الكتاب**﴾ حظاً من علم التوراة أي: انظر يا محمد وتعجب من حالهم فكأنه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر إليهم فقيل: ﴿**يؤمنون بالجبت**﴾ في الأصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله ﴿**والطاغوت**﴾ الشيطان ويطلق لكل باطل من معبود أو غيره.

- روي - أن حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديين خرجا إلى مكة في سبعين راكباً من اليهود ليخالفوا قريشاً على محاربة رسول الله ﷺ وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه عليه السلام فقالوا: أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا فهذا إيمانهم بالجبت والطاغوت لأنهم سجدوا للأصنام

وأطاعوا إبليس فيما فعلوا وقال أبو سفيان لكعب: إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فأينا أهدى طريقاً نحن أم محمد؟ فقال: ماذا يقول محمد؟ قال: يأمر بعبادة الله تعالى وحده وينهى عن الشرك قال: وما دينكم؟ قالوا: نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا أفعالهم قال: أنتم أهدى سبيلاً وذلك قوله تعالى: ﴿**ويقولون للذين كفروا**﴾ أي: لأجلهم وفي حقهم ﴿**هؤلاء**﴾ إشارة إلى الذين كفروا ﴿**أهدى من الذين آمنوا سبيلا**﴾ أي أقوم ديناً وأرشد طريقة ﴿**أولئك**﴾ إشارة إلى القائلين ﴿**الذين لعنهم الله**﴾ أي أبعدهم عن رحمته وطردهم ﴿**ومن يلعن الله**﴾ أي: يبعده عن رحمته تعالى: ﴿**فلن تجد له نصيراً**﴾ يدفع عنه العذاب دنيوياً كان أو أخروياً لا بشفاعة ولا بغيرها. وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش ﴿**أم لهم نصيب من الملك**﴾ أم منقطعة ومعنى الهمزة إنكار أن يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من أن ملك الدنيا سيصير إليهم ﴿**فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً**﴾ أي لو كان لهم نصيب من الملك فإذن لا يؤتون أحداً مقدار نقير وهو النقرة في ظهر النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كل حالهم فإنهم إذا بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم إذا كانوا أذلاء متفاقدين ﴿**أم يحسدون**﴾ منقطعة أيضاً ﴿**الناس**﴾ بل أيحسدون رسول الله ﷺ وأصحابه ﴿**على ما آتاهم الله من فضله**﴾ يعني: النبوة والكتاب وازدياد العز والنصر يوماً فيوماً ﴿**فقد آتينا**﴾ يعني أن حسدهم المذكور في غاية القبح والبطلان فإنا قد آتينا من قبل هذا ﴿**آل إبراهيم**﴾ الذين هم أسلاف محمد ﷺ وأبناء أعمامه ﴿**الكتاب**﴾ المنزل من السماء ﴿**والحكمة**﴾ أي: النبوة والعلم ﴿**وآتيناهم**﴾ مع ذلك ﴿**ملكا عظيماً**﴾ لا يقادر قدره فكيف يستبعدون نبوته ﷺ ويحسدونه على إيتائها قال ابن عباس رضي الله عنهما: الملك في آل إبراهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام ﴿**فمنهم**﴾ من اليهود ﴿**من آمن به**﴾ بمحمد عليه السلام ﴿**ومنهم من صد عنه**﴾ أي أعرض عنه ولم يؤمن به ﴿**وكفى بجهنم سعيرا**﴾ ناراً مسعورة أي موقدة يعذبون بها أي: إن لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما أعد لهم من سعير جهنم.

واعلم أن الله تعالى وصف اليهود في الآية المتقدمة بالجهل الشديد وهو اعتقادهم أن عبادة الأوثان أفضل من عبادة الله تعالى ثم وصفهم بالبخل والحسد. فالبخل هو أن لا يدفع إلى أحد شيئاً مما آتاه الله من النعمة. والحسد هو أن يتمنى أن لا يعطي الله غيره شيئاً من النعم فالبخل والحسد يشتركان في من يريد منع النعمة عن الغير. فأما البخيل فيمنع نعمة نفسه عن غيره. وأما الحاسد فيريد أن يمنع نعمة الله عن عباده فهما شر الرذائل وسببهما الجهل. أما البخل فلأن بذل المال سبب لطهارة النفس ولحصول سعادة الآخرة وحبس المال سبب لحصول مال الدنيا في يده فالبخل يدعوك إلى الدنيا ويمنعك عن الآخرة والجود يدعوك إلى الآخرة ويمنعك عن الدنيا ولا شك أن ترجيح الدنيا على الآخرة لا يكون إلا من محض الجهل. وأما الحسد فلأن الآلهية عبارة عن إيصال النعم والإحسان إلى العبيد فمن كره ذلك فكأنه أراد عزل الإله عن الإلهية وذلك محض الجهل ثم إن الحسد لا يحصل إلا عند الفضيلة فكلما كانت فضيلة الإنسان أتم وأكمل كان حسد الحاسدين عليه أعظم، قال السعدي قدس سره:

شور بختان بآرزو خواهد مقبلا نرا زوال نعمت وجاه

كرنبيند بروز شبپره چشم چشمه آفتابرا چه كناه
راست خواهى هزار چشم چنان كور بهتركه آفتاب سياه

ولا يسود الحسود والبخيل في جميع الزمان ألا ترى أن الله تعالى جعل بخل اليهود كالمانع من حصول الملك لهم فهما لا يجتمعان وذلك لأن الانقياد للغير أمر مكروه لذاته والإنسان لا يتحمل المكروه إلا إذا وجد في مقابلته أمراً مطلوباً مرغوباً فيه وجهات الحاجات محيطة بالناس فإذا صدر من إنسان إحسان إلى غيره صارت رغبة المحسن إليه في ذلك المال سبباً لصيرورته منقاداً مطيعاً له فلهذا قيل بالبر يستعبد الحر فأما إذا لم يوجد هذا بقيت النفرة الطبيعية عن الانقياد للغير خالصاً من المعارض فلا يحصل الانقياد ألبتة، قال السعدي:

خورش ده بكنجشك وكبك وحمام كه يك روزت افتنده يابى بدام
زر ازبهر خوردن بود اي پسر زبهر نهادن چه سنك وچه زر

وقد شبه بعض الحكماء ابن آدم في حرصه على الجمع ووخامة عاقبته بدود القز الذي يكاد ينسج على نفسه بجهله حتى لا يكون له مخلص فيقتل نفسه... ويصير القز لغيره فاللائق بشأن المؤمن القناعة بما رزقه الودود وترك الحرص والبذل من الموجود. وقيل: لما عرج النبي عليه السلام اطلع على النار فرأى حظيرة فيها رجل لا تمسه النار فقال عليه السلام: «ما بال هذا الرجل في هذه الحظيرة لا تمسه النار» فقال جبريل عليه السلام: هذا حاتم طي صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده فالجود صارف عن المرء عذاب الدنيا والعقبى وباعث لوصول الملك في الأولى والأخرى. ثم إن الملك على ثلاثة أقسام: ملك على الظواهر فقط وهذا هو ملك الملوك، وملك على البواطن فقط فهذا هو ملك العلماء، وملك على الظواهر والبواطن معاً وهذا هو ملك الأنبياء عليهم السلام فإذا كان الجود من لوازم الملك وجب في الأنبياء أن يكونوا في غاية الجود والكرم والرحمة والشفقة ليصير كل واحد من هذه الأخلاق سبباً لانقياد الخلق لهم وامتثالهم لأوامرهم وكمال هذه الصفات كان حاصلاً لمحمد عليه السلام.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾

﴿إن الذين كفروا بآياتنا﴾ القرآن وسائر المعجزات **﴿سوف﴾** كلمة تذكر للتهديد والوعيد يقال: سوف أفعل وتذكر للوعد أيضاً فتفيد التأكيد **﴿نصليهم نارا﴾** ندخلهم ناراً عظيمة هائلة.

﴿كلما نضجت جلودهم﴾ أي احترقت **﴿بدلناهم جلودا غيرها﴾** غير يذكر ويراد به الضد تقول الليل غير النهار وأيضاً يقال للمثل المتبدل تقول للماء الحار إذا برد هذا غيره وهو المراد هنا أي أعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلداً جديداً مغايراً للمحترق صورة وإن كان عينه مادة. والحاصل أنه يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى كقولك صغت من خاتمي خاتماً غيره فالخاتم الثاني هو الأول وإنما الصياغة اختلفت. فإن قلت الجلود العاصية إذا احترقت فلو خلق الله تعالى مكانها جلوداً أخرى وعذبها كان ذلك تعذيباً لمن لم يعص وهو

غير جائز. قلت: العذاب للجلدة الحساسة وهي التي عصت لا للجلد مطلقاً والذات واحدة فالعذاب لم يصل إلا إلى العاصي **﴿ليذوقوا العذاب﴾** أي ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله أي أدامك على عزك وزادك فيه. قال الحسن: تأكلهم النار في كل يوم سبعين مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا.

ـ وروي ـ مرفوعاً أن جلد الكافر أربعون ذراعاً وضرسه مثل أحد وشفته العليا تضرب سرته وبين لحمه وجلده ديدان كحمر الوحش تركض بين جلده ولحمه وحيات كأعناق البخت وعقارب كالبغال وهذا ليس بزيادة تخلق وتعذب من غير معصية لكن إذا زيد ذلك ثقلة على العبد ويكون نفس الثقل عقوبة عليه كسائر عقوبات جهنم من السلاسل والأغلال والعقارب والحيات. فإن قلت: إنما يقال فلان ذاق العذاب إذا أدرك شيئاً قليلاً منه والله تعالى قد وصف أنهم كانوا في أشد العذاب فكيف يحسن أن يذكر بعد ذلك أنهم ذاقوا العذاب؟ قلت: المقصود من ذكر الذوق الإخبار بأن إحساسهم بالعذاب في كل مرة كإحساس الذائق بالمذوق من حيث إنه لا يدخله نقصان ولا زوال بسبب ذلك الاحتراق ودوام الملابسة ولعل السر في تبديل الجلود مع قدرته تعالى على بقاء إدراك العذاب وذوقه بحاله مع الاحتراق أو مع إبقاء أبدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق أن النفس ربما تتوهم زوال الإدراك بالاحتراق **﴿إن الله كان عزيزا﴾** لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين **﴿حكيماً﴾** يعاقب من يعاقب على حكمته.

اعلم أن هذا العذاب والتبديل الذي في الآخرة كان حاصلاً له في الدنيا ولكن لم يكن يذوقه كالنائم يجرح نفسه بحديدة في يده فتكون الجراحة حاصلة له في الدنيا ولكن لم يذق ألمها حتى ينتبه فالناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا. فعلى العبد أن يعمل على وفق الشرع وخلاف النفس والهوى حتى يجعل الله تعالى بإكسير الشرع نحاس الصفات الظلمانية النفسانية قضية الصفات النورانية الروحانية فإذا تخلص في الدنيا من شوب المعصية بإصلاح النفس والجريان على وفق الشرع لم يحتج في الآخرة إلى التهذيب والتنقيح بالنار.

ـ روي ـ أن أصحاب الكبائر من موحدي الأمم كلها الذين ماتوا على كبائرهم غير تائبين ولا نادمين منهم من دخل النار في الباب الأول في جهنم حتى لا تزرق أعينهم ولا تسود وجوههم ولا يقرنون مع الشياطين ولا يغلون بالسلاسل ولا يجرعون الحميم ولا يلبسون القطران في النار حرم الله تعالى أجسادهم ووجوههم على النار من أجل السجود فمنهم من تأخذه النار إلى قدميه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى عنقه قدر ذنوبهم وأعمالهم ثم إن منهم من يمكث فيها شهراً ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها وأطولهم فيها مكثاً كقدر الدنيا منذ خلقت إلى يوم تفنى. وكان ابن السماك يقول فيما يعاتب نفسه يا نفس تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين وفي الجنة تطمعين أن تدخلين هيهات هيهات إن للجنة قوماً آخرين ولها أعمال غير ما تعملين ويحك أخذت بزي كسرى وقيصر والفراعنة وتريدين أن ترافقي رسول الله ﷺ في دار الجلال فأعرض نفسك على كتاب الله فيما وصف أولياءه وأعداءه فانظر من أي الصنفين أنت؟!

برادر زكار بدان شرم دار   كه در روي نيكان شوى شرمسار
نريزد خدا آب روى كسى   كه ريزد كناه آب چشمش بسى

وذُكِر عن يزيد بن مرثد: أنه كان لا تنقطع دموع عينيه ساعة ولا يزال باكياً فسئل عن

ذلك فقال: لو أن الله تعالى أوعدني بأني لو أذنبت لحبسني في الحمام أبداً لكان حقيقاً عليّ أن لا تنقطع دموعي فكيف وقد أوعدني أن يحبسني في نار أوقد عليها ثلاثة آلاف سنة أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء كالليل المظلم، قال أبو هريرة رضي الله عنه لا تغبطن فاجراً بنعمته فإن وراءه طالباً حثيثاً وهي جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً، قال الحافظ قدس سره:

قلندران حقيقت به نيم جو نخرند ... قباي اطلس آنكس كه ازهنر عاريست

قال رسول الله ﷺ: «من كانت همته الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت همته الدنيا فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له»، قال السعدي قدس سره:

آنكس ازدزد بپرسد كه متاعي دارد ... عارفان جمع نكردند وپريشانى نيست

هر كرا خيمه بصحراى قناعت زده اند ... كرجهان لرزه بكيرد غم ويرانى نيست

﴿والذين آمنوا﴾ بالله وبمحمد والقرآن وسائر الآيات والمعجزات **﴿وعملوا الصالحات﴾** التي أمر الله بها **﴿سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً﴾** أي: مقيمين فيها لا يخرجون منها ولا يموتون **﴿لهم فيها أزواج مطهرة﴾** أي مما نساء الدنيا عليه من الأحوال المستقذرة البدنية والادناس الطبيعية كالحيض والنفاس والحقد والحسد وغير ذلك **﴿وندخلهم ظلاً ظليلاً﴾** فينانا لا جوب فيه ودائماً لا تنسخه الشمس أي لا تزيله وسجسجا وهو من الزمان ما لا حر فيه ولا برد ومن المكان ما لا سهولة فيه ولا حزونة. والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال: ليل أليل ويوم أيوم وما أشبه ذلك. فإن قلت: إذا لم يكن في الجنة شمس تؤذي بحرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل؟ وأيضاً يرى في الدنيا أن المواضع التي يدوم الظل فيها ولا يصل نور الشمس إليها يكون هواؤها عفناً فاسداً مؤذياً فما معنى وصف هواء الجنة بذلك؟ قلت: إن بلاد العرب كانت في غاية الحرارة فكان الظل عندهم من أعظم أسباب الراحة وهذا المعنى جعلوه كناية عن الراحة قال عليه السلام: «السلطان ظل الله في الأرض» فإذا كان الظل عبارة عن الراحة كان الظل الظليل كناية عن المبالغة العظيمة في الراحة. قال الإمام في تفسيره: هذا ما يميل إليه خاطري قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة ما يقطعها اقرأوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ [الواقعة: ٣٠] و في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرأوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] فموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرأوا إن شئتم ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥] قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة شباب جعد جرد مرد ليس لهم شعر إلا في الرأس والحاجبين واشفار العينين» يعني: ليس لهم شعر عانة ولا شعر من الإبط «على طول آدم عليه السلام ستون ذراعاً وعلى مولد عيسى عليه السلام ثلاث وثلاثون سنة بيض الألوان خضر الثياب يوضع لأحدهم مائدة بين يديه فيقبل الطائر فيقول: يا ولي الله أما إني قد شربت من عين السلسبيل ورعيت من رياض الجنة تحت العرش وأكلت من ثمار كذا فاطعم مني فيطعم فيكون أحد جانبيه مطبوخاً والآخر مشوياً فيأكل منهما ما شاء الله وعليه سبعون حلة ليس فيها حلة على لون آخر». قال الفقيه أبو الليث: من أراد أن ينال هذه الكرامة فعليه أن يداوم على خمسة أشياء:

الأول: أن يمنع نفسه من جميع المعاصي.

ونهى النفس بفرمود الله بايدت ترك هواي ترك كناه

والثاني: أن يرضى باليسير من الدنيا لأن ثمن الجنة ترك الدنيا.

اين زن زانية شوى كش دنيارا كر على وار طلاقش ندهم نامردم

والثالث: أن يكون حريصاً على الطاعات فيتعلق بكل طاعة فلعل تلك الطاعة تكون سبب المغفرة ودخول الجنة.

عمل بايد اندر طريقت نه دم كه سودى ندارد دم بي قدم

والرابع: أن يحب الصالحين وأهل الخير ويخالطهم ويجالسهم:

نخست موعظه پير مجلس اين حرفست كه از مصاحب ناجنس احتراز كنيد

فلزم أن يكون مصاحب الإنسان أهل خير لأن الصحبة مؤثرة وأن واحداً من الصلحاء إذا غفر الله له يشفع لإخوانه وأصحابه.

اميدست ازانان كه طاعت كنند كه بي طاعتا نرا شفاعت كنند

والخامس: أن يكثر الدعاء ويسأل الله تعالى أن يرزقه الجنة وأن يجعل خاتمته في الخير.

غنيمت شمارند مردان دعا كه جوشن بود پيش تير بلا

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾

﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ نزلت في عثمان بن عبد الدار الحجبي وكان سادن الكعبة وذلك أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح إليه وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فلوى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يده وأخذه منه وفتح ودخل رسول الله ﷺ وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت، فأمر علياً أن يرده إلى عثمان ويعتذر إليه فقال عثمان لعلي: أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال: لقد أنزل الله تعالى في شأنك قرآناً وقرأ عليه فقال عثمان: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهبط جبريل فأخبر رسول الله ﷺ أن السدانة في أولاد عثمان أبداً، ثم إن عثمان هاجر ودفع المفتاح إلى ابنه شيبة فهو في ولده إلى اليوم **﴿وإذا حكمتم﴾** أي: ويأمركم إذا قضيتم **﴿بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾** والإنصاف والتسوية **﴿إن الله نعما يعظكم به﴾** أي نعم شيئاً ينصحكم به تأدية الأمانة والحكم بالعدل فما نكرة بمعنى شيء ويعظكم به صفته والمخصوص بالمدح محذوف **﴿إن الله كان سميعاً﴾** لما يقوله الخزنة **﴿بصيراً﴾** بما تعمله الأمناء أي اعملوا بأمر الله ووعظه فإنه أعلم بالمسموعات والمبصرات يجازيكم على ما يصدر منكم.

اعلم أن الأمانة عبارة عما إذا وجب لغيرك عليك حق فأديت ذلك الحق إليه. والحكم بالحق عبارة عما إذا وجب للإنسان على غيره حق فأمرت من وجب عليه ذلك الحق بأن يدفع إلى من له ذلك الحق ولما كان الترتيب الصحيح أن يبذل الإنسان نفسه في جلب المنافع ودفع المضار ثم يشتغل بحال غيره لا جرم أنه تعالى ذكر الأمر بالأمانة أولاً ثم بعده ذكر الأمر بالحكم بالحق ونزول هذه الآية عند القصة المذكورة لا يوجب كونها مخصوصة بهذه القصة بل يدخل فيه جميع أنواع الأمانات.

فاعلم أن معاملة الإنسان إما أن تكون مع ربه أو مع سائر العباد أو مع نفسه ولا بد من رعاية الأمانة في جميع هذه الأقسام الثلاثة. أما رعاية الأمانة مع الرب فهي فعل المأمورات وترك المنهيات وهذا بحر لا ساحل له قال ابن مسعود: الأمانة في كل شيء لازمة في الوضوء والجنابة والصلاة والزكاة والصوم وغير ذلك. مثلاً إن أمانة اللسان أن لا يستعمله في الكذب والغيبة والنميمة والكفر والبدعة والفحش وغيرها. وأمانة العينين أن لا يستعملها في النظر إلى الحرام. وأمانة السمع أن لا يستعمله في سماع الملاهي والمناهي واستماع الفحش والأكاذيب وغيرها وكذا القول في جميع الأعضاء، قال السعدي قدس سره:

زبـان ازبـهـر شـكـر وسـپـاش بـغـيـبـت نـكـردانـدش حـق شـنـاس
كـذركـاه قـرآن وبـنـدسـت كـوش بـه بـهـتـان وبـاطـل شـنـيـدن مـكـوش
دوچشم ازپى صنع بارى نكوست نـه عـيـب بـرادر بـود كـيـردوسـت

وأما القسم الثاني: وهو رعاية الأمانة مع سائر الخلق فيدخل فيه رد الودائع ويدخل فيه ترك التطفيف في الكيل والوزن ويدخل فيه أن لا يفشى على الناس عيوبهم ويدخل فيه عدل الأمراء مع رعيتهم وعد العلماء مع العوام بأن يرشدوهم إلى اعتقادات وأعمال تنفعهم في دنياهم وأخراهم ويدخل فيه أمانة الزوجة للزوج في حفظ فرجها وفي أن لا تلحق بالزوج ولداً تولد من غيره وفي إخبارها عن انقضاء عدتها. وأما القسم الثالث وهو أمانة الإنسان مع نفسه وهو أن لا يفعل إلا ما هو الأنفع والأصلح له في الدين والدنيا وأن لا يقدم بسبب الشهوة والغضب على ما يضره في الآخرة ولهذا قال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» قال عليه السلام: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له» فعلى العبد المؤمن أن يؤدي الأمانات كلها ما استطاع ويتعظ بمواعظ الحق في كل زمان فإن الوعظ نافع جداً.

امـروز قـدر پـنـد عـزيـزان شـنـاخـتـم يـا رب روان نـاصـح مـا ازتـوشـاد بـاد

قاله الحافظ، وقال في موضع:

پند حكيم محض صوابست ومحض خير فروخنده بخت آنكه بسمع رضا شنيد

ثم إن من كان حاكماً وجب عليه أن يحكم بالعدل ويؤدي الأمانات إلى أهلها. قال الحسن: إن الله أخذ على الحكام ثلاثاً: أن لا يتبعوا الهوى، وأن يخشوه ولا يخشوا الناس، وأن لا يشتروا بآياته ثمناً قليلاً، قال ﷺ: «ينادي منادٍ يوم القيامة أين الظلمة وأين أعوان الظلمة فيجمعون كلهم حتى من برى لهم قلماً أو لاق لهم دواة فيجمعون ويلقون في النار»، قال السعدي قدس سره:

جـهـان نـمـانـد وآثـار مـعـدلـت مـانـد بخير كوش وصلاح وبعدل كوش وكرم
كـه مـلـك ودولـت ضـحـاك مردمان آزار نـمـانـد وتـا بـقـيـامـت بـرو بـمـانـد رقـم

قال عليه السلام: «من دل سلطاناً على الجور كان مع هامان وكان هو والسلطان من أشد أهل النار عذاباً» فمقتضى الإيمان هو العدل والسببية للصلاح ونظام العالم وإجراء الشرع والاحتراز عن الرشوة فإن من أخذها لا يسامح في الشرع. وغضب الاسكندر يوماً على بعض شعرائه فأقضاه وفرق ماله في أصحابه فقيل له في ذلك فقال: أما إقضائي له فلجرمه وأما تفريقي ماله في أصحابه فلئلا يشفعوا فيه فانظر كيف كان أخذ المال سبباً لعدم الشفاعة لأنهم لو استشفعوا في حقه فشفعوا لزم الاسترداد فلما طعموا تركوا الشفاعة.

ازتوكر انصاف آيد در وجود به كه عمرى در ركوع ودر سجود

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ وهم أمراء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدي بهم من المهتدين وأما أمراء الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله والرسول في وجوب الطاعة فإنهم اللصوص المتغلبة لأخذهم أموال الناس بالقهر والغلبة وإنما أفرد بالذكر طاعة الله ثم جمع طاعة الرسول مع طاعة أولي الأمر حيث قال تعالى: **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾** ولم يقل وأطيعوا أولي الأمر منكم تعليماً للأدب وهو أن لا يجمعوا في الذكر بين اسمه سبحانه وبين اسم غيره وأما إذا آل الأمر إلى المخلوقين فيجوز **﴿فإن تنازعتم في شيء﴾** أصل النزع الجذب لأن المتنازعين يجذب كل واحد منهما إلى غير جهة صاحبه أي إن اختلفتم أنتم وأولو الأمر منكم في أمر من أمور الدين **﴿فردوه إلى الله﴾** فارجعوا فيه إلى كتاب الله **﴿والرسول﴾** أي إلى سنته ﷺ. وتعلق أصحاب الظواهر بظاهر هذه الآية في أن الاجتهاد والقياس لا يجوز لأن الله تعالى أمر بالرجوع إلى الكتاب والسنة ولا يوجد في كل حادثة نص ظاهر فعلم أنه أمر بالنظر في مودوعاته والعمل على مدلولاته ومقتضياته ولكن الآية في الحقيقة دليل على حجة القياس كيف لا ورد المختلف فيه إلى المنصوص عليه إنما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعنى بالقياس ويؤيده الأمر به بعد الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ فإنه يدل على أن الأحكام ثلاثة: ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد إليهما بالقياس **﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾** فإن الإيمان بهما يوجب ذلك أما الإيمان بالله فظاهر وأما الإيمان باليوم الآخر فلما فيه من العقاب على المخالفة **﴿ذلك﴾** أي الرد إلى الكتاب والسنة **﴿خير﴾** لكم من التنازع وأصلح **﴿وأحسن﴾** في نفسه **﴿تأويلا﴾** أي عاقبة ومآلا. ودلت الآية على أن طاعة الأمراء واجبة إذا وافقوا الحق فإذا خالفوه فلا طاعة لهم قال ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» وقال ﷺ: «من عامل الناس فلم يظلمهم ومن حدثهم فلم يكذبهم ومن وعدهم فلم يخلفهم فهو من كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته» ولا بد للأمراء من خوف الله وخشيته بإجراء الشرائع والأحكام واتباع سنن النبي عليه السلام حتى يملأ الله قلوب الناظرين إليهم رعباً وهيبة فحينئذٍ لا يحتاجون إلى محافظة الصورة والهيئة الظاهرة.

- روي - أن كلب الروم أرسل إلى عمر رضي الله عنه هدايا من الثياب والجبة فلما دخل الرسول إلى المدينة قال: أين دار الخليفة وبناؤه فقيل ليس له دار عظيم كما توهمت إنما له بيت صغير فدلوه عليه فأتاه فوجد له بيتاً صغيراً حقيراً قد اسود بابه لطول الزمان فطلبه فلم يصادفه وقيل: إنه خرج إلى السوق لحاجته وحوائج المسلمين أي: للاحتساب فخرج الرسول إلى طلبه فوجده نائماً تحت ظل حائط قد توسد بالدرة فلما رآه قال عدلت فأمنت فنمت حيث شئت وأمراؤنا ظلموا فاحتاجوا إلى الحصون والجيوش، قال السعدي قدس سره:

پادشاهى كه طرح ظلم افكند پاى ديوار ملك خويش بكند

نكند جور پيشه سلطانى كه نيايد زكرك چوبانى

ومن كلام أردشير: الدين أساس الملك والعدل حارسه فما لم يكن له أس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع.

ـ وروي ـ أي أنوشروان كان له عامل على ناحية فكتب إليه يعلمه بجودة الربع ويستأذنه في الزيادة على الرسوم فأمسك عن إجابته فعاوده العامل في ذلك فكتب إليه قد كان في ترك إجابتك ما حسبتك تنزجر به عن تكليف ما لم تؤمر به فإذن قد أبيت إلا تمادياً في سوء الأدب فاقطع إحدى أذنيك واكفف عما ليس من شأنك فقطع العامل أذنه وسكت عن ذلك الأمر وبالجملة فالظلم عار وجزاؤه نار والاجتناب منه واجب على كل عاقل وإذا كان نية المؤمن العدل فليجانب أهل الظلم وليجتنب عن إطاعتهم فإن الإطاعة لأهل الحق لا لغيرهم قال عليه السلام: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير العادل فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني».

واعلم أن الولاة إنما يكونون على حسب أعمال الرعايا وأحوالهم صلاحاً وفساداً.

ـ روي ـ أنه قيل للحجاج بن يوسف: لِمَ لا تعدل مثل عمر وأنت قد أدركت خلافته أفلم تَرَ عدله وصلاحه؟ فقال في جوابهم: تباذروا أي: كونوا كأبي ذر في الزهد والتقوى أتعمر لكم أي أعاملكم معاملة عمر في العدل والإنصاف وفي الحديث «كما تكونون يولى عليكم أحدكم» يعني: إن تكونوا صالحين فيجعل وليكم رجلاً صالحاً وإن تكونوا طالحين فيجعل وليكم رجلاً طالحاً.

ـ وروي ـ أن موسى عليه السلام ناجى ربه فقال: يا رب ما علامة رضاك من سخطك فأوحى إليه [إذا استعملت على الناس خيارهم فهو علامة رضاي، وإذا استعملت شرارهم فهو علامة سخطي].

ثم اعلم بأن المراد بأولي الأمر في الحقيقة المشايخ الواصلون ومن بيده أمر التربية فإن أولي أمر المريد شيخه في التربية فينبغي للمريد في كل وارد حق يدق باب قلبه أو إشارة أو إلهام أو واقعة تنبيء عن أعمال أو أحوال في حقه أن يضرب على محك نظر شيخه فما يرى فيه الشيخ من المصالح ويشير إليه أو يحكم عليه يكون منقاداً لأوامره ونواهيه لأنه أولو أمره. وأما الشيخ فأولو أمره الكتاب والسنة فينبغي له أن ما سنح له من الغيب بوارد الحق من الكشوف والشواهد والأسرار والحقائق يضرب على محك الكتاب والسنة فما صدقاه ويحكمان عليه فيقبله وإلا فلا لأن الطريقة مقيدة بالكتاب والسنة كذا ذكره الشيخ الكامل نجم الدين الكبرى في تأويلاته.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾

﴿**ألم تر إلى الذين يزعمون**﴾ أي: يدعون والمراد بالزعم هنا الكذب لأن الآية نزلت في

المنافقين ﴿أنهم آمنوا بما أنزل إليك﴾ أي بالقرآن ﴿وما أنزل من قبلك﴾ أي بالتوراة وغيرها من الكتب المنزلة وكأنه قيل ماذا يفعلون فقيل: ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾ عن ابن عباس أن منافقاً خاصم يهودياً فدعاه اليهودي إلى النبي عليه السلام لأنه كان يقضي بالحق ولا يلتفت إلى الرشوة ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف لأنه كان شديد الرغبة إلى الرشوة واليهودي كان محقاً والمنافق كان مبطلاً ثم أصر اليهودي على قوله فاحتكما إلى رسول الله ﷺ فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال: تتحاكم إلى عمر فقال اليهودي لعمر: قضى لي رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم إليك فقال عمر للمنافق: أكذلك فقال: نعم فقال: مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى مات وقال: هكذا أقضي لمن لم يرضَ بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت فهبط جبرائيل عليه السلام وقال: إن عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق فالطاغوت كعب بن الأشرف سمي به لإفراطه في الطغيان وعداوة الرسول وفي معناه ومن يحكم بالباطل ويؤثر لأجله. ﴿وقد أمروا أن يكفروا به﴾ أي: والحال أنهم قد أمروا أن يتبرأ من الطاغوت ﴿ويريد الشيطان﴾ أي: كعب بن الأشرف أو حقيقة الشيطان عطف على يريدون ﴿أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾ أي اضلالاً بعيداً لا غاية له فلا يهتدون ﴿وإذا قيل لهم﴾ أي: للمنافقين ﴿تعالوا﴾ أي: جيئوا ﴿إلى ما أنزل الله﴾ أي: إلى ما أمره في كتابه ﴿وإلى الرسول﴾ وإلى ما أمره رسوله ﴿رأيت المنافقين﴾ إظهار المنافقين في مقام الإضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم به والإشعار بعلة الحكم والرؤية بصرية ﴿يصدون عنك﴾ حال من المنافقين ﴿صدوداً﴾ أي يعرضون عنك إعراضاً وأي: إعراض ﴿فكيف﴾ يكون حالهم وكيف يصنعون يعني أنهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون أمراً ولا يوردونه ﴿إذا أصابتهم مصيبة﴾ أي وقت إصابة المصيبة إياهم بافتضاحهم بظهور نفاقهم ﴿بما قدمت أيديهم﴾ بسبب ما عملوا من الجنايات التي من جملتها التحاكم إلى الطاغوت وعدم الرضى بحكم الرسول. ﴿ثم جاؤوك﴾ للاعتذار عما صنعوا من القبائح وهو عطف على إصابتهم ﴿يحلفون بالله﴾ حال من فاعل جاؤوك ﴿إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً﴾ أي: ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا سخطاً لحكمك فلا تؤاخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وأنهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار ﴿أولئك﴾ أي: المنافقون ﴿الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾ من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب ﴿فأعرض عنهم﴾ أي: لا تقبل اعتذارهم ولا تفرج عنهم بدعائك. ﴿وعظهم﴾ أي: ازجرهم عن النفاق والكيد ﴿وقل لهم في أنفسهم﴾ أي في حق أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على الشرور التي يعلمها الله تعالى أو في أنفسهم خالياً بهم ليس معهم غيرهم مساراً بالنصيحة لأنها في السر أنجع ﴿قولاً بليغاً﴾ مؤثراً وأصلاً إلى كنه المراد مطابقاً لما سيق له المقصود والقول البليغ بأن يقول إن الله يعلم سركم وما في قلوبكم فلا يغني عنكم إخفاؤه فأصلحوا أنفسكم وطهروا قلوبكم من رذيلة الكفر وداووها من مرض النفاق وإلا أنزل الله بكم ما أنزل بالمجاهرين بالشرك وشراً من ذلك واغلظ عسى أن تنجع فيهم الموعظة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ

فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ
يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ
تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿**وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله**﴾ أي وما أرسلنا رسولاً من الرسل لشيء من الأشياء إلا ليطاع بسبب إذنه تعالى في طاعته وأمره المبعوث إليهم بأن يطيعوه ويتبعوه لأنه مؤد عنه تعالى وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم**﴾ وعرضوها للعذاب بترك طاعتك والتحاكم إلى غيرك ﴿**جاؤوك**﴾ تائبين من النفاق ﴿**فاستغفروا الله**﴾ بالتوبة والإخلاص ﴿**واستغفر لهم الرسول**﴾ بأن يسأل الله أن يغفر لهم عند توبتهم. فإن قلت: لو تابوا على وجه صحيح لقبلت توبتهم فما الفائدة في ضم استغفار الرسول إلى استغفارهم. قلت: التحاكم إلى الطاغوت كان مخالفة لحكم الله وكان أيضاً إساءة إلى الرسول عليه السلام وإدخالاً للغم إلى قلبه عليه السلام ومن كان ذنبه كذلك وجب عليه الاعتذار عن ذلك الغير ﴿**لوجدوا الله**﴾ لصادفوه حال كونه تعالى ﴿**تواباً**﴾ مبالغاً في قبول التوبة ﴿**رحيماً**﴾ مبالغاً في التفضل عليهم بالرحمة بدل من توابا ﴿**فلا**﴾ أي ليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال: ﴿**وربك لا يؤمنون حتى يحكموك**﴾ أي: يجعلونك حكماً يا محمد ويترافعوا إليك ﴿**فيما شجر بينهم**﴾ أي فيما اختلف بينهم من الأمور واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه ﴿**ثم لا يجدوا**﴾ عطف على مقدر ينساق إليه الكلام أي فتقضى بينهم ثم لا يجدوا ﴿**في أنفسهم حرجاً**﴾ ضيقاً ﴿**مما قضيت**﴾ أي مما قضيت به يعني يرضون بقضائك ولا تضيق صدورهم من حكمك ﴿**ويسلموا تسليماً**﴾ وينقادوا لك انقياداً بظاهرهم وباطنهم. وفي هذه الآيات دلائل على أن من رد شيئاً من أوامر الله وأوامر الرسول ﷺ فهو خارج عن الإسلام سواء رده من جهة الشك أو من جهة التمرد وذلك يوجب صحة ما ذهبت الصحابة إليه من الحكم بارتداد مانعي الزكاة وقتلهم وسبي ذراريهم فاتباع الرسول عليه السلام فرض عين في الفرائض العينية وفرض كفاية في الفروض على سبيل الكفاية وواجب في الواجبات وسنة في السنن وهكذا ومخالفته تزيل نعمة الإسلام:

خلاف پيمبر كسى ره كزيد ... كه هركز بمنزل نخواهد رسيد

فالنبي ﷺ هو الدليل في طريق الحق ومخالفة الدليل ضلالة، قال الحافظ:

بكوى عشق منه بي دليل راه قدم ... كه من بخويش نمودم صد اهتمام ونشد

قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تابعاً لما جئت به» وقال عليه السلام: «من ضيع سنتي» أي جعلها ضائعة بعدم اتباعها «حرمت عليه شفاعتي» وقال ﷺ: «من حفظ سنتي أكرمه الله تعالى بأربع خصال: المحبة في قلوب البررة، والهيبة في قلوب الفجرة، والسعة في الرزق، والثقة في الدين» فإنما أمته من اتبعه ولا يتبعه إلا من أعرض عن الدنيا فإنه عليه السلام ما دعا إلا إلى الله تعالى واليوم الآخر وما صرف إلا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما أعرضت عنها وأقبلت على الله وصرفت الأوقات لأعمال الآخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ذلك اتبعته وبقدر ما اتبعته صرت من أمته ولو أنصفنا لعلمنا أننا من حين نمسي إلى حين نصبح لا نسعى إلا في الحظوظ العاجلة ولا نتحرك إلا لأجل الدنيا الفانية ثم

نطمع في أن نكون غداً من أمته وأتباعه.

- روي - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَيأتي على الناس زمان تخلق سنتي فيه وتتجدد فيه البدعة فمن اتبع سنتي يومئذٍ صار غريباً وبقي وحيداً ومن اتبع بدع الناس وجد خمسين صاحباً أو أكثر» فقال الصحابة يا رسول الله عليك السلام هل بعدنا أحد أفضل منا؟ قال: «بلى» قالوا: أفيرونك يا رسول؟ قال: «لا» قالوا: فكيف يكونون فيها؟ قال: «كالملح في الماء تذوب قلوبهم كما يذوب الملح في الماء» قالوا: فكيف يعيشون في ذلك الزمان؟ قال: «كالدود في الخل» قالوا: كيف يحفظون دينهم يا رسول الله؟ قال: «كالفحم في اليد إن وضعته طفىء وإن أمسكته أو عصرته أحرق اليد» وعن أبي بجيج العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودّع فأوصنا قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد وإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة» فعلى المؤمن أن يتبع سنة الرسول ويجتنب عن كل ما هو بدعة وضلالة ويصلح ظاهره بالشريعة وباطنه بالطريقة حتى ينال شفاعته ﷺ يوم القيامة ويتخلص من عذاب النار ويدخل الجنة مع الأبرار. فالمؤمن في الآخرة في الجنات كشجرة مثمرة لا تنفك عن البستان. والمنافق في الدركات كشجرة غير مثمرة تقلع من البستان وتوقد بها النار، قال الفردوسي:

درختى كه شيرين بود باراو نكردد كسى كرد ازار او
وكر زانك شيرين نباشد برش زپاى اندر آرند ناكه سرش
بماند بباغ آن ودر آتش اين تو خواهى چنان باش وخواهى چنين

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾

﴿**ولو أنا كتبنا عليهم**﴾ أي: أوجبنا أو فرضنا على هؤلاء المنافقين. ﴿**أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم**﴾ كما أوجبناه على بني إسرائيل حين طلبوا التوبة من ذنوبهم ﴿**ما فعلوه**﴾ أي المكتوب المدلول عليه بكتبنا ﴿**إلا قليل منهم**﴾ إلا ناس قليل منهم وهم المخلصون ﴿**ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به**﴾ من متابعة الرسول وطاعته والمشي تحت رايته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهراً وباطناً وسميت أوامر الله ونواهيه مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب ﴿**لكان**﴾ أي فعلهم ذلك ﴿**خيرا لهم**﴾ أي: أحمد عاقبة في الدارين ﴿**وأشد تثبيتاً**﴾ لهم على الإيمان وأبعد من الاضطراب فيه ﴿**وإذاً**﴾ كأنه قيل: وماذا يكون لهم بعد التثبيت؟ فقيل: وإذا لو ثبتوا ﴿**لآتيناهم من لدنا**﴾ من عندنا ﴿**أجراً عظيماً**﴾ ثواباً كثيراً في الآخرة لا ينقطع ﴿**ولهديناهم صراطاً مستقيماً**﴾ يصلون بسلوكه إلى عالم القدس ويفتح لهم أبواب الغيب قال ﷺ: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم».

واعلم أن قتل النفس في الحقيقة قمع هواها التي هي حياتها وإفناء صفاتها والخروج من الديار خروج من المقامات التي سكنت القلوب بها وألفتها من الصبر والتوكل والرضى والتسليم

وأمثالها لكونها حاجبة عن التوحيد والفناء في الذات كما قال الحسين بن منصور لإبراهيم بن أدهم حين سأله عن حاله وأجابه بقوله أدور في الصحاري وأطوف في البراري بحيث لا ماء ولا شجر ولا روض ولا مطر هل حالي حال التوكل أو لا؟ فقال: إذا فنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد.

جان عارف دوست را طالب شده   نور حق باهستيش غالب شده
پرتو ذات از حجاب كبريا   كرده اورا غره بحر فنا

وعن إبراهيم بن أدهم قال: دخلت جبل لبنان فإذا أنا بشاب قائم وهو يقول: يا من شوقي إليه وقلبي محب له ونفسي له خادم وكلي فناء في إرادتك ومشيئتك فأنت ولا غيرك متى تنجيني من هذه العذرة قلت: رحمك الله ما علامة حب الله؟ قال: اشتهاء لقائه قلت: فما علامة المشتاق؟ قال: لا له قرار ولا سكون في ليل ولا نهار من شوقه إلى ربه قلت: فما علامة الفاني؟ قال: لا يعرف الصديق من العدو ولا الحلو من المر من فنائه عن رسمه ونفسه وجسمه قلت: فما علامة الخادم قال: إنه يرفع قلبه وجوارحه وطمعه من ثواب الله، قال الحافظ قدس سره:

توبندكى چو كدايان بشرط مزد مكن   كه دوست خودروش بنده پرورى داند

قال رسول الله ﷺ: «لا يكونن أحدكم كالعبد السوء إن خاف عمل ولا كالأجير السوء إن لم يعط لم يعمل» وبالجملة أنه لا بد للسالك من إقامة وظائف العبادات والأوراد فإن الله أودع أنوار الملكوت في أصناف الطاعات فإن من فاته صنف أو أعوزه من الموافقات جنس فقد من النور بمقدار ذلك وليس للوصول سبيل ولا إلى الفناء دليل غير العبودية وترك ما سوى الحق.

بشب حلاج راديدند در خواب   بريده سر بكف برجام جلاب
بدو كفتند چونى سر بريده   بكو تا چيست اين جام كزيده
چنين كفت اوكه سلطان نكونام   بدست سر بريده ميدهد جام
كسى اين جام معنى ميكند نوش   كه كرداول سر خودرا فراموش

كما قيل: من لم يركب الأهوال لم ينل الأموال فيا أيها العبد الذي لا يفعل ما يوعظ به ولا يخاف من ربه كيف تركت ما هو خير لك وأعرضت عما ينفعك فليس لك الآن إلا التوبة عما يوقعك في المعاصي والمنهيات والرجوع إلى الله بالطاعات والعبادات والفناء عن الذات بالإصغاء إلى المرشد الرشيد الواصل إلى سر التفريد وقبول أمره وعظته وتسليم النفس إلى تربيته ودوام المراقبة في الطريق ومن الله التوفيق.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾﴾

﴿**ومن يطع الله والرسول**﴾ والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل بجميع الأوامر والنواهي.

- روي - أن ثوبان مولى رسول الله أتاه يوماً وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال: ما بي من وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة على لقائك ثم ذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين وإن أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلتك وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك ابداً فنزلت فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين» **﴿فأولئك﴾** إشارة إلى المطيعين **﴿مع الذين أنعم الله عليهم﴾** أي: أتم الله عليهم النعمة وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة أقرب عباد إلى الله وأرفعهم درجات عنده **﴿من النبيين﴾** بيان للمنعم عليهم وهم الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال إلى درجة التكميل **﴿والصديقين﴾** المبالغين في الصدق والإخلاص في الأقوال والأفعال الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات وأخرى بمعارج التصفية والرياضات إلى أوج العرفان حتى اطلعوا على الأشياء وأخبروا عنها على ما هي عليها **﴿والشهداء﴾** الذين أدى بهم الحرص على الطاعة والجد في إظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في إعلاء كلمة الله **﴿والصالحين﴾** الذين صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد في الدرجة لأن التساوي بين الفاضل والمفضول لا يجوز ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى أراد وإن بعد ما بينهما من المسافة **﴿وحسن أولئك رفيقا﴾** في معنى التعجب كأنه قيل وما أحسن أولئك رفيقاً أي النبيين ومن بعدهم ورفيقاً تمييز وإفراده لما أنه كالصديق والخليط والرسول يستوي فيه الواحد والمتعدد والرفيق الصاحب مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة في المعاشرة قولاً وفعلاً **﴿ذلك الفضل﴾** مبتدأ والفضل صفته وهو إشارة إلى ما للمطيعين من عظيم الأجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء المنعم عليهم **﴿من الله﴾** خبره أي لا من غيره **﴿وكفى بالله عليماً﴾** بجزاء من أطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق أهله. وهذه الآية عامة في جميع المكلفين إذ خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ فكل من أطاع الله وأطاع الرسول فقد فاز بالدرجات والمراتب الشريفة عند الله تعالى:

- روي - عن بعض الصالحين أنه قال: أخذتني ذات ليلة سنة فنمت فرأيت في منامي كأن القيامة قد قامت وكأن الناس يحاسبون فقوم يمضي بهم إلى الجنة وقوم يمضي بهم إلى النار قال: فأتيت الجنة فناديت يا أهل الجنة بماذا نلتم سكنى الجنان في محل الرضوان؟ فقالوا لي: بطاعة الرحمان ومخالفة الشيطان ثم أتيت باب النار فناديت يا أهل النار بماذا نلتم النار؟ قال: بطاعة الشيطان ومخالفة الرحمان:

كجا سربر آريم ازين عارونتك ... كه با او بصلحيم وباحق بجنك
نظر دوست نادر كند سوى تو ... چودر روى دشمن بودروى تو

قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قيل: ومن أبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» فعلى المرء أن يتبع الرسول ويتبع أولياء الله فإن الأنبياء لهم وحي إلهي والأولياء لهم الهام رباني والاتباع لهم لا يخلو عن الاتباع للرسول قال عليه السلام: «المرء مع من أحب» فإن أحب الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين كان معهم في الجنة. وفي الآية تنبيه على أنه ينبغي للعبد أن لا يتأخر من مرتبة الصلاح بل يسعى

في تكميل الصلاح ثم يترقى إلى مرتبة الشهادة ثم إلى الصديقية وليس بين النبوة وبين الصديقية واسطة رزقنا الله وإياكم الفوز بهذا النعيم قال رسول الله ﷺ: «لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» وأقل الصدق استواء السر والعلانية والصادق من صدق في أقواله والصديق من صدق في جميع أقواله وأفعاله وأحواله. وكان جعفر الخواص يقول: الصادق لا تراه إلا في فرض يؤديه أو فضل يعمل فيه وثمرات الصدق كثيرة فمن بركاته في الدنيا أنه حكي عن أبي عمر الزجاجي أنه قال: ماتت أمي فورثت داراً فبعتها بخمسين ديناراً وخرجت إلى الحج فلما بلغت بابل استقبلني واحد من القافلة وقال: أي شيء معك؟ فقلت من نفسي الصدق خير ثم قلت: خمسون ديناراً فقال: ناولنيها فناولته الصرة فحلها فإذا هي خمسون وقال لي: خذها فلقد أخذني صدقك ثم نزل عن الدابة وقال: اركبها فقلت: لا أريد فقال: لا وألح فركبتها فقال: وأنا على أثرك فلما كان العام القابل لحق بي ولازمني حتى مات، قال الحافظ قدس سره:

بصدق كوش كه خورشيد زايد ازنفست ... كه از دروغ سيه روى كشت صبح نخست

يعني أن الصبح الكاذب تعقبه الظلمة والصبح الصادق يعقبه النور فمن صدق فقد بهر منه النور ﴿**يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم**﴾ أي: تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من أنفسكم يقال: أخذ حذره إذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه ﴿**فانفروا**﴾ فاخرجوا إلى جهاد العدو ﴿**ثبات**﴾ جماعات متفرقة سرية بعد سرية إلى جهات شتى وذلك إذا لم يخرج النبي عليه السلام. جمع ثبة وهي جماعة من الرجال فوق العشرة ومحلها النصب على الحالية ﴿**أو انفروا جميعاً**﴾ مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بأنفسكم إلى التهلكة وذلك إذا خرج النبي عليه السلام. ﴿**وإن منكم**﴾ خطاب لعسكر رسول الله ﷺ كلهم المؤمنين والمنافقين ﴿**لمن**﴾ الذي أقسم بالله ﴿**ليبطئن**﴾ ليتأخرن عن الغزو ويتخلفن تثاقلاً من بطأ لازم بمعنى أبطأ أو ليبطئن غيره ويثبطه عن الجهاد وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن أبي وهو الذي يثبط الناس يوم أحد والأول أنسب لما بعده وهو قوله تعالى حكاية ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ﴾ [النساء: ٧٣] وبالجملة المراد بالمبطئين المنافقون من العسكر لأنهم كانوا يغزون نفاقاً ﴿**فإن أصابتكم مصيبة**﴾ نالتكم نكبة من الأعداء كقتل وهزيمة ﴿**قال**﴾ أي: المبطىء فرحاً بصنعه وحامداً لربه ﴿**قد أنعم الله علي**﴾ أي: بالقعود والتخلف عن القتال ﴿**إذ لم أكن معهم شهيداً**﴾ أي حاضراً في المعركة فيصيبني ما أصابهم.

﴿وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ٧٣ ۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٧٤﴾

﴿**ولئن أصابكم فضل**﴾ كائن ﴿**من الله**﴾ كفتح وغنيمة ﴿**ليقولن**﴾ ندامة على تثبيطه وقعوده وتهالكاً على حطام الدنيا وتحسراً على فواته ﴿**كأن لم تكن بينكم وبينه مودة**﴾ اعتراض وسط بين الفعل ومفعوله الذي هو ﴿**يا**﴾ قوم ﴿**ليتني كنت معهم**﴾ في تلك الغزوة ﴿**فأفوز فوزاً عظيماً**﴾ أي آخذ حظاً وافراً من الغنيمة وإنما وسعه بينهما لئلا يفهم من مطلع كلامه أن تمنيه معية المؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما يقتضيه ما في البين من المودة بل هو للحرص على

المال كما ينطق به آخره وليس إثبات المودة في البين بطريق التحقيق بل بطريق التهكم **﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة﴾** أي: يبيعونها بها ويأخذون الآخرة بدلها وهم المؤمنون فالفاء جواب شرط مقدر أي إن بطأ هؤلاء عن القاتل فليقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم في طلب الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون فالفاء للتعقيب أي ليتركوا ما كانوا عليه من التثبيط والنفاق والقعود عن القتال في سبيل الله **﴿ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾** لا يقادر قدره وعدله الأجر العظيم غلب أو غلب ترغيباً في القتال أو تكذيباً لقولهم قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً وإنما قال: فيقتل أو يغلب تنبيهاً على أن المجاهد ينبغي أن يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة أو الدين بالظفر والغلبة ولا يخطر بباله القسم الثالث أصلاً وأن لا يكون قصده بالذات إلى القتل بل إلى إعلاء الحق وإعزاز الدين قال رسول الله ﷺ: «تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيله وتصديق كلمته أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه» مع ما نال من أجر وغنيمة قال رسول الله ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» وذلك بأن تدعوا عليهم بالخذلان والهزيمة وللمسلمين بالنصر والغنيمة وتحرضوا القادرين على الغزو وفي الحديث «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا» أي: كان خلفاً لأهل بيته في إقامة حوائجهم وتتميم مصالحهم وفضائل الجهاد لا تكاد تضبط. فعلى المؤمن أن يكون في طاعة ربه بأي وجه كان من الوجوه التعبدية فإن الآية الأولى وهي قوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾** الآية وإن نزلت في الحرب لكن يقتضي إطلاق لفظها وجوب المبادرة إلى الخيرات كلها كيفما أمكن قبل الفوات:

مكن عمر ضايع بافسوس وحيف   كه فرصت عزيز ست والوقت سيف

قال رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال قبل أن تجيء فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا» وعن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقي من الحجاج فقال: اصبروا فإنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده أشد منه شراً حتى تتقوا ربكم سمعته من نبيكم ﷺ.

روزى اكر غمى رسدت تنك دل مباش   روشكر كن مبادكه ازبد بترشود

واعلم أن العدة والسلاح في جهاد النفس والشيطان يعني آلة قتالهما ذكر الله وبه يتخلص الإنسان من كونه أسير الهوى النفساني قال رسول الله ﷺ: «لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده» وعن أبي واقد الحارث بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد فوقف على رسول الله ﷺ. فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها. وأما الآخر فجلس خلفهم. وأما الثالث فأدبر ذاهباً فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله وأما الآخر فاستحيا فاستحيى الله منه وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه».

بذ كرش هرچه بيني درخروشست   دلى داند درين معنى كه كوشست

نه بلبل بركلش تسبيح خوانيست   كه هر خارى بتوحيدش زبانيست

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾

﴿وما لكم﴾ أي: أي شيء حصل لكم من العلل أيها المؤمنون حال كونهم **﴿لا تقاتلون في سبيل الله﴾** أي تاركين القتال يعني لا عذر لكم في ترك المقاتلة وهذا استفهام بمعنى التوبيخ ولا يقال ذلك إلا عند سبق التفريط **﴿والمستضعفين﴾** عطف على السبيل بحذف المضاف لا على اسم الله وإن كان أقرب لأن خلاص المستضعفين سبيل الله لا سبيلهم والمعنى في سبيل الله وفي خلاص الذين استضعفهم الكفار بالتعذيب والأسر وهم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الأذى الشديد وإنما خصهم بالذكر مع أن سبيل الله عام في كل خير لأن تخليص ضعفة المسلمين من أيدي الكفار من أعظم الخير وأخصه **﴿من الرجال والنساء والولدان﴾** بيان للمستضعفين والولدان الصبيان جمع ولد وإنما ذكرهم معهم تسجيلاً بإفراط ظلمهم حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين إرغاماً لآبائهم وأمهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولأن المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالاً لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة بإخراجهم في الاستسقاء. ودلت الآية على أن استنقاذ الأساري من المسلمين من أيدي الكفار واجب بما قدروا عليه من القتال وإعطاء المال **﴿الذين﴾** صفة للمستضعفين **﴿يقولون﴾** يعني لا حيلة لهؤلاء المستضعفين ولا ملجأ إلا الله فيقولون داعين **﴿ربنا أخرجنا من هذه القرية﴾** مكة **﴿الظالم أهلها﴾** بالشرك الذي هو ظلم عظيم وبأذية المسلمين **﴿واجعل لنا من لدنك وليا﴾** أي ول علينا والياً من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا يحفظ علينا ديننا وشرعنا **﴿واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾** ينصرنا على أعدائنا ولقد استجاب الله دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج إلى المدينة قبل الفتح وجعل لمن بقي منهم إلى الفتح خير ولي وأعز ناصر ففتح مكة على يدي نبيه ﷺ فتولاهم أي تولية ونصرهم أي نصرة ثم استعمل عليهم عتاب بن أسيد فجعل يضعف قدر الضعيف للحق ويعز العزيز بالحق فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا حتى صاروا أعز أهلها **﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله﴾** أي المؤمنون إنما يقاتلون في دين الله الحق الموصل لهم إلى الله عز وجل في إعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة **﴿والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾** أي فيما يوصلهم إلى الشيطان فلا ناصر لهم سواه **﴿فقاتلوا أولياء الشيطان﴾** كأنه قيل: إذا كان الأمر كذلك فقاتلوا يا أولياء الله أولياء الشيطان **﴿إن كيد الشيطان﴾** الكيد السعي في فساد الحال على جهة الاحتيال **﴿كان ضعيفاً﴾** أي إن كيده للمؤمنين بالإضافة إلى كيد الله بالكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا أولياءه فإن اعتمادهم على أضعف شيء وأوهنه وهذا كما يقال للحق دولة وللباطل جولة قالوا: إدخال كان في أمثال هذه المواقع لتأكيد بيان أنه منذ كان كان كذلك فالمعنى أن كيد الشيطان منذ كان كان موصوفاً بالضعف. قال الإمام في تفسيره: **﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾** لأن الله ينصر أولياءه والشيطان ينصر أوليائه ولا شك أن نصرة الشيطان لأوليائه أضعف من نصرة الله لأوليائه ألا

ترى أن أهل الخير والدين يبقى ذكرهم الجميل على وجه الدهر وإن كانوا حال حياتهم في غاية الفقر والذلة، وأما الملوك والجبابرة فإذا ماتوا انقرضوا ولا يبقى في الدنيا رسمهم ولا طللهم، قيل: النار حفت بالشهوات وأن في كل نفس شيطاناً يوسوس إليها وملكاً يلهمها الخير فلا يزال الشيطان يزين ويخدع ولا يزال الملك يمنعها ويلهمها الخير فأيهما كانت النفس معه كان هو الغالب. قيل: إن كيد الشيطان والنفس بمثابة الكلب إن قاومته مزق الاهاب وقطع الثياب وإن رجعت إلى ربه صرفه عنك برفق فالله تعالى جعل الشيطان عدواً للعباد ليوحشهم به إليه وحرك عليهم النفس ليدوم إقبالهم عليه فكلما تسلطا عليهم رجعوا إليه بالافتقار وقاموا بين يديه على نعت اللجأ والاضطرار. قال أحمد بن سهل أعداؤك أربعة: الدنيا وسلاحها لقاء الخلق وسجنها العزلة، والشيطان وسلاحه الشبع وسجنه الجوع، والنفس وسلاحها النوم وسجنها السهر، والهوى وسلاحه الكلام وسجنه الصمت.

واعلم أن كيد الشيطان ضعيف في الحقيقة فإن الله ناصر لأوليائه كل حين ويظهر ذلك الإمداد في نفوسهم بسبب تزكيتهم النفس وتخلية القلب عن الشواغل الدنيوية وامتلاء أسرارهم بنور التوحيد فإن الشيطان ظلماني يهرب من النوراني لا محالة.

ـ روي ـ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استأذن يوماً على النبي عليه السلام وعنده نساء من قريش يسألنه عالية أصواتهن على صوته فلما دخل ابتدرن الحجاب فجعل ﷺ يضحك فقال: ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ فقال ﷺ: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك بادرن الحجاب» فقال عمر: أنت أحق أن يهبن يا رسول الله ثم أقبل عليهن فقال: أي: عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟ فقلن: أنت أفظ وأغلظ من رسول الله فقال عليه السلام: «يا ابن الخطاب فوالذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك».

ـ وروي ـ عن وهب بن منبه أنه قال: كان عابد في بني إسرائيل أراد الشيطان أن يضله فلم يستطع من أي جهة أراده من الشهوة والغضب وغير ذلك فأراده من قبل الخوف وجعل يدلي الصخرة من الجبل فإذا بلغه ذكر الله تباعد عنه ثم تمثل بالحية وهو يصلي فجعل يلتوي على رجليه وجسده حتى يبلغ رأسه وكان إذا أراد السجود التوى في موضع رأسه فجعل ينحيه بيده حتى يتمكن من السجود فلما فرغ من صلاته وذهب جاء إليه الشيطان فقال له: فعلت لك كذا وكذا فلم أستطع منك على شيء فأريد أن أصادقك أي أن أكون صديقاً لك فإني لا أريد ضلالتك بعد اليوم فقال العابد: ما لي حاجة في مصادقتك فقال الشيطان: ألا تسألني بأي شيء أضل به بني آدم قال: نعم قال: بالشح والحدة والسكر فإن الإنسان إذا كان شحيحاً قللنا ماله في عينه فيمنعه من حقوقه ويرغب في أموال الناس:

كريمانرا بدست اندر درم نيست　　خداوندان نعمت را كرم نيست

وقيل في بعض الأشعار:

باشد چوابر بى مطر وبحر بى كهر　　آنراكه باجمال نكوجود بارنيست

وإذا كان الرجل حديداً أدرناه بيننا كما يدير الصبيان الاكرة ولو كان يحيي الموتى لم نبال به:

اكر آيد زدوستى كنهى　　بكناهى نشايد آزردن
ور زبانرا بعذر بكشايد　　بايدت خشم را فروخوردن

زانكـة نـزديـك عـاقـلان بـتـرسـت — عـفـو نـاكـردن ازكـنـه كـردن

وأما إذا سكر قدناه إلى كل شيء كما تقاد العنز بإذنها:

مـي مـزيـل عـقـل شـد أي نـاخـلـف — تـابـچـنـدى مـيـخـورى در روزكـار

آدمـى را عـقـل بـايـد دربـدن — ورنـه جـان دركـالـبـد دارد حـمـار

فعلى العاقل أن يجاهد في سبيل الله فإن المجاهدة على حقيقتها تقوي الروح الضعيف الذي استضعفه النفس بالاستيلاء عليه ويتضرع إلى الله بالصدق والثبات حتى يخرج من قرية البدن الظالم أهلها وهوالنفس الأمارة بالسوء ويتشرف بولاية الله تعالى في مقام الروح رزقنا الله وإياكم فتح باب الفتوح آمين يا ميسر كل عسير.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم﴾.

ـ روي ـ أن ناساً أتوا النبي ﷺ بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة وشكوا إليه ما يلقون من أذى المشركين قالوا: كنا في عز في حالة الجاهلية والآن صرنا أذلة فلو أذنت لنا قتلنا هؤلاء المشركين على فرشهم فقال ﷺ: «كفوا أيديهم» أي أمسكوا «عن القتال» **﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾** واشتغلوا بما أمرتم به فإني لم أومر بقتالهم وكانوا في مدة إقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة فلما هاجروا مع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمروا بالقتال في وقت بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شكا في الدين ولا رغبة عنه بل نفوراً من الأخطار بالأرواح وخوفاً من الموت بموجب الجبلة البشرية لأن حب الحياة والنفرة من القتل من لوازم الطباع وذلك قوله تعالى: **﴿فلما كتب عليهم القتال﴾** أي: فرض عليهم الجهاد **﴿إذا فريق﴾** إذا للمفاجأة وفريق مبتدأ **﴿منهم﴾** صفة **﴿يخشون الناس﴾** خبره والجملة جواب لما أي فاجأ فريق منهم أن يخشوا الكفار أن يقتلوهم **﴿كخشية الله﴾** مصدر مضاف إلى المفعول محله النصب على أنه حال من فاعل يخشون أي يخشونهم متشبهين بأهل خشية الله تعالى **﴿أو أشد خشية﴾** عطف عليه بمعنى أو أشد خشية من أهل خشية الله وكلمة أو للتنويع على معنى أن خشية بعضهم كخشية الله أو خشية بعضهم أشد منها **﴿وقالوا﴾** عطف على جواب لما أي فلما كتب عليهم القتال فاجأ فريق منهم خشية الناس وقالوا: **﴿ربنا لم كتبت علينا القتال﴾** في هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والإنكار لإيجابه بل على طريقة تمني التخفيف **﴿لولا أخرتنا إلى أجل قريب﴾** أي هلا أمهلتنا وتركتنا إلى الموت حتى نموت بآجالنا على الفراش وهذا استزادة في مدة الكف واستمهال إلى وقت آخر حذراً من الموت وحباً للحياة **﴿قل﴾** أي: تزهيداً لهم فيما يؤملونه بالقعود من المتاع الفاني وترغيباً فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقي **﴿متاع الدنيا قليل﴾** أي: ما يتمتع وينتفع به في الدنيا سريع النقض وشيك الانصرام وإن أخرتم إلى ذلك الأجل ولو استشهدتم في القتال صرتم أحياء فتتصل الحياة الفانية بالحياة الباقية **﴿والآخرة﴾** أي ثوابها الذي من جملته الثواب المنوط بالقتال. **﴿خير﴾** لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات وإنما قيل: **﴿لمن اتقى﴾** حثاً لهم على اتقاء

العصيان والإخلاص بمواجب التكليف ﴿ولا تظلمون فتيلا﴾ عطف على مقدر أي تجزون ولا تنقصون أدنى شيء من أجور أعمالكم التي من جملتها مسعاتكم في شأن القتال فلا ترغبوا عنه.

اعلم أن الآخرة خير من الدنيا لأن نعم الدنيا قليلة ونعم الآخرة كثيرة ونعم الدنيا منقطعة ونعم الآخرة مؤبدة ونعم الدنيا مشوبة بالهموم والغموم والمكاره ونعم الآخرة صافية عن الكدورات ونعم الدنيا مشكوكة فإن أعظم الناس تنعماً لا يعرف أنه كيف تكون عاقبته في اليوم الثاني ونعم الآخرة يقينية. فعلى العاقل أن يختار ما هو خير من كل وجه وهو الآخرة على ما هو شر من كل جهة وهو الدنيا، قال السعدي في بعض قصائده:

عمارت باسراي ديكر انداز ... كه دنيارا أساسي نيست محكم
فريدون را سرآمد پادشاهى ... سليما نرا برفت ازدست خاتم
وفادارى مجوى ازدهر خو نخوار ... محالست انكبين دركام ارقم
مثال عمر سربر كرده شمعيست ... كه كوته باز مى باشد دمادم
ويا برفى كدازان بر سركوه ... كزو هر لحظه جزئي ميشودكم

ـ روي ـ أن رجلاً اشترى داراً فقال لعلي ـ رضي الله عنه ـ: اكتب القبالة فكتب [بسم الله الرحمٰن الرحيم أما بعد فقد اشترى مغرور من مغرور داراً دخل فيها في سكة الغافلين لا بقاء لصاحبها فيها الحد الأول ينتهي إلى الموت والثاني إلى القبر والثالث إلى الحشر والرابع إلى الجنة أو إلى النار والسلام] فقرأ على الرجل فرد الدار وتصدق بالدنانير كلها وتزهد في الدنيا فهذا هو حال العارفين حقيقة الحال. قال القشيري رحمه الله مكنك من الدنيا ثم قللها فلم يعدها لك شيئاً ثم لو تصدقت منها بشق تمرة استكثر منك وهذا غاية الكرم وشرط المحبة وهو استقلال الكثير من نفسه واستكثار القليل من حبيبه وإذا كان قيمة الدنيا قليلة فأخس من الخسيس من رضي بالخسيس بدلاً من النفس وقال: إن الله تعالى اختطف المؤمن من الكون بالتدريج فقال أولاً: ﴿قل متاع الدنيا قليل﴾ فاختطفهم من الدنيا بالعقبى ثم استلبهم عن الكونين بقوله: ﴿والله خير وأبقى﴾ فلا بد للسالك أن يترقى إلى أعلى المنازل ويسعى من غير فتور وكلال، قال مولانا جلال الدين قدس سره:

أي برادر بى نهايت دركهيست ... هركجا كه مى رسى بالله مايست

وثمرة المجاهدة لا تضيع البتة بل تجزي كل نفس بما عملت. قال بعض المشايخ إنما جعل الدار الآخرة محلاً لجزاء عباده المؤمنين لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم ظاهراً وباطناً وكل ما في الجنة لا يوافق ما في الدنيا إلا من حيث التسمية ولأنه تعالى أجل أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها قال تعالى: ﴿وما عند الله خير وأبقى﴾ ثم الجزاء في تلك الدار له علامة في هذه الدار وهي أنه من وجد ثمرة عمله عاجلاً وهي الحلاوة فيه والتوفيق لغيره والشكر عليه فهو دليل على وجود القبول لأن الجزاء على ذلك مقصور. قال إبراهيم بن أدهم: لو يعلم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف. وقال بعضهم: ليس شيء من البر إلا ودونه عقبة يحتاج إلى الصبر فيها فمن صبر على شدتها أفضى إلى الراحة والسهولة وإنما هي مجاهدة النفس ثم مخالفة الهوى ثم المكابدة في ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم وإنما يطيع العبد ربه على قدر منزلته منه فمن سره أن يعرف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله في قلبه.

وقيل لبعضهم: هل تعرف الله؟ فغضب وقال: تراني أعبد من لا أعرف فقال له السائل: أو تعصي من تعرف، قال السعدي قدس سره:

عمري كه ميرود بهمه حال سعى كن — تادر رضاي خالق بيچون بسر برى

وقال أيضاً:

پير بودى وره ندانستى — تونه پيرى كه طفل كتابى

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾

﴿أينما تكونوا يدرككم الموت﴾ المقدر بالأجل أو العذاب وفي لفظ الإدراك إشعار بأنهم في الهرب منه وهو مجد في طلبهم وهو كلام مبتدأ لا محل له من الإعراب **﴿ولو كنتم في بروج مشيدة﴾** أي وإن كنتم في قصور عالية إلى السماء محكمة بالشيد وهو الجص لا يصعد إليها بنو آدم. قال مجاهد في هذه الآية: كان فيمن قبلكم امرأة وكان لها أجير فولدت جارية فقالت لأجيرها: اقتبس لنا ناراً فخرج فوجد بالباب رجلاً فقال له الرجل: ما ولدت هذه المرأة قال: جارية قال: أما هذه الجارية لا تموت حتى تزني بمائة ويتزوجها أجيرها ويكون موتها بالعنكبوت فقال الأجير في نفسه: فأنا أريد هذه بعد أن تفجر بمائة لأقتلنها فأخذ شفرة فدخل فشق بطن الصغيرة وخرج على وجهه وركب البحر وخيط بطن الصبية فعولجت وبرئت وشبت فكانت تزني فأتت ساحلاً من ساحل البحر فأقامت عليه تزني ولبث الرجل ما شاء الله ثم قدم ذلك الساحل ومعه مال كثير فقال لامرأة من أهل الساحل: اطلعي لي امرأة من أجمل النساء أتزوجها فقالت: هٰهنا امرأة من أجمل النساء ولكنها تفجر فقال: ائتيني بها فأتتها فقالت: قد قدم رجل له مال كثير وقال لي كذا وكذا فقالت: إني تركت الفجور ولكن إن أراد أن يتزوجني تزوجته قال: فتزوجها فوقعت منه موقعاً فبينما هو يوماً عندها إذ أخبرها بأمره فقالت: أنا تلك الجارية وأرته الشق في بطنها وقد كنت أفجر فما أدري بمائة أو أقل أو أكثر فقال زوجها في نفسه: إن الرجل الذي كان خارج الباب قال: يكون موتها بالعنكبوت ثم أخبرها بذلك قال: فبنى لها برجاً في الصحراء وشيده فبينما هي يوماً في ذلك البرج إذا عنكبوت في السقف فقالت: هذا يقتلني لأقتلنه إذ لا يقتله أحد غيري فحركته فسقط فأتته فوضعت إبهام رجلها عليه فشدخته فساح سمه بين ظفرها واللحم فاسودت رجلها فماتت وفي ذلك نزلت هذه الآية **﴿أينما تكونوا يدرككم الموت﴾** وأجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم ولا أجل معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك مستعداً لذلك قال عليه السلام: «أكثروا ذكر هاذم اللذات» يعني الموت وهو كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وأبلغ في الموعظة فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه اللذة الحاضرة ومنعه من تمنيها في المستقبل وزهده فيما كان منها يؤمل ولكن النفوس الراكدة والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعاظ وتزويق الألفاظ وإلا ففي قوله عليه السلام: «أكثروا ذكر هاذم اللذات» مع قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ما يكفي السامع ويشغل الناظر فيه، قال الحافظ قدس سره:

سپهر برشده پرويزنست خون افشان | كه ريزه اش سركسرى وتاج پرويزست

قال السعدي قدس سره:

جهان أي پسر ملك جاويد نيست | زدنيا وفادارى اميد نيست
نه برباد رفتى سحركاه وشام | سرير سليمان عليه السلام
بآخر نديدى كه برباد رفت | خنك آنكه بادانش ودارفت

والإشارة في الآية أن يا أهل البطالة في زي الطلبة الذين غلب عليكم الهوى وحبب إليكم الدنيا فأقعدكم عن طلب المولى ثم رضيتم بالحياة الدنيا واطمأننتم بها **﴿أينما تكونوا يدرككم الموت﴾** اضطراراً إن لم تموتوا قبل أن تموتوا اختياراً **﴿ولو كنتم في بروج مشيدة﴾** أي أجساد مجسمة قوية أمزجتها أوصلنا الله وإياكم إلى حقيقة الفناء والبقاء آمين **﴿وإن تصبهم حسنة﴾** أي نعمة كخصب **﴿يقولوا هذه من عند الله﴾** نسبوها إلى الله **﴿وإن تصبهم سيئة﴾** بلية كقحط **﴿يقولوا هذه من عندك﴾** أضافوها إليك يا محمد وقالوا: إن هي إلا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها **﴿قل كل﴾** من الحسنة والسيئة **﴿من عند الله﴾** يبسط ويقبض حسب إرادته **﴿فمال هؤلاء القوم﴾** أي أي شيء حصل لليهود والمنافقين من العلل حال كونهم **﴿لا يكادون يفقهون حديثاً﴾** أي لا يقربون من فهم حديث عن الله تعالى كالبهائم ولو فهموا لعلموا أن الكل من عند الله والفقه هو الفهم ثم اختص من جهة العرف بعلم الفتوى **﴿ما أصابك﴾** يا إنسان **﴿من حسنة﴾** من خير ونعمة **﴿فمن الله﴾** تفضلاً منه فإن كل ما يفعله الإنسان من الطاعة لا يكافىء نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عليه السلام: «ما أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله» قيل: ولا أنت قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته» **﴿وما أصابك من سيئة﴾** من بلية وشيء تكرهه **﴿فمن نفسك﴾** لأنها السبب فيها لاستجلابها المعاصي وهو لا ينافي قوله **﴿كل من عند الله﴾** فإن الكل منه إيجاداً وإيصالاً غير أن الحسنة إحسان وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضي الله عنها: ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب وما يغفر الله أكثر.

واعلم أن للأعمال أربع مراتب: منها مرتبتان لله تعالى وليس للعبد فيهما مدخل وهما التقدير والخلق، ومنها مرتبتان للعبد هما الكسب والفعل فإن الله تعالى منزه عن الكسب وفعل السيئة وأنهما يتعلقان بالعبد ولكن العبد وكسبه مخلوق خلقه الله تعالى كما قال: **﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾** [الصافات: ٩٦] فهذا تحقيق قوله: **﴿قل كل من عند الله﴾** أي خلقا وتقديراً لا كسباً وفعلاً فافهم واعتقد فإنه مذهب أهل الحق وأرباب الحقيقة كذا في «التأويلات النجمية».

قال الضحاك ما حفظ الرجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب ثم قرأ **﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾** [الشورى: ٣٠] قال: فنسيان القرآن من أعظم المصائب **﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾** [النساء: ٧٩] أي رسولاً للناس جميعاً لست برسول للعرب وحده بل أنت رسول العرب والعجم كقوله تعالى: **﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾** [سبأ: ٢٨] فرسولاً حال قصد بها تعميم الرسالة والجار متعلق بها قدم عليها للاختصاص **﴿وكفى بالله شهيداً﴾** على رسالتك بنصب المعجزات.

وفي «التأويلات النجمية» يشير بقوله تعالى: **﴿وأرسلناك للناس رسولا﴾** أي الناس الذين قد نسوا الله ونسوا ما شاهدوا منه وما عاهدوا عليه الله وأرسلناك إليهم لتبلغهم كلامنا وتذكرهم

أيامنا وتجدد لهم عهودنا وترغبهم في شهودنا وتدعوهم إلينا وتهديهم إلى صراطنا وتكون لهم سراجاً منيراً يهتدون بهداك ويتبعون خطاك إلى أن توصلهم إلى الدرجات العلى وتنزلهم في المقصد الأعلى ﴿**وكفى بالله شهيداً**﴾ أي شاهداً لأحبائه وأوليائه لئلا يكتفوا براحة دون لقائه انتهى، قال الحافظ قدس سره:

يوسف عزيزم رفت اي برادر آن زچمن كزغمش عجب ديدم حال پير كنعان

وفي الآية تعليم الأدب ورؤية التأثير من الله تعالى.

ـ روي ـ أن أبا بكر رضي الله عنه ابتلي بوجع السن سبع سنين فأعلمه جبريل رسول الله ﷺ وسأل عليه السلام عن حاله فقال: «لِمَ لم تذكر يا أبا بكر» فقال: كيف أشكو مما جاء من الحبيب فلا بد من التخلق بالأخلاق الحسنة لأن الكل من عند الله وإنما أرسل الله رسوله لإخراج الناس من الظلمات إلى النور فإذا تأدبوا بالآداب النبوية وصلوا إلى الحقيقة المحمدية، قال الشيخ العطار:

دعوتش فرمود بهر خاص وعام نعمت خودرا برو كرده تمام
مبعث أو سر نكونى بتان امت او بهترين امتان
برميان دو كتف خورشيد وار داشته مهر نبوت آشكار

وكان خاتم النبوة بين كتفيه ﷺ إشارة إلى عصمته من وسوسة الشيطان لأن الخناس يجيء من بين الكتفين فيدخل خرطومه قبل قلب الإنسان فيوسوس إليه فإذا ذكر الله خنس وراءه وكان حول خاتم النبوة شعرات مائلة إلى الحضرة مكتوب عليه [محمد نبي أمين] وقيل غير ذلك والتوفيق بين الروايات بتعدد الخطوط وتنوعها بحسب الحالات والتجليات أو بالنسبة إلى أنظار الناظرين، ثم إنه قد اتفق أهل العلم على أفضلية شهر رمضان لأنه أُنزل فيه القرآن ثم شهر ربيع الأول لأنه مولد حبيب الرحمٰن. وأما أفضل الليالي فقيل ليلة القدر لنزول القرآن فيها، وقيل ليلة المولد المحمدي لولاه ما أنزل القرآن ولا تعينت ليلة القدر فعلى الأمة تعظيم شهر المولد وليلته كي ينالوا منه شفاعته ويصلوا إلى جواره.

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٨١ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾

﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾ لأنه في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله تعالى.

ـ روي ـ أنه عليه السلام قال: «من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله» فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد إلا أن نتخذه رباً كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ﴿**ومن تولى**﴾ أي: أعرض عن طاعته ﴿**فما أرسلناك عليهم حفيظا**﴾ تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب. قوله حفيظاً حال من كاف أرسلناك وعليهم متعلق بحفيظاً ﴿**ويقولون**﴾ إذا أمرتهم بأمر ﴿**طاعة**﴾ أي: أمرنا وشأننا طاعة ﴿**فإذا برزوا من عندك**﴾ أي: خرجوا ﴿**بيت طائفة منهم غير الذي تقول**﴾ أي: زورت خلاف ما قلت لها يا محمد فالضمير للخطاب أو ما قالت لك من ضمان الطاعة فالضمير للغيبة واشتقاق البيت من

البيتوتة ولما كان غالب الأفكار التي يستقصي فيها الإنسان واقعاً في الليل إذ هناك يكون الخاطر أصفى والشواغل أقل سمي الفكر المستقصي مبيتاً ﴿والله يكتب ما يبيتون﴾ يثبته في صحائف أعمالهم للمجازاة ﴿فأعرض عنهم﴾ قلل المبالاة بهم ﴿وتوكل على الله﴾ في الأمور كلها سيما في شأنهم ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم إذا قوي أمر الإسلام وعز أنصاره. والوكيل هو العالم بما يفوض إليه من التدبير ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه وأصل التدبير النظر في إدبار الشيء وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تأمل ﴿ولو كان من عند غير الله﴾ أي: ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار ﴿لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحاً وبعضه ركيكاً، وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض أخبار المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية. وهل يجوز أن يقال بعض كلام الله أبلغ من بعض؟ قال الإمام السيوطي في «الإتقان»: جوزه قوم لقصور نظرهم فينبغي أن يعلم أن معنى قول القائل هذا الكلام أبلغ من هذا الكلام أن هذا في موضعه له حسن ولطف وبلاغة وذاك في موضعه له حسن ولطف وهذا الحسن في موضعه أكمل وأبلغ من ذلك في موضعه فلا ينبغي أن يقال إن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ١] أبلغ من ﴿تَبَّتْ﴾ بل ينبغي أن يقال ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] دعاء عليه بالخسران فهل توجد عبارة للدعاء بالخسران أحسن من هذه؟ وكذلك في ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ١] لا توجد عبارة تدل على وحدانيته أبلغ منها فالعالم إذا نظر إلى ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] في باب الدعاء بالخسران ونظر إلى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ في باب التوحيد لا يمكنه أن يقول أحدهما أبلغ من الآخر. وقال بعض المحققين: كلام الله في الله أفضل من كلامه في غيره فـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ أفضل من ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ لأن فيه فضيلة الذكر وهو كلام الله وفضيلة المذكور وهو اسم ذاته وتوحيده وصفاته الإيجابية والسلبية وسورة تبت فيها فضيلة الذكر فقط وهو كلام الله تعالى. قال الغزالي في «جوهر القرآن»: ومن توقف في تفضيل الآيات أوّل قوله عليه السلام: أفضل سورة وأعظم سورة بأنه أراد في الأجر والثواب لا أن بعض القرآن أفضل من بعض فالكل في فضل الكلام واحد والتفاوت في الأجر لا في كلام الله تعالى من حيث هو كلام الله القديم القائم بذاته تعالى انتهى.

يقول الفقير جامع هذه المجالس النفيسة: قولهم إن هذه الآية في غاية الفصاحة كما قال القاضي عند قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ﴾ [هود: ٤٤] الآية يشعر بجواز القول بالتفاوت في طبقات الفصاحة كما عليه علماء البلاغة ومن هنا، قال من قال:

دربيان ودر فصاحت كي بوديكسان سخن

كرچه كوينده بود چون جاحظ وچون أصمعي

در كلام ايزد بيچون كه وحى منزلست ... كى بود تبت يدا ما نند يا ارض ابلعي

قال العلماء: القرآن يدل على صدقه عليه السلام من ثلاثة أوجه: أحدها اطراد ألفاظه في الفصاحة، وثانيها: اشتماله على الإخبار عن الغيوب، والثالث: سلامته من الاختلاف وسبب سلامته منه على ما ذهب إليه أكثر المتكلمين أن القرآن كتاب كبير مشتمل على أنواع كثيرة من

العلوم فلو كان ذلك من عند غير الله لوقع فيه أنواع من الكلمات المتناقضة لأن الكتاب الكبير الطويل لا ينفك عن ذلك ولما لم يوجد فيه ذلك علمنا أنه ليس من عند غير الله وإنما هو وحي أوحي إليه عليه السلام من عند الله بوساطة جبرائيل فمن أطاعه فيه فقد أطاع الله والإطاعة سبب لنيل المطالب الدنيوية والأخروية ويرشدك على شرف الإطاعة أن كلب أصحاب الكهف لما تبعهم في طاعة الله وعد له دخول الجنة، كما قال السعدي:

سـك أصـحـاب كـهـف روزى چـد　　پـى مـردم كـرفـت ومـردم شـد

فإذا كان من تبع المطيعين؟ كذلك فما ظنك بالمطيعين وكما أن من صلى ولم يؤد الزكاة لم تقبل منه الصلاة ومن شكر الله في نعمائه ولم يشكر الوالدين لا يقبل منه فكذلك من أطاع الله ولم يطع الرسول لا يقبل منه.

والإشارة أن الرسول ﷺ كان لوصفه بالفناء فانياً في الله باقياً بالله قائماً مع الله فكان خليفة الله على الحقيقة فيما يعامل الخلق حتى قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] وكان الله خليفته فيما يعامله الخلق حتى قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] ولهذا كان يقول ﷺ: «الله خليفتي على أمتي» **﴿فمن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾** فإنك لست لك حافظاً فكيف لهم فإنهم تولوا عني لا عنك فإنما علي حسابهم لا عليك وفي قوله تعالى: **﴿ويقولون طاعة﴾** إشارة إلى أحوال أكثر مريدي هذا الزمان إذا كانوا حاضرين في الصحبة ينعكس تلألؤ أشعة أنوار الولاية في مرآة قلوبهم فيزدادون إيماناً مع إيمانهم وإرادة مع إرادتهم فيصغون بآذانهم الواعية إلى الحكم والمواعظ الحسنة ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ويقولون السمع والطاعة فيما يسمعون ويخاطبون به **﴿فإذا برزوا من عندك﴾** وهب لهم رياح الهوى وشهوة الحرص وتمايلت قلوبهم عن مجازاة القرار على الولاية وعاد المشؤوم إلى طبعه **﴿بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون﴾** أي يغير عليهم ما يغيرون على أنفسهم لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم **﴿فأعرض عنهم﴾** فاصفح عنهم واصبر معهم **﴿وتوكل على الله﴾** لعل الله يصلح بالهم ولا يجعل التغيير وبالهم ويحسن عاقبتهم ومآلهم **﴿وكفى بالله وكيلاً﴾** للمتوكلين عليه والملتجئين إليه ثم أخبر عن الدواء كما أخبر عن الداء بقوله: **﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾** والإشارة أن العباد لو كانوا يتدبرون القرآن ويتفكرون في آثار معجزاته وأنوار هداياته ونظم آياته وكمال فصاحته وجمال بلاغته وجزالة ألفاظه ورزانة معانيه ومتانة مبانيه وفي أسراره وحقائقه ودقة إشاراته ولطائفه وأنواع معالجاته لأمراض القلوب من إصابة ضرر الذنوب لوجدوا فيه لكل داء دواء ولكل مرض شفاء ولكل عين قرة ولكل وجه غرة ولرأوا كأسه موصوفاً بالصفاء محفوظاً من القذى بحراً لا ينقضي عجائبه وبراً لا تنتفي غرائبه روحاً لا تباغض فيه ولا خلاف وجثة لا تناقض فيها ولا اختلاف **﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾** ولم يجدوا فيه نقيراً ولا قطميراً انتخبته من «التأويلات النجمية» وفي «المثنوي»:

چـون تـودر قـرآن حـق بـركـيـخـتـى　　بـاروان انـبـيـا آمـيـخـتـى
هـسـت قـرآن حـالـهـاى انـبـيـا　　مـاهـيـان بـحـر پـاك كـبـريـا
وربـخـوانـى ونـه قـرآن پـزيـر　　انـبـيـاو اولـيـارا ديـده كـيـر

﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾

﴿وإذا جاءهم﴾ أي بلغ ضعفة المسلمين **﴿أمر من الأمن أو الخوف﴾** أي: خبر من السرايا الذين بعثهم رسول الله ﷺ من ظفر وغنيمة أو نكبة وهزيمة **﴿أذاعوا به﴾** أي أفشوا ذلك الخبر وأظهروه لعدم خبرتهم بالأحوال واستنباطهم للأمور وكانت إذاعتهم مفسدة يقال أذاع السرور أذاع به والباء مزيدة **﴿ولو ردوه﴾** أي: ذلك الخبر **﴿إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم﴾** بترك التعرض له وجعله بمنزلة غير المسموع وتفويض أمره إلى رأي الرسول ﷺ ورأى كبار أصحابه كالخلفاء الأربعة أو رأي أمراء السرايا، فكبار الصحابة أولو أمر على معنى أنهم البصراء بالأمور وإن لم يكن لهم أمر على الناس والأمراء أولو الأمر على الناس مع كونهم بصراء بالأمور **﴿لعلمه﴾** أي: لعلم تدبير ما أخبروا به على أي وجه يتذكرونه **﴿الذين﴾** أي: الرسول وأولو الأمر الذين **﴿يستنبطونه منهم﴾** أي يستخرجون تدبيره بتجاربهم وأنظارهم الصحيحة ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها. وأصل الاستنباط إخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر أول ما تحفر يقال انبط الحفار إذا بلغ الماء وسمي القوم الذين ينزلون بالبطائح بين العراقيين نبطاً لاستنباطهم الماء من الأرض وقيل كانوا يقفون من رسول الله ﷺ وأولي الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء أو على خوف واستشعار فيذيعونه فينشر فيبلغ الأعداء فتعود إذاعتهم مفسدة ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم وفوضوه إليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلمه الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون منه فالمراد بالمستنبطين منهم على كلا الوجهين الرسول وأولو الأمر. ومن في قوله يستنبطونه منهم إما تبعيضية وإما بيانية تجريدية. وفي الآية نهي عن إفشاء السر قيل لبعض الأدباء كيف حفظك للسر قال: أنا قبره ومن هذا قيل صدور الأبرار قبور الأسرار وفي «المثنوي»:

وربكوئى بايكى دو الوداع كل سر جاوز الاثنين شاع
نكته كان جست ناكه ازربان همچوتيرى دان كه جست آن ازكمان
وانكردد ازره آن تيراى پسر بند بايد كرد سيلى را زسر

وفي الآية إشارة إلى أرباب السلوك إذا فتح لهم باب من الأنس أو الهيبة أو الحضور أو الغيبة من آثار صفات الجمال والجلال أشاعوه إلى الأغيار ولو كان رجوعهم في حل هذه المشكلات إلى سنن الرسول ﷺ وإلى سير أولي الأمر منهم وهم المشايخ البالغون الواصلون ومن كان له شيخ كامل فهو ولي أمره لعلمه الذين يستنبطونه منهم وهم أرباب الكشوف بحقائق الأشياء فهم الغواصون في بحار أوصاف البشرية المستخرجون من أصداف العلوم درر حقائق المعرفة **﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾** بإرسال الرسول وإنزال الكتاب **﴿لاتبعتم الشيطان﴾** بالكفر والضلال **﴿إلا قليلاً﴾** أي: إلا قليلاً منكم فإن من خصه الله بعقل راجح وقلب غير متكدر بالانهماك في اتباع الشهوات يهتدي إلى الحق والصواب ولا يتبع الشيطان ولا يكفر بالله وإن فرض عدم إنزال القرآن وبعثة سيدنا محمد ﷺ كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهما ممن كان على دين المسيح قبل بعثته.

وقال الشيخ نجم الدين قدس سره في تأويلاته لعل الاستثناء راجع إلى الصديق رضي الله عنه فإنه كان قبل مبعث النبي عليه السلام يوافقه في طلب الحق قالت عائشة رضي الله عنها: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشياً.

- وروي - عن النبي عليه السلام «كنت وأبو بكر كفرسي رهان سبقته فتبعني ولو سبقني لتبعته» وفي الحقيقة كان النبي عليه السلام فضل الله ورحمته يدل عليه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟﴾ [الجمعة: ٢] إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الحديد: ٢١] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فلولا وجود النبي عليه السلام وبعثته لبقوا في تيه الضلالة تائهين كما قال تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٠٣] يعني قبل بعثته وكانوا قد اتبعوا الشيطان إلى شفا حفرة من النار وكان عليه السلام فضلاً ورحمة عليهم فأنقذهم منها كما قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، قال الشيخ العطار قدس سره:

خويشتن راخواجه عرصات كفت إنما أنا رحمة مهدات كفت

وقال حضرة الهدايي قدس سره:

سرماية سعادت عالم محمد است مقصود ازين طينت آدم محمد است
در صورت آدم آمدا كرچه مقدما در معنى بيشوا ومقدم محمد است
كرچه هدايى رسالت مكرم است محبوب حق محمد وخاتم محمد است

قال بعض الحكماء: إن الله تعالى خلق محمداً ﷺ فجعل رأسه من البركة وعينيه من الحياء وأذنيه من العبرة ولسانه من الذكر وشفتيه من التسبيح ووجهه من الرضى وصدره من الإخلاص وقلبه من الرحمة وفؤاده من الشفقة وكفيه من السخاوة وشعره من نبات الجنة وريقه من عسل الجنة فلما أكمله بهذه الصفة أرسله إلى هذه الأمة فقال: هذا هديتي إليكم فاعرفوا قدر هديتي وعظموه كذا في «زهرة الرياض». وقيل في وجه عدم ارتحال جسده الشريف النظيف من الدنيا مع أن عيسى عليه السلام قد عرج إلى السماء بجسده أنه إنما بقي جسمه الطاهر هنا لإصلاح عالم الأجساد وانتظامه فإنه مظهر الذات وطلسم الكائنات فجميع الانتظام بوجوده الشريف كذا في «الواقعات المحمودية» نقلاً عن حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس الله سره آمين آمين يا رب العالمين.

﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

﴿فقاتل في سبيل الله﴾ الفاء جزائية والجملة جواب لشرط مقدر أي إن تثبط المنافقون وقصر الآخرون وتركوك وحدك، فقاتل أنت يا محمد وحدك في الطريق الموصل إلى رضى الله وهو الجهاد ولا تبال بما فعلوا **﴿لا تكلف إلا نفسك﴾** مفعول ثان للفعل المخاطب المجهول أي إلا فعل نفسك لا يضرك لمخالفتهم وتقاعدهم فتقدم إلى الجهاد وإن لم يساعدك أحد فإن الله ناصرك لا الجنود. والتكلف اسم لما يفعل بمشقة أو بتصنع فالمحمود منه ما فعل بمشقة

حتى ألف ففعل بمحبة كالعبادات والمذموم منه ما يتعاطى تصنعاً ورياء ﴿وحرض المؤمنين﴾ على القتال أي: رغبتهم فيه بذكر الثواب والعقاب أو بوعد النصرة والغنيمة وما عليك في شأنهم إلا التحريض فحسب لا التعنيف بهم.

ـ روي ـ أن رسول الله ﷺ واعد أبا سفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة وهي سوق من المدينة على ثمانية أميال ويقال لها حمراء الأسد أيضاً فلما بلغ الميعاد دعا الناس إلى الخروج فكرهه بعضهم فأنزل الله هذه الآية فخرج ﷺ في سبعين راكباً فكفاهم الله القتال كما قال: ﴿عسى الله أن يكف﴾ أي: يمنع ﴿بأس الذين كفروا﴾ البأس في الأصل المكروه ثم وضع موضع الحرب والقتال قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨] وعسى من الله واجب لأنه في اللغة الإطماع والكريم إذا أطمع أنجز وقد فعل حيث ألقى في قلوب الكفرة الرعب حتى رجعوا من مر الظهران.

ـ ويروى ـ أن رسول الله ﷺ وافى بجيشه بدراً وقام بها ثماني ليال وكان معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيراً كثيراً وقد مر في سورة آل عمران ﴿والله أشد بأساً﴾ أي من قريش ﴿وأشد تنكيلاً﴾ أي تعذيباً وعقوبة ينكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدي إليها ويجوز أن يكونا جميعاً في الدنيا وأن يكون أحدهما في الدنيا والآخر في العقبى. ثم له ثلاثة أوجه:

أحدها أن معناه أن عذاب الله تعالى أشد من جميع ما ينالكم بقتالهم لأن مكروههم ينقطع ثم تصيرون إلى الجنة وما يصل إلى الكفار والمنافقين من عذاب الله يدوم ولا ينقطع.

والثاني لما كان عذاب الله أشد فهو أولى أن يخاف ولا يجري في أمره بالقتال منكم خلاف وهذا وعيد.

والثالث لما كان عذاب الله أشد فهو يدفعهم عنكم ويكفيكم أمرهم وهذا وعد وإنما جبن المتقاعدون لشدة بأس الكفار وصولتهم ولكن الله قاهر فوق عباده وقوة اليقين رأس مال الدين والموت تحفة المؤمن الكامل خصوصاً إذا كان في طريق الجهاد والدنيا سريعة الزوال ولا تبقى على كل حال وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيراً ما ينشد هذه الأبيات:

لا شيء مما نرى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويردى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها ترد
اين الملوك التي كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب ... لا بد من ورده يوماً كما وردوا

«وفي التأويلات النجمية» ﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك﴾ المعنى فجاهد في طلب الحق نفسك فإن في طلب الحق لا تكلف نفساً أخرى إلا نفسك وفيه معنى آخر لا تكلف نفس أخرى بالجهاد لأجل نفسك لأن حجابك من نفسك لا من نفس أخرى فدع نفسك وتعال فإنك صاحب يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً وذلك لأنه ﷺ اختص بهذا المقام من جميع الأنبياء والمرسلين وأن يكون فاني النفس والذي يدل عليه أن الأنبياء يوم القيامة يقولون لبقاء نفوسهم: نفسي نفسي ويقول النبي عليه السلام لفناء نفسه: أمتي أمتي فافهم جداً ثم قال: ﴿وحرض المؤمنين﴾ على القتال يعني في الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر ﴿عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا﴾ ظاهراً وباطناً فالظاهر الكفار والباطن النفس ﴿والله أشد بأسا وأشد تنكيلا﴾

في استيلاء سطوات صفات قهره عند تجلي صفة جلاله للنفس من بأس الكافر عليها انتهى، وفي «المثنوي»:

اندرين ره مى تراش ومى خراش تادم آخر دمى فارغ مباش
اى شهان كشتيم ما خصمى برون ماند خصمى زوان بتردر اندرون
كشتن اين كار عقل وهوش نيست شير باطن سخره خركوش نيست
سهل شيرى دانكه صفها بشكند شير آنست آنكه خودرا بشكند

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾

﴿**من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها**﴾ وهو ثواب الشفاعة والتسبب إلى الخير الواقع بها والشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر أو جلب إليه خير وابتغى بها وجه الله تعالى ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت في أمر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق ﴿**ومن يشفع شفاعة سيئة**﴾ وهي ما كانت بخلاف الحسنة ﴿**يكن له كفل منها**﴾ أي: نصيب من وزرها مساو لها في المقدار من غير أن ينقص منه شيء. وعن مسروق أنه شفع شفاعة فأهدى إليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال: لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك لا أتكلم فيما بقي منها. ومن بلاغات الزمخشري شيآن شينان في الإسلام الشفاعة في الحدود والرشوة في الأحكام والحدود عقوبة مقدرة يجب على الإمام إقامتها حقاً لله تعالى لئلا يتضرر العباد فالتعزير ليس بحد إذ ليس له قدر معين فإن أكثره تسعة وثلاثون سوطاً وأقله ثلاثة وكذا القصاص لا يسمى حداً لأنه حق العبد وهو ولي القصاص ولهذا سقط بالعفو والاعتياض فحد الزنى لغير المحصن مائة جلدة وللعبد نصفها وحد شرب الخمر ثمانون سوطاً للحر وأربعون للعبد مفرقاً على بدنه كما في حد الزنى وحد القذف كحد الشرب فمن قذف محصناً أو محصنة بصريح الزنى حد بطلب المقذوف المحصن لأن فيه حق العبد من حيث دفع العار عنه وكذا طلب المسروق منه شرط القطع في السرقة فهذه حدود لا يجري فيها الشفاعة إذ الحق علم القاضي بالواقعة ولهذا قال في ترجمة «وصايا الفتوحات المكية» [ونزديك حاكم در حدود الله شفاعت مكن از ابن عباس رضي الله عنهما در خواست كردند در باب دزدى شفاعت كند ابن عباس رضي الله عنهما كفت هركه شفاعت كند وهركه قبول كند هردودر لعنت اندرا كريبش آزانكه بحاكم معلوم نشود ميكفتيد مى شد] انتهى. ولما كانت الشفاعة في القصاص غير الشفاعة في الحدود قال ﷺ: «ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان» قيل: وكيف ذلك؟ قال: «الشفاعة يحقن بها الدم ويجر بها المنفعة إلى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر» ذكره الإمام الغزالي رحمه الله. وأفصح الحديث عن أن الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول شخص إلى منفعة من المنافع الدنيوية أو الأخروية وخلاصه من مضرة ما كذلك وإذا كانت في أمر غير مشروع لا تكون صدقة بل سيئة. وذكر في ترجمة «الوصايا» أيضاً [چون براي كسى شفاعت كنى وكار او ساخته شود زنهار هديه أو قبول مكن كه رسول الله ﷺ انرا جمله ربا نهاده است شيخ أكبر قدس سره الأطهر فرمودكه در بعض بلا عرب يكى ازاعيان مرا بخانه خود دعوت كرد وترتيبى كرده بود وكرامتى مهيا داشته چون طعام احضار كردند اورا

بسلطان بلند حاجتي بود ازمن طلب شفاعت كرد وسخن من نزد سلطان درغايت قبول بود شيخ فرمود كه اورا كفتم نعم وبر خاستم وطعام نخوردم وهدايا قبول نكردم وحاجت اوپيش سلطان كزاردم واملاك وى بوى باز كشت ومرا هنوز حديث نبوي وقوف نبود ولكن مروءت من چنين تقاضا كرد واستنكاف كردم كه كسي را بمن حاجتي باشد وازوى بمن نفعي عائد شود ودر حقيقت آن عنايت وعصمت حق بود] انتهى. وبالجملة ينبغي للمؤمن أن يشفع للجاني إلى المجني عليه بل ومن حقوق الإسلام أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى من له عنده منزلة ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه، قال السعدي قدس سره:

كر ازحق نه توفيق خيرى رسد كى ازبنده خيرى بغيرى رسد

اميداست ازآنانكه طاعت كنند كه بى طاعتانرا شفاعت كنند

ومن الشفاعة الحسنة الدعاء للمسلم فإنه شفاعة إلى الله تعالى وعن النبي عليه السلام «من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك» وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود والدعوة على المسلم بضد ذلك وإنما يستجاب الدعاء بظهر الغيب لعبده عن شائبة الطمع والرياء بخلاف دعاء الحاضر للحاضر لأنه قلما يسلم من ذلك فالغائب لا يدعو للغائب إلا لله خالصاً فيكون مقبولاً والصلاة على النبي ﷺ في الصلاة وغيرها دعاء من العبد المصلي لمحمد ﷺ عن ظهر الغيب فشرع ذلك رسول الله وأمر الله به في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦] ليعود هذا الخير من الملك على المصلي ولهذا جوز الحنفية قراءة الفاتحة لروحه المطهر عليه السلام ومنعها الشافعية لأن الدعاء بالترحم يوهم التقصير ولذا لا يقال عند ذكر الأنبياء رحمة الله عليهم بل عليهم السلام والجواب أن نفع القراءة يعود على القارىء فأي ضرر في ذلك ﴿وكان الله على كل شيء مقيتاً﴾ أي: مقتدراً مجازياً بالحسنة والسيئة من أقات على الشيء إذا اقتدر عليه أو شهيداً حفيظاً. قال الإمام الغزالي في شرح الأسماء الحسنى: معنى المقيت خالق الأقوات وموصلها إلى الأبدان وهي الأطعمة وإلى القلوب وهي المعرفة فيكون بمعنى الرازق إلا أنه أخص منه إذ الرزق يتناول القوت وغير القوت والقوت ما يكتفي به في قوام البدن أو يكون معناه المستولي على الشيء القادر عليه والاستيلاء يتم بالقدرة والعلم وعليه يدل قوله تعالى: ﴿وكان الله على كل شيء مقيتاً﴾ أي: مطلعاً قادراً فيكون معناه راجعاً إلى العلم والقدرة فوصفه بالمقيت أتم من وصفه بالقادر وحده وبالعالم وحده لأنه دال على اجتماع المعنيين وبذلك يخرج هذا الاسم من الترادف.

والإشارة في الآية ﴿من يشفع شفاعة حسنة﴾ لإيصال نوع من الخيرات إلى الغير ﴿يكن له نصيب منها﴾ فإنها من خصوصيتها أن يكون له نصيب منها أي له نصيب من هذه الحسنة فمن تلك الخصوصية قد يشفع شفاعة حسنة ﴿ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له﴾ أي: في جبلته ﴿كفل منها﴾ يعني: من تلك السيئة التي هي إيصال نوع من الشر فيها قد يشفع شفاعة سيئة كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ﴾ [الأعراف: ٥٨] ﴿وكان الله﴾ في الأزل ﴿على كل شيء مقيتاً﴾ شهيداً في إيجاد المحسن والمسيء مقتدراً عليماً حفيظاً يعطيهما استعداد شفاعة حسنة وسيئة لا يقدران اليوم على تبديل استعدادهما لقابلية الخير والشر فافهم جداً، قال الحافظ قدس سره:

نقش مستورى ومستى نه بدست من وتست آنچه استاد ازل كفت بكن آن كردم

وقال السعدي قدس سره:

كرت صورت حال بد يانكوست نكاريده دست تقدير اوست

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾

﴿وإذا حييتم بتحية﴾ التحية مصدر من حيى كالتسمية من سمى أصلها تحيية كتفعلة وأصل الأصل تحييي، بثلاث ياآت فحذفت الأخيرة وعوض عنها تاء التأنيث وأدغمت الأولى في الثانية بعد نقل حركتها إلى الحاء وأصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت في كل دعاء لأن الدعاء بالخير لا يخلو شيء منه عن الدعاء بنفس الحياة أو بما هو السبب المؤدي إلى قوتها وكمالها أو بما هو الغاية المطلوبة منها وكانت العرب إذا لقي بعضهم بعضاً يقول: حياك الله أي جعل الله لك حياة وأطال حياتك ويقول بعضهم: عش ألف سنة. ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الإسلام قال تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٦١] قيل: تحية النصارى وضع اليد على الفم وتحية اليهود الإشارة بالأصابع وتحية المجوس الانحناء. وفي السلام مزية على تحية العرب وهي حياك الله لما أنه دعاء بالسلامة من الآفات الدينية والدنيوية فإنه إذا قال الإنسان لغيره السلام عليك فقد دعا في حقه بالسلامة منها ويتضمن الوعد بسلامة ذلك الغير وأمانة منه كأنه قال: أنت سليم مني فاجعلني سليماً منك والسلامة مستلزمة لطول الحياة وليس في الدعاء بطول الحياة ذلك ولأن السلام من أسمائه تعالى فالبداية بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته ومعنى الآية إذا سلم عليكم من جهة المؤمنين. **﴿فحيوا بأحسن منها﴾** أي: بتحية أحسن منها بأن تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله إن اقتصر المسلم على الأول وبأن تزيدوا وبركاته إن جمعهما المسلم وهو أن يقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته منتهى الأمر في السلام لكونه مستجمعاً لجميع فنون المطالب التي هي السلامة من المضار ونيل المنافع ودوامها ونمائها ولهذا اقتصر على هذا القدر في التشهد.

- روي - عنه عليه السلام أنه قال: «من قال: السلام عليكم كتب له عشر حسنات ومن قال السلام عليكم ورحمة الله كتب له عشرون حسنة ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتب له ثلاثون حسنة» والمبتدىء بالسلام إن شاء يقول السلام عليكم وإن شاء يقول سلام عليكم لأن كل واحد من التعريف والتنكير وارد في ألفاظ القرآن قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧] ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩] لكن التنكير أكثر والكل جائز. وأما التحليل من الصلاة فلا بد فيه من الألف واللام بالاتفاق ومعنى الجمع في السلام عليكم الخطاب إلى الرجل والملكين الحافظين معه فإنهما يردان السلام ومن سلم عليه الملك فقد سلم من عذاب الله تعالى **﴿أو ردوها﴾** أي: ردوا مثلها وأجيبوا به لأن رد عينها محال فحذف المضاف نحو ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]. قال في «الكشاف»: رد السلام ورجعه جوابه بمثله لأن المجيب يرد قول المسلم ويكرر.

- وروي - أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: السلام عليك فقال: «وعليك السلام ورحمة الله» وقال الآخر: السلام عليك ورحمة الله فقال: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته» وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال: «وعليك» فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله وتلا

الآية أي أين رد الأحسن المذكور في الآية فقال عليه السلام: «إنك لم تترك لي فضلاً فرددت عليك مثله» فيكون قوله عليه السلام وعليك أي وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من قبيل رد المثل وجواب التسليم واجب وإنما التخيير بين الزيادة وتركها. قال أبو يوسف: من قال لآخر أقرىء فلاناً مني السلام وجب عليه أن يفعل وإذا ورد سلام في كتاب فجوابه واجب بالكتاب للآية ﴿إن الله كان على كل شيء حسيباً﴾ الحسيب بمعنى المحاسب على العمل كالجليس بمعنى المجالس أي: أنه تعالى كان على كل شيء من أعمالكم سيما رد السلام بمثله أو بأحسن منه محاسباً مجازياً فحافظوا على مراعاة التحية حسبما أمرتم به. فالجمهور على أن الآية في السلام فالسنة أن يسلم الراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير ويسلم على الصبيان وهو أفضل من تركه. قال في «البستان» وبه نأخذ ويسلم على أهل بيته حين يدخله فإن دخل بيتاً ليس فيه أحد فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإن الملائكة ترد عليه السلام ويسلم على القوم حين يدخل عليهم وحين يفارقهم أيضاً فمن فعل ذلك شاركهم في كل خير عملوه بعده. قال القرطبي: ولا يسلم على النساء الشابات الأجانب خوف الفتنة من مكالمتهن بنزغة شيطان أو خائنة عين. وأما السلام على المحارم والعجائز فحسن ويسلم على أهل الإسلام من عرف منهم ومن لم يعرف.

ولا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري في الحمام وغيره. قال ابن الشيخ في «حواشيه» ومن دخل الحمام ورأى الناس متزرين يسلم عليهم وإن لم يكونوا متزرين لا يسلم عليهم لأنه لا يسلم على المشتغل بمعصية انتهى لكن قال الإمام الغزالي في «الأحياء»: لا يسلم عند الدخول أي في الحمام وإن سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت إن أجاب غيره وإن أحب أن يجيب قال: عافاك الله ولا بأس أن يفتتح الداخل ويقول: عافاك الله لابتداء الكلام انتهى ولا يرد في الخطبة وتلاوة القرآن جهراً ورواية الحديث وعند دراسة العلم والأذان والإقامة وكذا لا يرد القاضي إذا سلم عليه الخصمان وكذا لا يسلم القاضي على الخصوم إذا جلس للحكم لتبقى الهيبة وتكثر الحشمة وبهذا جرى الرسم بأن الولاة والأمراء لا بأس بأن لا يسلموا إذا دخلوا فالمحتسب لا يسلم على أهل السوق في طوافه للحسبة ليبقى على الهيبة. وقال بعضهم: لا يسع القاضي والوالي والأمير ترك السلام إذا دخلوا لأنه سنة فلا يسعهم ترك السنة بسبب تقلد العمل وكذا المتصدق إذا سلم عليه السائل أو أن سؤاله لا يرد وكذا من له ورد من القرآن والدعوات فسلم عليه أحد في حال ورده لا يرد وكذا إذا جلس في المسجد للتسبيح أو للقراءة أو لانتظار الصلاة وإذا دخل الزائر في المسجد فسلم عليه أحد من الداخلين في المسجد يجوز وإذا لم يكن في المسجد أحد إلا من يصلي ينبغي أن يقول الداخل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ولا يسلم فإنه تكليف جواب في غير محله حتى لا يرده قبل الفراغ وبعده وهو الصحيح. ولا يبادر بالسلام على الذمي إلا لضرورة أو حاجة له عنده ولا بأس بالدعاء للكافر والذمي بما يصلحه في دنياه. قال ابن الملك: الدعاء لأهل الكتاب بمقابلة إحسانهم غير ممنوع لما روي أن يهودياً حلب للنبي عليه السلام لقحة فقال عليه السلام: «اللهم جمله»» فبقي سواد شعره إلى قريب من سبعين سنة.

قال النووي: الصواب أن ابتداء أهل الكتاب بالسلام حرام لأنه إعزاز ولا يجوز إعزاز الكفار.

وقال الطيبي: المختار أن المبتدع لا يبدأ بالسلام ولو سلم على من لا يعرفه فظهر ذمياً أو

مبدعاً يقول: استرجعت سلامي تحقيراً له. وأما الأكل مع الكافر فإن كان مرة أو مرتين لتأليف قلبه على الإسلام فلا بأس فإنه ﷺ أكل مع كافر مرة فحملناه على أنه كان لتأليف قلبه على الإسلام ولكن تكره المداومة عليه كما في «نصاب الاحتساب». وفيه أيضاً هل يحتسب على المسلم إذا شارك ذمياً الجواب نعم أما في المفاوضة فلأنها غير جائزة بين المسلم والذمي فكان الاحتساب عليه لدفع التصرف الفاسد. وأما في العنان فلأنها مكروهة بين المسلم والذمي من شرح الطحاوي فكان الاحتساب لدفع المكروه وإذا سلم الذمي فقل: عليك بلا واو وهو الرواية من الثقات أو عليك مثله. قال في «الكشف» ولا يقال لأهل الذمة وعليكم بالواو لأنها للجمع وقال عليه السلام: «إذا سلم عليكم أحد من اليهود فإنما يقول: السام عليكم فقل عليك» أي: عليك مثله.

ـ روي ـ أنه عليه السلام أتاه ناس من اليهود فقالوا: السام عليكم يا أبا القاسم فقال: «عليكم» فقالت عائشة: بل عليكم السام والذام فقال عليه السلام: «يا عائشة إن الله لا يحب الفحش والتفحش» قالت فقلت: أما سمعت ما قالوا قال: «أوليس قد رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في» والسنة الجهر في السلام لقوله عليه السلام: «أفشو السلام» وعن أبي حنيفة رحمة الله عليه لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير.

ـ وحكي ـ أن سياحاً دخل على عالم فسلم عليه فرد عليه السلام وخافت ثم دخل عليه غني فسلم فرد عليه الجواب وجهر فصاح السياح وقال: رحمك الله ما تقول في السلام أعلى نوعين أم على ثلاثة أنواع؟ فقال: لا بل على نوع واحد فقال: أيد الله الفقيه أرى السلام هٰهنا على نوعين فتحير الفقيه وخجل في نفسه فقال: أيد الله الفقيه اسألك مسألة ما تقول فيمن حلف لا يدخل الدار التي بنيت بغير سنة فدخل دارك هذه أيحنث أم لا؟ فسكت الفقيه فلم يجبه فقال تلاميذ الفقيه للسياح: اخرج فإنك شغلتنا فقال: أيها الشبان ما مثله ومثلكم إلا كمثل ضال ضل طريقه فجعل يسترشد من ضال مثله أرشده أم لا فهذا أستاذكم ضل طريق الآخرة وأنتم جئتم تطلبون منه أن يرشدكم؟ فأنى يرشدكم ثم خرج كذا في «روضة العلماء»، قال الصائب:

زبى دردان علاج درد خود جستن بان ماند   كه خار ازپا برون آردكسى بانيش عقربها

إلى هنا كلام الإحياء فإذا بلغ المقابر ومر بها قال: وعليكم السلام أهل الديار من المسلمين والمؤمنين رحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين منا أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية وفي الحديث «ما من عبد يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام» قال ابن السيد علي في «شرح الشرعة»: ولعل المراد أنه يرد السلام بلسان الحال لا بلسان المقال يؤيده ما ورد في بعض الأخبار من أنهم يتأسفون على انقطاع الأعمال عنهم حتى يتحسرون على رد السلام وثوابه انتهى. قال الإمام السيوطي رحمه الله: الأحاديث والآثار تدل على أن الزائر متى جاء علم به المزور وسمع كلامه وآنس به ورد عليه وهذا عام في حق الشهداء وغيرهم وأنه لا توقيت في ذلك وهو الأصح لأن رسول الله ﷺ شرع لأمته أن يسلموا على أهل القبور سلام من يخاطبون من يسمع ويعقل. قال أرباب الحقيقة: للروح اتصال بالبدن بحيث يصلي في قبره ويرد على المسلم عليه وهو في الرفيق الأعلى ومقره في عليين ولا تنافي بين الأمرين فإن شأن الأرواح

غير شأن الأبدان وإنما يأتي الغلط هنا من قياس الغائب على الشاهد فيعتقد أن الروح مما يعهد من الأجسام التي إذا شغلت مكاناً لم يمكن أن تكون في غيره. وقد مثل بعضهم بالشمس في السماء وشعاعها في الأرض كالروح المحمدي يرد على من يصلي عليه عند قبره دائماً مع القطع بأن روحه في أعلى عليين وهو لا ينفك عن قبره كما قال عليه السلام: «ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام». فإن قلت: هل يلزم تعدد الحياة من تلك وكيف يكون ذلك؟ قلت: يؤخذ من هذا الحديث أن النبي ﷺ حي على الدوام في البرزخ الدنيوي لأنه محال عادة أن يخلو الوجود كله من واحد يسلم على النبي عليه السلام في ليل أو نهار فقوله ﷺ: «رد الله على روحي» أي: أبقى الحق فيَّ شعور حياتي الحسي في البرزخ وإدراك حواسي من السمع والنطق فلا ينفك الحس والشعور الكلي عن الروح المحمدي الكلي ليس له غيبة من الحواس والاكوان لأنه روح العالم الكلي وسره الساري، قال العطار قدس سره في نعت النبي المختار:

خواجه كزهر چه كويم بيش بود درهمه چيزى همه درپيش بود
وصف اودر كفت چون آيدمرا چون عرق ازشرم خون آيد مرا
أو فصيح عالم ومن لال او كي توانم داد شرح حال او
وصف اوكى لائق اين ناكسست واصف او خالق عالم بسست
انبيا از وصف توحيران شده سرشناسان نيز سر كردان شده

والإشارة في الآية ﴿وإذا حييتم بتحية﴾ من الخير والشر ﴿فحيوا بأحسن منها﴾ أما الخير فبخير أحسن منه وأما الشر فبحلم وعفو أو مكافأة بالخير ﴿أو ردوها﴾ يعني كافئوا المحسن بمثل إحسانه والمسيء بمثل إساءته يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠] وقال: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ [البقرة: ٢٣٧] وقد ورد عن النبي عليه السلام عن جبريل عن الله تعالى في تفسير قوله: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩] وقال النبي عليه السلام: «تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك» ﴿إن الله كان على كل شيء﴾ من العفو والإحسان ﴿حسيبا﴾ محاسباً فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

كذا في «التأويلات النجمية».

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ٨٨﴾

﴿الله﴾ مبتدأ وخبره قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ أي: لا إله في الأرض ولا في السماء غيره ﴿ليجمعنكم﴾ جواب قسم محذوف أي والله ليحشرنكم من قبوركم ﴿إلى﴾ حساب ﴿يوم القيامة﴾ والقيامة بمعنى القيام والتاء للمبالغة لشدة ما يقع فيه من الهول ﴿لا ريب فيه﴾ حال من اليوم أي حال كون ذلك اليوم لا شك فيه أنه كائن لا محالة أو صفة مصدر محذوف أي: جمعاً لا ريب فيه فضمير فيه يرجع إلى الجمع ﴿ومن أصدق من الله حديثاً﴾ إنكار لأن يكون أحد أكثر صدقاً منه فإنه لا يتطرق الكذب إلى خبره بوجه لأنه نقص وهو على الله محال دون

غيره وفي الحديث «كذبني ابن آدم» أي: نسبني إلى الكذب «ولم يكن له ذلك» يعني لم يكن التكذيب لائقاً به بل كان خطأ «وشتمني» الشتم وصف الغير بما فيه نقص وازراء «ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني» يعني: لن يحييني الله تعالى بعد موتي «وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته» بل إعادته أسهل لوجود أصل البنية وهذا مذكور على طريق التمثيل لأن الإعادة بالنسبة إلى قوانا أيسر من الإنشاء وأما بالنسبة إلى قدرة الله تعالى فلا سهولة له في شيء ولا صعوبة «وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً» وإنما صار هذا شتماً لأن التولد هو انفصال الجزء من الكل بحيث ينمو وهذا إنما يكون في المركب وكل مركب محتاج «وأنا الأحد» أي المنفرد بصفات الكمال من البقاء والتنزه وغيرهما «الصمد» بمعنى المصمود يعني: المقصود إليه في كل الحوائج «الذي لم يلد» هذا نفي للتشبيه والمجانسة «ولم يولد» هذا وصف بالقدم والأولية «ولم يكن له كفواً أحد» هذا تقرير لما قبله كذا في «شرح المشارق» لابن الملك.

واعلم أن القيامة ثلاث: الصغرى وهي موت كل أحد قال النبي عليه السلام: «من مات فقد قامت قيامته»، والوسطى وهي موت جميع الخلائق بالنفخة الأولى، والكبرى وهي حشر الأجساد والسوق إلى المحشر للجزاء بالنفخة الثانية، وفي «المثنوي»:

سازد اسرافيل روزى ناله را جان دهد پو سيده صد ساله را
هين كه اسرافيل وقتند اوليا مرده را زيشان حياتست ونما

وإنما تحصل الحياة الباقية بعد الفناء عن النفس وأوصافها وطريقه ذكر الله تعالى بالإخلاص فإذا تجلى معنى لفظ الجلالة الذي هو الاسم الأعظم يضمحل العالم والوجود ويحصل الاستغراق في بحر التوحيد فإذا استغرق فيه يغيب عنه ما سوى الله تعالى كما أن الإنسان إذا استغرق في الماء لا يرى الغير أصلاً. قال الشيخ أبو يزيد البسطامي: ومن قال الله وقلبه غافل عن الله فخصمه الله.

ـ وحكي ـ أن بعض الصلحاء دخل ليلة بقبوليجة في بلدة بروسة فرأى أنه قد وضع سرير على الحوض وعليه بنت سلطان الجن ومعها جماعة كثيرة من هذه الطائفة فسألهم عن أصل ماء قبوليجة فأرسلت ببعض جماعتها إلى أصله فرأى أنه ماء بارد فقال: كيف يكون هذا أصله وهو حار فقالوا: جماعتنا يذكرون في رأس هذا الماء في كل أسبوع الاسم الله والاسم هو فبحرارته يسخن الماء فتأثير الذكر غير منكر خصوصاً من لسان أرباب التزكية والتصفية، وفي «المثنوي»:

ذكر حق كن بانك غولا نرابسوز چشم نركس را ازين كركس بدوز

والإشارة في الآية ﴿**الله لا إله إلا هو**﴾ يعني: كان الله في الأزل لا إله أي لم يكن معه أحد يوجد الخلق من العدم إلا هو ﴿**ليجمعنكم**﴾ في العدم مرة أخرى ﴿**إلى يوم القيامة**﴾ فيفرقكم فيها فريق في الجنة وفريق في السعير وفريق في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴿**لا ريب فيه**﴾ أي: لا شك في الرجوع إلى هذه المنازل والمقامات ﴿**ومن أصدق من الله حديثاً**﴾ ليحدثكم بمصالح دينكم ودنياكم ومفاسد أخراكم وأولاكم ويهديكم إلى الهدى وينجيكم من الردى.

كذا في «التأويلات النجمية» ﴿**فما لكم**﴾ أيها المؤمنون والمراد بعضهم. قوله ما مبتدأ ولكم خبره والاستفهام للإنكار والنفي ﴿**في المنافقين**﴾ متعلق بما تعلق به الخبر أي أي شيء

كائن لكم فيهم أي في أمرهم وشأنهم ﴿فئتين﴾ أي فرقتين وهو حال من الضمير المجرور في لكم والمراد إنكار أن يكون للمخاطبين شيء مصحح لاختلافهم في أمر المنافقين وبيان وجوب بت القول بكفرهم وإجرائهم مجرى المجاهرين بالكفر في جميع الأحكام وذلك أن ناساً من المنافقين استأذنوا رسول الله ﷺ في الخروج إلى البدر لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة حتى لحقوا بالمشركين بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم: هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون فأنزل الله تعالى الآية ﴿والله أركسهم﴾ حال من المنافقين أي والحال أنه تعالى ردهم إلى الكفر وأحكامه من الذل والصغار والسبي والقتل، والإركاس الرد والرجع يقال: ركست الشيء وأركسته لغتان إذا رددته وقلبت آخره على أوله ﴿بما كسبوا﴾ أي: بسبب ما كسبوا من الارتداد واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله ﷺ ﴿أتريدون﴾ أيها المخلصون القائلون بإيمانهم ﴿أن تهدوا من أضل الله﴾ أي تجعلوه من المهتدين ففيه توبيخ لهم على زعمهم ذلك وإشعار بأنه يؤدي إلى المحال الذي هو هداية من أضل الله تعالى وذلك لأن الحكم بإيمانهم وادعاء اهتدائهم وهم بمعزل من ذلك سعي في هدايتهم وإرادة لها ﴿ومن يضلل الله﴾ أي ومن يخلق فيه الضلال كائناً من كان ﴿فلن تجد له سبيلاً﴾ من السبل فضلاً عن أن تهديه إليه وتوجيه الخطاب إلى كل واحد من المخاطبين للإشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة حال من فاعل تريدون أو تهدوا والرابط هو الواو.

﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾﴾

﴿ودوا لو تكفرون﴾ بيان لغلوهم وتماديهم في الكفر وتصديهم لإضلال غيرهم إثر بيان كفرهم وضلالهم في أنفسهم وكلمة لو مصدرية فلا جواب لها أي تمنوا أن تكفروا. ﴿كما كفروا﴾ نصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي كفرا مثل كفرهم فما مصدرية. ﴿فتكونون سواء﴾ عطف على تكفرون والتقدير ودوا كفركم وكونكم مستوين معهم في الضلال. وفيه إشارة إلى أن من ود الكفر لغيره كان ذلك من أمارات الكفر في باطنه وإن كان يظهر الإسلام لأنه يريد تسوية الاعتقاد فيما بينهما وهذا من خاصية الإنسان يحب أن يكون كل الناس على مذهبه واعتقاده ودينه وقال ﷺ: «الرضى بالكفر كفر» ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء﴾ أي: إذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم فلا توالوهم ﴿حتى يهاجروا في سبيل الله﴾ أي حتى يؤمنوا ويحققوا إيمانهم بهجرة كائنة لله تعالى ورسوله عليه السلام لا لغرض من أغراض الدنيا وسبيل الله ما أمر بسلوكه. ﴿فإن تولوا﴾ أي: عن الإيمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة ﴿فخذوهم﴾ إذا قدرتم عليهم ﴿واقتلوهم حيث وجدتموهم﴾ من الحل والحرم فإن حكمهم حكم سائر المشركين أسراً وقتلاً. ﴿ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً﴾ أي: جانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة أبداً.

والإشارة في الآية إلى أرباب الطلب السائرين إلى الله تعالى فإنهم نهوا عن اتخاذ أهل الدنيا أحباء وعن مخالطتهم حتى يهاجروا عما هم فيه من الحرص والشهوة وحب الدنيا ويوافقوهم في طلب الحق وأمروا بأن يعظوهم بالوعظ البليغ ويقتلوهم، أي: أنفسهم وصفاتها الغالبة كلما رأوهم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾

﴿إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم أي إلا الذين يتصلون وينتهون إلى قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الأسلميون فإنه عليه السلام وادع وقت خروجه إلى مكة هلال بن عويمر الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل إلى هلال ولجأ إليه فله من الجوار مثل الذي لهلال **﴿أو جاؤوكم﴾** عطف على الصلة أي والذين جاؤوكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المأمور بأخذهم وقتلهم فريقان أحدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين والآخر من أتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين **﴿حصرت صدورهم﴾** حال بإضمار قد أي: وقد ضاقت صدورهم فإن الحصر بفتحتين الضيق والانقباض **﴿أن يقاتلوكم﴾** أي: ضاقت عن أن يقاتلوكم مع قومهم. **﴿أو يقاتلوا قومهم﴾** معكم والمراد بالجاءين الذين حصرت صدورهم عن المقاتلة بنو مدلج وهم كانوا عاهدوا أن لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشاً أن لا يقاتلوهم فضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذي بينكم ولأنه تعالى قذف الرعب في قلوبهم وضاقت صدورهم عن قتال قومهم لكونهم على دينهم نهى الله تعالى عن قتل هؤلاء المرتدين إذا اتصلوا بأهل عهد للمؤمنين لأن من انضم إلى قوم ذوي عهد فله حكمهم في حقن الدم **﴿ولو شاء الله لسلطهم﴾** أي: بني مدلج **﴿عليكم﴾** بأن قوى قلوبهم وبسط صدورهم وأزال الرعب عنهم. قال في «الكشاف» فإن قلت: كيف يجوز أن يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت: ما كانت مكافتهم إلا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط **﴿فلقاتلوكم﴾** عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب لو على التكرير. **﴿فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم﴾** أي: فإن لم يتعرضوا لكم مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشيئة الله تعالى. **﴿وألقوا إليكم السلم﴾** أي: الانقياد والاستسلام **﴿فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً﴾** أي: طريقاً بالأسر أو بالقتل فإن مكافتهم عن قتالكم وإن لم يقاتلوا قومهم أيضاً والقاءهم إليكم السلم وإن لم يعاهدوكم كافية في استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم. قال بعضهم الآية منسوخة بآية القتال والسيف وهي قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥] وقال آخرون: إنها غير منسوخة وقال: إذا حملنا الآية على المعاهدين فكيف يمكن أن يقال إنها منسوخة. قال الحدادي في تفسيره: لا يجوز مهادنة الكفار وترك أحد منهم على الكفر من غير جزية إذا كان بالمسلمين قوة على القتال وأما إذا عجزوا عن مقاومتهم وخافوا على أنفسهم وذراريهم جاز لهم مهادنة العدو من غير جزية يؤدونها إليهم لأن حظر الموادعة كان بسبب القوة فإذا زال السبب زال الحظر.

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾

﴿ستجدون﴾ قوماً **﴿آخرين يريدون أن يأمنوكم﴾** أي يظهرون لكم الصلح يريدون أن

يأمنوا منكم بكلمة التوحيد يظهرونها لكم ﴿ويأمنوا قومهم﴾ أي من قومهم بالكفر في السر وهم قوم من أسد وغطفان إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليأمنوا قومهم ﴿كلما ردوا إلى الفتنة﴾ دعوا من جهة قومهم إلى قتال المسلمين ﴿أركسوا فيها﴾ عادوا إليها وقلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا فيها شراً من كل عدو شرير ﴿فإن لم يعتزلوكم﴾ بالكف عن التعرض لكم بوجه ما ﴿ويلقوا إليكم السلم﴾ أي: لم يلقوا إليكم الصلح والعهد بل نبذوه إليكم ﴿ويكفوا أيديهم﴾ أي: لم يكفوها عن قتالكم ﴿فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ أي: تمكنتم منهم ﴿وأولئكم﴾ الموصوفون بما عد من الصفات القبيحة ﴿جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً﴾ أي: حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر وغدرهم وإضرارهم بأهل الإسلام.

والإشارة في الآية الأولى أن الاختلاف واقع بين الأمة في أن خذلان المنافقين هل هو أمر من عند أنفسهم أو أمر من عند الله وقضائه وقدره فبين الله بقوله: ﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾ أي: صرتم فرقتين: فرقة يقولون الخذلان في النفاق منهم، وفرقة يقولون من الله وقضائه وقدره. ﴿والله أركسهم بما كسبوا﴾ يعني: أن الله أركسهم بقدره وردهم بقضائه إلى الخذلان بالنفاق ولكن بواسطة كسبهم ما ينبت النفاق في قلوبهم ليهلك من هلك عن بينة ولهذا مثال وهو أن القدر كتقدير النقاش الصورة في ذهنه والقضاء كرسمه تلك الصورة لتلميذه بالأسرب ووضع التلميذ الاصباغ عليها متبعاً لرسم الأستاذ كالكسب والاختيار فالتلميذ في اختياره لا يخرج عن رسم الأستاذ وكذلك العبد في اختياره لا يمكنه الخروج عن القضاء والقدر ولكنه متردد بينهما ومما يؤكد هذا المثال والتأويل قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: ١٤] وقال: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] وذلك مثل ما ينسب الفعل إلى السبب الأقرب تارة وإلى السبب الأبعد أخرى فالأقرب كقولهم قطع السيف يد فلان والأبعد كقولهم قطع الأمير يد فلان ونظيره قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١] وفي موضع ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] قال ابن نباتة:

إذا ما الإله قضى أمره ... فأنت لما قد قضاه السبب

فعلى هذه القضية من زعم أن لا عمل للعبد أصلاً فقد عاند وجحد ومن زعم أنه مستبد بالعمل فقد أشرك فاختيار العبد بين الجبر والقدر لأن أول الفعل وآخره إلى الله فالعبد بين طرفي الاضطرار مضطر إلى الاختيار فافهم جداً كذا في «التأويلات النجمية».

واعلم أن الجبرية ذهبت إلى أنه لا فعل للعبد أصلاً ولا اختيار وحركته بمنزلة حركة الجمادات والقدرية إلى أن العبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى ومذهب أهل السنة والجماعة الجبر المتوسط وهو إثبات الكسب للعبد وإثبات الخلق لله تعالى وأما مشاهدة الآثار في الأفعال من الله تعالى كما عليه أهل المكاشفة فذلك ليس من قبيل الجبر.

قال في «المثنوي»:

كر بپرانيم تير آن نى زماست ... ما كمان وتير اندازش خداست

اين نه جبر اين معنى جباريست ... ذكر جبارى براى زاريست

زارىء ماشد دليل اضطرار ... خجلت ماشد دليل اختيار

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٩٢)﴾

﴿**وما كان لمؤمن**﴾ أي: وما صح له ولا لاق بحاله ﴿**أن يقتل مؤمناً**﴾ بغير حق فإن الإيمان زاجر عن ذلك ﴿**إلا خطأ**﴾ أي: ليس من شأنه ذلك في حال من الأحوال إلا حال الخطأ فإنه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية فالمؤمن مجبول على أن يكون محلاً لأن يعرض له الخطأ ما لا يقارنه القصد إلى الفعل أو إلى الشخص أو لا يقصد به زهوق الروح غالباً أو لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل بإسلامه.

ـ روي ـ أن عياش بن أبي ربيعة وكان أخا أبي جهل لأمه أسلم وهاجر إلى المدينة خوفاً من أهله وذلك قبل هجرة النبي عليه السلام فأقسمت أمه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل ومعه الحارث بن زيد بن أبي أنيسة فأتياه وهو في أطم أي جبل ففتل منه أبو جهل في الذروة والغارب وقال: أليس محمد يحثك على صلة الرحم؟ انصرف وبرّ أمك ولك علينا أن لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك وبين دينك حتى نزل وذهب معهما فلما بعدا من المدينة شدا يديه إلى خلف بحبل وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا أخي فمن أنت؟ يا حارث لله علي إن وجدتك خالياً أن أقتلك وقدما به على أمه فحلفت لا يحل وثاقه حتى يرجع عن دينه ففعل بلسانه مطمئناً قلبه على الإيمان ثم هاجر بعد ذلك وأسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش لظهر قبا فانحنى عليه فقتله ثم أخبر بإسلامه فأتى رسول الله ﷺ فقال: قتلته ولم أشعر بإسلامه فنزلت ﴿**ومن قتل مؤمنا خطأ**﴾ صغيراً كان أو كبيراً ﴿**فتحرير رقبة**﴾ أي: فعليه إعتاق نسمة عبر عن النسمة بالرقبة كما يعبر عنها بالرأس ﴿**مؤمنة**﴾ محكوم بإسلامها سواء تحققت فيها فروع الإيمان وثمراته بأن صلت وصامت أو لم يتحقق فدخل فيها الصغير والكبير والذكر والأنثى وهذا التحرير هو الكفارة وهي حق الله تعالى الواجب على من قتل مؤمناً مواظباً على عبادة الله تعالى والرقيق لا يمكنه المواظبة على عبادة الله تعالى فإذا أعتقه فقد أقامه مقام ذلك المقتول في المواظبة على العبادات. ﴿**ودية مسلمة إلى أهله**﴾ أي: مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث بعد قضاء الدين منها وتنفيذ الوصية وإذا لم يبق وارث فهي لبيت المال لا المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال ﷺ: «أنا وارث من لا وارث له» ﴿**إلا أن يصدقوا**﴾ أي: يتصدق أهله عليه سمى العفو عنها صدقة حثاً عليه وتنبيهاً على فضله وفي الحديث «كل معروف صدقة» وهو متعلق بعليه المقدر عند قوله: ﴿**ودية مسلمة**﴾ أو بمسلمة أي: تجب الدية ويسلمها إلى أهله إلا وقت تصدقهم عليه لأن الدية حق الورثة فيملكون إسقاطها بخلاف التحرير فإنه حق الله تعالى فلا يسقط بعفو الأولياء وإسقاطهم.

واعلم أن الدية مصدر من ودى القاتل المقتول إذا أعطى وليه المال الذي هو بدل النفس وذلك المال يسمى الدية تسمية بالمصدر والتاء في آخرها عوض عن الواو المحذوفة في الأول كما في العدة وهي أي الدية في الخطأ من الذهب ألف دينار ومن الفضة عشرة آلاف درهم

وهي على العاقلة في الخطأ وهم الأخوة وبنو الأخوة والأعمام وبنو الأعمام يسلمونها إلى أولياء المقتول ويكون القاتل كواحد من العاقلة يعني: يعطي مقدار ما أعطاه واحد منهم لأنه هو الفاعل فلا معنى لإخراجه ومؤاخذة غيره وسميت الدية عقلاً لأنها تعقل الدماء أي تمسكه من أن يسفك الدم لأن الإنسان يلاحظ وجود الدية بالقتل فيجتنب عن سفك الدم فإن لم تكن له عاقلة كانت الدية في بيت المال في ثلاث سنين فإن لم يكن ففي ماله **﴿فإن كان﴾** أي: المقتول **﴿من قوم عدو لكم﴾** كفار محاربين **﴿وهو مؤمن﴾** ولم يعلم به القاتل لكونه بين أظهر قومه بأن أسلم فيما بينهم ولم يفارقهم بالهجرة إلى دار الإسلام أو بأن أسلم بعدما فارقهم لمهم من المهمات **﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾** أي: فعلى قاتله الكفارة دون الدية إذ لا وراثة بينه وبين أهله لكونه كفاراً ولأنهم محاربون **﴿وإن كان﴾** أي المقتول المؤمن **﴿من قوم﴾** كفرة **﴿بينكم وبينهم ميثاق﴾** أي: عهد موقت أو مؤبد **﴿فدية﴾** أي فعلى قاتله دية **﴿مسلمة إلى أهله﴾** من أهل الإسلام إن وجدوا **﴿وتحرير رقبة مؤمنة﴾** كما هو حكم سائر المسلمين **﴿فمن لم يجد﴾** أي: رقبة لتحريرها بأن لم يملكها ولا ما يتوصل به إليها وهو ما يصلح أن يكون ثمناً للرقبة فاضلاً عن نفقته ونفقة عياله وسائر حوائجه الضرورية من المسكن وغيره **﴿فصيام﴾** أي: فعليه صيام **﴿شهرين متتابعين﴾** وإيجاب التتابع يدل على أن المكفر بالصوم لو أفطر يوماً في خلال شهرين أو نوى صوماً آخر فعليه الاستئناف إلا أن يكون الفطر بحيض أو نفاس أو نحوهما مما لا يمكن الاحتراز عنه فإنه لا يقطع التتابع والإطعام غير مشروع في هذه الكفارة بدليل الفاء الدالة على أن المذكور كل الواجب وإثبات البدل بالرأي لا يجوز فلا بد من النص **﴿توبة﴾** كائنة **﴿من الله﴾** ونصبه على المفعول له أي: شرع لكم ذلك توبة أي: قبولاً لها من تاب الله عليه إذا قبل توبته. فإن قيل: قتل الخطأ لا يكون معصية فما معنى التوبة. قلت: إن فيه نوعاً من التقصير لأن الظاهر أنه لو بالغ في احتياط لما صدر عنه ذلك. فقوله توبة من الله تنبيه على أنه كان مقصراً في ترك الاحتياط **﴿وكان الله عليماً﴾** بحاله أي: بأنه لم يقصد القتل ولم يتعمد فيه**﴿حكيماً﴾** فيما أمر في شأنه.

والإشارة في قوله تعالى: **﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين﴾** أن تربية النفس وتزكيتها ببذل المال وترك الدنيا مقدم على تربيتها بالجوع والعطش وسائر المجاهدات فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة وهي عقبة لا يقتحمها إلا الفحول من الرجال كقوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ [البلد: ١١ـ ١٣] الآية. وأن أول قدم السالك أن يخرج من الدنيا وما فيها. وثانيه أن يخرج من النفس وصفاتها كما قال «دع نفسك وتعال» والإمساك عن المشارب كلها من الدنيا والآخرة على الدوام إنما هو بجذبة من الله تعالى وإعطائه القابلية لذلك، كما قيل:

داد حق را قابليت شرط نيست   بلكه شرط قابليت داد حق

ـ حكي ـ أن أولاد هارون الرشيد كانوا زهاداً لا يرغبون في الدنيا والسلطنة فلما ولد له ولد قيل له: ادخله في بيت من زجاج يعيش فيه مع التنعم والترنم والأغاني حتى يليق للسلطنة ففعل فلما كبر كان يوماً يأكل اللحم فوقع عظم من يده فانكسر الزجاج فرأى السماء والعرض فسأل عنهما فأجابوا على ما هو فطلب منهم أن يخرجوه من البيت، فلما خرج رأى ميتاً وجاء إليه وتكلم له فلم يتكلم فسأل عنه فقالوا هو ميت لا يتكلم وقال: وأنا أكون كذلك قالوا: كل

نفس ذائقة الموت فتركهم وذهب إلى الصحراء فذهبوا معه فإذا خمسة فوارس جاؤوا إليه ومعهم فرس ليس عليه أحد فأركبوه وأخذوه وغابوا وليس كل قلب يصلح لمعرفة الرب كما أن كل بدن لا يصلح لخدمته ولهذا قال تعالى: ﴿وكان الله عليما﴾ أي: بمن يصلح للجذبة والخدمة.

قال الصائب:

درسر هرخام طينت نشئه منصور نيست   هرسفالى را صداى كاسه فغفور نيست

وهذا لا يكون بالدعوى فإن المحك يميز الجيد والزيوف وعالم الحقيقة لا يسعه القيل والقال ألا يرى أن من كان سلطاناً أعظم لا يرفع صوته بالتكلم لأنه في عالم المحو وكان أمر سليمان عليه السلام لآصف بن برخيا بإتيان عرش بلقيس مع أنه في مرتبة النبوة لذلك أي لما أنه كان في عالم الاستغراق فلم يرد التنزل وقوله عليه السلام: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل» إشارة إلى تلك المرتبة اللهم اجعلنا من الواصلين إلى جناب قدسك والمتنعمين في حاضر قولك وأنسك.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾

﴿ومن يقتل مؤمناً﴾ حال كون ذلك القاتل ﴿متعمداً﴾ في قتله أي: قاصداً غير مخطىء.

- روي - أن مقيس بن صبابة الكناني كان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه قتيلاً في بني النجار فأتى رسول الله عليه السلام وذكر له القصة فأرسل عليه السلام معه الزبير بن عياض الفهري وكان من أصحاب بدر إلى بني النجار يأمرهم بتسليم القاتل إلى مقيس ليقتص منه إن علموه وبأداء الدية إن لم يعلموه فقالوا: سمعاً وطاعة لله تعالى ولرسوله عليه السلام ما نعلم له قاتلاً ولكنا نؤدي ديته فأتوه بمائة من الإبل فانصرفا راجعين إلى المدينة حتى إذا كانا ببعض الطريق أتى الشيطان مقيساً فوسوس إليه فقال: أتقبل دية أخيك فتكون مسبة عليك أي عاراً أقتل هذا الفهري الذي معك فتكون نفس مكان نفس وتبقى الدية فضلة فرماه بصخرة فشدخ رأسه فقتله ثم ركب بعيراً من الإبل وساق بقيتها إلى مكة كافراً وهو يقول:

قتلت به فهراً وحملت عقله   سراة بني النجار أصحاب قارع

وأدركت ثاري واضطجعت موسداً   وكنت إلى الأوثان أول راجع

فنزلت الآية وهو الذي استثناه رسول الله ﷺ يوم الفتح ممن آمنه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة، ونعم ما قيل:

هركه كند بخود كند   كر همه نيك وبد كند

﴿فجزاؤه﴾ الذي يستحقه بجنايته ﴿جهنم﴾ وقوله تعالى: ﴿خالداً فيها﴾ حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه مقام الكلام كأنه قيل فجزاؤه أن يدخل جهنم خالداً فيها ﴿وغضب الله عليه﴾ عطف على مقدر تدل عليه الشرطية دلالة واضحة كأنه قيل بطريق الاستئناف تقريراً وتأكيداً لمضمونها حكم الله بأن جزاءه ذلك وغضب عليه أي: انتقم منه ﴿ولعنه﴾ أي: أبعده عن الرحمة بجعل جزائه ما ذكر ﴿وأعد له﴾ في جهنم ﴿عذاباً عظيماً﴾ لا يقادر قدره.

واعلم أن العبرة بعموم اللفظ دون خصوص السبب والكلام في كفر من استحل دم المؤمن وخلوده في النار حقيقة فأما المؤمن إذا قتل مؤمناً متعمداً غير مستحل لقتله فلا يكفر

بذلك ولا يخرج من الإيمان فإن أقيد ممن قتله كذلك كان كفارة له وإن كان تائباً من ذلك ولم يكن مقاداً كانت التوبة أيضاً كفارة له لأن الكفر أعظم من هذا القتل فإذا قبلت توبة الكافر فتوبة هذا القاتل أولى بالقبول وإن مات بلا توبة ولا قود فأمره إلى الله تعالى إن شاء غفر له وأرضى خصمه وإن شاء عذبه على فعله ثم يخرجه بعد ذلك إلى الجنة التي وعده بإيمانه لأن الله تعالى لا يخلف الميعاد فالمراد بالخلود في حقه المكث الطويل لا الدوام مع أن هذا إخبار منه تعالى بأن جزاءه ذلك لا بأنه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله عز وجل ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠] ولو كان هذا إخباراً بأنه تعالى يجزي كل سيئة مثلها لعارضه قوله تعالى: ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠] وقد يقول الإنسان لمن يزجره عن أمر إن فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم إن لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذباً فهذا التشديد والتغليظ الذي هو سنة الله تعالى لا يتعلق بالقاتل التائب ولا بمن قتل عمداً بحق كما في القصاص بل يتعلق بمن لم يتب وبمن قتل ظلماً وعدواناً وفي الحديث: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرىء مسلم» وفيه «لو أن رجلاً قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشترك في دمه» وفيه «من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى» وفيه «إن هذا الإنسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه» وقد روي أن داود عليه السلام أراد بنيان بيت المقدس فبناه مراراً فكلما فرغ منه تهدم فشكا إلى الله تعالى فأوحى الله إليه أن بيتي هذا لا يقوم على يدي من سفك الدماء فقال داود: يا رب ألم يك ذلك القتل في سبيلك قال: بلى ولكنهم أليسوا من عبادي فقال: يا رب فاجعل بنيانه على يدي من؟ فأوحى الله إليه أن أومر ابنك سليمان يبنيه والغرض من هذه الحكاية مراعاة هذه النشأة الإنسانية وأن إقامتها أولى من هدمها ألا ترى إلى أعداء الدين أنه قد فرض الله في حقهم الجزية والصلح إبقاء عليهم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل انقضاء ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» وفي الحديث: «أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة وأول ما يقضي بين الناس في الدماء» ثم يحاسب العبد ويقضي عليه في حق زكاته وغيرها هل منعها أو أداها» إلى غير ذلك من الأحوال الجزئية.

ثم اعلم أن المقتول إذا اقتص منه الولي فذلك جزاؤه في الدنيا وفيما بين القاتل والمقتول الأحكام باقية في الآخرة لأن الولي وإن قتله فإنما أخذ حق نفسه للتشفي ودرء الغيظ فأما المقتول فلم يكن له في القصاص منفعة كذا في تفسير الحدادي ولا كفارة في القتل العمد لقوله عليه السلام: «خمس من الكبائر لا كفارة فيهن الإشراك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وقتل النفس عمداً واليمين الغموس» والولي مخير بين ثلاث في القتل العمد القصاص والدية والعفو وذلك لأن في شرع موسى عليه السلام القصاص وهو القتل فقط وفي دين عيسى عليه السلام العقل أو العفو فحسب وفي ملتنا للتشفي القصاص وللترفه الدية وللتكرم العفو وهو أفضل. قال السعدي قدس سره:

بدى رابدى سهل باشد جزا اكر مردى احسن إلى من أسا

والإشارة في الآية أن القلب مؤمن في أصل الفطرة والنفس كافرة في أصل الخلقة وبينهما عداوة جبلية وقتال أصلي وتضاد كلي فإن في حياة القلب موت النفس وفي حياة النفس موت القلب فلما كانت نفوس الكفار حية كانت قلوبهم ميتة فسماهم الله الموتى ولما كانت نفس الصديق ميتة وقلبه حياً قال النبي عليه السلام: «من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى الصديق» فالإشارة في قوله: ﴿**ومن يقتل مؤمناً متعمداً**﴾ إلى القلب والنفس يعني النفس الكافرة إذا قتلت قلباً مؤمناً متعمدة للعداوة الأصلية باستيلاء صفاتها البهيمية والسبعية والشيطانية على القلب الروحاني وغلبة هواها عليه حتى يموت القلب بسمها القاتل ﴿**فجزاؤه**﴾ أي جزاء النفس ﴿**جهنم**﴾ وهي سفل عالم الطبيعة ﴿**خالداً فيها**﴾ لأن خروج النفس عن سفل الطبيعة إنما كان بحبل الشريعة والتمسك بحبل الشريعة إنما كان من خصائص القلب المؤمن كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۝٦﴾ [التين: ٥ـ ٦] فالإيمان والعمل الصالح من شان القلب وصنيعه فإذا مات القلب وانقطع عمله تخلد النفس في جهنم سفل عالم الطبيعة أبداً. ﴿**وغضب الله عليه ولعنه**﴾ بأن يبعدها ويطردها عن الحضرة والقربة ويحرمها من إيصال الخير والرحمة إليها بخطاب ارجعي إلى ربك ﴿**وأعد له عذاباً عظيماً**﴾ هجراناً عن حضرة العلي العظيم وحرماناً من جنات النعيم كذا في «التأويلات النجمية».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٩٤﴾

﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ نزلت الآية في شأن مرداس بن نهيك من أهل فدك وكان أسلم ولم يسلم من قومه غيره وكان عليه السلام بعث سرية إلى قومه كان عليها غالب بن فضالة الليثي فلما وصلت السرية إليهم هربوا وبقي مرداس ثقة بإسلامه فلما وصلوا فدك كبروا وكبر مرداس معهم وكان في سفح جبل ومعه غنمه فنزل إليهم وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد وساق غنمه فأخبروا رسول الله ﷺ بذلك فوجد وجداً شديداً وقال: «قتلتموه إرادة ما معه وهو يقول لا إله إلا الله» فقال أسامة: إنه قال بلسانه دون قلبه وفي رواية إنما قالها خوفاً من السلاح فقال عليه السلام: «هلا شققت عن قلبه فنظرت أصادق هو أم كاذب» ثم قرأ الآية على أسامة فقال: يا رسول الله استغفر لي فقال: «فكيف بلا إله إلا الله» قال أسامة: فما زال ﷺ يعيدها حتى وددت إن لم أكن أسلمت إلا يومئذٍ ثم استغفر لي وأمر برد الأغنام وتحرير رقبة مؤمنة والمعنى أيها المؤمنون ﴿**إذا ضربتم في سبيل الله**﴾ أي سافرتم وذهبتم للغزو من قول العرب ضربت في الأرض إذا سرت لتجارة أو غزو أو نحوهما ﴿**فتبينوا**﴾ التفعل بمعنى الاستفعال الدال على الطلب أي اطلبوا بيان الأمر في كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وروية ﴿**ولا تقولوا لمن ألقي إليكم السلام**﴾ أي لمن حياكم بتحية الإسلام ﴿**لست مؤمناً**﴾ وإنما أظهرت ما أظهرت متعوذاً بل اقبلوا منه ما أظهره وعاملوه بموجبه ﴿**تبتغون عرض الحياة الدنيا**﴾ حال من فاعل لا تقولوا منبىء عما يحملهم على العجلة وترك التأني لكن لا على أن يكون النهي راجعاً إلى القيد فقط كما في قولك لا تطلب العلم

تبتغي به الجاه بل إليهما جميعاً أي لا تقولوا له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذي هو حطام سريع النفاد وعرض الدنيا ما يتمتع به فيها من المال نقداً كان أو غيره قليلاً كان أو كثيراً يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وتسميته عرضاً تنبيه على أنه سريع الفناء قريب الانقضاء **﴿فعند الله مغانم كثيرة﴾** تغنيكم عن قتل أمثاله لماله وهو تنبيه على أن ثواب الله تعالى موصوف بالدوام والبقاء **﴿كذلك﴾** أي مثل ذلك الذي ألقى إليكم السلام **﴿كنتم﴾** أنتم أيضاً **﴿من قبل﴾** أي: في مبادي إسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الإسلام ونحوها **﴿فمن الله عليكم﴾** بأن قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم وأموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم. الفاء للعطف على كنتم **﴿فتبينوا﴾** الفاء فصيحة أي إذا كان الأمر كذلك فاطلبوا بيان هذا الأمر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم في أوائل أموركم من قبول ظاهر الحال من غير وثوق على تواطىء الظاهر والباطن **﴿إن الله كان بما تعملون﴾** من الأعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها **﴿خبيراً﴾** فيجازيكم بحسبها إن خيراً فخير وإن شراً فشر فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه. قال الإمام الغزالي رحمه الله: الخبير هو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة ولا يجري في الملك والملكوت شيء ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلا ويكون عنده خبر وهو بمعنى العليم لكن العلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سمي خبرة ويسمى صاحبه خبيراً وحظ العبد من ذلك أن يكون خبيراً بما يجري في عالمه وعالمه قلبه وبدنه والخفايا التي يتصف القلب بها من الغش والخيانة والطواف حول العاجلة وإضمار الشر وإظهار الخير والبخل بإظهار الإخلاص والإفلاس عنه ولا يعرفها إلا ذو خبرة بالغة قد خبر نفسه ومارسها وعرف مكرها وتلبيسها وخدعها فحاربها وتشمر لمعاداتها وأخذ الحذر منها فذلك من العباد جدير بأن يسمى خبيراً انتهى كلام الإمام. قال السعدي:

نمى تازد ابن نفس سركش چنان كه عقلش تواند كرفتن عنان
كه بانفس وشيطان بر آيد بزور مصاف پلنكان نبايد زمور

ودلت الآية على أن المجتهد قد يخطىء كما أخطأ أسامة وأن خطأه قد كان مغتفراً حيث لم يقتص منه وعلى أن الذكر اللساني معتبر كما أن إيمان المقلد صحيح لكن ينبغي للمؤمن أن يترقى من الذكر اللساني إلى الذكر القلبي ثم إلى الذكر الروحي ويحصل له التعين والمعرفة ويخلص من ظلمة الجهل ويتنور بنور المعرفة لأن الإنسان يموت كما يعيش. عن ابن عباس أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي عليه السلام فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام وهو يقول ما لي أراك مغموماً حزيناً قال عليه السلام: «يا جبريل طال تفكري في أمتي يوم القيامة» قال: أفي أمر أهل الكفر أم أهل الإسلام فقال: «يا جبريل في أمر أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله» فأخذ بيده حتى أقامه إلى مقبرة بني سلمة ثم ضرب بجناحه الأيمن على قبر ميت قال: قم بإذن الله فقام الرجل مبيض الوجه وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال جبريل: عد إلى مكانك فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه الأيسر فقال: قم بإذن الله فخرج رجل مسود الوجه أزرق العينين وهو يقول واحسرتاه واندامتاه فقال له جبريل عد إلى مكانك فعاد كما كان ثم قال: يا محمد على هذا يبعثون يوم القيامة وعند ذلك قال رسول الله ﷺ: «تموتون كما تعيشون وتبعثون كما تموتون»:

هركسى آن درود عاقبت كار كه كشت

والإشارة في الآية إلى البالغين الواصلين بالسير إلى الله أن ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ ووفقوا لمجرد الإيمان بالغيب ﴿إذا ضربتم في سبيل الله﴾ يعني: سرتم بقدم السلوك في طلب الحق حتى صار الإيمان إيقاناً والإيقان إحساناً والإحسان عياناً والعيان غيباً وصار الغيب شهادة والشهادة شهوداً والشهود شاهداً والشاهد مشهوداً وبهما أقسم الله بقوله: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ [البروج: ٣] فافهم جداً وهذا مقام الشيخوخة ﴿فتبينوا﴾ عن حال المريدين وتثبتوا في الرد والقبول وفي قوله: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً﴾ إشارة إلى أرباب الطلب في البدء والإرادة أي إذا تمسك أحد بذيل إرادتكم وألقى إليكم السلام بالانقياد والاستسلام لكم فلا تقولوا لست مؤمناً أي صادقاً مصدقاً في التسليم لأحكام الصحبة وقبول التصرف في المال والنفس على شرط الطريقة ولا تردوه ولا تنفروه بمثل هذه التشديدات وقولوا له كما أمر الله موسى وهارون عليهما السلام ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤] فما أنتم أعز من الأنبياء ولا المريد المبتدىء أذل من فرعون ولا يهولنكم أمر رزقه فتجتنبون منه طلباً للتخفيف وإلى هذا المعنى أشار بقوله: ﴿تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾ فلا تهتموا لأجل الرزق ﴿فعند الله مغانم كثيرة﴾ من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴿كذلك كنتم من قبل﴾ أي: كذلك كنتم ضعفاء في الصدق والطلب محتاجين إلى الصحبة والتربية بدواء الإرادة ﴿فمن الله عليكم﴾ بصحبة المشايخ وقبولهم إياكم والإقبال على تربيتكم وإيصال رزقكم إليكم وشفقتهم وعطفهم عليكم ﴿فتبينوا﴾ أن تردوا صادقاً اهتماماً لرزقه أو تقبلوا كاذباً حرصاً على تكثير المريدين ﴿إن الله كان﴾ في الأزل ﴿بما تعملون﴾ اليوم من الرد والقبول والاحتياج إلى الرزق الذي تهتمون له ﴿خبيرا﴾ بتقدير أمور قدرها في الأزل وفرغ منها كما قال عليه السلام: «إن الله فرغ من الخلق والرزق والأجل» وقال: «الضيف إذا نزل برزقه وإذا ارتحل ارتحل بذنوب مضيفه» كذا في «التأويلات النجمية».

﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٩٥ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٩٦﴾

﴿لا يستوي القاعدون﴾ عن الجهاد ﴿من المؤمنين﴾ حال من القاعدين أي كائنين من المؤمنين وفائدتها الإيذان من أول الأمر بعدم إخلال وصف القعود بإيمانهم والإشعار بعلة استحقاقهم كما سيأتي من الحسنى ﴿غير أولي الضرر﴾ بالرفع صفة للقاعدون. فإن قلت كلمة غير لا تتعرف بالإضافة فكيف جاز كونها صفة للمعرفة. قلت: اللام في القاعدون للعهد الذهني فهو جار مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم بأعيانهم والأظهر أنه بدل من القاعدون. والضرر المرض والعاهة من عمى أو عرج أو شلل أو زمانة أو نحوها وفي معناه العجز عن الأهبة، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: كنت إلى جنب رسول الله ﷺ فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت أن ترضها أي تكسرها ثم سرى عنه وأزيل ما عرض له من شدة الوحي فقال: «اكتب فكتبت ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون﴾» فقال ابن أم مكتوم وكان أعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سرى عنه فقال: «اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر»

قال زيد: أنزلها الله وحدها فألحقتها فالمراد بالقاعدين هم الأصحاء الذين أذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم لأن الغزو فرض كفاية قال ابن عباس رضي الله عنهما هم القاعدون عن بدر والخارجون إليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول ﴿والمجاهدون﴾ عطف على القاعدون ﴿في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم﴾ أي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة في الأجر والثواب. فإن قلت معلوم أن القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء. قلت: فائدته تذكير ما بينهما من التفاوت العظيم ليرغب القاعد في الجهاد رفعاً لرتبته وأنفة عن انحطاط منزلته ﴿فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم﴾ جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه فإن انتفاء الاستواء بينهما يحتمل أن يكون بزيادة درجة أحدهما على درجة الآخر وبنقصانها فبين الله تعالى بهذه الجملة أن انتفاء استوائهما إنما هو بأنه تعالى فضل المجاهدين كأنه قيل: ما لهم لا يستوون فأجيب بذلك ﴿على القاعدين﴾ غير أولي الضرر لكون الجملة بياناً للجملة الأولى المتضمنة لهذا الوصف ﴿درجة﴾ تنوينها للتفخيم كما سيأتي ونصبها بنزع الخافض أي بدرجة أو على المصدرية لأنه لتضمنه معنى التفضيل ووقوعه موقع المرة من التفضيل كان بمنزلة أن يقال فضلهم تفضيلة واحدة ونظيره قولك ضربه سوطاً بمعنى ضربه ضربة ﴿وكلا﴾ من القاعدين والمجاهدين ﴿وعد الله الحسنى﴾ أي المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وإنما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب. قوله كلا مفعول أول لوعد والحسنى مفعوله الثاني وتقديم الأول على الفعل لإفادة القصر تأكيداً للوعد أي كلا منهما وعد الله الحسنى لا أحدهما فقط والجملة اعتراض جيء بها تداركاً لما عسى يوهمه تفضيل أحد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول. قال الفقهاء: وهذا يدل على أن الجهاد فرض كفاية وليس مفروضاً على كل أحد بعينه لأنه تعالى وعد القاعدين عنه الحسنى كما وعد المجاهدين ولو كان الجهاد واجباً على كل أحد على التعيين لما كان القاعد أهلاً لوعد الله تعالى إياه بالحسنى ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين﴾ عطف على قوله فضل الله ﴿أجراً عظيماً﴾ نصب على المصدر لأن فضل بمعنى آجر أي آجرهم أجراً عظيماً وإيثاره على ما هو مصدر من فعله للإشعار بكون ذلك التفضيل أجراً لأعمالهم أو مفعول ثان لفضل لتضمنه معنى الإعطاء أي وأعطاهم زيادة على القاعدين أجراً عظيماً. وقيل نصب بنزع الخافض أي فضلهم بأجر عظيم ﴿درجات﴾ بدل من أجراً بدل الكل مبين لكمية التفضيل ﴿منه﴾ صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة قدرها أي درجات كائنة منه تعالى وهي سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفاً أو سبعمائة درجة وفي الحديث «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض» ويجوز أن يكون انتصاب درجات على المصدرية كما في قولك ضربه أسواطاً أي ضربات كأنه قيل فضلهم تفضلات ﴿ومغفرة﴾ بدل من أجرا بدل البعض لأن بعض الأجر ليس من باب المغفرة أي: مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التي لا يكفرها سائر الحسنات التي لا يأتي بها القاعدون أيضاً حتى تعد من خصائصهم ﴿ورحمة﴾ بدل الكل من أجراً مثل درجات ويجوز أن يكون انتصابهما بإضمار فعلهما أي غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبىء عن المغايرة وتقييده تارة بدرجة وأخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه الكلام ويستدعيه حسن الانتظام إما

لتنزيل الاختلاف العنواني بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف الذاتي تمهيداً لسلوك طريقة الإبهام ثم التفسير روماً لمزيد التحقيق والتقرير كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾ [هود: ٥٨] كأنه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يفهم كنهها وحيث كان تحقق هذا العنوان البعيد بينهما موهماً لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم أريد تفسير ما أفاده التنكير بطريق الإبهام بحيث يقطع احتمال كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شأن التنزيل وإما للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على أن المراد بالتفضيل الأول ما خولهم الله تعالى عاجلاً في الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل الثاني ما أنعم به في الآخرة من الدرجات العالية الفائتة للحصر كما ينبىء عنه تقديم الأول وتأخير الثاني وتوسيط الوعد بالجنة بينهما كأنه قيل فضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة وفي الآخرة درجات لا تحصى وقد وسط بينهما في الذكر ما هو متوسط بينهما في الوجود أعني الوعد بالجنة توضيحاً لحالهما ومسارعة إلى تسلية المفضول والله سبحانه أعلم. وقيل: المجاهدون الأولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه السلام: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» ﴿**وكان الله غفوراً**﴾ لذنوب من جاهد في سبيله ﴿**رحيماً**﴾ يدخله الجنة برحمته وهو تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة.

قال القشيري ـ رحمه الله ـ: إن الله سبحانه جمع أولياءه في الكرامات لكنه غاير بينهم في الدرجات فمن غني وغيره أغنى منه ومن كبير وغيره أكبر منه هذه الكواكب منيرة لكن القمر فوقها وإذا طلعت الشمس بهرت أي غلبت جميعها بنورها انتهى فالجنة مشتركة بين الواصلين البالغين والطالبين المنقطعين بعذر وعوام المؤمنين القاعدين عن الطلب بلا عذر لكن الطائفة الأولى في واد والأخريان في واد آخر لا يستوون عند الله تعالى. قال المولى الجامي قدس سره:

أي كمند بدن چو طفل صغير   مانده دردست خواب غفلت اسير
پيش ازان كت أجل كند پيدار   كر نمردى زخواب سر بردار
إنما السائرون كل رواح   يحمدون السري لدى الاصباح

ودلت الآية على أن أولي الضرر مساوون للمجاهدين في الأجر والثواب.

ـ روي ـ عنه عليه السلام أنه لما رجع من غزوة تبوك ودنا من المدينة قال: «إن في المدينة لأقواماً ما سرتم من مسير ولا قطعتم من وادٍ إلا كانوا معكم فيه» قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة قال: «نعم وهم بالمدينة حبسهم حابس العذر» وهم الذين صحت نياتهم وتعلقت قلوبهم بالجهاد وإنما منعهم عن الجهاد الضرر:

هر كسى از همت والاى خويش   سود برد درخور كالاي خويش

قال عليه السلام: «إذا مرض العبد قال الله تعالى: اكتبوا لعبدي ما كان يعمله في الصحة إلى أن يبرأ» وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴿٦﴾﴾ [التين: ٥ ـ ٦] إن من صار هرماً كتب الله له أجر عمله قبل هرمه غير منقوص. وقالوا في تفسير قوله عليه السلام: «نية المؤمن خير من عمله» إن المؤمن ينوي الإيمان والعمل الصالح لو عاش أبداً فيحصل له ثواب تلك النية أبداً قالوا هذه المساواة مشروطة بشريطة أخرى

سوى الضرر قد ذكرت في قوله تعالى في أواخر سورة التوبة ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩١] والنصيحة لهما طاعة لهما والطاعة لهما في السر والعلن وتوليهما في السراء والضراء والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه كذا في تفسير «الإرشاد».

واعلم أن الجهاد من أفاضل المكاسب وأماثل الحِرَف فلا ينبغي للعاقل أن يترك الجهاد أو التحدث به فإن من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه فقد مات ميتة جاهلية ومعنى التحدث طلبه الغزو وإخطاره بالبال. قال بعض الكبار: السبق بالهمم لا بالقدم وفي الحديث «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» ومعناه أن من أنعم الله عليه بهاتين النعمتين وهما صحة الجسد بالعافية التي هي كالتاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا السقيم والفراغ من شواغل الدنيا وعلقها فمن حصل له هاتان النعمتان واشتغل عن القيام بواجب حق الله تعالى فهذا هو الذي غبن بضياع حظه ونصيبه من طاعة الله وبذل النفس في الخدمة وتحصيل ما ينفعه لآخرته من أنواع الطاعات والقربات اللهم اجعلنا من المنتفعين بحياتهم والمتوجهين إليك في مرضهم وصحتهم ولا تقطعنا عنك ولو لحظة عين ولا تشغلنا عن الوصل بالبين إنك أنت الغفور الرحيم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾

﴿إن الذين توفاهم الملائكة﴾ يحتمل أن يكون ماضياً فيكون إخباراً عن أحوال قوم معينين انقرضوا ومضوا وأن يكون مضارعاً قد حذف منه إحدى التاءين وأصله تتوفاهم وعلى هذا تكون الآية عامة في حق كل من كان بهذه الصفة والظاهر أن لفظ المضارع هٰهنا على حكاية الحال الماضية والقصد إلى استحضار صورتها بشهادة كون خبر أن فعلاً ماضياً وهو قالوا والمراد بتوفي الملائكة إياهم قبض أرواحهم عند الموت والملك الذي فوض إليه هذا العمل هو ملك الموت وله أعوان من الملائكة وإسناد التوفي إلى الله تعالى في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢] وفي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الحج: ٦٦] مبني على أن خالق الموت هو الله تعالى: **﴿ظالمي أنفسهم﴾** في حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للإخلال بأمور الدين فإنها نزلت في ناس من مكة قد أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة فإنه تعالى لم يكن يقبل الإسلام بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة إلا بالهجرة إليها ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله عليه السلام: «لا هجرة بعد الفتح» قال الله تعالى فيمن آمن وترك الهجرة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾ [الأنفال: ٧٢] وهو حال من ضمير توفاهم فإنه وإن كان مضافاً إلى المعرفة وحق الحال أن يكون نكرة إلا أن أصله ظالمين أنفسهم فتكون الإضافة لفظية **﴿قالوا﴾** أي الملائكة للمتوفين تقريراً لهم بتقصيرهم في إظهار إسلامهم وإقامة أحكامه من الصلاة ونحوها وتوبيخاً لهم بذلك **﴿فيم كنتم﴾** أي: في أي شيء كنتم من أمور دينكم كأنه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل:

﴿قالوا﴾ متجانفين عن الإقرار الصريح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجبه على زعمهم ﴿كنا مستضعفين في الأرض﴾ أي: في أرض مكة عاجزين عن القيام بمواجب الدين فيما بين أهلها ﴿قالوا﴾ إبطالاً لتعللهم وتبكيتاً لهم ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ إلى قطر آخر منها تقدرون فيه على إقامة أمور الدين كما فعله من هاجر إلى المدينة وإلى الحبشة وقيل: كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين إلى بدر فقتلوا فيها فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريعاً وتوبيخاً لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللاً بأنهم كانوا مقهورين تحت أيديهم وأنهم أخرجوهم أي إلى بدر كارهين فرد عليهم بأنهم كانوا بسبيل من الخلاص من قهرهم متمكنين من المهاجرة ﴿فأولئك﴾ الذين حكيت أحوالهم الفظيعة ﴿مأواهم﴾ أي: في الآخرة ﴿جهنم﴾ كما أن مأواهم في الدنيا دار الكفر لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وكون جهنم مأواهم نتيجة لما قبله وهو الجملة الدالة على أن لا عذر لهم في ذلك أصلاً فعطف عليه عطف جملة على أخرى ﴿وساءت مصيراً﴾ مصيرهم جهنم ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾ الاستثناء منقطع فإن المتوفين ظالمين أنفسهم إما مرتدون أو عصاة بتركهم الهجرة مع القدرة عليها وهؤلاء المستضعفون أي المستذلون المقهورون تحت أيدي الكفار ليسوا بقادرين عليها فلم يدخلوا فيهم فكان الاستثناء منقطعاً والجار والمجرور حال من المستضعفين أي كائنين منهم. فإن قلت: المستثنى المنقطع وإن لم يكن داخلاً في المستثنى منه لكن لا بد أن يتوهم دخوله في حكم المستثنى منه ومن المعلوم أن لا يتوهم دخول الأطفال في الحكم السابق وهو كون مأواهم جهنم فكيف ذكر في عداد المستثنى. قلت للمبالغة في التحذير من ترك الهجرة وإيهام أنها لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والإشعار بأنه لا محيص لهم عنها البتة تجب عليهم إذا بلغوا حتى كأنها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وأن قوامهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم متى أمكنت ﴿لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً﴾ صفة للمستضعفين إذ لا توقيت فيه فيكون في حكم المنكر واستطاعة الحيلة وجدان أسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر إليه بنفسه أو بدليل ﴿فأولئك﴾ إشارة إلى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز ﴿عسى الله أن يعفو عنهم﴾ ذكر بكلمة الإطماع ولفظ العفو إيذاناً بأن ترك الهجرة أمر خطير حتى أن المضطر من حقه أن لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه ﴿وكان الله عفواً غفوراً﴾ معنى كونه عفواً صفحه وإعراضه عن العقوبة ومعنى كونه غفوراً ستر القبائح والذنوب في الدنيا والآخرة فهو كامل العفو تام الغفران، قال السعدي قدس سره:

پس پرده بيند عملهاى بد هم اوپرده پوشد بيالاى خود

وفي الآية الكريمة إرشاد إلى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من إقامة أمور دينه بأي سبب كان. وعن النبي ﷺ «من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد عليه السلام». قال الحدادي في قوله تعالى: ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ دليل أنه لا عذر لأحد في المقام على المعصية في بلده لأجل المال والولد والأهل بل ينبغي أن يفارق وطنه إن لم يمكنه إظهار الحق فيه ولهذا روي عن سعد بن جبير أنه قال: إذا عمل بالمعاصي بأرض فاخرج منها:

سعد يا حب وطن كرچه حديث است صحيح نتوان مرد بسختى كه من اينجاز آدم

والإشارة في الآية أن المؤمن عام وخاص وخاص الخاص كقوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢] وهو العام ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [فاطر: ٣٢] وهو الخاص ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢] وهو خاص الخاص ﴿**الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم**﴾ هم العوام الذين ظلموا أنفسهم بتدسيتها من غير تزكيتها عن أخلاقها الذميمة وتحليتها بالأخلاق الحميدة ليفلحوا فخابوا وخسروا كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٩ـ ١٠] ﴿**قالوا فيم كنتم**﴾ أي: قالت الملائكة حين قبضوا أرواحهم في أي غفلة كنتم تضيعون أعماركم وتبطلون استعدادكم الفطري؟ وفي أي وادٍ من أودية الهوى تهيمون؟ وفي أي روضة من رياض الدنيا كنتم تؤثرون الفاني على الباقي وتنسون الطهور والساقي وإخوانكم يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ويهاجرون عن الأوطان ويفارقون الإخوان والأخدان ﴿**قالوا كنا مستضعفين في الأرض**﴾ أي عاجزين في استيلاء النفس الأمارة وغلبة الهوى مأسوري الشيطان في حبس البشرية ﴿**قالوا ألم تكن أرض الله**﴾ أي أرض القلب ﴿**واسعة فتهاجروا فيها**﴾ فتحرجوا من مضيق أرض البشرية فتسلكوا في فسحة عالم الروحانية بل تطيروا في هواء الهوية ﴿**فأولئك**﴾ يعني ظالمي أنفسهم ﴿**مأواهم جهنم**﴾ البعد عن مقامات القرب ﴿**وساءت مصيراً**﴾ جهنم البعد لتاركي القرب والمتقاعدين عن جهاد النفس ﴿**إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان**﴾ الذي صفتهم ﴿**لا يستطيعون حيلة**﴾ في الخروج عن الدنيا لكثرة العيال وضعف الحال ولا على قهر النفس وغلبة الهوى ولا على قمع الشيطان في طلب الهدى ﴿**ولا يهتدون سبيلاً**﴾ إلى صاحب ولاية يتمسكون بعروته الوثقى ويعتصمون بحبل إرادته في طلب المولى فيخرجهم من ظلمات أرض البشرية إلى نور سماء الربوبية على أقدام العبودية وهم المقتصدون المشتاقون ولكنهم بحجب الأنانية محجوبون ومن شهود جمال الحق محرومون فعذرهم بكرمه ووعدهم رحمته وقال: ﴿**فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم**﴾ السكون عن الله والركون إلى غير الله ﴿**وكان الله**﴾ في الأزل ﴿**عفواً**﴾ ولعفوه أمكنهم التقصير في العبودية ﴿**غفوراً**﴾ ولغفرانه أمهلهم في إعطاء حق الربوبية كذا في «التأويلات النجمية».

﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾

﴿**ومن يهاجر في سبيل الله**﴾ ترغيب في المهاجرة وتأنيس لها وسبيل الله ما أمر بسلوكه ﴿**يجد في الأرض مراغماً كثيراً**﴾ أي متحولاً يتحول إليه ومهاجراً وإنما عبر عنه بذلك تأكيداً للترغيب لما فيه من الإشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل المهاجر بما فيه من الخير والنعمة إلى ما يكون سبباً لرغم أنف قومه الذين هاجرهم. والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب يقال أرغم الله أنفه أي ألصقه بالرغام ولما كان الأنف من جملة الأعضاء في غاية العزة والتراب في غاية الذلة جعل قولهم رغم أنفه كناية عن الذلة ﴿**وسعة**﴾ في الرزق وإظهار الدين ﴿**ومن يخرج من بيته مهاجراً**﴾ أي مفارقاً قومه وأهله وولده ﴿**إلى الله ورسوله**﴾ أي إلى طاعة الله وطاعة رسوله ﴿**ثم يدركه الموت**﴾ أي: قبل أن يصل إلى المقصد وإن كان ذلك خارج بابه كما ينبىء عنه إيثار الخروج من بيته على المهاجرة ﴿**فقد وقع أجره**

على الله﴾ الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت أجره عند الله ثبوت الأمر الواجب **﴿وكان الله غفورا﴾** مبالغةً في المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التي من جملتها القعود عن الهجرة إلى وقت الخروج **﴿رحيماً﴾** مبالغاً في الرحمة فيرحمه بإكمال ثواب هجرته.

ـ روي ـ أن رسول الله ﷺ لما بعث بالآيات المحذرة عن ترك الهجرة إلى مسلمي مكة. قال جندب بن ضمرة من بني الليث لبنيه وكان شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يركب الراحلة احملوني فإني لست من المستضعفين وإني لأهتدي الطريق ولي من المال ما يبلغني المدينة وأبعد منها والله لا أبيت الليلة بمكة فحمله على سرير متوجهاً إلى المدينة فلما بلغ التنعيم وهو موضع قريب من مكة أشرف على الموت فأخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال: اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميداً فلما بلغ خبره أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: لو توفي بالمدينة لكان أتم أجراً وقال المشركون وهم يضحكون ما أدرك هذا ما طلب فأنزل الله هذه الآية فمن هذا قالوا: المؤمن إذا قصد طاعة ثم أعجزه العذر عن إتمامها كتب الله له ثواب تمام تلك الساعة. وفي الكشاف قالوا: كل هجرة لغرض ديني من طلب علم أو حج أو جهاد أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة وزهداً في الدنيا أو ابتغاء رزق طيب فهي هجرة إلى الله ورسوله وإن أدركه الموت في طريقه فأجره واقع على الله انتهى. قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره من مات قبل الكمال فمراده يجيء إليه كما أن من مات في طريق الكعبة يكتب له أجر حجين. يقول: الفقير سمي الذبيح المتخلص بحقي: سمعت مرة شيخي العارف العلامة أبقاه الله بالسلامة وهو يقول عند تفسير هذه الآية: إن الطالب الصادق إذا سافر من أرض بشريته إلى مقام القلب فمات قبل أن يصل إلى مراده فله نصيب من أجر البالغين إلى ذلك المقام لصدق طلبه وعدم انقطاعه عن الطريق إلى حد الموت بل الله يكمله في عالم البرزخ بوساطة روح من أرواحه أو بوساطة فيضه. ومثل هذا جاء في حق بعض السلاك وله نظير في الشريعة كما روي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: بلغني أن المؤمن إذا مات ولم يحفظ القرآن أمر حفظته أن يعلموه القرآن في قبره حتى يبعثه الله تعالى يوم القيامة مع أهله فإذا كان طالب القرآن الرسمي بالغاً إلى مراده، وأنَّ في البرزخ لحرصه على التحصيل فليس ببدع أن يكون طالب القرآن الحقيقي واصلاً إلى مرامه في عالم المثال المقيد لشغفه على التكميل. أقول: وأما ما قال الشيخ الكبير صدر الدين القنوي قدس سره في الفلك الآخر من الفلوك: من المتفق شرعاً وعقلاً وكشفاً أن كل كمال لم يحصل للإنسان في هذه النشأة وهذه الدار فإنه لا يحصل له بعد الموت في الدار الآخرة انتهى فلعله في حق أهل الحجاب الذين قعدوا عن الطلب رأساً لا في حق أهل الحجاب الذين سلكوا فماتوا قبل الوصول إلى مكاشفة الأفعال ومشاهدة الصفات ومعاينة الذات. قال المولى الجامي في شرح الكلمة الشعيبية من الفصوص الحكمية: فما يدل على عدم الترقي بعد الموت من قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ﴾ [الإسراء: ٧٢] الآية إنما هو بالنسبة إلى معرفة الحق لا لمن لا معرفة له أصلاً فإنه إذا انكشف الغطاء ارتفع العمى بالنسبة إلى الدار الآخرة ونعيمها وجحيمها والأحوال التي فيها وأما قوله عليه السلام: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله» فهو يدل على أن الأشياء التي يتوقف حصولها على الأعمال لا تحصل وما لا يتوقف عليها بل يحصل بفضل الله ورحمته فقد يحصل وذلك من مراتب التجافي انتهى كلامه. فعلى السالك أن لا ينقطع عن

الطريق ويرجو من الله التوفيق كي يصل إلى منزل التحقيق، قال الحافظ الشيرازي:

كاروان رفت تودرراه كمين كاه بخواب وه كه بس بيخبز از غلغل چندين جرسى
بال بكشاى صفير از شجر طوبى زن حيف باشد چوتو مرغى كه اسير قفسى
تاچو مجمر نفسى دامن جانان كيرم جان نهاديم بر آتش زپى خوش نفسى
چند پويد بهواى توبهر سو حافظ يسر الله طريقاً بك يا ملتمسى

وفي «التأويلات النجمية»: أن الإشارة في الآية من غاية ضعف الإنسان وحياته الحيوانية واستهواء الشيطان يكون الخوف غالباً على الطالب الصادق في بدء طلبه فكما أراد أن يسافر عن الأوطان ويهاجر عن الإخوان طالباً فوائد إشارة سافروا لتصحوا وتغنموا لإزالة مرض القلب ونيل صحة الدين والفوز بغنيمة صحبة شيخ كامل مكمل وطبيب حاذق مشفق ليعالج مرض قلبه ويبلغه كعبة طلبه فتسول له النفس إعداد الرزق وعدم الصبر ويعده الشيطان بالفقر فقال تعالى على قضية ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: ٢٦٨] **﴿ومن يهاجر في سبيل الله﴾** أي طلب الله **﴿يجد في الأرض مراغما كثيراً﴾** أي: بلاداً أطيب من بلاده وإخواناً في الدين أحسن من إخوانه **﴿وسعة﴾** في الرزق. وفيه إشارة أخرى وهي ومن يهاجر عن بلد البشرية في طلب حضرة الربوبية يجد في أرض الإنسانية مراغماً كثيراً أي متحولاً ومنازل مثل القلب والروح والسر وسعة أي وسعة في تلك العوالم الوسيعة أو سعة من رحمة الله كما أخبر الله تعالى على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام عن تلك الوسعة والسعة بقوله: «لا يسعني أرضي ولا سمائي وإنما يسعني قلب عبدي المؤمن» فافهم يا كثير الفهم قصير النظر قليل العبر ثم قال دفعاً للهواجس النفسانية والوساوس الشيطانية في التخويف بالموت والإيعاد بالفوت **﴿ومن يخرج من بيته﴾** أي بيت بشريته بترك الدنيا وقمع الهوى وقهر النفس بهجران صفاتها وتبديل أخلاقها **﴿مهاجرا﴾** إلى الله طالباً له في مبايعة رسوله **﴿ثم يدركه الموت﴾** قبل وصوله **﴿فقد وقع أجره على الله﴾** يعني: فقد أوجب الله تعالى على ذمة كرمه بفضله ورحمته أن يبلغه إلى أقصى مقاصده وأعلى مراتبه في الوصول بناء على صدق نيته وخلوص طويته إذا كان المانع من أجله ونية المؤمن خير من عمله **﴿وكان الله غفورا﴾** لذنب بقية أنانية وجوده **﴿رحيماً﴾** عليه بتجلي صفة جوده ليبلغ العبد إلى كمال مقصوده بمنه وكرمه وسعة جوده انتهى كلام «التأويلات».

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿وإذا ضربتم في الأرض﴾ شروع في بيان كيفية الصلاة عند الضرورات من السفر ولقاء العدو والمطر والمرض أي إذا سافرتم أي مسافرة كانت للهجرة أو للجهاد أو لغيرهما **﴿فليس عليكم جناح﴾** أي: حرج ومأثم في **﴿أن تقصروا﴾** شيئاً **﴿من الصلاة﴾** فهو صفة لمحذوف والقصر خلاف المد يقال قصرت الشيء أي جعلته قصيراً بحذف بعض أجزائه أو أوصافه فمتعلق القصر حقيقة إنما هو ذلك الشيء لا بعضه فإنه متعلق الحذف دون القصر وعلى هذا فقوله من الصلاة ينبغي أن يكون مفعولاً لتقصروا على زيادة من حسبما رآه الأخفش وأما على تقدير أن تكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفاً كما هو رأي سيبويه أي شيئاً من الصلاة فينبغي أن يصار إلى وصف الجزء بصفة الكل والمراد قصر الرباعيات بالتنصيف فإنها تصلى في السفر

ركعتين فالقصر إنما يدخل في صلاة الظهر والعصر والعشاء دون المغرب والفجر وأدنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند أبي حنيفة رحمه الله مسيرة ثلاثة أيام ولياليها الأيام للمشي والليالي للاستراحة بسير الإبل ومشي الأقدام بالاقتصاد، ولا اعتبار بإبطاء الضارب أي المسافر السائر وإسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة أيام لم يقصر ثم تلك المسيرة ستة برد جمع بريد كل بريد أربعة فراسخ وكل فرسخ ثلاثة أميال بأميال هاشم جد رسول الله ﷺ وهو الذي قدر أميال البادية كل ميل اثنا عشر ألف قدم وهي أربعة آلاف خطوة فإن كل ثلاثة أقدام خطوة. وظاهر الآية الكريمة التخيير بين القصر والإتمام وأن الإتمام أفضل لكن عندنا يجب القصر لا محالة خلا أن بعض مشايخنا سماه عزيمة وبعضهم رخصة إسقاط بحيث لا مساغ للإتمام لا رخصة توفية إذ لا معنى للتخيير بين الأخف والأثقل قال رسول الله ﷺ: «صدقة تصدق الله بها عليكم» وهو يدل على عدم جواز الإكمال لأن التصدق بما لا يحتمل التمليك إسقاط محض لا يحتمل الرد فليس لنا إلا التدين بما شرع الله والعمل بما حكم. قال في «الأشباه»: القصر للمسافر عندنا رخصة إسقاط بمعنى العزيمة بمعنى أن الإتمام لم يبق مشروعاً حتى أثم به وفسدت لو أتم ومن لم يقعد على رأس الركعتين فسدت صلاته لاتصال النافلة بها قبل كمال أركانها وإن قعد في آخر الركعة الثانية قدر التشهد أجزأته الأخريان نافلة ويصير مسيئاً بتأخير السلام. قال في تفسير الحدادي المسافر إذا صلى الظهر أربعاً ولم يقعد في الثانية قدر التشهد فسدت صلاته كمصلي الفجر أربعاً انتهى. فإن قلت فما تصنع بقوله: ﴿**فليس عليكم جناح أن تقصروا**﴾ فلم ورد ذلك بنفي الجناح. قلت: لما أنهم ألفوا الإتمام فكانوا مظنة أن يخطر ببالهم أن عليهم نقصاناً في القصر فصرح بنفي الجناح عنهم لتطيب به نفوسهم ويطمئنوا إليه كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [التوبة: ١٥٨] مع أن ذلك الطواف واجب عندنا ركن عند الشافعي ثم إن العاصي كالمطيع في رخصة السفر حتى أن الآبق وقاطع الطريق يقصران لأن المقيم العاصي يمسح يوماً وليلة كالمقيم المطيع فكذا المسافر ولأن السفر ليس بمعصية فلا يعتبر غرض العاصي ﴿**إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا**﴾ جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أي إن خفتم أن يتعرضوا لكم بما تكرهون من القتال وغيره فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة والقصر ثابت بهذا النص في حال الخوف خاصة وأما في حال الأمن فبالسنة. قال المولى أبو السعود في تفسيره وهو شرط معتبر في شرعية ما يذكر بعده من صلاة الخوف المؤداة بالجماعة وأما في حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقاً لتظاهر السنن على مشروعيته. ثم قال بعد كلام بل نقول: إن الآية الكريمة مجملة في حق مقدار القصر وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من الصلاة وفي مقدار مدة القصر الذي نيط به القصر فكل ما ورد عنه ﷺ من القصر في حال الأمن وتخصيصه بالرباعيان على وجه التنصيف وبالضرب في المدة المعينة بيان لإجمال الكتاب انتهى. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سافر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين مكة والمدينة لا يخاف إلا الله فصلى ركعتين. كذا في «الوسيط» ﴿**إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا**﴾ أي ظاهر العداوة وكمال عداوتهم من موجبات التعرض لكم بقتال أو غيره.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟

فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٠٢)﴾

﴿وإذا كنت﴾ يا محمد ﴿فيهم﴾ أي مع المؤمنين الخائفين ﴿فأقمت لهم الصلاة﴾ أي: إذا أردت أن تقيم بهم الصلاة. قال ابن عباس لما رأى المشركون رسول الله ﷺ وأصحابه قاموا إلى صلاة الظهر وهو يؤمهم وذلك في غزوة ذات الرقاع ندموا على تركهم الإقدام على قتالهم فقال بعضهم: دعوهم فإن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأولادهم وأموالهم يريدون صلاة العصر فإن رأيتموهم قاموا إليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبرائيل عليه السلام بهؤلاء الآيات بين الصلاتين فعلمه كيفية أداء صلاة الخوف وأطلعه الله على قصدهم ومكرهم ذهب الجمهور إلى أن صلاة الخوف ثابتة مشروعة بعده ﷺ في حق كل الأمة غايته أنه تعالى علم رسول الله ﷺ كيفية أداء الصلاة حال الخوف لتقتدي به الأمة فيتناولهم الخطاب الوارد له عليه السلام. قال في «الكشاف»: إن الأئمة نواب عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولاً لكل إمام يكون حاضراً بجماعة في حال الخوف عليه أن يؤمهم كما أم رسول الله ﷺ الجماعات التي كان يحضرها ألا يرى أن قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] لم يوجب كونه عليه السلام مخصوصاً بها دون غيره من الأئمة بعده فكذا صلاة الخوف فاندفع قول من قال صلاة الخوف مخصوصة بحضرة الرسول عليه السلام حيث شرط كونه بينهم ﴿فلتقم طائفة منهم معك﴾ بعد أن جعلتهم طائفتين ولتقف الطائفة الأخرى بإزاء العدو ليحرسوكم منهم ﴿وليأخذوا﴾ أي الطائفة القائمة معك وهم المصلون ﴿أسلحتهم﴾ أي: لا يضعوها ولا يلقوها وإنما عبر عن ذلك بالأخذ للإيذان بالاعتناء باستصحابها كأنهم يأخذونها ابتداء ﴿فإذا سجدوا﴾ أي القائمون معك وأتموا الركعة ﴿فليكونوا من ورائكم﴾ أي فلينصرفوا إلى مقابلة العدو للحراسة ﴿ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا﴾ بعد وهي الطائفة الواقفة تجاه العدو للحراسة ﴿فليصلوا معك﴾ الركعة الباقية ولم يبين في الآية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روي عن ابن عمر وابن مسعود أن النبي عليه السلام حين صلى صلاة الخوف صلى بالطائفة الأولى ركعة وبالطائفة الأخرى ركعة كما في الآية ثم جاءت الطائفة الأولى وذهبت هذه إلى العدو حتى قضت الأولى الركعة الأخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الأخرى وقضوا الركعة الأولى بقراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان هذا إذا كان مسافراً أو في الفجر لأن الركعة الواحدة شطر صلاته وأما إذا كان مقيماً أو في المغرب فيصلي بالطائفة الأولى الركعتين لأنهما الشطر. وفي الكافي لو أخطأ الإمام فصلى بالأولى الركعتين وبالثانية ركعتين أي في المغرب فسدت صلاة الطائفتين. وتفصيل كيفية الصلاة عند الخوف من عدو أو سبع كفى مؤونته باب الصلاة الخوف في الفروع فارجع إليه ﴿وليأخذوا﴾ أي هذه الطائفة ﴿حذرهم﴾ وهو التحذر والتيقظ ﴿وأسلحتهم﴾. إن قلت الحذر من قبيل المعاني فكيف يتعلق الأخذ الذي لا يتعلق إلا بما هو من قبيل الأعيان كالسلاح. قلت: إنه من قبيل الاستعارة بالكناية فإنه شبه

الحذر بآلة يستعملها الغازي وجعل تعلق الأخذ به دليلاً على هذا التشبيه المضمر في النفس فيكون استعارة تخييلية ولا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز من حيث إن إسناد الأخذ إلى الأسلحة حقيقة وإلى الحذر مجاز وذلك لأن الأخذ على حقيقته وإنما المجاز إيقاعه فافهم ولعل زيادة الأمر بالحذر في هذه المرة كونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبي عليه السلام في شغل شاغل وأما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحرب وتكليف كل من الطائفتين بأخذ الحذر والأسلحة لما أن الاشتغال بالصلاة مظنة لإلقاء السلاح والإعراض عن ذكرها ومئنة لهجوم العدو كما ينطق به ما بعد الآية. قال الإمام الواحدي في قوله تعالى: **﴿وليأخذوا حذرهم﴾**: رخصة للخائف في الصلاة لأن يجعل بعض فكره في غير الصلاة **﴿ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾** الخطاب للفريقين بطريق الالتفات أي تمنوا أن ينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالأمتعة ما يتمتع به في الحرب لا مطلقاً **﴿ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم﴾** رخصة لهم في وضع الأسلحة إن ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر أو يضعفهم من مرض وهذا يؤيد أن الأمر بالأخذ للوجوب دون الاستحباب. وقال الفقهاء: حمل السلاح في صلاة الخوف مستحب لأن الحمل ليس من أعمال الصلاة والأمر في قوله تعالى: **﴿وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم﴾** محمول على الندب **﴿وخذوا حذركم﴾** أمرهم مع ذلك بأخذ الحذر أي بالتيقظ والاحتياط لئلا يهجم عليهم العدو غيلة. قال ابن عباس رضي الله عنهما غزا رسول الله ﷺ محارباً ببني أنمار فهزمهم الله تعالى فنزل النبي عليه الصلاة والسلام والمسلمون ولا يرون من العدو أحداً فوضعوا أسلحتهم وخرج رسول الله يمشي لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش فحال الوادي بينه عليه السلام وبين أصحابه فجلس في أصل شجرة فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فانحدر من الجبل ومعه السيف وقال لأصحابه قتلني الله إن لم أقتل محمداً فلم يشعر رسول الله إلا وهو قائم على رأسه وقد سل سيفه من غمده فقال: يا محمد من يعصمك مني الآن؟ فقال عليه السلام: «الله عز وجل» ثم قال: «اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت» ثم أهوى بالسيف إلى رسول الله ليضربه فانكب على وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه فندر سيفه فقام رسول الله فأخذه ثم قال: «يا غورث من يمنعك مني» قال: لا أحد قال عليه السلام: «تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأعطيك سيفك» قال: لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبداً ولا أعين عليك عدواً فأعطاه سيفه فقال غورث: والله لأنت خير مني فقال عليه السلام: «أنا أحق بذلك منك» فرجع غورث إلى أصحابه فقص عليه قصته فآمن بعضهم قال: وسكن الوادي فرجع رسول الله إلى أصحابه وأخبرهم بالخبر **﴿إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً﴾** تعليل للأمر بأخذ الحذر أي: أعد لهم عذاباً مهيناً بأن يخذلهم وينصركم عليهم فاهتموا بأموركم ولا تهملوا في مباشرة الأسباب كي يحل بهم عذابه بأيديكم.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾

﴿فإذا قضيتم الصلاة﴾ صلاة الخوف أي أديتموها على الوجه المبين وفرغتم منها فظهر

منه أن القضاء يستعمل فيما فعل في وقته ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠] **﴿فاذكروا الله﴾** حال كونكم **﴿قياماً﴾** أي قائمين **﴿وقعوداً﴾** أي قاعدين **﴿وعلى جنوبكم﴾** أي: مضطجعين أي فداوموا على ذكر الله تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الأحوال حتى في حال المسابقة والقتال كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥] **﴿فإذا اطمأننتم﴾** سكنت قلوبكم من الخوف وأمنتم بعد ما تضع الحرب أوزارها **﴿فأقيموا الصلاة﴾** أي: الصلاة التي دخل وقتها حينئذٍ أي أدوها بتعديل أركانها ومراعاة شرائعها. ومن حمل الذكر على ما يعم الذكر باللسان والصلاة من الحنفية فله أن يقول في تفسير الآية: فداوموا على ذكر الله في جميع الأحوال وإذا أردتم أداء الصلاة فصلوها قائمين حال الصحة والقدرة على القيام وقاعدين حال المرض والعجز عن القيام ومضطجعين على الجنوب حال العجز عن القعود **﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتاً﴾** أي: فرضاً موقتاً. قال مجاهد وقته تعالى عليهم فلا بد من إقامتها في حالة الخوف أيضاً على الوجه المشروع وقيل مفروضاً مقدراً في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتين فلا بد أن تؤدى في كل وقت حسبما قدر فيه.

قال في «شرح الحكم العطائية» ولما علم الله تعالى ما في العباد من وجود الشره المؤدي إلى الملل القاطع عن بلوغ العمل جعل الطاعات في الأوقات إذ جعل في اليوم خمساً وفي السنة شهراً وفي المائتين خمساً وفي العمر زورة رحمة بهم وتيسيراً للعبودية عليهم ولو لم يقيد الطاعات بأعيان الأوقات لمنعهم عنها وجود التسويف فإذا يترك معاملته تعامياً وبطراً وبطالة واتباع للهوى وإنما وسع الوقت كي تبقى حصة الاختيار وهذا سر الوقت وكان الواجب على الأمة ليلة المعراج خمسين صلاة فخفف الله عنهم وجازاهم بكل وقت عشراً فأجر خمسين في خمسة أوقات قالوا وجه كون يوم القيامة على الكافر خمسين ألف سنة لأنه لما ضيع الخمسين عوقب بكل صلاة ألف سنة كما أقروا على أنفسهم بقولهم: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٣] وفي الحديث: «من ترك صلاة حتى مضى وقتها ثم قضى عذب في النار حقباً» والحقب ثمانون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً كل يوم ألف سنة مما تعدون يعني ترك الصلاة إلى وقت القضاء إثم لو عاقب الله به يكون جزاءه هكذا ولكن الله يتكرم بأن لا يجازي به إذا تاب عنه كذا في «مشكاة الأنوار» وفي الحديث: «خمسة لا تطفأ نيرانهم ولا تموت ديدانهم ولا يخفف عنهم من عذابها. مشرك بالله. وعاق لوالديه. والزاني بحليلة جاره. ورجل سلم أخاه إلى سلطان جائر. ورجل أو امرأة سمع المؤذن يؤذن ولم يجب من غير عذر» يعني: أخرها عن وقتها بغير عذر كذا في «روضة العلماء» وفي الحديث: «ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد شيئاً أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه من الصلاة تعبد به ملائكته فمنهم راكع وساجد وقائم وقاعد» وكان آخر ما أوحي به إلى النبي عليه السلام الصلاة وما ملكت أيمانكم.

واعلم أن لله عباداً قد منحهم ديمومية الصلاة فهم في صلاتهم دائمون من الأزل إلى الأبد وليس هذا يدرك بالعقول القاصرة ولا يعقلها إلا العالمون بالله تعالى.

وفي «التأويلات النجمية» **﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾** يعني: واجباً في جميع الأوقات حين فرضت بقوله: **﴿فأقيموا الصلاة﴾** أي أديموها رخص فيها بخمس صلوات في خمسة أوقات لضرورة ضعف الإنسانية كما كان الصلاة الخمس خمسين صلاة

حين فرضت ليلة المعراج فجعلها بشفاعة النبي عليه السلام خمساً وهذا لعوام الخلق وإلا أثبت دوام الصلاة للخواص بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ٢٣]. وفي المثنوي:

پنج وقت آمد نماز رهنمون عاشقانش في صلاة دائمون
نيست زرغبا وظيفه ماهيان زانكه بى دريا ندارد انس وجان
هيچ كس باخويش زرغبا نمود هيچ كس باخود بنوبت يا ربود
دردل عاشق بجز معشوق نيست درميان شان فارق وفاروق نيست

﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿**ولا تهنوا في ابتغاء القوم**﴾ نزلت في بدر الصغرى وهي موضع سوق لبني كنانة كانوا يجتمعون فيها كل عام ثمانية أيام.

ـ روي ـ أن أبا سفيان قال عند انصرافه من أحد: يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل إن شئت فقال ﷺ: «إن شاء الله تعالى» فلما كان القابل ألقى الله الرعب في قلبه فندم على ما قال فبعث نعيم بن مسعود ليخوف المؤمنين من الخروج إلى بدر فلما أتى نعيم المدينة وجد المؤمنين يتجهزون للخروج فقال لهم: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ففتر المؤمنين فقال عليه السلام: «لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد» فأنزل الله هذه الآية إرشاداً لمن طرأ عليهم الوهن في ابتغاء القوم أي طلب أبي سفيان وقوله. والمعنى لا تفتروا ولا تضعفوا في طلب الكفار بالقتال أي لا يورثنكم ما أصابكم يوم أحد من القتل والجراحات فتوراً وضعفاً ﴿**إن تكونوا تألمون**﴾ من الجراح ﴿**فإنهم**﴾ أي القوم ﴿**يألمون كما تألمون**﴾ أي: إن كان لكم صارف عن الحرب وهو أنكم تألمون من الجراح فلهم مثل ذلك من الصارف ولكم أسباب داعية إلى الحرب ليست لهم كما أشار إليها بقوله: ﴿**وترجون من الله**﴾ من الثواب والنصر ﴿**ما لا يرجون**﴾ والحاصل ليس ما تقاسونه من الآلام مختصاً بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم إنهم يصبرون على ذلك فما لكم لا تصبرون مع أنكم أولى به منهم حيث ترجون من الله من إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب في الآخرة ما لا يخطر ببالهم قطعاً ﴿**وكان الله عليماً**﴾ مبالغاً في العلم فيعلم أعمالكم وضمائركم ﴿**حكيماً**﴾ فيما يأمر وينهى فجدّوا في الامتثال بذلك فإن فيه عواقب حميدة وفي أمره بابتغاء القوم بالقتال لهمة بالغة كاملة ومصلحة تامة شاملة فاطلبوهم بالقتال فإن الله يعذبهم في الدنيا بأيديكم وفي الآخرة بأيدي الزبانية فهل ينتظرون إلا سنة الله في الكافرين الأولين وهو إنزال العذاب بهم حين كذبوا أنبياءهم فلن تجد لسنة الله تبديلاً بجعل التعذيب غير تعذيب وغير التعذيب تعذيباً ولن تجد لسنة الله تحويلاً بنقل التعذيب عنهم إلى غيرهم والحاصل أنه لا يبدل نفس السنة ولا يحول محل السنة إذ لقد حق القول عليهم ولا يتبدل القول لديه. وفي الآية الكريمة حث على الشجاعة والتجلد وإظهار الغلظة كما قال تعالى: ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣]، قيل:

هست نرمى آفت جان سمور وزدرشتى ميبردجان خاربشت

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: إذا اضطرب قلب المؤمن عند محاربة الكافر تتحدر ذنوبه كتحدر أوراق الشجرة بهبوب النسيم. وقال عطية بن قيس إذا خرجت غازياً فإن خطر

بيالي كثرة العدد والعدد رجعت عن السفر خوفاً من الغرور وإن خطر قلتهما قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ومن كلمات بهرام:

[هـر آنـكـه سـرتـاج دارد بـايـدكـه دل از سـربـسـر دارد]
هر آنكه پاى نهد در نكار خانه ملك يقين كه مال وسروهرچه هست دربازد

ومن كلمات السعدي قدس سره:

درقـزا كـنـد مـرد بـايـدبـود بـرمـخـنـث سـلاح جـنـك چـه سـود

يقول الفقير: سمعت من حضرة شيخي وسندي الذي هو بمنزلة روحي من جسدي أنه قال السلطان والوزير بالنسبة إلى العساكر الإسلامية كالقلب بالنسبة إلى الأعضاء والجوارح الإنسانية فإذا ثبت ثبتوا كما أن القلب إذا صلح صلح الجسد كله فإن كان إقبال الإمام بعشر مراتب كان إقبال قومه بمرتبة واحدة وإن كان بمائة مرتبة كان إقبالهم بعشر مراتب وهكذا وأما إدباره فعكسه فإن كان بمرتبة كان إدبار القوم بعشر مراتب وإن كان بعشر مراتب كان إدبارهم بمائة مرتبة وهكذا وليس الدخول بدار من باب تفرج البلدان والخروج إلى المسير والتنعم فلا بد لكل مجاهد أن يجتهد في خدمة الدين ويتوكل على الله ويعقد على وعده ويصبر على البلاء حتى يبلغ الكتاب أجله وإن أتى الباب فلا يستعجل الأمناء ولا يهن ولا يحزن بمكث الفتح المطلوب بل ينتظر إلى فرج الله بالنصر والفتح عن قريب فإن انكسار القلوب مفتاح أبواب الغيوب ومدار انفتاح أنواع الفتوح.

والإشارة في الآية ﴿**ولا تهنوا في ابتغاء القوم**﴾ أي في طلب النفس وصفاتها والجهاد معها ﴿**إن تكونوا تألمون**﴾ في الجهاد معها وتتعبون بالرياضات والمجاهدات وملازمة الطاعات والعبادات ومداومة الذكر ومراقبة القلب في طلب الحق والقبول والوصول إلى المقامات العلية ﴿**فإنهم**﴾ يعني: النفس والبدن في طلب الشهوات الدنيوية واللذات الحيوانية والمرادات الجسمانية ﴿**يألمون**﴾ ويتعبون في طلبها ﴿**كما تألمون وترجون من الله**﴾ العواطف الأزلية والعوارف الأبدية ﴿**ما لا يرجون**﴾ النفوس الردية من هممها الدنية التي لا تتجاوز من قصورها عن المقاصد الدنيوية ﴿**وكان الله**﴾ في الأزل ﴿**عليماً**﴾ باستعداد كل طائفة من أصناف الخلق ﴿**حكيماً**﴾ فيما حكم لكل واحد منهم من المقاصد والمشارب قد علم كل أناس مشربهم وكل حزب بما لديهم فرحون.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾

﴿**إنا أنزلنا إليك الكتاب**﴾ أي القرآن إنزالاً ﴿**بالحق**﴾. ـ روي ـ أن رجلاً من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر سرق درعاً من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة

فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها فقال: دفعها إليّ طعمة وشهد له ناس من اليهود على ذلك فقالت بنو ظفر: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ فسألوه أن يجادل اليهودي ليدفع فضيحة البهتان عن صاحبهم طعمة وقالوا له عليه السلام أن يعاقب اليهودي ويقطع يده بناء على شهادة قوم طعمة على براءته وعلى أن اليهودي هو السارق ولم يظهر له عليه السلام ما يوجب القدح في شهادتهم بناء على كون كل واحد من الشاهد والمشهود له من المسلمين ظاهراً فلذلك مال طبعه إلى نصرة الخائن والذب عنه إلا أنه لم يحكم بذلك بل توقف وانتظر الوحي فنزلت الآية ناهية عنه ومنبهة على أن طعمة وشهوده كاذبون وأن اليهودي بريء من ذلك الجرم **﴿لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾** أي: بما عرفك وأوحى به إليك. فأراك ليس من الرؤية البصرية ولا من التي بمعنى العلم وإلا لاستدعى ثلاثة مفاعيل بل هو منقول من رأيت بمعنى الاعتقاد والمعرفة وسميت المعرفة المذكورة رؤية لكونها جارية مجرى الرؤية في القوة والظهور والخلوص من وجوه الريب **﴿ولا تكن﴾** أي فاحكم به ولا تكن **﴿للخائنين﴾** أي لأجلهم والذب عنهم وهم طعمة ومن يعينه فإنه روي أن قومه علموا أن تلك السرقة عمل طعمة بناء على أنه سارق في الجاهلية لكنهم بيتوا طول ليلهم واتفقوا على أن يشهدوا بالسرقة على اليهودي دفعاً عن طعمة عقوبة السرقة فلذلك وصفهم الله جميعاً بالخيانة أو المراد بالخائنين هو وكل من يتسير بسيرته **﴿خصيماً﴾** أي مخاصماً للبراء أي لا تخاصم اليهودي لأجلهم **﴿واستغفر الله﴾** مما هممت به تعويلاً على شهادتهم. قال ابن الشيخ ولما صدر عنه عليه السلام الهم بذلك الحكم الذي لو وقع لكان خطأ في نفسه أمر الله تعالى إياه عليه السلام بأن يستغفر لهذا العذر وإن كان معذوراً فيه عند الله بناء على أن حسنات الأبرار سيآت المقربين **﴿إن الله كان غفوراً رحيماً﴾** مبالغاً في المغفرة والرحمة لمن يستغفره **﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم﴾** الاختيان والخيانة بمعنى أي يخونونها بالمعصية وإنما قال يختانون أنفسهم وإن كانوا ما خانوا أنفسهم لأن مضرة خيانتهم راجعة إليهم كما يقال فيمن ظلم غيره ما ظلم إلا نفسه كذا في «تفسير الحدادي» والمراد بالموصول إما طعمة وأمثاله وإما هو ومن عاونه وشهد ببراءته من قومه فإنهم شركاء له في الإثم والخيانة **﴿إن الله لا يحب﴾** عدم المحبة كناية عن البغض والسخط **﴿من كان خواناً﴾** مفرطاً في الخيانة مصراً عليها **﴿أثيماً﴾** منهمكاً فيها أطلق على طعمة لفظ المبالغة الدال على تكرر الفعل منه مع أن الصادر منه خيانة واحدة وإثم واحد لكون طبعه الخبيث مائلاً إلى تكثير كل واحد من الفعلين. وقد روي أنه هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطاً بها ليسرق متاع أهله فسقط الحائط عليه فقتله قيل إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات. وعن عمر رضي الله عنه أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال: كذبت إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة **﴿يستخفون من الناس﴾** يستترون منهم حياء وخوفاً من ضررهم **﴿ولا يستخفون من الله﴾** أي لا يستحيون منه سبحانه وهو أحق بأن يستحى منه ويخاف من عقابه **﴿وهو معهم﴾** عالم بهم وبأحوالهم فلا طريق إلى الاستخفاء منه سوى ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه **﴿إذ﴾** ظرف منصوب بالعامل في الظرف الواقع خبراً وهو معهم **﴿يبيتون﴾** يدبرون ويزورون **﴿ما لا يرضى﴾** الله **﴿من القول﴾** من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور فإن طعمة قال: ارمي اليهودي بأنه سارق الدرع واحلف أني لم أسرقها فتقبل يميني لأني على دينهم

ولا تقبل يمين اليهودي وقال قوم طعمة من الأنصار نشهد زوراً لندفع شين السرقة وعقوبتها عمن هو واحد منا ﴿وكان الله بما تعملون﴾ من الأعمال الظاهرة والخافية ﴿محيطاً﴾ لا يفوت عنه شيء ﴿ها أنتم﴾ مبتدأ ﴿هؤلاء﴾ خبره والهاء في أول كل منهما للتنبيه والجملة التي بعد هذه الجملة مبينة لوقوع أولاء خبراً كما تقول لبعض الأسخياء أنت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك والخطاب مع قوم من المؤمنين كانوا يذبون عن طعمة وعن قومه بسبب أنهم كانوا في الظاهر من المسلمين ﴿جادلتم عنهم في الحياة الدنيا﴾ المجادلة أشد المخاصمة والمعنى هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة وعن قومه في الدنيا ﴿فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة﴾ فمن يخاصم عنهم في الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه ﴿أم من يكون عليهم وكيلاً﴾ حافظاً وحامياً من بأس الله وانتقامه.

وفي «التأويلات النجمية»: وكيلاً يتكلم بوكالتهم يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذٍ لله قال السعدي قدس سره:

دران روز كز فعل پرسند وقول أولو العزم راتن بلرزد زهول
بجايى كه دهشت خورد أنبيا تو عذر كنه راچه دارى بيا

فعلى العبد أن يتوب قبل الموت من كل معصية توبة نصوحاً ويتدارك ما فرط من تقصيره في فرائض الله ويرد المظالم إلى أهلها حبة حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه شتماً أو قذفاً أو استهزاء أو غيبة ويده ضرباً وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم وما أشد حسرتك في ذلك اليوم إذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السيآت وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقاً أو تظهر عذراً فكيف بك يا مسكين في يوم ترى فيه صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول أين حسناتي؟ فيقال: نقلت إلى صحيفة خصمائك فتوهن نفسك يا أخي إذا تطايرت الكتب ونصبت الموازين وقد نوديت باسمك على رؤوس الخلائق أين فلان ابن فلان؟ هلم إلى العرض على الله وقد وكلت الملائكة بأخذك فقربتك إلى الله لا يمنعها اشتباه الأسماء باسمك إذا عرفت أنك المراد بالدعاء إذا فزع النداء قلبك فعلمت أنك المطلوب فارتعدت فرائصك واضطربت جوارحك وتغير لونك وطار قلبك تخطى بك الصفوف إلى ربك للعرض عليه والوقوف بين يديه وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم وأنت في أيديهم وقد طار قلبك واشتد رعبك لعلمك أين يراد بك قال رسول الله ﷺ: «يؤمر بنفر من الناس يوم القيامة إلى الجنة حتى إذا دنوا منه واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله تعالى لأهلها ثم نودوا أن أصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثواب ما أعددت لأوليائك فيقول الله تعالى ذاك أردت بكم كنتم إذا خلوتم بي بارزتموني بالعظام فإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين ترون الناس خلاف ما ينطوي عليه قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني أجللتم الناس ولم تجلوني تركتم للناس ولم تتركوا لي» يعني: لأجل الناس «فاليوم أذيقكم اليم عقابي مع ما حرمتكم» يعني: من جزيل ثوابي قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] كذا في «تنبيه الغافلين» فإذا عرفت هذا فاجتهد في أن لا تكون من الذين لا يستخفون من الله واجعل خيانتك أمانة وإثمك طاعة وظلمك عدلاً وتزويرك صدقاً

محضاً واستغفر الله فإن الاستغفار دواء الأوزار وبه ينفتح باب الملكوت إلى الله الملك الغفار.

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾

﴿**ومن يعمل سوءاً**﴾ عملاً قبيحاً متعدياً يسوء به غيره ويخزيه كما فعل طعمة بقتادة واليهودي ﴿**أو يظلم نفسه**﴾ بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون الشرك والظلم الشرك لأن الشرك ظلم عظيم. وقيل: هما الصغيرة والكبيرة ﴿**ثم يستغفر الله**﴾ بالتوبة الصادقة وشرطت التوبة لأن الاستغفار لا يكون توبة بالإجماع ما لم يقل معه تبت وأسأت ولا أعود إليه أبداً فاغفر لي يا رب كما في «تفسير الحدادي» ﴿**يجد الله غفوراً**﴾ لذنوبه كائنة ما كانت ﴿**رحيماً**﴾ متفضلاً عليه وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه في التوبة والاستغفار لما أن مشاهدة التائب لآثار المغفرة والرحمة نعمة زائدة. وعن علي رضي الله عنه قال: حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر رضي الله عنه قال: «ما من عبد يذنب ذنباً ثم يتوضأ ويصلي ركعتين ويستغفر الله إلا غفر الله له» وتلا هذه الآية «ومن يعمل سوءاً الخ».

اى كه بى حد كناه كردستى مى نترسى ازان فعال شنيع
توبه كن تا رضاي حق يابى كه به ازتوبه نيست هيج شفيع

﴿**ومن يكسب إثماً**﴾ من الآثام ﴿**فإنما يكسبه على نفسه**﴾ بحيث لا يتعدى ضرره ووباله إلى غيره فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلاً وآجلاً.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**فإنما يكسبه على نفسه**﴾ فإن رين الإثم يظهر في الحال في صفاء مرآة قلبه يعميه عن رؤية الحق ويصمه عن سماع الحق كما قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤] ﴿**وكان الله عليماً حكيماً**﴾ فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ﴿**ومن يكسب خطيئة**﴾ صغيرة أو ما لا عمد فيه من الذنوب ﴿**أو إثماً**﴾ كبيرة أو ما كان عن عمد ﴿**ثم يرم به**﴾ أي يقذف بأحد المذكورين ويسب به ﴿**بريئاً**﴾ أي: مما رماه به ليحمله عقوبة العاجلة كما فعل طعمة بزيد اليهودي ﴿**فقد احتمل**﴾ أي: بما فعل من تحميل جريرته على البري ﴿**بهتاناً**﴾ لا يقادر قدره ﴿**وإثماً مبيناً**﴾ أي: بيناً فاحشاً لأنه بكسب الإثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين الأمرين وسمي رمي البريء بهتاناً لكون البريء متحيراً عند سماعه لعظمه في الكذب يقال بهت الرجل بالكسر إذا دهش وتحير ويقال بهته بهتاناً إذا قال عنه ما لم يقله أو نسب إليه ما لم يفعله.

ـ روي ـ عنه عليه السلام أنه قال: «الغيبة ذكرك أخاك بما يكره» فقيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته».

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**فقد احتمل**﴾ صاحب النفس ﴿**بهتانا**﴾ أبهت القلوب عن العبودية والطاعة ﴿**وإثما مبينا**﴾ بما أثمت به نفسه من المعاصي وأثم بها قلبه فيكون بمنزلة من جعل اللب وهو القلب جلداً وهو النفس وهذا من أكبر الشقاوة فلا ينقطع عنه العذاب إذا صار كل وجوده جلوداً فيكون من جملة الذين قال الله تعالىٰ فيهم ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] لأنهم بدلوا الألباب بالجلود هٰهنا انتهى.

واعلم أن الاستغفار فرار العبد من الخلق إلى الخالق ومن الأنانية إلى الهوية الذاتية وذلك عند صدق الطلب ومن طلبه وجده كما قال: «ألا من طلبني وجدني» قال موسى عليه السلام: أين أجدك يا رب قال: «يا موسى إذا قصدت إليّ فقد وصلت إليّ» فلا بد من الاستغفار مطلقاً، ويقال: سلطان بلا عدل كنهر بلا ماء. وعالم بلا عمل كبيت بلا سقف. وغني بلا سخاوة كسحاب بلا مطر. وشاب بلا توبة كشجر بلا ثمر. وفقير بلا صبر كقنديل بلا ضوء. وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح. وتهذيب الأخلاق قبل الموت من سنن الأخيار والعمل الصالح قرين الرجل كما أن السوء كذلك:

ناكهان بانك درسراى افتاد — كه فلا نرا محل وعده رسيد
دوستان آمدند تالب كور — قدمى چند وبازپس كرديد
وين كز ودسترس نميد آرى — مال وملك وقباله برده كليد
وين كه پيوسته باتو خواهد بود — عمل تست ونفس پاك وپليد
نيك درياب وبدمكن زنهار — كه بدونيك باز خواهى ديد

ـ حكي ـ أن الشيخ وفا المدفون بقسطنطينية في حريم جامعه الشريف أهدي إليه ثمانون ألف درهم من قبل السلطان بايزيد الثاني ليعقد عقد النكاح لبعض بناته فقال: لا أفعل ولو أعطيت الدنيا وما فيها قيل: ولم؟ قال: لأن لي أوراداً إلى الضحى لا أنفك عنها ساعة وأنام من الضحى إلى الظهر لا أترك منه ساعة وأما بعد الظهر فأنتم لا ترضونه لأن النهار يكون في الانتقاص وهكذا يكون طالب الحق في ليله ونهاره فإن الدنيا فانية فالحي الباقي هو الله تعالى فلا بد من طلبه.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾

﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته﴾ بالعصمة **﴿لهمت طائفة منهم﴾** أي من بني ظفر وهم الذابون عن طعمة **﴿أن يضلوك﴾** أي بأن يضلوك عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك مع علمهم بأن الجاني هو صاحبهم وليس القصد فيه إلى نفي هممهم بل إلى نفي تأثيره **﴿وما يضلون إلا أنفسهم﴾** لأن وباله عليهم **﴿وما يضرونك من شيء﴾** محل الجار والمجرور النصب على المصدرية أي وما يضرونك شيئاً من الضرر لأن الله عاصمك وما خطر ببالك كان اعتماداً منك على ظاهر الأمر لا ميلاً في الحكم **﴿وأنزل الله عليك الكتاب﴾** أي القرآن **﴿والحكمة﴾** أي ما في القرآن من الأحكام وعرفك الحلال والحرام **﴿وعلمك﴾** بالوحي من الغيب وخفيات الأمور **﴿ما لم تكن تعلم﴾** ذلك إلى وقت التعليم **﴿وكان فضل الله عليك عظيماً﴾** إذ لا فضل أعظم من النبوة العامة والرياسة التامة ومن ذلك الفضل العظيم عصمته وتعليمه ما لم يعلم. قال الحدادي في «تفسيره» وفي هذه الآيات دلالة أنه لا يجوز لأحد أن يخاصم لغيره في إثبات حق أو نفيه غير عالم بحقيقة أمره وأنه لا يجوز للحاكم الميل إلى أحد الخصمين وإن كان أحدهما مسلماً والآخر كافراً وأن وجود السرقة في يدي إنسان لا يوجب الحكم بها عليه انتهى.

واعلم أن هذه الآية جامعة لفضائل كثيرة. منها بيان أن وبال الشر يعود على صاحبه كما

أن منفعة الخير تعود على فاعله، قال الصائب:

أول بظالمان أثر ظلم ميرسد پيش از هدف هميشه كمان ناله ميكند

ـ حكي ـ أن الله تعالى أيبس يد رجل بذبح عجل بقرة بين يدي أمه ثم ردها برد فرخ سقط من وكره إلى أمه يقال ثلاثة لا يفلحون بائع البشر وقاطع الشجر وذابح البقر.

ـ وحكي ـ أن امرأة وضعت لقمة في فم سائل ثم ذهبت إلى مزرعة فوضعت ولدها في موضع فأخذه الذئب فقالت يا رب ولدي فأخذ آت عنق الذئب واستخرج ولدها من غير أذى ثم قال: هذه اللقمة لتلك اللقمة التي وضعتها في فم السائل فكل يرى أثر صنعه في الدنيا أيضاً. ومنها أن العلم والحكمة من أعظم الفضائل والمراد العلم النافع المقرب إلى الله تعالى أعاذنا الله مما لم ينفع منه على ما قال عليه الصلاة والسلام في دعائه «وأعوذ بك من علم لا ينفع» فإن العلم النافع لا ينقطع مدده في الآخرة أيضاً على ما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له». ومنها أن لا يرى العبد الفضائل والخيرات من نفسه بل من فضل الله ورحمته وليس للعبد أن يزكي نفسه فإن الأنفس ليست بمحل التزكية فمن استحسن من نفسه شيئاً فقط أسقط من باطنه أنوار اليقين والكامل لا يرى لنفسه قدراً فكيف لعمله وكل ما يعمله العبد من بدايته إلى نهايته لا يقابل لنعمة الوجود.

ـ حكي ـ عن شاه شعاع الكرماني أنه كان جالساً في مسجد فقام فقير وسأل الناس فلم يعطوه شيئاً فقال الكرماني من يشتري حج خمسين سنة بمن من الخبر، فيعطي هذا الفقير وكان هناك فقيه فقال: أيها الشيخ قد استحففت بالشريعة فقال الكرماني: لا أرى لنفسي قيمة فكيف أرى لعملي وليس المراد التعطيل عن العمل بل يعملون جميع الحسنات ولا يرون لها قدراً بل يرون التوفيق لها من فضل الله تعالى، قال السعدي قدس سره:

كراز حق توفيق خيرى رسد كه از بنده خيرى بغيرى رسد

چورويى بخدمت نهى بر زمين خدارا ثنا كوى وخودرا مبين

والإشارة في الآية أن فضل الله موهبة من مواهب الحق يؤتيه من يشاء وليس لأحد فيه مدخل بالكسب والاستجلاب وبذلك يهدي العبد للإيمان ويوفقه للعمل الصالح والعظيم في قوله: **﴿وكان فضل الله عليك عظيماً﴾** هو الله تعالى أي أن الله العظيم هو فضل الله عليه ورحمته كما أنك فضل الله ورحمته على العالمين ولهذا قال: «لولاك لما خلقت الافلاك» ومن فضل الله عليك أنه لم يضله شيء من الروحانيات والجسمانيات عن طريق الوصول اللهم احفظنا من الموانع في طريق الوصول إليك آفاقية أو أنفسية والحقنا بفضلك بالنفوس القدسية.

﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾

﴿لا خير في كثير من نجواهم﴾ أي في كثير من تناجي الناس وهو في اللغة سر بين اثنين وذهب الزجاج إلى أن النجوى ما تفرد به الجماعة أو الاثنان سراً كان أو ظاهراً. قال مجاهد هذه الآية عامة في حق جميع الناس غير مختصة بقوم طعمة وإن نزلت في تناجي قوم السارق لتخليصه **﴿إلا من أمر﴾** أي إلا في نجوى من أمر على أنه مجرور بدل من كثير كما تقول لا

خير في قيامهم إلا قيام زيد ﴿بصدقة أو معروف﴾ المعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم أصناف الجميل وفنون أعمال البر وقد فسر هنا بالقرض وإغاثة الملهوف وصدقة التطوع على أن المراد بالصدقة الصدقة الواجبة قال ﷺ: «كل معروف صدقة» وأول أهل الجنة دخولاً أهل المعروف وصنائع المعروف تقي مصارع السوء:

تونيكى كن بآب انداز اى شاه اكر ما هي نداند داند الله

وفي الحديث: «عمل ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله» ﴿أو إصلاح بين الناس﴾ عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم من غير أنه يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف وفي الحديث «ألا أخبركم بأفضل درجة من الصلاة والصدقة» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «إصلاح ذات البين» وفساد ذات البين هي الحالقة فلا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» وعن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال له: «ألا أدلك على صدقة خير لك من حمر النعم» قال: بلى يا رسول الله قال: «تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقرب بينهم إذا تباعدوا» قالوا: ولعل السر في إفراد هذه الأقسام الثلاثة بالذكر أن عمل الخير المتعدي إلى الناس إما لإيصال المنفعة أو لدفع المضرة والمنفعة. إما جسمانية كإعطاء المال وإليه الإشارة بقوله عز وجل: ﴿إلا من أمر بصدقة﴾. وإما روحانية وإليه الإشارة بقوله: ﴿أو معروف﴾. وأما دفع الضرر فقد أشير إليه بقوله: ﴿أو إصلاح بين الناس﴾ ﴿ومن يفعل ذلك﴾ إشارة إلى الأمور المذكورة أعني الصدقة والمعروف والإصلاح فإنه يشار به إلى متعدد وإنما بنى الكلام على الأمر حيث قال أولاً إلا من أمر فهو كلام في حق الآمر بالفعل ورتب الجزاء على الفعل حيث قال: ومن يفعل فهو كلام في حق الفاعل وكان المناسب للأول أن يبين حكم الآمر ويقول ومن يأمر بذلك ليدل على أنه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل أدخل فيهم وأن العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الأمر من حيث إنه وصلة إليه. ففيه تحريض الآمر بالأمور المذكورة على فعلها ﴿ابتغاء مرضاة الله﴾ أي: طلب رضى الله تعالى علة للفعل والتقييد به لأن الأعمال بالنيات وأن من فعل خيراً رياء وسمعة لم يستحق به غير الحرمان. قال السعدي:

كرت بيخ إخلاص در بوم نيست ازين دركسى چون تو محروم نيست

زعمرو اى پسر چشم اجرت مدار چو در خانه زيد باشى بكار

﴿فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ يقصر عنه الوصف ويستحقر دونه ما فات من أعراض الدنيا.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾

﴿ومن يشاقق الرسول﴾ يخالفه من الشق فإن كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر ﴿من بعد ما تبين له الهدى﴾ ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ أي غير ما هم مستمرون عليه من اعتقاد وعمل وهو الدين القيم ﴿نوله ما تولى﴾ أي نجعله والياً لما تولاه من الضلال ونخذله بأن نخلي بينه وبين ما اختار ﴿ونصله جهنم﴾ أي ندخله فيها ﴿وساءت مصيرا﴾ أي: جهنم.

ـ روي ـ أن طعمة عاند حكم الله وخالف رسول الله خوفاً من فضاحة قطع اليد فهرب إلى مكة واتبع دين أهلها ومات كافراً فعلى العاقل أن لا يخالف الجماعة وهم المؤمنون فإن الشاة الخارجة عن القطيع يأكلها الذئب وسبيل المؤمنين هو السبيل الحق الموصل إلى الجنة والقربة والوصلة واللقاء.

والإشارة أنه ﴿**لا خير في كثير من نجواهم**﴾ أي الذين يتناجون من النفس والشيطان والهوى لأنهم شرار ولا فيما يتناجون به لأنهم يأمرون بالسوء والفحشاء والمنكر ثم استثنى وقال ﴿**إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس**﴾ أي إلا فيمن أمر بهذه الخيرات فإن فيه الخير وهو الله تعالى فإنه يأمر بالخيرات بالوحي عموماً أو يأمر بالخاطر الرحماني والإلهام الرباني خواص عباده فالخاطر يكون بواسطة الملك وبغير الواسطة كما قال عليه السلام: «إن للملك لمة وإن للشيطان لمة فلمة الملك إيعاد بالخير ولمة الشيطان إيعاد بالشر» والإلهام ما يكون من الله تعالى بغير الواسطة وهو على ضربين. ضرب منه ما لا شعور به للعبد أنه من الله. وضرب منه ما يكون بإشارة صريحة يعلم العبد أنه آت من الله تعالى لتعليم نور الإلهام وتعريفه لا يحتاج إلى معرفة آخر أنه من الله تعالى وهذا يكون للولي وغير الولي كما قال بعض المشايخ حدثني قلبي عن ربي وقال عليه السلام: «إن الحق لينطق على لسان عمر» وقال: «كادت فراسته أن تسبق الوحي» ثم قال: ﴿**ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله**﴾ أي: ومن يفعل بما ألهمه الله طلباً لمرضاته ﴿**فسوف نؤتيه أجراً عظيماً**﴾ ذكر بفاء التعقيب قوله فسوف يعني عقيب الفعل نؤتيه أجراً وهو جذبة العناية التي تجذبه عنه وتوصله إلى العظيم ثم قال: ﴿**ومن يشاقق الرسول**﴾ أي: يخالف الإلهام الرباني الذي هو رسول الحق إليه ﴿**من بعد ما تبين له الهدى**﴾ بتعريف الإلهام ونوره ﴿**ويتبع غير سبيل المؤمنين**﴾ الموقنين بالإلهام بأن يتبع الهوى وتسويل النفس وسبيل الشيطان ﴿**نوله ما تولى**﴾ أي: نكله بالخذلان إلى ما تولى ﴿**ونصله**﴾ بسلاسل معاملاته التي تولى بها إلى ﴿**جهنم**﴾ سفليات الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ﴿**وساءت مصيراً**﴾ أي ما صار إليه من عبادة الهوى واتباع النفس والشيطان وإشراكهم بالله في المطاوعة كذا في «التأويلات النجمية».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾

﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ يقال: جاء شيخ إلى رسول الله ﷺ وقال: إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله شيئاً منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه ولياً ولم أوقع المعاصي جراءة وما توقعت طرفة عين أني أعجز الله هرباً وإني لنادم تائب فما ترى حالتي عند الله؟ فنزلت هذه الآية. فالشرك غير مغفور إلا بالتوبة عنه وما سواه مغفور سواء حصلت التوبة أو لم تحصل لكن لا لكل أحد بل لمن يشاء الله مغفرته ﴿**ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً**﴾ عن الحق فإن الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب

والاستقامة. قال الحدادي أي فقد ذهب عن الصواب والهدى ذهاباً بعيداً وحرم الخير كله.

والفائدة في قوله: ﴿بعيداً﴾ أن الذهاب عن الجنة على مراتب أبعدها الشرك بالله تعالى انتهى. فالشرك أقبح الرذائل كما أن التوحيد أحسن الحسنات. والسيآت على وجوه كأكل الحرام وشرب الخمر والغيبة ونحوها لكن أسوء الكل الشرك بالله ولذلك لا يغفر وهو جلي وخفي حفظنا الله منهما. وكذا الحسنات على وجوه ويجمعها العمل الصالح وهو ما أريد به وجه الله وأحسن الكل التوحيد لأنه أساس جميع الحسنات وقامع السيآت ولذلك لا يوزن قال عليه السلام: «كل حسنة يعملها ابن آدم توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فإنها لا توضع في ميزانه» لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقاً ووضعت السموات والأرضون السبع وما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك ثم إن الله تعالى بين كون ضلالهم ضلالاً بعيداً فقال: ﴿إن﴾ بمعنى ما النافية ﴿يدعون﴾ أي: المشركون وهو بمعنى يعبدون لأن من عبد شيئاً فإنه يدعوه عند احتياجه إليه ﴿من دونه﴾ الضمير راجع إلى الله تعالى: ﴿إلا إناثاً﴾ جمع أنثى والمراد الأوثان وسميت أصنامهم إناثاً لأنهم كانوا يصورونها بصورة الإناث ويلبسونها أنواع الحلل التي تتزين بها النساء ويسمونها غالباً بأسماء المؤنثات نحو اللات والعزى ومناة والشيء قد يسمى أنثى لتأنيث اسمه أو لأنها كانت جمادات لا أرواح فيها والجماد يدعى أنثى تشبيهاً له بها من حيث إنه منفعل غير فاعل ولعله تعالى ذكره بهذا الاسم تنبيهاً على أنهم يعبدون ما يسمونه إناثاً لأنه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود أن يكون فاعلاً غير منفعل ليكون دليلاً على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل: المراد الملائكة فإن من المشركين من يعبد الملائكة ويقول الملائكة بنات الله تعالى قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾ [النجم: ٢٧]مع اعترافهم بأن إناث كل شيء أخسه وأرذله ﴿وإن يدعون﴾ أي وما يعبدون بعبادة الأصنام ﴿إلا شيطاناً مريداً﴾ لأنه الذي أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها وكان طاعته في ذلك عبادة له. قيل: كان في كل واحد من تلك الأوثان شيطان يتراءى للسدنة والكهنة يكلمهم. وقال الزجاج: المراد بالشيطان هٰهنا إبليس بشهادة قوله تعالى بعد هذه الآية ﴿لأتخذن﴾ وهو قول إبليس ولا يبعد أن الذي يتراءى للسدنة هو إبليس والمريد هو الذي لا يعلق بخير فقيل: من مرد أي تجرد للشر وتعرى من الخير يقال شجرة مرداء أي: لا ورق عليها وغلام أمرد إذا لم يكن على وجهه شعر ﴿لعنه الله﴾ صفة ثانية للشيطان أي أبعده من رحمته إلى عقابه بالحكم له بالخلود في جهنم ويسقط بهذا قول من قال كيف يصح أن يقال لعنه الله وهو في الدنيا لا يخلو من نعمة تصل إليه من الله تعالى في كل حال لأنه لا يعتد بتلك النعمة مع الحكم له بالخلود في النار. ﴿وقال﴾ عطف عليه أي شيطاناً مريداً جامعاً بين لعنة الله وهذا القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن الدال على فرط عداوته للناس فإن الواو الواقعة بين الصفات إنما تفيد مجرد الجمعية ﴿لأتخذن﴾ هذه اللام واللامات الآتية كلها للقسم ﴿من عبادك نصيباً مفروضاً﴾ أي: مقطوعاً واجباً قدّر لي وفرض وهو أي النصيب المفروض لإبليس كل من أطاعه فيما زين له من المعاصي. قال الحسن: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون كما في حديث المشارق يقول الله تعالى أي في يوم الموقف «يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول أخرج بعث النار» يعني: ميز أهلها والبعث بمعنى المبعوث «قال وما بعث النار» ما هنا بمعنى كم العددية ولذا أجيب عنها بالعدد «قال» أي الله تعالى: «من كل ألف تسعمائة

وتسعة وتسعون قال النبي عليه السلام فذلك التقاول حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها» كنايتان عن شدة أهوال يوم القيامة «وترى الناس سكارى» أي من الخوف «وما هم بسكارى» أي من الخمر «ولكن عذاب الله شديد قال» أي الراوي واشتد ذلك عليهم فقالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل الباقي من الألف؟ فقال: «أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجلاً» والخطاب للصحابة وغيرهم من المؤمنين ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة» قال الراوي فحمدنا الله وكبرنا ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة» فحمدنا الله وكبرنا ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة» وترقى عليه السلام في حديث آخر من النصف إلى الثلثين وقال: «إن أهل الجنة مائة وعشرون صنفاً وهذه الأمة منها ثمانون إن مثلكم في الأمم» أي الكفرة «كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود» فلا يستبعد دخول كل المؤمنين الجنة. فإن قيل: كيف علم إبليس أنه يتخذ من عباد الله نصيباً. قيل فيه أجوبة: منها أن الله تعالى لما خاطبه بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩] علم إبليس أنه ينال من ذرية آدم ما يتمناه. ومنها أنه لما وسوس لآدم فنال منه طمع في ذريته. ومنها أن إبليس لما عاين الجنة والنار علم أن لها سكاناً من الناس **﴿ولأضلنهم﴾** عن الحق وإضلاله وسواس ودعاء إلى الباطل ولو كان إليه شيء من الضلالة سوى الدعاء إليها لأضل جميع الخلق ولكنه لما قال عليه السلام في حقه «خلق إبليس مزيناً وليس إليه من الضلالة شيء» يعني: أنه يزين للناس الباطل وركوب الشهوات ولا يخلق لهم الضلالة **﴿ولأمنينهم﴾** الأماني الباطلة بأن يخيل للإنسان إدراك ما يتمناه من المال وطول العمر. وقيل يمني الإنسان أي يوهمه أنه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا عقاب ولا حساب. وقيل بأن يوهمه أنه ينال في الآخرة حظاً وافراً من فضل الله ورحمته **﴿ولآمرنهم﴾** بالبتك أي القطع والشق **﴿فليبتكن آذان الأنعام﴾** أي فليقطعنها بموجب أمري ويشقنها من غير تلعثم في ذلك ولا تأخير يقال بتكه أي قطعه ونقل إلى بناء التفعيل أي التبتيك للتكثير. وأجمع المفسرون على أن المراد به هٰهنا قطع آذان البحائر والسوائب والأنعام الإبل والبقر والغنم أي لأحملنهم على أن يقطعوا آذان هذه الأشياء ويحرموها على أنفسهم بجعلها للأصنام وتسميتها بحيرة وسائبة ووصيلة وحامياً وكان أهل الجاهلية إذا أنتجت ناقة أحدهم خمسة أبطن وكان آخرها ذكراً بحروا اذنها وامتنعوا من ركوبها وحلبها وذبحها ولا تطرد عن ماء ولا تمنع عن مرعى وإذا لقيها المعيى لم يركبها وقيل: كانوا يفعلون ذلك بها إذا ولدت سبعة أبطن والسائبة المخلاة تذهب حيث شاءت وكان الرجل منهم يقول: إن شفيت فناقتي سائبة أو يقول: إن قدم غائبي من السفر أو إن وصلت إلى وطني أو إن ولدت امرأتي ذكراً أو نحو ذلك فناقتي سائبة فكانت كالبحيرة وكذا من كثر ماله يسيب واحدة منها تكرّماً وكانت لا ينتفع بشيء منها ولا تمنع عن ماء ومرعى إلى أن تموت فيشترك في أكلها الرجال والنساء. والوصيلة هي من الغنم إذا ولدت سبعة أبطن فإن كان الولد السابع ذكرا ذبحوه لآلتهم وكان لحمه للرجال دون النساء وإن كان أنثى كانوا يستعملونها وكانت بمنزلة سائر الغنم وإن كان ذكراً وأنثى قالوا: إن الأخت وصلت أخاها فلا يذبحون أخاها من أجلها وجرى مجرى السائبة وكانت المنفعة للرجال دون النساء فهي فعيلة بمعنى فاعلة والحامي هو البعير الذي ولد ولد ولده وقيل هو الفحل من الإبل إذا ركب ولد ولده قالوا له: إنه قد حمي ظهره فيهمل ولا يركب ولا يمنع عن الماء والمرعى

وإذا مات يأكله الرجال والنساء ﴿ولآمرنهم﴾ بالتغيير ﴿فليغيرن خلق الله﴾ عن نهجه صورة وصفة. ويندرج فيه أمور:

منها فقىء عين الحامي وكانت العرب إذا بلغت إبل أحدهم الفا عوّروا عين فحلها والحامي الفحل الذي طال مكثه عندهم.

ومنها خصاء العبيد وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقاً لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم لمكان الحاجة ومنعوه في بني آدم وعند أبي حنيفة يكره شراء الخصيان واستخدامهم لأن الرغبة فيهم تدعو إلى خصائهم. قال في «نصاب الاحتساب»: قرأت في بعض الكتب أن معاوية دخل على النساء ومعه خصي مجبوب فنفرت منه امرأة فقال معاوية: إنما هو بمنزلة امرأة فقال: أترى أن المثلة فيه قد أحلت ما حرم الله من النظر فتعجب من فطنتها وفقهها.

ومنها الوشم وهو أن يغرز الجلد بإبرة ثم يخشى بكحل أو بنيلنج وهو دخان الشحم يعالج به الوشم حتى يخضر. قال بعض أصحاب الشافعي وجبت إزالته إن أمكن بالعلاج وإلا فبالجرح إن لم يخف فوت عضو.

ومنها الوشر وهو أن تحدد المرأة أسنانها وترققها تشبهاً بالشواب.

ومنها التنمص: وهو نتف شعور الوجه يقال تنمصت المرأة إذا تزينت بنتف شعر وجهها وحاجبها والنامصة المرأة التي تزين النساء بالمنمص والمنمص والمنماص المنقاش وقد لعن النبي عليه السلام «النامصة والمتنمصة والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والواشرة والمستوشرة». والواصلة هي التي تصل شعر غيرها بنفسها. والمستوصلة هي التي تأمر غيرها بأن توصل ذلك إلى شعرها. قال ابن الملك الواصلة هي التي تصل الشعر بشعر آخر زورا والمستوصلة هي التي تطلبه والرجل والمرأة سواء في ذلك هذا إذا كان المتصل شعر الآدمي لكرامته فلا يباح الانتفاع بشيء من أجزائه أما غيره فلا بأس بوصله. فيجوز اتخاذ النساء القراميل من الوبر. وقيل فيه تفصيل إن لم يكن لها زوج فهو حرام أيضاً وإن كان فإن فعلته بإذن الزوج أو السيد يجوز وإلا فلا ثم إنها إن فعلت ذلك بصغيرة تأثم فاعلته ولا تأثم المفعولة لأنها غير مكلفة. ويدخل في التنمص نتف شعر العانة فإن السنة حلق العانة ونتف الإبط.

ومنها السحق وهو لكونه عبارة عن تشبه الأنثى بالذكور من قبيل تغيير خلق الله عن وجهه صفة وفي الحديث المرفوع: «سحاق النساء زنى بينهن» وكذا التخنث لما فيه من تشبه الذكر بالأنثى وهو إظهار اللين في الأعضاء والتكسر في اللسان.

ومنها اللواطة لما فيها من إقامة ما خلق لدفع الفضلات مقام موضع الحراثة والنظر إلى صبيح الوجه بالشهوة حرام ومجالسته حرام لأنه عورة من القرن إلى القدم وجاء في بعض الروايات «إن مع كل امرأة شيطانين ومع كل غلام ثمانية عشر شيطاناً».

ومنها عبادة الشمس والقمر والكواكب والحجارة فإن عبادتها وإن لم تكن تغييراً لصورها لكنها تغيير لصفتها فإن شيئاً منها لم يخلق لأن يعبد من دون الله وإنما خلق لينتفع به العباد على الوجه الذي خلق لأجله وكذا الكفر بالله وعصيانه فإنه أيضاً تغيير خلق الله من وجهه صفة فإنه تعالى فطر الخلق على استعداد التحلي بحلية الإيمان والطاعة ومن كفر بالله وعصاه فقد أبطل ذلك الاستعداد وغير فطرة الله صفة ويؤيده قوله عليه السلام: «كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه» وكذا استعمال الجوارح في غير ما خلقت لأجله

تغيير لها عن وجهها صفة. والجمل الأربع وهي لأتخذن ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم كلُ واحدة منها مقول للشيطان فلا يخلو إما أن يقولها بلسان جسمه أو بلسان فعله وحاله ﴿**ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله**﴾ بإيثار ما يدعو إليه على ما أمره الله به ومجاوزته عن طاعة الله إلى طاعة ﴿**فقد خسر خسراناً مبيناً**﴾ لأنه ضيع رأس ماله بالكلية وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار.

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾

﴿**يعدهم**﴾ ما لا ينجزه من طول العمر والعافية ونيل لذائذ الدنيا من الجاه والمال وقضاء شهوات النفس ﴿**ويمنيهم**﴾ ما لا ينالون نحو أن لا بعث ولا حساب ولا جزاء أو نيل المثوبات الأخروية من غير عمل ﴿**وما يعدهم الشيطان إلا غروراً**﴾ وهو إظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد إما بإلقاء الخواطر الفاسدة أو بألسنة أوليائه. وغروراً إما مفعول ثان للوعد أو مفعول لأجله أي ما يعدهم لشيء إلا لأن يغرهم.

واعلم أن العمدة في إغواء الشيطان أن يزين زخارف الدنيا ويلقي الأماني في قلب الإنسان مثل أن يلقي في قلبه أنه سيطول عمره وينال من الدنيا أمله ومقصوده ويستولي على أعدائه ويحصل له ما تيسر لأرباب المناصب والأموال وكل ذلك غرور لأنه ربما لا يطول عمره وإن طال فربما لا ينال أمله ومطلوبه وإن طال عمره ووجد مطلوبه على أحسن الوجوه فلا بد أن يفارقه بالموت فيقع في أعظم أنواع الغم والحسرة فإن تعلق القلب بالمحبوب كلما كان أشد وأقوى كانت مفارقته أعظم تأثيراً في حصول الغم والحسرة ولذلك قيل:

الفت مكير همچو الف هيچ باكسى تابشنوى الم نشوى وقت انقطاع

فنبه سبحانه وتعالى على أن الشيطان إنما يعد ويمني لأجل أن يغر الإنسان ويخدعه ويفوت عنه أعز المطالب وأنفع المآرب. فالعاقل من لا يتبع وسواس الشيطان ويبتغي رضى الرحمٰن بالتمسك بكتابه العظيم وسنن رسوله الكريم والعمل بهما ليفوز فوزاً عظيماً وكفى بذلك نصيحة ﴿**أولئك**﴾ إشارة إلى أولياء الشيطان وهو مبتدأ ﴿**مأواهم**﴾ أي: مستقرهم وهو مبتدأ ثان ﴿**جهنم**﴾ خبر للثاني والجملة خبر للأول ﴿**ولا يجدون عنها محيصاً**﴾ أي: معدلاً ومهرباً من حاص يحيص إذا عدل وعنها متعلق بمحذوف وقع حالاً من محيصاً أي كائناً عنها ولا يجوز أن يتعلق بيجدون لأنه لا يتعدى بعن ولا بقوله محيصاً لأنه إما اسم مكان وهو لا يعمل مطلقاً وإما مصدر ومعمول المصدر لا يتقدم عليه.

والإشارة أن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم السعداء وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم الأشقياء وخلق الشيطان مزيناً وداعياً وآمراً بالهوى فمن يرى حقيقة الاضلال ومشيئته من إبليس فهو إبليس وقد قال تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النحل: ٩٣] والنصيب المفروض من العباد هم طائفة خلقهم الله تعالى أهل النار كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وهم أتباع الشيطان هٰهنا وقد لعن الله الشيطان وأبعده عن الحضرة إذ كان سبب ضلالتهم كما قال عليه السلام: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه» وإنما لعن الله الدنيا وأبغضها لأنها كانت سبباً للضلالة وكذلك الشيطان ولا يغتر بوعد

الشيطان إلا الضال بالضلال البعيد الأزلي ولذا تولد منه الشرك المقدر بمشيئة الله الأزلية. وأما من خلقه الله أهلاً للجنة فقد غفر له قبل أن خلقه ومن غفر له فإنه لا يشرك بالله شيئاً. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لما نزل قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] تطاول إبليس وقال: أنا شيء من الأشياء فلما نزل ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] يئس إبليس وتطاولت اليهود والنصارى ثم لما نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧] يئس اليهود والنصارى وبقيت الرحمة للمؤمنين خاصة فهم خلقوا للرحمة ودخلوا الجنة بالرحمة ولهم الخلود في الرحمة وبقي العذاب للشيطان وأتباعه من الإنس والجن ولهم الخلود في النار كما قال الله تعالى: **﴿ولا يجدون عنها محيصاً﴾** لأنهم خلقوا لها فلا بد من الدخول فيها، قال الحافظ:

پير ما كفت خطا بر قلم صنع نرفت آفرين بر نظر پاك خطا پوشش باد

فافهم تفز إن شاء الله تعالى.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ صلاح الأعمال في إخلاصها فالعمل الصالح هو ما أريد به وجه الله تعالى وينتظم جميع أنواعه من الصلاة والزكاة وغيرهما **﴿سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾** أي: أنهار الماء واللبن والخمر والعسل **﴿خالدين فيها أبدا﴾** أي: مقيمين في الجنة إلى الأبد فنصب أبدا على الظرفية وهو لاستغراق المستقبل. قال الحدادي: إنما ذكر الطاعة مع الإيمان وجمع بينهما فقال: آمنوا وعملوا الصالحات ليتبين بطلان توهم من يتوهم أنه لا تضر المعصية والإخلال بالطاعة مع الإيمان كما لا تنفع الطاعة مع الكفر وليتبين استحقاق الثواب على كل واحد من الأمرين **﴿وعد الله حقا﴾** أي: وعد الله لهم هذا وعداً وحق ذلك حقاً فالأول مؤكد لنفسه لأنه مضمون الجملة الاسمية التي قبل وعد لأن الوعد عبارة عن الإخبار بإيصال المنفعة قبل وقوعها والثاني مؤكد لغيره لأن الخبر من حيث إنه خبر يحتمل الصدق والكذب **﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾** استفهام إنكاري أي ليس أحد أصدق من الله قولاً ووعداً وأنه تعالى أصدق من كل قائل فوعده أولى بالقبول ووعد الشيطان تخييل محض ممتنع الوصول. وقيلاً نصب على التمييز والقيل والقال مصدران كالقول **﴿ليس بأمانيكم﴾** جمع أمنية بالفارسية «آرزو كردن» **﴿ولا أماني أهل الكتاب﴾** أي: ليس ما وعد الله من الثواب يحصل بأمانيكم أيها المسلمون ولا بأماني أهل الكتاب وإنما يحصل بالإيمان والعمل الصالح. وأماني المسلمين: أن يغفر لهم جميع ذنوبهم من الصغائر والكبائر ولا يؤاخذوا بسوء بعد الإيمان. وأماني أهل الكتاب أن لا يعذبهم الله ولا يدخلهم النار إلا أياماً معدودة لقولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨] فلا يعذبنا. وعن الحسن «ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل» إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا: نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل. قال بعضهم: الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية والأمنية منية أي موت إذ هي موجبة لتعطيل فوائد الحياة، قال السعدي:

قيامت كه بازار نيهو نهند | منازل بأعمال نيكو نهند
بضاعت بچندانكه آرى برى | اكر مفلسى شرمسارى برى
كسى راكه حسن عمل بيشتر | بدركاه حق منزلت پيشتر

ثم إنه تعالى أكد حكم الجملة الماضية وقال: ﴿من يعمل سوءاً﴾ عملاً قبيحاً ﴿يجز به﴾ عاجلاً أو آجلاً لما روي أنه لما نزلت قال أبو بكر رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه السلام: «أما تحزن أما تمرض أما يصيبك اللأواء» قال: بلى يا رسول الله قال: «هو ذلك» قال أبو هريرة رضي الله عنه لما نزل قوله تعالى: ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ بكينا وحزنا وقلنا: يا رسول الله ما أبقت هذه الآية من شيء قال: «أما والذي نفسي بيده لكما أنزلت ولكن يسروا وقاربوا وسددوا» أي: اقصدوا السداد أي الصواب «ولا تفرطوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة لئلا يفضي ذلك بكم إلى الملال فتتركوا العمل» كذا في «المقاصد الحسنة» ﴿ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾ أي: ولا يجد لنفسه إذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾

﴿ومن يعمل من الصالحات﴾ من للتبعيض أي: بعضها وشيئاً منها فإن كل أحد لا يتمكن من كلها وليس مكلفاً بها وإنما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه الصلاة في بعض الأحوال ﴿من ذكر أو أنثى﴾ في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان ﴿وهو مؤمن﴾ حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور لأنه لا اعتداد بالعمل بدون الإيمان فيه ﴿فأولئك﴾ المؤمنون العاملون ﴿يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً﴾ أي: لا ينقصون مما استحقوه من جزاء أعمالهم مقدار النقير وهي النقرة أي الحفرة التي في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة وهو علم في القلة والحقارة وإذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري أن لا يزاد عقاب العاصي لأن المجازي أرحم الراحمين وفي الحديث: «إن الله وعد على الطاعة عشر حسنات وعلى المعصية الواحدة عقوبة واحدة فمن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشر وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت آحاده أعشاره» أي: سيآته على حسناته. قال النيسابوري حكمة تضعيف الحسنات لئلا يفلس العبد إذا اجتمع الخصماء في طاعته فيدفع إليهم واحدة ويبقى له تسع فمظالم العباد توفي من التضعيفات لا من أصل حسناته لأن التضعيف فضل من الله تعالى وأصل الحسنة الواحدة عدل منه واحدة بواحدة. وقد ذكر الإمام البيهقي في كتاب البعث فقال: إن التضعيفات فضل من الله تعالى لا تتعلق بها العباد كما لا تتعلق بالصوم بل يدخرها الحق للعبد فضلاً منه سبحانه فإذا دخل الجنة أثابه بها.

قال السعدي قدس سره:

نكوكارى ازمردم نيك رأى | يكى رابده مى نويسد خداى
جوانا ره طاعت امروز كير | كه فردا جوانى نيايد زپير
ره خير بازست وطاعت وليك | نه هركس تواناست بر فعل نيك
همه برك بودن همى ساختى | بتدبير رفتن نپرداختى

واعلم أن جميع الأعمال الصالحة يزيد في نور الإيمان فعليك بالطاعات والحسنات والوصول إلى المعارف الإلّهية فإن العلم بالله أفضل الأعمال ولذلك لما قيل: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «العلم بالله» فقيل الأعمال نريد؟ قال: «العلم بالله» فقيل: نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال: «إن قليل العمل ينفع مع العلم وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل» وذلك إنما يحصل بتصفية الباطن مع صيقل التوحيد وأنواع الأذكار ولا يعقلها إلا العالمون.

والإشارة ﴿ليس بأمانيكم﴾ يعني: بأماني عوام الخلق الذين يذنبون ولا يتوبون ويطمعون أن يغفر الله لهم والله تعالى يقول: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [طه: ٨٢] ﴿ولا أماني أهل الكتاب﴾ يعني: العلماء السوء الذين يغرون الخلق بالرجاء المذموم ويقطعون عليهم طريق الطلب والجد والاجتهاد ﴿ومن يعمل سوءاً يجز به﴾ في الحال بإظهار الرين على مرآة قلبه بعد الذنب كما قال عليه السلام: «إذا أذنب عبد ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب ورجع منه صقل» ﴿ولا يجد له من دون الله ولياً﴾ يخرجه من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة بالتوبة ﴿ولا نصيراً﴾ سوى الله ينصره بالظفر على النفس الأمارة فيزكيها عن صفاتها وعلى الشيطان فيدفع شره وكيده ﴿ومن يعمل من الصالحات﴾ أي: الخالصات ﴿من ذكر أو أنثى﴾ يشير بالذكر إلى القلب وبالأنثى إلى النفس ﴿وهو مؤمن﴾ مخلص في تلك الأعمال ﴿فأولئك يدخلون الجنة﴾ المعنى: أن القلب إذا عمل بما وجب عليه من التوجه إلى العالم العلوي والإعراض عن العالم السفلي وغض البصر عن سوى الحق يستوجب دخول جنة القربة والوصلة والنفس إذا عملت بما وجب عليها من الانتهاء عن هواها وترك حظوظها وأداء حقوق الله تعالى في العبودية واطمأنت بها تستحق الرجوع إلى ربها والدخول في جنة عالم الأرواح كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨]، ﴿ولا يظلمون نقيراً﴾ فيما قدر لهم الله من الأعمال الصالحات ولا من الدرجات والقربات فليس من تمنى نعمته من غير أن يتعنى في خدمته كمن تعنى في خدمته من غير أن يتمنى نعمته وأن بينهما بوناً بعيداً من أعلى مراتب القرب إلى أسفل سافلين البعد كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾

﴿ومن﴾ استفهام إنكاري ﴿أحسن ديناً﴾ الدين والملة متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار فإن الشريعة من حيث إنها يطاع لها دين ومن حيث إنها تملي وتكتب ملة والإملال بمعنى الإملاء ﴿ممن أسلم وجهه لله﴾ أي: جعل نفسه وذاته سالمة خالصة لله تعالى بأن لم يجعل لأحد حقاً فيها لا من جهة الخالقية والمالكية ولا من جهة العبودية والتعظيم. وقوله ديناً نصب على التمييز من أحسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن دينه أحسن من دين من أسلم الخ فالتفضيل في الحقيقة جار بين الدينين لا بين صاحبيهما ﴿وهو محسن﴾ الجملة حال من فاعل اسم أي: والحال أنه آتٍ بالحسنات تارك للسيآت وقد فسره النبي عليه السلام بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» والإحسان حقيقة الإيمان.

واعلم أن دين الإسلام مبني على أمرين: الاعتقاد والعمل فالله سبحانه أشار إلى الأول

بقوله: ﴿أسلم وجهه لله﴾ وإلى الثاني بقوله: ﴿وهو محسن﴾ أي: في الانقياد لربه بأن يكون آتياً بجميع ما كلفه به على وجه الإجلال والخشوع. ﴿واتبع ملة إبراهيم﴾ الموافقة لدين الإسلام المتفق على صحتها وقبولها بين الأديان كلها بخلاف ملة موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام ﴿حنيفاً﴾ حال من فاعل اتبع أي: مائلاً عن الأديان الزائغة ثم إن الله تعالى رغب في اتباع ملته فقال: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ أي: اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخلة من الخلال فإنه ودّ تخلل النفس وخالطها ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ كأنه قيل: لِمَ خص الله تعالى إبراهيم عليه السلام بالخلة وله عباد مكرمون؟ فأجاب بأن جميع ما في السموات وما في الأرض من الموجودات له تعالى خلقاً وملكاً يختار منها ما يشاء ومن يشاء ﴿وكان الله بكل شيء محيطاً﴾ إحاطة علم وقدرة فكل واحد من علمه وقدرته محيط بجميع ما يكون داخلاً فيهما وما يكون خارجاً عنهما ومغايراً لهما مما لا نهاية له من الصدورات الخارجة عن هذه السموات والأرضين.

ـ روي ـ أن إبراهيم عليه السلام بعث إلى خليل له بمصر في أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله: لو كان إبراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للأضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس فلما أخبروا إبراهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام فقامت سارة إلى غرارة منها فأخرجت حواري واختبزت فاستيقظ إبراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال: من أين هذا لكم؟ فقالت: من خليلك المصري فقال: بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلاً. وفي الخبر تعجب الملائكة من كثرة ماله وخدمه وكان له خمسة آلاف قطيع من الغنم وعليها كلاب المواشي بأطواق الذهب فتمثل له ملك في صورة البشر وهو ينظر أغنامه في البيداء فقال الملك: سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح فقال إبراهيم عليه السلام كرر ذكر ربي ولك نصف ما ترى من أموالي فكرر الملك فنادى ثانياً كرر تسبيح ربي ولك جميع ما ترى من مالي فتعجب الملائكة فقالوا: جدير أن يتخذك الله خليلاً فعلى هذا إنما سمي الخليل خليلاً على لسان الملائكة. قال القاضي في الشفاء الخلة هنا أقوى من النبوة لأن النبوة قد يكون فيها العداوة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ﴾ [التغابن: ١٤] ولا يصح أن تكون عداوة مع خلة ومن شرط الخلة استسلام العبد في عموم أحواله لله بالله وأن لا يدخر شيئاً مع الله لا من ماله وجسده ولا من نفسه ولا من روحه وخلده ولا من أهله وولده وهكذا كان حال إبراهيم عليه السلام.

جانكه نه قرباني جانان بود ... جيفه تن بهترازان جان بود
هركه نه شد كشته بشمشير دوست ... لاشه مردار به ازجان اوست

ومن شرط المحبة فناء المحب في المحبة وبقاؤه في المحبوب حتى لم تبق المحبة من المحب إلا الحبيب وهذا حال محمد ﷺ. قيل لمجنون بني عامر: ما اسمك قال: ليلى. قال شيخي وسندي ومن هو بمنزلة روحي في جسدي في كتاب «اللائحات البرقيات»: إن الخلة والمحبة الإلّهية الأحدية تجلت لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بحقيقتها ولإبراهيم عليه السلام بصورتها ولغيرهما بخصوصياتها الجزئيات بحسب قابلياتهم ونبينا عليه السلام في مقام الخلة والمحبة بمنزلة المرتبة الأحدية الذاتية وإبراهيم عليه الصلاة والسلام بمنزلة المرتبة الواحدية الصفاتية وغيرهما بمنزلة المرتبة الواحدية الأفعالية وإلى هذه المقامات والمراتب إشارة

في البسملة على هذا الترتيب ونبينا محمد ﷺ خليل الله وحبيبه بالفعل وإبراهيم عليه السلام خليل الرحمان وحبيبه بالفعل وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام أخلاء الرحيم وأحباؤه بالفعل انتهى كلام الشيخ العلامة أبقاه الله بالسلامة.

واعلم أنه عليه السلام قال: «إن الله اتخذني خليلاً ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً» يعني: لو جاز لي أن أتخذ صديقاً من الخلق يقف على سري لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن لا يطلع على سري إلا الله ووجه تخصيصه بذلك أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ كان أقرب بسر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما روي أنه عليه السلام قال: «إن أبا بكر لم يفضل عليكم بصوم ولا صلاة ولكن بشيء كتب في قلبه» وانفهم من عدم اتخاذه عليه السلام أحداً خليلاً انفصاله عما سوى الله تعالى فكل الكائنات متصل به وهو غير متصل بشيء أصلاً سوى الله سبحانه وتعالى اللهم ارزقنا شفاعته.

قال الشيخ السعدي في نعته الشريف:

شبى برنشست ازفلك در كذشت بتمكين جاه از ملك در كذشت
چنان كرم درتيه قربت براند كه در سدره جبريل ازوبازماند

فهذا انفصاله عن العلويات والسفليات ووصوله إلى حضرة الذات.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾

﴿ويستفتونك﴾ أي يطلبون منك الفتوى واشتقاق الفتوى من الفتى وهو الشاب القوي الحدث لأنها جواب في حادثة وإحداث حكم أو تقوية لبيان مشكل ﴿في﴾ حق توريث ﴿النساء﴾ إذ سبب نزولها أن عيينة بن حصين أتى النبي عليه السلام فقال: أخبرنا أنك تعطي الابنة النصف والأخت النصف وإنما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام: «كذلك أمرت» ﴿قل الله يفتيكم فيهن﴾ يبين لكم حكمه في حقهن والافتاء تبيين المبهم وتوضيح المشكل ﴿وما يتلى عليكم في الكتاب﴾ عطف على اسم الله أي: يفتيكم الله وكلامه فيكون الافتاء مسنداً إلى الله وإلى ما في القرآن من قوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ﴾ [النساء: ١١] في أوائل هذه السورة ونحوه والفعل الواحد ينسب إلى فاعلين بالاعتبارين كما يقال أغناني زيد وعطاؤه فإن المسند إليه في الحقيقة شيء واحد وهو المعطوف عليه إلا أنه عطف عليه شيء من أحواله للدلالة على أن الفعل إنما قام بذلك الفاعل باعتبار اتصافه بتلك الحال ﴿في﴾ شأن ﴿يتامى النساء﴾ متعلق بيتلى كما أن في الكتاب متعلق به أيضاً والإضافة بمعنى من لأنها إضافة الشيء إلى جنسه ﴿اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن﴾ أي: فرض لهن من الميراث وغيره ﴿وترغبون﴾ عطف على لا تؤتونهن عطف جملة مثبتة على جملة منفية ﴿أن تنكحوهن﴾ أي: في نكاحهن لجمالهن ومالهن وترغبون عن نكاحهن أي: تعرضون لقبحهن وفقرهن فإن كانت اليتيمة جميلة موسرة رغب وليها في تزوجها وإلا رغب عنها وما يتلى في حقوقهن قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ﴾ [النساء: ٢] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ﴾ [النساء: ٢] ونحوها من النصوص الدالة على عدم التعرض لأموالهم ﴿و﴾ في ﴿المستضعفين من الولدان﴾ عطف على

يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء وإنما يورثون الرجال القوامين بالأمور ﴿و﴾ في ﴿أن تقوموا لليتامى﴾ في أموالهم وحقوقهم ﴿بالقسط﴾ أي: العدل وهو أيضاً عطف على يتامى النساء وما يتلى في حقهم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢] ونحو ذلك ﴿وما﴾ شرطية ﴿تفعلوا من خير﴾ على الإطلاق سواء كان في حقوق المذكورين أو غيرهم ﴿فإن الله كان به عليما﴾ فيجازيكم بحسبه. فعلى العاقل أن يطيع الله تعالى فيما أمر ولا يأكل مال الغير بل يجتهد في أن ينفق ما قدر عليه على اليتامى والمساكين. قال حاتم الأصم: من ادعى ثلاثاً بغير ثلاث فهو كذاب. من ادعى حب الجنة من غير إنفاق ماله فهو كذاب. ومن ادعى محبة الله من غير ورع عن محارم الله فهو كذاب. ومن ادعى محبة النبي عليه السلام من غير محبة الفقراء فهو كذاب وفي قوله تعالى: ﴿وما تفعلوا﴾ حث على فعل الخير وترغيب.

ـ حكي ـ أن امرأة جاءت إلى حانوت أبي حنيفة تريد شراء ثوب فأخرج أبو حنيفة ثوباً جديداً قيمته أربعمائة درهم فقالت المرأة: إني امرأة ضعيفة ولي بنت أريد تسليمها إلى زوجها فبعني هذا الثوب بما يقوم عليك فقال أبو حنيفة: خذيه بأربعة دراهم فقالت المرأة: لِمَ تسخر بي؟ فقال أبو حنيفة معاذ الله أن أكون من الساخرين ولكني كنت اشتريت ثوبين فبعت أحدهما برأس المال الذي نقدت في الثوبين إلا أربعة دراهم فبقي هذا علي بأربعة دراهم فأخذت المرأة الثوب بأربعة دراهم ورجعت مستبشرة فرحة، قال السعدي قدس سره:

بكير اي جوان دست درويش پير نه خودرا بيكفن كه دستم بكير
كسى نيك بودى بهر دو سراى كه نيكى رساند بخلق خداى

واعلم أن النفس بمثابة المرأة لزوج الروح فكما أوجب الله على الرجال من الحقوق للنساء فكذلك أوجب على العبد الطالب الصادق من الحقوق للنفس كما قال عليه السلام لعبد الله بن عمر حين جاهد نفسه بالليل بالقيام وبالنهار بالصيام «إن لنفسك عليك حقاً فصم وأفطر وقم ونم» والرياضة الشديدة تقطع عن السير قال عليه السلام: «إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق» يريد لا تحملوا على أنفسكم ولا تكلفوها ما لا تطيق فتعجز فتترك الدين والعمل.

اسب تازى دوتك همى ماند شتر آهسته ميرود شب وروزى

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يتوسط في إعطاء نفسه حقها ويعدل فيها غاية العدل فيصوم ويفطر ويقوم وينام وينكح النساء ويأكل في بعض الأحيان ما يجد كالحلوى والعسل والدجاج وتارة يجوع حتى يشد الحجر على بطنه من الجوع. فيا أيها الغافل تنبه لرحيلك ومسراك واحذر أن تسكن إلى موافقة هواك انتقل إلى الصلاح قبل أن تنقل وحاسب نفسك على ما تقول وتفعل فإن الله سبحانه بكل شيء عليم وبكل شيء محيط فإياك من الإفراط والتفريط.

﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾

﴿وإن امرأة خافت من بعلها﴾ امرأة فاعل فعل يفسره الظاهر أي إن خافت امرأة خافت وتوقعت من زوجها ﴿نشوزا﴾ تجافياً عنها وترفعا من صحبتها كراهة لها ومنعاً لحقوقها من النشز وهو ما ارتفع من الأرض فنشوز كل واحد من الزوجين كراهته صاحبه وترفعه عليه لعدم

رضاه به ﴿أو إعراضاً﴾ بأن يقل مجالستها ومحادثتها وذلك لبعض الأسباب من طعن في سن أو دمامة أو شين في خلق أو خلق أو ملال أو طموح عين إلى أخرى أو غير ذلك. قال الإمام المراد بالنشوز إظهار الخشونة في القول أو الفعل أو فيهما والمراد بالإعراض السكوت عن الخير والشر والمراعاة والإيذاء.

ـ روي ـ أن الآية نزلت في خويلة ابنة محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فأتت رسول الله ﷺ واشتكت إليه ذلك ﴿فلا جناح عليهما﴾ حينئذٍ ﴿أن يصلحا بينهما صلحا﴾ أي: في أن يصلحا بينهما إصلاحاً بأن تحط له المهر أو بعضه أو القسم كما فعلت سودة رضي الله عنها وكانت كبيرة مسنة وذلك أن أم المؤمنين سودة ابنة زمعة التمست من رسول الله حين أراد عليه السلام أن يطلقها أن يمسكها وتجعل نوبتها لعائشة رضي الله عنها لما عرفت مكان عائشة من قلبه عليه السلام فأجازه النبي عليه السلام ولم يطلقها وكان عليه السلام بعد هذا الصلح يقسم لعائشة يومها ويوم لسودة. قال الحدادي: مثل هذا الصلح لا يقع لازماً لأنها إذا أبت بعد ذلك إلا المقاسمة على السواء كان لها ذلك ﴿والصلح﴾ الواقع بين الزوجين ﴿خير﴾ أي: من الفرقة أو من سوء العشرة أو من الخصومة. فاللام للعهد ويجوز أن لا يراد به التفضيل بل بيان أنه خير من الخيور كما أن الخصومة شر من الشرور فاللام للجنس. قال السيوطي في «حسن المحاضرة في أحوال مصر والقاهرة»: إن شئت أن تصير من الأبدال فحول خلقك إلى بعض خلق الأطفال ففيهم خمس خصال لو كانت في الكبار لكانوا أبدالاً لا يهتمون للرزق ولا يشكون من خالقهم إذا مرضوا ويأكلون الطعام مجتمعين وإذا خافوا جرت عيونهم بالدموع وإذا تخاصموا لم يتجاوزوا وتسارعوا إلى الصلح ونعم ما قيل:

ابلهيست آنكه فعل اوست لجاج ابلهى را كجا علاج بود
تاتوانى لجاج پيشه مكير كافت دوستى لجاج بود

﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾ أي: جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك عنه أبداً فلا المرأة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها وكبر سنها وعدم حصول اللذة بمجالستها وأصل الكلام أحضر الله الأنفس الشح فلما بنى للمفعول أقيم مفعوله الأول مقام الفاعل والشح البخل مع حرص فهو أخص من البخل. وعن عبد الله بن وهب عن الليث قال: بلغني أن إبليس لقي نوحاً فقال له إبليس: يا نوح اتق الحسد والشح فإني حسدت آدم فخرجت من الجنة وشح آدم على شجرة واحدة منعها حتى خرج من الجنة. ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام إبليس في صورته فقال له: أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك قال: أحب الناس إليّ المؤمن البخيل وأبغضهم إليّ الفاسق السخي قال يحيى: وكيف ذلك؟ قال: لأن البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي أتخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول: لولا أنك يحيى لم أخبرك كذا في «آكام المرجان» ﴿وإن تحسنوا﴾ أيها الأزواج بإمساكهن بالمعروف وحسن المعاشرة مع عدم موافقتهن لطباعكم ﴿وتتقوا﴾ ظلمهن بالنشوز والإعراض ولم تضطروهن إلى بذل شيء من حقوقهن. ﴿فإن الله كان بما تعملون﴾ من الإحسان والتقوى ﴿خبيرا﴾ عليماً به وبالغرض فيه فيجازيكم ويثيبكم عليه البتة لاستحالة أن يضيع أجر المحسنين.

- روي - أن رجلاً من بني آدم كانت له امرأة من أجملهم فنظرت إليه يوماً فقالت: الحمد لله قال زوجها: ما لك؟ فقالت: حمدت الله على أني وأنك من أهل الجنة لأنك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله بالجنة للصابرين والشاكرين، قال السعدي قدس سره:

چو مستوره شدزن خوب روى بديدار او در بهشتست شوى
اكر پارسا باشد وخوش سخن نكه در نكويى وزشتى مكن

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾

﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء﴾ أي محال أن تقدروا على أن تعدلوا وتسووا بينهن بحيث لا يقع ميل ما إلى جانب إحداهن في شأن من الشؤون البتة ولذلك كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك» وأراد به التسوية في المحبة وكان له فرط محبة لعائشة رضي الله عنها **﴿ولو حرصتم﴾** أي: على إقامة العدل وبالغتم في ذلك **﴿فلا تميلوا كل الميل﴾** أي: فلا تجوروا على المرأة المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فإن عجزكم عن حقيقة العدل إنما يصح عدم تكليفكم به لا بما دونه من المراتب الداخلة تحت استطاعتكم وما لا يدرك كله لا يترك كله وفي الحديث «استقيموا ولن تحصوا» أي لن تستطيعوا أن تستقيموا في كل شيء حتى لا تميلوا **﴿فتذروها﴾** مجزوم عطف على الفعل قبله أي فلا تتركوا التي ملتم عنها حال كونها **﴿كالمعلقة﴾** وهي المرأة التي لا تكون أيما فتزوج ولا ذات بعل يحسن عشرتها كالشيء المعلق الذي لا يكون في الأرض ولا في السماء وفي الحديث «من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل» وكان لمعاذ رضي الله عنه امرأتان فإذا كان عند إحداهما لم يتوضأ في بيت الأخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد **﴿وإن تصلحوا﴾** ما كنتم تفسدون من أمورهن **﴿وتتقوا﴾** الميل فيما يستقبل **﴿فإن الله كان غفورا﴾** يغفر لكم ما مضى من ميلكم **﴿رحيماً﴾** يتفضل عليكم برحمته **﴿وإن يتفرقا﴾** أي: وأن يفارق كل واحد منهما صاحبه بأن لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح أو غيره **﴿يغن الله كلا﴾** منهما أي: يجعله مستغنياً عن الآخر ويكفه مهماته **﴿من سعته﴾** من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن مفارقة أحدهما رغماً لصاحبه **﴿وكان الله واسعا حكيما﴾** أي: مقتدراً متقناً في أفعاله وأحكامه وله حكمة بالغة فيما يحكم من الفرقة يجعل لكل واحد منهما من يسكن إليه فيتسلى به عن الأول وتزول حرارة محبته عن قلبه وينكشف عنه هم عشقه فعلى المؤمن ترك حظ النفس والدور مع الأمر الإلهي في جملة أموره وأحكامه والعمل في حق النساء بقوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] والميل إلى جانب العدل والإعراض عن طرف الظلم والاستحلال قبل أن يجيء يوم لا بيع فيه ولا خلال. قال ابن مسعود رضي الله عنه: يؤخذ بيد العبد أو الأمة فينصب على رؤوس الأولين والآخرين ثم ينادي منادٍ هذا فلان ابن فلان فمن كان له حق

فليأت إلى حقه فتفرح المرأة أن يكون لها الحق على ابنها أو أخيها أو على أبيها أو على زوجها ثم قرأ ابن مسعود رضي الله عنه ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] فيقول الرب تعالى للعبد آت هؤلاء حقوقهم فيقول رب لست في الدنيا فمن أين أوتيهم؟ فيقول للملائكة خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل إنسان منهم بقدر طلبته فإن كان ولياً لله فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل من خير ضاعفها حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠] وإن كان عبداً شقياً قالت الملائكة: رب فنيت حسناته وبقي الطالبون فيقول للملائكة خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها إلى سيآته وصكوا له صكاً إلى النار فلا بد من التوبة والاستغفار والرجوع إلى الملك الغفار والمجاملة في المعاملة مع الأخيار والأشرار ودفع الأذى عن أهل الإنكار والإقرار.

ـ حكي ـ أن أبا منصور بن ذكير كان رجلاً زاهداً صالحاً فلما دنت وفاته أكثر البكاء فقيل له: لِمَ تبكي عند الموت؟ قال: أسلك طريقاً لم أسلكه قط فلما توفي رآه ابنه في المنام في الليلة الرابعة فقال: يا أبت ما فعل الله بك؟ فقال: يا بني إن الأمر أصعب مما تعد أي تظن لقيت ملكاً عادلاً أعدل العادلين ورأيت خصماء مناقشين فقال لي ربي: يا أبا منصور قد عمرتك سبعين سنة فما معك اليوم؟ فقلت: يا ربي حججت ثلاثين حجة فقال الله تعالى: لم أقبل منك فقلت: يا رب تصدقت بأربعين ألف درهم بيدي فقال: لم أقبل منك فقلت: ستون سنة صمت نهارها وقمت ليلها فقال: لم أقبل منك فقلت: إلهي غزوت أربعين غزوة فقال: لم أقبل منك فقلت: إذا قد هلكت فقال الله تعالى ليس من كرمي أن أعذب مثل هذا يا أبا منصور أما تذكر اليوم الفلاني نحيت الذرة عن الطريق كيلا يعثر بها مسلم فإني قد رحمتك بذلك فإني لا أضيع أجر المحسنين فظهر من هذه الحكاية أن دفع الأذى عن الطريق إذا كان سبباً للرحمة والمغفرة فلأن يكون دفع الأذى عن الناس نافعاً للدافع يوم الحشر خصوصاً عدم الأذية للمؤمنين وخصوصاً للأهل والعيال والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده اللهم اجعلنا من النافعين لا من الضارين آمين.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾

﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ أي: من الموجودات كائناً ما كان من الخلائق أرزاقهم وغير ذلك.

قال الشيخ نجم الدين قدس سره: **﴿لله ما في السموات﴾** من الدرجات العلى وجنات المأوى والفردوس الأعلى **﴿وما في الأرض﴾** من نعيم الدنيا وزينتها وزخارفها والله مستغن عنها وإنما خلقها لعباده الصالحين كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية: ١٣] وخلق العباد لنفسه كما قال: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه: ٤١] **﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾** أي بالله قد أمرناهم في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الأمم. واللام في الكتاب للجنس يتناول الكتب السماوية ومن متعلقة بوصينا أو بأوتوا

﴿وإياكم﴾ عطف على الذين أي وصيناكم يا أمة محمد في كتابكم ﴿أن اتقوا الله﴾ أي: بأن اتقوا الله فإن مصدرية حذف منها حرف الجر أي أمرناهم وإياكم بالتقوى ﴿و﴾ قلنا لهم ولكم ﴿إن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض﴾ أي: فإن الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وإنما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله: ﴿وكان الله غنياً﴾ أي: عن الخلق وعبادتهم لا تعلق له بغيره تعالى لا في ذاته ولا في صفاته بل هو منزه عن العلاقة مع الأغيار ﴿حميداً﴾ محموداً في ذاته حمدوه أو لم يحمده. قال الغزالي في «شرح الأسماء الحسنى»: والله تعالى هو الحميد لحمده لنفسه أزلاً ولحمد عباده له أبداً ويرجع هذا إلى صفات الجلال والعلو والكمال منسوباً إلى ذكر الذاكرين له فإن الحمد هو ذكر أوصاف الكمال من حيث هو كمال والحميد من العباد من حمدت عقائده وأخلاقه وأعماله كلها من غير مثنوية وذلك هو محمد ﷺ ومن يقرب منه من الأنبياء ومن عداهم من الأولياء والعلماء كل واحد منهم حميد بقدر ما يحمد من عقائده وأخلاقه وأعماله وأقواله ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ ذكره ثالثاً للدلالة على كونه غنياً فإن جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما فاض عليها من الوجود وأنواع الخصائص والكمالات على كونه حميداً فلا تكرار فإن كل واحد من هذه الألفاظ مقرون بفائدة جديدة ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ في تدبير أمور الكل وكل الأمور فلا بد من أن يتوكل عليه لا على أحد سواه ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس﴾ أي: يفنكم ويستأصلكم بالمرة ﴿ويأت بآخرين﴾ أي: يوجد دفعة مكانكم قوماً آخرين من البشر أو خلقاً آخرين مكان الأنس ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء أي إن: يشأ إفناءكم وإيجاد آخرين يذهبكم يعني: أن إبقاءكم على ما أنتم عليه من العصيان إنما هو لكمال غناه عن طاعتكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ففيه تهديد للعصاة ﴿وكان الله على ذلك﴾ أي: إفنائكم بالمرة وإيجاد آخرين دفعة مكانكم ﴿قديراً﴾ بليغ القدر لا يعجزه مراد فأطيعوه فلا تعصوه واتقوا عقابه. والآية تدل على كمال قدرته وصبوريته حيث لا يؤاخذ العصاة على العجلة وفي الحديث: «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله أنه يشرك به ويجعل له الولد ثم هو يعافيهم ويرزقهم» يعني: يقول بعض عباد الله وإمائه إن له شريكاً في ملكه وينسب له ولداً ثم الله تعالى يعطيهم من أنواع النعم العافية والرزق وغيرهما فهذا كرمه ومعاملته مع من يؤذيه فما ظنك بمعاملته مع من يتحمل الأذى منه ويثني عليه؟ ثم إن تأخير العقوبة يتضمن لحكم منها رجوع التائب وانقطاع حجة المصر وفي الحديث «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها». قال الشيخ الكلاباذي: بسط اليد كناية عن الجود يعني يجود الله لمسيء الليل ولمسيء النهار بالإمهال ليتوب كما روي أنه عليه السلام قال: «صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال وإذا عمل العبد حسنة كتب له عشر أمثالها وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين أمسك فيمسك عنه سبع ساعات من النهار فإن استغفر لم يكتب عليه وإن لم يستغفر كتب سيئة واحدة» انتهى كلامه. قال الصائب:

بر غفلت سياه دلان خنده ميزنند غافل مشو زخنده دندان نماى صبح

يقال: من لم ينزجر بزواجر القرآن ولم يرغب في الطاعات فهذا أشد قسوة من الحجارة وأسوء حالاً من الجمادات فإن دعوة الله عباده بكتبه على لسان الأنبياء لئلا يغتروا بزخارف

الدنيا الدنية ويترقوا من حضيض الحظوظ النفسانية إلى معارج الدرجات العلى ولقد وصاك الله تعالى بالتقوى فعليك بالأخذ بالوصية فإن التقوى كنز عزيز فلئن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وخير كثير فإنه جامع الخير كله. قال ابن عطاء للتقوى ظاهر وباطن فظاهرها حفظ حدود الشرع وباطنها الإخلاص في النية وحقيقة التقوى الإعراض عن الدنيا والعقبى والإقبال والتوجه إلى الحضرة العليا فمن وصل إليه فقد صار حراً عن رقية الكونين وعبد الله تعالى. قال الحافظ قدس سره:

اي خوشا سروكه ازبار غم آزاد آمد ... زير بارند درختان كه تعلق دارند

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾

﴿من كان يريد ثواب الدنيا﴾ كالمجاهد يريد بمجاهدته الغنيمة **﴿فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾** أي: فعنده تعالى ثوابهما له إن أراده فما له يطلب أخسهما فليطلبهما كمن يقول: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة أو ليطلب الأشرف منهما فإن من جاهد خالصاً لوجه الله تعالى لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء أي فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلاً ما يريده كقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى: ٢٠] **﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾** عالماً بجميع المسموعات والمبصرات عارفاً بالأغراض أي: يعرف من كلامهم ما يدل على أنهم ما يطلبون من الجهاد سوى الغنيمة ومن أفعالهم ما يدل على أنهم لا يسعون في الجهاد إلا عند توقع الفوز بالغنيمة. قال الحدادي: في الآية تهديد للمنافقين المرائين وفي الحديث: «إن في النار وادياً تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة أعد للقراء المرائين». قال السعدي قدس سره:

به ازنيك نام خراب اندرون ... نكو سيرتى بى تكلف برون

جوى وقت دخلش نيايد بچنك ... هرآنكه افكند تخم برروى سنك

وعن النبي ﷺ أنه «لما خلق الله تعالى جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها: تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون ثلاثاً ثم قالت: إني حرام على كل بخيل مراء» فينبغي للمؤمن أن يحترز من الرياء ويسعى في تحصيل الإخلاص في العمل وهو أن لا يريد بعمله سوى الله تعالى قال بعضهم دخلت على سهل بن عبد الله يوم الجمعة قبل الصلاة فرأيت في البيت حية فجعلت أقدّم رجلاً وأؤخر أخرى فقال سهل: ادخل لا يبلغ أحد حقيقة الإخلاص وعلى وجه الأرض شيء يخافه ثم قال: هل لك حاجة في صلاة الجمعة؟ فقلت: بيننا وبين المسجد مسيرة يوم وليلة فأخذ بيدي فما كان قليلاً حتى رأيت المسجد فدخلنا وصلينا الجمعة ثم خرجنا فوقف ينظر إلى الناس وهم يخرجون فقال أهل لا إله إلا الله كثير والمخلصون منهم قليل:

وكرنه چه آيد زيمغز پوست ... عبادت بإخلاص نيت نكوست

فالمخلص في عمله لا يقبل عوضاً ولو أعطى له الدنيا وما فيها.

ـ حكاية ـ [آورده اندكه جوانمردى غلام خويش را كفت سخاوت آن نيست كه صدقه بكسى دهند كه اورابشناسند صد دينار بستان وببازار ببر وأول درويشى كه بينى بوى ده غلام

بىازار رفت پيرى ديدكه حلاق سراو مى تراشيد زر بوى داد پير كفت كه من نيت كرده ام كه هرچه مرا فتوح شود بوى دهم وحلاق را كفت بستان حلاق كفت من نيت كرده ام سراورا از براى خدا بتراشم اجر خود از حق تعالى بصد دينار نمى فروشم وهيچ كس نستادند غلام باز كشت وزرباز آورد] كذا في «أنيس الوحدة وجليس الخلوة».

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾﴾

﴿**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط**﴾ مبالغين في العدل وإقامة القسط في جميع الأمور مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد ﴿**شهداء لله**﴾ بالحق تقيمون شهاداتكم بوجه الله تعالى كما أمرتم بإقامتها وهو خبر ثان ﴿**ولو**﴾ كانت الشهادة ﴿**على أنفسكم**﴾ بأن تقروا عليها لأن الشهادة على النفس إقرار على أن الشهادة عبارة عن الإخبار بحق الغير سواء كان ذلك عليه أو على ثالث أو بأن تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة المشهود عليه بأن يكون سلطاناً ظالماً أو غيره ﴿**أو الوالدين والأقربين**﴾ أي: ولو كانت على والديكم وأقاربكم بأن تقروا وتقولوا مثلاً أشهد أن لفلان على والدي كذا أو على أقاربي أو بأن تكون الشهادة وبالاً عليهم على ما مر آنفاً وفي هذا بيان أن شهادة الابن على الوالدين لا تكون عقوقاً ولا يحل للابن الامتناع عن الشهادة على أبويه لأن في الشهادة عليهما بالحق منعاً لهما من الظلم وأما شهادته لهما وبالعكس فلا تقبل لأن المنافع بين الأولاد والآباء متصلة ولهذا لا يجوز أداء الزكاة إليهم فتكون شهادة أحدهما شهادة لنفسه أو لتمكن التهمة ﴿**إن يكن**﴾ أي: المشهود عليه ﴿**غنيا**﴾ يبتغي في العادة رضاه ويتقي سخطه ﴿**أو فقيراً**﴾ يترحم عليه غالباً وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى: ﴿**فالله أولى بهما**﴾ عليه أي: فلا تمتنعوا عن إقامة الشهادة طلباً لرضى الغني أو ترحماً على الفقير فإن الله تعالى أولى بجنسي الغني والفقير بالنظر لهما ولولا أن الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وفي الحديث «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» قيل: يا رسول الله كيف ينصره ظالما قال: «أن يرده عن ظلمه» فإن ذلك نصره معنى ومنع الظالم عن ظلمه عون له على مصلحة دينه ولذا سمي نصراً، قال السعدي قدس سره:

بكمراه كفتن نكو ميروى   كناه بزركست وجور قوى
بكوى آنچه دانى سخن سودمند   وكر هيچ كس را نيايد بسند

﴿**فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا**﴾ يحتمل العدل والعدول أي فلا تتبعوا الهوى كراهة أن تعدلوا بين الناس أو إرادة أن تعدلوا عن الحق ﴿**وإن تلووا**﴾ ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل بأن تأتوا بها لا على وجهها ليّ الشيء فتله وتحريفه ولي الشهادة تبديلها وعدم أدائها على ما شاهده بأن يميل فيها إلى أحد الخصمين ﴿**أو تعرضوا**﴾ أي: عن أدائها وإقامتها رأساً فالإعراض عنها كتمها ﴿**فإن الله كان بما تعملون**﴾ من ليّ الألسنة والإعراض بالكلية ﴿**خبيراً**﴾ فيجازيكم لا محالة على ذلك. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالآية القاضي يتقدم عليه الخصمان فيعرض عن أحدهما أو يدافع في إمضاء الحق أو لا يسوي بينهما في المجلس والنظر والإشارة ولا يمتنع أن يكون المراد بالآية القاضي والشاهد وعامة الناس

فإن اللفظ محتمل للجميع. وعن رسول الله ﷺ أنه قال عند نزول هذه الآية «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقم شهادته على من كانت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجحد حقاً هو عليه وليؤده فوراً ولا يلجئه إلى سلطان وخصومة ليقطع بها حقه وأيما رجل خاصم إلي فقضيت له على أخيه بحق ليس عليه فلا يأخذنه فإنما أقطع له قطعة من نار جهنم» كذا في «تفسير الحدادي». قال في «الأشباه» أي شاهد جاز له الكتمان؟ فقل: إذا كان الحق يقوم بغيره أو كان القاضي فاسقاً أو كان يعلم أنه لا يقبل انتهى. قال الفقهاء: وستر الشهادة في الحدود أفضل من أدائها لقوله عليه السلام للذي شهد عنده في الحد «لو سترته بثوبك لكان خيراً لك» وقوله عليه السلام: «من ستر على مسلم عيباً ستر الله عليه في الدنيا والآخرة» وقال عليه السلام: «ما من امرىء ينصر مسلماً في موضع ينهتك فيه عرضه وتستحل حرمته إلا نصره الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته وما من امرىء خذل مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته إلا خذله الله تعالى في موضع يحب فيه نصرته» وقال عليه السلام: «ادرأوا الحدود ما استطعتم».

ـ يحكى ـ أن مسلماً قتل ذمياً عمداً فحكم أبو يوسف بقتل المسلم فبلغ زبيدة امرأة هارون الرشيد فبعثت إلى أبي يوسف وقالت: إياك أن تقتل المسلم وكانت في عناية عظيمة بأمر المسلم فلما حضر أبو يوسف وحضر الفقهاء وجيء بأولياء الذمي والمسلم وقال له الرشيد: احكم بقتله فقال: يا أمير المؤمنين هو مذهبي غير أني لست أقتل المسلم به حتى تقوم البينة العادلة إن الذمي يوم قتله المسلم كان ممن يؤدي الجزية فلم يقدروا عليه فبطل دمه:

تورروا داريكه من بي حجتي بنهم اندر شهر باطل سنتي

وفي قوله تعالى: ﴿شهداء الله﴾ إشارة إلى عوام المؤمنين أن كونوا شهداء الله بالتوحيد والوحدانية بالقسط يوماً ما ولو كان في آخر نفس من عمرهم على حسب ما قدر لهم الله تعالى. وإشارة إلى الخواص أن كونوا شهداء لله أي حاضرين مع الله بالفردانية. وإشارة إلى خواص الخواص أن كونوا شهداء لله في الله غائبين عن وجودكم في شهوده بالوحدة. وفي إشارته إلى الخواص شركة للملائكة كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] فأما إشارته إلى الأخص من الأنبياء وكبار الأولياء وهم أولو العلم فمختصة بهم من سائر العالمين ولأولي العلم شركة في شهود شهد الله أنه لا إله إلا هو وليس للملائكة في هذا الشهود مدخل إلا أنهم قائمون بالقسط كذا في «التأويلات النجمية».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ خطاب لكافة المسلمين **﴿آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل﴾** أي: اثبتوا على الإيمان بذلك ودوموا عليه وازدادوا فيه طمأنينة ويقيناً أو آمنوا بما ذكر مفصلاً بناء على أن إيمان بعضهم إجمالي. فإن قلت: لم قيل نزل على رسوله وأنزل من قبل. قلت: لأن القرآن نزل منجماً مفرقاً بخلاف الكتب قبله فالمراد بالكتاب الأول القرآن وبالثاني الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى: ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وبالإيمان به الإيمان بأن كل كتاب من تلك الكتب منزل منه على رسول معين لإرشاد أمته إلى ما شرع لهم من الدين بالأوامر والنواهي لكن لا على أن يراد الإيمان

بكل واحد من تلك الكتب بل خصوصية ذلك الكتاب ولا على أن أحكام تلك الكتب وشرائعها باقية بالكلية ولا على أن الباقي منها معتبر بالإضافة إليها بل على أن الإيمان بالكل مندرج تحت الإيمان بالكتاب المنزل على رسوله وأن أحكام كل منها كانت حقة ثابتة إلى ورود نسخها وأن ما لم ينسخ منها إلى الآن من الشرائع والأحكام ثابتة من حيث إنها من أحكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ والتبديل. وقيل: الخطاب للمنافقين كأنه قيل: يا أيها الذين آمنوا نفاقاً وهو ما كان بالألسنة فقط آمنوا إخلاصاً وهو ما كان بها وبالقلوب. وقيل الخطاب لمؤمني أهل الكتاب إذ روي أن ابن سلام وأصحابه قالوا: يا رسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت فالمعنى حينئذٍ آمنوا إيماناً عاماً شاملاً يعم الكتب والرسل فإن الإيمان بالبعض كلا إيمان. **﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر﴾** أي: بشيء من ذلك لأن الكفر ببعضه كفر بكله ألا ترى كيف قدم الأمر بالإيمان بهم جميعاً وزيادة الملائكة واليوم الآخر في جانب الكفر لما أنه بالكفر بأحدها لا يتحقق الإيمان أصلاً وجمع الكتب والرسل لما أن الكفر بكتاب أو برسول كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلاً عليه وتقديم الملائكة والكتب على الرسل لأنهم وسائط بين الله وبين الرسل في إنزال الكتب. **﴿فقد ضل ضلالا بعيدا﴾** عن المقصد بحيث لا يكاد يعود إلى طريقه. قالوا: أول ما يجب على المرء معرفة مولاه أي يجب على كل إنسان أن يسعى في تحصيل معرفة الله تعالى بالدليل والبرهان فإن إيمان المقلد وإن كان صحيحاً عند الإمام الأعظم لكن يكون آثماً بترك النظر والاستدلال فأول الأمر هو الحجة والبرهان ثم المشاهدة والعيان ثم الفناء عن سوى الرحمان. فمرتبة العوام في الإيمان ما قال عليه السلام: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت والجنة والنار والقدر خيره وشره» وهو إيمان غيبي، وفي «المثنوي»:

بندكى درغيب آيد خوب وكش   حفظ غيب آيدر استبعاد خوش
طاعت وإيمان كنون محمود شد   بعد مرك اندر عيان مردود شد

ومرتبة الخواص في الإيمان هو إيمان عياني وكان ذلك بأن الله إذا تجلى لعبده بصفة من صفاته خضع له جميع وجوده وآمن بالكلية عياناً بعدما كان يؤمن قلبه بالغيب ونفسه تكفر بما آمن به قلبه إذا كانت النفس عن تنسم روائح الغيب بمعزل فلما تجلى الحق للجبل جعله دكاً وخر موسى النفس صعقاً فالنفس في هذا المقام تكون بمنزلة موسى فلما أفاق قال: تبت إليك وأنا أول المؤمنين. ومرتبة الأخص في الإيمان هو إيمان عياني وذلك بعد رفع حجب الأنانية بسطوات تجلي صفة الجلال فإذا أفناه عنه بصفة الجلال يبقيه به بصفة الجمال فلم يبقَ له الأين وبقي في العين فيكون إيماناً عينياً كما كان حال النبي عليه السلام ليلة المعراج فلما بلغ قاب قوسين كان في حيز أين فلما جذبته العناية من كينونته إلى عينونة أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى آمن الرسول بما أنزل إليه أي من صفات ربه فآمنت صفاته بصفاته تعالى وذاته بذاته فصار كل وجوده مؤمناً بالله إيماناً عينياً ذاته وصفاته فأخبر عنهم وقال: والمؤمنون كل آمن بالله يعني آمنوا بهوية وجودهم كذا في «التأويلات النجمية» هذا هو الإيمان الحقيقي رزقنا الله وإياكم إياه، وفي «المثنوي»:

بود كبرى درزمان بايزيد   كفت اورايك مسلمان سعيد
كه چه باشد كرتو اسلام آورى   تا بيابى صد نجات وسرورى

كفت اين ايمان اكرهست اي مريد | آنكه دارد شيخ عالم بايزيد
من ندارم طاقت آن تاب آن | كان فزون آمدز كو ششهاى جان
كرچه درايمان ودين ناموقنم | ليك درايمان اوبس مومنم
مؤمن ايمان اويم در نهان | كرچه مهرم هست محكم بردهان
بازايمان خود كر ايمان شماست | نى بدان ميلستم ونى مشتهاست
آنكه صد ميلش سوى ايمان بود | چون شمارا ديد زان فاترشود
زانكه نامى بيند ومعنيش نى | چون بيابانرا مفازه كفتنى

وإلى هذا التجريد والتفريد ينال العبد بالذكر والتوحيد قال عليه السلام في وصيته لعلي ـ رضي الله عنه ـ «يا علي احفظ التوحيد فإنه رأس مالي والزم العمل فإنه حرفتي وأقم الصلاة فإنها قرة عيني واذكر الحق فإنه نصرة فؤادي واستعمل العلم فإنه ميراثي» اللهم لا تحرمنا من هذا الميراث.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا﴾ يعني: اليهود بموسى **﴿ثم كفروا﴾** بعبادتهم العجل **﴿ثم آمنوا﴾** بعد عوده إليهم **﴿ثم كفروا﴾** بعيسى والإنجيل **﴿ثم ازدادوا كفراً﴾** بكفرهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وازداد كذا يجيء لازماً ومتعدياً يقال: ازددت مالاً أي زدته لنفسي ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥] **﴿لم يكن الله﴾** مريداً **﴿ليغفر لهم﴾** أي ما داموا على كفرهم **﴿ولا ليهديهم سبيلاً﴾** أي ولا ليوفقهم طريقاً إلى الإسلام ولكن يخذلهم مجازاة لهم على كفرهم. فإن قيل: إن الله لا يغفر كفر مرة فما الفائدة في قوله: **﴿ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا﴾**. قيل: إن الكافر إذا آمن غفر له كفره فإذا كفر بعد إيمانه لم يغفر له الكفر الأول وهو مطالب بجميع كفرهم **﴿بشر المنافقين﴾** وضع بشر موضع انذر وأخبر تهكماً بهم **﴿بأن لهم عذابا أليماً﴾** أي: وجيعاً يخلص ألمه ووجعه إلى قلوبهم وهذا يدل على أن الآية نزلت في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا بالإصرار على النفاق وإفساد الأمر على المؤمنين **﴿الذين﴾** أي: هم الذين **﴿يتخذون الكافرين﴾** أي اليهود **﴿أولياء﴾** أحباء في العون والنصرة **﴿من دون المؤمنين﴾** حال من فاعل يتخذون أي متجاوزين ولاية المؤمنين المخلصين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم أمر محمد فتولوا اليهود **﴿أيبتغون عندهم العزة﴾** أي: أيطلبون بموالاة الكفرة القوة والغلبة وهم أذلاء في حكم الله تعالى: **﴿فإن العزة لله جميعاً﴾** تعليل لما يفيده الاستفهام الإنكاري من بطلان رأيهم وخيبة رجائهم فإن انحصار جميع أفراد العزة في جنابه تعالى بحيث لا ينالها إلا أولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] يقتضي بطلان التعزيز بغيره سبحانه واستحالة الانتفاع به. قوله جميعاً حال من المستكن في قوله تعالى لله لاعتماده على المبتدأ.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾

﴿وقد نزل عليكم﴾ خطاب للمنافقين بطريق الالتفات والجملة حال من فاعل يتخذون. قال المفسرون: إن مشركي مكة كانوا يخوضون في ذكر القرآن ويستهزئون به في مجالسهم فأنزل الله تعالى في سورة الأنعام وهي مكية ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨] ثم إن أحبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون ما فعله المشركون بمكة وكان المنافقون يقعدون معهم ويوافقونهم على ذلك الكلام الباطل فقال الله تعالى مخاطباً لهم ﴿وقد نزل عليكم﴾ أي والحال أنه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بمكة. وفيه دلالة على أن المنزل على النبي عليه السلام وإن خوطب به خاصة منزل على العامة ﴿في الكتاب﴾ أي: القرآن الكريم. ﴿أن﴾ مخففة أي: أن الشان ﴿إذا سمعتم آيات الله﴾ فيه دلالة على أن مدار الإعراض عنهم هو العلم بخوضهم في آيات الله ولذلك يخبر عنه تارة بالرؤية وأخرى بالسماع ﴿يكفر بها ويستهزأ بها﴾ حالان من آيات الله أي مكفوراً ومستهزءاً بها في محل الرفع لقيامه مقام الفاعل والأصل يكفر بها أحد ويستهزىء. ﴿فلا تقعدوا﴾ جزاء الشرط ﴿معهم﴾ أي: الكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها ﴿حتى يخوضوا﴾ الخوض بالفارسية «در حديث شدن» ﴿في حديث غيره﴾ أي غير القرآن وحتى غاية للنهي والمعنى أنه تجوز مجالستهم عند خوضهم وشروعهم في غير الكفر والاستهزاء. وفيه دلالة على أن المراد بالإعراض عنهم إظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الإعراض بالقلب أو بالوجه فقط ﴿إنكم إذاً مثلهم﴾ جملة مستأنفة سيقت لتعليل النهي غير داخلة تحت التنزيل وإذن ملغاة عن العمل لاعتماد ما بعدها على ما قبلها أي: لوقوعها بين المبتدأ والخبر أي لا تقعدوا معهم في ذلك الوقت إنكم إن فعلتموه كنتم مثلهم أي مثل اليهود في الكفر واستتباع العذاب فإن الرضى بالكفر كفر ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾ يعني: القاعدين والمقعود معهم وهو تعليم لكونهم مثلهم في الكفر بيانه ما يستلزمه من شركتهم لهم في العذاب.

واعلم أن الائتلاف هٰهنا نتيجة تعارف الأرواح هنالك لقوله عليه السلام: «الأرواح جنود مجندة» الحديث فمن تعارف أرواح الكافر والمنافق هناك يأتلفون هٰهنا ومن تناكر أرواحهم وأرواح المؤمنين يختلفون هٰهنا.

ـ روت ـ عائشة رضي الله عنها أن امرأة كانت بمكة تدخل على نساء قريش تضحكهنّ فلما هاجرن ووسع الله تعالى دخلت المدينة قالت عائشة فدخلت عليّ فقلت لها فلانة ما أقدمك قالت: إليكن قلت: فأين نزلت قالت: على فلانة امرأة كانت تضحك بالمدينة قالت عائشة ودخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: «فلانة المضحكة عندكم» قالت عائشة قلت: نعم فقال: «فعلى من نزلت» قالت على فلانة المضحكة قال: «الحمد لله أن الأرواح جنود» الخ، ونعم ما قيل:

همه مرغان كندبا جنس پرواز كبوتر باكبوتر باز باباز

ولما كان الأبد مرآة الأزل لا يظهر فيه إلا ما قدر في الأزل لذا قال الله تعالى: ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾ لأنهم كانوا في عالم الأرواح في صف واحد وفي الدنيا بذلك التناسب والتعارف في فن واحد وقال عليه السلام: «كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون».

ففي إشارة الآية نهي لأصحاب القلوب عن المجالسة مع أرباب النفوس والموافقة في

شيء من أهوائهم فإنهم إن يفعلوا ذلك يكونوا مثلهم يعني كون القلب كالنفس وصاحب القلب كصاحب النفس بالصحبة والمخالطة والمتابعة، قال الحافظ قدس سره:

نخست موعظه پير مجلس اين حرفست كه از مصاحب ناجنس احتراز كنيد

قال الحدادي في تفسيره: إذن لم يجز جلوس المؤمن معهم لإقامة فرض أو سنة أما إذا كان جلوسه لإقامة عبادة وهو ساخط لتلك الحال لا يقدر على تغييرها فلا بأس بالجلوس كما روي عن الحسن أنه حضر وابن سيرين جنازة وهناك نوح فانصرف ابن سيرين فذكر ذلك للحسن فقال: ما كنا متى رأينا باطلاً تركنا حقاً أشرع ذلك في ديننا ولم يرجع انتهى كلامه. وذكر أن الله تعالى أوحى إلى يوشع بن نون عليه السلام إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم قال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ قال: إنهم لم يغضبوا لغضبي وأكلوهم وشاربوهم وإذا كان الرجل مبتلى بصحبة الفجار في سفره للحج أو الغزاة لا يترك الطاعة بصحبتهم لكن يكرهه بقلبه ولا يرضى به فلعل الفاسق يتوب ببركة كراهة قلبه ومن دعى إلى ضيافة فوجد ثمة لعباً أو غناء يقعد إن كان غير قدوة ويمنع إن قدر وإن كان قدوة كالقاضي والمفتي ونحوهما يمنع ويقعد فإن عجز خرج وإن كان ذلك على المائدة أو كانوا يشربون الخمر خرج وإن لم يكن قدوة وإن علم قبل الحضور لا يحضر في الوجوه كلها كذا في «تحفة الملوك».

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾

﴿الذين يتربصون بكم﴾ أي: المنافقون هم الذين ينتظرون وقوع أمر لكم خيراً كان أو شراً **﴿فإن كان لكم﴾** أيها المؤمنون **﴿فتح من الله﴾** أي ظفر ودولة وغنيمة **﴿قالوا﴾** أي لكم **﴿ألم نكن معكم﴾** على دينكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم **﴿وإن كان للكافرين نصيب﴾** أي ظهور على المسلمين **﴿قالوا﴾** أي للكفرة **﴿ألم نستحوذ عليكم﴾** الاستحواذ الاستيلاء أي ألم نغلبكم ونمكن من قتلكم وأسركم فأبقينا عليكم أي ترحمنا **﴿ونمنعكم من المؤمنين﴾** بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم أو أمرجنا في جنابكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم وإلا لكنتم نهبة للنوائب فهاتوا نصيباً مما أصبتم وإنما سمي ظفر المسلمين فتحاً وظفر الكافرين نصيباً تعظيماً لشأن المسلمين وتخسيساً لحظ الكافرين لأن ظفر المسلمين أمر عظيم تفتح له أبواب السماء حتى ينزل على أوليائه وأما ظفر الكافرين فمقصور على أمر دنيوي سريع الزوال **﴿فالله يحكم بينكم﴾** أي: بين المؤمنين والمنافقين بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين **﴿يوم القيامة﴾** أي يحكم حكماً يليق بشأن كل منكم من الثواب والعقاب وأما في الدنيا فقد جرى على من تفوه بكلمة الإسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقاً **﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾** أي: ظهوراً يوم القيامة كما قد يجعل ذلك في الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج وبيانه أن الله تعالى يظهر أثر إيمان المؤمن يوم القيامة ويصدق موعدهم ولا يشاركهم الكفار في شيء من اللذات كما شاركوهم اليوم حتى يعلموا أن الحق معهم دونهم إذ لو شاركوهم في شيء منها لقالوا للمؤمنين: ما نفعكم إيمانكم

وطاعتكم شيئاً لأنا أشركنا واستوينا معكم في ثواب الآخرة وأما إن كان المعنى سبيلاً في الدنيا فيراد بالسبيل الحجة وحجة المسلمين غالبة على حجة الكل وليس لأحد أن يغلبهم بالحجة وقيل: معنى السبيل الدولة الدائمة ولا دولة على الدوام للكافرين وإلا لكان الظهور والغلبة من قبلهم دائماً وليس كذلك فإن أكثر الظفر للمسلمين وإنما ينال الكفار من المؤمنين في بعض الأوقات استدراجاً ومكراً وهذا يستمر إلى انقراض أهل الإيمان في آخر الزمان. وعن كعب قال: إذا انصرف عيسى ابن مريم والمؤمنون من يأجوج ومأجوج لبثوا سنوات ثم رأوا كهيئة الرهج والغبار فإذا هي ريح قد بعثها الله لتقبض أرواح المؤمنين فتلك آخر عصابة تقبض من المؤمنين ويبقى الناس بعدهم مائة عام لا يعرفون ديناً ولا سنة يتهارجون تهارج الحمر عليهم تقوم الساعة وفي الحديث «الجهاد ماضٍ منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال» ثم إن الله تعالى يحكم بينكم يوم القيامة ليعلم من أهل العزة والكرامة ومن أهل الغرة والندامة كما أن الشمع يحكم بين الصحيح والسقيم بإظهار حالهما إذا جيء به في حمامٍ مظلم قد دخله الأصحاء والمرضى والجرحى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً فإن وبال كيدهم إليهم مصروف وجزاء مكرهم عليهم موقوف والحق من قبل الحق تعالى منصور أهله والباطل بنصر الحق مخيب أصله. وقد قيل: الباطل يفور ثم يغور. فعلى المؤمن صرف علو الهمة في الدين وفي تحصيل علم اليقين ولا يتربص للفتوحات الدنيوية ذاهلاً عن الفتوحات الأخروية بل عن فتوحات الغيب ومشاهدة الحق فإن أهم الأمور هو الوصول إلى الرب الغفور. قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: إن لله خواص من عباده ولو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار ولما كان موسى كليم الله طفلاً في حجر تربية الحق تعالى ما تجاوز حده ولا تعدى قصده بل قال: رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير فلما كبر وبلغ مبلغ الرجال ما رضي بطعام الأطفال بل قال: رب أرني أنظر إليك وكان غاية طلبه في طفوليته هو الطعام والشراب وكان منتهى أربه في رجوليته هو رفع الحجاب ومشاهدة الأحباب فالباب مفتوح للطلاب لا حاجب عليه ولا بواب وإنما المحجوب عن المسبب من وقف مع الأسباب والمشروب حاضر والمحروم من حرم الشراب والمحبوب ناظر والمطرود من وقف وراء الحجاب فمن أنس بسواه فهو مستوحش ومن ذكر غيره فهو غافل عنه ومن عول على سواه فهو مشرك فإذا لم يجد إليه سبيلاً وفي ظله مقيلاً، ونعم ما قيل:

تو محرم نيستى محروم ازانى ره نا محرمان اندر حرم نيست

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾

﴿إن المنافقين يخادعون الله﴾ أي: يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان الكفر **﴿وهو خادعهم﴾** أي الله تعالى فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم في الدنيا معصومي الدماء والأموال وأعد لهم في الآخرة الدرك الأسفل من النار ولم يخلهم في العاجل من فضيحة وإحلال بأس ونقمة ورعب وإثم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما إنهم يعطون نوراً يوم القيامة كما للمؤمنين فيمضي المؤمنون بنورهم على الصراط وينطفيء نور

المنافقين فينادون المؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم فتناديهم الملائكة عن الصراط ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً وقد علموا أنهم لا يستطيعون الرجوع قال: فيخاف المؤمنون حينئذٍ أن يطفأ نورهم فيقولون: ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير. **﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى﴾** أي: متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئاً عن كره لا عن طيب نفس ورغبة. قوله كسالى كأنه قيل: ما كسالى فقيل: **﴿يراؤون الناس﴾** أي يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ليحسبوهم مؤمنين **﴿ولا يذكرون الله﴾** عطف على يراؤون **﴿إلا﴾** ذكراً **﴿قليلا﴾** إذ المرائي لا يفعل إلا بحضرة من يرائيه وهو أقل أحواله والمراد بالذكر التسبيح والتهليل. قال في الكشاف: وهكذا ترى كثيراً من المتظاهرين بالإسلام لو صحبته الأيام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق أوقاته لا يفتر عنه.

﴿مذبذبين بين ذلك﴾ حال من فاعل يراؤون وذلك إشارة إلى الإيمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام أي مرددين بينهما متحيرين قد ذبذبهم الشيطان والهوى بينهما وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعده أخرى **﴿لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾** حال من ضمير مذبذبين أي لا منسوبين إلى المؤمنين فيكونون مؤمنين ولا إلى الكافرين فيكونون مشركين **﴿ومن يضلل الله﴾** لعدم استعداده للهداية والتوفيق **﴿فلن تجد له سبيلا﴾** موصلاً إلى الحق والصواب فضلاً عن أن تهديه إليه والخطاب لكل من يصلح له كائناً من كان وكان ﷺ يضرب مثلاً للمؤمنين والمنافقين والكافرين كمثل رهط ثلاثة رفعوا إلى نهر فقطعه المؤمن ووقف الكافر ونزل فيه المنافق حتى إذا توسط عجز فناداه الكافر هلم إلي لا تغرق وناداه المؤمن هلم إلي لتخلص فما زال المنافق يتردد بينهما إذ أتى عليه ماء فغرقه فكأن المنافق لم يزل في شك حتى يأتيه الموت:

اى كـه دارى نـفـاق انـدر دل   خـار بـادت خـلـيـده انـدر حـلـق
هـركـه سـازد نـفـاق پـيـشـه خـويـش   خـوار كـردد بـنـزد خـالـق وخـلـق

والإشارة **﴿إن المنافقين﴾** إنما **﴿يخادعون الله﴾** في الدنيا لأن الله تعالى **﴿وهو خادعهم﴾** في الأزل عند رش نوره على الأرواح وذلك أن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فلما رش نوره أصاب أرواح المؤمنين وأخطأ أرواح المنافقين والكافرين ولكن الفرق بين المنافقين والكافرين أن أرواح المنافقين رأوا رشاش النور وظنوا أنه يصيبهم فأخطأهم وأرواح الكافرين ما شاهدوا ذلك الرشاش ولم يصبهم وكأن المنافقين خدعوا عند مشاهدتهم الرشاش إذ ما أصابهم فمن نتائج مشاهدتهم الرشاش **﴿وإذا قاموا إلى الصلاة﴾** من نتائج حرمانهم إصابة النور **﴿قاموا كسالى يراؤون الناس﴾** كيما يرونهم النور **﴿ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾** لأنهم يذكرونه بلسان الظاهر القالبي لا بلسان الباطن القلبي والقالب من الدنيا وهي قليلة قليل ما فيها والقلب من الآخرة وهي كثيرة كثير ما فيها فالذكر الكثير من لسان القلب كثير والفلاح في الذكر الكثير لا في القليل لقوله تعالى: **﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾** [الأحزاب: ٤١] أي: بلسان القلب **﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾** [البقرة: ١٨٩] ولما كان ذكر المنافقين بلسان القالب كان قليلاً فما أفلحوا به وإنما كان ذكر المنافق بلسان الظاهر لأنه رأى رشاش النور ظاهراً من البعد ولم يصبه فلو كان أصابه ذلك النور لكان صدره منشرحاً به كما قال تعالى: **﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾** [الزمر: ٢٢] أي على نور مما رش به ربه ومعدن النور هو القلب فكان

قلبه ذاكراً لله بذلك النور فإنه يصير لسان القلب فقليل الذكر منه يكون كثيراً فافهم جداً فلما كانت أرواح المنافقين مترددة متحيرة بين مشاهدة رشاش النور وبين الظلمة الخلقية لا إلى هؤلاء الذين أصابهم النور ولا إلى هؤلاء الذين لم يشاهدوا الرشاش لذلك كانوا ﴿**مذبذبين بين ذلك**﴾ المؤمنين والكافرين ﴿**لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله**﴾ بأخطاء ذلك النور كما قال ومن أخطأه فقد ضل ﴿**فلن تجد له سبيلا**﴾ هٰهنا إلى ذلك النور يدل عليه قوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠] أي: ومن لم يجعل الله له قسمة من ذلك النور المرشش عليهم فما له اليوم نصيب من نور الهداية كذا في «التأويلات النجمية» اللهم ارزقنا الذكر الكثير واعصمنا من الذنب الصغير والكبير. يقال: حصون المؤمن ثلاثة: المسجد، وذكر الله، وتلاوة القرآن، والمؤمن إذا كان في واحد من ذلك أي من الأشياء الثلاثة فهو في حصن من الشيطان قال علي رضي الله عنه: «يأتي على الناس زمان لا يبقى في الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه يعمرون مساجدهم وهي خراب من ذكر الله تعالى شر أهل ذلك الزمان علماؤهم منهم تخرج الفتنة وإليهم تعود» قال السعدي قدس سره:

كنون بايدت عذر تقصير كفت   نه چون نفس ناطق زكفتن بخفت

اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين آمين يا معين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾

﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين**﴾ أي: لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من أعداء الإسلام أحباء قوله من دون المؤمنين حال من فاعل لا تتخذوا أي متجاوزين ولاية المؤمنين ﴿**أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً**﴾ أي أتريدون بذلك أن تجعلوا لله عليكم حجة بينة على أنكم منافقون فإن موالاتهم أوضح أدلة النفاق فالسلطان هو الحجة يقال للأمير سلطان يراد بذلك أنه حجة ويجوز أن يكون بمعنى الوالي والمعنى حينئذٍ أتريدون أن تجعلوا سلطاناً كائناً عليكم والياً أمر عقابكم مختصاً لله تعالى مخلوقاً له منقاداً لأمره ﴿**إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار**﴾ هو الطبقة التي في قعر جهنم وهي الهاوية والنار سبع دركات سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض والدركات في النار مثل الدرجات في الجنة كل ما كان من درجات الجنة أعلى فثواب من فيه أعظم وما كان من دركات النار أسفل فعقاب من فيه أشد. وسئل ابن مسعود عن الدرك الأسفل فقال هو توابيت من حديد مبهمة عليهم لا أبواب لها، فإن قلت: لم كان المنافق أشد عذاباً من الكافر؟ قلت: لأنه مثله في الكفر وضم إلى كفره الاستهزاء بالدين والخداع للمسلمين فالمنافقون أخبث الكفرة، فإن قلت من المنافق؟ قلت: هو في الشريعة من أظهر الإيمان وأبطن الكفر وأما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ والتهديد والتشبيه مبالغة في الزجر كقوله من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان» وقيل لحذيفة رضي الله عنه: من المنافق؟ فقال: الذي يصف الإسلام ولا يعمل به. وعن الحسن أتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فأصبح قد عمم وقلد وأعطى سيفاً يعني الحجاج، قال عمر بن عبد

العزيز: لو جاءت كل أمة بمنافقيها وجئنا بالحجاج فضلناهم. وعن عبد الله بن عمر أن أشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون قال الله تعالى في أصحاب المائدة: ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[المائدة: ١١٥] وقال في حق المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] وقال: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] قيل: لا يمتنع أن يجتمع القوم في موضع واحد ويكون عذاب بعضهم أشد من بعض ألا ترى أن البيت الداخل في الحمام يجتمع فيه الناس فيكون بعضهم أشد أذى بالنار لكونه أدنى إلى موضع الوقود وكذلك يجتمع القوم في القعود في الشمس وتأذي الصفراوي أشد وأكثر من تأذي السوداوي والمنافق في اللغة مأخوذ من النفق وهو السرب أي يستتر بالإسلام كما يستتر الرجل بالسرب وقيل: هو مأخوذ من قولهم نافق اليربوع إذا دخل نافقاءه فإذا طلب من النافقاء خرج من القاصعاء وإذا طلب من القاصعاء خرج من النافقاء والنافقاء والقاصعاء حجر اليربوع ﴿**ولن تجد لهم نصيراً**﴾ أي: مانعاً يمنع عنهم العذاب ويخرجهم من الدرك الأسفل من النار والخطاب لكل من يصلح له كائناً من كان.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾

﴿**إلا الذين تابوا**﴾ أي عن النفاق هو استثناء من المنافقين بل من ضميرهم في الخبر ﴿**وأصلحوا**﴾ ما أفسدوا من أحوالهم من حال النفاق بإتيان ما حسنه الشرع من أفعال القلوب والجوارح ﴿**واعتصموا بالله**﴾ أي وثقوا به وتمسكوا بدينه وتوحيده ﴿**وأخلصوا دينهم**﴾ أي جعلوه خالصاً ﴿**لله**﴾ لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه ﴿**فأولئك**﴾ الموصوفون بما ذكر من الصفات الحميدة ﴿**مع المؤمنين**﴾ أي المؤمنين المعهودين الذين لا يصدر عنهم نفاق أصلاً وإلا فهم أيضاً مؤمنون أي معهم في الدرجات العالية من الجنة لا يضرهم النفاق السابق وقد بين ذلك بقوله تعالى: ﴿**وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً**﴾ لا يقادر قدره فيشاركونهم فيه ويساهمونهم وسوف كلمة ترجئة وإطماع وهي من الله سبحانه إيجاب لأنه أكرم الأكرمين ووعد الكريم إنجاز وإنما حذف الياء من يؤتى في الخط كما حذفت في اللفظ لسكونها وسكون اللام في اسم الله وكذلك سندع الزبانية ويدع الداع.

واعلم أن الكافر وإن أفسد برين الكفر صفاء روحه ولكن ما أضيف إلى رين كفره رين النفاق فكان لرين كفره منفذ من القلب إلى اللسان فيخرج بخاره من لسانه بإظهار الكفر وكان للمنافق مع رين كفره رين النفاق زائداً ولم يكن لبخار رينه منفذ إلى لسانه فكان بخارات رين الكفر ورين النفاق تنفذ من منفذ قلبه الذي هو إلى عالم الغيب فتتراكم حتى انسد منفذ قلبه بها وختم عليه بإفساد كلية الاستعداد من صفاء الروحانية فلم يتفق له الخروج عن هذا الأسفل ولا ينصره نصير بإخراجه لأنه مخذول بعيد عن الحق في آخر الصفوف وقال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٦٠] يعني في خلق أرواحكم في صف أرواح المؤمنين ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠] بأن يردكم إلى صف أرواح الكافرين ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠] بأن يخلق أرواحكم في صف أرواح الكافرين ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٠] بأن يخرجكم إلى صف

المؤمنين ثم استثنى منهم من كان كفره ونفاقه عارية وروحه في أصل الخلقة خلقت في صف المؤمنين ثم بأدنى مناسبة في المحاذاة بين روحه وأرواح الكافرين والمنافقين ظهر عليه من نتائجها موالاة معلولة من القوم أياماً معدودة فما أفسدت صفاء روحانيته بالكلية وما انسد منفذ قلبه إلى عالم الغيب فهب له من مهب العناية نفحات ألطاف الحق ونبه من نومة الغفلة ونبىء بالرجوع إلى الحق بعد التمادي في الباطل ونودي في سره بأن لا نصير لمن اختار الأسفل ولا يخرج منه ﴿**إلا الذين تابوا**﴾ أي: ندموا على ما فعلوا ورجعوا عن تلك المعاملات الرديئة ﴿**وأصلحوا**﴾ ما أفسدوا من حسن الاستعداد وصفاء الروحانية بترك الشهوات النفسانية والحظوظ الحيوانية ﴿**واعتصموا بـ**﴾حبل ﴿**الله**﴾ استعانة على العبودية ﴿**وأخلصوا دينهم لله**﴾ في الطلب لا يطلبون منه إلا هو ثم قال: من قام بهذه الشرائط ﴿**فأولئك مع المؤمنين**﴾ يعني في صف أرواحهم خلق روحه لا في صف أرواح الكافرين ﴿**وسوف يؤت الله المؤمنين**﴾ التائبين ويتقرب إليهم على قضية من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته أهرول وهذا هو الذي سماه ﴿**أجرا عظيماً**﴾ والله العظيم كذا في «التأويلات النجمية»، قال السعدي قدس سره:

خلاف طريقت بود كاوليا تمنا كنند ازخدا جزخدا

﴿**ما**﴾ استفهامية بمعنى النفي في محل النصب بيفعل أي أي شيء ﴿**يفعل الله بعذابكم**﴾ الباء سببية متعلقة بيفعل أي بتعذيبكم ﴿**إن شكرتم وآمنتم**﴾ أي أيتشفى به من الغيظ أم يدرك به الثأر أم يستجلب به نفعاً أم يستدفع به ضرراً كما هو شأن الملوك أي لا يفعل بعذاب المؤمن الشاكر شيئاً من ذلك لأن كل ذلك محال في حقه تعالى لأنه تعالى غني لذاته عن الحاجات منزه عن جلب المنفعة ودفع المضرة وأما تعذيب من لم يؤمن أو آمن ولم يشكر فليس لمصلحة تعود إليه تعالى بل لاستدعاء حال المكلف ذلك كاستدعاء سوء المزاج المرض والمقصود منه حمل المكلفين على الإيمان وفعل الطاعات والاحتراز عن القبيح وترك المنكرات فكأنه قيل: إذا أتيتم الحسنات وتركتم المنكرات فكيف يليق بكرمه أن يعذبكم وتعذيبه عباده لا يزيد في ملكه وتركه عقوبتهم على فعلهم القبيح لا ينقص من سلطانه وجواب إن شكرتم محذوف لدلالة ما قبله عليه أي إن شكرتم وآمنتم فما يفعل بعذابكم. والشكر ضد الكفر والكفر ستر النعمة فالشكر إظهارها وإنما قدم الشكر على الإيمان مع أن الإيمان مقدم على سائر الطاعات ولا ثبات مع عدم الإيمان لما أنه طريق موصل إليه فإن الناظر يدرك أولاً ما عليه من النعم الأنفسية والآفاقية فيشكر شكراً مبهماً ثم يترقى إلى معرفة المنعم بعد إمعان النظر في الدلائل الدالة على ثبوته ووحدته فيؤمن به ﴿**وكان الله شاكراً**﴾ الشكر من العبد هو الاعتراف بالنعمة الواصلة إليه مع ضروب من التعظيم ومن الله تعالى الرضى أي راضياً باليسير من طاعة عباده وأضعاف الثواب مقابلة واحدة إلى عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء من الأضعاف ﴿**عليما**﴾ بحق شكركم وإيمانكم فيستحيل أن لا يوفيكم أجوركم فينبغي لطالب الحق أن يخضع له خضوعاً تاماً ويشكره شكراً كثيراً، قال الجرجاني في قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] أي لئن شكرتم القرب لأزيدنكم الأنس، وعن علي رضي الله عنه إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر معناه من لم يشكر النعم الحاصلة لديه الواصلة إليه حرم النعم الفائتة منه القاصية عنه.

چون بيابى تو نعمتى درچند خرد باشد چو نقطه موهوم
شكر آن يافته فرومكذار كه زنا يافته شوى محروم

فبالشكر والإيمان يتخلص المرء من النيران وإلا فقد عرض نفسه للعذاب واستحق العذاب والعتاب وجه التعذيب أن التأديب في الحكمة واجب فخلق الله النار ليعلم الخلق قدر جلال الله وكبريائه وليكونوا على هيبة وخوف من صنع جلاله ويؤدب بها من لم يتأدب بتأديب رسله إلى خلقه وليعتبر أهل العقل بالنظر إليها في الدنيا وبالاستماع لها في الآخرة ولهذا السر علق النبي عليه السلام السوط حيث يراه أهل البيت لئلا يتركوا الأدب.

ـ روي ـ أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: [ما خلقت النار بخلا مني ولكن أكره أن أجمع أعدائي وأوليائي في دار واحدة] وأدخل الله بعض عصاة المؤمنين النار ليعرفوا قدر الجنة ومقدار ما دفع الله عنهم من عظيم النقمة لأن تعظيم النعمة واجب في الحكمة.

والإشارة في الآية أن الله تعالى يذكر للعباد المؤمنين نعماً من نعمه السالفة السابقة، منها إخراجهم من العدم ببديع فطرته، ومنها أنه خلق أرواحهم قبل خلق الأشياء، ومنها أنه خلق أرواحهم نورانية بالنسبة إلى خلق أجسادهم الظلمانية، ومنها أن أرواحهم لما كانت بالنسبة إلى نور القدم ظلمانية رش عليهم من نور القدم، ومنها أنه لما أخطأ بعض الأرواح ذلك النور وهو أرواح الكفار والمنافقين وقد أصاب أرواح المؤمنين قال: **﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم﴾** هذه النعم التي أنعمت بها عليكم من غير استحقاق منكم فإنكم إن شكرتم هذه النعم برؤيتها ورؤية المنعم **﴿وآمنتم﴾** فقد آمنتم بي ونجوتم من عذابي وهو ألم الفراق فإن حقيقة الشكر رؤية المنعم والشكر على وجود المنعم أبلغ من الشكر على وجود النعم وقال: **﴿وَٱشۡكُرُواْ لِى﴾** [البقرة: ١٥٢] أي اشكروا لوجودي **﴿وكان الله﴾** في الأزل **﴿شاكرا﴾** لوجوده ومن شكر لوجوده أوجد الخلق بجوده **﴿عليما﴾** بمن يشكره وبمن يكفره فأعطى جزاء شكر الشاكرين قبل شكرهم لأن الله شكور وأعطى جزاء كفر الكافرين قبل كفرهم لأن الكافر كفور كذا في «التأويلات النجمية».

ـ تم الجزء الخامس ـ

الجزء السادس من الأجزاء الثلاثين

﴿۞ لَا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾

﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول﴾ عدم محبته تعالى لشيء كناية عن سخطه والباء متعلقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالاً من السوء أي لا يحب الجهر من أحد في حق غيره بالسوء كائناً من القول **﴿إلا من ظلم﴾** أي الأجهر المظلوم فإن المظلوم له أن يجهر برفع صوته بالدعاء على من ظلمه أو يذكر ما فيه من السوء تظلماً منه مثل أن يذكر أنه سرق متاعي أو غصبه مني وقيل: هو أن يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم يعني لو شتمه أحد ابتداء فله أن يرد على شاتمه أي جاز أن يشتمه بمثله ولا يزيد عليه وقيل: إن رجلاً ضاف قوماً أي أتاهم ضيفاً فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب على الشكاية فنزلت **﴿وكان الله سميعا﴾** لكلام المظلوم **﴿عليما﴾** بحال الظالم **﴿إن تبدوا خيرا﴾** أي: خير كان من الأقوال والأفعال **﴿أو تخفوه أو تعفوا عن سوء﴾** لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر إبداء الخير وإخفائه تمهيد وتوطئة له ولذلك رتب عليه قوله: **﴿فإن الله كان عفواً قديرا﴾** فإن إيراده في معرض جواب الشرط يدل على أن العمدة هو العفو مع القدرة أي كان مبالغاً في العفو عن العصاة مع كمال قدرته على المؤاخذة والانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنة الله وهو حث المظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتصار والانتقام حملاً على مكارم الأخلاق. وعن علي رضي الله عنه لا تتفرد دفع انتقام.

صولت انتقام ازمردم دولت مهترى كند باطل
ازره انتقام يكسو شو تانمانى بمهترى عاطل

واعلم أن الله تعالى لا يحب إظهار الفضائح والقبائح إلا في حق ظالم عظم ضرره وكثر كيده ومكره فعند ذلك يجوز إظهار فضائحه ولهذا قال عليه السلام: «اذكروا الفاسق بما فيه كي يحذره الناس» وورد في الأثر: «ثلاثة ليست لهم الغيبة الإمام الجائر والفاسق المعلن بفسقه والمبتدع الذي يدعو الناس إلى بدعته» ثم إن أكثر السوء قولي فإن اللسان صغير الجرم كبير الجرم وفي الحديث «البلاء موكل بالمنطق».

ـ يحكى ـ أن ابن السكيت جلس مع المتوكل يوماً فجاء المعتز والمؤيد ابنا المتوكل فقال: أيما أحب إليك ابناي أم الحسن والحسين؟ قال: والله إن قنبر خادم علي رضي الله عنه خير منك ومن ابنيك فقال: سلوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات ومن العجب أنه أنشد ذلك للمعتز والمؤيد وكان يعلمهما فقال:

يصاب الفتى من عثرة بلسانه وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته في القول تذهب رأسه وعثرته في الرجل تبرا على مهل

وفي «المثنوي»:

اين زبان چون سنك وهم آهن وشست آنچه بجهد از زبان چون آتشست

سنك وآهن را مزن برهم كزاف كه زروى نقل وكه ازروى لاف
زانكه تاريكست وهر سو پنبه زار درميان پنبه چون باشد شرار
عالمى را يك سخن ويران كند روبهان مرده را شيران كند

والإشارة في الآية ﴿إن الله لا يحب الجهر بالسوء من القول﴾ من العوام ولا التحدث مع النفس من الخواص ولا الخطرة التي تخطر بالبال من الأخص ﴿إلا من ظلم﴾ بمعاصي دواعي البشرية من غير اختيار أو بابتلاء من اضطرار. وأيضاً لا يحب الجهر بالسوء من القول بإفشاء أسرار الربوبية وأسرار مواهب الألوهية إلا من ظلم بغلبات الأحوال وتعاقب كؤوس عقار الجمال والجلال فاضطر إلى المقال فقال باللسان الباقي لا باللسان الفاني أنا الحق سبحاني ﴿وكان الله﴾ في الأزل ﴿سميعا﴾ لمقالهم قبل إبداء حالهم ﴿عليما﴾ بأحوالهم ثم قال: ﴿إن تبدوا خيرا﴾ يعني مما كوشفتم به من ألطاف الحق تنبيهاً للحق وإفادة لهم بالحق ﴿أو تخفوه﴾ صيانة لنفوسكم عن آفات الشوائب وأخذاً بخطامها عن المشارب ﴿أو تعفوا عن سوء﴾ مما يدعوكم إليه هوى النفس الأمارة بالسوء أو تتركوا إعلان ما جعل الله إظهاره سوء فإن الله كان عفواً فيكون عفواً متخلقاً بأخلاقه متصفاً بصفاته وأيضاً ﴿فإن الله كان﴾ في الأزل ﴿عفواً﴾ عنك بأن لم يجعلك من المخذولين حتى صرت عفواً عما سواه وكان هو ﴿قديرا﴾ على خذلانك حتى يقدر على أن لا يعفو عن مثقال ذرة لكفرانك إن الإنسان لظلوم كفار كذا في «التأويلات النجمية» ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله﴾ أي: يؤدي إليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم لا أنهم يصرحون بذلك كما ينبيء عنه قوله تعالى: ﴿ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله﴾ أي بأن يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بأن يصرحوا بالإيمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة بل بطريق الالتزام كما يحكيه قوله تعالى: ﴿ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض﴾ أي: نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود: نؤمن بموسى والتوراة وعزير ونكفر بما وراء ذلك وما ذلك إلا كفر بالله تعالى ورسله وتفريق بين الله ورسله في الإيمان لأنه تعالى قد أمرهم بالإيمان بجميع الأنبياء وما من نبي من الأنبياء إلا وقد أخبر قومه بحقية دين نبينا ﷺ فمن كفر بواحد منهم كفر بالكل وبالله تعالى أيضاً من حيث لا يحتسب ﴿ويريدون﴾ بقولهم ذلك ﴿أن يتخذوا بين ذلك سبيلا﴾ أي طريقاً وسطاً بين الإيمان والكفر ولا واسطة بينهما قطعاً إذ الحق لا يختلف فإن الإيمان بالله إنما يتم بالإيمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلاً وإجمالاً فالكافر ببعض كالكافر بالكل في الضلال كما قال: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢] ﴿أولئك﴾ الموصوفون بالصفات القبيحة ﴿هم الكافرون﴾ أي الكاملون في الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه إيماناً أصلاً ﴿حقا﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة أي حق ذلك أي كونهم كاملين في الكفر حقاً أو صفة لمصدر الكافرون أي هم الذين كفروا كفراً حقاً أي يقيناً محققاً لا شك فيه ﴿وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا﴾ سيذوقونه عند حلوله ويهانون فيه ثم إنه تعالى لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بذكر وعد المؤمنين فقال:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾

﴿والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم﴾ بأن يؤمنوا ببعضهم ويكفروا

بآخرين كما فعله الكفرة وإنما دخل بين على أحد وهو يقتضي متعدداً لعمومه من حيث إنه وقع في سياق النفي فهو بمنزلة ولم يفرقوا بين اثنين أو بين جماعة ﴿أولئك﴾ المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة ﴿سوف يؤتيهم﴾ أي: الله تعالى ﴿أجورهم﴾ الموعودة لهم وسمي الثواب أجراً لأن المستحق كالأجرة وسوف لتأكيد الوعد أي الموعود الذي هو الإيتاء والدلالة على أنه كائن لا محالة وإن تأخر ﴿وكان الله غفورا﴾ لما فرط منهم ﴿رحيما﴾ مبالغاً في الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم. والآية الأولى تدل على أن الإيمان لا يحصل بزعم المرء وحسبانه أنه مؤمن وإنما يحصل بحصول شرائطه ونتائجه منه فمن نتائجه ما ذكر في الآية الثانية من عدم التفريق بين الرسل ومن نتائجه القبول من الله والجزاء عليه فمن أخطأه النور عند الرش على الأرواح فقد كفر كفراً حقيقياً ولذلك سماهم الله في الكفر حقاً ومن أصابه النور عند ذلك فقد آمن إيماناً حقيقياً ولذلك لا ينفع الأول توسط الإيمان كما لا يضر الثاني توسط العصيان، قال السعدي قدس سره:

قضا كشتى آنجاكه خواهد برد وكر ناخدا جامه بر تن درد

ـ يحكى ـ أنه كان شاب حسن الوجه وله أحباب وكانوا في الأكل والشرب والتنعم والتلذذ فنفدت دراهمهم فاجتمعوا يوماً وأجمعوا على أن يقطعوا الطريق فخرجوا إلى طريق وترقبوا القافلة فلم يمر أحد من هذا الطريق إلى ثلاثة أيام ورأى الشاب شيخاً قال له: يا ولدي ليس هذا صنعتك فاستغفر الله تعالى فإن طلبتني فأنا أقرأ القرآن في جامع السيد البخاري ببروسة فاحترق قلب الشاب من تأثير الكلام فقال لرفقائه: لو تبعتم رأيي تعالوا نروح إلى بروسة ونتجسس عن بعض التجار فنخرج خلفهم فنأخذ أموالهم فقبلوا قوله فلما جاؤوا إلى بروسة قال لهم: تعالوا نصل في جامع السيد البخاري وندع عنده ليحصل مرادنا فلما جاء إلى الجامع ورأى الشيخ هناك يقرأ القرآن سقط على رجله وتاب وبقي عنده سنتين ثم بعد السنتين أرسله هذا الشيخ إلى حضرة الشيخ اق شمس الدين فرباه وصار كاملاً بعد أن كان مؤمناً ناقصاً قاطع الطريق ولذا ينظر إلى الخاتمة ولكن حسن العاقبة من سبق العناية في البداية اللهم اجعلنا من المهديين آمين يا معين.

واعلم أن الإيمان والتوحيد هو أصل الأصول وهو وإن كان لا يزيد ولا ينقص عند الإمام الأعظم إلا أن نوره يزيد بالطاعات وينقص بالسيآت فينبغي لطالب الحق أن يراعي أحكام الشريعة وآداب الطريقة ليتقوى جانب روحانيته فإن أنوار الطاعات كالأغذية النفيسة للأرواح خصوصاً نور التوحيد والذكر ولذكر الله أكبر وهو العمدة في تصفية الباطن وطهارته. قال سيد الطائفة الجنيد قدس سره: الأدب أدبان فأدب السر طهارة القلب وأدب العلانية حفظ الجوارح من الذنوب فعليك بترك الشرور والإيمان الكامل بالله الغفور حتى تنال الأجر الموفور والسرور في دار الحضور، قال الصائب:

از زاهدان خشك رسايى طمع مدار سيل ضعيف وأصل دريا نميشود

فلا بدّ من العشق في طريق الحق ليصل الطالب إلى السر المطلق ومجرد الأمنية منية والسفينة لا تجري على اليبس كما قالت رابعة.

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا

ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾

﴿**يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء**﴾ نزلت في أحبار اليهود حين قالوا لرسول الله عليه السلام: إن كنت نبياً صادقاً فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه السلام وقيل: كتاباً محرراً بخط سماوي على ألواح كما نزلت التوراة ﴿**فقد سألوا موسى أكبر من ذلك**﴾ جواب شرط مقدر أي إن استكبرت ما سألوه منك واستعظمت فقد سألوا موسى شيئاً أكبر منه وأعظم وهذا السؤال وإن صدر عن أسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم في كل ما يأتون وما يذرون أسند إليهم والمعنى أن لهم في ذلك عرقاً راسخاً وإن ما اقترحوا عليك ليس بأول جهالتهم ﴿**فقالوا**﴾ الفاء تفسيرية ﴿**أرنا الله جهرة**﴾ أي: أرناه جهرة أي عياناً. والجهر حقيقة في ظهور الصوت لحاسة السمع ثم استعير لظهور المرئي بحاسة البصر ونصبها على المصدر لأن المعاينة نوع من الرؤية وهم النقباء السبعون الذين كانوا مع موسى عليه السلام عند الجبل حين كلمه الله تعالى سألوه أن يروا ربهم رؤية يدركونها بأبصارهم في الدنيا ﴿**فأخذتهم الصاعقة**﴾ نار جاءت من السماء فأحرقتهم ﴿**بظلمهم**﴾ أي بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقاً.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**فقالوا أرنا الله جهرة**﴾ وما طلبوا الرؤية على موجب التعظيم أو على موجب التصديق ولا حملهم عليها شدة الاشتياق أو ألم الفراق كما كان لموسى عليه السلام حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ولعل خرة موسى في جواب ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] كانت من شؤم القوم وما كان لنفسهم من سوء أدب هذا السؤال لئلا يطمعوا في مطلوب لم يعطه نبيهم فما اتعظوا بحال نبيهم لأنهم كانوا أشقياء والسعيد من وعظ بغيره حتى أدركتهم الشقاوة الأزلية ﴿**فأخذتهم الصاعقة بظلمهم**﴾ بأن طمعوا في فضيلة وكرامة ما كانوا مستحقيها ومن طبع كافراً ولو يرى الله جهرة فإنه لا يؤمن به ومن طبع مؤمناً عند رشاش النور بإصابته فإنه يؤمن بنبي لم يره وكتاب لم يقرأه بغير معجزة أو بينة كما كان الصديق رضي الله عنه حين قال النبي ﷺ له: «بعثت» فقال: صدقت وكما كان حال أويس القرني فإنه لم ير النبي عليه السلام ولا المعجزة وقد آمن به ﴿**ثم اتخذوا العجل**﴾ أي: عبدوه واتخذوه إلهاً ﴿**من بعد ما جاءتهم البينات**﴾ أي: المعجزات التي أظهرت لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر ونحوها لا التوراة لأنها لم تنزل عليهم بعد وهذه هي الجناية الثانية التي اقترفها أيضاً أوائلهم ﴿فعفونا عن ذلك﴾ أي تجاوزنا عنهم بعد توبتهم مع عظم جنايتهم وجريمتهم ولم نستأصلهم وكانوا أحقاء به. قيل: هذا استدعاء لهم إلى التوبة كأنه قيل: إن أولئك الذين أجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا أنتم أيضاً حتى نعفو عنكم. ودلت الآية على سعة رحمة الله ومغفرته وتمام نعمته ومنته وأنه لا جريمة تضيق عنها مغفرة الله وفي هذا منع من القنوط ﴿**وآتينا** موسى سلطانا مبينا﴾ أي: تسلطاً واستيلاء ظاهراً عليهم حيث أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن معصيتهم فاختبأوا بأفنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا له من سلطان مبين.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا

غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾

﴿ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم﴾ الباء سببية متعلقة بالرفع. والمعنى لأجل أن يعطوا الميثاق لقبول الدين.

ـ روي ـ أن موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم فأبوا قبولها فأمر جبرائيل عليه السلام بقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا فرفع عنهم ﴿وقلنا لهم﴾ على لسان موسى والطور مشرف عليهم ﴿ادخلوا الباب﴾ أي: باب القرية وهي أريحا على ما روي من أنهم دخلوا أريحا في زمن موسى عليه السلام أو باب القبة التي كانوا يصلون إليها فإنهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى ﴿سجدا﴾ أي: متطامنين منحنين شكراً على إخراجهم من التيه فدخلوها زحفاً وبدلوا ما قيل لهم ﴿وقلنا لهم﴾ على لسان داود ﴿لا تعدوا﴾ أي لا تظلموا باصطياد الحيتان يقال عدا يعدو عدواً وإعداء وعدواناً أي ظلم وجاوز الحد والأصل لا تعدووا بواوين: الأولى لام الكلمة والثانية ضمير الفاعل صار بالاعلال على وزن لا تفعوا ﴿في﴾ يوم ﴿السبت﴾ وكان يوم السبت يوم عبادتهم فاعتدى فيه أناس منهم فاشتغلوا بالصيد ﴿وأخذنا منهم﴾ على الامتثال بما كلفوه ﴿ميثاقا غليظا﴾ أي: عهداً مؤكداً غاية التأكيد وهو قولهم: سمعنا وأطعنا قيل: إنهم أعطوا الميثاق على أنهم إن هموا بالرجوع عن الدين فالله تعالى يعذبهم بأي أنواع العذاب أراد ﴿فبما﴾ ما مزيدة للتأكيد ﴿نقضهم ميثاقهم﴾ أي فبسبب نقضهم ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم أو على أعقابهم فالباء متعلقة بفعل محذوف ﴿وكفرهم بآيات الله﴾ أي بالقرآن أو بما في كتابهم عندهم. ﴿وقتلهم الأنبياء بغير الحق﴾ كزكريا ويحيى عليهما السلام ﴿وقولهم قلوبنا غلف﴾ جمع أغلف أي هي مغشاة بأغشية جبلية لا يكاد يصل إليها ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام ولا تفقه ما يقوله أو هو تخفيف غلف بضم الغين واللام جمع غلاف أي هي أوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره ﴿بل طبع الله عليها بكفرهم﴾ كلام معترض بين المعطوفين جيء به على وجه الاستطراد مسارعة على زعمهم الفاسد أي ليس كفرهم وعدم وصول الحق إلى قلوبهم لكونها غلفاً بحسب الجبلة بل الأمر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم وليست قلوبهم كما زعموا بل هي مطبوع عليها بسبب كفرهم ﴿فلا يؤمنون إلا قليلا﴾ منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه أو إيماناً قليلاً لا يعبأ به لنقصانه وهو إيمانهم ببعض الرسل والكتب دون بعض أو بالإيمان الغير المعتبر لا يجب أن يسموا مؤمنين فهم كافرون حقاً.

واعلم أن نقض الميثاق صار سبباً لغضب الخلاق فعلى المؤمن أن يراعي أحكام عهده وميثاقه ليسلم من البلاء وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله فقال: «يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا الكيل والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذ بعض ما في أيديهم وما لم يحكم

أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»، قال في «المثنوي»:

سوى لطف بى وفايان هين مرو كان پل ويران بودنيكو شنو
نقض ميثاق وعهود ازبند كيست حفظ إيمان ووفا كار تقيست
جرعه برخاك وفا آنكس كه ريخت كي تواند صيد دولت زوكريخت

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾

﴿**وبكفرهم**﴾ عطف على قولهم أي عاقبنا اليهود بسبب كذا وكذا وبسبب كفرهم بعيسى أيضاً ﴿**وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً**﴾ يعني: نسبتها إلى الزنى وبهتاناً منصوب على أنه مفعول به نحو قال شعراً أو على المصدر الدال على النوع نحو جلست جلسة فإن القول قد يكون بهتاناً وغير بهتان ﴿**وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله**﴾ وصفهم له عليه الصلاة والسلام برسول الله إنما هو بطريق الاستهزاء به كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ [الحجر: ٦] فإنهم على عداوته وقتله فكيف يقولون في حقه إنه رسول الله ونظم قولهم هذا في سلك سائر جناياتهم ليس لمجرد كونه كذباً بل لتضمنه لابتهاجهم وفرحهم بقتل النبي والاستهزاء به ﴿**وما**﴾ أي: والحال أنهم ما ﴿**قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم**﴾ أي: وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول فالفعل مسند إلى الجار والمجرور نحو خيل إليه وليس عليه.

ـ روي ـ أن رهطاً من اليهود سبوه بأن قالوا هو الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وأمه فلما سمع عليه الصلاة والسلام ذلك دعا عليهم فقال: [اللهم أنت ربي وأنا من روحك خرجت وبكلمتك خلقتني ولم آتهم من تلقاء نفسي اللهم فالعن من سبني وسب أمي] فاستجاب الله دعاءه ومسخ الذين سبوه وسبوا أمه قردة وخنازير فلما رأى ذلك يهودا رأس القوم وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته عليه أيضاً فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى عليه السلام فبعث الله تعالى جبريل فأخبره بأنه يرفعه إلى السماء فقال لأصحابه أيكم يرضى بأن يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة؟ فقال رجل منهم أنا فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب.
وقيل: كان رجل ينافق عيسى عليه السلام فلما أرادوا قتله قال: أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى فرفع عليه السلام وألقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى وقيل إن ططيانوس اليهودي دخل بيتاً كان هو فيه فلم يجده فألقى الله تعالى شبهه عليه فلما خرج ظنوا أنه عيسى فأخذ وقتل ثم صلب وأمثال هذه الخوارق لا يستبعد في عصر النبوة.
وقال كثير من المتكلمين: إن اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله إلى السماء فخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم فأخذوا إنساناً وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس أنه هو المسيح والناس ما كانوا يعرفون المسيح إلا بالاسم لما كان قليل المخالطة مع الناس فبهذا الطريق اندفع ما يقال إذا جاز أن يقال إن الله تعالى يلقي شبه إنسان آخر فهذا يفتح باب السفسطة حيث يجوز أن يقال إذا رأينا زيداً لعله ليس بزيد ولكنه شخص آخر ألقى شبه زيد عليه وعند ذلك لا يبقى الطلاق والنكاح والملك موثوقاً به. لا يقال إن النصارى ينقلون عن أسلافهم أنهم شاهدوه مقتولاً لأنا نقول إن تواتر النصارى ينتهي إلى أقوام قليلين لا يبعد اتفاقهم على الكذب كذا في

«تفسير الإمام الرازي» ﴿وإن الذين اختلفوا فيه﴾ أي: في شأن عيسى عليه السلام فإنه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس. فقال بعضهم إن كان هذا المقتول عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان صاحبنا فأين عيسى؟ وقال بعضهم: الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فإن الله تعالى لما ألقى شبه عيسى على المقتول ألقاه على وجهه دون جسده وقال من سمع منه أن الله يرفعني إلى السماء أنه رفع إلى السماء. وقيل: إن الذين اختلفوا فيه هم النصارى فقال قوم منهم: إنه ما قتل وما صلب بل رفعه الله إلى السماء. وقال قوم منهم: إن اليهود قتلوه فزعمت النسطورية أن المسيح صلب من جهة ناسوته أي جسمه وهيكله المحسوس لا من جهة لاهوته أي نفسه وروحه. وأكثر الحكماء يختارون ما يقرب من هذا القول قالوا: لأنه ثبت أن الإنسان ليس عبارة عن هذا الهيكل بل هو إما جسم لطيف في هذا البدن وإما جوهر روحاني مجرد في ذاته وهو مدبر في هذا البدن والقتل إنما ورد على هذا الهيكل وأما النفس التي هي في الحقيقة عيسى فالقتل ما ورد عليها، لا يقال كل إنسان كذلك فما وجه التخصيص، لأنا نقول: إن نفسه كانت قدسية علوية سماوية شديدة الإشراق بالأنوار الإلّهية عظيمة القرب من أرواح الملائكة والنفس متى كانت كذلك لم يعظم تألمها بسبب القتل وتخريب البدن ثم إنها بعد الانفصال عن ظلمة البدن تتخلص إلى فسحة السموات وأنوار عالم الجلال فتعظم بهجتها وسعادتها هناك ومعلوم أن هذه الأحوال غير حاصلة لكل الناس وإنما تحصل لأشخاص قليلين من مبدأ خلق آدم إلى قيام الساعة. وزعمت الملكانية من النصارى أن القتل والصلب وصل إلى اللاهوت بالإحساس والشعور لا بالمباشرة. وزعمت اليعقوبية منهم أن القتل والصلب وقعا بالمسيح الذي هو جوهر متولد من جوهرين. ﴿لفي شك منه﴾ أي لفي تردد والشك كما يطلق على ما لم يترجح أحد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك أكد بقوله تعالى: ﴿ما لهم به من علم إلا اتباع الظن﴾ استثناء منقطع لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم والمعنى لكنهم يتبعون الظن ﴿وما قتلوه﴾ قتلاً ﴿يقينا﴾ كما زعموا بقولهم: إنا قتلنا المسيح فيقيناً نعت مصدر محذوف على أن يكون فعيلاً بمعنى المفعول وهو المتيقن ﴿بل رفعه الله إليه﴾ رد وإنكار لقتله وإثبات لرفعه. قال الحسن البصري أي إلى السماء التي هي محل كرامة الله تعالى ومقر ملائكته ولا يجري فيها حكم أحد سواه فكان رفعه إلى ذلك الموضع رفعاً إليه تعالى لأنه رفع عن أن يجري عليه حكم العباد ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠] وكانت الهجرة إلى المدينة وقوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩] أي: إلى موضع لا يمنعني أحد من عبادة ربي والحكمة في الرفع أنه تعالى أراد به صحبة الملائكة ليحصل لهم بركته لأنه كلمة الله وروحه كما حصل للملائكة بركة صحبة آدم أبي البشر من تعلم الأسماء والعلم وأن مثل عيسى عند الله كمثل آدم كما ذكر في الآية. وقيل: رفع إلى السماء لما لم يكن دخوله إلى الوجود الدنيوي من باب الشهوة وخروجه لم يكن من باب المنية بل دخل من باب القدرة وخرج من باب العزة ﴿وكان الله عزيزا﴾ لا يغالب فيما يريده فعزة الله تعالى عبارة عن كمال قدرته فإن رفع عيسى عليه السلام إلى السموات وإن كان متعذراً بالنسبة إلى قدرة البشر لكنه سهل بالنسبة إلى قدرة الله تعالى لا يغلبه عليه أحد ﴿حكيما﴾ في جميع أفعاله فيدخل فيها تدبير أنه تعالى في أمر عيسى عليه السلام دخولاً أولياً ولما رفع الله عيسى عليه السلام كساه الريش وألبسه النور وقطعه عن شهوات المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو

معهم حول العرش فكان إنسياً ملكياً سماوياً أرضياً. قال وهب بن منبه بعث عيسى على رأس ثلاثين سنة ورفعه الله وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وكانت نبوته ثلاث سنين. فإن قيل: لم لم يرد الله تعالى عيسى إلى الدنيا بعد رفعه إلى السماء. قيل: أخر رده ليكون علماً للساعة وخاتماً للولاية العامة لأنه ليس بعده ولي يختم الله به الدورة المحمدية تشريفاً لها بختم نبي مرسل يكون على شريعة محمدية يؤمن بها اليهود والنصارى ويجدد الله تعالى به عهد النبوة على الأمة ويخدمه المهدي وأصحاب الكهف ويتزوج ويولد له ويكون في أمة محمد عليه السلام خاتم أوليائه ووارثيه من جهة الولاية. وأجمع السيوطي في «تفسير الدر المنثور» في سورة الكهف عن ابن شاهين أربعة من الأنبياء أحياء اثنان في السماء عيسى وإدريس واثنان في الأرض الخضر والياس فأما الخضر فإنه في البحر وأما صاحبه فإنه في البر. قال الإمام السخاوي رحمه الله حديث «أخي الخضر لو كان حياً لزارني» من كلام بعض السلف ممن أنكر حياة الخضر.

واعلم أن الأرواح المهيمة التي من العقل الأول كلها صف واحد حصل من الله ليس بعضها بواسطة بعض وإن كانت الصفوف الباقية من الأرواح بواسطة العقل الأول كما أشار ﷺ «أنا أبو الأرواح وأنا من نور الله والمؤمنون فيض نوري» فأقرب الأرواح في الصف الأول إلى الروح الأول والعقل الأول روح عيسوي لهذا السر شاركه بالمعراج الجسماني إلى السماء وقرب عهده بعهده فالروح العيسوي مظهر الاسم الأعظم وفائض من الحضرة الإلَهية في مقام الجمع بلا واسطة اسم من الأسماء وروح من الأرواح فهو مظهر الاسم الجامع الإلَهي وراثة أولية ونبينا عليه السلام أصالة كذا في «شرح الفصوص».

ثم اعلم أن قوماً قالوا على مريم فرموها بالزنى وآخرين جاوزوا الحد في تعظيمها فقالوا: ابنها ابن الله وكلتا الطائفتين وقعتا في الضلال. ويقال مريم كانت ولية الله فشقي بها فرقتان أهل الإفراط وأهل التفريط وكذلك كل ولي له تعالى فمنكرهم شقيّ بترك احترامهم وطلب أذيتهم والذين يعتقدون فيهم ما لا يستوجبون يشقون بالزيادة في إعظامهم وعلى هذه الجملة درج الأكثرون من الأكابر كذا في «التأويلات النجمية»، وفي «المثنوي»:

نازنيني تو ولى درحد خويش … الله الله پامنه درحد پيش
جمله عالم زين سبب كمراه شد … كم كسى زابدال حق آكاه شد
دير بايد تاكى سر آدمى … آشكارا كردد ازپيش وكمى
زير ديوار بدن كنجست يا … خانه مارست ومور وازدها

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾

﴿**وإن من أهل الكتاب**﴾ أي ما من اليهود والنصارى أحد ﴿**إلا ليؤمنن به**﴾ أي بعيسى ﴿**قبل موته**﴾ أي قبل موت ذلك الأحد من أهل الكتاب يعني إذا عاين اليهودي أمر الآخرة وحضرته الوفاة ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالت: أتاك عيسى عليه السلام نبياً فكذبت به فيؤمن حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف وتقول للنصراني أتاك عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله فزعمت أنه هو الله وابن الله فيؤمن بأنه عبد الله حين لا ينفعه إيمانه قالوا: لا يموت

يهودي ولا صاحب كتاب حتى يؤمن بعيسى وإن احترق أو غرق أو تردى أو سقط عليه جدار أو أكله سبع أو أي ميتة كانت حتى قيل لابن عباس رضي الله عنهما لو خر من بيته قال يتكلم به في الهواء قيل: أرأيت لو ضرب عنق أحدهم قال يتلجلج به لسانه وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الإيمان به قبل أن يضطروا إليه ولم ينفعه إيمانهم. وقيل: الضميران لعيسى والمعنى وما من أهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى من السماء أحد إلا ليؤمنن به قبل موته.

- روي - عن النبي عليه السلام أنه قال: «أنا أولى الناس بعيسى لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ويوشك أنه ينزل فيكم حكماً عدلاً فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض وكأن رأسه يقطر وإن لم تصبه بلل فيقتل الخنزير ويريق الخمر ويكسر الصليب ويذهب الصخرة ويقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير ملة الإسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال حتى لا يبقى أحد من أهل الكتاب وقت نزوله إلا يؤمن به وتقع الأمنة في زمانه حتى ترتع الإبل مع الأسود والبقرة مع النمور والغنم مع الذئاب وتلعب الصبيان بالحيات لا يؤذي بعضهم بعضاً ثم يلبث في الأرض أربعين سنة ثم يموت ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه» وفي الحديث: «أن المسيح جاءٍ فمن لقيه فليقرئه مني السلام» **﴿ويوم القيامة يكون﴾** أي: عيسى عليه السلام **﴿عليهم﴾** أي على أهل الكتاب **﴿شهيدا﴾** فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله **﴿فبظلم من الذين هادوا﴾** أي بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الأشباه والأشكال صادر عن اليهود **﴿حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾** ولمن قبلهم لا لشيء غيره كما زعموا فإنهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات التي كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من أسلافهم عقوبة لهم كلحوم الإبل وألبانها والشحوم.

وفي «التأويلات النجمية» نكتة قال لهم: **﴿حرمنا عليهم طيبات﴾** وقال لنا: **﴿ويحل لهم الطيبات﴾** وقال: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٨٨] فلم يحرم علينا شيئاً بذنوبنا وكما آمنا من تحريم الطيبات في هذه الآية نرجو أن يؤمننا في الآخرة من العذاب الأليم لأنه جمع بينهما في الذكر في هذه الآية. وقال أهل الإشارة ارتكاب المحظورات يوجب تحريم المباحات وأنا أقول الإسراف في ارتكاب المباحات يوجب حرمان المناجاة انتهى كلام «التأويلات»، قال السعدي:

مرو دربى هرچه دل خواهدت ... كه تمكين تن نور جان كاهدت

﴿ويصدهم عن سبيل الله﴾ أي: بسبب منعهم عن دين الله وهو الإسلام ناساً **﴿كثيرا﴾** أو صداً كثيراً **﴿وأخذهم الربا وقد﴾** أي: والحال أنهم قد **﴿نهوا عنه﴾** فإن الربا كان محرماً عليهم كما هو محرم علينا. وفيه دليل على أن النهي يدل على حرمة المنهي عنه **﴿وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾** بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة **﴿وأعتدنا﴾** أي: خلقنا وهيأنا **﴿للكافرين منهم﴾** أي: للمصرين على الكفر لا لمن تاب وآمن من بينهم **﴿عذابا أليما﴾** وجيعاً يخلص وجعه إلى قلوبهم سيذوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم.

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾

﴿لكن الراسخون في العلم منهم﴾ أي التائبون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه وسماهم راسخين في العلم لثباتهم في العلم وتجردهم فيه لا يضطربون ولا تميل بهم الشبه بمنزلة الشجرة الراسخة بعروقها في الأرض **﴿والمؤمنون﴾** أي: من غير أهل الكتاب من المهاجرين والأنصار **﴿يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾** خبر المبتدأ وهو الراسخون وما عطف عليه.

قال في «التأويلات النجمية» كان عبد الله بن سلام عالماً بالتوراة وقد قرأ فيها صفة النبي عليه السلام فلما كان راسخاً في العلم اتصل علم قراءته بعلم المعرفة فقال؟ لما رأيت وجه رسول الله ﷺ عرفت أنه ليس بوجه كذاب فآمن به ولما لم يكن للأحبار رسوخ في العلم وإن قرأوا صفة النبي عليه السلام في التوراة فلما رأوا النبي عليه السلام ما عرفوه فكفروا به انتهى ونعم ما قيل في حق الشرفاء.

جعلوا لأبناء الرسول علامة ... إن العلامة شان من لم يشهر

نور النبوة في كريم وجوههم ... يغني الشريف عن الطراز الأخطر

﴿و﴾ أعني **﴿المقيمين الصلاة﴾** فنصبه على المدح لبيان فضل الصلاة **﴿و﴾** هم **﴿المؤتون الزكاة﴾** فرفعه على المدح أيضاً وكذا رفع قوله تعالى: **﴿والمؤمنون بالله واليوم الآخر﴾** قدم عليه الإيمان بالأنبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لأنه المقصود بالآية **﴿أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما﴾** أي: ثواباً وافراً في الجنة على جمعهم بين الإيمان والعمل الصالح وهو ما أريد به وجه الله تعالى. ومن أفاضل الأعمال الصلوات الخمس وإقامتها وفي الحديث: «من حافظ منكم على الصلوات الخمس حيث كان وأين ما كان جاز الصراط يوم القيامة كالبرق اللامع في أول زمرة السابقين وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر وكان له كل يوم وليلة حافظ عليهن أجر شهيد» وسر هذا الحديث مفهوم من لفظ الصلاة ووجه تسميتها بها لأن اشتقاقها من الصلى وهو النار والخشبة المعوجة إذا أرادوا تقويمها يعرضونها على النار فتقوم وفي العبد اعوجاج لوجود نفسه الأمارة فيه وسبحات وجه الله الكريم حارة بحيث لو كشف حجابها لأحرقت تلك السبحات من ادركته ومن انتهى إليه البصر كما ورد في الحديث فبدخول المصلي في الصلاة يستقبل تلك السبحات فيصيب المصلي من وهج السطوة الإلٓهية والعظمة الربانية ما يزول به اعوجاجه بل يتحقق به معراجه فالمصلي كالمصطلي بالنار ومن اصطلى بها زال بها اعوجاجه فلا يعرض على نار جهنم إلا تحلة القسم وبذلك المقدار من المرور يذهب أثر دونه ولا يبقى له احتياج إلى المكث على الصراط فيمر كالبرق اللامع وقال رسول الله ﷺ في حجة الوداع «إن أولياء الله المصلون ومن يقيم الصلوات الخمس التي كتبهن الله عليه ويصوم رمضان ويحتسب صومه ويؤتى الزكاة محتسباً طيبة بها نفسه ويجتنب الكبائر التي نهى الله عنها» فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله وكم الكبائر؟ قال: «تسع أعظمهن الإشراك بالله وقتل المؤمن بغير حق والفرار من الزحف وقذف المحصنة والسحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين واستحلال البيت العتيق الحرام قبلتكم أحياء وأمواتاً

لا يموت رجل لم يعمل هؤلاء الكبائر ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة إلا رافق محمداً في بحبوبة جنة أبوابها مصاريع الذهب».

واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين رسخوا بقدمي العمل والعلم إلى أن بلغوا معادن العلوم فاتصلت علومهم الكسبية بالعلوم العطائية اللدنية وفي الحديث: «طلعت ليلة المعراج على النار فرأيت أكثر أهلها الفقراء» قالوا: يا رسول الله من المال؟ قال: «لا من العلم» وفي الحديث: «العلم إمام العمل والعمل تابعه». قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله في «منهاج العابدين»: ولقد صرت من علماء أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الراسخين في العلم إن أنت عملت بعلمك وأقبلت على عمارة معادك وكنت عبداً عالماً عاملاً لله تعالى على بصيرة غير جاهل ولا مقلد غير غافل فلك الشرف العظيم ولعلمك القيمة الكثيرة والثواب الجزيل وبناء أمر العبادة كله على العلم سيما علم التوحيد وعلم السر فلقد روي أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام فقال: [يا داود تعلم العلم النافع] قال إلّهي وما العلم النافع قال: [أن تعرف جلالي وعظمتي وكبريائي وكمال قدرتي على كل شيء فإن هذا الذي يقربك إلي] وعن علي رضي الله عنه ما يسرني أن لو مت طفلاً فأدخلت الجنة ولم أكبر فاعرف ربي فإن أعلم الناس بالله أشدهم خشية وأكثرهم عبادة وأحسنهم في الله نصيحة.

﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾

﴿**إنا أوحينا إليك**﴾ جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء واحتجاج عليهم بأنه ليس بدعاً من الرسل وإنما شأنه في حقيقة الإرسال وأصل الوحي كشأن سائر مشاهير الأنبياء الذين لا ريب لأحدهم في نبوتهم والوحي والإيحاء كالإعلام في خفاء وسرعة أي أنزلنا جبرائيل عليك يا محمد بهذا القرآن ﴿**كما أوحينا**﴾ أي إيحاء مثل إيحائنا ﴿**إلى نوح والنبيين من بعده**﴾ بدأ بذكر نوح لأنه أبو البشر وأول نبي عذبت أمته لردهم دعوته وقد أهلك الله بدعائه أهل الأرض قيل إن نوحاً عليه السلام عمر ألف سنة لم ينقص له سن ولا قوة ولم يشب له شعر ولم يبالغ أحد من أنبياء في الدعوة ما بالغ ولم يصبر على أذى قومه ما صبر وكان يدعو قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً وكان يضرب من قومه حتى يغمى عليه فإذا أفاق عاد وبلغ وقيل هو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة بعد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿**وأوحينا إلى إبراهيم**﴾ عطف على أوحينا إلى نوح داخل معه في حكم التشبيه أي كما أوحينا إلى إبراهيم ﴿**وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط**﴾ وهم أولاد يعقوب عليه السلام وهم اثنا عشر رجلاً ﴿**وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان**﴾ خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تشريفاً لهم وإظهاراً لفضلهم فإن إبراهيم أول أولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين أشراف الأنبياء ومشاهيرهم وقدم ذكر عيسى على من بعده لأن الواو للجمع دون الترتيب فتقدم ذكره في الآية لا يوجب تقديمه في الخلق والإرسال والفائدة في تقديمه في

الذكر رد على اليهود لغلوهم في الطعن فيه وفي نسبه فقدمه الله في الذكر لأن ذلك أبلغ في كتب اليهود في تبرئته مما رمي به ونسب إليه ﴿وآتينا﴾ أي كما آتينا ﴿داود زبورا﴾ فالجملة عطف على أوحينا داخلة في حكمه لأن إيتاء الزبور من باب الإيحاء. والزبور هو الكتاب مأخوذ من الزبر وهو الكتابة. قال القرطبي كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الأحكام وإنما هي حكم ومواعظ وتحميد وتمجيد وثناء على الله عز وجل وكان داود يبرز إلى البرية ويقرأ الزبور فيقوم معه علماء بني إسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء ويقوم الجن خلف الناس وتجيء الدواب التي في الجبال إذا سمعت صوت داود فيقمن بين يديه تعجباً لما يسمعن من صوته ويجيء الطير حتى يظللن على داود في خلائق لا يحصيهن إلا الله يرفرفن على رأسه وتجيء السباع حتى تحيط بالدواب والوحش لما يسمعن فلما قارف الذنب وهو تزوج امرأة أوريا من غير انتظار الوحي بجبرائيل ولم يروا ذلك فقيل ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية، وعن أبي موسى الأشعري قال: قال لي رسول الله «لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك لقد أعطيت مزماراً من مزامير آل داود» قال: فقلت أما والله يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته تحبيراً. وعن أبي عثمان قال: ما سمعت قط بربطا ولا مزماراً ولا عوداً أحسن من صوت أبي موسى وكان يؤمنا في صلاة الغداة فنودّ أنه يقرأ سورة البقرة من حسن صوته، قال السعدي قدس سره:

به ازروى زيباست آواز خوش ... كه آن حظ نفس است واين قوت روح
وعند هبوب الناشرات على الحمى ... تميل غصون البان لا الحجر الصلد

﴿ورسلا﴾ نصب بمضمر يدل عليه أوحينا معطوف عليه داخل معه في حكم التشبيه كما قيل أي وكما أرسلنا رسلاً ﴿قد قصصناهم عليك﴾ أي: سميناهم لك ﴿من قبل﴾ متعلق بقصصنا أي من قبل هذه السورة أو اليوم وعرفناك قصتهم فعرفتهم ﴿ورسلا لم نقصصهم عليك﴾ أي لم نسمهم لك والرسل هم الذين أوحي إليهم بجبريل والأنبياء هم الذين لم يوح إليهم بجبريل وإنما أوحي إليهم بملك آخر أو برؤيا في المنام أو بشيء آخر من الإلهام. وعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله كم كانت الأنبياء وكم كان المرسلون قال: «كانت الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً وكان المرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر» وفي رواية سئل عن عدد الأنبياء فقال: «مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفاً» والأولى أن لا يقتصر على عدد في التسمية لهذه الآية وخبر الواحد لا يفيد إلا الظن ولا عبرة بالظن في الاعتقاديات ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ عطف على إنا أوحينا إليك عطف القصة على القصة وتأكيد كلم بالمصدر يدل على أنه عليه السلام سمع كلام الله حقيقة لا كما يقوله القدرية من أن الله تعالى خلق كلاماً في محل فسمع موسى ذلك الكلام لأن ذلك لا يكون كلام الله القائم به والأفعال المجازية لا تؤكد بذكر المصادر لا يقال أراد الحائط أن يسقط إرادة. قال الفراء العرب تسمى ما وصل إلى الإنسان كلاماً بأي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فإذا أكد به لم يكن إلا حقيقة الكلام، والمعنى أن التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خصّ به موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحاً في نبوة سائر الأنبياء فكيف يتوهم كون نزول التوراة عليه جملة قادحاً في صحة من أنزل عليه الكتاب مفصلاً مع ظهور أن نزولها كذلك لحكم مقتضية لذلك من جملتها أن بني إسرائيل كانوا في العناد وشدّة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما آمنوا بها إلا بعد اللتيا والتي وقد فضل

الله نبينا محمداً ﷺ بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم. قال العطار:

كرده درشب سوى معراجش روان | سر كل با اونهاده درميان
رفت موسى بربساط آن جناب | خلع نعلين آمدش ازحق خطاب
چون بنزديكى شد از نعلين دور | كشت در وادى المقدس غرق نور
باز در معراج شمع ذو الجلال | مى شنود آواز نعلين بلال
موسىء عمران اكرچه بودشاه | هم نبود انجاش بانعلين راه
ابن عنايت بين كه بهر جاه او | كرد حق باچاكر دركاه او
چاكرش را كرد مردكوى خويش | دار بانعلين راهش سوى خويش
موسىء عمران چون آن رتبت بديد | چاكر اورا چنان قربت بديد
كفت يا رب امت اوكن مرا | درطفيل همت اوكن مرا
اوست سلطان وطفيل أوهمه | اوست دائم شاه وخيل اوهمه

ـ روي ـ أن موسى عليه السلام لما أتى طور سيناء أنزل الله الظلمة على سبع فراسخ وطرد عنه الشيطان وطرد عنه الهوام ونحّى عنه الملكين وكشف له السماء فرأى الملائكة قياماً في الهواء ورأى العرش بارزاً وكلّمه الله وناجاه حتى أسمعه كلامه من غير واسطة وكيفية وصوت وحرف ﴿**رسلاً**﴾ نصب على المدح أعني رسلاً ﴿**مبشرين**﴾ لأهل الطاعة بالجنة ﴿**ومنذرين**﴾ للعصاة بالنار ﴿**لئلا يكون**﴾ اللام متعلقة بأرسلنا ﴿**للناس**﴾ خبر يكون ﴿**على الله**﴾ متعلق بمحذوف وقع حالاً من قوله ﴿**حجة**﴾ أي كائنة على الله. وحجة اسم يكون والمعنى: لئلا يكون للناس على الله معذرة يوم القيامة يعتذرون بها قائلين: لولا أرسلت إلينا رسولاً فيبيّن لنا شرائعك ويعلّمنا ما لم نكن نعلم من أحكامك وينبهنا من سنّة الغفلة لقصور القوّة البشرية عن إدراك جزئيات المصالح وعجز أكثر الناس عن إدراك كلياتها.

ففيه تنبيه على أن بعثة الأنبياء إلى الناس ضرورة وإنما سميت المعذرة حجة مع استحالة أن يكون لأحد عليه سبحانه حجة في فعل من أفعاله بل له أن يفعل ما يشاء للتنبيه على أن المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها ولذلك قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، قال النبي ﷺ: «ما أحد أغير من الله عز وجل لذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما أحد أحب إليه المدح من الله تعالى ولذلك مدح نفسه وما أحد أحب إليه العذر من الله تعالى ولذلك أرسل الرسل وأنزل الكتاب» ﴿**بعد الرسل**﴾ أي بعد إرسالهم وتبليغ الشرائع إلى الأمم على ألسنتهم متعلق بحجة ﴿**وكان الله عزيزاً**﴾ لا يغالب في أمر من الأمور من قضية الامتناع عن الإجابة إلى مسألة المتعنتين ﴿**حكيماً**﴾ في جميع أفعاله التي من جملتها إرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿**لكن الله**﴾ استدراك على مفهوم ما قبله من سؤالهم على وجه التعنت أن ينزل عليهم ما وصفوه من الكتاب فهو بمنزلة قولهم لا نشهد بأن الله تعالى بعثك إلينا رسولاً حتى ينزل ما سألناه فقال تعالى إنهم لا يشهدون بصدقك في دعوى الرسالة لكن الله ﴿**يشهد بما أنزل إليك**﴾ من القرآن المعجز الدال على نبوته إن جحدوك وكذبوك فإن إنزال هذا القرآن البالغ في الفصاحة إلى حيث عجز الأولون والآخرون عن معارضته وإتيان ما يدانيه شهادة له عليه السلام بنبوته وصدقه في دعوى الرسالة من الله تعالى فمعنى شهادة الله تعالى بما أنزل إليه إثباته لصحته بإظهار المعجزات كما

تثبت الدعاوى بالبينات ﴿أنزله بعلمه﴾ حال من الفاعل أي ملتبساً بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليف على نمط بديع يعجز عنه كل بليغ أو بعلمه بحال من أنزل عليه واستعداده لاقتباس الأنوار القدسية ﴿والملائكة يشهدون﴾ أيضاً بنبوتك. فإن قلت: من أين يعلم شهادة الملائكة. قلت: من شهادة الله تعالى لأن شهادتهم تبع لشهادته ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ على صحة نبوتك حيث نصب لها معجزات باهرة وحججاً ظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها كأنه تعالى قال: يا محمد إن كذبك هؤلاء اليهود فلا تبال بهم فإن الله تعالى وهو إله العالمين يصدقك في دعواك وملائكة السموات أيضاً يصدقونك في ذلك ومن صدقه رب العالمين والملائكة أي ملائكة العرش والكرسي والسموات السبع أجمعون لا ينبغي له أن يلتفت إلى تكذيب أخس الناس وهم هؤلاء اليهود.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾

﴿إن الذين كفروا﴾ أي بما أنزل الله ويشهد به وهم اليهود ﴿وصدوا عن سبيل الله﴾ وهو دين الإسلام من أراد سلوكه بقوله: ما نعرف صفة محمد في كتابنا ﴿قد ضلوا﴾ بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق ﴿ضلالا بعيدا﴾ لأنهم جمعوا بين الضلال والإضلال ولأن المضل يكون أعرق في الضلال وأبعد من الانقلاع عنه.

﴿إن الذين كفروا﴾ أي بما ذكر آنفاً ﴿وظلموا﴾ أي محمداً ﷺ بإنكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها أو الناس بصدهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد ﴿لم يكن الله﴾ مريداً ﴿ليغفر لهم﴾ لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر ﴿ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم﴾ لعدم استعدادهم للهداية إلى الحق والأعمال الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء بطريق الإشارة خلق الله لأعمالهم السيئة المؤدية بهم إلى جهنم عند صرف قدرتهم واختيارهم إلى اكتسابها أو سوقهم إليها يوم القيامة بواسطة الملائكة والطريق على عمومه والاستثناء متصل وقيل: خاص بطريق الحق والاستثناء منقطع ﴿خالدين فيها﴾ حال مقدرة من الضمير المنصوب والعامل فيها ما دل عليه الاستثناء دلالة واضحة كأنه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها ﴿أبدا﴾ نصب على الظرفية رافع لاحتمال حمل الخلود على المكث الطويل ﴿وكان ذلك﴾ أي جعلهم خالدين فيها ﴿على الله يسيرا﴾ لاستحالة أن يتعذر عليه شيء من مراداته تعالى.

واعلم أن من كان فيه ذرة من النور المرشوش على الأرواح يوم خلقها يخرج به من النار كما قال عليه السلام: «يخرج من النار من كان في قلبه ذرة من الإيمان» ومن لم يكن فيه ذلك النور يخلد في النار لأنه وقع في ظلمة عظيمة لا يمكن الخروج منها وقد ضل ضلالاً بعيداً أي من يوم رش النور لا ضلالاً قريباً من هذا اليوم لأن ضلال اليوم من نتائج ضلال ذلك اليوم ومثل هذا لا يهتدي إلى طريق الحق والقربة إلى الله تعالى فيحترق في عذاب القطيعة أبداً ولا يخرج من نار الفرقة سرمداً. فعلى العبد أن يشهد بما شهد الله تعالى به ويقبل قول الله وقول الرسول وقول وارثيه من العلماء العاملين فإنهم ينطقون عن الله وعن الرسول. قال شقيق رحمه

الله الناس يقومون من مجلسي على ثلاثة أصناف كافر محض ومنافق محض ومؤمن محض وذلك لأني أفسر القرآن وأقول عن الله عز وجل وعن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فمن لا يصدقني فهو كافر محض ومن ضاق قلبه فهو منافق ومن ندم على ما صنع وعزم على أنه لا يذنب كان مؤمناً مخلصاً وأول الأمر الاعتقاد وذلك يحتاج إلى العلم أولاً والعمل ثانياً لأنه ثمرته وسئل النبي عليه السلام عن العلم فقال: «دليل العمل» قيل: فما العقل قال عليه السلام: «قائد الخير» قيل: فما الهوى؟ قال: «مركب المعاصي» قيل فما المال؟ قال: «رداء المتكبرين» قيل: الدنيا قال: «سوق الآخرة».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾

﴿يا أيها الناس﴾ خطاب لعامة الخلق **﴿قد جاءكم الرسول﴾** يعني محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم ملتبساً **﴿بالحق﴾** وهو القرآن المعجز الذي شهد إعجازه على حقيته أو بالدعوة إلى عبادة الله وحده والإعراض عما سواه فإن العقل السليم يشهد على أنه الحق **﴿من﴾** عند **﴿ربكم﴾** متعلق بجاء أي جاء من عند الله وأنه مبعوث مرسل غير متقول له **﴿فآمنوا﴾** بالرسول وبما جاءكم به من الحق والفاء للدلالة على إيجاب ما قبلها لما بعدها **﴿خيرا لكم﴾** منصوب على أنه مفعول لفعل واجب الإضمار أي اقصدوا أو ائتوا أمراً خيراً لكم مما أنتم فيه من الكفر أو على أنه نعت لمصدر محذوف أي آمنوا إيماناً خيراً لكم وهو الإيمان باللسان والجنان **﴿وإن تكفروا﴾** أي إن تصروا وتستمروا على الكفر **﴿فإن لله ما في السموات والأرض﴾** من الموجودات سواء كانت داخلة في حقيقتهما وبذلك يعلم حال أنفسهما على أبلغ وجه وآكده أو خارجة عنهما مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل في جملتهم المخاطبون دخولاً أولياً أي كلها له عز وجل خلقاً وملكاً وتصرفاً لا يخرج من ملكوته وقهره شيء منها فمن هذا شأنه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة أو فمن كان كذلك فهو غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بإيمانكم أو فمن كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادون لأمره **﴿وكان الله عليما﴾** مبالغاً في العلم فهو عالم بأحوال الكل فيدخل في ذلك علمه تعالى بكفرهم دخولاً أوليا **﴿حكيما﴾** مراعياً للحكمة في جميع أفعاله التي من جملتها تعذيبه تعالى إياهم بكفرهم.

واعلم أن النبي ﷺ صورة النور الغيبي المرسل إلى الأجساد فمن كان قابلاً لإفاضة نور دعوته فقد اهتدى ومن أخطأ فقد ضل. واتفق المشايخ على أن من ألقى زمامه في يد كلب مثلاً حتى لا يكون تردده بحكم طبعه فنفسه أقوم لقبول الرياضة ممن جعل زمامه في حكم نفسه يسترسل بها حيث شاء كالبهائم فلما تيقنت أن الواجب عليك أن تكون تابعاً لا مسترسلاً فلأن تتبع سيد المرسلين محمداً ﷺ الذي آدم ومن دونه من الأولياء والأنبياء تحت لوائه خير لك بل واجب عليك وما أعظم حماقة من يحتاط بقول المنجم في الاختلاج والفال وينقاد إلى الاحتمالات البعيدة ثم إذا آل الأمر إلى خبر النبوة عن الغيب انكر فلا تعرض لنفسك أن تصدق ابن البيطار فيما ذكره في العقاقير والأحجار فتبادر إلى امتثال ما أمرك به ولا تصدق سيد البشر ﷺ فيما يخبر عنه وتتوانى بحكم الكسل عن الإتيان بما أمر به أو فعل.

واعلم أنك لما أخرجك الله من صلب آدم في مقام ألست رددت إلى أسفل السافلين ثم

منه دعيت لترتفع بسعيك وكسبك إلى أعلى عليين حيث ما قدر لك على حسب قابليتك ولا يمكنك ذلك إلا بأمرين: أحدهما بمحبته ﷺ بأن تؤثر حبه على نفسك وأهلك ومالك، والثاني بمتابعته ﷺ في جميع ما أمر به ونهى عنه وبذلك تستحكم مناسبتك به وبكمال متابعتك يحصل لك الارتفاع إلى أوج الكمال قال رسول الله ﷺ: «إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني» فيه إشارة إلى أن هذا المثل مختص بالنبي عليه السلام لأن ما أنذر به من الأهوال هي التي رآها بعينيه وأما سائر الأنبياء عليهم السلام فلم يكن لهم معراج ظاهر حتى يعاينوا تلك الأهوال «وإني أنا النذير» وهو الذي يخوف غيره بالإعلام «العريان» وهو الذي لقي العدو فسلبوا ما عليه من الثياب فأتى قومه يخبرهم فصدق بعضهم لما عليه من آثار الصدق فنجوا وهذا القول مثل يضرب لشدة الأمر وقرب المحذور وبراءة المخبر من التهمة والكل موجود في النبي عليه السلام: «فالنجاء» بالمد نصب على الإغراء أي اطلبوا النجاء وهو الإسراع «فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا» أي ساروا من أول الليل «فانطلقوا على مهلهم» وهو بفتح الميم والهاء ضد العجلة «وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش» أي أتاهم صباحاً ليغير عليهم «فأهلكهم واجتاحهم» أي أهلكهم بالكلية «فذلك» أي المثل المذكور وهذا بيان لوجه المشابهة «مثل من أطاعني واتبع ما جئت به من الحق» وفيه إشارة إلى أن مطلق العصيان غير مستأصل بل العصيان مع التكذيب بالحق كذا في «شرح المشارق» لابن الملك رحمه الله تعالى، قال السعدي قدس سره:

خلاف پيمبر كسى ره گزيد ... كه هرگز بمنزل نخواهد رسيد
محالست سعدى كه راه صفا ... توان رفعت جز درپى مصطفا

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾﴾

﴿يا أهل الكتاب﴾ الخطاب للنصارى خاصة **﴿لا تغلوا في دينكم﴾** أي لا تتجاوزوا الحد في دينكم بالإفراط في رفع شأن عيسى وادعاء ألوهيته والغلو مجاوزة الحد.

واعلم أن الغلو والمبالغة في الدين والمذهب حتى يجاوز حده غير مرضي كما أن كثيراً من هذه الأمة غلوا في مذهبهم فمن ذلك الغلاة من الشيعة في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حتى ادعوا إلهيته وكذلك المعتزلة غلوا في التنزيه حتى نفوا صفات الله وكذا المشبهة غلوا في إثبات الصفات حتى جسموه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ولدفع الغلو كان رسول الله ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم» أي لا تتجاوزوا عن الحد في مدحي كما بالغ النصارى في مدح عيسى حتى ضلوا وقالوا إنه ولد الله «وقولوا عبد الله ورسوله» أي: قولوا في حقي إنه عبد الله ورسوله وفي تقديم العبد على الرسول كما في التحيات أيضاً نفي لقول اليهود والنصارى فإن اليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله فنحن نقول عبده ورسوله والغلو من العصبية وهي من صفات النفس المذمومة والنفس هي أمارة بالسوء لا تأمر إلا بالباطل:

مبر طاعت نفس شهوت پرست   كه هر ساعتش قبله ديكرست

﴿ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾ أي لا تصفوه بما يستحيل اتصافه من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك. قوله إلا الحق استثناء مفرغ ونصبه على أنه مفعول به نحو قلت خطبة أو نعت مصدر محذوف أي إلا القول الحق وهو قريب من المعنى الأول ﴿إنما المسيح﴾ مبتدأ وهو لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله بالعبرية مشيحاً ومعناه المبارك ﴿عيسى﴾ بدل منه معرب من إيشوع ﴿ابن مريم﴾ صفة مفيدة لبطلان ما وصفوه به من نبوته له تعالى. ومريم بمعنى العابدة وسميت مريم مريم ليكون فعلها مطابقاً لاسمها ولكون عيسى عليه السلام منسوباً إلى أمه تدعى الناس يوم القيامة بأسماء أمهاتهم ويدل عليه حديث التلقين بعد الدفن حيث يقال: يا فلان ابن فلانة وفي النسبة إلى الأمهات ستر منه تعالى للعباد أيضاً ﴿رسول الله﴾ خبر للمبتدأ أي أنه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها وهذا هو القول الحق ﴿وكلمته﴾ عطف على رسول الله أي تكون بكلمته وأمره الذي هو كن من غير واسطه أب ولا نطفة. فإن تكوين الخلق كله وإن كان بكلمة كن له ولكن بالوسائط فإن تعلق كن بتكوين الآباء قبل تعلقه بتكوين الأبناء فلما كان تعلق أمر كن بعيسى في رحم مريم من غير تعلقه بتكوين أب له تكون عيسى بكلمة كن وكن هي كلمة الله فعبر عن ذلك بقوله وكلمته ألقاها إلى مريم يدل عليه قوله إنه مثل عيسى عند الله يعني في التكوين كمثل آدم خلقه من تراب يعني سوى جسمه من تراب ثم قال له يعني عند بعث روحه إلى القالب كن فيكون وإنما ضرب مثله بآدم في التكوين لأنه أيضاً تكون بكلمة كن من غير واسطة أب ﴿ألقاها إلى مريم﴾ أي أوصلها إليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام ﴿وروح منه﴾ عطف على كلمته ومنه صفة لروح ومن لابتداء الغاية مجازاً لا تبعيضية كما زعمت النصارى لاستحالة التجزي على الله تعالى.

ـ وروي ـ أنه كان لهارون الرشيد طبيب نصراني وكان غلاماً حسن الوجه جداً وكان كامل الأدب جامعاً للخصال التي يتوصل بها إلى الملوك وكان الرشيد مولعاً بأن يسلم وهو يمتنع وكان الرشيد يمنيه الأماني أن أسلم فأبى فقال له ذات يوم: ما لك لا تؤمن؟ قال: إن في كتابكم حجة على من انتحله قال: وما هي قال: قوله تعالى: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ فعنى بهذا أن عيسى عليه السلام جزء منه فضاق قلب الرشيد وجمع العلماء فلم يكن فيهم من يزيل شبهته حتى قيل له: قد وفد حجاج من خراسان وفيهم رجل يقال له علي بن الحسين بن واقد من أهل مرو وهو إمام في علم القرآن فدعاه فجمع بينه وبين الغلام فسأله الغلام عن ذلك فاستعجم عليه الجواب في الوقت وقال: قد علم الله يا أمير المؤمنين في سابق علمه أن هذا الخبيث يسألني في مجلسك هذا وأنه لم يخل كتابه عن جوابه وأنه ليس يحضرني الآن ولله عليّ أن لا أطعم ولا أشرب حتى أؤدي الذي يجب من الحق ـ إن شاء الله تعالى ـ ودخل بيتاً مظلماً وأغلق عليه بابه واندفع في قراءة القرآن حتى بلغ من سورة الجاثية ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] فصاح بأعلى صوته افتحوا الباب فقد وجدت الجواب ففتحوا ودعا الغلام فقرأ عليه الآية بين يدي الرشيد وقال: إن كان قوله وروح منه يوجب أن يكون عيسى بعضاً منه وجب أن يكون ما في السموات وما في الأرض بعضاً منه فانقطع النصراني وأسلم وفرح الرشيد فرحاً شديداً ووصل علي بن الحسين الواقدي المروزي

بصلة جيدة فلما عاد علي بن الحسين إلى مرو صنف كتاباً سماه كتاب «النظائر في القرآن» وهو كتاب لا يوازيه كتاب. قيل: معنى كونه روحاً أنه ذو روح صادر منه تعالى كسائر ذوي الأرواح إلا أنه تعالى أضاف روحه إلى نفسه تشريفاً. وقيل: المراد بالروح هو الذي نفخ جبرائيل عليه السلام في درع مريم فدخلت تلك النفخة بطنها فحملت بإذن الله من ذلك النفخ سمي النفخ روحاً لأنه كان ريحاً يخرج من الروح وأضاف تعالى نفخة جبريل إلى نفسه حيث قال: وروح منه بناء على أن ذلك النفخ الواقع من جبريل كان بإذن الله تعالى وأمره فهو منه. وعن أبي بن كعب أنه قال: إن الله تعالى لما أخرج الأرواح من ظهر آدم لأخذ الميثاق عليهم ثم ردهم إلى صلبه أمسك عنده روح عيسى إلى أن أراد خلقه ثم أرسل ذلك الروح إلى مريم فدخل في فيها فكان منه عيسى عليه السلام. قيل: خلق عيسى عليه السلام من ماء مريم ومن النفخ لا من أحدهما فقط وهو الأصح عند المحققين. قيل: خرج في ساعة النفخ. وقيل: بعد المدة الكاملة بعد ثمانية أشهر والأول هو الأصح.

وفي «التأويلات النجمية»: إن شرف الروح على الأشياء بأنه أيضاً كعيسى تكون بأمر كن بلا واسطة شيء آخر فلما تكون الروح بأمر كن وتكون عيسى بأمر كن سمي روحاً منه لأن الأمر منه تعالى كما قال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] فكما أن إحياء الأجساد الميتة من شأن الروح إذ ينفخ فيها فكذلك كان عيسى من شأنه إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله وكذلك كان ينفخ في الطين فيكون طيراً بإذن الله تعالى.

واعلم أن هذا الاستعداد الروحاني الذي هو من كلمة الله مركوز في جبلة الإنسان وخلق منه أي من الأمر وإنما أظهره الله في عيسى من غير تكلف منه في السعي لاستخراج هذا الجوهر من معدنه لأن روحه لم يركز في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات كأرواحنا فكان جوهره ظاهراً في معدن جسمه غير مخفي ببشرية أب وجوهرنا مخفي في معدن جسمنا ببشرية آبائنا إلى آدم فمن ظهور أنوار جوهر روحه كان الله تعالى يظهر عليه أنواع المعجزات في بدء طفوليته ونحن نحتاج في استخراج الجوهر الروحاني من المعدن الجسماني إلى نقل صفات البشرية المتولدة من بشرية الآباء والأمهات عن معادننا بأوامر أستاذ هذه الصنعة ونواهيه وهو النبي عليه السلام كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧] فمن تخلص جوهر روحانيته من معدن بشريته وإنسانيته يكون عيسى وقته فيحيي الله بأنفاسه القلوب الميتة ويفتح به آذاناً صماً وعيوناً عمياً فيكون في قومه كالنبي في أمته فافهم جداً، وفي «المثنوي»:

عيسى اندر مهد دارد صد نفير	كه جوان نا كشته ما شيخيم وپير
پير پير عقل بايد اى پسر	نى سفيدى موى اندر ريش وسر
چون كرفتى پيرهين تسليم شو	همچو موسى زير حكم خضر شو
دست را مسپار جز دردست پير	حق شدست آن دست اوراد ستكير
چون بدارى دست خود دردست پير	پير حكمت كو عليم اسد وخبير

ثم اعلم أنه لما كان النافخ جبرائيل والولد سرّ أبيه كان الواجب أن يظهر عيسى على صورة الروحانيين والجواب أنه إنما كان على صورة البشر ولم يظهر على صورة الروحانيين لأن الماء المحقق عند التمثل كان في أمه وهي بشر ولأجل تمثل جبريل أيضاً عند النفخ بالصورة

البشرية لأنها أكمل الصور كما أشار صلى الله تعالى عليه وسلم في تجلي الربوبية بصورة شاب قطط وظهور جبريل بصورة دحية فافهم والصورة التي تشهدها الأم وتخيلها حال المواقعة لها تأثير عظيم في صورة الولد حتى قيل: ونقل في الأخبار أن امرأة ولدت ولداً صورته صورة البشر وجسمه جسم الحية فلما سئلت عنها أخبرت أنها رأت حية عند المواقعة. وسمع أن امرأة ولدت ولد له أعين أربع ورجلاه كرجل الدب وكانت قبطية جامعها زوجها وهي ناظرة إلى دبين كانا عند زوجها ولله أسرار في تكوين الأجساد كيف يشاء وهو على كل شيء قدير كذا في «حل الرموز» ﴿**فآمنوا بالله**﴾ وخصوه بالألوهية ﴿**ورسوله**﴾ أجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه بالألوهية يعني أن عيسى من رسله فآمنوا به كإيمانكم بسائر الرسل ولا تجعلوه إلٰهاً ﴿**ولا تقولوا ثلاثة**﴾ أي الآلهة ثلاثة: الله، والمسيح، ومريم، ويشهد عليه قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] أو الله ثلاثة إن صح أنهم يقولون الله ثلاثة أقانيم اقنوم الأب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وأنهم يريدون بالأول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحياة ﴿**انتهوا**﴾ أي عن التثليث ﴿**خيرا لكم**﴾ أي انتهاء خيراً لكم أو ائتوا خيراً لكم من القول بالتثليث ﴿**إنما الله إلٰه واحد**﴾ أي واحد بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدأ وإلٰه خبره وواحد نعت أي منفرد في إلٰهيته ﴿**سبحانه أن يكون له ولد**﴾ أي أسبحه تسبيحاً من أن يكون له ولد أو سبحوه تسبيحاً من ذلك فإنه يتصور له مثل ويتطرق إليه فناء فإن التوالد إنما هو لحفظ النوع من الانقراض فلذلك لم تتوالد الملائكة ولا أهل الجنان فمن كان نشأته وتكوّنه للبقاء إذا لم يكن له ولد مع كونه حادثاً ذا أمثال فبالأولى أن لا يتخذ الله تعالى ولداً وهو أزلي منزه عن الأمثال والأشياء، وفي «المثنوي»:

لم يلد لم يولد است اواز قدم   نه پدر دارد نه فرزند ونه عم

﴿**له ما في السموات وما في الأرض**﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره أي له ما فيهما من الموجودات خلقاً وملكاً وتصرفاً لا يخرج من ملكوته شيء من الأشياء التي من جملتها عيسى فكيف يتوهم كونه ولداً له تعالى. قال ابن الشيخ في حواشيه إنه تعالى في كل موضع نزه نفسه عن الولد ذكر أن جميع ما في السموات والأرض مختص به خلقاً وملكاً للإشارة إلى أن ما زعمه المبطلون أنه ابن الله وصاحبته مملوك مخلوق له لكونه من جملة ما في السموات وما في الأرض فلا تتصور المجانسة والمماثلة بين الخالق والمخلوق والمالك والمملوك فكيف يعقل مع هذا توهم كونه ولداً له وزوجة ﴿**وكفى بالله وكيلا**﴾ إليه يكل كل الخلق أمورهم وهو غني عن العالمين فأنى يتصور في حقه اتخاذ الولد الذي هو شأن العجزة المحتاجين في تدبير أمورهم إلى من يخلفهم ويقوم مقامهم أو يعينهم دلت الآية على التوحيد:

كل شيء ذاته لي شاهد   إنما الله إله واحد

ومطلب أهل التوحيد أعلى المطالب وهو وراء الجنات وذوقهم لا يعادله نعيم.

ـ حكي ـ أن ولياً يقال له سكرى بابا يكون له في بعض الأوقات استغراق أياماً حتى يظنونه ميتاً ويضعون على فمه فداما فانتبه يوماً فأراد أن يطلق زوجته ويترك أولاده وقال: كنت في مجلس النبي عليه السلام في الملكوت مع الأرواح وكان النبي عليه السلام يفسر قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] يتكلم في مراتب التوحيد على كرسي قوائمه أربع من

الأنوار الأربعة على حسب المراتب الأربع أي من النور الأسود في مرتبة الطبيعة ومن النور الأحمر في مرتبة النفس ومن النور الأخضر في مرتبة الروح ومن النور الأبيض في مرتبة السر فقيل لي في العرش ارسلوا سكرى بابا فإن أولاده يبكون فلأجل ذلك أريد أن أترك الكل فتضرعوا وحلفوا بأن لا يفعلوا مثل ذلك أبداً ففرغ ووجه التسمية بذلك أنه كان يعطي سكراً لكل من يطلبه منه حتى طلبوا في الحمام امتحاناً له فضرب برجله رحام الحمام قال: خذوه فانقلب سكراً فاعتقدوه وزالت شبهتهم، قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي: الملكوت ليس في الفوق بل الملك والملكوت عندك هنا فإن الله تعالى منزه عن الزمان والمكان والذهاب والاياب وهو معكم أينما كنتم فللسالك مرتبة ينظر فيها إلى الله وإلى الحق ويسمى تلك بالمعية ثم بعد ذلك إذا وصل إلى الفناء الكلي واضمحل وجوده يسمى ذلك بمقام الجمع ففي ذلك المقام لا يرى السالك ما سوى الله تعالى كمن أحاطه نور لا يرى الظلمة ألا يرى أن من نظر إلى الشمس لا يرى غيرها وتلك الرؤية ليس بحاسة البصر ولا كرؤية الأجسام بل كما ذكر العلماء وكمل الأولياء والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين والموحد إذا كان موحداً يوصله التوحيد إلى الملكوت والجبروت واللاهوت أعني الموحد يتخلص من الاثنينية ومن التقيد بالأكوان والأجسام والأرواح فيشاهد عند ذلك سر قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١] اللهم اجعلنا من الواصلين.

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾

﴿**لن يستنكف المسيح**﴾ في «أساس البلاغة» استنكف منه ونكف امتنع وانقبض أنفاً وحمية ﴿**أن يكون عبدا لله**﴾ أي من أن يكون عبداً له تعالى فإن عبوديته شرف يتباهى بها وإنما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره.

- روي - أن وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ لم تعيب صاحبنا؟ قال: «ومن صاحبكم» قالوا: عيسى قال: «وأي شيء أقول» قالوا: تقول إنه عبد الله قال: «إنه ليس بعار أن يكون عبد الله» قالوا: بلى بعار فنزلت ﴿**ولا الملائكة المقربون**﴾ عطف على المسيح أي ولا يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيداً والمراد بهم الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومن في طبقتهم ﴿**ومن يستنكف**﴾ أي: يترفع ﴿**عن عبادته**﴾ أي عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى: ﴿**ويستكبر**﴾ الاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وإنما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فإنه قد يكون باستحقاق ﴿**فسيحشرهم إليه**﴾ أي: فسيجمعهم إليه يوم القيامة ﴿**جميعا**﴾ المستنكف والمستكبر والمقر والمطيع فيجازيهم ﴿**فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم**﴾ أي ثواب أعمالهم من غير أن ينقص منها شيئاً أصلاً ﴿**ويزيدهم من فضله**﴾ بتضعيفها أضعافاً مضاعفة وبإعطاء ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿**وأما الذين استنكفوا**﴾ أي عن عبادته تعالى: ﴿**واستكبروا فيعذبهم**﴾ بسبب استنكافهم واستكبارهم ﴿**عذابا أليماً**﴾ وجيعاً لا يحيط به الوصف

﴿ولا يجدون لهم من دون الله﴾ أي غيره تعالى ﴿ولياً﴾ يلي أمورهم ويدبر مصالحهم ﴿ولا نصيراً﴾ بنصرهم من بأسه تعالى وينجيهم من عذابه. واحتج بالآية من زعم فضل الملائكة على الأنبياء عليهم السلام وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي أن يكون المعطوف وهو ولا الملائكة المقربون أعلى درجة من المعطوف عليه وهو المسيح حتى يكون عدم استنكافهم مستلزماً لعدم استنكافه عليه السلام. وأجيب بأن مناط كفر النصارى ورفعهم له عليه السلام عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه عليه السلام وامتيازه عن سائر أفراد البشر بالولادة من غير أب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع إلى السماء عطف على عدم استنكافه عن عبوديته عدم استنكاف من هو أعلى درجة منه فيما ذكر فإن الملائكة مخلوقون من غير أب ولا أم وعالمون بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقامهم السموات العلى ولا نزاع لأحد في علو درجتهم من هذه الحيثية وإنما النزاع في علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات كذا في «الإرشاد».

قال في «التأويلات النجمية» عند قوله تعالى: ﴿ولا الملائكة المقربون﴾ ما ذكرهم للفضيلة على عيسى وإنما ذكرهم لأن بعض الكفار قالوا: الملائكة بنات الله كما قالت النصارى ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] قال تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢﴾ [النجم: ٢١ـ ٢٢] بل فضل الله المسيح عليهم بتقديم الذكر لأن المسيح نسب إليه بالبنوة ونسبت الملائكة إليه بالبنتية وللذكر فضيلة وتقدم على الإناث كقوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] فقدم الله الذكر على الأنثى وجعل له سهمين وللأنثى واحداً فكما أن للذكر فضيلة على الأنثى فكذلك للمسيح فضيلة على الملائكة وفضيلته على الملائكة أكبر وأعظم يدل عليه ما صح عن جابر رضي الله عنه أن النبي عليه السلام قال: «لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يا رب كما خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة قال الله تعالى: لا أجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان» وأنا أقول ومن فضيلة عيسى على الملائكة أنه اجتمع فيه ما كان شرفاً لآدم لأنه من ذريته من قبل الأم وما كان شرفاً للملائكة إذ قال له أيضاً كن فكان فقد وجد في عيسى ما لم يوجد في الملائكة ولم يوجد في الملائكة شيء لا يوجد في عيسى فافهم جداً انتهى كلام «التأويلات».

واعلم أن أعظم الاستنكاف عن عبادة الله تعالى الشرك والإعراض عن توحيده كما أن أصل الأعمال التوحيد والإيمان ثم إن الكبر من أكبر السيآت ولذا ورد في بعض الأحاديث مقابلاً للإيمان قال عليه السلام: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»، قال السعدي قدس سره:

ترا شهوت وكبر وحرص وحسد ... چوخون در ركند وچوجان در جسد
كراين دشمنان تقويت يافتند ... سر ار حكم ورأى توبر تافتند

ـ حكي ـ أن قاضياً جاء إلى أبي يزيد البسطامي ـ رحمه الله ـ يوماً فقال: نحن نعرف ما تعرفه ولكن لا نجد تأثيره فقال أبو يزيد: خذ مقداراً من الجوز وعلق وعاءه في عنقك ثم ناد في البلد كل من يلطمني أدفع له جوزة حتى لا يبقى منه شيء فإذا فعلت ذلك تجد التأثير فاستغفر القاضي فقال أبو يزيد: قد أذنبت لأني أذكر ما يخلصك من كبر نفسك وأنت تستغفر منه، قال السعدي:

كســـى راكــه پـنـــدار در ســربـــود مـپـنـــدار هـركـز كـه حـق بـشـنـود
زعـلـمـش مـلال آيـداز وعـظ تـنـك شـقـايـق بـبـاران نـرويـد زسـنـك

فعلى العاقل أن يتواضع فإن الرفعة في التواضع وهو من أفضل العبادة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾

﴿يا أيها الناس﴾ خطاب لعامة المكلفين ﴿قد جاءكم برهان﴾ كائن ﴿من ربكم وأنزلنا إليكم﴾ بواسطة النبي عليه السلام: ﴿نوراً مبيناً﴾ عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن أي جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة. والبرهان ما يبرهن به المطلوب وسمي القرآن نوراً لكونه سبباً لوقوع نور الإيمان في القلوب ولأنه تتبين به الأحكام كما تتبين بالنور الأعيان ﴿فأما الذين آمنوا بالله﴾ حسبما يوجبه البرهان الذي أتاهم ﴿واعتصموا به﴾ أي امتنعوا به عن اتباع النفس الأمارة وتسويلات الشيطان ﴿فسيدخلهم في رحمة منه﴾ ثواب قدره بإزاء إيمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب ﴿وفضل﴾ إحسان زائد عليه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ويهديهم إليه﴾ أي إلى الله ﴿صراطا مستقيما﴾ هو الإسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة وهو مفعول ثان ليهدي لأنه يتعدى إلى مفعولين بنفسه كما يتعدى إلى الثاني بإلى يقال هديته الطريق وهديته إلى الطريق ويكون إليه حالاً منه مقدماً عليه ولو أخر عنه كان صفة له والمعنى ويهديهم إلى صراط الإسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في العقبى مؤدياً ومنتهياً إليه تعالى.

والإشارة في الآية أن الله تعالى أعطى لكل نبي آية وبرهاناً ليقيم به الحجة على الأمة وجعل نفس النبي عليه السلام برهاناً منه وذلك لأن برهان الأنبياء كان في الأشياء غير أنفسهم مثل ما كان برهان موسى في عصاه وفي الحجر الذي انفجرت منه اثنتا عشرة عيناً وكان نفس النبي عليه السلام برهاناً بالكلية فكان برهان عينيه ما قال عليه السلام: «لا تستبقوني بالركوع والسجود فإني أراكم من خلفي كما أراكم من أمامي». وبرهان بصره ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٧]. وبرهان أنفه قال: «إني لأجد نفس الرحمان من قبل اليمن». وبرهان لسانه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣- ٤] وبرهان بصاقه ما قال جابر رضي الله عنه أنه أمر يوم الخندق لا تخبزن عجينكم ولا تنزلن برمتكم حتى أجيء فجاء فبصق في العجين وبارك ثم بصق في البرمة وبارك فأقسم بالله أنهم لأكلوا وهم ألف حتى تركوه وانصرفوا وأن برمتنا لتغط أي: تغلي وأن عجيننا ليخبز كما هو. وبرهان تفله أنه تفل في عين علي كرم الله وجهه وهي ترمد فبرىء بإذن الله يوم خيبر. وبرهان يده ما قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] وأنه سبح الحصى في يده، قال العطاري:

داعـــى ذرات بـــود آن پـــاك ذات در كـفـش تـسـبـيـح ازان كـفـتـى حـصـاد

وبرهان أصبعه أنه أشار بأصبعه إلى القمر فانشق فلقتين حتى رؤي حراء بينهما:

مـاه را انـكـشـت او بـشـكـافـتـه مـهـر از فـرمـانـش ازپـس تـافـتـه

وبرهان ما بين أصابعه أنه كان الماء ينبع من بين أصابعه حتى شرب منه ورفعه خلق عظيم وبرهان صدره أنه كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء. وبرهان قلبه أنه تنام

عيناه ولا ينام قلبه وقال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١] وقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ [الشرح: ١]، وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣- ١٩٤] وأمثال هذه البراهين كثيرة فمن أعظمها أنه عرج به إلى السماء حتى جاوز قاب قوسين وبلغ أو أدنى وذلك برهان لنفسه بالكلية وما أعطي نبي قبله مثله قط وكان بعد أن أوحي إليه أفصح العرب والعجم وكان من قبل أمياً لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان وأي برهان أقوى وأظهر وأوضح من هذا؟ والله أكرم هذه الأمة به ومنّ عليهم فمن آمن به إيماناً حقيقياً بنور الله لا بالتقليد فتجذبه العناية وتدخله في عالم الصفات فإن رحمته وفضله صفته ويهديه بنور القرآن وحقيقة التخلق بخلقه إلى جنابه تعالى فبالاعتصام يصعد السالك من الصراط المستقيم إلى حضرة الله الكريم ولا بد للعبد من الاعمال والاكتساب في البداية اتباعاً للأوامر الواردة في الكتب الإلّهية والسنن النبوية حتى ينتهي إلى محض فضل الله تعالى فيكون هو المتصرف في أموره ولذلك كان النبي عليه السلام يقول: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك» وقد قال بعض الكبار المريد من لا مذهب له يعني يتمسك بأشق الأقوال والمذاهب من جميع المذاهب فيتوضأ من الرعاف والفصد مثلاً وإن كان شافعياً ومن المس وإن كان حنفياً وتنوير الباطن لا يحصل إلا بأنوار الذكر والعبادة والمعرفة وتعين على ذلك العبادة الخالصة إذا أديت على وجه الكمال والخدمة بمقتضى السنة تصقله بإزالة خبث الشهوات والأخلاق المذمومات والتوحيد أفضل الأعمال الموصلة إلى السعادة وفي الحديث «إن الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله يدخلون الجنة وهم يضحكون» وفي الحديث «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم كأني انظر اليهم عند الصيحة ينفضون التراب عنهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور» وعلى هذا الحديث أول المشايخ هذه الآية الكريمة ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾ [الأعراف: ٥٨] اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين ولا تجعلنا من الغافلين آمين.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿يستفتونك﴾ أي: يطلبون منك الفتوى في حق الكلالة **﴿قل الله يفتيكم في الكلالة﴾** الإفتاء تبيين المبهم وتوضيح المشكل. والكلالة في الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها في الإضافة إلى قرابتها وتطلق على من لم يخلف ولداً ولا والداً وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين والمراد هنا الثاني أي الذي مات ولم يرثه أحد من الوالدين ولا أحد من الأولاد لما روي أن جابر بن عبد الله كان مريضاً فعاده رسول الله ﷺ فقال: إني كلالة أي لا يخلفني ولد ولا والد فكيف أصنع في مالي؟ فنزلت **﴿إن امرؤ هلك﴾** استئناف مبين للفتيا وارتفع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله: **﴿ليس له ولد﴾** صفة له أي إن هلك امرؤ غير ذي ولد ذكراً كان أو أنثى **﴿وله أخت﴾** عطف على قوله تعالى ليس له ولد أو حال والمراد بالأخت من ليست لأم فقط فإن فرضها السدس فقط **﴿فلها نصف ما ترك﴾** أي بالفرض والباقي للعصبة أولها بالرد إن لم يكن له عصبة

﴿**وهو**﴾ أي المرء المفروض ﴿**يرثها**﴾ أي أخته المفروضة إن فرض هلاكها مع بقائه ﴿**إن لم يكن لها ولد**﴾ ذكراً كان أو أنثى فالمراد بإرثه لها إحراز جميع ما لها إذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا إرثه لها في الجملة فإنه يتحقق مع وجود بنتها ﴿**فإن كانتا اثنتين**﴾ عطف على الشرطية الأولى أي اثنتين فصاعداً ﴿**فلهما الثلثان مما ترك**﴾ الضمير لمن يرث بالاخوة والتأنيث والتثنية باعتبار المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين مع دلالة ألف التثنية على الإثنينية التنبيه على أن المعتبر في اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما ﴿**وإن كانوا**﴾ أي من يرث بطريق الأخوة ﴿**إخوة**﴾ أي مختلطة ﴿**رجالاً ونساء**﴾ بدل من إخوة والأصل وإن كانوا إخوة وأخوات فغلب المذكر على المؤنث ﴿**فللذكر**﴾ منهم ﴿**مثل حظ الأنثيين**﴾ يقسمون التركة على طريقة التعصيب وهذا آخر ما نزل في كتاب الله من الأحكام.

ـ روي ـ أن الصديق رضي الله عنه قال في خطبته إن الآية التي أنزلها الله تعالى في سورة النساء في الفرائض أولها في الولد والوالد وثانيها في الزوج والزوجة والإخوة من الأم والآية التي ختم بها السورة في الأخت لأبوين أو لأب والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها في أولي الأرحام ﴿**يبين الله لكم**﴾ أي حكم الكلالة أو أحكامه وشرائعه التي من جملتها حكمها ﴿**أن تضلوا**﴾ أي كراهة أن تضلوا في ذلك فهو مفعول لأجله على حذف المضاف وهو أشيع من حذف لا النافية بتقدير لئلا تضلوا ﴿**والله بكل شيء**﴾ من الأشياء التي من جملتها أحوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم ﴿**عليم**﴾ مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم.

والإشارة في الآية أن الله تعالى لم يكل بيان قسمة التركات إلى النبي ﷺ مع أنه تعالى وكل بيان أركان الإسلام من الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج إليه وأحكام الشريعة وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] وولاه بيان القرآن العظيم وقال: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وتولى قسمة التركات بنفسه تعالى كما قال عليه السلام: «إن الله لم يرض بملك مقرب ولا نبي مرسل حتى تولى قسمة التركات وأعطى كل ذي حق حقه ألا فلا وصية لوارث» وإنما لم يوله قسمة التركات لأن الدنيا مزينة للناس والمال محبوب إلى الطباع وجبلت النفس على الشح فلو لم ينص الله تعالى على مقادير الاستحقاق وكان القسم موكولاً إلى النبي عليه السلام لكان الشيطان أوقع في بعض النفوس كراهة النبي عليه الصلاة والسلام لذلك فيكون كفراً لقوله عليه السلام: «لا يكون أحدكم مؤمناً حتى أكون إليه أحب من نفسه وماله وولده والناس أجمعين» كما أوقع في نفوس بعض شبان الأنصار يوم حنين إذ أفاء الله على رسوله أموال هوازن فطفق النبي عليه السلام يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل كل رجل منهم فقالوا: يغفر الله لرسوله يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال أنس: فحدث رسول الله بمقالتهم فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم ولم يدع معهم أحداً من غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله فقال: ما حديث بلغني عنكم فقال الأنصار: أما ذوو رأينا فلم يقولوا شيئاً وأما أناس حديثة أسنانهم فقالوا كذا وكذا للذي قالوا فقال النبي ﷺ: «إنما أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر فأؤلفهم» أو قال: استألفهم أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعوا برسول الله إلى رحالكم فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا: أجل يا رسول الله قد رضينا فالنبي عليه السلام أزال ما أوقع الشيطان في نفوسهم بهذا اللطائف فلو كان قسم التركات إليه لكان للشيطان مجال إلى آخر الدنيا في أن يوقع الشر في

نفوس الأمة ولم يمكن إزالته من النفوس لتعذر الوصول إلى الخلق كلهم في حال الحياة وبعد الوفاة فتولى الله ذلك لأنه بكل شيء عليم ولعباده غفور رحيم:

برو علم يك ذره پوشيده نيست كه پنهان وپيدا بنزدش يكيست
فرومانـدكانرا برحمت قريب تضرع كنا نرا بدعوت مجيب

فحسم الكلمة بما نص على المقادير في الميراث فضلاً منه وقطعاً لمواد الخصومات بين ذوي الأرحام ورحمة على النسوان في التوريث لضعفهن وعجزهن عن الكسب وإظهاراً لتفضيل الذكور عليهن لنقصان عقلهن ودينهن وتبياناً للمؤمنين لئلا يضلوا بظن السوء بالنبي عليه السلام كما قال: ﴿يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم﴾ كذا في «التأويلات النجمية» على صاحبها النفحات القدوسية والبركات القدسية. تمت سورة النساء في أواسط جمادى الآخرة من سنة تسع وتسعين بعد الألف ويتلوها سورة المائدة.

٥ - سورة المائدة

وهي مائة وعشرون آية كلها مدنية
إلا ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية فإنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الإيفاء يقال وفى بالعهد وفاء وأوفى به إيفاء إذا أتى ما عهد به ولم يغدر والنقل إلى باب افعل لا يفيد سوى المبالغة والعقد هو العهد الموثق المشبه بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود: ما يعم جميع ما ألزمه الله تعالى عباده وعقده عليهم من التكاليف والأحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن ديناً إن حملنا الأمر على معنى يعم الوجوب والندب. واحتج أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية على أن من نذر صوم يوم العيد أو ذبح الولد يجب عليه أن يصوم يوماً يحل فيه الصوم ويذبح ما يحل أن يتقرب بذبحه لأنه عهد وألزم نفسه ذلك فوجب عليه الوفاء بما صح الوفاء به. واحتج بها أيضاً على حرمة الجمع بين الطلقات لأن النكاح من العقود فوجب أن يحرم رفعه لقوله تعالى: **﴿أوفوا بالعقود﴾** وقد ترك العمل بعمومه في حق الطلقة الواحدة بالإجماع فبقي فيما عداه على الأصل وفي الحديث «ما ظهر الغلول في قوم إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب ولا فشا الزنى في قوم إلا كثر فيهم الموت ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير حق إلا فشا فيهم الدم ولا ختر قوم بالعهد إلا سلط الله عليهم العدو».

هركه أونيك ميكند يابد   نيك وبد هرچه ميكند يابد

ثم إنه تعالى لما أمر المؤمنين بأن يوفوا جميع ما أوجبه عليهم من التكاليف شرع في ذكر التكاليف مفصلة فبدأ بذكر ما يحل ويحرم من المطعومات فقال عز وجل من قائل: **﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾** البهيمة كل ذات أربع وإضافتها إلى الأنعام للبيان كثوب الخز وأفرادها لإرادة الجنس أي أحل لكم أكل البهيمة من الأنعام وهي الإبل والبقر والضأن والمعز وذكر كل واحد من هذه الأنواع الأربعة زوج بأنثاه وأنثاه زوج بذكره فكان جميع الأزواج ثمانية بهذا

الاعتبار من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين على التفصيل المذكور في سورة الأنعام فالبهيمة أعم من الأنعام لأن الأنعام لا تتناول غير الأنواع الأربعة من ذوات الأربع وألحق بالأنعام الظباء وبقر الوحش ونحوهما ﴿**إلا ما يتلى عليكم**﴾ استثناء من بهيمة الأنعام بتقدير المضاف أي إلا محرم ما يتلى عليكم أي إلا الذي حرمه المتلو من القرآن من قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] بعد هذه الآية أو بتقدير نائب الفاعل أي إلا ما يتلى عليكم فيه آية كريمة ﴿**غير محلي الصيد**﴾ الصيد بمعنى المصدر أي الاصطياد في البر أو المفعول أي أكل صيده بمعنى مصيده وهو نصب على الحالية من ضمير لكم ومعنى عدم إحلالهم له تقرير حرمته عملاً واعتقاداً وهو شائع في الكتاب والسنة ﴿**وأنتم حرم**﴾ أي محرمون حال من الضمير في محلي. والحرم: جمع حرام بمعنى محرم يقال: أحرم فلان إذا دخل في الحرم أو في الإحرام وفائدة تقييد إحلال بهيمة الأنعام بما ذكر من عدم إحلال الصيد حال الإحرام إتمام النعمة وإظهار الامتنان بإحلالها بتذكير احتياجهم إليه فإن حرمة الصيد في حالة الإحرام من مظان حاجتهم إلى إحلال غيره حينئذٍ كأنه قيل: أحلت لكم الأنعام مطلقاً حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض الأوقات محتاجين إلى إحلالها. ﴿**إن الله يحكم ما يريد**﴾ من تحليل وتحريم على ما توجبه الحكمة ومعنى الإيفاء بهما الجريان على موجبهما عقداً وعملاً والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم المحللات.

والإشارة في الآية ﴿**أوفوا بالعقود**﴾ التي جرت بيننا يوم الميثاق وعلى عهود العشاق وعقودهم على بذل وجودهم لنيل مقصودهم عاقدوا على عهد يحبهم ويحبونه ولا يحبون دونه فالوفاء بالعهد الصبر على الجفاء والجهد فمن صبر على عهوده فقد فاز بمقصوده عند بذل وجوده ﴿**أحلت لكم بهيمة الأنعام**﴾ أي: ذبح بهيمة النفس التي هي كالأنعام في طلب المرام ﴿**إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم**﴾ يعني: إلا النفس المطمئنة إذا تليت عليها ارجعي إلى ربك فإنها تنفرت من الدنيا وما فيها فإنها كالصيد في الحرم وأنتم حرم بالتوجه إلى كعبة الوصال بإحرام الشوق إلى حضرة الجمال والجلال متجردين عن كل مرغوب ومرهوب منفردين من كل مطلوب ومحبوب ﴿**إن الله يحكم**﴾ بذبح النفس إذا كانت موصوفة بصفة البهيمة ترفع في مراتع الحيوان السفلية ويحكم بترك ذبحها ويخاطبها بالرجوع إلى حضرة الربوبية عند اطمئنانها مع ذكر الحق واتصافها بالصفات الملكية العلوية ﴿**ما يريد**﴾ كما يريد كذا في «التأويلات النجمية».

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾

﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله**﴾ نزلت في الخطيم واسمه شريح بن ضبيعة البكري أتى المدينة من اليمامة وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي ﷺ فقال له: إلى ما تدعو الناس؟ فقال: «إلى شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة» فقال حسن إلا إن لي أمراء لا أقطع أمراً دونهم لعلي اسلم وآتي بهم وقد كان النبي عليه السلام قال

لأصحابه: «يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان» ثم خرج شريح من عنده فقال عليه السلام: «لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم» فمر بسرح المدينة فاستاقه فانطلق فتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام المقبل خرج حاجاً في حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلدوا الهدي فقال المسلمون للنبي عليه السلام: هذا الخطيم قد خرج حاجاً فخل بيننا وبينه فقال النبي عليه السلام: «إنه قد قلد الهدي» فقالوا: يا رسول الله هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية فأبى النبي عليه السلام فأنزل الله هذه الآية وكان المشركون يحجون ويهدون فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك. والشعائر: جمع شعيرة وهي اسم لما أشعر أي جعل شعائر أي علماً للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والأفعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الإحرام والطواف والسعي والحلق والنحر والمعنى لا تتهاونوا بحرمتها ولا تقطعوا أعمال من يحج بيت الله ويعظم مواقف الحج ﴿**ولا الشهر الحرام**﴾ أي ولا تستحلوا القتل والغارة في الشهر الحرام وهو شهر الحج والأشهر الأربعة الحرم وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، والافراد لإرادة الجنس ﴿**ولا الهدي**﴾ بأن يتعرض له بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله وهو ما أهدي إلى الكعبة من إبل أو بقر أو شاة تقرباً إلى الله تعالى جمع هدية ﴿**ولا القلائد**﴾ أي: ذوات القلائد من الهدي بتقدير المضاف وعطفها على الهدي للاختصاص فإنها أشرف الهدي أي ولا تحلوا ذوات القلائد منها خصوصاً وهي جمع قلادة وهي ما يشد على عنق البعير وغيره من نعل أو لحاء شجرة أو غيرهما ليعلم به أنه هدي فلا يتعرض له ﴿**ولا آمين البيت الحرام**﴾ أي: ولا تحلوا قوماً قاصدين زيارة الكعبة بأي تصدوهم عن ذلك بأن وجه كان ﴿**يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا**﴾ حال من المستكن في آمين أي قاصدين زيارته حال كونهم طالبين الرزق بالتجارة والرضوان أي على زعمهم لأن الكافر لا نصيب له في الرضوان أي رضى الله تعالى ما لم يسلم. قال في «الإرشاد»: إنهم كانوا يزعمون أنهم على سداد من دينهم وأن الحج يقربهم إلى الله تعالى فوصفهم الله بظنهم وذلك الظن الفاسد وإن كان بمعزل من استتباع رضوانه تعالى لكن لا بعد في كونه مداراً لحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم من المكاره العاجلة لا سيما في ضمن مراعاة حقوق الله تعالى وتعظيم شعائره انتهى. وهذه الآية إلى هٰهنا منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وبقوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَاۚ﴾ [التوبة: ٢٨] فلا يجوز أن يحج مشرك ولا يأمن كافر بالهدي والقلائد. قال الشعبي: لم ينسخ من سورة المائدة إلا هذه الآية ﴿**وإذا حللتم فاصطادوا**﴾ تصريح بما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿**وأنتم حرم**﴾ من انتهاء حرمة الصيد بانتفاء موجبها والأمر للإباحة بعد الحظر كأنه قيل وإذا حللتم من الإحرام فلا جناح عليكم في الاصطياد ﴿**ولا يجرمنكم**﴾ يقال جرمني فلان على أن صنعت كذا أي حملني والمعنى لا يحملنكم ﴿**شنآن قوم**﴾ أي: شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر شنأت أضيف إلى المفعول أو الفاعل فالمعنى على الأول بغضكم لبعض فحذف الفاعل وعلى الثاني بغض قوم إياكم فحذف المفعول ﴿**أن صدوكم عن المسجد الحرام**﴾ أي لأن منعوكم عن زيارته والطواف به للعمرة عام الحديبية ﴿**أن تعتدوا**﴾ ثاني مفعولي يجرمنكم أي لا يحملنكم شدة بغضكم لهم بصدهم إياكم عن المسجد الحرام على اعتدائكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفي ﴿**وتعاونوا**﴾ أي: ليعن بعضكم بعضاً ﴿**على البر والتقوى**﴾ أي:

على العفو والاغضاء ومتابعة الأمر ومجانبة الهوى ﴿**ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾ أي: لا يعن بعضكم بعضاً على شيء من المعاصي والظلم للتشفي والانتقام وليس للناس أن يعين بعضهم بعضاً على العدوان حتى إذا تعدى واحد منهم على الآخر تعدى ذلك الآخر عليه لكن الواجب أن يعين بعضهم بعضاً على ما فيه البر والتقوى. وأصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف منه إحدى التاءين تخفيفاً وإنما أخر النهي عن الأمر مع تقدم التخلية مسارعة إلى إيجاب ما هو مقصود بالذات فإن المقصود من إيجاب ترك التعاون على الإثم والعدوان إنما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى. وسئل رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال: «البر حسن الخلق والاسم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس» ﴿**واتقوا الله**﴾ في جميع الأمور التي من جملتها مخالفة ما ذكر من الأوامر والنواهي فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهاني ﴿**إن الله شديد العقاب**﴾ فانتقامه أشد لمن لا يتقيه.

واعلم أن شعائر الله في الحقيقة هي مناسك الوصول إلى الله وهي معالم الدين والشريعة ومراسم آداب الطريقة بإشارة أرباب الحقيقة فإن حقيقة البر هو التفرد للحق وحقيقة التقوى هو الخروج عما سوى الله تعالى فالوصول لا يمكن إلا بهما لكنهما خطوتان لا يمكن للمريد الصادق أن يتخطى بها إلا بمعاونة شيخ كامل مكمل واصل موصل فإنه دليل هذا الطريق، قال الحافظ:

بكوى عشق منه بى دليل راه قدم   كه من بخويش نمودم صد اهتمام ونشد

وقال أيضاً:

شبان وادىء ايمن كهى رسد بمراد   كه چند سال بجان خدمت شعيب كند

وفي الآية إشارة إلى تعظيم ما عظمه الله من الزمان والمكان والاخوان وقد فضل الأشهر والأيام والأوقات بعضها على بعض كما فضل الرسل والأمم بعضها على بعض لتتسارع القلوب إلى احترامها وتتشوق الأرواح إلى إحيائها بالتعبد فيها ويرغب الخلق في فضائلها وفضل الأمكنة بعضها على بعض ليعظم الأجر بالإقامة فيها وخلق الناس سعيداً وشقياً والعبرة بالخاتمة وكل مخلوق من حيث إنه مخلوق الله حسن حتى أنه ينبغي أن يكون النظر إلى الكافر من حيث إنه مخلوق الله لا من حيث كفره وإن لم يرض بكفره فعلى الناظر بنظر التوحيد أن يحسن النظر ولا يحقر أحداً من خلق الله ولا يشتغل بالعداوة والبغضاء، قال السعدي قدس سره:

دلم خانه مهر يارست وبس   ازان مى نكنجد دروكين كس

ومن كلمات أسد الله كرم الله وجهه العداوة شغل يعني من اشتغل بالعداوة ينقطع عن الاشتغال بالأمور المفيدة النافعة لأن القلب لا يسع الاشتغالين المتضادين.

هركه پيشه كند عداوت خلق   از همه چيزها جدا كردد
كه دلش خسته عنا باشد   كه تنش بسته بلا كردد

وكان ﷺ موصوفاً بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال فعليك أن تقتدي به ولما مدح الله الأنبياء عليهم السلام ووصف كل نبي بصفة قال له تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] ففعل فصار مستجمعاً لكمال خصال الخير وكان كل واحد منهم مخصوصاً بخصلة مثل نوح بالشكر وإبراهيم بالحلم وموسى بالإخلاص وإسماعيل بصدق الوعد ويعقوب وأيوب بالصبر وداود بالاعتذار وسليمان بالتواضع وعيسى بالزهد فلما اقتدى بهم اجتمع له الكل فأنت أيها

المؤمن من أمة ذلك الرسول ﷺ فاتق الله واستحي من رسول الله كي تنجو من العقاب الشديد والعذاب المديد وتظفر بالخلد الباقي بالنعيم المقيم وتنال ما نال إليه ذو القلب السليم.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾

﴿حرمت عليكم الميتة﴾ أي تناولها فإن التحليل والتحريم إنما يتعلقان بالأفعال دون الأعيان والميتة ما فارقه الروح من غير ذبح **﴿والدم﴾** أي: الدم المسفوح أي المصبوب كالدماء التي في العروق لا الكبد والطحال وكان أهل الجاهلية يصبونها في أمعاء ويشوونها ويقولون لم يحرم من فزدله أي من فصدله **﴿ولحم الخنزير﴾** لعينه لا لكون ميتة حتى لا يحل تناوله مع وجود الذكاة فيه وفائدة تخصيص لحم الخنزير بالذكر دون لحم الكلب وسائر السباع أن كثيراً من الكفار ألفوا لحم الخنزير فخص بهذا الحكم وذلك أن سائر الحيوانات المحرم أكلها إذا ذبحت كان لحمها طاهراً لا يفسد الماء إذا وقع فيه وإن لم يحل أكله بخلاف لحم الخنزير. قال في «التنوير» وليس الكلب بنجس العين قال العلماء الغذاء يصير جزءاً من جوهر المغتذي ولا بد وأن يحصل للمغتذي أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلاً في الغذاء والخنزير مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة في المشتهيات فحرم أكله على الإنسان لئلا يتكيف بتلك الكيفية ومن جملة خبائث الخنزير أنه عديم الغيرة فإنه يرى الذكر من الخنازير ينزو على انثى له ولا يتعرض له لعدم غيرته فأكل لحمه يورث عدم الغيرة **﴿وما أهل لغير الله به﴾** أي: رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى. قال الفقهاء: ولو سمي الذابح النبي عليه السلام مع الله فقال باسم الله ومحمد حرمت الذبيحة وفي الحديث «العن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله» قال النووي المراد به الذبح باسم غير الله كمن ذبح للصنم أو لموسى أو لغيرهما. ذكر الشيخ الماوردي أن ما يذبح عند استقبال السلطان تقرباً إليه أفتى أهل بخارى بتحريمه لأنه مما أهل به لغير الله. وقال الرافعي: هذا غير محرم لأنهم إنما يذبحونه استبشاراً بقدومه فهو كذبح العقيقة لولادة المولود ومثل هذا لا يوجب التحريم كذا في «شرح المشارق» لابن ملك **﴿والمنخنقة﴾** أي: التي ماتت بالخنق وهو احتباس النفس بسبب انعصار الحلق وأكل المنخنقة حرام سواء حصل اختناقها بفعل آدمي أو لا مثل أن يتفق أن تدخل البهيمة برأسها بين عودين من شجرة فتخنق فتموت وكان أهل الجاهلية يخنقون الشاة فإذا ماتت أكلوها وهذه المنخنقة من جنس الميتة لأنها ماتت من غير تذكية **﴿والموقوذة﴾** المضروبة بنحو خشب أو حجر حتى تموت من وقذته إذا ضربته. قال قتادة كانوا يضربونها بالعصي فإذا ماتت أكلوها وهي في معنى المنخنقة أيضاً لأنها ماتت ولم يسل دمها **﴿والمتردية﴾** التي تردت من مكان عال أو في بئر فماتت قبل الذكاة. والتردي هو السقوط مأخوذ من الردى وهو الهلاك قال رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم: «إذا تردت رميتك من جبل فوقعت في ماء فلا تأكل فإنك لا تدري أسهمك قتلها أم الماء؟» فصار هذا الكلام أصلاً في كل موضع اجتمع فيه معنيان أحدهما

حاظر والآخر مبيح أنه يغلب جهة الحظر ولهذا قال ﷺ: «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهة فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك ألا وإن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه» وعن عمر رضي الله عنه أنه قال: كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الربا ﴿والنطيحة﴾ التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح وهو بالفارسية «سروزدن» والتاء في هذه الكلمات الأربع لنقلها من الوصفية إلى الاسمية وكل ما لحقته هذه التاء يستوي فيه المذكر والمؤنث وقيل: التاء فيها لكونها صفات لموصوف مؤنث وهو الشاة كأنه قيل حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة وخصت الشاة بالذكر لكونها أعم ما يأكله الناس والكلام يخرج على الأعم الأغلب ويكون المراد الكل ﴿وما أكل السبع﴾ أي: وما أكل منه السبع فمات وكان أهل الجاهلية يأكلونه. والسبع اسم يقع على ما له ناب ويعدو على الإنسان والدواب ويفترسها كالأسد وما دونه وهو يدل على أن جوارح الصيد إذا أكلت مما اصطادته لم يحل ﴿إلا ما ذكيتم﴾ أي: إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء وفيه بقية حياة يضطرب اضطراب المذبوح فإنه يحل لكم فأما ما صار بجرح السبع إلى حالة المذبوح فهو في حكم الميتة فلا يكون حلالاً وإن ذبحته وكذلك المتردية والنطيحة إذا أدركتها حية قبل أن تصير إلى حالة المذبوح فذبحتها تكون حلالاً ولو رمى إلى صيد في الهواء وأصابه فسقط على الأرض ومات كان حلالاً لأن الوقوع على الأرض من ضرورته وإن سقط على جبل أو شجر ثم تردى منه فمات فلا يحل وهو من المتردية إلا أن يكون السهم أصاب مذبحه في الهواء فيحل كيف ما وقع لأن الذبح قد حصل بإصابة السهم المذبح وأما ما أبين من الصيد قبل الذكاة فهو ميتة.
والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمري وهو اسم لما اتصل بالحلقوم وهو الذي يجري فيه الطعام والشراب وأقل الذكاة في الحيوان المقدور عليه قطع الحلقوم والمري وكماله أن يقطع الودجان معهما ويجوز بكل محدد من حديد أو قصب أو زجاج أو حجر أو نحوها فإن جمهور العلماء على أن كل ما أفري الأوداج وأنهر الدم فهو من آلات الذكاة ما خلا السن والظفر والعظم ما لم يكن السن والظفر منزوعين لأن الذبح بهما يكون خنقاً وأما المنزوعان منهما إذا أفريا الأوداج فالذكاة جائزة بهما عندهم والذكاة الذبح التام الذي يجوز معه الأكل ولا يحرم لأن أصل الذكاة إتمام الشيء ومنه الذكاء في الفهم إذا كان تام العقل وفي الحديث «الذكاة ما بين اللبة واللحيين» فعلى هذا اللحم القديد الذي يجيء إلى دار الإسلام من دار افلاق لا يجوز أكله لأنهم يضربون رأس البقر ونحوه بفأس ومثله فيموت فلا توجد الذكاة ﴿وما ذبح على النصب﴾ النصب: واحد الأنصاب وهي أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة. قال الإمام من الناس من قال: النصب هي الأوثان وهذا بعيد لأن هذا معطوف على قوله وما أهل لغير الله به وذلك هو الذبح على اسم الأوثان ومن حق المعطوف أن يكون مغايراً للمعطوف عليه. وقال ابن جريج النصب ليست بأصنام فإن الأصنام أحجار مصورة منقوشة وهذه النصب أحجار كانوا نصبوها حول الكعبة وكانوا يذبحون عندها للأصنام وكانوا يلطخونها بتلك الدماء ويضعون اللحوم عليها فقال المسلمون: يا رسول الله كان أهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم ونحن أحق أن نعظمه وكان عليه السلام لم يكره ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ [الحج: ٣٧] إلى هنا كلام الإمام ﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾ جمع زلم وهو القدح أي وحرم عليكم الاستقسام بالقداح وذلك أنهم إذا قصدوا فعلاً

ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل أي خال عن الكتابة فإن خرج الآمر مضوا على ذلك وإن خرج الناهي اجتنبوا عنه وإن خرج الغفل أجالوها ثانياً فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بواسطة ضرب القداح وقيل: هو استقسام الجزور بالقداح على الأنصباء المعلومة أي طلب معرفة كيفية قسمة الجزور وقد تقدم تفصيله عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩] في سورة البقرة ﴿ذلكم﴾ إشارة إلى الاستقسام بالأزلام ﴿فسق﴾ أي: تمرد وخروج عن الحد ودخول في علم الغيب وضلال باعتقاد أنه طريق إليه وافتراء على الله سبحانه إن كان هو المراد بقولهم ربي وشرك وجهالة إن كان هو الصنم. فظاهر هذه الآية يقتضي أن العمل على قول المنجمين لا تخرج من أجل نجم كذا واخرج من أجل نجم كذا فسق لأن ذلك دخول في علم الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله كذا في «تفسير الحدادي».

واعلم أن استعلام الغيب بالطريق الغير المشروع كاستعلام الخير والشر من الكهنة والمنجمين منهي عنه بخلاف استعلام الغيب بالاستخارة بالقرآن وبصلاة الاستخارة ودعائها وبالنظر والرياضة لأنه استعلام بالطريق المشروع وإن طلب ما قسم له من الخير ليس منهياً عنه مطلقاً بل المنهي عنه هو الاستقسام بالأزلام وفي الحديث «العيافة والطرق والطيرة من الجبت» والمراد بالطرق الضرب بالحصى وفي الحديث «من تكهن واستقسم أو تطير طيرة ترده من سفره لم ينظر إلى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة» ﴿اليوم﴾ اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الأزمنة الماضية والآتية ونظيره قولك: كنت بالأمس شاباً واليوم قد صرت شيخاً فإنك لا تريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم اليوم الذي أنت فيه. وقيل: أراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة يوم عرفة حجة الوداع والنبي عليه السلام واقف بعرفات على العضباء فكادت عضد الناقة تندق لثقلها فبركت وأياً ما كانت فهو منصوب على أنه ظرف لقوله تعالى: ﴿يئس الذين كفروا من دينكم﴾ أي من إبطالكم إياه ورجوعكم عنه بأن تحللوا هذه الخبائث بعد أن جعلها الله محرمة أو من أن يغلبوكم عليه لما شاهدوا من أن الله عز وجل وفى بوعده حيث أظهره على الدين كله وهو الأنسب بقوله تعالى: ﴿فلا تخشوهم﴾ أي: من أن يظهروا عليكم ﴿واخشون﴾ وأخلصوا إلي الخشية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ بالنصر والإظهار على الأديان كلها أو بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد ﴿وأتممت عليكم نعمتي﴾ بالهداية والتوفيق أو بإكمال الدين والشرائع أو بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكها والنهي عن حج المشركين وطواف العريان ﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ أي: اخترته لكم من بين الأديان وهو الدين عند الله لا غير. فقوله ديناً نصب حالاً من الإسلام ويجوز أن يكون رضيت بمعنى صيرت فقوله ديناً مفعول ثانٍ له. قال جابر بن عبد الله: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «قال جبريل عليه السلام قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما صحبتموه» وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً قال أي آية قال: ﴿اليوم أكملت﴾ الخ قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي عليه السلام وهو قائم بعرفة يوم الجمعة أشار عمر إلى

أن ذلك اليوم كان عيداً لنا. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان ذلك اليوم خمسة أعياد: جمعة، وعرفة، وعيد اليهود، والنصارى، والمجوس، ولم تجتمع أعياد أهل الملل في يوم قبله ولا بعده.

ـ وروي ـ أنه لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضي الله عنه فقال النبي عليه السلام: «ما يبكيك يا عمر» قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فإذا كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص قال: «صدقت» فكانت هذه الآية تنعي رسول الله ﷺ وعاش بعدها إحدى وثمانين يوماً ومات يوم الإثنين بعدما زاغت الشمس لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشر من الهجرة. وقيل: توفي يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول وكانت هجرته في الثاني عشر منه، قال السعدي قدس سره:

جهان أى برادر نماند بكس ... دل اندرجهان آفرين بندوبس
جهان أى پسر ملك جاويد نيست ... زدنيا وفا دارى أميد نيست
منه دل برين سال خورده مكان ... كه كنبد نپايد بر وكرد كان

﴿فمن اضطر﴾ متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو أن تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المرضي والمعنى فمن اضطر إلى تناول شيء من هذه المحرمات ﴿في مخمصة﴾ أي: مجاعة يخاف منها الموت أو مباديه ﴿غير متجانف لإثم﴾ حال من فاعل الجواب المحذوف أي فليتناول مما حرم غير مائل ومنحرف إليه بأن يأكلها تلذذاً أو مجاوزاً حد الرخصة أو ينتزعها من مضطر آخر كقوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣] ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ لا يؤاخذه بأكلها وهو تعليل للجواب المقدر.

ـ وروي ـ أن رجلاً قال: يا رسول الله إنا نكون بأرض فتصيبنا المخمصة فمتى تحل لنا الميتة فقال: «ما لم تصطبحوا أو تغتبقوا أو تجتفوا بها بقلاً فشأنكم بها» ومن امتنع من الميتة حال المخمصة أو صام ولم يأكل حتى مات أثم بخلاف من امتنع من التداوي حتى مات فإنه لا يأثم لأنه لا يقين بأن هذا الدواء يشفيه ولعله يصح من غير علاج.

والإشارة في الآيات: أن ظاهرها خطاب لأهل الدنيا والآخرة وباطنها عتاب لأهل الله وخاصته ﴿حرمت عليكم﴾ يا أهل الحق ﴿الميتة﴾ وهي الدنيا بأسرها، قال في المثنوي:

درجهان مرده شان آرام نيست ... كين علف جز لايق أنعام نيست
هركرا كلشن بود بزم ووطن ... كى خورد أوباده اندر كولخن

﴿والدم ولحم الخنزير﴾ يعني: حلالها وحرامها قليلها وكثيرها وذلك لأن من الدم ما هو حلال والخنزير كله حرام والدم بالنسبة إلى اللحم قليل واللحم بالنسبة إلى الدم كثير ﴿وما أهل لغير الله به﴾ يعني: كل طاعة وعبادة وقراءة ودراسة ورواية تظهرون به لغير الله ﴿والمنخنقة والموقوذة﴾ يعني الذين يخنقون نفوسهم بالمجاهدات ويقذونها بأنواع الرياضات بنهيها عن المرادات وزجرها عن المخالفات للرياء والسمعة ﴿والمتردية والنطيحة﴾ الذين يردون نفوسهم من أعلى عليين إلى أسفل سافلين بالتناطح من الأقران والمماراة مع الإخوان والتفاخر بالعلم والزهد بين الاخدان وفي قوله ﴿وما أكل السبع إلا ما ذكيتم﴾ إشارة إلى أنه فيما تحتاجون إليه من القوت الضروري كونوا محترزين من أكيلة السباع وهم الظلمة الذين يتهاوشون في جيفة

الدنيا تهاوش الكلاب ويتجاذبونها بمخالب الأطماع الفاسدة إلا ما ذكيتم بكسب حلال ووجه صالح بقدر ضرورة الحال **﴿وما ذبح على النصب﴾** يشير إلى ما ذبح عليه النفس بأنواع الجد والاجتهاد من المطالب الدنيوية والأخروية **﴿وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق﴾** يعني: لا تكونوا مترددين متفئلين في طلب المرام مبتغين لحصول المقصود متهاونين في بذل الوجود فإذا انتهيتم عن هذه المناهي وتخلصتم من هذه الدواهي وأخلصتم لله في الله بالله وخرجتم من سجن الأنانية وسجين الإنسانية بالجذبات الربانية فقد عادت ليلتكم نهاراً وظلمتكم أنواراً **﴿اليوم يئس الذين كفروا﴾** من النفس وصفاتها والدنيا وشهواتها **﴿من دينكم﴾** وتيقنوا أن ما بقي لكم الرجوع إلى ملتهم ولا الصلاة إلى قبلتهم **﴿فلا تخشوهم﴾** فإنكم خلصتم من شبكة مكايدهم ونجوتم من عقد مصايدهم **﴿واخشوني﴾** فإن كيدي متين وصيدي مهين وبطشي شديد وحبسي مديد **﴿اليوم﴾** إشارة إلى الأزل **﴿أكملت لكم دينكم﴾** أي: جعلت الكمالية في الدين من الأزل نصيباً لكم من جميع أهل الملل والأديان **﴿وأتممت عليكم نعمتي﴾** التي أنعمت بها عليكم في الأزل من الكمالية الآن بإظهار دينكم على الأديان كلها في الظاهر وأما في الحقيقة فسيجيء شرحه **﴿ورضيت لكم الإسلام دينا﴾** تستكملون به إلى الأبد بحيث من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وذلك لأن حقيقة الدين هي سلوك سبيل الله بقدم الخروج من الوجود المجازي للوصول إلى الوجود الحقيقي والإنسان مخصوص به من سائر الموجودات ولهذه الأمة اختصاص بالكمالية في السلوك من سائر الأمم فالدين من عهد آدم عليه السلام كان في التكامل بسلوك الأنبياء سبيل الحق إلى عهد النبي عليه الصلاة والسلام فكل نبي سلك في الدين مسلكاً أنزله بقربه من مقامات القرب ولكن ما خرج أحد منهم بالكلية من الوجود المجازي للوصول إلى الوجود الحقيقي بالكمال فقيل للنبي عليه السلام: **﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾** [الأنعام: ٩٠] فسلك النبي جميع المسالك التي سلكها الأنبياء بأجمعهم فلم يتحقق له الخروج أيضاً بقدم السلوك من الوجود المجازي بالكلية حتى تداركته العناية الأزلية لاختصاصه بالمحبوبية بجذبات الربوبية وأخرجته من الوجود المجازي ليلة أسري بعدما عبر به على الأنبياء كلهم وبلغ في القرب إلى الكمالية في الدنو وهو سر أو أدنى فاستسعد سعادة الوصول إلى الوجود الحقيقي في سر فأوحي إلى عبده ما أوحي وفي الحقيقة قيل له في تلك الحالة **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾** ولكن في حجة الوداع في يوم عرفة عند وقوفه بعرفات أظهر على الأمة عند إظهاره على الأديان كلها وظهور كمالية الدين بنزول الفرائض والأحكام بالتمام فقال: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾** ويدل على هذا التأويل ما روى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتاً فأحسنها وأجملها وأكملها إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون ألا وضعت هٰهنا لبنة فيتم بناؤها» قال محمد صلى الله تعالى عليه وسلم «فأنا اللبنة» متفق على صحته فصح ما قرر من مقامات الأنبياء وتكامل الدين بهم وكماليته بالنبي عليه السلام وبخروجه من الوجود المجازي بالكلية وأن الأنبياء لم يخرجوا منه بالكلية ويدل على هذا المعنى أيضاً أن الأنبياء كلهم يوم القيامة يقولون: نفسي نفسي لبقية الوجود والنبي عليه السلام «أمتي أمتي» لفناء الوجود فافهم جداً ومن كرامة هذه الأمة اشتراكهم في كمالية الدين مع النبي بمتابعته وقال: **﴿وأتممت عليكم نعمتي﴾** وهي

إسبال تحصيل الكمال ومعظمها بعثة النبي عليه الصلاة والسلام ﴿**ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾ وهو استسلام الوجود المجازي إلى النبي وخلفائه بعده ليطرح عليه أكسير المتابعة فيبدل الوجود المجازي المحبي بالوجود الحقيقي المحبوبي كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] يعني: ويغفر بالوجود الحقيقي ذنوب الوجود المجازي فافهم جداً وتنبه ﴿**فمن اضطر في مخمصة**﴾ يعني: فمن ابتلي بالتفاته إلى شيء من الدنيا والآخرة مضطراً إليه في غاية الاضطرار والابتلاء لسر التربية ﴿**غير متجانف لإثم**﴾ يعني: غير مائل إليه للإعراض عن الحق ولكن من فترة تقع للصادقين أو وقفة تكون للسالكين ثم يتداركونها بصدق الالتجاء إلى الحق وأرواح المشايخ والاستعانة بهم وطلب الاستغفار من ولاية البنين وإعانتهم ﴿**فإن الله غفور**﴾ لما ابتلاهم به ﴿**رحيم**﴾ بأن يهديهم إلى الصراط المستقيم بإقامة الدين القويم كذا في «التأويلات النجمية».

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾

﴿**يسألونك ماذا أحل لهم**﴾ ما للاستفهام وذا بمعنى الذي والمعنى ما الذي أحل لهم من المطاعم. إن قلت مفعول يسأل إنما يكون مفرداً فكيف وقع على الجملة. قلت: لتضمن السؤال معنى القول: ﴿**قل أحل لكم الطيبات**﴾ أي ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر منه كما في قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] والطيب في اللغة المستلذ المشتهىٰ فالتقدير كل ما يستلذ ويشتهي والعبرة في الاستلذاذ والاستطابة بأهل المروءة والأخلاق الجميلة فإن أهل البادية يستطيبون أكل جميع الحيوانات كذا قال الإمام في تفسيره ﴿**وما علمتم**﴾ عطف على الطيبات بتقدير المضاف على أن ما موصولة والعائد محذوف أي وصيد ما علمتموه ﴿**من الجوارح**﴾ حال من الموصول جمع جارحة بمعنى كاسبة قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠] وجوارح الإنسان أعضاؤه التي يكتسب بها ويحتمل أن يكون من الجرح بمعنى تفريق الاتصال فإن الجوارح تجرح الصيد غالباً. والمراد بالجوارح في الآية كل ما يكسب الصيد على أهله من سباع البهائم كالفهد والنمر والكلب ومن سباع الطير كالصقر والبازي والعقاب والنسر والباشق والشاهين ونحوها مما يقبل التعليم فإن صيد جميعها حلال ﴿**مكلبين**﴾ أي معلمين لها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد ومضريها عليه مشتق من الكلب وذكر الكلب لكونه أقبل للصيد والتأديب فيه وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم. فإن قلت يلزم أن يكون المعنى وصيد ما علمتم معلمين ولا فائدة. قلت: فائدتها المبالغة في التعليم لما أن اسم المكلب لا يقع إلا على النحرير في علمه فكأنه قيل وما علمتم ماهرين في تعليم الجوارح حاذقين فيه مشتهرين به ﴿**تعلمونهن**﴾ حال ثانية ﴿**مما علمكم الله**﴾ من الحيل وطرق التعليم والتأديب فإن العلم به الهام من الله تعالى أو مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه أو مما علمكم أن تعلموه من اتباع الصيد بإرسال صاحبه وأن ينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه. قال صاحب «الكشاف» قوله تعالى: ﴿**تعلمونهن مما علمكم الله**﴾ فيه تنبيه على أن كل من يأخذ علماً ينبغي أن يأخذه ممن هو متبحر في ذلك العلم غواص في بحار لطائفه وحقائقه وإن احتاج في ذلك إلى ارتكاب

سفر بعيد قال عليه السلام: «اطلبوا العلم ولو بالصين» فكم من آخذ من غير متقن ضيّع أيامه وعض عند لقاء النحارير أنامله ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم﴾ من تبعيضية لما أن البعض مما لا يتعلق به الأكل كالجلود والعظام والريش وما موصولة حذف عائدها وعلى متعلقة بأمسكن أي فكلوا بعض ما أمسكنه عليكم وهو الذي لم يأكلن منه وأما ما أكلن منه فهو مما أمسكن على أنفسهن لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم: «وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسكه على نفسه» وإليه ذهب أكثر الفقهاء. وقال بعضهم ومنهم أبو حنيفة: يؤكل مما بقي من جوارح الطير ولا يؤكل مما بقي من الكلب والفرق أنه يمكن أن يؤدب الكلب على الأكل بالضرب ولا يؤدب البازي على الأكل ﴿واذكروا اسم الله عليه﴾ الضمير لما في علمتم أي سموا عليه عند إرساله أو لما في ما أمسكن أي سموا عليه إذا أدركتم ذكاته. وعن أبي ثعلبة قال: قلت يا نبي الله إنا بأرض قوم أهل كتاب أفنأكل في آنيتهم وبأرض صيد أصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم وبكلبي المعلم فما يصلح لي قال: «أما ما ذكرت من آنية أهل الكتاب فإن وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وإن لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت الله عليه فكل وما صدت بكلبك غير المعلم فأدركت ذكاته فكل» وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ «كان يضحي بكبشين أملحين أقرنين يطأ على صفاحهما ويذبحهما بيده ويقول: باسم الله والله أكبر» كذا في «تفسير البغوي». والمستحب أن يقول بسم الله الله أكبر بلا واو لأن ذكر الواو يقطع نور التسمية كما في «شرح مختصر الوقاية» وكره ترك التوجه إلى القبلة وحلت كذا في «الذخيرة» ومتروك التسمية عمداً حرام لأنه ميتة بخلاف متروكها نسياناً فإنه حلال ﴿واتقوا الله﴾ في شأن محرماته ﴿إن الله سريع الحساب﴾ سريع إتيان حسابه أو سريع تمامه إذا شرع فيه يتم في أقرب ما يكون من الزمان والمعنى على التقديرين أنه يؤاخذكم سريعاً في كل ما جل ودق ودلت الآية على إباحة الصيد. قال في «الأشباه»: الصيد مباح إلا للتلهي أو حرفة كذا في «البزازية» وعلى هذا فاتخاذه حرفة كصيادي السمك حرام.

- يحكى - عن إبراهيم بن أدهم أنه قال: كان أبي من ملوك خراسان فركبت إلى الصيد فأثرت أرنباً إذ هتف بي هاتف يا إبراهيم ألهذا خلقت أم بهذا أمرت؟ ففزعت ودفعت ثم أخذت ففعلت ثانياً ثم هتف بي هاتف من قربوس السرج والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فنزلت فصادفت راعي أبي ولبست جبته وتوجهت إلى مكة، ولما نزلت هذه الآية أذن رسول الله ﷺ في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن اقتناء ما لا ينتفع بها وأمر بقتل الكلب العقور وبما يضر ويؤذي ورفع عما سواها مما لا ضرر فيه وفي الحديث «من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من أجره كل يوم قيراط» والحكمة في ذلك أنه ينبح الضيف ويروع السائل كذا في «تفسير الحدادي» وفي الحديث «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ولا كلب ولا جنب» والمراد بالملائكة ملائكة الرحمة والاستغفار أي النازلون بالبركة والرحمة والطائفون على العباد للزيارة واستماع الذكر لا الكتبة فإنهم لا يفارقون المكلفين طرفة عين والمراد بالصورة صورة ذي الروح لمشابهته بيوت الأصنام وبعض الصور يعبد فأبغض إلى الخواص ما عصى الله به. وأما الكلب فلأنه نجس فأشبه المتبرز وزاد في بعض الأحاديث ولا جنب إلا أن يتوضأ، قال في «الترغيب والترهيب»: ورخص للجنب إذا نام أو أكل أو شرب أن يتوضأ ثم قيل هذا في حق كل من أخر الغسل لغير عذر ولعذر إذا أمكنه الوضوء فلم يتوضأ أو قيل هو الذي يؤخره

تهاوناً وكسلاً ويتخذ ذلك عادة انتهى. قال في «الشرعة وشرحها» لابن السيد علي: وينام بعد الوطء نومة خفيفة فإنه أروح للنفس لكن السنة فيه أن يتوضأ أولاً وضوءه للصلاة ثم ينام وكذا إذا أراد الأكل جنباً ولو أراد العود فليتوضأ والمراد به التنظف بغسل الذكر واليدين لا الوضوء الشرعي كما ذهب إليه بعض المالكية.

والإشارة في الآية أن أرباب الطلب وأصحاب السلوك ﴿يسألونك ماذا أحل لهم﴾ أو حرم عليهم من الدنيا والآخرة كما قال ﷺ: «الدنيا حرام على أهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الدنيا وهما حرامان على أهل الله تعالى» ﴿قل أحل لكم الطيبات﴾ وهي ما لا يقطع عليكم طريق الوصول إلى الله فإن الله طيب لا يقبل إلا الطيب وكل مأكول ومشروب وملبوس ومقول ومعقول ومعمول طلبتموه بحظ من الحظوظ فقد لوثتموه للوث داعي الوجود فهو من الخبيثات لا يصلح إلا للخبيثين وما طلبتموه بالحق للقيام بأداء الحقوق مطيباً بنفحات الشهود فهو من الطيبات لا يصلح إلا للطيبين وفي قوله: ﴿إن الله سريع الحساب﴾ إشارة إلى أنه تعالى يحاسب العباد على أعمالهم قبل أن يفرغوا منها ويجازيهم في الحال بالإحسان إحسان القربة ورفعة الدرجة وجذبة العناية وبالإساءة إساءة البعد والطرد إلى السفل والخذلان، ونعم ما قيل: [هركه كند بخود كند ورهمه نيك بد كند] قال الصائب:

چراز غير شكايت كنم كه همچو حباب همیشه خانه خراب هواي خويشتنم

﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٥﴾

﴿اليوم﴾ أراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الأزمنة الماضية والآتية أو يوم النزول ﴿أحل لكم الطيبات﴾ وهي ما لم تستخبثه الطباع السليمة وهي طباع أهل المروءة والأخلاق الجميلة أو ما لم يدل نص شارع ولا قياس مجتهد على حرمته ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب﴾ أي: اليهود والنصارى والمراد بطعامهم ما يتناول ذبائحهم وغيرها ﴿حل لكم﴾ أي: حلال وعن ابن عباس أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال: لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه أخذ أبو حنيفة وأصحابه. وحكم الصابئين حكم أهل الكتاب عنده وقال صاحباه هما صنفان: صنف يقرأون الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرأون كتاباً ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب وأما المجوس فقد سن بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم لقوله عليه السلام: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم» ولو ذبح يهودي أو نصراني على اسم غير الله كالنصراني يذبح باسم المسيح فذهب أكثر أهل العلم إلى أنه يحل فإن الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون. وقال الحسن إذا ذبح اليهودي أو النصراني فذكر اسم غير الله وأنت تسمع فلا تأكله وإذا غاب عنك فكل فقد أحل الله لك ﴿وطعامكم حل لهم﴾ فلا عليكم أن تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك ﴿والمحصنات من المؤمنات﴾ رفع على أنه مبتدأ حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه أي حل لكم أيضاً والمراد بهن الحرائر والعفائف وتخصيصهن بالذكر للبعث على ما هو الأولى لا لنفي ما عداهن فإن نكاح الإماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا غير العفائف

منهن وأما الإماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند أبي حنيفة خلافاً للشافعي ﴿**والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم**﴾ أي هن أيضاً حل لكم وإن كن حربيات وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لا تحل الحربيات، قال الحدادي واستدل بعض الفقهاء بظاهر الآية على أنه لا يجوز للمسلم نكاح الأمة الكتابية والصحيح أنه يجوز بظاهر قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٥] بدليل حل ذبائحهن وإنما خص الله المحصنات بإباحة نكاحهن مع جواز نكاح غيرهن لأن الآية خرجت مخرج الامتنان والمنة في نكاح الحرائر العفائف أعظم وأتم يدل على ذلك أنه لا خلاف في جواز النكاح بين المسلم والأمة المؤمنة وإن كان في الآية تخصيص المحصنات من المؤمنات والأفضل لمن أراد النكاح أن لا يعدل عن نكاح الحرائر الكتابيات مع القدرة عليهن وذلك أن نكاح الأمة يؤدي إلى إرقاق الولد لأن الولد يتبع أمه في الرق والحرية ولا ينبغي لأحد أن يختار رق ولده كما لا ينبغي أن يختار رق نفسه ﴿**إذا آتيتموهن أجورهن**﴾ أي: مهورهن وتقييد الحل بإيتائها لتأكيد وجوبها والحث على الأولى وإذا ظرفية عاملها حل المحذوف ﴿**محصنين**﴾ حال من فاعل آتيتمونهن أي حال كونكم أعفاء بالنكاح وكذا قوله: ﴿**غير مسافحين**﴾أي غير مجاهرين بالزنى ﴿**ولا متخذي أخدان**﴾ أي ولا مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والأنثى. قال الشعبي الزنى ضربان السفاح وهو الزنى على سبيل الإعلان واتخاذ الخدن وهو الزنى في السر والله تعالى حرمهما في هذه الآية وأباح التمتع بالمرأة على جهة الإحصان ﴿**ومن يكفر بالإيمان**﴾ أي ومن ينكر شرائع الإسلام التي من جملتها ما بين هٰهنا من الأحكام المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها ﴿**فقد حبط عمله**﴾ أي بطل عمله الصالح الذي عمله قبل ذلك ﴿**وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾ هو مبتدأ من الخاسرين خبره وفي متعلقة بما تعلق به الخبر من الكون المطلق. قال الحدادي: فقد بطل ثواب عمله وهو في الآخرة من المغبونين غبن نفسه ومنزله وصار إلى النار لا يغني عن المرأة الكتابية إسلام زوجها ولا ينفعها ذلك ولا يضر المسلم كفر زوجته الكتابية، قال السعدي:

برفتند وهركس درود آنچه كشت ... نماند بجزنام نيكو وزشت

واعلم أن الكفر أقبح القبائح كما أن الإيمان أحسن المحاسن وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لما خلق الله جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون ثلاثاً» وعن كعب الأحبار أن نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه ساماً من بين أولاده وقال: أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين. فأما الأوليان فإحداهما شهادة أن لا إله إلا الله فإنها تخرق السموات السبع ولا يحجبها شيء ولو وضعت السموات والأرض وما فيهن في كفة ووضعت هي في الأخرى لرجحت. وأما الثانية: فأن تكثر من قول سبحان الله والحمد لله فإنها جامعة للثواب. وأما الأخريان فالشرك بالله والاتكال على غير الله. قال القاضي عياض انعقد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب لكن بعضهم يكون أشد من بعض بحسب جرائمهم وأما حسناتهم فمقبولة بعد إسلامهم على ما ورد في الحديث. قال في «نصاب الاحتساب» ما يكون كفراً بلا خلاف يوجب إحباط العمل ويلزمه إعادة الحج إن كان قد حج ويكون وطؤه مع امرأته حراماً والولد المتولد في هذه الحالة يكون ولد الزنى وإن كان أتى بكلمة الشهادة بعد ذلك إذا كان الإتيان على وجه العادة ولم يرجع عما قال لأن الإتيان

بكلمة الشهادة على وجه العادة لا يرفع الكفر وما كان في كونه كفراً اختلاف فإن قائله يؤمر بتجديد النكاح والتوبة والرجوع عن ذلك بطريق الاحتياط وأما ما كان خطأ من الألفاظ ولا يوجب الكفر فقائله مؤمن على حاله ولا يؤمر بتجديد النكاح ويؤمر بالاستغفار والرجوع عن ذلك انتهى كلام النصاب. والرجل والمرأة في ذلك سواء حتى لو تكلمت المرأة بما يكون كفراً تبين من زوجها، فعلى العبد الصالح أن يختار من النساء صالحة عفيفة متقية. قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندي قدس سره: لا تعطى الولاية لولد الزنى قال: واشكر الله تعالى على أن جعلني أول ولد ولدته أمي فإنه أبعد من أن يصدر ألفاظ الكفر من أحد أبوي قال وارثه الأكبر الشيخ الشهير بالهدايى قدس سره قلت والفقير كذلك.

والإشارة في الآية ﴿**أحل لكم**﴾ يا أرباب الحقيقة في اليوم الذي قدر كمالية الدين فيه لكم في الأزل جميع ﴿**الطيبات**﴾ التي تتعلق بسعادة الدارين بل أحل لكم التخلق بالأخلاق الطيبات وهي أخلاق الله المنزهات عن الكميات والكيفيات المبرءات من النقائص والشبهات ﴿**وطعام الذين أوتوا الكتاب**﴾ وفي الحقيقة هم الأنبياء عليهم السلام ﴿**حل لكم**﴾ أي: غذيتم بلبان الولاية كما غذوا بلبان النبوة من حلمتي الشريعة والحقيقة. ﴿**وطعامكم حل لهم**﴾ يعني: منبع لبن النبوة والولاية واحد وإن كان الثدي اثنين فشربتم لبان ألطافنا من مشرب الولاية وشرب الأنبياء لبان أفضالنا من مشرب النبوة قد علم كل أناس مشربهم وللنبي عليه السلام شركة في المشارب كلها وله اختصاص في مجلس المقام المحمود من المحبوب بمشرب «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» لا يشاركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ﴿**و**﴾ كذلك حل لكم ﴿**المحصنات من المؤمنات**﴾ وهي أبكار حقائق القرآن التي أحصنت من أفهام الأزواج المؤمنات بها وهي أزواج العلماء وخواص هذه الأمة ﴿**والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم**﴾ وهي أبكار حقائق الكتب المنزلة على الأمة السالفة التي أحصنت من الذين أنزل عليهم الكتب وأدرجت في القرآن وأخفيت لكم كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم﴾ [السجدة: ١٧] يعني في القرآن ﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] وهي أبكار حقائق جميع الكتب المنزلة فافهم جداً كلها لكم ﴿**وإذا آتيتموهن أجورهن**﴾ أي: مهور هذه الأبكار وهي بذل الوجود ﴿**محصنين**﴾ يعني: متعففين في بذل الوجود فيكون على وجه الحق وبتصرف المشايخ الواصلين ﴿**غير مسافحين**﴾ على وفق الطبع وخلاف الشرع وبتصرف الهوى ﴿**ولا متخذي أخدان**﴾ يعني: في بذل الوجود لا يكون ملتفتاً إلى شيء من الكونين ولا إلى أحد في الدارين سوى الله ليكون هو المشرب ومنه الشراب وهو الحريف والساقي ﴿**ومن يكفر بالإيمان**﴾ بهذه المعاملات والكمالات إذ حرم من العيان من هذه السعادات. ﴿**فقد حبط عمله**﴾ الذي عمله على العمياء والتقليد. ﴿**وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾ الذين خسروا الدنيا والعقبى والمولى كذا في «التأويلات النجمية».

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة﴾ المراد بالقيام إما القيام الذي هو من أركان الصلاة فالتقدير إذا أردتم القيام لها بطريق إطلاق اسم المسبب على السبب لأن الجزاء لا بد وأن يتأخر عن الشرط يعني صحة قيام الصلاة بالطهارة، وإما القيام الذي هو من مقدمات مباشرة الصلاة فالتقدير إذا قصدتم الصلاة إطلاقاً لاسم أحد لازميها على لازمها الآخرة فالوضوء من شرائط القيام الأول دون الثاني وهذا الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال فلا يلزم الوضوء على كل قائم إلى الصلاة سواء كان محدثاً أم لا كما يقتضيه ظاهر الآية ﴿فاغسلوا وجوهكم﴾ الغسل إجراء الماء على المحل وتسييله سواء وجد معه الدلك أم لا والوجه ما يواجهك من الإنسان وحده من قصاص الشعر إلى أسفل الذقن طولاً ومن شحمة الأذن إلى شحمة الأذن عرضاً يجب غسل جميعه في الوضوء ويجب إيصال الماء إلى ما تحت الحاجبين وأهداب العينين والشارب والعذار والعنفقة وإن كانت كثيفة وعند الأمام لا يجب غسل ما تحت الشعر ففرض اللحية عنده مسح ما يلاقي الوجه دون ما استرسل من الذقن لأنه لما سقطت فرضية غسل ما تحت اللحية انتقلت فرضيته إلى خلفه وظاهر الآية أن المضمضة والاستنشاق غير واجبين في الوضوء لأن اسم الوجه يتناول الظاهر دون الباطن فهما من السنن ﴿وأيديكم إلى المرافق﴾ الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل إلى بمعنى مع كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢] والمرافق جمع مرفق وهو مجتمع طرفي الساعد والعضد ويسمى مرفقاً لأنه الذي يرتفق به أي يتكأ عليه من اليد. ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾ الباء مزيدة كما ألقى بيده. والمسح الإصابة وقدر الواجب عند أبي حنيفة ربع الرأس لأنه عليه السلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع فإن للرأس جوانب أربعة ناصية وقذال وفودان والقذال مؤخر الرأس خلف الناصية وفوداً الرأس جانباه، في «الواقعات المحمودية» قال حضرت الشيخ الشهير بافتاده أفندي: انكشف لي وجه الاختلاف في مقدار مسح الناصية وهو أن بدن الإنسان مربع فبالقياس إليه ينبغي أن يكون الممسوح ربع الرأس وأما اعتبار قدر ثلاثة أصابع فبالنظر إلى حال نفس الرأس فإنه مسدس والسدس فيه قدر ثلاثة أصابع، قال المرحوم حضرة محمود الهدايي: قلت فحينئذٍ ينبغي أن يكون الاعتبار الأخير أولى لأنه بالنظر إلى حال نفسه بخلاف الأول لأنه بالقياس إلى البدن، فقال حضرة الشيخ أفتاده: وجه أولوية الأول أن البدن أكثر من الرأس فاتباع الأقل بالأكثر أولى انتهى. قال الحدادي: وأما مسح الأذنين فهو سنة فيمسح ظاهر أذنيه بإبهاميه وظاهرهما بمسبحتيه بماء الرأس وأما مسح الرقبة فمستحب. وفي الحديث: «من مسح رقبته في الوضوء أمن من الغل يوم القيامة» ﴿وأرجلكم إلى الكعبين﴾ بالنصب عطفاً على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول أكثر الأئمة والتحديد إذ المسح لم يعهد محدوداً وإنما جاء التحديد في المغسولات. قال في «الأشباه»: غسل الرجلين أفضل من المسح على الخفين لمن يرى جوازه وإلا فهو أفضل وكذا بحضرة من لا يراه انتهى وذهبت الروافض إلى أن الواجب في الرجلين المسح ورووا في المسح خبراً ضعيفاً شاذاً. قال صاحب «الروضة»: خف الروافض مثل في السعة لأنه لا يرى المسح على الخف ويرى المسح على الرجلين فيوسعه ليتمكن من إدخال يده فيه ليمسح برجله. وعن ابن المغيرة عن أبيه قال: كنت مع النبي ﷺ ذات ليلة في سفر فقال: «أمعك ماء» قلت: نعم فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عني في سواد الليل ثم جاء فأفرغت عليه من

الإداوة، فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من الصوف فلم يستطع أن يخرج ذراعيه منها حتى أخرجهما من أسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح برأسه ثم أهويت لأنزع خفيه فقال: «دعهما فإني أدخلتهما طاهرين فمسح عليهما» كذا في «تفسير البغوي». وأطبق العلماء على أن وجوب الوضوء مستفاد من هذه الآية ومن سنته النية فينوي رفع الحدث أو إقامة الصلاة ليقع قربة واستعمال السواك في غلظة الخنصر وطول الشبر حالة المضمضة تكميلاً للإنقاء أو قبل الوضوء وعند فقده يعالج بالأصابع وينال بالأصبع ثواب السواك. وفي «الهداية»: الأصح أن السواك مستحب. وعن مجاهد قال أبطأ جبريل عليه السلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم أتاه فقال له النبي عليه السلام: «ما حبسك يا جبريل» قال: وكيف آتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تأخذون من شواربكم ولا تنقون براجمكم ولا تستاكون ثم قرأ ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤] والبراجم: مفاصل الأصابع والعقد التي على ظاهرها يجتمع فيها من الوسخ وفي الحديث: «نقوا براجمكم» فأمر بتنقيتها لئلا تدرن فتبقى فيها الجنابة ويحول الدرن بين الماء والبشرة وفي الحديث: «نظفوا لثاتكم» جمع لثة بالتخفيف وهي اللحمة التي فوق الأسنان دون الأسنان فأمر بتنظيفها لئلا يبقى فيها وحل الطعام فتتغير عليه النكهة وتتنكر الرائحة ويتأذى الملكان لأنه طريق القرآن ومقعد الملكين وتنفر الملائكة من الرائحة الكريهة وفي الحديث «إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي قام الملك خلفه فيستمع لقراءته فيدنو منه حتى يضع فاه على فيه فما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك فطهروا أفواهكم للقرآن» وفي الحديث: «ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك» ويقول المتوضي بعد التسمية [الحمد لله الذي جعل الماء طهوراً]. وعند المضمضة [اللهم اسقني من حوض نبيك كأساً لا أظمأ بعدها أبداً اللهم أعني على ذكرك وشكرك وتلاوة كتابك]. وعند الاستنشاق [اللهم لا تحرمني من رائحة نعيمك وجنانك] أو يقول [اللهم أرحني رائحة الجنة ولا ترحني رائحة النار]. وعند غسل الوجه [اللهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه] أو يقول: [اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي بذنوبي يوم تسود وجوه أعدائك]. وعند غسل اليد اليمنى: [اللهم أعطني كتابي بيميني وحاسبني حساباً يسيراً] وعند غسل اليد اليسرى [اللهم لا تعطني كتابي بشمالي ولا من وراء ظهري]. وعند مسح الرأس: [اللهم حرم شعري وبشري على النار وأظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك اللهم غشني برحمتك وأنزل عليَّ من بركاتك]. وعند مسح الأذنين [اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه]. وعند مسح رقبته: [اللهم أعتق رقبتي من النار]. وعند غسل الرجل اليمنى: [اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل فيه الأقدام]. وعند غسل الرجل اليسرى [اللهم اجعل لي سعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً وعملاً مقبولاً وتجارة لن تبور] ويقول بعد الفراغ: [أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين الذين أنعمت عليهم واجعلني من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون]. والحكمة في تخصيص الأعضاء الأربعة في الوضوء: أن آدم عليه السلام لما توجه إلى الشجرة بالوجه وتناولها باليد ومشى إليها بالرجل ووضع يده على رأسه أمره بغسل هذه الأعضاء تكفيراً للخطايا وقد جاء في الحديث: «إن العبد إذا غسل وجهه خرجت خطاياه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه» وكذلك في بقية الأعضاء.

وقيل: خص بغسل هذه الأعضاء الأمة المحمدية ليكونوا غراً محجلين بين الأمم كما روي أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا إخواننا» قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله قال: «أنتم أصحابي وإخواننا الذين يأتون بعد» قالوا: كيف تعرف من يأتون بعد من أمتك يا رسول الله فقال: «أرأيتم لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين أظهر خيل دهم بهم ألا يعرف خيله» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «فإنهم يأتون يوم القيامة غراً محجلين من الوضوء وانا فرطهم على الحوض».

واعلم أن النبي ﷺ صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيئاً لم تكن تصنعه فقال عليه السلام: «عمداً فعلته يا عمر» يعني بياناً للجواز غير أنه يستحب تجديد الوضوء لكل فرض وفي الحديث «من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات» وللتجديد أثر ظاهر في تنوير الباطن. وكان بعض أهل الله يتوضأ عند الغيبة والكذب والغضب لظهور غلبة النفس وتصرف الشيطان فالوضوء هو النور الذي به تضمحل ظلمات النفس والشيطان. وكان على وجه بعضهم قرح لم يندمل اثنتي عشرة سنة لضرر الماء له. وكان مع ذلك لم يدع تجديد الوضوء عند كل فريضة. ونزل في عين بعضهم ماء أسود فقال الكحال: لا بد من ترك الوضوء أياماً وإلا فلا يعالج فاختار ذهاب بصره على ترك الوضوء. ودواء الطهارة مستجلب لمزيد الرزق كما قال عليه السلام: «دم على الطهارة يوسع عليك الرزق» والسنة أن يصلي بعد الوضوء ركعتين تسمى شكر الوضوء.

ـ روي ـ أن رسول الله ﷺ قال لبلال: «يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دق نعليك بين يدي في الجنة» قال: ما عملت عملاً أرجى عندي من أني لم أتطهر طهوراً في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي قال في «الأسرار المحمدية»: لابن فخر الدين الرومي: ويصلي شكر الوضوء وإن في الأوقات المكروهة لا الأوقات المحرمة كما قبل صلاة الفجر وبعدها وبعد صلاة العصر أيضاً لأنها من الصلوات ذوات الأسباب. وأما الأوقات المحرمة كطلوع الشمس وزوالها وغروبها فلا تجوز فيه أصلاً فيصبر إلى وقت إباحة الصلاة فيصليها حينئذٍ إلا إذا كان بمكة. عن جبير أن النبي عليه السلام قال: «يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار» وعن جندب أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس ولا بعد العصر حتى تغرب الشمس إلا بمكة إلا بمكة إلا بمكة» انتهى كلام الأسرار.

والإشارة في الآية أن الخطاب في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ هو خطاب مع الذين آمنوا إيماناً حقيقياً عند خطاب ألست بربكم بقولهم بلى. وهم أهل الصف الأول يوم الميثاق آمنوا بعدما عاينوا. وأهل الصف الثاني آمنوا إذ شاهدوا. وأهل الصف الثالث آمنوا إذ سمعوا الخطاب. وأهل الصف الرابع آمنوا تقليداً لا تحقيقاً لأنهم ما عاينوا ولا شاهدوا ولا سمعوا خطاب الحق بسمع الفهم والدراية بل سمعوا سماع القهر والنكاية فتحيروا حتى سمعوا جواب أهل الصفوف الثلاثة إذ قالوا بلى فقالوا بتقليدهم بلى فلا جرم هٰهنا ما آمنوا وهم الكفار وإن آمنوا ما آمنوا على التحقيق بل بالتقليد أو بالنفاق وهم المنافقون. وأهل الصف الثالث هم المسلمون وعوام المؤمنين فكما آمنوا هناك بسماع الخطاب فكذلك هٰهنا آمنوا بسماع كقوله تعالى: ﴿إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣]. وأما أهل

الصف الثاني وهم خواص المؤمنين وعوام الأولياء فكما أنهم آمنوا هناك إذ شاهدوا فكذلك هٰهنا آمنوا بشواهد المعرفة كما قال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ [المائدة: ٨٣] ومن هٰهنا قال بعضهم ما نظرت في شيء إلا ورأيت الله فيه. وأما أهل الصف الأول وهم الأنبياء وخواص الأولياء فكما آمنوا هناك إذ عاينوا فكذلك هٰهنا آمنوا إذ عاينوا كقوله تعالى ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وذلك في ليلة المعراج إذ أوحى إلى عبده ما أوحى قال: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه وكان إيمان موسى عليه السلام نوعاً من هذا فلما أفاق قال: ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وقال علي رضي الله عنه: لم أعبد رباً لم أره. وقال بعضهم: رأى قلبي ربي وقال آخر: ما نظرت في شيء إلا ورأيت الله فيه فخاطب أهل الصف الأول بقوله يا أيها الذين آمنوا تحقيقاً ثم أهبطوا عن ممالك القرب إلى مهالك البعد ومن رياض الأنس إلى سباخ الأنس ﴿إذا قمتم﴾ من نوم الغفلة انتبهتم من رقدة الفرقة ﴿إلى الصلاة﴾ هي معراجكم للرجوع إلى مقام قربكم كما قال: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩] ﴿فاغسلوا وجوهكم﴾ التي توجهتم بها إلى الدنيا ولطختموها بالنظر إلى الأغيار بماء التوبة والاستغفار ﴿وأيديكم إلى المرافق﴾ أي: واغسلوا أيديكم عن التمسك بالدارين والتعلق بما في الكونين حتى الصديق الموافق والرفيق المرافق. ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾ ببذل نفوسكم ﴿وأرجلكم إلى الكعبين﴾ أي: واغسلوا أرجلكم عن طين طينتكم والقيام بأنانيتكم كذا في «التأويلات النجمية»، قال الحافظ قدس سره:

من هما ندم كه وضو ساختم از چشمه عشق چار تكبير زدم يكسره پرهرچه كه هست

﴿وإن كنتم جنباً فاطهروا﴾ أي: فتطهروا أدغمت تاء التفعل في الطاء لقرب مخرجهما واجتلبت همزة الوصل ليمكن الابتداء فقيل: اطهروا وهذا التطهر عبارة عن الاغتسال والإطهار هو التطهر بالتكلف والمبالغة فلا يكون إلا بغسل جميع ظاهر البدن حتى لو بقي العجين بين أظفاره ويبس لم يجز غسله لأن الماء لا يصل تحته ولو بقي الدرن جاز إلا أن ما تعذر إيصال الماء إليه كداخل العين ساقط بخلاف باطن الأنف والفم حيث يمكن غسلهما ولا ضرر فيه فيجب. والدلك ليس بفرض لأنه متمم فيكون مستحباً وليس البدن كالثوب لأن النجاسة تخللت فيه دون البدن. ففرض الغسل غسل الفم والأنف وسائر البدن، وسنته: غسل يديه لكونهما آلة التطهر. وفرجه لأنه مظنة النجاسة ونجاسة حقيقية إن كانت على سائر بدنه لئلا تتلاشى عند إصابة الماء. والوضوء وضوءه للصلاة إلا أنه يؤخر غسل رجليه إلى ما بعد صب الماء على جميع بدنه إن كانتا في مستنقع الماء تحرزاً على الماء المستعمل وتثليث الغسل المستوعب هكذا حكي غسل رسول الله. ويبتدىء بمنكبه الأيمن ثم الأيسر ثم الرأس في الأصح. وليس على المرأة نقض ضفيرتها ولا بلها إن بل أصلها لأن كون الشعر من البدن باعتبار أصوله فيكتفي ببل أصوله فيما فيه حرج وفيما لا حرج فيه يجب إيصال الماء إلى جميعه كالضفيرة المفتولة وحكم المنقوضة ليس كذلك بل يجب إيصال الماء إلى جميعها لعدم الحرج فيها. والرجل يجب عليه إيصال الماء إلى جميع شعره والفرق أن حلق الشعر للمرأة مثلة دون الرجل والحرج مندفع عنه بغير الضفيرة وأدنى ما يكفي من الماء في الغسل صاع وفي الوضوء مد والصاع ثمانية أرطال والمد رطلان لما روي أن النبي عليه السلام كان يغتسل بالصاع

ويتوضأ بالمد، ثم اختلفوا هل المد من الصاع أو من غيره؟ فهذا ليس بتقدير لازم حتى لو أسبغ الوضوء والغسل بدون ذلك جاز ولو اغتسل بأكثر منه جاز ما لم يسرف فهو المكروه كذا في «الاختيار شرح المختار». والجنب الصحيح في المصر: إذا خاف الهلاك من الاغتسال جاز له التيمم في قولهم. وأما المحدث في المصر إذا خاف الهلاك من التوضيء اختلفوا فيه على قول أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ والصحيح أنه لا يباح له التيمم كذا في فتاوى «قاضي خان». والمرأة إذا وجب عليها الغسل ولم تجد سترة من الرجال تؤخره والرجل إذا لم يجد سترة من الرجال لا يؤخره ويغتسل. وفي الاستنجاء: إذا لم يجد سترة يتركه والفرق أن النجاسة الحكمية أقوى والمرأة بين النساء كالرجل بين الرجال كذا في «الأشباه» وفي الحديث: «ثلاثة لا تقربهم الملائكة جيفة الكافر والمتضمخ بالخلوف والجنب إلا أن يتوضأ» وفي الحديث: «لا ينقع بول في طست في البيت فإن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه بول منتقع ولا تبولنّ في مغتسلك».

وفي الاغتسال منافع بدنية وفوائد دينية: منها مخالفة الكفار فإنهم لا يغتسلون وإزالة الدنس والأبخرة الرديئة النفسانية التي تورث بعض الأمراض وتسكين حرارة الشهوات الطبيعية، قال الشيخ النيسابوري في كتاب «اللطائف»: فوائد الطهارة عشر: طهارة الفؤاد وهو صرفه عما سوى الله تعالى، وطهارة السر المشاهدة، وطهارة الصدر الرجاء والقناعة، وطهارة الروح الحياء والهيبة، وطهارة البطن أكل الحلال والعفة عن أكل الحرام والشبهات، وطهارة البدن ترك الشهوات وإزالة الأدناس، وطهارة اليدين الورع والاجتهاد، وطهارة اللسان الذكر والاستغفار. قال الثعلبي في تفسير هذه الآية: قال علي رضي الله عنه أقبل عشرة من أحبار اليهود فقالوا: يا محمد لماذا أمر الله بالغسل من الجنابة ولم يأمر من البول والغائط وهما أقذر من النطفة فقال ﷺ: «إن آدم لما أكل من الشجرة تحول في عروقه وشعره فإذا جامع الإنسان نزل من أصل كل شعرة فافترضه الله عليّ وعلى أمتي تطهيراً وتكفيراً وشكراً لما أنعم الله عليهم من اللذة التي يصيبونها».

قال في «بدائع الصنائع في أحكام الشرائع» إنما وجب غسل جميع البدن بخروج المني ولم يجب بخروج البول والغائط وإنما وجب غسل الأعضاء المخصصة لا غير لوجوه: أحدها أن قضاء الشهوة بإنزال المني استمتاع بنعمة يظهر أثرها في جميع البدن وهي اللذة فأمر بغسل جميع البدن شكراً لهذه النعمة وهذا لا يتقدر في البول والغائط، والثاني: أن الجنابة تأخذ جميع البدن ظاهره وباطنه لأن الوطء الذي هو سببها لا يكون إلا باستعمال جميع ما في البدن من القوة حتى يضعف الإنسان بالإكثار منه ويقوى بالامتناع عنه وإذن أخذت الجنابة جميع البدن الظاهر والباطن بقدر الإمكان ولا كذلك الحدث فإنه لا يأخذ إلا الظاهر من الأطراف لأن سببه يكون بظواهر الأطراف من الأكل والشرب ولا يكون باستعمال جميع البدن فأوجب غسل ظاهر الأطراف لا سائر البدن. والثالث: أن غسل الكل أو البعض وجب وسيلة إلى الصلاة التي هي خدمة الرب سبحانه والقيام بين يديه وتعظيمه فيجب أن يكون المصلى على أطهر الأحوال وأنظفها ليكون أقرب إلى التعظيم وأكمل في الخدمة وكمال تعظيم النظافة يحصل بغسل جميع البدن وهذا هو العزيمة في الحدث أيضاً إلا أن ذلك مما يكثر وجوده فاكتفى منه بأكثر النظافة وهي تنقية الأطراف التي تنكشف كثيراً ويقع عليها الأبصار أبداً وأقيم ذلك مقام غسل كل البدن دفعاً للحرج وتيسيراً وفضلاً من الله ورحمة ولا حرج في الجنابة لأنها لا تكثر

فبقي الأمر فيها على العزيمة انتهى كلام البدائع هذا غسل الحي، وأما غسل الميت فشريعة ماضية لما روي أن آدم عليه السلام لما قبض نزل جبريل بالملائكة وغسلوه وقالوا لأولاده هذه سنة موتاكم وفي الحديث «للمسلم على المسلم ستة حقوق ومن جملتها أن يغسله بعد موته» ثم هو واجب عملاً بكلمة على ولكن إذا قام به البعض سقط عن الباقين لحصول المقصود وأريد بالسنة في حديث آدم الطريقة ولو تعين واحد لغسله لا يحل له أخذ الأجرة عليه وإنما وجب غسل الميت لأنه تنجس بالموت كسائر الحيوانات الدموية إلا أنه يطهر بالغسل كرامة له ولو وجد ميت في الماء فلا بد من غسله لأن الخطاب بالغسل توجه لبني آدم ولم يوجد منهم فعل. وقيل: إن الميت إذا فارقته الروح وارتاح من شدة النزع أنزل فوجب على الأحياء غسله كذا في حل «الرموز وكشف الكنوز» والفرق بين غسل الميت والحي أنه يستحب البداءة بغسل وجه الميت بخلاف الحي فإنه يبدأ بغسل يديه ولا يمضمض ولا يستنشق بخلاف الحي ولا يؤخر غسل رجليه بخلاف الحي إن كان في مستنقع الماء ولا يمسح رأسه في وضوء الغسل بخلاف الحي في رواية كذا في «الأشباه».

والإشارة في الآية ﴿**وإن كنتم جنباً**﴾ بالالتفات إلى غيرنا ﴿**فاطهروا**﴾ بالنفوس عن المعاصي وبالقلوب عن رؤية الطاعات وبالأسرار عن رؤية الأغيار وبالأرواح عن الاسترواح من غيرنا وبسر السر عن لوث الوجود فلا بد من الطهارة مطلقاً، قال الحافظ:

چون طهارت نبود كعبه وبتخانه يكيست نبود خير دران خانه كه عصمت نبود

وفي وجوب الغسل إشارة وتنبيه إلى وجوب الغسل الحقيقي لوجود القلب والروح ولتلوثه بحب الدنيا وشهواتها فيجب غسلها بماء التوبة والندامة والإخلاص فهو أوجب الواجبات وآكدها واستقصاء أهل الله في تطهير الباطن أكثر وأشد من استقصائهم في طهارة الظاهر وقد يكون في بعض متصوفة الزمان تشدد في الطهارة فلو اتسخ ثوبه يغسله ولا يبالي بما في باطنه من الغل وسائر الصفات الذميمة، قال السعدي قدس سره:

كراجامه پا كست وسيرت پليد دردوز خش را نبايد كليد

والقرآن لا يمسه إلا المطهرون ﴿**وإن كنتم مرضى**﴾ مرضاً يخاف منه الهلاك أو ازدياده باستعمال الماء ﴿**أو**﴾ كنتم مستقرين ﴿**على سفر**﴾ طال أو قصر ﴿**أو جاء أحد منكم من الغائط**﴾ هو المكان الغائر المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث لأن المعتاد أن من يريده يذهب إليه ليواري شخصه عن أعين الناس ﴿**أو لامستم النساء**﴾ ملامسة النساء مماسة بشرة الرجل بشرة المرأة وهي كناية عن الجماع ومثل هذه الكناية من الآداب القرآنية إذ التصريح مستهجن ﴿**فلم تجدوا ماء**﴾ المراد من عدم وجدان الماء عدم التمكن من استعماله لأن ما لا يتمكن من استعماله كالمفقود ﴿**فتيمموا صعيدا طيبا**﴾ أي: فتعمدوا شيئاً من وجه الأرض طاهراً فالصعيد هو وجه الأرض تراباً أو غيره سمي صعيداً لكونه صاعداً طاهراً والطيب بمعنى الطاهر سواء كان منبتاً أم لا حتى لو فرضنا صخراً لا تراب عليه فضرب المتيمم يده عليه ومسح كان ذلك كافياً عند أبي حنيفة رحمه الله ﴿**فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه**﴾ أي: من ذلك الصعيد، أي إلى المرفقين لما روي أنه ﷺ «تيمم ومسح يديه إلى مرفقيه» ولأنه بدل من الوضوء فيقدر بقدره والباء مزيدة ومن لابتداء الغاية والمعنى فانقلوا بعد وضعهما على الصعيد إلى الوجوه والأيدي من غير أن يتخللها ما يوجب الفصل ﴿**ما يريد الله**﴾ بالأمر بالطهارة

للصلاة أو الأمر بالتيمم ﴿ليجعل عليكم من حرج﴾ أي تضييقاً عليكم في الدين ﴿ولكن يريد ليطهركم﴾ أي لينظفكم أو ليطهركم من الذنوب فإن الوضوء مكفر لها كما روي أن رسول الله ﷺ قال: «أيما رجل قام إلى وضوئه يريد الصلاة ثم غسل كفيه نزلت خطيئة كفيه مع أول قطرة فإذا تمضمض نزلت خطيئة لسانه وشفتيه مع أول قطرة وإذا غسل وجهه ويديه إلى المرفقين ورجليه إلى الكعبين سلم من كل ذنب هو عليه وكان كيوم ولدته أمه» أو ليطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهير بالماء ﴿وليتم﴾ بشرعه ما هو مطهرة لأبدانكم ومكفرة لذنوبكم ﴿نعمته عليكم﴾ في الدين أو ليتم برخصته إنعامه عليكم بعزائمه والرخصة ما شرع بناء على الأعذار والعزيمة ما شرع أصالة ﴿لعلكم تشكرون﴾ نعمته.

واعلم أن المقصود من طهارة الثوب وهو القشر الخارج البعيد ومن طهارة البدن وهو القشر القريب طهارة القلب وهو لب الباطن وطهارة القلب من نجاسات الأخلاق أهم الطهارات ولكن لا يبعد أن يكون لطهارة الظاهر أيضاً تأثير في إشراق نورها على القلب فإذا أسبغت الوضوء واستشعرت نظافة ظاهرك صادفت في قلبك انشراحاً وصفاء كنت لا تصادفه قبله وذلك لسر العلاقة التي بين عالم الملك وعالم الملكوت فإن ظاهر البدن من عالم الشهادة والقلب من عالم الملكوت وكما ينحدر من معارف القلب آثار إلى الجوارح فكذلك قد يرتفع من أحوال الجوارح التي هي من عالم الشهادة آثار إلى القلب ولذلك أمر الله بالصلاة مع أنها حركات الجوارح التي من عالم الشهادة ولذلك جعلها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الدنيا ومن الدنيا فقال: «حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة» ولا يستبعد أن يفيض من الطهارة الظاهرة أثر على الباطن وإن أردت لذلك دليلاً من الشرع فتفكر في قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «خمس بخمس إذا أكل الربا كان الخسف والزلزلة وإذا جار الحكام قحط المطر وإذا ظهر الزنى كثر الموت وإذا منعت الزكاة هلكت الماشية وإذا تعدى على أهل الذمة كانت الدولة لهم» وإن كنت تطلب لهذا مثلاً من المحسوسات أيضاً فانظر إلى ما يفيض الله من النور بواسطة المرآة المحاذية للشمس على بعض الأجسام المحاذية للمرآة وبالجملة أن الله تعالى جعل الوضوء والتيمم من أسباب الطهارة فلا بد من الاجتهاد في تحصيل الطهارة مطلقاً وإن كان التوفيق من الله تعالى، كما قال الحافظ:

فيض أزل بزورزر ار آمدى بدست — آب خضر نصيبه اسكندر آمدى

والإشارة في الآية: ﴿وإن كنتم مرضى﴾ بمرض حب الدنيا ﴿أو على سفر﴾ في متابعة الهوى ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ في قضاء حاجة شهوة من الشهوات ﴿أو لامستم النساء﴾ وهي الدنيا في تحصيل لذة من اللذات ﴿فلم تجدوا ماء﴾ التوبة والاستغفار ﴿فتيمموا صعيدا طيبا﴾ فتمعكوا في تراب أقدام الكرام فإنه طهور للذنوب العظام ﴿وامسحوا بوجوهكم﴾ من تراب أقدامهم وشمروا لخدمتهم ﴿وأيديكم منه﴾ لأن فيه شفاء لقساوة القلوب ودواء لمرض الذنوب ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ بهذه الذلة والصغار ﴿ولكن يريد ليطهركم﴾ من الذنوب الكبار وأكبر الكبائر الشرك بالله وأعظم الشركاء الوجود مع وجود المعبود وهذا ذنب لا يغفر إلا بالتمرغ في هذا التراب ولوث لم يطهر إلا بالالتجاء إلى هذه الأبواب ﴿وليتم نعمته عليكم﴾ بعد ذوبان نحاس أنانيتكم بنار تصرفات هممهم العالية بطرح إكسير أنوار الهوية ﴿لعلكم تشكرون﴾ إذ تهتدون بأنوار الهوية إلى رؤية أنوار النعمة كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

﴿**واذكروا نعمة الله عليكم**﴾ بالإسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره. فإن قيل: ذكر نعمة الإسلام مشعر بسبق النسيان وكيف يعقل من المسلم أن ينساها مع اشتغاله بإقامة وظائف الإسلام على التوالي والدوام؟! قلنا: المواظبة على وظائف الشيء تنزل منزلة الأمر الطبيعي المعتاد فينسى كونها نعمة إلهية فتكون إقامة وظائفه اتباعاً لمقتضى الطبيعة فلا تكون عبادة وإنما تكون شكراً لو وقع اتباعاً للأمر. ﴿**وميثاقه الذي واثقكم به**﴾ أي: عهده المؤكد الذي أخذه عليكم وقوله تعالى: ﴿**إذ قلتم سمعنا وأطعنا**﴾ ظرف لواثقكم به وفائدة التقييد به تأكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره. ﴿**واتقوا الله**﴾ في نسيان نعمه ونقض ميثاقه ﴿**إن الله عليم بذات الصدور**﴾ أي: بخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لإطلاق الصاحب عليها فيجازيكم عليها فما ظنكم بجليات الأعمال.

واعلم أن أول النعم التي أنعم الله بها على المؤمنين إخراجهم من ظلمة العدم إلى نور الوجود قبل كل موجود وخلقهم في أحسن تقويم لقبول الدين القويم وهدايتهم إلى الصراط المستقيم واستماع الست بربكم وجواب بلى وتوفيقهم للسمع والطاعة ولو لم تكن نعمة التوفيق لقالوا سمعنا وعصينا كما قال أهل الخذلان والعصيان، وعن عبد الرحمٰن بن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقالوا: ألا تبايعون رسول الله وكنا حديثي عهد ببيعته فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله قال: «ألا تبايعون رسول الله» فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك؟ قال: «أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وتصلوا الصلوات الخمس وتطيعوا أوامره جلية وخفية ولا تسألوا الناس» فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه حتى يكون هو ينزل فيأخذه. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: بايعني رسول الله ﷺ خمساً وأوثقني سبعاً وأشهد الله على سبعاً أن لا أخاف في الله لومة لائم. وعنه قال لي رسول الله ﷺ: «أوصيك بتقوى الله بسر أمرك وعلانيتك وإذا أسأت فأحسن ولا تسألن أحداً شيئاً وإن سقط سوطك ولا تقبض أمانة»، قال الحافظ الشيرازي:

وفا وعهد نك باشد اربياموزى وكرنه هركه توبينى ستمكرى داند

اللهم اجعلنا من الموفين بعهودهم آمين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾

﴿**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله**﴾ مقيمين لأوامره ومتمسكين بها معظمين لها مراعين لحقوقها ﴿**شهداء بالقسط**﴾ أي: بالعدل خبر بعد خبر ﴿**ولا يجرمنكم**﴾ أي ولا يحملنكم ﴿**شنآن قوم**﴾ أي: شدة بغضكم للمشركين ﴿**على أن لا تعدلوا**﴾ أي على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفياً مما

في قلوبكم ﴿اعدلوا هو﴾أي العدل ﴿أقرب للتقوى﴾التي أمرتم بها وإذا كان وجوب العدل في حق الكفار بهذه المثابة فما ظنك بوجوبه في حق المسلمين ﴿واتقوا الله﴾فإنه ملاك الأمر وزاد سفر الآخرة ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾من الأعمال فيجازيكم بذلك وحيث كان مضمون هذه الجملة التعليلية منبئاً عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يخاف على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقيل: ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾التي من جملتها العدل والتقوى والمفعول الثاني لوعد محذوف وهو الجنة كما صرح به في غير هذا الموضع ﴿لهم مغفرة﴾لذنوبهم ﴿وأجر عظيم﴾أي: ثواب عظيم في الجنة وهذه الجملة مفسرة لذلك المحذوف تفسير السبب للمسبب فإن الجنة مسببة عن المغفرة وحصول الأجر فلا محل لها من الإعراب.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾التي من جملتها ما تليت من النصوص الناطقة بالأمر بالعدل والتقوى ﴿أولئك﴾الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب الآيات ﴿أصحاب الجحيم﴾ ملابسوها ملابسة مؤبدة وفيه مزيد وعد للمؤمنين لأن الوعيد اللاحق بأعدائهم مما يشفي صدورهم ويذهب ما كانوا يجدونه من أذاهم فإن الإنسان يفرح بأن يهدد أعداؤه.

واعلم أن الله تعالى صرح للمؤمنين الأمر بالعدل وبين أنه بمكان من التقوى بعدما نهاهم عن الجور وبين أنه مقتضى الهوى لكون الحامل عليه البغض والشنآن فعلى المؤمن العدل في حق الأولياء والأعداء خصوصاً في حق نفسك وأهلك وأولادك لما ورد «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» ووجد في سرير أنوشروان مكتوباً ـ الملك لا يكون إلا بالإمارة والإمارة لا تكون إلا بالرجال ولا تكون الرجال إلا بالأموال ولا تكون الأموال إلا بالعمارة ولا تكون العمارة إلا بالعدل بين الرعايا والسلطان شريك رعاياه في كل خير عملوه ـ، قال الحافظ:

شاه را به بود از طاعت صد ساله وزهد قدريك ساعت عمرى كه درو داد كند

وفي ترجمة «وصايا الفتوحات»: لمحمد بن واسع [از اكابردين است روزى بر بلال بن برده كه والى وقت بود در آمد واودر عيش بود وپيش اوبرف نهاده وبتنعم تمام تشسته محمد بن واسع راكفت يا أبا عبد الله أين خانه مارا چون بينى كفت اين خانه خوش است وليكن بهشت ازين خوشتراست وذكر آتش دوزخ از امثال اين غافل كرداند پرسيده كه ميكويى درباب قدر كفت در همراز كان توكه درين مقابر مدفونند فكرى بكن تا از قدر پرسيدن مشغول شوى كفت براي من دعاكن كفت دعاى من چه ميكنى وبر دركاه توچندين مظلومند همه برتو دعا ميكنند ودعاى ايشان بيشتر بالاميرود ظلم مكن وبدعاء من حاجت نيست] ومن كلمات بهلول لهارون حين قال له من أنا قال أنت الذي لو ظلم أحد في المشرق وأنت في المغرب سألك الله عن ذلك يوم القيامة فبكى هارون. وفي «عين المعاني» العالم لا يدخل على الظَلَمة تحامياً عن الدعاء لهم بالبقاء فورد من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه فلا بد من النصيحة وترك المداهنة وفي الحديث «ما ترك الحق لعمر من صديق». . وقال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر:

لما ادمت النصح والتحقيقا لم يتركا لي في الوجود صديقا

قال السعدي قدس سره:

بكوى آنچه دانى سخن سودمند وكر هيچ كس رانيا يد پسند

وبالجملة أن العدل من أحسن الأخلاق.

ـ وحكي ـ أن أنوشروان لما مات كان يطاف بتابوته في جميع مملكته وينادي منادي من له علينا حق فليأت فلم يوجد أحد في ولايته له عليه حق من درهم ولذا اشتهر بالعدل اشتهار حاتم بالجود حتى صار العادل لقباً له فلفظ العادل إنما يطلق عليه لعدم جوره وظهور عدله لمجرد المدح والثناء عليه. وأما سلاطين الزمان فلظهور جورهم وعدم اتصافهم بالعدل منعوا عن إطلاق العادل عليهم إذ إطلاقه عليهم حينئذٍ إنما يكون لمجرد المدح لهم والثناء عليهم فيكون كذباً وكفراً فجواز إطلاق العادل على الكافر المنصف وعدم جواز إطلاقه على المسلمين الجائرين ليس بالنظر إلى متانة العدل بل ذاك ليس إلا أن العدل والجور متناقضان فلا يجتمعان. قال في «زهرة الرياض»: إذا كان يوم القيامة ينصب لواء الصدق لأبي بكر رضي الله عنه وكل صديق يكون تحت لوائه. ولواء العدل لعمر رضي الله عنه وكل عادل يكون تحت لوائه ولواء السخاوة لعثمان رضي الله عنه وكل سخي يكون تحت لوائه ولواء الشهداء لعلي رضي الله عنه وكل شهيد يكون تحت لوائه وكل فقيه تحت لواء معاذ بن جبل. وكل زاهد تحت لواء أبي ذر. وكل فقير تحت لواء أبي الدرداء. وكل مقرىء تحت لواء أبي بن كعب. وكل مؤذن تحت لواء بلال. وكل مقتول ظلماً تحت لواء الحسين بن علي فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] الآية. والعدل في الحقيقة هو الوسط المحمود في كل فعل وقول وخلق وهو المأمور به في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢] ولقد صار من نال إليه كالكبريت الأحمر والمسك الاذفر ومن الله الهداية والتوفيق آمين.

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم﴾ متعلق بنعمة الله **﴿إذ همّ قوم﴾** ظرف لنفس النعمة، أي: اذكروا إنعامه عليكم في وقت هممهم وقصدهم **﴿أن يبسطوا إليكم أيديهم﴾** أي: بأن يبطشوا بكم بالقتل والإهلاك يقال بسط إليه يده إذا بطش به وبسط إليه لسانه إذا شتمه **﴿فكف أيديهم عنكم﴾** عطف على هم وهو النعمة التي أريد تذكيرها وذكر الهم إيذان بوقوعها عند مزيد الحاجة إليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها أي منع أيديهم أن يمدوا إليكم عقيب هممهم بذلك لا أنه كفها عنكم بعدما مدوها إليكم، وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث إنها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذي قلما يعرى عنه الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك ما روي أن المشركين رأوا رسول الله ﷺ وأصحابه بعسفان في غزوة ذي أنمار وغزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغازيه عليه السلام قاموا إلى الظهر معاً فلما صلوا ندم المشركون على أن لا كانوا قد أكبوا عليهم فقالوا إن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم يعنون صلاة العصر وهموا أن يوقعوا بهم إذا قاموا إليها فردهم الله تعالى بكيدهم بأن أنزل صلاة الخوف، وقيل: هو ما روي أن رسول الله ﷺ أتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا: نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سألت فأجلسوه في صفة وهموا بقتله وعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك

الله تعالى يده ونزل جبريل فأخبر فخرج النبي عليه السلام، وقيل هو ما روي أنه ﷺ نزل منزلاً وتفرق أصحابه في الفضي يستظلون بها فعلق رسول الله ﷺ سيفه بشجرة فجاء أعرابي فأخذه وسله فقال: من يمنعك مني فقال عليه السلام: «الله» فأسقطه جبريل عليه السلام من يده فأخذه الرسول عليه السلام فقال: «من يمنعك مني» فقال: لا أحد أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﴿واتقوا الله﴾ عطف على اذكروا، أي اتقوه في رعاية حقوق نعمته فلا تخلوا بشكرها ﴿وعلى الله﴾ أي عليه تعالى خاصة دون غيره استقلالاً واشتراكاً ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ فإنه يكفيهم في إيصال كل خير ودفع كل شر.

واعلم أن التوكل عبارة عن الاعتصام بالله تعالى في جميع الأمور ومحله القلب والحركة بالظاهر لا تنافي توكل القلب بعدما تحقق للعبد أن التقدير من قبل الله فإن تعسر شيء فبتقديره. وأعلى مراتب التوكل أن يكون بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل تحركه القدرة الأزلية وهو الذي قوي يقينه ألا ترى إلى إبراهيم عليه السلام لما هم نمرود وقومه أن يبسطوا إليه أيديهم فرموه في النار جاءه جبريل وهو في الهواء فقال: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا وفاه بقوله حسبي الله ونعم الوكيل وانظر إلى حقيقة توكل النبي عليه السلام حيث كف الله عنه وعن أصحابه أيدي المشركين رأساً فلم يقدروا أن يتعرضوا له بل ابتلوا في أغلب الأحوال بما لا يخطر ببالهم من البلايا جزاء لهم على هممهم بالسوء، وفي «المثنوي»:

قصه عاد وثمود از بهر چيست تابدانى كه انبيارا ناز كيست

فالتوكل من معالي درجات المقربين فعلى المؤمن أن يتحلى بالصفات الحميدة ويسير في طريق الحق بسيرة حسنة، ودخل حكيم على رجل فرأى داراً متجددة وفرشاً مبسوطة ورأى صاحبها خالياً من الفضائل فتنحنح فبزق على وجهه فقال: ما هذا السفه أيها الحكيم فقال: بل هو عين الحكمة لأن البصاق لزق إلى أخس ما كان في الدار ولم أرَ في دارك أخس منك لخلوك عن الفضائل الباطنة فنبه بذلك على دناءته وقبحه لكونه مسترسلاً في لذاته مستغرقاً أوقاته لعمارة ظاهره، قال الحافظ رحمه الله:

قلندران حقيقت بنيم جو نخرند قباى اطلس آنكس كه از هنر عاريست

ثم اعلم أنّ كل شيء بقضاء الله تعالى وأن الله يختبر عباده بما أراد فعليهم أن يعتمدوا عليه في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعن أبي عثمان قال: كان عيسى عليه السلام يصلي على رأس جبل فأتاه إبليس فقال: أنت الذي تزعم أن كل شيء بقضاء؟ قال: نعم قال: الق نفسك من الجبل وقل قدر عليّ قال: يا لعين الله يختبر العباد وليس العباد يختبرون الله وما على العبد إلا التوكل والشكر على الإنعام. ومن جملة إنعام الله تعالى الإخراج من ظلمة العدم إلى نور الوجود بأمركن والله يعلم أن رجوع العباد إلى العدم ليس بهم ولا إليهم كما لم يكن خروجهم بهم فإن خروجهم كان بجذبة أمر كن فكذلك رجوعهم لا يكون إلا بجذبة أمر ارجعي فعليهم أن يكونوا واثقين بكرم الله وفضله مسارعين في طلب مرضاة الله جاهدين على وفق الأوامر والنواهي في الله ليهديهم إلى جذبات عنايته ولطفه.

﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ

قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾

﴿**ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل**﴾ أي بالله قد أخذ الله عهد طائفة اليهود والالتفات في قوله تعالى: ﴿**وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا**﴾ للجري على سنن الكبرياء أو لأن البعث كان بواسطة موسى عليه السلام كما سيأتي أي شاهداً من كل سبط ينقب عن أحوال قومه ويفتش عنها أو كفيلاً يكفل عليهم بالوفاء بما أمروا به، وقد روي أن النبي عليه السلام جعل للأنصار ليلة العقبة اثني عشر نقيباً وفائدة النقيب: أن القوم إذا علموا أن عليهم نقيباً كانوا أقرب إلى الاستقامة. والنقيب والعريف نظيران وقيل: النقيب فوق العريف، قال في «شرح الشرعة» العريف فعيل بمعنى مفعول وهو سيد القوم والقيم بأمور الجماعة من القبيلة والمحلة يلي أمورهم ويتعرف الأمير منه أحوالهم وهو دون الرئيس والعرافة كالسيادة لفظاً ومعنى وفي الحديث «العرافة حق ولا بدّ للناس من عرفاء ولكن العرفاء في النار» يعني: أن سيادة القوم جائزة في الشرع لأن بها ينتظم مصالح الناس وقضاء أشغالهم فهي مصلحة ورفق للناس تدعو إليها الضرورة. وقوله ولكن العرفاء في النار أي أكثرهم فيها إذ المجتنب عن الظلم منهم يستحق الثواب لكن لما كان الغالب منهم خلاف ذلك أجراه مجرى الكل كذا في «شرح المصابيح». قال السعدي:

رياست بدست كسانى خطاست ... كه از دستشان دستها بر خداست
مكن تاتوانى دل خلق ريش ... وكر ميكنى ميكنى بيخ خويش
نماند ستمكار بد روزكار ... بماند برو لعنت پايدار
مها زور مندى مكن بركهان ... كه بريك نمط مى نماند جهان
دل دوستان جمع بهتركه كنج ... خزينه تهى به كه مردم برنج
بقومى كه نيكى پسندد خداى ... دهد خسرو عادل نيك راى
چو خواهدكه ويران كند عالمى ... كند ملك درپنچه ظالمى

﴿**وقال الله**﴾ أي: لبني إسرائيل فقط إذ هم المحتاجون إلى الترغيب والترهيب ﴿**إني معكم**﴾ أي بالعلم والقدرة والنصرة أسمع كلامكم وأرى أعمالكم وأعلم ضمائركم فأجازيكم بذلك وتم الكلام هنا ثم ابتدأ بالجملة الشرطية فقال مخاطباً لبني إسرائيل أيضاً ﴿**لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي**﴾ أي: بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف ﴿**وعزرتموهم**﴾ أي: نصرتموهم وقويتموهم وأصله الذب وهو المنع والدفع ومنه التعزير ومن نصر إنساناً فقد ذب عنه عدوه يقال عزرت فلاناً أي فعلت به ما يرده عن القبيح ويمنعه عنه ﴿**وأقرضتم الله**﴾ بالإنفاق في سبيل الخير أو بالتصدق بالصدقات المندوبة فظهر الفرق بين هذا الإقراض وبين إخراج الزكاة فإنها واجبة ﴿**قرضاً حسناً**﴾ وهو أن يكون من حلال المال وخياره برغبة وإخلاص لا يشوبها رياء ولا سمعة ولا يكدرها منّ ولا أذى وانتصابه يحتمل أن يكون على المصدرية لأنه اسم مصدر بمعنى أقراضاً كما في ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧] بمعنى إنباتاً ويحتمل أن يكون على المفعولية على أنه اسم للمال المقرض ﴿**لأكفرن عنكم سيآتكم**﴾ جواب للقسم المدلول عليه باللام ساد مسد جواب الشرط ﴿**ولأدخلنكم جنات**﴾ أي: بساتين

﴿تجري من تحتها﴾ أي: من تحت أشجارها ومساكنها **﴿الأنهار﴾** الأربعة وأخره لضرورة تقدم التخلية على التحلية **﴿فمن كفر﴾** أي برسلي وبشيء مما عدد في حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من كفر على بيان حكم من آمن تقوية للترغيب والترهيب. **﴿بعد ذلك﴾** الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم الموجب للإيمان قطعاً **﴿منكم﴾** متعلق بمضمر وقع حالاً من فاعل كفر. **﴿فقد ضل سواء السبيل﴾** أي: وسط الطريق الواضح ضلالاً بيناً وأخطأ خطأ فاحشاً لا عذر معه أصلاً بخلاف من كفر قبل ذلك إذ ربما يمكن أن يكون له شبهة ويتوهم له معذرة.

ـ روي ـ أن بني إسرائيل لما استقروا بمصر بعد مهلك فرعون أمرهم الله تعالى بالمسير إلى أريحا من أرض الشام وهي الأرض المقدسة وكانت لها ألف قرية في كل قرية ألف بستان وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم إني كتبتها لكم داراً قراراً فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها وإني ناصركم وأمر موسى عليه السلام أن يأخذ من كل سبط نقيباً أميناً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون له الأخبار ويعلمون علمها فرأوا أجراماً عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم بما رأوا وقد نهاهم موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق الإكالب بن يوقنا نقيب سبط يهودا ويوشع بن نون نقيب سبط افرائيم بن يوسف الصديق عليه السلام قيل: لما توجه النقباء إلى أرضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلث وذراع وقد عاش ثلاثة آلاف سنة وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه إليها ثم يأكله ويروى أن الماء طبق ما على الأرض من جبل في طوفان نوح وما جاوز ركبتي عوج وكانت أمه عنق إحدى بنات آدم وكان مجلسها جريباً من الأرض فلما لقي عوج النقباء وعلى رأسه حزمة حطب أخذ اثني عشر نقيباً وجعلهم في الحزمة فانطلق بهم إلى امرأته وقال انظري إلى هؤلاء الذين يزعمون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال: ألا أطحنهم برجلي فقال: لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك.

ـ وروي ـ أنه جعلهم في كمه وأتى بهم الملك فنشرهم بين يديه فقال: ارجعوا إلى قومكم فأخبروهم بما رأيتم وكان لا يحمل عنقوداً من عنبهم إلا خمسة أنفس أو أربعة بينهم في خشبة ويدخل في شطر رمانة إذا نزع حبها خمسة أنفس فجعلوا يتعرفون بأحوالهم فلما رجعوا قال بعضهم لبعض: إنكم إن أخبرتم بني إسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه إلا عن موسى وهارون فيكونان هما يريان رأيهما فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ثم انصرفوا إلى موسى عليه السلام وكان معهم حبة من عنبهم وقر جمل فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأى الاكالب ويوشع وكان معسكر موسى فرسخاً في فرسخ فجاء عوج حتى نظر إليهم ثم رجع إلى جبل فقوّر منه صخرة عظيمة على قدر المعسكر ثم حملها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقوّر من الصخرة وسطها المحازي لرأسه فانتقبت فوقعت في عنق عوج فطوقته فصرعته وأقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة أذرع وكذا طول العصا فترامى في السماء عشرة أذرع فما أصاب العصا إلا كعبه وهو مصروع فقتله قالوا فأقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى جذروا رأسه وهكذا سنة الله فيما أراد حيث ينصر أولياءه بما لا يخطر ببالهم ولله في كل فعله حكمة تامة ومصلحة شاملة.

واعلم أن الله تعالى كما جعل في أمة موسى من النقباء المختارين المرجوع إليهم عند الضرورة اثني عشر كذلك جعل من كمال عنايته في هذه الأمة من النجباء البدلاء وأعزة الأولياء أربعين رجلاً في كل حال وزمان كما قال النبي عليه السلام: «يكون في الأمة أربعون على خلق إبراهيم وسبعة على خلق عيسى وواحدة على خلقي» فهم على مراتب درجاتهم ومناصب مقاماتهم أمنة هذه الأمة كما قال عليه السلام: «بهم ترزقون وبهم تمطرون وبهم يدفع الله البلاء» قال أبو عثمان المغربي: البدلاء أربعون والأمناء سبعة والخلفاء من الأئمة ثلاثة والواحد هو القطب عارف بهم جميعاً ومشرف عليهم ولا يعرفه أحد ولا يشرف عليه وهو إمام الأولياء الثلاثة الذين هم الخلفاء من الأئمة وهو يعرفهم وهم لا يعرفونه والخلفاء الثلاثة يعرفون السبعة الذين هم الأمناء ولا يعرفهم أولئك السبعة والسبعة يعرفون الأربعين الذين هم البدلاء ولا يعرفهم البدلاء الأربعون وهم يعرفون سائر الأولياء من الأمة ولا يعرفهم من الأولياء أحد فإذا نقص من الأربعين واحد جعل مكانه واحد من الأولياء وإذا نقص من السبعة واحد جعل مكانه واحد من الأربعين وإذا نقص من الثلاثة واحد جعل مكانه واحد من السبعة وإذا مضى القطب الذي هو الواحد في العدد وبه قوام أعداد الخلق جعل بدله واحد من الثلاثة هكذا إلى أن يأذن الله تعالى في قيام الساعة كما في «التأويلات النجمية»، وقال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: القطب يحفظ المركز والإمام الأيمن يحفظ عالم الأرواح والإمام الأيسر يحفظ عالم الأجساد والأوتاد الأربعة يحفظون الشرق والغرب والجنوب والشمال والأبدال السبعة يحفظون أقاليم الكرة علواً وسفلاً انتهى كلامه في «كتاب العظيمة»، ويقول الفقير جامع هذه المجالس اللطائف: سمعت من حضرة شيخي وسندي الذي بمنزلة روحي في جسدي أن قطب الوجود إذا انتقل إلى الدار الآخرة يكون خليفته في الجانب الأيسر من الأفراد دون الجانب الأيمن وذلك لأن يسار الإمام يمين ويمينه يسار حين الاستقبال إلى القوم وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾ [الواقعة: ٨ ٩] فإن لفظة ما عند أهل التحقيق نافية وأهل اليسار أهل الجلال والفناء وأهل اليمين أهل الجمال والبقاء فافهم هذا السر البديع وكن ممن ألقى سمعه وهو شهيد فإن المنكر الغافل طريد عن الحق بعيد.

بسر وقت شان خلق كى ره برند ... كه چون آب حيوان بظلمت درند

قال الصائب:

سخن عشق باخرد كفتن ... بر رك مرده نيشتر زدنست

ثم تحقيق قوله تعالى: ﴿لئن أقمتم الصلاة﴾ أن إقامة الصلاة في إدامتها بأن تجعل الصلاة معراجك إلى الحق ونديم العروج بدرجاتها إلى أن تشاهد الحق كما شاهدت يوم الميثاق ودرجاتها أربع: القيام، والركوع، والسجود، والتشهد على حسب دركات نزلت بها من أعلى عليين وجوار رب العالمين إلى أسفل السافلين القالب وهي العناصر الأربعة التي خلق منها قالب الإنسان فالمتولدات منها على أربعة أقسام ولكل قسم منها ظلمة وخاصية تحجبك عن مشاهدة الحق وهي الجمادية وخاصيتها التشهد ثم النباتية وخاصيتها السجود ثم الحيوانية وخاصيتها الركوع ثم الإنسانية وخاصيتها القيام يشير إليك بالتخلص من حجب أوصاف الإنسانية وأعظمها الكبر وهو من خاصية النار والركوع يشير إليك بالتخلص من حجب صفات

الحيوانية وأعظمها الشهوة وهي من خاصية الهواء والسجود يشير إليك بالتخلص من حجب طبع النباتية وأعظمها الحرص على الجذب للشيء والنمو وهو من خاصية الماء والتشهد يشير إليك بالتخلص من حجب طبع الجمادية وأعظمها الجمودية وهي من خاصية التراب ومن هذه الصفات الأربع تنشأ بقية صفات البشرية فإذا تخلصت من هذه الدركات والحجب ورجعت بهذه المدارج الأربعة إلى جوار رب العالمين وقربه فقد أقمت الصلاة مناجياً ربك مشاهداً له كما قال ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه» كذا في «التأويلات النجمية».

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿**فبما نقضهم ميثاقهم**﴾ أي: فبسبب نقض اليهود عهدهم وهو أنهم كذبوا الرسل بعد موسى وقتلوا الأنبياء ونبذوا الكتاب وضيعوا فرائضه وما مزيدة لتأكيد الكلام وتمكينه في النفس ﴿**لعناهم**﴾ أي: طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا أو مسخناهم قردة وخنازير أو أذللناهم بضرب الجزية عليهم ﴿**وجعلنا قلوبهم قاسية**﴾ أي: غليظة شديدة بحيث لا تتأثر من الآيات والنذر وحجر قاس أي صلب غير لين ﴿**يحرفون الكلم عن مواضعه**﴾ استئناف لبيان قسوة قلوبهم فإنه لا قسوة أشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه والمراد بالتحريف إما تبديلهم نعت النبي ﷺ وإما تبديلهم بسوء التأويل وقد سبق في سورة البقرة ﴿**ونسوا حظا**﴾ أي وتركوا نصيباً وافراً ﴿**مما ذكروا به**﴾ من التوراة أو من اتباع محمد عليه السلام والمعنى أنهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما أنزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه أنهم حرفوها فتركت بشؤمه أشياء منها عن حفظهم لما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية.

ـ روي ـ أن الله تعالى غير العلم على أمية بن أبي الصلت وكان من بلغاء الشعراء كان نائماً فأتاه طائر وأدخل منقاره في فيه فلما استيقظ نسي جميع علومه، قال الحافظ:

نه من زبى عملى درجهان ملولم وبس ملالت علما هم ز علم بى عملست

واعلم أن العلماء العاملين والمشايخ الواصلين لا يزالون يذكرون الناس كل عصر يوم الميثاق ومخاطبة الحق إياهم تشويقاً لهم إلى تلك الأحوال فمن سامع ومن معرض فالسامع لكونه معرضاً عن الدنيا والعقبى وصل إلى جوار المولى فكان مقبولاً مرحوماً والمعرض لكونه مقبلاً على ما سوى المولى لم ينل شيئاً فكان مردوداً ملعوناً لأنه نقض عهده مع الله سبحانه وتعالى، وفي «المثنوي»:

بى وفايى چون سكانرا عاربود بى وفايى چون رو ادارى نمود
حق تعالى فخر آورد ازوفا كفت من أوفى بعهد غيرنا

﴿**ولا تزال تطلع على خائنة منهم**﴾ أي: خيانة على أنها مصدر كاللاغية والكاذبة قال الله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ [الغاشية: ١٠] أي: لغواً والمعنى أن الغدر والخيانة عادة مستمرة لهم ولأسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها أو يكتمونها فلا تزال ترى ذلك منهم ﴿**إلا قليلا منهم**﴾ لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه وهو استثناء من الضمير المجرور في منهم ﴿**فاعف عنهم واصفح**﴾ أي: أعرض عنهم ولا تتعرض لهم بالمعاقبة

والمؤاخذة إن تابوا وآمنوا أو عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف وهو قوله تعالى: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩] ﴿إن الله يحب المحسنين﴾ تعليل للأمر بالصفح وحث على الامتثال وتنبيه على أن العفو عن الكافر الخائن إحسان فضلاً عن العفو عن غيره، قال السعدي:

عدورا بالطاف كردن به بند … كه نتوان بريدن بتيغ وكمند
چود شمن كرم بيند ولطف وجود … نيايد دكر خبث ازو دروجود
وكرخواجه بادشمنان نيك خوست … بسى بر نيايد كه كردند دوست

وكان عليه السلام محسناً له مكارم أخلاق يضيق نطاق بيان الواصفين عنها، ومن حكايات المولوي قدس الله سره في «المثنوي»:

كافران مهمان پيغمبر شدند … وقت شام ايشان بمسجد آمدند
كفت اى ياران من قسمت كنيد … كه شما پر از من وخوى منيد
هريكى يارى يكى مهمان كزيد … درميان يك زفت بود وبى نديد
جسم ضخمي داشت كس اورانبرد … ماندد مسجد چواندر جامه درد
مصطفى بردش چو واماند ازهمه … هفت بز شيرده بر در رمه
كه مقيم خانه بودندى بزان … بهر دوشيدن براى وقت خوان
نان وآش وشيرآن هر هفت بز … خورد آن بوقحط عوج ابن غز
جمله اهل بيت خشم آلوشدند … كه همه درشير بز طامع شدند
معده طبلى خوار همچون طبل كرد … قسم هجده آدمى تنها بخورد
وقت خفتن رفت ودر حجره نشست … پس كنيزك از غضب دررا ببست
از برون زنجير دررا درفكند … كه ازوبد خشمكين ودردمند
كبررا ازنيم شب تاصبحدم … چون تقاضا آمد ودرد شكم
ازفراش خويش سويى درشتافت … دست بردر چونهاد اوبسته يافت
در كشادن حيله كرد آن حيله ساز … نوع نوع وخود نشد آن بند باز
شد تقاضا بر تقاضا خانه تنك … مانداوحيران وبى درمان ودنك
حيله كرد واو بخواب اندر خزيد … خويشتن درخواب ودرويرانه ديد
زانكه ويرانه بد اندر خاطرش … شد بخواب اندر همانجا منظرش
خويش در ويرانه خالى چوديد … او چنان محتاج واندر دم بريد
كشت بيدار وبديد آن جامه خواب … بر حدث ديوانه شد از اضطراب
كفت خوابم بدتر از بيداريم … كه خورم آن سو واين سومى ريم
بانك مى زد واثبورا واثبور … همچنانكه كافر اندر قعر كور
منتظر كه كي شود اين شب بسر … يا برآيد در كشادن بانك در
تاكريزد اوچوتيرى از كمان … تانبيند هيجكس اورا چنان
مصطفى صبح آمد ودررا كشاد … صبح آن كمراه را اوراه داد
جامه خواب پر حدث رايك فضول … قاصدان آورد در پيش رسول
كه چنين كردست مهمانت ببين … خنده زد رحمة للعالمين

كه بيار آن مطهره اينجا به پيش ... تابشويم جمله را بادست خويش
اوبجد مى شست آن احداث را ... خاص زامر حق نه تقليد وريا
كه دلش مى كفت كين را توبشو ... كه درانيجا هست حكمت توبتو
كافرك را هيكلى بد يادكار ... ياوه ديد آنرا وكشت اوبى قرار
كفت آن حجره كه شب جاداشتم ... هيكل آنجا بى خبر بكذاشتم
كه چه شرمين بودشر مش حرص برد ... حرص ازدرهاست بى چيزست خرد
ازپى هيكل شتاب اندر دويد ... در وثاق مصطفى وانرا بديد
كان يد الله إن حدث را هم بخود ... خوش همى شويدكه دورش چشم بد
هيكلش ازياد رفت وشد بديد ... اندر وشورى كريبانرا دريد
مى زد اودو دست را بررو وسر ... كله را ميكوفت بر ديوار ودر
انچنانكه خون زبينى وسرش ... شد روان ورحم كردان مهترش
چون زحد بيرون بلر زيد وطپيد ... مصطفى اش دركنار خود كشيد
ساكنش كرد وبسى بنو اختش ... ديده اش بكشاده داد اشناختش
آب بر روزد در آمد درسخن ... كى شهيد حق شهادت عرضه كن
كشت مؤمن كفت اورا مصطفى ... كامشب هم باش وتو مهمان ما
كفت والله تا ابد ضيف توام ... هر كجا باشم بهر جاكه روم
يا رسول الله رسالت راتمام ... تونمودى همچو شمع بى غمام

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾

﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم﴾ أي: وأخذنا من النصارى ميثاقهم كما أخذنا ممن قبلهم من اليهود ومن متعلقة بأخذنا والتقديم للاهتمام وإنما قال: قالوا إنا نصارى ولم يقل ومن النصارى تنبيهاً على أنهم نصارى بتسميتهم أنفسهم بهذا الاسم ادعاء لنصرة الله بقولهم لعيسى عليه السلام نحن أنصار الله وليسوا موصوفين بأنهم نصارى بتوصيف الله إياهم بذلك ومعنى أخذ الميثاق هو ما أخذ الله عليهم في الإنجيل من العهد المؤكد باتباع محمد ﷺ وبيان صفته ونعته **﴿فنسوا حظا﴾** أي: تركوا نصيباً وافراً **﴿مما ذكروا به﴾** في تضاعيف الميثاق من الإيمان وما يتفرع عليه من أفعال الخير **﴿فأغرينا﴾** أي: ألزمنا وألصقنا من غرى بالشيء إذا لزمه ولصق به وأغراه غيره **﴿بينهم﴾** ظرف لأغرينا **﴿العداوة﴾** وهي تباعد القلوب والنيات **﴿والبغضاء﴾** أي: البغض **﴿إلى يوم القيامة﴾** غاية للإغراء أو للعداوة والبغضاء أي يتعادون ويتباغضون إلى يوم القيامة **﴿وسوف ينبئهم الله﴾** أي: يخبرهم في الآخرة **﴿بما كانوا يصنعون﴾** وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت أي يجازيهم بما عملوا على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به وسوف لتأكيد الوعيد والتعبير عن العمل بالصنع للإيذان برسوخهم في ذلك، قيل: الذي ألقى العداوة بين النصارى رجل يقال له بولس وكان بينه وبين النصارى قتال قتل منهم خلقاً كثيراً فأراد أن يحتال بحيلة

يلقي بها بينهم القتال فيقتل بعضهم بعضاً فجاء إلى النصارى وجعل نفسه أعور وقال لهم ألا تعرفونني فقالوا: أنت الذي قتلت ما قتلت منا وفعلت ما فعلت فقال: قد فعلت ذلك كله والآن تبت لأني رأيت عيسى عليه الصلاة والسلام في المنام نزل من السماء فلطم وجهي لطمة فقأ عيني فقال: أي شيء تريد من قومي؟ فتبت على يده ثم جئتكم لأكون بين ظهرانيكم وأعلمكم شرائع دينكم كما علمني عيسى عليه السلام في المنام فاتخذوا له غرفة فصعد تلك الغرفة وفتح كوة إلى الناس في الحائط وكان يتعبد في الغرفة وربما كانوا يجتمعون إليه ويسألونه ويجيبهم من تلك الكوة وربما يأمرهم بأن يجتمعوا ويناديهم من تلك الكوة ويقول لهم بقول كان في الظاهر منكراً وينكرون عليه فكان يفسر ذلك القول تفسيراً يعجبهم ذلك فانقادوا كلهم له وكانوا يقبلون قوله بما يأمرهم به فقال يوماً من الأيام: اجتمعوا عندي فقد حضرني علم فاجتمعوا فقال لهم: أليس خلق الله تعالى هذه الأشياء في الدنيا كلها لمنفعة بني آدم قالوا: نعم فقال: لم تحرمون على أنفسكم هذه الأشياء يعني الخمر والخنزير وقد خلق لكم ما في الأرض جميعاً؟ فأخذوا قوله فاستحلوا الخمر والخنزير فلما مضى على ذلك أيام دعاهم وقال: حضرني علم فاجتمعوا فقال لهم: من أي ناحية تطلع الشمس فقالوا من قبل المشرق فقال: ومن أي ناحية يطلع القمر والنجوم فقالوا من قبل المشرق فقال: ومن يرسلهم من قبل المشرق قالوا: الله تعالى فقال: فاعلموا أنه تعالى في قبل المشرق فإن صليتم له فصلوا إليه فحول صلاتهم إلى المشرق فلما مضى على ذلك أيام دعا بطائفة منهم وأمرهم بأن يدخلوا عليه في الغرفة وقال لهم: إني أريد أن أجعل نفسي الليلة قرباناً لأجل عيسى وقد حضرني علم فأريد أن أخبركم في السر لتحفظوا عني وتدعوا الناس إلى ذلك بعدي ويقال أيضاً إنه أصبح يوماً وفتح عينه الأخرى ثم دعاهم وقال لهم: جاءني عيسى الليلة وقال: قد رضيت عنك فمسح يده على عيني فبرئت والآن أريد أن أجعل نفسي قرباناً له ثم قال: هل يستطيع أحد أن يحيي الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص إلا الله تعالى فقالوا: لا فقال: إن عيسى قد فعل هذه الأشياء فاعلموا أنه هو الله تعالى فخرجوا من عنده ثم دعا بطائفة أخرى فأخبرهم بذلك أيضاً وقال إنه كان ابنه ثم دعا بطائفة ثالثة وأخبرهم بذلك أيضاً وقال: إنه ثالث ثلاثة وأخبرهم أنه يريد أن يجعل نفسه الليلة قرباناً فلما كان بعض الليالي خرج من بين ظهرانيهم فأصبحوا وجعل كل فريق يقول قد علمني كذا وكذا وقال الفريق الآخر أنت كاذب بل علمني كذا وكذا فوقع بينهم القتال فاقتتلوا وقتلوا خلقاً كثيراً وبقيت العداوة بينهم إلى يوم القيامة وهم ثلاث فرق منهم النسطورية قالوا: المسيح ابن الله والثانية الملكانية قالوا: إن الله تعالى ثالث ثلاثة المسيح وأمه والله والفرقة الثالثة اليعقوبية قالوا: إن الله هو المسيح، قال جلال الدين رومي قدس سره:

در تصور ذات اورا كنج كو ... تا در آيد درتصور مثل او
كر بغايت نيك وكربد كفته اند ... هرچه زو كفتند ازخود كفته اند
مى مكن چندين قياس اى حق شناس ... زانكه نايد ذات بيچون درقياس

فعلى المؤمن أن يلاحظ قوله تعالى: ﴿**وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون**﴾ وأن يشتغل بنفسه عن غيره وفي الحديث «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم فينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة» يعني: من لم يجد شيئاً

يتقي به النار فليتق منها بقول حسن يطيب به قلب المسلم فإن الكلمة الطيبة من الصدقات.

والإشارة في الآية أن الله تعالى أخذ الميثاق من اليهود والنصارى على التوحيد كما أخذ من هذه الأمة يوم الميثاق ولكنه لما وكل الفريقين إلى أنفسهم نسوا ما ذكروا به فما بقي لهم حظ من ذلك الميثاق بإبطال الاستعداد الفطري لكمال الإنسانية فصاروا كالأنعام بل هم أضل أي بل كالسباع يتحارشون ويتناوشون بالعداوة والبغضاء إلى يوم القيامة فإن أرباب الغفلة لا إلفة بينهم وأن أصحاب الوفاق لا وحشة بينهم وأما هذه الأمة لما أيدت بتأييد الإله إذ كتب في قلوبهم الإيمان بقلم خطاب ألست بربكم يوم الميثاق وأيدهم بروح منه ما نسوا حظاً مما ذكروا به وقيل لنبيهم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] وقال تعالى خطاباً لهم إذ لم ينسوا حظهم ولم ينقضوا ميثاقهم ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] على أن ذكره إياهم كان قبل وجودهم وذكرهم إياه حين ذكرهم المحبة وقال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] كذا في «التأويلات النجمية».

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿**يا أهل الكتاب**﴾ يعني: اليهود والنصارى والكتاب جنس شامل للتوراة والإنجيل ﴿**قد جاءكم رسولنا**﴾ الإضافة للتشريف والإيذان بوجوب اتباعه ﴿**يبين لكم**﴾ حال من رسولنا أي حال كونه مبيناً لكم على التدريج حسبما تقتضيه المصلحة ﴿**كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب**﴾ أي: كثيراً كائناً من الذي كنتم تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب أي التوراة والإنجيل الذي أنتم أهله والمتمسكون به كنعت محمد عليه السلام وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى بأحمد عليهما السلام في الإنجيل. ﴿**ويعفو عن كثير**﴾ مما تخفونه أي لا يظهره ولا يخبره إذا لم يضطر إليه أمر ديني صيانة لكم عن زيادة الافتضاح. ﴿**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين**﴾ المراد بالنور والكتاب هو القرآن لما فيه من كشف ظلمات الشرك والشك وإبانة ما خفي على الناس من الحق أو الإعجاز الواضح والعطف المنبيء عن تغاير الطرفين لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل: المراد بالأول هو الرسول ﷺ وبالثاني القرآن.

﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾

﴿**يهدي به الله**﴾ وحد الضمير لأن المراد بهما واحد بالذات أو لأنهما في حكم الواحد فإن المقصود منهما دعوة الخلق إلى الحق أحدهما رسول إلٓهي والآخر معجزته وبيان ما يدعو إليه من الحق ﴿**من اتبع رضوانه**﴾ أي: رضاه بالإيمان به ﴿**سبل السلام**﴾ أي: طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب على أن يكون السلام بمعنى السلامة كاللذاذ واللذاذة والرضاع والرضاعة أو سبيل الله تعالى وهو شريعته التي شرعها للناس على أن يكون السلام هو الله تعالى وانتصاب سبل بنزع الخافض فإن يهدي إنما يتعدى إلى الثاني بإلى أو باللام كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] ﴿**ويخرجهم**﴾ الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما أن الإفراد في اتبع باعتبار اللفظ ﴿**من الظلمات**﴾ أي: ظلمات فنون الكفر

والضلال ﴿إلى النور﴾ إلى الإيمان وسمي الإيمان نوراً لأن الإنسان إذا آمن أبصر به طريق نجاته فطلبه وطريق هلاكه فحذره ﴿بإذنه﴾ أي: بتيسيره وإرادته ﴿ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ أي طريق هو أقرب الطرق إلى الله تعالى ومؤدٍ إليه لا محالة وهذه الهداية عين الهداية إلى سبل السلام وإنما عطف عليها تنزيلاً للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾ [هود: ٥٨].

واعلم أن الله تعالى بعث النبي ﷺ نوراً يبين حقيقة حظ الإنسان من الله تعالى وأنه تعالى سمى نفسه نوراً بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] لأنهما كانتا مخفيتين في ظلمة العدم فالله تعالى أظهرهما بالإيجاد وسمى الرسول نوراً لأن أول شيء أظهره بالحق بنور قدرته من ظلمة العدم كان نور محمد ﷺ كما قال: «أول ما خلق الله نوري» ثم خلق العالم بما فيه من نوره بعضه من بعض فلما ظهرت الموجودات من وجود نوره سماه نوراً وكل ما كان أقرب إلى الاختراع كان أولى باسم النور كما أن عالم الأرواح أقرب إلى الاختراع من عالم الأجسام فلذلك سمي عالم الأنوار والعلويات نورانياً بالنسبة إلى السفليات فأقرب الموجودات إلى الاختراع لما كان نور النبي عليه السلام كان أولى باسم النور ولهذا كان يقول: «أنا من الله والمؤمنون مني» وقال تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور﴾.

ـ وروي ـ عن النبي عليه السلام أنه قال: «كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام وكان يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: «لما خلق الله آدم اهبطني في صلبه إلى الأرض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذفني في صلب إبراهيم ثم لم يزل تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط» قال العرفي في قصيدته النعتية:

اين بس شرف كوهر نومنشى تقدير آن روز كه بكذا شتى إقليم قدم را
تاحكم نزول تودرين دار نوشته است صدره بعبث باز تراشيد قلم را

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه أنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اعترف آدم بالخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد أن تغفر لي فقال الله: يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا اسم أحب الخلق إليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي فغفرت لك ولولا محمد لما خلقتك» رواه البيهقي في «دلائله».

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ لا غير كما يقال الكرم هو التقوى نزلت في نصارى نجران وهم اليعقوبية القائلون بأنه تعالى قد يحل في بدن إنسان معين أو في روحه ﴿قل﴾ يا محمد تبكيتاً لهم إن كان الأمر كما تزعمون ﴿فمن﴾ استفهامية إنكارية

﴿يملك﴾ الملك الضبط والحفظ التام عن حزم أي يمنع **﴿من الله﴾** أي: من قدرته وإرادته **﴿شيئاً﴾** وحقيقته فمن يستطيع أن يمسك شيئاً منها **﴿إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً﴾** احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره أن المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الألوهية وكيف يكون إلّهاً من لا يقدر على دفع الهلاك عن نفسه ولا عن غيره والمراد بالإهلاك الإماتة والإعدام مطلقاً لا بطريق السخط والغضب ولعل نظم أمه في سلك من فرض إرادة إهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك لتأكيد التبكيت وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها أنموذجاً لحال بقية من فرض إهلاكه كأنه قيل قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض وقد أهلك أمه فهل مانعه أحد فكذا حال من عداها من الموجودين. **﴿ولله ملك السموات والأرض وما بينهما﴾** أي ما بين قطري العالم الجسماني لا بين وجه الأرض ومقعر فلك القمر فقط فيناول ما في السموات من الملائكة وما في أعماق الأرض والبحار من المخلوقات وهو تنصيص على كون الكل تحت قهره تعالى وملكوته إثر الإشارة إلى كون البعض أي من في الأرض كذلك أي له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتصرف المطلق فيها إيجاداً وإعداماً وإحياء وإماتة لا لأحد سواه استقلالاً ولا اشتراكاً فهو تحقيق لاختصاص الألوهية به تعالى إثر بيان انتفائها عن كل ما سواه **﴿يخلق ما يشاء﴾** أي: يخلق ما يشاء من أنواع الخلق والإيجاد على أن ما نكرة موصوفة محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية كأنه قيل يخلق أي خلق يشاؤه فتارة يخلق من غير أصل كخلق السموات والأرض وأخرى من أصل كخلق ما بينهما فينشىء من أصل ليس من جنس كخلق آدم وكثير من الحيوانات ومن أصل يجانسه إما من ذكر وحده كخلق حواء أو أنثى وحدها كخلق عيسى أو منهما كخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شيء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى معجزة له وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك فينسب كل إليه تعالى لا إلى أمن أجرى ذلك على يده. **﴿والله على كل شيء قدير﴾** اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله، وفي «المثنوي»:

دامـــن او كـــيـــر أي يـــار دلـــيـــر كـــومـــنـــزه بـــاشـــد از بـــالا وزيـــر
نـى چـو عـيـسـى سـوى كـردون بـرشـود نـى چـو قـارون درزمـيـن انـدر رود
ربـــى الاعـــلاســـت ورد آن مـــهـــان رب ادنـــى در خـــورايـــن ابـــلـــهـــان

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي عليه السلام قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من عمل»، وعن الحارث الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى أوحى إلى يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات أن يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فكأنه أبطأ بهن فأتاه عيسى فقال: إن الله أمرك بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فإما أن تخبرهم وإما أن أخبرهم فقال: يا أخي لا تفعل فإني أخاف إن سبقتني بهن أن يخسف بي أو أعذب قال: فجمع بني إسرائيل ببيت المقدس حتى امتلأ المسجد وقعدوا على الشرفات ثم خطبهم فقال: إن الله أوحى إلي بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمر بني إسرائيل أن يعملوا

بهن. أولاهن أن لا تشركوا بالله شيئاً فإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق ثم أسكنه داراً فقال: اعمل وارفع إلي فجعل يعمل ويرفع إلى غير سيده فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك فإن الله خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به شيئاً وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا فإن الله يقبل بوجهه إلى وجه عبده ما لم يلتفت. وآمركم بالصيام ومثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة من مسك كلهم يحب أن يجد ريحها وإن الصيام عند الله أطيب من ريح المسك. وآمركم بالصدقة ومثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه وقربوه ليضربوا عنقه فجعل يقول: هل لكم أن أفدي نفسي منكم فجعل يعطي القليل والكثير حتى فدى نفسه. وآمركم بذكر الله كثيراً ومثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أسره حتى أتى حصناً حصيناً فأحرز نفسه فيه وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان الذي هو أكبر الأعداء إلا بذكر الله» قال في «المثنوي»:

ذكر حق كن بانكه غولانرا بسوز ... چشم نركس را ازين كركس بدوز
ذكر حق پاكست چون پاكي رسيد ... رخت بر بندد برون آيد پليد
مى كريزد ضدها از ضدها ... شب كريزد چون برافروزد ضيا
چون در آيد نام پاك اندر دهان ... نى پليدى ماند ونى آندهان

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن بالسمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع» والربقة بكسر الراء وفتحها وسكون الباء الموحدة واحده الربق وهي عرى في حبل يشد به إليهم وتستعار لغيره.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ أي: قالت اليهود نحن أشياع ابنه عزير وقالت النصارى نحن أشياع ابنه المسيح كما يقول أقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك أو المعنى نحن من الله بمنزلة الأبناء للآباء وقربنا من الله كقرب الوالد لولده وحبنا إياه كحب الوالد لولده وغضب الله علينا كغضب الرجل على ولده والوالد إذا سخط على ولده في وقت يرضى عنه في وقت آخر وبالجملة أنهم كانوا يدعون أن لهم فضلاً ومزية عند الله على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله ﷺ: **﴿قل﴾** إلزاماً لهم وتبكيتاً **﴿فلم يعذبكم بذنوبكم﴾** أي إن صح ما زعمتم فلأي شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والأسر والمسخ وقد اعترفتم بأنه سيعذبكم في الآخرة أياماً معدودة بعدد أيام عبادتكم العجل ولو كان الأمر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع **﴿بل﴾** أي: لستم كذلك **﴿أنتم بشر ممن خلق﴾** أي: من جنس ما خلق الله تعالى من غير مزية لكم عليهم **﴿يغفر لمن يشاء﴾** أن يغفر له من أولئكم المخلوقين وهم الذين آمنوا بالله تعالى وبرسله. **﴿ويعذب من يشاء﴾** أن يعذبه منهم وهم الذين كفروا به تعالى وبرسله **﴿ولله ملك السموات والأرض وما بينهما﴾** من الموجودات لا ينتمي إليه تعالى شيء منها إلا بالمملوكية والعبودية والكل تحت مملوكيته

يتصرف فيه كيف يشاء إيجاداً وإعداماً وإماتة وإثابة وتعذيباً فأنى لهم ادعاء ما زعموا ﴿وإليه المصير﴾ في الآخرة خاصة لا إلى غيره استقلالاً ولا اشتراكاً فيجازي كلا من المحسن والمسيء بما يستدعيه عمله من غير مانع يمنعه وليست المحبة بالدعوى بل لها علامات ولله در من قال:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

والله تعالى لا يحب من خالف شيئاً من شريعة النبي عليه السلام من سننها وفروضها وحلالها وحرامها وإنما يحب من أطاع أمره ولا فوق بين الناس من حيث الصورة البشرية وإنما تفاوتهم من حيث العلم والعمل والتقرب إلى الله تعالى، قال السعدي قدس سره:

ره راست بايد نه بالاى راست ... كه كافرهم از روى صورت چو ماست

وإنما يظهر التفاوت في الآخرة لأنها دار الجزاء فطوبى لعبد تفكر في حاله ومصيره فرغب في الزهد والطاعة قبل مضي الوقت، قال في «المثنوي»:

كر ببينى ميل خود سوى سما ... پردولت بر كشا همچون هما
ور ببينى ميل خود سوى زمين ... نوحه ميكن هيچ منشين از حنين
عاقلان خود نوحها پيشين كنند ... جاهلان آخر بسر بر مى زنند
رابتداء كار آخررا ببين ... تانباشى تو پيشيمان روز دين

ـ وحكي ـ أن رجلاً جاء إلى صائغ يسأل منه الميزان ليزن رضاض ذهب له فقال الصائغ: اذهب فإنه ليس لي غربال فقال الرجل لا تسخر بي آت الميزان فقال الصائغ ليس لي مكنسة ثم قال: اطلب منك الميزان أيها الصائغ وأنت تجيبني بما يضحك منه فقال: إنما قلت ما قلت لأنك شيخ مرتعش فعند الوزن يتفرق رضاضك من يدك بسبب ارتعاشك ويسقط إلى التراب فتحتاج إلى المكنسة والغربال للتخليص فبسبب فكري لعاقبة أمرك قلت ما قلت:

من زاول ديدم آخررا تمام ... جاى ديكر رو ازنيجا والسلام

واعلم أن أحباء الله هم أولياء الله على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم، فمنهم عوام، ومنهم خواص، ومنهم أخص ولكل منهم مقام معلوم من المحبة، ورأى بعضهم معروفاً الكرخي تحت العرش وقد قال الله تعالى لملائكته من هذا فقالوا: أنت أعلم يا رب فقال هذا معروف الكرخي سكر من حبي فلا يضيق إلا للقائي وكمال الحب إنما يحصل بعد تزكية النفس فإن النفس إذا كانت مغضوبة لا تتم الرحمة في حقها وصاحبها إنما يحب الله تعالى من وراء حجاب اللهم اجعلنا ممن يحبك حباً شديداً ويسلك في محبتك طريقاً سديداً.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾

﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ حال كونه ﴿يبين لكم﴾ الشرائع والأحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد. ﴿على فترة﴾ كائنة ﴿من الرسل﴾ مبتدأة من جهتهم وعلى متعلق بجاءكم على الظرفية أي جاءكم على حين فتور من الإرسال وانقطاع من الوحي ومزيد احتياج إلى بيان الشرائع والأحكام الدينية يقال فتر الشيء يفتر فتوراً إذا سكنت حركته وصارت أقل مما

كانت عليه وسميت المدة بين الأنبياء فترة لفتور الدواعي في العمل بتلك الشرائع ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعث بعد انقطاع الرسل لأن الرسل كانت متواترة بعضها في أثر بعض إلى وقت رفع عيسى عليه السلام ﴿أن تقولوا﴾ تعليل لمجيء الرسول بالبيان على حذف المضاف أي كراهة أن تقولوا معتذرين عن تفريطكم في مراعاة أحكام الدين ﴿ما جاءنا من بشير﴾ يبشرنا بالجنة ﴿ولا نذير﴾ يخوفنا بالنار وقد انطمست آثار الشرائع السابقة وانقطعت أخبارها ﴿فقد جاءكم بشير ونذير﴾ متعلق بمحذوف تنبىء عنه الفاء الفصيحة وتبين أنه معلل به أي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم بشير ونذير أي بشير ونذير أي نذير على أن التنوين للتفخيم، وفي الآية امتنان عليهم بأن بعث إليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا أحوج ما يكون إليه ﴿والله على كل شيء قدير﴾ فيقدر على الإرسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما ألف وسبعمائة سنة وألف نبي وعلى الإرسال بعد الفترة كما فعله بين عيسى ومحمد عليهما السلام حيث كان بينهما ستمائة سنة وتسع وتسعون سنة أو خمسمائة وست وأربعون سنة وأربعة أنبياء على ما روى الكلبي ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وقيل: لم يكن بعد عيسى إلا رسول الله ﷺ وهو الأنسب بما في تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بأن الرسول قد بعث إليهم عند كمال حاجتهم إليه بسبب مضي دهر طويل بعد انقطاع الوحي ليعدوه أعظم نعمة من الله وفتح باب إلى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يتعللوا غداً بأنه لم يرسل إليهم من ينبههم من غفلتهم كذا في «الإرشاد». وفي الحديث «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فإنه ليس بيني وبينه نبي» قال ابن الملك: بطل بهذا قول من قال: الحواريون كانوا أنبياء بعد عيسى عليه السلام انتهى ومعنى قوله نبي أي نبي داع للخلق إلى الله وشرعه وأما خالد بن سنان فإن أظهر بدعواه الإنباء عن البرزخ الذي بعد الموت وما أظهر نبوته في الدنيا.

وقصته أنه كان مع قومه يسكنون بلاد عدن فخرجت نار عظيمة من مغارة فأهلكت الزرع والضرع فالتجأ إليه قومه فأخذ خالد يضرب تلك النار بعصاه حتى رجعت هاربة منه إلى المغارة التي خرجت منها ثم قال لأولاده: إني أدخل المغارة خلف النار لأطفئها وأمرهم أن يدعوه بعد ثلاثة أيام تامة فإنهم إن نادوه قبل ثلاثة أيام فهو يخرج ويموت وإن صبروا ثلاثة أيام يخرج سالماً فلما دخل صبروا يومين واستفزهم الشيطان فلم يصبروا ثلاثة أيام فظنوا أنه هلك فصاحوا به فخرج خالد من المغارة وعلى رأسه ألم حصل من صياحهم فقال: ضيعتموني وأضعتم قولي ووصيتي وأخبرهم بموته وأمرهم أن يقبروه ويرقبوه أربعين يوماً فإنه يأتيهم قطيع من الغنم يتقدمه حمار أبتر مقطوع الذنب فإذا حاذى قبره ووقف فلينبشوا عليه قبره فإنه يقوم ويخبرهم بأحوال البرزخ والقبر عن يقين ورؤية فانتظروا أربعين يوماً فجاء القطيع وتقدمه حمار أبتر فوقف حذاء قبره فهمّ مؤمنو قومه أن ينبشوا عليه فأبى أولاده خوفاً من العار لئلا يقال لهم أولاد المنبوش قبره فحملتهم الحمية الجاهلية على ذلك فضيعوا وصيته وأضاعوه فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءته بنت خالد فقال عليه السلام: «مرحباً بابنة نبي أضاعه قومه» وإنما أمر خالد أن ينبش عليه ليسأل ويخبر أن الحكم في البرزخ على صورة الحياة الدنيا فيعلم بذلك الأخبار صدق الرسل كلهم بما أخبروا به في حياتهم الدنيا فكان غرض خالد عليه السلام إيمان العالم كله بما جاءت به الرسل من أحوال القبر والمواطن والمقامات البرزخية ليكون

رحمة للجميع فإنه تشرف بقرب نبوته من نبوة محمد عليه السلام وعلم خالد أن الله أرسله رحمة للعالمين ولم يكن خالد برسول فأراد أن يحصل من هذه الرحمة في الرسالة المحمدية على حظ أوفر ولم يؤمر بالتبليغ فأراد أن يحظى في البرزخ بذلك التبليغ من مقام الرسالة ليكون أقوى في العلم في حق الخلق أي ليعلم قوة علمه بأحوال الخلائق في البرزخ فأضاعه قومه وإنما وصف النبي قومه بأنهم أضاعوا نبيهم أي وصية نبيهم حيث لم يبلغوه مراده من أخباره أحوال القبر كذا في «الفصوص» وشروحه واتفق العلماء على أنه ﷺ ولد بمكة عام الفيل في عاشر شهر ربيع الأول في ليلة يوم الاثنين منه فلما تشرف العالم وجوده الشريف وعنصره اللطيف أضاءت قلوب الخلق واستنارت فهداهم الله به عليه السلام فابصره من أبصر وعمي من عمي وبقي في الكفر والضلال.

دركار خانه عشق از كفرنا كزيرست آتش كرا بسوزد كر بولهب نباشد

وإنما أضاف تعالى الرسول إلى نفسه وقال رسولنا وما أضاف إليهم لأن فائدة رسالته لم تكن راجعة إليهم ولما خاطب هذه الأمة وأخبرهم عن مجيء الرسول ما أضافه إلى نفسه وإنما جعله من أنفسهم فقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] لأن فائدة رسالته كانت راجعة إلى أنفسهم كما في «التأويلات النجمية»، فعلى المؤمن أن يقتفي أثر الرسول ﷺ ويتفكر في الوعد والوعيد فقد جاء البشير والنذير بحيث لم يبق للاعتذار مجال أصلاً.

ـ وروي ـ أن جبير بن مطعم قال: كنا مع النبي ﷺ بالجحفة فقال: «أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله وأن القرآن جاء من عند الله» فقلنا بلى قال: «فابشروا فإن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبداً».

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾

﴿**وإذ قال موسى لقومه**﴾ أي: اذكر يا محمد لأهل الكتاب ما حدث وقت قول موسى لبني إسرائيل ناصحاً لهم. ﴿**يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم**﴾ أي: إنعامه عليكم﴿**إذ جعل فيكم أنبياء**﴾ في وقت جعله فيما بينكم من أقربائكم أنبياء فأرشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في أمة من الأمم ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء وكثرة الأشراف والأفاضل في القوم شرف وفضل لهم ولا شرف أعظم من النبوة﴿**وجعلكم ملوكا**﴾ أي: جعل فيكم أو منكم ملوكاً كثيرة فإنه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الأنبياء وجعل الكل في مقام الامتنان عليهم ملوكاً لما أن أقارب الملوك يقولون عند المفاخرة نحن الملوك، وقال السعدي وجعلكم أحراراً تملكون أنفسكم بعدما كنتم في أيدي القبط في مملكة فرعون بمنزلة أهل الجزية قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني أصحاب خدم وحشم وكانوا أول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وقال بعضهم من له امرأة يأوي إليها ومسكن يسكنه وخادم يخدمه فهو من الملوك وكذا من كان مسكنه واسعاً وفيه ماء جار فهو ملك﴿**وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين**﴾ من البحر وإغراق العدو وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك مما آتاهم الله من الأمور العظام والمراد

بالعالمين الأمم الخالية إلى زمانهم **﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة﴾** هي أرض بيت المقدس طهرت من الشرك وجعلت قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين **﴿التي كتب الله لكم﴾** أي كتب في اللوح المحفوظ أنها تكون مسكناً لكم إن آمنتم وأطعتم لقوله تعالى لهم بعدما عصوا فإنها محرمة عليهم **﴿ولا ترتدوا﴾** لا ترجعوا **﴿على أدباركم﴾** أي: مدبرين خوفاً من الجبابرة فهو حال من فاعل لا ترتدوا ويجوز أن يتعلق بنفس الفعل أي: ولا ترجعوا على أعقابكم بخلاف ما أمر الله **﴿فتنقلبوا﴾** فتنصرفوا حال كونكم **﴿خاسرين﴾** أي: مغبونين بفوت ثواب الدارين.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿قالوا﴾ أي: بنو إسرائيل عند أمر موسى ونهيه غير ممتثلين لذلك **﴿يا موسى إن فيها قوما جبارين﴾** أي متغلبين لا تتأتى مقاومتهم والجبار العالي الذي يجبر الناس ويكرههم كائناً من كان على ما يريده كائناً ما كان فعال من جبره على الأمر أي: أجبره عليه وذلك أن النقباء الاثني عشر الذين خرجوا لتجسس الأخبار وانتهوا إلى مدينة الجبارين لما رجعوا إلى موسى وأخبروه بما عاينوا من قوتهم وشوكتهم وطول قدودهم وعظم أجسامهم وأن الرجل من بني إسرائيل ليدخل تحت قدمهم لعظمه ووسعته قال لهم موسى: اكتموا شأنهم ولا تخبروا به أحداً من أهل المعسكر فيفشلوا فأخبر كل واحد منهم قريبه وابن عمه إلا رجلين وفيا بما قال لهما موسى أحدهما يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف فتى موسى والآخر كالب بن يوفنا ختن موسى على أخته مريم بنت عمران وكان من سبط يهودا فشاع الخبر بين بني إسرائيل فلذا قالوا إن فيها قوماً جبارين **﴿وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها﴾** من غير صنع من قبلنا فإنه لا طاقة لنا بإخراجهم منها **﴿فإن يخرجوا منها﴾** بسبب من الأسباب التي لا تعلق لنا بها **﴿فإنا داخلون﴾** حينئذٍ **﴿قال رجلان﴾** كأنه قيل هل اتفقوا على ذلك أو خالفهم البعض فقيل: قال رجلان وهما كالب ويوشع **﴿من الذين يخافون﴾** الله تعالى دون العدو ويتقونه في مخالفة أمره ونهيه وهو صفة لرجلان **﴿أنعم الله عليهما﴾** بالتثبيت والوقوف على شؤونه تعالى والثقة بوعده وهو صفة ثانية لرجلان **﴿ادخلوا عليهم الباب﴾** أي باب بلد الجبارين وهو أريحا وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به لأن المقصود إنما هو دخول الباب وهم في بلدهم أي باغتوهم وضاغتوهم في المضيق وامنعوهم من البروز إلى الصحراء لئلا يجدوا للحرب مجالاً **﴿فإذا دخلتموه﴾** أي: باب بلدهم وهم فيه **﴿فإنكم غالبون﴾** من غير حاجة إلى القتال فإنا قد رأيناهم وشاهدناهم أن قلوبهم ضعيفة وإن كانت أجسادهم عظيمة فلا تخشوهم واهجموا عليهم في المضايق فإنهم لا يقدرون فيها على الكر والفر **﴿وعلى الله﴾** خاصة **﴿فتوكلوا﴾** بعد ترتيب الأسباب ولا تعتمدوا عليها فإنها بمعزل من التأثير وإنما التأثير من عناية العزيز القدير **﴿إن كنتم مؤمنين﴾** به تعالى مصدقين لوعده فإن ذلك مما يوجب التوكل عليه حتماً.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قالوا﴾ غير مبالين بقول ذينك الرجلين مصرين على القول الأول. ﴿يا موسى إنا لن ندخلها﴾ أي: أرض الجبابرة ﴿أبدا﴾ أي دهراً طويلاً ﴿ما داموا فيها﴾ أي: في أرضهم وهو بدل من أبداً بدل البعض لأن الأبد يعم الزمن المستقبل كله ودوام الجبارين فيها بعض منه. ﴿فاذهب﴾ الفاء فصيحة أي فإذا كان الأمر كذلك فاذهب ﴿أنت وربك فقاتلا﴾ أي فقاتلاهم إنما قالوا ذلك استهانة واستهزاء به تعالى وبرسوله وعدم مبالاة بهما لا أنهم قصدوا ذهابهما حقيقة لأن من هو في صورة الإنسان يستبعد منه أنه يجوز حقيقة الذهاب والمجيء على الله تعالى إلا أن يكون من المجسمة ﴿إنا ههنا قاعدون﴾ أراد بذلك عدم التقدم لا عدم التأخر ﴿قال﴾ موسى عليه السلام لما رأى منهم ما رأى من العناد على طريقة البث والحزن والشكوى إلى الله تعالى مع رقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ﴿رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي﴾ أي إلا طاعة نفسي وأخي ﴿فافرق بيننا﴾ يريد نفسه وأخاه والفاء لترتيب الفرق والدعاء به على ما قبله ﴿وبين القوم الفاسقين﴾ الخارجين عن طاعتك المصرين على عصيانك بأن تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقون ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿فإنها﴾ أي الأرض المقدسة ﴿محرمة عليهم﴾ تحريم منع لا تحريم تعبد وتكليف لا يدخلونها ولا يملكونها لأن كتابتها لهم كانت مشروطة بالإيمان والجهاد وحيث نكصوا على أدبارهم حرموا ذلك وانقلبوا خاسرين. ﴿أربعين سنة﴾ ظرف لمحرمة فالتحريم مؤقت بهذه المدة لا مؤبد فلا يكون مخالفاً لقوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] فالمراد بتحريمها عليهم أنه لا يدخلها أحد منهم في هذه المدة لكن لا بمعنى أن كلهم يدخلونها بعدها بل بعضهم ممن بقي ﴿يتيهون في الأرض﴾ أي يتحيرون في البرية استئناف لبيان كيفية حرمانهم ﴿فلا تأس﴾ فلا تحزن والأسى الحزن ﴿على القوم الفاسقين﴾.

- روي - أنه عليه السلام ندم على دعائه عليهم فقيل: لا تندم ولا تحزن عليهم فإنهم أحقاء بذلك لفسقهم فلبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ وهم ستمائة ألف مقاتل وكانوا يسيرون كل يوم جادين فإذا امسكوا كانوا في الموضع الذي ارتحلوا منه وكان الغمام يظللهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطوله وماؤهم من الحجر الذي يحملونه وهذه الإنعامات عليهم مع أنهم معاقبون لما أن عقابهم كان بطريق الفرك والتأديب وأصح الأقاويل أن موسى وهارون كانا معهم في التيه ولكن كان ذلك لهما روحاً وسلامة كالنار لإبراهيم وملائكة العذاب.

قال في «التأويلات النجمية»: والتعجب في أن موسى وهارون بشؤم معاملة بني إسرائيل بقيا في التيه أربعين سنة وبنو إسرائيل ببركة كرامتهما ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى في التيه ليعلم أثر بركة صحبة الصالحين وأثر شؤم صحبة الفاسقين انتهى، قال الحافظ:

ملول همر هان بودن طريق كارداني نيست بكش دشواريء منزل بياد عهد آساني

- روي - أن موسى عليه السلام خرج من التيه بعد أربعين سنة وسار بمن بقي من بني إسرائيل إلى أريحا وكان يوشع بن نون على مقدمته فحارب الجبابرة وفتحها وأقام بها ما شاء الله ثم قبضه الله ولا يعلم قبره إلا الله وهذا أصح الأقاويل لاتفاق العلماء على أن عوج بن عنق

قتله موسى عليه السلام، قال السدي في وفاة هارون: إن الله أوحى إلى موسى أني متوفي هارون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل فإذا بشجرة لم ير مثلها فإذا بيت مبني وفيه سرير عليه فرش وإذا فيه ريح طيبة فلما نظر هارون إلى ذلك أعجبه وقال: يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السرير قال: فنم عليه فلما نام جاء ملك الموت فقال: يا موسى خدعتني فلما قبض رفع البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به إلى السماء فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل وليس معه هارون قالوا: إن موسى قتل هارون وحسده على حب بني إسرائيل إياه فقال لهم موسى: ويحكم كان أخي أفتروني أقتل أخي فلما كثروا عليه صلى ركعتين ثم دعا فنزل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدقوه. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: صعد موسى وهارون الجبل فقال بنو إسرائيل: أنت قتلته فآذوه فأمر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بني إسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرفت بنو إسرائيل أنه قد مات فبرأه الله مما قالوا ثم إن الملائكة حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبره أحد إلا الرخم فجعله الله أصم وأبكم. وقال عمرو بن ميمونة مات هارون وموسى في التيه مات هارون قبل موسى وكانا خرجا إلى بعض الكهوف فمات هارون ودفنه موسى وانصرف إلى بني إسرائيل فقالوا قتلته لحبنا إياه وكان محبباً في بني إسرائيل فتضرع موسى إلى ربه فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى قبره فنادى يا هارون فخرج من قبره ينفض رأسه فقال: أنا قتلتك فقال: لا ولكنني مت قال: فعد إلى مضجعك وانصرفوا، وأما وفاة موسى عليه الصلاة والسلام قال ابن إسحٰق: كان صفي الله موسى قد كره الموت وأعظمه فأراد الله أن يحبب إليه الموت فنبىء يوشع بن نون فكان يعدو ويروح عليه فيقول له موسى: يا نبي الله ما أحدث الله إليك فيقول له يوشع: يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله إليك حتى تكون أنت الذي تبتدىء به وتذكره ولا يذكر له شيئاً ولما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت وفي الحديث «جاء ملك الموت إلى موسى فقال له: أجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها فرجع ملك الموت إلى الله تعالى فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت وقد فقأ عيني قال فرد الله إليه عينه وقال ارجع إلى عبدي فقل له الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة قال: ثم ماذا قال: ثم تموت قال فالآن من قريب قال رب ادنني من الأرض المقدسة قدر رمية حجر» قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر» قال محمد بن يحيى قد صح حديث ملك الموت وموسى عن رسول الله ﷺ ولا يرده إلا كل مبتدع كذا في «تفسير الثعلبي» وفي حديث آخر «إن ملك الموت كان يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى ليقبضه فلطمه ففقأ عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خفية» وقال وهب خرج موسى لبعض حاجاته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبراً لم ير شيئاً قط أحسن منه ومثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم: يا ملائكة الله لمن يحفر هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال: إن هذا العبد من الله بمنزل ما رأيت مضجعاً أحسن من هذا؟ قالوا: يا كليم الله أتحب أن يكون لك قال: وددت قالوا: فانزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك قال: فاضطجع فيه وتوجه إلى ربه ثم تنفس أسهل نفس قبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل إن ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه.

ـ وروي ـ أن يوشع رآه بعد موته في المنام فقال: كيف وجدت الموت؟ قال: كشاة تسلخ وهي حية وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة فلما مات موسى وانقضت الأربعون بعث الله يوشع نبياً فأخبره أن الله قد أمره بقتال الجبابرة فصدقوه وتابعوه فتوجه ببني إسرائيل إلى أريحا معه تابوت الميثاق فأحاط بمدينة أريحاء ستة أشهر فلما كان السابع نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة ودخلوا فقاتلوا الجبارين فهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم وكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم البقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال: اللهم اردد الشمس علي وقال للشمس إنك في طاعة الله تعالى وأنا في طاعة الله فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من أعداء الله قبل دخول السبت فردت عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم أحداً وثلاثين ملكاً حتى غلب على جميع أرض الشام وصارت الشام كلها لبني إسرائيل وفرق عماله في نواحيها وجمع الغنائم فلم تنزل النار فأوحى الله إلى يوشع أن فيها غلولاً فمرهم فليبايعوك فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده فقال: هلم ما عندك فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت والجواهر وكان قد غله فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان ثم مات يوشع ودفن في جبل افرائيم وكان عمره مائة وستاً وعشرين سنة وتدبيره أمر بني إسرائيل بعد موت موسى سبعاً وعشرين سنة:

جهان أي برادر نماند بكس   دل اندر جهان آفرين بندوبس

﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿واتل عليهم﴾ أي: على أهل الكتاب **﴿نبأ ابني آدم﴾** أي: خبر ابني أبي البشر وهما قابيل وهابيل **﴿بالحق﴾** أي: تلاوة ملتبسة بالحق والصحة ذكر العلماء أن حواء كانت تلد في كل بطن ولدين ذكراً وأنثى إلا شيثا فإنها ولدته منفرداً فولدت أول بطن قابيل وأخته اقليما ثم ولدت في البطن الثانية هابيل وأخته ليوذا فلما أدركوا أوحى الله إلى آدم أنه يزوج كلاً منهما توأمة الآخر لأنه لم يكن يومئذٍ إلا اختاهما وكانت توأمة قابيل أجمل فحسد عليها أخاه وسخط وزعم أن ذلك ليس من عند الله بل من جهة آدم فقال لهما قربا قرباناً فمن أيكما قبل تزوجها ففعلا فنزلت نار على قربان هابيل فأكلته ولم تتعرض لقربان قابيل فازداد قابيل حسداً وسخطاً وفعل ما فعل **﴿إذ قربا قربانا﴾** ظرف لنبأ والقربان اسم لما يتقرب به إلى الله تعالى من ذبيحة أو صدقة وتوحيده لما أنه في الأصل مصدر والتقدير إذ قرب كل منهما قرباناً **﴿فتقبل من أحدهما﴾** هو هابيل وكان صاحب ضرع وقرب جملاً سميناً أو كبشاً ولبناً وزبداً فنزلت نار من السماء بيضاء لا دخان لها فأكلته بعد دعاء آدم عليه السلام وكانت القرابين إذا كانت مقبولة

نزلت من السماء نار فأكلتها وإن لم تكن مقبولة لم تنزل النار وأكلتها الطير والسباع وقيل ما كان في ذلك الوقت فقير يدفع إليه ما يتقرب به إلى الله تعالى فكانت علامة قبوله ما ذكر من مجيء النار والأكل. وروى سعيد بن جبير وغيره نزلت نار من السماء فاحتملت قربان هابيل ورفع بها إلى الجنة فلم يزل يرعى إلى أن فدى به الذبيح عليه السلام. **﴿ولم يتقبل من الآخر﴾** وهو قابيل كان صاحب زرع وقرب اردأ ما عنده من القمح ولم تتعرض له النار أصلاً لأنه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد إلى أخس ما عنده فنزلا عن الجبل الذي قربا عليه وقد غضب قابيل لرد قربانه وكان يضمر الحسد في نفسه إلى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت فلما غاب آدم أتى قابيل هابيل وهو في غنمه فعند ذلك **﴿قال﴾** أي: من لم يتقبل قربانه لأخيه **﴿لأقتلنك﴾** أي: والله لأقتلنك قال: ولم قال لأن الله قبل قربانك ورد قرباني وتنكح أختي الحسناء وأنكح الدميمة فيحدث الناس أنك خير مني ويفخر ولدك على ولدي **﴿قال﴾** الذي تقبل قربانه وما ذنبي **﴿إنما يتقبل الله﴾** أي: القربان **﴿من المتقين﴾** لا من غيرهم وإنما تقبل قرباني ورد قربانك لما فينا من التقوى وعدمه أي إنما أديت من قبل نفسك لا من قبلي فلم تقتلني والتقوى من صفات القلب لقوله عليه السلام: «التقوى هٰهنا» وأشار إلى القلب وحقيقة التقوى أن يكون العامل على خوف ووجل من تقصير نفسه فيما أتى به من الطاعات وأن يكون في غاية الاحتراز من أن يأتي بتلك الطاعة لغرض سوى طلب مرضاة الله وأن يكون فيه شركة لغير الله تعالى **﴿لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك﴾** أي: والله لئن مددت إلي يدك وباشرت قتلي حسبما أوعدتني به وتحقق ذلك منك ما أنا بفاعل مثله لك في وقت من الأوقات ثم علل ذلك بقوله: **﴿إني أخاف الله رب العالمين﴾** قيل كان هابيل أقوى ولكن تحرّج عن قتله واستسلم له خوفاً من الله تعالى لأن القتل للدفع لم يكن مباحاً في ذلك الوقت، قال البغوي: وفي الشرع جائز لمن أريد قتله أن ينقاد ويستسلم طلباً للأجر كما فعل عثمان رضي الله عنه **﴿إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك﴾** تعليل آخر لامتناعه عن المعارضة على أنه غرض متأخر عنه كما أن الأول باعث متقدم عليه وإنما لم يعطف تنبيهاً على كفاية كل منهما في العلية والمعنى إني أريد باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك أن ترجع بإثمي أي بمثل إثمي لو بسطت يدك إليك وبإثمك ببسط يدك إليّ كما في قوله ﷺ: «المستبان ما قالا فعلى البادىء ما لم يعتد المظلوم» أي: على البادىء عين إثم سبه ومثل سبه صاحبه بحكم كونه سبباً له وكلاهما نصب على الحالية أي ترجع ملتبساً بالإثمين حاملاً لهما ولعل مراده بالذات إنما هو عدم ملابسته للإثم لا ملابسة أخيه له. **﴿فتكون من أصحاب النار﴾** في الآخرة **﴿وذلك﴾** إشارة إلى كونه من أصحاب النار **﴿جزاء الظالمين﴾** أي: عقوبة من لم يرض بحكم الله تعالى **﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه﴾** من طاع له المرتع إذا اتسع أي: وسعته وسهلته أي جعلته سهلاً وهوّنته وتقدير الكلام فصورت له نفسه أن قتل أخيه طوع له سهل عليه ومتسع له لا ضيق فيه ولا حرج فإن قتل النفس بغير حق لا سيما قتل الأخ إذا تصوره الإنسان يجده شيئاً عاصياً نافراً كل النفرة عن دائرة الشرع والعقل بعيداً عن الإطاعة والانقياد ألبتة ثم إن النفس الأمارة إذا استعملت القوة السبعية الغضبية صار لها الفعل أسهل عليها فكأن النفس صيرته كالمطيع لها بعد أن كان كالعاصي المتمرد عليها ويتم الكلام بدون اللام بأن يقال فطوعته نفسه قتل أخيه إلا أنه جيء باللام لزيادة الربط كما في قولك حفظت لزيد ماله مع تمام الكلام بأن يقال حفظت مال

زيد. ﴿فقتله﴾ قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل إبليس وأخذ طائراً أو حية ووضع رأسه على الحجر ثم شدخها بحجر آخر وقابيل ينظر فتعلم منه فوضع رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم لا يستعصي عليه أو اغتاله وهو نائم وغنمه ترعى وذلك عند جبل ثور أو عقبة حراء أو بالبصرة في موضع المسجد الأعظم وكان لهابيل يوم قتله عشرون سنة وعن بعض الكبار أن آدم لما هبط إلى الأرض تفكر فيما أكل فاستقاء فنبتت شجرة السم من قيئه فأكلت الحية ذلك السم ولذا صارت مؤذية مهلكة وكان قد بقي شيء مما أكل فلما غشي حواء حصل قابيل ولذا كان قاتلاً باعثاً للفساد في وجه الأرض ﴿فأصبح من الخاسرين﴾ خسر دينه ودنياه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: خسر دنياه وآخرته أما الدنيا فإنه أسخط لوالديه وبقي مذموماً إلى يوم القيامة وأما الآخرة فهو العقاب العظيم ﴿فبعث الله غرابا﴾ أرسله ﴿يبحث في الأرض﴾ البحث بالفارسية «بكندن» ﴿ليريه﴾ المستكن إلى الله تعالى أو للغراب واللام على الأول متعلقة ببعث حتماً وعلى الثاني بيبحث ويجوز تعلقها ببعث أيضاً ﴿كيف يواري﴾ يستر ﴿سوءة أخيه﴾ أي جسده الميت فإنه مما يستقبح أنه يرى وقيل عورته لأنه كان قد سلب ثيابه. وكيف حال من ضمير يواري والجملة ثاني مفعولي يرى.

ـ روي ـ أنه لما قتله تركه بالعراء أي الأرض الخالية عن الأشجار ولم يدر ما يصنع به لأنه كان أول ميت على وجه الأرض من بني آدم فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره أربعين يوماً أو سنة حتى أروح وعفت عليه الطيور والسباع تنظر متى يرمى به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له فمنقاره ورجليه حفرة فألقاه فيها وواراه وقابيل ينظر إليه وكأنه قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب؟ فقيل: ﴿قال يا ويلتا﴾ هي كلمة جزع وتحسر والألف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتى احضري فهذا أوانك والنداء وإن كان أصله لمن يتأتى منه الإقبال وهم العقلاء إلا أن العرب تتجوز وتنادي ما لا يعقل إظهاراً للتحسر ومثله يا حسرة على العباد والويل والويلة الهلكة ﴿أعجزت أن أكون﴾ أي: عن أن أكون ﴿مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي﴾ تعجب من عدم اهتدائه إلى ما اهتدى إليه الغراب وقوله فأواري بالنصب عطف على أكون أي أعجزت عن كوني مشبهاً بالغراب فموارياً ﴿فأصبح من النادمين﴾ أي: على قتله لما كان من التحير في أمره وحمله على رقبته مدة طويلة وغير ذلك فلما كان ندمه لأجل هذه الأسباب لا للخوف من الله بسبب ارتكاب المعصية لم يكن ندمه توبة ولم ينتفع بندمه.

ـ روي ـ أنه لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الأرض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الأرض دمه كشرب الماء فناداه الله أين أخوك هابيل قال: ما أدري ما كنت عليه رقيباً فقال الله تعالى إن دم أخيك ليناديني من الأرض فلم قتلت أخاك؟ قال: فأين دمه إن كنت قتلته فحرم الله تعالى على الأرض يومئذٍ أن تشرب دماً بعده أبداً. قال مقاتل: كان قبل ذلك يستأنس السباع والطيور والوحوش فلما قتل قابيل هابيل نفروا فلحقت الطيور بالهواء والوحوش بالبرية والسباع بالغياض واشتاك الشجر وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه وأمر الماء واغبرت الأرض فقال آدم: قد حدث في الأرض حدث فأتى الهند فإذا قابيل قد قتل هابيل وكان جسد قابيل أبيض قبل ذلك فاسود فسأله آدم عن أخيه فقال: ما كنت عليه وكيلاً قال: بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم حزيناً على قتل ولده مائة سنة لا يضحك وأنشأ يقول وهو أول من قال الشعر:

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه الصبيح

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ من قال إن آدم قال شعراً فقد كذب إن محمداً والأنبياء كلهم في النهي عن الشعر سواء ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سرياني فلما قال آدم مرثية قال لشيث يا بني إنك وصي احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينقل حتى وصل إلى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو أول من خط بالعربية وكان يقول الشعر فنظر إلى المرثية فرد المقدم إلى المؤخر والمؤخر إلى المقدم فوزنه شعراً وزيد فيه أبيات منها:

وما لي لا أجود بسكب دمع وهابيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة علي نقما فهل أنا من حياتي مستريح

ـ وروي ـ عن أنس رضي الله عنه أنه قال: سئل النبي ﷺ عن يوم الثلاثاء فقال: «يوم الدم فيه حاضت حواء وفيه قتل ابن آدم أخاه» فلما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين ولدت له حواء شيئاً وتفسيره هبة الله يعني أنه خلف من هابيل علمه الله تعالى ساعات الليل والنهار وأعلمه عبادة الخلق في كل ساعة منها وأنزل عليه خمسين صحيفة وصار وصي آدم وولي عهده. وأما قابيل فقيل له اذهب طريداً شريداً فزعاً مرعوباً لا تأمن من تراه فأخذ بيد أخته إقليماً وهرب بها إلى عدن من أرض اليمن فأتاه إبليس فقال له إنما أكلت النار فانصب أنت أيضاً ناراً تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار وهو أول من عبد النار وكان لا يمر به أحد إلا رماه فأقبل ابن له أعمى ومعه ابن له فقال للأعمى ابنه هذا أبوك قابيل فرمى الأعمى أباه بحجارة فقتله فقال ابن الأعمى قتلت أباك فرفع يده فلطم ابنه فمات فقال الأعمى ويل لي قتلت أبي برميتي وقت ابني بلطمتي. قال مجاهد فعقلت إحدى رجلي قابيل إلى فخذها وساقها وعلقت من يومئذٍ إلى يوم القيامة وجهه إلى الشمس حيثما دارت عليه في الصيف حظيرة من نار وفي الشتاء حظيرة من ثلج وهو أول من عصى الله في الأرض من ولد آدم وهو أول من يساق إلى النار وفي الحديث: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها» لأنه أول من سن القتل وهو أب يأجوج ومأجوج شر أولاد توالدوا من شر والد. قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من اليراع والطبول والمزامير والعيدان والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنى والفواحش حتى غرقهم الله بالطوفان أيام نوح وبقي نسل شيث، وفي التواريخ لما ذهب قابيل إلى سمت اليمن كثروا وخلفوا وطفقوا يتحاربون مع أولاد آدم يسكنون في الجبال والمغارات والغياض إلى زمن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث ففرقهم مهلاييل إلى أقطار الأرض وسكن هو في أرض بابل وكان كيو مرث أخاه الصغير وهو أول السلاطين في العالم فأخذوا يبنون المدن والحصون واستمر الحرب بينهم إلى آخر الزمان.

واعلم أن الكدر لا يرتفع من الدنيا وإنما يرتفع التكدر عن قلوب أهل الله تعالى كالنار والماء لا يرتفعان أبداً لكن يرتفع إحراق النار لبعض كما وقع لإبراهيم عليه السلام وإغراق الماء لبعض كما وقع لموسى عليه السلام والدنيا تذهب على هذا فطوبى لمن رضي وصبر. قال الحافظ:

درين چمن كل بيخار كس نچيد أرى چراغ مصطفوى باشرار يولهبيست

وله:

مكن زغصه شكايت كه در طريق طلب براحتى نرسيد آنكه زحمتى نكشيد

والإشارة في الآيات أن آدم الروح بازدواجه مع حواء القلب ولد قابيل النفس وتوأمته إقليما الهوى في بطن أولاً ثم ولد هابيل القلب وتوأمته ليوذا العقل وكان إقليما الهوى في غاية الحسن لأن القلب يميل إلى طلب المولى وما عنده وهو محبب إليه وكان ليوذا العقل في نظر هابيل القلب في غاية القبح والدمامة لأن القلب به يعقل عن طلب الحق والفناء في الله ولهذا قيل العقل عقيلة الرجال وفي نظر قابيل النفس أيضاً في غاية القبح لأن النفس به تعقل عن طلب الدنيا والاستهلاك فيها فالله تعالى حرم الازدواج بين التوأمين كليهما وأمر بازدواج توأمة كل واحد منهما إلى توأم الأخرى لئلا يعقل القلب عن طلب الحق بل يحرضه الهوى على الاستهلاك والفناء في الله ولهذا قال بعضهم: لولا الهوى ما سلك أحد طريقاً إلى الله فإن الهوى إذا كان قرين النفس يكون حرصاً فيه تنزل النفس إلى أسفل سافلين الدنيا وبعد المولى وإذا كان قرين القلب يكون عشقاً فيه يصعد القلب إلى أعلى عليين العقبى وقرب المولى ولهذا سمي العشق هوى كما قال الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبي فارغاً فتمكنا

ولتعقل النفس عن طلب الدنيا بل يحرضها العقل على العبودية وينهاها عن متابعة الهوى فذكر آدم الروح لولديه ما أمر الله به فرضي هابيل القلب وسخط قابيل النفس وقال هي أختي يعني إقليما الهوى ولدت معي في بطن وهي أحسن من أخت هابيل القلب يعني ليوذا العقل وأنا أحق بها ونحن من ولائد جنة الدنيا وهما من ولائد أرض العقبى فأنا أحق بأختي فقال له أبوه إنها لا تحل لك يعني إذ كان الهوى قرينك فتهلك في أودية حب الدنيا وطلب لذاتها وشهواتها فأبى أن يقبل قابيل النفس هذا الحكم من آدم الروح وقال الله تعالى لم يأمر به وإنما هذا من رأيه فقال لهما آدم الروح قربا قرباناً فأيكما يقبل قربانه فهو أحق بها فخرجا ليقربا وكان قابيل النفس صاحب زرع يعني مدبر النفس النامية وهي القوة النباتية فقرب طعاماً من أردى زرعه وهو القوة الطبيعية وكان هابيل القلب راعياً يعني مواشي الأخلاق الإنسانية والصفات الحيوانية فقرب جملاً يعني الصفة البهيمية وهي أحب الصفات إليه لاحتياجه إليها لضرورة التغذي والبقاء ولسلامتها بالنسبة إلى الصفات السبعية الشيطانية فوضعها قربانهما على جبل البشرية ثم دعا آدم الروح فنزلت نار المحبة من سماء الجبروت فأكلت جمل الصفة البهيمية لأنها حطب هذه النار ولم تأكل من قربان قابيل النفس حبة لأنها ليست من حطبها بل هي من حطب نار الحيوانية فهذا تحقيق قوله تعالى: **﴿واتل عليهم﴾** الآية.

والإشارة في قوله: **﴿فطوعت له نفسه﴾** أي: نفس قابيل النفس طوعت له وجوزت **﴿قتل أخيه﴾** وهو القلب لأن النفس أعدى عدو القلب **﴿فقتله فأصبح من الخاسرين﴾** يعني: في قتل القلب خسارة النفس في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فتحرم عن الواردات والكشوف والعلوم الغيبية التي منشأها القلب وعن ذوق المشاهدات ولذة المؤانسات فتبقى في خسران جهولية الإنسان كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ [العصر: ١-٢] وأما في الآخرة فتخسر الدخول في جنات النعيم ولقاء الرب الكريم والنجاة من الجحيم والعذاب الأليم

وفي قوله: ﴿فبعث الله﴾ إشارات منها ليعلم أن الله قادر على أن يبعث ﴿غرابا﴾ أو غيره من الحيوان إلى الإنسان ليعلمه ما لم يعلم كما يبعث الملائكة إلى الرسل والرسل إلى الأمم ليعلموهم ما لم يعلموا، ومنها لئلا يعجب الملائكة والرسل أنفسهم باختصاصهم بتعليم الحق فإنه يعلمهم بواسطة الغراب كما يعلمهم بواسطة الملائكة والرسل، ومنها ليعلم الإنسان أنه محتاج في التعلم إلى غراب ويعجز أن يكون مثل غراب في العلم، ومنها أن لله تعالى في كل حيوان بل في كل ذرة آية تدل على وحدانيته واختياره حيث يبدي المعاملات المعقولة من الحيوانات الغير العاقلة، ومنها إظهار لطفه مع عباده في أسباب التعيش حتى إذا أشكل عليهم أمر كيف يرشدهم إلى الاحتيال بلطائف الأسباب لحله كذا في «التأويلات النجمية».

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿من أجل ذلك﴾ شروع فيما هو المقصود بتلاوة النبأ من بيان بعض آخر من جنايات بني إسرائيل ومعاصيهم وذلك إشارة إلى عظم شأن القتل وإفراط قبحه أي من أجل كون القتل على سبيل العدوان مشتملاً على أنواع المفاسد من خسارة جميع الفضائل الدينية والدنيوية وجمع السعادات الأخروية كما هي مندرجة في إجمال قوله: ﴿فأصبح من الخاسرين﴾ ومن الابتلاء بجميع ما يوجب الحسرة والندامة من غير أن يكون لشيء منها ما يدفعه البتة كما هو مندرج في إجمال قوله ﴿فأصبح من النادمين﴾ وأجل في الأصل مصدر أجل شراً إذا جناه وهيجه استعمل في تعليل الجنايات أي في جعل ما جناه الغير علة لأمر يقال فعلته من أجلك أي بسبب أن جنيت ذلك وكسبته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل ومن لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى: ﴿كتبنا على بني إسرائيل﴾ وتقديمها عليه للقصر أي من ذلك ابتدىء الكتب ومنه نشأ لا من شيء آخر أي قضينا عليهم في التوراة وبينا ﴿أنه من قتل نفسا﴾ واحدة من النفوس ﴿بغير نفس﴾ أي: بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص ﴿أو فساد في الأرض﴾ أي: فساد يوجب إهدار دمها كالشرك وقطع الطريق وهو عطف على ما أضيف إليه غير بمعنى نفي كلا الأمرين معاً كما في قولك: من صلى بغير وضوء أو تيمم بطلت صلاته لا نفي أحدهما كما في قولك من صلى بغير وضوء أو ثوب بطلت صلاته ﴿فكأنما قتل الناس جميعاً﴾ من حيث إنه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه أو من حيث إن قتل الواحد والجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم وقوله جميعاً حال من الناس أو تأكيد ﴿ومن أحياها﴾ أي: تسبب لبقاء حياتها بعفو أو منع عن القتل أو استنقاذ من بعض أسباب الهلكة ﴿فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ فكأنما فعل ذلك بالناس جميعاً والمقصود من التشبيه المبالغة في تعظيم أمر القتل بغير حق والترغيب في الاحتراز عنه ﴿ولقد جاءتهم﴾ أي: أهل الكتاب ﴿رسلنا بالبينات﴾ أي: وبالله

لقد جاءتهم رسلنا حسبما أرسلناهم بالآيات الواضحة بتقرير ما كتبنا عليهم تأكيداً لوجوب مراعاته وتأييداً لتحتم المحافظة عليهم ﴿ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك﴾ أي: بعدما ذكر من الكتب وتأكيد الأمر بإرسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد أخرى وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد ﴿في الأرض لمسرفون﴾ في القتل غير مبالين به والإسراف في كل أمر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به. قوله ﴿بعد ذلك﴾ وقوله: ﴿في الأرض﴾ يتعلقان بقوله لمسرفون وهو خبر أنّ وبهذا أي بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ [المائدة: ٣٢] اتصلت القصة بما قبلها.

وفي «التأويلات النجمية»: اعلم أن كل شيء ترى فيه آية من الله تعالى فهو في الحقيقة رسول من الله إليك ومعه آية بينة ومعجزة ظاهرة يدعوك بها إلى الله ثم إن كثيراً من الذين شاهدوا الآيات وتحققوا البينات بعد رؤية الآيات في الأرض لمسرفون أي: في أرض البشرية مجاوزون حد الشريعة والطريقة بمخالفة أوامر الله ونواهيه انتهى.

واعلم أن أهل الغفلة يشاهدون الآثار لكنهم غافلون عن الحقيقة فهم كأنهم لا بصر لهم بل غيرة الحق تمنعهم من الرؤية الصحيحة لكونهم أغياراً غير لائقين بالدخول في المجلس الخاص، قال الحافظ:

معشوق عيان ميكذرد برتو وليكن أغيار همى بيند ازان بسته نقابست

وكل ذرة من ذرات الكائنات وإن كانت قائمة بالحق وبنوره في الحقيقة إلا أن الدنيا خيال يحتاج السالك إلى العبور عن مسالكه إلى أن ينتهي إلى الحق، وفي «المثنوي»:

اين جهانرا كه بصورت قائمست كفت پيغمبر كه حلم نائمست
ازره تقليد توكردى قبول سالكان اين ديده پيدا بي رسول
روز درخوابي مكوكين خواب نيست سايه فرعست أصل جز مهتاب نيست
خواب بيداريست آن دان اي عضد كه نبيند خفته كو در خواب شد
او كمان برده كه اين دم خفته ام بي خبر زان كوست درخواب دوم

وهذه أي اليقظة من المنام على الحقيقة لا تتيسر إلا لأرباب المكاشفة الصحيحة وأصحاب المشاهدة الواضحة اللهم أفض علينا من هذا المقام ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ أي: يحاربون أولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيماً لهم والمراد بالمحاربة قطع الطريق وهو إنما يكون من قوم اجتمعوا في الصحراء وتعرضوا لدماء المسلمين وأموالهم وأزواجهم وإمائهم ولهم قوة وشوكة تمنعهم ممن أرادهم ﴿ويسعون في الأرض فسادا﴾ حال من فاعل يسعون أي مفسدين. نزلت في قوم هلال بن عويمر الأسلمي وكان وادعه رسول الله ﷺ عن أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن أتاه من المسلمين فهو آمن لا يهاج ومن مر بهلال إلى رسول الله فهو آمن لايهاج فمرقوم من بني كنانة يريدون الإسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذٍ حاضراً فقطعوا عليهم وقتلوهم وأخذوا أموالهم، فإن قلت بنفس إرادة الإسلام لا يخرج الشخص عن كونه حربياً والحد لا يجب بقطع الطريق عليه وإن كان مستأمناً، قلت معناه يريدون تعلم أحكام الإسلام فإنهم كانوا مسلمين أو يقال جاؤوا على قصد الإسلام فهم بمنزلة أهل الذمة والحد واجب بالقطع على أهل الذمة ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون أخذ المال ومن القتل مع أخذه ومن

أخذه بدون قتل ومن الإخافة بدون قتل وأخذ شرعت لكل مرتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل ﴿**أن يقتلوا**﴾ أي حداً من غير صلب إن أفردوا القتل ولو عفا الأولياء لا يلتفت إلى ذلك لأنه حق الشرع ولا فرق بين أن يكون القتل بآلة جارحة أو لا ﴿**أو يصلبوا**﴾ أي: يصلبوا مع القتل إن جمعوا بين القتل والأخذ بأن يصلبوا أحياء وتبعج بطونهم برمح إلى أن يموتوا ولا يصلبوا بعدما قتلوا لأن الصلب حياً أبلغ في الردع والزجر لغيره عن الإقدام على مثل هذه المعصية ﴿**أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف**﴾ أي: أيديهم اليمنى من الرسغ وأرجلهم اليسرى من الكعب إن اقتصروا على أخذ مال من مسلم أو ذمي وكان في المقدار بحيث لو قسم عليهم أصاب كلاً منهم عشرة دراهم أو ما يساويها قيمة أما قطع أيديهم فلأخذ المال وأما قطع أرجلهم فلإخافة الطريق بتفويت أمنه ﴿**أو ينفوا من الأرض**﴾ إن لم يفعلوا غير الإخافة والسعي للفساد والمراد بالنفي عندنا هو الحبس فإنه نفي عن وجه الأرض بدفع شرهم عن أهلها ويعزرون أيضاً لمباشرتهم منكر الإخافة وإزالة الأمن. ﴿**ذلك لهم خزي**﴾ كائن ﴿**في الدنيا**﴾ أي: ذل وفضيحة. قوله: ﴿**ذلك**﴾ مبتدأ ولهم خبر مقدم على المبتدأ وهو الخزي والجملة خبر لذلك. ﴿**ولهم في الآخرة**﴾ غير هذا ﴿**عذاب عظيم**﴾ لا يقادر قدره لغاية عظم جنايتهم. فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالاً من عذاب لأنه في الأصل صفة له فلما قدم انتصب حالاً أي كائناً في الآخرة ﴿**إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم**﴾ استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله عز وجل كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿**فاعلموا أن الله غفور رحيم**﴾ أما ما هو من حقوق الآدميين فإنه لا يسقط بهذه التوبة فإن قطاع الطريق إن قتلوا إنساناً ثم تابوا قبل القدرة عليهم يسقط بهذه التوبة وجوب قتلهم حداً وكان ولي الدم على حقه في القصاص والعفو وإن أخذوا مالاً ثم تابوا قبل القدرة عليهم يسقط بهذه التوبة وجوب قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وكان حق صاحب المال باقياً في ماله ووجب عليهم رده وأما إذا تاب بعد القدرة عليه فظاهر الآية أن التوبة لا تنفعه ويقام الحد عليه في الدنيا كما يضمن حقوق العباد وإن سقط عنه العذاب العظيم في العقبى. والآية في قطاع المسلمين لأن توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يعني أن المشرك المحارب لو آمن بعد القدرة عليه فلا سبيل عليه بشيء من الحدود ولا يطالب بشيء مما أصاب في حال الكفر من دم أو مال كما لو آمن قبل القدرة عليه. وأما المسلمون المحاربون فمن تاب منهم قبل القدرة عليه أي قبل أن يظفر به الإمام سقطت عنه العقوبة التي وجبت حقاً لله ولا يسقط ما كان من حقوق العباد فإن كان قد قتل في قطع الطريق سقط عنه بالتوبة قبل القدرة عليه تحتم القتل ويبقى عليه القصاص لولي القتل إن شاء عفا عنه وإن شاء استوفاه وإن كان قد أخذ المال يسقط عنه القطع وإن كان جمع بينهما يسقط عنه تحتم القتل والصلب ويجب ضمان المال. وقال بعضهم إذا جاء تائباً قبل القدرة عليه لا يكون لأحد تبعة في دم ولا مال إلا أن يوجد معه مال بعينه فيرده على صاحبه. روي عن علي رضي الله عنه أن الحارث بن بدر جاءه تائباً بعدما كان يقطع الطريق ويسفك الدماء ويأخذ الأموال فقبل توبته ولم يجعل عليه تبعة أصلاً وأما من تاب بعد القدرة عليه فلا يسقط عنه شيء من الحقوق.

اعلم أن قطع الطريق وإخافة المسافرين من أقبح السيآت كما أن دفع الأذى عن الطريق من أحسن الصالحات وفي الحديث: «عرضت علي أعمال أمتي حسنها وسيئها فوجدت في

محاسن أعمالها الأذى يماط على الطريق ووجدت في مساوي أعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن» وفي الحديث «من أشار إلى أخيه» أي: أخيه المسلم والذمي في حكمه «بحديدة» أي بما هو آلة القتل لأنه جاء في رواية «بسلاح» مكان بحديدة «فإن الملائكة تلعنه» يعني: تدعو عليه بالبعد عن الجنة أول الأمر لأنه خوف مسلماً بإشارته وهو حرام لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يحل لمسلم أن يروع المسلم» أو لأنه قد يسبقه السلاح فيقتله كما صرح به في رواية مسلم «لا يشر أحدكم إلى أخيه فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده وإن كان أخاه» أي: المشير أخا المشار إليه «لأبيه وأمه» يعني فإن كان هازلاً ولم يقصد ضربه كنى به عنه لأن الأخ الشقيق لا يقصد قتل أخيه غالباً.

والإشارة في الآية أن محاربة الله ورسوله معاداة أولياء الله فإن في الخبر الصحيح حكاية عن الله تعالى: «من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث لجروه» ألا يرى أن بلعم بن باعوراء في زمن موسى عليه السلام كان بحيث إذا نظر رأى العرش فلما مال إلى الدنيا وأهلها ميلة واحدة ولم يترك لولي من أوليائه حرمة واحدة سلب الله معرفته وجعله بمنزلة الكلب المطرود فجزاء مثل هذا المحارب أن يقتل بسكين الخذلان أو يصلب بحبل الهجران على جذع الحرمان أو تقطع أيديه عن أذيال الوصال وأرجله من خلاف عن الاختلاف أو ينفى من أرض القربة والائتلاف فله في الدنيا بعد وهوان وفي الآخرة عذاب القطيعة والهجران إلا الذين تابوا إلى الله واستغفروا واعتذروا عن أولياء الله من قبل أن تقدروا عليهم برد الولاية أيها الأولياء فإن ردهم رد الحق وقبولكم قبول الحق وأن مردود الولاية مفقود العناية. قال الحافظ:

كليد كنج سعادت قبول أهل دلست ... مبادكس كه درين نكته شك وريب كند

وفي «المثنوي»:

لا جرم آنراه بر تو بسته شد ... چون دل أهل دل ازتو خسته شد

زود شان درياب واستغفار كن ... همچو ابرى كريها وزار كن

تاكلستان شان سوى توبشكفد ... ميوهاى بخته بر خود واكفد

هم بران در كرد كم ازسك مباش ... باسك كهف ارشد ستى خواجه تاش

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ أي: اخشوا عذابه واحذروا معاصيه. ﴿وابتغوا﴾ أي: اطلبوا لأنفسكم ﴿إليه﴾ أي إلى ثوابه والزلفى منه ﴿الوسيلة﴾ أي: القربة بالأعمال الصالحة. قوله تعالى: ﴿إليه﴾ متعلق بالوسيلة قدم عليها للاهتمام وليست بمصدر حتى يمتنع أن يتقدم معمولها عليها بل هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب إلى الله تعالى من وسل إلى كذا تقرب إليه والجمع الوسائل. وقال عطاء الوسيلة أفضل درجات الجنة وفي الحديث «سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا ينالها إلا عبد واحد وأرجو من الله أن يكون هو أنا» وفي الحديث «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت سيدنا محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة». قال

المولي الفناري في تفسير الفاتحة: أما الوسيلة فهي أعلى درجة في جنة عدن وهي لرسول الله ﷺ حصلت له بدعاء أمته فعل ذلك الحق سبحانه لحكمة أخفاها فإنا بسببه نلنا السعادة من الله وبه كنا خير أمة أخرجت للناس وبه ختم الله بنا الأمم كما ختم به النبيين وهو ﷺ مبشر كما أمر أن يقول ولنا وجه خاص إلى الله تعالى نناجيه منه ويناجينا وكذا كل مخلوق له وجه خاص إلى ربه فأمرنا عن أمر الله أن ندعو له بالوسيلة حتى ينزل فيها بدعاء أمته وهذا من باب الغيرة الإلهية انتهى **﴿وجاهدوا في سبيله﴾** بمحاربة الأعداء الظاهرة والباطنة **﴿لعلكم تفلحون﴾** بالوصول إلى الله والفوز بكرامته.

والإشارة في الآية أن الله تعالى جعل الفلاح الحقيقي في أربعة أشياء: أحدها الإيمان وهو إصابة رشاشة النور في بدء الخلقة وبه يخلص العبد من حجب ظلمة الكفر، وثانيها التقوى وهو منشأ الأخلاق المرضية ومنبع الأعمال الشرعية وبه يخلص العبد من ظلمة المعاصي، وثالثها ابتغاء الوسيلة وهو فناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية وبه يتخلص العبد من ظلمة أوصاف الوجود، ورابعها الجهاد في سبيل الله وهو اضمحلال الأنانية في إثبات الهوية وبه يتخلص العبد من ظلمة الوجود ويظفر بنور الشهود فالمعنى الحقيقي **﴿يا أيها الذين آمنوا﴾** بإصابة النور **﴿اتقوا الله﴾** بتبديل الأخلاق الذميمة **﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾** في إفناء الأوصاف **﴿وجاهدوا في سبيله﴾** ببذل الوجود **﴿لعلكم تفلحون﴾** بنيل المقصود من المعبود كذا في «التأويلات النجمية».

واعلم أن الآية الكريمة صرحت بالأمر بابتغاء الوسيلة ولا بد منها البتة فإن الوصول إلى الله تعالى لا يحصل إلا بالوسيلة وهي علماء الحقيقة ومشايخ الطريقة، قال الحافظ:

قطع اين مرحله بى همرهى خضر مكن ظلماتست بترس از خطر كمراهى

والعمل بالنفس يزيد في وجودها وأما العمل وفق إشارة المرشد ودلالة الأنبياء والأولياء فيخلصها من الوجود ويرفع الحجاب ويوصل الطالب إلى رب الأرباب. قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: كنت أنا وصاحب لي قد أوينا إلى مغارة لطلب الدخول إلى الله وأقمنا فيها ونقول يفتح لنا غداً أو بعد غد فدخل علينا يوماً رجل ذو هيبة وعلمنا أنه من أولياء الله فقلنا له: كيف حالك فقال: كيف يكون حال من يقول يفتح لنا غداً أو بعد غدٍ يا نفس لِمَ لا تعبدين الله؟! فتيقظنا وتبنا إلى الله وبعد ذلك فتح علينا فلا بد من قطع التعلق من كل وجه لينكشف حقيقة الحال.

قال الحافظ:

فداى دوست نكرديم عمر مال دريغ كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد

وفي صحبة الأخيار والصلحاء شرف عظيم وسعادة عظمى.

ـ وحكي ـ أن خادم الشيخ أبي يزيد البسطامي كان رجلاً مغربياً فجرى الحديث عنده في سؤال منكر ونكير فقال المغربي والله إن يسألاني لأقولن لهما فقالوا له ومن أين يعلم ذلك فقال: اقعدوا على قبري حتى تسمعوني فلما انتقل المغربي جلسوا على قبره فسمعوا المسألة وسمعوه يقول أتسألونني وقد حملت فروة أبي يزيد على عنقي فمضوا وتركوه ولا تستبعد أمثال هذا فإن جواب المجيب المدقق يذهب معه من هنا فحصل مثل هذا الزاد، وفي «المثنوي»:

كنج زرى كه چو خسبى زير ريك باتو باشد آن نباشد مرد ريك
پيش پيش آن جنازت مى رود مونس كور وغريبى ميشود

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إن الذين كفروا لو أن لهم﴾ أي: لكل واحد منهم ﴿ما في الأرض﴾ أي من أصناف أموالها وذخائرها وسائر منافعها وهو اسم إن ولهم خبرها ﴿جميعا﴾ توكيد للموصول أو حال منه ﴿ومثله﴾ عطف على الموصول أي ضعفه ﴿معه﴾ ظرف وقع حالاً من المعطوف والضمير راجع إلى الموصول. ﴿ليفتدوا به﴾ متعلق بما تعلق به خبر إن أعني: الاستقرار المقدر في لهم وبه متعلق بالافتداء والضمير راجع إلى الموصول ومثله معاً وتوحيده لإجرائه مجرى اسم الإشارة كأنه قيل بذلك ﴿من عذاب يوم القيامة﴾ متعلق بالافتداء أيضاً أي لو أن ما في الأرض ومثله ثابت لهم لجعلوه فدية لأنفسهم من العذاب الواقع يومئذٍ وافتدوا به ﴿ما تقبل منهم﴾ ذلك وهو جواب لو ولو بما في حيزه خبر إن والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة وفي الحديث «يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم فيقال له: إنك كنت سئلت ما هو الأيسر من ذلك» أي ما هو أسهل من الافتداء المذكور وهو ترك الإشراك بالله تعالى وإتيان كلمة الشهادة ﴿ولهم عذاب أليم﴾وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم ﴿يريدون﴾ كأنه قيل فكيف يكون حالهم أو ماذا يصنعون فقيل إنهم يريدون ﴿أن يخرجوا من النار﴾ له وجوه الأول أنهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب النار ويرفعهم إلى فوق فهناك يريدون الخروج ولات حين مناص والثاني أنهم يكادون يخرجون منها لقوة النار وزيادة رفعها إياهم والثالث أنهم يتمنون ويريدون بقلوبهم ﴿وما هم﴾ أي: يريدون ذلك والحال أنهم ليسوا ﴿بخارجين منها﴾ لأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ﴿ولهم عذاب مقيم﴾ أي: دائم لا ينقطع وهو تصريح بعدم تناهي مدته بعد بيان شدته وفي الحديث «يقال لأهل الجنة لكم خلود ولا موت ولأهل النار يا أهل النار خلود ولا موت» أي لكم خلود في النار.

- روي - أن هذين القولين يكونان بعد أن يؤتى بالموت في صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار وإنما يمثل الموت بهذا المثال ليشاهدوا بأعينهم ويستقر في أنفسهم أن الموت ارتفع فيزداد أهل الجنة فرحاً وأهل النار ترحاً وتخصيص صورة الكبش لأنه لما كان فداء عن إسماعيل الذي نبينا عليه السلام من نسله كان في المعنى فداء عن جميع الأحياء في الدنيا لأنهم خلقوا لأجله فناسب أن يكون فداء عنهم في دار الآخرة أيضاً كذا في «شرح المشارق» لابن الملك.

واعلم أن الكفر وجزاءه وهو الخلود في النار أثر إخطاء رشاش النور الإلهي في عالم الأرواح وقد أنعم الله تعالى على المؤمنين بإصابة ذلك النور، وفي «المثنوي»:

مؤمنان كان عسل زنبور وار ... كافران خودكان زهرى همچومار
جنبش خلق ازقضا ووعده است ... تيزىء دندان زسوز معده است
نفس أول راند بر نفس دوم ... ما هي ازسر كنده باشدنى زدم
تونميدانى كزين دوكيستى ... جهدكن چندانكه بينى چيستى

چون نهى برپشت كشتى باررا بر توكل ميكنى آن كاررا
تو نميدانى كه ازهر دوكىء غرقه اندر سفر يا ناجى
چونكه بربوكست جمله كارها كار دين أولى كزين يابى رها

قال بعض الصلحاء: رأيت في منامي كأني واقف على قناطر جهنم فنظرت إلى هول عظيم فجعلت أفكر في نفسي كيف العبور على هذه فإذا قائل يقول: يا عبد الله ضع حملك واعبر قلت ما حملي قال دع الدنيا. قال الحافظ:

تاكى غم دنياى دنى اي دل دانا حيفست زخوبى كه شود عاشق زشتى

وفي الحديث يؤتى بأنعم أهل الدنيا الباء فيه للتعدية وأنعم أفعل تفضيل من النعمة أي بأكثرهم نعمة «من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة» يعني يغمس فيها مرة أراد من الصبغ الغمس إطلاقاً للملزوم على اللازم لأن الصبغ إنما يكون بالغمس غالباً ثم أراد من غمسه فيها إصابة نفخة من النار به «ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب» شدة العذاب أنسته ما مضى عليه من نعم الدنيا «ويؤتى بأشد الناس بؤساً» أي شدة وبلاء في الدنيا «من أهل الجنة فيصبغ صبغة من الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط هل مر بك شدة قط؟ فيقول لا والله ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط» كذا في «شرح المشارق» لابن ملك:

هر چند غرق بحر كناهم زصد جهت كر آشناى عشق شوم زاهل رحمتم

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿**والسارق والسارقة**﴾ وهو مبتدأ محذوف الخبر أي حكم السارق والسارقة ثابت فيما يتلى عليكم فقوله تعالى: ﴿**فاقطعوا أيديهما**﴾ بيان لذلك الحكم المقدر فما بعد الفاء مرتبط بما قبلها ولذلك أتى بها فيه لأنه هو المقصود مما قبلها ولو لم يأت بالفاء لتوهم أنه أجنبي وإنما قدر الخبر لأن الأمر إنشاء لا يقع خبراً إلا بإضمار وتأويل والمراد بأيديهما إيمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] اكتفاء بتثنية المضاف إليه وتفصيل ما يتعلق بالسرقة سيجيء في آخر المجلس ﴿**جزاء بما كسبا نكالا من الله**﴾ منصوبان على المفعول له والمعنى فاقطعوهما مكافأة لهما على ما فعلا من فعل السرقة وعقوبة رادعة لهما من العود ولغيرهما من الاقتداء بهما وبما متعلق بجزاء ومن الله صفة نكالاً أي نكالاً كائناً منه تعالى، والنكال اسم بمعنى التنكيل مأخوذ من النكول وهو الامتناع ﴿**والله عزيز**﴾ غالب على أمره يمضيه كيف يشاء من غير ند ينازعه ولا ضد يمانعه ﴿**حكيم**﴾ في شرائعه لا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرائع المنطوية على فنون الحكم والمصالح ﴿**فمن تاب**﴾ من السراق إلى الله تعالى ﴿**من بعد ظلمه**﴾ أي: من بعد أن ظلم غيره بأخذ ماله والتصريح به مع أن التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته ﴿**وأصلح**﴾ أي: أمره بالتفصي عن تبعات ما باشره والعزم على أن لا يعود إلى

السرقة ﴿**فإن الله يتوب عليه**﴾ أي: يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة وأما القطع فلا تسقطه التوبة عندنا لأن فيه حق المسروق منه. قال الحدادي لا تقطع يده إذا رد المال قبل المرافعة إلى الحاكم وأما إذا رفع إلى الحاكم ثم تاب فالقطع واجب فإن كانت توبته حقيقة كان ذلك زيادة درجات له كما أن الله تعالى ابتلى الصالحين والأنبياء بالبلايا والمحن والأمراض زيادة لهم في درجاتهم وإن لم تكن توبته حقيقة كان الحد عقوبة له على ذنبه وهو مؤاخذ في الآخرة إن لم يتب ﴿**إن الله غفور رحيم**﴾ مبالغ في المغفرة والرحمة ولذلك يقبل التوبة ﴿**ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض**﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد به الجميع والاستفهام الإنكاري لتقرير العلم والمراد بذلك الاستشهاد على قدرته تعالى على ما سيأتي من التعذيب والمغفرة على أبلغ وجه وأتمه أي ألم تعلم أن الله له السلطان القادر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما إيجاداً وإعداماً وإحياء وإماتة إلى غير ذلك حسبما تقتضيه مشيئته. ﴿**يعذب من يشاء**﴾ أن يعذبه ولو على الذنب الصغير وهو عدل منه. ﴿**ويغفر لمن يشاء**﴾ أن يغفر له ولو كان الذنب عظيماً وهو الفضل منه أي يعذب لمن توجب الحكمة تعذيبه ويغفر لمن توجب الحكمة مغفرته ﴿**والله على كل شيء قدير**﴾ فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة، قال ابن الشيخ: إنه تعالى لما أوجب قطع يد السارق وعقاب الآخرة لمن مات قبل التوبة ثم ذكر أنه يقبل توبته إن تاب أردفه ببيان أنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فيعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء يحسن منه التعذيب تارة والمغفرة أخرى لأنه مالك جميع المحدثات وربهم وإلههم والمالك له أن يتصرف في ملكه كيف شاء وأراد لا كما زعمت المعتزلة من أن حسن أفعاله تعالى ليس لأجل كونه إلهاً للخلق ومالكاً بل لأجل كونها على وفق مصالح الخلق ومتضمنة لرعاية ما هو الأصلح لهم انتهى.

واعلم أن السرقة هي أخذ مكلف خفية قدر عشرة دراهم مضروبة من حرز لا ملك له فيه ولا شبهته فاحترز بالمكلف عن أخذ صبي ومجنون وبالخفية وهو ركن السرقة عن الغصب وقطع الطريق. وقوله قدر عشرة دراهم أي عيناً أو قيمة وهذا نصاب السرقة في حق القطع وأما في حق العيب فأخذ ما دون العشرة يعد سرقة أيضاً شرعاً ويعد عيباً حتى يرد العبد به على بائعه وعند الشافعي نصاب السرقة ربع دينار ولنا قوله عليه السلام: «لا قطع إلا في ربع دينار أو في عشرة دراهم» والأخذ بالأكثر أولى احتيالاً لدرأ الحد والمعتبر في هذه الدراهم ما يكون عشرة منها وزن سبعة مثاقيل واحترز بالمضروبة عما قيمته دونها حتى إذا سرق تبرا عشرة لا يساوي عشرة مضروبة لا يجب القطع وقوله من حرز أي من مال ممنوع من أن يصل إليه يد الغير سواء كان المانع بناء أو حافظاً. قال البغوي: إذا سرق شيئاً من غير حرز كثمر في حائط لا حارس له أو حيوان في برية لا حافظ له أو متاع في بيت منقطع عن البيوت لا قطع عليه وقيد بقوله ولا شبهته لأنه لو كان له شبهة في المسروق كما إذا سرق من بيت المال أوفى الحرز كما إذا سرق من بيت أذن للناس بالدخول فيه كالحمام والرباط لا يقطع لأن القطع يندرىء بالشبهة وكذا لا قطع بسرقة مال سيده لوجود الإذن بالدخول عادة وكذا بسرقة مال زوجته أو زوجها ولو من حرز خاص لآخر لا يسكنان فيه لأن اليد المبسوطة لكل من الزوجين في مال الآخر ثابتة وهو مانع عن القطع وكذا لا قطع بسرقة مال من بينهما قرابة ولاء لجريان الانبساط بين الأصول والفروع بالانتفاع في المال والدخول في الحرز ولا بسرقة من بيت ذي

رحم محرم ولو كان المسروق مال غيره لعدم الحرز ويقطع يمين السارق من زنده وهو مفصل الذراع في الكف ويحسم بأن يدخل في الدهن الحار بعد القطع لقطع الدم لأنه لو لم يحسم لأفضى إلى التلف والحد زاجر لا متلف ولهذا لا يقطع في الحر الشديد والبرد الشديد وإن سرق ثانياً بعدما قطعت يده اليمنى تقطع رجله اليسرى من المفصل وإن سرق ثالثاً لا يقطع بل يحبس حتى يتوب ويظهر عليه سيما الصالحين والتائبين لقول علي رضي الله عنه فيمن سرق ثلاث مرات إني لأستحيي من الله أن لا أدع له يداً يأكل بها ويستنجي ورجلاً يمشي عليها وفي الحديث: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» وفيه دليل على أن التوبة يعلم أثرها وتثبت السرقة بما يثبت به شرب الخمر أي بالشهادة أو بالإقرار مرة ونصابها رجلان لأن شهادة النساء غير مقبولة في الحدود وطلب المسروق منه شرط القطع لأن الخيانة على ملك الغير لا تظهر إلا بخصومته ولا فرق في القطع بين الشريف والوضيع، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سرقت امرأة مخزومية فأراد النبي ﷺ أن يقطع يدها فاستشفع لها أسامة بن زيد وكان النبي عليه الصلاة والسلام يحبه فلم يقبل وقال: «يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» وفي الحديث نهي عن الشفاعة في الحدود بعد بلوغ الإمام ولهذا رد رسول الله ﷺ شفاعة أسامة وأما قبله فالشفاعة من المجني عليه جائزة والستر على الذنب مندوب إذا لم يكن صاحب شر وأذى، قال السعدي:

پس پرده بيند عملهاى بد   هم اوپرده پوشد بـبالاى خود

وفي الحديث أيضاً دلالة على وجوب العدل في الرعية وإجراء الحكم على السوية، قال الإمام أبو منصور: فإن قيل ما الحكمة في قطع يد قيمتها ألوف بسرقة عشرة دراهم فكيف يكون قطعها جزاء لفعل السارق وقد قال تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] قلنا: جزاء الدنيا محنة يمتحن بها المرء ولله تعالى أن يمتحن بما شاء ابتداء أي من غير أن يكون ذلك جزاء على كسب العبد ولأن القطع ليس بجزاء ما أخذ من المال ولكن لما هتك من الحرمة ألا يرى أنه قال جزاء بما كسبا فيجوز أن يبلغ جزاء هتك تلك الحرمة قطع اليد وإن قصر على العشرة علم ذلك لأن مقادير العقوبات إنما يعلمها من يعلم مقادير الجنايات وإذا كان الأمر كذلك فالحق التسليم والانقياد انتهى. ونعم ما قال يونس بن عبيد في باب الترهيب: لا تأمن من قطع في خمسة دراهم خير عضو منك أن يكون عذابه هكذا غداً كما في «منهاج العابدين»، فعلى العاقل أن يتوب عن الزلل وينقطع عن الحيل ويتوجه إلى الله الأعلى الأجل، وفي «المثنوي»:

حيلها وچارها كر ازدهاست   پيش الا الله آنها جمله لاست

قفل زفتست وكشاينده خدا   دست در تسليم زن اندر رضا

ثم إن الله تعالى إنما بدأ بالسارق في هذه الآية قبل السارقة وفي آية الزنى بدأ بالزانية لأن السرقة تفعل بالقوة والرجل أقوى من المرأة والزنى يفعل بالشهوة والمرأة أكثر شهوة والمرأة أدعى من الرجل إلى نفسها منه إليها ولهذا لو اجتمع جماعة على امرأة لم يقدروا عليها إلا بمرادها ولهذا قيل: قال الله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] ولم يقل: وعصت حواء مع أنها أكلت قبل آدم ودعته إلى الأكل وقيل إنما قطعت يد السارق لأنها باشرت ولم يقطع

ذكر الزاني للمباشرة خوفاً لقطع النسل وتحصيل أيضاً لذة الزنى بجميع البدن. قال النيسابوري: قطعت يد السارق لأنها أخذت المال الذي هو يد الغني وعماده كأنه أخذ يد إنسان فجزوا يده لتناولها حق الغير وقيل: قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧] فكل ما عند العبد من مال فهو خزانة الحق عنده والعبد خازنه فمهما تعدى خزانة مولاه بغير إجازة استحق السياسة بقطع آلة التعدي إلى خيانة خزانته وهي اليد المتعدية، ثم إن السرقة كما تكون من المال كذلك تكون من العبادات وفي الحديث «أسوء الناس سرقة الذي يسرق من صلاته» قالوا: يا رسول الله كيف يسرق من صلاته؟ قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها» وفي الحديث «إن الرجل ليصلي ستين سنة وما تقبل له صلاة» لعله يتم الركوع ولا يتم السجود ويتم السجود ولا يتم الركوع كذا في «الترغيب والترهيب» فمثل هذا المصلي يقطع يمينه عن نيل الوصال فلا يصل إلى مراده بل يبقى في الهجران والقطيعة إذ هو أساء الأدب بل قصر فيما أمر الرب سبحانه وتعالى.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿يا أيها الرسول﴾ خاطبه ﷺ بعنوان الرسالة للتشريف ﴿لا يحزنك الذين﴾ أي: صنع الذين فإن الذوات مع قطع النظر عن العوارض لا توجب الحزن والفرح ﴿يسارعون في الكفر﴾ أي: يقعون في الكفر سريعاً في إظهاره إذا وجدوا منه فرصة والمقصود نهيه عليه السلام عن أن يتحزن بصنيعهم بناء على أنه تعالى ناصره عليهم والمعنى لا تحزن ولا تبال بتهافتهم في الكفر سريعاً ﴿من الذين﴾ بيان للمسارعين في الكفر ﴿قالوا آمنا بأفواههم﴾ متعلق بقالوا والفائدة في بيان تعلقه بالأفواه مع أن القول لا يكون إلا بالفم واللسان الإشارة إلى أن ألسنتهم ليست معبرة عما في قلوبهم وأن ما يجرون على ألسنتهم لا يجاوز أفواههم وإنما نطقوا به غير معتقدين له بقلوبهم ﴿ولم تؤمن قلوبهم﴾ جملة حالية من ضمير قالوا جيء بها للتصريح بما أشار إليه بقوله بأفواههم ﴿ومن الذين هادوا﴾ عطف على من الذين قالوا وبه يتم بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم إلى قسمين: المنافقين واليهود ﴿سماعون﴾ خبر مبتدأ محذوف والتقدير هم أي المنافقون واليهود سماعون ﴿للكذب﴾ اللام إما لتقوية العمل وإما لتضمن السماع معنى القبول وأما لام كي والمفعول محذوف والمعنى هم مبالغون في سماع الكذب أو في قبول ما تفتريه أحبارهم من الكذب على الله سبحانه وتحريف كتابهم أو سماعون أخباركم وأحاديثكم ليكذبوا عليكم بالزيادة والنقص والتبديل فإن منهم من يسمع من الرسول عليه السلام ثم يخرج ويقول: سمعت منه كذا وكذا ولم يسمع ذلك منه ﴿سماعون لقوم آخرين﴾ خبر ثان للمبتدأ المقدر مقرر

مقرر للأول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجهين الأولين واللام مثل اللام في سمع الله لمن حمده في الرجوع إلى معنى من أي قبل منه حمده والمعنى مبالغون في قبول كلام قوم آخرين ﴿لم يأتوك﴾ صفة أخرى لقوم أي لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبراً وإفراطاً في البغضاء قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾ صفة أخرى لقوم أي يميلونه ويزيلونه عن مواضعه بعد أن وضعه الله فيها إما لفظاً بإهماله أو تغيير وصفه وإما بحمله على غير المراد وإجرائه في غير مورده ﴿يقولون﴾ صفة أخرى لقوم أي يقولون لأتباعهم السماعين لهم عند إلقائهم إليهم أقاويلهم الباطلة مشيرين إلى كلامهم الباطل ﴿إن أوتيتم﴾ من جهة الرسول ﴿هذا﴾ المحرف ﴿فخذوه﴾ واعملوا بموجبه فإنه الحق ﴿وإن لم تؤتوه﴾ بل أوتيتم غيره ﴿فاحذروا﴾ قبوله وإياكم وإياه.

ـ روي ـ أن شريفاً من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فأرسلوهما مع رهط منهم إلى بني قريظة فقدم الرهط حتى نزلوا على قريظة والنضير فقالوا لهم: إنكم خبير بهذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث فلان وفلانة فجراً وقد أحصنا فنحب أن تسألوا لنا محمداً عن قضائه فيه فقالت لهم قريظة والنضير: إذاً والله يأمركم بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسد وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ما حدهما في كتابك فقال: «هل ترضون بقضائي» قالوا: نعم فنزل جبريل عليه السلام بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل: اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال عليه السلام: «هل تعرفون شاباً أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا» قالوا: نعم فقال: «أي رجل هو فيكم» قالوا: هو أعلم يهودي بقي على وجه الأرض بما أنزل الله على موسى في التوراة قال: «فأرسلوا إليه» ففعلوا فأتاهم فقال له عليه السلام: «أنت ابن صوريا» قال: نعم قال: «وأنت أعلم يهودي» قال: كذلك يزعمون قال: «أتجعلونه بيني وبينكم» قالوا: نعم قال له النبي عليه السلام: «أنشدك بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى وأخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي ظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى وأنزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن» قال ابن صوريا: نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت أن تحرقني التوراة إن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال: «إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم» فقال ابن صوريا والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله في التوراة على موسى فقال له النبي عليه السلام: «فماذا كان أول ما ترخصتم به في أمر الله تعالى» قال: كنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فكثر الزنى في أشرافنا حتى زنى ابن عم ملكنا فلم يرجم ثم زنى رجل آخر في أسوة من الناس فأراد ذلك الملك رجمه فقام دونه قومه وقالوا: والله لا ترجمه حتى ترجم فلاناً ابن عمك فقلنا: تعالوا نجتمع فلنضع شيئاً دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو أن يجلد أربعين جلدة بحبل مطلي بالقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وجوههما من قبل دبر الحمار يطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا: ما أسرع ما أخبرته به وما كنت لما أثنينا عليك بأهل ولكنك كنت غائباً فكرهنا أن

نغتابك فقال لهم: أنه قد نشدني بالتوراة ولولا خشية التوراة أن تهلكني لما أخبرته فأمر بهما النبي ﷺ فرجما عند باب المسجد وقال: «اللهم إني أول من أحيى أمرك إذ أماتوه» فأنزل الله تعالى **﴿يا أيها الرسول﴾** الآية **﴿ومن﴾** شرطية **﴿يرد الله فتنته﴾** أي: ضلالته أو فضيحته كائناً من كان **﴿فلن تملك له﴾** فلن تستطيع له **﴿من الله شيئا﴾** في دفعها **﴿أولئك﴾** المنافقون واليهود **﴿الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾** أي من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم فيهما وإصرارهم عليهما وإعراضهم عن صرف اختيارهم إلى تحصيل الهداية بالكلية **﴿لهم﴾** أي: للمنافقين واليهود **﴿في الدنيا خزي﴾** أما المنافقون فخزيهم فضيحتهم وهتك سترهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين وأما خزي اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم في كتمان نص التوراة **﴿ولهم في الآخرة﴾** أي: مع الخزي الدنيوي **﴿عذاب عظيم﴾** هو الخلود في النار **﴿سماعون للكذب﴾** تكرير لما قبله **﴿أكالون للسحت﴾** أي الحرام كالرشى من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة **﴿فإن جاؤوك﴾** الفاء فصيحة أي: وإذا كان حالهم كما شرح فإن جاؤوك متحاكمين إليك فيما شجر بينهم من الخصومات **﴿فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم﴾** بيان لحال الأمرين أثر التخيير **﴿فلن يضروك شيئا﴾** من الضرر بأن يعادوك لإعراضك عنهم فإن الله يعصمك من الناس **﴿وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط﴾** بالعدل الذي أمرت به كما حكمت بالرجم **﴿إن الله يحب المقسطين﴾** العادلين فيحفظهم من كل مكروه ومحذور ويعظم شأنهم وفي الحديث «المقسطون عند الله على منابر من نور» **﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله﴾** تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال أن الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الإيمان به وتنبيه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق وإقامة الشرع وإنما طلبوا به ما هو أهون عليهم وإن لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة أو رفعها بالظرف وإن جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه **﴿ثم يتولون﴾** عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجب وثم للتراخي في الرتبة **﴿من بعد ذلك﴾** أي: من بعد ما حكموك وهو تصريح بما علم قطعاً لتأكيد الاستبعاد والتعجب أي ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعدما رضوا بحكمك **﴿وما أولئك﴾** الموصوفون بما ذكر **﴿بالمؤمنين﴾** أي: بكتابهم لإعراضهم عنه أولاً وعن حكمك الموافق لكتابهم ثانياً أو بك وبه. وفي الآيات: ذم للظلم ومدح للعدل وقدح في الحرام والرشوة وفي الحديث: «كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به» وفيه «لعن الله الراشي والمرتشي والرائش» وأراد بالرائش الذي يمشي بينهما، وفي «المثنوي»:

أى بسا مرغى پرنده دانه جو ... كه بريده حلق أوهم حلق أو
أى بسا ماهي درآب دور دست ... كشته ازحرص كلو مأخوذ شست
أى بسا مستور درپرده بده ... شومى فرج وكلو رسو اشده
أى بسا قاضي حبر نيك خو ... از كلوى رشوتى اوزرد رو
بلكه در هاروت وماروت آن شراب ... از عروج جر خشان شد سد باب

ذكر في «أدب القاضي» للخصاف: الرشوة على أربعة أوجه: إما أن يرشوه لأنه قد خوفه فيعطيه الرشوة ليدفع الخوف عن نفسه أو يرشوه ليسوي أمره بينه وبين السلطان أو يرشوه ليتقلد القضاء من السلطان أو يرشو القاضي ليقضي له. ففي الوجه الأول لا يحل الأخذ لأن الكف

عن التخويف كف عن الظلم وأنه واجب حقاً للشرع فلا يحل أخذه لذلك ويحل للمعطي الإعطاء لأنه جعل المال وقاية للنفس وهذا جائز موافق للشرع. وفي الوجه الثاني أيضاً لا يحل الأخذ لأن القيام بأمور المسلمين واجب بدون المال فلا يحل له الأخذ. وفي الوجه الثالث: لا يحل له الأخذ والإعطاء وأما الرابع: فحرام الأخذ سواء كان القضاء بحق أو ظلم. أما الظلم فلوجهين: أحدهما أنه رشوة، والثاني: أنه سبب للقضاء بالجور. وأما الحق فلوجه واحد وهو أنه أخذ المال لإقامة الواجب. وأما العطاء فإن كان بجور لا يجوز وإن كان بحق جاز، قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: من شفع شفاعة يرد بها حقاً أو يدفع بها ظلماً فأهدي له فقبل فهو سحت، وفي «نصاب الاحتساب» أن المحتسب أو القاضي إذا أهدي إليه ممن يعلم أنه يهدي لاحتياجه إلى القضاء والحسبة لا يقبل ولو قبل كان رشوة وأما ممن يعرف أنه يهدي للتودد والتحبب لا للقضاء والحسبة فلا بأس به وكان الصحابة رضي الله عنهم يتوسعون في قبول الهداية بينهم وهذا لأن الهدية كانت عادتهم وكانوا لا يلتمسون منهم شيئاً وإنما كانوا يهدون لأجل التودد والتحبب وكانوا يستوحشون برد هداياهم فلا يكون فيه معنى الرشوة فلهذا كانوا يقبلونها، قال قوم: إن صلات السلاطين تحل للغني والفقير إذا لم يتحقق أنها حرام وإنما التبعة على المعطي قالوا لأن النبي ﷺ قبل هدية المقوقس ملك الاسكندرية واستقرض من اليهود مع قول الله تعالى: ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِۚ﴾ [المائدة: ٤٢] وأما حال السوق فمتى علمت أن الحرام هو الأكثر فلا تشتر إلا بعد التفتيش وإن كان كثيراً وليس بالأكثر فلك السؤال ولقد كان النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه يشترون من الأسواق مع علمهم بأن فيهم أهل الربا والغصب والغلول. قال الحدادي ومن السحت ثمن الخمر والخنزير والميتة وعسب الفحل وأجرة النائحة والمغنية والساحر وهدية الشفاعة ومهر البغي وحلوان الكاهن هكذا قال عمر وعلي وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ قالوا: والمال الذي يأخذه المغني والقوال ونحوهما حكم ذلك أخف من الرشوة فإن صاحب المال أعطاه عن غير اختيار بغير عقد، قال ابن كيسان: سمعت الحسن يقول: إذا كان لك على رجل دين فأكلت في بيته فهو سحت. فعليك أيها المؤمن المتقي بالاحتياط في أمورك حتى لا تقع في الشبهات بل في الحرام وإنما تحصل التصفية للقلب بأكل الغذاء الحلال. قال الحافظ:

صوفى شهر بين كه چون لقمه شبهه ميخورد پاردمش در ازباد اين حيوان خوش علف

والمقصود من البيت تشبيه الذي لا يحترز عن الشبهات بالحيوان في الأكل من كل ما يجده من غير تفرقة ولأن تناول الشبهات من كمال الحرص لأنه لو لم يكن له حرص لكان له قناعة بالحلال ولو قليلاً والحيوان يعظم من كثرة الأكل والشرب والنوم وهي حكم الطبيعة.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿إنا أنزلنا التوراة﴾ حال كونها **﴿فيها هدى﴾** تهدي شرائعها وأحكامها إلى الحق وترشد الناس إليه **﴿ونور﴾** تكشف ما انبهم من الأحكام وما يتعلق بها من المستورة بظلمات الجهل **﴿يحكم بها النبيون﴾** أي: أنبياء بني إسرائيل أي يحكمون بأحكامها ويحملون الناس عليها.

﴿الذين أسلموا﴾، إن قلت: النبيون أعظم من الإسلام فكيف يمدح نبي بأنه رجل مسلم وما الوصف به بعد الوصف بالنبوة إلا تنزل من الأعلى إلى الأدنى، قلت: قد يذكر الوصف مدحاً للوصف ففائدة التوصيف تنويه شأن الصفة والتنبيه على عظم قدرها حيث وصف بها عظيم كما وصف الأنبياء بالصلاح والملائكة بالإيمان وقد قيل أوصاف الأشراف أشراف الأوصاف، قال:

ما إن مدحت محمداً بمقالتي لكن مدحت مقالتي بمحمد

﴿للذين هادوا﴾ متعلق بيحكم أي يحكمون فيما بينهم واللام لبيان اختصاص الحكم بهم أعم من أن يكون لهم أو عليهم كأنه قيل لأجل الذين هادوا ﴿والربانيون والأحبار﴾ عطف على النبيون أي هم أيضاً يحكمون بأحكامها وهم الزهاد والعلماء من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود ﴿بما استحفظوا من كتاب الله﴾ أي: بالذي استحفظوه من جهة النبيين وهو التوراة حيث سألوهم أن يحفظوها من التضييع والتحريف على الإطلاق ولا ريب في أن ذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم في إجراء أحكامها من غير إخلال بشيء منها والباء سببية متعلقة بيحكم أي ويحكم الربانيون والأحبار أيضاً بسبب ما حفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم به أنبياؤهم وسألوهم أن يحفظوه ﴿وكانوا عليه شهداء﴾ أي: رقباء لا يتركونهم أن يغيروا فهو من الشهود بمعنى الحضور. ﴿فلا تخشوا الناس﴾ كائناً من كان أيها الرؤساء والأحبار واقتدوا في مراعاة أحكامها وحفظها بمن قبلكم من الأنبياء وأشياعهم. ﴿واخشون﴾ في الإخلال بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسوء نهوا أن يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم أو مراقبة كبير ودلالة الآية تتناول حكام المسلمين ﴿ولا تشتروا بآياتي﴾ الاشتراء استبدال السلعة بالثمن أي أخذها بدلاً منه ثم استعير لأخذ شيء بدلاً مما كان له عيناً كان أو معنى أخذاً منوطاً بالرغبة فيما أخذ والإعراض عما أعطى ونبذ أي لا تستبدلوا بآياتي التي فيها بأن تخرجوها منها أو تتركوا العمل بها وتأخذوا لأنفسكم بدلاً منها ﴿ثمنا قليلا﴾ من الرشوة والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية فإنها وإن جلت قليلة مسترذلة في نفسها لا سيما بالنسبة إلى ما فات عنهم بترك العمل بها.

آن جهان جيفه است ومردار ورخيص بر چنين مردار چون باشم حريص

پس حيات ماست موقوف فطام اندك اندك جهد كن تم الكلام

ولما كان الإقدام على التحريف لدفع ضرر كما إذا خشي من ذي سلطان أو لجلب نفع كما إذا طمع في الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما صريحاً. ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ مستهيناً به منكراً له كائناً من كان كما يقتضيه ما فعلوه من التحريف. ﴿فأولئك هم الكافرون﴾ لاستهانتهم به وتمردهم بأن حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم بإنكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وكتبنا﴾ فرضنا عطف على أنزلنا التوراة ﴿عليهم﴾ أي على الذين هادوا ﴿فيها﴾ أي في التوراة ﴿أن النفس بالنفس﴾ أي: تقاد بها إذا قتلها بغير حق ﴿والعين﴾ تفقأ ﴿بالعين﴾ إذا

فقئت بغير حق ﴿والأنف﴾ تجذم ﴿بالأنف﴾ المقطوعة بغير حق ﴿والأذن﴾ تصلم ﴿بالأذن﴾ المقطوعة ظلماً ﴿والسن﴾ تقلع ﴿بالسن﴾ المقلوعة بغير حقّ ﴿والجروح قصاص﴾ أي: ذات قصاص بحيث تعرف المساواة وأما ما لا يمكن الاقتصاص منه من كسر عظم أو جرح لحم كالجائفة ونحوها فلا قصاص فيه لأنه لا يمكن الوقوف على نهايته ففيه ارش أو حكومة ﴿فمن تصدق﴾ أي: من المستحقين ﴿به﴾ أي بالقصاص أي فمن عفا عنه فالتعبير بالتصدق للمبالغة في الترغيب فيه. ﴿فهو﴾ أي: التصدق ﴿كفارة له﴾ أي: للمتصدق يكفر الله تعالى بها ما سلف من ذنبه وأما الكافر إذا عفا فلا يكون عفوه كفارة له مع إقامته على الكفر وفي الحديث «من أصيب بشيء من جسده فتركه لله كان كفارة له» وفي الحديث «ثلاث من جاء بهن يوم القيامة مع الإيمان دخل الجنة من أي أبواب الجنة شاء وتزوج من الحور العين حيث شاء من عفا عن قاتله ومن قرأ دبر كل صلاة مكتوبة قل هو الله أحد عشر مرات ومن أدى ديناً خفياً» وقال بعضهم: الهاء كناية عن الجارح والقاتل يعني إذا عفا المجني عليه عن الجاني فعفوه كفارة لذنب الجاني لا يؤخذ به في الآخرة كما أن القصاص كفارة له فأما أجر العافي فعلى الله ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ من الأحكام والشرائع ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ المبالغون في الظلم المتعدون لحدوده تعالى الواضعون للشيء في غير موضعه.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وقفينا على آثارهم﴾ عطف على أنزلنا التوراة أي آثار النبيين المذكورين ﴿بعيسى ابن مريم﴾ أي: أرسلناه عقيبهم وجئنا به بعدهم يقال قفوت أثره قفوا وقُفوا أي اتبعته فهو يتعدى إلى واحد وإذا قلت قفيت على أثره بفلان يكون المعنى اتبعته إياه وحقيقة التقفية الإتيان بالشيء في قفا غيره والتضعيف فيه ليس للتعدية فإن فعل المضعف قد يكون بمعنى فعل المجرد كقدّر وقدر وإنما تعدى إلى الثاني بالباء فمفعوله الأول محذوف أي اتبعنا النبيين الذين ذكرناهم بعيسى وجعلناه ممن يقفوهم فحذف المفعول وجعل على آثارهم كالقائم مقامه ﴿مصدقاً لما بين يديه من التوراة﴾ حال من عيسى ﴿وآتيناه الإنجيل﴾ عطف على قفينا ﴿فيه هدى ونور﴾ كما في التوراة وهو في محل النصب على أنه حال من الإنجيل أي: كائناً فيه ذلك كأنه قيل مشتملاً على هدى ونور ﴿ومصدقاً لما بين يديه من التوراة﴾ عطف عليه داخل في حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التوراة زيادة تقرير. ﴿وهدى وموعظة للمتقين﴾ عطف على مصدقاً منتظم معه في سلك الحالية جعل كله هدى بعدما جعل مشتملاً عليه حيث قيل فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة للمتقين لأنهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه. قال الحافظ:

كرانكشت سليماني نباشد — چه خاصيت دهد نقش نكيني

فكما أن الانتفاع بالخاتم إنما يكون لمن كان له مشرب سليماني كذلك الانتفاع بالكتاب إنما يكون لمن له تقوى رجحاني ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾ أي: آتيناه الإنجيل وقلنا ليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه. ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ منكراً له مستهيناً به

﴿**فأولئك هم الفاسقون**﴾ المتمردون الخارجون عن الإيمان وفيه دلالة على أن الإنجيل مشتمل على الأحكام وأن عيسى عليه السلام كان مستقلاً بالشرع مأموراً بالعمل بما فيه من الأحكام قلت أو كثرت لا بما في التوراة خاصة وفيه تهديد عظيم للحكام وفي الحديث «يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة العذاب ما يتمنى أنه لم يفصل بين أحد في تمرتين» فإذا كان هذا حال القاضي العدل فما ظنك بالجائر والمرتشي.

بو حنيفه قضا نكرد وبمرد تو بميرى اكر قضا نكنى

وفي الحديث «القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة قاض قضى بغير حق وهو يعلم فذاك في النار وقاض قضى وهو لا يعلم فأهلك حقوق الناس فذاك في النار وقاض قضى بحق فذاك في الجنة» كذا في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي.

ـ حكي ـ أن بني إسرائيل كانوا ينصبون لإجراء الأحكام بينهم حكاماً ثلاثة حتى إذا رفع الخصم الأمر إلى واحد منهم فلم يرض به الآخر ترافعا إلى الثاني ثم إلى الثالث ليطمئن قلبه فذات يوم تصور ملك بصورة إنسان يريد امتحان هؤلاء الحكام فركب على رمكة وقام على رأس بئر فإذا رجل أتى ببقرة له مع عجلها ليسقيهما فلما سقاهما وأراد الرجوع أشار الملك إلى العجل فجاء في جنب الرمكة فكلما نادى صاحبه ودعاه لم يستمع ولم يذهب إلى الأم فجاء الرجل ليسوقه بأي وجه يمكن فقال الملك: يا هذا الرجل إن العجل قد ولدته رمكتي هذه فاذهب وخلني وعجلي فقال الرجل: يا عجباً العجل ملكي قد ولدته بقرتي هذه فتنازعا وترافعا إلى القاضي الأول فسبق الملك الرجل إلى القاضي وقال: إن قضيت لي بالعجل دفعت لك كذا فقبله القاضي فلما تحاكما حكم بالعجل للملك فلم يرض به الرجل فترافعا إلى الثاني فحكم هو أيضاً بالعجل للملك فلم يرض به الرجل أيضاً فترافعا إلى الثالث فلما عرض الملك الرشوة عليه قال: لا أستطيع هذا الحكم فإني قد حضت فقال الملك: أيش تقول هل تحيض الرجال والحيض من خواص النساء فقال القاضي له: تتعجب من كلامي ولا تتعجب من كلامك فكما أن الرجال لا تحيض فكذلك الرمكة لا تلد عجلاً فقال الملك هناك قاضيان في النار وقاض في الجنة وهذا الكلام منقول من لسانه كذا ذكر البعض نقلاً عن فم حضرة الشيخ الشهير بهدائي الاسكداري قدس سره.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿**وأنزلنا إليك**﴾ يا محمد ﴿**الكتاب**﴾ أي: القرآن حال كونه ملتبساً ﴿**بالحق**﴾ والصدق حال كونه ﴿**مصدقا لما بين يديه من الكتاب**﴾ أي: مصدقاً لما تقدمه من جنس الكتب المنزلة من حيث إنه نازل حسبما نعت فيه وموافقاً له في التوحيد والعدل وأصول الشرائع. ﴿**ومهيمنا عليه**﴾ أي: رقيباً على سائر الكتب المحفوظة عن التغير فإنه يشهد لها بالصدق والصحة والثبات وتقرر أصول شرائعها وما يتأبد من فروعها ويعين أحكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب أن تمييز أحكامها الباقية على

المشروعية أبدا عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها من أحكام كونه مهيمناً عليها **﴿فاحكم بينهم﴾** الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي إذا كان شأن القرآن كما ذكر فاحكم بين أهل الكتاب عند تحاكمهم إليك **﴿بما أنزل الله﴾** أي: بما أنزله إليك فإنه مشتمل على جميع الأحكام الشرعية الباقية في الكتب الإلٓهية **﴿ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾** بالانحراف عنه إلى ما يشتهونه فعن متعلقة بلا تتبع على تضمين معنى العدول ونحوه كأنه قيل: لا تعدل عما جاءك من الحق متبعاً أهواءهم **﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾** الخطاب بطريق الالتفات للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل للماضين أيضاً بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدي لواحد وهو إخبار بجعل ماض لا إنشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل والمعنى لكل أمة كائنة منكم أيها الأمم الباقية والخالية جعلنا أي عيناً ووضعنا شرعة ومنهاجاً خاصين بتلك الأمة لا تكاد أمة تتخطى شرعتها التي عينت لها فالأمة من مبعث موسى إلى مبعث عيسى عليهما السلام شرعتهم التوراة والتي كانت من مبعث عيسى إلى مبعث النبي عليهما السلام شرعتهم الإنجيل وأما أنتم أيها الموجودون فشرعتكم القرآن ليس إلا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هي الطريقة إلى الماء شبه بها الدين الذي شرعه الله أي سنه من نحو الصوم والصلاة والحج والنكاح وغير ذلك من وجوه الصلاح لكونه سبيلاً موصلاً إلى ما هو سبب للحياة الأبدية كما أن الماء سبب للحياة الفانية والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الأمر إذا وضح قيل فيه دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلها والتحقيق أنا متعبدون بأحكامها الباقية من حيث إنها أحكام شريعتنا لا من حيث إنها شرعة للأولين **﴿ولو شاء الله﴾** أن يجعلكم أمة واحدة **﴿لجعلكم أمة واحدة﴾** أي: جماعة واحد متفقة على دين واحد في جميع الأعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الأمم في شيء من الأحكام الدينية ولا نسخ ولا تحويل. **﴿ولكن﴾** لم يشأ ذلك أي: أن يجعلكم أمة واحدة بل شاء ما عليه السنة الإلهية الجارية فيما بين الأمم **﴿ليبلوكم﴾** أي: ليعاملكم معاملة من يبتليكم **﴿فيما آتاكم﴾** من الشرائع المختلفة المناسبة لأعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين أن اختلافها بمقتضى المشيئة الإلٓهية المبنية على أساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم في معاشكم ومعادكم أو تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى وفي «المثنوي»:

كربسوزد باغت انكورت دهد درميان ماتمى سورت دهد
لا نسلم واعتراض از ما برفت چون عوض مى آيداز مفقود زفت

﴿فاستبقوا الخيرات﴾ أي: إذا كان الأمر كما ذكر فسارعوا إلى ما هو خير لكم في الدارين من العقائد الحقية والأعمال الصالحة المندرجة في القرآن الكريم وابتدروها انتهازاً للفرصة وإحرازاً لمسابقة الفضل **﴿إلى الله مرجعكم جميعا﴾** أي: مرجع من آمن ومن لم يؤمن جميعاً حال من ضمير الخطاب. **﴿فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾** أي: فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما كنتم تختلفون فيه في الدنيا من أمر الدين والشريعة وإنما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع إزالة الاختلاف التي هي وظيفة الأخبار.

﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم﴾ عطف على الكتاب أي أنزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه **﴿واحذرهم﴾** مخافة **﴿أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾** أي يضلوك ويصرفوك عن بعضه ولو كان أقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق فالمراد بالفتنة هٰهنا الميل عن الحق والوقوع في الباطل كما في قوله عليه السلام: «أعوذ بك من فتنة المحيا» أي: العدول عن الطريق المستقيم وكل من صرف من الحق إلى الباطل وأميل عن القصد فقد فتن.

ـ روي ـ أن أحبار اليهود قالوا: اذهبوا بنا إلى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا إليه ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ فقالوا: يا أبا القاسم قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا إن اتبعناك اتبعك اليهود كلهم وأن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فاقض لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله فنزلت، واستدل العلماء بهذه الآية على أن الخطأ والنسيان جائز على الرسل لأنه تعالى قال: **﴿واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾** والتعمد في مثل هذا غير جائز على الرسل فلم يبق إلا الخطأ والنسيان **﴿فإن تولوا﴾** أي أعرضوا عن الحكم بما أنزل الله وأرادوا غيره **﴿فاعلم أنما يريد الله﴾** أي: فاعلم أن إعراضهم من أجل أن الله يريد **﴿أن يصيبهم ببعض ذنوبهم﴾** أي: يعجل لهم العقوبة في الدنيا بأن يسلطك عليهم ويعذبهم في الدنيا بالقتل والجلاء والجزية ويجازيهم بالباقي في الآخرة فالمراد ببعض ذنوبهم ذنب توليهم عن حكم الله تعالى وإنما عبر عنه بذلك تنبيهاً على أن لهم ذنوباً كثيرة هذا مع عظمه واحد من جملتها **﴿وإن كثيراً من الناس لفاسقون﴾** أي: متمردون في الكفر مصرون عليه خارجون عن الحدود المعهودة فلذا يتولون عن حكم الله.

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾ إنكار وتعجب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أيتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وهي الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع إلى وحي **﴿ومن أحسن من الله حكما﴾** إنكار لأن يكون أحد حكمه أحسن من حكمه تعالى أو مساو له وإن كان ظاهر السبك غير متعرض لنفي المساواة وإنكارها يرشدك إليه العرف المطرد والاستعمال الناشىء فإنه إذا قيل: من أكرم من فلان أو الأفضل من فلان فالمراد به حتماً أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل وحكماً نصب على التمييز من أحسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن حكمه أحسن من حكم الله. **﴿لقوم يوقنون﴾** أي: عندهم واللام للبيان فيتعلق بمحذوف كما في سقيا لك فإن سقيا دعاء للمخاطب بأن يسقيه الله فيكون لك بياناً له أي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فإنهم الذين يتدبرون الأمور بأنظارهم فيعلمون يقيناً أن حكم الله عز وجل أحسن الأحكام وأعدلها وليست اللام متعلقة بقوله: **﴿حكماً﴾** لأن حكم الله لا يخص قوماً دون قوم، فقد دلت الآيات على أن الدين واحد من حيث الأصول مختلف من جهة الفروع ولله أن يحكم في كل عصر وزمان بما أراد ففيه حكم ومصالح فعلينا بالتسليم والانقياد وترك الاعتراض والمسارعة إلى الخيرات قبل الموت والفوت وفي الحديث «اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك» لأن الرجل يقدر

على الأعمال في حال شبابه ما لا يقدر عليه في حال هرمه ولأن الشاب إذا تعود في المعصية لا يقدر على الامتناع منها في هرمه «وصحتك قبل سقمك» لأن الصحيح نافذ الأمر في ماله ونفسه لأنه إذا مرض ضعف بدنه عن الطاعة وقصرت يده عن ماله إلا في مقدار ثلثه «وفراغك قبل شغلك» يعني في الليل تكون فارغاً وبالنهار تكون مشغولاً فينبغي أن تصلي بالليل في حال فراغك وتصوم بالنهار في وقت شغلك خصوصاً في أيام الشتاء لأن الصوم في الشتاء غنيمة المؤمن كما قال عليه السلام: «الشتاء غنيمة المؤمن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه» وفي رواية أخرى «الليل طويل فلا تقصره بمنامك والنهار مضيء فلا تكدره بآثامك» «وغناك قبل فقرك» يعني: إذا كنت راضياً بما أعطاك الله من القوت فاغتنم ذلك ولا تطمع فيما في أيدي الناس «وحياتك قبل مماتك» لأن الرجل ما دام حياً يقدر على العمل فإذا مات انقطع عمله ولهذا تتمنى الموتى أن يعودوا إلى الدنيا فيتهللوا مرة أو يصلوا ركعة فالفرصة غنيمة والعمر قليل، قال الحافظ:

بكذشتن فرصت أى برادر ... دركرم روى چوميغ باشد
درياب كه عمر بس عزيز ست ... كر فوت شود دريغ باشد

وقال السيد الشريف لابنه:

نصيحت همينست جان پدر ... كه عمرت عزيز ست ضايع مكن

فينبغي للعاقل أن لا يضيع أيامه، قال الحكيم: بكودكى بازى. بجوان مستى. به پيرى سستى. خدارا كى پرستى. فإذا تم شغلك بالشريعة فاجتهد في الطريقة وهي باطن الشريعة واقتد بأولي الألباب فإنه كما أن لكل نبي شرعة ومنهاجاً كذلك لكل ولي طريقة مسلوكة مخصوصة وقد ضل من ضل منارهم.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم وإن كان سبب وروده بعضاً منهم إذ روي أن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال لرسول الله ﷺ إن لي موالي من اليهود كثيراً عددهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية مواليّ وهم يهود بني قينقاع فقال تعالى: **﴿لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾** أي لا تتخذوا أحداً منهم ولياً بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشروهم مصافاة الأحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم أولياء لكم حقيقة فإنه أمر ممتنع في نفسه لا يتعلق به النهي. **﴿بعضهم أولياء بعض﴾** أي: بعض كل فريق من ذينك الفريقين أولياء بعض آخر من ذلك الفريق لا من الفريق الآخر لأنه لا موالاة بين فريقي اليهود والنصارى رأساً والكل متفقون على الكفر مجمعون على مضارتكم ومضاركم فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاة **﴿ومن يتولهم منكم﴾** أي: من يتخذهم أولياء **﴿فإنه منهم﴾** أي: هو على دينهم ومعهم في النار وهذا إذا تولاهم لدينهم وأما الصحبة لمعاملة شراء شيء منهم أو طلب عمل منهم مع المخالفة في الاعتقاد والأمور الدينية فليس فيه هذا الوعيد، قال المولى أبو السعود: وفيه زجر شديد للمؤمنين عن إظهار صورة الموالاة لهم وإن لم تكن موالاة في

الحقيقة ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ تعليل لكون من يتولاهم منهم أي لا يرشد الذين ظلموا أنفسهم بترك إخوانهم المؤمنين وبموالاة أعداء الله بل يخليهم وشأنهم فيقعون في الكفر والضلالة اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك، قال الحافظ:

دروه عشق ازان سوى فناصد خطرست تانكوى كه چو عمرم بسر آمدرستم

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿فترى﴾ يا محمد أو كل من له أهلية للخطاب رؤية بصرية ﴿الذين في قلوبهم مرض﴾ أي: مرض النفاق ورخاوة العقد في الدين. ﴿يسارعون فيهم﴾ حال من الموصول أي مسارعين في موالاتهم ومعاونتهم وإيثار في على إلى للدلالة على أنهم مستقرون في الموالاة وإنما مسارعتهم من بعض مراتبها إلى بعض آخر منها والمراد بهم عبد الله بن أبي وأضرابه الذين كانوا يسارعون في موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون إلى المؤمنين بأنهم لا يؤمنون أن تصيبهم صروف الزمان كما قال تعالى: ﴿يقولون﴾ معتذرين ﴿نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ وهو حال من ضمير يسارعون والدائرة من الصفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها أي يدور علينا دائرة من دوائر الدهر ودولة من دوله بأن ينقلب الأمر وتكون الدولة للكفار وقيل: نخشى أن يصيبنا مكروه من مكاره الدهر كالجدب والقحط فلا يعطونا الميرة والقرض ولعلهم كانوا يظهرون للمؤمنين أنهم يريدون بالدوائر المعنى الأخير ويضمرون في أنفسهم المعنى الأول. ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾ رد من جهة الله تعالى لعللهم الباطلة وقطع لأطماعهم الفارغة وتبشير للمؤمنين بالظفر فإن عسى منه سبحانه وعد محتوم لما أن الكريم إذا أطمع أطعم لا محالة فما ظنك بأكرم الأكرمين. والمراد بالفتح فتح مكة أو فتح قرى اليهود من خيبر وفدك أو هو القضاء الفصل بنصره عليه السلام على من خالفه وإعزاز الدين. قال الحدادي: وسمي النصر فتحاً لأن فيه فتح الأمر المغلق ﴿أو أمر من عنده﴾ بقطع شأفة اليهود من القتل والإجلاء. والشأفة: قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى وتذهب يقال في المثل: استأصل الله شأفته أي أذهبه الله كما ذهب تلك القرحة بالكي ﴿فيصبحوا﴾ أي أولئك المنافقون المتعللون بما ذكر ﴿على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾ وهو ما كانوا يكتمون في أنفسهم من الكفر والشك في أمره ﷺ ﴿ويقول الذين آمنوا﴾ عند ظهور ندامة المنافقين وهو كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة أي ويقول الذين آمنوا مخاطبين لليهود مشيرين إلى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المفارقة في السراء والضراء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقريرهم بوقوع ضد ما كانوا يترقبون ويتعللون به تعجيباً للمخاطبين من حالهم وتعريضاً بهم. ﴿أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم﴾ أي: بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكي عنهم ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ [الحشر: ١١] فاسم الإشارة مبتدأ وما بعده خبره والمعنى إنكار ما فعلوه واستبعاده وتخطئتهم في ذلك والخطاب في معكم لليهود من جهة المؤمنين. وجهد الأيمان أغلظها وهو في الأصل مصدر ونصبه على تقدير وأقسموا بالله يجهدون جهد إيمانهم فحذف الفعل وأقيم

المصدر مقامه ولا يبالى بتعريفه لفظاً لأنه مأول بنكرة أي مجتهدين في أيمانهم أو على المصدر أي أقسموا إقسام اجتهاد في اليمين. ﴿حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين﴾ جملة مستأنفة مسوقة من جهته تعالى لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاية والإقسام على المعية في المنشط والمكره أثر الإشارة إلى بطلانه بالاستفهام الإنكاري أي بطلت أعمالهم التي عملوها في شأن الموالاة وسعوا في ذلك سعياً بليغاً حيث لم يكن لليهود دولة فغبنوا بما صنعوا من المساعي وتحملوا من مكاره المشاق، قال الحافظ:

اسم أعظم بكند كار خود اي دل خوش باش   كه بتلبيس وحيل ديو سليمان نشود

واعلم أن للحق دولة وللباطل صولة والباطل يفور ثم يغور. فعلى المؤمن أن لا يميل إلى جانب الباطل وأهله أصلاً كائناً من كان.

ـ روي ـ عن أبي موسى الأشعري أنه قال: قلت لعمر بن الخطاب: إن لي كاتباً نصرانياً فقال: ما لك؟ قاتلك الله ألا اتخذت حنيفاً أما سمعت قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ﴾ [المائدة: ٥١] قلت له دينه ولي كتابه قال: لا تكرموهم إذ أهانهم الله ولا تأتمنوهم إذ خونهم الله ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله.

ـ وروي ـ أنه قال لا قوام للبصرة إلا به فقال: مات النصراني والسلام يعني هب أنه مات فما كنت تكون صانعاً حينئذٍ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره، قال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: شاهدت في دمشق أن الرجال والنساء كانوا يوالون النصارى ويسامحون في المعاملة ويذهبون بأطفالهم وصغارهم إلى الكنائس ويرشون عليهم بطريق التبرك من ماء المعمودية وهذا كفر والعياذ بالله والمعمودية ماء للنصارى أصفر كانوا يغمسون فيه أولادهم ويعتقدون أنه تطهير للمولود كالختان لغيرهم وقس عليه تعظيم نوروز النصارى وإهداء شيء في ذلك اليوم إليهم والمشاركة معهم ويلزم الحسبة في بعض الأمور قطعاً لعرق الموالاة، وفي «ملتقطة الناصري» ولا أدع المشرك يضرب البربط، قال محمد: كل شيء أمنع من المسلم فإني أمنع من المشرك إلا الخمر والخنزير ولكن يمنع أهل الكفر من إدخال الخمور والخنازير في الأسواق على سبيل الشهرة لأن فيها استخفافاً للمسلمين وما صالحناهم ليستخفوا بالمؤمنين وإن حضر لهم عيد لا يخرجون فيه صليبهم ويمنعون من إظهار بيع المزامير والطنبور وإظهار الغناء وغير ذلك مما منع منه المسلم ويمنعون من إحداث الكنيسة، قال عليه الصلاة والسلام: «لا خصاء في الإسلام ولا كنيسة» والمراد بالخصاء خصاء بني آدم فيجوز خصاء البهائم وبه نقول فكما يجوز ذبح الحيوان لحاجة الناس إلى لحمه فكذلك يجوز خصاء الحيوان إذا كان في ذلك منفعة للناس، فإن قلت لم لا يجوز خصاء بني آدم وفيه منفعة أيضاً، قيل: لا منفعة فيه لأنه لا يجوز للخصي أن ينظر إلى النساء كما لا يجوز للفحل كذا في «بستان العارفين»، ثم اعلم أن النفس والشيطان والقوى الشريرة في وجود الإنسان كاليهود والنصارى فكما أنه يلزم مجانبتهم وعدم موالاتهم لأن الله تعالى عاداهم وأمر بمعاداتهم فكذلك ما ذكر من النفس وغيرها لا يجوز موالاتها والحمل على هواها لأنها تسوق إلى النار نار جهنم ونار القطيعة فالمؤمن مأمور بالمعاداة لمن عادى الله تعالى مطلقاً وإلا لم يصح إيمانه، وفي «المثنوي»:

آنچه در فرعون بود اندر توهست   ليك ازدرهات محبوس چهست

چه خرابت ميكند نفس لعين   دور مى اندازدت سخت اين قرين

آتشـت را هـيـزم فـرعـون نـيـسـت   زانكه چون فرعون اوراعون نيست

يعني: أن فرعون ساعده أسباب الدعوى والهوى ولذلك قال ما قال وفعل ما فعل وأما أنت فليس لك الأسباب مساعدة ولا تجد عوناً في هواك ولذا لا تظهر صورة ما أظهره.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾ هذا من الكائنات التي أخبر عنها القرآن قبل وقوعها.

ـ روي ـ أنه ارتد عن الإسلام إحدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله ﷺ بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو أسود العنسي كان كاهناً تنبأ باليمن واستولى على بلاده حتى أخرج عمال رسول الله ﷺ مثل معاذ بن جبل وسادات اليمن فكتب عليه السلام إلى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين وأمرهم أن يحثوا الناس على التمسك بدينهم وعلى النهوض إلى حرب الأسود فقتله فيروز الديلمي على فراشه قال ابن عمر فأتى الخبر النبي عليه السلام من السماء الليلة التي قتل فيها فقال عليه الصلاة والسلام: «قتل الأسود البارحة قتله رجل مبارك» قيل ومن هو قال: «فيروز» فبشر عليه السلام أصحابه بهلاك الأسود وقبض عليه السلام من الغد وأتى خبر مقتل العنسي المدينة في آخر شهر ربيع الأول وكان ذلك أول فتح جاء أبا بكر رضي الله عنه والفرقة الثانية من المرتدين بنو حنيفة باليمامة ورئيسهم مسيلمة الكذاب وكان قد تنبأ في حياة رسول الله ﷺ في آخر سنة عشر من الهجرة زعم أنه أشرك مع رسول الله في النبوة وكتب إلى النبي عليه السلام من مسلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك وبعث بذلك الكتاب رجلين من أصحابه فقال لهما رسول الله عليه السلام: «لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما» ثم أجاب «من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» فمرض عليه السلام وتوفي فبعث أبو بكر خالد بن الوليد إلى مسيلمة الكذاب في جيش كثير حتى أهلكه الله على يدي وحشي غلام مطعم بن عدي قاتل حمزة بن عبد المطلب بعد حرب شديد وكان وحشي يقول: قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام يريد في جاهليتي وإسلامي. والفرقة الثالثة بنو أسد ورئيسهم طليحة بن خويلد وكان طليحة آخر من ارتد وادعى النبوة في حياة رسول الله عليه السلام وأول من قوتل بعد وفاته عليه السلام من أهل الردة فبعث أبو بكر خالد بن الوليد فهزمهم خالد بعد قتال شديد وأفلت طليحة فمر على وجهه هارباً نحو الشام ثم إنه أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه ثم إن الله تعالى لما قبض نبيه عليه السلام ارتد عامة العرب إلا أهل مكة وأهل المدينة وأهل البحرين من عبد القيس فقال المرتدون أما الصلاة فنصلي وأما الزكاة فلا نغصب أموالنا فكلم أبو بكر في ذلك فقال: والله لا أفرق بين ما جمع الله تعالى بقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] والله لو منعوني عتوداً مما أدوا إلى رسول الله لقاتلتهم عليه فبعث الله عز وجل عصائب مع أبي بكر رضي الله عنه فقاتل على ما قاتل عليه نبي الله حتى أقروا بالزكاة المفروضة. قال أنس بن مالك: كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة

قالوا: هم أهل القبلة فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بداً من الخروج على أثره، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه في الانتهاء وقيل ما ولد بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر لقد قام مقام نبي في قتال أهل الردة، قال الشيخ العطار في نعت أبي بكر رضي الله عنه:

هرچه بود از باركاه كبريا ريخت در صدر شريف مصطفا
آن همه درسينه صديق ريخت لا جرم تابود ازو تحقيق ريخت

وقال الحسن: لولا ما فعل أبو بكر لألحد الناس في الزكاة إلى يوم القيامة، قال في «الأشباه»: المعتمد في المذهب عدم الأخذ كرهاً، قال في «المحيط» ومن امتنع عن أداء الزكاة فالساعي لا يأخذ منه كرهاً ولو أخذ لا يقع المأخوذ عن الزكاة لكونها بلا اختيار ولكن يجبره بالحبس ليؤدي بنفسه. **﴿فسوف يأتي الله﴾** مكانهم بعد إهلاكهم **﴿بقوم يحبهم﴾** أي: يريد بهم خير الدنيا والآخرة **﴿ويحبونه﴾** أي: يريدون إطاعته ويتحرزون عن معاصيه قيل هم أهل اليمن قال عليه السلام: «الإيمان يمان والحكمة يمانية» وإنما نسب الإيمان إليهم إشعاراً بكماله فيهم لأن من اتصف بشيء وقوي قيامه به نسب ذلك الشيء إليه لا أن يكون في ذلك نفي له عن غيرهم فلا منافاة بينه وبين قوله عليه الصلاة والسلام: «الإيمان في أهل الحجاز» ثم إن المراد بذلك الموجودون منهم في ذلك الزمان لا كل أهل اليمن في كل الأحيان كذا في «شرح المشارق» لابن الملك، وقيل هم الأنصار ـ رضي الله عنهم ـ، وقيل هم أهل فارس وفي الحديث «لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لناله أبناء فارس» وفيه فضيلة لهذه القبيلة **﴿أذلة على المؤمنين﴾** جمع ذليل أي أرقاء ورحماء متذللين ومتواضعين لهم واستعماله بعلى لتضمين معنى العطف والحنو. **﴿أعزة على الكافرين﴾** أي: أشداء متغلبين عليهم من عزه إذا غلبه **﴿يجاهدون في سبيل الله﴾** صفة أخرى لقوم مترتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعدها لكيفية عزتهم. **﴿ولا يخافون لومة لائم﴾** عطف على يجاهدون بمعنى أنهم جامعون بين المجاهدة في سبيل الله وبين التصلب في الدين. وفيه تعريض بالمنافقين فإنهم إذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا أولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون شيئاً يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان كأنه قيل لا يخافون من شيء من اللومات الواقعة من أي لائم كان فالمبالغة الأولى انتفاء الخوف من جميع اللومات والثانية انتفاء الخوف من جميع اللوام كل ذلك لأن النكرة في سياق النفي تعم. **﴿ذلك﴾** إشارة إلى ما تقدم من الأوصاف الجليلة التي وصف بها القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة في سبيل الله وانتفاء خوف اللوم من كل واحد. **﴿فضل الله﴾** أي لطفه وإحسانه لا أنهم مستقلون في الاتصاف بها **﴿يؤتيه من يشاء﴾** إيتاءه إياه ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة **﴿والله واسع﴾** كثر الفواضل والألطاف **﴿عليم﴾** مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها من هو أهل للفضل والتوفيق، قال الحافظ:

سكندررا نمى بخشند آبى بزور وزر ميسر نيست اين كار

واعلم أن من السالكين من يقطع العقبات ويحرق الحجب في سبعين سنة ومنهم من يقطعها في عشرين سنة ومنهم من يحصل له في سنة ومنهم من يقطعها في شهر بل في جمعة بل في ساعة حتى أن منهم من تحصل له في لحظة بتوفيق خاص وعناية سابقة أما تذكر سحرة

فرعون ما كان مدتهم إلا لحظة حيث رأوا معجزة موسى قالوا: آمنا برب العالمين فأبصروا الطريق وقطعوه حقه فصاروا من ساعة إلى ساعة بل أقل من العارفين بالله.

ـ وحكي ـ أن إبراهيم بن أدهم كان على ما كان عليه من أمر الدنيا فعدل عن ذلك وقصد الطريق الحق فلم يكن إلا مقدار سيره من بلخ إلى مرو الروذ حتى صار بحيث أشار إلى رجل سقط من القنطرة في الماء الكثير هنالك أن قف فوقف الرجل مكانه في الهواء فتخلص، وأن رابعة البصرية كانت أمة كبيرة يطاف بها في سوق البصرة لا يرغب فيها أحد لكبر سنها فرحمها بعض التجار فاشتراها بنحو مائة درهم فأعتقها فاختارت الطريق الحق فأقبلت على العبادة فما تمت لها سنة حتى زارها قراء البصرة وعلماؤها لعظم منزلتها. وأما الذي لم تسبق له العناية ولا توجهت له ولم يعامل بالفضل فيوكل إلى نفسه فربما يبقى في شعب من عقبة واحدة من العقبات سبعين سنة ولا يقطعها وكم يصيح وكم يصرخ ما أظلم هذا الطريق وأشكله وأعسر هذا الأمر وأعضله، فإن قلت لم اختص هذا بالتوفيق الخاص وحرم هذا وكلاهما مشتركان في ربقة العبودية فعند هذا السؤال تنادي من سرادق الجلال أن ألزم الأدب واعرف سر الربوبية وحقيقة العبودية فإنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ذلك تقدير العزيز العليم وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

رضا بداده بده وزجبين كره بكشاي   كه بر من وتودر اختيار نكشادست

اللهم اجعلنا ممن سبقت له العناية وتقدم في حقه التوفيق الخاص والهداية آمين يا رب العالمين.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ أي لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء لأن بعضهم أولياء بعض وليسوا بأوليائكم إنما أولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون فاختصوهم بالموالاة ولا تخطئوهم إلى الغير.

قال في «التأويلات النجمية»: فموالاة الله في معاداة ما سوى الله كما قال الخليل عليه السلام: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٧] وموالاة الرسول في معاداة النفس ومخالفة الهوى كما قال عليه السلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» وقال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين» وموالاة المؤمنين في مؤاخاتهم في الدين كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال عليه السلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» **﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة﴾** بدل من الذين آمنوا **﴿وهم راكعون﴾** حال من فاعل الفعلين أي يعملون ما ذكر من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى والمقصود تمييز المؤمن المخلص ممن يدعي الإيمان ويكون منافقاً لأن الإخلاص إنما يعرف بكونه مواظباً على الصلاة والزكاة في حال الركوع أي في حال الخشوع والإخبات لله تعالى **﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا﴾** أي ومن يتخذهم أولياء **﴿فإن حزب الله هم الغالبون﴾** أي فإنهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيهاً على البرهان عليه وكأنه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله

وحزب الله هم الغالبون وتشريفاً لهم بإضافتهم إليه تعالى وتعريضاً بمن يوالي غير هؤلاء بأنه حزب الشيطان وحزب الرجل أصحابه والحزب الطائفة يجتمعون لأمر حزبهم أي أصابهم.

واعلم أن الغلبة على أعداء الله الظاهرة والباطنة كالهوى والنفس والشيطان إنما تحصل بنصرة الله تعالى كما قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧] وليست النصرة والغلبة إلا بتأثير الله تعالى وهو المعز وكل العزة منه تعالى.

ـ وروي ـ أن الله تعالى شكا من هذه الأمة ليلة المعراج شكايات:

الأولى: أني لم أكلفهم عمل الغد وهم يطلبون مني رزق الغد.

والثانية: أني لا أرفع أرزاقهم إلى غيرهم وهم يرفعون عملهم إلى غيري.

والثالثة: أنهم يأكلون رزقي ويشكرون غيري ويخونون معي ويصالحون خلقي.

والرابعة: أن العزة لي وأنا المعز وهم يطلبون العزة من سواي.

والخامسة: أني خلقت النار لكل كافر وهم يجتهدون أن يوقعوا أنفسهم فيها فمن اتبع هوى النفس ولم يهتم لتزكيتها فقد سعى في إلحاق نفسه بزمرة الأعداء فلم يكن منصوراً البتة إذ لا يحصل من الجسارة إلا الخسارة والهوى مقتضى النفس والنفس ظلمانية ولا يتولد من الظلماني إلا الظلمة، قال في «المثنوي»:

عكس نورانى همه روشن بود عكس ظلماني همه كلخن بود

عكس هركس رابدان اي دور بين پهلوى جنسى كه خواهى مى نشين

فعلى المؤمن أن يجتهد بالصوم والصلاة ووجوه العبادات إلى أن يزكي نفسه عن سفساف الأخلاق ويغلب الأعداء الباطنة والغلبة عليها مفتاح الغلبة على الأعداء الظاهرة ولذا ترى الأنبياء والأولياء منصورين مظفرين على كل حال وهذه النصرة والولاية من آثار عناية الله السابقة فكما أن من رش عليه من نور الأزل لم ير ظلمة أبداً كذلك من لم يهتد بذلك النور في بداية الأمر لم يصل إلى المراد إلى آخر العمر، قال الحافظ:

بآب زمزم وكوثر سفيد نتوان كرد كليم بخت كسى راكه بافتند سياه

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ ـ روي ـ أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المؤمنين يوادونهما فنهاهم الله تعالى عن الموالاة وقال: **﴿لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا﴾** قوله الذين اتخذوا مفعول أول لقوله لا تتخذوا ومفعوله الثاني قوله أولياء ودينكم مفعول أول لقوله اتخذوا وهزؤاً مفعوله الثاني. والهزؤ السخرية والاستهزاء واللعب بالفارسية [بازى] ومعنى اتخاذهم دين المسلمين مهزواً به وتلاعبهم به إظهارهم ذلك باللسان مع الإصرار على الكفر في القلب وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزؤاً ولعباً إيماء إلى العلة وتنبيهاً على أن من هذا شأنه جدير بالمعاداة فكيف بالموالاة **﴿من الذين أوتوا الكتاب في قبلكم﴾** بيان للمستهزئين ومن قبلكم متعلق بأوتوا **﴿والكفار﴾** بالنصب عطف على الموصول الأول والمراد المشركون خصوا به لتضاعف كفرهم فالنهي عن موالاة من

ليس على الحق رأساً سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كأهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين ﴿أولياء﴾ وجانبوهم كل المجانبة ﴿واتقوا الله﴾ في ذلك بترك موالاتهم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أي: حقاً لأن الإيمان يقتضي الاتقاء ﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها﴾ أي الصلاة والمناداة ﴿هزوا ولعبا﴾ كان المؤذنون إذا أذنوا للصلاة تضاحكت اليهود فيما بينهم وتغامزوا سفهاً واستهزاء بالصلاة وتجهيلاً لأهلها وتنفيراً للناس عنها وعن الداعي إليها ﴿ذلك﴾ أي: الاستهزاء المذكور المستقر ﴿بأنهم قوم لا يعقلون﴾ أي بسبب عدم عقلهم فإن السفه يؤدي إلى الجهل بمحاسن الحق والهزء به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترأوا على تلك العظيمة، وفي «المثنوي»:

كشتى بى لنكر آمد مردشر ... كه زباد كژ نيابد أو حذر
لنكر عقلست عاقل را أمان ... لنكرى دريوزه كن ازعاقلان

قال العلماء ثبوت الأذان ليس بالمنام وحده بل هو ثابت بنص هذه الآية فإن المعنى إذا دعوتم الناس إلى الصلاة بالأذان والنداء الدعاء بأرفع الصوت. وفي الأذان حكم منها إظهار شعائر الإسلام وكلمة التوحيد والإعلام بدخول وقت الصلاة وبمكانها والدعاء إلى الجماعة إلى غير ذلك ولو وجد مؤذن حسن الصوت يطلب على أذانه الأجر والرزق وآخر يتبرع بالأذان لكن غير حسن الصوت فأيهما يؤخذ ففيه وجهان: أصحهما أنه يرزق حسن الصوت فإن لحسن الصوت تأثيراً كما أن لقبحه تغييراً وتنفيراً، وفي «المثنوي»:

يك مؤذن داشت بس او آزبد ... در ميان كافرستان بانك زد
چند كفتندش مكو بانك نمار ... كه شود جنك وعداوتها دراز
اوستيزه كرد وبس بى احتراز ... كفت در كافرستان بانك نماز
خلق خائف شد زفتنه عامه ... خود بيامد كافرى باجامه
شمع وحلوا باچنان جامه لطيف ... هديه آورد وبيامد چون أليف
پرس پرسان كين مؤذن كوكجاست ... كه صلا وبانك او راحت فزاست
دخترى دارم لطيف وبس سنى ... آرزو مى بود اورا مؤمنى
هيچ اين سود انمى رفت ازسرش ... پندها مى داد چندين كافرش
هيچ چاره مى ندانستم دران ... تافر وخواند اين مؤذن آن أذان
كفت دختر چيست اين مكروه بانك ... كه بكوشم آمداين دوچار دانك
من همه عمر اين چنين آواز زشت ... هيچ نشنيدم درين ديرو كنشت
خواهرش كفتا كه اين بانك أذان ... هست اعلام درشعار مؤمنان
باورش نامد بپرسيد ازدكر ... آن ديكرهم كفت آرى اى پدر
چون يقين كشتش رخ اوزرد شد ... از مسلمانى دل او سرد شد
بازرستم من زتشويش وعذاب ... دوش خوش خفتم دران بى خوف خواب
راحتم اين بود از آواز او ... هديه آوردم بشكر آن مردكو
چون بديدش كفت اين هديه پذير ... كه مراكشتى مجيرو دستكير
كربمال ملك وثروت فردمى ... من دهانت را پرازرز كردمى

ورد في التأذين فضائل وفي الحديث «أول الناس دخولاً الجنة الأنبياء ثم الشهداء ثم

بلال» مع مؤذني الكعبة ثم مؤذنو بيت المقدس ثم مؤذنو مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم سائر المؤذنين على قدر أعمالهم وفي الحديث «ثلاثة لا يكترثون من الحساب ولا تفزعهم الصيحة ولا يحزنهم الفزع الأكبر حامل القرآن العامل بما فيه يقدم على الله سيداً شريفاً ومؤذن أذن سبع سنين لا يأخذ على أذانه طعماً وعبد مملوك أحسن عبادة ربه وأدى حق مولاه» وإذا اجتمع الأذان والإمامة في شخص فالإمامة أفضل لمواظبة النبي عليه السلام عليها وإنما أمَّ ولم يؤذن لأنه عليه السلام لو أذن لكان كل من تخلف عن الإجابة كافراً ولأنه لو كان داعياً لم يجز أن يشهد لنفسه ولأنه لو أذن وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لتوهم أن ثمة نبياً غيره ولأن الأذان رآه غيره في المنام فولاه إلى غيره وأيضاً أنه عليه السلام كان إذا عمل عملاً أثبته أي جعله ديمة وكان لا يتفرغ لذلك لاشتغاله بتبليغ الرسالة وهذا كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه لولا الخليفي لأذنت، وكره اللحن في الأذان لما روي أن رجلاً جاء إلى ابن عمر رضي الله عنهما فقال: إني أحبك فقال: إني أبغضك في الله فقال: لِمَ؟ فقال: لأنه بلغني أنك تغني في أذانك يعني تلحن وذلك مثل أن يقول آلله بمد الألف الأولى لأنه استفهام وشك وأن يقول أكبار بمد الباء لأنه اسم الشيطان وغير ذلك إلى آخر كلمات الأذان، وإجابة المؤذن واجبة على كل من سمعه وإن كان جنباً أو حائضاً إذ لم يكن في الخلاء أو في الجماع، وذكر تاج الشريعة أن إجابة المؤذن سنة، وقال النووي مستحبة فيقول بمثل ما يقول المؤذن وضعف تقبيل ظفري إبهاميه مع مسبحتيه والمسح على عينيه عند قوله محمد رسول الله لأنه لم يثبت في الحديث المرفوع لكن المحدثين اتفقوا على أن الحديث الضعيف يجوز العمل به في الترغيب والترهيب فقط ويقول عند حي على الصلاة «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» وعند حي على الفلاح «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن» وعند قوله الصلاة خير من النوم «صدقت وبالخير نطقت» وفي قوله قد قامت الصلاة «أقامها الله وأدامها» وحين ينتهي إلى قوله قد قامت الصلاة يجيب بالفعل دون القول.

- وروي - عن ميمونة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قام بين صف الرجال والنساء فقال: «يا معشر النساء إذا سمعتن أذان هذا الحبشي وإقامته فقلن كما يقول فإن لكن بكل حرف ألف درجة» قال عمر - رضي الله عنه -: هذا في النساء فما للرجال قال: «ضعفان يا عمر» قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي: حبذا الكلام ونعم النداء الأذان فعند قوله الله أكبر الله أكبر «لو انكشف وتجلى عظمة الله تعالى وكبرياؤه» وعند قوله أشهد أن لا إله إلا الله «لو انكشف وحدانيته» وعند أشهد أن محمداً رسول الله «لو انكشف حقانيته» وعند الحيعلتين «لو ظهر الطلب من الطالب إلى المطلوب» وعند الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله «لو تجلى الذات لتم المقصود وحصل المراد» انتهى.

ومن فضائل الأذان أنه لو أذن خلف المسافر فإنه يكون في أمان إلى أن يرجع. وإن أذن في أذن الصبي وأقيم في أذنه الأخرى إذا ولد فإنه أمان من أم الصبيان وإذا وقع هذا المرض أيضاً وكذا إذا وقع حريق أو هجم سيل أو برد أو خاف من شيء كما في «الأسرار المحمدية» والأذان إشارة إلى الدعوة إلى الله حقيقة والداعي هو الوارث المحمدي يدعو أهل الغفلة والحجاب إلى مقام القرب ومحل الخطاب فمن كان أصم عن استماع الحق استهزأ بالداعي ودعوته لكمال جهالته وضلالته ومن كان ممن ألقى السمع وهو شهيد يقبل إلى دعوة الله العزيز

الحميد وينجذب إلى حضرة العزة ويدرك لذات شهود الجمال ويغتنم مغانم أسرار الوصال:

جوانا سرمتات ازپند پيران كه رأى پيرت ازبخت جوان به

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾

﴿قل يا أهل الكتاب﴾ ـ روي ـ أن نفراً من اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن دينه فقال عليه السلام: «أؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون» فحين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام قالوا: لا نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ولا ديناً شراً من دينكم فأنزل الله هذه الآية أي قل لهؤلاء اليهود الفجرة **﴿هل تنقمون منا﴾** من نقم منه كذا إذا عابه وأنكره وكرهه أي ما تعيبون وما تنكرون منا ديننا لعلة من العلل **﴿إلا أن آمنا بالله﴾** أي: إلا لأن آمنا بالله فهو مفعول له لتنقمون على حذف المفعول به الذي هو الدين **﴿وما أنزل إلينا﴾** من القرآن المجيد **﴿وما أنزل من قبل﴾** إنزاله من التوراة والإنجيل وسائر الكتب الإلهية **﴿وأن أكثركم فاسقون﴾** عطف على أن آمنا أي ولان أكثركم متمردون خارجون عن الإيمان بما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لآمنتم به وإسناد الفسق إلى أكثرهم مع أن كلهم فاسقون لأنهم الحاملون لأعقابهم على التمرد والفساد وقيل هو عطف على أن آمنا على أنه مفعول به لكن لا على أن المستثنى مجموع المعطوفين بل هو ما يلزمهما من المخالفة كأنه قيل ما تكرهون من جهتنا إلا الإيمان بالله وبجميع كتبه المنزلة وإلا مخالفتكم حيث دخلنا الإيمان وأنتم خارجون منه **﴿قل هل أنبئكم﴾** الخطاب لليهود **﴿بشر من ذلك﴾** الإشارة إلى المنقوم وهو الإيمان والمنقوم منهم المؤمنون أي هل أخبركم بما هو شر في الحقيقة لا ما تعتقدونه شراً وإن كان في نفسه خيراً محضاً، قال ابن الشيخ: ومن المعلوم قطعاً أنه لا شر في دين الإسلام فالمراد الزيادة المطلقة **﴿مثوبة عند الله﴾** أي: جزاء ثابتاً في حكمه تعالى والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة مختصة بالشر فوضعت هٰهنا موضعها على طريق التهكم ونصبها على التمييز من بشر. **﴿من لعنه الله وغضب عليه﴾** خبر لمبتدأ محذوف بتقدير مضاف قبله مناسب لما أشير إليه بكلمة ذلك أي هو دين من لعنه الله وهو اليهود وأبعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات. **﴿وجعل منهم القردة والخنازير﴾** أي: مسخ بعضهم قردة في زمن داود عليه السلام بدعائه عليهم حين اعتدوا في السبت واستخلوه ومسخ بعضهم خنازير في زمن عيسى عليه السلام بعد أكلهم من المائدة وحين كفروا بعد ما رأوا الآيات البينة، وقيل كلا المسخين في أصحاب السبت مسخت شبانهم قردة وشيوخهم خنازير ولما نزلت هذه الآية قال المسلمون لليهود يا إخوة القردة والخنازير فنكسوا رؤوسهم وافتضحوا. **﴿وعبد الطاغوت﴾** عطف على صلة من وضميره المستكن يعود إلى من أي أطاع الشيطان فيما سول له **﴿أولئك﴾** الموصوفون بتلك القبائح والفضائح **﴿شر مكانا﴾** جعل مكانهم شراً ليكون أبلغ في الدلالة على شرارتهم **﴿وأضل عن سواء السبيل﴾** عطف على شر مقرر له أي أكثر ضلالاً عن الطريق المستقيم. وفيه دلالة على كون دينهم شراً

محضاً بعيداً عن الحق لأن ما يسلكونه من الطريق دينهم فإذا كانوا أضل كان دينهم ضلالاً مبيناً لا غاية وراءه وصيغة التفضيل في الموضعين للزيادة مطلقاً لا بالإضافة إلى من يشاركهم في أصل الشرارة والضلال.

واعلم أن كل صنف من الناس يفرح بما لديه ويبغض الآخر بما هو عليه ولكن الحق أحق أن يتبع فالمؤمن يحب المؤمن فإن المحبة من الأخلاق الحسنة والأوصاف الشريفة وفي الحديث «إن من عباد الله عباداً ما هم بأنبياء وشهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى» قالوا: يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم قال: «هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام منهم ولا أموال يتعاطون فوالله إن وجوههم أنوار وأنهم يعلون منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس». وسئل عبد الله السالمي بأي شيء يعرف أولياء الله من بين عباده؟ فقال: بلطافة اللسان وحسن الخلق وبشاشة الوجه وسخاوة النفس وقلة الاعتراض وقبول الاعتذار وكمال الشفقة على عامة الخلق، قال الحافظ:

تاج شاهى طلبى كوهر ذاتى بنماى ورخوداز كوهر جمشيد وفريدون باشى

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي: لا تزال البغضاء بين البيراميين وبين الخلوتية وكذا بينهم وبين أتباع السيد البخاري مع أن البغضاء لا تليق بأهل الحق ألا يرى أنا لم نسمع من دور آدم إلى خاتم النبيين عليهم السلام نوع بغض بين نبيين أصلاً مع أنه قد يتفق في بعض الأوقات أن يجتمع ثلاثة وأربعة من الأنبياء وكذا أتباعهم لا يطعنون في واحد منهم، قال السعدي:

دلم خانه مهر يارست وبس ازان مى نكنجد دروكين كس

قال بعضهم: القلوب ثلاثة: قلب يطير في الدنيا حول الشهوات، وقلب يطير في العقبى حول الكرامات، وقلب يطير في سدرة المنتهى حول المناجاة، قال الحافظ:

غلام همت رندان بى سروپايم كه هردو كون نير زد به پيش شان يك كاه

فعلى العاقل أن يشتغل بالتوحيد كي يتخلص من ظلمات النفس وهواها والشيطان ووساوسه، نظر عمر بن الخطاب إلى شاب فقال: يا شاب إن وقيت شر ثلاثة فقد وقيت شر الشيطان، إن وقيت لقلقك وقبقبك وذبذبك. قال الأصمعي اللقلق اللسان والقبقب البطن والذبذب الفرج.

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وإذا جاؤوكم قالوا آمنا﴾ نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ يظهرون له الإيمان نفاقاً فالخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والجمع للتعظيم أوله مع من عنده من المسلمين أي إذا جاؤوكم أظهروا الإسلام. **﴿وقد﴾** أي: والحال أنهم قد **﴿دخلوا﴾** ملتبسين **﴿بالكفر وهم قد خرجوا﴾** من عندك ملتبسين **﴿به﴾** أي بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك **﴿والله أعلم بما كانوا يكتمون﴾** من الكفر وصيغة التفضيل لأن رسول الله ﷺ كان يظن نفاقهم من إماراته اللائحة عليهم ويتوقع أنه يظهره الله، وفي «المثنوي»:

نيست بازى باممييز خاصه او كه بود تمييز عقلش غيب كو

هيچ سحر وهيچ تلبيس ودغل مى نبندد پرده بر اهل دول

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ

ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿وترى﴾ يا محمد رؤية بصرية ﴿كثيراً منهم﴾ أي من اليهود والمنافقين حال كونهم ﴿يسارعون في الإثم﴾ أي الكذب على الإطلاق وإيثار كلمة في على كلمة إلى للدلالة على أنهم مستقرون في الإثم وإنما مسارعتهم من بعض مراتبه إلى بعض آخر منها كقوله تعالى ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٦١] لا أنهم خارجون منه متوجهون إليه كما في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ﴿والعدوان﴾ أي الظلم المتعدي إلى الغير ﴿وأكلهم السحت﴾ أي الحرام ﴿لبئس ما كانوا يعملون﴾ أي لبئس شيئا كانوا يعملونه والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار ﴿لولا﴾ حرف تحضيض ﴿ينهاهم الربانيون والأحبار﴾ المراد بهم العلماء إلا أن الرباني الزاهد العارف الواصل والحبر العالم العامل المقبول ﴿عن قولهم الإثم﴾ وهو قولهم آمنا وليسوا بمؤمنين ﴿وأكلهم السحت﴾ مع علمهم بقبحها ومشاهدتهم لمباشرتهم لها ﴿لبئس ما كانوا يصنعون﴾ هو أبلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون لأن الصنع أقوى من العمل فإن العمل إنما يسمى صناعة إذا صار مستقراً راسخاً متمكناً فجعل جرم من عمل الإثم والعدوان وأكل السحت ذنباً غير راسخ وذنب التاركين للنهي عن المنكر ذنباً راسخاً وفي الآية مما ينعي على العلماء من توانيهم في النهي عن المنكرات ما لا يخفى، قال الشيخ السعدي:

كرت نهى منكر بر آيد زدست   نشايد چوبى دست وپايان نشست
چو دست وزبانرا نماند مجال   بهمت نمانيد مردى رجال

قال عمر بن عبد العزيز: إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ولكن إذا أظهروا المعاصي فلم ينكروا استحق القوم جميعاً للعقوبة ولولا حقيقة هذا المعنى في التوبيخ على المشايخ والعلماء في ترك النصيحة لما اشتغل المحققون بدعوة الخلق وتربيتهم لاستغراقهم في مشاهدة الحق ومؤانستهم به. قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره: السالك إذا وصل إلى الحقيقة إما أن يرسل للإرشاد أو يبقى في حضور الوصلة ولا يريد الفرقة كالشيخ أبي يزيد البسطامي فإنه لا يختر الإرشاد ولكن الإرشاد طريقة الأنبياء عليهم السلام فإنه ما من نبي إلا وهو قد بعث وأرسل لإرشاد الخلق ولم يبق في عالم الحضور، قال في «المثنوي» خطاباً من قبل الله تعالى إلى حضرة النبي عليه السلام:

هين بمكذار اي شفا رنجوررا   تو زخشم كور عصاي كوررا
نى توكفتى قائد أعمى براه   صد ثواب واجر يابد ازاله
هركه أو چل كام كورى راكشد   كشت آمر زيده ويابد رشد
پس بكش توزين جهان بى قرار   چوق كورانرا قطار اندر قطار
كار هادى اين بود توهادىء   ماتم آخر زمانرا شادىء
هين روان كن أي إمام المتقين   اين خيال انديشكانرا تايقين
خيز دردم توبصور سهمناك   تاهزاران مرده بررويد زخاك

وأهل الحقيقة والعلماء العاملون المتجردون عن الغرض سوى إعلاء كلمة الله تعالى محفوظون في أقوالهم وأفعالهم.

ـ وحكي ـ أن زاهداً من التابعين كسر ملاهي مروان بن الحكم الخليفة فأتي له به فأمر بأن يلقي بين يدي الأسد فألقي فلما دخل ذلك الموضع افتتح الصلاة فجاءت الأسد وجعلت تحرك ذنبها حتى اجتمع عليه ما كان في ذلك الموضع من الأسد فجعلت تلحسه بألسنتها وهو يصلي ولا يبالي فلما أصبح مروان قال: ما فعل بزاهدنا قيل: ألقي بين يدي الأسد قال: انظروا هل أكلته فجاؤوا فوجدوا الأسد قد استأنست به فتعجبوا من ذلك فأخرجوه وحملوه إلى الخليفة فقال له أما كنت تخاف منها قال لا كنت مشغولاً متفكراً طول الليل لم أتفرغ إلى خوفهم فقال له فيماذا تتفكر؟ قال: في هذه الأسد حيث جاءتني تلحسني بألسنتها فكنت أتفكر ألعابها طاهر أم نجس فتفكري في هذا منعني عن الخوف منها فتعجب منه فخلى سبيله كذا في «نصاب الاحتساب».

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿**وقالت اليهود**﴾ قال المفسرون: إن الله تعالى قد بسط النعمة على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا وأخصبهم ناحية فلما عصوا الله في شأن رسول الله ﷺ وكذبوه كف الله عنهم ما بسط عليهم من النعمة فعند ذلك قالت اليهود ﴿**يد الله مغلولة**﴾ أي: مقبوضة ممسكة عن العطاء. وغل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك إلى إثبات يد وغل أو بسط قال الله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩] أي: لا تمسكها عن الإنفاق ﴿**غلت أيديهم**﴾ دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكة أي أمسكت أيديهم عن الإنفاق في الخير وجعلوا بخلاء واليهود أبخل الناس ولا أمة أبخل منهم. ﴿**ولعنوا**﴾ أي: أبعدوا وطردوا من رحمة الله تعالى ﴿**بما قالوا**﴾ أي: بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء وهذا الدعاء عليهم تعليم للعباد وإلا فهو أثر العجز تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾ أي: ليس شأنه عز وجل كما وصفتموه بل هو موصوف بغاية الجود ونهاية الفضل والإحسان وهذا المعنى إنما يستفاد من تثنية اليد فإن غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطيه بيديه جميعاً ويد الله من المتشابهات وهي صفة من صفات الله تعالى كالسمع والبصر والوجه ويداه في الحقيقة عبارة عن صفاته الجمالية والجلالية وفي الحديث: «كلتا يديه يمين»:

اديم زمين سفره عام اوست   برين خوان يغما چه دشمن چه دوست

﴿**ينفق كيف يشاء**﴾ أي هو مختار في إنفاقه يوسع تارة ويضيق أخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من شؤم المعاصي أن يضيق عليهم، وفي «المثنوي»:

چو نكه بد كردى بترس ايمن مباش   زانكه تخسمت وبرويانند خداش
چند كاهى او بپوشاند كه تا   آيدت زان بدپشيمان وحيا
بارها پوشد پى إظهار فضل   باز كيرد ازپى إظهار عدل
تاكه اين هر دوصفت ظاهر شود   آن مبشر كردد اين منذر شود

﴿**وليزيدن كثيرا منهم**﴾ وهو علماؤهم ورؤساؤهم. قوله كثيراً مفعول أول ليزيدن ﴿**ما أنزل إليك من ربك**﴾ وهو القرآن وما فيه من الأحكام وهو فاعل يزيدن. ﴿**طغيانا وكفرا**﴾

مفعول ثان للزيادة أي ليزيدنهم طغياناً على طغيانهم وكفراً على كفرهم القديمين، إما من حيث الشدة والغلو وإما من حيث الكم والكثرة إذ كلما نزلت آية كفروا بها فيزداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما أن الطعام الصالح للأصحاء يزيد المرضى مرضاً ﴿**وألقينا بينهم**﴾ أي بين اليهود فإن بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة أما الجبرية فهم الذين ينسبون فعل العبد إلى الله تعالى ويقولون لافعل للعبد أصلاً ولا اختيار وحركته بمنزلة حركة الجمادات. وأما القدرية فهم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله. وأما المرجئة فهم الذين لا يقطعون على أهل الكبائر بشيء من عفو أو عقوبة بل يرجعون الحكم في ذلك أي يؤخرونه إلى يوم القيامة وأما المشبهة: فهم الذين شبهوا الله تعالى بالمخلوقات ومثلوه بالمحدثات. ﴿**العداوة والبغضاء**﴾ أي: جعلناهم مختلفين في دينهم متباغضين كما قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤] فلا تكاد تتوافق قلوبهم ولا تتطابق أقوالهم والجملة مبتدأة مسوقة لإزاحة ما عسى يتوهم في ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على أمر يؤدي إلى الإضرار بالمسلمين. قيل: العداوة أخص من البغضاء لأن كل عدو مبغض بلا عكس كلي ﴿**إلى يوم القيامة**﴾ متعلق بألقينا ﴿**كلما أوقدوا نارا للحرب**﴾ أي كلما أرادوا محاربة الرسول ﷺ وإثارة شر عليه ﴿**أطفأها الله**﴾ أي: ردهم الله وقهرهم بأن أوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم، وفي «المثنوي» خطاباً من قبل الله تعالى إلى حضرة صاحب الرسالة عليه السلام:

هركه درمكر تودارد دل كرو ... كردنش را من زنم توشاد شو
بر سر كوريش كوريهانهم ... أو شكر بندارد وزهرش دهم
چيست خود آلاجق آن تركمان ... پيش پاي نره پيلان جهان
آن چراغ أو به پيش صرصرم ... خودچه باشد أي مهين پيغمبرم

﴿**ويسعون في الأرض فساداً**﴾ أي يجتهدون في الكيد للإسلام وأهله وإثارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغاير ما عبر عنه بإيقاد نار الحرب. وفساداً إما مفعول له أو في موضع المصدر أي يسعون للفساد أو يسعون سعي فساد ﴿**والله لا يحب المفسدين**﴾ ولذلك أطفأ نائرة إفسادهم ولا يجازيهم إلا شراً.

واعلم أن الله تعالى مهما وكل الإنسان إلى خساسة طبعه وركاكة نظره وعقله فلا يترشح منه إلا ما فيه من الأقوال الشنيعة والأفعال الرذيلة ولذلك قالت اليهود ﴿**يد الله مغلولة**﴾، ونعم ما قال في «المثنوي»:

درزمين كرنيشكر ورخودني است ... ترجمان هر زمين نبت وى است

وأهل الحسد يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولكن لا يزيدهم الحسد إلا الطغيان فكما أن مصائب قوم عند قوم فوائد كذلك فوائد قوم عند قوم مصائب.

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره: إن جماعة السيد البخاري حسدوا لنا حتى قصدوا القتل بالسلاح واشتغلوا بالأسماء القهرية على حسب طريقهم فلم أقاتل دفعاً للفتنة ثم رأيت في موضع قرب جامع السيد البخاري قد أخذ طريقي ماء عظيم فلم يبق إلا طريق ضيق فلما قربت منه لم يبق أثر من الماء ثم إنه مات كثير من تلك الجماعة ولكن لم أباشر أنا في حقهم شيئاً قال: كيف أميل إلى مشيختهم وتصرف ثمانية عشر ألف عالم بيدي بقدرة

الله تعالى في الباطن وإن كنت عاجزاً في الظاهر.

- وحكي - أن مولانا جلال الدين اشتغل عند صلاح الدين شركوه بعد المفارقة من شمس الدين التبريزي فلما سمعه بعض أتباع مولانا أرادوا قتله فأرسل إليه مولانا ابنه السلطان ولد فقال الشيخ صلاح الدين: إن الله تعالى أعطاني قدرة على قلب السماء إلى الأرض فلو أردت أهلكتهم بقدرة الله تعالى لكن الأولى أن ندعو لإصلاحهم فدعا الشيخ فأمن السلطان ولد فلانت قلوبهم واستغفروا اللهم بحق أصفيائك خلصنا من رذائل الأوصاف وسفساف الأخلاق إنك أنت القادر الخلاق.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿ولو أن أهل الكتاب﴾ أي اليهود والنصارى **﴿آمنوا﴾** بما يجب به الإيمان **﴿واتقوا﴾** من المعاصي مثل الكذب وأكل السحت ونحو ذلك **﴿لكفرنا عنهم سيآتهم﴾** أي: لعفونا عنهم وسترنا عليهم ذنوبهم وهو الخلاص من العذاب **﴿ولأدخلناهم جنات النعيم﴾** أي ولجعلناهم خالدين فيها وهو الظفر بالثواب. وفيه تنبيه على أن الإسلام يجب ما قبله وإن جل وإن الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم. **﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل﴾** أي: عملوا بما فيهما من التصديق بسيد المرسلين والوفاء لله تعالى بما عاهدوا فيهما وإقامة الشيء عبارة عن رعاية حقوقه وأحكامه كإقامة الصلاة **﴿وما أنزل إليهم من ربهم﴾** من القرآن المجيد المصدق لكتبهم وإيراده بهذا العنوان للتصريح ببطلان ما كانوا يدعون من عدم نزوله إلى بني إسرائيل. **﴿لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾** أي: لوسع الله عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات السماء والأرض بإنزال المطر وإخراج النبات. وفيه تنبيه على أن ما أصابهم من الضنك والضيق إنما هو من شؤم جناياتهم لا لقصور في فيض الفياض، وفي «المثنوي»:

هين مراقب باش كردل بايدت كزپى هر فعل چيزى زايدت

اين بلا از كودنى آيدترا كه نكردى فهم نكته ورمزها

وكأنه قيل هل كلهم كذلك مصرون على عدم الإيمان والتقوى والإقامة فقيل: **﴿منهم أمة مقتصدة﴾** أي طائفة عادلة غير غالية ولا مقصرة كعبد الله بن سلام وأضرابه ممن آمن من اليهود وثمانية وأربعين ممن آمن من النصارى. والاقتصاد في اللغة الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير **﴿وكثير منهم﴾** مقول في حقهم **﴿ساء ما﴾** كانوا **﴿يعملون﴾** وفيه تعجب بحسب المقام أي ما أسوء عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والإعراض عنه. وفي الآية بيان أن التقوى سبب لتوسعة الرزق واستقامة الأمر في الدنيا والآخرة. قال عبد الله القلانسي ركبت سفينة في بعض أسفاري فبدت ريح شديدة فاشتغل أهل السفينة بالدعاء والنذور وأشاروا إليّ بالنذر أيضاً فقلت إني مجرد عن الدنيا فألحوا عليّ فقلت إن خلصني الله لا آكل لحم الفيل فقالوا من يأكل لحم الفيل حتى تكفه عن نفسك فقلت: هكذا خطر ببالي فخلصني الله بجماعة ورمانا إلى ساحل البحر فمضى أيام لم نجد ما نأكل فبينا نحن جياع إذ ظهر جرو فيل فقتلوه وأكلوا لحمه ولم آكل رعاية لنذري وعهدي فألحوا عليّ فقالوا: إنه مقام الاضطرار فلم أقبل

قولهم ثم ناموا فجاءت أم الجرو ورأت عظام ولدها وشمت الجماعة فرداً فرداً فكل من وجدت رائحته أهلكته ثم جاءتني فلما لم تجد الرائحة وجهت إليّ ظهرها وأشارت إليّ بالركوب فركبت فحملتني وأوصلتني تلك الليلة إلى موضع وأشارت إليّ بالنزول فنزلت ولقيت وقت السحر جماعة فأخذوني إلى البيت وأضافوني فأخبرتهم قصتي على لسان ترجمان فقالوا: من ذلك الموضع إلى هنا مسيرة ثمانية أيام وقد قطعتها في ليلة واحدة فظهر من هذه الحكاية أنه برعاية جانب التقوى والوفاء بالعهد يستقيم أمر المرء من جهة الدين والدنيا وأن شهوة واحدة من شهوات الدنيا لها حزن طويل وكيد عظيم بل هلاك كما وقع لتلك الجماعة التي أكلوا جرو الفيل [وقتى زنبورى موريرا ديدكه بهزار حيله دانه بخانه ميكشد ودران رنج بسيارمى ديداورا كفت أي مور أين چه رنجست كه برخود نهادة بياكه مطعم ومشرب من ببين كه هر طعامكه لطيف ولذيذ ترست تا ازمن زياده نيايد بپادشاهان نرسد هرانجاكه خواهم نشينم وآنچه خواهم كزينم وخورم ودرين سخن بودكه بريريد وبدكان قصابي برمسلوخى نشست قصاب كه كارد دردست داشت بران زنبور مغرور زدد وپاره كرد برزمين انداخت ومور بيامد وپاى كشان اورا مى بردو كفت «رب شهوة ساعة أورثت صاحبها حزناً طويلاً» زنبور كفت مرابجايي مبركه نخواهم مور كفت هركه از روى حرص وشهوت جايى نشيندكه خواهد بجايى كشندش كه نخواهد].

واعلم أن قوله تعالى: ﴿**لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم**﴾ إشارة إلى ما يحصل بالوهب الرحماني وما يحصل بالكسب الإنساني فمن عمل بما عمل واجتهد في طريق الحق كل الاجتهاد ينال مراتب الأذواق والمشاهدات فيحصل له جنتان جنّة العمل وجنة الفضل وهذا الرزق المعنوي هو المقبول، وفي «المثنوي»:

اين دهان بستى دهانى بازشد ... كه خورنده لقمهاى رازشد
كر زشيرو ديوتن را وأبرى ... در فطام او بسى نعمت خورى

اللهم أمدنا بفيض فضلك وإحسانك.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿**يا أيها الرسول بلغ**﴾ جميع ﴿**ما أنزل إليك من ربك**﴾ مما يتعلق بمصالح العباد فلا يرد أن بعض الأسرار الإلهية يحرم إفشاؤه. قال أبو هريرة: حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين من العلم فأما أحدهما فقد بثثته وأما الآخر لو بثثته لقطع هذا الحلقوم والتحقيق أن ما يتعلق بالشريعة عام تبليغه وما يتعلق بالمعرفة والحقيقة خاص ولكل منهما أهل فهو كالأمانة عند المبلغ يلزم دفعها إلى أربابها ﴿**وإن لم تفعل**﴾ أي: إن لم تبلغ جميعه خوفاً من أن ينالك مكروه ﴿**فما بلغت رسالته**﴾ لأن كتمان بعضها ككتمان الكل والرسالة لا سبيل لها أن يبلغها إلا باللسان فلذلك لم يرخص له في تركها وإن خاف فهذا دليل لقولنا في المكره على الطلاق والعتاق إذا تكلم به وقع لأن تعلق ذلك باللسان لا بالقلب والإكراه لا يمنع فعل اللسان فلا يمنع النفاذ كذا في «التيسير». ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾ أمانة من الله تعالى للنبي عليه السلام

كيلا يخاف ولا يحذر كما روي في الخبر أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما دخل المدينة قالت اليهود: يا محمد إنا ذوو عدد وبأس فإن لم ترجع قتلناك وإن رجعت ذودناك وأكرمناك فكان عليه السلام يحرسه مائة من المهاجرين والأنصار يبيتون عنده ويخرجون معه خوفاً من اليهود فلما نزل قوله تعالى: ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾ علم أن الله تعالى يحفظه من كيد اليهود وغيرهم فقال للمهاجرين والأنصار «انصرفوا إلى رحالكم فإن الله قد عصمني من اليهود» فكان ﷺ بعد ذلك يخرج وحده في أول الليل وعند السحر إلى أودية المدينة وحيث ما شاء يعصمه الله مع كثرة أعدائه وقلة أعوانه وكان الشج والرباعية قبل ذلك أو لأن المراد العصمة من القتل وقد حفظه من ذلك وأما سائر البلايا والمحن فذلك مما كان يجري على سائر الأنبياء والأولياء. قال الكرماني: ما وقع من الابتلاء والسقم في الأنبياء عليهم السلام لنيل جزيل الأجر وليعلم أنهم بشر تصيبهم محن الدنيا وما يطرأ على الأجسام وأنهم مخلوقون فلا يفتتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات انتهى ﴿**إن الله لا يهدي القوم الكافرين**﴾ تعليل لعصمته عليه السلام أي لا يمكنهم مما يريدون لك من الأضرار. وفيه إشارة إلى أن من سنة الله تعالى أن لا يهدي إلى حضرته قوماً جحدوا نبوة الأنبياء وما قبلوا رسالة الرسل ليبلغوا إليهم من ربهم أو أنكروا على الأولياء وما استمسكوا بعروة ولايتهم ليوصلوهم إلى الله تعالى سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً وفي الآية أيضاً إشارة إلى أن من امتثل لأمر الخالق يعصمه من مضرة المخلوق كما عصم النبي عليه السلام وأبو بكر الصديق رضي الله عنه في الغار حين الهجرة فإذا عصم الله من امتثل لأمره يعصم أيضاً من يستشفع برسوله عليه السلام ويهديه إلى سواء الصراط.

ـ حكي ـ أن سفينة مولى رسول الله ﷺ أخطأ الجيش بأرض الروم وأسر فانطلق هارباً يلتمس الجيش فإذا بالأسد فقال: يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله فكان مرادي كيت وكيت فأقبل الأسد يتبصبص حتى قام إلى جنبه كلما سمع صوتاً أهوى إليه فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش ثم رجع الأسد، قال السعدي في «البستان».

يكى ديدم از عرصه رودبار ... كه پيش آمدم برپلنكي سوار
چنان هول ازان حال برمن نشست ... كه ترسيدنم پاي رفتن ببست
تبسم كنان دست برلب كرفت ... كه سعدى مدار انچه آيد شكفت
توهم كردن از حكم داور مپيچ ... كه كردن نپيچد زحكم توهيچ
محالست چون دوست داردترا ... كه دردست دشمن كذارد ترا

وعن جابر رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في بعض الغزوات فنزل مع قومه في واد فتفرق الناس يستظلون بالأشجار وينامون واستظل عليه السلام بشجرة معلقاً سيفه بغصنها فإذا رسول الله ﷺ يدعونا فلما حضرنا رأينا أعرابياً فقال عليه السلام: «إن هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني فقلت الله» يعني: يمنعني الله منك «فسقط السيف من يده فأخذته فقلت من يمنعك مني فقال: كن خير آخذ» قال الراوي: قال له النبي عليه السلام: أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله قال: لا ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى عليه السلام سبيله وفي الحديث كمال توكل النبي عليه السلام وتصديق قوله: ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾ واستحباب مقابلة السيئة بالحسنة كذا

في «شرح المشارق» لابن الملك ـ رحمه الله تعالى ـ ﴿قل﴾ يا محمد مخاطباً اليهود والنصارى ﴿يا أهل الكتاب لستم على شيء﴾ أي دين يعتد به ويليق بأن يسمى شيئاً لظهور بطلانه ووضوح فساده ﴿حتى تقيموا التوراة والإنجيل﴾ ومن إقامتهما الإيمان بمحمد والإذعان لحكمه فإن الكتب الإلّهية بأسرها آمرة بالإيمان بما صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد إقامة أصولهما وما لم ينسخ من فروعهما. ﴿وما أنزل إليكم من ربكم﴾ أي: القرآن المجيد بالإيمان به ونسب الإنزال إليهم لأنهم كانوا يدعون عدم نزوله إلى بني إسرائيل ﴿وليزيدن كثيرا منهم﴾ وهم علماؤهم ورؤساؤهم ﴿ما أنزل إليك من ربك﴾ أي القرآن ﴿طغيانا وكفرا﴾ على طغيانهم وكفرهم القديمين وهو مفعول ثان ليزيدن ﴿فلا تأس على القوم الكافرين﴾ أي: فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه إليهم فإن ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم. وفي الآية إشارة إلى أن حقيقة الدين إنما هي أحكام ظاهرة وباطنة والتزين بالأعمال ظاهراً وبالأحوال باطناً وهذا لا يتصور إلا بمقدمتين ونتائج أربع فأما المقدمتان فأولاهما الجذبة الإلّهية وثانيتهما التربية الشيخية وأما النتائج فأولاها الإعراض عن الدنيا وما يتعلق بها كلها وثانيتها التوجه إلى الحق بصدق الطلب وهما من نتائج الجذبة ثم تزكية النفس عن الأخلاق الذميمة وتحلية القلب بالأخلاق الإلّهية وهما من نتائج التربية الشيخية باستمداد القوة النبوة والقوم الكافرون هم أهل الإنكار يتعلقون بظاهر الدين ولا يعرفون وراءه غاية وليس الأمر كذلك فإن لكل ظاهر باطناً، وفي «المثنوي»:

فائده هر ظاهرى خود باطنست ... همچو نفع اندر دواها كامنست
هيچ خطاطى نويسد خط بفن ... بهر عين خط نه بهر خواندن
كند بينش مى نبيند غير اين ... عقل أو بى سيرچون نبت زمين
نبت راچه خوانده چه ناخوانده ... هست پاى او بكل درمانده
كرسرش جنبد بسير بادرو ... توبسر جنبا نيش غره مشو
آن سرش كويد سمعنا أى صبا ... پاى او كويد عصينا خلنا

والحامل على الإنكار هو الحسد كما كان لطائفة اليهود والنصارى فلا بد من تزكية النفس من مثل هذا القبيح.

ـ حكي ـ أن تلميذاً للفضيل بن عياض حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه وقرأ سورة يس فقال: يا أستاذ لا تقرأ هذه ثم سكت ثم لقنه فقال: لا إله إلا الله فقال: لا أقولها لأني بريء منها ومات على ذلك فدخل الفضيل منزله وجعل يبكي أربعين يوماً لم يخرج من البيت ثم رآه في النوم وهو يسحب إلى جهنم فقال: بأي شيء نزع الله المعرفة عنك وكنت أعلم تلاميذي فقال بثلاثة: أولها بالنميمة فإني قلت لأصحابي بخلاف ما قلت لك، والثاني بالحسد حسدت أصحابي، والثالث كان لي علة فجئت إلى الطبيب وسألته عنها فقال: تشرب في كل سنة قدحاً من الشراب فإن لم تفعل بقيت بك العلة فكنت أشربه نعوذ بالله من سخطه الذي لا طاقة لنا به كذا في «منهاج العابدين».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا﴾ أي: بألسنتهم فقط وهم المنافقون ﴿والذين هادوا﴾ أي دخلوا في اليهودية ﴿والصابئون﴾ أي: الذين صبت قلوبهم ومالت إلى الجهل وهم صنف من النصارى يقال لهم السائحون يحلقون أوساط رؤوسهم وقد سبق في سورة البقرة ﴿والنصارى﴾ جمع نصران وهو معطوف على الذين هادوا. وقوله والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿إن الذين آمنوا﴾ الخ والتقدير إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك وإنما لم يعطف على ما قبله بل جعل مع خبره المحذوف جملة مستقلة أتى بها في خلال الجملة الأولى على نية التأخير للدلالة على أن الصابئين مع كونهم أشد الفرق المذكورين في هذه الآية ضلالاً إذا قبل توبتهم وغفر ذنوبهم على تقدير الإيمان الصحيح والعمل الصالح فقبول توبة باقي الفرق أولى وأخرى ﴿من آمن بالله واليوم الآخر﴾ أي: من أحدث من هذه الطوائف إيماناً خالصاً بالمبدأ والمعاد ﴿وعمل صالحا﴾ حسبما يقتضيه الإيمان بهما. قوله من في محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف الخ والجملة خبر إن ﴿فلا خوف عليهم﴾ حين يخاف الكفار العقاب ﴿ولا هم يحزنون﴾ حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما.
قال الحدادي في تفسيره: أما نفي الحزن عن المؤمنين هٰهنا فقد ذهب بعض المفسرين إلى أنه لا يكون عليهم حزن في الآخرة ولا خوف ونظيره قوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠] وقال بعضهم: إن المؤمنين يخافون ويحزنون لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢] وقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾﴾ [عبس: ٣٤-٣٥] وقال ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة» فقالت عائشة واسوءتاه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «أما سمعت قول الله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٧] قالوا وإنما نفى الله تعالى في هذه الآية الحزن عن المؤمنين لأن حزنهم لما كان في معرض الزوال ولم يكن له بقاء معهم لم يعتد بذلك انتهى، وفي «المثنوي»:

هركه ترسد مرورا أيمن كنند ... مردل ترسنده راساكن كنند
لا تخافوا هست نزل خائفان ... هست درخور از براي خائف آن
آنكه خوفش نيست چون كويى مترس ... درس چه دهى نيست أو محتاج درس

واعلم أن أولياء الله لا خوف عليهم فيما لا يكون على شيء لأنهم يقيمون القرآن عملاً بالظاهر والباطن ولا هم يحزنون على ما يقاسون من شدائد الرياضات والمجاهدات ومخالفات النفس في ترك الدنيا وقمع الهوى ولا على ما أصابهم من البلاء والمحن والمصيبات والآفات لأنهم تخلصوا من التقليد وفازوا بالتحقيق وارتفع عنهم تعب التكاليف فهم مع الله في جميع أحوالهم فعلى المؤمن معالجة مرضه القلبي من الأوصاف الرذيلة والتخلص من النفاق واللحاق بأهل الاتفاق. قال إبراهيم الخواص قدس سره دواء القلب خمسة: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع إلى الله عند السحر، ومجالسة الصالحين. قال حضرة الشيخ الشهير بالهدائي قدس سره: ونحن نقول المصلح في الحقيقة هو الله ولكن أشد الأشياء تأثيراً هو الذكر قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] قال علي رضي الله عنه: «يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه يعمرون مساجدهم

وهي خراب من ذكر الله شر أهل ذلك الزمان علماؤهم منهم تخرج الفتنة وإليهم تعود»، قال السعدي:

علم چندانكه بيشتر خوانى ... چون عمل در تونيست نادانى
نه محقق بود نه دانشمند ... چارپايى بر وكتابي چند
آن تهى مغزراً چه علم وخبر ... كه بروهيز مست ويا دفتر

واعلم أن زبدة العلوم هي العلم بالله وما سواه فمن محسناته ومن علم فهو كامل في نفسه إلا أن العمل هو المقصود ومجرد القراءة لا يغني شيئاً ولا يجلب نفعاً فطوبى لمن صاحب رفيق التوفيق.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ أي: بالله قد أخذنا عهدهم بالتوحيد وسائر الشرائع والأحكام المكتوبة عليهم في التوراة. **﴿وأرسلنا إليهم رسلا﴾** ذوي عدد كثير وأولى شأن خطير ليذكروهم وليبينوا لهم أمر دينهم **﴿كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم﴾** جواب شرط محذوف كأنه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول من أولئك الرسل بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف عصوه وعادوه كأنه قيل: كيف عصوهم فقيل: **﴿فريقاً كذبوا﴾** أي: فريقاً منهم كذبوهم من غير أن يتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار **﴿وفريقاً يقتلون﴾** أي: فريقاً آخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم أيضاً كزكريا ويحيى عليهما السلام.

﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿وحسبوا أن لا تكون فتنة﴾ أي: حسب بنو إسرائيل وظنوا أن لا يصيبهم من الله تعالى بلاء وعذاب بقتل الأنبياء وتكذيبهم وجه حسبانهم أنهم وإن اعتقدوا في أنفسهم أنهم مخطئون في ذلك التكذيب والقتل إلا أنهم كانوا يقولون نحن أبناؤه وأحباؤه وكانوا يعتقدون أن نبوة أسلافهم وآبائهم تدفع عنهم العذاب الذي يستحقونه بسبب ذلك القتل والتكذيب **﴿فعموا﴾** عطف على حسبوا والفاء للدلالة على ترتيب ما بعدها على ما قبلها أي آمنوا بأس الله تعالى فتمادوا في فنون الغي والفساد وعموا عن الدين بعدما هداهم الرسل إلى المعاملة الظاهرة وبينوا لهم مناهجة الواضحة أي عملوا معاملة الأعمى الذي لا يبصر **﴿وصموا﴾** عن استماع الحق الذي ألقوه عليهم أي عملوا معاملةِ الأصم الذي لا يسمع ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا. قال المولى أبو السعود وهذا إشارة إلى المرة الأولى من مرتي إفساد بني إسرائيل حين خالفوا أحكام التوراة وركبوا المحارم وقتلوا شعيباً وقيل: حبسوا أرمياء عليه السلام. **﴿ثم تاب الله عليهم﴾** حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد وبعدما كانوا ببابل دهراً طويلاً تحت قهر بخت نصر أسارى في غاية الذل والمهانة فوجه الله عز وجل ملكاً عظيماً من ملوك فارس إلى بيت المقدس ليعمره وينجي بقايا بني إسرائيل من أسر بخت نصر بعد مهلكهم وردهم إلى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الأكناف فعمروه في ثلاثين سنة فكثروا وكانوا كأحسن ما

كانوا عليه ﴿ثم عموا وصموا﴾ وهو إشارة إلى المرة الأخرى من مرتي إفسادهم وهو اجترائهم على قتل زكريا ويحيى وقصدهم قتل عيسى عليهم السلام ﴿كثير منهم﴾ بدل من الضمير في الفعلين. قال الحدادي: قوله ﴿كثير منهم﴾ يقتضي في المرة الثانية أنهم لم يكفروا كلهم وإنما كفر أكثرهم كما قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ [آل عمران: ١١٣] وقال تعالى: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ [المائدة: ٦٦]، ﴿والله بصير بما يعملون﴾ فيجازيهم وفق أعمالهم ومن أين لهم ذلك الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك في المرة الأولى حيث سلط الله عليهم بخت نصر فاستولى على بيت المقدس فقتل من أهله أربعين ألفاً ممن يقرأ التوراة وذهب بالبقية إلى أرضه فبقوا هناك على أقصى ما يكون من الذل والنكد إلى أن أحدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز وعلا إلى ما حكي عنهم من حسن الحال ثم عادوا إلى المرة الأخرى من الإفساد فبعث الله عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف ففعل بهم ما فعل. قيل: دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دماً يغلي فسألهم فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال: ما صدقتموني فقتل عليه الوفا منهم ثم قال: إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحداً فقالوا: إنه دم يحيى عليه السلام فقال بمثل هذا ينتقم الله منكم ثم قال: يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك فاهدأ بإذن الله تعالى قبل أن لا أبقي أحداً منهم فهدأ.

واعلم أن من مقتضى النفس نسيان العهد بينها وبين الله ونسيان نعمه بالكفران وكيف الكفران والإنسان غريق في بحر كرمه ولطفه فيجب عليه شكر ذلك وإرسال الرسل وتوضيح السبل ونزول المطر وإنبات الأرض وصحة البدن وقوة القلب واندفاع الموانع ومساعدة الأسباب كل ذلك من النعم الجليلة.

ـ وحكي ـ أن دانيال عليه السلام وجد خاتمه في عهد عمر رضي الله عنه وكان على فصه أسدان وبينهما رجل يلحسانه وذلك أن بخت نصر لما تتبع الصبيان وقتلهم وولد هو ألقته أمه في غيضة رجاء أن ينجو منه فقيض الله سبحانه أسداً يحفظه ولبوة ترضعه وهما يلحسانه فلما كبر صور ذلك في خاتمه حتى لا ينسى نعمة الله عليه ولا بد في قطع طريق الآخرة من تحمل المشاق والقيام بالحقوق الواجبة بينه وبين الخلاق. ذكر عن الفضيل أنه قال: من عزم على طريق الآخرة فيلجعل في نفسه أربعة ألوان من الموت الأبيض والأحمر والأسود والأخضر، فالموت الأبيض الجوع، والأسود ذم الناس، والأحمر مخالفة الشيطان، والأخضر الوقائع بعضها على بعض أي المصائب والأوجاع وإذا كان المرء أعمى وأصم في هذا الطريق فلا جرم يضل ولا يهتدي، قال في «المثنوي»:

كوررا هر كام باشد ترس چاه   باهزاران ترس مى آيد براه
مرد بينا ديده عرض راه را   پس بداند او مغاك وچاه را
ماهيانرا بحر نكذارد برون   خاكيانرا بحر نكذارد درون
أصل ما هى آب وحيوان از كلست   حيله وتدبير اينجا باطلست
قفل زفتست وكشاينده خدا   دست درتسليم زن اندر رضا

والعصيان وإن كان سبباً للنسيان ورين العمى والصمم إلا أن ما قضاه الله وقدره لا يتغير فليبك على نفسه من ضاع عمره في الهوى وتتبع الشهوات فلم يجد إلى طلب الحق سبيلاً وإلى طريق الرشد دليلاً اللهم إنك أنت الهادي.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا
اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ
لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى
اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ
انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ نزلت في نصارى نجران السيد والعاقب ومن معهما وهم المار يعقوبية قالوا: إن الله حل في ذات عيسى واتحد بذاته تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. **﴿وقال المسيح﴾** أي: قالوا ذلك والحال قد قال المسيح مخاطباً لهم **﴿يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم﴾** فإني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم **﴿إنه﴾** أي: الشان **﴿من يشرك بالله﴾** أي: شيئاً في عبادته أو فيما يخص به من الصفات والأفعال **﴿فقد حرم الله عليه الجنة﴾** فلن يدخلها أبداً كما لا يصل المحرم عليه إلى المحرم فإنها دار الموحدين **﴿ومأواه النار﴾** فإنها هي المعدة للمشركين **﴿وما للظالمين﴾** بالإشراك **﴿من أنصار﴾** أي: من أحد ينصرهم بإنقاذهم من النار إما بطريق المغالبة أو بطريق الشفاعة وهو من تمام كلام عيسى، ثم حكى ما قاله النسطورية والملكانية من النصارى فقال: **﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾** أي: أحد ثلاثة آلهة والإلهية مشتركة بينهم وهم الله وعيسى ومريم **﴿وما من إله إلا إله واحد﴾** أي: والحال ليس في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث إنه مبدأ جميع الموجودات الإلّهية موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة **﴿وإن لم ينتهوا عما يقولون﴾** عن مقالتهم الأولى والثانية ولم يوحدوا. **﴿ليمسن الذين كفروا منهم﴾** أي: والله ليمسنهم ووضع الموصول موضع الضمير لتكرير الشهادة عليهم بالكفر فمن بيانية حال من الذين **﴿عذاب أليم﴾** نوع شديد الألم من العذاب يخلص وجعه إلى قلوبهم **﴿أفلا يتوبون إلى الله﴾** أي: أيصرون فلا يتوبون عن تلك العقائد الزائغة والأقاويل الباطنة وهمزة الاستفهام لإنكار الواقع واستبعاده لا لإنكار الوقوع وفيه تعجيب من إصرارهم وتحضيض على التوبة **﴿ويستغفرونه﴾** بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه إليه من الاتحاد والحلول **﴿والله غفور رحيم﴾** أي: والحال أنه تعالى مبالغ في المغفرة يغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله **﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾** أي ما هو إلا مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها كالرسل الماضية من قبله خصه الله تعالى بآيات كما خصهم بها فإن أحيى الموتى على يده فقد أحيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو أعجب وإن خلقه من غير أب فقد خلق الله آدم من غير أب وأم وهو أغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وإنما موسى وعيسى مظاهر شؤونه وأفعاله **﴿وأمه صديقة﴾** أي: ما أمه أيضاً إلا كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق أي صدق الأقوال في المعاملة مع الخلق وصدق الأفعال والأحوال في المعاملة مع الخالق لا يصدر منهن ما يكذب دعوى العبودية والطاعة **﴿كانا يأكلان الطعام﴾** ويفتقران إليه افتقار الحيوانات فكيف يكون إلّهاً من لا يقيمه إلا أكل الطعام **﴿انظر كيف نبين لهم الآيات﴾** الباهرة

المنادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم الجبال ﴿ثم انظر أنى يؤفكون﴾ أي كيف يصرفون عن استماعها والتأمل فيها. وثم لإظهار ما بين العجبين من التفاوت أي أن بياننا الآيات أمر بديع في بابه وإعراضهم عنها مع تعاضد ما يوجب قبولها أبدع.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾

﴿قل﴾ يا محمد الزاماً لهؤلاء النصارى ومن سلك طريقتهم من اتخاذ غير الله إلّهاً ﴿أتعبدون من دون الله﴾ أي متجاوزين إياه ﴿ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً﴾ يعني عيسى وهو وإن ملك ذلك بتمليك الله إياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وإنما قال: ما مع أن أصله أن يطلق على غير العاقل نظراً إلى ما هو عليه في ذاته فإنه عليه الصلاة والسلام في أول أحواله لا يوصف بعقل ولا بشيء من الفضائل فكيف يكون إلّهاً ﴿والله هو السميع العليم﴾ بالأقوال والعقائد فيجازي عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر وهو حال من فاعل تعبدون ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق﴾ أي: غلواً باطلاً فترفعوا عيسى إلى أن تدعوا له الألوهية كما ادعته النصارى أو تضعوه فتزعموا أنه لغير رشدة كما زعمته اليهود ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل﴾ يعني: أسلافهم وأئمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث محمد عليه السلام في شريعته ﴿وأضلوا كثيرا﴾ أي من تابعهم على بدعهم وضلالهم. ﴿وضلوا عن سواء السبيل﴾ عن قصد السبيل الذي هو الإسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وحسدوه. قال الشيخ نجم الدين في «تأويلاته»: إن النصارى لما أرادوا أن يسلكوا طريق الحق بقدم الفعل وينظروا إلى أحوال الأنبياء بنظر العقل تاهوا في أودية الشبهات وانقطعوا في بوادي الهلكات جل جناب القدس عن إدراك عقول الإنس هيهات هيهات وهذا حال من يحذو حذوهم ويقفو أثرهم فأطرت النصارى عيسى عليه السلام إذ نظروا بالعقل في أمره فوجدوه مولوداً من أم بلا أب فحكم عقلهم أن لا يكون مولود بلا أب فينبغي أن يكون هو ابن الله واستدلوا على ذلك بأنه يخلق من الطين كهيئة الطير ويبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ويخبر عما يأكلون في بيوتهم وما يدخرون وهذا من صفات الله تعالى ولو لم يكن المسيح ابن الله لما أمكنه هذا وإنما أمكنه لأن الولد سر أبيه وقال بعضهم: إن المسيح لما استكمل تزكية النفس عن صفات الناسوتية حل لاهوتية الحق في مكان ناسوتيته فصار هو الله تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ثم اعلم أن أمة محمد لما سلكوا طريق الحق بإقدام جذبات الألوهية على وفق المتابعة الحبيبية أسقط عنهم كلفة الاستدلال ببراهين الوصول والوصال كما كان حال الشبلي حين غسل كتبه بالماء وكان يقول: نعم الدليل أنتم ولكن اشتغالي بالدليل بعد الوصول إلى المدلول محال، وفي «المثنوي»:

چون شدى بر بامهاى آسمان ... سرد باشد جست وجوى نردبان
آينه روشن كه شد صاف وجلي ... جهل باشد بر نهادن صيقلى
پيش سلطان خوش نشسته در قبول ... جهل باشد جستن نامه ورسول

فهؤلاء القوم بعدما وصلوا إلى سرادقات حضرة الجلال شاهدوا بأنوار صفات الجمال أن الإنسان هو الذي حمل أمانة الحق من بين سائر المخلوقات وهي نور فيض الألوهية بواسطة الأنبياء فهم مخصوصون بأحسن التقويم في قبول هذا الكمال فتحقق لهم أن عيسى عليه السلام صار قابلاً بعد التزكية للتخلية بفيض الخالقية والمحبية كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ويبرى الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله لا بإذنه أعني كان صورة الفعل منه ومنشأ صفة الخالقية حضرة الألوهية وهذا كما أن الكرة البلور المخروط استعداداً في قبول فيض الشمس إذا كانت في محاذاتها فتقبل الفيض وتحرق المحلوج المحاذي لها بذلك الفيض فمصدر الفعل المحرق من الكرة ظاهراً ومنشأ الصفة المحرقية حضرة الشمس حقيقة فصار للكرة بحسن الاستعداد قابلية لفيض الشمس وظهر منها صفات الشمس وما حلت الشمس في كرة البلور تفهم إن شاء الله وتغتنم فكذلك حال الأنبياء في المعجزات وكبار الأولياء في الكرامات والفرق أن الأنبياء مستقلون بهذا المقام والأولياء متبعون. قال الإمام الغزالي في قول أبي يزيد انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها فنظرت فإذا أنا هو إذ من انسلخ من شهوات نفسه وهواها وهمها لا يبقى فيه متسع لغير الله ولا يكون له هم سوى الله وإذا لم يحل في القلب إلا جلال الله وجماله صار مستغرقاً كأنه هو لا أنه هو تحقيقاً. وقوله أيضاً سبحاني ما أعظم شأني يحمل على أنه قد شاهد كمال حظه من صفة القدس فقال سبحاني ورأى عظيم شأنه بالإضافة إلى شأن عموم الخلق فقال: ما أعظم شأني وهو مع ذلك يعلم قدسه وعظم شأنه بالإضافة إلى الخلق ولا نسبة له إلى قدس الرب وعظم شأنه وقول من قال من الصوفية: أنا الحق فوارد على سبيل التجوز أيضاً كما قال الشاعر:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا وذلك متأول عند الشاعر فإنه لا يعني به أنه هو تحقيقاً بل كأنه هو فإنه مستغرق بالهم به كما يكون مستغرق الهم بنفسه فيعتبر هذه الحالة بالاتحاد على سبيل التجوز. قال الشيخ أبو القاسم الجرجاني: إن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافاً للعبد السالك وهو بعد في السلوك غير واصل، فإن قلت: ما معنى الوصول؟ قلت: معنى السلوك هو تهذيب الأخلاق والأعمال والمعارف وذلك اشتغال بعمارة الظاهر والباطن والعبد في جميع ذلك مشغول بنفسه عن ربه إلا أنه مشتغل بتصفية باطنه ليستعد للوصول وإنما الوصول هو أن ينكشف له جلية الحق ويصير مستغرقاً به فإن نظر إلى معرفته فلا يعرف إلا الله وإن نظر إلى همته فلا همة له سواه فيكون كله مشغولاً لا بكله مشاهدة وهما لا يلتفت في ذلك إلى نفسه ليعمر ظاهره بالعبادة وباطنه بتهذيب الأخلاق وكل ذلك طهارة وهي البداءة وأما النهاية فأن ينسلخ عن نفسه بالكلية ويتجرد له فيكون كأنه هو وذلك هو الوصول، وفي «المثنوي»:

كار كاه كنج حق در نيستيست ... غره هستى چه دانى نيست چيست

آب كوزه چون در آب جو شود ... محو كردد دروى وجو او شود

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن

سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿**لعن الذين كفروا**﴾ حال كونهم ﴿**من بني إسرائيل**﴾ أي: طردوا وأبعدوا من رحمة الله تعالى ﴿**على لسان داود**﴾ متعلق بلعن يعني أهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود عليه الصلاة والسلام: اللهم العنهم واجعلهم آية ومثلاً لخلقك فمسخوا قردة ﴿**وعيسى ابن مريم**﴾ أي: على لسان عيسى ابن مريم يعني كفار أصحاب المائدة لما أكلوا من المائدة ولم يؤمنوا قال عيسى: اللهم العنهم كما لعنت أصحاب السبت واجعلهم آية فمسخوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي كأنه قيل بأي سبب وقع ذلك فقيل: ﴿**ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**﴾ أي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم ﴿**كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه**﴾ استئناف أي لا ينهى بعضهم بعضاً عن قبيح يعملونه واصطلحوا على الكف عن نهي المنكر ﴿**لبئس ما كانوا يفعلون**﴾ تعجيب من سوى فعلهم مؤكداً بالقسم ﴿**ترى كثيراً منهم**﴾ أي: من أهل الكتاب ككعب بن الأشرف وأضرابه حيث خرجوا إلى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي عليه السلام والرؤية بصرية ﴿**يتولون الذين كفروا**﴾ حال من كثيراً لكونه موصوفاً أي يوالون المشركين بعضاً لرسول الله ﷺ والمؤمنين ﴿**لبئس ما قدمت لهم أنفسهم**﴾ أي لبئس شيئاً قدموا ليردوا عليه يوم القيامة ﴿**أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون**﴾ هو المخصوص بالذم بتقدير المضاف أي موجب سخط الله والخلود في العذاب لأن نفس السخط المضاف إلى الباري تعالى لا يقال له إنه المخصوص بالذم إنما المخصوص بالذم هو الأسباب الموجبة له ﴿**ولو كانوا**﴾ أي: الذين يتولون المشركين من أهل الكتاب ﴿**يؤمنون بالله والنبي**﴾ أي: نبيهم ﴿**وما أنزل إليه**﴾ أي: إلى ذلك النبي من التوراة والإنجيل ﴿**ما اتخذوهم**﴾ أي: المشركين ﴿**أولياء**﴾ لأن تحريم ذلك مصرح في شريعة ذلك النبي وفي الكتاب المنزل إليه فالإيمان يمنع من التولي قطعاً ﴿**ولكن كثيرا منهم فاسقون**﴾ خارجون عن الدين والإيمان بالله ونبيهم وكتابهم.

وفي الآيات أمور:

الأول: أن الإنسان الكامل الذي يصلح لخلافة الحق هو مظهر صفات لطف الحق وقهره فقبولهم قبول الحق وردهم رد الحق ولعنهم لعن الحق وصلاتهم صلاة الحق فمن لعنوه فقد لعنه الحق ومن صلوا عليه فقد صلى الحق عليه لقوله تعالى لنبيه عليه السلام ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾ [التوبة: ١٠٣] وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ﴾ [الأحزاب: ٤٣] فمظهر اللعن كان لسان داود وعيسى وكانت اللعنة من الله حقيقة لقوله: ﴿كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ﴾ [النساء: ٤٧] وهم الذين لعنهم داود وصرح هٰهنا أن اللعن كان منه تعالى وإن كان على لسان داود عليه السلام، في «المثنوي»:

اين نكردى توكه من كردم يقين ... أي صفاتت در صفات مادفين

ما رميت إذ رميت كشته ... خويشتن درموج چون كف هشته

وفي محل آخر:

كه ترا ازتوبكل خالى كند ... توشوى پست او سخن عالى كند

كرچه قرآن ازلب پيغمبر است ... هركه كويد حق نكفت او كافرست

والثاني أن الله تعالى سمى العصيان منكراً لأنه يوجب النكرة كما سمى الطاعة معروفاً لأنها توجب المعرفة والإقدام على الفعل المنكر معصية والإصرار على المعصية كالكفر في كونه سبباً للرين المحيط بجوانب القلب ومن ذلك ترك النهي عن المنكر وفي الحديث «يحشر يوم القيامة أناس من أمتي من قبورهم إلى الله تعالى على صورة القردة والخنازير؟ بما داهنوا أهل المعاصي وكفوا عن نهيهم وهم يستطيعون» فالمداهنة من أعمال الكفار والدعوة إلى الله من أخلاق الأخيار، وفي «المثنوي»:

هركسى كواز صف دين سركش است ... ميرود سوى صفى كان واپس است
توز كتار تعالوا كم مكن ... كيمياى پس شكر فست آن سخن
كرمسى كردد ز كفتارت نفير ... كيميارا هيچ ازوى وامكير
اين زمان كربست نفس ساحرش ... كفت توسودش دهد در آخرش
قل تعالوا قل تعالوا أي غلام ... هين كه ان الله يدعو بالسلام

والثالث: أن المؤمن والكافر ليسا من جنس واحد وتولي الكافر موجب لسخط الله لأن موالاة الأعداء توجب معاداة الأولياء فينبغي للمؤمن الكامل أن ينقطع عن صحبة الكفار والفجار وأهل البدع والأهواء وأرباب الغفلة والإنكار، وفي «المثنوي»:

ميل مجنون پيش آن ليلى روان ... ميل ناقه پس پى طفلش دوان
كفت أى ناقه چوهردو عاشقيم ... مادو ضد پس همره نا لا يقيم
نيستت بروفق من مهر ومهار ... كرد بايد ازتو صحبت اختيار
جان زهجر عرش اندر فاقه ... تن زعشق خاربن چون ناقة
جان كشايد سوى بالا بالها ... درزده تن درزمين چنكالها

اللهم خلصنا من خلاف الجنس مطلقاً.

﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿لتجدن﴾ يا محمد **﴿أشد الناس﴾** مفعول أول للوجدان **﴿عداوة﴾** تمييز **﴿للذين آمنوا﴾** متعلق بعداوة **﴿اليهود﴾** مفعول ثان للوجدان **﴿والذين أشركوا﴾** يعني: مشركي العرب معطوف على اليهود **﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾** إعرابه كإعراب ما سبق. أما عداوة اليهود والمشركين المنكرين للمعاد فلشدة حرصهم الذي هو معدن الأخلاق الذميمة فإن من كان حريصاً على الدنيا طرح دينه في طلب الدنيا وأقدم على كل محظور ومنكر فلا جرم تشتد عداوته مع كل من نال جاهاً أو مالاً. وأما مودة النصارى فلأنهم في أكثر الأمر معرضون عن الدنيا مقبلون على العبادة وترك طلب الرياسة والكبر والترفع وكل من كان كذلك فإنه لا يحسد الناس ولا يؤذيهم بل يكون لين العريكة في طلب الحق سهل الانقياد له انظر إلى كفر النصارى مع كونه أغلظ من كفر اليهود لأن كفر النصارى في الألوهية وكفر اليهود في النبوة وأما قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] فإنما قاله طائفة منهم ومع

ذلك خص اليهود بمزيد اللعنة دونهم وما ذاك إلا بسبب حرصهم على الدنيا ويؤيده قوله عليه السلام: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»، قال البغوي لم يرد به جميع النصارى لأنهم في عداوتهم للمسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين وأسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم لا مودة ولا كرامة لهم بل الآية نزلت فيمن أسلم منهم مثل النجاشي وأصحابه وكان النجاشي ملك الحبشة نصرانياً قبل ظهور الإسلام ثم أسلم هو وأصحابه قبل الفتح ومات قبله أيضاً، وقال أهل التفسير: ائتمرت قريش أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثب كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله منهم من شاء ومنع الله رسوله بعمه أبي طالب فلما رأى رسول الله ﷺ ما حل بأصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد أمرهم بالخروج إلى أرض الحبشة وقال: «إن بها ملكاً صالحاً لا يظلم ولا يظلم عنده أحد فاخرجوا إليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجاً» وأراد به النجاشي واسمه أصحمة بالمهملتين وهو بالحبشية عطية وإنما النجاشي اسم الملك كقولهم قيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس فخرج إليها سراً أحد عشر رجلاً وأربع نسوة منهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ فخرجوا إلى البحر وأخذوا سفينة إلى أرض الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله ﷺ وهذه هي الهجرة الأولى ثم خرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون إليها فكان جميع من هاجر إلى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلاً سوى النساء والصبيان:

سعديا حب وطن كرچه حد يثست صحيح نتوان مرد بسختى كه من اينجازادم

فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه بالهدايا إلى النجاشي وبطارقته ليردوهم إليهم فعصمهم الله فلما انصرفا خائبين وأقام المسلمون هناك بخير دار وحسن جوار إلى أن هاجر رسول الله وعلا أمره وذلك في سنة ست من الهجرة كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت قد هاجرت إليه مع زوجها فمات زوجها فأرسل النجاشي إلى أم حبيبة جارية يقال لها نزهة تخبرها بخطبة رسول الله ﷺ إياها فأعطتها أوضاحاً لها سروراً بذلك وأمرها أن توكل من يزوجها فوكلت خالد بن سعيد بن العاص فأنكحها على صداق أربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله النجاشي فأنفذ إليها على يد نزهة أربعمائة دينار فلما جاءتها بها أعطتها خمسين ديناراً فردتها وقالت: أمرني الملك أن لا آخذ منك شيئاً وقالت: أنا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صدقت محمداً ﷺ وآمنت به فحاجتي منك أن تقرئيه مني السلام قالت: نعم ثم أمر الملك نساءه أن يبعثن إلى أم حبيبة بما عندهن من عود وعنبر وكان عليه السلام يراه عليها وعندها فلا ينكر قالت أم حبيبة فخرجنا في سفينتين وبعث معنا النجاشي الملاحين فلما خرجنا من البحر ركبنا الظهر إلى المدينة ورسول الله عليه السلام بخيبر فخرج من خرج إليه وأقمت بالمدينة حتى قدم النبي عليه السلام فدخلت عليه فكان يسألني عن النجاشي فقرأت عليه من نزهة السلام فرد عليها السلام فأنزل الله ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾ [الممتحنة: ٧] يعني: أبا سفيان ﴿مودة﴾ يعني تزويج أم حبيبة ولما جاء أبا سفيان تزويج أم حبيبة برسول الله عليه الصلاة والسلام قال: ذاك الفحل لا يقرع انفه ثم قال عليه السلام: «لا أدري أنا بفتح خيبر أسرّ أم بقدوم جعفر» وبعث النجاشي بعد قدوم جعفر إلى رسول الله ابنه أزهر بن أصحمة بن الحر في

ستين رجلاً من الحبشة وكتب إليه يا رسول الله أشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت لله رب العالمين وقد بعثت ابني أزهر وإن شئت أن آتيك بنفسي فعلت والسلام عليك يا رسول الله فركبوا سفينة في أثر جعفر وأصحابه فلما بلغوا أواسط البحر غرقوا وكان جعفر يوم وصل المدينة إلى رسول الله ﷺ وصل في سبعين رجلاً عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام منهم بحيراً الراهب فقرأ عليهم رسول الله سورة يس إلى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن فآمنوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فأنزل الله تعالى هذه الآية **﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾** يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا أصحاب الصوامع **﴿ذلك﴾** أي: كونهم أقرب مودة للمؤمنين. **﴿بأن منهم﴾** أي بسبب أن منهم **﴿قسيسين﴾** وهم علماء النصارى وعبادهم ورؤساؤهم. والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشيء إذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم قاله الراغب. وقال قطرب القسيس العالم بلغة الروم. وعن عروة بن الزبير أنه قال: ضيعت النصارى الإنجيل وادخلوا فيه ما ليس منه وبقي واحد من علمائهم على الحق والدين وكان اسمه قسيساً فمن كان على مذهبه ودينه فهو قسيس **﴿ورهباناً﴾** هو جمع راهب كراكب وركبان وقيل إنه يطلق على الواحد وعلى الجمع. والترهب التعبد مع الرهبة في صومعة والتنكير لإفادة الكثرة ولا بد من اعتبارها في القسيسين أيضاً إذ هي التي تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين فإن اتصاف أفراد كثيرة بجنس الخصلة مظنة لاتصاف الجنس بها وإلا فمن اليهود أيضاً قوم مهتدون ألا يرى إلى عبد الله بن سلام وأضرابه قال تعالى: **﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾** [آل عمران: ١١٣] الخ لكنهم لما لم يكونوا في الكثرة كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم إلى جنس اليهود **﴿وأنهم لا يستكبرون﴾** عطف على أن منهم أي وبأنهم لا يستكبرون عن قبول الحق إذا فهموه ويتواضعون ولا يتكبرون كاليهود. وفيه دليل على أن التواضع والإقبال على العلم والعمل والإعراض عن الشهوات محمود وإن كانت في كافر. أقول ذكر عند حضرة شيخي العلامة أبقاه الله بالسلامة رجولية بعض أهل الذمم ومروته فقال: إنه من آثار السعادة الأزلية ويرجى أن ذلك يدعوه إلى الإيمان والتوحيد ويصير عاقبته إلى الفلاح، قال الحافظ:

كاری كنيم ورنه خجالت بر آورد   روزی كه رخت جان بجهان دكر كشيم

ـ تم الجزء السادس ـ

الجزء السابع من الأجزاء الثلاثين

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿**وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول**﴾ عطف على لا يستكبرون أي ذلك بسبب أنهم لا يستكبرون وأن أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا عند سماع القرآن وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم إلى قبول الحق وعدم تأنفهم عنه ﴿**ترى أعينهم تفيض من الدمع**﴾ أي: تملأ بالدمع فاستعير له الفيض الذي هو الإنصباب من الامتلاء مبالغة ومن الدمع متعلق بتفيض ومن لابتداء الغاية والمعنى تفيض من كثرة الدمع والرؤية بصرية وتفيض حال من المفعول ﴿**مما عرفوا من الحق**﴾ من الأولى لابتداء الغاية متعلق بمحذوف على أنها حال من الدمع والثانية لبيان الموصول في قوله ما عرفوا أي حال كونه ناشئاً ومبتدأ من معرفة الحق حاصلاً من أجله وبسببه كأنه قيل: ماذا يقولون عند سماع القرآن فقيل: ﴿**يقولون ربنا آمنا**﴾ بهذا القرآن ﴿**فاكتبنا مع الشاهدين**﴾ أي اجعلنا في جملة الذين شهدوا بأنه حق ﴿**وما لنا**﴾ أي: أيُّ شيء حصل لنا ﴿**لا نؤمن بالله**﴾ حال من الضمير في لنا أي غير مؤمنين على توجيه الإنكار والنفي إلى السبب والمسبب جميعاً ﴿**وما جاءنا من الحق**﴾ عطف على الجلالة أي بالله وما جاءنا من الحق حال من فاعل جاءنا أي جاءنا في حال كونه من جنس الحق أو من لابتداء الغاية متعلقة بجاءنا ويكون المراد بالحق الباري تعالى ﴿**ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين**﴾ حال أخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدأ أي أي شيء حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع في صحبة الصالحين وإنما قدر المبتدأ ليكون الحال هو الجملة الاسمية لأن المضارع المثبت لا يقع حالاً بالواو إلا بتأويل تقدير المبتدأ ﴿**فأثابهم الله**﴾ أي: أعطاهم وجازاهم ﴿**بما قالوا**﴾ أي: عن اعتقادهم بدليل قوله مما عرفوا من الحق ﴿**جنات**﴾ أي: بساتين ﴿**تجري من تحتها الأنهار**﴾ أي: تجري من تحت أشجارها ومساكنها وغرفها أنهار الماء والعسل والخمر واللبن ﴿**خالدين فيها وذلك**﴾ الثواب ﴿**جزاء المحسنين**﴾ أي: الذين أحسنوا النظر والعمل أو الذين اعتادوا الإحسان في الأمور.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾

﴿**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا**﴾ فماتوا على ذلك عطف التكذيب بآيات الله على الكفر مع أنه ضرب منه لما أن القصد إلى بيان حال المكذبين ﴿**أولئك أصحاب الجحيم**﴾ أهل النار الشديدة الوقود وهم الذين استتروا بحجب أوصاف البهيمة والسبعية والشيطانية فأصمهم الله وأعمى أبصارهم سمعوا ولم يستمعوا وشاهدوا ولم يبصروا بخلاف من قال لهم الله ألست بربكم فأسمعهم كلامه ووفقهم للجواب حتى شهدوا ربوبيته فقالوا: بلى شهدنا فكذلك هٰهنا أسمعهم كلامه وعرفهم حقيقة كلامه فاشتاقوا إليه وتذكر قلوبهم ما شاهدوا عند الميثاق من تلك المشاهدة فبكوا بكاء الشوق وبكاء المعرفة، وفي «المثنوي»:

خوى بدذر ذات تواصلى نبود | كزبد أصلى مى نيابد جز جحود
آن بدى عاريتى باشد كه او | آرد اقرار وشود أو توبه جو
همچو آدم ذلتش عاريه بود | لا جرم اندر زمان توبه نمود
چونكه اصلى بودجرم آن بليس | ره نبودش جانب توبه نفيس

ـ حكي ـ أن سلطاناً زار قبر أبي يزيد قدس سره فسأل عن حاله من بعض أصحاب أبي يزيد فقال: من رآه لم يدخل النار فقال السلطان: إن أبا جهل رأى النبي عليه السلام ومع ذلك يدخل النار وليس شيخك فوق النبي عليه السلام فقال: أيها السلطان إن أبا جهل لم ير النبي ﷺ بل رأى يتيم أبي طالب فلو رأى أنه رسول الله لآمن به وخلص من النار وبنور العرفان آمنت بلقيس فإنها لما رأت كتاب سليمان شاورت قومها فقالوا: نقاتله فقالت: إنه يدعي النبوة والأنبياء عباد الله المكرمون لا يقاتلهم أحد فبعد الامتحان آمنت به، قال المولوي قدس سره:

چون سليمان سوى مرغان سبا | يك صفيرى كرد بست آن جمله را
جزمكر مرغى كه بدبي جان وپر | يا چو ما هى كنك بود از اصل كر
نى غلط كفتم كه كر كرسر نهد | پيش وحى كبريا شمعش دهد
چونكه بلقيس ازدل وجان عزم كرد | بر زمان رفته هم افسوس خورد
ترك مال وملك كرد او آنچنان | كه بترك نام وننك آن عاشقان
آن غلامان وآن كنيزان بناز | پيش چشمش همچو پوسيده پياز
باغهاو قصرهاو آب رود | پيش چشم ازعشق او كلخن نمود
عشق درهنكام استيلا وخشم | زشت كر داند لطيفاً نرا بچشم
هر زمردرا نمايد كندنا | غيرت عشق اين بود معنى لا
لا إله إلا هو اينست اي پناه | كه نمايد دمه تراويك سياه

واعلم أنه في العالم العلمي وفق من وفق فجرى على ذلك التوفيق في هذا العالم العيني الشهادي ثم لا يزال على ذلك في جانب الأبد حتى يدخل الجنة الصورية الحسية مع أذواق الروحانية المعنوية خالداً فيها فهذا هو ثمرة ذلك البذر ومحصول ذلك الزرع والحرث كما قال الله تعالى: ﴿**فأثابهم الله بما قالوا**﴾ الخ فعلى المؤمن أن يجتهد في تحصيل اليقين ويدخل الجنة العاجلة التي هي المعرفة الإلهية كما قال مما عرفوا من الحق ويتخلص من نار البعد والفراق كما قال: ﴿**أولئك أصحاب الجحيم**﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم**﴾ أي لا تمنعوا ما طاب ولذ منه أنفسكم كمنع التحريم ﴿**ولا تعتدوا**﴾ أي لا تتجاوزوا حدود ما أحل لكم إلى ما حرم عليكم فإن محرم ما أحل الله يحل ما حرم الله أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات فإن الإسراف تجاوز إلى الحرام كتناول المحرمات ﴿**إن الله لا يحب المعتدين**﴾ أي لا يرضى عمل المعتدين على أنفسهم المتجاوزين حدود الله ﴿**وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً**﴾ أي ما أحل لكم وطاب مما رزقكم الله فحلالاً مفعول كلوا ومما رزقكم الله حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة، قال عبد

الله بن المبارك الحلال ما أخذته من وجهه والطيب ما غذي ونمى فأما الجوامد كالطين والتراب وما لا يغذي فمكروه إلا على وجه التداوي ﴿واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾ تأكيد للوصية بما أمر به فإن قوله: ﴿كلوا حلالا﴾ وإن كان المراد به هٰهنا الإباحة والتحليل إلا أنه إنما أباح أكل الحلال فيفيد تحريم ضده فأكد التحريم المستفاد منه بقوله: ﴿واتقوا الله﴾ وزاده تأكيداً بقوله: ﴿الذي أنتم به مؤمنون﴾ فإن الإيمان يوجب التقوى بالانتهاء عما نهى عنه وعدم التجاوز عما حد له. قال الإمام قوله تعالى: ﴿كلوا مما رزقكم الله﴾ يدل على أنه تعالى قد تكفل برزق كل أحد فإنه لو لم يتكفل برزقه لما قال: ﴿كلوا مما رزقكم الله﴾ وإذا تكفل برزقه وجب أن لا يبالغ في الطلب وأن يعول على وعده وإحسانه فإنه أكرم من أن يخلف الوعد ولذلك قال عليه السلام: «فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»، قال الحافظ:

ما ابروى فقر وقناعت نمى بريم — باپادشه بكوى كه روزى مقدرست

وقال الصائب:

رزق اكر بر آدمي عاشق نمى باشد چرا — از زمين كندم كريبان چاك مى آيدچرا

قال أهل التفسير: ذكر النبي عليه السلام يوماً النار ووصف القيامة وبالغ في الإنذار فرق له الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وتشاوروا واتفقوا على أن يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويسيحوا في الأرض فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته أم حكيم بنت أمية واسمها خولة وكانت عطارة «أحق ما بلغني عن زوجك وأصحابه فكرهت أن تكذب على رسول الله وكرهت أن تبدي خبر زوجها» فقالت: يا رسول الله إن كان قد أخبرك عثمان فقد صدق فرجع رسول الله فلما جاء عثمان أخبرته زوجته بذلك فمضى إلى رسول الله فسأله النبي عليه السلام عن ذلك فقال: نعم فقال عليه السلام: «أما إني لم آمر بذلك إن لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني» ثم جمع الناس وخطبهم وقال: «ما بال قوم حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا أما أني لا آمركم أن تكونوا قسيسين ولا رهباناً فإنه ليس من ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وإن سياحة أمتي الصوم ورهبانيتهم الاجتهاد فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وحجوا واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فإنما هلك من هلك قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع» فأنزل الله هذه الآية.

ـ وروي ـ أن عثمان بن مظعون جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن نفسي تحدثني بأن اختصي فائذن لي في الاختصاء قال: «مهلاً يا عثمان فإن اختصاء أمتي الصيام»، وفي «المثنوي»:

هين مكن خودرا خصى رهبان مشو — زانكه عفت هست شهوت را كرو
بى هوا نهى از هوا ممكن نبود — غازى بر مردكان نتوان نمود
پس كلو از بهر دام شهوتست — بعد ازان لا تسرفوا آن عفتست
چونكه رنج صبر نبود مرترا — شرط نبود پس فرو نايد چرا

حبذا آن شرط وشادا آن جزا آن جزاى دلنواز حان فزا

قال يا رسول الله إن نفسي تحدثني بأن أترهب في رؤوس الجبال قال: «مهلاً يا عثمان فإن ترهب أمتي الجلوس في المساجد لانتظار الصلاة» قال: يا رسول الله إن نفسي تحدثني أن أخرج من مالي كله قال: «مهلاً يا عثمان فإن صدقتكم يوماً بيوم وتعف نفسك وعيالك وترحم المساكين واليتيم فتعطيها أفضل من ذلك» قال: يا رسول الله إن نفسي تحدثني أن أطلق امرأتي خولة قال: «مهلاً يا عثمان فإن الهجرة في أمتي من هجر ما حرم الله عليه أو هاجر إلي في حياتي أو زار قبري بعد وفاتي أو مات وله امرأة أو امرأتان أو ثلاث أو أربع» قال: يا رسول الله فإن نهيتني أن لا أطلقها فإن نفسي تحدثني أن لا أغشاها قال: «مهلاً يا عثمان فإن المسلم إذا غشي امرأته أو ما ملكت يمينه فلم يكن له من وقعته تلك ولد كان له وصيف في الجنة وإن كان له من وقعته تلك ولد فمات قبله كان له فرطاً وشفيعاً يوم القيامة وإن مات بعده كان له نوراً يوم القيامة» قال: يا رسول الله إن نفسي تحدثني أن لا آكل اللحم قال: مهلاً يا عثمان فإني أحب اللحم وآكله إذا وجدته ولو سألت ربي أن يطعمنيه في كل يوم لأطعمنيه قال: يا رسول الله فإن نفسي تحدثني أن لا أمس الطيب قال: «مهلاً يا عثمان فإن جبرائيل عليه السلام أمرني بالطيب غبا وقال يوم الجمعة لا مترك له يا عثمان لا ترغب عن سنتي فمن رغب عن سنتي ثم مات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيامة»، وعن أبي موسى الأشعري قال: رأيت رسول الله ﷺ يأكل لحم الدجاج ورأيته يأكل الرطب والبطيخ. وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي عليه السلام كان يأكل الدجاج والفالوذج وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال: «إن المؤمن حلو يحب الحلاوة» قال: «إن في بطن المؤمن زاوية لا يملأها إلا الحلو» وجاء رجل إلى الحسن فقال له إن لي جاراً لا يأكل الفالوذج قال: ولم؟ قال: لئلا يؤدي شكره قال: أفيشرب الماء البارد قال: نعم قال: إن جارك هذا جاهل إن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته في الفالوذج، وسئل فضيل عن ترك الطيبات من الحواري واللحم والخبيص للزهد وقال لمن قال: لا آكل الخبيص ليتك تأكل وتتقي إن الله لا يكره أن تأكل الحلال الصرف كيف برك لوالديك وصلتك للرحم؟ كيف عطفك على الجار؟ كيف رحمتك للمسلمين؟ كيف كظمك للغيظ؟ كيف عفوك عمن ظلمك؟ كيف إحسانك إلى من أساء إليك؟ كيف صبرك واحتمالك للأذى؟ أنت إلى أحكام هذا أحوج منك إلى ترك الخبيص، والحاصل أن الإفراط في الرهبانية والاحتراز التام عن الذات والطيبات مما يوقع الضعف في الأعضاء الرئيسة التي هي القلب والدماغ وإذا وقع الضعف فيها اختلت الفكرة وباختلالها تفوت عنها الكمالات المتعلقة بالقوة النظرية رأساً وينتقص كمالاتها المتعلقة بالقوة العملية فإن تمامها وكمالها يبني على كمال القوة النظرية، وأيضاً الرهبانية التامة توجب خرابية الدنيا وانقطاع الحرث والنسل فلما كانت عمارة الدنيا والآخرة منوطة بترك تلك الرهبانية والمواظبة على المعرفة والمحبة والطاعة اقتضت الحكمة أن لا يحرم الإنسان ما طاب ولذ مما أحل الله كما نطقت الآية به، ولكن إشارة الآية أيضاً إلى الاعتدال كما قال: ﴿ولا تعتدوا﴾ فالاعتدال في التناول وكذا في الرياضة ممدوح جداً ولذا ترى المرشد الكامل يأمر في ابتداء أمره بترك اللحم والدسم والجماع وغيرها ولكن على الاعتدال بحسب مزاجه فإن للرياضات تأثيراً عظيماً في إصلاح الطبيعة وهو أمر مهم في باب السلوك جداً فلا متمسك لأرباب الظاهر في ترك الرياضة

مطلقاً وقد أشار النبي عليه الصلاة والسلام في وصاياه لعثمان بن مظعون إلى جملة من الأمر فافهم وارشد إلى طريق الصواب ولا تفريط ولا إفراط في كل باب.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ اليمين تقوية أحد الطرفين بالمقسم به واللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو عند الإمام الأعظم أن يحلف على شيء يظن أنه كذلك وليس كما يظن مثل أن يرى الشيء من بعيد فيظن أنه كذا فيقول والله إنه كذا فإذا هو بخلافه فلا مؤاخذة في هذا اليمين بإثم ولا كفارة وأما الغموس وهي حلفه على أمر ماض أو حال كذباً عمداً مثل قوله والله لقد فعلت كذا وهو لم يفعله وعكسه ومثل والله ما لهذا علي دين وهو يعلم أن له عليه ديناً فحكمها الإثم لأنها كبيرة قال عليه السلام: «من حلف كاذباً أدخله الله النار» ولا كفارة فيها إلا التوبة قوله في أيمانكم صلة يؤاخذكم كما أن باللغو صلة له أي لا يؤاخذكم في حق أيمانكم بسبب ما كان لغواً منها بأن لا يتعلق بها حكم دنيوي ولا أخروي **﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾** أي بتقيدكم الأيمان وتوثيقاً بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتموها إذا خنثتم أو بنكث أي نقض ما عقدتم فحذف للعلم به وهذا اليمين هي اليمين المنعقدة وهي الحلف على فعل أمر أو تركه في المستقبل **﴿فكفارته﴾** أي الفعلة التي تذهب إثمه وتستره وعند الإمام لا يجوز التكفير قبل الحنث لقوله عليه السلام: «من حلف على يمين ورأى غيرها خيراً فليأت بالذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه» **﴿إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾** محل من أوسط النصب لأنه صفة مفعول محذوف تقديره أن تطعموا عشرة مساكين طعاماً كائناً من أوسط ما تطعمون من في عيالكم من الزوجة والأولاد والخدم أي من أقصده في النوع أو المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين كالفطرة ولو أطعم فقيراً واحداً عشرة أيام أجزأه ولو أعطاه دفعة لا يجوز إلا عن يوم واحد **﴿أو كسوتهم﴾** عطف على إطعام فيكسو كل واحد من العشرة ثوباً يستر عامة بدنه وهو الصحيح ولا يجزىء السراويل لأن لابسه يسمى عرياناً عرفاً **﴿أو تحرير رقبة﴾** أي: أو إعتاق إنسان كيف ما كان مؤمناً كان أو كافراً ذكراً أو أنثى صغيراً أو كبيراً ولا يجوز الأعمى والأصم الذي لا يسمع أصلاً والأخرس لفوات جنس المنفعة ومقطوع اليدين أو إبهاميهما أو الرجلين أو يد ورجل من جانب واحد ومجنون مطبق لأن الانتفاع ليس إلا بالعقل ومدبر وأم ولد لاستحقاقهما الحرية بجهة فكان الرق فيهما ناقصاً ومكاتب أدى بعضاً لأنه تحرير بعوض فيكون تجارة والكفارة عبادة فلا بد أن تكون خالصة لله تعالى وكذا لا يجوز معتق بعضه لأنه ليس برقبة كاملة. ومعنى أو في الآية إيجاب إحدى الخصال الثلاث مطلقاً وخيار التعيين للمكلف أي لا يجب عليه الإتيان بكل واحد من هذه الأمور الثلاثة ولا يجوز له تركها جميعاً ومتى أتى بواحدة منها فإنه يخرج عن العهدة فإذا اجتمعت هذه القيود الثلاثة فذاك هو الواجب المخير **﴿فمن لم يجد﴾** أي: شيئاً من الأمور المذكورة **﴿فصيام﴾** أي: فكفارته صيام **﴿ثلاثة أيام﴾** متتابعات عند الإمام الأعظم

﴿ذلك﴾ أي الذي ذكرت لكم وأمرتكم به **﴿كفارة أيمانكم إذا حلفتم﴾** وحنثتم **﴿واحفظوا أيمانكم﴾** بأن تضنوا بها ولا تبذلوها لكل أمر وبأن تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير فإن عجز عن البرّ أو رأى غير المحلوف عليه خيراً منه فله حينئذٍ أن يحنث ويكفر كما قال الفقهاء: من اليمين المنعقدة ما يجب فيه البر كفعل الفرائض وترك المعاصي لأن ذلك فرض عليه فيتأكد باليمين. ومنها ما يجب فيه الحنث كفعل المعاصي وترك الواجبات وفي الحديث: «من حلف أن يطيع الله فليطعه ومن حلف أن يعصيه فلا يعصه». ومنها ما يفضل فيه الحنث كهجران المسلم ونحوه وما عدا هذه الأقسام الثلاثة من الأيمان التي يستوي فيها الحنث والبر يفضل فيه البر حفظاً لليمين ولا فرق في وجوب الكفارة بين العامد والناسي والمكره في الحلف والحنث لقوله عليه السلام: «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق واليمين» **﴿كذلك﴾** إشارة إلى مصدر الفعل الآتي لا إلى تبيين آخر مفهوم مما سبق والكاف مقحمة لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحله في الأصل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف وأصل التقدير يبين الله تبييناً كائناً مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة أي مثل ذلك البيان البديع **﴿يبين الله لكم آياته﴾** إعلام شريعته وأحكامه لا بياناً أدنى منه **﴿لعلكم تشكرون﴾** نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج.

والإشارة أن من عقد اليمين على الهجران من الله تعالى فكفارته إطعامه عشرة مساكين وهم الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة فإنها مدخل الآفات وموئل الفترات **﴿من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾** وهم القلب والروح والسر والخفي وطعامهم الشوق والمحبة والصدق والإخلاص والتفويض والتسليم والرضى والأنس والهيبة والشهود والكشوف وأوسطه الذكر والتذكر والفكر والتفكر والتشوق والتوكل والتعبد والخوف والرجاء فإطعام الحواس الظاهرة والقوى الباطنة هذه الأطعمة باستعمالها في التعبد بها والتحفظ عما ينافيها أو كسوتهم وهي إلباس الحواس والقوى بلباس التقوى أو تحرير رقبة النفس عن عبودية الهوى والحرص على الدنيا، فمن لم يجد السبيل إلى هذه الأشياء فصيام ثلاثة أيام وذلك لأن الأيام لا تخلو عن ثلاثة إما يوم مضى أو يوم حضر أو يوم قد بقي فصيام اليوم الذي قد مضى بالإمساك عما عقد عليه أو قصد إليه أو بالصبر على التوبة عنه وصيام الذي قد حضر بالإمساك عن التغافل عن الأهم وبالصبر على الجد والاجتهاد ببذل الجهد في طلب المراد وصيام اليوم الذي قد بقي بالإمساك عن فسخ العزيمة في ترك الجريمة ونسخ الإخلاص في طلب الخلاص وبالصبر على قدم الثبات في تقديم الطاعات والمبرات وصدق التوجه إلى حضرة الربوبية بمساعي العبودية:

مكن وقت ضايع بافسوس وحيف ... كه فرصت عزيز ست والوقت سيف

قال ابن الفارض قدس سره:

وكن صارماً كالوقت فالمقت في عيسى ... وإياك علّ فهي أخطر علة

وفي «المثنوي»:

أي كه صبرت نيست از دنياى دون ... چونت صبرست ازخداى دوست چون

چونكه بى اين شرب كم دارى سكون ... چون زابرارى خدا وزيشرون

اعلم أن الطالب الصادق عند غلبات الشوق ووجدان الذوق يقسم عليه بجماله وجلاله أن يرزقه شظية من إقباله ووصاله وذلك في شريعة الرضى لغو وفي مذهب التسليم سهو فيعفو عنه

رحمة عليه لضعف حاله ولا يؤاخذه بمقاله وأن الأولى الذوبان والجمود بحسن الرضى بحسب جريان أحكام المولى في القبول والرد والإقبال والصدّ إيثار الاستقامة في أداء حقوقه على الكرامة وعلى لذة تقريبه وإقباله وشهوده ووصوله ووصاله كما قال قائلهم:

أريد وصاله ويريد هجري فاترك ما أريد لما يريد

كذا في «التأويلات النجمية».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر﴾ هذه هي الآية الرابعة من الآيات الأربع التي نزلت في الخمر وقد سبق التفصيل في سورة البقرة ويدخل في الخمر كل مسكر **﴿والميسر﴾** أي: القمار كله فيدخل فيه النرد والشطرنج والأربعة عشر والكعب والبيضة وغير ذلك مما يقامرون به **﴿والأنصاب﴾** أي الأصنام المنصوبة للعبادة واحدها نصب بفتح النون وسكون الصاد **﴿والأزلام﴾** هي سهام مكتوب على بعضها أمرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي يطلبون بها علم ما قسم من الخير والشر، قال المفسرون كان أهل الجاهلية إذا أراد أحدهم سفراً أو غزواً أو تجارة أو غير ذلك طلب علم أنه خير أو شر من الأزلام وهي قداح كانت في الكعبة عند سدنة البيت على بعضها أمرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وبعضها غفل لا كتابة عليها ولا علامة فإن خرج السهم الآمر مضوا على ذلك وإن خرج الناهي يجتنبون عنه وإن خرج الغفل أجالوها ثانياً فمعنى الاستقسام بالأزلام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم لهم وهي جمع زلم **﴿رجس﴾** قذر يعاف عند العقول أي تكرهه وتنفر منه العقول السليمة. والرجس بمعنى النجس إلا أن النجس يقال في المستقذر طبعاً والرجس أكثر ما يقال في المستقذر عقلاً وسميت هذه المعاصي رجساً لوجوب اجتنابها كما يجب اجتناب الشيء المستقذر **﴿من عمل الشيطان﴾** صفة لرجس أي رجس كائن من عمله أي من تزيينه لأنه هو الداعي إليه والمرغب فيه والمزين له في قلوب فاعليه **﴿فاجتنبوه﴾** أي: الرجس **﴿لعلكم تفلحون﴾** أي: راجين فلاحكم أمر بالاجتناب وهو تركه جانباً وظاهر الأمر على الوجوب. **﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر﴾** وهو إشارة إلى المفاسد الدنيوية، أما العداوة في الخمر فهي أن الشاربين إذا سكروا عربدوا وتشاجروا كما فعل الأنصاري الذي شج سعد بن أبي وقاص بلحي الجمل. وأما العداوة في الميسر فهي أن الرجل كان يقامر على الأهل والمال ثم يبقى حزيناً مسلوب الأهل والمال مغتاظاً على حرفائه والفرق بين العداوة والبغضاء أن كل عدو مبغض بلا عكس كلي. وقوله تعالى في الخمر متعلق بيوقع على أن تكون كلمة في هنا لإفادة معنى السببية كما في قوله عليه السلام: «إن امرأة دخلت النار في هرة» أي: يوقع بينكم هذين الشيئين في الخمر بسبب شربها وتخصيص الخمر والميسر تنبيهاً على أنهما المقصودان بالبيان لأن هذه الآية خطاب مع المؤمنين والمقصود نهيهم عن الخمر والميسر وإنما ضم الأنصاب والأزلام إليهما مع أن تعاطيهما مختص بأهل الجاهلية تأكيداً لقبح الخمر والميسر وإظهاراً

لكون هذه الأربعة متقاربة في المفسدة. **﴿ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة﴾** أي: يمنعكم عنهما وهو إشارة إلى المفاسد الدينية فإن شرب الخمر يورث الطرب واللذة الجسمانية والنفس إذا استغرقت في اللذة غفلت عن ذكر الله وعن الصلاة وكذا من يقامر بالميسر إن كان غالباً صار استغراقه في لذة الغلبة يورثه الغفلة عن العبادة وإن صار مغلوباً صار شدة اهتمامه بأن يحتال بحيلة يصير بها غالباً مانعاً من أن يخطر بباله شيء سواه وتخصيص الصلاة بالافراد مع دخولها في الذكر للتعظيم والإشعار بأن الصاد عنها كالصاد عن الإيمان لما أنها عماده **﴿فهل أنتم منتهون﴾** لفظه استفهام ومعناه أمر أي انتهوا وهذا نهي بألطف الوجوه ليكون أدعى إلى الانتهاء فلما سمعها عمر رضي الله عنه قال: انتهينا يا رب وحرمت الخمر في سنة ثلاث من الهجرة بعد وقعة أحد **﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾** فيما أمرا به وهو عطف على اجتنبوه **﴿واحذروا﴾** عما نهيا عنه **﴿فإن توليتم﴾** أي أعرضتم عن الامتثال والطاعة **﴿فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾** وقد فعل ذلك بما لا مزيدة عليه وخرج عن عهدة الرسالة أي خروج وقامت عليكم الحجة انتهت الأعذار وانقطعت العلل وما بقي بعد ذلك إلا العقاب.

اعلم أن الله تعالى قرن الخمر والميسر بالأصنام ففيه تحريم بليغ لهما ولعل قوله عليه السلام: «شارب الخمر كعابد الوثن» مستفاد من هذه الآية وفي الحديث «من شرب الخمر في الدنيا سقاه الله من سم الأساود وسم العقارب إذا شربه تساقط لحم وجهه في الإناء قبل أن يشربها فإذا شربها تفسخ لحمه كالجيفة يتأذى به أهل الموقف ومن مات قبل أن يتوب من شرب الخمر كان حقاً على الله أن يسقيه بكل جرعة شربها في الدنيا شربة من صديد جهنم» وفي الحديث: «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها» وفي الحديث: «من شرب الخمر بعد أن حرمها الله على لساني فليس له أن يزوج إذا خطب ولا يصدق إذا حدث ولا يشفع إذا تشفع ولا يؤمن على أمانة فمن ائتمنه على أمانته فاستهلكها فحق على الله أن لا يخلف عليه»، قال الحسين الواعظ الكاشفي في تفسيره:

بى نمكى دان جكر آميخته بر جكر بى نمكان ريخته

بي خبر آن مردكه چيزى چشيد كش قلم بى خبرى دركشيد

والإشارة **﴿يا أيها الذين آمنوا﴾** إيماناً حقيقياً مستفاداً من كتابة الحق بقلم العناية في قلوبهم **﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام﴾** فأما الخمر فإنها تخمر العقل وهو نور روحاني علوي من أوليات المخلوقات ومن طبعه الطاعة والانقياد والتواضع لربه كالملك وضده الهوى وهو ظلماني نفساني سفلي من أخريات المخلوقات ومن طبعه التمرد والمخالفة والإباء والاستكبار عن عبادة ربه كالشيطان فإذا خمر الخمر نور العقل صار مغلوباً لا يهتدي إلى الحق وطريقه ثم يغلب ظلمة الهوى فتكون النفس أمارة بالسوء وتستمد من الهوى فتتبع بالهوى السفلي جميع شهواتها النفسانية ومستلذاتها الحيوانية السفلية فيظفر بها الشيطان فيوقعها في مهالك المخالفات كلها ولهذا قال عليه السلام: «الخمر أم الخبائث» لأن هذه الخبائث كلها تولدت منها، وأما الميسر فإن فيه تهيج أكثر الصفات الذميمة وهي الحرص والبخل والكبر والغضب والعداوة والبغض والحقد والحسد وأشباهها وبها يضل العبد عن سواء السبيل، وأما الأنصاب فهي تعبد من دون الله فهي تصير العبد مشركاً بالله، وأما الأزلام فما يلتفت إليه عند

توقع الخير والشر والنفع والضر من دون الله تعالى من المضلات فإن الله هو الضار والنافع ثم قال تعالى: ﴿**رجس من عمل الشيطان**﴾ يعني: هذه الأشياء أخبث شيء من أعمال الشيطان التي يغوي بها العباد ويضلهم عن صراط الحق وطريق الرشاد ﴿**فاجتنبوه**﴾ أي: اجتنبوا الشيطان ولا تقبلوا وساوسه واتركوا هذه الأعمال الخبيثة ﴿**لعلكم تفلحون**﴾ تخلصون من مكايد الشيطان وخباثة هذه الأعمال كذا في «التأويلات النجمية».

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح**﴾ أي إثم وحرج ﴿**فيما طعموا**﴾ أي: تناولوا أكلاً أو شرباً فيتناول شرب الخمر وأكل مال الميسر فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿**إذا ما اتقوا**﴾ أن يكون في ذلك شيء من المحرمات ﴿**وآمنوا وعملوا الصالحات**﴾ أي: واستمروا على الإيمان والأعمال الصالحة ﴿**ثم اتقوا**﴾ عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرط أي اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحاً فيما سبق ﴿**وآمنوا**﴾ أي: بتحريمه ﴿**ثم اتقوا**﴾ أي: ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحاً من قبل على أن الشروط بالاتقاء في كل مرة إباحة كل ما طعموه في ذلك الوقت لا إباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ إباحة بعضه حينئذٍ ﴿**وأحسنوا**﴾ أي: عملوا الأعمال الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الأعمال القلبية والقالبية ﴿**والله يحب المحسنين**﴾ فلا يؤاخذهم بشيء وفيه أن من فعل ذلك صار محسناً ومن صار محسناً صار لله محبوباً ومقام المحبوبية فوق جميع المراتب ولذا كان رسول الله ﷺ حبيب الله وقد فسر الإحسان «بأن تعبد الله كأنك تراه» يعني: أن الإحسان مرتبة المشاهدة فإذا ترقى العبد من الإيمان الغيبي إلى الإيمان الشهودي ثم فني عن كل قيد حتى عن الإطلاق فقد تم أمره وكان طعمه وشربه وتصرفه في المكونات مما لا يضره لأنه قد استوفى الشرائط كلها فلا يقاس عليه غيره ثم إن المحسن مطلقاً يتناول كل أهل ويستحق المدح والثناء:

وفي «المثنوي»:

محسنان مردندو إحسانها بماند ... أي خنك آن راكه اين مركب براند
ظالمان مردندو ماند آن ظلمها ... وأي جانى كوكند مكرودهان
كفت پيغمبر خنك آنراكه او ... شد زدنيا ماندازو فعل نكو
مرد محسن ليك احسانش نمرد ... نزد يزدان دين وإحسان نيست خرد
وأي آن كو مرد وعصيانش نمرد ... تانپندارى بمرك أو جان ببرد

وورد في فضائل عشر ذي الحجة «أن من تصدق في هذه الأيام بصدقة على مسكين فكأنما تصدق على رسل الله وأنبيائه ومن عاد فيه مريضاً فكأنما عاد أولياء الله وبدلاءه ومن شيع جنازة فكأنما شيع جنائز شهداء بدر ومن كسا مؤمناً كساه الله تعالى من حلل الجنة ومن ألطف يتيماً أظله الله في القيامة تحت عرشه ومن حضر مجلساً من مجالس العلم فكأنما حضر مجالس أنبياء الله ورسوله» كذا في «روضة العلماء»، قال السعدي قدس سره:

بإحساني آسوده كردن دلى ... به ازالف ركعت بهر منزلى

ـ حكي ـ أنه وقع القحط في بني إسرائيل فدخل فقير سكة من السكك وكان فيها بيت

غني فقال: تصدقوا علي لأجل الله فأخرجت إليه بنت الغني خبزاً حاراً فاستقبله الغني فقال: من دفع إليك هذا الخبز؟ فقال: ابنة من هذا البيت فدخل وقطع يد ابنته اليمنى فحول الله حاله فافتقر ومات فقيراً ثم إن شاباً غنياً استحسن الابنة لكونها حسناء فتزوجها وأدخلها داره فلما جن الليل أحضرت مائدة فمدت اليد اليسرى فقال الفتى: سمعت أن الفقراء يكونون قليلي الأدب فقال: مدي يدك اليمنى فمدت اليسرى ثانياً وثالثاً فهتف بالبيت هاتف أخرجي يدك اليمنى فالرب الذي أعطيت الخبز لأجله رد عليك يدك اليمنى فأخرجت يدها اليمنى بأمر الله تعالى وأكلت معه كذا في «الروضة»:

تونيكى كن بآب انداز اي شاه اكر ما هى نداند داند الله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٤﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ نزلت عام الحديبية في السنة السادسة من الهجرة. والحديبية بتخفيف الياء الأخيرة وقد تشدد موضع قريب من مكة أراد عليه السلام زيارة الكعبة فسار مع أصحابه من المدينة وهم ألف وخمسمائة وأربعون رجلاً فنزلوا بالحديبية فابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث كانوا متمكنين من صيدها أخذاً بأيديهم وطعناً برماحهم فهموا بأخذها فأنزل الله **﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله﴾** يقال بلوته بلواً جربته واختبرته واللام جواب قسم محذوف أي والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم ليتعرف أحوالكم **﴿بشيء من الصيد﴾** أي بتحريم شيء حقير هو الصيد بمعنى المصيد كضرب الأمير فمن بيانية قطعاً والمراد صيد البر مأكولاً وغير مأكول ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد وفي الحديث: «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الحية والعقرب والغراب والفأرة والكلب العقور» وأراد بالكلب العقور الذئب على ما ورد في بعض الروايات **﴿تناله أيديكم ورماحكم﴾** أي تصل إليه أيديكم ورماحكم بحيث تأخذون بأيديكم وتطعنون برماحكم فالتأكيد القسمي في ليبلونكم إنما هو لتحقيق ما وقع من أن عدم توحش الصيد عنهم ليس إلا لابتلائهم لا لتحقيق وقوع المبتلى به كما لو كان النزول قبل الابتلاء وتنكير شيء للتحقير المؤذن بأن ذلك ليس من الفتن الهائلة التي تزل فيها أقدام الراسخين كالابتلاء بقتل الأنفس وإتلاف الأموال وإنما هو من قبيل ما ابتلي به أهل أيلة من صيد السمك يوم السبت وفائدته التنبيه على أن من لم يثبت في مثل هذا كيف يثبت عند ما هو أشد منه من المحن **﴿ليعلم الله من يخافه بالغيب﴾** الخوف من الله بمعنى الخوف من عقابه وبالغيب حال من مفعول يخافه وهو عقاب الله أي ليتميز الخائف من عقابه الأخروي وهو غائب مترقب لقوة إيمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخاف كذلك لضعف إيمانه فيقدم عليه فعلم الله تعالى لما كان مقتضى ذاته وامتنع عليه التجدد والتغير كما امتنع ذلك على ذاته جعل هٰهنا مجازاً عن تميز المعلوم وظهوره على طريق إطلاق السبب على المسبب حيث قال القاضي ذكر العلم وأراد وقوع المعلوم وظهوره وأبو السعود إنما عبر عن ذلك بعلم الله اللازم له إيذاناً بمدار الجزاء ثواباً وعقاباً فإنه أدخل في حملهم على الخوف **﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾** أي بعد بيان أن ما وقع ابتلاء من جهته تعالى بما ذكر من الحكمة والمعنى فمن تعرض للصيد بعدما بينا أن ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم

ابتلاء مؤدّ إلى تميز المطيع من العاصي **﴿فله عذاب أليم﴾** لأن الاعتداء بعد ذلك مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية والمراد عذاب الآخرة إن مات قبل التوبة والتعزير والكفارة في الدنيا بنزع ثيابه فيضرب ضرباً وجيعاً مفرقاً في أعضائه كلها ما خلا الوجه والرأس والفرج ويؤمر بالكفارة.

والإشارة في الآية أن الله تعالى جعل البلاء للولاء كاللهب للذهب فقال: **﴿يا أيها الذين آمنوا﴾** إيمان المحبين الذين تجردوا عن ملاذ الدنيا وشهواتها من الحلال وأحرموا بحج الوصول وعمرة الوصال **﴿ليبلونكم الله﴾** في أثناء السلوك **﴿بشيء من الصيد﴾** وهو ما سنح من المطالب النفسانية الحيوانية والمقاصد الشهوانية الدنيوية **﴿تناله أيديكم﴾** أي: ما يتعلق بشهوات نفوسكم ولذات أبدانكم **﴿ورماحكم﴾** أي: ما يتعلق بالمال والجاه **﴿ليعلم الله من يخافه بالغيب﴾** وهو يعلم ويرى أي ليظهر الله ويميز بترك المطالب والمقاصد في طلب الحق من يخافه بالغيبة والانقطاع عنه ويحترز عن الالتفات لغيره **﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾** أي: تعلق بالمطالب بعد الطلب **﴿فله عذاب أليم﴾** من الرد والصد والانقطاع عن الله كذا في «التأويلات النجمية». قال أوحد المشايخ في وقته أبو عبد الله الشيرازي قدس سره رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول من عرف طريقاً إلى الله فسلكه ثم رجع عنه عذبه الله بعذاب لم يعذب به أحداً من العالمين، يقول الفقير سمي الذبيح الحقي غفر الله ذنوبه إنما كان عذابه أشد لأنه رجع عن طريقه بعد معرفته أنه الحق الموصل إلى الله تعالى وليس من يعلم كمن لا يعلم وسبب الرجوع الامتحانات في الطريق، قال في «المثنوي»:

قلب چون آمد سيه شد در زمان زر در آمد شد زرىء اوعيان
دست ويا انداخت زر دربوته خش در رخ آتش همى خندد رخش

قال الحافظ:

ترسم كزين چمن نبرى آستين كل كز كلشنش تحمل خارى نميكنى

فينبغي للطالب الصادق أن يتحمل مشاق الرياضات ويزكي نفسه عن الشهوات ويحترز عن أكل ما يجده من الحلال فضلاً عما حرم الله الملك المتعال فإن إصلاح الطبيعة والنفس وإن كان بفضل الله وعنايته لكن الصوم وتقليل الطعام من الأسباب القوية في هذا الباب.

ـ يحكى ـ أن سالكاً خاطب نفسه بعد رياضات شديدة فقال: من أنت ومن أنا؟ فقالت له نفسه: أنت أنت وأنا أنا فاشتغل بالتزكية ثانياً حتى حج ماشياً مرات فسأل أيضاً فأجابت بما أجابت به أولاً، فاشتغل أشد من الأول وعالج بتقليل الطعام حتى أمات نفسه فسأل من أنت فقالت: أنت أنت وأنا صرت فانية ولم يبق من وجودي أثر فاستراح بعون الله تعالى. وسئل حضرة المولوي هل يعصي الصوفي قال: لا إلا أن يأكل طعاماً قبل الاشتهاء فإنه سم له وداء اللهم أعنا على إصلاح هذه النفس الأمارة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد﴾ وهو عند أبي حنيفة اسم لكل ممتنع متوحش من

الحيوانات سواء كان مأكول اللحم أو لم يكن والمراد ما عدا الفواسق وهي العقرب والحية والغراب والفارة والكلب العقور فإنها تقتل في الحل والحرم ﴿وأنتم حرم﴾ جمع حرام وهو المحرم وإن كان في الحل وفي حكمه من في الحرم وإن كان حلالاً أي لابس حله فالمحرم لا يتصيد أصلاً سواء كان في الحل أو في الحرم بالسلاح أو بالجوارح من الكلاب والطير والحلال يتصيد في الحل دون الحرام أي حرم مكة ومقداره من قبل المشرق ستة أميال ومن الجانب الثاني اثنا عشر ميلاً ومن الجانب الثالث ثمانية عشر ميلاً ومن الجانب الرابع أربعة وعشرون ميلاً هكذا قال الفقيه أبو جعفر. وإنما ذكر القتل دون الذبح للإيذان بكونه في حكم الميتة فكل ما يقتله المحرم من الصيد لا يكون مذكى وغير المذكى لا يجوز أكله والمعنى لا تقتلوه والحال أنتم محرمون ﴿ومن﴾ شرطية ﴿قتله﴾ أي: الصيد المعهود البري مأكولاً كان أو غير مأكول حال كون القاتل كائناً ﴿منكم﴾ أي من المؤمنين ولعل المقصود من التقييد بالحال توبيخ المؤمن على عدم جريانه على مقتضى إيمانه ﴿متعمدا﴾ حال أيضاً من فاعل قتله أي ذاكراً لإحرامه عالماً بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع أن محظورات الإحرام يستوي فيها الخطأ والعمد لأن الأصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ﴿فجزاء﴾ أي: فعليه جزاء وفدية ﴿مثل ما قتل﴾ أي: مماثل لما قتل فهو صفة الجزاء والمراد به عند أبي حنيفة وأبي يوسف المثل باعتبار القيمة لا باعتبار الخلقة والهيئة فيتقوم الصيد حيث صيد أو في أقرب الأماكن إليه إن قتل في بر لا يباع ولا يشتري فيه فإن بلغت قيمته قيمة هدي تخير الجاني بأن يشتري بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه إلى الحرم وبين أن يشتري بها طعاماً فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعاً من تمر وبين أن يصوم عن طعام كل مسكين يوماً فإن فضل ما لا يبلغ طعام مسكين تصدق به أو صام عنه يوماً كاملاً لأن الصوم مما لا يتبعض فيكون قوله تعالى: ﴿من النعم﴾ بياناً للهدي المشترى بالقيمة على أحد وجوه التخيير فإن فعل ذلك يصدق عليه أنه جزى بمثل ما قتل من النعم والنعم في اللغة من الإبل والبقر والغنم فإذا انفردت الإبل قيل إنها نعم وإذا انفردت البقر والغنم لم تسم نعماً ﴿يحكم به﴾ أي: بمثل ما قتل صفة لجزاء ﴿ذوا عدل منكم﴾ أي رجلان عدلان من المسلمين ﴿هديا﴾ الهدي ما يهدي إلى البيت تقرباً إلى الله تعالى من النعم أيسره شاة وأوسطه بقرة وأعلاه بدنة أي ناقة وهو حال مقدرة من الضمير في به والمعنى مقدراً أنه يهدي ﴿بالغ الكعبة﴾ صفة لهديا لأن الإضافة لفظية والأصل بالغاً الكعبة ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم حتى لو دفع الهدي المماثل للمقتول إلى فقراء الحرم لم يجز بالاتفاق بل يجب عليه ذبحه في الحرم وله أن يتصدق به بعد ذبحه في الحرم حيث شاء عند أبي حنيفة ﴿أو كفارة﴾ عطف على محل من النعم على أنه خبر مبتدأ محذوف والجملة صفة ثانية الجزاء ﴿طعام مساكين﴾ عطف بيان لكفارة عند من لا يخصصه بالمعارف ﴿أو عدل ذلك صياما﴾ عطف على طعام الخ كأنه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم أو طعام مساكين أو صيام أيام بعددهم فحينئذٍ تكون المماثلة وصفاً لازماً للجزاء يقدر به الهدي والطعام والصيام. أما الأولان فبلا واسطة، وأما الثالث فبواسطة الثاني فيختار الجاني كلاً منها بدلاً من الآخرين، قال الفراء العدل بالكسر المثل من جنسه والعدل بالفتح المثل من غير جنسه فعدل الشيء ما عادله من جنسه كالصوم والإطعام وعدله ما عدل به في المقدار كأن المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك إشارة إلى الطعام وصياماً تمييز للعدل والخيار

في ذلك للجاني عند أبي حنيفة وأبي يوسف وللحكمين عند محمد ﴿ليذوق﴾ متعلق بالاستقرار في الجار والمجرور أي فعليه جزاء ليذوق قاتل الصيد ﴿وبال أمره﴾ أي: سوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام والوبال في الأصل المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سولته نفسه ﴿عفا الله عما سلف﴾ من قتل الصيد محرماً قبل التحريم ﴿ومن عاد﴾ إلى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم ومن شرطية ﴿فينتقم الله منه﴾ أي فهو ممن ينتقم الله منه لأن الفعل إذا وقع جزاء لا يحتاج إلى الحرف بخلاف الجملة الاسمية فقدر المبتدأ لئلا تصير الفاء الجزائية لغواً والمراد بالانتقام التعذيب في الآخرة وأما الكفارة فعن بعضهم أنها واجبة على العائد وعن بعضهم أنه لا كفارة عليه تعلقاً بالظاهر وأصل الانتقام الانتصار والانتصاف وإذا أضيف إلى الله تعالى أريد به المعاقبة والمجازاة ﴿والله عزيز﴾ غالب لا يغالب ﴿ذو انتقام﴾ شديد ممن أصر على العصيان والاعتداء قال الله تعالى مخاطباً لخليله [يا إبراهيم خف مني كما تخاف من السبع الضاري] يعني إن الله تعالى إذا أراد إجراء قضائه على أحد لا يفرق بين نبي وولي وعدو كما لا يفرق السبع المفترس بين نفاع وضرار فهو تعالى شديد البطش فكيف يتخلص المجرمون من يد قهره وانتقامه فليحذر العاقل من المخالفة والعصيان بقدر الاستطاعة والإمكان أينما كان فإن الإنسان لا يحصد إلا ما يزرع، قال في «المثنوي»:

جمله دانند اين اكر تونكروى هرچه مى كاريش روزى بدروى

والعجب أن الإنسان الضعيف كيف يعصي الله القوي وليس إلا من الانهماك في الشهوات والغفلة عن الله تعالى والنكتة في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ أنه أباح الصيد لمن كان حلالاً وهم أهل السلو من العوام الذين رضوا من الكمالات الدينية بالأعمال البدنية من قصور هممهم الدنية وحرم الصيد على من كان حراماً وهم أهل المحبة المحرمون من الدنيا لزيارة كعبة الوصلة يعني من قصدنا فعليه بحسم الاطماع جملة ولا ينبغي أن يكون له مطالبة بحال من الأحوال إلا طلب الوصال ويقال العارف صيد الحق ولا يكون للصيد صيد ﴿ومن قتله منكم﴾ أي من الطلاب إذا التفت لشيء من الدنيا ﴿متعمدا﴾ وهو واقف على مضرته وعالم بما فيه فيغلب عليه الهوى ويقع فيه بحرص النفس ﴿فجزاء مثل ما قتل من النعم﴾ يجازي نفسه برياضة ومجاهدة ويماثل ألمها تلك اللذة والشهوة ﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾ وهو القلب والروح يحكمان على مقدار الإيمان وعلى أنواع الرياضات بتقليل الطعام والشراب أو ببذل المال أو بترك الجام أو بالعزلة والخلوة وضبط الحواس ﴿هديا بالغ الكعبة﴾ أي خالصاً لله تعالى فيما يعمل بحيث يصلح لقبول الحق من غير ملاحظة الخلق ﴿أو كفارة طعام مساكين﴾ وهم العقل والقلب والسر والروح والخفي فإنهم كانوا محرمين من أغذيتهم الروحانية من صدق التوجه إلى الحق وخلوص الاعراض عن الخلق وتجرع الصبر على المكروهات والفطام عن المألوفات والشكر على الموهوبات والرضى بالمقدرات والتسليم للأحكام الأزليات ﴿أو عدل ذلك صياما﴾ والصيام هو الإمساك عن ملاحظة الأغيار وطلب الاختيار والركون إلى غير الملك الجبار ﴿ليذوق﴾ النفس الأمارة ﴿وبال أمره﴾ أي: تتألم بألم هذه المعاملات التي على خلاف طبعها جزاء وكفارة لما نالت من لذائذ الشهوات وحلاوة الغفلات ﴿عفا الله عما سلف﴾ من الطالبين قبل إقدامهم على الطلب ﴿ومن عاد﴾ إلى تعلق شيء من الدنيا بعد الخروج عنها بقدم الصدق ﴿فينتقم الله منه﴾ بالخذلان في

الدنيا والخسران في العقبى ﴿والله عزيز﴾ لا يوجد لمن تعلق بالكونين حتى يتجرد الطالب عن القليل والكثير والصغير والكبير ﴿ذو انتقام﴾ ينتقم من أحبائه باحتجاب التعزز بالكبرياء والعظمة على قدر التفاتهم إلى غيره وملاحظتهم ما سواه وينتقم من أعدائه بما قاله ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠] الآية من «التأويلات النجمية» وفي «المثنوي»:

عاشق صنع توام درشكر وصبر عاشق مصنوع كى باشم چوكبر

عاشق صنع خدا بافر بود عاشق مصنوع او كافر بود

فعلى الطالب الصادق أن ينقطع عن الالتفات إلى الغير ويتصل إلى من بيده الخير والله الموفق والمعين.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿أحل لكم﴾ الخطاب للمحرمين ﴿صيد البحر﴾ أي: ما يصاد في المياه كلها بحراً كان أو نهراً أو غديراً وهو ما لا يعيش إلا في الماء مأكولاً كان أو غير مأكول، فما يعيش في البر والبحر كالبط والضفدع والسرطان والسلحفاة وجميع طيور الماء لا يسمى صيد البحر بل ذلك صيد البر ويجب الجزاء على قاتله. قال الإمام جميع ما يصطاد في البحر ثلاثة أجناس: السمك وجميع أنواعه حلال، والضفادع وجميع أنواعها حرام، واختلفوا فيما سوى هذين الجنسين. فقال أبو حنيفة: إنه حرام، وقال الأكثرون إنه حلال لعموم هذه الآية وقال محيي السنة جملة حيوانات الماء على قسمين سمك وغيره. أما السمك فميتته حلال مع اختلاف أنواعها قال النبي عليه الصلاة والسلام: «أحلت لنا ميتتان السمك والجراد» ولا فرق بين أن يموت بسبب أو بغير سبب وعند أبي حنيفة يحل إلا أن يموت بسبب من وقوع على حجر أو انحسار الماء عنه ونحو ذلك. وأما غير السمك فقسمان قسم يعيش في البر كالضفدع والسرطان ولا يحل أكله وقسم يعيش في الماء ولا يعيش في البر إلا عيش المذبوح فاختلف فيه فذهب قوم إلى أن لا يحل شيء منها إلا السمك وهو قول أبي حنيفة وذهب قوم إلى أن ميتة الكل حلال لأن كلها سمك وإن اختلف صورها كالجريث يقال له حية الماء لكونه على شكل الحية وأكله مباح بالاتفاق ﴿وطعامه﴾ أي: طعام البحر وهو ما قذفه البحر ولفظه أو نضب عنه الماء أي غار وبقي هو في أرض يابسة فيؤخذ من غير معالجة في أخذه. وقال المولى أبو السعود: وطعامه أي: ما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد التعميم والمعنى أحل لكم التعرض لجميع ما يصاد في المياه والانتفاع به انتهى ﴿متاعا لكم﴾ نصب على أنه مفعول له. قال المولى أبو السعود مختص بالطعام كما أن نافلة في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢] حال مختصة بيعقوب أي: أحل لكم طعامه تمتعاً للمقيمين يأكلونه طرياً ﴿وللسيارة﴾ منكم يتزودونه قديداً ﴿وحرم عليكم صيد البر﴾ وهو ما يفرخ فيه وإن كان يعيش في الماء في بعض الأوقات كطير الماء ﴿ما دمتم حرما﴾ ما مصدرية ظرفية أي: مدة دوامكم محرمين لا خلاف في الاصطياد أنه حرام على المحرم في البر فأما عين الصيد فظاهر الآية يوجب حرمة ما صاد الحلال على المحرم وإن لم يكن له مدخل فيه لكن مذهب أبي حنيفة أنه يحل له ما صاده الحلال وإن صاده لأجله إذا لم يشر إليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل

إحرامه لأن الخطاب للمحرمين وكأنه قيل حرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ﴿واتقوا الله﴾ فيما نهاكم عنه من جميع المعاصي التي من حملتها أخذ الصيد في الإحرام ﴿الذي إليه تحشرون﴾ لا إلى غيره حتى يتوهم الخلاص من أخذه تعالى بالالتجاء إليه كما قال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ [القيامة: ٣٠] أي: المنتهى والمرجع بسوق الملائكة إلى حيث أمرهم الله إما إلى الجنة وإما إلى السعير وفي الحديث «من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ومن أشفق من عذاب جهنم كف نفسه عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات» ومن أراد سهولة الموت فليبادر إلى الخيرات فمن لم يترك شهوة لم يرض عنه ربه بطاعته ومن لم يتق الله في سره لم ينتفع بما أبداه من علامة التقوى، وفي «المثنوي»:

كافرم من كرزيان كردست كس درره ايمان وطاعت يكنفس

كار تقوى دارد ودين وصلاح كه بدان باشد بد وعالم فلاح

والإشارة في الآية ﴿أحل لكم﴾ أيها المستغرقون في بحر الحقائق ﴿صيد البحر﴾ ما تصيدون من بحر المعرفة بالمشاهدات والكشوف ﴿وطعامه متاعا لكم وللسيارة﴾ يعني تشبعون بما يرد عليكم من وارد الحق وتجلي الصفات كما قال عليه السلام: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» وتطعمون منه السائرين إلى الله من أهل الإرادة كقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨] وهذا حال المشايخ وأهل التربية من العلماء الراسخين ﴿وحرم عليكم﴾ أيها الطلاب ﴿صيد البر﴾ وهو ما سنح في أثناء السير إلى الله من مطالب الدنيا والآخرة، كماقاله عليه السلام: «الدنيا حرام على أهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الدنيا وكلتاهما حرامان على أهل الله» ﴿ما دمتم حرماً﴾ أي ما دمتم محرمين إلى كعبة الوصول متوجهين إلى حضرة الوصال، فإن حكم المتوجه ينافي حكم الواصل الكامل لأن من وصل صار محواً والمتوجه صاح وبون بين الصاحي والماحي، فإن أفعال الصاحي به ومنه وأحوال الماحي ليست به ولا منه والله غالب على أمره، فبي يسمع وبي ينطق وبي يبطش، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ﴾ [المائدة: ٢] أي إذا فرغتم من مناسك الوصول وسلكتم مسالك الأصول سقط عنكم كلف المحرمين ومؤونات المسافرين وثبت لكم لزوم العاكفين وأحكام الطائفين كما قال: ﴿واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾ يعني اتقوا بالله الذي إليه تجمعون وتصلون عما سواه لكيلا تحوروا بعد ما تكوروا نعوذ بالله من الحور بعد الكور، كذا في «التأويلات النجمية» المسماة ببحر الحقائق، اللهم أفض علينا من بركات أوليائك وأدر علينا من كاسات أحبائك وأودائك.

﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾

﴿جعل الله الكعبة﴾ أي صيرها وإنما سمي البيت كعبة لتكعبه أي لتربعه والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة تشبيهاً له بكعب الرجل الذي عند ملتقى الساق والقدم في كونه على هيئته في التربيع. وقيل سميت كعبة لارتفاعها عن الأرض وأصلها من الخروج والارتفاع وسمي الكعب كعباً لنتوه وخروجه من جانبي القدم، ومنه قيل للجارية إذا قاربت البلوغ وخرج ثدياها كاعب والكعبة لما ارتفع ذكرها في الدنيا واشتهر أمرها في العالم سميت بهذا الاسم ولذلك

أنهم يقولون لمن عظم قدره وارتفع شأنه فلان علا كعبه.

قال صاحب أسئلة الحكم جعل الله لبيته العتيق أربعة أركان وهي في الحقيقة ثلاثة أركان لأنه شكل مكعب، ولذلك سميت بالكعبة تشبيهاً بالكعب فسرّ كونه على أربعة أركان بالوضع الحادث إشارة إلى قلوب المؤمنين، لأن قلب المؤمن لا يخلو من أربعة خواطر إلّهي وملكي ونفساني وشيطاني فركن الحجر بمنزلة الخاطر الإلهي واليماني بمنزلة الملكي والشامي بمنزلة النفساني والركن العراقي بمنزلة الشيطاني لأن الشرع شرع أن يقال عنده أعوذ بالله من الشقاق والنفاق وبالذكر المشروع تعرف مراتب الأركان.

وأما سر كونه مثلث الشكل المكعب فإشارة إلى قلوب الأنبياء عليهم السلام ليميز الله رسله وأنبياءه بالعصمة التي أعطاهم وألبسهم إياها فليس لنبي إلا ثلاثة خواطر إلهي وملكي ونفسي ولغيرهم هذه وزيادة الخاطر الشيطاني فمنهم من ظهر حكمه عليه في الظاهر وهم عامة الخلق ومنهم من يخطر له ولا يؤثر في ظاهره وهم المحفوظون من أوليائه بالعصمة الوجوبية للأنبياء والحفظ الجوازي للأولياء. ﴿البيت الحرام﴾ عطف بيان على جهة المدح دون التوضيح كما تجيء الصفة كذلك وسمي البيت الحرام لأن الله تعالى حرمه وعظم حرمته فالحرام بمعنى المحرم وفي الحديث «إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والأرض»، قال ابن ملك اعلم أن مكة شرفها الله حرمها إبراهيم عليه السلام لما صح عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة» وما روي أنه عليه السلام قال: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات» فالمراد به كتابته في اللوح المحفوظ أن إبراهيم سيحرمه انتهى كلامه.

يقول الفقير إن حرمته العرضية وإن كانت حادثة لكن حرمته الذاتية قديمة وتلك الكتابة من الحرمة الذاتية عند الحقيقة. وقد جاء في بعض التفاسير في قوله تعالى ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] أنه لم يجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم فلذلك حرمها فصارت حرمتها كحرمة المؤمن إنما حرم دمه وعرضه وماله بطاعته لربه فارض الحرم لما قالت أتينا طائعين حرم صيدها وشجرها وخلاها فلا حرمة إلا لذي طاعة وفي الخبر: لم يأكل الحيتان الكبار صغارها في أرض الحرم في الطوفان لحرمتها.

﴿قياما للناس﴾ مفعول ثان للجعل ومعنى كونه قياماً لهم أنه مدار لقيام أمر دينهم ودنياهم. أما الأول فلأنه يتوجه إليه الحجاج والعمار فيكون ما في البيت من المناسك العظيمة والطاعات الشريفة سبباً لحط الخطيآت وارتفاع الدرجات ونيل الكرامات. وأما الثاني فلأنه يجبي إلى الحرم ثمرات كل شيء يربح فيه التجار وكانوا يأمنون فيه من النهب والغارة ولا يتعرض لهم أحد بسوء في الحرم حتى أن الرجل إذا أصاب ذنباً في الجاهلية والإسلام أو قتل قتيلاً لجأ إلى الحرم ويأمن فيه، قال المحيي في فتوح الحرمين مدحاً لحضرة الكعبة:

هيچ نبي هيچ ولي هم نبود … كه اونه برين دررخ اميد سود
هادىء ره نيست بجز لطف دوست … آمدنت را طلب از نزد اوست
تا نزند سر ز چمن نو كلي … نغمه سرا يى نكند بلبلى

﴿والشهر الحرام﴾ أي: وجعل الشهر الحرام الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة قياماً لهم أيضاً فالمفعول الثاني محذوف ثقة بما مر ووجه كون الشهر الحرام سبباً لقيام الناس أن العرب كان يتعرض بعضهم لبعض بالقتل والغارة في سائر الأشهر فإذا دخل الشهر الحرام زال

الخوف وقدروا على سفر الحج والتجارات آمنين على أنفسهم وأموالهم فكان سبباً لاكتساب منافع الدين والدنيا ومصالح المعاش والمعاد، وقد فضل الله الأشهر والأيام والأوقات بعضها على بعض كما فضل الرسل والأمم بعضها على بعض لتبادر النفوس وتسارع القلوب إلى إدراكها واحترامها وتتشوق الأرواح إلى إحيائها بالتعبد فيها ويرغب الخلق في فضائلها. قال الإمام النيسابوري عشر ذي الحجة أفضل الأيام وأحبها عند الله تعالى بعد شهر رمضان لأنها هي التي ناجى فيها كليم الله موسى ربه وفيها أحرم جميع الخلق بالحج ووجد آدم التوبة في أيام العشر وإسماعيل الفداء وهود النجاة ونوح الانجاء ومحمد الرسالة وأصحابه الرضوان في البيعة وبشارة خيبر وفتح الحديبية ونزول المغفرة بقوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] وغير ذلك من الآيات والكرامات وصيام يوم من العشر كصيام ألف يوم وقيام ليلة منها كعبادة من حج واعتمر طول سنته فصوم هذا العشر مستحب استحباباً شديداً لا سيما التاسع وهو يوم عرفة لكن يستحب الفطر يوم عرفة للحجاج لئلا يلحقهم فتور عن أداء الطاعات المشروعة في ذلك اليوم ويؤدوها على الحضور والكمال وفي الحديث «خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» **﴿والهدي﴾** أي: وجعل الهدي أيضاً قياماً لهم وهو ما يهدى إلى البيت ويذبح هناك ويفرق لحمه بين الفقراء فإنه نسك المهدي وقوام لمعيشة الفقراء فكان سبباً لقيام أمر الدين والدنيا، يقول الفقير: ومنه يعرف أن المقصود من القربان دفع حاجة الفقراء ولذا يستحب للمضحي أن يتصدق بأكثر أضحيته بل بكلها:

هر كسى از همت والاى خويش سود برد اودر خور كالاى خويش

وللحجاج يوم عيد القربان مناسك الذهاب من منى إلى المسجد الحرام فلغيرهم الذهاب إلى المصلى موافقة لهم والطواف فلغيرهم صلاة العيد لقوله عليه السلام: «الطواف بالبيت صلاة» وإقامة السنن من الحلق وقص الأظفار ونحوها فلغيرهم إزالة البدعة وإقامة السنة والقربان فلغيرهم أيضاً ذلك ولكن ليس كل مال يصلح لخزانة الرب ولا كل قلب يصلح لمعرفة الرب ولا كل نفس تصلح لخدمة الرب، وفي «المثنوي»:

آن تو كل كو خليلان ترا تا نبرد تيغت اسماعيل را
آن كرامت چون كليمت ازكجا تاكنى شهراه قعر نيل را

﴿والقلائد﴾ أي: وجعل الله القلائد أيضاً قياماً للناس وهي جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدي من نعل أو لحاء شجر ليعلم به أنه هدي فلا يتعرض له بركوب أو حمل والمراد بالقلائد ذوات القلائد وهي البدن وهي الناقة والبقرة مما يجوز في الهدي والأضاحي وخصت بالذكر لأن الثواب فيها أكثر وبهاء الحج بها أظهر ولذا ضحى عمر رضي الله عنه بنجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] ووجه كون القلائد سبباً لقيام الناس أن من قلد هدياً لم يتعرض له أحد وربما كانوا يقلدون رواحلهم إذا رجعوا من مكة من لحاء شجر الحرم فيأمنون بذلك وكان أهل الجاهلية يأكل الواحد منهم القضيب والشجر من الجوع وهو يرى الهدي والقلائد فلا يتعرض له تعظيماً له **﴿ذلك﴾** إشارة إلى الجعل منصوب بفعل مقدر أي: شرع الله ذلك وبين **﴿لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض﴾** فإن تشريع هذه الشرائع المستتبعة لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها

وجلب المنافع الأولوية والأخروية من أوضح الدلائل على حكمة الشارع وعلى عدم خروج شيء من علمه المحيط **﴿وأن الله بكل شيء عليم﴾** تعميم بعد تخصيص للتأكيد **﴿اعلموا أن الله شديد العقاب﴾** وعيد لمن انتهك محارمه وآصر على ذلك **﴿وأن الله غفور رحيم﴾** وعد لمن حافظ على مراعاة حرماته تعالى أو انقطع عن الانتهاك بعد تعاطيه.

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾ أي: تبليغ الرسالة في أمر الثواب والعقاب وهو تشديد في إيجاب القيام بما أمر به أي: الرسول قد أتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد في التفريط **﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾** أي: ما تظهرون من القول والعمل وما تخفون فيؤاخذكم بذلك نقيراً وقطميراً، قال السعدي قدس سره:

برو علم يك ذره پوشيده نيست ... كه پنهان وپيدا بنزدش يكيست

والإشارة في الآية أن الله تعالى كما جعل الكعبة في الظاهر قياماً للعوام والخواص يلوذون به ويستنجحون بالتضرع والابتهال هناك حاجاتهم الدنيوية والأخروية كذلك جعل كعبة القلب في الباطن قياماً للخواص وخواص الخواص ليلوذوا به بطريق دوام الذكر ونفي الخواطر بالكلية وإثبات الحق بالربوبية والواحدية بأن لا موجود إلا هو ولا وجود إلا له ولا مطلوب ولا محبوب إلا هو وسماه البيت الحرام ليعلم أنه بيت الله على الحقيقة وحرام أن يسكن فيه غيره فيراقبه عن ذكر ما سوى الحق وحبه وطلبه إلى أن يفتح الله أبواب فضله ورحمته والشهر الحرام هو أيام الطلب والسير إلى الله حرام على الطالب فيها مخالطة الخلق وملاحظة ما سوى الحق والهدي هو النفس البهيمية تساق إلى كعبة القلب مع القلائد وهي أركان الشريعة فتذبح على عتبة القلب بسكين آداب الطريقة عن شهواتها ولذاتها الحيوانية وفي قوله تعالى: **﴿ذلك لتعلموا﴾** الآية إشارة إلى أن العبد إذا وصل إلى كعبة القلب فيرى بيت الله ويشاهد أنوار الجمال والجلال فبتلك الأنوار يشاهد ما في السموات وما في الأرض لأنه ينظر بنور الله فيعلم على التحقيق **﴿أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم * اعلموا أن الله شديد العقاب﴾** يسدل الحجاب لغير الأحباب ممن ركنوا إلى الدنيا واغتروا بزينتها وشهواتها **﴿وأن الله غفور رحيم﴾** لطالبيه وقاصدي حضرته بفتح الأبواب ورفع الحجاب **﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾** بالقال والحال **﴿والله يعلم ما تبدون﴾** من الإيمان بأقدار اللسان وعمل الأركان **﴿وما تكتمون﴾** من تصديق الجنان أو التكذيب وصدق التوجه وخلوص النية في طلب الحق كذا في «التأويلات النجمية».

﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾

﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب﴾ نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون أن يوقعوا بهم بسبب أنه كان فيهم الحطيم وقد أتى المدينة في السنة السابقة واستاق سرح المدينة فخرج في العام القابل وهو عام عمرة القضاء حاجاً فبلغ ذلك أصحاب السرح فقالوا للنبي عليه السلام

هذا الحطيم خرج حاجاً مع حجاج اليمامة فخل بيننا وبينه فقال عليه السلام: «إنه قلد الهدي» ولم يأذن لهم في ذلك بسبب استحقاقهم الأمن بتقليد الهدايا فنزلت الآية تصديقاً له عليه السلام في نهيه إياهم عن تعرض الحجاج وإن كانوا مشركين وقد مضت هذه القصة في أول السورة عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٢] الآية وبقي حكم هذه الآية إلى أن نزلت سورة البراءة فنسخ بنزولها لأنه قد كان فيها ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨] وفيها ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥] فنسخ حكم الهدي والقلائد والشهر الحرام والإحرام وأمنهم بها بدون الإسلام وسبب النزول وإن كان خاصاً لكن حكمه عام في نفي المساواة عند الله بين الردى وبين الجيد ففيه ترغيب في الجيد وتحذير عن الدرى ويتناول الخبيث والطيب أموراً كثيرة: منها الحرام والحلال فمثقال حبة من الحلال أرجح عند الله من ملىء الدنيا من الحرام لأن الحرام خبيث مردود والحلال طيب مقبول فهما لا يستويان أبداً كما أن طالبهما كذلك إذ طالب الخبيث خبيث وطالب الطيب طيب والله تعالى يسوق الطيب إلى الطيب كما أنه يسوق الخبيث إلى الخبيث كما قال: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ﴾ [النور: ٢٦] والطيب عند سادات الصوفية قدس الله أسرارهم ما كان بلا فكر وحركة نفسانية سواء سيق من طرف صالح أو فاسق لأنه رزق من حيث لا يحتسب وهو مقبول وخلافه مردود ولا بعد في هذا لأن حسنات الأبرار سيآت المقربين وبينهما بون بعيد وأيضاً الخبيث من الأموال ما لم يخرج منها حق الله والطيب ما أخرجت منه الحقوق والخبيث ما أنفق في وجوه الفساد والطيب ما أنفق في وجوه الطاعات والطيب من الأموال ما وافق نفع الفقراء في أوقات الضرورات والخبيث ما دخل عليهم في وقت استغنائهم فاشتغلت خواطرهم بها. ومنها المؤمن والكافر والعادل والفاسق فالمؤمن كالعسل والكافر كالسم والعادل كشجرة الثمرة والفاسق كشجرة الشوك فلا يستويان على كل حال. ومنها الأخلاق الطيبة والأخلاق الخبيثة فمثل التواضع والقناعة والتسليم والشكر مقبول ومثل الكبر والحرص والجزع والكفران مردود لأن الأول من صفات الروح والثاني من صفات النفس والروح طيب علوي والنفس خلافه، وفي «المثنوي»:

هين مروانـدر پى نفسى چوزاغ   كو بكورستان برد نه سوى باغ
نفس اكرچه زيركست وخرده دان   قبله اش دنياست اورامرده دان

ومن أخلاق النفس حب المال والكبار قد عدوا المال الطيب حجاباً فما ظنك بالخبيث منه فلا بد من تصفية الباطن وتخليته عن حب ما سوى الله تعالى. ومنها العلوم النافعة والعلوم الغير النافعة فالنافعة كعلوم الشريعة وغير النافعة كعلوم الفلاسفة، وفي «المثنوي»:

علم دين فقهست وتفسير وحديث   هركه خواند غير ازين كردد خبيث

ومنها الأعمال الصالحة والأعمال الغير الصالحة فما أريد به وجه الله تعالى فهو صالح وما أريد به الرياء والسمعة فهو غير صالح:

عبادت بإخلاص نيت نكوست   وكرنه چه آيد زبى مغز پوست

قال في «التأويلات النجمية» الخبيث ما يشغلك عن الله والطيب ما يوصلك إلى الله. وأيضاً الطيب هو الله الواحد والخبيث ما سواه وفيه كثرة **﴿ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾** الواو لعطف الشرطية على مثلها المقدر أي: لو لم يعجبك كثرة الخبيث ولو أعجبتك وكلتاهما في

موضع الحال من فاعل لا يستوي أي: لا يستويان كائنين على كل حال مفروض وجواب لو محذوف والمعنى والتقدير أن الخبيث ولو أعجبتك كثرته يمتنع أن يكون مساوياً للطيب فإن العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فإن المحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث كان أخبث ومعنى الإعجاب السرور بما يتعجب منه يقال: يعجبني أمر كذا أي: يسرني والخطاب في أعجبك لكل واحد من الذين أمر النبي عليه السلام بخطابهم **﴿فاتقوا الله﴾** في تحري الخبيث وإن كثروا وآثروا الطيب وإن قل **﴿يا أولي الألباب﴾** يا ذوي العقول الصافية وهم في الحقيقة من تخلصت قلوبهم وأرواحهم من قشور الأبدان والنفوس **﴿لعلكم تفلحون﴾** راجين أن تنالوا الفلاح وهو سعادة الآخرة، ثم إن التقوى على مراتب، قال ابن عطاء: التقوى في الظاهر مخالفة الحدود وفي الباطن النية والإخلاص وقال في قوله تعالى: **﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾** [آل عمران: ١٠٢] وهو صدق قولك لا إله إلا الله وليس في قلبك شيء سواه، ومن وصايا حضرة المولوي قبيل وفاته [أوصيكم بتقوى الله في السر والعلانية وبقلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام وهجر المعاصي والآثام وترك الشهوات على الدوام واحتمال الجفاء من جميع الأنام وترك مجالسة السفهاء والعوام ودوام مصاحبة الصالحين الكرام فإن خير الناس من ينفع الناس وخير الكلام ما قل ودل].

واعلم أن النافع هو التقوى والسبب المنجي هو الإيمان والعمل الصالح دون الحسب والنسب فلا يغرنك الشيطان بكثرة أموالك وأولادك ووفرة مفاخر آبائك وأجدادك فأصل البول الماء الطيب والصافي والله تعالى يخرج الميت من الحي **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم﴾**.

ـ روي ـ أنه لما نزلت **﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾** [آل عمران: ٩٧] قال سراقة بن مالك أكل عام؟ فأعرض عنه رسول الله ﷺ حتى أعاد ثلاثاً فقال: «لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه» فنزلت وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه السلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال: لا أسأل عن شيء إلا أجبت فقال رجل: أين أبي فقال: «في النار» وقال آخر من أبي فقال: «حذافة» وكان يدعي لغيره فنزلت **﴿إن تبد لكم﴾** الشرطية وما عطف عليها صفتان لأشياء والمساءة معلقة بالإبداء والإبداء معلق بالسؤال. فالمعنى لا تسألوا عن أشياء إن تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وإن تظهر لكم تغمكم والعاقل لا يفعل ما يغمه. قال البغوي: فإن من سأل عن الحج لم يأمن أن يأمر به في كل عام فيسوؤه ومن سأل عن نسبه لم يؤمن أن يلحقه بغيره فيفتضح **﴿عفا الله عنها﴾** استئناف مسوق لبيان أن نهيهم عنها لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لأنها في نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفا عنها وفيه من حثهم على الجد في الانتهاء عنها ما لا يخفى وضمير عنها للمسألة المدلول عليها بلا تسألوا أي: عفا الله عن مسألتكم السالفة حيث لم يفرض عليكم الحج في كل عام جزاء بمسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الأخروية بسبب مسألتكم فلا تعودوا إلى مثلها **﴿والله غفور حليم﴾** أي: مبالغ في مغفرة الذنوب والإغضاء عن المعاصي ولذلك عفا عنكم ولم يؤاخذكم بعقوبة ما فرط منكم فالجملة اعتراض تذييلي مقرر لعفوه تعالى.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿قد سألها قوم﴾ أي: سألوا هذه المسألة لكن لا عينها بل مثلها في كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل للبالغة في التحذير ﴿من قبلكم﴾ متعلق بسألها ﴿ثم أصبحوا بها﴾ أي: بسببها ﴿كافرين﴾ فإن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم في أشياء فإذا أمروا تركوها فهلكوا كما سأل قوم ثمود صالحاً الناقة وسأل قوم عيسى مائدة، قال أبو ثعلبة: إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها. قال الحسين الواعظ الكاشفي في تفسيره: [پس نيكبخت آنست كه از حال ديكران عبرت كيرد بقول وفعل فضولي اشتغال ننمايد ودرين باب كفته اند]:

بكوى آنچه كفتن ضرورت شود ... دكر كفته هارا فروبنددر

بجاي آر فعلى كه لازم بود ... زافعال بى حاصل اندر كذر

وكان رجل يحضر مجلس أبي يوسف كثيراً ويطيل السكوت فقال له يوماً ما لك لا تتكلم ولا تسأل عن مسألة قال: أخبرني أيها القاضي متى يفطر الصائم؟ قال إذا غابت الشمس قال: فإن لم تغب إلى نصف الليل فتبسم وتمثل ببيت جرير:

وفي الصمت زين للخلي وإنما ... صحيفة لب المرء أن يتكلما

وفي الحديث: «عجبت من بني آدم وملكاه على نابيه فلسانه قلمهما وريقه مدادهما كيف يتكلم فيما لا يعنيه».

والإشارة في الآيتين أن الله تعالى نهى أهل الإيمان أن يتعلموا العلوم اللدنية وحقائق الأشياء بطريق السؤال لأنها ليست من علوم القال وإنما هي من علوم الحال فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء﴾ أي: عن حقائق أشياء ﴿إن تبد لكم﴾ بيانها بطريق القال ﴿تسؤكم﴾ إذ لم تهتدوا إلى الحقائق ببيان القال فتقع عقولكم المشوبة بآفات الهوى والوهم والخيال في الشبهات فتتهالكوا في أوديتها كما كان حال طوائف الفلاسفة إذ طلبوا علوم حقائق الأشياء بطريق القال والبراهين المعقولة فما كانت منها مندرجة تحت نظر العقول المجردة عن شوائب الوهم والخيال أصابوها وما ضاق نطاق العقول عن دركها استزلهم الشيطان عند البحث عن الصراط المستقيم وأوقعهم في أودية الشبهات وبوادي الهلكات فهلكوا وأهلكوا خلقاً عظيماً بتصانيفهم في العلوم الإلهية وبعضهم خلطوها بعلم الأصول وقرروا شبهاتهم فيها فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل وما علموا أن تعلم علوم الحقائق بالقال محال وأن تعلمها إنما يحصل بالحال كما كان حال الأنبياء مع الله فقد علمهم علوم الحقائق بالإراءة لا بالرواية فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥] وقال في حق النبي عليه السلام: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١] وقال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٨] وقال عليه السلام: «أرنا الأشياء كما هي» وكما كان حال الأمة مع النبي عليه السلام كان يعلمهم الكتاب بالقال والحكمة بالحال بطريق الصحة وتزكية نفوسهم عن شوائب آفات النفس وأخلاقها كقوله تعالى: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وقال تعالى فيمن تحقق له فوائد الصحة على موائد المتابعة ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] ثم قال: ﴿وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم﴾ أي:

وإن كان لا بد لكم من السؤال عن حقائق الأشياء فاسألوا عنها بعد نزول القرآن أي: من القرآن ليخبركم عن حقائقها على قدر عقولكم. أما العوام منكم فيؤمنون بمتشابهات القرآن فإنها بيان حقائق الأشياء ويقولون كل من عند ربنا ولا يتصرفون فيها بقولهم طلباً للتأويل فإنه لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم وهم الخواص. وأما أخص الخواص فيفهمون مما يشير القرآن إليه من حقائق الأشياء بالرموز والإشارات والمتشابهات ما لا يفهم غيرهم كما أشار بقصة موسى والخضر إلى أن تعلم العلم اللدني إنما يكون بالحال في الصحة والمتابعة والتسليم وترك الاعتراض على الصاحب المعلم لا بالقال ولا بالسؤال لقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ [الكهف: ٦٦- ٦٧] يعني في المتابعة وترك الاعتراض. ﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ﴾ [الكهف: ٦٩- ٧٠] يعني إن من شرط المتابعة ترك السؤال عن أفعال المعلم وغيرها فلما لم يستطع موسى معه صبراً ليتعلم بالحال وفتح باب القال والسؤال فقال: أخرقتها لتغرق أهلها أقتلت نفساً زكية فما واساه الخضر وقال: ﴿۞ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الكهف: ٧٥] يعني: موسى ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى﴾ [الكهف: ٧٦] يشير إلى أن تعلم العلم اللدني بالحال في الصحبة والمتابعة والتسليم لا بالقال والسؤال وفي السؤال الانقطاع عن الصحبة فافهم جداً فلما عاد في الثالثة إلى السؤال وقال: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٧- ٧٨] ثم قال: **﴿عفا الله عنها﴾** أي: عما سألتم وطلبتم من علوم الحقائق بالقال قبل نزول هذه الآية **﴿والله غفور﴾** لمن تاب ورجع إلى الله في طلب علوم الحقائق بالقال والسؤال **﴿حليم﴾** لمن يطلب بالحال يحلم عنهم في أثناء ما يصدر منهم مما ينافي أمر الطلب إلى أن يوفقهم لما يوافق الطلب ثم قال: **﴿قد سألها قوم من قبلكم﴾** يعني من مقدمي الفلاسفة فقد شرعوا في طلب العلوم الإلٓهية بالقال ونظر العقل فوقعوا في أودية الشبهات **﴿ثم أصبحوا بها كافرين﴾** أي: بسبب الشبهات التي وقعوا فيها بتتبع القيل والقال وكثرة السؤال وترك متابعة الأنبياء عليهم السلام كذا في «التأويلات النجمية».

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَـٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿ما جعل الله﴾ هو الجعل التشريعي ويتعدى إلى واحد أي: ما شرع وما وضع وما سن **﴿من﴾** مزيدة لتأكيد النفي **﴿بحيرة﴾** كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي: شقوا وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى فهي فعيلة من البحر وهو الشق بمعنى المفعولة **﴿ولا سائبة﴾** كان الرجل منهم يقول إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها فهي فاعلة من قولهم ساب الماء يسيب سيباً إذا جرى على وجه الأرض ويقال أيضاً سابت الحية فالسائبة هي التي تركت حتى تسيب حيث شاءت **﴿ولا وصيلة﴾** كانوا إذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم وإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها واستحيوا الذكر من أجل الأنثى فلا يذبح لآلهتهم. فمعنى الآية ما جعل الله أنثى تحلل ذكراً محرماً عند الانفراد فهي فعيلة بمعنى فاعلة **﴿ولا حام﴾** كانوا إذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب

ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى فهو اسم فاعل من حمى يحمي أي: منع يقال حماه يحميه إذا حفظه ﴿ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب﴾ أي: يكذبون عمداً حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله أمرنا بهذا وإمامهم عمرو بن لحي الخزاعي فإنه كان أقدم من ملك مكة وكان أول من غير دين إسماعيل فاتخذ الأصنام ونصب الأوثان وشرع البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي.

ـ روي ـ أنه عليه السلام قال في حقه: «رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار يؤذي أهل النار بريح قصبه» والقصب المعى هذا شأن رؤسائهم وكبارهم ﴿وأكثرهم﴾ وهم أراذلهم الذين يوقعونهم في معاصي رسول الله ﷺ ﴿لا يعقلون﴾ أنه افتراء باطل حتى يخالفون ويهتدوا إلى الحق بأنفسهم فيبقون في أسر التقليد.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وإذا قيل لهم﴾ أي: للأكثر على سبيل الهداية والإرشاد. ﴿تعالوا إلى ما أنزل الله﴾ من الكتاب المبين للحلال والحرام ﴿وإلى الرسول﴾ الذي أنزل هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحرام من الحلال ﴿قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا﴾ بيان لعنادهم واستعصائهم على الهادي إلى الحق وانقيادهم للداعي إلى الضلال. وحسبنا مبتدأ وما وجدنا خبره وهو في الأصل مصدر والمراد به اسم الفاعل أي: كافينا الذي وجدنا عليه آباءنا. ﴿أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون﴾ الواو للعطف على شرطية أخرى مقدرة قبلها والتقدير أيحسبهم ذلك أي أيكفيهم وجدان آبائهم على هذا المقال أو أيقولون هذا القول ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً من الدين ولا يهتدون للصواب والمعنى أن الاقتداء إنما يكون بمن علم أنه عالم مهتد وذلك لا يعرف إلا بالحجة. قال الحسين الواعظ في تفسيره: [يعني ايشان جاهل وكمراه بودند تقليد إيشان نافع نيست بلكه تقليد عالم مى بايد تاكار بتحقيق آنجامد] قال جلال الدين رومي قدس سره في المثنوي:

از مقلد تا محقق فرقها ست اين يكى كوهست وإن ديكر صداست

دست در بينا زنى آيى براه دست در كورى زنى افتى بچاه

قال الشيخ علي دده في «أسئلة الحكم»: أما ما ورد في الأحاديث النبوية في حق الدجاجلة وظهورها بين الأمة فلا شك عند أهل العلم أن الدجاجلة هم الأئمة المضلون لا سيما من متصوفة الزمان أو متشيخيهم وقد شاهدناهم في عصرنا هذا قاتلهم الله حيثما كانوا انتهى. قال بعضهم قلت لمتشبه بالصوفية ظاهراً بعني جبتك لما علم من أحواله فقال: إذا باع الصياد شبكته فبأي شيء يتصيد:

بروى ريا خرقه سهلست دوخت كرش باخدا در توانى فروخت

بنزديك من شبرو راهزن به از فاسق يا رسا وپيرهن

والإشارة أن الشيطان كلما سلط على قوم أغراهم على التصرف في إنعام أجسامهم ونفوسهم مبتدعين غير متبعين وهم يزعمون أن هذه التصرفات لله وفي الله وفي قوله ﴿ما جعل الله من بحيرة﴾ إشارة إلى من يتصرف بما لم يؤمر به كمن يشق أذنه أو يثقبها ويجعل فيها

الحلقة من الحديد أو يثقب صدره أو ذكره ويجعل عليه القفل أو يجعل في عنقه الغل أو يحلق لحيته مثل ما يفعل هؤلاء القلندرية قال الحافظ قدس سره:

قلندرى نه بريشست وموى يا ابرو حساب راه قلندر بدانكه موى بموست

كذشتن از سرمو در قلندرى سهلست چو حافظ آنكه زسر بكذرد قلندراوست

﴿ولا سائبة﴾ وهم الذين يدورون في البلاد مسيبين خليعي العذار يرتعون في مراتع البهيمية والحيوانية بلا لجام الشريعة وقيد الطريقة وهم يدعون أنهم أهل الحق قد لعب الشيطان بهم فاتخذوا إلههم هواهم ﴿ولا وصيلة﴾ وهم الذين يبيحون المحرمات ويستحلون الحرمات ويتصلون بالأجانب من طريق الأخوة والأبوة كالإباحية والزنادقة فيغتر به ويظن أنه بلغ مقام الوحدة وأنه محمي عن النقصان بكل حال ولا يضره مخالفات الشريعة إذ هو بلغ مقام الحقيقة فهذا كله من وساوس الشيطان وهواجس النفس ما أمر الله بشيء من ذلك ولا رخص لأحد فيه فهؤلاء الذين وضعوا هذه الطريقة وابتدعوها لا يعلمون شيئاً من الشريعة والطريقة ولا يهتدون إلى الحقيقة فإنهم أهل الطبيعة وأرباب الخديعة ولقد شاعت في الآفاق فتنهم وكملت فيهم غرتهم وما لهم من دافع ولا مانع ولا وازع على أن الخرق قد اتسع على الراقع:

أرى ألـف بـأن لا يـقـوم بـهـادم فـكـيـف بـيـان خـلـفـه ألـف هـادم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ أي: الزموا إصلاح أنفسكم وحفظها مما يوجب سخط الله وعذاب الآخرة ﴿لا يضركم﴾ ضلال ﴿من ضل﴾ بالفارسي [زيانى نرساند شمارا بى راهىء آنكس كه كمراه شد] ﴿إذا اهتديتم﴾ إذا كنتم مهتدين. والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون إيمانهم وفيهم من الضلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالأمر والنهي ﴿إلى الله﴾ لا لأحد سواه ﴿مرجعكم﴾ رجوعكم يوم القيامة ﴿جميعا﴾ الضلال والمهتدي ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ في الدنيا من أعمال الهداية والضلال أي: فيجازيكم على ذلك فهو وعد ووعيد للفريقين المهتدين والضالين وتنبيه على أن أحداً لا يؤاخذ بعمل غيره ولا يتوهمنّ أن في الآية رخصة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا ومن جملة الاهتداء أن ينكر على المنكر حسب الطاقة:

اكـر بـيـنـى كـه نـابـيـنـا وچـاهـسـت اكـر خـامـوش بـنـشـيـنـى كـنـاهـسـت

وفي الحديث «من رأى منكم منكراً إن استطاع أن يغيره فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه» وقد روي أن الصديق قال يوماً على المنبر يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي وإنما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه عمهم الله بعقاب» فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين﴾ الآية فيقول أحدكم عليّ نفسي والله لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم ليدعن خياركم فلا يستجاب لهم. ولو قيل لرجل لم لا تأمر بالمعروف قال: [مراچه كارست] أو قيل لرجل [فلا نرا أمر معروف كن] فقال: [مرا اوچه كرده است] أو قال: [من عافيت كزيده أم] أو قال:

[مرا با اين فضولى چه كار] يخاف عليه الكفر في هذه الصور، قال المولوي قدس سره:

توز كفتار تعالوا كم مكن كيمياى بس شكر فست اين سخن

كرمسى كردد ز كفتارت نفير كيميارا هيج ازوى وامكير

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض لا يسقط إلا عند العجز عن ذلك وكان السلف معذورين في بعض الأزمان في ترك الإنكار باليد واللسان:

چو دست وزبانرا نماند مجال بهمت نمايند مردى رجال

والحاصل أن هذا يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأوقات فعلى المحب أن لا يتجاوز عن الحد ويراعي حكم الوقت فإن لكل زمان دولة ورجالاً.

والإشارة ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ أي إيمان الطالبين الموقنين بأن الوجدان في الطلب كما قال تعالى: «ألا من طلبني وجدني» ﴿**عليكم أنفسكم**﴾ فاشتغلوا بتزكيتها فإنه قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها فلا تشتغلوا قبل تزكيتها بتزكية نفوس الخلق ولا تغتروا بإرادة الخلق وبقولهم وحسن ظنهم فيكم وتقربهم إليكم فإنها للطالب سم الساعة وإن مثل السالك المحتاج إلى المسلك والذي يدعي إرادته ويتمسك به كمثل غريق في البحر محتاج إلى سابح كامل في صنعته لينجيه من الغرق فيتشبث به غريق آخر في البحر وهو يأخذ بيده لينجيه فيهلكان جميعاً فالواجب على الطالب المحق أن يتمسك بذيل إرادة صاحب دولة في هذا الشأن مسلك كامل ويستسلم للأحكام ولا يلتفت إلى كثرة الهالكين فإنه لا يهلك على الله إلا هالك ﴿**لا يضركم**﴾ أيها الطالبون ﴿**من ضل**﴾ من المغرقين ﴿**إذا اهتديتم**﴾ إلى الحق به ﴿**إلى الله مرجعكم جميعا**﴾ أيها الطالبون بجذبات العناية على طريق الهداية والمضلون بسلاسل القهر والخذلان على طريق المكر والعصيان ﴿**فينبئكم بما كنتم تعملون**﴾ أي: فيذيقكم لذة ثواب أعمالكم أو ألم عقوبة أعمالكم والمعنى ليس للطالب أن يلتفت في أثناء سلوكه إلى أحد من أهل الصدق والإرادة بأن يقبله ليربيه ويغتر بأنه شيخ يقتدي به إلى أن يتم أمر سلوكه بتسليك مسلك كامل واصل ثم أن يرى شيخه أن له رتبة الشيخوخة فيثبته بإشارة التحقق في مقام التربية ودعوة الخلق فحينئذٍ يجوز له أن يكون هادياً مرشداً للمريدين باحتياط وافر فقد قال تعالى ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] فأما في زماننا هذا فقد آل الأمر إلى أن من لم يكن مريداً قط يدعي الشيخوخة ويخبر بالشيخوخة الجهال والضلال من جهالته وضلالته حرصاً لانتشار ذكره وشهرته وكثرة مريديه وقد جعلوا هذا الشأن العظيم والثناء الجسيم لعب الصبيان وضحكة الشيطان حتى يتوارثونه كلما مات واحد منهم كانوا يجلسون ابنه مقامه صغيراً كان أو كبيراً ويلبسون منه الخرق ويتبركون به وينزلونه منازل المشايخ فهذه مصيبة قد عمت ولعل هذه طريقة قد تمت فاندرست آثارها والله أعلم بأخبارها إلى هٰهنا من الإشارة من «التأويلات النجمية».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ

أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ تصديره بحرف النداء والتنبيه لإظهار كمال العناية بمضمونه.

ـ روي ـ أن تميم بن أوس الداري وعدي بن زيد خرجا إلى الشام للتجارة وكانا حينئذٍ نصرانيين ومعهما بديل بن أبي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلماً فلما قدما إلى الشام مرض بديل فكتب كتاباً فيه أسماء جميع ما معه وطرحه في درج الثياب ولم يخبرهما بذلك وأوصى إليهما بأن يدفعا متاعه إلى أهله ومات ففتشاه فوجدا فيه إناء من فضة وزنه ثلاثمائة مثقال منقوشاً بالذهب فغيباه ودفعا المتاع إلى أهله فأصابوا فيه الكتاب فقالوا لهما هل باع صاحبكما شيئاً من متاعه؟ قالا: لا قالوا فهل طال مرضه فأنفق شيئاً على نفسه قالا لا إنما مرض حين قدم البلد فلم يلبث أن مات قالوا: فإنا وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية متاعه وفيها إناء منقوش مموّه بالذهب وزنه ثلاثمائة مثقال قالا ما ندري إنما أوصى إلينا بشيء وأمرنا أن ندفعه إليكم ففعلنا وما لنا بالإناء من علم فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فاستحلفهما بعد صلاة العصر عند المنبر بالله الذي لا إله إلا هو أنهما لم يخونا شيئاً مما دفع ولا كتما فحلفا على ذلك فخلى ﷺ سبيلهما ثم إنه وجد الإناء في مكة فقال من بيده: اشتريته من تميم وعدي وقيل لما طالت المدة أظهراه فبلغ ذلك بني سهل أولياء بديل فطلبوه منهما فقالا: كنا اشتريناه من بديل فقالوا: ألم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيئاً فقلتما لا قالا ما كان لنا بينة فكرهنا أن نقربه فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ فنزل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ [المائدة: ١٠٧] الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر أنهما كذبا وخانا فدفع الإناء إليهما. واتفق العلماء على أن هذه الآية أشكل ما في القرآن إعراباً ونظماً وحكماً ﴿شهادة بينكم﴾ أي: شهادة الخصومات الجارية بينكم فبين ظرف أضيف إليه شهادة على طريق الاتساع في الظروف بأن يجعل الظرف كأنه مفعول للفعل الواقع فيه فيضاف ذلك الفعل إليه على طريق إضافته إلى المفعول نحو يا سارق الليلة أي: يا سارق في الليلة وارتفاع الشهادة على أنها مبتدأ ﴿إذا حضر أحدكم الموت﴾ أي: شارفه وظهرت علائمه ظرف للشهادة ﴿حين الوصية﴾ بدل من الظرف وفي إبداله منه تنبيه على أن الوصية من المهمات المقررة التي لا ينبغي أن يتهاون بها المسلم ويذهل عنها ﴿اثنان﴾ خبر للمبتدأ بتقدير المضاف لئلا يلزم حمل العين على المعنى أي: شهادة بينكم حينئذٍ شهادة اثنين أو فاعل شهادة بينكم على أن خبرها محذوف أي: فيما نزل عليكم أن يشهد بينكم اثنان. واختلفوا في هذين الاثنين. فقال قوم هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي. وقال آخرون هما الوصيان لأن الآية نزلت فيهما ولأنه قال تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان ولا يلزم الشاهدين الإيصاء وإن صح إلى واحد إلا أنه ورد في الآية الإيصاء إلى اثنين احتياطاً واعتضاداً لأحدهما بالآخر. فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرت والشهيد الذي حضرته الوفاة في الغزو حتى لو مضى عليه وقت صلاة وهو حي لا يسمى شهيداً لأن الوفاة لم تحضره في الغزو ﴿ذوا عدل منكم﴾ هما صفتان للاثنان أي: صاحبا أمانة وعقل من أقاربكم لأنهم أعلم بأحوال الميت وأنصح له وأقرب إلى تحري ما

هو أصلح له أو من أهل دينكم يا معشر المؤمنين وهذه جملة تامة تتناول حكم الشهادة على الوصية في الحضر والسفر ﴿**أو آخران من غيركم**﴾ عطف على اثنان أو شهادة عدلين آخرين من غيركم أي: من الأجانب أو من غير أهل دينكم أي: من أهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الإسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ بقوله تعالى ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢] فلا يقبل شهادة الذمي على المسلم لعدم ولايته عليه والشهادة من باب الولاية وتقبل شهادة الذمي على الذمي لأن أهل الذمة بعضهم أولياء بعض ﴿**إن أنتم ضربتم في الأرض**﴾ أي: سرتم وسافرتم فيها ﴿**فأصابتكم مصيبة الموت**﴾ عطف على الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أي: إن سافرتم فقاربكم الأجل حينئذٍ وما معكم من الأقارب أو من أهل الإسلام من يتولى لأمر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الأسفار فشهادة بينكم شهادة آخرين أو فإنه يشهد آخران فقوله تعالى: ﴿**إن أنتم ضربتم**﴾ تقييد لقوله ﴿**أو آخران من غيركم**﴾ ﴿**تحبسونهما**﴾ استئناف وقع جواباً عما نشأ من اشتراط العدالة كأنه قيل فكيف نصنع إن ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما أي: تقفونهما وتصيرونهما للتحليف ﴿**من بعد الصلاة**﴾ من صلة واللام للعهد الخارجي أي: بعد صلاة العصر لتعينها عندهم للتحليف بعدها لأنه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولأن جمع أهل الإيمان يعظمون ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقد روي أن النبي عليه السلام وقتئذٍ حلف من حلف. قال الشافعي: الأيمان تغلظ في الدماء والطلاق والعتاق والمال إذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر بمكة بين الركن والمقام وفي المدينة عند المنبر وفي بيت المقدس عند الصخرة وفي سائر البلدان في أشرف المساجد وقال أبو حنيفة لا يختص الحلف بزمان ولا مكان. ﴿**فيقسمان بالله**﴾ عطف على تحبسونهما ﴿**إن ارتبتم**﴾ شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والإقسام عليه سيقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب أي: إن ارتاب فيهما الوارث منكم بخيانة وأخذ شيء من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله ﴿**لا نشتري به ثمنا**﴾ جواب القسم أي مقسم عليه فإن قوله فيقسمان يتضمن قسماً مضمراً فيه. والاشتراء استبدال السلعة بالثمن أي: أخذها بدلاً منه ثم استعير لأخذ شيء بإزالة ما عنده عيناً كان أو معنى على وجه الرغبة في المأخوذ والإعراض عن الزائل كما هو المعتبر في المستعار منه والضمير في به لله. والمعنى لا نأخذ لأنفسنا بدلاً من الله أي: من حرمته عرضاً من الدنيا بأن نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب أي: لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال وطمع الدنيا ﴿**ولو كان**﴾ أي: المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام وهو الميت ﴿**ذا قربى**﴾ أي: قريباً منا في الرحم تأكيد لتبرئهم من الحلف كاذباً ومبالغة في التنزه كأنهما قالا لا نأخذ لأنفسنا بدلاً من حرمة اسمه تعالى مالاً ولو انضم إليه رعاية جانب الأقرباء فقد انضم إليها ما هو أقوى منها وأدعى إلى الحلف كاذباً وهي صيانة حظ أنفسهما فلا يتحقق ما قصداه من المبالغة في التنزه عنه والتبري منه. قلت: صيانة أنفسهما وإن كانت أهم من رعاية الأقرباء لكنها ليست ضميمة للمال بل راجعة إليه ﴿**ولا نكتم شهادة الله**﴾ معطوف على لا نشتري به داخل معه في حكم القسم وشهادة الله منصوب على أنها مفعول بها أضيفت إليه تعالى لأنه هو الآمر بها وبحفظها وعدم كتمانها وتضييعها ﴿**إنا إذاً**﴾ إذ كتمناها ﴿**لمن الآثمين**﴾ أي: العاصين ﴿**فإن عثر**﴾ أي: اطلع بعد التحليف ﴿**على أنهما استحقا إثما**﴾ أي: فعلاً ما

يوجب إثماً من تحريف وكتم بأن ظهر بأيديهما شيء من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه ﴿فآخران﴾ أي: رجلان آخران وهو مبتدأ خبره ﴿يقومان مقامهما﴾ أي: مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام أداء الشهادة التي توليها ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لإظهار الحق ﴿من الذين﴾ حال من فاعل يقومان أي: من أهل الميت الذين ﴿استحق عليهم الأوليان﴾ من بينهم أي: الأقربان إلى الميت الوارثان له الأحقان بالشهادة أي: باليمين ومفعول استحق محذوف أي: استحق عليهم أن يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الآخران القائمان مقام الأولين على وضع المظهر مقام المضمر فاستحق مبني للفاعل والأوليان فاعله وهو تثنية الأولى بالفتح بمعنى الأقرب. وقرىء على البناء للمفعول وهو الأظهر أي: من الذين استحق عليهم الإثم أي: جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته فالأوليان مرفوع على أنه خبر لمحذوف كأنه قيل ومن هم فقيل الأوليان ﴿فيقسمان بالله﴾ عطف على يقومان ﴿لشهادتنا﴾ المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تعالى: ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ﴾ [النور: ٦] أي: ليميننا على أنهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها ﴿أحق﴾ بالقبول ﴿من شهادتهما﴾ أي: من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما أنه قد ظهر للناس استحقاقهما للإثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل مع أنه لا حقيقة في يمينهما رأساً إنما هي لإمكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء تملكهما لما ظهر في أيديهما ﴿وما اعتدينا﴾ عطف على جواب القسم أي: ما تجاوزنا فيها شهادة الحق وما اعتدينا عليهما بإبطال حقهما ﴿إنا إذاً﴾ أي: إذا اعتدينا في يميننا ﴿لمن الظالمين﴾ أنفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى أو لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم الكريم أن المحتضر ينبغي أن يشهد على وصيته عدلين من ذوي نسبه أو دينه فإن لم يجدهما بأن كان في سفر فآخرين من غيرهم ثم إن وقع ارتياب بهما اقسما على أنهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئاً بالتغليظ في الوقت فإن اطلع بعد ذلك على كذبهما بأن ظهر بأيديهما شيء من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بأيمانهم وإنما انتقل اليمين إلى الأولياء لأن الوصيين ادعيا إنهما ابتاعاه والوصي إذا أخذ شيئاً من مال الميت وقال إنه أوصى به حلف الوارث إذا أنكر ذلك وتحليف المنكر ليس بمنسوخ ﴿ذلك﴾ أي: الحكم الذي تقدم تفصيله ﴿أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها﴾ أي: أقرب إلى أن تؤدي الشهود الشهادة على وجهها الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفاً من العذاب الأخروي هذا كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور ﴿أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم﴾ بيان لحكمة شرعية رد اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبىء عنه المقام كأنه قيل ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة أو يخافوا الافتضاح على رؤوس الأشهاد بإبطال أيمانهم والعمل بأيمان الورثة فينزجروا عن الخيانة المؤدية إليه فأي الخوفين وقع حصل المقصود الذي هو الإتيان بالشهادة على وجهها ﴿واتقوا الله﴾ في شهادتكم فلا تحرفوها وفي أيمانكم فلا تحلفوا أيماناً كاذبة وفي أماناتكم فلا تخونوها وفيما بينه الله من الأحكام فلا تخالفوا حكمه ﴿واسمعوا﴾ ما توعظون به كائناً ما كان سمع طاعة وقبول ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ الخارجين عن الطاعة أي: فإن لم تتقوا ولم

تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين أي: إلى طريق الجنة أو إلى ما فيه نفعهم.

واعلم أن الشهادة في الشرع الإخبار عن أمر حضره الشهود وشاهدوه إما معاينة كالأفعال نحو القتل والزنى أو سماعاً كالعقود والإقرارات فلا يجوز له أن يشهد إلا بما حضره وعلمه وسمعه ولهذا لا يجوز له أداء الشهادة حتى تذكر الحادثة وفي الحديث: «إذا علمت مثل الشمس فاشهد وإلا فدع» وفي الشهادة إحياء حقوق الناس وصون العقود عن التجاحد وحفظ الأموال على أربابها وفي الحديث: «أكرموا شهودكم فإن الله يستخرج بهم الحقوق» ومن تعين للتحمل لا يسعه أن يمتنع إذا طلب لما فيه من تضييع الحقوق إلا أن يقوم الحق بغيره بأن يكون في الصك سواه ممن يقوم الحق به فيجوز له الامتناع لأن الحق لا يضيع بامتناعه وهو مخير في الحدود بين الشهادة والستر لأن إقامة الحدود حسبة والستر على المسلم حسبة والستر أفضل وفي الحديث «من ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة».

ثم اعلم أن اليمين الفاجرة تبقي الديار بلاقع فينبغي لطالب الآخرة أن يجتنب عن الكذب لطمع الدنيا وأن يختار الصدق في كل قول وفعل، قال الحافظ:

طريق صدق بياموز ازآب صافى دل   براستى طلب آزادكى چو سروچمن

والأمانة من الأوصاف الجميلة والله تعالى يأمر بأداء الأمانات وإن قل أصحابه في هذا الزمان ولله در القائل:

أمين مجوى ومكوباً كسى أمانت عشق   درين زمانه مكر جبرئيل أمين باشد

وعاقبة الخيانة الافتضاح، كما قال الصائب:

خيانتهاى پنهان ميكشد آخر برسوايى   كه دزد خانكى را شحنه دربازار ميكردد

فلا بد من التقوى وسماع الأحكام الأزلية والله لا يهدي إلى حضرته القوم الفاسقين يعني الذين كانوا خارجين عند رشاش النور وإصابته كما قال عليه السلام: «فمن أصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن أخطأه فقد ضل» عصمنا الله وإياكم من مخالفة أمره ولا يجعلنا ممن ضاع أنفاس عمره إنه هو الموفق والمرشد والوهاب.

﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿**يوم يجمع الله الرسل**﴾ أي: اذكروا يوم يجمع الله الرسل وهو يوم القيامة والمراد جمعهم وجمع أممهم وإنما لم يذكر الأمم لأنهم أتباع لهم ﴿**فيقول**﴾ أي: الله تعالى للرسل ﴿**ماذا أجبتم**﴾ أي: أي إجابة أجبتم من جهة الأمم حين دعوتموهم إلى توحيدي وطاعتي إجابة إقرار وتصديق أم إجابة إنكار وتكذيب؟ فماذا في محل النصب على أنه مفعول مطلق للفعل المذكور بعده. وفيه إشارة إلى خروجهم من عهدة الرسالة كما ينبغي وإلا لصدر الخطاب بأن يقال هل بلغتم رسالتي ولم يقل ماذا أجابوا بناء على كمال تحقير شأنهم وشدة الغيظ والسخط عليهم. فإن قلت ما وجه السؤال مع أنه تعالى لا يخفى عليه شيء. قلت توبيخ القوم كما أن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: ٨ ـ ٩] المقصود منه توبيخ من فعل ذلك الفعل بها ﴿**قالوا**﴾ كأنه قيل فماذا يقول الرسل هنالك فقيل يقولون ﴿**لا علم لنا**﴾ بما كنت أنت تعلم ﴿**إنك أنت علام الغيوب**﴾ تعليل لذلك أي: لأنك تعلم ما أضمروه وما أظهروه ونحن لا نعلم إلا ما أظهروه فعلمنا في علمك كالمعدوم وهذا الجواب يتضمن التشكي من

الأمم كأنه قيل علمك محيط بجميع المعلومات فتعلم بما ابتلينا من قبلهم وكابدنا من سوء إجابتهم فنلتجىء إليك في الانتقام منهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذا الجواب إنما يكون في بعض مواطن القيامة وذلك عند زفرة جهنم وجثو الأمم على الركب لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا قال نفسي نفسي فعند ذلك تطير القلوب من أماكنها فيقول الرسل من شدة هول المسألة وهول الموطن ﴿لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾ وترجع إليهم عقولهم فيشهدون على قومهم أنهم بلغوهم الرسالة وأن قومهم كيف ردوا عليهم فإن قيل كيف يصح ذهول العقل مع قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] قيل: إن الفزع الأكبر دخول جهنم، قال السعدي قدس سره:

دران روزكز فعل پرسند وقول ... أولو العزم را تن بلرزد زهول
بجايى كه دهشت خورد أنبياء ... توعذر كنه را چه دارى بيا
برادر زكار بدان شرم دار ... كه درروى نيكان شوى شر مسار
سراز جيب غفلت بر آور كنون ... كه فرداً نماند بخجلت نكون

وقيل قولهم ﴿لا علم لنا﴾ ليس المقصود منه نفي العلم بجوابهم حال التبليغ ولا وقت حياة الأنبياء بل المقصود نفي علمهم بما كان من الأمم بعد وفاة الأنبياء في العاقبة وآخر الأمر الذي به الاعتبار لأن الثواب والعقاب إنما يدوران على الخاتمة وذلك غير معلوم لهم فلهذا المعنى قالوا ﴿لا علم لنا﴾ وفي الحديث: «إني على الحوض أنظر من يرد عليّ منكم والله ليقطعن دوني رجال فلأقولن أي ربي مني ومن أمتي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ما زالوا يرجعون على أعقابهم» وهو عبارة عن ارتدادهم أعم من أن يكون من الأعمال الصالحة إلى السيئة أو من الإسلام إلى الكفر وفي الحديث «يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول هل بلغت؟ فيقول: نعم فيقال لأمته هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ» فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] إنما شهد محمد وأمته بذلك مع أنهم بعد نوح لعلمهم بالقرآن أن الأنبياء كلهم قد بلغوا أممهم ما أرسلوا به وقد جاء في الرواية «ثم يؤتى بمحمد فيسأل عن حالة أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم» فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] فعلى العاقل أن يجيب إلى دعوة الحق وينتصح بنصيحة الناصح الصدق:

امروز قدر پند عزيزان شناختم ... يا رب روان ناصح ما ازتو شادباد

واعلم أن القيامة يوم يتجلى الحق فيه بالصفة القهارية قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]. قال حضرة شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة هذا ترتيب أنيق فإن الذات الأحدي يدفع بوحدته الكثرة وبقهره الآثار فيضمحل الكل فلا يبقى سواه تعالى وقيامة العارفين دائمة لأنهم يكاشفون الأمور ويشاهدون الأحوال في كل موطن على ما هي عليه وهي القيامة الكبرى وحشر الخواص بل الأخص اللهم اجعلنا ممن مات بالاختيار قبل الموت بالاضطرار.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ

ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِيۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِيۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِيۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾

﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم﴾ أي: اذكروا أيها المؤمنون وقت قول الله تعالى لعيسى ابن مريم وهو يوم القيامة ﴿اذكر نعمتي﴾ أي: إنعامي ﴿عليك وعلى والدتك﴾ وليس المراد بأمره عليه السلام يومئذٍ بذكر النعم تكليف الشكر إذ قد مضى وقته في الدنيا بل ليكون حجة على من كفر حيث أظهر الله على يده معجزات كثيرة فكذبته طائفة وسموه ساحراً وغلا آخرون فاتخذوه إلّهاً فيكون ذلك حسرة وندامة عليهم يوم القيامة والفائدة في ذكر أمه أن الناس تكلموا فيها ما تكلموا ثم عد الله تعالى عليه نعمة نعمة فقال: ﴿إذ أيدتك﴾ ظرف لنعمتي أي اذكر إنعامي عليكما وقت تأييدي لك ﴿بروح القدس﴾ أي بجبريل الطاهر على أن القدس الطهور وأضيف إليه الروح مدحاً له بكمال اختصاصه بالطهر كما في رجل صدق ومعنى تأييده به أن جبريل عليه السلام يجعل حجته ثابتة مقررة ﴿تكلم الناس في المهد وكهلا﴾ استئناف مبين لتأييده عليه السلام والمعنى تكلمهم في الطفولة والكهولة على سواء أي: من غير أن يوجد تفاوت بين كلامه طفلاً وبين كلامه كهلاً في كونه صادراً عن كمال العقل وموافقاً لكمال الأنبياء والحكماء فإنه تكلم حال كونه في المهد أي: في حجر الأم والذي يربى فيه الطفل بقوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم: ٣٠ ـ ٣١] وتكلم كهلاً بالوحي والنبوة فتكلمه في تينك الحالتين على حد واحد وصفة واحدة من غير تفاوت معجزة عظيمة حصلت له وما حصلت لأحد من الأنبياء قبله ولا بعده وكل معجزة ظهرت منه كما أنها نعمة في حقه فكذلك هي نعمة في حق أمه لأنها تدل على براءة ساحتها مما نسبوها إليه واتهموها به وحمل مريم ما كان من الرجال كسائر النساء وإنما كان بروح منه كما قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢] فهذه نعمة خاصة بمريم وكذلك ولادة عيسى وخلفته ما كان من نطف الرجال وإنما كانت كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فهذه نعمة خاصة بعيسى. والكهل من الرجال الذي جاوز الثلاثين ووخطه الشيب أي: خالطه وقيل المراد بتكلمه كهلاً أن يكلم الناس بعد أن ينزل من السماء في آخر الزمان بناء على أنه رفع قبل أن أكهل فيكون قوله تعالى: ﴿وكهلا﴾ دليلاً على نزوله.

ـ وروي ـ أن الله تعالى أرسله وهو ابن ثلاثين سنة فمكث في رسالته ثلاثين شهراً ثم رفعه الله تعالى إليه وينزل على هذا السن ثم يكهل ﴿وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾ أي: اذكر نعمتي عليكما وقت تعليمي لك جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان بالذكر مع دخولهما في الجنس إظهاراً لشرفهما والمراد بالحكمة العلم والفهم لمعاني الكتب المنزلة وأسرارها وقيل هي استكمال النفس بالعلم بها وبالعمل بمقتضاها ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾ أي: تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير ﴿بإذني﴾ أن بتسهيلي وتيسيري ﴿فتنفخ فيها﴾ أي: في الهيئة المصورة ﴿فتكون﴾ أي: تلك الهيئة ﴿طيرا بإذني﴾ فالخلق حقيقة لله تعالى ظاهر على يده عليه السلام عند مباشرة الأسباب كما أن النفخ في مريم كان من جبريل

والخلق من الله تعالى سألوا منه عليه السلام على وجه التعنت فقالوا له اخلق لنا خفاشاً واجعل فيه روحاً إن كنت صادقاً في مقالتك فأخذ طيناً وجعل منه خفاشاً ثم نفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض وإنما طلبوا منه خلق خفاش لأنه أعجب من سائر الخلق ومن عجائبه أنه لحم ودم يطير بغير ريش ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور وله ضرع يخرج منه اللبن ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وإنما يرى في ساعتين بعد غروب الشمس ساعة وبعد طلوع الفجر ساعة قبل أن يسفر جداً ويضحك كما يضحك الإنسان ويحيض كما تحيض المرأة فلما رأوا ذلك منه ضحكوا وقالوا هذا سحر **﴿وتبرىء الأكمه والأبرص بإذني﴾** الأكمه الذي ولد أعمى والأبرص هو الذي به برص أي: بياض في الجلد ولو كان بحيث إذا غرز بإبرة لا يخرج منه الدم لا يقبل العلاج ولذا خصا بالذكر وكلاهما مما أعيى الأطباء، وفي «المثنوي»:

صومعه عيسى است خوان أهل دل ... هان وهان اى مبتلا اين درمهل
جمع كشتندى زهر أطراف خلق ... از ضرير وشل ولنك واهل دلق
او چو فارغ كشتى از اوراد خويش ... چاكشتكه بيرون شدى آن خوب كيش
پس دعا كردي وكفتى ازخدا ... حاجت ومقصود جمله شدروا
خوش روان وشادمانه سوى خان ... از دعاى او شدندى پاروان
آز مودى توبسى آفات خويش ... يا فتى صحت ازين شاهان كيش
چند آن لنكىء تورهوار شد ... چند جانت بى عم وآزار شد

﴿وإذ تخرج الموتى بإذني﴾ أي: تحيي الموتى وتخرجهم من قبورهم أحياء قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وجارية كما سبق تفصيله في سورة آل عمران. قال الكلبي: كان عيسى عليه السلام يحيي الموتى بيا حي ويا قيوم وهو الاسم الأعظم عند العلماء المحققين **﴿وإذ كففت بني إسرائيل عنك﴾** أي: منعت اليهود الذي أرادوا لك السوء عن التعرض لك **﴿إذ جئتهم بالبينات﴾** بالمعجزات الواضحة ظرف لكففت **﴿فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين﴾** أي: ما هذا الذي جئت به إلا سحر ظاهر رداً وإنكاراً فبقوا على مرض الكفر ولم يعالجوا بعلاج الإيمان على يد الحكيم الإلهي الحاذق.

ـ حكي ـ عن الشبلي أنه اعتل فحمل إلى البيمارستان وكتب علي بن عيسى الوزير إلى الخليفة في ذلك فأرسل الخليفة إليه مقدم الأطباء ليداويه فما أنجحت مداواته قال الطبيب للشبلي والله لو علمت أن مداواتك في قطعة لحم من جسدي ما عسر على ذلك قال الشبلي دوائي فيما دون ذلك قال الطبيب وما هو قال بقطعك الزنار فقال الطبيب أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فأخبر الخليفة بذلك فبكى وقال نفذنا طبيباً إلى مريض وما علمنا أنا نفذنا مريضاً إلى طبيب، قال اليافعي هذا هو الطبيب الحاذق وحكمته من الحكمة التي بها العلل تزول وفيه أقول:

إذا ما طبيب القلب أصبح جسمه ... عليلاً فمن ذا للطبيب طبيب
فقل هم أولو علم لدني وحكمة ... إلٰهية يشفي بذاك قلوب

وكل مرشد كامل فهو عيسى وقته، فإن قلت إن أولياء الله هم الأطباء حقيقة ومن شأن الطبيب أن يعالج ويبرىء دون أن يهلك ويمرض فما شأن إبراهيم الخواص أشار بإصبعيه إلى

عيني رجل في برية أراد أن يسلب منه ثيابه فسقطتا، قلت: إنما دعا إبراهيم على اللص بالحمى ودعا إبراهيم بن أدهم على الذي ضربه بالجنة لأن الخواص شهد من اللص أنه لا يتوب إلا بعد العقوبة فرأى العقوبة أصلح له وابن أدهم لم يشهد توبة الظالم في عقوبته فتفضل عليه بالدعاء فتوة منه وكرماً فحصلت البركة والخير بدعائه للظالم فجاءه مستغفراً معتذراً فقال له إبراهيم الرأس الذي يحتاج إلى الاعتذار تركته ببلخ وقد كان الأنبياء يدعون مطلقاً بحسب الأحوال والمصالح وكل ذلك بإذن الله تعالى فهم في دعائهم فانون عن أنانيات وجودهم لا يصدر من لسانهم إلا حق مطابق للواقع والحكمة والأولياء تلو لهم في ذلك ولكن الناس لا يعلمون، وفي «المثنوي»:

چون بباطن بنكرى دعوى كجاست — او ودعوى پيش آن سلطان فناست
مات زيد زيد اكر فاعل بود — ليك فاعل نيست كوعاطل بود
اوز روى لفظ نحوى فاعلست — ورنه أو مفعول وموتش قاتلست

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين﴾ جمع حواري يقال فلان حواري فلان أي: صفوته وخالصته من الحور وهو البياض الخالص سمي به أصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وكان بعضهم من الملوك وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين اذكر يا محمد وقت أن أمرتهم على ألسنة رسلي أو ألهمت إياهم وألقيت في قلوبهم **﴿أن﴾** مفسرة لما في الإيحاء من معنى القول **﴿آمنوا بي﴾** أي: بوحدانيتي في الربوبية والألوهية **﴿وبرسولي﴾** أي: وبرسالة رسولي ولا تزيلوه عن حيزه حطاً ولا رفعاً **﴿قالوا﴾** كأنه قيل فماذا قال حين أوحى إليهم ذلك فقيل قالوا: **﴿آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾** أي: مخلصون في إيماننا من أسلم وجهه لله أي: أخلص.

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿إذ قال الحواريون﴾ منصوب باذكر **﴿يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾** هذا السؤال كان في ابتداء أمرهم قبل أن يستحكم معرفتهم بالله ولذلك أساؤوا الأدب مع عيسى عليه الصلاة والسلام حيث لم يقولوا يا رسول الله أو يا روح الله وخاطبوه باسمه ونسبوه إلى أمه ولو وفقوا للأدب لقالوا يا روح الله ونسبوه إلى الله ثم رفضوا الأدب مع الله وقالوا هل يستطيع ربك كالمتشكك في استطاعته وكمال قدرته على ما يشاء كيف يشاء ثم أظهروا دناءة همتهم وخساسة نهمتهم إذ طلبوا بواسطة مثل عيسى من الله تعالى مائدة دنيوية فانية وما رغبوا في فائدة دينية باقية ولو رغبوا في الفائدة الدينية لنالوا المائدة الدنيوية أيضاً قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى: ٢٠] والمائدة الخوان الذي عليه الطعام من

ماده إذا أعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم إليها ونظيره قولهم شجرة مطعمة، قال في «الشرعة»: وضع الطعام على الأرض أحب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم على السفرة وهي على الأرض والأكل على الخوان فعل الملوك أي: آداب الجبارين لئلا يتطأطأ عند الأكل وعلى المنديل فعل العجم أي: أهل فارس من المتكبرين وعلى السفرة فعل العرب وهي في الأصل طعام يتخذه المسافر للسفر ثم سمي بها الجلد المستدير المحمول هو فيه ﴿**قال**﴾ كأنه قيل فماذا قال لهم عيسى عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال: ﴿**اتقوا الله**﴾ أي: من أمثال هذا السؤال ﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾ أي: بكمال قدرته تعالى أو بصحة نبوتي ﴿**قالوا نريد أن نأكل منها**﴾ تمهيد عذر وبيان لما دعاهم إلى السؤال لا نريد بالسؤال إزالة شبهتنا في قدرته تعالى على تنزيلها أو في صحة نبوتك حتى يقدح ذلك في الإيمان والتقوى بل نريد أن نأكل منها أي: أكل تبرك يتشفى بسببها مرضانا ويتقوى بها أصحاؤنا ويستغني بها فقراؤنا وقيل مرادهم أكل احتياج لأنهم قالوا ذلك في زمن المجاعة والقحط ﴿**وتطمئن قلوبنا**﴾ لكمال قدرته تعالى بانضمام علم المشاهدة إلى علم الاستدلال ﴿**ونعلم**﴾ علماً يقيناً ﴿**أن**﴾ مخففة أي: أنه ﴿**قد صدقتنا**﴾ في دعوى النبوة وأن الله يجب دعوتنا وإن كنا عالمين بذلك من قبل ﴿**ونكون عليها من الشاهدين**﴾ نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني إسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة ويقيناً ويؤمن بسببها كفارهم أو من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر ﴿**قال عيسى ابن مريم**﴾ لما رأى عليه السلام أن لهم غرضاً صحيحاً في ذلك وأنهم لا يقلعون عنه أزمع على استدعائها واستنزالها وأراد أن يلزمهم الحجة بكمالها ﴿**اللهم**﴾ أي يا الله والميم عوض عن حرف النداء وهي كلمة عظيمة من قالها فقد ذكر الله تعالى بجميع أسمائه وفي الميم سبعون اسماً من أسمائه تعالى قد اندرجت فيها ﴿**ربنا**﴾ ناداه سبحانه مرتين إظهاراً لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء ﴿**أنزل علينا مائدة من السماء**﴾ متعلق بأنزل ﴿**تكون لنا عيدا**﴾ صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها عيداً ولنا حال منه أي: يكون يوم نزولها عيداً نعظمه وإنما أسند ذلك إلى المائدة لأن شرف اليوم مستفاد من شرفها وقيل العيد: السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيداً ﴿**لأولنا وآخرنا**﴾ بدل من لنا بإعادة العامل أي: عيداً لمتقدمينا ومتأخرينا.

ـ روي ـ أنها نزلت يوم الأحد ولذلك اتخذه النصارى عيداً ﴿**وآية**﴾ كائنة ﴿**منك**﴾ دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي ﴿**وارزقنا**﴾ أي: المائدة والشكر عليها ﴿**وأنت خير الرازقين**﴾ تذييل جار مجرى التعليل أي: خير من يرزق لأنه خالق الأرزاق ومعطيها بلا عوض ﴿**قال الله إني منزلها عليكم**﴾ إجابة إلى سؤالكم ﴿**فمن يكفر بعد**﴾ أي: بعد تنزيلها ﴿**منكم**﴾ حال من فاعل يكفر ﴿**فإني أعذبه**﴾ بسبب كفره بعد معاينة هذه الآية الباهرة ﴿**عذابا**﴾ اسم مصدر بمعنى التعذيب أي: تعذيباً ﴿**لا أعذبه**﴾ صفة لعذاباً والضمير له أي: أعذبه تعذيباً لا أعذب ذلك التعذيب أي: مثل ذلك التعذيب ﴿**أحدا من العالمين**﴾ أي: من عالمي زمانهم أو من العالمين جميعاً فإنهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب مثل ذلك غيرهم.

ـ روي ـ أن عيسى عليه السلام اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأطأ رأسه وغض بصره ثم دعا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا

تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل الذي عليها وقال: بسم الله خير الرازقين فإذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوكة يسيل دسمها وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من أنواع البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون رأس الحواريين يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة؟ قال: ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا: يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال: يا سمكة أحيي بإذن الله فاضطربت ثم قال لها: عودي كما كنت فعادت مشوية فلبث المائدة يوماً واحداً فأكل من أكل منها ثم طارت ولم تنزل بعد ذلك اليوم وقيل: كانت تأتيهم أربعين يوماً غباً أي: تنزل يوماً ولا تنزل يوماً يجتمع عليها الفقراء والأغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى إذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير إلا غني مدة عمره ولا مريض إلا بريء ولم يمرض أبداً ثم أوحى الله إلى عيسى أن اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الأغنياء الأصحاء فاضطرب الناس بذلك أي: تعاظم على الأغنياء والأصحاء حتى شكوا وشككوا الناس في شأن المائدة ونزولها من السماء حقيقة فمسخ منهم من مسخ فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى وبكوا على الممسوخين فلما أبصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف به وجعل يدعوهم بأسمائهم واحداً بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤوسهم فلا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا وكذلك كل ممسوخ.

والإشارة أن الله تعالى سلخ صورة الإنسانية عن حقائق صفات الحيوانية وألبسوا الصور من حقائق صفاتهم فمسخوا خنازير ليعتبر الخلق ويتحقق لهم أن الناس يحشرون على صور صفاتهم يوم تبلى السرائر يوم تبيض وجوه وتسود وجوه كما قال عليه السلام: «يموت الناس على ما عاشوا فيه ويحشرون على ما ماتوا عليه» يعني يحشرون على صورة صفاتهم التي ماتوا عليها، وفي «المثنوي»:

هر خيالى كوكند در دل وطن ... روز محشر صورتى خواهد شدن
زانكه حشر حاسدان روز كزند ... بى كمان بر صورت كركان كنند
حشر پر حرص وخس ومردار خوار ... صورت خوكى بود روز شمار
زانيانرا كنده اندام نهان ... خمر خوارانرا همه كنده دهان
سيرتى كاندر وجودت غالبست ... هم بران تصوير حشرت واجبست

قال القاضي في تفسيره: وعن بعض الصوفية المائدة عبارة عن حقائق المعارف فإنها غذاء الروح كما أن الأطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال أنهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها وقال لهم عيسى: إن حصلتم الإيمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والجواب فيها فسأل لأجل اقتراحهم فبين الله تعالى أن إنزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فإن السالك إذا انكشف له ما هو أعلى من مقامه لعله لا يتحمله ولا يستقر له فيضل به ضلالاً بعيداً انتهى كلام القاضي. قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره: إن قوم عيسى عليه السلام عصوا مرة فرفعت المائدة وأنا نعصي في كل وقت مع أن نعم الله تعالى مترادفة وذلك لأن المائدة التي نزلت عليهم من مرتبة الصفة

والنعم الفائضة علينا مرتبة الذات وما هو من الذات لا يتغير ولا يتبدل وإنما التغير في الصفة وقد بقي هنا شيء وهو أن الأعياد أربعة لأربعة أقوام: أحدها عيد قوم إبراهيم كسر الأصنام حين خرج قومه إلى عيد لهم، والعيد الثاني عيد قوم موسى وإليه الإشارة بقوله تعالى في سورة طه ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ [طه: ٥٩]، والعيد الثالث عيد قوم عيسى وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ربنا أنزل علينا مائدة﴾ الآية، والعيد الرابع عيد أمة محمد عليه السلام وهو ثلاثة: عيد يتكرر كل أسبوع وعيدان يأتيان في كل عام مرة من غير تكرر في السنة فأما العيد المتكرر فهو يوم الجمعة وهو عيد الأسبوع وهو مرتب على إكمال الصلوات المكتوبات لأن الله فرض على المؤمنين في اليوم والليلة خمس صلوات وأن الدنيا تدور على سبعة أيام فكلما كمل دور أسبوع من أيام الدنيا واستكمل المسلمون صلواتهم شرع لهم في يوم استكمالهم يوم الجمعة وهو اليوم الذي كمل فيه الخلق وفيه خلق آدم وأدخل الجنة وأخرج منها وفيه ينتهي أمر الدنيا فتزول وتقوم الساعة فيه وفيه الاجتماع على سماع الذكر والموعظة وصلاة الجمعة وجعل ذلك لهم عيداً ولذلك نهى عن إفراده بالصوم وفي شهود الجمعة شبه من الحج ويروى أنها حج المساكين. وقال سعيد بن المسيب شهود الجمعة أحب إلي من حجة نافلة والتكبير فيها يقوم مقام الهدى على قدر السبق والشهود الجمعة يوجب تكفير الذنوب إلى الجمعة الأخرى إذا سلم ما بين الجمعتين من الكبائر كما أن الحج المبرور يكفر ذنوب تلك السنة إلى الحجة الأخرى، وقد روي إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام. وأما العيدان اللذان يتكرران في كل عام إنما يأتي كل واحد منهما مرة واحدة فأحدهما عيد الفطر من صوم رمضان وهو مرتب على إكمال الصيام وهو الركن الثالث من أركان الإسلام ومبانيه فإذا استكمل المسلمون صيام شهرهم المفروض عليهم استوجبوا من الله المغفرة والعتق من النار فإن صيامه يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب وآخره عتق من النار والعيد الثاني عيد النحر وهو أكبر العيدين وأفضلهما وهو مترتب على إكمال الحج وهو الركن الرابع من أركان الإسلام ومبانيه فإذا أكمل المسلمون حجتهم غفر لهم وإنما يكمل الحج يوم عرفة والوقوف بعرفة ركن الحج الأعظم.

ـ وروى ـ أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قدم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما الفطر والأضحى»، واجتمعت الأمة على هذا من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا بلا نكير منكر فهذه أعياد الدنيا تذكر أعياد الآخرة وقد قيل كل يوم كان للمسلمين عيداً في الدنيا فهو عيد لهم في الجنة يجتمعون فيه على زيارة ربهم ويتجلى لهم فيه فيوم الجمعة في الجنة. يدعى يوم المزيد ويوم الفطر والأضحى يجتمع أهل الجمعة فيهما للزيارة هذا لعوام أهل الجنة وأما خواصهم فكل يوم لهم عيد يزورون ربهم كل يوم مرتين بكرة وعشيا والخواص كانت أيام الدنيا كلها لهم أعياداً فصارت أيامهم في الآخرة كلها أعياداً. وأما أخص الخواص فكل نفس عيد لهم.

قال في «التأويلات النجمية» ﴿ربنا أنزل علينا مائدة من السماء﴾ أي: مائدة الأسرار والحقائق التي تنزلها من سماء العناية عليها أطعمة الهداية ﴿تكون لنا﴾ يعني لأهل الحق وأرباب الصدق ﴿عيدا﴾ نفرح بها ﴿لأولنا وآخرنا﴾ أي: لأول أنفاسنا وآخرها فإن أرباب الحقيقة يراقبون الأنفاس أولها وآخرها لتصعد مع الله وتهوى مع الله ففي صعود النفس مع الله يكون عيداً لهم وفي هويه مع الله عيداً لهم، كما قال بالفارسية: [صوفيان دردمى دوعيد كنند].

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾

﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم﴾ أي: اذكر يا محمد للناس وقت قول الله تعالى لعيسى عليه السلام في الآخرة توبيخاً للكفرة وتبكيتاً لهم بإقراره عليه السلام على رؤوس الاشهاد بالعبودية وأمره لهم بعبادته تعالى ﴿ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلَهين﴾ مفعول ثاني للاتخاذ ﴿من دون الله﴾ حال من فاعل اتخذوني كأنه قيل صيروني وأمي إلَهين أي: معبودين متجاوزين عن ألوهية الله تعالى ومعبوديته والمراد اتخاذهما بطريق إشراكهما به سبحانه كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥] لأن أحداً منهم لم يذهب إلى القول بإلَهية عيسى ومريم مع القول بنفي إلَهية الله تعالى ولما لم يكن المقصود إنكار نفس القول بل قصد توبيخ من قال به ولي حرف الاستفهام المبتدأ ولم يقل كذا لأنه يفيد إنكار نفس القول. قال المولى أبو السعود رحمه الله ليس مدار أصل الكلام أن القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من إيلاء الهمزة المبتدأ على الاستعمال الفاشي وعليه قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا﴾ [الأنبياء: ٦٢] وتظاهره بل على أن المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام لتعيين أنه بأمره عليه السلام أو من تلقاء أنفسهم كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ﴾ [الفرقان: ١٧] انتهى.

قال في «التأويلات النجمية»: الإثبات بعد الاستفهام نفي كما أن النفي بعد الاستفهام إثبات كقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] أي: أنا ربكم ونظير النفي في الإثبات قوله تعالى: ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠] أي: ليس مع الله إلَه فمعناه ما قلت أنت للناس اتخذوني وأمي إلَهين من دون الله ولكنهم بجهلهم قد بالغوا في تعظيمك حتى أطروك وجاوزوا حدك في المدح ولهذا قال النبي عليه السلام: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم» انتهى. فإن قيل ما وجه هذا السؤال مع علمه تعالى أن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يقله، قيل ذلك لتوبيخ قومه وتعظيم أمر هذه المقالة. قال أبو روق إذا سمع عيسى هذا الخطاب ارتعدت مفاصله وانفجرت من أصل كل شعرة من جسده عين من دم وهذا الخطاب وإن كان ظاهره مع عيسى ولكن كان حقيقة مع الأمة لأن سنة الله أن لا يكلم الكفار يوم القيامة ولا ينظر إليهم ﴿قال﴾ كأنه قيل فماذا يقول عيسى حينئذٍ فقيل يقول: ﴿سبحانك﴾ علم للتسبيح أي: أنزهك تنزيهاً لائقاً بك من أن أقول ذلك أو من أن يقال في حقك ذلك ﴿ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ أي: ما يستقيم وما ينبغي لي أن أقول قولاً لا يحق لي أن أقوله ﴿إن كنت قلته﴾ أي: هذا القول ﴿فقد علمته﴾ لأني لا أقدر على هذا القول إلا بأن توجده فيّ وتكونه بقولك كن فصدوره عني مستلزم لعلمك به قطعاً فحيث انتفى العلم انتفى الصدور حتماً ضرورة أن عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم ﴿تعلم ما في نفسي﴾ أي: ما أخفيه في نفسي كما تعلم ما أعلنه ﴿ولا أعلم ما في نفسك﴾ أي: ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك فعبر عما يخفيه الله من معلوماته بقوله ما في نفسك للمشاكلة لوقوعه في صحبة قوله تعلم ما في نفسي فإن معلومات الإنسان مختفية في نفسه بمعنى كون صورها مرتسمة فيها بخلاف معلومات الله تعالى فإن علمه

تعالى حضوري لا تنقطع صورة شيء منها في ذاته فلا يصح أن يحمل النفس على المعنى المتبادر ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾ ما كان وما يكون.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به﴾ تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه أي: ما أمرتهم إلا ما أمرتني به وإنما قيل ما قلت لهم نزولاً على قضية حسن الأدب ومراعاة لما ورد في الاستفهام ﴿أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾ تفسير للضمير في به وفي أمرت معنى القول وليس تفسيراً لما في قوله ما أمرتني لأنه مفعول لصريح القول والتقدير إلا ما أمرتني به بلفظ هو قولك أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴿وكنت عليهم شهيدا﴾ رقيباً أراعي أحوالهم وأحملهم على العمل بموجب أمرك وأمنعهم عن المخالفة أو مشاهداً لأحوالهم من كفر وإيمان ﴿ما دمت فيهم﴾ أي: مدة دوامي فيما بينهم ﴿فلما توفيتني﴾ أي: قبضتني إليك من بينهم ورفعتني إلى السماء ﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾ أي: أنت لا غيرك كنت الحافظ لأعمالهم والمراقب لها فمنعت من أردت عصمته عن المخالفة بالإرشاد إلى الدلائل والتنبيه عليها بإرسال الرسول وإنزال الآيات وخذلت من خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا ﴿وأنت على كل شيء شهيد﴾ مطلع عليه مراقب له فعلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾ أي: فإنك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه. وفيه تنبيه على أنهم استحقوا التعذيب حيث عبدوا غيره تعالى ﴿وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ أي: فلا عجز ولا استقباح فإنك القادر والقوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب فإن المغفرة مستحسنة لكل مجرم فإن عذبت فعدل وإن غفرت ففضل. فإن قلت مغفرة المشرك قطعية الانتفاء بحسب الوجود وتعذيبه قطعي الوجود فما معنى أن المستعمل فيما كان كل واحد من جانبي وجوده وعدمه جائزاً محتمل الوقوع، قلت كون غفران المشرك قطعي الانتفاء بحسب الوجود لا ينافي كونه جائز الوجود بحسب العقل فصح استعمال كلمة إن فيهما لأنه يكفي في صحة استعمالها مجرد الإمكان الذاتي والجواز وقيل الترديد بالنسبة إلى فرقتين والمعنى إن تعذبهم أي من كفر منهم وإن تغفر لهم أي من آمن منهم.

ـ روي ـ أنه لما نزلت هذه الآية أحيى رسول الله ﷺ بها ليلته وكان بها يقوم وبها يقعد وبها يسجد ثم قال: «أمتي أمتي يا رب» فبكى فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: الله يقرئك السلام ويقول لك إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك.

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿قال الله﴾ أي: يقول الله تعالى يوم القيامة عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيراً إلى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين هو في زمرتهم ﴿هذا﴾ أي: يوم القيامة وهو مبتدأ وخبره ما بعده ﴿يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ المراد الصدق في الدنيا فإن النافع ما كان حال التكليف فالجاني المعترف يوم القيامة بجنايته لا ينفعه اعترافه وصدقه وكذا الجاني المعترف في

الدنيا بجنايته لا ينفعه يومئذٍ اعترافه وصدقه فإنه ليس المراد كل من صدق في أي: شيء كان بل في الأمور الدينية التي معظمها التوحيد الذي نحن بصدده والشرائع والأحكام المتعلقة به والصادقون الرسل الناطقون بالصدق الداعون إلى ذلك والأمم المصدقون لهم المعتقدون بهم عقداً وعملاً **﴿لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا﴾** كأنه قيل ما لهم من النفع فقيل لهم نعيم دائم وثواب خالد وهو الفوز الكبير. قوله أبداً أي: إلى الأبد تأكيد للخلود يعني بالفارسية [زمان بود ايشان نهايت ندارد] **﴿رضي الله عنهم﴾** بالطاعة **﴿ورضوا عنه﴾** بنيل الكرامة والرضوان فيض زائد على الجنات لا غاية وراءه ولذلك قال تعالى: **﴿ذلك﴾** أي: نيل الرضوان **﴿هو الفوز العظيم﴾** أي: النجاة الوافرة وحقيقة الفوز نيل المراد وإنما عظم الفوز لعظم شأن المطلوب الذي تعلق به الفوز وهو الرضى الذي لا مطلب وراءه أصلاً **﴿لله ملك السموات والأرض وما فيهن﴾** تحقيق للحق وتنبيه على كذب النصارى وفساد ما زعموا في حق المسيح وأمه أي: له تعالى خاصة ملك السموات والأرض وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف فيها كيف يشاء إيجاداً وإعداماً وإماتة وإحياء وأمراً ونهياً من غير أن يكون لشيء من الأشياء مدخل في ذلك **﴿وهو على كل شيء قدير﴾** بالغ في القدرة منزه عن العجز والضعف ومقدس تبارك وتعالى وتقدس:

نيست خلقش را دكركس مالكى شركتش دعوى كندجز هالكى
واحد اندر ملك واورا يارنى بندكانش را جزاو سالارنى

واعلم أن الآية نطقت بنفع الصدق يوم القيامة فلا ينفع الكذب والرياء بوجه من الوجوه أصلاً.

دلا دلالت خيرت كنم براه نجات مكن بفسق مباهات وزهد هم مفروش

فعلى العاقل أن يجتهد في طريق الصدق فإن الصدق بعد الإيمان يجر إلى الإحسان وقبل الإيمان إلى الإيمان.

ـ كما حكي ـ عن إبراهيم الخواص قدس سره أنه كان إذا أراد سفراً لم يعلم أحداً ولم يذكره وإنما يأخذ ركوته ويمشي قال حامد الأسود فبينما نحن معه في مسجد إذ تناول ركوته ومشى فاتبعته فلما وافيا القادسية قال لي يا حامد إلى أين؟ قلت: يا سيدي خرجت بخروجك قال: أنا أريد مكة إن شاء الله تعالى قلت: وأنا أريد مكة إن شاء الله تعالى فلما كان بعد أيام إذا بشاب قد انضم إلينا فمشى يوماً وليلة معنا لا يسجد لله تعالى سجدة فقربت من إبراهيم وقلت: إن هذا الغلام لا يصلي فجلس وقال: يا غلام ما لك لا تصلي والصلاة أوجب عليك من الحج فقال: يا شيخ ما علي صلاة قلت ألست بمسلم قال: لا قلت فأي شيء أنت قال نصراني ولكن إشارتي في النصرانية إلى التوكل وادعت نفسي أنها أحكمت حال التوكل فلم أصدقها فيما ادعت حتى أخرجتها إلى هذه الفلاة التي ليس فيها موجود غير المعبود أثير ساكني وامتحن خاطري فقام إبراهيم ومشى وقال: دعه معك فلم يزل سائراً معنا حتى وافينا بطن مرو فقام إبراهيم ونزع خلقانه فطهرها بالماء ثم جلس وقال له: ما اسمك قال: عبد المسيح فقال: يا عبد المسيح هذا دهليز مكة يعني الحرم وقد حرم الله على أمثالك الدخول إليه قال الله تعالى: **﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾** [التوبة: ٢٨] والذي أردت أن تكشف من نفسك قد بان لك فاحذر أن تدخل مكة فإن رأيناك بمكة انكرنا عليك قال حامد:

فتركناه ودخلنا مكة وخرجنا إلى الموقف فبينما نحن جلوس بعرفات إذا به قد أقبل عليه ثوبان وهو محرم يتصفح وجوه الناس حتى وقف علينا فأكب على إبراهيم فقبل رأسه فقال له ما وراءك يا عبد المسيح فقال له هيهات أنا اليوم عبد من المسيح عبده فقال له إبراهيم حدثني حديثك قال: جلست مكاني حتى أقبلت قافلة الحجاج فقمت وتنكرت في زي المسلمين كأني محرم فساعة وقعت عيني على الكعبة اضمحل عندي كل دين سوى دين الإسلام فأسلمت فاغتسلت وأحرمت وها أنا أطلبك يومي فالتفت إلي إبراهيم وقال: يا حامد انظر إلى بركة الصدق في النصرانية كيف هداه إلى الإسلام ثم صحبناه حتى مات بين الفقراء رحمه الله سبحانه وتعالى:

سلام على ذي الوجد من كل عاشق سلام على السادات من كل صادق
سلام على الناجين من كل كلفة سلام على ذي الصحو من سكر غفلة
سلام على من فات من قبل فوته سلام على من مات من قبل موته

اللهم اجعلنا من الناجين فإننا من زمرة المحتاجين آمين يا معين.

تمت سورة المائدة مع ما فيها من الفائدة والحمد لله على نعمه المتوافرة والصلاة على رسوله وآله صلاة متكاثرة وذلك في اليوم الثالث من شهر الله المحرم المنتظم في سلك سنة ألف ومائة ويتلوها سورة الأنعام إن شاء الله تعالى.

ـ تم المجلد الثاني من تفسير روح البيان ـ

٦ - سورة الأنعام

وهي مكية وآيها مائة وخمس وستون، وقيل: ست آيات أو ثلاث من قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ مدنية ومن الله أرجو إتمامه بفضله وكرمه وهو قاضي الحاجات

سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة ليلاً معها سبعون ألف ملك قد سدوا ما بين الخافقين ولهم زجل، أي: صوت بالتسبيح والتحميد والتمجيد حتى كادت الأرض ترتج فقال النبي ﷺ: «سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم» وخرّ ساجداً - وروي - عنه مرفوعاً «من قرأ سورة الأنعام يصلي عليه أولئك السبعون ألف ملك ليله ونهاره»، ثم دعا عليه السلام بالكتاب وأمر بكتابتها من ليلته تلك - وروي - عنه عليه السلام مرفوعاً: «من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى قوله: ﴿تكسبون﴾ حين يصبح وكّل الله به سبعين ألف ملك يحفظونه، وكتب له مثل أعمالهم إلى يوم القيامة، وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد كلما أراد الشيطان أن يلقي في قلبه شيئاً من الشر ضربه بها، وجعل بينه وبين الشيطان سبعين ألف حجاب فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى يا بن آدم امش تحت ظلي وكلْ من ثمار جنتي واشرب من ماء الكوثر واغتسل من ماء السلسبيل فأنت عبدي وأنا ربك لا حساب عليك ولا عذاب»، كذا رواه الإمام الواحدي في «الوسيط».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢﴾.

﴿الحمد لله﴾ الألف واللام في الحمد لاستغراق الجنس واللام في لله للاختصاص لأنه تعالى قال: ﴿بربهم يعدلون﴾ ودفع تسويتهم بربهم مما جعل مقصوداً بالذات.

وفي «التأويلات النجمية»: اللام لام التمليك، يعني: كل حمد يحمده أهل السموات والأرض في الدنيا والآخرة ملك له وهو الذي أعطاهم استعداد الحمد ليحمدوه بآثار قدرته على قدر استعدادهم واستطاعتهم لكنّ حمدَ الخلق له مخلوق فانٍ وحمده لنفسه قديم باقٍ.

فإن قيل: أليس شكر المنعم واجباً مثل شكر الأستاذ على تعليمه وشكر السلطان على عدله وشكر المحسن على إحسانه قال عليه السلام: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»، فالجواب أن الحمد والتعظيم المتعلق بالعبد المنعم نظراً إلى وصول النعمة من قبله وهو في الحقيقة راجع إليه تعالى؛ لأنه تعالى لو لم يخلق نفس تلك النعمة ولو لم يحدث داعية الإحسان في قلب العبد المحسن لما قدر ذلك العبد على الإحسان والإنعام فلا محسن في

الحقيقة إلا الله ولا مستحق للحمد إلا هو تعالى.

وفي تعليق الحمد باسم الذات المستجمع لجميع الصفات إشارة إلى أنه المستحق له بذاته سواء حمده حامد أو لم يحمده.

قال البغوي: حمد الله نفسه تعليماً لعباده أي احمدوه: وفي «المثنوي».

چونكه آن خلاق شكر وحمد جوست آدمى را مدح جويى نيز خوست
خاصه مرد حق كه در فضلست چست پرشود زان بادچون خيك درست
ورنباشد أهل زان باد دروغ خيك بدريد است كى كيرد فروغ

﴿الذي خلق السموات﴾ بما فيها من الشمس والقمر والنجوم﴿والأرض﴾ بما فيها من البر والبحر والسهل والجبل والنبات والشجر خلق السموات، وما فيها في يومين يوم الأحد ويوم الاثنين، وخلق الأرض وما فيها في يومين يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، وفي تعليق: الحمد بالخلق تنبيه على استحقاقه تعالى باعتبار أفعاله وآلائه أيضاً وتخصيص خلق السموات والأرض بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد وفيهما العبرة والمنافع لهم وجمع السموات دون الأرض وهي مثلهن؛ لأن طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات قالوا ما بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام. السماء الدنيا موج مكفوف، أي: متصادم بعضه على بعض يمنع بعضه بعضاً أي ممنوع من السيلان، والثانية مرمرة بيضاء، والثالثة حديدة، والرابعة نحاس أو صفر، والخامسة فضة، والسادسة ذهب، والسابعة ياقوتة حمراء وأما الأرض فهي تراب لا غير. والأكثرون على تفضيل الأرض على السماء؛ لأن الأنبياء خلقوا من الأرض وعبدوا فيها ودفنوا فيها، وإن الأرض دار الخلافة ومزرعة الآخرة، وأفضل البقاع على وجه الأرض البقعة التي ضمت جسم الحبيب ﷺ في المدينة المنورة لأن الجزء الأصلي من التراب محل قبره ﷺ، ثم بقعة الحرم المكي، ثم بيت المقدس والشام منه، ثم الكوفة وهي حرم رابع وبغداد منه ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ الجعل: هو الإنشاء والإبداء كالخلق خلا أن ذلك مختص بالإنشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي أيضاً كما في قوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ [المائدة: ١٠٣] الآية، أي: ما شرع وما سن وجمع الظلمات لكثرة أسبابها فإن سببها تخلل الجرم الكثيف بين النير والمحل المظلم وذلك التخلل يتكثر بتكثر الأجرام المتخللة بخلاف النور فإن سببه ليس إلا النار حتى أن الكواكب منيرة بناريتها فهي أجرام نارية وإن الشهب منفصلة من نار الكوكب.

قال الحدادي: وإنما جمع الظلمات ووحد النور لأن النور يتعدى والظلمة لا تتعدى - روي - أن هذه الآية نزلت تكذيباً للمجوس في قولهم: الله خالق النور والشيطان خالق الظلمات.

وفي «التيسير»: إنه رد على الثنوية في إضافتهم خلق النور إلى يزدان وخلق الظلمات إلى اهرمن وعلى ذلك خلق كل خير وشر﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ عطف على الجملة السابقة، وثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الآيات التكوينية ببطلانه. والباء متعلقة بيعدلون وقدم المعمول على العامل للاهتمام وتحقيق الاستبعاد ويعدلون من العدل وهو التسوية يقال عدلت هذا بهذا إذا ساويته والمعنى إنه تعالى مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ما فصل من شؤونه العظيمة الخاصة به الموجبة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون

بموجبه ويعدلون به سبحانه، أي: يسوون به غيره في العبادة التي هي أقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقاً له غير متصف بشيء من مبادىء الحمد.

والإشارة أن الله تعالى خلق سموات القلوب وأرض النفوس وجعل الظلمات في النفوس وهي صفاتها البهيمية والحيوانية وأخلاقها السبعية والشيطانية والنور في القلوب وهو صفاتها الملكية وأخلاقها الروحانية الباقية فمن غلب عليه النور وهو صفة الملكية الروحانية يميل إلى عبودية الحق تعالى ويقبل دعوة الأنبياء ويؤمن بالله ورسوله ويتحلى بحلية الشريعة فالله تعالى يكون وليه فيخرجه من ظلمات الصفات الخلقية الحيوانية إلى الصفات الملكية كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ومن غلب عليه الظلمات البشرية الحيوانية واتبع طاغوت الهوى واستلذ بشهوات الدنيا فالطاغوت يكون وليه فيخرجه من نور الصفات الروحانية إلى ظلمات الصفات الحيوانية كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] فهذا معنى قوله تعالى:﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ يعني: بعد أن خلق سموات القلوب وأرض النفوس وجعل فيهن الظلمات النفسانية والنور الروحاني مال نفوس الكفار بغلبات صفاتها إلى طاغوت الهوى فعبدوه وجعلوه عديلاً لربهم كذا في «التأويلات النجمية» ـ حكي ـ أنه جاء جماعة من فقهاء اليمن إلى الشيخ العارف بالله أبي الغيث بن جميل قدس سره يمتحنونه في شيء فلما دنوا منه قال مرحباً بعبيد عبدي فاستعظموا ذلك فلحقوا شيخ الطريقين وإمام الفريقين أبا الذبيح إسماعيل بن محمد الحضرمي قدس سره فأخبروه بما قاله الشيخ أبو الغيث: المذكور لهم فضحك، وقال صدق الشيخ أنتم عبيد الهوى والهوى عبده.

غلام همت آنم كه زير چرخ كبود ... زهرچه رنك تعلق پذيرد آزادست

﴿هو﴾ أي: الله تعالى.﴿الذي خلقكم﴾ أي: ابتدأ خلقكم أيها الناس.﴿من طين﴾ أي: تراب مخلوط بالماء فإنه المادة الأولى للكل لما أنه منشأ لآدم الذي هو أصل البشر.

قال السعدي: بعث الله جبريل إلى الأرض ليأتيه بطائفة منها فقالت الأرض: إني أعوذ بالله منك أن تنقص مني فرجع جبرائيل ولم يأخذ شيئاً.

قال جلال الدين رومي قدس سره في «المثنوي»:

معدن شرم وحيا بد جبرائيل ... بست آن سوكندها بروى سبيل

قال: يا رب. إنها عاذت بك فبعث ميكائيل فاستعاذت كالمرة الأولى فرجع:

خاك لرزيد و در آمد در كريز ... كشت اولابه وكنان اشك ريز
رفت ميكائيل سوى رب دين ... خالى از مقصود دست وآستين
كفت إسرافيل را يزدان ما ... كه بروازان خاك پركن كف بيا
آمد إسرافيل هم سوى زمين ... باز آغازيد خاكستان حنين
زود إسرافيل باز آمد بشاه ... كفت عذر وما جرا نزد آله

فبعث ملك الموت فعاذت منه بالله، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أخالف أمره فأخذ من وجه الأرض فخلط الحمراء والسوداء والبيضاء فلذلك اختلف ألوان ابن آدم ثم عجنها بالماء العذب والملح والمرّ فلذلك اختلف أخلاقهم، فقال الله تعالى لملك الموت رحم جبرائيل وميكائيل الأرض ولم ترحمها لا جرم أجعل أرواح من أخلق من هذا الطين بيدك

كـفـت يـزدان كـه بـعـلـم روشـنـم مـن تـرا جـلاد ايـن خـلـقـان كـنـم

- وروي - عن أبي هريرة خلق الله آدم من تراب وجعله طيناً ثم تركه حتى كان حمأ مسنوناً، أي: أسود متغيراً منتناً ثم خلقه وصوره وتركه حتى كان صلصالاً كالفخار، أي: يابساً مصوتاً كالمطبوخ بالنار ثم نفخ فيه من روحه وإنما خلق من تراب لأن مقام التراب مقام التواضع والمسكنة ومقام التواضع الرفعة والثبات ولذا ورد «من تواضع لله رفعه الله» وكان دعاؤه ﷺ: «أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً». وهو الحكمة في تعذيب الإنسان بالنار لا بالماء لأن الظرف المعمول من التراب إذا تنجس ببول أو قذر آخر لا يطهر بالماء فالإنسان المتنجس بنجاسة المعاصي لا يطهر إلا بالنار. وهو الحكمة أيضاً في التيمم عند عدم الماء ويقبر كل جسد في الموضع الذي أخذت منه طينته التي خمرت في أول نشأة أبناء آدم عليه السلام.

قال الإمام مالك: لا أعرف أكبر فضل لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما من أنهما خلقا من طينة رسول الله ﷺ لقرب قبرهما من حضرة الروضة المقدسة المفضلة على الأكوان بأسرها زادها الله تشريفاً وتعظيماً ومهابة. ﴿**ثم قضى**﴾ أي: كتب لموت كل واحد منكم ﴿**أجلاً**﴾ خاصاً به، أي: حدّاً معيناً من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة وثم للإيذان بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير آجالهم ﴿**وأجل مسمى**﴾ أي: حدّ معين لبعثكم جميعاً وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿**عنده**﴾ أي: مثبت معين في علمه لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله أحد لا مجملاً ولا مفصلاً، وأما أجل الموت فمعلوم إجمالاً وتقريباً بناء على ظهور أماراته أو على ما هو المعتاد في أعمار الإنسان وتسميته أجلاً إنما هي باعتبار كونه غاية لمدة لبسهم في القبور، لا باعتبار كونه مبدأ لمدة القيامة كما أن مدار التسمية في الأجل الأول هو كونه آخر مدة الحياة لا كونه أول مدة الممات لما أن الأجل في اللغة عبارة عن آخر المدة لا عن أولها.

قال حكماء الإسلام: إن لكل إنسان أجلين: أحدهما: الآجال الطبيعية. والثاني: الآجال الاخترامية. أما الآجال الطبيعية فهو الذي لو بقى الشخص على طبيعته ومزاجه ولم يعترضه العوارض الخارجية والآفات المهلكة لانتهت مدة بقائه إلى أن تتحلل رطوبته وتنطفىء حرارته الغريزيتان. وأما الآجال الاخترامية فهي التي تحصل بسبب من الأسباب الخارجية كالحرق والغرق ولدغ الحشرات وغيرها من الأمور المنفصلة.

قال بعض الأفاضل: الأجل هو الوقت المضروب لطريان الزوال على كل ذي روح ولا يطرأ عليه إلا عند حلول ذلك الوقت لا يتأخر عنه ولا يسبقه كما يدل عليه قوله تعالى ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥﴾ [الحجر: ٥].

فإن قلت قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [نوح: ٣-٤] صريح في الدلالة على السبق على المسمى.

قلت: تعدد الأجل إنما هو بالنسبة إلينا وأما بالنسبة إليه تعالى فهو واحد قطعاً تحقيقه أنه تعالى عالم في الأزل كل الموجودات ومقدر لها حسبما شمله علمه فهو يقول في الأزل مثلاً إن فلاناً إن اتقى وأطاع يبلغ إلى أجله المسمى، والمراد بالأجل ههنا الأجل الثاني الأطول وتوصيفه بالمسمية ليس للتخصيص لأن الأجل المسمى على كل حال، وإن لم يتق ولم يطع لم يبلغ هذه المرتبة لكن يعلم أنه يفعل أحد الفعلين معيناً فيقدر له الأجل المعين فيكون المقدر في علم الله الأجل المعين وإنّا لعدم اطلاعنا في علم الله تعالى لم نعلم أن ذلك الفلان أي

الفعلين فعل وأيما الأجلين قضى له فإذا فعل أحدهما المعين وحل الأجل المرتب عليه علمنا أن ذلك هو المقدر المسمى فالتردد بالنسبة إلينا لا في التقدير وإلا يلزم أن لا يكون علم الله تعالى بما فعل العبد قبل الوقوع وعلى هذا قول الله للكافر أسلم تدخل الجنة ولا تكفر تدخل النار مع علمه وتقديره عدم إسلامه في الأزل، والأمر والنهي لإظهار الإطاعة أو المخالفة في الظاهر كمن يريد إظهار عدم إطاعة عبده له للحاضرين فيأمره بشيء وهو يعلم أنه لا يفعله والعلم بعدم الإطاعة للحاضرين المترددين إنما يحصل بأمره وكذا صورة الطاعة وجميع المقدرات الإلهية من أفعال العباد الاختيارية من هذا القبيل فظهر أن التردد بالنسبة إلينا دون علم الله إلا أن يطلعنا عليه بإخباره الواقع في علمه كما أطلع نبيه عليه السلام على بعض ما وقع من حال الكفار في زمانه بقوله: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] وقوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] وقوله: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩] فهذا إخبار بما في علمه من أنهم لا يختارون الإيمان هذا غاية ما يقال في هذا المقام والعلم عند الله الملك العلام. ﴿ثم أنتم تمترون﴾ استبعاد لامترائهم في البعث بعد ما تبين أنه تعالى خالقهم وخالق أصولهم ومحييهم إلى آجالهم فإن من قدر على خلق المواد وجمعها وإبداع الحياة فيها وإبقائها ما يشاء كان أقدر على جمع تلك المواد وإحيائها ثانياً، والمرية: هي الشك المجتلب بالشبهة أصلها من مريت الناقة إذا مسحت ضرعها ليدر لبنها للحلب والمري استخراج اللبن من الضرع.

قال أبو السعود: وصفهم بالامتراء الذي هو الشك وتوجيه الاستبعاد إليه مع أنهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على إنكاره كما ينبيء عنه قولهم ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الواقعة: ٤٧] ونظائره للدلالة على أن جزمهم المذكور في أقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار.

واعلم أن الإنسان وقت كونه نطفة ينكر صيرورته بشراً سوياً في الزمان الآتي وعند تصوره بصورة البشر يلزمه الحجة فإنكاره الحشر إنكار عين ما كان فيه: وفي «المثنوي»:

پس مثال توچو آن حلقه زنيست ... كزدرونش خواجه كويدخواجه نيست
حلقه زن زين نيست دريابدكه هست ... پس زحلقه برندارد هيچ دست
پس هم انكارت مبيّن ميكند ... كز جماد اوحشر صدفن ميكند

والإشارة ﴿ثم﴾ إن الله تعالى ﴿قضى﴾ للروح من حكمته ﴿أجلاً﴾ لأيام فراقه عن الحضرة وبعده عن وطنه الحقيقي ﴿وأجل مسمى عنده﴾ وهو أجل الوصلة بعد الفرقة في مقام العندية كقوله ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٥] فلأجل الفرقة مدى ومنتهى ولأجل الوصلة لا مدى ولا منتهى، وإنما قال مسمى: لأن وقت الوصلة مسمى عنده وهو حين يجذبه إليه بجذبة ارجعي إلى ربك ولأيام الوصلة ابتداء وهو حين تطلع شمس التوحيد من مشرق القلوب إلى أن تبلغ حد استواء الوحدة، ثم تتسرمد فلا غروب لها. ﴿ثم أنتم تمترون﴾ يا أهل الوصلة كما يمتري أهل الفرقة هذا محال جداً فعلى العاقل الاجتهاد قبل حلول الأجل والتهيؤ للوصول بحسن التوجه والعمل.

قال بعض المشايخ: من ضيع حكم وقته فهو جاهل، ومن قصر فيه فهو غافل وفي الحديث: «إن لله خواص يسكنهم الرفيع من الجنان، كانوا أعقل الناس كان هممهم المسابقة إلى ربهم عز وجل والمسارعة إلى ما يرضيه زهدوا في الدنيا وفي فضولها وفي رياستها ونعيمها فهانت عليهم فصبروا قليلاً واستراحوا طويلاً» ـ روي ـ أن السري السقطي قدس سره دخل عليه

أبو القاسم الجنيد قدس سره وهو يبكي فقال له: ما يبكيك؟ قال: جاءتني البارحة الصبية، فقالت: يا أبت هذه ليلة حارّة وهذا الكوز تعلقه ههنا، قال السري: فغلبتني عيناي فنمت فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء، فقلت: لمن أنتِ؟ قالت: لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان فتناولت الكوز وضربت به الأرض، قال الجنيد: فرأيت الخزف المكسور ولم يرفعه حتى عفا عليه التراب يا هذا انظر إلى تركهم النعيم لم يرضوا لأنفسهم أن يشربوا ماء بارداً أو يأكلوا طعاماً لذيذاً فحين راقبوا الأوقات عوضهم الله حالات خارجة عن حسابات الساعات فلا انتهاء لأذواقهم أصلاً.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾

﴿وهو﴾ أي: الله تعالى مبتدأ خبره قوله: **﴿الله﴾** باعتبار المعنى الوصفي أي المعبود ولذا تعلق به قوله: **﴿في السموات وفي الأرض﴾** والمعنى وهو المعبود والمستحق للعبادة فيهما ولا يلزم من كونه تعالى معبوداً فيهما كونه متحيزاً فيهما فإنه منزه عن الزمان والمكان ـ روي ـ أن إمام الحرمين أستاذ الإمام الغزالي نزل ببعض الأكابر ضيفاً فاجتمع عنده العلماء والأكابر فقام واحد من أهل المجلس فقال ما الدليل على تنزهه عن المكان وهو قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] فقال: الدليل عليه قول يونس في بطن الحوت ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فتعجب منه الناظرون فالتمس صاحب الضيافة بيانه فقال الإمام إن ههنا فقيراً مديوناً بألف درهم أدِّ عنه دينه حتى أبينه فقبل صاحب الضيافة دينه فقال إن رسول الله لما ذهب في المعراج إلى ما شاء الله من العلى قال هناك «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» ولما ابتلي يونس عليه السلام بالظلمات في قعر البحر ببطن الحوت قال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فكل منهما خاطبه بقوله أنت وهو خطاب الحضور ولو كان هو في مكان لما صح ذلك فدل ذلك على أنه ليس في مكان **﴿يعلم سركم وجهركم﴾** خبر ثان، أي: ما أسررتموه وما جهرتم به من الأقوال **﴿ويعلم ما تكسبون﴾** أي: ما تفعلون لجلب نفع أو دفع ضر من الأعمال المكتسبة بالقلوب أو بالجوارح سراً وعلانية فيجازيكم على كل ذلك إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿وهو الله في السموات﴾** أي: في سموات الوجود **﴿وفي الأرض﴾** أي في أرض النفوس **﴿يعلم سركم﴾** الذي أودع فيكم سر الخلافة الذي اختص به الإنسان لقبول الفيض الإلهي **﴿وجهركم﴾** أي ما هو ظاهر منكم من الصفات الحيوانية والأحوال النفسانية **﴿ويعلم ما تكسبون﴾** باستعمال الاستعداد السري والجهري في المأمورات والمنهيات من الخير والشر وقد خص الإنسان بهذا الكسب أيضاً دون الملك والحيوان فإن الملك لا يقدر أن يكتسب من الصفات الحيوانية شيئاً ولا الحيوان قادر على أن يكتسب من الصفات الملكية شيئاً والإنسان متصرف في هاتين الصفتين وله اكتساب التخلق بأخلاق الله بالتقرب إلى الله بأداء ما افترض عليه والتزام النوافل واجتناب النواهي إلى أن يصير من خير البرية وله أيضاً أن يكتسب من الشر ما يصير به شر البرية انتهى.

قال حسين الواعظ الكاشفي في «تفسيره» الفارسي: [در نقد النصوص فرموده كه إنسان مرآتيست ذات وجهين دريك رويش خصائص ربوبيت ودرروى ديكر نقايص عبوديت چون

خصائص نكرى ازهمه موجودات بزركوارتر وچون نقائص عبوديت شمارى ازهمه خوارتر وبيمقدارتر

چون در خودازاوصاف تويابم اثرى   حاشاكه بود نكوتراز من دكرى
وآن دم كه فتد بحال خويشم نظرى   درهر دوجهان نباشد ازمن بترى

پس حق سبحانه وتعالى مى فرمايد كه من أسرار خصائص شمادرتيه غيب ميدانم وآثار نقائص شما درعالم شهادت مى شناسم وديكر ميدانم آنچه شما ميكنيد ازعلاكه سبب ترقى باشدبر درجات إنسانية يا موجب تنزل بدركات حيوانية ودانستن اين داناي سالك رابران دارد كه باصلاح وتزكية أعمال مشغول شده ازحيز استيفاء حظوظ حيواني برذروه استئناس بانعيم روحاني متصاعد كردد]

حيف باشد كه عمر إنسانى   چون بهايم بخواب وخور كذرد
آدمى ميتواند ازكوشش   كه مقام فرشته در كذرد

انتهى.

قال شيخنا العلامة. أبقاه الله بالسلامة عند تأويل الحديث القدسي: «سر الإنسان سري وسري سره» يعني: سره ظاهر سري، وصورة سري، وسري باطن سره وحقيقة سره، ثم قال: واعلم أن سر الإنسان عبارة عن الحقيقة الإنسانية الظاهرة على صورة الحقيقة الإلّهية كما قال عليه السلام: «خلق الله آدم على صورته» ولما نزلت تلك الحقيقة الإنسانية من مرتبة الغيب إلى منزلة الشهادة وتجلى لها الحق سبحانه بجماله وجلاله أودع في جانبها الشرقي نور جماله وجانبها الغربي ظلمة جلاله، وأقام في الأول ملكاً يهدي إلى الحق، وفي الثاني: شيطاناً يدعو إلى الباطل والملك سادن قبضة الجمال ويد اللطف والشيطان خادم قبضة الجلال ويد القهر، وإذا أراد الحق أن يصرف تلك الحقيقة الإنسانية إلى الحق يأمر الملك أن يلهمها إياه فتراه بالنور الإلّهي الجمالي الذي فاض من تجلي الجمال فتتبعه وتقبله وتكون روحاً ما دام وتكون على الحق ثابتة ويصير قالبها الذي هو لوحه في إثبات الحق قلباً ترتعي في روضته، ويتجلى لها الحق سبحانه بالتجليات الجمالية والألطاف الخالصة المورثة طمأنينتها وسكينتها وتكون على الاستسلام والطاعة والصبر والرضى وغير ذلك من الأخلاق الحميدة، وأما إذا أراد أن يصرفها إلى الباطل فيخلي بينها وبين الشيطان فيلقنها إياه فلا تراه ولا تفهمه، أي: لا تعلم أنه باطل يحجبها عن الحق لأن الظلمة الحاصلة من تجلي الجلال تمنعها عن ذلك فلا تجتنبه بل تأخذه وتصير نفساً مظلمة بعد كونها روحاً نورانياً فتجريه في قالبها الذي هو محل لذلك ويكون ذلك القالب طبيعة مظلمة بعد كونه قلباً نورانياً فيتجلى الحق تعالى بالتجليات الجلالية، والأحوال القهرية التي تورث الاضطراب وعدم الاستسلام فتكون على المخالفة والإعراض وتتصف بالأوصاف الذميمة بعد الاتصاف بالحميدة هكذا إلى آخر الأمر إذ ذلك سنته القديمة وعادته الأزلية إلى ما شاء الله تعالى فإنه إذا أراد بعبده خيراً يفقهه في الدين ويجذبه إلى نفسه مما سواه ولا يسلط الشيطان عليه كما قال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢] بل للملائكة السادنة لقبضة الجمال عليهم سلطان بسلطاني عليهم وأحكام القبضتين جارية في العوالم في الأنفس والآفاق على أيدي سدنتهما إلى تمام الأمر والحكم في التقلب للغالب انتهى كلام حضرة الشيخ قدس سره، وهو الذي ما جاء مثله بعد الصدر القنوي والله أعلم اللهم

اجعلني من تابعيه حقيقة ومتبعيه شريعة وطريقة.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾﴾.

﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم﴾ ما نافية ومن الأولى: مزيدة للاستغراق، والثانية: تبعيضية واقعة بمجرورها صفة لآية والمراد بالآيات إما الآيات التنزيلية فإتيانها نزولها. والمعنى ما ينزل إلى أهل مكة آية من الآيات القرآنية ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾ غير ملتفتين، أي: على وجه التكذيب والاستهزاء وأما الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات فإتيانها ظهورها لهم.

والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التكوينية الدالة على وحدانية الله تعالى إلا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي إلى الإيمان بمكونها وعن متعلقة بمعرضين والجملة في محل النصب على أنها حال من مفعول تأتي ففيها دلالة على كمال مسارعتهم إلى الإعراض وإيقاعهم له في الإتيان كما يفصح عنه كلمة لما في قوله تعالى.

﴿فقد كذبوا بالحق لما جاءهم﴾ فإن الحق عبارة عن القرآن الذي أعرضوا عنه حيث أعرضوا عن كل آية منه وعبر عنه بذلك لكمال قبح ما فعلوا به فإن تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن أحد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على أنه شيء مغاير له في الحقيقة واقع عقيبه أو حاصل بسببه بل على أن الأول عين الثاني حقيقة وإنما الترتيب بسبب التغاير الاعتباري كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤] بعد قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤] فإن ما جاؤوا أي: فعلوه من الظلم والزور عين قولهم المحكي لكنه لما كان مغايراً له مفهوماً وأشنع منه حالاً رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلاً لأمره كذلك مفهوم التكذيب بالحق لما كان أشنع من مفهوم الإعراض المذكور أخرج مخرج اللازم البطلان فرتب عليه بالفاء إظهاراً لغاية بطلانه ثم قيد بذلك لكونه بلا تأمل تأكيداً لشناعته، والمعنى أنهم حيث أعرضوا عن تلك الآيات عند إتيانها فقد كذبوا بما لا يمكن تكذيبه أصلاً من غير أن يتدبروا في حاله ومآله ﴿فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾ سوف لتأكيد مضمون الجملة والأنباء جمع نبأ وهو الخبر الذي له عظم وشأن وما عبارة عن الحق المذكور وأنباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة أي سيعلمون ما يؤول إليه عاقبة استهزائهم بالآيات فقتلهم الله يوم بدر بالسيف.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿ألم يروا﴾ لما ذكر تعالى قبائحهم من الإعراض والتكذيب والاستهزاء أتبعه بما يجري مجرى الموعظة فوعظهم بالقرون الماضية فقال ألم يروا وهمزة الإنكار لتقرير الرؤية وهي عرفانية مستدعية لمفعول واحد والضمير لأهل مكة أي ألم يعرفوا بمعاينة الآثار وسماع الأخبار ﴿كم﴾ عبارة عن الأشخاص استفهامية كانت أو خبرية ﴿أهلكنا من قبلهم﴾ من متعلقة بأهلكنا والمراد من قبل خلق أهل مكة أو من قبل زمانهم على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه

مقامه ﴿من قرن﴾ مميز لكم عبارة عن أهل عصر من الأعصار سموا بذلك لاقترانهم برهة من الدهر كما في قوله ﷺ: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» وأراد بالقرن الأول: الصحابة، وبالثاني: التابعين، وبالثالث: تابع التابعين، وقيل: هو عبارة عن مدة من الزمان ثمانين سنة أو سبعين أو ستين أو أربعين أو ثلاثين، أو مائة فالمضاف على هذا محذوف أي من أهل قرن لأن نفس الزمان لا يتعلق به الإهلاك ﴿مكناهم في الأرض﴾ استئناف لبيان كيفية الإهلاك وتفصيل مباديه مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل كيف كان ذلك فقيل مكناهم وتمكين الشيء في الأرض جعله قارّاً فيها ولما لزمه جعلها مقراً له ورد الاستعمال بكل منهما فقيل تارة مكّنه في الأرض وأخرى مكّن له في الأرض حتى أجري كل منهما مجرى الآخر ومنه قوله تعالى: ﴿ما لم نمكن لكم﴾ بعد قوله تعالى: ﴿مكناهم في الأرض﴾ كأنه قيل في الأول: مكّنا لهم، وفي الثاني: ما لم نمكن لكم وما نكرة موصوفة بالجملة المنفية بعدها والعائد محذوف محلها النصب على المصدرية أي مكناهم تمكيناً لم نمكنه لكم ويحتمل أن يكون مفعولاً به لمكناهم على المعنى لأن معنى مكناهم أعطيناهم، أي: أعطيناهم ما لم نعطكم ﴿وأرسلنا السماء﴾ أي: المطر أو السحاب ﴿عليهم﴾ متعلق بأرسلنا ﴿مدراراً﴾ مغزاراً أي كثير الدرور والصبّ وهو حال من السماء.

قال ابن الشيخ: المدرار مفعال وهو من أبنية المبالغة للفاعل كامرأة مذكار ومئناث وأصله من درّ اللبن دروراً وهو كثرة وروده على الحالب يقال سحاب مدرار ومطر مدرار إذا تتابع منه المطر في أوقات الاحتياج إليه ﴿وجعلنا الأنهار﴾ أي: صيرناها ﴿تجري من تحتهم﴾ أي: من تحت أشجارهم ومساكنهم وقصورهم والمعنى أعطيناهم من البسط في الأجسام والامتداد في الأعمار والسعة من الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا في استجلاب المنافع واستدفاع المضار ما لم نعط أهل مكة ففعلوا ما فعلوا من الكفران والعصيان ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ أي: أهلكت كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب فما أغنى عنهم تلك العدد والأسباب فسيحل بهؤلاء مثل ما حلّ بهم من العذاب ﴿وأنشأنا من بعدهم﴾ أي: أحدثنا من بعد إهلاك كل قرن ﴿قرناً آخرين﴾ بدلاً من الهالكين وهو لبيان كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وأن ما ذكر من إهلاك الأمم الكثيرة لم ينقص من ملكه شيئاً، بل كلما أهلك أمة أنشأ بدلها أخرى يعمر بهم بلاده ومن عادته تعالى إذهاب أهل الظلم بعد الإمهال ومجيئه بأهل العدل والإنصاف ونفي أهل الرياء والسمعة، وإثبات أهل الصدق والإخلاص ولن يزال الناس من أهل الخير في كل عصر.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: «إن لله عباداً يقال لهم الأبدال، لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتخشع وحسن الحلية، ولكن بلغوا بصدق الروع وحسن النية وسلامة الصدر والرحمة بجميع المسلمين، اصطفاهم الله بعلمه واستخلصهم لنفسه وهم أربعون رجلاً على مثل قلب إبراهيم عليه السلام، لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه، واعلم أنهم لا يسبون شيئاً ولا يلعنون ولا يؤذون من تحتهم ولا يحقرونه ولا يحسدونه من فوقهم، أطيب الناس خبراً وألينهم عريكة وأسخاهم نفساً لا تدركهم الخيل المجراة ولا الرياح العواصف، فيما بينهم وبين ربهم إنما قلوبهم تصعد في السقوف العلى ارتياحاً إلى الله تعالى في استباق الخيرات أولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون» وهذا بعض كلامه.

وفي قوله تعالى: ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ إشارة إلى أن الهلاك مطلقاً صورياً ومعنوياً بدنياً

ومالياً إنما هو بشؤم المعصية وكفران النعمة ونعم ما قيل:

شكر نعمت نعمتت افزون كند كفر نعمت ازكفت بيرون كند

فمن أعرض عن المعجزات والكرامات والإلهامات لإقباله على الدنيا وزينتها وشهواتها كأنهم الأنعام بل هم أضلّ لأن الأنعام ما كذبت بالحق وهو قد كذب.

دريغ آدمي زاده پر محل كه باشد چوانعام بل هم اضل

وقول تعالى: ﴿فسوف يأتيهم﴾أي: في الدنيا والآخرة ﴿أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾أما في الدنيا فمن استهزائهم بأقوال الأنبياء والأولياء وأحوالهم يصمهم الله ويعمي أبصارهم فلا يهتدون إلى حق ولا إلى حقيقة سبيلاً وأما في الآخرة فيعذبهم بعذاب القطيعة والبعد والحرمان والخلود في النيران ـ حكي ـ أن إمام الحرمين كان يدرس يوماً في المسجد بعد صلاة الصبح فمرّ عليه بعض شيوخ الصوفية ومعه أصحابه من الفقراء وقد دعوا إلى بعض المواضع فقال إمام الحرمين في نفسه ما شغل هؤلاء إلا الأكل والرقص فلما رجع الشيخ من الدعوة مرّ عليه وقال يا فقيه ما تقول فيمن صلّى الصبح وهو جنب ويقعد في المسجد ويدرس العلوم ويغتاب الناس فذكر إمام الحرمين أنه كان عليه غسل ثم حسن اعتقاده بعد ذلك في الصوفية.

أقول: وأول الأمر اعتقادهم ثم الاتباع بطريقتهم ثم الوصول إلى مقاماتهم.

وقيل لأبي القاسم الجنيد قدس سره: ممن استفدت هذه العلوم؟ فقال: من جلوسي بين يدي الله تعالى ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة وأشار إلى درجة في داره فهذه الطريقة لا تنكشف أسرارها ولا تتلألأ أنوارها إلا بعد اجتهاد تام وسلوك قوي والله الهادي.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾.

﴿ولو نزلنا عليك﴾ روي ـ أن بعض المشركين قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله وأنك رسوله فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس﴾أي: مكتوباً في رقّ فالكتاب بمعنى مفعول ﴿فلمسوه﴾أي الكتاب ﴿بأيديهم﴾بعد ما رأوه بأعينهم بحيث لم يبق لهم في شأنه اشتباه فذكر اللمس لأن التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم أن يقولوا إنما سكرت أبصارنا أي سدّت وذكر الأيدي مع أن اللمس لا يكون عادة إلا بها لدفع التجوز فإنه يتجوز به للتفحص كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ [الجن: ٨] أي تفحصنا ﴿لقال الذين كفروا﴾عنتاً وعناداً للحق بعد ظهوره كما هو دأب المحجوج اللجوج ﴿إن هذا﴾أي: الكتاب ﴿إلا سحر مبين﴾أي: بين كونه سحراً على كل أحد ولا شك أن من حرم التوفق وكذب بالحق غيباً وحدساً كذب به عياناً وحساً فلو أن أهل الإنكار رأوا الأولياء والصالحين يطيرون في الهواء لقالوا هذا سحر وهؤلاء شياطين.

﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك﴾شروع في قدحهم في النبوة صريحاً بعدما أشير إلى قدحهم فيها ضمناً ولولا تحضيضية بمعنى الأمر والضمير في عليه للنبي عليه السلام أي هلاّ أنزل عليه ملك بحيث نراه ويكلمنا أنه نبي ﴿ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر﴾ولو أنزلنا ملكاً على

هيئة حسبما اقترحوه والحال أنه من هول المنظر بحيث لا يطيق مشاهدته قوى الآحاد البشرية لقضي الأمر، أي: هلاكهم بالكلية ﴿ثم لا ينظرون﴾ أي: لا يمهلون بعد نزوله طرفة العين ومعنى ثم بعد ما بين الأمرين قضاء الأمر وعدم الإنظار وجعل عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر لأن مفاجأة العذاب أشد من نفس العذاب وأشق ﴿ولو جعلناه ملكاً﴾ الهاء للمطلوب وهو أن يكون الشاهد على نبوته عليه السلام ملكاً ﴿لجعلناه رجلاً﴾، أي: لمثلنا ذلك الملك رجلاً لما مرّ من عدم استطاعة الآحاد لمعاينة الملك على هيكله وكان جبرائيل عليه السلام يأتي النبي عليه السلام في صورة دحية الكلبي وجاء الملكان إلى داود عليه السلام في صورة رجلين مختصمين إليه وجاءت الملائكة إلى إبراهيم في صورة الضيفان فإن القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك وصورته وإنما رآهم كذلك الأفراد من الأنبياء لقوتهم القدسية ﴿وللبسنا عليهم﴾ جواب محذوف، أي: ولو جعلناه رجلاً لخلطنا عليهم بتمثيله رجلاً ﴿ما يلبسون﴾ على أنفسهم حينئذٍ بأن يقولوا له إنما أنت بشر ولست بملك والتعبير عن تمثيله تعالى رجلاً باللبس لكونه سبباً للبسهم وفيه تأكيد لاستحالة جعله ملكاً كأنه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأننا من لبس الأمر عليهم من لبست الأمر على القوم ألبسه من باب ضرب إذا شبهت وجعلته مشكلاً عليهم وأصله الستر بالثوب.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾ برسل متعلق باستهزىء ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل وهو تسلية لرسول الله عليه السلام عما يلقاه من قومه أي وبالله لقد استهزىء برسل أولى شأن خطير، وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ﴿فحاق﴾ عقيبه، أي: أحاط أو نزل أو حل أو نحو ذلك فإن معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل إلا في الشر والحيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله ﴿بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾ ما موصولة اسمية والعائد الهاء في به وبه متعلق بيستهزئون والموصول مع صلته فاعل حاق، أي: فأحاط بهم الذي كانوا يستهزئون به حيث أهلكوا لأجله فإسناد الإحاطة والإهلاك إلى الرسل من قبيل الإسناد إلى السبب والمعنى أحاط الله بهم وأهلكهم بسبب استهزائهم بالرسل وقد أنجز الله ذلك يوم بدر، أي إنجاز.

﴿قل سيروا في الأرض﴾ أي: سافروا في الأرض لتعرف أحوال الأمم الماضية ﴿ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ أي: تفكروا في أنهم كيف أهلكوا بعذاب الاستئصال وثم لتفاوت ما بين الواجبين فإن وجوب السير ليس إلا لكونه وسيلة إلى النظر ومثله قوله توضأ ثم صلّ والعاقبة مصدر وهي منتهى الأمر ومآله.

اعلم أن الاستهزاء من شيم النفوس المتمردة بأرباب الدين من الأنبياء والأولياء في كل زمان وحين ـ يروى ـ أن النبي عليه السلام كان جالساً في المسجد الحرام مع جماعة من المستضعفين بلال وصهيب وعمار وغيرهم فمرّ بهم أبو جهل في ملأ من قريش فقال يزعم محمد أن هؤلاء ملوك الجنة فاستهزأ بفقراء المسلمين وقد فعل الله به ما فعل يوم بدر فنال جزاء

استهزائه وذلك محل العبرة لأولي الأبصار. وفي «المثنوي»:

نـــى تــرا حـــفـــظ زبـــان از رازكـــس نـى نـظـر كـردن بـعـبـرت پـيـش وپـس

پيش چه بـود يـا دمـرك ونـزع خـويـش پـس چـه بـاشـد مـردن يـاران زپـيـش

ـ حكي ـ أن شيعياً يقال له ابن هيلان كان يتكلم بما لا ينبغي في حق الصحابة فبينما هو يهدم حائطاً إذ سقط عليه فهلك فدفن بالبقيع مقبرة المدينة فلم يوجد ثاني يوم في القبر الذي دفن فيه ولا التراب الذي ردم به القبر بحيث يستدل بذلك لنبشه وإنما وجدوا اللبن على حاله حسبما شاهده الجم الغفير حتى كان ممن وقف عليه القاضي جمال الدين، وصار الناس يجيئون لرؤيته إرسالاً إلى أن اشتهر أمره وعدّ ذلك من الآيات التي يعتبر بها من شرح الله صدره نسأل الله السلامة كذا في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي، فعلم منه عاقبة الطعن والاستهزاء وأن الله تعالى ينقل جيفة الفاسق من المحل المتبرك به إلى المكان المتشاءم منه كما ورد في الحديث الصحيح «من مات من أمتي يعمل عمل قوم لوط نقله الله إليهم حتى يحشر معهم». كما في «الدرر المنتثرة» للامام السيوطي وهذا صريح في نقل جسده لأن الحشر بالروح والجسد جميعاً فكما أن الله تعالى ينقل أجساد الأشرار من مقام شريف إلى محل وضيع كذلك ينقل أجسام الأخيار من مكان وضيع إلى مقام شريف كالبقيع والحجون مقبرتي المدينة، ومكة فإن الله تعالى يسوق الأهل إلى الأهل وهذا آخر الزمان وقلما يوجد فيه من هو متوجه إلى القبلة في الظاهر والباطن والحياة والممات، ونعم ما قيل: ذهب الناس وما بقي إلا النسناس وهم الذين يتشبهون بالناس وليسوا بالناس وهم يأجوج ومأجوج أو حيوان بحري صورته كصورة الإنسان أو خلق على صورة الناس أشبهوهم في شيء وخالفوهم في شيء وليسوا من بني آدم وقيل هم من بني آدم ـ روي ـ أن حياً من عاد عصوا رسولهم فمسخهم الله نسناساً لكل رجل منهم يد ورجل من شق واحد ينقز كما ينقز الطير ويرعون كما ترعى البهائم فأين الأخيار واين أولو الأبصار مضوا والله ما بقي إلا القليل. قال الحافظ قطعة:

بدرين ظلمت سراتاكى ببوى دوست بنشينم كهى انكشت دردندان كهى سر برسر زانوا

تناهى الصبر مذخلت بمأوى الأسد سرحان وطار العقل اذ غنت بمغنى الورق غربان

بيـا اي طـائـر فـرخ بـيـاور مـژده دولـت عسى الأيام إن يرجعن قوماً كالذي كانوا

أي: كالوضع الذي كانوا عليه من الانتظام مطلقاً.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾.

﴿قل لمن ما في السموات والأرض قل لله﴾ إلجاء لأهل مكة إلى الإقرار بأن الكل من العقلاء وغيرهم لله خلقاً وملكاً وتصرفاً كأنه يقول هل لكم سبيل إلى عدم الإقرار بذلك مع كونه من الظهور بحث لا يقدر أحد على إنكاره وفي تصدي السائل للجواب قبل أن يجيب غيره إيماء إلى أن مثل هذا السؤال لكون جوابه متعيناً ليس من حقه أن ينتظر جوابه بل حقه أن يبادر إلى الاعتراف بالجواب **﴿كتب على نفسه الرحمة﴾** جملة مستقلة داخلة تحت الأمر مسوقة لبيان أنه تعالى رؤوف بالعباد لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة والإنابة ومعنى كتب

الرحمة على نفسه التزمها وأوجبها تفضلاً وإحساناً لأنه تعالى منزه عن أن يجب عليه شيء حقيقة وفي التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى أن لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى ﴿**ليجمعنكم إلى يوم القيامة**﴾ جواب قسم محذوف، أي: والله ليجمعكم في القبور مبعوثين أو محشورين إلى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم وسائر معاصيكم، وإن أمهلكم بموجب رحمته ولم يعاملكم بالعقوبة الدنيوية. ﴿**لا ريب فيه**﴾ أي: في اليوم أو في الجميع. ﴿**الذين خسروا أنفسهم**﴾ أي: بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الأصلية والعقل السليم وهو مبتدأ وخبره قوله: ﴿**فهم لا يؤمنون**﴾ والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والإشعار بأن عدم إيمانهم بسبب خسرانهم فإن إبطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد وإغفال النظر أدى بهم إلى الإصرار على الكفر والامتناع من الإيمان، والخروج عن دائرة الرحمة الخاصة.

قال القاضي: والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية إلى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الأدلة وإنزال الكتب والإمهال على الكفر.

وفي «تفسير الكاشفي»: [مراد رحمت ذاتيه باشدكه رحمت مطلقه كونيد واين رحمتيست كه برهمه چيز فرا رسيده ونتيجة آن عطاء ادنيست بى سابقه سؤال واستدعا ورابطهء حاجت واستحقاق چنانچه درمثنوىء معنوى واردست]

در عدم ما مستحقان كى بديم ... كه برين جان وبرين دانش زديم

ما نبوديم وتقاضا مان نبود ... لطف تونا كفته ما مى شنود

قال الإمام الأكمل في شرح الحديث: عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حوافرها عن ولدها خشية أن تصيبه». فهذا مما يدل على كمال الرجاء والبشارة للمسلمين لأنه حصل في هذه الدار من رحمة واحدة ما حصل من النعم الظاهرة والباطنة فما ظنك بمائة رحمة في الدار الآخرة.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي عليه السلام سبي فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها وتسعى فإذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي عليه السلام: «أترون هذه طارحة ولدها في النار»، قلنا لا وهي قادرة على أن لا تطرحه فقال: «الله أرحم بعباده من هذه بولدها».

وفي «المثنوي»:

آتش ازقهر خدا خود ذره ايست ... بهر تهديد لئيمان دره ايست

باچنين قهري كه زفت وفايقست ... برد لطفش بين برآتش سابقست

رحمت بيچون چنين دان اي پدر ... نايد اندر وهم ازوى جزائر

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في «الفتوحات المكية»: وجدنا آية الرحمة وهي ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة: ١] تتضمن ألف معنى كل معنى لا يحصل إلا بعد انقضاء حول ولا بد من حصول هذه المعاني التي تضمنها بسم الله الرحمن الرحيم لأنه

ما ظهر إلا ليعطي معناه فلا بد من كمال ألف سنة لهذه الأمة، اللهم ارحمنا إذا عرق الجبين وكثر الأنين وبكى علينا الحبيب ويئس منا الطبيب، اللهم ارحمنا إذا وارانا التراب وودعنا الأحباب وفارقنا النعيم، وانقطع النسيم، اللهم ارحمنا إذا نُسي اسمنا وبلي جسمنا واندرس قبرنا وانطوى ذكرنا، اللهم ارحمنا يوم تبلى السرائر وتبدى الضمائر وتنشر الدواوين وتحشر الموازين، اللهم يا حي يا قيوم يا رحمن يا رحيم برحمتك نستعين. هذه مناجاة حضرة الشيخ المذكور ولعمري إنها مناجاة شريفة ومناداة لطيفة ﴿وله ما سكن في الليل والنهار﴾ - روي - أن كفار مكة أتوا رسول الله فقالوا يا رسول الله قد علمنا أنك ما يحملك على ما تدعونا إليه إلا الفقر والحاجة فنحن نجمع لك من القبائل أموالاً تكون أغنانا رجلاً وترجع عما أنت عليه من الدعوة فأنزل الله تعالى هذه الآية، والمعنى: ولله تعالى خاصة جميع ما استقر فيهما واشتملا عليه فإن أراد يعطي رسوله مالاً كثيراً ليكون أغني الخلق نزل الملوان منزلة المكان فعبر عن نسبة الأشياء الزمانية إليهما بالسكنى فيهما ﴿وهو السميع﴾ المبالغ في سماع كل مسموع. ﴿العليم﴾ المبالغ في العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء من الأقوال والأفعال وفي الخبر: «إن الله تعالى خلق جوهرتين إحداهما مظلمة، والأخرى مضيئة فاستخلص من المضيئة كل نور فخلق من نورها النهار، ومن الباقي النار استخلص من الظلمة كل ظلمة فخلق منها الليل وخلق من الباقي الجنة فالليل من الجنة والنهار من النار»، ولذلك كان الأنس بالليل أكثر فالليل أنس المحبين وقرة أعين المحبوبين، وقدم الليل على النهار لأن الليل لخدمة المولى والنهار لخدمة الخلق ومعارج الأنبياء كانت بالليل والقدر في الليل خير من ألف شهر وليس في الأيام مثلها وكان بعض الأولياء يقول: إذا جاء الليل جاء الخلق الأعظم.

يقول الفقير جامع هذه المجالس: أما من حجب عن سرّ الليل وحلاوة المناجاة فيه وذوق الخلوة والوحدة فالمحبوب إليه النهار كعلماء الرسوم ألا ترى إلى ثعلب النحوي يقول وددت أن الليل نهار حتى لا تنقطع عني أصحابي وهذا حرص منه على الكثرة والألفة معها وإلا فكل معلم لم يكن أعلى حالاً من المجتهدين ألا ترى أن إمامنا الأعظم كان يدرس ويحيي الليل.

هر كنج سعادت كه اوداد بحافظ ازيمن دعاى شب وورد سحرى بود

وعلم من التقرير المذكور أفضلية الليل على النهار.

واعلم أن الكل خلق الله تعالى ولكل منهما ملك موكل به، وفي الخبر: عن سلمان رضي الله عنه قال: «الليل موكل به ملك يقال له شراهيل، فإذا حان وقت الليل أخذ خرزة سوداء فدلاها من قبل المغرب، فإذا نظرت إليها الشمس حجبت في أسرع من طرفة العين، وقد أمرت أن لا تغرب حتى ترى الخرزة فإذا غربت جاء الليل وقد نشرت الظلمة من تحت جناحي ملك فلا تزال الخرزة معلقة حتى يجيء ملك آخر يقال له هراهيل بخرزة بيضاء فيعلقها من قبل المطلع فإذا رأتها الشمس طلعت في طرفة عين وقد أمرت أن لا تطلع حتى ترى الخرزة البيضاء فإذا طلعت جاء النهار فنشر النور من تحت جناحي ملك فلنور النهار ملك موكل ولظلمة الليل ملك موكل عند الطلوع والغروب» كما وردت الأخبار.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿قل﴾ يا محمد لكفار مكة ونزلت حين دعوه إلى الشرك ودين آبائه ﴿أغير الله أتخذ ولياً﴾ أي: معبوداً بطريق الاستقلال أو الاشتراك وقد اتخذني الله في أزليته حبيباً كما قال عليه السلام: «لو كنت متخذاً خليلاً غير الله لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن الله اتخذ صاحبكم خليلاً». أي: لا أتخذ فالمنكر هو اتخاذ غير الله ولياً لا نفس اتخاذ الولي لكن قدم المفعول لكونه مناط الانكار. ﴿فاطر السموات والأرض﴾ مبدعهما، أي: خالقهما ابتداء لا على مثال سبق وهو بدل من الجلالة ﴿وهو﴾ أي: والحال أنه ﴿يطعِم ولا يطعَم﴾، أي: يرزق الخلق ولا يرزَق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة إليه ﴿قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم﴾ وجهه لله مخلصاً له لأن النبي إمام أمته في الإسلام. ﴿ولا تكونن من المشركين﴾، أي: وقيل لي لا تكونن من المشركين به تعالى في أمر من أمور الدين ومعناه أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك، وحقيقة الإسلام الإخلاص من حبس الوجود وما خلص منه غيره عليه السلام بالكلية ولهذا يقول الأنبياء نفسي نفسي وهو يقول أمتي أمتي.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي﴾ أي: بمخالفة أمره ونهيه أيَّ عصيان كان. ﴿عذاب يوم عظيم﴾ أي: عذاب يوم القيامة مفعول أخاف وفيه قطع لأطماعهم وتعريض بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم.

﴿من يصرف عنه يومئذٍ﴾ أي: من يصرف عنه العذاب في ذلك اليوم العظيم ويومئذٍ ظرف للصرف. ﴿فقد رحمه﴾ أي: نجاه وأنعم عليه. ﴿وذلك﴾ الصرف ﴿الفوز المبين﴾ أي: النجاة الظاهرة.

﴿وإن يمسسك الله بضر﴾ دليل آخر على أنه لا يجوز للعاقل أن يتخذ غير الله وليّاً، أي ببلية كمرض وفقر ونحو ذلك والباء للتعدية وترجمته بالفارسية [واكر برساند خدا بتوسختى]. ﴿فلا كاشف له﴾ أي: فلا قادر على كشف ذلك الضر ورفعه عنك. ﴿إلا هو﴾ تعالى وحده ﴿وإن يمسسك بخير﴾ من صحة ونعمة ونحو ذلك ﴿فهو على كل شيء قدير﴾ فكان قادراً على حفظه وإدامته فلا يقدر غيره على رفعه كقوله: ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «أهدي إلى النبي عليه السلام بغلة أهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر، ثم أردفني خلفه ثم سار بي ملياً ثم التفت إلي فقال: «يا غلام» فقلت لبيك يا رسول الله فقال: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق أن ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضرّوك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه، فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فإن لم تستطع فاصبر فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أن النصر مع الصبر وأنّ مع الكرب الفرج وأن مع العسر يسراً».

فإن قلت: قد يتصور أن يكشف الإنسان عن صاحبه كربة من الكرب.

قلت: كاشف الضر في الحقيقة هو الله تعالى إما بواسطة الأسباب أو بغيرها. قال الحافظ:

كرر نج پيشت آيد وكر راحت اي حكيم   نسبت مكن بغير كه اينها خدا كند

وكذا الاستعانة في الحقيقة من الله تعالى، فالاستعانة من الأنبياء والأولياء إنما هي استشفاع منهم في قضاء الحاجة والموحّد لا يعتقد أن في الوجود مؤثراً غير الله تعالى.

﴿وهو القاهر﴾ أي: القادر الذي لا يعجزه شيء مستعلياً. **﴿فوق عباده وهو الحكيم﴾** في كل ما يفعله ويأمر به **﴿الخبير﴾** بأحوال عباده وخفايا أمورهم. صور قهره تعالى وعلو شأنه بالعلو الحسي فعبر عنه بالفوقية بطريق الاستعارة التمثيلية فقوله **﴿وهو القاهر فوق عباده﴾** عبارة عن كمال القدرة كما أن قوله: **﴿وهو الحكيم الخبير﴾** عبارة عن كمال العلم.

قال المولى الفناري في «تفسيره»: الفوقية من حيث القدرة لا من حيث المكان لعلو شأنه تعالى عن ذلك فإنه تعالى قاهر للممكنات معدومة كانت أو موجودة لأنه يقهر كل واحد منهما بضده فيقهر المعدومات بالإيجاد والتكوين والموجودات بالإفناء والإفساد.

وفي «التأويلات النجمية»: وقد عم قهره جميع عباده فقهر الكفار بموت القلوب وحياة النفوس إذ أخطأهم النور المرشش على الأرواح في بدء الخلقة فضلوا في ظلمات الطبيعة وما اهتدوا إلى نور الشريعة وقهر نفوس المؤمنين بأنوار الشريعة فأخرجهم من ظلمات الطبيعة بالقيام على طاعته وقهر قلوب المحبين بلوعات الاشتياق فآنسها بلطف مشاهده وقهر أرواح الصديقين بسطوات تجلي صفات جلاله وبالجملة لا ترى شيئاً سواه إلا وهو مقهور تحت أعلام عزته وذليل في ميادين صمديته فعلى العبد أن يعرف مولاه ويشتغل بعبوديته وهو الله تعالى الذي خلق كل شيء أوجده وقهره ـ.

وحكي ـ عن الشيخ عبد الواحد بن زيد قدس سره قال: كنت في مركب فطرحتنا الريح إلى جزيرة وإذا فيها رجل يعبد صنماً فقلنا له يا رجل من تعبد فأومأ إلى الصنم فقلنا له إن آلهك هذا مصنوع عندنا من يصنع مثله ما هذا بإله يعبد، قال: فأنتم من تعبدون قلنا نعبد الذي في السماء عرشه وفي الأرض بطشه وفي الأحياء والأموات قضاؤه تقدست أسماؤه وجلت عظمته وكبرياؤه قال ومن أعلمكم بهذا قلنا وجّه إلينا رسولاً كريماً فأخبرنا بذلك، قال ما فعل الرسول فيكم قلنا لما أدى الرسالة قبضه الملك إليه واختار له ما لديه قال فهل ترك عندكم من علامة قلنا نعم ترك عندنا كتاباً للملك قال: فأروني كتاب الملك فإنه ينبغي أن تكون كتب الملوك حساناً فأتيناه بالمصحف فقال ما أعرف هذا فقرأنا عليه سورة فلم يزل يبقى حتى ختمنا السورة فقال ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يعصي ثم أسلم وحسن إسلامه ثم مات بعد أيام على أحسن حال والحمد لله الملك المتعال في الغدو والآصال إنه هو المعبود المقصود وإليه يؤول كل أمر موجود.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿قل أي شيء أكبر شهادة﴾ - روي - أن قريشاً قالوا لرسول الله يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد أنك رسول الله فإنهم أنكروك فأنزل الله تعالى هذه الآية أمر حبيبه عليه السلام بأن يقول لهم أي شيء أعظم من جهة الشهادة ﴿قل الله﴾ أي: الله أكبر شهادة فشهادته أكبر من شهادة الخلق فإن شهادة الخلق وعلومهم لا تحيط بحقائق الأشياء كلها والحق سبحانه هو الذي يحيط علمه بجميع حقائق الأشياء أمر له عليه السلام بأن يتولى الجواب بنفسه للإيذان بتعينه وعدم قدرتهم على أن يجيبوا بغيره. ﴿شهيد﴾ أي: هو شهيد ﴿بيني وبينكم﴾ على صدقي ﴿وأوحي إلي﴾ من جهته تعالى ﴿هذا القرآن﴾ الشاهد بصحة رسالتي ﴿لأنذركم به﴾ أي: أخوفكم بما فيه من الوعيد أيها الموجودون وقت نزول القرآن ﴿ومن بلغ﴾ عطف على ضمير المخاطبين أي بلغه القرآن من الإنس والجن إلى يوم القيامة.

قال محمد بن كعب القرطبي: من بلغه القرآن فكأنما رأى محمداً عليه السلام وسمع منه. ﴿أئنكم لتشهدون﴾ إلجاء لهم إلى الإقرار بإشراكهم إذ لا سبيل لهم إلى إنكاره لاشتهارهم به والاستفهام فيه للإنكار والتوبيخ والمعنى بالفارسية [آيا شما ييدكه كواهى ميدهيد]. ﴿أن مع الله آلهة أخرى قل﴾ لهم ﴿لا أشهد﴾ بذلك وإن شهدتم به فإنه باطل صرف ﴿قل إنما هو إله واحد﴾ تكرير الأمر للتأكيد أي بل إنما أشهد أنه تعالى لا إله إلا هو أي متفرد بالألوهية ﴿وإنني بريء مما تشركون﴾ به من الأصنام.

﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ جواب عما سبق من قولهم لقد سألنا عنك اليهود والنصارى والمراد بالموصول اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس المتنظم للتوراة والإنجيل ﴿يعرفونه﴾ أي: محمداً عليه السلام بحليته ونعوته في كتابهم ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ بحلاهم المعينة لهم - روي - أن رسول الله لما قدم المدينة قال عمر رضي الله عنه لعبد الله بن سلام أنزل الله تعالى على نبيه هذه الآية فكيف هذه المعرفة فقال: يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيته كما أعرف ابني ولأنا أشد معرفة بمحمد مني بابني؛ لأني لا أدري ما صنع النساء وأشهد أنه حق من الله تعالى فقال عمر وفقك الله يا ابن سلام» ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ أي: غبنوا أنفسهم من أهل الكتابين والمشركين بأن ضيعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها وأعرضوا عن البينات الموجبة للإيمان بالكلية وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿فهم لا يؤمنون﴾ لما أنهم مطبوع على قلوبهم والفاء السببية تدل على أن تضييع الفطرة الأصلية والعقل السليم سبب لعدم الإيمان.

قال البغوي: وذلك أن الله تعالى جعل لكل آدمي منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة ولأهل النار منازل أهل الجنة في النار وذلك هو الخسران.

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ لوصفهم النبي المنعوت في الكتابين بخلاف أوصافه عليه السلام فإنه افتراء على الله تعالى وبقولهم الملائكة بنات وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك أي لا أحد أظلم منه. ﴿أو كذب بآياته﴾ كأن كذبوا بالقرآن وبالمعجزات وسموها سحراً وحرفوا التوراة وغيروا نعوته عليه السلام فإن ذلك تكذيب بآياته وكلمة أو للإيذان بأن كلاً من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الإفراط في الظلم كيف وهم قد جمعوا بينهما فأثبتوا ما نفاه الله تعالى ونفوا ما أثبته. ﴿إنه﴾ أي: الشأن ﴿لا يفلح الظالمون﴾ أي: لا

ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب وإذا كان حال الظالمين هذا فما ظنك بمن في الغاية القاصية من الظلم.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿**ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا**﴾ يوم منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر قد حذف إيذاناً بضيق العبارة عن شرحه وبيانه والحشر جمع الناس إلى موضع معلوم والضمير للكل وجميعاً حال منه، والمعنى: ويوم نحشر الناس كلهم، ثم نقول للمشركين خاصة للتوبيخ والتقريع على رؤوس الأشهاد ما نقول كان من الأحوال والأهوال ما لا يحيط به دائرة المقال والعطف بثم للتراخي الحاصل بين مقامات يوم القيامة في المواقف فإن فيه مواقف بين كل موقف وموقف تراخ على حسب طول ذلك اليوم. ﴿**أين شركاؤكم**﴾ أي: آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله فالإضافة مجازية باعتبار إثباتهم الشركة لآلهتهم. ﴿**الذين كنتم تزعمون**﴾ أي: تزعمونها شركاء شفعاء والزعم القول الباطل والكذب في أكثر الكلام.

﴿**ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا**﴾ الفتنة مرفوع على أنه اسم تكن والخبر إلا أن قالوا والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء وفتنتهم إما كفرهم مراداً به عاقبته أي لم تكن عاقبة كفرهم الذي التزموه مدة أعمارهم وافتخروا به شيئاً من الأشياء إلا جحوده والتبري منه بأن يقولوا ﴿**والله ربنا ما كنا مشركين**﴾ وأما جوابهم عبر عنه بالفتنة؛ لأنه كذب وإنما يقولون مع علمهم بأنه بمعزل من النفع رأساً من فرط الحيرة والدهش كما يقولون ربنا أخرجنا منها وقد أيقنوا بالخلود.

﴿**انظر**﴾ يا محمد ﴿**كيف كذبوا على أنفسهم**﴾ بإنكار صدور الإشراك عنهم في الدنيا وتعجب من كذبهم فإنه أمر عجيب ﴿**وضل عنهم ما كانوا يفترون**﴾ عطف على كذبوا داخل في حيز انظر، أي: كيف زال وذهب وبطل افتراؤهم فإنهم كانوا يفترون في حق الأصنام أنها شفعاؤهم عند الله تعالى فبطل ذلك بالكلية يوم القيامة.

وفي الآيات أمور: الأول: إطلاق لفظ الشيء على الله تعالى لكن بمعنى شاءى لا بمعنى مشيئي وجوده فهو الشائي المريد، والثاني: إنه يلزمه التبري من الشرك عقيب التوحيد.

قال المولى الشهير باخى چلبي في «حواشي صدر الشريعة»: إسلام اليهود والنصارى مشروط بالتبري من اليهودية والنصرانية بعد الإتيان بكلمتي الشهادة وبدون التبري لا يكونان مسلمين ولو أتيا بالشهادتين مراراً لأنهما فسرا قولهما بأنه رسول الله إليكم لكن هذا في الذين اليوم بين ظهراني أهل الإسلام أما إذا كان في دار الحرب وحمل عليه رجل من المسلمين فأتى بالشهادتين أو قال دخلت دين الإسلام أو في دين محمد عليه السلام فهذا دليل توبته انتهى.

قال في «الدر»: المختصر في صفة الإيمان أن يقول: ما أمرني الله تعالى به قبلته وما نهاني عنه انتهيت عنه فإذا اعتقد ذلك بقلبه وأقر بلسانه كان إيماناً صحيحاً وكان مؤمناً بالكل انتهى.

وإيمان المقلد صحيح عند الإمام الأعظم إلا أنه يأثم بترك النظر والاستدلال.

وفي فصل الخطاب من نشأ في بلاد المسلمين وسبح الله تعالى عند رؤية صنائعه فهو خارج عن حد التقليد. والثالث أن قوله تعالى: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ [الأنعام: ٢] يشير إلى أن الآباء قد تحقق عندهم أنهم مصادر الأبناء ومبدأ وجود الأبناء منهم فكذلك أهل المعرفة تحقق

عندهم أن الله تعالى مصدرهم ومبدأ وجودهم منه. قال الحافظ:

در مكتب حقائق وپيش اديب عشق — هان اي پسر بكوش كه روزى پدرشوى
خواب وخورت زمرتبهٔ خويش دور كرد — آنكه رسى بخويش كه بى خواب وخور شوى

فالوصول إلى المبدأ القديم بعد العبور من جسر الوصف الحادث. والرابع: أن النافع هو الإيمان والتوحيد والصدق والإخلاص دون الشرك والكذب ـ يروى ـ أن المشركين إذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى وتجاوزه عن أهل التوحيد قال بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع أهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالكفر فلا يفلحون، وكذا أهل الرياء من أهل التوحيد يزعمون أنهم على اليقين وكمال الإخلاص وأفعالهم الصادرة عن جوارحهم تدل على خلاف ذلك فإنما خلق الله جهنم لتطهير أهل الشرك مطلقاً لكن أهل الكفر مخلدون فافهم المقام.

واعلم أن الله تعالى واحد وكل شيء يشهد على وحدته وعلى هذه الوحدة يعرفه ويشاهده أهل المعرفة والمشاهدة فإن كثرة الآثار لا تنافي الوحدة كالنواة مع الشجرة. قال الحافظ:

تادم وحدت زدى حافظ شور يده حال — خامهٔ توحيد كش بروَرق اين وآن

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ إذا قرأت القرآن ـ روي ـ أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله ﷺ فقالوا للنضر: وكان صاحب أخبار يا أبا قتيلة ما يقول محمد؟ فقال: والذي جعلها بيته ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية، فقال أبو سفيان: إني أرى بعض ما يقول حقاً فقال أبو جهل: كلا فنزلت فالضمير للمشركين. ﴿وجعلنا﴾ أي: أنشأنا ﴿على قلوبهم﴾ الضمير راجع إلى من باعتبار المعنى. ﴿أكنة﴾ أي أغطية كثيرة لا يقادر قدرها خارجة مما يتعارفه الناس. جمع كنان بالكسر وهو ما يستر به الشيء ﴿أن يفقهوه﴾ مفعول له بحذف المضاف أي كراهة أن يفقهوا ما يستمعون من القرآن المدلول عليه بذكر الاستماع ﴿و﴾ جعلنا ﴿في آذانهم وقراً﴾ أي: صمماً وثقلاً كراهة أن يستمعوه حق الاستماع وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشؤون النبي عليه السلام وفرط نبوّ قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومجّ أسماعهم له وهذا دليل على أن الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى ويجعل بعضها في أكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن كما هو مذهب أهل السنة.

وفي الآية: إشارة إلى أن مكافاة من يستمع إلى كلام الله تعالى أو إلى حديث النبي عليه السلام أو إلى كلمات أرباب الحقائق بالإنكار ليأخذوا عليها ويطعنوا فيها أن يجعل الله تعالى حجاباً على قلوبهم وسمعهم حتى لا يصل إليهم أنوارها ولا يجدون حلاوتها ولا يفهمون حقائقها. قال المولى الجامي:

عجب نبودكه ازقر آن نصيبت نيست جز حرفى
كه ازخو رشيد جز كرمى نبيند چشم نابينا

﴿وإن يروا كل آية﴾ من الآيات القرآنية أي يشاهدوها بسماعها ﴿لا يؤمنوا بها﴾ أي كفروا بكل واحدة منها وسموها سحراً وافتراء وأساطير لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم. ﴿حتى﴾ ابتدائية ومع هذا لا مانع من أن تفيد معنى الغاية أي بلغ بهم ذلك المنع من فهم القرآن إلى أنهم ﴿إذا جاؤوك يجادلونك﴾ أي حال كونهم مجادلين لك. ﴿يقول الذين كفروا﴾ أي: لا يكتفون بمجرد عدم الإيمان بما سمعوا من الآيات الكريمة بل يقولون ﴿إن هذا﴾ أي ما هذا القرآن ﴿إلا أساطير الأولين﴾ أي: أباطيلهم وأكاذيبهم، جمع أسطورة بالضم كالأضاحيك والأعاجيب جمع أضحوكة وأعجوبة. وفي «المثنوي»:

چون كتاب الله بيامد هم بران ... اين چنين طعنه زدند آن كافران

كه اساطيراست وافسانهٔ نژند ... نيست تعميقى وتحقيقى بلند

توز قرآن اي پسر ظاهر مبين ... ديو آدم را نبيند غير طين

﴿وهم﴾ أي: الكفار ﴿ينهون﴾ الناس ﴿عنه﴾ أي: عن القرآن والإيمان به. ﴿وينأون عنه﴾ أي: يتباعدون عنه بأنفسهم إظهاراً لغاية نفورهم منه وتأكيداً لنهيهم عنه فإن اجتناب الناهي عن المنهي عنه من متممات النهي ولعل ذلك هو السر في تأخير النأي عن النهي. والنأي البعد. ﴿وإن يهلكون﴾ أي: ما يهلكون بالنهي والنأي. ﴿إلا أنفسهم﴾ لأن ضرره عليهم ﴿وما يشعرون﴾ أي: والحال إنهم ما يعلمون، أي: لا بإهلاك أنفسهم ولا باقتضاء ذلك عليها من غير أن يضروا بذلك شيئاً من القرآن والرسول والمؤمنين.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾ الخطاب إما لرسول الله ﷺ أو لكل أحد من أهل المشاهدة والعيان، والوقف: الحبس وجواب لو ومفعول ترى محذوف أي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرأيت ما لا يساعده التعبير. ﴿فقالوا يا﴾ للتنبيه ﴿ليتنا نرد﴾ إلى الدنيا ﴿ولا نكذب بآيات ربنا﴾ القرآنية ﴿ونكون من المؤمنين﴾ بها العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل ونصب الفعلين على جواب التمني بإضمار أن بعد الواو وإجرائها مجرى الفاء والمعنى إن رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين.

﴿بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل﴾ أي: ليس الأمر على ما قالوه من أنهم لو ردوا إلى الدنيا لآمنوا فإن التمني الواقع منهم يوم القيامة ليس لأجل كونهم راغبين في الإيمان بل لأنه ظهر لهم في موقفهم ذلك ما كانوا يخفون في الدنيا وهي النار التي وقفوا عليها والمراد بإخفائها تكذيبهم لها فإن التكذيب بالشيء كفر به وإخفاء له محالة ﴿ولو ردوا﴾ إلى الدنيا فرضاً ﴿لعادوا لما نهوا عنه﴾ من الشرك ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار أنظارهم على الشاهد دون الغائب كإبليس قد عاين من آيات الله تعالى ثم عاند فلا راد لما قضاه الله تعالى ولا مبدل لما حكم في الأزل. ﴿وإنهم لكاذبون﴾ أي: لقوم ديدنهم الكذب في كل ما يأتون وما يذرون وبهذه الآية يفتى بقتل أهل البغي والفساد؛ إذ لا يؤمن من أن يعودوا لما نهوا عنه. وفي «المثنوي»:

آن ندامت ازنتيجهٔ رنج بود ... نه زعقل روشنى چون كنج بود

چونكه شد رنج آن ندامت شد عدم   مى نيرزد خاك آن توبه وندم
ميكند اوتوبه وپير خرد   بانكه لوردوا لعادوا ميزند

﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿وقالوا﴾ عطف على عادوا داخل في حيز الجواب **﴿إن هي﴾** أي: ما الحياة فالضمير للحياة فإن من الضمائر ما يذكر مبهماً ولا يعلم ما يرجع إليه إلا بذكر ما بعده. **﴿إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾** بعد ما فارقنا هذه الحياة كأن لم يروا ما رأوا من الأحوال التي أولها البعث والنشور.

﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم﴾ أي: حبسوا للسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده للعتاب والجواب محذوف أي لرأيت أمراً عظيماً **﴿قال﴾** لهم على لسان الملائكة موبخاً وهو استئناف. **﴿أليس هذا﴾** البعث والحساب **﴿بالحق قالوا بلى وربنا﴾** إنه لحق **﴿قال فذوقوا العذاب﴾** الذي عاينتموه **﴿بما كنتم تكفرون﴾** أي: بسبب كفركم في الدنيا بذلك، وخص لفظ الذوق للإشارة إلى أن ما يجدونه من العذاب في كل حال هو ما يجده الذائق لكون ما يجدون بعده أشد من الأول.

﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله﴾ أي: قد غبن الذين كذبوا بالبعث بعد الموت **﴿حتى إذا جاءتهم الساعة﴾** غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فإنه أبدى لا حد له. **﴿بغتة﴾** حال من فاعل جاءتهم، أي: باغتة مفاجئة والبغت والبغتة مفاجأة الشيء بسرعة من غير أن يشعر به الإنسان حتى لو كان له شعور بمجيئه ثم جاءه بسرعة لا يقال فيه بغتة والوقت الذي تقوم فيه القيامة يفجأ الناس في ساعة لا يعلمها أحد إلا الله تعالى، فلذلك سميت ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم وسميت الساعة ساعة لسعيها إلى جانب الوقوع ومسافته الأنفاس والمعنى أنهم قد كذبوا إلى أن ظهرت الساعة بغتة.

فإن قيل: إنما يكذبون إلى أن يموتوا.

والجواب: أن زمان الموت آخر زمان من أزمنة الدنيا وأول زمان من أزمنة الآخرة فمن انتهى تكذيبه إلى هذا الوقت صدق أنه كذب إلى أن ظهرت الساعة بغتة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «من مات فقد قامت قيامته». **﴿قالوا﴾** جواب إذا **﴿يا حسرتنا﴾** الحسرة هي شدة الندم والتألم ونداؤها مجاز لأن الحسرة لا يتأتى منها الإقبال وإنما المعنى على المبالغة في شدة التحسر كأنهم نادوا الحسرة وقالوا إن كان لك وقت فهذا أوان حضورك ومثله يا ويلتنا والمقصود التنبيه على خطأ المنادي حيث ترك ما أحوجه تركه إلى نداء هذه الأشياء. **﴿على ما فرطنا فيها﴾** أي: على تفريطنا في شأن الساعة وتقصيرنا في مراعاة حقها والاستعداد لها بالإيمان بها واكتساب الأعمال الصالحة فعلى متعلق بالحسرة وما مصدرية والتفريط التقصير في الشيء مع القدرة على فعله **﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾** حال من فاعل قالوا، والأوزار جمع وزر وهو في الأصل الحمل الثقيل يقال وزرته، أي: حملته ثقيلاً منه وزير

الملك لأنه يتحمل أعباء ما قلده الملك من مؤونة رعيته وحشمه سمي به الإثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه والحمل من توابع الأعيان الكثيفة لا من عوارض المعاني فلا يوصف به العرض إلا على سبيل التمثيل والتشبيه وذكر الظهور كذكر الأيدي في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] فإن المعتاد حمل الأثقال على الظهور كما أن المألوف هو الكسب بالأيدي، والمعنى أنهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال أنهم يحملون أوزار ما عملوا من السيئات. ﴿ألا ساء ما يزرون﴾ أي: بئس شيئاً يزرون، أي: يحملون وزرهم.

قال السدي وغيره: إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيبه ريحاً فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا فيقول أنا عملك الصالح فاركبني فقد طالما ركبتك في الدنيا فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥] أي ركباناً، وأما الكافر: فيستقبله أقبح شيء صورة وأنتنه ريحاً فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول أنا عملك الخبيث طالما ركبتني في الدنيا وأنا اليوم أركبك فهو معنى قوله تعالى: ﴿وهم يحملون﴾ إلخ. فيكون الحمل على حقيقته لأن للأعمال صوراً تظهر في الآخرة وإن كان نفسها اعراضاً.

واعلم أن الأوزار كثيرة لكن ذنب الوجود فوق الكل؛ إذ هو الباعث على سائر الأوزار وهو ثقل مانع عن السلوك فعلى السالك أن يتوب عن الكل ويفنى في طريق الحق فناء كلياً. قال الحافظ:

فكر خود ورأى خود در عالم رندى نيست كفرست درين مذهب خود بيني وخودر رأيي

قال بعضهم: لا يمكن الخروج من النفس بالنفس وإنما يمكن الخروج من النفس بالله تعالى.

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم قدس سره: ذكر الله تعالى يرطب القلب ويلينه فإذا خلا عن الذكر أصابته حرارة النفس ونار الشهوات فقسا ويبس وامتنعت الأعضاء من الطاعة فإذا مددتها انكسرت، كالشجرة إذا يبست لا تصلح إلا للقطع وتصير وقوداً للنار أعاذنا الله منها، فالذكر والتوحيد والاتباع إلى أهله هو أصل الأصول ـ حكي ـ عن علي بن الموفق أنه قال: حججت سنة من السنين في محمل فرأيت رجالاً، فأحببت المشي معهم فنزلت وأركبت واحداً في المحمل ومشيت معهم فتقدمنا إلى البرية وعدلنا عن الطريق فنمنا، فرأيت في منامي جواري معهن طشوت من ذهب وأباريق من فضة يغسلن أرجل المشاة، فبقيت أنا فقالت إحداهن لصواحبها: أليس هذا منهم؟ قلن هذا له محمل، فقالت: بلى هو منهم؛ لأنه أحب المشي معهن فغسلن رجلي فذهب عني كل تعب كنت أجده هذه حال من مشى مع ولي باعتقاد صحيح فكيف مع نبي فلو أن كفار مكة ومشركي العرب استمعوا إلى النبي عليه السلام واتبعوا الذكر الذي أنزل إليه لنجوا وأسقطوا كل حمل عن ظهورهم ومشوا إلى جنة الفردوس لكن الله تعالى يهدي من يشاء.

﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وما الحياة الدنيا﴾ على حذف المضاف، أي: ما أعمال الدنيا أي الأعمال المتعلقة بها من حيث هي هي. ﴿إلا لعب ولهو﴾ يلهي الناس ويشغلهم بمنفعته الزائلة عن الإيمان والعمل الصالح المؤدي إلى اللذة الدائمة واللعب عما يشغل النفس وينفرها عما تنتفع به واللهو صرفها

عن الجد إلى الهزل. ﴿وللدار الآخرة﴾ التي هي محل الحياة الأخرى ﴿خير للذين يتقون﴾ الكفر والمعاصي لأن منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منغصة بالآلام مستمرة على الدوام. ﴿أفلا تعقلون﴾ الفاء للعطف على مقدر، أي: أتغفلون فلا تعقلون، أي الأمرين خير، وسميت الدنيا بالدنيا لدنوها قبل الآخرة أو لدناءتها، وسميت الآخرة بالآخرة لتأخرها عن خلقها وإنما جعل الله الآخرة غائبة عن الأبصار لأنها لو كانت حاضرة لما جحدوها ولارتفعت التكاليف والمحن فجعل ما على الأرض زينة للابتلاء وحقيقة الدنيا ما يشغلك عن ربك.

قال أهل التحقيق: السموات والأرضون وما فيهما من عالم الكون والفساد يدخل في حد الدنيا. وأما العرش والكرسي وما يتعلق بهما من الأعمال الصالحة والأرواح الطيبة والجنة وما فيها فمن حد الآخرة وفي الخبر القدسي لما خلق الله الدنيا خاطبها بقوله: «يا دنيا اخدمي من خدمني وأتعبي من خدمك» ولهذا كانت الدنيا تجيء لبعض أوليائه وتكنس داره في صورة العجوز ولبعض أوليائه تجيء كل يوم برغيف.

فإن قلت إن الله تعالى خلق هذه الدنيا للمؤمن فلم أمر بالزهد فيها.

قلت: السكر إذا نثر على رأس الختن لا يلتقطه لعلو همته ولو التقطه لكان عيباً وفي الحديث: «جوّعوا أنفسكم لوليمة الفردوس»، والضيف إذا كان حكيماً لا يشبع من الطعام رجاء الحلواء ـ حكي ـ أن قاضياً من أهل بغداد كان ماراً بزقاق كلخان مع خدمه وحشمه كالوزير فطلع الكلخاني وهو يهودي في صورة جهنمي كأن القطران يقطر من جوانبه فأخذ بلجام بغلة القاضي فقال أيد الله القاضي ما معنى قول نبيكم «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» أما ترى أن الدنيا جنة لك وأنت مؤمن محمدي والدنيا سجن لي وأنا كافر يهودي، والحديث دلالته بالعكس فأجاب القاضي وكان من فضلاء الدنيا وما ترى من زينتها وحشمتها سجن لي بالنسبة إلى ما وعد الله في الجنة وجنة لك بالنسبة إلى الدركات المعودة في النيران.

قيل: مثل الدنيا والآخرة مثل رجل له امرأتان إن أرضى إحداهما أسخط الأخرى.

واحتضر عابد فقال: ما تأسفي على دار الآخرة والغموم والخطايا والذنوب، وإنما تأسفي على ليلة نمتها ويوم أفطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله تعالى:

نه عمر خضر بماند نه ملك اسكندر   نزاع برسر دنياي دون مكن درويش

فالدنيا لا تبقى والآخرة خير وأبقى ـ يحكى ـ أن جعفر بن سليمان رحمه الله قال: مررت أنا ومالك بن دينار رضي الله عنه بالبصرة فبينما ندور فيها مررنا بقصر يعمر وإذا بشاب حسن يأمر ببناء القصر، ويقول افعلوا واصنعوا فدخلنا عليه وسلمنا فرد السلام، قال مالك: كم نويت أن تنفق على هذا القصر؟ قال: مائة ألف درهم، قال: ألا تعطيني هذا المال فأضعه في حقه وأضمن لك على الله تعالى قصراً خيراً من هذا القصر بولدانه وخدمه وقبابه وخيمه من ياقوتة حمراء مرصع بالجوهر ترابه الزعفران بلاطه المسك لم تمسه يدان ولم يبنه بانٍ، قال له الجليل سبحانه كن فكان فأثر في الشاب كلامه فأحضر البدر ودعا بدواة وقرطاس ثم كتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما ضمن مالك بن دينار لفلان بن فلان أني ضمنت لك على الله قصراً بدل قصرك صفته كما وصفت والزيادة على الله، واشتريت لك بهذا المال قصراً في الجنة أفسح من قصرك في ظل ظليل بقرب العزيز الجليل، ثم طوى الكتاب ودفعه إلى الشاب وأنفق ما أخذه من المال على الفقراء، وما أتى على الشاب أربعون ليلة حتى مات ووصى أن يجعل

الكتاب بين كفنه وبدنه، ووجد مالك ليلة وفاته كتاباً موضوعاً في المحراب فأخذه ونشره فإذا هو مكتوب بلا مداد هذه براءة من الله العزيز الحكيم إلى مالك بن دينار، وفينا الشاب القصر الذي ضمنته له وزيادة سبعين ضعفاً. وفي «المثنوي»:

هركه پايان بين ترا ومسعودتر جدترا وكاردكه افزون ديدبر
زانكه داند كين جهان كاشتن هست بهر محشر و برداشتن

آخرت قطار اشتران بملك درتبع دنياش همچون يشم وپشك
پشم بكزيني شتر نبود ترا وربود اشترچه قيمت پشم را

يعني: إن اخترت الدنيا التي هي كصفوف الجمل، وآثرتها على الآخرة التي هي كنفس الجمل تكون محروماً من الآخرة كما أن من اختار الصوف يحرم من الجمل بخلاف من كان الجمل ملكا له فإنه لا قيمة عنده لصوفه ولا زغبه، وقال قدس سره في محل آخر:

باز كونه أي اسيران جهان نام خود كرديد اميران جهان
اي توبندهٔ اين جهان محبوس جان چند كويي خويش راخواجهٔ جهان

تخته بندست آنكه تختش خواندهٔ صدر پنداري وبر در ماندهٔ
پادشاهى نيستت برريش خود پادشاهى چون كنى برنيك وبد
بى مرادتو شود ريشت سپيد شرم در ازريش خود اى كژاميد

افتخار از رنك وبو واز مكان هست شادى و فريب كود كان

كون ميكويد بيامن خوش پي ام وان فسادش كفته رومن لاشى ام
اي زخوبىء بهاران لب كزان بنكر آن سردى وزردىء خزان
روز ديدى طلعت خورشيدخوب مرك اورا يادكن وقت غروب
بدررا ديدى برين خوش چارطاق حسرتش راهم ببين وقت محاق
كودكى از حسن شد مولاى خلق بعد فردا شد خرف رسواى خلق
اي بديده لونها چرب وخيز فضلهٔ آنرا پبين در آب ريز
مر خبث را كوكه آن خوبيت كو برطبق آن زوق وآن نغزى وبو
پس أنامل رشك استادان شده در صناعت عاقبت لرزان شده
نركس چشم خمار همچو جان آخر اعمش بين وآب ازوى چكان
حيدرى كاندر صف شيران رود آخر أو مغلوب موشى ميشود
زلف جعد مشكبار عقل بر آخر آن چون ذنب زشت خنك وخر
خوش ببين كونش زاول باكشاد واخران رسوايش ببين وفساد

والإشارة الحياة التي تكون بالتمتعات الدنيوية النفسانية كلعب الصبيان ولهو أهل العصيان تزيد في الحجب والسير من البشرية إلى الروحانية بترك الشهوات والأعراض عن غير الحق والإقبال على الله خير للذين يتقون عما سوى الله بالله أفلا تعقلون أن الله تعالى خلقكم لهذا الشأن لا لغيره كما قال: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۝﴾ [طه: ٤١] اللهم احفظنا من تضييع العمر واهدنا

إلى حقيقة الأمر إنك أنت الوهاب الهادي.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤) وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥)﴾

﴿**قد نعلم**﴾ قد هنا للتكثير والمراد بكثرة علمه تعالى كثرة تعلقه ﴿**إنه**﴾ أي: الشأن. ﴿**ليحزنك**﴾ يا محمد. ﴿**الذي يقولون**﴾ فاعل يحزنك والعائد محذوف، أي: الذي يقوله كفار مكة وهو ما حكى عنهم من قولهم ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١] ونحو ذلك ﴿**فإنهم لا يكذبونك**﴾ أي: لا تعتد بما يقولون وكله إلى الله تعالى فإنهم في تكذيبهم آيات الله لا يكذبونك في الحقيقة. ﴿**ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**﴾ أي: ولكنهم يكذبون بآيات الله وينكرونها فما يفعلون في حقك فهو راجع إليّ في الحقيقة لأنك فانٍ عما سوى الله باقٍ بالله وأنا انتقم منهم لا محالة أشد انتقام والمراد بالظلم جحودهم والجحود عبارة عن الإنكار مع العلم بخلافه والباء متعلقة بالفعل والتقديم للقصر يقال جحد حقه وبحقه إذا أنكره.

﴿**ولقد كذبت رسل من قبلك**﴾ تسلية لرسول الله ﷺ فإن البلية إذا عمت طابت أي وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل أولو شأن خطير وذو عدد كثير أو كذبت رسل كانوا من زمان قبل زمانك. ﴿**فصبروا على ما كذبوا وأوذوا**﴾ أي: على تكذيبهم وإيذائهم. ﴿**حتى أتاهم نصرنا**﴾ أي: كان غاية صبرهم نصر الله تعالى إياهم فتأسّ بهم واصطبر على ما نالك من قومك والنصر الموعود للصابرين يحتمل أن يكون بطريق إظهار الحجج والبراهين ويحتمل أن يكون بطريق القهر والغلبة أو بإهلاك الأعداء. قال الحافظ:

اي دل صبور باش ومخور غم كه عاقبت أين شام صبح كردد واين شب سحر شود

وقال أيضاً:

كرت چو نوح نبي صبر هست برغم طوفان بلا بكردد وكان هزار ساله بر آيد

﴿**ولا مبدل لكلمات الله**﴾ أي: مواعيده بالنصرة والغلبة كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

﴿**ولقد جاءك من نبأ المرسلين**﴾ أي من خبرهم ما يسكن به قلبك وهو نصره تعالى إياك.

وقال المولى أبو السعود: والجار والمجرور في محل الرفع على أنه فاعل إما باعتبار مضمونه أي بعض نبأ المرسلين أو بتقدير الموصوف أي بعض من نبأ المرسلين.

﴿**وإن كان كبر عليك إعراضهم**﴾ أي عظم عليك وشق إعراضهم عن الإيمان بما جئت به من القرآن وعدم عدهم له من قبيل الآيات وأحببت أن تجيبهم إلى ما سألوا اقتراحاً لحرصك على إسلامهم ﴿**فإن استطعت أن تبتغي نفقاً**﴾ أي: سرباً ومنفذاً ﴿**في الأرض**﴾ تنفذ فيه إلى جوفها.

قال ابن الشيخ: النفق سرب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر ومنه نافقاء اليربوع لأن اليربوع يخرق الأرض إلى القعر ثم يصعد من ذلك إلى وجه الأرض من جانب آخر ﴿**أو**

سلماً﴾ مصعداً. ﴿في السماء﴾ تعرج به فيها. ﴿فتأتيهم﴾ منها ﴿بآية﴾ مما اقترحوه والجواب محذوف، أي: فافعل وجملة الشرطية الثانية جواب للشرطية الأولى والمقصود بيان حرصه البالغ على إسلام قومه وإنه لو قدر أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء لإيمانهم وإيثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للإيذان بأن ما ذكر من النفق والسلم مما لا يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه. ﴿ولو شاء الله﴾ هدايتهم ﴿لجمعهم على الهدى﴾ ولكن لم يشأ ذلك لعدم صرف اختيارهم إلى جانب الهدى مع تمكنهم منه ومشاهدتهم للآيات الداعية إليه فلم يؤمنوا فلا تتهالك عليه. ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فإن ذلك من دأب الجهلة بدقائق شؤونه تعالى التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بإيمانهم. وفي الآية تربية وتأديب للنبي عليه السلام من الله تعالى كما قال عليه السلام: «إن الله أدبني فأحسن تأديبي» لئلا يبالغ في الشفقة على غير أهلها.

﴿۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿إنما يستجيب﴾ أي: يقبل دعوتك إلى الإيمان. ﴿الذين يسمعون﴾ ما يلقى إليهم سماع فهم وتدبر دون الموتى الذين هؤلاء منهم: قال الحافظ:

كوهر پاك ببايدكه شود قابل فيض ورنه هرسنك وكلى لؤلؤ ومرجان نشود

﴿والموتى﴾ أي: الكفار شبههم بهم في عدم السماع. ﴿يبعثهم الله﴾ من قبورهم. ﴿ثم إليه﴾ تعالى لا إلى غيره. ﴿يرجعون﴾ أي: يردون للجزاء فحينئذٍ يستجيبون وأما قبل ذلك فلا سبيل إليه ﴿وقالوا﴾ أي: رؤساء قريش. ﴿لولا﴾ تحضيضية بمعنى هلا ﴿نزل عليه آية من ربه﴾ كالناقة والعصا والمائدة من الخوارق الملجئة إلى الإيمان ﴿قل﴾ لهم ﴿إن الله قادر على أن ينزل آية﴾ كما اقترحوا ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن نزولها بلاء عليهم لوجوب هلاكهم إن جحدوها.

اعلم أن الناس في الأديان على أربعة أقسام: سعيد بالنفس والروح في لباس السعادة وهم الأنبياء وأهل الطاعة، والثاني: شقي بالنفس في لباس الشقاوة وهم الكفار والمصرّون على الكبائر، والثالث: شقي بالنفس في لباس السعادة مثل بلعم بن باعورا وبرصيصا وإبليس، والرابع سعيد بالنفس في لباس الشقاوة كبلال وصهيب وسلمان في أوائل أمرهم ثم بدل لباسهم بلباس التقوى والهداية.

فإن قلت ما الحكمة في أن الله تعالى خلق الخلق سعيداً وشقياً وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥] ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩].

قلنا: قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إن الله تعالى علم في الأزل أن فلاناً في خلقه يعصي لعدم سبق استعداده للسعادة فجعله شقياً لسبق القضاء عليه بمقتضى استعداده في الأعيان الثابتة، ومظهرية استعداده لشؤون الجلال كأنه سأل بلسان الاستعداد كونه شقياً يسأله من في السموات والأرض بلسان القال والحال والاستعداد كل يوم هو في شأن يفيض ويعطي كل شيء ما يستعد من السعادة والشقاوة على حسب الاستعدادات في الأعيان الثابتة الغيبية العلمية وعلم سبحانه وتعالى أن عبده يطيع فجعله سعيداً، أي: بمقتضى استعداده للسعادة

الإجمالي والقابلية المودعة في النشأة الإنسانية بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فتلك الإجابة منهم تدل على الاستعداد السعادي الأزلي فلو لم يكن ذلك لما صح عليهم التكليف والخطاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب فإذا عرفت أن الإنسان سعيد وشقي فاستعداد السعيد لا يعطي إلا الأقوال المرضية والأفعال الحسنة والأخلاق الحميدة التي تورث الانبساط واستعداد الشقي لا يعطي إلا التي تورث الانقباض فلذا أمر الله تعالى حبيبه بالصبر وتحمل الإيذاء من أهل الشقاوة والقهر والجلال والابتلاء في الدنيا سبب للغفران وتكميل الدرجات التي لا تنال في الجنان إلا على قدر البلاء وفي الخبر «إن في الجنة مقامات معلقة في الهواء يأوي إليها أهل البلاء كالطير إلى وكره ولا ينالها غيرهم». وإن الرجل يبتلى على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي وما عليه خطيئة والبلاء سوط الله على عباده كيلا يركنوا إلى الدنيا ولا يشغلوا بها ويفروا إلى الله من ضرب سوطه كما يفر الخيل إلى مستقره والآخرة هي دار القرار.

ما بلارا بكس عطا نكنيم تاكه نامش زاوليا نكنيم

وبالجملة: فمن ابتلي بشيء من المصائب والبلايا فالعاقبة حميدة في الصبر وبالصبر يكون من الأمة المرحومة حقيقة ويدخل في أثر النبي عليه السلام.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وما من دابة في الأرض﴾ من زائدة لتأكيد الاستغراق وفي متعلقة بمحذوف هو وصف الدابة أي وما فرد من أفراد الدواب يستقر في قطر من أقطار الأرض. ﴿ولا طائر﴾ من الطيور من ناحية من نواحي الجوّ﴿يطير بجناحيه﴾ كما هو المشاهد المعتاد، فقيدُ الطيران بالجناح تأكيد كما يقال نظرت بعيني وأخذت بيدي أو هو قطع لمجاز السرعة لأنه يقال طار فلان في الأرض، أي: أسرع. ﴿إلا أمم أمثالكم﴾ محفوظة أحوالها مقدرة أرزاقها وآجالها﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ يقال فرّط في الشيء ضيعه وتركه أي ما تركنا في القرآن شيئاً من الأشياء المهمة التي بينا أنه تعالى مراع فيها لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي بل قد بينا كل شيء إما مفصلاً أو مجملاً أما المفصل فكقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ [المائدة: ٤٥] وأما المجمل: فكقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] ـ روي ـ أن الامام الشافعي كان جالساً في المسجد الحرام فقال: لا تسألوني عن شيء إلا أجيبكم فيه من كتاب الله تعالى؟ فقال رجل: ما تقول في المحرم إذا قتل الزنبور فقال: لا شيء عليه فقال أين هذا في كتاب الله فقال قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ الآية ثم ذكر إسناداً إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» ثم ذكر إسناداً إلى عمر رضي الله أنه قال: (للمحرم قتل الزنبور)﴿ثم إلى ربهم﴾ أي: الأمم ﴿يحشرون﴾ يوم القيامة إلى ربهم لا إلى غيره فيقضي بينهم.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ

صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴿٤٢﴾﴾.

﴿**والذين كذبوا بآياتنا**﴾ أي: القرآن ﴿**صم**﴾ لا يسمعونها سمع تدبر وفهم فلذلك يسمعونها أساطير الأولين ولا يعدونها من الآيات ويقترحون غيرها. وهو جمع أصم والمقصود تشبيه حالهم بحال الأصم لكن حذف حرف التشبيه للمبالغة. ﴿**وبكم**﴾ لا يقدرون على أن ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوتك، وهو جمع أبكم ﴿**في الظلمات**﴾ أي: ظلمات الكفر خبر ثالث للمبتدأ. ﴿**من يشإ الله**﴾ إضلاله أي أن يخلق فيه الضلال ﴿**يضلله**﴾ أي: يخلقه فيه لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير أن يكون له دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره إلى كسبه وتحصيله ﴿**ومن يشأ**﴾ هدايته ﴿**يجعله على صراط مستقيم**﴾ لا يضل من ذهب إليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه.

وفي الآيات أمور:

الأول: إن غير الإنسان من الأمم أيضاً وفي الحديث: «لولا أن الكلاب أمة لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم». وذلك لأن الكلب الأسود شيطان لكونه أعقر الكلاب وأخبثها وأقلها نفعاً وأكثرها نعاساً ومن هذا قال أحمد بن حنبل لا يحل الصيد به والإشارة إن ما يدب في أرض البشرية ويتحرك كالسمع والبصر واللسان والأعضاء كلها والنفس وصفاتها وكذا ما يطير بجناحي الشريعة والطريقة كالقلب والروح وصفاتها أمم أمثالكم في السؤال عن أفعالهم وأحوالهم يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

والثاني: إن الحشر عام كما قال أبو هريرة رضي الله عنه يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيأخذ للجماء من القرناء كما في الحديث: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»، أي: يقتص للشاة التي لا قرن لها من التي لها قرن.

قال ابن ملك: وفيه دلالة على حشر الوحوش كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾ [التكوير: ٥] لكن القصاص فيها قصاص مقابلة لا قصاص تكليف انتهى، ثم يقال للبهائم والوحوش والطيور كوني تراباً فتكون تراباً مثل تراب أرض ذلك العالم وعند ذلك يتمنى الكافر ويقول: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

قال الحدادي: والمراد بهذا الإفناء للبهائم بعد أن أحياها أنه إفناء لا يكون فيه ألم.

والثالث: إن الذين ختم الله على قلوبهم فهم كالأصم والأبكم الأصليين ومن خاصة الأبكم أن يكون أصم، كما قال في «المثنوي»:

دائماً هرك أصلى كنك بود ناطق آنكس شدكه ازمادرشود

چون سليمان سوى مرغان سبا يك صفيرى كردبست آن جمله را
جزمكر مرغى كه بدپي جان وپر ياچوماهى كنك بوداز اصل كر
نى غلط كفتم كه كركر سرنهد پيش وحى كبريا سمعش دهد

فقلوب الخلق بيد الله تعالى يصرفها كيف يشاء ـ روي ـ أن كفار مكة اجتمعوا على قتل

النبي عليه السلام فبينما هم كذلك إذ دخل عليهم إبليس فقال لماذا اجتمعتم فأخبروه بالقصة فقال لأبي جهل يا أبا الحكم لو أنك حملت صنمك وإلهك الذي تعبده ووضعته بين يدي محمد وسجدت له ربما يسمع محمد منه شيئاً، وكان صنمه مرصعاً بالجوهر والياقوت فحمل أبو جهل صنمه ووضعه بين يدي النبي عليه السلام وسجد له، وقال: إلهي نعبدك ونتقرب إليك هذا محمد شتمنا بسببك ونطمع منك أن تنصرنا وتشتم محمداً فأخذ الصنم يتحرك ويتكلم ويشتم فدخل في قلب النبي عليه السلام شيء ورجع إلى بيت خديجة فلم يلبث أن دق الباب فإذا شاب دخل وبيده سيف فسلم وقال مرني يا رسول الله حتى أمتثل أمرك فقال عليه السلام: «من أنت»؟ قال أنا من الجن قال: «كم تبلغ قوتك» قال: أقدر أن أقلع جبلي حراء وأبي قبيس وأرميهما في البحر قال: «من أين أقبلت الساعة» قال: كنت في جزيرة البحر السابع إذ أتاني جبرائيل فقال: أدرك فلاناً الشيطان دخل في الصنم وشتم النبي عليه السلام فاقتله بهذا السيف فأدركته في الأرض الرابعة فقتلته فقال له عليه السلام: «ارجع فإني استعين بربي من عدوي» وقال الشاب لي إليك حاجة هي أن ترجع إلى مكان كنت فيه أمس فإنهم يستخبرون ذلك الصنم ثانياً فرجع في الغد ومعه أبو بكر الصديق فجاء أبو جهل مع صنمه ففعل كما فعل بالأمس فأخذ الصنم يتحرك ويقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وأنا صنم لا أنفع ولا أضر ويل لمن عبدني من دون الله فلما سمعوا ذلك قام أبو جهل وكسر صنمه وقال إن محمداً سحر الأصنام فظهر أن الله تعالى يقول الحق من ألسنة المظاهر ولكن لا يسمع المنافق والكافر.

﴿**قل**﴾ يا محمد لأهل مكة. ﴿**أرأيتكم**﴾ الكاف حرف خطاب أكد به ضمير الفاعل المخاطب لتأكيد الإسناد لا محل له من الإعراب كالكاف في إياك وذلك الكاف يدل على أحوال المخاطب من الإفراد والتذكير ونحوها فهو يطابق ما يراد به والتاء تبقى على حالة واحدة مفردة مفتوحة أبداً نحو أرأيتك أرأيتكما أرأيتكم ومبنى التركيب وإن كان على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت أو بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها، أي أخبروني فجعل العلم أو الإبصار الذي هو سبب الإخبار مجازاً عن الإخبار وجعل الاستفهام الذي للتبكيت والإلجاء إلى الإقرار مجازاً عن الأمر بجامع الطلب. ﴿**إن أتاكم عذاب الله**﴾ في الدنيا كما أتى من قبلكم من الأمم. ﴿**أو أتتكم الساعة**﴾ أي: القيامة المشتملة على ذلك العذاب وهو العذاب الأخروي، والساعة: اسم لوقت تقوم فيه القيامة سمي بها لأنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم. ﴿**أغير الله تدعون**﴾ هذا مناط الاستخبار ومحط التبكيت. ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ جواب الشرط محذوف، أي: إن كنتم صادقين في أن أصنامكم آلهة كما أنها دعواكم المعروفة فأخبروني أغير الله تدعون إن أتاكم عذاب الله فإن صدقهم بهذا المعنى من موجبات أخبارهم بدعائهم غيره سبحانه.

﴿**بل إياه تدعون**﴾ عطف على جملة منفية كأنه قيل لا غيره تعالى تدعون بل إياه تدعون ﴿**فيكشف ما تدعون إليه**﴾ أي: إلى كشفه عطف على تدعون، أي: فيكشف أثر دعائكم. ﴿**إن شاء**﴾ كشفه فقبول الدعاء تابع لمشيئته تعالى فقد يقبله كما في بعض دعواهم المتعلقة بكشف العذاب الدنيوي، وقد لا يقبله كما في بعض آخر منها، وفي جميع ما يتعلق بكشف العذاب الأخروي الذي من جملته الساعة فإنه تعالى لا يغفر أن يشرك به فلا يشاء في الآخرة. ﴿**وتنسون ما تشركون**﴾ عطف على تدعون أيضاً أي تتركون ما تشركون به تعالى من الأصنام

تركاً كلياً لما ركز في العقول إنه القادر على كشف العذاب دون غيره فالنسيان هنا بمعنى الترك لا بمعنى الغفلة.

﴿ولقد أرسلنا﴾ أي: وبالله لقد أرسلنا رسلاً. ﴿إلى أمم﴾ كثيرة. ﴿من قبلك﴾ أي: كائنة من زمان قبل زمانك فمن لابتداء الغاية في الزمان على مذهب الكوفية مثل نمت من أول الليل وصمت من أول الشهر إلى آخره.

وقال المحشي سنان چلبي: من زائدة على قول من جوز زيادتها في الموجب وأما عند غيره فهي بمعنى في كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩].

﴿فأخذناهم﴾ الفاء فصيحة تفصح أن الكلام مبني على اعتبار الحذف أي فكذبوا رسلهم فأخذناهم ﴿بالبأساء﴾ أي بالشدة والفقر ﴿والضراء﴾ أي: الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما ﴿لعلهم يتضرعون﴾ أي لكي يدعوا الله في كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا إليه من كفرهم ومعاصيهم.

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿فلولا﴾ هلا ﴿إذ جاءهم بأسنا﴾ عذابنا. ﴿تضرعوا﴾ أي: لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضى له فلولا يفيد اللوم والتنديم وذلك عند قيام الداعي إلى الفعل وانتفاء العذر في تركه.

﴿ولكن قست قلوبهم﴾ استدراك على المعنى أي لم يتضرعوا ولكن يبست وجفت قلوبهم ولو كان في قلوبهم رقة وخوف لتضرعوا ﴿وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ أي: حسّن لهم الكفر والمعاصي بأن أغواهم ودعاهم إلى اللذة والراحة دون التفكر والتدبر ولم يخطر ببالهم أن ما اعتراهم من البأساء والضراء ما اعتراهم إلا لأجله.

﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ عطف على مقدر أي فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فلما نسوه. ﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ من فنون النعماء على منهاج الاستدراج. ﴿حتى﴾ ابتدائية ومع ذلك غاية لقوله فتحنا ﴿إذا فرحوا بما أوتوا﴾ أي: صاروا معجبين بحالهم. فالفرح فرح البطر كفرح قارون بما أصابه من الدنيا ﴿أخذناهم﴾ بالعذاب ﴿بغتة﴾ أي: فجأة ليكون أشد عليهم وقعاً وأفظع هولاً كما قال أهل المعاني إنهم إنما أخذوا في حال الراحة والرخاء ليكون أشد تحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية ﴿فإذا هم مبلسون﴾ متحسرون غاية الحسرة آيسون من كل خير راجون فإذا للمفاجأة. والإبلاس بمعنى اليأس من النجاة عند ورود المهلكة والمعنى الحسرة والحزن.

﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ أي: آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد فالدابر يقال للتابع للشيء من خلفه كالولد للوالد يقال دبر فلان القوم يدبر دبراً ودبوراً إذا كان آخرهم.

قال البغوي: معناه أنهم استؤصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية ووضع الظاهر موضع الضمير للإشعار بعلة الحكم، فإن هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر، وإقامة المعاصي مقام الطاعات. ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على إهلاكهم فإن هلاك الكفار

والعصاة من حيث إنه تخليص لأهل العرض من شؤم عقائدهم الفاسدة وأعمالهم الخبيثة نعمة جليلة يحق أن يحمد عليها لا سيما مع ما فيه من إعلاء كلمة الحق التي نطقت بها رسلهم عليهم السلام.

وفي الآيات أمور. منها أن الله تعالى هو المرجع في كل أمر حال الاختيار والاضطرار، والعاقل لا يلتجىء إلى غيره تعالى؛ لأن ما سوى الله آلات وأسباب والمؤثر في الحقيقة هو الله تعالى فشأن المؤمن هو النظر إلى بابه والاستعداد من جنابه حال السراء والضراء بخلاف الكافر فإنه يفتح عينيه عند نزول الشدة والمقبول هو الرجوع اختياراً فإن العبد المطيع لا يترك باب سيده على كل حال. ومنها أن الله تعالى يقلب الإنسان تارة من البأساء والضراء إلى الراحة والرخاء وأنواع الآلاء والنعماء وأخرى يعكس الأمر كما يفعله الأب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه أخرى طلباً لصلاحه وإلزاماً للحجة وإزاحة للعلة ففي هذه المعاملة تربية له وفائدة عظيمة في دينه ودنياه إن تفطن: قال الصائب [من]:

نهاد سخت توسوهان بخرد نمى كيد   وكرنه پست وبلند زمان سوهانست

ومنها أن الهلاك بقدر الاستدراج ونعوذ بالله تعالى من المكروه وفي الحديث: «إذا رأيت الله تعالى يعطي عبداً في الدنيا على معصية ما يحب فإن ذلك منه استدراج»، ثم قرأ ﷺ: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ الآية.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ أي: من البلاء في صورة النعماء لأرباب الظاهر بالنعمة الظاهرة من المال والجاه والقبول والصحة وأمثالها ولأرباب الباطن بالنعمة الباطنة من فتوحات الغيب وإراءة الآيات وظواهر الكرامات ورؤية الأنوار وكشف الأسرار والاشراف على الخواطر وصفاء الأوقات ومشاهدة الروحانية وأشباهها مما يربى به أطفال الطريقة فإن كثيراً من متوسطي هذه الطائفة تعتريهم الآفات في أثناء السلوك عند سآمة النفس من المجاهدات وملالتها من كثرة الرياضات فيوسوسهم الشيطان وتسول لهم أنفسهم أنهم قد بلغوا في السلوك رتبة قد استغنوا بها عن صحبة الشيخ وتسليم تصرفاته فيخرجون من عنده ويشرعون في الطلب على وفق أنفسهم فيقعون في ورطة الخذلان وسخرة الشيطان فيريهم الأشياء الخارقة للعادة وهم يحسبون أنها من نتائج العبادة وكان بعضهم يسير في البادية وقد أصابه العطش فانتهى إلى بئر فارتفع الماء إلى رأس البئر فرفع رأسه إلى السماء وقال أعلم أنك قادر ولكن لا أطيق هذا فلو قيضت لي بعض الأعراب يصفعني صفعاً ويسقيني شربة ماء كان خيراً لي ثم إني أعلم أن ذلك الرفق ليس من جهته.

وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي قدس سره: من لم يكن كارهاً لظهور الآيات وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور المعاصي فهي حجاب في حقه وسترها عنه رحمة. ومنها أن العجب مذموم مهلك وفي الحديث «ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه».

مرد معجب زاهل دين نبود   هيج خود بين خداي بين نبود
بيخبر ازجهان ومست يكيست   خويشتن بين وبت پرست يكيست

وعلاجه رؤية التوفيق من الله تعالى. ومنها أن النعمة لا بد لها من الحمد والشكر وفي الخبر الصحيح «أول من يدعى إلى الجنة الحامدون لله على كل حال» ولما حمد نوح عليه السلام بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨] وجد السلامة حيث قال

تعالى: ﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾ [هود: ٤٨] فلا بد من الحمد على السلامة سواء كانت من جهة الدين أو من جهة الدنيا إذ كل منهما نعمة.

ودخل رجل على سهل بن عبد الله فقال: إن اللص دخل داري وأخذ متاعي، فقال اشكر الله لو دخل اللص قلبك وهو الشيطان وأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع.

يقول الفقير جامع هذه المجالس الشريفة: سئلت في المنام عن معنى الحمد، فقلت: الحمد إظهار الكمال بتهيئة أسبابه، فقال السائل: وهو واحد من سادات المشايخ ما تهيئة الأسباب؟ فقلت: أن ترفع يديك إلى السماء وتنظر إلى جانب الملكوت وتظهر الخضوع والخشوع وأن تثني على الله تعالى ثناء حقاً كما ينبغي ثم استيقظت فجاء التفسير بحمد الله تعالى مشيراً إلى مراتب الشكر، كما قال بعضهم:

الشكر قيد للنعم مستلزم دفع النقم
وهو على ثلاثة قلب يد فاعلم وفم

والحمد لله تعالى ولي الإنعام على الاستمرار والدوام.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿قل﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿أرأيتم﴾ أي: أخبروني أيها المشركون فإن الرؤية بصرية كانت أو علمية سبب الإخبار كما سبق ﴿إن أخذ الله سمعكم﴾ أي: أصمكم ﴿وأبصاركم﴾ أي أعمالكم بالكلية. ﴿وختم على قلوبكم﴾ بأن غطى عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم بحيث تصيرون مجانين. ﴿من إله غير الله﴾ من استفهامية مبتدأ وإله خبره وغير صفة له. ﴿يأتيكم به﴾ أي: بما أخذه منكم وهي صفة أخرى له والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار، أي: أخبروني إن سلب الله عنكم أشراف أعضائكم من أحد غير الله يأتيكم بها ومن المعلوم أنه لا يقدر عليه إلا الله سبحانه فهو المستحق للعبادة والتعظيم وهو احتجاج آخر على المشركين. ﴿انظر﴾ يا محمد وتعجب. ﴿كيف نصرف الآيات﴾ أي نكررها ونقررها مصروفة من أسلوب إلى أسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين.

قال الحدادي: التصريف توجيه المعنى في الجهات التي تظهرها أتم الإظهار ﴿ثم هم يصدفون﴾ أي يعرضون عنها فلا يؤمنون وثم لاستبعاد صدفهم، أي إعراضهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للإقبال عليها.

﴿قل أرأيتكم﴾ أي: أخبروني أيها المشركون ﴿إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة﴾ أي: ليلاً أو نهاراً لما أن الغالب فيما أتى ليلاً البغتة أي الفجأة وفي ما أتى نهاراً الجهرة، وهو المناسب لما في سورة الأعراف من قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٨] والقرآن يفسر بعضه بعضاً وهو اللائح بالبال. ﴿هل يهلك إلا القوم الظالمون﴾ الاستفهام بمعنى النفي ومتعلق الاستخبار محذوف. أي: أخبروني إن أتاكم عذابه العاجل الخاص بكم بغتة أو جهرة

كما أتى من قبلكم من الأمم ماذا يكون الحال ثم قيل بياناً لذلك ﴿هل يهلك إلا القوم الظالمون﴾ أي: ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم إلا أنتم ووضع المظهر موضع المضمر إيذاناً بأن مناط هلاكهم ظلمهم الذي هو وضعهم للكفر موضع الإيمان.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾ حالان مقدرتان من المرسلين، أي: ما نرسلهم إلا مقدراً تبشيرهم وإنذارهم ففيهما معنى العلة الغائية قطعاً، أي: لم نرسلهم لأن يقترح عليهم الآيات ويتلهى بهم بل لأن يبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم بالعقاب على المعصية التبشير الإخبار بالخبر السار والإنذار الإخبار بالخبر الضار. ﴿فمن آمن﴾ بهم ﴿وأصلح﴾ عمله أو دخل في الصلاح ﴿فلا خوف عليهم﴾ من العذاب الذي أنذروه دنيوياً كان أو أخروياً. ﴿ولا هم يحزنون﴾ بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل والآجل.

﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ وهي ما ينطق به الرسل عليهم السلام عند التبشير والإنذار ويبلغونه إلى الأمم. ﴿يمسهم العذاب﴾ الأليم وأسند المس إلى العذاب مع أن حقه أن يسند إلى الإحياء لكونه من الأفعال المسبوقة بالقصد، والاختيار على طريق الاستعارة بالكناية فجعل كأنه حي يطلب إيلامهم والوصول إليهم ﴿بما كانوا يفسقون﴾ أي: بسبب فسقهم المستمر الذي هو الإصرار على الخروج عن التصديق والطاعة.

وفي الآيات ترغيب وترهيب: وفي الكلمات القدسية «يا ابن آدم لا تأمن مكري حتى تجوز على الصراط» ـ روي ـ أن الله تعالى قال: يا إبراهيم ما هذا الوجل الشديد الذي أراه منك؟ فقال: يا رب كيف لا أوجل وآدم أبي كان محله القرب منك خلقته بيديك ونفخت فيه من روحك وأمرت الملائكة بالسجود له، فبمعصية واحدة أخرجته من جوارك، فأوحى الله تعالى إليه يا إبراهيم أما عرفت أن معصية الحبيب على الحبيب شديدة وعن مالك بن دينار قال: دخلت جبانة البصرة فإذا أنا بسعدون المجنون فقلت كيف حالك. وكيف أنت؟ قال: يا مالك كيف يكون حال من أمسى وأصبح يريد سفراً بعيداً بلا أهبة ولا زاد ويقدم على رب عدل حاكم بين العباد، ثم بكى بكاء شديداً فقلت ما يبكيك؟ فقال: والله ما بكيت حرصاً على الدنيا ولا جزعاً من الموت والبلى، لكن بكيت ليوم مضى من عمري لم يحسن فيه عمل.

كارى كنيم ورنه خجالت بر آورد روزي كه رخت جان بجهان دكر كشيم

أبكاني والله قلة الزاد وبعد المفازة والعقبة الكؤود، ولا أدري بعد ذلك أصير إلى الجنة أم إلى النار فسمعت منه كلام حكمة، فقلت إن الناس يزعمون أنك مجنون فقال ما بي حنة ولكن حب مولاي خالط قلبي وأحشائي وجرى بين لحمي ودمي وعظامي.

دره منزل ليلى كه خطرهاست درو شرط أول قدم آنست كه مجنون باشى

كاروان رفت وتودرخواب وبيابان درپيش كى روى ره زكه پرسى چه كنى چون باشى

وعلى تقدير الزلة فليبادر العاقل إلى التوبة والاستغفار حتى يتخلص من عذاب الملك القهار كما قال تعالى: ﴿فمن آمن وأصلح فلا﴾ الخ ـ روي ـ أن الملائكة تعرج إلى السماء بسيئات العبد فإذا عرضوها على اللوح المحفوظ يجدون مكانها حسنات فيخرون على وجوههم

ويقولون ربنا إنك تعلم أننا ما كتبنا عليه إلا ما عمل فيقول الله تعالى صدقتم ولكن عبدي ندم على خطيئته واستشفع إليّ بدمعته فغفرت ذنبه وجدت عليه بالكرم وأنا أكرم الأكرمين فالإيمان وإصلاح العمل والندم على الزلل سبب النجاة في الدنيا والآخرة.

قال بعض الكبار: إن الإيمان والإسلام يمكن أن يكونا شيئاً واحداً في الحقيقة ولكن خص كل منهما بنوع مجاز عرفياً فكل ما كان فيه التصديق القلبي أطلق عليه الإيمان لوجود أصل معناه فيه كما لا يخفى.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾.

﴿قل﴾ يا محمد للكفرة الذين يقترحون عليك تارة تنزيل الآيات وأخرى غير ذلك ﴿لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ أي: لا أدّعي أن خزائن مقدوراته تعالى مفوضة إليّ أتصرف فيها كيف أشاء استقلالاً واستدعاء حتى تقترحوا عليّ تنزيل الآيات أو إنزال العذاب أو قلب الجبال ذهباً أو غير ذلك مما لا يليق بشأني فالخزائن جمع خزينة بمعنى مخزونة.

قال الحدادي: وليس خزائن الله مثل خزائن العباد وإنما خزائن الله تعالى خزائن مقدوراته التي لا توجد إلا بتكوينه إياها ويجوز أن يكون جمع خزانة هي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء وخزن الشيء إحرازه بحيث لا تناله الأيدي وكانوا يقولون إن كنت رسولاً من عند الله تعالى فوسع علينا منافع الدنيا وخيراتها، فالمعنى لا أدّعي أن مفاتيح الرزق بيدي فأقبض وأبسط ﴿ولا أعلم الغيب﴾ عطف على محل عندي خزائن الله ولا مزيدة مذكرة للنفي، أي: ولا أدعي أيضاً أني أعلم الغيب من أفعاله تعالى حتى تسألوني عن وقت الساعة أو وقت نزول العذاب أو نحوهما. ﴿ولا أقول لكم إني ملك﴾ من الملائكة حتى تكلفوني من الأفاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيق به البشر من الرقي إلى السماء ونحوه أو تعدوا عدم اتصافي بصفاتهم قادحاً في أمري كما ينبىء عنه قولهم ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]. والمعنى إني لا أدعي شيئاً من هذه الأشياء الثلاثة حتى تقترحوا عليّ ما هو من آثارها وأحكامها وتجعلوا عدم إجابتي إلى ذلك دليلاً على عدم صحة ما أدعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر قطعاً بل إنما هي عبارة عن تلقي الوحي من جهته عزّ وجل والعمل بمقتضاه فحسب حسبما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿إن اتبع إلا ما يوحى إليّ﴾ أي: ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إليّ من غير أن يكون لي مدخل ما في الوحي أو في الموحى بطريق الاستدعاء أو بوجه آخر من الوجوه أصلاً والوحي ثلاثة. ما ثبت بلسان الملك والقرآن من هذا القبيل. وما ثبت بإشارة الملك من غير أن يبينه بالكلام وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «إن روح القدس نفث في روعي إن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها». والثالث: ما تبدّى لقلبه أي ظهر لقلبه بلا شبهة إلهاماً من الله تعالى بأن أراه الله بنور من عنده كما قال: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥] وأبىٰ الأشعرية وأكثر المتكلمين أن يحكم عليه السلام بالاجتهاد كما تدل عليه الآية إذ ثبت بها أنه لا يتبع إلا الوحي.

والجواب: أنه جعل اجتهاده عليه السلام وحياً باعتبار المآل فإن تقريره عليه السلام على

اجتهاده يدل على أنه هو الحق كما إذا ثبت بالوحي ابتداء. ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾ مثل للضال والمهتدي فإنه عليه السلام لما وصف نفسه بكونه متبعاً للوحي الإلهي لزم منه أن يصف نفسه بالاهتداء ويصف من عانده واستبعد دعواه بالضلال فالعمل بغير الوحي يجري مجرى عمل الأعمى والعمل بمقتضى الوحي يجري مجرى عمل البصير. ﴿أفلا تتفكرون﴾ أي: ألا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه فتهتدوا باتباع الوحي والعمل بمقتضاه فمناط التوبيخ عدم الأمرين معاً أي الاستماع والتفكر.

﴿وأنذر به﴾ أي: خوف من العذاب بما يوحى. ﴿الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم﴾ أي: يبعثوا ويجمعوا إلى ربهم، أي إلى موضع لا ملك أحد فيه نفعهم ولا ضرهم إلا الله تعالى، وقيل: يخافون يعلمون لأن خوفهم إنما كان من علمهم. ﴿ليس لهم من دونه ولي﴾ قريب ينفعهم ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لهم وجملة النفي، أي: ليس في موضع الحال من ضمير يحشرون فإن المخوف هو الحشر على هذه الحال. وقوله: ﴿من دونه﴾ حال من اسم ليس أي: متجاوزاً لله تعالى والمراد بالموصول المؤمنون العاصون كما في أكثر التفاسير وإنما نفى الشفاعة لغيره مع أن الأنبياء والأولياء يشفعون كما هو مذهب أهل السنة لأنهم لا يشفعون إلا بإذنه فكانت الشفاعة في الحقيقة من الله تعالى.

وقال المولى أبو السعود رحمه الله: المراد بالموصول المجوزون من الكفار للحشر سواء كانوا جارمين بأصله كأهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين في شفاعة آبائهم الأنبياء كالأولين أو في شفاعة الأصنام كالآخرين، أو مترددين فيهما معاً كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم أنهم إذا سمعوا بحديث البعث يخافون أن يكون حقاً وأما المنكرون للحشر رأساً والقائلون به القاطعون بشفاعة آباهم أو بشفاعة الأصنام فهم خارجون ممن أمر بإنذارهم انتهى فالكلام على هذا ظاهر لأن الظالمين ليس لهم من حميم ولا شفيع يطاع. ﴿لعلهم يتقون﴾ تعليل للأمر، أي: أنذرهم لكي يتقوا الله بإقلاعهم عمّا هم فيه وعمل الطاعات أو يتقوا الكفر والمعاصي.

والإشارة أن الله تعالى أمر نبيه عليه السلام أن يكلم الكفار على قدر عقولهم فقال: ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ على أنها عندي ولكن لا أقول لكم وهي علم حقائق الأشياء وماهياتها وقد كان عنده في إراءة ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] وفي إجابة قوله عليه السلام: «أرنا الأشياء كما هي» في قوله: «أوتيت جوامع الكلم» وما أمره الله تعالى إلا أن قل ليس عندي خزائن الله.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: «ولا تبذر الأسرار» يعني: بيان الحقائق الذي هو غذاء القلب والروح كالسمراء، يعني: الحنطة للجسم «في أرض عميان» يعني: في أرض استعداد هؤلاء الطوائف الذين لا يبصرون الحق ولا يشاهدونه في جميع الأشياء كما في «شرح الفصوص» للمولى الجامي قدس سره: قال السعدي قدس سره:

دريغست باسفله كفت از علوم كه ضايع شود تخم درشوره بوم

ولا أعلم الغيب فإنه ﷺ كان يخبر عما مضى وعما سيكون بإعلام الحق وقد قال عليه السلام ليلة المعراج: «قطرت في حلقي قطرة علمت ما كان وما سيكون» فمن قال: إن نبي الله لا يعلم الغيب فقد أخطأ فيما أصاب ولا أقول لكم إني ملك وإن كنت قد عبرت عن مقام

الملك حين قلت لجبرائيل تقدم فقال لو دنوت أنملة لأحرقت» كما قال السعدي قدس سره:

شبى برنشست ازفلك بركذشت بتمكين وجاه ازملك دركذشت
جنان كرم درتيه قربت براند كه درسدره جبريل ازوبازماند

إن أتبع إلا ما يوحى إلي، يعني: لا أخبركم عن مقاماتي وأحوالي مما لي مع الله وقد لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا عما يوحى إلي أن أخبركم وكيف أخبركم عما أعمى الله بصائركم عنه وأنا به بصير، فلا يستوي الأعمى والبصير، ثم قال وأنذر به، يعني: أخبر بهذه الحقائق والمعاني الذين يخافون أي يرجون أن يحشروا إلى ربهم بجذبات العناية ويتحقق لهم ليس لهم في الوصول إلى الله من دونه ولي يعني من الأولياء ولا شفيع يعني من الأنبياء لأن الوصول لا يمكن إلا بجذبات الحق لعلهم يتقون عما سوى الله بالله في طلب الوصول.

قال السري السقطي قدس سره: خرجت يوماً إلى المقابر فإذا ببهلول فقلت له أي شيء تصنع هنا؟ قال أجالس قوماً لا يؤذونني وإن غبت لا يغتابونني، فقلت له: تكون جائعاً فولّى وأنشأ يقول:

تجوع فإن الجوع من عمل التقي وإن طويل الجوع يوماً سيشبع

قيل: مثل الصالحين وما زينهم الله به دون غيرهم مثل جند قال لهم الملك: تزينوا للعرض عليّ غداً فمن كانت زينته أحسن كانت منزلته عندي أرفع، ثم يرسل الملك في السر بزينة عنده ليس عند الجند مثلها إلى خواص مملكته وأهل محبته، فإذا تزينوا بزينة الملك فخروا سائر الجند عند العرض على الملك فهذا مثل من وفقهم الله تعالى للأعمال الصالحة والأحوال الزكية ولا حاجة لهم أن يصفوا ما عندهم إلى عامة الناس فإن علمهم بذلك كاف وسيظهر يوم العرض الأكبر وعند الكثيب الأحمر.

أولئك خدام كرام وسادة ونحن عبيد السوء بئس عبيد

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ ـ روي ـ أن رؤساء قريش قالوا لرسول الله ﷺ حين رأوا في مجلسه الشريف فقراء المؤمنين مثل صهيب، وعمار، وخباب، وبلال، وسلمان وغيرهم لو طردت هؤلاء الأعبد وأرواح جبابهم، وكان عليهم جباب صوف لا غير لجالسناك وحادثناك فقال عليه السلام: «ما أنا بطارد المؤمنين» فقالوا فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا حتى يعرف العرب فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا مع هؤلاء فإذا قمنا عن مجلسك فأقعدهم معك إن شئت فهمّ عليه السلام أن يفعل ذلك طمعاً في إيمانهم فأنزل الله تعالى هذه الآية يعلمه أنه لا يحب أن تفضل غنياً على فقير ولا شريفاً على وضيع لأن طريقه فيما أرسل به الدين دون أحوال الدنيا. والطرد الإبعاد وبالفارسية [مران ازمجلس خود آن درويشانراكه ميخوانند پروردكار خودرا وذكراو ميكنند بامداد وشبانكاه] والمراد بذكر الوقتين الدوام ومن دام ذكره دام جلوسه مع الله كما قال: «أنا جليس من ذكرني» ﴿يريدون﴾ بذكرهم وعبادتهم ﴿وجهه﴾ تعالى ورضاه لا شيئاً من أغراض الدنيا. حال من ضمير يدعون أي يدعونه

تعالى مخلصين له وقيد الدعاء بالإخلاص تنبيهاً على أنه ملاك الأمر.

عبادت بإخلاص نيت نكوست وكرنه چه آيد زبى مغزپوست

وإشعاراً بأنه من أقوى موجبات الإكرام المنافي للإبعاد. ﴿ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء﴾ لما لم يقتصر المشركون في طعن فقراء المسلمين على وصفهم بكونهم موالي ومساكين بل طعنوا في إيمانهم أيضاً حيث قالوا يا محمد إنهم إنما اجتمعوا عندك وقبلوا دينك لأنهم يجدون عندك مأكولاً وملبوساً بهذا السبب وإلا فهم عارون عن دينك والإيمان بك دفع الله تعالى ما عسى يتوهم كونه مسوغاً لطردهم من أقاويلهم فقال: ﴿ما عليك﴾ أي: ليس عليك إلا اعتبار ظاهر حالهم وهو اتسامهم بسمة المتقين وإن كان لهم باطن غير مرضي كما يقوله المشركون فمضرة حساب إيمانهم لا ترجع إلا إليهم لا إليك لأن المضرة المرتبة على حساب كل نفس عائدة إليها لا إلى غيرها فالمقصود منه دفع طعن الكفار وتثبيت رسول الله ﷺ على تربية الفقراء وإدنائهم، وضمير حسابهم، وعليهم للذين يدعون ربهم وكلمة (من) في قوله: ﴿من شيء﴾ زائدة وهو فاعل عليك وعليهم لاعتمادها على النفي ومن حسابهم ومن حسابك صفة لشيء ثم قدمت فصارت حالاً.

قال المولى أبو السعود: وذكر قوله تعالى: ﴿وما من حسابك عليهم من شيء﴾ مع أن الجواب قد تم بما قبله للمبالغة في بيان انتفاء كون حسابهم عليه عليه السلام بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه أصلاً وهو انتفاء كون حسابه عليه السلام عليهم على طريقة قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] ﴿فتطردهم﴾ جواب النفي نحو ما تأتينا فتحدثنا بنصب فتحدث على أن يكون المعنى انتفاء التحديث لانتفاء سببه الذي هو الإتيان والآية الكريمة من هذا القبيل فإنه لو كانت مضرة حسابهم مستقرة على المخاطب لكان ذلك سبباً لإبعاد من يتوهم الوهن في إيمانه فحكم بأن هذا السبب غير واقع حتى يقع مسببه الذي هو الطرد. ﴿فتكون من الظالمين﴾ جواب النهي وهو ﴿ولا تطرد الذين﴾ الآية.

﴿وكذلك فتنا﴾ ذلك إشارة إلى مصدر ما بعده من الفعل الذي هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقراء المؤمنين في أمر الدين بتوفيقهم للإيمان مع ما هم عليه في أمر الدنيا من كمال سوء الحال والكاف مقحمة لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتنّا، أي: ابتلينا. ﴿بعضهم ببعض﴾ أي: بعض الناس ببعضهم لا فتون غيره حيث قدمنا الآخرين في أمر الدنيا على الأولين المتقدمين عليهم في أمر الدنيا تقدماً كلياً. ﴿ليقولوا﴾ اللام للعاقبة أي ليكون عاقبة أمرهم أن يقول البعض الأولون مشيرين إلى الآخرين محقرين لهم نظراً إلى ما بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوي وتعامياً عما هو مناط التفضل حقيقة. ﴿أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا﴾ بأن وفقهم لإصابة الحق ولما يسعدهم عنده تعالى من دوننا ونحن المتقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك إنكار وقوع المنّ رأساً على طريقة قولهم لو كان خيراً ما سبقونا إليه لا تحقير الممنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى.

قال الكلبي: إن الشريف إذا نظر إلى الوضيع قد أسلم قبله، استنكف وأنف أن يسلم وقال قد سبقني هذا بالإسلام فلا يسلم. ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ رد لقولهم ذلك وإبطال له أي أليس الله بأعلم بالشاكرين لنعمه حتى تستبعدوا إنعامه عليهم. وفيه إشارة إلى أن أولئك

الضعفاء عارفون لحق نعمة الله تعالى في تنزيل القرآن والتوفيق للإيمان شاكرون له تعالى على ذلك وتعريض بأن القائلين بمعزل من ذلك كله.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض﴾ يعني: الفاضل بالمفضول والمفضول بالفاضل فليشكر الفاضل وليصبر المفضول فإن لم يشكر الفاضل فقد تعرض لزوال الفضل وإن صبر المفضول فقد سعى في نيل الفضل والمفضول الصابر يستوي مع الفاضل الشاكر كما كان سليمان في الشكر مع أيوب في الصبر، فإن سليمان مع كثرة صورة أعماله في العبودية كان هو وأيوب مع عجزه عن صورة أعمال العبودية متساويين في مقام نعم العبدية فقال لكل واحد منهما. ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [ص: ٣٠] ففتنة الفاضل للمفضول رؤية فضله على المفضول وتحقيره ومنع حقه عنه في فضله وفتنة المفضول في الفاضل حسده على فضله وسخطه عليه في منع حقه من فضله عنه فإنه انقطع بالخلق أو رأى المنع والعطاء من الخلق وهو المعطي والمانع لا غير.

فعلى العاقل أن يختار ما اختاره الله ولا يريد إلا ما يريده.

قال الكاشفي في «تفسيره» الفارسي: [در كشف الأسرار آورده كه ارادت برسه وجه است. اول ارادت دنياي محض كما قال تعالى ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنفال: ٦٧] ونشان آندوچيزاست در زيادتىء دنيا بنقصان دين راضى بودن واز درويشان ومسلمانان أعراض نمودن. ودوم ارادت آخرة محض كما قال تعالى ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ [الإسراء: ١٩] وآنيزدو علامت دارد در سلامتىء دين بنقصان دنيا رضا دادن ودر مؤانست والفت بروى درويشان كشادن. سوم ارادت حق محض كما قال تعالى ﴿يريدون وجهه﴾ ونشان آن پاي برسر كونين نهادن است واز خود وخلق آزاد كشتن].

مارا خواهى خطى بعالم دركش ... در بحر فنا غرقه شو ودم دركش

فهم يريدون وجهه تعالى فكل يريدون منه وهم يريدونه ولا يريدون منه كما قيل:

وكل له سؤل ودين ومذهب ... ووصلكمو سؤلي وديني رضاكمو

وتكلم الناس في الإرادة فأكثروا وتحقيقها اهتياج يحصل في القلب يسلب القرار من العبد حتى يصل إلى الله تعالى فصاحب الإرادة لا يهدأ ليلاً ولا نهاراً ولا يجد من دون وصوله إليه سكوتا ولا قراراً كما في «التأويلات النجمية».

وفي الآية الكريمة بيان فضل الفقراء: وعن أبي سعيد الخدري قال جلست في نفر من ضعفاء المهاجرين وكان بعضهم يستتر ببعض من العري وقارىء يقرأ علينا إذ جاء رسول الله ﷺ فقام علينا فلما قام سكت القارىء فسلم رسول الله وقال: «ما كنتم تصنعون»؟ قلنا: يا رسول الله كان قارىء يقرأ علينا وكنا نستمع إلى كتاب الله تعالى فقال رسول الله: «الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم» قال: ثم جلس وسطنا ليعدل نفسه فينا ثم قال بيده: هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم له قال فما رأيت رسول الله عرف منهم أحداً غيري فقال: «أبشروا يا معاشر صعاليك المهاجرين بالفوز التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم»، وذلك مقدار خمسمائة سنة وفي الحديث: «يؤتى بالعبد الفقير يوم القيامة فيعتذر الله عز وجل إليه كما يعتذر الرجل إلى الرجل في الدنيا، فيقول: وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك عليّ ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف وانظر

إلى من أطعمك أو كساك وأراد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك والناس يومئذٍ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل به ذلك في الدنيا فيأخذه بيده ويدخل الجنة» قال الحافظ:

توانكرا دل درويش خود بدست آور — كه مخزن زر وكنج ودرم نخواهدماند
برين رواق زبرجد نوشته اند بزر — كه چزنكوى أهل كرم نخواهدماند

وفي الحديث: «لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حبّ المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله يوم القيامة» قال الشيخ العطار قدس سره:

حب دريشان كليد جنت است — دشمن ايشان سزاى لعنت است

اللهم اجعلنا من الأحباب ولا تطردنا خارج الباب.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا﴾ ـ روي ـ أن قوماً جاؤوا إلى النبي عليه السلام، فقالوا: إنا أصبنا ذنوباً عظاماً فما تدارك الاستغفار وتدبير الاعتذار فسكت عنهم ولم يرد عليهم شيئاً فانصرفوا مأيوسين فنزلت.

قال الإمام كل من آمن بالله دخل هذا التشريف ﴿فقل سلام عليكم﴾ من كل مكروه وآفة والسلام بمعنى التسليم أي الدعاء بالسلامة فمعنى سلام عليكم سلمنا عليكم سلاماً أي دعوت بأن يسلمكم الله من الآفات في دينكم ونفسكم وإنما أمره بأن يبدأهم بالسلام مع أن العادة أن الجائي يسلم على القاعد حتى ينبسط إليهم بالسلام عليهم لئلا يحتشموا من الانبساط إليه هذا هو السلام في الدنيا، وأما في الآخرة فتسلم عليهم الملائكة عند دخول الجنة كقوله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] والله يبتدىء بالسلام عليهم بقوله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨] وقوله: ﴿فقل سلام عليكم﴾ يشير إلى السلام الذي سلمه الله على حبيبه عليه السلام ليلة المعراج إذ قال له: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» فقال في قبول السلام: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» والذي تاب من بعد ظلمه منتظم في سلك أهل الصلاح فمورد الآية لا ينافي هذا المعنى: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ أي: قضاها وأوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والإحسان.

قال ابن الشيخ: كلمة على تفيد الإيجاب وإذا اجتمعا تأكد الإيجاب وهو لا ينافي كونه تعالى فاعلاً مختاراً بل هو عبارة عن تأكيد وبيان لفضله وكرمه اهـ.

قال في «التأويلات النجمية»: قال في حديث رباني للجنة «إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي» فيرحم بجنته من شاء من عباده ويرحم بذاته من شاء من عباده ﴿أنه من عمل منكم سوءاً﴾ بدل من الرحمة والتقدير كتب على نفسه أنه من عمل إلخ فإن مضمون هذه الجملة لا شك أنه رحمة والسوء بالفارسية [كاربد]. ﴿بجهالة﴾ حال من فاعل عمل، أي: عمله ملتبساً بجهالة حقيقة بأن يفعله وهو لا يعلم ما يترتب عليه من المضرة والعقوبة أو حكماً بأن يفعله عالماً بسوء عاقبته فإن من عمل ما يؤدي إلى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك أو

ظانّ فهو في حكم الجاهل فهو حال مؤكدة لأنها مقررة لمضمون قوله: ﴿من عمل سوءاً﴾ لأن عمل السوء لا ينفك عن الجهالة حقيقة أو حكماً.

قال أهل الإشارة: يشير بقوله ﴿منكم﴾ إلى أن عامل السوء صنفان، صنف منكم أيها المؤمنون المهتدون، وصنف من غيركم وهم الكفار الضالون، والجهالة جهالتان جهالة الضلالة وهي نتيجة أخطاء النور المرشش في عالم الأرواح وجهالة الجهولية وهي التي جبل الإنسان عليها فمن عمل من الكفار سوءاً بجهالة الضلالة فلا توبة له بخلاف من عمل سوءاً من المؤمنين بجهالة الجهولية المركوزة فيه فإن له توبة كما قال تعالى: ﴿ثم تاب﴾ أي رجع عنه ﴿من بعده﴾ أي: من بعد عمله. ﴿وأصلح﴾ أي: ما أفسده والإصلاح هو أن لا يعود ولا يفسد. ﴿فإنه﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: فأره إن الله تعالى ﴿غفور﴾ له ﴿رحيم﴾ به.

قال الكاشفي في «تفسيره» الفارسي: [امام قشيري رحمه الله فرموده كه اكرملك برتوذلت مى نويسد ملك براى تو رحمت مى نويسد پس ترادو كتابت است يكى ازلى ويكي وقى مقررست كه كتابت وقتى كتابت ازلى را باطل نمى تواندساخت مضمون اين آيت شريف شفاست بيماران بيمارستان كناه را وشفا بشرط پرهيزست: يعني توبة واستغفار].

دردمــنــدان كــنــه را روزوشــب شــربــتــى بــهــتــر زاسـتـغـفـار نـيـسـت

آرزو مــنــدان وصــال يــاررا چــاره غــيــر از نــالــهــا وزارنــيــسـت

﴿وكذلك نفصل الآيات﴾ الكاف مقحمة لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة وذلك إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده أي هذا التفصيل البديع نفصل الآيات القرآنية ونبينها في صفة أهل الطاعة وأهل الإجرام المصرين منهم والأوابين ليظهر الحق ويعمل به ﴿ولتستبين سبيل المجرمين﴾ أي تظهر طريقتهم فيجتنب عنها، ورفع سبيل على أنه فاعل فإنه يذكر في لغة بني تميم ويؤنث في لغة أهل الحجاز ووجه الاستبانة والإيضاح ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

فعلى العاقل أن يسلك طريق الفوز والفلاح ويصل إلى ما وصل إليه أهل الصلاح. وأول الطريق هو التوبة والاستغفار.

قال العلماء: تذكر أولاً قبح الذنوب وشدة عقوبة الله ثم تذكر ضعفك وقلة حيلتك في ذلك فمن لا يتحمل قرص نملة وحرّ شمس كيف يتحمل نار جهنم ولسع حيات فينبغي أن تجتهد في الخروج من الذنوب على أقسامها التي بينك وبين عباد الله بالاستحلال ورد المظالم، وأما التي هي من ترك الواجبات من صلاة وصيام وزكاة فتقضي ما أمكن منها، وأما التي بينك وبين الله كشرب الخمر وضرب المزامير وأكل الربا فتندم على ما مضى منها وتوطن قلبك على ترك العود إلى مثلها أبداً، فإذا أرضيت الخصوم بما أمكن وقضيت الفوائت بما تقدر عليه وبرأت قلبك من الذنوب فينبغي أن ترجع إليه بحسن الابتهال والضراعة ليكفيك ذلك بفضله فتذهب فتغتسل وتغسل ثيابك فتصلي ركعتين كما في الحديث الصحيح: «ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر له»، وفي حديث آخر: «أيما عبد أو أمة ترك صلاته في جهالته فتاب وندم على تركها فليصل يوم الجمعة بين الظهر والعصر اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل منها الفاتحة وآية الكرسي والإخلاص والمعوذتين مرة لا يحاسبه الله تعالى يوم القيامة ووجد صحيفة سيئاته حسنات» ذكره في «مختصر الإحياء».

يقول الفقير جامع هذه الفوائد: إن هذا الحديث على تقدير صحته لا ينفهم منه أن هذه الصلاة تكون قضاء لجميع ما فات منه وتقوم بدله كيف؟ وقد ذكر في أوله التوبة والندامة ومن مقتضاها قضاء ما سلف كما مر آنفاً فمعنى إن الله تعالى لا يحاسبه يوم القيامة لا يقول له لم أخرت الصلاة التي فرضت عليك عن أوقاتها وذلك ببركة هذه الصلاة الشريفة التي هي تأكيد لتوبته وزيادة في اعتذاره وقد عرف في الشرع أن العبد كما يحاسب على ترك الصلوات كذلك يحاسب على تأخيرها عن أوقاتها وبهذا البيان انحل ما أشكل على بعض من مواظبة الناس على قضاء صلوات يوم وليلة في آخر جمعة من شهر رمضان بين الظهر والعصر فإن ما يصلونه هي الصلاة المذكورة عند الحقيقة لكنهم يغلطون في زعمهم وفي الكيفية والله أعلم.

وفي كتاب «الترغيب والترهيب»: أنه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال واذنوباه واذنوباه مرتين أو ثلاثاً فقال له عليه السلام «قل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي، ورحمتك أرجى عندي من عملي»، فقالها ثم قال: «عد» فعاد، ثم قال: «عد» فعاد، ثم قال: «قم فقد غفر الله لك» ومن استغفر للمؤمنين كل يوم كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة وما الميت في قبره إلا كالغريق المنتظر ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أم أو أخ صديق فإذا ألحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وإن الله تعالى ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الأرض أمثال الجبال وإن هدية الأحياء إلى الأموات الاستغفار لهم، ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب فإنك مرجع كل تواب وأواب.

﴿قل إني نهيت﴾ كان كفار قريش يدعونه عليه السلام إلى دين آبائه فنزلت أي صرفت وزجرت بما نصب لي من الأدلة وأنزل عليّ من الآيات في أمر التوحيد. ﴿أن أعبد الذين تدعون﴾ أي: عن عبادة ما تعبدونه. ﴿من دون الله﴾ كائناً ما كان. ﴿قل لا أتبع أهواءكم﴾ إشارة إلى الموجب للنهي كأنهم قالوا لم نهيت عما نحن فيه ولم تمتنع عن متابعتنا أجاب بأن ما أنتم عليه هوى وليس بهدى فكيف أتبع الهوى وأترك الهدى. ﴿قد ضللت إذاً﴾ أي: إن اتبعت أهواءكم فقد ضللت أي تركت سبيل الحق. ﴿وما أنا من المهتدين﴾ من الذين سلكوا طريق الهدى عطف على ما قبله.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿قل إني على بينة﴾ كائنة ﴿من ربي﴾ والبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل يقال أنا على بينة من هذا الأمر وأنا على يقين منه إذا كان ثابتاً عندك بحجة واضحة وشاهد صدق والمراد بها القرآن والوحي. ﴿وكذبتم به﴾ جملة مستأنفة سيقت للإخبار بذلك والضمير المجرور للتنبيه والتذكير باعتبار البيان والبرهان والمعنى إني على بينة عظيمة كائنة من ربي وكذبتم بها وبما فيها من الأخبار التي من جملتها الوعيد بمجيء العذاب. ﴿ما عندي ما تستعجلون به﴾ ـ روي ـ أن رؤساء قريش كانوا يستعجلون العذاب بقولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الملك: ٢٥] بطريق الاستهزاء أو بطريق الإلزام حتى قام النضر بن الحارث في الحطيم وقال ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ

﴿ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] والمعنى ليس ما تستعجلون به من العذاب الموعود في القرآن وتجعلون تأخره ذريعة لتكذيبي في حكمي وقدرتي حتى أجيء به وأظهر لكم صدقه أي ليس أمره بمفوض إليّ. ﴿إن الحكم﴾ أي ما الحكم في ذلك وغيره تعجيلاً وتأخيراً. ﴿إلا لله﴾ وحده من غير أن يكون لي دخل ما فيه بوجه من الوجوه. ﴿يقص الحق﴾ أي: يقول الحق ويتبعه في بيان جميع أحكامه ولايحكم إلا بما هو حق فتأخير العذاب حق ثابت جار على حكمة بليغة وأصل الحكم المنع فكأنه يمنع الباطل عن معارضة الحق أو الخصم عن التعدي على صاحبه. ﴿وهو خير الفاصلين﴾ اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشير إلى أن قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل ﴿قل لو أن عندي﴾ أي: في قدرتي ومكنتي. ﴿ما تستعجلون به﴾ من العذاب الذي ورد به الوعيد بأن يكون أمره مفوضاً إليّ من جهته عزّ وجل. ﴿لقضي الأمر بيني وبينكم﴾ أي: بأن ينزل ذلك عليكم إثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره، وفي بناء الفعل للمفعول من الإيذان بتعين الفاعل الذي هو الله سبحانه وتهويل الأمر ومراعاة حسن الأدب ما لا يخفى. ﴿والله أعلم بالظالمين﴾ أي: بحالهم وبأنهم مستحقون للإمهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الأمر إليّ فلم يقض الأمر بتعجيل العذاب فعابد الأصنام سواء أمهل أو لا يذوق العذاب ولا يتخلص منه أصلاً وكذا عابد الدنيا والنفس والشيطان والهوى فإن ذلك في نار الجحيم وهذا في نار الفراق العظيم. فعلى العاقل أن لا يتبع الهوى كما أمر الله تعالى فقال: ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٦].

قال بعضهم جزت مرة ببلاد السواد فرأيت شيخاً جالساً في الهواء فسلمت عليه فرد السلام علي، فقلت له: بم جلست في الهواء؟ قال: خالفت الهوى فأسكنت في الهواء.

وجاء جماعة من فقهاء اليمن إلى الشيخ الكبير أبي الغيث قدس سره يمتحنونه في شيء فلما دنوا منه، قال: مرحباً بعبيد عبدي فاستعظموا ذلك فلحقوا شيخ الطريقين وإمام الفريقين العالم العارف أبا الذبيح إسماعيل بن محمد الحضرمي، فأخبروه بما قال الشيخ أبو الغيث لهم: فضحك الشيخ، وقال صدق الشيخ أنتم عبيد الهوى والهوى عبده وإنما يتخلص المرء من الهوى بالتقوى. وفي «المثنوي»:

چونكه تقوى بست دو دست هوا   حق كشايد هردودست عقل را

پس حواس پيره محكوم توشد   چون خرد سالار ومخدوم توشد

واعلم: أن الهوى من أوصاف النفس فالآيات متعلقة بإصلاح النفس، ومن كان على بينة من ربه، وهي في الحقيقة النور الذي ينشرح به الصدر يكون على الهدى لا على الهوى وله علامات كما لا يخفى ـ حكي ـ أن بعض الصالحين كان يتكلم على الناس ويعظهم فمر عليه في بعض الأيام يهودي وهو يخوفهم ويقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١] فقال اليهودي: إن كان هذا الكلام حقاً فنحن وأنتم سواء فقال له الشيخ لا ما نحن سواء بل نحن نرد ونصدر وأنتم تردون ولا تصدرون ننجو نحن منها بالتقوى وتبقون أنتم فيها جثياً بالظلم ثم قرأ الآية الثانية ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧٢] فقال اليهودي: نحن المتقون، فقال له الشيخ كلا بل نحن وتلا قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧] فقال اليهودي: هات برهاناً على

صدق هذا فقال له الشيخ البرهان حاضر يراه كل ناظر وهو أن تطرح ثيابي وثيابك في النار فمن سلمت ثيابه فهو الناجي منها، ومن أحرقت ثيابه فهو الباقي فيها فنزعا ثيابهما فأخذ الشيخ ثياب اليهودي ولفها ولف عليها ثيابه ورمى الجميع في النار ثم دخل النار فأخذ الثياب ثم خرج من الجانب الآخر ثم فتحت الثياب فإذا ثياب الشيخ المسلم سالمة بيضاء قد نظفتها النار وأزالت عنها الوسخ، وثياب اليهودي قد صارت حراقة مع أنها مستورة وثياب الشيخ المسلم ظاهرة للنار فلما رأى ذلك أسلم والحمد لله فهذه الحكاية مناسبة لما ذكر من الآيات إذ كفار قريش كانوا من أهل الظلم والهوى فلم ينفعهم دعواهم فصاروا إلى العذاب والمؤمنون كانوا من أهل العدل والبينة والهدى فأنتج تقواهم ووصلوا إلى جنات مفتحة لهم الأبواب ومن سلم لباسه من النار سلم وجوده بالطريق الأولى بل الثوب في الحقيقة هو الوجود الظاهري الذي استتر به الروح الباطني فلا بد من تطهيره المؤدي إلى تطهير الباطن يسره الله.

﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وعنده﴾ أي الله تعالى خاصة. **﴿مفاتح الغيب﴾** أي: خزائن غيوبه، جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن والكنز والإضافة من قبيل لجين الماء وهو المناسب للمقام كما في «حواشي سعدي چلبي» المفتي ويجوز أن يكون جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح أي آلة الفتح فالمعنى ما يتوصل به إلى الغيب شبه الغيب بالخزائن المستوثق بها بالأقفال وأثبت لها مفاتح على سبيل التخييل ولما كان عنده تلك المفاتح كان المتوصل إلى ما في الخزائن من المغيبات هو لا غير كما في «حواشي ابن الشيخ» **﴿لا يعلمها إلا هو﴾** تأكيد لمضمون ما قبله.

قال في «تفسير الجلالين»: وهي الخمسة التي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية رواه البخاري قال رسول الله ﷺ: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما في الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، ولا يدري بأي أرض تموت النفس إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله». **﴿ويعلم ما في البر والبحر﴾** من الموجودات مفصلة على اختلاف أجناسها وأنواعها وتكثير أفرادها وهو بيان لتعلق علمه تعالى بالمشاهدات إثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيهاً عن أن الكل بالنسبة إلى علمه المحيط سواء في الجلاء **﴿وما تسقط من﴾** زائدة **﴿ورقة إلا يعلمها﴾** يريد ساقطة وثابتة، يعني: يعلم عدد ما يسقط من ورق الشجر وما يبقى عليه وهي مبالغة في إحاطة علمه بالجزئيات. **﴿ولا حبة﴾** عطف على ورقة وهي بالفارسية [دانه]. **﴿في ظلمات الأرض﴾** أي: كائنة في بطونها لا يعلمها.

قال الكاشفي: [مراد تخميست كه در زمين افتد]. **﴿ولا رطب﴾** عطف على ورقة أيضاً وهو بالفارسية [تر]. **﴿ولا يابس﴾** بالفارسية [خشك]، أي: ما يسقط من شيء من هذه الأشياء إلا يعلمه.

قال الحدادي: الرطب واليابس عبارة عن جميع الأشياء التي تكون في السموات وفي الأرض لأنها لا تخلو من إحدى هاتين الصفتين انتهى فيختصان بالجسمانيات إذ الرطوبة واليبوسة من أوصاف الجسمانيات. **﴿إلا في كتاب مبين﴾** هو اللوح المحفوظ فهو بدل اشتمال

من الاستثناء الأول أو هو علمه تعالى فهو بدل منه بدل الكل. وقرىء ولا رطب ولا يابس بالرفع على الابتداء والخبر إلا في كتاب وهو الأنسب بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذٍ لما ليس من شأنه السقوط.

قال الحدادي: فإن قيل ما الفائدة في كون ذلك في اللوح مع أن الله تعالى لا يخفى عليه شيء وإن كان عالماً بذلك قبل أن يخلقه وقبل أن يكتبه لم يكتبها ليحفظها ويدرسها؟ قيل: فائدته أن الحوادث إذا حدثت موافقة للمكتوب ازدادت الملائكة بذلك علماً ويقيناً بعظيم صفات الله تعالى.

يقول الفقير: إن الملائكة ليست من أهل الترقي والتنزل فقصر الفائدة على ذلك مما لا معنى له بل نقول إن اللوح قلب هذا التعين كقلب الإنسان قد انتقش فيه ما كان وما سيكون وهو من مراتب التنزلات فقد ضبط الله فيه جميع المقدورات الكونية لفوائد ترجع إلى العباد يعرفها العلماء بالله. قال الحافظ:

معرفت نيست درين قوم خدايا سببى تـابـرم كـوهـر خـودرا بـخـريـدار ديـكـر

والإشارة في الآية أن الله تعالى جعل لكل شيء من المكونات شهادة تناسب ذلك الشيء وغيباً مناسباً له وجعل لغيب كلّ مفتاحاً يفتح به باب غيب ذلك الشيء وشهادته فينفعل ذلك الشيء كما أراده الله في الأزل وقدره. ﴿وعنده مفاتح﴾ذلك ﴿الغيب لا يعلمها إلا هو﴾لأنه لا خالق إلا هو ليس لنبي ولا لولي مدخل في علم هذه المفاتح ولا في استعمالها لأنه مختص بالخالق فقط، وسأضرب لك مثلاً تدرك به هذه الحقيقة وذلك مثل نقاش للصورة فإن لكل صورة مما ينقشه شهادة هي هيئتها وغيباً هو علم التصوير، ومفتاحاً يفتح به باب علم التصوير على هيئة الصورة لتنفعل الصورة كما هي ثابتة في ذهن النقاش هو القلم والقلم بيد النقاش لا مدخل لتصرف غيره فيه، فالله تعالى هو النقاش المصور والصور هي المكونات المختلفة الغيبية والشهادية وشهادة كل صورة منها خلقتها وتكوينها وقلم تصويرها الذي هو مفتاح يفتح به باب علم تكوينها على صورتها وكونها هو الملكوت فبقلم ملكوت كل شيء يكون كون كل شيء وقلم الملكوت بيد الله تعالى كما قال: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٣] وكما أن الأشياء مختلفة فالملكوتيات مختلفات وملكوت كل شيء من الجمال والنبات والحيوان والإنسان والملك مناسب لصورته ولهذا جمع المفاتح ووحّد الغيب. وقال: ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾لأن الغيب هو علم التكوين وهو واحد في جميع الأشياء وفي الملكوت كثرة كما في أقلام المصور فافهم جداً. ﴿و﴾بعلم التكوين ﴿يعلم ما في البر والبحر﴾لأن به كوّن البر وهو عالم الشهادة والصورة والبحر وهو عالم الغيب والملكوت يدل على هذا المعنى قوله لا عالم الغيب والشهادة ﴿و﴾بهذا العلم ﴿ما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾لأنه مكونها ومثبتها ومسقطها ﴿ولا حبة في ظلمات الأرض﴾أي: حبة الروح في ظلمات صفات أرض النفس وأيضاً ولا حبة في ظلمات الأرض أي: أرض القلب وظلمات صفات البشرية إلا وهو ركبها ويعلم كمالها ونقصانها ﴿ولا رطب ولا يابس﴾الرطب هو الموجود في الحال واليابس هو المعدوم في الحال وسيكون موجوداً. وأيضاً الرطب الروحانيات واليابس الجماديات وأيضاً الرطب المؤمن واليابس الكافر. وأيضاً الرطب العالم واليابس الجاهل. وأيضاً الرطب العارف واليابس الزاهد. وأيضاً الرطب أهل المحبة واليابس أهل السلوة. وأيضاً الرطب صاحب

الشهود واليابس صاحب الوجود. وأيضاً الرطب الباقي بالله واليابس الباقي بنفسه. ﴿إلا في كتاب مبين﴾ وهو أم الكتاب كذا في «التأويلات النجمية» قدس سره مؤلفها العزيز الشريف.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ الخطاب عام للمؤمن والكافر أي ينيمكم في الليل ويجعلكم كالميت في زوال الاحساس والتمييز ومن هنا ورد «النوم أخ الموت» والتوفي في الأصل قبض الشيء بتمامه، وعن علي رضي الله عنه: «يخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فإذا انتبه من النوم عادت الروح إلى الجسد بأسرع من لحظة»، يعني: إن الذي يرى الرؤيا هو الروح الإنساني وإنه يرى في عالم البرزخ ما صدر عن الروح الحيواني من القبيح والحسن وهو ظل الروح الإنساني والتعبير بالحيواني والإنساني اصطلاح الحكماء وأما أهل السلوك فيعبرون عنها بالروح وتنزله. ﴿ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ أي: ما كسبتم فيه وجوارح الإنسان أعضاؤه التي يكسب بها الأعمال خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جرياً على العادة. ﴿ثم يبعثكم فيه﴾ أي: يوقظكم في النهار عطف على يتوفاكم وتوسيط قوله ويعلم بينهما لبيان ما في بعثهم من عظيم الإحسان إليهم بالتنبيه على أنه بعد علم ما يكتسبونه من السيئات مع كونها موجبة لإبقائهم على التوفي بل لإهلاكهم بالمرة يفيض عليهم الحياة ويمهلهم كما ينبىء عنه كلمة التراخي كأنه قيل هو الذي يتوفاكم في جنس الليل ثم يبعثكم في جنس النهار مع علمه بما ستجرحون فيه. ﴿ليقضى أجل مسمى﴾ أي: ليبلغ المتيقظ آخر أجله المسمى له في الدنيا وقضاء الأجل فصل الأمر على سبيل التمام فمعنى قضاء الأجل فصل مدة العمر من غيرها بالموت والأجل آخر مدة الحياة. ﴿ثم إليه مرجعكم﴾ أي: رجوعكم بالموت لا إلى غيره أصلاً. ﴿ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾ بالمجازاة بأعمالكم التي كنتم تعملونها في تلك الليالي والأيام.

﴿وهو القاهر﴾ مستعلياً ﴿فوق عباده﴾ أي: المتصرف في أمورهم لا غيره يفعل بهم ما يشاء إيجاداً وإعداماً وإحياء وإماتة وتعذيباً وإثابة إلى غير ذلك، ويجوز أن يكون فوق خبراً بعد خبر وليس معنى فوق معنى المكان لاستحالة إضافة الأماكن إلى الله تعالى وإنما معناه الغلبة والقدرة ونظيره فلان فوق فلان في العلم أي أعلم منه. وفي «المثنوي»:

دست شد بالاى دست اين تاكجا — تا بيزدان كه اليه المنتهى
كان يكى درياست بى غور وكران — جمله دريا ها چو سيلى پيش لآن
حيلها وچارها كر اژد هاست — پيش إلا الله آنها جمله لاست

﴿ويرسل عليكم حفظة﴾ عطف على الجملة الاسمية قبلها أي يرسل عليكم خاصة أيها المكلفون ملائكة تحفظ أعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه أن المكلف إذا علم أن أعماله تكتب عليه وتعرض على رؤوس الأشهاد كان أزجر عن المعاصي وأن العبد إذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه. قال الكاشفي:

نه انديشى ازان روزيكه دروى چكرها خون ودلها ريش بينى
دهندت نامۀ أعمال وكويند بخوان تاكردهاى خويش بينى
مكن ورميكنى بارى دران كوش كه اندر نامه نيكى پيش بينى

ورد في الخبر «أن على كل واحد منا ملكين بالليل وملكين بالنهار يكتب أحدهما الحسنات والآخر السيئات وصاحب اليمين أمير على صاحب الشمال، فإذا عمل العبد حسنة كتبت له بعشر أمثالها وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتب قال له صاحب اليمين أمسك فيمسك عنه ست ساعات أو سبع ساعات فإن هو استغفر الله لم يكتب عليه وإن لم يستغفر كتب سيئة واحدة».

فإن قلت: هل تعرف هؤلاء الملائكة العزم الباطن كما يعرفون الفعل الظاهر.

قلت: نعم لأن الحفظة تنتسخ من السفرة وهي من الخزنة التي وكلت باللوح وقد كتب فيه أحوال العوالم وأهاليها من السرائر والظواهر فبعد وقوفهم على ذلك يكتبون ثانياً من أول اليوم إلى آخره ومن أول الليل إلى آخره حسبما يصدر عن الإنسان.

وقيل: إذا همّ العبد بحسنة فاح من فيه رائحة المسك فيعلمون بهذه العلامة فيكتبونها وإذا همّ بسيئة فاح منه ريح النتن.

فإن قلت والملائكة التي ترفع عمل العبد في اليوم أهم الذين يأتون غداً أم غيرهم.

قلت قال بعض العلماء الظاهر أنهم هم وأن ملكي الإنسان لا يتغيران عليه ما دام حياً.

وقال بعض المشايخ: من جاء أنهم لا يرجع أبداً مرة أخرى ويجيء آخرون مكانهم إلى نفاد العمر واختلف في موضع جلوس الملكين وفي الخبر النبوي: «نقوا أفواهكم بالخلال فإنها مجلس الملكين الكريمين الحافظين، وإن مدادهما الريق وقلمهما اللسان، وليس عليهما شيء أمرّ من بقايا الطعام بين الأسنان» ولا يبعد أن يوكل بالعبد ملائكة سوى هذين الملكين كل منهم يحفظه من أذى كما جاء في الروايات. ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت﴾ حتى هي التي يبتدأ بها الكلام وهي مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كأنه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون أعمالكم مدة حياتكم حتى إذا انتهت مدة أحدكم كائناً من كان وجاءه أسباب الموت ومباديه. ﴿توفته رسلنا﴾ الآخرون المفوض إليهم ذلك وهم ملك الموت وأعوانه وانتهى هناك حفظ الحفظة ﴿وهم﴾ أي: الرسل. ﴿لا يفرطون﴾ أي: لا يقصرون فيما يؤمرون بالتواني والتأخير طرفة عين.

واعلم: أن القابض لأرواح جميع الخلق هو الله تعالى حقيقة، وأن ملك الموت وأعوانه وسائط ولذلك أضيف التوفي إليهم وقد يكون التوفي بدون وساطتهم كما نقل في وفاة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وغيرها، وأعوان ملك الموت أربعة عشر ملكاً: سبعة منها ملائكة الرحمة وإليهم يسلم روح المؤمن بعد القبض، وسبعة منهم ملائكة العذاب وإليهم يسلم روح الكافر بعد الوفاة.

قال مجاهد: قد جعلت الأرض لملك الموت كالطشت يتناول من حيث يشاء.

يقول الفقير: ليس على ملك الموت صعوبة في قبض الأرواح وإن كثرت وكانت في أمكنة مختلفة وكيفية لا تعرف بهذا العقل الجزئي كما لا تعرف كيفية وسوسة الشيطان في قلوب جميع أهل الدنيا ـ روي ـ في الخبر أن رسول الله دخل على مريض يعوده فرأى ملك

الموت عند رأسه فقال: «يا ملك الموت ارفق به فإنه مؤمن، فقال ملك الموت: يا محمد أبشر وطب نفساً وقرّ عيناً فإني بكل مؤمن رفيق إني لأقبض روح المؤمن فيصرخ أهله فأعتزل في جانب الدار فأقول ما لي من ذنب وإني مأمور وإن لي لعودة فالحذر الحذر وما من أهل بيت مدر ولا وبر في بر وبحر إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات، حتى إني لأعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم والله لو أردت أن أقبض روح بعوضة لما قدرت عليها حتى يأمرني الله تعالى بقبضها».

قال العلماء: الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار ولما خلق الله الموت على صورة كبش أملح قال له اذهب إلى صفوف الملائكة على هيئتك هذه فلم يبق ملك إلا غشي عليه ألف عام ثم أفاقوا فقالوا يا ربنا ما هذا قال الموت قالوا لمن ذلك قال على كل نفس قالوا لم خلقت الدنيا قال ليسكنها بنو آدم قالوا لم خلقت النساء؟ قال: ليكون النسل، قالوا: من يسلط عليه هذا هل يشتغل بالنساء والدنيا قال إن طول الأمل ينسيهم الموت حتى يكون منهم أخذ الدنيا وشهوة النساء ولذلك قيل الموت من أعظم المصائب وأعظم منه الغفلة عنه.

﴿ثم ردوا﴾ عطف على توفته والضمير للكل المدلول عليه بأحدكم، أي: ردوهم الملائكة بعد البعث ﴿إلى الله﴾ أي: إلى حكمه وجزائه في موقف الحساب فالرد إلى الله ليس على ظاهره لكونه تعالى متعالياً عن المكان والجهة بل هو عبارة عن جعلهم منقادين لحكم الله تعالى مطيعين لقضائه بأن يساقوا إلى حيث لا مالك ولا حاكم فيه سواه. ﴿مولاهم﴾ أي: مالكهم الذي يملك أمورهم على الإطلاق، وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد: ١١] فالمولى فيه بمعنى الناصر فلا تناقض وهو بدل من الجلالة ﴿الحق﴾ الذي لا يقضي إلا بالعدل وهو صفة للمولى. ﴿ألا﴾ أي: اعلموا وتنبهوا ﴿له الحكم﴾ أي القضاء بين العباد يومئذٍ لا حكم لغيره فيه بوجه من الوجوه. ﴿وهو أسرع الحاسبين﴾ يحاسب جميع الخلائق في أسرع زمان وأقصره، لا يشغله حساب عن حساب، ولا شأن عن شأن لا يتكلم بآلة، ولا يحتاج إلى فكرة ورؤية وعقد يد ومعنى المحاسبة تعريف كل واحد ما يستحقه من ثواب وعقاب.

قال بعض العلماء: المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها فيقدم الحساب على الميزان ولهذا لا ميزان لمن يدخل الجنة بلا حساب.

واعلم: أن الحشر والحساب لا يكون على وجه الأرض وإنما يكون في الأرض المبدلة وهي أرض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم ولم يظلم عليها أحد فإذا ثبت الحشر والحساب، وأن الله تعالى هو المحاسب وجب على العاقل أن يحاسب نفسه قبل أن يناقش في الحساب لأنه هو التاجر في طريق الآخرة وبضاعته عمره وربحه صرف عمره في الطاعات والعبادات، وخسرانه صرفه في المعاصي والسيئات ونفسه شريكه في هذه التجارة، وهي وإن كانت تصلح للخير والشر لكنها أميل وأقبل إلى المعاصي والشهوات فلا بد له من مراقبتها ومحاسبتها. قال السعدي قدس سره:

توغافل درانديشهٔ سود ومال ... كه سرمايهٔ عمر شد بايمال

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿قل﴾ يا محمد لأهل مكة. ﴿من﴾ استفهام ﴿ينجيكم﴾ أي: يخلصكم ويعطي لكم نجاة ﴿من ظلمات البر والبحر﴾ من شدائدهما وأهوالهما في أسفاركم استعيرت الظلمة للمشقة لمشاركتهما في الهول وإبطال الإبصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب، أي: اشتدت ظلمته حتى صار كالليل في ظلمته بناء على أن الليل إذا لم يستنر بنور القمر ظهرت الكواكب صغارها وكبارها وكلما اشتدت ظلمته اشتد ظهور الكواكب. ﴿تدعونه تضرعاً وخفية﴾ أي: معلنين ومسرّين على أن يكون تضرعاً وخفية مصدرين في موضع الحال من فاعل تدعونه وتدعون حال من فاعل ينجيكم أي داعين إياه تعالى والتضرع إظهار الضراعة وهي شدة الفقر والحاجة إلى الشيء. ﴿لئن أنجانا﴾ حال من فاعل تدعون أيضاً على إرادة القول أي تدعونه قائلين والله لئن خلصنا. ﴿من هذه﴾ الظلمات والشدائد ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ أي: الراسخين في الشكر المداومين عليه لأجل هذه النعمة. والشكر الاعتراف بالنعمة مع القيام بحقها وحق نعمة الله أن يطاع منعمها ولا يعصى فضلاً عن أن يشرك به ما لا يقدر على شيء أصلاً.

﴿قل﴾ لهم ﴿الله ينجيكم منها ومن كل كرب﴾ أي: غم سواها والكرب غاية الغم الذي يأخذ بالنفس ﴿ثم أنتم﴾ بعد ما تشاهدون من هذه النعم الجليلة ﴿تشركون﴾ بعبادته تعالى غيره، والمناسب لقولهم ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ أن يقال: ثم أنتم لا تشكرون، أي: لا تعبدون لكن وضع تشركون موضعه تنبيهاً على أن الإشراك بمنزلة ترك الشكر رأساً.

﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً﴾ لأجل إشراككم ﴿من فوقكم﴾ أي: عذاباً كائناً من جهة الفوق كما فعل بقوم نوح عليه السلام بحيث أهلكهم بأن أرسل عليهم الطوفان والصاعقة والريح والصيحة وأهلك قوم لوط وأصحاب الفيل بأن أمطر عليهم حجارة. ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ أي: من جهة السفل كما أغرق فرعون وخسف بقارون. وقيل من فوقكم ملوككم وأكابركم ورؤساؤكم ومن تحت أرجلكم عبيدكم السوء وسفلتكم وسفهاؤكم وكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معاً كما فعل بقوم نوح ﴿أو يلبسكم﴾ من لبست عليه الأمر أي خلطته من باب ضرب وأما لبست الثوب فمن باب علم ومصدر الأول اللبس بالفتح والثاني بالضم والمعنى أو يخلطكم ﴿شيعاً﴾ منصوب على أنه حال من مفعول يلبسكم هو جمع شيعة كسدرة وسدر. والشيعة كل قوم اجتمعوا على أمر أي يخلطكم حال كونكم فرقاً متجزئين على أهواء شتى ومذاهب مختلفة كل فرقة مشايعة لإمام فينشب بينكم القتال أي يهيج ويظهر فهذا الخلط هو خلط اضطراب لا خلط اتفاق. ﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ يقاتل بعضكم بعضاً ومن سنة الله تعالى أن يذيق الكافرين بأس المؤمنين وبالعكس وأن يذيق بعض الكافرين بأس بعض وبعض المؤمنين بأس بعضهم كما هو في أكثر الأزمان والأعصار على حسب التربية المبنية على جماله وجلاله تعالى وفي الحديث: «سألت ربي ثلاثاً

فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها فسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها» أراد بالسنة قحطاً يعم أمته وبالغرق بفتح الراء ما يكون على سبيل العموم كطوفان نوح عليه السلام.

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي البروسي: تأثير طوفان نوح عليه السلام يظهر في كل ثلاثين سنة مرة واحدة لكن على الخفة فيقع مطر كثير ويغرق بعض القرى والبيوت من السيل اهـ. كلامه وأراد عليه السلام بالبأس الحرب والفتن وفي الحديث: «فناء أمتي بالطعن والطاعون» وفي آخر: «إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع منها إلى يوم القيامة» وفيه معجزة للنبي عليه السلام حيث كان الأمر كما أخبره. والبأس الشدة في الحرب، وسبب دخول البأس عدم حكم الأئمة بكتاب الله تعالى وسبب تسلط العدو نقض عهد الله وعهد رسوله كما جاء في بعض الأحاديث. ﴿انظر﴾ يا محمد ﴿كيف نصرف﴾ لهم ﴿الآيات﴾ القرآنية من حال إلى حال بالوعد والوعيد أي نبين لهم آية على أثر آية ونوردها على وجوه مختلفة من أول السورة إلى هنا. ﴿لعلهم يفقهون﴾ كي يفقهوا ويقفوا على جلية الأمر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد.

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿وكذب به﴾ أي بالعذاب الموعود أو القرآن المجيد الناطق بمجيئه. ﴿قومك﴾ أي: المعاندون منهم ﴿وهو الحق﴾ أي والحال أن ذلك العذاب واقع لا محالة أو أنه الكتاب الصادق في كل ما نطق. ﴿قل﴾ لهم ﴿لست عليكم بوكيل﴾ بحفيظ وكل إلى أمركم لأمنعكم من التكذيب وأجبركم على التصديق إنما أنا منذر وقد خرجت من العهدة حيث أخبرتكم بما سترونه.

﴿لكل نبأ﴾ أي: خبر من أخبار القرآن ﴿مستقر﴾ اسم زمان أي: وقت يقع فيه ويستقر زمن عذابكم. ﴿وسوف تعلمون﴾ عند وقوعه في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معاً.

فعلى العاقل أن يتضرع إلى الله تعالى في دفع الشدائد ولا يصرّ على ذنبه فإنه سبب للابتلاء وكل ظلمة إنما تجيء من ظلمات النفس الأمارة، كما قال في «المثنوي»:

هر چه برتو آيد از ظلمات غم آن زبى شرمى وكستاخيست هم

قال الصائب:

چرازغير شكايت كنم كه همچو حباب هميشه خانه خراب هواي خويشتنم

والإشارة: أن البر هو الأجسام والبحر هو الأرواح فالأرواح وإن كانت نورانية بالنسبة إلى الأجسام لكن بالنسبة إلى الحق ونور ألوهيته ظلمانية، كما قال عليه السلام: «إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره» فمعناه إذا خلقتكم في ظلمة الخلقية فمن ينجيكم من ظلمات بر البشرية وظلمات بحر الروحانية إذ تدعونه تضرعاً، أي: بالجسم وخفية أي بالروح.

﴿لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون﴾ حين تجلى لكم نور من أنوار صفاته فبعضكم يشرك ويقول أنا الحق وبعضكم يقول سبحاني ما أعظم شأني ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم﴾ حين تقولون أنا الحق وسبحاني. ﴿عذاباً من فوقكم﴾ بأن يرخي حجاباً بينه وبينكم يعذبكم به عزة وغيرة. ﴿أو من

تحت أرجلكم﴾ أي: حجاباً من أوصاف بشريتكم باستيلاء الهوى عليكم. **﴿أو يلبسكم شيعاً﴾** يجعل الخلق فيكم فرقاً فرقة يقولون هم الصديقون وفرقة يقولون هم الزنادقة. **﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾** بالقتل والصلب وقطع الأعراق كما فعل بابن منصور.

قالوا: وكان قد جرى من الحلاج قدس سره كلام في مجلس حامد بن عباس وزير المقتدر بحضرة القاضي أبي عمر فأفتى بحل دمه وكتب خطه بذلك، وكتب معه من حضر المجلس من الفقهاء، وقال له الحلاج: ظهري حمى ودمي حرام وما يحل لكم أن تتأولوا عليّ بما يبيحه وإنما اعتقادي الإسلام ومذهبي السنة وتفضيل الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين وبقية العشرة من الصحابة رضي الله عنهم ولي كتب في السنة موجودة في الوراقين فالله الله في دمي ولم يزل يردد هذا القول وهم يكتبون خطوطهم إلى أن استكملوا ما احتاجوا إليه وانفضوا من المجلس وحمل الحلاج إلى السجن وكتب الوزير إلى المقتدر يخبره بما جرى في المجلس، فعاد جواب المقتدر بأن القضاة إذا كانوا قد أفتوا بقتله فليسلم إلى صاحب الشرطة وليتقدم بضربه ألف سوط فإن مات، وإلا فيضرب ألف سوط آخر، ثم ليضرب عنقه فسلمه الوزير إلى الشرطي، وقال له: ما رسم به المقتدر وقال أيضاً إن لم يتلف بالضرب يقطع يده ثم رجله ثم يحز رأسه وتحرق جثته وإن خدعك وقال لك: أنا أجري لك الفرات ودجلة ذهباً وفضة فلا تقبل منه ذلك ولا ترفع العقوبة عنه فتسلمه الشرطي ليلاً، وأصبح يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجة من سنة تسع وثلاثمائة، فأخرجه إلى باب الطاق وهو يتبختر في قيوده واجتمع من العامة خلق لا يحصى عددهم وضربه الجلاد ألف سوط، ولم يتأوه ولما فرغ من ضربه قطع أطرافه الأربعة ثم حزّ رأسه ثم أحرقت جثته ولما صار رماداً ألقاه في دجلة ونصب الرأس ببغداد على الجسر وادّعى بعض أصحابه أنه لم يقتل ولكن ألقي شبهه على عدو من أعداء الله تعالى كما وقع في حق عيسى عليه السلام والأولياء ورثة الأنبياء.

يقول الفقير: لهذا التشبيه والتخييل نظائر في حكايات المشايخ يجدها من تتبع ومرادي بيان جوازه لا اعتقاد أنه كان كذلك.

فإن قلت من حق ولاية الحلاج أن لا يحترق ولا يكون رماداً؟

قلت: ذلك غير لازم فإن الأجساد مشتركة في قبول العوارض والآفات ألا ترى إلى حال أيوب ويحيى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام وقد ذكر أهل التفسير في أصحاب الرس أنهم قتلوا الأنبياء المبعوثين إليهم وأكلوا لحومهم تمرداً وعناداً ورسوا بئرهم بعظامهم نعم قد يكون في هذه النشأة أمور خارجة عن العادة خارقة كأحوال بعض الأنبياء والأولياء الذين قتلوا مثلاً ثم أحياهم الله تعالى وأما في القبر فقد ثبت أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ومن يليهم.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾ إذا منصوب بجوابه وهو فأعرض والمراد بالخطاب النبي عليه السلام وأمته. والخوض في اللغة الشروع في الشيء مطلقاً إلا أنه غلب في الشروع في الشيء الباطل والآيات القرآن. والمعنى إذا رأيت الذين يشرعون في القرآن بالتكذيب والاستهزاء به والطعن فيه كما هو دأب كفار قريش **﴿فأعرض عنهم﴾** بترك مجالستهم

والقيام عنهم عند خوضهم في الآيات. ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ أي استمر على الإعراض إلى أن يشرعوا في حديث غير آياتنا فالضمير إلى الآيات والتذكير باعتبار كونها حديثاً أو قرآناً. ﴿وإما﴾ أصله إن ما فأدغمت نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿ينسينك الشيطان﴾ أي: ما أمرت به من ترك مجالستهم. ﴿فلا تقعد بعد الذكرى﴾ أي: بعد أن تذكره فهو مصدر بمعنى الذكر ولم يجيء مصدر على فعلى غير ذكرى ﴿مع القوم الظالمين﴾ الذين وضعوا التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم وهذا الإنساء محض احتمال يدل عليه كلمة إن الشرطية فلا يلزم وقوعه مع أن العلماء قد اتفقوا على جواز السهو والنسيان على الأنبياء عليهم السلام والمراد بالشيطان إبليس أو واحد من أكابر جنوده لأن الذي هو قرينه عليه أسلم فلا يأمره إلا بخير بخلاف قرين كل واحد من الأمة وفي الحديث «فضلت على آدم بخصلتين كان شيطاني كافراً فأعانني الله عليه فأسلم وكان أزواجي عوناً لي وكان شيطان آدم وزوجته عوناً على خطيئته» ولما قال المسلمون: لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام ونطوف بالبيت لأنهم يخوضون أبداً رخص الله تعالى في مجالستهم على سبيل الوعظ والتذكير فقال.

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء﴾ الضمير في حسابهم للخائضين ومن زائدة وشيء في محل الرفع على أنه مبتدأ للخبر المقدم وهو على الذين أي وما على المؤمنين الذين يجتنبون عن قبائح أعمال الخائضين وأقوالهم شيء مما يحاسبون عليه من الجرائم والآثام ﴿ولكن ذكرى﴾ أي: ولكن عليهم أن يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح بما أمكن من العظة والتذكير ويظهروا لهم الكراهة والنكير فنصب ذكرى على المصدرية والواو للعطف، ولكن خالص للاستدراك فلا يلزم الجمع بين حرفي العطف كما أن اللام مع سوف تخرج عن كونها للحال وتخلص للتأكيد. ﴿لعلهم يتقون﴾ أي: يجتنبون الخوض حياء وكراهة لمساءتهم.

﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً﴾ المراد بالموصول الكفار الخائضون في الآيات ودينهم هو الذي كلفوه وأمروا بإقامة مواجبه وهو دين الإسلام ومعنى اتخاذه لعباً ولهواً أنهم سخروا به واستهزؤوا، واللعب عمل يشغل النفس وينفرها عما تنتفع به، واللهو صرفها عن الجد إلى الهزل. ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ واطمأنوا بها حتى زعموا أن لا حياة بعدها أبداً والمعنى أعرض عنهم واترك معاشرتهم وملاطفتهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وليس المراد أن يترك إنذارهم لأنه تعالى قال: ﴿وذكر به﴾ أي: بالقرآن من يصلح للتذكر. ﴿أن تبسل نفس﴾ أي لئلا تسلم إلى الهلاك وترهن ﴿بما كسبت﴾ بسبب ما عملت من القبائح. وأصل البسل والإبسال المنع ولذا صح استعمال الإبسال في معنى الإسلام إلى الهلاك لأن الإسلام إلى الهلاك يستلزم المنع فإنه إذا أسلم أحد إلى الهلاك كان المسلم إليه وهو

الهلاك يمنع المسلم وهو الشخص من الخروج عنه والخلاص منه.

وفي «التفسير الفارسي للكاشفي» [تا تسليم كرده نشود بهلاك يا رسوا نكرده نفس هر كافرى بسبب انچه كرده است از بديها] ﴿ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع﴾ استئناف مسوق للإخبار بذلك والأظهر أنه حال من نفس كأنه في قوة نفس كافرة أو نفوس كثيرة كما في قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التكوير: ١٤] ومن دون الله حال من ولي أي ليس لتلك النفس غيره تعالى من يدفع عنها العذاب ﴿وإن تعدل كل عدل﴾ أي تفد تلك النفس كل فداء بأن جاءت مكانها بكل ما كان في الأرض جميعاً ﴿لا يؤخذ منها﴾ أي لا يقبل فقوله كل عدل نصب على المصدر فالعدل ههنا ليس بمعنى ما يفتدى به كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨] بل المراد المعنى المصدري.

فإن قلت: الأخذ يتعلق بالأعيان لا بالمعنى؟.

قلت: نعم إلا أن الإمام قال: الأخذ قد يستعمل بمعنى القبول كما في قوله تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ١٠٤] أي يقبلها وإذا حمل الأخذ في هذه الآية على القبول جاز إسناده إلى المصدر بلا محذور والمقصود من هذه الآية بيان أن وجوه الخلاص منسدة على تلك النفس ومن أيقن بهذا كيف لا ترتعد فرائصه إذا قدم على المعصية. ﴿أولئك﴾ المتخذون دينهم لعباً ولهواً المغترون بالحياة الدنيا. ﴿الذين أبسلوا﴾ أي أسلموا إلى العذاب. ﴿بما كسبوا﴾ بسبب أعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة.

وفي «التفسير الفارسي»: [آن كروه آن كسانندكه سپرده شده اند بملائكهٔ عذاب بسبب آنچه كرده انداز قبائح أفعال].

قال أبو السعود: أولئك الذين أسلموا إلى ما كسبوا من القبائح انتهى وهو جعل معنى الباء كما في قوله مررت بزيد. ﴿لهم شراب﴾ كأنه قيل: ماذا لهم حين أبسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب ﴿من حميم﴾ أي من ماء مغلي يتجرجر في بطونهم وتتقطع به أمعاؤهم. ﴿وعذاب أليم﴾ بنار تشتعل بأبدانهم. ﴿بما كانوا يكفرون﴾ أي: بسبب كفرهم المستمر في الدنيا.

واعلم أن التكذيب بآيات الله تعالى والاستهزاء بها هو الكفر وعاقبة الكفر هو العذاب الأليم وكذا الإصرار على المعاصي يجر كثيراً من عصاة المؤمنين إلى الموت على الكفر والعياذ بالله.

وعن أبي إسحاق الفزاري قال: كان رجل يكثر الجلوس إلينا ونصف وجهه مغطى، فقلت له: إنك تكثر الجلوس إلينا ونصف وجهك مغطى، أطلعني على هذا، فقال: وتعطيني الأمان؟ قلت: نعم قال كنت نباشاً فدفنت امرأة فأتيت قبرها فنبشت حتى وصلت إلى اللبن ثم ضربت بيدي إلى الرداء، ثم ضربت بيدي إلى اللفافة فمددتها فجعلت تمدها هي، فقلت: أتراها تغلبني فجيت على ركبتي، فجررت اللفافة فرفعت يدها فلطمتني وكشف وجهه، فإذا أثر خمس أصابع، فقلت له: ثم مه؟ قال: ثم رددت عليها لفافتها وإزارها، ثم رددت التراب وجعلت على نفسي أن لا أنبش ما عشت، قال: فكتبت بذلك إليّ الأوزاعي فكتب إلى الأوزاعي ويحك سله عمن مات من أهل السنة ووجهه إلى القبلة فسألته عن ذلك، فقال: أكثرهم حول وجهه عن القبلة فكتبت بذلك إلى الأوزاعي فكتب إليّ إنا لله وإنا إليه راجعون ثلاث مرات، أما من حول وجهه عن القبلة فإنه مات على غير السنة، وأراد بالسنة ملة الإسلام

نسأل الله تعالى العفو والمغفرة والرضوان. قال الحافظ قدس سره:

يا رب ازابر هدايت برسان باراني   پيشتر رانكه چوكردى زميان برخيزم

وفي الآيات: إشارة إلى أنه لا يصلح للطالب الصادق المجالسة مع الذين يخوضون في أحوال الرجال ولاحظ لهم منها سوى التزيي بزيهم، واللبس لخرقتهم لأن الطبع من الطبع يسرق

نفس از هم نفس بكيرد خوى   بر حذر باش از لقاى خبيث

باد چون بر فضاى بد كذر   بوى بد كيرد از هواى خبيث

فلا بد من الصحبة مع الأخيار والاتعاظ بكلمات الكبار.

وعن عبد الله بن الأحنف: قال خرجت من مصر أريد الرملة لزيارة الرود بادي قدس سره فرآني عيسى بن يونس المصري فقال لي: هل أدلك؟ قلت: نعم قال عليك بصور فإن فيها شيخاً وشاباً قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت إليهما نظرة لأغنتك باقي عمرك قال فدخلت عليهما وأنا جائع عطشان وليس عليّ ما يسترني من الشمس فوجدتهما مستقبلين القبلة فسلمت عليهما وكلمتهما فلم يكلماني فقلت أقسمت عليكما بالله إلا ما كلمتماني فرفع الشيخ رأسه وقال يا ابن الأحنف ما أقلّ شغلك حتى تفرغت إلينا ثم أطرق فأقمت بين يديهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب عني الجوع والعطش فقلت للشاب عظني بشيء أنتفع به فقال نحن أهل المصائب ليس لنا لسان العظة فأقمت عندهما ثلاثة أيام بلياليها لم نأكل فيها شيئاً ولم نشرب فلما كان عشية اليوم الثالث قلت في قلبي لا بد من سؤالهما في وصية أنتفع بها باقي عمري فرفع الشاب رأسه إليّ وقال عليك بصحبة من يذكرك الله بنظره ويعظك بلسان فعله لا بلسان قوله ثم التفتّ فلم أرهما وأنشد لسان الحال:

شدوا المطايا قبيل الصبح وارتحلوا   وخلفوني على الأطلال أبكيها

ثم إن النصيحة سهلة والمشكل قبولها ومن أراد الله تعالى هدايته وسبقت منه له عناية يجذبه لا محالة إلى باب ناصح له في ظاهره وباطنه فيهتدي بنور العظة والتذكير إلى مسالك الوصول إلى الله الخبير فيترقى من حضيض هوى النفس التي تلعب كالصبيان إلى أوج هدى الروح الذي له وقار واطمئنان وعلو شأن فهذه الآيات الكريمة تنادي على داء النفس ودوائها ومن الله الإعانة في إصلاحها.

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

﴿قل أندعو﴾ أنعبد والاستفهام للإنكار﴿من دون الله﴾ أي: متجاوزين عبادة الله تعالى. ﴿ما لا ينفعنا ولا يضرنا﴾ أي: ما لا يقدر على نفعنا إذا عبدناه ولا على ضرنا إذا تركناه وهو الأصنام والقادر على النفع والضر هو الله تعالى. ﴿ونرد على أعقابنا﴾ جمع عقب بالفتح وكسر القاف مؤخر القدم أي نرجع من الإسلام إلى الشرك بإضلال المضل﴿بعد إذ هدانا الله﴾ إلى الإسلام وأنقذنا من الشرك. ﴿كالذي استهوته الشياطين﴾ حال من فاعل نرد أي أنرد على أعقابنا مشبهين بالذي ذهبت به مردة الجن إلى المهامة وأضلته﴿في الأرض﴾ متعلق باستهوته

﴿حيران﴾ حال من هاء استهوته وهو صفة مشبهة مؤنثة حيرى والفعل منه حار يحار حيرة أي متحيراً ضالاً عن الطريق. ﴿له أصحاب﴾ الجملة صفة حيران، أي لهذا المستوى رفقة ﴿يدعونه إلى الهدى﴾ أي يهدونه إلى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر مبالغة كأنه نفس الهدى. ﴿ائتنا﴾ على إرادة القول على أنه بدل من يدعونه، أي: يقولون له ائتنا شبه الله تعالى من أشرك وعبد غير الله مع قيام البرهان الفاصل بين الحق والباطل بشخص موصوف بثلاثة أوصاف الأول استهوته مردة الجن والغيلان في المهامة والمفاوز والثاني كونه حيران تائهاً ضالاً عن الجادة لا يدري كيف يصنع والثالث أن يكون له أصحاب يدعونه قائلين له ائتنا فقد اعتسفت المهامة وضللت عن الجادة وهو لا يجيبهم ولا يترك متابعة الجن والشياطين. والجن أجسام لطيفة تتشكل بأشكال مختلفة وتقدر على أن تنفذ في بواطن الحيوان نفوذ الهواء في خلال الأجسام المتخلخلة. ﴿قل إن هدى الله﴾ الذي هدانا إليه وهو الإسلام. ﴿هو الهدى﴾ وحده وما عداه ضلال محض وغي بحت. ﴿و﴾ قل أيضاً ﴿أمرنا لنسلم لرب العالمين﴾ أي: بأن نسلم فاللام بمعنى الباء والعرب تقول أمرتك لتفعل وأن تفعل وبأن تفعل.

﴿وأن﴾ أي: بأن ﴿أقيموا الصلاة واتقوه﴾ تعالى فالإسلام رئيس الطاعات الروحانية والصلاة رئيس الطاعات الجسمانية والتقوى رئيس ما هو من قبيل التروك والاحتراز عن كل ما لا ينبغي ﴿وهو الذي إليه تحشرون﴾ تجمعون يوم القيامة للحساب.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وهو الذي خلق السموات والأرض﴾ أي: العلويات والسفليات وما فيهما ﴿بالحق﴾ حال من فاعل خلق، أي: قائماً بالحق والحكمة. ﴿ويوم يقول كن فيكون قوله الحق﴾ يوم ظرف لمضمون جملة قوله: الحق، والواو بحسب المعنى داخل عليها، والمعنى وأمره المتعلق بكل شيء يريد خلقه من الأشياء في حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من أفراد الأحيان الحق أي المشهود له بالحقية المعروف بها. ﴿وله الملك يوم ينفخ في الصور﴾ لا ملك فيه لغيره ولو مجازاً كما في الدنيا. ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي: هو عالم ما غاب وما شوهد. ﴿وهو الحكيم﴾ في كل ما يفعله. ﴿الخبير﴾ بجميع الأمور الجلية والخفية وفي الحديث: «لما فرغ الله من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش متى يؤمر»، قال أبو هريرة رضي الله عنه قلت يا رسول الله ما الصور قال «القرن» قلت: كيف هو؟ قال «عظيم الذي نفسي بيده إن عظم دائرة فيه كعرض السماء والأرض» ويقال إن فيه من الثقب على عدد أرواح الخلائق.

قالوا: إن النفخة ثلاث: أولاها: نفخة الفزع فإنهم إذا سمعوا النفخة يعلمون أنهم يموتون يقيناً ولم يبق من أيام الدنيا شيء فيأخذهم الفزع لأجل العرض والحساب والعذاب، والنفخة الثانية: الصعق وهو موت الخلائق أجمعين حتى لا يبقى إلا الله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه. والنفخة الثالثة: نفخة البعث من القبور ومن النفخة إلى النفخة أربعون عاماً فعند موت جميع الخلائق تجعل أرواحهم في الصور وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً لا تأكله الأرض أبداً وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة ويجمع الله ما

تفرق من أجساد الناس من بطون السباع وحيوانات الماء وبطن الأرض وما أصاب النيران منها بالحرق والمياه بالغرق وما أبلته الشمس وذرته الرياح وذلك بعدما أنزل ماء من تحت العرش يقال له الحيوان فتمطر السماء أربعين سنة حتى يكون من الفوق اثني عشر ذراعاً ثم يأمر الله الأجساد فتنبت كنبات البقل فإذا جمعها وأكمل كل بدن منها ولم يبق إلا الأرواح يحيي حملة العرش ثم يحيي جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فينفخ في الصور فتخرج الأرواح من ثقب الصور كأمثال النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فيقول الله تعالى ليرجعن كل روح إلى جسده فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد ثم تدخل في الخياشيم فتمشي في الأجساد مشي السم في اللديغ ثم تنشق الأرض، فأول من يخرج منها رسول الله ﷺ، ثم الأمة شباباً كلهم أبناء ثلاث وثلاثين، واللسان يومئذٍ بالسريانية سراعاً إلى ربهم هذا في المؤمنين المخلصين، وأما الكافرون: فيقولون هذا يوم عسير، فيوقفون حفاة عراة مقدار سبعين عاماً لا ينظر الله إليهم فتبكي الخلائق حتى تنقطع الدموع ثم تدمع دماً حتى يبلغ منهم الأذقان ويلجمهم، ثم يفعل الله فيهم ما يشاء فعليك بالإسلام الحقيقي والتسليم حتى تنجو وهو ترك الوجود كالكرة في ميدان القدر مستسلماً لصولجان القضاء لمجاري أحكام رب العالمين وهو إنما يحصل بمحض فضل الله تعالى لكن الأنبياء والأولياء وسائط، كما أشار إليه صاحب «المثنوي» فقال:

سازد اسرافيل روزى ناله را ... جان دهد پوسيدهٔ صد ساله را
اوليارا در درون هم نغمها ست ... طالبانرا زان حياة بى بهاست
نشنود آن نغمهارا كوش حس ... كزستمها كوش حس باشد نجس
هين كه اسرافيل وقتند اوليا ... مرده را زيشان حياتست ونما
نغمهاى اندرون اوليا ... اولا كويد كه اي اجزاى لا
هين زلاى نفى سرها بر زنيد ... اين خيال ووهم يكسو افكنيد
اي همه پوسيده دركون وفساد ... جان باقيان نروئيد ونزاد

﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر﴾ اعلم أن إبراهيم عليه السلام لما سلم قلبه للعرفان ولسانه لإقامة البرهان على فساد طريق أهل الشرك والطغيان، وسلم بدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم إنه سأل ربه وقال: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء: ٨٤] وجب في كرم الله تعالى أنه يجيب دعاءه ويحقق مطلوبه فأجاب دعاءه وجعل جميع الطوائف وأهل الأديان والملل معترفين بفضله حتى إن المشركين أيضاً يعظمونه ويفتخرون بكونهم من أولاده ولما كانوا معترفين بفضله لا جرم جعل الله تعالى مناظرته مع قومه حجة على مشركي العرب أي واذكر يا محمد لأهل مكة وقت قول إبراهيم لأبيه آزر، آي: موبخاً له على عبادة الأصنام فإن ذلك مما يبكتهم. وآزر عطف بيان لأبيه وهو تارح بفتح الراء وسكون الحاء المهملة علمان لأب إبراهيم كإسرائيل ويعقوب أو آزر لقبه وتارح اسم له وكان من قرية من سواد الكوفة يقال لها كوثى. ﴿أتتخذ أصناماً آلهة﴾ أي: أتجعلها لنفسك آلهة على توجيه الإنكار إلى اتخاذ

الجنس من غير اعتبار الجمعية وإنما أريد صيغة الجمع باعتبار الوقوع. ﴿إني أراك وقومك﴾ الذين يتبعونك في عبادتها ﴿في ضلال﴾عن الحق. ﴿مبين﴾أي: بين كونه ضلالاً لا اشتباه فيه. والرؤية إما علمية فالظرف مفعولها الثاني وإما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للإنكار والتوبيخ.

ثم اعلم أن عبادة الأصنام كفر فدلت الآية على أن آزر كان كافراً وذلك لا يقدح في شأن نسب نبينا ﷺ وأما قوله عليه السلام: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» فذلك محمول على أنه ما وقع في نسبه من ولد من الزنى ونكاح أهل الجاهلية صحيح كما يدل عليه قوله عليه السلام: «ولدت من نكاح لا من سفاح» أي: زنى وقوله: «لما خلق الله تعالى آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض وجعلني في صلب نوح في السفينة، وقذفني في صلب إبراهيم ثم لم يزل تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط» ـ وروي ـ أن حواء لما وضعت شيتا انتقل النور المحمدي من جبهتها إلى جبهته ولما كبر وبلغ مبلغ الرجال أخذ آدم عليه العهود والمواثيق أن لا يودع هذا السر إلا في المطهرات المحصنات من النساء ليصل إلى المطهرين من الرجال فانتقل ذلك النور إلى يانش ويقال أنوش ثم إلى قينان ثم إلى مهلائيل ثم إلى يرد ثم إلى خنوخ على وزن ثمود وهو إدريس عليه السلام ويقال أخنوخ ثم إلى متوشلح ثم إلى لمك ثم إلى نوح عليه السلام ثم إلى سام أبو العرب ثم إلى أرفخشذ ثم إلى شالخ ثم إلى عابر على وزن ناصر ويقال عيبر على وزن جعفر ثم إلى فالخ ويقال فالغ ثم إلى أرغو ويقال راغو ثم إلى شاروخ، ثم إلى ناخود ثم إلى تارح وهو آزر ثم إلى إبراهيم عليه السلام ثم إلى إسماعيل عليه السلام وفيه لغة أخرى وهي إسمعين بالنون على ما حكاه النوى ثم إلى قندار ثم إلى حمل، ثم إلى النبت ثم إلى سلامان ثم إلى يشجب على وزن ينصر ثم إلى يعرب على وزن ينصر أيضاً ثم إلى الهميسمع، ثم إلى اليسع ثم إلى أدد ثم إلى أد وإلى هنا اختلف في أسماء أهل النسب بخلاف ما بعده ثم إلى عدنان ثم إلى معد ثم إلى نزار، ثم إلى مضر ثم إلى إلياس بفتح الهمزة في الابتداء والوصل وقيل بكسر الهمزة ضد الرجاء ثم إلى مدركة ثم إلى خزيمة ثم إلى كنانة ثم إلى النضر ثم إلى مالك ثم إلى فهر ثم إلى غالب ثم إلى لوي ثم إلى كعب ويجتمع عمر رضي الله عنه مع النبي عليه السلام في النسب في كعب ثم إلى مرة ويجتمع أبو بكر مع النبي عليه السلام في النسب في مرة ثم إلى كلاب ثم إلى قصي ثم إلى عبد مناف ثم إلى هاشم ثم إلى عبد المطلب ثم إلى عبد الله أب السر المصون والدر المكنون محمد المصطفى ﷺ ولم يرض بعض أهل العلم بما اشتهر بين الناس من عبادة قريش صنماً استدلالاً بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] في سورة إبراهيم وقوله تعالى في حق إبراهيم: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨] في حم الزخرف.

والجواب أن الآية الأولى تدل بظاهرها على الأبناء الصلبية ولو سلم دلالتها على الأحفاد أيضاً كما تدل على كل ولد من ذريته. ومعنى الآية الثانية وجعل الله كلمة التوحيد كلمة باقية في نسله وذريته على أنه لا تخلو سلسلة نسبه عن أهل التوحيد والإيمان فلا تدل على إيمان كل أعقابه وأحفاده وهو اللائح بالبال والله أعلم بحقيقة الحال.

والإشارة في الآية إن الله تعالى أظهر قدرته في إخراج الحي من الميت بقوله: ﴿وإذ قال

إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة﴾ دون الله إذ الأصل منهمك في الجحود لموت قلبه والنسل مضمحل في الشهود لحياة قلبه والأصنام ما يعبد من دون الله ﴿إني أراك وقومك في ضلال مبين﴾ بما أراني الله ملكوت الأشياء كما في «التأويلات النجمية».

ومن بلاغات الزمخشري كم يحدث بين الخبيثين ابن لا يؤبن والفرث والدم يخرج من بينهما اللبن. قال السعدي:

چو كنعانرا طبيعت بى هنر بود ... پيمبر زادكى قدرش نيفزود
هنر بنماى اكر دارى نه كوهر ... كل ازخارست وإبراهيم ازآزر

وقال: [خاكستر اكرچه نسب عالى داركه آتش جوهر علويست وليكن بنفس خودچون هنرى ندارد باخاك برابراست قيمت شكرنه ازنى است كه آن خاصيت وى است] فظهر أن الله تعالى من شأنه القديم إخراج الحي من الميت ولا يختص به نسب وكذا أمر العكس ومن الله التوفيق. ﴿وكذلك نري إبراهيم﴾ ذلك إشارة إلى الإراءة التي تضمنها قوله: ﴿نري﴾ لا إلى إراءة أخرى يشبه بها هذه الإراءة كما يقال ضربته كذلك أي هذا الضرب المخصوص والكاف مقحمة لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة. والمعنى كذلك التبصير نبصره عليه السلام. ﴿ملكوت السموات والأرض﴾ أي: ربوبيته تعالى ومالكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوباً ومملوكاً له تعالى لا تبصيراً آخر أدنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر والأظهر مختص بملك الله عز سلطانه وهذه الإراءة من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة أي عرفناه وبصرناه وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها.

فإن قيل: رؤية البصيرة حاصلة لجميع الموحدين كرؤية البصر ومقام الامتنان يأبى ذلك.

والجواب: أنهم وإن كانوا يعرفون أصل دليل الربوبية إلا أن الاطلاع على آثار حكمة الله تعالى في كل واحد من مخلوقات هذا العالم بحسب أجناسها وأنواعها وأشخاصها وأحوالها مما لا يحصل إلا لأكابر الأنبياء ولهذا كان عليه السلام يقول في دعائه «أرنا الأشياء كما هي».

قال في «التأويلات النجمية»:

اعلم: أن لكل شيء من العالم ظاهراً. يعبر عنه تارة بالجسماني لما له من الأبعاد الثلاثة من الطول والعرض والعمق ولتحيزه وقبول القسمة والتجزي، وتارة بالدنيا لدنوها إلى الحس. وتارة بالصورة لقبول التشكل ولإدراكه بالحس، وتارة بالشهادة لشهوده في الحس، وتارة بالملك لتملكه والتصرف فيه بالحس، وباطناً يعبر عنه تارة بالروحاني لخلوه عن الأبعاد الثلاثة وعن التحيز والتجزي في الحس، وتارة بالآخرة لتأخره عن الحس، وتارة بالمعنى لتعريه عن التشكل وبعده عن الحس، وتارة بالغيب لغيبوبته عن الحس، وتارة بالملكوت لملاك عالم الملك والصورة به فإن قيام الملك بالملكوت وقيام الملكوت بقدرة الحق كما قال الله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٣] أي: من طريق الملكوت والملكوت من الأوليات التي خلقها الله تعالى من لا شيء بأمرِ كُنْ إذ كان الله ولم يكن معه شيء يدل عليه قوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥] فنبه على أن الملكوت لم يخلق من شيء وما سواه خلق من شيء وقد سمى الله تعالى ما خلق بالأمر أمراً وما خلق من الشيء خلقاً فقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]

فالله تعالى أرى إبراهيم ملكوت الأشياء والآيات المودعة فيها الدالة على التوحيد انتهى وقد أطلق العلماء الملك على ما يدرك بالبصر والملكوت على ما يدرك بالبصيرة فالملكوت لا ينكشف لأرباب العقول بل لأصحاب القلوب فإن العقل لا يعطي إلا الإدراك الناقص بخلاف الكشف تلك المكاشفة لا تحصل إلا لأهل المجاهدة فإنها ثمرة المجاهدة وهي مما يعز: مناله جداً اللهم اجعلنا من أهل العيان دون السامعين للأثر. ﴿وليكون من الموقنين﴾ اللام متعلقة بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها، أي: ليكن من زمرة الراسخين في الإيقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لأمر آخر فإن الوصول إلى تلك الغاية القاصية كمال مترتب على ذلك التبصير لا عينه وليس القصر لبيان انحصار فائدته في ذلك كيف لا وإرشاد الخلق وإلزام المشركين من فوائده بل لبيان أنه الأصل الأصيل والباقي من مستتبعاته.

﴿فلما جن عليه الليل﴾ أي: ستره بظلامه ﴿رأى كوكباً﴾ جواب لما فإن رؤيته إنما تحقق بزوال نور الشمس عن الحس وهذا صريح في أنه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس والتحقيق أنه كان قريباً من الغروب قيل كان ذلك هو الزهرة وقيل هو المشتري وكلاهما من الكواكب السبعة السيارة. ﴿قال﴾ كأنه قيل فماذا صنع عليه السلام حين رأى الكوكب فقيل قال على سبيل الموافقة مع الخصم. ﴿هذا ربي﴾ وكان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والكواكب والمستدل على فساد قول يحكيه على رأي خصمه ثم يكر عليه بالإبطال. ﴿فلما أفل﴾ أي: غرب ﴿قال لا أحب الآفلين﴾ أي: الأرباب المنتقلين من مكان إلى مكان المتغيرين من حال إلى حال المحتجبين بالأستار فإنهم بمعزل عن استحقاق الربوبية قطعاً.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

﴿فلما رأى القمر بازغاً﴾ أي: مبتدئاً في الطلوع إثر غروب الكوكب ﴿قال هذا ربي فلما أفل﴾ كما أفل النجم ﴿قال لئن لم يهدني ربي﴾ إلى جنابه ﴿لأكونن من القوم الضالين﴾ تعريض لقومه بأنهم على ضلال ولعله عليه السلام كان إذ ذاك في موضع كان من جانبه الغربي جبل شامخ يستتر به الكواكب والقمر وقت الظهر من النهار أو بعده بقليل وكان الكوكب قريباً منه وأفقه الشرقي مكشوف وإلا فطلوع القمر بعد أفول الكوكب ثم أفوله قبل طلوع الشمس مما لا يكاد يتصور.

﴿فلما رأى الشمس بازغة﴾ أي: مبتدئة في الطلوع ﴿قال هذا﴾ الجرم المشاهد. ﴿ربي هذا أكبر﴾ من الكوكب والقمر وهو تأكيد لما رامه من إظهار النصفة بقوله ﴿لأكونن من القوم الضالين﴾ ﴿فلما أفلت﴾ كما أفل الكوكب والقمر وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا ﴿قال﴾ مخاطباً للكل صادعاً بالحق بين أظهرهم. ﴿يا قوم إني بريء مما تشركون﴾ بالله تعالى من الأصنام والأجرام المحتاجة إلى محدث فقالوا له ما تعبد قال: ﴿إني وجهت وجهي﴾، أي: أخلصت ديني وعبادتي وجعلت قصدي. ﴿للذي فطر السموات والأرض﴾ أي لله الذي خلقهما ﴿حنيفاً﴾ أي: مائلاً عن

الأديان الباطلة كلها إلى الدين الحق ميلاً لا رجوع فيه. ﴿وما أنا من المشركين﴾ به تعالى في شيء من الأفعال والأقوال وهذه حال من كملت صقالة مرآة قلبه عن طبع الطبع وتنزهت عن ظلمة هوى النفس وشهواتها فإنه لا يلتفت إلى الأجرام والأكوان بل إلى اليمين والشمال لأن شوق الخلة إلى الحضرة نصبه في محاذاة ذاته المقدسة عن الجهة. قال في «المثنوي»:

آفتاب از امر حق طباخ ماست ... ابلهى باشد كه كوئيم أو خداست
آفتابت كر بكيرد چون كنى ... آن سياهى زوتوچون بيرون كنى
نى بدركاه خدا آرى صداع ... كه سياهى را ببر داده شعاع
كر كشندت نيم شب خورشيدكو ... تابنالى يا امان خواهى ازو
حادثات اغلب بشب واقع شود ... وان زمان معبودتو غائب شود
سوى حق كرر استانه خم شوى ... وارهى از اختران محرم شوى

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وحاجه قومه﴾ أي: جادلوه في دينه وهددوه بالأصنام أن تصيبه بسوء إن تركها. ﴿قال أتحاجوني﴾ بنون ثقيلة أصله أتحاجونني بنونين أولاهما نون الرفع والثانية نون الوقاية فاستثقل اجتماعهما فأدغم الأولى في الثانية، أي: أتجادلونني. ﴿في الله﴾ أي في شأنه تعالى ووحدانيته ﴿وقد هدان﴾ أي: والحال أن الله تعالى هداني إلى الحق. ﴿ولا أخاف ما تشركون به﴾ أي: ما تشركون به تعالى من الأصنام أن يصيبني بسوء لعدم قدرتها على شيء. ﴿إلا أن يشاء ربي شيئاً﴾ استثناء متصل والمستثنى منه وقت محذوف والتقدير لا أخاف معبوداتكم في وقت من الأوقات إلا وقت مشيئته تعالى شيئاً من إصابة مكروه بي من جهتها وذلك إنما يكون من جهته تعالى من غير دخل لآلهتكم فيه أصلاً. ﴿وسع ربي كل شيء علماً﴾ كأنه تعليل للاستثناء أي أحاط بكل شيء علماً فلا يبعد أن يكون في علمه تعالى أن يحيق به مكروه من قبلها بسبب من الأسباب لا بالطعن فيها. ﴿أفلا تتذكرون﴾ أي: أتعرضون عن التأمل في أن آلهتكم جمادات غير قادرة على شيء ما من نفع ولا ضرّ فلا تتذكرون أنها غير قادرة على إضراري.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ بالله من الأصنام وهي لا تضر ولا تنفع والاستفهام إنكار الوقوع ونفيه بالكلية. ﴿ولا تخافون أنكم أشركتم بالله﴾ حال من ضمير أخاف بتقدير مبتدأ أي وكيف أخاف أنا ما ليس في حيز الخوف أصلاً وأنتم لا تخافون غائلة ما هو أعظم المخوفات وأهوالها وهو إشراككم بالله الذي ليس كمثله شيء في الأرض ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته وإنما عبر عنه بقوله: ﴿ما لم ينزل به﴾ أي: بإشراكه. ﴿عليكم سلطاناً﴾ أي: حجة وبرهاناً على طريقة التهكم مع الإيذان بأن الأمور الدينية لا يعول فيها إلا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى. ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن﴾ أنحن أم أنتم.

قال المولى أبو السعود: المراد بالفريقين الفريق الآمن في محل الأمن والفريق الآمن في محل الخوف. ﴿إن كنتم تعلمون﴾ من أحق به فأخبروني.

﴿الذين آمنوا﴾ أي أحد الفريقين الذين آمنوا ﴿ولم يلبسوا إيمانهم﴾ أي: لم يخلطوه ﴿بظلم﴾ أي: بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون أنهم يؤمنون بالله تعالى وأن عبادتهم للأصنام من تتمات إيمانهم وأحكامه لكونها لأجل التقريب والشفاعة كما قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] وهذا معنى الخلط ﴿أولئك لهم الأمن﴾ فقط من العذاب. ﴿وهم مهتدون﴾ إلى الحق ومن عداهم في ضلال مبين.

﴿وتلك﴾ إشارة إلى ما احتج به إبراهيم على قومه من قوله: ﴿فلما جن﴾ إلى قوله: ﴿وهم مهتدون﴾ ﴿حجتنا﴾ الحجة عبارة عن الكلام المؤلف للاستدلال على الشيء ﴿آتيناها إبراهيم﴾ أي أرشدناه إليها أو علمناه إياها وهو حال من حجتنا لا صفة لأنها معرفة بالإضافة. ﴿على قومه﴾ متعلق بحجتنا.

والإشارة أن محجة السلوك إلى الله تعالى إنما هي تحقق بالآيات التي هي أفعاله وهذه مرقاة لهم وهي الرتبة الأولى ثم شهود صفاته بإراءته لهم وهي الرتبة الثانية ثم التحقق بوجوده وذاته عند التجلي لأسرارهم وهذا مبدأ الوصول ولا غاية له فقوله وتلك، أي: إراءة الملكوت وشواهد الربوبية في مرآة الكواكب وصدق التوجه إلى الحق والإعراض والتبري مما سواه والخلاص من شرك الانانية والإيمان الحقيقي والإيقان بالعيان آتيناها إبراهيم وأريناه بذاتنا من غير واسطة حتى جعلها حجة على قومه. ﴿نرفع﴾ إلى ﴿درجات﴾ أي: رتباً عظيمة عالية من العلم والحكمة. ﴿من نشاء﴾ رفعه كما رفعنا درجات إبراهيم حتى فاق في زمن صباه شيوخ أهل عصره واهتدى إلى ما لم يهتد إليه إلا أكابر الأنبياء عليهم السلام:

دار حق را قابليت شرط نيست   بلكه شرط قابليت داد اوست

﴿إن ربك حكيم﴾ في كل ما فعل من رفع وخفض ﴿عليم﴾ بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة.

ثم إن المقصود من المباحث الجارية بين إبراهيم وبين قومه إنما هو إلزام القوم وإرشادهم إلى طريق النظر والاستدلال وتنبيههم على ضلالهم في أمر دينهم كما هو المختار عند إجلاء المفسرين وعلى هذا المسلك جريت في تفسير الآيات كما وقفت.

وقال بعضهم: المقصود مما حكى الله عن إبراهيم من الاستدلال على وحدانية الله تعالى وإبطال ألوهية ما سواه نظره واستدلاله في نفسه وتحصيل المعرفة لنفسه فيحمل على أن ذلك في زمان مراهقته وأول أوان بلوغه وأن المراد بالملكوت الآيات قال الحدادي وهو الأقرب إلى الصحة.

قال الكاشفي في «تفسيره» الفارسي: ﴿وكذلك﴾ وچنانكه بدو نموده بوديم كمراهىء قوم اورا همچنان ﴿نري إبراهيم﴾ بنموديم ابراهيم را. ﴿ملكوت السموات والأرض﴾ عجائب وبدائع آسمانها وزمينها ازذروهء عرش تاتحت الثرى بروى منكشف ساخته تا استدلال كندبدان در قدرت كاملهء حق تعالى. ﴿وليكون من الموقنين﴾ وتا باشد ازبى كما نان يا موفق بود در علم استدلال.

در معالم آورده كه نمرود بن كنعانكه پادشاهى روى زمين تعلق بدوداشت درشهر بابل

نشستی شبی در واقعه دیدکه کوکبی از افق آن بلده طلوع نمود که در شعشعه جمال اونور آفتاب وماه نابود کشت ازغایت فزع بیدارشد وکاهنان وحکماء مملکت تعبیر این واقعه برین وجه کردندکه درین سال بولایت بابل مولودی حجسته طالع ازخلوتخانه عدم بفضاء صحرای وجود خواهدکه هلاك تو واهل مملکت تو بدودست اوباشد وهنوزاین مولود از مستقر صلب بمستودع رحم نپیوسته نمرود بفرمود تامیان زنان وشوهران تفریق کردند وبر هژده یکی برایشان مؤکل ساخت وآزرراکه یکی از محرمان ومقربان نمرود بود شبی بازن خود اوفی بنت نمر پنهان زمؤکلان خلوت دست داد وحامله شد وبامدادش راکاهنان بانمرود کفتند امشب آن کودك برحم پیوسته است نمرود خشم کرفته بفر مود تا برهر حامله یکی مؤکل ساختند تااکر پسر بزاید بکشند زنانی که در تفحص أحوال حامله بودند چون ما در إبراهیم را اثر حمل ظاهر نبود ازو درکذشتند ودیکر کسی بدو التفات نکرد تاوقتی که وضع حمل نزدیك رسید اوفی ترسیدکه اکرپسری زایدنا کاه خبر بکسان نمرود رسد في الحال اورابکشند ببهانه ازشهر بیرون رفت وغاری درمیان کوه نشان داشت دران غار إبراهیم را بزاد ودر خرقه پیچید وهما نجا کذاشته درغار بسنك استوار کرد وآزر راکه ازحمل خبر داشت کفت که ازترس کماشتکان نرود بصحرا رفتم وپسری بزادم وفي الحال بمرد در خاکش دفن کردم وبازشتم آزر باور کرد وأوفی روز دیکر باغار آمد دیدکه إبراهیم انکشتان خودرا ازیکی شیر واز دیکری عسل بیرون میکشد ومی نوشد اوفی چون این حال بدید خوش وقت شد وباشهر مراجعت نمود: القصه إبراهیم چون شیر تربیت از پستان عنایت الهي نوشید بروزی چندان می بالیدکه کودك دیکر درماهی وبماهی چندان بزرك میشدکه دیکری درسالی.

چو ماه نو که باروی دل افروز — بود زاینده نورش روز تا روز

چون پانزده ماهه شد باجوانان پانزده ساله مقابل کشت وازخانه بیرون آمد وکفته اند هفت سال باسیزده سال یا هفتده سال درغار بود برهر تقدیر چون إبراهیم بزرك شد اوفی باآزر کفت که پسرتو آنروز خبر مرك أو بدروغ دادم جوانی رسیده است درغایت خوب رویی ونیکو خویی پس آزررا بغار آورد وإبراهیم را بوی نمود آزر بجمال پسر خوش آمد وبا او کفت این را ازغار بخانه آورکه بملازمت نمرود بریم آزر برفت واوفی ازغار بدر آوردنماز شام بود در پایان غار کلهای اسب واشتر ورمهای کوسفند جمع بودند إبراهیم ازمادر پرسیدکه هر آیینه این هارا پرورد کاری خواهد بودکه آفریده وروزی میدهد پس ما دررا کفت که هیچ مخلوقی را ازخالقی چاره نیست آفریده کارا وباشد وبمدد تربیت یا بد پرمورد کار من کیست ما درش کفت من پروردکار توام إبراهیم کفت پروردکار توکیست کفت پدرتو إبراهیم کفت خدای أو کیست کفت نمرود کفت خدای نمرود کیست ما درش بانك بر إبراهیم زدکه مثل این سخنان مکوکه خطر عظیم دارد در زمان نمرود بعضی ستاره وآفتاب وماه می پرستیدند وبرخی بت پرست بودند وجمعی پرستش نمرود می کردند إبراهیم بامادر بشهر روانه شد ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً﴾ پس بعضی که ستاره پرست بودندی روی بوی سجده کردند ﴿قال هذا ربي﴾ أی اینست پروردکار من بر سبیل استفهام یا بزعم آن قوم ﴿فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾ پس قدری دیکرراه رفتند وشب چهاردهم بودماه طبق سیمین بر کناره خوان سبز فلك نمودار شد ﴿فلما رأى القمر بازغاً﴾ جمعی ماه پرستان پیش وی بسجده درفتادند ﴿قال هذا ربي فلما أفل﴾

يعني: ازخط نصف النهار بجانب مغرب ميل كرد ﴿قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾ پس ازآنجا دركذشتند ونزديك شهر رسيدند آفتاب ابتداء طلوع كرد جمعى متوجه أو شده عزم سجود كردند ﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي﴾ هذا أكبر ﴿فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً﴾ در حالتى كه من مائلم ازهمه اديان بدين توحيد ﴿وما أنا من المشركين﴾ در تفسير منير مذكور است كه چون إبراهيم عليه السلام بشهر در آمد اورا بديدن نمرود بردند او مردى ديدكه كريه منظر وإبراهيم اورا ديد برتختى نشسته وغلامان ماه منظر وكنيز ان پرى پيكر كرد تخت أو صف زده ازمادر پرسيدكه اين چه كس است كه مرا بدين أو آوريده آيد كفتند خداى همه كس است پرسيدكه اين ملازمان بر حوالىء تخت كيانند كفت آفريدكان أويند إبراهيم تبسم فرمود وكفت اى مادر چكونه است كه اين خداى شماديكرانرا ازخود خوبتر آفريده است بايستى كه اوازيشان خوبتر بودى كذا في ذلك التفسير للكاشفي مع اختصار.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿ووهبنا له﴾ الهبة في اللغة: التبرع والعطية الخالية عن تقدم الاستحقاق والضمير لإبراهيم عليه السلام. ﴿إسحاق﴾ ابنه الصلبي وهو أب أنبياء بني إسرائيل. ﴿ويعقوب﴾ ابن إسحاق. ﴿كلاً هدينا﴾ أي كل واحد منهما وفقنا وأرشدنا إلى الفضائل الدينية والكلمات العلمية والعملية لا أحدهما دون الآخر. ﴿ونوحاً﴾ منصوب بمضمر يفسره. ﴿هدينا من قبل﴾ أي: من قبل إبراهيم وعدّ هداه نعمة على إبراهيم من حيث إنه أبوه وشرف الوالد يتعدى إلى الولد ﴿و﴾ هدينا ﴿من ذريته﴾ أي: ذرية نوح ولم يرد من ذرية إبراهيم لأنه ذكر في جملتهم يونس ولوطاً ولم يكونا من ذرية إبراهيم كذا قال البغوي.

وقال ابن الأثير في «جامع الأصول»: يونس من ذرية إبراهيم لأنه كان من الأسباط في زمن شعيب أرسله الله إلى نينوى من بلد الموصل ولا بعد في عد لوط من ذرية إبراهيم أيضاً باعتبار أنه كان ابن أخيه هاجر معه إلى الشام.

قال سعدي چلبي المفتي: ومحيي السنة، يعني: البغوي أوثق من ابن الأثير. ﴿داود﴾ ابن ايشا ﴿وسليمان﴾ ابنه وسلسلتهما تنتهي إلى يهودا بن يعقوب ﴿وأيوب﴾ من أموص بن رازخ بن روم بن عيصا بن إسحاق بن إبراهيم. ﴿ويوسف﴾ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﴿وموسى﴾ ابن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب. ﴿وهارون﴾ هو أخو موسى أكبر منه بسنة وليس ذكرهم على ترتيب أزمانهم ﴿وكذلك﴾ أي: كما جزيناهم برفعة الدرجات ﴿نجزي المحسنين﴾ على إحسانهم على قدر استحقاقهم. فاللام للجنس ويجوز أن تكون الكاف مقحمة واللام للعهد والمعنى ذلك الجزاء البديع الذي هو عبارة عما أوتي المذكورون من فنون الكرامات نجزيهم لا جزاء آخر أدنى منه فالمراد بالمحسنين هم المذكورون والإظهار في موضع الإضمار للثناء عليهم بالإحسان الذي هو عبارة عن الإتيان بالأعمال الحسنة على

الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المقارن لحسنها الذاتي.

﴿وزكريا﴾ أي: وهديناه أيضاً وهو ابن أذن وسلسلته تنتهي إلى سليمان ﴿ويحيى﴾ ابنه ﴿وعيسى﴾ ابن مريم بنت عمران من بني ماثان الذين هم ملوك بني إسرائيل. وفي ذكره دليل على أن الذرية تتناول أولاد البنت فيكون الحسن والحسين من ذرية سيد المرسلين محمد ﷺ مع انتسابهما إليه بالأم ومن آذاهما فقد آذى ذريته عليه السلام.

يقول الفقير: فإذا كان النسب من طرف الأم صحيحاً معتبراً فالذي كانت سيادته من طرفها مقبول كما هو من طرف الأب إذ المعتبر انتهاء السلسلة إلى الحسنين، من أي جانب كان ﴿وإلياس﴾ ابن أخ هارون أخي موسى.

قال البغوي: الصحيح أن إلياس غير إدريس لأن الله تعالى ذكره في ولد نوح وإدريس هو جد أبي نوح. ﴿كل﴾ منهم ﴿من الصالحين﴾ الكاملين في الصلاح وهو الإتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي.

﴿وإسماعيل﴾ عطف على نوحاً، أي: وهدينا إسماعيل بن إبراهيم كما هدينا نوحاً ولعل الحكمة في إفراد إسماعيل عن باقي ذرية إبراهيم أن رسول الله ﷺ كان من ذرية إسماعيل والكائنات كانت تبعاً لوجوده فما جعل الله إسماعيل تبعاً لوجود إبراهيم ولا هدايته تبعاً لهدايته لشرف محمد ﷺ فلذا أفرده عنهم وأخره في الذكر.

آنچه اول شد بديد از جيب غيب   بود نور جان أو بى هيچ ريب
بعد ازان ان نور مطلق زد علم   كشت عرش وكرسي ولوح وقلم
يك علم از نور پاكش علم اوست   يك علم ذريت آدم ازوست

﴿واليسع﴾ بن أخطوب ابن العجوز واللام زائدة لأنه علم أعجمي ﴿ويونس﴾ بن متى ﴿ولوطاً﴾ بن هاران ابن أخي إبراهيم. ﴿وكلاً﴾ منهم ﴿فضلنا على العالمين﴾ أي عالمي عصرهم بالنبوة لا بعضهم دون بعض.

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

﴿ومن آبائهم﴾ من تبعيضية، أي: وفضلنا بعض آباء المذكورين كآدم وشيث وإدريس إذ من الآباء من لم يكن نبياً ولا مفضلاً مهدياً ﴿وذرياتهم﴾ أي وبعض ذرياتهم من بعضهم كأولاد يعقوب ومن جملة ذرياتهم نبينا محمد ﷺ كما في «تفسير الحدادي» وإنما أراد ذريعة بعضهم لأن عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان ذرية بعضهم من كان كافراً. ﴿وإخوانهم﴾ كإخوة يوسف في عصرهم ويحتمل أن يكون المراد بهم كل من آمن معهم فإنهم كلهم دخلوا في هداية الإسلام. ﴿واجتبيناهم﴾ عطف على فضلنا أي اصطفيناهم ﴿وهديناهم﴾ أي: أرشدناهم ﴿إلى صراط مستقيم﴾ لا يضل من سلك إليه.

﴿ذلك﴾ الهدى ﴿هدى الله﴾ الإضافة للتشريف ﴿يهدي به من يشاء من عباده﴾ وهم مستعدون للهداية والإرشاد. ﴿ولو أشركوا﴾ أي: لو أشرك هؤلاء الأنبياء مع فضلهم وعلو شأنهم ﴿لحبط عنهم﴾ أي: بطل وذهب ﴿ما كانوا يعملون﴾ من الأعمال المرضية الصالحة

فكيف بمن عداهم وهم هم وأعمالهم أعمالهم وهذا غاية التوبيخ والترهيب للعوام والخواص لئلا يأمنوا مكر الله.

﴿أولئك﴾ المذكورون من الأنبياء الثمانية عشر. ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ أي: جنس الكتاب المتحقق في ضمن أي فرد كان من أفراد الكتب السماوية والمراد بإيتائه التفهيم التام بما فيه من الحقائق والتمكين من الإحاطة بالجلائل والدقائق أعم من أن يكون ذلك بإنزال ابتداء أو بالإيراث بقاء فإن المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين. ﴿والحكم﴾ أي: الحكمة أو فصل الخطاب على ما يقتضيه الحق والصواب ﴿والنبوة﴾ أي: الرسالة. ﴿فإن يكفر بها﴾ أي: بهذه الثلاثة. ﴿هؤلاء﴾ أهل مكة ﴿فقد وكلنا بها﴾ أي: أمرنا بمراعاتها وفقنا للإيمان بها والقيام بحقوقها ﴿قوماً ليسوا بها بكافرين﴾ في وقت من الأوقات بل مستمرون على الإيمان بها وهم أصحاب النبي عليه السلام والباء صلة كافرين وفي بكافرين لتأكيد النفي.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾

﴿أولئك﴾ الأنبياء المتقدم ذكرهم ﴿الذين هدى الله﴾ أي: هداهم الله إلى الحق والنهج المستقيم. ﴿فبهداهم اقتده﴾ أي: فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله تعالى وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فإنها بعد النسخ لا تبقى هدى.

واحتج العلماء بهذه الآية على أنه عليه السلام أفضل جميع الأنبياء عليهم السلام؛ لأن خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم، فداود وسليمان كانا من أصحاب الشكر على النعمة، وأيوب كان من أصحاب الصبر على البلية، ويوسف كان جامعاً بينهما، وموسى كان صاحب المعجزات القاهرة، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس كانوا أصحاب الزهد، وإسماعيل كان صاحب الصدق فكل منهم قد غلب عليه خصلة معينة فجمع الله كل خصلة في حبيبه عليه السلام لأنه إذا كان مأموراً بالاقتداء لم يقصر في التحصيل.

هرچه بخوبان جهان داده اند   قسم تو نيكوتر ازان داده اند

هرچه بنازند بدان دلبران   جمله تراهست زيادت بران

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿أولئك الذين هداهم الله﴾ بصفاته إلى ذاته. ﴿فبهداهم اقتده﴾ لا أنهم سلكوا مسلكاً غير مسلوك حتى انتهى سير كل واحد منهم إلى منتهى قدر له، كما أخبرت أني رأيت آدم في السماء الدنيا، ويحيى وعيسى في السماء الثانية، ويوسف في السماء الثالثة، وإدريس في السماء الرابعة، وهارون في السماء الخامسة، وموسى في السماء السادسة، وإبراهيم في السماء السابعة فاقتد بهم حتى تسلك مسالكهم إلى أن تنتهي إلى سدرة المنتهى، وهو منتهى مقام الملائكة المقربين ثم يعرج بك إلى المحل الأدنى والمقام الأرفع حتى تخرج من نفسك وتدنو إليه به إلى أن تصل إلى مقام قاب قوسين، أو أدنى مقاماً لم يصل إليه أحد قبلك لا ملك مقرب ولا نبي مرسل. ﴿قل﴾ لكفار قريش ﴿لا أسألكم عليه﴾ أي: على القرآن ﴿أجراً﴾ أي: جعلاً من جهتكم كما لم يسأله من قبلي من الأنبياء عليهم السلام، وهذا من جملة ما أمر بالاقتداء بهم فيه. ﴿إن هو﴾ أي: ما القرآن. ﴿إلا ذكرى للعالمين﴾

أي: إلاّ عظة وتذكير لهم من جهته سبحانه فلا يختص بقوم دون آخرين وعلى هذا جرى الأولياء من أهل الإرشاد، إذ لا أجر للتعليم والإرشاد؛ إذ الأجر من الدنيا ولا يجوز طمع الدنيا لأهل الآخرة، ولا لأهل الله تعالى وإنما خدمة الدين مجردة عن الأغراض مطلقاً.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ أصل القدر السبر والحزر يقال قدر الشيء يقدره بالضم قدراً إذا سبره وحزره ليعلم مقداره ثم استعمل في معرفة الشي مقداره، وأحواله وأوصافه فقيل لمن عرض شيئاً هو يقدر قدره ولمن لم يعرفه بصفاته أنه لا يقدر قدره ونصب حق قدره على المصدرية وهو في الأصل صفة للمصدر، أي قدره الحق وضميره يرجع إلى الله تعالى، وأما ضمير الجمع فإلى اليهود لما روي أن مالك بن الصيف من أحبار اليهود ورؤسائهم خرج مع نفر إلى مكة معاندين ليسألوا رسول الله ﷺ عن أشياء وكان رجلاً سميناً فأتى رسول الله بمكة، فقال له عليه السلام «أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله تعالى يبغض الحبر السمين قال: نعم قال: فأنت الحبر السمين وقد سمنت من مأكلتك التي تطعمك اليهود ولست تصوم، أي: تمسك فضحك القوم فخجل مالك بن الصيف فقال غضباً ما أنزل الله على بشر من شيء فلما رجع مالك إلى قومه، قالوا له: ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك؟ أليس أن الله أنزل التوراة على موسى فلِمَ قلت ما قلت؟ قال: أغضبني محمد فقلت ذلك قالوا له وأنت إذا غضبت تقول على الله غير الحق وتترك دينك فأخذوا الرياسة والحبرية منه وجعلوهما إلى كعب بن الأشرف فنزلت هذه الآية» والمعنى ما عرفوه تعالى حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك، بل أخلوا بها إخلالاً فعبر عن المعرفة بالقدر لكونه سبباً لها وطريقاً إليها. ﴿إذ قالوا﴾ منكرين لبعثة الرسل وإنزال الكتب كافرين بنعمه الجليلة فيهما. ﴿ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ أي: كتاب ولا وحي مبالغة في إنكار إنزال القرآن؛ إذ القائلون من أهل الكتاب كما مر آنفاً. ﴿قل﴾ لهم على طريق التبكيت وإلقام الحجر. ﴿من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى﴾ يعني: التوراة حال كون ذلك الكتاب. ﴿نوراً﴾ بيناً بنفسه ومبيناً لغيره. بالفارسي [روشناى دهنده]. ﴿وهدى﴾ بياناً ﴿للناس﴾ وحال كونه ﴿تجعلونه قراطيس﴾ أي: تضعونه في قراطيس مقطعة وورقات مفرقة بحذف الجار بناء على تشبيه القراطيس بالظرف المبهم، وهي جمع قرطاس بمعنى الصحيفة. ﴿تبدونها﴾ صفة قراطيس أي تظهرون ما تحبون إبداءه منها. ﴿وتخفون كثيراً﴾ مما فيها كنعوت النبي عليه السلام وآية الرجم وسائر ما كتموه من أحكام التوراة. ﴿وعلمتم﴾ أيها اليهود على لسان محمد ﴿ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾ وهو ما أخذوه من الكتاب من المعلوم والشرائع. فقوله: ﴿علمتم﴾ حال من فاعل تجعلونه بإضمار قد مفيد لتأكيد التوبيخ فإن ما فعلوه بالكتاب من التفريق والتقطيع للإبداء والإخفاء شناعة عظيمة في نفسها، ومع ملاحظة كونه مأخذاً لعلومهم ومعارفهم أشنع وأعظم. ﴿قل الله﴾ أي: أنزله الله أمره عليه السلام بأن يجيب عنهم إشعاراً بأن

الجواب متعين لا يمكن غيره تنبيهاً على أنهم بهتوا وأفحموا ولم يقدروا على التكلم أصلاً.
﴿ثم ذرهم﴾ أي: دعهم واتركهم. ﴿في خوضهم﴾ أي: في باطلهم الذي يخوضون فيه أي يشرعون فلا عليك بعد إلا التبليغ وإلزام الحجة. ﴿يلعبون﴾ حال من الضمير الأول والظرف صلة ذرهم أو يلعبون ويقال لكل من عمل ما لا ينفعه إنما أنت لاعب.

﴿وهذا﴾ القرآن. ﴿كتاب أنزلناه﴾ وصفه به ليعلم أنه هو الذي تولى إنزاله بالوحي على لسان جبريل وليس تركيب ألفاظه على هذه الفصاحة من قبل الرسول. ﴿مبارك﴾ أي: كثير الفائدة والنفع وكيف وقد أحاط بالعلوم النظرية والعملية فإن أشرف العلوم النظرية هو معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله وأحكامه، ولا يوجد كتاب يفيد معرفة هذه الأمور مثل ما أفاده القرآن، وأما العلوم العملية فالمطلوب منها إما إعمال الجوارح وإما إعمال القلوب وهي المسمى بعلم الأخلاق وتزكية النفس فإنك لا تجد شيئاً منهما مثل ما تجده في القرآن العظيم.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿مبارك﴾ على العوام بأن يدعوهم إلى ربهم. وعلى الخواص بأن يهديهم إلى ربهم، وعلى خواص الخواص بأن يوصلهم إلى ربهم ويخلقهم بأخلاقه وفي كتاب «المحبوب شفاء لما في القلوب» كما قيل:

وكتبك حولي لا تفارق مضجعي ... وفيها شفاء للذي أنا كاتمه

اين چه منشور كريمست كه ازهر شكنش ... بوى جان پرور احسان وعطامى آيد
اين چه انفاس روان بخش عبير افشانست ... كه ازو رائحهٔ مشك خطا مى آيد

﴿مصدق الذي بين يديه﴾ من التوراة لنزوله حسبما وصف فيها. ﴿ولتنذر أم القرى﴾ عطف على ما دل عليه مبارك، أي: للبركات ولإنذارك أهل أم القرى فالمضاف محذوف والمراد بأم القرى مكة وسميت بها لأن الأرض دحيت من تحتها فهي أصل الأرض كلها كالأم أصل النسل.

قال الكاشفي في «تفسيره الفارسي» قرى جمع قرية است واورا ازقرا كرفته اند بمعنى جمع است پس هرجاكه مجتمعى باشد ازشهروده انرا قريه توان كفت. ﴿ومن حولها﴾ أهل الشرق والغرب.

قال في «التأويلات النجمية»: أم القرى هي الذرة المودعة في القلب التي هي المخاطب في الميثاق، وقد دحيت جميع أرض القالب من تحتها ومن حولها من الجوارح والأعضاء والسمع والبصر والفؤاد والصفات والأخلاق بأن يتنوروا بأنواره وينتفعوا بأسراره ويتخلقوا بأخلاقه. ﴿والذين يؤمنون بالآخرة﴾ وبما فيها من أنواع العذاب. ﴿يؤمنون به﴾ أي: بالكتاب لأنهم يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتأمل حتى يؤمنوا به. ﴿وهم على صلاتهم يحافظون﴾ يعني: المؤمنون بالكتاب يداومون على الصلوات الخمس التي هي أشرف التكاليف والطاعات ولذا خصص محافظتها من بين سائر العبادات.

وفي الآيات أمور:

الأول: أن المخلوق لا يَقْدِر قَدْرَ الخالق ولا يدركه باعتبار كنه ذاته وتجرده عن التعينات الاسمائية والصفاتية.

بخيال درنكنجد توخيال خود مرنجان

فكل من عرف الله بآلة محلوقة فهو على الحقيقة غير عارف ومن عرفه بآلة قديمة كما

قال بعضهم عرفت ربي بربي فقد عرف الله، ولكن على قدر استعداده في قبول فيض نور الربوبية الذي به عرف الله على قدره؛ لأنها بينت ذاته وصفاته فالذي يقدر الله حق قدره هو الله تعالى لا غيره.

كنه خردم در خور إثبات تونيست دانندهٔ ذات توبجزذات تونيست

ما للترات ورب الأرباب.

والثاني: ذم السمن كما عرف في سبب النزول.

قال ابن الملك: السمن المذموم ما يكون مكتسباً بالتوسع في المأكل لا ما يكون خلقة وفي الحديث «ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة واقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٥].

قال العلماء: معنى هذا الحديث أنه لا ثواب لهم وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن في موازين القيامة ومن لا حسنة له فهو في النار.

قال القرطبي في «تذكرته»: وفيه من الفقه ذم السمن لمن تكلفه لما في ذلك من تكلف المطاعم والاشتغال بها عن المكارم بل يدل على تحريم كثرة الأكل الزائد على قدر الكفاية المبتغى به الترفه والسمن انتهى.

وفي الفروع: إن الأكل فرض إن كان لدفع هلاك نفسه، ومأجور عليه إن كان لتمكينه من صومه وصلاته قائماً، ومباح إلى الشبع ليزيد قوته، وحرام فوق الشبع إلا لقصد قوة صوم الغد ولئلا يستحيي ضيفه. قال السعدي قدس سره:

بانـدازه خـورزاد اكـرمـر دمـى چـنـيـن پـرشـكـم آدمـى يـا خـمـى

نـدارنـد تـن پـروان آكـهـى كـه پـرمـعـده بـاشـد زحـكـمـت تـهـى

قال الإمام السخاوي في «المقاصد الحسنة» في الحديث: «إن الله يكره الحبر السمين» وفي التوراة «إن الله ليبغض الحبر السمين» وفي رواية «إن الله يبغض القارىء السمين».

قال الشافعي رحمه الله: ما أفلح سمين قط إلا أن يكون محمد بن الحسن، فقيل له: ولِمَ؟ قال: لأنه لا يفكر والعاقل لا يخلو من إحدى حالتين إما أن يهمّ لآخرته ومعاده أو لدنياه ومعاشه والشحم مع الهمّ لا ينعقد فإذا خلا من المعنيين صار في حد البهائم بعقد الشحم.

ثم قال الشافعي: كان ملك في الزمان الأول كثير اللحم جداً فجمع المتطببين وقال احتالوا حيلة تخف عني لحمي هذا قليلاً فما قدروا فنقبوا له رجلاً عاقلاً أديباً متطبباً وبعثوه فأشخص إليه بصره وقال أيعالجني ذلك الفتى قال أصلح الله الملك أنا رجل متطبب منجم دعني أنظر الليلة في طالعك أي دواء يوافق فأشفيك فهدأ عليه فقال: أيها الملك الأمان قال لك الأمان قال: رأيت طالعك يدل على أن عمرك شهر فمتى أعالجك وإن أردت بيان ذلك فاحبسني عندك فإن كان لقولي حقيقة فخل عني وإلا فاقتص مني قال فحبسه ثم رفع الملك الملاهي واحتجب عن الناس وخلا وحده مغتماً ما يرفع رأسه يعد الأيام كلما انسلخ يوم ازداد غمّاً حتى هزل وخف لحمه ومضى لذلك ثمانية وعشرون يوماً فبعث إليه فأخرجه فقال ما ترى فقال أعزّ الله الملك أنا أهون على الله من أن أعلم الغيب والله ما أعرف عمري فكيف أعرف عمرك إنه لم يكن عندي دواء إلا الهمّ فلم أقدر أن أجلب إليك الهمّ إلا بهذه العلة فأذابت شحم الكلى فأجازه وأحسن إليه.

والثالث: ما في قوله تعالى: ﴿قل الله﴾ من لطائف العبارات من أهل الإشارات.

قال في «التفسير الفارسي»: [شيخ أبو سعيد أبو الخير قدس سره در كلمهء ﴿قل الله ثم ذرهم﴾ فرموده كه الله بس وما سواه هوس وانقطع النفس.

وشيخ الإسلام فرموده كه ﴿قل الله﴾ دل سوى اوداد ﴿ثم ذرهم﴾ غير اور افرو كذار.

وشبلى بابعض أصحاب خود ميكفت كه عليك بالله ودع ما سواء].

چون تفرقهٔ دلست حاصل زهمه دلرا بيكى سپار وبكسل زهمه

فالآية بإشارتها تدل على أن من أراد الوصول إلى الله تعالى فلينقطع عما سواه فإنه لعب ولهو واللاهي واللاعب ليس على شيء نسأل الله سبحانه أن يحفظنا من اشتغال بما سواه.

والرابع: مدح القرآن وبيان فضيلته وفائدته.

قال أحمد بن حنبل: رأيت ربّ العزة في المنام فقلت يا رب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك؟ قال كلامي يا أحمد، قلت يا رب بفهم أم بغير فهم؟ قال: بفهم وبغير فهم والنظر إلى المصحف عبادة برأسه وله أجر على حدته ما عدا أجر القراءة.

وعن حميد بن الأعرج قال: من قرأ القرآن وختمه، ثم دعا أمن على دعائه أربعة آلاف ملك، ثم لا يزالون يدعون له ويستغفرون ويصلون عليه إلى المساء أو إلى الصباح.

فعلى العاقل أن يجتهد حتى يختم القرآن في أوائل الأيام الصيفية والليالي الشتائية ليستزيد في دعائهم واستغفارهم وفي الحديث «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وينبغي أن يقتدي برسول الله ﷺ فلا يطلب عوضاً ولا يقصد جزاء ولا شكوراً، بل يعلم للتقرب إلى الله تعالى ويقتدي بالأنبياء حيث قدم كل واحد منهم على دعوته قوله: ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ [الشورى: ٢٣].

قال في «الأسرار المحمدية»: من أخذ الجراية ليتعلم فهي له حلال ولكن من تعلم ليأخذ الجراية فهي عليه حرام. وفيه أيضاً لا يتخذ صحيفة القرآن إذا درست وقاية للكتب بل يمحوها بالماء وكان من قبلنا يستشفي بذلك الماء وينبغي لقارىء القرآن أن يجود ويحسن صوته وفي الحديث: «ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن» وحسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً قيل: أراد بالتغني الاستغناء، وقيل الترنم وترديد الألحان، وهو أقرب عند أهل اللغة كذا في «الأسرار» ـ ويحكى ـ عن ظهير الدين المرغيناني أنه قال: من قال لمقرىء زماننا أحسنت عند قراءته يكفر كذا في «شرح الهداية» لتاج الشريعة.

وقال في «البزازية» من يقرأ القرآن بالألحان لا يستحق الأجر؛ لأنه ليس بقارىء قال الله تعالى: ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾ [الزمر: ٢٨] انتهى.

وسأل الحجاج بعض جلسائه عن أرقّ الصوت عندهم، فقال أحدهم: ما سمعت صوتاً أرق من صوت قارىء حسن الصوت يقرأ كتاب الله تعالى في جوف الليل، قال: ذلك الحسن، وقال آخر: ما سمعت صوتاً أعجب من أن أترك امرأتي ماخضاً وأتوجه إلى المسجد بكيراً فيأتيني آت، فيبشرني بغلام، فقال: واحسناه، فقال شعبة بن علقمة التميمي: لا والله ما سمعت أعجب إليّ من أن أكون جائعاً فأسمع خفخفة الخوان، فقال الحجاج: أبيتم يا بني تميم إلا حب الزاد والمقصود من هذه الحكاية بيان اختلاف مشارب الناس فمن أحب الله وأنس بكلامه وتجرد عن الأعراض، وكان القارىء متحاشياً من الأنغام الموسيقية وألحان أهل الفسق قارئاً على لحون العرب محسناً صوته فلا مجال للطعن فيه والدخل ظاهراً وباطناً والله أعلم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿ومن﴾ استفهام مبتدأ، أي: لا أحد. ﴿أظلم﴾ خبره ﴿ممن افترى على الله كذباً﴾ مفعول افترى، أي: اختلق كذباً وافتعله فزعم أنه تعالى بعثه نبياً كمسيلمة الكذاب، والأسود العبسي، أو اختلق عليه أحكاماً كعمرو بن لحي وهو أول من غير دين إسماعيل عليه السلام، ونصب الأوثان، وبحر البحيرة وسيب السائبة قال عليه السلام في حقه «رأيته يجر قصبه في النار».

قال قتادة كان مسيلمة يسجع ويتكهن، كما قال في معارضة سورة الكوثر: إنا أعطيناك الجماهر فصل لربك وهاجر إنا كفيناك المكابر والمجاهر فانظر كيف كان ساقل الألفاظ والبناء فاسد المعاني والجنى فادعى النبوة وكان قد أرسل إلى رسول الله ﷺ رسولين فقال عليه السلام «أتشهدان أن مسيلمة نبي» قالا نعم فقال عليه السلام: «لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما» وفي الحديث: «بينا أنا نائم أتيت بخزائن الأرض، فوضع في يدي سواران من ذهب فكبرا عليّ وأهماني فأوحي إلي أن أنفخهما فنفختهما فذهبا فأولتهما بالكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة».

قال القاضي: وجه تأويلهما بالكذابين أن السوار كالقيد لليد يمنعها عن البطش، فكذا الكذابان يقومان بمعارضة شريعته ويصدان عن نفاذ أمرها قتل صاحب صنعاء وهو الأسود العبسي في مرض موت النبي عليه السلام قتله فيروز الديلمي فلما بلغ خبر قتله النبي عليه السلام قال: «فاز فيروز» وقتل صاحب اليمامة. وهو مسيلمة في عهد الصديق قتله الوحشي قاتل حمزة فلما قتله قال: «قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في إسلامي» ﴿أو قال أوحي إلي﴾ من جهته تعالى ﴿ولم يوح إليه﴾ أي: والحال أنه لم يوح إليه. ﴿شيء﴾ أصلاً كعبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله ﷺ فلما نزلت ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون: ١٢] فلما بلغ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] قال عبد الله ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] تعجباً من تفصيل خلق الإنسان فقال عليه السلام «اكتبها فكذلك نزلت» فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقاً أي في قوله فكذلك نزلت لقد أوحي إلي كما أوحي إليه ففي التحقيق أنا أكون مثله ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال فعليّ أن أدّعي نزول الوحي مثله فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين ثم رجع إلى الإسلام قبل فتح مكة إذ نزل النبي عليه السلام بمرو. ﴿ومن﴾ أي: وممن ﴿قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ وهم المستهزئون الذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا.

﴿ولو ترى إذ الظالمون﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ ومفعول ترى محذوف لدلالة الظرف عليه أي ولو ترى الظالمين إذ هم. فالظالمون مبتدأ وما بعده خبره وإذ مضاف إلى الجملة، والمراد بالظالمين الجنس فيدخل فيهم المتلبثة وغيرهم وجواب لو محذوف أي لو ترى الظالمين في هذا الوقت لرأيت أمراً عظيماً. ﴿في غمرات الموت﴾ أي: شدائده وسكراته. جمع غمرة وهي الشدة الغالبة من غمره الماء إذا علاه وغطاه. ﴿والملائكة﴾ أي: ملك الموت وأعوانه من ملائكة العذاب. ﴿باسطو أيديهم﴾ بقبض أرواحهم كالمتقاضي الملظ أي كالغريم

الملازم الملح الذي يبسط يده إلى من عليه الحق ويعنفه عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول له اخرج إليّ ما لي عليك الساعة ولا أزال من مكاني حتى أنزعه من كبدك وحدقتك أو باسطوها بالعذاب قائلين. ﴿أخرجوا أنفسكم﴾ أي: أرواحكم إلينا من أجسادكم وهذا القول منهم تغليظ وتعنيف وإلا فلا قدرة لهم على الإخراج المذكور أو أخرجوها من العذاب وخلصوها من أيدينا. ﴿اليوم﴾ أي: وقت الإماتة أو الوقت الممتد بعده إلى ما لا نهاية له. ﴿تجزون عذاب الهون﴾ أي: العذاب المتضمن لشدة وإهانة والهون الهوان، أي: الحقارة. ﴿بما كنتم تقولون على الله غير الحق﴾ كاتخاذ الولد ونسبة الشريك وادعاء النبوة والوحي كذباً. ﴿وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون بها، وفي الحديث: «إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك، وضبائر من الريحان، وتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين، ويقال لها: أيتها النفس الطيبة اخرجي راضية مرضية ومرضياً عنك إلى روح الله، وكرامته فإذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها إلى عليين، وإن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعاً شديداً، ويقال لها: أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطاً عليك إلى هوان الله وعذابه، فإذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وإن لها نشيجاً، أي: صوتاً ويطوي عليها المسح ويذهب بها إلى سجين» كذا في «تفسير أبي الليث» رحمه الله.

والإشارة أن الذين يراؤون في التأوه والزعقات وإظهار المواجيد والحالات لهم من الله خطرات ونظرات وليس لهم منها نصيب إلا الزفرات والحسرات والمتشبع بما لم يملك كلابس ثوبي زور وفي معناه أنشدوا:

إذا انسكبت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى

والذي نزل نفسه منزلة المحدثين وأهل الإشارة ولم يلق إلى أسرارهم خصائص الخطاب ولم تلهم نفوسهم بها والذين يتشدقون ويتفيهقون في الكلام الذين يدعون أنهم يتكلمون بمثل ما أنزل الله من الحقائق والأسرار على قلوب عباده الواصلين الكاملين فكلهم من الظالمين وتظهر مضرة ظلمهم وافترائهم عند انقطاع تعلق الروح عن البدن وإخراج النفس من القالب كرهاً لتعلقها بشهوات الدنيا ولذاتها وحرمانها من لذة الحقائق الغيبية والشهوات الأخروية؛ إذ الملائكة يبسطون أيديهم بالقهر إليهم لنزع أنفسهم بالهوان والشدة، وهي متعلقة بحسب الافتراء والكذب واستحلاء رفعة المنزلة عند الخلق وطلب الرياسة بأصناف المخلوقات فتكون شدة النزع والهوان بقدر تعلقها بها كما قال: ﴿اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ يعني: آياته المودعة في أنفسكم تعرضون عنها وتراؤون بما ليس لكم ولعل تعلق النفس يتقطع عن البدن بيوم أو يومين أو ثلاثة أيام وتعلقها عن أوصاف المخلوقات لا ينقطع بالسنين ولعله إلى الحشر والكفار إلى الأبد وهم في عذاب النزع بالشدة أبداً وهو العذاب الأليم والعذاب الشديد ومن نتائج هذه الحالة عذاب القبر فافهم جيداً ـ وحكي ـ عن بعض العصاة أنه مات فلما حفروا قبره وجدوا فيه حية عظيمة فحفروا له قبراً آخر فوجدوها فيه ثم كذلك قبراً بعد قبر إلى أن حفروا نحواً من ثلاثين قبراً وفي كل قبر يجدونها فلما رأوا أنه لا يهرب من الله هارب ولا يغلب الله غالب دفنوه معها وهذه الحية هي عمله. قال الحافظ:

كاری کنيم ورنه خجالت برآورد روزى كه رخت جان بجهان دكر كشيم

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٩٤﴾.

﴿ولقد جئتمونا﴾ للحساب والجزاء وهو بمعنى المستقبل، أي: تجيئوننا وإنما أبرز في صورة الماضي لتحققه كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١] والخطاب لكفار قريش لأنها نزلت حين قالوا افتخاراً واستخفافاً للفقراء نحن أكثر أموالاً وأولاداً في الدنيا وما نحن بمعذبين في الآخرة. ﴿فرادى﴾ جمع فرد أي منفردين عن الأموال والأولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا. ﴿كما خلقناكم أول مرة﴾ بدل من فرادى أي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد أو حال من ضمير فرادى أي: مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلاً بهما أي ليس بهم شيء مما كان في الدنيا نحو البرص والعرج، كذا في «القاموس» وفي الخبر: «إنهم يحشرون يوم القيامة عراة حفاة غرلاً» قالت عائشة رضي الله عنها واسوءتاه الرجل والمرأة كذلك فقال عليه السلام: «لكل امرىء منهم يومئذٍ شأن يغنيه لا ينظر الرجال إلى النساء ولا النساء إلى الرجال شغل بعضهم عن بعض» ﴿وتركتم ما خولناكم﴾ ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة، والتخويل تمليك الخول، أي: الخدم والأتباع واحدهم خائل أو الإعطاء على غير جزاء. ﴿وراء ظهوركم﴾ ما قدمتم منه شيئاً ولم تحملوا نقيراً بخلاف المؤمنين فإنهم صرفوا همتهم إلى العقائد الصحيحة والأعمال الصالحة فبقيت معهم في قبورهم وحضرت معهم في محفل القيامة فهم في الحقيقة ما حضروا فرادى.

چون ازنيجا وارهى انجاروى　　درشكر خانه ابد شاكر شوى

﴿وما نرى معكم شفعاءكم﴾ الأصنام ﴿الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء﴾ أي: شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم. ﴿لقد تقطع بينكم﴾ أي: وقع التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشيئين، أي: أوقع الجمع بينهما.

قال الكاشفي: [منقطع كشت آنچه ميان شما بود ازوصلت ومودت] ﴿وضل عنكم﴾ أي: بطل وضاع. ﴿ما كنتم تزعمون﴾ أنها شفعاؤكم فلم يقدروا على دفع شيء من العذاب عنكم، أو أنها شركاؤكم لله في ربوبيتكم وهو الأنسب لسياق النظم ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء﴾ .

اعلم أن للإنسان أعداء أربعة هي: المال والأهل والأولاد والأصدقاء، وهي لا تدخل في القبر مع الميت فيبقى فريداً وحيداً منهم، وأصدقاء أربعة هي: كلمة الشهادة والصلاة والصوم وذكر الله هي تدخل في القبر وتشفع عند الله تعالى فتصحب الميت فلا يبقى وحيداً.

فعلى العاقل أن يتفكر في تجرده وتفرده فيسعى في تحصيل لباس له هو التقوى ومصاحب هو العمل الصالح، وفي الحديث: «إن عمل الإنسان يدفن معه في قبره، فإن كان العمل كريماً أكرم صاحبه، وإن كان لئيماً أسلمه، وإن كان عملاً صالحاً آنس صاحبه وبشره ووسع عليه قبره ونوره وحماه من الشدائد والأهوال والعذاب والوبال، وإن كان عملاً سيئاً فزع صاحبه وروّعه وأظلم عليه قبره وضيقه وعذبه وخلّى بينه وبين الشدائد والأهوال والعذاب والوبال».

قال اليافعي: وقد سمعت عن بعض الصالحين في بعض بلاد اليمن أنه لما دفن بعض الموتى وانصرف الناس سمع في القبر صوتاً ودقاً عنيفاً ثم خرج من القبر كلب أسود فقال له الشيخ الصالح ويحك ايش أنت؟ فقال: أنا عمل الميت فقال: فهذا الضرب فيك أم فيه؟ قال: بل فيّ وجدت عنده سورة يس وأخواتها فحالت بيني وبينه وضربت وطردت فانظر أنه لما قوي عمله الصالح غلب على عمله الصالح وطرده عنه بكرم الله تعالى ولو كان عمله القبيح أقوى لغلب عليه وأفزعه وعذب. قال السعدي:

غم وشادماني نماند وليك جزاى عمل ماندو نام نيك

مكن تكيه برملك وجاه وحشم كه پيش ازتوبودست وبعد ازتوهم

قال القشيري: ﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾ أي: دخلتم الدنيا بخرقة وخرجتم منها بخرقة ألا وتلك الخرقة أيضاً لبسه وما دخلت إلا بوصف التجرد وما خرجت إلا بحكم التجرد ثم الأثقال والأوزار والأعمال والأوصال لا يأتي عليها حصر ولا مقدار فلا مالكم أغنى ولا حالكم يدفع عنكم ولا شفيع يخاطبنا فيكم، ولقد تفرق وصلكم وتبدد شملكم وتلاشى ظنكم وخاب سعيكم انتهى كلام القشيري.

والإشارة أن المجيء إلى الله يكون بالتجريد ثم بالتفريد ثم بالتوحيد، فالتجريد هو التجرد عن الدنيا وما يتعلق بها، والتفريد هو التفرد عن الدنيا والآخرة رجوعاً إلى الله خالياً عن التعلق بهما كما كان في بدء الخلقة روحاً مجرداً عن تعلقات الكونين كقوله: ﴿لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾ يعين أول خلقة الروح قبل تعلقه بالقالب فإنه خلقه ثانية كما قال: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: ١١] فللعبد في السير إلى الله كسب وسعي بالتجريد والتفريد عن الدنيا والآخرة كما قال: ﴿وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم﴾ يعني من تعلقات الكونين ﴿وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء﴾ يعني: الأعمال والأحوال التي ظننتم أنها توصلكم إلى الله تعالى ﴿لقد تقطع بينكم﴾ وبينها عند انتهاء سيركم ﴿وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ أنها توصلكم إلى الله فإذا وصل العبد إلى سرادقات العزة انتهى سيره كما انتهى سير جبرائيل ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وهو منتهى سير السائرين من الملك والأنس والتوحيد هو التوحد لقبول فيض الوحدانية عن التجلي بصفات الواحدية لتوصل العبد بجذبة ارجعي إلى ربك إلى مقام الوحدة ولو لم تدركه العناية الأزلية بجذبات الربوبية لانقطع عن السير في الله بالله وبقي في السدرة وهو يقول وما منا إلا له مقام معلوم فافهم كذا في «التأويلات النجمية».

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

﴿إن الله فالق الحب﴾ الفلق الشق بإبانة، والحبّ: جمع حبة وهي اسم لجميع البزور المقصودة بذواتها كالبر والشعير والذرة ونحوها، والمعنى شاق الحب بالنبات أي يشق الحبة اليابسة فيخرج منها ورق أخضر. ﴿والنوى﴾ واحدتها نواة وهي الشيء الموجود في داخل الثمر مثل نواة الخوخ والمشمش والتمر ونحوها والمعنى شاق النوى بالشجر، أي: يشق النواة

الصلبة فيخرج شجرة ذات أوراق وأغصان. ﴿يخرج الحي من الميت﴾ بيان لما قبله أي يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب. ﴿ومخرج الميت﴾ كالنطفة والحب ﴿من الحي﴾ كالحيوان والنبات وهو معطوف على فالق الحب، فالحي والميت مجاز عن النامي والجامد تشبيهاً للنامي بالحي والحي حقيقة فيما يكون موصوفاً بالحياة المستتبعة للحس والحركة الإرادية والميت حقيقة فيما يكون خالياً عن صفة الحياة ممن تكون الحياة من شأنه، ومنهم من حمل اللفظ على الحقيقة وقال يخرج من النطفة الميتة بشراً حياً ومن الدجاجة بيضة ميتة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يخرج المؤمن من الكافر كما في حق إبراهيم عليه السلام والكافر من المؤمن كما في حق ولد نوح عليه السلام والعاصي من المطيع وبالعكس والعالم من الجاهل وبالعكس والعاقل من الأحمق وبالعكس.

والإشارة يخرج نخل الإيمان من نوى الحروف الميتة في كلمة لا إله إلا الله ومخرج ميت النفاق من الكلمة الحية وهي لا إله إلا الله. ﴿ذلكم﴾ القادر العظيم الشأن. ﴿الله﴾ المستحق للعبادة وحده. ﴿فأنى تؤفكون﴾ فكيف تصرفون عن عبادته إلى غيره ولا سبيل إليه أصلاً. والإفك في اللغة قلب الشيء وصرفه والخطاب لكفار قريش لأن السورة مكية.

﴿فالق الإصباح﴾ خبر آخر لإن. والإصباح: بكسر الألف مصدر بمعنى الدخول في ضوء النهار سمي به الصبح أي فالق عمود الفجر عن بياض النهار وإسفاره. ﴿وجعل الليل سكناً﴾ يسكن إليه التعب بالنهار لاستراحته من سكن إليه إذا اطمأن إليه استئناساً به أو سكن فيه الخلق من قوله تعالى: ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ [يونس: ٦٧] ﴿والشمس والقمر﴾ أي: وجعلهما. ﴿حسباناً﴾ أي: على أدوار مختلفة يحسب بها الأوقات فإنه تعالى قدر حركه الشمس بمقدار من السرعة والبطء بحيث تتم دورتها في سنة وقدر حركة القمر بحيث تتم الدورة في شهر وبهذا التقدير تنتظم المصالح المتعلقة بالفصول الأربعة كنضج الثمار وأمور الحرث والنسل ونحو ذلك مما يتوقف عليه قوام العالم وباختلاف منازل القمر وتجدد الأهلة في كل شهر يعلم آجال الديون ومواقيت الأشياء فمعنى جعل الشمس والقمر حسباناً جعلهما علمي حساب. فالحسبان بالضم مصدر بمعنى الحساب والعد وبابه نصر، وأما الحسبان: بكسر الحاء فهو من باب علم ومعناه الظن والتخمين وتقديم الشمس لضيائها على القمر لأنها معدن الأنوار الفلكية من البدور والنجوم وأصلها في النورانية وأن أنوارهم مقتبسة من نور الشمس على قدر تقابلهم وصفوة أجرامهم.

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره: نور القمر ليس من نفسه وإنما هو من عالم الأنوار فهو ليس بناقص في ذاته وإنما ذلك بسبب عروض الكثافة بالتدريج ولولا ذلك لم تعرف الشهور والسنون والشمس والقمر عينا هذا التعين وظاهرهما إلى الفوق والذي نراه جانبهما الداخل فهو تارة يفتح عينيه وأخرى يغمض كما أنا نفعل كذلك والكواكب ليست مركوزة فيه وإنما هي بانعكاس الأنوار في بعض عروقه اللطيفة والذي يرى كسقوط النجم فكدفع الشمس من موضع إلى موضع وهذا لا يطلع عليه الحكماء، وإنما يعرفه أهل السلوك ثم قال الليل والنهار في عالم الآخرة ليسا بالظلمة والضياء بل لهما علامة أخرى بتجلي من التجليات فيعرفون به الليل والنهار وكيف يكون الليل هنا بالظلمة وقد قال عليه السلام: «لو

خرج ورق من أوراقها إلى الدنيا لأضاء العالم» انتهى كلامه ﴿ذلك﴾ إشارة إلى جعلهما حسباناً، أي: ذلك التسيير البديع بالحساب المعلوم. ﴿تقدير العزيز﴾ الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص. ﴿العليم﴾ بما فيهما من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعادهم. قال السعدي:

ابر وباد ومه وخورشيد وفلك دركارند تاتو نانى بكف آرى وبغفلت نخورى

همه ازبهر توسر كشته وفرمان بردار شرط انصاف نباشد كه توفرمان نبرى

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسۡتَقَرٌّ وَمُسۡتَوۡدَعٌۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَفۡقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾.

﴿وهو الذي﴾ [واوست خداونديكه بقدرت كامله] ﴿جعل لكم﴾ أي: أنشأ لأجلكم وأبدع. ﴿النجوم﴾ التي تختلف مواضعها من جهة الشمال والجنوب والصبا والدبور. ﴿لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ أي: في ظلمات الليل في البر والبحر وإضافتها إليهما للملابسة فإن الحاجة إلى الاهتداء بها إنما تحقق عند ذلك.

قال الحدادي: لتعرفوا بها الطرق من بلد إلى بلد في المفاوز ولجج البحار في الليالي المظلمة في السفن فإن من النجوم ما يجعله السائر تلقاء وجهه، ومنها ما يجعله على يمينه. ومنها ما يجعله على يساره، ومنها ما يجعله خلفه ليظهر له الطريق التي تؤديه إلى بغيته، وللنجوم فوائد أخر: وهي أنها زينة السماء ورمي الشياطين وغير ذلك. ﴿قد فصلنا الآيات﴾ أي بينا الآيات الدالة على قدرتنا فصلاً فصلاً. ﴿لقوم يعلمون﴾ فإنهم المنتفعون بها.

﴿وهو الذي أنشأكم﴾ مع كثرتكم ﴿من نفس واحدة﴾ من نفس آدم وحدها فإنه خلقنا جميعاً منه وخلق أمّنا حواء من ضلع من أضلاع آدم فصار كل الناس محدثة مخلوقة من نفس واحدة حتى عيسى فإن ابتداء تكوينه من مريم التي هي مخلوقة من ماء أبويها، وإنما منّ علينا بهذا لأن الناس إذا رجعوا إلى أصل واحد كانوا أقرب إلى أن يألف بعضهم بعضاً.

قال أهل الإشارة: إن الله تعالى كما خلق آدم ابتداء وجعل أولاده منه كذلك خلق روح محمد ﷺ قبل الأرواح كما قال: «أول ما خلق الله روحي» ثم خلق الأرواح من روحه فكان آدم أبا البشر وكان محمد ﷺ أبا الأرواح وإليه يشير قوله تعالى: ﴿هو الذي أنشأكم من نفس واحدة﴾ ﴿فمستقر ومستودع﴾ كل واحد منهما مصدر ميمي مرفوع على الابتداء والخبر محذوف أي فلكم استقرار في الأصلاب أو فوق الأرض واستيداع في الأرحام أو تحت الأرض وجعل صلب الأب مستقر النطفة ورحم الأم مستودعاً لها لأن النطفة حصلت في صلب الأب لا من قبل الغير وحصلت في رحم الأم بفعل الغير فأشبهت الوديعة كأن الرجل أودعها ما كان مستقراً عنده.

وقال الحسن: يا ابن آدم أنت وديعة في أهلك ويوشك أن تلحق بصاحبكم وأنشد قول لبيد:

وما المال والأهلون إلا وديعة ولا بد يوماً أن ترد الودائع

والقلب أيضاً من الودائع والأمانات. قال الصائب:

ترا بكوهر دل كرده اند امانتدار نه دزد امانت حق را نكاه دار مخسب

﴿قد فصلنا الآيات﴾ المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الآية ونظائرها ﴿لقوم يفقهون﴾ غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر وإنما ذكر مع ذكر النجوم يعلمون ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لأن ذلك إشارة إلى آيات الآفاق وهذا إلى آيات الأنفس ولا شك أن آيات الآفاق أظهر وأجلى وآيات الأنفس أدق وأخفى فكان ذكر الفقه لها أنسب وأولى لأن الفقه عبارة عن الوقوف على المعنى الخفي وأصل تركيب الفقه يدل على الشق والفتح والفقيه العالم الذي يشق الأحكام ويفتش عن حقائقها ويفتح ما استغلق منها فالفقه إنما يطلق حيث يكون فيه حذاقة وتدقيق نظر.

قال الحدادي: الفقه في اللغة هو الفهم لمعنى الكلام إلا أنه قد جعل في العرف عبارة عن علم الغيب على معنى أنه استدراك معنى الكلام بالاستنباط من الأصول ولهذا لا يجوز أن يوصف الله تعالى بأنه فقيه لأنه لا يوصف بالعلم على جهة الاستنباط ولكنه عالم بجميع الأشياء على وجه أحد انتهى.

ثم هذه الآيات الآفاقية والأنفسية تفصح عن صنع الله البديع وتدعو أهل الشرك إلى التوحيد والإيمان وأهل الإخلاص إلى الشهود والعيان وأهل المعصية إلى الطاعة والتوبة باللسان والجنان فإن الامتنان بذكر النعم الجليلة يستدعي شكراً لها ومعرفة لحقها ولكل قوم وفريق سلوك إلى طريق التحقيق على حسب ما أنعم عليه من توحيد الأفعال والصفات والذات فعلى العاقل أن يجتهد في طلب الحق فإن المقصود من ترتيب مقدمات العوالم آفاقية كانت أو أنفسية هو الوصول إلى الظاهر من جهة المظاهر وإنما أصل الحجاب هو الغفلة ـ وحكي ـ أن الشيخ أبا الفوارس شاهين بن شجاع الكرماني رحمه الله خرج للصيد وهو ملك كرمان فأمعن في الطلب حتى وقع في برية مقفرة وحده فإذا هو بشاب راكب على سبع وحوله سباع فلما رأته ابتدرت نحوه فزجرها الشاب عنه فلما دنا إليه سلم عليه وقال له يا شاه ما هذه الغفلة عن الله اشتغلت بدنياك عن آخرتك وبلذتك وهواك عن خدمة مولاك إنما أعطاك الله الدنيا لتستعين بها على خدمته فجعلتها ذريعة إلى الاشتغال عنه فبينما الشاب يحدثه إذ خرجت عجوز بيدها شربة ماء فناولتها الشاب فشرب فدفع باقيه إلى الشاه فشربه فقال ما شربت شيئاً ألذ منه ولا أبرد ولا أعذب ثم غابت العجوز فقال الشاب هذه الدنيا وكّلها الله إلى خُدمتي فما احتجت إلى شيء إلا أحضرته إليّ حين يخطر ببالي أما بلغك أن الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها: (يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه) فلما رأى ذلك تاب وكان منه ما كان وأنشد بعضهم:

خدمت لما إن صرت من خدمك ... ودار عندي السرور من نعمك
وكانت الحادثات تطرقني ... فاستحشمتني إذ صرت من حشمك

اللهم اجعلنا من الملازمين لبابك ولا تقطعنا عن جنابك.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وهو﴾ أي: الله تعالى ﴿الذي أنزل من السماء ماء﴾ خاصاً هو المطر ثم التفت من الغيبة إلى التكلم فقال ﴿فأخرجنا﴾ بعظمتنا فالنون للعظمة لا الجمع فإن الملك العظيم يعبر عن

نفسه بلفظ الجمع تعظيماً له ﴿به﴾ أيّ: بسبب ذلك الماء مع وحدته. ﴿نبات كل شيء﴾ ينبت كنبات الحنطة والشعير والرمان والتفاح وغيرها فشيء مخصص فلا يلزم أن يكون لكل شيء نبات كالحجر مثلاً والنبت والنبات ما يخرج من الأرض من الناميات سواء كان له ساق كالشجر أو لم يكن كالنجم.

فإن قيل: كيف جعل الله المطر سبباً للنبات والفاعل بالسبب يكون مستعيناً بفعل السبب والله تعالى مستغن عن الأسباب.

قيل: لأن المطر سبب يؤدي إلى النبات وليس بمولود له والله تعالى قادر على إنبات النبات بدون المطر وإنما يكون الفاعل بالسبب مستعيناً بذلك السبب إذا لم يمكنه فعل ذلك الشيء إلا بذلك السبب كما أن الإنسان إذا لم يمكنه أن يصعد السطح إلا بالسلم فإن السلم آلة للصعود والظاهر أنه إذا صعد السطح بالسلم لم يكن السلم آلة له لأنه يمكنه أن يصعد السطح بدون السلم. ﴿فأخرجنا منه﴾ شروع في تفصيل ما أجمل من الإخراج وقد بدأ بتفصيل حال النجم أي فأخرجنا من النبات الذي لا ساق له شيئاً غضاً. ﴿خضراً﴾ بمعنى أخضر وهو أي الشيء الأخضر الخارج من النبات ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة. ﴿نخرج منه﴾ صفة لخضراً أي نخرج من ذلك الخضر المتشعب. ﴿حباً متراكباً﴾ هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة. ﴿ومن النخل﴾ شروع في تفصيل حال الشجر إثر بيان حال النجم وهو خبر مقدم. ﴿من طلعها﴾ بدل منه بإعادة العامل وهو شيء يخرج من النخل كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود. ﴿قنوان﴾ مبتدأ، أي: وحاصلة من طلع النخل قنوان جمع قنو وهو للثمر بمنزلة العنقود للعنب ﴿دانية﴾ سهلة المجتنى قريبة من القاطف فإنها وإن كانت صغيرة ينالها القاعد تأتي بالثمر لا تنتظر الطول أو ملتفة متقاربة وفيه اختصار معناه من النخل ما قنوانها دانية ومنها ما هي بعيدة فاكتفى بذكر القريبة عن البعيدة لأن النعمة في القريبة أكمل وأكبر وفي الحديث: «أكرموا عماتكم النخل فإنها خلقت من فضلة طينة آدم وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران فأطعموا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن رطب فتمر» انتهى. فظهر أن السبب في إطعام النفساء رطباً أن مريم رضي الله عنها كان أول ما أكلت حين وضع عيسى عليه السلام هو الرطب كما قال تعالى في سورة مريم: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم: ٢٥] وورد في فضيلة السفرجل أيضاً أنه شكا بعض الأنبياء إلى الله تعالى من قبح أولاد أمته فأوحى الله إليه مُرْهم أن يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل في الشهر الثالث والرابع لأن فيه تصور الجنين فإنه يحسن الولد. ﴿و﴾ أخرجنا به ﴿جنات﴾ بساتين كائنة ﴿من أعناب﴾ فهو عطف على نبات كل شيء ولعل زيادة الجنات هنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس كما فيما تقدم وما تأخر لما أن الانتفاع بهذا الجنس لا يتأتى غالباً إلا عند اجتماع طائفة من أفراده وكل نبت متكاثف يستر بعضه بعضاً فهو جنة من جنّ إذا استتر والأعناب جمع عنب وهو بالفارسية [انكور].
﴿والزيتون والرمان﴾ أي: وأخرجنا أيضاً شجر الزيتون وشجر الرمان. ﴿مشتبهاً﴾ أوراقهما ومشتملاً على الغصن من أوله إلى آخره في كليهما وهو حال. ﴿وغير متشابه﴾ ثمرهما.

وفي «التفسير الفارسي». [﴿مشتبهاً﴾ در حالتى كه آن درختان بعضى ببعضى ما نند دربرك ﴿وغير متشابه﴾ ونه ما نند يكديكر در طعم ميوه چه بعضى بغايت ترش ميباشد وبعضى

شيرين وبرخى ترش وشيرين]. ﴿انظروا﴾ يا مخاطبين نظر اعتبار ﴿إلى ثمره﴾ [بميوه هردرختى] ﴿إذا أثمر﴾ إذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلاً لا يكاد ينتفع به ﴿وينعه﴾ وإلى حال نضجه كيف يعود ضخماً ذا نفع ولذة والينع في الأصل مصدر ينعت الثمرة إذا أدركت. وقوله إذا أثمر ظرف لقوله انظروا أمر بالنظر في أول حال حدوث الثمرة وفي كمال نضجها مع كونها نابتة من أرض واحدة ومسقية بماء واحد ليعلم كيف تتبدل وتنتقل إلى أحوال مضادة للأحوال السابقة وحصول هذه التغيرات مسند إلى القادر الحكيم العليم المدبر لهذا العالم على وفق الرحمة والحكمة والمصلحة.

قال القرطبي: هذا الينع هو الذي يتوقف عليه جواز بيع الثمرة وهو أن يطيب أكل الفاكهة وتأمن العاهة وهو عند طلوع الثريا بما أجرى الله تعالى عادته عليه ـ روى ـ أبو هريرة عن النبي عليه السلام أنه قال: «إذا طلعت الثريا صباحاً رفعت العاهة عن أهل البلد» وطلوعها صباحاً في اثنتي عشرة تمضي من شهر أيار وهو آخر الشهور الثلاثة من أول فصل الربيع وهي آذار ونيسان وأيار ﴿إن في ذلكم﴾ إشار إلى ما أمر بالنظر إليه ﴿لآيات﴾ عظيمة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته ﴿لقوم يؤمنون﴾ خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بالاستدلال بها والاعتبار.

والإشارة في الآية إن الله تعالى ينزل من سماء العناية ماء الهداية فيخرج به أنواع المعارف والأسرار على حسب مراتب أهل الزهد والفتوى وأهل العشق والتقوى إذ القلب كالروضة ينشأ منه ما هو مستعد له وكل نبت يترجم عن ترابه، كما قال في «المثنوي»:

درزمين كرنى شكر ورخود نى است ترجمان هر زمين نبت وى است

والنخل أعلى من غيره ولذا يقال إنه إشارة إلى أصحاب الولايات فمن ثمرات ولايتهم ما هو متدان للطالبين والمريدين يعني منهم من يكون مربياً فينتفع بثمرات ولايته ومنهم من يختار العزلة والانقطاع عن المتمسكين به وجملة شؤونهم ناظرة إلى أمر الله تعالى وإذنه ولذا لا يطعن فيهم إلا جاهل وهم في خلواتهم وجلواتهم يتفكهون من روضات القلوب ويتلذذون بلذائذ حبات الغيوب وأمرهم مستور عن الخلق وأعينهم.

وعن بعضهم قال: رأيت عند قبر النبي عليه السلام تسعة من الأولياء فتبعتهم فالتفت إليّ أحدهم وقال أين تمر؟ قلت: أسير معكم لحبي فيكم فإني سمعت عمن زرتموه عليه السلام أنه قال: «المرء مع من أحبّ» فقال أحدهم إنك لا تقدر على المسير إلى هذا الموضع الذي نقصده فإنه لا يقدر عليه إلا من بلغ سنه أربعين سنة فقال آخر دعه لعل الله يرزقه فسرت معهم والأرض تطوى من تحتنا طياً فلم نزل حتى انتهينا إلى مدينة مبنية بالذهب والفضة وأشجارها متكاثفة وأنهارها مطردة رائقة وفواكهها كبيرة فائقة فدخلنا وأكلنا من ثمرها وأخذت معي ثلاث تفاحات فلم يمنعوني من أخذها فسألتهم عند الانصراف عن المدينة قالوا مدينة الأولياء إذا أرادوا التنزه ظهرت لهم أينما كانوا ما دخلها أحد قبل الأربعين غيرك وكنت كلما جعت أكلت من التفاحة وهي لا تتغير ورجعت إلى أهلي وقد بقي معي تفاحة واحدة غير التي ادخرتها لنفسي فعانقتني أختي وقالت أين الذي أطرفتنا به من سفرك فقلت وما الذي أطرفكم به وأنا بعيد عن الدنيا وعن الراحة قالت فأين التفاحة فعميت عليها وقلت وأي تفاحة قالت يا مسكين والله لقد أدخلوني تلك المدينة وأنا بنت عشرين سنة وأما أنت فلم ترها إلا بعد أن طردوك وأنا والله جذبت إليها جذبة وخطبت إليها خطبة قلت أي أخت فالبدل الكبير منهم يقول لي لم

يدخلها أحد لم يبلغ أربعين سنة غيرك قالت نعم من المريدين وأما المرادون فيدخلونها ولا يرضون بها ومتى شئت أريتكها فقلت قد شئت فقالت يا مدينتي احضري فوالله لقد رأيت المدينة بعينها تتدلى إليها وترف عليها فمدت يدها وقالت أين تفاحك قال فتساقط عليّ من التفاح ما علاني فضحكت ثم قالت من عنده من الملك هذا يحتاج إلى تفاحتك قال فاستحقرت والله نفسي عند ذلك وما كنت أعلم أن أختي منهم رضي الله عنها وعنهم. قال السعدي:

نه هركس سزاوار باشد بصدر كرامت بفضلست ورتبت بقدر

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾. قال الكاشفي: الأصح أنها نزلت في الزنادقة، أعني: المجوس ويقال لهم الثنوية أيضاً قالوا إن الله تعالى وإبليس أخوان فالله تعالى خالق الناس والدواب والأنعام وكل خير ويعبرون عن الله بيزدان وإبليس خالق السباع والحيات والعقارب وكل شر ويعبرون عن إبليس باهرمن وهذا كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨] وإبليس من الجنة والمعنى وجعلوا الجن شركاء لله في اعتقادهم الباطل. ﴿وخلقهم﴾ حال من فاعل جعلوا بتقدير قد أي والحال أنهم قد علموا أن الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق فالضمير للجاعلين ويحتمل أن يكون للجن أي والحال أنه تعالى خلق الجن فكيف يجعلون مخلوقه شريكاً له. ﴿وخرقوا له﴾ أي: افتعلوا وافتروا له تعالى يقال خرق واخترق واختلق وافترى إذا كذب. ﴿بنين وبنات﴾ فقالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله ﴿بغير علم﴾ بحقيقة ما قالوه من خطأ أو صواب بل رمياً بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية. والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا أي خرقوا ملتبسين بغير علم. ﴿سبحانه﴾ أي: تنزه تعالى بذاته تنزهاً لائقاً به، ﴿وتعالى﴾ من العلو، أي: استعلى ويجوز في صفات الله تعالى علا ولا يجوز ارتفع لأن العلو قد يكون بالاقتدار والارتفاع يقتضي الجهة والمكان ولما في السبحان والتعالي من معنى التباعد قيل ﴿عما يصفون﴾ أي تباعد عما يصفونه من أن له شريكاً أو ولداً.

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾.

﴿بديع السموات والأرض﴾ أي: هو مبدع من غير مثال سبق لقطري العالم العلوي والسفلي بلا مادة فاعل على الإطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانتقال مادته عنه فكيف يكون له ولد فالفعيل بمعنى المفعل كالأليم والحكيم بمعنى المؤلم والمحكم والإضافة حقيقية وقيل هو من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها أي بديع سمواته وأرضه من بدع إذا كان على نمط عجيب وشكل فائق وحسن رائق. ﴿أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة﴾ أي: من أين أو كيف يوجد له ولد والحال أن أسباب الولادة منتفية فإن وجود الولد بلا والدة محال وإن أمكن بلا والد كعيسى عليه السلام والمراد بالصاحبة الزوجة. وفي «المثنوي»:

لم يلد لم يولد است أو ازقدم نى پدر دارد نه فرزندونه عم

﴿وخلق كل شيء﴾ انتظم بالتكوين والإيجاد من الموجودات التي من جملتها ما سموه ولداً له تعالى فكيف يتصور أن يكون المخلوق ولداً لخالقه:

خالق أفلاك وأنجم برعلا   مردم وديو ويرى ومرغ را

﴿وهو بكل شيء﴾ من شأنه أن يعلم كائناً ما كان مخلوقاً أو غير مخلوق. ﴿عليم﴾ مبالغ في العلم أزلاً وأبداً فلا يخفى عليه خافية مما كان وما سيكون من الذوات والصفات والأحوال التي من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز من المحالات التي كان ما زعموه فرداً من أفرادها.

﴿ذلكم﴾ أي: ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة أيها المشركون. ﴿الله﴾ المستحق للعبادة خاصة مبتدأ وخبره. ﴿ربكم﴾ أي: مالك أمركم.

نيست خلقش را دكركس مالكي   شركتش دعوى كند جزهالكى

﴿لا إله إلا هو﴾ أي: لا شريك له أصلاً ﴿خالق كل شيء﴾ مما كان وما سيكون فلا تكرار وهذه أخبار مترادفة. ﴿فاعبدوه﴾ حكم مسبب عن مضمونها فإن من جمع هذه الصفات استحق العبادة خاصة ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ أي: وهو مع تلك الصفات متولي أموركم فكلوها إليه وتوسلوا بعبادته إلى إنجاح مآربكم الدنيوية والأخروية ورقيب على أعمالكم فيجازيكم.

قال الإمام الغزالي قدس سره: والوكيل ينقسم إلى من يفي بما وكل إليه وفاء تاماً من غير قصور وإلى من لا يفي بالجميع والوكيل المطلق هو الذي يفي بالأمور الموكولة إليه وهو ملي بالقيام بها وفي إتمامها وذلك هو الله تعالى فقط وقد فهمت من هذا مقدار مدخل العبد في معنى هذا الاسم انتهى كلامه.

وعن الشيخ أبي حمزة الخراساني رحمه الله قال: حججت سنة من السنين فبينما أنا أمشي إذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي أن استغيث فقلت: لا والله لا أستغيث فما استتم هذا الخاطر حتى مرّ برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر: تعالى حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيه أحد فأتيا بقصب وبارية وطمسا رأس البئر فهممت أن أصيح، ثم قلت في نفسي ألجأ إلى من هو أقرب منهما وسكت وفوضت أمري إلى الله تعالى فبينما أنا بعد ساعة إذا بشيء جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله وكأنه يقول تعلق بي في همهمة منه كنت أعرف منها ذلك فتعلقت به فأخرجني فإذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف يا أبا حمزة أليس هذا أحسن نجيناك من التلف بالتلف فالله تعالى قادر على ذلك وهو على كل شيء وكيل.

والإشارة في الآيات أن الله تعالى كما أخرج بماء اللطف والهداية من أرض القلوب لأربابها أنواع الكمالات أخرج بماء القهر والخذلان من أرض النفوس لأصحابها أنواع الضلالات حتى أشركوا بالله تعالى وقالوا ما قالوا من أسوء المقال مع أنه تعالى متفرد بالذات والصفات والأفعال.

فعلى العاقل أن يستعيذ بالله من مكره وقهره ويستجلب بطاعته مزيد رضائه ورحمته ويقطع النظر عن الغير في كل شر وخير فإن الكل من الله تعالى وإن كان لا يرضى لعباده الكفر.

كناه اكرچه نبود اختيار ما حافظ   تودر طريق ادب كوش وكوكناه منست

اللهم لا تؤمنا مكرك فإنه لا يأمن منه إلا القوم الكافرون.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴿١٠٣﴾﴾

﴿لا تدركه الأبصار﴾ البصر حاسة النظر وقد تطلق على العين من حيث إنها محله وإدراك الشيء عبارة عن الوصول إليه والإحاطة به أي لا تصل إليه الأبصار ولا تحيط به. ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ أي: يحيط بها علمه ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ فيدرك ما لا تدركه الأبصار ولهذا خص الأبصار بإدراكه تعالى إياها مع أنه يدرك كل شيء لأن الأبصار لا تدرك نفسها ولا يجوز في غيره أن يدرك البصر وهو لا يدركه ففيه دليل على أن الخلق لا يدركون بالأبصار كنه حقيقة البصر وهو الشيء الذي صار به الإنسان يبصر من عينيه دون أن يبصر من غيرهما من سائر أعضائه.

اعلم أن الإدراك غير الرؤية لأن الإدراك هو الوقوف على كنه الشيء والإحاطة به والرؤية المعاينة وقد تكون الرؤية بلا إدراك لأنه يصح أن يقال رآه وما أدركه، فالإدراك أخص من الرؤية ونفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم، فالله يجوز أن يرى من غير إدراك وإحاطة كما يعرف في الدنيا ولا يحاط به يعني إن معرفة الله تعالى ممكنة من حيث الارتباط بينه وبين الخلق وانتشاء العالم منه بقدر الطاقة البشرية إذ منه ما لا تفيه الطاقة البشرية وهو ما وقع به الكمل في ورطة الحيرة وأقروا بالعجز عن حق المعرفة وقالوا ما عرفناك حق معرفتك فذات الله تعالى من حيث تجرده عن النسب والإضافات لا يدرك ولهذا سئل النبي عليه السلام هل رأيت ربك قال: «نوراني أراه» أي: النور المجرد لا يمكن رؤيته وكذا أشار الحق في كتابه لما ذكر ظهور نوره في مراتب المظاهر قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] فلما فرغ من ذكر مراتب التمثيل قال: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥] فأحد النورين هو الضياء والآخر هو النور المطلق الأصلي ولهذا تمم فقال: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥] أي: يهدي الله بنوره المتعين في المظاهر والساري فيها إلى نوره المطلق الأحدي فإنما تتعذر الرؤية والإدراك باعتبار تجرد الذات عن المظاهر والنسب والإضافات فأما في المظاهر ومن ورائية حجابية المراتب فالإدراك ممكن كما قيل:

كالشمس تمنعك اجتلاءك وجهها ... فإذا اكتست برقيق غيم أمكنا

وإلى مثل هذا أشار النبي ﷺ في بيان الرؤية الجنانية المشبهة برؤية الشمس والقمر فأخبر عن أهل الجنة أنهم يرون ربهم وأنه ليس بينه وبينهم حجاب إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن فنبه ﷺ على بقاء الرتبة الحجابية وهي رتبة المظهر وتحقيقه إن أهل الاعتزال بالغوا في نفي الرؤية واستدلوا على مذهبهم بما ورد في الصحيحين عن أبي موسى «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه» قالوا إن الرداء حجاب بين المرتدي والناظرين فلا تمكن الرؤية وجوابهم أنهم حجبوا وأن المرتدي لا يحتجب عن الحجاب إذ المراد بالوجه الذات وبرداء الكبرياء وإضافته للبيان والكبرياء رداؤه الذي يلبسه عقول العلماء بالله.

يقول الفقير في شرح هذا المقام: قوله: ولكنهم حجبوا الخ وذلك لأن المرآة لا تكون حجاباً للناظر كما أن اللباس كذلك بالنسبة إلى البدن نفسه إذ لا واسطة بينهما فالرداء من المرتدي بمنزلة المرآة من النظر وكذا المرتدي من الرداء بمنزلة الناظر من المرآة إذ المراد

بالوجه الذات بطريق إطلاق اسم الجزء على الكل فالمرتدي وهو الذات لا يحتجب عن حجابه وإنما يحتجب به عن الغير كالقناع للعروس فإنه كشف بالإضافة إليها وحجاب بالنسبة إلى غيرها وبرداء الكبرياء إلخ. الحقيقة المحمدية التي هي حقيقة الحقائق ولكل موجود حصة من تلك الحقيقة بقدر قابليته لكنها في نفسها حقيقة واحدة، وهو الوجود العام الشامل، كالحيوان الناطق فإنه معنى واحد عام شامل لجميع الأفراد وكثرته بالنسبة إلى تلك الأفراد لا تنافي وحدته الحقيقية، فمعنى قوله عليه السلام: «وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه» حقيقة كل منهما التي تجلى الذات فيها بحسب صفاء مرآتها ومعرفتها وتلك الحقيقة ليست بحجاب بين القوم وبين الذات الأحدية إذ ما وراء تلك الحقيقة مع قطع النظر عن التجلي فيها وكونها مرآة له إطلاق صرف لا يتعلق به رؤية رداء أيا كان فكل ناظر ينكشف له جمال الذات من حقيقة نفسه فينظر إليه من تلك الحقيقة وهي ليست بحجاب للنظر ولا للذات؛ إذ هي كالمرآة فالنظر الظاهري قيد تام وما وراء تلك الحقيقة من الذات إطلاق صرف فلا مناسبة بينهما بوجه من الوجوه وتلك الحقيقة بين التقييد والإطلاق برزخ جامع لهما، كما قال عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» فالعارف إذ لم يتعلق عرفانه بنفسه الكلية وحقيقته الجامعة لا يتأتى منه عرفان ربه لأن ربه مطلق عن القيود والنسب والإضافات وهو بهذا الاعتبار لا تتعلق به المعرفة وأما نفسه المتجلى فيها الرب بحقائق أسمائه فتتعلق بها تلك الرؤية من تلك الحيثية فتكون حقيقة نفسه ومعرفتها مرآة معرفة ربه فلا حجاب بين المرتدي وردائه أصلاً وإنما غلط من غلط بقياس الغائب على الشاهد وهو ممنوع باطل لأنه لا يلزم أن يكون هناك رداء مانع وبرزخ بين الناظر والمرتدي ولذا قال: الكبرياء رداؤه الذي يلبسه عقول العلماء بالله.

فالتردد في أن الرداء حجاب بين المرتدي والناظرين فلا يمكن الرؤية إنما هو من عمى البصيرة والعياذ بالله وهو في ثلاثة أشياء إرسال الجوارح في معاصي الله والتصنع بطاعة الله والطمع في خلق الله فالحق ليس بمحجوب عنك لثبوت إحاطته وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه بما تراكم على بصيرتك من العيوب العارضة وما يلازم بصرك من العيب اللازم الذي هو الفناء الحسي الذي لا يرتفع إلا في الدار الآخرة فلذلك كانت الرؤية موقوفة عليها وإلا فالحجاب في حقه تعالى ممتنع غير متصور فلا تكن ممن يطلب الله لنفسه ولا يطالب نفسه لربه فذلك حال الجاهلين.

وقال بعض المفسرين: إن الإدراك إذا قرن بالبصر كان المراد منه الرؤية فإنه يقال أدركت ببصري ورأيت ببصري بمعنى واحد فمعنى قوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ أي: لا تراه في الدنيا فهو مخصوص برؤية المؤمنين له في الآخرة لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وحديث الشيخين «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» والمراد تشبيه الرؤية بالرؤية في الجلاء والوضوح لا تشبيه المرئي بالمرئي أي في الجهة وإنما يرونه في الآخرة لأنها قلب الدنيا فالبصيرة هناك كالبصر في الدنيا فيكون البصر الظاهر في الدنيا باطناً في الآخرة والبصيرة الباطنة ظاهرة فيستعد الكل للرؤية بحسب حاله وأما في الدنيا فالرؤية غاية الكرامة فيها وغاية الكرامة فيها لأكرم الخلق، وهو سيدنا محمد ﷺ صاحب المقام المحمود الذي شاهد ربه ليلة المعراج بعيني رأسه يعني رآه بالسر والروح في صورة الجسم

فكان كل وجوده الشريف عيناً لأنه تجاوز في تلك الليلة عن عالم العناصر ثم عن عالم الطبيعة ثم عن عالم الأرواح حتى وصل إلى عالم الأمر وعين الرأس من عالم الأجسام فانسلخ عن الكل ورأى ربه بالكل فافهم هداك الله خير السبل فإن العبارة ههنا لا تسع غير هذا.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ أي لا تلحقه المحدثات لا الأبصار الظاهرة ولا الأبصار الباطنة تقدست صمديته عن كل لحوق ودرك ينسب إلى مخلوق ومحدث بل ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ بالتجلي لها فيفني المحدثات فيكون هو بصره الذي يبصر به فاستوت عند التجلي الأبصار الظاهرة والباطنة في الرؤية بنور الربوبية. ﴿وهو اللطيف﴾ من أن يدركه المحدثات أو يلحقه المخلوقات. ﴿الخبير﴾ بمن يستحق أن يتجلى له الحق ويدرك أبصارها باطلاعه عليها فيستعدها للرؤية ومن لطف الله أنه أوجد الموجودات وكون المكونات فضلاً منه وكرماً من غير أن يكون استحقاقها للوجود انتهى ولو رآه إنسان في الموطن الدنيوي لوجب عليه شكره ولو شكره لاستحق الزيادة ولا مزيد على الرؤية ولذلك حرمها وهذا هو المعنى في قوله عليه السلام: «لن تروا ربكم حتى تموتوا».

قال ابن عطاء: إتمام النعيم بالنظر إلى وجه الله الكريم على الوجه اللائق بجلاله في الدار الآخرة حسبما جاء الوعد الصدق بذلك كما في الدنيا إذ غالب النصوص يقتضي منع ذلك بل يكاد يقع الإجماع على نفي وقوع ذلك ومنعه شرعاً وإن جاز عقلاً انتهى.

وأما الرؤية في المنام: فقد حكيت عن كثير من السلف كأبي حنيفة.

وعن أبي يزيد رحمه الله: رأيت ربي في المنام فقلت له كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك ثم تعال.

وروي عن حمزة القارىء أنه قرأ على الله القرآن من أوله إلى آخره في المنام حتى إذا بلغ إلى قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] قال الله تعالى يا حمزة وأنت القاهر ولا خفاء في أن الرؤية في المنام نوع مشاهدة يكون بالقلب دون العين وفي الحديث: «رأيت ربي في المنام في صورة شاب امرد» وسر تجليه في صورة الإنسانية بصفة الربوبية أن الحقيقة الإنسانية أجمع الحقائق فإنه تعالى لما استخلف الإنسان وجعله خاتماً على خزائن الدنيا والآخرة ظهر جميع ما في الصورة الإلٰهية من الأسماء في النشأة الإنسانية الجامعة بين النشأة العنصرية والروحانية وإليه يشير قوله عليه السلام: «إن الله خلق آدم على صورته» وإطلاق الصورة على الحق مجاز باعتبار أهل الظاهر إذ لا تستعمل في الحقيقة إلا في المحسوسات ففي المعقولات مجاز، وأما عند المحققين فحقيقة لأن العالم الكبير بأسره صورة الحضرة الإلٰهية ومظاهر أسمائها بحضراتها تفصيلاً وإجمالاً والإنسان الكامل صورته جمعاً.

فإن قلت: الرؤية أقوى أنواع الإدراك أم العلم؟.

قلت: قد قيل بالأول ولهذا يتلذذ المؤمنون برؤية الله تعالى فوق ما يتلذذون بمعرفته.

قال الإمام في «الإحياء»: إن الرؤية نوع كشف وعلم إلا أنها أوضح وأتم من العلم فإذا جاز تعلق العلم به ليس في جهة جاز تعلق الرؤية من غير جهة وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة جاز أن يرى كذلك من غير كيفية وصورة.

قال بعضهم: الرؤية أعلى من المعرفة لأن العارفين مشتاقون إلى منازل الوصال والواصلون لا يشتاقون إلى منازل المعرفة.

وقال بعضهم: المعرفة ألطف والرؤية أشرف.

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره: وصلة العلماء على قدر علمهم واستدلالهم ووصلة الكمل على قدر مشاهدتهم وعيانهم لكن لا على وجه مشاهدة سائر الأشياء فإنه تعالى منزه عن الكيف والأين بل هي عبارة عن ظهوره وانكشاف الوجود الحقيقي عند اضمحلال وجود الرائي وفنائه انتهى.

أقول: فظهر من هذا أن من فنى عن ذاته وصفاته وأفعاله واضمحل عن بشريته وهويته فجائز أن يرى الله تعالى في الدنيا بالبصيرة بعد الانسلاخ التام.

چون تجلى كرد اوصاف قديم   پس بسوزد وصف حادث راكليم

وذلك كالشمس في الجلاء لا يكابر فيه أحد أصلاً؛ لأن القلب من عالم المكوت والبصيرة كالبصر له وعالم الملكوت مطلق عن قيود الأمور الوهمية التي هي الزمان والمكان والجهة والكيفية وغيرها؛ لأنها من أحكام عالم الملك فأين هذا من ذاك ولا يقاس أحدهما على الآخر وحقيقة ذوق هذا المطلب الأعلى لا تعرف إلا بالسلوك. قال الحافظ:

شكر كمال حلاوت پس از رياضت يافت   نخست درشكن ننك ازان مكان كيرد

ثم اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما دقّ منها وما لطف ثم يسلك في إيصالها إلى المستصلح سبيل الرفق دون العنف وإذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الإدراك تم معنى اللطيف ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل إلا لله تعالى وحظ العبد من هذا الوصف الرفق بعباد الله تعالى والتلطف بهم في الدعوة إلى الله تعالى والهداية إلى سعادة الآخرة من غير إزراء وعنف ومن غير تعصب وخصام وأحسن وجوه اللطف فيه الجذب إلى قبول الحق بالشمائل والسير المرضية والأعمال الصالحة فإنها أوقع وألطف من الألفاظ المزينة.

قال الشيخ الأكبر قدس سره قال رسول الله ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي» ولم يقل صلوا كما قلت لكم لأن الفعل أرجح في نفس التابع المقتدي من القول كما قيل:

وإذا المقال مع الفعال وزنته   رجح الفعال وخف كل مقال

انتهى: وفي «المثنوي»:

بند فعلى خلق را جذاب تر   كه رسد درجان هربا كوش كر

والخبير: هو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة ولا يجرى في الملك والملكوت شيء ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس، ولا تطمئن إلا ويكون عنده خبرها وهو بمعنى العليم لكن العلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سمي خبرة، وسمي صاحبه خبيراً وحظ العبد من ذلك أن يكون خبيراً بما يجري في عالمه وعالمه قلبه وبدنه والخفايا التي يتصف القلب بها من الغش والخيانة والطواف حول العاجلة وإضمار الشر وإظهار الخير والتجمل بإظهار الإخلاص والإفلاس عنه لا يعرفها إلا ذو خبرة بالغة قد خبر نفسه ومارسها وعرف مكرها وتلبيسها وخدعها فحاد بها وتشمر لمعاداتها وأخذ الحذر منها فذلك من العباد جدير بأن يسمى خبيراً.

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

﴿قد جاءكم﴾ أي قل يا محمد للناس وخصوصاً لأهل مكة قد جاءكم. ﴿بصائر﴾ كائنة

﴿من ربكم﴾ أي: دلائل التوحيد وحقية النبوة ودلائل البعث والحساب والجزاء وغير ذلك. والبصائر جمع بصيرة وهي نور تبصر به النفس كما أن البصر نور تبصر به العين فاستعير لفظ البصيرة من القوة المودعة في القلب لإدراك المعقولات للحجة البينة لكون كل واحدة منهما سبب الإدراك ﴿فمن أبصر﴾ أي ألحق بتلك البصائر وآمن به. ﴿فلنفسه﴾ أبصر لأن نفعه لها ﴿ومن عمي﴾ أي لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك ظهوراً بيناً وضل عنه وإنما عبر بالعمى عنه تقبيحاً له وتنفيراً عنه ﴿فعليها﴾ وباله.

والإشارة أن الله تعالى: أعطى لكل عبد بصيرة لقلبه يبصر بها الحقائق المودعة في الغيوب والكمالات المعدة لأرباب القلوب كما أعطى بصراً لقالبه يبصر به الأعيان في الشهادة، وما أعد لهم فيها من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح، فمن نظر ببصر البصيرة إلى المراتب العلوية الأخروية الباقية وأبصر كمالات القرب، وما أعد الله مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيشتغل بتحصيله، ويقبل على الله بسلوك سبيله، ويعرض عن الدنيا الدنية ويترك زينتها وشهواتها الفانية فذلك تحصيل سعادة وكرامة لنفسه فإن الله غني عن العالمين ومن عمي عن النظر بالبصيرة، وغير هذه الكمالات لما أبصر ببصر القالب إلى الدنيا وزينتها واستلذ بشهواتها واستحلى مراتعها الحيوانية فعميت بصيرته فإنها لا تعمي الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فذلك تحصيل شقاوة وخسارة على نفسه كذا في «التأويلات النجمية». ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ وإنما أنا منذر ومبلغ والله هو الحفيظ عليكم يحفظ أعمالكم ويجازيكم عليها.

﴿وكذلك نصرف الآيات﴾ أي: ومثل هذا التصريف البديع نصرف الآيات الدالة على المعاني الرائقة الكاشفة عن المعاني الفائقة ولا تصرف أدنى منه من الصرف وهو نقل الشيء من حال إلى حال. ﴿وليقولوا درست﴾ علة لمحذوف، واللام للعاقبة والدرس القراءة والتعلم، أي: وليقولوا في عاقبة أمرهم درست صرفنا أي قرأت وتعلمت من غيرك نحو سيار وجبير كانا عبدين لقريش من سبي الروم كان قريش يقولون له عليه السلام: إنك تتعلم هذه الأخبار منهما ثم تقرأ علينا على زعم أنها من عند الله. ﴿ولنبينه﴾ عطف على ليقولوا واللام على الأصل أي التعليل لأن التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار القرآن. ﴿لقوم يعلمون﴾ وتخصيص التبيين بهم لما أنهم المنتفعون به.

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿اتبع ما أوحي إليك من ربك﴾ أي: دم يا محمد على ما أنت عليه من اتباع القرآن الذي عمدة أحكامه التوحيد وإن قدحوا في تصريف آياته. ﴿لا إله إلا هو﴾ لا شريك له أصلاً ﴿وأعرض عن المشركين﴾ ولا تبال بأقوالهم ولا تلتفت إلى آرائهم فإنه لا يجوز الفتور في تبليغ الدعوة والرسالة بسبب جهل الجاهلين.

بكوى آنچه دانى سخن سودمند وكر هيچ كس را نيايد پسند
كه فردا پشيمان برآرد خروش كه آوخ چرا حق نكردم بكوش

﴿ولو شاء الله﴾ توحيدهم وعدم إشراكهم. ﴿ما أشركوا﴾ وهو دليل على أنه تعالى لا

يريد إيمان الكافر لكن لا بمعنى أنه تعالى يمنعه عنه مع توجهه إليه بل بمعنى أنه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئي نحو الإيمان وإصراره على الكفر ﴿وما جعلناك عليهم﴾ متعلق بما بعده وكذا عليهم الآتي. ﴿حفيظاً﴾ رقيباً مهيمناً من قبلنا تحفظ عليهم أعمالهم ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ من جهتهم تقوم بأمورهم وتدبر مصالحهم.

قال الحدادي: وإنما جمع بين حفيظ ووكيل لاختلاف معناهما. فإن الحافظ للشيء هو الذي يصونه عما يضره، والوكيل بالشيء هو الذي يجلب الخير إليه فقد ظهر أن عدم قبول الحق من الشقاوة الأصلية ولذا لم يشأ الله سعادتهم وهدايتهم، وعلامة الشقاوة: جمود العين وقساوة القلب وحبّ الدنيا وطول الأمل، وعلامة السعادة: حبّ الصالحين والدنو منهم وتلاوة القرآن وسهر الليل ومجالسة العلماء ورقّة القلب.

وعن إبراهيم المهلب السائح رحمه الله قال: بينا أنا أطوف إذا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول: بحبك لي ألا رددت عليّ قلبي، فقلت: يا جارية من أين تعلمين أنه يحبك؟ قالت بالعناية القديمة جيش في طلبي الجيوش وأنفق الأموال حتى أخرجني من بلاد الشرك، وأدخلني في بلاد التوحيد وعرّفني نفسي بعد جهلي إياها فهل هذا يا إبراهيم إلا لعناية أو محبة. قال الحافظ:

چون حسن عاقبت نه برندى وزاهديست   آن به كه كار خود بعنايت رها كنند

والواجب على العبد أن يسارع إلى الأعمال الصالحة فإنها من علامات السعادة والتأخير وطول الأمل من علامات الشقاوة ـ حكي ـ أن بعض العباد كان يسأل الله تعالى أن يريه إبليس فقيل له اسأل الله العافية فأبى إلا ذلك فأظهره الله تعالى له فلما رآه العابد قصده بالضرب فقال له إبليس: لولا أنك تعيش مائة سنة لأهلكتك ولعاقبتك فاغترّ بقوله: فقال في نفسه إن عمري بعيد فأفعل ما أريد. ثم أتوب فوقع في الفسق وترك العبادة وهلك وهذه الحكاية تحذرك طول الأمل فإنه آفة عظيمة. قال الصائب:

درسر اين غافلان طول امل دانى كه چيست   آشيان كردست مارى در كبوتر خانهٔ

واعلم أنه ما على الرسول عليه السلام إلا التبليغ ودلالة كل قوم إلى ما خلق له. فيدعو العوام إلى التوحيد. والخواص إلى الوحدانية. وخواص الخواص إلى الوحدة وكذا حال الولي الوارث لكن الوصول إلى هذه المقامات إنما يكون بهداية الله ومشيئته فليس في وسع المرشد أن يوصل كل من أراد إلى ما أراده فيبقى من يبقى في الإثنينية ويصل من يصل إلى عالم الوحدة والسبب الموصل هو التوحيد فكما أن الكافر لا يكون مؤمناً إلا بكلمة التوحيد فكذا المؤمن لا يكون مخلصاً إلا بتكرارها لأن الشرك مطلقاً جلياً كان أو خفياً لا يزول إلا بالتوحيد مطلقاً فالمؤمن الناقص كما أنه لا يلتفت إلى المشرك بالشرك الجلي وحاله كذلك المؤمن الكامل لا ينظر إلى جانب المشرك بالشرك الخفي، ولذا قال تعالى: ﴿لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين﴾ لكن الإعراض من حيث الحقيقة لا ينافي الإقبال من حيث الظاهر لأجل الدعوة حتى يلزم الحجة ويحصل الإفحام ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ﴾ [يونس: ٣٥] فالسلام على من اتبع الهدى والملام على من اتبع الهوى. قال الحافظ:

چه شكرهاست درين شهركه قانع شده اند   شاهبازان طريقت بمقام مكسى

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿ولا تسبوا﴾ أي: لا تشتموا أيها المؤمنون ﴿الذين﴾ أي: الأصنام ﴿يدعون﴾ أي: يدعونها آلهة ويعبدونها ﴿من دون الله﴾ أي: متجاوزين عبادة الله تعالى والمراد بالداعين كفار مكة.

وقال المولى أبو السعود رحمه الله: أي لا تشتموهم من حيث عبادتهم لآلهتهم كأن تقولوا تباً لكم ولما تعبدونه مثلاً. ﴿فيسبوا الله عدواً﴾ أي: تجاوزاً عن الحق إلى الباطل بأن يقولوا لكم مثل قولكم لهم وهو منصوب على المصدر لكونه نوعاً من عامله لأن السبب من جنس العدو أو على أنه مفعول له أي لأجل العدو. ﴿بغير علم﴾ حال أي يسبونه غير عالمين بالله تعالى وبما يجب أن يذكر به أي مصاحبين للجهل لأنهم لو قدروا الله حق قدره لما أقدموا عليه.

فإن قلت: إنهم كانوا مقرّين بالله وعظمته وإن الأصنام إنما تعبد ليكونوا شفعاء عند الله فكيف يسبونه.

قلت: إنهم لا يفعلون ذلك صريحاً لكن ربما يفضي فعلهم إلى ذلك وأيضاً إن الغيظ والغضب إنما يحمل الإنسان على التكلم بما ينافي العقل ألا يرى أن المسلم قد يتكلم لشدة غضبه بما يؤدي إلى الكفر والعياذ بالله.

وفي الآية: دليل على أن الطاعة إذا أدت إلى معصية راجحة وجب تركها فإن ما يؤدي إلى الشرّ شرّ ألا يرى أن سبّ الأصنام وطعنها من أصول الطاعات وقد نهى الله تعالى عنه لكونه مؤدياً إلى معصية عظيمة وهي شتم الله وشتم رسوله وفتح باب السفاهة.

قال الحدادي: وفي هذا دليل على أن الإنسان إذا أراد أن يأمر غيره بالمعروف ويعلم أن المأمور يقع بذلك في أشد مما هو فيه من شتم أو ضرب أو قتل كان الأولى أن لا يأمره ويتركه على ما هو فيه. قال السعدي قدس سره:

مجال سخن تا نيابى مكوى چو ميدان نبينى نكهدار كوى

﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك التزيين القوي وهو تزيين المشركين سبّ الله تعالى وعبادة الأوثان. ﴿زينا لكل أمة عملهم﴾ من الخير والشر والطاعة والمعصية بإحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقاً أو تخذيلاً. ﴿ثم إلى ربهم﴾ مالك أمرهم ﴿مرجعهم﴾ أي: رجوعهم بالبعث بعد الموت. ﴿فينبئهم﴾ [پس خبر دهد ايشانرا] من غير تأخير ﴿بما كانوا يعملون﴾ في الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة وهي أن كل ما يظهر في هذه النشأة من الأعيان والأعراض فإنما يظهر بصورة مستعارة مخالفة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فإن المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة يستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به هذه الآية الكريمة وكذا الطاعات فإنها مع كونها أحسن الأحاسن قد ظهرت عندهم بصورة مكروهة ولذلك قال عليه السلام: «حفّت الجنة بالمكاره وحفّت النار بالشهوات» فأعمال الكفرة قد

برزت لهم في هذه النشأة بصورة مزينة يستحسنها الطغاة وستظهر في النشأة الآخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون أن أعمالهم ماذا فعبر عن إظهارها بصورها الحقيقية بالإخبار بها لما أن كلاً منهما سبب للعلم بحقيقتهما، كما هي كذا في «تفسير الإرشاد»، ويظهر صور الأعمال القبيحة لأهل السلوك في البرزخ الدنيوي فيجتهدون في تبديلها ـ حكي ـ عن الشيخ أبي بكر الضرير رحمه الله قال: كان في جواري شاب حسن الوجه يصوم النهار ولا يفطر ويقوم الليل ولا ينام فجاءني يوماً وقال يا أستاذ إني نمت عن وردي الليلة فرأيت كأن محرابي قد انشق وكأني بجوارٍ قد خرجن من المحراب لم أر أحسن أوجهاً منهن وإذا فيهن واحدة شوهاء لم أر أقبح منها منظراً فقلت لمن أنتن ولمن هذه فقلن نحن لياليك التي مضين وهذه ليلة نومك فلو متّ في ليلتك هذه لكانت هذه حظك ثم أنشأت الشوهاء تقول:

اسأل لمولاك وارددني إلى حالي ... فأنت قبحتني من بين أشكالي
وقد أردت بخير إذا وعظت بنا ... أبشر فأنت من المولى على حال

قالت جارية من الحسان:

نحن الليالي اللواتي كنت تسهرها ... تتلو القرآن بترجيع ورنات

وقد قال بعض الكبار: انكشاف عيب النفس خير من انكشاف الملكوت إذ المقصود إصلاح الطبيعة والنفس والأكل والشرب والمنام من الصفات البهيمية التي هي مقتضى الطبيعة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿زينا لكل أمة عملهم﴾ من المقبولين أعمال أهل القبول ومن المردودين أعمال أهل الرد ﴿ثم إلى ربهم مرجعهم﴾ أي بأقدام تلك الأعمال كلا الفريقين يذهبون إلى ربهم ﴿فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ أما أهل القبول فيسلكون على أقدام الأعمال الصالحة طريق اللطف فينبئهم بالفضل والإحسان أنهم كانوا يحسنون وأما أهل الرد فيقطعون على أقدام المخالفات في بوادي القهر والهلكات فينبئهم بالعدل والخسران أنهم كانوا يسيئون انتهى وفي «المثنوي»:

جمله دانند هين اكرتو نكروى ... هرچه مى كاريش روزى بدروى

وعن بعض الصالحين قال: كانت في جانبي عجوز قد أضنتها العبادة فسألتها أن ترفق بنفسها، فقالت: يا شيخ أما علمت أن رفقي بنفسي غيبني عن باب المولى ومن غاب عنه مشتغلاً بالدنيا عرض نفسه للمحن والبلوى، وما قدر عملي إذا اجتهدت فكيف إذا قصرت ثم قالت واسوأتاه من حسرة السباق وفجعة الفراق. فأما حسرة السباق فإذا قام القائمون من قبورهم وركب الأبرار نجائب الأنوار وساروا إلى قصر من العز والجلال ورفعت لهم منازل المحبين وقدمت بين أيديهم نجائب المقربين وبقي المسبوق في جملة المخزونين فعند ذلك ينقطع فؤاده حسرة وتأسفاً ويذوب ندامة وتلهفاً، وأما فجعة الفراق فعند تمييز الناس والافتراق وذلك أن الله سبحانه إذا جمع الخلق في صعيد واحد أمر ملكاً فنادى أيها المجرمون امتازوا إن المتقين قد فازوا وهو قوله تعالى: ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يس: ٥٩] فيتميز الرجل من زوجته والولد من والدته والحبيب من حبيبه هذا يحمل مبجلاً إلى رياض النعيم وهذا يساق مسلسلاً مغلغلاً إلى عذاب الجحيم وقد طال منهم التلفت والوداع ودموعهم تجري كالأنهار بفجعة الفراق وأنشدوا بالبين والفراق.

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا ... ورأيت كيف نكرر التوديعا
لعلمت أن من الدموع لأبحراً ... تجري وعاينت الدماء دموعا

﴿وأقسموا بالله﴾ - روي - أن قريشاً قالوا يا محمد إنك تخبرنا أن موسى عليه السلام كانت معه عصا فيضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً وتخبرنا أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى وأن صالحاً عليه السلام أخرج الناقة من الجبل فائتنا أنت أيضاً بآية بينة فإن فعلت ذلك لنصدقنك ونؤمنن لك وحلفوا على ذلك وبالغوا في تأكيد الحلف فقال عليه السلام: «أي شيء تحبون» قالوا تجعل لنا الصفا ذهباً أو ابعث لنا بعض موتانا حتى نسأله عنك أحق ما تقول أم باطل أو أرنا الملائكة يشهدون لك فقال عليه السلام: «فإن فعلت بعض ما تقولون تصدقونني» قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله ﷺ أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فهمّ عليه السلام بالدعاء فجاء جبريل عليه السلام فقال: إن شئت كان ذلك ولئن كان فلم يصدقوا عنده ليعذبنهم بعذاب الاستئصال ولئن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فأنزل الله تعالى هذه الآية» أي حلف كفار قريش بالله تعالى ﴿جهد أيمانهم﴾ مصدر في موقع الحال أي جاهدين في إيمانهم وجهد الإيمان أغلظها وأشدها ﴿لئن جاءتهم آية﴾ من مقترحاتهم ﴿ليؤمنن بها قل﴾ لهم ﴿إنما الآيات﴾ كلها ﴿عند الله﴾ أي: هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وإرادتي وإنما أنا نذير ثم بيّن تعالى الحكمة في عدم مجيء الآيات فقال مخاطباً للمسلمين. ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ أي: أيُّ شيء يعلمكم أن الآية التي يقترحونها إذا جاءت لا يؤمنون بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد أي لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعاً في إيمانهم فأنكر السبب أي الإشعار مبالغة في نفي المسبب، أي الشعور وفيه بيان أن إيمانهم فاجرة وأنه لا يغني وضوح الأدلة لمن لم يساعده سوابق الرحمة.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾

﴿ونقلب أفئدتهم﴾ عطف على لا يؤمنون أي وما يشعركم أنا حينئذٍ نحول قلوبهم عن الحق فلا يفهمون ﴿وأبصارهم﴾ عن اجتلائه فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها. ﴿كما لم يؤمنوا به﴾ أي: بما جاء من الآيات. ﴿أول مرة﴾ من انشقاق القمر ونحوه. ﴿ونذرهم﴾ أي: ندعهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام الإنكاري. ﴿في طغيانهم﴾ ضلالهم متعلق بنذرهم. ﴿يعمهون﴾ أي: متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين فهو حال من الضمير المنصوب في نذرهم ووجه هذا التقليب والترك فساد استعدادهم وإعراضهم عن الحق بالكلية، فإن الله تعالى لا يفعل بهم ذلك مع توجههم إلى الحق واستعدادهم لقبوله فإنه إجبار محض فإن كان مقهوراً مطبوعاً على قلبه فليعلم أن ذلك لعدم تأثير اللطف فيه أصلاً فلله الحجة البالغة ومن الله الهداية والتوفيق.

﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾ تفصيل ما ذكر على الإجمال بقوله: ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ أي ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة كما سألوه بقولهم لو أنزل علينا الملائكة فنراهم عياناً. ﴿وكلمهم الموتى﴾ وشهدوا بحقية الإيمان بعد أن أحييناهم حسبما اقترحوه بقولهم فائت بآية.

قال صاحب «التيسير وأحيينا»: لهم كل الموتى فكلموهم بأن شهدوا لك وإن كانوا سألوا منك إحياء اثنين من موتاهم قصي بن كلاب وجدعان بن عمرو وكانا كبيرين منهم وصدوقين حيث قالوا لئن أحييتهما فشهدا لك بالنبوة لشهدنا نحن أيضاً. ﴿وحشرنا﴾ أي: جمعنا ﴿عليهم كل شيء قبلاً﴾ جمع قبيل بمعنى كفيل وانتصابه على الحالية من المفعول أي كفلاء بصحة الأمر وصدق النبي عليه السلام أو جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات أي وحشرنا كل شيء نوعاً نوعاً وفوجاً فوجاً من سائر المخلوقات.

وفي «التيسير»: أي: وبعثنا كل حيوان من الفيل إلى البعوض أي أقمنا القيامة ﴿ما كانوا ليؤمنوا﴾ في حال من الأحوال الداعية إلى الإيمان. ﴿إلا أن يشاء الله﴾ أي: إلا في حال مشيئة الله لإيمانهم وهيهات ذلك وحالهم حالهم من التمادي في العصيان والغلو في التمرد والطغيان ﴿ولكن أكثرهم يجهلون﴾ أي: ولكن أكثر المؤمنين يجهلون عدم إيمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئة الله تعالى لإيمانهم فيتمنون مجيئها طمعاً فيما لا يكون فالجملة مقررة لمضمون قوله تعالى: ﴿وما يشعركم﴾ الآية.

واعلم أن الآية وإن عظمت لا تضطر إلى الإيمان إن لم يشأ الله تعالى فإنه لا آية أعظم من قيام الساعة والله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] وجملة الأمر أن المشيئة تغير السجية وعدمها من فساد الاستعداد فلذا بقي أهل الضلال في يد القهر والجلال.

قال السعدي:

زوحشى نه بايدكه مردم شود بسعى اندر اوتربيت كم شود

توان پاك كردن زژنك آينه ولكن نيايد زسنك آينه

وقال الحافظ:

كرجان بدهد سنك سيه لعل نكردد باطينت اصلى چه كند بدكهر افتاد

وأما قول المولوي قدس سره في «المثنوي»:

كرتو سنك خارهٔ ومرمر شوى چون بصاحب دل رسى كوهر شوى

فإشارة إلى المستبعد بحكم الأصل فإن التربية تنفع فيه فجميع المعجزات من الأنبياء والكرامات من الأولياء علمية كانت أو كونية تربية لمن في زمانهم فمن حسن استعداده مال واهتدى ومن فسد أعرض وضلّ وترى كثيراً من المغرورين المشغولين بأحكام طبائعهم الخبيثة ونفوسهم المتمردة يقولون كالطلبة، لو أنا صادفنا المرشد الكامل ورأينا منه العلامة واضحة لكنا أول من يسلك بطريقتهم ويتمسك بأذيال حقيقتهم فقل لهم إن الشمس شمس، وإن لم يرها الضرير والعسل عسل، وإن لم يجد طعمه الممرور والطالب المستعد لا يقع في الأمنية، ولا يضيع نقد عمره بخسارة بل يجتهد كل حين بما أمكن له من الطاعات ويكون في طريق الطلب فإن ما لا يدرك كله لا يترك قله. قال في «المثنوي»:

كركران وكرشتابنده بود عاقبت جوينده يابنده بود

ثم هذا الاستعداد وانشراح الصدر في طريق الحق نور من الله تعالى يقذفه في قلب أيّ عبد شاء وليس بحداثة السن ولا بالشيخوخة وكم رأيت وسمعت من غلبه الحال في عنفوان عمره وعنوان أمره.

وعن بعض الصالحين قال: حججت سنة من السنين وكانت سنة كثيرة الحر والسموم

فلما كان ذات يوم وقد توسطنا أرض الحجاز، انقطعت عن الحاج وغفلت قليلاً فلم أشعر ليلاً إلا وأنا وحدي في البرية فلاح لي شخص أمامي فأسرعت إليه ولحقته، وإذا به غلام أمرد لا نبات بعارضيه كأنه القمر المنير والشمس الضاحية وعليه أثر الدلال والترف، فقلت له: السلام عليك يا غلام، فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا إبراهيم فعجبت منه كل العجب ورابني أمره، فلم أتمالك أن قلت له يا غلام سبحان الله من أين تعرفني ولم ترني قبلها؟ فقال لي: يا إبراهيم ما جهلت مذ عرفت ولا قطعت مذ وصلت، فقلت: ما الذي أوقعك في هذه البرية في مثل هذه السنة الكثيرة الحر والقيظ؟ فأجابني يا إبراهيم ما آنس بسواه ولا رافقت غيره وأنا منقطع إليه بالكلية مقرّ له بالعبودية، فقلت له: من أين المأكول والمشروب فقال لي: تكفل به المحبوب فقلت والله إني خائف عليك لأجل ما ذكرت لك فأجابني ودموعه تتحدر على خديه كاللؤلؤ الرطب.

فلو أجوع فذكر الله يشبعني ولا أكون بحمد الله عطشانا
وإن ضعفت فوجد منه يحملني من الحجاز إلى أقصى خراسانا

فقلت له: بالله عليك يا غلام إلا ما أعلمتني حقيقة عمرك؟ فقال اثنتا عشرة سنة ثم رجوته فدعا لي باللحوق إلى أصحابي فلما وقفنا بعرفة ودخلنا الحرم إذا أنا بالغلام وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يبكي ويناجي ثم وقع ساجداً ومات إلى رحمة الله تعالى، ثم رأيته في المنام فقلت ما الذي فعل بك إلهك فقال أوقفني بين يديه وقال لي ما بغيتك فقلت إلهي وسيدي أنت بغيتي، فقال لي: أنت عبدي حقاً ولك عندي أن أحجب عنك ما تريد، فقلت: أريد أن تشفعني في القرن الذي أنا فيه، قال شفعتك فيه ثم إنه صافحني فاستيقظت بعد المصافحة فلم أر أحداً إلا ويقول لي يا إبراهيم لقد أزعجت الناس من طيب رائحة يدك.

قال بعض المحدثين: ولم تزل رائحة الطيب تخرج من يد إبراهيم حتى قضى نحبه رحمه الله رحمة واسعة.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿وكذلك﴾ أي: كما جعلنا لك عدواً كأبي جهل وغيره من كفار قريش **﴿جعلنا لكل نبي﴾** قبلك **﴿عدواً﴾** وفيه تسلية لرسول الله ﷺ حيث إن عداوتهم وما يبتني عليها مما لا خير فيه من الأقاويل الكاذبة والأفاعيل الباطلة ليس مختصاً به عليه السلام بل كما ابتلي هو وأمته بكيد الأعداء ابتلي جميع الأنبياء وأممهم. **﴿شياطين الإنس والجن﴾** أي: مردة الفريقين على أن الإضافة بمعنى من البيانية وهو بدل من عدواً، والشياطين جمع شيطان وهو يطلق على كل عات متمرد من الإنس والجن والشيطان من الجن إذا أعياه المؤمن وعجز عن إغوائه ذهب إلى متمرد من الإنس فأغراه على المؤمن ليفتنه.

وعن مالك بن دينار أنه قال: شياطين الإنس أشد عليّ من شياطين الجن وذلك أني إن تعوذت بالله من شياطين الجن ذهبت عني وشياطين الإنس تجيئني فتجرني إلى المعاصي عياناً **﴿يوحي بعضهم إلى بعض﴾** كلام مستأنف مسوق لبيان أحكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه بين

المشبه والمشبه به. والوحي الكلام الخفي والقول السريع الذي يلقى سراً أي يلقى يوسوس شياطين الجن والإنس أو بعض الجن إلى بعض وبعض الإنس إلى بعض. ﴿زخرف القول﴾ أي: المموه منه المزين ظاهره والباطل باطنه يقال فلان زخرف كلامه إذا زينه بالكذب والباطل. ﴿غروراً﴾ مفعول له ليوحي أي ليغرّوهم. ﴿ولو شاء ربك﴾ عدم ما ذكر من العداوة والإيحاء. ﴿ما فعلوه﴾ أي ما ذكر فأعيد ضمير الواحد إلى الاثنين باعتباره. ﴿فذرهم﴾ أي: إذا كان ما فعلوه في حقك بمشيئته تعالى فاتركهم. ﴿وما يفترون﴾ وافتراءهم، أي: كفرهم وسائر مكائدهم فإن لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة لابتناء مشيئته تعالى على الحكم البالغة ألبتة.

﴿ولتصغى إليه﴾ إلى زخرف القول علة أخرى للإيحاء معطوفة على غروراً وإنما لم ينصب لفقد شرطه إذ الغرور فعل الموحي وإصغاء الأفئدة فعل الموحى إليه أي يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول ليغروهم به ولتميل إليه. ﴿أفئدة﴾ قلوب ﴿الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ وأما المؤمنون بها فلا يتصور منهم الميل إلى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها. ﴿وليرضوه﴾ لأنفسهم بعد ما مالت إليه أفئدتهم. ﴿وليقترفوا﴾ أي: يكتسبوا بموجب ارتضائهم له. ﴿ما هم مقترفون﴾ له من القبائح التي لا يليق ذكرها وهي ما قضى عليهم في اللوح المحفوظ يقال اقترف فلان ذنباً إذا عمله ومالاً إذا اكتسبه.

وفي الآية: إشارة إلى أن البلايا للسائرين إلى الله هي المطايا وأن أشد البلاء شماتة الأعداء فلما كانت رتبة الأنبياء أعلى كانت عداوة الكفار لهم أوفى وفي ذلك ترقيات لهم وتجليات. قال الحافظ:

چه جورها كه كشيدند بلبلان ازدى   ببوى آنكه دكر نوبهار باز آيد

والإشارة في شيطان الإنس إلى النفس الأمارة بالسوء وهي أعدى الأعداء ولهذا قدم ذكره على الجن ههنا بخلاف المواضع الأخر وليعلم أن عداوة النفس وأصحاب النفوس أشد وأصعب من عداوة شياطين الجن فإن كيد الشيطان مع كيد الإنسان ضعيف وأرباب القلوب لا يصغون إلى زخارف أقوال أصحاب النفوس بل كلما تشتد عداوة الأعداء يقوى إيمان الأولياء.

وفاكنيم وملامت كشيم وخوش باشيم   كه در طريقت ما كافريست رنجيدن

وإنما يتسلط الشيطان على ابن آدم بفضول النظر والكلام والطعام وبمخالطة الناس ومن اختلط فقد استمع إلى الأكاذيب.

وعن بعض الشيوخ: أن الشيطان أشد بكاء على المؤمن إذا مات من بعض أهله لما فاته من افتتانه إياه في الدنيا وإذا عرج بروح المؤمن إلى السماء قالت الملائكة سبحان الذي نجّى هذا العبد من الشيطان يا ويحه كيف نجا.

فعلى المؤمن أن يحترز من وساوسه وحديث نفسه أيضاً كيلا يفتضح عند الله وعند الناس فإنه روي أن الوسواس الخناس يخبر بما وقع في قلب ابن آدم وحدث به نفسه وإن لم يخبره لغيره كما حكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكر امرأة في نفسه فجعل الناس يتحدثون به فيما بينهم.

واعلم أن قرين المرء من الجنّ إذا أسلم سلم من شره ومن الجن قوم مؤمنون منتفعون بعلوم كل البشر محبون ـ حكي ـ عن إبراهيم الخواص قال: حججت سنة من السنين فبينا أنا

أمشي مع أصحابي إذا عارضني عارض من سري يقتضي الخلوة وخروجاً عن الطريق الجادة فأخذت طريقاً غير الطريق الذي عليه الناس فمشيت ثلاثة أيام بلياليهن ما خطر على سري ذكر طعام ولا شراب ولا حاجة فانتهيت إلى برية خضراء فيها من كل الثمرات والرياحين، ورأيت في وسطها بحيرة فقلت كأنها الجنة وبقيت متعجباً فبينا أنا أتفكر إذا أنا بنفر قد أقبلوا سيماهم سيما الآدميين عليهم المرقعات الحسان فحفوا بي وسلموا عليّ، فقلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فوقع في خاطري أنهم من الجن فقال قائل منهم قد اختلفنا في مسألة ونحن نفر من الجن قد سمعنا كلام الله تعالى من محمد ﷺ ليلة الجن وسلبتنا نغمة كلامه جميع أمور الدنيا وقد عين الله لنا هذه البحيرة في هذه البرية قلت وكم بيننا وبين الموضع الذي تركت فيه أصحابي فتبسم بعضهم وقال يا أبا إسحاق لله عز وجل عجائب وأسرار الموضع الذي أنت فيه لم يحضره آدمي قبلك إلا شاب من أصحابهم توفي ههنا وذاك قبره، أشار إلى قبر على شفير البحيرة حوله روضة ورياحين لم أر مثلها قبل ثم قال بينك وبين القوم الذين فارقتهم مسيرة كذا وكذا شهراً، أو قال كذا وكذا سنة فقلت أخبروني عن الشاب، فقال قائل منهم: بينما نحن قعود على شفير البحيرة نتذاكر المحبة إذ بشخص قد أقبل إلينا وسلم علينا فرددنا عليه السلام فقلنا له من أين أقبل الشاب قال من مدينة نيسابور قلنا له ومتى خرجت منها قال منذ سبعة أيام قلنا له وما الذي أزعجك على الخروج من وطنك قال سمعت قول الله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤﴾ [الزمر: ٥٤] قلنا له ما معنى الإنابة وما معنى الإسلام وما معنى العذاب فقال الإنابة أن ترجع بك منك إليه والإسلام أن تسلم نفسك له وتعلم أنه أولى بك منك والعذاب الفرقة ثم صاح صيحة عظيمة فمات فواريناه، وهذا قبره رضي الله عنه قال إبراهيم: فتعجبت مما وصفوا ثم دنوت من قبره وإذا عند رأسه باقة نرجس، كأنها رحى عظيمة وعلى قبره مكتوب هذا حبيب الله فتيل الغيرة وعلى ورقها مكتوب صفة الإنابة، فقرأت ما هو على النرجس مكتوب فسألوني أن أفسره لهم ففسرته فوقع فيهم الطرب فلما أفاقوا وسكنوا قالوا قد كفينا جواب مسألتنا قال ووقع عليّ النوم فما انتبهت إلا وأنا قريب من مسجد عائشة رضي الله عنها وإذا في وعائي باقة ريحان فبقيت معي سنة كاملة لم تتغير فلما كان بعد فقدتها رضي الله عنه وعنهم وعن جميع الصالحين.

﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ۝١١٤﴾.

﴿أفغير الله أبتغي حكماً﴾ الهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر وغير مفعول أبتغي وحكماً حال وتقديم المفعول للإيذان بأن مدار الإنكار هو ابتغاء غيره حكماً لا مطلق الابتغاء والحكم أبلغ من الحاكم وأدل على الرسوخ لما أنه لا يطلق إلا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم، وفي الكلام إرادة القول وإضماره ـ روي ـ أن مشركي مكة قالوا: يا محمد اجعل بيننا وبينك حكماً من أحبار اليهود أو من أساقفة النصارى يفصل بين المحق والمبطل فإنهم قرؤوا الكتب قبلك فأنزل الله هذه الآية وقال قل يا محمد أأميل عن الحق فأطلب غير الله تعالى حال كون ذلك الغير قاضياً بيني وبينكم. ﴿وهو الذي أنزل إليكم الكتاب﴾ الجملة حال من فاعل أبتغي، أي: والحال أن الله تعالى هو الذي أنزل إليكم وأنتم

أمة أمية لا تدرون ما تأتون وما تذرون القرآن الناطق بالحق والصواب. ﴿مفصلا﴾ أي: مبيناً فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الأحكام بحيث لم يبق في أمر الدين شيء من التخليط والإبهام فأي حاجة بعد ذلك إلى الحكم وهذا كما ترى صريح في أن القرآن الكريم كاف في أمر الدين مغنٍ عن غيره ببيانه وتفصيله. ﴿والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك﴾ كلام مستأنف غير داخل تحت القول المقدر مبين أن الذين وثقوا بهم ورضوا بحكميتهم من علماء أهل الكتابين عالمون بحقية القرآن، وتزوله من عند الله تعالى، والمعنى وعلماء اليهود النصارى الذين فهمناهم التوراة والإنجيل يعلمون أن ذلك الكتاب أي القرآن منزل من ربك حال كونه ملتبساً. ﴿بالحق﴾ والصدق وهو بالفارسي [براستى ودرستى] وهو متعلق بمحذوف وقع حالاً من الضمير المستكن في منزل. ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ أي: من الشاكين في أنهم يعلمون بحقية القرآن لما لا تشاهد منهم آثار العلم وأحكام المعرفة فالفاء لترتيب النهي على الإخبار بعلم أهل الكتاب بشأن القرآن، وفي أنه منزل من ربك بالحق فيكون من باب التوبيخ والإلهاب أي الثبات على اليقين كقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥] فالفاء لترتيب النهي على نفس علمهم بحال القرآن.

ثم إنه تعالى لما بين كمال الكتاب المذكور من حيث إضافته إليه تعالى بكونه منزلاً منه بالحق بين أيضاً كماله من حيث ذاته فقال.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾

﴿وتمت كلمة ربك﴾ عبر عن الكتاب أي القرآن بالكلمة لأنها الأصل في الاتصاف بالصدق والعدل وبها يظهر الآثار من الحكم ﴿صدقاً وعدلاً﴾ مصدران نصبا على الحال أي صادقة وعادلة ومعنى تمامها عبارة عن بلوغها الغاية في كونها كافية في بيان ما يحتاج إليه المكلفون إلى يوم القيامة علماً وعملاً وفي كونها صدقاً وعدلاً، والمعنى أنها بلغت الغاية القاصية صدقاً في الأخبار والمواعيد كالخبر عن وجود ذات الله تعالى وصفاته الثبوتية والسلبية، وكالخبر عن أحكام الله تعالى في الوعد والوعيد والثواب والعقاب، وكالخبر عن أحوال المتقدمين وعن الغيوب المستقبلة وعدلاً في الأقضية والأحكام المتعلقة بالمكلفين من الجن والإنس كالصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر التكاليف الشرعية سواء كانت أمراً أو نهياً ﴿لا مبدل لكلماته﴾ لا أحد يبدل شيئاً من ذلك بما هو أصدق وأعدل ولا بما هو مثله فكيف يتصور ابتغاء حكم غيره تعالى ﴿وهو السميع﴾ لكل ما يتعلق به السمع ﴿العليم﴾ بكل ما يمكن أن يعلم فيدخل في ذلك أقوال المتحاكمين وأحوالهم الظاهرة والباطنة دخولاً أولياً.

ومحصول الآية: أن القرآن حكم الله تعالى وحجته الغالبة بين الناس فلا عدول عنه إلى غيره؛ إذ لا يعدل عنه إلا المنكر سواء كان إنكاره عنادياً كالعالم بحقيته أو تكذيباً، كالجاهل بها وأما المقر فهو له جذبة إلهية ينجذب بالعمل بما فيه إلى درجات العلم والعرفان، وكمال الإيقان؛ إذ هو كلمة حق وصدق والصدق يهدي إلى الجنة والقربة والوصلة ولا ترتفع التكليفات عن العبد وإن وصل إلى تجلي الذات ما دام في عالم الدنيا لا كما زعمه بعض الزاعمين، وأما في عالم الآخرة فترتفع التكليفات فعبادة ذلك العالم التوحيد ليس إلا، ولا بد

من رعاية الشريعة في جميع المراتب فإن الكمال فيه، وإلا فهو ناقص ولذلك ترى المجاذيب لا يخلون عن نقصان ألا يرى أن الأنبياء عليهم السلام لم يسمع عن واحد منهم عروض السفه والجنون فكامل العقل يحس صرير الباب وصوت الذباب في حال استغراقه.

ـ حكي ـ أن الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر قال يوماً لمريديه هل صدر مني شيء يخالف الشريعة قالوا لا فحمد الله تعالى وقال ما كنت ههنا منذ ثلاثين سنة والإنسان أشرف المخلوقات وأشرف الإنسان نبينا محمد ﷺ ولذلك صار مظهراً للفرقان الكريم من المبتدأ القديم وهو الحكم الذي نصبه الله تعالى لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

ألا أي أحمد مرسل شود هر مشكل ازتوحل
كنم وصف ترا مجمل تويى سلطان هر مولى
شريعت ازتو روشن شد طريقت هم مبرهن شد
حقيقت خود معين شد زهى سلطان بى همتا

واعلم: أن هذه الآية متعلقة بمرتبة النفس وإصلاحها فإن ابتغاء حكم غير الله تعالى من هوى النفس فإصلاحها بالانقياد والتسليم وكل من له حظ من علم القرآن ظاهراً أو باطناً فهو وارث النبي عليه السلام بقدر حاله والحاكم هو عالم أمر الله لا الجاهل.

قال علي كرم الله وجهه «من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض».

وسألت بنت عليّ البلخي أباها عن القيء إذا خرج إلى الحلق، فقال: يجب إعادة الوضوء فرأى رسول الله ﷺ فقال: لا يا علي حتى يكون ملء الفم، فقال: علمت أن الفتوى تعرض على رسول الله ﷺ فآليت على نفسي أن لا أفتي أبداً.

وسئل الشعبي عن مسألة فقال: لا أعلم، فقيل: ألا تستحيي وأنت فقيه العراقيين؟ قال: ولم لا أستحيي مما لا تستحيي منه الملائكة حيث قالت: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢] فعلى العامة أن يرجوا في الأمور الظاهرة إلى أعلم البلدة أو العصر بقدر الإمكان وعلى الخاصة أن يستفتوا في الأحوال الباطنة من الأعرف، وإن كان أمياً لا يعرف اصطلاحات العلماء؛ إذ له حكمة معنوية تغني عن الاصطلاحات، وهو الذي يليق بأن يسمى حكيماً وقد اتفق أهل الله تعالى على أن العبد إذا وصل إلى الله فالله تعالى يعلمه ويلهمه فيميز بين الحق والباطل ولا يكون ما يتكلمه خارجاً عن الشريعة وإليه يشير قول من قال ما اتخذ الله من ولي جاهل ولو اتخذه لعلمه وكما أن الأصحاب ما خرجوا عن حكم النبي عليه السلام كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] كذلك أهل الإرادة ما خرجوا عن أمر المرشد الكامل؛ إذ الحكم وإن كان لله تعالى في الحقيقة كما نطقت به الآية إلا أن رسول الله ﷺ هو خليفة الله تعالى وكذا من ورثه قولاً وحالاً.

﴿**وإن تطع أكثر من في الأرض**﴾ وذلك أن أهل مكة كانوا يستحلون أكل الميتة ويدعون المسلمين إلى أكلها وكانوا يقولون إنما ذلك ذبح الله فهو أحل مما ذبحتم أنتم بسكاكينكم فأنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى إن تطع الكفار يا محمد لأنهم أكثر من في الأرض ﴿**يضلوك عن سبيل الله**﴾ أي: دينه وشريعته كأنه قيل كيف يضلون فقيل: ﴿**إن يتبعون**﴾ أي ما يتبعون في

أمور دينهم ومجادلتهم لك في أمر الميتة. ﴿إلا الظن﴾ وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم يهتدون، فيضلون ضلالاً مبيناً ولا ريب أن الضال المتصدي للإرشاد إنما يرشد غيره إلى مسلك نفسه فهم ضالون مضلون فإن سبيل الحق لا يسلك بالظن والتقليد والهوى وإنما يسلك بالصدق والتحقيق والهدى. ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾ أي: ما هم إلا يكذبون على الله تعالى في تحليل الميتة وغيره.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿إن ربك هو أعلم﴾ بعلم ﴿من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ فيجازي كلاً منهم بما يستحقون فاحذر أن تكون من الفريق الأول.

قال الحدادي: وإنما قال: اعلم؛ لأن الله يعلم الشيء من كل جهاته وغيره يعلم الشيء من بعض جهاته.

﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين﴾ مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام. والمعنى كلوا أيها المؤمنون مما ذكر اسم الله تعالى خاصة على ذبحه، لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط أو مع اسم الله تعالى أو مات حتف أنفه فإن الإيمان بالآيات القرآنية يقتضي استباحة ما أحله الله والاجتناب عما حرمه.

﴿وما لكم ألاّ تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ وأي سبب حاصل لكم في أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه.

قال الإمام: إن المشركين كانوا يبيحون أكل ما ذبح على اسم الله تعالى ولا ينازعون فيه وإنما النزاع في أنهم أيضاً كانوا يبيحون أكل الميتة، والمسلمون كانوا يحرمونها، وإذا كان كذلك كان ورود الأمر بإباحة ما ذكر اسم الله عليه عبثاً؛ لأنه يقتضي إثبات الحكم في المتفق عليه وترك الحكم في المختلف فيه، فأجاب بأن معنى كلوا اجعلوا أكلكم مقصوراً على ما ذكر اسم الله عليه ومعنى أن لا تأكلوا أن لا تجعلوا أكلكم مقصوراً عليه فيفيد تحريم أكل الميتة فقط. ﴿وقد فصل لكم﴾ أي: والحال أنه تعالى قد بيّن لكم. ﴿ما حرم عليكم﴾ مما لم يحرمه بقوله تعالى في هذه السورة ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ١٤٥] الآية. فبقي ما عدا ذلك على الحل لا بقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المائدة: ٣] الآية. لأنها مدنية وهذه السورة مكية.

فإن قلت قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ﴾ [الأنعام: ١٤٥] الآية. مذكور بعده هذه الآية وصيغة فصل تقتضي التقدم.

قلت: إن التأخر في التلاوة لا يوجب التأخر في النزول، ويجوز أن يحمل على التفصيل بالوحي الغير المتلو كما ذهب إليه سعدي چلبي المفتي وجعله أولى عنده. ﴿إلا ما اضطررتم إليه﴾ مما حرم عليكم فإنه أيضاً حلال حال الضرورة فالاستثناء متصل والمستثنى منه ما حرم،

وما مصدرية بمعنى المدة، أي: وقد فصل لكم الأشياء التي حرمت عليكم في جميع الأوقات إلا وقت الاضطرار إليها وإن جعلت موصولة تعين أن يكون الاستثناء منقطعاً؛ لأن ما اضطر إليه حلال فلا يدخل تحت ما حرم عليهم. ﴿وإن كثيراً﴾ من الكفار ﴿ليضلون﴾ الناس ﴿بأهوائهم﴾ بما تهواه أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها ﴿بغير علم﴾ مقتبس من الشريعة الشريفة مستند إلى الوحي. ﴿إن ربك هو أعلم بالمعتدين﴾ المتجاوزين الحق إلى الباطل والحلال إلى الحرام.

اعلم: أن أهل الهوى على أنواع فالمعتزلة والشيعة ونحوهما من أهل القبلة أهل هوى لأنهم يخالفون أهل السنة والجماعة بتأويل الكتاب والسنة على حسب هواهم، فيضلون الناس بهواهم كما يضل الكفار وأهل الشرك، وأما أخذ الإشارات من الآيات والأحاديث على وجه يطابق الشرع الشريف فذلك ليس بهوى بل هو عرفان محض. قال في «المثنوي»:

تو زقرآن اي پسر ظاهر مبين ديو آدم را نبيند جزكه طين
ظاهر قرآن چوشخص آدميست كه نقوشش ظاهر وجانش خفيست

فالتقليد لأصحاب الإشارات ليس كالتقليد لأصحاب الضلالات؛ لأنهم بنوا أمرهم على العيان واليقين لا على الظن والتخمين، وكذا أهل الدنيا أهل هوى بالنسبة إلى أهل العقبى فإن الكون كله خيال وتابع الخيال لا يعد من العقلاء والرجال.

وعن بهلول رحمه الله قال: بينما أنا ذات يوم في بعض شوارع البصرة؛ إذ الصبيان يلعبون بالجوز واللوز، وإذا أنا بصبي ينظر إليهم ويبكي، فقلت: هذا صبي يتحسر على ما في أيدي الصبيان ولا شيء معه، فيلعب به، فقلت له: أي بني ما يبكيك أأشترِ لك من الجوز واللوز ما تلعب به مع الصبيان؟ فرفع بصره إليّ، وقال: يا قليل العقل ما للعب خلقنا، فقلت: أي بني فلماذا خلقنا؟ فقال: للعلم والعبادة فقلت من أين لك ذلك بارك الله فيك قال من قول الله عز وجل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥] وكذا أهل العقبى أهل هوى بالنسبة إلى أهل المولى فأهل المولى تجردوا عن تعلق الكونين وتجاوزوا عن اعتبار الوصل والبين وما نزلوا إلى شيء غيره. قال صاحب «المحمدية»:

سالكان دركهت را هردو عالم يك نفس والهان حضرتت را ازحور جنت ملال

وقد حرم الله الدنيا على أهل الآخرة والآخرة على أهل الدنيا وحرم كلاً منهما على أهل الله تعالى لكن من تناول من الدنيا قدر ما يسد به جوعته ويستر به عورته فإنه ليس من أهل الدنيا لأن ذلك من الضرورات البشرية وفيه إذن الله تعالى لمحافظة الدائرة البدنية التي هي الأس.

والإشارة في قوله تعالى: ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين﴾ يعني: إن من أمارات الإيمان أن تأكلوا الطعام بحكم الشرع لا على وفق الطبع وتذيبوه بذكر الله كما قال عليه السلام: «أذيبوا طعامكم بذكر الله» فإن الأكل على الغفلة والنسيان والاستعانة به على العصيان يورث موت الجنان، والحرمان من الجنان، وفي هذا الحديث إشارة إلى مشروعية الجهر؛ إذ ذوبان الطعام في صورة الجهر أظهر، ويدل عليه ما ورد أيضاً من الركعتين بعد الطعام أو من تلاوة عشر آيات من القرآن؛ إذ الحركة البدنية تفضي إلى استمراء الطعام وانهضامه الذي به تحصل قوة البدن وبقوة البدن يقوى المرء على العبادة، وفي العبادة بعد

الطعام شكر للنعمة والشكر إما بالقلب أو باللسان أو بالأعضاء والجوارح.

﴿وذروا﴾ أي: اتركوا أيها المؤمنون ﴿ظاهر الإثم وباطنه﴾ من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: الإثم الظاهر والإثم الباطن والمراد بالإثم ما يوجب الإثم وهو المعاصي كلها؛ لأنها لا تخلو من هذين الوجهين فيدخل فيه ما يعلن وما يسر سواء كان من أعمال القلوب أو الجوارح، فأعمال الجوارح ظاهرة كالأقوال والأفعال وأعمال القلوب باطنة كالعقائد الفاسدة والعزائم الباطلة، وحقيقة ظاهر الإثم طلب نعم الدنيا وباطنه الميل إلى نعم العقبى لأن كلاً منهما يصير سبباً للبعد عن حضرة المولى.

ظاهر وباطن خود پاك كن ازلوث كناه تاكه پاكيزه شوى درصف مردان اله

﴿إن الذين يكسبون الإثم﴾ أي: يعملون المعصية ظاهراً وباطناً ﴿سيجزون﴾ سيعاقبون في الآخرة ﴿بما كانوا يقترفون﴾ أي: يكسبون في الدنيا كائناً ما كان فلا بد من اجتنابهما.

جمله دانند اين اكر تونكروى هرچه ميكاريش روزى بد روى

والإشارة أن الله تعالى كما خلق للإنسان ظاهراً هو بدن جسماني وباطناً هو قلب روحاني فكذلك جعل للإثم ظاهراً هو كل قول وفعل موافق للطبع مخالف للشرع وباطناً هو كل خلق حيواني وسبعي وشيطاني جبلت النفس عليه. ﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾ أي: اتركوا الأعمال الطبيعية باستعمال الأعمال الشرعية واتركوا الأخلاق الذميمة النفسانية بالتخلق بالأخلاق الملكية الروحانية. ﴿إن الذين يكسبون الإثم﴾ ظاهره وباطنه بالأفعال والأخلاق. ﴿سيجزون بما كانوا يقترفون﴾ عاجلاً وآجلاً أما عاجلاً فلكل فعل وقول طبيعي ظلمة تصدأ مرآة القلب بها فيخرف مزاج الأخلاق القلبية الروحانية، ويتقوى مزاج الأخلاق النفسانية الظلمانية وبه يغلب الهوى ويميل إلى الدنيا وشهواتها، فبإظهار كل خلق منها على وفق الهوى يزيد ريناً وقسوة في القلب فيحتجب به عن الله تعالى كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤] وأما آجلاً فبهذه الموانع والحجب ينقطع العبد عن الله ويبقى محجوباً معذباً في النار خالداً مخلداً كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] كذا في «التأويلات النجمية».

اعلم: أن العصاة كلهم في خطر المشيئة بل الطائعون لا يدرون بماذا يختم لهم فيا أيها العاصي لا تغتر فإن العناية لا تحصل لكل عاص ولا تدري أنك ممن أراد الله تعالى عفوه فإن المعفو من أول الأمر وقع قليلاً ـ كما حكي ـ عن مالك بن دينار قال: رأيت بالبصرة قوماً يحملون جنازة وليس معهم أحد ممن يشيع الجنازة فسألتهم عنه قالوا هذا رجل من كبار المذنبين قال: فصليت عليه وأنزلته في قبره، ثم انصرفت إلى الظل فنمت فرأيت ملكين قد نزلا من السماء فشقا قبره، ونزل أحدهما إليه، وقال لصاحبه: اكتبه من أهل النار فما فيه جارحة سلمت من المعاصي والأوزار فقال له صاحبه يا أخي لا تعجل عليه اختبر عينيه قال: قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالنظر إلى محارم الله قال: فاختبر سمعه قال قد اختبرته فوجدته مملوءاً بسماع الفواحش والمنكرات قال: فاختبر لسانه قال: قد اختبرته فوجدته مملوءاً بالخوض في المحظورات وارتكاب المحرمات قال: فاختبر يديه قال: اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بتناول الحرام وما لا يحل من الشهوات واللذات قال: فاختبر رجليه قال: قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالسعي في النجاسات والأمور المذمومات قال: يا أخي لا

تعجل عليه ودعني أنزل إليه فنزل إليه الملك الثاني وأقام عنده ساعة وقال: يا أخي قد اختبرت قلبه فوجدته مملوءاً إيماناً فاكتبه مرحوماً سعيداً ففضل الله تعالى يستغرق ما عليه من الذنوب والخطايا. قال السعدي قدس سره:

عـروسـى بـود نـوبـت مـا تـمـت كـرت نـيـك روزى بـود خـاتـمـت

يعني: يوم وفاتك يكون يوم فرح وسرور إن كنت ممن قبض على الإيمان نسأل الله عفوه ورجاه.

الـٰـهـي بـحـق بـنـي فـاطـمـة كـه بـرقـول ايـمـان كـنـم خـاتـمـه

﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ أي: عمداً إذ الناسي حال نسيانه لا يكون مكلفاً وذكر الله تعالى في قلب كل مؤمن، وأما العامد فلأنه لما ترك التسمية عمداً فكأنه نفى ما في قلبه ويدخل فيه الميتة لأنها مما لم يذكر اسم الله عليه وكذا ما ذبح على اسم غيره تعالى. ﴿وإنه﴾ أي الأكل منه أو عدم ذكر التسمية. ﴿لفسق﴾ أي: خروج لما لا يحل فإن من ترك التسمية عامداً حال الذبح لا يحل أكل ذبيحته عند الإمام الأعظم.

واعلم: أن المشركين جادلوا المسلمين، فقالوا: أتأكلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتله الله؟ فأنزل الله الآية وأجاب بجواب أعم وبنى الحرمة على وصف يشمل الكل وهو ترك الذكر. ﴿وإن الشياطين﴾ أي: إبليس وجنوده. ﴿ليوحون إلى أوليائهم﴾ أي: يوسوسون إلى المشركين، والوحي: إلقاء المعنى إلى النفس مع الخفية. ﴿ليجادلوكم﴾ أيها المؤمنون في تحليل الميتة بالوساوس الشيطانية ﴿وإن أطعتموهم﴾ في استحلال الحرام وساعدتموهم على أباطيلهم ﴿إنكم لمشركون﴾ ضرورة إن من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد أشرك به تعالى بل آثره عليه سبحانه.

والإشارة: لا تأكلوا طعاماً إلا بأمر الله وعلى ذكر الله وفي طلب الله ليندفع بنور الذكر ظلمة الطعام وشهوته وإن ظلمة الطعام وشهوته مؤدية إلى الفسق الذي هو الخروج من النور الروحاني إلى الظلمة النفسانية وفي الحديث: «إن الشيطان يستحل الطعام إلا بذكر اسم الله عليه» أي: لأنه لا يذكر اسم الله عليه بعد الشروع وما لم يشرع فيه أحد لايتمكن الشيطان من استحلاله.

وفيه إشارة: إلى أنه إن سمى واحد من الآكلين حصل أصل السنة، ومن نسي التسمية في أول الطعام فإنه يقول: حين يذكر بسم الله أوله وآخره، فإذا قال ذلك، فقد تدارك تقصيره وهذا بخلاف الوضوء، فإن التسمية سنة في أوله بحيث لو نسيها في أوله ثم تذكر في وسطه لم يكن هذا تداركاً لسنة التسمية، وذلك لأن الوضوء كله عمل واحد بخلاف الأكل فإن كل لقمة أكلة، وكان رجل يأكل فلم يسم حتى لم يبق من طعامه إلا لقمة فلما رفعها إلى فيه قال بسم الله أوله وآخره فضحك النبي عليه السلام ثم قال: «ما زال الشيطان يأكل معه فلما ذكر اسم الله تعالى استقاء ما في بطنه» وهذا الحديث يدل على أن الشيطان يأكل بمضغ وبلع كما ذهب إليه قوم وقال آخرون أكل الشيطان صحيح لكنه تشمم واسترواح وإنما المضغ والبلع لذوي الجثث والشياطين أجسام رقاق.

قال في «آكام المرجان»: كل ما لم يسم عليه من طعام أو شراب أو لباس أو غير ذلك مما ينتفع به فللشيطان تصرف واستعمال إما بإتلاف عينه كالطعام وإما مع بقاء عينه.

قال ثعلبة بن سهيل: كنت أصنع شراباً لي أشربه في السحر، فإذا جاء السحر جئت فلا أجد شيئاً فوضعت شراباً آخر وقرأت عليه يس، فلما كان السحر جئت فإذا الشراب على حاله، وإذا شيطان أعمى يدور حول البيت وفي الحديث: «إن الشيطان حساس لحاس فاحذروه على أنفسكم، من بات وفي يده ريح غمر فأصابه شيء فلا يلومنّ إلا نفسه» قال بعض أرباب الإشارة: إنما حرم أكل ما لم يذكر اسمه عليه لأن العارف حبيب الله والحبيب لا يذبح ولا يأكل ولا يشرب ولا يلبس ولا يفرش ولا يفعل شيئاً إلا باسم حبيب، ألا ترى أن يعقوب عليه السلام كان يقول في جميع أحواله يوسف، وإنما وجبت التسمية عند الذبائح؛ لأن مرارة النزع شديدة وذكر اسم الله تعالى أحلى من كل شيء، فأمرنا بالتسمية عند الذبائح كي تسمع الشاة ذكر الله عند الموت فلا تشتد مرارة النزع مع حلاوة اسم الله، ولذلك قال عليه السلام: «لقنوا موتاكم بشهادة أن لا إله إلا الله يسهل عليكم سكرات الموت» فلما كان الإحياء والإماتة من الله تعالى وحده، لم يجز أن يذبح باسم غيره تعالى «ونهى رسول الله ﷺ عن أكل ما ذبح للجن وعلى اسمها» واستنبط بعض الخلفاء عيناً وأراد إجراءها وذبح للجن عليها لئلا يغور ماؤها، فأطعم ذلك ناساً فبلغ ذلك ابن شهاب فقال: أما إنه قد ذبح ما لم يحل له وأطعم الناس ما لا يحل لهم وكان من عادة الجاهلية قبل الإسلام تزيين جارية حسناء وإلباسها أحسن ثيابها وإلقاءها في النيل، حتى يطلع ثم قطع تلك السنة الجاهلية على يدي من أخاف الجن وقمعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهكذا هذه العين، لو حفرها رجل عمري لم يذبح لهم عصفوراً فما فوقه ولكن لكل زمان رجال فلو داوم إنسان على اسم الله لا تحرقه النار، ولا تغرقه البحار ولا تنهشه الحيات، ولا تضره السموم، لأن كل مضر خلق مخوفاً لمن يخاف الله فإذا خاف العبد من الله بكماله فله التسخير والتأثير.

توهم كردن از حكم داور مپيچ | كه كردن نپيچد زحكم توهيچ
محالست چون وست دارد ترا | كه در دست دشمن كذارد ترا

وقد ظهر لك من هذا كله أن إحراق البخور، وإلقاء ماء الورد، ورشه وذبح شيء من مكان يتوهم فيه الجن، كله شرك يجب أن يحترز عنه، وكذا من ذبح دجاجة لتصويتها مثل الديك أو ذبح ديكاً لتصويته قبل الوقت وهو السحر وألقاها في مكان فقد ذبح ذلك للجن في اعتقاده؛ لأنه أراد به صيانة نفسه وأهله وأولاده وماله من إصابة الجن والبلاء، ولو كان لله تعالى لأكلها بل لو كان مخلصاً لما فعل مثل هذا.

﴿أو من كان ميتاً﴾ ـ روي ـ عن ابن عباس أن أبا جهل رمى النبي عليه السلام بفرث فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من الصيد بيده قوس وكان يومئذٍ لم يؤمن بعد فلقي أبا جهل فضرب رأسه بالقوس، فقال أبو جهل: أما ترى ما جاء به سفّه عقولنا وسبّ آلهتنا فقال حمزة: وأنتم أسفه الناس تعبدون الحجارة من دون الله تعالى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله فنزلت هذه الآيات، والهمزة للإنكار والنفي والواو لعطف الجملة الاسمية على مثلها الذي يدل عليه الكلام، أي: أنتم أيها المؤمنون مثل المشركين ومن كان ميتاً. ﴿فأحييناه﴾ أعطيناه الحياة وما يتبعها من القوى المدركة والمتحركة

﴿وجعلنا له﴾ مع ذلك من الخارج ﴿نوراً﴾ عظيماً. ﴿يمشي به﴾ أي: بسببه ﴿في الناس﴾ أي: فيما بينهم آمنا من جهتهم. ﴿كمن مثله﴾ أي صفته العجيبة ﴿في الظلمات﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي هو في الظلمات ﴿ليس بخارج منها﴾ بحال وهو حال من المستكن في الظرف فمن الأولى موصولة مبتدأة وكمن خبرها وهي أيضاً موصولة صلتها الجملة الاسمية الواقعة بعدها، فالأولى تمثيل لمن هداه الله تعالى وأنقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات، يتأمل بها في الأشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل كحمزة رضي الله عنه والثانية تمثيل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها أصلاً كأبي جهل. ﴿كذلك﴾ أي: كما زين للمؤمن من إيمانه. ﴿زين﴾ أي: من جهة الله تعالى بطريق الخلق أو من جهة الشيطان بطريق الوسوسة. ﴿للكافرين ما كانوا يعملون﴾ أي: ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي وبهذا التزيين بقوا في ظلمات الكفر والضلالة، ولم يهتدوا إلى نور الإيمان والهداية.

قال أرباب الحقيقة: الموت بهوى النفس والحياة بمحبة الحق، وأيضاً الموت بالنكرة والحياة بالمعرفة وفرق بين حياة المعرفة وحياة البشرية، فأهل العموم حي بحياة البشرية لكنه كالميت في قبر قالبه لا يمكنه الخروج من ظلمات وجوده المجازي، وأهل الخصوص حي بحياة المعرفة فحياة البشرية تزول لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥] بخلاف حياة المعرفة لقوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ﴾ [النحل: ٩٧] وقوله عليه السلام: «المؤمن حيّ في الدارين».

نميرد هر كرا جانش توباشى خوشا جانى كه جانانش توباشى

قال الحافظ:

هركز نميرد آنكه دلش زنده شد بعشق ثبت است بر جريدهٔ عالم دوام ما

وفي «التفسير الفارسي»: [شاه كرمانى اين آيت برخواندكه ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه﴾ كفت نشان اين آيت سه چيزاست ازخلق عزلت وباحق دعوت ودوام ذكر برزبان ودل وبزركى اين معنى را نظم فرموده].

برروى خلائق در صحبت مكشاى مى باش بكلى متوجه بخداى
غافل مشو ارذوق دل وذكر زبان تازندهٔ جاويد شوى دردو سراى

واعلم: أن الحي الحقيقي الذي ما كان ميتاً ولا يموت أبداً هو الله تعالى وما سواه فهو ميت لأنه كان ميتاً في العدم وسيموت أيضاً قال الحافظ:

من هماندم كه وضو ساختم ازچشمهٔ عشق چار تكبير زدم يكسره تر هرچه كه هست

يعني شاهدت جميع الخلق موتى بسبب الوصول إلى مقام العشق والفناء.

قال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: من شهد الخلق لا فعل لهم فاز، ومن شهدهم لا حياة لهم فقد فاز، ومن شهدهم عين العدم فقد وصل.

وعن عبد الواحد بن زيد رحمه الله قال: مررت براهب فسألته منذ كم أنت في هذا الموضع؟ فقال: منذ أربع وعشرين سنة، قلت: من أنيسك؟ قال: الفرد الصمد، قلت: ومن المخلوقين؟ قال: الوحش فسألته وما طعامك؟ قال: ذكر الله تعالى، قلت: ومن المأكولات؟ قال: ثمار هذه الأشجار ونبات الأرض، قلت: أفلا تشتاق إلى أحد؟ قال: نعم إلى حبيب قلوب العارفين، قلت: ومن المخلوقين قال من كان شوقه إلى الله تعالى سبحانه كيف يشتاق

إلى غيره؟ قلت: فلِمَ اعتزلت عن الخلق؟ قال: لأنهم سراق العقول وقطاع طريق الهدى، قلت: ومتى يعرف العبد طريق الهدى؟ قال: إذا هرب إلى ربه من كل شيء سواه واشتغل بذكره عن ذكر ما سواه، ولكل سالك خطوة في السلوك إلى ملك الملوك.

ـ كما حكي ـ أيضاً عن الشيخ عبد الواحد بن زيد قال: قصدت بيت المقدس فضلت الطريق فإذا بامرأة أقبلت إليّ، فقلت لها: يا غريبة أنت ضالة؟ فقالت: كيف يكون غريباً من يعرفه وكيف يكون ضالاً من يحبه؟ ثم قالت: خذ رأس عصاي وتقدم بين يدي فأخذت رأس عصاها وتقدمت بين يديها ست أقدام أو أقل أو أكثر، فإذا أنا بمسجد بيت المقدس فدلكت عيني وقلت لعل هذا غلط مني، فقالت: يا هذا سيرك سير الزاهدين وسيري سير العارفين فالزاهد سيار، والعارف طيار، ومتى يلحق السيار بالطيار، ثم غابت عني فلم أرها بعد ذلك، فظهر من هذه الحكاية أن للعارف نوراً يمشي به إلى حيث شاء، والجاهل يبقى في وادي الحيرة ولا يجد سبيلاً إلا بتوفيق الله تعالى وهدايته، فكما أن الأعمى والبصير ليسا على سواء، فكذلك البصير الجاهل والعالم سواء كان جهله وعلمه في مرتبة الشريعة أو الطريقة، أو المعرفة أو الحقيقة فالله تعالى باين بين أهل الحال، كما باين بين أهل المقال وعظم النور وسعته بالنسبة إلى فسحة القلب ومعرفته فالقلب بيد الله تعالى يقلبه كيف يشاء، ولذلك زين لأهل الإيمان وجوه الخير والطاعات وزين لأهل الكفر صنوف الشر والسيئات لكن العباد ليسوا بمجبورين فلهم اختيار في الخروج من الظلمات، فإذا لم يصرفوا استعداداتهم إلى ما خلقوا لأجله بقوا في ظلمات الطبيعة والنفس هذا هو الكلام بالنسبة إلى ظاهر الحال، وأما إن نظرت إلى إسناد الإحياء والجعل في الآية المذكورة إلى الله تعالى فمقتضى التوحيد أن الكل بيد الله، ولا تأثير إلا من عند الله فإن وجدت خيراً فلتحمد الله كثيراً فقد سبقت لك العناية وساعدك التوفيق فرب تقليد يوصل إلى التحقيق والله الهادي.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿وكذلك﴾ أي كما صيرنا في مكة فسّاقها أكابر. ﴿جعلنا في كل قرية﴾ متعلق بالفعل ﴿أكابر﴾ مفعول ثان جمع أكبر بمعنى عظيم. ﴿مجرميها﴾ مفعول أول جمع مجرم. بالفارسية [كنهكار] ﴿ليمكروا فيها﴾ أي: ليفعلوا المكر في تلك القرية لأنهم لأجل رياستهم أقدر على المكر والغدر وترويج الأباطيل على الناس من غيرهم وكان صناديد قريش ومجرموها أجلسوا على كل طريق من طرق مكة أربعة نفر ليصرفوا الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ يقولون لكل من تقدم إياك وهذا الرجل فإنه كاهن ساحر كذاب.

قال البغوي: وذلك سنة الله تعالى أن جعل في كل قرية أتباع الرسل ضعفاءهم كما قال في قصة نوح: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] وجعل فساقهم أكابرها ليمكروا فيها والمكر السعي بالفساد في خفية ومداجاة والآية تسلية لرسول الله ﷺ ﴿وما يمكرون إلا بأنفسهم﴾ لأن وباله عليهم. ﴿وما﴾ والحال أنهم لا ﴿يشعرون﴾ بذلك أصلاً بل يزعمون أنهم يمكرون بغيرهم.

﴿وإذا جاءتهم﴾ لما بيّن أن فساق كل قرية يكونون رؤساؤها المتميزين بكثرة المال والجاه بين ما كان من رؤساء مكة من الجرم والفسق وهو أنه إذا جاءتهم ﴿آية﴾ دالة على صحة النبوة ﴿قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله﴾ من الوحي والكتاب لما روي أن أبا جهل قال: زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان، قالوا منا نبي يوحى إليه والله لا نرضى به إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه، فأرادوا أي قوم مكة أن تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلتا لمحمد عليه السلام وأن يكونوا متبوعين لا تابعين.

قال صاحب «التيسير»: وهذه غاية السفه أن يقال لرجل آمن فيقول لا أؤمن حتى يجعلني الله نبياً.

قال الامام الثعلبي: المراد برسل الله هو حضرة النبي عليه السلام كما أنه المخاطب في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ [المؤمنون: ٥١] وصيغة الجمع للتعظيم.

وفي «شرح التعرف»: إن الله تعالى لم يجمع شمائل جميع الأنبياء إلا في النبي ﷺ خاطبه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ [المؤمنون: ٥١].

هرجه خوبان همه دارند تو تنها داری

واعلم: أن ما بين الجلالتين من هذه السورة من الأماكن التي يرجى فيها استجابة الدعاء فليحافظ على ذلك ﴿الله أعلم﴾ من كل شيء يعلم ﴿حيث يجعل رسالته﴾ أي الموضع الصالح لوضعها فيه ويضعها وهؤلاء ليسوا أهلا لها لأن الأهلية بالفضائل النفسانية لا بالنسب والمال فحيث نصب على المفعولية بيعلم المقدر توسعاً. ﴿سيصيب الذين أجرموا﴾ أي: يصيبهم البتة مكان ما تمنوه من عز النبوة وشرف الرسالة. ﴿صغار﴾ أي ذلة وحقارة بعد كبرهم ﴿عند الله﴾ أي: يوم القيامة فهو منصوب بقوله سيصيب مجاز عن حشرهم يوم القيامة ﴿وعذاب شديد بما كانوا يمكرون﴾ أي: بسبب مكرهم المستمر وحيث كان هذا من معظم مواد إجرامهم صرح بسببيته.

واعلم: أن النبوة اختصاص إلهي عطائي غير كسبي، كالسلطنة فلا ينالها المجاهد وإن أتى بجميع الشرائط والأسباب وكذا الولاية لكنها كالوزارة فيجوز أن ينالها بعض المجاهدين فليس كل مجاهد واصلاً وقد يكون الوصول بدون المجاهدة أيضاً إذا كمل الاستعداد وسبقت العناية ـ كما روي ـ عن بعض شيوخ اليمن أنه خرج يوماً من زبيد إلى نحو الساحل المعروف بالأهواز، ومعه تلميذ له فمر في طريقه على قصب ذرة كبار، فقال للتلميذ: خذ معك من هذا القصب ففعل المريد وتعجب في نفسه، وقال ما مراد الشيخ بهذا، ولم يقل له الشيخ شيئاً حتى إذا بلغ إلى محلة لعبيد يقال لهم السناكم، يأكلون الميتات ويشربون المسكرات، ولا يعرفون الصلوات وإذا بهم يشربون ويلعبون ويلهون ويطربون ويغنون ويضربون، فقال الشيخ للتلميذ: ائتني بهذا الشيخ الطويل الذي يضرب الطبل، فأتاه التلميذ، فقال له: أحب الشيخ فرمى الطبل من رقبته ومشى معه إلى الشيخ فلما وقف بين يديه، قال الشيخ للتلميذ: اضربه فضربه حتى استوفى منه الحد، ثم قال له الشيخ: امش قدامنا فمشى حتى بلغوا البحر فأمره الشيخ أن يغسل ثيابه ويغتسل وعلمه كيفية ذلك، وكيفية الوضوء ففعل ثم علمه كيف يصلي وتقدم الشيخ فصلى بهما الظهر، فلما فرغوا من الصلاة قام الشيخ ووضع سجادته على البحر، وقال له تقدم فقام ووضع قدميه على السجادة ومشى على الماء حتى غاب عن العين فالتفت التلميذ إلى الشيخ، وقال وامصيبتاه واحسرتاه لي معك كذا وكذا سنة ما حصل لي من هذا شيء. وهذا في ساعة

واحدة حصل له هذا المقام وهذه الكرامات العظام فبكى الشيخ، قال: يا ولدي وايش كنت أنا هذا فعل الله تعالى، قيل لي فلان من الأبدال توفي فأقم فلاناً مقامه فامتثلت الأمر كما يمتثل الخدام، وودت أنه حصل لي هذا المقام فظهر أن الله تعالى أعلم حيث يجعل ولايته أيضاً قال الحافظ:

چون حسن عاقبت نه برندى وزاهديست   آن به كه كارخود بعنايت رها كنند

والإشارة ﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها﴾ أن القرية هي القالب. وأكابر مجرميها، أي: مفسدي حسن الاستعداد بقبول الشقاوة هي النفس والهوى والشيطان يمكرون فيها بمخالفات الشرع وموافقات الطبع. ﴿وما يمكرون إلا بأنفسهم﴾ لأن فساد استعدادهم عائد إلى أنفسهم بحصول الشقاوة وفوات السعادة. ﴿وما يشعرون﴾ ولا شعور لهم على ما يفعلون بأنفسهم وإن مرجعهم إلى النار. ﴿وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن﴾ أي: النفس والهوى والشيطان من دأبهم أن لا يؤمنوا برؤية الآيات إذ جبلوا على التمرد والإباء والإنكار ولسان حالهم يقول لن نؤمن. ﴿حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله﴾ أي: القلب والسر والروح لأنهم مهبط أسرار الحق وإلهاماته. ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ يخص بها القلب والسر والروح ونفساً تطمئن بذكر الله فتستحق رسالة ارجعي إلى ربك. ﴿سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله﴾ يعني: أصحاب النفس الأمارة بالسوء لهم ذلة البعد من عند الله. ﴿وعذاب شديد﴾ وهو عذاب الفرقة والانقطاع ﴿بما كانوا يمكرون﴾ أي: بما أفسدوا استعداد الوصلة وهو جزاء مكرهم وكيدهم كذا في «التأويلات النجمية».

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

﴿فمن يرد الله﴾ معناه بالفارسية [پس هركرا خواهد خداى]. ﴿أن يهديه﴾ أي: يعرفه طريق الحق ويوفقه للإيمان. ﴿يشرح صدره للإسلام﴾ فيتسع له وينفسح وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة بحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه، فالمعنى: من أراد الله منه الإيمان قوى صوارفه عن الكفر ودواعيه إلى الإيمان وجعل قلبه قابلاً لحلول الإيمان مهيئاً لتحليه به صافياً خالياً عما ينافيه ويمنعه ولما نزلت هذه الآية سئل رسول الله ﷺ عن شرح الصدر فقال: «نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح» فقالوا هل لذلك أمارة يعرف بها فقال: «نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله».

واعلم أن العلم علمان: علم المعاملة، وعلم المكاشفة، فالأول: هو العلم بما يقرب إليه تعالى وما يبعد عنه وهو مقدم على الثاني، الذي هو نور يظهر في القلب فيشاهد به الغيب لأنه الشرط له قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] ولا ينفك عنه لأن الحديث المذكور صرح بأن الإنابة والتجافي والاستعداد التي هي من علم المعاملة علامة ذلك النور وفي فضل المكاشفة ورد قوله عليه السلام: «فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي»؛ إذ غير المكاشفة تبع للعمل لثبوته شرطاً له.

قال في «التأويلات النجمية»: كلما كان الحجاب أرقّ كان الإيمان أقوى والقلب أنور وأصفى إلى أن يصير الإيمان إيقاناً لكمال رقة الحجاب وتنور القلب إلى أن يصير الإيقان عياناً عند رفع الحجاب وتجلي الحق بصفة جماله إلى أن يصير العيان عيناً بتجلي صفة جلاله.

﴿ومن يرد أن يضله﴾ أي: يخلق فيه الضلال لصرف اختياره إليه ﴿يجعل صدره ضيقاً﴾ بالفارسية [تنك] ﴿حرجاً﴾ بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الإيمان أي من أراد الله منه الكفر قوى صوارفه عن الإيمان وقوى دواعيه إلى الكفر، والحرج: بالفتح مصدر وصف به مبالغة وبالكسر اسم الفاعل وهو المتزايد في الضيق فهو أخص من الأول فكل حرج ضيق من غير عكس قيل الحرج موضع الشجر الملتف، يعني: أن قلب الكافر لا يصل إليه الإيمان كما لا تصل الراعية إلى الموضع الذي التف فيه الشجر ﴿كأنما يصعد في السماء﴾.

قال الإمام: في كيفية هذا التشبيه وجهان: الأول: كما أن الإنسان إذا كلف الصعود إلى السماء نقل ذلك التكليف عليه وعظم وقعه عليه وقويت نفرته منه فكذلك الكافر يثقل عليه الإيمان وتعظم نفرته منه، والثاني: أن يكون التقدير أن قلبه يتباعد عن الإسلام ويتباعد عن قبول الإيمان فشبه ذلك البعد ببعد من يصعد من الأرض إلى السماء انتهى. كما قال الكاشفي في «تفسيره الفارسي» [كويى بالا ميرود درآسمان يعني ميكريزد از قبول حق ميخواهدكه بآسمان رود].

واعلم: أن القلوب متفاوتة. فمنها ما يشق عليه الإيمان وهي قلوب الكفرة. ومنها ما يشق عليه الذوق والوجدان وهي قلوب أهل النقصان من أهل الإيمان فإن بعض الناس منهم من يتباعد عن الكلمات العرفانية بل ينكر أحوال أصحاب الفضائل النفسانية، وهذا لأن من انهمك في الصفات الحيوانية وحكم عليه الصفات السبعية والشيطانية لا يسوغ له الشرب من المشارب الروحانية، ولذا يوصى بكتم ما يتعلق بالأسرار عن الأغيار.

چرا صدف نكند چاك سينه را صائب   درين زمانه كه جوهر شناس نايابست

﴿كذلك﴾ أي: مثل الجعل المذكور ﴿يجعل الله الرجس﴾ أي العذاب والخذلان أو اللعنة أو الشيطان أي يسلطه. ﴿على الذين لا يؤمنون﴾ أي عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للإشعار بأن جعله تعالى معلل بما في حيز الصلة من كمال نبوهم عن الإيمان وإصرارهم على الكفر والطغيان. ﴿وهذا﴾ أي: البيان الذي جاء به القرآن. ﴿صراط ربك﴾ أي: طريقه الذي ارتضاه حال كونه. ﴿مستقيماً﴾ لمن يسلكه فلا يعوج به حتى يورده إلى الجنة. ﴿قد فصلنا الآيات﴾ أي: ذكرناها فصلاً فصلاً بحيث لا يختلط واحد منها بالآخر. ﴿لقوم يذكرون﴾ أي: يتعظون وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بتفصيل الآيات.

﴿لهم﴾ كأن سائلاً يسأل عما أعدّ الله تعالى للمتذكرين بما في تضاعيف الآيات فقيل لهم: ﴿دار السلام﴾ أي: السلامة من كل المكاره وهي الجنة. ﴿عند ربهم﴾ حال من دار السلام، أي: نزله وضيافته كما تقول نحن اليوم عند فلان، أي: في كرامته وضيافته. وقيل العندية: كناية عن وعدها والتكفل بها. ﴿وهو وليهم﴾ أي: مولاهم ومحبهم أو ناصرهم على أعدائهم ﴿بما كانوا يعملون﴾ أي: بسبب الأعمال الصالحة.

واعلم: أن الله تعالى بيّن حسن الإيمان وقبح الكفر وحال السعيد والشقي، ورغب في طريق الأنبياء والأولياء وجعل العمل الصالح، وهو ما أريد به وجه الله سبباً لمحبة الله ودخول دار السلام، وهي دار القرار التي يأمن من دخلها من العذاب مطلقاً، فالله تعالى ولي الذين

آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ـ روي ـ أن عمر بن الخطاب جهز جيشاً إلى فتح بعض حصون ديار العجم أربعة آلاف فارس، وأمّر عليهم ابنه عبد الله رضي الله عنهما، قال: فسرنا حتى حاصرنا قلعة على جبل عالٍ لا يصل إليه أسلحتنا فحاصرناها، وكان فيها جيش من الكفار وكانت أميرتهم امرأة حسناء فحصل لنا تعب شديد، ففي ذات يوم نظرت أميرتهم من المنظرة عسكرنا فرأت شاباً حسناً من شبان العرب، وكان شاباً فارساً ماهراً في الحرب فلما وقع نظرها عليه تأوهت فقالت لها بعض جواريها: لِمَ تأوهت يا ملكة وأنت في حصار ومنعة، فقالت: إن حصننا هذا يفتحه هذا الشاب، قالت: وكيف ذلك؟ قالت: سترين بعد ساعة ثم أرسلت إليه الملكة رسولاً تقول هل أجد إليك سبيلاً، فتكون لي وأكون لك؟ فقال الشاب: نعم بشرطين أن تسلمي الحصن الخارج إلينا والداخل إليه، فأرسلت مع الرسول تستفهم أما الخارج فعرفنا، وأما الداخل فما عرفنا، قال لها: تسلمي قلبك إلى الله تعالى وتقرّين له بالوحدانية، فأرسلت إليه قوماً أدخل بعسكرك فإني قد فتحت لك الباب فلما دخل الحصن عرض عليها الإسلام، فقالت: اعلم أني ملكة ذات همة عالية فهل في عسكرك من هو أكبر منك حتى أسلم على يديه؟ قال: نعم أميرنا وكبيرنا وهو ابن أمير المؤمنين فلما حضرت بين يدي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عرض عليها الإسلام، فقالت: كالأول هل أحد أكبر منك في المسلمين حتى أسلم بين يديه؟ فقال لها: نعم والدي أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، فقالت: أرسلني إليه حتى أسلم بين يديه، فأرسلها ومعها عسكر وأموال جزيلة أخرجتها معها من الحصار، فلا زالت حتى وصلت إلى عمر رضي الله عنه، فقالت له: يا أمير المؤمنين هل هنا أحد أكبر منك؟ قال: نعم محمد رسول الله وهذا قبره الشريف، وأشار إلى الروضة المطهرة فقالت لا أسلم إلا بين يديه فأجابها لما قالت، فلما أتت الروضة المنورة سلمت وجلست بأدب ووقار في حضرة النبي عليه السلام وقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم قالت خرجت من الظلمات إلى النور وأنا أخشى يا رسول الله أن يدنس إيماني المعاصي، فاسأل ربك الذي أرسلك إلينا بالحق أن يقبض روحي قبل أن أعصيه مرة أخرى، ثم وضعت رأسها على عتبة المصطفى ﷺ فماتت من ساعتها فبكى عمر رضي الله عنه من حسن حالها وأمر بغسلها وتجهيزها ودفنها بالبقيع بين الصحابة رضي الله عنهم.

بروز واقعه تابوت من زسر وكنيد كه ميروم بهواى بلند بالاني

اللهم اجعلنا من الذين سلكوا الصراط المستقيم ووصلوا إلى جنابك بالقلب السليم فنجوا من عذابك الأليم آمين يا كريم يا رحيم.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾.

﴿ويوم يحشرهم جميعاً﴾ أي: واذكر يا محمد لأهل مكة وغيرهم يوم يحشر الله الثقلين جميعاً ويجمعهم في موقف القيامة فيقول بطريق التوبيخ، ﴿يا معشر الجن﴾ أي: يا جماعة الشياطين، فإن المعشر الجماعة التي تضبطهم جهة واحدة وحصل بينهم معاشرتهم ومخالطتهم ويجمع على معاشر. قال بعضهم: سميت الجماعة بالمعشر لبلوغها غاية الكثرة، فإن العشر هو

العدد الكامل الكثير الذي لا عدد بعده إلا بتركيبه بما فيه من الآحاد فتقول: أحد عشر واثنا عشر، فإذا قيل معشر فكأنه قيل محل العشر الذي هو الكثرة الكاملة. وسمي الجن: جناً لاجتنانهم أي: استتارهم عن أعين الناس. **﴿قد استكثرتم من الإنس﴾** أي: من إغوائهم وإضلالهم أي: أضللتم خلقاً كثيراً من الإنس. **﴿وقال أولياؤهم﴾** أي: أولياء الشياطين الذين أطاعوهم حال كونهم. **﴿من الإنس﴾** فهو حال من أولياؤهم. **﴿ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾** أي: انتفع الإنس بالجن والجن بالإنس، أما انتفاع الإنس بالجن فمن حيث إن الجن كانوا يدلونهم على أنواع الشهوات وما يتوصل به إليها ويسهلون طريق تحصيلها عليهم، وأما انتفاع الجن بالإنس فمن حيث إن الإنس أطاعوهم ولم يضيعوا سعيهم والرئيس المطاع ينتفع بانقياد أتباعه له. **﴿وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾** أي: أدركنا الوقت الذي وقت لنا، وهو يوم القيامة قالوه اعترافاً بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع الهوى وتكذيب البعث وإظهاراً للندامة عليها وتحسراً على حالهم واستسلاماً لربهم.

كنون بايد اي خفته بيدار بود چومرك اندر آرد زخوابت چه سود
چه خوش كفت باكودك آموزكار كه كارى نكرديم وشد روزكار

ولعل الاقتصار على حكاية كلام الضالين للإيذان بأن المضلّين قد أقحموا بالمرة فلم يقدروا على التكلم أصلاً. **﴿قال﴾** كأنه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذٍ فقيل قال **﴿النار مثواكم﴾** أي: منزلكم فهو اسم مكان بمعنى مكان الإقامة. **﴿خالدين فيها﴾** قال ابن عباس رضي الله عنهما: الخلق أربعة: فخلق في الجنة كلهم، وخلق في النار كلهم، وخلقان في الجنة والنار، أما الذي في الجنة كلهم فالملائكة، وأما الذي في النار كلهم فالشياطين، وأما الذي في الجنة والنار فالإنس والجن لهم الثواب وعليهم العقاب، **﴿إلا ما شاء الله﴾**.

قال في «التأويلات النجمية»: **﴿إلا ما شاء الله﴾** أن يتوب ويرجع إلى الله فلا تكون النار مثواه فالاستثناء راجع إلى أهل التوبة في الدنيا لا إلى أهل الخلود في النار انتهى.

وقال بعضهم: ما مصدرية بتقدير مضاف كما في آتاك خفوق النجم والاستثناء من مضمون الجملة التي قبله، وهي قوله: **﴿النار مثواكم خالدين فيها﴾** كأنه قيل يخلدون في عذاب النار الأبد كله إلا أوقات مشيئة الله تعالى أن ينقلوا من النار إلى الزمهرير - فقد روي - أنهم ينقلون من عذاب النار ويدخلون وادياً فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد إلى الجحيم ففي الاستثناء تهكم بهم.

وفي «تفسير الجلالين»: **﴿إلا ما شاء الله﴾** من الأوقات التي يخرجون فيها لشوب من حميم فإنه خارجها، كما قال الله: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٨] وقيل: يفتح لهم وهم في النار باب إلى الجنة فيسرعون نحوه حتى إذا صاروا إليه سدّ عليهم الباب، وقيل: **﴿إلا ما شاء الله﴾** قبل الدخول، كأنه قيل: النار مثواكم أبداً إلا وقت إمهالكم إلى وقت الإدخال والخلود، كما ينتقص من الآخر، كذلك ينتقص من الأول هذا ما ذهب إليه علماء الظاهر في توجيه الاستثناء، إلا أن حضرة الشيخ نجم الدين قدس سره قال في ذلك: حفظاً لظاهر الشرع وللعلماء بالله تحقيق بديع في هذا المقام لا يتحمله عقول العوام، ونحن نشير إلى نبذ من ذلك ونوصي بالستر إلا على السالك.

قال المولى رمضان في «شرح العقائد»: اعلم أن أهل النار لم يقنطوا من الخلاص حتى

إذا ذبح كبش الموت بين الجنة والنار، ونودي أهلهما بالخلود أيس أهل النار من الخلاص فاعتادوا بالعذاب ولم يتألموا حتى آل أمرهم إلى أن يتلذذوا به، حتى لو صبّ عليهم نسيم الجنة استنكروه وتعذبوا به، كالجعل يستطيب الروث ويتألم من الورد انتهى كلامه، وهذا معنى ما قال الشيخ الأكبر: والمسك الأذفر والكبريت الأحمر قدس سره الأطهر تبقى جهنم خالية وإن العذاب من العذب انتهى، ولا يغرنك ظاهر هذا الكلام الأكبري فإن اتفاق العلماء من الطرفين على أن المخلد لا يخرج من النار ولا تبقى جهنم خالية من جسده.

قال حضرة شيخنا وسندنا الذي فضله الله تعالى على العالمين بما خصه من كمالات الدين: فكما إذا استقر أهل دار الجمال فيها يظهر عليهم أثر الجمال ويتذوقون دائماً أبداً، ويختفي منهم جلال الجمال، وأثره بحيث لا يحسونه ولا يرونه، ولا يتألمون به قطعاً سرمداً، فكذلك إذا استقر أهل دار الجلال فيها بعد مرور الأحقاب يظهر على بواطنهم أثر جمال الجلال ويتذوقون به أبداً، ويختفي منهم أثر نار الجلال بحيث لا يحسونه ولا يرونه ولا يتألمون به سرمداً، لكن كما عرفت ليس كذلك إلا بعد انقطاع إحراق النار بواطنهم وظواهرهم بعد مرور الأيام والأحقاب، وكل منهم تحرقه النار خمسين ألف سنة من سني الآخرة لشرك يوم واحد من أيام الدنيا، والظاهر عليهم بعد مرور الأحقاب هو الحال الذي يدوم عليهم أبداً، وهو الحال الذي كانوا عليه في الأزل وما بينهما ابتلاءات رحمانية والابتلاء حادث قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥] عصمنا الله وإياكم من دار البوار انتهى كلام الشيخ رضي الله عنه. ﴿**إن ربك حكيم**﴾ في أفعاله ومنها تخليد أولياء الشياطين في النار. ﴿**عليم**﴾ بأحوال الثقلين وأعمالهم وبما يليق بها من الجزاء. ﴿**وكذلك**﴾ أي: كما خذلنا عصاة الجن والإنس حتى استمتع بعضهم ببعض ﴿**نولي بعض الظالمين بعضاً**﴾ أي: نسلط بعضهم على البعض فنأخذ من الظالم بالظالم ﴿**بما كانوا يكسبون**﴾ بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصي وجاء «من أعان ظالماً سلطه الله عليه» وعن ابن عباس رضي الله عنهما «إذا أراد الله بقوم خيراً ولى أمرهم خيارهم وإذا أراد بقوم شراً ولى أمرهم شرارهم» وجاء في بعض الكتب الإلهية: إني أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلته عليه نقمة فلا تشغلوا أنفسكم بسبب الملوك ولكن توبوا إلى أعطفهم عليكم، وفي الحديث: «الظالم عدل الله في الأرض ينتقم به ثم ينتقم منه» وفي المرفوع «يقول الله عز وجل أنتقم ممن أبغض بمن أبغض ثم أصير كلاً إلى النار» وفي الزبور: إني لأنتقم من المنافق بالمنافق ثم أنتقم من المنافقين جميعاً.

وقول القائل: كيف يجوز وصفه بالظلم وينسب إلى أنه عدل من الله تعالى؟

جوابه أن المراد بالعدل هنا ما يقابل بالفضل، فالعدل أن يعامل كل أحد بفعله إن خيراً فخير وإن شراً فشر والفضل أن يعفو مثلاً عن المسيء، وهذا على طريق أهل السنة بخلاف المعتزلة فإنهم يوجبون عقوبة المسيء ويدعون أن ذلك هو العدل ومن ثمة سموا أنفسهم أهل العدل وإلى ما صار إليه أهل السنة يشير قوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢] أي: لا تمهل الظالم ولا تتجاوز عنه، بل عجل عقوبته لكن الله تعالى يمهل من يشاء ويتجاوز عمن يشاء ويعطي من يشاء لا يسأل عما يفعل كذا في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي. وفي «المثنوي»:

چونكه بدكردى بترس ايمن مباش زانكه تخمست وبرو ياند خداش
چند كاهى اوبپوشاند كه تا آيدت زان بد پشيمان وحيا
بارها پوشد پى اظهار فضل باز كيرد از پى اظهار عدل
تاكه اين هردو صفت ظاهر سود آن مبشر كردد اين منذر شود

واعلم: أن الظلم مطلقاً مفسد للاستعداد الفطري الروحاني القابل للفيض الرباني ولذا لا ينجع في الظالم الكلام الحق وأكثر ما يكون من أرباب الرياسة للقدرة والغلبة وفي الحديث: «إن من أشراط الساعة إماتة الصلوات واتباع الشهوات وأن تكون الأمراء خونة والوزراء فسقة» فوثب سلمان فقال: بأبي وأمي أهذا كائن قال: «نعم يا سلمان عندها يذوب قلب المؤمن كما يذوب الملح في الماء ولا يستطيع أن يغير» قال أو يكون ذلك قال: «نعم يا سلمان إن أذل الناس يومئذٍ المؤمن يمشي بين أظهرهم بالمخافة إن تكلم أكلوه وإن سكت مات بغيظه» كذا في «روضة الأخبار» قال السعدي قدس سره:

خبر دارى از خسروان عجم كه كردند بر زير دستان ستم
نه آن شوكت وپادشاهى بماند نه آن ظلم برروستايى بماند
مكن تاتوانى دل خلق ريش وكر ميكنى ميكنى بيخ خويش

اللهم احفظنا من الظلم والفساد إنك حافظ العباد والبلاد.

﴿يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَـٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾

﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم﴾ أي: يقول الله تعالى يوم القيامة للثقلين جميعاً ألم يأتكم في الدنيا، أي كل فريق منكم ﴿رسل﴾ أي: رسول معين من الله تعالى ﴿منكم﴾ صفة لرسل أي كائنة منكم.

اعلم: أن الجن والإنس مكلفون بالاتفاق لكن الرسول إليهم يحتمل أن يكون من جنسهم كما كان جبريل ونحوه رسل الملائكة من جنسهم وخواص البشر رسل الإنس من أنفسهم لأن الجنس إلى الجنس أميل والاستفادة، والاستئناس في الجنسية أظهر ويحتمل أن يكون من غير جنسهم بأن يكون من البشر، وذلك لا يمنع الاستفادة لأنه يجوز أن يستفيد خواصهم من الرسل ويكونوا رسل الرسول إلى قومهم كاستفادة خواص البشر من خواص الملائكة وقد قام الإجماع على أن نبينا محمداً ﷺ مرسل إلى الثقلين ودعا كل واحد من الفريقين إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، وقد كان الأنبياء قبله يبعثون إلى قومهم خاصة وأما سليمان عليه السلام فإنه لم يبعث إلى الجن بالرسالة العامة بل بالملك والضبط والسياسة التامة فقوله تعالى: ﴿رسل منكم﴾ إما محمول على المعنى الأول بأن يكون الرسل من جنس الفريقين.

وقد ذهب إليه الضحاك ومن تبعه حيث قالوا: لا معنى للعدول عن الظاهر بغير ضرورة وأيدوه بما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ﴾ [الطلاق: ١٢] في كل أرض نبي مثل نبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوح وإبراهيم كإبراهيم وعيسى كعيسى وصححه صاحب «آكام المرجان» كيف وابن عباس رضي الله عنهما سلطان المفسرين بالاتفاق ولا معنى

لقول السخاوي في «المقاصد الحسنة» أنه أخذه من الإسرائيليات وهذا كما قالوا: إن في كل سماء كعبة حيالها يطوفها أهلها، وكذا في كل أرض ويناسب هذا ما قاله حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره خطاباً لحضرة الهدائي الآن عوالم كثيرة يتكلم فيها محمود وافتاده كثير، وإما محمول على المعنى الثاني وهو الذي ادعو فيه الإجماع وفيه تفصيل شأن البشر فالرسل من الإنس خاصة لكن لما جمعوا مع الجنّ في الخطاب صح ذلك، ونظيره ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمان: ٢٢] والمرجان يخرج من الملح دون العذب، وقيل: الرسل يعم رسل الرسل وقد ثبت أن نفراً من الجن قد استمعوا القرآن وأنذروا به قومهم هذا ما وفقني الله تعالى لترتيبه وتهذيبه في هذا الباب والله يقول الحق ويهدي إلى الصواب. ﴿يقصون عليكم آياتي﴾ أي: يقرؤون عليكم كتبي ﴿وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ يعني: يوم القيامة. ﴿قالوا﴾ جواباً عند ذلك التوبيخ الشديد. ﴿شهدنا على أنفسنا﴾ أن قد بلغنا وهو اعتراف منهم بالكفر واستحقاق العذاب وشهدنا إنشاء الشهادة، مثل بعتُ واشتريتُ فلفظ الماضي لا يقتضي تقدم الشهادة. ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ فلم يؤمنوا ﴿وشهدوا على أنفسهم﴾ في الآخرة. ﴿أنهم كانوا﴾ في الدنيا ﴿كافرين﴾ أي: بالآيات والنذر التي أتى بها الرسل وهو ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فإنهم اغتروا بالحياة الدنيوية واللذات المخدجة، وأعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة أمرهم أن اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيراً للسامعين من مثل حالهم.

﴿ذلك﴾ أي: إرسال الرسل. ﴿أن﴾ اللام مقدرة وهي مخففة، أي: لأن الشأن ﴿لم يكن ربك مهلك القرى بظلم﴾ أي: بسبب ظلم منها ﴿وأهلها غافلون﴾ لم يرسل إليهم رسول يبين لهم.

قال البغوي: وذلك أنّ الله تعالى أجرى السنة أي لا يأخذ أحداً إلا بعد وجود الذنب وإنما يكون مذنباً إذا أمر فلم يأتمر ونهى فلم ينته ويكون ذلك بعد إنذار الرسل.

وفي «التفسير الفارسي»: [استئصال هيچ قوم نباشد الأبعد از تقدم وعيد واكرنه ايشانرا برحق حجت باشدكه لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك].

قال في «التأويلات النجمية»: الاستعداد الروحاني لا يفسد باستيفاء الحظ الحيواني في الطفولية إلا بعد أن يصير العبد مستعداً لقبول فيض العقل، وفيض إلهام الحق عند البلوغ فيخالف الإلهام، ويتبع الهوى فيفسد بذلك حسن الاستعداد لقبول الفيض الإلهي، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] وهذا كما أنه تعالى لا يعذب قوماً ما بلغتهم الدعوة حتى يبعث فيهم رسولاً فيخالفونه فيعذبهم بها، وقد عبر لسان الشرع عن هذا المعنى بأن لا يجري عليه قلم تكاليف الشريعة إلا بعد البلوغ بالأوامر والنواهي؛ لأنه أوان ترقي الروح باستعمال المأمورات ونقصانه باستعمال المنهيات انتهى.

فعلى العاقل أن يتدارك حاله ويخاف من الخطاب القهري يوم القيامة.

كر بمحشر خطاب قهر كند انبيارا چه جاى معذرتست

قال الحسن البصري رحمه الله: الناس في هذه الدنيا على خمسة أصناف: العلماء وهم ورثة الأنبياء، والزهاد وهم الأدلاء، والغزاة وهم أسياف الله، والتجار وهم أمناء الله، والملوك وهم رعاة الخلق فإذا أصبح العالم طامعاً وللمال جامعاً فبمن يقتدي ولذا قال من قال:

شيخ چون مائل بمال آيدمريد أو معاش مائل دينار هر كز مالك ديدار نيست
وإذا أصبح الزاهد راغباً فبمن يستدل ويهتدي.
اززاهدان خشك رسائى طمع مدار سيل ضعيف واصل دريا نميشود
وإذا أصبح الغازي مرائياً والمرائي لا عمل له فمن يظفر بالأعداء.
عبادت بالإخلاص نيت نكوست وكرنه چه آيد زبى مغز پوست
وإذا كان التاجر خائناً فمن يؤمن ويرتضي.
درين زمانه مكر جبرئيل امين باشد
وإذا أصبح الملك ذئباً فمن يحفظ الغنم ويرعى
پاشاهى كه طرح ظلم افكند
پاى ديوار ملك خويش بكند
نكند جور پيشه سلطانى
كه نيايد زكرك چوبانى

والله ما أهلك الناس إلا العلماء المداهنون، والزهاد الراغبون والغزاة المراؤون والتجار الخائنون والملوك الظالمون. ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] ثم إن الأحكام الإلّهية قد بلغت إلى كل إقليم وبلغ الشاهد الغائب إلى يومنا هذا من قديم وامتلاء الآذان من سماع الحق والكلام المطلق، فلم يبق للسلطان ولا للوزير ولا لغيرهما من الوضيع والخطير عذر ينجيه من الهلاك، وقهر مالك الأملاك والتنبيه مقدم لكل خامل ونبيه فهلاك القرى وأهلها وظهور الظلمات فرعها، وأصلها إنما هو من غفلة الإنسان أيقظه الله الملك المنان فلا تلومن عند وجود التنزل إلا نفسك الأبية، وظهور التسفل إلا طبيعتك الغبية فقد استبان البرهان والحجة ووضع لسالكيها المحجة ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] وأراك أنك ألقمت الحجر ولا تدري ما فعل بك بل تتمادى في تعبك وتتمرغ في غضبك، فعالج نفسك أيها المريض قبل الحلول إلى الحضيض.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

﴿ولكل﴾ من المكلفين من الثقلين مؤمنين كانوا أو كفاراً. **﴿درجات مما عملوا﴾** أي: مراتب كائنة من أعمالهم صالحة كانت، أو مسيئة فلأهل الخير درجات في الجنة بعضها فوق بعض، ولأهل الشرك دركات في النار بعضها أشد عذاباً من بعض، وفسروا الدرجات بالمراتب؛ لأن الدرجات غلب استعمالها في الخير والثواب، والكفار لا ثواب لهم **﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾** فيخفى عليه عمل من أعمالهم طاعة أو معصية والمقصود أن الله يجزي كل عامل بما عمل.

﴿وربك الغني﴾ عن العباد والعبادة. والغني: هو الذي لا يحتاج إلى شيء فيكون وجود كل شيء عنده وعدمه سواء وغيره تعالى لا يسمى غنياً إلا إذا لم يبق له حاجة إلا إلى الله

تعالى، فأصل الحاجة لا ينقطع عن غير الله؛ لأنه في وجوده وغناه يحتاج إلى الغنى الحقيقي. ﴿ذو الرحمة﴾ يترحم عليهم بالتكليف تكميلاً لهم ويمهلهم على المعاصي.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني مع غناه عن الخلق له رحمة قد اقتضت إيجاد الخلق ليربحوا عليه لا ليربح عليهم. قال في «المثنوي»:

چون خلقت الخلق كي يربح على — لطف توفر مود أي قيوم وحى
لا لأن أربح عليهم جود تست — كه شود زو جمله ناقصها درست
عفو كن اين بند كان تن پرست — عفو از درياى عفو أولى ترست
عفو خلقان همچو جو وهمچو سيل — هم بدان درياى خود تازند خيل

﴿إن يشأ يذهبكم﴾ أيها العصاة، أي: يهلككم ﴿ويستخلف﴾ بالفارسي [خليفه وجانشين شما سازد] ﴿من بعدكم﴾ أي: من بعد إذهابكم وإهلاككم. ﴿ما يشاء﴾ أي: خلقاً آخر أطوع لله منكم، وإيثار (ما) على (من) لإظهار كمال الكبرياء وإسقاطهم عن رتبة العقلاء. ﴿كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين﴾ أي: من قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام لكنه أبقاكم ترحماً عليكم.

وفي «التفسير الفارسي»: [همچنانكه شمارا پيدا كرد از ذرية قومى ديكركه پدران شمابودند] ﴿إن ما توعدون﴾ أي: الذي توعدون من البحث والعذاب، ﴿لآت﴾ لواقع لا محالة لا خلف فيه ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ أي: بفائتين ذلك وإن ركبتم في الهرب متن كل صعب وذلول.

﴿قل﴾ لأهل مكة ﴿يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ المكانة مصدر بمعنى التمكن وهو القوة والاقتدار، أي: اعملوا على غاية تمكنكم ونهاية استطاعتكم يعني اعملوا ما أنتم عاملون واثبتوا على كفركم وعداوتكم. ﴿إني عامل﴾ ما كتب عليّ من المصابرة والثبات على الإسلام، والاستمرار على الأعمال الصالحة، والأمر للتهديد من قبيل الاستعارة تشبيهاً للشر المهدد عليه بالمأمور به الواجب الذي لا بد أن يكون.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ أي على ما جبلتم عليه نظيره قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤] ﴿فسوف تعلمون من﴾ استفهامية أو موصولة ﴿تكون له عاقبة الدار﴾ أي: أينا تكون له العاقبة المحمودة التي خلق الله تعالى هذه الدار لها أو فسوف تعرفون الذي له العاقبة الحسنى، فالدار دار الدنيا، والعاقبة الأصلية لهذه الدار هي عاقبة الخير، وأما عاقبة السوء فمن نتائج تحريف الفجار. ﴿إنه﴾ أي: إن الشان ﴿لا يفلح﴾ يسعد ﴿الظالمون﴾ أي: الكافرون أي لا يظفرون بمرادهم وبالفارسي [بدرستى كه پيروزى ورستكارى نيابند ستمكاران يعني كفار. صاحب كشف الأسرار فرموده كه هم درين روزى بدانيدكه دنيا كجارسد ودولت فلاح كرا رسد بينيدكه درويشان شكسته بال را بسراى كرامت چون خوانند وخواجكان صاحب إقبال را سوى زندان ندامت چون رانند]:

باش تاكل يابى آنهاراكه امر وزند جزو — باش تاكل بينى أنهاراكه امر وزندخار
تاكه ازدار الغرورى ساختن دار السرور — تاكى ازدار الفرارى ساختن دار القرار

وليس الفلاح إلا في العلم والعمل، وترك الدنيا والكسل والذلل ـ حكي ـ عن بعضهم أنه دخل عليه بعض الفقراء ولم يجد في بيته شيئاً من المتاع فقال أما لكم شيء؟ قال: بلى لنا

داران إحداهما دار أمن والأخرى دار خوف فما يكون لنا من الأموال ندخره في دار الأمن يعني نقدمه للدار الآخرة، فقال له: إنه لا بد لهذا المنزل من متاع فقال إن صاحب هذا المنزل لا يدعنا فيه وذلك أن الدنيا عارية، ولا بد للمعير أن يرجع في عاريته فعاقبة الدار إنما هي للأخيار الأبرار الذين عملوا لله في ليلهم ونهارهم، ولم ينقطعوا عن التوجه إليه حال سكونهم وقرارهم.

وكان شاب يجتهد في العبادة، فقيل له في ذلك، فقال: رأيت في منامي قصراً من قصور الجنة مبنياً بلبنة من ذهب ولبنة من فضة، وكذلك شراريفه وبين كل شرافتين حورية لم ير الراؤون مثلها لما بها من الحسن والجمال، وقد أرخين ذوائب شعورهن فتبسمت إحداهن في وجهي فأنارت الجنة بنور ثناياها، ثم قالت: يا فتى جدَّ لله تعالى في طلبي لأكون لك وتكون لي فاستيقظت فحقيق عليّ أن أجد فإذا كان هذا الاجتهاد في طلب حورية فكيف بمن يطلب ربّ الحورية.

فداى دوست نكرديم عمرو مال دريغ   كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد

فظهر أن الاجتهاد في طريق الحق له عاقبة حميدة، فإنه موصل إلى الجنة والقربة والوصلة فسيظهر أثره في الدار الآخرة، وأما الظالمون الذين أفسدوا استعداداتهم بما عملوا من المعاصي فإنهم لا يفلحون بمثل هذه السعادة، بل يرجعون إلى دار البوار وحالهم في الدنيا هي الخسارة لا غير فإن الباطل يفور، ثم يغور والدولة في الدنيا والآخرة لأهل الإيمان والخلاص من التنزل لا يحصل إلا بالإيمان، فمن دخل في حصن الإيمان وقوة اليقين يترقى إلى ما شاء الله تعالى من الدرجات والشيطان، وإن كان ينبح عليه خارج الحصن لكنه لا يضره وفي الحديث: «جددوا إيمانكم» والمراد الانتقال من مرتبة إلى مرتبة فإن أصل الإيمان قد تم بالأول، ولكن الإيمان على ثماني عشرة مرتبة والعناية من الله تعالى وتوحيد كل شخص على قدر يقينه وهو قد يكون على قدر يقينه في ملك وجوده، وقد لا يكون على قدر هذا اليقين فالذين يظهرون الدعوى فتوحيدهم في ملك وجودهم فقط فلو أنهم جاوزوا إلى هذا اليقين لندموا عليها ورغبوا عن أنفسهم.

فعلى العاقل أن لا يسامح في باب الدين، بل يجتهد في تحصيل اليقين فإن الاجتهاد باب لهذا التحصيل ووسيلة في طريقة التكميل، وإن كان الله تعالى هو الموصل برحمته الخاصة والمؤثر في كل الأمور اللهم اجعلنا من أهل التوحيد الحقاني وشرفنا بالإيمان العياني فإنك الغني ونحن الفقراء.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾.

﴿وجعلوا﴾ أي: مشركو العرب. ﴿لله مما ذرأ﴾ أي: خلق ﴿من الحرث﴾ أي: الزرع ﴿والأنعام نصيباً﴾ ولشركائهم أيضاً نصيباً. ﴿فقالوا هذا﴾ النصيب ﴿لله بزعمهم﴾ أي: بادعائهم

الباطل من غير أن يكون ذلك بأمر الله تعالى. ﴿وهذا لشركائنا﴾ أي: آلهتنا التي شاركونا في أموالنا من المتاجر والزروع والأنعام وغيرها فهو من الشركة لا من الشرك، والإضافة إلى المفعول ـ روي ـ أنهم كانوا يعينون شيئاً من الحرث والنتاج لله، ويصرفونه إلى الضيفان والمساكين وشيئاً منهما لآلهتهم، وينفقونه على سدنتها ويذبحونه عندها، ثم إن رأوا ما عينوا لله أزكى رجعوا وجعلوه لآلهتهم وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه معتلين بأن الله تعالى غني، وما ذلك إلا لحب آلهتهم وإيثارهم لها. ﴿فما كان لشركائهم﴾ من نماء الحرث والأنعام ﴿فلا يصل إلى الله﴾ أي: إلى المساكين والأضياف، وقالوا: لو شاء الله زكى نصيب نفسه. ﴿وما كان لله﴾ من ذلك النماء ﴿فهو يصل إلى شركائهم﴾ بذبح النسائك عندها والأجراء على سدنتها؛ لأنهم إذا لم ينم نصيب الآلهة يبدلون ذلك النامي الذي عينوه لله تعالى ويجعلونه لآلهتهم. ﴿ساء ما يحكمون﴾ أي: ساء الذي يحكمون حكمهم فيما فعلوا من إيثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم.

﴿وكذلك﴾ ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى وبين آلهتهم. ﴿زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم﴾ أي: أولياؤهم من الجن أو من السدنة فقوله: قتل مفعول زين وشركاؤهم فاعله وكان أهل الجاهلية يدفنون بناتهم أحياء خوفاً من الفقر أو من التزويج أو من السبي وكان الرجل منهم يحلف بالله لئن ولد له كذا وكذا غلاماً لينحرنّ أحدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله ـ روي ـ أن عبد المطلب رأى في المنام أنه يحفر زمزم ونعت له موضعها وقام يحفر وليس له ولد يومئذٍ إلا الحارث، فنذر لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا لينحرن أحدهم لله تعالى عند الكعبة، فلما تموا عشرة أخبرهم بنذره فأطاعوه وكتب كل واحد منهم اسمه في قدح فخرج على عبد الله فأخذ الشفرة لينحر فقامت قريش من أنديتها، فقالوا لا تفعل حتى ننظر فيه فانطلق به إلى عرّافة، فقالت: قربوا عشراً من الإبل ثم اضربوا عليه وعليها القداح فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإذا خرجت على الإبل فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم فقربوا من الإبل عشراً فخرج على عبد الله فزاد عشراً عشراً، فخرجت في كل مرة على عبد الله إلى أن قرب مائة فخرج القدح على الإبل فنحرت، ثم تركت لا يصدّ عنها إنسان ولا سبع ولذلك قال عليه السلام: «أنا ابن الذبيحين» يريد أباه عبد الله وإسماعيل عليه السلام. ﴿ليردوهم﴾ أي: ليهلكوهم بالإغواء ﴿وليلبسوا عليهم دينهم﴾ وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل عليه السلام، واللام للتعليل إن كان التزيين من الشياطين، وللعاقبة إن كان من السدنة لظهور أن قصد السدنة لم يكن إلا رداء واللبس وإنما كان ذلك قصد الشياطين. ﴿ولو شاء الله﴾ أي: عدم فعلهم ذلك. ﴿ما فعلوه﴾ أي: ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل. ﴿فذرهم وما يفترون﴾ الفاء فصيحة أي: إذا كان ما فعلوه بمشيئة الله تعالى فدعهم وافتراءهم على الله أنه أمرهم بدفن بناتهم أحياء فإن الله تعالى مع قدرته عليهم تركهم فاتركهم أنت فإن لهم موعداً يحاسبون فيه ولله تعالى فيما شاء حكم بالغة.

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا

فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

﴿**وقالوا هذه**﴾ إشارة إلى ما جعلوه لآلهتهم ﴿**أنعام وحرث حجر**﴾ أي: حرام ﴿**لا يطعمها**﴾ بالفارسي [نچشد ونخورد آنرا] ﴿**إلا من نشاء**﴾ يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء. ﴿**بزعمهم**﴾ أي قالوه ملتبسين بزعمهم الباطل من غير حجة ﴿**وأنعام**﴾ خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على قوله تعالى هذه أنعام أي قالوا مشيرين إلى طائفة أخرى من أنعامهم أي وهذه أنعام. ﴿**حرمت ظهورها**﴾ يعنون بها البحائر والسوائب والحوامي. ﴿**وأنعام**﴾ أي: وهذه أنعام كما مر وقوله تعالى. ﴿**لا يذكرون اسم الله عليها**﴾ صفة لأنعام لكنه غير واقع في كلامهم المحكي كنظائره بل مسوق من جهته تعالى تعييناً للموصوف وتمييزاً له عن غيره، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٧] على أحد التفاسير كأنه قيل وأنعام ذبحت على الأصنام فإنها التي لا يذكر عليها اسم الله وإنما يذكر عليها الأصنام ﴿**افتراء عليه**﴾ أي: افتروا على الله افتراء، يعني: أنهم يفعلون ذلك ويزعمون أن الله تعالى أمرهم به. ﴿**سيجزيهم**﴾ بالفارسي [زود باشدكه خدا جزادهد ايشانرا]. ﴿**بما كانوا يفترون**﴾ أي بسبب افترائهم. ﴿**وقالوا ما في بطون هذه الأنعام**﴾ يعنون به أجنة البحائر والسوائب ﴿**خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا**﴾ أي: حلال للرجال خاصة دون الإناث وتأنيث خالصة محمول على معنى ما وتذكير محرم محمول على لفظه وهذا الحكم منهم إن ولد ذلك حياً. ﴿**وإن يكن ميتة**﴾ أي: ولدت ميتة. ﴿**فهم فيه**﴾ أي: ما في بطون الأنعام. ﴿**شركاء**﴾ يأكلون منه جميعاً ذكورهم وإناثهم ﴿**سيجزيهم وصفهم**﴾ أي: جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى في أمر التحليل والتحريم. ﴿**إنه حكيم عليم**﴾ تعليل للوعد بالجزاء فإن الحكيم العليم بما صدر عنهم لا يكاد يترك جزاءهم الذي هو من مقتضيات الحكمة.

﴿**قد خسر الذين قتلوا أولادهم**﴾ جواب قسم محذوف وهم ربيعة ومضر وأضرابهم من العرب الذين كانوا يئدون بناتهم محافظة السبي والفقر، أي: خسروا دينهم ودنياهم بالفارسي [زيان كردند]. ﴿**سفهاً بغير علم**﴾ متعلق بقتلوا على أنه علة له وبغير علم صفة لسفهاً، أي: لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله تعالى هو الرزاق لهم ولأولادهم ﴿**وحرموا**﴾ على أنفسهم ﴿**ما رزقهم الله**﴾ من البحائر ونحوها. ﴿**افتراء على الله**﴾ أي: افتروا على الله افتراء حيث قالوا إن الله أمرهم بها. ﴿**قد ضلوا**﴾ عن الطريق المستقيم ﴿**وما كانوا مهتدين**﴾ إليه وإن هدوا بفنون الهدايات ـ روي ـ عن رسول الله ﷺ أن رجلاً من أصحابه كان لا يزال مغتماً بين يديه فقال عليه السلام: «ما لك تكون محزوناً» فقال يا رسول الله إني قد أذنبت في الجاهلية ذنباً، فأخاف أن لا يغفر لي وإن أسلمت فقال عليه السلام: «أخبرني عن ذنبك» فقال: يا رسول الله إني كنت من الذين يقتلون بناتهم، فولدت لي بنت فشفعت إليّ امرأتي أن أتركها فتركتها حتى كبرت وأدركت فصارت من أجمل النساء فخطبوها، فدخلتْ عليّ الحمية ولم يتحمل قلبي أن أزوجها أو أتركها في البيت بغير زوج، فقلت للمرأة: إني أريد أن أذهب إلى قبيلة كذا في زيارة أقربائي فابعثيها معي فسرّتْ بذلك وزينتها بالثياب والحلل، وأخذت عليّ المواثيق بأن لا

أخونها فذهبت بها إلى رأس بئر فنظرت في البئر، ففطنت الجارية بي أني أريد أن ألقيها في البئر فالتزمتني وجعلت تبكي، وتقول يا أبي أي شيء تريد أن تفعل بي؟ فرحمتها ثم نظرت في البئر فدخلت عليّ الحمية، ثم التزمتني وجعلت تقول يا أبي لا تضيع أمانة أمي؟ فجعلت مرة أنظر إلى البئر ومرة أنظر إليها وأرحمها وغلبني الشيطان فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسة، وهي تنادي في البئر يا أبي قتلتني فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت فبكى رسول الله وقال: «لو أمرت أن أعاقب أحداً بما فعل في الجاهلية لعاقبتك بما فعلت».

واعلم أنهم لما انسد عليهم طريق الثقة بالله حملتهم خشية الفقر على قتل الأولاد، ولذلك قال أهل التحقيق: من أمارات اليقين وحقائقه كثرة العيال على بساط التوكل.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: من دخل هذا الطريق وهو ذو زوج فلا يطلق أو عزب فلا يتزوج حتى يكمل فإذا كمل فهو في ذلك على ما يلقى إليه ربه انتهى، واختار أكثر الكمل موت أولادهم لأن كل ما يشغل الطالب عن الله من الأموال والأولاد فهو فتنة.

ومنهم إبراهيم بن أدهم حيث اجتمع بولده بمكة فرأى في قلبه ميلاً إليه، فقال: إلهي أمتني أو هذا مشيراً إلى ولده فمات، والأنسب أن يدفعه من قلبه بالتوحيد ولا يدعو عليه بالموت لأن الدعاء تصرف من عند نفسه والمتصرف في الحقيقة هو الله فإذا أدخل عبده في أمر لا يتولى العبد إخراج نفسه منه بل يصبر وينتظر إلى أمر الله تعالى، وقلة المال مع كثرة العيال والصبر عليها من المجاهدات المعتبرة عند السلاك.

قال حضرة الشيخ أفتاده أفندي: خطاباً لحضرة الهدائي إذا أظهر أهل بيتك جوعاً شديداً ورأيتهم قد أشرفوا على الهلاك فعليك أن تتوكل على الله وتسلم الأمر إليه بأن تقول عن صميم قلبك لا بمجرد لسانك إلهي، أنا عبد ذليل مثلهم، وهم عبادك فأمري وأمرهم إليك لا أحل أنا بينك وبين عبادك يتم المقصود بالسهولة، ويقضي الرب جميع حوائجك، قال: ويكون توكل الطالب على وجه لو أن أولاده ماتوا من الجوع لما ترحم عليهم، بل قال هذا الرب وهذا عبده وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد قال الصائب:

فكر آب أو دانه در كنج قفس بيحاصلست زير چرخ انديشهٔ روزى چرا باشد مراد

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾.

﴿**وهو الذي أنشأ**﴾ أي: خلق يقال نشأ الشيء نشأة إذا ظهر وارتفع وأنشأه الله تعالى، أي: أظهره ورفعه. ﴿**جنات**﴾ أي: بساتين من الكروم. ﴿**معروشات**﴾ أي: مرفوعات على ما يحملها من خشب ونحوه. ﴿**وغير معروشات**﴾ ملقيات على وجه الأرض، فإن بعض الأعناب يعرش وبعضها لا يعرش بل يلقى على وجه الأرض منبسطاً أو المعروشات الأعناب التي يجعل لها عروش وغير المعروشات كل ما نبت منبسطاً على وجه الأرض مثل القرع والبطيخ، أو المعروشات ما يحتاج إلى أن يتخذ له عريش يحمل عليه فيمسكه، وهو الكرم وما يجري مجراه

وغير المعروش ما لا يحتاج إليه بل يقوم على ساقه كالنخل والزرع، ونحوهما من الأشجار والبقول أو المعروشات ما يحصل في البساتين والعمرانات مما يهتم به الناس ويغرسونه وغير المعروشات ما أنبته الله تعالى في البراري والجبال. ﴿والنخل والزرع﴾ أي: أنشأهما وإفرادهما بالذكر مع أنهما داخلان في الجنات لكونهما أعم نفعاً من جملة ما يكون في البساتين، والمراد بالزرع ههنا جميع الحبوب التي يقتات بها، ﴿مختلفاً أكله﴾ حال مقدرة؛ إذ ليس كذلك وقت الإنشاء، أي: أنشأ كل واحد منهما في حال اختلاف ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية.

قال البغوي: ثمره وطعمه منها الحلو والحامض والجيد والرديء ﴿والزيتون والرمان﴾ أي: أنشأهما ﴿متشابهاً وغير متشابه﴾ نصب على الحالية، أي: يتشابه بعض أفرادهما في اللون والهيئة والطعم ولا يتشابه بعضها مثل الرمانين لونهما واحد وطعمهما مختلف. ﴿كلوا من ثمره﴾ أي: من ثمر كل واحد من ذلك. ﴿إذا أثمر﴾ وإن لم يدرك ولم يينع بعد ففائدة التقييد بقوله: إذا أثمر إباحة الأكل منه قبل إدراكه وينعه. ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ أشهر الأقوال على أن المراد ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد، أي: يوم قطع العنب والنخل ونحوهما بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار حتى نسخه افتراض العشر فيما يسقى بماء السماء ونصف العشر فيما يسقي بالدلو والدالية أو نحوهما. ﴿ولا تسرفوا﴾ أي: في التصدق كما روي أن ثابت بن قيس جذ خمسمائة نخلة فقسمها في يوم واحد ولم يترك لأهله شيئاً وقد جاء في الخبر «ابدأ بمن تعول» وقيل: الخطاب للسلاطين، أي: لا تأخذوا فوق حقكم. ﴿إنه لا يحب المسرفين﴾ أي: لا يرضى فعلهم. ﴿ومن الأنعام﴾ أي: أنشأ من الأنعام. ﴿حمولة﴾ ما يحمل عليه الأثقال ﴿وفرشاً﴾ وما يفرش للذبح أو يتخذ من صوفه ووبره وشعره ما يفرش ولعله من قبيل التسمية بالمصدر ﴿كلوا ما رزقكم الله﴾ من تبعيضية وما عبارة عن الحمولة والفرش، أي: كلوا بعض ما رزقكم الله، أي: حلاله وفيه تصريح بأن إنشاءها لأجلهم ومصلحتهم وتخصيص الأكل بالذكر من غير تعرض للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما حرموه في السائبة وأخواتها لكونه معظم ما ينتفع به ويتعلق به الحل والحرمة. ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أي: لا تسلكوا الطريق التي سولها الشيطان لكم في أمر التحليل والتحريم فإنه لا يدعوكم إلا إلى المعصية. ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ أي: ظاهر العداوة وقد أبان عداوته لأبيكم آدم عليه السلام.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۢ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿ثمانية أزواج﴾ بدل من حمولة وفرشاً والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل فالاثنان المصطحبان يقال لهما زوجان لا زوج فعلى هذا يقول مقراضان ومقصان لا مقراض ومقص؛ لأنهما اثنان والمراد بالأزواج الثمانية الأنواع الأربعة لأنها باعتبار مزاوجها ثمانية. ﴿من الضأن اثنين﴾ بدل من ثمانية أزواج، أي أنشأ من الضأن زوجين الكبش والنعجة

والضأن معروف، وهو ذو الصوف من النعم. ﴿ومن المعز اثنين﴾ أي: أنشأ من المعز زوجين التيس والعنز والمعز ذو الشعر من النعم. ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿ءآلذكرين﴾ من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس. ﴿حرم﴾ أي: الله تعالى كما تزعمون أنه هو المحرم. ﴿أم الأنثيين﴾ وهما النعجة والعنز. ﴿أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾ أي: أم ما حملت إناث النوعين حرم ذكراً كان أو أنثى. ﴿نبئوني بعلم﴾ أي: أخبروني بأمر معلوم من جهة الله تعالى من الكتاب أو أخبار الأنبياء يدل على أنه تعالى حرم شيئاً مما ذكر. ﴿إن كنتم صادقين﴾ في دعوى التحريم عليه سبحانه.

﴿ومن الإبل اثنين﴾ عطف على قوله تعالى ﴿من الضأن اثنين﴾، أي وأنشأ من الإبل اثنين هما الجمل والناقة. ﴿ومن البقر اثنين﴾ ذكراً وأنثى. ﴿قل﴾ إفحاماً لهم أيضاً ﴿ءالذكرين﴾ منهما ﴿حرم أم الأنثيين أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾ من ذينك النوعين، والمعنى إنكار أن الله تعالى حرم عليهم شيئاً من الأنواع الأربعة ذكراً وأنثى أو ما يحمل إناثها رداً عليهم فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام، تارة كالحام فإنه إذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن حرموه ولم يمنعوه ماء ولا مرعى، وقالوا: إنه قد حمي ظهره، وكالوصيلة فإن الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم، وإن ولدتهما وصلت الأنثى أخاها ويحرمون إناثها تارة كالبحيرة، والسائبة فإنه إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب، وكان الرجل منهم يقول: إن شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها، وكانوا إذا ولدت النوق البحائر والسوائب فصيلاً حياً حرموا لحم الفصيل على النساء دون الرجال، وإن ولدت فصيلاً ميتاً اشترك الرجال والنساء في لحم الفصيل، ولا يفرقون بين الذكور والإناث في حق الأولاد. ﴿أم كنتم شهداء﴾ أم منقطعة بمعنى بل والهمزة، ومعنى الهمزة الإنكار والتوبيخ، ومعنى بل الاضراب عن التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بوجه آخر، أي: بل أكنتم حاضرين شاهدين. ﴿إذ وصاكم الله بهذا﴾ أي: حين وصاكم بهذا التحريم إذ أنتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم حسبما يؤول إليه مذهبكم إلى معرفة أمثال ذلك إلا المشاهدة والسماع. ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ فنسب إليه تحريم ما لم يحرم. ﴿ليضل الناس﴾ متعلق بافترى.

قال سعدي چلبي المفتي: الظاهر أن اللام للعاقبة. ﴿بغير علم﴾ حال من فاعل يضل، أي: ملتبساً بغير علم بما يؤدي بهم إليه. ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ كائناً من كان إلى ما فيه صلاح حالهم عاجلاً وآجلاً فإذا نفى الهداية عن الظالم فما ظنك بمن هو ظلم.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

﴿قل لا أجد فيما أوحي إلي﴾ طعاماً ﴿محرماً﴾ من المطاعم التي حرموها. ﴿على

﴿طاعم﴾ أي: طاعم كان من ذكر أنثى رداً على قولهم ومحرم على أزواجنا، وقوله تعالى: ﴿يطعمه﴾ لزيادة التقرير ﴿إلا أن يكون﴾ ذلك الطعام ﴿ميتة﴾ لم تذك وهي التي تموت حتف أنفها. ﴿أو دماً مسفوحاً﴾ أي: مصبوباً كالدماء التي في العروق لا كالطحال والكبد فإنهما جامدان وقد جاء الشرع بإباحتهما، وفي الحديث: «أحلت لنا ميتتان ودمان» والمراد من الميتتين السمك والجراد ومن الدمين الكبد والطحال، وما اختلط باللحم من الدم وقد تعذر تخلصه من اللحم عفو مباح لأنه ليس بسائل أيضاً ﴿أو لحم خنزير فإنه﴾ أي: الخنزير ﴿رجس﴾ أي: قذر لتعوده أكل النجاسة.

قال الحدادي: كل ما استقذرته فهو رجس ويجوز أن يعود الضمير إلى اللحم وتخصيصه مع أن لحمه وشحمه وشعره وعظمه وسائر ما فيه كله حرام لكونه أهم ما فيه فإن أكثر ما يقصد من الحيوان المأكول اللحم فالحل والحرمة يضاف إليه أصالة ولغيره تبعاً.

قال سعدي چلبي المفتي: الأصل عود الضمير إلى المضاف؛ لأنه المقصود والمضاف إليه لتعريفه وتخصيصه. ﴿أو فسقاً﴾ عطف على لحم خنزير ﴿أهل لغير الله به﴾ صفة موضحة، أي ذبح على اسم الأصنام وإنما سمي ذلك فسقاً لتوغله في الفسق. ﴿فمن اضطر﴾ أي: أصابته الضرورة الداعية إلى تناول شيء من ذلك. ﴿غير باغ﴾ على مضطر مثله ﴿ولا عاد﴾ قدر الضرورة ﴿فإن ربك غفور رحيم﴾ مبالغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذ بذلك.

والآية محكمة؛ لأنها تدل على أنه عليه السلام لم يجد فيما أوحي إليه إلى تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء آخر.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير بالميتة إلى ميتة الدنيا فإنها جيفة مستحيلة، كما قال بعضهم:

وما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابها

وفي الحديث: «أوحى الله إلى داود يا داود مثل الدنيا كمثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب يجرونها أفتحب أن تكون كلباً مثلهم فتجرّ معهم» قال الحافظ:

همايى چون توعالى قدر حرص استخوان حيفست دريغاسايهٔ همت كه بر نااهل افكندى

والدم المسفوح هو الشهوات واللذات التي يهراق عليها دم الدين ولحم الخنزير هو كل رجس من عمل الشيطان كما قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠] وحقيقة الرجس الاضطراب عن طريق الحق والبعد منه كما جاء في الخبر «لما ولد رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى»، أي: اضطرب وتحرك حركة سمع لها صوت فالرجس ما يبعدك عن الحق أو فسقاً أهل لغير الله به، أي: خروجاً عن طلب الحق في طلب غير الحق. قال السعدي:

خلاف طريقت بود كاوليا تمنا كنند ازخدا جز خدا

فالشروع في هذه الأشياء محرم؛ لأنها تحرمك من الله وقرباته إلا أن يكون بقدر ما يدفع الحاجة الإنسانية فإن الضرورات تبيح المحظورات.

قال بعضهم في قوله عليه السلام: «تمعددوا واخشوشنوا» أي اقتدوا بمعدّ بن عدنان والبسوا الخشن من الثياب وامشوا حفاة فهو حث على التواضع ونهى عن الإفراط في الترفه

والتنعم كما قال عليه السلام: «إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين».

بناز ونعمت دنيا منه دل   كه دل برداشتن كاريست مشكل

فعلى العاقل أن يكون أزهد الناس في الدنيا ويتجرد عن الأسباب كالأنبياء وكمل الأولياء.

وعن بعضهم قال: رأيت فقيراً ورد على بئر ماء في البادية، فأدلى ركوته فيها فانقطع حبله ووقعت الركوة فيها فأقام زماناً، وقال وعزتك لا أبرح إلا بركوتي، أو تأذن لي في الانصراف عنها قال فرأيت ظبية عطشانة جاءت إلى البئر ونظرت فيها وفاض الماء وطفح على البئر، وإذا بركوته على فم البئر فأخذها وبكى، وقال: إلهي ما كان لي عندك محل ظبية، فهتف به هاتف يا مسكين جئت بالركوة والحبل وجاءت الظبية ذاهبة عن الأسباب لتوكلها علينا.

ففي هذه الحكاية ما يدل على كمال الانقطاع عن غير الله تعالى.

﴿وعلى الذين هادوا﴾ أي: على اليهود خاصة لا على من عداهم من الأولين والآخرين. ﴿حرمنا كل ذي ظفر﴾ كل ما له أصبع سواء كان ما بين أصابعه منفرجاً كأنواع السباع والكلاب والسنانير، أو لم يكن منفرجاً كالإبل والنعام والإوز والبط وكان بعض ذوات الظفر حلالاً لهم فلما ظلموا عمّ التحريم. ﴿ومن البقر والغنم﴾ متعلق بقوله: ﴿حرمنا عليهم شحومهما﴾ لا لحومهما فإنها باقية على الحل. والشحوم الثروب وشحوم الكليتين. ﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾ استثناء من الشحوم، أي: إلا ما اشتملت على الظهور والجنوب من شحم الكتفين إلى الوركين من داخل وخارج. ﴿أو الحوايا﴾ عطف على ظهورهما، أي: أو إلا الذي حملته الأمعاء واشتمل عليها. جمع الحوية كما في «الصحاح» وهي المباعر والمصارين. ﴿أو ما اختلط بعظم﴾ عطف على ما حملت وهو شحم الألية واختلاطه بالعظم اتصاله بالعصص وهو عجب الذنب أي عظمه وأصله ويقال إنه أول ما يخلق وآخر ما يبلى. ﴿ذلك﴾ الجزاء ﴿جزيناهم﴾ أي: اليهود ﴿ببغيهم﴾ أي: بسبب ظلمهم وهو قتلهم الأنبياء بغير حق وأخذهم الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل وكانوا كلما أتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شيء مما أحل لهم، وقد أنكروا ذلك وادعوا أنها لم تزل محرمة على الأمم الماضية فرد عليهم ذلك وأكد بقوله تعالى: ﴿وإنا لصادقون﴾ أي: في الإخبار عن كل شيء لا سيما في الإخبار عن التحريم المذكور وفي الإخبار عن بغيهم.

﴿فإن كذبوك﴾ أي: اليهود والمشركون فيما فصل من أحكام التحليل والتحريم. ﴿فقل ربكم ذو رحمة واسعة﴾ لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فإنه إمهال لا إهمال. ﴿ولا يرد بأسه﴾ عذابه ﴿عن القوم المجرمين﴾ حين ينزل.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾.

﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله﴾ عدم إشراكنا ﴿ما أشركنا﴾ نحن ﴿ولا آباؤنا ولا

حرمنا من شيء﴾ أرادوا به أن ما فعلوه حق مرضي عند الله تعالى. ﴿كذلك﴾ أي: كهذا التكذيب وهو قولهم إنا إنما أشركنا وحرمنا لكون ذلك مشروعاً مرضياً عند الله تعالى وإنك كاذب فيما قلت من أن الله تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرمتموه. ﴿كذب الذين من قبلهم﴾ أي: متقدموهم الرسل. ﴿حتى ذاقوا﴾ غاية لامتداد التكذيب ﴿بأسنا﴾ الذي أنزلنا عليهم بتكذيبهم. ﴿قل هل عندكم من﴾ زائدة ﴿علم﴾ من أمر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم. ﴿فتخرجوه لنا﴾ فتظهروه لنا. ﴿إن تتبعون إلا الظن﴾ أي: ما تتبعون فيما أنتم عليه من الشرك والتحريم إلا الظن الباطل من غير علم ويقين. ﴿وإن أنتم إلا تخرصون﴾ تكذبون على الله تعالى.

﴿قل فللّه الحجة البالغة﴾ الفاء جواب شرط محذوف أي وإذا قد ظهر أن لا حجة لكم فللّه الحجة البالغة أي البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والثبات أو بلغ بها صاحبها صحة دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان. ﴿فلو شاء﴾ هدايتكم جميعاً ﴿لهداكم أجمعين﴾ بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم لصرف اختيارهم إلى سلوك طريق الحق وضلال آخرين لصرف هممهم إلى خلاف ذلك.

﴿قل هلم﴾ اسم فعل، أي أحضروا ﴿شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا﴾ وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم ومذهبهم ولا من يشهد بصحة دعواهم كائناً من كان ولذلك قيد الشهداء بالإضافة إليهم وإنما أمروا باستحضارهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وأنه لا متمسك لهم كمن يقلدهم. ﴿فإن شهدوا﴾ بعدما حضروا بأن الله تعالى حرم هذا. ﴿فلا تشهد معهم﴾ أي: فلا تصدقهم فإنه كذب محض وبيّن لهم فساده. ﴿ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ كعبدة الأوثان والموصول الثاني عطف على الموصول الأول بطريق عطف الصفة على الصفة مع اتحاذ الموصوف، فإن من يكذب بآياته تعالى لا يؤمن بالآخرة وبالعكس. ﴿وهم بربهم يعدلون﴾ أي: يجعلون له عديلاً عطف على لا يؤمنون، والمعنى: لا تتبع أهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين الإشراك به سبحانه لكن لا على أن يكون مدار النهي المذكور بل على أن أولئك جامعون لها متصفون بكلها.

واعلم: أن الله تعالى أحل الطيبات وردَّ ما كان أهل الجاهلية يفعلونه من تحريم من عند أنفسهم؛ لأن الدين يبتنى على الوحي لا على الهوى وحرم الخبائث كالخمر والميتة والدم والخنزير وغير ذلك، أي: تناولها وبيعها لأن ما يحرم تناوله يحرم بيعه وأكل ثمنه بخلاف ما إذا كان الانتفاع بغير ذلك كشحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس فإن ذلك ليس بحرام، وما حرمه الله تعالى إما أن يكون بلاء ونقمة كما فعل اليهود وجزاء على أنفسهم، وإما أن يكون رحمة ومنة لعلمه أن فيه ضرراً نفسانياً أو روحانياً، فالنفساني كضرر السم وأمثاله، والروحاني كضرر لحوم السباع والمؤذيات وأمثالها فإنه بتعدي أخلاقها تغير الأخلاق الروحانية كما قال عليه السلام: «الرضاع يغير الطباع».

ومن ثَمَّ لما دخل الشيخ أبو محمد الجويني بيته ووجد ابنه الإمام أبا المعالي يرتضع ثدي غير أمه اختطفه منها ثم نكس رأسه ومسح بطنه، وأدخل أصبعه في فيه ولم يزل يفعل ذلك حتى خرج ذلك اللبن قائلاً: يسهل عليّ موته ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير أمه، ثم لما كبر

الإمام كان إذا حصلت له كبوة في المناظرة يقول هذه من بقايا تلك الرضعة فعلم أن من ارتضع امرأة فالغالب عليه أخلاقهما من خير وشر، وكذا لحوم الحيوانات لها تأثير عظيم وفي الحديث: «عليكم بألبان البقر وسمنانها، وإياكم ولحومها فإن ألبانها وسمنانها دواء وشفاء ولحومها داء» وقد صح أن النبي عليه السلام «ضحى عن نسائه بالبقر».

قال الحليمي: هذا ليبس الحجاز ويبوسة لحم البقر ورطوبة لبنها وسمنها فكأنه يرى اختصاصه ذلك به وهذا التأويل المستحسن وإلا فالنبي عليه السلام لا يتقرب إلى الله تعالى بالداء، فهو إنما قال ذلك في البقر لتلك اليبوسة. وجواب آخر أنه عليه السلام ضحى بالبقر لبيان الجواز أو لعدم تيسر غيره كذا في «المقاصد الحسنة». ومن فوائد سمن البقر أنه لو شرب منه على الريق خمسين درهماً ينفع للجنون ويؤثر في دفعه.

قال الفقيه أبو الليث: يستحب للرجل أن يعرف من الطب مقدار ما يمتنع به عما يضر ببدنه، لأن العلم علمان علم الأبدان ثم علم الأديان، وأجاز عامة العلماء التداوي بالمحرمات عند الضرورة كإساغة اللقمة بالخمر إذا غص.

وفي «الأشباه»: الطعام إذا تغير واشتد تغيره تنجس وحرم واللبن والزيت والسمن إذا نتن لا يحرم أكله والدجاجة إذا ذبحت ونتف ريشها، وأغليت في الماء قبل شق بطنها صار الماء نجساً وصارت نجسة بحيث لا طريق لأكلها إلا أن تحمل الهرة إليها لا أن تحمل إلى الهرة.

فعلى العاقل أن يحترز عن الحرام وعما يضر بالبدن ومن المضر الامتلاء كما قال عليه السلام: «رأس الداء الامتلاء ورأس الدواء الاحتماء».

آن حكيمى كه در حكمت سفت كل قليلا تعش كثيرا كفت

قال السعدي قدس سره:

ندارند تن پروران آكهى كه پرمعده باشدز حكمت تهى

ومن الله التوفيق.

﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًۭٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًۭا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍۢ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًۭا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

﴿قل﴾ يا محمد لكفار مكة. ﴿تعالوا﴾ أمر من تعالى والأصل فيه أن يقوله من في مكان عال لمن هو أسفل منه، ثم اتسع فيه بالتعميم فتكلم به كل من تطلب أن يتقدم ويقبل إليه شخص سواء كان الطالب في علو أو سفل أو غيرهما. ﴿أتل﴾ جواب الأمر أي: أقرأ. ﴿ما حرم ربكم﴾ أي: الذي حرمه ربكم أي الآيات المشتملة عليه. ﴿عليكم﴾ متعلق بحرم ﴿أن﴾ مفسرة ﴿لا﴾ ناهية ﴿تشركوا به﴾ تعالى ﴿شيئاً﴾ من الأشياء فتقدير الكلام ذلك التحريم هو قوله: ﴿لا تشركوا به شيئاً﴾ .

اعلم: أن هذه الآيات الثلاث إلى قوله: ﴿لعلكم تتقون﴾ تشتمل على عشر خصال جامعة للخير كله لم ينسخهنّ شيء من جميع الكتب فهن محرمات على بني آدم كلهم لم يختلفن باختلاف الأمم والأعصار، من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار. أولاهن قوله: ﴿لا تشركوا به شيئاً﴾ قدم الشرك لأنه رأس المحرمات، ولا يقبل الله تعالى معه شيئاً من الطاعات وهو ينقسم إلى جلي وخفي فالجلي عبادة الأصنام والخفي رؤية الأغيار مع الله الواحد القهار.

تادم وحدت زدى حافظ شوريده حال خامهٔ توحيد كش بروررق اين وآن

﴿وبالوالدين إحساناً﴾ أي: وأحسنوا بهما إحساناً، أي: لا تسيئوا إليهما لأن المحرم هو الإساءة، والأمر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده، وكذا معنى أوفوا لا تبخسوا وإنما وضع الأمر موضع النهي للمبالغة في إيجاب مراعاة حقوقهما، فإن مجرد ترك الإساءة غير كاف في قضاء حقوقهما، وهذا هو الأمر الثاني من الأحكام العشرة وإنما ذكر بعد تحريم الشرك تحريم العقوق لأن الوالدين سببان قريبان لوجوده كما أن الله تعالى موجده فالتقاعد عن أداء حقوقهما عقوق فهو أكبر الكبائر بعد الشرك.

قال بعض الأولياء: كنت في تيه بني إسرائيل، فإذا رجل يماشيني فتعجبت منه وألهمت أنه الخضر، فقلت له: بحق الحق من أنت قال أنا أخوك الخضر قلت بأي وسيلة رأيتك قال ببرك أمك.

جنت كه سراى مادرانست زير قدمات مادرانست

﴿ولا تقتلوا أولادكم﴾ أي: لا تدفنوا بناتكم حية ﴿من إملاق﴾ من أجل فقر. والإملاق: نفاد الزاد والنفقة، يقال: أملق الرجل إذا نفد زاده ونفقته من الملق وهو بذل المجهود في طلب المراد. ﴿نحن نرزقكم وإياهم﴾ لا أنتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق. وهذا هو الحكم الثالث من الأحكام العشرة، وإنما حرم قتل الأولاد لما فيه من هدم بنيان الله وملعون من هدم بنيانه، وفيه إبطال ثمرة شجرته ومحصوده وقطع نسله وترك التوكل في أمر الرزق يؤدي إلى تكذيب الله تعالى لأنه قال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

ما آبروى فقر وقناعت نمى بريم با پادشه بكوى كه روزى مقدرست

﴿ولا تقربوا الفواحش﴾ أي: الزنى وجيء بصيغة الجمع قصداً إلى النهي عن أنواعها ولذلك أبدل منها بدل اشتمال قوله: ﴿ما ظهر منها وما بطن﴾ أي: ما يفعل منها علانية في الحوانيت كما هو دأب أرذالهم وما يفعل سراً باتخاذ الأخدان، كما هو عادة أشرافهم. وهذا هو الحكم الرابع منها وتوجيه النهي إلى قربانها للمبالغة في النهي عنها ويدخل في ذلك ما يبعده من الجنة ويدنيه من النار، وهو ما ظهر وما يبعده من الحق ويحجبه عنه، وإن لم يحجبه عن الجنة ولم يبعده منها وهو ما بطن، وأيضاً ما ظهر منها بالفعل وما بطن بالنية ومن الزنى زنى النظر.

اين نظر ازدور چون تيراست وسم عشقت افزون ميشود صبر توكم

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن الشيطان من الرجل في ثلاثة منازل في عينيه وفي قلبه وفي ذكره وهو من المرأة في ثلاثة منازل في عينيها وفي قلبها وفي عجزها» ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله﴾ أي: حرم قتلها بأن عصمها بالإسلام أو بالعهد فيخرج منها الحربي ﴿إلا

بالحق﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تقتلوها في حال من الأحوال إلا حال ملابستكم بالحق الذي هو أمر الشرع بقتلها، وذلك بالكفر بعد الإيمان، والزنى بعد الإحصان، وقتل النفس المعصومة، وهذا هو الحكم الخامس، وفي القتل ترك تعظيم أمر الحق وترك الشفقة على الخلق وهما ملاك الدين.

والإشارة: أن القتل الحق هو القتل في طلب الحق والمقتول في سبيل الله هو حي عند ربه.

وعن أبي سعيد الخراز: كنت بمكة فجزت يوماً بباب بني شيبة، فرأيت شاباً حسن الوجه ميتاً فنظرت في وجهه فتبسم في وجهي، وقال لي: يا أبا سعيد أما علمت أن الأحباب أحياء وإن ماتوا وإنما ينقلون من دار إلى دار.

مشو بمرك زامداد أهل دل نوميد   كه خواب مردم آكاه عين بيداريست

﴿ذلكم﴾ إشارة إلى ما ذكر من التكاليف الخمسة. **﴿وصاكم به﴾** أي: أمركم ربكم بحفظه أمراً مؤكداً. **﴿لعلكم تعقلون﴾** أي: تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة **﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾** أي: لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه واليتيم من الإنسان من لا أب له ومن الحيوان من لا أم له والخطاب للأولياء والأوصياء. **﴿إلا بالتي هي أحسن﴾** إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره. **﴿حتى يبلغ أشده﴾** غاية لما يفهم من الاستثناء لا للنهي كأنه قيل احفظوه حتى يصير بالغاً رشيداً فحينئذٍ سلموه إليه.

وجعل أبو حنيفة غاية الأشد خمساً وعشرين سنة فإذا بلغها دفع إليه ماله ما لم يكن معتوهاً.

قال الجوهري: **﴿حتى يبلغ أشده﴾** أي: قوته وهو ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين وهو واحد جاء على بناء الجمع مثل آنك وهو الأسرب ولا نظير لهما وكان سيبويه يقول واحدته شدة، وهذا هو الحكم السادس، وإنما وصى الله تعالى بحفظ مال اليتيم لأنه عاجز فتولى الله أمره وأمر بالشفقة والنظر في حقه.

ألا تانكريدكه عرش عظيم   بلرزد همى چون بكريديتيم

﴿وأوفوا الكيل﴾ في المكيلات أي أتموه ولا تنقصوا منه شيئاً **﴿والميزان﴾** في الموزونات وهو بالفارسي [ترازو] **﴿بالقسط﴾** حال من فاعل أوفوا، أي: أوفوهما مقسطين أي ملتبسين بالقسط وهو العدل.

فإن قيل إيفاء الكيل والميزان هو عين القسط فما فائدة التكرير؟.

قلنا إن الله تعالى أمر المعطي بإيفاء ذي الحق حقه من غير نقصان وأمر صاحب الحق بأخذه من غير طلب زيادة. **﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾** إلا ما يسعها ولا يعسر عليها، وذكره عقيب الأمر للإيذان بأن مراعاة العدل عسير فعليكم بما في وسعكم، وما وراءه معفو عنكم فإذا اجتهد الإنسان في الكيل والوزن ووقعت فيه زيادة يسيرة أو نقصان يسير لم يؤاخذه به إذا اجتهد جهده، وإن أعيد الكيل على ذلك فزاد أو نقص لم يثبت التراجع إذا كان ذلك القدر من التفاوت مما يقع بين الكيلين، وأما التقصير القصدي فليس بمعفو وينبغي الاحتياط بقدر الإمكان ـ روي ـ عن بعضهم أنه قال لبعض الناس وهو في النزع وكان يعامل الناس بالميزان، قل: لا إله إلا الله فقال: ما أقدر أقولها، لسان الميزان على لساني يمنعني من النطق بها، قال

فقلت له: أما كنت توفي الوزن؟ قال: بلى ولكن ربما كان يقع في الميزان شيء من الغبار لا أشعر به.

وعن مالك بن دينار أنه دخل على جار له احتضر فقال يا مالك جبلان من النار بين يدي أكلف الصعود عليهما، قال مالك: فسألت أهله، فقالوا كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فدعوت بهما فضربت أحدهما بالآخر حتى كسرتهما، ثم سألت الرجل، فقال: ما يزداد الأمر إلا شدة. وهذا هو الحكم السابع.

والإشارة أوفوا بكيل العمر، وميزان الشرع حقوق الربوبية، واستوفوا بكيل الاجتهاد وميزان الاقتصاد حظوظ العبودية من الألوهية لا نكلف نفساً في إيفاء الحقوق واستيفاء الحظوظ إلا بحسب استعدادها.

هركس بقدر بال وپر خويش مى پرد

﴿وإذا قلتم﴾ قولاً في حكومة أو شهادة أو نحوهما. ﴿فاعدلوا﴾ فيه ﴿ولو كان﴾ المقول له أو عليه. ﴿ذا قربى﴾ أي: ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم أصلاً لأن مداد الأمر اتباع الحق المشروع وطلب مرضاة الله تعالى فلا فرق بين ذي قرابة وأجنبي، وهذا هو الحكم الثامن وحقيقة العدل في الكلام أن يذكر الله، ولا يذكر معه غيره وأن يتكلم لله وفي الله وبالله وهذا لا يتيسر إلا لأرباب التحقيق فإن كلام غيرهم مشوب بالغرض والدعوى.

بانك هدهدكر بياموزد فتى راز هدهد كوو پيغام سبا

﴿وبعهد الله أوفوا﴾ أي: ما عهد إليكم أي عهد كان من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع وغيرهما فهو مضاف إلى الفاعل أو ما عاهدتم الله عليه من الإيمان والنذور، فهو مضاف إلى المفعول ويحتمل أن يراد به العهد بين الإنسانين، ويكون إضافته إلى الله تعالى من حيث إنه أمر بحفظه والوفاء به.

وفاء عهد نكو باشد اربياموزى وكرنه هركه توبينى ستمكرى داند

وهذا هو الحكم التاسع، وحقيقة العهد أن لا يعبد إلا مولاه ولا يحب إلا إياه ولا يرى سواه.

ازدم صبح ازل تا آخر شام ابد دوستى ومهر بريك عهد ويك ميثاق بود

﴿ذلكم﴾ إشارة إلى ما فصل من التكاليف الأربعة. ﴿وصاكم به﴾ أمركم به أمراً مؤكداً ﴿لعلكم تذكرون﴾ تتذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه.

﴿وأن﴾ بتقدير اللام علة للفعل المؤخر أي ولأن ﴿هذا﴾ أي: ما ذكر في هذه السورة من إثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة. ﴿صراطي﴾ أي: مسلكي وشريعتي، وسمي الشرع طريقاً لأنه يؤدي إلى الثواب في الجنة ومعنى إضافته إلى ضمير عليه السلام انتسابه إليه من حيث السلوك لا من حيث الوضع كما في صراط الله ﴿مستقيماً﴾ حال مؤكدة، أي مستوياً قويماً. ﴿فاتبعوه ولا تتبعوا السبل﴾ أي: الطرق المختلفة التي عدا هذا الطريق مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل. ﴿فتفرق بكم﴾ منصوب بإضمار أن بعد الفاء في جواب النهي، أصله فتتفرق حذفت منه إحدى التاءين والباء للتعدية، أي: فتفرقكم وتزيلكم. ﴿عن سبيله﴾ أي: عن دين الله الذي ارتضى وبه أوصى وهو الإسلام، وفيه تنبيه على أن صراطه عليه السلام عين سبيله تعالى. وهذا هو العاشر من الخصال.

خلاف پيغمبر كسى ره كزيد   كه هر كز بمنزل نخواهد رسيد
محالست سعدى كه راه صفا   توان رفت جزدرپى مصطفا

﴿ذلكم﴾ أي: اتباع سبيله وترك اتباع سائر السبل. ﴿وصاكم به لعلكم تتقون﴾ اتباع سبيل الكفر والضلالة.

ولما تلا رسول الله ﷺ هذه الآية خط خطاً فقال: «هذا سبيل الله» ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه».

واعلم: أن الشرع ههنا هو الصراط المستقيم وهو أحدّ من السيف وأدقّ من الشعر، ولذا لا نزال في كل ركعة من الصلاة نقول اهدنا الصراط المستقيم، ومن زلّ عن هذا الصراط في الدنيا زل عن صراط الآخرة. أيضاً قال عليه السلام: «الزالون عن الصراط كثير وأكثر من يزل عنه النساء» وأكثر الرجال في هذا الزمان في حكم النساء في اتباع الشهوات والأخذ بالعادات والدين بدأ غريباً وعاد غريباً فلا يوجد من يستأنس به ويستأهل له إلا نادراً.

قال في «التفسير الفارسي»: [محققان بر آنندكه صراط متعين نكردد الاميان بدايتى ونهايتى وعارف داندكه بدايت همه ازكيست ونهايت همه يكيست وحضرت شيخ صدر الدين قو نوى قدس سره وإعجاز البيان فرموده كه إحاطهء حق بهمه اشيا ثابت است والله بكل شيء محيط وآن احاطهء وجودى است يا علمى باختلاف أفعال وأقوال متنهاى سر صراط وغايت سر سالك خواهدبو چنانچه فرمود ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى: ٥٣].

هرجا قدمى زديم در كوى توبود   هركوشه كه برفتيم سوى توبود
كفتيم مكر سوى ديكر راهى هست   هر راه كه ديديم همه سوى تو بود

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾.

﴿ثم آتينا موسى الكتاب﴾ عطف على مقدر أي فعلنا تلك التوصية باتباع صراط الله ثم آتينا موسى الكتاب أي التوراة وثم للتراخي في الأخبار، كما في قولك: بلغني ماصنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب. ﴿تماماً﴾ مصدر من أتم بحذف الزوائد، أي: إتماماً للكرامة والنعمة. ﴿على الذي أحسن﴾ أي: على من أحسن القيام به كائناً من كان من الأنبياء والمؤمنين. ﴿وتفصيلاً لكل شيء﴾ وبياناً مفصلاً لكل ما يحتاج إليه في الدين وهذا لا ينافي الاجتهاد في شريعتهم كما لا ينافي قوله تعالى: في آخر سورة يوسف ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يوسف: ١١١] في شريعتنا لأن التفصيل في الأصول والاجتهاد في الفروع. ﴿وهدى﴾ من الضلالة ﴿ورحمة﴾ نجاة من العذاب لمن آمن به وعمل بما فيه ﴿لعلهم﴾ أي: بني إسرائيل المدلول عليهم بذكر موسى. ﴿بلقاء ربهم يؤمنون﴾ الباء متعلقة بيؤمنون، أي كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب.

﴿وهذا﴾ أي: القرآن ﴿كتاب أنزلناه﴾ ليس من قبل الرسول كما يزعم المنكرون. ﴿مبارك﴾ أي: كثير النفع ديناً ودنيا.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿مبارك﴾ عليك وبركته أنه أنزل على قلبك بجعل خلقك

القرآن ومبارك على أمتك بأنه حيل بينهم وبين ربهم ليوصلهم إليه بالاعتصام. ﴿فاتبعوه﴾ واعملوا بما فيه ﴿واتقوا﴾ مخالفته ﴿لعلكم ترحمون﴾ بواسطة أتباعه والعمل بموجبه.

﴿أن تقولوا﴾ على حذف المضاف كما هو رأي البصريين، أي: أنزلناه كراهة أن تقولوا يا أهل مكة يوم القيامة لم تنزله ﴿إنما أنزل الكتاب﴾ أي: التوراة والإنجيل. ﴿على طائفتين﴾ كائنتين ﴿من قبلنا﴾ وهما اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في إنما اشتهار الكتابين يومئذٍ فيما بين الكتب السماوية. ﴿وإن﴾ مخففة أي وإنه. ﴿كنا عن دراستهم﴾ قراءتهم ولم يقل عن دراستهما لأن كل طائفة جماعة ﴿لغافلين﴾ لا ندري ما في كتابهم؛ إذ لم يكن على لغتنا فلم نقدر على قراءته.

﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب﴾ كما أنزل عليهم ﴿لكنا أهدى منهم﴾ إلى الحق الذي هو المقصد الأقصى أو إلى ما في تضاعيفه من جلائل الأحكام والشرائع ودقائقها لحدة أذهاننا ونقابة أفهامنا ولذلك تلقفنا فنوناً من العلم كالقصص والأشعار والخطب مع أنا أميون. ﴿فقد جاءكم﴾ متعلق بمحذوف معلل به أي لا تعتذروا بذلك القول فقد جاءكم ﴿بينة﴾ كائنة ﴿من ربكم﴾ أي: حجة واضحة ﴿وهدى ورحمة﴾ عبر عن القرآن بالبينة إيذاناً بكمال تمكنهم من دراسته لأنه على لغتهم ثم بالهدى والرحمة. ﴿فمن أظلم﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿ممن كذب بآيات الله﴾ أي: القرآن ﴿وصدف عنها﴾ أي: صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والإضلال. في «القاموس»: صدف عنه يصدف أعرض وفلاناً صرفه. ﴿سنجزي الذين﴾ بالفارسي [زود باشدكه جزادهم آنراكه] ﴿يصدفون﴾ الناس. ﴿عن آياتنا﴾ وعيد لهم ببيان جزاء إضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالتهم أيضاً. ﴿سوء العذاب﴾ أي: شدته ﴿بما كانوا يصدفون﴾ أي بسبب ما كانوا يفعلون الصدف والصرف على التجدد والاستمرار.

فعلى العاقل أن يعمل بالقرآن ويرغب غيره بقدر الإمكان؛ لأنه يكون شريكه في الثواب الفائض من الله الوهاب، والمعرض عن القرآن الذي هو غذاء الأرواح، كالمعرض عن شراب السكر الذي هو غذاء الأشباح، وله ظاهر فسره العلماء وباطن حققه أهل التحقيق وكل قد علم مشربه وفي الحديث: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» أي: على سبع لغات وهي لغات العرب المشهورين بالفصاحة من قريش وهذيل وهوازن واليمن وطي وثقيف، تسهيلاً وتيسيراً ليقرأ كل طائفة بما يوافق لغتهم بشرط السماع من النبي عليه السلام؛ إذ لو كلفوا القراءة بحرف واحد لشق عليهم إذ الفطام عن المألوف شاق أو على سبع قراءات، وهي التي استفاضت عن النبي عليه السلام وضبطتها الأمة وأضافت كل حرف منها إلى من كان أكثر قراءة به من الصحابة، ثم أضيفت كل قراءة منها إلى من اختارها من القراء السبعة وهم: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي. ويقال إن جاحد القراءات السبع كافر وجاحد الباقي آثم مبتدع.

ولما تنزل القرآن العظيم من عالم الحقيقة كتب في جميع الألواح وفي لوح هذا التعين، حتى

في لوح وجودك وأودع القابلية في كل منها لقراءته ومعرفته، والمقصود الأصلي هو العمل به والتخلق بأخلاقه دون تصحيح المخرج ورعاية ظاهر النظم فقط. ونعم قول من قال:

نقد عمرش زفكرت معوج خرج شد در رعايت مخرج
صرف كردش همه حيات سره در قراآت سبعه وعشره

قال الحافظ:

عشقت رسد بفرياد كر خود بسان حافظ قرآن زبر بخوانى درچارده روايت

وفي الحديث: «لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار» قال القاضي البيضاوي، أي: لو صور القرآن وجعل في إهاب وألقي في النار ما مسته ولا أحرقته ببركة القرآن، فكيف بالمؤمن الحامل له المواظب على تلاوته.

وعن علي رضي الله عنه: «من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة، ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات» ـ وروي ـ عن بعض الأخيار من أهل التلاوة للقرآن الكريم أنه لما حضرته الوفاة كان كلما قالوا قل: لا إله إلا الله قال: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾ [طه: ١-٢] إلى قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨] فلم يزل يعيدها كلما أعادوا عليه حتى مات على هذه الآية الكريمة فظهر أن الموت على ما عاش عليه الشخص.

وكان حرفة رجل بيع الحشيش وهو غافل عن الله فلما حضرته الوفاة كان كلما قيل له قل لا إله إلا الله، قال: حزمة بفلس نسأل الله تعالى التوفيق للموت على الإسلام.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

﴿هل ينظرون﴾ هل استفهامية معناها النفي وينظرون بمعنى ينتظرون فإن النظر يستعمل في معنى الانتظار، كأنه قيل إني أقمت على أهل مكة الحجة وأنزلت عليهم الكتاب فلم يؤمنوا فما ينتظرون. ﴿إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ أي: ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم. ﴿أو يأتي ربك﴾ أي: أمره بالعذاب والانتقام.

وقال البغوي: ﴿أو يأتي ربك﴾ بلا كيف لفصل القضاء بين موقف القيامة انتهى، أو المراد بإتيان الرب إتيان كل آية يعني آيات القيامة والهلاك الكلي بقرينة قوله تعالى: ﴿أو يأتي بعض آيات ربك﴾ يعني: أشراط الساعة التي هي: الدخان، ودابة الأرض، وخسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، والدجال، وطلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى عليه السلام، ونار تخرج من عدن وهم ما كانوا منتظرين لأحد هذه الأمور الثلاثة وهي مجيء الملائكة أو مجيء الرب أو مجيء الآيات القاهرة من الرب لكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظرين شبهوا بالمنتظرين. ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك﴾ ظرف لقوله: ﴿لا ينفع نفساً إيمانها﴾ كالمحتضر فإن معاينة أشراط الساعة بمنزلة نفسها ووقوع العيان يمنع قبول الإيمان لأنه إنما يقبل إذا كان بالغيب. ﴿لم تكن آمنت من قبل﴾ صفة نفساً، أي: من قبل إتيان بعض الآيات. ﴿أو كسبت في إيمانها خيراً﴾ الآية تقتضي أن لا ينفع الإيمان بدون العمل الصالح ومذهب أهل

السنة أنه نافع حيث إن صاحبه لا يخلد في النار.

قال حضرة الشيخ الشهير بالهدائي الاسكداري في «الواقعات»: لاح لي في توفيق هذه الآية على مذهب أهل السنة وجهان: الأول: أن يكون قوله: ﴿أو كسبت﴾ معطوفاً على آمنت المقدر لا على آمنت المذكور والتقدير لا ينفع نفساً إيمانها، لم تكن آمنت من قبل سواء آمنت إيماناً مجرداً أو كسبت في إيمانها خيراً، والثاني: أن يعطف على آمنت المذكور ولكن يعتبر في اللف مقدر فيكون النشر أيضاً على أسلوبه، والتقدير لا ينفع نفساً إيمانها ولا كسبها خيراً لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً. ﴿قل انتظروا﴾ ما تنتظرونه من إتيان أحد الأمور الثلاثة لتروا أيَّ شيء تنتظرون ﴿إنا منتظرون﴾ لذلك وحينئذٍ لنا الفوز، وعليكم الوبال بما حل بكم من سوء العاقبة.

قال البغوي: المراد ببعض الآيات طلوع الشمس من مغربها وعليه أكثر المفسرين.

قال الحدادي في «تفسيره»: قال رسول الله ﷺ: «إذا غربت الشمس رفع بها إلى السماء السابعة في سرعة طيران الملائكة، وتحبس تحت العرش فتستأذن من أين تطلع أمِن مطلعها أو من مغربها، وكذا القمر فلا تزال كذلك حتى يأتي الله بالوقت الذي وقته لتوبة عباده، وتكثر المعاصي في الأرض، ويذهب المعروف فلا يأمر به أحد وينتشر المنكر فلا ينهى عنه أحد، فإذا فعلوا ذلك حبست الشمس تحت العرش، فإذا مضى مقدار ليلة سجدت واستأذنت ربها من أين تطلع، فلم يجر لها جواباً حتى يوافيها القمر فيسجد معها ويستأذن من أين يطلع فلا يجر له جواباً، فيحبسان مقدار ثلاث ليال فلا يعرف مقدار تلك الليلة إلا المتهجدون في الأرض وهم يومئذٍ عصابة قليلة في هوان من الناس، فينام أحدهم تلك الليلة مثل ما ينام قبلها من الليالي، ثم يقوم فيتهجد ورده فلا يصبح، فينكر ذلك فيخرج وينظر إلى السماء فإذا هو بالليل مكانه والنجوم مستديرة، فينكر ذلك ويظن فيه الظنون، فيقول: أخففت قراءتي أم قصرت صلاتي، أم قمت قبل حيني، ثم يقوم فيعود إلى مصلاه فيصلي نحو صلاته في الليلة الثانية، ثم ينظر فلا يرى الصبح فيشتد به الخوف فيجتمع المتهجدون من كل بلدة في تلك الليلة في مساجدهم ويجأرون إلى الله بالبكاء والتضرع فيرسل الله جبريل إلى الشمس والقمر، فيقول لهما: إن الله يأمركما أن ترجعا إلى مغربكما فتطلعا منه فإنه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيبكيان عند ذلك وجلاً من الله، بكاء يسمعه أهل السموات السبع وأهل سرادقات العرش، ثم يبكي من فيهما من الخلائق من خوف الموت والقيامة فبينما المتهجدون يبكون ويتضرعون والغافلون في غفلاتهم إذا بالشمس والقمر قد طلعا من المغرب أسودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر كصفتهما في كسوفهما، فذلك قوله تعالى ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ [القيامة: ٩] فيرتفعان كذلك مثل البعيرين ينازع كل واحد منهما صاحبه استباقاً فيتصارخ أهل الدنيا حينئذٍ ويبكون، فأما الصالحون فينفعهم بكاؤهم ويكتب لهم عبادة، وأما الفاسقون: فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذٍ ويكتب ذلك عليهم حسرة وندامة، فإذا بلغ الشمس والقمر سرة السماء ومنتصفها جاء جبريل فأخذ بقرونهما فردهما إلى المغرب فيغربان في باب التوبة» فقال عمر رضي الله عنه بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما باب التوبة فقال: «يا عمر خلق الله باباً للتوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب وما بين المصراع إلى المصراع أربعون سنة للراكب، فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس من مغربها، فإذا غربا في ذلك الباب رد

المصراعان والتأم بينهما، فيصير كأن لم يكن بينهما صدع، فإذا أغلق باب التوبة لم يقبل للعبد توبة بعد ذلك، ولم ينفعه حسنة يعملها إلا من كان قبل ذلك محسناً، فإنه يجزى كما قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى: ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾ وإنما لم يقبل الإيمان في ذلك الوقت لأنه ليس بإيمان اختياري في الحقيقة وإنما هو إيمان لخوف الهلاك قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥] قال السعدي قدس سره:

چه سود ازدزد آنكه توبه كردن ... كه نتوانند كمند انداخت بركاخ
بلند ازميوه كو كوتاه كن دست ... كه اين كوته ندارد دست برشاخ

وعدم قبول الإيمان والتوبة غير مخصوص بمن يشاهد طلوع الشمس من المغرب وهو الأصح، والظاهر أن من تولد بعد طلوعها أو ولد قبله ولم يكن مميزاً بعد ذلك يقبل إيمانه وجعله في «شرح المصابيح» أصح قالت عائشة رضي الله عنها «إذا خرجت أول الآيات طرحت الأقلام وحبست الحفظة وشهدت الأجساد بالأعمال».

قال الإمام السيوطي رحمه الله يظهر المهدي قبل الدجال بسبع سنين، ويخرج الدجال قبل طلوع الشمس بعشر سنين، ويقوم المهدي سنة مائتين بعد الألف أو أربع ومائتين، والله أعلم وقبل ظهور المهدي أشراط أخر من خروج بني الأصفر وغيرها.

وفي «التأويلات النجمية»: إن الله تعالى جعل نفس الإنسان وقلبه أرضاً صالحاً لقبول بذر الإيمان وإنباته وتربيته كما قال عليه السلام: «لا إله إلا الله ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء البقلة» فالبذر هو قول المرء أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله عند تصديق القلب بشهادة اللسان، وإنما كان زمان هذه الزراعة زمان الدنيا لا زمان الآخرة ولهذا قال عليه السلام: «الدنيا مزرعة الآخرة» فلا ينفع نفساً في زمان الآخرة بذر إيمانها لم تكن بذرت من قبل في زمان الدنيا أو كسبت في إيمانها خيراً من الأعمال الصالحة التي ترفع الكلمة الطيبة، وهي لا إله إلا الله وتجعلها شجرة طيبة مثمرة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها من ثمار المعرفة والمحبة والكشف والمشاهدة والوصول والوصال ونيل الكمال انتهى ما في «التأويلات» ونسأل الله أن يرزقنا التوفيق لتحقيق التوحيد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿إن الذين﴾ أي: اليهود والنصارى. ﴿فرقوا دينهم﴾ أي: بدّوه وبعضوه فتمسك بكل بعض منه فرقة منهم. ﴿وكانوا شيعاً﴾ جمع شيعة يقال شايعه على الأمر إذا اتبعه أي فرقاً تشيع كل فرقة إماماً لها قال عليه السلام: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة، وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة» واستثناء الواحدة من فرق كل من أهل الكتابين إنما هو بالنظر إلى العصر الماضي قبل النسخ، وأما بعده فالكل في الهاوية. ﴿لست منهم في شيء﴾ لست من البحث عن تفرقهم والتعرض لمن يعاصرك منهم بالمناقشة والمؤاخذة

في شيء. ﴿إنما أمرهم إلى الله﴾ تعليل للنفي المذكور، أي هو يتولى وحده أولاهم وأخراهم ويدبرهم كيف يشاء حسبما تقتضيه الحكمة. ﴿ثم ينبئهم﴾ أي: يوم القيامة. ﴿بما كانوا يفعلون﴾ عبر عن إظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في أنهما سببان للعلم تنبيهاً على أنهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه من سوء عاقبته، أي: يظهر لهم على رؤوس الأشهاد ويعلمهم أي شيء شنيع كانوا يفعلونه في الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء.

واعلم أن كل فعل شنيع وعمل قبيح في الدنيا يتصور بصورة قبيحة في الآخرة، وهو قد كان بصورة قبيحة في الدنيا أيضاً لكنه برز لفاعله في صورة مستحسنة امتحاناً وابتلاء، فصار كالشهد المختلط بالسم نعوذ بالله من سيئات الأعمال حفت الجنة بمكروهاتنا، وحفت النيران بشهواتنا يعني جعلت الجنة محفوفة بالأشياء التي كانت مكروهة لنا وجعلت النار محاطة بالأشياء التي كانت محبوبة لنا، يعني: أن نفوسنا تميل إليها وتحب أن تفعلها لكونها على وفق هواها فكما أن في الآفاق فرقاً مختلفة ينفي بعضهم الصانع، وبعضهم صفاته، وبعضهم يعتقد في حقه تعالى ما لا يجوز اعتقاده وبعضهم يجري على ما جرى عليه الأنبياء والأولياء من حسن العقيدة وصالح العمل، كذلك في الأنفس قوى مختلفة لا تتحد في البنية ولا تجتمع على أمر واحد، فالطبيعة على التشهي والنفس على الهوى والروح على الإقبال إلى المولى، والدين الحقيقي الذي فيه كمالية الإنسان إنما يوجد بتوافق الظاهر والباطن فمن فارقه بقلبه وتمسك ببعض شعاره وبظاهره رياء وسمعة فهو من فرق أهل الدعوى من غير المعنى.

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي: مخاطباً لحضرة الهدائي قدس الله أسرارهما أشكر الله على عدم اقترانك بالملاحدة، فإن الإلحاد كمرض الجذام بعيد عن الإصلاح، قال: وأظن أنهم لا يخرجون من النار لأنهم في دعوى المقال بدون الحال انتهى. ومن المدعين القلندرية وهم الذين يقصون لحاهم وشعورهم بل يحلقون.

قلندری نه بريشست وموی ويابرو   حساب راه قلندر بدانكه موی بموست
كذشتن ازسر مو درقلندری سهلست   چو حافظ آنكه زسر بكذرد قلندر اوست

ومن الفرق المبتدعة الجوالقية: وهم الذين يحلقون لحاهم ويلبسون الجوالق والكساء الغليظ وقد نهى النبي عليه السلام عن لباس الشهرة سواء كان من جنس الرقيق أو الغليظ لأنه اشتهار بذلك وامتياز به عن المسلمين وقد قال عليه السلام: «كن كواحد من الناس» ولا ينفع الجوالق والكساء إذا كان المرء صاحب الرياء. قال السعدي قدس سره:

بروی ريا خرقه سهلست دوخت   كرش باخدا در تواني فروخت
كر آوازه خواهی در اقليم فاش   برون حله كن كودرون حشو باش

وقال:

درغزا كند مرد بايد بود   بر مخنث سلاح جنك چه سود

وكان الشيخ قطب الدين حيدر مجذوباً صاحب حال جداً حتى حكي أنه أخذ حديداً حاراً من كير حداد صار كقطعة نار وألقاه على عنقه ساعة فلم يحترق فأخذ الحيدرية بذلك ولبسوا الحديد تقليداً ولبس الحديد أكثر إثماً من لبس الذهب.

فعلى العاقل أن يجتنب عن البدعة وأهلها ـ وروي ـ أن ابن المبارك رؤي في المنام فقيل له ما فعل ربك فقال: عاتبني وأوقفني ثلاثين سنة بسبب أني نظرت باللطف يوماً إلى مبتدع،

فقال: إنك لم تعاد عدوي في الدين فكيف حال القاعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين.

واعلم: أن أهل الهوى والبدعة ليس مخصوصاً بالبشر كما قال الأعمش تزوج إلينا جني، فقلت له: ما أحب الطعام إليكم؟ فقال: الأرز فقال فائتنا به فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحداً فقلت هل فيكم من هذه الأهواء التي فينا؟ قال: نعم قلت فما الرافضة فيكم قال شرّنا. والروافض: هم الذين رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لعدم تبريه من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولزم هذا اللقب كل من غلا في مذهبه واستجاز الطعن في الصحابة، وأصله أن زيداً خرج بالكوفة داعياً لنفسه فبايعه جماعة من أهلها، وأتاه طائفة من أهل الكوفة وقالوا تبرأ من أبي بكر وعمر نبايعك فأبى فقالوا إذاً نرفضك فمن ذلك سموا الروافض، وقالت طائفة من أهل الكوفة: نتولاهما ونتبرأ ممن تبرأ منهما وخرجوا مع زيد فسموا الزيدية. وسبب بغضهم للأصحاب أنه لما وقعت الهزيمة في غزوة أحَد ونادى الشيطان أن قد مات محمد اعتقده الأصحاب غير علي رضي الله عنه حتى وقع النزاع. فقال كرم الله وجهه: هل أقتلكم لو لم يكن واقعاً؟ قالوا: نعم فلما ظهر خلافه عفا عنهم فمن ثم أحبوا علياً وتركوا الباقي وأبغضوه.

چون خدا خواهدكه پردهٔ كس درد ميلش اندر طعنهٔ پاكان برد

فعلى العاقل أن يحب الصالحين حباً شديداً، كي ينال منهم شفاعة يوم القيامة فويل لمن كان شفعاؤه خصماءه اللهم اعصمنا ولا تزغ قلوبنا واهدنا وسددنا فمنك التوفيق لسلوك طريق التحقيق. ﴿من جاء بالحسنة﴾ أي: من جاء يوم القيامة بالأعمال الحسنة من المؤمنين إذ لا حسنة بغير إيمان.

قال القاضي عياض: انعقد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم، ولا تخفيف عذاب لكن بعضهم يكون أشد عذاباً من بعض بحسب جرائمهم انتهى، نعم إذا أسلموا يثابون على الخيرات المتقدمة لما ورد في الحديث «حسنات الكفار مقبولة بعد إسلامهم».

وفي «تفسير الكاشفي»: [هركه بيايد دردنيا بنكويى] ﴿فله عشر أمثالها﴾ أي: فله عشر حسنات أمثالها فضلاً من الله تعالى فالأمثال ليس مميزاً للعشر، بل مميزها هو الحسنات والأمثال صفة لمميزها، ولذا لم يذكر التاء للعشر. وقيل: إنما أنث عشر وإن كان مضافاً إلى ما مفرده مذكر لإضافة الأمثال إلى مؤنث هو ضمير الحسنة كقوله تعالى: ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ [يوسف: ١٠] ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ أي: بالأعمال السيئة كائناً من كان من العالمين. ﴿فلا يجزى إلا مثلها﴾ بحكم الوعد واحدة بواحدة.

فإن قيل: كفر ساعة يوجب عقاب الأبد على نهاية التغليظ فما وجه المماثلة.

وأجيب: بأن الكافر على عزم أنه لو عاش أبداً لبقي على ذلك الاعتقاد فلما كان العزم مؤبداً عوقب بعقاب الأبد بخلاف المسلم المذنب، فإنه يكون على عزم الإقلاع عن ذلك الذنب فلا جرم كانت عقوبته منقطعة ﴿وهم لا يظلمون﴾ بنقص الثواب وزيادة العقاب.

قال الحدادي: وإنما قال ذلك لأن التفضل بالنعم جائز والابتلاء بالعقاب لا يجوز انتهى.

واعلم أن الحسنات العشر أقل ما وعد من الأضعاف. قال السعدي قدس سره:

نكو كارى از مردم نيك راى يكى را بده مينويسد خداى
تونيز اي پسر هر كرايك هنر به بيني زده عيبش اندر كذر

وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب، ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر في العدد الخاص كما يقول القائل لئن أسديت إليّ معروفاً لأكافئنك بعشر أمثالها وحكمة التضعيف لئلا يفلس العبد إذا اجتمع الخصماء في طاعته فيدفع إليهم واحدة ويبقى له تسع فمظالم العباد توفى من التضعيفات لا من أصل حسناته؛ لأن التضعيف فضل من الله تعالى وأصل الحسنة الواحدة عدل منه واحدة بواحدة وفي الحديث: «ويل لمن غلب آحاده على أعشاره» أي سيئاته على حسناته، وفي الحديث: «الأعمال ستة موجبتان، ومثل بمثل وحسنة بحسنة وحسنة بعشر وحسنة بسبعمائة فأما الموجبتان فهو من مات ولا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات وهو مشرك بالله دخل النار، وأما مثل بمثل فمن عمل سيئة فجزاء سيئة مثلها، وأما حسنة بحسنة فمن همّ بحسنة حتى تشعر بها نفسه ويعلمها الله من قلبه كتبت له حسنة، وأما حسنة بعشر فمن عمل حسنة فله عشر أمثالها وأما حسنة بسبعمائة فالنفقة في سبيل الله».

كنون بركف دست نه هرچه هست   كه فردا بدندان كزى پشت دست

قال في «أسئلة الحكم»: اعلم أن الشارع قد يرتب الثواب للعمل لئلا يترك، بل يرغب فيه فلا يكون ذلك العمل أفضل من العمل المؤكد عليه الذي لم يترتب عليه ذلك الثواب، فمن ذلك قوله عليه السلام: «من صلى الضحى اثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتاً في الجنة من ذهب» مع أن السنة الراتبة لفرض الظهر أفضل من الضحى ومن ذلك قوله عليه السلام: «من صلى ست ركعات بين المغرب والعشاء كتب الله له عبادة اثنتي عشرة سنة» مع أن سنة المغرب أفضل من ذلك وإنما رتب الثواب على ذلك لكثرة الغفلة فيه وأمثال ذلك كثيرة في الأخبار، فلا يفضل على الراتب المؤكد وإن لم يعين أجره غير الراتب من النوافل، وإن رتب أجره، وقد اتفق أهل العلم أنه لا يبلغ حد الفرض واجب وسنة راتبة أو غير راتبة في الأجر، والفضيلة في عمل أو حكم ولا يبلغ مرتبة الراتبة نقل من الأحكام وإن لم يتعين قدر أجرها، فإن السنن شرعت لتتميم نقائص الفرائض والنوافل الغير الراتبة لتتميم نقائص السنن الراتبة، فلا ينوب نفل مناب فرض يجب قضاؤه فقضاء فرض لا يسقط بالنوافل، كما يزعم بعض العوام يترك الفرائض، ويرغب في النوافل مما ورد كثرة الأجر عليه كالصلاة بعد المغرب يزعم سقوط الفرائض بها وتنوب مناب القضاء وذلك غير مشروع أصلاً، وترتيب أجور الأعمال والأذكار موقوف على الوحي والإلهام لا قدم فيه لتخمين العقول.

والإشارة في الآية أن الله تعالى من كمال إحسانه مع العبد أحسن إليه بعشر حسنات قبل أن يعمل العبد حسنة واحدة فقال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ يعني: قبل أن يجيء بحسنة أحسن إليه بعشر حسنات حتى يقدر أن يجيء بالحسنة وهي حسنة الإيجاد من العدم وحسنة الاستعداد بأن خلقه في أحسن تقويم مستعداً للإحسان، وحسنة التربية وحسنة الرزق وحسنة بعثة الرسل، وحسنة إنزال الكتب، وحسنة تبيين الحسنات والسيئات، وحسنة التوفيق وحسنة الإخلاص في الإحسان وحسنة قبول الحسنات، ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾ والسر فيه أن السيئة بذر يزرع في أرض النفس والنفس خبيثة؛ لأنها أمارة بالسوء والحسنة بذر يزرع في أرض القلب والقلب طيب؛ لأن بذكر الله تطمئن القلوب وقد قال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٨٥] وأما ما جاء في القرآن والحديث من تفاوت الجزاء للحسنات.

فاعلم أنه كما أن للأعداد أربع مراتب آحاد وعشرات ومئات وألوف والواحد في مرتبة الآحاد واحد بعينه. وفي مرتبة العشرات عشرة وفي مرتبة المئات مائة، وفي مرتبة الألوف ألف فكذلك للإنسان مراتب أربع النفس والقلب والروح والسرّ فالعمل الواحد في مرتبة النفس أي إذا صدر منها يكون واحداً بعينه كما قال: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠] إذ هي في مرتبة الآحاد وفي مرتبة القلب يكون بعشر أمثالها لأنه بمرتبة العشرات، وفي مرتبة الروح يكون بمائة لأنه بمرتبة المئات وفي مرتبة السر يكون بألف إلى أضعاف كثيرة بقدر صفاء السر وخلوص النية إلى ما لا يتناهى؛ لأنه بمنزلة الألوف والله أعلم. ﴿وهم لا يظلمون﴾ المعنى: أن الله تعالى قد أحسن إليهم قبل أن يحسنوا بعشر حسنات شاملات للحسنات الكثيرة، فلا يظلمهم بعد أن أحسنوا بل يضاعف حسناتهم، يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٤٠﴾ [النساء: ٤٠] كذا في «التأويلات النجمية».

﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٦٣ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ۝١٦٤﴾

﴿قل﴾ يا محمد لكفار مكة الذين يدعون أنهم على الدين الحق وقد فارقوه بالكلية. ﴿إنني هداني ربي﴾ أي: أرشدني بالوحي وبما نصب في الآفاق والأنفس من الآيات التكوينية. ﴿إلى صراط مستقيم﴾ موصل إلى الحق. ﴿ديناً﴾ بدل من محل إلى صراط والمعنى هداني صراطاً. ﴿قيماً﴾ مصدر بمعنى القيام وصف به الدين مبالغة، والقياس قوماً كعوض فاعل لإعلال فعله كالقيام. ﴿ملة إبراهيم﴾ عطف بيان لديناً والملة من أمللت الكتاب، أي: أمليته وما شرعه الله لعباده يسمى ملة من حيث إنه يدون ويملي ويكتب ويتدارس بين من اتبعه من المؤمنين ويسمى ديناً باعتبار طاعتهم لمن شرعه وسنه، أي: جعله لهم سنناً وطريقاً. ﴿حنيفاً﴾ حال من إبراهيم، أي مائلاً عن الأديان الباطلة ميلاً لا رجوع فيه. ﴿وما كان من المشركين﴾ أي: ما كان إبراهيم منهم في أمر من أمور دينهم أصلاً وفرعاً، وإنما أضاف هذا الدين إلى إبراهيم لأن إبراهيم كان معظماً في عيون العرب، وفي قلوب أهل سائر الأديان؛ إذ أهل كل دين يزعمون أنهم ينتحلون إلى دين إبراهيم عليه السلام فرد الله تعالى بقوله: ﴿وما كان من المشركين﴾ على الذين يدعون أنهم على ملته عليه السلام عقداً وعملاً من أهل مكة واليهود المشركين بقولهم: ﴿عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] والنصارى المشركين بقولهم: ﴿ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ﴾ [التوبة: ٣٠] والمشرك في الحقيقة هو الذي يطلب مع الله تعالى شيئاً آخر ومن الله غير الله. قال السعدي قدس سره:

خلاف طريقت بود كاوليا تمنا كنند از خدا جز خدا

﴿قل﴾ أعيد الأمر لما أن المأمور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق بأصولها ﴿إن صلاتي﴾ يعني الصلوات الخمس المفروضة ﴿ونسكي﴾ أي: عبادتي كلها. وأصل النسك: كل ما تقربت به إلى الله تعالى ومنه قولهم للعابد ناسك. ويقال أراد بالصلاة صلاة العيد وبالنسك

الأضحية وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله أنه قرب كبشاً أملح أقرن فقال «لا إله إلا الله والله أكبر إن صلاتي ونسكي» إلى قوله تعالى: ﴿وأنا أول المسلمين﴾، ثم ذبح فقال: «شعره وصوفه فداء لشعري من النار وجلده فداء لجلدي من النار، ودمه فداء لدمي من النار، ولحمه فداء للحمي من النار وعظمه فداء لعظمي من النار وعروقه فداء لعروقي من النار» فقالوا يا رسول الله هنيئاً مريئاً هذا لك خاصة قال: «لا بل لأمتي عامة إلى أن تقوم الساعة. أخبرني به جبريل عليه السلام عن ربي عز وجل». ﴿ومحياي ومماتي﴾ أي: وما أنا عليه في حياتي وأكون عليه عند موتي من الإيمان والطاعة فالتقدير ذا محياي وذا مماتي فجعل ما يأتي به في حياته وعند موته ذا حياته وذا موته كقولك ذا إنائك تريد الطعام فإضافته بأدنى ملابسة. ﴿لله رب العالمين﴾.

﴿لا شريك له﴾ أي: خالصة له تعالى لا أشرك فيها غيره ﴿وبذلك﴾ الإخلاص ﴿أمرت﴾ لا بشيء غيره. ﴿وأنا أول المسلمين﴾ لأن إسلام كل نبي متقدم على إسلام أمته، وفيه بيان مسارعته عليه السلام إلى الامتثال بما أمر به وأن ما أمر به ليس من خصائصه عليه السلام بل الكل مأمورون به يقتدي به عليه السلام من أسلم منهم.

والإشارة ﴿إن صلاتي ونسكي﴾ أي سيري على منهاج الصلاة هو معراجي إلى الله تعالى وذبيحة نفسي ﴿ومحياي﴾ حياة قلبي وروحي. ﴿ومماتي﴾، أي: موت نفسي ﴿لله رب العالمين﴾ لطلب الحق والوصول إليه ﴿لا شريك له﴾ في الطلب من مطلوب سواه ﴿وبذلك أمرت﴾ أي ليس هذا الطلب والقصد إلى الله من نظري وعقلي وطبعي إنما هو من فضل الله ورحمته وهدايته وكمال عنايته إذ أوحى إلي وقال: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨] وقال: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١] ﴿وأنا أول المسلمين﴾ يعني: أول من استسلم عند الإيجاد لأمر كن وعند قبول فيض المحبة لقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] والاستسلام للمحبة في قوله يحبونه دل عليه قوله عليه السلام: «أول ما خلق الله نوري» كذا في «التأويلات النجمية».

وفي الآية: حث على التوحيد والإخلاص وعلامتهما التبري من كل شيء سواه تعالى ظاهراً وباطناً ولو من نفسه والتحقق بحقائق المحبة الذاتية.

وعن مالك بن دينار قال: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام وإذا شاب يمشي في الطريق بلا زاد ولا راحلة فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت: أيها الشاب من أين؟ قال: من عنده، قلت: وإلى أين؟ قال: إليه، قلت: وأين الزاد؟ قال: عليه قلت: إن الطريق لا يقطع إلا بالماء والزاد وهل معك شيء؟ قال: نعم قد تزودت عند خروجي بخمسة أحرف، قلت: وما هذه الخمسة الأحرف قال قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: ١] قلت: وما معنى كهيعص قال: أما قوله كاف فهو الكافي، وأما الهاء فهو الهادي، وأما الياء فهو المؤدي، وأما العين فهو العالم، وأما الصاد فهو الصادق ومن كان صاحبه كافياً وهادياً ومؤدياً وعالماً وصادقاً لا يضيع ولا يخشى ولا يحتاج إلى حمل الزاد والماء، قال مالك: فلما سمعت هذا الكلام نزعت قميصي على أن ألبسه إياه فأبى أن يقبله وقال: أيها الشيخ العري خير من قميص دار الفناء حلالها حساب وحرامها عقاب، وكان إذا جنّ الليل يرفع وجهه نحو السماء، ويقول: يا من تسره الطاعات ولا تضره المعاصي هب لي ما يسرك واغفر لي ما لا يضرك فلما أحرم الناس ولبوا

قلت: لم لا تلبي فقال يا شيخ أخشى أن أقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك، ولا أنظر إليك، ثم مضى فما رأيته إلا بمنى وهو يقول: اللهم إن الناس ذبحوا وتقربوا إليك بضحاياهم وهداياهم وليس لي شيء أتقرب به إليك سوى نفسي فتقبلها مني، ثم شهق شهقة فخرّ ميتاً، وإذا قائل يقول هذا حبيب الله هذا قتيل الله قتل بسيف الله فجهزته وواريته، وبت تلك الليلة متفكراً في أمره ونمت فرأيته في منامي فقلت ما فعل الله بك قال فعل بي كما فعل بشهداء بدر قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بسيف الجبار.

جان كه نه قربانىء جانان بود جيفهٔ تن بهتر ازآنان بود
هركه نشد كشتهٔ شمشير دوست لاشهٔ مردار به ازجان اوست

نسأل الله الكريم أن يجعلنا على الصراط المستقيم.

﴿قل﴾ يا محمد لمن يقول من الكفار ارجع إلى ديننا. ﴿أغير الله أبغي﴾ أطلب حال كونه ﴿رباً﴾ آخر فأشركه في عبادته. ﴿وهو رب كل شيء﴾ أي: والحال أن ما سواه مربوب له مثلي، فكيف يتصور أن يكون شريكاً له في العبودية؟ ﴿ولا تكسب كل نفس إلا عليها﴾ كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم إما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم، وإما بمعنى لنحمل يوم القيامة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الأول، أي: لا تكون جناية نفس من النفوس إلا عليها ومحال أن يكون صدورها عن شخص وقرارها على شخص آخر حتى يتأتى ما ذكرتم، وقوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ رد له بالمعنى الثاني، أي: لا تحمل يومئذٍ نفس حاملة حمل نفس أخرى حتى يصح قولكم ولنحمل خطاياكم. والوزر في اللغة: هو الثقل. ﴿ثم إلى ربكم مرجعكم﴾ أي: إلى مالك أمركم رجوعكم يوم القيامة. ﴿فينبئكم﴾ يومئذٍ. ﴿بما كنتم فيه تختلفون﴾ أي: يبين الرشد من الغيّ ويميز المحق من المبطل.

وفي الآية أمور:

الأول: إن غاية المبتغي ونهاية المرام هو الله الملك العلام، فمن وجده فقد وجد الكل ومن فقده فقد فقد الكل، والعاقل العاشق لا يطلب غير الله؛ لأنه الحبيب والمحب لا يتسلى بغير المحبوب. قال الحافظ:

دردمرا طبيب نداند دواكه من بى دوست خسته خاطر وبادرد خوشترم

والثاني: إن كل ما تكسب النفس من خير أو شر فهو عليها، أما الشر فهي مأخوذة به، وأما الخير فمطلوب منها صحة القصد، والخلو من الرياء والعجب والافتخار به. قال السعدي قدس سره:

چه قدر آورد بندهٔ بدرديس كه زير قبادارد اندام پيس

والنفس أمارة بالسوء فلا تكسب إلا سوءاً والسوء عليها لا لها، وهذا دأب النفس ما وكلت إلى نفسها إلا أن رحمها ربها كما قال: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٥٣] ولهذا كان من دعائه عليه السلام: «رب لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقلّ من ذلك» وهي أي: النفس مأمورة بالسير إلى الله بقدم العبودية والأعمال الصالحة.

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن الفضل: العجب ممن يقطع الأودية والمفاوز والقفار

ليصل إلى بيته وحرمه؛ لأن فيه آثار أنبيائه كيف لا يقطع بالله نفسه وهواه حتى يصل إلى قلبه فإن فيه آثار مولاه.

والثالث: إن كل نفس مؤاخذ بذنبه لا بذنب غيره.

فإن قلت قوله عليه السلام: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض، أو شيء فليستحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إلا إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه». يدل على خلاف ذلك وكيف يجوز في حكم الله وعدله أن يضع سيئات من اكتسبها على من لم يكتسبها، وتؤخذ حسنات من عملها فتعطى من لم يعملها؟.

فالجواب على ما قال الإمام القرطبي في «تذكرته»: إن هذا لمصلحة وحكمة لا نطلع عليها والله تعالى لم يبن أمور الدين على عقول العباد ولو كان كل ما لا تدركه العقول مردوداً لكان أكثر الشرائع مستحيلاً على موضوع عقول العباد انتهى.

يقول الفقير: إن الذنب ذنبان ذنب لازم وذنب متعد، فالذنب اللازم: كشرب الخمر مثلاً يؤخذ به صاحبه دون غيره فهذا الذنب له جهة واحدة فقط، والذنب المتعدي: كقتل النفس مثلاً فهذا وإن كان يؤخذ به صاحبه أيضاً، لكن له جهتان: جهة التجاوز عن حد الشرع، وجهة وقوع الجناية على العبد: فحمل سيئاته وطرح حسناته عليه حمل سيئات نفسه في الحقيقة وما طرح حسنات غيره في نفس الأمر ولا ظلمه أصلاً، فالآية والحديث متحدان في المآل والله أعلم بحقيقة الحال.

والرابع: كما أن الاختلاف واقع بين أهل الكفر والإيمان، كذلك بين أهل الإخلاص والرياء والشرع، وإن كان محكماً يميز بين المحقق والمبطل إلا أن انكشاف حقيقة الحال وظهور باطن الأقوال والأفعال إنما يكون يوم تبلى السرائر وتبدى الضمائر. وفي «المثنوي»:

چون كند جان بازكونه پوستين ... جند واويلا برآيد زاهل دين
بردكان هر زرنما خندان شده است ... زانكه سنك امتحان پنهان شده است
قلب پهلومى زند بازر بشب ... انتظار روز مى دارد ذهب
باز زبان حال زر كويدكه باش ... أي مزور تا برآيد روز فاش

وفي الحديث: «يخرج في آخر الزمان أقوام يجتلبون الدنيا بالدين» يعني: يأخذونها ويلبسون لباس جلود الضأن من اللين «ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب فيقول الله تعالى أبي تقترفون أم عليّ تجترئون فبي حلفت لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحليم فيها حيران» فعلى المؤمن أن يصحح الظاهر والباطن ويرفع الاختلاف فإن الحق واحد فماذا بعد الحق إلا الضلال. وأما اختلاف الأئمة فرحمة لعامة الناس وليس ذلك من قبيل الاختلاف بحسب المراء والجدال بل بحسب اختلاف الأشخاص والأحوال فالحق أحق أن يتبع عصمنا الله وإياكم من الاختلاف المفسد للدين والجدل المزيل لأصل اليقين وجعلنا من أهل التوفيق للصواب إنه الكريم المفيض الوهاب.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿وهو﴾ أي: الله تعالى ﴿الذي جعلكم﴾ أيها الناس ﴿خلائف الأرض﴾ من بعد بني الجان أو خلائف الأمم السابقة البشرية أو خلفاء الله في أرضه تتصرفون فيها. والخلائف جمع الخليفة كالوصائف جمع الوصيفة وكل من جاء بعد من مضى فهو خليفته لأنه يخلفه.

قال في «التأويلات النجمية»: هو جعل كل واحد من بني آدم آدم وقته وخليفة ربه في الأرض وسر الخلافة أنه صوره على صورة صفات نفسه حياً قيوماً سميعاً بصيراً عالماً قادراً متكلماً مريداً.

آدمـى جـيـسـت بـرزخ جـامـع　　صـورت خـلـق وحـق در وواقـع
مـتـصـل بـادقـائـق جـبـروت　　مـشـتـمـل بـر حـقـائـق مـلـكـوت

﴿ورفع بعضكم﴾ في الشرف والغنى ﴿فوق بعض﴾ إلى ﴿درجات﴾ كثيرة متفاوتة ﴿ليبلوكم فيما آتاكم﴾ من المال والجاه، أي ليعاملكم معاملة من يبتليكم ويمتحنكم لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده ـ حكي ـ أن جنيداً كان يلعب مع الصبيان في صباوته فمرّ به السري السقطي فقال ما تقول في حق الشكر يا غلام؟ قال: الشكر أن لا تستعين بنعمه على معاصيه. ﴿إن ربك﴾ يا محمد ﴿سريع العقاب﴾ أي: عقابه سريع الإتيان لمن لم يراع حقوق ما آتاه الله ولم يشكره، وإنما قال: سريع العقاب مع أنه موصوف بالحلم والإمهال لأن كل ما هو آت قريب. قال الحافظ:

بـمـهـلـتـى كـه سـپـهـرت دهـد زراه مـرو　　تراكه كفت كه اين زال ترك دستان كرد

﴿وإنه لغفور رحيم﴾ لمن راعاها كما ينبغي وفي الحديث: «يؤتى بالرجل يوم القيامة وقد جمع مالاً من حرام وأنفقه في حرام، فيقال: اذهبوا به إلى النار، ويؤتى بالرجل قد جمع مالاً من حلال وأنفقه في حلال، فيقال له: قف لعلك فرطت في هذا في شيء مما فرض عليك من صلاة لم تصلها لوقتها أو فرطت في ركوعها وسجودها ووضوئها، فيقول: لا يا رب كسبت من حلال وأنفقت في حلال، ولم أضيع شيئاً مما فرضت، فيقال لعلك اختلت في هذا المال في شيء من مركب أو ثوب باهيت به، فقال: لا يا رب لم أختل ولم أباه في شيء، فيقال لعلك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فيقول: لا يا رب كسبت من حلال وأنفقت في حلال، ولم أضيع شيئاً مما فرضت عليّ ولم أختل ولم أباه ولم أضيع حق أحد أمرتني أن أعطيه قال: فجيء بأولئك فيخاصمونه، فيقولون: يا رب أعطيته وجعلته بين أظهرنا وأمرته أن يعطينا فإنه أعطانا وما ضيع شيئاً من الفرائض، ولم يختل في شيء، فيقال: قف الآن هات شكر نعمة أنعمتها عليك في أكلة أو شربة أو لذة فلا يزال يسأل».

واعلم: أن الله تعالى كما أعطى المال والجاه ليتميز من هو على الشكر ومن هو على الكفران كذلك أعطى الحال، أي استعداد الخلافة ليظهر من المتخلق بأخلاق الله القائم بأوامره في العباد والبلاد ومن الذي رجع القهقرى إلى صفات البهائم والأنعام، فمن أضاع صفات الحق بتبديلها بصفات الحيوانات عوقب بالختم على قلبه وسمعه وبصره، فهو لا يرجع إلى مكان الغيب الذي خرج منه بل حبس في أسفل سافلين الطبيعة، ومن تاب عن متابعة النفس والهوى ومخالفة الحق والهدى وآمن وعمل عملاً صالحاً للخلافة فقد اهتدى ولم يرجع

القهقرى ـ حكي ـ عن إبراهيم بن أدهم أنه حج إلى بيت الله الحرام فبينما هو في الطواف؛ إذ بشاب حسن الوجه قد أعجب الناس حسنه وجماله، فصار إبراهيم ينظر إليه ويبكي، فقال بعض أصحابه: إنا لله وإنا إليه راجعون غفلة دخلت على الشيخ بلا شك ثم قال: يا سيدي ما هذا النظر الذي يخالطه البكاء؟ فقال له إبراهيم: يا أخي إني عقدت مع الله تعالى عقداً لا أقدر على فسخه، وإلا كنت أدني هذا الفتى وأسلم عليه فإنه ولدي وقرة عيني تركته صغيراً، وخرجت فارّاً إلى الله تعالى وها هو قد كبر كما ترى وإني لأستحيي من الله سبحانه أن أعود لشيء، خرجت عنه قال: ثم قال لي امض وسلم عليه لعلي أتسلى بسلامك عليه وأبرد ناراً على كبدي قال: فأتيت الفتى فقلت له بارك الله لأبيك فيك فقال: يا عم وأين أبي إن أبي خرج فارّاً إلى الله تعالى ليتني أراه، ولو مرة واحدة وتخرج نفسي عند ذلك هيهات وخنقته العبرة وقال والله أودّ أني رأيته وأموت في مكاني، قال: ثم رجعت إلى إبراهيم وهو ساجد في المقام وقد بلّ الحصى بدموعه وهو يتضرع إلى الله تعالى ويقول:

هجرت الخلق طراً في هواك ... وأيتمت العيال لكي أراك
فلو قطعتني في الحب إرباً ... لما سكن الفؤاد إلى سواك

قال: فقلت له ادع له، فقال: حجبه الله عن معاصيه وأعانه على ما يرضيه انتهى فانظر إلى حال من ترك السلطنة واختار الفقر والقناعة وأنت تؤثر الغنى والمقال على الفقر والحال وفي الحديث «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا» أي قدر ما يمسك الرمق وقيل: القوت هو الكفاية من غير إسراف وفيه بيان أن الكفاف أفضل من الغنى؛ لأن النبي عليه السلام إنما يدعو لنفسه بأفضل الأحوال قال الحافظ:

درين بازاركر سوديست يا درويش خر سندست
الهي منعمم كردان بدرويشى وخرسندى

جعلنا الله وإياكم من المقتفين لآثار سنة سيد المرسلين، وحقق آمالنا من الوصول إلى مقام التوكل واليقين، إنه لا يخيب رجاء سائله وداعيه ولا يقطع أجر عبده في كل مساعيه.

تمت سورة الأنعام بمعونة الملك العلاّم في سلخ جمادى الأولى المنتظم في سلك شهور سنة ألف ومائة ويتلوها سورة الأعراف.

٧ - سورة الأعراف

وهي مكية إلا ثماني آيات من قوله: ﴿وَسْئَلْهُمْ﴾ إلى ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ﴾ محكم كلها
وقيل إلى قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وآيها مائتان وست
وفقنا الله لختمها تقريراً وتحريراً آمين يا معين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾.

﴿**المص**﴾ (ا) إشارة إلى الذات الأحدية، (ل) إلى الذات مع صفة العلم، (م) إلى معنى محمد ﷺ، أي: نفسه وحقيقته، (ص) إلى الصورة المحمدية وهي جسده وظاهره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما «(ص) جبل بمكة كان عليه عرش الرحمن حين لا ليل ولا نهار» أشار بالجبل إلى جسد محمد ﷺ. وبعرش الرحمن إلى قلبه كما ورد في الحديث: «قلب المؤمن عرش الله». وقوله: حين لا ليل ولا نهار، إشارة إلى الوحدة، لأن القلب إذا وقع في ظل أرض النفس واحتجب بظلمة صفاتها كان في الليل، وإذا طلع عليه نور شمس الروح واستضاء بضوئه كان في النهار، وإذا وصل إلى الوحدة الحقيقية بالمعرفة والشهور الذاتي واستوى عنده النور والظلمة لفناء الكل فيه كان وقته لا ليل ولا نهار ولا يكون عرش الرحمن إلا في هذا الوقت، فمعنى الآية: أن وجود الكل من أوله إلى آخره كتاب أنزل إليك علمه كذا في «التأويلات القاشانية».

وقال الشيخ نجم الدين: إنه تعالى بعد ذكر ذاته وصفاته بقوله: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ عرف نفسه بقوله: ﴿**المص**﴾ يعني: الله إله من لطفه فرد عبده للمحبة والمعرفة، وأنعم عليه بالصبر والصدق لقبول كمالية المعرفة والمحبة بواسطة كتاب أنزل إليك انتهى.

وقال في «تفسير الفارسي»: [المص: نام قرآنست. يا اسم ابن سوره. يا هر حرفى أشارتست باسمى ار اسماى الهى چون اله ولطيف وملك وصبور. يا هر حرفى كنايتست از صفتى چون اكرام ولطف ومجد وصدق. يا ايمايست باسم المصور. يا بعض حروف دلالت براسما دارد بعض برافعال وتقدير چنان بوذكه أنا الله أعلم وأفضل منم خداي كه ميدانم وبيان ميكنم يا ازهمه داناترم وحق از باطل جدا ميكردانم.

در حقايق سلمى كويدكه. الف ازلست. ولام ابد. وميم ما بين ازل وابد. وصاد اشارتست باتصال هر متصلي وانفصال هر منفصلي وفي الحقيقة نه اتصال را مجال كنجايش ونه انفصال رامحل نمايش].

اين چه راهست اين برون از فصل ووصل   كاندرونى فرع مى كنجد نه اصل

نى معانى نى عبارت نى عيان نى حقائق نى اشارت نى بيان
بر ترست ازمدركات عقل ووهم لا جرم كم كشت دروى فكر وفهم
چون بكلى روى كفت وكوى نيست هيچكس راجز خموشى روى نيست

يقول الفقير غفر الله ذنوبه: إن الحروف المقطعة من المتشابهات القرآنية التي غاب علمها عن العقول، وإنما أعطي فهمها لأهل الوصول، وكل ما قيل فيها فهو من لوازم معانيها وحقائقها فلنا أن نقول: إن فيها إشارة إلى أن هذا التركيب الصفاتي والفعلي الواحدي الأبدي كان إفراداً في مرتبة الوحدة الذاتية الأزلية، فبالتجلي الإلهي صار المفرد مركباً، والمقطع موصلاً، والقوة فعلاً والجمع فرقاً وتعين النسب والإضافات، كما أن أصل المركبات الكلامية هو حروف التهجي ثم بالتركيب يحصل أب ثم أبجد ثم الحمد لله، وكما أن أصل الإنسان بالنسبة إلى تعين الجسم هو النطفة، ثم بالتصوير يحصل التركيب الجسمي والله أعلم.

﴿كتاب﴾ أي: هذا كتاب. **﴿أنزل إليك﴾** أي: من جهته تعالى **﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾** أي: شك ما في حقيته كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٩٤] خلا أنه عبر عنه بما يلازمه من الحرج فإن الشاك يعتريه ضيق الصدر كما أن المتيقن يعتريه انشراحه خاطب به النبي عليه السلام والمراد الأمة، أي: لا ترتابوا ولا تشكوا. قوله: (منه) متعلق بحرج يقال حرج منه، أي: ضاق به صدره ويجوز أن يكون الحرج على حقيقته، أي لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة أن يكذبوك، فإنه عليه السلام كان يخاف تكذيب قومه له، وإعراضهم عنه فكان يضيق صدره من الأداء، ولا ينبسط له فأمنه الله تعالى ونهاه عن المبالاة بهم. **﴿لتنذر به﴾** أي: بالكتاب المنزل متعلق بأنزل. **﴿وذكرى للمؤمنين﴾** أي: ولتذكر المؤمنين تذكيراً.

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿اتبعوا﴾ أيها المكلفون **﴿ما أنزل إليكم من ربكم﴾** يعني: القرآن. **﴿ولا تتبعوا من دونه﴾** أي: من دون ربكم الذي أنزل إليكم ما يهديكم إلى الحق، وهو حال من الفاعل أي لا تتبعوا متجاوزين الله تعالى. **﴿أولياء﴾** من الجن والإنس بإطاعتهم في معصية الله. **﴿قليلاً ما تذكرون﴾** بحذف إحدى التاءين، وما مزيد لتأكيد العلة أي تذكراً قليلاً أو زماناً قليلاً، تذكرون لا كثيراً حيث لا تتأثرون بذلك ولا تعملون بموجبه وتتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره.

ثم شرع في التهديد إن لم يتعظوا بما جرى على الأمم الماضية بسبب إصرارهم على اتباع دين أوليائهم، فقال:

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾.

﴿وكم﴾ للتكثير مبتدأ والخبر هو جملة ما بعدها. **﴿من قرية﴾** تمييز **﴿أهلكناها﴾** الضمير راجع إلى معنى كم، أي كثير من القرى أردنا إهلاكها أو كثيراً منها على أن يكون كم في موضع نصب بأهلكناها، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩] **﴿فجاءها﴾** أي: فجاء أهلها. **﴿بأسنا﴾** أي: عذابنا **﴿بياتاً﴾** مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال أي: بائتين كقوم لوط.

قال الحدادي: سمي الليل بياتاً؛ لأنه يبات فيه والبيتوتة خلاف الظلول، وهو أن يدركك الليل نمت أو لم تنم وهي بالفارسية [شب كذاشتن]. ﴿أو هم قائلون﴾ عطف على بياتاً، أي: قائلين من القيلولة نصف النهار، كقوم شعيب أهلكهم الله في نصف النهار، وفي حرّ شديد وهم قائلون.

قال في «التفسير الفارسي»: [تخصيص اين دووقت بجهت آنست كه زمان آسايش واستراحتند وتصور وتوقع عذاب دران نيست پس بليهٔ غير منتظر صعبتر وسخت تراست چنانچه نعمت غير مترقب خوبتر ولذيذ ترست].

﴿فما كان دعواهم﴾ أي: دعاؤهم وتضرعهم ﴿إذ جاءهم بأسنا﴾ عذابنا وعاينوا أماراته. ﴿إلا أن قالوا﴾ جميعاً. ﴿إنا كنا ظالمين﴾ أي: إلا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه تحسراً عليه وندامة وطمعاً في الخلاص، وهيهات لأنه لا تنفع التوبة وقت نزول العذاب؛ إذ هو وارتفاع التكليف مقارنان وقوم يونس مستثنى من هذا، كما يجيء، وفي «المثنوي»:

همچو آن مرد مفلسف روز مرك عقل را مى ديد بس بى بال وبرك
بى غرض مى كرد آندم اعتراف كزذكاوت رانده ايم اسب ازكزاف
از غرورى سر كشيديم از رجال آشنا كرديم در بحر خيال
آشنا هيجست اندر بحر روح نيست انجا چاره جز كشتئ نوح
اينچنين فرموده آن شاه رسل كه منم كشتى درين درياى كل
ياكى كودر بصيرتهاى من شد خليفه راستين برجاى من
كشتئ نوحيم در درياكه تا رو نكردانى زكشتى اي فتى

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾

﴿فلنسئلن الذين أرسل إليهم﴾ الفاء لترتيب الأحوال الأخروية على الدنيوية، أي: لنسألن الأمم قاطبة يوم الحشر قائلين ماذا أجبتم المرسلين. ﴿ولنسئلن المرسلين﴾ عما أجيبوه أو المراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم، والذي نفى بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨] سؤال الاستعلام، أو الأول في موقف الحساب، والثاني في موقف العقاب.

وفي «التفسير الكبير»: إنهم لا يسألون عن الأعمال ولكن يسألون عن الدواعي التي دعتهم إلى الأعمال وعن الصوارف التي صرفتهم عنها.

﴿فلنقصن عليهم﴾ أي: على الرسل حين يقولون لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب. ﴿بعلم﴾ أي: عالمين بظواهرهم وبواطنهم. ﴿وما كنا غائبين﴾ عنهم في حال من الأحوال فيخفى علينا شيء من أعمالهم وأحوالهم.

واعلم: أن الرسل يقولون يوم الحشر: اللهم سلم سلم، ويخافون أشد الخوف على أممهم، ويخافون على أنفسهم، والمطهرون المحفوظون الذين ما تدنست بواطنهم بالشبه المضلة ولا ظواهرهم أيضاً بالمخالفات الشرعية آمنون، يغبطهم النبيون في الذي هم عليه من الأمن لما هم أي النبيون عليه من الخوف على أممهم فمن لقي الله تعالى في ذلك اليوم شاهداً

له بالإخلاص مقراً بنبيه ﷺ بريئاً من الشرك، ومن السحر، بريئاً من إهراق دماء المسلمين ناصحاً لله تعالى ولرسوله محباً لمن أطاع الله ورسوله مبغضاً لمن عصى الله ورسوله، استظل تحت ظل عرش الرحمن ونجا من الغم، ومن حاد عن ذلك ووقع في شيء من هذه الذنوب بكلمة واحدة أو تغير قلبه أو شك في شيء من دينه بقي ألف سنة في الحر والهم والعذاب، حتى يقضي الله فيه بما يشاء ـ روي ـ أن ملكاً من ملوك كندة كان طويل المصاحبة للهو واللذات كثير العكوف على اللعب فركب يوماً للاصطياد أو غيره، فانقطع عن أصحابه فإذا هو برجل جالس قد جمع عظاماً من عظام الموتى، وهي بين يديه يقلبها، فقال: ما قصتك أيها الرجل وما الذي بلغ بك ما أرى من سوء الحال ويبس الجلد وتغير اللون والانفراد في هذه الفلاة؟ فقال: أما ما ذكرت من ذلك فلأني على جناح سفر بعيد، وبي موكلان مزعجان يحدوان بي إلى منزل كبيت النمل مظلم القعر كريه المقر يسلماني إلى مصاحبة البلى ومجاورة الهلكى تحت أطباق الثرى، فلو تركت بذلك المنزل مع ضيقه ووحشته وارتعاء حشاش الأرض من لحمي حتى أعود رفاتاً وتصير أعظمي رماماً، لكان للبلى انقضاء وللشقاء نهاية، ولكني أدفع بعد ذلك إلى صيحة الحشر وارداً طول مواقف الجرائم، ثم لا أدري إلى أي الدارين يؤمر بي فأي حال يلتذ به من يكون هذا الأمر مصيره، فلما سمع الملك كلامه ألقى نفسه عن فرسه وجلس بين يديه، وقال: أيها الرجل لقد كدّر مقالك عليّ صفو عيشي وملك قلبي فأعد عليّ بعض قولك، فقال له: أما ترى هذه التي بين يدي؟ قال: بلى، قال هذه عظام ملوك غرّتهم الدنيا بزخرفها واستحوذت على قلوبهم بغرورها، فألهتهم عن التأهب لهذه المصارع حتى فاجأتهم الآجال وخذلتهم الآمال وسلبتهم بهاء النعمة وستنشر هذه العظام فتعود أجساماً، ثم تجازى بأعمالها، فإما إلى دار النعيم والقرار، وإما إلى دار العذاب والبوار، ثم غاب الرجل فلم يدر أين ذهب وتلاحق أصحاب الملك به، وقد تغير لونه وتواصلت عبراته فلما جنّ عليه الليل نزع ما عليه من لباس الملك ولبس طمرين وخرج تحت الليل فكان آخر العهد به وأنشدوا:

أفنى القرون التي كانت منعمة ... كر الليلات إقبالاً وإدبارا
يا راقد الليل مسروراً بأوله ... إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
لا تأمنن بليل طاب أوله ... فرب آخر ليل أجج النارا

قال الإمام زين العابدين: عجبت للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة ويكون غداً جيفة، وعجبت كل العجب لمن شك في الله وهو يرى خلقه، وعجبت كل العجب لمن أنكر النشأة الآخرة، وهو يرى النشأة الأولى، وعجبت كل العجب لمن عمل لدار الفناء، وترك دار البقاء.

فعلى العاقل أن يعتبر بمن مضى قبل أن يجيء على رأسه القضاء ويجتهد في طريق الحق ذاكراً له في الغدو والرواح ويتهيأ للموت قبل نزوله، والوقت يمضي كالرياح فأين الذين وقعوا في إنكار الرسل وتكذيب الأنبياء؟ مضوا والله إلى دار الجزاء، وسينقضي الزمان كله فلا يبقى أحد على بساط العالم من ملك وجن وبني آدم، وتطوى صحائف الأعمال وتنشر يوم السؤال ويظهر كل جليل ودقيق فيا شقاوة أهل الخذلان، ويا سعادة أهل التوفيق اللهم إنا نسألك مراقبة الأوقات ومحافظة الطاعات والتمشي على الصراط السوي في المسلك الصوري، والمعنوي فأعن الضعفاء يا قوى آمين يا معين.

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

﴿والوزن﴾ أي: وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديها والمعنى بالفارسية. «سنجيدن أعمال هريك».

﴿يومئذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الحق﴾ بالفارسية [راستست وبودنى] ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ أي: حسناته التي توزن فهو جمع موزون ويجوز أن يكون جمع ميزان باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن.

وقال في «التأويلات النجمية»: وإنما قال موازينه بالجمع لأن كل عبد ينصب له موازين بالقسط تناسب حالاته، فلبدنه ميزان يوزن به أوصافه، ولروحه ميزان يوزن به نعوته، ولسره ميزان يوزن به أحواله ولخفيه ميزان يوزن به أخلاقه، والخفي لطيفة روحانية قابلة لفيض الأخلاق الربانية ولهذا قال عليه السلام: «ما وضع في الميزان أثقل من حسن الخلق» وذلك لأنه ليس من نعوت المخلوقين، بل هو من أخلاق رب العالمين والعباد مأمورون بالتخلق بأخلاقه. ﴿فأولئك﴾ الجمع باعتبار معنى من ﴿هم﴾ ضمير فصل يفيد اختصاص المسند بالمسند إليه. ﴿المفلحون﴾ الفائزون بالنجاة والثواب.

﴿ومن خفت موازينه﴾ بالفارسية [عملهاى وزن كرده° او وآن سبكى بمعصيت خواهد بود] ﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب.

قال الحدادي: الخسران إذهاب رأس المال ورأس مال الإنسان نفسه، فإذا هلك بسوء عمله فقد خسر نفسه ﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ يعني: وضعوا التكذيب بها موضع التصديق. قوله: ﴿بما﴾ متعلق بخسروا وما مصدرية وبآياتنا متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب.

قال في «التأويلات النجمية»: الوزن عند الله يوم القيامة لأهل الحق وأرباب الصدق وأعمال البر فلا وزن للباطل وأهله ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٥] ـ وروي ـ أنه «يؤتى يوم القيامة بالرجل العظيم الطويل الأكول الشروب فيوزن فلا يزن جناح بعوضة» انتهى وهذه الرواية تدل على أن الموزون هو الأشخاص، كما ذهب إليه بعض العلماء، ولكن الجمهور على أن صحائف الأعمال هي التي توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر إليه الخلائق إظهاراً للمعدلة وقطعاً للمعذرة، كما يسألهم عن أعمالهم فتعترف بها ألسنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الأنبياء والملائكة والأشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤونها في موقف الحساب.

ويؤيده ما روي «أن الرجل يؤتى به إلى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلاً مدى البصر، فتخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فيطيش السجلات وتثقل البطاقة» والبطاقة رقعة صغيرة وهي ما يجعل في طي الثوب يكتب فيها ثمنه ـ روي ـ أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان الذي ينصب يوم القيامة فرأى كل كفة ملء ما بين المشرق والمغرب فغشي عليه فلما أفاق قال إلهي من يقدر أن يملأ كفته بالحسنات فقال الله تعالى يا داود إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة من صدقة.

وقال في «التفسير الفارسي»: [درتبيان از ابن عباس نقل ميكندكه درازى عمود ميزان نپجاه هزار ساله راهست وكفين اويكى از نورست ويكى ازظلمت حسنات درپلهء نورنهند وسيآت درپلهء ظلمت].

ـ ويحكى ـ عن بعضهم أنه قال: رأيت بعضهم في المنام، فقلت ما فعل الله بك؟ فقال: وزنت حسناتي فرجحت السيئات على الحسنات، فجاءت صرة من السماء وسقطت في كفة الحسنات فرجحت فحللت الصرة، فإذا فيها كف تراب ألقيته في قبر مسلم، ويجاء بعمل الرجل فيوضع في كفة ميزانه فيخف فيجاء بشيء أمثال الغمام فيوضع في كفة ميزانه فترجح، فيقال: له أتدري ما هذا؟ فيقول: لا فيقال له هذا فضل العلم الذي كنت تعلمه الناس وتستوي كفتا الميزان لرجل، فيقول الله تعالى: لستَ من أهل الجنة ولا من أهل النار، فيأتي الملك بصحيفة فيضعها في كفة الميزان فيها مكتوب أف، فيترجح على الحسنات لأنها كلمة عقوق ترجح بها جبال الدنيا، فيؤمر به إلى النار فيطلب الرجل أن يرد إلى الله تعالى، فيقول: ردوه، فيقول: أيها العبد العاق لأي شيء تطلب الرد إليّ؟ فيقول: إلهي رأيت أني سائر إلى النار، وأن لا بدّ لي منها، وكنت عاقاً لأبي وهو سائر إلى النار مثلي فضَعّفْ عليّ به عذابي وأنقذه منها، فيضحك الله تعالى، ويقول عققته في الدنيا وبررته الآخرة خذ بيد أبيك وانطلق إلى الجنة. قال الحافظ:

طمع زفيض كرامت مبركه خلق كريم كنه ببخشد وبر عاشقان ببخشايد

واعلم: أن السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب لا يرفع لهم ميزان، وكذا يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان فيصبّ لهم الأجر صبّاً حتى أن أهل العافية ليتمنون في الموقف أن أجسامهم قد قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله فهم يكونون تحت شجرة في الجنة تسمى شجرة البلوى. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] قال أرباب التحقيق: التوحيد الرسمي يدخل في الميزان؛ لأنه يوجد له ضد كما أشير إليه بحديث صاحب السجلات، وأما التوحيد الحقيقي: فلا يدخل في الميزان لأنه لا يعادله شيء؛ إذ لا يجتمع إيمان وكفر بخلاف إيمان وسيئات ولهذا كانت لا إله إلا الله أفضل الأذكار، فالذكر بها أفضل من الذكر بكلمة الله الله وهو هو عند العلماء بالله لأنها جامعة بين النفي والإثبات وحاوية على زيادة العلم والمعرفة فمن نفى بلا إله عين الخلق حكماً لا علما، فقد أثبت كون الحق حكماً وعلماً والإله من له جميع الأسماء وما هو إلا عين واحدة هي مسمى الله الذي بيده ميزان الرفع والخفض.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره: لا تُدخل الموازين إلا أعمال الجوارح، وهي: سبع السمع، والبصر، واللسان، واليد، والبطن، والفرج، والرجل. وأما الأعمال المعنوية: فلا تدخل الميزان المحسوس لكن يقام فيها العدل، وهو الميزان المعنوي فحس لحس، ومعنى لمعنى يقابل كل شيء بشاكلته.

قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء ينبغي أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها كذا في «تفسير الفاتحة» للمولى الفناري.

فعلى العاقل أن يسارع إلى الطاعات ويبادر إلى الحسنات خصوصاً إلى أحسن الحسنات

وهو كلمتا الشهادة ليكون ممن ثقلت موازينه ويدخل في زمرة المفلحين.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿**ولقد مكناكم في الأرض**﴾ أي: جعلنا لكم منها مكاناً وقراراً وأقدرناكم على التصرف فيها على أي وجه شئتم. ﴿**وجعلنا لكم فيها معايش**﴾ أي: أنشأنا وأبدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها أسباباً تعيشون بها جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرهما، والخطاب لقريش فإنه تعالى فضّلهم على العرب بأن مكنهم من الرحلة إلى الشام أوان الصيف ومن الرحلة إلى اليمن أوان الشتاء آمنين بسبب كونهم سكان حرم الله تعالى ومجاوري بيته الشريف، ويتخطف الناس من حولهم فيتجرون بتينك الرحلتين ويكسبون ما يكون سبباً لحياتهم من المآكل والمشارب والملابس وغيرها. ﴿**قليلاً ما تشكرون**﴾ فيما صنعت إليكم.

والإشارة أن التمكين لفظ جامع للتمليك والتسليط والقدرة على تحصيل أسباب كل خير وسعادة دنيوية كانت أو أخروية، وكمال استعداد المعرفة والمحبة والطلب والسير إلى الله ونيل الوصول، والوصال ما تشرف بهذا التمكين إلا الإنسان وبه كرم وفضل وبه يتم أمر خلافته، ولهذا أمر الملائكة بسجود آدم وبه منّ الله على أولاده بقوله: ﴿**لقد مكناكم في الأرض**﴾ أي: سيرناكم ووهبنا لكم في خلافة الأرض ما لم نمكن أحداً غيركم في الأرض من الحيوانات ولا في السماء من الملائكة وجعلنا لكم خاصة فيها معايش، أي: جعلنا لكل صنف من الملك والحيوان والشيطان معيشة يعيش بها، أو جعلنا لكم فيها معايش؛ لأن الإنسان مجموع من الملكية والحيوانية والشيطانية والإنسانية، فمعيشة الملك هي معيشة روحه، ومعيشة الحيوان هي معيشة بدنه، ومعيشة الشيطان هي معيشة نفسه الأمارة بالسوء، ولما حصل للإنسان بهذا التركيب مراتب الإنسانية وأنها لم تكن لكل واحد من الملك والحيوان والشيطان، وهي القلب والسرّ والخفي فمعيشة قلبه هي الشهود ومعيشة سره هي الكشوف ومعيشة خفيه هي الوصال والوصول قليلاً ما تشكرون، أي: قليلاً منكم من يشكر هذه النعم، أي: نعمة التمكن ونعمة المعايش برؤية هذه النعم والتحدث بها، فإن رؤية النعم شكرها والتحدث بالنعم أيضاً شكر كذا في «التأويلات النجمية»:

نعمت بسى وشكر كزارنده اندكست كويندهٔ سپاس الهي زصد يكست

واعلم أن النعمة إنما تسلب ممن لا يعرف قدرها ولا يؤدي شكرها ـ روي ـ أن بعض الأنبياء عليهم السلام سأل الله تعالى عن أمر بلعم وطرده بعد تلك الآيات والكرامات، فقال الله تعالى: لم يشكرني يوماً من الأيام على ما أعطيته، ولو شكرني على ذلك مرة لما سلبته فتيقظ أيها الرجل واحتفظ بركن الشكر جداً جداً، واحمد الله على منته التي أعلاها الإسلام والمعرفة وأدناها مثلاً توفيق لتسبيح أو عصمة من كلمة لا تعنيك، عسى أن يتم نعمه عليك ولا يبتليك بمرارة الزوال فإن أمر الأمور، وأصعبها الإهانة بعد الإكرام، والطرد بعد التقريب والفراق بعد الوصال. قال السعدي قدس سره:

نداند كسى قدر روز خوشى مكر روزى افتد بسختى كشى
مكن تكيه برد ستكاهى كه هست كه باشد كه نعمت نماند بدست
بسا اهل دولت ببازى نشست كه دولت برفتش ببازى زدست

فضيحت بود خوشه اندوختن — پس ازخر من خويشتن سوختن
توپيش ازعقوبت در عفو كوب — كه سودى ندارد فغان زيرچوب
اكر بنده كوشش كند بنده وار — عزيزش ندارد خداوند كار
وكر كند رايست در بندكى — ز جاندارى افتد بخر بندكى

اللهم احفظنا من الكفران ووفقنا للشكر كل حين وآن.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾.

﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ أي: خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصور بصورته المخصوصة، ثم صورناه عبر عن خلق نفس آدم وتصويره بخلق الكل وتصويرهم تنزيلاً لخلقه، وتصويره منزلة خلق الكل، وتصويرهم من حيث إن المقصود من خلقه وتصويره تعمير الأرض بأولاده، فكان خلقه بمنزلة خلق أولاده فالإسناد في ضمير الجمع مجازي. **﴿ثم قلنا للملائكة﴾** كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص. **﴿اسجدوا لآدم﴾** سجدة تحية وتكريم؛ لأن السجود الشرعي وهو وضع الجبهة على قصد العبادة، إنما هو لله تعالى حقيقة. **﴿فسجدوا﴾** أي: الملائكة بعد الأمر من غير تلعثم. **﴿إلا إبليس﴾** أي: لكن إبليس. **﴿لم يكن من الساجدين﴾** أي: ممن سجد لآدم، وإلا فهو كان ساجداً لله تعالى.

﴿قال﴾ استئناف كأنه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذٍ فقيل قال **﴿ما﴾** أي: أي شيء. **﴿منعك أن لا تسجد﴾** أي: أن تسجد ولا صلة كما في قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩] أي: ليتحقق علم أهل الكتاب. **﴿إذ أمرتك﴾** أي: وقت أمري إياك به. **﴿قال﴾** إبليس. **﴿أنا خير منه﴾** أي: الذي منعني من السجود هو أني أفضل منه لأنك **﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾** والنار جوهر لطيف نوراني، والطين جسم كثيف ظلماني فهو خير منه، ولقد أخطأ اللعين حيث لاحظ الفضيلة باعتبار المادة والعنصر.

ز آدمى إبليس صورت ديد وبس — غافل ازمعنى شد آن مردود خس
نيست صورت چشم را نيكو بمال — تا ببيني شعشع نور جلال

ونعم ما قيل أيضاً:

صورت خاك ارچه دارد تيركى در تيركى
نيك بنكر كزره معنى صفا اندر صفاست
اين هما يون خاك كاندر وصف أو صاحب دلى
نكتهٔ كفتش كه ازوى ديدهٔ جانر اجلاست
جستن كوكرد احمر عمر ضايع كردنست
روى برخاك سياه آوركه يكسر كيمياست

وفي «المثنوي»:

كفت نار ازخاك بى شك بهترست — من زنارو او ز خاك اكدرست
پس قياس فرع بر اصلش كنيم — أو ز ظلمت من زنور روشنيم

كفت حق نى بلكه لا أنساب شد زهد وتقوى فضل را محراب شد
اين نه ميراث جهان فانيست كه بانسابش بيان جانيست
بلكه اين ميراثهاى انبياست وارث اين جانهاى اتقياست
پور آن بوجهل شد مؤمن عيان پور آن نوح نبي از كمرهان
زادهٔ خاكى منور شد چوماه زادهٔ آتش توئى اى رو سياه
اين قياسات وتحرى روز ابر يا بشب مر قبله را كردست جبر
ليك با خورشيد وكعبه پيش رو اين قياس واين تحرى را مجو
كعبه ناديده مكن رو زومتاب از قياس الله أعلم بالصواب

وفي «التأويلات النجمية»: أن شرف مسجودية آدم وفضيلته على ساجديه، لم يكن بمجرد خواصه الطينية وأن تشرفه بشرف التخمير بغير واسطة، كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وكقوله عليه السلام: «خمر الله طينة آدم بيده أربعين صباحاً» وإنما كانت فضيلته عليهم لاختصاصه بنفخ الروح المشرف بالإضافة إلى الحضرة فيه من غير واسطة، كما قال ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [ص: ٧٢] ولاختصاصه بالتجلي فيه عند نفخ الروح كما قال عليه السلام: «إن الله تعالى خلق آدم فتجلى فيه» ولهذا السر ما أمر الملائكة بالسجود بعد تسوية قالب آدم من الطين بل أمرهم بالسجود بعد نفخ الروح فيه، كما قال الله تعالى: ﴿إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: ٧١-٧٢] وذلك لأن آدم بعد أن نفخ فيه الروح صار مستعداً للتجلي لما حصل فيه من لطافة الروح، ونورانيته التي يستحق بها التجلي، ومن إمساك الطين الذي يقبل الفيض الإلهي ويمسكه عند التجلي فاستحق سجود الملائكة، فإنه صار كعبة حقيقة.

﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿قال﴾ الله تعالى **﴿فاهبط﴾** يا إبليس. **﴿منها﴾** أي: من الجنة والإضمار قبل ذكرها لشهرة كونه من سكانها وكانوا في جنة عدن، لا في جنة الخلد، وفيها خلق آدم وهذا أمر عقوبة على معصية. **﴿فما يكون لك﴾** أي: فما يصح ويستقيم لك ولا يليق بشأنك. **﴿أن تتكبر فيها﴾** أي: في الجنة ولا دلالة فيه على جواز التكبر في غيرها. **﴿فاخرج﴾** تأكيد للأمر بالهبوط. **﴿إنك من الصاغرين﴾** أي: من الأذلاء وأهل الهوان على الله تعالى، وعلى أوليائه لتكبرك.

وفي الآية: تنبيه على أن الله تعالى إنما طرده وأهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه وفي الحديث: «من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله» وفي «المثنوي»:

علتى بدتر ز پندار كمال نيست اندرجانت اي مغرور ضال
ازدل وازديده ات بس خون رود تاز تواين معجبى بيرون شود
علت إبليس أنا خير بدست وين مرض در نفس هر مخلوق هست
كرچه خودرا بس شكسته بينداو آب صافى دان وسركين زيرجو
چون بشورانى مراوراز امتحان آب سركين رنك كردد در زمان
درتك جوهست سركين اى فتى كرچه جو صافى نمايد مر ترا

وكان الأصحاب رضي الله عنهم يكون دماً من أخلاق النفس ـ وذكر ـ أن قاضياً جاء إلى أبي يزيد البسطامي يوماً، فقال: نحن نعرف ما تعرفه ولكن لا نجد تأثيره، فقال أبو يزيد: خذ مقداراً من الجوز وعلق وعاءه في عنقك، ثم ناد في البلد كل من يلطمني ادفع له جوزة حتى لا تبقي منه شيئاً، فإذا فعلت ذلك تجد التأثير فاستغفر القاضي، فقال أبو يزيد: قد أذنبت لأني أذكر ما يخلصك من كبر نفسك وأنت تستغفر من ذلك لكمال كبرك.

قال أبو جعفر البغدادي: ست خصال لا تُحسن بست رجال: لا يحسن الطمع في العلماء، ولا العجلة في الأمراء، ولا الشح في الأغنياء، ولا الكبر في الفقراء، ولا السفه في المشايخ، ولا اللؤم في ذوي الأحساب فعليك بالتوحيد فإنه سيف صارم يقطع عرق كل خلق مذموم.

﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿قال﴾ الشيطان بعد كونه مطروداً. **﴿أنظرني﴾** أي: أمهلني ولا تمتني. **﴿إلى يوم يبعثون﴾** أي: آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية، وأراد اللعين بذلك أن يجد فسحة من إغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد الموت.

﴿قال﴾ الله تعالى. **﴿إنك من المنظرين﴾** أي: من جملة الذين أخرت آجالهم إلى وقت النفخة الأولى لا إلى وقت البعث الذي هو المسؤول كما بيّن مدة المهلة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾ [ص: ٨٠-٨١] وهو يوم النفخة الأولى يموت الخلق فيه ويموت إبليس معهم وبين النفخة الأولى والثانية أربعون سنة فاستجيب بعض دعائه لا كله.

والفتوى على أن دعاء الكافر يستجاب استدراجاً ودلّ ظاهر قوله: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [ص: ٨٠] على أن ثمة مُنظرين غير إبليس، وعن ابن عباس قال: «إن الدهر يمر بإبليس فيهرم ثم يعود ابن ثلاثين».

غافلان از مرك مهلت خواستند عاشقان كفتند نى نى زود باد

وإنما أنظره ابتلاء للعباد وتمييزاً بين المخلص لله ومتبع الهوى، وتعريضاً للثواب بمخالفته، وقيل: أنظره مكافأة له بعبادته التي مضت في السماء وعلى وجه الأرض؛ ليعلم أنه لا يضيع أجر العاملين وقيل أمهله وأبقاه إلى آخر الدهر استدراجاً له من حيث لا يعلم ليتحمل من الأوزار ما لا يتحمل غيره من الأشرار والكفار، فأنظره إلى يوم القرار ليحصل الاعتبار به لذوي الأبصار بأن أطول الأعمار في هذه الدار لرئيس الكفار وقائد زمرة الفجار.

واختلف العلماء هل كلم الله تعالى إبليس بغير واسطة أو لا؟ والصحيح أنه كلّمه بواسطة ملك لأن كلام الباري لمن كلمه رحمة ورضى وتكرم وإجلال ألا ترى أن موسى عليه السلام فضل بذلك على الأنبياء ما عدا الخليل ومحمداً ﷺ.

فإن قيل: أليس رسالته أيضاً تشريفاً وقد كانت لإبليس على غير وجه التشريف، كذلك كلامه يكون تشريفاً لغير إبليس ولا يكون تشريفاً لإبليس. قيل: مجرد الإرسال ليس بتشريف وإنما يكون لإقامة الحجة بدلالة أن موسى عليه السلام أرسله الله إلى فرعون وهامان ولم يقصد

إكرامهما وإعظامهما لعلمه بأنهما عدوان، وكان كلامه إياه تشريفاً له، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ [القصص: ٦٢] أي: على لسان بعض ملائكته.

﴿قال﴾ إبليس ﴿فبما أغويتني﴾ الباء متعلقة بفعل القسم المحذوف. والإغواء الإضلال عن المنهج القويم، والهمزة فيه للصيرورة، أي: بسبب أن صيرتني غاوياً ضالاً عن الهدى محروماً من الرحمة لأجلهم أقسم بعزتك. ﴿لأقعدن لهم﴾ أي: لآدم وذريته ترصداً بهم كما يقعد القطاع للقطع على السابلة. ﴿صراطك﴾ أي: على صراطك ﴿المستقيم﴾ الموصل إلى الجنة وهو دين الإسلام فالقعود كناية عن الاجتهاد في إغواء بني آدم، فإن من هلك بسبب الاجتهاد في تكميل أمر من الأمور يقعد حتى يصير فارغ البال عما يشغله عن إتمام مقصوده ويتوجه إليه بكليته.

﴿ثم لآتينهم﴾ [پس بيايم بديشان]. ﴿من بين أيديهم﴾ أي: من قبل الآخرة فأشككهم فيها، وأيضاً من قبل الحسد فأزين لهم الحسد على الأكابر من العلماء والمشايخ في زمانهم ليطعنوا في أحوالهم وأعمالهم وأقوالهم. ﴿ومن خلفهم﴾ من جهة الدنيا أرغبهم فيها، وأيضاً من قبل العصبية ليطعنوا في المتقدمين من الصحابة والتابعين والمشايخ الماضين ويقدحوا فيهم ويبغضوهم ﴿وعن أيمانهم﴾ من جهة الحسنات وأوقعهم في العجب والرياء. وأيضاً من قبل الانبساط فأحرض المريدين على سوء الأدب في صحبة المشايخ وترك الحشمة والتعظيم والتوسع في الكلام والمزاح لأنزلهم عن رتبة القبول. ﴿وعن شمائلهم﴾ من جهة السيئات فأزينها لهم، وأيضاً من قبل المخالفة فآمرهم بترك أوامر المشايخ ونواهيهم لأوردهم به موارد الرد وأهلكهم بسطوات غيرة الولاية، وردها بعد القبول والمقصود من الجهات الأربع التي يعتاد هجوم العدو منها، مثل قصده إياهم للتسويل والإضلال من أي وجه يتيسر بإتيان العدو من الجهات الأربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت، وإنما عدى الفعل إلى الأولين بحرف الابتداء لأنه منهما متوجه إليهم وإلى الآخرين بحرف المجاوزة، فإن الآتي منهما كالمنحرف المتجافي عنهم المار على عرضهم وجانبهم، كما تقول: جلست عن يمينه، إذا جلست متجافياً عن جانب يمينه غير ملاصق له فكأنك انحرفت عنه وتجاوزت. ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ أي: مطيعين.

وفي «التفسير الفارسي»: [يعني كافران باشندكه منعم را نشناسد]، وإنما قال: ظناً لا علماً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [سبأ: ٢٠] لما رأى فيهم مبدأ الشر متعدداً وهو الشهوة والغضب ومبدأ الخير واحداً وهو العقل. قال السعدي قدس سره:

نه ابليس در حق ما طعنه زد ... كزينان نيايد بجز كاربد
فغان ازبديها كه در نفس ماست ... كه ترسم شود ظن إبليس راست
چوملعون پسند آمدش قهرما ... خدايش بر انداخت ازبهرما
كجاسر برآريم ازين عارونك ... كه با او بصلحيم وباحق بجنك

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿قال﴾ الله تعالى لإبليس ﴿اخرج منها﴾ أي: من الجنة حال كونك. ﴿مذؤوماً﴾ أي: مذموماً من ذأمه إذا ذمه، فالذام من المهموز العين والذم من المضاعف كلاهما بمعنى واحد

وهو التعييب البليغ. ﴿مدحوراً﴾ أي: مطروداً، فاللعين مطرود من الجنة ومن كل خير لعجبه ونظره إلى نفسه، ففيه عبرة لكل مخلوق بعده. ﴿لمن تبعك منهم﴾ اللام لتوطئة القسم، ومن شرطية ومعناه بالفارسية [بخداى كه هركه دربى توبيا يد از اولاد آدم] ﴿لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾ جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط، ومعنى منكم، أي: منك ومن ذريتك ومن كفار ذرية آدم وفي الحديث: «تحاجت النار والجنة، فقالت هذه يدخلني الجبارون المتكبرون، وقالت هذه يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله تعالى: لهذه أنت عذابي أعذّب بك من أشاء، وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها»، والتابعون للشيطان هم الذين يأتيهم من الجهات الأربع المذكورة فيقبلون منه ما أمره فليحذر العاقل عن متابعته وليجتهد في طاعة الله وعبادته حتى لا يدخل النار مع الداخلين، وفي الحديث: «إذا كان يوم القيامة رفع إلى كل مؤمن رجل من أهل الملل فقيل هذا فداؤك من النار» وفي هذا الحديث دليل على كمال لطف الله بعباده وكرامتهم عليه حيث فدى أوليائه بأعدائه، ويحتمل أن يكون معنى الفداء أن الله تعالى وعد النار ليملأها من الجِنة والناس فهي تستنجز الله موعده في المشركين وعصاة المؤمنين، فيرضيها الله تعالى بما يقدم إليها من الكفار فيكون ذلك كالمفاداة عن المؤمنين.

وقال بعضهم: معناه أن المؤمنين يتوقّون بالكفار من نفح النار إذا مروا على الصراط فيكونون وقاية وفداء لأهل الإسلام.

قال بعضهم: رأيت أبا بكر بن الحسين المقري في المنام في الليلة التي دفن فيها، فقلت له أيها الأستاذ ما فعل الله بك قال: إن الله تعالى أقام أبا الحسن العامري صاحب الفلسفة فدائي، وقال هذا فداؤك من النار، وقد كان أبو الحسن توفي في الليلة التي توفي فيها أبو بكر المقري وفي الحديث: «يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى»، ولا يستبعد من فضل الله مع أهل الإسلام والإيمان أن يفديهم بأهل الكفر والطغيان وذلك عدل من الله مع أهل المعصية، وفضل على أهل طاعته خلافاً للمعتزلة فإنهم أنكروا هذه واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] والذي صاروا إليه خلاف الكتاب والسنة. قال الله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] فلا يصح استدلالهم بالآية لأن كل كافر معاقب بوزره والله أعلم بحقيقة الحال وإليه المآل.

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿ويا آدم﴾ أي: وقلنا لآدم بعد إخراج إبليس من الجنة يا آدم. ﴿اسكن أنت﴾ أي: لازم الإقامة على طريق الإباحة والتكريم ﴿وزوجك﴾ حواء والزوج في كلام العرب هو العدد الفرد المزاوج لصاحبه فأما الاثنان المصطحبان، فيقال لهما زوجان. ﴿الجنة﴾ أي: فيها وهي إما جنة الخلد التي جعلت دار الجزاء وعليه أكثر أهل العلم لوجوه ذكروها في كتبهم أو جنة في السماء هبطا منها أو جنة في الأرض كانت مرتفعة على سائر بقاع الأرض ذات أشجار، وأثمار

وظلال ونعيم ونضرة وسرور أعدها الله لهما، وجعلها دار ابتلاء، وعليه بعض المحققين من أهل الظاهر والباطن، لأنه كلف فيها أن لا يأكل من تلك الشجرة ولا تكليف في الجنة الجزائية، ولأنه نام فيها وأخرج منها ودخل عليه إبليس فيها ولا نوم في الجنة ولا خروج بعد الدخول ولا يجوز دخول الشيطان فيها بعد الطرد والإخراج ولقول قابيل: أنا من أولاد الجنة كما لا يخفى، ولما روي أن آدم لما احتضر اشتهى قطفاً من عنب الجنة فانطلق بنوه ليطلبوه فلقيتهم الملائكة، فقالوا أين تريدون يا بني آدم؟ فقالوا: إن أبانا اشتهى قطفاً من عنب الجنة، فقالوا لهم: ارجعوا فقد كفيتموه فانتهوا إليه فقبضوا روحه وغسلوه وحنطوه وكفنوه وصلى عليه جبرائيل وبنوه خلف الملائكة ودفنوه وقالوا هذه سنتكم في موتاكم قالوا: فلولا أن الوصول إلى الجنة التي كان فيها آدم التي اشتهى منها القطف كان ممكناً لما ذهبوا يطلبون ذلك فدل على أنها في الأرض لا في السماء، وقد ثبت أن النيل يخرج من الجنة ولا شك أنها من جنان الأرض وبساتينها والله أعلم. ﴿**فكلا من حيث شئتما**﴾ من أي مكان شئتما، ومن أي شيء شئتما من نعم الجنة وثمارها موسعاً عليكما. ﴿**ولا تقربا هذه الشجرة**﴾ اختلفوا في هذه الشجرة أيضاً وقد أبهم الله ذكرها وتعيينها، ولو كان في ذكرها مصلحة تعود إلينا لعينها لنا كما في غيرها كذا في «آكام المرجان». ﴿**فتكونا من الظالمين**﴾ أي: فتصيرا من الذين ظلموا أنفسهم ﴿**فوسوس لهما الشيطان**﴾ قال في «الصحاح»: فوسوس لهما الشيطان يريد إليهما، ولكن العرب توصل بهذه الحروف كلها الفعل انتهى. والوسوسة: الكلام الخفي المكرر يلقيه الشيطان إلى قلب البشر ليزين له ما هو المنكر شرعاً، وأول ما ابتدأهما به من كيده إياهما أنه ناح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها فقالا له: ما يبكيك، قال: أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة فوقع ذلك في نفسهما، ثم أتاهما فوسوس إليهما وقال ما نهاكما كما يجيء. ﴿**ليبدي لهما**﴾ أي: ليظهر لهما. واللام للعاقبة لأن اللعين إنما وسوس لهما ليوقعهما في المعصية لا لظهور عورتهما لكن لما كان عاقبة وسوسته ظهور سوءاتهما شبه ظهورها بالغرض الحامل على الوسوسة، ويحتمل أن يكون اللام لام الغرض على أنه أراد بوسوسته أن يسوؤهما، أي يخزيهما بانكشاف عورتهما عند الملائكة، وكان قد علم أن لهما سوءة بقراءته كتب الملائكة ولم يكن آدم يعلم ذلك، وفي كون الانكشاف غرضاً لإبليس دليل على أن كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع، ولم يقع نظر علي رضي الله عنه إلى عورته حذراً من أن يراها بالعين التي يرى بها جمال رسول الله ﷺ فإذا كان النظر إلى سوءته بهذه المرتبة فما ظنك بالنظر إلى سوءة الغير، وما أشد قبح كشف العورة قالت عائشة رضي الله عنها «ما رأى مني ولا رأيت منه» أي العورة. ﴿**ما ووري عنهما**﴾ أي: الذي ستر عنهما وهو مجهول وارى. ﴿**من سوءاتهما**﴾ أي: عورتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر؛ لأنهما قد ألبسا ثوباً يستر عورتهما. والسوءات جمع السوءة والتعبير بلفظ الجمع عن اثنين لكراهة اجتماع لفظي التثنية، ويحتمل أن يكون الجمع على أصل وضعه باعتبار أن كل عورة هي الدبر والفرج، وذلك أربعة فهي جمع وسميت العورة سوءة؛ لأنه يسوء الإنسان انكشافها؛ ﴿**وقال**﴾ عطف على وسوس بياناً وتفصيلاً لكيفية وسوسته. ﴿**ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة**﴾ أي: عن أكلها لأمر مّا. ﴿**إلا**﴾ كراهة ﴿**أن تكونا ملكين**﴾ أي: كالملائكة في لطافة البنية والاستغناء عن التغذي بالأطعمة والأشربة ونحوهما، وفضل

الملائكة من بعض الوجوه لا يدل على فضلهم على الأنبياء مطلقاً لجواز أن يكون لنوع البشر فضائل أخر راجحة على ما للملك، فليس المراد انقلاب حقيقتهما البشرية إلى الحقيقة الملكية فإنه محال.

قال سعدي المفتي: فيه بحث إذ لا مانع منه عند الأشاعرة لتجانس الأجسام انتهى.

واعلم: أن الله تعالى باين بين الملائكة والجن والإنس في الصورة والأشكال فمن حصل على بنية الإنسان ظاهراً وباطناً، فهو إنسان فلو قلب الإنسان إلى بنية الملك لخرج بذلك عن كونه إنساناً لكن الملك والشيطان لا يخرجان بالتشكلات الظاهرية المختلفة عن حقيقتهما، ﴿أو تكونا من الخالدين﴾ الذين لا يموتون ويخلدون في الجنة. ﴿وقاسمهما﴾ أي: أقسم لهما، فالقسم إنما وقع من إبليس فقط إلا أنه عبر عن إقسامه بزنة المفاعلة للدلالة على أنه اجتهد في القسم اجتهاد المقاسم، وهو الذي حلف في مقابلة حلف شخص آخر. ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾ فيما أقول، والنصح بذل المجهود في طلب الخير في حق غيره.

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿فدلاهما﴾ فنزلهما إلى الأكل من الشجرة وحطهما من المرتبة العالية وهي مرتبة الطاعة إلى المنزلة السافلة، وهي الحالة المغضبة والتدلية إرسال الشيء من الأعلى إلى الأسفل كإرسال الدلو في البئر. ﴿بغرور﴾ أي: بسبب تغريره إياهما باليمين بالله كاذباً، وكان اللعين أول من حلف بالله كاذباً، وظن آدم أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً فاغترّ به فإن شأن المؤمن أن يعتقد بصدق من حلف بالله لتمكن عظمة اسم الله تعالى في قلبه وكان بعض العلماء. يقول: من خادعنا بالله خدعنا وفي الحديث: «المؤمن غرّ كريم والفاجر خبّ لئيم» ﴿فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما﴾ أي: فلما وجدا طعمها آخذين في الأكل منها أخذهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما، وظهرت لهما عوراتهما فاستحييا.

وفي الأخبار أن غيرهما لم ير عورتهما، قيل كان لباسهما في الجنة ظفراً في أشد اللطافة واللين والبياض، يكون حاجباً من النظر إلى أصل البدن فلما أصابا الخطيئة نزع ذلك عن بدنهما وبقي عند رؤوس الأصابع، تذكيراً لما فات من النعم وتجديداً للندم، وقيل: كان لباسهما نوراً يحول بينهما وبين النظر إلى حد البدن، وقيل: كان حلة من حلل الجنة. ﴿وطفقا يخصفان﴾ أي: أخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة. ﴿عليهما﴾ أي: على بدنهما أو على سوءاتهما من قبيل صغت قلوبكما في التعبير عن المثنى بالجمع لعدم التباس المراد، فجاز أن يرجع إليه ضمير التثنية ﴿من ورق الجنة﴾ قيل: كان ذلك ورق التين ولم يستره من الشجر إلا شجر التين، فقال الله تعالى «كما سترت آدم أخرج منك المعنى قبل الدعوى» وسائر الأشجار يخرج منها الدعوى قبل المعنى، فلهذه الحكمة يخرج ثمر سائر الأشجار في كمامها أولاً، ثم تظهر الثمرة من الكمام ثانياً وشجرة التين أول ما يبدو ثمره يبدو بارزاً من غير كمام.

وفي الآية. دليل على أن كشف العورة قبيح من لدن آدم عليه السلام، ألا ترى أنهما كيف بادرا إلى الستر لما تقرر في عقلهما من قبح كشف العورة. ﴿وناداهما ربهما﴾ مالك أمرهما بطريق العتاب والتوبيخ يحتمل أن يكون ذلك بأن أوحى إليهما بواسطة الملك ذلك

الكلام أو بأن ألهمهما ذلك في قلبهما، قيل: كانت بهذا العتاب أشد عليهما من كل محنة أصابتهما ﴿ألم أنهكما﴾ وهو تفسير للنداء فلا محل له من الإعراب. ﴿عن تلكما الشجرة وأقل لكما﴾ عطف على أنهكما، أي ألم أقل لكما، ﴿إن الشيطان لكما عدو مبين﴾ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧] ولكما متعلق بعدو لما فيه من معنى الفعل ـ روي ـ أن الله تعالى قال لآدم: «ألم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة؟ فقال: بلى وعزتك ولكن ما ظننت أن أحداً من خلقك يحلف بك كاذباً، قال فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض، ثم لا تنال العيش إلا كداً» فأهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وطحن وعجن وخبز.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿قالا﴾ اعترافاً بالخطيئة وتسارعاً إلى التوبة. ﴿ربنا﴾ أي: يا ربنا. ﴿ظلمنا أنفسنا﴾ أي: ضررناها بالمعصية وعرضناها للإخراج من الجنة ﴿وإن لم تغفر لنا﴾ تستر علينا ذنبنا ﴿وترحمنا﴾ بقبول توبتنا. ﴿لنكونن من الخاسرين﴾ أي: الهالكين الذين باعوا حظهم في الآخرة بشهوة ساعة، وهو دليل على أن الصغائر معاقب عليها إن لم تغفر والمغفرة مشكوك فيها، فكان ذنب آدم صغيرة لأنه لم يأكل من الشجرة قصداً لمخالفة حكم الله تعالى بل إنما أكل بناء على مقالة اللعين حيث أورثت فيه ميلاً طبيعياً، ثم إنه كفّ نفسه عنه مراعاة لحكم الله إلى أن نسي ذلك وزال المانع عن أكله فحمله طبعه عليه، ولأنه إنما أقدم عليه بسبب اجتهاد أخطأ فيه فإنه ظن أن النهي للتنزيه، أو أن الإشارة في قوله: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ إلى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وقد كان المراد بها الإشارة إلى النوع كما روي أنه عليه السلام أخذ حريراً وذهباً بيده وقال: «هذان حرامان على ذكور أمتي حلّ لإناثها».

﴿قال﴾ الله تعالى ﴿اهبطوا﴾ خطاب لآدم وحواء وذريتهما أولهما ولإبليس ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ جملة حالية من فاعل اهبطوا، أي: متعادين فطبع إبليس على العداوة، كطبع العقرب على اللّدغ والذئب على السلب، فعادى آدم لذهاب رياسته بين الملائكة بسبب خلافة آدم، وأمرنا بمعاداة إبليس لأن الابن يعادي عدو أبيه. ﴿ولكم في الأرض مستقر﴾ [قرار كاهى وآرام جايى]. ﴿ومتاع﴾ أي: تمتع وانتفاع ﴿إلى حين﴾ هو حين انقضاء آجالهم فاغتم آدم وظن أنه لا يرجع الجنة.

﴿قال﴾ الله تعالى ﴿فيها تحيون﴾ أي: في الأرض تعيشون ﴿وفيها تموتون﴾ وتقبرون ﴿ومنها تخرجون﴾ للجزاء فعلم آدم من مضمون هذا الخطاب أنه يعود إلى الجنة فصار متسلياً بفضل الله تعالى ووعده.

قال الإمام القشيري: ونعم ما قال: أصبح آدم عليه السلام محسود الملائكة مسجوداً لكافتهم على رأسه تاج الوصلة، وعلى جسده لباس الكرامة، وفي وسطه نطاق القربة، وفي جيده قلادة الزلفى لا أحد من المخلوق فوقه من الرتبة، ولا شخص مثله في الرفعة يتوالى عليه النداء كل لحظة يا آدم فلم يمس حتى نزع عنه لباسه وسلب استئناسه، وتبدل مكانه وتشوش

زمانه فإذا كان شؤم معصية واحدة على من أكرمه الله بكل كرامة هكذا فكيف شؤم المعاصي الكثيرة علينا انتهى. قال الحافظ:

چه كونه دعوىء وصلت كنم بجانكه شدست سم وكيل قضا ودلم ضمان فراق

وقضاء الله تعالى يجري على كل أحد نبياً كان أو ولياً.

نه من ازپردهٔ تقوى پدر افتادم وبس پدرم نيز بهشت ابد از دست بهشت

واعلم: أن آدم تناول من شجرة المحبة حقيقة فوقع في شبكة المحنة، وأمر بالصبر على الهجر ووعد بالوجد بعد الفقد، فكان ما كان من الترقيات المعنوية بعد التنزلات الصورية.

مقام عيش ميسر نمى شود بى رنج بلى بحكم بلا بسته اند حكم الست

وشجرة العلم المجرد منهي عن أن يقربها أحد بدون المكاشفة والمشاهدة والمعاينة، فإن صاحبه محجوب ومحروم من لذات ثمرات الحقيقة، فلتكن المشاهدة همته من أول أمره إلى أن يصل إلى ذروة الكمال قبل مجيء الآجال، فإن فاجأه الموت وهو في الطريق فالله تعالى يوصله إلى مطلبه ولو في البرزخ، وأيضاً لا ينبغي لأحد أن يقرب من شجرة التدبير فإن التقدير كاف لكل غني وفقير، ألا ترى إلى قيام الصلاة فإنه إشارة إلى التقدير الأزلي وهو التفويض، والركوع إشارة إلى التدبير الأبدي وهو التسليم، والسجدة إشارة إلى الفناء الكلي عنهما؛ إذ كما لا بد من التخلق بمثل هذه الصفات لا بد من الفناء عنها في غاية الغايات. قال تعالى: **﴿فيها تحيون﴾** أي: في المحبة وصدق الطلب، وقرع باب الفرج بالصبر والثبات على العبودية، وفي طلب الحق تموتون على جادة الشريعة بأقدام الطريقة، ومنها تخرجون إلى عالم الحقيقة يدل عليه قوله عليه السلام: «كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون».

بكوش خواجه واز عشق بى نصيب مباش كه بنده را نخرد كس بعيب بى هنرى

مرادرين ظلمات آنكه رهنمايى كرد دعاى نيم شبى بود وكريهٔ سحرى

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿يا بني آدم﴾ خطاب للناس كافة ـ روي ـ أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت إلى آخر الآيات الثلاث. **﴿قد أنزلنا عليكم لباساً﴾** أي: خلقناه لكم بإنزال سببه من السماء وهو ماء المطر فما تنبته الأرض من القطن والكتان من ماء السماء، وما يكون من الكسوة من أصواف الأنعام فقوام الأنعام أيضاً من ماء السماء.

واعلم: أن السماء فاعلة والأرض قابلة والحوادث الأرضية منسوبة إلى السماء فكل ما في الأرض إنما هو بتدبيرات سماوية. **﴿يواري سوآتكم﴾** أي: يستر عوراتكم فكشف العورة مع وجود ما يسترها من اللباس في غاية القباحة، ولا شك أن الشيطان أغوى من فعل ذلك، كما أغوى آدم وحواء فبدت لهما سوءاتهما ونستعيذ بالله من شره. **﴿وريشاً﴾** هو من قبيل ما حذف فيه الموصوف وأقيمت صفته مقامه، كأنه قيل ولباساً ريشاً، أي ذا ريش وزينة تتجملون به عبر عن الزينة بالريش تشبيهاً لها بريش الطائر؛ لأن الريش زينة الطائر كما أن اللباس زينة

لبني آدم، كأنه قيل: أنزلنا عليكم لباسين لباساً يواري سوءاتكم ولباساً يزينكم فإن الزينة غرض صحيح. قال تعالى: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨].

قال الحسين الكاشفي: [در تفسير امام زاهد فرموده كه لباس آنست كه از پنبه باشد وريش ازابرشيم وكتان وپشم]. ﴿ولباس التقوى﴾ أي: خشية الله تعالى مبتدأ خبره قوله: ﴿ذلك خير﴾ شبهت التقوى بالملبوس من حيث إنها تستر صاحبها وتحفظه مما يضره كما يحفظه الملبوس.

قال قتادة والسدي: هو العمل الصالح لأنه يقي من العذاب؛ كأنه قال لباس التقوى خير من الثياب لأن الفاجر وإن كان حسن الثياب فهو بادي العورة.

قال الشاعر:

إنـي كـأنـي أرى مـن لا حـيـاء لـه　　ولا أمـانـة وسـط الـقـوم عـريـانـا

قال الحافظ:

قـلـندران حـقـيـقـت بـنـيـم جـو نـخـرنـد　　قباى اطلس آنكس كه ازهنر عاريست

وفي «التفسير الفارسي»: [﴿ولباس التقوى﴾ وپوشش تقوى يعني لباس كه براى تواضع پوشند چون پشيمينها وجامها درشت. ﴿ذلك خير﴾ آن بهتراست كه ازلباسهاى نرم] وفي الحديث: «من رقّ ثوبه رقّ دينه» وقيل: أول من لبس الصوف آدم وحواء حين خرجا من الجنة.

وكان عيسى عليه السلام يلبس الشعر، ويأكل من الشجر، ويبيت حيث أمسى فلبس الصوف والشعر علامة التواضع، وفيه تشبيه بالمساكين والعاقل من اختار ما اختاره الصلحاء. قال الصائب:

جـمـعـى كـه پـشـت كـرم بـعـشـق نـيـنـد　　نـاز سـمـور ومـنـت سـنـجـاب مـيـكـشـنـد

واعلم أن لكل جزء من أجزاء الإنسان لباساً يواري سوأة ذلك الجزء من ظاهره وباطنه، فلباس الشريعة يواري سوأة الأفعال القبيحة بأحكام الشريعة في الظاهر، وسوأة الصفات الذميمة النفسانية والحيوانية بآداب الطريقة في الباطن، والتقوى هو لباس القلب والروح والسر والخفي. فلباس القلب من التقوى هو الصدق في طلب المولى يواري سوأة طبع الدنيا وما فيها، ولباس الروح من التقوى محبة الحق تعالى يواري به سوأة التعلق بغير المولى، ولباس السرّ هو شهود أنواع اللقاء يواري به سوأة رؤية ما سوى الله تعالى، ولباس الخفي هو البقاء بهوية الحق يواري به سوأة هوية الخلق [يعنى همه تعينات مضمحل ومتلاشى كردد وحجاب پندار ازسر وجودات متكثرة دركشيده آيد وسر] ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] برغرفه وحدت قهارى جلوه نمايد].

مـلـك مـلـك اوست او خـود مـالـكـست　　غـيـر ذاتـش كـل شـيء هـالـكـسـت

كـل شـيء مـا خـلا الله بـاطـل　　إن فـضـل الله غـيـم هـاطـل

هـالك آيدپيشى وجهش هست نيست　　هستى اندرنيستى خود طرفه ايست

﴿ذلك﴾ أي: إنزال اللباس ﴿من آيات الله﴾ الدالة على فضله ورحمته ﴿لعلهم يذكرون﴾ فيعرفون نعمته حيث أغناهم باللباس عن خصف الورق، أو يتعظون فيتورعون عن القبائح نحو كشف العورة.

وفي «الأسرار المحمدية»: العالم مشحون بالأرواح فليس فيه موضع بيت، ولا زاوية إلا وهو معمور بما لا يعلمه إلا الله وما يعلم جنود ربك إلا هو.

قال حجة الإسلام في كتابه «معراج السالكين»: والدليل على ذلك أمر النبي عليه السلام «بالتستر في الخلوة وأن لا يجامع الرجل امرأته عريانين».

وكان الحسن، والحسين، وعبد الله بن جعفر، يدخلون الماء وعليهم السراويلات تستراً عن سكان الماء ـ يحكى ـ عن أحمد بن حنبل قال: كنت يوماً مع جماعة يتجردون ويدخلون الماء فاستعملت خبر النبي عليه السلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر» فلم أتجرد فرأيت تلك الليلة في المنام، كأن قائلاً يقول: أبشر يا أحمد فإن الله تعالى قد غفر لك باستعمال السنة فقلت، ومن أنت؟ قال: أنا جبرائيل فقد جعلك الله إماماً يقتدى بك.

قال في «الشرعة»: وينوي بلبس الثياب ستر العورة والعيب الواقع في البدن والتزين بها تودداً إلى أهل الإسلام، لا لحظ النفس فإن ذلك اللبس بتلك النية يصفي وينور العقل عن الكدورات تصفية بحيث لا يشوبه شيء من أهوية النفس وحظوظها ويؤجر عليه بتلك النية.

قيل: الأعمال البهيمية ما كان بغير نية.

فعلى العاقل جمع الهمم بحيث لا يسخ في السر ذكر غيره تعالى:

﴿**يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان**﴾ أي: لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة بأن يمنعكم من دخول الجنة بإغوائكم ﴿**كما أخرج أبويكم من الجنة**﴾ نعت لمصدر محذوف، أي: لا يفتننكم فتنة مثل فتنة إخراج أبويكم آدم وحواء من الجنة، فإنه إذا قدر بكيده على إزلالهما فإن يقدر على إزلال أولاده أولى فوجب عليكم أن تحترزوا عن قبول وسوسته، والنهي في اللفظ للشيطان، والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به وهو أبلغ من لا تقبلوا فتنة الشيطان. ﴿**ينزع عنهما لباسهما**﴾ حال من أبويكم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن لباسهما كان من الظفر» أي كان يشبه الظفر فإنه كان مخلوقاً عليهما خلقة الظفر وأسند نزع اللباس إلى الشيطان مع أنه لم يباشر ذلك لكونه سبباً في ذلك النزع. ﴿**ليريهما سوآتهما**﴾ أي: ليظهر لهما عوراتهما وكانا قبل ذلك لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر، كما روي أن آدم كان رجلاً طوالاً وكأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس فلما وقع بالخطيئة بدت سوآته، وكان لا يراها، فانطلق هارباً في الجنة فعرضت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره، فقال لها: أرسليني فقالت لست مرسلتك فناداه ربه يا آدم أمني تفرّ قال لا ولكني استحييت ﴿**إنه**﴾ أي: الشيطان أو الشأن ﴿**يراكم هو وقبيله**﴾ أي: جنوده وذريته ﴿**من حيث لا ترونهم**﴾ من لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية ومعناه بالفارسية [ازجايى كه شما اورانمى بينيد يعني أجسام ايشان از غايت رقت ولطافت در نظر شما نمى آيد وايشان أجسام شمارا بواسطهء غلظت وكثافت مى بينند حذر از چنين دشمن لازمست]، وفي «المثنوي»:

ازنبى برخوان كه ديو وقوم او ... مى برنداز حال سى خفيه بو
ازرهى كه انس ازان آكاه نيست ... زانكه زين محسوس وزين اشباه نيست
مسلكى دارند ازديده درون ... ما زدزديهاى ايشان سرنكون
دمبدم خبط وزيانى ميكنند ... صاحب نقب وشكاف زوربند

ورؤيتهم إيانا من حيث لا نراهم في الجملة، أي: في بعض أحوالهم وهو حال بقائهم على صورهم الأصلية لا يقتضي امتناع رؤيتنا إياهم بأن يتمثلوا لنا كما تواتر من أن بعض الناس رأى الجن جهاراً علناً.

قال في «آكام المرجان في أحكام الجان»: لو كشف الله أجسامهم وقوّى شعاع أبصارنا لرأيناهم، أو لو كثفهم وشعاع أبصارنا على ما هو عليه من غير أن يقوى لرأيناهم، ألا ترى أن الريح ما دامت رقيقة لطيفة لا ترى فإذا كشفت باختلاف الغبار رأيناهم ولم يمتنع دخولهم في أبداننا كما يدخل الريح والنفس المتردد الذي هو الروح في أبداننا من التخرق والتخلخل، وفي الحديث: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» وقد يحتاج في إبراء المصروع ودفع الجن عنه إلى الضرب فيضرب بعصا قوية على رجليه نحو ثلاثمائة أو أربعمائة ضربة أو أقل أو أكثر والضرب إنما يقع على الجني ولا يحس به المصروع، ولو كان على الإنسي لقتله وكذا يجوز دخولهم في الأحجار إذا كانت مخلخلة كما يجوز دخول الهواء فيها.

فإن قلت: لو دخل الجنّ في جسد ابن آدم لتداخلت الأجسام ولاحترق الإنسان؟.

قلت: الجسم اللطيف يجوز أن يدخل إلى مخاريق الجسم الكثيف كالهواء الداخل في سائر الأجسام، ولا يؤدي ذلك إلى اجتماع الجواهر في حيز واحد؛ لأنها لا تجتمع إلا على طريق المجاورة لا على سبيل الحلول، وإنما يدخل في أجسامنا كما يدخل الجسم الرقيق في الظروف، والجن ليسوا بنار محرقة، بل هم خلقوا من نار في الأصل، كما خلق آدم من التراب فالنسبة باعتبار الجزء الغالب.

قال في «بحر الحقائق»: الإشارة أنهم إنما يرونكم من حيث البشرية التي هي منشأ الصفات الحيوانية، وأنكم محجوبون بهذه الصفات عن رؤيتهم لا من حيث الروحانية التي هي منشأ علوم الأسماء والمعرفة، فإنهم لا يرونكم في هذا المقام وأنتم ترونهم بالنظر الروحاني بل بالنظر الرباني انتهى، ثم قوله: ﴿إنه يراكم﴾ تعليل للنهي ببيان أنه عدو صعب الاحتراز عن ضرره فإن العدو الذي يراك ولا تراه شديد المؤونة لا يتخلص منه إلا من عصمه الله فلا بد أن يكون العاقل على حذر عظيم من ضرره.

فإن قيل: كيف نحاربهم ونحترز عنهم ونحن لا نراهم؟.

قلنا: لم نؤمر بمحاربة أعيانهم وإنما أمرنا بدفع وسوستهم، وعدم قبول ما ألقاه في قلوبنا بالاستعاذة منه إلى الله تعالى ـ روي ـ عن ذي النون المصري أنه قال: إن كان هو يراك من حيث لا تراه، فإن الله يراه من حيث لا يرى الله، فاستعن بالله عليه فإن كيد الشيطان كان ضعيفاً. ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ بما أوجدنا بينهم من التناسب في الخذلان والغواية، فصار بعضهم قرين بعض وأغواه، فالأولياء: جمع ولي بمعنى الصديق ضد العدو يقال منه تولاه أي اتخذه صديقاً وخليلاً.

وذكر عن وهب بن منبه أنه قال: أمر الله تعالى إبليس أن يأتي محمداً عليه السلام ويجيبه عن كل ما يسأله فجاء على صورة شيخ وبيده عكازة فقال له: «من أنت»؟ قال أنا إبليس قال: «لماذا جئت»؟ قال: أمرني ربي أن آتيك وأجيبك فأخبرك عما تسألني، فقال عليه الصلاة والسلام: «فكم أعداؤكم من أمتي»؟ قال: خمسة عشر أنت يا محمد، وإمام عادل، وغني متواضع، وتاجر صدوق، وعالم متخشع، ومؤمن ناصح، ومؤمن رحيم القلب، وثابت على

التوبة، ومتورع عن الحرام، ومديم على الطهارة، ومؤمن كثير الصدقة، وحسن الخلق مع الناس، ومن ينفع الناس، وحامل القرآن مديم عليه، وقائم الليل والناس نيام قال: «فكم رفقاؤك من أمتي»؟ فقال عشرة. سلطان جائر، وغني متكبر، وتاجر خائن، وشارب الخمر والقتال، وصاحب الرياء، وآكل مال اليتيم، وآكل الربا، ومانع الزكاة، والذي يطيل الأمل فهؤلاء أصحابي وإخواني» فظهر أن الشياطين كما أنهم أولياء لأهل الكفر كذلك هم أولياء لمن هو في حكم أهل الكفر من أهل المعصية ونسأل الله العناية والتوفيق ـ ويحكى ـ أن الخبيث إبليس تبدى ليحيى بن زكرياء عليهما السلام فقال: إني أريد أن أنصحك، قال: كذبت أنت لا تنصحني، ولكن أخبرني عن بني آدم قال: هم عندنا على ثلاثة أصناف: أما الصنف الأول: منها فأشدّ الأصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونتمكن منه ثم يفزع إلى الاستغفار والتوبة، فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه، ثم نعود له فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن من ذلك في عناء. وأما الصنف الثاني، فهم في أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم، وأما الصنف الآخر: فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء، قال يحيى: بعد ذلك هل قدرت مني على شيء قال: لا إلا مرة واحدة فإنك قدمت طعاماً تأكله، فلم أزل أشهيه إليك حتى أكلت منه أكثر مما تريد فنمت تلك الليلة فلم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها، فقال له يحيى: لا جرم أني لا أشبع من طعام أبداً قال له الخبيث لا أنصح آدمياً بعدك.

ولقي يحيى بن زكريا إبليس في صورته أيضاً، فقال له: أخبرني من أحبّ الناس إليك وأبغض الناس إليك، فقال: أحبّ الناس إليّ المؤمن البخيل، وأبغضهم إليّ الفاسق السخي قال يحيى: وكيف ذلك؟ قال لأن البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي أتخوف أن يطلع الله عليه في سخاه فيقبله ثم ولّى، وهو يقول لولا أنك يحيى لم أخبرك كذا في «آكام المرجان في أحكام الجان».

﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وإذا فعلوا﴾ أي: كفار قريش. **﴿فاحشة﴾** أي: فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف ونحوهما. **﴿قالوا﴾** جواباً للناهين عنها محتجين على حسنها بأمرين الأول تقليد الآباء وهو قولهم: **﴿وجدنا عليها آباءنا﴾** والثاني الافتراء على الله، وهو قولهم: **﴿والله أمرنا بها﴾** فأعرض الله تعالى عن رد احتجاجهم الأول لظهور فساده، فإن التقليد لا يعتبر دليلاً على صحة الفعل الذي قام الدليل على بطلانه، وإن كان معتبراً في غيره ورد الثاني بقوله: **﴿قل إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾** لأن عادته تعالى جرت على الأمر بمحاسن الأفعال والحث على مكارم الخصال. **﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾** إنه أمركم بذلك، وذلك لأن طريق العلم إما السماع من الله تعالى. ابتداء: أي: من غير توسط رسول يبلغهم أن الله تعالى أمرهم بذلك وانتفاؤه ظاهر، وإما المعرفة بواسطة الأنبياء: وهم ينكرون نبوة الأنبياء على الإطلاق، فلا طريق لهم إلى العلم بأحكام الله تعالى فكان قولهم والله أمرنا بها قولاً على الله بما لا يعملون، وهو أي: قوله **﴿أتقولون﴾** من تمام القول المأمور به والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه.

والإشارة في الآية أن الفاحشة طلب الدنيا وحبها والحرص على جمعها فإن أفحش الفواحش حب الدنيا لأنه رأس كل خطيئة، والمعنى إذا وقع أهل الغفلة في طلب الدنيا وزينتها والتمتع بها بتلقين الشياطين وتدبيرهم وتزيينهم، فيدعوهم داع إلى الله وطلبه وترك الدنيا وطلبها. ﴿قالوا وجدنا عليها آباءنا﴾ أي: على محبة الدنيا وشهواتها. ﴿والله أمرنا بها﴾ أي: بطلبها بالكسب الحلال. ﴿قل إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾ أي: لا يأمر بحب الدنيا والحرص على جمعها وإنما يأمر بالكسب الحلال بقدر الحاجة الضرورية لقوام القالب بالقوة، واللباس ليقوم بأداء حق العبودية. ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ أي: تفترون على الله ما لا تعلمون آفته ولا وبال عاقبته ولا تعلمون أن ذلك من فتنة الشيطان وتزيينه وإغوائه كذا في «التأويلات النجمية». وفي «المثنوي»:

اين جهان جيفه است ومردار رخيص ... برچنين مردار چون باشم حريص

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قل أمر ربي بالقسط﴾ بيان للمأمور به إثر نفي ما أسند إليه أمره به تعالى من الأمور المنهي عنها، والقسط العدل وهو الوسط من كل شيء المتجاوز عن طرفي الإفراط والتفريط وفي الخبر «خير الأمور أوساطها».

توسط إذا ما شئت أمراً فإنه ... كلا طرفي قصد الأمور ذميم

﴿وأقيموا وجوهكم﴾ معطوف على أمر بتقدير قل لئلا يلزم عطف الإنشاء على الإخبار، أي وقل لهم: توجهوا إلى عبادته مستقيمين غير عادلين إلى غيرها أو أقيموا وجوهكم نحو القبلة. ﴿عند كل مسجد﴾ يحتمل أن يكون اسم زمان، وأن يكون اسم مكان أي في كل وقت سجود أو مكان سجود والمراد بالسجود الصلاة بطريق ذكر الجزء وإرادة الكل.

وقال الكلبي: معناه إذا حضرت الصلاة وأنتم في مسجد فصلوا فيه، ولا يقولن أحدكم أصلي في مسجدي، وإذا لم يكن عند مسجد فليأت أي مسجد شاء وليصل فيه.

وفي الفروع: مسجد المحلة أفضل من الجامع إذا كان الإمام عالماً، ومسجد المحلة في حق السوقي نهاراً ما كان عند خانوته نهاراً وليلاً ما كان عند منزله.

قال الحدادي: وهذه الآية تدل على وجوب فعل الصلاة المكتوبة في الجماعة، وفي الحديث: «من سمع النداء فلم يجبه فلا صلاة له إلا من عذر».

وصلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة، وذلك لأن كل صلاة أقيمت في الجماعة كصلاة يوم وليلة إذا أقيمت بغير جماعة، لأن فرائض اليوم والليلة سبع عشرة ركعة والرواتب عشر فالجميع سبع وعشرون.

قال العلماء: كل ما شرعت فيه الجماعة كالفرائض والتراويح ونحوهما فالمسجد فيه أفضل من ثواب المصلين في البيت بالجماعة؛ لأن فيه إظهار شعائر الإسلام كما أن ثواب المصلين في البيت وحداناً دون ثواب المصلين في البيت بالجماعة. ﴿وادعوه﴾ أي: واعبدوه فهو من إطلاق الخاص على العام فإن الدعاء من أبواب العبادة، وهو الخضوع للباري مع

إظهار الافتقار والاستكانة وهو المقصود من العبادة والعمدة فيها. ﴿مخلصين له الدين﴾ أي: الطاعة فإن مصيركم إليه في الآخرة.

فردا كه پيشگاه حقيقت شود بديد شر منده رهروى كه عمل بر مجاز كرد

﴿كما بدأكم﴾ أي: أنشأكم ابتداء ﴿تعودون﴾ إليه بإعادته فيجازيكم على أعمالكم والكاف في محل النصب على أنه صفة مصدر محذوف، تقديره تعودون عوداً مثل ما بدأكم وهو بالهمزة بمعنى أنشأ واخترع وإنما شبه الإعادة بالإبداء تقريراً لإمكانها والقدرة عليها، يعني: قيسوا الإعادة بالإبداء فلا تنكروها فإن من قدر على الإنشاء قدر على الإعادة؛ إذ ليس بعثكم أشد من ابتداء خلقكم.

﴿فريقاً﴾ منصوب بما بعده ﴿هدى﴾ بأن وفقهم للإيمان ﴿وفريقاً﴾ نصب بفعل مضمر يفسره ما بعده من حيث المعنى، أي وأضل فريقاً. ﴿حق عليهم﴾ [سزاوار كشت برايشان]. ﴿الضلالة﴾ بمقتضى القضاء السابق التابع للمشيئة المبنية على الحكم البالغة. ﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله﴾ تعليل لما قبله، أي: حقت عليهم الضلالة لاتخاذهم الشياطين أولياء وقبولهم ما دعوا إليه بدون التأمل في التمييز بين الحق والباطل وكل واحد من الهدى والضلال، وإن كان يحصل بخلق الله تعالى إياه ابتداء إلا أن يخلق ذلك حسبما اكتسبه العبد وسعى في حصوله فيه. ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾ أي: يظنون أنهم على الهدى، وفيه دلالة على أن الكافر المخطىء المعاند سواء من حيث إنه تعالى ذم المخطىء الذي ظن أنه في دينه على الحق بأنه حق عليه الضلالة، وجعله في حكم الجاحد والمعاند فعلم منه أن مجرد الظن والحسبان لا يكفي في صحة الدين، بل لا بد فيه من الجزم واليقين لأنه تعالى ذم الكفار بأنهم يحسبون أنهم مهتدون ولو كفى مجرد الحسبان فيه لما ذمهم بذلك.

فعلى العاقل تحصيل اليقين وترك التقليد والاقتداء بأصحاب التحقيق والتوحيد فإن المرء لا يعرف حاله ومقامه إلا بالتعريف. ونعم ما قال الصائب:

واقف نميشوند كه كم كرده اندراه تا رهروان براهنمايى نمى رسند

وكل واحد من التقليد الباطل والشك والرياء وحبّ الدنيا وحبّ الخلق مذموم لا يجدي نفعاً.

وعن ذي النون رضي الله عنه قال: بينما أنا في بعض جبال لكان إذا برجل قائم يصلي والسباع حوله ترتبض، فلما أقبلت نحوه نفرت عنه السباع، فأوجز في صلاته وقال: يا أبا الفيض لو صفوت لطلبتك السباع وحنت إليك الجبال، فقلت ما معنى قولك لو صفوت؟ قال تكون لله خالصاً حتى يكون لك مريداً قال: فقلت فبِمَ الوصول إلى ذلك؟ قال: لا تصل إلى ذلك حتى تخرج حب الخلق من قلبك كما خرج الشرك منه، فقلت هذا والله شديد علي، فقال: هذا أيسر الأعمال على العارفين فولاية الخلق مطلقاً إذا كانت سبيلاً للضلالة فما ظنك بولاية الشياطين سواء كانوا شياطين الإنس أو شياطين الجن، فلا بد من محبة الله تعالى، فويل لمن جاوز محبة الله تعالى إلى محبة ما سواه، وقد ذمه الله بقوله: من دون الله نسأل الله تعالى أن لا يزيغ قلوبنا بعدما هدانا إلى محبته وأرشدنا إلى طريق طاعته وعبادته.

﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ الزينة وإن كانت اسماً لما يتزين به من الثياب الفاخرة إلا أن المفسرين أجمعوا على أن المراد بالزينة ههنا الثياب التي تستر العورة استدلالاً بسبب نزول الآية، وهو أن أهل الجاهلية من قبائل العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة، وقالوا لا نطوف في ثياب أصبنا فيها الذنوب ودنسناها بها، فكان الرجال يطوفون بالنهار والنساء بالليل عراة فأمرهم الله تعالى أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا عند كل مسجد سواء دخلوه للصلاة أو للطواف وكانوا قبل ذلك يدعون ثيابهم وراء المسجد عند قصد الطواف.

وفي «تفسير الحدادي»: كانوا إذا قدموا منى طرح أحدهم ثيابه في رحله فإن طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه، وكانت المرأة تطوف بالليل عريانة إلا أنها كانت تتخذ سيوراً مقطعة تشدها في حقويها فكانت السيور لا تسترها ستراً تاماً.

وهذه الآية، أصل في وجوب ستر العورة في الصلاة، والمعنى خذوا ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد لطواف أو صلاة.

قال شيخ الإسلام خواهر زاده: فيه دليل على أن اللبس من أحسن الثياب مستحب حالة الصلاة؛ لأن المراد من الزينة الثوب بطريق إطلاق اسم المسبب على السبب انتهى، فأخذ الثوب واجب ولباس التجمل مسنون، وكان أبو حنيفة رحمه الله اتخذ لباساً لصلاة الليل وهو قميص وعمامة ورداء وسراويل قيمة ذلك ألف وخمسمائة درهم يلبسه كل ليلة ويقول التزين لله تعالى أولى من التزين للناس.

قال الفقهاء: ولا اعتبار لستر الظلمة لأن الستر وجب لحق الصلاة وحق الناس.

وفي «التفسير الفارسي»: [كفته اند بزبان علم ستر عورتست براى نماز وبزبان كشف حضور دلست براى عرض راز.

ذوق طاعت بى حضور دل نيابد هيچكس طالب حق را دل حاضر برين دركاه بس

﴿وكلوا واشربوا﴾ ما طاب لكم من الأطعمة والأشربة روي أن بني عامر في أيام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام إلا قوتاً، ولا يأكلون دسماً يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت.

والإشارة كلوا مما يأكل أهل البيات في مقام العبودية واشربوا مما يشربون، كما قال عليه السلام: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» وكان عليه السلام يخص رمضان من العبادات بما لا يخص به غيره من الشهور، حتى أنه كان يواصل أحياناً ليوفر ساعات ليله ونهاره على العبادة، وكان ينهى أصحابه عن الوصال فيقولون له فإنك تواصل فيقول: «لست كأحدكم إني أبيت» وفي رواية «أظل عند ربي يطعمني ويسقيني»، وقد اختلف العلماء في هذا الطعام والشراب المذكور على قولين: أحدهما إنه طعام وشراب حسي بالفم، قالوا وهذا حقيقة اللفظ ولا يجب العدول عنه وكان يؤتى بطعام من الجنة، والثاني: أن المراد به ما يغذيه الله به من معارفه وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه لقربه ونعيم محبته، وتوابع ذلك من الأحوال التي هي غذاء القلوب ونعيم الأرواح وقرة الأعين وبهجة النفوس ـ حكي ـ أن مريداً خدم الشيخ

منصور الحلاج في الكعبة حين كان مجاوراً سنتين، قال: كان يجيء له طعام من أرباب الخيرات فأضعه عنده ثم أجده في الصبح من غير نقصان فأطعمه فقيراً فما رأيته في السنتين أكل لقمة.

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي: أن النبي عليه السلام إنما أكل في الظاهر لأجل أمته الضعيفة، وإلا فلا احتياج له إلى الأكل والشرب، وما روي من أنه، كان يشد الحجر» فهو ليس من الجوع بل من كمال لطافته لئلا يصعد إلى الملكوت فكان يشد الحجر حتى يحصل الاستقرار في عالم الإرشاد، قال يعني: إنه ﷺ كان ينظر إلى حدوث العالم فيتنعم بتجل البقاء انتهى كلامه. ﴿ولا تسرفوا﴾ بتحريم الحلال فإن بتحريم الحلال يتحقق تضييع المال وهو إسراف أو بالتعدي إلى الحرام بأن يتناول ما حرمه الله عليه من المأكول والمشروب والملبوس، أو بإفراط الطعام والشره عليه بأن يتناول ما لا يحتاج إليه البدن في قوامه، فإن ذلك أيضاً من قبيل الإسراف، ﴿إنه لا يحب المسرفين﴾ لا يرتضي فعلهم ولا يثني عليهم.

قال بعضهم: الإسراف هو أن يأكل الرجل كل ما يشتهيه، ولا شك أن من كان تمام همته مصروفاً إلى فكر الطعام والشراب كان أخس الناس وأذلهم.

خواجه را بين كه ازسحر تاشام دارد انديشهٔ شراب وطعام
شكم ازخوش دلى وخوش حالى كاه پر ميكند كهى خالى
فارغ ازخلد وايمن از دوزخ جاى أو مزبلست ويا مطبخ

[شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري فرموده كه اكرهمه دنيارا لقمه سازى ودردهان درويشى نهى إسراف نباشد إسراف آن بودكه نه برضاى حق تعالى صرف كنى]

يك جوانراكه خير دائم داشت پند ميداد راهبى در دير
كاى پسر خير نيست دراسراف كفت اسراف نيست اندرخير

قال في «التأويلات النجمية»: الإسراف نوعان: إفراط وتفريط فالإفراط ما يكون فوق الحاجة الضرورية، أو على خلاف الشرع أو على وفق الطبع والشهوة أو على الغفلة، أو على ترك الأدب أو بالشره أو على غير ذلك، والتفريط: أن ينقص من قدر الحاجة الضرورية ويقصر في حفظ القوة والطاقة للقيام بحق العبودية، أو يبالغ في أداء حق الربوبية بإهلاك نفسه فيضيع حقها، أو يضيع حقوق الربوبية بحظوظ نفسه أو يضيع حقوق القلب والروح والسر التي هي مستعدة لحصولها بحظوظ النفس فالمعنى لا تسرفوا، أي: لا تضيعوا حقوقنا ولا حقوقكم لحظوظكم انتهى ويروى أن هارون الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال لعلي بن حسين بن واقد، ليس في كتابكم من علم الطب شيء؟ والعلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان، فقال له: إن الله تعالى قد جمع الطب كله في نصف آية من كتابنا قال: وما هي قال قوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ فقال النصراني: وهل يؤثر عن رسولكم شيء من الطب قال: نعم جمع رسولنا ﷺ الطب في ألفاظ يسيرة قال: وما هي قال قوله: «المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وعودوا كل جسم ما اعتاد» فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً.

وعن ابن عباس: «كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة» وينبغي لأهل الرخصة أن يقتصروا على أكلتين في اليوم والليلة في غير شهر رمضان ولأهل

العزيمة على أكلة واحدة، فإن ما فوق الأكلتين للطائفة الأولى وما فوق الأكلة للثانية تجاوز عن الحد، وميل إلى الاتصاف بصفات البهائم. والهند: جل معالجتهم الحمية يمتنع المريض عن الأكل والشرب والكلام عدة أيام فيبرأ فجانب الاحتماء أولى.

﴿قل﴾ لما طاف المسلمون في ثيابهم وأكلوا اللحم والدسم عيّرهم المشركون لأنهم كانوا يطوفون عراة، ولا يأكلون اللحم والدسم حال الإحرام فأمر الله حبيبه ﷺ أن يقول لهم: ﴿من﴾ استفهام إنكار ﴿حرم زينة الله﴾ من الثياب وسائر ما يتجمل به ﴿التي أخرج﴾ بمحض قدرته. ﴿لعباده﴾ من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف ومن المعادن كالدروع. ﴿والطيبات من الرزق﴾ عطف على زينة الله، أي: من حرم أيضاً المستلذات من المآكل والمشارب كاللحوم والدسوم والألبان.

اعلم: أن الرجل إذا أدى الفرائض وأحب أن يتنعم بمنظر حسن وجوار جميلة فلا بأس به، فمن قنع بأدنى المعيشة وصرف الباقي إلى ما ينفعه في الآخرة فهو أولى؛ لأن ما عند الله خير وأبقى لأن الاقتصار على أدنى ما يكفيه عزيمة، وما زاد عليه من التنعم ونيل اللذة رخصة دلت عليها هذه الآية ودلت أيضاً على أن الأصل في المطاعم والملابس والتجمل بأنواع التجملات الإباحة؛ لأن الاستفهام في من إنكاري كما هو مذهب الشافعي، وأكثر أصحاب أبي حنيفة فإنهم قالوا إن الأصل في الأشياء الإباحة، وذهب بعضهم إلى التوقف وبعضهم إلى الحظر ووجه قول القائلين بالإباحة إنه سبحانه وتعالى غني على الحقيقة جواد على الإطلاق والغني الجواد لا يمنع ماله عن عبيده إلا ما كان فيه ضرر فتكون الإباحة هي الأصل باعتبار غناه سبحانه وجوده والحرمة لعوارض فلم تثبت فبقي على الإباحة، ووجه القول بالحظر أن الأشياء كلها مملوكة لله تعالى على الحقيقة والتصرف في ملك الغير لا يثبت إلا بإباحة المالك، فلما لم تثبت الإباحة بقي على الحظر لقيام سببه، وهو ملك الغير ووجه القول بالتوقف أن الحرمة والإباحة لا تثبت إلا بالشرع فقبل وروده لا يتصور ثبوت واحدة منهما فلا يحكم فيها بحظر ولا إباحة.

قال عبد القاهر البغدادي: وتفسير الوقف عندهم أن من فعل شيئاً قبل ورود الشرع لم يستحق بفعله من الله تعالى ثواباً ولا عقاباً. ﴿قل هي﴾ أي: الزينة والطيبات كما في «التفسير الفارسي» ﴿للذين آمنوا﴾ أي: مستقره لهم ﴿في الحياة الدنيا﴾ متعلق بآمنوا أو بالاستقرار الذي تعلق به للذين، والمقصود الأصلي من خلق الطيبات تقوية المكلفين على طاعة الله تعالى لا تقويتهم على الكفر والعصيان فهي مختصة لأصالة للمؤمنين والكفار تبع لهم في ذلك قطعاً لمعذرتهم ولذا لم يقل هي للذين آمنوا ولغيرهم في الدنيا. ﴿خالصة يوم القيامة﴾ لا يشاركهم فيها غيرهم، وإن اشترك فيها المؤمنون والكفار في الدنيا وانتصابها على الحال من المنوي في قوله: (للذين آمنوا)، ويوم القيامة متعلق بخالصة.

والإشارة في الآية: من يمنعكم عن طلب كمالات أخرجها الله تعالى من غيب الغيب لخواص عباده من الأنبياء والأولياء، ومن حرم عليكم نيل هذه الكرامات والمقامات فمن تصدى لطلبها وسعى لها سعياً فهي مباحة له من غير تأخير ولا قصور، وإضافة الزينة إلى الله لأنه أخرجها من خزائن ألطافه وحقائق أعطافه، فزين الأبدان بالشرائع وآثارها وزين النفوس بالآداب وأقدارها وزين القلوب بالشواهد وأنوارها وزين الأرواح بالمعارف وأسرارها، وزين

الأسرار بالطوالع وأثمارها بل زين الظواهر بآثار التوفيق وزين البواطن بأنوار التحقيق، بل زين الظواهر بآثار السجود وزين البواطن بأنوار الشهود، بل زين الظواهر بآثار الجود وزين البواطن بأنوار الوجود والطيبات من الرزق، وإن أرزاق النفوس بحكم أفضاله، وأرزاق القلوب بموجب إقباله والطيبات من الرزق على الحقيقة ما لم يكن مشوباً بحقوق النفس وحظوظها، ويكون خالصاً من مواهبه وحقوقه، قل: هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا، أي: هذه الكرامات والمقامات لهؤلاء السادات في الدنيا مشوبة بشوائب الآفات النفسانية وكدورات الصفات الحيوانية خالصة يوم القيامة من هذه الآفات والكدورات كما قال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣] ﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ أي: كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الأحكام لقوم يعلمون ما في تضاعيفها من المعاني الرائقة.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿قل إنما حرم ربي الفواحش﴾ أي: ما تفاحش قبحه من الذنوب وتزايد وهي الكبائر ﴿ما ظهر منها وما بطن﴾ بدل من الفواحش، أي: جهرها وسرها كالكفر والنفاق وغيرهما ﴿والإثم﴾ أي: ما يوجب الإثم وهو يعم الصغائر والكبائر ﴿والبغي﴾ أي: الظلم أو الكبر أفرده بالذكر مع دخوله في الإثم للمبالغة في الزجر عنه. ﴿بغير الحق﴾ متعلق بالبغي مؤكد له؛ لأن البغي لا يكون بالحق. ﴿وأن تشركوا بالله﴾ معطوف على مفعول حرم، أي: وحرم عليكم إشراككم به تعالى ﴿ما لم ينزل به﴾ أي: بإشراكه وعبادته. ﴿سلطاناً﴾ أي: حجة وبرهاناً وهو تهكمٌ بالمشركين؛ لأنهْ إذا لم يجز إنزال البرهان بالإشراك كان ذكر ذلك تهكماً بهم واستهزاء ومعلوم أنه لا برهان عليه حتى ينزل. ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ بالإلحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله أمرنا بها.

وفي «التأويلات النجمية»: الفواحش ما يقطع على العبد طريق الرب ويمنعه عن السلوك ففاحشة العوام ما ظهر منها ارتكاب المناهي وما بطن خطورها بالبال، وفاحشة الخواص ما ظهر منها ما لأنفسهم نصيب فيه ولو بذرة، وما بطن الصبر عن المحبوب ولو بلحظة، وفاحشة الأخص ما ظهر منها ترك أدب من الآداب أو التعلق بسبب من الأسباب، وما بطن منها الركون إلى شيء من الدارين والالتفات إلى غير الله من العالمين، والإثم هو الإعراض عن الله ولو طرفة عين والبغي هو حب غير الله فإنه وضع في غير موضعه وأن تشركوا بالله يعني: وأن تستعينوا بغير الله ما لم ينزل به سلطاناً، أي: ما لم يكن لكم به حجة ورخصة من الشريعة المنزلة، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون أي وأن تحكموا بفتوى النفس وهواها أو تقولوا بنظر العقل على الله ما لا تعلمون حقيقته وفيه معنى آخر، وأن تقولوا في معرفة الله وبيان أحوال السائرين، وشرح المقامات وإثبات الكرامات ما أنتم عنه غافلون ولستم به عارفين انتهى، ثم هدد الله المشركين المكذبين للرسل بقوله:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿ولكل أمة﴾ من الأمم المهلكة ﴿أجل﴾ حد معين من الزمان مضروب لمهلكهم. ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ الضمير لكل أمة خاصة حيث لم يقل آجالهم، أي: إذا جاءها أجلها الخاص بها والوقت المعين لنزول عذاب الاستئصال عليها. ﴿لا يستأخرون﴾ عن ذلك الأجل. ﴿ساعة﴾ أي: شيئاً قليلاً من الزمان فإنها مثل في غاية القلة منه، أي لا يتأخرون أصلاً وصيغة الاستفعال للإشعار بعجزهم وحرمانهم من ذلك مع طلبهم له ﴿ولا يستقدمون﴾ أي: لا يتقدمون عليه.

اجل چون فردا آيدت پيش وپس　　پيش وپس نكذاردست يكنفس

روي أن بعض الملوك كان متنسكاً ثم رجع ومال إلى الدنيا ورياسة الملك وبنى داراً وشيدها وأمر بها ففرشت ونجدت، واتخذ مائدة ووضع طعاماً ودعا الناس فجعلوا يدخلون عليه ويأكلون ويشربون وينظرون إلى بنائه ويتعجبون من ذلك، ويدعون له وينصرفون فمكث بذلك أياماً ثم جلس هو ونفر من خاصة أصحابه، فقال: قد ترون سروري بداري هذه وقد حدثت نفسي أن أتخذ لكل واحد من أولادي مثلها فأقيموا عندي أياماً أستأنس بحديثكم، وأشاوركم فيما أريد من هذا البناء فأقاموا عنده أياماً يلهون ويلعبون ويشاورهم كيف يبني وكيف يصنع ويرتب ذلك فبينما هم ذات ليلة في لهوهم إذ سمعوا قائلاً من أقصى الدار يقول:

يا أيها الباني الناسي لميتته　　لا تأمنن فإن الموت مكتوب
هذي الخلائق إن سروا وإن فرحوا　　فالموت حتف لدى الآمال منصوب
لا تبنين دياراً لست تسكنها　　وراجع النسك كيما يغفر الحوب

ففزع لذلك وفزع أصحابه فزعاً شديداً وراعهم فقال هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم قال: فهل تجدون ما أجد؟ قالوا: وما تجد قال: مسكة على فؤادي وما أراها إلا علة الموت، فقالوا: كلا بل البقاء والعافية، فبكى ثم أمر بالشراب فأهريق وبالملاهي فأخرجت، أو قال فكسرت وتاب إلى الله سبحانه ولم يزل يقول الموت الموت حتى خرجت نفسه رحمه الله. قال السعدي:

خواجه دربند نقش ايوانست　　خانه از پاى بست ويرانست

وقال:

آنكه قرارش نكرفتى وخواب　　تاكل ونسرين نفشاندى نخست
كردش كيتى كل رويش بريخت　　خاربنان بر سرخا كش برست

والإشارة ﴿ولكل أمة أجل﴾ أي: لكل قوم من السائرين إلى الله وإلى الجنة وإلى النار مدة معلومة ومهلة موقتة. ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ مدتهم كما قدر الله في الأزل ﴿لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ هذا وعد للأولياء استمالة لقلوبهم ووعيد للأعداء سياسة لنفوسهم كذا في «التأويلات النجمية».

﴿يا بني آدم﴾ خطاب لكافة الناس ﴿إما﴾ أصله إن ما ضمت كلمة ما إلى إن الشرطية تأكيداً لما فيها من معنى الشرط. ﴿يأتينكم رسل﴾ كائنون ﴿منكم﴾ أي: من جنسكم فهو صفة لرسل ﴿يقصون عليكم آياتي﴾ صفة أخرى لرسل، أي: يبينون لكم أحكامي وشرائعي ومقتضى الظاهر كلمة إذا بدل إن لكون الإتيان محقق الوقوع في علم الله تعالى لكنه سيق المعلوم مساق المشكوك للتنبيه على أن إرسال الرسل أمر جائز لا واجب عقلاً، حتى لا يقدر على عدم إرساله؛ ولا واجب شرعاً حتى يأثم بترك إرساله لأنه لا يجب على الله شيء لا عقلاً ولا شرعاً

لكن مقتضى الحكمة إرسال الرسل لما فيه من الحكم والمصالح. ﴿فمن﴾ شرطية بالفارسية [پس هركه] ﴿اتقى﴾ منكم التكذيب. ﴿وأصلح﴾ عمله وأطاع رسوله الذي يقص آياته. ﴿فلا خوف عليهم﴾ أي: لا يخافون ما يلحق العصاة في المستقبل. ﴿ولا هم يحزنون﴾ على ما فاتهم في الدنيا لاستغراقهم في الاستلذاذ بما أعد للمتقين في دار الكرامة والرضوان.

﴿والذين كذبوا﴾ منكم ﴿بآياتنا﴾ يعني: [تكذيب رسل كردند]. ﴿واستكبروا﴾ [وكبر آوردند وتعظم كردند يعني سركشى نمودند] ﴿عنها﴾ [ازايمان بدلائل وحدت ما]. ﴿أولئك أصحاب النار﴾ [ملازمان آتش اند] ﴿هم فيها خالدون﴾ [باقى اند ببقاء ابدى].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿فمن أظلم﴾ أي: فمن أعظم ظلماً، أي لا أحد ﴿ممن افترى على الله كذباً﴾ أي: ممن تقول عليه ما لم يقل ويدخل في التقول عليه إثبات الشريك والصاحبة والولد. ﴿أو كذب بآياته﴾ أي: كذب ما قاله وقد جعل الله الكذب عليه والتكذيب بآياته مساوياً في الإثم حيث قال: ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب ﴿ينالهم﴾ [برسد بديشان] ﴿نصيبهم﴾ كائناً ﴿من الكتاب﴾ أي: مما كتب لهم من الأرزاق والأعمار. ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا﴾ أي: ملك الموت وأعوانه ﴿يتوفونهم﴾ أي: حال كونهم متوفين لأرواحهم قابضين لها وحتى، وإن كانت هي التي يبتدأ بها الكلام لكنها غاية لما قبلها من الفعل، أي ينالهم نصيبهم من الكتاب إلى أن تأتيهم ملائكة الموت فإذا جاءتهم ﴿قالوا﴾ توبيخاً لهم ﴿أينما كنتم تدعون من دون الله﴾ أي: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا، وما وصلت بأين في خط المصحف وحقها الفصل لأنها موصولة ﴿قالوا﴾ أي: الكفار ﴿ضلوا عنا﴾ أي: غابوا عنا أي لا ندري مكانهم ﴿وشهدوا على أنفسهم﴾ عطف على قالوا أي اعترفوا على أنفسهم. ﴿أنهم كانوا﴾ أي: في الدنيا ﴿كافرين﴾ أي عابدين لمن لا يستحق العبادة أصلاً حيث شاهدوا مآله وضلاله ولا تعارض بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] لاحتمال ذلك من طوائف مختلفة أو في أوقات مختلفة.

وفي الإرشاد: ولعله قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء كأنهما حاصلان عند ابتداء التوفي كما ينبىء عنه قوله عليه السلام: «من مات فقد قامت قيامته» وإلا فهذا السؤال والجواب وما يترتب عليهما من الأمر بدخول النار، وما جرى بين أهلها من التلاعن والتقاول إنما يكون بعد البعث لا محالة. ﴿قال﴾ الله تعالى لهم يوم القيامة أو أحد من الملائكة ﴿ادخلوا في أمم﴾ أي: كائنين في جملة أمم مصاحبين لهم ﴿قد خلت﴾ أي مضت ﴿من قبلكم من الجن والإنس﴾ يعني كفار الأمم الماضية من النوعين ﴿في النار﴾ متعلق بقوله: (ادخلوا) وإنما قدم الجن على الإنس لتقدمهم عليهم في الخلقة وذلك أن الله تعالى لما خلق الجن، فمنهم مؤمن ومنهم كافر، فلما استولى أهل الكفر منهم على أهل الإيمان حتى استأصلوهم بعث الله

إليهم جنداً من الملائكة كان رئيسهم إبليس فسلطهم الله عليهم حتى أهلكوا جميعهم، ثم خلق الله آدم بعدهم فخلق منه ذريته فمنهم كافر كقابيل، ومنهم مؤمن كهابيل إذ كان في كل زمان منهم أمة كافرة مستحقة لدخول النار، وأمة مؤمنة مستحقة لدخول الجنة حتى الآن إلى انقراض العالم كما قال عليه السلام: «لا تقوم الساعة وفي الأرض من يقول الله الله». ﴿كلما دخلت أمة﴾ من الأمم السابقة واللاحقة، أي: في النار. ﴿لعنت أختها﴾ التي ضلت بالاقتداء بها فلعنت المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والمجوس المجوس وعلى هذا القياس، ويلعن الأتباع القادة يقولون لعنكم الله أنتم غررتمونا، فالمراد الأخت في الدين والملة ولم يقل أخاها لأنه أراد الأمة والجماعة. ﴿حتى إذا اداركوا فيها جميعاً﴾ غاية لما قبلها، والمعنى: أنهم يدخلونها فوجاً فوجاً لاعناً بعضهم بعضاً إلى انتهاء تداركهم وتلاحقهم في النار واجتماعهم فيها وأصل اداركوا تداركوا أدغمت التاء في الدال فاجتلبت همزة الوصل ﴿قالت أخراهم﴾ أي: دخولاً وهم الأتباع وأخرى ههنا بمعنى آخرة مؤنث آخر مقابل أول لا مؤنث آخر بمعنى غير كقوله تعالى: ﴿ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] ﴿لأولاهم﴾ أي: لأجل أولاهم إذ الخطاب مع الله تعالى. ﴿ربنا هؤلاء أضلونا﴾ أي: سنوا لنا الضلال عن الهدى بإلقاء الشبهة علينا فاقتدينا بهم. ﴿فآتهم عذاباً ضعفاً﴾ أي: مضاعفاً ﴿من النار﴾ لأنهم ضلوا وأضلوا ﴿قال﴾ الله ﴿لكل﴾ من الأولين والآخرين ﴿ضعف﴾ أما القادة فبكفرهم وتضليلهم، وأما الأتباع فبكفرهم وتقليدهم فليس المراد تضعيف ما يستحق كل واحد من العذاب لأنه ظلم بل تضعيفه عذاب الضلال بأن يضم إليه عذاب الإضلال والتقليد ﴿ولكن لا تعلمون﴾ ما لكم وما لكل فريق من العذاب.

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وقالت أولاهم﴾ أي: مخاطبين ﴿لأخراهم﴾ حين سمعوا جواب الله لهم. ﴿فما كان لكم علينا من فضل﴾ من حيث الاجتناب عن الكفر والضلال فكيف تطمعون أن يكون عذابكم أخف من عذابنا، ويكون عذابنا ضعف عذابكم والحال أنا ما ألجأناكم على الكفر، بل كفرتم لكون الكفر موافقاً لهواكم. ﴿فذوقوا العذاب﴾ المعهود المضاعف وهو قول القادة على سبيل التشفي. ﴿بما كنتم تكسبون﴾ [بسبب آنكه بوديدكه كسب مى كرديد از كفر اكنون أحواله عذاب بديكرى ميكنيد].

جمله دانندداين اكرتونكروى   هرچه مى كاريش روزى بدروى

واعلم: أن الكفار أهل الإنكار أعرضوا عن إرشاد الأخبار واكتسبوا سنناً سيئة وذهلوا عن السنن الحسنة التي سنتها الأنبياء العظام، والأولياء الكرام، ثم آل أمرهم إلى الاعتراف بجرائمهم وضلالهم حين لا ينفع الإقرار.

فعلى العاقل تدارك الحال قبل حلول الآجال، وفي الحديث: «جددوا إيمانكم» والمراد الانتقال من مرتبة إلى مرتبة فإن أصل الإيمان، قد تم بالأول ولكن الإيمان على ثماني عشرة مرتبة فالعناية من الله تعالى. وفي «المثنوي»:

تازه كن ايمان نه ازقول زبان   اى هوارا تازه كرده درنهان
تاهواتازه است وايمان تازه نيست   كين هو اجز قفل آن دروازه نيست

فالله تعالى دعا الخلق إلى الإيمان بواسطة الأنبياء عليهم السلام، فمن أجاب اهتدى إلى طريق الجنة ومن لم يجب سقط في النار.

قيل: إنما خلق الله النار لغلبة شفقته وموالاته كرجل يضيف الناس، ويقول من جاء إلى ضيافتي أكرمته ومن لم يجىء ليس عليه شيء، ويقول مضيف آخر من جاء إليّ أكرمته ومن لم يجىء ضربته وحبسته ليبين غاية كرمه وهو آكد وأتم من الإكرام الأول.

قال بعضهم: نار جهنم خير من وجه وشر من وجه كنار نمرود شر في أعينهم وبرد وسلام على إبراهيم، كالسوط في يد الحاكم السوط خير للطاغي، وشر للمطيع فمن أراد أن يسلم من عذاب النار فعليه بطريق الأخيار.

وكان المولى جلال الدين قدس سره: يعظ يوماً لأهل قرامان، ويحكي أن من كان عاصياً ومات قبل التوبة من العصيان، فإنه يدخل النار بعدله تعالى فبعد احتراقه بقدر خطاه يخرجه الله تعالى منها ويعتقه ويدخله الجنة، فقال شخص كان في ذلك المجلس ليت هذا حصل قبل أن يهدم عرض المرء وينكسر، فادع الله تعالى أيها المولى حتى يشرفنا بالجنة قبل انكسار الاعراض نسأل الله تعالى أن يعاملنا بلطفه وكرمه إنه ولي الهداية والتوفيق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾.

﴿إن الذين كذبوا بآياتنا﴾ وهي الحجج الدالة على أصول الدين من التوحيد ونبوة الأنبياء والبعث والجزاء. ﴿واستكبروا عنها﴾ أي: تعظموا وترفعوا عن الإيمان بها والعمل بمقتضاها وهم الكفار. ﴿لا تفتَّح﴾ التشديد لكثرة الأبواب. ﴿لهم أبواب السماء﴾ أي: لا تقبل أدعيتهم ولا أعمالهم أو لا تعرج إليها أرواحهم كما هو شأن أدعية المؤمنين وأعمالهم وأرواحهم، وفي الحديث: «إن روح المؤمن يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال مرحباً بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب إلى أن تنتهي إلى السماء السابعة، ويستفتح لروح الكافر، فيقال لها: ارجعي ذميمة فيهوي بها إلى سجّين» وهو مقر إبليس الأبالسة تحت الأرض السابعة، فالأرواح كلها سعيدها وشقيها متصلة بأجسادها فتعذب الأرواح وتتألم الأجساد منه كالشمس في السماء ونورها في الأرض.

واعلم: أن أرواح العصاة من المؤمنين تكون بين السماء والأرض بعضها في الهواء وبعضها في أفنية القبور إلى سبعة أيام إلى سنة إلى غير ذلك من الزمان حتى تصعد وتتخلص بدعوات الأحياء وأمداد الحسنات وتصل إلى المقر السماوي الدنيوي. ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ أي: حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير في ما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقب الإبرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه. [هر كارى موقوف محالست محالست].

والعرب إذا أرادت تأكيد النفي علقته بما يستحيل كونه كما قال الشاعر:

إذا شاب الغراب أتيت أهلي وصار القار كاللبن الحليب

والجمل: زوج الناقة وإنما يسمى جملاً إذا أربع، أي إذا دخل في السنة السابعة، فإنه يقال له في السنة السابعة رباع وللأنثى رباعية بالتخفيف. والخياط: ما يخاط به فسم الخياط بالفارسية [سوراخ سوزن]، وقرىء الجمل بضم الجيم وتشديد الميم، وهو الحبل الغليظ من القنب أو حبل السفينة التي يقال له القلس، وهي حبال مجموعة مفتولة. ﴿وكذلك﴾ أي مثل ذلك الجزاء الفظيع وهو الحرمان من الجنة. ﴿نجزي المجرمين﴾ أي: جنس المجرمين فدخلوا في زمرتهم دخولاً أولياً ﴿لهم من جهنم مهاد﴾ من جهنم حال من مهاد ومعناه فراش من النار يضطجعون ويقعدون فيه. ﴿ومن فوقهم غواش﴾ أي: أغطية جمع غاشية وهو ما يغشي الشيء ويستره، ومعنى الآية الإخبار عن إحاطة النار بهم من كل جانب حيث كانت غطاء لهم ووطاء وفي الحديث: «الكافر يكسى لوحين من نار في قبره». ﴿وكذلك﴾ أي: مثل ذلك الجزاء الشديد وهو التعذيب بالنار. ﴿نجزي الظالمين﴾ ولما كان التعذيب المؤبد بنار جهنم أشد العقوبات دل ذكر الظلم معه على أنه أعظم الأجرام.

واعلم أن فوت النعيم أيسر من مقاساة الجحيم والمصيبة العظمى هي الخلود.

وذكر عند الحسن البصري: أن آخر من خرج من النار رجل يقال له: هناد عذب ألف عام، ينادي يا حنان ويا منان فبكى الحسن، وقال: ليتني كنت هناداً فتعجبوا منه، فقال: ويحكم أليس يوماً يخرج.

والإشارة ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا﴾ وهي السنن الحسنة المنزلة على الأنبياء وما أظهره الله تعالى على يد الأولياء من الكرامات والعلوم اللدنية فأنكروها. ﴿واستكبروا عنها﴾ أي: تكبروا عن قبولها والإيمان بها. ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾ أي: أبواب سماء القلوب إلى الحضرة. ﴿ولا يدخلون الجنة﴾ أي: جنة القربة والوصلة. ﴿حتى يلج الجمل﴾ أي: جمل النفس المتكبرة. ﴿في سم الخياط﴾ وهو مدخل الطريقة التي بها تربى النفوس الأمارة وتزكى لتصير مطمئنة فتستحق بها خطاب ارجعي إلى ربك، فالمعنى: أن النفس المتكبرة لما صارت كالجمل لتكبرها لا تصلح لدخول جنة الحقيقة إلا بعد تزكيتها بأحكام الشريعة وآداب الطريقة، حتى تصير بالتربية في إزالة الصفات الذميمة، وقطع تعلقات ما سوى الله تعالى أدق من الشعر بألف مرة، فيلج في سم خياط الفناء فيدخل الجنة جنة البقاء فافهم جداً. ﴿وكذلك نجزي المجرمين﴾ الذين أجرموا على أنفسهم الضعيفة اللطيفة حتى صارت من الأوزار كالجمل بأن نجعل ﴿لهم من جهنم﴾ المجاهدة والرياضة فراشاً، وهو قوله: ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾ يعني: من مخالفة النفس وقمع الهوى يكون فراشهم ولحافهم حتى تحيط بهم فتذيبهم وتحرق منهم أنانيتهم مع أثقال أوزارهم ليستحقوا دخول الجنة. ﴿وكذلك نجزي الظالمين﴾ يعني: بهذه الطريقة نضع عنهم أوزارهم ونرد مظالمهم في الدنيا ليردوا القيامة مستعدين لدخول الجنة، ومن لم نجزه في الدنيا بهذه الطريقة فنجزه في الآخرة، كما قال: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١] في الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: ٢١] فيه كذا في «التأويلات النجمية»: فالمجاهدة وسلوك طريق التصفية من دأب الأخيار.

ذكر عن إبراهيم بن أدهم أنه لما أراد أن يدخل البادية أتاه الشيطان فخوفه أن هذه بادية مهلكة، ولا زاد معك ولا مركب فعزم على نفسه رحمه الله أن يقطع البادية على تجرده ذلك

وأن لا يقطعها حتى يصلي تحت كل ميل من أميالها ألف ركعة، وقام بما عزم عليه وبقي في البادية اثنتي عشرة سنة حتى أن الرشيد حج في بعض تلك السنين فرآه تحت ميل يصلي فقيل له هذا إبراهيم بن أدهم، فأتاه فقال كيف نجدك يا أبا إسحاق؟ فأنشد إبراهيم بن أدهم يقول:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاء بدنياه لما يتوقع

قال الحافظ:

دع التكاسل تغنم فقد جرى مثل كه زاد رهروان چستيست وچالاكى

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣)﴾

﴿والذين آمنوا﴾ بالآيات. **﴿وعملوا الصالحات﴾** أي: الأعمال الصالحات التي شرعت بالآيات وهي ما أريد به وجه الله تعالى. **﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾** أي: طاقتها وقدرتها هو اعتراض بين المبتدأ والخبر للدلالة على أن استحقاق الخلود في النعيم المقيم بسبب اتصافهم بالإيمان والعمل الصالح على حسب ما تسعه طاقتهم، وإن لم يبذلوا مجهودهم فيه، **﴿أولئك أصحاب الجنة﴾** [ملازمان بهشت اند] **﴿هم فيها خالدون﴾** حال من أصحاب الجنة.

﴿ونزعنا﴾ النزع قلع الشيء عن مكانه. **﴿ما في صدورهم﴾** قلوبهم **﴿من غل﴾** وهو الحقد الكامن والبغض المختفي في الصدور، أي: تخرج من قلوبهم أسباب الحقد الذي كان لبعضهم في حق بعض في الدنيا، فإن ذلك الحقد إنما نشأ من التعلق بالدنيا وما فيها، وبانقطاع تلك العلاقة انتهى ما يتفرع عليه من الحقد ومن جملة أسبابه أيضاً أن الشيطان كان يلقي الوساوس إلى قلوب بني آدم في الدنيا، وقد انقطع ذلك في الآخرة بسبب أن الشيطان لما استغرق في عذاب النيران لم يتفرغ لإلقاء الوسوسة في قلب الإنسان، ويجوز أن يكون المراد تطهر قلوبهم من الغل نفسه حتى لا يكون بينهم إلا التواد، يعني: لا يحسد بعض أهل الجنة بعضاً إذا رآه أرفع درجة منه ولا يغتم بسبب حرمانه من الدرجات الرفيعة العالية.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وابن مسعود وعمار بن ياسر وسلمان وأبي ذر، ينزع الله في الآخرة ما كان في قلوبهم من غش بعضهم لبعض في الدنيا من العداوة والقتل الذي كان بعد رسول الله ﷺ، والأمر الذي اختلفوا فيه فيدخلون إخواناً على سرر متقابلين.

پاك وصافى شو وازچاه طبيعت بدرآى كه صفايى ندهد آب تراب آلوده

﴿تجري من تحتهم﴾ أي من تحت شجرهم وغرفهم **﴿الأنهار﴾** زيادة في لذتهم وسرورهم **﴿وقالوا﴾** أي: أهل الجنة إذا رأوا منازلهم. **﴿الحمد لله الذي هدانا﴾** بفضله **﴿لهذا﴾** أي: لدين وعمل جزاؤه هذا **﴿وما كنا لنهتدي﴾** أي: لهذا المطلب الأعلى **﴿لولا أن هدانا الله﴾** ووفقنا له:

كر بدرقهٔ لطف تو ننمايد راه ازراه تو هيچكس نكردد آكاه

آنكه كه بره رسند وبايد رفتن   توفيق رفيق نشد واو يلاه

روي عن السدي أنه قال في هذه الآية: إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان فشربوا من إحداهما، فينزع ما في صدورهم من غل وهو الشراب الطهور، واغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلم يشعثوا ولم يشحبوا بعده أبداً، والشعث انتشار شعر الرأس، والأشعث: مغبر الرأس، ويقال شحب جسمه يشحب بالضم إذا تغير وشربوا واغتسلوا ويبشرهم خزنة الجنة قبل أن يدخلوها بأن يقولوا لهم: **﴿أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾** فإذا دخلوها واستقروا في منازلهم منها قالوا **﴿الحمد لله﴾** الآية.

واعلم: أن الغل ظلمة الصفات البشرية وكدورتها وطهارة القلوب بنور الإيمان والأرواح بماء العرفان والأسرار بشراب طهور تجلي صفات الجمال، وليس في صدور أهل الحقيقة من غل وغش أصلاً لا في الدنيا ولا في العقبى. **﴿لقد جاءت رسل ربنا﴾** جواب قسم مقدر أي والله لقد جاؤوا **﴿بالحق﴾** فالباء للتعدية، أو لقد جاؤوا ملتبسين بالحق فهي للملابسة يقوله: أهل الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل عياناً واستقروا فيه إظهاراً لكمال نشاطهم وسرورهم.

قال الحدادي: شهادة منهم بتبليغ الرسل للحق إليهم، أي جاؤوا بالصدق فصدقناهم **﴿ونودوا أن تلكم الجنة﴾** يعني: أن الملائكة ينادونهم حين رأى المؤمنون الجنة من بعيد بأن يقولوا لهم: إن تلك التي رأيتموها هي الجنة التي وعدتم بها في الدنيا فإن مفسرة أو مخففة وتلك مبتدأ أشير به إلى ما رأوه من بعيد والجنة خبره واللام فيها للعهد **﴿أورثتموها﴾** أي: أعطيتموها والجملة حال من الجنة. **﴿بما كنتم تعملون﴾** في الدنيا من الأعمال الصالحة أي بسبب أعمالكم.

فإن قيل: هذه الآية تدل على أن العبد يدخل الجنة بعمله، وقد قال عليه السلام: «لن يدخل الجنة أحدكم بعمله وإنما تدخلونها برحمة الله تعالى وفضله» فما وجه التوفيق بينهما.

أجيب: بأن العمل لا يوجب دخول الجنة لذاته وإنما يوجبه من حيث إنه تعالى وعد للعاملين أن يتفضل بها بمحض رحمته وكمال فضله وإحسانه ولمّا كان الوعد بالتفضل في حق العاملين بمقابلة عملهم كان العمل بمنزلة السبب المؤدي إليها فلذلك قيل أورثتموها بأعمالكم كذا في «حواشي ابن الشيخ» وفي الخبر أنه يقال لهم يوم القيامة «جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم»، وهي جنة الأعمال وهي التي ينزل الناس فيها بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر سواء كان الفاضل بهذه الحالة دون المفضول، أو لم يكن فما من عمل إلا وله جنة يقع التفاضل فيها بين أصحابها ورد في الحديث الصحيح عن النبي عليه السلام أنه قال لبلال يا بلال: «بِمَ سبقتني إلى الجنة؟ فما وطئت منها موضعاً إلا سمعت خشخشتك» فقال يا رسول الله: ما أحدثت قط إلا توضأت وما توضأت إلا صليت ركعتين فقال عليه السلام: «بهما» فعلمنا أنها كانت مخصوصة بهذا العمل فما من فريضة ولا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرم ومكروه إلا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص يناله من دخلها.

والتفاضل على مراتب: فمنها بالسنّ: ولكن في الطاعة والإسلام فيفضل الكبير السنّ على الصغير السنّ إذا كانا على مرتبة واحدة من العمل، ومنها بالزمان فإن العمل في رمضان

وفي يوم الجمعة وفي ليلة القدر وفي عشر ذي الحجة وفي عاشوراء أعظم من سائر الزمان، ومنها بالمكان: فالصلاة في المسجد الحرام أفضل منها في مسجد المدينة وهي من الصلاة في المسجد الأقصى وهي منها في سائر المساجد، ومنهما بالأحوال: فإن الصلاة بالجماعة أفضل من صلاة الشخص وحده، ومنها بنفس الأعمال: فإن الصلاة أفضل من إماطة الأذى ومنها في العمل الواحد فالمتصدق على رحمه صاحب صلة رحم وصدقة، وكذا من أهدى هدية لشريف من أهل البيت أفضل ممن أهدى لغيره أو أحسن إليه، ومن الناس من يجمع في الزمن الواحد أعمالاً كثيرة فيصرف سمعه وبصره ويده فيما يبتغي في زمان صومه وصدقته بل في زمان صلاته في زمان ذكره في زمان نيته من فعل وترك فيؤجر في الزمن الواحد من وجوه كثيرة فيفضل غيره ممن ليس له ذلك.

ومن الجنات جنة اختصاص إلهي: وهي التي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا حد العمل وحدّه من أول ما يولد، أي: يستهل صارخاً إلى انقضاء ستة أعوام ويعطي الله من شاء من عباده من جنات الاختصاص ما شاء، ومن أهلها المجانين الذين ما عقلوا، ومن أهلها أهل التوحيد العلمي، ومن أهلها أهل الفترات ومن لم يصل إليهم دعوة رسول.

ومن الجنات جنة ميراث: ينالها كل من دخل الجنة ممن ذكرنا ومن المؤمنين وهي الأماكن التي كانت معينة لأهل النار لو دخلوها وفي الحديث: «كل من أهل النار يرى منزله في الجنة، فيقولون لو هدانا الله، فيكون عليهم حسرة، وكل من أهل الجنة يرى منزله في النار، فيقولون لولا أن الله هدانا».

واعلم: أن الجنة صورية ومعنوية صورية محسوسة مؤجلة ومعنوية معقولة معجلة وأهلها أهل الفناء في الله والبقاء بالله: قال الحافظ:

جنت نقدست اين جا عشرت وعيش وحضور
زانكه درجنت خدا بربنده ننويسد كناه

اللهم شرفنا بالجنان إنك أنت المنان.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿**ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار**﴾ سروراً بحالهم وشماتة بأصحاب النار وتحسيراً لهم لا لمجرد الإخبار بحالهم والاستخبار عن حال مخاطبهم، ووجه تيسر المناداة والمكالمة بين أهل الجنة وأهل النار مع أن بعد ما بين الجنة والنار لا يعلم مقداره إلا الله تعالى؛ إذ كل درجة من درجات الجنان يقابلها دركة من دركات النيران، فأي درجة فيها العامل بسبب عمله يستحق تارك ذلك العمل بسبب تركه إياه دركة من دركات الجحيم فيكون أهل الدرجة مشرفاً على أهل الدركة التي تقابلها، كما قال تعالى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الصافات: ٥٥] فأمكن لهم تقريع أهل النار وتحسيرهم بقولهم: ﴿**أن**﴾ تفسيرية للمنادى له لأن النداء في معنى القول أو مخففة. ﴿**قد وجدنا ما وعدنا ربنا**﴾ من الثواب والكرامة ﴿**حقاً**﴾ بالفارسية [راست

ودرست] ﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم﴾ من العذاب، والوعد يستعمل في الخير والشر، ﴿حقاً﴾ حذف المفعول من الفعل الثاني حيث لم يقل ما وعدكم كما قال: ما وعدنا إسقاطاً لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد. ﴿قالوا نعم﴾ أي: وجدناه حقاً فاعترفوا في وقت لا ينفعهم الاعتراف: ولذا قيل:

كنون بايد اي خفته بيدار بود چو مرگ اندر آرد زخوابت چه سود
توپيش از عقوبت در عفو كوب كه سودى ندارد فغان زير چوب

﴿فأذن﴾ [پس آواز دهد] ﴿مؤذن﴾ [آواز دهنده] وهو ملك ينادي من قبل الله تعالى نداء يسمعه كل واحد من أهل الجنة وأهل النار، وقيل: هو صاحب الصور، أي: إسرافيل عليه السلام. ﴿بينهم﴾ منصوب بأذن أي أوقع ذلك الأذان بين الفريقين أي في وسطهم. ﴿أن﴾ تفسيرية لأن التأذين في معنى القول أو مخففة ﴿لعنة الله﴾ استقرت ﴿على الظالمين﴾ أي: على الكافرين دون المؤمنين؛ لأن الظلم إذا ذكر مطلقاً يصرف إلى الكمال، وكمال الظلم هو الشرك وهو إخبار، وقيل: هو ابتداء لعن منه عليهم.

﴿الذين يصدون﴾ يعرضون فهو لازم لأن جعله متعدياً بمعنى يمنعون الناس محوج إلى تقدير المفعول ولا يصار إليه من غير ضرورة. ﴿عن سبيل الله﴾ أي عن الدين الذي هو طريق الله إلى جنته، والسبيل الطريق وما وضح منه كذا في «القاموس»: ﴿ويبغونها عوجاً﴾ أي: يبغون لها عوجاً بأن يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهي أبعد شيء منهما. ﴿وهم بالآخرة كافرون﴾ جاحدون بالبعث بعد الموت فلما كان الظالمين بمعنى الكافرين كانت الأوصاف الجارية عليه من قبيل الصفات المؤكدة، فإن الظالم وصف في الآية بثلاث صفات مختصة بالكفار، الأولى: كونهم صادين معرضين عن سبيل الله، والثانية: كونهم طالبين إمالة سبيل الله ودينه الحق وتغييره إلى الباطل بإلقاء الشكوك والشبهات في دلائل حقيته، والثالثة: كونهم منكرين للآخرة مختصين بهذا الوصف وكل واحدة من هذه الصفات الثلاث مقررة لظلمهم بمعنى الكفر.

والإشارة ﴿ونادى أصحاب الجنة﴾ أي: أرباب المحبة ﴿أصحاب النار﴾ يعني: نار القطيعة ﴿أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا﴾ أي فيما قال «ألا من طلبني وجدني» ﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً﴾ أي فيما قال: «ومن يطلب غيري لم يجدني» ﴿قالوا نعم﴾ فأجابوهم بلى وجدناه حقاً ﴿فأذن مؤذن﴾ العزة والعظمة بينهم ﴿أن لعنة الله على الظالمين﴾ الذين وضعوا استعداد الطلب في غير موضع مطلبه وصرفوه في غير مصرفه. ﴿الذين يصدون﴾ أي: وهم الذين يصدون القلب والروح. ﴿عن سبيل الله﴾ وطلبه. ﴿ويبغونها عوجاً﴾ أي: يصرفون وجوههم إلى الدنيا وما فيها ﴿وهم بالآخرة كافرون﴾ أي: وهم ينكرون على أهل المحبة فيما يطلبون مما تأخر من حسهم وهم يطلبون ما يدركون بالحواس الظاهرة دون ما في الآخرة كذا في «التأويلات النجمية» فالناس على مراتب بحسب إقرارهم وإنكارهم وسلوكهم وقعودهم. وفي «المثنوي»:

كودكان كرچه بيك مكتب درند در سبق هريك زيك بالاترند
خود ملائك نيز تاهمتا بدند زين سبب بر آسمان صف صف شدند

فعلى السالك الاجتهاد في طلب الحق إلى ظهور كنز الحقيقة فإن المطلب الأعلى عند من يميز النقد الجيد من النبهرج والزيوف.

وعن ذي النون رضي الله عنه قال: أوحى الله سبحانه إلى موسى عليه السلام يا موسى كن كالطير الوحداني يأكل من رؤوس الأشجار ويشرب الماء القراح، أو قال من الأنهار إذا جنه الليل أوى إلى كهف من الكهوف استئناساً بي واستيحاشاً ممن عصاني يا موسى إني آليت على نفسي أن لا أتم لمدعي عملاً، ولأقطعن أمل من أمل غيري ولأقصمنّ من استند إلى سواي ولأطيلن وحشة من أنس بغيري ولأعرضن عمن أحب حبيباً سواي يا موسى إن لي عباداً إن ناجوني أصغيت إليهم وإن نادوني أقبلت عليهم، وإن أقبلوا عليّ أدنيتهم وإن دنوا مني قربتهم وإن تقربوا مني كفيتهم وإن والوني واليتهم وإن صافوني صافيتهم، وإن عملوا إليّ جازيتهم أنا مدبر أمرهم وسائسُ قلوبهم ومتولي أحوالهم لم أجعل لقلوبهم راحة في شيء إلا في ذكري فهؤلاء سقامهم شفاء وعلى قلوبهم ضياء لا يستأنسون إلا بي، ولا يحطون رحال قلوبهم إلا عندي ولا يستقر بهم قرار في الإيواء إلا إليّ.

﴿وبينهما﴾ أي بين الفريقين أو بين الجنة والنار ﴿حجاب﴾ كسور المدينة حتى لا يقدر أهل النار أن يخرجوا إلى الجنة ولئلا يتأذى أهل الجنة بالنار ولا يتنعم أهل النار بنعيم الجنة لأن الحجاب المضروب بينهما يمنع وصول أثر إحداهما إلى الأخرى؛ لأنه قد جاء «أن الحور العين لو نظرت واحدة منهن إلى الدنيا نظرة لامتلأت الدنيا من ضوئها وعطرها» وجاء في وصف النار «أن شرارة منها لو وقعت في الدنيا لأحرقتها».

قال الحدادي: فإن قيل كيف يصح هذا التأويل في الحجاب بين الجنة والنار ومعلوم أن الجنة في السماء والنار في الأرض، قيل: لم يبين الله حال الحجاب المذكور في الآية ولا قدر المسافة فلا يمتنع أن يكون بين الجنة والنار حجاب وإن بعدت المسافة. ﴿وعلى الأعراف﴾ أي: أعراف ذلك الحجاب، أي أعاليه وهو السور المضروب بينها قيل هو جبل أحد يوضع هناك جمع عرف وهو كل عال مرتفع ومنه عرف الديك والفرس سمي عرفاً؛ لأنه بسبب ارتفاعه يكون أعرف مما انخفض منه. ﴿رجال﴾ طائفة من المؤمنين تساوت حسناتهم وسيئاتهم فهم ينظرون إلى النار وينظرون إلى الجنة وما لهم رجحان بما يدخلهم إحدى الدارين، فإذا دعوا إلى السجود وهو الذي يبقى يوم القيامة من التكليف يسجدون فيرجح ميزان حسناتهم فيدخلون الجنة وهو أحد الأقوال في تعيين أصحاب الأعراف وسيجيء الباقي. ﴿يعرفون﴾ صفة رجال ﴿كلا﴾ أي: كل فريق من أصحاب الجنة وأصحاب النار ﴿بسيماهم﴾ أي بسبب علاماتهم التي أعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده وهذا في العرصات قبل دخول الجنة والنار، فإن المعرفة بعد الدخول تحصل بالمشاهدة والإحساس ولا يحتاج إلى الاستدلال بسيماهم، وأما النداء والصرف والإتيان فبعد الدخول: ﴿ونادوا﴾ أي: الرجال وهو صفة ثانية لرجال عدل إلى لفظ الماضي تنزيلاً للنداء منزلة الواقع ﴿أصحاب الجنة أن﴾ تفسيرية أو مخففة ﴿سلام عليكم﴾ يعني: إذا نظروا إليهم سلموا عليهم سلام التحية والإكرام وبشروهم بالسلامة من جميع المكاره والآفات. ﴿لم يدخلوها﴾ حال من فاعل نادوا أي نادوا حال كونهم لم يدخلوها. ﴿وهم يطمعون﴾ أي: والحال أنهم طامعون في دخولها حال من فاعل يدخلوها أي نادوهم، وهم لم يدخلوها حال كونهم طامعين في دخولها مترقبين له، أي: لم يدخلوها وهم في وقت عدم الدخول طامعين وسبب طمعهم أنهم من أهل لا إله إلا الله ولا يرونها في ميزانهم ويعلمون أن الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة ولو جيء بذرة لإحدى الكفتين لرجحت بها؛

لأنها في غاية الاعتدال فيطمعون في كرم الله وعدله وأنه لا بد أن يكون لكلمة لا إله إلا الله عناية بصاحبها، فيظهر لها أثر عليهم فيقفون هناك حتى يقضي الله فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة برحمته، وهم آخر من يدخل الجنة وإذا أراد الله أن يعافيهم انطلق بهم إلى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه قضب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم وفي نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها، ثم يؤتى بهم فيدخلون الجنة ويسمون مساكين أهل الجنة. قال الحافظ:

هست اميدم على رغم عدو روز جزا فيض عفوش ننهد باركنه بر دوشم

﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار﴾ أي: إلى جهنم وفي عدم التعرض لتعلق أنظارهم بأصحاب الجنة، والتعبير عن تعلق أبصارهم بأصحاب النار بالصرف إشعار بأن التعلق الأول بطريق الرغبة والميل والثاني بخلافه.

وفي «تفسير الزاهدي»: إن الملك يصرف أبصارهم إليهم بأمر الله تعالى ﴿قالوا﴾ متعوذين بالله تعالى من سوء حالهم ﴿ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾ أي: في النار أي يدعون بذلك خوفاً من الله تعالى لأجل معاصيهم.

والقول الثاني: في تعيين أصحاب الأعراف أنهم الأنبياء أجلسهم الله على أعالي ذلك السور تمييزاً لهم عن سائر أهل القيامة ليكونوا مشرفين على أهل الجنة، وأهل النار مطلعين على أحوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم شاهدين على أممهم، وعلى هذا فقوله: ﴿لم يدخلوها وهم يطمعون﴾ حال من مفعول نادوا وهو أصحاب الجنة؛ لأن طمع دخول الجنة لا يليق بأشراف أهل الموقف، أي نادى أشراف أهل الموقف وهم على الأعراف أصحاب الجنة حال كون أصحابها لم يدخلوها وهم طامعون في دخولها، وكذا التقدير في سائر الوجوه الآتية المرادة بها أهل الدرجات العالية.

والقول الثالث: هم الشهداء الذين يميزون من بين أهل الموقف بالاستحقاق لمزيد التعظيم والإجلاس في أعالي السور المضروب ليشاهدوا حكم الله تعالى في أهل الموقف بمقتضى فضله وعدله.

والرابع: هم أفاضل المؤمنين فرغوا من شغل أنفسهم وتفرغوا لمطالعة أحوال الناس، وفي الحديث: «إذا جمع الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل؟ فيقوم أناس وهم يسيرون فينطلقون سراعاً إلى الجنة، فيقولون: نحن أهل الفضل فيقال لهم ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا غفرنا، وإذا جهل علينا حلمنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين».

والخامس: قوم صالحون فقهاء علماء، وذلك لمزيتهم على غيرهم بشرف الفقه والعلم.

والسادس: هم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم وهم في كل أمة.

والسابع: هم العباس وحمزة وعلي بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين رضي الله عنهم يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه.

والثامن: أنهم ملائكة موكلون بهذا السور يميزون الكافرين من المؤمنين قبل إدخالهم

الجنة والنار عبر عنهم باسم الرجال لكونهم يرون في صورة الرجال، كما عبر به عن الجن في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦] لكونهم في صورة الرجال يقولون حين أشرفوا على أهل النار، ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين لأنهم مكلفون كبني آدم فلا ينكر أن يدعوا الله لأنفسهم بالأمن.

والتاسع: هم الشهداء الذين خرجوا إلى الغزو وغزوا في سبيل الله بغير إذن آبائهم فقتلوا شهداء، فأعتقوا من النار بأن قتلوا في سبيل الله واحتبسوا عن الجنة بعصيانهم آباءهم.

والعاشر: قوم رضي عنهم آباؤهم دون أمهاتهم أو أمهاتهم دون آبائهم.

والحادي عشر: أنهم أولاد الزنى.

والثاني عشر: أولاد المشركين.

والثالث عشر: هم الذين ماتوا في الفترة ولم يبدلوا دينهم وزمان الفترة هو الزمان الذي بين عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما.

والرابع عشر: هم قوم كانت لهم صغائر لم تكفر عنهم بالآلام والمصائب في الدنيا، فوقفوا وليست لهم كبائر فيحبسون عن الجنة لينالهم بذلك غم فيقع في مقابلة صغائرهم.

والخامس عشر: هم الذين ذكرهم الله في القرآن أصحاب الذنوب العظام من أهل القبلة. روي عن بعض الصالحين أنه قال أخذتني ذات ليلة سنة فنمت فرأيت في منامي كأن القيامة قد قامت وكأن الناس يحاسبون فقوم يمضي بهم إلى الجنة، وقوم يمضي بهم إلى النار قال فأتيت إلى الجنة، فناديت يا أهل الجنة بماذا نلتم سكنى الجنان في محل الرضوان؟ فقالوا لي: بطاعة الرحمن ومخالفة الشيطان، ثم أتيت إلى باب النار فناديت يا أهل النار بماذا نلتم النار؟ قالوا بطاعة الشيطان ومخالفة الرحمن، قال: فنظرت فإذا بقوم موقوفون بين الجنة والنار فقلت: ما بالكم موقوفون بين الجنة والنار؟ فقالوا: لنا ذنوب جلّت وحسنات قلّت فالسيئات منعتنا من دخول الجنة والحسنات منعتنا من دخول النار وأنشدوا:

نحن قوم لنا ذنوب كبار — منعتنا من الوصول إليه
تركتنا مذبذبين حيارى — أمسكتنا عن القدوم عليه

هذا ما تيسر لي جمعه من الأقوال والله تعالى أعلم بحقيقة الحال.

والإشارة أن بين أهل النار وأهل الجنة حجاباً وهو من أوصاف البشرية والأخلاق الذميمة النفسانية، فلا يرى أهل النار أهل الجنة من وراء ذلك الحجاب وبين أهل الجنة، وأهل الله وهم أصحاب الأعراف حجاباً وهو من الأصاف الخلقية والأخلاق الحميدة الروحانية، فلا يرى أهل الجنة أهل الله من وراء ذلك الحجاب كما قال الله تعالى: ﴿**وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم**﴾ يعني: أصحاب الأعراف يعرفون أهل الجنة والنار بما يتوسمون في سيماهم من آثار نور القلب وظلمته، وسميت الأعراف أعرافاً لأنها مواطن أهل المعرفة وإنما سمى الله أهل المعرفة رجالاً لأنهم بالرجولية يتصرفون فيما سوى الله تصرف الرجال في النساء ولا يتصرف فيهم شيء منه كقوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] وحيث ما ذكر الله الخواص ذكرهم برجال كقوله: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟﴾ [الأحزاب: ٢٣] وكقوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ [التوبة: ١٠٨] لأن وجه الامتياز بين الخواص والعوام بالرجولية في طلب الحق وعلو الهمة فإن أصحاب الأعراف بعلو هممهم ترقوا عن حضيض

البشرية ودركات النيران وصعدوا على ذروة الروحانية ودرجات الجنان وما التفتوا إلى نعيم الدارين، وما ركنوا إلى كمالات المنزلين حتى عبروا عن المكونات وأقاموا على الأعراف وهي مرتبة فوق الجنان في حظائر القدس عند الرحمن وهم مشرفون على أهل الجنة والنار فلما رأوا أهل الجنة وأنهم في شغل فاكهون. ﴿و﴾ قد شغلوا بنعيمها عن المولى ﴿نادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم﴾ يعني هنيئاً لكم ما أنتم فيه من النعيم المقيم والحور والقصور ثم أخبر عن همة أصحاب الأعراف فقال: ﴿لم يدخلوها وهم يطمعون﴾ أي: شاهدوا نعيم الجنة ودرجاتها ولم يركنوا إلى شيء منها فعبروا عليها، ولم يدخلوها وهم على الأعراف يطمعون في الوصول إلى الله والدخول في الجنة التي أضافها الله تعالى إلى نفسه بقوله: ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾ [الفجر: ٣٠] ﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار﴾ ابتلاء ليريهم أنه تعالى من أية دركة خلصهم وبأية كرامة خصهم فيعرفوا قدر ما أنعم الله عليهم به ومن هذا القبيل يكون ما سنح لأرباب الكمالات من الخواطر النفسانية وما ابتلاهم بشيء من الدنيا والجاه والقبول والاشتغال بالخلق ليعرفوا قدر العزلة والتجريد والأنس مع الله في الخلوات ففي أداء حق الشكر ورؤية النعمة. ﴿قالوا﴾ مع المنعم ﴿ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾ أي: بعد أن خلصتنا من أوصافهم وأخلاقهم ودركاتهم ومما هم فيه لا تجعلنا مرة أخرى من جهتهم، ولا تدخلنا في زمرتهم كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٤٨ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ۝٤٩﴾

﴿ونادى أصحاب الأعراف﴾ وهم الذين علت درجاتهم من الأنبياء وأشراف أهل الموقف وهو الأنسب بما بعد الآية؛ إذ قولهم ادخلوا الجنة لا يليق بالمقصرين في العمل ﴿رجالاً﴾ من رؤساء الكفار حين رأوهم فيما بين أصحاب النار، وهم أبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وعاص بن وائل وأضرابهم. ﴿يعرفونهم بسيماهم﴾ أي: علاماتهم الدالة على سوء حالهم حينئذٍ وعلى رياستهم في الدنيا والباء سببية. ﴿قالوا﴾ بدل من نادى أي قال أصحاب الأعراف: وهم على السور مخاطبين لرؤساء الكفار توبيخاً وشماتة ﴿ما أغنى عنكم﴾ ما استفهامية للتقريع أو نافية ومعناه على الثانية [دفع نكرد عذاب ازشما] ﴿جمعكم﴾ أي: أتباعكم وأشياعكم أو جمعكم للمال ﴿وما كنتم تستكبرون﴾ ما مصدرية أي واستكباركم المستمر على الخلق [يعني استكبار شما مانع عذاب نشد].

﴿أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة﴾ هو من تمام قول أصحاب الأعراف للرجال الذين هم رؤساء الكفرة فيكون في محل النصب بالقول المتقدم.

والإشارة إلى ضعفاء المؤمنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون صريحاً أنهم لا يدخلون الجنة قوله: ﴿لا ينالهم الله برحمة﴾ جواب أقسمتم، ومعناه بالفارسية [اين كروه آنا نندكه دردنيا سوكند ميخورديدكه البته خداى هركز بديشان نرساند بخشايش خودرا]. ﴿ادخلوا الجنة﴾ أي: فالتفت أصحاب الأعراف إلى فقراء المسلمين مثل بلال وصهيب وسلمان وخباب وأمثالهم، وقالوا لهم، ادخلوا الجنة على رغم أنوف رؤساء الكفار. ﴿لا خوف عليكم﴾ حين يخاف أهل النار ﴿ولا أنتم تحزنون﴾ حين يحزن أهل النار.

وفي الآية: ذم المال والاستكبار والافتخار بكثرة الخدم والأعوان والأنصار.

نه منعم بمال ازكسى بهترست خرا ارجل اطلس بپوشد خرست
بدين عقل وهمت نخوانم كست وكر ميرود صد غلام ازپست
تكبر كند مرد حشمت پرست نداند كه حشمت بحلم اندرست
چومنعم كند سفله را روزكار نهد بر دل تنك درويش بار
چوبام بلندش بود خود پرست كند بول وخاشاك بر بام پست

واعلم: أن حب المال والاستكبار من أخلاق النفس فلا بد للسالك من تزكيتها وكان من دعاء النبي عليه السلام: «اللهم حسّن خلقي وخلقي» وقد مدحه الله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤] وكان عليه السلام يجالس الفقراء والمساكين ويواكلهم وكان يمر على الصبيان ويسلم عليهم وأتى رجل فارتعد من هيبته فقال: «هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد» وكان يجلس مختلطاً بأصحابه كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل وكان لا يدعوه أحد إلا قال لبيك وكل ذلك من تواضعه ﷺ.

قال ذو النون المصري: علامة السعادة حب الصالحين والدنو منهم وتلاوة القرآن وسهر الليل ومجالسة العلماء ورقة القلب.

والإشارة: أن المؤمنين والعلماء بعلم الظاهر في بعض الأوقات يقولون لأهل المحبة والمعرفة وأرباب الطلب من دناءة هممهم أن أحداً منكم لا ينال درجة الوصول ومرتبة الوصال ويقسمون على ذلك ثم يقول الله لأصحاب الأعراف. **﴿ادخلوا الجنة﴾** المضافة إليّ في حظائر القدس وعالم الجبروت **﴿لا خوف عليكم﴾** من الخروج منها. **﴿ولا أنتم تحزنون﴾** على ما فاتكم من نعيم الجنة إذ تفرغتم لشهود جمالنا ووجود وصالنا.

واعلم: أن أهل النار يرون أهل الله وهم أصحاب الأعراف بالصورة ما داموا في مواطن الكونين، فإذا دخلوا جنة الحقيقة المضافة إلى الله في سرادقات العزة وعالم الجبروت انقطع عنهم نظرهم ونظر الملائكة المقربين فافهم جداً.

وقد حكي عن بابا جعفر الأبهري: أنه دخل على بابا طاهر الهمذاني، فقال: أين كنت؟ فإني حضرت البارحة مع الخواص على باب الله فما رأيتك، ثم قال: بابا طاهر صدقت كنت على الباب مع الخواص وكنت داخلاً مع الأخص فما رأيتني.

فعلى السالك أن لا ينقطع عنهم وعن اعتقادهم وفي الحديث: «لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله يوم القيامة».

حب درويشان كليد جنت است دشمن ايشان سزاى لعنت است

قال في «المثنوي» في حق حسن الظن بالفقراء:

كركدايان طامعند وزشت خو درشكم خوران توصاحب دل بجو
درتك دريا كهر يا سنكهاست فخرها اندرميان ننكهاست

ومن دعائه ﷺ: «اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين» وحقيقة المسكين من لا شيء له غير الله تعالى وهو أهل الله وأصحاب الأعراف.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة﴾ بعد الاستقرار في الدارين ﴿أن﴾ مفسرة أو مخففة كما سبق غير مرة ﴿أفيضوا علينا﴾ أي صبوا ﴿من الماء﴾ أي: ماء الجنة حتى يطفىء عنا حرّ ما نجد من العطش وذلك أنهم لما بقوا فيها جياعاً عطاشاً، قالوا: يا ربنا إن لنا قرابات في الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فيؤذن لهم في ذلك، فينظرون إلى قراباتهم في الجنة، وإلى ما هم فيه من أنواع النعيم فيعرفونهم ولا يعرفهم أهل الجنة لسواد وجوههم، فينادون قراباتهم من أهل الجنة بعد إخبارهم بقرابتهم، ويقولون أفيضوا علينا من الماء ﴿أو مما رزقكم الله﴾ من سائر الأشربة ليلائم الإفاضة فإن الأصل فيها أن تستعمل في المائعات من المشروبات، أو من الأطعمة فنأكلها لعلها تدفع عنا الجوع على أن الإفاضة عبارة عن الإعطاء بكثرة.

قال أبو حيان: الصحيح تضمين أفيضوا معنى ألقوا، وهؤلاء القائلون كانوا في الدنيا عبيد البطون حريصين على الطعام والشراب حتى ماتوا على ما عاشوا فيه، فحشروا على ما ماتوا عليه، وإن أهل الجنة لما طالوا الجوع والعطش في الدنيا، وإنما جوعوا بطونهم لوليمة الفردوس كان اشتغالهم في الجنة بشهوات النفس.

وفي الآية: بيان أن الإنسان لا يستغني عن الطعام والشراب وإن كان في العذاب.

قال أبو الجوزاء: سألت ابن عباس رضي الله عنهما أي الصدقة أفضل قال الماء أرأيت أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة قالوا أفيضوا علينا من الماء.

وعن سعد بن عبادة أنه قال يا رسول الله إن أم سعد ماتت، فأي صدقة أفضل قال عليه السلام: «الماء» فحفر بئراً فقال عليه السلام: «هذه لأم سعد» يقول الفقير في الحديث دلالة على نفع الصدقة في الأموات كما ذهب إليه أهل السنة، وتخصيص الماء إما لأن أرض الحجاز أحوج شيء إليه فيكون أكثر ثواباً، وإما لأن جهنم بيت الحرارة واندفاعها بضدها وهي البرودة التي من أوصاف الماء فإن كل شيء يقابل بنقيضه والله أعلم. ﴿قالوا﴾ روي أنه لا يؤذن لأهل الجنة في الجواب مقدار أربعين سنة ثم يؤذن لهم في جوابهم فيقولون: ﴿إن الله حرمهما على الكافرين﴾ أي: منع طعام الجنة وشرابها عنهم منع المحرم عن المكلف فلا سبيل إلى ذلك قطعاً، وإنما جعل شراب الكافرين الحميم الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود وطعامهم الضريع والزقوم.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿الذين اتخذوا دينهم﴾ الذين أمروا بالتدين به وهو دين الإسلام. ﴿لهواً ولعباً﴾ ملعبة يتلاعبون به يحرمون ما شاؤوا ويحلون ما شاؤوا ولا يتبعون أمر الله تعالى وإنما يتبعون أهواءهم التي زينها الشيطان لهم.

وقيل: كان دينهم دين إسماعيل عليه السلام فغيروه وتدينوا بما شاؤوا أو صرفوا همتهم فيما لا ينبغي أن تصرف إليه الهمم وطلبوا أن يفرحوا بما لا ينبغي أن يطلب.

وفي «التفسير الفارسي»: ﴿دينهم﴾ [عيد خودرا] ﴿لهواً ولعباً﴾ مشغول وبازيچهء ايشان درعيد خود بحوالى كعبه مى آمدند ودست ميزدند وبازيچه ميكردند] انتهى. ويرخص اللعب في يوم العيد بالسلاح والركض، أي التسابق بالأفراس والأرجل وغير ذلك مما هو مباح مشروع وكانوا يضربون في القرن الأول بالدف ولكن لم يكن فيه جلاجل فما يفعلونه في هذا الزمان وقت العيد والختان، وعند اجتماع الإخوان من ضرب المزمار، وضرب الدف الذي فيه جلاجل ونحوها هو آلة اللهو ليس بمرخص وقولهم إن في ديننا فسحة إنما هو بالنسبة إلى الأمور المرخصة ألا يرى أن المزاح مباح إذا كان بما لا يخالف الشرع. ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ بزخارفها العاجلة وطول الأمل ولذلك كانوا يستهزئون بالمسلمين كما روي في الخبر أن أبا جهل بعث إلى النبي عليه السلام رجلاً يستهزىء به أن أطعمني من عنب جنتك أو شيئاً من الفواكه فقال أبو بكر رضي الله عنه: «إن الله حرمهما على الكافرين» فعلى العاقل أن لا يغتر بالدنيا لأنها غدارة مكارة.

درديدهٔ اعتبار خوابيست ... بر رهكذر اجل سرابيست
مشغول مشو بسرخ وزردش ... انديشه مكن زكرم وسردش
سرمايهٔ آفتست زنهار ... خودرا زفريب او نكهدار

﴿فاليوم﴾ أي: يوم القيامة والفاء فصيحة. ﴿ننساهم﴾ نفعل بهم ما يفعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتداد بهم، وتركهم في النار تركاً كلياً شبه معاملته تعالى مع الكفار بمعاملة من نسي عبده من الخير ولم يلتفت إليه وإلا فالله تعالى منزه عن حقيقة النسيان ﴿كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي ننساهم نسياناً مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له، يعني: أنه وإن لم يصح وصفهم بنسيانه حقيقة لأن النسيان يكون بعد المعرفة وهم لم يكونوا معترفين بلقاء يوم القيامة ومصدقين به لكنه شبه عدم إخطارهم لقاء الله تعالى ببالهم وعدم مبالاتهم به بحال من عرف شيئاً ونسيه، ومثل هذه الاستعارات كثير في القرآن لأن تفهيم المعاني الواقعة في عالم الغيب إنما يكون بأن يعبر عنها بما يماثلها من عالم الشهادة. ﴿وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ عطف على ما نسوا، أي وكما كانوا منكرين بأنها من عند الله إنكاراً مستمراً فما مصدرية ويظهر أن الكاف في كما للتعليل فإن التشبيه غير ظاهر في ما كانوا إلا باعتبار لازمه وهو الترك.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه﴾ أي: بيناه معانيه من العقائد والأحكام والمواعظ مفصلة والضمير للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس أو للمعاصرين منهم والكتاب هو القرآن. ﴿على علم﴾ حال من فاعل فصلناه أي عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيماً أو من مفعوله أي مشتملاً على حكم كثيرة. ﴿هدى ورحمة﴾ حال من هاء فصلناه أي حال كون ذلك الكتاب هادياً وذا رحمة ﴿لقوم يؤمنون﴾ يصدقون أنه من عند الله لأنهم المنتفعون بآثاره المقتبسون من أنواره.

﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾ أي: ما ينتظر هؤلاء الكفرة بعدم إيمانهم به إلا ما يؤول إليه أمره من تبين صدقه بظهور ما أخبر به من الوعد والوعيد. ﴿يوم يأتي تأويله﴾ أي: يوم يأتيهم عاقبة ما وعدوا فيه وهو يوم القيامة وشاهدوا إتيانه عياناً ﴿يقول الذين نسوه من قبل﴾ أي: تركوه ترك المنسي من قبل إتيان تأويله ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ الباء للتعدية أو للملابسة أي: ملتبسين به، يعني: اعترفوا بأن ما جاءهم الرسل به من حقية البعث والحساب والجزاء حق واضطروا إلى أن يتمنوا أمرين: أحدهما: الخلاص من عذاب القبر بشفاعة الشفعاء كما قال: ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ اليوم ويدفعوا عنا العذاب وثانيهما الرد إلى الدنيا ليعملوا عملاً صالحاً كما قال: ﴿أو نرد﴾ أي: أو هل نرد إلى الدنيا ﴿فنعمل﴾ بالنصب على أنه جواب الاستفهام الثاني ﴿غير الذي كنا نعمل﴾ أي: في الدنيا يعني نصدق الرسل ونعمل الأعمال الصالحة فبين الله تعالى أن الذي تمنوه لا يحصل لهم البتة حيث قال: ﴿قد خسروا أنفسهم﴾ بصرف أعمارهم التي هي رأس مالهم إلى الكفر والمعاصي ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ أي: ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من أن الأصنام شركاء الله تعالى وشفعاؤهم يوم القيامة.

دى روز بدو دلم اميدى ميداشت   امروز برفت ونا اميدم بكذاشت

واعلم أن الكفار تمنوا الرد إلى الدنيا ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه. قال في «المثنوي»:

قصهٔ آن آبكير ست اى عنود   كه درو سه ماهىٔ اشكرف بود
چند صيادى سوى آن آبكير   بر كذ شتند وبديدند آن ضمير
پس شتابيد ند تا دام آورند   ما هيان واقف شدندو هو شمند
آنكه عاقل بود عزم راه كرد   عزم راه مشكل نا خواه كرد
كفت با اينها ندارم مشورت   كه يقين سستم كنند از مقدرت
مهر زاد وبود بر جانشان تند   كاهلى وجهل شان برمن زنند
مشورت را زندهٔ بايد نكو   كه ترا زنده كند آن زنده كو

نيست وقت مشورت هين راه كن   چون على تو آه اندر چاه كن
محرم آن راه كم يابست وبس   شب روپنهان روى كن چون عسس
سوى دريا عزم كن زين آب كير   بحر جو وترك اين كرداب كير
سينه را پا ساخت مى رفت آن حذورهٔ   از مقام با خطر تا بحر نور
رنجها بسيار ديد وعاقبت   رفت آخر سوى امن وعافيت
خويشتن افكند دردرياى ژرف   كه نيا بد حد آنرا هيچ طرف
پس چو صيادان بياوردند دام   نيم عاقل را ازان شد تلخكام
كفت آه من فوت كردم وقت را   چون نكشتم همره آن رهنما
بركذشته حسرت آوردن خطاست   باز نايد رفته ياد آن هباست

ليك زان نينديشم وبر خود زنم   خويشتن را اين زمان مرده كنم
همچنان مرد وشكم بالا فكند   آب مى بردش نشيب وكه بلند
هر يكى زان قاصدان بس غصه برد   كه دريغا ما هىٔ مهتر بمرد

پس كرفتش يك صياد ارجمند — برسرش تف كردوبرخا كش فكند
غلط غلطان رفت پنهان اندر آب — ماند آن احمق همى كرد اضطراب
ازچپ وازراست مى جست آن سليم — تاكه بجهد خويش برهاند كليم
دام افكندند واندر دام ماند — احمقى اورا دران آتش نشاند
بر سر آتش به پشت تابهٔ — با حماقت كشت او هم خوابهٔ
او همى جوشيد از تف سعير — عقل ميكفتش ألم يأتك نذير
او همى كفت از شكنجه وزبلا — همچو جان كافران قالوا بلا
باز مى كفت او كه كر اين بارمن — وارهم زين محنت كردن شكن
من نسازم جز بدرياى وطن — آبكيريرا نسازم من سكن
آب بيحد جويم وايمن شوم — تا ابد در امن ودرصحت مى روم

آن ندامت از نتيجه رنج بود — نى ز عقل روشن چون كنج بود
ميكند او توبه وپير خرد — بانك لو ردوا لعادوا مى زند

فعلى العاقل أن يتدارك حاله ولا يطول آماله.

قال الإمام الغزالي قدس سره: من زرع واجتهد وجمع بيدراً، ثم يقول: أرجو أن يحصل لي منه مائة قفيز فذلك منه رجاء، والآخر لا يزرع زرعاً ولا يعمل يوماً فذهب ونام وأغفل سنته فإذا جاء وقت البيادر يقول: أرجو أن يحصل لي مائة قفيز فهو أمنية بلا أصل، فكذلك العبد إذا اجتهد في عبادة الله تعالى والانتهاء عن معصية الله، يقول: أرجو أن يتقبل الله هذا اليسير ويتم هذا التقصير ويعظم الثواب ويعفو عن الزلل فهذا منه رجاء، وأما إذا أغفل ذلك وترك الطاعات فارتكب المعاصي ولم يبال سخط الله ولا رضاه ووعده ووعيده، ثم أخذ يقول: أنا أرجو من الجنة والنجاة من النار فذلك منه أمنية لا حاصل تحتها ويبين هذا قوله عليه السلام: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والفاجر من يتبع نفسه هواها ويتمنى على الله عز وجل» قال بعضهم: إن الغموم ثلاثة: غم الطاعة أن لا تقبل، وغم المعصية أن لا تغفر، وغم المعرفة أن لا تسلب.

قال يوسف بن أسباط: دخلت على سفيان فبكى ليله أجمع فقلت بكاؤك هذا على الذنوب فحمل تبناً، وقال: الذنوب أهون على الله تعالى من هذا إنما أخشى أن يسلبني الله الإسلام فكل الرسل والأبدال والأولياء مع كل هذا الاجتهاد في الطاعة، والحذر عن المعصية فأي شيء تقول أما كان لهم حسن الظن بالله قال بلى فإنهم كانوا أعلم بسعة رحمة الله وأحسن ظن بجوده منك، ولكن علموا أن ذلك دون الاجتهاد أمنية وغرور جعلنا الله وإياكم من العالمين بكتابه والواصلين إلى جنابه دون من نسي الله واتبع هواه آمين آمين ألف آمين.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى الَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿إن ربكم﴾ الخطاب لكفار مكة المتخذين أرباباً. والمعنى [بدرستى كه پروردكارشما] على التحقيق. ﴿الله﴾ [خدا يبست] جامع جميع صفات كمال. ﴿الذي خلق السموات والأرض﴾ لا على مثال سبق ﴿في ستة أيام﴾ أي: في ستة أوقات ولو شاء لخلقها في أسرع من لحظة ولكنه علم عباده التأني في الأمور. وفي «المثنوي»:

مكر شيطانست تعجيل وشتاب خوى رحمانست صبر واحتساب

باتأنى كشت موجود از خدا تابشش روز اين زمين وچرخها

ورنه قادر بود كز كن فيكون صد زمين وچرخ آوردى برون

اين تأنى ازپى تعليم تست صبركن دركار دير آى ودرست

قالوا: لا يحسن التعجيل إلا في التوبة من الذنوب، وقضاء الدين بعد انقضاء مدته، وقرى الضيف، وتزويج البكر بعد بلوغها، ودفن الميت، والغسل من الجنابة.

واعلم: أن الله تعالى بالقادرية والخالقية أوجد السموات والأرض وبالمدبرية والحكيمية خلقها في ستة أيام، وإنما حصر في الستة أنواع المخلوقات الستة، وهي الأرواح المجردة، والثاني: الملكوتيات فمنها الملائكة والجن والشياطين وملكوت السموات، ومنها العقول المفردة والمركبة، والثالث: النفوس كنفوس الكواكب ونفس الإنسان ونفس الحيوان ونفس النبات والمعادن، والرابع: الأجرام وهي البسائط العلوية من أجسام اللطيفة كالعرش والكرسي والسموات والجنة والنار، والخامس: الأجسام المفردة وهي العناصر الأربعة، والسادس: الأجسام المركبة الكثيفة من العناصر فعبر عن خلق كل منها بيوم وإلا فالأيام الزمانية لم تكن قبل خلق السموات والأرض. ﴿ثم استوى على العرش﴾ العرش يطلق على السرير الذي يجلس عليه الملوك وعلى كل ما علاك وأظل عليك، وهو بهذين المعنيين مستحيل في حقه تعالى فجعل الاستواء على العرش كناية عن نفس الملك والعز والسلطنة على طريق ذكر اللازم وإرادة الملزوم، فالمعنى بعد أن خلق الله عالم الملك في ستة أيام كما أراد استوى على الملك وتصرف فيه كيف شاء فحرك الأفلاك وسير الكواكب وكور الليالي والأيام ودبر أمر مصنوعاته على ما تقتضيه حكمته، وهذا معنى قول القاضي استوى أمره، أي: استقر أمر ربوبيته وجرى أمره وتدبيره ونفذ قدرته في مصنوعاته وتخصيص العرش؛ لأنه أعظم المخلوقات فإنه الجسم المحيط بجميع الأجسام فالاستواء عليه استواء على ما عداه أيضاً من الجنة والنار والسموات والعناصر وغيرها.

وفي «التفسير الفارسي»: ﴿ثم استوى﴾ [پس قصد كرد على العرش بآفرينش عرش].

قال الحدادي: ويقال ثم هنا بمعنى الواو على طريق الجمع والعطف دون التراخي فإن خلق العرش كان قبل خلق السموات والأرض وقد ورد في الخبر «إن أول شيء خلق الله القلم ثم اللوح فأمر الله القلم أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ثم خلق العرش ثم خلق حملة العرش ثم خلق السموات والأرض».

قال شيخي العلامة أبقاه الله بالسلامة: المراد بهذا الاستواء استواؤه سبحانه، لكن لا باعتبار نفسه وذاته تعالى علواً كبيراً عما يقول الظالمون، بل باعتبار أمره الإيجادي وتجليه التجلي الأحدي المعبر عنه في القرآن بالحق، واستواء الأمر الإرادي الإيجادي على العرش

بمنزلة استواء الأمر التكليفي الإرشادي على الشرع، فكما أن كل واحد من الأمرين قلب الآخر وعكسه المستوي السوي، فكذلك كل واحد من العرش والشرع قلب الآخر وعكسه السوي المستوي انتهى باختصار.

قال في «التأويلات النجمية»: لما أتم خلق المكونات من الأنواع الستة استوى على العرش بعد الفراغ من خلقها استواء التصرف في العالم، وما فيه التدبر في أموره من العرش إلى تحت الثرى وإنما خص العرش بالاستواء؛ لأنه مبدأ الأجسام اللطيفة القابلة للفيض الرحماني وهذا الاستواء صفة من صفات الله تعالى لا يشبه استواء المخلوقين، كالعلم صفة من صفاته لا يشبه علم المخلوقين؛ إذ ليس كمثله شيء وهو السميع العليم ولو أمعنت النظر في خصوصية خلافتك الحق تعالى لعرفت نفسك فعرفت ربك وذلك أن الله تعالى لما أراد خلق شخصك من النطفة المودعة في الرحم استعمل روحك بخلافته ليتصرف في النطفة أيام الحمل فيجعلها عالماً صغيراً مناسباً للعالم الكبير، فيكون بدنه بمثابة الأرض ورأسه بمثابة السماء وقلبه بمثابة العرش وسره بمثابة الكرسي وهذا كله بتدبير الروح وتصرفه خلافة عن ربه، ثم استوى الروح بعد فراغه من الشخص الكامل على عرش القلب استواء مكانياً، بل استوى ليتصرف في جميع أجزاء الشخص ويدبر أموره بإفاضة فيضه على القلب فإن القلب هو القابل لفيض الحق تعالى إلى المخلوقات كلها كما أن القلب مغتنم فيض الروح إلى القالب كله، فإذا تأملت في هذا المثال تأملاً شافياً وجدته في نفي الشبيه عن الصفات المنزهة المقدسة كافياً وتحققت حقيقة من عرف نفسه فقد عرف ربه إن شاء الله تعالى.

ثم إنه تعالى لما ذكر استواءه على العرش وأخبر بما أخبر من نفاذ أمره واطراد تدبيره بين ذلك بطريق الاستئناف فقال: ﴿يغشي الليل النهار﴾ أي: يجعل الليل غاشياً يغشي النهار بظلمته فيذهب بنور النهار ويغطيه بظلمة الليل ولم يذكر العكس اكتفاء بأحد الضدين.

وفيه إشارة إلى ليل ظلمات النفس عند استيلاء صفاتها وغلبات هواها على نهار أنوار القلب وإلى نهار القلب عند غلبات أنواره واستيلاء المحبة عليه. ﴿يطلبه حثيثاً﴾ حال من الليل أي يجعل الليل غاشياً للنهار حال كون الليل طالباً أي: لمجيئه عقيب الليل سريعاً، وحثيثاً منصوب على أنه صفة مصدر محذوف، أي: يطلبه طلباً حثيثاً، أي: سريعاً ولما كان كل واحد من الليل والنهار يعقب الآخر ويجيء بعده من غير أن يفصل بينهما بشيء صار كأنه يطلب الآخر على منهاج واحد. ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾ عطف على السموات أي خلق كل هذه المخلوقات حال كونها مسخرات بقضائه وتصرفه أي مذللات لما يراد منها من الطلوع والأفول والحركات المقدرة والأحوال الطارئة عليها ﴿ألا﴾ تنبيه معناه اعلموا ﴿له﴾ أي: لله تعالى والتقديم للتخصيص. ﴿الخلق والأمر﴾ فإنه الموجد للكل والمتصرف فيه على الإطلاق.

وفي «التأويلات النجمية»: ما خلق بأمره تعالى من غير واسطة أمر وما خلق بواسطة خلق.

وذكر الإمام أن العالم وهو ما سوى الله تعالى منحصر في نوعين: عالم الخلق وعالم الأمر، وأن المراد بعالم الخلق عالم الأجساد والجسمانيات وبعالم الأمر عالم الأرواح والمجردات، وإن قوله تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ إشارة إلى هذين العالمين عبر عن العالم

الأول بعالم الخلق لأن الخلق عبارة عن التقدير وكل ما كان جسماً أو جسمانياً كان مخصوصاً بمقدار معين فعبر عنه بعالم الخلق وكل ما كان مجرداً عن الحجم والمقدار كان من عالم الأرواح ومن عالم الأمر مكونات بمجرد أمر كن فخص كل واحد منهما باسم مناسب له، وقيل ألا له الخلق والأمر انتهى كلام الإمام.

وقال حضرة شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة: الخلق عالم العين والكون والحدوث روحاً وجسماً والأمر عالم العلم والآلة والوجوب وعالم الخلق تابع لعالم الأمر إذ هو أصله ومبدؤه ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥] والله غالب على أمره. ﴿تبارك الله رب العالمين﴾ أي: تعالى بالوحدانية في الألوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية.

قال ابن الشيخ: أي تعاظم الإله الواحد الموجد للكل المتصرف فيه بالربوبية رد به على الكفرة الذين كانوا يتخذون أرباباً فدعاهم إلى التوحيد بالحكمة والحجة وصدر الآية بأن ردا لإنكارهم فقال إن ربكم المستحق للربوبية ليس إلا واحداً، وهو الله الموجد للكل على الترتيب المحكم المتقن الدال على كمال العلم والحكمة والقدرة، وهو الذي أنشأ ملكه على ما يشاهد ثم أخذ في تدبيره كالملك المتمكن في مملكته بتدبير ملكه انتهى يروى أن الصاحب بن عباد كان يتردد في معنى الرقيم وتبارك والمتاع ويدور على قبائل العرب، فسمع امرأة تسأل أين المتاع ويجيب ابنها الصغير بقوله جاء الرقيم أي الكلب وأخذ المتاع وتبارك الجبال فاستفسر منهم وعرف أن الرقيم هو الكلب، وأن المتاع هو ما يبل بالماء فيمسح به القصاع، وأن (تبارك) بمعنى صعد وتعالى وفي الحديث: «من لم يحمد الله على عمل صالح وحمد نفسه فقد كفر، وحبط عمله ومن زعم أن الله خلق للعباد من الأمر سبباً فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه» لقوله تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ قال الشاعر:

إلى الله كل الأمر في خلقه معا   وليس إلى المخلوق شيء من الأمر

﴿ادعوا ربكم﴾ بمعنى المربي من التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً وهو تعالى مربي الظواهر بالنعمة وهي النفوس، ومربي البواطن بالرحمة وهي القلوب ومربي نفوس العابدين بأحكام الشريعة، ومربي قلوب المشتاقين بآداب الطريقة، ومربي أسرار المحبين بأنوار الحقيقة وهو أي الرب اسم الله الأعظم ولذلك كل اسم قلبته بطل معناه إلا الرب فإن مقلوبه البر وهو من أسمائه تعالى وإليه يشير ما روي عن الخضر عليه السلام أنه قال الاسم الأعظم ما دعا به كل نبي وولي وعدو أشار إلى أنه مقدمة دعوات الأنبياء نحو: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] الآية ونحوه والصحابة نحو ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩١] الآيات والأعداء نحو ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ﴾ [الحجر: ٣٦]، ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا﴾ [السجدة: ١٢] ﴿تضرعاً وخفية﴾ التضرع [زارى كردن] كذا في «تاج المصادر» يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة من باب فتح أي خضع وذل وهما حالان من فاعل ادعوا أي متضرعين متذللين مخفين الدعاء ليكون أقرب إلى الإجابة لكون الإخفاء دليل الإخلاص والاحتراز عن الرياء روي عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا في غزوة فأشرفوا على واد فجعلوا يكبرون ويهللون رافعي أصواتهم فقال عليه السلام لهم «اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً بصيراً قريباً وإنه لمعكم» أي: بالعلم والإحاطة وفي الحديث استحباب الإخفاء في ذكر الله لكن ذكر شارح «الكشاف» إن هذا بحسب المقام، والشيخ المرشد قد يأمر المبتدي برفع الصوت لينقلع

عن قلبه الخواطر الراسخة فيه كذا في «شرح المشارق» لابن الملك.

قال حسين الكاشفي في «الرسالة العلية»: [اى درويش قومى كه كمين كاه نفس را ديدند ودانستند ذكر بجهر كفتن مناسب نديدند كه بريا انجامد ومخفى بذكر مشغول شدند وقول حق تعالى راكه]. ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥] [كار بستند وجمعى كه بمرتبهء اخلاص رسيدند وباطن خودرا از ريا پاك يافتند ذكررا بجهر كفتند وهريكى را ازين وطائفه بر عمل خود دلائل است]. وفي «المثنوي»:

كفت ادعوا الله بى زارى مباش تا بيايد فيضهاى دوست فاش

تا سقاهم ربهم آيد خطاب تشنه باش الله أعلم بالصواب

وعن عمر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ «إذا رفع يديه في الدعاء لا يردهما حتى يمسح بهما وجهه» وذلك ليصل شيء من البركة الفائضة على اليد إلى الوجه كما قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] وذلك المسح في الحقيقة رجوع إلى الحقيقة الجامعة فإن الوجه هو الذات كما قال في «الأسرار المحمدية»: إن الإنسان حال دعائه متوجه إلى الله تعالى بظاهره وباطنه ولذا يشترط حضور القلب فيه وصحة الاستحضار فسر الرفع والمسح أن اليد الواحدة مترجمة عن توجهه بظاهره، واليد الأخرى عن توجهه بباطنه واللسان مترجم عن جملته ومسح الوجه هو التبرك والتنبيه على الرجوع إلى الحقيقة الجامعة بين الروح والبدن؛ لأن وجه الشيء حقيقته والوجه الظاهر مظهرها، وقال أيضاً: السنة للداعي في طلب الحاجة له أن ينشرهما يعني: كفيه إلى السماء، وللمكروب أن ينصب ذراعيه حتى يقابل بكفيه وجهه وإذا دعا على أحد أن يقلب كفيه ويجعل ظهرهما إلى السماء والسنة أن يخرج يديه حين الدعاء من كميه.

قال سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي: دعوت الله ليلة فأخرجت إحدى يدي والأخرى ما قدرت على إخراجهما من شدة البرد فنمت فرأيت في منامي أن يدي الظاهرة مملوءة نوراً والأخرى فارغة فقلت ولم ذاك يا رب فنوديت اليد التي خرجت للطلب ملأناها والتي توارت حرمناها، ورفع الأيدي إلى السماء والنظر إليها وقت الدعاء بمنزلة أن يشير سائل إلى الخزانة السلطانية، ثم يطلب من السلطان أن يفيض عليه سجال العطاء من هذه الخزانة قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: ٢٢] فالسماء قبلة الدعاء ومحل نزول البركات والأفضل أن يبسط كفيه ويكون بينهما فرجة.

وإن قلت: ولا يضع إحدى يديه على الأخرى فإن كان وقت عذر أو برد فأشار بالمسبحة قام مقام بسط كفيه. والمستحب أن يرفع يديه عند الدعاء بحذاء صدره كذا روى ابن عباس رضي الله عنهما فعل النبي عليه السلام كذا في «القنية» ﴿إنه لا يحب المعتدين﴾ أي: المجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره نبه به على أن الداعي ينبغي أن لا يطلب ما لا يليق كرتبة الأنبياء والصعود إلى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والإسهاب فيه.

وعن النبي ﷺ: «سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرّب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قول وعمل، ثم قرأ ﴿إنه لا يحب المعتدين﴾ فاللائق للداعي أن يدعو بأهمّ الأمور هو الفوز بالجنة والنجاة من النار كما قال النبي عليه السلام للأعرابي الذي قال إني أسأل الله الجنة وأعوذ به من

النار إني لا أعرف دندنتك ولا دندنة معاذ وقال: «حولهما ندندن» ومعناه إني لا أعرف ما تقول أنت ومعاذ يعني من الأذكار والدعوات المطولة ولكني أختصر على هذا المقدار فأسأل الله الجنة وأعوذ به من النار ومعنى قوله عليه السلام: «حولهما ندندن» إن القصد بهذا الذكر الطويل الفوز بهذا الأجر الجزيل ﴿ولا تفسدوا في الأرض﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بعد إصلاحها﴾ ببعث الأنبياء وشرع الأحكام.

قال الحدادي وقيل: معناه لا تعصوا في الأرض فيمسك المطر عنها ويهلك الحرث بمعاصيكم ﴿وادعوه خوفاً وطمعاً﴾ مصدران في موقع الحال أي خائفين من الرد لقصور أعمالكم وعدم استحقاقكم وطامعين في إجابته تفضلاً وإحساناً لفرط رحمته ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ وتذكير قريب مع أنه مسند إلى ضمير الرحمة لتأويل الرحمة بالرحم فإن الرحم بضم الراء بمعنى الرحمة قال الله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١] قال الكسائي: أراد أن إتيان رحمة الله قريب كقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣] أي: لعل إتيانها والمعنى إن رحمة الله قريب من الداعين بلسان ذاكر شاكر وقلب حاضر طاهر وترجيح للطمع وتغليب لجانب الرحمة وتنبيه على وسيلة الإجابة أعني الإحسان المفسر «بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وفي الحديث: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة» يعني: ليكن الداعي ربه على يقين بأن الله يجيب لأن رد الدعاء إما للعجز في إجابته أو لعدم كرم في المدعو أو لعدم علم المدعو بدعاء الداعي وهذه الأشياء منتفية عن الله تعالى فإنه عالم كريم قادر لا مانع له من الإجابة.

قال سهل: ما أظهر عبد فقره إلى الله تعالى في وقت الدعاء في شيء يحل به إلا قال الله تعالى لملائكته لولا أنه لا يحتمل كلامي لأجبته لبيك حكي أن موسى عليه السلام مرّ برجل يدعو ويتضرع فقال موسى لو كانت حاجته بيدي لقضيتها فأوحى الله تعالى إليه أنا أرحم به منك ولكنه يدعوني وله غنم وقلبه في غنمه وأنا لا أقبل دعوة عبد قلبه عند غيري فذكر ذلك للرجل فتوجه إلى الله بقلبه فقضيت حاجته فيلزم حضور القلب وحسن الظن بالله في إجابة الدعاء وحكي عن بعض البله وهو في طواف الوداع أنه قال له رجل وهو يمازحه هل أخذت من الله براءتك من النار فقال الأبله لا وهل أخذ الناس ذلك فقال: نعم فبكى ذلك الأبله ودخل الحجر وتعلق بأستار الكعبة وجعل يبكي ويطلب من الله أن يعطيه كتابه بعتقه من النار فجعل أصحابه والناس يلومونه ويعرفونه أن فلاناً مزح معك وهو لا يصدقهم بل بقي مستقراً على حاله فبينا هو كذلك إذ سقطت عليه ورقة من جهة الميزاب فيها مكتوب عتقه من النار فسرّ بها وأوقف الناس عليها وكان من آية ذلك الكتاب أن يقرأ من كل ناحية على السواء لا يتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها فعلم الناس أنه من عند الله. قيل: دعاء العامة بالأقوال. ودعاء الزاهدين بالأفعال. ودعاء العارفين بالأحوال وإذا وفق الله عبداً إلى نطق بأمر مّا فما وفقه إليه إلا وقد أراد إجابته فيه وقضاء حاجته وعدم الدعاء بكشف الضر مذموم عند أهل الطريقة لأنه كالمقاومة مع الله ودعوى التحمل لمشاقه كما قال الشيخ المحقق ابن الفارض قدس سره:

ويحسن إظهار التجلد للعدى ... ويقبح غير العجز عند الأحبة

قال الحافظ:

فقير وخسته بدركاهت آمدم رحمى ... كه جزدعاى توام نيست هيج دست آويز

[ودرمناجات شيخ الإسلام است كه خدايا اكر وفاداران بتواميد دارند جفا كاران نيز بغير توپناهى ندارند].

والإشارة أن التضرع ما يطلع عليه الخلق والخفية ما يطلع عليه الحق أي تضرعاً بالجوارح وخفية بالقلوب والاعتداء في الدعاء طلب الغير منه والرضى بما سواه ولا تفسدوا في الأرض أي في أرض القلوب بعد إصلاحها أي بعد أن أصلحها الله برفع الوسائط بينه وبين القلوب فإن فساد القلوب في رؤية غير الحق وصلاحها في رؤية الحق ويقال من إفساد القلوب بعد إصلاحها إرسالها في أودية المنى بعد إمساكها عن متابعة الهوى ومن ذلك الرجوع إلى الحظوظ بعد القيام بالحقوق وادعوه خوفاً من الانقطاع وطمعاً في الاصطناع أن رحمة الله وهي بذل المتمني قريب من المحسنين الذين يرون الله في الطاعات أي يعبدونه طمعاً فيه لا منه كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿وهو الذي يرسل الرياح﴾ كل ما كان في القرآن من ذكر الرياح فهو للرحمة، وما كان من ذكر الريح فهو للعذاب، ويدل عليه أنه عليه الصلاة والسلام كان يجثو على ركبتيه عند هبوب الرياح ويقول: «اللهم اجعلها لنا رياحاً ولا تجعلها ريحاً، اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك»، وفي الحديث: «لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به».

قال بعض المشايخ: لا تعتمد على الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا شرك في توحيد الأفعال وجهل بحقائق الأمور، ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه يعلم أن الريح لا تتحرك بنفسها بل لها محرك والمحرك له محرك إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا محرك له ولا يتحرك هو في نفسه أيضاً، بل هو منزه عن ذلك وعما يضاهيه سبحانه. ﴿بشرا﴾ تخفيف بشر بضمتين جمع بشير نحو رغيف ورغف، أي: مبشرات. ﴿بين يدي رحمته﴾ أي: قدام رحمته التي هي المطر فإن الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدرّه والدبور تفرقه. الصبا: ريح تهب من موضع طلوع الشمس عند استواء الليل والنهار، والدبور: ريح تقابل الصبا أي تهب من موضع غروب الشمس. والشمال بالفتح: الريح التي تهب من ناحية القطب، والجنوب: الريح التي تقابل الشمال والجنوب تدر السحاب، أي: تستحلبه قال ابن عباس رضي الله عنهما: يرسل الله الرياح فتحمل السحاب فتمريه كما يمري الرجل الناقة والشاة حتى تدر، وفي الآية إطلاق الرحمة على المطر، فقول: من قال إني أفر من الرحمة محمول على المطر ﴿حتى إذا أقلت﴾ غاية لقوله: يرسل ﴿سحاباً﴾ أي: حملته ورفعته باليسر والسهولة بأن وجدته خفيفاً قليلاً يقال أقللت كذا، أي: حملته بالسهولة ومن حمل الشيء بسهولة لا شك أنه يعده قليلاً فلذلك اشتق هذا الفعل من القلة ﴿ثقالاً﴾ جمع ثقيل أي بالماء جمعه مع كونه وصفاً للسحاب، لأن السحاب اسم جنس يصح إطلاقه على سحابة واحدة وما فوقها فيكون بمعنى الجمع، أي: السحائب. والسحاب: هو الغيم الجاري في السماء. ﴿سقناه﴾ من

السوق والضمير للسحاب والإفراد باعتبار اللفظ والمعنى بالفارسية [برانيم ما آن ابررا]. ﴿لبلد ميت﴾ أي: لإحياء بلد لا نبات فيه والبلد يطلق على كل موضع من الأرض سواء كان عامراً، أي: ذا عمارة أو غير عامر خالياً أو مسكوناً والطائفة منها بلدة والجمع بلاد. ﴿فأنزلنا به الماء﴾ أي: بالبلد والباء للإلصاق أي التصق إنزال الماء بالبلد. ﴿فأخرجنا به﴾ أي: بسبب ذلك الماء ﴿من كل الثمرات﴾ أي: من كل أنواعها والظاهر أن الاستغراق عرفي ﴿كذلك نخرج الموتى﴾ الإشارة فيه إلى إخراج الثمرات أو إلى إحياء البلد الميت أي كما نحييه بإحداث القوة النباتية فيه وتطريته بأنواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الأجداس ونحييها برد النفوس إلى مواد أبدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس. ﴿لعلكم تذكرون﴾ بطرح إحدى التاءين، أي تتذكرون فتعلمون أن من قدر على هذا من غير شبهة.

قال ابن عباس وأبو هريرة: إذا مات الناس كلهم في النفخة الأولى مطرت السماء أربعين يوماً قبل النفخة الأخيرة مثل مني الرجال فينبتون من قبورهم بذلك المطر، كما ينبتون في بطون أمهاتهم وكما ينبت الزرع من الماء، حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيها الروح ثم يلقى عليهم نومة فينامون في قبورهم، فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية، وهي نفخة البعث جاشوا وخرجوا من قبورهم وهم يجدون طعم النوم في رؤوسهم، كما يجده النائم إذا استيقظ من نومه فعند ذلك يقولون: من بعثنا من مرقدنا فيناديهم المنادي هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون.

والإشارة في الآية: أن الرياح رياح العناية، والسحاب سحاب الهداية، والماء ماء المحبة فيخرج الله تعالى بهذا الماء سمرات المشاهدات والمكاشفات وأنواع الكمالات، كذلك نخرج الموتى، أي موتى القلوب من قبور الصدور لعلكم تذكرون، أي: تذكرون أيام حياتكم دون حياض الأنس ورياض القرب عند حظائر القدس.

واعلم: أن العمدة هي العناية الأزلية، وهي تصل إلى العباد في الخلا والملا حكي أنه قيل لولي من أولياء الله تعالى: اذهب إلى دار الشرك فإن فيها صديقاً فكان ذلك الولي يقدر على الاختفاء فذهب إلى دار المشركين فأسره مشرك وباعه لخادم كنيسة فخدم فيها زماناً بالصدق، فجاء السلطان يوماً إلى الكنيسة فخلاها ثم صلى فاستتر الولي ثم ظهر للسلطان، فقال: من أنت؟ قال: مسلم مثلك، وقيل للولي هو الصديق، ثم سأل الولي ذلك السلطان الصديق عن حاله، فقال: في أحسن الأحوال وأرغد عيش آكل الرزق الحلال، وأعبد خالصاً عن الرياء وأقتل الكفار وأعين المسلمين بحيث لو كنت سلطانهم ما قدرت، ثم خرج من الكنيسة وقعد عند بابها فسأل عني البطارقة والرهبان والخدام، ثم قتل الكل، وقال: تتكبرون عن خدمة بيت الرب بأنفسكم وتستخدمون غير أهل الملة، ثم خلى سبيلي وفي هذه الحكاية إشارة إلى أن الله تعالى إذا أراد أهلك العدو بأدنى سبب من حيث لا يحتسب فإن له ألطافاً خفية. قال الحافظ:

تيغى كه آسمانش ازفيض خوددهد آب   تنها جهان بكيرد بى منت سپاهى

وقال أيضاً:

دلا طمع مبراز لطف بى نهايت دوست   كه ميرسد همه را لطف بى نهايت او

فنظر أهل التوحيد وأرباب البصيرة إلى المؤثر الحقيقي والفيض الأزلي لا إلى الخلق والوسائط والأسباب، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين فازوا بالسعادة الأبدية والعناية

السرمدية، ويسلك بنا مسلك الحقيقة والطريقة الأحمدية إنه هو البر الرحيم.

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿والبلد الطيب﴾ أي: الأرض الكريمة التربة.

وفي «التفسير الفارسي»: [وزمين پاك ازسنك وريك كه شايسته وصالح زراعت باشد]. ﴿يخرج نباته بإذن ربه﴾ بمشيئته وتيسيره ما أذن الله في خروجه لا يكون إلا أحسن أكثر عزيز النفع. ﴿والذي خبث﴾ والبلد الذي خبث ترابه كالحرة والسبخة. الحرة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار، والسبخة: الأرض المالحة التي لا تنبت شيئاً. ﴿لا يخرج﴾ نباته في حال من الأحوال. ﴿إلا﴾ في حال كونه ﴿نكداً﴾ قليلاً عديم النفع فهو مستثنى مفرغ من أعم الأحوال. والنكد بكسر الكاف القليل الخير الممتنع عن إفادة النفع على جهة البخل والضنة والمصدر النكد بفتحتين، يقال نكد عيشهم بكسر الكاف ينكد بالفتح نكداً إذا اشتد عيشهم وضاق. ﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك التصريف البديع. ﴿نصرف الآيات﴾ نرددها ونكررها ﴿لقوم يشكرون﴾ نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وتخصيصهم بالذكر؛ لأنهم المتفعون بها كقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] والآية مثل لإرسال الرسل عليهم السلام بالشرائع التي هي ماء حياة القلوب إلى المكلفين المنقسمين إلى المقتبسين من أنوارها والمحرومين من مغانم آثارها.

وفي «التفسير الفارسي»: [هركاه كه باران مواعظ ازسحاب كلام رب الأرباب بردل مؤمن بارد أنوار طاعات وعبادات برجوارح أو ظاهر كرد دچون كافر استماع سخن كند زمين دلش تخم نصحيت قبول نكند ازو هيچ صفت كه بكار آيددر ظهور نيايد]. قال السعدي قدس سره:

زميـن شـوره سـنـبـل بـرنـيـارد   دروتـخـم عـمـل ضـايـع مـكـردان

وقال الحافظ قدس سره:

كـوهـر پـاك بـيـايـدكـه شـود قـابـل فـيـض   ورنه هرسنك وكلى لؤلؤ ومرجان نشود

وعن عبد الله بن مهران قال: حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياماً، ثم أمر بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به؛ إذ أقبلت هوادج هارون فكف صبيان عن الولوع به، فلما جاء هارون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين، فكشف هارون السجاف بيده وقال لبيك يا بهلول فقال: يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري قال: رأيت النبي ﷺ يمضي على جمل وتحته رحل رث فلم يكن ضرب ولا طرد ولا إليك إليك وتواضعك في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك، فبكى هارون حتى سقطت الدموع على الأرض وقال يا بهلول زدنا يرحمك الله فقال:

هـب أنـك قـد مـلـكـت الأرض طـرا   وأن لـك الـعـبـاد فـكـان مـا ذا
ألـيـس غـداً مـصـيـرك جـوف قـبـر   ويـحـثـو الـتـرب هـذا ثـم هـذا

فبكى هارون ثم قال: أحسنت يا بهلول هل غيره قال نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله مالاً وجمالاً فأنفق في ماله وعفّ في جماله كتب في خالص ديوان الله من الأبرار، فقال:

أحسنت يا بهلول ثم أمر له بجائزة فقال: اردد الجائزة إلى من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها، قال: يا بهلول إن يكن عليك دين قضيناه قال: يا أمير المؤمنين لا يقضى دين بدين. اردد الحق إلى أهله واقض دين نفسك يا أمير المؤمنين من نفسك قال: يا بهلول فنجري عليك ما يكفيك فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال: يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله تعالى فمحال أن يذكرك وينساني فأسبل هارون السجاف ومضى. والمقصود من هذه الحكاية بيان استماع هارون الحق وقبوله وذلك لأنه كان كالمكان الزاكي وقلبه حياً بالحياة الطيبة، فلذا لم يخرج منه إلا الأخلاق الحميدة، وأما أرض النفس الأمارة التي هي البلد الخبيث فلا يخرج منها إلا الأخلاق الذميمة والأفعال الرديئة فمن كان قلبه حياً بنور الله انعكس نور قلبه على نفسه فتنورت النفس فتبدلت أوصافها بأوصاف القلب وتلاشت ظلمتها بنور القلب فيطمئن إلى ذكر الله وطاعته، كما هو من أوصاف القلوب وإن كان القلب ميتاً والنفس حية فظلمات صفات النفس تطل على القلب وتبدل صفاته بصفاتها عند استيلاء صفاتها عليه فيحصل اطمئنانه بالدنيا، وما فيها نسأل الله تعالى أن يجعل اطمئناننا إلى ذكره وفكره وشكره ويجعلنا من الذين يعرفون قدر نعمة الله وحق المنعم.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾.

﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ جواب قسم محذوف تقديره: والله لقد أرسلنا نوحاً وهو ابن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس النبي ابن يرد بن مهلا بيل بن قينان بن أنوش بن آدم عليهم السلام، ونوح أول نبي بعد إدريس بعد شيث، وكان نوح نجاراً بعثه الله إلى قومه على رأس أربعين سنة وكان عمره ألفاً ومائتين وأربعين سنة.

وفي «التفسير الفارسي»: ﴿إلى قومه﴾ [بسوى قوم او كه اكثر أولاد قابيل بودند وبت مى پرستيدند] وذلك أن قابيل لما قتل أخاه هابيل طرده آدم فسكن مع أولاده وأتباعه في اليمن وهو أول من عبد الصنم. ﴿فقال﴾ أي: نوح ﴿يا قوم اعبدوا الله﴾ وحده فإن العبادة بالإشراك ليس من العبادة في شيء. ﴿ما لكم من إله غيره﴾ أي: من مستحق للعبادة وغيره بالرفع صفة لإله باعتبار محله الذي هو الرفع على الابتداء، ومن زائدة في المبتدأ والخبر لكم. ﴿إني أخاف عليكم﴾ أي: إن لم تعبدوه حسبما أمرت به وهو بيان للداعي إلى عبادته. ﴿عذاب يوم عظيم﴾ أي: عذاب يوم القيامة أو يوم الطوفان.

﴿قال الملأ من قومه﴾ استئناف، أي الرؤساء من قومه والأشراف الذين يملؤون صدور المحافل بأجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبتهم والأبصار بجمالهم وبهجتهم. ﴿إنا لنراك﴾ يا نوح ﴿في ضلال﴾ ذهاب عن طريق الحق والصواب لمخالفتك لنا والرؤية قلبية ﴿مبين﴾ بين كونه ضلالاً.

﴿قال﴾ استئناف أيضاً ﴿يا قوم﴾ ناداهم بإضافتهم إليه استمالة لقلوبهم نحو الحق. ﴿ليس بي﴾ الباء للملابسة أو للظرفية ﴿ضلالة﴾ بالغ في النفي حيث نفى عن نفسه ملابسة ضلالة واحدة، أي ليس بي شيء من أفراد الضلال وجزئياته فضلاً عن أن يكون بي ضلال

عظيم بين كما بالغوا في الإثبات حيث جعلوه مستقراً في الضلال الواضح كونه ضلالاً.
﴿ولكني رسول﴾ أي: رسول كائن ﴿من رب العالمين﴾ فمن لابتداء الغاية مجازاً والرسالة يلزمها الهدى التام الغير القابل للضلال فاستدرك الملزوم ليكون كالبرهان على استدراك اللازم كأنه قال: ولكني على هدى كامل في الغاية؛ لأني رسول من رب العالمين.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿أبلغكم رسالات ربي﴾ الرسالة صفة واحدة قائمة بذات الرسول متعلقة بالإضافة إلى المرسل والمرسل إليه إلا أنها جمعت نظراً إلى تعددها بحسب تنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والأحكام، أو لأن المراد بها ما أوحي إليه وإلى الأنبياء قبله كصحف شيث وهي خمسون صحيفة وصحف إدريس وهي ثلاثون صحيفة. ﴿وأنصح لكم﴾ زيادة اللام مع تعدي النصح بنفسه يقال نصحتك للدلالة على إمحاض النصح لهم وإنها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة، فإنه ربَّ نصيحة ينتفع بها الناصح أيضاً وليس الأمر ههنا كذلك والفرق بين تبليغ الرسالة وتقرير النصيحة أن تبليغ الرسالة معناه، أن يعرف أنواع تكاليف الله وأحكامه والنصيحة المراد بها الترغيب في الطاعة والتحذير من المعاصي والإرشاد إلى ما فيه مصالح المعاد.

قال الحدادي: النصح إخراج الغش من القول والفعل. ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ أي: أعلم من قدرته القاهرة وبطشه الشديد على أعدائه، وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين آمنين لا يعلمون ما علمه نوح عليه السلام بالوحي.

﴿أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم﴾ الهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر، أي استبعدتم وعجبتم من أن جاءكم وحي أو موعظة من مالك أموركم ومربيكم. ﴿على رجل منكم﴾ أي: على لسان رجل من جنسكم فإنهم كانوا يتعجبون من إرسال البشر ويقولون لا مناسبة بينه تعالى وبين البشر من حيث إنه تعالى في غاية التقدس والتنزه والبشر في غاية التعلق والتكدر فأنكر عليهم نوح عليه السلام؛ لأنه لا سبيل إلى أن يكلف الله البشر بنفسه من غير واسطة لأن حجاب العظمة والكبرياء يمنع من أن يتحقق بينهم الفيض والاستفاضة فتعين أن يكون التكليف بأن يرسل بشراً ذا جهتين يستفيض من عالم الغيب بجهة تجرده وصفاء روحانيته ويفيض لبني نوعه بجهة مشاركته لهم في الحقيقة النوعية. ﴿لينذركم﴾ علة للمجيء، أي ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي. ﴿ولتتقوا﴾ منها بسبب الإنذار. ﴿ولعلكم ترحمون﴾ أي: ولتتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم وفائدة حرف الترجي التنبيه على عزة المطلب وأن التقوى غير موجبة للرحمة، بل هي منوطة بفضل الله تعالى وأن المتقي ينبغي أن لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله تعالى.

﴿فكذبوه﴾ واستمروا على ذلك في هذه المدة المتطاولة؛ إذ هو الذي يعقبه الإنجاء والإغراق لا مجرد التكذيب روي أن نوحاً عليه السلام دعا بهلاك قومه فأمره الله تعالى بصنع الفلك فلما تم دخل فيه مع المؤمنين فأرسل الله الطوفان وأغرق الكفار وأنجى نوحاً مع

المؤمنين فذلك قوله تعالى: ﴿فأنجيناه والذين معه﴾ من المؤمنين وكانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة. ﴿في الفلك﴾ متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الظرف، أي والذين استقروا معه في الفلك. ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي: استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملأ المتصدين للجواب فقط، بل كل من أصر على التكذيب منهم ومن أعقابهم، وتقديم ذكر الإنجاء على الإغراق للإيذان بسبق الرحمة التي هي مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذي يظهر أثره بمقتضى جرائمهم. ﴿إنهم كانوا قوماً عمين﴾ أصله عميين جمع عم أصله عمى على وزن خضر فأعل كإعلال قاضٍ.

قال أهل اللغة: يقال رجل عم في البصيرة وأعمى في البصر، والمعنى عمين قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد غير مستبصرين وهذا العمى مانع عن رؤية الآيات ومشاهدة البينات. قال الحافظ:

جمال يار ندارد نقاب وپرده ولى غبار ره بنشان تا نظر توانى كرد

بخلاف أعمى البصر إذا كان مستعداً للنظر فإنه كم من أعمى قادر على الرؤية من حيث الحقيقة. قال الصائب:

دل چو بينا ست چه غم ديده اكرنا بيناست خانهٔ آيينه را روشنى از روزن نيست

وفي الآية: إشارة، إلى نوح الروح الذي أرسله الله إلى قومه ببلاد القالب وهو القلب وصفاته والنفس وصفاتها، ومن صفة الروح العبودية والطاعة ودعوة القلب والنفس وصفاتهما إلى الله وعبوديته، ومن صفات النفس وشأنها تكذيب الروح ومخالفته والإباء عن قبول نصحه والروح يحذر قومه من عبادة الدنيا وزينتها لئلا يحرموا من مساعدة الرحمة فكذبه قومه من النفس وصفاتها، فأنجينا الروح من ظلمات النفس وتمردها والذين معه وهم القلب وصفاته الذين قبلوا دعوة نوح الرسول وركبوا معه في الفلك، وهو فلك الشريعة والدين فأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا أي النفس وصفاتها في بحر الدنيا وشهواتها إنهم كانوا قوماً عمين عن رؤية الله والوصول إليه هذه حال الأنفس والآفاق وأهليهما، ولو أصغوا إلى داعي الحق واجتنبوا عما ارتكبوا لنجوا كما حكي أن الشيخ بقا رضي الله عنه كان يوماً جالساً على شط نهر الملك فمرت به سفينة فيها جند ومعهم خمر وفواكه ونساء متبرجات وصبيان ومغاني وهم في غاية من اللهو والطغيان فقال الشيخ بقا للملاح اتق الله وقدم إلى الله، فلم يلتفتوا إلى كلامه، فقال: أيها النهر المسخر خذ الفجرة فنما الماء عليهم حتى طلع إلى السفينة فأشرفوا على الغرق فصاحوا بالشيخ وأعلنوا بالتوبة فعاد الماء إلى حاله وحسنت توبتهم وكانوا بعد ذلك يكثرون من زيارته. قال الحافظ:

امروز قدر پند عزيزان شناختم يا رب روان ناصح ما ازتوشاد باد

فعلى العاقل أن يقبل النصيحة ممن فوقه ودونه فإن النصيحة سهلة والمشكل قبولها ونعم ما قال السعدي قدس سره:

مردبايدكه كيرد اندر كوش ورنوشت است پند برديوار

اللهم اجعلنا ممن قبل دعوتك ودخل جنتك.

﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

﴿**وإلى عاد**﴾ أي: وأرسلنا إلى عاد وهم قوم من أهل اليمن وكان اسم ملكهم عاداً فنسبوا إليه وهو عاد بن إرم بن سام بن نوح. ﴿**أخاهم**﴾ أي: واحداً منهم في النسب لا في الدين كقولهم يا أخا العرب. ﴿**هوداً**﴾ عطف بيان لأخاهم وهو هود بن عبد الله بن رياح بن خلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وإنما جعل الرسول من تلك القبيلة، لأنهم أفهم لكلامه وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وأقرب إلى اتباعه ﴿**قال**﴾ استئناف.

وفي «التفسير الفارسي»: [قبيلهء عاد مردم تن آور وبلند بالابودند واز ايشان درتمام روى زمين دران زمان قبيلهء عظيمه نبود ومردم بسيار بودند ومال فراوان داشتند وعمر در پرستش بت مى كذرانيدند حق سبحانه وتعالى هودرا بديشان فرستاد پس هود بميان قبيله آمد وايشانرا بحق دعوت كرد] قال: ﴿**يا قوم**﴾ (أي: قوم من) ﴿**اعبدوا الله**﴾ وحده ﴿**ما لكم من إله غيره**﴾ غيره بالرفع صفة لإله باعتبار محله وهو الابتداء ومن زائدة في المبتدأ ولكم خبره. ﴿**أفلا تتقون**﴾ الهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر أي ألا تتفكرون فلا تتقون عذاب الله تعالى.

﴿**قال الملأ الذين كفروا من قومه**﴾ استئناف كما مر وإنما وصف الملأ بالكفر إذ لم يكن كلهم على الكفر كملأ قوم نوح بل كان منهم من آمن به عليه السلام كمرثد بن سعد وكتم إيمانه ولم يظهر إلا عند مجيء وفد عاد إلى مكة يستغيثون كما سيجيء قال:

عصت عاد رسولهمو فأمسوا ... عطاشاً ما تبلهم السماء
لهم صنم يقال له صمود ... يقابله صداء والبهاء
فبصرنا الرسول سبيل رشد ... فأبصرنا الهدى وجلى العماء
وإن إله هود هو إلهي ... على الله التوكل والرجاء

والملأ: أشراف القوم وهو في الأصل بمعنى الجماعة. ﴿**إنا لنراك في سفاهة**﴾ أي: متمكناً في خفة عقل راسخاً فيها حيث فارقت دين آبائك. والسفاهة. في اللغة: خفة الحلم والرأي. ﴿**وإنا لنظنك من الكاذبين**﴾ أي: فيما ادعيت من الرسالة، وفيه إشارة إلى أن قلوب قوم هود وسخة خبيثة كقلوب قوم نوح لم يخرج منها الخبث إلا نكداً فلما أراد هود عليه السلام أن يبذر فيها بذر التوحيد والمعرفة ولم تكن صالحة وقلما خرج منها إلا نبت التسفيه والتكذيب سلكوا طريق سلفهم وإخوانهم وصنعوا مثل حالتهم. وفي «المثنوي»:

در زمين كرنى شكر ورخود نى است ... باز كويد باتو أنواع نبات
زانكه خاك اين زمين بإثبات ... ترجمان هرزمين نبت وى است

﴿**قال**﴾ أي: هود عليه السلام سالكاً طريق حسن المجادلة مع ما سمع منهم من الكلمة الشنعاء الموجبة لتغليظ القول والمشافهة بالسوء وهكذا ينبغي لكل ناصح. ﴿**يا قوم ليس بي سفاهة**﴾ أي: شيء منها ولا شائبة من شوائبها والباء للملابسة أو للظرفية. ﴿**ولكني رسول من رب العالمين**﴾ أي: لكني في غاية الرشد والصدق لأني رسول رب العالمين فالاستدراك باعتبار

ما يلزمه وهو كونه في الغاية القصوى من الرشد والصدق. والرشد هو الاهتداء لمصالح الدين والدنيا وهو إنما يكون بالعقل التام.

﴿أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين﴾ معروف بالنصح والأمانة مشهور بين الناس بذلك قد سبق في القصة المقدمة سر جمع الرسالات ومعنى النصح والفرق بين تبليغ الرسالة وتقرير النصيحة وفي قوله ﴿وأنا لكم ناصح أمين﴾ تنبيه على أنهم عرفوه بالأمرين لأن الجملة الحالية إنما يؤتى بها لبيان هيئة ذي الحال والشيء لا يوصف إلا بما يعلم المخاطب اتصافه به، أو لأن في جعل ذكر متعلق النصح والأمانة من قبل المهجور دلالة على أنه أوحدي فيه موجد للحقيقتين كأنه صناعته.

﴿أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم﴾ أي: استبعدتم وعجبتم من أن جاءكم وحي من مالك أموركم ومربيكم. ﴿على رجل منكم﴾ أي: على لسان رجل من جنسكم. ﴿لينذركم﴾ ويحذركم عاقبة ما أنتم عليه من الكفر والمعاصي فمن فرط الجهالة وغاية الغباوة عجبوا من كون رجل رسولاً ولم يتعجبوا من كون الصنم شريكاً. ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء﴾ شروع في بيان ترتيب أحكام النصح والأمانة والإنذار وتفصيلها؛ وإذ منصوب باذكروا على المفعولية دون الظرفية أي اذكروا وقت استخلافكم.

قال صاحب «الفوائد»: يشكل هذا بقولهم إذ وإذا وقوعهما ظرفين لازم.

وأجيب: بأن باب الاتساع واسع.

قال المولى أبو السعود: ولعله معطوف على مقدر كأن قيل لا تعجبوا من ذلك وتدبروا في أموركم واذكروا وقت جعله تعالى إياكم خلفاء. ﴿من بعد قوم نوح﴾ أي: في مساكنهم أو في الأرض بأن جعلكم ملوكاً فإن شداد بن عاد ممن ملك معمورة الأرض من رمل عالج إلى شحر عمان.

قال في «التأويلات النجمية»: جعل الله الخلق بعضهم خلفاء عن بعض وجعل الكل خلفاء في الأرض ولا يفني جنساً منهم إلا أقام قوماً خلفاء عنهم من ذلك الجنس فأهل الغفلة إذا انقرضوا أخلف عنهم قوماً وأهل الوصلة إذا انقرضوا ودرجوا أخلف عنهم قوماً. ﴿وزادكم في الخلق﴾ أي: في الإبداع والتصوير بالفارسي [وبيفزود شما] أو في الناس ﴿بصطة﴾ قامة وقوة فإنه لم يكن في زمانهم مثلهم في عظم الأجرام كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة الصغير ستين ذراعاً.

قال وهب: كان رأس أحدهم كالقبة العظيمة وكان عين أحدهم يفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم.

والإشارة كما أن الله تعالى زاد قوماً على من تقدمهم في بسطة الخلق، زاد قوماً على من تقدمهم في بسطة الخلق فكما أوقع التفاوت بين شخص وشخص فيما يعود إلى المباني أوقع التباين بين قوم وقوم فيما يرجع إلى المعاني. قال الفرزدق:

وقد تلتقي الأسماء في الناس والكنى كثيراً ولكن فرقوا في الخلائق

جمع الخليقة وهي الطبيعة وفي هذا المعنى. قال الخاقاني:

نى همه يك رنك دارد درنيستانها وليك ازيكى نى قند خيزد وزدكرنى بوريا

﴿فاذكروا آلاء الله﴾ جمع ألى بمعنى النعمة وهو تعميم بعد تخصيص. ﴿لعلكم

تفلحون﴾ لكي يؤديكم ذلك، أي ذكر النعم إلى الشكر المؤدي إلى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب ولما لم يبق للقوم جواب إلا التمسك بالتقليد.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿قالوا﴾ مجيبين عن تلك النصائح الجليلة ﴿أجئتنا﴾ يا هود ﴿لنعبد الله وحده﴾ أي لنخصه بالعبادة ﴿ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾ أي: نترك الآلهة التي كان آباؤنا يعبدونها ومعنى المجيء في أجئتنا إما المجيء من مكان اعتزل عن قومه يعبد فيه ربه كما كان يعبد رسول الله ﷺ بحراء فلما أوحي إليه جاء قومه يدعوهم وإما من السماء كمجيء الملك منها استهزاء به عليه السلام لأنهم كانوا يعتقدون أن الله تعالى لا يرسل إلا الملك، وإما القصد على المجاز وهو أن يكون مرادهم بالمجيء مجرد قصد الفعل ومباشرته كأنهم قالوا أتريد منا أن نعبد الله وحده وتقصد أن تكلفنا بذلك كما يقال ذهب يشتمني من غير إرادة معنى الذهاب. ﴿فائتنا بما تعدنا﴾» من العذاب المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: ٦٥] ﴿إن كنت من الصادقين﴾ أي: في الإخبار بنزول العذاب.

﴿قال﴾ هود عليه السلام ﴿قد وقع عليكم﴾ أي: قد وجب فيكون مجازاً من باب إطلاق المسبب على السبب فإن نزول العذاب عليهم مسبب عن وجوب نزوله في علمه تعالى. ﴿من ربكم﴾ أي: من جهته تعالى ﴿رجس﴾ عقاب من الارتجاس الذي هو الاضطراب ﴿وغضب﴾ إرادة انتقام ﴿أتجادلونني في أسماء﴾ عارية عن السمى. جعل المجادل فيه أسماء مجردة عن المسميات؛ لأنهم كانوا يسمون الأصنام آلهة ويزعمون كونهم مستحقين للعبادة والحال إنهم بمعزل عن الألوهية واستحقاق العبادة. ﴿سميتموها﴾ أي: سميتم بها ﴿أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان﴾ أي: حجة وبرهان في عبادتها قوله سميتموها صفة للأسماء وكذا قوله ما أنزل الله، وقوله من سلطان مفعول أنزل ومن مزيدة والمعنى أتجادلونني في مسميات لها اسم بدون ما يليق بها وتوجه الذم للتسمية الصرفة الخالية عن المعنى، فلا يلزم أن يكون الاسم هو المسمى.

قال في «التفسير الفارسي»: [في أسماء دركار اين نامها يعنى اين بتان كه هريك را نامى نهاده آيد بعضى را سائقه مى كفتند وكمان ايشان آن بودكه باران از ايشان مى بارد وبعضى را حافظه مى خواند ند بمظنهٔ آنكه نكهبان درسفر ايشانند وهمچنين رازقه وسالمه واين الفاظ اسما بودند بى مسما چه أصنام راكه جمادات بودند قدرت برينها نبوده پس هود عليه السلام فرموده كه شما جدال ميكنيد بدين چيزها كه ازروى جهالت شما نام نهاده آيد ايشانرا]. ﴿فانتظروا﴾ مترتب على قوله تعالى قد وقع عليكم أي فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فائتنا بما تعدنا. ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ لما يحل بكم من العذاب.

﴿فأنجيناه﴾ الفاء فصيحة كما في قوله تعالى: ﴿فَٱنفَجَرَتۡ﴾ [البقرة: ٦٠] أي فوقع فأنجينا هوداً ﴿والذين معه﴾ أي: في الدين ﴿برحمة منا﴾ أي: برحمة عظيمة كائنة من جهتنا عليهم وفيه

إشارة أن هوداً مع رتبته في النبوة ودرجته في الرسالة إنما نجا برحمة من الله هو والذين آمنوا معه ليعلم أن النجاة لا تكون باستحقاق العلم وإنما تكون ابتداء فضل من الله ورحمة فما نجا إلا بفضل الحق سبحانه. ﴿وقطعنا دابر﴾ القوم ﴿الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي: استأصلناهم أي أهلكناهم جميعاً بأن قطعنا عرقهم وأصلهم لأن دابر الشيء آخره فقطع دابر القوم إهلاكهم من أولهم إلى آخرهم. ﴿وما كانوا مؤمنين﴾ عطف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة أي أصروا على الكفر والتكذيب ولم يرعوا عن ذلك أبداً، وفيه تنبيه على أن مناط النجاة هو الإيمان بالله تعالى وتصديق آياته كما أن مدار البوار هو الكفر والتكذيب.

وقصتهم: أنّ عاداً كانوا يسكنون اليمن بالأحقاف وهي رمال يقال رمل عالج ودهمان ومرين ما بين عمان إلى حضرموت، وكانوا قد فشوا في الأرض وقهروا أهلها بقوتهم التي أعطاها الله إياهم وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله إليهم هوداً نبياً من أوسطهم في النسب وأفضلهم في الحسب، فأمرهم أن يوحدوا الله ولا يعبدوا غيره وأن يكفروا عن ظلم الناس فأبوا عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة وازدادوا عتواً وتجبراً فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك، وكان الناس إذا نزل بهم بلاء وجهد مضوا إلى البيت الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم وسألوا الله الفرج وكان أهل مكة يومئذٍ العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان رئيس العماليق يومئذ بمكة رجلاً يقال له معاوية بن بكر وكانت أمه من عاد فلما قحط المطر من عاد وجهدوا قالوا جهزوا منكم وفداً إلى مكة يستسقوا فجهزوا قيل بن عتر ومرثد بن سعد في سبعين رجلاً، فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو في خارج مكة فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية اسم إحداهما وردة واسم الأخرى جرادة فغلبت جرادة على وردة فسميتا جرادتين فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه وقال قد هلك أخوالي وأصهاري جهداً وعطشاً وهؤلاء مقيمون عندي والله ما أدري كيف أصنع بهم أستحيي أن آمرهم بالخروج إلى حاجتهم فيظنون أن ذلك لثقل مقامهم علي فشكا ذلك إلى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعراً نغنيهم به لا يدرون من قاله لعل ذلك يخرجهم فقال معاوية:

ألا يا قيل ويحك قم فهينم ... لعل الله يسقينا غماما
فيسقي أرض عاد إن عاداً ... قد أمسوا ما يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس ترجو ... به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهمو بخير ... فقد أمست نساؤهمو أيامى
وإن الوحش تأتيهم جهاراً ... فلا تخشى لعادي سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم ... نهاركمو وليلكمو التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم ... ولا لقوا التحية والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا، قال بعضهم لبعض: يا قوم لقد أبطأتم على أصحابكم فقوموا وادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم، فقال لهم مرثد: والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم هوداً وتبتم إلى الله سقيتم وأظهر إسلامه، فقالوا لمعاوية: احبس عنا مرثداً لا يقدمن معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا، ثم دخلوا مكة فقام قيل يستسقي في المسجد، وقال:

اللهم إني لم أجيء لمريض فأداويه ولا لأسير فأفاديه اللهم اسقنا فإنا قد هلكنا، اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيهم وقال القوم اللهم أعط قيلاً ما يسألك واجعل سؤلنا مع سؤله فأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل: اختر لنفسك ولقومك من هذا السحاب ما شئت فقال: اخترت السوداء فإنها أكثر السحاب ماء فنودي اخترت دماراً رمداً لا يبقى من آل عاد ولداً ولا شيوخاً إلا فصاروا همداً ثم ساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها من النقمة والبلاء إلى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها فرحوا وقالوا ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]، يقول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٤ ـ ٢٥]، أي: كل شيء مرت به فجاءتهم من تلك السحابة ريح عقيم سخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً أي دائماً فكانت الريح تحمل الظعن ما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة، وكانوا قد حفروا لأرجلهم في الأرض وغيبوها إلى ركبهم فجعلت الريح تدخل أقدامهم وترفع كل اثنين وتضرب بأحدهما الآخر في الهواء، ثم تلقيهما في الوادي والباقون ينظرون حتى رفعتهم كلهم ثم رمت بالتراب عليهم فكان يسمع أنينهم من تحت التراب فاعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة فما كان يصيبهم من الريح إلا ما يلين جلودهم وتلذ به أنفسهم قالوا ولما أراد الله إرسال الريح العقيم إلى عاد أوحى إلى الريح أن تخرج إلى عاد فتنتقم منهم فخرجت على قدر منخر ثور حتى رجفت الأرض ما بين المشرق والمغرب، فقالت الخزان، يا رب لن نطيقها ولو خرجت على حالها لأهلكت ما بين مشارق الأرض ومغاربها فأوحى الله تعالى اخرجي على قدر خرق الخاتم فخرجت على قدر ذلك.

قال السدي: فلما بعث الريح إليهم ودنت منهم نظروا إلى الإبل والرحال تطير بهم الريح بين السماء والأرض فتبادروا إلى البيوت، فأخرجتهم الريح من البيوت حتى أهلكتهم على ما ذكر وسبب هلاك الإبل وغيرها من الحيوانات اتصالها بملك أهل الغضب والبلية إذا نزلت فإنما تنزل عامة، ولله تعالى حكم ومصالح جليلة في كل ما يحكم ويريد ولما نجا هود ومن معه من المؤمنين أتوا مكة فعبدوا الله فيها إلى أن ماتوا، وهكذا فعل كل نبي هلك قومه ونجا هو مع المؤمنين قال بعضهم بين الركن والمقام وزمزم تسعة وتسعون نبياً وإن قبر هود وشعيب وصالح وإسماعيل في تلك البقعة وسبب الهجرة أن أرض أهل الكفر والمعاصي، قد حل فيها غضب الله وذهب خيرها فاقتضى كمال الخشية من جلال الله تعالى الرحلة إلى دار الأمان، كما قال تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] مع أن أمكنة العبادات على طبقات مختلفة متفاوتة في مراتب الثواب فعمل واحد بمكة خير من ألف عمل في غيرها إذ هي محل أنفاس الأنبياء ونفوسهم ومحط رحال الأولياء ورؤوسهم كما أن حال الأزمنة كذلك، فطوبى لعبد هاجر من أرض أهل البدعة والهوى ونزل بأرض أهل السنة والهدى لأن نظر الله تعالى على أهل الخير والصلاح وأما من أخلد إلى أرضه مع جمود أهلها وخمود نار محبتها لمجرد غرض دنيوي من المعاش وغيره فهو ممن أهبطه الله إلى أرض طبيعته وزحزحه عن جنته وأراد خسرانه في تجارته وإلا فالمهتدي إلى سبيل السلام لا يقيم مع الضالين مع وضوح البرهان التام.

سعد يا حب وطن كرچه حديث است صحيح ... نتوان مرد بسختى كه من اينجا زادم

يقول الفقير: اللهم إني هاجرت من أرض أهل البغي والفساد، واخترت سلوك طريق

أهل الرشاد فانتقلت من ديار الروم إلى ما يلحق بأرضك المقدسة أعني بروسة المحروسة اللهم ثبت قدمي في طريقك الحق فأنا الحق أرشدني إلى ما في الهجرة من النسر المطلق آمين يا معين.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وإلى ثمود﴾ أي: أرسلنا إلى ثمود وهي قبيلة من العرب سموا باسم أبيهم الأكبر ثمود بن عاد بن إرم بن سام بن نوح وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وثمود في كتاب الله مصروف وغير مصروف. قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [هود: ٦٨] فمن صرفه جعله اسماً للحي ومن لم يصرفه جعله اسماً للقبيلة. ﴿أخاهم﴾ من حيث النسب كهود عليه السلام كما تقدم ﴿صالحاً﴾ عطف بيان لأخاهم وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود ﴿قال﴾ استئناف ﴿يا قوم﴾ بحذف ياء المتكلم ﴿اعبدوا الله﴾ وحده ﴿ما لكم من إله غيره﴾ فيه إشارة إلى أن الله تعالى وإن غاير بين الرسل من حيث الشرائع إلا أنه جمع بينهم في التوحيد حيث سلك كل واحد منهم في الدعوة مسلك الآخر فقال نوح وهود وصالح يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره. روي أنه لما هلكت عاد عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الأرض وكثروا في خصب وسعة فعتوا على الله وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأصنام فبعث الله إليهم صالحاً وكانوا قوماً عرباً وصالح من أوسطهم نسباً فدعاهم إلى الله تعالى حتى شمط وكبر فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وأنذرهم فسألوه آية تكون مصداقاً لقوله فقال أية آية تريدون قالوا تخرج معنا إلى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو إلهك وندعو آلهتنا فإن استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوا الاستجابة فلم تجبهم إلى سؤلهم ولم يظهر إثم الإنجاح فافتضحوا ثم قال سيدهم جندع بن عمرو وأشار إلى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاتبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخدجة على خلقة الجمل في الجسامة وغلظة العظام والقوائم شبيهة بالبختي جوفاء وبراء عشراء فإن فعلت صدقناك وأجبناك فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لنؤمنن ولنصدقن قالوا: نعم فصلى ركعتين ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله وهم ينظرون ثم نتجت ولداً مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع الباقين من الإيمان ذواب بن عمرو والجباب صاحب أوثانهم ورباب كاهنهم.

يكى بنور عنايت ره هدايت يافت ... يكى بوادى خذلان بماند سر كردان
يكى بوسوسهٔ ديورفت سوى سقر ... يكى زپيروى حق كرفت ملك جنان

فمكثت الناقة مع ولدها في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فبعد ظهور هذه المعجزة، قال لهم صالح: ﴿قد جاءتكم بينة﴾ أي: آية ومعجزة ظاهرة وشاهدة بنبوتي ﴿من ربكم﴾ متعلق بجاءتكم أو بمحذوف هو صفة لبينة.

قال المولى أبو السعود. وليس هذا الكلام منه عليه السلام أول ما خاطبهم إثر دعوتهم إلى التوحيد بل إنما قاله بعد ما نصحهم وذكرهم بنعم الله فلم يقبلوا كلامه وكذبوه ألا يرى إلى ما في سورة هود من قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١] إلى آخر الآيات ﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾ استئناف كأنه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله أنبهكم عليها أو أشير إليها في حال كونها آية وعلامة دالة على صحة نبوتي، وإضافة الناقة إلى الاسم الجليل لتعظيمها كما يقال بيت الله أو لمجيئها من جهته تعالى بلا أسباب معهودة ووسائط معتادة، يعني: كانت بالتكوين من غير اجتماع ذكر وأنثى ولم تكن في صلب ولا رحم ولم يكن للخلق فيها سعي ولكم بيان لمن هي آية له وخصوا بذلك لأنهم هم الذين طلبوها وينتفعون بها لو تركوا العناد وطلبوا الاهتداء بالدليل والبرهان. ﴿فذروها﴾ تفريع على كونها آية من آيات الله تعالى فإن ذلك مما يوجب عدم التعرض لها أي دعوها. ﴿تأكل في أرض الله﴾ جواب الأمر، أي الناقة ناقة الله والأرض أرض الله فاتركوها ترتع ما ترتع في أرض الحجر من العشب فليس لكم أن تحولوا بينها وبينها وعدم التعرض للشرب للاكتفاء عنه بذكر الأكل. ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ الباء للملابسة أي لا تمسوها ملتبسين بسوء ولا تتعرضوا لها بشيء مما يسوؤها أصلاً من قتل أو ضرب أو مكروه إكراماً لآية الله تعالى، والسوء: اسم جامع لأنواع الأذى ويجوز أن تكون الباء للتعدية والمعنى بالفارسية [ومرسانيد بوى هيچ بدى] وفيه مبالغة حيث نهى عن المس الذي هو مقدمة الإصابة. ﴿فيأخذكم عذاب أليم﴾ جواب للنهي.

قال في «التفسير الفارسي»: [استحقاق عذاب نه بواسطهٔ ضرر ناقه است بلكه باقامات ايشان بركفر بعد ازشهود معجزه وعقر ناقه دليل عتو ايشانست دركفر].

والإشارة: أن المعجزة للعوام أن يخرج لهم من حجارة الصخرة ناقة عشراء، والمعجزة للخواص أن يخرج لهم من حجارة القلب ناقة السر بسقب سر السر وهو الخفي، وناقة الله التي تحمل أمانة معرفته وتعطي ساكني بلد القالب من القوى والحواس لبن الواردات الإلهية فذروها تأكل في أرض الله، أي ترتع في رياض القدس وتشرب في حياض الأنس ولا تمسوها بسوء مخالفات الشريعة ومعارضات الطريقة فيأخذكم عذاب أليم بالانقطاع عن مواصلات الحقيقة

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد﴾ أي. اذكروا وقت جعله تعالى إياكم خلفاء في أرض الحجر أو خلفاء لقوم عاد من بعد إهلاكهم فنصب إذ على المفعولية كما سبق في القصة المتقدمة ﴿وبوأكم في الأرض﴾ أي أنزلكم في أرض الحجر بالفارسي [جاى داد شمارا].

قال أبو السعود: أي جعل لكم مباءة ومنزلاً في أرض الحجر بين الحجاز والشام ﴿تتخذون من سهولها قصوراً﴾ استئناف مبين لكيفية التبوئة أي تبنون في سهولها قصوراً رفيعة على أن من بمعنى في كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩] أو سهولة الأرض بما تعملون منها من اللبن والآجر. ﴿وتنحتون الجبال﴾ أي: الصخور والنحت نجر الشيء الصلب وانتصاب الجبال على المفعولية. ﴿بيوتاً﴾ حال مقدرة من الجبال كما تقول خط هذا الثوب قميصاً، قيل: كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء وقيل إنهم

لطول أعمارهم كانوا يحتاجون إلى أن ينحتوا من الجبال بيوتاً لأن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم. ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ أي: احفظوا نعم الله عليكم فإن حق آلائه تعالى أن تشكر ولا يغفل عنها ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ العثي: أشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد حال كونكم مفسدين فالمراد بهذه الحال تعريفهم بأنهم على الفساد لا تقييد العامل، وإلا لكان مفهومه مفيداً معنى تمادوا في الفساد حال كونكم مصلحين وهذا غير جائز، وقيل: إنما قيد به لما أن العثي في الأصل مطلق التعدي وإن غلب في الفساد، فقد يكون في غير الفساد كما في مقابلة غير الظالم الظالم المتعدي بفعله، وقد يكون فيه صلاح راجح كقتل الخضر عليه السلام للغلام وخرقه السفينة فيكون التقييد بالحال تقييداً للعام بالخاص.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿قال﴾ استئناف ﴿الملأ﴾ أي: الأشراف والرؤساء ﴿الذين استكبروا من قومه﴾ أي: تعظموا عن الإيمان به ﴿للذين استضعفوا﴾ اللام للتبليغ، أي: للذين استضعفوهم واستذلوهم. ﴿لمن آمن منهم﴾ بدل من الذين استضعفوا بدل الكل والضمير للقوم. ﴿أتعلمون﴾ [اياشما ميدانيد] ﴿أن صالحاً مرسل من ربه﴾ قالوه بطريق الاستهزاء بهم ﴿قالوا﴾ أي: المؤمنون المستضعفون ﴿إنّا بما أرسل به﴾ من التوحيد والعبادة ﴿مؤمنون﴾ عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بأن يقولوا نعم أو نعلم أنه مرسل منه تعالى تنبيهاً على أن إرساله أمر معلوم مقرر عندهم حيث أوردوه صلة للموصول ومن المعلوم أن الصلة لا بد أن تكون جملة معلومة الانتساب إلى ذات الموصول فكأنهم قالوا لا كلام في إرساله لأنه أظهر من أن يشك فيه عاقل ويخفى على ذي رأي لما أتى به من هذا المعجز العظيم الخارق وإنما الكلام في الإيمان به فنحن مؤمنون به فهذا الجواب من أسلوب الحكيم وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب.

﴿قال الذين استكبروا إنّا بالذي آمنتم به كافرون﴾ عدلوا عن الجواب المطابق، وهو إنا بما أرسل به كافرون لدلالته على أن إرساله معلوم مسلم عندهم، كما دل عليه قول المؤمنين فكأنهم قالوا ليس إرساله معلوماً لنا مسلماً عندنا وليس هناك إلا دعواه وإيمانكم به ونحن بما آمنتم به كافرون فالمؤمنون فرعوا إيمانهم على الإرسال الثابت والكفار فرّعوا كفرهم على إيمان المؤمنين.

واعلم: أن الله تعالى ذم الكفار بوجهين أحدهما الاستكبار وهو رفع النفس فوق قدرها وجحود الحق والآخر أنهم استضعوا من كان يجب أن يعظموه ويبجلوه ومدح المؤمنين حيث ثبتوا على الحق وأظهروه مع ضعفهم عن مقاومة الكفار كما دل عليه قوله: ﴿إنا بما أرسل به مؤمنون﴾.

﴿فعقروا الناقة﴾ أي: نحروها وبالفارسي [پس پى كردند وبكشتند ناقه را] أسند العقر إلى الكل مع أن المباشر بعضهم للملابسة أو لأن ذلك كان برضاهم فكأنه فعله كلهم. روي أن الناقة كانت ترد الماء غباً فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما

فيها لا تدع قطرة واحدة ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلىء أوانيهم كلها فيشربون ويدخرون ثم تصدر من أعلى الفج الذي وردت منه لأنها لا تقدر أن تصدر من حيث ترد لضيقه.

قال أبو موسى الأشعري: أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعاً وكانوا إذا جاء يومهم وردوا الماء فيشربون ويسقون مواشيهم ويدخرون من الماء ما يكفيهم اليوم الثاني، وكانت الناقة إذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فيهرب منها أنعامهم إلى بطنه وإذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فيهرب منه مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة أم غنم، وصدقة بنت المختار لما أضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي.

قال الحدادي: كان في ثمود امرأة يقال لها صدوق كانت جميلة الخلق غنية ذات إبل وبقر وغنم، وكانت من أشد الناس عداوة لصالح وكانت تحب عقر الناقة لأجل أنها أضرت بمواشيها فطلبت ابن عم لها يقال له مصدع بن دهر وجعلت له نفسها إن عقر الناقة، فأجابها إلى ذلك ثم طلبت قدار بن سالف وكان رجلاً أحمر أزرق قصيراً يزعمون أنه ولد زنى، ولكنه ولد على فراش سالف فقالت يا قدار أزوجك أيُّ بناتي شئت على أن تعقر الناقة، وكان منيعاً في قومه فأجابها أيضاً فانطلق قدار ومصدع فاستعووا عواة ثمود فأتاهم تسعة رهط فاجتمعوا على عقر الناقة فأوحى الله تعالى إلى صالح أن قومك سيعقرون الناقة، فقال لهم صالح: بذلك، فقالوا: ما كنا لنفعل ثم تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله، وقالوا نخرج فيرى الناس أنا قد خرجنا إلى سفر فنأتي الغار فنكون فيه حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده قتلناه ثم رجعنا إلى الغار فكنا فيه فإذا رجعنا قلنا ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون، أي يعلمون أنا خرجنا في سفر لنا وكان صالح لا ينام في القرية وكان له مسجد خارج القرية يقال له مسجد صالح يبيت فيه فإذا أصبح أتاهم فوعظهم، وإذا أمسى خرج إلى المسجد فانطلقوا ودخلوا الغار فلما كان الليل سقط عليهم الغار فقتلهم فلما أصبحوا رآهم رجل فصاح في القرية، فقال: ما رضي صالح حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة.

وقال ابن إسحاق: إنما اجتمع التسعة الذين عقروا الناقة فقالوا هلموا لنقتل صالحاً فإن كان صالح صادقاً منعنا قتله، وإن كان كذباً ألحقناه بناقته فأتوا ليلاً فبيتوه في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة، وقال بعضهم: انطلق قدار ومصدع وأصحابهما التسعة فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها مصدع في أصل صخرة أخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ثم خرج قدار فعقرها بالسيف فخرت ترغو ثم طعنها في لبتها ونحرها وخرج أهل البلد واقتسموا لحمها فلما رآها سقبها كذلك رقى جبلاً اسمه قارة فرغا ثلاثاً ودموعه تنحدر حتى أتى الصخرة التي خلق منها فانفتحت فدخلها. فذلك قوله تعالى: **﴿فعقروا الناقة﴾** **﴿وعتوا عن أمر ربهم﴾** أي: استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح من الأمر بقوله: فذروها ومن النهي بقوله: ولا تمسوها أو استكبروا عن اتباع أمر الله وهو شرعه ودينه ويجوز أن يكون المعنى صدر عتوهم عن أمر ربهم كان أمر ربهم بترك الناقة كان هو السبب في عتوهم ونجوا من هذه كما في قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢] كذا في «الكشاف». **﴿وقالوا﴾** مخاطبين له عليه السلام بطريق التعجيز والإفحام **﴿يا صالح ائتنا بما تعدنا﴾** من العذاب على

قتل الناقة ﴿إن كنت من المرسلين﴾ فإن كونك من جملتهم يستدعي صدق ما تقول من الوعد والوعيد.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ (٧٨) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ (٧٩)﴾

﴿فأخذتهم الرجفة﴾ أي: الزلزلة الشديدة لكن لا أثر ما قالوا بل بعد ما جرى عليهم ما جرى من مبادي العذاب في الأيام الثلاثة كما سيجيء ورد في حكاية هذه القصة. ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ وفي موضع ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [الحجر: ٧٣] وفي موضع ﴿فَأُهْلِكُوا بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥] ولا تناقض لأن الرجفة مترتبة على الصيحة لأنه لما صيح بهم رجفت قلوبهم فماتوا فجاز أن يسند الإهلاك إلى كل واحدة منهما.

وقال الحدادي: فأخذتهم الزلزلة ثم صيحة جبريل.

وفي «التفسير الفارسي: [پس فرا كرفت ايشانرا بسبب كشتن ناقه زلزله• بعد ازسفيدن صيحه• عظيم] وأما قوله بالطاغية فالباء فيها سببية والطاغية مصدر بمعنى الطغيان كالعاقبة والتاء للمبالغة كما في علامة ومعناه أهلكوا بسبب طغيانهم. ﴿فأصبحوا في دارهم﴾ أي: صاروا في أراضيهم وبلدهم أو في مساكنهم ﴿جاثمين﴾ أي: خامدين موتى لاحراك بهم وأصل الجثوم البروك يقال الناس جثوم أي قعود لاحراك بهم.

قال أبو عبيدة: الجثوم للناس، والطير والبروك للإبل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركية كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الأخذ وسرعة البطش اللهم إنا بك نعوذ من نزول سخطك وحلول غضبك، قيل: حيث ذكرت الرجفة وحدت الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت لأن الصيحة كانت من السماء فبلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة فقرن كل منهما بما هو أليق به. روي أنهم لما عقروا الناقة هرب ولدها إلى جبل فرغا ثلاثاً وكان صالح قال لهم بعد بلوغ خبر القتل إليه أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها، قال صالح: لكل رغوة أجل يوم. تمتعوا في داركم أي في بلادكم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وقد عقروا الناقة يوم الأربعاء فقال لهم صالح: أبشروا بعذاب الله ونقمته، فقالوا له: وما علامة ذلك فقال تصبحون غداة يوم الخميس وجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم الجمعة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم السبت ووجوهكم مسودة، ثم يصبحكم العذاب أول يوم الأحد فكان الأمر كما وصف نبيهم حيث أصبحوا يوم الخميس كأن وجوههم طليت بالزعفران صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فأيقنوا بالعذاب، وعلموا أن صالحاً قد صدق فطلبوه ليقتلوه فهرب منهم واختفى في موضع فلم يجدوه فجعلوا يعذبون أصحابه ليدلوهم عليه، فلما أصبحوا يوم الجمعة أصبحت وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدماء فصاحوا بأجمعهم وضجوا وبكوا وعرفوا أن العذاب قد دنا إليهم وجعل كل واحد منهم يخبر الآخر بما يرى في وجهه، ثم أصبحوا يوم السبت ووجوههم مسودة كأنها طليت بالقار والنيل فصاحوا جميعاً ألا قد حضر العذاب، فلما كان ليلة الأحد خرج صالح من بين أظهرهم ومن آمن به إلى الشام فنزل رملة فلسطين فلما كان يوم الأحد وهو اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر لئلا يتعرض لهم السباع لمرارته

وتكفنوا بالأنطاع وألقوا نفوسهم على الأرض يقلبون أبصارهم إلى السماء مرة وإلى الأرض أخرى لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فأتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة، وصوت كل شيء له صوت ورجفة من الأرض فتقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلا هلك.

فإن قلت: مشاهدة العلامات المذكورة تلجىء المكلف إلى الإيمان فهل يحتمل أن يبقى العاقل بعدها مصرّاً على كفره.

قلت: لما شاهدوا علامات نزول العذاب خرجوا عن حد التكليف فلم تقبل توبتهم بعد ذلك.

﴿**فتولى عنهم**﴾ أثر ما شاهد ما جرى عليهم من الهلاك تولى مغتماً متحسراً على ما فاتهم من الإيمان متحزناً عليهم. ﴿**وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي**﴾ [پيغام پروردكار من كه بأداء آن مأمور بودم] ﴿**ونصحت لكم**﴾ وقت الدعوة بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعي، ﴿**ولكن لا تحبون الناصحين**﴾ صيغة المضارع حكاية حال ماضية أي شأنكم الاستهزاء على بعض الناصحين لأن قول الناصح ثقيل والحق مرّ وهما يفيدان البغضة كما قال قائلهم:

وكم سقت في آثاركم من نصيحة ... وقد يستفيد البغضة المتنصح

وذلك أيضاً من خباثة أرض النفس الخبيثة لم تقبل بذر النصح ولم ينبت فيها. وروي عن جابر بن عبد الله أنه قال لما مر النبي عليه السلام بالحجر في غزوة تبوك يعني: مواضع ثمود قال لأصحابه: «لا يدخلن أحد منكم هذه القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم» ثم قال: «لا تسألوا رسولكم الآيات فإن هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية، فبعث الله إليهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم وردها وأراهم مرتقى الفصيل حيث ارتقى» ثم أسرع رسول الله السير حتى جاوز الوادي، وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لعلي: «يا علي أتدري من أشقى الأولين»؟ قال الله ورسوله أعلم قال: «عاقر الناقة» ثم قال: «أتدري من أشقى الآخرين»؟ قال الله ورسوله أعلم قال: «قاتلك». وفي «المثنوي»:

ناقهٔ صالح بصورت بد شتر ... پى بريدندش زجهل آن قوم مر
ناقة الله آب خورد از جوى ميغ ... آب حق را داشتند از حق دريغ
شحنهٔ قهر خدا زيشان بجست ... خونبهاى اشترى شهرى درست
صالح ازخلوت بسوى شهر رفت ... شهر ديد اندر ميان دود وتفت
زاستخوانها شان شنيد اونالها ... اشك خون ازجان شان چون ژالها
صالح آن بشنيد وكريه سازكرد ... نوحه بر نوحه كنان آغاز كرد
كفت اي قومى بباطن زيسته ... واز شما من پيش حق بكريسته
حق بكفته صبركن برجورشان ... پندشان ده بس نماند از دورشان
من بكفته پند شد پند از جفا ... شير پند از مهر جوشد وز صفا
بس كه كرديد از جفا برجاى من ... شير پند افسرد در ركهاى من
حق مرا كفته ترا لطفى دهم ... بر سر آن زخمها مرهم نهم

صاف كرده حق دلم را چون سما روفته از خاطرم جور شما
در نصيحت من شده بار دكر كفته أمثال سخنها چون شكر
شير تازه از شكر انكيخته شير شهدى با سخن آميخته
درشما چون زهر كشته اين سخن زانكه زهرستان بديد از بيخ وبن
چون شوم غمكين كه غم شد سر نكون غم شما بوديد اي قوم حرون
هيچ كس برمرك غم نوحه كند ريش سر چون شد كسى مو بركند

والإشارة أن صالح الروح أرسل بنفخة الحق إلى بلد القلب وساكنيه ليدعوهم من الأوصاف الرديئة السفلية الظلمانية الحيوانية إلى الأخلاق الحميدة العلوية النورانية الروحانية والنفس وصفاتها عقروا ناقة سر القلب بسكاكين مخالفات الحق والاستكبار وعتوا عن أمر ربهم من التوحيد والمعرفة فصاروا إلى الهلاك وبقوا في أودية الجهل والإنكار عصمنا الله وإياكم من كل ما يسوء الروح ويمنع الفتوح.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾.

﴿ولوطاً﴾ أي: وأرسلنا لوطاً وهو لوط بن هاران بن تارخ فهو ابن أخي إبراهيم كان من أرض بابل العراق فهاجر مع عمه إبراهيم إلى الشام ونزل الأردن وهو كورة بالشام فأرسله الله إلى أهل سدوم بلد بحمص.

قال في «التفسير الفارسي»: [خداى تعالى ويرا پيغمبرى داد وباهل مؤتفكات فرستاد وآن پنج شهر بوده سدوم أعظم مداين بود وديكر عامه وداود وصابورا وصفود كويند درهر شهرى چهار بارهزار هزار آدمى بوند لوط عليه السلام بسدوم آمد وخلق را بخداى تعالى دعوت كرد وبيست سال درميان ايشان بود وبخيرات امر مينمود واز فواحش نهى فرمود ويكى از فواحشها لواطه بود] كما حكى الله تعالى بقوله: ﴿إذ قال لقومه﴾ [مرقوم سدوم راكه لوط عليه السلام درميان ايشان بود] وهو ظرف لأرسلنا المضمر أي أرسلنا لوطاً إلى قومه وقت قوله لهم.

قيل: الإرسال قبل وقت القول لا فيه.

وأجيب بأن هذا من قبيل قولك في ظرف المكان زيد في أرض الروم فهو ههنا غير حقيقي فيكفي وقوع المظروف في بعض أجزائه. ﴿أتأتون الفاحشة﴾ إنكار وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح أي البالغة إلى غاية القبح وهي اللواطة والمعنى أتفعلونها ﴿ما سبقكم بها﴾ ما فعلها قبلكم على أن الباء للتعدية، كما في قوله عليه السلام: «سبقك بها عكاشة» من قولك سبقته بالكرة أي ضربتها قبله ﴿من أحد﴾ من مزيدة لتأكيد النفي وإفادة الاستغراق ﴿من العالمين﴾ من للتبعيض والجملة استئناف نحوي أي مبتدأة جيء بها تأكيداً للإنكار السابق كأنه وبخهم أولاً بإتيان الفاحشة ثم باختراعها فإنه أسوأ.

﴿إنكم لتأتون الرجال﴾ بيان لتلك الفاحشة. قرأ نافع وحفص إنكم بطريق الخبر والباقون ائنكم بطريق الاستفهام يقال أتى المرأة إذا غشيها وفي إيراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة في التوبيخ. ﴿شهوة﴾ مفعول له وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على أن العاقل ينبغي أن يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة.

﴿من دون النساء﴾ أي: متجاوزين النساء اللاتي أباح الله لكم ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ إضراب عن الإنكار المذكور إلى الإخبار بحالهم التي أدت بهم إلى ارتكاب أمثاله وهي اعتياد الإسراف في كل شيء، يعني: إنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحد في كل شيء فمن ثمة أسرفوا في باب قضاء الشهوة وتجاوزوا عما عين لها إلى غيره.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وما كان جواب قومه إلا أن قالوا﴾ استثناء مفرغ من أعم الأشياء، أي ما كان جواباً من جهة قومه شيء من الأشياء إلا قول بعضهم لبعض ﴿أخرجوهم﴾ أي: لوطاً ومن معه من المؤمنين. ﴿من قريتكم﴾ أي: إلا هذا القول الذي يستحيل أن يكون جواباً لكلام لوط وليس المراد لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات لوط ومواعظه إلا هذه المقالة الباطلة كما هو المتسارع إلى الأفهام، بل إنه لم يصدر عنهم في المرة الأخيرة من مرات المحاورات الجارية بينهم وبينه عليه السلام إلا هذه الكلمة الشنيعة، وإلا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكى عنهم في سائر السور الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره الواردة بطريق القصر، وقوله: ﴿من قريتكم﴾ أي: من بلدكم فإن العرب تسمي المدينة قرية والمراد بلدة سدوم. ﴿إنهم أناس يتطهرون﴾ أي: يطلبون الطهارة من الفواحش قالوه على وجه الاستهزاء والسخرية بهم. ﴿فأنجيناه﴾ أي: لوطاً ﴿وأهله﴾ ابنتيه رعوزا وريثا وسائر من آمن به فإن الأهل يفسر بالأزواج والأولاد وبالعبيد والإماء وبالأقارب وبالأصحاب وبالمجموع وأهل الرجل خاصته الذين ينسبون إليه. ﴿إلا امرأته﴾ وأهله فإنها تسر الكفر وتغري الكفار على إنكار لوط وهو استثناء من أهله. ﴿كانت من الغابرين﴾ استئناف بياني كأنه قيل: فماذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين أي الباقين في ديارهم الهالكين فيها من الغبور بالفارسي [باقى بماندن] والتذكير مع أن الظاهر أن يقال من الغابرات مبني على أنه بقي في ديارهم رجال ونساء فغلب الرجال فقيل في حقها إنها كانت منهم.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وأمطرنا﴾ [بارانيديم] ﴿عليهم﴾ [بركفا قوم لوط] ﴿مطراً﴾ نوعاً من المطر عجيباً وهي الحجارة، أي: أرسلنا عليهم الحجارة إرسال المطر. ﴿فانظر﴾ خطاب لكل من يتأتى من التأمل والنظر تعجيباً من حالهم وتحذيراً من أعمالهم. ﴿كيف كان عاقبة المجرمين﴾ أي: تفكر في آخر أمر الكافرين المكذبين كيف فعلنا بهم.

قيل: كان السبب في اختراعهم هذه الخصلة القبيحة، أي اللواطة أن بلادهم وهي أرض الشام أخصبت بأنواع الثمار والحبوب فتوجه إليهم الناس من النواحي والأطراف لطلب المعروف فتأذوا من كثرة ورود الفقراء فعرض لهم إبليس في صورة شيخ، وقال: إنْ فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فأبوا، فلما ألح الناس عليهم قصدوهم فأصابوا غلماناً صباحاً فأخبثوا فاستحكم فيهم ذلك وكانوا لا ينكحون إلا الغرباء.

وقال الكلبي: أول من فعل به ذلك الفعل إبليس الخبيث حيث تمثل لهم في صورة شاب جميل فدعاهم إلى نفسه ثم عملوا ذلك العمل بكل من ورد عليهم من المرد قضاء لشهوتهم ودفعاً لهجوم الناس عليهم وعاشوا بذلك العمل زماناً فلما كثر فيهم عجت الأرض إلى ربها

فسمعت السماء فعجت إلى ربها فسمع العرش فعج إلى ربه فأمر الله السماء أن تحصبهم والأرض أن تخسف بهم أمطروا أولاً بالحجارة ثم خسف بهم الأرض وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم. وروي أن تاجراً منهم كان في الحرم فوقف له الحجر أربعين يوماً حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه.

دلت الآية على أن اللواطة أفحش الفواحش وأقبحها لأن الله تعالى ما أمطر الحجارة على أهل الذنوب العظام مثل الزنى والعقوق والسرقة والقتل بغير الحق وغير ذلك من الكبائر حتى الشرك.

قال ابن سيرين: ليس شيء من الدواب يعمل هذا العمل إلا الخنزير والحمار، فاللواطة ذنب عظيم يجب أن يحترز عنها وعن مباديها أيضاً كاللمس والقبلة.

قال الإمام: مَنْ قَبّل غلاماً بشهوة، فكأنما زنى بأمه سبعين مرة، ومن زنى مع أمه مرة فكأنما زنى بسبعين بكراً، ومن زنى من البكر مرة، فكأنما زنى مع سبعين ألف امرأة، وضرر النظر في الأمرد أشد لامتناع الوصول في الشرع؛ لأنه لا يحل الاستمتاع بالأمرد أبداً. قال الشيخ سعدى قدس سره:

خرابت كند شاهد خانه كن ... بروخانه آباد كردان بزن
نشايد هوس باختن باكلى ... كه هر بامدادش بود بلبلى
مكن بد بفرزند مردم نكاه ... كه فرزند خويشت بر آيد تباه
چرا طفل يك روزه هوشش نبرد ... كه در صنع ديدن چه بالغ چه خر
محقق همى بيند اندر ابل ... كه درخوب رويان چين وچكل

وحكي أن سليمان بن داود عليهما السلام قال يوماً لعفريت من الجن: ويلك أين إبليس قال: يا نبي الله هل أمرت فيه بشيء قال: لا قال: أين هو قال: انطلق يا نبي الله فانطلق ومشى العفريت بين يدي سليمان حتى هجم به على البحر فإذا إبليس على بساط على الماء فلما رأى سليمان ذعر منه وفرق فقام فتلقاه فقال يا نبي الله هل أمرت فيّ بشيء قال: لا ولكن جئت لأسألك عن أحب الأشياء إليك وأبغضها إلى الله تعالى فقال إبليس أما والله لولا ممشاك إليّ ما أخبرتك ليس شيء أبغض إلى الله تعالى من أن يأتي الرجل الرجل والمرأة المرأة وفي الحديث: «سحاق النساء زنى بينهن» وفي «ملتقطة الناصري» الغلام إذا بلغ مبلغ الرجال ولم يكن صبيحاً فحكمه حكم الرجال وإن كان صبيحاً فحكمه حكم النساء، وهو عورة من قرنه إلى قدمه يعني لا يحل النظر إليه عن شهوة فأما السلام والنظر لا عن شهوة فلا بأس به، ولذا لم يؤمر بالنقاب والأمرد إذا كان صبيحاً فأراد أن يخرج في طلب العلم فلأبيه أن يمنعه.

وكان محمد بن الحسن صبيحاً، وكان أبو حنيفة يجلسه في درسه خلف ظهره أو خلف سارية المسجد حتى لا يقع عليه بصره مخافة من خيانة العين مع كمال تقواه حتى إن واحداً من العلماء مات فرؤي في المنام قد اسودّ وجهه، فسئل عن ذلك فقال رأيت غلاماً في موضع كذا فنظرت إليه فاحترق وجهي في النار.

قال القاضي: سمعت الإمام يقول: إن مع كل امرأة شيطانين ومع كل غلام ثمانية عشر شيطاناً، ويكره مجالسة الأحداث والصبيان والسفهاء لأنه يذهب بالمهابة ويورث التهمة. قال الشيخ سعدي:

چو خواهى كه قدرت بماند بلند دل اى خواجه درساده رويان مبند
وكر خود نباشد غرض درميان حذركن كه دارد بحرمت زيان

ويكره بيع الأمرد ممن يعلم أنه يفضي إليه غالباً لأنه إعانة على المعصية.

فإن قلت: سلمنا أن الغلام ليس محلاً للحرث والتولد لكنه يكون محلاً لقضاء الشهوة واستيفاء اللذة فالعقل يقتضي أن يتصرف المالك في ملكه كيف يشاء.

قلت: الشرع لم يأذن في هذا المحل بالتصرف لغاية قباحته ونهاية خبائثه، ومجرد المملوكية لا يقتضي التصرف في المملوك ألا ترى أن من ملك مجوسية أو وثنية لم يجز له تصرف فيهما أصلاً ما لم تدخلا في الإسلام، وكذا لا يجوز التصرف للسيدة في عبدها المملوك في محل لم يأذن الشرع بالتصرف فيه كالتقبيل والتفخيذ وغيرها من دواعي الوطء فلو جاز للسيد التصرف في عبده لجاز للسيدة التصرف في عبدها بطريق الأولى لكونها محلاً للحرث.

والإتيان في دبر الذكر هو اللواطة الكبرى، وفي دبر المرأة هو اللواطة الصغرى وفي الحديث: «ملعون من أتى امرأة في دبرها» وهل تجوز اللواطة في الجنة قيل إن كان حرمتها عقلاً وسمعاً لا تجوز وإن كان سمعاً فقط تجوز والصحيح أنها لا تجوز فيها لأن الله تعالى استبعدها واستقبحها فقال: ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ وسماها خبيثة فقال: ﴿كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأنبياء: ٧٤] والجنة منزهة عنها.

قال المولى زيرك زاده في «حواشي الأشباه» رحمه الله تعالى رحمة واسعة قد قال الله تعالى: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإنسان: ١٩] وفي موضع آخر ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ﴾ [فصلت: ٣١] والآية تدل على أن في الجنة مرداً ملاحاً وبعيد أن يكونوا غير مشتهين وغير المعقول في الدنيا أن يكون خلاف الوضع والاستقذار وقطع النسل وأما في النشأة الأخروية فهذه المحذورات منتفية انتهى كلام زيرك زاده.

يقول الفقير: هذا ليس بمرضي عند القلب السليم والعقل المستقيم يأبى عنه من يعرف القبيح من الحسن ويتنفر من يميز الزيوف والنبهرج من النقد الجيد المستحسن. فإن الطواف في الآية الأولى إنما يدل على كونهم خدام أهل الجنة وإن أهل الجنة يتلذذون بالنظر إلى جمالهم وبهجتهم وهذا لا يقتضي التلذذ بالاستمتاع أيضاً كما في حق الحور، والاشتهاء في الآية الثانية وإن كان عاماً لكنه يجوز أن لا تكون اللواطة مشتهاة لأهل الجنة للحكمة التي عليها مدار حرمتها في جميع الأديان كالزنى بخلاف الخمر فإنها كانت حلالاً في بعض الأديان ولذا صارت من نعيم الجنان أيضاً ومطلق ارتفاع موانع الحرمة لا يقتضي الحل والجواز ألا ترى إلى تستر أهل الجنة عند الوقاع فإن أهليهم لا يظهرن لغير المحارم كما في «الواقعات المحمودية» هذا.

وأما حكم الوطء بحسب الشرع فذهب الشافعي إلى أنه يقتل.

وذهب أحمد بن حنبل: إلى أنه يرجم وإن كان غير محصن.

قال في «شرح الوقاية»: إن من أتى دبر أجنبي أو امرأة فعند أبي حنيفة لا يحد، بل يعزر ويودع في السجن حتى يتوب، وعندهما يحد حد الزنى فيجلد إن لم يكن محصنا ويرجم إن كان محصناً قال: قيدنا بدبر الأجنبي لأنه لو فعل ذلك بعبده أو أمته أو بمنكوحته لا يحد اتفاقاً

لهما أن الصحابة أجمعوا على حده ولكن اختلفوا في وجوهه فقال بعضهم يحبس في أنتن المواضع حتى يموت وقال بعضهم يهدم عليه الجدار انتهى. وقد يقال: يلقى من مكان عال كالمنارة.

قال أبو بكر الوراق: يحرق بالنار صرح به في «شرح المجمع».

قال في «الزيادات» والرأي إلى الإمام إن شاء قتله إن اعتاد ذلك وإن شاء حبسه كما في «شرح الأكمل».

والظاهر أن ما ذهب إليه أبو حنيفة إنما هو استعظام لذلك الفعل فإنه ليس في القبح بحيث أن يجازي كالقتل والزنى، وإنما التعزير لتسكين الفتنة الناجزة كما أن يقول في اليمين الغموس إنه لا يجب فيه الكفارة لأنه لعظمه لا يستتر بالكفارة.

وفي كتاب «الحظر والإباحة»: رجل وطأ بهيمة.

قال أبو حنيفة: إن كانت البهيمة للواطىء يقال له: اذبحها وأحرقها إن كانت مأكولة وإن لم تكن مما تؤكل تذبح ولا تحرق.

قال في ترجمة الجلد الأخير من «الفتوحات المكية» [وازنكاح بهايم اجتناب كن نه شرع است ونه دين ونه مروت شخصى بود صالح أما قليل العلم درخانه‌ء خود منقطع بود ناكاه بهيمه‌ء خريد راردا بدان حاجتى ظاهر نه بعد ازچند سال كسى ازوى پرسيد تواين را چه ميكنى وترابوى شغلى وحاجتى نيست كفت دين خودرا باين محافظت ميكنم او خود با آن بهيمه جمع مى آمده است تااززنا معصوم ماند اورا أعلام كردندكه آن حرامست وصاحب شرع نهى فرموده است بسيار كريست وتوبه كرد وكفت ندانستم پس برتو فرض عين است كه از دين خوم باز جويى وحلال وحرام را تمييز كنى تا تصرفات تو بر طريق استقامت باشد انتهى كلام الترجمة]

وفي الحديث: «ومن لم يستطع فعليه بالصوم» استدل به بعض المالكية على تحريم الاستمناء لأنه أرشد عند العجز عن التزوج إلى الصوم الذي يقطع الشهوة فلو كان الاستمناء مباحاً لكان الإرشاد إليه أسهل وقد أباح الاستمناء طائفة من العلماء، وهو عند الحنابلة وبعض الحنفية لأجل تسكين الشهوة جائز.

وفي رواية «الخلاصة» الصائم إذا عالج ذكره حتى أمنى يجب عليه القضاء ولا كفارة عليه ولا يحل هذا الفعل خارج رمضان إن قصد قضاء الشهوة وإن قصد تسكين شهوته أرجو أن لا يكون عليه وبال.

وفي بعض «حواشي البخاري»: والاستمناء باليد حرام بالكتاب والسنة قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥﴾ [المؤمنون: ٥] إلى قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٧] أي الظالمون المتجاوزون الحلال إلى الحرام.

قال البغوي في الآية: دليل على أن الاستمناء باليد حرام.

قال ابن جريج: سألت عطاء عنه فقال سمعت أن قوماً يحشرون وأيديهم حبالى وأظنهم هؤلاء.

وعن سعيد بن جبير: عذب الله أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم، والواجب على فاعله التعزير كما قال ابن الملقن وغيره: نعم يباح عند أبي حنيفة وأحمد رحمهما الله إذا خاف على نفسه الفتنة، وكذلك يباح الاستمناء بيد زوجته أو جاريته لكن قال القاضي حسين مع الكراهة لأنه في

معنى العزل وفي «التتارخانية» قال أبو حنيفة حسبه أن ينجو رأساً برأس كذا في «أنوار المشارق» لمفتي حلب الشهباء والله أعلم.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

﴿وإلى مدين﴾ أي: وأرسلنا إلى قبيلة مدين وهم أولاد مدين بن إبراهيم خليل الله عليه السلام ﴿أخاهم﴾ في النسب، أي واحداً منهم ﴿شعيباً﴾ عطف بيان لأخاهم وهو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين، الذي تزوج ريثا بنت لوط فولدت له وكثر نسله فصار مدين قبيلتهم.

قال الضحاك: بكى شعيب من خشية الله حتى ذهب عيناه وصار أعمى، وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين مع كفرهم. ﴿قال﴾ استئناف بياني. ﴿يا قوم اعبدوا الله﴾ وحده ﴿ما لكم من إله غيره﴾ مر تفسيره ﴿قد جاءتكم بينة﴾ معجزة ﴿من ربكم﴾ متعلق بجاءتكم أو بمحذوف هو صفة لفاعله مؤكدة لفخامة الذاتية المستفادة من تنكيره بفخامته الإضافية، أي بينة عظيمة كائنة من مالك أموركم ولم يذكر معجزته في القرآن كما لم يذكر أكثر معجزات نبينا عليه السلام.

قال في «التفسير الفارسي»: [درقران معجزهٔ شعيب مذكور نيست ودر احاديث نيز بنظر فقير نرسيده أما در آيات باهرات كه ذكر معجزات أنبيا ميكنند ميكويدكه معجزهٔ شعيب آن بودكه چون بكوه بلند برآمدى كوه سرفرود آوردى تا شعيب بآسانى بروى صعود كردى] وذكر بعض معجزاته في «الكشاف» فارجع إليه. ﴿فأوفوا الكيل﴾ الكيل مصدر قولك كلت الطعام كيلاً والمعنى المصدري لا يمكن إيفاؤه لأن النقص والإتمام من خواص الأعيان فحمله القاضي على حذف المضاف، أي: آلة الكيل وفسره أبو السعود بالمكيال ويؤيده قوله: ﴿والميزان﴾ فإن المتبادر منه الآلة وإن جاز كونه مصدراً كالميعاد فحمل الكيل على ما يكال به كما يطلق العيش على ما يعاش به وكان لهم ميكالان وميزانان أحدهما أكبر من الآخر، فإذا اكتالوا على الناس يستوفون بالأكبر وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون بالأصغر والمعنى أدوا حقوق الناس بالمكيال والميزان على التمام ﴿ولا تبخسوا الناس﴾ أي لا تنقصوا ﴿أشياءهم﴾ التي يشترونها بهما معتمدين على تمامها أي شيء كان وأي مقدار كان فإنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير فالتعبير بالأشياء دون الحقوق للتعميم فإن مفهوم الشيء أعم بالنسبة إلى مفهوم الحق.

واعلم: أن بخس الناس أشياءهم في المكيل والموزون من خساسة النفس ودناءة الهمة وغلبة الحرص ومتابعة الهوى والظلم وهذه الصفات الذميمة من شيم النفوس وقد ورد الشرع بتبديل هذه الصفات وتزكية النفس فإن الله تعالى يحب معالي الأمور ويبغض سفسافها وفي الحديث: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف» وفي الحديث: «الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة» وروي أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «الكيل والوزن أنتم قد وليتم أمراً فيه هلكت الأمم السالفة قبلكم» ﴿ولا تفسدوا في الأرض﴾ أي: بالكفر والحيف ﴿بعد إصلاحها﴾ بعدما أصلح أمرها وأهلها الأنبياء وأتباعهم

بإجراء الشرائع. ﴿ذلكم﴾ إشارة إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه. ﴿خير لكم﴾ من التطفيف والبخس والإفساد وقيل خير ههنا ليس على بابه من التفضيل، بل بمعنى نافع عند الله ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أي: مصدقين بي في قولي هذا.

﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿ولا تقعدوا بكل صراط﴾ الباء للإلصاق أو المصاحبة لأن القعود ملصق بالمكان وإن القاعد ملابسه ويحتمل أن تكون بمعنى في؛ لأن القاعد يحل بمكان قعوده وأن تكون بمعنى على لاستيلاء القاعد على المكان. ﴿توعدون﴾ حال من فاعل لا تقعدوا ولم يذكر الموعد به ليذهب الذهن كل مذهب، والمعنى ولا تقعدوا بكل طريق من طرق الدين موعودين أي مخوفين كالشيطان حيث قال: لأقعدن لهم صراطك المستقيم وصراط الله وإن كان واحداً لكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام وكانوا إذا رأوا أحداً يسعى في شيء منها منعوه، وقيل: كانوا يجلسون على المرصد فيقولون لمن يريد شعيباً إنه كذاب لا يفتننك عن دينك ويتوعدون من آمن به وقيل يقطعون الطريق، ﴿وتصدون﴾ عطف على ما توعدون أي تمنعون وتصرفون، ﴿عن سبيل الله﴾ أي: السبيل الذي قعدوا عليه. ﴿من آمن به﴾ أي: بكل صراط وهو مفعول تصدون. ﴿وتبغونها﴾ من باب الحذف والإيصال والتقدير وتبغون لها أنث ضمير السبيل لأنه يذكر ويؤنث. والمعنى وتطلبون لسبيل الله. ﴿عوجاً﴾ زيغاً وعدولاً عن الحق بإلقاء الشبه أو بوصفها للناس بأنها معوجة وهي أبعد شيء من شائبة الاعوجاج.

وفيه إشارة إلى الذين قطعوا طريق الوصول إلى الله على الطالبين بأنواع الحيل بالمكايد وطلبوا الاعوجاج فيه بإظهار الباطل، كما قطعوا على أنفسهم فإن شر المعاصي ما لا يكون لازماً لصاحبه بل يكون متعدياً عنه إلى غيره؛ لأن ضرر التعدية عائد إلى المبتدىء بقدر الأثر في التعدي. ﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم﴾ بالبركة في النسل والمال فصار ضعفكم قوة وفقركم غنى ﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ من الأمم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود وأضرابهم واعتبروا بهم واحذروا من سلوك مسالكهم.

﴿وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به﴾ من الشرائع والأحكام. ﴿وطائفة لم يؤمنوا﴾ أي به.

قال في «التفسير الفارسي»: [قومى از مدين بشعيب عليه السلام ايمان آوردند جمعى ديكر انكار كردند وكفتند قوت وثروت ما راست نه مؤمنارا پس حق باما باشد واكر حق باايشان بودى بايستى كه توانكرى ووسعت معاش ايشانرا بودى شعيب عليه السلام فرمودكه اكرچه شما دوكره شده ايد]. ﴿فاصبروا﴾ فتربصوا ﴿حتى يحكم الله بيننا﴾ أي: الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين. ﴿وهو خير الحاكمين﴾ إذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه وهو أعدل القاضين.

﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى

مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ بعدما سمعوا هذه المواعظ من شعيب عليه السلام وهو استئناف بياني. ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا﴾ عطف على الكاف في لنخرجنك ويا شعيب اعتراض بين المتعاطفين ونسبة الإخراج إليه أولاً وإلى المؤمنين ثانياً تنبيه على أصالته في الإخراج وتبعيتهم له فيه، كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿معك﴾ فإنه متعلق بالإخراج لا بالإيمان. والمعنى: واللهِ لنخرجنك واتباعك ﴿من قريتنا﴾ بغضاً لكم ودفعاً لفتنتكم المرتبة على المساكنة والجوار.

وفيه إشارة إلى أن من شأن المتكبرين ودأب المتجبرين الاستعلاء وأن يخرج الأعز الأذل وذلك لما فيهم من بطر النعم وطغيان الاستغناء وعمه الاستبداد، ولمَّا كان حب الدنيا رأس كل خطيئة وفتنتها أعظم من كل بلية جعل الله تعالى أهلها في البلاد سبباً للهلاك والفساد كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] الآية. قال الحافظ:

ايمن مشو زعشوهٔ دنيا كه اين عجوز   مكاره مى نشيند ومحتاله مى رود

﴿أو لتعودن في ملتنا﴾ العود: هو الرجوع إلى الحالة الأولى ومن المعلوم أن شعيباً لم يكن على دينهم وملتهم قط؛ لأن الأنبياء لا يجوز عليهم من الصغائر إلا ما ليس فيه تنفير فضلاً عن الكبائر فضلاً عن الكفر إلا أنه أسند العود إليه وإلى من معه من المؤمنين تغليباً لهم عليه؛ لأن العود متصور في حقهم. والمعنى والله ليكونن أحد الأمرين البتة على أن المقصد الأصلي هو العود وإنما ذكر النفي والإجلاء بمحض القسر والإلجاء كما يفصح عنه عدم تعرضه عليه السلام لجواب الإخراج، كأنهم قالوا لا ندعكم فيما بيننا حتى تدخلوا في ملتنا وإنما لم يقولوا أو لنعيدك على طريقة ما قبله لما أن مرادهم أن يعودوا إليها بصورة الطواعية حذر الإخراج باختيار أهون الشرين لا إعادتهم بسائر وجوه الإكراه والتعذيب.

وفيه إشارة إلى أن أهل الخير كما لا يميلون إلا إلى أشكالهم فكذلك أهل الشر لا يرضون ممن رأوا إلا بأن يساعدهم على ما هم عليه من أحوالهم والأوحد في بابه من باين نهج أضرابه.

همه مرغان كند باجنس پرواز   كبوتر باكبوتر باز باباز

﴿قال﴾ شعيب رداً لمقالتهم الباطلة وتكذيباً لهم في أيمانهم الفاجرة. ﴿أو لو كنا كارهين﴾ تقديره أنعود فيها ولو كنا كارهين، أي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها على أن الهمزة لإنكار الوقوع ونفيه لا لإنكار الواقع واستقباحه كالتي في قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ٣٠] ﴿قد افترينا على الله كذباً﴾ عظيماً. ﴿إن عدنا في ملتكم﴾ التي هي الشرك وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه أي إن عدنا في ملتكم. ﴿بعد إذ نجانا الله منها﴾ فقد افترينا على الله كذباً عظيماً حيث نزعم حينئذٍ أن لله تعالى نداً وليس كمثله شيء وأنه قد تبين لنا أن ما كنا عليه من الإسلام باطل وأن ما كنتم عليه من الكفر حق وأي افتراء أعظم من ذلك. ﴿وما يكون لنا﴾ أي: وما يصح وما يستقيم لنا. ﴿أن نعود فيها﴾ في حال من الأحوال

أو في وقت من الأوقات. ﴿إلا أن يشاء الله﴾ أي: إلا حالة مشيئة الله تعالى لعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبىء عنه قوله ﴿ربنا﴾ فإن التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم مما ينبىء عن استحالة مشيئته تعالى لارتدادهم قطعاً، وكذا قوله تعالى: ﴿بعد إذ نجانا الله منها﴾ فإن تنجيته تعالى لهم منها من دلائل عدم مشيئته تعالى لعودهم فيها.

وقيل: معناه إلا أن يشاء الله خذلاننا وفيه دليل على أن الكفر بمشيئة الله تعالى وأياً ما كان فليس المراد بذلك بيان أن العود فيها في حيز الإمكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها كأنه قيل: وما كان لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وهيهات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته تعالى له. ﴿وسع ربنا كل شيء علماً﴾ علماً نصب على التمييز منقول عن الفاعلية تقديره وسع علم ربنا كل شيء كقوله: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [مريم: ٤] والمعنى: إحاطة علمه بكل ما كان وما سيكون من الأشياء التي من جملتها أحوال عباده وعزائمهم ونياتهم وما هو اللائق بكل واحد منهم فمحال من لطفه أن يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما ينطق به قوله تعالى: ﴿على الله توكلنا﴾ في أن يثبتنا على الإيمان ويخلصنا من الأشرار ثم أعرض عن المعاندين وتوجه إلى مناجاة رب العالمين فقال: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ احكم بيننا وبينهم واقض بما يدل على أنّا على الحق وهم على الباطل وافصل بما يليق بحال كل من الفريقين. ﴿وأنت خير الفاتحين﴾ والفاتح: هو الحاكم بلغة أهل عُمان سمي فاتحاً؛ لأنه يفتح المشكلات ويفصل الأمور ويجوز أن يكون من فتح المشكل إذا بينه. والمعنى أظهر أمرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز الحق من المبطل.

وفي «التأويلات النجمية»: احكم بيننا وبينهم بإظهار حقيقة ما قدرت لنا من خاتمة الخير وإظهار ما قدرت لهم من خاتمة السوء.

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٩٠ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩١ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٩٢﴾

﴿وقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ عطف على قوله: ﴿قال الملأ الذين استكبروا﴾ أي قال أشرافهم الذين أصروا على الكفر لأعقابهم بعد ما شاهدوا صلابة شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين في الإيمان، وخافوا أن يستتبعوا قومهم تثبيطاً لهم عن الإيمان وتنفيراً لهم منه على طريقة التوكيد القسمي، والله ﴿لئن اتبعتم شعيباً﴾ ودخلتم في دينه وتركتم دين آبائكم ﴿إنكم إذاً لخاسرون﴾ أي: في الدين لاشترائكم الضلالة بهداكم أو في الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف.

﴿فأخذتهم الرجفة﴾ أي: الزلزلة الشديدة وهكذا في سورة العنكبوت وفي سورة هود ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ [هود: ٦٧] أي صيحة جبريل ولعلها من مبادىء الرجفة فأسند هلاكهم إلى السبب القريب تارة وإلى البعيد أخرى.

قال ابن عباس: رجفت بهم الأرض وأصابهم حر شديد فرفعت لهم سحابة فخرجوا إليها يطلبون الروح منها فلما كانوا تحتها سالت عليهم بالعذاب، ومعه صيحة جبريل عليه السلام

﴿فأصبحوا في دارهم﴾ أي: صاروا في مدينتهم وفي سورة هود. ﴿فِي دِيَٰرِهِمْ﴾ [هود: ٦٧].
قال الحدادي: أي بقرب دارهم تحت الظلة كما قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: ١٨٩] ﴿جاثمين﴾ أي: ميتين على وجوههم وركبهم لازمين لأماكنهم لابراح لهم منها. وروي أنهم احترقوا تحت السحابة فصاروا ميتين بمنزلة الرماد الجاثم أجساماً ملقاة على الأرض محترقة.

وقال ابن عباس: فتح الله عليهم باباً من جهنم فأرسل عليهم منه حراً شديداً فأخذ بأنفاسهم فدخلوا جوف البيوت، فلم ينفعهم ماء ولا ظل وأنضجهم الحر فبعث الله سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الريح وطيبها وظل السحابة، فتنادوا عليكم بها فخرجوا نحوها فلما اجتمعوا تحتها رجالهم ونساؤهم وصبيانهم ألهبها الله عليهم ناراً، ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي وصاروا رماداً وهو عذاب يوم الظلة.

قال في «التأويلات النجمية»: من عنادهم رأوا الحق باطلاً والباطل حقاً والفلاح خسراناً والخسران فلاحاً ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ فصارت صورتهم تبعاً لمعناهم فإنهم كانوا جاثمين الأرواح في ديار الأشباح.

﴿الذين كذبوا شعيباً﴾ استئناف لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم فيما سبق. ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا﴾ وعقوبتهم بمقابلته والموصول مبتدأ خبره قوله تعالى: ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ أي: استأصلوا بالمرة وصاروا كأنهم لم يقيموا بقريتهم أصلاً أي عوقبوا بقولهم ذلك، وصاروا هم المخرجين من القرية إخراجاً لا دخول بعده أبداً والمغنى المنزل والمغاني المنازل التي كانوا بها يقال غنينا بمكان كذا، أي نزلنا فيه. وفيه إشارة إلى أن المكذبين والمتكبرين وإن كانت لهم غلبة في وقتهم ولكن تنقضي أيامهم بسرعة ويسقط صيتهم ويخمل ذكرهم ويضمحل آثارهم ويكون أهل الحق مع الحق غالباً في كل أمر والباطل زاهق بكل وصف. وفي «المثنوي»:

يك مناره در ثناى منكران — كودرين عالم كه تاباشد عيان
منبرى كوكه برانجا مخبرى — يادا آرد روز كار منكرى
يا رغالب شوكه تاغالب شوى — يار مغلوبان مشوهين اى غوى

﴿الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾ استئناف آخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الأخير، أي: الذين كذبوه عليه السلام عوقبوا بمقالتهم الأخيرة، فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا الذين اتبعوه، وبهذا الحصر اكتفى عن التصريح بإنجائه عليه السلام كما وقع في سورة هود من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ [هود: ٥٨] الآية.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

﴿فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم﴾ قاله عليه السلام بعدما هلكوا تأسفاً بهم لشدة حزنه عليهم، ثم أنكر على نفسه ذلك، فقال: ﴿فكيف آسى﴾ أي: أحزن حزناً شديداً بالفارسية [پس چه كونه اندوه خورم وغمناك شوم] فهو مضارع متكلم

من الأسى من باب علم وهو شدة الحزن. ﴿على قوم كافرين﴾ مصرين على الكفر ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم، أو قاله اعتذاراً من عدم تصديقهم له وشدة حزنه عليهم، والمعنى: لقد بالغت في الإبلاغ والإنذار وبذلت وسعي في النصح والإشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم. وفي «المثنوي»:

چون شوم غمكين كه غم شدسر نكون   غـم شـمـا بـوديـد اي قـوم حـرون

كژمخوان اي راست خوانـنـده ببين   كـيـف آسـى خـلـف قـوم ظـالـمـيـن

قال في «التأويلات النجمية»: يعني خرجت عن عهدة تكليف التبليغ فإنه ما على الرسول إلا البلاغ فإنه وإن نصحت لكم فما علي من إقراركم وإنكاركم شيء إن أحسنتم فالميراث الجميل لكم، وإن أسأتم فالضرر بالتألم عائد عليكم ومالك الأعيان أولى بها من الأعيان فالخلق خلقه والملك ملكه إن شاء هداهم، وإن شاء أغواهم فكيف آسى على قوم كافرين فلا تأسف على نفي وفقد ولا أثر من كون ووجود لأن الكل صادر من حكيم بالغ في حكمته كامل في قدرته انتهى. قال الله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] وهذا إنما يحصل عند الفناء الكلي وهو للأنبياء عليهم السلام وكمل الأولياء.

واعلم: أن كل أهل ابتلاء ليس بمحل للرحمة عند نظر الحقيقة لأن الله تعالى ابتلاه بسبب جفائه إياه فقد اكتسبه بعلمه فكيف يترحم له ولذا كان أهل الحقيقة كالسيف الصارم مع كونهم رحم خلق الله تعالى ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ [النور: ٢]. قال السعدي قدس سره:

كـرا سـرع فـتـوى دهـد بـرهـلاك   ألا تـانـداري زكـشـتـنـش بـاك

والله تعالى غيور وعبده في غيرته فالحلم والغضب بقدر ما أذن فيه الشرع من أخلاق الأنبياء، وهو لا يقدح في فراغ القلب عن كل وصف؛ لأن رعاية الأحكام الظاهرة لا تنافي التوغل في الحقيقة فعلى العاقل أن يدور بالأمر الإلهي ويرفع عن لسانه وقلبه لِمَ لا، وكيف فإن الأمر بيد الله تعالى لا بيده.

قال إبراهيم بن أدهم لرجل: أتحب أن تكون لله ولياً؟ قال: نعم قال لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة وفرغ نفسك لله وأقبل بوجهك عليه ليقبل عليك ويواليك، فعلم من هذا أن من كان إقباله إلى نفسه وإلى هواها لا يجد الحق وإقباله وموالاته في كل حالاته ومقاماته كما لا يخفى ﴿وما أرسلنا في قرية﴾ [در شهرى وديهى] ﴿من﴾ مزيدة ﴿نبي﴾ كذبه أهلها ﴿إلا﴾ قد ﴿أخذنا أهلها﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال، والمعنى: وما أرسلنا في قرية من القرى المهلكة نبياً من الأنبياء المكذبين في حال من الأحوال إلا في حال كوننا آخذين أهلها. ﴿بالبأساء﴾ بالبؤس والفقر. ﴿والضراء﴾ بالضر والمرض لكن لا على معنى أن ابتداء الإرسال مقارن للأخذ المذكور بل على أنه مستتبع له غير منفك عنه بالآخرة لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه. ﴿لعلهم يضرعون﴾ كي يتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أردية الكبر والعزة عن أكتافهم، فإن الشدة خصوصاً الجوع يؤدي إلى التواضع والانقياد في حق أكثر العباد، ومن بلاغات الزمخشري المرض والحاجة خطبان أمرّ من نقيع الخطبان وهم بضم الخاء نوع من ورق الحنظل أصفر وهو أبلغ في المرارة.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿ثم بدلنا﴾ عطف على أخذنا داخل في حكمه ﴿مكان السيئة﴾ التي أصابتهم ﴿الحسنة﴾ أي: أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة لأن ورود النعمة بعد الشدة يدعو إلى الانقياد والاشتغال بالشكر، إنما سميت الشدة سيئة لأنها تسوء الإنسان كما سمي الرخاء حسنة؛ لأنه يحسن أثره على الإنسان وإلا فالسيئة هي الفعلة القبيحة والله تعالى لا يفعل القبيح والحسنة والسيئة من الألفاظ المستغنية عن ذكر موصوفاتها حالة الإفراد والجمع سواء كانتا صفتين للأعمال أو المثوبة أو الحالة من الرخاء والشدة. ﴿حتى عفوا﴾ كثروا عدداً وعدداً وأبطرتهم النعمة يقال عفا النبات إذا كثر وتكاثف ومنه أعفا اللحى في الحديث وهو: «احفوا الشوارب واعفوا اللحى» قال الشاعر:

عفوا من بعد إقلال وكانوا زماناً ليس عندهمو بعير

﴿وقالوا﴾ غير واقفين على أن ما أصابهم من الأمرين ابتلاء من الله سبحانه ﴿قد مس آباءنا الضراء والسراء﴾ كما مسنا ذلك وما هو إلا عادة الدهر يسيء تارة ويحسن أخرى فكما أن آباءنا قد ثبتوا على دينهم ولم ينتقلوا عنه مع ما أصابهم فاثبتوا أنتم على دينكم ولا تنتقلوا عنه. ﴿فأخذناهم﴾ أثر ذلك ﴿بغتة﴾ فجأة أشد الأخذ وأفظعه ﴿وهم لا يشعرون﴾ بنزول العقاب وهم لا يخطرون ببالهم شيئاً من المكاره وهو أشد وحسرته أعظم لأن المرء إذا رأى مقدمات الابتلاء يوطن نفسه عليها بخلاف حال الفجأة.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

﴿ولو أن أهل القرى﴾ أي: القرى المهلكة المدلول عليها بقوله تعالى: ﴿من قرية﴾ ﴿آمنوا واتقوا﴾ مكان كفرهم وعصيانهم ﴿لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب مكان ما أصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من الأرض، وأكثر أهل التفسير على أن بركات السماء هي المطر وبركات الأرض النبات والثمار. ﴿ولكن كذبوا﴾ الرسل ﴿فأخذناهم﴾ هذا الأخذ عبارة عما في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ٩٥] ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من أنواع الكفر والمعاصي.

وفي الآية دلالة: على أن الكفاية والسعة في الرزق من سعادة المرء إذا كان شاكراً أو المراد بقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة الكثرة التي تكون وبالاً على من لا يشكر الله تعالى.

قال في «التفسير الفارسي»: [در حقايق سلمى فرموده كه اكر بندكان بكرديدندى بمواعد من وحذر كردندى از مخالفت يا بترسيدندى ازتهديد من دلهاء ايشانرا بنور مشاهدهٔ خود روشنى دادمى كه ببركت سما أشارت بدانست وجوارح وأعضاء ايشانرا بخدمت خود بيا راستمى كه بركت زمين عبارت ازآنست].

در زمـيـن وآسـمـان درهـاء جـود مـى كـشـايـنـد ازپـى اهـل سـجـود
از زمـيـن پـر اطـاعـت بـازكـن بـر سـمـاى مـعـرفـت پـرواز كـن

﴿أفأمن أهل القرى﴾ الهمزة لإنكار الواقع واستقباحه لا لإنكار الوقوع ونفيه والفاء للعطف على قوله فأخذناهم بغتة، والمعنى: أبعد ذلك الأخذ أمن أهل مكة ومن حولها من المكذبين لك يا محمد. ﴿أن يأتيهم بأسنا﴾ عذابنا ﴿بياتاً﴾ ليلاً ﴿وهم نائمون﴾ في فرشهم ومنازلهم لا يشعرون بالعذاب لغفلتهم.

﴿أو أمن أهل القرى﴾ [يا ايمن شدند اهل شهرها] ﴿أن يأتيهم بأسنا ضحى﴾ ضحوة النهار وبالفارسي [دروقت چاشت] وهو في الأصل ضوء الشمس إذا ارتفعت ﴿وهم يلعبون﴾ أي: يلهون من فرط الغفلة بصرف الهمم فيما لا ينفع لا في أمر الدين ولا في أمر الدنيا أو يشتغلون بما لا ينفعهم من أمور الدنيا فإن من اشتغل بدنياه وأعرض عن آخرته فهو كاللاعب. [ملخص سخن آنست كه بعد ازتكذيب رسل ازعذاب الهي ايمن نتوان بود نه بروز ونه بشب] ﴿أفأمنوا مكر الله﴾ مكر الله استعارة لاستدراجه العبد وأخذه من حيث لا يحتسب والمراد به إتيان بأسه تعالى في الوقتين المذكورين.

قال الحدادي: إنما سمي العذاب مكراً على جهة الاتساع والمجاز لأن المكر ينزل بالممكور من جهة الماكر من حيث لا يشعر وأما المكر الذي هو الاحتيال للإظهار بخلاف الإضمار فذلك لا يجوز على الله. ﴿فلا يأمن مكر الله﴾ الفاء فاء جواب شرط محذوف، أي إذا كان استدراجه وأخذه على هذا الوجه فلا يأمن مكره بهذا المعنى: ﴿إلا القوم الخاسرون﴾ الذين ليسوا من القوم الرابحين قيل: معنى الآية ولا يأمن عذاب الله من العصاة أو لا يأمن عذاب الله من المذنبين والأنبياء عليهم السلام لا يأمنون عذاب الله على المعصية ولهذا لا يعصون بأنفسهم انتهى.

قال في «التأويلات النجمية»: مكره تعالى مع أهل القهر بالقهر ومع أهل اللطف باللطف ﴿فلا يأمن مكر الله﴾ من أهل القهر ﴿إلا القوم الخاسرون﴾ الذين خسروا سعادة الدارين ومن أهل اللطف إلا الخاسرون الذين خسروا الدنيا والعقبى وربحوا المولى فعلى هذا أهل الله هم الآمنون من مكر الله؛ لأن مكر الله في حقهم مكر باللطف دل عليه قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] لأن مكرهم مكر في مستحقيه وغير مستحقيه بالقهر ومكره في مستحقيه باللطف فافهم واعتبر جداً انتهى.

واعلم: أن الأمن من مكر الله تعالى قد عد كفراً لكن هذا بالنسبة إلى أهل المكر دون أهل الكرم فإن كمل الأولياء مبشرون بالسلامة في حياتهم الدنيوية كما قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [يونس: ٦٤] فلهم سلامة دنيوية وأخروية كما قال تعالى: ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس: ٦٢] لكنهم يكتمون سلامتهم لكونهم مأمورين بالكتمان وعلمهم بسلامتهم يكفي لهم ولا حاجة لهم بعلم غيرهم، وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلهم أن يخبروا بسلامتهم لكونهم شارعين فلا بد لغيرهم من العلم بسلامتهم حتى يؤمن ويقبل دعوتهم.

﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝١٠٠﴾

﴿أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها﴾ عدي فعل الهداية باللام لأنها بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل قوله أن لو نشاء ومعنى يرثون الأرض من بعد أهلها يخلفون من خلا قبلهم من الأمم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم أهل مكة ومن حولها، والمعنى: أو لم يبين ويوضح لهم عاقبة أمرهم إن سلكوا طريق أسلافهم ﴿أن﴾ مخففة، أي: أن الشأن ﴿لو نشاء أصبناهم بذنوبهم﴾ أي: بجزاء ذنوبهم وسيئاتهم أو بسبب ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم.

قال سعدي چلبي المفتي: ويجوز أن يضمن معنى أهلكناهم فلا حاجة إلى تقدير المضاف. ﴿ونطبع على قلوبهم﴾ عطف على ما يفهم من قوله تعالى: ﴿أو لم يهد﴾ كأنه قيل لا يهتدون ونطبع على قلوبهم أي نختم عليها عقوبة لهم. ﴿فهم لا يسمعون﴾ أي: أخبار الأمم المهلكة فضلاً عن التدبر والنظر فيها والاغتنام بما في تضاعيفها من الهدايات.

قال الكاشفي: [كوش دل ازاستماع سخن حق فائده داردنه كوش آب وكل].

اين سخن ازكوش دل بايد شنود كوش كل انيجا ندارد هيچ سود
كوش سربا جمله حيوان همدم است كوش سر مخصوص نسل آدم است
كوش سرچون جانب كوينده است كوش سر سهلت اكر آكنده است

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

﴿تلك القرى﴾ يعني: قرى الأمم المار ذكرهم فاللام للعهد. ﴿نقص عليك﴾ [خوانده ايم برتو] ﴿من أنبائها﴾ من للتبعيض، أي: بعض أخبارها التي فيها عظة وتذكير. ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ الباء متعلقة إما بالفعل المذكور على أنها للتعدية وإما بمحذوف وقع حالاً من فاعله أي ملتبسين بالبينات. والمعنى وبالله لقد جاء كل أمة من تلك الأمم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكثرة المتواردة عليهم الواضحة الدلالة على صحة رسالته الموجبة للإيمان حتماً. ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ أي: فما صح وما استقام لقوم من أولئك الأقوام أن يؤمنوا عند مجيء الرسل بها ﴿بما كذبوا من قبل﴾ الباء صلة لم يؤمنوا، أي بما كذبوه من قبل مجيء الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب فما كذبوه عبارة عن أصول الشرائع التي أجمعت عليها الرسل قاطبة، ودعوا أممهم إليها مثل ملة التوحيد ولوازمها، ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم أنهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا كلمة التوحيد قط، بل كانت كل أمة من أولئك الأمم يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء رسلهم كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث إليهم أحد، ويجوز أن يكون المراد بعدم إيمانهم المذكور إصرارهم على ذلك وبما أشير بقوله تعالى ﴿بما كذبوا من قبل﴾ تكذيبهم من لدن مجيء الرسل إلى وقت الإصرار والعناد. فالمعنى: حينئذٍ فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به أولاً حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة فما كذبوه عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول أصولها وفروعها وعلى كلا التقديرين، فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع. وقيل ضمير كذبوا: راجع إلى أسلافهم.

والمعنى فما كان الأبناء ليؤمنوا بما كذب به الآباء وحمله المولى أبو السعود على التعسف. يقول الفقير: لو كانت الضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع أيضاً وجعل التكذيب تكذيب الآباء في الحقيقة وإنما أسند إلى الأبناء ما حقه أن ينسب إليهم من حيث الاتصال بينهم ورضي بعضهم عن بعض فيما فعله لكان معنى لا تعسف فيه أصلاً كما سبق أمثاله في البقرة في مخاطبات اليهود المعاصرين إلى رسول الله ﷺ ﴿كذلك﴾ في محل النصب على أنه مفعول. ﴿يطبع﴾ أي: مثل ذلك الطبع الشديد المحكم يطبع ﴿الله على قلوب الكافرين﴾ أي: من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر فيها الآيات والنذر ويجوز أن يكون إشارة إلى ما قبله أي مثل ذلك الطبع الذي طبع الله على قلوب كفار الأمم الخالية يطبع على قلوب الكفرة الذين كتب عليهم أن لا يؤمنوا أبداً.

﴿وما وجدنا لأكثرهم﴾ لقينا فوجدنا بمعنى صادفنا. ﴿من عهد﴾ من مزيدة في المفعول والمضاف محذوف؛ إذ لا وجه لنفي نفس العهد أي ما وجدنا لأكثرهم من وفاء عهد فإنهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند مساس البأساء والضراء، قائلين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وتخصيص هذا الشان بأكثرهم ليس لأن بعضهم كانوا يفون بعهودهم بل لأن بعضهم كانوا لا يعاهدون ولا يفون، ويحتمل أن يكون وجدنا بمعنى علمنا ويكون من عهد مفعوله الأول ولأكثرهم مفعوله الثاني. ﴿وإن﴾ مخففة أي: إن الشأن ﴿وجدنا أكثرهم﴾ أي: علمنا أكثر الأمم ﴿لفاسقين﴾ خارجين عن الطاعة ناقضين للعهود.

وفي ترجمة المجلد الأخير من «الفتوحات المكية».

[حق تعالى بموسى عليه السلام وحى كرد هركه بإميدتو آيد اورا بى بهره مكذار وهركه زينهار خواست اورا زينهارده موسى عليه السلام درسياحت بود ناكاه كبوترى بر كتف نشست وبازى عقب أو آمد وقصد آن كبوتر داشت بر كتف ديكر فرود آمد آن كبوتر در آستين موسى عليه السلام در آمد وزينهار ميخواست وباز بزبان فصيح بموسى آوازدادكه اي پسر عمران مرا بى بهره مكذار وميان من وررزق من جدايى ميفكن موسى عليه السلام كفت چه زود مبتلا شدم ودست كرد تا ازران خود پاره قطع كند براى طعمه باز تا حفظ عهد كرده باشد وبكار هردو وفانموده كفتند يا ابن عمران تعجيل مكن كه مارسولا نيم وغرض آن بودكه صحت عهد توآز مايش كنيم].

أيا سامعاً ليس السماع بنافع إذا أنت لم تفعل فما أنت سامع
إذا كنت في الدنيا عن الخير عاجزاً فما أنت في يوم القيامة صانع

ولا كلام في وفاء الأنبياء بعهودهم ونقض الفاسقين لمواثيقهم وإنما الكلام فيمن ادعى الإيمان والاستسلام ثم لم يف بعهده يوماً من الإيمان. قال الحافظ:

وفامجو زكس ورسخن نمى شنوى بهرزه طالب سيمرغ وكيميا ميباش

وعن عبد الرحمن بن عوف بن مالك الأشجعي قال كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: «ألا تبايعون رسول الله» وكنا حديثي عهد ببيعته فقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك؟ قال: «أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا» وأسر كلمة خفية «ولا تسألوا الناس»، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم لم يسأل أحداً يناوله» إياه يعني: خوفاً من نقض العهد واهتماماً في أمر الوفاء فانظر إلى هؤلاء

الرجال ومبايعتهم ودخولهم في طريق الحق ومسارعتهم، فإذا احترزوا عن سؤال مناولة السوط الذي سقط من أيديهم فما ظنك في الاحتراز عما فوقه من الأحوال المتواردة عليهم، وأنت يا رجل وكلنا ذلك الرجل تجول في ميدان الخواطر الفاسدة، ثم لا تقنع بذلك بل تطير إلى جانب مرادك من الأفعال الباطلة والأقوال الكاسدة ولعمري هذا ليس في طريق العوام، فكيف في طريق الصوفية الذين عقدوا عقداً على أن لا يخطر بباله سوى الله ولا يسألوا منه تعالى غير الوصول إلى ذاته أين هم والله إن هذا زمان لم يُبقِ من التصوف إلا الاسم ولا من لباس التقوى إلا الرسم، نسأل الله تعالى أن يوجهنا إلى محراب ذاته ويسلك بنا إلى طريق أفعاله وصفاته ويفيض علينا من سجال بركاته ويشرفنا بالخاصة من هداياته إنه هو الفياض من مشرع عناياته.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى﴾ أي: أرسلنا من بعد انقضاء وقائع الرسل المذكورين، وهم نوح وهود ولوط وصالح وشعيب عليهم السلام، والتصريح بذلك مع دلالة ثم على التراخي للإيذان بأن بعثه عليه السلام جرى على سنن السنة الإلهية من إرسال الرسل تترى، فإن الله تعالى من كمال رحمته على خلقه يبعث عند انصرام كل قرن وانقراض كل قوم نبياً بعد نبي كما يخلف قوماً بعد قوم وقرناً بعد قرن ويظهر المعجزات على يدي النبي ليخرجهم بظهور نور المعجزات من ظلمات الطبيعة إلى نور الحقيقة فإن أغلب أهل كل زمان وقرن وأكثرهم غافلون عن الدين وحقائقه مستغرقون في بحر الدنيا مستهلكون في أودية الشهوات واللذات النفسانية الحيوانية ظلمات بعضها فوق بعض. ﴿بآياتنا﴾ حال من مفعول بعثنا وهو موسى، أي بعثناه عليه السلام ملتبساً بآياتنا، وهي الآيات التسع المفصلات التي هي: العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، كما سيأتي. ﴿إلى فرعون﴾ هو لقب لكل من ملك مصر من العمالقة، كما أن كسرى لقب لكل من ملك فارس، وقيصر لكل من ملك الروم، وخاقان لكل من ملك الصين، وتبع لكل من ملك اليمن. والقيل لكل من ملك العرب، والنجاشي لكل من ملك الحبش، والخليفة لكل من ملك بغداد. والسلطان لآل سلجوق واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن ريان وكان من القبط وعمّر أكثر من أربعمائة سنة. ﴿وملئِهِ﴾ أي أشراف قومه وتخصيصهم مع عموم رسالته للقوم كافة لأصالتهم في تدبر الأمور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور. ﴿فظلموا بها﴾ عدّي بالباء لتضمين ظلموا معنى كفروا، أي كفروا بالمعجزات وظلموا عليها بأن جعلوها سحراً فوضعوها في غير موضعها ﴿فانظر﴾ بعين عقلك يا من من شأنه النظر والتأمل. ﴿كيف كان عاقبة المفسدين﴾ إلى كيفية ما فعلنا بهم فكيف خبر كان وعاقبة اسمها والجملة في محل النصب بنزع الخافض إذ التقدير فانظر إلى كذا ووضع المفسدين موضع ضميرهم للإيذان بأن الظلم مستلزم للإفساد.

وفي «التفسير الفارسي»: [حضرت موسى عليه السلام چون از مصر فرار نمود ودرمدين بصحبت شعيب عليه السلام رسيد ودختراو صفورا بعقد در آورده عزم مراجعت بامصر نمود

درائناى طريق بوادى ايمن رسيد وخلعت پيغمبرى يافت بمعجزهٔ عصا ويد بيضا اختصاص پذيرفت حق سبحانه وتعالى فرمودكه بمصر رو وفرعون را بخداى تعالى دعوت كن موسى بيامد وبعد ازمدتى كه ملاقات فرعون دست داد آغاز دعوت كرد].

قال الحدادي: نقلاً عن ابن عباس كان طول عصا موسى عشرة أذرع على طوله، وكانت من آس الجنة يضرب بها الأرض، فيخرج بها النبات، فيلقيها فإذا هي حبة تسعى ويضرب بها الحجر فيتفجر وضرب بها باب فرعون ففزع منها فشاب رأسه فاستحيى فخضب بالسواد وأول من خضب بالسواد فرعون وهو حرام لا يجد فاعله رائحة الجنة.

قال صاحب «المحيط»: هذا في حق غير الغزاة أما من فعله من الغزاة ليكون أهيب في عين العدو لا للتزين فغير حرام.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

﴿وقال موسى﴾ أي لما دخل على فرعون ومعه أخوه هارون بعثهما الله إليه بالرسالة قال ﴿يا فرعون إني رسول﴾ أي: إليك ﴿من رب العالمين﴾ أدعوك إلى عبادة رب العالمين وأنهاك عن دعوى الربوبية فقال له فرعون كذبت ما أنت برسول فقال موسى.

﴿حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق﴾ أي: جدير بأن لا أقول على الله إلا الحق فوضع على موضع الباء لإفادة التمكن، كقولك: رميت على القوس، وجئت على حالة حسنة، أي: رميت بالقوس وجئت بحالة حسنة أو ضمن حقيق معنى حريص.

وفي «المدارك»: ويجوز تعلق على بمعنى الفعل في الرسول أي إني رسول حقيق جدير بالرسالة أرسلت على أن لا أقول على الله إلا الحق انتهى. وقرأ نافع على بتشديد الياء.

ثم إن موسى لما ادعى أنه رسول من رب العالمين ذكر ما يدل على صحة دعواه فقال: ﴿قد جئتكم ببينة﴾ أي: بمعجزة ظاهرة كائنة. ﴿من ربكم﴾ يعني العصا واليد. ﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾ أي: فخلهم حتى يذهبوا معي إلى الأرض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم [وسبب آن بودكه چون يعقوب عليه السلام بأولاد وأحفاد خود بمصر آمدند همانجا قرار كرفتند ونسل ايشان بسيار شد ويعقوب ويوسف بابرادران دركذشتند وملك ريان كه فرعون زمان يوسف بود وبمرد پسرش مصعب بني إسرائيل را حرمت ميداشت ومتعرض إيشان نمى شد چون أو بمرد وليدكه فرعون زمان موسى بود برتخت سلطنت نشست وزبان بلاف أنا ربكم الأعلى بكشاد بني إسرائيل دعوى أو قبول نكردند كفتِ پدر شما درمخريدهٔ كسان ما بود وشما بنده زادكان ما يید پس ايشانرا ببندكى كرفت]، وكان يستعملهم في الأعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب وبناء المنازل وأشباه ذلك فلما جاء موسى أراد أن يرجع بهم إلى موطن آبائهم الذي هو الأرض المقدسة وكان بين اليوم الذي دخل فيه يوسف مصر واليوم الذي دخل فيه موسى أربعمائة عام. ﴿قال﴾ فرعون: وهو استئناف بياني ﴿إن كنت جئت بآية﴾ أي: من عند من أرسلك كما تدعيه. ﴿فائت بها﴾ فأحضرها عندي ليثبت بها

صدقك فإن الإتيان والمجيء وإن كانا بمعنى واحداً لأن بينها فرقاً من حيث إن المجيء يلاحظ فيه نقل الشيء من جانب المبدأ، والإتيان يلاحظ فيه إيصاله إلى المنتهى فإن مبدأ المجيء هو جناب المرسل ومنتهى الإتيان هو المرسل إليه. ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في دعواك.

﴿فألقى عصاه﴾ من يده ﴿فإذا هي ثعبان﴾ وهو الحية الصفراء الذكر أعظم الحيات لها عرف كعرف الفرس ﴿مبين﴾ أي ظاهر أمره لا يشك في كونه ثعباناً ولا يختلج ببال أحد كونه من جنس العصا. روي أنه لما ألقاها صارت ثعباناً أشعر أي كان له على ظهره شعور سود مثل الرماح الطوال فاغراً فاه، أي فاتحاً بين لحييه ثمانون ذراعاً وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً فصاح فرعون يا موسى أنشدك بالذي أرسلك خذه وأنا أؤمن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذه فعاد عصا.

والإشارة: أن الله تعالى جعل عصاه ثعباناً لأنه أضافها إلى نفسه حين قال: ﴿هِىَ عَصَاىَ﴾ [طه: ١٨] ثم جعلها محل حاجاته حيث قال: ﴿وَلِىَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨] ففيه إشارة إلى أن كل شيء أضفته إلى نفسك، ورأيت محل حاجاتك فإنه ثعبان يبتلعك ولهذا ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [طه: ٩] يعني: لا تتمسك بها ولا تتوكأ عليها ولا كان قادراً على أن يجعلها في يده ثعباناً كذا في «التأويلات النجمية».

ثم قال له فرعون: هل معك آية أخرى؟ قال نعم.

﴿ونزع يده﴾ أي: أخرجها من جيبه أو من تحت إبطه ﴿فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ أي: بيضاء بياضاً نورانياً خارجاً عن العادة ويجتمع عليها النظارة تعجباً من أمرها وذلك ما يروى أنه أرى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم أدخلها جيبه وعليه مدرعة من صوف، ونزعها فإذا هي بيضاء بياضاً نورانياً غلب شعاعه شعاع الشمس وكان عليه السلام آدم شديد الأدمة.

وفيه إشارة: إلى أن الأيدي قبل تعلقها بالأشياء كانت بيضاء فلما تمسكت بالأشياء صارت ظلمانية فإذا نزعت عنها تصير بيضاء كما كانت فافهم جداً.

فلما شاهد فرعون هذه المعجزة تشاور مع أشراف قومه في أمر موسى.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾

﴿قال الملأ من قوم فرعون﴾ أي: الأشراف منهم وهم أصحاب مشورته ﴿إن هذا لساحر﴾ [جادويست] ﴿عليم﴾ مبالغ في علم السحر ماهر فيه، ولما كان السحر غالباً في ذلك الزمان ولا شك أن أهل كل صنعة على طبقات مختلفة بحسب الحذاقة والمهارة زعم القوم أن موسى كان حاذقاً في علم السحر بالغاً فيه إلى أقصى الغاية، وأنه جعل علمه وسيلة إلى طلب الملك والرسالة فلذلك قالوا.

﴿يريد أن يخرجكم﴾ بسحره ﴿من أرضكم﴾ مصر ويجعل الحكومة لبني إسرائيل فلما سمع فرعون هذا قال: ﴿فماذا تأمرون﴾ بفتح النون وما في فماذا في محل النصب على أنه مفعول ثانٍ لتأمرون بحذف الجار والأول محذوف، والتقدير بأي شيء تأمرونني أي فإذا كان كذلك فماذا تشيرون؟

﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

﴿قالوا﴾ لفرعون **﴿أرجه﴾** أصله أرجئه بهمزة ساكنة وهاء مضمومة والإرجاء التأخير **﴿وأخاه﴾** هارون وعدم التعرض لذكره، قيل: لظهور كونه معه حسبما تنادي به الآيات الأخر. والمعنى أخّر أمرهما ولا تعجل. **﴿وأرسل في المدائن﴾** الجار متعلق بأرسل. والمدائن جمع مدينة وهي البقعة المسوّرة المستولى عليها ملك، والمدائن صعيد مصر، وكان له مدائن فيها السحرة المعدة لوقت الحاجة إليهم. والمعنى: وابعث الشرط إلى هذه المدائن **﴿حاشرين﴾** مفعوله محذوف، أي حاشرين السحرة. والمعنى ليحشروا ويجمعوا إليك من فيها من السحرة.

﴿يأتوك بكل ساحر عليم﴾ أي: ماهر في السحر. والسحر في اللغة: لطف الحيلة في إظهار الأعجوبة، وأصل ذلك من خفاء الأمر ومن ذلك سمي آخر الليل سحراً لخفاء الشخص ببقاء ظلمته والسحر الرئة سميت بذلك لخفاء أمرها بانتفاخها تارة وضمورها أخرى [آورده اندكه بهيچ قرن چندان ساحر نبوده كه در قرن موسى ورؤساء سحره بأقصى مداين صعيد بودند در تفسير دمياطى آورده كه درمداين صعيد دو برادر بودندكه ايشانرا در فن سحر وقوفى تمام بود چون فرستادهٔ فرعون بديشان رسيد ما در خودرا كفتند مارا بسر قبر پدرما بر چنان كرد وايشان پدر خودرا اواز دادندكه يا ابتا ملك مصر مارا طلبيده بجهت آنكه دوكس آمده اند بى لشكر وسپاه وكاربرو بد وننك آورده وايشانرا عصا ييست چون مى افكنند اژدرها ميشود وهرچه پيش او آيد مى خورد وفرعون داعيه نموده كه ايشان در خواب ميشود آن عصا همان اژدرها ميشود يانه اكر ميكردد بدانيدكه جادويى نيست چه سحر ساحر وقتى كه در خواب باشد اثر ندارد چون حال بدين منوال باشد نه شما وهيچكس ازعالميان را قوت معارضه باايشان نخواهد بود القصه برادران با شاكردان ومصاحبان كه دوازده هزار بودند ودرزاد المسير كويد هفتاد هزار بمصر آمدند وبنزد فرعون جمع شدند] توهموا أنهم بالتأخير وحسن التدبير وبذل الجد والتشمير يغيرون شيئاً من التقدير ولم يعلموا أن الحق غالب والحكم سابق وعند حلول الحكم فلا سلطان للعلم والفهم.

﴿وجاء السحرة فرعون﴾ بعدما أرسل إليهم الحاشرين **﴿قالوا﴾** واثقين بغلبتهم **﴿إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين﴾** بطريق الإخبار بثبوت الأجر وإيجابه، كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر عظيم حينئذٍ أو بطريق الاستفهام التقريري بحذف الهمزة، وقولهم إن كنا بمجرد تعيين مناط ثبوت الأجر لا لترددهم في الغلبة وتوسيط الضمير وتحلية الخبر باللام للقصر أي إن كنا نحن الغالبين لا موسى.

﴿قال نعم﴾ أي: إن لكم لأجراً **﴿وإنكم﴾** مع ذلك **﴿لمن المقربين﴾** عندي في المنزلة.

قال الكلبي: قال لهم تكونون أول من يدخل مجلسي وآخر من يخرج منه.

وفي «التأويلات النجمية»: أجرى الله هذا على لسان فرعون حقاً وصدقاً بأنهم صاروا من المقربين عند الله لا عند فرعون انتهى. [آورده اندكه مهتراين جماعت چهارتن بودند وآن دو برادركه شابور وغادور ميكفتند وديكر حطط ومصفى ودرلباب آورده كه اين چهارنيز مهترى بود شمعون نام چون بمصر آمدند وشابور وغادور واقعهٔ سؤال وجواب پدر باقوم كفتند ايشان

ازقصهء خواب وبيداریء موسى واژدرها شدن عصا استفسار بليغ نمودند معلوم شدكه هركاه موسى درخوابست عصا اژدرهاشده پاسبانی ميكند ايشانرا ترددى بديد آمد ودغدغه در خاطر خطور كرد نهان ميداشتند تاوقتى كه فرعون موسى را طلبيده ومقرر شدكه جادوان مناظره كنند ومجلس معارضه انتظام يافت ساحران وعصا ورسنى چند بميدان آوردند فرعون بالاى تخت بتفرج بنشست ومردم مصر بنظاره حاضر شدند هفتاد هزار ساحر بريك طرف وموسى وهاريون بريك جانب بايستادند جادوان بطريق ادب پيش آمده].

﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾

﴿قالوا يا موسى إما أن تلقي﴾ أي: عصاك أولاً ﴿وإما أن نكون نحن الملقين﴾ أي: حبالنا وعصينا أوّلاً خيروا موسى عليه السلام فإن كلمة إما فيها للتخيير ويطلق عليها حرف العطف مجازاً.

قال المفسرون: تأدبوا مع موسى عليه السلام فكان ذلك سبب إيمانهم.

﴿قال ألقوا﴾.

إن قيل: كيف قال ألقوا والأمر بالسحر لا يجوز.

أجيب يجوز ألقوا إن كنتم محقين على زعمكم ويجوز أن يكون أمرهم بالإلقاء لتأكيد المعجزة.

قال القاضي: قال ألقوا كرماً وتسامحاً وازدراء بهم ووثوقاً على شأنه، يعني: ليس أمرهم بالإلقاء قبله من قبيل الإباحة للسحر والرضى بالكفر، والمعنى ألقوا ما تلقون. ﴿فلما ألقوا﴾ ما ألقوا ﴿سحروا أعين الناس﴾ [جادويى كردند برچشمهاى مردمان] بأن خيلوا إليهم ما لا حقيقة له.

قال ابن الشيخ: قلبوها وصرفوها على أن تدرك الشيء على ما هو عليه بسبب ما فعلوه من التمويهات. ﴿واسترهبوهم﴾ استفعل ههنا بمعنى أفعل والسين لتأكيد معنى الرهبة، أي بالغوا في إرهابهم. ﴿وجاؤوا بسحر عظيم﴾ في وقته. روي أنهم جمعوا حبالاً غلاظاً وخشباً طوالاً كأنها حيات جسام غلاظ ولطخوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا الزئبق داخل تلك العصي فلما أثرت حرارة الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض وكانت كثيرة جداً تخيل الناس أنها تتحرك وتلتوي باختيارها وصار الميدان كأنه مملوء بالحيات.

﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَـٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

﴿وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾ الفاء فصيحة، أي: فألقاها فصارت حية فإذا هي تلقف، أي: تلقم وتبتلع من لقف يلقف على وزن علم يعلم، يقال لقفته ألقفه لقفاً وتلقفته أتلقفه تلقفاً إذا أخذته بسرعة فأكلته وابتلعته ويأفكون، أي: يزورون من الإفك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه. روي أنها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها بأسرها أقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم لا يعلم عددهم

إلا الله تعالى، ثم أخذها موسى فصارت عصاً كما كانت وأعدم الله بقدرته القاهرة تلك الأجرام العظام أو فرقها أجزاء لطيفة، فقالت السحرة: لو كان هذا سحراً لبقيت حبالنا وعصينا.

﴿فوقع الحق﴾ أي: ثبت وصدق موسى عليه السلام في قوله ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأعراف: ١٠٤] حيث صدقه الله تعالى بما أظهر على يده من المعجزة الباهرة. ﴿وبطل ما كانوا يعملون﴾ أي: ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على عمله وهو السحر.

﴿فغلبوا﴾ أي: فرعون وأتباعه ﴿هنالك﴾ أي: في مجلسهم. ﴿وانقلبوا صاغرين﴾ أي: صاروا أذلاء مبهوتين فالانقلاب هنا بمعنى الصيرورة. ﴿وألقي السحرة ساجدين﴾ أي: خروا سجداً كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم إلى ذلك، ففي الكلام استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم في سرعة الخرور وشدته حين شاهدوا المعجزة القاهرة بحال من ألقي على وجهه فعبر عن حالهم بما يدل على حال المشبه به.

﴿قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون﴾ أبدلوا الثاني من الأول لئلا يتوهم أن مرادهم فرعون لأن فرعون وإن ربى موسى وهو صغير إلا أنه لم يربّ هارون قطعاً قال ابن عباس: آمنت السحرة واتبع موسى من بني إسرائيل ستمائة ألف.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿قال فرعون﴾ منكراً على السحرة موبخاً لهم على ما فعلوه. ﴿آمنتم به﴾ بهمزة واحدة إما على الإخبار المحض المتضمن للتوبيخ أو على الاستفهام التوبيخي بحذف الهمزة، كما مر في ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ [الأعراف: ١١٣] ﴿قبل أن آذن لكم﴾ أي: بغير أن آذن لكم، كما في قوله تعالى: ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩] لا أن الإذن منه ممكن في ذلك. ﴿إن هذا لمكر مكرتموه﴾ يعني: إن ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها أنتم وموسى. ﴿في المدينة﴾ يعني: مصر قبل أن تخرجوا إلى الميعاد. روي أن موسى وأمير السحرة التقيا، فقال له موسى: أرأيتك إن غلبتك لتؤمنن بي وتشهدن أن ما جئت به الحقّ فقال الساحر والله لئن غلبتني لأؤمنن لك وفرعون يسمعها وهو الذي نشأ عنه هذا القول. ﴿لتخرجوا منها أهلها﴾ يعني: القبط وتخلص لكم ولبني إسرائيل. ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله.

﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ أي: من كل شق طرفاً يعني أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى. ﴿ثم لأصلبنكم أجمعين﴾ على شاطىء نهر مصر على جذوع النخل تفضيحاً لكم وتنكيلاً لأمثالكم.

قيل: هو أول من سنّ ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع الطريق تعظيماً لجرمهم ولذلك سماهم تعالى محاربة الله ورسوله.

﴿قالوا﴾ ثابتين على ما أحدثوا من الإيمان وهو استئناف بياني. ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ راجعون، أي: بالموت لا محالة سواء كان ذلك من قبلك أم لا فلا نبالي بوعيدك أو إنا إلى

رحمة ربنا وثوابه، منقلبون إن فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفاً على لقاء الله تعالى. وفي «المثنوي»:

جانهاى بسته اندر آب وكل — چون رهند ازآب وكلها شاد دل
درهواى عشق حق رقصان شوند — همچو قرص بدر بى نقصان شوند
چون نقاب تن برفت ازروى روح — ازلقاى دوست دارد صد فتوح
ميزند جان در جهان آبكون — نعرهٔ يا ليت قومي يعلمون

﴿وما تنقم منا﴾ أي: وما تنكر وما تعيب منا. ﴿إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا﴾ وهو خير الأعمال وأصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلباً لمرضاتك.

ثم فزعوا إلى الله تعالى فقالوا ﴿ربنا أفرغ علينا صبراً﴾ أي: أفض علينا من الصبر على وعيد فرعون ما يغمرنا كما يغمر الماء فإفراغ الماء أي صبه من قبيل الاستعارة شبه الصبر على وعيد فرعون بالماء الغامر تشبيهاً مضمراً في النفس وجعل نسبة الإفراغ إليه تخييلاً للاستعارة بالكناية لأن الإفراغ من لوازم الماء وملائماته. ﴿وتوفنا مسلمين﴾ ثابتين على ما رزقتنا من الإسلام غير مفتونين من الوعيد قيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى: ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص: ٣٥].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: فأخذ فرعون السحرة فقطعهم ثم صلبهم على شاطىء نيل مصر.

وفي «المثنوي»:

ساحران چون حق او بشناختند — دست ويا در جرمها در باختند

وفي القصة: إشارة إلى أن فرعون النفس أيضاً منكر على إيمان سحرة صفاتها ويقول: ﴿آمنتم به﴾ أي: بموسى الروح ﴿من قبل أن آذن لكم﴾ يعني: بالإيمان به ﴿إن هذا لمكر مكرتموه﴾ يا سحرة الصفات في موافقة موسى الروح.

﴿في المدينة﴾ مدينة القالب والبدن ﴿لتخرجوا منها أهلها﴾ وهو اللذات والشهوات البدنية الجسمانية، فإن صفات النفس إذا آمنت ووافقت الروح وصفاته خرجت من البدن لذات الدنيا وشهواتها. ﴿فسوف تعلمون﴾ حيلي ومكايدي في إبطالكم واستيفاء اللذات والشهوات. ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ بسكين التسويل عن الأعمال الصالحة. ﴿ثم لأصلبنكم أجمعين﴾ في جذوع تعلقات الدنيا وزخارفها. ﴿قالوا إنا إلى ربنا منقلبون﴾ لا إلى الدنيا وما فيها ﴿وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً﴾ على قطع تعلقات الدنيا ﴿وتوفنا مسلمين﴾ لعبوديتك.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿وقال الملأ من قوم فرعون﴾. روي أن فرعون بعد ما رأى من موسى عليه السلام ما رأى من معجزة العصا واليد البيضاء خافه أشد الخوف، فلذلك لم يجب ولم يتعرض له بسوء بل خلى سبيله، فلذلك قال له أشراف قومه: ﴿أتذر موسى وقومه﴾ أي: أتتركهم. ﴿ليفسدوا في الأرض﴾ أي: يفسدوا على الناس دينهم في أرض مصر ويصرفوهم عن متابعتك. ﴿ويذرك﴾ عطف على يفسدوا ﴿وآلهتك﴾ معبوداتك.

قيل: كان يعبد الكواكب والأصح كما في «التفسير الفارسي» أنه صنع لقومه أصناماً على صورته وأمرهم بأن يعبدوها تقرباً إليه، ولذلك قال: أنا ربكم الأعلى، ﴿قال﴾ فرعون مجيباً لهم ﴿سنقتل أبناءهم﴾[زود باشدكه بكشيم پسران ايشانرا]. ﴿ونستحيي نساءهم﴾ أي: نتركهن أحياء ولا نقتلهن بل نستخدمهن والمقصود سنعود إلى قتل أبنائهم واستخدام نسائهم كما كنا نفعل وقت ولادة موسى ليعلم أنا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم أنه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه. ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ أي: مستعلون عليهم بالقوة كما كنا لم يتغير حالنا أصلاً، وهم مقهورون تحت أيدينا كذلك.

﴿قال موسى لقومه﴾ تسلية لهم وعدة لحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وعجزوا عنه ﴿استعينوا بالله﴾[يا رى خواهيد ازخداى تعالى دردفع بلاى فرعون] ﴿واصبروا﴾ على ما سمعتم من أقاويله الباطلة ﴿إن الأرض لله﴾ أي أرض مصر. ﴿يورثها من يشاء من عباده﴾ [ميراث دهدهر كرا ميخواهد ازبندكان خود] ﴿والعاقبة﴾[عاقبة نيكويانصرت وظفر يابهشت] ﴿للمتقين﴾ الذين أنتم منهم؛ لأنه روي أنه لما غلب سحرة فرعون وتبين نبوة موسى بسطوع حجته آمن بموسى من بني إسرائيل ستمائة ألف نفس واتقوا عن الشرك والعصيان، وفيه إيذان بأن الاستعانة بالله تعالى والصبر من باب التقوى. قال الحافظ:

آنكه پيرانه سرم صحبت يوسف بنواخت اجر صبريست كه دركلبۀ أحزان كردم

﴿قالوا﴾ أي: بنو إسرائيل. ﴿أوذينا﴾ أي: من جهة فرعون. ﴿من قبل أن تأتينا﴾ أي: بالرسالة يعنون بذلك قتل أبنائهم قبل مولد موسى عليه السلام وبعده. ﴿ومن بعد ما جئتنا﴾ أي: رسولاً، يعنون به ما توعدهم به من إعادة قتل الأبناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عليه السلام من فنون الجور والظلم والعذاب. ﴿قال﴾ أي: موسى عليه السلام لما رأى شدة جزعهم مما يشاهدونه مسلياً لهم بالتصريح بما لوّح به في قوله: ﴿إن الأرض لله﴾ الآية ﴿عسى ربكم أن يهلك عدوكم﴾ أي: يرجى أن ربكم قارب إهلاك عدوكم الذي فعل بكم ما فعل وتوعدكم بإعادته، فعسى من العبد لطمع مضمون خبرها، ومن الله تعالى إطماع وما أطمع الله فيه فهو واجب لأن الكريم إذا أطمع ووعد وفى فيصير كأنه أوجبه على نفسه. ﴿ويستخلفكم في الأرض﴾ أي يجعلكم خلفاء في أرض مصر وفي الأرض المقدسة. ﴿فينظر﴾ النظر قد يراد به الفكر المؤدي إلى العلم وقد يراد به تقليب الحدقة نحو المرئي ليترتب عليه الرؤية، وكل واحد من المعنيين مستحيل في حقه تعالى فهو مجاز عن الرؤية التي هي غاية للنظر أي: فيرى ﴿كيف تعملون﴾ أحسناً أم قبيحاً فيجازيكم حسبما يظهر منكم من شكر وكفران وطاعة وعصيان وفي الحديث: «إن الدنيا حلوة خضرة» يعني: حسنة في المنظر تعجب الناظر والمراد من الدنيا صورتها ومتاعها، وإنما وصفها بالخضرة؛ لأن العرب تسمي الشيء الناعم خضراً أو لتشبهها بالخضراوات في سرعة زوالها وفيه بيان كونها غرارة يفتتن

الناس بحسنها وطعمها، «وإن الله مستخلفكم فيها» أي: جاعلكم خلفاء في الدنيا يعني إن أموالكم ليست هي في الحقيقة لكم وإنما هي لله تعالى جعلكم في التصرف فيها بمنزلة الوكلاء، «فناظر كيف تعملون» أي: تتصرفون، قيل: معناه جاعلكم خلفاء ممن كان قبلكم ومعطى ما في أيديهم إياكم فناظر هل تعتبرون بحالهم وتتدبرون في مآلهم. قال السعدي قدس سره:

نـــرود مــــرغ ســـوى دانـــه فـــراز چـــون دكـــر مـــرغ بـــيـــنـــد انـــدر بـــنـــد
پـــنـــد كـــيـــر از مـــصـــائـــب دكـــران تـــا نـــكـــيـــرنـــد ديـــكـــران زتـــوپـــنـــد

والإشارة: أن فرعون النفس قال له قوم الهوى والغضب والكبر ﴿أتذر﴾ موسى الروح ﴿وقومه﴾ من القلب والسر والعقل. ﴿ليفسدوا في الأرض﴾ في أرض البشرية. ﴿ويذرك وآلهتك﴾ من الدنيا والشيطان والطبع لا تعبد. ﴿قال﴾ فرعون النفس ﴿سنقتل أبناءهم﴾ وأبناء صفات الروح والقلب والنفس أعمالها الصالحة، أي نبطل أعمالهم بالرياء والعجب. ﴿ونستحيي نساءهم﴾ أي: الصفات التي منها تتولد الأعمال ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ بالمكر والخديعة والحيلة. ﴿قال موسى﴾ الروح ﴿لقومه﴾ وهم القلب والعقل والسر. ﴿استعينوا بالله واصبروا﴾ على جهاد النفس ومخالفتها ومتابعة الحق ﴿إن الأرض﴾ أي: أرض البشرية ﴿لله يورثها من يشاء من عباده﴾ يورث أرض بشرية السعداء الروح وصفاته فيتصف بصفاته ويورث أرض بشرية الأشقياء النفس وصفاتها فتتصف بصفاتها. ﴿والعاقبة للمتقين﴾ يعني عاقبة الخير والسعادة للأتقياء والسعداء منهم. ﴿قالوا﴾ يعني قوم الروح له ﴿أوذينا من قبل أن تأتينا﴾ أي: قبل أن تأتينا بالواردات الروحانية قبل البلوغ كنا نتأذى من أوصاف البشرية ومعاملاتها. ﴿ومن بعد ما جئتنا﴾ بالواردات والإلهامات الروحانية بعد البلوغ تتأذى من دواعي البشرية. ﴿قال﴾ يعني: الروح ﴿عسى ربكم أن يهلك عدوكم﴾ النفس وصفاتها بالواردات الربانية ويدفع أذيته عنكم فبه يشير إلى أن الواردات الروحانية لا تكفي لإفناء النفس وصفاتها ولا بد في ذلك من تجلي صفات الربوبية. ﴿ويستخلفكم﴾ يعني: إذا تجلى الرب بصفة من صفاته لا يبقى في أرض البشرية من صفات النفس صفة إلا ويبدلها بصفات الروح والقلب ويستخلفها ﴿في الأرض فينظر كيف تعملون﴾ في إقامة العبودية وأداء شكر نعم الربوبية كذا في «التأويلات النجمية».

﴿ولقد أخذنا آل فرعون﴾ أي: قوم فرعون وأهل دينه وآل الرجل خاصته الذين يؤول أمره إليهم وأمرهم إليه. ﴿بالسنين﴾ جمع سنة: وهي في الأصل بمعنى العام مطلقاً إلا أنها غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به حتى صارت كالعلم له كالنجم غلب على الثريا. ﴿ونقص من الثمرات﴾ بإصابة العاهات زيادة في القحط لأن الثمار قوت الناس وغذاؤهم.

وعن كعب، يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا تمرة.

قال ابن عباس: أما السنون فكانت لباديتهم وأهل ماشيتهم وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم. ﴿لعلهم يذكرون﴾ كي يتذكروا ويتعظوا بذلك ويتيقنوا أن ذلك لأجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو والعناد، فلعل علة المأخذ إما بناء على تجويز تعليل أفعاله تعالى بأغراض راجعة إلى العباد كما ذهب إليه كثير من أهل السنة، وإما تنزيلاً لترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض له فإن استتباع أفعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة

من غير أن تكون هي علة غائية لها بحيث لولاها لما أقدم عليها مما لا نزاع فيه.

دلت الآية على أن المحن والشدائد والمصيبات موجبات الانتباه والاعتبار، ولكن لأهل السعادة وأولي الأبصار فأما أهل الشقاوة فلا ينبههم كثرة النعمة ولا يوقظهم شدة النقمة. قال الشيخ السعدي قدس سره:

بكوشش نرويد كل از شاخ بيد ... نه زنكى بكرمابه كردد سفيد

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾.

﴿فإذا جاءتهم الحسنة﴾ أي: السعة والخصب وغيرهما من الخيرات. ﴿قالوا لنا هذه﴾ أي: لأجلنا واستحقاقنا لها ولم يروا ذلك فضلاً من الله. ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ أي: جدب وبلاء ﴿يطيروا بموسى ومن معه﴾ أي: يتشاءموا بموسى وأصحابه ويقولوا ما أصابتنا إلا بشؤمهم وأصله يتطيروا أدغمت التاء في الطاء لقرب مخرجهما واشتقاق التطير من الطير كالغراب وشبهه سمي الشؤم ضد اليمن طيراً وطائراً تسمية للمدلول باسم ما يدل عليه، فإنهم يجعلون الطير والطائر أمارة ودليلاً على شؤم الأمر وبناء التفعل فيه للتجنب أي لبعد الفاعل عن أصله كتحوب أي تجنب وتباعد من الحوب وهو الإثم وسيجيء تفصيل الطيرة.

قال سعيد بن جبير: كان ملك فرعون أربعمائة سنة فعاش ثلاثمائة سنة لا يرى مكروهاً ولو رأى في تلك المدة جوع يوم، أو حمى يوم، أو وجع ساعة لما ادعى الربوبية، ولما قالوا سبب ما جاءنا من الخير والحسنة هو استحقاق أنفسنا إياه وسبب ما أصابنا من السيئة والشر هو شآمة موسى ومن معه كذبهم الله تعالى في كل واحد من الحكمين بقوله: ﴿ألا﴾ اعلموا ﴿إنما طائرهم عند الله﴾ أي: سبب ما أصابهم من الخير والشر إنما هو عند الله تعالى وصفة قائمة به، وهي قضاؤه وتقديره ومشيئته وهو الذي أيهما شاء أصابهم به وليس بيمن أحد ولا بشؤمه عبر عما عند الله تعالى بالطائر تشبيهاً له بالطائر الذي يستدل به على الخير والشر، أو سببه شؤمهم عند الله تعالى وهو أعمالهم السيئة المكتوبة عنده فإنها التي ساقت إليهم ما يسوؤهم لا ما عداها، فالطائر عبارة عن الشؤم على طريق تسمية المدلول باسم الدليل بناء على أنهم يستدلون بالطير على الشؤم، ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن ما يصيبهم من الله تعالى أو من شؤم أعمالهم فيقولون ما يقولون مما حكي عنهم وإسناد عدم العلم إلى أكثرهم للإشعار بأن بعضهم يعلمون ذلك ولكن لا يعملون بمقتضاه عناداً واستكباراً.

واعلم أن الطير بمعنى التشاؤم والاسم منه الطيرة على وزن العنبة وهو ما يتشاءم به من الفأل الرديء.

والأصل في هذا: أن العرب كانوا يتفاءلون بالطير فإن خرج أحدهم إلى مقصده وأتى الطير من ناحية يمينه يتيمن به ويتبرك ويسميه سانحاً، وإن أتى من ناحية شماله يتشاءم به ويسميه بارحاً فيرجع إلى بيته ثم كثر قولهم في الطير حتى استعملوه في كل ما تشاءموا به، وأبطل النبي عليه السلام الطيرة بقوله: «الطيرة شرك» قاله: «ثلاثاً» وإنما قال شرك لاعتقادهم أن الطيرة تجلب لهم

نفعاً أو تدفع عنهم ضرراً إذا عملوا بموجبها، فكأنهم أشركوها مع الله تعالى.

قال عبد الله: من خرج من بيته ثم رجع لم يرجعه إلا الطيرة رجع مشركاً أو عاصياً.

وذكر في «المحيط»: إذا صاحت الحمامة، فقال رجل: يموت المريض كفر القائل عند بعض المشايخ، وإذا خرج الرجل إلى السفر فصاح العقعق فرجع من سفره فقد كفر عند بعض المشايخ.

قال عكرمة: كنا عند ابن عمر وعنده ابن عباس رضي الله عنهما فمر غراب يصيح، فقال: رجل من القوم خير خير، فقال ابن عباس: لا خير ولا شر، وإنما اختص الغراب غالباً بالتشاؤم به أخذاً من الاغتراب بحيث قالوا غراب البين؛ لأنه بان عن نوح عليه السلام لما وجهه لينظر إلى الماء فذهب ولم يرجع، ولذا تشاءموا به واستخرجوا من اسمه الغربة.

قال ابن مسعود: لا تضر الطيرة إلا من تطير ومعناه أن من تطير تطيراً منهياً عنه أو يراه مما يتطير به حتى يمنعه مما يريده من حاجته فإنه قد يصيبه ما يكرهه، فأما من توكل على الله ووثق به بحيث علق قلبه بالله خوفاً ورجاء، وقطعه عن الالتفات إلى الأسباب المخوفة وقال ما أمر به من الكلمات ومضى فإنه لا يضره فالمراد بالكلمات ما في قوله عليه السلام: «ليس عبد إلا سيدخل قلبه الطيرة، فإذا أحس بذلك فليقل: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك ولا حول ولا قوة إلا بالله ما شاء الله كان لا يأتي بالحسنات إلا الله، ولا يذهب بالسيئات إلا الله وأشهد أن الله على كل شيء قدير»، ثم يمضي إلى حاجته أي كل ما أصاب الإنسان من الخير والشر واليمين والشؤم ليس إلا بقضائك وتقديرك وحكمك ومشيئتك وفي الحديث: «الشؤم في المرأة والفرس والدار». فشؤم المرأة سوء خلقها أو غلاء مهرها، وقيل أن لا تلد. وشؤم الفرس عدم انقياده أو أنه لا يغزى عليه، وشؤم الدار ضيقها أو سوء جارها وهذا الحكم على وجه الغلبة لا القطع خص الثلاث بالذكر لأن فيها يصل الضرر الكثير إلى صاحبها أو لأنها أقرب إلى الآفة فيما يبتلى به الإنسان فمن تشاءم بالمذكورات فليفارقها واعترض عليه بحديث: «لا طيرة» أجاب ابن قتيبة بأن هذا مخصوص منه أي لا طيرة إلا في هذه الثلاث.

وسمع فيلسوف صوت مغن بارد، فقال: يزعم أهل الكهانة أن صوت البوم يدل على موت الإنسان فإن كان ما ذكروه حقاً فصوت هذا يدل على موت البومة.

زيبقم در كوش كن تانشنوم ... يا درم بكشاى تا بيرون روم

وتساقطت النجوم في أيام بعض الأمراء فخاف من ذلك وأحضر المنجمين والعلماء فما أجابوا بشيء فقال جميل الشاعر:

هذي النجوم تساقطت ... لرجوم أعداء الأمير

فتفاءل به وأمر له بصلة حسنة ولا بأس بأن يتفاءل بالفأل الحسن، وكان النبي عليه السلام يحب الفأل ويكره الطيرة، والفأل الحسن هي الكلمة الصالحة يسمعها من أخيه نحو أن يسمع أحد وهو طالب أمر يا واجد يا نجيح أو يكون في سفر فيسمع يا راشد، يعني: يا واجد الطريق المستقيم أو مريضاً فيسمع يا سالم فالتفاؤل بالأمور المشروعة مشروع والطيرة منهي عنها.

والفرق بين الفأل والطيرة: مع أن كل واحد منهما استدلال بالأمارة على مآل الأمر وعاقبته أن الأرواح الإنسانية أقوى وأصفى من الأرواح البهيمية والطيرية فالكلمة الحسنة التي تجري على لسان الإنسان يمكن الاستدلال بها بخلاف طيران الطير وحركات البهائم فإن

أرواحها ضعيفة فلا يمكن الاستدلال بها على شيء من الأحوال.

ويروى أن النبي عليه السلام «حول رداءه في الاستسقاء» وذكر في «الهداية» أنه كان تفاؤلاً يعني قلب علينا الحال كما قلبنا رداءنا.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت يا رسول الله إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه فقال: «ابسط رداءك» فبسطته ففرق بيديه ثم قال: «ضمه» فضممته فما نسيت شيئاً بعده»، وهذا البسط والفرق والضم ليس إلا تفاؤلاً وإلا فالعلم ليس مما يسقط على الرداء ويمكن فيه الفرق والضم ولكن التفاؤل يحصل به يعني كما بسطت ردائي توقياً لما يسقط فيه فكذلك أصغيت سمعي لما يقع فيه من الكلام، وكما أعطيت شخصاً كثيراً من الرزق يفرق بين اليدين فكذا أعطيته شيئاً كثيراً من العلم، وكما يؤمن بالضم من سقوط ما في الرداء كذلك يؤمن من خروج ما في السمع أو نسيان ما في الخاطر فبعض الأوضاع يدل على بعض الأحوال كما أن بعض الأسماء يدل على بعض الأمور، كما حكي أن عمر رضي الله عنه قال لرجل: ما اسمك؟ قال جمرة، قال ابن من قال ابن شهاب، قال من أين؟ قال: من الخرقة، قال أين تسكن؟ قال: في الحرة وهي أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت فقال عمر: أدرك أهلك فقد احترقوا فرجع فوجدهم قد احترقوا، وأراد عمر رضي الله عنه الاستعانة برجل فسأله عن اسمه فقال: ظالم بن سراق فقال: تظلم أنت ويسرق أبوك ولم يستعن ودل هذا على تبديل الأسماء القبيحة بالأسماء الحسنة فإن في الأسماء الحسنة التفاؤل ونظير ذلك ما يفهم من قوله عليه السلام: «لا تمارضوا فتمرضوا» يعني أن من أظهر المرض، وقال: أنا مريض فهذا القول والفعل منه يثمر المرض ويؤاخذ به.

كفت پيغمبركه رنجورى بلاغ رنج آرد تا بميرد چون چراغ

والله الهادي إلى الحسنات وهو دافع السيئات.

﴿وقالوا﴾ أي: فرعون وقومه بعد ما رأوا من شأن العصا والسنين ونقص الثمرات ﴿مهما﴾ اسم شرط يجزم فعلين كقولك مهما تفعل أفعل كأن قائلاً قال لك لا تقدر على أن تفعل ما أفعل فتقول له مهما تفعل أفعل ومحله الرفع على الابتداء وخبره فما نحن لك بمؤمنين، أي أيّ شيء وبالفارسية [هرچيزكه] ﴿تأتنا به﴾ تظهر لدينا وتحضره والضمير لمهما. ﴿من آية﴾ بيان لمهما وإنما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ﴿لتسحرنا بها﴾ أي لتسحر بتلك الآية أعيننا وتسكرها، ﴿فما نحن لك بمؤمنين﴾ أي: بمصدقين لك ومؤمنين بنبوتك ﴿فأرسلنا عليهم﴾. روي أن القوم لما عالجهم موسى بالآيات الأربع العصا واليد والسنين ونقص الثمرات فكفروا ودعا وكان حديداً فقال يا رب إن عبدك فرعون علا في الأرض وبغى وعتا وإن قومه نقضوا عهدك فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم عبرة فأرسل الله عليهم عقوبة لجرائمهم ﴿الطوفان﴾ أي الماء الذي طاف بهم وأحاط وغشى أماكنهم وحرثهم من مطر أو سيل ﴿والجراد﴾ في التفسير الفارسي [ملخ پرنده].

وفي «حياة الحيوان»: الجراد البري إذا خرج من بيضته يقال له: الدباء فإذا بدت فيه الألوان واصفرت الذكور واسودت الإناث يسمى جراداً حينئذٍ وفي الحديث: «لا تقتلوا الجراد فإنه جند الله الأعظم» وهذا إن صح أراد به إذا لم يتعرض لإفساد الزرع فإن تعرض له جاز دفعه بالقتل وغيره، ووقعت بين يدي النبي عليه السلام، جرادة فإذا مكتوب على جناحيها بالعبرانية

نحن جند الله الأكبر ولنا تسع وتسعون بيضة، ولو تمت لنا المائة لأكلنا الدنيا وما فيها فقال النبي عليه السلام: «اللهم أهلك الجراد اقتل كبارها وأمت صغارها وأفسد بيضها وسد أفواهها عن مزارع المسلمين وعن معايشهم إنك سميع الدعاء» فجاء جبرائيل عليه السلام فقال: إنه قد استجيب لك في بعضه.

وعن حسن بن علي: كنا على مائدة نأكل أنا وأخي محمد ابن الحنفية وبنو عمي عبد الله وقثم والفضل بن العباس فوقعت جرادة على المائدة فأخذها عبد الله، وقال لي ما مكتوب على هذه؟ فقلت سألت أبي أمير المؤمنين عن ذلك فقال سألت عنه رسول الله فقال مكتوب عليها أنا الله لا إله إلا أنا رب الجراد ورازقها وإن شئت بعثتها رزقاً لقوم وإن شئت بعثتها بلاء على قوم فقال عبد الله هذا من العلم المكنون» وليس في الحيوان أكثر فساداً لما يقتاته الإنسان من الجراد.

وأجمع المسلمون على إباحة أكله، قال الأربعة: يحل أكله سواء مات حتف أنفه أو بذكاة أو باصطياد مجوس أو مسلم قطع منه شيء أو لا والدليل على عموم حله قوله عليه السلام: «أحلت لنا ميتتان ودمان الكبد والطحال والسمك والجراد» وإذا تبخر إنسان بالجراد البري نفعه من عسر البول.

وقال ابن سينا: إذا أخذ منها اثنا عشر ونزعت رؤوسها وأطرافها وجعل معها قليل آس يابس وشرب للاستسقاء نفعه. وأما الجراد البحري فهو من أنواع الصدف كثير بساحل البحر ببلاد المغرب ويأكلونها كثيراً مشوياً ومطبوخاً ولحمها نافع للجذام. ﴿والقمل﴾ في التفسير الفارسي [ملخ پياده] وقيل: هو كبار القردان وهو جمع قراد يقال له بالتركي «كنه» مسلط على البعير وفي الأمثال أسمع من قراد وذلك أنه يسمع صوت أخفاف الإبل من مسيرة يوم فيتحرك لها وقيل: هو السوس الذي يخرج من الحنطة وقيل: إنه شيء يقع في الزرع ليس بجراد فيأكل السنبلة وهي غضة قبل أن تقوى فيطول الزرع ولا سنبل له وقرأ الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد به القمل المعروف الذي يقع في بدن الإنسان وثوبه وإذا ألقيت القملة حية أورثت النسيان.

قال الجاحظ: وفي الحديث: «أكل الحامض، وسؤر الفار، ونبذ القمل يورث النسيان» وإذا أردت أن تعلم هل المرأة حامل بذكر أو أنثى فخذ قملة واحلب عليها من لبنها في كف إنسان فإن خرجت من اللبن فهي جارية وإن لم تخرج فهو ذكر وإن حبس على إنسان بوله فخذ قملة من قمل بدنه واجعلها في إحليله فإنه يبول من وقته، والقمل المعروف يتولد من العرق والوسخ إذا أصاب ثوباً أو ريشاً أو شعراً حتى يصير المكان عفناً.

قال الجاحظ: وربما كان للإنسان قمل الطباع وإن تنظف وتعطر وبدل الثياب كما عرض لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام حين استأذنا رسول الله ﷺ في لباس الحرير فأذن لهما فيه ولولا أنهما كانا في حد ضرورة لما أذن لهما لما في ذلك من التشديد فيجوز لبس الثوب الحرير لدفع القمل لأنه لا يقمل بالخاصية.

قال في «أنوار المشارق»: والأصح أن الرخصة لا تختص بالسفر انتهى.

وفي «الواقعات المحمودية»: أن القمل يكون من البرودة ولذلك يكثر في الشتاء ولا يكون في الصيف.

قال السيوطي: ولم يقع على ثيابه عليه السلام ذباب قط ولا أذاه القمل. ﴿والضفادع﴾ جمع ضفدع مثل خنصر وهو الأشهر الصحيح من حيث اللغة والأنثى ضفدعة وناس يقولون بفتح الدال كدرهم، وأنكره الخليل حيث قال: ليس في الكلام فعلل إلا أربعة أحرف درهم وهجدم وهبلع وبلعم وهو اسم والضفادع أنواع كثيرة ويكون من سفاد وغير سفاد فالذي من سفاد يبيض في البر ويعيش في الماء والذي من غير سفاد يتولد في المياه القائمة الضعيفة الجري ومن العفونات وغب الأمطار الغزيرة حتى يظن أنه يقع من السحاب لكثرة ما يرى منه على الأسطحة عقيب المطر والريح وليس ذلك عن ذكر وأنثى، وإنما الله تعالى يخلقه في تلك الساعة من طباع تلك التربة وهي من الحيوانات التي لا عظام لها وفيها ما ينق وفيها ما لا ينق والذي ينق منها يخرج صوته من قرب أذنه وتوصف بحدة السمع إذا تركت النقيق وكانت خارج الماء، وإذا أرادت أن لا تنق أدخلت فكها الأسفل في الماء ومتى دخل الماء في فيها لا تنق وما أظرف قول بعض الشعراء وقد عوتب في كلامه:

قالت الضفدع قولاً فسرته الحكماء
في فمي ماء وهل ينطق من في فيه ماء

قال سفيان: يقال إنه ليس شيء أكثر ذكراً لله منه.

قال الزمخشري: تقول في نقيقها سبحان الملك القدوس. روي أن داود عليه السلام قال: لأسبحن الله الليلة تسبيحاً ما سبحه أحد من خلقه فنادته ضفدع من ساقية في داره يا داود أتفخر على الله تعالى بتسبيحك وإن لي لسبعين سنة ما جفّ لي لسان من ذكر الله وإن لي لعشر ليال ما طعمت خضراء ولا شربت ماء اشتغالاً بكلمتين، قال: ما هما قالت يا مسبحاً بكل لسان ومذكوراً بكل مكان، فقال داود في نفسه: وما عسى أن أكون أبلغ من هذا. وعن أنس «لا تقتلوا الضفادع فإنها مرت بنار إبراهيم عليه السلام فحملت في أفواهها الماء وكانت ترشه على النار».

وقال ابن سينا: إذا كثرت الضفادع في سنة وزادت على العادة يقع الوباء عقيبه.

وفي «الواقعات المحمودية»: تعبير الضفدع أنه نقصان خفي فإنه يذكر أنه كان في الأصل كيالاً فلأجل نقصانه في الكيل أدخل فيه، ومن خواصه أنه إذا أخذت امرأة ضفدع الماء وفتحت فاه وبصقت فيه ثلاث مرات ورمته إلى الماء فإنها لا تحبل ودمه إذا طلي به الموضع الذي نتف شعره لم ينبت أبداً، وشحم الضفادع الإجامية إذا وضع على الأسنان قلعها من غير وجع.

قال القزويني: ولقد كنت بالموصل ولنا صاحب في بستان بنى مجلساً وبركة فتولدت فيها الضفادع وتأذى سكان المكان بنقيقها وعجزوا عن إبطاله حتى جاء رجل وقال اجعلوا طشتاً على وجه الماء مقلوباً ففعلوا فلم يسمعوا لها نقيقاً بعد ذلك. ﴿والدم﴾. روي أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يستطيع أن يخرج واحد من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه إلى تراقيهم وهي جمع ترقوة وهي العظم الذي بين ثغرة النحر، والعاتق وهو موضع الرداء من المنكب ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منه قطرة مع أنها كانت مختلطة ببيوت القبط فاض الماء على أرضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف ودام سبعة أيام، فقالوا له عليه السلام: ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب والكلأ ما لم

يعهد مثله فقالوا هذا كنا نتمناه وما كان هذا الماء إلا نعمة علينا وخصباً، فلا والله لا نؤمن بك يا موسى فنقضوا العهد وأقاموا على كفرهم شهراً فبعث الله عليهم الجراد بحيث وقع على الأرض بعضه على بعض ذراعاً فأكل زروعهم وثمارهم وأبوابهم وسقوفهم وثيابهم ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منه شيء ففزعوا إليه عليه السلام كما ذكر فخرج إلى الصحراء وأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع إلى النواحي التي جاء منها بعد أن أقام في أرضهم سبعة أيام فلم يبق جرادة واحدة ثم نظروا فإذا في بعض المواضع من نواحي مصر بقية كلأ وزرع فقالوا هذا يكفينا بقية عامنا هذا فلا والله لا نؤمن بك فسلط الله عليهم القمل فمكث في أرضهم سبعة أيام فلم يبق لهم عوداً أخضر ولحس جميع ما في أراضيهم مما أبقاه الجراد وكان يقع في أطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها وينهشهم ويأكل شعورهم وحواجبهم وأشفار عيونهم ومنعهم النوم والقرار وظهر بهم منه الجدري.

قال الحدادي في «تفسيره»: هم أول من عذبوا بالجدري وبقي في الناس إلى الآن ثم فزعوا إليه عليه السلام ثالثاً فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر قالوا وما عسى ربك أن يفعل بنا وقد أهلك كل شيء من نبات أرضنا فعلى أي شيء نؤمن بك اذهب فما استطعت أن تفعل فافعله ثم أرسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام إلا وجدت فيه وكانت تمتلىء منها مضاجعهم وتثب إلى قدورهم، وهي تغلي وإلى أفواههم عند التكلم وكان بعضهم لا يسمع كلام بعض من كثرة صراخ الضفادع، وكانوا إذا قتلوا واحداً منها خافوا ما حول محله حتى لا يستطيعون الجلوس فيه ففزعوا إليه رابعاً وتضرعوا فأخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله عنهم بريح عظيمة نبذتها في البحر فنقضوا العهد، فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم وآبارها وأنهارها دماً أحمر عبيطاً، حتى كان يجتمع القبطي والإسرائيلي على إناء فيكون ما يليه دماً وما يلي الإسرائيلي ماء على حاله ويمص الماء من فم الإسرائيلي فيصير دماً فيه.

قوم موسى شو بخور اين آب را ‏ ‏ ‏ ‏ صلح كن بامه بين مهتاب را

ثم إن فرعون أجهده العطش وكانوا يأتونه بأوراق الأشجار الرطبة فيمصها فتصير دماً عبيطاً أو أجاجاً وكانوا لا يأكلون ولا يشربون سبعة أيام إلا الدم فقال فرعون أقسم بإلهك يا موسى لئن كشفت عنا هذا الدم لنؤمنن لك فدعا فعذب ماؤهم فعادوا لكفرهم إلى أن كان من أمر الغرق ما كان ﴿**آيات مفصلات**﴾ حال من مفعول أرسلنا أي أرسلنا عليهم هذه الأشياء حال كونها آيات وعلامات مبينات لا يشكل على عاقل أنها آيات الله ونقمته، وقيل معنى مفصلات مفرقات ومنفصلات بأن فصل بعضها عن بعض بزمان لامتحان أحوالهم هل يعتبرون أو يستمرون على المخالفة والعناد وما كان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها أسبوعاً. ﴿**فاستكبروا**﴾ أي: تعظموا عن الإيمان بها. ﴿**وكانوا قوماً مجرمين**﴾ [كروهى مجرم يعنى معاندر كفركه باوجود تظاهرء آيات وتتابع آن ايمان نياوردند].

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾﴾

﴿**ولما وقع عليهم الرجز**﴾ أي: العذاب المذكور من الطوفان وغيره، أي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات. ﴿**قالوا**﴾ في كل مرة ﴿**يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك**﴾

الباء صلة لادع وما مصدرية، والمراد بالعهد النبوة أي ادع لنا ربك يكشف عنا العذاب بحق ما عندك من عهد الله تعالى. وهو النبوة فإن حق النبوة ومقتضاها أن يدعو النبي، لأمته لدفع ما أصابهم من البلايا والمحن سميت النبوة عهداً للمبالغة في كونها معهوداً بها فإنه تعالى لما بعثه رسولاً وأوصاه بتحمل أعباء الرسالة وميثاق التبليغ فقد جعلت النبوة مما أوصى به وعهده فجعلت نفس العهد للمبالغة في كونها معهوداً بها.

وفي «التفسير الفارسي»: ﴿**بما عهد عندك**﴾ [بآنچه عهدكرده وآن عهد نزديك تست يعنى خداى توباتو وعده كرده كه چون اورا بخوانى اجابت كند] فما موصولة عبر بها عما يدعو به المتضرع إلى الله تعالى في طلب حاجته والباء أيضاً صلة لادع. ﴿**لئن كشفت**﴾ أي: [بازبرى وزائل كردانى] ﴿**عنا الرجز**﴾ الذي وقع علينا. ﴿**لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل**﴾ إلى موطن آبائهم وهو الأرض المقدسة ولنطلقنهم من التسخير والأعمال الشاقة.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾.

﴿**فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه**﴾ أي: إلى حد من الزمان معذبون فيه أو مهلكون وهو وقت الغرق وإلى أجل متعلق بقوله لما كشفنا وقوله هم بالغوه في محل الجر على أنه صفة لأجل. ﴿**إذا هم ينكثون**﴾ جواب لما أي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من غير تأمل وتوقف والنكث بالفارسي [عهد شكستن] ﴿**فانتقمنا منهم**﴾ الفاء لسببية النكث للانتقام والعقاب وأريد بالانتقام العقاب الواقع على مجازاة السيئة بالسيئة وإنما أسند الانتقام إلى ذاته لأن الأنبياء وكمل الأولياء كانوا فانين عما سوى الله باقين بالله فكان الله خليفتهم في أخذ الانتقام من أعدائهم. والمعنى فأردنا الانتقام منهم أي من فرعون وقومه لما أسلفوا من المعاصي والجرائم فإن قوله تعالى: ﴿**فأغرقناهم**﴾ عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما فأطلق اسم المسبب على السبب تنبيهاً على أن الانتقام لم ينفك عن الإرادة ويجوز أن يكون المراد مطلق الانتقام. والفاء تفسيرية كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ﴾ [هود: ٤٥] الخ ﴿**في اليم**﴾ أي في البحر الذي لا يدرك قعره أو في لجته ولجة البحر معظم مائه.

قال الحدادي: في اليم، أي: في البحر بلسان العبرية وهي لغة اليهود.

وفي «التفسير الفارسي»: ﴿**في اليم**﴾ [در درياى قلزم بنزديك مصر] وذلك أن الله تعالى أمر موسى أن يخرج ببني إسرائيل فاستعار نسوة بني إسرائيل من نساء آل فرعون حليهم وقلن إن لنا خروجاً إلى عيد فخرج ببني إسرائيل في أول الليل وهم ستمائة ألف من رجل وامرأة وصبي فبلغ الخبر فرعون فركب ومعه ألف ألف ومائتا ألف، فأدركهم فرعون حين طلعت الشمس وانتهى موسى إلى البحر فضرب البحر فانفلق اثني عشر طريقاً، وكانت بنو إسرائيل اثني عشر سبطاً فعبر كل سبط طريقاً فأقبل فرعون ومن معه فدخلوا بعدهم من حيث دخلوا فلما صاروا جميعاً في البحر أمر الله البحر فالتطم عليهم فغرقوا. ﴿**بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين**﴾ تعليل للإغراق أي كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات التسع التي جاء بها موسى وإعراضهم عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكلية، والفاء وإن دلت على ترتيب الإغراق على ما قبله من النكث لكنه صرح بالتعليل إيذاناً بأن مدار جميع ذلك

تكذيب آيات الله والإعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الآيات الظاهرة على يد رسول الله ﷺ والإعراض عنها.

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ۝١٣٧﴾

﴿وأورثنا﴾ [ميراث داديم] ﴿القوم الذين﴾ يعني: بني إسرائيل والقوم مفعول أول لأورثنا ﴿كانوا يستضعفون﴾ أي: يستضعفهم القبط ويقهرونهم ويستذلونهم بذبح الأبناء واستخدام النساء والاستعباد ﴿مشارق الأرض ومغاربها﴾ مفعول ثان لأورثنا والأرض أرض الشام ومشارقها ومغاربها جهاتها الشرقية والغربية ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها ﴿التي باركنا فيها﴾ بالخصب وسعة الأرزاق صفة للمشارق والمغارب. ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى﴾ المراد بالكلمة وعده تعالى إياهم بالنصر والتمكين وهو ما ذكره بقوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص: ٥-٦] وتمامها مضيها وانتهاؤها إلى الإنجاز لأن العدة بالشيء التزام لإيقاعه بالعبارة واللسان وتمامها لا يكون إلا بوقوع الموعود في الخارج والعيان. ﴿على بني إسرائيل بما صبروا﴾ أي: بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها من جهة فرعون وقومه. ﴿ودمرنا﴾ أي: خربنا وأهلكنا. ﴿ما كان يصنع فرعون وقومه﴾ من العمارات والقصور، أي: ودمرنا الذي كان فرعون يصنعه على أن فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة الكونية صلة ما والعائد محذوف، وقيل اسم كان ضمير عائد إلى ما الموصولة ويصنع مسند إلى فرعون والجملة خبر كان والعائد محذوف تقديره ودمرنا الذي كان يصنعه فرعون: ﴿وما كانوا يعرشون﴾ أي يرفعون من الجنات، أي: الكروم والأشجار.

قال في «زبدة التفاسير»: العرش سقف في الكروم والأشجار وأشارت الآية إلى أن العزيز من أعزه الله والذليل من أذله الله ومن صبر على مقاساة الذل في الله توجه بتاج العزة وجعل له حسن العاقبة والله تعالى كما وعد لبني إسرائيل وأنجز وعده فاستخلفهم في مشارق الأرض ومغاربها كذلك وعد لهذه الأمة، كما قال تعالى في سورة النور: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥] والمراد بالأرض: أرض الكفار من العرب والعجم والمراد بالذين من قبلهم بنو إسرائيل وفي الحديث: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها» يقول: إن الله تعالى جمع وضم جميع هذه الأرض ليلة المعراج أو في غير ذلك الوقت، فرأيت جميع آفاق الأرض من المشارق والمغارب ثم وعد أمته بأن الله تعالى يملأ الدنيا كلها عدلاً وقسطاً كما ملئت قبل ذلك جوراً وظلماً ويملك المؤمنين جميع الأرض هذا على تقدير حمل اللام في الأرض على الاستغراق.

وقيل: اللام للعهد الخارجي كما إذا قيل أغلق الباب إذا كان مشاهداً، ومن للتبيين ولا دليل على جمع جميع الأرض ولم يبلغ ملك أمته جميع أجزائها فأي موضع من الأرض وقع

نظره عليه السلام عليه كان دار الإسلام وأي مكان كان محجوباً عنه كان دار الكفر والله أعلم بحقيقة الحال ومنه الكرم والنوال وإليه الرجوع والمآل.

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾.

﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر﴾ فاعل بمعنى فعل يقال: جاوز وجاز بمعنى واحد، وجاوز الوادي إذا قطعه وجاوز بغيره البحر عبر به، فالباء هنا معدية كالهمزة والتشديد، فكأنه قال وجزنا ببني إسرائيل البحر أي أجزناهم البحر وجوزناهم بالفارسية [وبكذرانيديم بنى إسرائيل را از دريا بسلامت] والمراد بحر القلزم وأخطأ من قال إنه نيل مصر.

قال في «القاموس»: القلزم: كقنفذ بلد بين مصر ومكة قرب جبل الطور وإليه يضاف بحر القلزم؛ لأنه على طرفه أو لأنه يبتلع من ركبه لأن القلزمة الابتلاع. روي أنه عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشوراء فصاموا شكراً لله تعالى. ﴿فأتوا﴾ أي: مروا ﴿على قوم﴾ كانوا من العمالقة الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السلام بقتالهم وقيل: كانوا من لخم وهو حي من اليمن ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهلية.

وعن الزمخشري: إنه قبيلة بمصر ﴿يعكفون على أصنام لهم﴾ أي: يواظبون على عبادتها ويلازمونها.

قال في «تاج المصادر»: العكوف [كرد چيزى در آمدن ودر جايى مقيم شدن] يقال: عكفه حبسه وعكف عليه أقبل عليه مواظباً. ﴿قالوا﴾ عند ما شاهدوا أحوالهم ﴿يا موسى اجعل لنا إلهاً﴾ مثالاً نعبده ﴿كما لهم آلهة﴾ يعبدونها، والكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لإلهاً وما موصولة ولهم صلتها وآلهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا إلهاً كائناً كالذي استقر هو لهم فالعائد محذوف وكانت أصنامهم تماثيل بقر وهو أول شأن العجل. ﴿قال إنكم قوم تجهلون﴾ وصفهم بالجهل المطلق حيث لم يذكر المفعول لبعد ما صدر عنهم عن العقل بعد ما شاهدوا من الآية الكبرى والمعجزة العظمى.

﴿إن هؤلاء﴾ يعني: القوم الذين يعبدون تلك التماثيل. ﴿متبر﴾ اسم مفعول من باب التفعيل يقال تبره تتبيراً، أي: كسره وأهلكه والمعنى مكسر ومهلك. ﴿ما هم فيه﴾ أي من الدين الباطل. يعني إن الله تعالى يهدم دينهم الذي هم عليه عن قريب ويحطم أصنامهم ويجعلها رضاضاً أي فتاتاً، قوله: ما هم فيه مبتدأ ومتبر خبر له ويجوز أن يكون ما هم فيه فاعل متبر لاعتماده على المسند إليه. ﴿وباطل﴾ أي: مضمحل بالكلية ﴿ما كانوا يعملون﴾ من عبادتها وإن كان قصدهم بذلك التقرب إلى الله تعالى فإنه كفر محض.

﴿قال﴾ موسى ﴿أغير الله﴾ أغير المستحق للعبادة ﴿أبغيكم﴾ بحذف اللام، أي: أبغي لكم، أي: أطلب لكم ﴿إلها﴾ تمييز من غير أو حال فإنه مفعول أبغي والهمزة فيه للإنكار والمنكر هو كون المبغي غيره تعالى. ﴿وهو فضلكم على العالمين﴾ أي: والحال أنه تعالى خصكم بنعم لم يعطها غيركم وهي الآيات القاهرة والمعجزات الباهرة وإنما لم يحصل مثلها لأحد من العالمين.

قال الحدادي: على عالمي زمانكم من القبط وغيرهم بعدما كنتم مستعبدين أذلاء وفيه تنبيه على سوء معاملتهم حيث قابلوا تخصيص الله إياهم من بين أمثالهم بما لم يستحقوه تفضلاً بأن قصدوا إلى أخس شيء من مخلوقاته تعالى فجعلوه شريكاً له تعالى. قال الحافظ:

همايى چون توعا لى قدر حرص استخوان تاكى

دريغ آن سايهٔ دولت كه بر نااهل افكندى

فتبا لمن لا يعرف قدره ويعلق همته بما لا ينبغي له.

خلق را نيست سيرت پدران — همه برسيرت زمانه روند

ثم ذكر نعمة الإنجاء وما يتبعه فقال تعالى:

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾

﴿وإذ أنجيناكم من آل فرعون﴾ أي: واذكروا يا بني إسرائيل صنيعة الله معكم في وقت إنجائكم وتخليصكم من أيدي آل فرعون بإهلاكهم بالكلية ثم استأنف ببيان ما أنجاهم منه فقال: ﴿يسومونكم سوء العذاب﴾ أي: يبغونكم أشد العذاب وأفظعه من سام السلعة إذا طلبها ثم أبدل منه وبين فقال: ﴿يقتلون أبناءكم﴾ أي: يذبحونهم ﴿ويستحيون نساءكم﴾ أي: يستبقونهن للاستخدام. ﴿وفي ذلكم﴾ أي: الإنجاء أو سوء العذاب ﴿بلاء﴾ أي نعمة أو محنة، فإن البلاء يطلق على كل واحد منهما قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الأعراف: ١٦٨] ﴿من ربكم﴾ من مالك أموركم فإن النعمة والنقمة كلتيهما منه سبحانه وتعالى ﴿عظيم﴾ لا يقادر قدره، تقدم الكلام على الإنجاء وفضيلة عاشوراء في سورة البقرة فليطلب ثمة.

والإشارة: أن بني إسرائيل صفات القلب كانت معذبة في مصر القالب وصفاتها فلما خلصها الله تعالى من بحر الدنيا وفرعون النفس: ﴿فأتوا على قوم﴾ أي: وصلوا إلى صفات الروح ﴿يعكفون على أصنام لهم﴾ من المعاني المعقولة والمعارف الروحانية فاستحسنوها وأرادوا العكوف على عتبة عالم الأرواح. ﴿قالوا﴾ لموسى الوارد الرباني الذي جاوز بهم بحر الدنيا. ﴿يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾ يشير إلى أنه لولا أن فضل الله ورحمته على العبد يثبته على قدم العبودية وصدق الطلب إلى أن يبلغه إلى المقصد الأعلى لكان العبد يركن إلى كل شيء من حسائس الدنيا فضلاً عن نفائس العقبى كقوله تعالى لسيد البشر عليه السلام: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء: ٧٤] ﴿قال﴾ لهم موسى الوارد الرباني عند ركونهم إلى الروحانية ﴿إنكم قوم تجهلون﴾ قدر الله وعنايته معكم. ﴿إن هؤلاء﴾ يعني: صفات الروح ﴿متبر ما هم فيه﴾ من الركون والعكوف على استجلاء المعاني المعقولة والمعارف الروحانية. ﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾ في غير طلب الحق والوصول إلى المعارف الربانية. ﴿قال أغير الله أبغيكم إلٰهاً﴾ أي: أنزلكم منزلاً غير الوصول والوصال. ﴿وهو فضلكم على العالمين﴾ من الحيوانات والجن والملك تفضيل العبور من الجسمانيات والروحانيات والوصول إلى المعارف والحقائق الإلٰهيات ﴿وإذ أنجيناكم من آل فرعون﴾ يعني: من النفس وصفاتها ﴿يسومونكم سوء العذاب﴾ أي: سوء عذاب البعد ﴿يقتلون أبناءكم﴾ أي يبطلون أعمالكم الصالحة التي هي متولدات من صفات القلب بآفة الرياء والعجب النفساني.

﴿ويستحيون نساءكم﴾ يعني: صفات القلب لاستخدام النفس وصفاتها ﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ يعني: فكان في استخدام صفات القلب للنفس وصفاتها بأن تعمل الصالحات رياء وسمعة لجلب المنافع الدنيوية لحظوظ النفس بلاء عظيم من ربكم فخلصكم منه لئلا تطلبوا غيره ولا تعبدوا سواه، فلا تركنوا إلى الروحانية وإلى المعقولات لكي تظفروا بمراتب الوصول ودرجات الوصال كذا في «التأويلات النجمية».

وعن بعض الكبار: أول وصال العبد الحق هجرانه لنفسه، وأول هجران الحق العبد مواصلته لنفسه، وأول درجات القرب محو شواهد النفس وإثبات شواهد الحق ومن طلب الدلالة فإنها لا غاية لها، ومن طلب الله عز وجل وجده بأول خطوة يقصده بها. قال الحافظ:

غرض زمسجد وميخانه ام وصال شماست   جز اين خيال ندارم خدا كواه منست

قال بعض الصالحين: عرضت عليّ الدنيا بزينتها فأعرضت عنها، ثم عرضت الأخرى بحورها وقصورها وزينتها فأعرضت عنها، فقيل لي لو أقبلت على الأولى حجبناك عن الأخرى ولو أقبلت على الأخرى حجبناك عنا فها نحن لك وقسمتك في الدارين تأتيك.

وقال أحمد بن حضرويه: رأيت رب العزة في المنام فقال لي يا أحمد كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد فإنه يطلبني.

وقال إبراهيم بن أدهم: رأيت جبريل عليه السلام في المنام وبيده قرطاس فقلت ما تصنع به قال: أكتب أسماء المحبين فقلت: اكتب تحتهم محب المحبين إبراهيم بن أدهم فنودي يا جبريل اكتبه في أولهم.

﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾.

﴿وواعدنا﴾ الوعد عبارة عن الإخبار بإيصال المنفعة قبل وقوعها. ﴿موسى﴾ اسم أعجمي لا اشتقاق فيه وأما موسى الحديد فهو مفعل من أوسيت رأسه إذا حلقته أو فعلى من ماس يميس إذا تبختر في مشيه فسميت موسى لكثرة اضطرابها وتحركها وقت الخلق. ﴿ثلاثين ليلة﴾[سى شبانه روز چون مدار حساب شهور عرب برؤية هلالست وآن بشب مرئى ميشود تاريخ را بشب مقيد كرد] وثلاثين مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف أي تمام أو مكث ثلاثين.

قال ابن الشيخ: الموعود: يجب أن يكون من فعل الواعد ونفس الثلاثين ليس كذلك فكأنه قيل وواعدنا موسى ما يتعلق بثلاثين ليلة وهو منا إنزال عند إتمام صوم الثلاثين، ومن موسى صوم تلك المدة وإتيان الطور انتهى بتغيير عبارته فواعدنا ليس بمعنى وعدنا بل على بابه بناء على تنزيل قبول موسى عليه السلام منزلة الوعد. ﴿وأتممناها بعشر﴾ أي: زدنا على تلك الثلاثين عشر ليال ﴿فتم ميقات ربه﴾ ما وقت له في الوقت الذي ضرب له والفرق بين الميقات والوقت أن الميقات وقت تقدر لأن يقع فيه عمل من الأعمال وأن الوقت ما يقع فيه شيء سواء قدره مقدر لأن يقع فيه ذلك الشيء أم لا؟ ﴿أربعين ليلة﴾ حال من قوله ميقات ربه، أي: تم بالغاً هذا العدد وقيل هو مفعول تم لأنه بمعنى بلغ ـ روي ـ أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهم بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك

فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين وهو ذو القعدة بتمامه ليكلمه ويوحي إليه ويكرمه بما يتم به أمر نبوته فصامهن موسى عليه السلام على طريق المواصلة بين ليلهن ونهارهن، وإنما لم يجع في تلك المدة وصبر ولم يصبر نصف يوم في سفر الخضر حيث قال: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً، قيل لأن سفر الخضر سفر التأدب والامتحان والابتلاء فزاد البلاء على الابتلاء حتى جاع في نصف يوم في صحبة المخلوق وحضوره الجبل وسفره إليه سفر اللقاء وصحبة الحق فأنساه هيبة الموقف الطعام والشراب وأغناه من غيره ثم لما أتم الثلاثين وانسلخ الشهر أنكر خلوف فيه أي كره أن يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصائم فتسوك بعود خرنوب وتناول شيئاً من نبات الأرض فمضغه فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك.

وقيل: أوحى الله تعالى إليه أما علمت أن ريح فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك ولذا كره التسوك عند الشافعي في آخر نهار الصوم بناء على أن السواك يزيل الخلوف فأمر الله تعالى بأن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة ليعود فوه إلى ما كان عليه فصام فتشرف بالوحي والكليم يوم النحر كذا قال أهل التفسير.

وفيه: أن الوحي والتكليم إذا كان يوم النحر يلزم أن لا يكون أيام الصوم أربعين كملاً، وهو مخالف للنص اللهم إلا أن تعتبر الليالي أو كان صوم يوم النحر مشروعاً في شريعته هكذا لاح بالبال.

ثم إن موسى عليه السلام لما أراد الانطلاق إلى الجبل للمناجاة أمره الله تعالى أن يختار سبعين رجلاً من قومه من ذوي الحجى والعقل ليشهدوا له على ما يشاهدونه من كرامة الله تعالى إياه ففعل واستخلف هارون أخاه في قومه، كما قال تعالى: **﴿وقال موسى لأخيه هارون﴾** قبل انطلاقه إلى الجبل الذي أمر بالعبادة فيه كما في «تفسير الحدادي» وهارون عطف بيان. **﴿اخلفني﴾** كن خليفتي وقم مقامي **﴿في قومي﴾** وراقبهم فيما يأتون ويذرون **﴿وأصلح﴾** ما يحتاج إلى الإصلاح من أمورهم وسرْ فيهم السيرة الصالحة التي لا فساد فيها وثبتهم على ما أخلفهم عليه من الإيمان وإخلاص العبادة. **﴿ولا تتبع سبيل المفسدين﴾** أي: ولا تتبع من سألك الإفساد ولا تطع من دعاك إليه وذلك أن موسى عليه السلام كان يشاهد كثرة خلافهم حالاً بعد حال فأوصاه في أمرهم.

فإن قيل: إن هارون كان شريك موسى في النبوة قال تعالى خبراً عن موسى. ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾ [طه: ٣٢] فكيف استخلفه.

قلنا المأموران بشيء لا ينفرد أحدهما بفعله إلا بأمر صاحبه، فلذلك قال: اخلفني ولأن موسى كان أصلاً فيها وهارون معيناً له قال موسى: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ﴾ [القصص: ٣٤] ولهذا كان هو المناجي على الخصوص والمعطى للألواح ولما أمر بالذهاب إلى فرعون سأل الله أن يشرك معه هارون ولما ذهب إلى الطور للمناجاة خلفه في قومه واستخلفه وهو موضع الاعتراض في الظاهر، ولكن لا اعتراض على الأكابر لأن حركاتهم الظاهرة إنما تنبعث من دواعي قلوبهم وتلك الدواعي إلهامات واردة من الله تعالى لاصنع لهم فيها فمن عرف دورانهم بأمر إلهي هان عليه التطبيق والتوفيق وسقط عنه الاعتراض على أصحاب التحقيق مع أن

درجات الأنبياء متفاضلة، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] فمن منع الرؤية عن موسى منع المناجاة عن هارون وكون هارون شريكه في الأمر الظاهر لا يقتضي أن يكون رديفه في الأمر الباطن فإن لكل مقام رجالاً.

رموز مصلحت ملك خسروان دانند كداى كوشه نشيني توحافظا مخروش

انظر أن موسى عليه السلام استخلف هارون واعتمد عليه في حفظ قومه فعبدوا العجل في العشر الذي زيد على الثلاثين ورسولنا ﷺ قال الله خليفتي على أمتي فثبتهم الله على الحق.

واعلم: أن ذا القعدة وذا الحجة من الأشهر الحرم ويكفي شرفاً لهما أن الله تعالى أمر موسى بصومهما وجعلهما محل قبول الحاجات وميقات المناجاة وفي الحديث: «صيام يوم من الأشهر الحرم يعدل شهراً وصيام يوم من غير الأشهر الحرم يعدل عشراً» وفي الحديث: «من صام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له عبادة تسعمائة سنة» وقال كعب الأحبار: اختار الله الزمان فأحبه إليه الأشهر الحرم وذو القعدة من الأشهر الحرم بغير خلاف وسمي ذا القعدة لقعودهم فيه عن القتال احتراماً له.

فعلى السالك أن يتهيأ فيه لمناجاة ربه بالصوم الظاهري والإمساك الباطني فإن موسى روحه متشوف لنوال الوصال ومتطلب لرؤية الجمال.

والإشارة في الآية: أن الميعاد في الحقيقة كان أربعين ليلة وإنما أظهر الوعد ثلاثين ليلة لضعف البشرية ولئلا تستكثر النفس الأربعين وتسوّل له أن لا يقوى على ذلك فيداخله خوف البشرية فواعده ثلاثين ليلة ثم أتمها بالعشر، وفيه أن للأربعين خصوصية في استحقاق استماع الكلام للأنبياء كما أن لها اختصاصاً في ظهور ينابيع الحكمة من قلوب الأولياء كقوله عليه السلام: «من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

قال أهل العرفان: إن سر التربيع جار في الحقائق الكلية كتربيع العرش الأعظم والعناصر الأربعة والأركان الأربعة والأربعين الموسوية وكان بين خلق آدم ونفخ روحه أربع جمع من جمع الآخرة فأكمل الأشكال تأثيراً صورة التربيع في الآحاد والأعشار والمئات والألوف كما أشار ﷺ بقوله: «خير الأصحاب أربعة وخير السرايا أربعمائة».

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿ولما جاء موسى لميقاتنا﴾ أي: لوقتنا الذي وقتناه وعيناه وحددناه له وهو تمام الأربعين أي اختص مجيئه بميقاتنا كما في قولك أتيته لعشر خلون من الشهر فاللام للاختصاص وليست بمعنى عند والميقات بمعنى الوقت وقد سبق الفرق بينهما في المجلس المتقدم.

إن قيل: لِمَ وعده الله بالكلام في الجبل؟ وفوق العلى وتحت الثرى واحد عند حضرته وهو منزه عن الجهات.

قيل: إن في الجبل وصف الثبات والعلو والتفرد لأن الأرض ما استقرت بغير الجبال فأثبتها الحق بها وأوتدها حكمة منه وعرض الأمانة عليها لاتصافها بصفة التثبت والتمكن والتفرد والتعلي، ولذلك فضل الجبال في الأمكنة وشرفها بمشهد الكلام وتعلق تجلي الجمال وعرض

الأمانة عليها وشرح الصدر المحمدي فيها ومناجاة موسى عليها فبدا من ذلك أن في المقامات فاضلاً ومفضولاً.

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي البروسوي: خير الجماعة جماعة الأرواح وجماعتهم في الجبال والمواضع الخالية وعلامة مجمعهم أنه لا يذهب خضرة ذلك الموضع ونظارته في الصيف والشتاء قال ونحن إنما جئنا إلى هذا المكان في هذا الجبل بناء على مجيئهم.

يقول الفقير: عنى به موضع زاويته المنيفة في مدينة بروسة في سفح الجبل المعروف هناك وقد زرته وزرت مرقده العالي في داخل القلعة قدس الله سره.

وقال وهب: جاء إلى طور سيناء ومعه جبريل فتطهر وطهر ثوبه وأنزل الله الظلمة على سبعة فراسخ وطرد عنه الشيطان وطرد عنه هوام الأرض ونحى عنه الملكين وكشط له السماء فرأى الملائكة قياماً في الهواء ورأى العرش بارزاً وسمع صرير القلم. ﴿**وكلمه ربه**﴾ من غير واسطة وكيفية كما يكلم الملائكة وكان جبريل معه فلم يسمع ما كلمه ربه ولذا خص باسم الكليم لاختصاصه بذلك من بين البشر فإن سائر الأنبياء عليهم السلام إنما يكلمهم الله بواسطة الكتاب والملك.

فإن قيل: بأي شيء علم موسى أنه كلام الله؟.

قيل: لم ينقطع كلامه بالنفس مع الحق كما ينقطع مع المخلوق، بل كلمه بمدد وحداني غير منقطع شاهد نفسه بمنزلة الآلة عند الصانع والآلة يحركها الأستاذ كيف يشاء لأنه ليس للآلة تصنع وتعمل.

وقيل: علم أنه كلام الحق وميزه عن غيره بأنه سمع الكلام من الجوانب الستة فصارت جميع جوارحه كسمعه فصار الوجود كله سمعاً فوجد لذة الكلام بوجوده كما وجدها بسمعه.

قال ابن الشيخ في «حواشيه» كلامه تعالى صفة أزلية قائمة بذاته ليست من جنس هذه الحروف والأصوات وكما لا تبعد رؤيته تعالى مع أن ذاته ليست جسماً ولا عرضاً فكذلك لا يبعد سماع كلامه مع كونه ليس من جنس الحرف والصوت انتهى.

وفي حل الرموز المؤمن في الآخرة وجه محض وعين محض وسمع محض ينظر من كل جهة وبكل جهة وعلى كل جهة وكذا يسمع بكل عضو من كل جهة بغير جهة خاصة وإذا شاهد الحق يشهده بكل وجه ليس فيه من الجهات ولا يحتجب سمعه وبصره بالجهات كما أشار سبحانه بقوله: «كنت سمعه وبصره» والكامل الواصل له حكم الآخرة في الدنيا كما قال سيد الواصلين: «موتوا قبل أن تموتوا وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا» انتهى.

يقول الفقير: هذا ليس بمحل الجرح والإنكار لأن الله تعالى وإن خلق حاسة السمع لإدراك الأصوات لكن يجوز أن يدرك بحاسة ما يدرك بحاسة أخرى، كما ذهب إليه علماء الكلام لأن ذلك الإدراك بمحض خلق الله تعالى من غير تأثير للحواس، فلا يمتنع أن يخلق عقيب صرف الباصرة إدراك الأصوات مثلاً فثبت أن كل عضو من الأعضاء الإنسانية يجوز أن يخلق الله تعالى فيه ما خلق في السمع من إدراك الأصوات.

إن قيل: لِمَ لم يكلم الله سائر الأنبياء مشافهة إلا موسى؟.

قيل: لأنه لم يكن لهم من الأعداء ما لموسى كفرعون وهامان وقارون واليهود ولم يكن قوم أسوأ أدباً وأقسى قلباً من قومه فخصه الله بكلامه ألا ترى سحرة القبط آمنوا في أول دعوته

وكفر قوم من اليهود بعد مشاهدتهم معجزات كثيرة فأيده الله بكلامه ليتحمل به ما امتحن به من البلايا في قومه.

يقول الفقير: كون عدو موسى أقوى وأشد إنما هو بالنسبة إلى أعداء الأنبياء غير نبينا ﷺ فإنه قد ثبت أن فرعون آمن عند الغرق، وأما أبو جهل فلا بل أظهر العداوة عند النزع فاعتبر منه قوة حاله وعلو مقامه ﷺ في المكالمة والرؤية ليلة المعراج وفي الحديث: «ناجى موسى ربه بمائة ألف وأربعين ألف كلمة في ثلاثة أيام وصايا كلها» كذا في «الوسيط».

وقال بعضهم: كلم الله موسى أربعين يوماً وليلة وهذا والله أعلم غير الأربعين المتقدمة على الوحي والتعليم.

وعن فضيل بن عياض: قال حدثني بعض أشياخي أن إبليس جاء إلى موسى وهو يناجي ربه فقال الملك ويلك ما ترجو منه وهو على هذه الحال يناجي ربه قال أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو في الجنة.

وكذا قال السدي: لما كلم الله موسى غاص الخبيث إبليس في الأرض حتى خرج من بين يدي موسى فوسوس إليه أن مكلمك شيطان.

يقول الفقير: يرده ما سبق من أن الشيطان طرد عنه وقتئذٍ وهو الصحيح لأن المقام لا يسع الشيطان وإنما سلطانه على أهل الملك دون أرباب الملكوت وفرق بينه وهو مناج في الطور وبين آدم وهو معاشر في الجنة.

فإن قلت قوله تعالى في سورة الحج: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢] يدل على أن كل نبي مبتلى بذلك خصوصاً وقت التلاوة وهي من أنواع المناجاة.

قلت: فرق بين التلاوة الظاهرة والمناجاة الباطنة ألا ترى إلى قوله عليه السلام: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل». فما ظنك بالشيطان المردود إلى أسفل سافلين البعد هكذا لاح ببالي والله أعلم ولما سمع موسى كلام ربه غلب عليه الشوق إلى رؤيته وقال: هذه لذة الخبر فكيف لذة النظر مع أن الكل يعمل على شاكلته وشاكلة البشر وفطرته على طلب العلو والترقي إذا ظفر بشيء طلب ما هو أعلى منه ولا أعلى من تجلي الجمال وفيض الوصال فسأل الرؤية.

وفي «التفسير الفارسي»: [چون موسى كلام حق شنيد وازجام كلام ربانى جرعهٔ ذوق محبت چشيد فراموش كردكه او دردنياست خيال بست كه درفردوس اعلاست وچون جنت جاى مشاهدهٔ لقاست]. ﴿قال رب أرني﴾ ذاتك، أي: مكنني من رؤيتك. ﴿أنظر إليك﴾ أرك فالنظر بمعنى الرؤية إلا أن المطلوب بقوله أرني ليس أن يخلق الله تعالى رؤية ذاته المقدسة في موسى حتى يلزم كون الشيء غاية لنفسه بأن يكون المعنى أرني نفسك حتى أراك؛ لأنه فاسد بل المطلوب به أن يمكنه من رؤية ذاته المقدسة وتمكينه تعالى إياه من الرؤية سبب لرؤية موسى إياه تعالى فأطلق عليه اسم الرؤية المسببة عنه مجازاً. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قال موسى عليه السلام: ﴿أرني أنظر إليك﴾ كشف الحجاب وأبرز له الجبل وقال انظر فنظر فإذا أمامه مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي محرمين ملبين كلهم يقول: أرني أرني.

واعلم: أن الأجساد تنمو بنماء الأقوات كذلك الأحوال تصفو بصفاء الأوقات فقوت جسدك ما غذيته من الطيبات وقوت روحك ما ربيت به من أقوات الطاعات في أوقات الخلوات وكلما صفت الأواني جلت ما فيها من جوهر المعاني فإذا كان عين بصيرتك منطمسة وخيول همتك منحبسة فما لك والتطاول إلى منازل قوم عيون قلوبهم منبجسة، وسرائرهم لأنوار معارفهم من جذوة الغيب مقتبسة فلا تدع بما ليس فيك وحسبك ما يعلم الله منك ويكفيك فينبغي لك أن تقف وقوف الأصاغر وتتأدب بآداب الأكابر هذا كليم الله موسى لما كان طفلاً في حجر تربية الحق سبحانه ما تجاوز حده بل قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] فلما بلغ مبلغ الرجال ما رضي بطعام الأطفال بل قال: **﴿رب أرني أنظر إليك﴾** وهو حجة أهل السنة والجماعة على جواز رؤية الله تعالى فإن موسى اعتقد جوازها حين سألها واعتقاد جواز ما لا يجوز على الله تعالى كفر ومن جوز ذلك على موسى أو على أحد من الأنبياء فهو كافر كما في «التيسير».

قال حضرة الشيخ الكبير صدر الدين القنوي في فك ختم الفص الداودي: من شأن الكمل أن كل ما هو متعذر الحصول لأحد من الخلق هو عندهم وبالنسبة إلى كمال قابليتهم غير متعذر ولا يستحيل إلا أن يخبرهم الحق بأخبار مخصوص خارج من خواص المواد والوسائط فحينئذٍ يصدقون ربهم ويحكمون باستحالته وحصول ذلك كحال موسى في طلب الرؤية على وجه مخصوص فلما أخبر بتعذر ذلك تاب وآمن انتهى. **﴿قال﴾** الله تعالى وهو استئناف بياني **﴿لن تراني﴾** لم يقل لن تنظر إليّ كقوله أنظر إليك لأن المطلوب هي الرؤية التي معها إدراك لا النظر الذي هو عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي لأنه قد تخلف عنه الإدراك في بعض الصور.

قال في «التفسير»: **﴿لن تراني﴾** [نتوانى ديد مرا در دنيا چه حكم أزلي برآن وجه واقع شده كه هربشرى كه در دنيا بمن نظر كندبميرد] وفي المدارك **﴿لن تراني﴾** بالسؤال بعين فانية بل بالعطاء والنوال بعين باقية [صاحب كشف الأسرار كويدكه مقام موسى دران ساعت كه خطاب لن تراني شنيد عالى بود ازان وقتكه كفت أرني زيرا اين ساعت درعين مراد حق بود وآن وقت درعين مراد خود قائم بمراد حق بود كاملترست ارقيام بمراد خود].

لن تراني ميرسد ازطور موسى را جواب   هرچه آن ازدوست آيدسربنه كردن متاب

وهو دليل لنا أيضاً لأنه لم يقل لن أرى ليكون نفياً للجواز ولو لم يكن مرئياً لأخبر بأنه ليس بمرئي إذ الحالة حالة الحاجة إلى البيان فهو لا يدل على امتناع رؤيته في نفس الأمر بل يدل على قصور الطالب عن رؤيته لتوقف الرؤية على حصول ما يستعد به الطالب لرؤيته وعدم حصول ذلك المعد فيه بعد فإنه يجوز أن يبقى فيه حينئذٍ شيء من الحجاب المانع لرؤيته إياه لم يرتفع ذلك الحجاب بعد.

يقول الفقير: هذا ما عليه أكثر أهل التفسير وهو ليس بمرضي عندي لأن إتيان الطور لم يكن في أوائل حاله عليه السلام بل كان ذلك نظير المعراج المحمدي بالنسبة إلى مرتبته والتحقيق بعيد عن درك أهل التقليد.

وقد سألت حضرة شيخي العلامة أبقاه الله بالسلامة عن قولهم في قوله تعالى: **﴿لن تراني﴾** أي: ببشريتك ووجودك فقال إن البشرية تنافي الرؤية وموسى عليه السلام إنما سأل

الرؤية بالنسبة إلى ظاهر البشرية والوجود الكوني وهي لا تمكن أبداً بل لو تعلقت الرؤية بذات الله تعالى لتعلقت حالة الفناء في الله واضمحلال حال البشرية، فقلت يرد عليه ما وقع ليلة المعراج من الرؤية بعين الرأس، فقال: إنه حبيب الله رأى ربه في تلك الليلة بالسر والروح في صورة الجسم ولا جسم هناك لأنه تجاوز في سيره عن عالم الأجسام كلها بل عن عالم الأرواح حتى وصل إلى عالم الأمر.

فقلت: يرد عليه أن الأنبياء والأولياء مشتركون في الرؤية بالبصيرة حالة الفناء الكلي فلا فرق بين موسى ومحمد عليهما السلام، فأي فائدة في قوله: ﴿لن تراني﴾ وأيضاً في عروجه عليه السلام إلى ما فوق العرش فإن تلك الرؤية إنما تحصل في مقام العينية الجمعية القلبية لا في مقام الغيرية الفرقية القالبية فقال إن أمر الرؤية وإن كان محتاجاً إلى الانسلاخ التام عن الأكوان مطلقاً إلا أن الانسلاخ بالقلب والقالب مختص بنبينا عليه السلام فإن موسى وكذا غيره من الأنبياء عليهم السلام إنما يرون بالانسلاخ حين كون قوالبهم في عالم العناصر. وأما محمد ﷺ فقد تجاوز عن عالم العناصر ثم عن عالم الطبيعة وذلك بالقلب والقالب جميعاً فأنى يكون هذا لغيره فافهم جداً انتهى ما جرى بيني وبين حضرة الشيخ من السؤال والجواب وما تحاورناه في المجلس الخاص المفتوح بابه للأحباب لا للأغيار وأهل الإنكار والارتياب وقد كان ذلك كالقطرة من البحر الزاخر بالنسبة إلى ما يحويه قلبه الحاضر قدس الله سره ورزقني وجميع الأحباب شفاعته.

قال مرجع طريقتنا الجلوتية: بالجيم حضرة الشيخ الشهير بافتاده البروسوي كما أن للإنسان عينين في الظاهر كذلك له عينان في قلبه فإذا انفتحتا يشاهد بهما تجلي الصفات؛ ولهما أيضاً حدقتان لكنهما في غاية اللطافة وإنما قلنا يشاهد بهما تجلي الصفات لأن تجلي الذات لا يشاهد إلا بعين معنوية وراء عين القلب لا حدقة لها لا كما زعمت الملاحدة والعياذ بالله تعالى فإن الممكن الحقيقي غير الواجب الحقيقي كيف والسالك الواصل إذا أفنى وجوده يصير معدوماً والمعدوم لا يحكم عليه بشيء فضلاً عن الحلول والاتحاد، بل إذا عبر بالاتحاد يراد به التقرب التام على وفق رضاه تعالى كما يراد ذلك في قولهم فلان متحد مع فلان إذ لا شك أنهما شخصان مستقلان حقيقة ومعنى كونه معدوماً إذ ذاك أنه يتلاشى ويغيب في بحر الاستغراق وأنوار التجلي بحيث يغيب عن نظره ما سوى الله تعالى حتى ينظر ولا يجد نفسه للتوجه التام إلى جنابه والإعراض الكلي عما سوى الله تعالى كمن جعل نظره إلى جانب السماء لا ترى له الأرض ومن نظر إلى المشرق لا يرى له المغرب لا أنه يعدم وجوده الخارجي ويضمحل والأنبياء عليهم السلام وإن تجلى لهم الذات إلا أن تعين نبينا فوق الكل حتى أن موسى لما سأل ربه التجلي عن تعين نبينا قال تعالى: ﴿لن تراني﴾ كذا أوله بعضهم وليس بشيء لأنه عالم بمرتبة المصطفى ﷺ فكيف يطلبها فخاطب موسى ﴿لن تراني﴾ لقطع طمع قومه حيث ﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] لأنه إذا خوطب بذلك فهم أولى به فهذا في الحقيقة ليس بالنسبة إلى موسى عليه السلام، فإنه قد نال سعادة التجلي مراراً واصطفاه برسالته وبكلامه إلى هنا كلام افتاده أفندي كما في «الواقعات المحمودية».

وقال الشيخ علي دده في «أسئلة الحكم».

فإن قلت: ما الحكمة الربانية في منعة الرؤية في الموطن الدنيوي؟.

قيل: لأن الرؤية غاية الكرامة في الدنيا وغاية الكرامة فيها لأكرم الخلق وهو سيدنا محمد ﷺ صاحب المقام المحمود الذي شاهد ربه ليلة المعراج بعيني رأسه على هذا فابحث، وقيل: لو أعطاه الرؤية بالسؤال لكانت الرؤية مكافأة لسؤاله والرؤية فضل لا مكافأة وهي ربانية لا مدخل للسؤال والتعمل فيها فهي امتنان محض من الله تعالى.

قال الإمام الواحدي: كون كلمة (لن) مفيدة لتأبيد النفي دعوى باطلة على أهل اللغة لا يشهد لصحتها كتاب معتبر ولا نقل صحيح، ويدل على فساده قوله تعالى في صفة اليهود ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]: مع أنهم يتمنون الموت يوم القيامة ويقولون فيه: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. و ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٧] أي الموت فالإخبار بأن موسى لا يرى الله لا يدل على أنه لا يراه أبداً كما ذهبت إليه المعتزلة. قال المولى الجامي:

جهان مرآت حسن شاهدماست فشاهد وجهه في كل ذرات

قال الحافظ:

چو مستعد نظر نيستى وصال مجوى كه جام جم نكندسود وقت بى بصرى

﴿ولكن انظر إلى الجبل﴾ أي: لا تطلب النظر إليّ فإنك لا تطيقه ولكن اجعل بيني وبينك ما هو أقوى منك وهو الجبل الذي بحضرتك.

قال الكلبي: هو أعظم جبل بمدين يقال له زبير، وفي «القاموس»: زبير، كأمير الجبل الذي كلم الله عليه موسى.

وقال ابن الجوزي في «مرآة الزمان»: والأصح إنما خوطب موسى على جبل الطور الذي بقرب بحر القلزم فلما سمعت الجبال تعاظمت رجاء أن يتجلى لها وجعل زبير أو الطور يتواضع فلما رأى الله تواضعه رفعه من بينها وخصه بالتجلي كذا في عقد «الدرر واللآلي» وفي «المثنوي»:

اى خنك آنراكه ذلت نفسه واى آن كزسر كشى شدچون كه او

وقال أهل الإشارة: إن موسى عليه السلام لما أراد الخروج إلى الميقات جعل بين قومه وبين ربه واسطة بقوله: ﴿لأخيه هارونَ اخلفني في قومي﴾ فلما سأله الرؤية جعل الله بينه وبينها واسطة وهي الجبل فقال: ﴿لن تراني ولكن انظر إلى الجبل﴾ فقال: إن لم أصلح لخلافتك دون أخيك فأنت لا تصلح لرؤيتي دون الجبل. ﴿فإن استقر مكانه﴾ أي: سكن وثبت ﴿فسوف تراني﴾ فسوف تطيق أن تنظر إليّ وإن لم يستقر مكانه فإنك لا تطيق النظر إليّ فإن الجبل مع صلابته لما تأثر من التجلي ولم يطق ذلك بل اندك وتفتت وتلاشى فكيف يطيق الإنسان الذي يدهش عند مشاهدة الأمور الهائلة فكيف عند مشاهدة ذي العظمة والجلال المطلق الذي لا يوصف جلاله وكبرياؤه وهو دليل لنا أيضاً لأنه علق الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن وتعليق الشيء بما هو ممكن يدل على إمكانه كالتعليق بالممتنع يدل على امتناعه ألا ترى أن دخول الكفار الجنة لما استحال علقه بمستحيل قال: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] والدليل على أنه ممكن قوله: ﴿جعله دكاً﴾ ولم يقل اندك وما أوجده تعالى كان جائزاً أن لا يوجد لأنه مختار في فعله ولأنه تعالى ما أيأسه من ذلك ولا عاتبه عليه ولو كان ذلك محالاً لعاتبه كما عاتب نوحاً عليه السلام بقوله: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦] حين سأل إنجاء ابنه من الغرق ﴿فلما تجلى ربه للجبل﴾ ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره

وأمره ومعنى ظهور عظمته واقتداره للجبل تعلقها به وظهور أثرها فيه وإنما حمل على هذا المعنى لأن ظهور ذاته للجماد غير معقول.

قال في «تفسير العيون»: كشف نوره من حجبه قدر ما بين الخنصر والإبهام إذا جمعتهما أي إذا وضعت الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر.

وعن سهل بن سعد الساعدي أن الله أظهر من سبعين ألف حجاب نوراً قدر الدرهم.

وفي «التفسير الفارسي»: يعني [ظاهر كردانيدازنور خود يا ازنور عرش بمقدار سوفار سوزنى].

وقال الشيخ أبو منصور: معنى التجلي للجبل ما قال الأشعري إنه تعالى خلق في الجبل حياة وعلماً ورؤية حتى رأى ربه، وهذا أيضاً فيه إثبات كونه مرئياً. ﴿جعله دكاً﴾ مصدر بمعنى المفعول أي صيره مدكوكاً مفتتاً وإذا حل بالجبل ما حل مع عظم خلقه فما ظنك بابن آدم الضعيف كما في «تفسير الكواشي».

قال بعض الكبار: جعل الله الجبل فداء لموسى ولولا أن موسى كان مدهوشاً لذاب كما ذاب الجبل قالوا عذب إذ ذاك كل ماء، وأفاق كل مجنون، وبرىء كل مريض، وزال الشوك عن الأشجار واخضرت الأرض وأزهرت وخمدت نيران المجوس وخرت الأصنام لوجوههن وانقطعت أصوات الملائكة وجعل الجبل ينهدم وينهال ويضطرب من تحت موسى حتى اندق كله فصار ذرات في الهواء والذر هو الذي يرى إذا دخل الشعاع في الكوى بتلك الكوة.

وفي بعض التفاسير: صار لعظمته ستة أجبل وقعت ثلاثة بالمدينة أحد ورقان ورضوى وثلاثة بمكة ثور وثبير وحراء.

وفي «تفسير الحدادي»: فصار ثماني فرق أربع قطع منه وقعن بمكة ثور وثبير وحراء وغار ثور وأربع قطع وقعن بالمدينة أحد ورقان ورضوى والمهراس.

وقال الحسن: صار الجبل ثلاث فرق ساخت فرقة منه في الأرض وطارت فرقة في البحر وطارت فرقة فوقعت بعرفات فهو شاحب مقشعر من مخافة الله تعالى.

وفي «التفسير الفارسي»: [عجب سريست كه كوه بآن عظمت تحمل ديدار نداشت ودل انسانرا بحكم «ولكن ينظر إلى قلوبكم» طاقت آن نظر هست نكته درين آنست كه تجلى بركوه بنظر وهيبت بود وتجلى بردل بنظر رحمت آن نظر كوهرا ويران ساخت واين نظر دلرا معمور سازد].

والإشارة: أن الجبل صورة الجسم الحجابي، والجسم غير مستعد للتجلي ما لم يندك وينحل بالرياضة والفناء وإنما التجلي للروح في مقام القلب والجبل صورة التحيز الكوني والحصر الجسماني ومشهد التجلي غير متحيز والسر فافهم وعليه فابحث كذا في «أسئلة الحكم»: ﴿وخر موسى صعقاً﴾ أي: سقط مغشياً عليه من هول ما رأى من عشية الخميس وهو يوم عرفة إلى عشية يوم الجمعة وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال قتادة: ميتاً وقول ابن عباس أظهر؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فلما أفاق﴾ ولا يقال للميت أفاق من موته ولكن يقال بعث من موته كما قال في حديث السبعين: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦] وفي «المثنوي»:

جسم خاك از عشق بر افلاك شد كوه در رقص آمد وچالاك شد

عـشـق جـان طـور آمـد عـاشـقـا طـور مـسـت وخـرّ مـوسـى صـعـقـا

قال حضرة الشيخ بافتاده أفندي قدس سره: الجبل المذكور وإن احترق ظاهره ولكن له وجود معنوي كان ذلك لعلا خالصاً بانعكاس التجلي من موسى ولذلك رآه كاللعلل وكالمه وذلك الجبل يدخل الجنة وإن كان من الدنيا بسبب كونه مظهراً للتجلي كما أن الكعبة ومسجد المدينة وبيت المقدس تدخل الجنة. ﴿فلما أفاق﴾ من صعقته.

قال المولى أبو السعود رحمه الله: الإفاقة رجوع العقل والفهم إلى الإنسان بعد ذهابهما بسبب من الأسباب. ﴿قال﴾ تعظيماً لما شاهده. ﴿سبحانك﴾ أي: تنزيهاً لك من أن أسألك بغير إذن منك. ﴿تبت إليك﴾ أي: من الجراءة والإقدام على السؤال بغير إذن أو من السؤال في الدنيا فإنك إنما وعدتها في الآخرة. ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ أي: بعظمتك وجلالك أو أول من آمن بأنك لا ترى في الدنيا [اي كه زيك لمعه ات كوه بصد پاره شد چه عجب ازمشت كل عاجز وبيچاره شد].

قال وهب بن إسحاق: لما سأل موسى ربه الرؤية أرسل إليه الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق، وأحاطت بالجبل الذي عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب وأمر الله عز وجل ملائكة السموات أن يعرضوا على موسى فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد، ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فهبطوا عليه أمثال الأسود ولهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع موسى مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة في رأسه وجسده، ثم قال: لقد ندمت على مسألتي فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه شيء فقال له خير الملائكة ورأسهم يا موسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى فهبطوا عليه أمثال النسور لهم لجب شديد وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس كجلبة الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى واشتد نفسه وأيس من الحياة، وقال له خير الملائكة: مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة فهبطوا ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية مرتفعة بالتسبيح والتقديس لا يشبههم شيء من الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبتاه وارتعد قلبه واشتد بكاؤه، فقال له رئيس الملائكة: اصبر يا ابن عمران لما سألت فقليل من كثير ما أريت ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة فهبطوا ولهم سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم بصره ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوفه خوفاً واشتد حزنه وكثر بكاؤه، فقال له خير الملائكة: يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة فهبطوا وفي يد كل ملك منهم نار مثل النخلة الطويلة أشد ضوءاً من الشمس ولباسهم كلهب النار كلهم، يقولون: بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبداً لا يموت في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فجعل يسبح موسى معهم وهو يبكي ويقول رب اذكرني ولا تنس عبدك فقال كبير الملائكة يا ابن عمران اصبر لما سألت ثم أمر الله أن يحمل عرشه في السماء السابعة وقال أروه إياه فلما بدا نور العرش انفرج الجبل من عظمة الرب ورفعت ملائكة السموات جميعاً أصواتهم يقولون سبحان الله القدوس رب العزة أبداً لا يموت فاندك الجبل وكل شجرة كانت فيه وخر موسى على وجهه ليس معه روح فأرسل الله برحمته الروح فتغشاه وقلب الحجر الذي عليه موسى وجعله كهيئة القبة لئلا

يحترق موسى ثم أقامه كما تقيم الأم جنينها إذا وضعته فقام موسى يسبح الله تعالى ويقول آمنت بك رب وصدقت أنه لا يراك أحد في الدنيا فيحيا من نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الأرباب وملك الملوك لا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء تبت إليك الحمد لك لا شريك لك.

قال في «التيسير»: قد روي في هذا أحاديث فيها ذكر نزول الملائكة والتعنيف على موسى بما سأل ولكن ليس ورودها على وجه يصح ولا يجوز قبولها لأنها لا تليق بحال الأنبياء انتهى.

قال بعض المحققين من أرباب المكاشفة: إن موسى عليه السلام طلب رؤية ذاته تعالى مع هوية نفسه حيث قال: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾ مشيراً إلى هويته بصيغة المتكلم فرد الله تعالى بقوله: ﴿لن تراني﴾ أي مع بقاء هويتك التي تخاطب بها ﴿ولكن انظر إلى الجبل﴾ أي بذاتك وهويتك ﴿فإن استقر مكانه﴾ ولم يكن فانياً ﴿فسوف تراني﴾ بهويتك ﴿فلما تجلى ربه للجبل﴾ أي ألقى عليه من نوره فاضطرب بدنه من رهبته ﴿جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً﴾ وفني عن هويته فرأى الحق بعين الحق ﴿فلما أفاق قال سبحانك تبت﴾ الآن من مسألة الرؤية مع بقاء الهوية.

وقال في «التأويلات النجمية»: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه﴾ يعني: ولما حصل على بساط القرب تتابع عليه كاسات الشراب من صفو الصفات ودارت أقداح المكالمات وأثر فيه لذاذات الكلمات فطرب واضطرب إذ سكر من شراب الواردات وتساكر من سماع الملاطفات في المخاطبات، فطال لسان انبساطه عند التمكن على بساطه وعند استيلاء سلطان الشوق وغلبات دواعي المحبة في الذوق. ﴿قال رب أرني أنظر إليك﴾ قيل: هيهات أنت في بعد الاثنينية منكوب وبحجب جبل الأنانية محجوب وإنك إذا نظرت بك إلي ﴿لن تراني﴾ لأنه لا يراني إلا من كنت له بصراً فبي يبصر ﴿ولكن انظر﴾ إلى الجبل جبل الأنانية ﴿فإن استقر مكانه﴾ عند التجلي ﴿فسوف تراني﴾ ببصر أنانيتك ﴿فلما تجلى ربه للجبل﴾ جبل أنانيته ﴿جعله دكاً﴾ فانياً كأن لم يكن ﴿وخر موسى صعقاً﴾ بلا أنانية وكان ما كان بعد أن بان ما بان فأشرقت الأرض بنور ربها وجاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

قد كان ما كان سراً لا أبوح به فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

ولو لم يكن جبل أنانية النفس بين موسى الروح وتجلي الرب لطاش في الحال وما عاش ولولا القلب كان خليفته عند الفناء بالتجلي لما أمكنه الإفاقة والرجوع إلى الوجود فافهم جداً ولو لم يكن تعلق الروح بالجسد لما استعد بالتجلي ولا بالتحلي تفهم إن شاء تعالى: ﴿فلما أفاق﴾ من غشية الأنانية بسطوة تجلي الربوبية ﴿قال﴾ موسى بلا هويته ﴿سبحانك﴾ تنزيهاً لك من خلقك واتصال الخلق بك ﴿تبت﴾ من أنانيتي ﴿إليك﴾ إلى هويتك بك ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ بأنك لا ترى بالأنانية ولا ترى إلا بنور هويتك بك انتهى.

وقال القشيري: ﴿ولما جاء موسى﴾ مجيء المشتاقين ومجيء المغلوبين جاء موسى بلا موسى ولم يبق من موسى لموسى وآلاف آلاف رجال قطعوا مسافات وتحملوا مخافات فلم يذكرهم أحد وهذا موسى خطا خطوات وإلى يوم القيامة يقرأ الصبيان ولما جاء موسى لميقاتنا باسطه الحق بالكلام فلم يتمالك أن ﴿قال رب أرني أنظر إليك﴾ فإن غلبات الوجد استنطقته

بكمال الوصلة من الشهود وقالوا لا يؤاخذ المغلوب بما يقول وقالوا إنه لا يشكر ثم ينكر قال وأشد الخلق شوقاً إلى الحبيب أقربهم من الحبيب هذا موسى وقف في محل المناجاة وحفت به الكرامات وكلمه بلا واسطة ولا جهات ﴿قال رب أرني أنظر إليك﴾ كأنه غائب هو شاهد لكن ما ازداد القوم شرباً إلا ازدادوا عطشاً ولا ازدادوا قرباً إلا ازدادوا شوقاً وقال سأل موسى الرؤية بالكلام فأجيب ﴿لن تراني﴾ بالكلام وأسر المصطفى في قلبه ما كان يرجوه من تحويل القبلة من ربه فقيل له ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة: ١٤٤] وقال إنه سأل الله الرؤية فقال: ﴿لن تراني﴾ وقال للخضر ﴿مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۝٦٧﴾ [الكهف: ٦٦-٦٧] فصار جوابه لن من الحق ومن الخلق ليبقى موسى بلا موسى ويصفو موسى عن كل نصيب لموسى بموسى وأنشد في معناه فقيل:

أبني أبينا نحن أهل منازل أبداً غراب البين فينا يزعق

والبلاء الذي ورد عليه بقوله تعالى: ﴿فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً﴾ أشد من قوله: ﴿لن تراني﴾ لأنه صريح في الرؤية وفي اليأس راحة وقوله: ﴿فإن استقر مكانه فسوف تراني﴾ هذا إطماع فيما يمنعه فلما اشتد توقعه جعل الجبل دكاً وكان قادراً على إمساك الجبل لكنه قهر الأحباب وبه سبق الكتاب وفي قوله: ﴿انظر إلى الجبل﴾ بلاء شديد لموسى لأنه منع عن رؤية مقصوده وأمر برؤية غيره ولو أمر بأن يغمض عينيه ولا ينظر إلى شيء بعده لكان الأمر أسهل عليه ولكنه قيل له ﴿لن تراني ولكن انظر إلى الجبل﴾ ثم أشد من ذلك أن الجبل أعطي التجلي ثم أمر موسى عليه السلام بالنظر إلى الجبل الذي قدم عليه في هذا السؤال وهذا صعب شديد ولكن موسى رضي به وانقاد لحكمه وفي معناه أنشدوا:

أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لما يريد

وقيل: بل هو لطف به حيث لم يصرح برده بل علله عوناً له على صبره.

وقيل: قد دنا اصبر قليلاً قليلاً ولما منع النظر رجع إلى رأس الأمر فقال تبت إليك إن لم تكن الرؤية التي هي غاية الرتبة من رأس الأمر وهو التوبة ثم هذا إناخة لعقوق العبودية وشرطها أن لا تبرح عن محل الخدمة إن حال بينك وبيني وجود القربة لأن القربة حظ نفسك والخدمة حق ربك ولأن تكون بحق ربك أتم من أن تكون بحظ نفسك كذا في «تفسير التيسير» نقلاً عن القشيري.

ذكر بعضهم: أن رؤية الله تعالى ممكنة في الدنيا.

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي: الرؤية في الآخرة موعود وأما في الدنيا وإن كانت في حيز الإمكان لكنها غير موعودة ولم تجر عادة الله عليها انتهى.

وقد ذكرنا موانع الرؤية في سورة البقرة وأنواع الرؤية في سورة الأنعام.

وفي «الواقعات المحمودية»: سأل بعض الكبار من العلماء وقال الذي لا زمان له ولا مكان في أي مكان والأدب في السؤال أن يقال المنزه ذاته عن الزمان والمكان بأي وجه يطلب وبأي طريق يوجد ويوصل إليه وكذا الأدب في الجواب أن يقال من أراد رؤية جماله فلينظر في قلوب أوليائه فإن قلوبهم مظاهر ومرايا لجماله.

واعلم: أن المعتزلة أنكروا رؤية الله تعالى حتى قال صاحب «الكشاف» تشنيعاً وتقبيحاً

وتضليلاً لأهل السنة والجماعة ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهباً ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فإنه من مصوبات أشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم:

لجماعة سموا هواهم سنة ... لكنهم حمر لعمري مؤكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ... شنع الورى فتستروا بالبلكفه

وقال بعضهم جواباً عنهم:

عجباً لقوم ظالمين تلقبوا ... بالعدل ما فيهم لعمري معرفه
قد جاءهم من حيث لا يدرونه ... تعطيل ذات الله مع نفي الصفه

قال المولى إبراهيم الأروسقي:

رضينا كتاب الله للفصل بيننا ... وقول رسول الله أوضح فاصل
وتحريف آيات الكتاب ضلالة ... وليس بعدل رد نص الدلائل
وتضليل أصحاب الرسول وذمهم ... وتصويب آراء النظام وواصل
ولو كان تكذيب الرسول عدالة ... فأعدل خلق الله عاص بن وائل
فلولاك جار الله من فرقة الهوى ... لكنت جديراً باجتماع الفضائل

﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

﴿قال﴾ الله تعالى لموسى حين قال تبت إليك وأنا أول المؤمنين. ﴿يا موسى﴾ إن منعتك الرؤية لصلاح حالك وبقاء ذاتك فلا تكن مغموماً محزوناً لذلك ﴿إني اصطفيتك﴾ أي: اخترتك واتخذتك صفوة وآثرتك ﴿على الناس﴾ أي: الموجودين في زمانك وهارون وإن كان نبياً وأكبر منه سناً كان مأموراً باتباعه وما كان كليماً ولا صاحب شرع أو على الناس جميعاً لأن الرسالة مع الكلام ولم يحصل هذا المجموع لغيره وإنما قال على الناس ولم يقل على الخلق لأن الملائكة قد سمعوا كلامه تعالى من غير واسطة كما سمعه موسى عليه السلام.
﴿برسالاتي﴾ جمع الرسالة وهي في الأصل مصدر بمعنى الإرسال، والمراد به هنا الشيء المرسل به إلى الغير وهو أسفار التوراة جمع سفر بمعنى الكتاب يقال سفره إذا كتبه وألواح التوراة أسفار من حيث إنها كتب فيها التوراة ﴿وبكلامي﴾ أي: وبتكلمي إياك بلا واسطة، وقيل المضاف محذوف أي وسماع كلامي وهذا يرد قول من يقول إن السبعين الذين اختارهم موسى سمعوا كلام الله تعالى لأن في الآية بيان الاصطفاء وهو تنصيص على التخصيص.

واعلم: أن كل نبي قد اصطفاه الله على الخلق بنوع أو نوعين أو أنواع من الكمال عند خلقته وركب في ذرة طينته استعداده لظهور ذلك النوع من الكمال حين خمر طينة آدم بيده فاصطفى موسى بالرسالة والمكالمة دون نوح، وكمال الرؤية مخصوص بنبينا محمد ﷺ وأمته حتى استدعى موسى لنيل مقام رؤية ربه فقال اللهم اجعلني من أصحابه. روي أنه لما كلم الله تعالى موسى عليه السلام يوم الطور كان على موسى جبة من صوف مخللة بالعيدان محزوم وسطه بشريط ليف وهو قائم على الجبل، وقد أسند ظهره إلى صخرة من الجبل فقال الله يا

موسى إني قد أقمتك مقاماً لم يقمه أحد قبلك ولا يقومه أحد بعدك وقربتك نجياً فقال موسى عليه السلام يا رب فلم أقمتني هذا المقام قال لتواضعك يا موسى فلما سمع موسى لذاذة الكلام من ربه نادى إلهي أقريب فأناجيك أم بعيد فأناديك قال يا موسى أنا جليس من ذكرني وكان موسى عليه السلام بعدما كلمه الله تعالى لا يستطيع أحد أن ينظر إليه لما غشي وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات. ويروى أن امرأته قالت له: أنا أيم منك أي كأني بلا زوج منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها ساعة وقالت ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة قال ذاك إن لم تتزوجي بعدي فإن المرأة لآخر أزواجها. وقيل: إن الرجل إذا تبكر بالمرأة تزوجها في الجنة. وقيل: إنها تكون لأحسن أزواجها خلقاً ومن خصائص نبينا ﷺ تحريم أزواجه اللاتي توفي عنهن على غيره أبداً.
﴿فخذ ما آتيتك﴾ أي: أعطيتك من شرف النبوة والحكمة ﴿وكن من الشاكرين﴾ على النعمة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿فخذ ما آتيتك﴾ يعني ما ركبت فيك استعداده واصطفيتك به من الرسالة والمكالمة ﴿وكن من الشاكرين﴾ فإن الشكر يبلغك إلى ما سألت من الرؤية لأن الشكر يستدعي الزيادة لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] والزيادة هي الرؤية لقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وقال عليه السلام: «الزيادة هي الرؤية والحسنى هي الجنة» ﴿وكتبنا﴾ [ونوشتيم ما يعنى قلم أعلى را فرموديم كه كتابت كرد يا جبريل راك كفتيم كه بقلم ذكر امداد نهر النور نوشت] ﴿له﴾ [براى موسى] ﴿في الألواح﴾ أي: في تسعة ألواح من الزمرد الأخضر وهو الأصح وفيها التوراة كنقش الخاتم طول كل لوح عشرة أذرع.

وفي «القاموس»: اللوح كل صفيحة عريضة خشباً أو عظماً جمعه ألواح. روي أن سؤال الرؤية كان يوم عرفة وإعطاء التوراة يوم النحر. ﴿من كل شيء﴾ مما يحتاجون إليه من أمور دينهم ﴿موعظة وتفصيلاً لكل شيء﴾ بدل من الجار والمجرور؛ لأنه في محل النصب على أنه مفعول كتبنا ومن مزيدة لا تبعيضية أي كتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام.

قال مقاتل: كتب في الألواح إني أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئاً ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين. ﴿فخذها﴾ على إضمار القول عطفاً على كتبنا أي فقلنا خذها أي: الألواح. ﴿بقوة﴾ بجد وعزيمة. ﴿وأمر قومك﴾ أي: على طريق الندب والحث على اختيار الأفضل ﴿يأخذوا﴾ أي: ليأخذوا ﴿بأحسنها﴾ الباء زائدة في المفعول به. الأحسن العزائم والحسن الرخص يعني: ليعلموا أن ما هو عزيمة يكون ثوابه أكثر كالجمع بين الفرائض والنوافل والصبر بالإضافة إلى الانتصار وغير ذلك.

قال قطرب: أي بحسنها وكلها حسن كقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ﴿سأريكم﴾ يا بني إسرائيل ﴿دار الفاسقين﴾ دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها ومنازل عاد وثمود وأضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا بمخالفة ما أمرتم به من العمل بأحكام التوراة أو أرض مصر وأرض الجبابرة والعمالقة بالشام، ومعنى الإراءة الإدخال بطريق الإيراث فعلى الأول يكون وعيداً وترهيباً وعلى الثاني وعداً وترغيباً.

وفي الآية: إشارة إلى أن طلب الآخرة كان أحسن من طلب الدنيا كذلك طلب الله أحسن من طلب الآخرة فعلى العاشق أن يختار الأحسن، وقوله: ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ يعني:

الخارجين من طلب الآخرة فدارهم الجنة ودار الخارجين من طلب الآخرة إلى طلب الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر. قال الحافظ:

سايهٔ طوبى ودلجويىء حوروب حوض بهواى سركوى توبرفت ازيادم
نيست بر لوح دلم جز الف قامت دوست چه كنم حرف دكر يا دنداد استادم

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾

﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض﴾ المراد بالآيات ما كتب في ألواح التوراة من المواعظ والأحكام وغيرها من الآيات التكوينية التي من جملتها ما وعد إراءته من دار القاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لإصرارهم على ما هم عليه من التكبر والتجبر، والمعنى: سأطبع على قلوب الذين يعدون أنفسهم كبراء ويرون لهم على الخلق مزية وفضلاً فلا ينتفعون بآياتي التنزيلية والتكوينية المنصوبة في الأنفس والآفاق ولا يغتنمون بمغانم آثارها فلا تسلكوا يا بني إسرائيل مسلكهم فتكونوا أمثالهم **﴿بغير الحق﴾** صلة للتكبر أي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط.

قال ابن الشيخ: لما كان التكبر مؤدياً إلى الحرمان من الانتفاع بالآيات المذكورة وتضييعها كان المقصود من الآية تحذير بني إسرائيل عن التكبر المفضي إلى أن يصرفهم الله عن التفكر في الآيات والاهتداء بها حتى يأخذوا أحكام التوراة بجد ورغبة انتهى، فالآية متصلة بقصة بني إسرائيل ويحتمل أن تكون كلاماً معترضاً خلال قصتهم أخبر به رسول الله أنه حرم المتكبرين من أمته فهم معاني القرآن والتدبر فيها، كما قيل أبى الله تعالى أن يكرم قلوب الظالمين بتمكينهم من فهم حكمة القرآن والاطلاع على عجائبه.

حيفست چنين كنج دران ويرانه

﴿وإن يروا﴾ يشاهدوا **﴿كل آية﴾** من الآيات كانت معجزة. **﴿لا يؤمنوا بها﴾** أي: كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم إياها كما هي. **﴿وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً﴾** أي: لا يتوجهون إلى الحق ولا يسلكون سبيله أصلاً لاستيلاء الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ. **﴿وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً﴾** أي: يختارونه لأنفسهم مسلكاً مستمراً لا يكادون يعدلون عنه لموافقته لأهوائهم الباطلة وإفضائه بهم إلى شهواتهم. **﴿ذلك﴾** إشارة إلى ما ذكر من تكبرهم وعدم إيمانهم بشيء من الآيات، وإعراضهم عن سبيل الرشد وإقبالهم التام على سبيل الغي. **﴿بأنهم﴾** أي: حاصل بسبب أنهم **﴿كذبوا بآياتنا﴾** الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القبائح وعلى حقية أضدادها وهي الآيات المنزلة والمعجزة. **﴿وكانوا عنها غافلين﴾** لا يتفكرون فيها وإلا لما فعلوا ما فعلوا من الأباطيل فالمراد بالغفلة عنها عدم التفكر والتدبر فيها عبر عن عدم تدبر الآيات بالغفلة عنها تشبيهاً للمعرض عن الشيء بمن غفل عنه.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ

يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾.

﴿والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة﴾ من إضافة المصدر إلى مفعوله والفاعل محذوف، أي: ولقائهم الدار الآخرة. ﴿حبطت أعمالهم﴾ أي: ظهر بطلان أعمالهم التي كانوا عملوها من صلة الأرحام وإغاثة الملهوفين ونحو ذلك فلا ينتفعون بها ﴿هل يجزون﴾ استفهام بمعنى النفي والإنكار يعني: لا يجزون ﴿إلا ما كانوا يعملون﴾ أي: الإجزاء ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي.

قال في «التأويلات النجمية»: يعني: لما حبطت أعمالنا عندهم من بعثة الأنبياء وإنزال الكتب وإظهار المعجزات لتكبرهم عنها جازيناهم بأن حبطت أعمالهم عندنا لكبريائنا وغنانا عن أهل الشرك وشركهم نظيره قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] وفي الآية ذم التكبر وإنه من أعظم أوصاف البشر حجباً لأنه يزيد في الأنانية وما لعن إبليس وطرد إلا للتكبر.

وصف بعض البلغاء متكبراً، فقال: كأن كسرى حامل غاشيته وقارون وكيل نفقته وبلقيس إحدى داياته وكأن يوسف لم ينظر إلا بمقلته ولقمان لم ينطق إلا بحكمته كأن الخضراء له عرشت والغبراء باسمه فرشت. وفي «المثنوي»:

اين تكبر زهر قاتل دانكه هست ازمى پرزهر شد آن كيج مست
چون مى پر زهر نوشد مدبرى از طرب يكدم بجنباند سرى
بعد يكدم زهر بر جانش زند زهر برجانش كند داد وستد
كر نداري زهريش را اعتقاد كرچه زهر آمد نكر در قوم عاد
چونكه شاهى دست يابد بر شهى بكشدش يا باز دارد در چهى
ور بيابد خستهٔ افتاده را مرهمش سازد شه وبدهد عطا
كه نه زهراست اين تكبر پس چرا كشت شه را بى كناه وبى خطا
وين دكراپى زخدمت چون نواخت زين دو جنبش زهررا شايد شناخت
نردبان خلق اين ما ومنيست عاقبت زين نردبان افتاد نيست
هركه بالاتر رود ابلهتر است كاستخوان أو بترخواهد شكست
اين فروعست واصولش آن بود كه ترفع شركت يزدان بود
چون نمردى ونكشتى زنده زو باغىٔ باشى بشركت ملك جو
چون بدوزنده شدى آن خود ويست وحدت محض است آن شركت كى است

فعلى العاقل أن يزكي نفسه عن الكبر ويأخذ التواضع في طريق الحق ويخلص العمل لله تعالى فإن من أخلص في العمل، وإن لم ينو ظهرت آثار بركته عليه وعلى عقبه إلى يوم القيامة كما قيل: إنه لما أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض جاءت وحوش الفلاة تسلم عليه وتزوره فيدعو لكل جنس بما يليق به فجاءت طائفة من الظباء، فدعا لهن ومسح على ظهورهن فظهر فيهن نوافج المسك فلما رأى بواقيها ذلك قلن من أين هذا لكن؟ فقلن زرنا صفي الله آدم فدعا لنا ومسح على ظهورنا فمضى البواقي إليه فدعا لهن ومسح على ظهورهن فلم يظهر لهن من ذلك شيء، فقالوا قد فعلنا كما فعلتم فلم نر شيئاً مما حصل لكنّ فقالوا أنتم كان عملكم لتنالوا

كما نال إخوانكم وأولئك كان عملهم لله من غير شوب فظهر ذلك في نسلهم وعقبهم إلى يوم القيامة فظهر أن الخلق لا يجزون إلا ما كانوا يعملون والجزاء لا بد وأن يكون من جنس العمل نسأل الله تعالى دفع الكسل ورفع الزلل.

﴿واتخذ قوم موسى من بعده﴾ أي: من بعد ذهابه إلى الطور ومن لابتداء الغاية ﴿من﴾ للتبعيض ﴿حليهم﴾ جمع حلي كثدي وثدي وهو ما تزين به من الذهب والفضة وإضافة الحلي إليهم مع أنها كانت للقبط لأدنى الملابسة حيث كانوا استعاروها من أربابها حين هموا بالخروج من مصر. ﴿عجلاً﴾ مفعول أول لقوله اتخذ لأنه متعد إلى اثنين بمعنى التصيير والمفعول ثاني محذوف أي صيروه إلهاً والعجل ولد البقر وأبو العجل الثور والجمع العجاجيل والأنثى عجلة سمي عجلاً لاستعجال بني إسرائيل عبادته وكانت مدة عبادتهم له أربعين يوماً فعوقبوا في التيه أربعين سنة فجعل الله تعالى كل سنة في مقابلة يوم. ﴿جسداً﴾ بدل من عجلاً أي جثة ذا دم ولحم أو جسداً من ذهب لا روح معه فإن الجسد اسم لجسم له لحم ودم ويطلق على جثة لا روح لها. ﴿له خوار﴾ أي: صوت البقر.

وذلك أن موسى كان وعد قومه بالانطلاق إلى الجبل ثلاثين يوماً فلما تأخر رجوعه قال لهم السامري رجل من قرية يقال لها سامرة وكان رجلاً مطاعاً من قوم موسى إنكم أخذتم الحلي من آل فرعون فعاقبكم الله بتلك الجناية ومنع موسى عنكم فاجمعوا الحلي حتى أحرقها لعل الله يرد علينا موسى، أو سألوه إلهاً يعبدونه وقد كان لهم ميل إلى عبادة البقر منذ مروا على العمالقة التي كانوا يعبدون تماثيل البقر وذلك بعد عبور النهر، وقد مرت قصته فجعل السامر الحلي بعد جمعها في النار وصاغ لهم من ذلك عجلاً لأنه كان صاغاً وألقى في فمه تراباً من أثر فرس جبريل عليه السلام وكان ذلك الفرس فرس الحياة ما وضع حافره في موضع إلا اخضر وكان قد أخذ ذلك التراب عند فلق البحر أو عند توجهه إلى الطور فانقلب ذلك الجسد لحماً ودماً وظهر فيه خوار وحركة ومشي، فقال السامري: هذا إلهكم وإله موسى فعبدوه إلا اثني عشر ألفاً من ستمائة ألف وقيل إنه جعل ذلك العجل مجوفاً وجعل في جوفه أنابيب على شكل مخصوص وكان وضع ذلك التمثال على مهب الريح كانت الريح تدخل في تلك الأنابيب فظهر منه صوت مخصوص يشبه خوار العجل فأوهم بني إسرائيل أنه حي يخور فزفنوا حوله أي رقصوا.

نقل القرطبي عن الطرشوشي: أنه سئل عن قوم يجتمعون في مكان يقرؤون شيئاً من القرآن ثم ينشد لهم منشد شيئاً من الشعر يرقصون ويطربون ويضربون بالدف والشنانير هل الحضور معهم حلال أو لا.

قال مذهب الصوفية: بطالة وجهالة وضلالة وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري فلما اتخذوا عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون حوله ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل وإنما كان يجلس النبي عليه السلام مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم من أئمة المسلمين كذا في «حياة الحيوان».

قال في «نصاب الاحتساب: هل يجوز له الرقص في السماع الجواب لا يجوز ذكر في

«الذخيرة» أنه كبيرة ومن أباحه من المشايخ فذلك للذي صارت حركاته كحركات المرتعش وهل يجوز السماع الجواب إن كان السماع سماع القرآن أو الموعظة يجوز وإن كان السماع الغناء فهو حرام؛ لأن التغني واستماع الغناء حرام ومن أباحه من مشايخ الصوفية فلمن تخلى عن الهوى وتحلى بالتقوى واحتاج إلى ذلك احتياج المريض إلى الدواء.

وله شرائط. إحداها: أن لا يكون فيهم أمرد. والثانية: أن لا يكون جمعيتهم إلا من جنسهم ليس فيهم فاسق ولا أهل دنيا ولا امرأة. والثالثة: أن يكون نية القوال الإخلاص لا أخذ الأجرة والطعام. والرابعة: أن لا يجتمعوا لأجل طعام أو نظر إلى فتوح والخامسة: لا يقومون إلا مغلوبين. والسادسة: لا يظهرون الوجد إلا صادقين.

قال الشيخ عمر بن الفارض في القصيدة الموسومة بنظم الدر:

إذهام شوقاً بالمناغى وهمّ ان ... يطير إلى أوطانه الأوليه
يسكن بالتحريك وهو بمهده ... إذا ناله أيدي المربي بهزه

قال الإمام القاشاني في «شرحه»: إذا هام الولي واضطرب شوقاً إلى مركزه الأصلي ووطنه الأولي بسبب مناغاة المناغي وهم طائر روحه إلى أن يطير إلى عشه ووكره الأولي تهزه أيدي من يربيه في المهد فيسكن بسبب التحريك من قلقه وهمه بالطيران والمقصود من إيراد هذا المعنى أن يشير إلى فائدة الرقص والحركة في السماع وذلك أن روح السامع يهم عند السماع أن يرجع إلى وطنه المألوف ويفارق النفس والقالب فتحركه يد الحال وتسكنه عما يهم به بسبب التحريك إلى حلول الأجل المعلوم وذلك تقدير العزيز العليم انتهى. قال السعدي قدس سره:

مكن عيب درويش مدهوش ومست ... كه غرقست ازآن مى زند پاودست
نكويم سماع اى برادر كه چيست ... مكر مستمع را بدانم كه كيست
كر از برج معنى پرد طير او ... فرشته فروماند از سير او
اكر مرد بازى ولهوست ولاغ ... قوى تر شود ديوش اندر دماغ
چه مرد سماعست شهوت پرست ... بآواز خوش خفته خيزد نه مست

قال السروري: [چون سماع آواز خوش سبب حركت شد حركت را سماع كفتند] بطريق تسمية المسبب باسم السبب [وچون كسى آوازى خوش شنود در وحالتى پيداشود اين حالت را وجد كويند]، وفي المثنوى:

پس غداى عاشقان آمد سماع ... كه دراو باشد خيال واجتماع
قوتى كيرد خيالات ضمير ... بلكه صورت كردد ازبانك صفير

واعلم: أن الرقص والسماع حال المتلون لا حال المتمكن ولذا تاب سيد الطائفة الجنيد البغدادي قدس سره عن السماع في زمانه فمن الناس من هو متواجد ومنهم من هو أهل وجد ومنهم من هو أهل وجود. فالأول: المبتدىء الذي له انجذاب ضعيف، والثاني: المتوسط الذي له انجذاب قوي، والثالث: المنتهي الذي له انجذاب قوي وهو مستغن عن الدوران الصوري بالدوران المعنوي بخلاف الأولين ولا بد من العشق في القلب والصدق في الحركة حتى يصح الدوران والعلماء وإن اختلفوا في ذلك فمن مثبت ومن ناف لكن الناس متفاوتون والجواز للأهل المستجمع لشرائطه لا لغيره.

قال حضرة الشيخ أفتاده أفندي قدس سره: ليس في طريقتنا رقص ولا في طريق الشيخ الحاج بيرام ولي أيضاً لأن الرقص والأصوات كلها إنما وضع لدفع الخواطر ولا شيء في دفعها أشد تأثيراً من التوحيد ونبينا عليه الصلاة والسلام لم يلقن إلا التوحيد. ذكر أن علياً قال يوماً لا أجد لذة العبادة يا رسول الله فلقنه التوحيد ووصاه أن لا يكلم أحداً بما ظهر له من آثار التوحيد فلما امتلأ باطنه من أنوار التوحيد واضطر إلى التكلم جاء إلى بئر فتكلم فيها فنبت منها قصب فأخذه راع وعمل منه المزمار وكان ذلك مبدأ لعلم الموسيقى وقال وقد يقال إن رجلاً يقال له عبد المؤمن سمع صوت الأفلاك في دورها فأخذ منه العلم الموسيقى ولذلك كان أصله اثني عشر على عدد البروج ولكن صداها على طرز واحد فالإنسان لقابليته ألحق به زيادات كذا في «الواقعات المحمودية» فقد عرفت من هذا البيان أنه ليس في الطريقة الجلوتية بالجيم دور ورقص بل توحيد وذكر قياماً وقعوداً بشرائط وآداب وإنما يفعله الخلوتية بالخاء المعجمة ما يتوارثون من أكابر أهل الله تعالى لكن إنما يقبل منهم ويمدح إذا قارن شرائطه وآدابه كما سبق وإلا يرد ويذم وقد وجدنا في زماننا أكثر المجالس الدورية على خلاف موضوعها فالعاقل يختار الطريق الأسلم ويجتنب عن القيل والقال وينظر إلى قولهم لكل زمان رجال ولكل رجال مقام وحال.

قال الشيخ أبو العباس: من كان من فقراء هذا الزمان آكلاً لأموال الظلمة مؤثراً للسماع ففيه نزعة يهودية قال الله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢].

وقال الحاتمي: السماع في هذا الزمان لا يقول به مسلم ولا يقتدى بشيخ يعمل السماع وقد عرفت وشاهدت في هذا الزمان أن المجالس الدورية يحضرها المرادان الملاح والنساء وحضورهم آفة عظيمة فإنهم والاختلاط بهم والصحبة معهم كالسم القاتل ولا شيء أسرع إهلاكاً للمرء في دينه من صحبتهم فإنهم حبائل الشيطان ونعوذ بالله من المكر بعد الكرم ومن الحور بعد الكور إنه هو الهادي إلى طريق وصاله وكاشف القناء عن ذاته وجماله والمواصل إلى كماله بعد جماله وجلاله وهو الصاحب والرفيق في كل طريق. ﴿ألم يروا﴾ [آياندیدند ونداستند] ﴿أنه﴾ أي: العجل ﴿لا يكلمهم﴾ أي: ليس فيه شيء من أحكام الألوهية حيث لا يقدر على كلام ولا أمر ولا نهي ﴿ولا يهديهم سبيلاً﴾ أي ولا يرشدهم طريقاً إلى خير ليأتوه ولا إلى شر لينتهوا عنه. ﴿اتخذوه﴾ إلهاً ولو كان إلهاً لكلمهم وهداهم لأن الإله لا يهمل عباده قوله اتخذوه تكرير للذم، أي اتخذوه إلهاً وحسبوا أنه خالق الأجسام والقوى والقدر ﴿وكانوا ظالمين﴾ أي: واضعين الأشياء في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعاً منهم.

وفي «التفسير الفارسي»: [در لطائف قشيرى مذكورست كه چه دورست ميان أمتي كه مصنوع خودرا پرستند وأمتي كه عبادت صانع خود كنند].

آنراكه توساختى نسازد كارت سازندهٔ توست در دو عالم يا رب

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

﴿ولما سقط في أيديهم﴾ كناية عن شدة ندمهم فإن الذي يشتد ندمه وتحسره يعض يده مسقوطاً فيها كأن فاه وقع فيها، والمعنى ندموا على ما فعلوا من عبادة العجل غاية الندم وسقط

مسند إلى في أيديهم. ﴿ورأوا أنهم قد ضلوا﴾ باتخاذ العجل إلهاً أي تبينوا بحيث تيقنوا بذلك حتى كأنهم رأوه بأعينهم. ﴿قالوا لئن لم يرحمنا ربنا﴾ بإنزال التوراة المكفرة ﴿ويغفر لنا﴾ بالتجاوز عن الخطيئة ﴿لنكونن من الخاسرين﴾ [از زيانكاران وهلاك شد كان] وما حكي عنهم من الندامة والرؤية والقول وإن كان بعدما رجع موسى عليه السلام إليهم كما ينطق به الآيات الواردة في سورة طه لكن أريد بتقديمه عليه حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾.

﴿ولما رجع موسى﴾ من جبل الطور ﴿إلى قومه﴾ حال كونه ﴿غضبان أسفاً﴾ أي: شديد الغضب يقال آسفني فأسفت أي: أغضبني فغضبت ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥] وهو يدل على أنه عليه السلام كان عالماً باتخاذهم العجل إلهاً قبل مجيئه إليهم بسبب أنه تعالى أخبره في حال المكالمة بما كان من قومه من عبادة العجل. ﴿قال بئسما خلفتموني من بعدي﴾ أي: ساء ما عملتم خلفي أيها العبدة بعد غيبتي وانطلاقي إلى الجبل لأنه يقال خلفه بما يكره إذا عمل خلفه ذلك، و(ما) نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعد خلافتكم. ﴿أعجلتم أمر ربكم﴾ الهمزة للإنكار أي أتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق وإلا فعجل يتعدى بعن يقال عجل عن الأمر إذا تركه غير تام ونفيضه تم عليه، والمعنى: أعجلتم عن أمر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به إلى أن يجيء، فالأمر واحد الأوامر أو أنه بمعنى المأمور به، والعجلة: العمل بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة بخلاف السرعة فإنها غير مذمومة لكونها عبارة عن العمل بالشيء في أول وقته.

وفي «التأويلات النجمية»: استعجلتم يا صفات الروح بالرجوع إلى الدنيا وزينتها والتعلق بها قبل أوانه من غير أن يأمر به ربكم وفيه إشارة إلى أن أرباب الطلب، وأصحاب السلوك لا ينبغي أن يلتفتوا إلى شيء من الدنيا ولا يتعلقوا بها في أثناء الطلب والسلوك لئلا ينقطعوا عن الحق اللهم إلا إذا قطعوا مفاوز النفس والهوى ووصلوا إلى كعبة وصال المولى، فلهم أن يرجعوا إلى الدنيا لدعوة الخلق إلى المولى وتسليكهم في طريق الدنيا والعقبى. ﴿وألقى الألواح﴾ التي كانت فيها التوراة من يده. ﴿وأخذ برأس أخيه﴾ أي: بشعر رأس هارون حال كونه، أي: موسى ﴿يجره إليه﴾ [بطرف خود كشيد اورا بطريق معاتبه نه ازروى اهانت] توهماً أنه قصر في كفّهم وهارون كان أكبر منه بثلاث سنين وكان حمولاً ليناً ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل. ﴿قال﴾ أي: هارون مخاطباً لموسى. ﴿ابن أم﴾ بحذف حرف النداء، وأصله يا ابن أما حذفت الألف المبدلة من الياء اكتفاء بالفتحة زيادة في التخفيف لطوله باشتماله على إضافة بعد إضافة، وكان هارون أخاه لأب وأم ولكنه ذكر الأم ليرفقه عليه أي يحمله على الرفق والشفقة وعلى هذا طريق العرب. ﴿إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾ إزاحة لتوهم التقصير في حقه، والمعنى: بذلت وسعي في كفّهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي.

﴿فلا تشمت بي الأعداء﴾ أي: فلا تفعل بي ما يكون سبباً لشماتتهم بي وبالفارسي [پس شادمان مكردان بمن دشمنانرا وچنان مكن كه آرزوى ايشان حاصل شود از اهانت من] يقال شمت به يشمت شماتة من باب علم يعلم إذا فرح ببلية أصابت عدوه ثم ينقل إلى باب الأفعال للتعدية فالشماتة [شادى كردن بمكر وهى كه دشمن رارسد] ويعدى بالباء. والإشمات [شاد كام كردن دشمن] كما في «تاج المصادر» وشماتة العدو أشد من كل بلية فلذلك قيل والموت دون شماتة الأعداء. ﴿ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾ أي: معدوداً في عدادهم بالمؤاخذة أو النسبة إلى التقصير.

والإشارة: أن هارون القلب أخ موسى الروح والأعداء النفس والشيطان والهوى والقوم الظالمون هم الذين عبدوا عجل الدنيا وهم صفات القلب يشير إلى أن صفات القلب تتغير وتتلون بلون صفات النفس ورعوناتها ومن هنا يكون شنشنة الشطار من أرباب الطريقة ورعوناتهم وزلات أقدامهم ولكن القلب من حيث هو هو لا يتغير عما جبل عليه من محبة الله وطلبه وإنما تتغير صفاته كما أن النفس لا تتغير من حيث هي هي عما جبلت عليه من حب الدنيا وطلبها وإنما تتغير صفاتها من الأمارية إلى اللوامية والملهمية والمطمئنية والرجوع إلى الحق ولو وكلت إلى نفسها طرفة عين لعادت المشومة إلى طبعها وجبلتها سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿قال﴾ موسى وهو استئناف بياني ﴿رب اغفر لي﴾ أي: ما فعلت بأخي من غير ذنب مقرر من قبله ﴿ولأخي﴾ أي: إن فرط في كفهم استغفر عليه السلام لنفسه ليرضي أخاه ويظهر للشامتين رضاه لئلا تتهم به ولأخيه للإيذان بأنه محتاج إلى الاستغفار حيث كان عليه أن يقاتلهم ﴿وأدخلنا في رحمتك﴾ بمزيد الإنعام علينا بعد غفران ما سلف منا.

قال الحدادي: أي في جنتك. ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ وأنت أرحم بنا منا على أنفسنا ومن آبائنا وأمهاتنا. حكي أنه اعتقل لسان فتى عن الشهادة حين أشرف على الموت فأخبروا النبي عليه السلام فدخل عليه وعرض الشهادة فاضطرب ولم يعمل لسانه فقال عليه السلام: «أما كان يصلي أما كان يزكي أما كان يصوم؟ قالوا: بلى قال فهل عقّ والديه؟ قالوا: نعم قال هاتوا بأمه فجاءت وهي عجوز عوراء فقال عليه السلام هلا عفوت عنه فقالت: لا أعفو لأنه لطمني ففقأ عيني قال هاتوا بالحطب والنار قالت ما تصنع قال: أحرقه بالنار بين يديك جزاء لما عمل، قالت: عفوت عفوت أللنار حملته تسعة أشهر أللنار أرضعته سنتين، فأين رحمة الأم فعند ذلك انطلق لسانه بالكلمة» والنكتة أنها كانت رحيمة لا رحمانة فللقليل من رحمتها ما جوزت إحراقه بالنار فالله الذي لا يتضرر بجناية العباد كيف يستجيز إحراق المؤمن المواظب على كلمة الشهادة سبعين سنة وهو أرحم الراحمين. قال الحافظ:

لطف خدا بيشتر ازجرم ماست　　نكتهٔ سربسته چه دانى خموش

وقال:

دلا طمع مبر از لطف بى نهايت دوست　　كه ميرسد همه را لطف بى نهايت او

قال بعض أهل التفسير: إن قابيل لما قتل أخاه هابيل اشتد ذلك على آدم، فقال الله تعالى: يا آدم جعلت الأرض في أمرك مرها فلتفعل ما تهوى بمكان ابنك قابيل فقال آدم عليه السلام: يا أرض خذيه فأخذت الأرض قابيل فقال قابيل يا أرض بحق الله أن تمهليني حتى أقول قولي ففعلت فقال يا رب إن أبي قد عصاك فلم تخسف به الأرض فقال الله تعالى نعم ولكنه ترك أمراً واحداً وأنت تركت أمري وأمر أبيك وقتلت أخاك فقال آدم ثانياً يا أرض خذيه فقال قابيل بحرمة محمد عليه السلام أن تمهليني حتى أقول قولي ففعلت فقال: يا رب إن إبليس ترك أمرك وعاداك ولم تخسف به الأرض فما بالي تخسف بي الأرض فأجاب الله تعالى مثل الأولى فقال: إلهي أليس لك تسعة وتسعون اسماً فقال الله تعالى بلى فقال أليس الرحمن الرحيم من جملة ذلك قال: بلى قال: ألست سميت نفسك رحماناً رحيماً لكثرة الرحمة قال: بلى قال: يا رب إن أردت إهلاكي فأخرج هذين الاسمين من بين أسمائك ثم أهلكني لأن أخذ العبد بجريمة واحدة لا يكون رحمة فأمر الله الأرض حتى خلت سبيله ولم تهلكه فاعتبر إذا كانت رحمته بهذه المرتبة للكافر فما ظنك للمؤمن فينبغي للمقصر أن يرفع حاجته إلى المولى ويستغفر من ذنبه الأخفى والأجلى كي يدخل في الرحمة التي هي الفردوس الأعلى. قال الحافظ:

سياه نامه ترازخود كسى نمى بينم چكونه چون قلمم دوددل بسر نرود

وفي قوله تعالى: ﴿رب اغفر لي﴾ الآية إشارة إلى السير في الصفات لأن المغفرة والرحمة من الصفات فيشير إلى أن لموسى الروح ولأخيه هارون القلب استعداد لقبول الجذبة الإلهية التي تدخلهما في عالم الصفات. ﴿وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾ لأن غيرك من الراحمين عاجز عن إدخال غيره في صفاته وأنت قادر على ذلك لمن تشاء ويدل عليه قوله: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ [الشورى: ٨] كذا في «التأويلات النجمية».

﴿إن الذين اتخذوا العجل﴾ أي: إلهاً واستمروا على عبادته كالسامري وأشياعه من الذين أشربوه في قلوبهم ﴿سينالهم﴾ أي: في الآخرة ﴿غضب﴾ عظيم كائن ﴿من ربهم﴾ أي: مالكهم لما أن جريمتم أعظم الجرائم وأقبح الجرائر والمراد بالغضب ههنا غايته وهي الانتقام والتعذيب لأن حقيقة الغضب لا تتصور في حقه تعالى ﴿وذلة في الحياة الدنيا﴾ هي ذلة الاغتراب والمسكنة المنتظمة لهم ولأولادهم والذلة التي اختص بها السامري من الانفراد بالناس والابتلاء بلا مساس كما روي أن موسى عليه السلام هم بقتل السامري، فأوحى الله إليه لا تقتل السامري فإنه سخي ولكن أخرجه من عندك فقال له موسى فاذهب من بيننا مطروداً فإن لك في الحياة أي في عمرك أن تقول لمن أراد مخالطتك جاهلاً بحالك لا مساس أي لا يمسني أحد ولا أمس أحداً وإن مسه أحدهما جميعاً في الوقت وروي أن ذلك موجود في أولاده إلى الآن وإيراد ما نالهم في حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الأخلاف على حال الأسلاف. ﴿وكذلك نجزي المفترين﴾ على الله ولا فرية أعظم من فريتهم هذا إلهكم وإله موسى ولعله لم يفتر مثلها أحد قبلهم ولا بعدهم.

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾

وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

﴿والذين عملوا السيئات﴾ أية سيئة كانت ﴿ثم تابوا﴾ من تلك السيئات. ﴿من بعدها﴾ أي: من بعد عملها. ﴿وآمنوا﴾ إيماناً صحيحاً خالصاً واشتغلوا بما هو من مقتضياته من الأعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الأولى. ﴿إن ربك من بعدها﴾ أي: من بعد تلك التوبة المقرونة بالإيمان ﴿لغفور﴾ للذنوب وإن عظمت وكثرت ﴿رحيم﴾ مبالغ في إفاضة فنون الرحمة الدنيوية والأخروية.

والإشارة: ﴿إن الذين اتخذوا العجل﴾ عجل الهوى إلهاً يدل عليه قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] ﴿سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا﴾ يعني عبادة الهوى موجبة لغضب الله تعالى دل عليه قول النبي عليه الصلاة والسلام: «ما عبد في الأرض إله أبغض على الله من الهوى» وإن عابد الهوى يكون ذليل شهوات النفس وأسير صفاتها الذميمة من الحيوانية والسبعية والشيطانية ما دام يميل إلى الحياة الدنيوية. ﴿وكذلك نجزي المفترين﴾ يعني: وكذلك نجازي بالغضب والطرد والإبعاد والذلة عباد الهوى المدعين الذين يفترون على الله أنه أعطانا قوة لا تضر بنا عبادة الهوى والدنيا ومتابعة النفس وشهواتها ﴿والذين عملوا السيئات﴾ يعني: سيئات عبادة الهوى والدنيا والافتراء على الله تعالى. ﴿ثم تابوا من بعدها وآمنوا﴾ بعبودية الحق تعالى وطلبه بالصدق. ﴿إن ربك من بعدها﴾ أي: من بعد ترك عبادة الهوى والرجوع إلى طلب الحق ﴿لغفور رحيم﴾ يعني يعفو عنهم تلك السيئات ويرحمهم بنيل القربات والكرامات كذا في «التأويلات النجمية».

واعلم: أن التوبة عند المعتزلة علة موجبة للمغفرة وعندنا سبب محض للمغفرة والتوبة الرجوع فإذا وصف بها العبد كان المراد بها الرجوع عن المعصية وإذا وصف بها الباري تعالى أريد بها الرجوع عن العذاب بالمغفرة.

والتوبة على ضربين: ظاهر وباطن. فالظاهر: هو التوبة من الذنوب الظاهرة وهي مخالفات ظواهر الشرع وتوبتها ترك المخالفات واستعمال الجوارح بالطاعات، والباطن: هو توبة القلب من ذنوب الباطن وهي الغفلة عن الذكر حتى يتصف به بحيث لو صمت لسانه لم يصمت قلبه وتوبة النفس قطع علائق الدنيا والأخذ باليسير والتعفف، وتوبة العقل التفكر في بواطن الآيات وآثار المصنوعات، وتوبة الروح التحلي بالمعارف الإلهية، وتوبة السر التوجه إلى الحضرة العليا بعد الإعراض عن الدنيا والعقبى. قال حضرة جلال الدين الرومي قدس سره:

كرسيه كردى تونامه عمر خويش — توبه كن زانها كه كردستى تو پيش
عمر اكر بكذشت بيخش اين دم است — آب توبش ده اكر اويى نم است
چون برآرند از پشيمانى انين — عرش لرزد از انين المذنبين

والعبد إذا رجع عن السيئة وأصلح عمله أصلح الله تعالى شأنه وأعاد عليه نعمه الفائتة.

عن إبراهيم بن أدهم: بلغني أن رجلاً من بني إسرائيل ذبح عجلاً بين يدي أمه فيبست يده فبينما هو جالس إذ سقط فرخ من وكره وهو يتبصبص فأخذه ورده إلى وكره فرحمه الله

تعالى لذلك ورد عليه يده بما صنع فينبغي للمؤمن أن يسارع إلى التوبة والعمل الصالح فإن الحسنات يذهبن السيئات.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ يا رسول الله علمني عملاً يقربني إلى الجنة ويباعدني عن النار «قال إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فإنها عشر أمثالها قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» فقلت: يا رسول الله لا إله إلا الله من الحسنات قال: «هي أحسن الحسنات».

كار نيكوتر بدان جز ذكر نيست

والله الهادي. ﴿ولما سكت عن موسى الغضب﴾ أي: لما سكن عنه الغضب باعتذار أخيه وتوبة القوم والسكوت قطع الكلام وقطع الكلام فرع ثبوته وهو لا يتصور في الغضب فلا يتصور قطعه أيضاً فهو محمول على المعنى المجازي الذي هو السكون شبه الغضب بإنسان يغري موسى عليه السلام ويقول له إن أخاك قصر في كف قومك عن الكفر فاستحق إهانتك وعقوبتك فخذ بشعر رأسه فجره إلى نفسك، وقل له كذا وكذا وألق ما في يدك من الألواح ثم يقطع الإغراء ويترك الكلام ففيه استعارة مكنية وسكت قرينة الاستعارة.

قال الحدادي: قيل معناه سكت موسى عن الغضب وهذا من المقلوب كما يقال أدخلت قلنسوة في رأسي يريد أدخلت رأسي في قلنسوة. ﴿أخذ الألواح﴾ التي ألقاها وهو دليل على أنها لم تتكسر حين ألقاها وعلى أنه لم يرفع منها شيء كما ذهب إليه بعض المفسرين. ﴿وفي نسختها﴾ أي: والحال أنه فيما نسخ فيها وكتب نقلاً عن الأصل وهو اللوح المحفوظ فإن النسخ عبارة عن نقل أشكال الكتابة وتحويلها من الأصل المنقول عنه فإذا كتبت كتاباً من كتاب آخر حرفاً بعد حرف قلت نسخت هذا الكتاب من ذلك الكتاب أي: نقلته منه. ﴿هدى﴾ أي: بيان للحق وهو مبتدأ وفي نسختها خبره. ﴿ورحمة﴾ للخلق بإرشادهم إلى ما فيه الخير والصلاح كائنة ﴿للذين هم لربهم يرهبون﴾ أي: يخشون واللام في لربهم لتقوية عمل الفعل المؤخر كما في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣] يعني أنها دخلت جابرة للضعف العارض للفعل بسبب تأخره عن مفعوله وإنما خص أهل الرهبة بالذكر لأنهم هم المنتفعون بآيات الكتاب فالعبد إذا رغب إلى الله بصدق الطلب وإلى الجنة بحسن العمل ورهب من اليم عذاب فرقته والانقطاع ومن دخول النار فقد أخذ بالخوف والرجاء ووصل بهما إلى ما هوى.

واعلم: أن الخشية إنما تنشأ عن العلم بصفات الحق سبحانه وعلامة خشية الله تعالى ترك الدنيا والخلق ومحاربة النفس والشيطان قالوا رهبوت خير من رحموت أي لأن ترهب خير من أن ترحم وذلك لأن التخلية قبل التحلية.

ومن الترهيبات: ما حكي عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه شبع مرة من خبز شعير فنام عن حزبه تلك الليلة فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى هل وجدت داراً خيراً لك من داري؟ أو جواراً خيراً لك من جواري؟ وعزتي وجلالي لو اطلعت على الفردوس اطلاعة لذاب جسمك ولزهقت نفسك اشتياقاً إلى الفردوس الأعلى ولو اطلعت على نار جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بعد الدموع وللبست الحديد بعد المنسوج.

قال الحسن البصري: الكلب إذا ضرب وطرد وجفى عليه وطرح له كسرة، أجاب ولم

يحقد على ما مضى وذلك من علامة الخاشعين فينبغي لكل مؤمن أن تكون فيه تلك الصفة. قال الحافظ:

وفاكنيم وملامت كشيم وخوش باشيم   كه در طريقت ما كافريست رنجيدن

وفي الحديث: «من لم يخف الله خف منه» قال الإمام السخاوي معناه صحيح فإن عدم الخوف من الله تعالى يوقع صاحبه في كل محذور ومكروه. وفي «المثنوي»:

لا تخافوا هست نزل خائفان   هست درخور ازبراى خائف آن
هركه ترسد مروراً ايمن كنند   مردل ترسنده را ساكن كنند
آنكه خوفش نيست چون كويى مترس   درس چه دهى نيست او محتاج درس

﴿واختار موسى﴾ الاختيار افتعال من لفظ الخير، يقال اختار الشيء إذا أخذ خيره وخياره. ﴿قومه﴾ أي: من قومه بحذف الجار وإيصال الفعل إلى المجرور وهو مفعول ثانٍ. ﴿سبعين رجلاً﴾ مفعول أول. ﴿لميقاتنا﴾ أي: للوقت الذي وقتناه له وعيناه ليأتي فيه بسبعين رجلاً من خيار بني إسرائيل، ليعتذروا عن ما كان من القوم من عبادة العجل فهذا الميقات ميقات التوبة لا ميقات المناجاة والتكليم، وكان قد اختار موسى عليه السلام عند الخروج إلى كل من الميقاتين سبعين رجلاً من قومه وكانوا اثني عشر سبطاً فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان، فقال موسى: ليتخلف منكم رجلان فإني إنما أمرت بسبعين فتنازعوا فقال إن لمن قعد مثل أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين إلى الجبل. ﴿فلما أخذتهم الرجفة﴾ مما اجترأوا عليه من طلب الرؤية حيث قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] والرجفة هي الارتعاد والحركة الشديدة والمراد أخذتهم رجفة الجبل فصعقوا منها أي: ماتوا، وأكثر المفسرين على أنهم سمعوه تعالى يكلم موسى يأمره بقتل أنفسهم توبة فطمعوا في الرؤية وقالوا ما قالوه ويرده قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف: ١٤٤] كما ذهب إليه صاحب «التيسير» ﴿قال﴾ موسى ﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل﴾ أي: حين فرطوا في النهي عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا إصرارهم عليها. ﴿وإياي﴾ أيضاً حين طلبت منك الرؤية أي لو شئت إهلاكنا بذنوبنا لأهلكتنا حينئذٍ أراد به تذكر العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق. ﴿أتهلكنا﴾ الهمزة لإنكار وقوع الإهلاك ثقة بلطف الله تعالى، أي: لا تهلكنا. ﴿بما فعل السفهاء﴾ حال كونهم ﴿منا﴾ من العناد والتجاسر على طلب الرؤية، وكأن ذلك قاله بعضهم، أي: لا يليق بشأنك أن تهلك جماً غفيراً بذنب صدر عن بعضهم الذي كان سفيهاً خفيف الرأي. ﴿إن هي﴾ أي: ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء. ﴿إلا فتنتك﴾ أي: محنتك وابتلاؤك حيث أسمعتهم كلامك فافتتنوا بذلك ولم يتثبتوا فطمعوا في الرؤية.

يقول الفقير: هذا يدل على أنهم سمعوا كلامه تعالى على وجه الامتحان والابتلاء لا على وجه التكرمة والإجلال، وذلك لا يقدح في كون موسى عليه السلام مصطفى بالرسالة والكلام مع أنه فرق كثير بين سماعهم وسماعه عليه السلام والله أعلم. [ودر فصل الخطاب مذكورست كه حق تعالى موسى عليه السلام را در مقام بسط بداشت تابكمال حال انس رسيده وازروى دلال بدين جراءت أقدام نمود ودلال در مرتبهٔ محبو بيت است وحضرت مولوي قدس سره فرموده كه كستاخى عاشق ترك أدب نيست بلكه عين ادبست].

كفت وكوى عاشقان دركار رب جوشش عشقست نه ترك أدب
هركه كردازجام حق يكجرعه نوش نه ادب ماند درونه عقل وهوش

﴿تضل بها﴾ أي: بسبب تلك الفتنة ﴿من تشاء﴾ ضلاله فيتجاوز عن حده بطلب ما ليس له ﴿وتهدي من تشاء﴾ هدايته إلى الحق فلا يتزلزل في أمثالها فيقوى بها إيمانه ﴿أنت ولينا﴾ أي: القائم بأمورنا الدنيوية والأخروية وناصرنا وحافظنا لا غير. ﴿فاغفر لنا﴾ أي: ما اقترفناه من المعاصي. ﴿وارحمنا﴾ بإفاضة آثار الرحمة الدنيوية والأخروية.

قال ابن الشيخ: المغفرة هي إسقاط العقوبة والرحمة إيصال الخير وقدم الأول على الثاني لأن دفع المضرة مقدم على تحصيل المنفعة. ﴿وأنت خير الغافرين﴾ تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة. وأيضاً كل من سواك إنما يتجاوز عن الذنب إما طلباً للثناء الجميل أو للثواب الجزيل أو دفعاً للقسوة من القلب، وأما أنت فتغفر ذنوب عبادك لا لأجل غرض وعوض بل بمحض الفضل والكرم فلا جرم أنت خير الغافرين وأرحم الراحمين وتخصيص المغفرة بالذكر لأنها الأهم بحسب المقام.

﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

﴿واكتب لنا﴾ أي: أثبت وعين لنا وذكر الكتابة لأنها أدوم. ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ حسن معيشة وتوفيق طاعة. ﴿وفي الآخرة﴾ أي: واكتب لنا فيها أيضاً حسنة وهي المثوبة الحسنى أو الجنة. ﴿إنا هدنا إليك﴾ تعليل لطلب الغفران والرحمة من هاد يهود إذا رجع، أي تبنا ورجعنا إليك عما صنعنا من المعصية العظيمة التي جئناك للاعتذار عنها وعما وقع ههنا من طلب الرؤية فبعيد من لطفك وفضلك أن لا تقبل توبة التائبين. قيل: لما أخذتهم الرجفة ماتوا جميعاً فأخذ موسى عليه السلام يتضرع إلى الله حتى أحياهم وقد تقدم في سورة البقرة. ﴿قال﴾ استئناف بياني، كأنه قيل فماذا قال الله تعالى عند دعاء موسى عليه السلام فقيل قال: ﴿عذابي﴾ [عذاب من وصفت او آنست كه] ﴿أصيب به﴾ الباء للتعدية معناه بالفارسية [ميرسانم] ﴿من أشاء﴾ تعذيبه من غير دخل لغيري فيه. ﴿ورحمتي﴾ [ورحمت من وصفت أو آنست كه] ﴿وسعت﴾ في الدنيا معناه [رسيده است] ﴿كل شيء﴾ المؤمن والكافر بل المكلف وغيره من كل ما يدخل تحت الشيئية وما من مسلم ولا كافر إلا وعليه آثار رحمته ونعمته في الدنيا فبها يتعيشون وبها ينقلبون ولكنها تختص في الآخرة بالمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿فسأكتبها﴾ أي: أثبتها وأعينها في الآخرة. ﴿للذين يتقون﴾ الكفر والمعاصي. ﴿ويؤتون الزكاة﴾ خصها بالذكر لأنها كانت أشق عليهم ﴿والذين هم بآياتنا﴾ جميعاً ﴿يؤمنون﴾ إيماناً مستمراً فلا يكفرون بشيء منها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما أنزلت هذه الآية تطاول لها إبليس فقال: أنا شيء

من الأشياء فأخرجه الله تعالى من ذلك بقوله: ﴿فسأكتبها﴾ إلخ فقالت اليهود والنصارى نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فأخرجهم الله تعالى منها بقوله:

﴿الذين يتبعون الرسول﴾ في محل الجر على أنه صفة للذين يتقون أو بدل منه يعني: محمداً ﷺ الذي نوحي إليه كتاباً مختصاً به ﴿النبي﴾ أي: صاحب المعجزة.

وقال البيضاوي: إنما سماه رسولاً بالإضافة إلى الله ونبياً بالإضافة إلى العباد. ﴿الأمي﴾ الذي لا يكتب ولا يقرأ، وكونه عليه السلام أمياً من جملة معجزاته فإنه عليه السلام لو كان يحسن الخط والقراءة لصار متهماً بأنه ربما طالع في كتب الأولين والآخرين، فحصل هذه العلوم بتلك المطالعة فلما أتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على علوم الأولين والآخرين من غير تعلم ومطالعة كان ذلك من جملة معجزاته الباهرة.

نكار من كه بمكتب نرفت وخط ننوشت　　　بغمزه مسأله آموز صد مدرس شد

من كان القلم الأعلى يخدمه واللوح المحفوظ مصحفه ومنظره لا يحتاج إلى تصوير الرسوم.

وقد وصف الله تعالى هذه الأمة في الإنجيل أمة محمد أناجيلهم في صدورهم، ولو لم يكن رسم الخطوط لكانوا يحفظون شرائعه ﷺ بقلوبهم لكمال قوتهم وظهور استعداداتهم. والأم: الأصل وعنده أم الكتاب ﴿الذي يجدونه مكتوباً﴾ باسمه وصفته ﴿عندهم﴾ متعلق بيجدون أو بمكتوباً وكذا قوله ﴿في التوراة والإنجيل﴾ اللذين تعبد بهما بنو إسرائيل سابقاً ولاحقاً. وفي «المثنوي»:

پيش ازانكه نقش أحمد رونمود　　　نعت اوهر كبررا تعويذ بود
سجده مى كردند كارى رب بشر　　　درعيان آريش هرچه زودتر
نقش اومى كشت اندر راهشان　　　دردل ودر كوش درافواه شان
اين همه تعظيم وتفخيم ووداد　　　چون بديدندش بصورت بردباد
قلب آتش ديددردم شد سياه　　　قلب را در قلب كى بودست راه

فإن قيل: الرحمة المذكورة لو اختصت بهم لزم أن لا تثبت لغيرهم من المؤمنين وليس كذلك.

أجيب: بأن هذا الاختصاص بالإضافة إلى بني إسرائيل الموجودين في زمان النبي الأمي ولم يؤمنوا به لا بالإضافة إلى جميع ما عداهم. ﴿يأمرهم بالمعروف﴾ أي: بالتوحيد وشرائع الإسلام. ﴿وينهاهم عن المنكر﴾ أي: عن كل ما لا يعرف في شريعة ولا سنة. ﴿ويحل لهم الطيبات﴾ التي حرمت عليهم بشؤم ظلمهم كالشحوم. ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ كالدم ولحم الخنزير، فالمراد بالطيبات: ما يستطيبه الطبع ويستلذه، وبالخبائث ما يستخبثه الطبع ويتنفر منه، فتكون الآية دليلاً على أن الأصل في كل ما يستطيبه الطبع الحل وكل ما يستخبثه الطبع الحرمة إلا لدليل منفصل، ويجوز أن يراد بهما ما طاب في حكم الشرع، وما خبث كالربا والرشوة ومدلول الآية حينئذٍ أن ما يحكم الشرع بحله فهو حلال وما يحكم بحرمته فهو حرام ولا حكم لاستطابة الطبع واستخباثه فيهما. ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ أي: يخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعين القصاص في العمد والخطأ من غير شرع الدية وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب، وعدم الاكتفاء

بغسله وإحراق الغنائم وتحريم العمل يوم السبت بالكلية شبهت هذه التكاليف الشاقة بالحمل الثقيل وبالأغلال التي تجمع اليد إلى العنق وأصل الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه، أي يحبسه من الحراك لثقله. ﴿**فالذين آمنوا به**﴾ أي: بنبوة الرسول النبي الأمي وأطاعوه في أوامره ونواهيه. ﴿**وعزروه**﴾ أي: عظموه ووقروه وأعانوه بمنع أعدائه عنه. ﴿**ونصروه**﴾ على أعدائه في الدين ﴿**واتبعوا النور الذي أنزل معه**﴾ يعني: القرآن الذي ضياؤه في القلوب كضياء النور في العيون.

قال صاحب «الكشاف»: فإن قلت ما معنى قوله (أنزل معه)، وإنما أنزل مع جبريل قلت: أنزل مع نبوته؛ لأن استنباءه كان مصحوباً بالقرآن مشفوعاً به انتهى فمعه متعلق بأنزل حال من ضميره بتقدير المضاف، أي: أنزل ذلك النور مصاحباً لنبوته. ﴿**أولئك**﴾ المنعوتون بتلك النعوت الجلية. ﴿**هم المفلحون**﴾ أي: الفائزون بالمطلوب الناجون من الكروب لا غيرهم من الأمم فيدخل فيهم قوم موسى دخولاً أولياً حيث لم ينجوا مما في توبتهم من المشقة الهائلة وبه يتحقق التحقيق ويتأتى التوفيق والتطبيق بين دعائه عليه السلام وبين الجواب، وهو من قوله: (عذابي) إلى هنا فقد علم أن اتباع القرآن وتعظيم النبي عليه السلام بعد الإيمان سبب للفوز والفلاح عند الرحمن ونصرته عليه السلام على العموم والخصوص، فالعموم للعامة من أهل الشريعة، والخصوص للخاصة من أرباب الطريقة وأصحاب الحقيقة، وهم الواصلون إلى كمال أنوار الإيمان وأسرار التوحيد بالإخلاص والاختصاص.

واعلم: أن المقصود الإلهي من ترتيب سلسلة الأنبياء عليهم السلام هو وجود محمد ﷺ، فوجود الأنبياء قبله كالمقدمة لوجوده الشريف فهو الخلاصة والنتيجة والزبدة وأشرف الأنبياء والمرسلين كما قال عليه السلام: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون» وكذلك المقصود من الكتب الإلهية السالفة هو القرآن الذي أنزل على النبي عليه السلام، فهو زبدة الكتب الإلهية وأعظمها ومصدق لما بين يديه؛ لأنه بلفظ قد أعجز البلغاء أن يأتوا بسورة من مثله وبمعناه جامع لما في الكتب السالفة من الأحكام والآداب والفضائل متضمن للحجج والبراهين والدلائل، وكذا المقصود من الأمم السالفة هو هذه الأمة المرحومة أعني أمة محمد ﷺ فهي كالنتيجة لما قبلها، وهي الأمة الوسط كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] وكذا المقصود من الملوك الماضية والسلاطين السالفة هو الملوك العثمانية فهم زبدة الملوك ودولتهم زبدة الدول حيث لا دولة بعدها لغيرهم إلى ظهور المهدي وعيسى ويقاتلون من هم مبادي الدجال من الكفرة الفجرة من الإفرنج والانكروس وغيرهم ولهم الجمعية الكبرى واليد الطولى والدولة العظمى في الأقاليم السبعة وأطراف البلاد من المغرب والمشرق ولم يعط هذا لواحد قبل دولتهم ويدل على هذه الجمعية كون اسم جدهم الأعلى عثمان فإن عثمان رضي الله عنه جامع القرآن فهم مظاهر لاسم الحق كما كان عمر رضي الله عنه كذلك حيث إنه لما أسلم قال: يا رسول الله ألسنا على الحق قال عليه السلام: «والذي بعثني بالحق نبياً كلنا على الحق» قال: أنا والذي بعثك بالحق نبياً لا نعبد الله بعد اليوم سراً، فأظهر الله الدين بإيمانه فكان ظهور الدين مشروطاً بإيمانه فهذا أول الظهور ثم، وثم إلى أن انتهى إلى زمن الدولة العثمانية ولذلك يقاتلون على الحق فالسيف الذي بيدهم قد ورثوه كابراً عن كابر ومجاهداً عن مجاهد. حكي أن عثمان الغازي جد السلاطين العثمانية إنما

وصل إلى ما وصل برعاية كلام الله تعالى وذلك أنه كان من أسخياء زمانه يبذل النعم للمترددين، فثقل ذلك على أهل قريته وانعكس إليه ذلك وذهب ليشتكي من أهل القرية إلى الحاج بكتاش أو غيره من الرجال، فنزل في بيت رجل قد علق فيه مصحف فسأل عنه، فقالوا: هو كلام الله تعالى؟ فقال: ليس من الأدب أن نقعد عند كلام الله فقام وعقد يديه مستقبلاً إليه فلم تزل إلى الصبح فلما أصبح ذهب إلى طريقه فاستقبله رجل، وقال أنا مطلبك، ثم قال له: إن الله تعالى عظمك وأعطاك وذريتك السلطنة بسبب تعظيمك لكلامه ثم أمر بقطع شجرة وربط برأسها منديلاً وقال ليكن ذلك لواء ثم اجتمع عنده جماعة فجعل أول غزوته إلى بلاجك وفتح بعناية الله تعالى، ثم أذن له السلطان علاء الدين في الظاهر أيضاً فصار سلطاناً ثم بعد ارتحاله صار ولده أورخان سلطاناً ففتح هو بروسة المحروسة بالعون الإلهي فالدولة العثمانية من ذلك الوقت إلى هذا الآن على الازدياد بسبب تعظيم كلام الله القديم، وكما أن الله تعالى أظهر لطفه للأولين كذلك يظهره للآخرين، وإن كان في بعض الأوقات يظهر القهر والجلال تأديباً وتنبيهاً فتحته لطف وجمال. قال السعدي قدس سره:

ز ظلمت مترس اي پسنديده دوست   كه ممكن بود كاب حيوان دروست
دل از بى مرادى بفكرت مسوز   شب آبستن است اي برادر بروز

والإشارة في الآيات: أن الله تعالى امتحن موسى عليه السلام باختيار قومه ليعلم أن المختار من الخلق من اختاره الله لا الذي اختاره الخلق وأن الله الاختيار الحقيقي لقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] وليس للخلق الاختيار الحقيقي لقوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨] ثم استخرج من القوم المختار ما كان موجباً للرجفة والصعقة والهلاك، وهو سوء الأدب في سؤال الرؤية جهاراً وكان ذلك مستوراً عن نظر موسى متمكناً في جبلتهم وكان الله المتولي للسرائر وحكم موسى بظاهر صلاحيتهم فأراه الله أن الذي اختاره يكون مثلك، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [طه: ١٣] والذي تختاره يكون كالقوم فلما تحقق لموسى أن المختار من اختاره الله حكم بسفاهة القوم وأظهر الاستكانة والتضرع والاعتذار والتوبة والاستغفار والاسترحام كما قال: **﴿فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾** وفيه إشارة أخرى إلى أن نار شوق الرؤية كما كانت متمكنة في قلب موسى بالقوة، وإنما ظهرت بالفعل بعد أن سمع كلام الله تعالى فإن من اصطكاك زناد الكلام وحجر القلب ظهر شرر نار الشوق فاشتعل منه كبريت اللسان الصدوق وشعلت شعلة السؤال فقال: **﴿رب أرني أنظر إليك﴾** كذلك كانت نار الشوق متمكنة في أحجار قلوب القوم فباصطكاك زناد سمع الكلام ظهر شرر الشوق فاشتعل منه كبريت اللسان، ولما لم يكن اللسان لسان النبوة صعد منه دخان السؤال الموجب للصعقة والرجفة والسر فيه أن يعلم موسى وغيره أن قلوب العباد مختصة بكرامة إيداع نار المحبة فيها لئلا يظن موسى أنه مخصوص به، ويعذر غيره في تلك المسألة فإنها من غلبات الشوق تطرأ عند استماع كلام المحبوب ولذا قال عليه السلام: «ما خلق الله من بني آدم من بشر إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه». وبالأصبعين يشير إلى صفتي الجمال والجلال وليس لغير الإنسان قلب مخصوص بهذه الكرامة وإقامة القلب وإزاغته في أن يجعله مرآة صفات الجمال فيكون الغالب عليه الشوق والمحبة لطفاً ورحمة، وفي أن يجعله

مرآة صفات الجلال فيكون الغالب عليه الحرص على الدنيا والشهوة قهراً وعزة فالنكتة فيه أن قلب موسى عليه السلام لما كان مخصوصاً بالاصطفاء للرسالة والكلام دون القوم كان سؤاله لرؤية شعلة نار المحبة مقروناً بحفظ الأدب على بساط القرب بقوله: ﴿**رب أرني أنظر إليك**﴾ قدم عزة الربوبية وأظهر ذلة العبودية وكان سؤال القوم من القلوب الساهية اللاهية، فإن نار الشوق تصاعدت بسوء الأدب فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] قدموا الجحود والإنكار وطلبوا الرؤية جهاراً فأخذتهم الصاعقة بظلمهم فشتان بين صعقه موسى وصعقة قومه فإن صعقته كانت صعقة اللطف مع تجلي صفة الربوبية، وإن صعقتهم كانت صعقة القهر عند إظهار صفة العزة والعظمة ولما كان موسى عليه السلام ثابتاً في مقام التوحيد كان ينظر بنور الوحدة فيرى الأشياء كلها من عند الله فرأى سفاهة القوم وما صدر منهم من آثار صفة قهره فتنة واختباراً لهم فلما دارت كؤوس شراب المكالمات وسكر موسى بأقداح المناجاة زل قدمه على بساط الانبساط فقال: ﴿**إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء**﴾ أي: تزيغ قلب من تشاء بأصبع صفة القهر ﴿**وتهدي من تشاء**﴾ أي: تقيم قلب من تشاء بأصبع صفة اللطف ﴿**أنت ولينا**﴾ أي: المتولي لأمورنا والناصر في هدايتنا ﴿**فاغفر لنا**﴾ ما صدر منا. ﴿**وارحمنا**﴾ بنعمة الرؤية التي سألناكها. ﴿**وأنت خير الغافرين**﴾ أي: خير من يستر على ذنوب المذنبين يعني أنهم يسترون الذنب ولا يعطون سؤلهم، فأنت الذي تستر الذنب وتبدله بالحسنات وتعطي سؤل أهل الزلات ﴿**واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة**﴾ يعني: حسنة الرؤية كما كتبت لمحمد عليه السلام ولخواص أمته هذه الحسنة في الدنيا، وفي الآخرة، يعني: خصنا بهذه الفضيلة في الدنيا ﴿**وفي الآخرة إنا هدنا إليك**﴾ رجعنا إليك في طلب هذه الفضيلة بالسر لا بالعلانية وأنت الذي تعلم السر والأخفى وأجابهم الله تعالى سراً بسر وإضماراً بإضمار ﴿**قال عذابي أصيب به من أشاء**﴾ أي: بصفة قهري آخذ من أشاء وبقراءة من قرأ من أساء، أي: من أساء في الأدب عند سؤال الرؤية حيث قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة آخذهم على سوء أدبهم فأدبهم بتأديب عذاب الفرقة. ﴿**ورحمتي وسعت كل شيء**﴾ نعمة وإيجاداً وتربية. ﴿**فسأكتبها**﴾ يعني: حسنة الرؤية والرحمة بها التي أنتم تسألونها. ﴿**للذين يتقون ويؤتون الزكاة**﴾ يعني: يتقون بالله عن غيره ويؤتون من نصاب هذا المقام الزكاة إلى طلابه. ﴿**والذين هم بآياتنا يؤمنون**﴾ يعني: الذين هم يؤمنون بأنوار شواهد الآيات لا بالتقليد بل بالتحقيق وهم خواص هذه الأمة كما عرف أحوالهم وصرح أعمالهم بقوله: ﴿**الذين يتبعون الرسول النبي الأمي**﴾ وفيه إشارة إلى أن في أمته من يكون مستعداً لاتباعه في هذه المقامات الثلاثة، وهي: مقامات الرسالة، والنبوة التي هي مشتركة بينه وبين الرسل والأنبياء، والمقام الأمي الذي هو مخصوص به ﷺ من بين الأنبياء والرسل عليهم السلام، ومعنى الأمي: أنه أم الموجودات وأصل المكونات كما قال: «أول ما خلق الله روحي» وقال حكاية عن الله: «لولاك لما خلقت الكون» فلما كان هو أول الموجودات وأصلها سمي أمياً كما سميت مكة أم القرى؛ لأنها كانت مبدأ القرى وأصلها، وكما سمي أم الكتاب إما لأنه مبدأ الكتب وأصلها فأما اتباعه في مقام الرسالة والنبوة فبأن يأخذ ما آتاه الرسول وينتهي عما نهاه عنه كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] فإن الرسالة تتعلق وأحكام الظاهر والنبوة تتعلق بأحوال الباطن فللعوام شركة مع الخواص في الانتفاع من الرسالة، وللخواص اختصاص بالانتفاع من النبوة فمن أدى حقوق

أحكام الرسالة في الظاهر يفتتح له بها أحوال النبوة في الباطن من مقام تنبئة الحق تعالى بحيث يصير صاحب الإشارات والإلهامات الصادقة والرؤيا الصالحة والهواتف الملكية، وربما يؤول حاله إلى أن يكون صاحب المكالمة والمشاهدة والمكاشفة ولعله يصير مأموراً بدعوة الخلق إلى الحق بالمتابعة لا بالاستقلال كما قال عليه السلام: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» يشير إلى هذا القوم وذلك أن المتقدمين من بني إسرائيل في زمن الأنبياء عليهم السلام لما وصلوا إلى مقام الأنبياء أعطوا النبوة والله أعلم وكانوا مقررين لدين رسولهم حاكمين بالكتب المنزلة على رسلهم فكذلك هذا القوم كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤] الآية. وأما أتباعه في مقام أميته ﷺ فذلك مخصوص بأخص الخواص من متابعيه، وهو أنه ﷺ رجع من مقام بشريته إلى مقام روحانيته الأولى ثم بجذبات الوحي أنزل في مقام التوحيد ثم اختطف بأنوار الهوية عن أنانيته إلى مقام الوحدة كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] وكما قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: ٩-٨] فقاب قوسين عبارة عن مقام التوحيد وأو أدنى عن مقام الوحدة تفهم إن شاء الله تعالى فمن رجع بالسير في متابعته من مقام البشرية إلى أن بلغ مقام روحانيته ثم بجذبات النبوة أنزل في مقام التوحيد ثم اختطف بأنوار المتابعة عن أنانيته إلى مقام الوحدة فقد حظي بمقام أميته ﷺ وبقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] يشير إلى أنه مكتوب عندهم وإلا فهو مكنون عنده في مقعد صدق. ﴿يأمرهم بالمعروف﴾ وهو طلب الحق والنيل إليه. ﴿وينهاهم عن المنكر﴾ وهو طلب ما سواه والانقطاع عنه ﴿ويحل لهم الطيبات﴾ أي: القربات إلى الله أو أن الطيب هو الله ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ وهي الدنيا وما يباعدهم عن الله ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ يعني إصرهم من العهد الذي كان بين الله تعالى وبين حبيبه ﷺ بأن لا يصل أحد إلى مقام أميته وحبيبيته إلا أمته وأهل شفاعته بتبعيته كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾ [آل عمران: ٣١]. الآية وقال عليه السلام: «الناس يحتاجون إلى شفاعتي حتى إبراهيم» فكان من هذا العهد عليهم شدة وإغلال تمنعهم من الوصول إلى هذا المقام فقد وضع النبي عليه السلام عنهم هذا الإصر والأغلال بالدعوة إلى متابعته ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ [الأعراف: ١٥٧] أي: وقروه باختصاص هذا المقام فإنه مخصوص به من بين سائر الأنبياء والرسل ونصروه بالمتابعة. ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ يعني: حين اختطف بأنوار الهوية عن أنانيته فاستفاد نور الوحدة فلم يبق من ظلمة أنانيته شيء وكان نوراً صرفاً فلما أرسل إلى الخلق أنزل معه نور الوحدة كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ [المائدة: ١٥] يعني: محمداً ﷺ وكتاب مبين يعني القرآن فأمروا بمتابعة هذا النور ليقتبسوا منه نور الوحدة فيفوزوا بالسعادة الكبرى والنعمة العظمى ﴿أولئك هم المفلحون﴾ في حجب الأنانية الفائزون بنور الوحدة كذا في «التأويلات النجمية».

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

﴿قل﴾ يا محمد ﴿يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ الخطاب عام وكان رسول الله ﷺ مبعوثاً إلى الكافة من الثقلين إلى من وجد في عصره، وإلى من سيوجد بعده إلى يوم القيامة بخلاف سائر الرسل فإنهم بعثوا إلى أقوامهم أهل عصرهم ولم تستمر شرائعهم إلى يوم القيامة وإليكم متعلق بقوله: (رسول) وجميعاً حال من ضمير إليكم.

قال الحدادي: إني رسول الله إليكم كافة أدعوكم إلى طاعة الله وتوحيده واتباعه فيما أؤديه إليكم.

وفي «آكام المرجان»: لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في أن الله تعالى أرسل محمداً ﷺ إلى الجن والإنس والعرب والعجم فإن قلت: في بعثة سليمان عليه السلام مشاركة له لأنه أيضاً كان مبعوثاً إلى الإنس والجن وحاكماً عليهما بل على جميع الحيوانات قلت: إن سليمان لم يبعث إلى الجن بالرسالة بل بالملك والضبط والسياسة والسلطنة؛ لأنه عليه السلام استخدمهم وقضى بينهم بالحق وما دعاهم إلى دينه لأن الشياطين والعفاريت كانوا يقومون في خدمته وينقادون له مع أنهم على كفرهم وطغيانهم كذا حققه والهي الأسكوبي.

قال ابن عقيل: الجن داخلون في مسمى الناس لغة وهو من ناس ينوس إذا تحرك.

قال الجوهري: وصاحب «القاموس» الناس يكون من الإنس ومن الجن جمع أنس أصله أناس جمع عزيز أدخل عليه أل. ﴿الذي﴾ منصوب أو مرفوع على المدح، أي: أعني الله الذي أو هو الذي ﴿له ملك السموات والأرض﴾ [مراوراست پادشاهى آسمانها وزمينها وتدبير وتصرف دران]. ﴿لا إله إلا هو﴾ [هيچ معبودى نيست مستحق عبادت جزاو] وهو بدل من الصلة التي قبله وفيه بيان لها لأن من ملك العالم كان هو الإله المتفرد بالألوهية واسم هو ضمير غيبة وهو من أخص أسمائه تعالى إذ الغيبة الحقيقية إنما هي له إذ لا تتصوره العقول ولا تحده الأوهام، وهو اسم لحضرة الغيب الثانية التي هي أول تعينات الذات الذي هو برزخ جامع بين حكمي الاسم الباطن والظاهر وحيث تخفى فيه الواو فهو اسم لحضرة غيب الغيب وهي الحضرة الأولى من حضرات الذات وهو فاتحة الأسماء وأم كتابها تنزل منزلة الألف من الحروف كذا في «ترويح القلوب» لعبد الرحمن البسطامي قدس سره.

واعلم: أن المقربين لا يرون موجوداً سوى الله تعالى فإذا قالوا هو أشاروا به إلى الحق سبحانه سواء تقدم له مرجع أو لا وتحقيقه في «حواشي ابن الشيخ» في سورة الإخلاص. ﴿يحيي ويميت﴾ زيادة تقرير للألوهية لأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة إلا الذي لا إله إلا هو.

قال الحدادي: يحيي الخلق من النطفة ويميتهم عند انقضاء آجالهم لا يقدر على ذلك أحد سواه وقيل: معناه يحيي الأموات للبعث ويميت الأحياء في الدنيا. ﴿فآمنوا بالله ورسوله﴾ الفاء لتفريع الأمر على ما تمهد وتقرر من رسالته عليه الصلاة والسلام. ﴿النبي الأمي﴾ مدح له عليه السلام، ومعنى الأمي: لا يقرأ ولا يكتب فيؤمن من جهته أن يقرأ الكتب وينقل إليهم أخبار الماضين ولكن يتبع لما يوحى إليه ﴿الذي يؤمن بالله وكلماته﴾ أي: ما أنزل عليه من أخبار سائر الرسل ومن كتبه ووحيه وإنما وصف به لحمل أهل الكتابين على الامتثال بما أمروا به، والتصريح بإيمانه بالله تعالى للتنبيه على أن الإيمان به تعالى لا ينفك عن الإيمان بكلماته ولا يتحقق إلا به. ﴿واتبعوه﴾ أي: في كل ما يأتي وما يذر من أمور الدين. ﴿لعلكم تهتدون﴾ علة للفعلين أو حال من فاعليهما، أي: رجاء لاهتدائكم إلى المطلوب أو راجين له، وفي

تعليقه بهما إيذان بأن من صدقه ولم يتبعه بالتزام أحكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء مستمر على الغي والضلالة.

قال سيد الطائفة الجنيد قدس سره: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر رسول الله ﷺ، واتبع سنته، ولزم طريقته؛ لأن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه وعلى المقتفين أثره والمتابعين سنته.

قال الشيخ العارف الواصل الوارث الكامل محيي الدين بن العربي قدس سره في بيان السنة، والسني: الإنسان لا يخلو أن يكون واحداً من ثلاثة بالنظر الشرعي، وهو إما أن يكون باطنياً محضاً، وهو القائل بتجريد التوحيد عندنا حالاً وفعلاً، وهذا يؤدي إلى تعطيل أحكام الشرائع وقلب أعيانها وكل ما يؤدي إلى هدم قاعدة من قواعد الدين أو سنة من سننه ولو في العادات كالأكل والشرب والوقاع، فهو مذموم بالإطلاق عصمنا الله وإياكم من ذلك.

وإما أن يكون ظاهرياً محضاً متقلقلاً بحيث أن يؤديه ذلك إلى التجسيم والتشبيه نعوذ بالله منهما في باب الاعتقادات، أو يكون معتمداً على مذهب فقيه من الفقهاء أصحاب علوم الأحكام المحجوبة قلوبهم بحب الدنيا عن معاينة الملكوت فتراه خائفاً من الخروج عن مذهبه فإذا سمع سنة من سنن النبي عليه السلام يحيلها على مذهب فقيه آخر فيترك العمل بها، ولو أوردت ألف حديث مأثور في فضائلها فيتصامم عن سماعها بل يسيء الظن برواية المتقدمين من التابعين والسلف بناء على عدم إيراد ذلك الفقيه إياها في كتابه، فمثل ذلك أيضاً ملحوق بالذم شرعاً وإلى الله نفزع ونلتجيء من أن يجعلنا وإياكم منهم.

وإما أن يكون جارياً مع الشريعة على فهم اللسان حيث ما مشى الشارع مشى وحيث ما وقف وقف قدماً بقدم حتى في أقل شيء من الفضائل في العبادات والعادات صارفاً جل عنايته وباذلاً كل مجهوده في أن لا يفوته شيء من الأفعال المحمدية في عباداته وعاداته على حسب ما سنح له في أثناء مطالعاته من كتب الأحاديث المعول عليها أو ألقي في أذنه من أستاذه وشيخه المعتمد عليه إن لم يكن من أهل المطالعة فهذا هو الوسط وهو السنة والآخذ به هو السني وبهذا يصح محبة الله له.

وحكي أن الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر قال: راعيت جميع ما صدر عن النبي عليه السلام سوى واحد وهو أنه عليه السلام زوج بنته علياً رضي الله عنه وكان يبيت في بيتها بلا تكلف ولم يكن لي بنت حتى أفعل كذلك.

وحكي عن سلطان العارفين أبي يزيد البسطامي قدس سره أنه قال ذت يوم لأصحابه قوموا بنا حتى ننظر إلى ذلك الذي قد سهر نفسه بالولاية قال فمضينا فإذا بالرجل قد قصد المسجد فرمى بزاقه نحو القبلة فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه وقال هذا ليس بمأمون على أدب من آداب رسول الله ﷺ فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصديقين. وحكي عن أحمد بن حنبل رحمه الله قال: كنت يوماً مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فعملت بالحديث وهو: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر» ولم أتجرد فرأيت تلك الليلة قائلاً يقول لي: يا أحمد أبشر فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك إماماً يقتدى بك فقلت من أنت قال جبريل عليه السلام.

وعن عابس بن ربيعة قال رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبل الحجر الأسود

ويقول: إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك.

واتفق المشايخ على أن من ألقى زمامه في يد كلب مثلاً حتى لا يكون تردده بحكم طبعه فنفسه أقوم لقبول الرياضة ممن جعل زمامه في حكم نفسه يسترسل بها حيث شاء كالبهائم فالواجب عليك أن تكون تابعاً لا مسترسلاً.

سك أصحاب كهف روزى چند ... پى مردم كرفت ومردم شد

فإذا اتبعت فاتبع سيد المرسلين محمداً ﷺ الذي آدم ومن دونه من الأنبياء والأولياء تحت لوائه فإذا اتبعت واحداً من أمته فلا تتبعه لمجرد كونه رجلاً مشهوراً بين الناس مقبولاً عند الأمراء والسلاطين بل كان الواجب عليك أن تعرف أولاً الحق ثم تزن الرجال به، وفيه قال باب العلم الرباني علي رضي الله عنه: من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال، بل اعرف الحق تعرف أهله وبقدر متابعتك للنبي ﷺ تستحكم مناسبتك به وتتأكد علاقة المحبة بينك وبينه وبكل ما يتعلق بالرسول ﷺ من الصلاة عليه أو زيارة قبره أو جواب المؤذن والدعاء له عقيبه كنت مستحقاً لشفاعته قالوا لو وضع شعر رسول الله ﷺ أو عصاه أو سوطه على قبر عاص لنجا ذلك العاصي ببركات تلك الذخيرة من العذاب وإن كانت في دار إنسان أو بلدة لا يصيب سكانها بلاء ببركاتها، وإن لم يشعروا بها ومن هذا القبيل ماء زمزم والكفن المبلول به وبطانة أستار الكعبة والتكفن بها.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: وإذا أردت مثالاً من خارج فاعلم أن كل من أطاع سلطاناً وعظمه فإذا دخل بلدته ورأى فيها سهماً من جعبته أو سوطاً له فإنه يعظم تلك البلدة وأهلها، فالملائكة يعظمون النبي ﷺ فإذا رأوا ذخائره في دار أو بلدة أو قبر عظموا صاحبه وخففوا عنه العذاب ولذلك السبب ينفع الموتى أن توضع المصاحف على قبورهم ويتلى عليهم القرآن ويكتب القرآن على القراطيس وتوضع في أيدي الموتى كذا في «الأسرار المحمدية». قال في الجلد الثالث من «المثنوي»:

از انس فرزند مالك آمدست ... كه بمهمانىء أو شخصى شدست
او حكايت كرد كز بعد طعام ... ديد انس دستار خوانرا زردفام
چرك آلوده وكفت اي خادمه ... اندر افكن درتنورش يكدمه
درتنور پر زآتش درفكند ... آن زمان دستار خوانرا هوشمند
جمله مهما نان دران حيران شدند ... انتظار دود كندورى بدند
بعد يكساعت بر آورد ازتنور ... پاك واسپيدو ازان اوساخ دور
قوم كفتند اى صحابىء عزيز ... چون نسوزيد ومنقا كشت نيز
كفت زانكه مصطفى دست ودهان ... بس بما ليد اندرين دستار خوان
اي دل ترسنده ازنار وعذاب ... باچنان دست ولبى كن اقتراب
چون جمادى راچنين تشريف داد ... جان عاشق راچها خواهد كشاد

اللهم اجعل حرفتنا محبته وارزقنا شفاعته.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا

عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾.

﴿ومن قوم موسى﴾ لما ذكر الله تعالى عبدة العجل ومن قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] وهم الأشقياء اتبع ذكرهم بذكر أضدادهم السعداء فالمراد بالقوم بنو إسرائيل الموجودون في زمن موسى عليه السلام. ﴿أمة﴾ أي: جماعة. ﴿يهدون﴾ [راه مينما يندخلق را] فالمفعول محذوف ﴿بالحق﴾ ملتبسين به، أي: محقين. ﴿وبه﴾ أي: بالحق ﴿يعدلون﴾ أي: في الأحكام الجارية بينهم وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية، والأشهر أن المراد بهذه الأمة قوم وراء الصين بأقصى المشرق، وذلك أن بني إسرائيل لما بالغوا في العتو والطغيان بعد وفاة موسى ووفاة خليفة يوشع حتى اجترأوا على قتل أنبيائهم، ووقع الهرج والمرج تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا، وسألوا الله تعالى أن يفرق بينهم وبين أولئك الطاغين ففتح الله لهم وهم في بيت المقدس نفقاً في الأرض وجعل أمامهم المصابيح لتضيء لهم بالنهار، فإذا أمسوا أظلم عليهم النفق فنزلوا فإذا أصبحوا أضاءت لهم المصابيح فساروا ومعهم نهر من ماء يجري وأجرى الله تعالى عليهم أرزاقهم فساروا فيه على هذا الوجه سنة ونصف سنة حتى خرجوا من وراء الصين إلى أرض بأقصى المشرق طاهرة طيبة، فنزلوها وهم مختلطون بالسباع والوحوش والهوام لا يضر بعضهم بعضاً وهم متمسكون بالتوراة مشتاقون إلى الإسلام لا يعصون الله تعالى طرفة عين تصافحهم الملائكة، وهم في منقطع من الأرض لا يصل إليهم أحد منا ولا أحد منهم إلينا إما لأن بين الصين وبينهم وادياً جارياً من رمل فيمنع الناس من إتيانهم، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: أو نهراً من شهد، كما قال السدي: وإنهم كبني أب واحد ليس لأحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويضحون بالنهار ويزرعون ويحصدون جميعاً فيضعون الحاصل في أماكن من القرية فيأخذ كل رجل منهم قدر حاجته ويدع الباقي. روي أن رسول الله ﷺ قال لجبرائيل ليلة المعراج إني أحب أن أرى القوم الذين أثنى الله عليهم بقوله: ﴿ومن قوم موسى أمة﴾ الآية فقال: إن بينك وبينهم مسيرة ست سنين ذهاباً وست سنين إياباً ولكن سل ربك حتى يأذن لك فدعا النبي عليه السلام وأمن جبريل فأوحى الله تعالى إلى جبريل أنه أجيب إلى ما سأل فركب البراق فخطا خطوات فإذا هو بين أظهر القوم فسلم عليهم وردوا عليه سلامه وسألوه من أنت فقال: «أنا النبي الأمي» قالوا أنت الذي بشر بك موسى عليه السلام وأوصانا بأن قال لنا من أدرك منكم أحمد عليه الصلاة والسلام فليقرأ عليه مني السلام فرد رسول الله ﷺ على موسى سلامه وقالوا فمن معك قال: «أو ترون قالوا» نعم قال هو جبريل قال: «فرأيت قبورهم على أبواب دورهم فقلت فلِمَ ذلك»؟ قالوا: أجدر أن نذكر الموت صباحاً ومساء فقال: «أرى بنيانكم مستوياً» قالوا ذلك لئلا يشرف بعضنا على بعض ولئلا يسد أحد على أحد الريح والهواء قال: «فما لي لا أرى لكم قاضياً ولا سلطاناً»؟ قالوا: أنصف بعضنا بعضاً وأعطينا الحق فلم نحتج إلى قاضٍ ينصف بيننا قال: «فما لي أرى أسواقكم خالية»؟ قالوا: نزرع جميعاً ونحصد جميعاً فيأخذ كل أحد منا ما يكفيه ويدع الباقي لأخيه فلا نحتاج إلى مراجعة الأسواق قال: «فما لي أرى هؤلاء القوم يضحكون؟ قالوا: مات لهم ميت فيضحكون سروراً بما قبضه الله

على التوحيد قال: «فما لهؤلاء القوم يبكون»؟ قالوا: ولد لهم مولود فهم لا يدرون على أي دين يقبض فيغتمون لذلك قال: «فإذا ولد لكم ذكر فماذا تصنعون»؟ قالوا: نصوم لله شكراً شهراً قال: «فالأنثى» قالوا نصوم لله شكراً شهرين قال: «ولِمَ»؟ قالوا: لأن موسى عليه السلام أخبرنا أن الصبر على الأنثى أعظم أجراً من الصبر على الذكر قال: «أفتزنون»؟ قالوا: وهل يفعل ذلك أحد لو فعل ذلك أحد لحصبته السماء وخسفت به الأرض من تحته قال: «أفترابون»؟ قالوا: إنما يرابي من لا يؤمن برزق الله قال: «أفتمرضون»؟ قالوا: لا نمرض ولا نذنب إنما تذنب أمتك فيمرضون ليكون ذلك كفارة لذنوبهم قال: «هل في أرضكم سباع وهوام»؟ قالوا: نعم تمر بنا ونمر بها ولا تؤذينا ولا نؤذيها فعرض رسول الله ﷺ شريعته والصلوات الخمس عليهم وعلمهم الفاتحة وسوراً من القرآن.

قال الحدادي: أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن يومئذٍ نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة فأمرهم بالصلاة والزكاة وأن يتركوا تحريم السبت ويجمعوا وأمرهم أن يقيموا مكانهم فهم اليوم هناك حنفاء مسلمون مستقبلون قبلتنا.

يقول الفقير: التجميع وهو بالفارسي [نماز آذينه آمدن وكزاردن آن] إنما شرع بعد الهجرة فتناقض أول الكلام مع آخره وكذا أمر القبلة ولعل النبي عليه السلام علمهم أولاً ما نزل بمكة من الشرائع والأحكام، ثم أكمل لهم الدعوة بطريق آخر فإن المعراج بالروح والجسد معاً وإن حصل له عليه السلام مرة واحدة بمكة وفي ليلته فرضت الصلاة على ما عليه الكل إلا أنه عليه السلام كان يصل جسده الشريف في لمحة إلى حيث يصل إليه بصره وكان عنده القريب والبعيد على السواء هذا ما خطر بالضمير بعد ما رأيت من أهل التفسير ما يتنافى الأول منه بالأخير والله هو العليم الخبير.

والإشارة في الآية: **﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق﴾** يعني: خواصهم يهدون بالحق يرشدون الخلق بالكتاب المنزل بالحق على موسى عليه السلام: **﴿وبه يعدلون﴾** أي: به يحكمون بين العوام وشتان بين أمة أمية بلغوا أعلى مراتب الروحانية بالسير في متابعة النبي الأمي ثم اختطفوا عن أنانية روحانيتهم بجذباب أنوار المتابعة إلى مقام الوحدة، التي هي مصدر وجودهم في بقاء الوحدة كما قال تعالى: «كنت له سمعاً وبصراً ولساناً فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق» وبالرجوع إلى هذا المقام سموا أميين فإنهم رجعوا إلى أصلهم الذي صدروا عنه إيجاداً وبين أمة كان نبيهم محجوباً بحجاب الأنانية عند سؤال الرؤية بقوله: **﴿أرني أنظر إليك﴾** فأجيب **﴿لن تراني﴾** لأنك كنت بك لا بي فإنه لا يراني إلا من كان بي لا به فأكون بصره الذي يبصر به وهذا مقام الأمة الأمية فلهذا قال موسى عليه السلام: اللهم اجعلني من أمة أحمد شوقاً إلى لقاء ربه فافهم جداً كذا في «التأويلات النجمية»:

مصطفى را انبيا امت شدند جمله در زير لواء اوبدند
پايهٔ اين امت مرحومه بين كي يقالوا بين ارباب اليقين
رفعتش بين الأمم چون آفتاب درميان انجم اى عالى جناب
پيشه كن اى حقى شرع اين نبى تا نباشد فوت ازتو مطلبى

﴿وقطعناهم﴾ أي: قوم موسى لا الأمة المذكورة منهم. **﴿اثنتي عشرة﴾** ثاني مفعولي قطع لتضمنه معنى التصيير والتأنيث للحمل على الأمة أو القطعة، أي: صيرناهم اثنتي عشرة

أمة أو قطعة متميزاً بعضها من بعض. ﴿أسباطاً﴾ بدل منه ولذلك جمع؛ لأن مميز أحد عشر إلى تسعة عشر يكون مفرداً منصوباً وأسباطاً جمع فلا يصلح أن يكون مميزاً له وهي جمع سبط والسبط من ولد إسحاق كالقبيلة من ولد إسماعيل وهو في الأصل ولد الولد. ﴿أمماً﴾ بدل بعد بدل جمع أمة، وهي: بمعنى الجماعة وانحصر فرق بني إسرائيل في اثنتي عشرة فرقة؛ لأنهم تشعبوا من اثني عشر رجلاً من أولاد يعقوب فأنعم الله عليهم بهذا التقطيع والتمييز لتنتظم أحوالهم ويتيسر عيشهم وكانوا أقواماً متباغضة متعصبة. ﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه﴾ أي: طلبوا منه الماء حين استولى عليهم العطش في التيه الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم. ﴿أن﴾ مفسرة لفعل الإيحاء ﴿اضرب بعصاك﴾ كان عصاه من آس الجنة وكان آدم حملها معه من الجنة إلى الأرض فتوارثها الأنبياء صاغراً عن كابر حتى وصلت إلى شعيب فأعطاها موسى. ﴿الحجر﴾ قد سبق في البقرة على الاختلاف الواقع فيه.

وقال في «التفسير الفارسي»: [آن سنك راكه چون بتيه در آمدى باتو بسخن در آمدكه مرابرداركه ترا بكار آيم وتوبرداشتى وحالا درتوبره دارى موسى عليه السلام عصار بران سنك زد] ﴿فانبجست﴾ [پس شكافته شد وكشاده كشت] ﴿منه﴾ [از آن سنك] ﴿اثنتا عشرة عيناً﴾ [دوازده چشمه] بعدد الأسباط.

قال الحدادي: الانبجاس: خروج الماء قليلاً والانفجار خروجه واسعاً وإنما قال فانبجست لأن الماء كان يخرج من الحجر في الابتداء قليلاً ثم يتسع فاجتمع فيه صفة الانبجاس والانفجار. ﴿قد علم كل أناس﴾ كل سبط عبر عنهم بذلك إيذاناً بكثرة كل واحد من الأسباط. ﴿مشربهم﴾ أي: عينهم الخاصة بهم وكان كل سبط يشربون من عين لا يخالطهم فيها غيرهم للعصبية التي كانت بينهم.

قال ابن الشيخ: كان في ذلك الحجر اثنتا عشرة حفرة، فكانوا إذا نزلوا وضعوا الحجر وجاء كل سبط إلى حفرته فحفروا الجداول إلى أهلهم فذلك قوله تعالى: ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ أي: موضع شربهم. ﴿وظللنا عليهم الغمام﴾ أي: جعلناها بحيث تلقي عليهم ظلها تسير في التيه بسيرهم وتسكن بإقامتهم لتقيهم حر الشمس في النهار، وكان ينزل بالليل عمود من نار يسيرون بضوئه. ﴿وأنزلنا عليهم المنّ﴾ الترنجبين.

قال في القاموس: المن كل طل ينزل من السماء على شجر أو حجر ويحلو وينعقد عسلاً ويجف جفاف الصمغ كالشيرخشت والترنجبين. ﴿والسلوى﴾ قال القزويني وابن البيطار: إنه السماني، وقال غيرهما: طائر قريب من السماني.

قال في «التفسير الفارسي»: [مرغى بر شكل سمانى وآن طائريست در طرف يمن ازكنجشك بزركتر وازكبوتر خردتر] وإنما سمي سلوى لأن الإنسان يسلو به عن سائر الأدام.

وفي الحديث: «أطيب اللحم لحم الطير» وفي الحديث أيضاً: «سيد الإدام في الدنيا والآخرة اللحم، وسيد الشراب في الدنيا والآخرة الماء، وسيد الرياحين في الدنيا والآخرة الفاغية» ويدل على كون اللحم سيد الطعام أيضاً قوله ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» قيل: كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع لكل إنسان صاع، وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه. ﴿كلوا﴾ أي: قلنا

لهم كلوا ﴿من طيبات ما رزقناكم﴾ أي: مستلذاته وما موصولة كانت أو موصوفة عبارة عن المن والسلوى.

قال في «التفسير الفارسي»: [از پاكيزها آنچه بمحض عنايت روزى كرديم شمارا يعنى هرچه روزى ميرسد بخوريد وبراى خود ذخيره منهيد پس ايشان خلاف كرده وذخيره مى نهادند همه متعفن ومتغير ميشد]. ﴿وما ظلمونا﴾ عطف على جملة محذوفة للإيجاز، أي: فظلموا بأن كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ إذ لا يتخطاهم ضرره.

قال الحدادي: أي يضرون أنفسهم باستيجابهم عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا كلفة ولا مشقة في الدنيا ولا حساب ولا تبعة في العقبى.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾

﴿وإذ قيل لهم﴾ أي: واذكر لهم يا محمد وقت قوله تعالى لأسلافهم. ﴿اسكنوا هذه القرية﴾ منصوبة على المفعولية يقال سكنت الدار، وقيل على الظرفية اتساعاً، وهي بيت المقدس أو أريحاء وهي قرية الجبارين بقرب بيت المقدس وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة رأسهم عوج بن عنق ﴿وكلوا منها﴾ أي: من مطاعمها وثمارها. ﴿حيث شئتم﴾ أي: من نواحيها من غير أن يزاحمكم فيها أحد. ﴿وقولوا حطة﴾ أي: مسألتنا حطة ذنوبنا عنا فعلة من الحط كالردة من الرد. والحط: وضع الشيء من أعلى إلى أسفل والمراد هنا بالحط المغفرة وحط الذنوب. ﴿وادخلوا الباب﴾ أي: باب القرية ﴿سجداً﴾ منحنين متواضعين أو ساجدين شكراً على إخراجهم من التيه، ثم إن كان المراد بالقرية أريحاء فقد روي أنهم دخلوها حيث سار إليها موسى عليه السلام بمن بقي من بني إسرائيل أو بذرياتهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما مر في سورة المائدة، وإن كان بيت المقدس فقد روي أنهم لم يدخلوه في حياة موسى، فقيل: المراد بالباب باب القبة التي كانوا يصلون فيها كذا في «الإرشاد» ﴿نغفر لكم خطيئاتكم﴾ ما سلف من ذنوبكم باستغفاركم وخضوعكم. ﴿سنزيد المحسنين﴾ استئناف بياني كأنه قيل فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد المحسنين إحساناً وثواباً فالمغفرة مسببة عن الامتثال والإثابة محض تفضل.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿فبدل الذين ظلموا منهم﴾ ما أمروا به من التوبة والاستغفار حيث أعرضوا عنه ووضعوا موضعه. ﴿قولا﴾ آخر مما لا خير فيه. روي أنهم دخلوا زاحفين على استاههم وقالوا مكان حطة حنطة استخفافاً بأمر الله تعالى واستهزاء بموسى عليه السلام وعدولاً عن طلب عفو الله تعالى ورحمته إلى طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا الفانية الدنية. ﴿غير الذي قيل لهم﴾ نعت لقولاً صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعاً تحقيقاً للمخالفة وتنصيصاً على المغايرة

من كل وجه. ﴿فأرسلنا عليهم﴾ أي: على الذين ظلموا أثر ما فعلوا من غير تأخر والإرسال من فوق كالإنزال. ﴿رجزاً من السماء﴾ عذاباً كائناً منها والمراد الطاعون. روي أنه مات منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً. ﴿بما كانوا يظلمون﴾ بسبب ظلمهم المستمر السابق واللاحق لا بسبب التبديل فقط، كذا من لم يعرف قدر النعماء يقرع باب البلاء ليجري عليه أحكام القضاء فامتحن بأنواع المحن والوباء.

واعلم: أن الذين ظلموا من بني إسرائيل أفسدوا عليهم النعمتين نعمة الدنيا وهي المن والسلوى وغيرهما ونعمة العقبى وهي المغفرة والإثابة وبعد فوت زمان التدارك لا ينفع نفساً إيمانها ولا تحسرها وندمها حكي أن أخوين في الجاهلية خرجا مسافرين فنزلا في ظل شجرة تحت صفاة فلما دنا الرواح خرجت لهما من تحت الصفاة حية تحمل ديناراً فألقته إليهما فقالا إن هذا لمن كنز فأقاما عليه ثلاثة أيام كل يوم تخرج لهما ديناراً، فقال أحدهما للآخر: إلى متى ننتظر هذه الحية ألا نقتلها ونحفر عن هذا الكنز فنأخذه فنهاه أخوه فقال: ما تدري لعلك تعطب ولا تدرك المال فأبى عليه فأخذ فأساً معه ورصد الحية حتى خرجت وضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها فبادرت الحية فقتلته ورجعت إلى حجرها فدفنه أخوه وأقام حتى إذا كان الغد خرجت الحية معصوباً رأسها ليس معها شيء، فقال: يا هذه إني والله ما رضيت بما أصابك ولقد نهيت أخي عن ذلك فهل لك أن نجعل الله بيننا لا تضريني ولا أضرك وترجعين إلى ما كنت عليه فقالت الحية لا فقال ولم قالت لأني أعلم أن نفسك لا تطيب لي أبداً وأنت ترى قبر أخيك ونفسي لا تطيب لك وأنا أذكر هذه الشجة كذا في «حياة الحيوان». قال في «المثنوي»:

بركذشته حسرت آوردن خطاست   باز نايد رفته ياد آن هباست

اللهم اجعلنا من المتيقظين قبل طلوع صبح الآخرة ولا تجعلنا غافلين عما يهمنا من الأمور الباطنة والظاهرة ووفقنا كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً وعن بواطننا خبيراً ﴿واسألهم﴾ عطف على واذكر المقدر عند قوله: ﴿وإذ قيل﴾ والضمير البارز عائد إلى اليهود المعاصرين لرسول الله ﷺ وليس المقصود من السؤال استعلام ما ليس معلوماً للسائل لأنه عليه السلام كان قد علم هذه القصة من قبل الله تعالى بالوحي، بل المقصود منه أن يحملهم الرسول ﷺ على أن يقروا بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله تعالى ومخالفتهم الأنبياء على طريق التوارث من أسلافهم وتقريعهم بذلك وأن يظهر بذلك معجزة دالة على أنه نبي حق أوحي إليه ما لا يعلم إلا بتعليم أو وحي فإنه عليه السلام لما كان أمياً ولم يخالط أهل الكتب السابقة وبين هذه القصة على وجهها من غير زيادة ولا نقصان تعين أنه علم ذلك بالوحي فكان بيانها على ما وقعت معجزة ظاهرة من جملة معجزاته عليه السلام. ﴿عن القرية﴾ أي: عن حالها وخبرها وما جرى على أهلها من الداهية الدهياء وهي أيلة بين مدين والطور والعرب تسمي المدينة قرية. ﴿التي كانت حاضرة البحر﴾ أي: قريبة منه مشرفة على شاطئه. ﴿إذ يعدون في السبت﴾ أي: يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير العبادة وإذ ظرف للمضاف المحذوف ﴿إذ تأتيهم حيتانهم﴾ ظرف ليعدون، والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظاً ومعنى. وكان علي بن أبي طالب يقول: سبحان من يعلم اختلاف النينان في البحار الغامرات وإضافتها إليهم لأن المراد بالحيتان الكائنة في تلك الناحية ﴿يوم سبتهم﴾ ظرف لتأتيهم أي تأتيهم يوم تعظيمهم

لأمر السبت فالسبت هنا مصدر سبتت اليهود إذا عظمت السبت بالتجرد للعبادة.

وفي «التفسير الفارسي»: [روز شنبه ايشان] فهو اسم لليوم ﴿شرعاً﴾ جمع شارع من شرع عليه إذا دنا وأشرف وهو حال من حيتانهم أي تأتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل. ﴿ويوم لا يسبتون﴾ أي: لا يراعون أمر السبت لكن لا بمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت، كما هو المتبادر بل مع انتفائهما معاً، أي: لا سبت ولا مراعاة. ﴿لا تأتيهم﴾ كما كانت تأتيهم يوم السبت حذاراً من صيدهم فإن الله تعالى قوى دواعيها إلى الشروع في يوم السبت معجزة لنبي ذلك الوقت وابتلاء لتلك التي فصلت بين يوم السبت وغيره من الأيام. ﴿كذلك نبلوهم﴾ الكاف في موضع النصب بقوله نبلوهم، أي مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عدوانهم نؤاخذهم به. ﴿بما كانوا يفسقون﴾ أي: بسبب فسقهم المستمر في كل ما يأتون وما يذرون.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿وإذ قالت﴾ عطف على إذ يعدون ﴿أمة منهم﴾ أي: جماعة من صلحائهم الذين ركبوا في عظتهم متن كل صعب وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول لآخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء للنفع والتأثير مبالغة في الأعذار وطمعاً في فائدة الإنذار. ﴿لم تعظون﴾ [جرابند ميدهيد] ﴿قوماً﴾ [كروهى راكه بى شبهه]. ﴿الله مهلكهم﴾ أي: مستأصلهم ومطهر الأرض منهم. ﴿أو معذبهم عذاباً شديداً﴾ دون الاستئصال بالمرة. والمفهوم من بقية الآية كون المراد عذاب الدنيا قالوه مبالغة في أن الوعظ لا ينجح فيهم لا إنكاراً لوعظهم ورضي بالمعصية منهم. ﴿قالوا﴾ أي: الوعاظ ﴿معذرة إلى ربكم﴾ مفعول له أي نعظم معذرة إليه تعالى. والمعذرة: اسم مصدر بمعنى العذر وهو بضم فسكون في الأصل تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه بأن يقول لم أفعل أو فعلت لأجل كذا أو فعلت ولا أعود وهذا الثالث التوبة فكل توبة عذر بلا عكس وقيل المعذرة بمعنى الاعتذار يقال: اعتذرت إلى فلان من جرمي ويعدى بمن والمعتذر قد يكون محقاً وغير محق كذا في «تاج المصادر». قال السعدي قدس سره:

كر بمحشر خطاب قهر كند انبيارا چه جاى معذرتست

پرده از لطف كوك بردارد كاشقيارا اميد مغفرتست

﴿ولعلهم يتقون﴾ عطف على معذرة، أي: ورجاء لأن يتقوا بعض التقاة ويتركوا المعصية لأن قبول الحق الواضح يرجى من العاقل. واليأس لا يحصل إلا بالهلاك وهذا صريح في أن القائلين لم تعظون إلخ ليسوا من الفرقة الهالكة وإلا لوجب الخطاب أي: ولعلكم.

﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ أي: تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسي للشيء وأعرضوا عنه إعراضاً كلياً بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ أصلاً فيكون من ذكر المسبب وإرادة السبب. ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء﴾ أي: خلصنا الذين ينهون عن الاصطياد وهم الفريقان المذكوران.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزل والله بالمداهن ما نزل بالمستحل.

وقال الحسن: نجت فرقتان وهلكت فرقة وأنكر القول الذي ذكر له عن ابن عباس وقال ما هلك إلا فرقة لأنه ليس شيء أبلغ في الأمر بالمعروف والوعظ من ذكر الوعيد وقد ذكرت الفرقة الثالثة الوعيد، فقالت: لِمَ تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً، وقول الحسن أقرب إلى ظاهر الآية كذا في «تفسير الحدادي». ﴿وأخذنا الذين ظلموا﴾ بالاعتداء ومخالفة الأمر ﴿بعذاب بئيس﴾ أي: شديد وزناً ومعنى ﴿بما كانوا يفسقون﴾ متعلق بأخذنا كالباء الأولى ولا ضير فيه لاختلافهما معنى، أي: أخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان أيضاً ولعله تعالى قد عذبهم بعذاب شديد دون الاستئصال فلم يقلعوا عما كانوا عليه، بل ازدادوا في الغي فمسخهم بعد ذلك لقوله تعالى:

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾

﴿فلما عتوا عن ما نهوا عنه﴾ أي: تمردوا وتكبروا وأبوا عن ترك ما نهوا عنه قدر المضاف إذ التكبر والإباء من نفس المنهي عنه لا يذم فهو كقوله تعالى: ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف: ٧٧] أي: عن امتثال أمر ربهم والعاتي هو شديد الدخول في الفساد المتمرد الذي لا يقبل الموعظة. ﴿قلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ صاغرين أذلاء بعداء عن الناس. في «القاموس» خسأ الكلب كمنع طرده والكلب بعد. والقردة جمع قرد بالفارسي [بوزينه] والأنثى قردة وجمعها قرد مثل قربة وقرب والمراد هو الأمر التكويني لا القولي التكليفي لأنهم لا يقدرون على قلب أنفسهم قردة وتكليف العاجز غير معقول فليس ثمة قول ولا أمر ولا مأمور حقيقة وإنما هو تعلق قدرة وإرادة بمسخهم نعوذ بالله تعالى. روي أن اليهود أمروا باليوم الذي أمرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو المعني بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل: ١٢٤] فابتلوا به وحرم عليهم الصيد وأمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كأنها المخاض، والكباش البيض السمان تنتطح لا يرى وجه الماء لكثرتها ولا تأتيهم في سائر الأيام فكانوا على ذلك برهة من الدهر ثم جاءهم إبليس فقال لهم إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا حياضاً سهلة الورود صعبة الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان إليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج ويأخذونها يوم الأحد وأخذ رجل منهم حوتاً وربط في ذنبه خيطاً إلى خشبة في الساحل، ثم شواه يوم الأحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع على تنوره، فقال له: إني أرى الله سيعذبك فلما لم يره عذاب أخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا أن العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا وأكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحواً من سبعين ألفاً فكان أهل القرية أثلاثاً، ثلث استمروا على النهي، وثلث ملوا التذكير وشموه وقالوا للواعظين لم تعظون إلخ. وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لا نساكنكم فباعوا الدور والمساكن وخرجوا من القرية فضربوا الخيام خارجاً منها أو اقتسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فأصبح

الناهون ذات يوم فخرجوا من أبوابهم وانتشروا لمصالحهم ولم يخرج من المعتدين أحد، فقالوا: لعل الخمر غلبتهم أو أن لهم لشأناً من خسف أو مسخ أو رمي بالحجارة فعلوا الجدر، فنظروا فإذا هم قردة أو صار الشبان قردة والشيوخ خنازير ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة أنسابهم من الإنس وهم لا يعرفونها فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه فيبكي ويقول له نسيبه ألم ننهكم فيقول القرد برأسه بلى ودموعهم تسيل على خدودهم ثم ماتوا عن مكث ثلاثة أيام، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يعش ممسوخ قط أكثر من ثلاثة أيام وعليه الجمهور. وأما قوله عليه السلام: «فقدت أمة من بني إسرائيل لا يُدْرَى ما فعلت ولا أَرَاها إلا الفأر ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشربها وإذا وضع لها ألبان غيرها شربتها» وما روي أن النبي عليه السلام أتي بضب فأبى أن يأكله وقال: «لا أدري لعله من القرون التي مسخت» فالجواب عنهما أن ذلك كان قبل أن يوحى إليه أن الله لم يجعل لممسوخ نسلاً فلما أوحى إليه زال عنه ذلك المتخوف وعلم أن الضب والفأر ليسا مما مسخ فعند ذلك أخبرنا بقوله ﷺ: لمن سأله عن القردة والخنازير أهي مما مسخ فقال: «إن الله لم يهلك قوماً، أو يعذب قوماً فيجعل لهم نسلاً وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك وثبت» النصوص «بأكل الضب بحضرته وعلى مائدته ولم ينكره» كذا في «حياة الحيوان».

وعن مجاهد وإنما مسخت قلوبهم فقط وردت أفهامهم كأفهام القردة وهذا قول تفرد به عن جميع المسلمين.

يقول الفقير: مسخ القلب مشترك بين عصاة جميع الأمم وعادة الله تعالى في النبوة الأولى تعجيل عقوبة الدنيا على أقبح وجه وأفظعه ولا عقوبة أدهى من تبديل الصورة الحسنة الإنسانية إلى صورة أخس الحيوانات، وهي صورة القردة والخنازير القبيحة نعم مسخ القلب والمعنى سبب لمسخ القالب والصورة نعوذ بالله.

وعن الحسن: وايم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل ذلك موعداً والساعة أدهى وأمر.

قال أنس بن مالك: عن رسول الله ﷺ أنه سئل هل في أمتك خسف؟ «قال نعم» قيل: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: «إذا لبسوا الحرير واستباحوا الزنى وشربوا الخمور وطففوا المكيال والميزان واتخذوا القينات والمعازف وضربوا بالدفوف واستحلوا الصيد في الحرم».

والإشارة: أن القرية هي قرية الجسد الحيواني على شاطىء بحر البشرية وأهل قرية الحس الصفات الإنسانية وهي على ثلاثة أصناف. منها صنف روحاني كصفات الروح، وصنف قلبي كصفات القلب، وصنف نفساني كصفات النفس الأمارة بالسوء وكل قد نهوا عن صيد حيتان الدواعي البشرية في سبت محارم الله، فصنف أمسك عن الصيد ونهى عنه وهو الصفات الروحانية وصنف أمسك ولم ينه وهو الصفات القلبية، وصنف انتهك الحرمة وهو الصفات النفسانية.

قال حضرة شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة: يوم طور النفس الأمارة بالسوء يوم السبت لانقطاع أهله باتباع الطاغوت والجبت وشهره شهر المحرم لحرمانه من القربة والنيل والوصلة ونجمه القمر وفلكه فلك السماء الدنيا وآيته قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨] انتهى وتتوفر الدواعي البشرية فيما حرم الله بإغراء الشيطان

وتزيينه لأن الإنسان حريص على ما منع ولا يرغب فيما لم يحرم الله فمن كان الغالب عليه صفات الروح وقهر النفس وتبديل صفاتها بالتزكية والتحلية فإنه من أهل النجاة وأرباب الدرجات وأصحاب القربات، ومن كان الغالب عليه النفس وصفاتها فإنه من أهل الهلاك وأرباب الدركات وأصحاب المباعدات. وفي «المثنوي»:

نفس تو تامست وتازه است وقديد ... دانكه روحت حاسة غيبى نديد
كه علاماتست زان ديدار نور ... التجافى منك عن دار الغرور
واى آنكه عقل أو ماده بود ... نفس زشتش نرو آماده بود
لا جرم مغلوب باشد عقل او ... جزسوى خسران نباشد نقل او
وصف حيواني بود بر زن فزون ... زانكه سوى رنك ويودارد ركون

﴿وإذ تأذن ربك﴾ بمعنى آذن مثل توعد بمعنى أوعد، والإيذان الإعلام وبمعنى عزم لأن من عزم على الأمر وصمم نيته عليه يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله وعزم الله تعالى على الأمر عبارة عن تقرر ذلك الأمر في علمه وتعلق إرادته بوقوعه في الوقت المقدر له، والمعنى: واذكر يا محمد لليهود وقت إيجابه تعالى على نفسه ﴿ليبعثن﴾ ألبتة ﴿عليهم إلى يوم القيامة﴾ متعلق بقوله: ليبعثن واللام فيه لام جواب القسم لأن قوله: ﴿وإذ تأذن ربك﴾ جار مجرى القسم كعلم الله وشهد الله من حيث دلالته على تأكد الخبر المؤذن به ﴿من يسومهم﴾ السوم [رنج بخشانيدن] كذا في «تاج المصادر» فالمعنى [كسى كه بخشاند ايشانرا] ﴿سوء العذاب﴾ [عذابي سخت] كالإذلال وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب، وقد بعث الله تعالى عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها إلى المجوس حتى بعث الله محمداً ﷺ ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية فلا تزال مضروبة إلى آخر الدهر.

قال الحدادي: وفي هذه الآية دلالة على أن اليهود لا ترفع لهم راية عز إلى يوم القيامة ﴿إن ربك لسريع العقاب﴾ يعاقبهم في الدنيا ﴿وإنه لغفور رحيم﴾ لمن تاب وآمن منهم.

وفي الآية: إشارة إلى أن الشيطان وهو المنظر إلى يوم القيامة يبعث ليسوم الخلق سوء العذاب وهو الإبعاد من القربة والإغراء في الضلالة والإقعاد عن العبودية والإضلال عن الصراط المستقيم إن ربك لسريع العقاب يعاقبهم في الدنيا ويملي لهم ليزدادوا إثماً هذا عقوبة في الدنيا، وهي تورث العقوبة في الآخرة وإنه لغفور يغفر ذنوب من يرجع إليه ويتوب أي الأرواح والقلوب لو رجعت عن متابعة النفس وهواها وتابت إلى الله واستغفرت لغفر لها؛ لأنه رحيم يرحم من تاب إليه، وفيه معنى آخر إنه لسريع العقاب، أي: يعاقب المؤمنين في الدنيا بأنواع البلاء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ويوفقهم إلى الصبر على ذلك ليجعله كفارة لذنوبهم حتى إذا خرجوا من الدنيا خرجوا أنقياء لا يعذبون في الآخرة، وإنه لغفور رحيم لهم في الآخرة.

لقي يحيى عيسى عليهما السلام فتبسم عيسى في وجه يحيى فقال ما لي أراك لاهياً كأنك آمن فقال الآخر: ما لي أراك عابساً كأنك آيس فقالا لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي فأوحى الله تعالى أحبكما إليّ أحسنكما ظناً بي. قال السعدي:

نه يوسف كه چندان بلا ديد وبند ... چوحكمش روان كشت وقدرش بلند

كنه عفو كرد آل يعقوب را كه معنى بود صورت خوب را
بكردار بدشان مقيد نكرد بضاعات مزجات شان رد نكرد
ز لطفت همى چشم داريم نيز برين بى بضاعت ببخش اى عزيز

فينبغي للعاقل أن يحسن الظن بربه، ولا يتكاسل في باب العبادة فإن السفينة لا تجري على اليبس.

وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال: دخلت جبانة البصرة فإذا أنا بسعدون المجنون فقلت: كيف حالك وكيف أنت؟ قال: يا مالك كيف يكون حال من أمسى وأصبح يريد سفراً بعيداً بلا أهبة ولا زاد، ويقدم على رب عدل حاكم بين العباد، ثم بكى بكاء شديداً، فقلت ما يبكيك؟ قال: والله ما بكيت حرصاً على الدنيا ولا جزعاً من الموت والبلى لكن بكيت ليوم مضى من عمري لا يحسن فيه عمل أبكاني والله قلة الزاد وبعد المفازة والعقبة الكؤود ولا أدري بعد ذلك أصير إلى الجنة أم إلى النار؟ فسمعت منه كلام حكمة فقلت: إن الناس يزعمون أنك مجنون، فقال: وأنت اغتررت بما اغتر به بنو إسرائيل زعم الناس أني مجنون وما بي جنة ولكن حب مولاي قد خالط قلبي وأحشائي وجرى بين لحمي ودمي وعظامي فأنا والله من حبه هائم مشغوف، فقلت: يا سعدون فلِمَ تجالس الناس وتخالطهم فأنشأ يقول:

كن من الناس جانبا وارض بالله صاحبا
قلّبِ الناس كيف شئـ ـت تجدهم عقاربا

كذا في «روض الرياحين» لليافعي.

﴿وقطعناهم﴾ أي: فرقنا بني إسرائيل ﴿في الأرض﴾ وجعلنا كل فرقة منهم في قطر من أقطارها بحيث لا تخلو ناحية منها منهم تتميماً لجزاء إدبارهم وإعراضهم عن الحق حتى لا يكون لهم شوكة بالاجتماع أبداً. ﴿أمماً﴾ حال من مفعول قطعناهم أي: حال كونهم جماعات أو مفعول ثان لقطعنا باعتبار تضمنه معنى صيرنا. ﴿منهم الصالحون﴾ صفة لا مما وهم المتدينون بدين موسى ﴿ومنهم دون ذلك﴾ تقديره ومنهم ناس دون ذلك على أن دون ذلك صفة لموصوف محذوف مرفوع على الابتداء. وقوله: منهم خبر قدم عليه.

قال التفتازاني: قد شاع في الاستعمال وقوع المبتدأ والخبر ظرفين واستمر النحاة على جعل الأول خبراً والثاني مبتدأ بتقدير موصوف دون العكس وإن كان أبعد من جهة المعنى والتأخير بالخبر أولى وكأنهم يرون المصير إلى أن الحذف في أوانه أولى انتهى وذلك إشارة إلى الصلاح المدلول عليه بقوله: الصالحون بتقدير المضاف ليصح المعنى، أي: ومنهم دون أهل ذلك الصلاح منحطون عنهم وهم كفرتهم وفسقتهم وجوز بمعنى أولئك فالإشارة إلى الصالحين وقد ذكر النحويون أن اسم الإشارة المفرد قد يستعمل للمثنى والمجموع كذا في «حواشي سعدي چلبى» ﴿وبلوناهم﴾ أي: عاملناهم معاملة المبتلى المختبر ﴿بالحسنات والسيئات﴾ بالنعم والنقم حيث فتحنا عليهم تارة باب الخصب والعافية وتارة باب الجدب والشدائد. ﴿لعلهم يرجعون﴾ ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه من الكفر والمعاصي فإن كل واحد من الحسنات والسيئات يدعو إلى الطاعة أما الحسنات فللترغيب فيها، وأما السيئات فللترهيب عن المعصية.

قال الكاشفي: [ايشانرا درنعمت شكر بايست كرد بطر واستغنا ظاهر كردند وكفتند إن الله

فقير ونحن أغنياء ودر محنت صبرى بايست كرد آغاز ناسزا كردند وكفتند يد الله مغلولة برمحك اختبار تمام عيار بيرون نيامدند].

خوش بود كر محك تجربه آيدبميان تا سيه روى شودهركه دروغش باشد

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وبلوناهم بالحسنات﴾ أي: بكثرة الطاعات ورؤيتها والعجب بها كما كان حال إبليس ﴿والسيئات﴾ أي: المعاصي ورؤيتها والندامة عليها والتوبة منها والخوف والخشية من ربهم كما كان حال آدم عليه السلام رجع إلى الله تعالى: وقال ربنا ظلمنا أنفسنا.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾.

﴿فخلف من بعدهم﴾ من بعد المذكورين ﴿خلف﴾ أي: بدل سوء وهم الذين كانوا في عصر النبي ﷺ الذين خلفوا من اليهود الذين فرقهم الله في الأرض أمماً موصوفين بأنهم منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، والخلف: مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع يقال خلف فلان فلاناً إذا كان خليفته وخلفه في قومه خلافة أي قام مقامه في تدبير أحوال قومه.

قال ابن الأعرابي: الخلف بفتح اللام الصالح وبإسكان اللام الطالح ومنه قيل لرديء الكلام خلف.

وقال محمد بن جرير: أكثر ما جاء في المدح بفتح اللام وفي الذم بتسكينها وقد يحرك في الذم ويسكن في المدح، قال: وأحسبه في الذم مأخوذاً من خلف اللبن إذا حمض من طول تركه في السقاء حتى يفسد، ومنه قولهم خلف فم الصائم إذا تغيرت ريحه وفسدت فكان الرجل الفاسد مشبه به، والحاصل أن كليهما يستعملان في الشر والخير إلا أن أكثر الاستعمال في الخير بالفتح كذا في «تفسير الحدادي» ﴿ورثوا الكتاب﴾ أي: التوراة من أسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها. والميراث ما صار للباقي من جهة الهالك وهو في محل الرفع على أنه نعت لقوله: خلف ﴿يأخذون عرض هذا الأدنى﴾ استئناف، أي: يأخذون حطام هذا الشيء الأدنى يعني الدنيا وهو من الدنو، أي القرب سميت هذه الدار وهذه الحياة دنيا لدنوها وكونها عاجلة، يقال: دنوت منه دنواً أي قربت والداني القريب أو من الدناءة يقال دنا الرجل دناءة أي صار دنيئاً خسيساً لا خير فيه والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى في الحكومات وعلى تحريف الكلام.

قال الحدادي: سمي متاع الدنيا عرضاً لقلة بقائه كأنه يعرض فيزول قال الله تعالى: ﴿هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤] يريدون بذلك السحاب ﴿ويقولون سيغفر لنا﴾ لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه يقال غفر الله له ذنبه غطى عليه وعفا عنه. قوله: سيغفر إما مسند إلى الجار والمجرور بعده وهو لنا وإما إلى ضمير الأخذ في يأخذون كقوله: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [المائدة: ٨] أي: سيغفر لنا أخذ العرض الأدنى.

وفي «التأويلات النجمية»: من شأن النفوس أن يجعلوا المواهب الربانية والكشوف

الروحانية ذريعة العروض الدنيوية ويصرفها في تحصيل المال والجاه واستيفاء اللذات والشهوات ويقولون سيغفر لنا؛ لأنا وصلنا إلى مقام ورتبة يغفر لنا مثل الزلات والخطيئات كما هو مذهب أهل الإباحة جهالة وغروراً منهم، وفيه معنى آخر وهو أنهم يقولون: سيغفر لنا إذا استغفرنا منها وهم يستغفرون باللسان لا بالقلب. ﴿**وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه**﴾ حال من فاعل يقولون، أي: يأخذون الرشى في الأحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة، ويقولون إنه تعالى لا يؤاخذنا بأخذ ما أخذناه من عرض الدنيا ويتجاوز عنه والحال أنهم مصرون على أخذه عائدون إلى مثله غير تائبين عنه. ﴿**ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب**﴾ أي: العهد المذكور في التوراة. ﴿**أن لا يقولوا على الله إلا الحق**﴾ عطف بيان للميثاق، أي: لا تفتروا على الله مثل القطع على المغفرة مع الإصرار على الذنب. ﴿**ودرسوا ما فيه**﴾ [وخوانده اند آنچه دروست واين حكم دروى نديده اند] وهو معطوف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فإنه تقرير، أي: أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه ولك أن تقول درسوا عطف على لم يؤخذ فالاستفهام التقريري متعلق بهما. ﴿**والدار الآخرة**﴾ [ورستكارى سراى ديكركه عقابست ﴿**خير**﴾ بهترست از عرض دنيا] ﴿**للذين يتقون**﴾ المعاصي والشرك وأكل الحرام والافتراء على الله تعالى. ﴿**أفلا تعقلون**﴾ تعلمون ذلك فلا تستبدلوا الأدنى المؤدي إلى العقاب بالنعيم المخلد.

﴿**والذين**﴾ أي: وخير أيضاً للذين ﴿**يمسكون بالكتاب**﴾ أي: يتمسكون به في أمور دينهم يقال مسك بالشيء وتمسك به.

قال مجاهد: هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة، أي: وسيلة وسبباً لأكل أموال الناس.

وقال عطاء: هم أمة محمد عليه السلام فالمراد بالكتاب القرآن. ﴿**وأقاموا الصلاة**﴾ من قبيل ذكر الخاص بعد ذكر العام للتنبيه على شرف الخاص وفضله فإن إقامة الصلاة أعظم العبادات وأفضلها بعد الإيمان فأفردت بالذكر لعلو قدرها بالنسبة إلى سائر أنواع التمسكات.

خانهٔ دين خويش راچو خدا بر ستون نماز كردبنا
بى شكى تاستون بجاى بود خانهٔ دين حق بپاى بود

﴿**إنا لا نضيع أجر المصلحين**﴾ أي: نعطيهم أجرهم في القول والعمل.

قال الكاشفي: [مزدكار بصلاح آرند كان كردار خودرا بلكه بتمام بديشان رسانيم].

والإصلاح: أما إصلاح الظواهر، وإما إصلاح السرائر وذلك بالتقيد بالأعمال الظاهرة وتربية النفس إلى أن تصلح لقبول فيض نور الله.

واعلم: أن الغالب في آخر الزمان ترك العمل بالقرآن ولقد خلف من بعد السعداء أشقياء اطمأنوا إلى زخارف الدنيا.

قال الحسن: رأيت سبعين بدرياً كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم وكانوا بالبلاء أشد منكم فرحاً بالرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا أخياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا أشراركم حكموا بأنهم ما يؤمنون بيوم الحساب إذا عرض عليهم الحلال من المال تركوه خوفاً من فساد قلوبهم.

قال هرم لأويس: أين تأمرني أن أكون؟ فأومأ إلى الشام، فقال هرم: كيف المعيشة بها؟ قال أويس: أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها العظة قال من قال:

خانه پركندم ويك جونفر ستاده بكور غم مركت چوغم برك زمستانى نيست

وهذا الشك لا يزول إلا بالتوفيق الخاص الإلهي ولا بد من تربية المرشد الكامل فإنه أعرف بمصالح النفس ومفاسدها.

زمن اى دوست اين يك پندبپذير بروفتراك صاحب دولتى كير

﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم﴾ النتق: قلع الشيء من موضع والجبل هو الطور الذي سمع موسى كلام الله وأعطى الألواح وهو عليه أو جبل من جبال فلسطين، أو الجبل الذي كان عند بيت المقدس وفوقهم منصوب بنتقنا باعتبار تضمنه لمعنى رفعنا، كأنه قيل رفعنا الجبل فوق بني إسرائيل بنتقه وقلعه من مكانه فالنتق من مقدمات الرفع وسبب لحصوله. ﴿كأنه ظلة﴾ أي: سقيفة وهي كل ما أظلك بالفارسية [سايبان] ﴿وظنوا﴾ أي: تيقنوا ﴿أنه واقع بهم﴾ أي: ساقط عليهم لأن الجبل لا يثبت في الجو ولأنهم كانوا يوعدون به على تقدير عدم قبولهم أحكام التوراة. روي أن موسى عليه السلام لما أتى بني إسرائيل بالتوراة وقرأها عليهم وسمعوا ما فيها من التكاليف الشاقة أبوا أن يقبلوها ويتدينوا بما فيها، فأمر الله الجبل فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم بحيث حاذى معسكرهم جميعاً ولم يبق منهم أحد إلا والجبل فوقه وكان معسكرهم فرسخاً في فرسخ، وقيل لهم إن قبلتموها بما فيها وإلا ليقعن عليكم فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل منهم ساجداً على جانبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل خوفاً من سقوطه، فلذلك لا ترى يهودياً يسجد إلا على جانبه الأيسر، ويقولون هي السجدة التي رفعت بها عنا العقوبة فقبلوها جبراً قيل كل من أتى بشيء جبراً ينكص على عقبيه حين يجد فرصة، كذلك أهل التوراة لما قبلوها جبراً ما لبثوا حتى شرعوا في تحريفها. ﴿خذوا﴾ على إضمار القول، أي: قلنا خذوا ﴿ما آتيناكم﴾ من الكتاب ﴿بقوة﴾ بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو. ﴿واذكروا ما فيه﴾ بالعمل ولا تتركوه كالمنسي. ﴿لعلكم تتقون﴾ بذلك قبائح الأعمال ورذائل الأخلاق.

وفي الآية: إشارة إلى أن الإنسان لو وكل إلى نفسه وطبيعته لا يقبل شيئاً من الأمور الدينية طبعاً ولا يحمل أثقاله قطعاً إلا أن يعان على القبول والحمل بأمر ظاهر أو باطن، فيضطر إلى القبول، والحمل فالله تعالى أعان أرباب العناية حتى حملوا أثقال المجاهدات والرياضات وأخذوا ما آتاهم الله بقوة منه لا بقوتهم وإرادتهم. وفي «المثنوي»:

جشمها وكوشهارا بسته اند جزمر آنهاراكه ازخود رسته اند

جز عنايت كه كشايد چشم را حز محبت كه نشايد خشم را

جهد بى توفيق خودكس را مباد درجهان والله أعلم بالرشاد

قال حضرة الشيخ أفتاده أفندي قدس سره: مخاطباً لحضرة الهدايي إن كثيراً قد اجتهدوا ثلاثين سنة فلم يتيسر ما حصل لك، فقال الهدايي: إن بابنا الذي نخدم فيه أعلى مما خدموا

فينبغي أن تكون لنا العناية بهذا القدر فتبسم حضرة الشيخ يحكي أن أبا يزيد البسطامي لم يأكل البطيخ الأخضر زماناً لعدم وقوفه على أن النبي عليه السلام بأي وجه قطعه والشمس التبريزي قال إن البسطامي كان في الحجاب بسبب قصة البطيخ.

قال أفتاده أفندي: كأنه أراد أن قوة زهد البسطامي جعلته محجوباً ولكن التحقيق أن كلاً منهما على الكمال غايته أن أبا يزيد البسطامي وصل من طريق الرياضة، والشمس التبريزي وصل من طريق المعرفة والطرق إلى الله كثيرة ولكن طريق الرياضة أحكم وأثبت فصاحب الزهد الغالب وإن لم ينفتح له الطريق زماناً، ولكنه إذا انفتح يكون دفعة وبذلك لم يقدر الحلاج على ضبطه لكماله في الشريعة والطريقة فظهر حقيقة الحال على الأسلوب المذكور فعناية الله تعالى تهدي أولاً إلى القبول ثم إلى الزهد والرياضة ثم إلى العشق والحالة ثم إلى عالم الحقيقة، والطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق فكل أحد يصل إلى الله تعالى من طريق وهي غير متعينة وليست هي كما يزعمها الناس؛ إذ ليست على الأسلوب الظاهر قال الله تعالى: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] فالمراد بها الطريق المناسب لكل أحد وطريق الوصول هو التقوى والذكر.

واعلم: أن الكتب الإلهية إنما جاءت رحمة من الله تعالى وعناية وكذا الأنبياء عليهم السلام فمن اتبعهم وقبل ما جاؤوا به فقد نجا من العقبات وخرج من محبس هذا العالم وطار إلى الملكوت الأعلى وللهمة تأثير عظيم. ذكر أن في الهند قوماً إذا اهتموا بشيء اعتزلوا عن الناس وصرفوا همتهم إلى ذلك الشيء فيقع على وفق اهتمامهم.

ومن هذا القبيل ما ذكر أن السلطان محمود غزا بلاد الهند وكانت فيها مدينة كلما قصدها مرض فسأل عن ذلك فقيل له: إن عندهم جمعاً من الهند إذا صرفوا همتهم إلى ذلك يقع المرض على وفق ما اهتموا، فأشار إليه بعض أصحابه بدق الطبول ونفخ البوقات الكثيرة لتشوش همتهم ففعل ذلك فزال المرض واستخلصوا المدينة فأنت أيها السالك بضرب طبول الذكر وجهره وتشوش همّ النفس وخواطرها الفاسدة تخلص مدينة القلب من يدها بعناية الله تعالى وكان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاته قال بصوته الأعلى «لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير».

قال الشيخ أبو النجيب السهروردي المراد بقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾ [البقرة: ٢٧١] الجهر بالذكر.

وقال عمر النسفي والإمام الواحدي في تفسيريهما: الذكر من جملة الفرائض وإعلان الفرائض أولى وأحب دفعاً للتهمة والجهر يوقظ قلب الذاكر ويجمع همه إلى الفكر ويصرف سمعه إليه ويطرد النوم ويزيد في النشاط. وفي «المثنوي»:

يادهان خويشتن را پاك كن	روح خودرا چابك وچالاك كن
ذكر حق پاكست چون پاكى رسيد	رخت بربندد برون آيد پليد
مى كريزد ضدها از ضدها	شب كريزد چون برافر وزد ضيا
چون در آيد نام پاك اندر دهان	نى پليدى ماندو نى اندهان

قوله تعالى: **﴿واذكروا ما فيه﴾** يتناول الذكر اللفظي والحفظ الظاهري وإن كان العمدة هي العمل كما قال سعدي قدس سره: [مراد از نزول قرآن تحصيل سيرت خوبست نه ترتيل

سوره مكتوب عامىء متعبد پياده رفتست وعالم متهاون سوار خفته] أيقظنا الله وإياكم من منام الغفلة والجهالة وختم عواقب أمورنا بأحسن الخاتمة والحالة آمين.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾.

﴿وإذ أخذ ربك﴾ أي: واذكر يا محمد لبني إسرائيل وقت أخذ ربك ﴿من بني آدم﴾ أي: آدم وأولاده كأنه صار اسماً للنوع كالإنسان والبشر والمراد بهم الذين ولد لهم كائناً من كان نسلاً بعد نسل سوى من لم يولد له بسبب من الأسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيراً. ﴿من ظهورهم﴾ بدل من بني آدم بدل البعض، أي من أصلابهم وفيه تنبيه على أن الميثاق قد أخذ منهم وهم في أصلاب الآباء ولم يستودعوا في أرحام الأمهات ﴿ذريتهم﴾ مفعول أخذ، أي: نسلهم قرناً بعد قرن، يعني: أخرج بعضهم من بعض كما يتوالدون في الدنيا بحسب الأصلاب والأرحام والأدوار والأطوار إلى آخر ولد يولد ﴿وأشهدهم على أنفسهم﴾ أي: أشهد كل واحد من أولئك الذريات المخصوصين المأخوذين من ظهور آبائهم على نفسه لا على غيره تقريراً لهم بربوبيته التامة وما تستتبعه من العبودية على الاختصاص وغير ذلك من أحكامها. ﴿ألست بربكم﴾ على إرادة القول، أي: قائلاً ألست بربكم ومالك أمركم ومربيكم على الإطلاق من غير أن يكون لأحد مدخل في شأن من شؤونكم ﴿قالوا﴾ استئناف بياني كأنه قيل: فماذا قالوا فقيل قالوا: ﴿بلى شهدنا﴾ أي: على أنفسنا بأنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك والفرق بين بلى ونعم أن بلى إثبات لما بعد النفي، أي: أنت ربنا فيكون إيماناً ونعم لتقرير ما سبق من النفي، أي لست بربنا فيكون كفراً وهذا تمثيل وتخييل نزل تمكينهم من العلم بربوبيته بنصب الدلائل الآفاقية والأنفسية وخلق الاستعداد فيهم منزلة الإشهاد وتمكينهم من معرفتها والإقرار بها منزلة الاعتراف، فلم يكن هناك أخذ وإشهاد وسؤال وجواب وباب التمثيل باب واسع ورد في القرآن والحديث وكلام البلغاء قال الله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] ﴿أن تقولوا﴾ مفعول له لما قبله من الأخذ والإشهاد، أي فعلنا ما فعلنا كراهة أن تقولوا ﴿يوم القيامة﴾ عند ظهور الأمر ﴿إنا كنا عن هذا﴾ أي: عن وحدانية الربوبية وأحكامها ﴿غافلين﴾ لم ننبه عليه بدليل فإنهم حيث جبلوا على الفطرة ومعرفة الحق في القوة القريبة من الفعل صاروا محجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك ولو لم تكن الآية على طريقة التمثيل، بل لو أريد حقيقة الإشهاد والاعتراف وقد أنسى الله تعالى بحكمته تلك الحال لم يصح قوله أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين كما في «حواشي سعدي چلبي» المفتي.

﴿أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا﴾ عطف على أن تقولوا وأو لمنع الخلو دون الجمع أي: اخترعوا الإشراك وهم سنوه. ﴿من قبل﴾ من قبل زماننا. ﴿وكنا﴾ نحن ﴿ذرية من بعدهم﴾ لا نهتدي إلى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل فاقتدينا بهم. ﴿أفتهلكنا﴾ أي: أتؤاخذنا فتهلكنا ﴿بما فعل المبطلون﴾ من آبائنا المضلين بعد ظهور أنهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبر والاستبداد بالرأي، فإن ما ذكر من استعدادهم الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا أيضاً فإن التقليد بعد قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها مما لا مساغ له أصلاً.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾

﴿وكذلك﴾ إشارة إلى مصدر الفعل المذكور بعده ومحله النصب على المصدرية، أي مثل ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة. ﴿نفصل الآيات﴾ المذكورة لا غير ذلك. ﴿ولعلهم يرجعون﴾ وليرجعوا عما هم عليه من الإصرار على الباطل وتقليد الآباء نفعل التفصيل المذكور. فالواوان ابتدائيتان، ويجوز أن تكون الثانية عاطفة على مقدر مرتب على التفصيل، أي: وكذلك نفصل الآيات ليقفوا على ما فيها ومن المرغبات والزواجر وليرجعوا إلخ هذا والأكثر على أن المقاولة المذكورة في الآية حقيقة لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: «من أنه لما خلق الله آدم عليه السلام مسح ظهره فأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى فنودي يومئذٍ جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة».

وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه سئل عن الآية الكريمة فقال سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال: «إن الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون». فقال رجل ففيم العمل يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار» وليس المعنى أنه تعالى أخرج الكل من ظهره عليه السلام بالذات بل أخرج من ظهره عليه السلام أبناءه الصلبية ومن ظهورهم أبناءهم الصلبية وهكذا إلى آخر السلسلة لكن لما كان الظهر الأصلي ظهره عليه السلام، وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين إجمالاً من غير أن يتعلق بذكر الوسائط غرض علمي نسب إخراج الكل إليه وأما الآية الكريمة حيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله ﷺ وبيان عدم إفادة الاعتذار بإسناد الإشراك إلى آبائهم اقتضى الحال نسبة إخراج كل واحد منهم إلى ظهر أبيه من غير تعرض لإخراج الأبناء الصلبية لآدم عليه السلام من ظهره قطعاً كذا في «الإرشاد».

وقال الحدادي: فإن قيل كيف يكون الميثاق حجة على الكفار منهم وهم لا يذكرون ذلك حين أخرجهم من صلب آدم قيل: لما أرسل الله الرسل فأخبروهم بذلك الميثاق صار قول الرسل حجة عليهم وإن لم يذكروا ألا ترى أن من ترك من صلاته ركعة ونسي ذلك فذكرت له ذلك الثقات كان قولهم حجة عليه.

قال المولى أبو السعود: على القول الثاني وهو ما ذهب إليه الأكثر من حقيقة المقاولة أن قوله تعالى: ﴿أن تقولوا﴾ إلخ ليس مفعولاً له لقوله تعالى: ﴿وأشهدهم﴾ وما يتفرع عليه من قولهم: ﴿بلى شهدنا﴾ حتى يجب كون ذلك الإشهاد والشهادة محفوظاً لهم في إلزامهم بل لفعل مضمر ينسحب الكلام عليه والمعنى فعلنا ما فعلنا من الأمر بذكر الميثاق وبيانه كراهة أن تقولوا أيها الكفرة يوم القيامة إنا كنا غافلين عن ذلك الميثاق لم ننبه عليه في دار التكليف وإلا لعملنا بموجبه انتهى.

وقال الكاشفي: [اي درويش اين آيت مركز عهد ازلست بى خبران سركوچه‌ء غفلت را

متنبه سازد وإلا هو شمندان بيداردل ازان سؤال وجواب غافل نيستند].

ألست ازازل همچنانش بكوش بفرياد قالوا بلى در خروش

[در نفحات مذكور ست كه على سهل اصفهانى را كفتندكه روز بلى را ياد دارى كفت چون ندارم كوئى دى بود شيخ الإسلام خواجه أنصارى فرمود كه درين سخن نقض است صوفى را دى وفردا چه بود آنروزرا هنوز شب در نيامده وصوفى در همان روزست].

روز امروزاست اى صوفى وشان كى بود ازدى واز فردا نشان

آنكه از حق نيست غافل يكنفس ماضى ومستقبل وحالست وبس

وسئل ذو النون رضي الله عنه: عن سر ميثاق مقام ألست بربكم هل تذكره؟ فقال: كأنه الآن في أذني.

واعلم: أن لبعض أرواح الكمل تحقق الاتصاف بالعلم قبل تعينه بهذا المزاج الجزئي العنصري في مرتبة العين والخارج من جهة كلية الروحانية المتعينة قبله في مرتبة النفس الكلي بنفس تعين الروح الإلهي الأصلي فالروح الكلي الوصف، والذات من أرواح الكمل يتعين في كل مرتبة وعالم من المراتب، والعوالم التي يمر عليها عند النزول والهبوط إلى مرتبة الحس الظاهر وعالم المزاج العنصري إلى حين اتصاله بهذه النشأة العنصرية تعيناً يقتضيه حكم الروح الأصلي في ذلك العالم وفي تلك المرتبة فيعلم حالتئذٍ أي حالة إذ تعين حين الاتصال بهذه النشأة العنصرية مما يعلم الروح الإلهي الأصلي ما شاء الله أن يعلمه من علومه ومتى كشفت هذا السر عرفت سر قوله عليه السلام: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» وسر قول ذي النون كما سبق وإن شئت زيادة تحقيق هذا المقام فارجع إلى مطالعة «مفتاح الغيب» للصدر القنوي قدس سره.

وقال في «التأويلات النجمية»: في الآية إشارة إلى أن أخذ المخلوقين يكون أخذ الشيء الموجود من الشيء الموجود وأن أخذ الخالق تارة هو أخذ الشيء المعدوم من العدم كقوله: ﴿خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩] وتارة هو أخذ الشيء المعدوم من الشيء المعدوم كقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فكان بنو آدم معدومين وظهورهم معدومين وذرياتهم معدومين فأخذ بكمال قدرته ذرياتهم المعدومة إلى يوم القيامة من ظهورهم المعدومة من بني آدم المعدومين، فأوجدهم الله في تلك الحالة وأعطاهم وجوداً مناسباً لتلك الحالة فلما استخرج الله من ظهر آدم ذرات بنيه، واستخرج من ظهورهم ذرات ذرياتهم المودعة فيها إلى يوم القيامة والأرواح في تلك الحالة جنود مجندة في ثلاثة صفوف: الصف الأول: أرواح السابقين، والصف الثاني: أرواح أصحاب الميمنة، والصف الثالث: أرواح أصحاب المشأمة تنورت الذرات بأنوار أرواحها ولبست تلك الذرات الموجودة بالوجود الرباني لباس الوجود الروحاني ولبست الأسماع والأبصار والأفئدة لباساً روحانياً، ثم خاطبهم الحق بخطاب ألست بربكم فسمع السابقون بسمع نوراني روحاني خطابه وشاهدوا بأبصار نورانية جماله وأحبوه بأفئدة روحانية ربانية نورانية بنور المحبة للقائه، فأجابوه على المحبة فقالوا: بلى أنت ربنا المحبوب والمعبود شهدنا، أي: شاهدنا محبوبيتك وربوبيتك فأخذ مواثيقهم أن لا يحبوا ولا يعبدوا إلا إياه، وسمع أصحاب الميمنة بسمع روحاني خطابه وطالعوا بأبصار روحانية جلاله وآمنوا بأفئدة ربانية إلهية، فأجابوه على العبودية وقالوا: بلى أنت ربنا

المعبود سمعنا وأطعنا فأخذ مواثيقهم أن لا يعبدوا إلا إياه، وسمع أصحاب المشأمة خطابه بسمع روحاني من وراء حجاب العزة، وفي آذانهم وقر الغرة وعلى أبصارهم غشاوة الشقاوة وعلى أفئدتهم ختم المحنة، فأجابوه على الكلفة، وقالوا: بلى أنت ربنا سمعنا كرهاً فأخذ مواثيقهم على العبودية، فالآن يرجع التفاوت بين الخليقة في الكفر والإيمان إلى تفاوت الاستعدادات الروحانية والربانية فافهم جداً.

ثم اعلم: أنا لا نجد أن الله تعالى ذكر أنه كلم أحداً وهو بعد في العدم إلا بني آدم فإنه كلمهم وهم غير موجودين وأجابوه وهم معدومون فجرى بالجود ما جرى لا بالوجود فهذا بدايتهم، وإلى هذا تنتهي نهايتهم بأن يكون الله تعالى هو سمعهم وأبصارهم وألسنتهم كما قال: «كنت له سمعاً وبصراً ولساناً فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق» وإلى هذا أشار الجنيد حين سئل ما النهاية؟ قال: الرجوع إلى البداية انتهى كلام «التأويلات النجمية» باختصار وقد عرفت من هذا أن أهل الحقيقة جار في هذا المسلك على حقيقته؛ لأن من غلب روحانيته على جسمانيته يرى الأمر سهلاً ولا يصعب عليه شيء خلافاً لأهل الظاهر، والمعتزلة: أنكروا هذه الرواية وقالوا إن البينة شرط لحصول الحياة والعقل والفهم فتلك الذريات المأخوذة من ظهور بني آدم لا يكون أحد منهم عالماً فاهماً عاقلاً إلا إذا حصل له قدر من الجسامة والبنية اللحمية والدموية وإذا كان كذلك فمجموع تلك الأشخاص الذين خرجوا إلى الوجود من أول تخليق آدم إلى قيام الساعة لا تحويهم عرصة الدنيا، فكيف يمكن أن يقال إنهم حصلوا بأسرهم دفعة واحدة في صلب آدم فانظر إلى هذا القول الضعيف والرأي السخيف، ولو قلت لهم هل يستطيع الله أن يجعل السموات والأرضين والجبال والشجر والماء في بيضة من غير أن يزيد في البيضة شيئاً ومن غير أن ينقص من هذا شيئاً؟ لقالوا: لا والعياذ بالله فعليك برعاية عهد ألست حتى ينكشف لك ما هو مستور عنك وعن أمثالك وينجلي الغيب كالشمس في مرآة بالك فتنظر كيف الصورة والمعنى والظهور والخفاء.

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾.

﴿واتل﴾ اقرأ يا محمد **﴿عليهم﴾** أي: على اليهود **﴿نبأ الذي آتيناه آياتنا﴾** أي: خبره الذي له شأن وخطر فإن النبأ خبر عن أمر عظيم ومعنى آتيناه آياتنا، أي علمناه دلائل ألوهيتنا ووحدانيتنا وفهمناه تلك الدلائل وفيه أقوال، والأنسب بمقام توبيخ اليهود ببهتانهم أنه أحد علماء بني إسرائيل كما في «الإرشاد» أو هو بلعم بن باعورا كما في «منهاج العابدين» للإمام الغزالي وقولهم إنه من الكنعانيين الجبارين إنما هو لكونه ساكناً في دارهم والمرء ينسب إلى منشئه ومولده كما هو اللائح فافهم.

والأسلم في تقرير القصة ما ذكره الحدادي في «تفسيره»: نقلاً عن ابن عباس وابن مسعود حيث قال كان عابداً من عباد بني إسرائيل وكان في المدينة التي قصدها موسى عليه السلام وكان أهل تلك المدينة كفاراً، وكان عنده اسم الله الأعظم فسأله ملكهم أن يدعو على

موسى بالاسم الأعظم ليدفعه عن تلك المدينة، فقال لهم: دينه وديني واحد وهذا شيء لا يكون وكيف أدعو عليه وهو نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون، وأنا أعلم من الله ما أعلم، وإني إن فعلت ذلك أذهبت دنياي وآخرتي فلم يزالوا به يفتنونه بالمال والهدايا حتى فتنوه فافتتن، قيل: كان لبلعم امرأة يحبها ويطيعها فجمع قومه هدايا عظيمة فأتوا بها إليها وقبلتها، فقالوا لها قد نزل بنا ما ترين فكلمي بلعم في هذا، فقالت لبلعم: إن لهؤلاء القوم حقاً وجواراً عليك وليس مثلك يخذل جيرانه عند الشدائد وقد كانوا محسنين إليك وأنت جدير أن تكافئهم وتهتم بأمرهم، فقال لها: لولا أني أعلم أن هذا الأمر من عند الله لأجبتهم فلم تزل به حتى صرفته عن رأيه، فركب أتاناً له متوجهاً إلى الجبل ليدعو على موسى فما سار على الأتان إلا قليلاً فربضت فنزل عنها فضربها حتى كاد يهلكها فقامت فركبها فربضت فضربها فأنطقها الله تعالى، فقالت: يا بلعم ويحك أين تذهب ألا ترى إلى هؤلاء الملائكة أمامي يردونني عن وجهي، فكيف أريد أن تذهب لتدعو على نبي الله وعلى المؤمنين فخلى سبيلها وانطلق حتى وصل إلى الجبل وجعل يدعو فكان لا يدعو بسوء إلا صرف الله به لسانه على قومه ولا يدعو بخير إلا صرف الله به لسانه إلى موسى، فقال له قومه: يا بلعم إنما أنت تدعو علينا وتدعو له، فقال هذا والله الذي أملكه وأنطق الله به لساني ثم امتد لسانه حتى بلغ صدره، فقال لهم قد ذهبت والله مني الآن الدنيا والآخرة فلم يبق إلا المكر والحيلة فسأمكر لكم وأحتال، حَلّوا النساء وزينوهن وأعطوهن الطيب وأرسلوهن إلى العسكر، وأمروهن لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها، فإنهم إن زنى منهم رجل واحد كفيتموهم ففعلوا فلما دخلت النساء المعسكر مرت امرأة منهم برجل من عظماء بني إسرائيل، فقام إليها وأخذ بيدها حين أعجبته بحسنها، ثم أقبل بها إلى موسى، وقال له: إني لأظنك أن تقول هذه حرام قال: نعم هي حرام عليك لا تقربها، قال فوالله لا نطيعك في هذا ثم دخل بها قبة فوقع عليها فأرسل الله على بني إسرائيل الطاعون في الوقت وكان فنحاص بن العيزار صاحب أمر موسى رجلاً له بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غائباً حين صنع ذلك الرجل بالمرأة ما صنع فجاء والطاعون يجوس في بني إسرائيل، فأخبر الخبر فأخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل على القبة فوجدهما متضاجعين فدفعهما بحربته حتى انتظمهما بها جميعاً فخرج بهما يحملهما بالحربة رافعاً بهما إلى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه وأسند الحربة إلى لحيته وجعل يقول: اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون من حينئذٍ عنهم فحسب من هلك من بني إسرائيل في ذلك الطاعون فوجدهم سبعين ألفاً في ساعة من نهار وهو ما بين أن زنى ذلك الرجل بها إلى أن قتل ثم إن موسى عليه السلام أفتاه يوشع بن نون حاربوا أهل تلك البلدة وغلبوهم وقتلوا منهم وأسروا وأتوا ببلعم أسيراً فقتل فجاؤوا بما قبل من العطايا الكثيرة وغنموها. ﴿**فانسلخ منها**﴾ أي: من تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة والحية ولم يخطرها بباله أصلاً. ﴿**فأتبعه الشيطان**﴾ أتبع وتبع بمعنى واحد كاردف وردف. والمعنى: أن الشيطان كان وراءه طالباً لإضلاله وهو يسبقه بالإيمان والطاعة لا يدركه الشيطان ثم لما انسلخ من الآيات لحقه وأدركه.

﴿**فكان**﴾ [پس كشت آن داننده آيات] أي: فصار ﴿**من الغاوين**﴾ من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد أن كان من المهتدين. والغي يذكر بمعنى الهلاك ويذكر بمعنى الخيبة وفي «القاموس» غوى ضل.

قال الإمام الغزالي: كان بلعم بن باعورا بحيث إذا نظر رأى العرش ولم يكن له إلا زلة واحدة مال إلى الدنيا وأهلها ميلة واحدة ولم يترك لولي من أوليائه حرمة واحدة فسلبه معرفته وكان في أول أمره بحيث يكون في مجلسه اثنا عشر ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه ثم صار بحيث كان أول من صنف كتاباً أن ليس للعالم صانع نعوذ بالله من سخطه انتهى، فلا يأمن السالك المحق مكر الله، ولو بلغ أقصى مقامات الأنبياء والمرسلين فلا يغلق على نفسه أبواب المجاهدات والرياضات ومخالفات النفس وهواها في كل حال كما كان حال النبي عليه السلام والأئمة الراشدين والصحابة والتابعين وأئمة السلف والمشايخ المتقدمين ولا يفتح على نفسه التنعم والتمتع الدنيوي في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمركب والمسكن لأنه كما أن لله تعالى في مكامن الغيب للسعداء ألطافاً خفية مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كذلك له فيها بلايا لهم، فليحترز السالك الصادق بل البالغ الواصل والكامل الحاذق من أن يتعرض لتلك البلايا بالتوسع في الدنيا والتبسط في الأحوال وتتبع الهوى كما في «التأويلات النجمية».

قال الكاشفي [شيخ الإسلام فرمود تاباد تقدير ازكجا برآيد وچه بوالعجبي نما يدا كراز جانب فضل وزد زنار بهرام كبر راكمر عشقبازى راه دين كرداند واكراز طرف عدل وزد توحيد بلعم را برانداخته باسك خسيس برابرى دهدى].

انرا برى از صومعه برديركبران افكنى — وين راكشى ازبتكده سر حلقهٔ مردان كنى

چون وچرا دركار توعقل زبونراكى رسد — فرمان ده مطلق تويى حكمى كه خواهى آن كنى

﴿ولو شئنا﴾ رفعه ﴿لرفعناه﴾ إلى منازل الأبرار من العلماء، ﴿بها﴾ أي: بسبب تلك الآيات وملازمتها.

وقال بعضهم: هي صحف إبراهيم عليه السلام وكان بلعم قد قرأها أو الكلمات التي اشتملت على الاسم الأعظم. ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض﴾ أي: مال إلى الدنيا فلم نشأ رفعه لمباشرته لسبب نقيضه، والإخلاد إلى الشيء الميل إليه مع الاطمئنان عبر عن الدنيا بالأرض لأن ما فيها من العقار والرباع كلها أرض وسائر متاعها مستخرج من الأرض والإخلاد إلى الأرض كناية عن الإعراض عن ملازمة الآيات والعمل بمقتضاها، والكناية أبلغ من التصريح. ﴿واتبع هواه﴾ في إيثار الدنيا واسترضاه قومه فانحط أبلغ انحطاط وارتد أسفل سافلين وإلى ذلك أشير بقوله تعالى: ﴿فمثله﴾ أي: فصفته التي هي مثل في الخسة والرذالة، والمثل لفظ مشترك بين الوصف وبين ما يضرب مثلاً والمراد ههنا الوصف كذا في «البحر» ﴿كمثل الكلب﴾ أي: كصفته في أخس أحواله وهو ﴿إن تحمل عليه﴾ [اكر حمله كنى برو وبرانى اورا] والخطاب لكل أحد ممن له حظ من الخطاب فإنه أدخل في إشاعة فظاعة حاله ﴿يلهث﴾ اللهث ادلاع اللسان أي إخراجه بالنفس الشديد. ﴿أو تتركه يلهث﴾ أي: يلهث دائماً سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو ترك ولم يتعرض له فإن في الكلاب طبعاً لا تقدر على نفض الهواء السخن وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع فؤادها بخلاف سائر الحيوانات، فإنها لا تحتاج إلى التنفس الشديد ولا يلحقها الكرب والمضايقة إلا عند التعب والإعياء، فكما أن الكلب دائم اللهث ضيق الحال فكذا هذا الكافر إن زجرته ووعظته لم ينزجر ولم يتعظ، وإن تركته لم يهتد ولم يعقل فهو متردد إلى ما لا غاية وراءه في الخسة والدناءة

فانظر حب الدنيا وشؤمها ماذا يجلب للعلماء خاصة، وفي الحديث: «من ازداد علماً ولم يزدد هدى، لم يزدد من الله تعالى إلا بعداً» والنعمة إنما تسلب ممن لا يعرف قدرها وهو الكفور الذي لا يؤدي شكرها، وكما أن الكلب لا يعرف الإكرام من الإهانة والرفعة والشرف من الحقارة، وإنما الكرامة كلها عنده في كسرة يطعمها أو عراق مائدة يرمى إليه سواء تقعده على سرير معك، أو في التراب والقذر فكذا العبد السوء لا يعرف قدر الكرامة ويجهل حق النعمة فينسلخ عن لباس الفضل والكرم ويرتدي برداء القهر والمكر.

قال في «التأويلات النجمية»: فلا يغترن جاهل مفتون بأن اتباع الهوى لا يضره فإن الله تعالى حذر الأنبياء عن اتباع الهوى وأوعدهم عليه بالضلال كقوله: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] قال الحافظ:

مباش غره بعلم وعمل فقيه مدام كه هيچكس زقضاى خداى جان نبرد

﴿ذلك﴾ أي: ذلك المثل السيىء ﴿مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ وهم اليهود وكما أن بلعم بعدما أوتي آيات الله انسلخ منها ومال إلى الدنيا حتى صار كالكلب، كذلك اليهود بعدما أوتوا التوراة المشتملة على نعت الرسول ﷺ وذكر القرآن المعجز وبشرى الناس باقتراب مبعثه، وكانوا يستفتحون به انسلخوا مما اعتقدوا في حقه وكذبوه وحرفوا اسمه. ﴿فاقصص القصص﴾ [پس بخوان برايشان اين خبررا] والقصص: مصدر سمي به المفعول كالسلب واللام للعهد. ﴿لعلهم يتفكرون﴾ راجياً تفكرهم تفكراً يؤدي بهم إلى الاتعاظ.

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾

﴿ساء مثلاً﴾ ساء بمعنى بئس ومثلاً تمييز من الفاعل المضمر في ساء مفسر له. ﴿القوم﴾ مخصوص بالذم بتقدير المضاف لوجوب التصادف بينه وبين الفاعل والتمييز أي ساء مثلاً مثل القوم وبئس الوصف وصف القوم.

قال الحدادي: وهذا السوء إنما يرجع إلى فعلهم لا إلى نفس المثل كأنه قال ساء فعلهم الذي جلب إليهم الوصف القبيح، فأما المثل فهو من الله حكم وصواب. ﴿الذين كذبوا بآياتنا﴾ بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها. ﴿وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ أي: ما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم فإن وباله لا يتخطاها.

﴿من يهد الله﴾ أي: يخلق فيه الاهتداء ﴿فهو المهتدي﴾ لا غير كائناً من كان وإنما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية في حصول الاهتداء من غير تأثير لها فيه سوى كونها دواعي إلى صرف العبد اختياره نحو تحصيله. ﴿ومن يضلل﴾ بأن لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق الله فيه الضلالة لصرف اختياره نحوها. ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ أي: الكاملون في الخسران لا غير.

وفيه إشارة إلى أن من أدركته العناية ولحقته الهداية اليوم لم ينزل عن المراتب العلوية إلى المدارك السفلية، فهم الذين أصابهم رشاش النور الذي رش عليهم من نوره ومن خذله حتى اتبع هواه فأضله الهوى عن سبيل الله فهم الذين أخطأهم ذلك النور، ولم يصبهم فوقعوا في الضلالة والخسران.

وكان سفيان الثوري يقول: اللهم سلم سلم كأنه في سفينة يخشى الغرق.

ولما قدم البشير على يعقوب عليه السلام، قال: على أي دين تركته؟ قال: على دين الإسلام قال: الآن تمت النعمة.

وقيل: ما من كلمة أحب إلى الله تعالى ولا أبلغ عنده في الشكر من أن يقول العبد: الحمد لله الذي أنعم علينا وهدانا إلى الإسلام، وإياك أن تغفل عن الشكر وتغتر بما أنت عليه في الحال من الإسلام والمعرفة والتوفيق والعصمة، فإنه مع ذلك لا موضع للأمن والغفلة فإن الأمور بالعواقب.

قال بعض العارفين: إن بعض الأنبياء عليهم السلام سأل الله تعالى عن أمر بلعم وطرده بعد تلك الآيات والكرامات؟ فقال الله تعالى: لم يشكرني يوماً من الأيام على ما أعطيته ولو شكرني على ذلك مرة لما سلبته، فمن كان له جوهر نفيس يمكنه أن يأخذ في ثمنه ألف ألف دينار فباعه بفلس أليس يكون ذلك خسراناً عظيماً وغبناً فظيعاً ودليلاً بينا على خسة الهمة وقصور العلم وضعف الرأي وقلة العقل، فتيقظ حتى لا تذهب عنك الدنيا والآخرة وتنبه فإن الأمر خطير والعمر قصير وفي العمل تقصير والناقد بصير فإن ختم الله بالخير أعمالنا وأقال عثراتنا فما ذلك عليه بعسير اللهم حقق رجاء عبدك الفقير.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾.

﴿ولقد ذرأنا﴾ أي: وبالله قد خلقنا.

قال في «القاموس»: ذرأ كجعل خلق والشيء كثر ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين. **﴿لجهنم﴾** أي: لدخولها والتعذيب بها وهي سجن الله في الآخرة سميت جهنم لبعد قعرها، يقال: بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر وهي تحتوي على حرور وزمهرير ففيها الحر والبرد على أقصى درجاتهما وبين أعلاها وقعرها خمس وسبعون مائة من السنين. **﴿كثيراً﴾** كائناً **﴿من الجن والإنس﴾** يعني: المصرين على الكفر في علم الله تعالى، فاللام في لجهنم للعاقبة لأن من علم الله أن يصر على الكفر باختياره فهو يصير من أهل النار. والجن: أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة لها عقول وأفهام وقدرة على الأعمال الشاقة وهي خلاف الإنس سميت بذلك لاستجنانهم واستتارهم عن العيون، يقال: جنه الليل ستره. والإنس: البشر كالإنسان من آنس الشيء أبصره وقدم الجن على الإنس لأنهم أكثر عدداً وأقدم خلقاً، ولأن لفظ الإنس أخف بمكان النون الخفيفة والسين المهموسة فكان الأثقل أولى بأول الكلام من الأخف لنشاط المتكلم وراحته والإجماع على أن الجن متعبدون بهذه الشريعة على الخصوص وإن نبينا ﷺ مبعوث إلى الثقلين ولا شك أنهم مكلفون في الأمم الماضية، كما هم مكلفون في هذه الأمة لقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأحقاف: ١٨] وجمع الفريقين إنما هو باعتبار استعدادهم الكامل الفطري للعبادة والسعادة وإلا لم يصح التكليف عليهم.

فإن قلت: ما الحكمة في أن الله تعالى جعل الكفار أكثر من المؤمنين؟.

قلت ليريهم أنه مستغنٍ عن طاعتهم وليظهر عز المؤمنين فيما بين ذلك لأن الأشياء تعرف بأضدادها والشيء إذا قل وجوده عز.

فإن قلت: إن رحمته غلبت غضبه فيقتضي الأمر أن يكون أهل الرحمة أكثر من أهل الغضب، وأهل الغضب تسع وتسعون وتسعمائة من كل ألف وواحد يؤخذ للجنة.

قلت: هذه الكثرة بالنسبة إلى بني آدم وأما بالنسبة إلى الملائكة وأهل الجنة فكثير لأن بني آدم قليل بالنسبة إلى الملائكة والحور والغلمان فيكون أهل الرحمة أكثر من أهل الغضب، وقيل: أكثر الكفار بشارة للأخيار بكثرة الفداء لأنه ورد في الخبر الصحيح: «إن كل مؤمن يأخذ كافراً بناصيته ويرميه إلى النار فداء عن نفسه» وفي الحديث: «إن الله لما ذرأ لجهنم ما ذرأ كان ولد الزنى ممن ذرأ لجهنم».

قال في «المقاصد» حديث: «لا يدخل الجنة ولد زنية» إن صح فمعناه إذا عمل بمثل عمل أبويه واتفقوا على أنه لا يحمل على ظاهره.

وقيل في تأويله أيضاً: إن المراد به من يواظب الزنى كما يقال للشهود بنو الصحف وللشجعان بنو الحرب ولأولاد المسلمين بنو الإسلام واتفق المشايخ من أهل الوصول أن ولد الزنى لا يكون أهلاً للولاية الخاصّة. ﴿لهم قلوب﴾ في محل النصب على أنه صفة أخرى لكثيراً. ﴿لا يفقهون بها﴾ في محل الرفع على أنه صفة لقلوب أي لا يعقلون بها إذ لا يلقونها إلى معرفة الحق والنظر في دلائله والقلب كالمرآة يصدأ من الإنكار والغفلة وجلاؤه التصديق والإنابة. قال السعدي قدس سره:

غبار هوا چشم عقلت بدوخت سموم هوا كشت عمرت بسوخت
بكن سرمهٔ غفلت از چشم پاك كه فردا شوى سرمه درچشم خاك

﴿ولهم أعين لا يبصرون بها﴾ أي: لا ينظرون إلى ما خلق الله نظر اعتبار.

دوچشم ازپى صنع بارى نكوست زعيب برادر فروكيرو دوست

﴿ولهم آذان لا يسمعون بها﴾ الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر.

كذر كاه قرآن وپندست كوش به بهتان وباطل شنيدن مكوش

﴿أولئك﴾ الموصوفون بالأوصاف المذكورة ﴿كالأنعام﴾ [ما نندچها رپانند] في عدم الفقه والإبصار للاعتبار والاستماع للتدبر أو في أن مشاعرهم وقواهم متوجهة إلى أسباب التعيش مقصورة عليها، والأنعام: جمع نعم بالتحريك وقد يسكن عينه وهي الإبل والشاة أو خاص بالإبل كذا في «القاموس»: ﴿بل هم أضل﴾ بل للإضراب وليس إبطالاً، بل هو انتقال من حكم وهو التشبيه بالأنعام إلى حكم آخر وهو كونهم أضل من الأنعام طريقاً، فإنها تدرك ما يمكن لها أن تدرك من المنافع والمضار وتجهد في جلبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك وهي بمعزل من الخلود وهم يتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد، وقيل: لأنها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفي الخبر: «كل شيء أطوع لله من بني آدم».

دريغ آدمى زادهٔ پرمحل كه باشد چو انعام بل هم اضل

﴿أولئك هم الغافلون﴾ عن أمر الآخرة وما أعد فيها للعصاة، وفي الإنسان جهة روحانية وجهة جسمانية وقد ركب فيه عقل وشهوة، فإن كان عقله غالباً على هواه كان أفضل من الملائكة وإن كان مغلوباً للنفس والهوى كان أخس وأرذل من البهائم. كما قيل في هذا المعنى:

بهرهٔ از ملكت هست ونصيبى ازديو ترك ديويى كن وبكذر بفضيلت زملك

واعلم: أن الله تعالى خلق الخلق أطواراً، فخلق طوراً: منها للقرب والمحبة وهم أهل الله وخاصته إظهاراً للحسن والجمال وكانوا به يسمعون كلامه وبه يبصرون جماله وبه يعرفون كماله، وخلق طوراً منها: للجنة ونعيمها إظهاراً للطف والرحمة فجعل لهم قلوباً يفقهون بها دلائل التوحيد والمعرفة وأعيناً يبصرون بها آيات الحق، وخلق طوراً منها للنار وجحيمها وهم أهل النار إظهاراً للقهر والعزة أولئك كالأنعام لا يحبون الله ولا يطلبونه بل هم أضل لأنه لم يكن للأنعام استعداد المعرفة والطلب وإنهم كانوا مستعدين للمعرفة والطلب فأبطلوا الاستعداد الفطري للمعرفة والطلب بالركون إلى شهوات الدنيا وزينتها واتباع الهوى فباعوا الآخرة بالأولى والدين بالدنيا وتركوا طلب المولى فصاروا أضل من الأنعام لإفساد الاستعداد أولئك هم الغافلون عن الله وكمالات أهل المعرفة وعزتهم كما قال في «التأويلات النجمية» قدس الله سره.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾

﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ تأنيث الأحسن أي الأسماء التي هي أحسن الأسماء وأجلها لأنها دالة على معاني هي أحسن المعاني وأشرفها والمراد بها الألفاظ الدالة الموضوعة على المعاني المختلفة دل على أن الاسم غير المسمى ولو كان هو المسمى لكان المسمى عدد الأسماء وهو محال.

قال الإمام الغزالي: الحق أن الاسم غير التسمية وغير المسمى فإن هذه ثلاثة أسماء متباينة غير مترادفة ﴿فادعوه بها﴾ فسموه بتلك الأسماء واذكروه بها وفي الحديث: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة»، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارىء، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدىء، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور». واستحسن المشايخ المتقدمون أن يبدأ أولاً ويقول اللهم إني أسألك يا رحمن يا رحيم إلى آخره فيجيء بجميع الأسماء بحرف النداء ثم يقول في آخر الكل أن تصلي على محمد وآله وأن ترزقني.

وجميع من يتعلق بي بتمام نعمك ودوام عافيتك يا أرحم الراحمين كما في «الأسرار المحمدية» قال عبد الرحمن البسطامي في «ترويح القلوب»: إن العارفين يلاحظون في الأسماء

آلة التعريف وأصل الكلمة. والملامية يطرحون منها آلة التعريف لأنها زائدة على أصل الكلمة ومن السر المكنون في الدعاء أن تأخذ حروف الأسماء التي تذكر بها مثل قولك الكبير المتعال ولا تأخذ الألف واللام، بل تأخذ كبير متعال وتنظر كم لها من الأعداد بالجمل الكبير فتذكر ذلك العدد في موضع خال من الأصوات بالشرائط المعتبرة عند أهل الخلوات لا تزيد على العدد ولا تنقص منه، فإنه يستجلب لك للوقت وهو الكبريت الأحمر بإذن الله تعالى فإن الزيادة على العدد المطلوب إسراف والنقص منه إخلال والعدد في الذكر بالأسماء كأسنان المفتاح لأنها إن زادت أو نقصت لا تفتح باب الإجابة البتة فافهم السر وحسن الدر.

واعلم: أنه لما كانت المقامات الدنية ثلاثة، مقام الإسلام ومقام الإيمان، ومقام الإحسان، ومراتب الجنان المرتبة على الإحصاء لأهل الدين ثلاثاً، جنة الأعمال. وجنة الميراث، وجنة الامتنان لا جرم كانت أنواع الإحصاء ثلاثة. التعلق في مقام الإسلام، والتخلق في مقام الإيمان، والتحقق في مقام الإحسان، فإحصاؤها بالتعلق في مقام الإسلام هو أن يتطلب السالك آثار كل اسم منها في نفسه وبدنه وجميع قواه وأعضائه وأجزائه وجزئياته في جميع حالاته وهيئاته النفسانية والجسمانية وفي جملة تطوراته وأنواع ظهوراته، فيرى جميع ذلك من أحكام هذه الأسماء وآثارها فيقابل كل أثر بما يليق به كمقابلة الإنعام بالشكر والبلاء بالصبر وغير ذلك فبمثل هذا الإحصاء يدخل جنة الأعمال التي هي محل ستر الأغراض الزائلة بالأعيان الثابتة الباقية، وهي التي أخبر عنها إبراهيم الخليل عليه السلام بأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله، وإحصاؤها بالتخلق في مقام الإيمان يكون بتطلع الروح الروحانية إلى حقائق هذه الأسماء ومعانيها ومفهوماتها، والتخلق بكل اسم منها على نحو ما أمر به من قوله عليه السلام: «تخلقوا بأخلاق الله» بحيث يكون المتخلق هو عين ذلك الاسم أي ينفعل عنه ما ينفعل عن ذلك الاسم فبمثل هذا الإحصاء يدخل هذا المتخلق جنة الميراث التي هي أعلى من الجنة الأولى بل هي باطنها المنزل منها بمنزلة عالم الملكوت من عالم الملك وهي المشار إليها بقوله عليه السلام: «ما منكم من أحد إلا وله منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإذا مات ودخل النار ورث منزله أهل الجنة وإن شئتم فاقرؤوا ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١٠-١١] وإحصاؤها بالتحقق في مقام الإحسان يكون بالتقوى والانخلاع عما قام بك أو ظهر فيك من الصور والمعاني المتسمة بسمة الحدوث والاستتار بسبحات الحضرة الحقية والاحتجاب بسجف أستارها وأعيانها. كما قال:

تسترت عن دهري بظل جناحه ... بحيث أرى دهري وليس يراني
فلو تسأل الأيام ما اسمي ما درت ... وأين مكاني ما درين مكاني

فبمثل هذا الإحصاء يدخل المتحقق جنة الامتنان التي هي محل سر غيب الغيب المشار إليها بقوله عليه الصلاة والسلام: «ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» وإليها الإشارة أيضاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ [القمر: ٥٤-٥٥] قال ابن ملك: من أحصاها أي من أطاق القيام بحق هذه الأسماء وعمل بمقتضاها بأن وثق بالرزق إذا قال الرزاق وعلم أن الخير والشر من الله تعالى إذا قال الضار النافع فشكر على المنفعة وصبر على المضرة وعلى هذا سائر الأسماء وقيل معناه من عقل معانيها وصدقها وقيل معناه من عدها كلمة كلمة تبركاً وإخلاصاً.

وقال البخاري: المراد به حفظها وهذا هو الأظهر لأنه جاء في الرواية الأخرى من حفظها مكان من أحصاها انتهى ولا يظن أن أسماء الله تعالى منحصرة في هذا المقدار بل هي أشهر الأسماء ويجوز أن تتفاوت فضيلة أسماء الله تعالى بتفاوت معانيها كالجلال والشرف ويكون التسعة والتسعون منها تجمع أنواعاً للمعاني المنبئة عن الجلال لا يجمع ذلك غيرها فتختص بزيادة شرف ويدل على أن أسماء الله تعالى كثيرة قوله عليه السلام: «ما أصاب أحداً همّ ولا حزن فقال اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيّ حكمك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله عنه كل همه وحزنه وأبدل مكانه فرحاً» وعن بريرة أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال ﷺ: «دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب».

واعلم: أن اسم الله أعظم الأسماء التسعة والتسعين لأنه دال على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها حتى لا يشذ منها شيء وسائر الأسماء لا يدل آحادها إلا على آحاد المعاني من علم أو قدرة أو فعل أو غيره، ولأنه أخص الأسماء إذ لا يطلقه أحد على غيره لا حقيقة ولا مجازاً وسائر الأسماء قد يسمى بها غيره كالقادر والعليم والرحيم وغيرها وقد جعل العلماء من خصائص هذا الاسم أنه ينسب جميع أسماء الحق إليه، كما قال الله تعالى: **﴿ولله الأسماء الحسنى﴾**.

قال حضرة شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة في بعض تحريراته: واعلم أن الهوية الإلّهية السارية في جميع المراتب تعينت أولاً في مرتبة الحياة تعين تلك المرتبة بالأولية الكبرى فتعينت نسبة عالم الغيب، ثم في مرتبة العلم تعينت تلك المرتبة ثانياً بالآخرية العظمى فتعينت نسبة عالم المعاني، ثم في مرتبة الإرادة بصورة تلك المرتبة تعينت ثالثاً بالظاهرية الأولى فتعينت نسبة عالم الأرواح، ثم في مرتبة القدرة تعينت تلك المرتبة رابعاً بالباطنية الأولى فتعينت نسبة عالم الشهادة هو الحي العليم المريد القدير وهو الأول والآخر والظاهر والباطن وبذلك السريان ظهرت الحقائق الأربع التي هي أمهات جميع الحقائق، والأسماء الإلهية الكلية التي هي تسعة وتسعون أو ألف وواحد وتلك الحقائق الكلية تعينت من دوران تعين الأمهات الأربع في عوالمها الأربعة فبضرب الأربعة في الأربعة كانت ستة عشر، ثم باعتبار الظهور والبطون صارت اثنين وثلاثين، ثم باعتبار أحدية جمع الجميع كانت ثلاثاً وثلاثين ثم باعتبار دوران تعينها بعالم السمع ورتبة البصر ورتبة الكلام فيها صارت تسعة وتسعين، ثم باعتبار أحدية جمع الجميع كانت مائة لذلك سن رسول الله عليه السلام في «دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين تسبيحة وثلاثاً وثلاثين تحميدة وثلاثاً وثلاثين تكبيرة ثم تمم المائة بقوله: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» ثم كانت ألفاً باعتبار تعيناتها في الحضرات الخمس من جهة الظهور والبطون حاصلة من ضرب المائة في العشرة الكائنة من تلك الحضرات الخمس باعتبار ظواهرها وبواطنها ثم باعتبار أحدية جمع الجميع كانت ألفاً وواحداً فأمهات الأسماء والحقائق سبع وكلياتها تسع وتسعون أو ألف وواحد وجزئيات تلك الأسماء الحسنى لا تعد ولا تحصى انتهى باختصار. **﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾** الإلحاد: واللحد: الميل

والانحراف عن القصد، أي: واتركوا الذين يميلون في شأنها عن الحق إلى الباطل إما بأن يسموه تعالى بما لم يسم به نفسه ولم ينطق به كتاب سماوي ولا ورد فيه نص نبوي أو بما يوهم معنى فاسداً، وإن كان له محمل شرعي كما في قول أهل البدو يا أبا المكارم يا أبيض الوجه فإن أبا المكارم وإن كان عبارة عن المستجمع لصفات الكمال إلا أنه يوهم معنى لا يصح في شأنه تعالى، وكذا أبيض الوجه وإن كان عبارة عن تقدس ذاته عن النقائص المكدرة إلا أنه يوهم معنى فاسداً، فالمراد بالترك المأمور به الاجتناب عن ذلك وبأسمائه ما أطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا أسماؤه حقيقة وإما بأن يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض أسمائه الكريمة كما قالوا وما الرحمن ما تعرف سوى رحمان اليمامة. فالمراد بالترك الاجتناب أيضاً، وبالأسماء أسماؤه تعالى حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع الأسماء الحسنى واجتنبوا إخراج بعضها من البعض. روي أن رجلاً من الصحابة دعا الله تعالى في صلاته باسم الله وباسم الرحمن فقال رجل من المشركين أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً فما بال هذا الرجل يدعو ربين اثنين فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال رسول الله ﷺ: «ادعوا الله أو ادعوا الرحمن» رغماً لأنوف المشركين فإن تعدد الاسم لا يستلزم تعدد المسمى **﴿سيجزون ما كانوا يعملون﴾** أي: اجتنبوا إلحادهم كيلا يصيبكم ما أصابهم فإنه سينزل بهم عقوبة إلحادهم فقوله: **﴿وذروا الذين﴾** الخ معناه واتركوا تسمية الزائغين فيها بتقدير المضاف إذ لا معنى لترك نفس الملحدين.

وقال بعض العلماء: المراد بالأسماء الحسنى الصفات العلى فإن لفظ الاسم قد يطلق على ما يسمونه الذات من صفاتها العظام يقال طار اسمه في الآفاق أي انتشرت صفته ونعته فكأنه قيل ولله الأوصاف.

قال في «التأويلات النجمية»: **﴿ولله الأسماء الحسنى﴾** يشير إلى أن اسم الله له بمثابة اسم العلم للخلق وهو اسم ذاته تبارك وتعالى والباقي من الأسماء هو أسماء الصفات لأنه قال ولله الأسماء الحسنى فأضاف الأسماء إلى اسم الله وأسماؤه كلها مشتقة من صفاته إلا اسم الله فإنه غير مشتق عندنا وعند الأكثرين لأنه اسم الذات فكما أن ذاته تعالى غير مخلوق من شيء كذلك اسمه غير مشتق من شيء فإن الأشياء مخلوقة فأسماء صفاته تعالى بعضها مشتق من الصفات الذاتية فهو غير مخلوق وبعضها مشتق من صفات الفعل فهو مخلوق؛ لأن صفات الذات كالحياة والسمع والبصر والكلام والعلم والقدرة والإرادة والبقاء قديمة غير مخلوقة، وصفات الفعل مخلوقة تضاف إليه عند الإيجاد فلما أوجد الخلق وأعطاهم الرزق سمي خالقاً ورازقاً إلا أنه تعالى كان في الأزل قادراً على الخالقية والرازقية فقوله، ولله الأسماء الحسنى، أي: الصفات الحسنى. **﴿فادعوه بها﴾** أي: فادعوا الله بكل اسم مشتق من صفة من صفاته بأن تتصفوا وتتخلقوا بتلك الصفة فالاتصاف بها بالأعمال والنيات الصالحة كصفة الخالقية، فإن الاتصاف بها بأن تكون مناكحته للتوالد والتناسل بخلاف الخالق كما قيل لحكيم وهو يواقع زوجته ما تعمل قال: إن تم فإنسان. والاتصاف بصفة الرازقية بأن ينفق ما رزقه الله على المحتاجين ولا يدخر منه شيئاً وعلى هذا فقس البواقي. وأما التخلق بها فبالأحوال وذلك بتصفية مرآة القلب ومراقبته عن التعلق بما سوى الله والتوجه إليه ليتجلى له بتلك الصفات فيتخلق بها وهذا تحقيق قوله: «كنت له سمعاً وبصراً فبي يسمع وبي يبصر» **﴿وذروا الذين**

يلحدون في أسمائه﴾ أي: يميلون في صفاته أي لا يتصفون بها وتسميته تعالى باسم لم يسم به نفسه أيضاً من الإلحاد كما يسمونه الفلاسفة بالعلة الأولى والموجب بالذات يعنون به أنه تعالى غير مختار في فعله وخلقه وإيجاده تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، ومن وصفه تعالى بوصف أو بصفة لم يرد بها النص فأيضاً إلحاد **﴿سيجزون ما كانوا يعملون﴾** يعني: سيجزون الخذلان ليعملوا بالطبع والهوى ما كانوا يعملون بالإلحاد في الأسماء والصفات انتهى كلام «التأويلات»:

پــچــيــده شــود بــپــاى هــركــس عــمــلــش

قال الحافظ:

دهقان سالخورده چه خوش كفت باپسر — اى نور چشم من بجزاز كشته ندروى

﴿وممن خلقنا﴾ اعلم أن الله تعالى كما جعل من قوم موسى أئمة هادين مهديين كما قال: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف: ١٥٩] جعل من هذه الأمة المرحومة أيضاً كذلك فقال: وممن خلقنا ومحل الظرف الرفع على أنه مبتدأ إما باعتبار مضمونه أو تقدير الموصوف وما بعده خبره، أي: وبعض ما خلقنا أو وبعض ممن خلقنا. **﴿أمة﴾** أي: طائفة كثيرة **﴿يهدون﴾** الناس ملتبسين **﴿بالحق﴾** أي: محقين أو يهدونهم بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة. **﴿وبه﴾** أي: وبالحق **﴿يعدلون﴾** أي: يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها.

وعنه عليه الصلاة والسلام: «إن من أمتي قوماً على الحق حتى ينزل عيسى» والمراد لا يخلو الزمان منهم، وفي الحديث: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله».

قال الشيخ الكبير صدر الدين القنوي قدس سره: أكده بالتكرار ولا شك أن لا يذكر الله ذكراً حقيقياً وخصوصاً بهذا الاسم الأعظم الجامع المنعوت بجميع الأسماء إلا الذي يعرف الحق بالمعرفة التامة، وأتم الخلق معرفة بالله في كل عصر خليفة الله وهو كامل ذلك العصر فكأن يقول ﷺ لا تقوم الساعة وفي الأرض إنسان كامل وهو المشار إليه بأنه العمد المعنوي الماسك وإن شئت.

قلت: الممسك لأجله فإذا انتقل انشقت السماء وكورت الشمس وانكدرت النجوم ونشرت الصحف وسيرت الجبال وزلزلت الأرض وجاءت القيامة انتهى كلامه في «الفكوك».

ورووا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله في الأرض ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم، وله أربعون قلوبهم على قلب موسى، وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم، وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل، وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل، وله واحد قلبه على قلب إسرافيل، فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة، وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة وإذا مات من الخمسة، أبدل الله مكانه من السبعة، وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين، وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة، وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة يدفع الله بهم البلاء عن هذه الأمة» والواحد المذكور في هذا الحديث هو القطب وهو الغوث ومكانه ومكانته من الأولياء كالنقطة من الدائرة التي هي مركزها به يقع صلاح العالم.

ورووا عن أبي الدرداء أنه قال: «إن لله عباداً يقال لهم الأبدال لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة

الصوم والصلاة والتخشع وحسن الحلية، ولكن بلغوا بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدور والرحمة لجميع المسلمين اصطفاهم الله بعلمه واستخلصهم لنفسه وهم أربعون رجلاً على مثل قلب إبراهيم لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه».

واعلم: أنهم لا يسبون شيئاً ولا يلعنونه ولا يؤذون من تحتهم ولا يحقرونه ولا يحسدون من فوقهم أطيب الناس خبراً وألينهم عريكة وأسخاهم نفساً لا تدركهم الخيل المجراة ولا الرياح العواصف فيما بينهم وبين ربهم إنما قلوبهم تصعد في السقوف العلى ارتياحاً إلى الله تعالى في استباق الخيرات أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون انتهى كلامه في «روض الرياحين» للإمام اليافعي رحمه الله تعالى.

واعلم: أن أهل الحق إنما نالوا ما نالوا بهدايتهم للناس وعدلهم فيما بين الخلق بعد ما كانوا مهديين وعادلين في أنفسهم. وروي عن عبد الله بن المبارك أنه كان يتجر ويقول: لولا خمسة ما اتجرت السفيانان، وفضيل، وابن السماك، وابن علية ليصلهم فقدم سنة فقيل له قد ولي ابن علية القضاء فلم يأته ولم يصله بشيء فأتاه ابن علية فلم يرفع رأسه إليه ثم كتب إليه ابن المبارك:

يا جاعل العلم له بازياً يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنوناً بها بعدما كنت دواء للمجانين
أين رواياتك في سردها لترك أبواب السلاطين
إن قلت أكرهت فذا باطل زلّ حمار العلم في الطين

فلما وقف إسماعيل بن علية على الأبيات ذهب إلى الرشيد ولم يزل به إلى أن استعفاه من القضاء فأعفاه، ونعم ما قيل:

أبو حنيفة قضا نكرد وبمرد تو بميرى اكر قضا نكنى

وقيل:

اعدل تكن من صروف الدهر ممتنعاً فالصرف ممتنع للعدل في عمر

والعدل: من أسماء الله تعالى ومعناه العادل، وهو الذي يصدر منه فعل العدل المضاد للجور والظلم ولن يعرف العادل من لم يعرف عدله ولا يعرف عدله من لم يعرف فعله وحظ العبد من العدل لا يخفى وأول ما عليه من العدل في صفات نفسه هو أن يجعل الشهوة والغضب أسيرين تحت إشارة العقل والدين ومهما جعل العقل خادماً للشهوة والغضب فقد ظلم نفسه هذا جملة عدله في نفسه وتفصيله مراعاة حدود الشرع كله وعدله في كل عضو أن يستعمله على الوجه الذي أذن الشرع فيه. وأما عدله في أهله وذويه، ثم في رعيته إن كان من أهل الولاية فلا يخفى وربما ظن أن الظلم هو الإيذاء والعدل هو إيصال النفع إلى الناس وليس كذلك بل لو فتح الملك خزائنه المشتملة على الأسلحة والكتب وفنون الأموال ولكن فرق الأموال على الأغنياء ووهب الأسلحة للعلماء وسلم إليهم القلاع ووهب الكتب للأجناد وأهل القتال وسلم إليهم المساجد والمدارس فقد نفع ولكنه قد ظلم وعدل عن العدل إذ وضع كل شيء في غير موضعه اللائق به ولو آذى المريض بسقي الأدوية والحجامة والفصد بالإجبار عليه وآذى الجناة بالعقوبة قتلاً وقطعاً وضرباً كان عادلاً لأنه وضعها في موضعها وحظ العبد ديناً من

هذا الوصف أنه لا يعترض على الله تعالى في تدبيره وحكمه وسائر أفعاله وافق مراده أو لم يوافق لأن كل ذلك عدل وهو كما ينبغي وعلى ما ينبغي ولو لم يفعل ما فعله لحصل منه أمر آخر هو أعظم ضرراً مما حصل كما أن المريض لو لم يحتجم أبصر ضرراً يزيد على ألم الحجامة وبهذا يكون الله تعالى عدلاً والإيمان يقطع الإنكار والاعتراض ظاهراً وباطناً. وتمامه أن لا يسب الدهر ولا ينسب الأشياء إلى الفلك ولا يعترض عليه كما جرت به العادة بل يعلم أن كل ذلك أسباب مسخرة وأنها رتبت ووجهت إلى المسببات أحسن ترتيب وتوجيه بأقصى وجوه العدل واللطف كذا في «المقصد الأقصى في شرح معاني أسماء الله الحسنى» للإمام الغزالي عليه رحمة الملك المتعالي.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾﴾.

﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ إضافة الآيات إلى نون العظمة لتشريفها واستعظام الإقدام على تكذيبها أي بآياتنا التي هي معيار الحق ومصداق الصدق والعدل. ﴿سنستدرجهم﴾ أي: سنقربهم البتة إلى الهلاك على التدريج وأصل الاستدراج إما الاستصعاد وهو النقل من سفل إلى علو درجة درجة. وإما الاستنزال وهو النقل من علو إلى سفل كذلك والأنسب هو النقل إلى أعلى درجات المهالك ليبلغ أقصى مراتب العقوبة والعذاب. ﴿من حيث لا يعلمون﴾ صفة لمصدر الفعل المذكور، أي: سنستدرجهم استدراجاً كائناً من حيث لا يعلمون أنه كذلك، بل يحسبون أنه إكرام من الله تعالى وتقريب منه أو لا يعلمون ما نريد بهم وذلك أن يتواتر عليهم النعم فيظنوا أنها لطف من الله بهم فيزدادوا بطراً وانهماكاً في الغي إلى أن تحق عليهم كلمة العذاب على أفظع حال وأشنعها.

مده خودرا فريب ازرنك وبويم　　كه هست از خندهٔ من كريه آميز

قال الحافظ:

بمهلتى كه سپهرت دهد ز راه مرو　　تراكه كفت كه اين زال ترك دستان كفت

﴿وأملي لهم﴾ الإملاء: إطالة مدة أحدهم بإبقائه على ما هو عليه وعدم الاستعجال في مؤاخذته.

قال المولى أبو السعود: عطف على سنستدرجهم غير داخل في حكم السين لما أن الإملاء وهو عبارة عن الإمهال والإطالة وليس من الأمور التدريجية كالاستدراج الحاصل في نفسه شيئاً فشيئاً بل هو فعْل يحصل دفعة، وإنما الحاصل بطريق التدريج آثاره وأحكامه لا نفسه كما يلوّح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير. ﴿إن كيدي متين﴾ أي: إن أخذي شديد وإنما سماه كيداً لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان.

قال سعدي چلبي المفتي: الأولى أن يقول: سماه كيداً لنزوله بهم من حيث لا يشعرون، والكيد: الأخذ بخفية.

وقال الحدادي: الكيد هو الإضرار بالشيء من حيث لا يشعر به.

قال في «الحكم العطائية» خف من وجود إحسانه إليك ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك استدراجاً لك قال الله تعالى: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾.

قال سهل رضي الله عنه في معنى هذه الآية: نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فإذا ركنوا إلى النعمة وحجبوا عن المنعم أخذوا.

وقال أبو العباس بن عطاء: يعني: كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة، وأنسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة.

وقال الشيخ أبو القاسم القشيري رحمه الله: الاستدراج تواتر المنة بغير خوف الفتنة الاستدراج انتشار الذكر دون خوف المكر، الاستدراج: التمكن من المنية والصرف عن البغية. الاستدراج تعليل برجاء وتأميل بغير وفاء، الاستدراج: ظاهر مضبوط وسر بالأغيار منوط انتهى. ومن وجوه الاستدراج أن يجهل المريد بنفسه وبحق ربه فيسيء الأدب بإظهار دعوى أو تورط في بلوى فتؤخر العقوبة عنه إمهالاً له فيظنه إهمالاً فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن من قطع المدد عنه من حيث لا يشعر إلا منع المزيد لكان قطعاً لأن من لم يكن في زيادة فهو في نقصان.

وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه يوصي بعض أصحابه ويقول: خف من سطوة العدل وارج رقة الفضل، ولا تأمن مكره ولو أدخلك الجنة وقع لأبيك آدم ما وقع.

فإن قلت: ما الحكمة في إمهال الله العصاة في الدنيا؟.

قلت: ليرى العباد أن العفو والإحسان أحب إليه من الأخذ والانتقام، وليعلموا شفقته وبره وكرمه وأن رحمته سبقت غضبه وإمهاله تعالى من أخلاق كرمه وجوده. وقيل يمهل من يشاء حكمة ليأخذ الظالم أخذ عزيز مقتدر ويعجل عقوبة من يشاء رحمة منه وتخفيفاً بالنسبة إلى عذاب الآخرة.

فعلى العاقل أن يخاف من المكر الإلهي ويرى الفقر والانكسار نعمة وإكراماً فإن الله تعالى يحب الفقراء وهو عند المنكسرة قلوبهم، وحال الدنيا ليس على القرار تسلب كما تهب وتهب كما تسلب. ونعم ما قيل:

زمانه به نيك وبد آبستن است ستاره كهى دوست وكه دشمن است

﴿أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة﴾. روي أنه عليه الصلاة والسلام كان كثيراً ما يحذر قريشاً عقوبة الله تعالى ووقائعه النازلة في الأمم الماضية فقام ليلاً على الصفا وجعل يدعوهم إلى عبادة الله تعالى قبيلة قبيلة يا بني فلان يا بني فلان إلى الصباح يحذرهم بأس الله فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا يعني محمداً ﷺ لمجنون بات يهوت إلى الصباح فنزلت. والهمزة للإنكار والتعجب والتوبيخ، والواو للعطف على مقدر وما إما استفهامية إنكارية في محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم، وأما نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجملة معلقة لفعل التفكر لكونه من أفعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب على نزع الجار والجنة بناء نوع من الجنون ودخول من يدل على أنه ليس به نوع من أنواع الجنون. والمعنى: أكذبوا بالآيات ولم يتفكروا في أي شيء من جنون ما كائن بصاحبهم؟ أو في أنه ليس بصاحبهم شيء من جنة حتى يؤديهم التفكر في ذلك إلى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به وبما أنزل عليه من الآيات فالتصريح بنفي الجنون للرد على عظيمتهم الشنعاء والتعبير عنه عليه الصلاة والسلام بصاحبهم وارد على شاكلة كلامهم مع ما فيه من الإيذان بأن طول مصاحبتهم له عليه السلام مما يطلعهم على نزاهته عليه السلام عن شائبة الجنة وقد كانوا يسمونه قبل إظهار النبوة

محمداً الأمين ﷺ ﴿إن هو﴾ أي: ما هو عليه السلام. ﴿إلا نذير مبين﴾ أي: مبالغ في الإنذار مظهر له غاية الإظهار إبرازاً لكمال الرأفة ومبالغة في الأعذار.

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

﴿أو لم ينظروا﴾ الهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر أي أكذبوا بها ولم ينظروا نظر تأمل واستدلال ﴿في ملكوت السموات الأرض﴾ فيما تدل عليه السموات والأرض من عظم الملك وكمال القدرة فيعلموا أنه لم يخلقهما عبثاً ولم يترك عباده سدى.

قال بعضهم: ملكوت السموات النجوم والشمس والقمر وملكوت الأرض البحور والجبال والشجر والملكوت الملك العظيم من الملك كالرهبوت من الرهب زيدت التاء للمبالغة يقال له ملكوت العراق، أي: الملك الأعظم متعلق به ﴿وما خلق الله﴾ عطف على ملكوت، أي: وفيما خلق الله ﴿من شيء﴾ بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون دقائقها أي من جليل ودقيق مما يقع عليه اسم الشيء من الأجناس التي لا يمكن حصرها، أي أن كل فرد فرد من الموجودات محل للنظر والاعتبار والاستدلال على الصانع ووحدانيته كما قيل:

وفـي كـل شـيء لـه آيـة تـدل عـلـى أنـه واحـد

﴿وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾ عطف على ملكوت وأن مخففة من أن واسمها ضمير الشان والخبر قد اقترب أجلهم. والمعنى: أو لم ينظروا في أن الشان عسى أن يكون الشأن قد اقترب أجلهم لعلهم يموتون عن قريب فما لهم لا يسارعون إلى طلب الحق والتوجه إلى ما ينجيهم قبل مجيء الموت ونزول العذاب.

زان پيش كاجل فرا رسد تنك وأيام عنان ستاند ازچنك

برمركب فكر خويش نه زين مردانه در آى درره دين

﴿فبأي حديث﴾ هو في اللغة الجديد، وفي عرف العامة الكلام ﴿بعده﴾ أي: بعد القرآن ﴿يؤمنون﴾ إذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان وليس بعده كتاب منزل ولا نبي مرسل وهو قطع لاحتمال إيمانهم ونفي له بالكلية والباء متعلقة بيؤمنون.

﴿من يضلل الله﴾ [هركرا كمراه كرداند خداى تعالى وبقرآن نكرود] ﴿فلا هادي له﴾ [پس هيچ راه نماينده نيست كه اورابراه آرد] ﴿ويذرهم﴾ بالياء والرفع على الاستئناف، أي وهو تعالى يتركهم. ﴿في طغيانهم﴾ في مجاوزتهم الحد في كفرهم. ﴿يعمهون﴾ حال من مفعول يذرهم أي حال كونهم مترددين ومتحيرين في «القاموس» العمه محركة التردد في الضلال والتحير في منازعة أو طريق أو أن لا يعرف الحجة.

وفي الآية حث على التفكر ودلالة على أن العاقل لو تفكر بالعقل السليم من آفات الوهم والخيال والتقليد والهوى في حال النبي ﷺ وأخلاقه وسيره فضلاً عن معجزاته لتحقق عنده أنه النبي الصادق وأن ما يدعوه إليه كله حق وصدق وإنه لينجو بهذا التفكر من النار كما أخبر الله تعالى عن حال أهل النار بقوله: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾[الملك: ١٠] وفي قوله تعالى: ﴿أو لم ينظروا﴾ إلخ إشارة إلى أن المكونات على

نوعين نوع منها ما خلق من غير شيء وهو الملكوت الذي هو باطن الكون والكون به قائم وهو قائم بيد القدرة كقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يس: ٨٣] ونوع منها ما خلق من شيء وهو الملك الذي هو ظاهر الكون فكما أن النظر إلى الملك بحسن البصر فالنظر إلى الملكوت بالعقل والقلب فنظر أرباب العقول فيه يفيد رؤية الآيات والاستدلال بها على معرفة الخالق وإثبات الصانع ونظر أصحاب القلوب فيه يفيد شهود شواهد الغيب بالولوج ليصير إيمانه إيقاناً بل عياناً كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ [الأنعام: ٧٥] وهذه الإراءة سنة إلّهية قديمة للحق سبحانه يري بها كل من جعله نبياً أو ولياً ناسوت العالم وملكوته وجبروته ولاهوته سواء كان عالماً صغيراً أو عالماً كبيراً ولا تزال تلك السنة باقية إلى يوم القيامة ما دام لم ينقطع السير والسلوك إلى الحق سبحانه فلولاها لنوع الإنسان لكان كسائر الحيوان إلا أن الله الرحمن منّ بها على نوع الإنسان وسار وسلك بها من شاء من أهل عنايته إلى قبل الملك المنان حتى ترقى عن جميع الأكوان ونال الشهود والعيان ووصل إلى الحق المحسان وأتاه كمال الإيقان وتمام الإحسان ثم جاء نبياً أو ولياً لإرشاد الإخوان فقام بالحكمة والبيان وبين الإسلام والإيمان ودعا إلى الله الحليم الحنان وبشر بالجنان وأنذر بالنيران فمن أجاب نال اللطف والإحسان ومن لم يجب خسر خسراناً مبيناً وقال عليه الصلاة والسلام عن عيسى «لن يلج ملكوت السموات والأرض من لم يولد مرتين» فالولوج لأصحاب القلوب والمشاهدة والنظر لأرباب العقول والاستدلال كذا في «التأويلات النجمية» مع مزج من كلام شيخنا العلامة أحياه الله بالسلامة [روزى إمام أبي حنيفة رحمه الله در مسجد نشسته بود جماعتى ازد زنادقه در آمدند وقصد هلاك أو كردند إمام كفت يك سؤال را جواب دهيد بعد ازان تيغ ظلم را آب دهيد كفتند مسأله چيست كفت من سفينهء ديدم پربار كران برورى دريا روان بى آنكه هيچ ملاحى محافظت ميكرد كفتند اين محالست زيراكه كشتى بى ملاح بريك نسق رفتن محال باشد كفت سبحان الله سير جملهء أفلاك وكواكب ونظام عالم علوي وسفلي ازسيريك سفينه عجبترست همه ساكت كشتند واكثر مسلمان شدند] قال الحافظ الشيرازي:

در حشمت سليمان هركس كه شك نمايد   برعقل ودانش اوخندند مرغ وماهى

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٧﴾.

﴿يسألونك عن الساعة﴾ أي: عن القيامة وهي من الأسماء الغالبة فيها كالنجم في الثريا، وسميت القيامة ساعة لوقوعها بغتة أو لكون الحساب الواقع فيها يتم وينقضي في ساعة يسيرة؛ لأنه تعالى لا يشغله شأن عن شأن، أو لأنها على طولها عند الله تعالى كساعة من الساعة عند الخلق وأصلها ساعة قيام الناس من الأجداث فلما غلبت تعينت فاستغنت عن الإضافة. روي أن قوماً من اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً فإنا نعلم متى هي وكان ذلك امتحاناً منهم مع علمهم أنه تعالى قد استأثر بعلمها فنزلت **﴿أيان مرساها﴾** أيان ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام محله الرفع على أنه خبر مقدم ومرساها مبتدأ مؤخر أي متى إرساؤها

أي إثباتها وتقريرها فإنه مصدر ميمي من أرساه إذا أثبته وأقره ولا يكاد يستعمل إلا في الشيء الثقيل، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢﴾ [النازعات: ٣٢] ولما كان أثقل الأشياء على الخلق هو الساعة سمى الله تعالى وقوعها وثبوتها بالإرساء ومحل الجملة النصب بنزع الخافض فإنها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط، كأنه قيل: يسألونك عن الساعة عن أيان مرساها ﴿قل إنما علمها﴾ لم يقل إنما علم وقت إرسائها لأن المقصد الأصلي من السؤال نفسها باعتبار حلولها في وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه محلاً لها، ولذلك أضاف العلم المطلوب بالسؤال إلى ضميرها. ﴿عند ربي﴾ خاصة قد استأثر به لم يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً. ﴿لا يجليها﴾ أي: لا يظهر أمرها من التجلية وهو إظهار الشيء والتجلي ظهوره ﴿لوقتها﴾ أي: في وقتها فاللام للتأقيت كاللام في قوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨] ﴿إلا هو﴾ والمعنى أنه تعالى يخفيها على غيره إخفاء مستمراً إلى وقت وقوعها ولا يظهرها إلا في ذلك الوقت الذي وقعت فيه بغتة بنفس الوقوع لا بالإخبار عنها لكون إخفائها أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كإخفاء الأجل الخاص الذي هو وقت الموت كتم الله تعالى وقت قيام الساعة عن الخلق ليصير المكلف مسارعاً إلى التوبة والطاعة في جميع الأوقات فإنه لو علم وقت قيام الساعة لتقاصر الخلق عنها وأخروها. وكذلك أخفى ليلة القدر ليجتهد المكلف في العبادة في ليالي الشهر كلها وأخفى ساعة الإجابة من يوم الجمعة ليكون المكلف مجداً في الدعاء في جميع ساعاته ﴿ثقلت في السموات والأرض﴾ أي: كبرت وشقت على أهلهما من الملائكة والثقلين كل منهم أهمه خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول.

وقيل: عظمت على أهلهما خوفاً من شدائدهما وما فيها من الأهوال ومن جملة أهوالها فناء من في السموات والأرض وهلاكهم وذلك ثقيل على القلوب. ﴿لا تأتيكم إلا بغتة﴾ إلا فجأة على غفلة فتقوم والرجل يسقي ماشيته، والرجل يصلح حوضه، والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه والرجل يهوي لقمة في فمه فما يدرك أن يضعها في فمه. ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ أي: عالم بها من حفي عن الشيء إذا بالغ في السؤال عنه، ومن استقصى في تعلم الشيء وبالغ في السؤال عنه لزمه أن يستحكم علمه به ويعلمه بأقصى ما يمكن ويكون ماهراً في العلم، فلذلك كنى بقوله تعالى: ﴿كأنك حفي عنها﴾ عن كونه عليه السلام عالماً بها بأقصى ما يمكن والتعدية بعن مع كونه بمعنى العالم، وهو يتعدى بالباء لكونه متضمناً لمعنى بليغ في السؤال عنها حتى أحكمت علمها والجملة التشبيهية في محل النصب على أنها حال من الكاف أي يسألونك مشبهاً حالك عندهم بحال من هو حفي عنها، أي: مبالغ في العلم بها. ﴿قل إنما علمها عند الله﴾ الفائدة في إعادته رد المعلومات كلها إلى الله تعالى، فيكون التكرار على وجه التأكيد والتمهيد للتعريض بجهلهم بقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونها رأساً وبعضهم يعلمون أنها واقعة البتة ويزعمون أنك واقف على وقت وقوعها فيسألونك جهلاً وبعضهم يدعون أن العلم بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون السؤال عنها ذريعة إلى القدح في رسالتك.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٨﴾

﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً﴾ أي: جلب نفع ولا دفع ضر فمن لا يعلم أن نفعه في أي الأشياء ومضرته في أيها كيف يعلم وقت قيام الساعة واللام متعلق بأملك.

قال سعدي چلبي المفتي: والظاهر أنه متعلق بنفعاً ولا ضراً ﴿إلا ما شاء الله﴾ أن أملكه من ذلك بأن يلهمنيه فيمكنني منه ويقدرني عليه فالاستثناء متصل أو لكن ما شاء الله من ذلك كائن، فالاستثناء منقطع وهذا أبلغ في إظهار العجز عن علمها. ﴿ولو كنت أعلم الغيب﴾ أي: جنس الغيب ﴿لاستكثرت من الخير﴾ أي: لجعلت المال والمنافع كثيراً على أن يكون بناء استفعل للتعدية كما في نحو استذله. ﴿وما مسني السوء﴾ من كيد العدو والفقر والضر وغيرها. ﴿إن أنا إلا نذير وبشير﴾ أي: ما أنا إلا عبد مرسل للإنذار، والبشارة شأني ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف على الغيوب التي لا علاقة بينها وبين الأحكام والشرائع وقد كشفت من أمر الساعة ما يتعلق به الإنذار من مجيئها لا محالة واقترابها، وأما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الإنذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من أن إبهامه أدعى إلى الانزجار عن المعاصي. ﴿لقوم يؤمنون﴾ إما متعلق بهما جميعاً لأنهم ينتفعون بالإنذار كما ينتفعون بالبشارة، وإما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف أي نذير للكافرين أي الباقين على الكفر وبشير لقوم يؤمنون أي في أي وقت كان ففيه ترغيب للكفرة في إحداث الإيمان وتحذير عن الإصرار على الكفر والطغيان.

قال الحدادي في «تفسيره»: في الآية دلالة على بطلان قول من يدعي العلم بمدة الدنيا ويستدل بما روي أن الدنيا سبعة آلاف سنة لأنه لو كان كذلك كان وقت قيام الساعة معلوماً وأما قوله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار إلى السبابة والوسطى فمعناه تقريب الوقت لا تحديده كما قال تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨] أي: مبعث النبي عليه السلام من أشراطها انتهى.

يقول الفقير: رواية عمر الدنيا وردت من طرق شتى صحاح لكنها لا تدل على التحديد حقيقة فلا يلزم أن يكون وقت قيام الساعة معلوماً لأحد أياً من كان من ملك أو بشر.

وقد ذهب بعض المشايخ إلى أن النبي ﷺ كان يعرف وقت الساعة بإعلام الله تعالى وهو لا ينافي الحصر في الآية كما لا يخفى.

وفي «صحيح مسلم» عن حذيفة قال: «أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة» وفي الحديث: «إن لله ديكاً جناحاه موشيان بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت جناح له بالمشرق، وجناح له بالمغرب، وقوائمه في الأرض السفلى، ورأسه مثني تحت العرش فإذا كان السحر الأعلى خفق بجناحيه، ثم قال: سبوح قدوس ربنا الله لا إله غيره فعند ذلك تضرب الديكة أجنحتها، وتصيح فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى ضم جناحك وغض صوتك فيعلم أهل السموات والأرض أن الساعة قد اقتربت».

ومن أشراط الساعة: كثرة السبي والتسري وذلك دليل على استعلاء الدين واستيلاء المسلمين الدال على التراجع والانحطاط إذا بلغ الأمر كماله، ومنها كون الغنم دولاً يعني إذا كان الأغنياء وأصحاب المناصب يتداولون بأموال الغنيمة ويمنعون عنها مستحقيها وكون الزكاة مغرماً يعني يشق عليهم أداء الزكاة ويعدونها غرامة وكون الأمانة مغنماً، يعني: إذا اتخذ الناس الأمانات الموضوعة عندهم مغانم يغتنمونها ومن الأمانة الفتوى والقضاء والأمارة والوزارة وغيرها فإذا آتوها إلى غير أهاليها كما ترى في زماننا فانتظر الساعة.

وفي رواية عن أبي هريرة «لا تقوم الساعة حتى يكون الزهد رواية والورع تصنعاً ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق».

فإن قيل: قد ورد في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة».

قيل: معناه إلى قريب قيام الساعة لأن قريب الشيء في حكمه.

واعلم: أن القيامة ثلاث حشر الأجساد والسوق إلى المحشر للجزاء وهي القيامة الكبرى وموت جميع الخلائق وهي الوسطى ولا يعلم وقته يقيناً إلا الله تعالى وإنما يعلم بالعلامات المنقولة عن الرسول ﷺ كما ذكرنا بعضاً منها وموت كل أحد وهي الصغرى، وفي الحديث: «من مات فقد قامت قيامته» وروي أن النبي ﷺ ذكر يوماً أحوال جهنم، فقال واحد من الأصحاب رضي الله عنه: ادع لي يا رسول الله أن أدخل فيها فتعجبوا من قوله، فقال عليه الصلاة والسلام: «إنه يريد أن يكون صاحب القيامة الكبرى» قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره نحن لا نعرف حقيقة مراده عليه السلام إلا أنا نوجهه بأن يريد أن يشاهد القيامة الكبرى بأن يصل إلى مرتبة يتجلى فيها معنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] فإن السالك إذا جاوز عن مرتبة الطبيعة والنفس والروح والسر يغيب عنه ما سوى الله تعالى فلا يرى له غير الله تعالى فاضمحلال ما سواه وفناؤه هو القيامة الكبرى وهذه مرتبة عظمى لا يصل إليها إلا أهل العناية. قال الحافظ:

عنقا شكاركس نشوددام بازچين كانجا هميشه باد بدستست دام را

فعلى العاقل الاجتهاد وبذل المجهود ليترقى إلى ما ترقى إليه أهل الخير والجود.

بال بكشا وصفير ازشجر طوبى زن حيف باشدچو تومرغى كه اسير قفسى
كاروان رفت وتودرراه كمين كاه بخواب وه كه بس بيخبرى زين همه بانك جرسى

ونعم ما قيل:

عاشق شورانه روزى كارجهان سرآيد تاخوانده نقش مقصوداز كاركاه هستى

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضى ويداوي هذه القلوب المرضى وهو المعين على كل حال وفي كل حين.

﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾.

﴿هو﴾ أي: الله تعالى. ﴿الذي﴾ أي: العظيم الشأن الذي ﴿خلقكم﴾ جميعاً وحده من غير أن يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه من الوجوه ﴿من نفس واحدة﴾ هو آدم عليه السلام فكما أن النفوس خلقت من نفس واحدة هي نفس آدم فكذا الأرواح خلقت من روح واحد هو روح محمد ﷺ فكان هو أبا الأرواح كما كان آدم أبا البشر لقوله عليه السلام: «إنما أنا لكم كالوالد لولده» وقوله: «أول ما خلق الله روحي» فإن أول كل نوع هو المنشأ منه ذلك النوع من الحيوان والنبات.

كـــر بـــصـــورت مـــن زآدم زاده ام مــن بـمـعـنـى جد جد افـتـاده ام

﴿وجعل﴾ أنشأ ﴿منها﴾ أي: من جنس تلك النفس الواحدة. ﴿زوجها﴾ حواء أو من جسدها لما يروى أن الله تعالى خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم عليه الصلاة والسلام والأول هو الأنسب إذ الجنسية هي المؤدية إلى الغاية الآتية لا الجزئية. ﴿ليسكن﴾ تلك النفس والتذكير باعتبار المعنى يعني: آدم ﴿إليها﴾ أي: إلى الزوج وهي حواء أي ليستأنس بها ويطمئن إليها اطمئناناً مصححاً للازدواج. ﴿فلما تغشاها﴾ لم يقل تغشتها باعتبار آدم أيضاً. والتغشي والتغشية التغطية بالفارسي [چيزى بركسى پوشانيدن] كنى به عن الجماع لأن الرجل يغطي المرأة ويسترها حال الوقاع لاستعلائه عليها ﴿حملت حملاً خفيفاً﴾ في مبادي الأمر فإنه عند كونه نطفة أو علقة أو مضغة أخف عليها بالنسبة إلى ما بعد ذلك من المراتب فانتصاب حملاً على المصدرية أو حملت محمولاً خفيفاً وهو ما في البطن من النطفة ونفس الجنين فانتصابه على المفعول به كقوله حملت زيداً وهو الظاهر والمشهور أن الحمل بالفتح ما كان في البطن أو على رأس الشجر وبالكسر ما كان على ظهر إنسان أو على الدابة. ﴿فمرت به﴾ أي: فاستمرت به كما كان قبل حيث قامت وقعدت وأخذت وتركت ولم تكترث بحملها فمرت من المرور بمعنى الذهاب والمضي لا من المرّ بمعنى الاجتياز والوصول يقال مرّ عليه وبه يمر مراً أي اجتاز ومر يمر مراً ومروراً، أي: ذهب واستمر مثله والسين فيه للطلب التقديري كما في استخرجته ﴿فلما أثقلت﴾ أي: صارت ذا ثقل بكبر الولد في بطنها ﴿دعوا الله﴾ أي: آدم وحواء عليهما السلام لما دهمهما أمر لم يعهداه ولم يعرفا مآله فاهتماماً به وتضرعا إليه تعالى ﴿ربهما﴾ أي: مالك أمرهما الحقيق بأن يخص به الدعاء ومتعلق الدعاء محذوف أي دعواه تعالى في أن يؤتيهما ولداً صالحاً ووعداً بمقابلته الشكر وقالا ﴿لئن آتيتنا صالحاً﴾ أي: ولداً سويّ الأعضاء أو صالحاً في أمر الدين. ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ لك على هذه النعمة المجددة ووجه دعائهما بذلك أن آدم رأى حين أخذ الميثاق على ذريته أن منهم سويّ الأعضاء وغير السويّ وأن منهم التقي وغير التقي فسألا أن يكون هذا الولد سويّ الأعضاء أو تقياً نقياً عن المعصية فلما أعطاهما صالحاً شكرا لأنهما ليسا بحيث يعدان من أنفسهما بذلك ثم لا يفعلان ذلك يقال إن حواء كانت تلد في كل بطن ذكراً وأنثى ويقال ولدت لآدم في خمسمائة بطن ألف ولد.

ثم شرع في توبيخ المسلمين بقوله:

﴿فلما آتاهما صالحاً﴾ أي: فلما أعطى أولادهما المشركين البالغين مبلغ الوالد ولداً صالحاً سويّ الأعضاء ﴿جعلا﴾ أي: جعل هذان الأبوان ﴿له﴾ أي: لله تعالى ﴿شركاء فيما آتاهما﴾ بأن سميا أولادهما بعبد العزى وعبد مناف ونحو ذلك وسجدا للأصنام شكراً على هذه النعمة والأظهر تقرير أبي السعود حيث قال في «تفسيره»: ﴿فلما آتاهما صالحاً﴾ أي: لما آتاهما ما طلباه أصالة واستتباعاً من الولد وولد الولد ما تناسلوا جعلا أي جعل أولادهما له تعالى: ﴿شركاء فيما آتاهما﴾ أي: فيما أتى أولادهما من الأولاد ففي الكلام حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وإلا لزم نسبتهما أي آدم وحواء إلى الشرك وهما بريئان منه بالاتفاق ويدل على الحذف المذكور صيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿فتعالى الله﴾ [پس بزركست خداى تعالى وپاك] ﴿عما يشركون﴾ أي: عن إشراكهم وهو تسميتهم المذكورة ولو كان المراد بالآية آدم وحواء لقال عما يشركان.

﴿أيشركون﴾ به تعالى ﴿ما لا يخلق شيئاً﴾ أي: لا يقدر على أن يخلق شيئاً من الأشياء أصلاً ومن حق المعبود أن يكون خالقاً لعابده. ﴿وهم يخلقون﴾ عطف على ما لا يخلق يعني الأصنام وإيراد الضميرين بجمع العقلاء مبني على اعتقاد الكفار فيها ما يعتقدونه في العقلاء وكانوا يصورونها على صورة من يعقل ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها بنفي الخالقية لإبانة كمال منافاة حالها لما اعتقدوه في حقها.

﴿ولا يستطيعون لهم﴾ أي: لعبدتهم إذا حزبهم أمر مهم ﴿نصراً﴾ أي: نصر إما بجلب منفعة أو دفع مضرة ﴿ولا أنفسهم ينصرون﴾ فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث كما إذا أراد أحد أن يكسرها أو يلطخها بالألوات والأرواث.

قال الحدادي: وكانوا يلطخون أفواه الأصنام بالخلوف والعسل وكان الذباب يجتمع عليها فلا تقدر على دفع الذباب عن أنفسها.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾.

﴿وإن تدعوهم﴾ أيها المشركون ﴿إلى الهدى﴾ إلى أن يهدوكم إلى ما تحصلون به مقاصدكم ﴿لا يتبعوكم﴾ إلى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ﴿سواء عليكم﴾ أيها المشركون ﴿أدعوتموهم﴾ أي: الأصنام ﴿أم أنتم صامتون﴾ ساكتون أي مستوي عليكم في عدم الإفادة دعاؤكم لهم وسكوتكم، فإنه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية ولم يقل أم صمتم لرعاية رؤوس الآي.

﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ أي: تعبدونهم من دونه تعالى من الأصنام وتسمونهم آلهة. ﴿عباد أمثالكم﴾ أي: مماثلة لكم من حيث إنها مملوكة لله تعالى مسخرة لأمره عاجزة عن النفع والضر.

وقال الحدادي: سماها عباداً لأنهم صوروها على صورة الإنسان. ﴿فادعوهم﴾ في جلب نفع وكشف ضر. ﴿فليستجيبوا لكم﴾ صيغته صيغة الأمر ومعناه التعجيز ﴿إن كنتم صادقين﴾ في زعمكم أنهم قادرون على ما أنتم عاجزون عنه.

﴿ألهم﴾ أي: للأصنام ﴿أرجل يمشون بها﴾ حتى يمكن استجابتهم لكم والاستجابة من الهياكل الجسمانية إنما تتصور إذا كان لها محرك حياة وقوى محركة ومدركة وما ليس له شيء من ذلك فهو بمعزل من الأفاعيل بالمرة ووصف الأرجل بالمشي بها للإيذان بأن مدار الإنكار هو الوصف. ﴿أم لهم أيد يبطشون بها﴾ أم منقطعة مقدرة ببل والهمزة والبطش الأخذ بقوة. والمعنى بل ألهم أيد يأخذون بها ما يريدون أخذه وبل للإضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه إلى فن آخر منه ﴿أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها﴾ قدم المشي لأنه حالهم في أنفسهم والبطش حالهم بالنسبة إلى الغير. وأما تقديمه على قوله: ﴿أم لهم أعين﴾ الخ مع أن الكل سواء في أنها من أحوالهم بالنسبة إلى الغير فلمراعاة المقابلة بين الأيدي والأرجل. وأما تقديم الأعين فلما أنها أشهر من الآذان وأظهر عيناً وأثراً ثم إن الكفار

كانوا يخوفونه عليه السلام بآلهتهم قائلين نخاف أن يصيبكم بعض آلهتنا بسوء فقال الله تعالى: ﴿قل ادعوا﴾ أيها المشركون ﴿شركاءكم﴾ واستعينوا بهم في عداوتي ﴿ثم كيدون﴾ فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكر، وهي أنتم وشركاؤكم فالخطاب في كيدون للأصنام وعبدتها ﴿فلا تنظرون﴾ فلا تمهلون ساعة فإني لا أبالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه.

اكر هر دو جهانم خصم كردند نترسم چون نكهبا نم تو باشى

﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾

﴿إن وليي الله الذي نزل الكتاب﴾ تعليل لعدم المبالاة المنفهم من السوق انفهاماً جلياً قوله: ﴿وليي﴾ بثلاث ياءات. الأولى ياء فعيل وهي ساكنة. والثانية لام الفعل وهي مكسورة أدغمت فيها الياء الأولى. والثالثة ياء الإضافة وهي مفتوحة. والولي هنا بمعنى الناصر والحافظ أضيف إلى ياء المتكلم. والمعنى أن الذي يتولى نصرتي وحفظي هو الذي أكرمني بتنزيل القرآن وإيحائه إليّ وإيحاء الكتاب إليه يستلزم رسالته لا محالة ﴿وهو يتولى الصالحين﴾ أي: ومن عادته تعالى أن يتولى الصالحين من عباده وينصرهم لا يخذلهم فضلاً عن أنبيائه ﴿والذين تدعون﴾ يا عبدة الأصنام ﴿من دونه﴾ أي: متجاوزين الله تعالى ودعاءه ومضمون هذه الآية ذكر أوّلاً لتقريع عبدة الأصنام وذكر ههنا إتماماً لتعليل عدم مبالاته بهم فلا تكرار ﴿لا يستطيعون نصركم﴾ في أمر من الأمور ﴿ولا أنفسهم ينصرون﴾ إذا نابتهم نائبة.

﴿وإن تدعوهم﴾ أي: الأصنام ﴿إلى الهدى﴾ إلى أن يهدوكم إلى ما تحصلون به مقاصدكم من الكيد وغيره ﴿لا يسمعوا﴾ أي: دعاءكم فضلاً عن المساعدة والإمداد وهذا بخلاف التوجه إلى روحانية الأنبياء والأولياء وإن كانوا مخلوقين فإن الاستمداد منهم والتوسل بهم والانتساب إليهم من حيث إنهم مظاهر الحق ومجالي أنواره ومرائي كمالاته وشفعاؤه في الأمور الظاهرة والباطنة له غايات جليلة وليس ذلك بشرك أصلاً بل هو عين التوحيد ومطالعة الأنوار من مطالعها ومكاشفة الأسرار من مصاحفها. قال الصائب:

مشو بمرك زامداد اهل دل نوميد كه خواب مردم آكاه عين بيداريست

﴿وتراهم﴾ الرؤية بصرية والخطاب لكل واحد من المشركين، أي: وترى الأصنام أيها الرائي رأي العين. ﴿ينظرون إليك﴾ حال من المفعول أي يشبهون الناظرين إليك ويخيل إليك أنهم يبصرونك لما أنهم صنعوا لها أعيناً مركبة بالجواهر المضيئة المتلالئة وصوروها تصوير من قلب حدقته إلى الشيء ينظر إليه. ﴿وهم لا يبصرون﴾ حال من فاعل ينظرون، أي: والحال أنهم غير قادرين على الأبصار وهو بيان عجزهم عن الإبصار بعد بيان عجزهم عن السمع وقيل ضمير الفاعل في تراهم لرسول الله ﷺ، وضمير المفعول للمشركين على أن التعليل قد تم عند قوله تعالى: ﴿لا يسمعوا﴾ أي: وترى المشركين يا محمد ينظرون إليك بأعينهم وهم لا يبصرونك ببصائرهم أي كما أنت عليه فهم غائبون عنك في الحقيقة إلا أن يقروا بالتوحيد وصدق الرسالة. ذكر أن السطر الأول من خاتم سليمان عليه الصلاة والسلام كان بسم الله الرحمن الرحيم. والسطر الثاني: لا إله إلا الله. والسطر الثالث محمد رسول الله فلما أدخله

جبريل في أصبعه لم يقدر أصحابه أن يروه فتضرعوا فقال قولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما قالوه رأوه. وسره أنه أحاطه المهابة فلما اشتغلوا بالتوحيد حصل لهم الاستعداد والقدرة. وحكي أن السلطان محمود الغازي دخل على الشيخ الرباني أبي الحسن الخرقاني قدس سره لزيارته وجلس ساعة ثم قال يا شيخ ما تقول في حق أبي يزيد البسطامي فقال الشيخ هو رجل من رآه اهتدى واتصل بسعادة لا تخفى فقال محمود وكيف ذلك وأبو جهل رأى رسول الله ﷺ ولم يتصل بالسعادة ولم يتخلص من الشقاوة، فقال الشيخ في جوابه إن أبا جهل ما رأى رسول الله ﷺ وإنما رأى محمد بن عبد الله يتيم أبي طالب حتى لو كان رأى رسول الله ﷺ لخرج من الشقاوة ودخل في السعادة ثم قال الشيخ ومصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾ فالنظر بعين الرأس لا يوجب هذه السعادة بل النظر بعين السر والقلب يورث ذلك فمن رأى أبا يزيد بهذه العين فاز بالسعادة.

براى ديدن روى تو چشم ديكرم باشد ... كه اين چشم كه من دارم جمالت را نمى شايد

وفي الحديث: «طوبى لمن رآني، ولمن رأى من رآني، ولمن رأى من رأى من رآني، ولمن رأى من رأى من رأى من رآني» كما في «الرسالة العلية» للكاشفي. وفي «المثنوي»:

كفت طوبى من رآني مصطفى ... والذي يبصر لمن وجهي رأى
چون چراغى نور شمعى راكشيد ... هركه ديد آنرا يقين آن شمع ديد
همچنين تاصد چراغ ازنقل شد ... ديدن آخر لقاى اصل شد
خواه نور از وايسين بستان بجان ... هيچ فرقى نيست خواه ازشمع دان

وظهر من هنا أن رؤية الأولياء أيضاً إنما تفيد إذا كانت بالبصيرة ثم إن الرؤية تتناول ما في اليقظة وما في المنام قال بعضهم في قوله عليه السلام: «من رآني فقد رأى الحق» من رآني مطلقاً أي: سواء كانت الرؤية في اليقظة أو في المنام فقد رأى الرسول الحق.

وقال بعضهم من رآني في المنام فقد رأى الرؤيا الصادقة لا الرؤيا التي يلعب بها الشيطان.

قال الشيخ الأكمل في «شرح المشارق»: المنام الحق هو الذي يريه الملك الموكل على الرؤيا فإن الله تعالى قد وكل بالرؤيا ملكاً يضرب من الحكمة والأمثال، وقد اطلعه الله سبحانه على قصص ولد آدم من اللوح المحفوظ فهو ينسخ منها ويضرب لكل قصة مثلاً، فإذا نام يمثل له تلك الأشياء على طريق الحكمة لتكون بشارة له أو نذارة أو معاتبة ليكونوا على بصيرة من أمرهم كذا قيل انتهى.

واعلم: أن جميع الأنبياء معصومون من أن يظهر شيطان بصورهم في النوم واليقظة لئلا يشتبه الحق بالباطل.

يقول الفقير: أصلحه الله القدير سمعت من حضرة شيخي المتفرد في زمانه بعلمه وعرفانه أن الشيطان لا يتمثل أيضاً بصور الكمل من الأولياء الكرام كقطب الوجود في كل عصر فإنه مظهر تام للهدى سار في سره سر النبي المصطفى ﷺ تسليماً كثيراً.

فعلى العاقل أن يترك القيل والقال ويدع الاعتراض بالمقال والحال ويستسلم لأمر الله الملك المتعال إلى أن يبلغ مبلغ الرجال، ويتخلص من مكر الشيطان البعيد عن ساحة العز والإجلال ويكون هادياً بعد كونه مهدياً إن كان ذلك أمراً مقضياً اللهم اهدنا إلى رؤية الحق

وأرنا الأشياء كما هي وخلصنا من الإشغال بالمناهي والملاهي إنك أنت الجواد لكل صنف من العباد منك المبدأ وإليك المعاد.

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝٢٠١ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۝٢٠٢﴾.

﴿خذ العفو﴾. روي أنه ﷺ سأل جبريل «ما الأخذ بالعفو» فقال: لا أدري حتى أسأل؟ ثم رجع فقال يا محمد إن ربك أمرك أن تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وأن تحسن إلى من أساء إليك».

هركه زهرت دهد بدوده قند ... وآنكه ازتو برد بدوپيوند

والعفو من أخلاقه تعالى.

قال سعيد بن هشام: دخلت على عائشة فسألتها عن أخلاق النبي عليه السلام قالت أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى قالت كان خلق رسول الله القرآن وإنما أدبه بالقرآن بمثل قوله تعالى: **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾** وبقوله: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧] وبقوله: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ [المائدة: ١٣] وغير ذلك من الآيات الدالة على مكارم أخلاقه **﴿وأمر بالعرف﴾** بالجميل المستحسن من الأفعال لأنها قريبة من قبول الناس من غير نكير.

قال في «التيسير»: قالوا في العرف: تقوى الله صلة الأرحام وصون اللسان عن الكذب ونحوه وغض البصر عن المحارم وكف الجوارح عن المآثم. **﴿وأعرض عن الجاهلين﴾** ولا تكافىء السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغضض عما يسوؤك منهم، وذلك لأنه ربما أقدم بعض الجاهلين عند الترغيب والترهيب على السفاهة والأذى والضحك والاستهزاء، فلهذا السبب أمر الله تعالى حبيبه في آخر الآية بتحمل الأذى والحلم عمن جفا فظهر بهذا أن الآية مشتملة على مكارم الأخلاق فيما يتعلق بمعاملة الناس معه ولم يكن ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح كذا في «الكواشي». روى أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «كيف يا رب والغضب» فنزل قوله تعالى:

﴿وإما﴾ كلمتان إن التي هي للشرط وما التي هي صلة زائدة **﴿ينزغنك﴾** النزغ والنخس الغرز يقال نزغه طعن فيه ونزغ بينهم أفسد وأغرى ووسوس ونخس الدابة غرز مؤخرها أو جنبها بعود ونحوه **﴿من الشيطان نزغ﴾** أي: نازغ كرجل عدل بمعنى عادل وشبهت وسوسته للناس وإغراؤه لهم على المعاصي بغرز السائق لما يسوقه. والمعنى وإما يحملنك من جهته وسوسة ما على خلاف ما أمرت به من اعتراء غضب أو نحوه **﴿فاستعذ بالله﴾** فالتجىء إليه تعالى من شره واعتصم **﴿إنه﴾** تعالى **﴿سميع﴾** يسمع استعاذتك به قولاً **﴿عليم﴾** يعلم تضرعك إليه قلباً في ضمن القول أو بدونه فيعصمك من شره.

قال في «البحر»: وختم بهاتين الصفتين؛ لأن الاستعاذة التي تكون باللسان لا تجدي إلا باستحضار معناها. فالمعنى سميع للأقوال عليم بما في الضمائر واختلفوا هل المراد الشيطان أو

القرين فقط والظاهر أنه في حقنا القرين قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦] وفي حق رسول الله ﷺ إبليس إما نحن فلأن الإنسان لا يؤذيه من الشياطين إلا ما قرن به وما بعده فلا يضر شيئاً والعاقل لا يستعيذ ممن لا يؤذيه وأما الرسول ﷺ فإن قرينه قد أسلم فلا يستعيذ منه فالاستعاذة حينئذٍ من غيره وغيره يتعين أن يكون إبليس أو أكابر جنوده لأنه قد ورد في الحديث: «إن عرش إبليس على البحر الأخضر وجنوده حوله وأقربهم إليه أشدهم بأساً ويسأل كلاً منهم عن عمله وإغوائه ولا يمشي هو إلا في الأمور العظام» والظاهر أن أمر رسول الله ﷺ من أهم المهمات عنده فلا يؤثر به غيره من ذريته كما ورد «إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات، ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت أخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة» والدعوة قوله: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص: ٣٥] وإنما لم يشده ولم يأخذه لأن التسخير التام مختص بسليمان عليه السلام.

فإن قلت: لم لم يمنع إبليس عن النبي ﷺ كما منع به عن السماء الشياطين.

قلت: إن الله تعالى جعل أكثر الأشياء كذلك يمنع بها ولا يمنع عنها ألا ترى أن الليل يمنع النهار والنهار يمنع الليل ولا يمنع عنهما النور والظلمة وكذلك إحياء الموتى لعيسى عليه السلام ولم يمنع عنه الموت وأيضاً لما منع الشياطين عن السماء ظنوا أنهم لا يقدرون على محمد ﷺ فسلطهم عليه ثم عصمه منهم ليعلموا أنه ليس بأيديهم شيء.

وقال النيسابوري: أراد أن يظهر لخلقه أن غيره مقهور غير معصوم ولا قاهر إلا الله تعالى.

وعن بعض العلماء أن الخطاب في قوله: «وإما ينزغنك» وإن كان للنبي عليه السلام إلا أن المراد أمته وتشريع الاستعاذة لهم.

يقول الفقير حفظه الله القدير: يعضده ما قال بعض الأولياء من أمته وهو أبو سليمان الداراني قدس سره ما خلق الله خلقاً أهون علي من إبليس لولا أن الله أمرني أن أتعوذ منه ما تعوذت منه أبداً، وما قال البعض الآخر حين قيل له: كيف مجاهدتك للشيطان؟ وما الشيطان نحن قوم صرفنا هممنا إلى الله فكفانا من دونه فإذا كان هذا حال الولي فما ظنك بحال النبي ويدل عليه أيضاً كلمة إن الدالة على عد الجزم.

واعلم: أن الغضب لغير الله من نزغات الشيطان وإنه بالاستعاذة يسكن. روي أنه ﷺ رأى رجلاً يخاصم أخاه قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه من الغضب فقال عليه السلام: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان لذهب عنه ما يجده» وفي الحديث: «إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ» وفي «المثنوي»:

چون زخشم آتش تودر دلها زدى مايهٔ نار جهنم آمدى
آتشت اينجاچه آدم سوز بود آنچه ازوى زاد مرد افروز بود
آتش توقصد مردم ميكند نار كزوى زاد برمردم زند
اين سخنهاى چومار وكژدست مار وكژدم كشت وميكردد دمت

خشم تو تخم سعير ودوزخست هين بكش اين دوزخت راكين فخست

وفي الحديث: «لما أراد الله أن يخلق لإبليس نسلاً وزوجة ألقى عليه الغضب فطارت منه شظية من نار فخلق منها امرأته» كذا في «حياة الحيوان».

والإشارة ﴿**خذ العفو**﴾ أي: تخلق بخلق الله فإن العفو من أخلاقه تبارك وتعالى: ﴿**وأمر بالعرف**﴾ أي: بالمعروف وهو طلب الحق تعالى لأنه معروف العارفين. ﴿**وأعرض عن الجاهلين**﴾ يعني عن كل ما يدعوك إلى غير الله وعمن يطلب ما سوى الله فإن الجاهل هو الذي لا يعرف الله ولا يطلبه والعالم من يطلبه ويعرفه. ﴿**وإما ينزغنك من الشيطان نزغ**﴾ في طلب غير الله ﴿**فاستعذ بالله**﴾ من غير الله بأن تفر إلى الله وتترك ما سواه. ﴿**إنه سميع**﴾ يسمع القول والإجابة لما تدعوه إليه ﴿**عليم**﴾ بما ينفعك ويضرك فيسمع ما ينفعك دون ما يضرك كذا في «التأويلات النجمية». ﴿**إن الذين اتقوا**﴾ أي: اتصفوا بوقاية أنفسهم ما يضرها. ﴿**إذا مسهم طائف من الشيطان**﴾ أدنى لمة منه وهي الوسوسة والمس، والطائف اسم فاعل من طاف يطوف إذا دار حول الشيء كأنها تطوف بهم وتدور حولهم لتوقع بهم أو من طاف به الخيال يطيف طيفاً، أي ألمّ فالطائف بمعنى الجائي والنازل. وفي «الصحاح»: طيف الخيال مجيئه في النوم وطيف من الشيطان وطائف منه لمم منه والخيال في الأصل اسم بمعنى التخيل وارتسام الصورة في محل القوة المتخيلة ويطلق على نفس تلك الصورة وطيفه نزوله في محل المتخيلة. ﴿**تذكروا**﴾ أي: ما أمر به ونهى عنه.

وقال المولى أبو السعود: أي: الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه. ﴿**فإذا هم**﴾ بسبب ذلك التذكر ﴿**مبصرون**﴾ مواقع الخطأ ومكائد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها.

﴿**وإخوانهم**﴾ أي: إخوان الشياطين وهم المنهمكون في الغي المعرضون عن وقاية أنفسهم عن المضار فضمير إخوانهم للشيطان والجمع لكون المراد به الجنس. ﴿**يمدونهم في الغي**﴾ أي: يكون الشياطين مدداً لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه والغي الضلال. ﴿**ثم لا يقصرون**﴾ أي: لا يمسكون عن الإغواء حتى يردونهم بالكلية يقال أقصر عن الشيء إذا كف عنه وانتهى.

فعلى العاقل مباعدة أهل الطغيان ومجانبة وسوسة الشيطان. حكي أن بعض الأولياء سأل الله تعالى أن يريه كيف يأتي الشيطان ويوسوس فأراه الحق تعالى هيكل الإنسان في صورة بلور وبين كتفيه خال أسود كالعش والوكر فجاء الخناس يتحسس من جميع جوانبه وهو في صورة خنزير له خرطوم كخرطوم الفيل فجاء من بين الكتفين فأدخل خرطومه قبل قلبه فوسوس إليه فذكر الله تعالى فخنس وراءه ولذلك سمي بالخناس لأنه ينكص على عقبيه مهما حصل نور الذكر في القلب ولهذا السر الإلهي احتجم ﷺ بين كتفيه وأمر بذلك ووصاه جبريل بذلك لتضعيف مادة الشيطان وتضييق مرصده لأنه يجري وسوسته مجرى الدم ولذلك كان خاتم النبوة بين كتفيه عليه السلام إشارة إلى عصمته عليه السلام من وسوسته لقوله عليه السلام: «أعانني الله عليه فأسلم» أي بالختم الإلهي أيده به وخصه وشرفه وفضله بالعصمة الكلية فأسلم قرينه وما أسلم قرين آدم فوسوس إليه لذلك.

واعلم: أن أصل الخواطر اثنان ما يكون بإلقاء الملك وما يكون بإلقاء الشيطان والفرق أن كل ما يكون سبباً للخير بحيث يكون مأمون الغائلة أي الآفة في العاقبة ولا يكون سريع الانتقال إلى

غيره ويحصل بعده توجه تام إلى الحق ولذة عظيمة مرغبة في العبادة فهو ملكي وبالعكس شيطاني.

قال بعضهم قد يلبس الشيطان ويري الباطل في صورة الحق فأجمع المشايخ على أن ما كان قوته من الحرام لا يفرق بين الخواطر الملكية والشيطانية بل منهم من قال من كان قوته غير معلوم لا يفرق بينهما. وفي «المثنوي»:

طفل جان ازشير شيطان بازكن ... بعد ازانش باملك انباز كن
تاتو تارك وملول وتيرهٔ ... دانكه باديو لعين همشيرهٔ
لقمهٔ كان نور افزود وكمال ... آن بود آورده از كسب حلال
چون زلقمه توحسد بينى ودام ... جهل وغفلت زايد آنرا دان حرام
زايد ازلقمه حلال اندر دهان ... ميل خدمت عزم رفتن آن جهان

قال حضرة شيخنا الفريد أمده الله بالمزيد في كتاب «اللائحات البرقيات»: الملك الموكل بأمر الله على قلوب أهل الحق يلقي إليهم الحق دائماً فإذا مسهم طائف من الشيطان فيذكرهم بذلك الطائف الشيطاني فهم يتذكرون ويبصرون ويمحون والشيطان المتسلط بخذلان الله على صدور أهل الباطل يلقي إليهم الباطل دائماً فإذا مسهم طائف من الرحمن فينسيهم ذلك فهم لا يتذكرون ولا يبصرون ولا يمحون فالشأن الرحماني دائماً إراءة الحق حقاً والباطل باطلاً والشأن الشيطاني إراءة الحق باطلاً والباطل حقاً وهذا هو السر والحكمة في كون عباد الرحمن هادين ومهديين وعباد الشيطان ضالين ومضلين لأن الإراءة الأولى هي الهداية بعينها والثانية هي الإضلال بعينه والإضلال لا بد من أنه يستلزم الضلال كما أن الهداية لا بد من أنها تستلزم الاهتداء انتهى كلامه.

قال في «التأويلات النجمية»: **﴿إن الذين اتقوا﴾** هم أرباب القلوب والتقوى من شأن القلب كما قال عليه الصلاة والسلام: «التقوى ههنا» وأشار إلى صدره والتقوى نور يبصرون به الحق حقاً والباطل باطلاً فلذا قال: **﴿إذا مسهم طائف من الشيطان﴾** أي: إذا طاف حول القلب التقي النقي نوع طيف من عمل الشيطان يراه القلب بنور التقوى ويعرفه فيتذكر أنه يفسده ويكدر صفاءه ويقسيه فيجتنبه ويحترز منه فذلك قوله: **﴿تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم في الغي﴾** يعني النفوس إخوان القلب فإن النفس والقلب توأمان ولدا من ازدواج الروح والقالب فالقلب يمد النفس في الطاعة ولولا ذلك ما صدر من القلب معصية لأنه جبل على الاطمئنان بذكر الله وطاعته. **﴿ثم لا يقصرون﴾** لا يسأم كل واحد منهما من فعله ولا يدع ما جبل عليه لئلا يأمن أرباب القلوب من كيد النفوس أبداً ولا يقنط أرباب النفوس المسرفين على أنفسهم من رحمة الله من إصلاح أحوال قلوبهم.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَـٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾.

﴿وإذا لم تأتهم﴾ أي: أهل مكة. **﴿بآية﴾** من القرآن عند تراخي الوحي أو بآية مما اقترحوه، كقولهم أحي لنا فلاناً الميت يكلمنا ويصدقك فيما تدعونا إليه ونحو ذلك. **﴿قالوا لولا اجتبيتها﴾** اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه، أي: جمعه. فالمعنى هلاً جمعتها من تلقاء

نفسك تقوّلاً كسائر ما تقرأه من القرآن فإنهم يقولون كله إفك أو هلا ميزتها واصطفيتها عن سائر مهماتك وطلبتها من الله تعالى فيكون الاجتباء بمعنى الاصطفاء. ﴿قل﴾ رداً عليهم. ﴿إنما أتبع﴾ أي: ما أفعل إلا اتباع ﴿ما يوحى إليّ من ربي﴾ لست بمختلق للآيات ولست بمقترح لها ﴿هذا﴾ القرآن ﴿بصائر من ربكم﴾ بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب أخبر عن المفرد بالجمع لاشتماله على سور وآيات. ﴿وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾؛ إذ هم المقتبسون من أنواره والمغتنمون من آثاره والجملة من تمام القول المأمور به.

وفي الآية: إشارة إلى أنه كما أن النبي يتبع الوحي الإلهي كذلك الولي يتبع الإلهام الرباني فلا قدرة على تزكية النفوس إلا بالوحي والإلهام وأيضاً لو لم يتبع الهدى لكان أهل هوى غير صالح للإرشاد وخائناً والخائن لا يكون أميناً على أسرار النبوة والولاية.

وعن بعض أهل العلم قال: كنت بالمصطبة وإذا برجلين يتكلمان في الخلوة مع الله تعالى فلما أرادا أن ينصرفا قال أحدهما للآخر تعال نجعل لهذا العلم ثمرة ولا يكون حجة علينا فقال له اعزم على ما شئت فقال عزمت على أن لا آكل ما للمخلوق فيه صنع قال فتبعتهما فقلت أنا معكما فقالا على الشرط قلت على أي شرط شرطتما فصعدا جبل لكام ودلاني على كهف وقالا تعبد فيه فدخلت فيه وجعل كل واحد منهما يأتيني بما قسم الله تعالى وبقيت مدة ثم قلت إلى متى أقيم ههنا أسير إلى طرطوس وآكل من الحلال وأعلم الناس العلم وأقرأ القرآن فخرجت ودخلت طرسوس وأقمت بها سنة وإذا أنا برجل منهما قد وقف عليّ وقال يا فلان خنت في عهدك ونقضت الميثاق أما إنك لو صبرت كما صبرنا لوهب لك ما وهب لنا قلت ما الذي وهب لكما قال ثلاثة أشياء طي الأرض من المشرق إلى المغرب بقدم واحد والمشي على الماء والحجبة إذا شئنا ثم احتجب عني فقلت بالذي وهب لكما هذا الحال ألا ما ظهرت لي فقد شويت قلبي فظهر وقال سل فقلت هل لي إلى ذلك الحال عودة فقال هيهات لا يؤمن الخائن. قال الحافظ:

وفامجوى زكس ورسخن نمى شنوى بهرزه طالب سيمرغ وكيميا ميباش

وفي الحكاية إشارة إلى أن الله تعالى يمن على من يشاء. حكي أن الشيخ جوهر المدفون في عدن كان مملوكاً فعتق وكان يبيع ويشتري في السوق ويحضر مجالس الفقراء ويعتقدهم وهو أمي فلما حضرت وفاة الشيخ الكبير سعد الحداد المدفون في عدن، قالت له الفقراء: من يكون الشيخ بعدك، قال الذي يقع على رأسه الطائر الأخضر في اليوم الثالث من موتي عند ما يجتمع الفقراء فلما توفي اجتمع الفقراء عند قبره ثلاثة أيام فلما كان اليوم الثالث وفرغوا من الذكر والقرآن قعدوا ينتظرون ما وعدهم الشيخ، وإذا بطائر أخضر وقع قريباً منه فبقي كل واحد من كبار الفقراء يترجى ذلك ويتمناه فبينما هم كذلك إذا بالطائر قد طار ووقع على رأس الشيخ جوهر ولم يكن يخطر له ولا لأحد من الفقراء ذلك فقام إليه الفقراء ليزفوه إلى زاوية الشيخ وينزلوه منزلة المشيخة فبكى، وقال كيف أصلح للمشيخة وأنا رجل سوقي وأنا لا أعرف طريق الفقراء وآدابهم وعلي تبعات وبيني وبين الناس معاملات فقالوا له هذا أمر سماوي ولا بد لك منه والله يتولى تعليمك فقال أمهلوني حتى أمضي إلى السوق وأبرأ من حقوق الخلق فأمهلوه فذهب إلى دكانه ووفى كل ذي حق حقه، ثم ترك السوق ولزم الزاوية ولازمه الفقراء فصار جوهراً كاسمه. قال الحافظ:

طالب لعل وكهر نيست وكرنه خورشيد همچنان در عمل معدن وكانست كه بود

وقال:

كوهر پاك ببايد كه شود قابل فيض ورنه هرسنك وكلى لؤلؤ ومرجان نشود

ولما عظم سبحانه وتعالى شأن القرآن. بقوله: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾ [الجاثية: ٢٠] أردفه بقوله:

﴿وإذا قرىء القرآن﴾ الذي ذكرت شؤونه العظيمة. ﴿فاستمعوا له﴾ استماع قبول وعمل بما فيه فإن شأنه يوجب الاستماع مطلقاً ولما في الافتعال من التصرف والسعي والاعتمال في ذلك الفعل فرقوا بين المستمع والسامع بأن المستمع من كان قاصداً للسماع مصغياً إليه والسامع من اتفق سماعه من غير قصد إليه فكل مستمع سامع من غير عكس. ﴿وأنصتوا﴾ أي: واسكتوا في خلال القراءة وراعوها إلى انقضائها تعظيماً له وتكميلاً للاستماع والفرق بين الإنصات والسكوت أن الإنصات مأخوذ في مفهومه الاستماع والسكوت فلا يقتصر في معناه على السكوت بخلاف السكوت ﴿لعلكم ترحمون﴾ أي: تفوزون بالرحمة التي هي أقصى ثمراته.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان المسلمون قبل نزول هذه الآية يتكلمون في الصلاة ويأمرون بحوائجهم ويأتي الرجل الجماعة وهم يصلون فيسألهم كم صليتم وكم بقي فيقولون كذا فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمرهم بالإنصات عند الصلاة بقراءة القرآن لكونها أعظم أركانها.

استدل الإمام أبو حنيفة بهذه الآية على أن إنصات المقتدي واجب وأن قراءة الإمام قراءة المأموم فلا يقرأ خلف الإمام سواء أسر الإمام أم جهر لأنه تعالى أوجب عليه أمرين الاستماع والإنصات فإذا فات الاستماع بقي الإنصات واجباً. وجه الاستدلال أن المراد بالإنصات المأمور به وإن كان هو النهي عن الكلام لا عن القراءة لكن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب على أن جماعة من المفسرين قالوا إن الآية نزلت في الصلاة خاصة حين كانوا يقرؤون القرآن خلفه عليه السلام وجعله الحدادي في «تفسيره» أصح.

قال في «الأشباه» أسقط أبو حنيفة القراءة عن المأموم بل منعه منها شفعة على الإمام دفعاً للتخليط عليه كما يشاهد بالجامع الأزهر انتهى فقراءة المأموم مكروهة كراهة التحريم وهو الأصح كما في «شرح المجمع» لابن ملك.

قال علي رضي الله عنه: من قرأ خلف الإمام فقد أخطأ الفطرة، أي السنة. يحكى أن جماعة من أهل السنة جاؤوا إلى أبي حنيفة رضي الله عنه ليناظروه في القراءة خلف الإمام ويبكتوه ويشنعوا عليه فقال لهم لا يمكنني مناظرة الجميع ففوضوا أمر المناظرة إلى أعلمكم لأناظره فأشاروا إلى واحد فقال هذا أعلمكم فقالوا نعم قال والمناظرة معه مناظرة لكم قالوا نعم قال والإلزام عليه كالإلزام عليكم قالوا: نعم قال وإن ناظرته وألزمته الحجة فقد لزمتكم الحجة قالوا: نعم قال: وكيف قالوا: لأنا رضينا به إماماً فكان قوله قولنا فقال أبو حنيفة فنحن لما اخترنا الإمام في الصلاة كانت قراءته قراءة لنا وهو ينوب عنا فأقروا له بالإلزام. قال الفقهاء: المطلوب من القراءة التدبر والتفكر والعمل به ولا يحصل ذلك إلا بالاستماع والإنصات فيجب على المؤتم ذلك وهو كالخطبة يوم الجمعة لما شرعت وعظاً وتذكيراً وجب الاستماع ليحصل

فائدتها لا أن يخطب كل لنفسه بخلاف سائر الأركان لأنها شرعت للخشوع ولا يحصل لهم الخشوع إلا بالسجود معه والركوع.

اعلم: أن ظاهر النظم الكريم يقتضي وجوب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن في الصلاة وغيرها وعامة العلماء على استحبابها خارج الصلاة كما في التفاسير.

قال الحدادي: ولا يجب على القوم الإنصات لقراءة كل من يقرأ في غير الصلاة.

وقال الحلبي: رجل يكتب الفقه وبجنبه رجل يقرأ القرآن ولا يمكن للكاتب الاستماع فالإثم على القارىء لقراءته جهراً في مواضع اشتغال الناس بأعمالهم وعلى هذا لو قرأ على السطح في الليل جهراً والناس نيام يأثم كذا في «الخلاصة». صبي يقرأ في البيت وأهله مشغولون بالعمل يعذرون في ترك الاستماع إن افتتحوا العمل قبل القراءة وإلا فلا. وكذا قراءة الفقه عند قراءة القرآن ولو كان القارىء في المكتب واحداً يجب على المارين الاستماع وإن أكثر ويقع الخلل في الاستماع لا يجب عليهم. ويكره للقوم أن يقرؤوا القرآن جملة لتضمنها ترك الاستماع والإنصات. وقيل: لا بأس به والأصل فيه أن الإنصات والاستماع للقرآن فرض كفاية على ما حققه الحلبي في «الشرح الكبير».

قال في «القنية»: ولا بأس باجتماعهم على قراءة الإخلاص جهراً عند ختم القرآن ولو قرأ واحد واستمع الباقون فهو أولى. ورجل يكتب من الفقه أو يكرر منه وغيره يقرأ القرآن لا يلزمه الاستماع لأن النبي عليه السلام دخل على أصحابه وهم في المسجد حلقتان حلقة في مذاكرة الفقه وحلقة في قراءة القرآن وجلس في حلقة مذاكرة الفقه ولو لزم الاستماع لما فعل ذلك وفيه إشارة فضيلة الفقه ومذاكرته.

علم دين فقهست وتفسير وحديث   هركه خواند غيرازين كردد خبيث

قال في «نصاب الاحتساب»: قراءة القرآن في القبور تكره عند أبي حنيفة وعند محمد لا تكره ومشايخنا أخذوا بقول محمد لكن لا يقرأ جهراً إذا كان أهل المصيبة مشتغلين بالناس فإن القراءة جهراً عند قوم مشاغيل مكروهة.

ثم اعلم أنه يدخل في الآية الخطبة لأنها ملتبسة بقراءة القرآن فنعمل بظاهره في حق قراءة القرآن وفي حق الخطبة بطريق الاحتياط إثباتاً للحرمة بدليل فيه شبهة فيسمع الخطبة وينصت وإن صلى الخطيب على النبي ﷺ لأن ذلك جزء من الخطبة فنعمل فيه ما نعمل في الباقي إلا إذا قرأ صلوا عليه فيصلي المستمع سراً أي في نفسه وقلبه ولا يحرك لسانه لأنه توجه عليه أمران صلوا عليه وقوله أنصتوا فيصلي في نفسه وينصت بلسانه حتى يكون آتياً بهما. واختلفوا في البعيد عن المنبر والأحوط السكوت إقامة لفرض الإنصات وإن تعذر الاستماع ولأن فيه تشبهاً بالمستمعين ولأن صوت كلامه قد يبلغ الصفوف التي أمامه فيشغلهم ويمنعهم عن استماع الخطبة.

قال في «التتارخانية»: إذا شرع الخطيب في الدعاء لا يجوز للقوم رفع الأيادي ولا أن يكون بلسانه وكذا الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام باللسان جهراً فإن فعلوا أثموا ويجوز بالقلب ويجب على العلماء منعهم فإن لم يمنعوا أثموا.

وقال في «نصاب الاحتساب»: ولا يتكلم حال الخطبة وإن كان أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر ولو لم يتكلم لكن أشار بيده أو بعينه حين رأى منكراً الصحيح أنه لا بأس به وفي الحديث: «إذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت» أي: تكلمت بما لا ينبغي.

قال النووي: فيه نهي عن جميع أنواع الكلام لأن قوله أنصت إذا كان لغواً مع أنه أمر بمعروف فغيره من الكلام أولى وإنما طريق النهي هنا الإنكار بالإشارة. وفي قوله والإمام يخطب إشعار بأن هذا النهي إنما هو في حال الخطبة وهو مذهب الشافعي وقال أبو حنيفة يجب الإنصات بخروج الإمام لقوله عليه السلام: «إذا خرج الإمام فلا صلاة ولا كلام» أي مطلقاً سواء خطب أو لم يخطب والترجيح للمحرم وقال لا بأس بالكلام إذا خرج الإمام قبل أن يخطب وإذا فرغ قبل أن يشتغل بالصلاة لأن التكلم بما لا إثم فيه إنما كره للاستماع إذ الكلام يخل بفرض استماعها ليقصر على حال الخطبة إذ لا استماع قبلها وبعدها.

وفي «القنية» الكلام في خطبة العيدين غير مكروه لأن خطبة العيدين سنة فخطبة الجمعة شرط لصحة الصلاة بخلاف خطبة العيدين لقوله عليه السلام: «يوم العيد من شاء منكم أن يخرج فليخرج» والحاصل أنه إذا خرج الامام حرم كلام الناس والناقلة أما الفائتة فلا كراهة في قضائها وقت الخطبة نص عليه في «النهاية» وكذا التسبيح ونحوه جائز بالاتفاق.

قال في «الأشباه»: خرج الخطيب بعد شروعه متنفلاً قطع على رأس الركعتين يعني إن صلى ركعة ضم إليها أخرى وسلم كما في «الكافي» وإن كان شرع في الشفع الثاني أتمه كما في «الاختيار» ولو كان شرع في سنة الجمعة يتمها أربعاً على الصحيح كما في «الأشباه» وغيره وعبارة الخروج واردة على عادة العرب لأنهم يتخذون للإمام مكاناً خالياً تعظيماً لشأنه فيخرج منه حين أراد الصعود إلى المنبر وأما القاطع عن الصلاة والكلام في ديارنا فهو قيام الإمام للصعود.

قال في «التأويلات النجمية»: الإنصات شرط في حسن الاستماع وحسن الاستماع شرط في الإسماع والإشارة ﴿أنصتوا﴾ بألسنتكم الظاهرة لتستمعوا له بآذانكم الظاهرة وأنصتوا بألسنتكم الباطنة لتستمعوا بآذانكم الباطنة ﴿لعلكم ترحمون﴾ بالاستماع بالسمع الحقيقي وهو قوله: «كنت له سمعاً فبي يسمع» فمن سمع القرآن بسمع بارئه فقد سمع من قارئه وهذا سر ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ [الرحمن: ١-٢]. قال المولى الجامي كوبنده سنائي غزنوى است:

عجب نبودكه ازقر آن نصيبت نيست جز حرفى
كه ازخرشيد جز كرمى نبيند چشم نابينا

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٢٠٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢٠٦﴾

﴿واذكر﴾ يا محمد. ﴿ربك﴾ ويجوز أن يكون المراد جميع الخلق والذكر طرد الغفلة ولذا لا يكون في الجنة لأنها مقام الحضور الدائم. ﴿في نفسك﴾ وهو الذكر بالكلام الخفي فإن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب من الإجابة وهذا الذكر يعم الأذكار كلها من القراءة والدعاء وغيرها كما قال في «الأسرار المحمدية» ليس فضل الذكر منحصراً في التهليل والتسبيح والتكبير والدعاء بل كل مطيع لله في عمل فهو ذاكر. ﴿تضرعاً﴾ مصدر واقع موقع الحال من فاعل اذكر أي متضرعاً ومتذللاً. والضراعة الخضوع والذل والاستكانة يقال تضرع إلى الله أي ابتهل وتذلل والابتهال الاجتهاد في الدعاء وإخلاصه.

قال بعض العارفين بالله: الصلاة أفضل الحركات، والصوم أفضل السكنات، والتضرع في هياكل العبادات يحل ما عقدته الأفلاك الدائرات.

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه من فضل جودك ما علمتني الطلبا

﴿وخيفة﴾ بكسر الخاء أصلها خوفة قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها أي وحال كونك خائفاً.

قال ابن الشيخ: وهذا الخوف يتناول خوف التقصير في الأعمال وخوف الخاتمة وخوف السابقة فإن ما يكون في الخاتمة ليس إلا ما سبق به الحكم في الفاتحة ولذلك قال عليه السلام: «جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة» انتهى.

يقول الفقير: هذا بالنسبة إلى أن يكون المراد بالخطاب في الآية هو الأمة وإلا فالأنبياء بل وكمل الأولياء آمنون به من خوف الخاتمة والفاتحة نعم لهم خوف لكن من نوع آخر يناسب مقامهم ولما كان أكمل أحوال الإنسان أن يظهر عزة ربوبية الله وذلة عبودية نفسه أمر الله بالذكر ليتم المقصود الأول وقيده بالتضرع والخيفة ليتم المقصود الثاني.

اي خنك آنراكه ذلت نفسه واي آنكسى راكه بردى رفسه

﴿ودون الجهر من القول﴾ صفة لمحذوف هو الحال أي ومتكلماً كلاماً هو دون الجهر فإنه أقرب إلى حسن التفكر فمن أمّ في صلاة الجهر ينبغي له أن لا يجهر جهراً شديداً بل يقتصر على قدر ما يسمعه من خلفه.

قال في «الكشف»: لا يجهر فوق حاجة الناس وإلا فهو مسيء. والفرق بين الكراهة والإساءة هو أن الكراهة أفحش من الإساءة ولما رأى رسول الله ﷺ عمر رضي الله عنه يقرأ رافعاً صوته فسأله فقال أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان قال عليه السلام: «اخفض من صوتك قليلاً» وأتى أبا بكر رضي الله عنه فوجده يقرأ خافضاً صوته فسأله فقال قد أسمعت من ناجيت فقال عليه السلام: «ارفع من صوتك قليلاً» وقد جمع النووي بين الأحاديث الواردة في استحباب الجهر بالذكر والواردة في استحباب الإسرار به بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى المصلون أو النائمون والجهر أفضل في غير ذلك لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين ولأنه يوقظ قلب الذاكر ويجمع همه إلى الفكر ويصرف سمعه إليه ويطرد النوم ويزيد في النشاط وبالجملة إن المختار عند الاخيار أن المبالغة والاستقصاء في رفع الصوت بالتكبير في الصلاة ونحوه مكروه والحالة الوسطى بين الجهر والإخفاء مع التضرع والتذلل والاستكانة الخالية عن الرياء جائز غير مكروه باتفاق العلماء كذا في «أنوار المشارق» وقد سبق من شارح «الكشاف» أن الشيخ المرشد قد يأمر المبتدي برفع الصوت لتنقلع من قلبه الخواطر الراسخة فيه. ﴿بالغدو والآصال﴾ متعلق باذكر، أي: اذكره في هذين الوقتين وهما البكرات والعشيات فإن الغدو جمع غدوة وهي ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس، والآصال: جمع أصيل وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب والعشي والعشية من صلاة المغرب إلى العتمة وخص هذان الوقتان لأن فيهما تتغير أحوال العالم تغيراً عجيباً يدل على أن المؤثر فيه هو الإله الموصوف بالحكمة الباهرة والقدرة القاهرة فكل من شاهد هذه التغيرات ينبغي له أن يذكر المؤثر فيها بالتضرع والابتهال والخوف من تحويل حاله إلى سوء الحال، وقيل: الغدو والآصال عبارتان عن الليل والنهار اكتفى عن ذكرهما بذكر طرفيهما والمراد بذكره تعالى فيهما المواظبة عليه بقدر الإمكان. ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ عن ذكر الله تعالى أمر أولاً بأن يذكر ربه على وجه يستحضر في نفسه معاني الأذكار التي يقولها بلسانه فإن المراد بذكر الله في نفسه أن

يذكره تعالى عارفاً بمعاني ما يقول من الأذكار ثم أتبعه بقوله: ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ للدلالة على أن الإنسان ينبغي له أن لا يغفل قلبه عن استحضار جلال الله تعالى وكبريائه وفي الحديث: «ألا أنبئكم بما هو خير لكم وأفضل من أن تلقوا عدوكم فتضربوا رقابهم ويضربوا رقابكم ذكر الله» أي: ما هو خير لكم مما ذكر ذكر الله سبحانه؛ لأن ثواب الغزو والشهادة في سبيل الله حصول الجنة، والذاكر جليس الحق تعالى كما قال: «أنا جليس من ذكرني» والجليس لا بد أن يكون مشهوداً فالحق مشهود الذاكر وشهود الحق أفضل من حصول الجنة ولذلك كانت الرؤية بعد حصول الجنة وكمال تلك النعمة، والذكر المطلوب من العبد، أن يذكر الله باللسان ويكون حاضراً بقلبه وروحه وجميع قواه بحيث يكون بالكلية متوجهاً إلى ربه فتنتفي الخواطر وتنقطع أحاديث النفس عنه. ثم إذا داوم عليه ينتقل الذكر من لسانه إلى قلبه ولا يزال يذكر بذلك حتى يتجلى له الحق من وراء أستار غيوبه فينور باطن العبد بحكم، ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] ويعده إلى التجليات الصفاتية والاسمائية ثم الذاتية فيفنى العبد في الحق فيذكر الحق نفسه بما يليق بجلاله وجماله فيكون الحق ذاكراً ومذكوراً وذلك بارتفاع الثنوية وانكشاف الحقيقة الأحدية كذا في «شرح الفصوص» لداود القيصري في الكلمة اليونسية:

چون تجلى كرد أوصاف قديم پس بسوزد وصف حادث راكليم

واعلم: أن من اشتغل باسم من الأسماء وداوم فيه فلا ريب أن يحصل بينه وبين سر هذا الاسم المشتغل به وروحه بعناية الله تعالى وفضله مناسبة ما بقدر الاشتغال ومتى قويت تلك المناسبة وكملت بحسب قوة الاشتغال وكماله يحصل بينه وبين مدلوله من الأسماء الحقية بواسطة هذه المناسبة الحاصلة مناسبة بقدرها قوة وكمالاً ومتى بلغت إلى حد الكمال أيضاً هذه المناسبة الثانية الحاصلة بينه وبين هذا الاسم بجود الحق سبحانه وعطائه يحصل بينه وبين مسماه الحق تعالى مناسبة بمقدار المناسبة الثانية من جهة القوة والكمال لأن العبد بسبب هذه المناسبة يغلب قدسه على دنسه ويصير مناسباً لعالم القدس بقدر ارتفاع حكم الدنس فحينئذٍ يتجلى الحق سبحانه له من مرتبة ذلك الاسم بحسبها وبقدر استعداده ويفيض عليه ما شاء من العلوم والمعارف والأسرار الإلهية والكونية حسبما يقتضيه الوقت ويسعه الموطن وتستدعيه القابلية فيطلع بعد ذلك على ما يطلع عليه قبله فيحصل له العلم والمعرفة بعد الجهل والغفلة كذا في «حواشي تفسير الفاتحة» لحضرة شيخنا الأجل أمدنا الله بمدده إلى حلول الأجل، واتفق المشايخ والعلماء بالله على أن من لا ورد له لا وارد له، وانقطاعه عن بعض ورده بسبب من الأسباب سوى السفر والمرض والهرم والموت علامة البعد من الله تعالى والخذلان، فينبغي لمن كان له ورد ففاته ذلك أن يتداركه ويأتي به ولو بعد أسبوع ومن هنا تقضي الصوفية التهجد مع أنه ليس من الفرائض والسر في هذا أن المراد من الأوراد بل من سائر العبادات تغيير صفات الباطن وقمع رذائل القلب وآحاد الأعمال يقال آثارها بل لا يحس بآثارها وإنما يترتب الأثر على المجموع وإذا لم يكن يعقب العمل الواحد أثراً محسوساً ولم يردف بثان وثالث على القرب والتوالي انمحى الأثر الأول أيضاً ولهذا السر قال ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» أي العمل.

قال ابن ملك: وإنما كان العمل الذي يداوم عليه أحب لأن النفس تألف به ويدوم بسببه الإقبال على الله تعالى ولهذا ينكر أهل التصوف ترك الأوراد كما ينكرون ترك الفرائض انتهى.

قال بعض العلماء بالله: لا يستحقر الورد إلا جهول، يعني: بحق ربه وحظ نفسه ووجه وصوله إليهما أن الوارد يوجد في الدار الآخرة على حسب الورد إذ جاء في الحديث: «إن الله تعالى يقول ادخلوا الجنة برحمتي وتقاسموها بأعمالكم» والورد ينطوي بانطواء هذه الدار فيفوت ثوابه بحسب فواته إذ هو مرتب عليه. وأولى ما يعتني به عند العقلاء الأكياس ما لا يخلف وجوده؛ إذ تذهب فائدته بذهابه فإذا تعللت نفسك بعدم طلب الثواب فقل لها الورد هو طالب ذكره منك إذ هو حق العبودية وإن ركنت إلى طلب العوض فقل والوارد أنث تطلبينه منه لا من حظ نفسك وأين ما هو طالبه منك من واجب حقه مما هو مطلبك منه من غرضك وحظك فطب نفساً بالعمل لمولاك وسلم له فيما به يتولاك فقد قالوا كن طالب الاستقامة ولا تكن طالب الكرامة فإن نفسك تهتز وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة ولأن تكون بحق ربك أولى لك من أن تكون بحظ نفسك. قال الحافظ:

صحبت حور نخواهم كه بود عين قصور باخيال تواكر با دكرى پردازم

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿واذكر ربك في نفسك﴾ أي: اذكره بالأفعال والأخلاق والذات في نفسك بأن تبدل أفعال نفسك بالأعمال التي أمر الله بها وتبدل أخلاقها بأخلاق الله وتفني ذاتها في ذات الله وهذا كما قال: «وإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي» وهو سر قوله ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ٥٢] ألا ترى أن الفراش لما ذكر الشمعة في نفسه بإفناء ذاته في ذاتها كيف ذكرته الشمعة بإبقائه ببقائها على أن تلك الحضرة منزهة عن المثل والمثال ﴿تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول﴾ التضرع من باب التكلف أي بداية هذا الذكر بتبديل أفعال النفس بأعمال الشريعة تكون بالتكلف ظاهرة ووسطه بالتخلق بأخلاق الله وبآداب الطريقة يكون مخفياً باطناً ونهايته بإفناء ذاتها في ذاته بأنوار الحقيقة تكون منهياً عن جهر القول بها وهذا حقيقة قوله عليه السلام: «إفشاء سر الربوبية كفر» ﴿بالغدو والآصال﴾ يشير إلى غدو الأزل وآصال الأبد فإن الذكر الحقيقي والمذكور الحقيقي هو الذاكر الحقيقي والذاكر والمذكور في الحقيقة هو الله الأزلي الأبدي لأنه تعالى قال في الأزل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ٥٢] ففي الأزل ذكرهم لما خاطبهم وكان هو الذاكر والمذكور على الحقيقة على أنا نقول ما ذكره إلا هو وهذا حقيقة قول يوسف بن حسين الرازي ما ذكر أحد الله إلا الله ولهذا قال تعالى: ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ الذين لا يعلمون أن الذاكر والمذكور هو الله في الحقيقة انتهى ما في «التأويلات النجمية».

﴿إن الذين﴾ قال الكاشفي: [آورده اندكه كفار مكه تعظم ميكردند از سجده نمودن مر خدايرا وتنفر نموده ميكفتند ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠] [حق سبحانه وتعالى ميفر مايد اي محمد اكركافران ازسجود من سركشى ميكنند بدرستى آنانكه]. ﴿عند ربك﴾ أي: الملائكة المقربين لديه قرب الشرف والمكانة لاقرب المسافة والمكان. ﴿لا يستكبرون﴾ [كردن نمى كشند] ﴿عن عبادته﴾ بل يؤدونها حسبما أمروا به. ﴿ويسبحونه﴾ أي: ينزهونه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه ﴿وله﴾ تقديم الجار على الفعل للحصر. ﴿يسجدون﴾ أي: يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيئاً وهو تعريض بسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءتها.

واعلم أن السجدة نهاية الخضوع وإنما شرعت في موضع جبراً للنقصان كسجود السهو وفي موضع لمخالفة الكفار والموافقة للمسلمين.

قال الكاشفي: [سجدهٔ تلاوت چهارده موضع است در قرآن واختلاف درد وموضع است يكى در آخر سورهٔ حج بمذهب امام شافعي وإمام أحمد سجده هست وبمذهب امام أعظم نيست ودوم درسورهٔ ص بمذهب إمام أعظم هست لأن النبي عليه السلام قرأ سورة ص وسجد وبمذهب باقي ائمه نه] لأن المذكور فيها ركوع لا سجود واختلف في موضع السجود في فصلت فعند علي رضي الله عنه هو قوله: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢] وبه أخذ الشافعي وعند عمر وابن مسعود رضي الله عنهما هو قوله: ﴿لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨] فأخذنا به احتياطاً فإن تأخير السجدة لازم لا تقديمها [ونزد امام أعظم سجدهٔ تلاوت برخواننده وشنونده درنماز وغير نماز واجبست درحال واكر فوت شود قضا لازمست وبمذهب أئمة ديكر سنت وقضا لازم نه] ويكره تأخير السجدة من غير ضرورة ويستحب أن يقوم القاعد فيكبر ويسبح تسبيح الصلاة ويكبر ويقوم ثم يقعد لكون الخرور فيه أكمل. قوله تسبيح الصلاة أي يقول «سبحان ربي الأعلى» ثلاثاً وهو الأصح وقيل يقول: «خضعت للرحمن فاغفر لي يا رحمن» وقيل يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وطاعتك» وهو مختار صاحب «الأسرار المحمدية» ويروي فيه عن نفسه سماع هاتف يأمره بالدعاء بذلك وكان ﷺ يقول في سجود التلاوة «سجد وجهي للذي خلقه وصوره فأحسن صورته وشق سمعه وبصره بحوله وقوته» يقولها مراراً ثم يقول: «فتبارك الله أحسن الخالقين اللهم اكتب لي بها عندك أجراً وضع عني بها وزراً واجعلها لي عندك ذخراً وتقبلها مني كما تقبلت من عبدك داود عليه الصلاة والسلام» قال ابن فخر الدين الرومي إن قرأ سجدة سبحان ضم إليها ما ذكره سبحانه وتعالى عن الطائفة الساجدين واستحسن عنهم بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٨] وإن قرأ آية التنزيل أو الأعراف قال: «اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك» وإن قرأ ألم السجدة قال: «اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة كتابك» وإن قرأ سجدة والنجم قال: «اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك» وكذا في غيره.

قال المولى أخي چلبي وإن لم يذكر فيها شيئاً أجزأه لأنها لا تكون أقوى من السجدة الصلاتية ويستحب للسامع أن يسجد مع التالي ولا يرفع رأسه قبله لأنه بمنزلة إمامه ويشترط نية السجود للتلاوة لا التعيين حتى لو كان عليه سجدات متعددة فعليه أن يسجد عددها وليس له أن يعين أن هذه السجدة لآية كذا وهذه لآية كذا ويستحب للتالي إخفاؤها إذا لم يكن السامع متهيئاً للسجود تحرزاً عن تأثيمه وإذا كان متهيئاً يستحب له أن يجهل حثاً له على العبادة.

قال الإمام الخبازي في «حواشي الهداية»: يستحب أن يصلي على النبي عليه السلام كلما ذكر ولا تستحب السجدة كلما تليت تلك الآية إذا كان المجلس واحداً والفرق أن الرسول عليه السلام محتاج والرب عزّ وجل غير محتاج.

قال الإمام محمد بن العربي قدس سره في روح القدس له: اعلم أن لا شيء أنكأ على إبليس من ابن آدم في جميع أحواله في صلاته من سجوده لأنه خطيئته فكثرة السجود وتطويله يحزن الشيطان وليس الإنسان بمعصوم من إبليس في صلاته إلا في سجوده لأنه حينئذٍ يذكر

الشيطان معصيته فيحزن فيشتغل بنفسه عنك ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلتي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار» فالعبد في سجوده معصوم من الشيطان غير معصوم من النفس فخواطر السجود كلها إما ربانية أو ملكية أو نفسية وليس للشيطان عليه من سبيل فإذا قام من سجوده غابت تلك الصفة عن إبليس فزال حزنه فاشتغل بك انتهى كلامه.

يقول الفقير: فيه إشارة إلى أن الشيطان إنما أبى عن السجود لاستكباره فكل من استكبر عنه كالكفار كان الشيطان قرينه في جميع أحواله وكل من تواضع فسجد كالمؤمنين اعتزل عنه الشيطان في تلك الحال لا في جميع الأحوال إلا أن يزكي نفسه عن رذيلة الكبر فحينئذٍ يتخلص في جميع أحواله ويكون من العباد المخلصين:

زينت تو پس كمر بند كى　　تاج تودر سجده سر افكند كى
شرم تو بادا كه بـبالاو بست　　سجدۀ طاعت بردش هرچه هست
توكنى از سجدۀ او سر كشى　　به كه ازين شيوه قدم در كشى

[وحضرت شيخ الإسلام قدس سره فرموده سرى كه دروسجودى نيست سفچه به ازدست وكفى كه دروجودى نيست كفچه به ازدست] ونعم ما قال:

شرف نفس بجودست وكرامت بسجود　　هركه اين هردوندارد عدمش به زوجود

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿إن الذين عند ربك﴾ يعني: الذين أفنوا أفعالهم وأخلاقهم وذواتهم في أوامر الله وأخلاقه وذاته فما بقوا عند أنفسهم وإنما بقوا ببقاء الله عنده. ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ لأن الاستكبار من أخلاقهم وقد أفنوها في أخلاقه فما بقي لهم الاستكبار فكيف يستكبرون عن عبادته وقد أفنوا أفعاله في أوامر الله وهي عبادته فأعمالهم قائمة بالعبادة لا بالفعل وهم في حال الفناء عن أنفسهم والبقاء بالله. ﴿ويسبحونه﴾ أي: ينزهونه عن الحلول والاتصال والاتحاد وعن أن يكون هو العبد أو العبد إياه بل هو هو كما كان في الأزل لم يكن شيئاً مذكوراً. ﴿وله يسجدون﴾ في الوجود والعدم من الأزل والأبد سجدوا له من الأزل في العدم منقادين مسخرين قابلين لأحكام القدرة في الإيجاد للوجود وسجدوا له إلى الأبد في الوجود ببذل الموجود منقادين مسخرين قابلين لأحكام القدرة في تصاريف الإعدام والإيجاد والإبقاء.

تمت سورة الأعراف بالرحم والراف مع ما يتعلق بها من التفسير والتأويل على وجه عديل سويّ من غير تطويل وذلك في العشر الأول من صفر الخير المنتظم في سلك شهور سنة إحدى ومائة وألف من هجرة من له العز والشرف ويتلوها سورة الأنفال وقد حان الاغتنام بغنائمها بعون الله الملك العزيز القوي المتعال.

٨ - سورة الأنفال

مدنية وآيها خمس وسبعون وقيل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾.

﴿يسألونك عن الأنفال﴾ أي: عن حكم الغنائم فالسؤال استفتائي، ولهذا عُدِّي بكلمة عن لا استعطائي، كما يقال سألته درهماً لأن السؤال قد يكون لاقتضاء معنى في نفس المسؤول فيتعدى؛ إذ ذاك بعن كما قال:

سلي إن جهلت الناس عني وعنهمو

وقد يكون لاقتضاء مال ونحوه فيتعدى؛ إذ ذاك إلى المفعولين كالمثال المذكور. والنفل الزيادة وسميت الغنيمة به؛ لأنها عطية من الله زائدة على ما هو الأجر في الجهاد من الثواب الأخروي وعلى ما أعطاه لسائر الأمم حيث لم يحل لهم الغنائم وكانت تنزل نار من السماء فتأكلها، والنافلة من الصلاة: ما زاد على الفرض ويقال لولد الولد نافلة لأنه زيادة على الولد ويطلق على ما يشرطه الإمام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه من الغنم. روي أن المسلمين اختلفوا في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله ﷺ كيف تقسم وإلى أين تصرف ومن الذين يتولون قسمتها أهم المهاجرون أم الأنصار أم هم جميعاً فنزلت فضمير يسألون لأصحاب بدر لتعينهم حال نزول الآية فلا حاجة إلى سبق الذكر صريحاً. والمعنى يستفتونك في حكم الأنفال. **﴿قل الأنفال لله والرسول﴾** أي: أمرها وحكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول كيفما أمر به من غير أن يدخل فيه رأي أحد.

قال الحدادي: إضافة الغنائم إلى الله على جهة التشريف لها وإضافتها إلى الرسول لأنه كان بيان حكمها وتدبيرها إليه. **﴿فاتقوا الله﴾** أي: إذا كان أمر الغنائم لله ورسوله فاتقوا الله تعالى واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة فيها والاختلاف الموجب لسخطه تعالى. **﴿وأصلحوا ذات بينكم﴾** ذات البين هي الأحوال التي تقع بين الناس كما ذات الصدور هي المضمرات الكائنة فيها وذات الإناء هي ما حل فيه من الطعام والشراب، ولما كان ما حل في الشيء ملابساً له قيل إنه صاحب محله وذوه، مثل أن يقال: اسقني ذا إنائك، أي الماء الذي فيه أي واصلحوا ما بينكم من الأحوال بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم وذلك لأن المقاتلة قالوا لنا الغنائم وأرادوا أن لا يواسوا الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات.

قال عبادة بن الصامت: نزلت فينا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسوله فقسمه بين المسلمين على السواء. ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ بتسليم أمره ونهيه. ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ متعلق بالأوامر الثلاثة، والمراد بالإيمان كماله فإن أصل الإيمان لا يتوقف على التحلي بمجموع تلك الأمور كلها، بل يتحقق بمجرد الطاعة بقبول ما حكم الله ورسوله به والاعتقاد بحقيته، والمعنى: إن كنتم كاملي الإيمان فإن كمال الإيمان يدور على هذه الخصال الثلاث.

واعلمْ: أن كثرة السؤال توجب الملال ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، والمنع وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» ففي الحديث فوائد. منها النهي عن عقوق الوالدين لأنه من الكبائر وإنما اقتصر على الأم اكتفاء بذكر أحدهما كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢] أو لأن حقها أكثر وخدمتها أوفر. وفيه نهي عن وأد البنات وهو فعل الجاهلية كان الواحد منهم إذا ولد له ابن تركه، وإذا ولد له بنت دفنها حية وإنما حملهم على ذلك خوف الإملاق ودفع العار والأنفة عن أنفسهم وأراد بالمنع الامتناع عن أداء ما يجب ويستحب. وبهات الإقدام على أخذ ما يكره ويحرم. وفيه نهي عن المقاولة بلا ضرورة وقصد ثواب فإنها تقسى القلوب. وفيه نهي عن كثرة السؤال.

قال ابن ملك: يجوز أن يراد به سؤال أموال الناس وأن يراد به سؤال الإنسان عما لا يعنيه. وفيه نهي عن إضاعة المال: وهي إنفاقه في المعاصي والإسراف به في غيرها كالإسراف في النفقة والبناء والملبوس والمفروش وتمويه الأواني والسيوف بالذهب.

قال في «التأويلات النجمية»: فلما أكثروا السؤال قال عليه السلام: «ذروني ما تركتكم فإنه إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم» ومن كثرة سؤالهم قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ وإنما سألوا ليكون الأنفال لهم فقال على خلاف ما تمنوا ﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ يعملان فيها ما شاءا لا كما شئتم لتتأدبوا ولا تعترضوا على الله والرسول بطريق السؤال وتكونوا مستسلمين لأحكامهما في دينكم ودنياكم، ولا تحرصوا على الدنيا لئلا تشوبوا أعمالكم الدينية بالأعراض الدنيوية. ﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾ أي: اتقوا بالله عن غير الله وأصلحوا ما بينكم من الأخلاق الرديئة والهمم الدنيئة، وهي الحرص على الدنيا والحسد على الإخوان وغيرهما من الصفات الذميمة التي يحجب بها نور الإيمان عن القلوب. ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ بالتسليم لأحكامهما والائتمار بأوامرهما والانتهاء عن نواهيهما. ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ تحقيقاً لا تقليداً فإن المؤمن الحقيقي هو الذي كتب الله بقلم العناية في قلبه الإيمان وأيده بروح منه فهو على نور من ربه. وفي «المثنوي»:

بود كبرى در زمان بايزيد	كفت او را يك مسلمان سعيد
كه چه باشد كرنواسلام آورى	تا بيابى صد نجات وسرورى
كفت اين ايمان اكرهست اي مريد	آنكه دارد شيخ عالم بايزيد
من ندارم طاقت آن تاب آن	كان فزون آمدزكو ششهاى جان
كرچه درايمان ودين نا موقنم	ليك در ايمان أو بس مؤمنم
مؤمن ايمان أو يم در نهان	كرچه مهرم هست محكم بردهان

باز ايمان كرخود ايمان شماست نى بدان ميلستم ونى اشتهاست
آنكه صد ميلش سوى ايمان بود چون شمارا ديد آن باطل شود
زانكه نامى بيند ومعنيش نى چون بيابان را مفازه كفتنى

اللهم اجعلنا متحققين بحقائق الإيمان وأوصلنا إلى درجات العرفان والإحسان.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾

﴿إنما المؤمنون﴾ أي: إنما الكاملون في الإيمان المخلصون فيه ﴿الذين إذا ذكر الله﴾ عندهم ﴿وجلت قلوبهم﴾ من هيبة الجلال وتصور عظمة المولى الذي لا يزال وهذا الخوف لازم لأهل كمال الإيمان سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً أو مؤمناً تقياً نقياً، وهذا بخلاف خوف العقاب فإنه لا يحصل بمجرد ذكر الله بل بملاحظة المعصية وذكر عقاب الله انتقاماً من العصاة وأين من يهم بمعصية فيقال له: اتقِ الله، فينزع عنها خوفاً من عقابه ممن ينزع بمجرد ذكره من غير أن يذكر هناك ما يوجب النزع من صفاته وأفعاله استعظاماً لشأنه الجليل وتهيباً منه.

واعلم: أن شأن نور الإيمان أن يرق القلب ويصفيه عن كدورات صفات النفس وظلماتها ويلين قسوته فيلين إلى ذكر الله ويجد شوقاً إلى الله وهذا حال أهل البدايات، وأما حال أهل النهايات فالطمأنينة والسكون بالذكر ولما جاء قوم حديثو عهد بالإسلام فسمعوا القرآن كانوا يبكون ويتأوّهون، فقال أبو بكر رضي الله عنه: هكذا كنا في بداية الإسلام ثم قست قلوبنا يشير بذلك إلى نهايته في الاطمئنان. ﴿وإذا تليت﴾ قرئت ﴿عليهم آياته﴾ أي: آيات الله يعني القرآن أمراً ونهياً وغير ذلك. ﴿زادتهم﴾ أي: تلك الآيات والإسناد مجازي. ﴿إيماناً﴾ أي: يقيناً وطمأنينة نفس فإن تظاهر الأدلة وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان وقوة اليقين.

قال الفاضل التفتازاني، وتبعه المولى أبو السعود في «تفسيره»: إن نفس التصديق مما يقبل الزيادة والنقصان للفرق الظاهر بين يقين الأنبياء وأرباب المكاشفات وبين يقين الأمة ولهذا قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً» وكذا بين ما قام عليه دليل واحد من التصديقات وما قامت عليه أدلة كثيرة.

قال الكاشفي: [در حقايق سلمى مذكورست كه ببركت تلاوت نور يقين در باطن ايشان ظاهر كردد وزيادتى طاعت بر ظاهر ايشان هو يدا شود. ودر بحر الحقايق فرموده كه ايمان حقيقي نوريست كه بقدر سعت روزنهٔ دل دروى مى تابد پس چون قرآن برارباب قلوب خوانند روزنهٔ دل ايشان ببركت قرائت كشادة تركردد ونور ايمان بيشتر دروى افتد پس درنور جمال مستغرق كردند] ﴿وعلى ربهم﴾ مالكهم ومدبر أمورهم خاصة. ﴿يتوكلون﴾ يفوضون أمورهم ولا يخشون ولا يرجون إلا إياه.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿على ربهم يتوكلون﴾ لا على الدنيا وأهلها فإن من شاهد بنور الإيمان جمال الحق وجلاله، فقد استغرق في بحر لجي من شهود الحق بحيث لا يتفرغ لغيره ويرى الأشياء مضمحلة تحت سطوات جلاله فيكون توكلهم عليه لا على غيره:

هركه او در بحر مستغرق شود فارغ از كشتى واز زورق شود
غرقهٔ دريا بجز دريا نديد غير دريا هست بروى نا پديد

ولما ذكر أولاً من الأعمال الحسنة أعمال القلوب من الخشية والوجل عند ملاحظة عظمة الله تعالى وجلاله والإخلاص والتوكل عقب بأفعال الجوارح التي هي العيار عليها كالصلاة والصدقة فقال:

﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ بوضوئها وركوعها وسجودها في مواقيتها وهو مرفوع على أنه نعت للموصول الأول **﴿ومما رزقناهم﴾** أعطيناهم من الأموال. **﴿ينفقون﴾** في طاعة الله وإنما خص الله الصلاة والزكاة لعظم شأنهما وتأكيد أمرهما.

﴿أولئك﴾ الجامعون لأعمال القلب والقالب. **﴿هم المؤمنون﴾** إيماناً **﴿حقاً﴾** لأنهم حققوا إيمانهم بأن ضموا إليه الأعمال الصالحة **﴿لهم درجات﴾** كائنة **﴿عند ربهم﴾** أي: كرامة وزلفى وعلو مرتبة وقيل درجات عالية في الجنة على قدر أعمالهم.

قال في «أنوار المشارق»: الدرجة إن كانت بمعنى المرقاة فجمعها درج وإن كانت بمعنى المرتبة والطبقة فجمعها درجات. **﴿ومغفرة﴾** لذنوبهم **﴿ورزق كريم﴾** [وروزى بزرك صافى باشد ازكدّ اكتساب وخالى ازخوف حساب] لا ينتهي ولا ينقطع كأرزاق الدنيا.

قال في «القاموس»: رزقاً كريماً كثيراً وقولاً كريماً سهلاً ليناً وأكرمه وكرمه عظمه ونزهه [امام قشيرى قدس سره فرموده كه رزق كريم آنست كه مرزوق را ازشهود رازق باز ندارد].

تو زروزى ده بروزى وامان از سبب بكذر مسبب بين عيان
از مسبب ميرسد هر خير وشر نيست زاسباب وسائط اي پدر
اصل بيند ديده چون اكمل بود فرع بيند ديده چون احول بود

قال في «المجالس المحمودية»: اعلم أن الصلاة أعظم الأعمال القالبية والصدقة خير العبادات المالية. وروي أن فاطمة أعطت قميصها علياً ليشتري لها ما اشتهاه الحسن، فباعه بستة دراهم فسأله سائل فأعطاه إياها فاستقبله رجل ومعه ناقة فاشتراها على المدة بستين ديناراً ثم استقبله رجل فاشترى منه الناقة بستين ديناراً وستة دراهم، ثم طلب بائع الناقة ليدفع له ثمنها فلم يجده فعرض القصة على النبي عليه السلام فقال عليه السلام: «أما السائل فرضوان، وأما البائع فميكائيل وأما المشتري فجبرائيل» وفي الحديث: «يأتي يوم القيامة أربعة على باب الجنة بغير حساب، الحاج الذي حج البيت بغير إفساد، والشهيد الذي قتل في المعركة، والسخي الذي لم يلتمس بسخاوته رياء، والعالم الذي عمل بعلمه فيتنازعون في دخول الجنة أولاً، فيرسل الله جبرائيل ليحكم بينهم بالعدل، فيقول للشهيد: ما فعلت في الدنيا حتى تريد أن تدخل الجنة أولاً؟ فيقول قتلت في المعركة لرضى الله تعالى، فيقول: ممن سمعت أن من قتل في سبيل الله يدخل الجنة، فيقول من العلماء فيقول احفظ الأدب ولا تتقدم على معلمك، ثم يسأل الحاج والسخي كذلك ثم يقول لهما احفظا الأدب ولا تتقدما على معلمكما، ثم يقول العالم إلهي أنت تعلم أني ما حصلت العلم إلا بسخاوة السخي وأنت لا تضيع أجر المحسنين، فيقول الله: صدق العالم يا رضوان افتح الباب وأدخل السخي أولاً» وفي ذلك إشارة إلى أن المراد بالعالم هو الذي يعمل بعلمه فإن الإنصاف من شأنه إذ الإنصاف لا يحصل إلا بصلاح النفس، ولا يمكن ذلك إلا بالعمل فلا يغترّ أهل الهوى من علماء الظاهر بذلك فإن كون العلم

المجرد منجياً مذهب فاسد، فإن العالم الفاجر أشد عذاباً من الجاهل بل العالم هو الذي يعمل بعلمه ويصل إلى العرفان بتصفية القلب ولا شك أن كون المذكورين في الآية مؤمنين حقاً بسبب خدمتهم لله تعالى بأنفسهم وأموالهم وتجردهم عن العلائق البدنية والمالية وبقائهم مع الله تعالى وإيثارهم له على جميع ما سواه حتى على أنفسهم فمن آثر الحق على ما سواه، فقد وصل إلى أقصى مراداته فلا بد أن الله تعالى يدبر أمره ويقضي حاجاته.

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦﴾.

﴿**كما أخرجك ربك**﴾ المراد بإخراج الله تعالى إياه كونه سبباً آمراً له بالخروج وداعياً إليه فإن جبرائيل عليه السلام أتاه وأمره بالخروج. ﴿**من بيتك**﴾ في المدينة ﴿**بالحق**﴾ حال من مفعول أخرجك أي أخرجك ملتبساً بالحق، وهو إظهار دين الله وقهر أعداء الله والكاف في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال، وهي قسمة غنائم بدر بين الغزاة على السواء من غير تفرقة بين الشبان المقاتلين وبين الشيوخ الثابتين تحت الرايات كحال إخراجك يعني أن حالهم في كراهتهم لما رأيت فإن في طبع المقاتلة شيئاً من الكراهة لهذه القسمة مع كونها حقاً كحالهم في كراهتهم لخروجك للحرب وهو حق. ﴿**وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون**﴾ أي: والحال أن فريقاً منهم كارهون للخروج إما لنفرة الطبع عن القتال أو لعدم الاستعداد.

قال سعدي چلبي المفتي: الظاهر أن المراد هي الكراهة الطبيعية التي لا تدخل تحت القدرة والاختيار فلا يرد أنها لا تليق بمنصب الصحابة رضي الله عنهم. روي أن عير قريش أي: قافلتهم أقبلت من الشام، وفيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكباً منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل، وكان في السنة الثانية من الهجرة فأخبر جبريل رسول الله بإقبالها فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال، فلما خرجوا سمعه أبو سفيان فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً فيستفزهم ويخبرهم أن محمداً قد اعترض لعيركم فأدركوها، فلما بلغ أهل مكة هذا الخبر نادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم وأموالكم، أي: تداركوها إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبداً وقد رأت عاتكة أخت العباس بن عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا، فقالت لأخيها: إني رأيت عجباً كأن ملكاً نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها أي رمى بها إلى فوق فلم يبقَ بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس صديقاً له، يقال له: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وذكرها عتبة لابنته ففشا الحديث: فقال أبو جهل للعباس: يا أبا الفضل ما يرضى رجالكم أن يتنبؤوا حتى تتنبأت نساؤكم، فخرج أبو جهل بأهل مكة وهم النفير، فقيل له: إن العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس إلى مكة، فقال: لا والله لا يكون ذلك أبداً حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فتتسامع جميع العرب بمخرجنا وأن محمداً لم يصب العير، وأنا قد أغضضناه فمضى بهم إلى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوماً في السنة فنزل جبريل فقال يا محمد إن الله وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريشاً فاستشار

النبي عليه السلام أصحابه فقال: «ما تقولون إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب إليكم أم النفير» فقالوا: بل العير أحب إلينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله ﷺ ثم ردد عليهم فقال: «إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل» يريد ﷺ بذلك أن تلقي النفير وجهاد المشركين آثر عنده وأنفع للمؤمنين من الظفر بالعير لما في تلقي النفير من كسر شوكة المشركين، وإظهار الدين الحق على الأديان كلها، فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند ما غضب رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأحسنا الكلام في اتباع مراد رسول الله ﷺ ثم قام سيد الخزرج سعد بن عبادة فقال انظر في أمرك وامضِ فوالله لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال المقداد بن عمرو: يا رسول الله امضِ لما أمرك الله فإنا معك حيثما أحببت لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فتبسم رسول الله ثم قال: «أشيروا علي أيها الناس» وهو يريد الأنصار، أي: بينوا لي ما في ضميركم في حق نصرتي ومعاونتي في هذه المعركة وذلك لأن الأنصار كانوا عاهدوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة أن ينصروه ما دام في المدينة، وإذا خرج منها لا يكون عليهم معاونة ونصرة فأراد عليه السلام أن يعاهدهم على النصرة، في تلك المعركة أيضاً فقام سعد بن معاذ: فكأنك تريدنا يا رسول الله قال: «أجل» قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامضِ يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل وما نكره أن تلقى بنا عدونا إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله تعالى يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله ﷺ ونشطه قول سعد ثم قال: «سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم» فالمعنى أخرجك ربك من بيتك لأن تترك التوجه إلى العير وتؤثر عليه مقاتلة النفير في حال كراهة فريق من أصحابك ما آثرته من محاربة النفير.

﴿يجادلونك في الحق﴾ الذي هو تلقي النفير لإيثارهم عليه تلقي العير. **﴿بعدما تبين﴾** منصوب بيجادلونك وما مصدرية، أي: يخاصمونك بعد تبين الحق وظهوره لهم بإعلامك أنهم ينصرون أينما توجهوا ويقولون ما كان خروجنا إلا للعير وهلا قلت لنا إن الخروج لمقاتلة النفير لنستعد ونتأهب فمن قال ذلك إنما قال كراهة لإخراجه عليه الصلاة والسلام من المدينة وكراهتهم القتال. **﴿كأنما يساقون إلى الموت﴾** الكاف في محل النصب على الحالية من الضمير في لكارهون أي مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار إلى القتل. **﴿وهم ينظرون﴾** حال من ضمير يساقون أي والحال أنهم ينظرون إلى أسباب الموت ويشاهدونها عياناً وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع إلا لقلة عددهم وعدم تأهبهم وكونه رجالة. وروي أنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ليس فيهم إلا فارسان الزبير والمقداد ولهم سبعون بعيراً وست أدرع وثمانية أسياف وكان المشركون أكثر عدداً وعدداً بالأضعاف.

والإشارة: أن الله تعالى أخرج المؤمنين الذين هم المؤمنون حقاً من أوطان البشرية إلى مقام العندية بجذبات العناية. **﴿كما أخرجك ربك من بيتك﴾** أي: من وطن وجودك بالحق أي

بمجيء الحق من تجلي صفات جماله وجلاله. ﴿وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون﴾ أي: القلب والروح يعني للفناء عند التجلي فإن البقاء محبوب والفناء مكروه على كل ذي وجود يجادلونك أي الروح والقلب في الحق أي مجيء الحق من بعد ما تبين مجيئه لكراهة الفناء كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون يعني كأنهم ينظرون إلى الفناء ولا يزول البقاء بعد الفناء كمن يساق إلى الموت كذا في «التأويلات النجمية». وفي «المثنوي»:

شير دنيا جويد اشكارى وبرك ... شير مولى جويد آزادى ومرك

چونكه اندر مرك بيند صد وجود ... همچو پروانه بسوزاند وجود

كل شيء هالك جز وجه او ... چون نهٔ در وجه اوهستى مجو

هركه اندر وجه ما باشد فنا ... كل شيء هالك نبود جزا

زانكه در «الا» ست اواز «لا» كذشت ... هركه در «الا» ست أو فانى نكشت

واعلم: أنه كما لا اعتراض على الأنبياء في وحيهم وعباراتهم كذلك لا اعتراض على الأولياء في إلهامهم وإشاراتهم وأن السعادة في العمل والأخذ بآياتهم والوجود وإن كان محبوباً لأهل الوجود لكن الفناء محبوب لأهل الشهود.

فعلى السالك أن ينقطع عن جميع اللذات الدنيوية ويطهر نفسه عن لوث الأغراض الدنية ويكون الرسول وأمره أحب إليه من نفسه إلى أن ينفد عمره.

روى البخاري عن عبد الله بن هشام أنه قال: كنا مع النبي عليه السلام وهو آخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله أنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي فقال ﷺ: «لا والذي نفس محمد بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك» أي: لا يكون إيمانك كاملاً حتى تؤثر رضاي على رضى نفسك وإن كان فيه هلاكك فقال عمر الآن والله أنت أحب إلي من نفسي فقال: «الآن يا عمر» يعني صار إيمانك كاملاً.

قال ابن ملك: والمراد من هذه المحبة محبة الاختيار لا محبة الطبع لأن كل أحد مجبول على حب نفسه أشد من غيرها انتهى. قوله محبة الاختيار وهو أن يختار رضى النبي عليه السلام على رضى نفسه فالمراد هو الإيثار، كما قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] فكما أن هذا الإيثار لا يقتضي عدم احتياج المؤثر فكذلك إيثار رضى الغير لا يستدعي أن تكون المحبة له أشد من كل وجه هذا ولكن فوق هذا كلام فإن من فني عن طبيعته ونفسه بل عن قالبه وقلبه فقد فني عن محبتها أيضاً وتخلص من الاثنينية ووصل إلى مقام المحبوبية الذي لا غاية وراءه رزقنا الله وإياكم ذلك بفضله وكرمه.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾

﴿وإذ يعدكم الله﴾ أي: اذكروا أيها المؤمنون وقت وعد الله تعالى إياكم. ﴿إحدى الطائفتين﴾ أي: الفريقين إحداهما أبو سفيان مع العير والأخرى أبو جهل مع النفير. ﴿أنها لكم﴾ بدل اشتمال من إحدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد أي يعدكم أن إحدى الطائفتين كائنة لكم مختصة بكم مسخرة لكم تتسلطون عليها تسلط الملاك على أملاكهم وتتصرفون فيها كيف

شئتم. ﴿وتودون﴾ عطف على يعدكم داخل تحت الأمر بالذكر أي: تحبون. ﴿أن غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ من الطائفتين لا ذات الشوكة وهي النفير ورئيسهم أبو جهل وهم ألف مقاتل وغير ذات الشوكة هي العير؛ إذ لم يكن فيها إلا أربعون فارساً ورئيسهم أبو سفيان ولذلك يتمنونها. والشوكة: الحدة، أي السلاح الذي له حدة كسنان الرمح والسيف ونصل السهم مستعار من واحدة الشوك والشوك نبت في طرفه حدة كحدة الإبرة. ﴿ويريد الله﴾ عطف على تودون منتظم معه في سلك التذكير أي اذكروا وقت وعده تعالى إياكم إحدى الطائفتين وودادتكم لأدناهما، وقوله تعالى: ﴿أن يحق الحق﴾ أي: يثبته ويعليه ﴿بكلماته﴾ بأمره لكم بالقتال. ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ أي: آخرهم ويستأصلهم بالمرة. والمعنى أنكم تريدون أن تصيبوا مالاً ولا تلقوا مكروهاً والله يريد إعلاء الدين وإظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين.

﴿ليحق الحق ويبطل الباطل﴾ اللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها، أي: لهذه الغاية الجليلة وهي إظهار الدين الحق وإبطال الكفر فعل ما فعل لا لشيء آخر وليس فيه تكرار؛ إذ الأول مذكور لبيان تفاوت ما بين الإرادتين إرادة الله وإرادة المؤمنين، والثاني لبيان الداعي إلى حمل الرسول ﷺ على اختيار التوجه إلى ذات الشوكة ونصره عليها وقطع دابر المشركين ومعنى إحقاق الحق إظهار حقيته لا جعله حقاً بعد أن لم يكن كذلك وكذا حال إبطال الباطل. ﴿ولو كره المجرمون﴾ أي: المشركون ذلك أي إحقاق الحق وإبطال الباطل.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ أي: اذكروا وقت استغاثتكم وهي طلب الفوز والنصر والعون وذلك أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال جعلوا يدعون الله تعالى قائلين أي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا.

وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض» فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر فألقاه على منكبه والتزمه من ورائه، وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز ما وعدك فهذه الاستغاثة كانت من النبي عليه السلام ومن المؤمنين وإسناد الفعل إلى الجماعة لا ينافي كونه من النبي عليه السلام لأنه دعا وتضرع والمؤمنون كانوا يؤمنون. ﴿فاستجاب لكم﴾ أي: أجاب عطف على تستغيثون داخل معه في حكم التذكير. ﴿أني﴾ بأني ﴿ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ أي: جاعلين غيرهم من الملائكة رديفاً لأنفسهم فالمراد رؤساؤهم المستتبعون لغيرهم حتى صاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف.

﴿وما جعله الله﴾ عطف على مقدر أي فأمدكم الله بإنزال الملائكة عياناً وما جعل ذلك الإمداد لشيء من الأشياء. ﴿إلا بشرى﴾ أي: إلا للبشارة لكم بأنكم تنصرون فهو استثناء مفرغ من أعم العلل. ﴿ولتطمئن به﴾ أي: بالإمداد ﴿قلوبكم﴾ فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وفي قصر الإمداد عليها إشعار بعدم مباشرة الملائكة للقتال وإنما كان إمدادهم بتقوية

قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه ولو بعثهم الله بالمحاربة لكان يكفي ملك واحد فإن جبريل أهلك بريشة واحدة من جناحه سبعاً من مدائن قوم لوط وأهلك بصيحة واحدة جميع بلاد ثمود.

قال الحدادي: وهذا القول أقرب إلى ظاهر الآية وقيل: نزل جبرائيل في خمسمائة من الملائكة على الميمنة، وفيها أبو بكر رضي الله عنه ونزل ميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقاتلوا وقيل قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا يوم الأحزاب ويوم حنين. وروي أن رجلاً قال تبعت رجلاً من المشركين لأضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سيفي ﴿وما النصر﴾ أي: حقيقة النصر على الإطلاق. ﴿إلا﴾ كائن ﴿من عند الله﴾ من غير أن يكون فيه شركة من جهة الأسباب فإن إمداد الملائكة وكثرة العدد والأهب ونحوهما وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها ونعم ما قيل:

النصر ليس بأجناد مجندة لكنه بسعادات وتوفيق

﴿إن الله عزيز﴾ لا يغالب في حكمه ولا ينازع في أقضيته. ﴿حكيم﴾ يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة.

واعلم أن للملائكة أمداداً في كل جيش حق، وإن لم يكونوا مرئيين ومشاهدين بحسب أبصارنا وهم في الحقيقة إشارة إلى القوى الروحانية الغالبة، فإنها إذا ظهرت في وجود المجاهر بالجهاد الأكبر لا يقابلها شيء من القوى الأنفسية الشريرة المغلوبة وكذا ما كان مظاهرها من كفار الظاهر وإنما العمدة هي اليقين والاطمئنان. روي أن بني إسرائيل أعطوا السكينة وهي ريح ساكنة تخلع قلب العدو بصوتها رعباً إذا التقى الصفان وهي معجزة لأنبيائهم وكرامة لملوكهم وللسكينة معنيان آخران: أحدهما شيء من لطائف صنع الحق يلقي على لسان محدث الحكمة كما يلقي الملك الوحي على قلوب الأنبياء مع ترويج الأسرار وكشف السر، وثانيهما ما أنزل على قلب النبي عليه السلام وقلوب المؤمنين وهو شيء يجمع نوراً وقوة وروحاً يسكن إليه الخائف ويتسلى به الحزين وقد ورثه المجاهدون في سبيل الله بعدهم إلى قيام الساعة وإنما لا يظهر في بعض الأحيان والوقائع لحكمة أخفاها الله عن الغافلين.

هر خلل كاندر عمل بينى زنقصان دلست رخنه كاندر قصر بينى ازقصور قيصر ست

وكل عصر على التنزل بالنسبة إلى ما قبله ولهذا لا يظهر النصر في بعض السرايا بل يقال يا أيها الكفرة اقتلوا الفجرة.

قيل لعلي رضي الله عنه: ما بال خلافة عثمان مع خلافتك كانت متكدرة بخلاف خلافة الشيخين قال: كنت أنا وعثمان من أعوانهما وأنت وأمثالك من أعواننا فعلى المجاهدين أن يستغيثوا ربهم ويتضرعوا إليه كما تضرع الأصحاب رضي الله عنهم ومن يليهم لعل الله تعالى يظهر نصره.

دعاى ضعيفان اميدواره ز بازوى مردى به آيد بكار

ألا يا أيها المرء الذي في عسره أصبح إذا اشتد بك الأمر فلا تنس ألم نشرح

واعلم: أن أصدق المقال قول الله تعالى وقول رسوله وقد وعد وأمد فعليك بقوة الإيمان واليقين.

قال الشيخ محيي الدين بن العربي قدس سره في وصايا «الفتوحات»: ولقد ابتلي عندنا

رجل من أعيان الناس بالجذام نعوذ بالله منه، وقال الأطباء بأسرهم لما أبصروه: وقد تمكنت العلة فيه ما لهذا المرض دواء فرآه شيخ من أهل الحديث يقال له سعد السعود، وكان عنده إيمان بالحديث عظيم، فقال له: يا هذا لِمَ لا تطيب نفسك فقال له الرجل إن الأطباء قالوا ليس لهذه العلة دواء، فقال سعد السعود كذبت الأطباء والنبي عليه السلام أحذق منهم وقد قال في الحبة السوداء «إنها شفاء من كل داء» وهذا الداء الذي نزل بك من جملة ذلك، ثم قال عليّ بالحبة السوداء والعسل فخلط هذا بهذا وطلى بهما بدنه كله ووجهه ورأسه إلى رجليه وألعقه من ذلك وتركه ساعة، ثم إنه غسل فانسلخ من جلده ونبت له جلد آخر ونبت ما كان قد سقط من شعره وبرىء وعاد إلى ما كان عليه في حال عافيته، فتعجب الأطباء والناس من قوة إيمانه بحديث رسول الله ﷺ. وكان رحمه الله يستعمل الحبة السوداء في كل داء يصيبه، حتى في الرمد إذا رمدت عينه اكتحل بها فبرىء من ساعته انتهى كلام الشيخ فقد عرفت أن الاطمئنان وقوة الإيمان يجلب للمرء ما يهواه بعناية الملك المنان لكنه قليل أهله خصوصاً في هذا الزمان والله المعين.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾

﴿إذ يغشيكم النعاس﴾ قال جماعة من المفسرين: لما أمر الله النبي عليه السلام بالمسير إلى الكفار سار بمن معه حتى إذا كان قريباً من بدر لقي رجلين في الطريق فسألهما هل مرت بكما العير؟ قالا: نعم مرت بنا ليلاً وكان بين يدي رسول الله ﷺ عشرة من المسلمين فأخذوا الرجلين وكان أحدهما عبداً للعباس بن عبد المطلب، يقال له أبو رافع، والآخر عبداً لعقبة بن أبي معيط، يقال له: أسلم كانا يسقيان الماء فدفع أسلم إلى أصحابه يسألونه، وأخذ هو يسأل أبا رافع عمن خرج من أهل مكة فقال ما بقي بها أحد إلا وقد خرج، فقال عليه السلام «تأتي مكة اليوم بأفلاذ كبدها» ثم قال: «هل رجع منهم أحد» قال نعم أبيّ بن سريق في ثلاثمائة من بني زهرة وكان خرج لمكان العير فلما أقبلت العير رجع فسماه النبي عليه السلام الأخنس حين خنس بقومه، ثم أقبل على أصحابه وهم يسألون أسلم وكان يقول لهم خرج فلان وفلان وأبو بكر يضربه بالعصا، ويقول له كذبت أتجبن الناس فقال عليه السلام: «إن صدقكم ضربتموه وإن كذبكم تركتموه» فعلموا أن رسول الله ﷺ قد عرف أمرهم فساروا حتى نزلوا في كثيب أعفر، أي: في تل من الرمل الأحمر تسوخ فيه الأقدام أي تدخل وتغيب على غير ماء بالجانب الأقرب من المدينة من الوادي، ونزل المشركون بجانبه الأبعد من المدينة الأقرب إلى مكة والوادي بينهما ثم باتوا ليلتهم تلك وناموا، ثم استيقظوا وقد أجنب أكثرهم وغلب المشركون على ماء بدر وليس معهم ماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس إليهم وقال: أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق وأنكم أولياء الله وفيكم رسوله وأنكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما سبقكم المشركون إلى الماء وغلبوكم عليه وما ينتظرون إلا أن يضعفكم العطش، فإذا قطع أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم إلى مكة فحزنوا حزناً شديداً فأشفقوا فأنزل الله عليهم المطر ليلاً حتى سال الوادي وامتلأ من الماء فاغتسل المسلمون وتوضؤوا وشربوا وسقوا دوابهم وبنوا على عدوته أي جانبه حياضاً

واشتد الرمل وتلبدت بذلك أرضهم وأوحل أرض عدوهم حتى ثبتت عليها الأقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب وتهيؤوا للقتال من الغد فذلك قوله تعالى: ﴿**إذ يغشيكم النعاس**﴾ أي: اذكروا أيها المؤمنون وقت جعل الله النعاس وهو أول النوم قبل أن يثقل غاشياً لكم ومحيطاً وملقى عليكم. ﴿**أمنة منه**﴾ منصوب على العلية بفعل مترتب على الفعل المذكور أي يغشيكم النعاس فتنعسون أمناً كائناً من الله تعالى لا كلالاً لا وإعياء فيتحد الفاعلان لأن الأمن فعل النعاس.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن النعاس في المعركة عند مواجهة العدو والأمن منه بدل الخوف إنما هو من تقليب الحال إلى ضده بأمر التكوين، كما قال تعالى للنار: ﴿يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] فكانت كذلك قال للخوف كن أمناً على محمد وأصحابه فكان انتهى.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: «النعاس عند القتال أمن من الله تعالى وهو في الصلاة من الشيطان».

قال الحسن: إن للشيطان ملعقة ومكحلة فملعقته الكذب ومكحلته النوم عند الذكر.

﴿**وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به**﴾ أي: بذلك الماء يعني المطر من الحدث والجنابة. ﴿**ويذهب عنكم رجز الشيطان**﴾ أي: وسوسته وتخويفه إياكم من العطش، ويقال أراد بالرجز الجنابة التي أصابتهم بالاحتلام فإن الاحتلام إنما يكون من رجز الشيطان، أي: تخييله ووسوسته ولذلك قال بعضهم من كتب اسم عمر على صدره لم يحتلم فإن الشيطان كان يفر منه ويسلك فجاً غير الفج الذي أقبل هو منه. ﴿**وليربط على قلوبكم**﴾ الربط الشد والتقوية وعلى صلة. والمعنى وليربط قلوبكم ويشدها ويقويها بجعلها واثقة بلطف الله تعالى وكرمه وجيء بكلمة على للإيذان بأن قلوبهم امتلأت من ذلك الربط حتى كأنه علا عليها وارتفع فوقها. ﴿**ويثبت به**﴾ أي: بذلك الماء ﴿**الأقدام**﴾ حتى لا تسوخ في الرمل، ويجوز أن يكون الضمير للربط فإن الأقدام إنما تثبت في الحرب بقوة القلب وتمكن الصبر والجراءة فيه.

دلا در عاشقى ثابت قدم باش كه در اين ره نباشد كار بى اجر

وبمثل الصدق والصبر وارتباط القلب وثبات الأقدام سادت الصحابة الكرام من عداهم إلى يوم القيام ولا فضل لأحد على أحد إلا بالديانة والتقوى.

قال الزهري: قدمت على عبد الملك بن مروان، قال من أين قدمت يا زهري؟ قلت: من مكة، قال فمن خلفت فيها يسود أهلها؟ قال: قلت عطاء بن رباح، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي قال: بِمَ سادهم قلت بالديانة والرواية قال: إن أهل الديانة والرواية ينبغي أن يسودوا الناس، قال: فمن يسود أهل اليمن؟ قلت: طاوس بن كيسان قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فبِمَ سادهم؟ قلت: بما ساد به عطاء، قال من كان كذلك ينبغي أن يسود الناس قال: فمن يسود أهل مصر؟ قلت: يزيد بن أبي حبيب. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي؛ فقال: كما قال في الأولين ثم قال فمن يسود أهل الشام؟ قلت: مكحول الدمشقي، فقال: من العرب أم من الموالي؟ قلت من الموالي عبد نوبي أعتقته امرأة من هذيل، فقال: كما قال ثم قال فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، فقال: كما

قال، ثم قال فمن يسود أهل حرمنا؟ قلت الضحاك بن مزاحم، فقال من العرب أم من الموالي؟ قلت من الموالي، فقال: كما قال، ثم قال فمن يسود أهل البصرة؟ قلت: الحسن بن أبي الحسن، قال من العرب أم من الموالي؟ قلت من الموالي، قال ويلك فمن يسود أهل الكوفة؟ قلت: إبراهيم النخعي، قال من العرب أم من الموالي؟ قلت من العرب قال ويلك يا زهري فرجت عني والله ليسودن الموالي على الأكابر حتى يخطب لها على المنابر، وإن العرب تحتها قال قلت يا أمير المؤمنين إنما هو أمر الله ودينه فمن حفظه ساد ومن ضيعه سقط.

وفي الآية: بيان نعمة الماء وأن الخوف من العطش وكذا من الجوع من الشيطان ووسوسته فإن المرء إذا كان قوي التوكل يستوي عنده الفقد والوجود والله تعالى من اسمه الخالق والرازق قالوا وللأسد من الصبر على الجوع وقلة الحاجة إلى الماء ما ليس لغيره من السباع ولا يأكل من فريسة غيره وإذا شبع من فريسة تركها ولم يعد إليها وإذا امتلأ بالطعام ارتاض ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب فينبغي للمؤمن أن لا يكون أدون من الأسد في هذه الصفات.

على المرء أن يسعى لتحسين حاله وليس عليه أن يساعده الدهر

والله تعالى قد سنّ الإعانة بإعانته للمؤمنين فالمؤمن الكامل يساعد المؤمن حسب الطاقة. وحكي أن فيروز بن يزدجرد بن بهرام من آل ساسان لما ملك عدل وأنصف ولما مضى سبع سنين من ملكه ولم ينزل من السماء مطر أرسل إلى كل بلد بأن يقسم طعام كل بلد بين الأغنياء والفقراء وإذا مات فقير من الجوع قتل من الأغنياء رجلاً بدلاً منه. قال الحافظ:

توانكرا دل درويش خود بدست آور كه مخزن زر وكنج درم نخواهد ماند

اللهم احفظنا من البخل والكسل إلى حلول الأجل.

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾.

﴿**إذ يوحي ربك إلى الملائكة**﴾ الوحي إلقاء المعنى إلى النفس من وجه خفي، والمعنى: اذكر يا محمد وقت إيحائه تعالى إلى الملائكة ﴿**أني معكم**﴾ مفعول يوحي، أي: بالإمداد والتوفيق في أمر التثبيت فليس القصد إزالة الخوف كما في ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]؛ إذ لا خوف للملائكة من الكفار حتى يقال لهم إني معكم فلا تخافوهم وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية الملائكة إنما هو من حيث إنهم المباشرون للتثبيت صورة فلهم الأصالة من تلك الحيثية، كما في أمثال قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] ﴿**فثبتوا الذين آمنوا**﴾ بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما مما تقوى به قلوبهم والتثبيت عبارة عن الحمل على الثبات في مواطن الحرب والجد في مقاساة شدائد القتال. ﴿**سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب**﴾ أي: سأقذف في قلوبهم المخافة من المؤمنين وهو تلقين للملائكة ما يثبتونهم به كأنه قيل قولوا لهم قولي سألقي إلخ ﴿**فاضربوا**﴾ أيها المؤمنون فلا دلالة في الآية على قتال الملائكة ﴿**فوق الأعناق**﴾ أعاليها التي هي المذابح أو الرؤوس.

قال الحدادي: وإنما أمر الله بضرب الأعناق لأن أعلى جلدة العنق هو المقتل.

﴿واضربوا منهم كل بنان﴾ البنان في اللغة: هو الأصابع وغيرها من الأعضاء التي بها يكون قوام الإنسان وحياته، والمقصود اضربوهم في جميع الأعضاء من أعاليها إلى أسافلها. وقيل: الوجه أن يراد بها المدافعة والمقاتلة، وكذا قال التفتازاني.

﴿ذلك﴾ الضرب والقتل والعقاب واقع عليهم. ﴿بأنهم﴾ أي: بسبب أنهم ﴿شاقوا الله ورسوله﴾ أي: خالفوا وغالبوا من لا سبيل إلى مغالبته أصلاً.

قال ابن الشيخ: معنى شاقوا الله شاقوا أولياء الله واشتقاق المشاقة من الشق لما أن كلاً من المشاقين في شق خلاف شق الآخر كما أن المحادة أن يصير أحدهما في حد غير حد الآخر.

وفي الآية: إشارة إلى أن كل سعادة وشقاوة تحصل للعبد في الدنيا والآخرة يكون للعبد فيها مدخل بالكسب. ﴿ومن يشاقق الله ورسوله﴾ أي: ومن يخالف أولياء الله ورسوله ﴿فإن الله شديد العقاب﴾ له.

قال الحدادي: أما إظهار التضعيف في موضع الجزم في قوله: ﴿يشاقق الله﴾ فهو لغة أهل الحجاز وغيرهم يدغم أحد الحرفين في الآخر لاجتماعهما من جنس واحد، كما قال تعالى في سورة الحشر ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾ [الحشر: ٤] بقاف واحدة.

﴿ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار﴾ قوله ذلكم خبر مبتدأ محذوف وقوله وأن إلخ معطوف عليه، وقوله: (فذوقوه) اعتراض والضمير لما في ضمن المشار إليه من العقاب، والتقدير حكم الله ذلكم أي ثبوت هذا العقاب لكم عاجلاً وثبوت عذاب النار آجلاً، وإنما قال في عذاب الدنيا فذوقوه لأن الذوق يتناول اليسير من الشيء فكل ما يلقي الكفار من ضرب أو قتل أو أسر أو غيرها في الدنيا فهو بالنسبة إلى ما أعد لهم في الآخرة بمنزلة ذوق المطعوم بالنسبة إلى آكله.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿فذوقوه﴾ أي: ذوقوا العاجل منه صورة ومعنى أما صورة فبالقتل والأسر والمصائب والمكروهات، وأما معنى فبالبعد والطرد عن الحضرة وتراكم الحجب وموت القلب وعمى البصيرة وضعف الروح وقوة النفس واستيلاء صفاتها وغلبة هواها وما يبعده عن الحق ويقربه إلى الباطل.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال سوى أصحاب رسول الله ﷺ صفوفهم وقدموا راياتهم فوضعوها مواضعها فوقف رسول الله ﷺ على بعير له يدعو الله ويستغيث فهبط جبريل عليه السلام في خمسمائة على ميمنتهم وميكائيل عليه السلام في خمسمائة على ميسرتهم فكان الملك يأتي الرجل من المسلمين على صورة رجل، ويقول له دنوت من عسكر المشركين فسمعتهم يقولون، والله لئن حملوا علينا لا نثبت لهم أبداً وألقى الله في قلوب الكفرة الرعب بعد قيامهم للصف، فقال عتبة بن ربيعة: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش نقاتلهم فقام إليهم بنو عفراء من الأنصار عوذ ومعوذ أمّهم عفراء وأبوهم الحارث، فمشوا إليهم، فقالوا لهم: ارجعوا وأرسلوا إلينا أكفاءنا من بني هاشم، فخرج عليهم حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، فقال علي: مشيت إلى الوليد بن عتبة ومشى إلي فضربته بالسيف أطرت يده ثم بركت عليه فقتلته، فقام شيبة بن ربيعة إلى عبيدة بن الحارث فاختلفا بضربتين ثم ضرب عبيدة

ضربة أخرى فقطع ساق شيبة، ثم قام حمزة إلى عتبة، فقال: أنا أسد الله وأسد رسوله، ثم ضربه حمزة فقتله فقام أبو جهل في أصحابه يحرضهم يقول: لا يهولنكم ما لقي هؤلاء فإنهم عجلوا فاستحقوا ثم حمل هو بنفسه ثم حمل المسلمون كلهم على المشركين فهزموهم بإذن الله تعالى» وفي حق هؤلاء السادات ورد «اطلع الله على أهل بدر» يعني نظر إليهم بنظر الرحمة والمغفرة «فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» المراد به إظهار العناية بهم وإعلاء رتبتهم لا الترخيص لهم في كل فعل كما يقال للمحبوب اصنع ما شئت.

فعلى العاقل أن يقتفي بأثرهم في باب المجاهدة مطلقاً. قال الحافظ:

درره نفس كزوسينهٔ ما بتكده شد تير آهى بكشاييم وغزايى بكنيم

وقال في حق أهل الجزع:

ترسم كزين چمن نبرى آستين كل كز كلشنش تحمل حارى نميكنى

اللهم اجعلنا من الصابرين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا﴾ لقيه أي رآه ﴿زحفاً﴾ الزحف الدبيب يقال زحف الصبي زحفاً من باب فتح إذا دب على استه قليلاً قليلاً سمي به الجيش الدهم المتوجه إلى العدو؛ لأنه لكثرته وتكاثفه يرى كأنه يزحف وذلك لأن الكل يرى كجسم واحد متصل فيحس حركته بالقياس إليه في غاية البطء وإن كانت في نفس الأمر في غاية السرعة ونصبه على حال من مفعول لقيتم بمعنى زاحفين نحوكم، والمعنى: إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل. ﴿فلا تولوهم الأدبار﴾ فلا تولوهم أدباركم فضلاً عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلاً عن أن تدانوهم في العدد وتساووهم، عدل عن لفظ الظهور إلى لفظ الأدبار تقبيحاً لفعل الفار وتشنيعاً لانهزامه والتولية جعل الشيء يلي غيره وهو متعد إلى مفعولين وولاه دبره إذا جعله إليه.

﴿ومن يولهم يومئذٍ دبره﴾ أي: ومن يجعل ظهره إليهم وقت اللقاء والقتال فضلاً عن الفرار فيومئذٍ هنا بمعنى حينئذٍ؛ لأن اليوم وإن كان اسماً لبياض النهار إذا أطلق لكنه إذا قرن به فعل لا يمتد يراد به مطلق الوقت. ﴿إلا متحرفاً لقتال﴾ إما بالتوجه إلى قتال طائفة أخرى أهم من هؤلاء، وإما بالفر للكر بأن يخيل لعدوه أنه منهزم ليغره ويخرجه من بين أعوانه ثم يعطف عليه وحده أو مع من في المكمن من أصحابه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها، يقال: انحرف وتحرف إذا مال من جانب إلى جانب آخر والحرف الطرف والجانب وانتصابه على الحالية والتقدير ومن يولهم ملتبساً بحال من الأحوال أية حال كانت إلا في حال كذا. ﴿أو متحيزاً إلى فئة﴾ أي: منحازاً إلى جماعة أخرى من المؤمنين قريبة أو بعيدة لينضم إليهم، ثم يقاتل معهم العدو فالانهزام حرام إلا في هاتين الحالتين فإن كل واحدة منهما ليست انهزاماً في الحقيقة بل من قبيل التهيؤ والتقوى للحرب فمن ولى ظهره لغير أحد هذين الغرضين. ﴿فقد باء﴾ أي: رجع ﴿بغضب﴾ عظيم كائن ﴿من الله﴾ تعالى ﴿ومأواه﴾ في الآخرة ﴿جهنم﴾ أي:

بدل ما أراد بفراره أن يأوي إليه من مأوى ينجيه من القتل والمأوى المكان الذي يأوي إليه الإنسان أي يأتيه. ﴿**وبئس المصير**﴾ أي: المرجع جهنم وهذا الوعيد وإن كان بحسب الظاهر متناولاً لكل من يولي دبره وقت ملاقاة الكفار إلا أنه مخصوص بما إذا لم يزد العدو على ضعف المسلمين لقوله تعالى في آخر هذه السورة: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦٦].

قال ابن عباس رضي الله عنه: من فر من ثلاثة لم يفر ومن فرّ من اثنين فقد فر أي ارتكب المحرم وهو كبيرة الفرار من الزحف. وفي «المثنوي»:

اين چنين هوشى كه ازموشى پريد — اندر آن صف تيغ چون خواهد كشيد
چالش است آن حمزه خوردن نيست اين — تاتو بر مالى بخوردن آستين
نيست حمزه خودن اينجا تيغ بين — حمزهٔ بايد درين صف آهنين
كار هر نازك دلى نبود قتال — كه كر يزد از خيالى چون خيال
كار تركانست نى تركان برو — جاى تركان هست خانه خانه شو

وعد بعض العلماء الكبائر إلى سبعين منها: الفرار من الجيش في الغزو إذا كان مثلاً أو ضعفاً، وكل ما كان شنيعاً بين المسلمين وفيه هتك حرمة الله والدين فهي كبيرة تسقط العدالة في الشهادة، فعلى العاقل أن يقدم على الحرب بقلب جريء ويعلم أن الجبن لا يؤخر أجله وأن الإقدام على القتال لا يعجل موته ويتشبه الغازي في أوان المقاتلة بأصناف من الخلق فيكون كقلب الأسد لا يجبن ولا يفر كما أن الأسد مقدام غير جبان وكرار غير فرار وفي كبر النمر بالفارسية [پلنك] لا يتواضع للعدو وفي شجاعة الدب يقاتل بجميع جوارحه وفي جملة الخنزير لا يولي دبره إذا حمل أي لا يعرض وجهه عما توجه إليه وفي إغارة الذئب إذا يئس من وجه أغار من وجه آخر والإغارة بالفارسية [يغما كردن]، وفي حمل السلاح الثقيل كالنملة تحمل أضعاف وزن بدنها وفي الثبات كالحجر لا يزول عن مكانه وفي الصبر كالحمار وفي الوفاء كالكلب لو دخل سيده النار يتبعه، وفي التماس الفرصة والظفر كالديك ويكون في الصف ساكناً كالمصلي الخاشع، ويكون في متابعة أمير العسكر كمتابعة المأموم إمامه في الصلاة أي لا يخالفه أصلاً ويغطي نفسه بالسلاح كتغطية البكر نفسها بالثياب إذا زفت أي أرسلت إلى الزوج وفي تكثير قليل سلاحه وماله كالمرائي إذا قل ماله وعبادته ويكون في المكر والحيلة إذا هزمه العدو أي غلب عليه كالثعلب إذا اضطره الكلب فإن مدار الحرب على الخداع وفي التبختر والخيلاء بين الصفين كالعروس وفي الخفة في تحريف القتال من جانب إلى آخر كالصبي وفي صياحه إذا صاح بالعدو كالرعد وهو اسم ملك على قول وفي سوء ظنه أي في الحذر عما يهلكه في جميع أحواله كالغراب الأبقع وهو الذي فيه سواد وبياض وفي حراسته والاحتراز عن المكاره كالكركي وهو طير معروف لازوردي اللون يشابه اللقلق في الهيئة بالفارسية [كلنك] ومن الحيوان الذي لا يصلح إلا برئيس لأن في طبعه الحرس والتحارس بالنوبة والذي يحرس يهتف بصوت خفي كأنه ينذر بأنه حارس فإذا قضى نوبته قام الذي كان نائماً يحرس مكانه حتى يقضي كل ما يلزمه من الحراسة.

قال القزويني والكركي: لا يمشي على الأرض إلا بإحدى رجليه ويعلق الأخرى وإن وضعها وضعها خفيفاً مخافة أن تخسف به الأرض كذا في «حياة الحيوان».

والإشارة: أيها القلوب المؤمنة إذا لقيتم كفار النفوس وصفاتها مجتمعين على قهر القلوب وصفاتها فلا تنهزموا من سطوات النفوس وغلبات صفاتها بل اثبتوا بالصبر عند صدمات النفوس فإن الصبر عند الصدمة الأولى كما روي أن النبي عليه السلام أتى على امرأة تبكي على صبي ميت لها فقال: «اتقي الله واصبري» فقالت وما تبالي على مصيبتي فلما ذهب عليه السلام قيل لها إنه رسول الله فأخذها مصيبة مثل موت صبيها فجاءت بابه تستعذره وتقول لم أعرفك يا رسول الله فقال عليه السلام: «الصبر عند الصدمة الأولى» الصدم ضرب الشيء الصلب بمثله والصدمة مرة منه، يعني: الصبر المأجور عليه صاحبه ما كان عند فجأة المصيبة وحدتها لأنه إذا طالت الأيام عليه صار الصبر أيسر له ﴿ومن يولهم يومئذٍ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة﴾ يعني: إلا قلباً ينحرف ليهيىء أسباب القتال مع النفس أو راجعاً إلى الاستمداد من الروح وصفاتها أو إلى ولاية الشيخ يستمد منها إلى الحضرة الربانية في قمع النفس وقهرها بطريق المجاهدة والرياضة. ﴿فقد باء بغضب من الله﴾ يعني: بطرد وإبعاد منه ﴿ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ أي: مرجعه جهنم البعد عن الحضرة ونار القطيعة وبئس المرجع والمعاد.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿فلم تقتلوهم﴾ أي: إن افتخرتم بقتل الكفار يوم بدر فاعلموا أنكم لم تقتلوهم بقوتكم وقدرتكم. ﴿ولكن الله قتلهم﴾ بنصركم وتسليطكم عليهم وإلقاء الرعب في قلوبهم. روي أنه لما طلعت قريش من العقنقل وهو الكثيب الذي جاؤوا منه إلى الوادي قال عليه السلام: «هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم إني أسألك ما وعدتني» فأتاه جبريل فقال: خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال لعلي رضي الله عنه «أعطني من حصباء الوادي» فرمى بها في وجوههم وقال: «شاهت الوجوه» أي: قبحت فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه تراب فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم، ثم لما انصرفوا من المعركة غالبين غانمين أقبلوا على التفاخر يقولون قتلت وأسرت وفعلت وتركت فنزلت والظاهر أن قوله: ﴿فلم تقتلوهم﴾ رجوع إلى بيان بقية قصة بدر والفاء جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر إمداده تعالى وأمره بالتثبيت وغير ذلك كأنه قيل: إذا كان الأمر كذلك فلم تقتلوهم أنتم كما هو مختار المولى أبي السعود في «تفسيره» ﴿وما رميت﴾ يا محمد حقيقة ﴿إذ رميت﴾ صورة وإلا لكان أثر الرمي من جنس آثار الأفاعيل البشرية. ﴿ولكن الله رمى﴾ أتى بما هو غاية الرمي فأوصل أجزاء تلك القبضة إلى عيون جميع المشركين حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم فصورة الرمي صدرت منه عليه السلام إلا أن أثرها إنما صدر من الله تعالى إذ ليس في وسع البشر أن يرمي كفاً من الحصباء في وجوه جيش فلا يبقى فيهم عين إلا ويصيبها منه شيء. واللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه كإطلاق المؤمن على المؤمن الكامل.

قال في «التأويلات النجمية»: إن الله نفى عن الصحابة القتل بالكلية وأحاله إلى نفسه لأنه تعالى كان مسبب أسباب القتل من إمداد الملائكة وإلقاء الرعب في قلوب الكفار وتقوية قلوب المؤمنين وغير ذلك فالفعل يحال إلى السبب، كقولهم القلم يكتب مليحاً والكاتب يكتب مليحاً

وهو المسبب للكتابة. قال في «المثنوي»:

هر چه خواهد آن مسبب آورد قدرت مطلق سببها بر درد
از مسبب ميرسد هر خير وشر نيست أسباب ووسائط را اثر
اين سببها بر نظرها پردهاست كه نه هرديدار صنعش راسزاست
ديدهٔ بايد سبب سوراخ كن تا حجب رابر كند از بيخ وبن
تامسبب بيند اندر لامكان هرزه بيند جهدوا ساب ودكان

والفرق فيما بين النبي عليه السلام وبين الصحابة رضي الله عنهم أن الله تعالى نفى القتل عن الصحابة بالكلية وأحاله إلى نفسه، فجعلهم سبباً للقتل وهو المسبب وما نفى الرمي عن النبي عليه السلام بالكلية بل أسند إليه الرمي ولكن نفى وجوده بالكلية في الرمي، وأثبته لنفسه تعالى، أي: وما رميت بك إذ رميت، ولكن رميت بالله وذلك في مقام التجلي فإذا تجلى الله لعبد بصفة من صفاته يظهر على العبد منه فعلاً يناسب تلك الصفة، كما كان من حال عيسى عليه السلام لما تجلى الله له بصفة الإحياء كان يحيي الموتى بإذنه أي به وهذا كقوله تعالى: «كنت له سمعاً وبصراً» الحديث فلما تجلى الله للنبي عليه السلام بصفة القدرة كان قد رمى به حين رمى وكان يده يد الله في ذلك كما كشف القناع عن هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

واعلم: أن الله أسند القتل إلى داود عليه السلام في قوله: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٥١] وفرق كثير بين عبد أضيف فعله إلى نفسه والعبد محل الآفات والحوادث وبين عبد أضيف فعله إلى الله تعالى والله منزه عن الآفات والحوادث.

ما رميت اذرميت كفت حق كارحق بركارها دارد سبق
كر بپرانيم تيران نى زماست ما كمان وتير اندارش خداست
تانشد مغلوب كس اين سر نيافت كرتوخواهى آن طرف بايد شتافت

﴿وليبلي المؤمنين منه﴾ أي: ليعطيهم من عنده تعالى وينعم عليهم. ﴿بلاء حسناً﴾ أي: عطاء جميلاً ونعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات غير مشوبة بمقاساة الشدائد والمكاره. والبلاء: يطلق على النعمة وعلى المحنة؛ لأن أصله الاختيار وهو كما يكون بالمحنة لإظهار الصبر يكون بالنعمة أيضاً لإظهار الشكر، والاختبار من الله تعالى إظهار ما علم كما علم لا تحصيل علم ما لم يعلم لأنه تعالى منزه عنه. واللام: متعلقة بمحذوف مؤخر أي وللإحسان إليهم بالنصر والغنيمة والأجر العظيم فعل ما فعل لا لشيء غير ذلك مما لا يجديهم نفعاً. وإما برمي فالواو للعطف على علة محذوفة أي ولكن الله رمى ليمحق الكافرين وليبلي المؤمنين.

قال ابن الشيخ: والظاهر أن بلاء اسم مصدر ليبلي أي ليبليهم إبلاء حسناً والمتبادر من عبارة القاضي أنه حمله على نفس الشيء المبلوّ به على طريق إطلاق المصدر على المفعول حيث قال ولينعم عليهم نعمة عظيمة قال الكاشفي: [در حقائق سلمى از امام جعفر صادق رضي الله عنه نقل ميكندكه بلاء حسن آنست كه ايشانرا از نفوس ايشان فانى كرداند وبعد از فنا بهويت خود شان باقى سازد امام. قشيرى كويد بلاء حسن آنست كه مبتلى مشاهده كندميلى را در عين بلا].

چودانستى كه اين درد تواز كيست زرنج خويشتن مى باش خرم
كر او زهرت دهد بهتر زشكر وراوزحمت زندخوشتر زمرهم

﴿إن الله سميع﴾ لاستغاثتهم ودعائهم ﴿عليم﴾ بنياتهم وأحوالهم الداعية إلى الإجابة.

﴿ذلكم﴾ إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، وقوله تعالى: ﴿وأن الله موهن كيد الكافرين﴾ معطوف على ذلكم، أي: المقصود إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وإبطال حيلهم. والإيهان [سست كردن] والنعت موهون كذا في «تاج المصادر». والوهن الضعف والكيد المكر والحيلة والحرب.

وفي الآية: إشارة إلى أن التأثير من الله تعالى والعبد آلة في البين فينبغي للمرء أن لا يعجب بنفسه وعمله، ولذا قال الله تعالى: ﴿فلم تقتلوهم﴾ وأظهر منته عليهم والعجب استعظام العمل الصالح من غير ذكر التوفيق.

قال المسيح عليه السلام: يا معشر الحواريين كم من سراج قد أطفأته الريح، وكم من عابد قد أفسده العجب.

واعلم: أن الناس في العجب ثلاثة أصناف: صنف، هم معجبون بكل حال وهم المعتزلة والقدرية الذين لا يرون لله تعالى عليهم منة في أفعالهم وينكرون العون والتوفيق الخاص واللطف وتلك الشبهة استولت عليهم. وصنف هم الذاكرون المنة بكل حال وهم المستقيمون لا يعجبون بشيء من الأعمال وذلك لبصيرة أكرموا بها وتأييد خصوا به. والصنف الثالث المخلطون وهم عامة أهل السنة تارة يتنبهون فيذكرون منة الله تعالى وتارة يغفلون فيعجبون وذلك لمكان الغفلة العارضة والفترة في الاجتهاد والنقص في البصيرة فحق للعاقل أن يرى حقارة عمله وقلة مقداره من حيث هو وأن يرى أن منة الله عليه أشرف من قدر عمله وأعظم من جزائه وأن يحذر على فعله من أن يقع على وجه لا يصلح لله تعالى ولا يقع منه موقع الرضى، فتذهب عنه القيمة التي حصلت له، ويعود إلى ما كان في الأصل من الثمن الحقير من دراهم أو دوانق ومثاله أن العنقود من العنب أو الإضبارة من الريحان تكون قيمته في السوق دانقاً، فإذا أهداه واحد إلى الملك دستجة فوقع منه موقع الرضى يهب له على ذلك ألف دينار فصار ما قيمته حبة بألف دينار فإذا لم يرضه الملك أو رده عليه رجع إلى قيمته الخسيسة من حبة أو دانق فكذلك ما نحن فيه.

قال وهب: كان فيمن قبلكم رجل عبد الله سبعين سنة يفطر من سبت إلى سبت فطلب من الله حاجة فلم يقض فأقبل على نفسه وقال لو كان عندك خير قضيت حاجتك فأنزل الله تعالى ملكاً فقال يا ابن آدم ساعتك التي أزريت بنفسك فيها خير من عبادتك التي مضت. ونعم ما قال الحافظ الشيرازي:

در راه ما شكسته دلى ميخرند وبس بازار خودفروشى ازان سوى ديكرست

اللهم اجعلنا من أهل التوفيق ومن السالكين بطريق التحقيق.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَآءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿إن تستفتحوا﴾ الخطاب لأهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك أنهم حين أرادوا

الخروج إلى بدر تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدين. وروي أن أبا جهل قال يوم بدر: اللهم انصر أفضل الفريقين وأحقهما بالنصر، اللهم أينا أقطع للرحم وأفسد للجماعة فأهلكه دعا على نفسه لغاية حماقته فاستجاب الله دعاءه حيث ضربه ابنا عفراء عوذ ومعاذ وأجهز عليه ابن مسعود رضي الله عنه. فالمعنى إن تستنصروا يا أهل مكة لا على الجندين. ﴿فقد جاءكم الفتح﴾ حيث نصر أعلاهما وقد زعمتم أنكم الأعلى فالتهكم في المجيء أو فقد جاءكم الهزيمة والقهر والخزي فالتكهم في نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله. ﴿وإن تنتهوا﴾ عن الكفر ومعاداة الرسول. ﴿فهو﴾ أي: الانتهاء ﴿خير لكم﴾ أي: من الحراب الذي ذقتم غائلته لما فيه من السلامة من القتل والأسر ومبنى اعتبار أصل الخيرية في المفضل عليه هو التكهم. ﴿وإن تعودوا﴾ لمحاربته. ﴿نعد﴾ لنصره. ﴿ولن تغني﴾ أي: لن تدفع أبداً ﴿عنكم فئتكم﴾ أي: جماعتكم التي تجمعونهم وتستغيثون بهم. ﴿شيئاً﴾ أي: من الإغناء فنصب شيئاً على المصدر أو من المضار فنصبه على المفعولية. ﴿ولو كثرت﴾ فئتكم في العدد ﴿وأن الله مع المؤمنين﴾ أي: ولأن الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة فعل ذلك.

وفي الآية: إشارة إلى أن النجاة في الإيمان والإسلام، والتسليم لأمر الله الملك العلام وأن غاية الباطل هو الزوال والاضمحلال وإن ساعده الإمهال. قال الحافظ:

اسم أعظم بكندكار خوداى دل خوش باش كه بتلبيس وحيل ديو سليمان نشود

واعلم: أن المحاربة مع الأولياء الكرام كالمحاربة مع الأنبياء العظام وكل منهم منصور على أعدائه لأن الله معهم وهو لا ينساهم ولا يتركهم بحال. حكي أن دانيال عليه السلام طرح في الجب، وألقيت عليه السباع فجعلت السباع تلحسه وتبصبص إليه فأتاه رسول فقال: يا دانيال فقال: من أنت، قال: أنا رسول ربك إليك أرسلني إليك بطعام فقال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره.

وإذا السعادة لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهي حبالة واقتد بها الجوزاء فهي عنان

وحكي الماوردي في كتاب «أدب الدنيا والدين» أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاءل يوماً في المصحف فخرج له قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥﴾ [إبراهيم: ١٥] فمزق المصحف وأنشأ يقول:

أتوعد كل جبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

فلم يلبث أياماً حتى قتل شرّ قتلة وصلب رأسه على قصره ثم على سور بلده.

جزم القاضي أبو بكر في الأحكام في سورة المائدة بتحريم أخذ الفأل من المصحف. ونقله القرافي عن الطرطوشي وأقره وأباحه ابن بطة من الحنابلة. وقال بعضهم: بكراهته كذا في «حياة الحيوان» للإمام الدميري.

والإشارة في الآية: ﴿إن تستفتحوا﴾ أبواب قلوبكم بمفتاح الصدق والإخلاص وترك ما سوى الله تعالى في طلب التجلي. ﴿فقد جاءكم الفتح﴾ بالتجلي فإن الله تعالى متجل في ذاته أزلاً وأبداً فلا تغير له وإنما التغير في أحوال الخلق فإنهم عند انغلاق أبواب قلوبهم إلى الله

محرومون من التجلي وعند انفتاح أبوابها محفوفون به. ﴿وإن تنتهوا﴾ أي: عن غير الله في طلب الله فهو خير لكم مما سواه ﴿وإن تعودوا﴾ إلى الدنيا وطلب لذاتها وشهواتها وزخارفها وإلى ما سوى الله تعالى ﴿نعد﴾ إلى خذلانكم إلى أنفسكم وهواها ودواعيها وغلبات صفاتها. ﴿ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً﴾ أي: تقوم لكم الدنيا والآخرة وما فيهما مقام شيء من مواهب الله وألطافه ولو كثرت، يعني: وإن كثرت نعم الله من الدنيوية والأخروية فلا توازي شيئاً مما أنعم الله على أهل الله وخاصته وإن الله بأصناف ألطافه مع المؤمنين بهذه المقامات، وطالبيها ليبلغهم إليها بفضله ورحمته لا بحولهم وقوتهم كذا في «التأويلات النجمية».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا﴾ بحذف إحدى التاءين، أي: لا تتولوا والتولي الإعراض. وبالفارسية [روى بكر دانيدن]. ﴿عنه﴾ أي: عن الرسول ولم يقل عنهما لأن طاعة الله إنما تكون بطاعة رسوله. ﴿وأنتم تسمعون﴾ أي: والحال أنكم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته، والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم وتصديق ﴿ولا تكونوا﴾ بمخالفة الأمر والنهي. ﴿كالذين قالوا سمعنا﴾ على جهة القبول ﴿وهم لا يسمعون﴾ للقبول، وإنما سمعوا به للرد والإعراض عنه، كالكفار الذين قالوا سمعنا وعصينا وكالمنافقين الذين يدعون السماع والقبول بألسنتهم ويضمرون الكفر والتكذيب. قال في «المثنوي»:

نيست راچه خوانده چه ناخوانده   هست پاى أو بكل در مانده
كرسرش جنبد بسير باد رو   تو بسر جنبانيش غره مشو
آن سرش كويد سمعنا اي صبا   پاى أو كويد عصينا خلنا

﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿إن شر الدواب﴾ أي: شر ما يدب على الأرض، فلفظ الدابة محمول على معناه اللغوي أو شر البهائم فهو محمول على معناه العرفي والبهيمة، كل ذات أربع من حيوانات البر والبحر. ﴿عند الله﴾ أي: في حكم قضائه ﴿الصم﴾ الذين لا يسمعون الحق. ﴿البكم﴾ الذين لا ينطقون به. ﴿الذين لا يعقلون﴾ الحق عدهم من البهائم، ثم جعلهم شرها لإبطالهم ما ميزوا به وفضلوا لأجله. وإنما وصفهم بعدم العقل؛ لأن الأصم الأبكم إذا كان له عقل ربما يفهم بعض الأمور ويفهمه غيره بالإشارة ويهتدي بذلك إلى بعض مطالبه، وأما إذا كان فاقداً للعقل أيضاً فهو الغاية في الشرية وسوء الحال. قال السعدي:

بهائم خموشند وكويا بشر   پراكنده كوى از بهائم بتر
بنطق است وعقل آدمي زاده فاش   چوطوطى سخن كوى ونادان مباش

﴿ولو علم الله فيهم خيراً﴾ شيئاً من جنس الخير الذي من جملته صرف قواهم إلى تحري الحق واتباع الهدى. ﴿لأسمعهم﴾ سماع تفهم وتدبر ولوقفوا على حقيقة الرسول وأطاعوه وآمنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيئاً من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم لذلك لخلوه عن الفائدة وخروجه عن الحكمة.

قال ابن الشيخ: عبر عن عدم استقرار الخير فيهم بعدم علم الله تعالى بوجوده فيهم لأن كل ما وقع واستقر يجب أن يعلم الله تعالى بحصوله ووجوده، فعدم علم الله تعالى بوجود الشيء من لوازم عدمه في نفسه فعبر باللازم عن الملزوم فقيل: **﴿لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾** مقام أن يقال لو كان فيهم خيراً لأسمعهم لكونه أبلغ في الدلالة على انعدام الخير فيهم، لأن نفي لازم الشيء نفي لنفس ذلك الشيء ببينة فيكون أبلغ من نفي نفس ذلك الشيء. **﴿ولو أسمعهم﴾** سماع تفهم وهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية. **﴿لتولوا﴾** عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط أو ارتدوا بعد ما صدقوه وصاروا، كأن لم يسمعوه أصلاً. **﴿وهم معرضون﴾** أي: لتولوا على أدبارهم والحال أنهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم لعنادهم، وفيه إشارة إلى أن من قدر له الشقاوة فإنه يتولى عن المتابعة في أثناء السلوك ويعرض عن الله وطلبه ويقبل على الدنيا وزخارفها.

واعلم: أن الإنسان خلق في أحسن تقويم قابلاً للتربية والترقي مستعداً لكمال لا يبلغه الملك المقرب فهو في بدء الخلقة دون الملك وفوق الحيوان فبتربية الشريعة يصير فوق الملك. فيكون خير البرية وبمخالفة الشريعة ومتابعة الهوى يصير دون الحيوان فيكون شر البرية فيؤول حال من يكون خيراً من الملك إلى أن يكون شر الدواب.

فعلى العاقل أن لا يخالف أمر الرسول وشريعته فإن الحيوان يستسلم لأمره فكيف بالإنسان. حكي أنه جاء رجل في بعض أسفاره ﷺ فقال: يا رسول الله إنه كان لي حائط فيه عيشي وعيش عيالي ولي فيه ناضحان والناضخ البعير الذي يستسقى عليه فمنعاني أنفسهما وحائطي وما فيه فلا نقدر أن ندنو منهما فنهض النبي ﷺ وأصحابه حتى أتى الحائط فقال لصاحبه: «افتح» قال أمرهما عظيم قال: «افتح» فلما حرك الباب أتيا ولهما جلبة فلما انفرج الباب نظرا إلى النبي عليه السلام وبركا ثم سجدا، فأخذ رسول الله ﷺ رؤوسهما ثم دفعهما إلى صاحبهما وقال: «استعملهما وأحسن إليهما» فقال القوم تسجد لك البهائم أفلا تأذن لنا في السجود لك فقال ﷺ: «إن السجود ليس إلا للحي القيوم ولو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» وكل ما أمر به النبي عليه السلام أو نهى عنه ففيه حكمة ومصلحة ولست بمأمور بالتفتيش عنها، وإنما يلزم عليك الإطاعة والانقياد فقط. أفترضى لنفسك أن تصدق ابن البيطار فيما ذكره في العقاقير والأحجار فتبادر إلى امتثال ما أمرك به ولا تصدق سيد البشر ﷺ فيما يخبر عنه وتتوانى بحكم الكسل عن الإتيان بما أمر به أو فعل وأنت تحقق أنه عليه السلام مكاشف من العالم بجميع الأسرار والحكم كما أخبر عن نفسه وقال: «فعلمت علم الأولين والآخرين» ولما أخرجك الله من صلب آدم في مقام ألست رددت إلى أسفل السافلين ثم منه دعيت لترتفع بسعيك وكسبك إلى أعلى عليين حيث ما قدر لك على حسب قابليتك ولا يمكنك ذلك إلا بأمرين: أحدهما: بمحبته ﷺ وبأن تؤثر حبه على نفسك وأهلك ومالك. والثاني: بمتابعته ﷺ في جميع ما أمر به ونهى عنه وبذلك تستحكم مناسبتك به وبكمال متابعتك يحصل لك الارتفاع إلى أوج الكمال ومن علامات المحبة حب القرآن وحب تلاوته وإلا كان من المعرضين عن سلوك طريقته ﷺ ومن تمام محبته إيثار الفقر والزهد في الدنيا.

كين جهان جيفه است ومردار ورخيص   بر چنين مردار چون باشم حريص

اللهم اعصمنا من المهالك واجعلنا من السالكين إلى خير المسالك.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول**﴾ أي: أجيبوا الله ورسوله بأن تطيعوهما. ﴿**إذا دعاكم**﴾ أي: الرسول إذ هو المباشر لدعوة الله تعالى ودعاؤه بأمر الله فهو دعاء الله تعالى ولذا وحد الفعل ﴿**لما يحييكم**﴾ اللام بمعنى إلى أي الذي يحييكم وهو أنواع منها العلوم الدينية فإنها حياة القلب والجهل موته. قال:

لا تعجبن الجهول حلته ... فذاك ميت وثوبه كفن

وقال:

جاهلى كان بعلم زنده نشت ... ميتش دان ومسكنش مدفن

از جنازه نشان جمازهٔ او ... جامهاى تنش بجاى كفن

وفي الخبر: إن الله تعالى ليحيي القلب الميت بالعلم كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر والعلوم الدينية الشرعية هي التفسير والحديث والأصول والفقه والفرائض.

علم دين فقهست وتفسير وحديث ... هركه خواند غيرازين كردد خبيث

ومنها العقائد، والأعمال فإنها تورث الحياة الأبدية في النعيم الدائم. ومنها الجهاد فإنه سبب البقاء إذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]. ومنها الشهادة فإن الشهداء أحياء عند ربهم سواء كانوا مقتولين بسيف الكفار أو بسيف الرياضات الشاقة والمجاهدات القوية.

دانهٔ مردن مراشيرين شداست ... بل هم أحياء پى من آمده است

اقتلوني يا ثقاتي لائما ... إن في قتلي حياتي دائما

فالموت هو الفناء عن الكل والحياة هو البقاء بنور الله تعالى. ﴿**واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه**﴾ قال في «القاموس»: كل ما حجز بين شيئين فقد حال بينهما وهو تمثيل لغاية قربه من العبد وهو أقرب إلى قلبه منه لأن ما حال بينك وبين الشيء فهو أقرب إلى الشيء منك وتنبيه على أنه مطلع من مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها.

قال علي رضي الله عنه: اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني أو حث على المبادرة إلى إخلاص القلوب وتصفيتها قبل أن يحول الله بينه وبين القلب بالموت أو غيره من الآفات، كأنه قيل: بادر إلى تكميل النفوس وتصفية القلوب بإجابة الرسول المبعوث من علام الغيوب قبل فوات الفرصة، فإنها قد تفوت بأن يحدث الله أسباباً لا يتمكن العبد معها من تصريف القلب فيما يشاؤه من إصلاح أمره، فيموت غير مستجيب لله ورسوله، ويحتمل أن يكون المراد بالحيلولة تصوير تملكه تعالى قلب العبد وغلبته عليه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ولا يمكنه من إمضائها على حسب إرادته فيحول بينه وبين الكفر إن أراد سعادته وبينه وبين الإيمان إن قضى شقاوته وكان عليه السلام يقول كثيراً: «يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك» ويبدل بالأمن خوفاً وبالذكر نسياناً وما أشبه ذلك من الأمور المعترضة المفوّتة للفرصة

[در كشف الأسرار فرموده كه علما دلرا پايند ولمن كان له قلب أشارت بدانست وعرفادلراكم كنند يحول بين المرء وقلبه عبارت از آنست در بدايت از دل ناچارست ودر نهايت حجاب ديدارست].

زيد پيش همى ديدمش اندر دل خويش دل نيز حجاب بود بر داشت زپيش

فالله تعالى يحول بتجلي صفاته بين المرء وقلبه يعني إذا تجلى الله على قلب المرء يحول بسطوات أنوار جماله وجلاله بين مرآة قلبه وظلمة أوصافه. ﴿وأنه﴾ أي: واعلموا أيضاً أن الله تعالى ﴿إليه﴾ تعالى لا إلى غيره. ﴿تحشرون﴾ تبعثون وتجمعون فيجازيكم على حسب أعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر فسارعوا إلى طاعة الله وطاعة رسوله وبالغوا في الاستجابة لهما.

واعلم: أن الاستجابة لله بالسرائر وللرسول بالظواهر وأيضاً الاستجابة لله إجابة الأرواح للشهود واستجابة القلوب للشواهد وإجابة الأسرار للمشاهدة وإجابة الخفي للفناء في الله والاستجابة للرسول بالمتابعة في الأقوال والأحوال والأفعال. وروي أنه عليه السلام مر على أبي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال عليه السلام: «ما منعك عن إجابتي» قال كنت أصلي «قال ألم تخبر فيما أوحي إلي استجيبوا لله وللرسول».

واختلف العلماء في جواز قطع الصلاة لإجابة الداعي. فقال بعضهم إنه مختص باستجابة رسول الله ﷺ ولا يجوز قطع الصلاة لإجابة غيره لأن قطعها إبطال لها وإبطال العمل حرام. وقال بعضهم: يجوز لكل مصل أن يقطع صلاته لأمر لا يحتمل التأخير كما إذا خاف أن يسقط أحد من سطح أو تحرقه النار أو يغرق في الماء وجب عليه أن يقطع الصلاة وإن كان في الفريضة كذا في «غنية الفتاوى». ويجيب في صلاة النافلة دعاء أمه دون نداء أبيه، أي: يقطع الصلاة ويقول لبيك مثلاً وذلك لأن مشقة الأم وتحملها التعب من الولد أكثر ولذا ورد «الجنة تحت أقدام الأمهات» معناه أن التواضع للأمهات سبب دخول الجنة. وقال بعض المشايخ: الأب يقدم على الأم في الاحترام والأم في الخدمة حتى لو دخلا عليه يقوم للأب وإجابة الدعوة من قبيل الخدمة غالباً.

قال الطحاوي: مصلي النافلة إذا ناداه أحد أبويه إن علم أنه في الصلاة وناداه لا بأس بأن لا يجيبه وإن لم يعلم يجيب وأما مصلي الفريضة إذا دعاه أحد أبويه فلا يجيب ما لم يفرغ من صلاته إلا أن يستغيثه لشيء فإن قطع الصلاة لا يجوز إلا لضرورة وكذا الإفطار في صوم النفل فإنه إذا ألح عليه أحد بالإفطار يجوز قبل الزوال وأما إذا كان بعده فلا يفطر إلا إذا كان في ترك الإفطار عقوق الوالدين أو أحدهما كذا في «شرح التحفة» و«الوقاية». وأما في صوم القضاء فيكره الإفطار مطلقاً كذا في «الزاهدي».

ثم اعلم: أن استجابة الرسول يدخل فيها بطريق الإشارة استجابة الأولياء العلماء الأدباء الأمناء لأنهم الورثة وطريقتهم طريقة النبي عليه السلام ولا بد لمن أراد الوصول إلى الله تعالى من صحبة مرشد كامل عارف بالمقامات والمراتب وقبول ما دعا إليه سواء كان محبوباً له أو لا فإن هذا ليس طريق العقل بل طريق الكشف والإلهام.

كردر سرت هواي وصالست حافظاً بايدكه خاك دركه أهل نظر شوى

وأهل الطريقة ثلاثة: عباد، ومريدون، وعارفون. فطريق العباد: كثرة الأعمال والتجنب

من الزنى والضلال. وطريق المريدين: تخليص الباطن من الشوائب، والنفور عن المشغلات، وطريق العارفين: تخليص القلب لله وبذل الدنيا والآخرة في طلب رضاه اللهم اجعلنا من المستجيبين للدعوة الحقة وأذقنا من حلاوة الأسرار المحققة آمين.

﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾.

قال الحدادي في «تفسيره»: نزلت في عثمان وعلي رضي الله عنهما أخبر الله تعالى النبي ﷺ بالفتنة التي تكون بسببهما أنها ستكون بعدك تلقاها أصحابك تصيب الظالم والمظلوم ولا تكون للظلمة وحدهم خاصة ولكنها عامة فأخبر النبي عليه السلام بذلك أصحابه فكان بعد وفاة النبي ﷺ من الفتن بسبب علي وعثمان رضي الله عنهما ما لا يخفى على أحد انتهى. والمعنى لا تختص إصابتها بمن يباشر الظلم منكم بل تعمه وغيره كإقرار المنكر بين أظهرهم والمداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد. ﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه وفيه تحذير من شدة العقوبة لمن أهاج الفتن وفي الحديث: «الفتنة راتعة في بلاد الله واضعة خطامها فالويل لمن أهاجها» وفي بعض الأخبار «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها». قال السعدي:

ازان همنشين تاتوانى كريز   كه مرفتنهٔ خفته را كفت خيز

قال القرطبي: فإن قيل قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾ [المدثر: ٣٨] ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وهذا يوجب أن لا يؤاخذ أحد بذنب غيره وإنما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب، فالجواب أن الناس إذا تظاهروا بالمنكر فمن الفرض على من رآه أن يغيره فإن سكت عليه فكلهم عاص هذا بفعله وهذا برضاه وقد جعل الله في حكمه وحكمة الراضي بمنزلة العامل فانتظم في العقوبة قاله ابن العربي انتهى.

قال حضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدّس سره في «شرح الأربعين حديثاً» وأحياناً تظهر سلطنة العمل الفاسد فيسري حكمها في حال ذي العمل الصالح فيتضرر بذلك وإن لم يتعد الضرر إلى أعماله، والإشارة إلى ذلك قوله تعالى: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا﴾ الآية. وليس هذا بمخالف للأصل المترجم عنه بقوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ فإن هذا الأثر لا يقع ولا يسري بحكم ما به امتاز الصالح من الطالح بل بموجب ما به يثبت الاتحاد والاشتراك بينهما وقوله: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ لسان غلبته حكم ما به الامتياز وأيضاً ففعل الحق من حيث صدوره من جنابه وحداني كلي شامل لا تخصيص فيه بل التخصيص من القوابل المتأثرة وهذا عام في الشر والخير ففي الشر ما ذكر في قوله تعالى: ﴿واتقوا فتنة﴾ الآية. وفي الخير ما أشار إليه عليه السلام في الحديث المذكور في حق الذين يجتمعون لذكر الله وكون الحق يباهي بهم الملائكة ويقول «أشهدكم أني قد غفرت لهم» وقول بعض الملائكة إن فيهم فلاناً ليس منهم وإنما أتاهم لحاجة فيقول الحق سبحانه وتعالى: «وله قد غفرت هم القوم لا يشقى جليسهم» فهذا أثر عموم الحكم من جهة الحق وكليته وأثر صلاح الحال الفاسد بمجاورة ذي الحال والعمل الصالح والحضور معه فتذكر انتهى كلام القنوي. وفي «المثنوي»:

اى خنك آن مرده كزخودرسته شد   درو جود زندهٔ پيوسته شد
واى آن زنده كه بامرده نست   مرده كشت وزندكى ازوى بجست

حق ذات پاك الله الصمد كه بود به ماربد از يار بد
ماربد جانى ستاند ازسليم يار بد آرد سوى نار مقيم

والإشارة في الآية: ﴿واتقوا﴾ يا أيها الواصلون. ﴿فتنة﴾ يعني: ابتلاء النفوس بشيء من حظوظها الدنيوية والأخروية. ﴿لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ يعني: لا تصيب تلك الفتنة النفوس الظالمة فقط بل تصيب ظلمتها الأرواح النورانية والقلوب الربانية فتجتذبها من حظائر القدس ورياض الأنس إلى حضائض صفات الأنس كما قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢] ﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ فيعاقب الواصلين بالانقطاع والاستدراج عند الالتفات إلى ما سواه كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿واذكروا﴾ أيها المهاجرون ﴿إذ أنتم قليل﴾ أي: وقت كونكم قليلاً في العدد. ﴿مستضعفون﴾ خبر ثان، أي: مقهورون تحت أيدي قريش ﴿في الأرض﴾ أي: أرض مكة. ﴿تخافون﴾ خبر ثالث ﴿أن يتخطفكم الناس﴾ التخطف الأخذ والاستلاب بسرعة وهم كانوا يخافون أن يخرجوا من مكة حذراً من أن يستلبهم كفار قريش ويذهبوا بهم. ﴿فآواكم﴾ أي: جعل لكم مأوى ترجعون إليه وهو المدينة دار الهجرة. ﴿وأيدكم بنصره﴾ على الكفار ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ من الغنائم التي لم تكن حلالاً للأمم السالفة. ﴿لعلكم تشكرون﴾ هذه النعم.

قال الجنيد قدس سره: كنت عند السري وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت أن لا تعصي الله بنعمه فقال يوشك أن يكون حظك من الله لسانك فلا أزال أبكي على هذه الكلمة.

واعلم أن الدولة العثمانية التي هي آخر الدول الإسلامية كانت على الضعف في الأوائل وأهلها قليلون مستضعفون تحت أيدي فارس والروم حتى قوّاهم الله بالعَدَدِ والعُدَدِ ونصرهم على أعدائهم فكانوا يستفتحون من مشارق الأرض ومغاربها ويأوون إلى الأماكن في الأقطار إلى أن آل الأمر إلى ما آل، فكل ذلك نعم جسيمة وستعود هذه الحال إلى ما كانت عليه في الابتداء فإن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وما ذلك إلا بالغرور والكفران وادعاء الاستحقاق من غير برهان قال السعدي قدس سره:

ترا آنكه چشم ودهان داد وكوش اكر عاقلى درخلافش مكوش
مكن كردن ازشكر منعم مپيچ كه روزى پسين سربر آرى بهيچ

ثم اعلم: أن الروح والقلب في بدء الخلقة وتعلقهما بالقالب وكذا صفاتهما مستضعفون من غلبات النفس لإعواز التربية بألبان آداب الطريقة وانعدام جريان أحكام الشريعة عليهم إلى أوان البلوغ والتربية في هذه المدة للنفس وصفاتها لاستحكام القالب لحمل أعباء تكاليف الشريعة وهما أعني الروح والقلب يخافون أن تستلبهم النفس وصفاتها ويغتالهم الشيطان وأعوانه فآواكم إلى حظائر القدس وأيدكم بنصره بالواردات الربانية. ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ أي: من المواهب الطاهرة من لوث الحدوث. ﴿لعلكم تشكرون﴾ فتستحقون المزيد.

شكر نعمت نعمتت افزون كند   كفر نعمت ازكفت بيرون كند

والعمدة قلة الأكل وكثرة الشكر والطاعة. ويقال: أربع في الطعام فريضة: أن لا يأكل إلا من الحلال، وأن يعلم أنه من الله تعالى، وأن يكون راضياً، وأن لا يعصي الله ما دامت قوة ذلك الطعام فيه.

وأربع سنّة: أن يسمي الله في الابتداء، وأن يحمد الله في الانتهاء، وأن يغسل يديه قبل الطعام وبعده، وأن يثني رجله اليسرى وينصب اليمنى على الجلوس.

وأربع آداب: أن يأكل مما يليه، وأن يصغر اللقمة، وأن يمضغها مضغاً ناعماً، وأن لا ينظر إلى لقمة غيره.

واثنان دواء، أن يأكل ما سقط من المائدة، وأن يلعق القصعة.

واثنان مكروهان: أن يشم الطعام، وأن ينفخ فيه ولا يأكل حاراً حتى يبرد فإن اللذة في الحار والبركة في البارد.

فعلى العاقل الساعي في طلب مرضاة الله تعالى تحصيل القوت الحلال وكثرة شكر المنعم المفضال ولله على العبد نعم ظاهرة وباطنة وألطاف جليلة وخفية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول﴾ أصل الخون: النقص، كما أن أصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الأمانة لتضمنه إياه فإنك إذا خنت الرجل فقد أدخلت عليه النقصان. روي أنه عليه السلام حاصر بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرعات وأريحا من الشام فأبى إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر، وكان مناصحاً لهم لأن عياله وماله كانت في أيديهم فبعثه إليهم فقالوا: ما ترى هل ننزل على حكم سعد فأشار إلى حلقه بالذبح، أي: إن حكم سعد فيكم أن تقتلوا صبراً، فلا تنزلوا على حكمه يقال فلان مقتول صبراً إذا صار محبوساً على القتل حتى يقتل قال أبو لبابة فما زالت قدماي من مكانهما حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله وذلك لأنه عليه السلام أراد منهم أن ينزلوا على حكم سعد ويرضوا بما حكم فيهم وهو صرفهم عنه فنزلت هذه الآية فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله عليّ فمكث سبعة أيام حتى خر مغشياً عليه ثم تاب الله عليه، فقيل له: قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني فجاءه عليه السلام فحله فقال: إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي فقال عليه السلام: «يجزئك الثلث أن تتصدق به» ﴿وتخونوا أماناتكم﴾ فيما بينكم، أي: لا تخونوها فهو مجزوم معطوف على الأول. ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنكم تخونون، يعني: أن الخيانة توجد منكم عن عمد لا عن سهو ولما نهى عن الخيانة نبه على أن الداعي إليها إنما هو حب المال والأولاد ألا يرى أن أبا لبابة إنما حمله على ما فعل ماله وأهله وولده الذين كانوا في بني قريظة؛ لأنه إنما ناصحهم لأجلهم وخان المسلمين بسببهم، فقال:

﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ الفتنة قد تطلق على الآفة والبلاء وقد تطلق على الابتلاء والامتحان، فالمعنى على الأول إنما أموالكم وأولادكم أسباب مؤدية إلى الوقوع في الآفة التي هي ارتكاب المعصية في الدنيا والوقوع في عقاب الآخرة، وعلى الثاني: إنها أسباب لوقوع العبد في محن الله تعالى واختباراته حيث يظهر من اتبع الهوى ممن آثر رضى المولى. ﴿وأن الله عنده أجر عظيم﴾ لمن آثر رضى الله وراعى حدوده فيهم فأنيطوا، أي: علقوا هممكم بما يؤديكم إليه ولا يحملنكم حبهما على الخيانة [احمد انطاكى فرموده كه حق سبحانه وتعالى مال وفرزندانرا فتنه كفت تا ازفتنه بيكسو رويم وما پيوسته بخلاف حكم خداوند آن فتنه را زيادت ميخواهيم].

جوان وپيركه دربند مال وفرزندند ... نه عاقلندكه طفلان ناخرد مندند

قال بعض السلف: كل ما شغلك عن الله سبحانه من مال وولد فهو مشؤوم عليك، وأما ما كان من الدنيا يقرب من الله ويعين على عبادته فهو المحمود بكل لسان المحبوب لكل إنسان. قال في «المثنوي»:

چيست دنيا از خدا غافل بدن ... نى قماش ونقره وميزان وزن
مال راكز بهر دين باشى حمول ... نعم مال صالح خواندش رسول
آب دركشتى هلاك كشتى است ... آب اندر زير كشتى پشتى است
چونكه مال وملك را ازدل براند ... زان سليمان خويش جز مسكين نخواند

وفي الحديث: «إن العبد إذا قال لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله من عصى ربه» فعلى العاقل أن لا يشتغل بسبب الدنيا ولعنها بل يلوم نفسه ولعنها في حب الدنيا.

قال أبو يزيد قدس سره: جمعت فكري وأحضرت ضميري ومثلت نفسي واقفاً بين يدي ربي فقال لي يا أبا يزيد بأي شيء جئتني قلت يا رب بالزهد في الدنيا. قال: يا أبا يزيد إنما كان مقدار الدنيا عندي مثل جناح بعوضة ففيم زهدت منها فقلت إلهي وسيدي أستغفرك من هذه الحالة جئت بالتوكل عليك قال: يا أبا يزيد ألم أكن ثقة فيما ضمنت لك حتى توكلت عليّ قلت إلهي وسيدي أستغفرك من هاتين الحالتين جئتك بالافتقار إليك فقال عند ذلك قبلناك فهذه حال العارفين بالله تعالى وفوا عهودهم في طلبه فجعلهم الله أمناء لأسراره.

واعلم: أن الخيانة على أنواع فالفرائض والسنن أعمال ائتمن الله تعالى عليها عباده ليحافظوا على أدائها في أوقاتها برعاية حدودها وحقوقها فمن ضيعها فقد خان الله تعالى فيها. والوجود وما يتبعه من الأعضاء والقوى أمانات والأهل والأولاد والأموال أمانات والإماء والعبيد وسائر الخدم أمانات والسلطنة والوزارة والإمارة والقضاء والفتوى وما يلحقها أمانات وفي الحديث: «من قلد إنساناً عملاً وفي رعيته من هو أولى منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين». قال السعدي قدس سره:

كسى راكه باخواجهٔ تست جنك ... بد ستش چرا ميدهى چوب وسنك
سك آخر كه باشدكه خوانش نهند ... بفرماى تا استخوانش دهند

وفي الحديث: «أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فإذا خان خرجت من بينهما وجاء الشيطان» ففي كل ذلك يلزم العبد أن يكون أميناً غير خائن وإلا فقد تعرض لسخط الله تعالى ونعوذ بالله منه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما كلب أمين خير من صاحب خائن.

وكان للحارث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم وكان شديد المحبة لهم، فخرج في بعض منتزهاته ومعه ندماؤه فتخلف منهم واحد فدخل على زوجته فأكلا وشربا ثم اضطجعا فوثب الكلب عليهما فلما رجع الحارث إلى منزله وجدهما قتيلين فعرف الأمر فأنشد يقول:

وما زال يرعى ذمتي ويحوطني ويحفظ عرسي والخليل يخون

فيا عجباً للخل تحليل حرمتي ويا عجباً للكلب كيف يصون

والإشارة في الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي: يا أيها الأرواح والقلوب المنورة بنور الإيمان المستعدة بسعادات العرفان. ﴿لا تخونوا الله﴾ فيما آتاكم من المواهب فتجعلوها شبكة الدنيا واصطياد أهلها. ﴿والرسول﴾ بترك السنة والقيام بالبدعة. ﴿وتخونوا أماناتكم﴾ فالأمانة هي محبة الله وخيانتها تبديلها بمحبة المخلوقات يشير إلى أن أرباب القلوب وأصحاب السلوك إذا بلغوا إلى أعلى مراتب الطاعات والقربات، ثم التفتوا إلى شيء من الدنيا وزينتها وخانوا الله بنوع من التصنع وخانوا الرسول بالتبدع وترك التتبع بتعدي الخيانة وآفاتها إلى الأمانة التي هي المحبة فتسلب منهم بالتدريج فيكون لهم ركونهم إلى الدنيا وسكونهم إلى جمع الأموال حرصاً على الأولاد. ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنكم تبيعون الدين بالدنيا والمولى بالأولى. ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم﴾ التي تعرضون عن الله لها ﴿فتنة﴾ يختبركم الله بها لكي يتميز الموافق من المنافق والصديق من الزنديق فمن أعرض عن الدنيا وما فيها صدق في طلب المولى ﴿وأن الله عنده أجر عظيم﴾ فمن ترك ما عنده في طلب ما عند الله يجده عنده أو أن الله عنده أجر عظيم والعظيم هو الله في الحقيقة فيجد الله تعالى كذا في «التأويلات النجمية»:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله﴾ أي: في كل ما تأتون وتذرون. ﴿يجعل لكم﴾ بسبب ذلك ﴿فرقاناً﴾ هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل أو نصراً يفرق بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾ [الأنفال: ٤١] وأراد به يوم عز المؤمنين وخذلان الكافرين. ﴿ويكفر عنكم سيئاتكم﴾ أي: يسترها والفرق بين السيئة والخطيئة أن السيئة قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لأنها من الخطأ. ﴿ويغفر لكم﴾ ذنوبكم بالعفو والتجاوز عنها. ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ أي: عظيم الفضل على عباده وهو تعليل لما قبله وتنبيه على أن وعد الله لهم على التقوى تفضل وإحسان لا أنه مما توجب التقوى كما إذا وعد السيد عبده إنعاماً على عمل.

وفي الآية أمور:

الأول: التقوى وهو في مرتبة الشريعة ما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦] وفي مرتبة الحقيقة ما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

[متقى آنست كه حق سبحانه وتعالى را وقايهٔ خود كرفته باشد در ذات وصفات وأفعال فعل أو در أفعال حق فانى شاه باشد وصفت اودر صفات حق مستهلك كشته]

كم شده چون سايه نور آفتاب يا چو بوى كل در اجزاى كلاب

قال ابن المبارك: سألت الثوري من الناس؟ فقال العلماء، قلت: من الأشراف؟ قال: المتقون، قلت من الملوك؟ قال: الزهاد: قلت: من الغوغاء؟ قال القصاص، الذين يستأكلون أموال الناس بالكلام قلت من السفلة قال الظلمة.

الثاني: أن التقوى أسندت إلى المخاطبين وجعل الفرقان إلى الله تعالى فالله تعالى إذا أراد بالعبد خيراً اصطفاه لنفسه وجعل في قلبه سراجاً من نور قدسه يفرق به بين الحق والباطل والوجود والعدم والحدوث والقدم ويتبصر به عيوب نفسه كما حكي عن أحمد بن عبد الله المقدسي قال صحبت إبراهيم بن أدهم فسألته عن بداية أمره وما كان سبب انتقاله من الملك الفاني إلى الملك الباقي فقال لي يا أخي كنت جالساً يوماً في أعلى قصر ملكي والخواص قيام على رأسي فأشرفت من الطاق فرأيت رجلاً من الفقراء جالساً بفناء القصر وبيده رغيف يابس فبله بالماء وأكله بالملح الجريش وأنا أنظر إليه إلى أن فرغ من أكله ثم شرب شيئاً من الماء وحمد الله تعالى وأثنى عليه ونام في فناء القصر فألهمني الله سبحانه وتعالى الفكر فيه فقلت لبعض مماليكي إذا قام ذلك الفقير فائتني به فلما استيقظ من نومه قال له الغلام يا فقير إن صاحب هذا القصر يريد أن يكلمك قال بسم الله وبالله وتوكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقام معه ودخل علي فلما نظر إليّ سلم عليّ فرددت عليه السلام وأمرته بالجلوس فجلس فلما اطمأن قلت له يا فقير أكلت الرغيف وأنت جائع فشبعت قال نعم قلت وشربت الماء على شهوة فرويت قال نعم قلت ثم نمت طيباً بلا هم وغم فاسترحت قال نعم فقلت في نفسي وأنا أعاتبها يا نفس ما أصنع بالدنيا والنفس تقنع بما رأيت وسمعت فعقدت التوبة مع الله تعالى فلما انصرم النهار وأقبل الليل لبست مسحاً من صوف وقلنسوة من صوف وخرجت حافياً سائحاً إلى الله تعالى وهذه إحدى الروايتين في بداية أمره.

والثالث: أن المغفرة فضل عظيم من الله تعالى فلا بد للمرء من حسن الظن بالله تعالى فإنها ليست بمقطوعة.

قيل: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: «إني أعلمك خمس كلمات هن عماد الدين ما لم تعلم أن قد زال ملكي فلا تترك طاعتي».

همه تحت وملكى پذيرد زوال بجز ملك فرمانده لا يزال

«وما لم تعلم أن خزائني قد نفدت فلا تهتم برزقك».

در دائرهٔ قسمت ما نقطهٔ تسليم لطف آنچه تو انديشى وحكم آنچه توفرمايى

«وما لم تعلم أن عدوك قد مات يعني إبليس فلا تأمن مفاجأته ولا تدع محاربته».

كچاسر بر آريم ازين عارونتك كه با او بصلحيم وباحق بجنك

«وما لم تعلم أني قد غفرت لك فلا تعب المذنبين».

مكن بنامه سياهى ملامت من مست كه آكه است كه تقدير برسرش چه نوشت

«وما لم تدخل جنتي فلا تأمن مكري».

زاهد ايمن مشو از بازىء غيرت زنهار كه ره از صومعه تادير مغان اين همه نيست

فعلى العاقل أن يجتهد إلى آخر العمر كي يكفر الله عنه سيئات وجوده الفاني ويستره بأنوار جماله وجلاله والله ذو الفضل العظيم لمن تجاوز عما عنده راغباً فيما عند الله والفضل العظيم هو البقاء بالله بعد الفناء فيه كما في «التأويلات النجمية».

﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ تذكير لمكر قريش حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم.

قال ابن إسحاق لما رأوا أن رسول الله ﷺ قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا سعة فحذروا خروج رسول الله ﷺ وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم فاجتمعوا له في الدار الندوة وهي الدار التي بناها قصيّ بن كلاب بمكة وكانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها وسميت دار الندوة لأنهم ينتدون فيها أي يجتمعون للمشاورة والنديّ والندوة والنادي مجلس القوم ومتحدثهم فإن تفرق القوم عنه لا يسمى ندياً كما لا يسمى الظرف كأساً إذا لم يكن فيه شراب فتشاوروا في أمر النبي عليه السلام منهم عتبة وشيبة ابنا أبي ربيعة وأبو جهل وأبو سفيان والنضر بن الحارث وأبو البختري بن هشام وأبي بن خلف وزمعة بن الأسود وغيرهم من الرؤساء والأكابر فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ كبير عليه ثياب اطمار فجلس بينهم فقالوا ما لك يا شيخ دخلت في حلوتنا بغير إذننا فقال أنا رجل من أهل نجد قدمت مكة فأراكم حسنة وجوهكم طيبة روائحكم فأحببت أن أسمع حديثكم فأقتبس منكم خيراً فدخلت وإن كرهتم مجلسي خرجت وما جئتكم إلا أني سمعت باجتماعكم فاردت أن أحضر معكم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقالوا هذا رجل لا بأس عليكم منه فتكلموا فيما بينهم فبدأ عمرو بن هشام فقال أما أنا فأرى أن تأخذوا محمداً فتجعلوه في بيت تسدون عليه بابه وتشدون عليه وثاقه وتجعلون له كوة تدخلون عليه طعامه وشرابه فيكون محبوساً عندكم إلى أن يموت فقال إبليس بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقالوا صدق والله الشيخ ثم تكلم أبو البختري فقال أرى أن تحملوه على بعير فتشدوا وثاقه عليه، ثم تخرجوه من أرضكم حتى يموت أو يذهب حيث شاء فقال إبليس بئس الرأي تعمدون إلى رجل افسد جماعتكم ومعه منكم طائفة فتخرجوه إلى غيركم فيأتيهم فيفسد منهم أيضاً جماعة بما يرون من حلاوة كلامه وطلاقة لسانه وتجتمع إليه العرب وتستمع إلى حسن حديثه ثم ليأتينكم بهم فيخرجكم من دياركم. ويقتل أشرافكم فقالوا صدق والله الشيخ فتكلم أبو جهل فقال: أرى أن يجتمع من كل بطن منكم رجل، ويأخذون السيوف فيضربونه جميعاً ضربة رجل واحد فيفرق دمه في القبائل فلا يدري قومه من يأخذونه ولا يقومون على حرب قريش كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال إبليس صدق والله هذا الشاب وهو أجودكم رأياً القول قوله لا أرى غيره فتفرقوا على رأيه فنزل جبرائيل عليه السلام، فأخبر النبي بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه. وأمره بالهجرة إلى المدينة فبيت علياً رضي الله عنه على مضجعه وخرج هو مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى الغار. والمكر حيلة وتدبير في إهلاك أحد وإفساد أمره بطريق الخفية بحيث لا يعلم المرء ذلك إلا عند وقوعه. والمعنى اذكر يا محمد وقت مكرهم بك. ﴿ليثبتوك﴾ بالوثاق والحبس فإن إثبات الشيء وتثبيته عبارة عن الزامه بموضع ومن شد فقد أثبت لأنه لا يقدر على الحركة والمراد ما قال عمرو بن هشام. ﴿أو يقتلوك﴾ أي بسيوفهم المختلفة وهو ما قال أبو جهل ﴿أو

يخرجوك﴾ أي: من مكة من بين اظهرهم إلى غيرهم وهو ما قال أبو البختري. **﴿ويمكرون ويمكر الله﴾** أي: يرد مكرهم عليهم والمكر وأمثاله لا يسند إليه تعالى إلا على طريق المقابلة والمشاكلة ولا يحسن ابتداء لتضمنه معنى الحيلة والخدعة وهي لا تليق بعظمة الله تعالى. **﴿والله خير الماكرين﴾** لا يعبأ بمكرهم عند مكره.

قال الحدادي: لأنه لا يمكر إلا بحق وصواب ومكرهم باطل وظلم.

واعلم أن للخلق مكراً وللحق مكراً فمكر الخلق من الحيلة والعجز ومكر الخالق من الحكمة والقدرة فمكر الخلق مع مكر الحق باطل زاهق ومكر الحق حق ثابت: قال الحافظ:

سحر بامعجزه پهلو نزند ايمن باش   سامرى كيست دست از يد بيضا ببرد

وقال آخر:

صعوه كو با عقاب سازد جنك   دهد ازخون خود پرش را رنك

قال أبو العيناء كانت لي خصماء ظلمة فشكوتهم إلى أحمد بن أبي دؤاد وقلت قد تظاهروا فصاروا يداً واحدة فقال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] فقلت لهم مكر فقال: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣] فقلت هم كثير فقال: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

هر كرا اقبال باشد رهنمون   دشمنش كردد بزودى سرنكون

وجد في وقائع الاسكندر مكتوباً بالذهب إذا كان الله هو غاية الغايات فالمعرفة به أجل العبادات. وإذا كان الموت حقاً فالركون إلى الدنيا غرور. وإذا كان القدر حقاً فالحرص على الدنيا باطل. وإذا كان الغدر في النفوس طبعاً فالثقة بكل أحد عجز. وإذا كان الله عدلاً في أحكامه فعقوبات الخلق بما كسبت أيديهم. ولما قصد أبو جهل اضرار النبي عليه السلام بالقتل قتله الله في بدر وأزال شره عن المسلمين وذلك عدل محض منه تعالى فانظر إلى قريش حيث شاهدوا الآيات العظام من جهة النبي عليه السلام فما زادوا إلا كفراً وعناداً وعداوة فهم أشد الناس في ذلك. ولو رأى اليوم واحد من الكفرة كرامة لولي أمسك عن الأذى بل سارع إلى التبجيل كما حكي أن بعض سلاطين الكفار استولى على بعض المسلمين بسفك دمائهم ونهب أموالهم وأراد أن يقتل فقراء بعض المشايخ فاجتمع به الشيخ ونهاه عن ذلك فقال لهم السلطان إن كنتم على الحق فأظهروا لي آية فأشار الشيخ إلى بعر الجمال هناك فإذا هي جواهر تضيء وأشار إلى كيزان الأرض فارغة عن الماء فتعلقت في الهواء وامتلأت ماء وأفواهها منكسة إلى الأرض ولا يقطر منها قطرة فدهش السلطان من ذلك فقال له بعض جلسائه لا يكبر هذا في عينك فإنه سحر فقال له السلطان أرني غير هذا فأمر الشيخ بالنار، وأمر الفقراء بالسماع فلما عمل فيهم الوجد دخل بهم الشيخ إلى النار وكانت ناراً عظيمة ثم خطف الشيخ ولد السلطان ودار به في النار ثم غاب به ولم يدر أين ذهبا. والسلطان حاضر فبقي متفجعاً على ولده فلما كان بعد ساعة ظهراً وفي إحدى يدي ابن السلطان تفاحة وفي الأخرى رمانة فقال له السلطان: أين كنت فقال كنت في بستان فأخذت منه هاتين الحبتين وخرجت فتحير السلطان من ذلك فقال له جلساء السوء وهذا عمل بصنعة باطلة فقال السلطان عند ذلك كل ما تظهره لا أصدق به حتى تشرب من هذه الكأس وأخرج له كأساً مملوءة سماً تقتل القطرة منه في الحال فأمر الشيخ بالسماع حتى وصل إليه الحال فأخذ الكأس حينئذ وشرب جميع ما فيها فتمزقت ثيابه التي عليه

فألقوا إليه ثياباً أخرى فتمزقت كذلك ثم أخرى مراراً عديدة ثم ترشح عرقاً وبقيت الثياب بعد ذلك ولم تتقطع فأعتقه السلطان وعظمه وبجله ورجع عن ذلك القتل والإفساد ولعله اسلم والله أعلم. ﴿وإذا تتلى﴾. روي أن النضر بن الحارث من بني عبد الدار كان يختلف تاجراً إلى فارس والروم والحيرة فيسمع أخبار رستم واسفنديار وأحاديث العجم واشترى أحاديث كليلة ودمنة وكان يمر باليهود والنصارى فيراهم يقرأون التوراة والإنجيل ويركعون ويسجدون فجاء مكة فوجد رسول الله ﷺ يصلي ويقرأ القرآن فطفق يقعد مع المستهزئين وهو منهم ويقرأ عليهم أساطير الأولين أي ما سطروه في كتبهم من أخبار الأمم الماضية وأسمائهم وكان يزعم أنها مثل ما يذكره رسول الله ﷺ من قصص الأولين فقال تعالى: ﴿وإذا تتلى﴾ ﴿عليهم﴾ أي على النضر ومتابعيه. ﴿آياتنا﴾ القرآنية ﴿قالوا قد سمعنا﴾ هذا الكلام. ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ وهذا كما ترى غاية المكابرة ونهاية العناد وكيف لا ولو استطاعوا شيئاً من ذلك فما الذي كان يمنعهم من المشيئة وقد تحدّاهم عشر سنين فما استطاعوا معارضته مع فرط استنكافهم أن يغلبوا خصوصاً في باب ما يتعلق بالفصاحة والبيان فما تحقق إفحامهم دعتهم شدة المكابرة والعناد إلى أن علقوا معارضته بمشيئتهم. ﴿إن﴾ ما ﴿هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي: ما سطره الأولون من القصص جمع أسطورة وهي المسطورة المكتوبة.

وفي «التأويلات النجمية»: قالوا قد سمعنا وما سمعوا على الحقيقة فإنها قرآن يهدي إلى الرشد كما سمعت الجن وأنهم سمعوا أساطير الأولين ولهذا قالوا ما قالوا فإنهم يقدرون على أن يقولوا أساطير الأولين ولكن لا يقدرون على أن يقولوا مثل القرآن لأن القرآن كلام الله وصفته القديمة وما يقولون هو كلام المحدث المخلوق فلا يكون مثل القرآن في الصورة والمعنى والحقيقة والأسرار والأنوار ولا يقدر على مثله الخلائق كلهم كما قال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]: وفي «المثنوي»:

چون كتاب اللّه برآمد هم بران — اين چنين طعنه زدند آن كافران
كه اساطير است وافسانه نژند — نيست تعميقى وتحقيقى بلند
كو دكان خرد فهمش ميكند — نيست جز امر پسند وناپسند
ذكر يوسف ذكر زلف پرخمش — ذكر يعقوب وزليخا وغمش
ظاهرّ است وهركسى پى ميبرد — كوبيان كه كم شود در روى خرد
كفت اكر آسان نمايد اين بتو — اينچنين يك سوره كو اى سخت رو
جنيان وانسيان وأهل كار — تو يكى آيت ازين آسان بيار

﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وإذ قالوا﴾ أي واذكر وقت قول النضر ومتابعيه ـ روي أنه لما قال ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ قال النبي ﷺ ويلك إنه كلام الله تعالى فقال: ﴿اللهم﴾ [بار خدايا] ﴿إن كان هذا﴾ القرآن ﴿هو﴾ ضمير فصل لا محل له من الإعراب ﴿الحق﴾ المنزل ﴿من عندك﴾ ومعنى الحق

بالفارسية [راست ودرست] ﴿فأمطر علينا حجارة﴾ نازلة ﴿من السماء﴾ عقوبة علينا كما أمطرتها على قوم لوط وأصحاب الفيل ﴿أو ائتنا بعذاب أليم﴾ سواه مما عذب به الأمم والمراد به التهكم وإظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلاً وحاشاه.

قيل: نزل في النضر بن الحارث بضع عشرة آية فحاق به ما سأل من العذاب يوم بدر فإنه عليه السلام قتل يوم بدر ثلاثة من قريش صبراً، وهم: طعيمة بن عدي، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث وكان قد أسره المقداد بن الأسود فانظر أنه من غاية ضلالته وجهالته قال ما قال ولم يقل بدلاً عنه: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه ومتعنا به واجعله شفاء قلوبنا ونور به صدورنا وأمثال هذا فكيف بمن يكون هذا حاله أن يكون مثل القرآن مقاله.

﴿وما كان الله﴾ مريداً ﴿ليعذبهم وأنت فيهم﴾ لأن العذاب إذا نزل عمّ ولم يعذب أمة إلا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها وفيه تعظيم للنبي عليه السلام وحفظ لحرمته، وقد أرسله الله تعالى رحمة للعالمين والرحمة والعذاب ضدان والضدان لا يجتمعان قيل إن الرسول عليه السلام هو الأمان الأعظم ما عاش ودامت سنّته باقية، والآية دليل على شرفه عليه السلام واحترامه عند الله حيث جعله سبباً لأمان العباد وعدم نزول العذاب وفي ذلك إيماء إلى أن الله تعالى يرفع عذاب قوم لاقترانهم بأهل الصلاح والتقى.

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره: جميع الانتظام بوجوده الشريف فإنه مظهر الذات وطلسم العوالم حتى قيل في وجه عدم ارتحال جسده الشريف من الدنيا مع أن عيسى عليه السلام قد عرج إلى السماء بجسده أنه إنما بقي جسمه الطاهر هنا لإصلاح عالم الأجساد وانتظامه. قال الشيخ العطار قدس سره:

خويشتن را خواجهٔ عرصات كفت   إنــمــا أنــا رحــمــة مــهــداة كــفــت

رزقنا الله شفاعته ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ المراد استغفار من بقي فيهم من المؤمنين المستضعفين الذين لا يستطيعون المهاجرة عنهم.

وقيل: معناه وفي أصلابهم من يستغفر وقيل معناه وفيهم من يؤول أمره إلى الاستغفار من الكفر.

قال أمير المؤمنين علي المرتضى رضي الله عنه: كان في الأرض أمانان فرفع أحدهما وبقي الآخر. فأما الذي رفع فهو رسول الله. أما الذي بقي فالاستغفار وقرأ بعده هذه الآية.

وفي «نفائس المجالس»: المؤمن الصادق في إيمانه لا يعذبه الله في الآخرة لأن نبيه يكون فيهم يوم القيامة وأقسم الله سبحانه أن لا يعذب أمته ما دام هو بينهم والصدق في التوبة يؤدي إلى النجاة وهو الندم مع الإقلاع لا باللسان فقط واستغفار العوام من الذنوب واستغفار الخواص من رؤية الأعمال دون رؤية المنة والفضل واستغفار الأكابر من رؤية شيء سوى الله.

كفت حق كآمرزش ازمن مى طلب   كــان طــلــب مــر عــفــورا بــاشــد سبب

ازپــى زهــر كــنــاه ار بــشــنــوى   هــســت اســتــغــفــار تــريــاق قــوى

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً

وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿وما لهم أن لا يعذبهم الله﴾ أي: أي شيء حصل لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لاحظّ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة بعد زوال المانع والموجب لإمهالهم هما الأمران المذكوران وكيف لا يعذبون ﴿وهم﴾ أي: والحال إنهم ﴿يصدون﴾ يمنعون الرسول والمؤمنين. ﴿عن المسجد الحرام﴾ أي: عن طواف الكعبة شرفها الله كما وقع عام الحديبية ومن صدهم عنه ألجأ رسول الله ﷺ إلى الهجرة وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء فرد الله عليهم بقوله: ﴿وما كانوا أولياءه﴾ أي: مستحقين ولاية أمر المسجد الحرام مع شركهم. ﴿إن أولياؤه إلا المتقون﴾ من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره. ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن لا ولاية لهم عليه، وفيه إشعار بأن منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل أريد بأكثرهم كلهم كما يراد بالقلة العدم.

وفي «التأويلات»: ﴿إن أولياؤه إلا المتقون﴾ فيه إشارة إلى أن الولي هو المتقي بالله عما سواه ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أي: ولكن الأكثرين من الأولياء لا يعلمون أنهم أهل الولاية وبه يشير إلى أن بعض الأولياء يجوز أن يعلم أنه ولي ولكن الأكثرين من الأولياء لا يعلمون أنهم أولياء الله.

﴿وما كان صلاتهم﴾ أي دعاء المشركين ﴿عند البيت﴾ أي بيت الله وهو الكعبة ﴿إلا مكاء﴾ صفيراً من مكا يمكو مكواً ومكاء إذا صفر.

وقال الحدادي: المكاء طائر أبيض يكون في الحجاز يصفر فسمي تصويته باسمه ﴿وتصدية﴾ تصفيقاً وهو تصويت اليدين إحداهما على الأخرى وأصلها إحداث الصدى وهو ما يسمع من رجع الصوت في الأمكنة الخالية الصلبة يقال صدى يصدى تصدية وكان تقرب المشركين إلى الله بالصفير والتصفيق يفعلونهما عند البيت مكان الدعاء والتسبيح ويعدونهما نوعاً من العبادة والدعاء لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال كانت قريش يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون فمساق الآية لتقرير استحقاقهم العذاب وعدم ولايتهم المسجد فإنها لا تليق بمن هذه صلاته.

وقال مقاتل: كان النبي عليه السلام إذا صلى في المسجد قام رجلان من بني عبد الدار عن يمينه ورجلان عن يساره فيصفرون كما يصفر المكاء ويصفقون بأيديهم ليخلطوا على النبي عليه السلام صلاته وقراءته وكانوا يفعلون كذلك بصلاة من آمن به ويريدون أنهم يصلون أيضاً فالمراد بالصلاة على هذا التقدير هي المأمور بها ﴿فذوقوا العذاب﴾ أي عذاب القتل والأسر يوم بدر ويقال أراد بهذا أنه يقال لهم يوم القيامة فذوقوا العذاب. ﴿بما كنتم تكفرون﴾ اعتقاداً وعملاً فالكفر والمعصية سبب للوقوع في العذاب والتوبة والاستغفار وسيلة إلى فيض الرحمة من الوهاب وهي صابون الأوزار فحيث لا توبة ولا طهارة كان كل مسلم لا يصلح لأن يلي أمر مسجد القلب وإنما يليق بولايته من كان فارغاً من الشواغل معرضاً عن العلائق طاهراً من

العيوب والله تعالى لا يعذب أولياءه بعد إدخالهم جنات التجليات العالية والأذواق والحالات المتوالية فإنهم تخلصوا من الوجود المضاف إلى النار المشابه للحطب وما بقي فيهم غير النور الإلهي المضيء في بيت القلب الحقاني وإنما يعذب بعدله من لم يستعد للرحمة أو من خلط عملاً صالحاً بآخر سيئاً ليخلصه من ذلك اللوث فالاقتداء بالنبي عليه السلام قبول ما جاء به من الأحكام والشرائع مؤد إلى الخلاص وسبب للتصفية فعليك بالاختيار والاجتناب فإنهما فرضان وحقيقة التقوى عبارة عن كليهما وبالاحتماء يصح المريض ومعالجة القلوب المرضى أولى من كل أمر وأهمّ من كل شيء للعبد العاقل وذلك بالتقوى وإحياء سنة خير الورى وفي الحديث: «من أحيا سنتي فقد أحياني ومن أحياني فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة يوم القيامة» وفي الحديث أيضاً: «من حفظ سنتي أكرمه الله بأربع خصال: المحبة في قلوب البررة، والهيبة في قلوب الفجرة، والسعة في الرزق والثقة بالدين» فإن فاتت صحبة الرسول فقد تيسرت صحبة سنته، وصحبة من أحب سنته وذلك ماضٍ إلى يوم القيامة ولصحبة الكبار واقتران المتقين تأثير عظيم ولاستماع كلام الحق والرسول نفعٌ تام ولكن العمدة توفيق الله وهدايته، نسأل الله تعالى أن يصحح أغراضنا ويكثر صالحات أعمالنا وأعواضنا ويؤيدنا بنور الكتاب والسنة ويشرفنا بالمقامات العالية في الجنة.

﴿إن الذين كفروا﴾ نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلاً من أشراف قريش يطعم كل واحد منهم عسكر الكفار كل يوم عشر جزر، وهو جمع جزور وهو البعير ذكراً كان أو أنثى إلا أن لفظه مؤنث تقول هذه الجزور وإن أردت ذكراً. **﴿ينفقون أموالهم﴾** على عداوة الرسول ﷺ. **﴿ليصدوا﴾** أي يمنعوا الناس **﴿عن سبيل الله﴾** أي: دين الله وأتباع رسوله لأنه طريق ثوابه والخلود في جنته لمن سلكه على ما أمر به واللام في ليصدوا لام الصيرورة وهي لام العاقبة والمآل. **﴿فسينفقونها﴾** بتمامها ولعل الأول إخبار عن إنفاقهم وهو إنفاق بدر والثاني إخبار عن إنفاقهم فيما يستقبل وهو إنفاق أحد، ويحتمل أن يراد بهما واحد بأن يكون ينفقون للاستمرار التجددي، ويكون السين في قوله. **﴿فسينفقونها﴾** للتأكيد لا للتسويف فيتحد الإنفاقان إلا أن مساق الأول لبيان غرضهم من الإنفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته. **﴿ثم تكون﴾** تلك الأموال **﴿عليهم حسرة﴾** ندماً وغماً لفواتها من غير حصول المقصود، ولما كانت عاقبة إنفاقها حسرة في قلوبهم جعلت ذوات الأموال كأنها عين الحسرة للمبالغة.

قال الحدادي: والحسرة مأخوذة من الكشف يقال حسر رأسه إذا كشفه والحاسر كاشف الرأس فيكون المعنى ثم يكشف لهم عن ذلك ما يكون حسرة عليهم **﴿ثم يغلبون﴾** آخر الأمر وإن كانت الحرب بينهم سجالاً قبل ذلك. **﴿والذين كفروا﴾** وأصروا على الكفر **﴿إلى جهنم يحشرون﴾** أي يساقون لا إلى غيرها.

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿ليميز الله﴾ اللام متعلقة بيحشرون أو يغلبون والميز بالفارسية [جدا كردن]. **﴿الخبيث﴾** فريق الكفار **﴿من الطيب﴾** فريق المؤمنين **﴿ويجعل﴾** الفريق **﴿الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً﴾** أي يجمعهم ويضم بعضهم إلى بعض حتى يتراكموا ويتزاحموا فالركم ليس

عبارة عن الجمع مطلقاً بل هو الجمع بين أشياء بحيث يتراكب بعضها فوق بعض ومنه السحاب المركوم ﴿**فيجعله في جهنم**﴾ كله ﴿**أولئك**﴾ الفريق الخبيث ﴿**هم الخاسرون**﴾ الكاملون في الخسران لأنهم خسروا أموالهم وأنفسهم.

والإشارة: أن الله تعالى خلق الروح نورانياً علوياً وخلق النفس ظلمانية سفلية ثم أشرك بينهما وجعل رأس مالهما الاستعداد الفطري القابل للترقي، والكمال في القربة والمعرفة والخسارة والنقصان فمن اتجر فآمن وجاهد بنفسه وماله في سبيل الله وطلبه وبلغ مبلغ الرجال البالغين فقد ربح روحه ونفسه جميعاً ومن آمن بالله ورسوله، لكن وجد منه العصيان ومخالفة الشريعة فقد ربح روحه وخسر نفسه ومن لم يؤمن بالله ورسوله وكفر بهما فقد خسر روحه ونفسه جميعاً.

قيل: دخل على الشبلي قدس سره في وقت وفاته، وهو يقول: يجوز يجوز، فقيل له ما معنى قولك يجوز؟ فقال: خلق الله الروح والنفس وأشرك بين الروح والنفس فعملا واتجرا سنين كثيرة فحوسبا فإذا هما قد خسرا وليس معهما ربح، فقد عزما على الافتراق، وأنا أقول شركة لا ربح فيها يجوز أن يقع بين الشريكين افتراق. قال السعدي:

كوس رحلت بكوفت دست اجل ... اى دو چشم وداع سر بكنيد
اى كف ودست وساعد وبازو ... همه توديع يكد كر بكنيد
بر من افتاده مرك دشمن كام ... آخراى دوستان حذر بكنيد
روز كارم بشد بنادانى ... من نكردم شما حذر بكنيد

فعلى العاقل أن يجتهد قبل مجيء الفوت ويربح في تجارته ببذل النفس والمال والطيب من الأموال ما يبذل في طلب الله على الطالبين والخبيث ما يلتفت إليه الطالب من غير حاجة ضرورية فيشغله عن الله وطلبه فيكون قاطع طريقه. ويروى أن الله تعالى يضم الأموال الخبيثة بعضها إلى بعض فيلقيها في جهنم ويعذب أربابها كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥] وروي أن أبا سفيان استأجر ليوم أحد ألفين من العرب على محاربة الرسول ﷺ سوى من استجاش من العرب أي: صار جيشاً وأنفق عليهم أربعين أوقية والأوقية اثنان وأربعون مثقالاً.

وفي «القاموس» سبعة مثاقيل فانظر إلى الكفار وجسارتهم على الإنفاق لغرض فاسد وهو الصد عن سبيل الله وأقل من القليل من المسلمين من يبذل ماله ولو قليلاً لجذب القلوب والوصول إلى رضى المحبوب فلا بد للمرء من قطع النفس عن مألوفها وهو حب المال.

ومن كلمات الجنيد قدس سره: ما أخذنا التصوف عن القال والقيل لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رجل يا رسول الله، أيّ الناس أفضل؟ قال: مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال: ثم من؟ قال: رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره» وفيه دليل على فضل العزلة وهي مستحبة عند فساد الزمان وتغير الإخوان وتقلب الأحوال ووقوع الفتن وتراكم المحن كما فعله جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وقد كان النبي عليه السلام عند تقلب الأحوال واختلاف الرجال وكثرة القيل والقال يأمر بالاعتزال وملازمة البيوت وكسر السيوف واتخاذها من العراجين والخشب.

قال الإمام الغزالي: إن السلف الصالح أجمعوا على التحذير من زمانهم وأهله: وآثروا العزلة وأمروا بذلك وتواصوا بها ولا شك أنهم كانوا بصدد النصح وأن الزمان لم يصر بعدهم خيراً مما كان بل أدهى وأمر. قال الحافظ:

توعمر حواه وصبورى كه چرخ شعبدباز — هزار بازى ازين طرفه تربرانكيزد

ان دام هذا ولم يحدث له غير — لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

اللهم اجعلنا من الصابرين.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿قل للذين كفروا﴾ اللام للتعليل، أي: لأجلهم، والمراد أبو سفيان وأصحابه. **﴿إن ينتهوا﴾** عن معاداة الرسول بالدخول في الإسلام. **﴿يغفر لهم ما قد سلف﴾** من ذنوبهم قبل الإسلام **﴿وإن يعودوا﴾** إلى قتاله انتقمنا منهم وأهلكناهم **﴿فقد مضت سنة الأولين﴾** الذين تحزبوا على الأنبياء بالتدمير كما جرى على أهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وأنشد بعضهم:

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف — ثم انتهى عما أتاه واقترف

لقوله قل للذين كفروا — إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

﴿وقاتلوهم﴾ [وكار زار كنيداى مؤمنان بأهل كفر] **﴿حتى﴾** إلى أن **﴿لا تكون﴾** توجد منهم **﴿فتنة﴾** أي شرك يعني [مشرك نماندا زوثنى وأهل كتاب] **﴿ويكون الدين كله لله﴾** وتضمحل الأديان الباطلة إما بإهلاك أهلها جميعاً أو برجوعهم عنها خشية القتل **﴿فإن انتهوا﴾** عن الكفر **﴿فإن الله بما يعملون بصير﴾** فيجازيهم على انتهائهم عنه وإسلامهم.

﴿وإن تولوا﴾ أي أعرضوا عن قبول الحق. **﴿فاعلموا أن الله مولاكم﴾** ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم **﴿نعم المولى﴾** لا يضيع من تولاه **﴿ونعم النصير﴾** لا يغلب من نصره.

وفي الآية: حث على الجهاد، وفي الحديث: «موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود» وعن معاذ بن جبل قال عهد إلينا رسول الله في خمس من فعل واحدة منهن كان ضامناً على الله تعالى: «من عاد مريضاً، أو خرج مع جنازة، أو خرج غازياً في سبيل الله، أو دخل على إمام يريد بذلك تعزيره وتوقيره، أو قعد في بيته فسلم وسلم الناس منه» وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «من خرج حاجاً فمات كتب الله له أجر الحاج إلى يوم القيامة، ومن خرج معتمراً فمات كتب الله له أجر المعتمر إلى يوم القيامة، ومن خرج غازياً فمات كتب الله له أجر الغازي إلى يوم القيامة» فعلى العاقل أن يجتهد في إحياء الدين بما أمكن له من الأسباب ويتوقع النصرة الموعودة من رب الأرباب ولا يلتفت إلى مخلوق مثله فإنهما سيان في باب العجز خصوصاً إذا كان استمداده من الفسقة كما يفعل ولاة الزمان فإنه لا يجيء خير لأهل الخير من أهل الشر والعدوان ونعم ما قيل:

دركار دين زمردم بى دين مدد مخواه — ازماه منخسف مطلب نور صبحكاه

ثم إن حقيقة النصرة أن ينصرك الله تعالى على نفسك التي هي أعدى عدوك بقهر هواها

وقمع مشتهاها فإن انفتاح باب الملك في الأنفس سبب وطريق لانفتاح باب الملك في الآفاق وكذا الملكوت:

دوستـى نـفـس را بـكـذار وبـكـذار ازهـوس

همچو مردان طالب حق باش بى جوياى نفس

والإشارة: ﴿وقاتلوهم﴾ كفار النفوس والهوى بسيف الصدقة. ﴿حتى لا تكون فتنة﴾ النفس والهوى آفة مانعة لكم عن الوصول إلى عالم الحقيقة. ﴿ويكون الدين كله لله﴾ ببذل الوجود وفقد الوجود لنيل الجود. ﴿فإن انتهوا﴾ أي: النفوس عن معاملاتها وتبدلت عن أوصافها وطاوعت القلوب والأرواح وصارت مأمورة مطمئنة تحت الأحكام. ﴿فإن الله بما يعملون﴾ في عبوديته وصدق طلبه. ﴿بصير﴾ لا يخفى عليه نقيرها وقطميرها فيجازيهم على قدر مساعيهم. ﴿وإن تولوا﴾ أي وإن أعرضوا عن الحقوق وأقبلوا إلى الشهوات والحظوظ ﴿فاعلموا﴾ أيها القلوب والأرواح. ﴿أن الله مولاكم﴾ في الهداية وناصركم على قهر النفوس وقمع الهوى ﴿نعم المولى﴾ الذي هو وليكم لتهتدوا به إليه. ﴿ونعم النصير﴾ في دفع ما يقطعكم عنه وناصركم في الوصول إليه.

واعلم: أن النور الذي هو حقائق ما يستفاد من معاني الأسماء والصفات جند القلب الذي يقابل النفس والهوى والشيطان ونحو ذلك، كما أن الظلمة التي هي معاني ما يستفاد من الهوى والعوائد الرديئة جند النفس التي به تتقوى آثارها والحرب بينهما سجال، فإذا أراد الله أن ينصر عبده على ما طلب منه أمده بجنود الأنوار فكلما اعترته ظلمة قام لها نور فأذهبها وقطع عنه مواد الظلم والأغيار، فلم يبقَ للهوى مجال ولا للشهوة والأخلاق الذميمة مقال ولا حال كذا في «التأويلات النجمية».

وفي «شرح الحكم العطائية»: نسأل الله سبحانه أن يمدنا بما أمد به أخياره ويفيض علينا من سجال فيضه أنواره.

﴿۞ وَاعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَـٰمَىٰ وَالْمَسَـٰكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾.

﴿واعلموا﴾ أيها المؤمنون ﴿أنما﴾ حق ما هذه أن تكتب منفصلة عن أن لكونها موصولة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ [الأنعام: ١٣٤] لكنها كتبت متصلة اتباعاً للرسم، أي: الذي ﴿غنمتم﴾ أخذتموه وأصبتموه من الكفر قهراً وغلبة، والغنم: الفوز بالشيء وأصل الغنيمة إصابة الغنم من العدو ثم اتسع وأطلق على كل ما أصيب منهم كائناً ما كان، قالوا إذا دخل الواحد والاثنان دار الحرب مغيرين بغير إذن الإمام فأخذوا شيئاً لم يخمس؛ لأن الغنيمة هو المأخوذ قهراً وغلبة لا اختلاساً وسرقة هذا عند أبي حنيفة ويخمس عند الشافعي. ﴿من شيء﴾ حال من عائد الموصول أي ما غنمتموه كائناً مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط خلا أن سلب المقتول للقاتل إذا نفله الإمام وأن الأسارى يخير فيها الإمام وكذا الأراضي المغنومة.

والآية نزلت ببدر.

وقال الواقدي: كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة. ﴿**فأن لله خمسه**﴾ مبتدأ خبره محذوف أي حكمه ثابت فيما شرعه الله وبينه لعباده أن خمسه لله أو خبر مبتدأ محذوف، أي: فالحكم أن لله خمسه والخمس بالفارسية [پنج يك]. ﴿**وللرسول ولذي القربى**﴾ أعاد اللام في لذي القربى دون غيرهم من الأصناف الثلاثة لدفع توهم اشتراكهم في سهم النبي ﷺ لمزيد اتصالهم به عليه الصلاة والسلام وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل.

واعلم: أنه عليه السلام: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وكان لعبد مناف أربعة بنين: هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل، وكان لهاشم ولدان عبد المطلب وأسد، وكان لعبد المطلب عشرة بنين منهم: عبد الله وأبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب والحارث وزبير، فكلهم وما يتفرع منهم هاشميون لكونهم من أولاد هاشم وعبد مناف هو ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وكل من كان من ولد النضر فهو قرشي دون ولد كنانة ومن فوقه فقريش قبيلة أبوهم النضر وإنما خص ذوو قرابة رسول الله ﷺ ببني هاشم وبني المطلب؛ لأنهم لم يفارقوه عليه السلام في جاهلية ولا في إسلام فكانت قرابتهم قرابة كاملة، وهي القرابة نسباً وتواصلاً في حال العسر واليسر فأعطوا الخمس، وأما بنو عبد شمس وبنو نوفل فمع مساواتهما بني المطلب في القرب حرموا الخمس، لأن قرابة نوفل بالتواصل والتناصر لم تنضم إلى قرابتهم النسبية.

﴿**واليتامى**﴾ جمع يتيم وهو الصغير المسلم الذي مات أبوه يصرف إليه سهم من الخمس إذا كان فقيراً ﴿**والمساكين**﴾ جمع مسكين وهو الذي أسكنه الضعف عن النهوض لحاجته، أي: أهل الفاقة والحاجة من المسلمين. ﴿**وابن السبيل**﴾ أي: المسافر البعيد عن ماله.

قال الكاشفي: [ومسافران مسلمانان يا قومى كه بر مسلمانان نزول كنند].

واعلم: أن اللام في الآية لام الاستحقاق لخمس الغنيمة، فاقتضى الظاهر أن تكون المصارف ستة أقسام، لكن الجمهور على أن ذكر الله تعالى للتعظيم وافتتاح الكلام باسمه تعالى على طريق التبرك، لا لأن لله نصيباً من الخمس فإن الدنيا والآخرة كلها له سبحانه فلا يسدس خمس الغنيمة بأن يصرف سهم منها إلى الله تعالى بصرفه إلى عمارة الكعبة إن كانت قريبة وإلا فإلى مسجد كل بلدة ثبت فيها الخمس، كما ذهب إليه البعض أو بضمه إلى سهم الرسول كما ذهب إليه الآخر وسهم رسول الله ﷺ سقط بوفاته، لأن الأنبياء لا يورثون.

قال ابن الشيخ لأنه عليه السلام لم يخلفه أحد في الرسالة فلا يخلفه في سهمه هذا عند الإمام الأعظم، وأما الشافعي فيصرف سهمه عليه السلام، إلى مصالح المسلمين وما فيه قوة الإسلام وكذا سقط سهم ذوي القربى بوفاته عليه السلام فلا يعطى لهم لأجل قرابتهم، بل يعطى لفقرهم، وكان عليه السلام يعطيهم غنيهم وفقيرهم لقرابتهم لا لفقرهم حتى كان يعطي العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله. والحاصل: أن ذوي القربى أسوة لسائر الفقراء أي يدخلون فيهم ويقدمون على غيرهم ولا يعطى أغنياؤهم.

وفي شرح الآثار: عن أبي حنيفة إن الصدقات كلها، أي: فرضها ونفلها جائزة على بني هاشم والحرمة كانت في عهد النبي عليه السلام لوصول خمس الخمس إليهم فلما سقط ذلك بموته حلت لهم الصدقة.

قال الطحاوي: وبالجواز نأخذ ولما سقط السهمان وهما سهم الرسول وسهم ذوي القربى فخمس الغنيمة اليوم يجعل ثلاثة أقسام، ويصرف إلى ثلاثة أصناف اليتامى والمساكين وأبناء السبيل، وتقسم الأخماس الأربعة بين الغانمين للفارس سهمان وللراجل سهم.

وفي «حياة الحيوان» إن الفيل يقاتل به وراكبه يرضخ له أكثر من راكب البغل.

وفي «التحفة»: هذه الثلاثة مصارف الخمس عندنا لا على سبيل الاستحقاق حتى لو صرفت إلى صنف واحد منهم جاز ﴿إن كنتم آمنتم بالله﴾ متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا، أي: إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه إليهم واقطعوا أطماعكم منه واقتنعوا بالأخماس الأربعة الباقية ووجه دلالته عليه أنه تعالى إنما أمر بالعلم بهذا الحكم ليعمل به لأن العلم بمثل هذا المعلوم ليس مما يقصد لنفسه بل إنما يقصد للعمل به. ﴿وما أنزلنا﴾ أي: وبما أنزلناه. ﴿على عبدنا﴾ محمد ﷺ من الآيات والنصر على أن المراد بالإنزال مجرد الإيصال والتيسير فينتظم الكل انتظاماً حقيقياً. ﴿يوم الفرقان﴾ ظرف لأنزلنا، أي: يوم بدر فإنه فرق فيه بين الحق والباطل بنصر المؤمنين وكبت الكافرين. ﴿يوم التقى الجمعان﴾ أي: المسلمون والكفار، وهو بدل من الظرف الأول [وآن روز جمعه بود هفد هم رمضان درسنه ثانيه از هجرت]، وهو أول مشهد شهده رسول الله ﷺ لقتال المشركين لإعلاء الحق والدين. ﴿والله على كل شيء قدير﴾ فيقدر على نصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم.

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾

﴿إذ أنتم﴾ نازلون ﴿بالعدوة الدنيا﴾ أي: شفير الوادي الأدنى من المدينة وهو بدل ثان من يوم الفرقان. ﴿وهم﴾ أي: وعدوكم نازلون. ﴿بالعدوة القصوى﴾ أي: في جانبها الأبعد منها وهو الجانب الذي يلي مكة، والعدوة: شط الوادي أي جانبه وشفيره، وسميت بذلك لأنها عدت ما في الوادي من ماء عن أن يتجاوز، أي: منعته والدنيا من دنا يدنو دنواً والقصوى من قصا المكان يقصو قصواً إذا بعد، والقياس القصيا بقلب الواو ياء كالدنيا إلا أن واوها بقيت على حالها كواو القود. ﴿والركب﴾ جمع راكب مثل صحب وصاحب، والراكب هو راكب البعير خاصة كما أن الفارس من على الفرس والمراد بالركب ههنا العير، أي: القافلة المقبلة المتوجهة من الشام أو قوادها وهم أبو سفيان وأصحابه وكانوا جميعاً على البعير. ﴿أسفل منكم﴾ أي: نازل في مكان أسفل من مكانكم وكانوا بقرب ساحل البحر بينهم وبين المسلمين ثلاثة أميال. وأسفل، وإن كان منصوباً على الظرفية واقعاً موقع خبر المبتدأ إلا أنه في الحقيقة صفة لظرف مكان محذوف والجملة حال من الظرف قبله، وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وضعف حال المسلمين ولهذه الفائدة ذكر مراكز الفريقين فإن العدوة الدنيا

كانت رخوة تسوخ فيها الأرجل ولا يمشي فيها إلا بتعب، ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى فورد النظم على هذا الوجه الدال على القوة والضعف؛ ليتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح ليس إلا صنعاً من الله خارقاً للعادة فيزدادوا إيماناً وشكراً. ﴿ولو تواعدتم﴾ أنتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم. ﴿لاختلفتم في الميعاد﴾ [در وعده٠ خودرا] هيبة منهم ويأساً من الظفر عليهم ﴿ولكن﴾ ما اختلفتم وما تخلفتم عن القتال بل جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد. ﴿ليقضي الله﴾ ليتم الله ﴿أمراً كان مفعولاً﴾ حقيقاً بأن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه جعل ما اقتضت الحكمة أن يفعل مفعولاً لقوة ما يستدعي أن يفعل ﴿ليهلك من هلك عن بينة﴾ بدل من ليقضي.

قال سعدي چلبي المفتي: الظاهر والله أعلم أن عن هنا بمعنى بعد، كقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَدِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠] انتهى. والمعنى ليكون هلاك من شارف الهلاك بعد مشاهدة بينة واضحة الدلالة على أن الدين المرضي عند الله تعالى هو الإسلام لا عن مخالجة شبهة حتى لا تبقي له عند الله تعالى معذرة وحجة في عدم تحليه بحلية الإسلام. ﴿ويحيى من حي عن بينة﴾ أي: يعيش من يعيش عن حجة شاهدها حتى يقوى يقينه ويكمل إيمانه، فإن وقعة بدر كانت من الآيات الواضحة الدالة على حقيقة الإسلام فمن كفر بعد مشاهدتها كان مكابراً معانداً عادلاً عن الحق الذي وضحت حقيته والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحياة.

قال سعدي چلبي: المراد هو الاستمرار على الحياة بعد وقعة بدر فيظهر صحة اعتبار معنى المشارفة في الحياة أيضاً. ﴿وإن الله لسميع عليم﴾ أي: بكفر من كفر وعقابه وإيمان من آمن وثوابه. ولعل الجمع بين وصفي السميع والعليم لاشتمال كل واحد من الكفر والإيمان على القول والاعتقاد [نقلست كه حضرت پيغمبر ﷺ دران شب كه روزش جنك بدر واقع شده بود در واقعه ديد لشكر قريش را درغايت قلت وذلت تأويل فرمودكه دوستان غالب ودشمنان مغلوب خواهند شد مؤمنان بعد از استماع اين رؤيا وتعبير آن بغايت مسرور وفرحان شدند وحق سبحانه وتعالى تذكار آن نعمت ميفرمايد وميكويد].

﴿إذ يريكهم الله﴾ أي: اذكر يا محمد وقت إراءة الله المشركين إياك. ﴿في منامك﴾ مصدر ميمي بمعنى النوم. ﴿قليلاً﴾ حال من المفعول الثاني، أي: حال كونهم قليلاً والإراءة بصرية تتعدى إلى اثنين ـ روي عن مجاهد أنه قال: أرى الله تعالى كفار قريش لنبيه ﷺ في منامه قليلاً فأخبر بذلك أصحابه، فقالوا: رؤيا النبي حق والقوم قليل فكان ذلك سبباً لقوة قلوبهم ﴿ولو أراكهم كثيراً لفشلتم﴾ أي لجبنتم وتأخرتم عن الصف.

قال الحدادي: الفشل هو الضعف مع الوجل ﴿ولتنازعتم في الأمر﴾ أي: أمر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار، والتنازع أن يحاول كل واحد من الاثنين أن ينزع صاحبه مما هو عليه ﴿ولكن الله سلم﴾ أي: أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع. ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما دبر.

﴿وإذ يريكموهم﴾ الضميران مفعولا يرى وفاعل الإراءة هو الله تعالى. والمعنى بالفارسية [وآنراياد كنيداى صحابه كه بنمود خداى تعالى دشمنانرا بشما]. ﴿إذ التقيتم في أعينكم﴾ حال كونهم ﴿قليلاً﴾ وإنما قللهم في أعين المسلمين، حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن إلى جنبه أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة مع أنهم كانوا ألفاً وتسعمائة وخمسين تثبيتاً لهم وتقوية

لقلوبهم وتصديقاً لرؤيا الرسول ﷺ فإنها وحي لا خلف فيه أصلاً. ﴿ويقللكم في أعينهم﴾ حتى قال أبو جهل: إن محمداً وأصحابه أكلة جزور، وهو مثل يضرب في القلة، أي: قلتهم بحيث يشبعهم جزور واحد قللهم في أعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يبالغوا في الاجتهاد والاستعداد والتأهب والحذر، ثم كثرهم حتى رأوهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿ويقللكم في أعينهم﴾ لأنهم ينظرون إليكم بالأبصار الظاهرة لا يرون كثرة معناكم وقوة قلوبكم ومددكم من الملائكة، فإنهم عمي البصائر والقلوب ولئلا يفروا من القتال كما فر إبليس لما رأى مدد الملائكة وهو قد جاء مع الكفار في صورة سراقة فقالوا له أين تفر فقال لهم إني أرى ما لا ترون. ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾ كرره لاختلاف الفعل المعلل به وهو الجمع بين الفريقين على الحالة المذكورة في الأول وتقليل كل واحد من الفريقين في عين الآخر في الثاني. ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ كلها يصرفها كيف يريد لا رادّ لأمره ولا معقب لحكمه. وفيه تنبيه على أن أحوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وإنما المراد منها ما يكون وسيلة إلى سعادة الآخرة ومؤدياً إلى مرضاة الرحمٰن.

وفي الآيات إشارات: منها أن أركان الإسلام خمسة. وهي غنائم دينية لكن التوحيد أعلى من الكل ولذا كان خمساً راجعاً إلى الله تعالى وباقي الأخماس حظ الجوارح فعلى العاقل أن يحرز غنائم العبادات وما يتعلق بالمعارف والكمالات التي تتحقق بها السادات ليكون الروح والجوارح كلاهما محفوظين غير محرومين.

وفي «التأويلات النجمية»: ما غنمتم عند رفع الحجب من أنوار المشاهدات وأسرار المكاشفات فلكم أربعة أخماس تعيشون بها مع الله وتكتمونها عن الأغيار.

داند وپوشد بامر ذو الجلال   كه نباشد كشف راز حق حلال

ولا تنفقون أكثر من خمسها في الله مخلصاً وللرسول متابعاً ولذي القربى يعني الإخوان في الله مواصلاً واليتامى، يعني: أهل الطلب من الذين غاب عنهم مشايخهم قبل بلوغهم إلى حد الكمال والمساكين، يعني: الطالبين الصادقين إذا أمسكوا بأيدي الإرادة أذيال إرشادكم وابن السبيل يعني الصادر الوارد من أهل الصدق والإرادة من أغيار جانب كل طائفة منهم على حسب صدقهم وإرادتهم وطلبهم واستعدادهم واستحقاقهم مؤدياً حقوقهم لله وفي الله وبالله في متابعة رسول الله وقانون سيرته وسنته.

ومنها: أن الله تعالى كما جمع بين الفريقين بحيث لو تركهم على حالهم لما اجتمعوا ليظهر عز الإسلام وذل الكفر، كذلك جمع بين الأرواح والنفوس في هذه الهياكل والقوالب بحيث لو تركهما على حالهما وهما على تلك الضدية واختلاف الطبيعة لما اجتمعت ليحصل الأرواح في مقعد صدق والنفوس مع الملائكة المقربين كما قال: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾﴾ [الفجر: ٢٩] بعدما كانت محبوسة في سجن الدنيا والأجساد في جنات النعيم وأعلى عليين بعد ما كانت في أسفل سافلين، هذا بالنسبة إلى السعداء المخلوقين للتحيات والقربات، وأما الأشقياء المذروؤون لجهنم فعلى خلاف ذلك وقد خلق الله الاستعداد للترقي والتنزل ولله على الناس الحجة البالغة.

قال الكاشفي: [در ترجمة شفا مذكور ست كه كوهر شب آنكه فروز عقل را همچنانچه

درحقهء سينهء دوستان مى سپارند دراستين دشمنان تر دامن نيز مى نهند «ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة» يعني: بارقة نور عقل اكر ازجانب عنايت وتوفيق لامع شود دوستان بدان مهتدى كردند واكر ازطرف قهر وخذلان استضاءت پذيرد سبب اختطاف أبصار بصائر دشمنان شود «يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً»].

كـرت صـورت حـال بـد يـانـكـوسـت نـكـاريـدهٔ دسـت تـقـديـر اوسـت

ومنها: أن من سنة الله أن يرى النبي عليه السلام حقائق الأشياء حقاً وصدقاً، وهو يخبر بها ثم يراها أرباب الصورة في الظاهر بضدها ابتلاء واختباراً للمؤمن والمنافق، فالمؤمن يثبت على إيمانه بتصديق النبي عليه السلام وتسليمه في أقواله وأعماله وأحواله من غير اعتراض، فيزيده الله إيماناً مع إيمانه، والمنافق تزل قدمه وتشوش حاله بالاعتراض ويزيد نفاقه على النفاق وعماه على العمى وإلى الله ترجع الأمور فحال المؤمن وأمره يرجع إلى رضاه وحال المنافق وأمره يرجع إلى سخطه والرضى والسخط من آثار لطفه وقهره يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد وقس على هذا إلهامات الأولياء وأحوالهم مع معتقديهم ومنكريهم، فإن الاختبار والابتلاء سنة قديمة وكم ترى من الصوفية من يزعم أنه يحب فلاناً ويعتقده وطريقته حقاً فإذا جاء سطوة القهر بإراءة ما هو غير ملائم لطبعه نكص على عقبيه واتخذه غرضاً لطعنه وتشنيعه وأين هو من المحبة وهو مقام عال يجتمع عنده اللطف والقهر والجمال والجلال فلا يتشوش صاحبه من الأحوال العارضة المرئية في صورة التنزل والتدلي، ولذا كثر أرباب الصورة وقل أصحاب المعنى ويكفي لكل مرشد كامل واحد ممن يلزم طريقته وينبع هداه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة﴾ أي: حاربتم جماعة كافرة لأن اللقاء مما غلب في الحرب والقتال وهم ما كانوا يحاربون إلا الكفار. **﴿فاثبتوا﴾** وقت لقائهم وقتالهم ولا تنهزموا وفي الحديث: «لا تتمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموهم فاصبروا» وإنما نهى عن تمني لقاء العدو لما فيه من صورة الإعجاب والوثوق بالقوة ولأنه يتضمن قلة الاهتمام بالعدو وتحقيرهم وهذا يخالف الاحتياط، كما قالوا في آداب المناظرة إنه ينبغي أن لا يحسب المناظر الخصم حقيراً، أي: صغيراً ذليلاً لأن استحقار الخصم ربما يؤدي إلى صدور الكلام الضعيف من المناظر لعدم المبالاة فيكون سبباً لغلبة الخصم الضعيف عليه فيكون الضعيف قوياً والقوي ضعيفاً والشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أعم.

فعلى العاقل أن يسأل العفو والعافية فإنه لا يدري ما يفعل به.

أول شكسته باش كه اوج سرير ملك يوسف پس ازمجاورت قعر چاه يافت

﴿واذكروا الله كثيراً﴾ أي في تضاعيف القتال ومواطن الشدة بالتكبير والتهليل وغيرهما، وادعوه بنصر المؤمنين وخذلان الكافرين كالذين ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠] **﴿لعلكم تفلحون﴾** أي: تفوزون بمرامكم

وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة، وفيه تنبيه على أن العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله وأن يلتجىء إليه عند الشدائد ويقبل إليه بالكلية فارغ البال واثقاً بأن لطفه لا ينفك عنه في حال من الأحوال، وعلى أن ذكر الله تعالى له تأثير عظيم في دفع المضار وجلب المنافع.

توبهر حالى كه باشى روز وشب يك نفس غافل مباش ازذكررب

درخوشى ذكرتوشكر نعمتست در بلاها التجا باحضر تست

قال بعض الحكماء: إن لله جنة في الدنيا من دخلها يطيب عيشه وهي مجالس الذكر، وفي الحديث: «إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليهم حفوا بهم ثم بعثوا رائدهم إلى السماء إلى رب العزة تبارك وتعالى فيقولون ربنا أتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك محمد ﷺ ويسألونك لآخرتهم ودنياهم فيقول الله تبارك وتعالى غشوهم رحمتي فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم».

قال في «أنوار المشارق»: وكما يستحب الذكر يستحب الجلوس في حلق أهله والعادة جرت في حلق الذكر بالعلانية إذ لم يعرف في كرّ الدهور حلقة ذكر اجتمع عليها قوم ذاكرون في أنفسهم فالذكر برفع الصوت أشد تأثيراً في قمع الخواطر الراسخة على قلب المبتدىء، وأيضاً يغتنم الناس بإظهار الدين بركة الذكر من السامعين في الدور والبيوت ويشهد له يوم القيامة كل رطب ويابس سمع صوته خصوصاً في مواضع الازدحام بين الغافلين من العوام لتنبيه الغافلين وتوفيق الفاسقين.

وفي بعض الفتاوى لو ذكر الله في مجلس الفسق ناوياً أنهم يشتغلون بالفسق وأنا أشتغل بالذكر فهو أفضل كالذكر في السوق أفضل من الذكر في غيره وحضور مجلس الذكر يكفر سبعين مجلساً من مجالس السوء وقد نهي عن أن يجلس الإنسان مجلساً لا يذكر الله فيه ولا يصلي على نبيه محمد ﷺ ويكون ذلك المجلس حسرة عليه يوم القيامة وفي الحديث: «من جلس مجلساً كثر فيه لغطه، فقال: قبل أن يقوم من مجلسه ذلك، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك غفر له ما كان في مجلسه ذلك» فعلى العاقل أن يكون رطب اللسان بالذكر والدعاء والاستغفار دائماً خصوصاً في الأوقات المباركة روي أن النبي عليه السلام بعث بعثاً إلى نجد فغنموا وأسرعوا، وقال رجل: ما رأينا بعثاً أفضل غنيمة وأسرع رجعة فقال النبي عليه السلام: «ألا أدلكم على قوم أفضل غنيمة وأسرع رجعة الذين شهدوا صلاة الصبح ثم جلسوا يذكرون الله حتى تطلع الشمس، ثم يصلون ركعتين ثم يرجعون إلى أهاليهم وهي صلاة الإشراق وهو أول وقت الضحى وذلك بعد أن تطلع الشمس ويصلي ركعتين كانت كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة».

ذكر في «شرح المصابيح» أن في قوله: «ثم قعد يذكر الله تعالى» دلالة على أن المستحب في هذا الوقت إنما هو ذكر الله تعالى لا القراءة؛ لأن هذا وقت شريف وأن للمواظبة للذكر فيه تأثيراً عظيماً في النفوس.

وقال في «المنية»: ناقلاً عن جمع العلوم ومن وقت الفجر إلى طلوع الشمس ذكر الله تعالى أولى من القراءة، ويؤيده ما ذكره في «القنية» من أن الصلاة على النبي عليه السلام والدعاء والتسبيح أفضل من قراءة القرآن في الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها وعن النبي ﷺ: «ألا أدلكم على ساعة من ساعات الجنة الظل فيها ممدود، والرزق فيها مقسوم، والرحمة فيها

مبسوطة، والدعاء مستجاب؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس» قال علي المرتضى رضي الله عنه مر النبي عليه السلام بعائشة رضي الله عنها قبل طلوع الشمس وهي نائمة فحركها برجله فقال: «قومي لتشاهدي رزق ربك ولا تكوني من الغافلين إن الله يقسم أرزاق العباد بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس» واختلف في أن التهليل والتسبيح ونحوهما بمجرد القلب أفضل أو باللسان مع حضور القلب.

احتج من رجح الأول بأن عمل السر أفضل واحتج من رجح الثاني بأن العمل فيه أكثر فاقتضى زيادة والصحيح هو الثاني ذكره النووي في «شرح مسلم» والذكر الكثير ما كان بصفاء القلب فصفاء القلب جنة العارف في الدنيا، فإنه يجاوز بذكر الله تعالى عن جحيم النفس الأمارة وهاويتها فيترقى إلى نعيم الحضور.

قال أبو بكر الفرغاني: كنت أسقط في بعض الأيام عن القافلة، فقلت: يا رب لو علمتني الاسم الأعظم فدخل علي رجلان، وقال أحدهما للآخر: الاسم الأعظم أن تقول: يا الله ففرحت به، فقال ليس كما تقول بل بصدق اللجأ، أي: الالتجاء والاضطرار كما يقول من كان في لجة البحر ليس ملجأ غير الله.

واعلم: أن الجهاد من أعظم الطاعات ولذلك لا يجتمع غبار المجاهد مع دخان جهنم وبخطوة من المجاهد يغفر ذنب وبأخرى تكتب حسنة، ولكن ينبغي للمجاهد أن يصحح نيته ويثبت في مواطن الحرب فإن بثبات القلب والقدم يتبين أقدار الرجال، كما كان للصديق رضي الله عنه حين صدمته الوجيعة بوفاة رسول الله حين قال «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لا يموت» ويجتنب عن الظلم وارتكاب المعاصي فإن الغلبة على الأعداء بالقوة القدسية والتأييد الإلهي لا بالقوة الجسمانية وكثرة العدد والعدد، ألا يرى إلى الله تعالى كيف أيد المؤمنين بالملائكة في غزوة بدر مع قلتهم وكثرة الكافرين فالذين جاهدوا في سبيل الله بالتقى والصبر والثبات فقد غلبوا على الأعداء ووصلوا إلى الدرجات.

كه شتاب چو صرصر كه قرار چوكوه — كه نشيب كبوتركه فراز عقاب

واستعرض الاسكندر جنده فتقدم إليه رجل بفرس أعرج فأمر بإسقاطه فضحك الرجل فاستعظم ضحكه في ذلك المقام، فقال له ما أضحكك؟ وقد أسقطتك؟ قال: العجب منك قال كيف قال تحتك آلة الهرب وتحتي آلة الثبات ثم تسقطني فأعجب بقوله وأثبته.

ثم اعلم أن الفئة الباغية ظاهرة كالطائفة الكافرة والجماعة الفاجرة وباطنة كطائفة القوى النفسانية وجماعة النفس الأمارة، فكما أن المؤمن مأمور بالثبات عند ظهور الفئة الباغية الظاهرة فكذلك مأمور بالثبات عند ظهور الفئة الباغية الباطنة بالمجاهدات والجهاد مع الكفار جهاد أصغر والجهاد مع النفس جهاد أكبر والأكبر أفضل من الأصغر ولذلك يكون القتيل في الأكبر صديقاً وفي الأصغر شهيداً فالصديق فوق الشهيد، كما قال الله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [النساء: ٦٩] والخلاص من ظلمات الخلقية والفوز بأنوار الذكر الذي الاشتغال به من أكبر أنواع الجهاد وأسرع قدم في الوصول إلى رب العباد نسأل الله تعالى أن يحققنا بحقائق الذكر والتوحيد.

﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ في كل ما تأتون وما تذرون خصوصاً في أمر الجهاد وثبات القدم في معركة القتال ﴿ولا تنازعوا﴾ باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر وأُحد ﴿فتفشلوا﴾ جواب للنهي

يقال فشل أي كسل وضعف وتراخى وجبن ﴿وتذهب ريحكم﴾ بالنصب عطف على جواب النهي أي تذهب دولتكم وشوكتكم فإنها مستعارة للدولة من حيث إنها في تمشي أمرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها وجريانها. وقيل: المراد بها الحقيقة فإن النصرة لا تكون إلا بريح يبعثها الله تعالى ويقال لها ريح النصرة. وروي أنه حاصر المدينة قريش وغطفان وبنو قريظة وبنو النضير يوم الخندق فهبت ريح الصبا شديداً فقلعت خيامهم وأراقت قدورهم وهربوا فقال عليه السلام: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور» والصبا بفتح الصاد وبالقصر ريح تهب من المشرق، والدبور: هي ما يقابل الصبا في الهبوب يعني الريح مأمورة تجيء تارة للنصرة وتارة للإهلاك، وفي «المثنوي»:

جمله ذرات زمين وآسمان لشكر حقند كاه امتحان
بادرا ديديكه باعادان چه كرد ابرا ديديكه باطوفان چه كرد

﴿واصبروا﴾ على شدائد الحرب وقتال المشركين ولا تولوهم الأدبار. ﴿إن الله مع الصابرين﴾ بالنصرة والكلاءة وما يفهم من كلمة مع من أصالتهم إنما هي من حيث إنهم المباشرون للصبر فهم متبوعون من تلك الحيثية ومعيته تعالى إنما هي من حيث الإمداد والإعانة ﴿ولا تكونوا﴾ أيها المؤمنون ﴿كالذين خرجوا من ديارهم﴾ يعني: أهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير أي القافلة المقبلة من الشام. ﴿بطراً﴾ مفعول له. أي: افتخاراً بمآثر الأصول من الآباء والأمهات وأشراً وهو مقابلة النعمة بالتكبر والخيلاء. ﴿ورئاء الناس﴾ ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك أنهم لما بلغوا الجحفة أتاهم رسول أبي سفيان، وقال: ارجعوا فقد سلمت عيركم من أصحاب محمد ومن نهبهم، فقال أبو جهل: لا والله حتى نقدم بدراً ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها، أي أتوا بدراً ولكن سقوا كأس المنايا بدل كأس الخمور وناحت عليهم النوائح مكان تغني القيان، فنهى المؤمنون أن يكونوا أمثالهم بطرين مرائين وأمرهم بالتقوى والإخلاص لأن النهي عن الشيء مستلزم للأمر بضده ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ عطف على بطراً بتأويل المصدر أي وصداً ومنعاً للناس عن دين الله المؤدي إلى الجنة والثواب. ﴿والله بما يعملون محيط﴾ فيجازيهم عليه. وفيه تهديد على الأعمال القبيحة خصوصاً ما ذكر في هذه الآية من البطر. والرئاء: هو إظهار الجميل وإبطان القبيح وهو من الصفات المذمومة للنفس. وحكي عن بعض الصالحين أنه قال: كنت ليلة في وقت السحر في غرفة لي على الطريق أقرأ سورة طه فلما ختمتها غفوت غفوة فرأيت شخصاً نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدي فإذا فيها سورة طه، وإذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة إلا كلمة واحدة فإني رأيت مكانها محواً ولم أرَ تحتها شيئاً، فقلت: والله لقد قرأت هذه الكلمة ولا أرى ثواباً ولا أراها أثبتت فقال الشخص صدقت قد قرأتها وكتبناها إلا أنا قد سمعنا منادياً ينادي من قبل العرش امحوها وأسقطوا ثوابها فمحوناها، قال فبكيت في منامي فقلت لم فعلتم ذلك فقال مر رجل فرفعت بها صوتك لأجله فذهب ثوابها وفي الحديث: «إن النار وأهلها يعجون من أهل الرياء» أي: يتضرعون ويرفعون الصوت قيل يا رسول الله وكيف تعج النار قال: «من ضر الناس الذين يعذبون بها» فويل للمرائي في عمله، ومن الرياء التزيي بزي القوم تصنعاً ودوران البلاد تفرجاً ليتباهى بذلك على الإخوان، كما يفعله أكثر المتسمين بالصوفية في هذا الزمان فإن مقصودهم ليس التقليد بلباس القوم تبركاً مع التحقق بمعانيهم فهم

محرومون من أنوار المعرفة وأسرار الحقيقة خارجون عن دائرة الطريقة. قال الحافظ:

مدعى خواست كه آيد بتماشا كه راز دست غيب آمد وبر سينهٔ نا محرم زد

فعلى العاقل إخلاص العمل وهو إرادة التقرب إلى الله تعالى وتعظيم أمره وإجابة دعوته سواء كان من العبادات المالية أو البدنية.

وفي «التتارخانية»: لو افتتح الصلاة خالصاً لله تعالى ثم دخل في قلبه الرياء فهو على ما افتتح والرياء أنه لو خلا عن الناس لا يصلي، ولو كان مع الناس يصلي فأما لو صلى مع الناس يحسنها ولو صلى وحده لا يحسن فله ثواب أصل الصلاة دون الإحسان ولا رياء في الصوم إلا أن يكون مراده من الرياضة اصفرار الوجه وهزال البدن ليظنه الناس.رجلاً صالحاً متقياً مريداً للآخرة فانظر إلى تعبه لأجل الناس ولو كان له عقل صحيح وفكر ثاقب لما فعل هذا وفي مثل هذا قالوا أخف حلماً من عصفور قال حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه:

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير

وما الدنيا حتى يطلبها العاقل بعمله ويضيع عمره إلى حلول أجله وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي عليه السلام مر بدمنة قوم فيها سخلة ميتة فقال ما لأهلها، فيها حاجة؟ قالوا: يا نبي الله لو كان لأهلها فيها حاجة ما نبذوها قال: «فوالله الدنيا أهون على الله من هذه السخلة على أهلها». قال السعدي قدس سره:

وكرسيم اندوده باشد نحاس توان خرج كردن برناشناس
منه آب زرجان من بر پشيز كه صراف دانا نكيرد بچيز
چه قدر آورد بندهٔ خورديس كه زير قبادارد اندام پيس

نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزلل في مسالك الدين ويوصلنا إلى رضاه في كل قول وعمل وهو المعين آمين بجاه النبي الأمين.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم﴾ [آورده اندكه چون قريش از مكه برون آمده بحوالى منزل بنى كنانه رسيدند بجهت كيفيت قديمى كه ميان ايشان بود انديشه ناك شده خواستند باز كردند إبليس بصورة سراقة بن مالك مهتر كنانه بود برآمد برايشان ملاقات نمودو كفت شمانيكو حمايتى ميكنيد برويد من ضامن كه از بنى كنانه ضرر بشمانرسد ومن نيز طريق رفاقه مرعى دارم پس إبليس باجمعى از شياطين همراه ايشان روى ببدر آوردند حق سبحانه وتعالى ازين قصه خبر ميد هد] والمعنى: واذكر يا محمد وقت تزيين الشيطان أعمال كفار مكة في معاداة المؤمنين وغيرها [ودر حقائق سلمى فرموده كه قوة ايشانرا بنظر ايشان درآورد تا اعتماد بدان كردند] **﴿وقال لا غالب لكم اليوم من الناس﴾** فإنكم كثير وهم قليل. قوله: (لكم) خبر لا غالب، أي: لا غالب كائن لكم واليوم منصوب بما تعلق به الخبر ومن الناس حال من الضمير فيه، والمراد من الناس المؤمنون. **﴿وإني جار لكم﴾** أي مجيركم من بني كنانة ومعين لكم فمعنى الجار المجير الحافظ الذي يدفع عن صاحبه أنواع الضر كما يدفع الجار عن جاره تقول

العرب أنا جار لك من فلان، أي حافظ لك من مضرته فلا يصل إليك منه مكروه.

وقال في «القاموس»: الجار المجاور: والذي أجرته من أنه يظلم والمجير وأجاره أنقذه ﴿فلما تراءت الفئتان﴾ أي تلاقى الفريقان يوم بدر.

قال الكاشفي: [پس آن هنكام كه بديدند هر دو كروه لشكر يكديكررا] ﴿نكص على عقبيه﴾ رجع القهقرى وهو أصل معنى النكوص لأن الغالب فيمن يفر عن موضع القتال أن يرجع قهقرى لخوفه من جهة العدو. وقوله على عقبيه حال مؤكدة لأن رجوع القهقرى إنما يكون على العقبين [واين عبارتست از هزيمت كردن بمكر وحيله آورده اندكه چون روز بدر ملائكه فرود آمدند إبليس ايشانرا ديد روى بفرار نهاد درآن محل دست بردست حارث بن هشام بود حارث كفت أي سراقه در چنين حال مارا فروميكذارى إبليس دست برسينهٔ اوزد] ﴿وقال إني بريء منكم﴾ [من بيزارم از زنهار شما] ﴿إني أرى ما لا ترون﴾ من نزول الملائكة للإمداد فقال الحارث وما نرى إلا جعاشيش أهل يثرب والجعشوش الرجل القصير. ﴿إني أخاف الله﴾ من أن يصيبني بمكروه من الملائكة أو يهلكني على أن يكون الوقت هو الوقت المعلوم الذي أنظر إليه. ﴿والله شديد العقاب﴾ لمن يخاف منه وقد صدق الكذاب أنه يخاف من شدة عذاب الله فإن عقابه لو وقع عليه لتلاشى ولذلك كان يفر من ظل عمر رضي الله عنه «وما سلك فجاً إلا وسلك الشيطان فجاً آخر» لئلا يقع عليه عكس نور ولاية عمر فيحرقه وقد علم الشيطان أنه من المعذبين المعاقبين وإنما خوفه من الله من شدة عقابه لأنه يعلم أنه لا نهاية لشدة عقابه والله قادر على أن يعاقبه بعقوبة أشد من الأخرى. وفيه إشارة إلى أن خوفه من الله يدل على أنه غير منقطع الرجاء منه كذا في «التأويلات النجمية».

[نقلست كه منهزمان بدر بعد از رجوع بمكه سراقه را پيغام فرستادندكه لشكر ماراتو منهزم ساختى سراقه سوكند يا دكردكه تا هزيمت شمانشنيدم ازعزيمت شما وقوف نيافتم پس همه را معلوم شدكه آن شيطان بودكه خودرا برصورت سراقه نموده].

فإن قيل: كيف يجوز أن يتمكن إبليس من أن يخلع صورة نفسه ويلبس صورة سراقة ولو كان قادراً على أن يجعل نفسه في مثل صورة إنسان لكان قادراً على أن يجعل غيره إنساناً.

قيل: إذا صحت هذه الرواية فالجواب أن الله خلق إبليس في صورة سراقة والله تعالى قادر على خلق إنسان في مثل صورة سراقة ابتداء فكان قادراً على أن يصور إبليس في مثل صورة سراقة كما في «التفسير الحدادي».

وقال القاضي أبو يعلى: ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال في الصور وإنما يجوز أن يعلمهم الله تعالى كلمات وضرباً من ضروب الأفعال إذا فعله أو تكلم بها نقله الله تعالى من صورة إلى صورة فيقال إنه قادر على التصوير والتخييل على معنى أنه قادر على قول إذا قاله أو فعل إذا فعله نقله الله تعالى من صورته إلى صورة أخرى بجري العادة وأما أن يصور نفسه فذاك محال؛ لأن انتقالها من صورة إلى صورة إنما يكون بنقض البنية وتفريق الأجزاء وإذا انتقضت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل بالجملة فكيف بنقل نفسها قال والقول في تشكيل الملائكة مثل ذلك والذي روي أن إبليس تصور في صورة سراقة بن مالك وأن جبريل تمثل في صورة دحية وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧] محمول على ما ذكرنا وهو أنه قدره الله تعالى على قول قاله فنقله الله تعالى من صورته إلى صورة أخرى كذا

في «آكام المرجان» ونظر فيه والهي الأسكوبي بأن من قال تمثل جبريل عليه السلام وتصور إبليس عليه ما يستحق ليس مراده أنهما أحدثا تلك الصورة والمثال من قدرتهما نفسهما بل بإقدار الله لهما على التصور والتمثل كيف شاءا فلا منافاة بين القولين غاية ما في الباب أن العمل من طريق ما أقدره الله به من الأسباب المخصوصة انتهى.

يقول الفقير: إن الملائكة والشياطين من قبيل الأرواح اللطيفة وللأرواح التصور بأنواع الصور كما أن للأجسام التلون بألوان الألبسة وكل ذلك بإقدار الله تعالى في الحقيقة لكن هذا المعنى صعب المسلك فلا يهتدي إلى دركه إلا الأنبياء والأولياء المكاشفون عن حقيقة الأمر والله أعلم.

ثم إن من عادة الشيطان أن يقحم من أطاعه ورطة الهلاك ثم يتبرأ منه. حكي أن عابداً عبد الله في صومعته دهراً طويلاً فولدت لملكهم ابنة فأنف الملك أن يمسها الرجال فأخرجها إلى صومعته وأسكنها معه كيلا يعرف أحد مكانها ويستخطبها منه فكبرت الابنة فحضر إبليس على صورة شيخ وخدعه بها حتى واقعها الزاهد وأحبلها، فلما ظهر بها الحبل رجع إليه فقال له إنك زاهدنا وإنها لو ولدت يظهر زناك فتصير فضيحة فاقتلها قبل الولادة، وأعلم والدها أنها قد ماتت فيصدقك فتنجو من العذاب والشين فقتلها الزاهد فجاء الشيطان إلى الملك في زيّ العلماء فأخبره بصنع الزاهد بابنته من الإحبال والقتل، وقال: إن أردت أن تعرف حقيقة ما أخبرتك فانبش قبرها وشق بطنها فإن خرج منها ولد فهو مصداق مقالتي وإن لم يخرج فاقتلني ففعل الملك ذلك فإذا الأمر كما قال: فأخذ الزاهد وأركبه الإبل وحمله إلى بلده فصلبه فجاءه الشيطان وهو مصلوب فقال له إنك زنيت بأمري وقتلت نفساً بأمري فآمن بي أنجك من عذاب الملك فأدركته الشقاوة فآمن به فهرب الشيطان منه ووقف من بعيد فقال الزاهد نجني فقال الشيطان إني أخاف الله رب العالمين. فعلى العاقل الحذر من كيده.

وفي «المثنوي»:

آدمى را دشمن پنهان بسيست — آدمىء باحذر عاقل كسيست

واعلم أن الشيطان إذا ظفر بالسالك يغره بالقوة والكمال والبلوغ إلى مرتبة الرجال وأنه لا يضره التصرف في الدنيا وارتكاب بعض المنهيات، بل ينفعه في نفي الرياء والعجب كما هو طريقة أهل الملامة.

قال بعض أرباب الحقيقة: يجوز أن تظهر لنفسك ما يوجب نفي دعواها من مباح مستبشع أو مكروه لم يمنع دواء لعلة العجب لا محرماً متفقاً عليه انتهى، فليكن هذا على ذكر منك فإن صوفية الزمان قد تجاوزوا الحلال إلى الحرام وتركوا العهود بينهم وبين المشايخ الكرام ولم يعرفوا أن السلامة في الأخذ بالكتاب وسنة النبي عليه السلام والتأدب بآداب وضعها الخواص من الأنام لمن يطلب الدخول إلى حرم أسرار الله الملك العلام. قال الحافظ:

در راه عشق وسوسهٔ اهر من بسيست — هش دار وكوش دل بپيام سروش كن

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿إذ﴾ منصوب باذكر ﴿يقول المنافقون﴾ من أهل المدينة من الأوس والخزرج. ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ من قريش كانوا قد أسلموا ولم يهاجروا لعدم قوة إسلامهم، ولمنع أقربائهم إياهم من الهجرة فلما خرجت قريش إلى بدر أخرجوهم معهم كرهاً، ولما رأوا قلة عدد المسلمين ارتابوا وارتدوا، وقالوا لأهل مكة: ﴿غر هؤلاء﴾ يعنون المؤمنون ﴿دينهم﴾؛ إذ خرجوا مع قلة عددهم وعددهم لحرب قريش مع كثرتهم وشوكتهم ولم يشكوا، بل قطعوا بأن قريشاً تغلبهم لأنهم زهاء الألف والمؤمنون ثلاثمائة وبضعة عشر، فقال الله تعالى: جواباً لهم ﴿ومن﴾ [هركه] ﴿يتوكل على الله﴾ أي: ومن يسلم أمره إلى الله تعالى ويثق به وبقضائه، ﴿فإن الله عزيز﴾ غالب لا يذل من توكل عليه واستجار به وإن قل ﴿حكيم﴾ يفعل بحكمته البالغة ما تستبعده العقول وتحار في فهمه ألباب الفحول. روي أن الحجاج بن يوسف سمع ملبياً يلبي حول البيت رافعاً صوته بالتلبية، وكان إذ ذاك بمكة فقال عليّ بالرجل فأتي به إليه، فقال: ممن الرجل؟ قال من المسلمين، فقال: ليس عن الإسلام سألتك قال فعم سألت؟ قال: سألتك عن البلد قال من أهل اليمن، قال كيف تركت محمد بن يوسف؟ يعني: أخاه قال تركته عظيماً جسيماً لباساً ركاباً خراجاً ولاجاً، قال: ليس عن هذا سألتك قال: فعم سألت؟ قال: سألتك عن سيرته قال تركته ظلوماً غشوماً مطيعاً للمخلوق عاصياً للخالق، فقال له الحجاج: ما حملك على هذا الكلام وأنت تعلم مكانه مني، قال الرجل: أترى مكانه منك أعز مني بمكاني من الله، وأنا وافد بيته وزائر نبيه وقاضي دينه ومتبع دينه فسكت الحجاج ولم يجر جواباً وانصرف الرجل من غير إذن، فتعلق بأستار الكعبة، وقال: اللهم بك أعوذ وبك ألوذ، اللهم فرجك القريب ومعروفك القديم وعادتك الحسنة، فانظر إلى هذا الرجل كيف أظهر الحق ولم يخف من المخلوق خصوصاً من الحجاج الذي كان أظلم خلق الله في زمانه حتى كسر الأعراض وسفك الدماء، وفعل ما فعل إلى حيث يضيق نطاق البيان عنه فلما توكل على الله واستجار به نصره الله وهو بانفراده على الحجاج وهو مع جمعه لأن الصحيح السالم وهو المؤمن غالب على السقيم المبتلى، وهو المنافق والحجاج كان من منافقي هذه الأمة.

واعلم: أن مرض القلوب على نوعين: نوع منه الشك في الإيمان والدين وحقيقته فذلك مرض قلوب الكفار والمنافقين. والثاني: ميلها إلى الدنيا وشهواتها وملاحظة الحظوظ النفسانية وهو مرض قلوب المسلمين.

والإشارة فيه: أن المعالجة لما يكون في قلوب الكفار والمنافقين بالإيمان والتصديق واليقين وإن ماتوا في مرضهم فهم من الهالكين، ومعالجة مرض قلوب المسلمين بالتوبة والاستغفار والزهد والطاعة والورع والتقوى وإن ماتوا في مرضهم فهم من أهل النجاة من النار بعد العذاب وشفاعة الأنبياء، وربما يؤدي مرضهم بترك المعالجة والاحتماء إلى الهلاك وهو الكفر ألا ترى إلى حال بعض المسلمين من أهل مكة لما تركوا العلاج، وانقطعوا عن الطبيب وهو النبي عليه السلام وما احتموا عن الغذاء المخالف وهو قولهم غر هؤلاء دينهم هلكوا مع الهالكين ظاهراً وباطناً.

فعلى العاقل تحصيل حسن الحال قبل حلول الأجل وهو إنما يكون بصحبة واصل إلى الله عز وجل والله تعالى يجود على الخلق عامة فكيف على العقلاء والعشاق. قال الحافظ:

عاشق كه شدكه يار بحالش نظر نكرد أي خواجه دردنيست وكرنه طبيب هست

وقال آخر:

مكو أصحاب دل رفتند وشهر عشق شد خالى

جهان پر شمس تبر يزاست ومردى كوچو مولانا

اللهم وفقنا لما تحب وترضى وسهل علينا مداواة هذه القلوب المرضى.

﴿ولو ترى﴾ يا محمد حال الكفرة، أي لو رأيت فإن لو تجعل المضارع ماضياً عكس إن ﴿إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة﴾ أي حين تقبض أعوان ملك الموت أرواح الكفار ببدر فالملائكة فاعل يتوفى ﴿يضربون﴾ أي حال كون الملائكة يضربون بمقامع من حديد كلما ضربوا التهب النار منها ﴿وجوههم﴾ أي: ما أقبل من أعضائهم ﴿وأدبارهم﴾ أي ما أدبر منها ﴿وذوقوا﴾ أي يضربون ويقولون ذوقوا بعد السيف في الدنيا. ﴿عذاب الحريق﴾ أي: العذاب المحرق الذي هو مقدمة عذاب الآخرة فهو فعيل بمعنى مفعل يقال حرقه بالنار وأحرقه وحرقه فاحترقِ وتحرق وجواب لو محذوف للإيذان بخروجه عن حدود البيان أي لرأيت أمراً فظيعاً لا يكاد يوصف.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ذلك﴾ المذكور من الضرب والعذاب واقع. ﴿بما قدمت أيديكم﴾ أي: بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي، فاليد عبارة عن النفس الدراكة عبر عنها باسم أغلب آلاتها في اكتساب الأفعال. ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ محله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها، أي: والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم فلا يجازي أهل الإيمان بجهنم وعذابها وإنما يجازي أهل الكفر والنفاق والارتداد بظلمهم على أنفسهم وسر التعبير عن نفي التعذيب بنفي الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعاً عند أهل السنة فضلاً عن كونه ظلماً بالغاً قد مر في سورة آل عمران.

فإن قلت ظلام أخص من ظالم لأنه للمبالغة المقتضية للتكثير ولا يلزم من نفي الأخص نفي الأعم.

قلت: المراد بكثرة الظلم كثرته باعتبار كثرة متعلقه فإن لفظ العبيد يدل على الكثرة فيكون ما أصابهم من الظلم كثيراً نظراً إلى كثرتهم فالمنفي عن كل واحد منهم أصل الظلم، فالمعنى: أنه تعالى لا يظلم أحداً من عبيده وأيضاً أنه إذا نفي الظلم الكثير انتفى القليل لأن الذي يظلم إنما يظلم للانتفاع بالظلم فإذا ترك كثيره مع زيادة نفعه في حق من يجوز عليه النفع والضر كان لقليله مع قلة نفعه اترك. وأيضاً إن الظلام للنسبة كما في بزاز وعطار أي لا ينسب إليه ظلم البتة ﴿كدأب آل فرعون﴾ تسلية لرسول الله ﷺ، أي: عادة كفار قريش في كفرهم وعنادهم كعادة آل فرعون المشهورين بقباحة الأعمال، وأصل الدأب في اللغة إدامة العمل يقال فلان يدأب في كذا أي يداوم عليه ويواظب ويتعب نفسه فيه، ثم سميت العادة دأباً؛ لأن الإنسان يداوم على عادته وآل الرجل الذين يرجعون إليه بأوكد الأسباب ولهذا لا يقال لقرابة الرجل آل الرجل ولا يقال لأصحابه آله والمقصود هنا كدأب فرعون وآله أي: أتباعه. ﴿والذين

من قبلهم﴾ أي: من قبل آل فرعون كقوم نوح وثمود وعاد وغيرهم من أهل الكفر والعناد. **﴿كفروا بآيات الله﴾** تفسير للدأب، والآيات هي دلائل التوحيد المنصوبة في الأنفس والآفاق أو معجزات الأنبياء على الإطلاق **﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾** أي: عاقبهم الله تعالى بسبب كفرهم وسائر معاصيهم. **﴿إن الله قوي شديد العقاب﴾** لا يغلبه في دفعه شيء.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿ذلك﴾ أي: ترتب العقاب على أعمالهم السيئة دون أن يقع ابتداء مع قدرته تعالى على ذلك. **﴿بأن الله﴾** أي: بسبب أنه تعالى. **﴿لم يك﴾** في حد ذاته. وأصله يكن فحذفت النون تخفيفاً لشبهها بحرف اللين من حيث كونها حرف غنة فكما يحذف حرف اللين حال الجزم حذفت النون الساكنة أيضاً للتخفيف لكثرة استعمال فعل الكون، ولم يحذف في نحو لم يصن ولم يخن لقلة استعمالهما بالنسبة إلى لم يكن وكثرة الاستعمال تستدعي التخفيف. **﴿مغيراً نعمة أنعمها﴾** أي: لم ينبغ له سبحانه ولم يصح في حكمته أن يكون بحيث يغير نعمة أنعم بها **﴿على قوم﴾** من الأقوام، أي: نعمة كانت جلت أو هانت. **﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾** من الأعمال والأحوال التي كانوا عليها وقت ملابستهم للنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت أحوالهم السابقة مرضية صالحة، أو قريبة من الصلاح بالنسبة إلى الحادثة كدأب هؤلاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة الأصنام مستمرين على حالة مصححة لإفاضة نعمة الإمهال وسائر النعم الدنيوية عليهم، فلما بعث إليهم النبي عليه السلام بالبينات غيروها إلى أسوأ منها وأسخط حيث كذبوه عليه الصلاة والسلام وعادوه ومن تبعه من المؤمنين وتحزبوا عليهم يبغونهم الغوائل فغير الله تعالى ما أنعم به عليهم من نعمة الإمهال وعاجلهم بالعذاب والنكال.

وقال الحدادي: أطعمهم الله من جوع وآمنهم من خوف وأرسل إليهم رسولاً منهم وأنزل عليهم كتاباً بألسنتهم ثم إنهم غيروا هذه النعم ولم يشكروها ولم يعرفوها من الله فغير الله ما بهم وأهلكهم وعاقبهم ببدر. **﴿وأن الله سميع عليم﴾** أي: وبسبب أن الله تعالى يسمع ويعلم جميع ما يأتون وما يذرون من الأقوال والأفعال السابقة واللاحقة فيرتب على كل منها ما يليق بها من إبقاء النعمة وتغييرها.

﴿كدأب آل فرعون﴾ تكرير للتأكيد **﴿والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم﴾** وعطف قوله تعالى: **﴿وأغرقنا آل فرعون﴾** على (أهلكنا) مع اندراجه تحته للإيذان بكمال هول الإغراق وفظاعته كعطف جبرائيل على الملائكة **﴿وكل﴾** من غرقى القبط وقتلى قريش **﴿كانوا ظالمين﴾** أنفسهم بالكفر والمعاصي حيث عرّضوها للهلاك أو واضعين للكفر والتكذيب مكان الإيمان التصديق.

والإشارة: أن فرعون وقومه اختصوا بالاستغراق في بحر الهلاك عن غيرهم لادعاء فرعون الربوبية وإقرار قومه وتصديقهم إياه بها وهذا غاية فساد جوهر الروحانية باستيلاء الصفات النفسانية، وكل ممن كفر بالله وكذب بآياته كانوا ظالمي أنفسهم لإفساد استعدادهم وإن لم يبلغوا في الظلم والكفر ما بلغ فرعون وقومه فعليك بمحافظة الاستعداد الفطري وإكثار

الشكر عليه وإياك وشؤم المعاملات السيئة المؤدية إلى الإفساد والإهلاك ولا يحملك العناد على مخالفة الحق وعدم قبوله فإنه لا ينبغي لأحد خصوصاً للسلاك.

كسى راكه پندار درسربود مپندار هركزكه حق بشنود

قال الإمام الغزالي قدس سره: إن النعمة إنما تسلب ممن لا يعرف قدرها وأقنع في هذا الباب بمثال ملك يكرم عبداً له فيخلع عليه خاصة ثيابه ويقربه منه ويجعله فوق سائر حجابه وخدامه ويأمره بملازمة بابه ثم يأمر أن يبتني له في موضع آخر القصور وتوضع له الأسرة وتنصب له الموائد وتزين له الجواري ويقام له الغلمان حتى إذا رجع من الخدمة أجلس هنالك ملكاً مخدوماً مكرّماً وما بين حال خدمته إلى ملكه وولايته إلا ساعة من نهار أو أقل فإن أبصر هذا العبد بجانب باب الملك سائساً للدواب يأكل رغيفاً أو كلباً يمضع عضماً فجعل يشتغل عن خدمة الملك بنظره إليه وإقباله عليه ولا يلتفت إلى ما له من الخلع والكرامة فيسعى إلى ذلك السائس ويمد يده ويسأله كسرة من رغيفه أو يزاحم الكلب على العظم ويعظمهما ويعظم ما هما فيه أليس الملك إذا نظر إليه على مثل هذه الحالة، يقول هذا السفيه لم يعرف حق كرامتنا ولم ير قدر إعزازنا إياه بخلعنا والتقرب إلى حضرتنا مع صرفنا إليه من عنايتنا وأمرنا له من الذخائر وضروب الأيادي ما هذا إلا ساقط عظيم الجهل قليل التمييز اسلبوه الخلع واطردوه عن بابنا، فهذا حال العالم إذا مال إلى الدنيا والعابد إذا اتبع الهوى فعليك أيها الرجل ببذل المجهود حتى تعرف نعم الله تعالى عليك واحذر من أن تكون النعمة نقمة والولاء بلاء والعز ذلاً والإقبال إدباراً واليمين يساراً فإن الله تعالى غيور. وفي «المثنوي»:

هركه شد مرشاه را او جامه وار هست خسران بهر شاهش اتجار
هركه باسلطان شود او همنشين بر درش شستن بود حيف وغبين
دست پوسش چون رسيد از پادشاه كر كزيند بوس پاباشد كناه
كرچه سر برپانهادن خدمتست پيش آن خدمت خطا وزلتست
شاه را غيرت بود بر هركه او بو كزيند بعد ازانكه ديدرو

والمقصود: أن من عرف الله وعرف قدر نعمته عليه ترك الالتفات إلى الدنيا بل إلى الكونين فإن الله أجل من كل شيء وذكره أفضل من كل ذكر وكلام. وحكي أن سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والدواب من الوحوش والأنعام والجن والإنس وسائر الحيوانات عن يمينه ويساره فمر بعابد من عباد بني إسرائيل، فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكاً عظيماً فسمع ذلك سليمان فقال لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن داود فإن ما أعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى فهذا إرشاد عظيم لمن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وتوجه إلى الحضرة العليا فارغاً عن شواغل الدنيا.

﴿إن شر الدواب﴾ أي: شر ما يدب على الأرض ويتحرك من الحيوانات. ﴿عند الله﴾ أي: في حكمه وقضائه. ﴿الذين كفروا﴾ أي: أصروا على الكفر ورسخوا فيه. ﴿فهم لا يؤمنون﴾ فلا يتوقع منهم إيمان لكونهم من أهل الطبع وجعلوا شر الدواب لا شر الناس إيماء إلى أنهم بمعزل عن مجانستهم وإنما هم من جنس الدواب ومع ذلك هم شر من جميع أفرادها كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: ٤٤].

دريغ آدمى زادهٔ پرمحل كه باشد چو انعام بل هم اضل

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿الذين عاهدت منهم﴾ بدل من الموصول الأول بدل البعض للبيان أو للتخصيص، أي: الذين أخذت منهم عهدهم فمن لابتداء الغاية. ﴿ثم ينقضون عهدهم﴾ الذي أخذته منهم عطف على عاهدت. ﴿في كل مرة﴾ من مرات المعاهدة. ﴿وهم لا يتقون﴾ أي: يستمرون على النقض والحال أنهم لا يتقون سيئة الغدر ولا يبالون فيه من العار والنار وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله ﷺ على أن لا يعينوا عليه عدواً فنقضوا العهد وأعانوا أهل مكة يوم بدر بالسلاح ثم قالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدهم مرة أخرى فنكثوا ومالؤوهم عليه يوم الخندق أي ساعدوا وعاونوا وذلك أنهم لما رأوا غلبة المسلمين على المشركين يوم بدر قالوا إنه هو النبي الموعود بعثه في آخر الزمان فلا جرم يتم أمره ولا يقدر أحد على محاربته ثم إنهم لما رأوا يوم أحد ما وقع من نوع ضعف المسلمين شكوا وقد كان احترق كبدهم بنار الحسد من ظهور دينه وقوة أمره فركب كعب بن أسد سيد بني قريظة مع أصحابه إلى مكة وواثقوا المشركين على حرب رسول الله ﷺ فأدى ذلك إلى غزوة الخندق، وفيه ذم بطريق الإشارة للذين عاهدوا الله على ترك المعاصي والمنكرات ثم نقضوا العهد مرة بعد أخرى.

نه مارا درميان عهد وفا بود جفا كردى وبد عهدى نمودى
هنوزت ارسر صلحست باز آى كزان محبوبتر باشى كه بودى

﴿فإما تثقفنهم﴾ ثقفه كسمعه صادفه أو أخذه أو ظفر به أو أدركه كما في «القاموس» وإما مركبة من إن للشرط وما للتأكيد، أي: فإذا كان حالهم كما ذكر فإما تصادفنهم وتظفرنّ بهم. ﴿في الحرب﴾ أي: في تضاعيفها. ﴿فشرد﴾ فرق.

قال الكاشفي: [پس رميده كردان ومتفرق ساز] ﴿بهم﴾ أي بسبب قتلهم ﴿من خلفهم﴾ مفعول شرد أي من وراءهم من الكفرة من أعدائك، والتشريد: الطرد وتفريق الشمل وتبديد الجمع، يعني: إن صادفت هؤلاء الناقضين في الحرب افعل بهم وأوقع فيهم من النكاية والقهر ما يضطرب به حالهم ويخاف منك أمثالهم بحيث يذهب عنهم بالكلية ما يخطر ببالهم من مناصبتك، أي: معاداتك ومحاربتك ﴿لعلهم يذكرون﴾ أي: لعل المشردين وهم من خلفهم يتعظون بما شاهدوا مما نزل بالمنافقين فيرتدعون عن النقض أو عن الكفر.

نرود مرغ سوى دانه فراز چون دكر مرغ بيند اندر بند
پند كيراز مصائب دكران تا نكيرند ديكران زتو پند

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وإما تخافن﴾ تعلمن فالخوف مستعار للعلم. ﴿من قوم﴾ من المعاهدين ﴿خيانة﴾ نقض عهد فيما سيأتي بما لاح لك منهم من علامات الغدر. ﴿فانبذ إليهم﴾ أي: فاطرح إليهم عهدهم حال كونك. ﴿على سواء﴾ أي: ثابتاً على طريق سويّ في العداوة بأن تظهر لهم النقض وتخبرهم أخباراً مكشوفاً بأنك قد قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة، فلا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد كيلا يكون من قبلك شائبة خيانة أصلاً فالجار متعلق

بمحذوف وهو حال من النابذ أو على استواء في العلم بنقض العهد بحيث يستوي فيه أقصاهم وأدناهم فهو حال من المنبوذ إليهم أو تستوي فيه أنت وهم فهو حال من الجانبين. **﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾** تعليل للأمر بالنبذ على طريقة الاستئناف كأنه قيل: لِمَ أمرتنا بذلك ونهيتنا عن المحاربة قبل نبذ العهد فأجيب بذلك ويحتمل أن يكون طعناً على الخائنين الذين عاهدهم الرسول عليه السلام كأنه قيل: وإما تعلمن من قوم خيانة فانبذ إليهم ثم قاتلهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ وهم من جملتهم لما علمت حالهم.

واعلم أن النبذ إنما يجب على الإمام إذا ظهرت خيانة المعاهدين بأمارات ظنية وأما إذا ظهر أنهم نقضوا العهد ظهوراً مقطوعا به فلا حاجة إلى نبذ العهد كما فعل رسول الله ﷺ بأهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة النبي عليه السلام، ولما أمر الله بنبذ العهد والتصريح به قبل المحاربة خطر بالبال أن يقال: كيف نوقظ العدو ونعلمهم بطرح العهد إليهم قبل المحاربة مع أنهم إن علموا ذلك إما أن يتأهبوا للقتال ويستجمعوا أقصى ما يمكن لهم من أسباب التقوى والغلبة أو يفروا ويتخلصوا وعلى التقديرين يفوت المقصود وهو الانتقام منهم أما يكفي لصحة المحاربة معهم بغير نبذ العهد إليهم وإعلامهم به ظهور أمارات الخيانة منهم فأزاح الله تعالى هذا المحذور بقوله:

﴿ولا يحسبن﴾ أي: لا يظن **﴿الذين كفروا﴾** وهو فاعل والمفعول الأول محذوف أي أنفسهم حذف هرباً من تكرار ذكرهم. **﴿سبقوا﴾** مفعول ثانٍ، أي: فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم ويدخل فيه من لم يظفر به يوم بدر وغيره من معارك القتال من الذين آذوه عليه السلام وبالغوا في عصيانه. **﴿إنهم لا يعجزون﴾** تعليل للنهي على سبيل الاستئناف المبني على تقدير السؤال، أي: لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزاً عن إدراكهم على أن همزة أعجز لوجود المفعول على فاعلية أصل الفعل وهو العجز، كما تقول أبخلته إذا وجدته بخيلاً يقال أعجزه الشيء إذا فاته وأعجزت الرجل إذا وجدته عاجزاً.

وفي الآية: تهديد للنفوس التي اجترأت على المعاصي وهي في الحقيقة مجترئة على الله تعالى.

وعن السري السقطي رضي الله عنه قال: كنت يوماً أتكلم بجامع المدينة فوقف عليّ شاب حسن الشباب، فأخر الثياب ومعه أصحابه فسمعني أقول في وعظي عجباً لضعيف يعصي قوياً فتغير لونه. وانصرف فلما كان الغد جلست في مجلسي، وإذا به قد أقبل فسلم وصلى ركعتين وقال يا سري: سمعتك بالأمس تقول عجباً لضعيف كيف يعصي قوياً فما معناه؟ قلت: لا أقوى من الله ولا أضعف من العبد وهو يعصيه.

كرچه شاطر بود خروس بجنك — چه زند پيش باز رويين چنك

فنهض وخرج ثم أقبل من الغد وعليه ثوبان أبيضان وليس معه أحد، فقال: ياسري كيف الطريق إلى الله فقلت: إن أردت العبادة فعليك بصيام النهار وقيام الليل، وإن أردت الله فاترك كل شيء سواه تصل إليه وليس إلا المساجد والخراب والمقابر، فقام وهو يقول والله لاسلكت إلا أصعب الطرق وولى خارجاً، فلما كان بعد أيام أقبل إليّ غلمان كثير فقالوا ما فعل أحمد بن يزيد الكاتب؟ فقلت: لا أعرف إلا رجلاً جاءني من صفته كذا وكذا وجرى لي معه كذا وكذا ولا أعلم حاله، فقالوا: بالله عليك متى عرفت حاله فعرفنا ودلنا على داره فبقيت سنة لا أعرف

حاله ولا أعرف له خبراً، فبينا أنا ذات ليلة بعد العشاء الأخيرة جالس في بيتي إذا بطارق يطرق الباب، فأذنت له في الدخول فإذا بالفتى عليه قطعة من كساء في وسطه وأخرى على عاتقه ومعه زنبيل فيه نوى فقبل بين عيني، وقال يا سري أعتقك الله من النار كما أعتقتني من رق الدنيا فأومأت إلى صاحبي أن امض إلى أهله فأخبرهم فمضى فإذا زوجته قد جاءت ومعها ولده وغلمانه فدخلت وألقت الولد في حجره وعليه حلي وحلل، وقالت له يا سيدي أرملتني وأنت حي وأيتمت ولدك وأنت حي، قال السري: فنظر إليّ فقال ياسري ما هذا وفاء ثم أقبل عليها وقال والله إنك لثمرة فؤادي وحبيبة قلبي وإن هذا ولدي لأعز الخلق عليّ غير أن هذا السري أخبرني أن من أراد الله قطع كل ما سواه ثم نزع ما على الصبي وقال ضعي هذا في الأكباد الجائعة والأجساد العارية وقطع قطعة من كسائه فلف فيها الصبي فقالت المرأة: لا أرى ولدي في هذه الحالة وانتزعته منه فحين رآها قد اشتغلت به نهض وقال: ضيعتم عليّ ليلتي بيني وبينكم الله، وولى خارجاً وضجت الدار بالبكاء، فقالت: إن عاد ياسري وسمعت له خبراً فأعلمني، فقلت: إن شاء الله فلما كان بعد أيام أتتني عجوز فقالت: ياسري بالشونيزية غلام يسألك الحضور فمضيت فإذا به مطروح تحت رأسه لبنة فسلمت عليه ففتح عينيه، وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ثم مات فأخذت الدراهم فاشتريت ما يحتاج إليه ثم سرت نحوه، فإذا الناس يهرعون فقلت: ما الخبر فقيل مات ولي من أولياء الله نريد أن نصلي عليه. فجئت فغسلته ودفناه فلما كان بعد مدة وفد أهله يستعلمون خبره فأخبرتهم بموته فأقبلت امرأته باكية فأخبرتها بحاله فسألتني أن أريها قبره، قلت أخاف أن تغيروا أكفانه قالت لا والله، فأريتها القبر فبكت وأمرت بإحضار شاهدين فأحضرا فأعتقت جواريها ووقفت عقارها وتصدقت بمالها ولزمت قبره حتى ماتت رحمة الله عليهما.

فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿وأعدوا﴾ [وآماده سازيد اي مؤمنان] ﴿لهم﴾ أي لقتال الكفار وهيئوا لحرابهم. ﴿ما استطعتم﴾ أي: ما استطعتموه حال كونه. ﴿من قوة﴾ من كل ما يتقوى به في الحرب كائناً ما كان من خيل وسلاح وقسي وغيرها. الحصر المستفاد من تعريف الطرفين في قوله عليه السلام: «ألا إن القوة الرمي» من قبيل حصر الكمال لأن الرمي أكمل أفراد ما يتقوى به في الحرب. روي أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه رمى يوم أحد ألف سهم ما منها سهم إلا ورسول الله ﷺ قال: «فداك أبي وأمي يا سعد».

كره بعض العلماء تفدية المسلم بأبويه المسلمين قالوا إنما فداه عليه السلام بأبويه لأنهما كانا كافرين.

قال النووي: الصحيح أنه جائز مطلقاً لأنه ليس فيه حقيقة الفداء وإنما هو تلطف في الكلام وإعلام بمحبته وفي الحديث فضيلة الرمي والدعاء لمن فعل خيراً وجاء في الحديث: «إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه الذي يحتسب في صنعته الخير، والمهدى له والرامي

به» وفي الحديث: «من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة» ومن رمى بسهم في سبيل الله فبلغ العدو أو لم يبلغ كان له: كعتق رقبة مؤمنة كانت له فداء من النار عضواً بعضو» وفي الحديث: «من مشى بين الغرضين كان له بكل خطوة حسنة» والغرض بفتح الغين المعجمة والراء بعدهما الضاد المعجمة هو ما يقصده الرماة بالإصابة وفي الحديث: «كل شيء ليس من ذكر الله تعالى فهو لهو إلا أربع خصال مشى الرجل بين الغرضين وتأديب فرسه وملاعبة أهله وتعليم السباحة» [رمى برسه كونه است. رمى ظاهر به تيروكمان. ورمى باطن به تيرآه درصبحكاه ازكمان خضوع. ورمى سهام حظوظ ازدل وتوجه بحق وفراغت ازماسوى]. قال الحافظ:

نيست برلوح دلم جز الف قامت دوست چه كنم حرف دكر ياد نداد استادم

واعلم أن صاحب المجاهدة الباطنة يتقوى على قتال النفس وهواها بذكر الله تعالى فهو القوة في حقه. ﴿ومن رباط الخيل﴾ فعال بمعنى مفعول كلباس بمعنى ملبوس. فرباط الخيل بمعنى خيل مربوطة كما قيل جرد قطيفة بمعنى قطيفة جرد أضيف العام إلى الخاص للبيان أو التخصيص كخاتم فضة وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للإيذان بفضلها على بقية أفرادها كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة. ويقال إن الجن لا تدخل بيتاً فيه فرس ولا سلاح وفي الحديث: «من نقى شعيراً لفرسه ثم جاء به حتى يعلفه كتب الله له بكل شعيرة حسنة» والفرس يرى المنامات كبني آدم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الفرس يقول: إذا التقت الفئتان سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح ولذلك كان لهم في الغنيمة سهمان وفي الحديث: «عليكم بإناث الخيل فإن ظهورها حرز وبطونها كنز» وفي الحديث: «من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً به وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة» يعني: كفة حسناته.

قال موسى للخضر: أي الدواب أحب إليك؟ قال: الفرس والحمار والبعير، لأن الفرس مركب أولي العزم من الرسل والبعير مركب هود وصالح وشعيب ومحمد عليهم السلام والحمار مركب عيسى وعزير عليهما السلام وكيف لا أحب شيئاً أحياه الله تعالى بعد موته قبل الحشر.

واعلم أن الخيل ثلاثة: فرس للرحمن وهو ما اتخذ في سبيل الله وقتل عليه أعداء الله. وفرس للإنسان: وهو ما يلتمس بطنه وهو ستر من الفقر، وفرس للشيطان: وهو ما يقامر عليه ويراهن. ﴿ترهبون به﴾ حال من فاعل أعدوا، أي حال: كونكم مرهبين مخوفين بالأعداد. ﴿عدو الله وعدوكم﴾ وهم كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك لغاية عتوهم ومجاوزتهم الحد في العداوة، وفيه إشارة إلى أن المجاهد الباطني يرهب بالذكر والمراقبة أعدى العدو وهو النفس والشيطان. ﴿وآخرين من دونهم﴾ أي: ترهبون به أيضاً عدواً آخرين من غيرهم من الكفرة كاليهود والمنافقين والفرس ومنهم كفار الجن فإن صهيل الفرس يخوفهم. ﴿لا تعلمونهم﴾ العلم بمعنى المعرفة لتعديته إلى مفعول واحد ومتعلق المعرفة هو الذات، أي: لا تعرفونهم بأعيانهم ولو كان النسب كالعلم لكان المعنى لا تعرفونهم من حيث كونهم أعداء ﴿الله يعلمهم﴾ أي: يعرفهم لا غيره تعالى.

فإن قلت: المعرفة تستدعي سبق الجهل فلا يجوز إسنادها إلى الله تعالى؟.

قلت: المراد بالمعرفة في حقه تعالى مجرد تعلق علمه بالذوات دون النسب مع قطع

النظر عن كونها مجهولة قبل تعلقه بها ودلت الآية على أن الإنسان لا يعرف كل عدو له.

آدمي را دشمن پنهان بسيست آدمي باحذر عاقل كسيست

﴿وما﴾ شرطية ﴿تنفقوا من شيء﴾ لإعداد العتاد قلّ أو جلّ ﴿في سبيل الله﴾ الذي أوضحه الجهاد. ﴿يوف إليكم﴾ أي جزاؤه كاملاً. ﴿وأنتم لا تظلمون﴾ بترك الإثابة أو بنقص الثواب والتعبير عن تركها بالظلم مع أن الأعمال غير موجبة للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلماً لبيان كمال نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وإبراز الإثابة في معرض الأمور الواجبة عليه تعالى. روي أن رسول الله ﷺ أتى بفرس يجعل كل خطوة منه أقصى بصره، فسار وسار معه جبريل عليه السلام فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا شيئاً عاد كما كان فقال: «يا جبريل من هؤلاء» قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه» وفي الحديث: «من أعان مجاهداً في سبيل الله أو غارماً في عسرته أو مكاتباً في رقبته أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله». قال الحافظ:

أحوال كنج قارون كأيام داد برباد باغنچه بازكويد نازا نهان ندارد

وقال أيضاً:

چه دوزخى چه بهشتى چه آدمى چه ملك بمذهب همه كفر طريقتست امساك

﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

﴿وإن جنحوا﴾ الجنوح الميل ومنه الجناح لأن الطائر يميل به إلى أي جهة شاء ويعدى باللام وإلى، أي: مال الكفار. ﴿للسلم﴾ للصلح والاستسلام بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما لكم من الاستعداد واعتاد العتاد. ﴿فاجنح لها﴾ أي: للسلم والتأنيث لحمله على نقيضه الذي هو الحرب وهي مؤنثة أو لكونه بمعنى المسالمة أي: مصالحة ﴿وتوكل على الله﴾ أي: لا تخف من إبطان مكرهم في الصلح فإن الله يعصمك. ﴿إنه هو السميع﴾ فيسمع ما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع. ﴿العليم﴾ فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم في نحرهم، والآية عامة لأهل الكتاب وغيرهم. والأمر في قوله: (فاجنح) للإباحة والأمر فيه مفوض لرأي الإمام وليس يجب عليه أن يقاتلهم أبداً ولا أن يسعفهم إلى الصلح عند طلبهم ذلك أبداً، بل يبني الأمر على ما فيه صلاح المسلمين فإذا كان للمسلمين قوة فلا ينبغي أن يصالحهم وينبغي أن يحاربهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية وإن رأى المصلحة في المصالحة ومال إليها لا يجوز أن يصالحهم سنة كاملة إلا إذا كانت القوة والغلبة للمشركين فحينئذٍ جاز له أن يصالحهم عشر سنين ولا تجوز الزيادة عليها اقتداء برسول الله ﷺ فإنه عليه السلام فعل كذلك ثم إنهم نقضوا العهد قبل تمام المدة وكان ذلك سبباً لفتح مكة.

﴿وإن يريدوا﴾ أي: الذين يطلبون منك الصلح. ﴿أن يخدعوك﴾ بإظهار الصلح لتكف عنهم. ﴿فإن حسبك الله﴾ فإن محسبك الله وكافيك من شرورهم وناصرك عليهم يقال أحسبني فلان أي أعطاني حتى أقول: حسبي ﴿هو الذي أيدك بنصره﴾ أي: قواك بإمداد من عنده بلا

واسطة سبب معلوم مشاهد. ﴿وبالمؤمنين﴾ من المهاجرين والأنصار ثم إنه تعالى بيّن كيف أيده بالمؤمنين فقال.

﴿وألف بين قلوبهم﴾ [وپيوند افكند بدوستى ميان دلهاى ايشان] مع ما كان بينهم قبل ذلك من العصبية والضغينة والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان وكان إذا لطم رجل من قبيلة لطمة قاتل عنها قبيلته حتى يدركوا ثاره فكان دأبهم الخصومة الدائمة والمحاربة، ولا تتوقع بينهم الإلفة والاتفاق أبداً فصاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة هذا من أبهر معجزاته عليه السلام.

قال الكاشفي: [أوس وخزرج صد وبيست سال درميان ايشان تعصب وستيزه بود همواره بقتل وغارت هم اشتغال مى نمودند حق تعالى ببركت تودلهاى ايشانرا الفت داد].

يك حرف صوفيانه بكويم اجازتست　　　اي نور ديده صلح به ازجنك آورى

﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً﴾ أي: لتأليف ما بينهم. ﴿ما ألفت بين قلوبهم﴾ أي: تناهت عداوتهم إلى حد لو أنفق منفق في إصلاح ذات بينهم جميع ما في الأرض من الأموال والذخائر لم يقدر على التأليف والإصلاح. ﴿ولكن الله ألف بينهم﴾ قلباً وقالباً بقدرته الباهرة فإنه المالك للقلوب فيقلبها كيف يشاء. ﴿إنه عزيز﴾ كامل القدرة والغلبة لا يستعصي عليه شيء مما يريده ﴿حكيم﴾ يعلم كيفية تسخير ما يريده.

واعلم: أن التودد والتألف والموافقة مع الإخوان من ائتلاف الأرواح وفي الحديث: «المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف» وفي الحديث: «مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى وما التقى المؤمنان إلا استفاد أحدهما من صاحبه خيراً».

وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ إني أحبك في الله فقال: أبشر ثم أبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تنصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون». فقيل من هؤلاء يا رسول الله؟ فقال: «المتحابون في الله» قيل: لو تحاب الناس وتعاطوا المحبة لاستغنوا بها عن العدالة، فالعدالة خليفة المحبة تستعمل حيث لا توجد المحبة. وقيل: طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة فإن طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج ولهذا المعنى كانت صحبة الصوفية مؤثرة من البعض في البعض لأنهم لما تحابوا في الله تواصوا بمحاسن الأخلاق ووقع القبول لوجود المحبة فانتفع لذلك المريد بالشيخ والأخ بالأخ، ولهذا المعنى أمر الله تعالى باجتماع الناس في كل يوم خمس مرات في المساجد من أهل كل درب وكل محلة، وفي الجامع في الأسبوع مرة من أهل كل بلد وانضمام أهل السواد إلى البلدان في الأعياد في جميع السنة مرتين وأهل الأقطار من البلدان في العمر مرة للحج كل ذلك لحكم بالغة منها تأكيد الألفة والمودة بين المؤمنين وفي الحديث: «ألا إن مثل المؤمنين في توادهم وتحابهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى بعضه تداعى سائره بالسهر والحمى». قال السعدي قدس سره:

بنى آدم أعضاى يكديكرند　　　كه در آفرينش زيك جوهرند

چو عضوى بدرد آوردروزكار　　　دكر عضو هارا نماند قرار

والتألف والتودد يؤكد الصحبة مع الأخيار مؤثرة جداً بل مجرد النظر إلى أهل الصلاح

يؤثر صلاحاً والنظر في الصور يؤثر أخلاقاً مناسبة لخلق المنظور إليه كدوام النظر إلى المحزون يحزن ودوام النظر إلى المسرور يسر. وقد قيل من لا ينفعك لحظه لا ينفك لفظه والجمل الشرود يصير ذلولاً بمقارنة الجمل الذلول فالمقارنة لها تأثير في الحيوان والنبات والجماد والماء والهواء يفسدان بمقارنة الجيف والزروع تنقى من أنواع العروق في الأرض والنبات لموضع الإفساد بالمقارنة وإذا كانت المقارنة مؤثرة في هذه الأشياء ففي الصور الشريفة البشرية أكثر تأثيراً. وقيل: سمي الإنسان إنساناً لأنه يأنس بما يراه من خير أو شر والتألف والتودد مستجلبان للمزيد وإنما العزلة والوحدة تحمد بالنسبة إلى أراذل الناس وأهل الشر فأما أهل العلم والصفاء والوفاء والأخلاق الحميدة فتغتنم مقارنتهم والاستئناس بهم استئناس بالله تعالى كما أن محبتهم من محبة الله تعالى والجامع معهم رابطة الحق ومع غيرهم رابطة الطبع فالصوفي مع غير الجنس كائن بائن ومع الجنس كائن معاين والمؤمن مرآة المؤمن إذا التقى مع أخيه يستشف من وراء أقواله وأعماله وأحواله تجليات إلَهية وتعريفات وتلويحات من الله الكريم خفية غابت عن الأغيار وأدركها أهل الأنوار كذا في «عوارف المعارف».

يقول الفقير، أصلحه الله القدير: سمعت من بعض العلماء المتورعين والمشايخ المتزهدين ممن له زوجتان متباغضتان أنه قال قرأت هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ﴾ [الأنفال: ٦٢] إلى آخرها على ماء في كوز ونفخت فيه ثم أشربته إياهما فوقع التودد والألفة بينهما بإذن الله تعالى وزال التباغض والتنافر إلى الآن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿يا أيها النبي﴾ المخبر عن الله تعالى المرتفع شأنه ﴿حسبك الله﴾ أي كافيك في جميع أمورك ﴿ومن اتبعك من المؤمنين﴾ الواو بمعنى مع، أي: كفاك وكفى أتباعك ناصراً كقولك حسبك وزيداً درهم أو عطف على اسم الله تعالى أي كفاك الله والمؤمنون والكافي الحقيقي هو الله تعالى وإسناد الكفاية إلى المؤمنين لكونهم أسباباً ظاهرة لكفاية الله تعالى.

والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال تقوية للحضرة النبوية وتسلية للصحابة رضي الله عنهم فالمراد بالمؤمنين الأنصار.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في إسلام عمر رضي الله عنه فتكون الآية مكية كتبت في سورة مدنية بأمر رسول الله ﷺ. روي أنه أسلم مع النبي عليه السلام ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر رضي الله عنه فكمل الله الأربعين بإسلامه فنزلت وكان ﷺ يدعو ويقول: «اللهم أعز الإسلام» وفي رواية «أيد الإسلام بأحد الرجلين إما بأبي جهل بن هشام وإما بعمر بن الخطاب» وكان دعاؤه بذلك يوم الأربعاء فأسلم عمر رضي الله عنه يوم الخميس وكان وقتئذٍ ابن ست وعشرين سنة وسبقه حمزة بن عبد المطلب بالإسلام بثلاثة أيام أو بثلاثة أشهر. روي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨] قام أبو جهل بن هشام: وكان يكنى في الجاهلية بأبي الحكم لأنهم يزعمون أنه عالم ذو حكمة ثم كناه النبي عليه السلام بأبي جهل وغلبت عليه

كنيته، وكان خال عمر؛ لأن أم عمر أخت أبي جهل لأن أم عمر بنت هشام بن المغيرة والد أبي جهل فأبو جهل خال عمر أو لأن أم عمر بنت عم أبي جهل وعصبة الأم أخوال الابن، فلما قام خطب فقال: يا معشر قريش إن محمداً قد شتم آلهتكم وسفه أحلامكم وزعم أنكم وآباءكم وآلهتكم في النار؛ فهل من رجل يقتل محمداً وله عليّ مائة ناقة حمراء وسوداء وألف أوقية من فضة، فقام عمر بن الخطاب: وقال أتضمن ذلك يا أبا الحكم؟ فقال: نعم يا عمر فأخذ عمر بيد أبي جهل ودخلا الكعبة وكان عندها صنم عظيم يسمونه هبل فتحالفا عنده وأشهدا على أنفسهما هبل، فإنهم كانوا إذا أرادوا أمراً من سفر أو حرب أو سلم أو نكاح لم يفعلوا شيئاً حتى يستأمروا هبل ويشهدوه عليه، وتلك الأصنام التي كانت حوله كانت ألف صنم وخمسمائة صنم ثم خرج عمر متقلداً سيفه متنكباً كنانته، أي: واضعاً له في منكبه يريد رسول الله ﷺ وكان النبي عليه السلام مختفياً مع المؤمنين في دار الأرقم رضي الله عنه تحت الصفا يعبدون الله تعالى فيها ويقرؤون القرآن، فلما أتى إلى البيت الذي هم فيه قرع الباب فنظر إليه رجل من خلال الباب فرآه متوشحاً سيفه فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال يا رسول الله: هذا عمر بن الخطاب متوشحاً سيفه ولم يرد إلا سفك الدم وهتك العرض، فقال حمزة: فائذن له فإن جاء يريد خيراً بذلنا له، وإن جاء يريد شراً قتلناه بسيفه فأذن له في الدخول فلما رآه النبي عليه السلام قال: «ما أنت منتهي يا عمر حتى ينزل الله بك قارعة» ثم أخذ بساعده أو بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وانتهره فارتعد عمر هيبة لرسول الله ﷺ وجلس، فقال: اعرض عليّ الإسلام الذي تدعو إليه فقال النبي عليه السلام: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله» فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة وضرب النبي عليه السلام صدر عمر بيده حين أسلم ثلاث مرات وهو يقول: «اللهم أخرج ما في صدر عمر من غلّ وأبدله إيماناً» ونزل جبرائيل عليه السلام فقال يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر ولما أسلم قال المشركون لقد انتصف القوم منا، وقيل له رضي الله عنه ما تسمية النبي عليه السلام لك بالفاروق قال لما أسلمت والنبي عليه السلام وأصحابه مختفون قلت يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا قال: «بلى» فقلت ففيم الاختفاء والذي بعثك بالحق ما بقي مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإسلام غير هائب ولا خائف والله لا نعبد الله سراً بعد اليوم فخرج رسول الله ﷺ ومعه المسلمون وعمر رضي الله عنه أمامهم معه سيف ينادي لا إله إلا الله محمد رسول الله حتى دخل المسجد ثم صاح مسمعاً لقريش كل من تحرك منكم لأمكنن سيفي منه ثم تقدم أمام رسول الله ﷺ وهو يطوف والمسلمون ثم صلوا حول الكعبة وقرؤوا القرآن جهراً وكانوا قبل ذلك لا يقدرون على الصلاة عند الكعبة ولا يجهرون بالقرآن فسماه النبي عليه السلام الفاروق لأنه فرق الله به الحق والباطل. وجاء بسند حسن «إن أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب» وكان عمر شديداً من حيث مظهريته للاسم الحق وجاء «ما ترك الحق لعمر من صديق».

لما لزمت النصح والتحقيقا لم يتركا لي في الوجود صديقا

قال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة كان لنا جار طحان رافضيّ ملعون وكان له بغلان سمي أحدهما أبا بكر والآخر عمر فرمحه ذات ليلة أحد البغلين فقتله فأخبر جدي أبو حنيفة فقال: انظروا فإني أخال أن البغل الذي اسمه عمر هو الذي رمحه فنظروا فكان كما قال.

واستأذن عمر رضي الله عنه في العمرة، فأذن له عليه السلام وقال: «يا أخي لا تنسنا من دعائك» قال: ما أحب أن دعا لي بقوله: يا أخي ما طلعت عليه الشمس وجاء: «أول من يصافحه الحق عز وجل عمر بن الخطاب وأول من يسلم عليه» وجاء «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب» وجاء «إن الله تعالى أيدني بأربعة وزراء: اثنين من أهل السماء جبرائيل وميكائيل عليهما السلام واثنين من أهل الأرض أبي بكر وعمر رضي الله عنهما» فكانا بمنزلة الوزيرين من رسول الله ﷺ وكان عليه الصلاة والسلام يشاورهما في الأمور كلها وفيهما نزل ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وجاء «إنه كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون» المحدث بفتح الدال المشددة وهو الذي يلقى في نفسه الشيء فيخبر به فراسة ويكون كما قال وكأنه حدثه الملا الأعلى وهذه منزلة جليلة من منازل الأولياء «فإنه إن كان في أمتي هذه فهو عمر بن الخطاب» لم يرد النبي عليه السلام بقوله: إن كان في أمتي التردد في ذلك فإن أمته أفضل الأمم فإذا وجد في غيرها محدثون ففيها أولى بل أراد به التأكيد لفضل عمر كما يقال إن يكن لي صديق فهو فلان يريد بذلك اختصاصه بكمال الصداقة لا نفي سائر الأصدقاء وقد قيل في فضيلة عمر.

له فضائل لا تخفى على أحد   إلا على أحد لا يعرف القمرا

وجاء «إنه يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك» والفج طريق واسع. وفيه دليل على علو درجة عمر رضي الله عنه حيث لا يقدر الشيطان أن يسلك طريقاً فيه عمر والطريق واسع فكيف يتصور أن يجري منه مجرى الدم كما يجرى في سائر الخلق. وفيه تنبيه على صلابته في الدين واستمرار حاله على الحق المحض. وكان نقش خاتم أبي بكر نعم القادر الله وكان نقش خاتم عمر كفى بالموت واعظاً يا عمر. وكان نقش خاتم عثمان آمنت بالله مخلصاً. وكان نقش خاتم علي رضي الله عنه الملك لله. وكان نقش خاتم أبي عبيدة بن الجراح الحمد لله هذا هو النقش الظاهر المضاف إلى البدن وأما نقش الوجود فنفسه فقد قيل:

كرت صورت حال بد يانكوست   نكار يدهٔ دست تقدير اوست

وقيل:

نقش مستورى ومستى نه بدست من وتست   آنچه سلطان ازل كفت بكن آن كردم

نسأل الله تعالى أن يحفظ نقش إيماننا في لوح القلب من مس يد الشك والريب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، واجعلنا من أهل الإيقان الذي قلت فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢] فما نقشه قبضة جمالك لا يطرأ عليه محو من جلالك وإن تطاول الزمان وامتد عمر الإنسان.

﴿يا أيها النبي﴾ يا رفيع القدر **﴿حرض المؤمنين على القتال﴾** أي بالغ في حثهم على قتال الكفار ورغبهم فيه بوعد الثواب أو التنفيل عليه. والتحريض على الشيء أن يحث الإنسان غيره ويحمله على شيء حتى يعلم منه أنه إن تخلف عنه كان حارضاً أي قريباً من الهلاك فتكون الآية إشارة إلى أن المؤمنين لو تخلفوا عن القتال بعد حث النبي عليه السلام إياهم على القتال لكانوا حارضين مشرفين على الهلاك والحث إنما يكون بعد الإقدام بنفسه ليقتدي القوم به ولهذا كان النبي عليه السلام إذا اشتدت الحرب أقرب إلى العدو منهم كما قال علي رضي

الله عنه كنا إذا أحر البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه». قال السلطان سليم فاتح مصر:

كر لشكر عدو بود از قاف تابقاف   بالله كه هيچ روى نمى تابم ازمصاف
چون آفتاب ظلمت كفر ازجهان برم   كاهى چو صبح تيغ برون آرم ازغلاف

وفي الآية: بيان فضيلة الجهاد وإلا لما وقع الترغيب عليه، وفي الحديث: «ما جميع أعمال العباد عند المجاهدين في سبيل الله إلا كمثل خطاف أخذ بمنقاره من ماء البحر» **﴿إن يكن منكم﴾** أيها المؤمنون **﴿عشرون صابرون﴾** في معارك القتال **﴿يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا﴾** بيان للألف وهذا القيد معتبر في المائتين أيضاً كما أن قيد الصبر معتبر في كل من المقامين. **﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾** متعلق بيغلبوا، أي: بسبب أنهم قوم جهلة بالله وباليوم الآخر لا يقاتلون احتساباً وامتثالاً لأمر الله وإعلاء لكلمته وابتغاء لمرضاته وإنما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع الشهوات وخطوات الشيطان وإثارة نائرة البغي والعدوان فيستحقون القهر والخذلان وهذا القول وعد كريم منه تعالى متضمن لإيجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباته لهم. وقد بعث رسول الله ﷺ حمزة في ثلاثين راكباً، فلقي أبا جهل في ثلاثمائة راكب فهزمهم فثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة فنسخ الله هذا الحكم بقوله.

﴿ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝٦٦﴾

﴿الآن خفف الله عنكم﴾ ففرض على الواحد أن يثبت لرجلين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: من فر من ثلاثة لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر أي ارتكب المحرم وهو كبيرة الفرار من الزحف.

قال الحدادي: وهذا إذا كان للواحد المسلم من السلاح والقوة ما لكل واحد من الرجلين الكافرين كان فاراً. وأما إذا لم يكن لم يثبت حكم الفرار **﴿وعلم أن فيكم ضعفاً﴾** أي ضعف البدن.

قال التفتازاني: تقييد التخفيف بقوله: (الآن) ظاهر الاستقامة لكن في تقييد العلم به إشكال توهم انتفاء العلم بالحادث قبل وقوعه. والجواب إن العلم متعلق به أبداً أما قبل الوقوع فبأنه سيقع وحال الوقوع بأنه يقع وبعد الوقوع بأنه وقع.

وقال الحدادي وعلم في الأزل أن في الواحد منكم ضعفاً عن قتال العشرة والعشرة عن قتال المائة والمائة عن قتال الألف **﴿فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله﴾** بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر فيما سبق أيضاً ترك ذكره تعويلاً على ذكره ههنا **﴿والله مع الصابرين﴾** بالنصر والتأييد فكيف لا يغلبون وما تشعر به كلمة مع من متبوعية مدخولها لأصالتهم من حيث إنهم المباشرون للصبر دلت الآية على أن من صبر ظفر فإن الصبر مطية الظفر.

صبر وظفر هر دو دوستان قديمند   صبر كن اى دل كه بعد زان ظفر آيد
از چمن صبر رخ متاب كه روزى   باغ شود سبز وشاخ كل ببرآيد

قال السلطان سليم الأول:

سليمى خصم سيه دل چه داند اين حالت   كه ازظهور آلهيست فتح لشكر ما

قال في «التأويلات النجمية»: في قوله تعالى: ﴿بإذن الله﴾ يعني: أن الغلبة والظفر ليس من قوتكم لأنكم ضعفاء وإنما هو بحكم الله الأزلي ونصره. وأما الأقوياء: وهم محمد عليه السلام ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩] لقوة توكلهم ويقينهم وفقه قلوبهم لا يفر واحد منهم من مائة من العدو كما كان حال النبي عليه السلام ومن معه من أهل القوة على ما قال عباس بن عبد المطلب شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلم أفارقه ورسول الله على بغلة بيضاء فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق النبي عليه السلام يركض بغلته قِبَل الكفار وأنا آخذ بلجام بغلته أكفها إرادة أن لا يسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله فلما كان رسول الله ومن معه صابرين أولي قوة لم يفروا مع القوم. قال السلطان سليم:

سيمرغ جان ما كه رميدست ازدوكون   منت خدا يراكه بجان رام مصطفاست

وفي ترجمة وصايا «الفتوحات المكية» [آدمى از جهت انسانيت مخلوقست برهلع وبردلى وأما از روى ايمان مخلوقست برقوت وشجاعت واقدام ودر روايت آمده است ازبعضى ازصحابهء رسول الله ﷺ رسول اوراخبر داده بود كه تو والى شوى در مصر وحكم كنى وقتى قلعه را حصار كرده بودند وآن صحابى نيز درميان بود سائر اصحابرا كفت مرا دركفهء منجنيق نهيد وسوى كفار در قلعه انداز يد چون من آنجا رسم قتال كنم ودر حصار بكشايم چون از سبب اين جرأت پرسيدند كفت رسول الله ﷺ مرا خبرداده است كه در مصر والى شوم وهنوز نشدم يقين ميدانم كه نميرم تاوالى نشوم فهم كن كه قوت ايمان اينست والاازروى عرف معلومست كه چون كسى را در كفهء منجنيق نهند وبيندازند حال اوچه باشد پس دل مؤمن قوى ترين دلهاست] ألا إنما الإنسان غمد لقلبه ولا خير في غمد إذا لم يكن نصل وجاء في دعاء النبي عليه السلام: «اللهم إني أعوذ بك من الشك في الحق بعد اليقين، وأعوذ بك من الشيطان الرجيم، وأعوذ بك من شر يوم الدين» قال بعضهم: العمل سعي الأركان إلى الله، والنية سعي القلوب إلى الله تعالى القلب ملك والأركان جنوده ولا يحارب الملك إلا بالجنود ولا الجنود إلا بالملك.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿ما كان﴾ ما صح وما استقام. **﴿لنبي﴾** من الأنبياء عليهم السلام. **﴿أن يكون له أسرى﴾** أي: يثبت له فكان هذه تامة. وأسرى جمع أسير كجرحى جمع جريح وأسارى جمع الجمع. روي أنه عليه السلام أتي يوم بدر بسبعين أسيراً فيهم العباس وعقيل بن أبي طالب فاستشار فيهم، فقال أبو بكر: هم قومك وأهلك استبقهم لعل الله يهديهم إلى الإسلام، وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك، وقال عمر: كذبوك وأخرجوك من ديارك وقاتلوك فاضرب أعناقهم فإنهم أئمة الكفر مكّني من فلان لنسيب له، ومكّن علياً من عقيل وحمزة من العباس فلنضرب أعناقهم فلم يهوَ ذلك رسول الله ﷺ وقال: «إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب الرجال حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال: فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم، ومثلك يا عمر مثل

نوح قال لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً» فخير أصحابه بأن قال لهم: «إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم أطلقتموهم بأن تأخذوا من كل أسير عشرين أوقية» والأوقية أربعون درهماً في الدراهم وستة دنانير في الدنانير «إلا أن يستشهد منكم بعدتهم» فقالوا: بل نأخذ الفداء ويدخل منا الجنة سبعون وفي لفظ ويستشهد منا عدتهم فاستشهدوا يوم أحد بسبب قولهم هذا وأخذهم الفداء فنزلت الآية في فداء أسارى بدر فدخل عمر على رسول الله ﷺ فإذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله أخبرني فإن أجد بكاء بكيت وإلا تباكيت فقال: «أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة» لشجرة قريبة منه.

قال في «السيرة الحلبية»: أسرى بدر منهم من فدي ومنهم من خلي سبيله من غير فداء وهو أبو العاص ووهب بن عمير ومنهم من مات ومنهم من قتل وهو النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معط. ﴿**حتى يثخن في الأرض**﴾ يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الإسلام ويستولي أهله وحتى لانتهاء الغاية، فدل الكلام على أن له أن يقدم على الأسر والشد بعد حصول الإثخان وهو مشتق من الثخانة وهي الغلظة والكثافة في الأجسام ثم استعير في كثرة القتل والمبالغة فيه لأن الإمام إذا بالغ في القتل يكون العدو كشيء ثقيل يثبت في مكانه ولا يقدر على الحركة يقال أثخنه المرض إذا أضعفه وأثقله وسلب اقتداره على الحركة. ﴿**تريدون عرض الدنيا**﴾ استئناف مسوق للعتاب، أي: تريدون حطامها بأخذكم الفداء وسمي المال عرضاً لقلة لبثه فمنافع الدنيا وما يتعلق بها لاثبات لها ولا دوام فصارت كأنها تعرض ثم تزول والخطاب لهم لا لرسول الله ﷺ وأجلة أصحابه فإن مراد أبي بكر كان إعزاز الدين وهداية أسارى، وفيه إشارة إلى أن أخذ الفداء من أسارى المشركين ما كان شيمة للنبي عليه السلام ولا لسائر الأنبياء فإنه رغبة في الدنيا ومن شيمة النبي عليه السلام أنه قال: «ما لي وللدنيا».

كين جهان جيفه است ومردار ورخيص بر چنين مردار چون باشم حريص

وإنما رغب فيها بعضهم بعد أن شاورهم بأمر الله تعالى إذ أمره بقوله وشاورهم في الأمر ﴿**والله يريد الآخرة**﴾ يريد لكم ثواب الآخرة الذي لا مقدار عنده للدنيا وما فيها.

قال سعدي چلبي المفتي: لعل المراد والله أعلم والله يرضى فأطلق الإرادة على الرضى على سبيل المشاكلة فلا يرد أن الآية تدل على عدم وقوع مراد الله تعالى خلاف مذهب أهل السنة. ﴿**والله عزيز**﴾ يغلب أولياؤه على أعدائه ﴿**حكيم**﴾ يعلم بما يليق بكل حال ويخصها به كما أمر بالإثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المنّ بقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤] لما تحولت الحال وصار الغلبة للمؤمنين.

قال بعضهم: دلت الآية على أن الأنبياء مجتهدون لأن العتاب الذي فيها لا يكون فيما صدر عن وحي ولا فيما كان صواباً، وإنه قد يكون خطأ ولكن لا يتركون عليه بل ينبهون على الصواب ﴿**لولا كتاب من الله سبق**﴾ لولا حكم من الله سبق إثباته في اللوح المحفوظ وهو أن لا يعاقب المخطىء في اجتهاده وأن لا يعذب أهل بدر أو قوماً لم يصرح لهم بالنهي.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**لولا كتاب من الله سبق**﴾ باستبقاء هؤلاء الأسارى ليؤمن بعضهم ويؤمن أولاد بعضهم وذراريهم ﴿**لمسكم**﴾ أي لأصابكم ﴿**فيما أخذتم**﴾ أي لأجل ما أخذتم من الفداء ﴿**عذاب عظيم**﴾ لا يقادر قدره. روي أنه عليه السلام قال: «لو نزل العذاب

لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ» وذلك لأنه أيضاً أشار بالإتخان. وفيه دليل على أنه لم يكن أحد من المؤمنين ممن حضر بدراً إلا أحب أخذ الفداء غيرهما.

قال عبد الله بن عمر: ما نزل بالناس أمر فقال الناس وقال عمر إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر وفي الحديث: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» وقد وافق الوحي في مواضع منها ما في هذه القصة ومنها أنه قال يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمعن على رسول الله ﷺ في الغيرة فقال لهن عمر: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾

﴿فكلوا مما غنمتم﴾ ـ روي ـ أنهم أمسكوا عن الغنائم فقال تعالى قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتموه [از آنچه غنيمت كرفتيد وفديه ازان جمله است] ﴿حلالاً﴾ حال من المغنوم وفائدته إزاحة ما وقع في نفوسهم من عدم حل المغنوم بسبب تلك المعاتبة فإن من سمع العتاب المذكور وقع في قلبه اشتباه في أمر حله ﴿طيباً﴾ الطيب المستلذ ويوصف الحلال بذلك على التشبيه فإن المستلذ ما لا يكون فيه كراهية في الطبع وكذا الحلال ما لا يكون فيه كراهية في الدين. ﴿واتقوا الله﴾ أي: في مخالفة أمره ونهيه ﴿إن الله غفور رحيم﴾ فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ورود الإذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم إذا اتقيتموه.

قال الكاشفي: [رحيم مهر بانست كه غنيمت برشما حلال كرده وبرامم ديكر حرام بوده] كما قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت الغنائم حراماً على الأنبياء فكانوا إذا أصابوا مغنماً جعلوه للقربان فكانت تنزل نار من السماء فتأكله ولله تعالى عنايات لهذه الأمة لا تحصى. روي عن النبي عليه السلام أنه قال لآدم ليلة المعراج «أنت خير الناس لأن الله تعالى قد فعل معك ستة أشياء: خلقك بيده. وأكرمك بالعلم. وأسجد لك ملائكته. ولعن من لم يسجد لك. وكرمك بامرأة منك حواء. وأباح لك الجنة بحذافيرها» فقال: لا بل أنت خير الناس لأنه أعطاك ستة أشياء لم يعطها أحداً غيرك: جعل شيطانك مسلماً. وقهر عدوك. وأعطاك زوجة مثل عائشة تكون سيدة نساء الجنة. وأحيا جميع الأنبياء لأجلك. وجعلك مطلعاً على سرائر أمتك.

وعامل أمتك بستة أشياء: أولها أخرجني من الجنة بمعصية واحدة ولا يخرج أمتك من المسجد بالمعصية. ونزع مني الحلة ولم ينزع الستر من أمتك. وفرق عني زوجتي ولا يفرق عن أمتك أزواجهم. ونقص من قامتي ولا ينقص من قامتهم وفضحني بقوله وعصى آدم وستر على أمتك. وبكيت مائتي سنة حتى غفر لي ويغفر لأمتك بعذر واحد». قال السعدي قدس سره:

محالست اكر سر برين درنهى ... كه بازآيدت دست حاجت تهى
بضاعت نياوردم الا اميد ... خدايا زعفوم مكن نا اميد

وينبغي للمؤمن أن يأخذ الحذر فإن عتاب الله تعالى إذا كان بهذه المرتبة في صورة الخطأ في الأمور الاجتهادية فما ظنك في عتابه بل بعقابه في الأمور العمدية المخالفة لكتاب الله تعالى، ألا ترى أن الهدهد لما خالف سليمان في الغيبة استحق التهديد والزجر والعقوبة، فإنك

إن خالفت أمر سلطانك تستحق العقوبة، فإن أنت واظبت على الخدمة والطاعة أقمت عذرك وفي القصة بيان لزوم البكاء عند وقوع الخطأ لأن النبي ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه بكيا.

قيل: إن النار تقرب يوم القيامة فيشفع النبي ﷺ بالانصراف فلا تنصرف حتى يأتي جبريل بقدح من الماء ويقول اضربه على وجهها فيضربه فتفر النار فيقول: «يا جبرائيل من أين هذا الماء» فيقول إنه من دموع العصاة. وفي «المثنوي»:

تـانـكـريـد ابـر كـى خـنـدد چـمـن — تـانـكـريـد طـفـل كـى جـوشـد لـبـن

طـفـل يـك روزه هـمـى دانـد طـريـق — كـه بـكـريـم تـارسـد دايـه شـفـيـق

تـونـمـى دانـى كـه دايـهٔ دايـكـان — كـم دهـد بـى كـريـه شـير اورا يـكـان

چـون بـر آرنـد ازپـشـيـمـانـى انـيـن — عـرش لـرزد ازانـيـن الـمـذنـبـين

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾﴾.

﴿**يا أيها النبي**﴾ من الألقاب المشرفة لرسول الله ﷺ، أي يا أيها المخبر عن الله وعن أحكامه. ﴿**قل لمن في أيديكم من الأسرى**﴾ جمع أسير. روي أنها نزلت في العباس بن عبد المطلب عم النبي عليه السلام وكان أسر يوم بدر وكان أحد العشرة الذين ضمنوا إطعام من خرج من مكة لحماية العير، وكان يوم بدر قد خرج بعشرين أوقية من ذهب ليطعم بها الكفار فوقع القتال قبل أن يطعم بها وبقيت العشرون أوقية معه فأخذت منه في الحرب فكلم النبي عليه السلام في أن يحتسب العشرين أوقية من فدائه فأبى وقال: «أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا أتركه لك» فكلفه أن يفدي نفسه بمائة أوقية زائداً على فداء غيره لقطع الرحم وكلفه أن يفدي أيضاً ابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث كل واحد بأربعين أوقية، فقال يا محمد تركتني أي صيرتني أتكفف قريشاً ما بقيت. والتكفف: هو أن يمد كفه يسأل الناس يعني غنم المسلمون مالي وما بقي لي شيء حتى أفدي نفسي وابني أخوي فقال: «فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل» يعني: زوجته «وقت خروجك من مكة، وقلت لها: إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله والفضل وقثم» وهم أبناؤه فقال العباس: وما يدريك قال: «أخبرني به ربي» قال أشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك رسول الله والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها في سواد الليل ولقد كنت مرتاباً في أمرك فأما إذ أخبرتني بذلك فلا ريب. والآية وإن نزلت في حق العباس خاصة إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب أي قل للعباس وعقيل وغيرهما من الأسارى ﴿**إن يعلم الله في قلوبكم خيراً**﴾ إيماناً وإخلاصاً هذا الشك بالنسبة إلينا كما في قوله عليه السلام «إن كنت تعلم» في دعاء الاستخارة فإن معناه إن تعلق علمك وإرادتك فلما كان تعلق هذا العلم مشكوكاً بالنسبة إلى العبد عبر عن هذا المعنى بما ترى هكذا سمعته من حضرة شيخنا العلامة أبقاه الله

بالسلامة ﴿يؤتكم خيراً مما أخذ منكم﴾ من الفداء ﴿ويغفر لكم والله غفور رحيم﴾ قال العباس فأبدلني الله خيراً مما أخذ مني لي الآن عشرون عبداً وإن أدناهم ليضرب، أي: يتجر في عشرين ألف درهم وأعطاني سقاية زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة أنجز لي أحد الوعدين، وأنا أرجو أن ينجز لي الوعد الثاني أي انتظر المغفرة من ربي فإنه لا خلاف في وعد الكريم.

خلاف وعده محالست كز كريم آيد لئيم اكر نكنند وعدهٔ وفا شايد

﴿وإن يريدوا﴾ يعني: الأسرى ﴿خيانتك﴾ أي: نقض ما عاهدوك عليه من الإسلام بالارتداد على دين آبائهم. ﴿فقد خانوا الله من قبل﴾ بكفرهم ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه في الأزل. ﴿فأمكن منهم﴾ أي: أقدر عليهم كما فعل يوم بدر فإن أعادوا الخيانة فيمكنك منهم أيضاً، يقال: مكنه من الشيء وأمكنه منه، أي: أقدره عليه فتمكن منه. ﴿والله عليم﴾ فيعلم ما في نياتهم وما يستحقونه من العقاب.

برو علم يك ذره پوشيده نيست كه پيدا وپنهان بنزدش يكيست

﴿حكيم﴾ يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه حكمته البالغة.

وفي بعض الروايات: إن العباس كان قد أسلم قبل وقعة بدر ولكن لم يظهر إسلامه لأنه كان له ديون متفرقة في قريش وكان يخشى إن أظهر إسلامه ضياعها عندهم وإنما كلفه النبي عليه السلام الفداء لأنه كان عليه ظاهراً لا له ولما كان يوم فتح مكة وقهرهم الإسلام أظهر إسلامه ولم يظهر النبي عليه السلام إسلام العباس رفقاً به كيلا يضيع ماله عند قريش وكان قد استأذن النبي عليه السلام في الهجرة فكتب إليه: «يا عم أقم مكانك الذي أنت فيه فإن الله تعالى يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة» فكان كذلك.

وفي الآية: بيان قدرة الله تعالى وأن مريد الخلاص من يد قهره في الدنيا والآخرة لا يجد إليه سبيلاً إلا بالإيمان والإخلاص فهو القادر القوي الخالق وما سواه العاجز الضعيف المخلوق.

وفي الخبر أن النبي عليه السلام قال: «إن الله تعالى قال: قل للقوي لا يعجبنك قوتك، فإن أعجبتك قوتك ادفع الموت عن نفسك، وقل للعالم لا يعجبنك علمك فإن أعجبك فأخبرني متى أجلك وقل للغني لا يعجبنك غناك فإن أعجبك فأطعم خلقي غداء واحداً».

وفي الآية: إشارة إلى النفوس المأسورة التي أسرت في الجهاد الأكبر عند استيلاء سلطان الذكر عليها والظفر بها إن اطمأنت إلى ذكر الله والعبودية والانقياد تحت أحكامه يؤتها الله نعيم الجنة ودرجاتها وهي خير من شهوات الدنيا ونعيمها وزينتها فإن الدنيا ونعيمها فانية والجنة ونعيمها باقية وخيانة النفس التجاوز عن حد الشريعة والطريقة.

يقال: إن متابعة سبعة أصناف أورثت سبعة أشياء. الأول: إن متابعة النفس أورثت الندامة كما قال تعالى في قتل قابيل هابيل ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٣٠﴾ [المائدة: ٣٠]. والثاني: إن متابعة الهوى أورثت البعد كما قال لبلعام ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ [الأعراف: ١٧٦] يعني في البعد والخساسة. والثالث: إن متابعة الشهوات أورثت الكفر كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] يعني الكفر. والرابع: أن متابعة فرعون أورثت الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة كما قال تعالى: ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ

﴿أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ [هود: ٩٧] إلى قوله: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨]. والخامس: إن متابعة القادة الضالة أورثت الحسرة كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦]إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[البقرة: ١٦٧]. والسادس: إن محبة النبي عليه السلام أورثت المحبة كما قال الله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾. والسابع: إن متابعة الشيطان أورثت جهنم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحجر: ٤٢-٤٣].

﴿إن الذين آمنوا﴾ بالله تعالى وبمحمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن. ﴿وهاجروا﴾ أوطانهم وهي مكة حباً لله ولرسوله ﴿وجاهدوا بأموالهم﴾ بأن صرفوها إلى الكراع والسلاح وأنفقوها على المحاويج. ﴿وأنفسهم﴾ بمباشرة القتال واقتحام المعارك والخوض في المهالك ولعل تقديم الأموال على الأنفس؛ لأن المجاهدة بالأموال أكثر وقوعاً وأتم دفعاً للحاجة حيث لا تتصور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال هكذا في «تفسير الإرشاد».

يقول الفقير أصلحه الله القدير: وجه التقديم عندي أن المال من توابع النفس والوجود وتوابعها أقدم منها في البذل. وفي الآية: أسلوب الترقي من الأدنى إلى الأعلى ولذا قال سادات الصوفية قدس الله أسرارهم بذل المال في مقابلة توحيد الأفعال وبذل الوجود في مقابلة توحيد ذات المعبود. ﴿في سبيل الله﴾ متعلق بجاهدوا قيد لنوعي الجهاد والمراد بسبيل الله الطريق الموصل إلى ثوابه وجناته ودرجاته وقرباته وهو إنما يكون موصلاً بالإخلاص فبذل المال والنفس بطريق الرياء لا يوصل إلى رضى الله ذي العظمة والكبرياء اللهم اجعلنا من الذين جاهدوا في سبيلك لا في سبيل غيرك. قال الشيخ المغربي قدس سره:

كل توحيد نروبد ززمينى كه درو ... خار شرك وحسد وكبر ورياو وكين است

﴿والذين آووا﴾ النبي والمهاجرين معه أي أعطوهم المأوى وأنزلوهم ديارهم بالمدينة والإيواء الضم. ﴿ونصروا﴾ أي: نصروهم على أعدائهم وأعانوهم بالسيف على الكفار فالأول في حق المهاجرين والثاني في حق الأنصار والأنصار كالعلم للقبيلتين الأوس والخزرج، ولهذا جازت النسبة إلى لفظ الجمع حيث قالوا الأنصاري نسبة إلى الأنصار وسموا الأنصار لأنهم نصروا رسول الله ﷺ وواحد الأنصار نصير كشريف وأشراف. قال السلطان سليم الأول:

شاهنشه آن كدا كه بودخاك راه او ... آزاد بندهٔ كه كرفتار مصطفاست

آن سينه شادكزغم اوساخت دل حزين ... وآن جان عزيز كزپى ايثار مصطفاست

﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من النعوت الفاضلة ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ في الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الأقارب حتى نسخ بقوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥] أي: أولى بميراث بعض من الأجانب. والحاصل إن التوارث في الابتداء بالهجرة والنصرة لا بمجرد القرابة فكان المهاجر يرثه أخوه الأنصاري إذا لم يكن بالمدينة وليّ مهاجري ولا توارث بينه وبين قريبه المسلم غير المهاجري، واستمر أمرهم كذلك إلى أن فتحت مكة فسقطت فرضية الهجرة ثم توارثوا بالقرابة، فالأولياء: جمع ولي كصديق وأصدقاء والولي من الولي بمعنى القرب والدنو فكأنه قيل بعضهم أقرباء بعض لا قرابة بينهم وبين من لم يؤمن ولا بين من آمن ولم يهاجر كما قال تعالى: ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا﴾ كسائر المؤمنين ﴿ما لكم من ولايتهم من شيء﴾ أي: من توليهم في الميراث وإن

كانوا من أقرب أقاربكم ﴿**حتى يهاجروا**﴾ ولما بين تعالى أن حكم المؤمن الذي لم يهاجر انقطاع الولاية بينه وبين المؤمنين وتوهم أنه يجب أن يتحقق بينهم التقاطع التام لتحققه بينه وبين الكفار أزال هذا الوهم بقوله: ﴿**وإن استنصروكم في الدين**﴾ أي: إن طلب منكم المؤمنون الذين لم يهاجروا النصرة. ﴿**فعليكم النصر**﴾ أي: فوجب عليكم نصرهم على من يعاديهم في الدين. ﴿**إلا على قوم**﴾ منهم ﴿**بينكم وبينهم ميثاق**﴾ أي: إلا إذا كان من يعاديهم ويحاربهم من الكفار بينهم وبينكم عهد موثق فحينئذٍ يجب عليكم الوفاء بالعهد وترك المحاربة معهم ولا يلزمكم نصر الذين آمنوا ولم يهاجروا عليهم بل الإصلاح بينهم على وجه غير القتال. ﴿**والله بما تعملون بصير**﴾ فلا تخالفوا أمره كيلا يحل بكم عقابه.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾

﴿**والذين كفروا بعضهم أولياء بعض**﴾ آخر في الميراث منطوق الآية إثبات الموالاة بين الكفار والكفار ليسوا بمخاطبين بفروع الإيمان، فالمراد منه بطريق المفهوم المخالف نهي المسلمين عن موالاتهم وموارثتهم وإيجاب المباعدة بينهم إن وجد بينهم قرابة نسبية لأن الموالاة بين الكفار مبنية على التناسب في الكفر، كما أنها بين المؤمنين مبنية على التناسب في الإيمان فكما لا مناسبة بين الكفر والإيمان من حيث إن الأول ظلمة والثاني نور، فكذا لا مناسبة بين أهلهما فإن الكافر عدو الله والمؤمن ولي الله فوجب التقاطع وإزالة الوصلة من غير الجنس. قال الحافظ:

نخست موعظهٔ پير صحبت اين پندست ... كه از مصاحب ناجنس احتراز كنيد

﴿**إلا**﴾ أي: إن لا ﴿**تفعلوه**﴾ أي: ما أمرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم بعضاً حتى في التوارث ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار. ﴿**تكن**﴾ تامة ﴿**فتنة في الأرض**﴾ أي: تحصل فتنة عظيمة فيها وهي ضعف الإيمان وظهور الكفر. ﴿**وفساد كبير**﴾ في الدارين وفيه إشارة إلى مساعدة طالب النصرة بأي وجه كان فإن تركها يؤدي إلى الخسران وارتفاع الأمان، وفي الحديث: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» ونصرة الظالم بنهيه عن الظلم.

وفي «فتاوى ضيخان»: إذا وقع النفير من قبل الروم فعلى كل من يقدر على القتال أن يخرج إلى الغزو إذا ملك الزاد والراحلة ولا يجوز له التخلف إلا بعذر بين انتهى. وكما أنه لا كلام في فضيلة الإعانة والإمداد كذلك لا كلام في الهجرة إلى ما يقوم به دين المرء من البلاد. روي أن رسول الله ﷺ لما رأى ما نزل بالمسلمين من توالي الأذى عليهم من كفار قريش مع عدم قدرته على إنقاذهم مما هم فيه قال لهم: «تفرقوا في الأرض فإن الله سيجمعكم» قالوا إلى أين تذهب قال: «ههنا» وأشار بيده إلى جهة الحبشة وفي رواية قال لهم: «اخرجوا إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً عظيماً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه».

يقول الفقير، أصلحه الله القدير: سمعت من حضرة شيخي العلامة أبقاه الله بالسلامة أنه قال: لو كان لي مال لهاجرت من قسطنطينية إلى أرض الهند لأنه لا فائدة في الإقامة مع سلطان لا غيرة له أصلاً من جهة الدين، ثم ذكر تورع سلطان الهند وهذا الكلام مطابق للشريعة والطريقة. وقد قال بعض الكبار: إن الأولياء لا يقيمون في بلاد الظلم وجاء في الحديث: «من

فر بدينه من أرض إلى أرض، وإن كان شبراً من الأرض استوجب الجنة، وكان رفيق أبيه خليل الله إبراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام» فهاجر إلى الحبشة ناس من مخافة الفتنة وفراراً إلى الله تعالى بدينهم منهم من هاجر إلى الله بأهله، ومنهم من هاجر بنفسه وهي الهجرة الأولى فمن آمن بأن طلب الله تعالى حق واجب هاجر من غير الله فهاجر من أفعاله القبيحة الطبيعية إلى الأفعال الحسنة الشرعية ومن الأوصاف الذميمة إلى الأخلاق الحميدة ومن الوجود المجازي إلى الوجود الحقيقي، وبذل ماله ونفسه في طلب الحق وترك كل باطل هو غير الحق. قال السيد البخاري قدس سره:

هست تاج عارفان اندرجهان ازچار ترك　　ترك دنيا ترك عقبا ترك هستى ترك ترك

وفي الحديث: «كان فيما كان قبلكم رجل قتل تسعاً وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعاً وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا فقتله فكمل به المائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا بلغ نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم حكماً، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو لها فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة». وفي رواية: «فأوحى الله إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي».

فإن قلت: الظاهر من الحديث أنه قبلت توبة ذلك الرجل وهذا مخالف لما ثبت في الشرع من أن حقوق العباد لا تسقط بالتوبة.

قلنا إذا تاب ظالم لغيره وقبل الله توبته يغفر له ذنب مخالفة أمر الله وما بقي عليه من حق العبد فهو في مشيئة الله إن شاء أرضى خصمه وإن شاء أخذ حقه منه والحديث من القسم الأول وعلى تقدير الإرضاء لا يكون ساقطاً أيضاً لأخذه عوضه من الله وفي الحديث استحباب أن يفارق التائب موضع الذنب والمساعدين ويستبدل منهم صحبة أهل الصلاح اللهم اجعلنا من المهاجرين وألحقنا بعبادك الصالحين.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٧٤ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧٥﴾.

﴿والذين آمنوا﴾ بجميع ما يجب أن يؤمن به إجمالاً وتفصيلاً. **﴿وهاجروا﴾** أوطانهم تأسياً برسول الله ﷺ وطلباً لمرضاة الله. **﴿وجاهدوا﴾** الكفار والمجاهدة. والجهاد [باكسى كار زاركردن درراه خداى] **﴿في سبيل الله﴾** هو دين الإسلام والإخلاص الموصلان إلى الجنة ودرجاتها. **﴿والذين آووا﴾** أي ضموا المؤمنين إلى أنفسهم في مساكنهم ومنازلهم وواسوهم يقال أويت منزلي وإليه أوياً نزلته بنفسي وسكنته وأويته وآويته أنزلته والمأوى المكان فالإيواء بالفارسية [جايكاه دادن]. **﴿ونصروا﴾** أي: أعانوهم على أعدائهم فالموصول الأول عبارة عن

المهاجرين الأولين والثاني عن الأنصار كما سبق. ﴿أولئك هم المؤمنون﴾ إيماناً ﴿حقاً﴾ لأنهم حققوا إيمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق. فالآية الأولى: مذكورة لبيان حكمهم وهو أنهم يتوارثون ويتولى بعضهم بعضاً في الميراث. وهذه الآية مذكورة لبيان أن الكاملين في الإيمان منهم هم المهاجرون الأولون والأنصار لا غيرهم فلا تكرار. ﴿لهم مغفرة﴾ لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ أي: واسع كثير يطعمهم الله تعالى في الجنة طعاماً يصير كالمسك رشحاً ولا يستحيل في أجوافهم نجواً وهو ما يخرج من البطن من ريح أو غائط ثم ألحق بهم في الأمرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال.

﴿والذين آمنوا من بعد﴾ أي: من بعد الهجرة الأولى. ﴿وهاجروا﴾ بعد هجرتكم ﴿وجاهدوا معكم﴾ في بعض مغازيكم. ﴿فأولئك منكم﴾ أي: من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار وهم الذين جاؤوا من بعدهم ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] ألحقهم الله بالسابقين وجعلهم منهم تفضلاً منه وترغيباً في الإيمان والهجرة. روي أن النبي ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار فكان المهاجر يرثه أخوه الأنصاري دون قريبه الغير المهاجر وإن كان مسلماً فنسخ الله تعالى ذلك الحكم بقوله: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ آخر منهم في التوارث من الأجانب ﴿في كتاب الله﴾ أي: في حكمه. ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ ومن جملته ما في تعليق التوارث بالقرابة الدينية أولاً وبالقرابة النسبية آخراً من الحكم البالغة.

نه در أحكام اوست چون وچرا نه در افعال او چگونه وچند

اعلم: أن المهاجرين الأولين من حيث إنهم أسسوا قاعدة الإيمان واتباع الرسول ﷺ أفضل من الأنصار يدل عليه قوله عليه السلام: «لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار» فإن المراد منه إكرام الأنصار بأن لا رتبة بعد الهجرة أعلى من نصرة الدين. والمهاجرون على طبقات. منهم من هاجر معه عليه السلام أو بعد هجرته قبل صلح الحديبية وهو في سنة ثنتين من الهجرة وهم المهاجرون الأولون.

ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية قبل فتح مكة وهم أهل الهجرة الثانية. ومنهم ذو هجرتين هجرة إلى الحبشة وهجرة إلى المدينة وكانت الهجرة إلى المدينة بعد أن هاجر إليها رسول الله ﷺ فرضاً على المؤمن المستطيع ليكون في سعة أمر دينه ولينصر رسول الله ﷺ في إعلاء كلمة الله فلما فتح مكة أعلمهم بأن الهجرة المفروضة قد انقطعت وأنه ليس لأحد بعد ذلك أن ينال فضيلة الهجرة وأن ينازع المهاجرين في مراتبهم.

وأما الهجرة التي تكون من المسلم لصلاح دينه إلى مكة أو إلى غيرها فإنها باقية أبد الدهر غير منقطعة وفي الحديث: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية» وفي الحديث: «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة».

وروى الإمام في «الإحياء»: أن النبي عليه الصلاة والسلام لما عاد إلى مكة استقبل الكعبة وقال: «إنكِ خير أرض الله وأحب بلاد الله إليّ ولولا أني أخرجت منك ما خرجت» فما هو محبوب للنبي عليه السلام محبوب لأمته أيضاً فالإقامة بمكة مع الوفاء بحق المقام أفضل كيف لا والنظر إلى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة وللقاصر عن القيام بحق

الموضع ترك الإقامة فإن بعض العلماء كرهها لمثله. حكي أن عمر بن عبد العزيز وأمثاله من الأمراء كان يضرب فسطاطين فسطاطاً في الحل وفسطاطاً في الحرم، فإذا أراد أن يصلي أو يعمل شيئاً من الطاعات دخل فسطاط الحرم رعاية لفضل المسجد الحرام، وإذا أراد أن يأكل أو يتكلم أو غير ذلك خرج إلى فسطاط الحل ومقدار الحرم من قبل المشرق ستة أميال ومن الجانب الثاني اثني عشر ميلاً ومن الجانب الثالث ثمانية عشر ميلاً ومن الجانب الرابع أربعة وعشرون ميلاً هكذا قال الفقيه أبو جعفر. وكما أن للأماكن الشريفة والبقاع المنيفة قدراً وحرمة عند الله تعالى وعند الناس فكذا القلوب الصافية لأهل الكمالات الوافية بل خطرها أعظم.

مسجدى كواندرون اولياست سجده كاه جمله است آنجا خداست
آن مجازاست اين حقيقت اي خران نيست مسجد جزدرون سروران

وفي قوله تعالى: ﴿فأولئك منكم﴾ إشارة إلى أن كل سالك صادق سلك طريق الحق من المتأخرين على قدم الإيمان والهجرة والجهاد الحقيقي فهو من المتقدمين لأنه ليس عند الله صباح ولا مساء فالواصلون كلهم كنفس واحدة وهم متبرئون من الزمان والمكان استوى عندهم الأمس واليوم والغد والقرب والبعد والعلو والسفل ولهذا قال عليه السلام: «أمتي كالمطر لا يدري أولهم خير أم آخرهم» وعد المتأخرين من إخوانه وقال: «واشوقاه إلى لقاء إخواني» هذا.

وكان الحسن: إذا قرأ سورة الأنفال قال طوبى لجيش قائدهم رسول الله ﷺ ومبارزهم أسد الله وجهادهم طاعة الله ومددهم ملائكة الله وثوابهم رضوان الله نسأل الله تعالى أن يوفقنا لصالحات الأعمال وحسنات الأقوال والأحوال وأن تجعلنا مشغولين بطاعة الله في كل آن وحال.

تمت سورة الأنفال بفضل الله المتعال في أواخر شهر

ربيع الآخر من شهور سنة ألف ومائة وواحد

٩ ـ سورة التوبة

مائة وتسع وعشرون آية وهي مدنية

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

إنما تركت التسمية أول براءة لعدم المناسبة بين الرحمة التي تدل عليها البسملة والتبري الذي يدل عليه أول براءة.

ورده في «الفتوحات» بأنها جاءت في أوائل السور المبدوءة بويل قال وأين الرحمة من الويل.

وقال في «التأويلات النجمية»: الحكمة في ترك كتابة بسم الله الرحمن الرحيم في أول سورة براءة وكتابتها في سورة النمل ليعلم أنها آية مكررة في القرآن، وأكثر ما أنزلت في أوائل السور لتكون فاصلة بين السورتين ولتكون كل سورة متوجّة بتاج اسم الله تعالى وصفة جماله وجلاله فحيث نزلت كتبت، وحيث لم تنزل لم تكتب فلمّا لم تنزل في أول براءة ما كتبت في أولها ونزلت في أول النمل وأثنائها فكتبت في الموضعين جميعاً اهـ. [در ترجمه‌ء أسباب نزول از بستان فقيه أبو الليث نقلى ميكندكه ثقات مشايخ بعنعنه از ذي النورين رضي الله عنه روايت كردكه كاتب خاتمه‌ء يسألونك عن الأنفال وفاتحه‌ء براءة من الله من بودم حضرت مصطفى عليه الصلاة والسلام ميان اين دوسوره املاء بسم الله نفر مودند] كذا في «تفسير الكاشفي» وهو مؤيد لكلام «التأويلات».

وقال حضرة الشيخ الأكبر والمسك الأذفر قدس سره الأطهر.

اعلم أن بسملة سورة براءة هي التي في سورة النمل، فإن الحق سبحانه إذا وهب شيئاً لم يرجع فيه ولا يرده إلى العدم فلما خرجت رحمة براءة، وهي البسملة وحكم التبري من أهلها برفع الرحمة الاختصاصية عنهم ووقف الملك بها لا يدري أين يضعها فإن كل أمة من الأمم الإنسانية أخذت رحمتها بإيمانها قال تعالى أعطوا هذه البسملة للبهائم التي آمنت بسليمان عليه السلام وهي لا يلزمها إيمان إلا برسولها فلما عرفت قدر سليمان وآمنت به أعطيت من الرحمة الإنسانية حظاً وهو بسم الله الرحمن الرحيم الذي سلب من المشركين فلما وسعت الرحمة الرحمانية كل شيء في الوجود الكوني أقيمت الباء في براءة مقامها لأنها من حروف آية الرحمة والأمان لأن كل شيء في الوجود الكوني لا يخلو من رحمة الله عامة أو خاصة انتهى.

واعلم: أن الاستعاذة واجبة على كل من شرع في قراءة القرآن سواء بدأ من أوائل السور أو من أجزائها مطلقاً وإن أراد بها افتتاح الكتب والدرس كما يقرأ التلميذ على الأستاذ لا يتعوذ ثم إن البسملة لا بد منها في أول الفاتحة مطلقاً وفي أول كل سورة ابتدأت بها سوى براءة فإنها لا تسمية في أولها إجماعاً.

والقارىء مخير في التسمية وعدمها فيما بين أجزاء السور سوى أجزاء براءة فإنه لا بسملة في أجزائها أيضاً كذا في «شرح الشاطبية» للجعبري.

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾.

﴿**براءة من الله ورسوله**﴾ أي: هذه براءة مبتدأه من جهة الله ورسوله واصلة. ﴿**إلى الذين عاهدتم**﴾ أيها المسلمون ﴿**من المشركين**﴾ فمن لابتداء الغاية وإلى لانتهاء الغاية متعلقان بمحذوف كما تقول هذا كتاب من فلان إلى فلان أي واصل منه إليه وليست كلمة من صلة براءة، كما في قولك: برئت من فلان، والبراءة من الله: انقطاع العصمة ونقض العهد ولم يذكر ما تعلق به البراءة كما في ﴿**أن الله بريء من المشركين**﴾ اكتفاء بما في حيز الصلة واحترازاً عن تكرير لفظة من ولما كانت المعاهدة غير واجبة بل مباحة مأذونة وكان الاتفاق للعهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ نسب إليهم مع أن مباشرة أمرها إنما تتصور من المسلمين لا من الله تعالى وإن كانت بإذن الله تعالى، بخلاف البراءة فإنها واجبة أوجبها الله تعالى وأمر منوط بجناب الله تعالى كسائر الأوامر غير متوقفة على رأي المخاطبين. والمعنى: أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين فإنه منبوذ إليهم والعهد العقد الموثق باليمين وقد كانوا عاهدوا مشركي العرب من أهل مكة وغيرهم بإذن الله واتفاق الرسول فنكثوا إلا بني ضمرة وبني كنانة فأمر المسلمون بنبذ العهد إلى الناكثين وأمهلوا أربعة أشهر كما قال تعالى: ﴿**فسيحوا**﴾ أي: فقولوا لهم سيحوا وسيروا ﴿**في الأرض أربعة أشهر**﴾ مقبلين مدبرين آمنين من القتال غير خائفين من النهب والغارة. والسيح والسياحة الذهاب في الأرض والسير فيها بسهولة على مقتضى المشيئة كسيح الماء على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه ما ليس في سيروا ونظائره وزيادة في الأرض لقصد التعميم لأقطارها من دار الإسلام وغيرها، والمراد إباحة ذلك لهم وتخليتهم وشأنهم للحرب أو تحصين الأهل والمال أو تحصيل الحرب أو غير ذلك لا تكليفهم بالسياحة فيها، والمراد بالأشهر الأربعة: هي الأشهر الحرم التي علق القتال بانسلاخها هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم؛ لأن السورة نزلت في شوال سنة تسع من الهجرة بعد فتح مكة فإنه كان في السنة الثامنة منها أمروا بأن لا يتعرضوا للكفار بتلك المدة صيانة للأشهر الحرم عن القتال فيها، ثم نسخ وجوبها ليتفكروا ويعلموا أن ليس لهم بعد هذه المدة إلا الإسلام أو السيف فيصير ذلك حاملاً لهم على الإسلام ولئلا ينسبوا المسلمين إلى الخيانة ونقض العهد على غفلة المعاهدين، وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر لأن التبليغ كان يوم النحر كما روي أن رسول الله ﷺ ولى سنة الفتح عتاب بن أسيد الوقوف بالناس في الموسم واجتمع في تلك السنة في الوقوف المسلمون والمشركون فلما كانت سنة تسع بعث أبا بكر رضي الله عنه أميراً على الموسم فلما خرج منطلقاً نحو مكة أتبعه علياً رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأ هذه السورة على أهل الموسم فقيل له عليه السلام لو بعثت بها إلى أبي بكر

فقال: «لا يؤدي عني إلا رجل مني» وذلك؛ لأن عادة العرب أن لا يتولى أمر العهد والنقض على القبيلة إلا رجل منها سيدهم أو واحد من رهطه وعترته فبعث علياً إزاحة للعلة لئلا يقولوا هذا خلاف ما نعرفه فينا في العهد والنقض، فلما دنا علي سمع أبو بكر الرغاء، وهو صوت ذوات الحوافر، فوقف وقال: هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال أمير أم مأمور قال مأمور فمضيا فلما كان قبل يوم التروية خطب أبو بكر وحدثهم عن مساكنهم وقام عليّ يوم النحر عند جمرة العقبة فقال: «يا أيها الناس إني رسول الله إليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية من أول هذه السورة، ثم قال: أمرت بأربع «أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك. ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده».

وقال الحدادي: كان الحج في السنة التي قرأ علي رضي الله عنه فيها هذه السورة في العاشر من ذي القعدة ثم صار الحج في السنة الثانية في ذي الحجة وكان السبب في تقديم الحج في سنة العهد ما كان يفعله بنو كنانة في النسيء وهو التأخير انتهى فعلى هذا كان المراد بالأشهر الأربعة من عشر ذي القعدة إلى عشر من شهر ربيع الأول كما ذهب إليه البعض ﴿**واعلموا أنكم**﴾ بسياحتكم في أقطار الأرض في العرض والطول وإن ركبتم متن كل صعب وذلول ﴿**غير معجزي الله**﴾ أي: لا تفوتونه بالهرب والتحصين.

قال في «ربيع الأبرار»: غير معجزي الله سابقي الله وكل معجز في القرآن سابق بلغة كنانة. ﴿**وأن الله**﴾ أي: واعلموا أنه تعالى. ﴿**مخزي الكافرين**﴾ أي: مذلكم في الدنيا بالقتل والأسر وفي الآخرة بالعذاب وما يحصل لكم من الافتضاح. والإخزاء هو الإذلال بما فيه فضيحة وعار.

قال القشيري: قطع لهم مدة على وجه المهلة على أنهم إن أقلعوا عن الضلال وجدوا في المال ما فقدوا من الوصال وإن أبوا إلا التمادي في الحرمة والجريمة انقطع ما بينهم وبينه من العصمة ثم ختم الآية بما معناه إن أصررتم على قبيح آثاركم مشيتم إلى هلاككم بقدمكم وسعيتم في عاجلكم في إراقة دمكم وحصلتم في آجلكم على ندمكم فما خسرتم إلا في صفقتكم.

تبدلت وتبدلنا واخسرنا   من ابتغى عوضاً يسعى فلم يجد

ففي الآية دعوة إلى الصلح والإيمان بعد الحراب والكفران فمن كفر وعصى فقد خاصم ربه فجاء الندم في تأخيره التوبة والاستغفار وعدم مبالاته بمباغتة قهر الملك الجبار.

قال بعض العرفاء: إن شئت أن تصير من الأبدال فحول خلقك إلى بعض خلق الأطفال ففيهم خمس خصال لو كانت في الكبار لكانوا أبدالاً لا يهتمون للرزق. قال الصائب:

فكر آب ودانه در كنج قفس بى حاصلست   زير چرخ انديشهٔ روزى چرا باشد مرا

ولا يشكون من خالقهم إذا مرضوا.

حافظ ازجور توحاشاك بنالد روزى   كه ازان روز كه دربند توام دلشادم

ويأكلون الطعام مجتمعين.

اكر خواهى كه يابى ملك ودولت   بخور شاها بدرويشان نعمت

وإذا تخاصموا تسارعوا إلى الصلح. قال السلطان سليم الأول:

خواهى كه كنج عشق كنى لوح سينه را   ازدل بشوى آينه سان كرد كينه را

وإذا خافوا جرت عيونهم بالدموع. وفي «المثنوي»:

سوز مهر وكرية ابر جهان چون همى داردجهانرا خوش دهان
آفتاب عقل را در سوز دار چشم را چون ابر اشك افروز دار
جشم كريان بايدت چون طفل خرد كم خوراين نانراكه نان آب توبرد

وأشارت الآية الكريمة إلى النفوس المتمردة المشركة التي اتخذت الهوى إلهاً، وعبدت صنم الدنيا فهادنها الروح والقلب في أوان الطفولية وعاهداها على أن لا يجاهداها ولا يقاتلاها إلى حد البلوغ، وهي أيضاً لا تتعرض لهما إلى استكمال القالب واستواء القوى البشرية التي بها تتحمل حمل الأمانة وأعباء أركان الشريعة وظهور كمال العقل الذي به يستعد لقبول الدعوة وإجابتها، وبه يعرف الرسل ومعجزاتهم، وبه يثبت الصانع ويرى تعبده واجبا لأداء شكر نعمة الله وإن الله ورسوله بريء من تلك المعاهدة بعد البلوغ، فإنه أوان نقض عهد النفوس مع القلوب والأرواح لأن النفس قبل البلوغ كانت تتصرف في المأكول والمشروب والملبوس لتربية القالب ودفع الحاجة الماسة غالباً، وذلك لم يكن مضراً جداً للقلب والروح، فأما بعد البلوغ فزادت في تلك التربية بالمأكول والمشروب والملبوس الضروري لأجل الشهوة، ولما ظهرت الشهوة شملت آفتها المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح واشتعلت نيرانها يوماً فيوماً وفيها مرض القلب والروح وبعثت الأنبياء لدفع هذا المرض وعلاجه كما قال عليه السلام: «بعثت لدفع العادات وترك الشهوات» وفي قوله: ﴿**فسيحوا في الأرض أربعة أشهر**﴾ إشارة إلى أن للنفوس في أرض البشرية سيراً وسياحة لتكميل الأوصاف الأربعة من النباتية والحيوانية والشيطانية والإنسانية التي تتولد بازدواج الروح العلوي الروحاني المفرد والقالب السفلي المركب من العناصر الأربعة. فالنباتية تولد الماء، والحيوانية تولد الريح، والشيطانية تولد النار، والإنسانية تولد التراب فلتكميل هذه الصفات أرخيت أزمة النفوس في مراتع الدنيا ونعيمها إلى البلاغة ثم قال: ﴿**واعلموا**﴾ يعني: نفوس أهل السعادة ﴿**أنكم غير معجزي الله**﴾ أي: لا تعجزونه أن ينزعكم عن المراتع الدنيوية ويمتعكم بالمنافع الأخروية. ﴿**وأن الله مخزي الكافرين**﴾ يعني: مهلك أهل الشقاوة في تيه الغفلات والشهوات كذا في «التأويلات النجمية».

﴿**وأذان من الله ورسوله**﴾ الأذان بمعنى الإيذان كالعطاء بمعنى الإعطاء، أي: هذا إعلام واصل منهما ﴿**إلى الناس**﴾ كافة المؤمنين والكافرين ناكثين أو غيرهم فالأذان عام والبراءة خاصة بالناكثين من المعاهدين والجملة عطف على قوله براءة. ﴿**يوم الحج الأكبر**﴾ منصوب بما يتعلق به إلى الناس.

وفيه قولان: أحدهما: أنه يوم العيد فإنه يتم فيه أركان الحج كطواف الزيارة وغيره ويتم فيه معظم أفعاله كالنحر والرمي وغيرهما وإعلام البراءة كان فيه. وروي أن النبي ﷺ وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال: «هذا يوم الحج الأكبر» وروي أن علياً رضي الله عنه خرج يوم النحر على بغلة بيضاء إلى الجبانة، فجاء رجل فأخذ بلجامها وسأله عن يوم الحج الأكبر فقال: «هو يومك هذا خلِ سبيلها». والثاني أنه يوم عرفة لقوله عليه الصلاة والسلام: «الحج عرفة» حصر النبي عليه السلام أفعال الحج في الوقوف بعرفة لأنه معظم أفعاله من حيث إن من أدرك الوقوف بعرفة فقد أدرك الحج ومن فاته الوقوف فاته الحج ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر ولاجتماع المسلمين والمشركين في ذلك اليوم،

وموافقته لأعياد أهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله وبعده فعظم ذلك اليوم في قلوب جميع الطوائف والملل وورد «إن الوقفة يوم الجمعة تعدل سبعين حجة» وهو الحج الأكبر ﴿أن الله﴾ أي: بأن الله والباء صلة الأذان حذفت تخفيفاً ﴿بريء من المشركين﴾ أي من عهدهم الذي نقضوه فالمراد بالمشركين المعاهدون الناكثون ﴿ورسوله﴾ قال المفسرون هو مرفوع معطوف على المستكن في بريء أو منصوب على أن الواو بمعنى مع أي بريء معه منهم أو مجرور على القسم ولا تكرير في ذكر بريء لأن قوله براءة إخبار بثبوت البراءة وهذا إخبار بوجوب الإعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخصه بالمعاهدين كما قال أولاً: ﴿إلى الذين عاهدتم﴾ ﴿فإن تبتم﴾ من الكفر والغدر ﴿فهو﴾ أي: فالتوبة. ﴿خير لكم﴾ في الدارين من الإقامة على الكفر والغدر. ﴿وإن توليتم﴾ أي: أعرضتم عن التوبة. ﴿فاعلموا أنكم غير معجزي الله﴾ غير سابقين ولا فائتين أي لا تفوتونه طلباً ولا تعجزونه هرباً في الدنيا. وبالفارسية [شما نه عاجز كنند كانيد خدا يرا يعني توانيد كه ازوبكر يزيد يا با او ستيزيد] ﴿وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾ في الآخرة والخطاب لرسول الله ﷺ وذكر التبشير في مقام الإنذار تهكم بهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنت مع عليّ رضي الله عنه حين بعثه رسول الله بالبراءة إلى مكة، فقيل لأبي هريرة بماذا كنتم تنادون؟ قال: كنا ننادي أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ولا يحجن هذا البيت بعد هذا العام مشرك ولا عريان ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فأجله إلى أربعة أشهر فإذا مضت أربعة أشهر فإن الله بريء من عهد المشركين ورسوله.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾

﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين﴾ استدراك، أي استثناء منقطع من النبذ السابق الذي أخر فيه القتال أربعة أشهر كأنه قيل: لا تمهلوا الناكثين فوق أربعة أشهر لكن الذين لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين في المسارعة إلى قتلهم بل أتموا إليهم عهدهم. ﴿ثم﴾ للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع تمادي المدة. ﴿لم ينقصوكم شيئاً﴾ من شروط العهد ولم ينكثوا وينقص يتعدى إلى اثنين فكم مفعول أول وشيئاً مفعول ثان وإلى واحد فشيئاً منصوب على المصدرية أي شيئاً من النقصان.

قال الكاشفي: [پس ايشان كم نكردند چيزى از عهدهاء شما يعنى نشكستند پيمان شمارا] ﴿ولم يظاهروا﴾ لم يعاونوا ﴿عليكم أحداً﴾ من أعدائكم كما عدت بنو بكر على خزاعة حلفاء النبي عليه السلام فظاهرتهم قريش بالسلاح. ﴿فأتموا إليهم عهدهم﴾ عدي أتموا بإلى لتضمنه معنى فأدوا أي فأدوه إليهم تاماً كاملاً ﴿إلى مدتهم﴾ ولا تفاجئوهم بالقتال عند مضي الأجل المضروب للناكثين ولا تعاملوهم معاملتهم. روي أن بني ضمرة وهم حي من بني كنانة عاهدهم رسول الله ﷺ عام الحديبية عند البيت، وكان بقي لهم من عهدهم تسعة أشهر فأتم عليه الصلاة والسلام إليهم عهدهم. ﴿إن الله يحب المتقين﴾ تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على أن مراعاة حقوق العهد من باب التقوى وأن التسوية بين الوفي والغادر منافية لذلك وإن كان المعاهد مشركاً. قال الحافظ:

وفا وعهد نكو باشد را بياموزى   وكرنه هركه تو بينى ستمكرى داند

قال الشيخ نصر آبادي: للمتقي علامات أربع: حفظ الحدود، وبذل المجهود، والوفاء بالعهود، والقناعة بالموجود. قيل في الترجمة:

متقى را بود چهار نشان حفظ أحكام شرع أول آن
ثانياً آنچه دست رس باشد بر فقيران وبى كسان باشد
عهدرا با وفا كند پيوند هرچه باشد بدان شود خرسند

واعلم: أن الحج الأكبر يوم الوصول إلى كعبة الوصال والحج الأصغر يوم الوصول إلى كعبة القلب. وزيارة كعبة الوصال وطوافها حرام على مشركي الصفات الناسوتية لأنها تميل إلى غير الله وتركن إلى ما سواه، فلا تطوف الناسوتية حول كعبة اللاهوتية إلا بعد فنائها وفناؤها إنما يكون بالجذبات الإلهية فإذا تداركت العناية الأزلية العبد يخاطب ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨] إما في حال الحياة وإما في وقت الوفاة ﴿لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ﴾ [الرعد: ٣٨] أما ترى إلى سحرة فرعون كيف قالوا ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ١٤﴾ [الزخرف: ١٤] وفي حديث المعراج «ثم ذهبت إلى الجنة فرأيت رضوان خازنها، فلما رآني فرح بي ورحب بي، وأدخلني الجنة وأراني فيها من العجائب ما وعد الله فيها لأوليائه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ورأيت فيها درجات أصحابي ورأيت فيها الأنهار والعيون وسمعت فيها صوتاً وهو يقول آمنا برب العالمين فقلت ما هذا الصوت يا رضوان قال هم سحرة فرعون وسمعت صوتاً آخر، وهو يقول: لبيك اللهم فقلت من هو قال أرواح الحجاج وسمعت التكبير فقال: هؤلاء الغزاة فسمعت التسبيح فقال هؤلاء الأنبياء ورأيت قصور الصالحين ثم بلغت إلى سدرة المنتهى» وسميت المنتهى لأن علم الخلائق ينتهي إليها «ثم تخلف عني جبريل فقلت له أتتركني وحيداً فقال يا أكرم الخلق على الله ما جاوز هذا المكان أحد قبلك ولا يجاوز بعدك فإذا ناداني ربي فقال لي ادن مني يا محمد فلم أزل أدنو وهو يقول ادن ألف كرة حتى قربت منه كما قال تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩﴾ [النجم: ٩] وما من مرة أدنو من ربي إلا قضى لي فيها حاجة ثم وقفت فقطرت على لساني قطرة كانت أحلى من العسل وأبرد من الثلج فعلمت علم الأولين والآخرين وقال لي يا محمد قد جعلت الإسلام حلواً في قلوب أمتك حتى أحبوه وجعلت الكفر مرّاً في قلوبهم حتى أبغضوه».

يقول الفقير: ومنه يعرف أن الله تعالى جعل الإيمان حلواً في قلوب أمة الدعوة حتى أحبوه وجعل الكفر مراً في قلوبهم حتى أبغضوه فحب الإيمان من الجذبة الإلهية والعناية الأزلية وبه اتقى المؤمن من الكفر ثم من العصيان، ثم من الجهل ثم من رؤية ما سوى الله والميل إليه. فيا أهل الإيمان أدركتكم العناية العامة. ويا أهل العرفان جذبتكم الهداية الخاصة فقوموا واشكروا الله تعالى على ما أنعم عليكم وأوصله من كمال كرمه إليكم وقد نص على أنه يحب المتقين فتارة تكون محباً وهو محبوب وتارة تكون محبوباً وهو محب ومقام المحبوبية أعلى المقامات ولو كان فوقه ما هو أعلى منه لما قيل لرسول الله ﷺ حبيب الله.

فعليك أيها العاقل بالرجوع إلى المولى قبل تمام المدة وهو حلول الأجل وقبل أن تكتنفك الموانع من الجبن والكسل وطريق الاختيار مقبولة دون طريق الاضطرار فإن أقبلت فلك سعادة الوقت، وإن أعرضت فلك الشقاوة والمقت نسأل الله تعالى أن يهدينا إلى طريق الرضى ويقبل عثرتنا فيما مضى آمين.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾.

﴿فإذا انسلخ﴾ أي: انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده **﴿الأشهر الحرام﴾** وانفصلت عما كانت مشتملة عليه ساترة له انفصال الجلد عن الشاة وانكشفت عنه انكشاف الحجاب عما وراءه وتحقيقه أن الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه اشتمال الجلد للحيوان وكذا كل جزء من أجزائه الممتدة من الأيام والشهور والسنين فإذا مضى فكأنه انسلخ عما فيه ووصفت الأشهر بالحرم وهي جمع حرام؛ لأن الله تعالى حرم فيها القتال وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم التي أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها لا الأشهر الدائرة في كل سنة وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم؛ لأن نظم الآية يقتضي توالي الأشهر المذكورة وهذه ليست كذلك لأن ثلاثة منها سرد وواحد فرد. **﴿فاقتلوا المشركين﴾** الناكثين أبد الآباد.

فهذه الآية ناسخة لكل آية في القرآن فيها ذكر الإعراض عن المشركين والصبر على إيذائهم على وفق ما أجمع عليه جمهور العلماء. **﴿حيث وجدتموهم﴾** أدركتموهم في حل أو حرم **﴿وخذوهم﴾** أي: ائسروهم والأخيذ الأسير. **﴿واحصروهم﴾** الحصر المنع والمراد إما حبسهم ومنعهم عن التبسط والتقلب في البلاد أو منعهم عن المسجد الحرام. **﴿واقعدوا لهم كل مرصد﴾** أي: كل ممر ومجتاز يجتازون منه في أسفارهم وانتصابه على أنه ظرف لاقعدوا أي أرصدوهم في كل مكان يرصد فيه وارقبوهم حتى لا يمروا به وهذا أمر لتضييق السبيل عليهم فليس معناه حقيقة القعود.

قال الكاشفي: [بسته كردانيد برايشان راهها تا منتشر نشوند در بلاد وقرى]. **﴿فإن تابوا﴾** عن الشرك بالإيمان حسبما اضطروا بما ذكر من القتل والأسر والحصر. **﴿وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾** تصديقاً لتوبتهم وإيمانهم واكتفى بذكرهما عن بقية العبادات لكونهما رئيسي العبادات البدنية والمالية. **﴿فخلوا سبيلهم﴾** فدعوهم وشأنهم لا تتعرضوا لهم بشيء مما ذكر.

قال القاضي في تفسيره: فيه دليل على أن تاركي الصلاة ومانعي الزكاة لا يخلى سبيلهم انتهى.

وعن أبي حنيفة رحمه الله: أن من ترك الصلاة ثلاثة أيام فقد استحق القتل.

قال الفقهاء: الكافر إذا أكره على الإسلام فأجرى كلمة الإسلام على لسانه يكون مسلماً، فإذا عاد إلى الكفر لا يقتل ويجبر على الإسلام كما في «هدية المهديين» للمولى أخي چلبي.

وفيه أيضاً: كافر لم يقر بالإسلام إلا أنه إذا صلى مع المسلمين بجماعة يحكم بإسلامه وبلا جماعة لا وإن صام أو حج أو أدى الزكاة لا يحكم بإسلامه في ظاهر الرواية وفي أخرى إنه إن حج على وجه الذي يفعله المسلمون في الإتيان بجميع الأحكام والتلبية وشهود كل المناسك يصير مسلماً. **﴿إن الله غفور رحيم﴾** تعليل للأمر بتخلية السبيل أي فخلوهم فإن الله يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر لأن الإيمان يجب ما قبله أي يقطعه كالحج ويثيبهم بإيمانهم وطاعتهم.

واعلم أن الله تعالى أمر في هذه الآية بالجهاد وهو أربعة أنواع: جهاد الأولياء بالقلب

بتخليته بالأخلاق الحميدة. وجهاد الزهاد بالنفس بتزكيتها عن الأوصاف الرذيلة، وجهاد العلماء: بإظهار الحق خصوصاً عند سلطان جائر وإمام ظالم، وجهاد الغزاة: ببذل الروح.

بهر روز مرك اين دم مرده باش تاشوى باعشق سر مد خواجه تاش

كشته ومرده به پيشت أي قمر به كه شاه زند كان جاى دكر

فالقتل إما قتل النفوس المشركة بالسيف الظاهر وإما قتل النفوس العاصية بالسيف الباطن وقتلها في نهيها عن هواها ومنعها عن مشتهاها واستعمالها على خلاف طبعها وضد طبيعتها.

قيل: للحسين بن علي رضي الله عنهما: أي الجهاد أفضل؟ قال: مجاهدتك هواك.

ووصى رجل ولده فقال: يا بنيّ أعصِ هواك والنساء واصنع ما شئت، وقوله تعالى: **﴿حيث وجدتموهم﴾** يشير إلى قتلها في الطاعة والمعصية فقتلها في الطاعة بملازمتها ومداومتها عليها وفطامها عن مشاربها فيها وإعجابها وتخليصها إياها. قال في القصيدة الشهيرة بالبردة.

وراعها وهي في الأعمال سائمة وإن هي استحلت المرعى فلا تسم

أي: راع النفس في اشتغالها بالأعمال عما هو مفسد ومنقص للكمال من الرياء والعجب والغفلة والضلال وإن عدت النفس بعض التطوعات حلوا واعتادت به وألفته فاجتهد في أن تقطع نفسك عنه، واشتغل بما هو أشق عليها لأن اعتبار العبادة إنما هو بامتيازها من العادة.

﴿فإن تابوا﴾ ورجعوا إلى الله، أي: رجعت النفوس عن هواها إلى طلب الحق تعالى: **﴿وأقاموا الصلاة﴾** وداومت على العبودية والتوجه إلى الحق. **﴿وآتوا الزكاة﴾** أي: تزكت عن أوصافها الذميمة. **﴿فخلوا سبيلهم﴾** عن مقاساة الشدائد بالرياضات والمجاهدات ليعملوا بالشريعة بعد الوصول إلى الحقيقة فإن النهاية هي الرجوع إلى البداية كما في «التأويلات النجمية».

يقول الفقير: ظهر من هذا أن السالك وإن بلغ إلى غاية المراتب، ونهاية المطالب فهو متقيد في إطلاقه بمرتبة الشريعة والعمل بأحكامها بحيث لو انخلع عن الأحكام والآداب كان ملحداً سيىء الأدب مطروداً عن الباب مهجوراً عن حريم قرب رب الأرباب، فالشريعة الشريفة محك لكل سالك مبتدىء ولكل واصل منتهى يظهر بها صدق الطلب وخدمة الشكر.

وفي الكتب الكلامية: ولا يصل العبد ما دام عاقلاً بالغاً إلى حيث يسقط الأمر والنهي لعموم الخطابات الواردة في التكاليف وإجماع المجتهدين على ذلك اللهم اجعلنا من المتقيدين بوثاق عبوديتك والمراعين لحقوق ربوبيتك.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿وإن أحد﴾ رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لأن إن من عوامل الفعل. **﴿من المشركين﴾** الذين أمرتك بقتلهم. **﴿استجارك﴾** أي: طلب منك الأمان والجوار بعد انسلاخ الأشهر الحرم. **﴿فأجره﴾** فأمنه ولا تسارع إلى قتله. **﴿حتى يسمع﴾** أي: إلى أن يسمع أو ليسمع. **﴿كلام الله﴾** أي: القرآن فيما له وما عليه من الثواب والعقاب.

استدل الأشعري بهذه الآية إلى أنه يجوز أن يسمع الكلام القديم الذي هو صفة الله تعالى ومنعه الشيخ أبو منصور. فمعنى حتى يسمع كلام الله يسمع ما يدل عليه كما يقال سمعت علم

فلان فإن حقيقة العلم لا تسمع بل سمعت خبراً دالاً على علمه وكما يقال انظر إلى قدرته تعالى أي إلى ما يدل على قدرته تعالى والتفصيل في كتب الكلام. ﴿ثم أبلغه﴾ بعد استماعه له إن لم يؤمن ﴿مأمنه﴾ أي: مسكنه الذي يأمن فيه وهو دار قومه [وبعد ازان باو مقاتله نماى].
﴿ذلك﴾ يعني: الأمر بالإجارة وإبلاغ المأمن. ﴿بأنهم﴾ أي: بسبب أنهم ﴿قوم لا يعلمون﴾ ما الإسلام وما حقيقته أو قوم جهلة فلا بد من إعطاء الأمان حتى يفهموا الحق ولا يبقى لهم معذرة أصلاً. ومن ههنا قال الفقهاء: حربي أسلم في دار الحرب ولا يعلم بالشرائع من الصوم والصلاة ونحوهما ثم دخل دار الإسلام لم يكن عليه قضاؤها ولا يعاقب عليه إذا مات، ولو أسلم في دار الإسلام ولم يعلم بالشرائع يلزمه القضاء.

واعلم كما أن الكفار قوم لا يعلمون أحكام الله فكذا النفس وصفاتها قوم لا يعلمون الله وألطافه فلا يقبلون إليه ويعملون الدنيا وشهواتها فيرغبون فيها، وقد أمهل الله تعالى بفضله ليرجع العبد إليه وإلى طاعته. روي أنه كان في بني إسرائيل شاب قد عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال إلهي أطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة فإن رجعت إليك تقبلني فسمع هاتفاً من وراء البيت ولم ير شخصاً وهو يقول أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك فإن رجعت إلينا قبلناك.

وينبغي للعبد أن يسارع إلى التوبة والاستغفار فإن توبة الشاب أحسن من توبة الشيخ فإن الشاب ترك الشهوة مع قوة الداعي إليها والشيخ قد ضعفت شهوته وقل داعيه فلا يستويان. قال السعدي قدس سره:

[قحبهء پيراز نا بكارى چه كندتوبه نكند] لأنه لا رغبة في مجامعتها فإنها تؤدي إلى موت الفجأة: [وشحنة معزول ازمردم ازاري] لأنه لا ولاية له على الناس.

جوان كوشه نشين شير مردراه خداست   كه پيرخود نتواندز كوشة برخاست

شيخ كبير له ذنوب   تعجز عن حملها المطايا
قد بيضت شعره الليالي   وسودت قلبه الخطايا

يا من يأتي عليه عام بعد عام وقد غرق في بحر الخطايا وهام. يا من يشاهد الآيات والعبر كلما توالت عليه الأعوام والشهور ويسمع الآيات والسور ولا ينتفع بما يسمع ولا بما يرى من عظائم الأمور ما الحيلة فيمن سبق عليه الشقاء في الكتاب المسطور فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور اللهم اجعلنا من المتلذذين بحسن خطابك والمستسعدين بقرب جنابك والمتصفين بمعرفة آيات صفاتك والواصلين إلى أسرار ذاتك إنك أنت الفياض.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟
عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ
فَـٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿كيف﴾ في محل النصب على التشبيه بالحال والظرف والاستفهام إنكاري لا بمعنى إنكار الواقع كما في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨] بل بمعنى إنكار الوقوع. ﴿يكون﴾ من الكون التام ﴿للمشركين﴾ هم الناكثون. والمعنى: على أي حال يوجد لهم ﴿عهد﴾ معتد به ﴿عند الله وعند رسوله﴾ يستحق أن يراعى حقوقه ويحافظ عليه إلى تمام المدة ولا يتعرض لهم بحسبه قتلاً وأخذاً، أي: مستنكر مستبعد أن يكون لهم عهد يجب الوفاء به. ﴿إلا الذين﴾ استدراك من النفي المفهوم من الاستفهام المتبادر شموله لجميع المعاهدين أي لكن الذين ﴿عاهدتم﴾ يعني: بني ضمرة وبني كنانة ﴿عند المسجد الحرام﴾ [نزديك مسجد حرام يعني درحديبيه كه قريبست بمكهء معظمه]، والتعرض لكون المعاهدة عند المسجد الحرام لزيادة بيان أصحابها والإشعار بسبب وكادتها ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى: ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم﴾ والفاء لتضمنه معنى الشرط، وما إما مصدرية منصوبة المحل على الظرفية بتقدير المضاف، أي فاستقيموا لهم بوفاء أجلهم مدة استقامتهم لكم في وفاء العهد فلم ينقضوه كما نقض غيرهم وإما شرطية منصوبة المحل على الظرفية الزمانية أي أي زمان استقاموا لكم في عهدهم فاستقيموا لهم فيه. ﴿إن الله يحب المتقين﴾ لنقض العهد تعليل للأمر بالاستقامة وإشعار بأن المحافظة على العهد من لوازم التقوى وفي الحديث: «لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف بقدر غدره» قال في «شرح الشهاب»: المراد باللواء التشهير، يعني: يفتضح الغدّار يوم القيامة بقدر غدره. وفي «المثنوي»:

سوى لطف بيوفايان هين مرو ... كان پل ويران بود نيكو شنو

نقض ميثاق وعهود از احمقيست ... حفظ ايمان ووفاكار تقيست

﴿كيف﴾ يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله سبحانه وعند رسوله عليه الصلاة والسلام ﴿وإن يظهروا عليكم﴾ أي: وحالهم أنهم إن يظفروا بكم ﴿لا يرقبوا فيكم﴾ أي: لا يراعوا في شأنكم، وأصل الرقوب النظر بطريق الحفظ والرعاية. ومنه الرقيب ثم استعمل في مطلق الرعاية ﴿إلاً﴾ أي: حلفاً أو قرابة.

وقيل: الإل اسم عبري بمعنى الإله.

قال الأزهري: أيل من أسماء الله تعالى بالعبرانية فجاز أن يكون معرب أل، أي: لا يراعوا حق الله تعالى. ﴿ولا ذمة﴾ أي: عهداً حقاً يعاقب على إغفاله وإضاعته مع ما سبق لهم من تأكيد الإيمان والمواثيق يعني أن وجوب مراعاة حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروطة بمراعاة الآخر لها فإذا لم يراعها المشركون فكيف تراعونها. ﴿يرضونكم بأفواههم﴾ استئناف بياني كأنه قيل بأي وجه لا يراعون الحلف أو القرابة فكيف يقدمون على عدم المراعاة فأجيب بأنهم يرضونكم بأفواههم حيث يظهرون الوفاء والمصافاة ويعدون لكم بالإيمان والطاعة ويؤكدون ذلك بالإيمان الفاجرة ويتعللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة ونسبة الإرضاء للأفواه للإيذان بأن كلامهم مجرد ألفاظ يتفوهون بها من غير أن يكونَ لها مصداق في قلوبهم. ﴿وتأبى قلوبهم﴾ ما تتفوه به أفواههم يعني أن ألسنتهم تخالف قلوبهم وما في بطونهم من الضغائن ينافي ما أظهروه بألسنتهم من وعد الإيمان والطاعة والوفاء بالعهد فهم إما يقولون كلاماً حلواً مكراً وخديعة، وفي الحديث: «المكر والخديعة في النار» يعني: أربابهما وفي الحديث «اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع» وهي: جمع بلقعة وهي الأرض القفر التي لا شيء

فيها وامرأة بلقعة إذا كانت خالية من كل خير والمعنى يفتقر الحالف ويذهب ماله وجاهه.

فينبغي للعاقل أن لا يجعل عادته أن يحلف في كل صغير وكبير فإنه ربما يحلف كاذباً فيستحق العقوبة. ورد أنّ البياع الحلاف إذا كان كاذباً في يمينه يكون ثمن ما باعه أشد حرمة من لحم الخنزير. ﴿وأكثرهم﴾ أي: أكثر المشركين ﴿فاسقون﴾ خارجون عن الطاعة فإن مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون في الكفر ليست لهم عقيدة تمنعهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الأكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر أحدوثة السوء والأحدوثة ما يتحدث الناس في حقه من المثالب والمعائب.

يقول الفقير: ذكر عند حضرة شيخي العلامة أبقاه الله بالسلامة مروءة بعض أهل الذمة فقال: إنه من آثار السعادة الأزلية ويرجى أن ذلك يدعوه إلى الإيمان والتوحيد ويصير عاقبته إلى النجاة والفلاح. وفي «المثنوي»:

من نديدم در جهان جست وجو ... هيچ اهليت به از خوى نكو
دريى خوباش وباخوشخو نشين ... خو پذيرى روغن وكل رابين
پس يقين دان صورت خوب ونكو ... با خصال بد نيرزد يك طسو
ور بود صورت حقير وناپذير ... چون بود خلقش نكو دوپاش مير

وقد أوصى رسول الله ﷺ معاذاً بوصية جامعة لمحاسن الأخلاق فقال: «يا معاذ أوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجوار، ورحمة اليتيم ولين الكلام، وبذل السلام، وحسن العمل، وقصر الأمل، ولزوم الإيمان، والتفقه في القرآن، وحب الآخرة، والجزع من الحساب، وخفض الجناح، وإياك أن تسب حكيماً أو تكذب صادقاً، أو تطيع آثماً، أو تعصي إماماً عادلاً، أو تفسد أرضاً. أوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر، وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية بذلك أدب الله عباده ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب» كذا في «العوارف».

اعلم أن النفس خلقت من السفليات وجبلت ميالة إلى الدنيا وشهواتها ولذاتها وإلى الجفاء والغدر والرياء والنفاق وقد عاهدها الله يوم الميثاق على الصدق والإخلاص فهي ما دامت حية باقية على صفاتها الذميمة لا يمكنها العبودية الخالصة من شوب الطمع في المقاصد الدنيوية والأخروية، فإذا تنورت بالأنوار المنعكسة من تجلي صفات الجمال والجلال لمراءة القلب تفنى عن أوصافها المخلوقة وتبقى بالأنوار الخالقية فيثبتها الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فتسلم من نقض العهد والمسجد الحرام إشارة إلى مقام الوصول الذي هو حرام على أهل الدنيا والآخرة وهو مقام أهل الله وخاصته نسأل الله الوصول إلى هذا المقام المكين والدخول في هذا الحرم الأمين. قال بعضهم:

الزم الصدق والتقى ... واترك العجب والريا
واغلب النفس والهوى ... ترزق السؤل والمنى

فعلى العاقل المجاهدة مع النفس ورعاية العهود والحقوق ومجانبة الفسوق والعقوق.

قال الشبلي قدس سره: عقدت وقتاً أن لا آكل إلا من الحلال فكنت أدور في البراري، فرأيت شجرة تين فمددت يدي إليها لآكل فنادتني الشجرة احفظ عليك عقدك لا تأكل مني فإني ليهودي.

يقول الفقير في هذه الحكاية شيئان: الأول: ظهور الكرامة وهو تكلم الشجرة. والثاني: تذكير الله تعالى إياه عقده وذلك بسبب صدقه في إرادته وإخلاصه في طلبه فمن أراد أن يصل إلى هذه الرتبة فليحافظ وقته وليراقب فإن في المراقبة حصول المطالب عصمنا الله وإياكم من تجاوز الحد والخروج عن الطريق وشرفنا بالوقوف في حد الحق والثبات في طريق التحقيق ﴿اشتروا بآيات الله﴾ يعني: المشركين الناقضين تركوا الآيات الآمرة بالإيفاء بالعهود والاستقامة في كل أمر وأخذوا بدلها. ﴿ثمناً قليلاً﴾ أي: شيئاً حقيراً من حطام الدنيا وهو أهواؤهم وشهواتهم التي اتبعوها ﴿فصدوا﴾ أي: عدلوا وأعرضوا من صد صدوداً فيكون لازماً أو منعوا وصرفوا غيرهم من صده عن الأمر صداً فيكون متعدياً. ﴿عن سبيله﴾ أي: دينه الموصل إليه أو سبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه ويحصرونهم. ﴿إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾ أي: بئس العمل عملهم المستمر فما المصدرية مع ما في حيزها في محل الرفع على أنها فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف.

وقيل: إن أبا سفيان بن حرب جمع الأعراب وأطعمهم ليصدهم بذلك عن متابعة رسول الله ﷺ وليحملهم على نقض العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله فنقضوه بسبب تلك الأكلة ففاعل اشتروا الأعراب والثمن القليل هو ما أطعمهم أبو سفيان.

يقول الفقير: هذا جار إلى الآن فإن بعض أهل الهوى والظلم يضيف بعض أهل الطمع والمداهنة ممن يعد من أعيان القوم ليشهدوا له عند السلطان أو القاضي بالحق والعدل فيشترون بآيات الله ثمناً قليلاً هو الضيافة لهم.

﴿لا يرقبون﴾ أي: لا يراعون ولا يحفظون. ﴿في مؤمن﴾ أي: في شأنه وحقه. ﴿إلاً﴾ أي: حلفاً أو حق قرابة. ﴿ولا ذمة﴾ أي: عهداً هذا ناعى عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الإطلاق فلا تكرار. ﴿وأولئك﴾ الموصوفون بما عدّ من الصفات السيئة. ﴿هم المعتدون﴾ المجاوزون الغاية القصوى من الظلم والشرارة.

﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾
وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ
لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿فإن تابوا﴾ عن الكفر وسائر العظائم. ﴿وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ أي: التزموا إقامتهما واعتقدوا فرضيتهما. ﴿فإخوانكم﴾ أي: فهم إخوانكم ﴿في الدين﴾ متعلق بإخوانكم لما فيه من معنى الفعل، أي: لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الإخوان ومتى لم توجد هذه الثلاثة لا تحصل الأخوة في الدين ولا عصمة الدماء والأموال. ﴿ونفصل الآيات﴾ أي: نبين الآيات المتعلقة بأحوال المشركين الناكثين وغيرهم وأحكامهم حالتي الكفر والإيمان. ﴿لقوم يعلمون﴾ أي: ما فيها من الأحكام ويتفكرونها ويحافظون عليها.

﴿وإن نكثوا﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿فإن تابوا﴾ أي وإن لم يفعلوا ذلك بل نقضوا ﴿أيمانهم من بعد عهدهم﴾ الموثق بها وأظهروا ما في ضمائرهم من الشر وأخرجوه من القوة إلى الفعل. ﴿وطعنوا في دينكم﴾ عابوه وقدحوا فيه بتصريح التكذيب وتقبيح الأحكام ﴿فقاتلوا﴾ [پس بكشيد] ﴿أئمة الكفر﴾ أي: فقاتلوهم فوضع الظاهر موضع الضمير للإشارة

إلى علة وجوب مقاتلتهم أي للإيذان بأنهم صاروا بذلك ذوي رياسة وتقدم في الكفر أحقاء بالقتل وقيل المراد بأئمتهم رؤساؤهم كأبي سفيان والحرث بن هشام وأبي جهل بن هشام وسهل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وأشباههم، وتخصيصهم بالذكر ليس لنفي الحكم عما عداهم بل لأن قتلهم أهم من حيث إنهم هم المعتدون في الشرارة ويدعون أتباعهم إلى الأفعال الباطلة كأنه قيل فقاتلوا من نكث الوفاء بالعهود لا سيما أئمتهم والرؤساء منهم. وأصل أئمة أامة جمع إمام نحو مثال وأمثلة ﴿**إنهم لا أيمان لهم**﴾ أي: على الحقيقة حيث لا يراعونها ولا يعدون نقضها محذوراً وإن أجروها على ألسنتهم فالمراد بالأيمان المثبتة لهم بقوله تعالى: ﴿**وإن نكثوا أيمانهم**﴾ ما أظهروه من الأيمان وبالمنفية ما هو أيمان على الحقيقة، فإنهم إذا لم يراعوها فلا وجود لها في الحقيقة ولا اعتبار بها لأن ما لم يترتب عليه أحكامه ولوازمه فهو في حكم المعدوم، وهو تعليل لاستمرار القتال المأمور به المستفاد من سياق الكلام، كأنه قيل: فقاتلوهم إلى أن يؤمنوا لأنهم لا أيمان لهم حتى تعقدوا معهم عقداً آخر. ﴿**لعلهم ينتهون**﴾ متعلق بقوله فقاتلوا، أي: قاتلوهم إرادة أن ينتهوا، أي: ليكن غرضكم من القتال انتهاءهم عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم التي يرتكبونها لا إيصال الأذية كما هو ديدن المؤذين والأذية، هو المكروه اليسير.

أقول: فيه إشارة إلى أن الفاعل ينبغي أن يكون له غرض صحيح شرعي في فعله كدفع المضرة في قتل القملة والنملة وأشباههما، لا إرادة التشفي والانتقام وإيصال الأذى والآلام للقرص أو لغيره، وليكن هذا على ذكر من الصوفية المحتاطين في كل الأمور والساعين في طريق الفناء إلى يوم ينفخ في الصور.

قال الحدادي: في الآية بيان أن أهل العهد متى خالفوا شيئاً مما عاهدوهم عليه فقد نقضوا العهد وأما إذا طعن واحد منهم في الإسلام فإن كان شرط في عهودهم أن لا يذكروا كتاب الله ولا يذكروا محمداً ﷺ بما لا يجوز، ولا يفتنوا مسلماً عن دينه، ولا يقطعوا عليه طريقاً ولا يعينوا أهل الحرب بدلالة على المسلمين فإنهم إذا فعلوا ذلك فقد برئت منهم ذمة الله، وذمة رسول الله فإن فعلوا شيئاً من هذه الأشياء حل دمهم، وإن كان لم يشرط ذلك عليهم في عهودهم وطعنوا في القرآن وشتموا النبي عليه الصلاة والسلام ففيه خلاف من الفقهاء، قال أصحابنا: يعزرون ولا يقتلون واستدلوا بما روى أنس بن مالك أن امرأة يهودية أتت النبي عليه السلام بشاة مسمومة ليأكل منها فجيء بها، وقيل له أنقتلها فقال: لا» ولحديث عائشة رضي الله عنها «فإن الله عز وجل يحب الرفق في الأمر كله» فقالت يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا فقال: «بلى قد قلت عليكم» ولم يقتلهم النبي عليه السلام بذلك وذهب مالك إلى أن من شتم النبي عليه السلام من اليهود والنصارى قتل إلا أن يسلم انتهى ما في «تفسير الحدادي».

قال ابن الشيخ في الآية: دليل على أن الذمي إذا طعن في الإسلام، أي عابه وازدراه جاز قتله لأنه عوهد على أن لا يطعن في الدين فإذا طعن فقد خرج عن الذمة وعند أبي حنيفة يستتاب الذمي بطعنه في الدين ولا ينقض عهده بمجرد طعنه ما لم يصرح بالنكث انتهى.

قال المولى أخي چلبي في «هدية المهديين»: الذمي إذا صرح بسبه عليه السلام أو عرض أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عند الشافعي في قتله إن لم يسلم؛ لأنه لم يعط له الذمة أو العهد على هذا وهو قول عامة العلماء إلا أن أبا حنيفة والثوري

وأتباعهما من أهل الكوفة قالوا لا يقتل لأن ما هو عليه من الشرك أعظم لكن يعزر ويؤدب. وقيل لا يسقط إسلام الذمي الساب قتله لأنه حق النبي عليه السلام وجب عليه لهتكه حرمته وقصده لحاق النقيصة والمعرة به عليه السلام فلم يكن رجوعه إلى الإسلام مسقطاً له كما لم يسقط سائر حقوق المسلمين من قبل إسلامه من قتل أو قذف وإذا كنا لا نقبل توبة المسلم فلأن لا نقبل توبة الكافر أولى كما في «الأسرار» و«الحاوي» فالمختار أن من صدر منه ما يدل على تخفيفه عليه السلام بعمد وقصد من عامة المسلمين يجب قتله ولا تقبل توبته بمعنى الخلاص من القتل وإن أتى بكلمتي الشهادة والرجوع والتوبة لكن لو مات بعد التوبة أو قتل حدّاً مات ميتة الإسلام في غسله وصلاته ودفنه ولو أصر على السب وتمادى عليه وأبى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافراً وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن بل تستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار. والفرق بين من سب الرسول وبين من سب الله على مشهور القول باستتابته أن النبي عليه السلام بشر والبشر من جنس تلحقهم المعرة إلا من أكرمه الله تعالى بنبوته والباري منزه عن جميع المعائب قطعاً وليس من جنس تلحقهم المعرة بجنسه.

واعلم أنه قد اجتمعت الأمة على أن الاستخفاف بنبينا وبأي نبي كان من الأنبياء كفر سوٰاء فعله فاعل ذلك استحلالاً أم فعله معتقداً بحرمته ليس بين العلماء خلاف في ذلك والقصد للسب وعدم القصد سواء إذ لا يعذر أحد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان إذا كان عقله في فطرته سليماً. فمن قال إن النبي ﷺ كان أسود أو يتيم أبي طالب أو زعم أن زهده لم يكن قصداً بل لكمال فقره ولو قدر على الطيبات أكلها ونحو ذلك يكفر وكذا من عيره برعاية الغنم أو السهو أو النسيان أو السحر أو بالميل إلى نسائه أو قال لشعره شعير بطريق الإهانة وإن أراد بالتصغير التعظيم لا يكفر ومن قال جن النبي ساعة يكفر ومن قال أغمي عليه لا يكفر. وحكي عن أبي يوسف أنه كان جالساً مع هارون الرشيد على المائدة فروي عن النبي عليه السلام أنه كان يحب القرع فقال حاجب من حجابه أنا لا أحبه فقال لهارون: إنه كفر فإن تاب وأسلم فبها وإلا فاضرب عنقه فتاب واستغفر حتى أمن من القتل ذكره في «الظهيرية» قالوا هذا إذا قال ذلك على وجه الإهانة أما بدونها فلا كما في «الخاقانية» ولو قال رجل إن رسول الله ﷺ إذا أكل يلحس أصابعه الثلاث فقال الآخر [اين بى ادبيست] فهذا كفر والحاصل أنه إذا استخف سنة أو حديثاً من أحاديثه عليه السلام يكفر ولو قال لو كانت الصلاة زائدة على الأوقات الخمسة أو الزكاة على خمسة دراهم والصوم على شهر لا أفعل منها شيئاً يكفر ولو قال لآخر صل فقال الآخر إن الصلاة عمل شديد الثقل يكفر ولو صلى رجل في رمضان لا في غيره فقال [اين خود بسيارست] يكفر ولو ترك الصلاة متعمداً ولم ينو القضاء ولم يخف عقاب الله فإنه يكفر ولو قال عند مجيء شهر رمضان [آمد آن ماه كران] أو جاء الضيف الثقيل يكفر.

ومن إشارات الآية: أن الطعن في الدين هو الإنكار على مذهب السلوك والطلب وأئمة الكفر هم النفوس كما أن أئمة الإيمان هم القلوب والأرواح والنفوس لا وفاء لهم بالعهد على طلب الحق تعالى وترك ما سواه فلا بد من جهادهم حق جهادهم كي ينتهوا عن طبيعتهم وعما جبلوا عليه من الأمارية بالسوء.

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ

أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿ألا تقاتلون قوماً﴾ [آيا كارزار نميكنيد باكروهى كه] ﴿نكثوا﴾ [بشكنند] ﴿أيمانهم﴾ التي حلفوها مع الرسول والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة.

قال الكاشفي: [ديكر از عهدها ميان پيغمبر وقريش آن بودكه حلفا يكديكررا نرنجانند وبرقتال ايشان بايكديكر مظاهره نكنند قريش بينى بكررا كه حلفاء ايشان بودند بسلاح ومردمدد دادند بابني خزاعة كه حلفاي رسول بودند جنك كردند]. ﴿وهموا﴾ [وقصد كردند مشركان] ﴿بإخراج الرسول﴾ حين تشاوروا في أمره بدار الندوة فيكون نعياً عليهم جنايتهم القديمة وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا بإخراجه من المدينة. ﴿وهم بدأوكم﴾ أي: بدؤوا نقض العهد بالمعاداة والمقاتلة ﴿أول مرة﴾ لأن رسول الله ﷺ جاءهم أولاً بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المحاجة لعجزهم عنها إلى المقاتلة فما يمنعكم أن تعارضوهم وتصادموهم.

﴿أتخشونهم﴾ أتتركون قتالهم خشية أن ينالكم مكروه منهم. ﴿فالله أحق أن تخشوه﴾ فقاتلوا أعداءه ولا تتركوا أمره. قوله: (فالله) مبتدأ خبره أحق وأن تخشوه بدل من الله أي أي خشية أحق من خشيتهم فإن تخشوه في موضع رفع ويجوز أن يكون في موضع نصب أو جر على الخلاف إذا حذف حرف الجر وتقديره بأن تخشوه أي أحق من غيره بأن تخشوه. ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ فإن قضية الإيمان أن لا يخشى إلا منه. قال في «التأويلات النجمية» أتخشون فوات حظوظ النفس في اجتهادها وخشية فوات حقوق الله والوصول إليه أولى إن كنتم مؤمنين بالوصول إليه.

﴿قاتلوهم﴾ [كارزار كنيد بامشركان]. ﴿يعذبهم الله بأيديكم﴾ يعني: [بشمشير هاى شما مقتول شوند] ﴿ويخزهم﴾ [ورسواسازد شان بمقهوريت ومغلوبيت]. ﴿وينصركم عليهم﴾ أي: يجعلكم جميعاً غالبين عليهم أجمعين ولذلك أخر عن التعذيب. ﴿ويشف﴾ [شفا بخشد] ﴿صدور قوم مؤمنين﴾ ممن لم يشهد القتال وهم خزاعة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم بطن من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى كثيراً فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يشكون إليه فقال عليه السلام: «أبشروا فإن الفرج قريب». قال الحافظ:

آنكه پيرانه سرم صحبت يوسف بنو اخت اجر صبريست كه در كلبهٔ احزان كردم

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَٰهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿ويذهب﴾ [وببرد خداى تعالى بنصرت شما بركفار] ﴿غيظ قلوبهم﴾ [اندوه دلهاء آنا نراكه بواسطهٔ أذاء كفار ملول بودند] ولقد أنجز الله ما وعدهم به على أجمل ما يكون.

﴿ويتوب الله على من يشاء﴾ كلام مستأنف ينبىء عما سيكون من بعض أهل مكة من التوبة المقبولة فكان كذلك حيث أسلم ناس منهم وحسن إسلامهم مثل أبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهل بن عمر وغيرهم. ﴿والله عليم﴾ بما كان وما سيكون. ﴿حكيم﴾ لا يفعل ولا يأمر إلا على وفق الحكمة.

﴿أم حسبتم﴾ [آيا مى پندار يداي مؤمنان] وأم منقطعة. والمعنى بل أحسبتم ومعنى بل الإضراب عن أمرهم بالقتال إلى توبيخهم على الحسبان. ﴿أن تتركوا﴾ مهملين غير مأمورين بالجهاد ﴿ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ أي: والحال أنه لم يتبين الخلص وهم الذين جاهدوا من غيرهم وفائدة التعبير عن عدم التبين بعدم علم الله تعالى أن المقصود هو التبين من حيث كونه متعلقاً للعلم ومداراً للثواب.

قال الحدادي: وكان الله تعالى قد علم قبل أمرهم بالقتال من لا يقاتل ممن يقاتل ولكنه يعلم ذلك غيباً وأراد العلم الذي يجازي عليه، وهو علم المشاهدة لأنه يجازيهم على علمهم لا على علمه فيهم انتهى وعدم التعرض لحال المقصرين لما أن ذلك بمعزل من الاندراج تحت إرادة أكرم الأكرمين. ﴿ولم يتخذوا﴾ عطف على جاهدوا داخل في حيز الصلة أي ولما يعلم الله الذين لم يتخذوا ﴿من دون الله﴾ متعلق بالاتخاذ إن أبقى على حاله أو مفعول ثانٍ له إن جعل بمعنى التصيير. ﴿ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾ أي: بطانة وصاحب سر وهو الذي تطلعه على ما في ضميرك من الأسرار الخفية من الولوج وهو الدخول.

قال أبو عبيدة: كل شيء أدخلته في شيء وليس منه فهو وليجة تكون للواحد والاثنين والجمع بلفظ واحد. ﴿والله خبير بما تعملون﴾ أي: بجميع أعمالكم لا يخفى عليه شيء منها فيعلم غرضكم من الجهاد هل فيه إخلاص أو هو مشوب بالعلل كإحراز الغنيمة أو جلب الثناء أو نحو ذلك. قال السعدي:

منه آب زرجان من بر پشيز ... كه صراف دانا نكيرد بچيز
زراند ودكانرا بآتش برند ... بديد آيد آنكه كه مس يازرند

وفي الآية: حث على الجهاد قال رسول الله ﷺ: «لرباط يوم في سبيل الله محتسباً من غير شهر رمضان أفضل عند الله وأعظم أجراً من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ورباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسباً من شهر رمضان أفضل عند الله، وأعظم أجراً من عبادة ألفي سنة صيامها وقيامها فإن رده الله إلى أهله سالماً لم يكتب عليه سيئة ألف سنة ويكتب له الحسنات ويُجرىٰ له أجر الرباط إلى يوم القيامة» وفي الحديث: «من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخل الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها» قالوا أفلا نبشر الناس قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمٰن ومنه تفجر أنهار الجنة» وفي الحديث: «المجاهد من جاهد نفسه لله تعالى» جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم أشجع الناس أقهرهم لهواه» كم عاقل أسير هواه عليه أمير عبد الشهوات أذل من عبد الرق إن المرآة لا تريك خدوش وجهك مع صداها وكذلك نفسك لا تريك عيوب نفسك مع هواها.

وفي الآية بيان أن المؤمن المخلص يجتنب عن الكافر والمنافق ولا يتخذهما صاحبي سر. روي عن شداد بن أوس وعبادة بن الصامت قالا بينما كنا عند رسول الله ﷺ إذ قال: «هل فيكم غريب» يعني: أهل الكتاب قلنا لا يا رسول الله فأمر بغلق الباب فقال: «ارفعوا أيديكم فقولوا لا إله إلا الله» فرفعنا أيدينا ساعة ثم وضع رسول الله يده ثم قال: «الحمد لله اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة إنك لا تخلف الميعاد» ثم

قال: «أبشروا فإن الله قد غفر لكم» أقول: هذا التلقين تلقين خاص قد توارثه الخواص من لدنه عليه السلام إلى هذا اليوم ولم يطلعوا عليه العوام ولم يفشوا أسرارهم إلى الأجانب فإن ذلك من الخيانة وكذا ولاية المؤمن للكافر ومحبته له من الخيانة وما الاختلاط إلا من محبة الكفر والعياذ بالله تعالى من ذلك.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿ما كان للمشركين﴾ نزلت الآية في جماعة من رؤساء قريش أسروا يوم بدر فيهم العباس عم النبي عليه السلام فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله فعيروهم بالشرك وجعل علي رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله ﷺ وقطع رحمه وعون المشركين عليه وأغلظ القول له فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال له علي وهل لكم من محاسن قال: نعم نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج فقال الله تعالى رداً: ﴿ما كان للمشركين﴾ أي ما صح وما استقام على معنى نفي الوجود والتحقق لا نفي الجواز كما في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ [البقرة: ١١٤] أي: ما وقع وما تحقق لهم ﴿أن يعمروا﴾ عمارة معتداً بها ﴿مساجد الله﴾ أي: المسجد الحرام وإنما جمع لأنه قبلة المساجد وإمامها فعامره كعامرها أو لأن كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حاله بخلاف سائر المساجد إذ ليس في نواحيها اختلاف الجهة قيل لعكرمة لم تقرأ مساجد وإنما هو مسجد واحد قال: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] أي: شيئاً من المساجد فضلاً عن المسجد الحرام الذي هو أفضل أفراد الجنس على أن تعريف الجمع بالإضافة للجنس فالآية على هذا الوجه كناية عن عمارة المسجد على وجه آكد من التصريح بذلك.

ذكر في «القنية» أن أعظم المساجد حرمة المسجد الحرام ثم مسجد المدينة ثم مسجد بيت المقدس ثم الجوامع ثم مساجد الشوارع فإنها أخف مرتبة حتى لا يعتكف فيها إذا لم يكن لها إمام معلوم ومؤذن ثم مساجد البيوت فإنه لا يجوز الاعتكاف فيها إلا للنساء انتهى وهذه المساجد هي المساجد المجازية، وأما المساجد الحقيقية فهي القلوب الطاهرة عن لوث الشرك مطلقاً كما قال من قال:

مسجدي كو اندرون اولياست ... سجده كاه جمله است آنجا خداست

آن حجازست اين حقيقت اي خران ... نيست مسجد جز درون سروران

ولهذا يعبر عن هدم المسجد بهدم قلب المؤمن ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ أي بإظهار آثار الشرك من نصب الأوثان حول البيت للعبادة فإن ذلك شهادة صريحة على أنفسهم بالكفر وإن أبوا أن يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن.

وقال السدي: شهادتهم على أنفسهم بالكفر أن اليهودي لو قيل له ما أنت قال يهودي ويقول النصراني هو نصراني ويقول المجوسي هو مجوسي أو قولهم نعبد الأصنام ليقربونا إلى الله زلفى وهو حال من الضمير في يعمروا أي محال أن يكون ما سموه عمارة عمارة بيت الله مع ملابستهم لما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تعالى فإنها ليست من العمارة في شيء.

﴿أولئك﴾ الذين يدعون عمارة المسجد وما يضاهيها من أعمال البر مع ما بهم من الكفر. ﴿حبطت﴾ [تباه وباطل شده است بواسطهٔ كفر] ﴿أعمالهم﴾ التي يفتخرون بها وإن كانت من جنس طاعة المسلمين ﴿وفي النار هم خالدون﴾ لكفرهم ومعاصيهم.

قال القاضي عياض انعقد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا بتخفيف عذاب لكن بعضهم يكون أشد عذاباً من بعض بحسب جرائمهم.

وذكر الإمام الفقيه أبو بكر البيهقي: أنه يجوز أن يراد مما ورد في الآيات والأخبار في بطلان خيرات الكفار أنهم لا يتخلصون بها من النار ولكن يخفف عنهم ما يستوجبونه بجنايات ارتكبوها سوى الكفر ووافقه المازري.

قال الواحدي: دلت الآية على أن الكفار ممنوعون من عمارة مسجد المسلمين ولو أوصى لم تقبل وصيته وهو مجمع عليه بين الحنفية ويمنع من دخول المساجد فإن دخل بغير إذن مسلم استحق التعزير وإن دخل بإذنه لم يعزر والأولى تعظيم المساجد ومنعها منهم.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿إنما يعمر مساجد الله﴾ شامل للمسجد الحرام وغيره. ﴿من آمن بالله﴾ وحده والإيمان بالرسول داخل في الإيمان بالله لما علم من تقارنهما وعدم انفكاك أحدهما عن الآخر في مثل الشهادة والأذان والإقامة ﴿واليوم الآخر﴾ بما فيه من البعث والحساب والجزاء ﴿وأقام الصلاة﴾ مع الجماعة وأكثر المشايخ على أنها واجبة وفي الحديث: «صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً» والجماعة في التراويح أفضل وكل ما شرع فيه الجماعة فالمسجد فيه أفضل فثواب المصلين في البيت بالجماعة دون ثواب المصلين في المسجد بالجماعة. ﴿وآتى الزكاة﴾ أي: الصدقة المفروضة عن طيب نفس وقرن الزكاة بالصلاة في الذكر لما أن إحداهما لا تقبل إلا بالأخرى أي إنما تستقيم عمارتها ممن جمع هذه الكمالات العلمية والعملية. ﴿ولم يخش﴾ في أمور الدين ﴿إلا الله﴾ فعمل بموجب أمره ونهيه غير آخذ له في الله لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك، وأما الخوف الجبلي من الأمور المخوفة كالظلمة والسباع المهلكة والدواهي العظيمة فهو لا يقدح في الخشية من الله إذ الخشية من الله إرادة ناشئة من تصور عظمة الله وإحاطة علمه بجميع المعلومات وكمال قدرته على مجازاة الأعمال مطلقاً وهذا الخوف الجبلي لا يدخل تحت القصد والإرادة ﴿فعسى أولئك﴾ [پس آن كروه شايد] ﴿أن يكونوا من المهتدين﴾ إلى مباغيهم من الجنة وما فيها من فنون المطالب العلية وإبراز اهتدائهم مع ما بهم من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع أطماع الكفرة عن الوصول إلى مواقف الاهتداء والانتفاع بأعمالهم التي يحسبون أنهم لها محسنون ولتوبيخهم بقطعهم بأنهم مهتدون فإن المؤمنين مع ما بهم من هذه الكمالات إذا كان أمرهم دائراً بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم هم وأعمالهم أعمالهم.

جايى كه شير مردان در معرض عتابند روباه سيرتانرا آنجا چه تاب باشد

[وديكر منع مؤمنا نست ازاغترار بأعمال خويش وبران اعتماد نمودن] كما قال الحدادي كلمة عسى من الله واجبة والفائدة في ذكرها في آخر هذه الآية ليكون الإنسان على حذر من فعل ما يحبط ثواب عمله [كه هر كه بعمل مغروررست ازفيض ازل مهجوررست]

مباش غره بعلم وعمل كه شد ابليس بدين سبب زدر باركاه عزت دور

واعلم أن عمارة المساجد تعم أنواعاً منها البناء وتجديد ما انهدم منها وفي الحديث: «سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته من علّم علماً أو كرى نهراً أو حفر بئراً أو غرس نخلاً أو بنى مسجداً أو ورث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته» وفي الحديث: «من بنى مسجداً لله تعالى أعطاه الله بكل شبر أو بكل ذراع أربعين ألف ألف مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ في الجنة في كل مدينة ألف ألف بيت في كل بيت ألف ألف سرير على كل سرير زوجة من الحور العين في كل بيت أربعون ألف مائدة على كل مائدة أربعون ألف قصعة في كل قصعة أربعون ألف ألف لون من طعام ويعطي الله له من القوة حتى يأتي على تلك الأزواج وعلى ذلك الطعام والشراب» ذكره الزندوستى في «الروضة». فإن خرب المسجد وتعطل أو خربت المحلة ولا يصلي فيه أحد صار المسجد ميراثاً لورثة الباني عند محمد. وقال أبو يوسف هو على حاله مسجد وإن تعطل ولو أرادوا أن يجعلوا المسجد مستغلاً والمستغل مسجداً لم يجز.

يقول الفقير: من الناس من جعل المسجد اصطبل الدواب أو مطمورة الغلة أو نحوه وكذا الكتاب ونحوه من محال العلم والعبادات وقد شاهدناه في ديار الروم والعياذ بالله تعالى.

قال علي رضي الله عنه: ست من المروءة ثلاث في الحضر وثلاث في السفر. فأما اللاتي في الحضر فتلاوة كتاب الله وعمارة مسجد الله واتخاذ الإخوان في الله. وأما اللاتي في السفر فبذل الزاد وحسن الخلق والمزاح في غير معاصي الله ذكره الخطيب في «الروضة».

ومنها قمها أي كنسها وتنظيفها.

قال الحسن: مهور الحور العين كنس المساجد وعمارتها وفي الحديث: «نظفوا أفنيتكم ولا تتشبهوا باليهود بجمع الأكباء» أي الكناسات في دورها وفي الحديث «غسل الإناء وطهارة الفناء يورثان الغنى» فإذا كان الأمر في طهارة الفناء وهو فناء البيت والدكان ونحوهما هكذا فما ظنك في تنظيف المسجد والكتاب ونحوهما.

ومنها تزيينها بالفرش.

قال بعضهم: أول من فرش الحصير في المساجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت قبل ذلك مفروشة بالحصى، وهو بالفارسية [سنك ريزه] أي في زمنه ﷺ وذلك أن المطر جاء ذات ليلة فأصبحت الأرض مبتلة فجعل الرجل يأتي بالحصباء في ثوبه فيبسطها تحته ليصلي عليها فلما قضى رسول الله الصلاة قال ما أحسن هذا البساط ثم أمر أن يحصب جميع المسجد فمات قبل ذلك فحصبه عمر رضي الله عنه.

وفي «الإحياء»: أكثر معروفات هذه الأعصار منكرات في عصر الصحابة؛ إذ من عد المعروف في زماننا من فرش المساجد بالبسط الرقيقة وقد كان يعد فرش البواري في المسجد بدعة كانوا لا يرون أن يكون بينهم وبين الأرض حائل انتهى.

قال الفقهاء: يستحب له أن يصلي على الأرض بلا حائل أو ما تنبته كالحصير والبوريا

لأنه أقرب إلى التواضع وفيه خروج عن خلاف الإمام مالك فإن عنده يكره السجود على ما ليس من جنس الأرض ولا بأس بأن يصلي على اللبود وسائر الفرش إذا كان المفروش رقيقاً بحيث يجد الساجد تمكنه من الأرض وقد روي أنه عليه السلام سجد على فروة مدبوغة ولا بأس بتبييض المسجد بالجص أو بالتراب الأبيض. ذكر أن الوليد بن عبد الملك أنفق على عمارة مسجد دمشق في تزيينه مثل خراج الشام ثلاث مرات. وروي أن سليمان بن داود عليهما السلام بنى مسجد بيت المقدس وبالغ في تزيينه حتى نصب الكبريت الأحمر على رأس القبة وكان ذلك أعز ما يوجد في ذلك الوقت وكان يضيء من ميل وكانت الغزالات يغزلن في ضوئه من مسافة اثني عشر ميلاً وكان على حاله حتى خربه بخت نصر ونقل جميع ما فيه من الذهب والفضة والجواهر والآنية إلى أرض بابل وحمل مائة ألف وسبعين عجلة.

ومنها تعليق القناديل في المساجد وإسراج المصابيح والشموع وفي الحديث: «من علق قنديلاً صلى عليه سبعون ألف ملك حتى ينكسر ذلك القنديل» كما في «الكشف» وقال أنس رضي الله عنه: «من أسرج في مسجد سراجاً لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه». وكان سليمان عليه السلام أمر باتخاذ ألف وسبعمائة قنديل من الذهب في سلاسل الفضة. ذكر أن مسجد النبي ﷺ كان إذا جاءت العتمة يوقد فيه سعف النخل فلما قدم تميم الداري المدينة صحب معه قناديل وحبالاً وزيتاً وعلق تلك القناديل بسواري المسجد وأوقدت فقال ﷺ «نورت مسجدنا نور الله عليك أما والله لو كان لي بنت لأنكحتها هذا» وفي كلام بعضهم أول من جعل في المسجد المصابيح عمر بن الخطاب ويوافقه قول بعضهم والمستحب من بدع الأفعال تعليق القناديل فيها يعني المساجد وأول من فعل ذلك عمر بن الخطاب فإنه لما جمع الناس على أبي بن كعب رضي الله عنه في صلاة التراويح علق القناديل فلما رآها علي كرم الله وجهه تزهر قال: «نورت مسجدنا نور الله قبرك يا ابن الخطاب» ولعل المراد تعليق ذلك بكثرة فلا يخالف ما تقدم عن تميم الداري. وعن بعضهم قال: أمرنا المأمون أن أكتب بالاستكثار من المصابيح في المساجد فلم أدر ما أكتب لأنه شيء لم أسبق إليه فأريت في المنام اكتب فإن فيه أنساً للمتهجدين ونفياً لبيوت الله تعالى عن وحشة الظلم فانتبهت وكتبت بذلك.

قال بعضهم: لكن زيادة الوقود كالواقع ليلة النصف من شعبان ويقال لها ليلة الوقود ينبغي أن يكون ذلك كتزيين المساجد ونقشها وقد كرهه بعضهم والله أعلم الكل من «إنسان العيون في سيرة النبي المأمون».

قال الشيخ عبد الغني النابلسي في «كشف النور عن أصحاب القبور»: ما خلاصته أن البدعة الحسنة الموافقة لمقصود الشرع تسمى سنة فبناء القباب على قبور العلماء والأولياء والصلحاء ووضع الستور والعمائم والثياب على قبورهم أمر جائز إذا كان القصد بذلك التعظيم في أعين العامة حتى لا يحتقروا صاحب هذا القبر، وكذا إيقاد القناديل والشمع عند قبور الأولياء والصلحاء من باب التعظيم والإجلال أيضاً للأولياء فالمقصد فيها مقصد حسن. ونذر الزيت والشمع للأولياء يوقد عند قبورهم تعظيماً لهم ومحبة فيهم جائز أيضاً لا ينبغي النهي عنه.

ومنها: الدخول والقعود فيها والمكث والعبادة والذكر ودراسة العلوم ونحو ذلك قال ابن

عباس رضي الله عنهما ألا أدلكم على ما هو خير لكم من الجهاد قالوا بلى قال أن تبنوا مسجداً فيتعلم فيه القرآن والفقه في الدين أو السنة كما في «الأسرار المحمدية».

ومنها صيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن رسول الله ﷺ «الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش» ويقال حديث الدنيا في المسجد وفي مجلس العلم وعند الميت وفي المقابر وعند الآذان وعند تلاوة القرآن يحبط ثواب عمل ثلاثين سنة وفي الحديث: «قال الله تعالى: إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره».

قال الإمام القشيري قدس سره عمارة المساجد التي هي مواقف العبودية لا تتأتى إلا بتخريب أوطان البشرية فالعابد يعمر المسجد بتخريب أوطان شهوته والزاهد يعمره بتخريب أوطان ملاحظته ولكل منهم صنف مخصوص وكذلك رتبهم بالإيمان مختلفة فإيمان من حيث البرهان وإيمان من حيث البيان وإيمان من حيث العيان وشتان ما بينهم انتهى كلامه نسأل الله الغفار أن يجعلنا من العمار والزوار.

﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام﴾ روي أن المشركين قالوا القيام على السقاية وعمارة المسجد الحرام خير ممن آمن وجاهد وكانوا يفتخرون بالحرم ويستكثرون به من أجل أنهم أهله وعماره فأنزل الله هذه الآية».

قال الكاشفي: [آورده اندكه بعض از اهل حرم در جاهليت زمرهٔ حاج را نبيذ زبيب باعسل وسويق ميدادند ودرزمان آنحضرت رسالت پناه ﷺ آن منصب سقايت بعباس تعلق داشت ومتصدىء عمارة مسجد الحرام شيبة بن طلحة بود روزى اين هر دو با مرتضى على بمقام مفاخرت در آمده عباس بسقايت وشيبه بعمارت مباهات مى نمودند وعلى بإسلام وجهاد مفتخرمى بود حق سبحانه وتعالى بتصديق على آيت فرستاد] ـ وروي النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل بعد أن أسقي الحاج وقال آخر ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتما فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله وهو يوم الجمعة ولكن إذا صليتم استفتيت رسول الله فيما اختلفتم فيه فدخل فأنزل الله هذه الآية. والمعنى أجعلتم أيها المشركون أو المؤمنون المؤثرون للسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام في الفضيلة وعلو الدرجة. ﴿كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله﴾ السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالجثث فلا بد من تقدير مضاف في أحد الجانبين، أي: أجعلتم أهلهما كمن آمن أو أجعلتموها كإيمان من آمن فإن السقاية والعمارة وإن كانتا في أنفسهما من أعمال البر والخير لكنهما بمعزل عن صلاحية أن يشبه أهلهما بأهل الإيمان والجهاد أو يشبه نفسهما بنفس الإيمان والجهاد وذلك قوله تعالى: ﴿لا يستوون عند الله﴾ أي: لا يساوي الفريق الأول الثاني من حيث اتصاف كل واحد منهما بوصفيهما ومن ضرورته عدم التساوي بين الوصفين الأولين وبين الآخرين لأن المدار في التفاوت بين الموصوفين. ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ أي: الكفرة الظلمة بالشرك ومعاداة الرسول منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿الذين آمنوا﴾ استئناف لبيان مراتب فضلهم إثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين وظلمهم. ﴿وهاجروا﴾ من أوطانهم إلى رسول الله. ﴿وجاهدوا في سبيل الله﴾ العدو في طاعة الله ﴿بأموالهم﴾ [ببذل كردن ما لهاى خود بمجاهدان وتهيهء أسباب قتال ايشان] ﴿وأنفسهم﴾ [در باختن نفسهاى خود در معارك حرب] أي هم باعتبار اتصافهم بهذه الأوصاف الجليلة. ﴿أعظم درجة عند الله﴾ أي أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائناً من كان وإن حاز جميع ما عداها من الكمالات التي من جملتها السقاية والعمارة.

قال الحدادي: وإنما قال أعظم وإن لم يكن للكفار درجة عند الله لأنهم كانوا يعتقدون أن لهم درجة عند الله، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان: ٢٤] ﴿وأولئك﴾ المنعوتون بتلك النعوت ﴿هم الفائزون﴾ المختصون بالفوز العظيم أو بالفوز المطلق كأن فوز من عداهم ليس بفوز من نسبة إلى فوزهم وأما على الثاني فهو لمن يؤثر السقاية والعمارة من المؤمنين على الهجرة والجهاد.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿يبشرهم ربهم﴾ في الدنيا على ألسنة الرسل ﴿برحمة﴾ عظيمة ﴿منه﴾ هي النجاة من العذاب في الآخرة. ﴿ورضوان﴾ [خشنودى كامل ازيشان] ﴿وجنات﴾ أي: بساتين عالية ﴿لهم فيها﴾ أي: في تلك الجنات ﴿نعيم مقيم﴾ نعم لا نفاد لها.

﴿خالدين فيها﴾ أي: في الجنات. ﴿أبداً﴾ تأكيد للخلود لزيادة توضيح المراد إذ قد يراد به المكث الطويل. ﴿إن الله عنده أجر عظيم﴾ أي: ثواب كثير في الجنة لا قدر عنده لأجور الدنيا [در كشف الأسرار فرمود كه رحمت براى عاصياً نست ورضوان براى مطيعان وجنت براى كافهء مؤمنان رحمت را تقديم كردتا أهل عصيان رقم نا اميدى بر صفحات أحوال خود نكشند كه هرچند كناه عظيم بود رحمت ازان أعظم است].

كنه ما فزون بود زشمار عفوت افزونتر ازكناه همه
قطرهٔ زآب رحمت توبس است شستن نامهٔ سياه همه

اعلم أنه كما أن الكفار بالكفر الجلي لا يساوون المؤمنين في أعمالهم وطاعاتهم كذلك المشركون بالشرك الخفي لا يساوون المخلصين في أحوالهم ومقاماتهم فالزهد والتصوف والتعرف والتعبد المشوبة بالرياء والهوى والأغراض لا ثمرة لها عند أهل الطلب لأنها خدمة فاسدة كبذر فاسد.

دنا داري وآخرت مى طلبى اين ناز بخانهٔ پدر بايد كرد

قيل: لا تطمع في المنزلة عند الله وأنت تريد المنزلة عند الناس وفرقوا بين الخادم والمتخادم بأن المتخادم من كانت خدمته مشوبة بهواه فلا يراعي واجب الخدمة في طرفي الرضى والغضب لانحراف مزاج قلبه بوجود الهوى وبحب المحمدة والثناء من الخلق والخادم من ليس كذلك.

قال السري: الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا ويجمع هذه الحظوظ المالية والجاهية حب المنزلة عند الناس وحب المحمدة والثناء. وجاء في الأثر «لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن العباد سخط الله ما لم يبالوا بما نقص من دنياهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين». روي أن عابداً من بني إسرائيل راودته ملكة عن نفسه فقال اجعلوا لي ماء في الخلاء أتنظف به ثم صعد أعلى موضع في القصر فرمى بنفسه فأوحى الله تعالى إلى ملك الهواء أن الزم عبدي قال فلزمه ووضعه على الأرض وضعاً رفيقاً فقيل لإبليس ألا أغويته قال ليس لي سلطان على من خالف هواه وبذل نفسه لله فهذا هو الجهاد في الله وثمرته الخلاص من الهلاك مطلقاً.

قال العلماء بالله: ينبغي للمريد أن يكون له في كل شيء نية لله تعالى حتى في أكله وشربه وملبوسه فلا يلبس إلا لله ولا يأكل إلا لله، ولا ينام إلا لله وقد ورد في الخبر «من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك الأذفر ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة» فالمريد ينبغي أن يتفقد جميع أقواله وأفعاله ولا يسامح نفسه أن تتحرك بحركة أو تتكلم بكلمة إلا لله تعالى. وفي الأخير من الآيات إشارة إلى من جاهد النفس وبذل الوجود والموجود جميعاً فإنه أعظم قربة في مقام العندية من النفوس المتمردة ومن وصل إلى مقام العندية فالله يعظم أجره أي يجده في مقام العندية فافهم واسأل ولا تغفل عن حقيقة الحال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ سبب نزولها أنه لما أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة كان من الناس من يتعلق به زوجته وولده وأقاربه، فيقولون: ننشدك الله أن لا تروح وتدعنا إلى غير شيء فنضيع بعدك فيرق لهم ويدع الهجرة، فقال الله تعالى أيها المؤمنون. **﴿لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم﴾** الكفرة بمكة **﴿أولياء﴾** يعني [اين كروه بدوستى مكيريد]. **﴿إن استحبوا الكفر﴾** أي: اختاروه. **﴿على الإيمان﴾** عدي استحب بعلى لتضمنه معنى اختار وحرص. **﴿ومن يتولهم منكم﴾** [وهر كرا ازشما ايشانرا دوست دارد يعني اين عمل ازيشان پسندد] ومن للجنس لا للتبعيض. **﴿فأولئك﴾** المتولون **﴿هم الظالمون﴾** بوضعهم الموالاة في غير موضعها كأن ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم.

قال الإمام: الصحيح أن هذه السورة إنما نزلت بعد فتح مكة فكيف يمكن حمل هذه الآية على إيجاب الهجرة والحال أن الهجرة إنما كانت واجبة قبل فتح مكة. والأقرب أن تكون هذه الآية محمولة على إيجاب التبري من أقربائهم المشركين وترك الموالاة معهم باتخاذهم بطانة وأصدقاء بحيث يفشون إليهم أسرارهم ويؤثرون المقام بين أظهرهم على الهجرة إلى دار الإسلام ويدل عليه قوله تعالى: **﴿ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾** أي: المشركون مثلهم.

قال الحدادي: إنما جعلوا ظالمين لموالاة الكفار لأن الراضي بالكفر يكون كافراً.

قال الكاشفي: [چواين آيت آمد متخلفان ازهجرت كفتندكه حالا ما درميان قبائل وعشائر خوديم وبمعاملات وتجارات اشتغال نموده أوقات ميكذرانيم چون عزيمت هجرت كنيم

بالصرورة قطع پدر وفرزند بايد كرد تجارت ازدست برود وما بى كسبى وبى مالى بمانيم آيت ديكر آمدكه].

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿قل﴾ يا محمد للذين تركوا الهجرة ﴿إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم﴾ أي أقرباؤكم من المعاشرة وهي المخالطة ﴿وأموال اقترفتموها﴾ أي: اكتسبتموها وأصبتموها بمكة وإنما وصفت بذلك إيماء إلى عزتها عندهم لحصولها بكدّ اليمين. ﴿وتجارة﴾ أي: أمتعة اشتريتموها للتجارة والربح. ﴿تخشون كسادها﴾ بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة في أيام الموسم. ﴿ومساكن ترضونها﴾ أي: منازل تعجبكم الإقامة فيها لكمال نزاهتها من الدور والبساتين. ﴿أحب إليكم من الله ورسوله﴾ أي: من طاعة الله وطاعة رسوله بالهجرة إلى المدينة ﴿وجهاد في سبيله﴾ أي: وأحب إليكم من الجهاد في طاعة الله والمراد الحب الاختياري المستتبع لأثره الذي هو الملازمة وعدم المفارقة لا الحب الجبلي الذي لا يخلو عنه البشر فإنه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة. ﴿فتربصوا﴾ أي انتظروا جواب للشرط. ﴿حتى يأتي الله﴾ [تابيارد خداى تعالى] ﴿بأمره﴾ هي عقوبة عاجلة أو آجلة وهو وعيد لمن آثر حظوظ نفسه على مصلحة دينه ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ الخارجين عن الطاعة في موالاة المشركين أي لا يرشدهم إلى ما هو خير لهم.

وفي الآية الكريمة: وعيد شديد لا يتخلص منه إلا أقل قليل فإنك لو تتبعت إخوان زماننا من الزهاد الورعين لوجدتهم يتحيرون ويتحزنون بفوات أحقر شيء من الأمور الدنيوية ولا يبالون بفوات أجلّ حظ من الحظوظ الدينية فإن محصول الآية إن من أثر هذه المشتهيات الدنيوية على طاعة الرحمن فليستعد لنزول عقوبة آجلة أو عاجلة ولينظر أن ما آثره من الحظوظ العاجلة هل يخلص من الأهوال والدواهي النازلة اللهم عفوك وغفرانك يا أرحم الراحمين.

قال الكاشفي: [اي عزيز مردى بايدكه إبراهيم وار روى ازكون بكرداند ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٧] مال رابذل مهمان. وفرزندرا قصد قربان وخودرا فداى آتش سوزان كند تادرو دعوىء دوستى صادق باشد]

آنكس كه تراشنا خت جانرا چه كند فرزند وعيال وخانما نراچه كند

ديوانه كنى هر دو جهانش بخشى ديوانهٔ توهر دوجها نراچه كند

[آورده نماندكه حضرت ﷺ فرموده است كه] «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده والناس أجمعين».

قال ابن ملك المراد به نفي كمال الإيمان وبالحب الحب الاختياري مثلاً لو أمر رسول الله مؤمناً بأن يقاتل الكافر حتى يكون شهيداً أو أمر بقتل أبويه وأولاده الكافرين لأحب أن يختار ذلك لعلمه أن السلامة في امتثال أمره عليه السلام وأن لا يخير كما أن المريض ينفر بطبعه عن الدواء ولكن يميل إليه ويفعله لظنه أن صلاحه فيه كيف ونبينا عليه السلام أعطف علينا منا ومن آبائنا وأولادنا لأنه عليه السلام يسعى لنا لا لغرض.

قال القاضي ومن محبته عليه السلام نصرة سنته والذب أي المنع والدفع عن شريعته [ازحضرت شيخ الإسلام قدس سره منقولست كه أحمد بن يحيى دمشقى روزى پيش مادر وپدر نشسته بود قصهء قربان كردن حضرت إسماعيل ازقرآن بريشان ميخواند كفتند اي أحمد ازپيش ما برخيز وبروكه ما ترادركار خدا كرديم احمد برخاست وكفت الهى اكنون جزتوكسى ندارم روبكعبه نهاد وبعد ازان كه بيست وچهار موقف ايستاده بود قصد زيارت والدين كردچون بدمشق آمد وبدر سراى خود رسيد حلقه دربجنبانيد ما درش آوازدادكه من على الباب جواب دادكه أنا أحمد ابنك ما درش كفت پيش ازين مارا فرزندى بود اورا دركار خدا كرديم احمد ومحمود درا باماچه كار.

ما هرچه داشتيم فداى توكرده ايم   جانرا اسيربند هواى توكرده ايم

ما كرده ايم ترك خود وهردوكون نيز   وينهاكه كردا ايم براى تو كرده ايم

وهذا لما أن المهاجرين كانوا يكرهون الموت في بلدة هاجروا منها وتركوها لله تعالى لئلا ينقص ثواب الهجرة إذ في العود نقض العمل إلا أن يكون لضرورة دون اختيار.

قال في «التأويلات» أصل الدين هو محبة الله تعالى وإن صرف استعداد محبة الله في هذه الأشياء المذكورة فيه فسق وهو الخروج من محبة الخالق إلى محبة المخلوق وإن من آثر محبة المخلوق على محبة الخالق فقد أبطل الاستعداد الفطري لقبول الفيض الإلهي واستوجب الحرمان وأدركه القهر والخذلان. ﴿فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾ أي: بقهره ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ الخارجين عن حسن الاستعداد يعني لا يهديهم إلى حضرة جلاله وقبول فيض جماله بعد إبطال حسن الاستعداد.

وعن بشر بن الحارث رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي: يا بشر أتدري لِمَ رفعك الله تعالى على أقرانك؟ قلت: لا يا رسول الله قال باتباعك لسنتي وخدمتك الصالحين ونصحك لإخوانك ومحبتك لأصحابي وأهل بيتي هو الذي بلغك منازل الأبرار.

أقول: المحبة الخالصة باب عظيم لا يفتح إلا لأهل القلب السليم وتأثيرها غريب وأمرها عجيب، نسأل الله تعالى سبحانه أن يجعلنا من الذين آثروا حب الله وحب رسوله على حب ما سواهما آمين.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿لقد نصركم الله﴾ أي: بالله قد أعانكم يا أصحاب محمد على عدوكم وأعلامكم عليهم مع ضعفكم وقلة عددكم وعددكم. ﴿في مواطن كثيرة﴾ من الحروب وهي مواقعها ومقاماتها. جمع موطن، وهو كل موضع أقام به الإنسان لأمر والمراد بها واقعات بدر والأحزاب وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة. ﴿ويوم حنين﴾ عطف على محل في مواطن بحذف المضاف في أحدهما، أي: وموطن يوم حنين ليكون من عطف المكان على المكان، أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ليكون من عطف الزمان على الزمان، وأضيف اليوم إلى حنين لوقوع الحرب يومئذٍ بها فيوم حنين هي غزوة حنين، ويقال لها: غزوة هوازن، ويقال لها غزوة أوطاس باسم الموضع الذي كانت به الواقعة في آخر الأمر وحنين واد بين مكة والطائف. ﴿إذ

أعجبتكم كثرتكم﴾ [چون بشكفت آوردشمارا] أي: سرتكم كثرة عددكم ووفور عددكم والإعجاب هو السرور بالتعجب وهو بدل من يوم حنين، وكانت الواقعة في حنين بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفاً عشرة آلاف منهم ممن شهد فتح مكة من المهاجرين والأنصار وألفان من الطلقاء وهم أهل مكة سموا بذلك، لأنه عليه السلام أطلقهم يوم فتح مكة عنوة ولم يقيدهم بالإسار وبين هوازن وثقيف وكانوا أربعة آلاف سوى الجم الغفير من أمداد سائر العرب. روي أنه عليه السلام فتح مكة في أواخر رمضان وقد بقيت منه ثلاثة أيام، وقيل: فتحها لثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان ومكث فيها إلى أن دخل شوال فغدا يوم السبت السادس منه خارجاً إلى غزوة حنين، واستعمل على مكة عتاب بن أسيد يصلي بهم ومعاذ بن جبل يعلمهم السنن والفقه وحين فتحت مكة أطاعه عليه الصلاة والسلام قبائل العرب إلا هوازن وثقيفاً، فإن أهلهما كانوا طغاة مردة فخافوا أن يغزوهم رسول الله ﷺ وظنوا أنه عليه السلام يدعوهم إلى الإسلام فثقل ذلك عليهم فحشدوا وبغوا وقالوا إن محمداً لاقى قوماً لا يحسنون القتال فأجمعوا أمرهم على ذلك، فأخرجوا معهم أموالهم ونساءهم وأبناءهم وراءهم فحملوا النساء فوق الإبل وراء صفوف الرجال، ثم جاؤوا بالإبل والغنم والذراري وراء ذلك كي يقاتل كل منهم عن أهله وماله ولا يفر أحد بزعمهم فساروا كذلك حتى نزلوا بأوطاس، وقد كان عليه السلام بعث إليهم عيناً ليتجسس عن حالهم وهو عبد الله بن أبي حذر من بني سليم فوصل إليهم فسمع مالك بن عوف أمير هوازن يقول لأصحابه أنتم اليوم أربعة آلاف رجل فإذا لقيتم العدو فاحملوا عليهم حملة رجل واحد، واكسروا جفون سيوفكم فوالله لا تضربون بأربعة آلاف سيف شيئاً إلا فرج فأقبل العين إلى النبي عليه السلام فأخبره بما سمع من مقالتهم فقال سلمة بن سلامة الوقسي الأنصاري يا رسول الله: «لن نغلب اليوم من قلة» معناه بالفارسية [ما امروز ازقلت لشكر مغلوب نخواهم شد] فساءت رسول الله كلمته وقيل: إن هذه الكلمة قالها أبو بكر رضي الله عنه وقيل: قالها رسول الله ﷺ.

قال الإمام صاحب «التفسير الكبير»: وهو بعيد لأنه عليه السلام كان في أكثر الأحوال متوكلاً على الله منقطع القلب عن الدنيا وأسبابها.

قال ابن الشيخ في «حواشيه»: الظاهر أن القول بها لا ينافي التوكل على الله ولا يستلزم الاعتماد على الأسباب الظاهرة، فإن قوله: لن نغلب اليوم من قلة نفي للقلة وإعجاب بالكثرة. والمعنى إن وقعت مغلوبية فلأمر آخر غير القلة فركب ﷺ بغلته دلدل ولبس درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت، ووضع الألوية والرايات مع المهاجرين والأنصار فلما كان بحنين وانحدروا في الوادي وذلك عند غبش الصبح يوم الثلاثاء خرج عليهم القوم وكانوا كمنوا لهم في شعاب الوادي ومضايقه وكانوا رماة فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم المشركون وخلوا الذراري فأكب المسلمون فتنادى المشركون يا حماة السوء اذكروا الفضائح فتراجعوا وحملوا عليهم فأدركت المسلمين كلمة الإعجاب، أي: لحقهم شؤم كلمة الإعجاب فانكشفوا ولم يقوموا لهم مقدار حلب شاة وذلك قوله تعالى: ﴿**فلم تغن عنكم شيئاً**﴾ [پس دفع نكرد ازشما آن كثرت شما].

والإغناء: إعطاء ما تدفع به الحاجة، أي: لم تعطكم تلك الكثرة مما تدفعون به حاجتكم شيئاً من الإغناء. ﴿**وضاقت عليكم الأرض بما رحبت**﴾ أي: رحبها وسعتها على أن ما

مصدرية والباء بمعنى مع، أي: لا تجدون فيها مقراً تطمئن إليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه قال الشاعر:

كـأن بـلاد الله وهـي عـريـضـة على الخائف المطلوب كفة حابل

أي: حبالة صيد ﴿ثم وليتم﴾ الكفار ظهوركم. ﴿مدبرين﴾ أي: منهزمين لا تلوون على أحد يقال ولى هارباً، أي أدبر، فالإدبار الذهاب إلى خلف خلاف الإقبال. روي أنه بلغ فلهم أي منهزمهم مكة وسر بذلك قوم من أهل مكة وأظهروا الشماتة حتى قال أخو صفوان بن أمية لأمه ألا قد أبطل الله السحر اليوم فقال له صفوان وهو يومئذٍ مشرك اسكت فض الله فاك أي أسقط أسنانك والله لأن يربني من الربوبية أي يملكني ويدبر أمري رجل من قريش أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن ولما انهزموا بقي رسول الله ﷺ وحده وليس معه إلا عمه العباس آخذاً بلجام بغلته وابن عمه أبو سفيان بن حرب بن عبد المطلب آخذاً بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين ويقول:

أنـا الـنـبـي لا كـذب أنـا ابـن عـبـد الـمـطـلـب

وهذا ليس بشعر لأنه لم يقع عن قصد وإنما قال: أنا ابن عبد المطلب، ولم يقل أنا ابن عبد الله لأن العرب كانت تنسبه ﷺ إلى جده عبد المطلب لشهرته ولموت عبد الله في حياته فليس من الافتخار بالآباء الذي هو من عمل الجاهلية.

وقال الخطابي: إنه عليه السلام إنما قال أنا ابن عبد المطلب لا على سبيل الافتخار ولكن ذكرهم عليه السلام بذلك رؤيا رآها عبد المطلب أيام حياته، وكانت القصة مشهورة عندهم فعرفهم بها وذكرهم إياها وهي إحدى دلائل نبوته عليه السلام.

وقصة الرؤيا على ما في «عقد الدرر واللآلي»: أن عبد المطلب جد النبي عليه السلام بينا هو نائم في الحجر انتبه مذعوراً، قال العباس: فتبعته وأنا يومئذٍ غلام أعقل ما يقال فأتى كهنة قريش فقال: رأيت كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهري، ولها أربعة أطراف طرف قد بلغ مشارق الأرض، وطرف قد بلغ مغاربها، وطرف قد بلغ عنان السماء، وطرف قد جاوز الثرى فبينا أنا أنظر عادت شجرة خضراء لها نور، فبينا أنا كذلك قام عليّ شيخان فقلت لأحدهما: من أنت؟ قال: أنا نوح نبي رب العالمين، وقلت للآخر: من أنت؟ قال أنا إبراهيم خليل رب العالمين، ثم انتبهت قالوا إن صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك نبي يؤمن به أهل السموات وأهل الأرض، ودلت السلسلة على كثرة أتباعه وأنصاره لتداخل حلق السلسلة ورجوعها شجرة يدل على ثبات أمره وعلو ذكره وسيهلك من لم يؤمن به، كما هلك قوم نوح وستظهر به ملة إبراهيم وإلى هذا وقعت إشارة النبي ﷺ يوم حنين قال:

أنـا الـنـبـي لا كـذب أنـا ابـن عـبـد الـمـطـلـب

كأنه يقول: أنا ابن صاحب تلك الرؤيا مفتخراً بها لما فيها من علم نبوته وعلو كلمته انتهى. روي أنه عليه السلام كان يحمل على الكفار فيفرون ثم يحملون عليه، فيقف لهم فعل ذلك بضع عشرة مرة قال العباس: كنت أكف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته حيث لم يخف اسمه في تلك الحال ولم يخف الكفار على نفسه ما ذلك إلا لكونه مؤيداً من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال: «يا رب ائتني بما وعدتني» وقال للعباس وكان صيتاً جهوريّ الصوت «صح بالناس» يروى من شدة صوته أنه أغير يوماً

على مكة فنادى واصباحاه فأسقطت كل حامل سمعت صوته وكان صوته يسمع من ثمانية أميال فنادى الأنصار فخذاً فخذاً ثم نادى يا أصحاب الشجرة وهم أهل بيعة الرضوان يا أصحاب سورة البقرة وهم المذكورون في قوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وكانوا يحفظون سورة البقرة ويقولون من حفظ سورة البقرة وآل عمران فقد جد فينا فكروا عنقاً واحداً، أي: جماعة واحدة، يعني: دفعة وهم يقولون: لبيك لبيك، وذلك قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله﴾ أي: رحمته التي تسكن بسببها القلوب وتطمئن إليها اطمئناناً كلياً مستتبعاً للنصر القريب، وأما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له عليه السلام قبل ذلك أيضاً. ﴿وعلى المؤمنين﴾ شامل للمنهزمين وغيرهم فعاد المنهزمون وظفروا. ﴿وأنزل جنوداً لم تروها﴾ أي: بأبصاركم كما يرى بعضكم بعضاً، وهم الملائكة عليهم البياض على خيول بلق وكان يراهم الكفار دون المؤمنين، فنظر النبي عليه السلام إلى قتال المشركين فقال: «هذا حين حمي الوطيس»: والوطيس حجارة توقد العرب تحتها النار يشوون عليها اللحم وهو في الأصل التنور وهذه من الكلمات التي لم تسمع إلا منه ﷺ. وحمي الوطيس كناية عن شدة الحرب ثم نزل عن بغلته وقيل لم ينزل بل قال: «يا عباس ناولني من الحصباء» أو انخفضت بغلته حتى كادت بطنها تمس الأرض ثم قبض قبضة من تراب فرمى به نحو المشركين وقال: «شاهت الوجوه» فلم يبق منهم أحد إلا امتلأت به عيناه ثم قال عليه السلام: «انهزموا ورب الكعبة» وهو أعظم من انقلاب العصا حية لأن ابتلاعها لحبالهم وعصيهم لم يقهر العدو ولم يشتت شمله بل زاد بعدها طغيانه وعتوه على موسى بخلاف هذا الحصى فإنه أهلك العدو وشتت شمله وكان من دعائه عليه السلام يومئذٍ «اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان» فقال له جبريل عليه السلام: لقد لقنت الكلمات التي لقنها الله موسى يوم فلق البحر. واختلفوا في عدد الملائكة يومئذٍ فقيل خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر ألفاً. وفي قتالهم أيضاً فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا إلا يوم بدر وإنما كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بإلقاء الخواطرالحسنة وتأييدهم بذلك وإلقاء الرعب في قلوب المشركين. ﴿وعذب الذين كفروا﴾ بالقتل والأسر والسبي ﴿وذلك﴾ أي: ما فعل بهم مما ذكر ﴿جزاء الكافرين﴾ في الدنيا.

ولما هزم الله المشركين بوادي حنين ولوا مدبرين ونزلوا بأوطاس وبها عيالهم وأموالهم فبعث رسول الله رجلاً من الأشعريين، يقال له: أبو عامر وأمره على جيش إلى أوطاس فسار إليهم فاقتتلوا وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيالهم وهرب أميرهم مالك بن عوف فأتى الطائف وتحصن بها وأخذوا أهله وماله فيمن أخذ، وقتل أمير المؤمنين أبو عامر ثم إنه عليه السلام أتى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم فأتى الجعرانة وهو موضع بين مكة والطائف سمي المحل باسم امرأة وهي ريطة بنت

سعد وكانت تلقب بالجعرانة وهي المرادة في قوله تعالى: ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ [النحل: ٩٢] فأحرم منها بعمرة بعد أن قام بها ثلاث عشرة ليلة وقال اعتمر منها سبعون نبياً وقسم بها غنائم حنين وأوطاس وكان السبي ستة آلاف رأس والإبل أربعة وعشرين ألفاً والغنم أكثر من أربعين وأربعة آلاف أوقية فضة وتألف أناساً فجعل يعطي الرجل الخمسين والمائة من الإبل ولما قسم ما بقي خص كل رجل أربع من الإبل وأربعون شاة فقال طائفة من الأنصار يا للعجب إن أسيافنا تقطر من دمائهم وغنائمنا ترد عليهم فبلغ ذلك النبي عليه السلام فجمعهم فقال: «يا معشر الأنصار ما هذا الذي بلغني عنكم» فقالوا هو الذي بلغك وكانوا لا يكذبون فقال: «ألم تكونوا ضلالاً فهداكم الله بي وكنتم أذلة فأعزكم الله بي وكنتم وكنتم أما ترضون أن ينقلب الناس بالشاء والإبل وتنقلبون برسول الله إلى بيوتكم» فقالوا بلى رضينا يا رسول الله والله ما قلنا ذلك إلا محبة لله ولرسوله فقال ﷺ: «إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم».

﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك﴾ [از پس اين جنك] ﴿على من يشاء﴾ أن يتوب عليه منهم لحكمة تقتضيه، أي: يوفقه للإسلام. ﴿والله غفور﴾ يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصي ﴿رحيم﴾ يتفضل عليهم ويثيبهم. روي أن ناساً منهم جاؤوا رسول الله وبايعوه على الإسلام، وقالوا: يا رسول الله أنت خير الناس وأبرّ الناس وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا، فقال عليه السلام: «إن عندي ما ترون أن خير القول أصدقه اختاروا إما ذراريكم ونساءكم وإما أموالكم» قالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً هو جمع حسب وهو ما يعد من المفاخر كنوا بهذا القول عن اختيار ما سبي منهم من الذراري والنسوان على استرجاع الأموال فإن ترك الذراري والنسوان في ذل الأسر واختيار استرجاع الأموال عليها يفضي إلى الطعن في أحسابهم وينافي المروءة فقام النبي عليه السلام فقال: «إن هؤلاء جاؤونا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئاً فمن كان بيده سبي وطابت نفسه أن يرد فشأنه» أي فيلزم شأنه «وليفعل ما طاب له ومن لا فليعطنا وليكن قرضاً علينا حتى نصيب شيئاً فنعطيه مكانه» قالوا رضينا وسلمنا فقال عليه السلام: «إنا لا ندري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا» فرفعت إليه العرفاء أنهم قد رضوا ثم قال ﷺ: «لوفد هوازن ما فعل مالك بن عوف» قالوا يا رسول الله هرب فلحق بحصن الطائف مع ثقيف فقال ﷺ: «أخبروه أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل» فلما بلغه هذا الخبر نزل من الحصن مستخفياً خوفاً أن تحبسه ثقيف إذا علموا الحال وركب فرسه وركضه حتى أتى الدهناء محلاً معروفاً وركب راحلته ولحق برسول الله فأدركه بالجعرانة وأسلم فرد عليه أهله وماله واستعمله عليه السلام على من أسلم من هوازن وكان مالك بن عوف بعد ذلك ممن افتتح عامة الشأم.

ثم في القصة إشارات.

منها أن عسكر رسول الله ﷺ في تلك الواقعة كانوا في غاية الكثرة والقوة فلما أعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين فلما تضرعوا في حال الانهزام إلى الله تعالى قواهم حتى هزموا عسكر الكفار وذلك يدل على أن الإنسان متى اعتمد على الدنيا فاته الدين ومتى أطاع الله ورجح الدين على الدنيا آتاه الله الدين والدنيا على أحسن الوجوه. وكما أن أكثر الأسباب الصورية وإن كان مداراً للفتح الصوري لكنه في الحقيقة لا يحصل إلا بمحض فضل الله. فكذا كثرة الأعمال

والطاعات وإن كانت سبباً للفتح المعنوي لكنه في الحقيقة أيضاً لا يحصل إلا بخصوص هداية الله تعالى فلا بد من العجز والافتقار والتضرع إلى الله الغفار. قال الحافظ:

تكيه بر تقوى ودانش در طريقت كافريست راهرو كرصد هنر دارد توكل بايدش

ومنها: أن المؤمن لا يخرج من الإيمان وإن عمل الكبيرة لأنهم قد ارتكبوا الكبيرة حيث هربوا وكان عددهم أكثر من عدد المشركين فسماهم الله تعالى مؤمنين في قوله: **﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾** وذلك لأن حقيقة الإيمان هو التصديق القلبي فلا يخرج المؤمن عن الاتصاف به إلا بما ينافيه ومجرد الإقدام على الكبيرة لغلبة شهوة أو غيرة جاهلية أو عار أو كسل أو خوف خصوصاً إذا اقترن به خوف العقاب ورجاء العفو والعزم على التوبة لا ينافيه قال الحافظ:

بپوش دامن عفوى بزلت من مست كه آب روى شريعت بدين قد نرود

وقال السعدي:

پرده از روى لطف كو بردار كه اشقيارا اميد مغفرتست

ومنها: أنه ﷺ لم ينهزم قط في موطن من المواطن.

وأما ما روي عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه «مررت برسول الله ﷺ. منهزماً» فمنهزماً حال من سلمة لا من النبي عليه السلام.

قال القاضي عبد الله بن المرابط: من قال إن نبي الله عليه السلام هزم في بعض غزواته يستتاب فإن تاب فيها ونعمت وإلا قتل فإنه نسب إليه ما لا يليق بمنصبه وألحق به نقصاً وذلك لا يجوز عليه إذ هو على بصيرة من أمره ويقين من عصمته وقد أعطاه الله تعالى من الشجاعة ورباطة الجأش ما لم يعط أحداً من العالمين فكيف يتصور الانهزام في حقه.

شاهى وملائكه سپاهست خلق تو عظيم وحق كواهست

ومنها: أن ذا القعدة شهر شريف ينبغي أن يعرف قدره ويجاهد المرء فيه نفسه وهو الثلاثون يوماً التي واعد الله فيها موسى عليه السلام وأمره أن يصومها حتى يجيء بعدها إلى طور المناجاة والمكالمات والمشاهدات.

قال كعب الأحبار رضي الله عنه: اختار الله الزمان فأحبه إليه الأشهر الحرم وذو القعدة من الأشهر الحرم بلا خلاف وسمي ذا القعدة لقعودهم فيه عن القتال.

وعن قتادة قال: سألت أنساً كم اعتمر النبي عليه السلام قال أربعاً. عمرة الحديبية في ذي القعدة حيث صده المشركون. وعمرة من العام القابل حيث صالحهم. وعمرة الجعرانة إذ قسم غنيمة أراها حنين قلت كم حج قال واحدة ومعناه بعد الهجرة إلى المدينة فإنه ﷺ قد حج قبلها كما في «عقد الدرر واللآلي» وكذا قال صاحب «الروضة» وفي السنة التاسعة حج أبو بكر رضي الله عنه بالناس. وفي العاشرة كانت حجة الوداع ولم يحج النبي عليه السلام بعد الهجرة سواها وحج قبل النبوة وبعدها حجات لم يتفق على عددها واعتمر بعد الهجرة أربع عمر وفي هذه السنة مات إبراهيم ابن النبي عليه السلام. وفي الحادية عشرة فاته ﷺ انتهى اللهم اختم لنا بالخير واجعل لنا في رياض أنسك مبوأ ومنزلاً وفي حظائر قدسك مستقراً ومقاماً وموئلاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس﴾ النجس بفتحتين مصدر بمعنى النجاسة وصفوا بالمصدر مبالغة كأنهم عين النجاسة يجب الاجتناب عنهم والتبري منهم وقطع مودتهم.

قال الحدادي: سمي المشرك نجساً لأن الشرك يجري مجرى القذر في أنه يجب تجنبه كما يجب تجنب النجاسات أو لأنهم لا يتطهرون من الجنابة والحدث ولا يجتنبون عن النجاسة الحقيقية فهم ملابسون لها غالباً فحكم عليهم بأنهم نجس بمعنى ذوي نجاسة حكمية وحقيقية في أعضائهم الظاهرة أو أنهم نجس بمعنى ذوي نجاسة في باطنهم حيث تنجسوا بالشرك والاعتقاد الباطل، فعلى هذا يحتمل أن يكون نجس صفة مشبهة كحسن فيجوز ترك تقدير المضاف. ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾ الفاء سببية، أي: فلا يقربوه بسبب أنهم عين النجاسة فضلاً عن أن يدخلوه فإن نهيهم عن اقترابه للمبالغة في نهيهم عن دخوله.

قال في «التبيان» أي لا يدخلوا الحرم كله وحدود الحرم من جهة المدينة على ثلاثة أميال ومن طريق العراق على سبعة أميال ومن طريق الجعرانة على تسعة أميال ومن طريق الطائف على تسعة أميال ومن طريق جدة على عشرة أميال انتهى. ﴿بعد عامهم هذا﴾ وهو السنة التاسعة من الهجرة التي حج فيها أبو بكر رضي الله عنه أميراً وكانت حجة الوداع في السنة العاشرة هو الظاهر الذي عليه الإمام الشافعي وأما على مذهب الإمام الأعظم، فالمراد من الآية المنع من الدخول حاجاً أو معتمراً، فالمعنى لا يحجوا ولا يعتمروا بعد هذا العام ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة «ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك» فلا يمنع المشرك عنده من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد.

قال في «الأشباه»: في أحكام الذمي ولا يمنع من دخول المسجد جنباً بخلاف المسلم ولا يتوقف دخوله على إذن مسلم عندنا ولو كان المسجد الحرام. ثم قال في أحكام الحرم ولا يسكن فيه كافر وله الدخول فيه انتهى.

يقول الفقير: لعل الحكمة في أن الجنب المسلم يمنع من دخول المسجد دون الجنب الكافر أن ما هو عليه الكافر من الشرك أو الخبث القلبي والجنابة المعنوية أعظم من حدثه الصوري فلا فائدة في منعه نعم إذا كان عليه نجاسة حقيقية يمنع؛ لأنا مأمورون بتطهير المساجد عن القاذورات ولذا قالوا بحرمة إدخال الصبيان والمجانين في المساجد حيث غلب تنجيسهم وإلا فيكره كما في «الأشباه» هذا فلما منعوا من قربان المسجد الحرام. قال أناس من تجار بكر بن وائل وغيرهم من المشركين بعد قراءة علي هذه الآية ستعلمون يا أهل مكة إذا فعلتم هذا ماذا تلقون من الشدة ومن أين تأكلون أما والله لنقطعن سبلكم ولا نحمل إليكم شيئاً فوقع ذلك في أنفس أهل مكة وشق عليهم وألقى الشيطان في قلوب المسلمين الحزن، وقال لهم: من أين تعيشون وقد نفي المشركون وانقطعت عنكم الميرة فقال المسلمون قد كنا نصيب من تجاراتهم فالآن تنقطع عنا الأسواق والتجارات ويذهب عنا الذي كنا نصيبه فيها فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وإن خفتم عيلة﴾ أي: فقراً بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه

إليكم من الأرزاق والمكاسب. ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله﴾ من عطائه أو من تفضله بوجه آخر وقد أنجز وعده بأن أرسل السماء عليكم مدراراً أكثر من خيرهم وميرهم ووفق أهل تبالة وجرش وأسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه إليهم الناس من أقطار الأرض. ﴿إن شاء﴾ أن يغنيكم قيده بالمشيئة مع أن التقييد بها ينافي ما هو المقصود من الآية وهو إزالة خوفهم من العيلة لفوائد:

الفائدة الأولى: أن لا يتعلق القلب بتحقق الموعود بل يتعلق بكرم من وعد به ويتضرع إليه في نيل جميع المهمات ودفع جميع الآفات والبليات.

والثانية: التنبيه على أن الإغناء الموعود ليس يجب على الله تعالى بل هو متفضل في ذلك لا يتفضل به إلا عن مشيئته وإرادته.

والثالثة: التنبيه على أن الموعود ليس بموعود بالنسبة إلى جميع الأشخاص ولا بالنسبة إلى جميع الأمكنة والأزمان ﴿إن الله عليم﴾ بمصالحكم ﴿حكيم﴾ فيما يعطي ويمنع.

قال الكاشفي: [حكم كننده است بتحقيق آمال ايشان اكردرى دربندد ديكرى بكشايد].

كمان مدار اكر ضايعم توبكذارى   كه ضايعم نكذارد مسبب الأسباب
براى من دراحسان اكر تودربندى   درى دكر بكشايد مفتح الأبواب

روي عن الشيخ أبي يعقوب البصري رضي الله عنه، قال: جعت مرة في الحرم عشرة أيام فوجد ضعفاً، فحدثتني نفسي أن أخرج إلى الوادي لعلي أجد شيئاً ليسكن به ضعفي فخرجت فوجدت سلجمة مطروحة فأخذتها فوجدت في قلبي منها وحشة، وكأن قائلاً يقول لي: جعت عشرة أيام فآخرها يكون حظك سلحمة مطروحة متغيرة فرميت بها فدخلت المسجد فقعدت فإذا برجل جاء فجلس بين يدي ووضع قمطرة وقال هذه لك، قلت كيف خصصتني بها؟ فقال: اعلم أنا كنا في البحر منذ عشرة أيام فأشرفت السفينة على الغرق فنذر كل واحد منا نذراً إن خلصنا الله أن يتصدق بشيء ونذرت أنا إن خلصني الله أن أتصدق بهذه على أول من يقع عليه بصري من المجاورين وأنت أول من لقيته قلت: افتحها فإذا فيها كعك سميذ ممصر ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقي إلى صبيانك هدية مني إليهم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك يسير إليك منذ عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادي.

قال الصائب:

فكر آب ودانه دركنج قفس بي حاصلست   زير چرخ انديشهٔ روزى چرا باشد مرا

وفي الآية: إشارة إلى أن الله تعالى قد رفع قلم التكليف عن الإنسان إلى أن يبلغ استكمال القالب ففي تلك المدة كانت النفس وصفاتها يطفن حول كعبة القلب مستمدة من القوى العقلية والروحانية وبهذا يظفرن بمشتهياتهن من الدنيا ونعيمها حتى صار تعبد الدنيا دأبهن والإشراك بالله طبعهن وبذلك تكامل القالب واستوت أوصاف البشرية الحيوانية عند ظهور الشهوة بالبلوغ ثم أجرى الله عليهم قلم التكليف ونهى القلب عن اتباع النفوس وأمره بقتالها ونهاها عن تطوافها لئلا تنجس كعبة القلب بنجاسة شرك النفس والأوصاف الذميمة فلما منعت النفس عن تطوافها بحوالي القلب خاف القلب من فوات حظوظه من الشهوات بتبعية النفس فأغناه الله عن تلك الحظوظ بما يفتح عليه من فضل مواهبه من الواردات الربانية والشواهد

والكشوف الرحمانية وفي قوله: ﴿إن شاء﴾ إشارة إلى أن ما عند الله لا ينال إلا بمشيئة الله كذا في «التأويلات النجمية». قال الحافظ:

سكندررا نمى بخشند آبى بزورو زر ميسر نيست اين كار

﴿قاتلوا﴾ [بكشيدى اى مؤمنان وكارزار كنيد] ﴿الذين﴾ [با آنا نكه] ﴿لا يؤمنون بالله﴾ كما ينبغي فإن اليهود مثنية والنصارى مثلثة فإيمانهم بالله كلا إيمان ﴿ولا باليوم الآخر﴾ كما ينبغي فإن اليهود ذهبوا إلى نفي الأكل والشرب في الجنة والنصارى إلى إثبات المعاد الروحاني فعلمهم بأحوال الآخرة كلا علم، فكذا إيمانهم المبني عليه ليس بإيمان والمؤمن الكامل هو الذي يصف الله تعالى بما يليق به فيوحده وينزهه ويثبت المعاد الجسماني والروحاني كليهما، والنعيم الصوري والمعنوي أيضاً فإن لكل من الجسم والروح حظاً من النعيم يليق بحاله ويناسب لمقامه. ﴿ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله﴾ أي: ما ثبت تحريمه بالوحي المتلو هو الكتاب أو غير المتلو وهو السنة وذلك مثل الدم الميتة ولحم الخنزير والخمر ونظائرها. ﴿ولا يدينون دين الحق﴾ يجوز أن يكون مصدر يدينون وأن يكون مفعولاً به ويدينون بمعنى يعتقدون ويقبلون، والحق صفة مشبهة بمعنى الثابت وإضافة الدين إليه من قبيل إضافة الموصوف إلى صفته وأصل الكلام ولا يدينون الدين الحق وهو دين الإسلام فإنه دين ثابت نسخ جميع ما سواه من الأديان.

وعن قتادة أن الحق هو الله تعالى. والمعنى ولا يدينون دين الله الذي هو الإسلام فإن الدين عند الله الإسلام. ﴿من الذين أوتوا الكتاب﴾ من التوراة والإنجيل وهو بيان للذين لا يؤمنون. ﴿حتى﴾ للغاية ﴿يعطوا﴾ أي: يقبلوا أن يعطوا فإن غاية القتال ليست نفس هذا الإعطاء بل قبوله ﴿الجزية﴾ فعلة من جزى دينه إذا قضاه سمي ما يعطيه المعاهد مما تقرر عليه بمقتضى عهده جزية لوجوب قضائه عليه أو لأنها تجزي عن الذمي، أي: تقضي وتكفي عن القتل فإنه إذا قبلها يسقط عنه القتل. ﴿عن يد﴾ حال من الضمير في يعطوا، أي: عن يدهم بمعنى مسلمين بأيديهم غير باعثين بأيدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه أو عن يد مطيعة غير ممتنعة، أي: منقادين مطيعين فإذا احتيج في أخذها منهم إلى الجبر والإكراه لا يبقى عقد الذمة بل يعود حكم القتل والقتال فالإعطاء عن يد كناية عن الانقياد والطوع يقال أعطى فلان بيده إذا استسلم وانقاد، وعلاقة المجاز أن من أبى وامتنع لا يعطي بيده بخلاف المطيع أو عن غنى، ولذلك قيل: لم تجب الجزية على الفقير العاجز عن الكسب أو عن إنعام عليه، فإن إبقاء مهجتهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم أو عن يد قاهرة مستولية عليهم وهي يد الآخذ فعن سببية كما في قولك يسمنون عن الأكل والشرب أي يبلغون إلى غاية السمن وحسن الهيئة بسبب الأكل والشرب. ﴿وهم صاغرون﴾ أي: أذلاء وذلك بأن يأتي بها بنفسه ماشياً غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه أي بجيبه ويجر ويقال له أد الجزية يا ذمي أو يا عدو الله وإن كانوا يؤدونها.

واعلم أن الكفار ثلاثة أنواع.

نوع منهم يقاتلون حتى يسلموا؛ إذ لا يقبل منهم إلا الإسلام وهم مشركو العرب والمرتدون، أما مشركو العرب: فلأن النبي عليه السلام بعث منهم فظهرت المعجزات لديهم فكفرهم يكون أفحش، وأما المرتدون: فلأنهم عدلوا عن دين الحق بعد اطلاعهم على محاسنه

فيكون كفرهم أقبح فالعقوبة على قدر الجناية وفي وضع الجزية تخفيف لهم فلم يستحقوه.

ونوع آخر يقاتلون حتى يسلموا أو يعطوا الجزية وهم اليهود والنصارى والمجوس. أما اليهود والنصارى فبهذه الآية. وأما المجوس فبقوله عليه السلام: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير ناكحي نسائهم وآكلي ذبحائهم».

والنوع الثالث: منهم الكفرة الذين ليسوا مجوساً ولا أهل كتاب ولا من مشركي العرب كعبدة الأوثان من الترك والهند ذهب أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله إلى جواز أخذ الجزية منهم لجواز اجتماع الدينين في غير جزيرة العرب وهم من غير العرب ومقدارها على الفقير المعتمل اثنا عشر درهماً في كل شهر درهم هذا إذا كان في أكثر الحول صحيحاً أما إذا كان في أكثره أو نصفه مريضاً فلا جزية عليه وعلى المتوسط الحال أربعة وعشرون درهماً في كل شهر درهمان وعلى الغني ثمانية وأربعون درهماً في كل شهر أربعة دراهم ولا شيء على فقير عاجز عن الكسب ولا على شيخ فانٍ أو زمن أو مقعد أو أعمى أو صبي أو امرأة أو راهب لا يخالط الناس وإنما لم توضع عليهم الجزية لأن الجزية شرعت زجراً عن الكفر وحملاً له على الإسلام فيجري مجرى القتل فمن لا يعاقب بالقتل وهم هؤلاء لا يؤاخذ بالجزية لأن الجزية خلف من القتال وهم ليسوا بأهله فإذا حصل الزاجر في حق المقاتلة وهم الأصل انزجر التبع.

قال الحدادي: أما طعن الملحدة كيف يجوز إقدار الكفار على كفرهم بأداء الجزية بدلاً من الإسلام.

فالجواب أنه لا يجوز أن يكون أخذ الجزية منهم رضى بكفرهم وإنما الجزية عقوبة لهم على إقامتهم على الكفر وإذا جاز إمهالهم بغير الجزية للاستدعاء إلى الإيمان كان إمهالهم بالجزية أولى انتهى.

فعلى الولاة والمتسلمين أن لا يتعدوا ما حد الله تعالى في كتابه فإن الظلم لا يجوز مطلقاً ويعود وباله على الظالم بل يسري إلى غيره أيضاً وفي الحديث «خمس بخمس إذا أكل الربا كان الخسف والزلزلة، وإذا جار الحكام قحط المطر، وإذا ظهر الزنى كثر الموت، وإذا منعت الزكاة هلكت الماشية، وإذا تعدى على أهل الذمة كانت الدولة لهم» كذا في «الأسرار المحمدية» لابن فخر الدين الرومي. وفي «المثنوي»:

جمله دانند اين اكر تونكروى   هرچه مى كاريش روزى بدروى

يقول: الفقير رأينا من السنة الرابعة والتسعين بعد الألف إلى هذا الآن وهي السنة الأولى بعد المائة والألف من استيلاء الكفار على البلاد الرومية، وعلى البحر الأسود والأبيض ما لم يره أحد قبلنا ولا يدري أحد ماذا يكون غداً والأمر بيد الله تعالى وذلك بسبب الظلم المفرط على أهل الإسلام وأهل الذمة الساكنين في تلك الديار فعاد الصغار، والذل من الكفار إلى المسلمين الكاذبين فصاروا هم صاغرين والعياذ بالله تعالى وليس الخبر كالمعاينة نسأل الله تعالى اللحوق بأهل الحق والدخول في الأرض المقدسة.

ثم إن مما حرم الله على أهل الحق الدنيا ومحبتها فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة والكفار لما قصروا أنظارهم على الدنيا وأخذوها بدلاً من الآخرة وضعت عليهم الجزية وجزية النفس الأمارة معاملاتها على خلاف طبعها لتكون صاغرة ذليلة تحت أحكام الشرع وآداب الطريقة فلا بد من جهادها وتذليلها ليعود العز والدولة إلى طرف الروح. وفي «المثنوي»:

آنچه در فرعون بود اندر توهست ليك اژدرهات محبوس چهست
آتشت را هيزم فرعون نيست زانكه چون فرعون اوراعون نيست

فهذه حال النفس فلا بد من قهرها إلى أن تفنى عن دعواها وإسناد العز إليها وعند ذلك تكون فانية مطمئنة مستسلمة لأمر الله منقادة مسخرة تحت حكمه.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿**وقالت اليهود عزير ابن الله**﴾ يقرأ بالتنوين على أن عزير مبتدأ وابن خبره ولم يحذف التنوين إيذاناً بأن الأول مبتدأ وأن ما بعده خبره وليس بصفة [وعزير بن شرحيا ازنسل يعقوبست ازسبط لاوى وبچهارده پشت بهارون بن عمران ميرسد] وهو قول قدمائهم ثم انقطع فحكى الله تعالى عنهم ذلك ولا عبرة بإنكار اليهود.

وفي «البحر»: وتذم طائفة أو تمدح بصدور ما يناسب ذلك من بعضهم. روي أن بخت نصر البابلي لما ظهر على بني إسرائيل قتل علماءهم ولم يبق فيهم أحد يعرف التوراة وكان عزير إذ ذاك صغيراً فاستصغره فلم يقتله وذهب به إلى بابل مع جملة من أخذه من سبايا بني إسرائيل فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار له حتى نزل بدير هرقل على شط دجلة فطاف في القرية فلم ير فيها أحداً وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاكها، قال: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] قالها تعجباً لا شكاً في البعث فألقى الله تعالى عليه النوم ونزع منه الروح وبقي ميتاً مائة عام وأمات حماره وعصيره وتينه عنده وأعمى الله تعالى عنه العيون فلم يره أحد ثم إنه تعالى أحياه بعدما أماته مائة سنة وأحيا حماره أيضاً فركب حماره حتى أتى محلته فأنكره الناس وأنكر هو أيضاً الناس ومنازله فتتبع أهله وقومه فوجد ابناً له شيخاً ابن مائة سنة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فوجد من دونهم عجوزاً عمياء مقعدة أتى عليها مائة وعشرون سنة كانت أمة لهم وقد كان خرج عزير عنهم هي بنت عشرين سنة، فقال لهم: أنا عزير كان الله أماتني مائة سنة ثم بعثني قالت العجوز إن عزيراً كان مستجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية فادع الله يرد إليّ بصري حتى أراك فإن كنت عزيراً عرفتك فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحت وأخذ بيدها وقال لها قومي بإذن الله تعالى فأطلق رجلها فقامت صحيحة فنظرت فقالت أشهد أنك عزير وقال ابنه كان لأبي شامة مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فإذا هو عزير.

قال السدي والكلبي: لما رجع عزير إلى قومه وقد أحرق بخت نصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلق بكى عزير على التوراة فأتاه ملك بإناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فمثلت التوراة في صدره، فقال لبني إسرائيل: يا قوم إن الله بعثني إليكم لأجدد لكم توراتكم قالوا فأملها علينا فأملاها عليهم من ظهر قلبه ثم إن رجلاً قال إن أبي حدثني عن جدي أن التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم كذا فانطلقوا معه حتى أخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير

فلم يجدوه غادر منها حرفاً فقالوا إن الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل إلا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود المتقدمون عزير ابن الله. ﴿وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ هو أيضاً قول بعضهم، وإنما قالوه استحالة؛ لأن يكون ولد بلا أب أو لأن يفعل ما فعله من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى من لم يكن إلهاً. ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما صدر عنهم من العظيمتين ﴿قولهم بأفواههم﴾ أي: ليس فيه برهان ولا حجة وإنما هو قول بالفم فقط كالمهمل.

قال الحدادي: معناه أنهم لا يتجاوزون في هذا القول عن العبارة إلى المعنى: إذ لا برهان لهم لأنهم يعترفون أن الله لم يتخذ صاحبة فكيف يزعمون أن له ولداً. ﴿يضاهئون﴾ أي يضاهي ويشابه قولهم في الكفر والشناعة، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فانقلب مرفوعاً. ﴿قول الذين كفروا من قبل﴾ أي: من قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات الله أو اللات والعزى بنات الله. ﴿قاتلهم الله﴾ دعاء عليهم جميعاً بالإهلاك فإن من قاتله الله هلك، فهو من قبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم لتعذر إرادة الحقيقة، ويجوز أن يكون تعجباً من شناعة قولهم من قطع النظر عن العلاقة المصححة للانتقال من المعنى الأصلي إلى المعنى المراد. ﴿أنى يؤفكون﴾ كيف يصرفون من الحق إلى الباطل والحال أنه لا سبيل إليه أصلاً والاستفهام بطريق التعجب. ﴿اتخذوا﴾ أي: اليهود ﴿أحبارهم﴾ أي: علماءهم هم جمع حبر بالكسر وهو أفصح وسمي العالم حبراً لكثرة كتابته بالحبر أو لتحبره المعاني أو بالبيان الحسن وغلب في علماء اليهود من أولاد هارون. ﴿ورهبانهم﴾ أي: اتخذوا النصارى علماءهم جمع راهب وهو الذي تمكنت الرهبة والخشية في قلبه وظهرت آثارها في وجهه ولسانه وهيئته وغلب في عباد النصارى وأصحاب الصوامع منهم. ﴿أرباباً من دون الله﴾ أي: كالأرباب فهو من باب التشبيه البليغ. والمعنى أطاعوا علماءهم وعبادهم فيما أمروهم به طاعة العبيد للأرباب فحرموا ما أحل الله وحللوا ما حرم الله، وفي الحديث: «إن محرم الحلال كمحلل الحرام» أي: أن عقوبة محرم الحلال كعقوبة محلل الحرام وذلك كفر محض ومثاله أن من اعتقد أن اللبن حرام يكون كمن اعتقد أن الخمر حلال ومن اعتقد أن لحم الغنم حرام يكون كمن اعتقد أن لحم الخنزير حلال. ﴿والمسيح ابن مريم﴾ عطف على رهبانهم أي اتخذه النصارى رباً معبوداً بعد ما قالوا إنه ابن الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً وجمع اليهود والنصارى في ضمير اتخذوا لأمن اللبس ﴿وما أمروا﴾ أي: والحال أن أولئك الكفرة ما أمروا في التوراة والإنجيل وبادىء العقل. ﴿إلا ليعبدوا إلهاً واحداً﴾ عظيم الشأن هو الله تعالى ويطيعوا أمره ولا يطيعوا أمر غيره بخلافه فإن ذلك مخل بعبادته فإن جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة، وأما إطاعة الرسول وسائر من أمر الله بطاعته فهي في الحقيقة إطاعة الله تعالى. ﴿لا إله إلا هو﴾ صفة ثانية لا لها ﴿سبحانه عما يشركون﴾ ما مصدرية، أي: تنزيهاً عن الإشراك به في العبادة والطاعة.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿يريدون﴾ أي: يريد أهل الكتابين، ﴿أن يطفئوا﴾ يخمدوا ﴿نور الله﴾ أي: يردوا القرآن ويكذبوه فيما نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والأولاد والشرائع التي من جملتها ما

خالفوه من أمر الحل والحرمة. ﴿بأفواههم﴾ بأقاويلهم الباطلة الخارجة منها من غير أن يكون لها مصداق تنطبق عليه وأصل تستند إليه حسبما حكي عنهم. ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره﴾ إنما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفي أي لا يريد الله شيئاً من الأشياء إلا إتمام نوره بإعلاء كلمة التوحيد وإعزاز دين الإسلام. ﴿ولو كره الكافرون﴾ جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة كلتاهما في موقع الحال، أي: لا يريد الله إلا إتمام نوره ولو لم يكره الكافرون ذلك بل ولو كرهوا أي على كل حال مفروض وقد حذفت الأولى في الباب حذفاً مطرداً لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لأن الشيء إذا تحقق عند المانع فلأن يتحقق عند عدمه أولى.

چراغی راكه ايزد بر فروزد كسى كش پف كند سبلت بسوزد

﴿هو الذي﴾ أي: الذي لا يريد شيئاً إلا إتمام نوره ودينه هو الذي ﴿أرسل رسوله﴾ ملتبساً ﴿بالهدى﴾ أي: القرآن الذي هو هدى للمتقين. ﴿ودين الحق﴾ أي: الدين الحق وهو دين الإسلام ﴿ليظهره﴾ أي: ليغلب الرسول. ﴿على الدين كله﴾ أي: على أهل الأديان كلهم فالمضاف محذوف أو ليظهر الدين الحق على سائر الأديان بنسخه إياها حسبما تقتضيه الحكمة واللام في ليظهره لإثبات السبب الموجب للإرسال، فهذه اللام لام الحكمة، والسبب شرعاً ولام العلة عقلاً لأن أفعال الله تعالى ليست بمعللة بالأغراض عند الأشاعرة لكنها مستتبعة لغايات جليلة، فنزل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له.

﴿ولو كره المشركون﴾ ذلك الإظهار ووصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على أنهم ضموا الكفر بالرسول إلى الكفر بالله.

قال ابن الشيخ: وغلبة دين الحق على سائر الأديان تكون على التزايد أبداً وتتم عند نزول عيسى عليه السلام لما روي أن رسول الله ﷺ قال في نزول عيسى «ويهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام» وقيل ذلك عند خروج المهدي فإنه حينئذٍ لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام والتزم أداء الخراج، وفي الحديث: «لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا إدباراً ولا الناس إلا شحاً ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ولا مهدي إلا عيسى ابن مريم» ومعناه لا يكون أحد صاحب المهدي إلا عيسى بن مريم فإنه ينزل لنصرته وصحبته والمهدي الذي من عترة النبي عليه السلام إمام عادل ليس بنبي ولا رسول، والفرق بينهما أن عيسى هو المهدي المرسل الموحى إليه والمهدي ليس بنبي موحى إليه وأيضاً أن عيسى خاتم الولاية المطلقة والمهدي خاتم الخلافة المطلقة وكل منهما يخدم هذا الدين الذي هو خير الأديان وأحبها إلى الله تعالى.

وعن بعض الروم، قال: كان سبب إسلامي أنه غزانا المسلمون فكنت أساير جيشهم فوجدت غزاة في الساقة فأسرت نحو عشرة نفر وحملتهم على البغال بعد أن قيدتهم وجعلت مع كل واحد منهم رجلاً موكلاً به، فرأيت في بعض الأيام رجلاً من الأسرى يصلي فقلت للموكل به في ذلك، فقال لي: إنه في كل وقت صلاة يدفع إليّ ديناراً، فقلت: وهل معه شيء؟ قال: لا ولكنه إذا فرغ من صلاته ضرب بيده إلى الأرض ودفع لي ذلك، فلما كان الغد لبست ثوباً خلقاً وركبت فرساً دوناً وسرت مع الموكل لأتعرف صحة ذلك، فلما دنا وقت صلاة الظهر أومى إلي أن يدفع لي ديناراً حتى أتركه يصلي فأشرت إليه إني لا آخذ إلا دينارين، فأومى برأسه نعم فلما فرغ من صلاته رأيته قد ضرب بيده إلى الأرض فدفع إليّ منها دينارين،

فلما كان وقت العصر أشار كالمرة الأولى فأشرت إليه إني لا آخذ إلا خمسة دنانير، فأشار إليّ بالإجابة فلما فرغ من صلاته فعل كفعله الأول فدفع إليّ خمسة دنانير، فلما كان وقت المغرب أشار كذلك فقلت لا آخذ إلا عشرة فأجابني، فلما صلى فعل كما تقدم فدفع إليّ عشرة فلما نزلنا وأصبحنا دعوت به وسألته عن خبره وخيرته في رجوعه إلى بلاد الإسلام فاختار الرجوع فأركبته بغلاً ودفعت له زاداً وحملته بنفسي على البغل، فقال: أماتك الله تعالى على أحب الأديان إليه، فوقع في قلبي من ذلك الوقت الإسلام.

فعلى المؤمن المخلص أن يعظم الرسول الذي أرسله الله بهذا الدين الحق، وقد عظمه الله ورفع ذكره وكتب اسمه على صفحات الكون.

قال بعض الشيوخ: دخلت بلاد الهند فوصلت إلى مدينة رأيت فيها شجرة تحمل ثمراً يشبه اللوز له قشرة فإذا كسرت خرجت منها ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا إله إلا الله محمد رسول الله كتابة هندية، وأهل الهند يتبركون بها ويستسقون بها إذا منعوا الغيث ويتضرعون عندها، فحدثت بهذا الحديث أبا يعقوب الصياد، فقال لي: ما أستعظم هذا كنت بالأيلة فاصطدت سمكة مكتوب على أذنها اليمنى لا إله إلا الله، وعلى اليسرى محمد رسول الله، فقذفت بها إلى الماء وإنما قذف بها احتراماً لها لما عليها من اسم الله تعالى واسم رسوله عليه السلام.

شهباز هواى قاب قوسين پرشد زتو آشيان كونين

وفي الحديث: «لا تجعلوني كقدح الراكب» أي لا تنسوني في حالة الشدة والرخاء «ولا تذكروني كصنيع الراكب مع قدحه المعلق في مؤخر رحله، إذا احتاج إليه من العطش استعمله وإذا لم يحتج إليه تركه» وقيل لا تجعلوني في آخر الدعاء فإن اللائق أن يذكر اسمه الشريف أولاً وآخراً ويجعل الدعاء له عنوان الأدعية.

هر چند شد آخرين مقدم شد بر همه نورتو مقدم

جعلنا الله وإياكم من خدام عتبة بابه والمتقربين بكل وسيلة إلى عالي جنابه.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار﴾ أي: علماء اليهود وهم من ولد هارون. **﴿والرهبان﴾** وهم: أصحاب الصوامع من النصارى جمع راهب وقد سبق. **﴿ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾** يأخذونها بطريق الرشوة لتغيير الأحكام والشرائع والتخفيف والمسامحة فيها ويوهمون الناس أنهم حذاق مهرة في تأويل الآية وبيان مراد الله تعالى منها.

يقول الفقير: وهكذا يفعل المفتون الماجنون والقضاة الجائرون في هذا الزمان يفتون على مراد المستفتي طمعاً لماله ويقضون بمرجوح الأقوال بل على خلاف الشرح ويرون أن لهم في ذلك سنداً قوياً قاتلهم الله، وإنما عبر عن الأخذ بالأكل مع أن المذموم منهم مجرد أخذها بالباطل أي بطريق الارتشاء سواء أكلوا ما أخذوه، أو لم يأكلوا بناء على أن الأكل معظم

الغرض من الأخذ. ﴿ويصدون﴾ أي: يمنعون الناس ﴿عن سبيل الله﴾ عن دين الإسلام أو يعرضون عنه بأنفسهم بأكلهم الأموال بالباطل. ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾ أي: يجمعونهما ويحفظونهما سواء كان ذلك بالدفن أو بوجه آخر والكنز في كلام العرب هو الجمع وكل شيء جمع بعضه إلى بعض فهو مكنوز يقال هذا جسم مكتنز الأجزاء إذا كان مجتمع الأجزاء، وسمي الذهب ذهباً لأنه يذهب ولا يبقى وسميت فضة لأنها تنفض، أي: تتفرق ولا تبقى وحسبك بالاسمين دلالة على فنائهما وأنه لا بقاء لهما. يقال لما خرج آدم عليه السلام من الجنة بكى له كل شيء فيها إلا شجرة العود والذهب والفضة فقال الله تعالى لو كان في قلوبكم رأفة لبكيتم من خوفي ولكن من قسا قلبه أحرقته بالنار وعزتي وجلالي لا يصاغ منكم حلقة ولا دينار ولا درهم ولا سوار إلا بتوقد النار وأنت يا شجرة العود لا تبرحي في النار والأحزان إلى يوم القيامة. ثم المراد بالموصول ما يعم الكثير من الأحبار والرهبان وغيرهم من المسلمين الكانزين الغير المنفقين وهو مبتدأ خبره فبشرهم. ﴿ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ أي: لا ينفقون منها، أي يؤدون زكاتها ولا يخرجون حق الله منها فحذف من وأريد إثباتها بدليل قوله تعالى في آية أخرى. ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣] وقال عليه السلام: «في مائتي درهم خمسة دراهم وفي عشرين مثقالاً من الذهب نصف مثقال» ولو كان الواجب إنفاق جميع المال لم يكن لهذا التقدير وجه كما في «تفسير الحدادي».

وإنما قيل: ﴿ولا ينفقونها﴾ مع أن المذكور شيئان لأن المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة، وقيل الضمير يعود على الأموال أو على الكنوز المدلول عليها بالفعل أو على الفضة لكونها أقرب فاكتفى ببيان أحدهما عن بيان الآخر ليعلم بذلك، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١] وكذا الكلام في قوله: ﴿عليها﴾ الآتي. ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ وضع الوعيد لهم بالعذاب موضع البشارة بالتنعم لغيرهم. ﴿يوم﴾ منصوب بعذاب. ﴿يحمى عليها في نار جهنم﴾ يقال: حميت النار أي اشتدت حرارتها أي يوم توقد النار الحامية أي الشديدة الحرارة على تلك الدنانير والدراهم وعليها في موضع رفع لقيامه مقام الفاعل. ﴿فتكوى﴾ [پس داغ كرده شود] ﴿بها﴾ [بدان دينارها ودرمهاى سوزان] ﴿جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾ وإنما تكوى هذه الأعضاء دون غيرها لأن الغني إذا رأى الفقير الطالب للزكاة كان يعبس جبهته، وإذا بالغ في السؤال يعرض عنه بجنبه، وإذا بالغ يقوم من موضعه ويولي ظهره ولم يعطه شيئاً غالباً، أو لأن مقصود الكانز من جميع المال لما كان طلب الوجاهة بالغنى تعلق الكي بأعلى وجهه وهو الجبهة ولما قصد به أيضاً التنعم بالمطاعم الشهية التي ينتفخ بسببها جنباه وبالملابس البهية التي يلقيها على ظهره تعلق الكي بالجنوب والظهور أيضاً. ﴿هذا ما كنزتم﴾ أي: يقال لهم حين الكي في ذلك اليوم هذا ما جمعتم في دار الدنيا. ﴿لأنفسكم﴾ أي: لمنفعتها فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها. ﴿فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ أي: وبال كنزكم فما مصدرية والمضاف محذوف لأن المعنى المصدري ليس بمذوق وإنما يذاق وباله وعذابه وإنما ذاقوه في الآخرة؛ لأنهم في الدنيا في منام الغفلة عن الآخرة والنائم لا يذوق ألم الكي في النوم وإنما يذوقه عند الانتباه والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.

مردمان غافلند از عقبى — همه كويا بخفتكان مانند
ضرر غفلتى كه مى ورزند — چون بميرند آنكهى دانند

[درا مالى امام ظهير الدين ولو اجى مذكور راست كه. اكرديكران خزينه مال كنند توخزانه اعمال كن. واكر ديكران كنوز أعراض فانية جويند تو رموز أسرار باقيه جوى].

يكدرم كان دهى بدرويشى بهتراز كنجهاى مدخرست

زانچه دارى تمتعى بر دار كان دكر روزى كسى دكرست

وفي الحديث: «ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليها في نار جهنم، فتجعل صفائح فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار وما من صاحب إبل لا يؤدي زكاتها إلا بطح لها بقاع قرقر تستن عليه بقوائمها وأخفافها» أي ترفع يديها «وتطرحهما معاً على صاحبها كلما مضى عليه آخرها رد عليه أولها حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار وما من صاحب غنم لا يؤدي زكاتها إلا بطح لها بقاع قرقر تطأه بأظلافها وتنطحه بقرونها ليس فيها جماع ولا منكسر قرنها كلما مضى عليه آخرها رد عليه أولها حتى يقضي الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار».

واعلم أن الزكاة شكر لنعمة المال كما أن الصوم والصلاة، والحج شكر لنعمة الأعضاء، ولذا صارت صلاة الضحى شكراً لنعمة ثلاثمائة وستين مفصلاً في البدن، وهي، أي: الزكاة تمليك خمسة دراهم في مائتين للفقير المسلم لله تعالى ولرضاه، فالتمليك رجاء للعوض ليس بزكاة وعائل يتيم لو أطعمه من زكاته صح خلافاً لمحمد لوجود الركن وهو التمليك وهذا إذا سلم الطعام إليه وأما إذا لم يدفع إليه فلا يجوز لعدم التمليك، وهذا أيضاً إذا لم يستخدمه فلو دفع شيئاً من زكاته إلى خادمه الغير المملوك وجاء للعوض وهو خدمته لم يكن لله تعالى وهذا غافل عنه أكثر الناس ولو أنفق على أقاربه بنية الزكاة جاز إلا إذا حكم عليه بنفقتهم، قالوا: الأفضل في صرف الزكاة أن يصرفها إلى إخوته ثم أعمامه ثم أخواله ثم ذوي الأرحام ثم جيرانه ثم أهل سكنه ثم أهل مصره.

والفرق بين الزكاة وصدقة الفطر: أنه لا يجوز دفع الزكاة لذمي بخلاف صدقة الفطر ولا وقت لها ولصدقة الفطر وقت محدود يأثم بالتأخير عن اليوم الأول.

قال الفقهاء: افتراض الزكاة عمري وقيل فوري وعليه الفتوى فيأثم بتأخيرها وترد شهادته. أيّ رجل يستحب له إخفاؤها؟ فقل: الخائف من الظلمة حتى لا يعلموا كثرة ماله. أي رجل غني عند الإمام فلا تحل له فقير عند محمد فتحل له فقل من له دور يستغلها ولا يملك نصاباً فمن كان له دار لا تكون للسكنى ولا للتجارة وقيمتها تبلغ النصاب يجب بها صدقة الفطر دون الزكاة ولو اشترى زعفراناً ليجعله على كعك التجارة لا زكاة فيه ولو كان سمسماً وجبت والفرق أن الأول مستهلك دون الثاني والملح والحطب للطباخ والحرض والصابون للقصار والشب والقرظ للدباغ كالزعفران والعصفر والزعفران للصباغ كالسمسم كذا في «الأشباه» ثم المعتبر في الذهب والفضة الوزن وجوباً وأداء لا الذي يروج بين الناس من ضرب الأمير وجاز دفع القيمة في زكاة وكفارة غير الإعتاق وعشر ونذر وإذا قال الناذر على أن أتصدق اليوم بهذا الدرهم على هذا الفقير فتصدق غداً بدرهم آخر على غيره يجزئه عندنا ولا تؤخذ الزكاة من تركته بغير وصية وإن أوصى اعتبرت من الثلث والمريض إذا خاف من ورثته يخرجها سراً عنهم.

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿إن عدة الشهور﴾ العدة مصدر بمعنى العدد، أي: إن عدد الشهور التي تتعلق بها الأحكام الشرعية من الحج والعمرة والصوم والزكاة والأعياد وغيرها، وهي الشهور العربية القمرية التي تعتبر من الهلال إلى الهلال وهي تكون مرة ثلاثين يوماً ومرة تسعة وعشرين، ومدة السنة القمرية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وثلث يوم دون الشهور الرومية والفارسية التي تكون تارة ثلاثين يوماً وتارة أحداً وثلاثين، ومدة السنة الشمسية: ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم، وللشمس اثنا عشر برجاً: تسير في كلها في سنة والقمر في كل شهر وهي: حمل ثور، جوزاء، سرطان، أسد، سنبلة، ميزان، عقرب، قوس، جدي، دلو، حوت.

واصطلحوا على أن جعلوا ابتداء السنة الشمسية من حين حلول مركز الشمس نقطة رأس الحمل إلى عودها إلى تلك النقطة؛ لأن الشمس إذا حلت هناك ظهر في النبات قوة ونشو ونماء وتغير الزمان من رثاثة الشتاء إلى نضارة الربيع واعتدل الزمان في كيفيتي الحر والبرد. ولما كانت السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهراً من الشهور القمرية، وكانت السنة القمرية أقل من السنة الشمسية بمقدار وبسبب ذلك النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل إلى فصل كان الحج والصوم والفطر يقع تارة في الصيف وأخرى في الشتاء. ولما كانت عند سائر الطوائف عبارة عن مدة تدور فيها الشمس دورة تامة كانت أعيادهم وصومهم تقع في موسم واحد أبداً.
﴿عند الله﴾ أي في حكمه وهو ظرف لقوله: عدة. ﴿اثنا عشر﴾ خبر لأن ﴿شهراً﴾ تمييز مؤكد كما في قولك عندي من الدنانير عشرون ديناراً. ﴿في كتاب الله﴾ صفة لاثنا عشر والتقدير اثنا عشر شهراً مثبتة في كتابه وهو اللوح المحفوظ، وإنما قال: في كتاب الله لأن كثيراً من الأشياء توصف بأنها عند الله ولا يقال إنها في كتاب الله. ﴿يوم خلق السموات والأرض﴾ ظرف منصوب بما تعلق به قوله في كتاب الله، أي: مثبتة في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، أي: منذ خلق الأجرام اللطيفة والكثيفة، وإنما قال: ذلك لأن الله تعالى أجرى الشمس والقمر في السموات يوم خلق الله السموات والأرض فمبلغ عدد الشهور اثنا عشر من غير زيادة أولها المحرم وآخرها ذو الحجة وإنما خصت باثني عشر لأنهم كانوا ربما جعلوها ثلاثة عشر وذلك أنهم كانوا يؤخرون الحج في كل عامين من شهر إلى آخر ويجعلون الشهر الذي أنسؤوا فيه، أي: أخروا ملغى فتكون تلك السنة ثلاثة عشر شهراً ويكون العام الثاني على ما كان عليه الأول سوى أن الشهر الملغى في الأول لا يكون في العام الثاني وعلى هذا تمام الدورة فيستدير حجهم في كل خمس وعشرين سنة إلى الشهر الذي بدىء منه ولذا خرج الحساب من أيديهم وربما يحجون في بعض السنة في شهر ويحجون من قابل في غيره إلى أن كان العام الذي حج فيه رسول الله ﷺ فصادف حجهم ذا الحجة فوقف بعرفة يوم التاسع وأعلمهم بطلان النسيء كما سيجيء وهذه الشهور قد نظمها بعضهم بقوله:

چون محرم بكذرد آيد بنزد توصفر — پس ربيعين وجمادين ورجب آيدبر

بازشعبا نست وماه صوم وعيد وذي القعد — بعد ازان ذي الحجة نام ماهها آيدبسر

أما المحرم: فسمي بذلك لأنهم كانوا يحرمون القتال فيه حتى أن أحدهم كان يظفر بقاتل أبيه أو ابنه فلا يكلمه ولا يتعرض له. وأما صفر: فسمي بذلك لخلوهم من الطعام وخلو منازلهم من الزاد ولذلك كانوا يطلبون الميرة فيه ويرحلون لذلك يقال صفر السقاء إذا لم يكن فيه شيء والصفر الخالي من كل شيء كذا في «التبيان».

وقال في «شرح التقويم» سمي بذلك لخلوه عن التحريم الذي كان في المحرم. وأما الربيعان: فسميا بذلك؛ لأن العرب كانت تربع فيهما لكثرة الخصب فيهما. والربيع عند العرب اثنان ربيع الشهور وربيع الأزمنة. أما ربيع الشهور فهو شهران بعد صفر، أي ربيع الأول وربيع الآخر بتنوين ربيع على أن الأول صفته وكذا الآخر والإضافة غلط. وأما ربيع الأزمنة فهو أيضاً اثنان البيع الأول وهو الذي تأتي فيه الكماة والنور ويسمونه ربيع الكلاء والربيع الثاني وهو الفصل الذي تدرك فيه الثمار فربيعا الشهور لا يقال فيهما الأشهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر ليمتازا عن الربيعين في الأزمنة. وأما الجماديان: فسميا بذلك لأن الماء كان يجمد فيهما لشدة البرد فيهما كذا في «التبيان».

وقال في «شرح التقويم»: جمادى الأولى بضم الجيم وفتح الدال فعالى من الجمد بضم الجيم والميم وسكون الميم لغة فيه وهو المكان الصلب المرتفع الخشن، وإنما سمي بذلك لأن الزمان في أول وضع هذا الاسم كان حاراً والأمكنة في الصلابة والارتفاع والخشونة من تأثير الحرارة وجمادى الآخرة تالية للشهر المتقدم في المعنى المذكور.

قال ابن الكمال: جمادى الأولى والآخرة، فعالى كحبارى والدال مهملة والعوام يستعملونها بالمعجمة المكسورة ويصفونها بالأول فيكون فيها ثلاث تحريفات قلب المهملة معجمة والفتحة كسرة والتأنيث تذكيراً، وكذا جمادى الآخرة يقولون جمادى الآخر بلا تاء والصحيح الآخرة بالتاء أو الأخرى وهما معرفتان من أسماء الشهور فإدخال اللام في وصفهما صحيح. وكذا ربيع الأول وربيع الآخر في الشهور وأما ربيع الأزمنة فالربيع الأول باللام انتهى. وأما رجب: فسمي بذلك لأن العرب في الجاهلية كانوا يعظمونه ويتركون فيه القتال والمحاربة يقال رجبته بالكسر أي: عظمته والترجيب التعظيم وكانوا يسمونه رجب مضر وهو اسم قبيلة لكونه أشد تعظيماً له من بقية العرب ولذلك قال عليه السلام فيه: «رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان» وإنما وصف رجب بقوله: الذي للتأكيد أو لبيان أن رجب الحرام هو الذي بينهما إلا ما كانوا يسمونه رجب على حساب النسيء أو يسمون رجب وشعبان رجبين فيغلبون رجب عليه وربما يقال شعبانان تغليباً له على رجب. وأما شعبان: فسمي بذلك لأنهم كانوا يتفرقون ويتشعبون من التشعيب وهو التفريق. وأما رمضان: فسمي بذلك لشدة الحر الذي كان يكون فيه حتى ترمض الفصال كما قيل للشهر الذي يحج فيه ذو الحجة.

قال في «شرح التقويم»: الرمض شدة وقع الشمس على الرمل وغيره وسبب تسمية هذا الشهر بهذا الاسم أن العرب كانت تسمي الشهور بلوازم الأزمنة التي كانت الشهور واقعة فيها وكانت اللوازم وقت التسمية ههنا رمض الحر أي شدته انتهى. وقيل سمي رمضان لأنه ترمض فيه الذنوب رمضاً أي تغفر. وكان مجاهد يكره أن يقول رمضان ويقول لعله اسم من أسماء الله فالوجه أن يقال شهر رمضان لما روي «لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان ولكن قولوا جاء شهر رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى» على ما في «التيسير».

قال في «التلويح»: العلم هو شهر رمضان بالإضافة ورمضان محمول على الحذف للتخفيف ذكره في «الكشاف» وذلك لأنه لو كان رمضان علماً لكان شهر رمضان بمنزلة إنسان زيد ولا يخفى قبحه ولهذا كثر في كلام العرب شهر رمضان ولم يسمع شهر رجب وشهر شعبان على الإضافة انتهى.

قال المولى حسن چلبي: قد يمنع القبح بأن الإضافة البيانية شائعة عرفاً فلا مجال لاستقباحها بعد أن تكون مطردة انتهى. وأما شوال: فسمي بذلك لأنه يشول الذنوب أي يرفعها ويذهبها لأنه من شال يشول إذا رفع الشيء ومن ذلك قولهم شالت الناقة بذنبها أي رفعته إذا طلبت الضراب كذا في «التبيان».

وقال في «شرح التقويم»: هو من الشول وهو الخفة من الحرارة في العمل والخدمة وإنما سمي بذلك لخروج الإنسان فيه عن مخالفة النفس الأمارة وقمع شهواتها اللذين كانا في الإنسان في رمضان بإطلاق طوع المستلذات والمشتهيات فعند خروجه عن ذلك كان يجد خفة في نفسه ويستريح. وأما ذو القعدة: فسمي بذلك لأنهم كانوا يقعدون فيه لكثرة الخصب فيه أو يقعدون عن القتال.

قال في «شرح التقويم»: إنما سمي هذا الشهر بهذا الاسم لأنه زمان يحصل فيه قعود مكة. والقعدة بفتح القاف وسكون العين المهملة.

قال ابن ملك: قولهم (ذو القعدة وذو الحجة) يجوز فيهما فتح القاف والحاء وكسرهما لكن المشهور في القعدة الفتح وفي الحجة الكسر. وأما ذو الحجة فسمي بذلك لأنهم كانوا يحجون فيه.

وقال في كتاب «عقد الدرر واللآلي في فضائل الأيام والشهور والليالي» تكلم بعض أهل العلم على معاني أسماء الشهور، فقال: كانت العرب إذا رأوا السادات تركوا العادات وحرموا الغارات قالوا المحرم، وإذا مرضت أبدانهم وضعفت أركانهم واصفرت ألوانهم قالوا صفر، وإذا نبتت الرياحين واخضرت البساتين قالوا ربيعين، وإذا قلت الثمار وبرد الهواء وانجمد الماء قالوا جماديين، وإذا ماجت البحار وجرت الأنهار ورجبت الأشجار قالوا رجب، وإذا تشعبت القبائل وانقطعت الوسائل قالوا شعبان، وإذا حر الفضاء ورمضت الرمضاء قالوا رمضان، وإذا ارتفع التراب وكثر الذباب وشالت الإبل الأذناب قالوا شوال، وإذا رأوا التجار قعدوا من الأسفار والمماليك والأحرار قالوا: ذو القعدة، وإذا قصدوا الحج من كل فج ووج وكثر العج والثج قالوا ذو الحجة. انتهى ﴿منها﴾ أي: من تلك الشهور الاثني عشر. ﴿أربعة حرم﴾ واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم. والحرم: بضمتين جمع الحرام، أي: أربعة أشهر حرم يحرم فيها القتال جعلت أنفس الأشهر حرماً لكونها أزمنة لحرمة ما حل فيها من القتال وهو من قبيل إسناد الحكم إلى ظرفه إسناداً مجازياً وأجزاء الزمان وإن كانت متشابهة في الحقيقة إلا أنه تعالى له أن يميز بعض الأمور المتشابهة بمزيد حرمة لم يجعلها في البعض الآخر. كما ميز يوم الجمعة، ويوم عرفة بحرمة لم يجعلها في سائر الأيام حيث خصهما بعبادة مخصوصة تميزا بها عن سائر الأيام، وكذا ميز شهر رمضان عن سائر الشهور بمزيد حرمة لم يجعلها لسائر الشهور. وميز بعض ساعات الليل والنهار بأن جعلها أوقاتاً لوجوب الصلاة فيها، وكما ميز الأماكن والبلدان وفضلها على سائرها كالبلد الحرام والمسجد

الحرام فخص الله تعالى بعض الأوقات وبعض الأماكن بمزيد التعظيم والاحترام فلا بعد في تخصيص بعض الأشهر بمزيد الحرمة بأن جعل انتهاك المحارم فيها أشد وأعظم من انتهاكها في سائر الأشهر ويضاعف فيها السيئات بتكثير عقوباتها ويضاعف فيها الحسنات بتكثير مثوباتها.

وفي «أسئلة الحكم»: فضل الأشهر والأيام والأوقات بعضها على بعض كما فضل الرسل والأمم بعضها على بعض لتبادر النفوس وتسارع القلوب إلى إدراكها واحترامها وتتشوق الأرواح إلى إحيائها بالتعبد فيها ويرغب الخلق في فضائلها، وأما تضاعف الحسنات في بعضها فمن المواهب اللدنية والاختصاصات الربانية.

وفي «الأسرار المحمدية»: إن الله تعالى إذا أحب عبداً استعمله في الأوقات الفاضلات بفواضل الأعمال الصالحات وإذا مقته والعياذ بالله شتت همه واستعمله بسيىء الأعمال وأوجع في عقوبته وأشد لمقته بحرمان بركة الوقت وانتهاك حرمته فليبذل المريد كل وسعه حتى لا يغفل عنها أي عن الأوقات الفاضلة، فإنها موسم الخيرات ومظانّ التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل عن فضائل الأوقات لم تنجح دع التكاسل تغنم قد جرى مثل [كه زاد راهروان جستيست وچالاكى].

واتفق أهل العلم على أفضلية شهر رمضان لأنه أنزل فيه القرآن، ثم شهر ربيع الأول لأنه مولد حبيب الرحمن، ثم رجب لأنه فرد أشهر الحرم، ثم شعبان لأنه شهر حبيب الرحمن مقسم الأعمال والآجال بين شهرين عظيمين رجب ورمضان ففيه فضل الجوارين العظيمين ليس لغيره. ثم ذو الحجة لأنه موطن الحج والعشر التي تعادل كل ليلة منها ليلة القدر، ثم المحرم شهر الأنبياء عليهم السلام ورأس السنة وأحد الأشهر الحرم ثم الأقرب إلى أفضل الأشهر من وجوه ﴿ذلك﴾ أي: تحريم الأشهر الأربعة المعينة هو ﴿الدين القيم﴾ المستقيم دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما حتى أحدثت النسيء فغيروا ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن.

قال في «التبيان»: قال في الاثني عشر منها فوحد الضمير لأنه للكثرة. وقال في الأربعة فيهن فجمع الضمير لأنه للقلة وسببه أن الضمير في القلة للمؤنث يرجع بالهاء والنون وفي الكثرة يرجع بالهاء والألف للفرق بين القلة والكثرة والجمهور على أن حرمة القتال فيهن منسوخة وأوّلوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فإنه أعظم وزراً كارتكابها في الحرم وخلال الإحرام يعني أن هذه الأشهر الأربعة خصت بالنهي عن ظلم النفس فيها مع أن الظلم حرام في كل وقت لبيان أن الظلم فيها أغلظ كأنه قيل فلا تظلموا فيهن خصوصاً أنفسكم. ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ مصدر كف فإن مصدر الثلاثي قد يجيء على فاعلة نحو عافية ومعناه معنى كل وجميع وهو منصوب على الحال إما من الفاعل وهو الواو، فالمعنى قاتلوا جميعاً المشركين أي مجتمعين على قتالهم متعاونين متناصرين ومن التعاون الدعاء بالنصرة إذ هو سلاح معنوي كما أن السيف سلاح صوري فمن تأخر ودعا فقلبه مجتمع بمن أقدم وغزا إذ التفرق الصوري لا يقدح في الاجتماع المعنوي. كما قال الحافظ:

در راه عشق مرحلهٔ قرب وبعد نيست مى بينمت عيان ودعا مى فرستمت

﴿كما يقاتلونكم كافة﴾ كذلك، أي: مجتمعين وإما من المفعول فالمعنى قاتلوا المشركين جميعاً أي بكليتهم ولا تتركوا القتال مع بعضهم كما أنهم يستحلون قتال جميعكم

وإما منهما معاً نحو ضرب زيد عمراً قائمين، فإن المصدر عام للتثنية والجمع، فجميع المؤمنين يقاتل جميع الكافرين ويجوز أن يكون منصوباً على الظرف، أي: في الحل والحرم وفي جميع الأزمان في الأشهر الحرم وفي غيرها وإلى الأبد فإن الجهاد مستمر إلى آخر الزمان، ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ أي معكم بالنصر والإمداد فيما تباشرون من القتال وإنما وضع المظهر موضعه مدحاً لهم بالتقوى وحثاً للقاصرين عليه وإيذاناً بأنه المدار في النصر كذا في «الإرشاد».

وقال القاضي: هي بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم فإن السلاح والدعاء لا ينفذان إلا بالتقوى على مراتبها فكلمة التقوى هي كلمة الشهادة وبها يقي المؤمن نفسه وماله وعياله من التعرض في الدنيا ومن العذاب في العقبى، ثم إنها إذا قارنت بشرائطها الظاهرة والباطنة يحصل تقوى القلب وهو التخلي عن الأوصاف الذميمة ثم يحصل تقوى السر وهو التخلي عما سوى الله فمن كان الله كان الله له بالنصرة والإمداد.

واعلم: أن السيف سيفان سيف ظاهر وهو سيف الجهاد الصوري وسيف باطن وهو سيف الجهاد المعنوي فبالأول تنقطع عروق الكفرة الظاهرة الباغية، وبالثاني عروق القوى الباطنة الطاغية والأول بيد مظهر الاسم الظاهر وهو السلطان وجنوده والثاني بيد مظهر الاسم الباطن وهو القطب وجنوده فنسأل الله تعالى أن ينصر سلطاننا بالاسم الممد والناصر والمعين ويخذل أعداءنا بالاسم المنتقم والقهار وذي الجلال. وقد قال السعدي:

دعـــاى ضـعـيـفـــان امـيــدوار زبــازوى مــردى بــه آيــد بــكـــار

ففي الآية: حث على المجاهدة مع الأعداء وفي الحديث: «القتل في سبيل الله مَضْمَضَة» أي مطهرة غاسلة من الذنوب يقال مصمص الإناء إذا جعل فيه الماء وحركه ومضمضه كذلك عن الأصمعي كذا في «تاج المصادر» وفي الحديث: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف» يعني: كون المجاهد في القتال بحيث يعلوه سيوف الأعداء سبب للجنة حتى كأن أبوابها حاضرة معه أو المراد بالسيوف سيوف المجاهد هذا كناية عن الدنو من العدو في الضراب لأنه إذا دنا منه كان تحت ظل سيفه حين رفعه ليضربه وإنما ذكر السيوف لأنها أكثر سلاح العرب ومن التقوى الاحتراز عن الرياء والسمعة في حضور معارك الحروب ومحافل الدعاء. قال خسرو الدهلوي:

غـــازىء رســـمـــى كـــه بـــغـــارت رود هـــست چـــو حـــاجـــى كـــه تـــجـــارت رود
آنـــكـــه غـــزا خـــوانـــى وجـــويـــى رضـــا كـــر غـــرضـــى هـــســـت نـــبـــاشـــد غـــزا
رو بـــغـــزا دل غـــرض آلـــوده واى جـــهـــد خـــوداســـت ايـــن نـــه جـــهـــاد خـــداى

ه والإشارة: ﴿إن عدة الشهور﴾ أي: تعديد عدة الشهور ﴿عند الله﴾ في الأزل ﴿اثنا عشر شهراً في كتاب الله﴾ في علم الله ﴿يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم﴾ يعني: اقتضت الحكمة الإلَهية الأزلية أن يكون من الشهور يوم خلق السموات والأرض أربعة أشهر حرم أي يعظم انتهاك المحارم فيها بأشد مما يعظم في غيرها، بل هي أشهر الطاعات والعبادات محرمة فيها الشواغل الدنيوية والحظوظ النفسانية على الطلاب، وفيه إشارة إلى أن أيام الطالب وأوقات عمره ينبغي أن تصرف جملتها في الطلب، فإن لم يتيسر له ذلك فثلثها وإلا فنصفها وإن لم يكن فمحرم صرف ثلثها في غير الطلب ولا يفلح من نقص من صرف الثلث شيئاً في الطلب؛ إذ لا بد له من صرف بعض عمره في تهييء معاشه ومعاش أهله وعياله، ومن استغنى

عن هذا المانع فمحرم عليه صرف لحظة من عمره في غير الطلب وتوابعه كما قال: **﴿ذلك الدين القيم﴾** أي: المستقيم، يعني: من صرف شيئاً من عمره في شيء غير طلب الحق ما استقام دينه، بل فيه اعوجاج بقدر ذلك فافهم جداً ثم قال: **﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾** أي: في ثلث العمر لأن الأربعة هي ثلث الاثني عشر يعني: إن صرفتم شيئاً من ثلث أعماركم المحرم في شيء من المصالح الدنيوية، فقد ظلمتم أنفسكم باستيلائها على القلوب والأرواح عند غلبات صفاتها لأنه مهما يكن صرف أكثر العمر في الدنيا ومصالحها واستيفاء الحظوظ النفسانية تكون النفس غالبة على القلب والروح فتخالفهما وتنازعهما بجميع صفاتها الذميمة، وتميل إلى الدنيا وشهواتها وتعبد هواها فتكون مشركة بالله فلهذا قال: **﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾** أي: قلوبكم وصفاتها وأرواحكم وصفاتها. **﴿كما يقاتلونكم كافة﴾** أي: النفوس وصفاتها جميعاً ومقاتلة النفوس بمخالفتها وردعها عن هواها وكسر صفاتها ومنعها عن شهواتها وشغلها بالطاعات والعبادات واستعمالها في المعاملات الروحانية والقلبية، وجملتها التزكية عن الأوصاف الذميمة والتحلية بالأخلاق الحميدة ثم قال: **﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾** وهم القلوب والأرواح المتقية عن الشرك يعني عن الالتفات لغير الله ولو لم يكن الله معهم بالنصر والتوفيق لما اتقوا وإنما اتقوا بالله عما سواه كذا في «التأويلات النجمية».

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إنما النسيء﴾ مصدر نسأه، أي: أخره كمس مسيساً كانت العرب إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهراً آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرد العدد.

قال الكاشفي: [آورده اندكه طباع أهل جاهليت بقتل وغارت مستأنس شده بود ودرماههاى حرام قتال نميكردند وچون سه ماه متصل حرام بودبتنك آمده كفتند ماسه ماه پى درپى بى تاراج وغارت تحمل نداريم پس قلمش كنانى صورتى برانكيخت ودر موسم ندا كردوايستاده شد وخطبه خواندكه يا معشر العرب خداى شمارا درين محرم حلال كردانيد وحرمت اورا تأخير كردبماه صفر مردمان قول اورا قبول نمودندبازسال ديكر منادى فرمودكه خداى تعالى درين سال محرم را حرام ساخت وصفر راحلال كردوكاه بودى كه در اثناى محاربات ايشان حرام نوشتى حرمت اورا تأخير كردندى بما هى بعد ازواورا حلال داشتندى ودرهر سالى چهارماه را حرام ميدانستند أما اختصاص أشهر حرم را فرو كذاشته مجرد عددرا اختيار كردندى واعتبار داشتندى واين عمل را نسىء مى كفتند حق سبحانه وتعالى فرمود] **﴿إنما النسيء﴾** أي: إنما تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر. **﴿زيادة﴾** [افزنيست] **﴿في الكفر﴾** لأنه تحليل ما حرمه الله وتحريم ما حلله فهو كفر آخر مضموم إلى كفرهم وبدعة زائدة على بدع سائر الكفار. **﴿يضل﴾** على بناء المفعول من أضل **﴿به﴾** [بدين عمل] وهو النسيء **﴿الذين كفروا﴾** والمضل هو الله تعالى، أي: يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمباديه وأسبابه أو الرؤساء فالموصول عبارة عن الأتباع، أي الاتباع يضلون به بإضلال الرؤساء أو الشيطان فإنه مظهر الاسم المفضل.

يقول الفقير: سمعت من حضرة شيخنا العلامة أبقاه ـ الله بالسلامة ـ أن الشيطان والنفس والضلال أمر واحد في الحقيقة لكن الأول بحسب الشريعة والثاني بحسب الطريقة والثالث بحسب الحقيقة فلكل مقام تعبير لا يناسب تعبير المقام الآخر. ﴿يحلونه﴾ أي الشهر المؤخر فالضمير إلى النسيء المدلول عليه بالنسيء. ﴿عاماً﴾ من الأعوام ويحرمون مكانه شهراً آخر مما ليس بحرام. ﴿ويحرمونه﴾ أي يحافظون على حرمته كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار إحلالهم له في العام الماضي. ﴿عاماً﴾ آخر إذا لم يتعلق بتغييره غرض من أغراضهم ﴿ليواطئوا﴾ المواطأة عبارة عن الموافقة والاجتماع على حكم أي ليوافقوا.

قال الكاشفي: [تاموافق سازند وتمام كنند] ﴿عدة ما حرم الله﴾ أي عدد ما حرمه من الأشهر الأربعة فإنهم كانوا يقولون الأشهر الحرم أربعة وقد حرمنا أربعة أشهر ﴿فيحلوا ما حرم الله﴾ أي يتوصلوا بهذه الحيلة إلى إحلال الشهر الذي حرمه الله بخصوصه من الأشهر المعينة فهم وإن راعوا أحد الواجبين وهو نفس العدد إلا أنهم تركوا الواجب الآخر وهو رعاية حكم خصوص الشهر. ﴿زين لهم سوء أعمالهم﴾ أي: جعل أعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس والمزين هو الله تعالى في الحقيقة أو الشيطان أو النفس على تفاوت المراتب. ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ هداية موصلة إلى المطلوب البتة وإنما يهديهم إلى ما يوصل إليه عند سلوكه وهم قد أعرضوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا في تيه الضلال [در ينابيع آورده كه جاهلان عرب در سالى چهار ماه حرام ميداشتند وخلق را ازدست وزبان خود ايمن ميساختند مؤمنان مؤدب بدان سزاوار ترندكه درهمه ماهها مسلمانا نرا ازضرر خود سالم دارند وايذا وآزار خلق بزبان ودست فروكذا ردنكه مجازات اضرار همان اضرارست ومكافات آزار آزار].

آزار دل خـلـق مـجـو بـى سـبـبـى   تـابـر نـكـشـنـد يـا ربـى نـيـمـشـبـى
برمـال وجـمـال خويشتن تكيه مكن   كـانـرا بـشـبـى بـرنـد وايـن را بـه تـبـى

يقول الفقير سامحه الله القدير بلغت مسامحات الناس في هذا الزمان إلى حيث تساوت عندهم الأشهر الحرم وغيرها، أما ترى إليهم في شهر رمضان الذي جعله الله شهر هذه الأمة المرحومة وفضله على سائر الشهور كيف لا يبالون من ارتكاب المحرمات فيه، وأمسكوا عنها في النهار بسبب نوم أو غيره من الموانع البشرية وأكبوا عليها في الليالي، فوا أسفا على غربة هذا الدين وزوال أنوار اليقين، ومن الله التوفيق إلى الأعمال المرضية خصوصاً في الأوقات الفاضلة نهراً أو ليالي، ثم إن النسيء المذكور وقعت إليه الإشارة في قوله عليه السلام: «لا عدوى ولا هامة ولا صفر» أما العدوى: فهو اسم من الأعداء كالدعوى من الادعاء، وهو مجاوزة العلة من صاحبها إلى غيره وكانت العرب في الجاهلية تعتقد أن الأمراض تعدى بطبعها من غير اعتقاد تقدير الله لذلك. فالمعنى ليس نفي سراية العلة فإن السراية والتعدية واقعة بل إضافتها إلى العلة من غير أن يكون ذلك بفعل الله تعالى، ويدل عليه قوله عليه السلام: «لا يورد ممرض على مصحح» والممرض صاحب الإبل المريضة والمصحح صاحب الإبل الصحيحة، والمراد النهي عن إيراد الإبل المريضة على الصحيحة وهو من باب اجتناب الأسباب التي هي سبب البلاء إذا كان في عافية منه فكما أنه مأمور أن لا يلقي نفسه في الماء أو في النار أو يدخل تحت ما أشرف على الانهدام ونحوه مما جرت العادة بأنه يهلك أو يؤذي، فكذلك مأمور بالاجتناب عن مقاربة المريض كالمجزوم والقدوم على بلد الطاعون فإن هذه

كلها أسباب المرض والتلف والله تعالى هو خالق الأسباب ومسبباتها، ففي الأمر بالاجتناب صيانة للمؤمن الضعيف يقينه لئلا يعتقد التأثير من الأسباب أي عند وقوع البلاء أو يعتقد أن السراية كانت بالطبع لا بقضاء الله تعالى وقدره، وأما إذا قوي التوكل على الله والإيمان بقضائه وقدره فتجوز مباشرة بعض هذه الأسباب كما ورد أن النبي عليه السلام أكل مع مجذوم وقال: «بسم الله ثقة بالله توكلت على الله» ونظيره ما روي عن خالد بن الوليد وعمر رضي الله عنهما من شرب السم وإنما لم يؤثر فيهما لأنهما إنما شرباه في مقام الحقيقة لا ببشريتهما، وإنما أثر في النبي عليه السلام بعد تنزله إلى حالة بشرية وذلك أن إرشاده عليه السلام كان في عالم التنزل غير أن تنزله كان من مرتبة الروح وهي أعدل المراتب ولم يؤثر فيه حتى مضى عليه اثنتا عشرة سنة فلما احتضر تنزل إلى أدنى المراتب لأن الموت إنما يجري على البشرية فلما تنزل إلى تلك المرتبة أثر فيه فليفهم هذا المقام فإنه من مزالق الأقدام.

وأما قوله: «ولا هامة» بالتخفيف ففيه تأويلان: أحدهما: أن العرب كانت تتشاءم بالهامة وهي الطير المعروف من طير الليل وقيل هي البومة كانت إذا سقطت على دار أحدهم قالوا نعت إليه نفسه أو بعض أهله هذا تفسير مالك بن أنس. والثاني: أن العرب كانت تعتقد أن روح القتيل الذي لم يؤخذ بثاره تصير هامة فتنشر جناحيها عند قبره وتصيح اسقوني اسقوني من دم قاتلي فإذا أخذ بثاره طارت وقيل كانوا يزعمون أن عظام الميت إذا بليت تصير هامة ويسمونها الصدى بالفارسية [كوف] وتخرج من القبر وتتردد وتأتي الميت بأخبار أهله وهذا تفسير أكثر العلماء وهو المشهور ويجوز أن يكون المراد النوعين وأنه عليه السلام نهى عنهما جميعاً.

وفي «فتاوى قاضيخان»: إذا صاحت الهامة، فقال أحد: يموت رجل قال بعضهم: يكون ذلك كفراً وكذا لو رجع فقال ارجع لصياح العقعق كفر عند بعضهم.

وأما قوله: «ولا صفر»: ففيه تأويلان أيضاً الأول: أن الجاهلية كانت تعتقد أن في الجوف حية يقال لها الصفر تعض كبد الإنسان عضاً إذا جاع. والثاني: أن المراد تأخيرهم تحريم المحرم إلى صفر وهو النسيء الذي كانوا يفعلونه ويجوز أن يكون المراد هذا والأول جميعاً وإن الصفرين جميعاً باطلان لا أصل لهما وقيل كانوا يتشاءمون بصفر فنفاه النبي عليه السلام بقوله ولا صفر يحكى أن بعض الأعراب أراد السفر في أول السنة فقال: إن سافرت في المحرم كنت جديراً أن أحرم وإن رحلت في صفر خشيت على يدي أن تصفر فأخر السفر إلى شهر ربيع الأول فلما سافر مرض ولم يحظ بطائل فقال ظننته من ربيع الرياض فإذا هو من ربيع الأمراض. وكانت وقعة صفين بين علي ومعاوية غرة صفر سنة سبع وثلاثين قيل لذلك احترز عن صفر.

قال في «روضة الأخبار»: ذهب الجمهور إلى أن القعود في صفر أولى من الحركة.

عن النبي عليه السلام: «من بشرني بخروج صفر أبشره بالجنة» انتهى.

يقول الفقير هذا الحديث، لا يدل على مدعاه وهو أولوية القعود في صفر فإن النبي عليه السلام إنما قال كذلك شغفاً بشهر ولادته ووفاته وحباً لدخوله فإن الأنبياء والأولياء يستبشرون بالموت لكونه تحفة لهم وينتظرون زمانه إذ ليس انتقالهم إلا إلى جوار الله تعالى وفي الحديث: «لا تسافروا في محاق الشهر ولا إذا كان القمر في العقرب» وكان علي «يكره التزوج والسفر إذا

نزل القمر في العقرب» وهو إسناد صحيح.

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندي: إن نحوسة الأيام قد ارتفعت عن المؤمنين بشرف نبينا عليه السلام وأما ما نقل عن علي من أنه عد سبعة أيام في كل شهر نحساً فعلى تقدير صحة النقل محمول على نحوسة النفس والطبيعة، فليست السعادة والشقاوة إلا لسعادتهما وشقاوتهما فإذا تخلصنا من الشقاوة لم يبق نحوسة انتهى.

قال في «عقد الدرر واللآلي»: وكثير من الجهال يتشاءم من صفر وربما ينهى عن السفر والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها، وكذا التشاؤم بيوم من الأيام كيوم الأربعاء وأيام العجائز في آخر الشتاء، وكذا تشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة. وقد قيل: إن طاعوناً وقع في شوال في سنة من السنين فمات فيه كثير من العرائس فتشاءم بذلك أهل الجاهلية وقد ورد الشرع بإبطاله قالت عائشة رضي الله عنها «تزوجني رسول الله في شوال وبنى بي في شوال» فأي نسائه كان أحظى عنده مني فتخصيص الشؤم بزمان دون زمان كصفر أو غيره غير صحيح، وإنما الزمان كله خلق الله تعالى وفيه تقع أعمال بني آدم فكل زمان اشتغل فيه المؤمن بطاعة الله فهو زمان مبارك عليه وكل زمان اشتغل فيه بمعصية الله فهو مشؤوم عليه فالشؤم في الحقيقة هو المعصية كما قال ابن مسعود رضي الله عنه إن كان الشؤم في شيء ففيما بين اللحيين يعني اللسان وفي الحديث: «الشؤم في ثلاث في المرأة والدار والفرس» وتفسيره: إن شؤم المرأة إذا كانت غير ولود، وشؤم الدار جار السوء، فإن المرء يتأذى به كما جاء في الحديث: «ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين، فإن الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحي بجار السوء» وشؤم الفرس: إذا لم يغز عليه في سبيل الله فإن الخيل، ثلاثة: فرس للرحمٰن، وفرس للإنسان، وفرس للشيطان فأما الذي للرحمٰن فما اتخذ في سبيل الله وقوتل عليه أعداؤه، وأما الذي للإنسان فهو الذي يرتبطها يلتمس بطنها فهو ستر من الفقر، وأما الذي للشيطان فهو ما روهن عليه وقومر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ شروع في بيان غزوة تبوك وهي أرض بين الشام والمدينة ويقال لها غزوة العسرة ويقال لها الفاضحة لأنها أظهرت حال كثير من المنافقين. وروي أنه عليه السلام لما فتح مكة وغزا هوازن وثقيفاً بحنين وأوطاس وحاصر الطائف وفتحها وأتى الجعرانة وأحرم بها للعمرة واعتمر، ثم أتى المدينة فأمر بالخروج إلى غزوة الروم قبل الشام وذلك في شهر رجب سنة تسع بلغه عليه السلام أن الروم قد جمعت له جموعاً كثيرة بالشام وأنهم قدموا مقدماتهم إلى البلقاء المحل المعروف، وقيل: للروم بنو الأصفر لأنهم ولد روم بن العيص بن إسحاق نبي الله عليه الصلاة والسلام وكان يسمى الأصفر لصفرة به. فقد ذكر العلماء بأخبار القدماء أن العيص تزوج بنت عمه إسماعيل فولدت له الروم وكان به صفرة فقيل له الأصفر وقيل الصفرة كانت بأبيه العيص، وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وجدب في البلاد وشدة

من الحر حين طابت ثمار المدينة وأينعت واستكملت ظلالها وطالت المسافة بينهم وبين العدو فشق عليهم الخروج فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال أيها المؤمنون: ﴿ما لكم﴾ استفهام في اللفظ وإنكار وتوبيخ في المعنى ﴿إذا قيل لكم﴾ من طرف رسول الله الآمر بأمر الله ﴿انفروا في سبيل الله﴾ [بيرون رويدد رراه خداى تعالى وجهاد كنيد] ومعناه بالعربية اخرجوا إلى الغزوة يقال نفر القوم ينفرون نفراً ونفيراً إذا خرجوا إلى مكان لمصلحة توجب الخروج والقوم الذين يخرجون يقال لهم النفير واستنفر الإمام الناس لجهاد العدو أي طلب منهم الخروج إلى الغزو وحثهم عليه. ﴿اثاقلتم﴾ أصله تثاقلتم وهو ماض لفظاً مضارع معنى لأنه حال من ما لكم. ﴿إلى الأرض﴾ متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى الميل والإخلاد. والمعنى: أيُّ سبب وغرض حصل لكم واستقر إذا قيل لكم ذلك كنتم متثاقلين، أي: مائلين إلى الدنيا وشهواتها الفانية عما قريب وكرهتم مشاق السفر والجهاد المستتبعة للراحة الخالدة فالأرض هي الدنيا وشهواتها وقيل: ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم ﴿أرضيتم﴾ باستفهام التوبيخ [آيا راضى شديد وخوشدل كشتيد] ﴿بالحياة الدنيا﴾ ولذاتها من الثمار والظلال. ﴿من الآخرة﴾ أي: بدل الآخرة ونعيمها فكلمة من بمعنى البدل كما في قوله تعالى: ﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً﴾ [الزخرف: ٦٠] أي: بدلكم ﴿فما متاع الحياة الدنيا﴾ أي: فما التمتع بها وبلذائذها ﴿في الآخرة﴾ أي: في جنب الآخرة. ﴿إلا قليل﴾ أي: مستحقر لا يعتد به لأن متاع الدنيا فانٍ معيوب ومتاع الآخرة باق مرغوب. روي أنه عليه السلام قال: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم فلينظر بم يرجع».

﴿إلا﴾ كلمتان إن للشرط ولا للنفي أي: إن لم ﴿تنفروا﴾ تخرجوا إلى الغزو. ﴿يعذبكم﴾ أي: الله تعالى ﴿عذاباً أليماً﴾ وجيعاً لأبدانكم وقلوبكم أي يهلككم بسبب فظيع كقحط وظهور عدو. ﴿ويستبدل﴾ بكم بعد إهلاككم ﴿قوماً غيركم﴾ أي: قوماً مطيعين مؤثرين للآخرة على الدنيا ليسوا من أولادكم ولا أرحامكم كأهل اليمن وأبناء فارس. ﴿ولا تضروه﴾ أي الله تعالى بترك الجهاد. ﴿شيئاً﴾ أي: لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه أصلاً فإنه الغني عن كل شيء في كل شيء. ﴿والله على كل شيء قدير﴾ فيقدر على إهلاككم والإتيان بقوم آخرين.

واعلم: أن البطالة تقسي القلب كما جاء في الحديث [زيرا مرد بايد بشغل معاد مشغول باشد يا بشغل معاش ازوجه مباح تا درشغل دين فضل وثواب مى ستاند ودرشغل معاش خانه را آبادان مى دارد پس چون نه باين شغل مشغول شود ونه بآن بى كارماند وازبى كارى سياه دل وسخت طبع شود] فلا بد من الحركة فإن البركات في الحركات الحضرية والسفرية والسفر على نوعين سفر الدنيا وسفر الآخرة وفي كليهما مشقة وإن كان الثاني أشق، وفي الحديث: «السفر قطعة من العذاب» [بعض مشايخ كفته اندكه اكر نه آنستى كه لفظ رسول الله ﷺ نشايد كردانيدن من كفتمى السفر قطعة من السقر وپيغمبر عليه السلام سفررا پارهٔ ازدوزخ كفت ازمرك نكفت زيراكه درمرك رنج تن باشد رنج دل نبود ودر سفر رنج دل وتن باشد وحجاج كفتى كه اكر نه شادى بخانه آمدن بودى كه مسافر چون بخانه رسد همه رنج سفر فراموش كند من مردمانرا نكشتمى بسفر عذاب دادمى] ومن سفر الدين الخروج إلى الغزو، وفي الحديث: «لغدوة في سبيل الله» وهو الذهاب في أول النهار «أو روحة» وهو الذهاب في آخره «خير من

الدنيا وما فيها» يعني: إن فضل الغدوة والروحة في سبيل الله وثوابهما خير من نعيم الدنيا بأسرها لأنه زائل ونعيم الآخرة باق وحق الجهاد أن ينوي نصرة الدين بقهر أعداء الله وبذل النفوس في رضاه تعالى ويكثر ذكره تعالى ويكف عن ذكر النساء والأولاد والأموال والمواطن فهو يفتره فالجهاد بهذا الوجه أفضل الأعمال [على مرتضى رضي الله عنه كويدكه معصيت غازيان زيان ندارد طاعت سخن چينان سود ندارد ودعاى مخنث نشنوند ونماز خمر خواره نپذيرند] فعلى المرء أن يغتنم أيام حياته ويجتهد في تحصيل مرضاة ربه، وفي الحديث: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» شبه النبي عليه السلام المكلف بالتاجر والصحة والفراغ برأس المال لأنهما من أسباب الأرواح ومقدمات نيل النجاح فمن عامل الله تعالى بامتثال أوامره يربح كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الصف: ١٠-١١] ومن عامل الشيطان باتباعه يضيع رأس ماله ولا ينفعه ندم باله وفي امتثال أمر الله عاقبة حميدة إذ رب شيء تكرهه النفس كالجهاد وهو عند الله محبوب فبترك الراحة واختيار المشقة ينال العبد أمانيه الدنيوية والأخروية والتوفيق إليه من الله تعالى وليس كل أحد من لا يبالي بانتقاص دنياه إذا كان التكامل في طرف دينه. قال الحافظ:

حام راطاقت پروانهٔ پرسوخته نيست ... ناز كانرا نرسد شيوهٔ جان افشانى

ثم اعلم أنه كما أن الله تعالى يستبدل بذوات ذواتاً أخر كذلك يستبدل بصفات صفات أخر فالذاهب خلف مشتهياته والتابع لهواه في كل حركاته وسكناته يهلك في وادي الطبيعة والنفس ولا يصل إلى مقامات رجال عالم القدس والأنس ولا يتفق له معهم الصحبة في مقالهم ومقامهم وحالهم إذ بينهما بون بعيد من حيث إن صفاته صفات النفس وأحواله أحوال الطبيعة وصفاتهم صفات الروح وأخلاقهم أخلاق الله ولذا يحشر كثير من الناس في صورة صفاته الغالبة المذمومة إلا أن يتداركه الله تعالى بفضله ويكسوه كسوة الوجود الإنساني على الحقيقة.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إلا تنصروه﴾ إن لم تنصروا محمداً في غزوة تبوك. ﴿فقد نصره الله﴾ فسينصره الله كما نصره ﴿إذ أخرجه الذين كفروا﴾ أي تسببوا لخروجه بأن هموا بقتله وإلا فهو عليه السلام إنما خرج بإذن الله تعالى وأمره لا بإخراج الكفرة إياه ﴿ثاني اثنين﴾ حال من ضميره عليه السلام، أي: أحد اثنين من غير اعتبار كونه عليه السلام ثانياً فإن معنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع أربع ونحو ذلك أحد هذه الأعداد مطلقاً لا الثالث والرابع خاصة والاثنان أبو بكر ورسول الله ﷺ ﴿إذ هما في الغار﴾ بدل من إذ أخرجه بدل البعض إذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في أعلى ثور وثور جبل في يمنى مكة على مسير ساعة.

وقال في «التبيان»: على فرسخين أو نحوهما.

وفي «القاموس»: ويقال له ثور اطحل واسم الجبل اطحل نزله ثور بن عبد مناة فنسب إليه.

وفي «إنسان العيون»: وإنما قيل للجبل ذلك لأنه على صورة الثور الذي يحرث عليه. وتحرير القصة أنه لما ابتلي المسلمون بأذى الكفار أذن ﷺ لهم في الهجرة وقال: «إني رأيت دار هجرتكم ذات نخيل بين لابتين» وهما الحرتان وقال: «إني لأرجو أن يؤذن لي في الهجرة إليها» فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت قال «نعم» فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ليصحبه عند هجرته فلم يتخلف إلا هو وعليّ وصهيب ومن كان محبوساً أو مريضاً أو عاجزاً عن الخروج فابتاع أبو بكر بعد هذا المقال النبوي راحلتين بثمانمائة درهم فحبسهما في داره يعلفهما الخبط إعداداً لذلك، والخبط محركة ورق ينفض بالمخابط ويجفف ويطحن ويخلط بدقيق أو غيره ويعجن بالماء فتوجره الإبل أي تأكله فكانتا عنده قريباً من ثلاثة أشهر؛ لأن الهجرة كانت في ذي الحجة ومهاجرته عليه السلام كانت في ربيع الأول، ولما رأت قريش قوة أمر رسول الله حيث بايعه الأوس والخزرج وصار له أنصار في القبائل والأقطار خافوا من أن يخرج ويجمع الناس على حربهم وقد وقعوا فيما خافوا منه ولو كان بعد حين ونعم ما قيل: «إذا أدبر الأمر كان العطب في الحيلة. فاجتمعوا في دار الندوة ليتشاوروا في أمره عليه السلام ودار الندوة هي أول دار بنيت بمكة كانت منزل قصي بن كلاب وكانت جهة الحجر عند مقام الحنفي الآن، وكان لها باب للمسجد، وقيل لها دار الندوة لاجتماع الندوة وهي الجماعة فيها، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة لأنه اجتمع فيه أشراف بني عبد شمس وبني نوفل وبني عبد الدار وبني أسد وبني مخزوم وغيرهم ممن لا يعد من قريش ولم يتخلف من أهل الرأي والحجى أحد وكانت مشاورتهم في يوم السبت فقد سئل ﷺ عن يوم السبت فقال: «يوم مكر وخديعة» قالوا ولِمَ يا رسول الله قال: «إن قريشاً أرادوا أن يمكروا فيه» وجاء إليهم إبليس في صورة شيخ نجدي وقال أنا من أهل نجد وإنما قال ذلك لأن قريشاً قالوا لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة لأن هواهم كان مع محمد فعند ذلك قالوا هو من أهل نجد لا من مكة فلا يضركم حضوره معكم وعند المشورة قال بعضهم بالحبس وبعضهم بالنفي كما بين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال: ٣٠] في سورة الأنفال فمنعه إبليس واتفقت آراؤهم على قول أبي جهل وهو أن يخرجوا إليه من كل قبيلة من قريش شاباً جليداً، أي: قوياً بسيف صارم ويقتلوه فيفرق دمه في القبائل بحيث لا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً فيرضون بالدية واستحسن الشيخ النجدي هذا الرأي وتفرقوا عن تراض فلما أمسى رسول الله ﷺ أتاه جبريل فأخبره بمكر قريش وأمره بمفارقة مضجعه تلك الليلة فلما علم ما يكون منهم قال لعلي رضي الله عنه «نم على فراشي واتشح بردائي هذا الحضرمي فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم» وكان عليه السلام يشهد العيدين في ذلك الرداء وكان طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعين وشبراً وهل كان أخضر أو أحمر يدل للثاني قول جابر رضي الله عنه، كان يلبس رداء أحمر في العيدين والجمعة».

وفي «سيرة الحافظ الدمياطي»: وارتد بردائي هذا الأحمر والحضرمي منسوب إلى حضرموت التي هي القبيلة أو البلدة باليمن كان عليه السلام يتسجى بذلك البرد عند نومه وإنما أمر علياً رضي الله عنه أن يضطجع على فراشه ليمنعهم سواد عليّ عن طلبه حتى يبلغ هو وصاحبه إلى ما أمر الله أن يبلغا إليه فلما مضىٰ عتمة من الليل، أي الثلث الأول منه اجتمعوا على باب رسول الله وكانوا مائة فجعلوا يتطلعون من شق الباب ويرصدون متى ينام فيثبون عليه

فيقتلونه فخرج عليه السلام عليهم وهم ببابه وقرأ قوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس: ١-٢] إلى قوله: ﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ۝٩﴾ [يس: ٩] فأخذ الله أبصارهم عنه عليه السلام فلم يبصروه حتى خرج من بينهم. وعن النبي عليه السلام أنه ذكر في فضل يس أنها «إذا قرأها خائف أمن، أو جائع شبع، أو عار كسي أو عاطش سقي أو سقيم شفي» وعند خروجه عليه السلام أخذ حفنة من تراب فذرها عليهم فأتاهم آت فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمداً، قال قد خيبكم الله والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك رجلاً منكم إلا وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب فدخلوا على عليّ، فقالوا له يا علي أين محمد؟ فقال: لا أدري أين ذهب وكان قد انطلق إلى بيت أبي بكر بإشارة جبرائيل عليه السلام فلما دخل عليه قال: «قد أذن لي في الخروج» فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله بأبي أنت، أي أسألك الصحبة قال: «نعم» فبكى أبو بكر سروراً ولله در القائل:

ورد الكتاب من الحبيب بأنه ... سيزورني فاستعبرت أجفاني
هجم السرور عليّ حتى إنه ... من فرط ما قد سرني أبكاني
يا عين صار الدمع عندك عادة ... تبكين من فرح ومن أحزان

قال أبو بكر فخذ بأبي أنت إحدى راحلتي هاتين فإني أعددتهما للخروج فقال عليه السلام: «نعم بالثمن» وذلك لتكون هجرته عليه السلام إلى الله بنفسه وماله وإلا فقد أنفق أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله أكثر ماله. فعن عائشة رضي الله عنها أربعين ألف درهم. وفي رواية أربعين ألف دينار وهي الناقة القصوى أو الجدعاء وقد عاشت بعده عليه السلام وماتت في خلافة أبي بكر وأما ناقته عليه السلام العضباء فقد جاء أن ابنته فاطمة رضي الله عنها تحشر عليها ثم استأجر رسول الله وأبو بكر رجلاً من بني الدئل وهو عبد الله بن أريقط ليدلهما على الطريق للمدينة وكان على دين قريش فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار جبل ثور بعد ثلاث ليال أن يأتي بالراحلتين صباح الليلة الثالثة فمكث عليه السلام في بيت أبي بكر إلى الليلة القابلة فخرجا إلى طرف الغار وجعل أبو بكر يمشي مرة أمام النبي ومرة خلفه فسأله رسول الله عن ذلك فقال يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك لأكون فداءك فمشى عليه السلام ليلته على أطراف أصابعه، أي لئلا يظهر أثر رجليه على الأرض حتى حفيت رجلاه فلما رآهما أبو بكر قد حفيتا حمله على كاهله وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار فأنزله وفي رواية كانت قدما رسول الله قد قطرتا دماً ويشبه أن يكون ذلك من خشونة الجبل وإلا فبعد المكان لا يحتمل ذلك ولعلهم ضلوا طريق الغار حتى بعدت المسافة ويدل عليه قوله: فمشى ليلته أو أنه عليه السلام ذهب إلى جبل حنين فناداه اهبط عني فإني أخاف أن تقتل على ظهري فأعذب فناداه جبل ثور إلي يا رسول الله وكان الغار معروفاً بالهوام فلما أراد رسول الله دخوله قال له أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى استبرىء الغار فدخل واستبرأه وجعل يسد الحجرة بثيابه خشية أن يخرج منها شيء يؤذيه أي رسول الله فبقي جحر وكان فيه حية فوضع رضي الله عنه عقبه عليه ثم دخل رسول الله فجعلت تلك الحية تلسعه وصارت دموعه تتحدر فتفل رسول الله على محل اللدغة فذهب ما يجده وقال بعضهم والسر في اتخاذ رافضة العجم اللباد المفضض على رؤوسهم تعظيماً للحية التي لدغت أبا بكر في الغار وذلك لأنهم يزعمون أن

ذلك على صورة تلك الحية ولما دخل رسول الله وأبو بكر الغار أمر الله شجرة وهي التي يقال لها القتاد وقيل أم غيلان فنبتت في وجه الغار فسترته بفروعها ويقال إنه عليه السلام دعا تلك الليلة الشجرة وكانت أمام الغار فأقبلت حتى وقفت على باب الغار وإنها كانت مثل قامة الإنسان.

وقال الحدادي: وكان عليه السلام مر على ثمامة وهي شجرة صغيرة ضعيفة فأمر أبا بكر أن يأخذها معه فلما صار إلى باب الغار أمره أن يجعلها على باب الغار وبعث الله العنكبوت فنسجت ما بين فروعها نسجاً متراكماً بعضه على بعض كنسج أربع سنين كما قال في القصيدة البردية.

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم

أي: ظنوا أن الحمام ما وكر وما باض على باب الغار الذي فيه خير البرية وظنوا أن العنكبوت لم تنسج ولم تحم أي لم تطف من حام حوله أي طاف ودار فهو من قبيل علفتها تبناً وماء بارداً. وقال المولى الجامي:

شد دوسه تارى كه عنكبوت تنيد بر دران غار برده دار محمد

وقد نسج العنكبوت أيضاً على نبي الله داود عليه السلام لما طلبه جالوت. ونسج أيضاً على عورة سيدنا زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب وهو أخو الإمام محمد الباقر وعم جعفر الصادق وقد كان يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقين من قبل هشام بن عبد الملك صلبه عرياناً للخروج عليه وذلك في سنة ست وعشرين ومائة وأقام مصلوباً أربع سنين وقيل خمس سنين فلم تر عورته، وقيل بطنه الشريف ارتخى على عورته فغطاها ولا مانع من وجود الأمرين وكانوا عند صلبه وجهوه إلى غير القبلة فدارت خشبته التي عليها إلى أن صار وجهه إلى القبلة ثم أحرقوا خشبته وجسده رضي الله عنه قال العلماء ويكفي للعنكبوت شرفاً نسجها على الغار ونهى النبي عليه السلام يومئذٍ عن قتل العنكبوت وقال: «إنها جند من جنود الله تعالى». قال في «المثنوي»:

جمله ذرات زمين وآسمان لشكر حقنده كاه امتحان

وأما قوله عليه السلام: «العنكبوت شيطان فاقتلوه» وفي لفظ: «العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه» فإن صح فلعله صدر قبل وقعة الغار فهو منسوخ. وعن علي «طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فإن تركه في البيوت يورث الفقر وهذا لا يقدح في شرفها».

وذكر في «حياة الحيوان»: أن ما تنسجه العنكبوت يخرج من خارج جلدها لا من جوفها. ومن خواصها أنها إذا وضع نسجها على الجراحة الطرية في ظاهر البدن حفظها بلا ورم ويقطع سيلان الدم إذ وضع عليه والعنكبوت التي تنسج على الكنيف إذا علقت على المحموم يبرأ قاله ابن زهير. وأمر الله تعالى حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار وباضتا وبارك عليه السلام على الحمامتين وانحدرتا في الحرم وهل حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين أو لا ففيه اختلاف والظاهر أنه ليس من نسلهما لأنه روي في قصة نوح عليه السلام أنه بعث الحمامة من السفينة لتأتيه بخبر الأرض ووقعت بوادي الحرم فإذا الماء قد نضب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمراء فاختضبت رجلها ثم جاءته فمسح عنقها وطوّقها طوقاً ووهب لها الحمرة في رجليها وأسكنها الحرم ودعا لها بالبركة. وذكر أن حمام مكة أظلته عليه السلام يوم

فتحها فدعا لها بالبركة. وكان المسيح عليه السلام يقول لأصحابه إن استطعتم أن تكونوا بلهاً في الله مثل الحمام فافعلوا وكان يقال إنه ليس شيء أبله من الحمام إنك تأخذ فرخه من تحته فتذبحه ثم يعود إلى مكانه ذلك فيفرخ فيه ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ يحمل الأخبار ويأتي بها من المسافة البعيدة في المدة القريبة كما قال في «المغرب» الحمام بأرض العراق والشام تشترى بأثمان غالية وترسل من الغايات البعيدة بكتب الأخبار فتؤديها وتعود بالأجوبة.

قال الجاحظ: لولا الحمام لما عرف بالبصرة ما حدث بالكوفة في بياض يوم واحد وإليه الإشارة في أشعار البلغاء. كما قال المولى جلال الدين قدس سره في «المثنوي»:

رقعه كر بر پرّ مرغى دوختى پرّ مرغ ازتف رقعه سوختى

قال السلطان سليم الأول، يعني: فاتح مصر:

مرغ چشم من كه پروازش بجز سوى تونيست بسته ام از اشك صد جانامۀ شوقش ببال

وقال في «حياة الحيوان» اتخاذ الحمام للبيض والفراخ وللأنس ولحمل الكتب جائز بلا كراهة وأما اللعب بها والتطير والمسابقة فقيل يجوز لأنه يحتاج إليها في الحرب لنقل الأخبار والأصح كراهيته فإن قامر بالحمام ردت شهادته.

ولما فقد المشركون رسول الله شق عليهم ذلك وخافوا وطلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة، أي الذين يقفون الأثر في كل وجه ليقفوا أثره فوجد الذي ذهب إلى جبل ثور وهو علقمة بن كرز أسلم عام الفتح أثره انتهى إلى الغار فقال ههنا: انقطع الأثر ولا أدري أخذ يميناً أم شمالاً أم صعد الجبل وكان عليه السلام شثن الكفين والقدمين يقال شثنت كفه شثناً وشثونة خشنت وغلظت فهو شثن الأصابع بالفتح كذا في «القاموس» فأقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وسيوفهم فلما انتهوا إلى فم الغار قال قائل منهم ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أر بكم أي: حاجتكم إلى الغار إن عليه لعنكبوتاً كان قبل ميلاد محمد ولو دخل لما نسج ذلك العنكبوت وتكسر البيض وعند ما حاموا حول الغار حزن أبو بكر رضي الله عنه خوفاً على رسول الله ﷺ كما قال تعالى: ﴿إذ يقول﴾ بدل ثانٍ أو ظرف ثان والقائل هو رسول الله ﷺ ﴿لصاحبه﴾ وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولذلك قالوا من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لإنكاره كلام الله تعالى وكذا الروافض إذا كانوا يسبون الشيخين، أي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ويلعنونهما يكفرون وإذا كانوا يفضلون علياً عليهما يكونون مبتدعين والمبتدع صاحب الكبيرة والبدعة الكبيرة كما في «هدية المهديين» وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال لجماعة أيكم يقرأ سورة التوبة قال رجل: أنا أقرأ فلما بلغ إلى قوله: ﴿إذ يقول لصاحبه﴾ الآية بكى رضي الله عنه وقال أنا والله صاحبه ﴿لا تحزن﴾ ولم يقل لا تخف لأن حزنه على رسول الله يغفله عن حزنه على نفسه، وهذا النهي تأنيس وتبشير له كما في قوله تعالى له عليه السلام: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس: ٦٥] وبه يرد ما زعمته الرافضة أن ذلك كان غضباً من أبي بكر وذماً له لأن حزنه إن كان طاعة فالنبي عليه السلام لا ينهى عن الطاعة فلم يبق إلا أنه معصية كذا في «إنسان العيون» ﴿إن الله معنا﴾ بالعون والعصمة والمراد بالمعية الولاية التي لا تحوم حولها شائبة من الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع بالمتبوع فالمراد ما فيه من المتبوعية في الأمر المباشر وتأمل الفرق بين قوله عليه السلام: ﴿إن الله معنا﴾ وبين قول موسى عليه

السلام ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ [الشعراء: ٦٢] كيف تجده دقيقاً والله الهادي. روي أن المشركين لما طلعوا فوق الغار وعلوا على رؤوسهما أشفق أبو بكر على رسول الله عليه السلام فقال عليه السلام: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» فأعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وذكر أن أبا بكر لما قال للنبي عليه السلام لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا قال له النبي عليه السلام: «لو جاؤونا من ههنا لذهبنا من ههنا» فنظر الصديق إلى الغار فإذا هو قد انفرج من الجانب الآخر وإذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة إلى جانبه.

قال ابن كثير، هذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة.

وفي الآية: دلالة على علو طبقة الصديق وسابقة صحبته وهو ثاني رسول الله في عالم الأرواح حين خرج من العدم وثانيه حين خرج مهاجراً وثانيه في الغار وثانيه في الخلافة وثانيه في القبر بعد وفاته وثانيه في انشقاق الأرض عنه يوم البعث وثانيه في دخول الجنة كما قال عليه السلام: «أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي» وقال أيضاً: «ألا أبشرك» قال بلى بأبي أنت وأمي قال: «إن الله عز وجل يتجلى للخلائق يوم القيامة ويتجلى لك خاصة» وروي أن أبا بكر عطش في الغار فقال عليه السلام: «اذهب إلى صدر الغار فاشرب فانطلق أبو بكر إلى صدر الغار فوجد ماء أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأذكى رائحة من المسك فشرب منه فقال عليه السلام: «إن الله أمر الملك الموكل بأنهار الجنة أن يخرق نهراً من جنة الفردوس إلى صدر الغار لتشرب يا أبا بكر» قال أبو بكر يا رسول الله ولي عند الله هذه المنزلة فقال عليه السلام: «نعم وأفضل والذي بعثني بالحق نبياً لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان عمله عمل سبعين نبياً» ﴿فأنزل الله سكينته﴾ أمنته التي تسكن عندها القلوب.

وقال الكاشفي: [رحمت خودراكه سبب آرامش است] ﴿عليه﴾ أي: على النبي عليه السلام فالمراد بها ما لا يحوم حوله شائبة الخوف أصلاً أو على صاحبه وهو الأظهر إذ هو المنزعج وكان رسول الله ساكناً وعلى طمأنينة من أمره وإليه أشار الشيخ فريد الدين العطار قدس سره:

خواجهٔ اول كه اول يار اوست ... ثاني اثنين إذ هما في الغار اوست

چون سكينه شد زحق منزل برو ... كشت مشكلهاى عالم حل برو

وقال سعدي چلبي المفتي في «حواشيه»: بل الأول هو الأظهر المناسب للمقام وإنزال السكينة لا يلزم أن يكون لرفع الانزعاج بل قد يكون لدفعه كما سبق في قصة حنين والفاء للتعقيب الذكرى انتهى. وفي مصحف حفصة: ﴿فأنزل الله سكينته عليهما﴾ ﴿وأيده﴾ أي قوّى النبي عليه السلام ﴿بجنود لم تروها﴾ وهم الملائكة النازلون يوم بدر والأحزاب وحنين ليعينوه على العدو والجملة معطوفة على نصره الله. ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى﴾ يعني: جعل الله الشرك مقهوراً مغلوباً أبداً إلى يوم القيامة أو دعوتهم إلى الكفر. يعني [دعوت كفرراكه ازايشان صادر مى شد خوار وبيمقدار ساخت] ﴿وكلمة الله﴾ أي: التوحيد أو الدعوة إلى الإسلام وهي بالرفع على الابتداء ﴿هي﴾ ضمير فصل لدفع توهم أنه قد يفوق غير كلمة الله ﴿العليا﴾ إلى يوم القيامة وهو خبر المبتدأ وجعل الله ذلك بأن أخرج رسوله من بين الكفر. وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفاً على كلمة الذين هو ضعيف لأنه يشعر بأن كلمة الله كانت سفلى ثم صارت عليا وليس كذلك بل هي عالية في نفسها أبداً. وفي «مناظرات المكي» لو قال

أحد وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله وقطع ولم يقل وكلمة الله هي العليا كان كافراً إن كان عمداً ﴿والله عزيز﴾[وخداى تعالى عاليست عزيز كند اهل توحيدرا] ﴿حكيم﴾ في أمره وتدبيره وحكمه.

قال الكاشفي: [داناست خوارساز داهل كفررا ومقصودازايراد قصه غاردراثناى امر بغزوه تبوك آنست كه اكرشما أي كارهان جهاديارى نكنيد پيغمبر مرا من اورا يارى كنم چنانچه درآن محل كه با او يك كس بيش نبود تمام صناديد قريش بقصد او برخواسته بودند من اورا يارى كردم وازميان دشمنانش بسلامت بيرون آوردم پس مفتاح نصرت بقبضه منست. وما النصر إلا من عند الله]:

يا رى از من جو نه ازخيل وسپاه ... راز بامن كوى نه باميرو شاه

هركرا يارى كنم برتر شود ... هركرا دور افكنم ابتر شود

وتمام القصة أنه لما انصرف قريش من الغار وأيسوا منهما أرسلوا لأهل السواحل إن من أسر أو قتل أحدهما كان له مائة ناقة، وفي رواية مائتان ومكثا في الغار ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام يعرف يأتيهما حين يختلط الظلام ويخبرهما بما وعاه من أخبار أهل مكة ويدلج من عندهما بفجر فيصبح مع قريش بمكة كبائت في بيته وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يرعى لأبي بكر أغناماً له نهاره، ثم يروح عليهما فيحلبها لهما وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما إذا أمست بطعامهما وشرابهما فلما طلع صبح الليلة الثالثة أتى الدليل بالراحلتين فركباهما وانطلقا نحو المدينة وانطلق معهما عامر بن فهيرة رديفاً لأبي بكر وأنزل الله عليه ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء: ٨٠].

قال زيد بن أسلم: جعل الله له مدخل صدق المدينة ومخرج صدق مكة وسلطاناً نصيراً الأنصار رضي الله عنهم، ولما خرج من مكة التفت إليها وبكى وقال: «إني لأخرج منك وإني لأعلم أنك أحب بلاد الله وأكرمها على الله ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت» وهو يدل على أن مكة أفضل من سائر البلاد، وفي الحديث: «من صبر على حر مكة ساعة من نهار، تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام والحسنة فيها بمائة ألف حسنة» والكلام في غير ما ضم أعضاءه الشريفة من أرض المدينة وإلا فذاك أفضل بقاع الأرض بالإجماع حتى من العرش والكرسي. ذكر أن الطوفان موّج تلك التربة المكرمة عن محل الكعبة حتى أرساها بالمدينة فهي من جملة أرض مكة ولما سمع سراقة بن مالك بن جعشم الكناني أن الكفار جعلوا فيهما إن قتلا أو أسرا مائة ناقة ركب خلفهما حتى أدركهما في طريق الساحل فصاح وقال يا محمد من يمنعك مني اليوم فقال عليه السلام: «يمنعني الجبار الواحد القهار» ونزل جبريل وقال يا محمد إن الله يقول لك قد جعلت الأرض مطيعة لك فائمرها بما شئت فقال عليه السلام: «يا أرض خذيه» فأخذت أرجل جواده إلى الركب فقال يا محمد الأمان فقال عليه السلام: «يا أرض أطلقيه» فأطلقته يقال عاهد سبع مرات ثم نكث العهد وكلما نكث تغوص قوائم فرسه في الأرض وفي السابعة تاب توبة صدق ورجع إلى مكة وصار لا يرى واحداً من طلابه عليه السلام إلا رده يقول اختبرت الطريق فلم أر أحداً وقصة نزوله المدينة مذكورة في السير.

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ

تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿انفروا﴾ أي: اخرجوا أيها المؤمنون مع النبي عليه السلام إلى غزوة تبوك.

قال «تاج المصادر»: النفير والنفور [بسفر بيرون شدن] ﴿خفافاً وثقالاً﴾ جمع خفيف وثقيل أي حال كونكم شباناً وشيوخاً أو فقراء وأغنياء أو ركباناً ومشاتاً أو أصحاء ومرضى أو عزباً أو متأهلين أو خفافاً مسرعين خارجين ساعة استماع النفير وثقالاً بعد التروية فيه والاستعداد له أو مقلين من السلاح ومكثرين منه أو نشاطاً وغير نشاط، أي خفت عليكم الحركة أو ثقلت أو مشاغيل وغير مشاغيل أو مهازيل وسماناً أو أقوياء وضعفاء يا غريبان وكدخدايان كما في «الكاشفي» وهذا ليس لتخصيص الأمرين المتقابلين بالإرادة من غير مقارنة للباقي.

قال المولى أبو السعود: أي على أي حال كان من يسر أو عسر بأي سبب كان من الصحة والمرض أو الغنى والفقر أو قلة العيال وكثرتهم أو غير ذلك مما ينتظمه مساعدة الأسباب وعدمها بعد الإمكان والقدرة في جملة. وعن ابن أم مكتوم أعليّ أن أنفر؟ فقال عليه السلام: «نعم» فرجع إلى أهله فلبس سلاحه ووقف بين يديه فنزل قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١] وعن ابن عباس رضي الله عنهما نسخت بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ﴾ [التوبة: ٩١] الآية [سلمى ميكويدسبك روحان بارتكاب طاعات وكران باران ازمباشرت مخالفات. إمام قشيري ميفرما يدكه خفاف آنانندكه از بند شهود ما سوى آزادند وثقال ايشانندكه بقيد تعلقات مقيدانند] وفي «بحر الحقائق» انفروا أيها الطلاب في طلب الحق خفافاً مجردين عن علائق الأولاد والأهالي منقطعين عن عوائق الأموال والأملاك وثقالاً متمولين ومتأهلين وأيضاً خفافاً مجذوبين بالعناية وثقالاً سالكين بالهداية [يعني خفاف مجذوبا نند از كشش عنايت براه سلوك در آمده وثقال سالكا نندكه بپرورش متوجه جذبهٔ حقانى شده هرد وطائفه درراهند أما يكى ببال كشش مى پرد ويكى بپاى كوشش راه ميبرد آنكه بپاميره د درهر قدمى عالمى زير پاميكند وآنكه ببال إقبال مى پرديدم بسباط مشاهدهٔ ما سوى را طى مى كند].

مرد عارف چون بدان پرمى پرد ... در دمى از نه فلك مى بكذرد

سير زاهد در دمى يك روزه راه ... سير عارف هر زمان تا تخت شاه

﴿وجاهدوا﴾ [وجهاد كنيد] والجهاد في الاصطلاح قتال الكفار لتقوية الدين كما في «شرح الترغيب المنذري» وهو المراد بما في «خالصة الحقائق» نقلاً عن «أهل الحكمة» الجهاد بذل المجهود وقتال المتمردين حملاً لهم على الإسلام ومنعاً لهم عن عبادة الأصنام.

واعلم: أن الجهاد لا ينافي كونه عليه السلام نبي الرحمة وذلك أنه مأمور بالجهاد مع من خالفه من الأمم بالسيف ليرتدعوا عن الكفر وقد كان عذاب الأمم المتقدمة عند مخالفة أنبيائهم بالهلاك والاستئصال فأما هذه الأمة فلم يعاجلوا بذلك كرامة لنبيهم عليه السلام ولكن يجاهدوا بالسيف وله بقية بخلاف العذاب المنزل وقد روي أن قوماً من العرب قالوا يا رسول الله أفنانا السيف فقال: «ذلك أبقى لآخركم» كذا في «أبكار الأفكار» ﴿بأموالكم﴾ [بما لهاى خودكه تهيهٔ زاد

وسلاح كنيد] ﴿وأنفسكم﴾ [وبنفسهاى خود كه مباشر كار زار كرديد] فهو إيجاب للجهاد بهما إن أمكن وبأحدهما عند إمكانه وإعواز الآخر حتى أن من ساعده النفس والمال يجاهد بهما ومن ساعده المال دون النفس يغزى مكانه من حاله على عكس حاله.

وفي «التأويلات النجمية» وإنما قدم إنفاق المال في طلب الحق على بذل النفس لأن بذل النفس مع بقاء الصفات الذميمة غير معتبر وهي الحرص على الدنيا والبخل بها فأشار بإنفاق المال إلى ترك الدنيا وفي الحديث: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم» قوله تعس بفتح العين وكسرها عثر أو هلك أو لزمه الشر أو سقط لوجهه أو انتكب وهو دعاء عليه أي أتعسه الله وإنما دعا عليه السلام على عبد الدينار والدراهم لأنه حرص على تحصيل المال من الحرام والحلال وبخل بالإنفاق في سبيل الملك الخلاق فوقف على متاع الدنيا الفاني وترك العمل لنعيم الآخرة الباقي. قال السلطان ولد قدس سره:

بكذار جهان راكه جهان آن تونيست ... وين دم كه همى زنى بفرمان تونيست

كرمال جهان جمع كنى شاد مشو ... ورتكيه بجان كنى جان آن تو نيست

﴿في سبيل الله﴾ هذا اللفظ عام يقع على كل عمل خالص لله تعالى سلك به طريق التقرب إلى الله تعالى بأداء الفرائض والنوافل وأنواع الطاعات وإذا أطلق فهو في الغالب واقع على الجهاد حتى صار لكثرة الاستعمال كأنه مقصور عليه كما في «شرح الترغيب».

يقول الفقير: فمعنى في سبيل الله، أي في الطريق الموصل إلى الجنة والقربة والرضى وهو أن لا يكون بهوى وغرض وإن كان حصول الجنة كما في «المفاتيح» حكي أنه كتب واحد إلى يوسف بن أسباط وهو من متقدمي الصوفية إن نفسي تنازعني إلى الغزو فما تقول فيه فكتب في الجواب لأن ترد نفسك عن هواها خير من أن تقتل أو تقتل في المعركة. وحكي أنه لما دنا قتيبة بن مسلم من بلدة بخارى ليفتحها فانتهى إلى جيحون أخذ الكفار السفن حتى لا يعبر جيش المسلمين عليها فقال قتيبة اللهم إن كنت تعلم أني ما خرجت إلا للجهاد في سبيلك ولإعزاز دينك ولوجهك فلا تغرقني في هذا البحر وإن خرجت لغير هذا فأغرقني في هذا البحر ثم أرسل دابته في جيحون فعبره مع أصحابه بإذن الله. روي أن بعضهم رأى إبليس في صورة شخص يعرفه وهو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين محقوقف الظهر فقال له ما الذي أنحل جسمك قال صهيل الخيل في سبيل الله ولو كان في سبيلي لكان أحب إليّ فقال له فما الذي غير لونك فقال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية لكان أحب إليّ قال فما الذي أبكى عينك قال خروج الحاج إليه لا بتجارة أقول قد قصدوه وأخاف أن لا يخيبهم فيحزنني ذلك وفي «الصحيحين» عن أبي سعيد يرفعه قيل: يا رسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله: «مؤمن مجاهد بنفسه وماله» قالوا ثم من قال: «مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره» ﴿ذلكم﴾ أي: ما ذكر من النفير والجهاد ﴿خير لكم﴾ من القعود وترك الإمداد.

فإن قيل: ما معنى كون الجهاد خيراً من تركه والحال أنه لا خير في تركه.

أجيب بأن معناه أن ما يستفاد من الجهاد من ثواب الآخرة خير مما يستفيده القاعد عنه من الراحة وسعة العيش والتنعم بهما كما قال في «البحر» الخيرية في الدنيا بغلبة العدو ووراثة الأرض، وفي الآخرة بالثواب ورضوان الله تعالى.

قال سعد چلبي: وفي الترك خير دنيوي فيه الراحة ﴿إن كنتم تعلمون﴾ الخير علمتم أنه خير لأن فيه استجلاب خير الدنيا وخير الآخرة وفي خلافه مفاسد ظاهرة.

وفي «بحر الحقائق»: ترك الدنيا وبذل النفس خير لكم في طلب الحق من المال والنفس. ﴿إن كنتم تعلمون﴾ قدر طلب الحق وعزة السير إليه فإن الحاصل من المال والنفس الوزر والوبال والحاصل من الطلب الوصول والوصال انتهى.

قال في «زبدة التفاسير»: عن أنس رضي الله عنه إن أبا طلحة رضي الله عنه قرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ فقال: أي بني جهزوني فقال بنوه رحمك الله قد غزوت مع النبي عليه السلام حتى مات ومع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حتى ماتا فنحن نغزو عنك فقال لا جهزوني فغزا بحراً فمات في البحر فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فدفنوه فيها ولم يتغير.

يقول الفقير: وذلك لأن أجساد الأنبياء والأولياء والشهداء لا تبلى ولا تتغير لما أن الله تعالى قد نقى أبدانهم من العفونة الموجبة للتفسخ وبركة الروح المقدس إلى البدن كالأكسير، ثم إن الناس صنفان أرباب رخصة وأصحاب عزيمة ولله در أصحاب العزيمة في مسابقتهم ومسارعتهم فعليك بطريقتهم وسيرتهم.

وهذه الآية الكريمة متعلقة بمرتبة النفس وإصلاحها فإن النفس مجبولة على حب المال وفي بذله تزكيتها عن هذه الرذيلة، فمن علم أن الغنى والفقر من الله تعالى وآمن بالقدر إيمانياً عيانياً هان عليه البذل ولم يبق عنده مقدار للمال كما أن من علم أن الموت بالأجل وأن المرء لا يموت قبل حلول ذلك الأجل لا يفر من محاربة العدو وحفظ المال وإمساكه إنما يحسن لأجل الإنفاق وقت الحاجة وإلا فكنزه مذموم [كو يندكه نافع مولاى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كه استاد امام شافعي بوددروقت مردن كفت اين جايكه را بكنيد بكندند بيست هزار درم درسبويى بديد آمد كفت آنكاه كه ازجنازهء من باز آمده باشيد بدرويش دهيد اوراكفتند يا شيخ چون توكسى درم نهد كفت بحق اين وقت تنك كه زكاة وى بركردن من نيست وهر كزعيالان خودرا بسختى نداشتم لكن هركاه كه مرا آرزويى بودمى آنچه بدان آرزو بايستى دادن درسبو افكندمى تااكر مرا سختى پيش آيد بدر سفلهء نبايد رفتن] كذا في «شرح الشهاب».

وفي هذه الحكاية أمور: الأول: إن من كان إماماً للناس ومقتدى في الدين لا ينبغي له أن يدخر ويكنز المال طمعاً وحرصاً لأن الناس على دين ملوكهم وقد قيل: [شيخ چون مائل بمال آيد مريداو مباش مائل دينار هركز مالك ديدار نيست]، والثاني: إن من غلبت عليه شهوته فمنع طبيعته عن مقتضاها بإمساك ماله عن الصرف لها رجاء بذله لخير منه فقد جاهد مع نفسه وطبيعته أما مع نفسه فلأنه ما كتم المال لأجل الكنز بل لأجل البذل لأنفع شيء في وقت مّا. وأما مع طبيعته فلأنه منعها من مقتضاها وراضها ومثل هذا هو الجهاد الأكبر. والثالث: إن عرض الاحتياج على اللئيم ملوم مذموم شرعاً وطريقة ولذا من جاع واحتاج فكتمه عن الناس وأقبل إلى الله تعالى كان على الله أن يفتح له رزق سنة والشكاية من الحبيب إلى الحبيب عين التوحيد وإلى غيره شرك تعلق به الوعيد.

فعلى العاقل أن يختار طريق أصحاب الصفة فإنهم كانوا مع الحق وفي معاونته دائماً ببذل أموالهم إن منحوا وأنفسهم إن منعوا لأن ما لا يدرك كله لا يترك كله فكل مأمور بمقدار طاقته

وليست الطاعة إلا بقدر الطاقة هذا هو اللائح بالبال، والله أعلم بحقيقة الحال نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لبذل المجهود وترك ملاحظة المفقود ويوصلنا إلى جنابه إنه هو المروم والمقصود.

﴿**لو كان**﴾ [آورده اندكه چون حضرت رسول الله ﷺ مردمانرا بغزوهٔ تبوك أشارت فرمود ايشان سه فرقه شدند. جمعى مسارعت نمودند وفرمانرا بسمع اطاعت شنودندو آن اكابر مهاجرين وأنصار بودند. وبعضى ضعفاء مؤمنا نراكران آمد فرمان خدا وحكم رسول الله ﷺ برهواى نفس اختيار كردند. وبرخى دستورى اقامت وتخلف طلبيدند وآنها منافقان بودند ودرشان ايشان نازل شدكه] لو كان يا محمد ما دعوتهم إليه فاسم كان محذوف دل عليه ما قبله. ﴿**عرضاً قريباً**﴾ العرض ما عرض لك من نافع الدنيا أي غنماً سهل المأخذ قريب المنال. ﴿**وسفراً قاصداً**﴾ ذا قصد وتوسط بين القريب والبعيد ففاعل بمعنى ذي قصد كلابن وتامر بمعنى ذي لبن وذي تمر وسمي السفر سفراً لأنه يسفر أي يكشف عن أخلاق الرجال ﴿**لاتبعوك**﴾ في الخروج طمعاً في المال وتعليق الاتباع بكلا الأمرين يدل على عدم تحققه عند توسط السفر فقط ﴿**ولكن بعدت عليهم الشقة**﴾ أي المسافة الشاقة التي تقطع بمشقة. ﴿**وسيحلفون بالله**﴾ السين للاستقبال أي سيحلف المتخلفون عن الغزو إذا رجعتم إليهم من غزوة تبوك وقد صنع كما أخبر فهو من جملة المعجزات النبوية. ﴿**لو استطعنا**﴾ أي: قائلين لو كان لنا استطاعة من جهة العدة أو من جهة الصحة أو من جهتهما جميعاً ﴿**لخرجنا معكم**﴾ أي: إلى الغزاة، فقوله (بالله) متعلق بسيحلفون. وقوله (لخرجنا) ساد مسد جوابي القسم والشرط جميعاً؛ لأن قولهم لو استطعنا في قوة بالله لو استطعنا فيكون بالله قسماً. ﴿**يهلكون أنفسهم**﴾ بدل من سيحلفون لأن الحلف الكاذب إهلاك للنفس ولذلك قال عليه الصلاة والسلام «اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع» جمع بلقع وبلقعة وهي الأرض القفر التي لا شيء بها والمرأة البلقعة الخالية من الخير يعني من حلف عمداً كذباً لأجل الدنيا وزيادة المال وبقاء الجاه فقد تعرض لزوال ما في يده من المال والجاه وبزواله يفتقر وتخرب داره من البركة وفي الحديث: «اليمين الكاذبة منفقة للسلعة» أي سبب لنفاقها ورواجها في ظن الحالف «ممحقة للكسب» أي: سبب لمحق بركة المكسوب وذهابها إما بتلف يلحقه في ماله أو بإنفاقه في غير ما يعود نفعه إليه في العاجل أو ثوابه في الآجل أو بقي عنده وحرم نفعه أو ورثه من لا يحمده. ﴿**والله يعلم إنهم لكاذبون**﴾ أي: في مضمون الشرطية وفيما ادعوا ضمناً من انتفاء تحقيق المقدم حيث كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿**عفا الله عنك لم أذنت لهم**﴾ لام لم ولام لهم متعلقتان بالإذن لاختلافهما في المعنى فإن الأولى للتعليل والثانية للتبليغ والضمير المجرور لجميع المستأذنين أي لأي سبب أذنت لهم في التخلف حين اعتلوا بعللهم.

واعلم أن قوله تعالى: ﴿**لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك**﴾ دل على أن قوماً

تخلفوا عن اتباعه عليه السلام؛ لأن لو لانتفاء الجواب لانتفاء الشرط وقوله: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ دل على أن ذلك التخلف كان بإذن رسول الله والعفو يستدعي سبق الخطأ وهذا الخطأ ليس من قبيل الذنب بل من ترك الأولى والأفضل الذي هو التأني والتوقف إلى انجلاء الأمر وانكشاف الحال. فقوله عفا خبر: يعني [دركذار پندخداى ازتو]. وقوله لم أذنت لهم بيان لما أشير إليه بالعفو من ترك الأولى وإنما قدم الله العفو على العتاب تصديقاً وتحقيقاً لقوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] وقوله لم أذنت لهم ما كان على وجه العتاب حقيقة بل كان على إظهار لطفه به وكمال رأفته في حقه كما في «التأويلات النجمية».

قال سفيان بن عيينة: انظروا إلى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو ولقد أخطأ وأساء الأدب وبئسما فعل فيما قال وكتب من زعم أن الكلام كناية عن الجناية وأن معناه أخطأت وبئسما فعلت كما في «الإرشاد».

ويجوز أن يكون إنشاء كما قال الكاشفي في «تفسيره» ﴿عفا الله عنك﴾ [دعاء له است حق سبحانه وتعالى پيغمبر خودرا ميفرما يدكه عفو كناد ازتوخداى وعادت مردم مى باشدكه دعا كند كسى را بعفو ورحمت ومغفرت بى وقوع خطايى ازوى چنانچه مثلا يكى تشنه را آب دهد او در جواب ميكويد غفر الله لك يا در جواب عاطس ميكويد يرحمك الله] انتهى.

أقول: ولقد أصاب في تفسيره وأجاد في تقريره فإن خطأ النبي عليه السلام وسهوه ونسيانه ليس من قبيل خطأ الأمة وسهوهم ونسيانهم فالأولى للتأدب أن يسكت عما يشين بحاله أو لا يليق بكماله. ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا﴾ أي: فيما أخبروا به عند الاعتذار من عدم الاستطاعة من جهة المال أو من جهة البدن أو من جهتهما معاً. ﴿وتعلم الكاذبين﴾ في ذلك فتعامل كلاً من الفريقين بما يستحقه وهو بيان لذلك الأولى والأفضل، و(حتى) متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام تقديره لم سارعت إلى الاذن لهم وهلا أخرتهم وتأنيث إلى أن يتبين الأمر وينجلي أو ليتبين كما هو قضية الجزم فحتى بمعنى إلى أو بمعنى اللام ولا يجوز أن يتعلق بأذنت لأن ذلك يوجب أن يكون أذن لهم إلى هذه الغاية أو لأجل التبين وهذا لا يعاتب عليه.

واعلم أن الآية الأولى أشارت إلى أن من كان مطلوبه الدنيا وزينتها يجد له مساعداً ومصاحباً كثيراً ومن كان مطلوبه الحق والوصول إليه لا يجد له مرافقاً وموافقاً إلا أقل من القليل لصعوبة الانقطاع عن الحظوظ والأماني. وفي «المثنوي»:

حفت الجنة بمكروهاتنا ... حفت النيران من شهواتنا

يعني: جعلت الجنة محفوفة بالأشياء التي كانت مكروهة لنا وجعلت النار محاطة بالأمور التي كانت محبوبة لنا وإتيان الحظوظ أسهل من تركها ولذا ترى الرجل يدخل النار بألف درهم ولا يدخل الجنة بدرهم واحد.

والآية الأخيرة أفادت التحري والتأني في الأمور وفي حديث أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي أوصني فقال النبي عليه السلام: «خذ الأمر بالتدبر فإن رأيت في عاقبته خيراً فأمضه وإن خفت غياً فأمسك» والعجلة صفة من صفات الشيطان. روي أنه لما رأى خلقة آدم من الطين قبل أن ينفخ فيه الروح عجل في أمره وقال وعزة ربي إن جعل هذا خيراً وفضله علي فلا أطيعه وإن جعلني خيراً منه لأهلكنه فلما نفخ فيه الروح وأمر الملائكة وإبليس بالسجود له عجل

إبليس بالإباء لإظهار العداوة والسعي في هلاكه على ما عزم عليه أولاً ولم يتأن وينظر في أمره. وأما التأني فمن أوصاف الرحمن ولذا خلق السموات والأرض في ستة أيام وإن كان قادراً على أن يخلقها في مقدار طرفة عين.

فعلى العاقل العمل بالتأني والأفضل والجهاد إلى آخر العمر وحلول الأجل كيلا يكون من المتخلفين.

قال شقيق: إن الله تعالى أظهر هذا الدين وجعل عزه في الجهاد فمن أخذ منه حظه في زمانه كان كمن شاهده كله وشارك من مضى قبله من الغزاة ومن تبطأ عنه في زمانه فقد شارك المتخلفين عن رسول الله ﷺ في إثمهم وعارهم والتبطؤ والتخلف إنما هو من الكسل الطبيعي البدني ومن كان له حظ روحاني يجد في نفسه المسارعة إلى الخيرات. وفي «المثنوي»:

هر كرانى وكسل خود ازتنست جان زخفت جمله درپر يدنست

اللهم اعصمنا من الكسل في باب الدين وأعنا إنك أنت المعين.

﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ في ﴿أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ وإن الخلص منهم يبادرون إليه من غير توقف على الإذن فضلاً عن أن يستأذنوك في التخلف وحيث استأذنك هؤلاء في التخلف كان مظنة للتأني في أمرهم بل دليلاً على نفاقهم وعلة عدم الاستئذان الإيمان كما أن علة الاستئذان عدم الإيمان بناء على قاعدة أن تعليق الحكم بالوصف يشعر بعلية الوصف له. ﴿والله عليم بالمتقين﴾ شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم بإجزال الثواب وإشعار بأن ما صدر عنهم معلل بالتقوى.

﴿إنما يستأذنك﴾ في التخلف ﴿الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ قال في «التبيان» كان الاستئذان في ذلك الوقت علامة النفاق، قيل كانوا تسعة وثلاثين رجلاً. ﴿وارتابت قلوبهم﴾ عطف على الصلة والماضي للدلالة على تحقق الريب والريب شك مع اضطراب القلب ودل على أن الشاك المرتاب غير مؤمن. ﴿فهم﴾ حال كونهم ﴿في ريبهم﴾ وشكهم المستقر في قلوبهم ﴿يترددون﴾ أي يتحيرون فإن التردد [ديدن المتحير] كما أن الثبات [ديدن المستبصر].

﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿ولو أرادوا الخروج﴾ يدل على أن بعضهم قالوا عند الاعتذار كنا نريد الخروج لكن لم نتهيأ له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا فكذبهم الله وقال لو أرادوا الخروج معك إلى العدو في غزوة تبوك. ﴿لأعدوا له﴾ أي: للخروج في وقته ﴿عدة﴾ أي: أهبة من الزاد والراحلة والسلاح وغير ذلك مما لا بد منه للسفر ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ ولكن ما أرادوه لما أنه تعالى كره نهوضهم للخروج لما فيه من المفاسد الآتية. والانبعاث [برانكيخته شدن] كما في «التاج» فلكن للاستدراك من المقدم.

وفي «حواشي سعدي چلبي»: الظاهر أن لكن ههنا للتأكيد انتهى ﴿فثبطهم﴾ أي حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا له والتثبيط صرف الإنسان عن الفعل الذي يهم به ﴿وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ الذين شأنهم القعود وملازمة البيوت وهم الزمنى والمرضى

والعميان والنساء والصبيان ففيه ذم لهم وظاهره يخالف قوله تعالى: ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ فلذا حملوه على التمثيل بأن يشبه إلقاء الله تعالى في قلوبهم كراهة الخروج بأمر آمر أمرهم بالقعود ثم بين سر كراهته تعالى لانبعاثهم فقال:

﴿لو خرجوا فيكم﴾ [درميان شما] أي مخالطين لكم ﴿ما زادوكم﴾ أي: ما أورثوكم شيئاً من الأشياء. ﴿إلا خبالاً﴾ أي: فساداً وشراً كالتجبين وتهويل أمر الكفار والسعي للمؤمنين بالنميمة وإفساد ذات البين وإغراء بعضهم على بعض وتحسين الأمر لبعضهم وتقبيحه للبعض الآخر ليتخلفوا وتفترق كلمتهم فهو استثناء مفرغ من أعم العام الذي هو الشيء فلا يلزم أن يكون في أصحاب رسول الله ﷺ خبال وفساد ويزيد المنافقون ذلك الفساد بخروجهم فيما بينهم لأن الزيادة المستثناة إنما هي الزيادة بالنسبة إلى أعم العام لا بالنسبة إلى ما كان فيهم من القبائح والمنكرات.

وفي «البحر»: قد كان في هذه الغزوة منافقون كثير ولهم لا شك خبال فلو خرج هؤلاء لالتأموا فزاد الخبال انتهى ﴿ولأوضعوا خلالكم﴾ أي لسعوا بينكم وأسرعوا بإلقاء ما يهيج العداوة أو ما يؤدي إلى الانهزام، والإيضاع تهييج المركوب وحمله على الإسراع من قولهم وضع البعير وضعاً إذا أسرع وأوضعته أنا إذا حملته على الإسراع. والمعنى لأوضعوا ركائبهم بينكم على حذف المفعول، والمراد به المبالغة في الإسراع بالنمائم لأن الراكب أسرع من الماشي، والخلال جمع خلل وهو الفرجة بين الشيئين وهو بمعنى بينكم منصوب على أنه ظرف أوضعوا. ﴿يبغونكم الفتنة﴾ حال من فاعل أوضعوا، أي حال كونهم باغين أي طالبين الفتنة لكم وهي افتراق الكلمة ﴿وفيكم﴾ [ودرميان شما] ﴿سماعون لهم﴾ أي: نمامون يسمعون حديثكم لأجل نقله إليهم فاللام للتعليل أو فيكم قوم ضعفة يسمعون للمنافقين أي يطيعونهم فاللام لتقوية العمل لكون العامل فرعاً كقوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] ﴿والله عليم بالظالمين﴾ علماً محيطاً بضمائرهم وظواهرهم وما فعلوا فيما مضى وما يأتي منهم فيما سيأتي وهو شامل للفريقين السماعين والقاعدين.

﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿لقد ابتغوا﴾ أي: طلب هؤلاء المنافقون ﴿الفتنة﴾ تشتيت شملك وتفريق أصحابك عنك ﴿من قبل﴾ أي قبل غزوة تبوك يعني يوم أحد فإن أبياً انصرف يوم أحد مع ثلاثمائة من أصحابه وبقي النبي عليه السلام مع سبعمائة من خلص المؤمنين، وقد تخلف بمن معه عن تبوك أيضاً بعد ما خرج النبي عليه السلام إلى ذي جدة أسفل من ثنية الوداع، وكذا ابتغوا الفتنة في حرب الخندق حيث قالوا يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا، وفي ليلة العقبة أيضاً حيث ألقوا شيئاً بين قوائم ناقة رسول الله ﷺ بالليل حتى تنفر وتلقى النبي عليه السلام عن ظهرها، وأيضاً وقف اثنا عشر رجلاً من المنافقين على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا به عليه السلام فأخبره الله بذلك وسلمه منهم، والفتك: أن يأتي الرجل صاحبه وهو غارّ غافل حتى يشد عليه فيقتله. ﴿وقلبوا لك الأمور﴾ تقليب الأمر تصريفه من وجه إلى وجه وترديده لأجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل حول قلب، أي اجتهدوا ودبروا لك الحيل

والمكايد ورددوا الآراء في إبطال أمرك. ﴿حتى جاء الحق﴾ أي: النصر والتأييد الإلهي. ﴿وظهر أمر الله﴾ غلب دينه وعلا شرفه ﴿وهم كارهون﴾ والحال إنهم كارهون لذلك أي على رغم منهم.

وقال الكاشفي: [وايشان ناخواها نند نصرت ودولت ترا اما چون خداى تعالى مى خواهد كراهت ايشانرا اثرى نيست].

چون ترا اندر حريم قرب خودره داده شاه ازنفير پرده دار وطعن دربان غم مخور

انظر إلى ما في هذه الآيات من تقبيح حال المنافقين وتسلية رسول الله والمؤمنين وبيان كون العاقبة للمتقين ولن يزال الناس مختلطاً مخلصهم بمنافقهم من ذلك الوقت إلى هذا الحين لكن من كان له نية صادقة صالحة يختار فراق أهل الهوى والرياء أجمعين؛ لأن صحبة غير الجنس لا تزيد إلا تشويشاً وتفرقة في باب الدين وكسلاً في عزيمة أهل اليقين فاجهد أن لا ترى الأضداد ولا تجاورهم فكيف أن تعاشرهم وتخالطهم يا مسكين. وفي «المثنوي»:

چون ببندى توسر كوزه تهى درميان حوض وياجوئى نهى
تاقيامت او فرو نايد ببست كه دلش خاليست دروى بادهست
ميل بادش چون سوى بالابود ظرف خودرا هم سوى بالا كشد
باز آن جانهاكه جنس انبياست سوى ايشان كش كشان چون سايه هاست
جان هامان جاذب قبطى شده جان موسى جاذب سبطى شده
معدهٔ خركه كشد در اجتذاب معدهٔ آدم جذوب كندم آب

ثم في قوله تعالى: ﴿ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم﴾ ذم للنمام والنميمة وهي كشف ما يكره كشفه يقال إن ثلث عذاب القبر من النميمة.

قال عبد الله بن المبارك ولد الزنى لا يكتم الحديث.

قال الإمام الغزالي: أشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد الزنى وفي حديث المعراج «قلت لمالك أرني جهنم، فقال: لا تطيق على ذلك، فقلت مثل سم الخياط فقال: انظر، فنظرت فرأيت قوماً على صورة القردة قال هم القتاتون» أي: النمامون وفرق بعضهم بين القتات والنمام بأن النمام هو الذي يتحدث مع القوم والقتات هو الذي يتسمع على القوم وهم لا يعلمون ثم ينم كذا في «شرح المصابيح» روي أن الحسن البصري جاء إليه رجل بالنميمة، وقال: إن فلاناً وقع فيك، فقال له الحسن: متى قال؟ قال اليوم قال أين رأيته قال في منزله قال ما كنت تصنع في منزله قال كانت له ضيافة قال ماذا أكلت في منزله، قال كيت وكيت حتى عدد ثمانية ألوان من الطعام، فقال الحسن: يا هذا قد وسع بطنك ثمانية ألوان من الطعام ألا وسع حديثا واحداً قم من عندي يا فاسق. وفيه إشارة إلى أن النمام ينبغي أن يبغض ولا يوثق بصداقته. وذكر أن حكيماً من الحكماء زاره بعض إخوانه وأخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم قد أبطأت في الزيارة وأتيتني بثلاث جنايات بغضت إليّ أخي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الأمينة كذا في «الروضة» و«الأحياء» وهذا عادة الإخوان خصوصاً في هذا الزمان سامحهم الله الملك الديان.

فعلى العاقل حفظ اللسان وحفظ الجوارح من مساوىء الكلام وأنواع الآثام فإن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾.

﴿ومنهم﴾ أي من المنافقين. **﴿من يقول﴾** لك يا محمد. **﴿ائذن لي﴾** في القعود عن غزوة تبوك **﴿ولا تفتني﴾** من فتنه يفتنه أوقعه في الفتنة كفتنه وافتتنه يلزم ويتعدى كما قال في «تاج المصادر» الفتون والفتن [دوفتنه افكندن وفتنه شدن] والمعنى لا توقعني في الفتنة وهي المعصية والإثم يريد إني متخلف لا محالة أذنت أو لم تأذن فائذن لي حتى لا أقع في المعصية بالمخالفة أو لا تلقني في الهلكة فإني إن خرجت معك هلك مالي وعيالي لعدم من يقوم بمصالحهم. **﴿ألا﴾** [بدانكه] **﴿في الفتنة﴾** أي: في عينها ونفسها وأكمل أفرادها. **﴿سقطوا﴾** لا في شيء مغاير لها وهي فتنة التخلف ومخالفة الرسول وظهور النفاق. يعني إنهم وقعوا فيما زعموا أنهم محترزون عنه فالفتنة هي التي سقطوا فيها لا ما احترزوا عنه من كونهم مأمورين بالخروج إلى غزوة تبوك. **﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾** معطوف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه أي جامعة للمنافقين وغيرهم من الكفار يوم القيامة من كل جانب، أي: إنهم يدخلون جهنم لا محالة لأن الشيء إذا كان محيطاً بالإنسان فإنه لا يفوته كما في الحدادي أو جامعة لهم الآن لإحاطة أسبابها من الكفر والمعاصي.

وقيل: تلك المبادي المتشكلة بصور الأعمال والأخلاق هي النار بعينها ولكن لا يظهر ذلك في هذه النشأة وإنما يظهر عند تشكلها بصورها الحقيقة في النشأة الآخرة وقس عليها الأعمال والأخلاق المرضية ألا ترى أن دم الشهيد يتشكل بصورة المسك فلا يفوح منه إلا المسك كما ورد في الشرع.

وقال بعضهم: هذه الآية نزلت في جد بن قيس من المنافقين دعاه النبي عليه السلام إلى الخروج إلى العدو وحرضه على الجهاد «فقال له يا جد بن قيس هل لك في جلاد بني الأصفر» يعني: طوال القدّ منهم فإن الجلاد من النخل هي الكبار الصلاب «تتخذ منهم سراري ووصفاء» فقال جد ائذن لي في القعود ولا تفتني بذكر نساء الروم، فإنه قد علمت الأنصار أني رجل مولع بالنساء أي مفرط في التعلق بهن فأخشى إن ظفرت ببنات الأصفر أن لا أصبر عنهن فأواقعهن قبل القسمة فأقع في الفتنة والإثم فلما سمع النبي عليه السلام قوله اعرض عنه وقال: «أذنت لك» ولم يقبل الله تعالى عذر جد وبين أنه قد وقع في الفتنة بمخالفة النبي عليه السلام، والمراد ببني الأصفر الروم وهم جيل من ولد روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، والوجه في تسمية الروم ببني الأصفر أن ملوك الروم انقضوا في الزمان الأول فبقيت منهم امرأة فتنافسوا في الملك حتى وقع بينهم شر عظيم فاتفقوا على أن يملكوا أول من أشرف عليهم فجلسوا مجلساً لذلك وأقبل رجل من اليمن معه عبد له حبشي يريد الروم فأبق العبد فأشرف عليهم فقالوا انظروا في أي شيء وقعتم فزوجوه تلك المرأة فولدت غلاماً فسموه الأصفر فخاصمهم المولى فقال صدق أنا عبده فأرضوه، فلذلك قيل للروم بنو الأصفر لصفرة لون هذا الولد لكونه مولداً بين الحبشي والمرأة البيضاء.

وفي «الروض» قيل لهم: بنو الأصفر لأن عيصو بن إسحاق كان به صفرة وهو جدهم وقيل إن الروم بن عيصو هو الأصفر وهو أبوهم وأمه نسمة بنت إسماعيل عليه السلام وليس كل الروم من ولد بني الأصفر فإن الروم الأول فيما زعموا من ولد يونان بن يافث بن نوح عليهم السلام انتهى.

وقيل: قيل لهم بنو الأصفر لأن جدهم روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم تزوج بنت ملك الحبشة فجاء لون ولده بين البياض والسواد فقيل له الأصفر وقيل لأولاده بنو الأصفر.

وقيل: لأن جيشاً من الحبشة غلب على ناحيتهم في وقت فوطىء نساءهم فولدت أولاداً صفراء بين سواد الحبشة وبياض الروم. حكي عن بعض العارفين أنه رأى النبي عليه السلام في المنام فقال يا رسول الله إني أريد أن أتوجه إلى الروم فقال عليه السلام الروم لا يدخله المعصوم فاختلج في صدره أن في الروم العلماء والصلحاء والأولياء أكثر من أن يحصى ثم تتبع فوجد أن المراد من المعصوم الأنبياء وأما هؤلاء فيسمون المحفوظين الكل من «أنوار المشارق» وثبت في الصحيح أنه «لا يبقى مسلم وقت قيام الساعة» لكن يكون الروم وهم قوم معروف أكثر الكفرة في ذلك الوقت كما كانوا اليوم أكثرهم.

ثم إن القعود عن الغزو من بخل الرجل وهو من أذم الصفات.

قال إبراهيم بن أدهم: إياك والبخل قيل وما البخل قال أما البخل عند أهل الدنيا فهو أن يكون الرجل شحيحاً بماله وأما الذي عند أهل الآخرة فهو الذي يبخل بنفسه عن الله تعالى ألا وإن العبد إذا جاد بنفسه لله تعالى أورث قلبه الهدى والتقى وأعطاه السكينة والوقار والعلم الراجح والعقل الكامل.

فعلى العاقل الجود بماله ونفسه في الجهاد الأصغر والأكبر حتى ينال الرضى من الله تعالى والجود من أمدح الصفات. وحكي عن أبي جهيم بن حذيفة قال انطلقت يوم تبوك أطلب عمي ومعي ماء أردت أن أسقيه إن كان به رمق فرأيته ومسحت وجهه فقلت له أسقيك الماء فأشار برأسه نعم فإذا رجل يقول آه من العطش فأومى برأسه أن اذهب إليه فإذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك قال: نعم فلما دنوت منه سمعت صوتاً يقول آه من العطش فأشار إلى أن اذهب به إليه فذهبت فإذا هو ميت فرجعت بالماء إلى هشام فإذا هو ميت فرجعت إلى عمي فإذا هو ميت كذا في «خالصة الحقائق». قال الحافظ الشيرازي قد سره:

فداى دوست نكرديم عمرو مال دريغ　　كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد

قال السعدي قدس سره:

اكر كنج قارون بچنك آورى　　نماند مكر آنچه بخشى برى

﴿إن تصبك﴾ في بعض غزواتك ﴿حسنة﴾ ظفر وغنيمة كيوم بدر. ﴿تسؤهم﴾ تلك الحسنة أي تورثهم يعني المنافقين مساءة وحزناً لفرط حسدهم وعداوتهم لك. ﴿وإن تصبك﴾ في بعضها ﴿مصيبة﴾ جراحة وشدة كيوم أحد أو قتل وهزيمة على أن يكون المراد بالخطاب المؤمنين كما يدل عليه ما بعد الآية من إيراد ضمائر المتكلم مع الغير وإلا فمن قال إن النبي عليه السلام هزم في بعض غزواته يستتاب فإن تاب فيها ونعمت وإلا قتل لأنه نقص ولا يجوز ذلك عليه خاصة إذ هو على بصيرة من أمره ويقين من عصمته كما في «هدية المهديين» نقلاً عن القاضي عبد الله بن المرابط ﴿يقولوا قد أخذنا أمرنا﴾ [احتياط كار خودرا] ﴿من قبل﴾ أي:

من قبل إصابة المصيبة: يعني [دور انديشى كرديم وبدين حرب نرفتيم] ﴿ويتولوا﴾ أي: يدبروا عن مجلس الاجتماع والتحدث إلى أهاليهم. ﴿وهم فرحون﴾ بما صنعوا من الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب والجملة حال من الضمير في يقولوا أو يتولوا لا من الأخير فقط لمقارنة الفرح لهما معاً. ﴿قل﴾ بياناً لبطلان ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد. ﴿لن يصيبنا﴾ أبداً ﴿إلا ما كتب الله﴾ في اللوح المحفوظ. ﴿لنا﴾ اللام للتعليل، أي: لأجلنا من خير وشر وشدة ورخاء لا يتغير بموافقتكم ومخالفتكم وأمور العباد لا تجري إلا على تدبير قد أحكم وأبرم ﴿هو مولانا﴾ ناصرنا ومتولي أمورنا. ﴿وعلى الله﴾ وحده وهو من تمام الكلام المأمور به ويجوز أن يكون ابتداء كلام من الله تعالى. ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ التوكل تفويض الأمر إلى الله تعالى والرضى بما فعله وإن كان ذلك بعد ترتيب المبادي العالية والمعنى إن حق العبد أن يتوكل على مولاه ويبتغي رضوانه ويعتقد أنه لن يصيبه شيء من الأشياء إلا ما قدر له.

پير ما كفت خطا بر قلم صنع نرفت آفرين بر نظر پاك خطا پوشش باد

وفي الحديث: «إن العبد لا يبلغ حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه».

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ (٥٢) قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ (٥٣)﴾.

﴿قل﴾ للمنافقين ﴿هل تربصون بنا﴾ التربص التمكث مع انتظار مجيء شيء خيراً كان أو شراً والباء للتعدية وإحدى التاءين محذوفة إذ الأصل تتربصون. والمعنى ما تنتظرون بنا. ﴿إلا إحدى الحسنيين﴾ أي: العاقبتين اللتين كل واحدة منهما من حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما أبهم في الجواب الأول وكشف لحقيقة الحال بإعلام أن ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة أنفع مما يعدونه منفعة من النصر والغنيمة. والمعنى فما تفرحون إلا بما نلنا مما هو أحسن العواقب وحرمانكم من ذلك فأين أنتم من التيقظ والعمل بالحزم كما زعمتم وفي الحديث: «يضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرج إلا إيماناً بالله وتصديقاً برسوله، أن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى منزله الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة».

دولت اكر مدد دهد دامنش آورم بكف كربكشد زهى طرب وربكشد زهى شرف

﴿ونحن نتربص بكم﴾ أحد السوأيين من العواقب ﴿أن يصيبكم الله﴾ [آنكه برساند خداى تعالى بشما]. ﴿بعذاب من عنده﴾ كما أصاب من قبلكم من الأمم المهلكة من الصيحة والرجفة والخسف وكون العذاب من عند الله عبارة عن عدم كونه بأيدي العباد. ﴿أو﴾ بعذاب ﴿بأيدينا﴾ وهو القتل بسبب الكفر. ﴿فتربصوا﴾ الفاء فصيحة أي إذا كان الأمر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا ﴿إنا معكم متربصون﴾ ما هو عاقبتكم فإذا لقي كل منا ومنكم ما يتربصه لا تشاهدون إلا ما يسرنا ولا نشاهد إلا ما يسوؤكم وفي الحديث: «مثل المؤمن مثل السنبلة تحركها الريح، فتقوم مرة وتقع أخرى ومثل الكافر مثل الأرزة لا تزال قائمة حتى تنقعر» أي: تنقطع يقال قعر الشجرة قلعها من أصلها فانقعرت. والأرزة شجر يشبه الصنوبر يكون بالشام وبلاد الأرمن وقيل: هو شجر الصنوبر: يعني [مؤمن را عيش خوش نبودشادى باغم ونعمت باشدت

ودرستى بابيمارى وچنين بسيار بماند وكافر تن درست ودل خوش بودلكن بيك كرت بسراندر آيد وهلاك شود]، وفي الحديث: «من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة» يعني، أن الولي وهو المؤمن المطيع ينصر الله تعالى فيكون الله ناصره فمن عادى من كان الله ناصره فقد بارز بمحاربة الله وكل كافر ومنافق فهو مهين الأولياء وإهانتهم بذر محصوله الهلاك والاستئصال وفي «المثنوي»:

قصهٔ عاد وثمود ازبهر چيست — تابداني كانبيا را ناز كيست

اين نشان خسف وقذف وصاعقه — شد بيان عز نفس ناطقه

جمله حيوانرا پى انسان بكش — جمله انسانرا بكش ازبهر هش

هش چه باشد عقل كل هو شمند — هوش جزئى هش بود اما نژند

وقد ذم الله المنافقين بتغيير الحال وعدم مواطأة الحال بالمقال وفي الحديث: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» وفي الحديث: «طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريرته، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره» وفي الحديث: «من شر الناس ذو الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه آخر ومن كان ذا وجهين في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار» كما في «أبكار الأفكار».

﴿**قل**﴾ جواباً لجد بن قيس من المنافقين وهو قد استأذن في التخلف عن غزوة تبوك وقال أعينك بمالي. ﴿**أنفقوا**﴾ أيها المنافقون أموالكم في سبيل الله حال كونكم ﴿**طوعاً**﴾ أي طائعين من قبل أنفسكم ﴿**أو كرهاً**﴾ أو كارهين مخافة القتل كما في الحدادي.

وقال في «الإرشاد»: «طوعاً» أي من غير إلزام من جهته عليه السلام ولا رغبة من جهتكم أو هو فرضي لتوسيع الدائرة انتهى أي فلا يخالفه قوله: ﴿**ولا ينفقون إلا وهم كارهون**﴾ كما سيأتي ﴿**لن يتقبل منكم**﴾ يحتمل أن يكون المراد منه أنه عليه السلام لا يقبله منهم بل يرد عليهم ما يبذلونه أو أنه تعالى لا يقبله منهم ولا يثيبهم عليه قوله أنفقوا أمر في معنى الخبر، أي أنفقتم وذلك لأن قوله لن يتقبل منكم يأبى عن حمله على معناه الظاهر إذ لا وجه لأن يؤمر بشيء ثم يخبر بأنه عبث لا يجدي نفعاً بوجه ما. روي أنه لما اعتذر من الخروج لامه ولده عبد الله عنه وقال له: والله لا يمنعك إلا النفاق وسينزل الله فيك قرآناً فأخذ نعله وضرب به وجه ولده فلما نزلت الآية قال له: ألم أقل لك، فقال له اسكت يا لكع فوالله لأنت أشد عليّ من محمد، ثم علل رد إنفاقهم بقوله ﴿**إنكم كنتم قوماً فاسقين**﴾ أي: كافرين فالمراد بالفسق ما هو الكامل منه لا الذي هو دون الكفر كما قال الكاشفي [بدرستى كه شماهستيد كروهى بيرون رفتكان ازدائرهٔ اسلام ونفقهٔ كافر قبول نيست] فالتعليل هنا بالفسق وفيما بعده بالكفر حيث قال ألا إنهم كفروا بالله واحد. روي أنه تاب من النفاق وحسنت توبته ومات في خلافة عثمان رضي الله عنه.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿**وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله**﴾ استثناء من أعم الأشياء أي ما منعهم من قبول نفقاتهم منهم شيء من الأشياء إلا كفرهم فالمستثنى المفرغ مرفوع

المحل على أنه فاعل منع. وقوله أن تقبل مفعوله الثاني بنزع الخافض أو بنفسه فإنه يقال منعت الشيء ومنعت فلاناً حقه ومنعته من حقه.

وقال أبو البقاء: (أن تقبل) في موضع نصب بدلاً من المفعول في (منعهم). ﴿**ولا يأتون الصلاة**﴾ [ونمى آيند بنماز جماعت] وهو معطوف على كفروا. ﴿**إلا وهم كسالى**﴾ أي: لا يأتونها في حال من الأحوال إلا حال كونهم متثاقلين.

قال الكاشفي: [مكر ايشان كاهلانند بنماز مى آيند بكسالت وكراهت نه بصدق وارادت] والكسالى جمع كسلان كما يقال سكارى وسكران.

قال البغوي: كيف ذكر الكسل في الصلاة ولا صلاة لهم أصلاً؟ قيل: الذم واقع على الكفر الذي يبعث على الكسل فإن الكفر مكسل والإيمان منشط. ﴿**ولا ينفقون إلا وهم كارهون**﴾ قال ابن الشيخ: الرغبة والنشاط في أداء العبادات متفرعة على رجاء الثواب بها، وخوف العقاب على تركها المتفرعين على الإيمان بما جاء به النبي عليه السلام من عند الله، والمنافق لا يؤمن بذلك فلا يرجو ثواب الآخرة ولا يخاف عقابها فيكون كسلان في إتيان الصلاة، وكارهاً للإنفاق لزعمه أنهما إتعاب للبدن وتضييع للمال بلا فائدة، وفيه ذم الكسل قيل من دام كسله خاب أمله. قال أبو بكر الخوارزمي:

لا تصحب الكسلان في حالاته ... كم صالح بفساد آخر يفسد
عدوى البليد إلى الجليد سريعة ... والجمر يوضع في الرماد فيخمد

وفي «المثنوي»:

كر هزاران طالبند ويك ملول ... از رسالت بازمى ماند رسول
كى رسانند آن امانت را بتو ... تانباشى پيششان راكع دوتو

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿**فلا تعجبك**﴾ الإعجاب استحسان على وجه التعجب من حسنه.

قال الكاشفي: [پس بايدكه ترابشكفت نيارد خطاب بآن حضرتست ومراد امت اند مؤمنا نرا ميفرمايدكه متعجب نكردانند شمارا]. ﴿**أموالهم**﴾ أي: أموال المنافقين. ﴿**ولا أولادهم**﴾ فإن ذلك وبال عليهم واستدراج لهم، كما قال: ﴿**إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا**﴾ ضمير بها راجع إلى الأموال دون الأولاد. والمعنى: ليعذبهم بالتعب في جمعها والوجل في حفظها والكره في إنفاقها ويجوز أن يرجع إليهم معاً بناء على أن الأولاد أيضاً أسباب للتعذيب الدنيوي من حيث إنهم إن عاشوا يبتلى أصولهم بمتاعب تربيتهم وتحصيل أسباب معاشهم من المآكل والمشارب والملابس وإن ماتوا يبتلى أصولهم بحسرة فراقهم فإن من أحب شيئاً كان تألمه على فراقه شديداً.

يقول الفقير: إن قلت: إن المؤمن والكافر يشتركان في هذا التعب والحسرة فما معنى تخصيص الكافر، أي: المنافق؟ قلت: نعم إلا أن المؤمن أخف حالاً لإيمانه وأمله ثواب الآخرة وصبره على الشدائد فيكون التعذيب بتربية الأولاد وحسرة فراقهم كلا تعذيب بالنسبة

إليه ﴿وتزهق﴾ أصل الزهوق خروج الشيء بصعوبة. ﴿أنفسهم وهم كافرون﴾ أي فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة لا نعمة [نه مال ايشانرا دست كيرد ونه فرزند بفرياد رسد] وفي إرادة الله زهوق أنفسهم على الكفر لينالوا وباله إشارة إلى جواز الرضى بكفر الغير وموته عليه إذا كان شريراً مؤذياً ينتقم الله منه أي من غير استحسان واستجازة كما قال الفقهاء إذا دعا على ظالم أماتك الله على الكفر، أو قال سلب الله عنك الإيمان أو دعا عليه بالفارسية [خداجان تويكافرى بستاند]، فهذا لا يكون كفراً إذا كان لا يستحسنه ولا يستجيزه ولكن تمنى أن يسلب الله الإيمان منه حتى ينتقم الله منه على ظلمه وإيذائه الخلق.

واعلم: أن الطاعة في العبودية بثلاثة أنواع بالمال والبدن والقلب أما بالمال فهو الإنفاق في سبيل الله وفي الحديث: «من جهز غازياً ولو بسلك إبرة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن جهز غازياً ولو بدرهم أعطاه الله سبعين درجة في الجنة من الدر والياقوت» وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «أتي بفرس يجعل كل خطوة منه أقصى بصره فسار ومعه جبريل فأتى على قوم يزرعون في يوم، ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال: «يا جبرائيل من هؤلاء»؟ قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف»، وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه» وأما بالبدن فهو القيام بالأوامر والنواهي والسنن والآداب المستحسنة المستحبة وأما بالقلب فهو الإيمان والصدق والإخلاص في النية فالطاعة بالمال والبدن لا تقبل عند إعواز طاعة القلب كطاعة المنافقين وطاعة القلب عند إعواز الطاعة بالمال والبدن مقبولة لقوله عليه السلام: «نية المؤمن أبلغ من عمله» فالقربة لا تقبل إلا على حقيقة الإيمان وهو شرط إقامة الطاعات المالية والبدنية وفي الحديث: «إن إعطاء هذا المال فتنة وإمساكه فتنة» وذلك لأن إنفاقه على طريق الرياء أو بالمنة والأذى فتنة وكذا إمساكه، إذ في الإمساك ملامة وذلالة بل ضلالة وفي الحديث: «إن لكل أمة فتنة وإن فتنة أمتي بالمال» [حقيقت فتنه آنست كه هرچيزى كه آن مرورا از دين ورشد مشغول دارد آنراكه ازتوفيق محرومست وآنرا كه موافقيست اكر پادشاه دنيا شود آن پادشاهى اورا ازدين مشغول ندارد] وفي «المثنوي»:

چيست دنيا از خدا غافل بدن ... نى قماش ونقره وميزان وزن
مال راكز بهر دين باشى حمول ... نعم مال صالح خواندش رسول
آب در كشتى هلاك كشتى است ... آب اندر زير كشتى پستى است
چونكه مال وملك را ازدل براند ... زان سليمان خويش جز مسكين نخواند

[ومعاويه زنى را پرسيدكه على را ديده كفت بلى كفت چه كونه مردى بود على كفت لم يبطره الملك ولم تعجبه النعمة وعمر بن الخطاب رضي الله عنه كويدكه هركه مال اورا نفريبد هيچ جادويى وديوى اورا نفريبد ومردى پيغمبررا ﷺ كفت مرا چاره بياموزكه ديو مرانفريبد كفت دوستىء مال دردل مدار وبا هيچ زن نا محرم خالى مباش] كذا في «شرح الشهاب»:

مكن تكيه برملك وجاه وحشم ... كه پيش ازتوبودست وبعد ازتوهم

﴿ويحلفون﴾ أي: المنافقون ﴿بالله﴾ يحتمل أن يتعلق بيحلفون ويحتمل أن يكون من كلامهم ﴿إنهم لمنكم﴾ أي: لمن جملة المسلمين. ﴿وما هم منكم﴾ لكفر قلوبهم ﴿ولكنهم

قوم يفرقون﴾ أي يخافون منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الإسلام تقية ويؤكدونه بالأيمان الفاجرة يقال فرق كفرح، أي فزع والفرق بفتحتين الفزع. ﴿لو يجدون﴾ [اكربيابيد] وإيثار صيغة الاستقبال في الشرط وإن كان المعنى على المضي لإفادة استمرار عدم الوجدان. ﴿ملجأ﴾ أي: مكاناً حصيناً يلجؤون إليه من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة مفعل من لجأ إليه يلجأ، أي انضم إليه ليتحصن به ﴿أو مغارات﴾ هي الكهوف الكائنة في الجبال الرفيعة أي غيراناً وكهوفاً يخفون فيها أنفسهم جمع مغارة، وهي مفعلة اسم للموضع الذي يغور فيه الإنسان أي يغيب ويستتر. ﴿أو مدخلاً﴾ هو السرب الكائن تحت الأرض كالبئر، أي نفقا يندسون فيه وينحجرون أو قوماً يمكنهم الدخول فيما بينهم يحفظونهم منكم كما في الحدادي وهو مفتعل من الدخول أصله مدتخل.

قال ابن الشيخ: عطف المغارات والمدخل على الملجأ من قبيل عطف الخاص على العام لتحقيق عجزهم عن الظفر بما يتحصنون فيه فإن الملجأ هو المهرب الذي يلتجىء إليه الإنسان ويتحصن به من أي نوع كان. ﴿لولوا﴾ أي لصرفوا وجوههم وأقبلوا. ﴿إليه﴾ أي: إلى أحد ما ذكر ﴿وهم يجمحون﴾ أي: يسرعون إسراعاً لا يردهم شيء كالفرس الجموح لئلا يجتمعوا معكم ويتبعدوا عنكم، والجموح النفور بإسراع، يقال: فرس جموح إذا لم يرده لجام. والمعنى: إنهم وإن كانوا يحلفون لكم أنهم منكم إلا أنهم كاذبون في ذلك وإنما يحلفون خوفاً من القتل لتعذر خروجهم من بلادهم ولو استطاعوا ترك دورهم وأموالهم والالتجاء إلى بعض الحصون أو الغيران التي في الجبال أو السروب التي تحت الأرض لفعلوه تستراً عنكم واستكراهاً لرؤيتكم ولقائكم وفيه بيان لكمال عتوهم وطغيانهم، وإشارة إلى أن المنافق يصعب عليه صحبة المخلص فإن الجنس إلى الجنس يميل لا إلى خلافه. قال السعدي في كتاب «الكلستان» [طوطى رابازاغى همقفس كردند ازقبح مشاهده أو مجاهده برده مى كفت اين چه طلعت مكروهست وهيأت ممقوت ومنظر ملعون وشمائل ناموزون يا غراب البين يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين.

على الصباح بروى توهركه برخيزد صباح روز سلامت برومسا باشد
بداخترى چوتو در صحبت توبايستى ولى چنانكه تودر جهان كجاباشد

عجبتر انكه غراب هم از محاورت طوطى بجان آمده بود لا حول كنان از كردش كيتى همى ناليد ودستهاى تغا بن يكديكر همى ما ليد وميكفت اين چه بخت نكونست وطالع دون وأيام بوقلمون لايق قدر من آنستى كه بازاغى در ديوار باغى حرامان همى رفتمى.

پارسارا بس اين قدر زندان كه بود هم طويلهٔ رندان

تاچه كنه كرده ام روز كارم بعقوبت آن در سلك صحبت چنين ابلهى خود رأى وناجنس ويافه دراى بچنين بند بلا كرده است.

كس نيايد بپاى ديوارى كه بران صورتت نكار كنند
كرترادر بهشت باشد جاى ديكران دوزخ اختيار كنند

اين مثل براى ان آوردم تابدانى كه صد چندانكه دانارا زنادان نفرتست نادانرا ازدانا وحشتست] قيل: أضيق السجون معاشرة الأضداد.

وقال الأصمعي: دخلت على الخليل وهو جالس على الحصير الصغير، فأشار إليّ

بالجلوس فقلت أضيق عليك فقال مه إن الدنيا بأسرها لاتسع متباغضين وإن شبرا بشبر يسع المتحابين.

قال بعضهم: الصديق الموافق خير من الشقيق المخالف.

فعلى العاقل أن يراعي جانب الآفاق والأنفس بقدر الإمكان ويجتهد في إصلاح الظاهر والباطن في كل زمان، ويجانب الأعداء وإن ادعوا أنهم من جملة الإخوان ومن الأعداء النفس وصفاتها وهي تدعي أنها على سيرة الروح والقلب والسر وسجيتها وليست كذلك لأن منشأ هذه عالم الأمر والأروح ومنشأ تلك عالم الخلق والأشباح فلا بد من إصلاحها وإزالة أخلاقها الرديئة لتكون لائقة بصحبة الروح ويحصل بسببها أنواع الذوق والفتوح.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿ومنهم﴾ أي من المنافقين. **﴿من يلمزك﴾** أي: يعيبك فإن اللمز والهمز العيب واللامز كالهامز واللماز واللمزة كالهماز والهمزة بمعنى العياب، وقيل اللامز هو من يعيبك في وجهك والهامز من يعيبك بالغيب **﴿في الصدقات﴾** أي: في شأن الزكاة ويطعن عليك في قسمتها جمع صدقة من الصدق يسمى بها عطية يراد بها المثوبة لا التكرمة؛ لأن بها يظهر صدقه في العبودية كما في «الكراماني».

والآية نزلت في أبي الجواظ المنافق حيث قال: ألا ترون إلى صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم أنه يعدل. **﴿فإن أعطوا منها﴾** بيان لفساد لمزهم وأنه لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا أي إن أعطوا من تلك الصدقات قدر ما يريدون. **﴿رضوا﴾** بما أعطوه وما وقع من القسمة واستحسنوها. **﴿وإن لم يعطوا منها﴾** ذلك المقدار بل أقل مما طمعوا **﴿إذا هم يسخطون﴾** أي يفاجئون السخط دلت إذا الفجائية على أنهم إذا لم يعطوا فاجأ سخطهم ولم يمكن تأخره لما جبلوا عليه من محبة الدنيا والشره في تحصيلها.

وفي «التأويلات النجمية»: النفاق تزيين الظاهر بأركان الإسلام وتعطيل الباطن عن أنوار الإيمان والقلب المعطل عن نور الإيمان يكون مزيناً بظلمة الكفر بحب الدنيا ولا يرضى إلا بوجدان الدنيا ويسخط بفقدها. قال السعدي:

نكند دوست زينهار از دوست　　دل نهادم برآنچه خاطر اوست
كر بلطفم بنزد خود خواند　　ور بقهرم براند او داند

﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله﴾ أي: ما أعطاهم الرسول من الصدقات طيبي النفوس به وإن قل وذكر الله تعالى للتعظيم والتنبيه على أن ما فعله الرسول عليه السلام كان بأمره سبحانه فلا اعتراض عليه لكون المأمور به موافقاً للحكمة والصواب. **﴿وقالوا حسبنا الله﴾** أي: كفانا فضله وصنعه بنا وما قسمه لنا فإن جميع ما أصابنا إنما هو تفضل منه سواء كان لكسبنا مدخل فيه أو لم يكن. **﴿سيؤتينا الله من فضله﴾** صدقة أخرى **﴿ورسوله﴾** فيعطينا منها أكثر مما أعطانا اليوم **﴿إنا إلى الله راغبون﴾** أن يغنينا من فضله والآية بأسرها في حيز الشرط والجواب محذوف بناء على ظهوره ولتذهب فيه النفس كل مذهب ممكن، أي لكان خيراً لهم.

[زيراكه رضا بقسمت سبب بهجت است وجزع دران موجب محنت. سلمى از إبراهيم أدهم نقل ميكندكه هركه بمقادير خرسند شدازغم وملال بازرست].

رضا بداده بده وزجبين كره بكشا كه بر من وتو در اختيار نكشادست

ودرين معنى فرموده است:

بشنواين نكته كه خودرا زغم آزاده كنى خون خورى كر طلب روزىء ننهاده كنى

يقال إذا كان القدر حقاً كان السخط حمقاً.

ولما قدم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مكة بعدما كف بصره، قيل له: أنت مجاب الدعوة لِمَ لا تسأل رد بصرك؟ فقال: قضاء الله تعالى أحب إليّ من بصري.

قيل لحكيم: ما السبب في قبض الكف عند الولادة وفتحه عند الموت فأنشد:

ومقبوض كف المرء عند ولادة دليل على الحرص المركب في الحي

ومبسوط كف المرء عند وفاته يقول انظروا إني خرجت بلا شيء

حكي: أن نباشاً تاب على يد أبي يزيد البسطامي قدس سره، فسأله أبو يزيد عن حاله فقال نبشت عن ألف، فلمْ أر وجوههم إلى القبلة إلا رجلين، فقال أبو يزيد: مساكين أولئك نهمة الرزق حولت وجوههم عن القبلة.

فعلى العاقل التوكل على الله والاعتماد بوعده فإن الله كاف لعبده ومن وجد الله فقد ما دونه لأن فقدان الله في وجدان ما سواه ووجدانه في فقدان ما سواه ومن وجده يرضى به ويقول سيؤتينا الله من فضله ما نحتاج إليه في كمال الدين ونظام الدنيا إنا إلى الله راغبون لا إلى الدنيا والعقبى وما فيهما غير المولى. روي أن عيسى عليه السلام مر بقوم يذكرون الله تعالى فقال لهم ما الذي حملكم عليه قالوا الرغبة في ثواب الله فقال أصبتم ومر على قوم آخرين يذكرون الله تعالى فقال لهم ما الذي حملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله تعالى فقال أصبتم ومر على قوم ثالث مشتغلين بذكر الله فسألهم عن سببه فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة في الثواب بل لإظهار ذلة العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بمعرفته وتشريف اللسان بالألفاظ الدالة على صفات قدسه وعزته فقال أنتم المتحققون وفي هذا المعنى. قال الحافظ:

پدرم روضهٔ جنت بدو كندم بفروخت نا خلف باشم اكر من بجوى نفروشم

﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿**إنما الصدقات**﴾ أي: جنس الزكوات المشتملة على الأنواع المختلفة من النقدين وغيرهما سميت الزكاة صدقة لدلالتها على صدق العبد في العبودية كما في «الكافي».

وذكر في «الأزاهير» أن تركيبها يدل على قوة في الشيء قولاً وفعلاً وسمي بها ما يتصدق به لأن بقوته يرد البلاء وقيل: لأن أول عامل بعثه ﷺ لجمع الزكاة رجل من بني صدق بكسر الدال وهم قوم من كندة والنسبة إليهم صدقى بالفتح فاشتقت الصدقة من اسمهم. ﴿**للفقراء والمساكين**﴾ أي مخصوصة بهؤلاء الأصناف الثمانية الآتية لا تتجاوزهم إلى غيرهم من المنافقين والفقير من له شيء دون نصاب والمسكين من لا شيء له وهو المروي عن أبي حنيفة وقيل بالعكس وفائدة الخلاف تظهر في الوصية للفقير أو المسكين. ﴿**والعاملين عليها**﴾ الساعي

في جمعها وتحصيلها فيعطى العامل مما في يده من مال الزكاة بقدر عمله فقيراً كان أو غنياً أو هاشمياً فلو ضاع ذلك المال لم يعط شيئاً وكذا لو أعطى المالك بنفسه زكاته إلى الإمام لا يستحق العامل شيئاً.

وفي «التبيين»: لو استغرقت كفاية الزكاة لا يزاد على النصف لأن التنصيف عين الإنصاف ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ وهم طائفة مخصوصة من العرب لهم قوة وأتباع كثيرة منهم مسلم ومنهم كافر قد أعطوا من الصدقة تقريراً على الإسلام أو تحريضاً عليه أو خوفاً من شرهم. ﴿وفي الرقاب﴾ أي وللصرف في فك الرقاب، أي: في تخليصها من الرق بأن يعان المكاتبون بشيء منها على أداء بدل كتابتهم لا للرقاب فإن المكاتب لا يستحق المال ولا يملكه بل يملكه مولاه وكذا مال المديون يملكه الدائن فالعدول عن اللام للدلالة على أن استحقاق الأربعة الأخيرة ليس لذواتهم، أي: لكونهم مكاتباً ومديوناً ومجاهداً ومسافراً حتى يتصرفوا في الصدقة كيف شاؤوا كالأربعة الأول بل لجهة استحقاقهم كفك الرقبة من الرق وتخليص الذمة من مطالبة من له الحق والاحتياج إلى ما يتمكن به من الجهاد وقطع المسافة ووجه الدلالة أن في قد تستعمل لبيان السبب كما يقال عذب فلان في سرقة لقمة أي بسببها والمراد مكاتب غيره ولو غنياً فيعطى ما عجز عنه فيؤدي إلى عنقه. والرقاب: جمع رقبة وهي يعبر بها عن الجملة وتجعل اسماً للمملوكة. ﴿والغارمين﴾ أي: الذين تدينوا لأنفسهم في غير معصية إذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم، والغارم والغريم، وإن كان يطلق كل واحد منهما على من له الدين إلا أن المراد بالغارم في الآية الذي عليه الدين وإن المديون قسمان: الأول: من ادّان لنفسه في غير معصية فيعطى له من الزكاة ما يفي بدينه بشرط أن لا يكون له من المال ما يفي بدينه وإن كان له ذلك فلا يعطى. والثاني: من ادان في المعروف وإصلاح ذات البين فإنه يعطى من مال الزكاة ما يقضي به دينه وإن كان غنياً وأما من ادّان في معصية أو فساد فإنه لا يعطى له شيء منها.

وعن مجاهد أن الغارم من احترق بيته أو ذهب السيل بماله أو ادّان على عياله. ﴿وفي سبيل الله﴾ أي فقراء الغزاة عند أبي يوسف وهم الذين عجزوا عن اللحوق بجيش الإسلام لفقرهم أي لهلاك النفقة أو الدابة أو غيرهما فتحل لهم الصدقة وإن كانوا كاسبين إذ الكسب يقعدهم عن الجهاد في سبيل الله. وسبيل وإن عم كل طاعة إلا أنه خص بالغزو إذا أطلق وعند محمد هو الحجيج المنقطع بهم. ﴿وابن السبيل﴾ أي المسافر الكثير السير المنقطع عن ماله سمي به لملازمة الطريق فكل من يريد سفراً مباحاً ولم يكن له ما يقطع به المسافة يعطى من الصدقة قدر ما يقطع به تلك المسافة سواء كان له في البلد المنتقل إليه مال أو لم يكن، وهو متناول للمقيم الذي له مال في غير وطنه فينبغي أن يكون بمنزلة ابن السبيل، وللدائن الذي مديونه مقر لكنه معسر فهو كابن السبيل كما في «المحيط» ﴿فريضة من الله﴾ مصدر لما دل عليه صدر الآية لأن قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾ في قوة أن يقال فرض الله لهم الصدقات فريضة.

قال الكاشفي: [حق سبحانه وتعالى براى اين جماعت فرض كرده است زكاترا فريضه، فرض كردنى من الله ثابت از نزديك خداى تعالى]. ﴿والله عليم﴾ بأحوال الناس ومراتب استحقاقهم. ﴿حكيم﴾ لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة من الأمور الحسنة التي من جملتها سوق الحقوق إلى مستحقيها.

حق تعالى چون درقسمت كشاد هركسى را هرچه مى بايست داد
نيست واقع اندران قسمت غلط بنده را خواهى رضا خواهى سخط

واعلم: أن سهم المؤلفة قلوبهم ساقط بإجماع الصحابة لما أن ذلك كان لتكثير سواد الإسلام فلما أعزه الله وأعلى كلمته استغنى عن ذلك، كما قال عمر رضي الله عنه: في زمن خلافة أبي بكر رضي الله عنه: «الإسلام أعز من أن يرشى عليه، فإن ثبتم على الإسلام بغير رشوة فبها وإلا فبيننا وبينكم السيف» فبقيت المصارف السبعة على حالها، فللمتصدق أن يدفع صدقته إلى كل واحد منهم وأن يقتصر على صنف منهم بل لو صرف إلى شخص واحد منهم جاز فإن اللام في للفقراء لبيان أنهم مصارف لا يخرج عنهم كما يقال الخلافة لبني العباس وميراث فلان لقرابته، أي: ليست الخلافة لغيرهم لا أنها بينهم بالسوية فاللام لام الاختصاص لا التمليك لعدم جواز التمليك للمجهول.

قال مشايخنا: من أراد أن يتصدق بدرهم يبتغي فقيراً واحداً ويعطيه ولا يشتري به فلوساً ويفرقها على المساكين كما في «المحيط» وكذلك الأفضل في الفطر أن يؤدي صدقة نفسه وعياله إلى واحد كما فعله ابن مسعود كما في التمرتاشي وكره دفع نصاب أو أكثر إلى فقير غير مديون أما إذا كان مديوناً أو صاحب عيال أو إذا فرق عليهم لم يخص كلاً منهم نصاب فلا يكره كما في «الأشباه». وقوله: كره أي جاز مع الكراهة أما الجواز فلان الأداء يلاقي الفقر لأن الزكاة إنما تتم بالتمليك وحالة التمليك المدفوع إليه فقير وإنما يصير غنياً بعد تمام التمليك فيتأخر الغنى عن التمليك ضرورة فيجوز، وأما الكراهة فلأن الانتفاع به صادف حال الغنى ولو صادف حال الفقر لكان أكمل وندب دفع ما يغني عن السؤال يومه لقوله عليه السلام «أغنوهم عن المسألة» والسؤال ذل فكان فيه صيانة المسلم عن الوقوع فيه ولا يسأل من له قوت يومه لأن في السؤال ذلاً ولا يحل للمسلم أن يذل نفسه وبغير الاحتياج تكدٍ والتكدي حرام.

ثم اعلم: أن الأوصاف التي عبر بها عن الأوصاف المذكورة وإن كانت تعم المسلم والكافر إلا أن الأحاديث خصتها بالمسلم منهم.

وقال أبو حفص: لا يصرف إلى من لا يصلي إلا أحياناً. والتصدق على الفقير العالم أفضل من الجاهل. وصدقة التطوع يجوز صرفها إلى المذكورين وغيرهم من المسلم والذمي وإلى بناء المساجد والقناطر وتكفين الميت وقضاء دينه ونحوها لعدم اشتراط التمليك في التطوع وإن أريد صرف الفرض إلى هذه الوجوه صرف إلى الفقير ثم يؤمر بالصرف إليها فيثاب المزكي والفقير ولو قضى دين حي أي من مال الزكاة وإن كان بأمره جاز كأنه تصدق على المديون فيكون القابض كالوكيل له في قبض الصدقة وإن كان بغير أمره يكون متبرعاً فلا يجوز من زكاة ماله ولا تصرف الزكاة إلى مجنون وصبي غير مراهق إلا إذا قبض لهما من يجوز له قبضها كالأب والوصي وغيرهما وتصرف إلى مراهق يعقل الأخذ كما في «المحيط».

قال في «مجمع الفتاوى»: جملة ما في بيت المال أربعة أقسام الأول الصدقات وما ينضم إليها تصرف إلى ما قال الله تعالى: ﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين**﴾ الآية. والثاني: الغنائم تصرف إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل. والثالث: الجزية والخراج تصرف إلى ما فيه صلاح دار الإسلام والمسلمين نحو سد الثغور والمقاتلة وعطياتهم وسلاحهم وكراعهم ويصرف إلى أمن الطريق وإلى إصلاح القناطر وكري الأنهار وإلى أرزاق الولاة والقضاة والأئمة

والمؤذنين والقراء والمحتسبين والمفتين والمعلمين. والرابع: ما أخذ من تركة الميت إذا مات بلا وارث أو الباقي من فرض الزوج أو الزوجة إذا لم يترك سواه يصرف إلى نفقة المرضى وأدويتهم وعلاجهم إن كانوا فقراء وإلى نفقة من هو عاجز عن الكسب انتهى.

والإشارة: إنما الصدقات، أي: صدقات الله كما قال عليه السلام: «ما من يوم ولا ليلة ولا ساعة إلا لله فيها صدقة يتصدق بها على من يشاء من عباده» والفقراء هم الأغنياء بالله الفانون عن غيره الباقون به وهذا حقيق قوله عليه الصلاة والسلام: «الفقراء لصبرهم، هم جلساء الله يوم القيامة»، وهو سر ما قال الواسطي: الفقير، لا يحتاج إلى الله وذلك؛ لأنه غني به والغني بالشيء لا يحتاج إليه والمساكين وهم الذين لهم بقية أوصاف الوجود لهم سفينة القلب في بحر الطلب وقد خرقها خضر المحبة وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً. ﴿والعاملين عليها﴾ وهم أرباب الأعمال كما كان الفقراء والمساكين أصحاب الأحوال ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ وهم الذين تتألف قلوبهم بذكر الله إلى الله المتقربون إليه بالتباعد عما سواه. ﴿وفي الرقاب﴾ وهم المكاتبون قلوبهم عن رق الموجودات تحرياً لعبودية موجدها والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم. ﴿والغارمين﴾ وهم الذين استقرضوا من مراتب المكونات أوصافها وطبائعها وخواصها وهم محبوسون في سجن الوجود بقروضهم وإنهم في استخلاص ذممهم عن القروض بردها فهم معاونون بتلك الصدقات للخلاص من حبس الوجود. ﴿وفي سبيل الله﴾ وهم الغزاة المجاهدون في الجهاد الأكبر وهو الجهاد مع كفار النفوس والهوى والشيطان والدنيا. ﴿وابن السبيل﴾ وهم المسافرون عن أوطان الطبيعة والبشرية السائرون إلى الله على أقدام الشريعة والطريقة بسفارة الأنبياء والأولياء. ﴿فريضة من الله﴾ أي: هذا السير والجهاد ورد القرض والحرية عن رق الموجودات وتألف القلوب إلى الله واستعمال آمال الشريعة والتمسكن والافتقار إلى الله طلباً للاستغناء به أمر واجب على العباد من الله وهذه الصدقات من المواهب الربانية والألطاف الإلهية للطالبين الصادقين أمر أوجبه الله تعالى في ذمة كرمه لهم كما قال تعالى: «ألا من طلبني وجدني» ﴿والله عليم﴾ بطالبيه ﴿حكيم﴾ فيما يعاونهم على الطلب للوجدان كما قال تعالى: «من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً» كذا في «التأويلات النجمية».

فعلى السالك الفناء عن أوصاف الموجودات والحرية عن رق الكائنات وعرض الافتقار إلى هذه النفحات والصدقات.

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

﴿ومنهم﴾ أي: من المنافقين كالجلاس بن سويد وأحزابه. ﴿الذين يؤذون النبي﴾ بأن يقولوا في حقه ما يتأذى به الإنسان. ﴿ويقولون﴾ إذا قيل لهم من قبل بعضهم لا تفعلوا هذا الفعل فإنا نخاف أن يبلغه ما تقولون فتفضحوا ﴿هو﴾ أي: النبي عليه السلام. ﴿أذن﴾ يسمع كل ما قيل له، يعني: إنا نقول ما شئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول إنما محمد أذن سامعة أي صاحبها وإنما سموه أذناً مبالغة في وصفه باستماعه كل ما يقال وتصديقه إياه حتى صار بذلك كأنه نفس الأذن السامعة يريدون بذلك أنه ليس له ذكاء ولا بعد غور بل

هو سليم القلب سريع الاغترار بكل ما يسمع فيسمع كلام المبلغ أولاً فيتأذى منه، ثم إذا وقع الإنكار أو الحلف والاعتذار يقبله أيضاً صدقاً كان أو كذباً، وإنما قالوه لأنه عليه السلام كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلماً وكرماً فظن أولئك أنه عليه السلام إنما يفعله لقلة فطنته وقصور شهامته. ﴿قل﴾ هو ﴿أذن خير لكم﴾ من إضافة الموصوف إلى صفته كرجل صدق والمعنى نعم إنه أذن لكنه نعم الإذن فإن من يسمع العذر ويقبله خير ممن لا يقبله لأنه إنما ينشأ من الكرم وحسن الخلق سلم الله تعالى قول المنافقين في حقه عليه السلام أنه أذن إلا أنه حمل ذلك القول على ما هو مدح له وثناء عليه وإن كانوا قصدوا به المذمة. ﴿يؤمن بالله﴾ تفسير لكونه أذن خير لهم أي يقربه لما قام عنده من الأدلة الموجبة له فيسمع جميع ما جاء من عنده ويقبله وكون ذلك خيراً للمخاطبين كما أنه خير للعالمين مما لا يخفى. ﴿ويؤمن للمؤمنين﴾ أي: يسلم لهم قولهم ويصدقهم فيما أخبروا به لما علم من خلوصهم وصدقهم ولا شك أن ما أخبر به المؤمنون الخلص يكون حقاً فمن استمعه وقبله يكون أذن خير، واللام مزيدة للتفرقة بين الإيمان المشهور وهو إيمان الأمان من الخلود في النار الذي هو نقيض الكفر بالله فإنه يعدى بالباء حملاً للنقيض على النقيض فيقال آمن بالله ويؤمنون بالغيب وبين الإيمان بمعنى التصديق والتسليم والقبول فإنه يعدى باللام مثل وما أنت بمؤمن لنا، أي: بمصدق. ﴿ورحمة﴾ عطف على أذن خير أي وهو رحمة بطريق إطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة ﴿للذين آمنوا منكم﴾ أي للذين أظهروا الإيمان منكم وهم المنافقون حيث يقبله منهم لكن لا تصديقاً لهم في ذلك بل رفقاً بهم وترحماً عليهم ولا يكشف أسرارهم ولا يهتك أستارهم.

قال الكاشفي: يعني [نه آنست كه بقول شمادانانيست صدق وكذب شمارا ميداند اماپرده ازروى كارشما برنميدارد وازروى رحمت باشما رفق مينمايد] فالواجب على المؤمن الاقتداء بالرسول المختار في التحفظ عن كشف الأسرار والتحقق بالاسم الستار. ﴿والذين يؤذون رسول الله﴾ بالقول أو الفعل. ﴿لهم عذاب أليم﴾ [عذابى دردناك در آخرت بسبب ايذائه] فإنه قد تبين أنه عليه السلام خير ورحمة لهم فأذاه مقابلة لإحسانه بالإساءة فيكون مستوجباً للعذاب الشديد وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم يأتون المؤمنين فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالإيمان ليعذروهم ويرضوا عنهم، فقال تعالى:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْخِزْىُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿يحلفون بالله لكم﴾ أيها المؤمنون أنهم ما قالوا ما نقل إليكم مما يورث أذية النبي عليه السلام ﴿ليرضوكم﴾ بذلك ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ بالتوبة وترك الطعن والعيب والمبالغة في باب الإجلال والإعظام مشهداً ومغيباً، وأما قبول عذرهم وعدم تكذيبهم فهو ستر عيوبهم لا عن رضى بما فعلوا. وضمير يرضوه إلى الله فإفراده للإيذان بأن رضاه عليه السلام مندرج تحت رضاه سبحانه وهما متلازمان فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر لعدم انفكاك الآخر أو إلى الرسول فإن الكلام في أذاه وأرضاه وذكر الله للتعظيم وللتنبيه على أن إرضاء الرسول إرضاء الله فاكتفى بذكر إرضائه عليه السلام عن ذكر إرضائه تعالى كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا

دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [النور: ٤٨] اكتفى بذكر حكم الرسول للتنبيه على أن حكم الرسول حكم الله أو إلى الله والرسول باستعارته لاسم الإشارة الذي يشار به إلى الواحد والمتعدد بتأويل المذكور لا يقال أي حاجة إلى الاستعارة بعد التأويل لأنا نقول لولا الاستعارة لم يتسن التأويل لما أن الضمير لا يتعرض إلا لذات ما يرجع إليه من غير تعرض لوصف من أوصافه التي من جملتها المذكورية وإنما المتعرض لها اسم الإشارة.

قال الحدادي: لم يقل يرضوهما لأنه يكره الجمع بين ذكر اسم الله وذكر اسم رسول له في كناية واحدة كما روي أن رجلاً قام خطيباً عند النبي عليه السلام فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال عليه السلام: «بئس الخطيب أنت، هلا قلت ومن يعص الله ورسوله».

قال في «أبكار الأفكار»: إنما أراد بذلك تعليم الأدب في المنطق وكراهة الجمع بين اسم الله واسم غيره تحت حرفي الكناية لأنه يتضمن نوعاً من التسوية. قال السعدي قدس سره:

متكلم را تاكسى عيب نكيرد سخنش صلاح نپذيرد
مشوغره بر حسن كفتار خويش بتحسين نادان وپندار خويش

وفي الحديث: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان» قال الخطابي: وهذا إرشاد إلى الأدب لأن الواو للجمع والتشريك وثم للعطف مع الترتيب والتراخي فأرشدهم عليه السلام إلى تقديم مشيئة الله على مشيئة من سواه. ومن هذا قال النخعي يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويجوز أعوذ بالله ثم بك، ويقال لولا الله ثم فلان لفعلت كذا ولا يقال لولا الله وفلان وإنما يقال من يطع الله ورسوله لأن الله تعبد العباد بأن فرض عليهم طاعة رسول الله فإذا أطيع رسول الله فقد أطيع الله بطاعة رسوله. ﴿إن كانوا مؤمنين﴾ أي: صادقين فيما أظهروه من الإيمان فليرضوا الله ورسوله بالطاعة وإخلاص الإيمان فإنهما أحق بالإرضاء.

﴿ألم يعلموا﴾ أي: أولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما أقدموا عليه من العظمة مع علمهم بسوء عاقبتهم ﴿أنه﴾ أي: الشان ﴿من﴾ شرطية معناه بالفارسية [هركس كه] ﴿يحادد الله ورسوله﴾ [خلاف كند باخداى تعالى وبارسول او وازحد دركذراند. والمحادة باكسى حرب يا خلاف كردن] كما في «تاج المصادر» مفاعلة من الحد وهو الطرف والنهاية وكل واحد من المتخالفين والمتعاندين في حد غير حد صاحبه ﴿فأن له﴾ بالفتح على أنه مبتدأ حذف خبره، أي: فحق أن له ﴿نار جهنم خالداً فيها ذلك﴾ العذاب الخالد ﴿الخزي العظيم﴾ الخزي الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهي ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون على رؤوس الأشهاد بظهورها ولحوق العذاب الخاص بهم.

واعلم أن كل نبي أوذي بما لا يحيط به نطاق البيان وكان النبي عليه السلام أشدهم في ذلك، كما قال: «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت» ولما كانت الأذية سبب التصفية كان المعنى ما صفي نبي مثل ما صفيت وأما قوله عليه السلام حين قسم غنائم الطائف فقال بعض المنافقين بعدم العدل «من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله رحمة الله على أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر» فيحتمل أن يكون بالنسبة إلى ذلك الوقت وقد زاد أذاه إلى آخر العمر كمية واشتد كيفية هذا هو اللائح بالبال فإذا كان الأنبياء عليهم السلام مبتلين بالأذية والنفي من البلد والقتل

فما ظنك بالأولياء الكرام وهم أحوج منهم إلى التصفية لأن قدس الأنبياء أغلب وبواطنهم أنور وسرائرهم أصفى.

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره: وإنما كان الحسن مسموماً والحسين مذبوحاً رضي الله عنهما بسبب أن كمال تعينهما كان بالشهادة وكان النبي عليه السلام قادراً على تخليصهما بالشفاعة من الله تعالى، ولكنه رأى كمالهما في مرتبتهما راجحاً على الخلاص حتى إنه عليه السلام دفع قارورتين لواحدة من الأزواج المطهرة وقال: «إذا اصفرّ ما في إحداهما يكون الحسن شهيداً بالسم، وإذا احمرّ ما في الأخرى يكون الحسين شهيداً بالذبح» فكان كذلك.

فعلى العاقل الإطاعة والتسليم وتحمل الأذى من كل منافق لئيم، فإن الله تعالى مع المؤمن المتقي أينما كان فإذا كان الله معه وكاشف عن ذلك هان عليه الابتلاء لمشاهدته المبتلى على كل حال في فرح وترح. وفي «المثنوي»:

هر كجا باشد شه مارا بساط هست صحرا كربود سم الخياط

هركجا يوسف رضى باشد چوماه جنتست او كرچه باشد قعر چاه

﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤﴾

﴿**يحذر المنافقون أن تنزل عليهم**﴾ أي: على المؤمنين. ﴿**سورة تنبئهم**﴾ أي: تخبر تلك السورة المؤمنين ﴿**بما في قلوبهم**﴾ أي: قلوب المنافقين من الشرك والنفاق فتفضحهم وتهتك عليهم أستارهم فالضميران الأولان للمؤمنين، والثالث: للمنافقين ولا يبالي بالتفكك عند ظهور الأمر ويجوز أن تكون الضمائر كلها للمنافقين. فالمعنى يحذر المنافقون أن تنزل عليهم أي في شأنهم فإن ما نزل في حقهم نازل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم من الأسرار الخفية فضلاً عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من أقاويل الكفر والنفاق ومعنى تنبيئها إياهم مع أنها معلومة لهم وأن المحذور عندهم إطلاع المؤمنين على أسرارهم لا إطلاع أنفسهم عليها إنها تذيع ما كانوا يخفونه من أسرارهم فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من أفواه الرجال.

فإن قلت: كيف يحذر المنافقون نزول الوحي الكاشف عن نفاقهم مع أنهم ينكرون نبوته عليه السلام فكيف يجوزون نزول الوحي عليه.

قلت: إن بعض المنافقين كانوا يعلمون النبوة لكنهم كانوا يكفرون عند أهل الشرك عنداً وحسداً، وبعضهم كانوا شاكين مترددين في أمره ﷺ والشاك يجوز نزول الوحي فيخاف أن ينزل عليه ما يفضحه.

وقال أبو مسلم: كان إظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فإنهم كانوا إذا سمعوا رسول الله يذكر كل شيء ويقول: إنه بطريق الوحي يكذبونه ويستهزئون به بأن يقولوا فيما بينهم على وجه الاستهزاء به عليه السلام إنا نحذر ونخاف أن ينزل عليه ما يفضحنا، ولذلك قيل: ﴿**قل استهزئوا**﴾ أي: افعلوا الاستهزاء وهو أمر تهديد: يعني [استهزا مكنيد كه جزا خواهيد يافت وجزا آنست كه براى تفضيح شما] ﴿**إن الله مخرج**﴾ أي: من القوة إلى الفعل أو من الكمون إلى البروز. ﴿**ما تحذرون**﴾ أي: ما تحذرونه من إنزال السورة أو ما تحذرون إظهاره من

مساويكم ومن هذا سميت هذه السورة الفاضحة لأنها فضحت المنافقين وتسمى أيضاً الحافرة لأنها حفرت عن قلوب المنافقين.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿**ولئن سألتهم**﴾ عما قالوا بطريق الاستهزاء ﴿**ليقولن إنما كنا نخوض**﴾ في الكلام ونتحدث كما يفعل الركب لقطع الطريق بالحديث. ﴿**ونلعب**﴾ كما يلعب الصبيان. روي أنه عليه الصلاة والسلام كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يستهزئون بالقرآن وبالرسول عليه السلام، ويقولون انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح حصون الشام وقصوره وهيهات هيهات يحسب محمد أن قتال بني الأصفر معه اللعب، والله لكأنهم، يعني: الصحابة غداً مفرقون في الجبال فأطلع الله نبيه على ذلك فقال: «احبسوا عليّ الركب» فأتاهم فقال: «قلتم كذا وكذا» فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك إنما كنا نخوض ونلعب فلما أنكروا ما هم فيه من الاستهزاء والتخفيف أمر الله تعالى رسوله فقال: ﴿**قل**﴾ يا محمد على طريق التوبيخ غير ملتفت إلى اعتذارهم. ﴿**أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون**﴾ عقب حرف التقرير بالمستهزىء به إشارة إلى تحقق الاستهزاء وثبوته فإنه فرق بين أن يقال تستهزىء بالله وبين أن يقال أبالله تستهزىء فإن الأول يقتضي الإنكار على ملابسة الاستهزاء والثاني يقتضي الإنكار على إيقاع الاستهزاء في الله.

﴿**لا تعتذروا**﴾ لا تشتغلوا بالاعتذار فإنه معلوم الكذب بين البطلان والاعتذار عبارة عن محو أثر الذنب.

قال في «التبيان»: أصل الاعتذار القطع يقال اعتذرت إليه أي قطعت ما في قلبه من الموجدة ﴿**قد كفرتم**﴾ الكفر بأذى الرسول والطعن فيه. ﴿**بعد إيمانكم**﴾ أي: بعد إظهاركم له فإنهم قط لم يكونوا مؤمنين ولكن كانوا منافقين. ﴿**إن نعف**﴾ [اكر عفو كنيم] ﴿**عن طائفة منكم**﴾ لتوبتهم وإخلاصهم أو لتجنبهم عن الأذية والاستهزاء. ﴿**نعذب طائفة بأنهم**﴾ أي: بسبب أنهم ﴿**كانوا مجرمين**﴾ مصرين على الإجرام وهم غير التائبين أو مباشرين له وهم غير المجتنبين واعتذر النبي عليه السلام لمن قال ألا تقتلهم لظهور كفرهم بقوله أكره أن تقول العرب قاتل أصحابه بل يكفيناهم الله بالدبيلة، أي: بالداهية.

وفي الآيات إشارات:

الأولى: أن المنافقين وإن اعتقدوا نزول الوحي على النبي عليه السلام واعتقدوا نبوته لكن لم ينفعهم مجرد الاعتقاد والإقرار باللسان في ثبوت الإيمان مع أدنى شك داخلهم ولم ينفعهم الحذر مع القدر وهذا تحقيق قوله: «ولا ينفع ذا الجد منك الجد» وفي «هدية المهديين»: من قال آمنت بجميع الأنبياء ولا أعلم آدم نبي أم لا؟ يكفر ومن لم يعرف أن سيدنا محمداً عليه السلام خاتم الرسل لا نسخ لدينه إلى يوم القيامة لا يكون مؤمناً.

والثانية: إن إظهار اللطف والرحمة بلا سبب محتمل ولكن إظهار القهر والفرق لا يكون إلا بسبب جرم من المجرمين كما قال: ﴿**بأنهم كانوا مجرمين**﴾ وفي «المثنوي»:

چونكه بدكردى بترس ايمن مباش زانكه تخمست وبرويانـد خداش
چند كاهى اوبپوشاند كه تا آيدت زان بد پشيمان وحيا
بارها پوشد پى اظهار فضل باز كيرد ازپى إظهار عدل
تاكه اين هرد وصفت ظاهر شود آن مبشر كردد اين منذر شود

والثالثة: أن الاستهزاء بالله وبرسوله وبالآيات القرآنية كفر والاستهزاء استحقار الغير بذكر عيوبه على وجه يضحك قولاً أو فعلاً وقد يكون الاستهزاء بالإشارة والإيماء وبالضحك على كلامه إذا تخبط فيه أو غلط أو على صنعته ونحو ذلك وهو حرام بالإجماع معدود من الكبائر عند البعض كما قال علاء الدين التركستاني في «منظومته» العادّة لكبائر الذنوب وهي سبعون.

ويل لمن من الأنام يسخر مقامه يوم الجزاء سقر

وفي الحديث: «إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم في الآخرة باب من الجنة، فيقال لهم: هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فإذا جاء أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال له هلم هلم فيجيء بغمه وكربه فإذا جاء أغلق دونه فما يزال كذلك حتى أن أحدهم ليفتح له الباب من أبواب الجنة فيقال له هلم فما يأتيه من الإياس» وفي الحديث: «ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام، وذو العلم، وإمام مقسط» كما في «الترغيب والترهيب» للإمام المنذري وإنما خص هذه الثلاثة لأن أوصافهم راجعة إلى أوصاف الله تعالى فذو الشيبة حصل له كبر السن، والباري له الكبرياء والعالم اتصف بصفة العلم، والإمام المقسط اتصف بصفة العدل وهما من صفات الله تعالى أيضاً فمن إجلال الله تعالى وإكرامه إجلال هذه الثلاثة وإكرامهم ومن استخفافه استخفافهم وفي الحديث: «ارحموا عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر، وعالماً بين الأقوام الجهال لا يعرفون حقه».

كفت پيغمبركه با اين سه كروه رحم آريد ارنه سنكيدونه كوه
آنكه أو بعد از عزيزى خوارشد وان توانكر هم كه بى دينار شد
وان سوم آن عالمى كاندر جهان مبتلا كردد ميان ابلهان
زانكه ازعزت بخوارى آمدن همچو قطع عضو باشد ازبدن
عضو كردد مرده كزتن وابريد كو بريده جنيد اما نى مديد

ومن تعظيم الرسول تعظيم أولاده. قيل: ركب زيد بن ثابت رضي الله عنه فدنا ابن عباس رضي الله عنه ليأخذ ركابه، فقال: لا يا ابن عم رسول الله، فقال هكذا أمرنا أن تفعل بكبرائنا فقال زيد أرني يدك فأخرجها إليه فقبلها، فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت رسول الله ﷺ ومن أولاده المعنوية من اقتدى به قولاً وفعلاً وحالاً فتعظيمه تعظيم الرسول وتحقيره تحقيره فعليك التعظيم والتبجيل.

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿المنافقون﴾ [مردان منافق كه سيصد نفربودند] ﴿والمنافقات﴾ [وزنان منافقه كه صد وهفتاد بودند] ﴿بعضهم من بعض﴾ أي متشابهون في النفاق والبعد عن الإيمان كأبعاض الشيء الواحد بالشخص. ﴿يأمرون بالمنكر﴾ أي: بالكفر والمعاصي. ﴿وينهون عن المعروف﴾ أي:

عن الإيمان والطاعة استئناف مقرر لمضمون ما سبق ومفصح عن مضادة حالهم لحال المؤمنين. ﴿ويقبضون أيديهم﴾ أي: عن الإنفاق في سبيل الله وعن الصدقة وعن كل خير فإن قبض اليد كناية عن الشح أو عن رفعها للدعاء والمناجاة كما في «الكاشفي». ﴿نسوا الله﴾ صاروا غافلين عن ذكره وتركوا أمره حتى صار كالمنسي عندهم ذكر الملزوم وهو النسيان وأريد اللازم وهو الترك لأن النسيان ليس من الأفعال الاختيارية فلا يذم عليه. ﴿فنسيهم﴾ فتركهم من لطفه وفضله لا من قهره وتعذيبه وفسر النسيان أيضاً بالمعنى المجازي الذي هو الترك لأنه محال في حقه تعالى. ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾ الكاملون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

﴿وعد الله المنافقين والمنافقات﴾ الوعد يستعمل في الخير بمعنى الإخبار بإيصال المنفعة قبل وقوعها وفي الشر بمعنى الإخبار بإيصال المضرة قبل وقوعها يقال وعدته خيراً ووعدته شراً فإذا سقط الخير والشر قالوا في الخير الوعد والعدة وفي الشر الإيعاد والوعيد وقد أوعده ويوعده، أي: وعد العقاب. ﴿والكفار﴾ أي: المجاهرين ﴿نار جهنم﴾ وهي من أسماء النار تقول العرب للبئر البعيدة القعر جهنام فيجوز أن يكون جهنم مأخوذة من هذا اللفظ لبعد قعرها. روي أن رسول الله ﷺ سمع صوتاً هاله فأتاه جبريل فقال عليه السلام: «ما هذا الصوت يا جبرائيل» قال: هذه صخرة هوت من شفير جهنم منذ سبعين عاماً فهذا حين بلغت قعرها فأحب الله أن يسمعك صوتها فما رؤي رسول الله ضاحكاً ملء فيه حتى قبضه الله» ﴿خالدين فيها﴾ أي مقدراً خلودهم فيها. ﴿هي حسبهم﴾ عقاباً وجزاء ولا شيء أبلغ من تلك العقوبة ولا يمكن الزيادة عليها. ﴿ولعنهم الله﴾ أي: أبعدهم من رحمته وأهانهم وهو بيان لبعض ما تضمنه الخلود في النار فإن النار المخلد فيها مع كونها كافية في الإيلام تتضمن شدائد أخر من اللعن والإهانة وغيرهما. ﴿ولهم عذاب مقيم﴾ لا ينقطع والمراد به ما وعدوه وهو الخلود في نار جهنم ذكر بعده تأكيداً له لأن الخلود والدوام بمعنى واحد.

﴿كالذين من قبلكم﴾ أي: أنتم أيها المنافقون مثل الذين من قبلكم من الأمم المهلكة. ﴿كانوا أشد منكم قوة﴾ [يعني: بتن ازشما قوى تربودند] ﴿وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم﴾ أي: تمتعوا بنصيبهم من ملاذ الدنيا سمي النصيب خلاقاً لأنه مشتق من الخلق بمعنى التقدير ونصيب كل واحد هو الخير المقدر له. ﴿فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم﴾ الكاف في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي استمتاعاً كاستمتاعهم وليس في الآية تكرار لأن قوله فاستمتعوا بخلاقهم ذم للأولين بالاشتغال بالحظوظ الفانية وذمهم بذلك تمهيد لذم المخاطبين بسلوكهم سبيل الأولين وتشبيه حالهم بحالهم ﴿وخضتم﴾ أي دخلتم في الباطل وشرعتم فيه. ﴿كالذي﴾ أي: كالفوج الذي ﴿خاضوا﴾ ويجوز أن يكون أصله الذين حذفت النون تخفيفاً. ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الأفعال

الذميمة من المشبهين والمشبه بهم والخطاب لرسول الله أو لكل من يصلح للخطاب. ﴿**حبطت أعمالهم**﴾ التي كانوا يستحقون بها الأجور لو قارنت الإيمان مثل الإنفاق في وجوه الخير وصلة الرحم وغير ذلك أي ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها أثر. ﴿**في الدنيا والآخرة**﴾. أما في الآخرة فظاهر. وأما في الدنيا: فلأن ما يترتب على أعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ [هود: ١٥] ليس ترتيبه عليها على طريق المثوبة والكرامة بل بطريق الاستدراج. ﴿**وأولئك**﴾ الموصوفون بحبوط الأعمال في الدارين. ﴿**هم الخاسرون**﴾ الكاملون في الخسران في الدارين الجامعون لمباديه وأسبابه طراً فإنه قد ذهبت رؤوس أموالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم قط ولو أنها ذهبت فيما لا يضرهم ولا ينفعهم لكفى به خسراناً. قال السعدي قدس سره:

قيامت كه بازار مينو نهند منازل باعمال نيكو نهند
بضاعت بجند انكه آرى برى اكر مفلسى شر مسارى برى
كه بازار چندانكه آكنده تر تهى دست را دل پرا كنده تر

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿**ألم يأتهم**﴾ أي: المنافقين ﴿**نبأ الذين من قبلهم**﴾ أي: خبرهم الذي له شأن وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير أي قد أتاهم خبر الأمم السالفة وسمعوه فليحذروا من الوقوع فيما وقعوا. ﴿**قوم نوح**﴾ أغرقوا بالطوفان وهو بدل من الذين. ﴿**وعاد**﴾ أهلكوا بريح صرصر ﴿**وثمود**﴾ أهلكوا بالرجفة والصيحة. ﴿**وقوم إبراهيم**﴾ أهلك نمرود ببعوضة وأهلك أصحابه بالهدم. ﴿**وأصحاب مدين**﴾ أي: وأهل مدين وهم قوم شعيب أهلكوا بالنار يوم الظلة ومدين هو مدين بن إبراهيم نسبت القرية إليه. ﴿**والمؤتفكات**﴾ الظاهر أنه عطف على مدين وهي قريات قوم لوط ائتفكت بهم أي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وأمطروا حجارة من سجيل ﴿**أتتهم**﴾ أي جميع من تقدم من المهلكين. ﴿**رسلهم بالبينات**﴾ أي بالحجج والبراهين فكذبوهم فأهلكهم الله ﴿**فما كان الله ليظلمهم**﴾ أي: لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ﴿**ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾ حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب. قال الصائب:

چرا زغير شكايت كنم كه همچو حباب هميشه خانه خراب هواى خويشتنم

فعلى العاقل أن لا يغتر بالقوة والأولاد والأموال فإن كلها في معرض الزوال. قال الحافظ:

ببال وپر مرو ازره كه تير پرتابى هواكرفت زمانى ولى بخاك نشست

يعني: لا تغتر بقدرتك وقوتك البدنية والدنيوية ولا تخرج بسببها عن الصراط المستقيم فإن حالك مشابه لحال السهم فإنه وإن علا على الهواء زماناً لكنه يسقط على الأرض فآخر كل علو هو السفل وآخر كل قدرة هو العجز فلا بد من تدارك الأمر بالتوبة والاستغفار قبل نزول ما نزل بالقوم الأشرار.

قال بعض الصالحين: خرجت إلى السوق ومعي جارية حبشية فأجلستها في مكان، وقلت لها: لا تبرحي حتى أعود إليك فذهبت ثم عدت إلى المكان فلمْ أجدها فيه، فانصرفت إلى منزلي وأنا شديد الغضب عليها، فجاءتني وقالت لي يا مولاي لا تعجل عليّ فإنك أجلستني بين قوم لا يذكرون الله تعالى فخشيت أن ينزل بهم خسف وأنا معهم، فقلت: إن هذه أمة قد رفع عنها الخسف إكراماً لنبيها محمد ﷺ، فقالت: إن رفع عنها خسف المكان فما رفع عنها خسف القلوب يا من خسف بمعرفته وقلبه، وهو في غفلته من بلائه وكربه بادر إلى حميتك ودوائك قبل موتك وفنائك.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ على المنبر والناس حوله: «أيها الناس استحيوا من الله حق الحياء» فقال رجل يا رسول الله إنا نستحيي من الله فقال: «من كان منكم مستحيياً فلا يبيتن ليلة إلا وأجله بين عينيه وليحفظ البطن وما وعى، والرأس وما حوى، وليذكر الموت والبلى، وليترك زينة الدنيا» قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام ولو أشاء أن أزينكما بزينة علم فرعون حين يراها أن مقدرته تعجز عنها لفعلت ولكني أزوي عنكما وكذلك افعل بأوليائي وليس ذلك لهوانهم عليّ ولكن ليستكملوا حظهم من كرامتي.

مكو جاهى ازسلطنت بيش نيست ... كه ايمن تر ازملك درويش نيست

فقد تقرر حال أهل الدنيا وحال أهل الآخرة فالعاقل يعتبر ويتبصر إلى أن يموت ويقبر.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾.

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ أي: بعضهم على دين بعض في الحق، أي متفقون في التوحيد وبعضهم معين بعض في أمر دينهم ودنياهم وبعضهم موصل بعض إلى الدرجات العالية بسبب التربية وتزكية النفس وهم المرشدون في طريق الله تعالى. ﴿يأمرون بالمعروف﴾ أي: جنس المعروف الشامل لكل خير ومنه الإيمان والطاعة ويهيج بعضهم بعضاً في طلب الله وهو المعروف الحقيقي كما قال: «فأحببت أن أعرف» ﴿وينهون عن المنكر﴾ أي: جنس المنكر المنتظم لكل شر ومنه الكفر والمعاصي التي تقطع العبد عن الله من الدنيا وغيرها. ﴿ويقيمون الصلاة﴾ فلا يزالون يذكرون الله تعالى ويديمون مراقبة القلب وحضوره مع الله بحيث لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وهم أرباب المكاشفة وأصحاب القلوب وهذا بمقابلة ما سبق من قوله نسوا الله. ﴿ويؤتون الزكاة﴾ بمقابلة قوله تعالى: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ﴾ [التوبة: ٦٧] فهم يؤدون الزكاة الواجبة بل ينفقون ما فضل عن كفافهم الضروري ويطهرون أنفسهم عن محبة الدنيا بالإنفاق. ﴿ويطيعون الله ورسوله﴾ أي: في كل أمر ونهي وهو بمقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى الإخلاص في معاملتهم فإن المنافقين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ولكن لا يطيعون الله ورسوله في ذلك وإنما يطيعون النفس والهوى رعاية لمصالح دنياهم ﴿أولئك﴾ الموصوف بهذه الأوصاف الكريمة. ﴿سيرحمهم الله﴾ أي: يفيض عليهم آثار رحمته من التأييد والنصرة البتة وينجيهم من العذاب الأليم سواء كان عذاب النار أو

عذاب البعد من الملك الجبار بالإدخال إلى الجنة والإيصال إلى القربة والوصلة.

وعن بعض أهل الإشارة. ﴿سيرحمهم الله﴾ في خمسة مواضع عند الموت وسكراته يهون عليهم سكرات الموت، ويحفظ إيمانهم من الشيطان، وفي القبر وظلماته ينور قبورهم ويحفظهم من العذاب القبر وعند قراءة الكتاب وحسراته، يؤتيهم كتابهم بيمينهم ويمحو سيئاتهم من كتابهم كيلا يتحسروا على سيئاتهم، وعند الميزان وندماته يثقل موازينهم، وعند الوقوف بين يدي الله وسؤالاته يسهل عليهم جوابهم ولا يؤاخذهم بعيوبهم. وفي الحديث: «من صلى صلاة الفجر هان عليه الموت وغصته، ومن صلى صلاة الظهر هان عليه القبر وضمته، ومن صلى صلاة العصر هان عليه سؤال منكر ونكير وهيبته، ومن صلى صلاة المغرب هان عليه الميزان وخفته ومن صلى صلاة العشاء هان عليه الصراط ودقته» ﴿إن الله عزيز﴾ تعليل الوعد، أي: قوي قادر على إعزاز أوليائه وقهر أعدائه ذو النعمة لمن يطيعه. ﴿حكيم﴾ بنى أحكامه على أساس الحكمة الداعية إلى إيصال الحقوق من النعمة والنقمة إلى مستحقيها من أهل الطاعة وأهل المعصية حكم للمؤمنين بالجنة في مقابلة تصديقهم وإقرارهم، وللمحسنين بالوصلة في مقابلة طلبهم في جميع الحال رضى الله وتركهم ما سواه وحكم للكافرين والمنافقين بالنار لإنكارهم وتكذيبهم الأنبياء وعبادتهم للأوثان والأصنام.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات﴾ أي: وعدهم وعداً شاملاً لكل واحد منهم على اختلاف طبقاتهم في مراتب الفضل كيفاً وكماً والوعد عبارة عن الإخبار بإيصال المنفعة قبل وقوعها ﴿جنات﴾ جمع جنة وهي الحديقة ذات النخل والشجر. ﴿تجري من تحتها﴾ أي: أشجارها وغرفها. ﴿الأنهار﴾ أنهار الماء والعسل والخمر واللبن. ﴿خالدين فيها﴾ أي: مقدراً خلودهم ودوامهم فيها فكل واحد من المؤمنين فائز بهذه الجنات لا محالة. ﴿ومساكن طيبة﴾ أي: وعد بعض الخواص الكمل منهم منازل تستطيبها النفوس أو يطيب فيها العيش وفي الخبر إنها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الأحمر. ﴿في جنات عدن﴾ هي أبهى أماكن الجنات وأسناها.

عن النبي عليه السلام: «عدن دار الله لم ترها عين، ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاث: النبيون والصديقون والشهداء طوبى لمن دخلها» روي أن الله تعالى خلق جنة عدن بيده من غير واسطة وجعلها له كالقلعة للملك وجعل فيها الكثيب مقام تجلي الحق سبحانه وفيها مقام الوسيلة مقام المصطفى ﷺ وغرس شجرة طوبى بيده في جنة عدن وأطالها حتى علت فروعها سور جنة عدن ونزلت مظللة على سائر الجنات كلها وليس في أكمامها ثمر إلا الحلي والحلل لباس أهل الجنة وزينتهم زائدة في الحسن والبهاء لها اختصاص فضل لكونها خلقها الله بيده وهي أجمع الحقائق الجنانية نعمة وأتمها بركة فإنها أصل لجميع أشجار الجنة كآدم عليه السلام لما ظهر منه من البنين وما في الجنة نهر إلا وهو يجري من أصل تلك الشجرة وهي محمدية المقام وهي في الدار النبي عليه السلام يقال عدن بالمكان إذا أقام به ومنه المعدن لمستقر الجواهر. ﴿ورضوان من الله﴾ أي: وشيء يسير من رضوانه تعالى ﴿أكبر﴾ وأعظم من الجنان ونعيمها لأنه مبدأ جميع السعادات ومنشأ تمام الكمالات [محققان راه

وعارفان آكاه رادركاه وبيكاه جز رضاى حضرت الله مطلوبى نيست].

يكى مى خواهد ازتوجنت وحور   يكى خواهدكه ازدوزخ شود دور
وليكن ما نخواهيم اين وآن جست   مراد ما همين خشنودى تست
چوتو خشنود كردى در دو عالم   همين مقصود بس والله أعلم

قال الحافظ:

صحبت حور نخواهم كه بود عين قصور   با خيال تو اكر دكرى پردازم

روي أنه تعالى يقول لأهل الجنة «هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأي شيء أفضل من ذلك فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً» ﴿ذلك﴾ المذكور من النعيم والرضى ﴿وهو الفوز العظيم﴾ دون ما يعده الناس فوزاً من حظوظ الدنيا فإنها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة إلى أدنى شيء من نعيم الآخرة إلا بمثابة جناح البعوض قال عليه السلام: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء» قال: يحيى بن معاذ: الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها، والآخرة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها.

وقال أيضاً: في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق إلى الجنة قيل: وما هي قال معرفة الله تعالى وهي الجنة المعنوية.

قال أبو يزيد البسطامي: حلاوة المعرفة الإلهية خير من جنة الفردوس وأعلى عليين لو فتحوا لي أبواب الجنان الثماني وأعطوني الدنيا والآخرة لم تعدل أنيناً وقت السحر.

فعلى العاقل الاجتهاد والتوجه إلى الحضرة العليا والإعراض عن الدنيا والفوز بالمطلب الأعلى والمقصد الأسنى نسأل الله الدخول إلى حرم الوصول.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾

﴿يا أيها النبي﴾ اعلم أن الله تعالى خاطب الأنبياء عليهم السلام بأسمائهم الشريفة مثل يا آدم ويا نوح ويا موسى ويا عيسى وخاطب نبينا ﷺ بالألقاب الشريفة مثل: أيها النبي، ويا أيها الرسول، وذلك يدل على علو جنابه عليه السلام مع أن كثرة الألقاب والأسماء تدل على شرف المسمى أيضاً.

قال أبو الليث: في آخر سورة النور: عند قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ﴾ [النور: ٦٣] أي: لا تدعوا محمداً ﷺ باسمه ولكن وقروه وعظموه فقولوا يا رسول الله ويا نبي الله ويا أبا القاسم.

وفي الآية: بيان توقير معلم الخير فأمر الله تعالى بتوقيره وتعظيمه، وفيه معرفة حق الأستاذ. وفيه معرفة حق أهل الفضل اهـ.

أقول ولذا يطلق على أهل الإرشاد عند ذكرهم ألفاظ دالة على تعظيمهم على أي لغة

كانت؛ لأنه إذا ورد النهي عن التصريح بأسماء الآباء الصورية لكونه سوء أدب فما ظنك بتصريح أسماء الآباء المعنوية: والمعنى يا أيها المبلغ عن الله، والمخبر، أو يا صاحب علو المكانة والزلفى؛ لأن لفظ النبي ينبىء عن الإنباء والارتفاع. ﴿جاهد الكفار﴾ أي: المجاهرين منهم بالسيف والجهاد عبارة عن بذل الجهد في صرف المبطلين عن المنكر وإرشادهم إلى الحق. ﴿والمنافقين﴾ بالحجة وإقامة الحدود فإنهم كانوا كثيري التعاطي للأسباب الموجبة للحدود ولا تجوز المحاربة معهم بالسيف لأن شريعتنا تحكم بالظاهر وهم يظهرون الإسلام وينكرون الكفر. ﴿واغلظ عليهم﴾ أي: على الفريقين جميعاً في ذلك وأعنف بهم ولا ترفق.

هست نرمى آفت جان سمور وزدرشتى ميبردجان خارپشت

قال عطاء: نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصفح؛ لأن لكل وقت حكماً. ﴿ومأواهم جهنم﴾ جملة مستأنفة لبيان آجل أمرهم أثر بيان عاجله ﴿وبئس المصير﴾ أي: بئس الموضع موضعهم الذي يصيرون إليه ويرجعون. والفرق بين المرجع والمصير أن المصير يجب أن يخالف الحالة الأولى ولا كذلك المرجع، وفي الحديث: «أوصيك بتقوى الله فإنها رأس أمرك» يعني: أصل الطاعة وهو الخوف من الله تعالى فإن المرء لا يميل إلى الطاعة ولا يرغب عن المعصية إلا بالتقوى، فإذا غرس شجرة التقوى في القلب تميل أطراف الإنسان إلى جانب الحسنات ولا يقدم على ارتكاب السيئات «وعليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي» الرهبانية الخصال المنسوبة إلى الرهبان من التعبد في الصوامع والغيران وترك أكل اللحم والطيبات ولبس الخاص من الثياب فقد أفاد النبي عليه السلام أن الثواب الذي يحصل للأمم السالفة بالرهبانية يحصل لهذه الأمة المرحومة بالغزو وإن لم يترهبوا بل رب آكل ما يشتهيه خير من صائم نبت حب الدنيا فيه. قال السعدي قدس سره:

خورنده كه خيرى برآيد زدست به از صائم الدهر دنيا پرست

قال الأوزاعي: خمس كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله. وفي الحديث: «أفضل رجال أمتي الذين يجاهدون في سبيل الله، وأفضل نساء أمتي اللاتي لا يخرجن من البيوت إلا لأمر لابد لهن منه» وفي الحديث: «اتقوا أذى المجاهدين في سبيل الله، فإن الله تعالى يغضب لهم كما يغضب للرسل ويستجيب لهم كما يستجيب للرسل» وفي الحديث: «إذا أخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» دل هذا على أن ترك الجهاد والإعراض عنه والسكون إلى الدنيا خروج من الدين وكفى بهذا إثماً وذنباً مبيناً.

وفي الآية: إشارة إلى القلب الذي له نبأ من مقام الأنبياء يأمره بالجهاد مع كفار النفس وصفاتها وهذا مقام المشايخ يجاهدون مع نفوسهم أو نفوس مريدهم كما قال عليه السلام: «الشيخ في قومه كالنبي في أمته» قال في «المثنوي»:

كفت پيغمبركه شيخى رفته پيش چون نبى باشدميان قوم خويش

فأمر بالجهاد مع كافر النفس وصفاتها بسيف الصدق فجهاد النفوس بمنعها عن شهواتها واستعمالها في عمل الشريعة على خلاف الطبيعة والنفوس بعضها كفار لم يسلموا، أي لم يستسلموا للمشايخ في تربيتها فجهادها بالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة

وبعضها منافقون، وهم الذين ادعوا الإرادة والاستسلام للمشايخ في الظاهر ولم يعرفوا بما عاهدوا عليه، فجهادها بإلزامها مقاساة شدائد الرياضات في التزكية على قانونها ممتثلة أوامر الشيخ ونواهيه، ولو يرى عليها الإباء والامتناع فلا ينفعها إلا التشديد والغلظة كما قال تعالى: ﴿واغلظ عليهم﴾ فالواجب أن يبالغ في مخالفتها ومؤاخذتها في أحكام الطريقة فإن فاءت إلى أمر الله فهو المراد وإلا استوجبت لما خلقت له. ﴿ومأواهم جهنم﴾ أي مرجعهم جهنم البعد ونار القطيعة وبئس المصير مرجعهم كذا في «التأويلات النجمية».

فعلى السالك أن يجاهد مع هواه أولاً فإن السلطان يلزم عليه أن يحارب البغاة الذين في مملكته ثم الذين وراءهم من الكفار نسأل الله تعالى أن يقوينا وينصرنا على القوم الكافرين أياً ما كانوا.

﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾ روي أن رسول الله ﷺ أقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمعه من كان منهم معه عليه السلام فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقاً لإخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا وأشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الأنصاري للجلاس أجل والله والله إن محمداً لصادق وأنت شر من الحمير فبلغ ذلك رسول الله فاستحضره فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال: «اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فقال رسول الله ﷺ والمؤمنون «آمين» فنزل جبريل قبل أن يتفرقوا بهذه الآية وصيغة الجمع في قالوا مع أن القائل هو الجلاس للإيذان بأن بقيتهم لرضاهم بقوله صاروا بمنزلة القائل: ﴿ولقد قالوا كلمة الكفر﴾ هي ما حكى آنفاً ﴿وكفروا بعد إسلامهم﴾ أي: وأظهروا ما في قلوبهم من الكفر بعد إظهارهم الإسلام. ﴿وهموا بما لم ينالوا﴾ الهمُّ بالشيء في اللغة: مقارنته دون الوقوع فيه أي قصدوا إلى ما لم يصلوا إلى ذلك من قتل الرسول وذلك أن خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه عليه السلام من تبوك على أن يفتكوا به في العقبة التي هي بين تبوك والمدينة، فقالوا: إذا أخذ في العقبة دفعناه عن راحلته إلى الوادي فأخبر الله تعالى رسوله بذلك فلما وصل الجيش إلى العقبة نادى منادي رسول الله إن رسول الله يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد واسلكوا بطن الوادي فإنه أسهل لكم وأوسع فسلك الناس بطن الوادي وسلك رسول الله ﷺ العقبة فلما سمعوا بذلك استعدوا وتلثموا وسلكوا العقبة وأمر عليه السلام عمار بن ياسر رضي الله عنه أن يأخذ بزمام الناقة يقودها وأمر حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن يسوقها من خلفها فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وبقعقعة السلاح فرجع إليهم ومعه محجن فجعل يضرب به وجوه رواحلهم وقال إليكم إليكم يا أعداء الله أي: تمنعوا عن رسول الله وتنحوا فهربوا وفي رواية إنه عليه السلام خرج بهم فولوا مدبرين فعلموا أنه عليه السلام اطلع على مكرهم فانحطوا من العقبة مسرعين إلى بطن الوادي واختلطوا بالناس فرجع حذيفة يضرب الناقة فقال عليه السلام: «هل عرفت أحداً من الركب الذين رددتهم» قال: لا كان القوم ملثمين والليلة مظلمة فلما أصبح رسول الله ﷺ جاء إليه أسيد بن حضير رضي الله عنه فقال يا رسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادي فقد كان أسهل من سلوك العقبة فقال: «إني أكره أن يقول الناس إن محمداً قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم» فقال يا رسول الله هؤلاء ليسوا بأصحاب فقال عليه السلام: «أليس يظهرون الشهادة» ودعا عليهم رسول الله فقال: «اللهم

ارمهم بالدبيلة» وهي سراج من نار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم. وفي لفظ شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلكه. ﴿وما نقموا﴾ قال في «القاموس»: نقم الأمر كرهه أي وما كرهوا وما عابوا وما أنكروا شيئاً من الأشياء ﴿إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ سبحانه وتعالى وذلك أنهم كانوا حين قدم رسول الله ﷺ المدينة في غاية ما يكون من شدة العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فآثروا بالغنائم، أي استغنوا وكثرت أموالهم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله بديته اثني عشر ألف درهم فاستغنى.

قال سعدي چلبي: يجوز أن يكون زيادة الألفين شنقاً أي تكرماً لأنهم كانوا يعطون الدية ويتكرمون بزيادة عليها ويسمونها شنقاً انتهى وهذا الكلام من قبيل قولهم ما لي عندك ذنب إلا إحساني إليك أي: إن كان ثمة ذنب فهذا هو تهكم بهم وتوبيخ وقيل: الضمير في أغناهم للمؤمنين أي غاظهم إغناؤه للمؤمنين، كذا قال ابن عبد السلام. ﴿فإن يتوبوا﴾ عما هم عليه من الكفرة والنفاق ﴿يك﴾ ذلك التوب ﴿خيراً لهم﴾ في الدارين قيل: لما تلاها رسول الله ﷺ قال جلاس يا رسول الله لقد عرض الله عليّ التوبة والله لقد قبلت وصدق عامر بن قيس فتاب جلاس وحسنت توبته ﴿وإن يتولوا﴾ أي: استمروا على ما كانوا عليه من التولي والإعراض عن الدين. ﴿يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا﴾ بالقتل والأسر والنهب وغير ذلك من فنون العقوبات. ﴿والآخرة﴾ بالنار وغيرها من أفانين العقاب ﴿وما لهم في الأرض﴾ مع سعتها وتباعد أقطارها وكثرة أهلها المصححة لوجدان ما نفى بقوله تعالى ﴿من ولي﴾ [دوستى كه دست كيرد] ﴿ولا نصير﴾ [ونه يا رى كه عذاب ايشان باز دارد] أي ينقذهم من العذاب بالشفاعة والمدافعة فالعاصي لا ينجو من العذاب وإن كان سلطاناً ذا منعة إلا بالاستغفار من الذنوب وإخلاص التوحيد والتوجه إلى علام الغيوب حكي عن محمد بن جعفر أنه قال كنت مع الخليفة في زورق فقال الخليفة أنا واحد وربي واحد، فقلت له: اسكت يا أمير المؤمنين لو قلت ما قلت مرة أخرى لنغرق جميعاً قال لِم؟ قلت: لأنك لست بواحد إنما أنت اثنان الروح والجسد من الاثنين الأب والأم في الاثنين الليل والنهار بالاثنين الطعام والشراب مع الاثنين الفقر والعجز والواحد هو الله الذي لا إله إلا هو.

وقال حكيم: لأصحاب الجنة ثلاثة أشياء يدخلون بها الجنة قول لا إله إلا الله محمد رسول الله والاستغفار من الذنوب والندم عليها وتحميد الله تعالى في الدنيا وإن أول ما يقولون إذا دخلوا الجنة الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن أي حزن القبر والكتاب والنيران إن ربنا لغفور للذنوب والمعصية شكور لقليل العمل والطاعة وفي الحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله». قال المولى الجامي قدس سره:

دلت آيينهٔ خداى نماست روى آيينهٔ توتيره چراست
صيقلى وار صيقلى ميزن باشد آيينهٔ آت شود روشن
صيقل آن اكرنهٔ آكاه نيست جز لا إله إلا الله

وفي قوله: ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ إشارة إلى أن بعض المريدين عند استيلاء النفوس وغلبة هواها وظفر الشيطان بهم شأنهم أن ينكروا على مشايخهم ويقولوا في حقهم كلمة الكفر أي كلمة الإنكار والاعتراض ويعرضوا عنهم بقلوبهم بعد الإرادة والاستسلام فإذا وقف المشايخ على أحوال ضمائرهم وخلل الإرادة في

سرائرهم ﴿يحلفون بالله﴾ إنهم ﴿ما قالوا﴾ وما أنكروا ﴿وهموا بما لم ينالوا﴾ يعني: وهم بعضهم أن يثبت لنفسه مرتبة الشيخوخة قبل أوانها ويظهر الدعوة إلى نفسه وإن لم ينلها. ﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ أي: وما أنكروا على الشيخ وخرجوا من أمره إلا كون الشيخ غني بلبان فضل الله عن حلمة الولاية ليروا آثار الرشد على أنفسهم فلم يحتملوا لضيق حوصلة الهمة فزين لهم الشيطان سوء أعمالهم فأصمهم بذلك وأعمى أبصارهم. ﴿فإن يتوبوا﴾ يرجعوا إلى ولاية الشيخ بطريق الالتجاء. ﴿يك خيراً لهم﴾ بأن يتخلصوا من غيرة الولاية وردها فإنها مهلكة ويتمكسوا بحبل الإرادة فإنها منجية. ﴿وإن يتولوا﴾ أي: يعرضوا عن ولاية الشيخ. ﴿يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة﴾ بعد رد الولاية فإن مرتد الطريقة أعظم ذنباً من مرتد الشريعة.

قال الجنيد: لو أقبل صديق على الله ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة فإن ما فاته أكثر مما ناله، فأما عذابه في الدنيا فبسلب الصدق والرد عن باب الطلب، وإرخاء الحجاب وذله وتقوية الهوى وتبديل الإخلاص بالرياء والحرص على الدنيا وطلب الرفعة والجاه، وأما عذابه في الآخرة فباشتعال نيران الحسرة والندامة على قلبه المعذب بنار القطيعة وهي نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة. ﴿وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير﴾ يشير إلى أن من ابتلي برد ولاية شيخ كامل ولو امتلأت الأرض بالمشايخ وأرباب الولاية وهو يتمسك بذيل إرادتهم غير أن شيخه رده لا يمكن لأحدهم إعانته وإخراجه من ورطة الرد إلا ما شاء الله كما في «التأويلات النجمية».

﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿ومنهم﴾ أي: من المنافقين ﴿من عاهد الله﴾ المعاهدة المعاقدة واليمين ﴿لئن آتانا﴾ أي: الله تعالى ﴿من فضله﴾ [از فضل خود مالى] ﴿لنصدقن﴾ أي: لنؤتين الزكاة وغيرها من الصدقات وأصله لنتصدقن أدغمت التاء في الصاد والمتصدق معطي الصدقة وسميت صدقة لدلالتها على صدق العبد في العبودية. ﴿ولنكونن من الصالحين﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الحج نزلت في ثعلبة بن حاطب الأنصاري كان ملازماً لمسجد رسول الله ليلاً ونهاراً وكان يلقب لذلك «حمامة المسجد» وكانت جبهته كركبة البعير من كثرة السجود على الأرض والحجارة المحماة بالشمس ثم جعل يخرج من المسجد كلما فرغ رسول الله ﷺ من الفجر بالجماعة من غير لبث واشتغال بالدعاء فقال له عليه السلام يوماً «ما لك صرت تعمل عمل المنافقين بتعجيل الخروج» فقال يا رسول الله إني في غاية الفقر بحيث لي ولامرأتي ثوب واحد وهو الذي علي وأنا أصلي فيه وهي عريانة في البيت ثم أعود إليها فأنزعه وهي تلبسه فتصلي فيه فادع الله أن يرزقني مالاً فقال عليه السلام: «ويحك يا ثعلبة» وهي كلمة عذاب وقيل كلمة شفقة «قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه» فراجعه فقال عليه السلام «أما ترضى أن تكون مثل نبي الله فوالذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهباً وفضة لسارت» وأشار إلى علم الكيمياء «ولكن أعرف أن الدنيا حظ من لاحظ له وبها يغتر من لا عقل له» فراجعه وقال يا رسول الله والذي بعثك بالحق نبياً لو دعوت الله أن يرزقني مالاً لأؤدين كل ذي حق حقه قال

عليه السلام: «اللهم ارزق ثعلبة مالاً» ثلاث مرات فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها أزقة المدينة فنزل وادياً حتى فاتته الجماعة لا يصلي بالجماعة إلا الظهر والعصر ثم نمت وكثرت فتنحى مكاناً بعيداً حتى انقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله فقيل كثر ماله حتى لا يسعه وادٍ أي وادٍ واحد بل يسعه أودية وصحارى فخرج بعيداً فقال عليه السلام: «يا ويح ثعلبة» فلما نزل قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣] استعمل النبي عليه السلام رجلين على الصدقات رجلاً من الأنصار ورجلاً من بني سليم وكتب لهما الصدقة وأسنانها وأمرهما أن يأخذاها من الناس فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأاه كتاب رسول الله ﷺ فيه الفرائض فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية وقال: ارجعا حتى أرى رأيي وذلك قوله تعالى.

﴿فلما آتاهم﴾ الله تعالى المال ﴿من فضله﴾ وكرمه ﴿بخلوا به﴾ أي: منعوا حق الله منه ﴿وتولوا﴾ أي: أعرضوا عن طاعة الله والعهد معه ﴿وهم معرضون﴾ وهو قوم عادتهم الإعراض فلما رجعا قال لهما رسول الله قبل أن يكلماه «يا ويح ثعلبة» مرتين فنزلت فركب عمر رضي الله عنه راحلته ومضى إلى ثعلبة، وقال: ويحك يا ثعلبة هلكت قد أنزل الله فيك كذا وكذا فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام: «إن الله منعني أن أقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه لا لأنه تاب عن النفاق بل للحوق العار من عدم قبول زكاته مع المسلمين فقال عليه السلام: «هذا» أي عدم قبول صدقتك «عملك» أي جزاء عملك أراد قوله هذه جزية أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله ﷺ فجاء بها إلى أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها ثم جاء بها إلى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في خلافة عثمان رضي الله عنه.

قال الحدادي: لم يقبل منه عثمان صدقته انتهى.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿فأعقبهم﴾ أي: جعل الله عاقبة فعلهم ذلك فالمعنى على تقدير المضاف، أي أعقب فعلهم ﴿نفاقاً﴾ راسخاً ﴿في قلوبهم﴾ وسوء اعتقاد يقال أعقبه الله خيراً أي صير عاقبة أمره ذلك خيراً ويقال أكلت سمكة وأعقبتني سقماً أي صرت تلك الأكلة أو السمكة عاقبة أمري سقماً.

﴿إلى يوم يلقونه﴾ أي: إلى يوم موتهم الذي يلقون الله عنده دل على تأييد نفاقهم وأن البخل ومنع حق الله تعالى مما أعطاه إياه يؤدي إلى أن يموت وهو منافق ولا يثبت له حكم الإسلام أبداً نعوذ بالله كإبليس ترك له أمراً واحداً فطرده عن بابه وضرب وجهه بعبادته ثمانين ألف سنة ولعنه إلى يوم الدين وأعد له عذاباً أليماً أبد الآبدين. قال الحافظ:

زاهد أيمن مشو ازبازىء غيرت زنهار   كه ره از صومعة تادير مغان اين همه نيست

﴿بما أخلفوا الله ما وعدوه﴾ بسبب إخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح ﴿وبما كانوا يكذبون﴾ أي لكونهم مستمرين على الكذب في جميع المقالات التي من جملتها وعدهم المذكور.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾.

﴿ألم يعلموا﴾ أي: من عاهدوا الله والاستفهام للتقرير، أي قد علموا ﴿أن الله يعلم سرهم﴾ أي: ما أسروه في أنفسهم من العزم على الإخلاف ولم يتكلموا به سراً ولا جهراً ﴿ونجواهم﴾ وما يتناجون به فيما بينهم من تسمية الزكاة جزية وغير ذلك مما لا خير فيه. والتناجي [بايكديكر راز كردن] يقال نجاه نجوى وناجاه مناجاة ساره والنجوى السر كالنجى ﴿وأن الله علام الغيوب﴾ فلا يخفى عليه شيء من الأشياء فكيف يجترئون على ما هم عليه من النفاق والعزم على الإخلاف.

مكن انديشهٔ عصيان چو ميدانى كه ميداند مبين در روى اين وآن چوميدانى كه مى بيند

وفي الآيات إشارات:

منها: أن من نذر نذراً فيه قربة نحو أن يقول إن رزقني الله ألف درهم فعليّ أن تصدق بخمسمائة لزمه الوفاء به ومن نذر ما ليس بقربة أو بمعصية، كقوله: نذرت أن أدخل الدار، أو قال لله عليّ أن أقتل فلاناً اليوم فحنث يلزمه الكفارة وهي عتق رقبة أو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم فالواجب واحد من هذه الثلاثة والعبد مخير فيه فإن عجز عن أحد هذه الأشياء الثلاثة صام ثلاثة أيام متتابعات وإن علق النذر بشرط يريد وجوده، نحو أن يقول: إن قدم فلان أو إن قدمت من سفري أو إن شفى الله من مريضي أو قضى ديني فلله عليّ صيام أو صدقة أو إن ملكت عبداً أو هذا العبد فعليّ أن أعتقه يلزمه الوفاء بما نذر لأنه نذر بصيغة وليس فيه معنى اليمين وإن علقه بشرط لا يريد وجوده، كقوله: إن كلمت فلاناً أو دخلت الدار فعليّ صوم سنة يجزئه كفارة يمين والمنذور إذا كان له أصل في الفروض أي واجب من جنسه لزم الناذر كالصوم والصلاة والصدقة والاعتكاف وما لا أصل له في الفروض فلا يلزم الناذر كعيادة المريض وتشييع الجنازة ودخول المسجد وبناء القنطرة والرباط والسقاية وقراءة القرآن ونحوها والأصل فيه أن إيجاب العبد معتبر بإيجاب الله تعالى تحصيلاً للمصلحة المعلقة بالنذر والنذر الغير المعلق لا يختص بزمان ومكان ودرهم وفقير بخلاف المعلق، فلو قال الناذر عليّ أن أتصدق في هذا اليوم بهذا الدرهم على هذا الفقير فتصدق غداً بدرهم آخر على غيره أجزأه عندنا ولا يجزئه عند زفر.

واعلم: أن المساجد الثلاثة المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الأقصى لكونها أبنية الأنبياء عليهم السلام لها فضيلة تامة، ولهذا قال الفقهاء: لو نذر أن يصلي في أحد هذه الثلاثة تعين بخلاف سائر المساجد فإن من نذر أن يصلي في أحدها له أن يصلي في الآخر.

ومنها: أن النفاق عبارة عن الكذب وخلف الوعد والخيانة إلى ما ائتمن كما أن الإيمان عبارة عن الصدق وملازمة الطاعة لأن الله تعالى خلق الصدق فظهر من ظله الإيمان وخلق الكذب فظهر من ظله الكفر والنفاق وفي الحديث: «ثلاث من كنّ فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان» يعني: من يحدث عالماً بأنه كذب وتعهد عازماً على عدم الوفاء وينتظر الأمانة للخيانة ولعل هذا يكون في حق من اعتاد بهذه الخصال لا في حق من ندرت منه كما هو مذهب البخاري وبعض العلماء ومذهب الجمهور على أن هذه الخصال خصال المنافقين وصاحبها شبيه لهم فإطلاق اسم المنافق عليه على سبيل التجوز تغليظاً كما أن الله تعالى قال ومن كفر مكان ومن لم يحج لكمال قبحه.

قال صاحب «التحفة»: ليس الغرض أن آية المنافق محصورة في الثلاث بل من أبطن خلاف ما أظهر فهو من المنافقين.

واعلم أن المنافقين صنفان صنف معلنو الإسلام ومسروه في بدء الأمر وذلك لغلبة صفات النفاق وقوتها في النفس وصنف معلنو الإسلام ومسروه في بدء الأمر إلى أن استعملوا هذه الصفات المستكنة في النفس فيظهر بالفعل كما كان بالقوة وذلك لضعفها في النفس فيعقبهم النفاق إلى الأبد بالشكوك الواقعة في قلوبهم وهم عن هذا النوع من النفاق غافلون وهم يصومون ويصلون ويزعمون أنهم مسلمون.

قال عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بمنافقيها وجئنا بالحجاج فضلناهم.

يقول الفقير سامحه الله القدير هذا الكلام بالنسبة إلى ذلك الوقت ولو أنه رأى وزراء آل عثمان ووكلاءهم في هذا الزمان لوجدهم أرجح من كل منافق لأنه بلغ نفاقهم إلى حيث أخذوا الرشوة من الكفار ليسامحوهم في مقاتلتهم ومحاربتهم خذلهم الله ودمرهم.

ومنها ذم البخل والحرص على الدنيا وفي الحديث: «ثلاث لا يحبهم الله ورسوله وهم في لعنة الله والملائكة والناس أجمعين البخيل والمتكبر والأكول» وفي الحديث: «ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة، يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا التي فرضت لنا عليهم، فيقول الله تعالى: بعزتي وجلالي لأبعدنهم ولأقربنكم». قال الحافظ:

كنج قارون كه فروميرود از قهر هنوز خوانده باشى كه هم ازغيرت درويشانست

وفي الحديث: «ما جبل ولي لله إلا على السخاء» وأجود الأجواد هو الله تعالى ألا ترى أنه كيف خلع خلعة الوجود على عامة الكائنات مجاناً وأنعم عليهم أنواع النعم الظاهرة والباطنة أي حيث منع الخلق عن المهالك كالشهوات لا بخلاً بل شوقاً إلى اللذات الباقية.

﴿الذين﴾ رفع على الذم أي المنافقون هم الذين ﴿يلمزون﴾ قال في «القاموس» اللمز العيب والإشارة بالعين ونحوها أي يعيبون ويغتابون ﴿المطوعين﴾ أي: المتطوعين المتنفلين ﴿من المؤمنين﴾ حال من المطوعين ﴿في الصدقات﴾ متعلق بيلمزون روي أن النبي ﷺ خطب ذات يوم حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك يحث الناس على الإنفاق والإعانة في تجهيز العسكر، فكان أول من جاء بالصدقة أبو بكر الصديق رضي الله عنه جاء بجميع ماله أربعة آلاف درهم، فقال له رسول الله: «هل أبقيت لأهلك شيئاً» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، وجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنصف ماله، فقال له عليه السلام: «هل أبقيت لأهلك شيئاً» قال النصف الثاني فقال: «ما بينكما ما بين كلاميكما» ومنه يعرف فضل أبي بكر على عمر رضي الله عنه وأنفق عثمان بن عفان رضي الله عنه نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها فإنه جهز عشرة آلاف أنفق عليها عشرة آلاف دينار وصب في حجر النبي عليه السلام ألف دينار وأعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وخمسين فرساً وعند ذلك قال ﷺ: «اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض» وفي الحديث: «سألت ربي أن لا يدخل النار من صاهرته أو صاهرني» وقد كان عليه السلام زوج بنته رقية من عثمان فماتت بعد ما خرج رسول الله إلى بدر، فلما رجع من بدر زوجه أم كلثوم ولذا سمي عثمان بذي النورين ولما ماتت أم كلثوم قال عليه السلام: «لو كان عندي ثالثة لزوجتكها» وجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بأربعة آلاف درهم فقال عليه السلام: «بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت» فبارك الله له حتى بلغ ماله حين

مات وصولحت إحدى نسائه الأربع عن ربع ثمنها على ثمانين ألف درهم ونيف، فكان ثمن ماله أكثر من ثلاثمائة ألف وعشرين ألفاً وفي رواية جاء بأربعين أوقية من ذهب، ومن ثمة قيل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف كانا خزانتين من خزائن الله في الأرض ينفقان في طاعة الله تعالى، وجاء العباس بمال كثير، وكذا طلحة وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر والوسق ستون صاعاً بصاع النبي عليه السلام وهو أربعة أمداد وكل مد رطل وثلث رطل بالبغدادي عند أبي يوسف والشافعي، والرطل: مائة وثلاثون درهماً وعند أبي حنيفة كل مد رطلاً وبعثت النساء بكل ما يقدرون عليه من حليهن، وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتي كلها أجر بالجرير على صاعين أما أحدهما فأمسكته لعيالي وأما الآخر فأقرضته ربي فأمره رسول الله أن ينثره في الصدقات فطعن فيهم المنافقون وقالوا ما أعطي عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وسمعة وإن أبا عقيل جاء ليذكر بنفسه ويعطي من الصدقة بأكثر مما جاء به وإن الله لغني عن صاع أبي عقيل فأنزل الله هذه الآية ﴿والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾ عطف على المطوعين أي ويلمزون الذين لا يجدون إلا طاقتهم من الصدقة.

قال الحدادي: عابوا المكثر بالرياء والمقل بالإقلال يقال الجهد بالفتح المشقة والجهد بالضم الطاقة وقيل الجهد في العمل والجهد في القوة. ﴿فيسخرون منهم﴾ عطف على يلمزون أي يستهزئون بهم، والمراد بهم الفريق الأخير كأبي عقيل. ﴿سخر الله منهم﴾ أي: جازاهم على سخريتهم فيكون تسمية جزاء السخرية سخرية من قبيل المشاكلة لوقوعه في صحبة قوله فيسخرون منهم ﴿ولهم﴾ أي: ثابت لهم ﴿عذاب أليم﴾ على كفرهم ونفاقهم.

اي كـه دارد نـفـاق انـدر دل   خـار بـادش خـلـيـده انـدر حـلـق
هـركـه سـازد نـفـاق پـيـشـهٔ خـويـش   خـوار كـردد بـنـزد خـالـق وخـلـق

قال الحدادي: ولما نزلت هذه الآية أتى المنافقون إلى رسول الله وقالوا يا رسول الله استغفر لنا فكان عليه السلام يستغفر لقوم منهم على ظاهر الإسلام من غير علم منه بنفاقهم وكان إذا مات أحد منهم يسألون رسول الله الدعاء والاستغفار لميتهم فكان يستغفر لهم على أنهم مسلمون فأعلمه الله أنهم منافقون وأخبر أن استغفاره لا ينفعهم فذلك قوله تعالى:

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ خرج الكلام مخرج الأمر ومعناه الشرط أي إن شئت استغفر لهم وإن شئت لا تستغفر فالأمران متساويان في عدم النفع الذي هو المغفرة والرحمة. ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾ قوله مرة انتصب على المصدر أي سبعين استغفارة أو على الظرف أي سبعين وقتاً وتخصيص السبعين بالذكر لتأكيد نفي المغفرة؛ لأن الشيء إذا بولغ في وصفه أكد بالسبع والسبعين وهذا كما يقول القائل لو سألتني حاجتك سبعين مرة لم أقضها لا يريد أنه إذا زاد على السبعين قضى حاجته فالمراد التكثير لا التحديد. ﴿فلن يغفر الله لهم ذلك﴾ أي: امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار ليس لعدم الاعتداد باستغفارك بل ﴿بأنهم﴾ أي: بسبب أنهم ﴿كفروا بالله ورسوله﴾ أي: كفراً متجاوزاً عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق في قوله تعالى: ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ فإن الفسق في كل شيء عبارة

عن التمرد والتجاوز عن حدوده، أي لا يهديهم هداية موصلة إلى المقصد ألبتة لمخالفة ذلك للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع. وأما الهداية: بمعنى الدلالة على ما يوصل إليه فهي متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا.

وفيه إشارة إلى أن استغفار النبي عليه السلام لأحد من غير استغفاره لنفسه لا ينفعه فاليأس من المغفرة وعدم قبول استغفاره ليس لبخل من الله، ولا لقصور في النبي عليه الصلاة والسلام، بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها، كما قال المولى جلال الدين في «شرح الهياكل» المحال لا يدخل تحت قدرة قادر، ولا يلزم من ذلك النقص في القادر بل النقص في المحال حيث لا يصلح لتعلق القدرة انتهى ومنه يعرف معنى قول العرفي الشيرازي:

ذات تو قادرست بايجاد هر محال — الا بآفريدن چون تو يكانهٔ

وفي عبارته سوء أدب كما لا يخفى.

واعلم: أن من كفرهم وفسقهم سخريتهم في أمر الصدقات ولو كان لهم إيمان وإصلاح لبالغوا في الإنفاق وجدّوا في البذل كالمخلصين.

وفي «التأويلات النجمية»: قلب المؤمن منور بالإيمان وروحه متوجه إلى الحق تعالى فالحق يؤيد روحه بتأيد نظر العناية وتوفيق العبودية فيسطع من الروح نور روحاني مؤيد بنور رباني فتنبعث منه الخواطر الرحمانية الداعية إلى الله تعالى بأعمال موجبة للقربة من الفرائض والنوافل فتارة تكون الأعمال بدنية كالصوم والصلاة وتارة تكون تلك الأعمال مالية كالزكاة والصدقة فيتطوع بالصدقة فضلاً عن الزكاة وفي الحديث: «إن النافلة هدية المؤمن إلى ربه فليحسن أحدكم هديته وليطيبها» وقلب المنافق مظلم بظلمات صفات النفس لعدم نور الإيمان وروحه متوجه إلى الدنيا وزخارفها بتبعية النفس الأمارة بالسوء مطرود بالخذلان لأن قرينه الشيطان فبتأثير الخذلان ومقارنة الشيطان يصعد من النفس ظلمة نفسانية تمنع القلب من قبول الدعوة وإجابة الرسل واتباع الأوامر واجتناب النواهي بالصدق وتنبعث منة الخواطر الظلمانية النفسانية وبذلك يمتنع عن أداء الفرائض فضلاً عن النوافل والتطوعات ويهزأ بمن يفعل ذلك.

روي أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فأراه إياه في المنام فلما رأى عظمته غشي عليه فلما أفاق قال: إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته من الحسنات فقال: يا داود إني إذا رضيت عن عبدي أملأها بتمرة. وروي أن الحسن مر به نخاس ومعه جارية جميلة فقال للنخاس أترضى في ثمنها بدرهم أو درهمين قال: لا، قال: فاذهب فإن الله يرضى في الحور العين بالفلس والفلسين. قال السعدي قدس سره:

بدنيا توانى كه عقبى خرى — بخرجان من ورنه حسرت خورى

واعلم أن النوافل مقبولة بعد أداء الفرائض وإلا فهي من علامات أهل الهوى.

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿فرح المخلفون﴾ المخلف ما يتركه الإنسان خلفه والمتخلف الذي تأخر بنفسه والمراد المنافقون الذين خلفهم النبي عليه السلام بالمدينة حين الخروج إلى غزوة تبوك بالإذن لهم في

القعود عند استئذانهم. ﴿بمقعدهم﴾ مصدر ميمي بمعنى القعود متعلق بفرح أي بقعودهم وتخلفهم عن الغزو. ﴿خلاف رسول الله﴾ ظرف للمصدر أي خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا فالخلاف بمعنى خلف، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦] يقال أقام زيد خلاف القوم أي تخلف عنهم بعد ذهابهم ظعن أو لم يظعن ويجوز أن يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة لفرح أي فرحوا لأجل مخالفتهم إياه عليه السلام بأن مضى هو للجهاد وتخلفوا عنه. ﴿وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ إيثاراً للدعة والخفض، أي الراحة وسعة العيش على طاعة الله مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق. وفي ذكر الكراهة بعد الفرح الدال عليها تعريض بالمؤمنين الذين بذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله وآثروا تحصيل رضاه تعالى وفي قوله: كرهوا مقابلة معنوية مع فرح لأن الفرح من ثمرات المحبة. ﴿وقالوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض تثبيتاً لهم على التخلف والقعود وتواصياً فيما بينهم بالشر والفساد أو قالوا للمؤمنين تثبيطاً لهم عن الجهاد ونهياً لهم عن المعروف فقد جمعوا ثلاث خصال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهة الجهاد ونهي الغير عن ذلك. ﴿لا تنفروا﴾ أي: لا تخرجوا ﴿في الحر﴾ فإنه لا تستطاع شدته وكانوا دعوا إلى غزوة تبوك في وقت نضج الرطب وهو أشد ما يكون من الحر وقول عروة بن الزبير إن خروجه عليه السلام لتبوك كان في زمن الخريف لا ينافي وجود الحر في ذلك الزمن لأن أوائل الخريف وهو الميزان يكون فيه الحر.

وكان ممن تخلف عن مسيره معه ﷺ أبو خيثمة ولما سار عليه السلام أياماً دخل أبو خيثمة على أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشتين لهما في حائط قد رشت كل منهما عريشتها وبردت فيها ماء وهيأت طعاماً فلما دخل نظر إلى امرأتيه وما صنعتا فقال رضي الله عنه رسول الله ﷺ في الحر وأبو خيثمة في ظل وماء بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء ما هذا بالنصف، ثم قال والله لا أدخل عريشة واحدة منكما حتى ألحق برسول الله فهيئا لي زاداً ففعلتا ثم قدم ناضحة فارتحلها وأخذ سيفه ورمحه ثم خرج في طلب رسول الله حتى أدركه». قال الحافظ:

ملول ازهمر هان بودن طريق كارد انى نيست ⁂ بكش دشوارىء منزل بياد عهد آسانى

وقال:

مقام عيش ميسر نميشود بى رنج ⁂ بلى بحكم بلا بسته اند حكم الست

وقال:

من ازديار حبيبم نه ازديار غريب ⁂ مهيمنا بعزيزان خودرسان باشم

﴿قل﴾ رداً عليهم وتجهيلاً ﴿نار جهنم أشد حراً﴾ من هذا الحر وقد آثرتموها بهذه المخالفة فما لكم لا تحذرونها ﴿لو كانوا يفقهون﴾ أي: يعلمون أنها كذلك لما خالفوا وفي الحديث: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من أجزاء نار جهنم» وبيانه أنه لو جمع حطب الدنيا فأوقد كله حتى صار ناراً لكان الجزء الواحد من أجزاء نار جهنم الذي هو من سبعين جزءاً أشد من حر نار الدنيا.

وفي الخبر، لما أهبط آدم عليه السلام مضى جبرائيل إلى مالك وأخذ منه جمرة لآدم فلما تناولها أحرقت كفه فقال ما هذه يا جبرائيل قال جمرة من جهنم غسلتها سبعين مرة ثم

آتيتها إليك فألق عليها الحطب واخبز وكل ثم بكى آدم وقال كيف: «تقوى أولادي على حرها فقال له جبرائيل ليس لها على أولادك المطيعين من سبيل» كما ورد في الحديث: «تقول جهنم للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي» ومن كان مع الله لا يحرقه شيء ألا ترى إلى حال النبي عليه السلام ليلة المعراج كيف تجاوز عن كرة الأثير ولم يحترق منه شعر وكانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام.

﴿فليضحكوا﴾ ضحكاً ﴿قليلاً﴾ في الدنيا وهو إشارة إلى مدة العمر وعمر الدنيا قليل فكيف عمر من في الدنيا فإنه أقل من القليل ﴿وليبكوا﴾ بكاء ﴿كثيراً﴾ في الآخرة في النار ﴿جزاء﴾ مفعول له للفعل الثاني أي: ليبكوا جزاء. ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من فنون المعاصي وهذا لفظ أمر ومعناه خبر أي يضحكون قليلاً ويبكون دائماً وإنما أخرج في صورة الأمر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فإن أمر الآمر المطاع مما لا يكاد يتخلف عند المأمور به. يروى أن أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وفي الحديث: «يرسل الله البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع، ثم يبكون الدم حتى ترى وجوههم كهيئة الأخدود» ويجوز أن يكون الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وأن تكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام. يعني [فردا ايشانرا غمى باشد بى فرح واندوهى بى سرور] فيكون وقت الضحك والبكاء في الآخرة. ويجوز أن يكون وقتهما في الدنيا أي هم لما هم عليه من الخطر مع رسول الله وسوء الحال بحيث ينبغي أن يكون ضحكهم قليلاً وبكاؤهم من أجل ذلك كثيراً نحو قوله عليه السلام لأمته «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً وضحكتم قليلاً» قال ابن عمر رضي الله عنهما خرج رسول الله ﷺ ذات يوم فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فوقف وسلم عليهم فقال: «أكثروا ذكر هاذم اللذات» قلنا وما هاذم اللذات قال: «الموت» قال الصائب:

بر غفلت سياه دلان خنده ميزند   غافل مشوز خندهٔ داندن نماى صبح

ومر الحسن البصري بشاب وهو يضحك فقال له: يا بني هل مررت على الصراط؟ فقال: لا، فقال: هل تدري إلى الجنة تصير أم إلى النار؟ فقال: لا، فقال: ففيم هذا الضحك فما رؤي الفتى بعد ذلك يضحك. قيل: لما فارق موسى الخضر عليهما السلام قال: إياك واللجاجة ولا تكن مشاء إلا لحاجة ولا ضحاكاً من غير عجب كان وابكِ على خطيئتك يا ابن عمران.

قال محمد بن واسع إذا رأيت رجلاً في الجنة يبكي ألست تتعجب من بكائه قال: بلى، قال: فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلام يصير هو أعجب منه.

وعن وهب بن منبه أنه قال إن زكريا عليه السلام فقد ابنه يحيى عليه السلام فوجده مضطجعاً على قبر يبكي فقال: يا بني ما هذا البكاء، قال: أخبرتني أمي أن جبريل أخبرك أن بين الجنة والنار مفازة ذات لهب لا يطفىء حرها إلا الدمع فقال زكريا ابك يا بني ابك.

وعن كعب الأحبار أنه قال: إن العبد لا يبكي حتى يبعث الله إليه ملكاً فيمسح كبده بجناحه فإذا فعل ذلك بكى.

وعن أنس قال: ثلاثة أعين لا تمسها النار عين فقئت في سبيل الله وعين باتت تحرس في سبيل الله وعين دمعت من خشية الله.

وفي الحديث: «لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إليّ من أن تصدق بألف دينار» وفي التوراة يا ابن آدم إذا دمعت عيناك فلا تمسح الدموع بثوبك ولكن امسحها بكفك فإنها رحمة.

قال العلماء: البكاء على عشرة أنواع: بكاء فرح، وبكاء حزن، وبكاء رحمة، وبكاء خوف، مما يحصل، وبكاء كذب كبكاء النائحة؛ لأنها تبكي لشجو غيرها وجاء «تخرج النائحة من قبرها يوم القيامة شعثاء غبراء عليها جلباب من لعنة ودرع من جرب، وضعت يدها على رأسها تقول واويلاه وتنبح كما ينبح الكلب». وبكاء موافقة بأن يرى جماعة يبكون فيبكي مع عدم علمه بالسبب، وبكاء المحبة والشوق، وبكاء الجزع من حصول ألم لا يحتمله، وبكاء الجور والضعف. وبكاء النفاق وهو أن تدمع العين والقلب قاس.

وأما التباكي فهو تكلف البكاء وهو نوعان محمود ومذموم. والأول ما يكون لاستجلاب رقة القلب. والثاني ما يكون لأجل الرياء والسمعة كما في «إنسان العيون».

والحاصل: أن طالب الآخرة ينبغي له تقليل الضحك وتكثير البكاء ولا يغفل عن الموت ولقاء الجزاء فإنه كم ضاحك وكفنه عند القصار. قال الحافظ:

ديد آن قهقهه كبك خرامان حافظ   كه زسر پنجه شاهين قضا غافل بود

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ٨٣﴾

﴿فإن رجعك الله﴾ من الرجع المتعدي دون الرجوع اللازم يقول رجع رجوعاً أي انصرف ورجع الشيء عن الشيء، أي صرفه ورده كأرجعه. والمعنى فإن ردك الله من غزوة تبوك. ﴿إلى طائفة منهم﴾ الطائفة من الشيء القطعة منه وضمير منهم إلى المنافقين المتخلفين في المدينة دون المتخلفين مطلقاً منافقاً كان أو مخلصاً فإن تخلف بعضهم إنما كان لعذر عائق مع الإسلام أو إلى من بقي من المنافقين لأن منهم من مات ومنهم من غاب عن البلد ومنهم من تاب ومنهم من لم يستأذن وعن قتادة أنهم كانوا اثني عشر رجلاً قيل فيهم ما قيل. ﴿فاستأذنوك للخروج﴾ معك إلى غزوة أخرى بعد غزوتك هذه وهي تبوك. ﴿فقل لن تخرجوا معي أبداً﴾ أي: لا تأذن لهم بحال وهو إخبار في معنى النهي للمبالغة، وكذا قوله: ﴿ولن تقاتلوا معي عدواً﴾ من الأعداء ﴿إنكم﴾ تعليل لما سلف، أي: لأنكم ﴿رضيتم بالقعود﴾ أي: عن الغزو وفرحتم بذلك ﴿أول مرة﴾ هي الخرجة إلى غزوة تبوك وتذكير اسم التفضيل المضاف إلى المؤنث هو الأكثر الدائر على الألسنة فإنك لا تكاد تسمع قائلاً يقول هي كبرى امرأة أو أولى مرة. ﴿فاقعدوا﴾ من بعد ﴿مع الخالفين﴾ أي: المتخلفين الذين ديدنهم القعود والتخلف دائماً لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان ففي الخالفين تغليب الذكور على الإناث.

فإن قيل: كانت أعمال المنافقين من الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد مقبولة عند النبي عليه السلام وإن لم تكن مقبولة عند الله تعالى فكان النبي عليه السلام يقول نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فما الحكمة في أن الله تعالى أمر النبي عليه السلام بأن لا يقبل من المتخلفين أعمالهم من الخروج معه والقتال مع العدو وغير ذلك.

قلنا: إن الحكمة في ذلك والله أعلم أن المنافقين لما كانوا يظهرون الإسلام والائتمار بأوامر النبي عليه السلام مع ما كانوا يضمرون من الكفر والنفاق كانت أعمالهم مقبولة عند النبي

عليه السلام وسرائرهم موكولة إلى الله تعالى طمعاً في إنابتهم ورجوعهم من النفاق إلى الوفاق فلما أظهروا ما اضمروا ردت إليهم أعمالهم فكان الحكم بالظاهر أيضاً فافهم.

قال العلماء: أخرجهم الله تعالى من ديوان الغزاة ومحا أساميهم من دفتر المجاهدين وأبعد محلهم من محفل صحبة النبي ﷺ عقوبة لهم على تخلفهم لما فيه من الإهانة وإظهار نفاقهم وبيان أنهم ليسوا ممن يتقوى به الدين ويعز الإسلام كالمؤمنين الخلص نسأل الله تعالى صحبة الدين وصحبة أهل الدين إلى يوم الدين. روي أن زيد بن حارثة كان لخديجة اشتري لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله فجاء أبوه يريد شراءه منه فقال عليه السلام: «إن رضي بذلك فعلت» فسئل زيد، فقال: ذل الرقبة مع صحبة أحب الخلق إلى الحق أحب إلي من الحرية مع مفارقته، فقال عليه السلام: «إذا اختارنا اخترناه» فأعتقه وزوجه أم أيمن وبعدها زينب بنت جحش. قال الحافظ:

كدايى در جانان بسلطنت مفروش — كسى زسايهٔ اين در بافتاب رود

والمنافقون لما لم يكن لهم استعداد لهذه الصحبة الشريفة فارقوه عليه السلام في السفر والحضر لأن كل امرىء يصبو إلى من يجانس، وقدم ناس إلى مكة، وقالوا قدمنا إلى بلدكم فعرفنا خياركم من شراركم في يومين، قيل كيف؟ قالوا لحق خيارنا بخياركم، وشرارنا بشراركم فألف كل شكله. قيل:

وإذا الرجال توسلوا بوسيلة — فوسيلتي حبي لآل محمد

قال الكاشفي: [جهاد كار مردان مردو مبارزان ميدان نبرد است ازهر تردامنى اين كار نيايد ونامرد بى درد مبارزت معركهٔ مجاهدت را نشايد].

يا برو همچون زنان رنكى وبويى پيش كير — يا چو مردان اندر آى وكوى درميدان فكن

قال السعدي قدس سره:

ندهد هوشمند روشن رأى — بفرومايه كارهاى خطير

بوريا باف اكرچه بافندست — نبرندش بكار كاه حرير

ومن بلاغات الزمخشري لا تصلح الأمور إلا بأولي الألباب والأرحاء لا تدور إلا على الأقطاب جمع قطب وهو وتد الرحى.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

﴿ولا تصل﴾ يا محمد ﴿على أحد منهم﴾ أي: من المنافقين وهو صفة لأحد. ﴿مات﴾ صفة أخرى ويجوز أن يكون منهم حالاً من الضمير في مات كذا في «تفسير أبي البقاء» ﴿أبداً﴾ ظرف للنهي أي لا تدع ولا تستغفر لهم أبداً وهو الأظهر. وقيل: منصوب بمات على أن يكون المعنى لا تصل على أحد منهم ميت مات أبداً بأن مات على الكفر فإن من مات على الكفر ميت أبداً وإن إحياءه للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحيى وكان حذيفة رضي الله عنه صاحب سر رسول الله ﷺ قال له يوماً: «إني مسر إليك سراً فلا تذكرنه إني نهيت أن أصلي على فلان وفلان» وعد جماعة من المنافقين ولما توفي رسول الله كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في

خلافته إذا مات الرجل ممن يظن أنه من أولئك أخذ بيد حذيفة فناداه إلى الصلاة عليه فإن مشى معه حذيفة صلى عليه عمر، وإن انتزع يده من يده ترك الصلاة عليه. **﴿ولا تقم على قبره﴾** أي: ولا تقف عند قبره للدفن أو للزيارة والدعاء وكان النبي عليه السلام «إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له» **﴿إنهم كفروا بالله ورسوله﴾** تعليل للنهي على أن الاستغفار للميت والوقوف على قبره إنما يكون لاستصلاحه وذلك مستحيل في حقهم لأنهم استمروا على الكفر بالله وبرسوله مدة حياتهم قال الحافظ قدس سره:

بآب زمزم وكوثر سفيدنتوان كرد كليم بخت كسى راكه بافتند سياه

وقال السعدي قدس سره:

توان پاك كردن زژنك آينه وليكن نيايد زسنك آينه

﴿وماتوا وهم فاسقون﴾ أي: متمردون في الكفر خارجون عن حدوده. روي عن ابن عباس أن رئيس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول دعا رسول الله ﷺ في مرضه فلما دخل عليه سأله أن يستغفر له ويصلي عليه إذا مات ويقوم على قبره، ثم إنه أرسل إليه عليه السلام يطلب منه قميصه ليكفن فيه فأرسل إليه القميص الفوقاني فرده فطلب الذي يلي جلده، فقال عمر رضي الله عنه تعطي قميصك لرجس النجس فقال عليه السلام: «إن قميصي لا يغني عنه من الله شيئاً وأرجو من الله تعالى أن يدخل به ألف في الإسلام» وذلك أن المنافقين كانوا لا يفارقون ابن أبي فلما رأوه يطلب منه عليه السلام قميصه يتبرك به ويرجو أن ينفعه القميص في دفع عذاب الله وجلب رحمته وفضله، أسلم ألف من الخروج وإنما قال عليه السلام إن قميصي لا يغني لعدم الأساس الذي هو الإيمان ومثله إنما يؤثر عند صلاح المحل ويدل عليه قوله عليه السلام: «ادفنوا أمواتكم وسط قوم صالحين فإن الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحي بجار السوء» وما يروى الأرض المقدسة لا تقدس أحداً إنما يقدس المرء عمله وقد ثبت أن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه لما قتل سفيان بن خالد الهذلي ووضع بين يديه عليه السلام دفع إليه عصا كانت بيده وقال: «تخصر بهذه في الجنة» أي توكأ عليها فكانت تلك العصا عنده فلما حضرته الوفاة أوصى أهله أن يجعلوها بين جلده وكفنه ففعلوا وثبت أنه عليه السلام «حلق رأسه الشريف معمر بن عبد الله فأعطى نصف شعر رأسه لأبي طلحة وفرق النصف الآخر بين الأصحاب شعرة وشعرتين فكانوا يتبركون بها وينصرون ما داموا حاملين لها» ولذا قال في «الأسرار المحمدية»: لو وضع شعر رسول الله أو عصاه أو سوطه على قبر عاص لنجا ذلك العاصي ببركات تلك الذخيرة من العذاب وإن كان في دار إنسان أو بلدة لا يصيب سكانها بلاء ببركته وإن لم يشعروا به ومن هذا القبيل ماء زمزم والكفن المبلول به وبطانة أستار الكعبة والتكفن بها وكتابة القرآن على القراطيس والوضع في أيدي الموتى انتهى.

أقول: إن قلت قد ثبت أن في خزانة السلاطين خصوصاً في خزانة آل عثمان شيئاً مما يتبرك به من خرقة النبي عليه السلام وغيرها ورأيناهم قد لا ينصرون ومعهم شيء من لوائه عليه السلام ويصيب بلدتهم آفات كثيرة؟ قلت: لذلك لهتك الحرمة ألا ترى أن مكة والمدينة كان لا يدخلهما طاعون فلما هتك السكان حرمتهما دخلهما والله الغفور فلما مات ابن أبي انطلق ابنه وكان مؤمناً صالحاً إلى النبي عليه السلام ودعاه إلى جنازة أبيه فقال له عليه السلام: «ما اسمك»؟ قال: الحباب بن عبد الله فقال عليه السلام: «أنت عبد الله بن عبد الله، إن الحباب هو

الشيطان» أي اسمه كما في «القاموس» ثم قال: «صل عليه وادفنه» فقال إن لم تصل عليه يا رسول الله لا يصلي عليه مسلم أنشدك الله أن لا تشمت بي الأعداء فأجابه عليه السلام تسلية له ومراعاة لجانبه فقام ليصلي عليه فجاء عمر رضي الله عنه فقام بين رسول الله وبين القبلة لئلا يصلي عليه وقال: أتصلي على عدو الله القائل كذا يوم كذا وكذا وكذا وعد أيامه الخبيثة فنزلت الآية وأخذ جبرائيل عليه السلام بثوبه وقال لا تصل على أحد منهم مات أبداً فأعرض عن الصلاة عليه وهذا يدل على منقبة عظيمة من مناقب عمر رضي الله عنه فإن الوحي كان ينزل على وفق قوله في آيات كثيرة منها هذه الآية وهو منصب عال ودرجة رفيعة له في الدين فلذا قال عليه السلام في حقه «لو لم أبعث لبعثت نبياً يا عمر» وقال: «إنه كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون فإنه إن كان في أمتي هذه فإنه عمر بن الخطاب» رضي الله عنه. والمحدث بفتح الدال المشددة: هو الذي يلقى في نفسه الشيء فيخبر به فراسة وهي الإصابة في النظر ويكون كما قال وكأنه حدثه الملأ الأعلى وهذه منزلة جليلة من منازل الأولياء ولم يرد النبي عليه السلام بقوله إن كان في أمتي التردد في ذلك لأن أمته أفضل الأمم وإذا وجد في غيرها محدثون ففيها أولى بل أراد به التأكيد لفضل عمر كما يقال إن يكن لي صديق فهو فلان يراد به اختصاصه بكمال الصداقة لا نفي سائر الأصدقاء وقد قيل في فضيلة عمر رضي الله عنه:

له فضائل لا تخفى على أحد إلا على أحد لا يعرف القمرا

كذا في «شرح المشارق» لابن ملك.

فإن قيل: كيف يجوز أن يقال إنه عليه السلام رغب في أن يصلي عليه بعد أن علم أنه كافر مات على الكفر وأن صلاته عليه دعاء له بالمغفرة وقد منعه الله من أن يستغفر للمشركين وأعلمه أنه لا يغفر للكفار وأيضاً الصلاة عليه ودفع قميصه إليه توجب إعزازه وهو مأمور بإهانة الكفار.

فالجواب إن الخبيث لما طلب منه أن يرسل إليه قميصه الذي يمس جلده الشريف ليدفن فيه غلب على ظنه أنه قد تاب عن نفاقه وآمن لأن ذلك الوقت وقت توبة الفاجر وإيمان الكافر فلما رأى منه إظهار الإسلام وشاهد منه هذه الأمارات الدالة على إسلامه غلب على ظنه أنه صار مسلماً فرغب في أن يصلي عليه فلما أتى جبريل وأخبره بأنه مات على كفره ونفاقه امتنع من الصلاة عليه. وقيل: نزلت الآية بعدما صلى ولبث يسيراً فما صلى بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره.

وأما دفع القميص إليه فذكروا فيه وجوهاً.

منها: أن العباس عم النبي عليه السلام لما أخذ أسيراً يوم بدر ولم يجدوا له قميصاً يساوي قده وكان رجلاً طويلاً كساه عبد الله قميصه فهو عليه السلام إنما دفع إليه قميصه مكافاة لإحسانه ذلك لا إعزاز له.

ومنها: أنه تعالى أمره أن لا يرد سائلاً حيث قال: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ [الضحى: ١٠] فالضنة بالقميص وعدم إرساله سيما وقد سئل فيه مخل بالكرم.

ومنها: أنه لعله أوحي إليه أنك إن دفعت إليه قميصك صار ذلك حاملاً لدخول ألف نفر من المنافقين في الإسلام ففعل ذلك بناء عليه والله أعلم بحقيقة الحال وما علينا إلا القبول وطي المقال وهو الهادي إلى طريق التحقيق.

﴿ولا تعجبك﴾ الإعجاب [شكفتى نمودن وخوش آمدن خطاب بآن حضرتست ومرادامت اند يعني در عجب ندارد شمارا] ﴿أموالهم وأولادهم﴾ الضمير للمنافقين.

قال الكاشفي: [ما لهاى منافقان اكرچه بسيارست وفرزندان ايشان كه قوى وبا اقتدارند] وتقديم الأموال في أمثال هذه المواقع على الأولاد مع كونهم أعزّ منها إما لعموم مساس الحاجة إليها بحسب الذات وبحسب الأفراد والأوقات فإنها مما لا بد منه لكل أحد من الآباء والأمهات والأولاد في كل وقت وحين حتى أن من له أولاده ولا مال له فهو وأولاده في ضيق ونكال وأما الأولاد فإنما يرغب فيهم من بلغ مبلغ الأبوة وإما لأن المال مناط لبقاء النفس والأولاد لبقاء النوع وإما لأنها أقدم في الوجود من الأولاد لأن الأجزاء المنوية إنما تحصل من الأغذية. ﴿إنما يريد الله﴾ بما متعهم به من الأموال والأولاد. ﴿أن يعذبهم بها في الدنيا﴾ [بسبب جمع مال ومحافظت آن پيوسته دررنج باشند وبراى رونق أحوال أولاد وتهيه أسباب ايشان همواره محنت ومشقت كشند] ﴿وتزهق أنفسهم﴾ الزهوق [برآمدن جان] أي: تخرج ويموتوا ﴿وهم كافرون﴾ أي كافرون بسبب اشتغالهم بالتمتع بها والإلهاء عن النظر والتدبر في العواقب [درويشى ميكفت اغنيا اشقى الأشقيا اند مال دنيا جمع ميكنند بأنواع پريشانى وزحمت ونكاه ميدارند باصناف بليت ومشقت وميكذارند بصد هزار حسرت]

در اول چو خواهى كنى جمع مال ... بسى رنج بر خويش بايد كماشت
پس از بهر آن تا بماند بجاى ... شب وروز مى بايدت پاس داشت
وزين جمله آن حال مشكلترست ... كه آخر بحسرت ببايد كذشت

واعلم: أن هذه الآية مرت في هذه السورة الكريمة مع التغاير في بعض الألفاظ فالتكرير لتأكيد النصيحة بها والاعتناء بشأنها تنبيهاً على أن هذه النصيحة مما لا ينبغي أن يذهل السامع عنها، وأن الناصح لا بد له أن يرجع إليها في أثناء كلامه دائماً ولا سيما إذا تباعد أحد الكلامين عن الآخر بناء على أن الأبصار طامحة أي مرتفعة ناظرة إلى الأموال والأولاد وأن النفوس مغتبطة أي متمنية لهما حريصة عليهما والأموال والأولاد، وإن كانت نعمة في حق المؤمنين فإنها نقمة في حق المنافقين لكونها شاغلة لقلوبهم عن الله وطلبه وأشد عذاب القلوب من الحجاب ومن عذب بالحجاب فقد حرم من الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ أي مستورو القلوب بحجاب حب الأموال والأولاد كما في «التأويلات النجمية» وفي الحديث «الدنيا محفوفة باللذات والشهوات فلا تلهينكم شهوات الدنيا ولذاتها عن الآخرة فإنه لا دنيا لمن لا آخرة له ولا آخرة لمن لا دنيا له يعمل فيها بطاعة الله تعالى» يعني: إن المؤمن يتزود لآخرته بالعبادات المالية.

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

﴿وإذا أنزلت سورة﴾ من القرآن ﴿أن آمنوا بالله﴾ أن مصدرية حذف منها الجار أي: بأن آمنوا بالله. ﴿وجاهدوا مع رسوله﴾ لإعزاز دينه وإعلاء كلمته. ﴿استأذنك أولو الطول منهم﴾ أي

ذوو الفضل والسعة والقدرة على الجهاد بدناً ومالاً من المنافقين.

قال الحدادي: الطول في الحقيقة هو الفضل الذي يتمكن به من مطاولة الأعداء.

قال الرازي في سورة النساء: أصل هذه الكلمة من الطول الذي هو خلاف القصر؛ لأنه إذا كان طويلاً ففيه كمال وزيادة كما أنه إذا كان قصيراً ففيه قصور ونقصان وسمي الغنى أيضاً طولاً لأنه ينال به من المرادات ما لا ينال عند الفقر كما أنه ينال بالطول ما لا ينال بالقصر انتهى. ﴿**وقالوا ذرنا**﴾ دعنا ﴿**نكن مع القاعدين**﴾ أي: الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من عذر ﴿**رضوا**﴾ أي المنافقون ﴿**بأن يكونوا مع الخوالف**﴾ أي: مع النساء المتخلفات في البيوت والحي بعد أزواجهن جمع خالفة فالتاء للتأنيث وقد يقال الخالفة الذي لا خير فيه فالتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية لا للتأنيث، ولعل الوجه في تسمية من لا خير فيه من الرجال خالفة كونه غير مجيب إلى ما دعي إليه من المهمات. ﴿**وطبع على قلوبهم**﴾ [ومهر نهاده شده بردلهاى ايشان].

قال الحدادي: معنى الطبع في اللغة جعل الشيء كالطابع نحو طبع الدينار والدرهم قال في المصادر والتركيب يدل على نهاية ينتهي إليها الشيء حتى يختم عندها ويقاس على هذا طبع الإنسان وطبيعته وطباعه أي سجيته التي جبل عليها وخص القلب بالختم لأنه محل الفهم ولذا قال: ﴿**فهم لا يفقهون**﴾ ما في الإيمان بالله وطاعته في أوامره ونواهيه وموافقة الرسول والجهاد من السعادة وما في أضداد ذلك من الشقاوة.

﴿**لكن الرسول والذين آمنوا معه**﴾ بالله وبما جاء من عنده تعالى أي آمنوا كما آمن هو عليه السلام؛ إذ لا شك أن زمان إيمان المؤمنين ما كان مقارناً لزمان إيمان الرسول، فهو كقوله تعالى: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [النمل: ٤٤] أي: إسلام سليمان أي أسلمت كما أسلم سليمان ﴿**جاهدوا بأموالهم وأنفسهم**﴾ لكن لم يختل أمر الجهاد بتخلفهم لأنه قد جاهد من هو خير منهم وأخلص نية ومعتقداً ﴿**وأولئك**﴾[وآن كروه] ﴿**لهم**﴾ بواسطة نعوتهم المذكورة ﴿**الخيرات**﴾ أي: منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في العقبى. ويجوز أن يكون معناه الزوجات الحسان في الجنة وهن الحور لقوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الرحمن: ٧٠] وهي جمع خيرة تخفيف خيرة وخيرات العابدين هي الحسنات فهي متعلقة بأعمالهم وخيرات العارفين مواهب الحق تعالى فهي متعلقة بأحوالهم ﴿**وأولئك هم المفلحون**﴾ أي: الفائزون بالمطلوب لا من حاز بعضاً من الحظوظ الفانية عما قريب.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾

﴿**أعد الله لهم**﴾ أي: هيأ لهم في الآخرة ﴿**جنات**﴾ جمع جنة وهي البستان الذي فيه أشجار مثمرة ﴿**تجري من تحتها**﴾ أي: من أسافل أرضها أو من تحت أشجارها أو من تحت القصور والغرف لا تحت الأرض. ﴿**الأنهار**﴾ جمع نهر وهو مسيل الماء سمي به لسعته وضيائه، وفي الحديث: «في الجنة بحر اللبن، وبحر الماء، وبحر العسل، وبحر الخمر» ثم تشتق الأنهار منها بعد وقيل النهر واحد ويجري فيه الخمر والماء والعسل واللبن لا يخالط بعضها بعضاً، وقال بعضهم الجاري واحد ويختلف باختلاف الأمنية. ﴿**خالدين فيها**﴾ أي: مقدراً خلودهم في تلك الجنات الموصوفة. ﴿**ذلك**﴾ إشارة إلى ما فهم من إعداد الله سبحانه

لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى. ﴿الفوز العظيم﴾ الذي لا فوز وراءه فازوا بالجنة ونعيمها ونجوا من النار وجحيمها وفي الحديث: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار» وفي الخبر: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة» فقد اشترط في هذا القول الإخلاص ولا يكون الإخلاص إلا بمنعه من الذنوب وإلا فليس بمخلص ويخاف أن يكون ذلك القول عنده عارية والعارية تسترد منه والإخلاص من صفات القلب وتحليته بالأوصاف الحميدة إنما هي بعد تزكية النفس عن الرذائل.

قال في «التأويلات النجمية»: الخلاص من حجب النفس وصفاتها هو الفوز العظيم لأن عظم الفوز على قدر عظم الحجب ولا حجاب أعظم من حجاب النفس والفوز منها يكون فوزاً عظيماً انتهى. وفي «المثنوي»:

جمله قرآن شرح خبث نفسهاست   بنكر اندر مصحف آن چشمت كجاست

هين مروان‌در پى نفس چوازغ   كوبكورستان برد نى سوى باغ
نفس اكرچه زيركست وخرده دان   قبله اش دنياست اورا مرده دان

وفي الحديث: «إن في الجنة مائة درجة» المراد بالمائة هنا الكثرة وبالدرجة المرقاة «أعدها الله للمجاهدين في سبيله» وهم الغزاة أو الحجاج أو الذين جاهدوا أنفسهم لمرضاة ربهم «كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض» وهذا التفاوت يجوز أن يكون صورياً وأن يكون معنوياً فيكون المراد من الدرجة المرتبة فالأقرب إلى الله تعالى يكون أرفع درجة ممن دونه «فإن سألتم الله فاسألوه الفردوس» وهو بستان في الجنة جامع لأنواع الثمر «فإنه أوسط الجنة» يعني أشرفها «وأعلى الجنة» قيل: فيه دلالة على أن السموات كرية فإن الأوسط لا يكون أعلى إلا إذا كان كرياً وإن الجنة فوق السموات تحت العرش.

قال الإمام الطيبي: النكتة في الجمع بين الأوسط والأعلى أنه أراد بأحدهما الحسي وبالآخر المعنوي.

وأقول: يحتمل أن يكونا حسيين لأن كونهما أحسن وأزين مما يحس «وفوقه عرش الرحمن» هذا يدل على أنه فوق جميع الجنان «ومنه تفجر» أصله تتفجر فحذف إحدى التاءين «أنهار الجنة»، وهي أربعة مذكورة في قوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥] المراد منها أصول أنهار الجنة كذا في «شرح المشارق» لابن ملك نسأل الله سبحانه الرفيق الأعلى والنظر إلى وجهه الأبهى وجماله الأسنى.

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم﴾ من عذر في الأمر إذا قصر فيه وتوانى ولم

يجدوا حقيقته أن يوهم أن له عذراً فيما يفعل ولا عذر له. فالمعذر اسم فاعل من باب التفعيل أو من اعتذر إذا مهد العذر بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين فيكون اسم فاعل من باب الافتعال والاعتذار قد يكون بالكذب وقد يكون بالصدق وذلك لأن الاعتذار عبارة عن الإتيان بما هو في صورة العذر سواء كان للمعتذر عذر حقيقة أو لم يكن. والأعراب سكان البوادي من العرب لا واحد له والعرب خلاف العجم وهم سكان الأمصار أو عام والعربة ناحية قرب المدينة وأقامت قريش بعربة فنسبت العرب إليها وهي باحة العرب وباحة دار أبي الفصاحة إسماعيل عليه السلام كما في «القاموس». والمراد بالمعذرين أسد وغطفان واستأذنوا في التخلف حين الخروج إلى غزوة تبوك معتذرين بالجهد أي ضيق العيش وكثرة العيال أو رهط عامر بن الطفيل قالوا إن غزونا معك أغارت أعراب طي على أهالينا ومواشينا فقال عليه السلام: «سيغنيني الله عنكم» واختلفوا في أنهم كانوا معتذرين بالتصنع أو بالصحة والظاهر الثاني ويدل عليه كلام «القاموس» حيث قال قوله تعالى: ﴿وجاء المعذرون﴾ بتشديد الذال المكسورة هم المعتذرون الذين لهم عذر وقد يكون المعذر غير محق فالمعنى المقصرون بغير عذر انتهى.

أقول وعلى كل حال لا يثبت النفاق إذ المقصر وهو المعتذر للفتور والكسل لا يكون كافراً وإن كان مذموماً وقد اضطرب كلام المفسرين هناك فعليك بضبط المبنى وأخذ المعنى ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ وهم منافقو الاعراب الذين لم يجيبوا ولم يعتذروا ولم يستأذنوا في القعود فظهر أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعاء الإيمان والطاعة.

قال في «إنسان العيون»: وجاء المعذرون وهم الضعفاء والمقلون من الأعراب ليؤذن لهم في التخلف فأذن لهم وكانوا اثنين وثمانين رجلاً وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر وإظهار علة وجراءة على الله ورسوله وقد عناهم الله بقوله: ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ انتهى. ﴿سيصيب الذين كفروا منهم﴾ أي: من الأعراب أو من المعذرين وعلى كل تقدير فمن تبعيضية لا بيانية إذ ليس كلهم كفرة وقد علم الله تعالى أن بعض الأعراب سيؤمن وأن بعض المعذرين يعتذر لكسله لا لكفره ﴿عذاب أليم﴾ بالقتل والأسر في الدنيا والنار في الآخرة.

قال في «التأويلات النجمية»: الخلق ثلاث طبقات. الأولى: المعذرون وهم المقصرون المعترفون بتقصيرهم وذنوبهم التائبون عن ذنوبهم المتداركون بالرحمة والمغفرة. والثانية: القاعدون وهم الكاذبون الكذابون الذين لم يؤمنوا بالله ورسوله من الكافرين والمنافقين المتداركون بالخذلان والعذاب الأليم كما قال: ﴿وقعد الذين﴾ الآية. والثالثة: المؤمنون المخلصون الصادقون الناصحون ولكن فيهم أهل العذر وإليه الإشارة بقوله تعالى:

﴿ليس على الضعفاء﴾ [نيست برناتوانان وعاجزان] كالهرمى والزمنى جمع هرم بكسر الراء وهو كبير السن وجمع زمن وهو المقعد ﴿ولا على المرضى﴾ [ونه بربيماران ومعلول] جمع مريض ﴿ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون﴾ لفقرهم كمزينة وجهينة وبني عذرة ﴿حرج﴾ إثم في التخلف والتأخر عن الغزو ثم إنه تعالى شرط في انتفاء الحرج عنهم شرطاً معيناً فقال ﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾ قال أبو البقاء العامل فيه معنى الكلام أي لا يخرجون حينئذٍ. والنصح إخلاص العمل من الغش يقال نصح الشيء إذا خلص ونصح له في القول إذا كلمه بما هو خير محض له والناصح الخالص وفي الحديث: «الدين النصيحة الدين النصيحة

الدين النصيحة» ذكرها ثلاث مرات قيل: هذا الكلام مدار الإسلام لأن النصيحة هي إرادة الخير معناه عماد الدين النصيحة كما يقال الحج عرفة أي عماده «قالوا لمن يا رسول الله قال لله» معنى نصيحته تعالى الإيمان به وإخلاص العمل فيما أمر به «ولرسوله» نصيحته تصديقه بكل ما علم مجيئه به وإحياء طريقه «ولكتابه» نصيحته الاعتقاد بأنه كلام الله والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه وفي الحقيقة هذه النصائح راجعة إلى العبد «ولأئمة المسلمين» نصيحتهم إطاعتهم في المعروف وتنبيههم عند الغفلة «وعامتهم» نصيحة عامة المسلمين دفع المضار عنهم وجلب المنافع إليهم بقدر الوسع كذا في «شرح المشارق» لابن ملك. فمعنى الآية أن المتخلفين من أصحاب الأعذار لا إثم عليهم في تخلفهم إذا أخلصوا الإيمان لله ولرسوله وامتثلوا أمرهما في جميع الأمور ومعظمها أن لا يفشوا ما سمعوه من الأراجيف في حق الغزاة وأن لا يثيروا الفتن وأن يسعوا في إيصال الخير إلى المجاهدين ويقوموا بإصلاح مهمات بيوتهم ويسعوا في إيصال الأخبار السارة من بيوتهم إليهم. ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ استئناف مقرر لمضمون ما سبق، أي ليس عليهم جناح ولا إلى معاتبتهم سبيل ومن زائدة لعموم النفي ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انتظامهم بنصحهم لله ورسوله في سلك المحسنين، وقد اشتهر أن تعليق الحكم على الوصف المناسب يشعر بعلية الوصف له. ﴿والله غفور رحيم﴾ يشير إلى أن بهم حاجة إلى المغفرة وإن كان تخلفهم بعذر فإن الإنسان محل التقصير والعجز فلا يسعه إلا العفو. وفي «المثنوي»:

شمس هم معده زمين را كرم كرد ... تا زمين باقى حدثها را بخورد
جزؤخاكى كشت ورست ازوى نبات ... هكذا يمحو الإله السيئات
اي كه من زشت وخصا لم نيز زشت ... چون شوم كل چون مرا او خاركشت
نوبهارا حسن كل ده خاررا ... زينت طاوس ده آن مارررا

﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾ عطف على المحسنين أي ليس شيء ثابتاً على المحسنين ولا على الذين إذا ما أتوك [چون بيامدند بسوى تو ودرخواست كردند ﴿لتحملهم﴾ تاايشانرا دستورى دهى ويا خود بحرب برى] وهم البكاؤون سبعة من الأنصار: معقل بن يسار، وصخر ابن الخنساء، وعبد الله بن كعب، وسالم بن عميرة، وثعلبة بن غنمة، وعبد الله بن مغفل، وعلية بن زيد أتوا رسول الله ﷺ فقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة فنغزو معك فقال عليه السلام: «لا أجد» فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن كمحدث وكانوا سبعة إخوة كلهم صحبوا النبي عليه السلام وليس في الصحابة سبعة إخوة غيرهم كذا في «تفسير القرطبي» ﴿قلت لا أجد ما أحملكم عليه﴾ حال من الكاف في أتوك بإضمار قد، أي: إذا ما أتوك قائلاً لا أجد وما عامة لما سألوه عليه السلام وغيره مما يحمل عليه عادة من النفقة والظهر وفي إيثار لا أجد على ليس عندي من تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين ما لا يخفى كأنه عليه السلام يطلب ما يسألونه على الاستمرار فلا يجده. ﴿تولوا﴾ جواب إذا [كشتند از پيش تو] ﴿وأعينهم تفيض﴾ أي: تسيل بشدة ﴿من الدمع﴾ [از اشك يعني اشك از ديدهاى ايشان ميريخت] وإسناد الفيض إلى العين مجازي كسال الميزاب والأصل يفيض دمعها عدل إلى هذه الصور للدلالة على المبالغة في فيضان الدمع كأن العين كلها دمع فياض. ﴿حزناً﴾ نصب على العلية والعامل تفيض لا يقال فاعل

الفيض مغاير لفاعل الحزن فكيف نصب لأنا نقول إن الحزن يجوز إسناده إلى العين مجازاً فيقال عين حزينة وعين مسرورة ﴿ألّا يجدوا﴾ أن مصدرية بتقدير لام متعلقة بحزناً، أي: لئلا يجدوا ﴿ما ينفقون﴾ في شراء ما يحتاجون إليه إذ لم يجدوه عندك.

قال الكاشفي: [عمر وعباس وعثمان رضي الله عنهم ايشانرا زاد وتوشه ومركب داده همراه بردند پس حق تعالى ميفرما يدكه بدين نوع مردم اكر تخلف كنند حرجى وعنابى نيست].

﴿۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

﴿إنما السبيل﴾ بالمعاتبة ﴿على الذين يستأذنونك﴾ في التخلف ﴿وهم أغنياء﴾ واجدون لأهبة الغزو مع سلامتهم ﴿رضوا﴾ استئناف تعليل لما سبق كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء، فقيل: رضوا ﴿بأن يكونوا مع الخوالف﴾ أي: النساء رضى بالدناءة وإيثاراً للدعة ﴿وطبع الله على قلوبهم﴾ [ومهر نهاد خداى تعالى ازخذلان بردلهاى ايشان] حتى غفلوا عن وخامة العاقبة. ﴿فهم﴾ بسبب ذلك ﴿لا يعلمون﴾ أبداً غائلة ما رضوا به وما يستتبعه آجلاً كما لم يعلموا بخساسة شأنه آجلاً.

قال أرسطو: الارتقاء إلى السؤدد صعب، والانحطاط إلى الدناءة سهل.

وسئل عيسى عليه السلام، أي الناس أشرف؟ فقبض قبضتين من تراب، ثم قال: أي هذين أشرف؟ ثم جمعهما وطرحهما، وقال الناس كلهم من تراب وأكرمهم عند الله أتقاهم، فالعلو والشرف في التقوى واختيار المجاهدة على الراحة والحزن والبكاء على الفرح والسرور، وفي الحديث: «أقرب الناس إلى الله يوم القيامة من طال حزنه وعطشه وجوعه».

وقال حكيم: الدنيا سوق الآخرة، والعقل قائد الخير، والمال رداء التكبر، والهوى مركب المعاصي، والحزن مقدمة السرور. قال الصائب:

هر محنتى مقدمهٔ راحتى بود   شد همزبان حق چوزبان كليم سوخت

وقد ذم الله تعالى أهل النفاق بالفرح والاستهزاء ومدح أهل الإخلاص بالحزن والبكاء وأدى ضحك أولئك إلى البكاء الكثير وبكاء هؤلاء إلى الضحك الوفير. وفي «المثنوي»:

تا نكريد ابركى خندد چمن   تانكريد طفل كى جوشد لبن
هركجا آب روان سبزه بود   هر كجا اشك روان رحمت شود
باش چون دولاب نالان چشم تر   تاز صحن جانت بر رويد خضر

ثم إن الله تعالى إنما يمنع المرء عن مراده ليستعد له وليزداد شوقه ألا ترى إلى النبي عليه السلام كيف قال: ﴿لا أجد ما أحملكم عليه﴾ عزة وترفعاً واستغناء ودلالاً كما قال تعالى لموسى عليه السلام عند سؤاله بقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] ليزيد بهذا المنع والتعزز شوق موسى عليه السلام فكان منع النبي عليه السلام عنهم من هذا القبيل فزادهم الشوق والحرص على الغزو فلما غلب الشوق وزاد الطلب أعطوا مأمولهم وأجيب سؤلهم كما سبق وهذه حال الصورة وقس عليها حال المعنى فكما أن الفرح في عالم الصورة لا يقدر على الطيران قبل نبات الجناح وهو من الشعر فكذا العاشق لا يقدر على الطيران في عالم المعنى قبل وجود الجناح وهو من العلم والعمل والشوق إلى المولى والتوجه إلى الحضرة

العليا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جعفر بن أبي طالب ملكاً يطير في الجنة ذا جناحين يطير بهما حيث شاء مخضوبة قوادمه بالدماء» قال الإمام المنذري: وكان جعفر قد ذهبت يداه في سبيل الله يوم مؤته فأبدله الله بهما جناحين فمن أجل ذا سمي جعفر الطيار.

قال السهيلي: ما ينبغي الوقوف عليه في معنى الجناحين أنهما ليسا كما سبق إلى الوهم على مثل جناحي الطائر وريشه لأن الصورة الآدمية أشرف الصور وأكملها وفي قوله عليه السلام: «إن الله خلق آدم على صورته» تشريف لها عظيم وحاش لله من التشبيه والتمثيل ولكنها عبارة عن صورة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر كما أعطيها الملائكة وقد قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: ٢٢] فعبر عن العضد بالجناح توسعاً وليس ثمة طيران فكيف بمن أعطي القوة على الطيران مع الملائكة أخلق به إذن بوصف الجناح مع كمال الصورة الآدمية وتمام الجوارح البشرية وقد قال أهل العلم في أجنحة الملائكة ليست كما يتوهم من أجنحة الطير ولكنها صفات ملكية لا تفهم إلا بالمعاينة واحتجوا بقوله تعالى: ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ [فاطر: ١] فكيف تكون كأجنحة الطير على هذا ولم ير طائر له ثلاثة أجنحة ولا أربعة فكيف بستمائة جناح كما جاء في صفة جبريل فدل على أنها صفات لا تنضبط كيفيتها للفكر ولا ورد أيضاً في بيانها خبر فيجب علينا الإيمان بها ولا يفيدنا إعمال الفكر في كيفيتها علماً وكل امرىء قريب من معاينة ذلك فإما أن يكون من الذين ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠] وإما أن يكون من الذين تقول لهم الملائكة: ﴿بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣] كذا في فتح القريب والله يهدي كل مريب.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿يعتذرون﴾ أي يعتذر المنافقون ﴿إليكم﴾ في التخلف وكانوا بضعة وثمانين رجلاً والخطاب لرسول الله ﷺ وأصحابه والآية نزلت قبل وقوع الاعتذار، ولذا قال الكاشفي: [القاء اعتذار خواهد كرد منافقان بسوى شما] ﴿إذا رجعتم﴾ من غزوة تبوك منتهين ﴿إليهم﴾ وإنما لم يقل إلى المدينة إيذاناً بأن مدار الاعتذار هو الرجوع إليهم لا الرجوع إلى المدينة فلعل منهم من بادر بالاعتذار قبل الرجوع إليها. ﴿قل﴾ يا محمد والتخصيص لما أن الجواب من وظيفته عليه السلام ﴿لا تعتذروا﴾ أي لا تفعلوا الاعتذار، لأنه ﴿لن نؤمن لكم﴾ لن نصدقكم في اعتذاركم، لأنه ﴿قد نبأنا الله من أخباركم﴾ أي: أعلمنا بالوحي ببعض أخباركم المنافية للتصديق وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد. وفي «المثنوي»:

از منافق عذرردد آمد نه خوب زانكه در لب بود آن نى در قلوب
كذب چون خس باشد ودل چودهان خس نكردد دردهان هركزنهان

﴿وسيرى الله عملكم﴾ فيما سيأتي ﴿ورسوله﴾ أتتوبون عن الكفر والنفاق أم تثبتون عليه وكأنه استتابة وإمهال للتوبة. ﴿ثم تردون﴾ يوم القيامة ﴿إلى عالم الغيب﴾ وهو ما غاب عن العباد. ﴿والشهادة﴾ وهو ما علمه العباد. ﴿فينبئكم﴾ عند ردكم إليه ووقوفكم بين يديه. ﴿بما كنتم تعملون﴾ أي بما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الأعمال السيئة السابقة واللاحقة والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة به وإيثارها عليها للإيذان بأنهم ما كانوا عالمين في الدنيا بحقيقة أعمالهم، وإنما يعلمونها يومئذٍ حين يرونها على صورها الحقيقة.

﴿سيحلفون بالله لكم﴾ تأكيداً لمعاذيرهم الكاذبة القائلين والله ما قدرنا على الخروج ولو قدرنا عليه لما تخلفنا. ﴿إذا انقلبتم﴾ أي انصرفتم من الغزو. ﴿إليهم﴾ وهم جد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما. ﴿لتعرضوا عنهم﴾ إعراض صفح وهو الإعراض عن الذنب وتتركوا لومهم وتعنيفهم. ﴿فأعرضوا عنهم﴾ لكن لا إعراض رضى كما هو طلبتهم، بل إعراض اجتناب ومقت وتحقير. ﴿إنهم رجس﴾ أي: كالنتن الذي يجب الاجتناب عنه وفيهم رجس روحاني.

وقال في «التبيان» أي نجس، وعملهم قبيح لا يتطهرون بالتقريع ﴿ومأواهم﴾ أي، مصيرهم ﴿جهنم﴾ من تمام التعليل فإن كونهم من أهل النار من دواعي الاجتناب وموجبات ترك استصلاحهم باللوم والعتاب. ﴿جزاء﴾ أي: يجزون جزاء ﴿بما كانوا يكسبون﴾ في الدنيا من فنون السيئات.

﴿يحلفون﴾ به تعالى ﴿لكم﴾ [براى شما] ﴿لترضوا عنهم﴾ بحلفتهم الكاذبة ولتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم. ﴿فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ المتمردين في الكفر فإن رضاكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه.

والمقصود من الآية نهي المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة على أبلغ وجه وآكده فإن الرضى عمن لا يرضى عنه الله تعالى مما لا يكاد يصدر عن المؤمن كما في «الإرشاد» روي أن النبي عليه السلام حين قدم المدينة قال: «لا تجالسوهم ولا تكلموهم» وفيه إشارة إلى هجر المنافق والمصر على ذنبه إلى أن يتوب.

قال محمد الباقر رضي الله عنه: أوصاني أبي زين العابدين رضي الله عنه، فقال: لا تصحبن خمسة، ولاتحاد بهم، ولا ترافقهم في الطريق: لا تصحبن فاسقاً فإنه يبيعك بأكلة فما دونها، قلت: يا أبت وما دونها قال يطمع فيها ثم لا ينالها، ولا تصحبن البخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه، ولا تصحبن كذاباً فإنه بمنزلة السراب يبعد عنك القريب ويقرب منك البعيد، ولا تصحبن أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، وقد قيل عدو عاقل خير من صديق أحمق، ولا تصحبن قاطع رحم فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضع.

ثم في الآيات بيان أن الاعتذار الباطل مردود على صاحبه وإن كان قبول العذر من أخلاق الكرام في نفس الأمر. وفي «المثنوي»:

عذر أحمق بدترا از جرمش بود عذر نادان زهر هردانش بود

وبيان أن اليمين الكاذبة لترويج عذره وغرضه باطلة ومذمومة بل رب يمين صادقة لا يتجاسر عليها من هو بصدد التقوى حذراً من ابتذال اسم الله تعالى فلا بد من ضبط اللسان وفي

الحديث: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس».

وبيان أن المنافقين رجس، أي: جعلوا على طينة خبيثة غير طيبة ولذا كسبوا بخباثة تلك الطينة أعمالاً خبيثة وأوصافاً ذميمة وبها صاروا مستحقين للنار مطلقاً أي صورية وهي نار جهنم ومعنوية وهي نار القطيعة والهجران من الله تعالى ومن الرسول عليه السلام والمؤمنين أجمعين [شبلى ديد زنى راكه مى كريد وميكويد يا ويلاه من فراق ولدى شبلى كريست وكفت يا ويلاه من فراق الاخدان زن كفت چرا چنين ميكويى شبلى كفت توكريه ميكنى بر مخلوقى كه هر آيينه فانى خواهد شد من چرا كريه نكنم بر فراق خالقى كه باقى باشد].

فرزند ويار چونكه بميرند عاقبت ... اى دوست دل مبند بجزحى لا يموت

فعلى العاشق المهجور أن يبكي من ألم الفراق ويبالغ في الوجد والاشتياق لعل الله تعالى يزيل البين من البين ويجعله بعد غمه وهمه قرير العين ويرضى عنه كما رضي عن الأبرار والمقربين ولا يسخط عليه إلى أبد الآبدين.

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾.

﴿الأعراب﴾ جمع أعرابي كما أن العرب جمع عربي والمجوس جمع مجوسي واليهود جمع يهودي بحذف ياء النسبة في الجمع والفرق بين العرب والأعراب أن العرب صنف خاص من بني آدم سواء سكن البوادي أم القرى. وأما الأعراب فلا يطلق إلا على من يسكن البوادي فالعرب أعم. وقيل: العرب هم الذين استوطنوا المدن والقرى والأعراب أهل البدو فيكونان متباينين، أي: أصحاب البدو. ﴿أشد كفراً ونفاقاً﴾ من أهل الحضر لأن أهل البدو تشبه الوحوش من حيث إنهم مجبولون على الامتناع عن الطاعة والانقياد لأن استيلاء الهواء الحار اليابس عليهم يزيدهم قساوة لقلوبهم وهي تستتبع التكبر والفخر والطيش عن الحق ولأن من لم يدخل تحت تأدب مؤدب ولم يخالط أهل العلم والمعرفة ولم يستمع كتاب الله ومواعظ رسوله كيف يكون مساوياً لمن أصبح وأمسى في صحبة أهل العلم والحكمة مستمعاً لمواعظ الكتاب والسنة ولذا ورد في الحديث: «أهل الكفور أهل القبور» الكفور: جمع كفر وهي القرية لسترها الناس. والمعنى أن سكان القرى بمنزلة الموتى لا يشاهدون الأمصار والجمع.

وفي «الفردوس الأعلى»: يريد بها القرى البعيدة عن الأمصار ومجتمع أهل العلم لكون الجهل عليهم أغلب وهم إلى البدع أسرع. قال في «المثنوي»:

ده مرو ده مرد را أحمق كند ... عقل را بى نور وبى رونق كند

قول پيغمبر شنو اى مجتبى ... كور عقل آمد وطن درروستا

وإن شئت تعرف الفرق بين أهل الحضر والبادية فقابل الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية.

قال في «الإرشاد»: هذا من باب وصف الجنس بوصف بعض أفراده كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧] إذ ليس كل الأعراب كما ذكر على ما ستحيط به خبراً.

قال الكاشفي: [مراد بنو تميم وبنو اسد وغطفان واعراب حوالىء مدينه اند نه تمام اهل باديه بلكه اين جمع مخصوص]. ﴿وأجدر أن لا يعلموا﴾ أي أحق وأولى أن لا يعلموا ﴿حدود ما أنزل الله على رسوله﴾ أي: حدود العبادات والشرائع المنزلة من الله تعالى على رسوله

فرائضها وسننها، وذلك لكونهم أبعد عن استماع القرآن والسنن ولذلك تكره إمامة الأعرابي في الصلاة كما في «الحدادي».

قال العلماء: إذا كان الإمام يرتكب المكروهات في الصلاة كره الاقتداء به وينبغي للناظر وولي الأمر عزله كما في «فتح القريب». ﴿**والله عليم**﴾ بأحوال كل من أهل الوبر والمدر ﴿**حكيم**﴾ فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب والثواب.

قال في «التأويلات النجمية»: إن في عالم الإنسان بدواً وهو نفسه وحضراً وهو قلبه كما أن في عالم الصورة بدواً وحضراً والأعراب إشارة إلى النفس وهواها وهو الكفر والنفاق لها ذاتي كما أن الإيمان للقلب ذاتي من فطرة الله التي فطر الناس عليها فيحتمل أن يصير القلب كافراً بسراية صفة النفس إليه فيتلوّن بلون النفس. وفي «المثنوي»:

اندك اندك آب را دزدد هوا   وين چنين دزددهم احمق ازشما
كرميت را دزدد وسردى دهد   همچنان كوزير خود سنكى نهد

كما يحتمل أن تصير النفس مؤمنة لسراية صفة القلب فتلون بلون القلب.

مكو زنهار اصل عود چوبست   بين دودش چه مستثنى وخوبست

يعني: بسبب مجاورة كلاب وذلك مشهور والنفس تكون أشد كفراً ونفاقاً من القلب وإن كان كافراً كما أن القلب يكون أشد إيماناً من النفس وإن كانت مؤمنة. ﴿**وأجدر**﴾ يعني: النفس وصفاتها أولى من القلب. ﴿**أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله**﴾ أي: من الواردات النازلة على الأرواح فإن الروح بمثابة الرسول في عالم الصورة. ﴿**والله عليم حكيم**﴾ في أن يجعل بعض النفس الكافرة مؤمنة وبعض القلب المؤمن كافراً.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾

﴿**ومن الأعراب**﴾ أي ومن جنس الأعراب الذي نعت بنعت بعض أفراده. ﴿**من يتخذ ما ينفق**﴾ من المال أي يعد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة. ﴿**مغرماً**﴾ مصدر بمعنى الغرامة والغرم وهو ما ينوب الإنسان في ماله من ضرر لغير جناية ومن لا يؤمن بالله واليوم الآخر ولا يرجو على إنفاقه في سبيل الله ثواباً ولا يخاف على تركه عقاباً فلا جرم يعد ما أنفقه غرامة وضياع مال بلا فائدة وإنما ينفق رياء أو تقية. ﴿**ويتربص بكم الدوائر**﴾ والتربص الانتظار، والدوائر: جمع دائرة وهي ما يدور حول الإنسان من المصائب والآفات ومعنى تربص الدوائر انتظار المصائب بأن تنقلب دولة المسلمين بموت الرسول ﷺ وغلبة الكفار عليهم فيتخلصوا من الإنفاق.

يقول الفقير: وهذا النفاق موجود الآن ألا ترى إلى بعض المتسمين بسمة الإسلام كيف يتمنى ظهور الكفار ليتخلص من الإنفاق والتكاليف السلطانية ولذا لا يتصدق إلا كرهاً خلصه الله وإيانا من كيد النفس والشيطان وجعله الله وإيانا من المتحققين بحقيقة الإيمان. ﴿**عليهم دائرة السوء**﴾ [برايشان باد كردش روز كار بدايشان منقلب شود] فهو دعاء عليهم بنحو ما أرادوا بالمؤمنين. والسوء بالفتح مصدر ساء نقيض سر ثم اطلع على كل ضرر وشر وأضيفت إليه الدائرة ذاتاً كما يقال رجل سوء لأن من دارت عليه يذمها وهي من باب إضافة الموصوف

إلى صفته فوصفت في الأصل بالمصدر مبالغة ثم أضيفت إلى صفتها. ﴿والله سميع﴾ لما يقولون عند الإنفاق مما لا خبر فيه ﴿عليم﴾ بما يضمرون من الأمور الفاسدة التي من جملتها أن يتربصوا بكم الدوائر.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾

﴿ومن الأعراب﴾ أي: من جنسهم على الإطلاق كما في «الإرشاد» من أسد وجهينة وغفار وأسلم كما في «التبيان» ﴿من يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ قال في «الروضة» سمع أعرابي قوله تعالى: ﴿الأعراب أشد كفراً ونفاقاً﴾ فانقبض ثم سمع ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ فقال: الله أكبر هجانا الله ثم مدحنا ﴿ويتخذ ما ينفق﴾ أي ينفقه في سبيل الله ﴿قربات﴾ أي سبب قربات وذرائع إليها وهي ثاني مفعولي يتخذ ﴿عند الله﴾ صفتها.

قال الحدادي: أي يتخذ نفقته في الجهاد تقرباً إلى الله تعالى في طلب المنزلة عنده والثواب والجمع باعتبار أنواع القربات أو أفرادها.

وفيه إشارة إلى الحديث القدسي «من تقرّب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً» ﴿وصلوات الرسول﴾ أي: وسائل إليها وسببها فإنه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم، ولذلك سنّ للمُتَصَدِّق عليه وهو من يأخذ الصدقة أن يدعو للمُتَصَدِّق، أي معطي الصدقة عند أخذ صدقته لكن ليس له أن يصلي عليه كما فعله عليه السلام حين قال: «اللهم صل على آل أبي أوفى» فإن ذلك منصبه فله أن يتفضل به على من يشاء. ﴿ألا﴾ كلمة تنبيه ﴿إنها﴾ أي: النفقة المدلول عليها بما ينفق والتأنيث باعتبار الخير ﴿قربة﴾ عظيمة ﴿لهم﴾ أي: سيقربهم الله بهذا الإنفاق إذا فعلوا وهو شهادة لهم من جناب الله تعالى بصحة ما اعتقدوه من كون ما ينفقونه في سبيل الله سبب قربات وتصديق لرجائهم. ﴿سيدخلهم الله في رحمته﴾ وعد لهم بإحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير للقربة. والسين لتحقيق الوعد لأنها في الإثبات بمنزلة لن في النفي.

وقال الكاشفي: [زود باشدكه در آرد خداى تعالى ايشانرا دربهشت خودكه محل نزول رحمتست]. ﴿إن الله غفور﴾ [آمر زنده است مر متصدقا نرا] ﴿رحيم﴾ [مهربانيست بر مقربان].

واعلم: أن فضل الصدقة والإنفاق لا يخفى على أحد. حكي أنه وقع القحط في بني إسرائيل فدخل فقير سكة من السكك وكان فيها بيت غني فقال تصدقوا عليّ لأجل الله فأخرجت إليه بنت الغني خبزاً حاراً فاستقبله الغني فقال من دفع إليك هذا الخبز فقال ابنة من هذا البيت فدخل وقطع يد ابنته اليمنى فحول الله حاله فافتقر ومات فقيراً ثم إن شاباً غنياً استحسن الابنة لكونها حسناء فتزوجها وأدخلها داره فلما جنّ الليل أحضرت مائدة فمدت اليد اليسرى فقال الغني سمعت أن الفقراء يكونون قليلي الأدب فقال مدي يدك اليمنى فمدت اليسرى ثانياً وثالثاً فهتف بالبيت هاتف أخرجي يدك اليمنى فالرب الذي أعطيت الخبز لأجله رد عليك يدك اليمنى فأخرجت يدها اليمنى بأمر الله تعالى وأكلت كذا في «روضة العلماء».

ففي الحكاية: أن من آتاه الله تعالى نعمة فلم يؤد شكرها عوقب بزوالها ألا ترى إلى بلعم لم يشكر نعمة الإسلام فقبضه الله على ملة الكفر كما في «منهاج العابدين» فإن من طلب رضى

الله تعالى في كل فعل وترك جبر الله كسره وإن الأكل باليسرى خلاف الأدب فإن الشيطان يأكل بيساره إلا أن يكون معذوراً بسبب من الأسباب. وفي «المثنوي»:

كفت پيغمبر كه دائم بهر پند — دو فرشته خوش منادى ميكنند
كاى خدايا منفقانرا سيردار — هردرمشان را عوض ده صد هزار
اى خدايا ممسكانرا درجهان — تومده الازيان اندر زيان
آن درم دادن سخى را لائق است — جان سبردن خود سخاى عاشق است
نا دهى ازبره حق نانت دهند — جان دهى ازبهر حق جانت دهند
هركه كارد كردد انبارش تهى — ليكش اندر مزرعه باشد بهى
وانكه در انبار ماند وصرفه كرد — اسبش وموش وحواد نهاش خورد

قيل ما منع مال من حق إلا ذهب في باطل أضعافه قال علي رضي الله عنه «فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء فما جاع فقير إلا بما منع غني والله سائلهم عن ذلك.

﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾.

﴿**والسابقون الأولون من المهاجرين**﴾ والمراد، قدماء الصحابة وهم الذين سبقوا إلى الإيمان وصلوا إلى القبلتين وشهدوا بدراً وكان أول من أسلم خديجة رضي الله عنها وعليه الجمهور. ﴿**والأنصار**﴾ أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة نفر، وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين، والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير كما سيأتي وإنما مدح السابقين لأن السابق إمام للتالي والفضل للمتقدم، ﴿**والذين اتبعوهم بإحسان**﴾ أي: ملتبسين به والمراد به كل خصلة حسنة وهم اللاحقون بالسابقين من الفريقين. وقيل: المراد بهم جميع الصحابة من المهاجرين والأنصار فإنهم سابقون إلى الإسلام بالنسبة إلى سائر المسلمين فمن بيانية والتابعون هم أهل الإيمان إلى يوم القيامة. ﴿**رضي الله عنهم**﴾ خبر للمبتدأ أي رضي عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء أعمالهم ﴿**ورضوا عنه**﴾ بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية. ﴿**وأعد لهم**﴾ [وآماده كرد خداى تعالى مر ايشانرا] ﴿**جنات تجري تحتها الأنهار**﴾ [بستانها كه ميرود درزير درختان آن جويها] القراء يقرؤون تحتها الأنهار في هذا الموضع بغير من إلا ابن كثير فإنه يقرأ من تحتها كما هو في سائر المواضع. ﴿**خالدين فيها**﴾ مقدراً خلودهم في تلك الجنات ﴿**أبداً**﴾ من غير انتهاء فهو لاستغراق المستقبل كما أن الأزل لاستغراق الماضي ولاستعمالهما في طول الزمانين جداً قد يضافان إلى جمعهما فيقال أبد الآباد وأزل الآزال وأما السرمد فلاستغراق الماضي والمضارع. ﴿**ذلك**﴾ إشارة إلى ما فهم من إعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى. ﴿**الفوز العظيم**﴾ الذي لا فوز وراءه.

واعلم أنه عليه السلام أوحي إليه وهو ابن أربعين سنة في مكة فبايعه جماعة من الناس فعدا عليهم كفار قريش فظلموهم ليردوهم إلى ما كانوا عليه فأمرهم النبي عليه السلام بالهجرة إلى أرض الحبشة وملكها وهو النجاشي فخرجوا نحواً من ثمانين رجلاً من رجب من السنة الخامسة من النبوة وهذه هي الهجرة الأولى ثم بايعه في كل واحدة من العقبتين جمع من الأنصار وكانت بيعة العقبة الأولى في سنة إحدى عشرة من النبوة وبيعة العقبة الثانية في السنة

الثانية عشرة ولما انصرف أهل العقبة الثانية إلى المدينة بعث عليه السلام معهم مصعب بن عمير ليفقه أهلها ويعلمهم القرآن فأسلم خلق كثير منهم وسمي أهل المدينة أنصاراً مع أن المهاجرين أيضاً نصروا رسول الله ﷺ لأنهم نصروه عليه السلام والذين هاجروا إليهم من المؤمنين لما جاؤوهم آووهم ونصروهم، ثم اجتمعوا جميعاً على نصرته ﷺ في الغزوات، ثم هاجر عليه السلام إلى المدينة في السنة الرابعة عشرة من النبوة وهي الهجرة الثانية. وأما تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة: فهو وقع يوم الثلاثاء من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقامه بالمدينة، وفي هذه السنة وقعت غزوة بدر الكبرى في شهر رمضان في تاسع عشرة، وكانت غزوة الحديبية في سنة ست من الهجرة وفيها وقعت بيعة الرضوان.

قيل: أجمع أصحابنا على أن أفضل هذه الأمة الخلفاء الأربعة، ثم الستة الباقون إلى تمام العشرة، ثم البدريون، ثم أصحاب أحد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية.

وفي السابقون، وجوه أخر السابقون، أي: الذين سبقت لهم العناية الأزلية كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١] الأولون في سبق العناية لهم، وأيضاً السابقون في الخروج من العدم الأولون عند الخروج وهم أهل الصف الأول في عالم الأرواح إذ كانت الأرواح صفوفاً كالجنود المجندة، وأيضاً السابقون في الخروج من صلب آدم عند أخذ ذرات ذرياته من صلبهم الأولون عند استماع خطاب ربهم، وأيضاً السابقون الأولون عند تخمير طينة آدم بيده أربعين صباحاً بمماسة ذراتهم بيد القدرة وباستكمال تصرف القدرة في كمال الأربعين، وأيضاً السابقون عند رجوعهم بقدم السلوك إلى حضرة الربوبية على أقرانهم الأولون بالوصول إلى سرادقات الجلال.

واعلم أن هذا السبق مخصوص بالنبي عليه السلام وأمته كما أخبر بقوله: «نحن الآخرون السابقون» أي: الآخرون خروجاً في الصورة السابقون دخولاً في المعنى.

قال في «فتح القريب» نحن الآخرون في الزمان والوجود وإعطاء الكتاب والأولون يوم القيامة أي بالفضل ودخول الجنة وفصل القضاء فتدخل هذه الأمة الجنة قبل سائر الأمم انتهى فالسبق إما بالقدم وإما بالهمم والثاني هو المرجح المقدم. يحكى عن أبي القاسم الجنيد قدس سره قال: كنت أبكر الجامع فأسمع قد سبقت يا أبا القاسم فاقدم الوقت في الجمعة الثانية فأسمع قد سبقت يا أبا القاسم فلم أزل كذلك حتى أصل الصبح في الجامع فسمعت قد سبقت يا أبا القاسم فسألت الله أن يعرفني من يسبقني مع بكوري فهتف بي هاتف من زاوية المحراب الذي سبقك هو الذي يخرج آخر الناس فصليت الجمعة ثم جلست إلى العصر فصليت جماعة ثم جلست إلى أن خرج الناس وفي آخرهم شيخ همّ أي كبير فتعلقت به فقلت له يا شيخ متى تحضر الجماعة قال: وقت الزوال قلت فبأي شيء تسبقني فقد دللت عليك فقال يا أبا القاسم أنا إذا خرجت من الجامع نويت إن بقيت إلى يوم مثله حضرت الجامع قال فعرفت أن السبق بالهمم لا بالقدم. قال في «المثنوي»:

أول فكر آخر آمد در عمل ... خاصه فكرى كوبود وصف ازل
دل بكعبه ميرود در هر زمان ... جسم طبعى دل بكيرد زا متنان
اين درازوكوتهى مر جسم راست ... چه درازوكوته آنجاكه خداست
چون خدامر جسم راتبديل كرد ... رفتنش بى فرسخ وبى ميل كرد

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿وممن حولكم﴾ خبر مقدم لقوله منافقون، أي: حول بلدتكم يعني المدينة. ﴿من الأعراب﴾ من أهل البوادي وقد سبق الفرق بينه وبين العرب. ﴿منافقون﴾ وهم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها. ﴿ومن أهل المدينة﴾ قوم ﴿مردوا على النفاق﴾ [خوكرده اند واقامت نموده برنفاق يا در منافقى ماهر شده اند] والمرود على الشيء التمرن عليه والمهارة فيه باعتياده والمدينة.

إذا أطلقت أريد بها دار الهجرة التي فيها بيت رسول الله ﷺ ومنبره وقبره من مدن بالمكان إذا أقام به فتكون الميم أصلية. والجمع: مدن بضم الدال وإسكانها ومدائن بالهمزة أو من دان إذا أطاع والدين الطاعة فتكون الميم زائدة والجمع مداين بلا همز كمعايش بالياء. ولها أسماء كثيرة منها طابة وطيبة بفتح الطاء وسكون الياء لخلوها من الشرك أو لطيبها بساكنيها لأمنهم ودعتهم أو لطيب عيشها فيها أو لكونها طاهرة التربة أو من النفاق.

وفي الحديث: «تنفي الناس» أي شرارهم «كما ينفي الكير خبث الحديد»، وفي الحديث: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» تدخل بلا عوج والمراد بالمدينة جميع الشأم فإنها من الشأم خص المدينة بالذكر لشرفها فعلى هذا تكون المدينة شامية كما ذهب إليه ابن ملك.

قال النووي: ليست شامية ولا يمانية بل هي حجازية.

وقال الشافعي: مكة والمدينة يمنيتان. ﴿لا تعلمهم﴾ بيان لقوله: ﴿مردوا على النفاق﴾ أي: بلغوا من المهارة في النفاق إلى حيث خفي نفاقهم عليك مع كمال فطنتك وقوة فراستك فالمراد لا تعرف حالهم ونفاقهم ﴿نحن نعلمهم﴾ منافقين ونطلع على أسراره إن قدروا أن يلبسوا عليك لم يقدروا أن يلبسوا علينا ﴿سنعذبهم﴾ السين للتأكيد ﴿مرتين﴾. روي أنه عليه السلام قام خطيباً يوم الجمعة فقال: «اخرج يا فلان فإنك منافق اخرج يا فلان فإنك منافق» فأخرج ناساً وفضحهم فهذا هو العذاب الأول والعذاب الثاني عذاب القبر.

وفي بعض الآثار: أن المنافق يسأل أربعين يوماً فلا يقدر على الجواب، ويجوز أن يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الملك: ٣ - ٤] أي: كرة بعد أخرى ﴿ثم يردون﴾ يوم القيامة. ﴿إلى عذاب عظيم﴾ هو عذاب النار [وبحقيقت عذاب عظيم بعد ايشانست ازدركاه عزت ومحجو بيت ايشان ازنور لقا ورؤيت وهيچ عذابى از نكبت حرمان ومشقت هجران بزر كتر نيست].

از فراق تلخ ميكوئى سخن ... هرچه خواهى كن وليكن آن مكن
تلخ تر از فرقت تو هيچ نيست ... بى پناهت غير پيچا پيچ نيست
صد هزاران مرك تلخ از دست تو ... نيست مانند فراق روى تو
جور دوران وهرآن رنجى كه هست ... سهلتر از بعد حق وغفلتست
زانكه اينها بكذرد وان نكذرد ... دولت آن داردكه جان آكه برد

از فـراق ايـن خـاكـهـا شـوره بـود آب زردو كـنـده و تـيـره بـود
دوزخ ازفرقت چنان سوزان شده است بيد ازفرقت چنان لرزان بده است
كـر بـكـويـم از فـراق چـون شـرار تـا قـيـامـت يـك بـود از هـزار

﴿وآخرون﴾ أي: ومن أهل المدينة قوم آخرون. ﴿اعترفوا﴾ أقروا ﴿بذنوبهم﴾ التي هي تخلفهم عن الغزو وإيثار الدعة عليه والرضى بسوء جوار المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة، وهم طائفة من المتخلفين أوثقوا أنفسهم على سواري المسجد عندما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله ﷺ من سفره فدخل المسجد أولاً فصلى ركعتين حسب عادته الكريمة ورآهم كذلك فسأل عن شأنهم فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله وأقسموا أن لا يطلقوا أنفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقهم فقال عليه السلام: «وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم» فنزلت فأطلقهم وأعذرهم. ﴿خلطوا عملاً صالحاً﴾ هو ما سبق منهم من الأعمال الصالحة والخروج إلى المغازي السابق وما لحق من الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن هذه المرة وتذممهم وندامتهم على ذلك. ﴿وآخر سيئاً﴾ هو ما صدر عنهم من الأعمال السيئة أولاً وآخراً فيدخل فيه التخلف عن غزو تبوك وتبديل الواو بالباء حيث لم يقل بآخر يؤذن بكون كل منهما مخلوطاً به، وهو أبلغ فإن قولك خلطت الماء باللبن يقتضي إيراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه إيقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص أحدهما بكونه مخلوطاً والآخر بكونه مخلوطاً به.

قال الحدادي: يقال خرجوا إلى الجهاد مرة وتخلفوا مرة فجمعوا بين العمل الصالح والعمل السيىء كما يقال خلط الدنانير والدراهم، أي جمعهما وخلط الماء واللبن أي أحدهما بآخر. ﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ أن يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم. ﴿إن الله غفور رحيم﴾ يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما يفيده كلمة عسى من وجوب القبول فإنها للإطماع الذي هو من أكرم الأكرمين إيجاب وأي إيجاب.

قال أدى وإنما ذكر لفظ عسى ليكون الإنسان بين الطمع والإشفاق فيكون أبعد من الاتكال والإهمال.

چـون بـدى كـنـاهـرا دانـى كـشـدت جـانـب پـشـيـمـانـى
ورنـدانـى كـنـا هـراكـه بـدست آن نـشـان شـقـاوت ابـدست

اعلم أن بعض النفوس منافق وبعضها كافر وبعضها مؤمن فالمنافق منها كالصفة الحيوانية من الشهوات فإنها تتبدل بالعفة عند استيلاء القلب على النفس بسياسة الشريعة وتربية الطريقة ظاهراً لا حقيقة لأنها لا تتبدل بالكلية بحيث تنتزع عنها الشهوة، بل تكون مغلوبة والكافر منها كالصفة البهيمية في طلب الاغتذاء من طلب المأكول والمشروب، فإنها لا تتبدل بضدها وهو الاستغناء عن الأكل والشرب لحاجة الجسد إلى الغذاء بدل ما يتحلل من الجسد، والمؤمن منها كالصفة السبعية والشيطانية من الغضب والكبر والعداوة والخيانة فإنها تحتمل أن تتبدل بأضدادها من الحلم والتواضع والمحبة والصدق والأمانة عند استنارة النفس بنور الإسلام، وترشح نور الإيمان على القلب وانشراح الصدر بنور ربها وهذه الصفات وغيرها من صفات النفس إذا لم تتبدل بالكلية أو لم تكن مغلوبة بأنوار صفات القلب ففيها بعض النفاق كما جعل النبي عليه السلام الكذب والخيانة وخلف الوعد والغدر من النفاق فقال: «أربع من كنّ فيه فهو منافق،

وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم «إذا حدّث كذب، وإذا ائتمن خان، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها».

فعلى العاقل أن يجتهد بأحكام الشريعة وآداب الطريقة إلى أن يحصل الخلاص من النفاق بالكلية ثم إن الاعتراف بالخطيئة ميراث للمؤمن من أبيه آدم عليه السلام. روي أنه بكى على ذنبه مائتي سنة حتى قبل الله توبته وغفر ذنبه ولذا قالوا ينبغي للتائب أن يكثر البكاء والتذلل عند التوبة ويصلي على النبي عليه السلام فإنه شفيع لكل نبي وولي ولذا توسل به آدم إلى الله تعالى، حيث قال: إلهي بحق محمد أن تغفر لي ويستغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات ومعنى الاستغفار سؤال العبد ربه أن يغفر له ذنوبه ومعنى مغفرته لذنوب عباده أن يسترها عليهم بفضله ولا يكشف أمورهم لخلقه ولا يهتك سترهم ومن شرط التوبة أن لا يتعمد ذنباً فإن وقع منه بسهو أو خطأ فهو معفو عنه بفضل الله تعالى. قال الحافظ:

جايى كه برق عصيان بر آدم صفى زد   مارا چكونه زيبد دعوئ بى كناهى

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

﴿**خذ**﴾ يا محمد ﴿**من أموالهم**﴾ أي: من أموال هؤلاء المتخلفين المعترفين بذنوبهم. ﴿**صدقة**﴾ حال كونك. ﴿**تطهرهم**﴾ أي: عما تلطخوا به من أوضار التخلف. ﴿**وتزكيهم بها**﴾ أي: تنمي بتلك الصدقة وأخذها حسناتهم وترفعهم إلى مراتب المخلصين. روي أنه لما حلهم النبي عليه السلام من وثاقهم وتاب الله عليهم راحوا إلى منازلهم وجاؤوا بأموالهم كلها، وقالوا يا رسول الله هذه أموالنا خلفتنا عنك خذها فتصدق بها عنا فكره النبي عليه السلام ذلك فنزلت هذه الآية فأخذ رسول الله ثلث أموالهم لتكمل به توبتهم ويكون جارياً مجرى الكفارة لتخلفهم فهذه الصدقة ليست الصدقة المفروضة فإنها لا تؤخذ هكذا.

وقيل: هذا كلام مبتدأ نزل لإيجاب أخذ الزكاة من الأغنياء عليه وإن لم يتقدم ذكر لهم كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: ١] لدلالة الحال على ذلك والمعنى: خذ من أموال أغنياء المسلمين صدقة أي زكاة وسميت بها لدلالتها على صدق العبد في العبودية وإليه ذهب أكثر الفقهاء.

قال في «الاختيار»: من امتنع عن أداء الزكاة أخذها الإمام كرهاً ووضعها موضعها لقوله تعالى: ﴿**خذ من أموالهم صدقة**﴾ وفي «الأشباه» المعتمد في المذهب عدم الأخذ كرهاً.

قال في «المحيط»: ومن امتنع من أداء الزكاة فالساعي لا يأخذ منه كرهاً ولو أخذ لا يقع عن الزكاة لكونها بلا اختيار ولكن يجبره بالحبس ليؤدي بنفسه انتهى.

قال في «المبسوط»: وما يأخذ ظلمة زماننا من الصدقات والعشور والجزية والخراج والجبايات والمصادرات، فالأصح أن يسقط جميع ذلك عن أرباب الأموال إذا نووا عند الدفع التصدق عليهم وقيل: علم من يأخذه بما يأخذ شرط فالأحوط أن يعاد. ﴿**وصل عليهم**﴾ أي ادع لهم بالخير والبركة واستغفر لهم ﴿**إن صلاتك سكن لهم**﴾ تسكن إليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم فهو فعل بمعنى مفعول كالنقض بمعنى المنقوض. ﴿**والله سميع**﴾ باعترافهم ﴿**عليم**﴾ بندامتهم.

قال في «الكافي»: الصلاة على الميت مشروعة بقوله تعالى: ﴿وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾ وقوله عليه السلام: «صلوا على كل بر وفاجر». روي أن آدم عليه السلام لما توفي أتي بحنوط وكفن من الجنة ونزلت الملائكة فغسلته وكفنته في وتر من الثياب وحنطوه وتقدم ملك منهم فصلى عليه وصلت الملائكة خلفه.

وفي رواية: قال ولده شيث لجبريل عليه السلام صل عليه فقال له جبريل تقدم أنت فصل على أبيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة ثم أقبروه ثم لحدوه ونصبوا اللبن عليه وابنه شيث الذي هو وصيه معهم فلما فرغوا قالوا له هكذا فاصنع بولدك وإخوتك فإنها سنتكم ومنه يعلم أن الغسل والتكفين والصلاة والدفن واللحد من الشرائع القديمة.

وقال بعضهم صلاة الجنازة من خصائص هذه الأمة ولا منافاة لأنه لا يلزم من كونها من الشرائع القديمة أن تكون معروفة لقريش إذ لو كانت كذلك لفعلوا ذلك وفي كلام بعضهم كانوا في الجاهلية يغسلون موتاهم وكانوا يكفنونهم ويصلون عليهم وهو أن يقوم ولي الميت بعد أن يوضع على سريره فيذكر محاسنه كلها ويثني ثم يقول عليك رحمة الله ثم يدفن. روي أن النبي عليه السلام لما قدم المدينة وجد البراء بن معرور رضي الله عنه قد مات فذهب رسول الله وأصحابه فصلى على قبره وكبر في صلاته أربعاً فصلاة الجنازة فرضت في السنة الأولى من الهجرة على ما قالوا ومن أنكر فرضية صلاة الجنازة كفر كما في «القنية».

وههنا أبحاث:

الأول: إن غسل الميت شريعة ماضية والنية لا تشترط لصحة الصلاة عليه وتحصيل طهارته وإنما هي شرط لإسقاط الفرض عن ذمة المكلفين، أي: بغسله فإن غسل الميت فرض كفاية فإذا تركوا أثموا فبنية الغسل يسقط الفرض عن ذمة الغاسل وغيره، فيقول: نويت الغسل لله تعالى وإنما يغسل الميت لأنه يتنجس بالموت كسائر الحيوانات الدموية إلا أنه يطهر بالغسل كرامة له ولو وجد ميت في الماء فلا بد من غسله لأن الخطاب بالغسل توجه لبني آدم ولم يوجد منهم فعل.

وقيل: إن الميت إذا فارقته الروح وارتاح من شدة النزع أنزل فوجب على الأحياء غسله كما في «أسئلة الحكم».

يقول الفقير: فيه نظر؛ لأنه إنما يجب الاغتسال بالمني إذا كان بشهوة عند الحنفية ولم يوجد في الميت اللهم إلا أن يحمل على مذهب الشافعي فإن المني عنده كيفما كان يوجب الاغتسال حتى لو حمل حملاً ثقيلاً فخرج منه المني يجب عنده وينبغي أن يكون المغسول مسلماً تام البدن أو أكثره وفي حكمه النصف مع الرأس، فلا يغسل الكافر والنصف بلا رأس، وأن يكون الغاسل يحل له النظر إلى المغسول فلو ماتت امرأة في السفر يممها ذو رحم محرم منها وإن لم يوجد لف أجنبي على يده خرقة ثم يممها، وإن ماتت أمة ييممها أجنبي بغير ثوب وكذا لو مات رجل بين النساء يممته ذات رحم محرم منه أو أومته بغير ثوب، ولو مات غير المشتهي أو المشتهاة غسله الرجل والمرأة وعن أبي يوسف أن الرضيعة يغسلها ذو الرحم وكره غيره ولا يغسل زوجته وتغسل زوجها إلا إذا ارتفعت الزوجية بوجه.

ويستحب أن يكون الغاسل أقرب إلى الميت فإن لم يعلم فأهل الورع والأمانة وأن يوضع الميت عند الغسل بموضع خال من الناس مستور عنهم لا يدخله إلا الغاسل ومن يعينه كما في

«السيرة الحلبية» ولو اختلط موتى المسلمين وموتى الكفار، فمن كانت عليه علامة المسلمين صلى عليه، ومن كانت عليه علامة الكفار ترك ومن لم يكن عليه علامة والمسلمون أكثر غسلوا وكفنوا وصلى عليهم وينوون بالصلاة والدعاء للمسلمين دون الكفار ويدفنون في مقابر المسلمين وإن كان الفريقان سواء أو كانت الكفار أكثر لم يصل عليهم ويغسلون ويكفنون ويدفنون في مقابر المشركين ومن استهل بعد الولادة غسل وسمي وصلي عليه وإلا غسل في المختار وأدرج في خرقة ولا يصلى عليه ولو مات لمسلم قريب كافر غسله غسل النجاسة ولفه في خرقة وألقاه في حفرة أو دفعه إلى أهل دينه.

قال القهستاني: لا يجب غسل كافر أصلاً وإنما يباح غسل كافر غير حربي له ولي مسلم كما في «الجلابي».

والشهيد لا يغسل ويغسل الشهيد الجنب عنده خلافاً لهما وإذا انقطع الحيض والنفاس فاستشهدت فعلى هذا الخلاف وإذا استشهدت قبل الانقطاع تغسل على الأصح ولو مات بغير قتل ولو في المعركة غسل، ولو قتل برجم أو قصاص أو تعزير أو افتراس سبع أو سقوط بناء أو غرق أو طلق أو نحوها غسل بلا خلاف كما لو قتل لبغي أو قطع طريق غسل في رواية ولا يصلى عليه في ظاهر الرواية، وعند أبي حنيفة في الصلاة على المصلوب روايتان ولو قتل نفسه خطأ يصلى عليه بلا خلاف ولو تعمد فالأصح لا يصلى عليه لأنه لا توبة له والصلاة شفاعة.

والثاني: إن الصلاة على الميت فرض كفاية عند العامة ووقتها وقت حضوره ولذا قدمت على سنة المغرب كما في «الخزانة» وفي الحديث: «أسرعوا بالجنازة» وأهل مكة في غفلة عن هذا فإنهم غالباً يجيئون بالميت بعيد الظهر أو وقت التسبيح في السحر وقد يكون مات قبل هذا الوقت بكثير فيضعونه عند باب الكعبة حتى يصلى العصر أو الصبح ثم يصلى عليه كما في «المقاصد الحسنة».

يقول الفقير: وأهل كل بلدة في غفلة عن هذا في هذا الزمان سامحهم الله تعالى. وتجوز صلاة الجنازة حين طلوع الشمس واستوائها وغروبها بلا كراهة إن حضرت في هذه الأوقات وإن حضرت قبلها أخرت ويقوم الإمام حذاء الصدر لأنه محل العلم ونور الإيمان ويكبر ويثني، أي: يقول الإمام والمؤتم والمنفرد. سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا إله غيرك، قوله: وجل ثناؤك لم يذكر في الأحاديث المشهورة فلم يأتِ به مصلي الفرض ولا بأس للمتنفل بإتيانه به لأن النفل مبني على التوسيع فيجوز فيه ما لا يجوز في الفرض.

قال الحلبي: الأولى تركه إلا في صلاة الجنازة ثم يكبر ويصلي على النبي عليه السلام بما يحضره كما في «الجلابي» أو بما يصلي به في الفرض كما في «المستصفى» فيقول: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. والمعنى اللهم صل على محمد صلاة كاملة كما دل عليه الإطلاق. وقوله: وعلى آل محمد من عطف الجملة أي وصل على آله مثل الصلاة على إبراهيم وآله فلا يشكل بوجوب كون المشبه به أقوى كما هو المشهور كما في القهستاني ثم يكبر ويدعو للميت أو لكل مسلم ولو حياً ويسنّ الدعاء المعروف «اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا

وذكرنا وأنثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان» وخص هذا الميت بالرحمة والغفران والروضة والرضوان اللهم إن كان محسناً فزد في إحسانه وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه برحمتك يا أرحم الراحمين كما في «عيون الحقائق».

وفي الصبي والمجنون لا يستغفر لهما لعدم ذنبهما، بل يقول: اللهم اجعله لنا فرطاً واجعله لنا أجراً وذخراً واجعله لنا شافعاً مشفعاً، أي: مقبول الشفاعة ومن لم يحسن قال: اللهم اغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات برحمتك يا أرحم الراحمين وروي أنه ﷺ لما أدرج في أكفانه ووضع على سريره ثم وضع على شفير قبره المنور وذلك يوم الثلاثاء دخل عليه أبو بكر رضي الله عنه مع نفر من المهاجرين والأنصار بقدر ما يسع البيت وذلك بعد ما بويع له بالخلافة وصلى على النبي عليه السلام بأربع تكبيرات وضمن صلاته هذا الدعاء وهو اللهم إنا نشهد أنه ﷺ قد بلغ ما أنزل الله عليه ونصح لأمته وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت كلمته، فاجعلنا إلهنا ممن تبع القول الذي أنزل معه، واجمع بيننا وبينه حتى تعرفه بنا وتعرفنا به فإنه كان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً لا نبتغي بالإيمان به بدلاً ولا نشتري به ثمناً أبداً وإنما خصوا هذا الدعاء بالذكر؛ لأنه الذي يليق به ﷺ ومن ثمة استشاروا كيف يدعون له فأشير بمثل ذلك.

ثم يكبر ويسلم تسليمتين عن يمين وشمال بنية من ثمة إلا الميت غير رافع صوته مثل سائر الصلوات ويسنّ خفض الثانية ويرسل بعد الرابعة يديه لأنه ليس بعدها ذكر والركن هو التكبيرات الأربع وأما الثناء والصلاة والدعاء والسلام فسنن كما في «الجلابي» ولا يرفع يديه إلا في التكبير الأول لأنه شرع بين كل تكبيرتين ذكر مقتدر فإذا فرغ منه علم أنه جاء أوان الآخر.

قال في «الأشباه» لو قرأ الفاتحة في صلاته على الجنازة إن قصد الثناء والدعاء لم يكره، وإن قصد القراءة كره انتهى. وإذا أدرك الإمام في الصلاة وقد سبق ببعض تكبيراتها ينتظر تكبيرة أخرى فيتابع الإمام فيه ثم يأتي بما سبق به بعد سلام الإمام متوالياً وعند أبي يوسف والشافعي لا ينتظر بل يكبر ويشرع معه وأما إذا أدرك بعد الرابعة لا يكبر عندهما لفوات الصلاة عليه ويكبر عند أبي يوسف فإذا سلم الإمام قضى ثلاث تكبيرات ولو كان حاضراً وقت التحريمة ولم يكبر مع الإمام للافتتاح فهو لا ينتظر تكبير الإمام بل يشرع ويكبر ولو اجتمعت الجنائز يصلى عليهم دفعة واحدة كذا في «المحيط». والصلاة على الكبير أفضل من الصلاة على الصغير كما في «المضمرات». والثالث: ما الحكمة في عدم فرض الركوع والسجود في صلاة الجنازة قيل: لأن صلاة الجنازة دعاء وثناء واستشفاع للميت والركوع والسجود خاص بالتعبد لله تعالى من غير واسطة اختص به الملة المحمدية لأن السجدة كانت تجوز لتعظيم المخلوق في الملة السالفة ونحن نهينا عن الركوع والسجود لغير الله تعالى. وقيل: لأن الميت اعترض بين المصلي وبين الله تعالى فلو أمر بالركوع والسجود لتوهم الأعداء والجهلة أنه للميت كما توهم الشيطان من سجود الملائكة أنه لآدم عليه السلام فأبى حسداً وعصى جهلاً وإن كان ساجداً متعبداً قبل ذلك فافتتن بجهله وحسده باحتجابه عن كون المسجود له في الحقيقة هو الحق وقالب آدم بمنزلة المحراب. قال الجامي:

اى آنكه بقبلهٔ بتان روست ترا   برمغز چرا حجاب شد پوست ترا
دل دربى اين وآن نه نيكوست ترا   يكدل دارى بسست يك دوست ترا

وقال غيره:

ازان محراب ابرو رو مكردان اكردر مسجدى وردر خرابات

والرابع: أنه يستحب جعل الصفوف في الصلاة على الميت ثلاثة وفي الحديث: «ما من مسلم يموت فيصلي عليه أمة يبلغون ثلاث صفوف إلا غفر الله له» قال الطبراني في «معجمه» الأمة أربعون إلى المائة وجاء التصريح بالعدد في حديث مسلم وهو: «ما من مسلم يصلي عليه أربعون إلا شفعوا فيه» أما سر تثليث الصفوف فلأن ذلك من باب التوسع في الرجاء كأنهم يقولون جئناك بثلاثة صفوف شافعين فلا تردنا خائبين وهذا ميل تكثير الخطى إلى المساجد فإنه يستحب تقصير الخطى في المشي إلى المسجد لأنه يكتب له بكل خطوة حسنة ويحط عنه سيئة ويرفع له درجة فهو من باب التوسع في الرجاء وإذا استحب جعل الصفوف ثلاثة فالظاهر أنهم في الفضيلة سواء ولا مزية حينئذٍ للصف المقدم لأنهم مأمورون بالتأخر.

وقال الحلبي: أفضل صفوف الجنازة آخرها بخلاف سائر الصلوات فإن الصف الأول أعلم بحال الإمام فتكون متابعته أكثر وثوابه أوفر.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «أول زمرة تدخل المسجد هم أهل الصف الأول وإن صلوا في نواحي المسجد» كما في «خالصة الحقائق».

وأما سر الأربعين، فلأنه لم يجتمع قط أربعون إلا وفيهم عبد صالح كما في «أسئلة الحكم» وتحصل الشفاعة بأقل الأمرين من الثلاثة الصفوف والأربعين كما في «فتح القريب» والمستحب هو الأول كما سبق.

والخامس: إن في الدعاء والاستغفار نفعاً للميت ويصل ثواب جميع القرب إليه بدنياً كان أو مالياً كالصدقة والعتق والصلاة والصيام والحج والقراءة وأجمع المسلمون على أن قضاء الدين يسقط عن ذمة الميت التبعة وينفعه ذلك حتى لو كان من أجنبي أو من غير تركته وأجمعوا على أن الحي إذا كان له على الميت حق من الحقوق فأحله منه ينفقه ويبرأ منه كما يسقط من ذمة الحي.

قال ابن الملك: اعلم أن جعل الإنسان ثواب عمله لغيره صلاة كان أو صدقة أو غيرهما جائز عند أهل السنة خلافاً للمعتزلة لهم أن الثواب هو الجنة ولا قدرة للإنسان على تمليكها ولنا أنه عليه السلام ضحى بكبشين أملحين أحدهما لنفسه والآخر عن أمته المؤمنين فالاعتراض على الشارع باطل إذ العبادة أنواع بدنية محضة كالصلاة فالنيابة لا تجوز فيها لأن الغرض منها وهو إتعاب النفس الأمارة لا يحصل ونوع منها مالية محضة كالزكاة فالنيابة فيها تجوز لأن الغرض منها وهو إغناء الفقير يحصل بالنيابة لكن لا تؤخذ من تركته بغير وصية ونوع منها مركبة منهما كالحج فمن حيث إنه متعلق بالبدن لا تجوز فيه النيابة عند الاختيار ومن حيث إنه متعلق بالمال جاز فيه النيابة عند الاضطرار وهو العجز الدائم عن أدائه هذا في الحج الفرض وأما في النفل فالنيابة جائزة مع القدرة لأن في النفل سعة.

قال في «فوائد الفتاوى»: الأولى أن يوصي بإسقاط صلاة عمره بعد البلوغ وإن صلاها بغير ترك لاحتمال الفساد أو النقصان في أركانها انتهى وإذا أوصى رجل يطعم عنه وليه لصلاة الفائتة بعد موته فالوصية جائزة ووجب تنفيذها من ثلث ماله يعطى عن كل مكتوبة نصف صاع من الحنطة وفي صوم النذر كذلك ولا يجوز أن يصوم عنه الولي كما لا يجوز صلاته له لقوله

عليه السلام: «لا يصوم ولا يصلي أحد عن أحد».

قال القهستاني: والقياس أنه لا يجوز الفداء عن الصلاة وإليه ذهب البلخي كما في «قاضيخان» والاستحسان أن يجوز الفداء عنهما أما في الصوم فلورود النص وأما في الصلاة فلعموم الفضل ولذا قال محمد إنه يجزى بها إن شاء الله تعالى وينبغي أن يفدي قبل الدفن وإن جاز بعده.

وقال في «الأشباه»: إذا أراد الفدية عن صوم أبيه أو صلاته وهو فقير يعطي منوين من الحنطة فقيراً ثم يستوهبه ثم يعطيه وهكذا وذلك بعد أن يسقط من عمره اثنتي عشرة سنة ويسقط من عمرها تسعة لأن أقل مدة بلوغ الرجل اثنتا عشرة سنة ومدة بلوغ المرأة تسع سنين كما ذكره في «الوقاية» في آخر كتاب الحجر.

ومما ينبغي أن يعلم أن المعتبر في الطعام للصلاة قدر الطعام دون عدد المساكين حتى لو أعطى مسكيناً واحداً في يوم واحد أكثر من نصف صاع من البر يجوز ولا يجوز ذلك في كفارة الصوم والظهار لأن المعتبر فيهما عدد المسكين كذا في «شرح النقاية». وكره دفع نصاب أو أكثر إلى فقير غير مديون لأن الانتفاع به صادف حال الغنى ولو صادف حال الفقر لكان أكمل فلو كان مديوناً أو صاحب عيال لا يكره لأنه لا يكون به غنياً.

﴿ألم يعلموا﴾ الاستفهام للتقرير، أي: ألم يعلم أولئك التائبون. ﴿أن الله هو يقبل التوبة﴾ الصحيحة الخالصة ﴿عن عباده﴾ المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما يفصح عنه كلمة عن.

قال الحدادي: قبول التوبة إيجاب الثواب عليها ﴿ويأخذ الصدقات﴾ أي: جنس الصدقات صدقاتهم وصدقات غيرهم أراد به أخذ النبي عليه السلام والأئمة بعده لأن أخذهم لا يكون إلا بأمر الله وكان الله هو الآخذ.

قال البيضاوي: يقبلها قبول من يأخذ شيئاً ليؤدي بدله ففيه استعارة تبعية لأن الآخذ حقيقة هو الرسول عليه السلام لا من عينه لأخذها. والصدقات جمع صدقة تطلق على الواجب والتطوع وغلب على أفواه العامة تسمية الواجب من الماشية صدقة ومن النبات عشراً ومن النقود زكاة كما في «فتح القريب» ﴿وأن الله هو التواب﴾ أي: المتجاوز عمن تاب وهو الذي يرجع بالإنعام على كل مذنب رجع إلى التزام الطاعة.

وفي «التأويلات النجمية»: هو التواب هو الموفق للتوبة بلطفه وكرمه ولولا توفيقه ما تاب مذنب قط كما لا يتوب إبليس لعدم التوفيق. وفي «المثنوي»:

جز عنايت كه كشايد چشم را ... جز محبت كه نشاند خشم را

جهد بى توفيق خودكس را مباد ... درجهان والله أعلم بالرشاد

﴿الرحيم﴾ من مات على التوبة ورحمة الله على العباد إرادة الإنعام عليهم ومنع الضرر عنهم. ويجوز أن يرجع ضمير ﴿ألم يعلموا﴾ إلى غير التائبين من المؤمنين فالآية إذاً ترغيب للعصاة في التوبة والصدقة.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿وقل﴾ لهم بعدما بان لهم شأن التوبة ﴿اعملوا﴾ ما شئتم من الأعمال فظاهره ترخيص وتخيير وباطنه ترغيب وترهيب. ﴿فسيرى الله عملكم﴾ فإنه لا يخفى عليه خيراً كان أو شراً تعليل لما قبله وتأكيد للتغريب والترهيب والسين للتأكيد. ﴿ورسوله والمؤمنون﴾ في الخبر: «لو أن رجلاً عمل في صخرة لا باب لها ولا كوّة لخرج عمله إلى الناس كائناً ما كان» والمعنى إنه تعالى لا يخفى عليه عملهم كما رأيتهم وتبين لكم ثم إن كان المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالأمر ظاهر وإن أريد بها مآلها من الجزاء خيراً أو شراً فهو خاص بالدنيوي من إظهار المدح والثناء والذكر الجميل والإعزاز ونحو ذلك من الأجزية وأضدادها. ﴿وستردون﴾ أي: بعد الموت ﴿إلى عالم الغيب والشهادة﴾ قدم الغيب على الشهادة لسعة عالمه وزيادة خطره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيب ما يسترونه من الأعمال والشهادة ما يظهرونه كقوله تعالى: ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧] فالتقديم حينئذٍ لتحقيق أن نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحدة على أبلغ وجه وآكده لا إيهام أن علمه تعالى بما يسرون أقدم منه بما يعلنون كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن أن يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الأمور البارزة والكامنة.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿وستردون﴾ بأقدام أعمالكم إلى الله الذي هو عالم بما غاب عنكم وغبتم عنه فأما ما غاب فهو نتائج أعمالكم من الخير والشر وجزاؤها فإنها إن لم تغب عنكم زدتم في الخير وما عملتم شراً وأما ما غبتم عنه فهو التقدير الأزلي والحكمة فيما جرى به القلم من أعمال الخير والشر وعالم بما تشاهده العيون والقلوب في الملك والملكوت. ﴿فينبئكم﴾ عقيب الرد الذي هو عبارة عن الأمر الممتد إلى يوم القيامة. ﴿بما كنتم تعملون﴾ قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتنبئة الإظهار لما بينهما من الملابسة في أنهما سببان للعلم تنبيهاً على أنهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته أي يظهر لهم على رؤوس الأشهاد ويعلمهم أي شيء شنيع كانوا يعملونه في الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء انتهى.

فعلى العاقل أن يسعى في طريق الأعمال الصالحة ويجتنب عن ارتكاب الأفعال الفاضحة كيلا يفتضح عند الله وعند الرسول وكافة المؤمنين.

قال في «التأويلات النجمية»: إن لعمل المحسن وخلوصه نوراً يصعد إلى السموات بقدر قوة صدقه وإخلاصه فالله تعالى يراه بنور ألوهيته وروح الرسول عليه السلام يراه بنور نبوته وأرواح المؤمنين يرونه بنور إيمانهم فاستعلاء ذلك بصفائه وضوئه يكون على قدر علو همة المحسن وخلوص نيته وصفاء طويته. وإن العمل المسيء ظلمة تصعد إلى السموات بقدر قوة غفلته وخباثة نفسه فالله تعالى يراها وروح رسوله وأرواح المؤمنين، وفي الحديث: «تصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصوم وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشيعه ملائكة السموات السبع حتى يقطعون به الحجب كلها إلى الله تعالى فيقفون بين يدي الرب جل جلاله ويشهدون بالعمل الصالح المخلص لله فيقول الله لهم أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على ما في نفسه إنه لم يردني بهذا العمل ولا أخلصه لي وأنا أعلم بما أراد بعلمه غر الآدميين وغركم ولم يغرني، وأنا علام الغيوب المطلع على ما في القلوب لا تخفى

عليّ خافية ولا تعزب عني عازبة علمي بما كان كعلمي بما لم يكن وعلمي بما مضى كعلمي بما بقي وعلمي بالأولين كعلمي بالآخرين أعلم السر وأخفى، فكيف يغرّني عبدي بعمله وإنما يغر المخلوقين الذين لا يعلمون وأنا علام الغيوب، عليه لعنتي وتقول الملائكة السبعة أو الثلاثة الآلاف المشيعون يا ربنا عليه لعنتك ولعنتنا فيقول أهل السماء عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين».

قال السعدي:

وكر سيم اندوده باشد نحاس تـوان خرج كردن بر ناشناس

منه آب زر جان من بر پشيز كه صراف دانا نكيرد بچيز

اعلم أن الأقلام كتبت على الألواح أحوال العالم كلها من السرائر والظواهر ثم سلمت الألواح للخزنة وجعل لكل شيء خزائن ووكلت عليها حوافظ وكوالىء، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: ٢١] فتستنسخ السفرة من الخزنة والحفظة من السفرة فللأعمال كلها مخازن تقسم منها وتنتهي إليها وغاية خزائن الأعمال الصالحة سدرة المنتهى، فعلم من هذا أن الحفظة مطلعون على أعمال العباد قلبية كانت أو قالبية، وليسوا بمطلعين على المقبول منها وغير المقبول إلا بعد العرض والرفع فكل عمل مضبوط مجزي به فإن أخفاه العبد عن الخلق لا يقدر على إخفائه عن الله تعالى وعن الملائكة. قال السعدي قدس سره:

در بسته ز روى خود بمردم تا عيب نكسترند ما را

در بسته چه سود عالم الغيب داناى نهان وآشكارا

﴿وآخرون﴾ عطف على آخرون قبله، أي: ومن المتخلفين من أهل المدينة ومن حولها من الأعراب قوم آخرون غير المعترفين المذكورين. ﴿مرجون﴾ قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو على أن يكون أصله مرجيون بالياء والباقون مرجؤون بالهمزة يقال أرجيته وأرجأته بالياء والهمزة إذا أخرته والنسبة إلى المهموز مرجئيّ كمرجعي لا مرج كمعط وإلى غير مرجيّ بياء مشددة عقيب الجيم وهم المرجئة بالهمزة والمرجية بالياء مخففة كما في «القاموس» والمرجئة: قوم لا يقطعون على أهل الكبائر بشيء من عفو أو عقوبة بل يرجئون الحكم في ذلك، أي يؤخرونه إلى يوم القيامة كما في «المغرب» والمعنى مؤخرون. ﴿لأمر الله﴾ في شأنهم، أي: حتى ينزل الله فيهم ما يريد. ﴿إما يعذبهم﴾ إن بقوا على ما هم عليه من الحال وهو عدم المسارعة إلى التوبة والاعتذار دون النفاق فإنهم كانوا غير مخلصين. ﴿وإما يتوب عليهم﴾ إن خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب على الحالية أي منهم هؤلاء إما معذبين وإما متوباً عليهم.

فإن قلت: إما للشك والله تعالى منزه عنه إذ هو عالم بما يصير إليه أمرهم.

قلت: الترديد راجع إلى العباد، والمعنى ليكن أمرهم عندكم بين الخوف والرجاء.

وقال أبو البقاء: إذا كانت إما للشك جاز أن يليها الاسم وجاز أن يليها الفعل فإن كانت للتخيير وقع الفعل بعدها وكانت معه أن، كقوله إما أن تلقي. ﴿والله عليم﴾ بأحوالهم ﴿حكيم﴾ فيما فعل بهم من الارجاء وغيره.

والآية نزلت في ثلاثة نفر من المتخلفين وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية كانوا من أهل بدر ومياسير ومع ذلك تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك.

قال كعب بن مالك: أنا أفره أهل المدينة جملاً فمتى شئت لحقت العسكر فتأخر أياماً

وأيس بعدها من اللحوق بهم فندم على ما صنعه، وكذلك صاحباه، ولكن لم يفعلوا ما فعله أبو لبابة وأصحابه من شد أنفسهم على السواري وإظهار الغم والجزع، فوقفهم رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية ونهى الناس أن يجالسوهم أو يؤاكلوهم أو يشاربوهم، وأمرهم باعتزال نسائهم وإرسالهن إلى أهليهن فجاءت امرأة هلال تسأل أن تأتيه بطعامه فإنه شيخ كبير فأذن لها في ذلك خاصة، وجاء رسول من الشام إلى كعب برغبة في اللحاق بهم، فقال كعب: بلغ من خطيئتي إلى أن طمع فيّ المشركون قال فضاقت عليّ الأرض بما رحبت وبكى هلال بن أمية حتى خيف على بصره فجعل ناس يقولون: هلكوا إن لم ينزل الله لهم عذراً، وآخرون يقولون عسى الله أن يغفر لهم فصاروا عندهم مرجئين لأمر الله إما يعذبهم وإما يرحمهم حتى نزلت توبتهم بعد ما مضى خمسون يوماً بقوله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [التوبة: ١١٧] إلى قوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨] الآية أخر الله تعالى أمرهم مدة ثم بين توبتهم على أجمل الوجوه حيث قرن توبتهم بتوبته تعالى على النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار وعلم منه أن الهجران للتربية جائز ولو فوق ثلاثة أيام ألا ترى إلى الأصحاب كيف قطعوا سلامهم وكلامهم من أولئك الثلاثة إلى أن بلغ الكتاب أجله وأن إخلاص النية وتفويض الأمور إلى الله تعالى سبب لرحمة الله تعالى وأن البكاء أيضاً مدار لقبول التوبة وإخلاص الحال فلا بد من الاستغفار والبكاء على الأوزار. حكي عن بعض أصحاب فتح الموصلي قدس سره قال: دخلت يوماً على فتح فوجدته يبكي وقد خالطت دموعه صفرة فقلت له بالله عليك يا سيدي هل بكيت الدم، فقال والله لولا أنك أقسمت علي بالله عز وجل ما أخبرتك بكيت الدمع وبكيت الدم فقلت علامَ بكيت الدم؟ قال: على تخلفي عن الله تعالى فعلام بكيت الدم قال على الدموع أن لا تصح لي أن لا تقبل مني قال: فلما توفي رأيته في المنام فقلت: ما فعل الله بك قال غفر لي وقربني ربي وقال: يا فتح بكيت كل هذا البكاء على ماذا فقلت يا رب على تخلفي عن حقك قال والدم لم بكيته قلت: يا رب على الدموع أن لا تصح لي قال: يا فتح فما أردت بهذا كله وعزتي وجلالي لقد صعد إليّ حافظاك أربعين سنة بصحيفتك وما فيها خطيئة فهذه حال أكابر أولياء الله تعالى يسيئون الظن بأنفسهم ويجتهدون في الله وإن علموا العفو والمغفرة.

ووقف الفضيل في بعض حجاته ولم ينطق بشيء فلما غربت الشمس قال واسوأتاه وإن عفوت.

يقول الفقير: وهذا كلام حق فإن من الفضاحة العصيان، ومن الفضاحة أيضاً بقاء أثره الدنيوي بعد الغفران ألا ترى أن عتقاء جهنم لا يستريحون يوم القيامة، وإن دخلوا الجنة إلى أن يمحو الله تعالى ما كتب على جباهم من الأثر. قال الحافظ قدس سره:

هر چندكه هجران ثمر وصل برآرد   دهقان ازل كاشكه اين تخم نكشتى

وقال السعدي قدس سره:

بسا نام نيكو كاپنجاه سال   كه يك نام زشتش كند پايمال

وفي الآية: إشارة إلى أن الحكمة الإلٓهية اقتضت إقدام بعض النفوس على الذنوب وتأخير توبتهم وهم مترددون بين الخوف والرجاء ولهم فيما بين ذلك تربية ليطيروا بجناحي الخوف والرجاء إلى أن يصلوا إلى مقام القبض والبسط إلى أن يبلغوا سرادقات الأنس والهيبة، ثم ليطيروا بجناحي الأنس والهيبة إلى قاب قوسي السير والتجلي أو أدنى الوحدة ﴿والله عليم﴾

بتربية عباده ﴿حكيم﴾ بمن يصلح للقرب والقبول وبمن يصلح للبعد والرد كذا في «التأويلات النجمية»:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.

﴿والذين اتخذوا مسجداً﴾ أي: ومن المتخلفين عن غزوة تبوك المنافقون الذين اتخذوا مسجد قبا وهو بضم القاف ويذكر ويقصر قرية قرب المدينة على نصف فرسخ منها كما في «التبيان».

اعلم أن رسول الله ﷺ لما هاجر من مكة وقدم قبا نزل في بني عمرو بن عوف وهم بطن من الأوس على كلثوم بن الهدم وكان شيخ بني عمرو بن عوف وهل كان أسلم قبل وصوله ﷺ إلى قبا أو بعده ففيه اختلاف فلما نزل وذلك في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول.

قال عمار بن ياسر رضي الله عنه ما لرسول الله بدّ من أن يجعل له مكان يستظل به إذا استيقظ ويصلي فيه فجمع حجارة فأسس رسول الله مسجداً واستتم بنيانه عمار فعمار أول من بنى مسجداً لعموم المسلمين، وكان مسجد قباء أول مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ بأصحابه جماعة ظاهرين أي آمنين وبعد تحوله عليه السلام إلى المدينة وذلك في يوم الجمعة بعد أن لبث في قبا بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس أو بضع عشرة ليلة وهو المنقول عن البخاري أو أربعة عشر يوماً وهو المنقول عن مسلم كان يأتيه يوم السبت ماشياً وراكباً ويصلي فيه ثم ينصرف وفي الحديث: «من توضأ وأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قبا فصلى فيه له أجر عمرة» كما في «السيرة الحلبية» فهذا المسجد وضعه رسول الله ﷺ وعمار بمعاونة بني عمرو بن عوف خالصاً لله تعالى كما عليه الأكثرون وفي الحديث: «من بنى مسجداً لا يريد به رياء ولا سمعة بنى الله له بيتاً في الجنة» قال القرطبي: هذه المسألة ليست على ظاهرها من كل الوجوه وإنما معناه بنى له بثوابه بناء أشرف وأعظم وأرفع لأن أجور الأعمال متضاعفة وأن الحسنة بعشر أمثالها وهذا كما قال في التمرة إنها تزاد حتى تكون مثل الجبل ولكن هذا التضعيف إنما هو بحسب ما يقترن بالفعل من الإخلاص فإن بنى على غير الإخلاص أو على وجه غير مرضى فلا ثواب له ولا يعبأ الله به وإن كان في ظاهر الشرع له حكم المساجد من الاحترام والتعظيم وغير ذلك وكذا الربط والخوانق والقناطر والمطاهر وكل بناء فهو مشروط بذلك قاله في «شرح الإلمام».

قال النووي: يدخل في هذا الحديث من عمر مسجداً قد استهدم وإذا اشترك جماعة في عمارة مسجد فهل يحصل لكل منهم بيت في الجنة كما لو أعتق جماعة عبداً مشتركاً بينهم فإنهم يعتقون من النار ويجوزون العقبة لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ [البلد: ١٢-١٣] وقد فسر النبي عليه السلام فك الرقبة بعتق البعض والقياس إلحاق المساجد بالعتق لأن فيه ترغيباً وحملاً للناس على إنشاء المساجد وعمارتها وهل يمكن الكافر من بناء المسجد فذهب بعضهم إلى أن الصحيح جوازه لقوله عليه السلام: «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» كما في «تفسير البغوي».

قال الواحدي: عند قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٧] دلت الآية على أن الكفار ممنوعون من عمارة مسجد المسلمين ولو أوصى لم تقبل وصيته انتهى.

قال سعدي چلبي المفتي: عدم قبول وصيته مجمع عليه بين أصحابنا الحنفية انتهى ولا يصير الكافر ببناء المسجد مسلماً وإن عظمه حتى يأتي بالشهادتين بخلاف المسلم إذا أتى كنيسة واعتقد تعظيمها، فإنه يكفر؛ لأن الكفر يحصل بمجرد النية، والإسلام لا يحصل إلا بالتلفظ بالشهادتين كما في «فتح القريب».

يقول الفقير سامحه الله القدير: علم منه أن بعض القبط في الديار الرومية ممن أظهر الإسلام رأيناهم يصلون ويصومون كصلاة المخلصين وصيامهم، ثم إنهم يدخلون كنائس النصارى في مواسمهم فهم مرتدون بذلك، ولا تصح الصلاة على موتاهم إن ماتوا على تلك الحالة لأنه لا شك في تعظيمهم الكنائس وموافقتهم النصارى في أفعالهم في أيامهم ولياليهم المعهودة فلا نتوقف في كفرهم، وأما تلفظهم بالشهادة فهو بحسب العادة ولا يغني عنهم ذلك شيئاً في اعتقادهم وبعض المعاصرين من العلماء يتوقفون في كفرهم جهلاً العياذ بالله تعالى.

ثم نرجع ونقول إن بني عمرو بن عوف لما بنوا ذلك المسجد حسدتهم إخوتهم بنو غنم بن عوف، وقالوا أنصلي في مربط حمار لامرأة عمرو وذلك لأنه كانت امرأته تربط فيه حمارها وقيل: كان مكان مسجد قبا محلاً يجفف فيه التمر لكلثوم بن هدم رضي الله عنهما فبنوا مسجداً آخر في قبا على قصد الفساد وتفريق جماعة المؤمنين وأن يؤمهم فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام.

وفي الحدادي إنهم بنوه بإذن النبي عليه السلام، أقول: هذا يخالف سوق القصة كما لا يخفى وبعيد أن يأذن رسول الله قبل إشارة الله في ذلك. وقصة أبي عامر الراهب أنه كان من أشراف قبيلة الخزرج تنصر في الجاهلية وترهب ولبس المسوح وكان ماهراً في علم التوراة والإنجيل.

قال الكاشفي: [وپيوسته نعت وصفت سيد عالم ﷺ براهل مدينه مى خواند چون آن حضرت بمدينه هجرت كرد اهل آن خطه شيفتهٔ جمال وكمال وى شده وازصحبت أبو عامر برميدند وپرواى او نكردند].

باوجود لب جان بخش تواى آب حيات حيفم آيد سخن ازچشمهٔ حيوان كفتن

فحسده وعاداه لأنه زالت به عليه السلام رياسته وقال له لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك فلم يزل يتقاتل معه عليه السلام إلى أن تقاتل معه يوم هوازن فلما انهزمت هوازن خرج إلى الشام.

قال الكاشفي: [بنزد هرقل كه ملك روم بود برفت ومى خواست ازروم لشكر ساز كرده بجنك مسلمانان آيد نامه نوشت بمنافقان چون ثعلبة بن حاطب وأمثال اوكه شمادر مقابلهٔ مسجد قبادر محلهٔ خويش براى من مسجدي بسازيدكه چون من بمدينه آيم انجا بافادهٔ علم اشتغال نمايم ايشان مسجدي ساختند وحضرت رسالت پناه چون عازم غزوهٔ تبوك شد بانيان مسجد آمده كفتند يا رسول الله ما براى ضعيفان وبيچاركان در وقت سرما وبارندكى مسجدي ساخته ايم والتماس داريمكه در آن مسجد نمازكزارى وغرض ايشان آن بودكه بواسطهٔ نمازآن حضرت ﷺ مهم خودرا دراستحكام دهند چنانچه در مثنوى معنوى هست]:

مسجد واصحاب مسجدرا نواز تومهى ماشب دمى باما بساز
تاشود شب ازجمالت همچوروز اي جمالت آفتاب جان فروز
اي دريغا كان سخن ازدل بدى تامراد آن نفر حاصل شدى

قال في «السيرة الحلبية»: كانوا يجتمعون فيه ويعيبون النبي عليه السلام ويستهزئون به فقال النبي ﷺ: «إني على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا لأتيناكم فصلينا لكم فيه» فلما رجع من تبوك أتوه فسألوه إتيان مسجدهم فدعا عليه السلام بقميصه ليلبسه ويأتيهم فأنزل الله هذه الآية فقال: ﴿والذين اتخذوا مسجداً﴾ ﴿ضراراً﴾ مفعول له، أي: مضارة للمؤمنين.

قال الكاشفي: [براى ضرر مؤمنان وستيزه ايشان]. ﴿وكفراً﴾ وتقوية للكفر الذي يضمرونه ﴿وتفريقاً بين المؤمنين﴾ الذين كانوا يجتمعون في مسجد قباء، فإنهم أرادوا ببنائهم المسجد صرف بعض الجماعة إليه وتفريق كلمة المؤمنين. ﴿وإرصاداً﴾ أي ترقباً وانتظاراً. ﴿لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ أي: من قبل اتخاذ هذا المسجد وهو أبو عامر الراهب أي لأجله حتى يجيء فيصلي فيه ويظهر على رسول الله وقد سبق حضوره في الوقائع كلها فمن متعلق بحارب أو باتخذوا، أي: اتخذوا مسجداً من قبل أن يظهر هؤلاء النفاق بالتخلف. ﴿وليحلفن﴾ والله ليحلفن فهو جواب قسم مقدر.

قال الكاشفي: [وهر آيينه سوكند ميخورند چون كسى كويد جرا اين مسجد ساختيد] ﴿إن﴾ نافية. ﴿أردنا﴾ أي: ما أردنا ببناء هذا المسجد. ﴿إلا الحسنى﴾ إلا الخصلة الحسنى، وهي الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين. ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ في حلفهم ذلك ولما نزلت هذه الآية وأعلمه الله بخبرهم وما هموا به دعا، أي رسول الله الوحشي قاتل حمزة وجماعة معه فقال لهم: «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه» فخرجوا سراعاً وأخذوا سعفاً من النخل وأشعلوا فيه النار وذلك بين المغرب والعشاء وهدموه إلى الأرض، وأمر النبي عليه السلام أن يتخذ كناسة يلقى فيها القمامة والجيف ثم بعد زمان أعطاه ﷺ لثابت بن أرقم يجعله بيتاً فلم يولد في ذلك البيت مولود قط وحفر فيه بقعة فخرج منها الدخان ومات أبو عامر بالشام وحيداً غريباً وذلك أنه عليه السلام لما قدم المدينة أقبل إليه أبو عامر فقال: ما هذا الذي جئت به قال: «جئت بالحنيفة دين إبراهيم» قال أبو عامر وأنا عليها فقال عليه السلام: «إنك لست عليها» قال: بلى ولكنك أدخلت في الحنفية ما ليس فيها فقال عليه السلام: «ما فعلت ذلك ولكن جئت بها بيضاء نقية» فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريداً وحيداً غريباً فقال عليه السلام: «آمين» فسماه أبا عامر الفاسق مكان الراهب، فمات كافراً بقنسرين وهي بكسر القاف وتشديد النون المفتوحة أو المكسورة اسم بلدة في الشام ومع هذه الخباثة كان له ولد صالح يقال له أبو حنظلة استشهد يوم أحد فغسلته الملائكة عليهم السلام. قال السعدي قدس سره:

هنر بنماى اكر داری نه كوهر كل ازخارست وإبراهيم از آزر

وفي الآية إشارة إلى أن أهل الطبيعة ﴿اتخذوا﴾ مزبلة النفس ﴿مسجداً ضراراً﴾ لأرباب الحقيقة. ﴿وكفراً﴾ بأحوالهم كما أنهم اتخذوا بستان القلب مسجداً يذكرون الله فيه ويطلبونه وهذا وصف مدعي الطلب الكذابين في دعواهم المتشبهين بزي أرباب الصدق والطلب. ﴿وتفريقاً بين المؤمنين﴾ الطالبين الصادقين بإظهار الدعوى من غير المعنى، أي: يفرقون بين

الإخوان في الله في طلب أنواع الحيل تارة بطلب صحبة معهم ومرافقتهم في الأسفار وتارة بذكر البلدان وكثرة النعم فيها وطيب هوائها وكرم أهلها وإرادتهم لهذه الطائفة ليزعجوهم عن خدمة المشايخ وصحبة الإخوان. ﴿وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ ليوقعوهم في بلاء صحبة الإباحية من مدعي الفقر والمعرفة وهم يحاربون الله بترك دينه وشريعته ورسوله بترك متابعته وإحياء سننه «وليحلفن لهم إن أردنا إلا الحسنى» فيما دعوناكم إليه ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ فيما يدعون ويحلفون كذا في «التأويلات النجمية»:

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾

﴿لا تقم﴾ يا محمد للصلاة ﴿فيه﴾ أي: في مسجد هؤلاء المنافقين ﴿أبداً﴾.

قال سعدي المفتي: أي لا تصل فيه عبر بالقيام عن الصلاة كما في قولهم فلأن يقوم الليل ومنه الحديث الصحيح: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» ﴿لمسجد﴾ مسجد قبا واللام للابتداء أو القسم ﴿أسس﴾ التأسيس إحكام اس البناء وهو أصله يعني اسسه رسول الله ﷺ وصلى فيه أيام مقامه بقبا. ﴿على التقوى﴾.

قال في «التبيان»: أي بنيت حدوده ورفعت قواعده على طاعة الله.

وفي «الحدادي»: لوجه الله وعلى ههنا للمصاحبة بمعنى مع كما في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] كما في «حواشي سعدي» المفتي ﴿من أول يوم﴾ من أيام وجوده وتأسيسه متعلق بأسس وكلمة من الجارة إذا كانت للابتداء تجر المكان كثيراً كما في قولك جئت من البصرة وقد تجر الزمان أيضاً عند الكوفيين، كما في هذه الآية فالمعنى منذ أول يوم بني لأن منذ لابتداء الغاية في الزمان تقول ما رأيته منذ شهر.

وقال الرضي: (من) في الآية بمعنى في وذلك كثير في الظروف، ويقال أراد بالمسجد مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة والأول أشهر وأوفق للقصة إذ المسجد بقبا فالموازنة بينهما أولى من الموازنة بين ما بقبا وما بالمدينة.

قال الحدادي: لا يمتنع أن يكون المراد بالمسجد الذي أسس على التقوى كلا المسجدين مسجد النبي عليه السلام ومسجد قبا ﴿أحق أن تقوم فيه﴾ أي: أولى أن تصلي فيه.

فإن قيل: لِمَ قال الله تعالى أحق أن تقوم فيه، مع أن المفاسد الأربع المذكورة بقوله ضراراً وكفراً وتفريقاً وإرصاداً تمنع جواز قيامه في الآخر.

والجواب: أن الكلام مبني على النزول والمعنى لو فرضنا جواز القيام في مسجد الضرار لكان القيام في مسجد التقوى أحق وأولى لكونه على قاعدة محكمة فكيف والقيام فيه باطل لكونه مبنياً لأغراض فاسدة، ويجوز أن يقال: أحق ليس للتفضيل بل بمعنى حقيق، كما قال المولى أبو السعود، والمراد بكونه أحق كونه حقيقاً به إذ لا استحقاق في مسجد الضرار رأساً وإنما عبر عنه بصيغة التفضيل لفضله وكماله في نفسه أو الأفضلية في الاستحقاق المتناول ما

يكون باعتبار زعم الباني ومن يتابعه في الاعتقاد وهو الأنسب بما سيأتي. ﴿فيه﴾ أي: في المسجد المؤسس على التقوى. ﴿رجال﴾ يعني: الأنصار جملة مستأنفة مبنية لأحقيته لقيامه عليه السلام فيه من جهة الحال بعد بيان أحقيته له من حيث المحل. ﴿يحبون أن يتطهروا﴾ من الأنجاس والأخباث مطلقاً بدنية كانت أو عملية كالمعاصي والخصال الذميمة. ﴿والله يحب المطهرين﴾ أي: يرضى عن المتطهرين ويدنيهم من جنابه الإدناء المحب حبيبه. روي أن هذه الآية لما نزلت مشى رسول الله ﷺ ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء، فإذا الأنصار جلوس فقال: «أمؤمنون أنتم» فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله إنهم لمؤمنون وأنا معهم فقال عليه السلام: «أترضون بالقضاء» قالوا نعم قال: «أتصبرون على البلاء» قالوا: نعم قال: «أتشكرون في الرخاء» قالوا: نعم قال عليه السلام: «مؤمنون ورب الكعبة» فجلس ثم قال: «يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط» فقالوا نتبع الغائط الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء فتلا ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾ وفي كلام بعضهم أول من استنجى بالماء إبراهيم عليه السلام والاستنجاء مسح موضع النجو، أي ما خرج من البطن وهو في الأصل أعم منه ومن غسله كما في «المغرب» فيطهر موضع النجو بثلاثة أمداد فإن لم يجد فبالأحجار فإن لم يجد فبكفه ولا يستنجي بما سوى الثلاثة لأنه يورث الفقر والمقصود التنقية فلو حصل بالواحد كفاه ولم يحصل بالثلاثة زاد، ولا يستنجي من النوم والريح فإنه بدعة وليس على المستحاضة استنجاء لكل صلاة بلا بول غائط كما في «النوازل» واستعمال المنشفة أدب وذلك قبل أن يقوم وبعد الغسل ليزول أثر الماء المستعمل بالكلية وكان الأنصار يتبعون الماء أثر البول أيضاً وعن بعضهم أن المراد التطهر من الجنابة فلا ينامون عليها وفي الحديث: «ثلاثة لا تقربهم الملائكة» المراد بالملائكة هنا هم الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الحفظة فإنهم لا يفارقونه على أي حال من الأحوال.

وقال بعض العلماء: المراد بالملائكة غير الحفظة وغير ملائكة الموت وقيل أراد لا تحضره الملائكة بخير «جيفة الكافر» المراد بها ذاته حياً وميتاً لأن الكافر نجس بعيد من الرحمة في الحياة وبعد الموت «والمتضمخ» بالضاد والخاء المعجمتين أي المتلطخ المتدهن بالخلوق بفتح الخاء المعجمة طيب معروف مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتغلب عليه الحمرة والصفرة.

وقال أبو عبيدة عند العرب هو الزعفران وحده ووجه النهي عن الخلوق لما فيه من الرعونة والتشبه بالنساء والنهي عن الخلوق مختص بالرجال دون النساء كما في «المفاتيح» «والجنب» الجنابة لغة البعد وسمي الإنسان جنباً لأنه نهي أن يقرب مواضع الصلاة ما لم يتطهر وقيل لمجانبته الناس حتى يغتسل «إلا أن يتوضأ» وهذا في حق كل من أخر الغسل لغير عذر أو لعذر إذا أمكنه الوضوء فلم يتوضأ.

وقيل: لم يرد بالجنب من إصابته جنابة فأخر الاغتسال ولكنه الجنب الذي يتهاون بالغسل ويتخذ تركه عادة لأن النبي ﷺ كان ينام وهو جنب ويطوف على نسائه بغسل واحد.

وفي الشرعة: وينام بعد الوطء نومة خفيفة فإنه أروح للنفس لكن السنة فيه أن يتوضأ أولاً وضوؤه للصلاة ثم ينام كما في «شرح ابن السيد علي».

قال في «فتح القريب» المراد بالوضوء الشرعي بلا خلاف وفي رواية شعبة «اغسل ذكرك ثم توضأ وارقد» هذا هو الصحيح يعني الأمر بغسل الذكر ثم الوضوء ومن نام ولم يتوضأ فليستغفر الله تعالى ولو أراد العود أي من غير نوم فليتوضأ أي ليتنظف بغسل الذكر واليدين فليس المراد بالوضوء الشرعي المشهور كما ذهب إليه المالكية كما في «شرح المشارق».
والوضوء يطلق على غسل اليدين كما في قوله عليه السلام: «الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر».
وإذا توضأ وضوءه للصلاة وأراد أن ينام فهل الأولى أن ينوي رفع الحدث الأصغر أو ينوي سنة العود أو رفع الجنابة أو ما أصابه من الأعضاء المغسولة الظاهر الأول ليكون عبادة مستقلة أو مخففة للحدث بزوال أحد الحدثين كذا في «فتح القريب». وفيه أيضاً اختلف في علة الوضوء فقيل لأنه يخفف الحدث وقيل ليبيت على إحدى الطهارتين خشية أن يموت في نومه ذلك لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه جنب فيزول ذلك بالوضوء ومذهب الشافعي ومالك استحباب الوضوء للجنب قبل النوم لأنه عليه السلام كان يفعل ذلك. وعن بعض المالكية لا تسقط العدالة بتركه لاختلاف العلماء فيه.

وقال بعضهم: في الآية يحبون أن يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم.
روي أن جابراً قال استأذنت الحمى على رسول الله ﷺ فقال: «من هذه» قيل: أم ملدم فأمر بها عليه السلام إلى أهل قبا فلقوا فيها ما لا يعلمه إلا الله فشكوا إليه عليه السلام فقال: «إن شئتم دعوت الله ليكشفها عنكم وإن شئتم تكون لكم طهوراً» قالوا أو تفعل ذلك قال: «نعم» قالوا فدعها وقد «جاء أن حمى ليلة كفارة سنة ومن حم يوماً كان له براءة من النار وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» وعن عائشة رضي الله عنها لما قدمت المدينة أخذتها الحمى فسبتها فقال عليه السلام: «لا تسبيها فإنها مأمورة ولكن إن شئت علمتك كلمات إذا قلتهن أذهبها الله تعالى عنك» قالت علمني قال: «قولي اللهم ارحم جلدي الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق يا أم ملدم إن كنت آمنت بالله العظيم فلا تصدعي الرأس ولا تنتني الفم ولا تأكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عني إلى من اتخذ مع الله إلهاً آخر» فقالتها فذهبت عنها ولما استوخم المهاجرون هواء المدينة ولم يوافق أمزجتهم فمرض كثير منهم وضعفوا تشوقوا إلى مكة المكرمة ولذا نظر عليه السلام يوماً إلى السماء لأنها قبلة الدعاء وقال: «اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة وبارك لنا في مدها وصاعها وصححها لنا ثم انقل وباءها إلى مهيعة» أي: الجحفة وهي قرية قريبة من رابغ محل إحرام من يجيء من جهة مصر حاجاً وكان سكانها إذ ذاك يهوداً ودعاؤه عليه السلام أن يحبب إليهم المدينة إنما هو لما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين إليه ومن ثم جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أنها سألت رجلاً بحضور النبي عليه السلام قدم المدينة من مكة، فقالت له: كيف تركت مكة فذكر لها من أوصافها الحسنة ما غرغرت منه عينا رسول الله ﷺ وقال: «لا تشوقها يا فلان».

فتنها درانجمن پيدا شود ازسوزمن — چون مرادر خاطر آيدمسكن ومأواى دوست

وفي «أسئلة الحكم»: أن الختان للتطهر لأنه يوجب المحبة الإلهية كما قال تعالى: ﴿والله يحب المطهرين﴾ فيحصل الاحتراز والتطهر من البول بالختان.
قال الفقهاء: الأقلف يجب عليه إيصال الماء إلى القلفة إذ لا حرج فيه وفي الحديث: «اتقوا البول فإن عامة عذاب القبر من البول فإنه أول ما يحاسب به العبد في القبر» كما في «الترغيب».

اعلم أن مسجد المنافقين إشارة إلى مزبلة النفس والمسجد المؤسس على التقوى إشارة إلى مسجد القلب وهو قد أسس على العبودية والطاعة والإقرار بالوحدانية من أول يوم الميثاق عند خطاب ألست بربكم وجواب قالوا بلى وأهله متطهرون عن الصفات الذميمة والأخلاق اللئيمة بل عن دنس الوجود ولوث الحدوث والله يحب المطهرين الفانين عن وجودهم الباقين بالله ولولا محبته إياهم ما وفقهم للتطهير فتطهرهم مطلقاً أثر من آثار محبة الله لهم. قال الحافظ:

طهارت ارنه بخون جكر كند عاشق بقول مفتى عشق اش درست نيست نماز

وفي «المثنوي»:

روى ناشسته نبيند روى حور لا صلاة كفت إلا بالطهور

وهو بالفتح مصدر بمعنى التطهير ومنه «مفتاح الصلاة الطهور» واسم لما يتطهر به كذا في «المغرب».

﴿أفمن أسس بنيانه﴾ جملة مستأنفة مبينة لخيرية الرجال المذكورين من أهل مسجد الضرار وهمزة الاستفهام للإنكار والفاء للعطف على مقدر. والتأسيس إحكام أس البناء وهو أصله والبنيان مصدر كالغفران أريد به المفعول أي المبني. والمعنى أبعد ما علم حالهم فمن أسس بنيان مسجده إذ الكلام فيه ويؤيده أسس على التقوى.

وقال الكاشفي: [آيا هر كس كه اساس افكند بناى دين خودرا] ﴿على تقوى من الله﴾ المراد بالتقوى درجتها الثانية التي هي التقوى عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك فيكون غير منصرف كحبلى فلا تنوين فيه إذاً. وقرىء بالتنوين على أن يكون ألفه للإلحاق كألف أرطى. ﴿ورضوان﴾ وطلب مرضاته بالاشتغال بالطاعة. ﴿خير﴾ إطلاق خير على معتقد أصحاب مسجد الضرار من اعتقاد الاشتراك في الخيرية. ﴿أم من أسس بنيانه﴾ والمعنى، أي: الفريقين خير وأحق بالمصاحبة والصلاة معهم من أسس بناء مسجده مريداً به تقوى الله وطاعته وهم أهل مسجد قبا أم من أسس بنيان مسجده على النفاق والكفر وتفريق المؤمنين وإرصاد كافر شأنه كيد المسلمين وتوهين أمر الدين وترك الإضمار للإيذان باختلاف البنيانين ذاتاً واختلافهما وصفا وإضافة. ﴿على شفا جرف هار﴾ شفا الشيء بالقصر طرفه وشفيره وتثنيته شفوان والجرف بالضم والإسكان وهما لغتان الأرض التي جرفت السيوف أصلها أي حفرته وأكلته والهاري المتصدع المشرف على السقوط يقال هار الجرف يهور أو يهير إذا انشق من خلفه وهو ثابت بعد مكانه فهو هائر فهاري مقلوب هاير نقلت لامه إلى مكان العين كما فعل في شاك أصله شايك فصار هاري فاعل كقاضي.

قال أبو البقاء: أصله هاور أو هاير ثم أخرت عين الكلمة فصارت بعد الراء وقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ثم حذفت لسكونها وسكون التنوين فوزنه بعد القلب فالع وبعد الحذف فال وعين الكلمة واو أو ياء يقال تهور البناء وتهير. ﴿فانهار به في نار جهنم﴾ يقال هار البناء هدمه فالانهار والانهيار [ريهيده شدن] كما في «تاج المصادر» وفاعل انهار ضمير البنيان وضمير به للمؤسس الباني أي تساقط بنيانه وتناثر به أي بصاحبه في النار.

قال قتادة: ذكر لنا أنه حفرت بقعة من مسجد الضرار فرؤي الدخان يخرج منها.

وقال جابر بن عبد الله: رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار.

قال الحدادي: كما أن من بنى على جانب نهر صفته ما ذكرنا انهار بناؤه في الماء فكذلك بناء أهل النفاق مسجد الشقاق كبناء على جرف جهنم يهور بأهله فيها. ﴿**والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ أي: لأنفسهم أو الواضعين للأشياء في غير موضعها أي لا يرشدهم إلى ما فيه نجاتهم وصلاحهم إرشاداً موصلاً لا محالة وأما الدلالة على ما يرشدهم إليه إن استرشدوا به فهو متحقق بلا اشتباه. والظلم في الحقيقة وضع عبادة الدنيا ومحبتها والحرص في طلبها في موضع عبادة الله تعالى ومحبته والصدق في طلبه.

﴿**لا يزال بنيانهم الذي بنوا**﴾ البنيان مصدر أريد به المفعول ووصفه بالموصول الذي صلته فعله للإيذان بكيفية بنائهم له وتأسيسه على أوهن قاعدة وأوهى أساس وللإشعار بعلة الحكم أي لا يزال مسجدهم ذلك مبنياً ومهدوماً. ﴿**ريبة في قلوبهم**﴾ أي: سبب ريبة وشك في الدين كأنه نفس الريبة، أما حال بنائه فظاهر لما أن اعتزالهم من المؤمنين وإجماعهم في مجمع على حياله يظهرون فيه ما في قلوبهم من آثار الشرك والنفاق ويدبرون فيه أمورهم ويتشاورون في ذلك ويلقي بعضهم إلى بعض ما سمعوا من أسرار المؤمنين مما يزيدهم ريبة وشكا في الدين، وأما حال هدمه فلما أنه رسخ به ما كان في قلوبهم من الشر والفساد وتتضاعفت آثاره وأحكامه ﴿**إلا أن تقطع**﴾ من التفعل بحذف إحدى التاءين أي إلا أن تقطع ﴿**قلوبهم**﴾ قطعاً وتتفرق أجزاء بحيث لا يبقى لها قابلية إدراك وإضمار قطعاً وهو استثناء من أعم الأوقات أو أعم الأحوال محله النصب على الظرفية، أي: لا يزال بنيانهم ريبة في كل وقت من الأوقات أو كل حال من الأحوال إلا وقت تقطع قلوبهم فحينئذٍ يسلون عنها، وأما ما دامت سالمة فالريبة باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم إلى الموت، ويجوز أن يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم أو في القبور بالبلى أو في النار. ﴿**والله عليم**﴾ [وخداى تعالى داناست بتأسيس بنا وايشان كه بچه نيت بوده]. ﴿**حكيم**﴾ فيما حكم وأمر من هدم مسجدهم وإظهار نفاقهم.

واعلم: أن في الآيتين المذكورتين إشارات: منها أن صفاء الطوية وحسن الاعتقاد، كالأساس في باب الأعمال فكما أن البناء لا يقوم على الماء بل يقوم على الأرض الصلبة كذلك الأعمال لا تقوم إلا على محكم الاعتقاد، وهو الباعث على الإخلاص العمل الذي هو إرادة التقرب إلى الله تعالى وتعظيم أمره وإجابة دعوته وضده النفاق وهو التقرب إلى الخلق من دون الله تعالى. وأما إخلاص طلب الأجر فهو إرادة نفع الآخرة بعمل الخير وضده الرياء وهو إرادة نفع الدنيا بعمل الآخرة سواء أراده من الله أو من الناس لأن الاعتبار في الرياء بالمراد لا بالمراد منه.

فعلى العاقل أن يجعل أساس دينه على الاعتقاد الصحيح والإخلاص والتقوى حتى يكون كشجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

ومنها: أن المنافقين بنوا مسجداً للصلاة صورة فهم إنما بنوا متحدثاً لهم حقيقة ومحلاً لقاذورات أقوالهم وأفعالهم، ولذا كان حرياً بإلقاء الجيف فيه بعد الهدم فتمتعوا قليلاً ثم وقعوا في النار جميعاً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١٤٠] فكما أن من جالسهم في مجالسهم القذرة العذرة شقي شقاوة حقيقية كذلك من جالس الصديقين والعارفين في مجالسهم المطهرة وأنديتهم المقدسة سعد سعادة أبدية وتطهر طهارة أصلية، وقد قال عليه السلام: «إنهم القوم لا يشقى بهم جليسهم»، فالمراد السامع أو الجالس لأن المجالسة

والسماع ينتجان عن المحبة قال عليه السلام: «المرء مع من أحب» وهنا سرّ صوفي يريد ﷺ في الدنيا والآخرة في الدنيا بالطاعة والأدب الشرعي وفي الآخرة بالمعاينة والقرب المشهدي.

ومنها: أنهم أرادوا ببنيانهم مكراً وخديعة وغفلوا عن مكر الله تعالى بهم ولذا افتضحوا.

مكر حق سر چشمهٔ اين مكر هاست قلب بين الأصبعين كبرياست
آنكه سازد دردلت مكرو قياس آتشى داند زدن اندر پلاس

ومنها: أن من كانت شقاوته أصلية أزلية فهو لا يزداد بما ابتلاه الله تعالى به إلا ضلالاً وغيظاً وإنكاراً والعاقل يختار فضوح الدنيا لأنه أهون من فضوح الآخرة.

ازين هلاك مينديش وباش مردانه كه اين هلاك بودموجب خلاص ونجات

ومنها: أن رسول الله ﷺ لم يزل يذب الناس عن النار وعن الوقوع فيها ولذا هدم مسجد الضرار إذ لو تركه على حاله لعاد الضرر على العامة بنزول البلية وهي نار معنى ولافتتن به بعض الناس والفتنة الدينية سبب للنار حقيقة فأهل الفساد والشر لا يقرون على ما هم عليه بل ينكر عليهم أشد الإنكار بهتك أعراضهم وإخراجهم من مساكنهم إن مست الحاجة إلى الإخراج وكذا هدم بيوتهم ومنازلهم.

ذكر في «فتاوى أبي الليث»: رجل بنى رباطاً للمسلمين على أن يكون في يده ما دام حياً فليس لأحد أن يخرجه من يده ما لم يظهر منه أمر يستوجب الإخراج من يده كشرب الخمر فيه وما أشبه ذلك من الفسق الذي ليس فيه رضى الله لأن شروط الوقف يجب اعتبارها ولا يجوز تركها إلا للضرورة.

وقال في «نصاب الاحتساب»: فإذا كان الخانقاه يخرج من يد بانيه لفسقه فكيف يترك في الخانقاه فاسق أو مبتدع. مثل الحديدية الذين يلبسون الحديد لأن الحديد حلية أهل النار سواء اتخذ خاتماً أو حلقة في اليد أو في الأذن أو في العنق أو غير ذلك، ومثل الجوالقية الذين يلبسون الجوالق والكساء الغليظ ويحلقون اللحية وكلاهما منكر. فأما الأول فلأنه لباس شهرة وقد نهي عنه، وأما الثاني فلأنه من فعل الإفرنج وفيه تغيير خلق الله تعالى والتشبه بالنساء. ومثل القلندرية الذين يقصون الشعور حتى الحاجب والأهداب وفيهم يقول الحافظ:

قلندرى نه بريشست وموى يا ابرو حساب راه قلندر بدانكه موى بموست
كذشتن از سرمو درقلندرى سهلست چو حافظ آنكه سر بكذررد قلندراوست

وقس عليهم سائر فرق أهل البدعة وفي الحديث: «لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس وأنظر إلى أقوام يتخلفون عن الجماعة فأحرق بيوتهم» وهذا يدل على جواز إحراق بيت الذي يتخلف عن الجماعة لأن الهم على المعصية لا يجوز من الرسول عليه السلام لأنه معصية فإذا علم جواز إحراق البيت على ترك السنة المؤكدة فما ظنك في إحراق البيت على ترك الواجب والفرض عصمنا الله وإياكم من الأقوال والأفعال المنكرة.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾

﴿إن الله اشترى﴾ روي أن الأنصار لما بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفساً أو أربعة وسبعون من أهل المدينة قال عبد الله بن رواحة يا رسول الله اشترط لربك

ولنفسك ما شئت فقال: «اشترطت لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً واشترطت لنفسي أن تمنعوني ما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم» قال: فإذا فعلنا ذلك فما لنا قال: «الجنة» قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل أي لا نفسخه ولا ننقضه.

آن بيع راكه روز ازل باتوكرده ايم اصلا دران حديث اقاله نميرود

فنزلت: ﴿إن الله اشترى﴾ ﴿من المؤمنين﴾ لا من المنافقين والكافرين فإنهم غير مستعدين لهذه المبايعة.

قال الحسن: اسمعوا إلى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مؤمن والله ما على وجه الأرض مؤمن إلا وقد دخل في هذه البيعة وسميت المعاهدة مبايعة تشبيهاً بالمعاوضة المالية.

قال ابن ملك في «شرح المشارق» المبايعة من جهة الرسول عليه السلام هو الوعد بالثواب ومن جهة الآخر التزام طاعته ﴿أنفسهم﴾ [نفسهاى ايشا نراكه مباشر جهاد شوند] فالمراد بالنفس هو البدن الذي هو المركب والآلة في اكتساب الكمالات للروح المجرد الإنساني ﴿وأموالهم﴾ [وما لهاى ايشانراكه درراه نفقه كنند] فالمال الذي هو وسيلة إلى رعاية مصالح هذا المركب ﴿بأن لهم الجنة﴾ [با آنكه مرايشانرا باشد بهشت] أي باستحقاقهم الجنة في مقابلتها وهو متعلق باشترى ودخلت الباء هنا على المتروك على ما هو الأصل في باء المقابلة والعوض ولم يقل بالجنة مبالغة تقرر وصول الثمن إليهم واختصاصه بهم كأنه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم.

فإن قيل: كيف يشتري أحد ملكه بملكه والعبد وماله لمولاه؟

قيل: إنما ذكر على وجه التحريض في الغزو، يعني [اي بنده ازتو بذل كردن نفس ومال واز من عطا دادن بهشت بى زوال] ففيه تلطف للمؤمنين في الدعاء إلى الطاعة البدنية والمالية وتأكيد للجزاء كما قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] فذكر الصدقة بلفظ القرض للتحريض على ذلك والترغيب فيه إذ القرض يوجب رد المثل لا محالة وكأن الله تعالى عامل عباده معاملة من هو غير مالك، فالاشتراء استعارة عن قبول الله تعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله وإثابته إياهم بمقابلتها الجنة فالله تعالى بمنزلة المشتري والمؤمن بمنزلة البائع وبدنه وأمواله بمنزلة المبيع الذي هو العمدة في العقد والجنة بمنزلة الثمن الذي هو الوسيلة وإنما لم يجعل الأمر على العكس بأن يقال إن الله باع الجنة من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم ليدل على أن المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الأنفس والأموال وسيلة إليها إيذاناً بتعلق كمال العناية بأنفسهم وأموالهم.

وعن جعفر الصادق رضي الله عنه: أنه كان يقول يا ابن آدم اعرف قدر نفسك، فإن الله عرفك قدرك لم يرض أن يكون لك ثمن غير الجنة. وفي «المثنوي»:

خويشتن نشناخت مسكين آدمى از فزونى آمد وشد در كمى

خويشتن را آدمى ارزان فروخت بود اطلس خويش را بردلق دوخت

قال الكاشفي: [نفس سرمايهٔ سر وشورست ومال سبب طغيان وغرور اين دو ناقص معيوب رادرراه خداكن وبهشت باقىٔ مرغوبرا بستان]:

ستك بينداز وكهر مى ستان خاك زمين مى ده وزر مى ستان

در عوض فانىء خوار وحقير نعمت پاكيزهٔ باقى بكير

وفي «التفسير الكبير»: حكي في الخبر أن الشيطان يخاصم ربه بهذه الآية ويحتج بالمسألة الشرعية في البيع إذا اشترى المشتري متاعاً معيوباً يرده إلى البائع. يقول: يا رب أنت اشتريت نفوسهم وأموالهم فنفوسهم وأموالهم كلها معيوبة ردّ لي عبادك بشرعك وعدلك يكونوا معي حيث أكون فيقول الله تعالى أنت جاهل بشرعي وعدلي وفضلي إذا اشترى المشتري متاعاً بكل عيب فيه بفضله وكرمه لا يجوز رده في شرعي في مذهب من المذاهب فيخسأ الشيطان حجلاً طريداً مخذولاً. وفي «المثنوي»:

كالهٔ كه هيج خلقش ننكريد از خلاقت آن كريم آنرا خريد
هيج قلبي پيش حق مردود نيست زانكه قصدش ازخريدن سود نيست

[پس حق سبحانه وتعالى مارا خريده وبعيوب ما دانا اميداست كه ازدركاه كرم رد نكند. ودر نفخات الأنس مذكورست از ابو زجانى نقل ميكندكه]:

تو بعلم ازل مرا ديدى ديدى آنكه بعيب بخريدى
تو بعلم آن ومن بعيب همان رد مكن آنچه خود پسنديدى

﴿يقاتلون في سبيل الله﴾ استئناف لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور كأنه قيل: كيف يبيعون أنفسهم وأموالهم بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله، يعني: [درراه خدا وطلب رضاى او] وهو بذل منهم لأنفسهم وأموالهم إلى جهة الله تعالى وتعريض لهما للهلاك.

وقال الحدادي: فيه بيان الغرض لأجل اشترائهم وهو أن يقاتلوا العدو في طاعة الله انتهى.

أقول: هل الأفعال الإلهية معللة بالأغراض أو لا ففيه اختلاف بين العلماء فأنكره الأشاعرة وأثبته أكثر الفقهاء لأن الفعل الخالي عن الغرض عبث والعبث من الحكيم محال وتمامه في التفاسير، عند قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذرايات: ٥٦] ﴿فيقتلون﴾ [پس كاهى مى كشند دشمانرا] فهم الغزاة فلهم الجنة. ﴿ويقتلون﴾ [وكاهى كشته ميشوند دردست ايشان] فهم الشهداء فله الجنة.

قال في «الإرشاد»: هو بيان لكون القتل في سبيل الله بذلاً للنفس وأن المقاتل في سبيله باذل لها وإن كانت سالمة غانمة فإن الإسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا اشتراط الاتصاف بأحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فإنه يتحقق القتال من الكل سواء وجد الفعلان أو أحدهما منهم أو من بعضهم، بل يتحقق ذلك وإن لم يصدر منهم أحدهما أيضاً كما إذا وجدت المضاربة ولم يوجد القتل من أحد الجانبين أو لم توجد المضاربة أيضاً فإنه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والنفير وتكثير السواد وتقديم حالة القاتلية على حالة المقتولية للإيذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقاً لكون القتال بذلاً للنفس، وقرىء بتقديم المبنى للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة في الباب وإيذاناً بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله بل بكونه أحب إليهم من السلامة واختار الحسن هذه القراءة لأنه إذا قرىء هكذا كان تسليم النفس إلى السراء أقرب وإنما يستحق البائع تسليم الثمن إليه بتسليم المبيع وأنشد الأصمعي لجعفر رضي الله عنه:

أثامن بالنفس النفيسة ربها وليس لها في الخلق كلهمو ثمن
بها تشترى الجنات إن أنا بعتها بشيء سواها إن ذلكمو غبن

إذا ذهبت نفسي بشيء أصيبه فقد ذهب الدنيا وقد ذهب الثمن

وأنشد أبو علي الكوفي:

من يشتري قبة في عدن عالية في ظل طوبى رفيعات مبانيها
دلالها المصطفى والله بائعها ممن أراد وجبريل مناديها

واعلم أن من بذل نفسه وماله في طلب الجنة فله الجنة وهذا هو الجهاد الأصغر ومن بذل قلبه وروحه في طلب الله فله رب الجنة وهذا هو الجهاد الأكبر لأن طريق التصفية وتبديل الأخلاق أصعب من مقاتلة الأعداء الظاهرة فالقتل إما قتل العدو الظاهر وإما قتل العدو الباطن وهو النفس وهواها ﴿وعداً﴾ مصدر مؤكد لما يدل عليه كون الثمن مؤجلاً إذ الجنة يستحيل وجودها في الدنيا فمضمون الجملة السابقة ناصب له.

قال سعدي المفتي: لأن معنى اشترى بأن لهم الجنة وعدهم الله على الجهاد في سبيله ﴿عليه﴾ حال من قوله ﴿حقاً﴾ لأنه لو تأخر عنه لكان صفة له فلما تقدم عليه انتصب حالاً وأصله وعداً حقاً أي ثابتاً مستقراً عليه تعالى.

قال الكاشفي: [حقا ثابت وباقي كه خلاف دران نيست] ﴿في التوراة والإنجيل والقرآن﴾ متعلق بمحذوف وقع صفة لوعداً أي وعداً مثبتاً مذكوراً في التوراة والإنجيل كما هو مثبت مذكور في القرآن. يعني أن الوعد بالجنة للمقاتلين في سبيل الله من هذه الأمة مذكور في كتب الله المنزلة وجوز تعلقه باشترى فيدل على أن أهل التوراة والإنجيل أيضاً مأمورون بالقتال موعودون بالجنة. ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾ من استفهام بمعنى الإنكار وأوفى أفعل تفضيل وقوله من الله صلته أي لا يكون أحد وافياً بالوعد والعهد وفاء الله بعهده ووعده لأنه تعالى قادر على الوفاء وغيره عاجز عنه إلا بتوفيقه إياه كما في «التأويلات النجمية»: ﴿فاستبشروا﴾ الاستبشار إظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد وأوقد والفاء لترتيب الاستبشار على ما قبله، أي: فإذا كان كذلك فسروا نهاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة، وإنما قيل: ﴿ببيعكم﴾ مع أن الابتهاج به باعتبار أدائه إلى الجنة؛ لأن المراد ترغيبهم في الجهاد الذي عبر عنه بالبيع وإنما لم يذكر العقد بعنوان الشراء لأن ذلك من قبل الله لا من قبلهم والترغيب إنما يكون فيما يتم من قبلهم.

قال الحدادي: ببيعكم أنفسكم من الله فإنه لا مشتري أرفع من الله ولا ثمن أعلى من الجنة وقوله تعالى: ﴿الذي بايعتم به﴾ [آنكه مبايعه كرديد بآن] لزيادة تقرير بيعهم وللإشعار بكونه مغايراً لسائر البياعات فإنه بيع للفاني بالباقي ولأن كلا البدلين له سبحانه وتعالى. ﴿وذلك﴾ أي: الجنة التي جعلت ثمناً بمقابلة ما بذلوا من أنفسهم وأموالهم. ﴿هو الفوز العظيم﴾ الذي لا فوز أعظم منه.

قال الحدادي: أي النجاة العظيمة والثواب الوافر لأنه نيل الجنة الباقية بالنفس الفانية ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى البيع الذي أمروا بالاستبشار به ويجعل ذلك كأنه نفس الفوز العظيم أو يجعل فوزاً في نفسه.

واعلم: أن الخلق كلهم ملك الله وعبيده. وأن الله يفعل في ملكه وعبيده ما يريد. لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ولا يقال لم لم يرد ولم لا يكون. ومع هذا فقد اشترى من المؤمنين أنفسهم لنفاستها لديه إحساناً منه.

ثم اعلم: أن الأجل محكوم ومحتوم، وأن الرزق مقسوم ومعلوم، وأن من أخطأ لا يصيب. وأن سهم المنية لكل أحد مصيب، وأن كل نفس ذائقة الموت، وأن ما قدر أزلاً لا يخشى من الفوت، وإن الجنة تحت ظلال السيوف، وأن الري الأعظم في شرب كؤوس الحتوف، وأن من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار، ومن أنفق ديناراً كتب بسبعمائة دينار وفي رواية بسبعمائة ألف دينار، وأن الشهداء حقاً عند الله من الأحياء، وأن أرواحهم في جوف طيور خضر تتبوأ من الجنة حيث تشاء، وأن الشهيد يغفر له جميع ذنوبه وخطاياه، وأنه شفع في سبعين من أهل بيته وأولاده، وأنه آمن يوم القيامة من الفزع الأكبر، وأنه لا يجد كرب الموت ولا هول المحشر، وأنه لا يحس بألم القتل، وأن الطاعم النائم في الجهاد أفضل من الصائم القائم في سواه، ومن حرس في سبيل الله لا تبصر النار عيناه، وأن المرابط يجرى له أجر عمله الصالح إلى يوم قيامه، وأن ألف يوم لا تساوي يوماً من أيامه، وأن رزقه يجري عليه كالشهيد أبداً لا يقطع، وأن رباط يوم خير من الدنيا وما فيها، وأنه يأمن من فتنة القبر وعذابه، وأن الله يكرمه في القيامة بحسن مآبه، إلى غير ذلك وإذا كان الأمر كذلك، فيتعين على كل عاقل التعرض لهذه الرتبة وصرف عمره في طلبها والتشمير للجهاد، عن ساق الاجتهاد. والنفير إلى ذوي العناد، من كل العباد، وتجهيز الجيوش والسرايا، وبذل الصلات والعطايا، وإقراض الأموال لمن يضاعفها ويزكيها، ودفع سلع النفوس من غير مماطلة لمشتريها، وأن ينفر في سبيل الله خفافاً وثقالاً. ويتوجه إلى جهاد أعداء الله ركباناً ورجالاً، حتى يخرجوا إلى الإسلام من أديانهم، أو يعطوا الجزية صغرة بإيمانهم، أو تستلب نفوسهم من أبدانهم، وتجتذب رؤوسهم من تيجانهم. فجموع ذوي الإلحاد مكسرة، وإن كانت بالتعداد مكثرة، وجيوش أولي العناد مدبرة مدمرة، وإن كانت بعقولهم مقدمة مدبرة، وعزمات رحال الضلال مؤنثة مصغرة، وإن كانت ذواتهم مذكرة مكبرة. ألا ترى أن الله تعالى جعل كل مسلم يغلب منهم اثنين. وللذكر من العقل مثل حظ الأنثيين. فوجب علينا أن نطير إليهم ونغير عليهم رجالاً وفرساناً. ونجهد في خلاص أسير ومكروب. واغتنام كل خطير ومحبوب، ونبيد بأيدي الجلاد حماة الشرك وأنصاره، ونصول بالنصول الحداد على دعاة الكفر انهتك استاره. ونتطهر بدماء المشركين والكفار، من أرجاس الذنوب وأنحاس الأوزار، هناك فتحت من الجنة أبوابها. وارتفعت فرشها ووضعت أكوابها. وبرزت الحور العين عربها وأترابها، وقام للجلاد على قدم الاجتهاد خطابها. فضربوا ببيض المشرفية فوق الأعناق. واستعذبوا من المنية مر المذاق. وباعوا الحياة الفانية بالعيش الباق، فوردوا من مورد الشهادة مورداً لم يظمؤوا بعده أبداً، وربحت تجارتهم فكانوا أسعد السعدا، أولئك في صفقة بيعهم هم الرابحون، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون، إليك اللهم نمد أكف الضراعة أن تجعلنا منهم. وأن لا تحيد بنا عند قيام الساعة عنهم، وأن ترزقنا من فضلك شهادة ترضيك عنا. وغفراً للذنب الذي أنقض الظهر وعنى، وقبولاً لنفوسنا إذ عرضناها رحمة منك وتفضلاً ومناً. وحاشى كرمك أن نؤوب بالخيبة مما رجوناه وأملنا، وأنت أرحم الراحمين. وعن الشيخ عبد الواحد بن زيد قدس سره قال بينما نحن ذات يوم في مجلسنا هذا قد تهيأنا للخروج إلى الغزو قد أمرت أصحابي بقراءة آيتين فقرأ رجل في مجلسنا ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾ إذ قام غلام في مقدار خمس عشرة سنة أو نحو ذلك وقد مات أبوه وورثه مالاً كثيراً فقال يا عبد الواحد بن زيد

﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ فقلت: نعم حبيبي، فقال: إني أشهدك أني قد بعت نفسي ومالي بأن لي الجنة فقلت له إن حد السيف أشد من ذلك وأنت صبي، وإني أخاف عليك أن لا تصبر أو تعجز عن ذلك فقال يا عبد الواحد أبايع الله بالجنة ثم أعجز أشهد الله أني قد بايعته، أو كما قال رضي الله عنه قال عبد الواحد فتقاصرت إلينا أنفسنا وقلنا صبي يعقل ونحن لا نعقل فخرج من ماله كله وتصدق به إلا فرسه وسلاحه ونفقته فلما كان يوم الخروج كان أول من طلع علينا فقال السلام عليك يا عبد الواحد، فقلت وعليك السلام ربح البيع إن شاء الله، ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويخدم دوابنا ويحرسنا إذا نمنا حتى إذا انتهينا إلى دار الروم فبينما نحن كذلك إذا به قد أقبل وهو ينادي واشوقاه إلى العيناء المرضية، فقال أصحابي لعله وسوس هذا الغلام واختلط عقله، فقلت حبيبي وما هذه العيناء المرضية، فقال قد غفوت غفوة فرأيت كأنه قد أتاني آت، فقال لي اذهب إلى العيناء المرضية فهجم بي على روضة فيها بحر من ماء غير آسن وإذا على شاطىء النهر جوار عليهن من الحلل ما لا أقدر أن أصفه، فلما رأينني استبشرن بي، وقلن هذا زوج العيناء المرضية فقلت السلام عليكن: أفيكن العيناء المرضية فقلن لا نحن خدمها وإماؤها امض أمامك فمضيت أمامي، فإذا أنا بنهر من لبن لم يتغير طعمه في روضة فيها من كل زينة فيها جوار لما رأيتهن افتتنت بحسنهن وجمالهن فلما رأينني استبشرن، وقلن والله هذا زوج العيناء المرضية، فقلت: السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية فقلن وعليك السلام يا ولي الله نحن خدمها وإماؤها فتقدم أمامك، فتقدمت فإذا أنا بنهر من خمر وعلى شط الوادي جوار أنسينني من خلفت، فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية؟ قلن: لا نحن خدمها وإماؤها امضِ أمامك فمضيت فإذا أنا بنهر آخر من عسل مصفى أمامي، فوصلت إلى خيمة من درة بيضاء وعلى باب الخيمة جارية عليها من الحلي والحلل ما لا أقدر أن أصفه، فلما رأتني استبشرت بي ونادت من الخيمة أيتها العيناء المرضية هذا بعلك قد قدم، قال: فدنوت من الخيمة ودخلت فإذا هي قاعدة على سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت، فلما رأيتها افتتنت بها وهي تقول مرحباً بك يا ولي الله قد دنا لك القدوم علينا، فذهبت لأعانقها، فقالت: مهلاً فإنه لم يأنِ لك أن تعانقني: لأن فيك روح الحياة وأنت تفطر الليلة عندنا إن شاء الله تعالى فانتبهت يا عبد الواحد ولا صبر لي عنها، قال عبد الواحد فما انقطع كلامنا حتى ارتفعت لنا سرية من العدو فحمل الغلام فعددت تسعة من العدو قتلهم وكان هو العاشر فمررت به وهو يتشحط في دمه وهو يضحك ملء فيه حتى فارق الدنيا ولله در القائل:

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها ... يمسي ويصبح مغروراً وغرارا
هلا تركت من الدنيا معانقة ... حتى تعانق في الفردوس أبكارا
إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها ... فينبغي لك أن لا تأمن النارا

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾

﴿التائبون﴾ قال الزجاج: هو مبتدأ خبره مضمر. والمعنى التائبون إلى آخر الآية من أهل الجنة كالمجاهدين فيما قبل هذه الآية فيكون الوعد بالجنة حاصلاً للمجاهدين وغيرهم من

المؤمنين، وإن لم يجاهدوا إذا كانوا غير معاندين ولا قاصدين لترك الجهاد والمراد التائبون عن الشرك والنفاق وكل معصية صغيرة كانت أو كبيرة، وأصل التوبة: الرجوع فإذا وصف بها العبد يراد بها الرجوع من العقوبة إلى المغفرة والرحمة وهي واجبة على الفور ويتقدمها معرفة الذنب المرجوع عنه أنه ذنب وعلامة قبولها أربعة أشياء، أن ينقطع عن الفاسقين، ويتصل بالصالحين بالتردد إلى مجالسهم الشريفة أينما كانوا، وأن يقبل على جميع الطاعات إذ الرجوع إذا صح من القلب ترى الأعضاء تنقاد لما خلقت له كالشجرة إذا صلح أصلها أثمر فرعها وأن يذهب عنه فرح الدنيا إذ المقبل على الله لا يفرح بشيء مما سواه، وكان عليه السلام متواصل الأحزان دائم الفكر. وأن يرى نفسه فارغاً عما ضمن الله له يعني الرزق مشتغلاً بما أمر الله تعالى قال الله تعالى: «يا ابن آدم خلقتك من تراب ثم من نطفة ولم يعيني خلقك من العدم أفيعييني رغيف أسوقه لك في حين وجدوك» فإذا وجدت هذه العلامات وجب على الناس أن يحبوه فإن الله قد أحبه ويدعوا له أن يثبته الله على التوبة ولا يعيروه بذنوبه ويجالسوه ويكرموه وليحذر التائب من نقض العهد والرجوع إلى المعصية [يحيى بن معاذ كفت يك كناه بعد از توبه قبيحترست ازهفتادكناه پيش ازتوبه].

قال القشيري قدس سره: التائبون أصناف فمن راجع يرجع عن زلته إلى طاعته، ومن راجع يرجع عن شهود نفسه إلى شهود لطفه، ومن راجع يرجع عن الإحسان بنفسه وأبناء جنسه إلى الاستغراق بحقائق ربه، ﴿العابدون﴾الذين عبدوا الله تعالى مخلصين له:

عبادت باخلاص نيت نكوست ... وكرنه چه آيد ز بى مغز پوست

والعبادة عبارة عن الإتيان بفعل يشعر بتعظيم الله تعالى [كويند امام أعظم رحمه الله بيست سال بوضوء شب نماز روز كزارد وهركز پهلو برزمين ننهاد وجامه خواب نداشت وسر برهنه نشست وپاى دراز نكرد] وفي الحديث: «إن أبغض الخلق إلى الله الصحيح الفارغ».

وقال القشيري قدس سره ﴿العابدون﴾الخاضعون لله بكل وجه الذين لا يسترقهم كرائم الدنيا ولا يستعبدهم عظائم العقبى فلا يكون العبد عبد الله على الحقيقة إلا بعد تجرده عن كل حادث ﴿الحامدون﴾أي المثنون عليه بآلائه الشاكرون له على نعمائه المادحون له بصفاته وأسمائه وعمم بعضهم الحمد فأوجبه على النعم الدينية والدنيوية وكذا على الشدائد والمصائب في الدنيا في أهل أو نفس أو مال لأنها نعم بالحقيقة بدليل أنها تعرض العبد لمثوبات جزيلة حتى ما يقاسيه الأطفال عند الموت من الكرب الشديد ترجع فائدته إلى الولي الصابر وقد صح أن رسول الله ﷺ قال: «الحمد لله على ما ساء وسرّ» كما في «منهاج العابدين». ومما ينبغي أن يعلم أن التوفيق للتوحيد نعمة عظيمة من الله تعالى فليقل المؤمن دائماً الحمد لله على دين الإسلام وتوفيق الإيمان.

قال مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣] يعني بالشاكرين على التوحيد فإذا عرفت هذا فلا يغرنك قول من قال إن نفس الدين وكذا الإسلام والإيمان ليس بنعمة فكيف يحمد عليه.

وقال القشيري ﴿الحامدون﴾هم الذين لا اعتراض لهم على ما يحصل بقدرته ولا انقباض لهم عما يجب من طاعته ﴿السائحون﴾عن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما ذكر في القرآن من السياحة فهو الصيام وفي الحديث: «سياحة أمتي الصوم» قال الشاعر:

تراه يصلي ليله ونهاره ... يظل كثير الذكر لله سائحا

أي صائماً وشبه الصوم بالسياحة لأنه عائق عن الشهوات كالسائح لا يتوسع في استيفاء ما يميل إليه طبعه لأن الصوم رياضة نفسانية يتوسل بها إلى العثور على خفايا الملك والملكوت كما أن السائح يصل إلى ما لم يعرفه ولم يره.

وقال بعض العرفاء النكتة أن السياح يسيح في الأرض فأي بلد استطاب المقام فيه أقام وإذا لم يستطب خرج منه إلى بلد آخر فكذا الصائم إذا دخل الجنة يقال له ادخل من أي باب شئت وأي غرفة وقصر استطبتها فانزلها فيسيح في قصور الجنة ومنازلها أين ما شاء كالسياح في الأرض.

وقال الحسن: ﴿السائحون﴾ الذين صاموا عن الحلال وأمسكوا عن الحرام وههنا والله أقوام رأيناهم يصومون عن الحلال ولا يمسكون عن الحرام والله ساخط عليهم.

وقال القشيري هم الصائمون عن شهود غير الله المكتفون من الله بالله.

وقال في «التأويلات النجمية»: ﴿السائحون﴾ السائرون إلى الله بترك ما شغلهم عنه.

وقال عطاء المراد الغزاة في سبيل الله يقطعون المنازل والمراحل إلى أن يصلوا إلى ديار الكفرة فيجاهدوهم.

وقال عكرمة: هم طلاب العلم ينتقلون من بلد إلى بلد. ورحل جابر رضي الله عنه من المدينة إلى مصر لحديث واحد ولذا لا يعد أحد كاملاً إلا بعد رحلته ولا يصل إلى مقصوده إلا بعد هجرته وقالوا كل من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الأتباع ويكشف عن قلبه القناع فهو في هذا الشأن سبط لا أب له دعيّ لا نسب له ﴿الراكعون الساجدون﴾ في الصلاة وإنما كنى بالركوع والسجود عن الصلاة لكون جهة العبادة أظهر فيهما بالنسبة إلى باقي أركان الصلاة فإن هيئتي القيام والقعود قد يؤتى بهما على وفق العادة بخلاف الركوع والسجود فإنهما ليسا من الهيئات الطبيعية الموافقة للعادة فلا يؤتى بهما إلا على سبيل العبادة فكان لهما مزيد اختصاص بالصلاة.

وقال القشيري: ﴿الراكعون﴾ الخاضعون لله في جميع الأحوال بخمودهم تحت سلطان التجلي وفي الخبر: «إن الله إذا تجلى لشيء خضع له» و﴿الساجدون﴾ بنفوسهم في الظاهر على بساط العبودية وبقلوبهم في الباطن عند شهود الربوبية.

وقال في «التأويلات النجمية»: ﴿الراكعون﴾ الراجعون عن مقام القيام بوجودهم إلى القيام بموجودهم ﴿الساجدون﴾ الساقطون عن هم على عتبة الوحدة بلادهم.

چون تجلى كرد اوصاف قديم پس بسوزد وصف حادث را كليم

﴿الآمرون بالمعروف﴾ أي: بالإيمان والطاعة ﴿والناهون عن المنكر﴾ أي: عن الشرك والمعاصي.

وقال الحدادي: المعروف هو السنة والمنكر هو البدعة.

قال ابن ملك: عند قوله عليه السلام: «وكل بدعة ضلالة» يعني كل خصلة جديدة أتي بها ولم يفعلها النبي عليه السلام ضلالة لأن الضلالة ترك الطريق المستقيم والذهاب إلى غيره والطريق المستقيم الشريعة خص من هذا الحكم البدعة الحسنة كما قال عمر رضي الله عنه في التراويح نعمت البدعة. قال العلماء البدع خمس واجبة كنظم الدلائل لرد شبه الملاحدة وغيرهم. ومندوبة كتصنيف الكتب وبناء المدارس ونحوها. ومباحة كالبسط في ألوان الأطعمة

وغيرها. ومكروهة. وحرام وهما ظاهران انتهى.

يقول الفقير: البناء إما لدرس العلم الظاهر وإما لتعليم علم الباطن فإذا كان بناء المدارس من البدعة الحسنة فليكن بناء الخانقاه منها أيضاً بل بناء الخانقاه أشرف لشرف معلومه فمن قال إنه ليس في مكة والمدينة خانقاه فما هذه الخوانق في البلاد الرومية وغيرها ونهي عن الخانقاه والتردد إليه لجمعية الذكر وإصلاح الحال بالخلوة والرياضة فإنما قاله من جهله وحماقته ونهي عن ضلالته وشقاوته فهو ليس بآمر بالمعروف ولا ناه عن المنكر بل بالعكس كما لا يخفى ولقد كثر أمثال هذا المنكر الطاعن في هذا الزمان مع أنهم لا حجة لهم ولا برهان والله المستعان.

وقال القشيري: الآمرون والناهون هم الذين يدعون الخلق إلى الله تعالى ويحذرونهم عن غير الله يتواصون بالإقبال على الله وترك الاشتغال بغير الله ثم إنه إنما تخللت الواو الجامعة بين الآمرون والناهون للدلالة على أنهما في حكم خصلة واحدة لا يعتبر أحدهما بدون الآخر وعلى هذا فثامن الأوصاف هو قوله: ﴿**والحافظون**﴾ وواوه واو الثمانية وقيل: الصفة الثامنة هي قوله: ﴿**والناهون**﴾ وواوه واو الثمانية وذلك أن العرب إذا ذكروا أسماء العدد سبيل التعداد يقولون: واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثم يدخلون الواو على الثمانية ويقولون وثمانية تسعة عشرة للإيذان بأن الأعداد قد تمت بالسابع من حيث إن السبعة هو العدد التام وأن الثامن ابتداء تعداد آخر.

قال القرطبي: هي لغة فصيحة لبعض العرب وعليها قوله: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥] وقوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] وقوله: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] لأن أبواب الجنة ثمانية وإليه ذهب الحريري في «درة الغواص» وغيره من العلماء.

وقال النسفي في تفسيره المسمى «بالتيسير» لا أصل لهذا القول عند المحققين فليس في هذا العدد ما يوجب ذلك والاستعمال على الاطراد كذلك قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣] بغير واو وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [القلم: ١٠] الآية بغير واو وفي الثامنة ﴿**والحافظون لحدود الله**﴾ أي: فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع عملاً وحملاً للناس عليه.

وقال القشيري: هم الواقفون حيث وقفهم الله الذين يتحركون إذا حركهم ويسكنون إذا سكنهم ويحفظون مع الله أنفاسهم.

ثم إنه لما كانت التكاليف الشرعية غير منحصرة فيما ذكر بل لها أصناف وأقسام كثيرة لا يمكن تفصيلها وتبيينها إلا في مجلدات.

ذكر الله تعالى سائر أقسام التكاليف على سبيل الإجمال بقوله: ﴿**والحافظون لحدود الله**﴾ والفقهاء ظنوا أن الذي ذكروه في بيان التكاليف واف وليس كذلك لأن الأفعال المكلفين قسمان أفعال الجوارح وأفعال القلوب وكتب الفقه مشتملة على شرح أقسام التكاليف المتعلقة بأعمال الجوارح. وأما التكاليف المتعلقة بأعمال القلوب فليس في كتبهم منها إلا قليل نادر وبعض مباحثها مدون في الكتب الكلامية والبعض الآخر منها فصله الإمام الغزالي وأمثاله في علم الأخلاق ومجموعها مندرج في قوله تعالى: ﴿**والحافظون لحدود الله**﴾ [شيخ أحمد غزالي ببرادرش امام محمد غزالي كفت جملهء علم ترابد وكلمه آورده ام التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله].

قال الحدادي: وهذه الصفة من أتم ما يكون من المبالغة في وصف العباد بطاعة الله والقيام بأوامره والانتهاء عن زواجره لأن الله تعالى بين حدوده في الأمر والنهي وفيما ندب إليه فرغب إليه أو خير فيه وبين ما هو الأولى في مجرى موافقة الله تعالى فإذا قام العبد بفرائض الله تعالى وانتهى إلى ما أراد الله منه كان من الحافظين لحدود الله كما روي عن خلف بن أيوب أنه أمر امرأته أن تمسك عن إرضاع ولده في بعض الليل وقال قد تمت له السنتان فقيل له لو تركتها حتى ترضعه هذه الليلة قال فأين قوله تعالى: ﴿والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾ يعني: هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل. ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على أن إيمانهم دعاهم إلى ذلك وأن المؤمن الكامل كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجل عن إحاطة الأفهام وتعبير الكلام وأعلى ذلك رؤية الله تعالى في دار السلام.

واعلم أن كل عمل له جزاء مخصوص يناسبه كالصوم مثلاً جزاؤه الأكل والشرب كما قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢٤] وقس على هذا باقي الأعمال واجتهد في تحصيل حسن الحال وفقنا الله وإياكم إلى أسباب مرضاته.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾.

﴿**ما كان للنبي والذين آمنوا**﴾ بالله وحده أي ما صح لهم وما استقام في حكم الله تعالى وحكمته ﴿**أن يستغفروا**﴾ أي: يطلبوا المغفرة ﴿**للمشركين**﴾ به سبحانه. ﴿**ولو كانوا**﴾ أي: المشركون ﴿**أولي قربى**﴾ أي: ذوي قرابة لهم ﴿**من بعد ما تبين لهم**﴾ أي: ظهر للنبي عليه السلام والمؤمنين ﴿**أنهم**﴾ أي: المشركين ﴿**أصحاب الجحيم**﴾ أي: أهل النار بأن ماتوا على الكفر أو نزل الوحي بأنهم يموتون على ذلك. روي أنه لما مرض أبو طالب وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين وبعد مضي عشر سنين من بعثته عليه السلام وبلغ قريشاً اشتداد مرضه قال بعضهم لبعض إن حمزة وعمر قد أسلما وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا فإنا والله ما نأمن أن يسلبوا أمرنا وفي رواية إنا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شيء، أي قتل محمد فتعيرنا العرب ويقولون تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه فمشى إليه أشرافهم منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وأمية بن خلف وأبو سفيان فإنه أسلم ليلة الفتح فأرسلوا رجلاً فاستأذن لهم على أبي طالب فقال هؤلاء أشراف قومك يستأذنون عليك قال أدخلهم فدخلوا عليه فقالوا يا أبا طالب أنت سيدنا وكبيرنا وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك فادعه فخذله منا وخذلنا منه ليدعنا وديننا وندعه ودينه فبعث إليه عليه السلام أبو طالب فجاء ولما دخل عليه السلام على أبي طالب وكان بين أبي طالب وبين القوم فرجة تسع الجالس فخشي أبو جهل أن يجلس النبي عليه السلام في تلك الفرجة فيكون أرقى منه وثب لعنه الله فجلس فيها فلم يجد عليه السلام مجلساً قريباً إلى أبي طالب فجلس عند الباب فقال أبو طالب لرسول الله عليه السلام يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك أعطهم ما سألوك فقد أنصفوك سألوا أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك، فقال عليه السلام: «أرأيتكم إن أعطيتكم ما سألتم فهل تعطونني كلمة واحدة تملكون بها العرب ويدين لكم بها العجم»؟ أي يطيع ويخضع فقال أبو جهل نعطيكها وعشراً

معها فما هي قال: «تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه» فصفقوا بأيديهم ثم قالوا سلنا يا محمد غير هذه الكلمة فقال: «لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها» ثم قال بعضهم لبعض: والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون فامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم تفرقوا، وعند ذلك قال عليه السلام: «أي عم فأنت فقلها أشهد لك بها عند الله» فقال: والله يا ابن أخي لولا مخافة العار عليك وعلى بني أبيك من بعدي وأن تظن قريش أني إنما قلتها خوفاً من الموت لقلتها فلما أبى عن كلمة التوحيد قال عليه السلام: «لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه» وذلك لغلبة همته على مغفرته لأنه كان يحفظه عليه السلام وينصره ولما مات نالت قريش من رسول الله من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب حتى أن بعض سفهاء قريش نثر على رأس النبي عليه السلام التراب فدخل بيته والتراب على رأسه فقام إليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكي ورسول الله يقول لها: «لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك» فبقي عليه السلام يستغفر لأبي طالب من ذلك الوقت إلى وقت نزول هذه الآية، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن رسول الله ﷺ سأل عن أبويه أيهما أقرب به عهداً فقيل له أمك آمنة فقال: «هل تعلمون موضع قبرها لعلي آتيه فأستغفر لها فإن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبويه» فقال المسلمون: ونحن أيضاً نستغفر الله لآبائنا وأهلينا فانطلق رسول الله، وذلك في سنة الفتح فانتهى إلى قبر أمه في الأبواء منزل بين مكة والمدينة وذلك أنه عليه السلام ولد بعد أن توفي أبوه عبد الله ودفن بالمدينة لما أنه قد خرج إليها لحاجة فأدركه الموت هناك وكان عليه السلام مع أمه آمنة فلما بلغ ست سنين خرجت آمنة إلى أخوالها بالمدينة تزورهم ثم رجعت به إلى مكة فلما كانت بالأبواء توفيت هناك وقيل دفنت بالحجون ويمكن الجمع بينهما بأنها دفنت أولاً بالأبواء ثم نقلت من ذلك المحل إلى مكة كما في «السيرة الحلبية» فلما جلس عليه السلام عند قبر أمه ناجى طويلاً ثم بكى بكاء شديداً فبكينا لبكائه فقلنا يا رسول الله ما الذي أبكاك قال: «استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي فاستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وأنزل عليّ الآيتين» آية **﴿ما كان للنبي﴾** وآية **﴿وما كان استغفار إبراهيم﴾** قال بعضهم: لا مانع من تكرر سبب النزول فيجوز أن تنزل الآيتان لما استغفر لأمه ولما استغفر لعمه.

يقول الفقير سامحه القدير: فيه بعد لأنه إن سبق النزول لاستغفار أمه فكيف يبقى النبي عليه السلام على استغفار عمه وقد ثبت أن هذه السورة الكريمة من آخر القرآن نزولاً وكذا العكس ومن ادعى الفرق بين الاستغفارين فعليه البيان.

﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه﴾ بقوله **﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ﴾** [الشعراء: ٨٦] أي: بأن توفقه للإيمان وتهديه إليه كما يلوح به تعليله بقوله: **﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾** [الشعراء: ٨٦] **﴿إلا عن موعدة﴾** استثناء مفرغ من أعم العلل أي لم يكن استغفاره لأبيه آزر ناشئاً عن شيء من الأشياء إلا عن موعدة. **﴿وعدها﴾** إبراهيم **﴿إياه﴾** أي: أباه بقوله: **﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾** [الممتحنة: ٤] وقوله: **﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾** [مريم: ٤٧] بناء على رجاء إيمانه لعدم تبين حقيقة أمره. **﴿فلما**

تبين له﴾ أي: لإبراهيم بأن أوحي إليه أنه مصر على الكفر غير مؤمن أبداً وقيل بأن مات على الكفر والأول هو الأنسب بقوله ﴿أنه عدو لله﴾ فإن وصفه بالعداوة مما يأباه حالة الموت. ﴿تبرأ منه﴾ أي: تنزه عن الاستغفار له وتجانب كل التجانب. ﴿إن إبراهيم لأواه﴾ لكثير التأوه وهو أن يقول الرجل عند التضجر والتوجع آه من كذا أو يقول آوه بالمد والتشديد وفتح الواو وسكون الهاء لتطويل الصوت بالشكاية والأواه الخاشع المتضرع، وقيل: إنه كلما ذكر تقصيراً أو ذكر له شيء من شدائد الآخرة كان يتأوه إشفاقاً واستعظاماً كما قال كعب الأواه هو الذي إذا ذكرت عنده النار قال: آه وقيل معناه الموقر بلغة الحبشة إلا أن من قال لا يجوز أن يكون في القرآن شيء غير عربي قال هذا موافق للعربية بلغة الحبشة والملائم أنه كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب لأنه ذكر في معرض التعليل لاستغفاره لأبيه المشرك. والمعنى أنه مترحم متعطف ولفرط رحمته ورأفته كان يتعطف لأبيه الكافر. ﴿حليم﴾ صبور على الأذية ولذلك كان يحلم على أبيه ويتحمل أذاه ويستغفر له مع صعوبة خلقه وغلظ قلبه وقوله: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦] ثم إن رسول الله ﷺ لما استغفر لعمه وهو مشرك كما استغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه المشرك ثم نهي عن الاستغفار للكافر نزلت هذه الآية لبيان عذر من استغفر لأسلافه المشركين قبل المنع عنه، وهو قوله تعالى.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾

﴿وما كان الله ليضل قوماً﴾ أي: ليس من عادته أن يصفهم بالضلال عن طريق الحق ويجري عليهم أحكامه ﴿بعد إذ هداهم﴾ للإسلام ﴿حتى يبين لهم﴾ بالوحي صريحاً أو دلالة. ﴿ما يتقون﴾ أي: يجب اتقاؤه من محظورات الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه وأما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر عنهم ضلالاً ولا يؤاخذون به. وفيه دليل على أن العاقل غير مكلف بما لا يستبد بمعرفته العقل. ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ أي: إنه تعالى عليم بجميع الأشياء التي من جملتها حاجتهم إلى بيان قبح ما لا يستقل العقل معرفته فبين لهم ذلك كما فعل ههنا.

﴿إن الله له ملك السموات والأرض﴾ من غير شريك له فيه. قال جلال الدين الرومي قدس سره:

واحد اندر ملك واورا يار نى ... بندكانش را جز اوسالار نى
نيست خلقش را دكركس مالكى ... شركتش دعوى كند جزهالكى

﴿يحيي ويميت﴾ أي: يحيي الأموات ويميت الأحياء، أي يوجد الحياة والموت في الأرض والأجساد وقلوب الأمم. ﴿وما لكم من دون الله﴾ أي: حال كونكم متجاوزين ولايته ونصرته. ﴿من ولي ولا نصير﴾ لما منعهم من الاستغفار للمشركين وإن كانوا أولي قربى وضمن ذلك التبري منهم رأساً بين لهم أن الله مالك كل موجود ومتولي أمره والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة إلا منه تعالى ليتوجهوا إليه بشراشرهم ويتبرؤوا مما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه.

بقي ههنا أن الجم الغفير من العلماء ذهبوا إلى أن النبي عليه السلام مر على عقبة

الحجون في حجة الوداع فسأل الله أن يحيي أمه فأحياها فآمنت به وردها الله تعالى أي روحها.

قال في «إنسان العيون»: لا يقال على ثبوت هذا الخبر وصحته التي صرح بها غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا إلى من طعن فيه كيف ينفع الإيمان بعد الموت ولا يعترض لأنا نقول هذا من جملة خصوصياته ﷺ.

وفي كلام القرطبي قد أحيا الله تعالى على يده جماعة من الموتى، فإذا ثبت ذلك فما يمنع إيمان أبويه بعد إحيائهما ويكون زيادة في كرامته وفضيلته ولو لم يكن إحياء أبويه نافعاً لإيمانهما وتصديقهما لما أحييا، كما أن رد الشمس لو لم يكن نافعاً في بقاء الوقت لم ترد والله أعلم انتهى.

يقول الفقير: قد أشبعنا الكلام في إيمان أبوي النبي عليه السلام، وكذا إيمان عمه أبي طالب وجده عبد المطلب بعد الإحياء في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩] فارجع إليه. وجاء أن عبد المطلب رفض في آخر عمره عبادة الأصنام ووحد الله وتؤثر عنه سنين جاء القرآن بأكثرها وجاءت السنة بها منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهي عن قتل الموؤودة وتحريم الخمر والزنى وأن لا يطوف بالبيت عريان كذا في كلام سبط ابن الجوزي.

وقال في «أبكار الأفكار في مشكل الأخبار»: إن عبد المطلب قد كان يتعبد في كثير من أحواله بشريعة إبراهيم عليه السلام ويتمسك بسنن إسماعيل عليه السلام ولم ينكر نبوة محمد عليه السلام إذ لم يكن قد بعث في أيامه ولا يقطع بكفر من مات في زمن الفترة فلم يكن حكمه حكم الكفار المشركين الذي شهد النبي عليه السلام بأنهم فحم في جهنم انتهى.

قال في «السيرة الحلبية»: منع الاستغفار لأمه عليه السلام إنما يأتي على القول بأن من بدل دينه أو غيره أو عبد الأصنام من أهل الفترة معذب وهو قول ضعيف مبني على وجوب الإيمان والتوحيد بالعقل. والذي عليه أكثر أهل السنة والجماعة أن لا يجب ذلك إلا بإرسال الرسل ومن المقرر أن العرب لم يرسل إليهم رسول بعد إسماعيل عليه السلام وأن إسماعيل انتهت رسالته بموته كبقية الرسل لأن ثبوت الرسالة بعد الموت من خصائص نبينا ﷺ وأن أهل الفترة من العرب لا تعذيب عليهم وإن غيروا أو بدلوا أو عبدوا الأصنام والأحاديث الواردة بتعذيب من ذكر أو من بدل أو غير أو عبد الأصنام مؤولة أو خرجت مخرج الزجر للحمل على الإسلام. ثم رأيت بعضهم رجح أن التكليف بوجوب الإيمان بالله تعالى وتوحيده أي بعد عبادة الأصنام يكفي فيه وجود رسول دعا إلى ذلك وإن لم يكن الرسول مرسلاً لذلك الشخص بأن لم يدرك زمنه حيث بلغه أنه دعا إلى ذلك أو أمكنه علم ذلك وأن التكليف بغير ذلك من الفروع لا بد فيه من أن يكون ذلك الرسول مرسلاً لذلك الشخص وقد بلغته دعوته وعلى هذا فمن لم يدرك زمن نبينا ﷺ ولا زمن من قبله من الرسل معذب على الإشراك بالله بعبادته الأصنام لأنه على فرض أن لا تبلغه دعوة أحد من الرسل السابقين إلى الإيمان بالله وتوحيده ولكنه كان متمكناً من علم ذلك فهو تعذيب بعد بعث الرسل لا قبله وحينئذٍ لا يشكل ما أخرجه الطبراني في «الأوسط» بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بعث الله نبياً إلى قوم، ثم قبضه إلا جعل بعده فترة يملأ من تلك الفترة جهنم» ولعل المراد المبالغة في الكثرة وإلا فقد أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه عن النبي عليه السلام

أنه قال: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيرتد بعضها إلى بعض وتقول قط قط» أي: حسبي بعزتك وكرمك وأما بالنسبة لغير الإيمان والتوحيد من الفروع فلا تعذيب على تلك الفروع لعدم بعثة رسول إليهم فأهل الفترة وإن كانوا مقرين بالله إلا أنهم أشركوا بعبادة الأصنام، فقد حكى الله عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] ووجه التفرقة بين الإيمان والتوحيد وغير ذلك أن الشرائع بالنسبة للإيمان بالله والتوحيد كالشريعة الواحدة لاتفاق جميع الشرائع عليه هذا وقد جاء أنهم أي أهل الفترة يمتحنون يوم القيامة فقد أخرج البزاز عن ثوبان أن النبي عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل إلينا رسولاً ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت إلينا رسولاً لكنا أطوع عبادك فيقول لهم ربهم أرأيتم إن أمرتكم بأمر أن تطيعوني فيقولون نعم فيأخذ على ذلك مواثيقهم فيرسل إليهم أن ادخلوا النار فينطلقون حتى إذا رأوها فرقوا ورجعوا فقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها فيقول ادخلوها داخرين» فقال النبي عليه السلام: «لو دخلوها أول مرة كانت عليهم برداً وسلاماً» قال الحافظ ابن حجر: فالظن بآله ﷺ، يعني: الذين ماتوا قبل البعثة أنهم يطيعون عند الامتحان إكراماً للنبي عليه السلام لتقر عينه ونرجو أن يدخل عبد المطلب الجنة في جماعة من يدخلها طائعاً إلا أبا طالب فإنه أدرك البعثة ولم يؤمن به بعد أن طلب منه الإيمان انتهى كلامه ولعله لم يذهب إلى مسألة الإحياء ولذا قال ما قال في حق أبي طالب:

نا اميدم مكن از سابقهٔ لطف أزل

توچه داني كه پس پرده كه خوبست وكه زشت

﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

﴿لقد تاب الله على النبي﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو العفو عن إذنه للمنافقين في التخلف عنه وهذا الإذن وإن صدر عنه عليه السلام وحده إلا أنه أسند إلى الكل لأن فعل البعض يسند إلى الكل لوقوعه فيما بينهم كما يقال بنو فلان قتلوا زيداً وهذا الذنب من قبيل الزلة لأن الأنبياء معصومون من الكبائر والصغائر عندنا لأن ركوب الذنوب مما يسقط حشمة من يرتكبها وتعظيمه من قلوب المؤمنين والأنبياء يجب أن يكونوا مهابين موقرين، ولذا عصموا من الأمراض المنفرة كالجذام وغيره فليس معنى الزلة أنهم زلوا عن الحق إلى الباطل ولكن معناها أنهم زلوا عن الأفضل إلى الفاضل وأنهم يعاتبون به لجلال قدرهم ومكانتهم من الله تعالى كما قال أبو سعيد الخراز قدس سره: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وقال السلمي: ذكر توبة النبي عليه السلام لتكون مقدمة لتوبة الأمة وتوبة التابع إنما تقبل التصحيح بالمقدمة.

وقال في «التأويلات النجمية»: التوبة فضل من الله ورحمة مخصوصة به لينعم بذلك على عباده فكل نعمة وفضل يوصله الله إلى عباده يكون عبوره على ولاية النبوة فمنها يفيض على

المهاجرين والأنصار وجميع الأمة، فلهذا قال: ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ يدل عليه قوله عليه السلام: «ما صب الله في صدري شيئاً إلا وصببته في صدر أبي بكر رضي الله عنه» والأنصار جمع نصير كشريف وأشراف أو جمع ناصر كصاحب وأصحاب وهم عبارة عن الصحابة الذين آووا رسول الله ﷺ من أهل المدينة، وهو اسم إسلامي سمى الله تعالى به الأوس والخزرج ولم يكونوا يدعون بالأنصار قبل نصرتهم لسيدنا رسول الله ﷺ ولا قبل نزول القرآن بذلك وحبهم واجب وهو علامة الإيمان، وفي الحديث: «آية المؤمن حب الأنصار، وحب الأنصار آية الإيمان، وآية النفاق بغض الأنصار» كذا في «فتح القريب» والمهاجرون أفضل من الأنصار، كما يدل عليه قوله عليه السلام: «لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار» قال ابن الملك المراد منه إكرام الأنصار فإنه لا رتبة بعد الهجرة أعلى من نصرة الدين انتهى. وباقي الكلام سبق عند قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] الآية فارجع إلى تفسيرها ﴿الذين اتبعوه﴾ أي: النبي ﷺ ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بأمر من أوامره. ﴿في ساعة العسرة﴾ أي: وهو الزمان الذي وقع فيه غزوة تبوك فإنه قد أصابتهم فيها مشقة عظيمة من شدة الحر وقلة المركب حتى كانت العشرة تعتقب على بعير واحد ومن قلة الزاد، حتى قيل إن الرجلين كانا يقتسمان تمرة وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء المتغير ومن قلة الماء حتى شربوا الفظ، وهو ماء الكرش، عن عمر رضي الله عنه خرجنا في قيظ شديد وأصابنا فيه عطش شديد حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه.

قال الكاشفي: [وبرطوبات أجواف وامعاى آن دهن خويش راتر ميساختند] ولذلك سميت غزوة العسرة وسمي من جاهد فيها بجيش العسرة وهذه صفة مدح لأصحاب النبي عليه السلام باتباعهم إياه في وقت الشدة ومع ذلك فقد كانوا محتاجين إلى التوبة فما ظنك بغيرهم ممن لم يقاس ما قاسوه ﴿من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾ أي: يميل قلوب طائفة منهم عن الثبات مع رسول الله ﷺ بأن هموا أن ينصرفوا في غير وقت الانصراف من غير أن يؤذن لهم في ذلك لشدائد أصابتهم في تلك الغزوة لكنهم صبروا واحتسبوا وندموا على ما ظهر على قلوبهم فتاب الله عليهم وفي كاد ضمير الشأن وجملة يزيغ في محل النصب على أنها خبر كاد وخبر كاد إذا كان جملة لا بد أن يكون فيه ضمير يعود على اسمها إلا إذا كان اسمها ضمير الشان فحينئذٍ لا يجب أن يكون فيه ضمير يعود إلى اسمها. ﴿ثم تاب عليهم﴾ أي: تجاوز عن ذنبهم الذي فرط منهم وهو تكرير للتأكيد وتنبيه على أنه يتاب عليهم من أجل ما كابدوا من العسرة. قال الحافظ:

مكن زغصه شكايت كه در طريق طلب براحتى نرسيد آنكه زحمتى نكشيد

﴿إنه﴾ أي: الله تعالى ﴿بهم رؤوف رحيم﴾ استئناف تعليل فإن صفة الرأفة والرحمة من دواعي التوبة والعفو ويجوز كون الأول عبارة عن إزالة الضرر، والثاني عن إيصال المنفعة وأن يكون أحدهما للسوابق والآخر للواحق ومن كمال رحمته إرسال حبيبه وإظهار معجزاته. روي أنهم شكوا للنبي عليه السلام عسرة الماء في غزوة تبوك فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله إن الله تعالى عودك في الدعاء خيراً فادع الله لنا قال: «أتحب ذلك» قال نعم فرفع عليه السلام يديه فلم يرجعهما حتى أرسل الله سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا ما يحتاجون إليه وتلك السحابة لم تتجاوز العسكر. وروي أنهم نزلوا يوماً في غزوة تبوك على

غير ماء بفلاة من الأرض وقد كادت عتاق الخيل والركاب تقع عطشاً فدعا عليه السلام وقال: «أين صاحب الميضاة» قيل: هو ذا يا رسول الله قال: «جئني بميضاتك» فجاء بها وفيها شيء من ماء فوضع أصابعه الشريفة عليها فنبع الماء بين أصابعه العشر وأقبل الناس واستقوا وفاض الماء حتى رووا وارووا خيلهم وركابهم وكان في العسكر من الخيل اثنا عشر ألف فرس ومن الإبل خمسة عشر ألف بعير والناس ثلاثون ألفاً وفي رواية سبعون. قال السلطان سليم الأول: من الخواقين العثمانية:

كوثر نمى زچشمهٔ احسان رحمتش آب حيات قطرهٔ ازچام مصطفاست

روى أنهم لما أصابهم في غزوة تبوك مجاعة قالوا يا رسول الله لو أذنت لنا نحرنا نواضحنا وادّهنا فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله إن فعلت فني الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله أن يجعلها في ذلك فقال عليه السلام: «نعم» فدعا بنطع فبسطه ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل الرجل يأتي بكف من ذرة ويجيء الآخر بكف من تمر ويجيء الآخر بميرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير فدعا عليه السلام بالبركة ثم قال: «خذوا في أوعيتكم» فأخذوا حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك إلا وقاه الله النار». قال الشيخ المغربي قدس سره:

كل توحيد نرويدززميني كه درو خار شرك وحسد وكبر ورياو كين است

والإشارة في الآية: ﴿لقد تاب الله على النبي﴾ أي: نبي الروح بمنزلة النبي يأخذ بإلهام الحق حقائق الدين ويبلغها إلى أمته من القلب والنفس والجوارح والأعضاء. فالمعنى أفاض الله على نبي الروح ومهاجري صفاته الذين هاجروا معه من مكة الروحانية إلى المدينة الجسدانية والأنصار من القلب والنفس وصفاتها وهم ساكنو مدينة الجسد فيوضات الرحمة. ﴿الذين اتبعوا﴾ الروح ساعة رجوعه إلى عالم العلو بالعسرة إذ هم نشؤوا في عالم السفل يعسر عليهم السير إلى عالم العلو من بعد ما كاد يزيغ القلوب فريق من النفس وصفاتها وهواها فإن ميلها طبعاً إلى عالم السفل ثم تاب عليهم بإفاضة الفيض الرباني لتعليهم عن طبعهم أنه بهم رؤوف رحيم ليجعلهم بإكسير الشريعة قابلين للرجوع إلى عالم الحقيقة كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ أي: وتاب الله على الثلاثة الذين أخر أمرهم ولم يقطع في شأنهم بشيء إلى أن نزل فيهم الوحي وهم كعب بن مالك الشاعر ومرادة بن الربيع العنبري وهلال بن أمية الأنصاري يجمعهم حروف كلمة «مكة» وآخر أسماء آبائهم «عكة». ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض﴾ غاية للتخفيف أي: أخر أمرهم إلى أن ضاقت عليهم الأرض. ﴿بما رحبت﴾ أي: برحبها وسعتها لإعراض الناس حتى عن المكالمة معهم ولو بالسلام ورده وكانوا يخافون أن يموتوا فلا يصلي النبي عليه السلام ولا المؤمنون على جنازتهم وهو مثل لشدة الحيرة كأنه لا يستقر به قرار ولا تطمئن له دار ﴿وضاقت عليهم أنفسهم﴾ أي: امتلأت قلوبهم بفرط الوحشة والغم بحيث لم يبق فيها ما يسع شيئاً من الراحة والأنس والسرور عبر عن الراحة والسرور بضمير عليهم حيث قيل: ضاقت عليهم تنبيهاً على أن انتفاء الراحة والسرور بمنزلة انتفاء ذواتهم. ﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ أي: علموا وأيقنوا أن لا ملاذ ولا خلاص من سخطه تعالى إلا إلى استغفاره فظنوا بمعنى علموا لأنه تعالى ذكر هذا الوصف في معرض

المدح والثناء وذا لا يكون إلا مع علمهم بذلك. وقوله أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير شأن مقدر ولا مع ما في حيزها خبر ان ومن الله خبر لا وإن مع ما في حيزها ساد مسد مفعولي ظنوا وإلا استثناء من العام المحذوف أي وعلموا أن الشان لا التجاء من سخط الله إلى أحد إلا إليه.

قال بعض المتقدمين من تظاهرت عليه النعم فليكثر الحمد لله ومن كثرت همومه فليكثر الاستغفار.

واعلم أن من توغل في بحر التوحيد بحيث لا يرى في الوجود إلا الله لم يلتجىء إلا إلى الله فالفرار ليس إلا إليه على كل حال وأما المظاهر أو المحال فليست إلا أسباباً. وفي «المثنوي»:

كرچه سايه عكس شخص است اي پسر   هيچ از سايه نتانى خوردبر
هين زسايه شخص را مى كن طلب   درمسبب روكذر كن از سبب

﴿ثم تاب عليهم﴾ أي: وفقهم للتوبة ﴿ليتوبوا﴾ ليرجعوا عن المعصية.

واعلم أن ههنا أمور ثلاثة: التوفيق للتوبة، وهو ما دل عليه قوله ثم ﴿تاب﴾ ونفس التوبة وهو ما دل عليه قوله: ﴿ليتوبوا﴾ وقبول الله تعالى إياها وهو ما دل عليه قوله: ﴿وعلى الثلاثة﴾ وإنما عطف الأمر الأول على الثالث بكلمة ثم لكونه أصل الجميع مقدماً على الأمر الثالث بمرتبتين فتكون كلمة ثم للتراخي الرتبي ويجوز أن يكون المعنى ثم تاب عليهم أي أنزل قبول توبتهم ليتوبوا أي ليصيروا من جملة التوابين ويعدوا منهم فتكون كلمة ثم على أصل معناها لأن إنزال القبول متفرع على نفس القبول المذكور بقوله وعلى الثلاثة ﴿إن الله هو التواب الرحيم﴾ أي: المبالغ في قبول التوبة لمن تاب وإن عاد في اليوم مائة مرة المتفضل عليهم بفنون الآلاء مع استحقاقهم لأفانين العقاب.

كر لطف تويارى ننمايد زنخست   هم توبه شكسته است وهم پيمان سست
چون توبه باميد پذيرفتن تست   تا تو نپذيرى نشود توبه درست

روي أن ناساً من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله ﷺ منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عليه السلام.

عن الحسن أنه قال بلغني أنه كان لأحدهم حائط كان خيراً من مائة ألف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني إلا ظلك وانتظار ثمارك اذهب فأنت في سبيل الله ولم يكن لآخر إلا أهله فقال: يا أهلاه ما بطأني ولا خلفني إلا الضن بك فلا جرم والله إني لأكابدنّ المفاوز حتى ألحق برسول الله ﷺ فركب ولحق ولم يكن لآخر إلا نفسه لا أهل ولا مال فقال يا نفسي ما خلفني إلا حب الحياة لك والله لأكابدنّ الشدائد حتى ألحق برسول الله ﷺ فتأبط زاده ولحق به عليه السلام.

وعن أبي ذر الغفاري أن بعيره أبطأه فحمل متاعه على ظهره واتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً.

راه نزديك وبما ندم سخت دير   سير كشتم زين سوارى سير سير

فقال ﷺ لما رأى سواده: «كن أبا ذر» فقال الناس هو ذاك فقال عليه السلام: «رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده» ومنهم من بقي ولم يلحق به عليه السلام وهم

الثلاثة وكان كعب شهد بيعة العقبة وهلال ومرارة شهدا بدراً قال كعب لما قفل رسول الله ﷺ جئته وسلمت عليه فرد عليّ كالمغضب بعد ما ذكرني وقال: «يا ليت شعري ما خلف كعباً» فقيل له ما خلفه إلا حسن برديه والنظر في عطفيه قال: «ما أعلم إلا فضلاً وإسلاماً» وقال: «وما خلفك عني ألم تكن قد ابتعت ظهرك» فقلت ما خلفني عنك عذر وإنما تخلفت بمجرد الكسل وقلة الاهتمام فقال عليه السلام: «قم عني حتى يقضي الله فيك» وكذا قال لصاحبيه ونهى عن كلامهم فاجتنبهم الناس ولم يكلمهم أحد من قريب ولا بعيد فأما الرجلان فمكثا في بيوتهما يبكيان وأما كعب فكان يحضر الصلاة مع المسلمين ويطوف في الأسواق فلا يكلمه أحد منهم قال كعب وبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط الشأم ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدلني على كعب بن مالك فطفق أي جعل الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إليّ كتاباً من ملك غسان إليّ وهو الحارث بن أبي شمر وكان الكتاب ملفوفاً في قطعة من الحرير فإذا فيه أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا بضيعة ذل فالحق بنا نواسك فقلت لما قرأته وهذا أيضاً من البلاء فتيممت أي قصدت به التنور فسجرته به أي ألقيته فيه والأنباط قوم يسكنون البطائح بين العراقين قال حتى إذا مضت أربعون ليلة جاءني رسول من رسول الله ﷺ فقال إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت أطلقها أم ماذا قال: لا بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل إلى صاحبي وهما هلال ومرارة بمثل ذلك فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر فجاءت امرأة هلال رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن هلالاً شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه فقال عليه السلام: «لا ولكن لا يقربك» وقالت والله إنه ما به حركة إلى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا فمضى بعد ذلك عشر ليال حتى كملت خمسون ليلة من حين النهي عن الكلام قال كعب فلما كان صلاة الفجر صبح تلك الليلة سمعت صوتاً من ذروة جبل سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر:

أبشروا يا قوم إذ جاء الفرج ... افرحوا يا قوم قد زال الحرج
مى دمد دركوش هر غمكين بشير ... خيز اي مدبر ره اقبال كير
اي درين حبس ودرين كند وشپش ... هين كه تاكس نشود رسنى خمش
چون كنى خامش كنون اي يا رمن ... كزبن هرمو بر آمد طبل زن

فخررت ساجداً وعرفت أن رسول الله ﷺ أعلم بتوبة الله علينا فلما جاءني الرجل الذي سمعت صوته يبشرني وهو حمزة بن عمرو الأوسي نزعت ثوبي فكسوته إياهما ببشراه والله ما أملك غيرهما يومئذٍ.

بعيد نيست كه صد جان بمژده بستانند ... برين بشارت دولت كه عن قريب آمد

واستعرت من ابن عمي أبي قتادة ثوبين فلبستهما. وكان المبشر لهلال بن أمية أسعد بن سعد. ولمرارة بن ربيع سلكان بن سلامة قال كعب أنزل الله توبتنا على نبيه حين بقي الثلث الأخير من الليل ورسول الله ﷺ عند أم سلمة رضي الله عنها وكانت أم سلمة محسنة في شأني معينة في أمري فقال عليه السلام: «يا أم سلمة تيب على كعب» قالت: أفلا أرسل إليه فأبشره: «قال إذاً يحطم الناس فيمنعوكم النوم سائر الليلة» حتى إذا صلى رسول الله ﷺ صلاة الفجر أعلم بتوبة الله علينا قال: فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة

يقولون ليهنئك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس وحوله الناس فقام إليّ طلحة بن عبد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة وذلك لأنه عليه السلام كان آخى بينهما حين قدم المدينة قال فلما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور وكان عليه السلام إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر. قال السلطان سليم الأول من السلاطين العثمانية:

كر آكهى زمعنى والشمس والضحى تعريف ماه روى دلاراى مصطفاست
بنكر بجرخ وكوكبهٔ لشكر نجوم كأنها فروغ كوهر والاى مصطفاست

فلما جلست بين يديه ﷺ قال: «أبشر يا كعب بخير يوم ما مر عليك منذ ولدتك أمك» ثم تلا علينا الآية وهي: ﴿لقد تاب الله﴾ إلى قوله: ﴿وكونوا مع الصادقين﴾ فقلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله قال: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك».

وعن أبي بكر الوراق أنه سئل عن التوبة النصوح فقال أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه.

توبهٔ كردم حقيقت باخدا نشكنم تا جان شدن ازتن جدا

واعلم أن في قصة هؤلاء الثلاثة إشارة إلى أن الهجران بين المسلمين إذا كان فيه صلاح لدين المهجور لا يحرم هجره حتى يزول ذلك وتظهر توبته وكذا إذا كان المهجور مذموم الحال لبدعة أو فسق أو نحوهما فإنه لا يحرم الهجران إلى ظهور التوبة لأنه لحق الله لما كان في جانب الدين فيجوز فوق ثلاثة أيام ولا يجوز الزيادة عن الثلاثة فيما كان بينهم من الأمور الدنيوية وحظوظ النفس وإنما عفي عنه في الثلاثة لأن الآدمي مجبول على الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك فعفي عن الهجر في الثلاثة ليذهب ذلك العارض.

فعلى العاقل أن يسارع إلى تحصيل الأخوة في الله ويجتنب عن التحاسد والتباغض والتدابير.

هيج رحمى نه برادر ببرادر دارد هيج شوقى نه پدررا بپسرمى بينم
دخترا نراهمه جنكست وجدل بامادر پسرانرا همه بدخواه پدر مى بينم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ قولاً وتصديقاً ﴿اتقوا الله﴾ فيما لا يرضاه ﴿وكونوا مع الصادقين﴾ في كل شأن من الشؤون أي قائلين بالحق العالمين به ومع الصادقين في معنى من الصادقين أو في الصادقين لأن مع للمصاحبة وفي للوعاء ومن للتبعيض فإذا كانوا في جهتهم فهم على المعاني الثلاثة أي كونوا في جملة الصادقين ومصاحبين لهم أو لبعضهم.

وفي الآية دليل على فضل الصدق وعلو درجته وحث عليه.

قال بعض أهل المعرفة: من لم يؤد الفرض الدائم لم يقبل منه الفرض الموقت قيل: ما الفرض الدائم قال الصدق.

از كجا افتى بكم وكاستى از همه غم رستى اكر راستى
راستىء خويش نهان كس نكرد برسخن راست زيان كست نكرد

وفي الحديث: «التجار يحشرون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى وبرّ وصدق» الفجار جمع فاجر وهو المنبعث في المغاني والمحارم سماهم فجاراً لما في البيع والشراء من الأيمان الكاذبة والغبن والتدليس والربا الذي لا يتحاشاه أحدهم ولذا قال في تمام الحديث إلا من اتقى أي الكذب وبرّ في يمينه أي صدق وصدق في حديثه. وقيل: إلا من خاف الله فلا يترك أوامره ولا يفعل المناهي وبرّ أي أحسن فلا يؤذي أحداً ولا يوصل ضرراً إلى أحد وصدق في ثمن المتاع فلم ينفق سلعته بالحلف الكاذب مثل أن يقول للمشتري اشتريت هذا بمائة درهم والله ولم يشتره بها بل أقل منها وبالحلف الكاذب يمحق الله البركة من الثمن، وفي الحديث: «إن أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا اشتروا لم يذموا وإذا باعوا لم يمدحوا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا وإذا كان لهم لم يعسروا» فالصدق في كل الأحوال ممدوح وصاحبه محمود في الدنيا والآخرة.

دانى زچه رو سرور و آن سر سبزست پيوسته چرا ببوستان سر سبزست
چون مذهب اوست راستى درهمه وقت بر طرف چمن هميشه زان سر سبزست

ثم المطل العارفين في الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية.

قال أحمد بن الحواري: قلت لأبي سليمان الداراني قدس سرهما إني قد غبطت بني إسرائيل قال بأي شيء قلت بثمانمائة سنة من العمر حتى يصيروا كالشنان البالية وكالحنايا وكالأوتار قال: ما ظننت إلا وقد جئت بشيء والله ما يريد منا أن تيبس جلودنا على عظامنا ولا يريد منا إلا صدق النية فيما عنده هذا إذا صدق في عشرة أيام نال ما ناله ذاك في عمره الطويل انتهى فرب عمر اتسعت آماده وقلت: أمداده كأعمار بني إسرائيل إذا كان الواحد منهم يعيش ألفاً ونحوها ولم يتحصل له شيء مما تحصل لهذه الأمة مع كثرة أعمارها ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده كعمر من فتح عليه من هذه الأمة فوصل إلى عناية الله بلمحه، كما قال الإمام الغزالي قدس سره في «منهاج العابدين»: منهم من يقطع هذه العقبات في سبعين سنة ومنهم من يقطعها في عشرين سنة ومنهم من يقطعها في عشر سنين ومنهم من تحصل له في سنة ومنهم من يقطعها في شهر بل في جمعة بل في ساعة كسحرة موسى حكي أن رابعة البصرية كانت أمة كبيرة يطاف بها في سوق البصرة لا يرغب فيها أحد لكبر سنها فرحمها بعض التجار فاشتراها بنحو مائة درهم فأعتقها فاختارت هذا الطريق فأقبلت على العبادة فما تمت لها سنة حتى زارها علماء البصرة وقراؤها لعظم منزلتها.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وكونوا مع الصادقين﴾ الذين صدقوا يوم الميثاق فيما أجابوا الله عند خطاب ألست بربكم قالوا بلى وصدقوا الله على ما عاهدوه عليه أن لا يعبدوا إلا الله ولا يشركوا به شيئاً من مقاصد الدنيا والآخرة ويتجردوا عن كل حادث حتى عن الجسم. وفي «المثنوي»:

جوهر صدقت خفى شد در دروغ همچو طعم روغن اندر طعم دوغ
آن دروغت اين تن فانى بود راستت آن جان ربانى بود

يقول الفقير أصلحه الله القدير: كتب إليّ حضرة الشيخ قدس سره في بعض مكاتيبه الشريفة وقال عليكم بالصدق مطلقاً نية وعملاً وهو يرجع إلى الإخلاص جداً بأن لا يكون للعبد أصلاً باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى فإن مازجه شوب من حظوظ النفس بطل الصدق ويجوز أن يسمى كاذباً ودرجاته لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الأمور دون بعض فإن كان صادقاً في الجميع فهو الصديق حقاً والصادق والمخلص بالكسر من باب واحد وهو التخلص من شوائب الصفات النفسانية مطلقاً والصديق والمخلص بالفتح من واحد وهو التخلص أيضاً من شوائب الغيرية والثاني أوسع فلكاً وأكثر إحاطة فكل صديق ومخلص بالفتح صادق ومخلص بالكسر من غير عكس ثم ذيل كلاماً طويلاً يتضمن تأويل سورة الانشراح رزقنا الله ذوق كلامه وألحقنا به في مقامه. ثم الصادقون المرشدون إلى طريق الوصول فإذا كان السالك في جملة أحبابهم ومن زمرة الخدام في عتبة بابهم فقد بلغ بمحبتهم وتربيتهم وقوة ولايتهم إلى مراتب في السير إلى الله وترك ما سواه.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: إن لم تجر أفعالك على مراد غيرك لم يصح لك انتقال عن هواك ولو جاهدت نفسك عمرك فإذا وجدت من يحصل في نفسك حرمته فاخدمه وكن ميتاً بين يديه يصرفك كيف يشاء لا تدبير لك في نفسك معه تعش سعيداً مبادراً لامتثال ما يأمرك به وينهاك عنه فإن أمرك بالحرفة فاحترف عن أمره لا عن هواك وإن أمرك بالقعود قعدت عن أمره لا عن هواك فهو أعرف بمصالحك منك فاسع يا بنيّ في طلب شيخ يرشدك ويعصم خواطرك حتى تكمل ذاتك بالوجود الإلهي وحينئذٍ تدبر نفسك بالوجود الكشفي الاعتصامي كذا في «مواضع النجوم». وفي «المثنوي»:

چون كزيدى پير نازك دل مباش سست ورزيده چو آب وكل مباش
چون كرفتى پيرهن تسليم شو همچو موسى زير حكم خضررو
شيخ راكه پيشوا ورهبرست كرمريدى امتحان كرد او خرست

نسأل الله تعالى أن يحفظنا من زيغ الاعتقاد ويثبتنا في طريق أهل الرشاد.

﴿ما كان لأهل المدينة﴾ أي: ما صح وما استقام لهم والمدينة علم بالغلبة لدار الهجرة كالنجم للثريا إذا أطلقت فهي المرادة وإن أريد غيرها قيد والنسبة إليها مدني ولغيرها من المدن مديني للفرق بينهما كما في «إنسان العيون».

قال الإمام النووي: لا يعرف في البلاد أكثر أسماء منها ومن مكة.

وفي كلام بعضهم: لها نحو مائة اسم منها دار الأخبار ودار الأبرار ودار السنة ودار السلامة ودار الفتح والبارة وطابة وطيبة لطيب العيش بها ولأن لعطر الطيب بها رائحة لا توجد في غيرها وترابها شفاء من الجذام ومن البرص بل ومن كل داء وعجوتها شفاء من السم وقد خص الله تعالى مكة والمدينة بأنهما لا يخلوان من أهل العلم والفضل والدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وهي أي المدينة تخرب قبل يوم القيامة بأربعين عاماً ويموت أهلها من الجوع. ﴿ومن حولهم من الأعراب﴾ [باديه نشينان] كمزينة وجهينة وأشجع وغفار وأضرابهم.

قال الكاشفي: [وتخصيص أهالي مدينة وحوالى بجهت قرب بوده ومعرفت ايشان بخروج آن حضرت عليه السلام بطرف تبوك]. ﴿أن يتخلفوا عن رسول الله﴾ عند توجهه إلى الغزو وإذا استنفرهم واستنهضهم كما في «حواشي ابن الشيخ» وهذا نهي ورد بلفظ النفي للتأكيد ﴿ولا﴾ أن ﴿يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ الباء للتعدية فقولك رغبت عنه معناه أعرضت عنه فعدي بالباء فإذا قلت رغبت بنفسي عنه كأنك قلت جعلت نفسي راغبة عنه. فالمعنى اللغوي في الآية ولا يجعلوا أنفسهم راغبة ومعرضة عن نفسه عليه السلام وحاصل المعنى لا يصرفوا أنفسهم عن نفسه الكريمة أي عما ألقى فيه نفسه من شدائد الغزو وأهوالها ولا يصونها عما لا يصون عنه نفسه بل يكابدوا معه ما يكابده فإنه لا ينبغي أن يختاروا لأنفسهم الخفض والدعة ورغد العيش ورسول الله في الحر والمشقة.

قال الحدادي: لا ينبغي أن يكونوا بأنفسهم آثر وأشفق عن نفس محمد ﷺ بل عليهم أن يجعلوا أنفسهم وقاية للنبي عليه السلام لما وجب له من الحقوق عليهم بدعائه لهم إلى الإيمان حتى اهتدوا به ونجوا من النار. ﴿ذلك﴾ أي: وجوب المتابعة فإن النهي عن التخلف أمر بضده الذي هو الأمر بالمتابعة والمشايعة. ﴿بأنهم﴾ أي: بسبب أنهم إذا كانوا معه عليه السلام ﴿لا يصيبهم ظمأ﴾ أي: عطش يسير ﴿ولا نصب﴾ ولا تعب ما في أبدانهم ﴿ولا مخمصة﴾ أي: مجاعة ما ﴿في سبيل الله﴾ وإعلاء كلمته ﴿ولا يطؤون﴾ ولا يدوسون بأرجلهم وحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم ﴿موطئاً﴾ دوساً فهو مصدر كالموعد أو مكاناً على أن يكون مفعولاً ﴿يغيظ الكفار﴾ [بخشم آرد كافرانرا] أي لا يبلغون موضعاً من أراضي الكفار من سهل أو جبل يغيظ قلوبهم مجاوزة ذلك الموضع فإن الإنسان يغيظه أن يطأ أرضه غيره والغيظ انقباض الطبع برؤية ما يسوؤه والغضب قوة طلب الانتقام. ﴿ولا ينالون﴾ [ونيابند] فإن النيل بالفارسية [يافتن] ﴿من عدو﴾ من قبلهم ﴿نيلا﴾ بمعنى الميل على أن يكون مفعولاً به، أي أي آفة محنة كالقتل والأسر والهزيمة والخوف ﴿إلا كتب لهم به﴾ أي: بكل واحد من الأمور المعدودة. قوله إلا كتب في محل النصب على أنه حال من ظمأ وما عطف عليه أي لا يصيبهم ظمأ ولا كذا ولا كذا في حال من الأحوال إلا في حال كونه مكتوباً لهم بذلك. ﴿عمل صالح﴾ وحسنة مقبولة، أي: استوجبوا به الثواب الجزيل.

وقال الكاشفي: يعني [بهريك ازينها كه بديها رسد مستحق ثواب شوند ابن عباس كويد بهر ترسى كه از دشمن بدل ايشان رسد هفتاد درجه مى نويسند] هذا ما يدل عليه عامة التفاسير.

وقال ابن الشيخ في «حواشيه»: يقال نال منه إذا أزراه ونقصه وصرح بنيل شيء مما يتأذى الكفار من نيله وهذا المعنى غير المعنى الأول كما لا يخفى ﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ على إحسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على أن الجهاد إحسان أما في حق الكفار فلأنه سعي في تكميلهم بأقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون.

سفيها نرا بود تأديب نافع جنونرا شربت چوبست دافع

وأما في حق المؤمنين فلأنه صيانة لهم من سطوة الكفار واستيلائهم.

﴿ولا ينفقون﴾ في الجهاد ﴿نفقة صغيرة﴾ [نفقهء اندك] ولو تمرة أو علافة سوط أو نعل فرس ﴿ولا كبيرة﴾ [ونه نفقهء بزرك] مثل ما أنفق عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله

عنهما في جيش العسرة وقد سبق عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾ [التوبة: ٧٩] الآية في هذه السورة ﴿ولا يقطعون﴾ أي: لا يجتازون في مسيرهم إلى أرض الكفار مقبلين ومدبرين ﴿وادياً﴾ من الأودية وهو في الأصل كل منفرج من الجبال والآكام ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى يدي إذا سال ثم شاع في الأرض على الإطلاق. ﴿إلا كتب لهم﴾ أي: أثبت لهم في صحائفهم ذلك الذي فعلوه من الإنفاق والقطع ﴿ليجزيهم الله﴾ بذلك متعلق بكتب. ﴿أحسن ما كانوا يعملون﴾مفعول ثانٍ ليجزيهم وما مصدرية أي ليجزيهم جزاء أحسن أعمالهم بحذف المضاف فإن نفس العمل لا يكون جزاء [درينا بيع فرموده كه اكر مثلا غازى را هزار طاعت باشدويكى ازهمه نيكوتر بود حق سبحانه وتعالى آنرا ثوابى عظيم دهد ونهصد ونودونه ديكررا بطفيل آن قبول كند وهريك را برابر آن ثوابى ارزانى دارد تاكرم او بنسبت مجاهدان برهمه كس ظاهر كردد] ففي الجهاد فضائل لا توجد في غيره وهو حرفة النبي عليه السلام.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال مرّ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعب فيه عيينة من ماء عذب فأعجبته فقال لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب ولن أفعل حتى استأذن رسول الله ﷺ فذكر ذلك لرسول الله فقال: «لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته سبعين عاماً ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا في سبيل الله من قاتل في سبيل الله فواق ناقةٍ وجبت له الجنة» قوله فواق ناقة وهو ما بين رفع يدك عن ضرعها وقت الحلبة ووضعها وقيل هو ما بين الحلبتين. وفي الحديث دلالة على أن الجهاد والتصدي له أفضل من العزلة للعبادة.

وقال في «فتح القريب»: يا هذا ليت شعريَ مَن يقوم مقام هذا الصحابي في عزلته وعبادته وطيب مطعمه ومع هذا قال النبي عليه السلام: «لا تفعل» وأرشده إلى الجهاد فكيف لواحد منا أن يتركه مع أعمال لا يوثق بها مع قلتها وخطايا لا ينجى معها لكثرتها وجوارح لا تزال مطلقة فيما منعت منه ونفوس جامحة إلا عما نهيت عنه ونيات لا يتحقق إخلاصها وتبعات لا يرجى بغير العناية خلاصها. قال الحافظ:

كارى كنيم ورنه حجالت بر آورد   روزيكه رخت جان بجهان دكر كشيم

واعلم أن المتخلف بعذر إذا كانت نيته خالصة يشارك المجاهد في الأجر والثواب كما روي أنه عليه السلام لما رجع من غزوة تبوك قال: «إن أقواماً خلفناهم بالمدينة ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا حبسهم العذر» يعني يشاركوننا في استحقاق الثواب لكونهم معنا نية وإنما تخلفوا عنا للعذر ولولاه لكانوا معنا ذواتاً.

قال ابن الملك: ولا يظن منه التساوي في الثواب لأن الله قال: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٩٥] انتهى.

يقول الفقير أصلحه الله القدير هذه الآية مطلقة ساكتة عن بيان العذر وعدمه وقد قيدها الحديث المذكور ولا بعد في أن يشترك المجاهد والمتخلف لعذر في الثواب بل تأثير الهمة أشد ورب نية خير من عمل ولهذا شواهد لا تخفى على أولي الألباب.

والإشارة ﴿ما كان لأهل المدينة﴾ مدينة القلب وأهلها النفس والهوى ﴿ومن حولهم من الأعراب﴾ أعراب الصفات النفسانية والقلبية ﴿أن يتخلفوا عن رسول الله﴾ عن رسول الروح إذ

هو راجع إلى الله وسائر إليه ﴿ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ أي: عن بذل وجودهم عند بذل وجوده بالفناء في الله ﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ﴾ من ماء الشهوات ﴿ولا نصب﴾ من أنواع المجاهدات ﴿ولا مخمصة﴾ بتر اللذات وحطام الدنيا ﴿في سبيل الله﴾ في طلب الله ﴿ولا يطؤون موطئاً﴾ مقاماً من مقامات الفناء. ﴿يغيظ الكفار﴾ كفار النفس والهوى ﴿ولا ينالون من عدو﴾ عدو الشيطان والدنيا والنفس. ﴿نيلاً﴾ أي: بلاء ومحنة وفقراً وفاقة وجهداً وهماً وحزناً وغير ذلك من أسباب الفناء. ﴿إلا كتب لهم به عمل صالح﴾ من البقاء بالله بقدر الفناء في الله ﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ الفانين في الله فيبقيهم بالله ليعبدوه على المشاهدة لأن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه. ﴿ولا ينفقون نفقة﴾ من بذل الوجود ﴿صغيرة ولا كبيرة﴾ الصغيرة بذل وجود الصفات والكبيرة بذل وجود الذات في صفات الله تعالى وذاته ﴿ولا يقطعون وادياً﴾ من أودية الدنيا والآخرة والنفس والهوى والقلب والروح. ﴿إلا كتب لهم﴾ بقطع كل واحد من هذه الأودية قربة ومنزلة ودرجة كما قال: «من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً» ﴿ليجزيهم الله﴾ بالبقاء والفناء عن أنفسهم ﴿أحسن ما كانوا يعملون﴾ أي: أحسن مقام كانوا يعملون العبودية في طلبه لأن طلبهم على قدر معرفتهم ومطمح نظرهم وجزاؤه يضيق عنه نطاق عقولهم وفهومهم كما قال: «أعددت لعبادي الصالحين» الحديث كما في «التأويلات النجمية».

﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ اللام لتأكيد النفي أي ما صح وما استقام لهم أن ينفروا أي يخرجوا جميعاً لنحو غزو أو طلب علم كما لا يستقيم لهم أن يتثبطوا جميعاً فإن ذلك مخل بأمر المعاش ﴿فلولا نفر﴾ [پس چرا بيرون نرود] فلولا تحضيضية مثل هلا وحرف التحضيض إذا دخل على الماضي يفيد التوبيخ على ترك الفعل والتوبيخ إنما يكون على ترك الواجب فعلم منه أن الفعل واجب وأن قوله فلولا نفر معناه الأمر بالنفير وإيجابه ﴿من كل فرقة منهم طائفة﴾ أي: من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة جماعة قليلة.

ودلت الآية على الفرق بين الفرقة والطائفة بأن الفرقة أكثر من الطائفة لأن القياس أن ينتزع القليل من الكثير والطائفة تتناول الواحد فما فوقه. ﴿ليتفقهوا في الدين﴾ ليتكلفوا الفقاهة في الدين ويتجشموا مشاق تحصيلها والفقه معرفة أحكام الدين. ﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة إرشاد القوم وإنذارهم وذكر الإنذار دون التبشير لأنه أهم والتخلية بالمعجمة أقدم من التحلية بالمهملة. ﴿لعلهم يحذرون﴾ إرادة أن يحذر قومهم عما ينذرون منه.

وفي الآية دليل على أن التفقه والتذكير من فروض الكفاية وأنه ينبغي أن يكون غرض المتعلم الاستقامة والإقامة لا الترفع على الناس بالتصدر والترؤس والتبسط في البلاد بالملابس والمراكب والعبيد والإماء كما هو ديدن أبناء الزمان والله المستعان. فينبغي أن يطلب المتعلم رضى الله والدار الآخرة وإزالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال وإحياء الدين وإبقاء الإسلام فإن بقاء الإسلام بالعلم ولا يصح الزهد والتقوى بالجهل.

علم آمد دليل آكاهى جهل برهان نقص وكمراهى
پيش ارباب دانش وعرفان كى بود اين تمام وآن نقصان

وينبغي لطالب العلم أن ينوي به الشكر على نعمة العقل وصحة البدن وسلامة الحواس عملاً بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ [النحل: ٧٨] وينبغي لطالب العلم أن يختار الأستاذ الأعلم والأورع والأسن بعد التأمل التام كما اختار أبو حنيفة رضي الله عنه حماداً قال دخلت البصرة فظننت أن لا أسأل عن شيء إلا أجبت عنه فسألوني عن أشياء لم يكن عندي جوابها فحلفت على نفسي أن لا أفارق حماداً فصحبته عشرين سنة وما صليت قط إلا ودعوت لشيخي حماد مع والدي ففي أنفاس الأساتذة الصالحين ودعوات الرجال الكاملين تأثيرات عجيبة. كما حكي أن أبا أبي حنيفة ثابتاً أهدى الفالوذج لعلي بن أبي طالب يوم النيروز ويوم المهرجان فدعا له ولأولاده بالبركة وكان ثابت يقول أنا في بركة دعوة صدرت من علي رضي الله عنه حتى كان يفتخر أولاده العلماء بذلك فإذا وجد الطالب الأستاذ العالم العامل فعليه أن يختار من كل علم أحسنه وأنفعه في الآخرة فيبدأ بفرض العين وهو علم ما يجب من اعتقاد وفعل وترك ظاهراً وباطناً ويقال له علم الحال أي العلم المحتاج إليه في الحال.

قال العز بن عبد السلام: العلم الذي هو فرض لازم ثلاثة أنواع: الأول: علم التوحيد فالذي يتعين عليك منه مقدار ما تعرف به أصول الدين فيجب عليك أولاً أن تعرف المعبود ثم تعبده وكيف تعبد من لا تعرفه بأسمائه وصفات ذاته وما يجب له وما يستحيل في نعته فربما تعتقد شيئاً في صفاته يخالف الحق فتكون عبادتك هباء منثوراً. والنوع الثاني: علم السر وهو ما يتعلق بالقلب ومساعيه فيفترض على المؤمن علم أحوال القلب من التوكل والإنابة والخشية والرضى فإنه واقع في جميع الأحوال واجتناب الحرص والغضب والكبر والحسد والعجب والرياء وغير ذلك وهو المراد بقوله عليه السلام: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»؛ إذ لو أريد بالعلم فيه التوحيد فهو حاصل ولو أريد به الصلاة فيجوز أن يتأهلها شخص وقت الضحى ويموت قبل الظهر فلا يستقيم العموم المستفاد من لفظ كل وأما غيرهما فلا يظهر فلم يبق إلا المعاملة القلبية إذ فرضية علمها متحققة في كل زمان ومكان في كل شخص. والنوع الثالث: علم الشريعة وهو ما يجب عليك فعله من الواجبات الشرعية فيجب عليك علمه لتؤديه على جهة الشرع كما أمرت به وكذا علم كل ما يلزمك تركه من المناهي الشرعية لتتركه وذلك شامل للعبادات والمعاملات فكل من اشتغل بالبيع والشراء وأيضاً بالحرفة فيجب عليه علم التحرز عن الحرام في معاملاته وفيما يكسبه في حرفته وأما حفظ ما يقع في بعض الأحايين ففرض على سبيل الكفاية. والعلوم الشرعية خمسة: الكلام والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه.

قال في «عين المعاني» المراد بقوله: ﴿ليتفقهوا في الدين﴾ علم الآخرة لاختصاصه بالإنذار والحذر به وعلم الآخرة يشمل علم المعاملة وعلم المكاشفة أما علم المعاملة فهو العلم المقرب إليه تعالى والمبعد عنه ويدخل فيه أعمال الجوارح وأعمال القلوب وأما علم المكاشفة فهو المراد فيما ورد «فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي» إذ غيره تبع للعمل لثبوته شرطاً له فإذا فرغ علماً وعملاً ساغ أن يشرع في فروض الكفاية كالتفسير والأخبار والفتاوى غير متجاوز إلى نوادر المسائل ولا مستغرق مشتغل عن المقصود وهو العمل ويجوز أن يتعلم من علم النجوم قدر ما يعرف به القبلة وأوقات الصلاة ويتعلم من علم الطب قدر ما يمكن بمعرفته تداوي الأمراض.

قال في «الأشباه»: تعلم العلم يكون فرض عين وهو بقدر ما يحتاج إليه لدينه وفرض كفاية وهو ما زاد عليه لنفع غيره ومندوباً وهو التبحر في الفقه وعلم القلب وحراماً وهو علم الفلسفة والشعبذة والتنجيم والرمل وعلوم الطبائعيين والسحر ودخل في الفلسفة المنطق ومن هذا القسم علم الحروف والموسيقا ومكروهاً وهو أشعار المولدين من الغزل والبطالة ومباحاً كأشعارهم التي لا سخف فيها.

قال علي الخناوي: لم أرَ في كتب أصحابنا القول بتحريم المنطق ولا يبعد أن يكون وجهه أن يضيع العمر وأيضاً أن من اشتغل به يميل إلى الفلسفة غالباً فكان المنع منه من قبيل سد الذرائع وإلا فليس في المنطق ما ينافي الشرع انتهى.

قال القهستاني: ذكر في «المهمات» للأسنوي لايستنجى بما كتب عليه علم محترم كالنحو واحترز بالمحترم عن غيره من الحكميات مثل المنطق انتهى.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في مواقع النجوم ولا يكثر مما لا يحتاج إليه فإن التكثير مما لا حاجة فيه سبب في تضييع الوقت على ما هو أهم وذلك أن من لم يعول على أن يلقي نفسه في درجة الفتيا في الدنيا لأن في البلد من ينوب عنه في ذلك لا يتعين عليه طلب الأحكام كلها إذ هو في حق الغير طلب فضول العلم انتهى.

فعلى العاقل أن يتعلم قدر الحاجة ويشتغل بالعمل وفي الحديث: «من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلمين فوالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف إلى باب العالم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة وبنى له بكل قدم مدينة في الجنة ويمشي على الأرض والأرض تستغفر له ويمشي ويصبح مغفوراً له وشهدت له الملائكة بأنه من عتقاء الله من النار» وفي نشر العلم والإرشاد به فضائل أيضاً قال عليه السلام لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن «لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك مما تطلع عليه الشمس» والعلماء ورثة الأنبياء فكما أنهم اشتغلوا بالإبلاغ والإرشاد كذلك ورثتهم فكل مرشد من الورثة ينبغي أن يكون غرضه إقامة جاه رسول الله ﷺ وتعظيمه بتكثير أتباعه وقد قال: «إني مكاثر بكم الأمم» قال في «العوارف الصوفية» أخذوا حظاً من علم الدراسة فأفادهم علم الدراسة العمل بالعلم فلما عملوا بما علموا أفادهم العمل علم الوراثة فهم مع سائر العلماء في علومهم وتميزوا عنهم بعلوم زائدة هي علوم الوراثة وعلم الوراثة هو الفقه في الدين، قال الله تعالى: ﴿فلولا نفر﴾ الآية فصار الإنذار مستفاداً من الفقه والإنذار إحياء المنذر بماء العلم والإحياء رتبة الفقيه في الدين فصار الفقه في الدين من أكمل الرتب وأعلاها وهو علم العالم الزاهد في الدنيا المتقي الذي يبلغ رتبة

الإنذار بعلمه فمورد الهدى والعلم رسول الله ﷺ أولاً ورد عليه الهدى والعلم من الله تعالى فارتوى بذلك ظاهراً وباطناً وانتقل من قلبه إلى القلوب ومن نفسه إلى النفوس ولا يدرك المرء هذا العلم بالتمني بل بالجد والطلب ألا ترى إلى الجنيد قيل له بم نلت ما نلت فقال بجلوسي تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة وأشار إلى درجة في داره:

هر كنج سعادت كه خداداد بحافظ ازيمن دعاى شب وورد سحرى بود

وفي الآية تحريض للمؤمنين على الخروج من الأوطان لطلب العلم النافع ورحل جابر من المدينة إلى مصر لحديث واحد ولذا لم يعد أحد كاملاً إلا بعد رحلته ولا وصل مقصده إلا بعد هجرته وقيل:

سافر تجد عوضاً عمن تفارقه وانصب فإن اكتساب المجد في النصب
فالأسد لولا فراق الخيس ما فرست والسهم لولا فراق القوس لم يصب

قال سعدي قدس سره:

جفا نبرده چه دانى توقدر يار تحصيل كام دل بتكاپوى خوشترست

قال في «التأويلات النجمية»: الإشارة في الآية إن الله تعالى يندب خواص عباده إلى رحلة الصورة والمعنى فأما رحلة الصورة ففي طلب أهل الكمال الكاملين المتكملين الواصلين الموصلين كما ندب موسى الرحلة في طلب الخضر عليهما السلام وأما رحلة المعنى فكما كان حال إبراهيم عليه السلام قال: إني ذاهب إلى ربي فهو السير من القالب وصفاته إلى القلب وصفاته ومن القلب إلى الروح وصفاته ومن الروح إلى التخلق بأخلاق الله بقدم فناء أوصافه وهو السير إلى الله ومن أخلاق الله إلى ذات الله بقدم فناء ذاته بتجلي صفات الله وهو السير بالله ومن أنانيته إلى هويته ومن هويته إلى ألوهيته إلى أبد الآباد وهو السير بالله من الله إلى الله تعالى وتقدس انتهى باختصار.

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أقروا بالله وبوحدانيته وصدقوا بحضرة صاحب الرسالة وحقانيته ﴿قاتلوا الذين﴾ [كارزار كنيد آنانكه] ﴿يلونكم﴾ الولي القرب والدنو ﴿من الكفار﴾ أي: قاتلوا من نحوكم وبقربكم من العدو وجاهدوا الأقرب فالأقرب ولا تدعوا الأقرب وتقصدوا الأبعد فيقصد الأقرب بلادكم وأهاليكم وأولادكم وفيه أنهم إذا آمنوا الأقرب كان لهم محاربة الأبعد.

واعلم أن القتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الأقرب فالأقرب أوجب ولذا حارب عليه السلام قومه أولاً ثم انتقل إلى غزو سائر العرب ثم انتقل عنهم إلى غزو الشام وكذا الصحابة رضي الله عنهم لما فرغوا من أمر الشام دخلوا العراق وهكذا المفروض على أهل كل ناحية أن يقاتلوا من وليهم ما لم يضربهم أهل ناحية أخرى وقد وقع أمر الدعوة أيضاً على هذا الترتيب فإنه عليه السلام أمر أولاً بإنذار عشيرته فإن الأقرب أحق بالشفقة والاستصلاح لتأكد حقه.

واختلفوا في أفضل الأعمال بعد الفرائض. فقال الشافعي رضي الله عنه الصلاة أفضل أعمال البدن وتطوعها أفضل التطوع. وقال أحمد: لا أعلم شيئاً بعد الفرائض أفضل من الجهاد لأنه كان حرفة النبي عليه السلام. وقال أبو حنيفة ومالك لا شيء بعد فروض الأعيان من أعمال البر أفضل من العلم لأن الأعمال تبتنى عليه ثم الجهاد وبلغ من علم أبي حنيفة رحمه الله إلى أن سمع في المنام أنا عند علم أبي حنيفة بعد ما قيل: أين أطلبك يا رسول الله، وفي

الحديث: «أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد» أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل والجهاد سبب البقاء إذ لو تركه الناس لغلبهم العدو وقتلهم وفيه الحياة الدائمة في الآخرة لأنه سبب الشهادة التي تورث تلك الحياة والشهداء أحياء غير أموات. وفي «المثنوي»:

پس زيادتها درون نقصهاست مر شهيد انرا حيات اندر فناست

﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ أي: شدة وصبراً على القتال.

قال في «القاموس»: الغلظة مثلثة ضد الرقة وهذا الكلام من باب لا أرينك ههنا فإنه وإن كان على صورة أن ينهى المتكلم نفسه عن رؤية المخاطب ههنا إلا أن المراد نهي المخاطب عن أن يحضر ههنا فكذا الآية فإنها على صورة أمر الكفار بأن يجدوا من المؤمنين غلظة لكن المعنى على أمر المؤمنين بأن يعاملوا الكفار بالغلظة والخشونة على طريق الكناية حيث ذكر اللازم وأريد الملزوم. وفي «المثنوي»:

هر پيمبر سخت رويد درجهان يكسواره كفت بر جيش شهان

رو نكردانيد ازترس وغمى يك تن تنها بزد بر عالمى

كوسفندان كربر ونداز حساب زانبهشان كى بترسد آن قصاب

قيل: للإسكندر في عسكر دارا ألف ألف مقاتل فقال إن القصاب لا تهوله كثرة الأغنام والعرب تقول الشجاعة وقاية والجبن مقتلة فاعتبروا بأن من يقتل مدبراً أكثر ممن يقتل مقبلاً.

قال السعدي قدس سره:

آنكه چنك آرد بخون خويش بازى ميكند روزميدان وانكه بكر يزد بخون لشكرى

ونعم ما قيل:

زهرهٔ مردان ندارى چون زنان درخانه باش وربميدان ميروى ازتير باران بر مكرد

واعلم أن السلاطين والوزراء والوكلاء بالنسبة إلى العسكر كالقلب بالنسبة إلى الأعضاء فكما أن القلب إذا صلح صلح الجسد كله فكذا الرئيس إذا ثبت وأظهر الشجاعة ثبت الجيش كله [بهرام كفت هرآنكه سرتاج دارد بايدكه دل ازسر بردارد هرآنكه پاى نهد درنكار خانهٔ ملك يقين كه مال وسر وهرچه هست دربازد]. ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ بالحراسة والإعانة والمراد بالمعية الولاية الدائمة وأدخل مع على المتقين مع اختصاصه بالمتبوع لكونهم المباشرين للقتال ووضع المظهر موضع المضمر أي معكم إشارة إلى علة النصرة وهي التقوى كأنه قيل: واعلموا أن نصرة الله معكم بسبب تقواكم بالتوحيد والإسلام والإيمان والطاعة عن الإشراك والكفر والنفاق والعصيان في مرتبة الشريعة وبالله عن جميع ما سوى الله في مرتبة الحقيقة لا مع الكفار المشركين المنافقين العاصين وإن أعطاهم لوازم القتال مكراً واستدراجاً كما أعطاكموها كرماً وإحساناً وبقدر تقواكم بالحق عن الخلق يسخر الله لكم الخلق وبقدر تسخيركم لله قواكم النفسانية يسخر الله لكم الكفار وبقدر تسخيركم لله قواكم الروحانية يسخر الله لكم المؤمنين.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في مواقع النجوم: اعلم يا بني أن الله جل ثناؤه لما أراد أن يرقى عبده الخصوصي إلى المقامات العلية قرب منه أعداءه حتى يعظم جهاده لهم ويشتغل بمحاربتهم أولاً قبل محاربة غيرهم من الأعداء الذين هم منه أبعد قال الله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين﴾ الآية وحظ الصوفي وكل موفق من هذه الآية أن ينظر فيها إلى نفسه الأمارة بالسوء التي تحمله على كل محظور ومكروه وتعدل به عن كل واجب ومندوب للمخالفة التي جبلها الله عليها وهي أقرب الكفار والأعداء إليه فإذا جاهدها وقتلها أو أسرها فحينئذٍ يصح له أن ينظر في الأعيار على حسب ما يقتضيه مقامه وتعطيه منزلته فالنفس أشد الأعداء شكيمة وأقواهم عزيمة فجهادها هو الجهاد الأكبر ومعنى الجهاد مخالفة هواها وتبديل صفاتها وحملها على طاعة الله. وفي «المثنوي»:

اى شهان كشتيم ما خصم برون ... ماند خصم زو بتر درانـدرون
قد رجعنا من جهاد الأصغريم ... باعدو اندر جهاد الأكبريم
سهل شيرى دانهك صفها بشكند ... شير آن ست آنكه خودرابشكند

وللنفس سيفان ماضيان تقطع بهما رقاب صناديد الرجال وعظمائهم وهما شهوتا البطن والفرج وشهوة البطن أقوى وأشد من شهوة الفرج لأنه ليس لها تأييد إلا من سلطان شهوة البطن:

زان نداری میوهٔ مانند بید ... كآب روبردى پى نان سپيد

فما مليء وعاء شر من بطن مليء بالحلال هذا إذا كان القوت حلالاً فكيف إذا كان حراماً فالطعام والإكثار منه قاطع عن الطريق.

وعن عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم وعطشوا أكبادكم لعل قلوبكم ترى الله تعالى وكذا الكلام وكذا التأذي بأذى الأنام فعليه بالصبر وأن لا يجدهم مؤذين لأنه موحد فيستوي عنده المسيء والمحسن في حقه بل ينبغي أن يرى المسيء محسناً وكذا المنام.

قال بعض العلماء: من سهر أربعين ليلة خالصاً كوشف بملكوت السموات أيقظنا الله وإياكم من رقدة الغفلة إنه مجيب الدعوة.

﴿وإذا ما﴾ كلمة ما صلة مؤكدة لارتباط الجزاء بالشرط ﴿أنزلت سورة﴾ من سور القرآن وعددها مائة وأربع عشرة بالإجماع والسورة طائفة من كلامه تعالى ﴿فمنهم﴾ أي: المنافقين ﴿من يقول﴾ لإخوانه إنكاراً واستهزاء ﴿أيكم﴾ مبتدأ وما بعده خبره ﴿زادته هذه﴾ السورة ﴿إيماناً﴾ مفعول زادته وإيراد الزيادة مع أنه لا إيمان فيهم أصلاً باعتبار اعتقاد المؤمنين. وفيه إشارة إلى أن الاستهزاء من علامات النفاق وأمارات الإنكار ثم أجاب الله تعالى عن إنكارهم واستهزائهم من يعتقد زيادة الإيمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به فقال: ﴿فأما الذين آمنوا﴾ بالله تعالى وبما جاء من عنده ﴿فزادتهم إيماناً﴾ هذا بحسب المتعلق وهو مخصوص بزمان النبي عليه السلام وأما الآن فالمذهب على الإيمان لا يزيد ولا ينقص وإنما تتفاوت درجاته قوة وضعفاً فإنه ليس من يعرف الشيء إجمالاً كمن يعرفه تفصيلاً كما أن من رأى الشيء من بعيد ليس كمن يراه من قريب فصورة الإيمان هو التصديق القلبي إجمالاً وتفصيلاً وحقيقته الإحسان الذي هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وحقيقة الإحسان مرتبة كنت سمعه وبصره التي هي قرب النوافل وفوقها مرتبة قرب الفرائض المشار إليه بقوله سمع الله لمن حمده. والحاصل أن من اعتقد الكعبة إذا رآها من بعيد قوي يقينه ثم إذا قرب منها كمل ثم إذا دخل ازداد الكمال ولا تفاوت في أصل الاعتقاد ﴿وهم يستبشرون﴾ بنزولها وبما فيه من المنافع الدينية والدنيوية.

﴿وأما الذين في قلوبهم مرض﴾ أي: كفر وسوء عقيدة.

قال الحدادي: سمى الله النفاق مرضاً لأن الحيرة في القلب مرض القلب كما أن الوجع في البدن مرض البدن.

يقول الفقير كل منهما مؤد إلى الهلاك. أما المرض الظاهر فإلى هلاك الجسم. وأما المرض الباطن فإلى هلاك الروح فلا بد من معالجة كل منهما بحسب ما يليق به ﴿فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾ أي: كفراً بها مضموماً إلى الكفر وعقائد باطلة وأخلاقاً ذميمة كذلك والفرق بين الرجس والنجس أن الرجس أكثر ما يستعمل فيما يستقذر عقلاً والنجس أكثر ما يستعمل فيما يستقذر طبعاً ﴿وماتوا وهم كافرون﴾ أي: واستحكم ذلك إلى أن يموتوا عليه بين الله تعالى أن بنزول سورة من السماء حصل للمؤمنين أمران زيادة الإيمان والاستبشار وحصل للمنافقين أمران مقابلان لهما زيادة الرجس والموت على الكفر، وفي الحديث: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين» يعني: أن من آمن بالقرآن وعظم شأنه وعمل به يرفع الله درجته في الآخرة ويرزقه عزة وشرفاً ومن لم يؤمن به أو لم يعمل به أو لم يعظم شأنه خذله الله في الدنيا والآخرة.

﴿أو لا يرون﴾ الهمزة للإنكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر، أي: لا ينظر المنافقون ولا يرون. ﴿أنهم يفتنون في كل عام﴾ من الأعوام بالفارسية [در هر سالى] ﴿مرة أو مرتين﴾ والمراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المزبور أي يبتلون بأصناف البليات من المرض والشدة وغير ذلك مما يذكر الذنوب والوقوف بين يدي رب العزة فيؤدي إلى الإيمان به تعالى ﴿ثم لا يتوبون﴾ عطف على لا يرون داخل تحت الإنكار والتوبيخ ﴿ولا هم يذكرون﴾ والمعنى أو لا يرون افتتانهم الموجب لإيمانهم ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق ولا هم يتذكرون بتلك الفتن الموجبة للتذكر والتوبة.

قال في «التأويلات النجمية»: هذه الفتنة موجبة لانتباه القلب الحي وقلوبهم ميتة والقلب الميت لا يرجع إلى الله ولا يؤثر فيه نصح الناصحين، كما قال: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠] وقال: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠]. وفي «المثنوي»:

ورنكوئى عيب خود بارى خمش ... از نمايش وازدغل خودرا مكش
كرتو نقدى يا فتى مكشا دهان ... هست درره سكنهاى امتحان
كفت يزدان از ولادت تابحين ... يفتنون كل عام مرتين
امتحان بر امتحانست اي پسر ... هين بكمتر امتحان خود را محر
ماهيانرا بحر نكذارد برون ... خاكيانرا بحر نكذارد درون

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿وإذا ما أنزلت سورة﴾ بيان لأحوالهم عند نزولها في محفل تبليغ الوحي كما أن الأول بيان لمقالاتهم وهم غائبون عنه ﴿نظر بعضهم إلى بعض﴾ المراد بالنظر النظر المخصوص الدال على الطعن في تلك السورة والاستهزاء بها أي تغامزوا بالعيون إنكاراً لها وسخرية ﴿هل يراكم

من أحد﴾ أي: قائلين هل يراكم من أحد من المسلمين لينصرفوا من المسجد والمجلس مظهرين أنهم لا يضطربون عند استماعها ويغلب عليهم الضحك فيفتضحون، ﴿ثم انصرفوا﴾ عطف على نظر بعضهم والتراخي باعتبار وجدان الفرقة والوقوف على عدم رؤية أحد من المؤمنين أي انصرفوا جميعاً عن محفل الوحي خوفاً من الافتضاح. والمعنى يقول بعضهم لبعض هل يراكم من أحد من المؤمنين إن قمتم من مجلسكم فإن لم يرهم أحد خرجوا من المسجد وإن علموا أن أحداً يراهم أقاموا فيه وثبتوا حتى يفرغ عليه السلام من خطبته ثم انصرفوا ﴿صرف الله قلوبهم﴾ أي: عن الإيمان حسب انصرافهم عن المجلس والجملة إخبارية أو دعائية ﴿بأنهم﴾ أي: بسبب أنهم ﴿قوم لا يفقهون﴾ لسوء الفهم أو لعدم التدبر.

وفي «التأويلات النجمية»: ليس فقه القلب فانٍ فقه القلب من أمارات حياة القلب وهو نور يهتدى به إلى الحق كما أن الجهل ظلمة يقيم عندها ولا يدري ماذا يفعل اللهم اجعلنا من المتدبرين والمتذكرين والمعتبرين.

قال بعض العلماء: أصحاب القلوب من الإنس ثلاثة أصناف. صنف كالبهائم قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]. وصنف أجسادهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين. وصنف في ظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله.

وعن أبي بكر الوراق رحمه الله أنه قال للقلب ستة أشياء حياة وموت وصحة وسقم ويقظة ونوم فحياته الهدى ونومه الضلالة وصحته الصفاء وعلته العلاقة ويقظته الذكر ونومه الغفلة وفي «المثنوي»:

هو صباحى چون سليمان آمدى ... خاضع اندر مسجد اقصى شدى
نوكياهى رسته ديدى اندرو ... پس بكفتى نام ونفع خود بكو
كوچه داروئي وچه تامت چه است ... توزيان كه ونفعت بر كيست
پس بكفتى هركيوءهى فعل ونام ... كه من آنرا جانم واين را حمام
پس سليمان ديد اندر كوشهٔ ... نو كياهى رسته همچون خوشهٔ
كفت نامت چيست بركوبى دهان ... كفت خروبست اى شاه جهان
كفت اندر توچه خاصيت بود ... كفت من رستم مكان ويران شود
من كه حروبم خراب منزلم ... هادم بنيادا اين آب وكلم
پس سليمان آن زمان دانست زود ... كه اجل آمد سفر خواهد نمود
كفت تا من هستم اين مسجد يقين ... در خلل نايد زآفات زمين
پس خراب مسجد ما بيكمان ... نبود إلا بعد مرك ما بدان
مسجد ست اين دل كه چشمش ساجدست ... يار بد خروب هرجا مسجد ست
يار بد چون رست درتو مهراو ... هين ازوبكر يزوكم كن كفت وكو
بركن از بيخش كه كر سر برزند ... مرترا ومسجدت را بركند

﴿لقد جاءكم﴾ يحتمل أن يكون الخطاب للعرب والعجم جميعاً. فالمعنى بالله قد جاءكم أيها الناس ﴿رسول﴾ أي: رسول عظيم الشان والرسول إنسان بعثه الله تعالى إلى الخلق لتبليغ الأحكام ﴿من أنفسكم﴾ أي: من جنسكم آدمي مثلكم لا من الملائكة ولا من غيرهم وذلك

لئلا يتنفروا عنه ويمتنعوا من متابعته ويقولوا لا طاقة لنا بمتابعته لأنه ليس من جنسنا يؤيده قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] إذ لفظ المؤمنين عام لكل مؤمن من كل صنف فيكون معنى من أنفسهم أي من جنسهم لأن الملك وكذا الجن لعدم جنسيته ولكونه غير مدرك بالحواس الخمس لا ينتفع به فاحتاج إلى واسطه جنسية ذي جهتين جهة التجرد لتمكن الاستفاضة من جانب القدس وجهه التعلق لتمكن الإفاضة إلى جانب الخلق وهو الرسول ﷺ ومنه يظهر أنه لكمال لطافته يمكن أن يستفيض منه الجن أيضاً لكونهم أجساماً لطيفة ولذا دعاهم دعوة البشر.

مشعله افروزشب خاكيان سمع سرا پردهٔ افلا كيان

ويحتمل أن يكون الخطاب للعرب خاصة. فالمعنى بالله قد جاءكم أيتها العرب رسول عربي مثلكم وعلى لغتكم وذلك أقرب إلى الألفة وأبعد من اللجاجة وأسرع إلى فهم الحجة فإن الإرشاد لا يحصل إلا بمعرفة اللسان. حكي أن أربعة نفر: عجمي وعربي وتركي ورومي وجدوا في طريق درهماً فاختلفوا فيه ولم يعرف ولم يفهم واحد منهم مراد الآخر فسأل منهم رجل آخر يعرف الألسنة فقال للعربي أيش تريد وللعجمي [چه ميخواهى] مثلاً وعلم أن مراد الكل أن يأخذوا بذلك الدرهم عنباً فأخذ العارف الدرهم منهم واشترى لهم عنباً فارتفع الخلاف من بينهم. وقرىء من أنفَسكم بفتح الفاء أي من أشرفكم وأفضلكم من النفاسة وبالفارسية [عزيز شدن] وشيء نفيس أي خطير وذلك لأن محمداً ﷺ ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب وفي كلاب يجتمع نسب أبيه وأمه لأن أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وبنو هاشم أفضل القبائل إلى إسماعيل عليه السلام من جهة الخصال الحميدة وكلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وأجمع النسابون على أن قريشاً إنما تفرقت عن فهر فهو جماع قريش وإنما سمي فهر قريشاً لأنه كان يقرش أي يفتش عن حاجة المحتاج فيسدها بماله وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم فسموا بذلك قريشاً والرفادة طعام الحاج أيام الموسم حتى يتفرقوا فإن قريشاً كانت على زمن قصي تخرج من أموالها في كل موسم شيئاً فتدفعه إلى قصي فيصنع به طعاماً للحاج يأكل منه من لم يكن له سعة ولا زاد حتى قام بها ولده عبد مناف ثم بعد عبد مناف ولده هاشم ثم بعد هاشم ولده عبد المطلب ثم ولده أبو طالب وقيل: ولده العباس ثم استمر ذلك إلى زمنه ﷺ وزمن الخلفاء بعده ثم استمر ذلك في الخلفاء إلى أن انقرضت الخلافة من بغداد ثم من مصر وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «حب قريش إيمان وبغضهم كفر» وفي الحديث: «عالم قريش يملأ طباق الأرض علماً» وعن الإمام أحمد رحمه الله هذا العالم هو الشافعي لأنه لم ينتشر في طباق الأرض من علم علماء قريش من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الإمام الشافعي ويجتمع نسبه مع نسب رسول الله ﷺ في عبد مناف وهو الجد التاسع للشافعي رحمه الله وفي الحديث: «أنا أنفسكم نسباً وصهراً وحسباً ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلها نكاح» وذلك لأنه لا يجيء من الزنى ولي فكيف نبي. والإشارة فيه إلى نفاسة جوهره في أصل الخلقة لأنه أول جوهر خلقه الله تعالى وعن أبي هريرة أنه عليه السلام سأل جبريل عليه السلام فقال: «يا جبريل كم عمرك من السنين» فقال يا رسول الله لست أعلم غير أن في الحجاب

الرابع نجماً يطلع في كل سبعين ألف سنة مرة رأيته اثنين وسبعين ألف مرة فقال عليه السلام: «يا جبريل وعزة ربي أنا ذلك الكوكب» ولما خلق الله آدم جعل نور حبيبه في ظهره فكان يلمع في جبينه ثم انتقل إلى ولده شيث الذي هو وصيه والثالث من ولده وكانت حواء تلد ذكراً وأنثى معاً ولم تلد ولداً منفرداً إلا شيث كرامة لهذا النور ثم انتقل إلى واحد بعد واحد من أولاده إلى أن وصل إلى عبد المطلب ثم إلى ابنه عبد الله ثم إلى آمنة وكان عليه السلام علة غائية لوجود كل كون فوجوده الشريف وعنصره اللطيف أفضل الموجودات الكونية وروحه المطهر أمثال الأرواح القدسية وقبيلته أفضل القبائل ولسانه خير الألسنة وكتابه خير الكتب الإلّهية وآله وأصحابه خير الآل وخير الأصحاب وزمان ولادته خير الأزمان وروضته المنورة أعلى الأماكن مطلقاً والماء الذي نبع من أصابعه الشريفة أفضل المياه مطلقاً ثم بعده الأفضل ماء زمزم لأنه غسل منه صدره عليه السلام ليلة المعراج ولو كان ماء أفضل منه يغسل به صدره عليه السلام.

ثم إن في قوله: ﴿لقد جاءكم﴾ إشارة إلى أنه ﷺ هدية عظيمة من الله تعالى وتحفة جسيمة ولا يعرض عن هدية الله تعالى إلا الكافرون والمنافقون. قال حضرة الشيخ العطار قدس سره:

خويشتن راخواجهٔ عرصات كفت إنما أنا رحمة مهداة كفت

﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ العزيز الغالب الشديد وكلمة ما مصدرية والعنت الوقوع في أمر شاق وأشق الأمور دخول النار والجملة من الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر صفة رسول. والمعنى شاق شديد عليه عنتكم أي ما يلحقكم من المشقة والألم بترك الإيمان فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب وهذا من نتائج ما سلف من المجانسة.

قال الكاشفي: [وبعضى بر لفظ عزيز وقف كرده اند وآنرا صفة رسول دانند ومعنى عليه ما عنتم برين فرود آرندكه براوست آنچه بكنيد ازكناه يعني اعتذار آن برويست در روز قيامت بشفاعت تدارك آن خواهد نمود ودرين معنى كفته اند]:

نماند بعصيان كسى دركرو كه دارد چنين سيدى پيش رو
اكر دفترت ازكنه پاك نيست چواو عذر خواهت بودباك نيست

﴿حريص عليكم﴾ أي: على إيمانكم وصلاح أحوالكم إذ من البين أنه عليه السلام ليس حريصاً على ذواتهم والحرص شدة الطلب للشيء مع اجتهاد فيه كما في «تفسير الحدادي».

﴿بالمؤمنين﴾ متعلق بقوله ﴿رؤوف رحيم﴾ قدم الأبلغ منهما وهو الرؤوف لأن الرأفة شدة الرحمة مع أن مقام المدح يقتضي الترقي من الفاضل إلى الأفضل محافظة على الفواصل وقدم بالمؤمنين على متعلقه وهو رؤوف ليفيد الاختصاص أي لا رأفة ولا رحمة إلا بالمؤمنين وأما الكفار فليس له عليهم رأفة ولا رحمة.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ لتربيتهم في الدين المتين بالرفق كما قال عليه السلام: «إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه بالرفق» وبالرحمة يعفو عنهم سيئاتهم كما أمره الله تعالى بقوله: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ [المائدة: ١٣] وفي قوله: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ في حق نبيه عليه السلام، وفي قوله لنفسه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥] دقيقة لطيفة شريفة وهي أن النبي ﷺ لما كان مخلوقاً كانت رأفته ورحمته مخلوقة فصارت مخصوصة بالمؤمنين لضعف الخلقة وإن الله تعالى لما كان خالقاً كانت رأفته ورحمته قديمة فكانت عامة للناس لقوة خالقيته كما قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فمن

تداركته الرأفة والرحمة الخالقية من الناس كان قابلاً للرأفة والرحمة النبوية، لأنها كانت من نتائج الرأفة والرحمة الخالقية كما قال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] انتهى كلام «التأويلات».

قال بعض الحكماء: إن الله تعالى خلق محمداً أي روحه وجعل له صورة روحانية كهيئته في الدنيا فجعل رأسه من البركة وعينيه من الحياء وأذنيه من العبرة ولسانه من الذكر وشفتيه من التسبيح ووجهه من الرضى وصدره من الإخلاص وقلبه من الرحمة وفؤاده من الشفقة وكفيه من السخاوة وشعره من نبات الجنة وريقه من عسل الجنة ألا ترى أنه تفل في بئر رومة في المدينة وكان ماؤها زعاقاً فصار عذباً ولما أكمله بهذه الصفات أرسله إلى هذه الأمة. روي أنه لما مات أبو طالب ونالت قريش من النبي عليه السلام ما لم تكن نالته منه في حياته خرج إلى الطائف وهو مكروب مشوش الخاطر مما لقي من قريش من قرابته وعترته خصوصاً من عمه أبي لهب وزوجته أم جميل حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب يقولون له أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً فجعل أبو بكر يضرب هذا ويدفع هذا ويقول أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وكان خروجه في شوال سنة عشر من النبوة وحده وقيل: معه مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه يلتمس من ثقيف الإسلام رجاء أن يسلموا وأن يناصروه على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه وكان ثقيف أخواله عليه السلام فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى أشراف ثقيف وكانوا إخوة ثلاثة فجلس إليهم وكلمهم فيما جاءهم به فقال أحدهم هو يقطع ثياب الكعبة ولا يسرقها وقال آخر ما وجد الله أحداً يرسله غيرك وقال له الثالث والله لا أكلمك أبداً لئن كنت رسولاً من عند الله كما تقول لأنت أعظم خطراً أي قدراً من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك فقام عليه السلام من عندهم مأيوساً وقال لهم اكتموا عليّ وكره أن يبلغ قومه ذلك فيشتد أمرهم عليه وقالوا له عليه السلام اخرج من بلدنا وسلطوا عليه سفهاءهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه فلما مرّ عليه السلام بين الصفين دقوا رجليه بالحجارة حتى أدموهما وشجوا رأس زيد فلما خلص ورجلاه يسيلان دماً عمد إلى بستان فاستظل في شجرة كرم ودعا بقوله: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إن لم يكن لك غضب عليّ فلا أبالي» ثم انطلق عليه السلام وهو مهموم حتى أتى بقرن الثعالب وهو ميقات أهل نجد أو اليمن وبينه وبين مكة يوم وليلة فأرسل الله تعالى جبريل ومعه ملك الجبال فقال إن شئت أطبقت على ثقيف هذين الجبلين فقال عليه السلام: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله تعالى لا يشرك به شيئاً» وعند ذلك قال له عليه السلام ملك الجبالة أنت كما سماك ربك رؤوف رحيم. وفي «المثنوي»:

بندكان حق رحيم وبر دبار ... خوى حق دارندر اصلاح كار
مهربان بى رشوتان يارى كران ... در مقام سخت ودر روز كران
اى سليمان درميان زاغ وباز ... حلم حق شو باهمه مرغان بساز
اى دوصد بلقيس حلمت رازبون ... كه اهد قومي إنهم لا يعلمون
صد هزاران كيميا حق آفريد ... كيميائى همچو صبر آدم نديد

نسأل الله سبحانه أن يلحقنا بأهل الحلم والكرم ويزكينا من سوء الأخلاق والشيم.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿فإن تولوا﴾ تسلية لرسول الله ﷺ، أي إن أعرضوا عن الإيمان بك وقبول نصحك ولم يتبعوك ﴿فقل حسبي الله﴾ كافيني فإنه يكفيك معرتهم أي المساءة التي تلحقك من قبلهم ويعينك عليهم. وفيه إشارة إلى أن تبليغ الرسالة من النبي عليه السلام كان موجباً لقربه إلى الله وقبوله إياه فلما بلغ رسالته فقد حصل على القبول من الله وقربته إن قبلوا وإن أعرضوا ﴿لا إله إلا هو﴾ كالدليل على ما قبله.

يقول الفقير أصلحه الله القدير هذه الكلمة الطيبة في حكم لا إله إلا الله لأن الضمير عائد إلى المذكور من لفظ الجلالة وكون هو ضميراً لا ينافي كونه اسماً لأن المضمرات من قبيل الأسماء فما اشتهر بين الصوفية السالكين من الذكر به بناء على كونه اسماً ولما كان وجود الكون موهوماً ووجود الحق محققاً معلوماً صح أن يشار به إلى الله تعالى سيما أطلق لعدم المزاحم في الحقيقة والذكر به مناسب للمبتدىء لكونه في حال الغيبة فإذا ترقى الترقي الكلي فلا يشار به أي بهو إلا إلى الهوية المطلقة نسأل الله التوفيق للوصول إلى مراتب التحقيق ﴿عليه توكلت﴾ أي: وثقت فلا أرجو ولا أخاف إلا منه والتوكل اعتماد القلب على الله وسكونه وعدم اضطرابه لتعلقه بالله تعالى ﴿وهو رب العرش العظيم﴾ [پروردكار عرش بزرك مراد ملك عظيم است يا عرش كه قبلهٔ دعا ومطاف ملائكه باشداشارت بكمال درت وحفظ حق تعالى راست: يعني آن خدايى كه عرش رابدان همه عظمت كه هشت هزار ركن دارد وبروايتي سيصد هزار قاعده واز قاعده تاقاعده سيصد هزار سال راه وهمه آن مملو ازخافات وصافات بقدرت كامله نكاه ميدار دقادرست كه مرانيزاز شر منافقان درپناه آردكه حافظ بندكان وناصر سرافكند كان اوست]:

ازوخـواه يـا رى كـه يـا رى اه اوسـت ... بـدو الـتـجـاكـن كـه ايـنـهـا ازوسـت

كـسـى راكـه أو آورد در پـنـاه ... چـه غـم دارد از فـتـنـهٔ كـيـنـه خـواه

قال الحدادي: رب العرش العظيم أي خالق السرير العظيم الذي هو أعظم من السموات والأرض وإنما خص العرش بذلك لأنه إذا كان رب العرش العظيم مع عظمته كان رب ما دونه في العظم. وقيل: إنما خص العرش تشريفاً للعرش وتعظيماً لشأنه.

واعلم أن العناصر والأفلاك مرتبة فالأرض ثم الماء ثم الهواء ثم النار ثم فلك القمر ثم فلك عطارة ثم فلك الزهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ ثم فلك المشتري ثم فلك زحل ثم فلك الثوابت ثم فلك الأفلاك ويسمى الفلك الأعظم وهو محيط بجميع الأجسام من الفلكيات والعناصر ليس وراءه شيء لا خلاء ولا ملاء وكل محيط من الأفلاك والعناصر يماس المحاط الذي يليه في الترتيب المذكور لاستحالة الخلاء وجملة هذه الأجرام من الأفلاك والعناصر وما فيها يطلق عليها اسم العالم.

قال بعض أهل التحقيق: خلق الله العرش لإظهار شرف محمد ﷺ وهو قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] وهو مقام تحت العرش ولأن العرش معدن كتاب الأبرار لقوله تعالى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ [المطففين: ١٨] وأيضاً العرش مرآة الملائكة يرون الآدميين وأحوالهم منه كي يشهدوا عليهم يوم القيامة فإن عالم المثال والتمثال في العرش كالأطلس في الكرسي.

قال حضرة شيخنا قدس سره في الرسالة العرفانية التي صنفها في سنة تسع وثمانين بعد الألف العرش العظيم هو الإنسان الكبير والعرش الكريم هو الإنسان الصغير فظاهر العرش العظيم والإنسان الكبير على التبدل والتغير وباطنهما على الدوام والثبات وباطن العرش الكريم والإنسان الصغير على التبدل والتغير وظاهرهما على الدوام والثبات انتهى إجمالاً.

يقول الفقير المباهي بالانتساب إلى ذلك السيد الخطير لعل مراده رضي الله عنه أن باطن العرش العظيم هو العرش المحيط الذي يقال له الملكوت وظاهره ما تحته من الأجرام ويقال له عالم الكون والفساد فظاهر العرش لكونه عالم الكون والفساد على التبدل والتغير وباطنه وهو العرش نفسه على حاله بخلاف العرش الكريم الذي هو الإنسان فإن ظاهره من أول عمره إلى آخره على الثبات وباطنه على التغير لأن قلبه لا يخلو عن الأفكار والتقلبات والله تعالى رب العرش العظيم ورب العرش الكريم في الظاهر والباطن والأول والآخر هذا وقد ذكر في فضائل هاتين الآيتين اللتين إحداهما ﴿لقد جاءكم﴾ الآية والأخرى ﴿فإن تولوا﴾ الآية. روي أن أبا بكر بن مجاهد المقري رحمه الله أتى إليه أبو بكر الشبلي قدس سره فدخل عليه في مسجده فقام إليه فتحدث أصحاب ابن مجاهد بحديثهما وقالوا أنت لم تقم لعلي بن عيسى الوزير وتقوم للشبلي فقال ألا أقوم لمن يعظمه رسول الله ﷺ رأيت رسول الله ﷺ في النوم فقال لي يا أبا بكر إذا كان في غد فسيدخل عليك رجل من أهل الجنة فإذا دخل فأكرمه قال ابن مجاهد فلما كان بعد ذلك بليلتين رأيت النبي عليه السلام فقال لي يا أبا بكر أكرمك الله كما أكرمت رجلاً من أهل الجنة قلت يا رسول الله بم استحق الشبلي هذا منك فقال هذا رجل يصلي خمس صلوات يذكرني أثر كل صلاة ويقرأ ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ إلى آخر السورة وذلك منذ ثمانين سنة أفلا أكرم من فعل هذا كذا في «عقد الدرر واللآلي».

وفيه أيضاً حكي عن بعض الصالحين أنه حصل له ضيق شديد فرأى النبي ﷺ في المنام فقال له يا فلان لا تغتم ولا تحزن إذا كان الغد ادخل على علي بن عيسى الوزير فأقرئه مني السلام وقل له بعلامة أنك صليت عليّ عند قبري أربعة آلاف مرة يدفع لك مائة دينار عيناً فلما أصبح ذهب إليه وقص عليه الرؤيا فاغرورقت عينا عليّ بن عيسى بالدموع وقال صدق الله ورسوله وصدقت أنت يا رجل هذا شيء ما كان علم به إلا الله ورسوله يا غلام هات الكيس فأحضره بين يديه فأخرج منه ثلاثمائة دينار وقال هذه المائة التي قال رسول الله ﷺ وهذه المائة الأخرى بشارة وهذه المائة الأخرى هدية لك فخرج الرجل من عنده ومعه ثلاثمائة دينار وقد زال همه وغمه ومنّ الله على الوزير المذكور فترك الوزارة وعلو الرياسة وظلم السلطنة وعظمة الجبابرة وذهب إلى مكة وجاور فيها ببركة ذكر النبي ﷺ وتخصيصه بإرسال ذلك الرجل لما سبق له في علم الله تعالى بما يؤول أمره إليه من الخير وحسن الخاتمة:

خدايا بحق بني فاطمه ... كه برقول ايمان كنم خاتمه

وعن أبيّ رضي الله عنه: «إن آخر ما نزل هاتان الآيتان».

وعن النبي ﷺ: «ما نزل القرآن عليّ إلا آية آية وحرفاً حرفاً ما خلا سورة براءة وسورة قل هو الله أحد فإنهما أنزلتا عليّ ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة».

واعلم أن الأحاديث التي ذكرها صاحب «الكشاف» في أواخر السورة وتبعه القاضي البيضاوي والمولى أبو السعود رحمهم الله من أجلة المفسرين قد أكثر العلماء القول فيها فمن

مثبت ومن ناف بناء على زعم وضعها كالإمام الصغاني وغيره واللائح لهذا العبد الفقير سامحه الله القدير أن تلك الأحاديث لا تخلو إما أن تكون صحيحة قوية أو سقيمة ضعيفة أو مكذوبة موضوعة فإن كانت صحيحة قوية فلا كلام فيها وإن كانت ضعيفة الأسانيد فقد اتفق المحدثون على أن الحديث الضعيف يجوز العمل به في الترغيب والترهيب فقط كما في «الأذكار» للنووي و«إنسان العيون» لعلي بن برهان الدين الحلبي و«الأسرار المحمدية» لابن فخر الدين الرومي وغيرها وإن كانت موضوعة فقد ذكر الحاكم وغيره أن رجلاً من الزهاد انتدب في وضع الأحاديث في فضل القرآن وسوره فقيل له فلم فعلت هذا فقال رأيت الناس زهدوا في القرآن فأحببت أن أرغبهم فيه فقيل له إن النبي ﷺ قال: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» أي: فليتخذ يقال تبوأ الدار اتخذها مباءة أي مسكناً ومنزلاً ولفظه أمر ومعناه خبر يعني فإن الله بوأه مقعده أي موضع قعوده منها فقال أنا ما كذبت عليه إنما كذبت له كما في شرح «الترغيب والترهيب» المسمى «بفتح القريب» أراد أن الكذب عليه يؤدي إلى هدم قواعد الإسلام وإفساد الشريعة والأحكام وليس كذلك الكذب له فإنه للحث على اتباع شريعته واقتفاء أثره في طريقته.

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعاً فالكذب حرام فإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً وواجب إن كان ذلك المقصود واجباً فهذا ضابطه انتهى. قال الشيخ سعدي:

خـردمـنـدان كـفـتـه انـد دروغ   مصلحت آميزبه ازراست فتنه انكيز

وقال اللطيفي:

دروغـى كـه جـان ودلـت خـوش كـنـد   بـه ازراسـتـى كـان مـشـوش كـنـد

وبالجملة المرء مخير في هذا الباب فإن شاء عمل بتلك الأحاديث بناء على حسن الظن بالأكابر حيث أثبتوها في كتبهم خصوصاً في صحف التفاسير الجليلة وظاهر أنهم لا يضعون حرفاً إلا بعد التصفح الكثير وإن شاء ترك العمل بها وحرم من منافع جمة ولا محاجة معه وربما يتفق المحدثون على صحة بعض الأحاديث ولا صحة له في نفس الأمر فإن الإنسان مركب من السهو والنسيان وحقيقة العلم عند الله الملك المنان ولذا قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر قد يظهر من الخليفة الآخذ الحكم من الله ما يخالف حديثاً ما في الحكم فيتخيل أنه من الاجتهاد وليس كذلك وإنما هذا الإمام لم يثبت عنده من جهة الكشف ذلك للخبر عن النبي ﷺ ولو ثبت الحكم به وإن كان طريق الإسناد العدل عن العدل فالعدل ليس بمعصوم من الوهم الذي هو مبدأ السهو والنسيان ولا من النقل على المعنى الذي هو مبدأ التأويلات والتحريفات فمثل هذا يقع من الخليفة اليوم انتهى فهذا كلام حق بلا مرية وليس وراء عبادان قريه.

بقي ههنا شيء وهو أن بعض المتقدمين جعل القرآن أثلاثاً فالثلث الأول ينتهي عند قوله في سورة التوبة ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [التوبة: ٩٠] والثلث الثاني عند قوله في سورة العنكبوت ﴿إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] وعند العامة الثلث الأول ينتهي عند قوله تعالى: ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣] وهو منتهى الجزء العاشر ولعل الأول قول تحقيقي والثاني تقريبي والله أعلم بالصواب.

يقول الفقير سمي الذبيح إسماعيل حقي شرفه الله سبحانه بأعالي التجليات والترقي.
وغفر ذنب وجوده وجاوز به عن أنانياته.
وأحسن إلى آبائه وأمهاته وأعقابه وذرياته.
قد كنت أصمم حين ما باشرت هذا الأمر الخطير النبيه.
وهو هذا الجمع المسمى بالإلهام الذي لا شك فيه.
بـ (روح البيان في تفسير القرآن).
أن أطويه في مجلد أو مجلدين.
إن ساعدني الحين إلى الحين.
فلما جاء بحمد الله بعض منه بما حواه من فنون المعرفة كبير الحجم والمقدار.
رأيت أن أجعله أثلاثاً فختمت الدفتر الأول عند تمام سورة التوبة الجليلة الآثار.
وذلك في إحدى البلاد الثلاث المسماة ببروسة المحروسة.
في الدار المشروطة لي المشهورة بدار السيد محمد سبزى المدرس المأنوسة.
يوم الأحد وهو العشر العاشر من الثلث الأول من السدس الثاني من النصف الأول من العشر الثاني من العشر الأول من العقد الثاني من الألف الثاني من الهجرة النبوية فللّه الحمد على نعمة الإتمام ولرسوله أفضل الصلاة والسلام
ولآله وأصحابه أكمل التحيات والإكرام

حمد لله روز يكشنبه وهم ماه صفر ... چون نخستين دفتر از روح البيان فارغ شدم
حقيا تاريخ وى كردم بحرف جوهرى ... حاليا ازجلد اول فارغ البال آمدم

تم المجلد الثالث بتوفيق الله تعالى من تفسير القرآن المسمى بـ: «روح البيان»
ويليه المجلد الرابع إن شاء الله أوله تفسير سورة يونس

تفسير سورة يونس

مكية وهي مائة وتسع آيات بينات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ①﴾.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم آلر﴾ الظاهر أن ﴿الر﴾ اسم للسورة وإنه في محل الرفع على إنه مبتدأ حذف خبره أو خبر مبتدأ محذوف أي: الر هذه السورة أو هذه السورة الر أي: مسماة بهذا الاسم ولله أن يسمي السور بما أراد.

ورجحه المولى أبو السعود رحمه الله حيث قال: وهو أظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد فحقها الإخبار بها لا جعلها عنوان الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب، والإشارة إليها قبل جريان ذكرها لما إنها باعتبار كونها على جناح الذكر وبصدده صارت في حكم الحاضر كما يقال هذا من اشترى فلان انتهى.

يقول الفقير: اعلم أن الحروف أجزاء الكلمات وهي أجزاء الجمل وهي أجزاء الآيات وهي أجزاء السور وهي أجزاء القرآن فالقرآن ينحل إلى السور وهي إلى الآيات وهي إلى الجمل وهي إلى الكلمات وهي إلى الحروف وهي إلى النقاط كما أن البحر يأول إلى الأنهار والجداول وهي إلى القطرات فاصل الكل نقطة واحدة وإنما جاء الكثرة من انبساط تلك النقطة وتفصلها.

وقول أهل الظاهر في ﴿الر﴾ وأمثاله تعديد على طريق التحدي لا يخلو عن ضعف، إذ هذه الحروف المقطعة لها مدلولات صحيحة وهي زبدة علوم الصوفية المحققين.

وقد ثبت أن النبي ﷺ أوتي علوم الأولين والآخرين. فمن علوم آدم وإدريس عليهما السلام علم الحروف وإنما ذمت الطائفة الحروفية لأخذهم بالإشارة ورفضهم العبارة وهتكهم حرمة الشريعة التي هي لباس الحقيقة كما أن اللفظ لباس المعنى والعبارة ظرف الإشارة والوجود مرآة الشهود وكل منهما منوط بالآخر والمنفرد بأحدهما خارج عن دائرة المعرفة الإلّهية فعلم هذه الحروف بلوازمها وحقائقها مفوض في الحقيقة إلى الله والرسول وكمّل الورثة، ومنهم من ذهب إلى جانب التأويل وقال كل حرف من الحروف المقطعة مأخوذة من اسم من أسمائه تعالى والاكتفاء ببعض الكلمة معهود في العربية كما قال الشاعر:

قلت لها قفي فقالت ق

أي: وقفت ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما معنى ﴿الر﴾ أنا الله أرى. وعنه أنه من حروف الرحمن وذلك إنه إذا جمعت الر، وحم، ون، انتظم حروف الرحمن.

وقال في «التأويلات النجمية»: إن في قوله: ﴿الر﴾ إشارتين: إشارة من الحق للحق

وإلى عبده المصطفى وحبيبه المجتبى. وإشارة من الحق لنبيه وإليه عليه السلام فالأولى قسم منه تعالى يقول بآلائي عليك في الأزل وأنت في العدم وبلطفي معك في الوجود ورحمتي ورأفتي لك من الأزل إلى الأبد، والثانية قسم منه يقول بإنسك معي حين خلقت روحك أول شيء خلقته فلم يكن معنا ثالث وبلبيك الذي أجبتني به في العدم حين دعوتك للخروج منه فخاطبتك وقلت ياسين أي: يا سيد قلت: لبيك وسعديك. والخير كله بيديك، وبرجوعك منك إلي حين قلت لنفسك ارجعي إلى ربك ﴿تلك﴾ محله الرفع على أنه مبتدأ خبره ما بعده وعلى تقدير كون الر مبتدأ فهو مبتدأ ثان وهي إشارة إلى ما تضمنته هذه السورة من الآيات ﴿آيات الكتاب الحكيم﴾ أي: آيات القرآن المشتمل على الحكم على أن يكون الحكيم بناء النسبة بمعنى ذي الحكم وذلك لأن الله تعالى أودع فيه الحكم كلها فلا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ـ حكي ـ أن الامام محمداً رحمه الله غلب عليه الفقر مرة فجاء إلى فقاعي يوماً فقال إن أعطيتني شربة أعلمك مسألتين من الفقه. فقال الفقاعي لا حاجة إلى المسألة:

قيمت در كرانمايه چه دانند عوام   حافظا كهور يكدانه مده جز بخواص

فاتفق أنه حلف إن لم يعط بنته جميع ما في الدنيا من الجهاز فامرأته طالق ثلاثاً فرجع إلى العلماء فأفتوا بحنثه لما إنه لا يمكن ذلك فجاء إلى الإمام محمد فقال الإمام لما طلبت منك شربة كان في عزيمتي أن أعلمك هذه المسألة ومسألة أخرى فالآن لا أعلمها إلا بعد أخذ ألف دينار تعظيماً لشأن المسألة فدفعه إليه فقال: لو دفعت إلى البنت مصحفاً كنت باراً في يمينك فسأله علماء عصره عن وجهه فأجاب بأن الله تعالى قال: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] فوقع هذا الجواب عندهم في حيز القبول.

علم دريست نيك باقيمت   جهل درديست سخت بي درمان

وفي التأويلات: هذه الآيات المنزلة عليك آيات الكتاب الحكيم الذي وعدتك في الأزل وأورثته لك ولأمتك وقلت ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]فاختص هذا الكتاب بأن يكون حكيماً من سائر الكتب، أي: حاكماً يحكم على الكتب كلها بتبديل الشرائع والنسخ ولا يحكم عليه كتاب أبداً واختص هذه الأمة بالاصطفاء من سائر الأمم وأورثهم هذا الكتاب ومعنى الوراثة أنه يكون باقياً في هذه الأمة يرثه بعضهم من بعض ولا ينسخه كتاب كما نسخ هو جميع الكتب.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾

﴿أكان للناس عجباً﴾ الهمزة لإنكار تعجبهم ولتعجيب السامعين منه لكونه في غير محله والمراد بالناس كفار مكة. قال أبو البقاء للناس حال من عجباً لأن التقدير أكان عجباً للناس، وعجباً خبر كان واسمه قوله: ﴿أن أوحينا إلى رجل منهم﴾ أي: بشر من جنسهم فإنهم كانوا يتعجبون من إرسال البشر ولم يتعجبوا من أن يكون الإله صنماً من حجر أو ذهب أو خشب أو نحاس أو ممن لا يعرف بكونه ذا جاه ومال ورياسة ونحو ذلك مما يعدونه من أسباب العز والعظمة فإنهم كانوا يقولون العجب إن الله تعالى لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب، وهو من فرط حماقتهم وقصر نظرهم على الأمور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي

والنبوة فإنه عليه السلام لم يكن يقصر عن عظمائهم في النسب والحسب والشرف وكل ما يعتبر في الرياسة من كرم الخصال إلا في المال ولا مدخل له في شرف النفس ونجابة جوهرها إلا أنهم لعظم الغني في أعينهم تعجبوا من اصطفائه للرسالة ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١﴾ [الزخرف: ٣١]: قال الحافظ قدس سره:

تاج شاهي طلبي كوهر ذاتي بنماي ... در خود از كوهر جمشيد فريدون باشيي

وقال السعدي قدس سره:

هنر بايد وفضل ودين ... كه كاه آيدوكه رودجاه ومال

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنهم يتعجبون من إيحائنا إلى محمد عليه السلام لأنه كان رجلاً منهم، وفيه رأينا رجوليته قبل الوحي وتبليغ الرسالة من بينهم ولهذا السر ما أوحى إلى امرأة بالنبوة قط انتهى، والرجولية هي صدق اللسان ودفع الأذى عن الجيران والمواساة مع الإخوان هذا في الظاهر وأما في الحقيقة فالتنزه عن جميع ما سوى الله تعالى. وفي حديث المعراج «إن الله تعالى نظر إلى قلوب الخلق فلم يجد أعشق من قلب محمد عليه السلام فلذا أكرمه«بالرؤية» فالعبرة لحال الباطن لا لحال الظاهر.

واعلم: أن حال الولاية كحال النبوة ولو رأيت أكثر أهل الولاية في كل قرن وعصر لوجدتهم ممن لا يعرف بجاه، ومن عجب من ذلك ألقي في ورطة الإنكار وحجب بذلك الستر عن رؤية الأخيار﴿أن﴾ مفسرة للمفعول المقدر، أي: أوحينا إليه شيئاً هو ﴿أنذر الناس﴾، أي: جميع الناس كافة لا ما أريد بالأول عمم الإنذار لأنه ينفع جميع المكلفين من الكفار وعوام المؤمنين وخواصهم فالبعض ينذر بنار الجحيم، والبعض الآخر بانحطاط الدرجات في دار النعيم، والبعض الثالث بنار الحجاب عن مطالعة جمال الرب الكريم وقدم الإنذار على التبشير، لأن إزالة ما لا ينبغي متقدمة في الرتبة على فعل ما ينبغي وهو لا يفيد ما دامت النفس ملوثة بالكفر والمعاصي فإن تطييب البيت بالبخور إنما يكون بعد الكنس وإزالة القاذورات ألا ترى أن الطبيب الذي يباشر معالجة الأمراض البدنية يبدأ أولاً بتنقية البدن من الأخلاط الرديئة، ثم يباشر المعالجة بالمقويات فكذلك الطبيب الذي يباشر معالجة مرض القلب لا بد له أن يبدأ أولاً بتنقيته من العقائد الزائغة والأخلاق الرديئة والأعمال القبيحة المكدرة للقلب بأن يسقيه شربة الإنذار بسوء عاقبة تلك الأمور وبعد تنقيته من المهلكات يعالجه بما يقويه على الطاعات بأن يسقيه شربة التبشير بحسن عاقبة الأعمال الصالحات ولهذا اقتصر على ذكر الإنذار في مبدأ أمر النبوة حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر: ١-٢] ﴿وبشر الذين آمنوا﴾ دون الذين كفروا إذ ليس لهم ما يبشرون به من الجنة والرحمة ما داموا على كفرهم ﴿أن لهم﴾ أي: بأن لهم﴿قدم صدق عند ربهم﴾ أي: أعمالاً صالحة سابقة قدموها ذخراً لآخرتهم ومنزلة رفيعة يقدمون عليها سميت قدماً على طريق تسمية الشيء باسم آلته لأن السبق والقدوم يكون بالقدم كما سميت النعمة يداً؛ لأنها تعطى باليد وإضافة قدم إلى الصدق من قبيل إضافة الموصوف إلى صفته للمبالغة في صدقها وتحققها كأنها في صدقها وتحققها مطبوعة منه وإذا قصد تبينها لا تبين إلا به.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ﴿قدم صدق﴾ شفاعة نبيهم لهم هو إمامهم إلى الجنة وهم بالأثر.

كفتى كنتم شفاعت عاصئ عذر خواه دل بر اميد آن كرم افتاد در كناه

﴿قال الكافرون﴾ هم المتعجبون، أي: كفار مكة مشيرين إلى رسول الله عليه السلام ﴿إن هذا لساحر مبين﴾ [جاد ويست آشكارا]، وفيه اعتراف بأنهم صادفوا من الرسول أموراً خارقة للعادة معجزة إياهم عن المعارضة.

واعلم: أن الكفار سحرهم سحرة صفات فرعون النفس ولذا صاروا صماً بكماً عمياً عن الحق فهم لا يعقلون الحق ولا يتبعون داعي الحق والنفس جبلت على حب الرياسة وطلب التقدم فلا ترضى أن تكون مرؤوسة تحت غيرها فإصلاحها إنما هو بالعبودية التي هي ضد الرياسة والانقياد للمرشد. وفي المثنوي:

همچو استورى كه بكر يزد زبار او سر خود كيرد اندر كوهسار
صاحبش از پي دوان كاي خيره سر هر طرف كركيست اندر قصد خر
استخوانت را بخايد چون شكر كه نبيني زندكاني را دكر
هين بمكريز از تصرف كردنم وزكراني بار چون جانت منم
تو ستوري هم كه نفست غالبست حكم غالب را بود اي خود پرست
مير آخر بود حق را مصطفا بهر استوران نفس پر جفا
لا جرم اغلب بلا بر انبياست كه رياضت دادن خامان بلاست

قال عيسى عليه السلام للحواريين: أين تنبت الحبة؟قالوا: في الأرض فقال: كذلك الحكمة لا تنبت إلا في القلوب مثل الأرض يشير إلى التواضع وإلى هذه الإشارة يقول سيد البشر: «من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» والينابيع لا تكون إلا في الأرض وهو موضع نبع الماء فظهر أن الكفار لما لم ينزلوا أنفسهم إلى مرتبة التواضع والعبودية. ولم يقبلوا الإنذار بحسن النية، حرموا من الورود إلى المنهل العذب الذي هو القرآن، فبقوا عطشى الأكباد في زوايا الهجران، وأين المتكبرون المتصعدون إلى جوّ هواهم. من الشرب من ينبوع الهدى الذي أجراه من لسان حبيبه مولاهم؟ وكما أن الكفار بالكفر الجلي ادعوا كون القرآن سحراً وأنكروا مثل ذلك الخارق لعاداتهم، فكذا المشركون بالشرك الخفي أنكروا الكرامات المخالفة لمعاملاتهم.

قال الإمام اليافعي ـ رحمه الله: ثم أن كثيراً من المنكرين لو رأوا الأولياء والصالحين يطيرون في الهواء لقالوا هذا سحر وهؤلاء شياطين ولا شك أن من حرم التوفيق وكذب بالحق غيباً وحدساً كذب به عياناً وحساً فواعجباً كيف نسب السحر وفعل الشياطين إلى الأنبياء العظام والأولياء الكرام؟ نسأل الله العفو والعافية سراً وجهاراً، وأن يحفظنا من العقائد الزائغة والأعمال الموجبة بواراً.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾.

﴿إن ربكم الله الذي﴾ خطاب لكفار مكة، أي: مربيكم ومدبر أموركم، ﴿خلق السموات والأرض﴾ التي هي أصول الممكنات وجسام الأجسام.

فإن قيل: الموصولات موضوعة لأن يشار بها إلى ما يعرفه المخاطب باتصافه بمضمون

الصلة والعرب لا يعلمون كونه تعالى خالق السموات والأرض.

أجيب: بأن ذلك أمر معلوم مشهور عند أهل الكتاب، والعرب كانوا يتخالطون معهم فالظاهر أنهم سمعوه منهم فحسن هذا التعريف لذلك.

قال في «ربيع الأبرار» تفكروا إن الله خلق السموات سبعاً والأرضين وثخانة كل أرض خمسمائة عام وثخانة كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماء خمسمائة عام وفي السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله، فيه ملك لم يتجاوز الماء كعبه ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، أي: في ستة أوقات فإن أصل الأيام هو يوم الآن المشار إليه بقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] وهو الزمن الفرد الغير المنقسم وسمي يوماً لأن الشأن يحدث فيه فبالآن تتقدر الدقائق وبالدقائق تتقدر الدرج وبالدرج تتقدر الساعات وبالساعات يتقدر اليوم فإذا انبسط الآن سمي اليوم وإذا انبسط اليوم سمي أسابيع وشهوراً وسنين أدواراً فيوم كالآن وهو أدنى ما يطلق عليه الزمان ومنه يمتد الكل ويوم كألف سنة وهو يوم الآخرة ويوم كخمسين ألف سنة وهو يوم القيامة، أي: أدنى مقدار ستة أيام لأن اليوم عبارة عن زمان مقدر مبدأه طلوع الشمس ومنتهاه غروبها فكيف تكون حين لا شمس ولا نهار ولو شاء لخلقها في أقل من لحظة لكنه أشار إلى التأني في الأمور، فلا يحسن التعجيل إلا في التوبة وقضاء الدين وقري الضيف وتزويج البكر ودفن الميت والغسل من الجنابة. وفي المثنوي:

مكر شيطانست تعجيل وشتاب   خوى رحمانست صبر واحتساب
با تأني كشت موجود از خدا   تابشش روز اين زمين وچرخها
ورنه قادر بود كز كن فيكون   صد زمين وچرخ آوردي برون
اين تأني از پى تعليم تست   طلب آهسته بايد بي شكست

وقد جاء في الصحيح: «إن الله خلق التربة» يعني: الأرض «يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل». فإن قيل: القرآن يدل على أن خلق الأشياء في ستة أيام والحديث الصحيح المذكور على أنها سبعة. فالجواب أن السموات والأرض وما بينهما خلق في ستة أيام وخلق آدم من الأرض فالأرض خلقت في ستة أيام وآدم كالفرع من بعضها كما في فتح القريب. والحكمة في تأخير خلق آدم ليكون خليفة في الأرض لأن الأشياء قبله بمنزلة الرعية في مملكة الكون ولا يكون خليفة إلا بالجنود والرعية فتقدم الرعية على الخليفة تشريف وتكريم للخلافة.

واعلم: أن أول فلك دار بالزمان قلب الميزان وفيه حدثت الأيام دون الليل والنهار فكان أول حركته بالزمان وأما حدوث الليل والنهار فبحدوث الشمس في السماء الرابعة ودورانها على طريقة واحدة من الشرق إلى الغرب كذا في «عقلة المستوفز» وأول المخلوقات من الأيام هو يوم الأحد فالأحد فيه بمعنى الأول فلما أوجد الله الثاني سمي الاثنين لأنه ثاني يوم الأحد وأول الأيام التي خلق فيها الخلق السبت وآخر الأيام الستة إذا الخميس فالجمعة سابع والسبت بمعنى الراحة زعم اليهود إنه اليوم السابع الذي استراح فيه الحق من خلق السموات والأرض وما فيهن وكذبوا لقوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] أي: اعياء فيكون أول الأسبوع عندهم يوم

الأحد وكذا عند النصارى ولذا اختاروه.

وقد سئل عليه السلام عن يوم السبت فقال: «يوم مكر وخديعة» لأن قريشاً مكرت فيه في دار الندوة ولا يقطع اللباس يوم السبت والأحد والثلاثاء.

قال حضرة الشيخ صدر الدين القنوي ـ قدس سره ـ الملابس إذا فصلت وخيطت في وقت رديء اتصل بها خواص رديئة وكذا الأمر في باب المآكل والمشارب وكذلك ما ورد التنبيه عليه في الشريعة من شؤم المرأة والفرس والدار وشهدت بصحته التجارب المكررة فإن لجميع هذه في بواطن أكثر الناس بل وفي ظواهرهم أيضاً خواص مضرة تتعدى من بدن المغتذي والمباشر والمصاحب إلى نفسه وأخلاقه وصفاته فيحدث بسببها للقلوب والأرواح تلويثات هي من أقسام النجاسات وقد نبهت الشريعة على كراهتها دون الحكم عليها بالحرمة.

وسئل حضرة مولانا قدس سره عما ورد «بارك الله في السبت والخميس» فقال: بركتهما لوقوعهما جارين ليوم الجمعة. وسئل عليه السلام عن يوم الأحد فقال: «يوم غرس وعمارة» لأن الله تعالى ابتدأ فيه خلق الدنيا وعمارتها وفي رواية «بنيت الجنة فيه وغرست». وسئل عن يوم الاثنين فقال: «يوم سفر وتجارة» لأن فيه سافر شعيب فربح في تجارته. وسئل عن يوم الثلاثاء فقال: «يوم دم» لأن فيه حاضت حواء وقتل ابن آدم أخاه وقتل فيه جرجيس وزكريا ويحيى ولده وسحرة فرعون وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وبقرة بني إسرائيل ونهى النبي عليه السلام عن الحجامة يوم الثلاثاء أشد النهي وقال: «فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم» أي: لا ينقطع إذا احتجم أو فصد وربما يهلك الإنسان بعد انقطاع الدم «وفيه نزل إبليس إلى الأرض وفيه خلقت جهنم وفيه سلط الله ملك الموت على أرواح بني آدم وفيه ابتلي أيوب».

وقال بعضهم: ابتلي في يوم الأربعاء. قيل كان الرسم في زمن أبي حنيفة رحمه الله إن يوم البطالة يوم السبت في القراءة لا يقرأ في يوم السبت ثم في زمن الخصاف كان متردداً بين الاثنين والثلاثاء ومات الخصاف ببغداد سنة إحدى وستين ومائتين.

يقول الفقير: ثم صار يوم البطالة يوم الثلاثاء والجمعة واستمر إلى يومنا هذا في أكثر البلاد. وكان شيخي العلامة أبقاه الله بالسلامة يعد الدرس فيهما إفراطاً ويقول يعرض للإنسان من الاشتغال فتور وانقباض فلا بد من يوم البطالة ليصل نشاط وانبساط لئلا ينقطع الطالب عن تحصيل المطلوب ومن هنا أبيح ورخص التفرج والتبسط أحياناً ولو للسالك. وسئل عن يوم الأربعاء قال: «يوم نحس» لأن فيه أغرق فرعون وقومه وأهلك فيه عاد وثمود وقوم صالح ونهى فيه عن قص الأظفار لأنه يورث البرص، وكره بعضهم عيادة المريض يوم الأربعاء.

وفي «منهاج الحليمي» إن الدعاء مستجاب يوم الأربعاء بعد الزوال قبل وقت العصر لأنه عليه السلام استجيب له الدعاء على الأحزاب في ذلك اليوم في ذلك الوقت قيل يحمد فيه الاستحمام. وذكر إنه ما بدىء شيء يوم الأربعاء إلا وقد تم فينبغي البداءة بنحو التدريس فيه.

وكان صاحب «الهداية» يتوقف في ابتداء الأمور على الأربعاء ويروي هذا الحديث ويقول هكذا كان يفعل أبي ويرويه عن شيخه أحمد بن عبد الرشيد.

وسئل عليه السلام عن يوم الخميس «فقال يوم قضاء الحوائج والدخول على السلطان»؛ لأن فيه دخل إبراهيم عليه السلام على ملك مصر فقضى حاجته وأهدى إليه هاجر.

وسئل عن يوم الجمعة فقال: «يوم نكاح» نكح فيه آدم حواء ويوسف زليخا وموسى بنت

شعيب وسليمان بلقيس ونكح عليه السلام خديجة وعائشة رضي الله عنهما وعن ابن مسعود رضي الله عنه من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه داء وأدخل فيه الشفاء ﴿ثم استوى على العرش﴾ .

قال في: «التبيان» ثم في كتاب الله تعالى على خمسة أوجه، الوجه الأول: أتت عاطفة مرتبة وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ [النساء: ٣٧] والوجه الثاني: بمعنى قبل وهو قوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ معناه قبل ذلك استوى على العرش لأن قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] يدل على أن وجود العرش سابق على تخليق السموات والأرض ومثله ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ [الصافات: ٦٨] معناه قبل ذلك مرجعهم ومثله قول الشاعر:

قل لمن ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده

والوجه الثالث: بمعنى الواو وهو قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد: ١٧] معناه ومع ذلك كان من الذين آمنوا. والرابع: بمعنى الابتداء وهو قوله: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [المراسلات: ١٦-١٧] معناه نحن نتبعهم والوجه الخامس: تكون بمعنى التعجب وهو قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١] معناه تعجبوا منهم كيف يكفرون بربهم انتهى بزيادة.

يقول الفقير: ثم ههنا لتفخيم شأن منزلة العرش وتفضيله على السموات والأرض لا للتراخي في الوقت كما ذهبوا إليه عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩] في أوائل سورة البقرة فلا حاجة إلى التأويل.

واعلم أن الأفلاك تسع طبقات بعضها فوق بعض والفلك المحيط وهو العرش محيط بها كلها، وكذلك جسم الإنسان خلق من تسعة جواهر بعضها فوق بعض، ليكون جسم الإنسان مشاكلاً للأفلاك بالكمية والكيفية وهي، أي: الجواهر المخ والعظام والعصب والعروق وفيها الدم واللحم والجلد والشعر والظفر، وهو، أي: العرش أول الموجود الجسماني كما أن روح نبينا ﷺ أول الموجود الروحاني وهو من ياقوتة حمراء وله ألف شرفة وفي كل شرفة ألف عالم مثل ما في الدنيا بأسرها.

قال ابن الشيخ: ومعنى الاستواء عليه الاستيلاء عليه بالقهر ونفاذ التصرف فيه وخص العرش بالأخبار عن الاستواء عليه لكونه أعظم المخلوقات فيفيد أنه استولى على ما دونه.

قال الحدادي: ودخلت ثم على الاستواء وهي في المعنى داخلة على التدبير كأنه قال ثم ﴿يدبر الأمر﴾ وهو مستو على العرش فإن تدبير الأمور كلها ينزل من عند العرش ولذا ترفع الأيدي في دعاء الحوائج نحو العرش.

قال القاضي: يدبر الأمر، أي: يقدر أمر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيىء بتحريكه أسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في ادبار الأمور لتجيء محمودة العاقبة.

وعن عمرو بن مرة يدبر أمر الدنيا بأمر الله أربعة. جبرائيل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل. أما جبرائيل فعلى الرياح والجنود، وأما ميكائيل فعلى القطر والنبات، وأما ملك الموت فعلى الأنفس، وأما إسرافيل فينزل عليهم ما يؤمرون به.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿خلق السموات والأرض﴾ في عالم الصورة وهو العالم الأكبر ﴿في ستة أيام﴾ من أنواع ستة وهي الأفلاك والكواكب والعناصر والحيوان والنبات والجماد ﴿ثم استوى على العرش﴾ والعرش جسماني روحاني ذو جهتين جهة منه تلي العالم الروحاني وجهة منه تلي العالم الجسماني ﴿يدبر الأمر﴾ لفيضان فيض رحمانية على العرش فإنه أول قابل لفيض الرحمانية وهذا أحد تفاسير الرحمن على العرش استوى ثم من العرش ينقسم الفيض فإنه مقسم الفيض فيجري في مجاري جعلها الله من العرش إلى ما دونه من المكونات وأنواع المخلوقات فبذلك الفيض تدور الأفلاك كما تدور الرحى بالماء به تؤثر الكواكب وبه تولد العناصر وتظهر خواصه وبه يتولد الحيوان ذا حس وحركة وبه ينبت النبات ذا حركة بلا حس وبه تغير المعادن بلا حس ولا حركة.

وفيه إشارة أخرى ﴿إن ربكم الله الذي﴾ يربيكم هو الذي ﴿خلق السموات﴾ سموات أرواحكم ﴿والأرض﴾ أرض نفوسكم في عالم المعنى وهو العالم الأصغر ﴿في ستة أيام﴾، أي: من ستة أنواع وهي الروح والقلب والعقل والنفس التي هي الروح الحيواني والنفس النباتية التي هي النامية وخواص المعادن وهي في الإنسان قوة قابلة لتغير الأحوال والأوصاف والألوان ﴿ثم استوى على العرش﴾ على عرش القلب، ﴿يدبر الأمر﴾ أمر السعادة والشقاوة ويهيىء أسبابهما من الأخلاق والأحوال والأعمال والأفعال والأقوال والحركات والسكنات وإلى هذا يشير قوله: «قلوب العباد بيدي الله يقلبها كيف يشاء» ﴿ما من شفيع﴾ يشفع لأحد في وقت من الأوقات ﴿إلا من بعد إذنه﴾ المبني على الحكمة الباهرة وهو جواب قول الكفار أن الأصنام شفعاؤنا عند الله فبين الله تعالى إنه ما من ملك مقرب ولا نبي مرسل يشفع لأحد إلا من بعد أن يأذن الله لم يشاء ويرضى فكيف تشفع الأصنام التي ليس لها عقل ولا تمييز وفيه إثبات الشفاعة لمن أذن له ﴿ذلكم﴾، أي: ذلك العظيم الشان المنعوت بما ذكر من نعوت الكمال والإشارة محمولة على التجوز لاستحالة تعلق الإحساس بالله تعالى.

قال في «البهجة» وأما نحو تلك الجنة فذلك لصيرورتها كالمشاهد بمعرفة أوصافها ﴿الله﴾ خبر ذلكم ويجوز أن يكون صفة على أن الخبر ما بعده كما قال الكاشفي [آن خدا وندي كه موصوف است بصفات خلق وتدبير واستيلاء]. ﴿ربكم﴾ [پروردكار شماست نه غيراو]؛ إذ لا يشاركه أحد في شيء من ذلك.

قال المولى أبو السعود رحمه الله ربكم بيان له أو بدل منه أو خبر ثان لاسم الإشارة ﴿فاعبدوه﴾ وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو إنسان فضلاً عن جماد لا يضر ولا ينفع ﴿أفلا تذكرون﴾ تتفكرون فإن أدنى التفكر والنظر ينبهكم على أنه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿إليه مرجعكم جميعاً﴾ بالموت والنشور لا إلى غيره فاستعدوا للقائه، وانتصب جميعاً على أنه حال من الضمير المجرور لكونه فاعلاً في المعنى، أي: إليه رجوعكم مجتمعين.

وفي «التأويلات النجمية» رجوع المقبول والمردود إلى حضرته، فأما المقبول فرجوعه

إليه بجذبات العناية التي صورتها خطاب ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٨] وحقيقتها انجذاب القلب إلى الله تعالى ونتيجتها غروب النفس عن الدنيا، واستواء الذهب والمدر عندها، وانزعاج القلب مما سوى الله واستغراق الروح في بحر الشوق والمحبة، والتبري مما سوى الله وهيمان السر وحيرته في شهود الحق ورجوعه من الخلق. وأما المردود فرجوعه بغير اختياره مغلولاً بالسلاسل والأغلال يسحبون في النار على وجوههم وهي صورة صفة قهر الله ومن نتائج قهر الله تعلقاته بالدنيا وما فيها واستيلاء صفات النفس عليه من الحرص والبخل والأمل والكبر والغضب والشهوة والحسد والحقد والعداوة والشره فإن كل واحدة منها حلقة من تلك السلاسل وغل من تلك الأغلال بها يسحبون إلى النار ﴿وعد الله﴾، أي: وعد الله البعث بعد الموت وعداً ﴿حقاً﴾ كائناً لا شك فيه فوعد الله مصدر مؤكد لنفسه؛ لأن قوله: ﴿إليه مرجعكم﴾ وعد من الله بالبعث والإعادة لا محتمل له غير كونه وعداً وقوله: ﴿حقاً﴾ مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله لأن لهذه الجملة محتملاً غير الحقية نظراً إلى نفس مفهومها، أي: حق ذلك حقاً ﴿إنه﴾ أي: الله تعالى ﴿يبدأ الخلق﴾ يقال: بدأ الله الخلق أي: خلقهم كما في «القاموس» ﴿ثم يعيده﴾ أي: يبدأ الخلق أولاً في الدنيا ليكلفهم ويأمرهم بالعبادة ثم يميتهم عند انقضاء آجالهم ثم يبعثهم بعد الموت وهذا استئناف بمعنى التعليل لوجوب الرجوع إليه ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ متعلق بيعيده، أي: يثيبهم بما يليق بلطفه وكرمه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿بالقسط﴾ متعلق بيجزي، أي: بالعدل فلا ينقص من ثواب محسن ولا يزيد على عقاب مسيء بل يجازي كلاً على قدر عمله كما قال تعالى ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبا: ٢٦]. ﴿والذين كفروا لهم شراب من حميم﴾، أي: من ماء حار قد انتهت حرارته [چون بخور نداحشا وامعاي ايشان پاره كردد]. ﴿وعذاب أليم﴾ وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم ﴿بما كانوا يكفرون﴾ وهو في موضع رفع صفة أخرى لعذاب ويجوز يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: ذلك المذكور من الشراب والعذاب حاصل لهم بسبب كفرهم بالله ورسوله وغير النظم ولم يقل وليجزي الكافرين بشراب الخ تنبيهاً على أن المقصود بالذات من الابداء والإعادة هو الإثابة والعقاب واقع بالعرض.

واعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة، فالله تعالى بقدرته يعيد الخلق بعد الموت ليحصدوا فيها ما زرعوه في الدنيا فمن زرع الخير يحصد السلامة ومن زرع الشر يحصد الندامة:

جمله دانند اين اكر تونكروى هرچه مى كاريش روزى بدروى

وإنما أخر الجزاء إلى دار الآخرة لأن الدنيا لا تسعه ولله تعالى في كل شيء حكمة فإذا عرفت الحال فخف من الله المتعال فإنه غيور لا يرضى إقامة عبده على مخالفته وخروجه من دائرة طاعته.

وعن وهب بن منبه كان يسرج في بيت المقدس ألف قنديل فكان يخرج من طور سيناء زيت مثل عنق البعير صاف يجري حتى ينصب في القناديل من غير أن تمسه الأيدي وكانت تنحدر نار من السماء بيضاء تسرج بها القناديل وكان القربان والسرج في ابني هارون شبر وشبير فأمرا أن لا يسرجا بنار الدنيا فاستعجلا يوماً فأسرجا بنار الدنيا فوقعت النار فأكلت ابني هارون فصرخ الصارخ إلى موسى عليه السلام فجاء يدعو ويقول يا رب إن ابني هارون أخي قد عرفت مكانهما مني، فأوحى الله إليه يا ابن عمران هكذا افعل بأوليائي إذا عصوني فكيف بأعدائي.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الأرض لأمرت على أهل الأرض معيشتهم فكيف بمن هو طعامه من زقوم وشرابه من حميم؟ ومن تذكر المبدأ والمعاد وتفكر أن الرجوع إلى رب العباد تاب من الخطايا والسيئات وصار من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وفي الحديث: «إذا بلغ العبد أربعين سنة ولم يغلب خيره شره قبل الشيطان بين عينيه وقال فديت وجهاً لا يفلح أبداً». فإنْ منَّ الله عليه وتاب واستخرجه من غمرات الجهالة واستنقذه من ورطات الضلالة يقول الشيطان واويلاه قطع عمره في الضلالة وأقر عيني في المعاصي ثم أخرجه الله بالتوبة من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة. وفي «المثنوي»:

مرداول بستهٔ خواب وخورست آخر الأمر ازملائك بر ترست
درپناه پنبه وكبريتها شعلهٔ نورش برآيد برسها

يعني أن الشرارة تصير ناراً عظيمة بمعونة القطن والكبريت فكذا الإنسان في أول حاله كالشرارة فإذا قارن المربي أو رباه الله من غير وساطة أحد من الناس يرقى إلى حيث يعظم قدره عند الله ويصير بين أقرانه كالمسك بين الدماء نسأل الله العناية والتوفيق.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٥﴾.

﴿هو الذي﴾ [اوست آن خداونديكه بقدرت].

﴿جعل الشمس ضياء﴾ أي: صيرها ذات ضياء للعالمين بالنهار لأن المعنى لا يحمل على العين أو خلقها وأنشأها حال كونها ذات ضياء وأصله ضواء قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها والشمس مأخوذ من شمسة القلادة وهي أعظم جواهرها جرماً وأنفسها قيمة وهي التي يقال لها بالفارسية [ميانكين]، وإنما سميت بذلك لتوسطها بين الكواكب كذا في «شرح التقويم». ﴿والقمر﴾ سمي بذلك لكون لونه بياضاً في صفرة. يقال حمار أقمر إذا كان أبيض في صفرة ﴿نوراً﴾ أي ذا نور بالليل والضياء أقوى بحكم الوضع والاستعمال ولذا نسب الضياء إلى الشمس والنور إلى القمر. وعند الحكماء الضياء ما يكون بالذات كما للشمس والنور بالعرض كما على وجه الأرض فيكون نور القمر مستفاداً من الشمس. يعني إن القمر في نفسه جرم مظلم صقيل يقبل النور فعند المقابلة يمتلىء نوراً من الشمس بطريق الانعكاس فيقع ذلك الشعاع على وجه الأرض:

نورهستي جملهٔ ذرات عالم تا ابد ميكنند از مغربي چون ماه از مهر اقتباس

قال في «أسئلة الحكم»: هذا مدفوع بالخبر الوارد «إن الله تعالى خلق شمسين نيرين قبل خلق الأفلاك فالشمس والقمر خلقهما الله من نور عرشه»، وكان في سابق علمه أن يطمس نور القمر كما روي «إن الله خلق نور القمر سبعين جزءاً». وكذا نور الشمس ثم أمر جبريل فمسحه بجناحيه فمحا من القمر تسعة وستين جزءاً فحولها إلى الشمس فأذهب عنه الضوء وأبقى فيه النور والشمس مثل الأرض مائة وستاً وستين مرة وربعاً ثم جرم الأرض والقمر جزء من تسعة وثلاثين وربع على ما في الواقع.

وفي الخبر: «أن وجوههما إلى العرش وظهورهما إلى الأرض تضيء وجوههما لأهل السموات السبع وظهورهما لأهل الأرضين السبع» والمشهور إنه إذا كان على وجه الأرض نهار

يكون فيما تحت الأرض ليل وبالعكس كما قال ابن عباس رضي الله عنهما إن في الأرض الثانية خلقاً وجوههم وأبدانهم وأيديهم كوجوه بني آدم وأبدانهم وأيديهم وأفواههم كأفواه الكلاب وأرجلهم وآذانهم كأرجل البقر وأذانها وشعورهم كصوف الضأن لا يعصون الله طرفة عين، ليلنا نهارهم ونهارنا ليلهم كما «في ربيع الأبرار» وبعضهم فضل القمر على الشمس لأن القمر مذكر والشمس مؤنث والتذكير أصل والتأنيث فرع فالفضل للأصل على الفرع وهو الأصح الأشهر وتقدم الشمس في الذكر لا يوجب الأفضلية إذ قد يتأخر الأشرف في القرآن كقوله تعالى: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]. كما في «أسئلة الحكم».

يقول الفقير: الكلام في التذكير والتأنيث الحقيقي دون اللفظي وكون القمر مذكراً لفظاً لا يوجب الفضل على ما هو مؤنث لفظاً وقد يسمى الرجل بطلحة وهو مؤنث لفظي مع أن الرجل أفضل من المرأة، ونعم ما قيل:

ولا التأنيث عار لاسم شمس ولا التذكير فخر للهلال

وجعل الله للشمس سلطاناً على جميع الطبائع النباتية والمعدنية والحيوانية ما نبت زرع ولا خرجت فاكهة ولا يكون في العالم طعم ولذة إلا والشمس تربيها بأمر الواحد القهار. ويقال: الثمرة ينضجها الشمس ويلونها القمر ويعطي طعمها الكواكب. قيل: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام أن كن للناس في الحلم كالأرض تحتهم وفي السخاء كالماء الجاري وفي الرحمة كالشمس والقمر فإنهما يطلعان على البر والفاجر، قال الحافظ قدس سره:

نظر كردن بدرويشان منافىء بزركي نيست سليمان باچنان حشمت نظرها بودباموروش

قال في «التأويلات النجمية» إن الله تعالى خلق الروح نورانياً له ضياء كالشمس وخلق القلب صافياً كالقمر قابلاً للنور والظلمة وخلق النفس ظلمانية كالأرض فمهما وقع قمر القلب في مواجهة شمس الروح يتنور بضيائها ومهما وقع في مقابلة أرض النفس تنعكس فيه ظلمتها. ويسمى القلب قلباً لمعنين: **إحداهما**: أنه خلق بين الروح والنفس فهو قلبهما، **والثاني**: لتقلب أحواله تارة يكون نورانياً لقبول فيض الروح وتارة يكون ظلمانياً لقبول النفس انتهى.

قال حضرة شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة في بعض تحريراته نحن بين النورين نور شمس الحقيقة ونور قمر الشريعة فإذا جاء نهار الحقيقة نستضيء بنور شمسها وإذا جاء ليل الشريعة نستضيء بنور قمرها ونحن أرباب النورين من النور إلى النور نسير وبالنور إلى النور نطير وحالنا بين التجلي والاستتار فعند تجلي النور الإلهي لقلوبنا وأرواحنا وأسرارنا يكفي لنا هذا النور ولا حاجة إلى غيره وعند استتاره عن قلوبنا وأرواحنا وأسرارنا يكفي لنا بدله وهو نور قمر الشريعة ولا حاجة إلى غيره انتهى بإجمال ﴿**وقدره منازل**﴾، أي: وهيأ لكل من الشمس والقمر منازل لا يجاوزها ولا يقصر دونها فحذف حرف الجر ومنازل الشمس هي البروج الاثنا عشر.

ثلاثة منها بروج الربيع، وهي الجمل، والثور، والجوزاء. فهذه الثلاثة ربيعية شمالية والشمال يسار القبلة، وإنما سميت بهذه الأسامي لأن الكواكب المركوزة في الفلك مشكلة في كل برج بشكل مسماه وقت التسمية.

وثلاثة منها بروج الصيف؛ وهي السرطان، والأسد، والسنبلة، وابتداء السرطان من نقطة

الانقلاب الصيفي فهذه الثلاثة صيفية شمالية. وثلاثة منها بروج الخريف، وهي: الميزان والعقرب والقوس، وابتداء الميزان من نقطة الاعتدال الخريفي فهذه الثلاثة خريفية جنوبية. وثلاثة منها بروج الشتاء، وهي: الجدي، والدلو، والحوت، وابتداء الجدي من الانقلاب الشتوي فهذه الثلاثة شتوية جنوبية والجنوب يمين القبلة وبجمعها هذان البيتان في «نصاب الصبيان»:

برجها دائم كه ازمشرق بر آوردند سر
جمله در تسبيح ودر تهليل حي لا يموت
چون حمل چون ثور چون جوزا وسرطان وأسد
سنبلة ميزان وعقرب قوس وجدي ودلو وحوت

تسير الشمس في كل واحد من هذه البروج شهراً وتنقضي السنة بانقضائها ويعلم مدة سكون الشمس في كل بزح حتماً. قال في «النصاب» أيضاً:

خور بجوزاست سي ودو ويكبيست حمل وثور وشير باپس وپيش
دلو وميزان وحوت وعقرب سى بيست نه قوس وجدى بي كم وبيش

فتكون السنة الشمسية وهي: مدة وصول الشمس إلى النقطة التي فارقتها من ذلك البرج ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم على ما في «صدر الشريعة». ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهذه المنازل مقسومة على البروج الاثني عشر لكل برج منزلتان وثلث فينزل القمر كل ليلة منها منزلة، فإذا كان في آخر منازله دق واستقوس ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين وليلة واحدة إن كان الشهر تسعة وعشرين ويكون مقام الشمس في كل منزلة منها ثلاثة عشر يوماً وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت إليها العرب الأنواء المستمطرة وستأتي عند قوله: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾ [يونس: ٢١] الآية.

وأول هذه المنازل السرطان.

والثاني البطين كزبير وهي ثلاثة كواكب صغار كأنها أثافي وهو بطن الحمل.

والثالث: الثريا بالضم وفتح الراء والياء المشددة وهي ستة كواكب وقع كل اثنين منها في مقابلة الآخر.

والرابع: الدبران محرّكة.

والخامس: الهقعة وهي ثلاثة كواكب بين منكبي الجوزاء كالأثافي إذا طلعت مع الفجر اشتد حر الصيف.

والسادس: الهنعة منكب الجوزاء الأيسر وهي خمسة أنجم مصطفة ينزلها القمر.

والسابع: الذراع وهي ذراع الأسد المبسوطة وللأسد ذراعان مبسوطة ومقبوضة وهي تلي الشام والقمر ينزل بها، والمبسوطة تلي اليمن وهي أرفع من السماك وأمدّ من الأخرى وربما عدل القمر فنزل بها تطلع لأربع يخلون من تموز وتسقط لأربع يخلون من كانون الأول.

والثامن: النثرة وهي كوكبان بينهما مقدار شبر وفوقهما شيء من بياض كأنه قطعة سحاب ويقال لهما أيضاً عند أهل النجوم أنف الأسد.

والتاسع: الطرف من القوس ما بين السية والأنهران أو قريب من عظم الذراع من كبدها

والأنهران العواء والسماك لكثرة مائهما.

والعاشر: الجبهة وهي أربعة كواكب ثلاثة منها مثلثة كالأثافي وواحد منفرد.

والحادي عشر: الزبرة بالضم كوكبان نيران بكاهل الأسد ينزلهما القمر.

والثاني عشر: الصرفة وهي نجم واحد نير يتلو الزبرة سميت لانصراف البرد بطلوعها.

والثالث عشر: العواء وهي خمسة كواكب أو أربعة كأنها كتابة ألف.

والرابع عشر: السماك ككتاب نجمان نيران.

والخامس عشر: الغفر وهي ثلاثة أنجم صغار.

والسادس عشر: الزباني بالضم كوكبان نيران في قرني العقرب.

والسابع عشر: الإكليل بالكسر أربعة أنجم مصطفة.

والثامن عشر: القلب وهو نجم من المنازل.

والتاسع عشر: الشولة وهي كوكبان نيران ينزلهما القمر يقال لها ذنب العقرب.

والعشرون: النعائم بالفتح أربعة كواكب نيرة.

والحادي والعشرون: البلدة بالضم ستة كواكب صغار تكون في برج القوس وتنزلها الشمس في أقصر أيام السنة. قال في «القاموس» البلدة رقعة من السماء لا كواكب بها بين النعائم وبين سعد الذابح ينزلها القمر وربما عدل عنها فنزل بالقلادة وهي ستة كواكب مستديرة تشبه القوس اهـ.

والثاني والعشرون: سعد الذابح كوكبان نيران بينهما قيد ذراع وفي نحر إحدهما كوكب صغير لقربه منه كأنه يذبحه.

والثالث والعشرون: سعد بلع كزفر معرفة منزل للقمر طلع لما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ [هود: ٤٤] وهو كوكبان مستويان في المجرى أحدهما خفي والآخر مضيء يسمى بلع كأنه بلع الآخر وطلوعه لليلة تمضي من آب.

والرابع والعشرون: سعد السعود.

والخامس والعشرون: سعد الأخبية وهي كواكب مستديرة. قال في «القاموس»: سعود النجوم عشرة: سعد بلع، وسعد الأخبية، وسعد الذابح، وسعد السعود، وهذه الأربعة من منازل القمر وسعد ناشرة، وسعد الملك، وسعد البهام، وسعد الهمام، وسعد البارع، وسعد مطر وهذه الستة ليست من المنازل كل منها كوكبان بينها في المنظر نحو ذراع.

والسادس والعشرون: فرغ الدلو المقدم.

والسابع والعشرون: فرغ الدلو المؤخر. قال في القاموس: في الغين المعجمة فرغ الدلو المقدم والمؤخر منزلان للقمر كل واحد كوكبان كل كوكبين في المرأى قدر رمح.

والثامن والعشرون: الرشاء ويقال له أيضاً بطن الحوت وهي كواكب صغار مجتمعة في صورة الحوت وفي سرتها نجم نير.

والسنة القمرية عبارة عن اجتماع القمر مع الشمس اثنتي عشرة مرة، وزمان هذه يتم في ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً وكسر وهو ثمان ساعات وثمان وأربعون دقيقة.

قال في «شرح التقويم»: أرباب هذه الصناعة ما وجدوا زمان شهر واحد أقل من تسعة وعشرين يوماً وأكثر من ثلاثين وكذا ما وجدوا زمان سنة واحدة أقل من ثلاثمائة وأربعة

وخمسين يوماً وأكثر من ثلاثمائة وخمسة وخمسين فعدد أيام كل سنة إما ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً أو ثلاثمائة وخمسة وخمسون.

واعلم أن الله تعالى جعل الدورة المحمدية دورة قمرية كما قال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة: ٣٦] تنبيهاً منه تعالى للعارفين من عباده أن آية القمر ممحوّة عن العالم الظاهر لمن اعتبر وتدبر في قوله: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ [يس: ٤] أي في علو المرتبة والشرف فكان ذلك تقوية لكتم آياتهم التي أعطاها للمحدثين العربيين وأجراها وأخفاها فيهم كذا في «عقلة المستوفز» لحضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر.

قال شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة في كتاب «اللائحات البرقيات» له مرتبة القمر إشارة في المراتب الإلهية إلى مرتبة الربوبية ومرتبة الشمس إلى مرتبة الألوهية، وفي المراتب الكونية الآفاقية مرتبة القمر إشارة إلى مرتبة الكرسي واللوح ومرتبة الشمس إشارة إلى مرتبة العرش والقلم وفي المراتب الكونية الأنفسية مرتبة القمر إشارة إلى مرتبة الروح ومرتبة الشمس إشارة إلى مرتبة السر انتهى بإجمال.

ثم لحروف ظاهر النفس الرحماني منازل عدد منازل القمر ويقال لها التعينات وهي العقل الأول، ثم النفس الكلية، ثم الطبيعة الكلية، ثم الهباء، ثم الشكل الكلي، ثم الجسم الكلي، ثم العرش ثم الكرسي، ثم الفلك الأطلس، ثم المنازل، ثم سماء كيوان، ثم سماء المشتري، ثم سماء المريخ، ثم سماء الشمس، ثم سماء الزهرة، ثم سماء عطارد، ثم سماء القمر، ثم عنصر النار، ثم عنصر الهواء، ثم عنصر الماء، ثم عنصر التراب، ثم المعدن، ثم النبات، ثم الحيوان، ثم الملك ثم الجن، ثم الإنسان، ثم المرتبة.

وفي مقابلتها على الترتيب حروف باطن النفس الرحماني وهي: الاسم البديع ثم الباعث ثم الباطن ثم الآخر ثم الظاهر ثم الحكيم ثم المحيط ثم الشكور ثم الغني ثم المقتدر ثم الرب ثم العليم ثم القاهر ثم النور ثم المصور ثم المحصي ثم المبين ثم القابض ثم المحيي ثم المميت ثم العزيز ثم الرزاق ثم المذل ثم القوي ثم اللطيف ثم الجامع ثم الرفيع.

ولو تفطنت حروف التهجي وجدتها على هذا الترتيب كما رتب أهل الآراء وهي الهمزة ثم الهاء ثم العين ثم الحاء المهملة ثم الغين المعجمة ثم القاف ثم الكاف ثم الجيم ثم الشين المنقوطة ثم الياء المثناة ثم الضاد المعجمة ثم اللام ثم النون ثم الراء المغفلة ثم الطاء المهملة ثم الدال المهملة ثم التاء المثناة من فوق ثم الزاي ثم السين المهملة ثم الصاد المهملة ثم الظاء المعجمة ثم الثاء المثلثة ثم الذال المنقوطة ثم الفاء ثم الباء الموحدة ثم الميم ثم الواو فسبحان من أظهر بالنفس الرحماني هذه المنازل في الأنفس والآفاق إرادة كمال الوفاق. **﴿لتعلموا عدد السنين والحساب﴾** أي: حساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالي والساعات لصلاح معاشكم ودينكم من فرض الحج والصوم والفطر والصلاة وغيرها من الفروض **﴿ما خلق الله ذلك﴾** المذكور من الشمس والقمر على ما حكي بحال ما من الأحوال. **﴿إلا﴾** ملتبساً **﴿بالحق﴾** مراعياً لمقتضى الحكمة البالغة وهو ما أشير إليه إجمالاً من العلم بأحوال السنين والأوقات المنوط به أمور معاملاتهم وعباداتهم فليس في خلقه عبث باطل أصلاً ـ حكي ـ أن رجلاً رأى خنفساء فقال: ماذا يريد الله تعالى من خلق هذه أحسن شكلها أم طيب ريحها فابتلاه الله بقرحة عجز عنها الأطباء حتى ترك علاجها فسمع يوماً صوت طبيب من الطرقيين ينادي في

الدرب فقال: هاتوه حتى ينظر في أمري، فقالوا: ما تصنع بطرقي وقد عجز عنك حذاق الأطباء؟ فقال: لا بدّ لي منه فلما أحضروه ورأى القرحة استدعى بخنفساء فضحك الحاضرون فتذكر العليل القول الذي سبق منه، فقال: احضروا ما طلب فإن الرجل على بصيرة فأحرقها ووضع رمادها على قرحته فبرئت بإذن الله تعالى، فقال للحاضرين: إن الله تعالى أراد أن يعرفني أن أخس المخلوقات أعز الأدوية، وإن في كل خلقه حكمة. ﴿**يفصل الآيات**﴾ التكوينية المذكورة الدالة على وحدانيته وقدرته ويذكر بعضها عقيب بعض مع مزيد الشرح والبيان. ﴿**لقوم يعلمون**﴾ الحكمة في إبداع الكائنات فيستدلون بذلك على شؤون مبدعها وخص العلماء بالذكر لأنهم المنتفعون بالتأمل فيها.

﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦﴾

﴿**إن في اختلاف الليل والنهار**﴾ أي في اختلاف ألوانهما بالنور والظلمة أو في اختلافهما بذهاب الليل ومجيء النهار وبالعكس.

واختلف في أيهما أفضل، قال الإمام النيسابوري الليل أفضل لأنه راحة والراحة من الجنة والنهار تعب والتعب من النار، فالليل حظ الفراش والوصال والنهار حظ اللباس والفراق، وقيل: النهار أفضل لأنه محل النور والليل محل الظلام.

يقول الفقير: الليل إشارة إلى عالم الذات وله الرتبة العليا، والنهار إشارة إلى عالم الصفات وله الفضيلة العظمى ويختلفان بأن من ولد في الليل يصير أهل فناء في الله، ومن ولد في النهار يصير أهل بقاء بالله، ففيهما سر دار الجلال ودار الجمال وسر أهلهما. ﴿**وما خلق الله في السموات**﴾ من أنواع الكائنات كالشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح. ﴿**والأرض**﴾ من أنواعها أيضاً كالجبال والبحار والأشجار والأنهار والدواب والنبات. ﴿**لآيات**﴾ عظيمة أو كثيرة دالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته. ﴿**لقوم يتقون**﴾ خص المتقين لأنهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر إلى النظر والتدبر.

وعن علي رضي الله عنه من اقتبس علماً من النجوم من حملة القرآن ازداد به إيماناً ويقيناً ثم تلا ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ إلى ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ [يونس: ٦] يقول الفقير: أصلحه الله القدير: هذا بالنسبة إلى ما أبيح من تعلم النجوم وتوسل به إلى معرفة الآيات السماوية.

وأما قوله عليه السلام: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر» أي: قطعة منه. فقد قال الحافظ: المنهي عنه من علم النجوم هو ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزمان، كمجيء المطر ووقوع الثلج وهبوب الريح وتغير الأسعار ونحو ذلك.

ويزعمون أنهم يدركون ذلك بسير الكواكب واقترانها وافتراقها وظهورها في بعض الأزمان دون بعض.

وهذا علم استأثر الله به لا يعلمه أحد غيره، فأما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال وجهة القبلة وكم مضى وكم بقي فإنه غير داخل في النهي انتهى. وسمع ذو النون المصري شخصاً قائماً على الجبل وسط البحر يقول سيدي سيدي أنا خلف البحور والجزائر وأنت الملك الفرد بلا حاجب ولا زائر من ذا الذي أنس بك فاستوحش من ذا الذي نظر إلى آيات قدرتك فلم يدهش أما في نصبك السموات الطرائق ونظمك الفلك فوق

رؤوس الخلائق ورفعك العرش المحيط بلا علائق وإجرائك الماء بلا سائق وإرسالك الريح بلا عائق ما يدل على فردانيتك، أما السموات فتدل على منعتك، وأما الفلك فيدل على حسن صنعتك وأما الرياح فتنشر من نسيم بركاتك وأما الرعد فيصوت بعظيم آياتك وأما الأرض فتدل على تمام حكمتك وأما الأنهار فتتفجر بعذوبة كلمتك وأما الأشجار فتخبر بجميل صنائعك وأما الشمس فتدل على تمام بدائعك. قال الشيخ المغربي قدس سره:

جمله نقش تعينات ويند هرچه هستند در زمين وسما

وله:

مغربي زان ميكند ميلى بكلشن كاندرو

هرچه رازنكى وبويى هست رتك وبوى اوست

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾.

﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا﴾ المراد بلقائه تعالى: إما الرجوع إليه بالبعث أو لقاء الحساب كما في قوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة: ٢٠] وبعدم الرجاء عدم اعتقاد الوقوع المنتظم لعدم الأمل وعدم الخوف فإن عدمهما لا يستدعي عدم اعتقاد وقوع المأمول والمخوف أي لا يتوقعون الرجوع إلينا أو لقاء حسابنا المؤدي إما إلى حسن الثواب أو إلى سوء العذاب فلا يأملون الأول وإليه أشير بقوله: **﴿ورضوا بالحياة الدنيا﴾** فإنه منبيء عن إيثار الأدنى الخسيس على الأعلى النفيس ولا يخافون الثاني وإليه أشير بقوله: **﴿واطمأنوا بها﴾** كما في «الإرشاد» **﴿ورضوا بالحياة الدنيا﴾** من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي **﴿واطمأنوا بها﴾** وسكنوا إليها قاصرين هممهم على لذائذها وزخارفها أو سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديداً واملوا بعيداً: يعني [در دنيا ساكن كشتند بر وجهي كه كوييا هركز ايشانرا از آنجا رحلت نخواهد بودوند انستندكه لحظه بلحظه دست اجل طبل رحيل فرخوا اهد كوفت]:

آن كيست كه دل نهاد وفارغ بنشست پنداشت كه مهلتي وتأخيرى هست

كو خيمه مزن كه ميخ مى بايد كند كو رخت منه كه بار مى بابد بست

ـ روي ـ أن الله تعالى قال: «عجبت من ثلاثة، ممن آمن بالنار ويعلم أنها وراءه كيف يضحك. ومن اطمأنت نفسه بالدنيا وهو يعلم أنه يفارقها كيف يسكن إليها. وممن هو غافل وليس بمغفول عنه كيف يلهو».

ونزل النعمان بن المنذر تحت شجرة ليلهو فقال عدي أيها الملك أتدري ما تقول هذه الشجرة؟ ثم أنشأ يقول:

رب ركب قد أناخوا حولنا يمزجون الخمر بالماء الزلال

ثم اضحوا عصف الدهر بهم وكذاك الدهر حالاً بعد حال

فتنغص على النعمان يومه كذا في «ربيع الأبرار» **﴿والذين هم عن آياتنا﴾** عن آيات القرآن فيكون المراد الآيات التشريعية أو عن دلائل الصنع فيكون المراد الآيات التكوينية **﴿غافلون﴾** لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف لتغاير الوصفين أي للجمع بين الوصفين المتغايرين الانهماك في لذات الدنيا وزخارفها والذهول عن آيات الله ودلائل المعرفة أو لتغاير

الذاتين كما قال في «التأويلات النجمية» إن الذين لا يعتقدون السير إلينا والوصول بنا لدناءة همتهم ورضوا بالتمتعات الدنيوية وركنوا إلى مالها وجاهها وشهواتها همتهم ﴿**والذين هم عن آياتنا غافلون**﴾ وإن لم يركنوا إلى الدنيا وتمتعاتها، وكانوا أصحاب الرياضات والمجاهدات من أهل الأديان والملل وهم البراهمة والفلاسفة والإباحية لكن كانوا معرضين عن متابعة النبي ﷺ، أو كانوا من أهل الأهواء والبدع.

﴿**أولئك**﴾ الموصوفون بما ذكر من صفات السوء ﴿**مأواهم**﴾ أي: مسكنهم ومقرهم الذي لا براح لهم منه ﴿**النار**﴾ نار جهنم أو نار البعد والطرد والحسرة لا ما اطمأنوا بها من الحياة الدنيا ونعيمها ﴿**بما كانوا يكسبون**﴾ أي جوزوا بما واظبوا عليه وتمرنوا به من الأعمال القلبية المعدودة وما يستتبعه من أصناف المعاصي والسيئات.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿**إن الذين آمنوا**﴾ فعلوا الإيمان أو آمنوا بما تشهد به الآيات التي غفل عنها الغافلون ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ أي الأعمال الصالحة في أنفسها اللائقة بالإيمان وهي ما كان لوجه الله تعالى ورضاه.

وإنما ترك ذكر الموصوف لجريانها مجرى الأسماء ﴿**يهديهم ربهم**﴾ في الآخرة ﴿**بإيمانهم**﴾ أي بسبب إيمانهم وبنوره إلى مأواهم ومقصدهم وهي الجنة وفي الحديث: «إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول أنا عملك فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة والكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار» ويحتمل أن تكون الهداية إلى سلوك سبيل يؤدي إلى إدراك الحقائق الكونية والإلهية وهي هداية خاصة يلقاها الخواص وإليه الإشارة بقوله: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» فالعلم الأول هو علم المعاملة الذي يكون بطريق الدراسة، والعلم الثاني هو علم المكاشفة الذي يكون بطريق الوراثة، وهو أعلى وأجل من الأول لأن الأول منه بمنزلة القشر من اللب نسأل الله الفيض الخاص الذي ذاقه أهل الاختصاص. ﴿**تجري من تحتهم**﴾ من تحت سررهم المرفوعة الموضوعة في البساتين والرياض. ﴿**الأنهار**﴾ الأربعة ﴿**في جنات النعيم**﴾ متعلق بتجري أي في جنات يتنعمون فيها ويترفهون.

قال الكاشفي ﴿**في جنات النعيم**﴾ [در بوستانها بانعيم وبانعمت] والنعيم النعمة والخفض والدعة كما في القاموس وسميت جنة لاستتار أرضها بأشجارها ومنه سمي الجن لاستتارهم عن الأبصار ومنه سمي المجن للتستر به.

﴿**دعواهم فيها**﴾ أي: دعاؤهم في تلك الجنات. ﴿**سبحانك اللهم**﴾ أي يا الله نسبحك تسبيحاً وننزهك عن الخلف في الوعد والكذب في القول فقد وجدنا ما وعدتنا ﴿**وتحيتهم فيها**﴾ التحية التكرمة بالحالة الجليلة أصلها أحياك الله حياة طيبة وهي من إضافة المصدر إلى فاعله أي تحية بعضهم لبعض في الجنة ﴿**سلام**﴾ أي: سلامة من كل مكروه أو من إضافته إلى المفعول أي تحية الملائكة إياهم كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾

[الرعد: ٢٣-٢٤] أو تحية الله إياهم كما قال: ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ۝٥٨﴾ [يس: ٥٨]:

سلام دوست شنيدن سعادتست وسلامت بوصل يار رسيدن فضيلتست وكرامت

﴿وآخر دعواهم﴾ أي: خاتمة دعائهم ﴿أن الحمد لله رب العالمين﴾ أي: أن يقولوا ذلك نعتاً له تعالى بصفات الإكرام أثر نعته بصفات الجلال أي دعاؤهم منحصر فيما ذكر إذ ليس لهم مطلب مترقب حتى ينظموه في سلك الدعاء، وإن هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف والجملة الاسمية التي بعدها في محل الرفع على أنها خبر لها وإن مع اسمها وخبرها في محل الرفع خبر للمبتدأ الأول ـ روي ـ أن أهل الجنة إذا اشتهوا شيئاً يقولون: سبحانك اللهم فيأتيهم الخدم بالطعام والشراب وكل ما يشتهون فإذا طعموا قالوا الحمد لله رب العالمين.

واعلم أنه لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادة أهل الجنة إلا أن يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة وإنما يلهمونه فينطقون به تلذذاً بلا كلفة [وهر آيينه لذت تسبيح وتحميد ايشسانرا از ميع لذاتهاى بهشت خو بترآيد]

ذوق نامش عاشق مشتاقرا از بهشت جاودانى خوشتراست
كرچه درفردوس نعمتها بسى ست وصل او ازهرچه دانى خوشترست

وفيه إشارة إلى أن اللسان إنما خلق للذكر والدعاء لا لكلام الدنيا والغيبة والبهتان.

زبان آمد از بهر شكرو سپاس بغيبت نكرداندش حق شناس

وقد كان أول كلام تكلم به أبونا آدم عليه السلام حين عطس الحمد لله، وآخر الدعاء أيضاً كان ذلك. ففيه إشارة إلى أن العبد غريق في بحر نعم الله أولاً وآخراً فعليه استغراق أوقاته بالحمد ونعم الله في الدنيا متناهية وفي الآخرة غير متناهية فالحمد لا نهاية له أبد الآباد وهو منتهى مراتب السالكين: وفي «المثنوي»:

حمدشان چون حمدكلشنن از بهار صد نشانى دارد وصد كير ودار
بر بهارش چشمه ونخل وكياه وان كلستان ونكارستان كواه
تو ملاف از مشك كان بوى پياز از دم تو ميكند مكشوف راز
كلشكر خوردم همى كوئى وبوى مى زند از سير كه ياوه مكوى

يعني: أن لحمد العارف علامة فإنه يشهد لحمده كل أعضائه بخلاف حمد غيره فلا بد من تحقيق الدعوى بالحجة والبرهان فإن الدعوى المجردة لا تنفع كما لا يخفى على أهل الإيقان نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الحامدين في السراء والضراء بلسان الجهر والإخفاء.

﴿۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝١١ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٢﴾.

﴿ولو يعجل الله﴾ [واكر تعجيل كند خداى تعالى] ﴿للناس الشر استعجالهم بالخير﴾ التعجيل تقديم الشيء قبل وقته والاستعجال طلب العجلة والمراد بالشر العذاب وسمي به لأنه أذى مكروه في حق المعاقب ـ روي ـ أن النضر بن الحارث قال منكراً لنبوته عليه السلام اللهم

إن كان محمد حقا في إدعاء الرسالة فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، وكانوا يستعجلون العذاب المتوعد به من لسان النبوة فقال تعالى: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر﴾ والعذاب حين استعجلوه استعجالاً مثل ﴿استعجالهم بالخير﴾ والرحمة والعافية ﴿لقضي إليهم أجلهم﴾ لأدى إليهم الأجل الذي عين لعذابهم وأميتوا وأهلكوا بالمرة وما أمهلوا طرفة عين، لأن تركيبهم في الدنيا لا يحتمل ما استعجلوه من العذاب ولكن لا نعجل ولا نقضى ﴿فنذر الذين﴾ أي نترك فالفاء للعطف على مقدر، لا على يعجل؛ إذ لو كان كذلك لدخل في الامتناع الذي يقتضيه لو، وليس كذلك لأن التعجيل لم يقع وتركهم في طغيانهم يقع كما في تفسير أبي البقاء ﴿لا يرجون لقاءنا﴾ لا يتوقعون جزاءنا في الآخرة التي هي محل اللقاء لإنكارهم البعث ﴿في طغيانهم﴾ الذي هو عدم رجاء اللقاء وإنكار البعث والجزاء وهو متعلق بنذر أو بقوله: ﴿يعمهون﴾ أي: حال كونهم متحيرين ومترددين، وذلك لأنه لا صلاح ولا حكمة في إماتتهم وإهلاكهم عاجلاً إذ ربما آمنوا بعد ذلك أو ربما خرج من أصلابهم من يكون مؤمناً ولذلك لا يعاجلهم الله تعالى بإيصال الشر إليهم، بل يتركهم إمهالاً لهم واستدراجاً.

قال الحدادي: الآية عامة في كل من يستعجل العقاب الذي يستحقه بالمعاصي ويدخل فيها دعاء الإنسان على نفسه وولده وقومه بما يكره أن يستجاب له مثل قول الرجل إذا غضب على ولده اللهم لا تبارك فيه والعنه وقوله لنفسه رفعني الله من بينكم وفي الحديث: «دعاء المرء على محبوبه غير مقبول» وعن ابن عمر رضي الله عنهما رفعه «إني سألت الله لا يقبل دعاء حبيب على حبيبه» ولكن قد صح «إن دعاء الوالد على ولده لا يرد» فيجمع بينهما كما في «المقاصد الحسنة».

وقال شهر بن حوشب: قرأت في بعض الكتب إن الله تعالى يقول للملكين الموكلين لا تكتبا على عبدي في حال ضجره شيئاً.

ثم بين الله تعالى أنهم كاذبون في استعجال العذاب بناء على أنه لو نزل بالإنسان أدنى شيء يكرهه لا يصبر عليه بل يتضرع إلى الله في إزالته عنه فقال ﴿وإذا مس الإنسان﴾ أصابه ﴿الضر﴾ جنس الضر من مرض وفقر وغيرهما من الشدائد إصابة يسيرة ﴿دعانا﴾ [بخواند مرا باخلاص براي ازاله، او]. ﴿لجنبه﴾ اللام بمعنى على كما في قوله تعالى: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ [الإسراء: ١٠٧] أي: دعانا كائناً على جنبه أي مضطجعاً، أو ملقى لجنبه على الأرض لما به من المرض واللام على بابها. ﴿أو قاعداً أو قائماً﴾ وذلك أن من الضرر ما يغلب الإنسان ويجعله صاحب فراش يضطره إلى الاضطجاع، ومنه ما يكون أخف من ذلك ويجعله بحيث يقدر على القعود ومنه ما يتمكن الإنسان معه على القيام لا غير. ففائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع أصناف الضرر، ويجوز أن يكون لجميع الأحوال، أي: دعانا في جميع أحواله مما ذكر وما لم يذكر لإزالة ما يضر عنه في حال ما من أحواله، وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم خلو الإنسان عنها عادة. ﴿فلما كشفنا عنه ضره﴾ رفعناه وأزلناه بسبب إخلاصه في الدعاء ﴿مرّ﴾ مضى على طريقته التي كان ينتحيها قبل مساس الضر ونسي حالة الجهد والبلاء واستمر على كفره. ﴿كأن﴾ أي: كأنه ﴿لم يدعنا إلى ضر مسه﴾ أي مشبهاً بمن لم يدع إلى كشف ضره فهو حال من فاعل مر وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض أفراده ممن هو متصف بهذه الصفات ﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك التزيين، فالكاف اسم منصوب المحل على أنه صفة مصدر محذوف

لقوله: ﴿زين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾ من الأعراض عن التضرع والانهماك في الشهوات حين انكشاف الضر عنهم. وسمي الكافر مسرفاً لكونه مسرفاً في أمر دينه متجاوزاً عن الحد في الغفلة عنه فإنه لا شبهة في أن المرء كما يكون مسرفاً في الإنفاق فكذا يكون مسرفاً في اتباع الهوى وتضييع العمر فيما لا يعنيه بل يضره. قال الصائب:

ازين چه سودكه دركلستان وطن دارم مراكه عمر چو نركس بخواب ميكذرد

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿ولقد أهلكنا القرون﴾ يعني الأمم الماضية مثل قوم نوح وعاد ﴿من قبلكم﴾ متعلق بأهلكنا وليس بحال من القرون لأنه زمان أي: أهلكناهم من قبل زمانكم يا أهل مكة ﴿لما ظلموا﴾ حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي ﴿وجاءتهم﴾ أي: والحال أنهم قد جاءتهم ﴿رسلهم بالبينات﴾ أي: بالحجج الدالة على صدقهم ﴿وما كانوا ليؤمنوا﴾ وما استقام لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بأنهم يموتون على كفرهم وهو عطف على ما ظلموا، كأنه قيل لما ظلموا وأصروا على الكفر بحيث لم يبق فائدة في إمهالهم أهلكناهم ﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك الجزاء وهو إهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل وإصرارهم عليه بحيث تحقق إنه لا فائدة في إمهالهم ﴿نجزي القوم المجرمين﴾ نجزي كل مجرم.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم﴾ استخلفناكم فيها بعد القرون التي أهلكناها استخلاف من يختبر؛ لأن الله تعالى لا يحتاج في العلم بأحوال الإنسان إلى الاختبار والامتحان في الحقيقة، ولكن يعامل معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه ﴿لننظر﴾ النظر في اللغة: عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي طلباً لرؤيته وهو في حقه تعالى مستعار للعلم المحقق الذي لا يتطرق إليه شك ولا شبهة بأن يشبه هذا العلم بنظر الناظر وإدراكه عين المرئي على سبيل المعاينة والمشاهدة، ويطلق عليه لفظ النظر والرؤية على سبيل الاستعارة التصريحية ثم تسري الاستعارة إلى الفعل تبعاً.

قال الكاشفي: [تابه بينيم در صورت شهادت بعد ازانكه دانستيم درغيب شماكه] ﴿كيف تعملون﴾ [چه كونه عمل خواهيد كرد ازخر وشرتا باشما بمقتضاي اعمال شما عامله كنيم إن خيراً فخير وإن شراً فشر]:

چرا آيينهٔ فعلست كويى كه دروى هرچه كردى مينمايد
اكر كردى نكوئى نيك بيني وكريد كردهٔ بد پيشت آيد

وكيف معمول تعملون فإن معنى الاستفهام يحجب أن يعمل فيه ما قبله، وفائدته: الدلالة على أن المعتبر في الجزاء جهات الأفعال وكيفياتها لا من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح أخرى وفي الحديث: «إن الدنيا حلوة خضرة» يعني حسنة في المنظر «تعجب الناظر» والمراد من الدنيا صورتها ومتاعها وإنما وصفها بالخضرة؛ لأن العرب تسمي الشيء الناعم خضراء ولتشبيهها بالخضراوات في سرعة زوالها وفيه بيان كونها غرارة يفتتن الناس بحسنها. قال الحافظ:

خوش عروسست جهان ازره صورت ليكن هركه پيوست بدوعمر خودش كابين داد

قال: في «فتح القريب» حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة فإن النفس تطلبها طلباً حثيثاً فكذلك الدنيا وهي في الحال حلوة خضراء وفي المآل مرة كدرة نعمت المرضعة وبئست الفاطمة «وإن الله مستخلفكم فيها» أي: جاعلكم خلفاء في الدنيا يعني أن أموالكم ليست هي في الحقيقة لكم وإنما هي لله جعلكم في التصرف فيها بمنزلة الوكلاء «فناظر كيف تعملون» أي: تتصرفون قيل معناه جاعلكم خلفاً ممن قبلكم وأعطى ما بأيديهم إياكم فناظر هل تعتبرون بحالهم وتتدبرون في مآلهم.

قال قتادة: ذكر لنا عمر رضي الله عنه قال: صدق ربنا جعلنا خلفاء الأرض لينظر إلى أعمالنا فأروه من أعمالكم خيراً بالليل والنهار والسر والعلانية.

وفي الآية: وعيد لأهل مكة على إجرامهم بتكذيب رسول الله ﷺ ليرتدعوا عن إنكار النبوة واستعجال الشر حذراً من أن ينزل بهم عذاب الاستئصال كما نزل بمن قبلهم من المكذبين وهذا الوعيد والتهديد لا يختص بهم فإن أهل كل قرن خليفة لمن قبله إلى قيام الساعة.

فعلى العاقل أن يعتبر بمن مضى ويتدارك حاله قبل نزول القضاء.

قال: في «التأويلات النجمية» إن لهذه الأمة اختصاصاً باستحقاق الخلافة الحقيقية التي أودعها الله في آدم عليه السلام بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ولهذا السر ما كان في أمة من الأمم من الخلفاء ما كان في هذه الأمة بالصورة والمعنى وللخلافة صورة ومعنى فكما أن صورة الخلافة مبنية على الحكم بين الرعية الصورية بالعدل والتسوية على قانون الشرع والأجناب عن متابعة الهوى والطبع، كذلك معنى الخلافة مبني على الحكم بين الرعية المعنوية، وهي الجوارح والأعضاء والقلب والروح والسر والنفس وصفاتها وأخلاقها والحواس الخمس والقوى النفسانية بالحق، كما كان سيرة الأنبياء وخواص الأولياء في طلب الحق ومجانبة الباطل وترك ما سوى الله والوصول إلى الله.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥﴾

﴿وإذا تتلى عليهم﴾ أي: على مشركي مكة. ﴿آياتنا﴾ القرآنية الدالة على حقيقة التوحيد وبطلان الشرك حال كونها. ﴿بينات﴾ واضحات الدلالة على ذلك. ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا﴾: يعني: [اميد ندارند ديدار مارا ورسيدن بما] وهو عبارة عن كونهم مكذبين للحشر.

قال في «التأويلات النجمية» فيه إشارة إلى أنه ليس لهم شوق إلى الله وطلبه إذ الشوق من شأن القلب الحي وقلوبهم ميتة ونفوسهم حية فلما في القرآن مما يوافق القلوب ويخالف النفوس ما قبله أرباب النفوس ﴿ائت بقرآن غير هذا﴾ القرآن المنزل بأن لا يكون على ترتيب هذا ونظمه وبأن يكون خالياً عما نستبعده من أمر البعث والجزاء وعما نكرهه من ذم آلهتنا وتحقيرها ﴿أو بدله﴾ بأن يكون هذا القرآن المنزل باقياً على نظمه وترتيبه لكن يوضع مكان

الآيات الدالة على ما نستبعده ونستكرهه آيات آخر موافقة لطريقتنا كما بدل أحبار اليهود التوراة ورهبان النصارى الإنجيل بما كان موافقاً لهواهم ولعلهم سألوا ذلك طمعاً في أن يسعفهم إلى إتيانه من قبل نفسه فليزموه بأن يقولوا قد تبين لنا أنك كاذب في دعوى إن ما تقرأه علينا كلام إلهي وكتاب سماوي أوحي إليك بواسطة الملك وإنك تقوله من عند نفسك وتفتري على الله كذباً **﴿قل ما يكون لي﴾** أي: ما يصح لي ولا يمكنني أصلاً **﴿أن أبدله من تلقاء نفسي﴾** أي: من قبل نفسي وإنما اكتفي بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الإتيان بقرآن آخر كذا قال البيضاوي: وهو أولى مما في «الكشاف»، والبيان. أن التبديل داخل تحت قدرة الإنسان، وإما الإتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للإنسان وذلك؛ لأن التبديل ربما يحتاج إلى تغيير سورة أو مقدارها وإعجاز القرآن يمنع من ذلك كما لا يخفى وهو اللائح بالبال **﴿إن اتبع إلا ما يوحى إليّ﴾** تعليل لما يكون فإن المتبع لغيره في أمر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه أي: ما اتبع في شيء إلا ما يوحى إلي من غير تغيير له في شيء أصلاً على معنى قصر حاله عليه السلام على اتباع ما يوحى إليه لا قصر أتباعه على ما يوحي إليه كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كأنه قيل ما افعل إلا اتباع ما يوحى إليّ وقد مر تحقيق المقام في سورة الأنعام **﴿إني أخاف إن عصيت ربي﴾** أي: بالتبديل **﴿عذاب يوم عظيم﴾** هو يوم القيامة.

وفيه إشارة: إلى أن التبديل إذا كان عصياناً مستوجباً للعذاب يكون اقتراحه كذلك لأنه نتيجته والنتيجة مبنية على المقدمة فعلم منه أن المؤدي إلى المكروه أو الحرام، مكروه أو حرام ألا ترى أن بعض الكيوف التي يستعملها أرباب الشهوات في هذا الزمان مؤد إلى استثقال الصوم الفرض واستثقال أمر الله تعالى ليس من علامات الإيمان نسأل الله تعالى أن يجذب عناننا من الوقوع في مواقع الهلاك.

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿قل لو شاء الله﴾ أن لا أتلو عليكم ما أوحي إليّ من القرآن. **﴿ما تلوته عليكم﴾** لأني أمي وليس التلاوة والقراءة من شأني كما كان حالي مع جبريل أول ما نزل فقال: «اقرأ قلت لست بقارىء فغطني جبريل ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العلق: ١] فقرأته لما جعلني قارئاً ولو شاء الله أن لا أقرأه ما كنت قادراً على قرآته عليكم» ـ حكي ـ أن واحداً من المشايخ الأميين استدعى منه بعض المنكرين الوعظ بطريق التعصب والعناد زعماً منهم أنه لا يقدر عليه فيفتضح لأنه كان كردياً لا يعرف لسان العرب ولا يحسن الوعظ والتذكير فنام بالغم فأذن له ﷺ في المنام بذلك فلما أصبح جلس مجلس الوعظ والتذكير وقرر من كل تأويل وتفسير وقال: أمسيت كرديا وأصبحت عربياً، وذلك من فضل الله وهو على كل شيء قدير. قال الحافظ:

فيض روح القدس ار باز مدد فرمايد ديكران هم بكنند آنچه مسيحا ميكر

﴿ولا أدراكم به﴾ ماض من دريت الشيء، ودريت به، أي: أعلمته وادرانيه غيري أي: اعلمنيه والمعنى، ولا أعلمكم الله القرآن على لساني ولا أشعركم به أصلاً **﴿فقد لبثت فيكم﴾** أي: مكثت بين ظهرانيكم **﴿عمراً﴾** بضمتين الحياة والجمع أعمار كما في «القاموس».

قال أبو البقاء: ينصب نصب الظروف أي: مقدار عمر أو مدة عمر. قال ابن الشيخ: أي مدة متطاولة وهي أربعون سنة ﴿من قبله﴾ من قبل القرآن لا أتلوه ولا أعلمه وكان عليه السلام لبث فيهم قبل الوحي أربعين سنة ثم أوحي إليه فأقام بمكة بعد الوحي ثلاث عشرة سنة، ثم هاجر إلى المدينة فأقام بها عشر سنين وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة فمن عاش بين أظهرهم أربعين سنة لم يمارس فيها علماً ولم يشاهد عالماً ولم ينشىء قريضاً ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتاباً بزت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلى كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الأصول والفروع وأعرب عن أقاصيص الأولين وأحاديث الآخرين على ما هي عليه علم أنه معلم به من عند الله وإن ما قرأه عليه معجز خارق للعادة.

امــيء دانــاكــه بــعــلــم فــزون رانــدرقــم بــرورق كــاف ونــون
بــى خــط وقــرطــاس زعــلــم ازل مــشــكــل لــوح وقــلــمــش كــش حــل

﴿أفلا تعقلون﴾ أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا أنه ليس إلا من الله.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ احتراز مما أضافوه إليه عليه السلام كناية وهو أنه عليه السلام نظم هذا القرآن من عند نفسه ثم قال: إنه من عند الله افتراءً عليه فإن قولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله كناية عنه فقوله عليه السلام ﴿فمن أظلم ممن افترى﴾ كناية عن نفسه كأنه قيل لو لم يكن هذا القرآن من عند الله كما زعمتم لما كان أحد في الدنيا أظلم على نفسه من حيث افتريته على الله لكن الأمر ليس كذلك بل هو وحي إلهي. ﴿أو كذب بآياته﴾ فكفر بها ﴿إنه لا يفلح المجرمون﴾ لا ينجون من محذور ولا يظفرون بمطلوب.

وفي «التأويلات النجمية» أي: لا يتخلص الكذابون والمكذبون من قيد الكفر وحجب الهوى وعذاب البعد وجحيم النفس انتهى، وذلك لأن الطريق طريق الصدق والإخلاص لا طريق الكذب والرياء فمن سلك سبيل الصدق أفلح ونجا ووصل ومن سلك سبيل الكذب خاب وهلك وضل.

وعن أبي القاسم الفقيه إنه قال: أجمع العلماء على ثلاث خصال إنها إذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها إلا ببعض الإسلام الخالص من الظلم وطيب الغذاء والصدق لله في الأعمال وفي الحديث: «إن من أعظم الفرية ثلاثاً أن يفتري الرجل على عينيه يقول رأيت ولم ير» يعني في المنام «أو يفتري على والديه فيدعى إلى غير أبيه، أو يفتري عليّ يقول سمعت من رسول الله ولم يسمع مني». يقول الفقير: فإذا لم يصح هذا الواحد من أمته فيكف يصح لرسول الله عليه الصلاة والسلام والأنبياء عليهم السلام أمناء الله على ما أوحي إليهم لا يزيدون فيه ولا ينقصون ولا يبدلون فكذا الأولياء قدس الله أسرارهم أمناء الله على ما ألهم إليهم يبلغونه إلى من هو أهل له من غير زيادة ولا نقصان ومن أنكر كون الأمي ولياً فلينكر كونه نبياً فإن ذلك مفض إلى ذلك ومستلزم له.

قال: الإمام السخاوي قوله: «ما اتخذ الله من ولي جاهل ولو اتخذه لعلمه» ليس بثابت ولكن معناه صحيح والمراد بقوله: ولو اتخذه لعلمه، يعني: لو أراد اتخاذه ولياً لعلمه ثم اتخذه ولياً انتهى.

وقال: الإمام الغزالي في شرح الاسم الحكيم، من الأسماء الحسنى ومن عرف الله تعالى فهو حكيم وإن كان ضعيف المنة في سائر العلوم الرسمية كليل اللسان قاصر البيان فيها انتهى. فظهر أن العلم الزائد على ما يقال: له علم الحال ليس بشرط في ولاية الولي وأن الله تعالى إذا أراد بعبده خيراً يفقهه في الدين ويعلمه من لدنه علم اليقين.

قال: عمر رضي الله عنه يا نبي الله ما لك أفصحنا؟ فقال عليه السلام: «جاءني جبريل فلقنني لغة أبي إسماعيل وإن الله أدبني فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩] الآية فقد استبان الحق والله أعلم حيث يجعل رسالته، فإياك أن تنكر ولاية مثل يونس وغيره من الأميين فإن شواهدهم تنادي على صحة دعواهم، بل وإياك أن تطلق لسانك بالطعن على لحنهم فإن سين بلال أحب إلى الله من شين غيره في اشهد: وفي «المثنوي» قدس سره:

كر حديثت كژبود معنيت راست آن كژىء لفظ مقبول خداست

وذلك لأن خطأ الأحباب أولى من صواب الأغيار كما في «المثنوي».

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: «إن لله عباداً يقال: لهم الأبدال لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتمتع وحسن الحلية وإنما بلغوا بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدور والرحمة لجميع المسلمين اصطفاهم الله بعلمه، واستخلصهم لنفسه وهم أربعون رجلاً على مثل قلب إبراهيم عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه» واعلم أنهم لا يسبون شيئاً ولا يلعنونه ولا يؤذون من تحتهم ولا يحقرونه ولا يحسدون من فوقهم أطيب الناس خبراً وألينهم عريكة وأسخاهم نفساً لا تدركهم الخيل المجراة ولا الرياح العواصف فيما بينهم وبين ربهم إنما قلوبهم تصعد في السقوف العلى ارتياحاً إلى الله في استباق الخيرات ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢] كذا في «روض الرياحين» للإمام اليافعي. وفي «المثنوي» في وصف الأولياء:

مرده است ازخودشده زنده برب زان بوداسرار حقش دردولب

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿ويعبدون﴾ أي: كفار مكة ﴿من دون الله﴾ حال من الفاعل أي: متجاوزين الله لا بمعنى ترك عبادته بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قريباً لعبادة الأصنام ﴿ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾ أي: الأصنام التي لا قدرة لها على إيصال الضرر إليهم إن تركوا عبادتها ولا على إيصال المنفعة إن عبدوها، لأن الجماد بمعزل عن ذلك والمعبود ينبغي أن يكون مثيباً ومعاقباً حتى تعود عبادته بجلب نفع أو دفع ضر ﴿ويقولون هؤلاء﴾ الأصنام ﴿شفعاؤنا عند الله﴾ تشفع لنا فيما يهمنا من أمور الدنيا لأنهم كانوا لا يقرون بالمعاد، أو في الآخرة إن يكن بعث، كما قال: الكاشفي: [يا اكر فرضا حشر ونشر باشد چنانچه معتقد مؤمناً نست مارا ازخداى درخواست ميكنند واز عذاب ميرهانند].

واعلم أن أول ما حدثت عبادة الأصنام في قوم نوح عليه السلام وذلك إن آدم كان له خمسة أولاد صلحاء وهم ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر. فمات ودّ فحزن الناس عليه حزناً

شديداً فاجتمعوا حول قبره لا يكادون يفارقونه وذلك بأرض بل فلما رأى إبليس ذلك جاء إليهم في صورة إنسان وقال لهم هل لكم أن أصور لكم صورة إذا نظرتم إليها ذكرتموه قالوا: نعم فصور لهم صورته ثم صار كلما مات منهم واحد صور صورته وسموا تلك الصور بأسمائهم ثم لما تقادم الزمن وتناست الآباء والأبناء وأبناء الأبناء قال: لمن حدث بعدهم إن الذين كانوا قبلكم يعبدون هذه الصور فعبدوها فأرسل الله إليهم نوحاً فنهاهم عن عبادتها فلم يجيبوه لذلك وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق ثم إن تلك الصور دفنها الطوفان في ساحل جدة فأخرجها اللعين، وأول من نصب الأوثان في العرب عمرو بن لحي من خزاعة وذلك أنه خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره فرأى بأرض البلقاء العماليق ولد عملاق بن لاود بن سام بن نوح وهم يعبدون الأصنام فقال: لهم ما هذه؟ قالوا: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال: لهم أفلا تعطونني منها صنماً فأسير به إلى أرض العرب؟ فأعطوه صنماً يقال: له هبل من العقيق على صورة إنسان، فقدم به مكة فنصبه في بطن الكعبة على يسراها وأمر الناس بعبادته وتعظيمه فكان الرجل إذا قدم من سفره بدأبه قبل أهله بعد طوافه بالبيت وحلق رأسه عنده كذا في «إنسان العيون» وكان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة العزى ومناة وهبل وأسافا ﴿قل أتنبئون الله﴾ أتخبرونه ﴿بما لا يعلم﴾ أي: بالذي لا يعلمه كائناً ﴿في السموات ولا في الأرض﴾ فما عبارة عن أن له شريكاً والظرف حال من العائد المحذوف وفي الاستفهام الإنكاري تقريع لهم وتهكم بهم حيث نزلوا منزلة من يخبر علام الغيوب بما ادعوه من المحال الذي هو وجود الشركاء وشفاعتهم عند الله. وفي الظرف تنبيه على أن ما يعبدونه من دون الله إما سماوي كالملائكة والنجوم وإما أرضي كالأصنام المنحوتة من الشجر والحجر لا شيء من الموجودات فيهما إلا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق أن يشرك به سبحانه.

قال الكاشفي: [انتفاء علم بجهت معلومست يعني شما ميكوييد كه خدايرا شريك هست. وإثبات بشفاعت بتان ميكنيد وخداوندكه عالمست بجميع معلومات اين را نمى دانيدپس معلوم شدكه شريك نيست وشفاعت نخواهد بود] كما قال ابن الشيخ: فإن شيئاً من ذلك لو كان موجوداً لعلمه الله وما لا يعلمه الله استحال وجوده ﴿سبحانه﴾ [پاكست] ﴿وتعالى﴾ [برترست]﴿عما يشركون﴾ لما كان المنزه للذات الجليلة هو نفس الذات آل التنزيه إلى معنى التبرى أي: تبرأ وجل عن إشراكهم

واحـدانـدر مـلـك اورايـارنـى بـنـدكـانـش را جـز اوسـالارنـى

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة﴾ أي: على ملة واحدة في عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل أو في زمن نوح بعد الطوفان حين لم يبق على وجه الأرض من الكافرين دياراً فإن الناس كانوا متفقين على الدين الحق ﴿فاختلفوا﴾ أي: تفرقوا إلى مؤمن وكافر ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ أي: لولا الحكم الأزلي بتأخير العذاب الفاصل بينهم إلى يوم القيامة

فإنه يوم الفصل والجزاء ﴿لقضي بينهم﴾ عاجلاً ﴿فيما فيه يختلفون﴾ بإهلاك المبطل وإبقاء المحقق.

قال الكاشفي: [هر آينه حكم كرده شدى ميان ايشان ران چيزى كه ايشان دران اختلاف ميكنند عذاب بيامدى ومبطل هلاك شدى ومحق بماندى] ويحتمل أن يكون المعنى أن الناس كانوا أمة واحدة في بدء الخلقة موجودين على أصل الفطرة التي فطر الناس عليها فاختلفوا بحسب تربية الوالدين كما قال عليه السلام: [كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه] ثم اختلفوا بعد البلوغ بحسب المعاملات الطبيعية والشرعية؛ ثم هذا الاختلاف كما كان بين الأمم السالفة كذلك كان بين هذه الأمة فمن مؤمن ومن كافر ومن مبتدع وفي اختلافهم فائدة جليلة وحكمة عظيمة حيث إن الكمال الإلهي إنما يظهر بمظاهر جماله وجلاله لكن ينبغي للناس أن يكونوا على التآلف والتوافق دون التباغض والتفرق لأن يد الله مع الجماعة وإنما يأكل الذئب الشاة المنفردة ـ وأوصى حكيم ـ أولاده عند موته وكانوا جماعة فقال لهم: ائتوني بعصي فجمعها وقال: اكسروها وهي مجموعة فلم يقدروا على ذلك ثم فرقها وقال لهم: خذوا واحدة واحدة فاكسروها فكسروها فقال لهم: هكذا أنتم بعدي لن تغلبوا ما اجتمعتم فإذا تفرقتم تمكن منكم عدوكم فاهلككم وفي الحديث: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ» والمراد بالخلفاء: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين، والراشدون جمع راشد اسم فاعل وهو الذي أتى بالرشد واتصف به وهو ضد الغي فالراشد ضد الغاوي والغاوي من عرف الحق وعمل بخلافه، والنواجذ: آخر الأسنان والمعنى واظبوا على السنة وألزموها واحرصوا عليها كما يفعل العاض على الشيء بنواجذه خوفاً من ذهابه وتفلته وقد وقع هذا الاختلاف وسيقع إلى أن يقوم المهدي وينزل عيسى عليه السلام، قال الحافظ:

توعمر خواه وصبورى كه چرخ شعبده باز ... هزار بازى ازين طرفه تر بر انكيزد

وقال:

روزي اكر غمي رسدت تنك دل مباش ... روشكر كن مبادكه ازبد بتر شود

قال بعض العلماء: في هذه الأمة فرقة مختلفة تبغض العلماء وتعادي الفقهاء ولم يكن ذلك فيمن تقدم قبلنا من الأمم بل كانوا منقادين لهم محبين كما وصفهم الله تعالى في كتابه ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] والفقيه إذا كان مبغوضاً بين الناس فما ظنك بالعالم بالله ألا تراهم إذا وجدوا الرجل كاملاً في العلوم الظاهرة والباطنة متفرداً في فنه متميزاً من جنسه متفوقاً على أقرانه فمن قائل في حقه إنه زنديق ومن قائل إنه مبتدع وقلما تسمع من يقول إنه صديق فانظر إلى غيرة الله تعالى كيف ستره عن الأغيار وأخفى سره عن الأشرار. قال الحافظ:

معشوق عيان ميكذرد برتو وليكن ... اغيار همي بيند ازان بسته نقابست

قال رويم من المشايخ الكرام: لا يزال الصوفية بخير ما تنافروا فإذا اصطلحوا هلكوا وذلك لأنه لو قبل بعضهم بعضاً لبقي بعضهم مع بعض وسكن بعضهم إلى بعض والسكون إلى غير الله تعالى عند الخواص من قبيل عبادة الأصنام عند العوام، وهذا التبري بين الصوفية

المحققين ليس كالتبري بين اليهود والنصارى لأن تبريهم في الحق للحق وتبري هؤلاء في الباطل للباطل والحاصل: أن من الاختلاف ما كان مذموماً وما كان ممدوحاً، فالمذموم هو ما كان في العقائد وأصول الدين، والممدوح هو ما كان في الأعمال وفروع الدين كما قال عليه السلام: «اختلاف الأئمة رحمة» وعن علي كرم الله وجهه قال له يهودي: ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فقال: إنما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة وهذا من الأجوبة المسكتة ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

﴿ويقولون﴾ أي: كفار مكة ﴿لولا﴾ للتحضيض مثل هلا ﴿أنزل عليه﴾ على محمد عليه الصلاة والسلام ﴿آية﴾ معجزة ﴿من ربه﴾ كانوا يقولون إن القرآن يمكن معارضته كما دل عليه قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقترحون أشياء أخر سوى القرآن لتكون معجزة مثل اليد والعصا وتفجير الأنهار وغيرها:

كفت اكر آسان نمايد اين بتو اينچنين يك سوره كو اى سخت رو

﴿فقل﴾ لهم في الجواب ﴿إنما الغيب لله﴾ اللام للاختصاص العلمي دون التكويني فإن الغيب والشهادة في ذلك الاختصاص سيان. والمعنى إن ما اقترحتموه وزعمتم أنه من لوازم النبوة وعلقتم عليه إيمانكم من الغيوب المختصة بالله سبحانه لا وقوف لي عليه ولو علم الصلاح في زيادة الآيات لأنزل.

وفي «التأويلات النجمية»: الغيب: هو عالم الملكوت الذي ينزل منه الآيات ويظهر منه المعجزات بإنزال الله تعالى وإظهاره فهو لله وبحكمه ينزل الآيات منه متى شاء كما شاء، ﴿فانتظروا﴾ لنزول ما اقترحتموه ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل عليّ من الآيات العظام واقتراحكم غيره وقد أمهلهم الله سبحانه ليأخذ الظالم منهم أخذ عزيز مقتدر وقد يعجل عقوبة من يشاء [آورده اندكه سپسالارى بود ظالم وبا اتباع خود بخانه يكى از مشايخ كبار فرود آمد خداوندخانه كفت من منشوري دارم بخانه من فرود مياكفت منشوري بنماى شيخ در خانه رفت ومصحفي عزيز داشت ودرپيش بياورد وبازكرد اين آيت برآمدكه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧] سپهسالار كفت حن پنداشتم كه منشورا ميردارى بدان التفات نكرد ودرخانه شيخ فرود آمد آن شب قولنجش بكرفت وهلاك شد] وفيه إشارة إلى أن حضرة القرآن ليس كسائر الآيات.

فمن رده واستحقره فقد تعرض لسخط الله تعالى أشد التعرض كما أن من قبله وعظمه، صورة بالرفع والمس على الطهارة ونحو ذلك، ومعنى بالعمل بما فيه والتخلق بأخلاقه نال من الله كما يتمناه ـ حكي ـ أن عثمان الغازي جد السلاطين العثمانية إنما وصل إلى ما وصل برعاية كلام الله تعالى، وذلك أنه كان من أسخياء زمانه يبذل النعم للمترددين فثقل ذلك على أهل قريته ونغصوا عليه فذهب ليشتكي من أهل القرية إلى الحاج بكتاش أو غيره من الرجال فنزل بيت رجل قد علق فيه مصحف فسأل عنه فقالوا: هو كلام الله تعالى فقال: ليس من الأدب أن نقعد عند كلام الله تعالى فقام وعقد يديه مستقبلاً إليه فلم يزل قائماً إلى الصبح فلما أصبح ذهب إلى طريقه فاستقبله رجل وقال: أنا مطلبك ثم قال له: إن الله تعالى عظمك وأعطاك

وذريتك السلطنة بسبب تعظيمك لكلامه ثم أمر بقطع شجرة وربط برأسها منديلاً وقال: ليكن ذلك لواء ثم اجتمع عنده جماعة فجعل أول غزوته بلاجك، وفتح بعناية الله تعالى ثم أذن له السلطان علاء الدين في الظاهر أيضاً فصار سلطاناً ثم بعد ارتحاله صار ولده اورخان سلطاناً ففتح هو بروسة المحروسة بالعون الإلهي فمن ذلك الوقت إلى هذا الآن الدولة العثمانية على الازدياد بسبب تعظيمه كتاب الله وكلامه القديم كذا في «الواقعات المحمودية».

فليلازم العاقل تعظيم القرآن العظيم ليزداد جاهه ورتبته، وليحذر من تحقيره لئلا ينتقص شأنه وهيبته ألا ترى أن السلطان محمد الرابع وأعوانه لما رفضوا العمل بالقرآن، وأخذوا بالظلم والعدوان سلط الله عليهم وعلى الناس بسببهم القحط والخوف فخرج من أيديهم أكثر القلاع المعمورية الرومية، واستولى الكفار إلى أن طمعوا في القسطنطينية واشتد الخوف إلى أن قال الناس: أين المفرّ، وكل ذلك وقع من القرناء السوء فإنهم كانوا يحثون السلطان على الجريان بخلاف الشرع.

اي فغان از يار ناجنس اي فغان همنشين نيك جو يبد اي مهان

اي بسا مهتر بچه از شور وشر شد زفعل زشت خود ننك پدر

اللهم اجعلنا من المعتبرين واجعلنا من المتبصرين.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وإذا أذقنا الناس﴾ أي: أهل مكة ﴿رحمة﴾ صحة وسعة ﴿من بعد ضراء﴾ كحقط ومرض ﴿مستهم﴾ أصابتهم وخالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم وإسناد المساس إلى الضراء بعد إسناد الإذاقة إلى ضمير الجلالة من الآداب القرآنية كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠] ونظائره، وإذا للشرط وجوابه قوله ﴿إذا﴾ للمفاجأة ﴿لهم مكر في آياتنا﴾ أي: فاجأوا في وقت إذاقة الرحمة وقوع المكر منهم بالطعن في الآيات والاحتيال في دفعها وسارعوا إليه قبل أن ينفضوا عن رؤوسهم غبار الضراء.

قيل: قحط أهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله وأنزل الغيث على أراضيهم فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله.

قال مقاتل: لا يقولون هذا رزق الله وإنما يقولون سقينا بنوء كذا وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط من الأنواء جمع نوء وهي ثمانية وعشرون منزلاً، ينزل القمر كل ليلة في منزل منها ويسقط في المغرب نجم واحد من تلك المنازل الثمانية والعشرين في كل ثلاثة عشر يوماً مع طلوع الفجر، ويطلع رقيبه من المشرق في ساعته في مقابلة ذلك الساقط وهذا في غير الجبهة فإن لها أربعة عشر يوماً فينقضي الجميع بانقضاء السنة، أي: مع انقضاء ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً لأن ثلاثة عشر في ثماني وعشرين مرة تبلغ هذا القدر من العدد وإنما سمي النجم نوأ لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب فالطالع بالمشرق ينوء أي: ينهض ويطلع فلما أنجاهم الله من القحط لبسوا الأمر على اتباعهم وأضافوا ذلك المطر إلى الأنواء لا إلى الله لئلا يشكروا الله ولا يؤمنوا بآياته فقيل هذا هو المراد بمكرهم في آيات الله.

ومن لا يرى الأمطار إلا من الأنواء كان كافراً، بخلاف من يرى أنها بخلق الله والأنواء وسائط وأمارات بجعله تعالى كما قال: في «الروضة» المؤثر هو الله تعالى والكواكب أسباب عادية. قال الحافظ:

كررنج پيشت آيد وكرراحت اي حكيم   نسبت مكن بغير كه اينها خدا كند

﴿قل الله أسرع مكراً﴾ أي: أعجل عقوبة، أي: عقابه أسرع وصولاً إليكم مما يأتي منكم في دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها في مقابلة مكرهم وجوداً، فيكون من باب تسمية الشيء باسم سببه، أو ذكرا فيكون من باب المشاكلة ـ روي ـ عن مقاتل أنه تعالى قتلهم يوم بدر وجازى مكرهم في آياته بعقاب ذلك اليوم، فكان أسرع في إهلاكهم من كيدهم في إهلاكه عليه السلام وإبطال آياته. والمكر إخفاء الكيد وإرادة الله خفية عليهم وإرادتهم ظاهرة.

توكل على الرحمن واحتمل الردى   ولا تخش مما قد يكيد بك العدى

﴿إن رسلنا﴾ الذين يحفظون أعمالكم وهم الكرام الكاتبون. وفيه التفات إذ لو جرى على أسلوب قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٢٧] لقيل إن رسله ﴿يكتبون ما تمكرون﴾ أي: مكركم أو ما تمكرونه وهو تحقيق للانتقام، وتنبيه على أن ما دبروا إخفاءه لم يخف على الحفظة فضلاً عن أن يخفى على الله وفيه تصريح بأن للكفار حفظة.

فإن قيل: فالذي يكتب عن يمينه أي: شيء يكتب ولم يكن لهم حسنة. يقال: إن الذي عن شماله يكتب بإذن صاحبه ويكون شاهداً على ذلك وإن لم يكتب كما في «البستان».

واختلفوا في عددهم فقال عبد الله بن المبارك: هم خمسة: اثنان بالنهار واثنان بالليل وواحد لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً فثبت بهذا أن أفعال الناس وأقوالهم سواء كانوا مؤمنين أو كافرين مضبوطة مكتوبة للإلزام عليهم يوم القيامة وإن المكر والحيلة لا مدخل له في تخليص الإنسان من مكروه بل قد قالوا: إذا أدبر الأمر كان العطب في الحيلة فمن ظن نجاته في المكر كان كثعلب ظن نجاته في تحريك ذنبه وإنما المنجي هو القدم وهو ههنا العمل الصالح بعد الإيمان الكامل، والعاقل يتدارك حاله قبل وقوع القضاء [علاج واقعه پيش از وقوع بايدكرد].

قال زياد: وليس العاقل الذي يحتال للأمر إذا وقع فيه ولكن العاقل الذي يحتال للأمور حذراً أن يقع فيها. قال السعدي قدس سره:

توپيش ازعقوبت درعفو كوب   كه سودى نداردفغان زيرچوب
كنون كرد بايد عمل را حساب   نه روزى كه منشور كردد كتاب

والإشارة في الآية: ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة﴾ أي: أذقناهم ذوق توبة أو إنابة أو صدق طلب أو وصول إلى بعض المقامات أو ذوق كشف وشهود. ﴿من بعد ضراء مستهم﴾ وهو الفسق والفجور والأخلاق الذميمة وحجب أوصاف البشرية وصفات الروحانية ﴿إذا لهم مكر في آياتنا﴾ بإظهارها مع غير أهلها للشرف بين الناس وطلب الجاه والقبول عند الخلق واستتباعهم والرياسة عليهم وجذب المنافع منهم. ﴿قل الله أسرع مكراً﴾ أي: أسرع في إيصال مجازاة مكرهم إليهم باستدراجهم من تلك المقامات والمكرمات إلى دركات العبد وتراكم الحجب من حيث لا يعلمون ﴿إن رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾ أي: غير خاف علينا قدر مراتب مكرهم فنجازيهم على حسب ما يمكرون كما في «التأويلات النجمية».

وقد رؤي من أهل هذه الطريقة كثير ممن مشى على الماء والهواء وطويت له الأرض ثم

رد إلى حاله الأولى وقد يمشي المستدرج على الماء والهواء وتزوي له الأرض وليس عند الله بمكان لأنه ليست عنده هذه المراتب نتائج مقامات محمودة وإنما هي نتائج مقامات مذمومة قامت به إرادة الحق سبحانه أن يمكر به في ذلك الفعل الخارق للعادة وجعله فتنة عليه وتخيل أنه إنما أوصله إليها ذلك الفعل الذي هو معصية شرعاً وإنه لولاه ما وقف على حقيقة ما اتفق له هذا وغفل المسكين عن موازنة نفسه بالشريعة.

نسأل الله تعالى أن لا يجعلنا ممن زين له سوء عمله فرآه حسناً فيستمر على ذلك الفعل كذا في «مواقع النجوم». قال الحافظ قدس سره:

زاهد ايمن مشواز بازىء غيرت زنهار   كه ره از صومعه تادير مغان اين همه نيست

وقلَّ من تخلص من العقبات، ألا ترى أن الواصل قليل بالنسبة إلى المنقطع ولا بد في قطعها من مرشد كاملٍ ومؤدب حاذق. وفي المثنوي:

درپناه شيركم نايد كباب   روبها توسوى جيفه كم شتاب

چون كرفتى پيرهن تسليم شو   همچو موسى زير حكم خضررو

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿هو﴾ أي: الله تعالى ﴿الذي يسيركم﴾ من التسيير، والتضعيف فيه للتعدية يقال: سار الرجل وسيرته أنا وهو بالفارسية [برفتن آوردن] والمعنى [مى راند وقد رت مى دهد در قطع مسافت شمارا] ﴿في البر﴾ على الأقدام وظهر الدواب من الخيل والبغال والحمير والإبل، ﴿والبحر﴾ على السفن الكبيرة والصغيرة المعبر عنهما بالفارسية [كشتى وزورق] وفيه إشارة إلى أن المسير في الحقيقة هو الله تعالى لا الريح، فإن الريح لا يتحرك بنفسه بل له محرك إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا محرك له ولا يتحرك هو في نفسه أيضاً، بل هو منزه عن ذلك وعما يضاهيه سبحانه وتعالى ومن عرف ذلك وقطع الاعتماد على الريح في استواء السفينة وسيرها تحقق بحقائق توحيد الأفعال وإلا بقي في الشرك الخفي. قال السعدي قدس سره:

قضا كشتى آنجا كه خواهد برد   وكر ناخدا جامه برتن درد

وقال الحافظ قدس سره:

من از بيكانكان ديكر ننالم   كه بامن هرچه كرد آن آشناكرد

﴿حتى إذا كنتم في الفلك﴾ غاية لقوله يسيركم في البحر. فإن قيل: غاية الشيء تكون بعده والحال أن السير في البحر يكون بعد الكون في الفلك.

قلنا ليس الغاية مجرد الكون في الفلك بل هي الكون في الفلك مع ما عطف عليه من قوله: ﴿وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها﴾ فإن هذا المجموع بعد السير في البحر ﴿وجرين﴾ أي: الفلك لأنه جمع مكسر بمعنى السفن وتغييره تقديري بناء على أن ضمته كضمة أسد جمع أسد وضمة مفردة كضمة قُفل ﴿بهم﴾ أي: بالذين فيها والالتفات في بهم للمبالغة في التقبيح والإنكار عليهم، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويحملهم على الإنكار والتقبيح. ﴿بريح طيبة﴾ لينة الهبوب موافقة لمقصدهم، ﴿وفرحوا بها﴾ بتلك الريح لطيبها وموافقتها

﴿جاءتها﴾ أي: تلقت الريح الطيبة واستولت عليها من طرف مخالف لها فإن الهبوب على وفقها لا يسمى مجيئاً لريح أخرى عادة، بل هو اشتداد للريح الأولى. ﴿ريح عاصف﴾ يقال: عصفت الريح أي: اشتدت فهي ريح عاصف، أي: شديدة الهبوب ولم يقل عاصفة لاختصاص الريح بالعصوف فلا حاجة إلى الفارق ﴿وجاءهم الموج﴾ وهو ما ارتفع من الماء ﴿من كل مكان﴾ أي: من أمكنة مجيء الموج عادة ولا بعد في مجيئه من جميع الجوانب أيضاً؛ إذ لا يجب أن يكون مجيئه من جهة هبوب الريح فقط بل قد يكون من غيرها بحسب أسباب تتفق وإليه مال الكاشفي حيث قال: يعني [از چب وراست وپيش وپس] ﴿وظنوا أنهم أحيط بهم﴾ أي: هلكوا فإن ذلك في الهلاك وأصله إحاطة العدو بالحي ﴿دعوا الله﴾ بدل من ظنوا بدل اشتمال لأن دعاءهم ملابس لظنهم الهلاك ملابسة الملزوم ﴿مخلصين له الدين﴾ من غير أن يشركوا به شيئاً من آلهتهم فإن إخلاص الدين والطاعة له تعالى عبارة عن ترك الشرك وهذا الإخلاص ليس مبنياً على الإيمان بل جار مجرى الإيمان الاضطراري.

وقيل: المراد بذلك الدعاء قولهم اهيا شرا هيا فإن تفسيره يا حي يا قيوم وهذان الاسمان من أوراد البحر كما سبق في تفسير آية الكرسي. ﴿لئن أنجيتنا﴾ اللام موطئة للقسم على إرادة القول، أي: دعوا حال كونهم قائلين، والله لئن أنجيتنا ﴿من هذه﴾ الورطة ﴿لنكونن﴾ ألبتة بعد ذلك أبداً ﴿من الشاكرين﴾ لنعمك التي من جملتها هذه النعمة المسؤولة وهي نعمة الإنجاء وذلك باتباع أوامرك والاجتناب عن مساخطك لا نكفر نعمتك بعبادة غيرك.

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿فلما أنجاهم﴾ مما غشيهم من الكربة إجابة لدعائهم والفاء للدلالة على سرعة الإجابة. ﴿إذا هم يبغون في الأرض﴾ أي: فاجأوا الفساد فيها وسارعوا إلى ما كانوا عليه من التكذيب والشرك والجراءة على الله تعالى وزيادة في الأرض، للدلالة على شمول بغيهم لأقطارهم. ﴿بغير الحق﴾ أي: حال كونهم ملتبسين بغير الحق.

قال الكاشفي: [تأكيد ست يعني فساد ايشان بغير حق است هم باعتقاد ايشان چه ميدانندكه دران عمل مبطلند] فيكون كما في قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١] وقد سبق في سورة البقرة ﴿يا أيها الناس﴾ الباغون ﴿إنما بغيكم﴾ الذي تتعاطونه وهو مبتدأ خبره قوله تعالى: ﴿على أنفسكم﴾ أي: وباله راجع عليكم وجزاؤه لاحق بكم لا على الذين تبغون عليهم وإن ظن كذلك ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ نصب على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق الاستئناف، أي: تتمتعون متاع الحياة الدنيا أياماً قلائل فتفنى الحياة وما يتبعها من اللذات وتبقى العقوبات على أصحاب السيئات.

هركه اويد ميكند بى شبهه باخود ميكند

﴿ثم إلينا مرجعكم﴾ في يوم القيامة لا إلى غيرنا ﴿فننبئكم بما كنتم تعملون﴾ في الدنيا على الاستمرار من البغي وهو وعيد بالجزاء كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت عبر عن إظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في إنهما سببان للعلم.

وفي الآية الكريمة إشارات: منها أن الفلك نعمة من الله تعالى؛ إذ قد يحتاج الناس إلى

عبور البحر به ولذا امتن الله عليهم بالتسيير في البحر.

قال: في «أنوار المشارق»: يجوز ركوب البحر للرجال والنساء كذا قاله: الجمهور وكره ركوبه للنساء؛ لأن الستر فيه لا يمكنهن غالباً ولا غض البصر من المتصرفين فيه ولا يؤمن انكشاف عوراتهن في تصرفهن لا سيما فيما صغر من السفن مع ضرورتهن إلى قضاء الحاجة بحضرة الرجال انتهى.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يرفعه إلى النبي ﷺ: «لا تركب البحر إلا حاجاً أو معتمراً أو غازياً في سبيل الله فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً» قوله: فإن تحت البحر ناراً، إشارة إلى أن راكبه متعرض للآفات المهلكة كالنار. وقوله: وتحت النار بحراً، أراد به تهويل أمر البحر وخوف الهلاك منه كما يخاف من ملامسة النار وإن اختيار ذلك لغرض من الأغراض الفانية سفه وجهل، لأن فيه تلف النفس، وبذل النفس لا يجمل إلا فيما يقرب العبد إلى الله وهذا الحديث يدل على وجوب ركوب البحر للحج والجهاد إذا لم يجد طريقاً آخر ومن ركب البحر وأصابه نصب ومشقة كدوران الرأس وغثيان المعدة وغير ذلك فله أجر شهيد إن كان يمشي إلى طاعة الله كالغزو والحج وطلب العلم وزيارة الأقارب، وأما التجار: فإن لم يكن طريق سوى البحر وكانوا يتجرون للقوت لا لجمع المال فهم داخلون في هذا الأجر. والغريقِ له: أجر شهيدين. أحدهما لقصد ما فيه طاعة. وثانيهما للإغراق.

وفي الحديث: «حجة لمن لم يحج خير من عشر غزوات وغزوة لمن قد حج خير من عشر حجج وغزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر ومن فاته الغزو معي فليغز في البحر».

يقول الفقير: وأما الصوم فعلى عكس ذلك والله أعلم لأن الصوم في البحر سهل حيث لا يشتهي الطبع الطعام، لأجل الدوران والغثيان بخلافه في البر وقوة الأجر بكثرة التعب، وكذا الغزو في البر سهل بالنسبة إلى البحر لسعة الأرض وإمكان التحفظ من العدو وقوة المزاج ولم يكن ذلك في البحر. قيل لبحار: ما أعجب ما رأيت من عجائب البحر، قال: سلامتي منه ونعم ما قيل:

بدريادر منافع بى شمارست اكر خواهى سلامت دركنارست

قال السعدي قدس سره:

سود دريا نيك بودى كرنبودى بيم موج

صحبت كل خوش بدى كرنيستى تشويش خار

ـ لطيفة ـ ركب نحوي سفينة فقال للملاح: أتعرف النحو؟ قال: لا قال: ذهب نصف عمرك فهاجت الريح واضطربت السفينة، فقال الملاح أتعرف السباحة؟ قال: لا قال: ذهب كل عمرك. وفي «المثنوي»:

محو مى بايد نه نحو اينجابدان كرتو محوى بى خطر در آب ران

آب دريا مرده را برسر نهد وربود زنده زدريا كى رهد

چون بمردى توز اوصاف بشر بحر اسرارت نهد بر فرق سر

اي كه خلقان راتوخر مى خواندهٔ اين زمان چون خربرين يخ ماندهٔ

ومنها: أن البغي والفساد والتعصب والعناد وكفران نعمة رب العباد إنما هو من نسيان العهد مع الله ذي الأمداد ونتيجة النسيان والإصرار على الآثام المؤاخذة والانتقام.

وفي الحديث: «ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين» وفي الحديث: «لا تمكر ولا تغن ماكراً ولا تبغ ولا تعن باغياً ولا تنكث ولا تعن ناكثاً» فالبغاة من القضاة والولاة لا يجوز إعانتهم في أمر من الأمور إلا في إجراء الأحكام الشرعية فقد ورد «من أعان ظالماً سلطه الله عليه».

وفي الحديث: «ما من عبد ولاه الله أمر رعيته فغشهم، ولم ينصح لهم ولم يشفق عليهم إلا حرم الله عليه الجنة». قال السعدي قدس سره:

رعيت چو بيخند سلطان درخت ... درخت اي پسر باشد ازبيح سخت
مكن تاتوانى دل خلق ريش ... وكر ميكنى ميكنى بيخ خويش
كر انصاف پرسى بداختر كسست ... كه در راحتش رنج ديكر كسست
نماند ستمكار بد روز كار ... بماند بر ولعنت پايدار

ومنها: أن لكل عمل صورة حقيقية بها يظهر في النشأة الآخرة فإن كان خيراً فعلى صورة حسنة، وإن كان شراً فعلى صورة قبيحة وهذه الصور المختلفة برزت في هذه النشأة على خلاف ما هي عليه في الآخرة، ولذا استحسن العصاة المعاصي واستحلوها وإن كانت سموماً قاتلة؛ واستكرهوا الطاعات ووجدوها مرة المذاق وإن كانت معاجين نافعة، فالبغي برز في هذه الدار بصورة مشتهاة عند البغاة لتمتعهم به من حيث أخذ المال والتشفي من الأعداء ونحو ذلك وسينبئهم الله بأعمالهم، أي: يظهرها لهم على صورها الحقيقية فيرون أن الأمر على خلاف ما ظنوا.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿إنما مثل الحياة الدنيا﴾ أي: حالها العجيبة وسميت الحال العجيبة مثلاً تشبيهاً لها بالمثل السائر في الغرابة، **﴿كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض﴾** أي: اختلط بسبب المطر نبات الأرض واشتبك بعضه في بعض وكثف. **﴿مما يأكل الناس﴾** حال من النبات، أي: كائناً مما يأكل الناس من الزروع والبقول. **﴿والأنعام﴾** من الحشيش **﴿حتى﴾** غاية للاختلاط باعتبار الجزاء الذي هو إتيان الأمر الإلهي، **﴿إذا أخذت الأرض زخرفها﴾** زينتها وحسنها **﴿وازينت﴾** بأصناف النبات وأشكالها وألوانها المختلفة، كعروس أخذت من ألوان الثياب والزين فتزينت بها فالأرض استعارة بالكناية حيث شبهت بالعروس وأثبت لها ما يلائم العروس، وهو أخذ الزينة وهو قرينة الاستعارة بالكناية. وقوله وازينت ترشيح، واصله تزينت فأدغمت التاء في الزاي فاجتلبت همزة الوصل لضرورة تسكين الزاي عند الإدغام. **﴿وظن أهلها﴾** أي: أهل تلك الأرض **﴿أنهم قادرون عليها﴾** متمكنون من حصدها ورفع غلتها. **﴿أتاها أمرنا﴾** جواب إذا.

قال الكاشفي: [نا كاه آمد بدان زمين عذاب ما يعني فرمان ما بخرابى آن زمين در رسيد]

﴿ليلاً أو نهاراً فجعلناها﴾ أي: زروع تلك الأرض وسائر ما عليها فالمضاف محذوف للمبالغة ﴿حصيداً﴾ شبيهاً بما حصد من أصله. ﴿كأن لم تغن﴾ زروعها، أي: لم تنبت ﴿بالأمس﴾ وهو مثل في الزمان القريب وليس المراد أمس يومه كأنه قيل لم تغن آنفاً، ويقال: للشيء، إذا فني كأن لم يغن بالأمس، أي: كأن لم يكن وهو من باب علم يقال: غني بالمكان إذا قام به، والجملة حال من مفعول جعلناها ﴿كذلك﴾ الكاف صفة مصدر محذوف، أي: مثل ذلك التفصيل البديع. ﴿نفصل الآيات﴾ القرآنية التي من جملتها هذه الآيات المنبهة على أحوال الحياة الدنيا، أي: نوضحها ونبينها ﴿لقوم يتفكرون﴾ في تضاعيفها ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لأنهم المنتفعون بها.

واعلم أن التشبيه الواقع في هذه الآية تشبيه مركب، وإن دخل الكاف على المفرد وهو الماء لأنه شبهت الهيئة المنتزعة من اجتماع الحياة وبهائها وسرعة انقضائها بعد اغترار الناس بها بالهيئة المنتزعة من اجتماع خضرة الأرض ونضارتها وانعدامها عقيبها بآفة سماوية ومشيئة إلهية.

بنكر بآنكه روى زمين فصل نوبهار مانند نقش خامهٔ ما نى مزينست
وقت خزان ببرك رياحين چو بنكرى منصف شوى كه لائق برباد دادنست

وقال بعضهم: مثلت الحياة الدنيا بالماء، لأن الماء يتغير بالمكث فكذا المال بالإمساك، أي: يصير مذموماً عند البخل. كما قال في «المثنوي»:

مال چون آبست وتاباشد روال فيضها يا بند ازواهل جهان
چند روزى چون كند يكجا درنك كنده وبيحاصلت وتيره رنك

يقول الفقير: من البخل أيضاً حبس الكتب ممن يطلبها للانتفاع بها لا سيما مع عدم التعدد لنسخها الذي هو أعظم أسباب المنع والوعيد المذكور في قوله عليه السلام: «من كتم علماً يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» يشمل ما ذكرنا كما في «المقاصد الحسنة». وقد رأينا في زماننا من يمنع الكتب عن المستحقين ويحبس بعض الثياب في الصندوق إلى أن يبلى ويفنى لا يلبس ولا يبيع ولا يهب، ولو قلت فيه لقال: إني ورثته من أبي أو أمي فاحفظه تبركاً فانظر إلى هذا الجهل الذي لا يغني عنه شيئاً!.

وقال بعضهم في وجه المماثلة: المطر إذا نزل بقدر الحاجة نفع، وإذا جاوز حد الاعتدال ضر، فكذا المال إذا كان قدر ما يندفع به الضرورة ويحصل به مقاصد الدين والدنيا كان نافعاً وإذا كان زائداً على قدر الحاجة صار موجباً لارتكاب المعاصي ووسيلة للتفاخر على الأداني والأقاصي قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦-٧].

توانكرى كشدت سوى عجب ونخوت وناز خوشست فقركه دارد هزار سوز ونياز

وقال بعضهم: [چون باران بنهال كل رسد لطافت وطراوت أو بيفزايد وچون بخاربن كذرد حدت وشوكت او زيادت كند مال دنيا نيز چون بمصلح رسد صلاح او بيفزايد] (كما في الحديث نعم المال الصالح للرجل الصالح) [واكر بدست مفسد افتد مايهٔ فساد وعناد اوروي بازدياد نهد] كما أن العلم النافع سيف قاطع لصاحبه في قتل الهوى والعلم الغير النافع سبب لقطع طريق صاحبه عن الحق فما أحسن الأول وما أقبح الثاني؟!.

وقال بعضهم: [چون آب باران بزمين رسد قرار نكيرد وبلكه بأطراف وجوانب روان كردد مال دنيا نيزيكجا قرار نكيرد بلكه هر روز دردست ديكرى باشد وهر شب بايكى عقد

مواصلت بندد نه عهد اورا وفايى ونه وفاى اورا بقايى].

كنج امان نيست درين خاكدان مغز وفانيست درين استخوان
كهنه سراييست بصد جاكرو كهنه واندر كرو نوبنو

وسئل رسول الله ﷺ عن الدنيا فقال: «دنياك ما يشغلك عن ربك». أقول: إن الدنيا كالأم تربي الناس كالأولاد فمن اشتغل بالأم كالطفل عن المعلم بقي جاهلاً، وصار كأنه اتخذها صنماً لنفسه يعبده، ومن اشتغل بالمعلم عن الأم صار عالماً وتخلص من عبادة الهوى ووصل إلى المقصود. فذم الدنيا إنما هو بحسب اشتغاله عن الله تعالى لا بحسب نفسها. قيل: حد الدنيا من القاف إلى القاف.

وقال أهل التحقيق: حدها في الحقيقة من مقعر الكرسي إلى تحت الثرى فما يتعلق بعالم الكون والفساد فمن حد الدنيا، فالسموات والأرضون وما فيهما من عالم الكون والفساد يدخل في حد الدنيا وأما العرش والكرسي وما يتعلق بهما من الأعمال الصالحة والأرواح الطيبة والجنة وما فيها فمن حد الآخرة، عصمنا الله وإياكم من التعلق بغيره أيا كان وشرفنا بالتجرد التام عن عالم الإمكان.

﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾

﴿والله﴾ اسم للذات الأحدية جامع لجميع الأسماء والصفات ومن ثمه توسل به بعضهم إلى دخول عالم الحقيقة.

وقال رجل للشبلي قدس سره: لِمَ تقول الله؟ ولا تقول لا إله إلا الله، فقال: أخشى أن أوخذ في وحشة الجحد. ﴿يدعو﴾ الناس جميعاً على لسان رسوله ﷺ وعلى ألسنة ورثته الكمل الذين اتبعوه قولاً وفعلاً وحالاً من الدار التي أولها البكاء وأوسطها العناء وآخرها الفناء ﴿إلى دار السلام﴾ أي: إلى دار السلامة من كل مكروه وآفة وهي الجنة أولها العطاء وأوسطها الرضاء وآخرها اللقاء ـ حكي ـ أن بعض ملوك الأمم السالفة بنى مدينة وتأنق وتغالى في حسنها وزينتها ثم صنع طعاماً ودعا الناس إليه واجلس أناساً على أبوابها يسألون كل من خرج هل رأيتم عيباً فيقولون: لا، حتى جاء أناس في آخر الناس عليهم أكسية، فسألوهم هل رأيتم عيباً؟ فقالوا: عيبين اثنين فحبسوهم ودخلوا على الملك فأخبروه بما قالوا، فقال: ما كنت أرضى بعيب واحد فأتتوني بهم فأدخلوهم عليه، فسألهم عن العيبين ما هما؟ فقالوا: تخرب ويموت صاحبها، فقال: أفتعلمون داراً لا تخرب ولا يموت صاحبها قالوا: نعم، فذكروا له الجنة ونعيمها وشوقوه إليها وذكروا النار وعذابها وخوفوه منها، ودعوه إلى عبادة الله تعالى فأجابهم إلى ذلك وخرج من ملكه هارباً تائباً إلى الله تعالى.

والله يدعو آمده آزادىء زندانيان زندانيان غمكين شده كويى بزندان مكيشى
شاهان سفيها نرا همه دربند زندان ميكشند توازچه اززندان شان سوى كلستان ميكشى

وفي الحديث: «ما من يوم تطلع فيه الشمس إلا وبجنبيها ملكان يناديان بحيث يسمع كل الخلق إلا الثقلين أيها الناس هلموا إلى ربكم والله يدعو إلى دار السلام» والمقصود إلى العمل المؤدي إلى دخول الجنة.

ولذا قال بعض المشايخ: أوجب الله عليك وجود طاعته في ظاهر الأمر، وما أوجب

عليك بالحقيقة إلا دخول جنته إذ الأمر آيل إليها والأسباب عدمية، وإنما احتاجوا إلى الدعوة والإيجاب إذ ليس في أكثرهم من المروءة ما يردهم إليه بلا علة بخلاف أهل المروءة والمحبة والوفاء فإنه لو لم يكن وجوب لقاموا للحق بحق العبودية ورعوا ما يجب أن يراعى من حرمة الربوبية. ويجوز أن يكون المعنى إلى دار الله تعالى فإن السلام اسم من أسمائه سبحانه والإضافة للتشريف كبيت الله ومعنى السلام في حقه تعالى أنه سلم ذاته من العيب وصفاته من النقص وأفعاله من الشر وفي حق العبد أنه سلم من الغش والحقد والحسد وإرادة الشر قلبه وسلم من الآثام والمحظورات جوارحه ولن يوصف بالسلام والإسلام إلا من سلم المسلمون من لسانه ويده. أو المعنى إلى دار يسلم الله تعالى والملائكة على من يدخلها أو يسلم بعضهم على بعضهم.

يقول الفقير: دار السلام إشارة إلى دار القلب السليم الذي سلم من التعلق بغير الله تعالى ومن دخلها كان آمناً من التكدر مطلقاً بشيء من الأمور المكروهة صورة وصارت النار عليه نوراً وقد قيل جنة معجلة وهي جنة المعارف والعلوم وجنة مؤجلة وهي الموعودة في دار القرار والجنة مطلقاً دار السلامة لأولياء الله تعالى ﴿ويهدي من يشاء﴾ هدايته منهم ﴿إلى صراط مستقيم﴾ موصل إليها وهو الإسلام والتزود بالتقوى عم بالدعوة لإظهار الحجة وخص بالهداية لاستغنائه عن الخلق، وهذا العموم والخصوص في سماع الدعوة وقبولها بالنسبة إلى من كان له سمع كالعموم والخصوص في رؤية المسك وشمه بالإضافة إلى من كان له بصر، فرب رائي مزكوم ليس له إلا الرؤية وكذا رب سامع ليس له من القبول شيء، فمن تعلقت بهدايته إرادة الحق تعالى يسرت أسبابه وطوى له الطريق وحمل على الجادة فالداعي أولاً وبالذات هو الله تعالى وثانياً وبالعرض هو الأنبياء ومن اتبعهم على الحق اتباعاً كاملاً، والمدعو هو الناس والمدعو إليه هو الجنة وكذا الهادي هو الله والمهدي بالهداية الخاصة هو الخواص والمهدي إليه هو الصراط المستقيم ومشيئته تعالى إرادته وهي صفة قديمة اتصفت بها ذاته تعالى كعلمه وقدرته وكلامه وسائر صفاته ويسمى متعلقها المراد المعبر عنه بالعناية فمن سأل بلسان الاستعداد كونه مظهراً للجلال أمسك في هذه النشأة عن إجابة الدعوة ومن سأل كونه مظهراً للجمال أسرع للإجابة والله تعالى يعطي كل شيء ما يستعده وهذه المشيئة والسؤال لا بد في توفيقهما من قوة الحال. قال الحافظ:

درين چمن نكنم سرزنش بخود رويى   چنانكه پرورشم مى دهند مى رويم

واعلم: أن قبول الدعوة لا بد فيه من علامة وهي التزهد في الدنيا والسلوك إلى طريق الفردوس الأعلى والتوجه إلى الحضرة العليا ألا ترى إلى ابن أدهم خرج يوماً يصطاد فأثار ثعلباً أو أرنباً فبينما هو في طلبه هتف به هاتف ألهذا خلقت؟ أم بهذا أمرت؟ ثم هتف به من قربوس سرجه والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فنزل عن مركوبه وصادف راعياً لأبيه فأخذ جبة الراعي وهي من صوف فلبسها وأعطاه فرسه وما معه ثم دخل البادية وكان من شأنه ما كان.

در راه عشق وسوسهٔ اهر من بسيست   هش دار وكوش دل بپيام سروش كن

والانتباه الصوري أي: من المنام مثال للانتباه القلبي أي: من الغفلة فالقاعدون في مقامات طبائعهم ونفوسهم كمن بقي في النوم أبداً، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ [الزمر: ٤٢] والسالكون هم المنتبهون من رقدة هذه الغفلة وإليه الإشارة بقوله

تعالى: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ [الزمر: ٤٢] وهو اللائح بالبال والله أعلم بحقيقة الحال.

قال: في «التأويلات النجمية» ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ يدعو الله أزلاً وأبداً عباده إلى دار السلام وهي العدم صورة ظاهراً وعلم الله وصفته معنى وحقيقته، وإنما سمى العدم والعلم دار السلام لأن العدم كان داراً قد سلم المعدوم فيها من آفة الاثنينية والشركة مع الله في الوجود وهي دار الوحدانية وأيضاً لأن السلام هو الله تبارك وتعالى والعلم صفته القائمة بذاته فالله تعالى بفضله وكرمه يدعو عباده أزلاً من العدم إلى الوجود ومن العلم وهو الصفة إلى الفعل وهو الخلق ويدعوهم أبداً من الوجود إلى العدم ومن الفعل إلى العلم يدعوهم إلى الوجود بالنفخة وهي قوله تعالى: ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] ويدعوهم من الوجود إلى العدم والعلم بالجذبة وهي قوله تعالى: ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٨].

ولما دعي النبي ﷺ بالجذبة إلى علم الله الأزلي الأبدي قال: (قد علمت ما كان وما سيكون) وذلك لأنه صار عالماً بعلم الله تعالى لا بعلم نفسه.

وهو سر قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ﴾ [النساء: ١١٣] وإنما علمه ذلك حين قال: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] أي: فاعلم بعلم الله الذي دعيت بالجذبة إليه أن لا إله في الوجود إلا الله فإن العلم الإلهي محيط بالوجود كله قال: ﴿قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢] فأنت بعلمه محيط بالوجود كله فتعلم حقيقة أن ليس في الوجود إله غير الله انتهى.

يقول الفقير: المتلقف من فم حضرة الشيخ سلمه الله تعالى: إن الانتباه الصوري إشارة إلى يقظة القلب. ثم الحركة إلى الوضوء إشارة إلى التوبة والإنابة. ثم التكبيرة الأولى إشارة إلى التوجه الإلهي، فحاله من الانتباه إلى هنا إشارة إلى عبوره من عالم الملك وهو الناسوت والدخول في عالم الملكوت. ثم الانتقال إلى الركوع إشارة إلى عبوره من عالم الملكوت إلى عالم الجبروت. ثم الانتقال إلى السجدة إشارة إلى عبوره من عالم الجبروت والوصول إلى عالم اللاهوت.

وهو مقام الفناء الكلي وعند ذلك يحصل الصعود إلى وطنه الأصلي العلوي فالانتقالات تصعد في صورة التنزل.

ثم القيام من السجدة إشارة إلى حالة البقاء فإنه رجوع إلى القهقرى وفيه تنزل في صورة التصعد والركوع مقام قاب قوسين وهو مقام الصفات، أي: الذات الواحدية والسجدة مقام أو أدنى، وهو مقام الذات الأحدية ومن هذا التفصيل عرفت ما في «التأويلات» من الصعود والهبوط مرة بالدعوة من العلم إلى الوجود ومرة بالدعوة من الوجود إلى العلم فإذا لم يقطع السالك عقبات العروج والنزول فهو ناقص، وفي برزخ بالنسبة إلى من قطعها كلها وتلك العقبات هي تعينات الأجسام والأرواح والعلم والعين على حسب تفصيل المراتب فيها فانظر إلى قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ [الواقعة: ٧٩] تجد الإشارة إلى أن الهوية الذاتية لا يمسها إلا المطهرون من دنس تعلق كل تعين روحانياً كان أو جسمانياً والله المعين.

قال: في «التأويلات»: ﴿ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ فلما جعل الله دعوة الخلق من العلم إلى الفعل ومن الوجود إلى العدم والعلم عامة، جعل الهداية بالمشيئة إلى العلم وهي الصراط المستقيم خاصة، يعني هو يهديهم بالجذبة الكاملة إلى علمه القديم بمشيئته

الأزلية خاصة وهذا مقام السير في الله بالله انتهى كلامه.

﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿للذين أحسنوا﴾ أعمالهم أي: عملوها على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره رسول الله ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

يقول الفقير العبادة على وجه رؤية الله تعالى وشهوده والحضور معه لا تكون إلا بعد غيبوبة الغير عن القلب وارتفاع ملاحظته جداً فيأول المعنى إلى قولنا للذين أخلصوا أعمالهم عن الرياء وقلوبهم عن غير الله تعالى. ﴿الحسنى﴾ أي: المثوبة الحسنى وهي في اللغة تأنيث الأحسن والعرب تطلق هذا اللفظ على الخصلة المرغوب فيها ﴿وزيادة﴾ أي: وما يزيد على تلك المثوبة تفضلاً لقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ١٧٣] فالمثوبة ما أعطاه الله في مقابلة الأعمال، والزيادة ما أعطاه الله لا في مقابلتها والكل فضل عندنا.

وقيل: الحسنى مثل حسناتهم، والزيادة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وأكثر جمهور المحققين على أن الحسنى الجنة، والزيادة اللقاء والنظر إلى وجه الله الكريم.

وفي الحديث: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ثم تلا هذه الآية ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ رواه مسلم والترمذي والنسائي.

فإن قيل: لم سمىّ الله الرؤية زيادة والجنة الحسنى، والنظر إلى وجهه أكبر من الجنة والزيادة في الدنيا تكون أقل من رأس المال؟

قيل: المراد بالزيادة في الآية الزيادة الموعودة والموعودة الجنة فالزيادة ههنا ليست من جنس المزيد عليه وهي الجنة ودرجاتها فالزيادة من العزيز الأكبر أكبر وأعز كما أن الرضوان من الكريم الأجود أكبر وأجل.

وفي الخبر «إن أهل الجنة إذا رأوا الحق نسوا نعيم الجنة» وهذه الرؤية بعين الرأس وأما في الدنيا فبعين العين لغير نبينا ﷺ كما سبق عند قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] الآية وإنما تحصل بارتفاع الموانع وهي حجب التعينات جسمانية أو روحانية. قال الحافظ:

جمال يار ندارد نقاب وپرده ولى غبار ره بنشان تا نظر توانى كرد

وذلك لأن الله تعالى ليس بمحجوب؛ لأنه لو حجبه شيء لستره وهو ليس في جهة ولا مكان وإنما المحجوب أنت ولو أزال الحق الحجاب عنا وشاهدناه نسينا الكون وما فيه كما ينسى أهل الجنة نعيمها عند التجلي فكان يفوت آن التعبد الشرعي ولذا لا نشاهد الحق في دار الدنيا لأنها مقام التكليف ﴿ولا يرهق وجوههم﴾ أي: لا يغشاها. وبالفارسية [پوشيده نكر داند روىهاى بهشتيانرا] ﴿قتر﴾ غبرة فيها سواد والقتر أشد من الغبار. ﴿ولا ذلة﴾ أي: أثر هوان وكسوف بال والغرض من نفي هاتين الصفتين نفي أسباب الخوف والحزن والذل عنهم ليعلم أن

نعيمهم الذي ذكره الله خالص لا يشوبه شيء من المكروهات وأنه لا يتطرق إليهم ما إذا حصل يغير صفحة الوجه ويزيل ما فيها من النضارة والحسن. والجملة مستأنفة لبيان أمنهم من المكاره أثر بيان فوزهم بالمطالب، والثاني: وإن اقتضى الأول إلا أنه ذكر إذكاراً بما ينقذهم الله منه برحمته وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام ببيان أن المصون من الرهق أشرف أعضائهم ﴿أولئك﴾ [آن كروه محسنان] ﴿أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ بلا زوال دائمون بلا انتقال.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ أي: للذين عاملوا الله على مشاهدته فإن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه الحسنى وهي شواهد الحق والنظر إليه وزيادة والزيادة ما زاد على النظر بالوصول إلى العلم الأزلي مجذوباً من أنانيته إلى هويته بإفناء الناسوتية في اللاهوتية ﴿ولا يرهق وجوههم قتر﴾ أي: لا يصيبهم غبار الحجاب ﴿ولا ذلة﴾ وجود يقتضي الأثنينية ﴿أولئك أصحاب الجنة﴾ جنة السير في الله ﴿هم فيها خالدون﴾ دائمون في السير بجذبات العناية.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧)﴾

﴿والذين كسبوا السيئات﴾ أي: ارتكبوا الشرك والمعاصي وهو مبتدأ بتقدير المضاف خبره قوله تعالى: ﴿جزاء سيئة بمثلها﴾ والجزاء مصدر من المبنى للمفعول والباء في بمثلها متعلقة بجزاء، والمعنى وجزاء الذين كسبوا السيئات أن يجازي سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد في الحسنة.

قال: في «الكشاف» في هذا دليل على أن المراد بالزيادة الفضل؛ لأنه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثمة بإثبات الزيادة على المثوبة على فضله انتهى.

يقول الفقير: تبعه على هذا جمهور المفسرين ولكن تفسير رسول الله ﷺ كما سبق أحق بأن يتبع، ويرجح ويقدم على الكل، ولا مانع من أن يراد بالزيادة الفضل واللقاء فإن اللقاء الذي هو أفضل الكرامات إذا حصل فلأن يحصل ما هو دونه من الفضل والتضعيف أظهر ﴿وترهقهم﴾ [وبپوشد ايشانرا] إذا عاينوا النار. ﴿ذلة﴾ [خوارى ورسوايى يعني آثار مذلت برايشان هويدا كردد] وفي إسناد الرهق إلى أنفسهم دون وجوههم إيذان بأنها محيطة بها غاشية لهم جميعاً. ﴿ما لهم من الله من عاصم﴾ أي: لا يعصمهم أحد من سخطه تعالى وعذابه ولا يمنعه ﴿كأنما اغشيت﴾ ألبست. وبالفارسية [كوييا پوشيده شده است] ﴿وجوههم قطعاً من الليل﴾ لفرط سوادها وظلمتها ﴿مظلماً﴾ حال من الليل والعامل فيه معنى الفعل أي: قطعاً كائنة من الليل في حال كونه مظلماً، يعني: [سياه كردد رويهاى ايشان ازغم واندوه چون شب تيره] وقطعاً بفتح الطاء جمع قطعة مفعول ثاني لأغشيت وقرىء قطعاً بسكون الطاء وهو مفرد اسم للشيء المقطوع فحينئذٍ يصح أن يكون مظلماً صفة له لتطابقهما في الافراد والتذكير. ﴿أولئك﴾ [آن كروه كه كاسب سيآتند] يعني: مشركان ومنافقان. ﴿أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ اعلم أن دخول الجنة برحمة الله تعالى وقسمة الدرجات بالأعمال والخلود بالنيات فهذه ثلاثة مقامات وكذلك في دار الشقاوة دخول أهلها فيها بعدل الله وطبقات عذابها بالأعمال وخلودهم بالنيات، يعني: أن المؤمن لما كانت نيته في الدنيا أن يعبد الله أبداً ما عاش وكذا الكافر لما كانت نيته

عبادة الأصنام أبداً ما عاش جوزي كل أحد بتأبيد النية، وأصل ما استوجبوا به هذا العذاب المؤبد المخالفة كما كانت في السعادة الموافقة وكذلك من دخل من العاصين النار لولا المخالفة ما عذبهم الله شرعاً نسأل الله لنا ولك وللمسلمين أن يستعملنا بصالح الأعمال ويرزقنا الحياء منه تعالى.

قال أبو العباس الأقليشي: لم أجد في مقدار بقاء العصاة في النار حدا في صحيح الآثار غير أن الغزالي ذكر في «الاحياء» حال عصاة الموحدين فقال: إن بقاء العاصي في النار لحظة وأكثره سبعة آلاف عام لما ورد به الأخبار انتهى.

يقول الفقير: لعل الحكمة في ذلك كون تلك المدة، عمر النوع الإنساني فاقتضى التشديد في التربية بقاءه في النار تلك المدة فالظاهر أن تلك السنين إنما هي باعتبار سني الآخرة التي كل يوم منها ألف سنة كما في حق الكفرة إلا أن يتفضل الله تعالى على المؤمنين والله أعلم. وعذاب كل عاص كيفية وكمية إنما هو على حسب حجابه كيفية وكمية، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً**﴾ فإنه باعتبار توجههم إلى السفليات، وهي الصفات الحيوانية والسبعية والشيطانية ظلمات بعضها فوق بعض، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين انتقلوا من معادنهم الطينية وخرجوا من رعونة البشرية والتحقوا بالعالم الأعلى وكل من صفت جوهرته ولطف معناه يكون هكذا بخلاف من انكدرت جوهرته وكثف معناه فلا بد لك من أن تضرم على النفس نار المجاهدة وتلقيها في أبواط الرياضة فإن الرجال الأنجاد رضي الله عنهم ما اشتغلوا بتدبير جسومهم من حيث الشهوات وإنما اشتغلوا بنفوسهم أن يخلصوها من رعونة الطبع حتى يلحقوها بعالمها، ألا ترى سهلاً التستري وهو من رؤساء هذا الطريق وساداته لما قيل: له ما القوت؟ فقال: ذكر الحي الذي لا يموت، قيل له: هذا قوت الأرواح فما قوت الأشباح؟ فقال: دع الديار إلى بانيها إن شاء عمرها وإن شاء خربها، فما أحرم عبداً لم يوفقه الله لتخليص جوهرته؟! نعوذ الله من الحرمان. وفي المثنوي:

اين رياضتهاى درويشان چراست ... كان بلا برتن بقاي جانهاست
مردن تن در رياضت زند كيست ... رنج ابن تن روح را پاينده كيست
پس رياضت رابجان شو مشترى ... چون سپردى تن بخدمت جان برى

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿**ويوم نحشرهم**﴾ يوم منصوب على المفعولية بفعل مضمر، أي: أنذرهم أو ذكرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين أحسنوا والذين كسبوا السيئات لأنه المتبادر من قوله: ﴿**جميعاً**﴾ حال من الضمير، أي: مجتمعين لا يشذ منهم فريق ﴿**ثم نقول للذين أشركوا**﴾ أي: نقول للمشركين من بينهم ﴿**مكانكم**﴾ نصب على أنه في الأصل ظرف لفعل أقيم مقامه لا على أنه اسم فعل وحركته حركة بناء كما هو رأي الفارسي أي: الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم ﴿**أنتم**﴾ تأكيد للضمير المنتقل إليه من عامله لسده مسده ﴿**وشركاؤكم**﴾ عطف عليه ﴿**فزيلنا**﴾ من زلت الشيء عن مكانه ازيله، أي: أزلته والتضعيف فيه للتكثير لا للتعدية لأن ثلاثيه متعد بنفسه، وهذا التزييل وإن كان مما سيكون يوم القيامة إلا أنه لتحقق وقوعه صار

كالكائن الآن فلذلك جاء بلفظ الماضي بعد قوله نحشر ونقول، أي: ففرقنا ﴿بينهم﴾ وبين الآلهة التي كانوا يعبدونها وقطعنا العلائق والوصل التي كانت بينهم في الدنيا فخابت أعمالهم وانصرمت عرى أطماعهم وحصل لهم اليأس الكلي من حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم، والحال وإن كانت معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب لكن هذه المرتبة من اليقين إنما حصلت عند المشاهدة والمشافهة ﴿وقال شركاؤهم﴾ التي كانوا يعبدونها ويثبتون الشركة لها وهم الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من أولي العلم، وقيل: الأصنام ينطقها الله الذي أنطق كل شيء. ﴿ما كنتم إيانا تعبدون﴾ مجاز عن براءة الشركاء من عبادة المشركين حيث لم تكن تلك العبادة بأمر الشركاء وإرادتهم وإنما الآمر بها هو أهواؤهم والشياطين، فالمشركون إنما عبدوا في الحقيقة أهواءهم وشياطينهم الذين أغووهم.

﴿فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم﴾ فإنه العالم بكنه الحال ﴿إن﴾ مخففة من إن واللام فارقة ﴿كنا عن عبادتكم﴾ لنا ﴿لغافلين﴾ والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء وإلا فعدم شعور الملائكة بعبادتهم لهم غير ظاهر، وهذا يقطع احتمال كون المراد بالشركاء الشياطين كما قيل فإن ارتضاءهم بإشراكهم مما لا ريب فيه وإن لم يكونوا مجبرين لهم على ذلك كذا في «الإرشاد» وهذا بالنسبة إلى كون المراد بالشركاء ذوي العلم وأما إن كان المراد الأصنام فمن أعظم أسباب الغفلة كونها جمادات لا حس لها ولا شعور ألبتة.

﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿هنالك﴾ ظرف مكان، أي: في ذلك المقام الدهش أو في ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان. ﴿تبلو﴾ من البلوى والاختبار. في الفارسية [بيازمودن] أي: تختبر وتذوق ﴿كل نفس﴾ مؤمنة كانت أو كافرة سعيدة أو شقية ﴿ما أسلفت﴾ أي: قدمت من العمل فتعاين نفعه وضره وأما ما عملت من حالها من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ فأمر مجمل. ﴿وردوا﴾ الضمير للذين أشركوا على أنه معطوف على زيلنا وما عطف عليه وقوله تعالى: ﴿هنالك تبلو﴾ الخ اعتراض في أثناء المقرر لمضمونها ﴿إلى الله﴾ أي: جزائه وعقابه فإن الرجوع إلى ذاته تعالى مما لا يتصور ﴿مولاهم﴾ ربهم ﴿الحق﴾ أي: المتحقق الصادق ربوبيته لا ما اتخذوه ربا باطلاً.

قال الشيخ في تفسيره: مولاهم الحق، أي: الذي يتولى ويملك أمرهم حقيقة ولا يشكل بقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] لأن المعنى فيه المولى الناصر وفي الأول المالك ﴿وضل عنهم﴾ وضاع أي: ظهر ضياعه وضلاله لا أنه كان قبل ذلك غير ضال أو ضل في اعتقادهم الجازم أيضاً ﴿ما كانوا يفترون﴾ من أن آلهتهم تشفع لهم أو ما كانوا يدعون أنهم شركاء الله.

واعلم أن أكثر ما اعتمد عليه أهل الإيمان يتلاشى ويضمحل عند ظهور حقيقة الأمر يوم القيامة فكيف ما استند إليه أهل الشرك والعصيان ـ كما حكي ـ أن الجنيد قدس سره رؤي في المنام بعد موته، فقيل له ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات وفنيت تلك العبارات

وأبيدت تلك الرسوم وغابت تلك العلوم وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في السحر.

هر كنج سعادت كه خداداد بحافظ ازيمن داى شب وورد سحري بود

ثم إن الآية الشريفة أشارت إلى أن النفس إنما تعبد الهوى ولا محراب لها في توجهها إلا ما سوى المولى.

قال بعض السادة: ـ رحمة الله ـ. تحت الجبال بالأظافر أيسر من زوال الهوى إذا تمكن وكما لا يحب الله العمل المشترك بالالتفات لغيره نفساً كان أو غيرها كذا لا يحب القلب المشترك بمحبة غيره من شهوة أو غيرها.

قال محمد بن حسان: ـ رحمه الله ـ: بينا أنا أدور في جبل لبنان؛ إذ خرج علي شاب قد أحرقته السموم والرياح، فلما رآني ولى هارباً فتبعته، وقلت عظني بكلمة أنتفع بها، قال: احذره فإنه غيور لا يحب أن يرى في قلب عبده سواه.

قال ابن نجيد ـ رحمه الله ـ: لا يصفو لأحد قدم في العبودية حتى يكون أفعاله كلها عنده رياء وأحواله كلها عنده دعاوى وإنما يفتضح المدعون بزوال الأحوال. وفي «المثنوي»:

چون بباطن بنكرى دعوى كجاست او ودعوى پيش آن سلطان فناست

وقال الحافظ قدس سره:

حديث مدعيان وخيال همكاران همان حكايت زردوز وبوريا بافست

فعلى العبد أن يفنى عن جميع الأوصاف ويغتسل عن كل الأوساخ وينقطع عن التشبث بكل حجر وشجر، فإن الظفر إنما هو بعناية الله خالق القوى والقدر، ونعم ما قال بعضهم: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**ويوم نحشرهم جميعاً**﴾ أي: اجتماع أرواح الإنسان وحقائق الأشياء التي يعبدون من دون الله مثل الدنيا والهوى والأصنام ﴿**ثم نقول للذين أشركوا مكانكم**﴾ أي: نخاطب أرواح المشركين بأن قفوا مكانكم الذي اخترتم بالجهل بعد أن كنتم في علو المكان ﴿**أنتم وشركاؤكم**﴾ أي: انزلوا أنتم وشركاؤكم إلى المكان السفل وهو مكان شركائكم إذا تعلقتم بهم ﴿**فزيلنا بينهم**﴾ أي: فرقنا بين المشركين وشركائهم بأن نعذب المشركين بعذاب البعد والطرد عن الحضرة وألم المفارقة وحسرة إبطال استعداد المواصلة ولا نعذب الشركاء بهذه العقوبات لعدم استعدادهم في قبول كمال القرب. ﴿**وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون**﴾ بل كنتم تعبدون هواكم لأنه ما عبد في الأرض إله أبغض إلا بالهوى فلهذا قال عليه الصلاة والسلام: «ما عبد في الأرض إله أبغض على الله من الهوى» وقال تعالى: ﴿**أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ**﴾ [الجاثية: ٢٣] ﴿**فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**﴾ [يونس: ٢٩] فيما شاهد ﴿**إن كنا عن عبادتكم لغافلين**﴾ أي: كنا في غفلة عن ذوق عبادتكم إيانا وحظها ومشربها بل كان الحظ والمشرب والذوق لهواكم في استيفاء اللذات والشهوات والتمتعات الدنيوية والأخروية عند عبادتنا بلا شعور منا بخلاف عبادة الله فإن في عبادة الله رضاه وشعوره بها ومنه المدد والتوفيق وعليه الجزاء والثواب ﴿**هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت**﴾ أي: في ذلك الحال تبتلى كل نفس ما قدمت من التعلقات بالأشياء والتمسكات بها ﴿**وردوا إلى الله**﴾ في الحكم والقرب والبعد واللذة والألم. ﴿**مولاهم الحق**﴾ أي: متوليهم في ذلك هو الله أي: في إذاقة اللذات من القرب والألم من البعد لا غيره من الشركاء. ﴿**وضل عنهم ما كانوا يفترون**﴾ إن

للشركاء أثراً في القربة والشفاعة انتهى ما في «التأويلات النجمية» ﴿قل﴾ للمشركين احتجاجاً على حقيقة التوحيد وبطلان الشرك ﴿من يرزقكم﴾ [كيست كه شمارا روزى ميدهد] ﴿من السماء﴾ [از آسمانكه باران مى باراند] ﴿والأرض﴾ [واز زمين كه كياه مى روياند] ﴿أم من﴾ أم منقطعة لأنه لم يتقدمها همزة استفهام ولا همزة تسوية وتقدر هنا ببل وحده دون الهمزة بعدها كما في سائر المواضع، لأنها وقع بعدها اسم استفهام صريح وهو من، فلا حاجة إلى الهمزة وبل إضراب انتقال من الاستفهام الأول إلى استفهام آخر لا إضراب إبطال إذ ليس في القرآن ذلك. والمعنى، بالفارسية [آيا كيست كه] ﴿يملك السمع والأبصار﴾ أي: يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من أدنى شيء يصيبهما، وكان علي رضي الله عنه يقول: سبحان من بَصّر بشحم، وأسمع بعظم، وأنطق بلحم. ولما كانت حاجة الإنسان إلى السمع والبصر أكثر من حاجته إلى الكلام خلق الله له أذنين وعينين ولساناً واحداً ﴿ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾ أي: من ينشىء الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان وكذا من يخرج الطائر من البيضة ويخرج البيضة من الطائر. ﴿ومن يدبر الأمر﴾ أي: أمر جميع العالم علوياً كان أو سفلياً روحانياً أو جسمانياً. ﴿فسيقولون﴾ بلا تأخير ﴿الله﴾ يفعل ما ذكر من الأفاعيل لا غيره إذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه ﴿فقل﴾ عند ذلك تبكيتاً لهم ﴿أفلا تتقون﴾ أي: أتعلمون ذلك فلا تتقون عقابه بإشراككم به الأصنام.

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿فذلكم الله﴾ الذي يفعل هذه الأشياء هو ﴿ربكم الحق﴾ أي: الثابت ربوبيته لا ما أشركتم معه، فقوله﴿فذلكم﴾ مبتدأ والجلالة صفته وربكم الحق خبره ويجوز أن يكون الجلالة خبره وربكم بدل منه والإشارة محمولة على التجوز لاستحالة تعلق الإحساس به تعالى. ﴿فماذا﴾ يجوز أن يكون الكل اسماً واحداً قد غلب فيه الاستفهام على اسم الإشارة وأن يكون موصولاً بمعنى الذي، أي: ما الذي ﴿بعد الحق﴾ أي: غيره بطريق الاستعارة أي: ليس غير التوحيد وعبادة الله تعالى ﴿إلا الضلال﴾ الذي لا يختاره أحد وهو عبادة الأصنام، وإنما سميت ضلالاً مع كونها من أعمال الخوارج باعتبار ابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأي. ﴿فأنى تصرفون﴾ استفهام إنكاري بمعنى إنكار الوقوع واستبعاده والتعجب أي: كيف تصرفون من التوحيد وعبادة الله إلى الإشراك وعبادة الأصنام الذي هو ضلال عن الطريق الواضح. قال السعدي قدس سره:

ترسم نرسى بكعبه أي: أعرابي   كين ره كه توميروى بتركستانست

فقد نبه الله على ضلالهم على لسان رسوله عليه السلام وهو الهادي إلى طريق الحق والصواب والفارق بين أهل التصديق والارتياب. قال الصائب:

اقف نميشوندكه كم كرده اند راه   تا رهروان برهنمايى نمى رسند

﴿كذلك﴾ الكاف في محل النصب على أنه صفة مصدر محذوف والإشارة بذلك إلى المصدر المفهوم من الحق في قوله ﴿ربكم الحق﴾ أي: كما حقت الربوبية لله تعالى ﴿حقت

كلمة ربك﴾ حكمه وقضاؤه، يعني [واجب شد عذاب إلهي] ﴿على الذين فسقوا﴾ أي: تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح ﴿أنهم﴾ تعليل لحقية تلك الكلمة والأصل لأنهم ﴿لا يؤمنون﴾ فالكفر أداهم إلى العذاب فإن كل نتيجة مبنية على المقدمات والأسباب. والقمح لا ينبت من الزوان ولا يثمر الثمر أم غيلان.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ البدء بالفارسية [ابتدا كردن]، أي: يخلق الخلق أولاً ثم يعيده بعد الموت ولما كانوا مقرين بالبدء ومنكرين للإعادة عناداً ومكابرة أمر ﷺ بأن يبين لهم من يفعل ذلك فقيل له: ﴿قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ أي: هو يفعلهما لا غير كائناً من كان ﴿فأنى تؤفكون﴾ أي: كيف تصرفون وتقلبون عن قصد السبيل والاستفهام إنكاري ﴿قل هل من شركائكم من يهدي﴾ غيره ﴿إلى الحق﴾ ولو كان الهداية بوجه من الوجوه فإن أدنى مراتب العبودية هداية المعبود لعبدته إلى ما فيه صلاح أمرهم وهدى كما يستعمل بكلمة إلى لتدل على انتهاء ما قبلها إلى مدخولها كذلك يستعمل باللام التعليلية لتدل على أن الهداية لا تتوجه نحو ما دخل عليه اللام إلا لأجل أن تؤدي إليه ويترتب هو عليها كما هو شأن العلة والمعلل بها وقد جمع بين التعديتين في هذه الآية ﴿قل الله يهدي﴾ من يشاء ﴿للحق﴾ دون غيره بنصب الأدلة وإرسال الرسل وإنزال الكتب والتوفيق للنظر الصحيح والتدبر الصائب فإن العقول مضطربة والأفكار مختلطة وتعيين الحق صعب ولا يسلم من الغلط إلا الأقل من القليل فالاهتداء لإدراك الحقائق لا يكون إلا بإعانة الله وهدايته وإرشاده ﴿أفمن يهدي﴾ غيره ﴿إلى الحق﴾ هو الله تعالى ﴿أحق أن﴾ أي: بأن ﴿يتبع﴾ والمفضل عليه محذوف أي: ممن لا يهدي. ﴿أم من لا يهدي﴾ بكسر الهاء وتشديد الدال أصله لا يهتدي وأدغم وكسر الهاء لالتقاء الساكنين أي: لا يهتدي في حال من الأحوال ﴿إلا أن يهدي﴾ إلا حال هدايته تعالى له إلى الاهتداء.

فإن قلت الأصنام جمادات لا تقبل الهداية فكيف يصح أن يقال: في حقها إلا أن يهدي؟ وأيضاً كلمة من تستعمل في ذوي العقول دون الجمادات فلا يليق أن يقال: في حقها أم من لا يهدي.

قلت: هذا أي: انتفاء الاهتداء إلا أن يهدي حال إشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام، فهذا بيان لفساد مذهب من يتخذ العقلاء الذين يقبلون الهداية أرباباً بعد ما بين فساد مذهب مطلق أهل الشرك من عبدة الأوثان وغيرها بقوله: ﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق﴾ الآية فإنه لا شك أن المراد بالشركاء فيه ما يتناول الأصنام وغيرها.

وقال: في «التبيان» الصنم لا ينفع ولا يضر ولا يقدر على شيء في نفسه إلا أن يهدي يعني يدخل ويخرج وينقل ويتصرف فيه والله تعالى جل عن ذلك، وظاهر هذا الكلام يدل على أن الأصنام إن هديت اهتدت وليس كذلك، لأنها حجارة لا تهتدي إلا أنهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها كما يعبر عمن يعقل ويفعل ﴿فما لكم﴾ أي: أي: شيء لكم في اتخاذكم هؤلاء

شركاء لله تعالى ﴿كيف تحكمون﴾ بما يقضي صريح العقل ببطلانه وهو إنكار لحكمهم الباطل حيث سوّوا بين من يحتاجون هم إليه وهو الله تعالى وبين من يحتاج هو إليهم وهو ما عبدوه من دون الله من الأصنام ولا مساواة بين القادر والعاجز جداً.

عجز وقدرت كه هر دو ضدانند   عقل كركويدت كه يكسانند
عجز بر خلق مى دراند پوست   قادري بر كمال حضرت اوست

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿وما يتبع أكثرهم﴾ فيما يعتقدون من أن الأصنام آلهة ﴿إلا ظنًّا﴾ من غير تحقيق وإنما قلدوا في ذلك آباءهم. وفيه إشعار بأن بعضهم قد يتبعون العلم فيقفون على حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعناداً. ﴿إن الظن لا يغني﴾ [بي نياز نكر داندكسى را] ﴿من الحق﴾ [از علم واعتقاد درست يعني ظن وتخمين بجاي حق ويقين نتواند] ﴿شيئاً﴾ من الإغناء فيكون مفعولاً مطلقاً، ويجوز أن يكون مفعولاً به، ومن الحق حالاً منه فمعنى لا يغني حينئذٍ لا ينوب.

وقال بعضهم: إن الظن بأن الأصنام شفعاء لا يدفعه عنهم العذاب فقولهم بأنها شفعاء باطل محض مبني على خيال فاسد وظن واه ﴿إن الله عليم بما يفعلون﴾ وعيد على اتباعهم للظن وإعراضهم عن البرهان. وفي الآية دلالة على وجوب العلم في الأصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد. وفي «المثنوي»:

وهم افتد در خطا ودر غلط   عقل باشد در اصابتها فقط
كشتىء بى لنكر آمد مرد شر   كه زباد كژنيابد او حذر
لنكرى دريوزه كن ازعاقلان   لنكر عقلست عاقل را امان

وقد نادى قوله تعالى: ﴿فما لكم كيف تحكمون﴾ على كونهم محرومين من كمال العقل فإن العاقل بالعقل الكامل لا يتبع الباطل والجهل، بل الحق والعلم وكون الآباء على صفة الشرك لا ينهض حجة فإن الله تعالى قد خلق الناس وهداهم إلى تمييز الخير والشر بتركيب العقل فيهم فالاتباع ليس إلا إلى الهدى، وكما أن المشركين ضلوا عن طريق الشريعة بتقليد الجهلة فكذا السالكون ضلوا عن طريق الحقيقة بتقليد الغفلة.

قال بعض الكبار: أوصيكم بوصية لا يعرفها إلا من عقل وجرب، ولا يهملها إلا من غفل فحجب، وهو أن لا تأخذوا في هذا العلم مع متكبر ولا صاحب بدعة ولا مقلد، أما الكبر فإنه عقال عن فهم الآية والعبر، وأما البدعة فتوقع صاحبها في البلايا الكبار، وأما التقليد فعقال يمنع من الظفر وبلوغ الوطر، ثم إن ما وصل المرء إليه بنور العقل والبرهان فالعلم المكسوب بالعقل بمنزلة الظن والتخمين عند أرباب اليقين والحق الذي لا غاية وراءه وراء طور العقل وما يلي ظاهر القلب هو الإيمان وما يلي باطنه هو الإيقان.

قال بعض العارفين: إذا كان الإيمان في ظاهر القلب كان العبد محباً للآخرة والدنيا وكان مرة مع الله ومرة مع نفسه فإذا دخل الإيمان باطن القلب أبغض العبد دنياه وهجر هواه، والوصول إلى هذه المرتبة لا يكون إلا بجذبة إلهية وبصحبة مرشد كامل. قال الحافظ:

من بسر منزل عنقا نه بخو دبردم راه   قطع اين مرحله بامرغ سليمان كردم

ومن شرائطه الاحتراز عن صحبة خلاف الجنس فإنها مؤثرة، وما ضاع من ضاع إلا بمساعدة الهوى والقعود مع أهل الإنكار، فقد ظهر الحق وحقيقة الحال وماذا بعد الحق إلا الضلال؟ نسأل الله المتعال أن يوفقنا للاجتهاد إلى وقت الارتحال.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وما كان هذا القرآن﴾ مع ما فيه من دلائل الإعجاز من حسن نظمه ومعانيه الدقيقة وحقائقه الجامعة **﴿أن يفترى﴾** في محل النصب على أنه خبر كان أي افتراء، أي: مفترى يفترى به على الله وسمي بالمصدر مبالغة والافتراء في الأصل افتعال من فريت الأديم إذا قدرته للقطع ثم استعمل في الكذب **﴿من دون الله﴾** خبر آخر أي: صادراً من دون الله لأنه لا يتكلم بمثله إلا الله **﴿ولكن﴾** كان **﴿تصديق الذي بين يديه﴾** أي: مصدقاً لما تقدمه من الكتب الإلهية بسبب كون مضمونه مطابقاً لمضمون تلك الكتب فيما أخبر به من أصول الدين وقصص الأولين، ظهر في يد من لم يمارس شيئاً من العلوم ويجالس علماء تلك الكتب فإذا كان ما جاء به مطابقاً لها يعلم إنه ليس افتراء بل من الله تعالى **﴿وتفصيل الكتاب﴾** من كتب بمعنى فرض وقدر وحكم أي: وتفصيل ما حقق وأثبت من الحقائق والشرائع.

وفي «التأويلات النجمية» أي: تفصيل الجملة التي هي المقدر المكتوبة في الكتاب الذي عنده لا يتطرق إليه المحو والإثبات لأنه أزلي أبدي كما قال: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] يعني في اللوح المحفوظ وهو مخلوق قابل التغير ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩] يعني الأصل الذي لا يقبل التغير وهو علمه القائم بذاته القديم **﴿لا ريب فيه﴾** خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك أي: منتفياً عنه الريب. يعني [از ظهور حجت ووضوح دلالت بمثابه ايست كه هركه درو ادنى تأملي كند زريب باز استد وداندكه بشبه در ومجال نيست]. **﴿من رب العالمين﴾** خبر آخر تقديره كائناً من رب العالمين فهو وحي نازل على رسول الله ﷺ من عنده تعالى.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿أم يقولون افتراه﴾ أم منقطعة مقدرة ببل والهمزة، والمعنى بل أيقولون كفار مكة افتراه محمد والهمزة لإنكار الواقع واستبعاده وجوز الزمخشري أن تكون للتقرير لإلزام الحجة. **﴿قل﴾** لهم إن كان الأمر كما تقولون: **﴿فائتوا﴾** أنتم على وجه الافتراء والأمر من باب التعجيز وإلقام الحجر. **﴿بسورة مثله﴾** في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى فإنكم مثلي في العربية والفصاحة. **﴿وادعوا من استطعتم﴾** دعاءه والاستعانة به ليعاونكم على إتيان مثله إن لم يف عقل الواحد والاثنين منكم في استخراج ما يعارض القرآن. **﴿من دون الله﴾** متعلق بادعوا، ودون جار مجرى أداة الاستثناء أي: ادعوا متجاوزين الله أي: سواه تعالى من استطعتم من خلقه فإنه لا يقدر عليه أحد **﴿إن كنتم صادقين﴾** في أني افتريته فإن ما افتراه أحد من المخلوقين يفتريه غيره لأنه فوق كل ذي علم عليم فإذا عرفتم عجزكم حال الاجتماع وحال

الانفراد عن هذه المعارضة فحينئذٍ يظهر أن نظمه وتنزيله ليس إلا من قبل الله تعالى.

واعلم أن إعجاز القرآن، أي: جعله الغير عاجزاً كونه في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة، بحيث يصرف الناس عن قدرة معارضته، لا عن نفس المعارضة مع القدرة بأن عقد الله لسان البيان من بلغاء الزمان لطفاً منه بنبيه وفضلاً عليه كما توهمه البعض، كذا في تفسير الفاتحة للمولى الفناري.

﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ أي: سارعوا إلى تكذيب القرآن قبل فهمه فإن تكذيب الكلام قبل الإحاطة بمعانيه مسارعة إليه في أول وهلة ومعنى الاضطراب في بل، ذمهم على التقليد وترك النظر كأنه قيل دع تحديهم والزامهم، فإنهم لا يستأهلون الخطاب لأنهم مقلدون متهافتون في الأمر لا عن خبر وتعقل ولو كان لهم وقوف على ما في تضاعيف القرآن من شواهد الإعجاز لعلموا أنه ليس مما يمكن أن يكون له نظير يقدر عليه المخلوق **﴿ولمّا يأتهم تأويله﴾** عطف على الصلة أو حال من الموصول، أي: لم يجئهم ما يأول إليه أمره، والمعنى أن القرآن معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الإخبار بالغيب وهم قد فاجأوا تكذيبه قبل أن يتدبروا نظمه وينتظروا وقوع ما أخبر به من الأمور المستقبلة التي يظهر بعضها في الدنيا ويظهر بعضها في الآخرة ليستدلوا بذلك على صحة القرآن وصدق قول النبي عليه السلام ونفي إتيان التأويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الإحاطة بعلمه بكلمة لم لتأكيد الذم وتشديد التشنيع فإن الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع إتيانه أفحش منها في تكذيبه قبل علمه مطلقاً، والمعنى أنه كان يجب عليهم أن يتوقفوا إلى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا. **﴿كذلك﴾** أي: مثل ذلك التكذيب الواقع من قومك. **﴿كذب الذين من قبلهم﴾** أنبياءهم **﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾** فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم وإنما وصفهم بالظلم لأنهم وضعوا التكذيب في موضع التصديق فكان مآل أمرهم إلى ما أخبر به الكتب والأنبياء من العذاب والهلاك.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾.

﴿ومنهم﴾ أي: من المكذبين **﴿من يؤمن به﴾** من يصدق بالقرآن في نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند **﴿ومنهم من لا يؤمن به﴾** في نفسه كما لا يؤمن به ظاهراً لفرط غباوته وقلة تدبره، أو منهم من سيؤمن به ويتوب عن كفره لكونه مستعداً لقبول الإيمان ومنهم من لا يؤمن به فيما يستقبل بل يموت على كفره لعدم استعداده لقبوله **﴿وربك أعلم بالمفسدين﴾** بالمعاندين أو بالمصرين وإنما وصفهم بالإفساد لأنهم أفسدوا استعدادهم الفطري بالأعمال الفاسدة.

﴿وإن كذبوك﴾ وإن أصروا على تكذيبك بعد إلزام الحجة. **﴿فقل لي عملي ولكم عملكم﴾** فتبرأ منهم فقد أعذرت، أي: بالغت في العذر كقوله تعالى: **﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ﴾** [الشعراء: ٢١٦] والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقاً كان أو باطلاً وتوحيد العمل المضاف إليهم باعتبار الاتحاد النوعي ولمراعاة كمال المقابلة **﴿أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾** تأكيد لما أفاده لام الاختصاص من عدم تعدي جزاء العمل إلى غير عامله أي: لا تؤاخذون بعملي ولا أؤاخذ بعملكم، وعمله صرف الاستعداد الفطري في

استعمال العبودية لقبول فيض الربوبية وجزاؤه الجنة والوصلة، وعملهم إفساد الاستعداد في استيفاء اللذات والشهوات النفسانية وإبطال القلب عن قبول الفيض الإلهي وجزاؤه النار والقطيعة، وأيضاً عمله التصديق والإقرار، وعملهم التكذيب والإنكار، وكل بريء من صاحبه في الدنيا والآخرة لا يجتمعان أبداً، لأنه لا يجتمع الضب والنون فإن الضب غذاؤه الهواء والنون غذاؤه الماء ولأحدهما وهو الضب القبض واليبوسة لأنه بري ومن طبع التراب ذلك، وللآخر وهو النون البسط والرطوبة لأنه بحري ومن طبع الماء ذلك. وفي «المثنوي»:

طوطيان خاص را قنديست ژرف ... طوطيان عام ازين خود بسته طرف
كي چشدد رويش صورت زان نكات ... معنى است آن نى فعولن فاعلات
از خر عيسى دريغش نيست قند ... ليك خر آمد بخلقت كه پسند
بال بازان را سوى سلطان برد ... بال زاغان را بكورستان برد

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿ومنهم﴾ أي: من المكذبين ﴿من﴾ أي: ناس ﴿يستمعون إليك﴾ عند قراءتك القرآن وتعليمك للشرائع بسمع الظاهر وفي سمع قلوبهم صمم من محبة الدنيا وشهواتها فإن حب الشيء يعمي ويصم عن غيره. ﴿أفأنت تسمع الصم﴾ الهمزة الاستفهامية إنكارية والفاء للعطف على مقدر والتقدير أيستمعون إليك فأنت تسمعهم أي: تقدر على إسماعهم وقد أصمهم الله بسوء أعمالهم والمنكر هو وقوع الإسماع لا الاستماع فإنه أمر محقق ﴿ولو كانوا لا يعقلون﴾ أي: ولو انضم إلى صممهم عدم تعلقهم، لأن الأصم العاقل ربما تفرس إذا وصل إلى صماخه صوت، وأما إذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعاً فقد تم الأمر.

﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ بنظر الحس ويعائن دلائل نبوتك الواضحة وفي بصيرته عمي. ﴿أفأنت تهدي العمي﴾ جمع الأعمى، أي: عقيب ذلك أنت تهديهم ﴿ولو كانوا لا يبصرون﴾ أي: ولو انضم إلى عدم البصر عدم البصيرة فإن المقصود من الأبصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة، ولذلك يحدس الأعمى المستبصر ويتفطن لما يدركه البصير الأحمق فحيث اجتمع فيهم الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى فقد شبه الله المكذبين الذين أصروا على التكذيب بالأصم والأعمى من حيث أن شدة بغضهم وكمال نفرتهم عن رسول الله منعهم عن إدراك محاسن كلامه ومشاهدة دلائل نبوته، كما يمنع الصمم في الأذن عن إدراك محاسن الكلام، ويمنع العمى في العين عن مشاهدة محاسن الصورة، وقرن عدم العقل بعدم السمع وبعدم البصر عدم الإدراك تفضيلاً لحكم الباطن على الظاهر فلما بلغوا في معرض العقل إلى حيث لا يقبلون الفلاح، والطبيب إذا رأى مريضاً لا يقبل العلاج أعرض عنه ولا يستوحش من عدم قبوله للفلاح فقد وجب التبري منهم وعدم الانفعال من إصرارهم على التكذيب.

قال يونان وزير كسرى: خمسة أشياء ضائعة: المطر في الأرض السبخة، والسراج المشتعل في ضوء الشمس، والمرأة الحسنة الصورة عند الرجل الأعمى، والطعام الطيب عند المريض، والرجل العاقل عند من لا يعرف قدره.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً﴾ [الله ظلم نكند بر مردمان هيچ چيز يعني سلب نكند حواس وعقول ايشانرا]. ﴿ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ [ستم كنند بر نفسهاى خود وحس وعقل كه آلت ادراك آيات قدرتست درملاهى استعمال نمايند ومنافع وفوائد آن بدركات از ايشان فائت كردد].

چشم از براى ديدن آيات قدرتست   كوش از پى شنيدن اخبار حضرتست
هركه كه حق نبيند وحق نشنود كسى   كور وكرست بلكه ازان هم بتر بسى

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً﴾ بأن لا يعطيهم استعداد الهداية وقبول فيض الإيمان ثم يجبرهم على الهداية وقبول الإيمان بل أعطاهم استعداد الهداية وقبول الإيمان بفطرة الله التي فطر الناس عليها. ﴿ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ بإفساد الاستعداد الفطري في مخالفات الأوامر والنواهي الشرعية انتهى. وفيه دليل على أن للعبد كسباً وأنه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت الجبرية وأن كل ما ابتلي به فإنما أتى من جانبه. وفي «المثنوي»:

عاشق بوده است درايام پيش   پاسبان عهد اندر عهد خويش
سالها دربند وصل ماه خود   شاه مات ومات شاهنشاه خود
عاقبت جوينده يابنده بود   كه فرج از صبر زاينده بود
كفت روزى يا اوكامش بيا   كه به پختم ازپى تولوبيا
در فلان حجره نشين نانيم شب   تابيايم نيمشب من بى طلب
مرد قربان كر دونانها بخش كرد   چون پديد آمد مهش از زير كرد
شب دران حجره نشست آن كرم دار   بر اميد وعدهٔ آن يار غار
بعد نصف الليل آمد يار او   صادق الوعدانه آن دلدار او
عاشق خودرا فتاده خفته ديد   اندكي از آستين اودريد
كرد كانى چندش اندر جيب كرد   كه تو طفلى كيراين مى باز نرد
چون سحر از خواب عاشق بر جهيد   آستين وكرد كانهارا بديد
كفت شاه ما همه صدق ووفاست   آنچه برمامى رسد آن هم زماست
خوابرا بكذار امشب اي پدر   يك شبى بركوى بى خوابان كذر
بنكراينهاراكه مجنون كشته اند   همچو پروانه بوصلت كشته اند

أيقظنا الله وإياكم ونور محيانا ومحياكم ولا يجعلنا من الغافلين الضالين الظالمين آمين آمين.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿ويوم يحشرهم﴾ يوم منصوب بفعل مقدر والضمير لكفار مكة، أي: اذكر لهم يا محمد أو أنذرهم يوم يحشرهم الله ويجمعهم وهو يوم القيامة ﴿كأن﴾ مخففة اسمها محذوف، أي: كأنهم ﴿لم يلبثوا﴾ لم يمكثوا في الدنيا أو في القبور ﴿إلا ساعة من النهار﴾ أي: شيئاً قليلاً منه فإنها مثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار؛ لأن ساعاته أعرف حالاً من ساعات الليل والجملة

التشبيهية حال من ضمير المفعول، أي: يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة استقصروا المدة لهول ما رأوا والإنسان إذا عظم خوفه ينسئ الأمور الظاهرة [در تفسير زاهدى آورده كه معتزله در نفي عذاب قبر بدين آيت استدلال نموده كويند اكر كفار در قبر معذب بودندى مدتي بدين درازى ايشانرا ساعتي نه نمودى وجواب ميكو يندكه اين صورت بسبب صعوبت أهوال وشدت أحوال قيامتست كه مدت عذاب قبر در جنب آن يكساعت نمايد].

يقول الفقير: استقلوا مدة اللبث في الدنيا لأنهم كانوا في النعيم صورة، وأيامه تمضي كالرياح واستقلوا مدة المكث في القبور لأن عذابهم فيها كان على النصف بالنسبة إلى عذاب الآخرة إذ التنعم البرزخي وكذا التألم على الروح والبدن البرزخي بخلاف التنعم والتألم الحشريين فافهم هداك الله.

قال: في «التأويلات النجمية»: تشير الآية إلى الخروج من مضيق عالم الأجسام الذي هو عالم الكون والفساد والتناهي إلى متسع عالم الأرواح الذي هو عالم الكون بلا فساد وتناه فإن مدة عمر الدنيا الفانية بالنسبة إلى الآخرة الباقية ترى كساعة من نهار بل أقل من لحظة.

ثم اعلم أن الحشر يكون عاماً وخاصاً وأخص، فالعام: هو خروج الأجساد من القبور إلى المحشر يوم النشور، والحشر الخاص: هو خروج أرواحهم الأخروية من قبور أجسامهم الدنيوية بالسير والسلوك في حال حياتهم إلى عالم الروحانية؛ لأنهم ماتوا بالإرادة عن صفات النفسانية قبل أن يموتوا بالموت عن صورة الحيوانية، والحشر الأخص: هو الخروج من قبور الأنانية الروحانية إلى هويته الربانية كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥] ﴿**يتعارفون بينهم**﴾ يعرف بعضهم بعضاً كما كانوا يعرفون في الدنيا فكأنهم لم يتفارقوا بسبب الموت إلا مدة قليلة لا تؤثر في زوال ذلك التعارف أول ما خرجوا من القبور، ثم ينقطع التعارف إذا عاينوا العذاب ويتبرأ بعضهم من بعضهم وهو حال أخرى مقدرة لأن التعارف بعد الحشر يكون ﴿**قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله**﴾ شهادة من الله على خسرانهم وتعجب منه، أي: قد غبن المكذبون بالحساب والجزاء ﴿**وما كانوا مهتدين**﴾ في تجارتهم إذ باعوا الإيمان بالكفر، والتصديق بالتكذيب، فلم يكونوا على نفع وقد مضى الوقت.

چه خوش كفت باكودك آموزكار   كه كارى نكرديم وشد روز كار

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿**وإما نرينك**﴾ أصله إن نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط، أي: أن نبصرنك بأن نظهر لك ﴿**بعض الذي نعدهم**﴾ من العذاب ونعجله في حياتك كما أراه ببدر والجواب محذوف لظهوره أي: فذاك هو المأمول وإنا عليهم مقتدرون. ﴿**أو نتوفينك**﴾ قبل أن نريك ﴿**فإلينا مرجعهم**﴾ أي: رجوعهم رجوعاً اضطراريا فنريكه في الآخرة وإنا منهم منتقمون وهو جواب نتوفينك لأن الرجوع إنما يكون في الآخرة بعد الموت فهو لا يصلح أن يكون جواباً للشرط وما عطف عليه ولأن قوله تعالى في حم الزخرف. ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزخرف: ٤١-٤٢] يدل على ما ذكرنا والقرآن يفسر بعضه بعضاً هكذا لاح ببال الفقير أصلحه الله القدير ﴿**ثم الله شهيد على ما يفعلون**﴾ أي: مجاز على

أفعالهم السيئة. ذكر الشهادة وأراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم الدالة على التراخي ولو كان المراد من الشهادة نفسها لم يصح الترتيب المذكور لأنه تعالى شهيد على ما يفعلونه من التكذيب والمحاربة حال رجوعهم إليه تعالى وقبله.

وقال: في «الكواشي» ثم بمعنى الواو أو لترتيب الأخبار نحو زيد قائم ثم هو كريم وليس التأخير عجزاً بل للإيذان بإنه تعالى قادر عليهم في كل آن.

﴿**ولكل أمة**﴾ من الأمم الماضية ﴿**رسول**﴾ يبعث إليهم بشريعة خاصة مناسبة لأحوالهم ليدعوهم إلى الحق ﴿**فإذا جاء رسولهم**﴾ بالبينات فكذبوه ﴿**قضي بينهم**﴾ أي: بين كل أمة ورسولها ﴿**بالقسط**﴾ بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين به وهلاك المكذبين ﴿**وهم لا يظلمون**﴾ في ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لأنه من نتائج أعمالهم.

يقول الفقير: إن قلت يرد على ظاهر الآية زمان الفترة فإنها بظاهرها ناطقة بأنه لم يهمل أمة قط ولم يبعث لأهل الفترة رسول كما يشهد عليه قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس: ٦].

قلت: مساق الآية الكريمة على أن كل أمة قضى لها بالهلاك قد أنذروا أولاً على لسان رسول من الرسل ولم يعذب أهل الفترة لأن العرب لم يرسل إليهم رسول بعد إسماعيل غير رسول الله عليهما الصلاة والسلام فعذب أعقابهم ببدر وغيره لتكذيبهم رسول الله كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وقد انتهت رسالة إسماعيل بموته كبقية الرسل لأن ثبوت الرسالة بعد الموت من خصائص نبينا عليه السلام كما في «إنسان العيون».

وبهذا ظهر بطلان قول ابن الشيخ في حواشيه أن عموم الآية لا يقتضي أن يكون الرسول حاضراً مع كل واحدة منهم لأن تقدم الرسول على بعض منهم لا يمنع من كونه رسولاً إلى ذلك البعض كما لا يمنع تقدم رسولنا عليه السلام من كونه مبعوثاً إلينا إلى آخر الأبد انتهى.

وأما كون أهل الفترة معذبين في الآخرة أم لا فقد سبق في أواخر سورة التوبة.

ثم الرسول يأتي بالوحي الظاهر والباطن، ووارث الرسول يأتي بالوحي الباطن وهو الإلهام الإلهي وكل ما جاز وقوعه للأنبياء من المعجزات جاز للأولياء مثله من الكرامات، والله تعالى لا يحكم بين العباد إلا بعد مجيء رسولهم بالظاهر والباطن، فإن صدقوه قضى بينهم بالسعادة على قدر تصديقهم وإن كذبوه قضى بينهم بالشقاوة على قدر تكذيبهم.

هركسى ازهمت والاى خويش   سود دارد درخور كالاى خويش

فعليك بالصدق والتصديق في حق الأنبياء والأولياء واتباع ما جاؤوا به من الوحي والإلهام لتظفر بكل مرام.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿**ويقولون**﴾ استبعاد واستهزاء [آورده اندكه بعد ازنزول ﴿**وإما نرينك**﴾ الآية كفار مكة استعجال عذاب موعود نمودند اين آيت نازل شد]. ﴿**متى هذا الوعد**﴾ بالعذاب فليأتنا عجلة ﴿**إن كنتم**﴾ أي: أنت وأتباعك ﴿**صادقين**﴾ فإنه يأتينا.

﴿قل لا أملك﴾ لا أقدر لأن الملك يلزمه القدرة ﴿لنفسي ضراً﴾ بأن ادفعه ﴿ولا نفعاً﴾ بأن أجلبه فكيف أملك لكم فاستعجل في جلب العذاب إليكم ﴿إلا ما شاء الله﴾ استثناء منقطع أي: لكن ما شاء الله كائن فالله هو المالك للضر والنفع وهو لم يعين لوعده زماناً ثم اخلف فإذا حضر الوقت فإنه لا بد وأن يقع الموعود كما قال: ﴿لكل أمة﴾ ممن قضى بينهم وبين رسولهم ﴿أجل﴾ معين خاص بهم لا يتعدى إلى أمة أخرى مضروب لعذابهم جزاء على تكذيبهم رسلهم يحل بهم عند حلوله. ﴿إذا جاء أجلهم﴾ أي: زمانهم الخاص المعين. ﴿فلا يستأخرون﴾ أي: لا يتأخرون عن ذلك الأجل وصيغة الاستقبال للإشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له. ﴿ساعة﴾ أي: شيئاً قليلاً من الزمان. ﴿ولا يستقدمون﴾ أي: لا يتقدمون عليه فلا يستعجلون فسيحين وقتكم وينجز وعدكم وهو عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع إمكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلاً. ﴿قل أرأيتم﴾ أي: أخبروني لأن الرؤية سبب للأخبار. ﴿إن أتاكم عذابه﴾ الذي تستعجلون به ﴿بياتاً﴾ أي: وقت بيات واشتغال بالنوم ﴿أو نهاراً﴾ حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ﴿ماذا يستعجل منه المجرمون﴾ جواب للشرط بحذف الفاء فإن جواب الشرط إذا كان استفهاماً لا بدّ فيه من الفاء إلا في الضرورة أي: شيء ونوع من العذاب يستعجلونه؟ وليس شيء من العذاب يستعجل به لمرارته وشدة إصابته فهو مقتض لنفور الطبع منه، أو أي: شيء يستعجلون منه سبحانه والشيء لا يمكن استعجاله بعد إتيانه والمراد به المبالغة في إنكار استعجاله بإخراجه عن حيز الإمكان وتنزيله في الاستحالة منزلة استعجاله بعد إتيانه بناء على تنزيل تقرر إتيانه ودنوه منزلة إتيانه حقيقة، والمجرمون موضوع موضع المضمر لتأكيد الإنكار ببيان مباينة حالهم للاستعجال فإن حق المجرم أن يهلك فزعاً من إتيان العذاب فضلاً عن استعجاله.

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿أثم إذا ما وقع آمنتم به﴾ دخول حرف الاستفهام على ثم لإنكار التأخر وما مزيدة. أي قل لهم: أبعد ما وقع العذاب وحل بكم حقيقة آمنتم به حين لا ينفعكم الإيمان. ﴿ءآلآن﴾ بإبدال الهمزة الثانية الفاً مع المد اللازم وأصله أالان على أن تكون الأولى استفهامية وهو منصوب بآمنتم المقدر دون المذكور لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيما بعده كالعكس وهو استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت القول الملقن؛ أي: قيل لهم عند إيمانهم بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به إنكاراً للتأخير ﴿وقد كنتم به تستعجلون﴾ أي: تكذيباً واستهزاء.

﴿ثم قيل﴾ عطف على ما قدر قبل آلآن ﴿للذين ظلموا﴾ أي: وضعوا التكذيب موضع التصديق والكفر موضع الإيمان. ﴿ذوقوا عذاب الخلد﴾ [عذاب جاه يدي كه آن دائم بود] وذلك إنهم يعذبون في قبورهم ثم يصيرون إلى جهنم فيعذبون فيها أبداً.

نپنداری كه بدكو رفت وجان برد — حسابش باكرام الكاتبين است

﴿هل تجزون﴾ اليوم يعني: لا تجزون ﴿إلا بما كنتم تكسبون﴾ في الدنيا من الكفر والمعاصي، وفيه تنبيه على أن العذاب لم يصدر منه تعالى ابتداء فإنه لم يخلق عباده إلا ليرحمهم بل هو نتيجة عملهم الباطل بمنزلة الهلاك المترتب على تناول السم.

چرازغير شكايت كنم كه همچو حباب همیشه خانه خراب هواى خويشتنم

﴿۞ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿ويستنبئونك﴾ أي: يستخبرونك فيقولون على طريق الاستهزاء والإنكار. ﴿أحق هو﴾ والهمزة للاستفهام وحق خبر قدم على المبتدأ الذي هو الضمير، والجملة في موضع النصب بيستنبئونك لأن أنبأ بمعنى أخبر يتعدى إلى اثنين بنفسه والأشهر أن يتعدى إلى الثاني بكلمة عن بأن يقال: استنبأت زيداً عن عمرو أي: طلبت منه أن يخبرني عن عمرو ﴿قل﴾ لهم غير ملتفت إلى استهزائهم بانياً للأمر على أساس الحكمة ﴿إي وربي﴾ أي: بكسر الهمزة وسكون الياء من حروف الإيجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما أن هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة فالواو للقسم. والمعنى بالفارسية [آرى بحق پروردكارمن]. ﴿إنه﴾ أي: العذاب الموعود ﴿لحق﴾ ثابت البتة ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ ربكم حين أراد تعذيبكم حتى يفوتكم العذاب بالهرب فهو لاحق بكم لا محالة.

وفي الآية إشارة: إلى أن أهل الغفلة لاحتجاب بصائرهم بحجب التعلقات الكونية ليس الأمور الأخروية عندهم بمنزلة المحسوس وأما أهل اليقظة فلنورهم بنور الله تعالى يشاهدون بعين القلب الآخرة وأهوالها كما تشاهد عين القالب الدنيا وأحوالها، فهي عندهم بمنزلة المحسوس بل النبي عليه السلام قد عبر ليلة المعراج على الجنة والنار، فشاهد ما شاهد بعين الرأس وكشف حقائق الأشياء ولذا حكم على الموعود بالحقية.

﴿ولو أن لكل نفس ظلمت﴾ اشركت صفة نفس ﴿ما في الأرض﴾ أي: في الدنيا من خزائنها وأموالها ﴿لافتدت به﴾ أي: جعلته فدية لها من العذاب وبذلته مقابلة نجاتها من افتداه بمعنى فداه أي: أعطى فداءه ﴿وأسروا﴾ أي: النفوس المدلول عليها بكل نفس وإيثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص أو لتغليب ذكور مدلوله على إناثه ﴿الندامة﴾ على ما فعلوا من الظلم ﴿لما رأوا العذاب﴾ والمعنى أخفوها ولم يظهروها عند معاينة العذاب عجزاً عن النطق لكمال الحيرة، كمن يذهب به ليصلب فإنه يبقى مبهوتاً لا ينطق بكلمة.

وفي «الكواشي» ﴿وأسروا الندامة﴾ أظهروها، لأنه ليس بيوم تصبر.

قال: في «التبيان» الأسرار من الأضداد ﴿وقضي بينهم﴾ أي: أوقع القضاء والحكم بين الظالمين من المشركين وغيرهم من أصناف أهل الظلم بأن أظهر الحق سواء كان من حقوق الله، أو من حقوق العباد من الباطل وعومل أهل كل منهما بما يليق به ﴿بالقسط﴾ بالعدل ﴿وهم﴾ أي: الظالمون ﴿لا يظلمون﴾ فيما فعل بهم من العذاب، بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه الضرورية كذا في «الإرشاد».

وقال القاضي: ليس تكريراً لأن الأول قضاء بين الأنبياء ومكذبيهم، والثاني مجازاة للمشركين على الشرك.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿ألا﴾ قال الإمام: كلمة (ألا) إنما تذكر لتنبيه الغافلين وأهل هذا العالم مشغولون بالنظر إلى الأسباب الظاهرة فيضيفون الأشياء إلى ملاكها الظاهرة المجازية فيقولون الدار لزيد والغلام لعمرو والسلطنة للخليفة والتصرف للوزير ونحو ذلك فكانوا مستغرقين في نوم الجهل والغفلة حيث يظنون صحة تلك الإضافات فلذلك نادى الحق هؤلاء النائمين بقوله ألا ﴿إن لله ما في السموات والأرض﴾ لأنه قد ثبت أن جميع ما سواه تعالى ممكن لذاته وإن الممكن لذاته مستند إلى الواجب لذاته إما ابتداء أو بوساطة، فثبت أن جميع ما سواه مملوك له تعالى يتصرف فيه كيفما يشاء إيجاداً وإعداماً وإثابة وعقاباً وكلمة ما لتغلب غير العقلاء على العقلاء. ﴿ألا إن وعد الله حق﴾ أي: ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه فالوعد بمعنى الموعود والحق بمعنى الثابت والواقع، ويجوز أن يكون بمعناه المصدري، والحق بمعنى المطابق للواقع أي: وعده بما ذكر مطابق للواقع. ﴿ولكن أكثرهم﴾ لقصور عقلهم واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالأفعال المحسوسة المعتادة. ﴿لا يعلمون﴾ ذلك وإنما يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون.

مانده در تنكناى اين مجلس   غير دنيا نديده ديدهٔ حس
چشم دل كوكه پردها بدرد   جانب ملك آخرت نكرد
مرغ او در قفس زبون باشد   چه شناسد كه باغ چون باشد

﴿هو يحيي ويميت﴾ في الدنيا من غير دخل لأحد في ذلك ﴿وإليه ترجعون﴾ في الآخرة بالبعث والحشر.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿هو يحيي﴾ من العدم بالإيجاد ﴿ويميت﴾ من الوجود بالإعدام ﴿وإليه ترجعون﴾ وجوداً وعدماً انتهى.

وفي الآية إشارة إلى أنه لا بدّ من الرجوع وإن كان اضطرارياً، ونعم ما قيل: إذا جاء الموت لا ينفع العلم كما لم ينفع آدم، ولا الخلة كما لم تنفع إبراهيم، ولا القربة كما لم تنفع موسى، ولا الملك كما لم ينفع داود وسليمان وذا القرنين، ولا المحبة كما لم تنفع محمداً ﷺ، ولا المال كما لم ينفع قارون، ولا الجنود كما لم تنفع نمرود، ولا الجمال كما لم ينفع يوسف.

قيل: في الموت ستمائة ألف وأربعة وعشرون ألف غم كل غم لو وضع على أهل الدنيا لماتوا منه، وبعد الموت ثلاثمائة وستون هولاً كل هول أشد من الموت فمن عرف هذا بطريق اليقين جاهد إلى أن يجد كل ذرة منه ألم الموت، فحينئذٍ لا يبقى للألم حين الفوت مجال أصلاً لأنه مات بالاختيار قبل الموت بالاضطرار، ورجع إلى المولى بنفسه وفنى عن جملة القيود والإضافات، وبقي ببقاء الله تعالى، فهذا يقال: له موت النفس وحياة القلب أحيانا الله تعالى وإياكم. والموت بالاختيار حال الأحرار والموت بالاضطرار حال أهل الدناءة والأغيار والأول رجوع بوصال والثاني رجوع بفراق. وفي «المثنوي»:

اي برادر صبركن بردرد نيش   تارهى ازنيش نفس كبر خويش
هركه مرد اندرتن أو نفس كبر   مردرا فرمان برد خرشيدوابر
نى بكفتست آن سراج امتان   اين جهان وآن جهان چون ضرتان
پس وصال اين فراق آن بود   صحت اين تن سقام جان بود

سخت مى آيد فراق اين مقر　　پس فراق آن مقردان سخت تر
چون فراق آن نقش سخت آيدترا　　تاز سخت آيد زنقاش جدا

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

﴿يا أيها الناس﴾ نداء عام كما في «تفسير الكاشفي» وخصصه في «الإرشاد» بكفار مكة **﴿قد جاءتكم موعظة﴾** هي التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب أو بالاستمالة والترغيب أي: كتاب مبين لما يجب لكم وعليكم مرغب في الأعمال الحسنة منفر عن الأفعال السيئة وهو القرآن **﴿من ربكم﴾** متعلق بجاءتكم **﴿وشفاء لما في الصدور﴾** ودواء من أمراض القلوب كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الفاسدة. **﴿وهدى﴾** إلى طريق الحق واليقين بالإرشاد إلى الاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والأنفس. **﴿ورحمة للمؤمنين﴾** حيث نجوا بمجيء القرآن من ظلمات الكفر والضلال وهذه المصادر وصف بها القرآن للمبالغة كأنه عينها.

زهى كلام تو محض هدايت وحكمت　　زهى پيام تو عين عنايت ورحمت
كشد كمند كلام تو اهل عرفانرا　　ز شوره زار خساست بكلشن همت

يقال: القرآن موعظة للنفوس وشفاء للصدور وهدى للأرواح، ويقال: الموعظة للعوام والشفاء للخواص والهدى للأخص والرحمة لكل حيث أوصلهم إلى مرابتهم.

﴿قل﴾ يا محمد للناس. **﴿بفضل الله وبرحمته﴾** عبارتان عن إنزال القرآن والباء متعلقة بمحذوف واصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير الباء في رحمته للإيذان باستقلالها في استيجاب الفرح، ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لإفادة القصر ثم أدخل عليه الفاء لإفادة معنى السببية فصار بفضله وبرحمته فليفرحوا ثم قيل: **﴿فبذلك فليفرحوا﴾** للتأكيد والتقرير ثم حذف الفعل الأول لدلالة الثاني عليه والفاء الأولى جزائية والثانية للدلالة على السببية والأصل إن فرحوا بشيء فبذلك ليفرحوا لا بشيء آخر ثم أدخل الفاء للدلالة على السببية ثم حذف الشرط وأشير بذلك إلى اثنين إما لاتحادهما بالذات أو بالتأويل المشهور في أسماء الإشارة. **﴿هو﴾** أي: ما ذكر من فضل الله ورحمته **﴿خير مما يجمعون﴾** من الأموال الفانية.

قال بعض الكبار: فضل الله إيصال إحسانه إليك ورحمته ما سبق لك منه من الهدية، ولم تك شيئاً فكأن الله تعالى يقول: عبدي لا تعتمد على طاعتك وخدمتك، واعتمد على فضلي ورحمتي فإن رأس المال ذلك. [هركسى راسرمايه ايست وسرمايهء مؤمنان فضل من وهركسى راخزانه ايست وخزانهء مؤمنان رحمت من]

كر شاه را خزانه نهادن بود هوس　　درويش را خزانه همين لطف دوست بس

ولو كان في جمع حطام الدنيا منفعة لا تنفع قارون.

قال مالك بن دينار: كنت في سفينة مع جماعة فنبه العشار أن يخرج أحد فخرجت فقال: ما أخرجك فقلت ليس معي شيء فقال: اذهب فقلت في نفسي هكذا أمر الآخرة فالعلائق قيد والتجرد حضور وراحة. قال الحافظ:

غلام همت آنم كه زير چرخ كبود ز هرچه رنك تعلق پذيرد آزادست

أشار بهذا البيت إلى الحرية عن جميع ما سوى الله تعالى فإن العالم جسماً أو روحاً عيناً أو علماً مما يقبل التعلق لكن لما كان إلف الناس بالمحسوس أكثر خص ما تحت الفلك الأرزق بالذكر.

اعلم أن الاتعاظ بالموعظة القرآنية يوصل العبد إلى السعادة الباقية ويخلصه من الحظوظ النفسانية ـ حكي ـ أن إبراهيم بن أدهم سر ذات يوم بمملكته ونعمته ثم نام فرأى رجلاً أعطاه كتاباً فإذا فيه مكتوب لا تؤثر الفاني على الباقي ولا تغتر بملكك فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم فسارع إلى أمر الله فإنه يقول: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فانتبه فزعاً وقال: هذا تنبيه من الله وموعظة فتاب إلى الله واشتغل بالطاعة.

ثم في عبارة ﴿جاءتكم﴾ إشارة إلى أن حضرة القرآن تحفة من الله تعالى جسيمة، وهدية منه عظيمة وصلت إلينا فلم يبق إلا القبول وقبوله الائتمار بأوامره. والانتهاء عن نواهيه.

قال بعض القراء: قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ ثانياً فانتهرني وقال: جعلت القراءة على عملاً اذهب فاقرأ على غيري فانظر ماذا يأمرك وينهاك وماذا يفهمك كذا في الإحياء ونعم ما قيل:

نقد عمرش زفكرت معوج خرج شد در رعايت مخرج
صرف كردش همه حيات سره در قراآت سبع وعشره

والمقصود من البيت أنه يلزم بعد تحصيل قدر ما يتحصل به تصحيح الحروف ورعاية المخرج صرف باقي العمر إلى الأهم وهو معرفة الله تعالى وهو متعلق القلب الذي هو أشرف من اللسان وسائر الأعضاء ومعرفة الله إنما تحصل غالباً بالذكر، ثم بالفكر بانكشاف حقائق الأشياء وحقائق القرآن، فكما أن الله تعالى أيدّ النبي عليه السلام بجبريل، فكذا أيد الولي بالقرآن وهو جبريل، وعلم الشريعة يبقى هنا لأن متعلقه على الفناء وإنما يذهب إلى الآخرة ثوابه بحسب العمل بالخلوص، وأما علم الحقيقة فيذهب إلى الآخرة لأنه على البقاء وهو أزلي أبدي لا زوال له في كل موطن ومقام كما أفاده لي حضرة شيخي وسندي قدس الله نفسه الزاكية ونفعني وإياكم بعلومه النافعة.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿قل أرأيتم﴾ أخبروني أيها المشركون ﴿ما أنزل الله لكم من رزق﴾ ما استفهامية منصوبة المحل بانزل سادة مسد المفعولين لأرأيتم جعل الرزق منزلاً من السماء مع أن الأرزاق إنما تخرج من الأرض إما لأنه مقدر في السماء كما قال تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ [الذاريات: ٢٢] ولا يخرج من الأرض إلا على حسب ما قدر فيها فصار بذلك كأنه منزل منها، أو لأنه إنما يخرج من الأرض بأسباب متعلقة بالسماء كالمطر والشمس والقمر فإن المطر سبب الإنبات والشمس سبب النضج والقمر سبب اللون واللام للمنفعة فدلت على أن المراد منه ما حل. ﴿فجعلتم منه﴾ أي: جعلتم بعضه ﴿حراماً﴾ أي: حكمتم بأنه حرام ﴿وحلالاً﴾، أي: وجعلتم بعضه

حلالاً، أي حكمتم بحله مع كون كله حلالاً. والمعنى أي شيء انزل الله من رزق فبعضتموه، والمقصود الإنكار لتجزئتهم الرزق وذلك قولهم ﴿هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ [الأنعام: ١٣٨] وقولهم ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩] وهي البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ﴿قل﴾ لهم ﴿ءآلله﴾ [اياخدا] ﴿أذن لكم﴾ في ذلك الجعل فأنتم فيه ممتثلون لأمره قائلون بالتحريم والتحليل بحكمه ﴿أم على الله تفترون﴾ في نسبة ذلك إليه.

وفي «الكواشي» هذه الآية من أبلغ الزواجر عن التجوز فيما يسأل عنه من الحكم، وباعثة على الاحتياط فيه ومن لم يحتط في الحكم فهو مفتر انتهى.

قال علي كرم الله وجهه: «من أفتى الناس بغير علم لعنته السماء والأرض».

وسألت بنت علي البلخي أباها عن القيء إذا خرج إلى الحلق، فقال: يجب إعادة الوضوء فرأى رسول الله ﷺ فقال: لا يا علي حتى يكون ملء الفم فقال: علمت أن الفتوى تعرض على رسول الله فآليت على نفسي أن لا أفتي أبداً.

وفي الآية إشارة إلى أنه لا يجوز للمرء أن يعتقد ويقول: إن الرزق المعنوي من الواردات الإلهية والشواهد الربانية حرام على أرباب النفوس وحلال على أصحاب القلوب، وإن تحصيل هذه السعادات ونيل هذه الكرامات ليس من شأننا وإنما هو من شأن الأخيار الكبراء وخواص الأنبياء والأولياء، فإن هذا افتراء على الله فإن الله تعالى ما خص قوماً بالدعوة إلى الدرجات والمقامات العلية بل جعل الدعوة عامة لقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥] وقوله: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم﴾ [إبراهيم: ١٠] فتحريمه هذا الرزق على نفسه من خساسة نفسه وركاكة عقله ودناءة همته وإلا فالله تعالى لم يسد عليه هذا الباب بل هو الفياض الوهاب. قال الحافظ:

عاشق كه شدكه يار بخالش نظر نكرد اي خواجه درد نيست وكرنه طبيب هست

وقال:

طالب لعل وكهرنيست وكرنه خورشيد همچنان در عمل معدن وكانست كه بود

وفي «المثنوي»:

كر كران وكر شتابنده بود عاقبت جو ينده يا بنده بود

وفي «الحكم العطائية» وشرحها: من استغرب أن ينقذه الله من شهوته التي اعتقلته عن الخيرات، وأن يخرجه من وجود غفلته التي شملته في جميع الحالات فقد استعجز القدرة الإلهية ومن استعجزها فقد كفر أو كاد ودليل ذلك أن الله تعالى يقول: ﴿وكان الله على كل شيء مقتدراً﴾ أبان سبحانه أن قدرته شاملة صالحة لكل شيء وهذا أمس الأشياء وإن أردت الاستعانة على تقوية رجائك في ذلك فانظر لحال من كان مثلي ثم انقذه الله وخصه بعنايته كإبراهيم بن أدهم، وفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك وذي النون ومالك بن دينار وغيرهم من مجرمي البداية.

﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب﴾ ما استفهامية في محل الرفع على الابتداء وظن خبرها ومفعولاه محذوفان، وزيادة الكذب مع إن الافتراء لا يكون إلا كذباً لإظهار كمال قبح ما افتعلوا وكونه كذباً في اعتقادهم أيضاً ﴿يوم القيامة﴾ ظرف لنفس الظن أي: أيّ شيء ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الأفعال والأقوال والمجازاة عليها مثقالاً بمثقال، والمراد تهويله

وتفظيعه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذٍ. ﴿إن الله لذو فضل﴾ عظيم ﴿على الناس﴾ جميعاً حيث أنعم عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح، ورحمهم بإنزال الكتب وإرسال الرسل. ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم إلى ما خلقت له، ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك إلا به.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾.

﴿وما﴾ نافية ﴿تكون﴾ يا محمد ﴿في شأن﴾ أي: في أمر والجمع شؤون من قولك شأنت شأنه قصدت قصده مصدر بمعنى المفعول ويكون الشأن بمعنى الحال أيضاً يقال: ما شأن فلان بمعنى ما حاله ﴿وما تتلو منه﴾ الضمير للشأن والظرف صفة لمصدر محذوف، أي تلاوة كائنة من الشأن لأن تلاوة القرآن معظم شأن الرسول. ﴿من قرآن﴾ من مزيدة لتأكيد النفي وقرآن مفعول تتلو ﴿ولا تعملون﴾ [اي آدميان] ﴿من عمل﴾ من الأعمال تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير.

قال ابن الشيخ الخطاب: وإن خص به عليه السلام أولاً بحسب الظاهر إلا أن الأمة داخلون فيه لأن رئيس القوم إذا خوطب دخل قومه في ذلك الخطاب كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١] ﴿إلا كنا عليكم شهوداً﴾ استثناء مفرغ من أعم أحوال المخاطبين بالأفعال الثلاثة، أي: ما تلابسون بشيء منها في حال من الأحوال إلا حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له ﴿إذ تفيضون فيه﴾ ظرف لشهوداً؛ إذ تخلص المضارع لمعنى الماضي، والإفاضة الدخول في العمل يقال: أفاض القوم في العمل إذا اندفعوا فيه أي: تخوضون وتندفعون فيه ﴿وما يعزب عن ربك﴾ أي: لا يبعد ولا يغيب عن علمه الشامل ﴿من مثقال ذرة﴾ من مزيدة لتأكيد النفي، أي: ما يساوي في الثقل نملة صغيرة أو هباء. ﴿في الأرض ولا في السماء﴾ أي: في دائرة الوجود والإمكان. ﴿ولا﴾ لنفي الجنس ﴿أصغر﴾ اسمها ﴿من ذلك﴾ الذرة ﴿ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ خبرها وهو اللوح المحفوظ، فإذ كان كل شيء مكتوباً في اللوح فكيف يغيب عن علمه شيء وكيف يخفى عليه أمر فلا يظن أحد أنه لا يجازي على أقواله وأفعاله خيراً كانت أو شراً.

وفيه إشارة إلى طريق المراقبة وحث على المحافظة فإن المرء إذا علم يقيناً اطلاع الله عليه في كل آن وحافظ على أوقاته سلم من الخلاف وعامل بالانصاف ـ حكي ـ عن عمر البناني رحمه الله قال: مررت براهب في مقبرة في كفه اليمنى حصى أبيض، وفي كفه اليسرى حصى أسود فقلت: يا راهب ما تصنع ههنا؟ قال: إذا فقدت قلبي أتيت المقابر فاعتبرت بمن فيها فقلت ما هذا الحصى الذي في كفك؟ فقال: أما الحصى الأبيض إذا عملت حسنة ألقيت واحدة منها في الأسود وإذا عملت سيئة ألقيت واحدة من هذا الأسود في الأبيض، فإذا كان الليل فنظرت فإن فضلت الحسنات على السيئات أفطرت وقمت إلى وردي، وإن فضلت

السيئات على الحسنات لم آكل طعاماً ولم أشرب شراباً في تلك الليلة هذه حالتي والسلام عليك.

وعن بعض الكبار من علامة موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من المراقبات، وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات، لأن الحياة تقتضي الاحساس، والعكس صفة الميت وكل معصية من الغفلة والنسيان، فذاكر الحق سالم في الدنيا والآخرة ـ حكي ـ أن ولياً اشتاق إلى رؤية حبيب من أحباء الله فقيل له اذهب إلى القصبة الفلانية ففيها حبيبي فجاء إليها ورأى رجلاً يذكر الله وأسداً فإذا تغافل يختطفه الأسد حتى يقطع قطعة لحم من أعضائه، فلما قرب إليه وسأل عن حاله قال: أردت أن لا أتغافل عن ذكر الله فإذا وقعت الغفلة سلط على كلباً من كلاب الدنيا فأنا ألازمه مخافة أن يسلط كلباً من كلاب الآخرة عليّ للغفلة.

يقول الفقير في هذه القصة إشارات. منها أن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وإن مقاساة شدائد طريق الحق في هذه النشأة أسهل من المؤاخذات الأخروية فعلى المرء ملازمة الطاعة والعبادة وإن كانت شاقة عليه. وفي «المثنوي»:

اندرين ره مى تراش ومى خراش   تا دم آخر دمى فارغ مباش

ومنها أنه لا بد من المراقبة فإن عجز بنفسه عنها استعان عليها من خارج فإنه لا بد للنائم من محرك وموقظ إذ النوم طويل والنفس كسلى، ولذا جعلوا من شرط الصحبة أن لا يصطحب إلا مع من فوقه. وفي البستان:

زخود بهترىء جوى وفرصت شمار   كه باچون خودى كم كنى روزكار

ومنها أن الأسد الذي سلطه الله عليه إنما سلطه في الحقيقة على نفسه ليفترسها فإن من لم يمت نفسه في هذه الدار سلطها الله عليه في دار البوار.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿ألا﴾ تنبهوا واعلموا **﴿إن أولياء الله﴾** أي: أحباء الله وأعداء نفوسهم فإن الولاية هي معرفة الله ومعرفة نفوسهم، فمعرفة الله رؤيته بنظر المحبة ومعرفة النفس رؤيتها بنظر العداوة عند كشف غطاء أحوالها وأوصافها فإذا عرفتها حق المعرفة وعلمت أنها عدوة لله ولك وعالجتها بالمعاندة والمكابدة أمنت مكرها وكيدها وما نظرت إليها بنظر الشفقة والرحمة كما في «التأويلات النجمية».

قال: المولى أبو السعود رحمه الله الولي لغة القريب، والمراد بأولياء خلص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه انتهى، لأنهم يتولونه تعالى بالطاعة أي: يتقربون إليه بطاعته والاستغراق في معرفته بحيث إذا رأوا رأوا دلائل قدرته، وإن سمعوا سمعوا آياته وإن نطقوا نطقوا بالثناء عليه وإن تحركوا تحركوا في خدمته وإن اجتهدوا اجتهدوا في طاعته **﴿لا خوف عليهم﴾** في الدارين من لحوق مكروه، والخوف إنما يكون من حدوث شيء من المكاره في المستقبل **﴿ولا هم يحزنون﴾** من فوات مطلوب والحزن إنما يكون من تحقق شيء مما كرهه في الماضي أو من فوات شيء أحبه فيه أي: لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا أنه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا أنه لا يعتريهم خوف وحزن بل يستمرون على النشاط والسرور كيف

لا واستشعار الخوف والخشية استعظاماً لجلال الله وهيبته واستقصاراً للجد والسعي في إقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين.

ولذا قال: في «الكواشي» ﴿لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة وإلا فهم أشد خوفاً وحزناً في الدنيا من غيرهم انتهى.

وإنما يعتريهم ذلك، لأن مقصدهم ليس إلا طاعة الله ونيل رضوانه إنه المستتبع للكرامة والزلفى، وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة إليه تعالى، وأما ما عدا ذلك من الأمور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات، فهي بمعزل من الانتظام في سلك مقصدهم وجوداً وعدماً حتى يخافوا من حصول ضارها أو يحزنوا بفوات نافعها كما في «الإرشاد». والتحقيق أنهم لفنائهم في عين الهوية الأحدية لم يبق فيهم بقية ولا غاية ما وراء ما بلغوا حتى يخافوا ويحزنوا كما في«نفائس المجالس» لحضرة الهدائي قدس سره ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ استئناف مبني على السؤال ومحل الموصول الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف كأنه قيل من أولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة؟ فقيل هم الذين جمعوا بين الإيمان بكل ما جاء من عند الله والتقوى المفضيين إلى كل خير المنحيين عن كل شر.

قال شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة: وكانوا يتقون الله تعالى من صدور سيئات الأعمال والأخلاق في مرتبة الشريعة والطريقة ومن ظهور الغفلات والتلوينات في مرتبة المعرفة والحقيقة لأنهم يصلحون طبائعهم بالشريعة وأنفسهم بالطريقة وقلوبهم بالمعرفة وأرواحهم وأسرارهم بالحقيقة فلا جرم أنهم يتقون من جميع ما سوى الله انتهى.

يقول الفقير: يشير رضي الله عنه بذلك إلى أن المراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها وهو تنزه الإنسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل إليه بالكلية وهذه المرتبة جامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك التي يفيدها الإيمان أيضاً ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك، وللأولياء في شأن التبتل والتنزه درجات متفاوتة، حسب تفاوت درجات استعداداتهم، أقصاها ما انتهى إليه همم الأنبياء عليهم السلام، جمعوا بين رياستي النبوة والولاية، وما عاقهم التعلق بعلم الأشباح عن العروج إلى عالم الأرواح، ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق، لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية ومن هنا يعرف فضل رسول الله ﷺ على عيسى عليه السلام؛ إذ ليس عروجه إلى الرابعة ببديع بالنسبة إلى عروج رسولنا عليه السلام إلى العرش وما فوقه إذ كان تعلقه بهذه النشأة من جهة الأم فقط وتعلق رسول الله من جهة الأبوين ومع ذلك ما عاقه التعلق حتى انتهى في عروجه إلى ما انتهى من نهايات العنصريات وغايات الطبيعيات، ودوام الاتصال بالأنوار العالية ممكن، كما يحكى عن بعض المتألهين وإن لم يمكن فيجعل هذه الحالة ملكة له فيصير بدنه كقميص يلبسه تارة ويخلعه أخرى ألا ترى أن من قدر على النفقة فهو متى جاع فبيده الشبع يأكل ما شاء فقس عليه الرزق المعنوي والعروج إلى مبدأه بل هو أولى من ذلك لأنه مستغن عن آلة وسبب وليس بين الطالب والمطلوب مسافة، وفي «المثنوي»:

اين دراز وكوتهى مر جسم راست   چه درازوكوته آنجاكه خداست

چون خدا مر جسم را تبديل كرد   رفتنش بى فرسخ وبى ميل كرد

فإذا عرفت أن أولياء الله تعالى هم المؤمنون المتقون بالتقوى الحقيقية، فاعرف أيضاً أنه

قد جاء في الأولياء أوصاف أخر بعضها متقارب وبعضها باعتبار البداية، وبعضها باعتبار النهاية إلى غير ذلك.

مما روى علي كرم الله وجهه هم صفر الوجوه من السهر عمش العيون من العبر خمص البطون من الطوى، يبس الشفاه من الذوي.

وعن سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ سئل من أولياء الله؟ فقال: «هم الذي يذكر الله برؤيتهم» أي: بسمتهم وإخباتهم وسكينتهم نحو: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال بعضهم: علامة الأولياء أن همومهم مع الله، وشغلهم بالله وفرارهم إليه فنوافي أحوالهم ببقائهم في مشاهدة مالكهم فتوالت عليهم أنوار الولاية، فلم يكن لهم عن نفوسهم أخبار، ولا مع واحد غير الله قرار، وهم المتحابون في الله. قال ﷺ: «إن لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله» قيل يا رسول الله من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم؟ قال: «هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام منهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس» قوله: يغبطهم الأنبياء تصوير لحسن حالهم على طريقة التمثيل.

قال: «الكواشي» وهذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلاء وإلا فلا خلاف أن أحداً من غير الأنبياء لا يبلغ منزله الأنبياء.

وفي تفسير الفاتحة للفناري: إن النبيين يفزعون على أممهم للشفقة التي جبلهم الله عليها للخلق فيقولون يوم القيامة: اللهم سلم سلم، ويخافون أشد الخوف على أممهم، والأمم يخافون على أنفسهم، وأما الآمنون على أنفسهم، فيغبطهم النبيون في الذي هم عليه من الأمن لما هم أي: النبيون عليه من الخوف على أممهم وإن كانوا آمنين على أنفسهم.

يقول الفقير: وحين الانتهاء في التحرير إلى هذا المحل ظهر لي وجه آخر وهو أن الحديث المذكور ناطق عن المحبة في الله والمحبة مقام اختص به عليه السلام من بين الأنبياء والرسل وهو لا ينافي تحقق الكمل من ورثته بحقائقه إذ كمال التابع تابع لكمال متبوعه فمن الجائز أن يحصل لهم من ذلك المقام وآثاره ما به يغبطهم بعض الأنبياء.

وقد ورد «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» ولا يلزم من ذلك بلوغهم منزلة الأنبياء ورجحانهم عليهم مطلقاً وقد تقرر أن الأفضل قد يكون مفضولاً من وجه وبالعكس ألا ترى قوله عليه السلام: «أنتم أعلم بأمور دنياكم» ودرجات المعرفة لا نهاية لها وإلى الله المنتهى.

وقال أبو يزيد قدس سره: أولياء الله تعالى عرائس، ولا يرى العرائس إلا من كان محرماً لهم وإما غيرهم فلا، وهم مخدرون عنده في حجاب الأنس لا يراهم أحد في الدنيا ولا في الآخرة.

وقال سهل: أولياء الله لا يعرفهم إلا أشكالهم، أو من أراد أن ينفعه بهم ولو عرفهم حتى يعرفهم الناس لكانوا حجة عليهم فمن خالف بعد علمه بهم كفر ومن قعد عنهم خرج.

وقال الشيخ أبو العباس: معرفة الولي أصعب من معرفة الله فإن الله معروف بكماله وجماله، ومتى يعرف مخلوق مخلوقاً مثله؟ يأكل كما يأكل ويشرب كما يشرب وهم ظاهرهم مزين بأحكام الشرع وباطنهم مشتغل بأنوار الفقر. وفي «المثنوي»:

رهروراه طريقت اين بود   كاو باحكام شريعت ميرود

قال: «الكاشفي» في وصف الأولياء:

رخش زميدان ازل تاخته كوى بچو كان ابد باخته
معتكفان حرم كبريا شسته دل از صورت كبروريا
راه نوردان شكسته قدم راز كشايان فروبسته دم

وقال السعدي:

اسيرش نخواهد رهايى زبند شكارش نجويد خلاص ازكمند
دلارام در بر دلاراى جوى لب ازتشنكى خشك بر طرف جوى

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ بيان لما أولاهم من خيرات الدارين بعد بيان إنجائهم من شرورهما ومكارههما. والجملة مستأنفة كأنه قيل: هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة؟ فقيل لهم ما يسرهم في الدارين وتقديم الأول لما أن التخلية سابقة على التحلية. والبشرى مصدر أريد به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك والآجلة الغنية عن البيان والظرفان في موقع الحال منه والعامل ما في الخبر من معنى الاستقرار، أي لهم البشرى حال كونها في الحياة الدنيا وحال كونها في الآخرة أي: عاجلة وآجلة أو من الضمير المجرور، أي حال كونهم في الحياة الخ ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس هذا ما اختاره المولى أبو السعود بناء على أنها بشارة ناجزة مقصودة بالذات. وقيل البشرى مصدر والظرفان متعلقان به أما البشرى في الدنيا فهي البشارات الواقعة للمؤمنين المتقين في غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي عليه السلام: «هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له» أي: يراها مسلم لأجل مسلم آخر ولا يخفى أن كون الرؤيا الصالحة مبشرة للمؤمن يمنع أن تكون بنبوة فتكون بوجه آخر من صلاح وتنبيه غفلة وفرح وغيرها كما في «شرح المشارق» لابن الملك وهذه البشارة لا تحصل إلا لأولياء الله لأنهم مستغرقوا القلب والروح في ذكر الله ومعرفة الله فمنامهم كاليقظة لا يفيد إلا الحق واليقين وأما من يكون متوزع الخاطر على أحوال هذا العالم الكدر المظلم فإنه لا اعتماد على رؤياه.

وفي «التأويلات النجمية» لهم المبشرات التي هي تلو النبوة من الوقائع التي يرون بين النوم واليقظة والإلهامات والكشوف وما يرد عليهم من المواهب والمشاهدات كما قال عليه السلام: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات» انتهى.

وفي الحديث: «الرؤيا الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة» ومعناه أن النبي عليه السلام حين بعث أقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين فمدة الوحي إليه في اليقظة ثلاث وعشرون سنة ومدة الوحي في المنام ستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة فهي جزء من ستة وأربعين جزءاً وإنما ابتدىء رسول الله بالرؤيا لئلا يفجأه الملك بالرسالة فلا تتحملها القوى البشرية فكانت الرؤيا تأنيساً له.

وقال بعضهم: لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة، وأما البشرى في الآخرة فتلقى الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم وإعطاء

الصحف بإيمانهم وما يقرأون منها، وغير ذلك من البشارات في كل موطن من المواطن الأخروية فتكون هذه بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة والآجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها.

[سلمى فرموده كه بشارت دنيا وعده؛ لقاست ومژده؛ آخرت تحقيق آن وعده. وشيخ الإسلام فرموده كه ولى راد وبشار تست. دردنيا شناخت ودر عقبى نواخت. درين سراى سرور مجاهده ودران سراى نور مشاهده. اينجا صفا و وفا وآنجار ضا ولقا].

وفي «التأويلات النجمية» بشراهم في الآخرة بكشف القناع عن جمال العزة عند سطوات نور القدم وزهق ظلمة الحدوث وبلقاء الحق رحمة منه كما قال: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ﴾ [التوبة: ٢١] وفي حديث: «الرؤية في النشأة الكثيبية يقول الله تعالى لهم بعد التجلي هل بقي لكم شيء بعد هذا، فيقولون يا ربنا وأي: شيء بقي وقد نجيتنا من النار وأدخلتنا دار رضوانك وأنزلتنا بجوارك وخلعت علينا ملابس كرمك وأريتنا وجهك فيقول الحق جل جلاله: بقي لكم فيقولون: يا ربنا وما ذاك الذي بقي؟ فيقول: دوام رضاي عليكم فلا أسخط عليكم أبداً» فما أحلاها من كلمة وما الذها من بشرى فبدأ سبحانه بالكلام، خلقنا فقال: كن فأول شيء كان لنا منه السماع فختم بما به بدأ فقال: هذه المقالة فختم بالسماع وهو هذه البشرى ﴿**لا تبديل لكلمات الله**﴾ أي: لمواعيده الواردة في حقهم إذ لا خلف لمواعيده أصلاً.

وفي «التأويلات النجمية» لا يتغير أحكامه الأزلية حيث قال: للولي كن ولياً وللعدو كن عدواً وكانوا كما أراد للحكمة البالغة فلا تغير لكلمة الولي وكلمة العدو ﴿**ذلك**﴾ التبشير ﴿**هو الفوز العظيم**﴾ الذي لا يصل إلى كنهه العقول وكيف لا وفيه سعادة الدارين.

اعلم أن الولاية على قسمين عامة وهي مشتركة بين جميع المؤمنين كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٥٧] وخاصة وهي مختصة بالواصلين إلى الله من أهل السلوك، والولاية عبارة عن فناء العبد في الحق والبقاء به، ولا يشترط في الولاية الكرامات الكونية فإنها توجد في غير الملة الإسلامية، لكن يشترط فيها الكرامات القلبية كالعلوم الإلهية والمعارف الربانية، فهاتان الكرامتان قد تجتمعان كما اجتمعتا في الشيخ عبد القادر الكيلاني والشيخ أبي مدين المغربي قدس الله سرهما فإنه لم يأت من أهل الشرق مثل عبد القادر في الخوارق ومن أهل الغرب مثل أبي مدين مع مالهما من العلوم والمعارف الكلية وقد تفترقان فتوجد الثانية دون الأولى كما في أكثر الكمل من أهل الفناء، وأما الكرامات الكونية كالمشي على الماء والطيران في الهواء وقطع المسافة البعيدة في المدة القليلة وغيرها فقد صدرت من الرهابنة والمتفلسفة الذين استدرجهم الحق بالخذلان من حيث لا يعلمون كما سبق في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] الآية. والنبوة والرسالة كالسلطنة اختصاص إلهي لا مدخل لكسب العبد فيها. وأما الولاية كالوزارة فلكسب العبد مدخل فيها فكما يمكن الوزارة بالكسب، كذلك يمكن الولاية بالكسب وفي الحقيقة كل منهما اختصاص عطائي غير كسبي حاصل للعين الثابتة من الفيض الأقدس وظهوره بالتدريج بحصول شرائطه وأسبابه يوهم المحجوب فيظن أنه كسبي بالتعمل، فأول الولاية انتهاء السفر الأول الذي هو السفر من الخلق إلى الحلق بإزالة التعشق عن المظاهر والأغيار والخلاص من القيود والاستار، والعبور على المنازل والمقامات

والحصول على المراتب والدرجات، وبمجرد حصول العلم اليقيني للشخص لا يلحق بأهل المقام لأنه إنما يتجلى الحق لمن انمحى رسمه وزال عنه اسمه ولما كانت المراتب متميزة قسم أرباب هذه الطريقة المقامات الكلية إلى علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين. فعلم اليقين متصور الأمر على ما هو عليه. وعين اليقين بشهوده كما هو.

وحق اليقين بالفناء في الحق والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً لا علماً فقط، ولا نهاية لكمال الولاية فمراتب الأولياء غير متناهية، والطريق التوحيد وتزكية النفس عن الأخلاق الذميمة وتطهيرها من الأغراض الدنيئة، فمن جاهد في طريق الحق فقد سعى في الخلق نفسه بزمرة الأولياء ومن اتبع الهوى فقد اجتهد في الالتحاق بفرقة الأعداء، والسلوك الإرادة لأجل الفناء فإن المريد من يفني إرادته في إرادة الشيخ فمن عمل برأيه أمراً فهو ليس بمريد. وفي «المثنوي»:

مكسل از پيغمبر ايام خويش تكيه كم كن برفن وبركام خويش
كرچه شيرى چون روى رم بيدليل همچو روبه ودر ضلالي وذليل
هين مپرالا كه باپرهاى شيخ تابه بيني عون ولشكرهاى شيخ

وينبغي للمؤمن أن يجتهد في تحصيل سير أولياء الله وأقل الأمر أن لا يقصر في حبهم فإن المرء مع من أحب أن يحشر معه فلا بد من الجهة الجامعة من وجه خاص.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿ولا يحزنك قولهم﴾ هو في الحقيقة نهي له عليه السلام عن الحزن كأنه قيل لا تحزن بقولهم: ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وإبطال أمرك وسائر ما يتفوهون به في شأنك مما لا خير فيه، وإنما وجه النهي إلى قولهم للمبالغة في نهيه عليه السلام عن الحزن لما أن النهي عن التأثير نهى عن التأثر بأصله.

قال الكواشي: يتم الوقف هنا ويختار الاستئناف بأن العزة كأنه قيل فما لي لا أحزن؟ فقيل: **﴿إن العزة﴾** أي: الغلبة والقهر **﴿لله جميعاً﴾** أي: في مملكته وسلطانه لا يملك أحد شيئاً منهما أصلاً لا هم ولا غيرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم. **﴿هو السميع العليم﴾** يسمع ما يقولون في حقك، ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك.

وفي «التأويلات النجمية» **﴿إن العزة لله جميعاً﴾** في الدنيا والآخرة يعز من يشاء في الدنيا دون الآخرة ويعز من يشاء في الآخرة دون الدنيا ويعز في الدنيا والآخرة جميعاً فلا يضره هواجس النفس ووساوس الشيطان في احتظاظه بشهوات الدنيا ونعيمها والتزين بزينتها ولا يمنعه نعيم الدنيا عن نعيم الآخرة كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢] فيكون من خواص عباده الذين آتاهم الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة بل يكون لبعضهم نعيم الدنيا معيناً على تحصيل نعيم الآخرة كما جاء في الحديث الرباني: (وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى فإن أفقرته يفسده ذلك).

﴿ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض﴾ أي: العقلاء من الملائكة والثقلين، وإذا

كان هؤلاء الذين هم أشرف الممكنات عبيداً له سبحانه مقهورين تحت قدرته وملكيته فما عداهم من الموجودات أولى بذلك فهو تعالى قادر على نصرك عليهم ونقل أموالهم وديارهم إليك. **﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء﴾** ما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهوره، والتقدير: وما يتبع الذين يدعون آلهة من دون الله شركاء في الحقيقة وإن سموها شركاء؛ لأن شركة الله تعالى في الربوبية محال **﴿إن يتبعون إلا الظن﴾** أي: ما يتبعون إلا ظنهم أنها شركاء. **﴿وإن هم﴾** أي: ما هم **﴿إلا يخرصون﴾** يكذبون فيما ينسبونه إلى الله سبحانه يقال: خرص يخرص خرصاً أي: كذب وهو من باب نصر والخراص الكذاب، ثم نبه على تفرده بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم على توحده باستحقاق العبادة فقال:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿هو الذي جعل لكم الليل﴾ مظلماً **﴿لتسكنوا فيه﴾** وتستريحوا من تعب الطلب **﴿والنهار مبصراً﴾** لتتحركوا فيه لتحصيل أسباب معاشكم فحذف مظلماً لدلالة مبصراً عليه وحذف لتتحركوا لدلالة لتسكنوا عليه، وإسناد الإبصار إلى النهار مجازي، والمراد يبصر فيه كقوله نهاره صائم وليله قائم أي: صام في نهاره وقام في ليله.

وفيه إشارة إلى أن الله تعالى جعل بعض الأوقات للاستراحة من نصب المجاهدات وتعب الطاعات لنزول ملالة النفوس وكلالة القلوب ويستجد الشوق إلى جانب المطلوب ومن ثمة جعل أهل التدريس يوم التعطيل ليحصل النشاط الجديد للتحصيل كما قال ابن خيام:

زماني بحث ودرس وقيل وقالي ... كه انسانرا بود كسب كمالى
زماني شعر وشطرنج وحكايات ... كه خاطررا شود دفع ملالى

ففي الانتقال من أسلوب إلى أسلوب تجديد كتقلب أهل الكهف من اليمين إلى اليسار من عهد بعيد. قال الحافظ:

از قال وقيل مدرسه حاله دلم كرفت ... يك چند نيزخدمت معشوق ومى كنم

﴿إن في ذلك﴾ أي: في جعل كل منهما كما وصف **﴿لآيات﴾** عجيبة كثيرة **﴿لقوم يسمعون﴾** أي: سماع تدبر واعتبار لمواعظ القرآن وتخصيص الآيات بهم مع أنها منصوبة لمصلحة الكل لما إنهم المنتفعون بها.

﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿قالوا﴾ أي: بنو مدلج كما في «الكاشفي». **﴿اتخذ الله ولداً﴾** أي: تبناه.

وفي «التبيان» قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت قريش: الملائكة بنات الله. **﴿سبحانه﴾** تنزيه وتقديس له عما نسبوا إليه من الولد وتعجب لكلمتهم الحمقاء إما أنه تنزيه؛ فلأن تقديره اسبحه تسبيحاً أي: أنزهه تنزيهاً وأما أنه تعجب فلأنه يقال: في مقام التعجب سبحان الله واستعمال اللفظ في الأول حقيقي وفي الثاني مجازي.

فإن قلت: لفظ واحد في معنيين حقيقي ومجازي ممنوع.

قلت: لا يلزم أن يكون استفادة معنى التعجب منه باستعمال اللفظ فيه بل هي من المعاني الثواني كما في «حواشي» سعدي چلبي.

ورد في الأذكار لكل أعجوبة سبحان الله، ووجه إطلاق هذه الكلمة عند التعجب هو أن الإنسان عند مشاهدة الأمر العجيب الخارج عن حد أمثاله يستبعد وقوعه، وتنفعل نفسه منه كأنه استقصر قدرة الله فلذلك خطر على قلبه أن يقول قدر عليه وأوحده، ثم تدارك إنه في هذا الزعم مخطىء فقال: سبحان الله تنزيهاً لله تعالى عن العجز عن خلق أمر عجيب يستبعد وقوعه لتيقنه بأنه تعالى على كل شيء قدير كذا في «حواشي» ابن الشيخ في سورة النصر ﴿**هو الغني**﴾ عن كل شيء وهو علة لتنزهه سبحانه فإن اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة فيتخذه الضعيف ليتقوى به والفقير ليستعين به والذليل ليتعزز به والحقير ليشتهر به وكل ذلك علامة الاحتياج ﴿**له ما في السموات وما في الأرض**﴾ أي: من العقلاء وغيرهم وهو تقرير لغناه، وتحقيق لمالكيته تعالى لكل ما سواه، ﴿**إن عندكم من سلطان بهذا**﴾ أي: ما عندكم حجة وبرهان بهذا القول الباطل الذي صدر منكم فإن نافية ومن زائدة لتأكيد النفي وسلطان مبتدأ، والظرف المتقدم خبره وبهذا متعلق بسلطان ﴿**أتقولون على الله ما لا تعلمون**﴾ توبيخ وتقريع على اختلافهم وجهلهم، وفيه تنبيه على أن كل قول لا دليل عليه فهو جهالة، وإن العقائد لا بد لها من برهان قطعي، وأن التقليد فيها غير جائز.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَـٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿**قل إن الذين يفترون على الله الكذب**﴾ باتخاذ الولد وإضافة الشريك إليه. ﴿**لا يفلحون**﴾ لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب أصلاً.

﴿**متاع في الدنيا**﴾ جواب سؤال كأن قائلاً قال: كيف لا يفلحون وهم في الدنيا بأنواع ما يتلذذون به متمتعون فقيل ذلك متاع يسير في الدنيا زائل لا بقاء له وليس فوز بالمطلوب ﴿**ثم إلينا مرجعهم**﴾ أي: بالموت ﴿**ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون**﴾ فيبقون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم المستمر في الدنيا فأين هم من الفلاح؟

قال في «التأويلات النجمية»: في الدنيا ما ذاقوا ألم العذاب لأنهم كانوا نياماً والنائم لا يجد ألم شيء من الجراحات والناس نيام فإذا ماتوا انتهبوا.

مردمان غافلند از عقبى   همه كويى بخفتكان مانند
ضرر غفلتي كه مى ورزند   چون بميرند آنكهى دانند

وفي الآيات نهيٌ عن الشرك والكذب وفي الحديث: «ألا أخبركم بشيء أمر به نوح عليه السلام ابنه؛ فقال: يا بني آمرك بأمرين وأنهاك عن أمرين آمرك أن تقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له فإن السماء والأرض لو جعلتا في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجح لا إله إلا الله وآمرك أن تقول سبحان الله وبحمده فإنها صلاة الملائكة ودعاء الخلق وبها يرزق الخلق، وأنهاك أن لا تشرك بالله شيئاً فإن من أشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وأنهاك عن الكبر فإن أحداً لا يدخل الجنة وفي قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أي: إن الله إذا أراد أن يدخله الجنة نزع ما في قلبه من الكبر حتى يدخلها بلا كبر أو لا يدخلها دون مجازاة إن جازاه أو لا يدخلها مع المتقين أول وهلة.

يقول الفقير: الظاهر أنه زجر بطريق التشديد، وليس المراد كبر الكفر لأنه جاء في مقابلته. والحاصل أن الكبر وهو الارتفاع على الناس واحتقارهم من الكبائر التي تقرب من الكفر في الجزاء ومثله ترك الصلاة كما جاء «من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر» وفي الحديث: «بر الوالدين يزيد في العمر والكذب ينقص الرزق والدعاء يرد القضاء» رواه الأصبهاني. أما الأول: فوارد على طريق الفرض وحث على البر بطريق المبالغة بأن له من الأثر في الخير ما لو أمكن أن يبسط في عمر البار لكان ذلك ويجوز فرض المحال إذا تعلق بذلك حكمة قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ [الزخرف: ٨١]. وأما الثاني، فمعناه أن الكذب يمحق بركة الكذاب فيكون في حكم الناقص ويجوز على فرض المحال أي: لو كان شيء ينقص الرزق لكان هو الكذب، وأما الثالث فالمراد أن الدعاء يرد القضاء المعلق الذي توقف رده على أسباب وشروط لا القضاء المبرم الذي لا يقبل التغير أصلاً.

فعلى العاقل أن يجتهد في تحصيل التوحيد الحقاني، برعاية الأوامر الشرعية، والانتهاء عما نهى الله تعالى عنه من المحرمات القولية والفعلية، والاجتناب عن المشاغل القلبية، والاحتراز عن الميل إلى ما سوى الحضرة الأحدية، فإن الرجوع إلى تلك الحضرة لا إلى غيرها والتوحيد تحفة مقبولة ولا يقبل الله أحداً إلا به والشرك سبب لعذابه كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ [يونس: ٧٠]، وفيه إشارة إلى أن عذاب الدنيا بالنسبة إلى عذاب الآخرة كلا عذاب؛ إذ كلما انتقل المرء من طور إلى طور وجد الأمر على الشدة وهو كذلك مبدأ ومعاداً إلا من تداركه الله تعالى بعنايته وخصه بتوفيق خاص من حضرته.

﴿۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (٧١) فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢)﴾.

﴿واتل عليهم﴾ أي: على المشركين من أهل مكة ﴿نبأ نوح﴾ خبره مع قومه لينزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر والعناد.

وقال: في «البستان» كان اسم نوح شاكراً وإنما يسمى نوحاً لكثرة نوحه وبكائه من خوف الله وهو أول من أمر بنسخ الأحكام وأمر بالشرائع وكان قبله نكاح الأخت حلالاً فحرم ذلك على عهده وبعثه الله نبياً وهو يومئذٍ ابن أربعمائة وثمانين سنة. ﴿إذ قال﴾ معمول لنبأ لا لقوله اتل لأنه مستقبل وإذ ماض والمراد بعض نبأه عليه السلام لا كل ما جرى بينه وبين قومه. ﴿لقومه﴾ اللام للتبليغ ﴿يا قوم﴾ [اي كروه من] ﴿إن كان كبر عليكم﴾ أي: أعظم وشق ﴿مقامي﴾ أي: نفسي كما يقال فعلته لمكان فلان أي لفلان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ [الرحمن: ٤٦] أي: خاف ربه أو قيامي ومكثي بين ظهرانيكم مدة طويلة وهو ألف سنة إلا خمسين عاماً أو قيامي ﴿وتذكيري﴾ [پند دادن من شمارا] ﴿بآيات الله﴾ [بعلا متهاى روشن بر وحدانيت خدا] فإنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة يقومون على أرجلهم لكون ذلك أدخل في الأسماع كما يحكى عن عيسى عليه السلام أنه كان يعظ الحواريين قائماً وهم قعود، فيحتمل أن يستثقلوا ذلك وكان سحبان وهو رجل بليغ من العرب يقوم ويتكىء على عصاه ويسرد

الألفاظ، وكراسي الوعاظ اليوم بدل من القيام، وكان عليه السلام يخطب على منبر من طين قبل أن يتخذ المنبر الذي هو من الشجر وكان له ثلاث درجات ولم يزل على حاله حتى زاد مروان في خلافة معاوية ست درجات من أسفله. ﴿فعلى الله توكلت﴾جواب للشرط، أي: دمت على تخصيص التوكل به وتفويض الأمور إليه فإنه معيني وناصري فيما أردتم بي من القتل والأذى، وإنما حمل على دوام التوكل واستمراره لئلا يرد أنه عليه السلام متوكل على الله دائماً كبر عليهم مقامه أو لم يكبر.

و ابن الشيخ الأظهر أن يقال: الجواب محذوف أي: فافعلوا ما شئتم والمذكور تعليل لعدم مبالاته بهم. ﴿فأجمعوا أمركم﴾بقطع الهمزة من الإجماع وهو العزم يقال: أجمعت على الأمر إذا عزمت عليه فهو يتعدى بعلى إلا أن حرف الجر حذف في الآية وأوصل الفعل إلى المجرور بنفسه.

وقال أبو الهيثم: أجمع أمره جعله مجموعاً بعد ما كان متفرقاً وتفرقه إنه يقول مرة افعل كذا وأخرى كذا وإذا عزم على أمر واحد فقد أجمعه أي: جعله جميعاً. والمعنى فاعزموا على أمركم الذي تريدون بي من السعي في إهلاكي. ﴿وشركاءكم﴾بالنصب على أن الواو بمعنى (مع) أي: مع آلهتكم التي تزعمون أن حالكم تقوى بالتقرب إليها واجتمعوا فيه على أي: وجه يمكنكم.

قال الكاشفي: [ملخص آيت آنكه شما همه بقصد من اتفاق كنيد]. ﴿ثم﴾للتراخي في الرتبة. ﴿لا يكن أمركم﴾ذلك ﴿عليكم غمة﴾أي: مستوراً من غمه إذا ستره واجعلوه ظاهراً مكشوفاً تجاهرونني به فإن الستر إنما يصار إليه لسد باب تدارك الخلاص بالهرب أو نحوه فحيث استحال ذلك في حقي لم يكن للستر وجه. ﴿ثم اقضوا إليّ﴾أي: أدوا إليّ وأوصلوا ذلك الأمر الذي تريدون بي وامضوا ما في أنفسكم أوأدوا إلي ما هو حق عليكم عندكم من إهلاكي كما يقضى الرجل غريمه ﴿ولا تنظرون﴾ولا تمهلوني بل عجلوا ذلك باشد ما تقدرون عليه من غير انتظار وإنما خاطبهم بذلك إظهاراً لعدم المبالاة بهم وإنهم لن يجدوا إليه سبيلاً، وثقة بالله سبحانه وبما وعده من عصمته وحفظه.

﴿فإن توليتم﴾أي: إن أعرضتم عن نصيحتي وتذكيري ودمتم عليه وجواب الشرط محذوف، أي: فلا باعث لكم على التولي ولا موجب، وقوله تعالى: ﴿فما سألتكم﴾بمقابلة وعظي وتذكيري علة له. ﴿من أجر﴾أي: شيء من حطام الدنيا تؤدونه إليّ حتى يؤدي ذلك إلى توليكم إما لثقله عليكم أو لكونه سبباً لاتهامكم إياي بأن تقولوا إنما يعظنا ويذكرنا طمعاً لنيل الأجر والمال قبلنا. ﴿إن أجري إلا على الله﴾أي: ما ثوابي على العظة والتذكير إلا عليه يثيبني به آمنتم أو توليتم. ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ممن أسلم وجهه لله فلا يأخذ على تعليم الدين شيئاً، وأيضاً إن المتعين لخدمة لا يجوز له أن يأخذ عليها أجرة والأنبياء والأولياء متعينون لخدمة الإرشاد، ومن علم بالحسبة ولم يأخذ له عوضاً، فقد عمل عمل الأنبياء عليهم السلام، وقد جوز المتأخرون أخذ الأجرة على التعليم والتأذين والإمامة والخطابة وغير ذلك لكن ينبغي للآخذ إخلاص النية في عمله وإلا فقد جاء الوعيد. قال السعدي:

زيان ميكند مرد تفسيردان ... كه علم وادب ميفر وشدبنان

بدين اي فرومايه ديني مخر ... چوخر بانجيل عيسى مخر

واعلم أن المعلم الناصح إذا رغب في إصلاحك وإصلاح غيرك حتى يودّ لو أن الناس كلهم صلحوا على يديه فإنما يرغب في ذلك ليكثر أتباع محمد ﷺ لما سمعه يقول: «إني مكاثر بكم الأمم» وهذا مقام رفيع لغناه عن عظة في إرشاده، وإنما غرضه إقامة جاه محمد وتعظيمه كما يحكى أن رابعة العدوية كانت تصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وتقول ما أريد بها ثواباً ولكن ليسر بها رسول الله ﷺ، ويقول للأنبياء انظروا إلى امرأة من أمتي هذا عملها في اليوم والليلة، فإذا تعلقت نية المعلم والعامل بهذا يجازيهما الله على ذلك من حيث المقام.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

﴿فكذبوه﴾ عطف على قوله: قال لقومه أي: اتل عليهم نبأ نوح إذ قال: لقومه كذا، وكذا فأصروا على تكذيبه تمرداً وعناداً فتولوا عن تذكيره فحقت عليهم كلمة العذاب فأغرقوا ﴿فنجيناه﴾ من الغرق، والفاء فصيحة تفصح عن كون الكلام مشتملاً على الحذف والتقدير كما قدرنا، ﴿ومن﴾ استقر ﴿معه في الفلك﴾ وكانوا ثمانين أربعين رجلاً وأربعين امرأة كما في «البستان»، أو فنجيناهم في هذا المكان فإن أنجاءهم وقع في الفلك فعلى هذا يتعلق في الفلك بنجيناه، وعلى الأول يتعلق بالاستقرار الذي تعلق به معه ﴿وجعلناهم خلائف﴾ أي: سكان الأرض وخلفا ممن غرق وهلك.

قال في «البستان»: لما خرجوا من السفينة ماتوا كلهم إلا أولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الصافات: ٧٧] فتوالدوا حتى كثروا فالعرب والعجم والفرس والروم كلهم من ولد سام، والحبش والسند والهند من أولاد حام، ويأجوج ومأجوج والصقلاب والترك من أولاد يافث ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾ بالطوفان.

قال حضرة الشيخ الشهير: بأفتاده أفندي: تأثير طوفان نوح يظهر في كل ثلاثين سنة مرة لكن على الخفة فيقع مطر كثير ويغرق بعض القرى والبيوت من السيل. ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ وهم قوم نوح وفيه تحذير لمن كذب الرسول وتسلية له.

محالست چون دوست داردترا كه دردست دشمن كذارد ترا

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿ثم بعثنا﴾ أي: أرسلنا. ﴿من بعده﴾ أي: بعد نوح ﴿رسلاً﴾ التكثير للتفخيم ذاتاً ووصفاً، أي: رسلاً كراماً ذوي عدد كثير ﴿إلى قومهم﴾ كل رسول إلى قومه خاصة كما يستفاد من إضافة القوم إلى ضميرهم مثل هود إلى عاد، وصالح إلى ثمود، وإبراهيم إلى قوم بابل، وشعيب إلى قوم الأيكة وأهل مدين وغير ذلك ممن قص منهم ومن لم يقص. ﴿فجاؤوهم﴾ أي: جاء كل رسول قومه المخصوصين به. ﴿بالبينات﴾ بالمعجزات الواضحة مثبتة لدعواهم، والباء إما متعلقة بالفعل المذكور على أنها للتعدية، أو بمحذوف وقع حالاً من ضمير جاؤوا، أي: ملتبسين بالبينات. والمراد: جاء كل رسول بالبينات الكثيرة فإن مراعاة انقسام الآحاد إلى الآحاد إنما هي فيما بين ضميري جاؤهم ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ أي: فما صح وما استقام لقوم من أولئك الأقوام في وقت من الأوقات أن يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعاً منهم لشدة شكيمتهم في

الكفر والعناد. ﴿بما كذبوا به من قبل﴾ ما موصولة عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول أصولها وفروعها، والمراد بيان استمرار تكذيبهم من حين مجيء الرسل إلى زمان الإصرار والعناد، فإن المحكي آخر حال كل قوم أو عبارة عن أصول الشرائع التي أجمعت عليها الرسل قاطبة، والمراد بيان استمرار تكذيبهم من قبل مجيء الرسل إلى زمان مجيئهم إلى آخره فالمحكي جميع أحوال كل قوم ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم أنهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من أولئك الأقوام يتسامعون بها من بقايا من قبلهم كثمود من بقايا عاد وعاد من بقايا قوم نوح فيكذبونها، ثم كانت حالتهم بعد مجيئهم الرسل كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث إليهم أحد. وفيه إشارة إلى أن أهل الفترة مؤاخذون من جهة الأصول. ﴿كذلك﴾ الكاف نعت مصدر محذوف، أي: مثل ذلك الطبع والختم المحكم الممتنع زواله. ﴿نطبع﴾ [مهرمى نهيم] ﴿على قلوب المعتدين﴾ المتجاوزين باختيار الإصرار على الكفر.

اعلم، أن الله تعالى قد دعا الكل إلى التوحيد يوم الميثاق، ثم لما وقع التنزل إلى هذه النشأة الجسمانية لم يزل الروح الإنساني داعياً إلى قبول تلك الدعوة الإلهية والعمل بمقتضاها، لكن من كان شقياً بالشقاوة الأصلية الأزلية لما لم يقبلها في ذلك اليوم استمر على ذلك، فلم يؤمن بدعوة الأنبياء ومعجزاتهم فتكذيب الأنبياء مسبب عن تكذيب الروح، وتكذيبه مسبب عن تكذيب الله تعالى يوم الميثاق، وهم وإن كانوا ممن قال: بلى، لكن كان ذلك من وراء الحجب حيث سمعوا نداء ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] من ورائها فلم يفهموا حقيقته وأجابوا بما أجاب به غيرهم لكن تقليداً لا تحقيقاً وكما أن الله تعالى طبع على قلوب المكذبين للرسل بسوء اختيارهم، وانهماكهم في الغي والضلال كذلك طبع على قلوب المنكرين للأولياء بسوء معاملاتهم وتهالكهم على التقليد فما دخل في قلوبهم الاعتقاد، وما جرى على ألسنتهم الإقرار، كما لم يدخل في قلوب الأولين التصديق ولم يصدر من ألسنتهم ما يستدل به على التوفيق، ثم هم مع كثرتهم قد جاؤوا وذهبوا ولم يبق منهم أثر ولا اسم وسيلحق بهم الموجودون ومن يليهم إلى آخر الزمان. وفي «المثنوي»:

منبرى كوكه بر آنجا مخبري ... ياد آرد روزكار منكري

سكهٔ شاهان همي كردد دكر ... سكهٔ أحمد ببين تا مستقر

برزخ نقره وياروى زرى ... وإنما برسكه نام منكري

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أهل التوحيد، ويخلصنا وإياكم من ورطة التقليد.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ من بعد هؤلاء الرسل ﴿موسى﴾ ابن عمران ﴿وهارون﴾ وهو أخو موسى أكبر منه بثلاث سنين ﴿إلى فرعون﴾ [بسوى وليد بن مصعب باقابوس كه فرعون آن زمان بود] ﴿وملئه﴾ أي: أشراف قومه وهو اكتفاء بذكر الجل عن الكل. ﴿بآياتنا﴾ بالآيات

التسع وهي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفلق البحر وإضافها إلى نفسه تنبيهاً على خروجها عن حيز استطاعة العبد ﴿فاستكبروا﴾ الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة، أي: فأتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعهما وذلك قول اللعين لموسى عليه السلام ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٨] ﴿وكانوا قوماً مجرمين﴾ أي: كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام فإن الإجرام مؤذن بعظم الذنب ومنه الجرم أي: الجثة فلذلك استهانوا برسالة الله تعالى عز وجل.

﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ المراد بالحق الآيات التسع التي هي حق ظاهر من عند الله بخلقه وإيجاده لا تخييل وتمويه كصنعتهم. ﴿قالوا إن هذا﴾ [اين كه تو آورده ومعجزه نام كرده] ﴿لسحر مبين﴾ ظاهر كونه سحراً.

﴿قال موسى﴾ على طريقة الاستفهام الإنكاري التوبيخي وهو استئناف بياني. ﴿أتقولون للحق﴾ الذي هو أبعد شيء من السحر الذي هو الباطل البحت ﴿لما جاءكم﴾ أي: حين مجيئه إياكم ووقوفكم عليه، أو من أول الأمر من غير تأمل وتدبر، وكلا الحالين مما ينافي القول المذكور والمقول محذوف لدلالة ما قبله عليه، أي: أتقولون له إنه لسحر وهو مما لا يمكن أن يقوله قائل ويتكلم به متكلم، ويجوز أن يكون القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة أي: العيب وبين الناس تقاول إذا قال بعضهم لبعض: ما يسوءه ونظيره الذكر في قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٠] أي: يعيبهم فيستغنى عن المفعول، أي: ﴿أتعيبونه﴾ وتطعنون فيه ﴿أسحر هذا﴾ الذي أمره واضح مكشوف وشأنه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه أحد ممن له عين مبصرة، وهو إنكار مستأنف من جهة موسى لكونه سحراً، وتقديم الخبر للإيذان بأنه مصب الإنكار، ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ جملة حالية من ضمير المخاطبين، أي: أتقولون إنه سحر والحال إنه لا يفلح فاعله، أي: لا يظفر بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره من مثلي من المؤيدين من عند الله الفائزين بكل مطلب الناجين من كل محذور.

﴿قالوا﴾ استئناف بياني كأنه قيل فماذا قال فرعون وأصحابه: لموسى عند ما قال لهم ما قال؟ فقيل قالوا: عاجزين عن المحاجة ﴿أجئتنا﴾ خطاب لموسى وحده لأنه هو الذي ظهرت على يده معجزة العصا واليد البيضاء ﴿لتلفتنا﴾ أي: لتصرفنا واللام متعلقة بالمجيء، أي: أجئتنا لهذا الغرض. ﴿عما وجدنا عليه آباءنا﴾ أي: من عبادة الأصنام.

وقال سعدي المفتي: الظاهر من عبادة غير الله تعالى فإنهم كانوا يعبدون فرعون. ﴿وتكون لكما الكبرياء﴾ أي: الملك، لأن الملوك موصوفون بالكبر والتعظيم. ﴿في الأرض﴾ أي: أرض مصر فلا نؤثر رياستكما على رياسة أنفسنا، فلما بينوا أن سبب إعراضهم عن قبول دعوتهما هذان الأمران صرحوا بالحكم المتفرع عليهما فقالوا: ﴿وما نحن لكما بمؤمنين﴾ أي: بمصدقين فيما جئتما به.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾.

﴿وقال فرعون﴾لملئه يأمرهم بترتب مبادي إلزامهما عليهما السلام بالفعل بعد اليأس عن إلزامهما بالقول. ﴿ائتوني بكل ساحر عليم﴾بفنون السحر حاذق ماهر فيه ليعارض موسى ﴿فلما جاء السحرة﴾الفاء فصيحة، أي: فأتوا به فلما جاؤوا في مقابلة موسى. ﴿قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون﴾أي: ملقون له كائناً ما كان من أصناف السحر. وفي إبهام. ما أنتم تخسيس له وتقليل وإعلام إنه لا شي يلتفت إليه.

فإن قيل: كيف أمرهم بالسحر والعمل بالسحر كفر والأمر بالكفر كفر.

فالجواب إنه أمرهم بإلقاء الحبال والعصي ليظهر للخلق أن ما أتوا به عمل فاسد وسعى باطل لا إنه أمرهم بالسحر ﴿فلما ألقوا﴾ما ألقوا من العصي والحبال واسترهبوا الناس وجاؤوا بسحر عظيم ﴿قال﴾لهم ﴿موسى﴾غير مكترث بهم وبما صنعوا ﴿ما جئتم به السحر﴾أي: الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحراً من آيات الله سبحانه، فما موصولة وقعت مبتدأة والسحر خبرها والحصر مستفاد من تعريف الخبر ﴿إن الله سيبطله﴾أي: سيمحقه بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزة فلا يبقى له أثر أصلاً، أو سيظهر بطلانه للناس والسين للتأكيد.

إذا جاء موسى وألقى العصا ... فقد بطل السحر والساحر
سحر بامعجزه پهلو نزند ايمن باش

﴿إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾أي: لا يثبته ولا يكمله ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه ويسلط عليه الدمار.

قال القاضي: وفيه دليل على أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة له انتهى. وفيه بحث فإنه عند أهل الحق ثابت حقيقة ليس مجرد إراءة وتمويه وكون أثره هو التخييل لا يدل على أنه لا حقيقة له أصلاً.

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿ويحق الله الحق﴾[آنجه من آورده ام] أي: يثبته ويقويه ﴿بكلماته﴾بأوامره وقضاياه ﴿ولو كره المجرمون﴾ذلك والمراد بهم كل من اتصف بالإجرام من السحرة وغيرهم.

قال الكاشفي: [يعني حق سبحانه وتعالى بوعدهء نصرت وفاكند وازخشم وكراهت دشمنان باك ندارد ودر منثوىء معنوي اشارتي بدين معنى هست]

حق تعالى ازغم وخشم خصام ... كي كذارد اوليارا درعوام
مه فشاند نوروسك وع وع كند ... سك زنور ماه كي مرتع كند
خس خسانه ميرود برروى آب ... آب صافي ميرود بي اضطراب
مصطفى مه ميشكافد نيمشب ... ژاژ مى خايد ز كينه بولهب
آن مسيحا مرده زنده ميكند ... وآن جهود ازخشم سبلت ميكند

وفي الآيات إشارة إلى موسى القلب وهارون السر وفرعون النفس وصفاتها وما يجري بينهما من الدعوة وعدم القبول، فإن موسى القلب وهارون السر يدعون النفس إلى كلمة التوحيد وعبادة الله تعالى، والنفس تدعي الربوبية ولا تثبت إلهاً غير هواها وتمتنع أن تكون

السلطنة والتصرف لهما في أرضها والله تعالى يحق الحق بكلمة لا إله إلا الله ولو كره المجرمون من أهل الهوى من النفوس المتمردة الأمارة بالسوء. قال الحافظ:

اسم أعظم بكند كارخود اي دل خوش باش   كه بتلبيس وحيل ديو سليمان نشود

ـ يحكى ـ أن الشيخ الجنيد العجمي اجتهد أربعين سنة لينال السلطنة فلم يتيسر ثم جاء من أولاده سلاطين روافض كشاه إسماعيل وشاه عباس وشاه طهماس، فهزمهم الله تعالى على أيدي الملوك العثمانية فاندفع شرهم وارتفعت فتنتهم من الأرض، فقد ظهر أن الحق، من أهل الحق فهم كموسى وهارون، وأهل الباطل كفرعون، وقد ثبت أن لكل فرعون موسى وذلك في كل عصر إلى أن ينزل عيسى عليه السلام ويقتل الدجال.

فإن قلت ما الحكمة في تسليط الظلمة على أهل الأرض، وقد استعبد فرعون بني إسرائيل سنين كثيرة؟.

قلت: تحصيل جوهرهم مما أصابهم من غش الآثام إن كانوا أهلاً لذلك وإلا فهو عذاب عاجل ـ يحكى ـ أن عمر رضي الله عنه لما بلغه أن أهل العراق حصبوا أميرهم، أي: رموه بالحجارة خرج غضبان فصلى فسها في صلاته فلما سلم قال: اللهم إنهم لَبَّسوا عليّ فألبس عليهم وعجل عليهم بالغلام الثقفي يحكم فيهم بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم وكان ذلك قبل أن يولد الحجاج فلما ولد كان من أمره ما كان، وفي الحديث: «يلحد بمكة تيس من قريش اسمه عبد الله عليه مثل أوزار الناس».

قال صاحب «إنسان العيون»: هو عبد الله الحجاج ولا مانع من أن يكون الحجاج من قريش.

وفي «حياة الحيوان» إن العرب إذا أرادوا مدح الإنسان قالوا: كبش وإذا أرادوا ذمه قالوا: تيس ومن ثمة قال ﷺ: في المحلل (التيس المستعار).

﴿فما آمن لموسى﴾ في مبدأ أمره قبل إلقاء العصا وأما إيمان السحرة فقد وقع بعده فلا ينافي الحصر المذكور هنا ﴿إلا ذرية من قومه﴾ أي: إلا أولاد من أولاد قومه بني إسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجيبوه خوفاً من فرعون وأجابته طائفة من شبانهم وذلك إن لفظ الذرية يعبر به عن القوم على وجه التحقير والتصغير ولا سبيل لحمله على التحقير والإهانة ههنا فوجب حمله على التصغير بمعنى قلة العدد أو حداثة السن ﴿على خوف﴾ أي: كائنين على خوف عظيم ﴿من فرعون وملئهم﴾ أي: ملأ الذرية ولم يؤنث، لأن الذرية قوم فذكر على المعنى. تلخيصه آمنوا وهم يخافون من فرعون من أشراف بني إسرائيل لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم، ويجوز أن يكون الضمير لفرعون على أن المراد بفرعون آله كثمود اسم قبيلة ﴿أن يفتنهم﴾ أن يعذبهم فرعون أو يرجع آباؤهم إلى فرعون ليردهم إلى الكفر، وهو بدل اشتمال تقديره على خوف من فرعون فتنته كقولك أعجبني زيد علمه وإسناد الفعل إلى فرعون خاصة لأنه الآمر بالتعذيب.

قال في «التأويلات النجمية»: فما آمن لموسى القلب إلا ذرية من قومه وهي صفاته ويجوز أن تكون الهاء في قومه راجعة إلى فرعون النفس، أي: ما آمن لموسى القلب إلا بعض صفات فرعون النفس فإنه يمكن تبديل أخلاقها الذميمة بالأخلاق الحميدة القلبية على خوف من فرعون، وملائهم يعني على خوف من فرعون النفس والهوى والدنيا وشهواتها بأن يبدلوها

بأخلاقها الطبيعية التي جبلت النفس عليها، وبهذا يشير إلى أن النفس، وإن تبدلت صفاتها الأمّارية إلى المطمئنة لا يؤمن مكرها وتبدلها من المطمئنة إلى الأمارية كما كان حال بلعام وبرصيصا أن يفتنهم بالدنيا وشهواتها ويرجع النفس قهقرى إلى أماريتها انتهى.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره: الأطهر في«مواقع النجوم»: وعلامة المدعي في الوصول رجوعه إلى رعونة النفس وإعراضها ولهذا قال أبو سليمان الداراني: من رؤساء المشايخ: لو وصلوا ما رجعوا، وإنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول فمن لم يتخلق لم يتحقق وعلامة من صح وصوله الخروج عن الطبع، والأدب مع الشرع، واتباعه حيث سلك انتهى ﴿**وإن فرعون لعال في الأرض**﴾ لغالب في أرض مصر ومتكبر وطاغ. ﴿**وإنه لمن المسرفين**﴾ في الظلم الفساد بالقتل وسفك الدماء أو في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الأنبياء، وهم بنو إسرائيل فإنهم من فروع يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

﴿**وقال موسى**﴾ لما رأى تخوف المؤمنين منه ﴿**يا قوم**﴾ [اي كروه من] ﴿**إن كنتم آمنتم بالله**﴾ أي: صدقتم به وبآياته وعلمتم أن إيصال المنافع ودفع المضار بقبضة اقتداره ﴿**فعليه توكلوا**﴾ وثقوا به واعتمدوا عليه ولا تخافوا أحداً غيره.

قال بعضهم: وصف نوح عليه السلام نفسه بالتوكل على وجه يفيد الحصر فقال: ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يونس: ٧١] وموسى عليه السلام أمر قومه بذلك فظاهر أن هذه الدرجة فوق درجة نوح انتهى.

يقول الفقير: كان الكلام في القصة الأولى مع نوح وفي الثانية مع قوم موسى ولذا اقتصر نوح في تخصيص التوكل بالله تعالى على نفسه وموسى أمر بذلك؛ وذا لا يدل على رجحان درجته على درجة نوح في هذا الباب لتغاير الجهتين، كما لا يخفى على أولي الألباب ﴿**إن كنتم مسلمين**﴾ مستسلمين لقضاء الله مخلصين له، وليس هذا من تعليق الحكم الذي هو وجوب التوكل بشرطين مختلفين هما الإيمان بالله والإسلام وإلا لزم أن لا يجب التوكل بمجرد الإيمان بالله، بل هما حكمان علق كل واحد منهما بشرط على حدة، علق وجوب التوكل على الإيمان بالله فإنه المقتضى له وعلق حصول التوكل ووجوده على الإسلام فإن الإسلام، لا يتحقق مع التخليط ونظيره إن أحسن إليك زيد فأحسن إليه إن قدرت.

﴿**فقالوا**﴾ مجيبين له من غير تلعثم في ذلك ﴿**على الله توكلنا**﴾ لأنهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك أجيبت دعوتهم ثم دعوا ربهم قائلين ﴿**ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين**﴾ أي: موضع عذاب لهم بأن تسلطهم علينا فيعذبونا ويفتنونا عن ديننا.

﴿**ونجنا برحمتك من القوم الكافرين**﴾ من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وسوء جوارهم. قال المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدواً له ما من صداقته بد

وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أن الداعي ينبغي أن يتوكل أولاً لتجاب دعوته وحقيقة التوكل إسقاط الخوف والرجاء عما سوى الله تعالى، والاستغراق في بحر شهود المسبب والانقطاع عن ملاحظة الأسباب.

وقال بعضهم: التوكل تعلق القلب بمحبة القادر المطلق ونسيان غيره، يعني: لم يثبت لنفسه ولا لغيره قوة وتأثيراً بل كان منقاداً للحكم الأزلي بمثابة الميت في يد الغسال:

هركه در بحر توكل غرقه كشت ... همتش ازماسوى الله در كذشت

اين توكل كرچه دارد رنجها ... فهو حسبه بخشدازوى كنجها

ولما آمن هؤلاء الذرية بموسى واشتغلوا بعبادة الله تعالى لزمهم أن يبنوا مساجد للاجتماع فيها للعبادة، فإن فرعون كان قد خرب مساجد بني إسرائيل حين ظهر عليهم لكن لما لم يقدروا على إظهار شعائر دينهم خوفاً من أذى فرعون أمروا باتخاذ المساجد في بيوتهم، كما كان المؤمنون في أول الإسلام يعبدون ربهم سراً في دار الأرقم بمكة وذلك قوله تعالى ﴿**وأوحينا إلى موسى وأخيه**﴾ هارون ﴿**أن**﴾ مفسرة للمفعول المقدر أي: أوحينا إليهما شيئاً هو ﴿**تبوآ لقومكما بمصر بيوتاً**﴾ يقال: تبوأ المكان إذا اتخذه مباءة ومنزلاً، والمعنى: اجعلا بمصر المعروفة أو الاسكندرية كما في «الكواشي» بيوتاً من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون إليها للسكنى والعبادة ﴿**واجعلوا**﴾ أنتما وقومكما ﴿**بيوتكم**﴾ تلك ﴿**قبلة**﴾ مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة فإن موسى عليه السلام كان يصلي إليها ﴿**وأقيموا الصلاة**﴾ فيها وهذا ينبىء أن الصلاة كانت مفروضة عليهم دون الزكاة ولعل ذلك لفقرهم ﴿**وبشر**﴾ يا موسى لأن بشارة الأمة وظيفة صاحب الشريعة ﴿**المؤمنين**﴾ بالنصرة في الدنيا إجابة لدعوتهم والجنة في العقبى.

وفي الآية إشارة إلى أن السلاك ينبغي أن لا يتخذوا المنازل في عالم النفس السفلية بل يتخذوا المقامات في مصر عالم الروحانية، ويقيموا الصلاة أي: يديموا العروج من المقامات الروحانية إلى القربات، والمواصلات الربانية فإن سير الممكنات متناه وذوقها منقطع، وأما سير الواجب فغير متناه وذوقه دائم في الدنيا والآخرة، وذرة من سيره وذوقه لا يساويها لذة الجنان الثمان، وجميع ذوق الرجال بأنواع الكرامات لا يعادل محنة أهل الفناء عند الله وإن تألموا هنا، ولكن ذلك ليس بألم بل أشد، والألم فيما إذا رأى أهل الذوق مراتب أهل الفناء فوقهم وأقله التألم من تقدمهم، وغبطة موسى عليه السلام ليلة المعراج بنبينا عليه السلام من هذا القبيل ثم هذا بالنسبة إلى من كان في التنزل والإرشاد وأما من بقي في الوصلة فلا تألم له من شيء ولا مفخر فوق الحقيقة كما في «الواقعات المحمودية». ثم إن الابتلاء ماض إلى يوم القيامة.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره: الأطهر اعلم أنه لا بد لجميع بني آدم من العقوبة والألم شيئاً بعد شيء إلى دخولهم الجنة، لأنه إذا نقل إلى البرزخ فلا بد له من الألم وأدناه سؤال منكر ونكير فإذا بعث فلا بد من ألم الخوف على نفسه أو غيره، وأول الألم في الدنيا استهلال المولود حين ولادته صارخاً لما يجده من مفارقة الرحم وسخونته فيضربه الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بألم البرد فيبكي فإن مات فقد أخذ حظه من البلاء انتهى كلامه.

وكان أمية بن خلف يعذب بلالاً رضي الله عنه لإسلامه فيطرحه على ظهره في الرمضاء أي: الرمل إذا اشتدت حرارته لو وضعت فيه قطعة لحم لنضجت ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره وهو يقول: أحد أحد أي: الله أحد فيمزج مرارة العذاب بحلاوة الإيمان

وقد وقع له رضي الله تعالى عنه أنه لما احتضر وسمع امرأته تقول واحزناه صار يقول واطرباه:

نلقى غدا الأحبة محمداً وحزبه

فكان يمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وقد أشير إلى هذه القصة في «المثنوي»:

كفت جفت امشب غريبي ميروي از تبار خويش غائب ميشوى
كفت نى نى بلكه امشب جان من ميرسد خود از غريبي در وطن
كفت رويت را كجا بينيم ما كفت اندر حلقهٔ خاص خدا
كفت ويران كشت اين خانه دريغ كفت اندر مه نكر منكر بميغ
كرد ويران تا كند معمور تر قومم انبه بود وخانه مختصر
من كدا بودم درين خانه چو چاه شاه كشتم قصر بايد بهرشاه
قصرها خود مرشهانرا مأنس است مرده اخانه ومكان كورى بس است
انبيا را تنك آمد اين جهان چون شهان رفتند اندر لامكان
مردكان را اين جهان بنمود فر ظاهرش زفت وبمعنى تنك نر
كرنبودى تنك اين افغان زچيست جون دوتاشد هركه دورى پيش زيست
در زمان خواب چون آزاد شد زان زمكان بنكر كه جاه چون شادشد

وحاصله أن الله تعالى خلق العوالم على التفاوت وجعل بعضها أوسع من بعض، وأضيق الكل الدنيا وأوسعه عالم الأمر والشان، ولكون الأنبياء وكمل الأولياء أصحاب السلوك والعروج كانوا بأجسادهم في الدنيا وأرواحهم عند الحضرة العليا فلا جرم أن كل العوالم بالنسبة إليهم على السواء فلذا لا يتأذون بشيء أصلاً ولا يخافون غير الله تعالى، وأما غيرهم فليسوا بهذه المرتبة فلهذا اختلفت أحوالهم في السر والعلانية وغفلوا عن الوجه وحسن النية ومن الله العصمة والتوفيق.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾.

﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة﴾ أي: ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما **﴿وأموالاً في الحياة الدنيا﴾** وأنواعاً كثيرة من المال كالنقود والمتاع والضياع [ابن عباس فرموده كه ازفسطاط مصر تازمين حبشه كوهها كه دراو معادن ذهب وفضة وزبرجد بود همه تعلق بفرعون داشت وفرمان او درين مواضع بود بدين سبب مال بسيار بتصرف قبط درآمد ومتمول ومتجمل شدند وسبب ضلال واضلال شد]، كما قال: **﴿ربنا﴾** تكرير للأول أي: آتيته وملأه هذه الزينة والأموال **﴿ليضلوا عن سبيلك﴾** أي: ليكون عاقبة أمرهم أن يضلوا عبادك عن طريق الإيمان فاللام للعاقبة كما في قوله:

أموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها

أو لأجل أن يضلوا عن سبيلك فاللام للتعليل لا حقيقة، بل مجازاً، لأن الله تعالى آتاهم ذلك ليؤمنوا ويشكروا نعمته فتوسلوا به إلى مزيد البغي والكفر، فأشبهت هذه الحالة حال من أعطى المال لأجل الاضلال فورد الكلام بلفظ التعليل بناء على هذه المشابهة.

وفي الآية بيان أن حطام الدنيا سبب للضلال والاضلال فإن الإنسان ليطغى أن رآه

استغنى ومن رأى الغير في زينة ورفاهية حال يتمنى أن يكون له مثل ذلك مما قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون لما خرج في زينته، ولذا حذر عن صحبة الأغنياء وأبناء الملوك وفي الحديث: «لا تجالسوا الموتى» يعني الأغنياء وعن أبي الدرداء رضي الله عنه لأن أقع من فوق قصر فأنحطم، أي: انكسر أحب إلي من مجالسة الغني وذلك لأن مجالسته سارية وصحبته مؤثرة.

باد چون بر فضاي بد كذرد بوى بد كيرد از هواي خبيث

وقال أبو بكر رضي الله عنه: «اللهم ابسط لي الدنيا وزهدني فيها ولا تزوها عني وترغبني فيها» ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ دعاء عليهم بعد الإنذار وعلمه أن لا سبيل إلى إيمانهم وإنما عرض إضلالهم أولاً ليكون تقدمة لهذا الدعاء وإنهم مستحقون له بسببه. وأصل الطمس المحو وإزالة الأثر.

والمعنى: اذهب منفعتها وامسخها وغيرها عن هيئتها، لأنهم يستعينون بنعمتك على معاصيك وإنما أمرتهم بأن يستعينوا بها على طاعتك وسلوك سبيلك، قالوا: صارت دراهمهم ودنانيرهم وطعامهم من الجوز والفول والعدس وغيرها كلها حجارة مصورة منقوشة على هيئتها وكذلك البيض والمقاني وسائر أموالهم وهذه إحدى الآيات التسع. ﴿واشدد على قلوبهم﴾ أصل الشد الايثاق: والمعنى اجعلها قاسية واختم عليها لئلا يدخلها الإيمان ﴿فلا يؤمنوا﴾ جواب للدعاء ﴿حتى يروا﴾ أي: ليروا أو إلى أن يروا ﴿العذاب الأليم﴾ أي: يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك إذ ذاك وكان كذلك فإنهم لم يؤمنوا إلى الغرق كان ذلك إيمان يأس فلم يقبل.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَاوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

﴿قال﴾ الله تعالى ﴿قد أجيبت دعوتكما﴾ يعني: موسى وهارون لأنه كان يؤمن، والتأمين دعاء أيضاً؛ لأن معناه استجب. ﴿فاستقيما﴾ فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة وإلزام الحجة ولا تستعجلا فإن ما طلبتماه كائن في وقته لا محالة.

وفي «الكواشي» الاستقامة في الدعاء أن لا يرى الإجابة مكراً واستدراجاً وتأخيرها طرداً وإبعاداً. ﴿ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ أي: بعادات الله تعالى في تعليق الأمور بالحكم والمصالح، أو سبيل الجهلة في الاستعجال [كارهاً موقوف وقت آيدنكهداريد وقت] ـ روي ـ أن موسى عليه السلام أو فرعون وهو الأولى كما في «حواشي سعدي المفتي» مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة.

قال علي رضي الله عنه: جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته، فما شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته واستمطرت شآبيب رحمته فلا يقنطك إبطاء إجابته فإن العطية على قدر النية وربما أخرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل وأجزل لعطاء الآمل وفي الحديث: «ما من داع يدعو إلا استجاب الله له دعوته أو صرف عنه مثلها سوءاً أو حط من ذنوبه بقدرها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم» أي: لم يدع حال مقارنة إثم أو قطيعة

رحم كما في «شرح العقائد» لرمضان. وفي «المثنوي»:

جز تو پيش كه بر آرد بنده دست هم دعا وهم اجابت از تو است
هم ز اول تو دهى ميل دعا تو دهى آخر دعاهارا جزا

وفيه أيضاً:

داد مر فرعو نرا صد ملك ومال تا بكردا و دعوئ عز وجلال
در همه عمرش نديد او درد سر تا ننالد سوى حق آن بدكهر
درد آمد بهتر از ملك جهان تا بخوانى مر خدارا در نهان

ومن شرائط الدعاء الذلة فإن الإجابة مترتبة عليها كالنصر كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

وعن أبي يزيد البسطامي قدس سره أنه قال: كابدت العبادة ثلاثين سنة فرأيت قائلاً، يقول: لي يا أبا يزيد خزائنه مملوءة من العبادة، إن أردت الوصول إليه فعليك بالذلة والافتقار كما قال الحافظ:

فقير وخسته بدر كاهت آمدم رحمى كه جز دعاى توام نيست هيچ دست آويز

وفي الآية بيان جواز الدعاء السوء عند مساس الحاجة إليه وقد صدر من النبي ﷺ أيضاً حيث دعا على مضر حين بالغوا في الأذية له عليه السلام فقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» يعني: خذهم أخذا شديداً وعنى بسني يوسف السبع الشداد فاستجاب الله دعاءه عليه السلام فأصابتهم سنة أكلوا فيها الجيف والجلود والعظام والعلهز وهو الوبر والدم أي: يخلط الدم بأوبار الإبل ويشوى على النار وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان من الجوع.

ثم أن العذاب الأليم للنفس فطامها عن شهواتها ومألوفاتها فهي لا تؤمن بالآخرة على الحقيقة ولا تسلك سبيل الطلب حتى تذوق ألم ذلك العذاب، فإن ذلك موت لها معنى، ولا ينتبه الناس إلا بعد الموت أيقظنا الله وإياكم من رقدة الغفلات.

﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر﴾ هو من جاوز المكان إذا تخطاه وخلفه، والباء للتعدية، أي: جعلناهم مجاوزين البحر بأن جعلناه يبساً وحفظناهم حتى بلغوا الشط.

قال الكاشفي: [چون عذاب آن قوم رسيد وحى آمد بموسى عليه السلام باقوم خود از مصر برون روكه قبطيان را هنكام عذاب رسيد موسى عليه السلام باجماعت بني إسرائيل متوجه شام شدند وبكناره دریای قلزم رسيده دريا شكافته شد وبني إسرائيل بسلامت آن دريارا بكذشتند چنانچه حق سبحان وتعالى ميفرمايد ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر﴾ وبكذرانيديم فرزندان يعقوب را ازدرياي قلزم بسلامت]. ﴿فأتبعهم﴾ يقال: تبعته حتى اتبعته إذا كان سبقك فلحقته أي: أدركهم ولحقهم. ﴿فرعون وجنوده﴾ حتى تراءت الفئتان وكاد يجتمع الجمعان.

﴿بغياً وعدواً﴾ أي: حال كونهم باغين في القول ومعتدين في الفعل أو للبغي والعدوان على أنهما مفعولان من أجلهما، كما قال الكاشفي: [بغيا براي ستم كردن بني إسرائيل وعدواً ازجهت وازحد بيرون بردن ازجفاى ايشان]. وذلك أن موسى عليه السلام خرج ببني إسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم ووصل إلى الساحل، وهم قد خرجوا من البحر ومسلكهم باقٍ على حاله يبساً فسلكه بجنوده أجمعين.

قال الكاشفي: [پس چون بكنار دريا رسيدند واسب فرعون بسبب بوي باديان كه جبريل سوار بودبدريا در آمد ولشكر متابعت نموده همه خودرا دردريا افكندند وفرعون نمى خواست كه بدريا در آمد أما مركب اورامى برد] فلما دخل آخرهم وهم أولهم بالخروج غشيهم من اليم ما غشيهم ﴿حتى إذا أدركه الغرق﴾ أي: لحقه والجمه وأحاط به ﴿قال﴾ فرعون ﴿آمنت أنه﴾ أي: بأنه والضمير للشأن. ﴿لا إله﴾ [نيست معبودي مستحق عبادت] ﴿إلا الذي﴾ [مكر آن خدايى كه بدعوت موسى عليه السلام] ﴿آمنت به بنو إسرائيل﴾ لم يقل كما قاله السحرة: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢١-١٢٢]. بل عبر عنه بالموصول وجعل صلته إيمان بني إسرائيل به للإشعار برجوعه عن الاستعصاء وباتباعه لمن كان يستتبعهم طمعاً في القبول والانتظام معهم في سلك النجاة كذا في «الإرشاد».

يقول الفقير بل في قول ذلك المخذول رائحة التقليد ولذا لم يقبل ولو نمسك بحبل التحقيق لقال: آمنت بالله الذي لا إله إلا هو ﴿وأنا من المسلمين﴾ أي: الذين أسلموا نفوسهم لله أي: جعلوها سالمة خالصة له تعالى.

﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

﴿ءآلآن﴾ مقول لقول مقدر معطوف على قال، أي: فقيل آلآن تؤمن حين يئست من الحياة وأيقنت بالممات؟ ﴿وقد عصيت قبل﴾ حال من فاعل الفعل المقدر أي: والحال قد عصيت قبل ذلك مدة عمرك ﴿وكنت من المفسدين﴾ أي: الغالين في الضلال والإضلال عن الإيمان، فالأول عبارة عن عصيانه الخاص به، والثاني عن فساده الراجع إلى نفسه والساري إلى غيره من الظلم والتعدي وصد بني إسرائيل عن الإيمان.

جاء في الأخبار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: غار النيل على عهد فرعون فأتاه أهل مملكته فقالوا: أيها الملك أجر لنا النيل، فقال: إني لست براض عنكم حتى قالوا: ذلك ثلاث مرات فذهبوا فأتوه، فقالوا: أيها الملك ماتت البهائم وهلكت الصبيان والأبكار، فإن لم تجرِ لنا النيل اتخذنا إلهاً غيرك، فقال: لهم أخرجوا إلى الصعيد فخرجوا فتنحى عنهم بحيث لا يرونه ولا يسمعون كلامه والصق خده بالأرض، وأشار بالسبابة فقال: اللهم إني خرجت إليك خروج العبد الذليل إلى سيده، وإني أعلم أنه لا يقدر على إجرائه غيرك فأجره، فقام فجرى النيل جرياً فأتاهم، فقال لهم: إني أجريت لكم النيل فقال: خروا له سجداً.

يقول الفقير هذا لا يدل على إيمان فرعون وذلك، لأن الإيمان وإن كان عبارة عن التصديق والإقرار وصاحبه ينبغي أن لا يكون كافراً بشيء من أفعال الكفر، وألفاظه ما لم يتحقق منه التكذيب والإنكار إلا أن من المعاصي ما جعله الشارع إمارة التكذيب، ومنه دعوة فرعون إلى عبادة نفسه ورضاه عن سجود قومه له ونحو ذلك فمع ذلك لا يكون مؤمناً البتة قالوا عرض له جبريل يوماً فقال: أيها الملك إن عبداً ملكته على عبيدي وأعطيته مفاتيح خزائني وعاداني وأحب من عاديته وعادي من أحببته فقال له فرعون: لو كان لي ذلك العبد لغرقته في بحر القلزم فقال جبريل: أيها الملك اكتب لي بذلك كتاباً قال: فدعا بداوة وقلم وقرطاس فكتب فرعون فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب: جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن

يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه فقال جبريل هذا ما حكمت به على نفسك: قالوا: نكب عن الإيمان أي: عدل واعرض عنه أوان بقاء التكليف والاختيار، وبالغ فيه حين لا يقبل، حرصاً على القبول حيث كرر المعنى الواحد ثلاث مرات بثلاث عبارات حيث قال: أولاً آمنت وقال ثانياً: لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وقال: ثالثاً وأنا من المسلمين وكانت المرة الواحدة كافية حين بقاء التكليف والاختيار، وإيمان اليأس موقوف من جهة الرد والقبول وأن كان من مقام الاحتضار فمردود وإلا فلا، والاحتضار لا يكون إلا في النفسين من الداخل والخارج كما في «أسئلة الحكم» وهو مقبول عند الامام مالك حكماً بالظاهر كالمؤمن عند سل السيف والمؤمن عند إقامة الحد عليه يقبل إيمانه وعلى هذا بنى كلامه حضرة الشيخ الأكبر المالكي في «الفصوص» ذهب إلى إيمان فرعون ثم فوض.

﴿**فاليوم ننجيك**﴾ أي: نبعدك ونخرجك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافياً، أو نلقيك على نجوة من الأرض ليراك بنو إسرائيل ويتحققوا بهلاكك، والنجوة: المكان المرتفع الذي تظن أنه نجاؤك لا يعلوه السيل. ﴿**ببدنك**﴾ الباء للمصاحبة كما في قولك: خرج زيد بعشيرته، وهذه الباء يصلح في موضعها مع وهي مع، مدخولها في موضع الحال من ضمير المخاطب، أي: ننجيك ملابساً ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوبك فهو قطع لطمعه بالكلية، أو كاملاً سوياً من غير نقص لئلا يبقى شبهة في أنه بدنك، أو عرياناً من غير لباس أو بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها، والعرب تطلق البدن على الدرع قال: الليث البدن الدرع الذي يكون قصير الكمين، ﴿**لتكون لمن خلفك آية**﴾ لمن وراءك علامة وهم بنو إسرائيل إذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل إليهم أنه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين أخبرهم بغرقه إلى أن عاينوه مطروحاً على ممرهم من الساحل قصيراً أحمر كأنه ثور، إذ يروى أن قامته كانت سبعة أشبار، ولحيته ثمانية أشبار أو لمن يأتي بعدك من الأمم إذا سمعوا مآل أمرك ممن شاهدك آية عبرة ونكالاً على الطغيان، أو حجة تدلهم على أن الإنسان وإن بلغ الغاية القصوى من عظم الشان وعلو الكبرياء وقوة السلطان فهو مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية.

[بندهء كه خودرا ازغرقه شدن دركر داب فنانرها ندچرا صداى انا ربكم الأعلى بسمع چهانيان ساند

عاجز اي كواسير خواب وخورست لاف قدرت زند چه بيخبرست
آنكه در نفس خود زبون باشد صاحب اقتدار چون باشد

ثم قوله تعالى: ﴿**ءآلآن**﴾ إلى قوله: ﴿**آية**﴾ من كلام جبريل كما قال: الكاشفي [بعد ازانكه فرعون اين سخن كفت حق تعالى بجبريل درجواب اوفرموده] آلآن الخ.

وقال: في «الكواشي» وخاطبه كخطاب النبي ﷺ أهل القليب انتهى وذلك أن الله تعالى لما هزم المشركين يوم بدر أمر ﷺ أن يطرح قتلاهم في القليب ثم جاء بعد ثلاثة أيام حتى وقف على شفير القليب.

وجعل يقول: «يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقاً فإني وجدت ما وعدني الله حقاً بئس عشيرة النبي كنتم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس» فقال: عمر رضي الله عنه يا رسول

الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها؟ فقال عليه السلام: «ما أنتم بأسمع لما اقول منهم» وفي رواية: «لقد سمعوا ما قلت غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئاً».

وعن قتادة أحياهم الله حتى سمعوا كلام رسول الله توبيخاً لهم وتصغيراً ونقمة وحسرة والمراد بإحيائهم شدة تعلق أرواحهم بأجسادهم حتى صاروا كالأحياء في الدنيا للغرض المذكور لأن الروح بعد مفارقة جسدها يصير لها تعلق به أو بما يبقى منه ولو عجب الذنب فإنه لا يفنى، وأن اضمحل الجسم بأكل التراب أو بأكل السباع أو الطير أو النار وبواسطة ذلك التعلق يعرف الميت من يزوره ويأنس به ويرد سلامه إذا سلم عليه كما ثبت في الأحاديث، والغالب أن هذا التعلق لا يصير به الميت حياً في الدنيا، بل يصير كالمتوسط بين الحي والميت الذي لا تعلق لروحه بجسده، وقد يقوى ذلك حتى يصير كالحي في الدنيا ولعله مع ذلك لا يكون فيه القدرة على الأفعال الاختيارية. فلا يخالف ما حكي عن السعد اتفقوا على أنه تعالى لم يخلق في الميت القدرة والأفعال الاختيارية، هذا كلامه والكلام في غير الأنبياء وشهداء المعركة وأما هما فتعلق أرواحهم بأجسادهم تصير به أجسادهم حية كحياتها في الدنيا وتصير لهم القدرة والأفعال الاختيارية كذا في «إنسان العيون». **﴿وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون﴾** لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها. وفي «المثنوي»:

نى ترا ازروى ظاهر طاعتي ... نى ترا درسر وباطن نيتي
نى ترا شبها مناجات وقيام ... نى ترا روزان پرهيز وصيام
نى ترا حفظ زبان زآزار كس ... نى نظر كردن بعبرت پيش وپس
پيش چه بودياد مرك ونزع خويش ... پس چه باشد مردن ياران پيش

قالوا: فرعون مع شدة شكيمته وفرط عناده آمن. ولو حال اليأس، وأما فرعون هذه الأمة فقد قتله الله يوم بدر شر قتلة ولم يصدر منه ما يؤذن بإيمانه، بل اشتد غيظه وغضبه في حق رسول الله وفي حق المؤمنين إلى أن خرج روحه لعنه الله، فصار أشد من فرعون فليعتبر العاقل بهذا وليقس عليه كل من سلك مسلكه في الكفر والظلم والعناد فنعوذ بالله رب العباد من كل شر وفساد.

ثم أن الله تعالى أهلك العدو وأنجى بني إسرائيل، وذلك لصدق إيمانهم وبركة يقينهم ـ كما يحكى ـ أنه صاح رجل في مجلس الشبلي قدس سره فطرحه في دجلة، فقال: إن صدق ينجه صدق كما نجا موسى، وإن كذب غرق كما غرق فرعون كما في «ربيع الأبرار». فدل على أن النجاة في الإيمان والعدل والصدق، والهلاك في الكفر والظلم والكذب ولما كذب، فرعون في دعوى الربوبية واستمر على اضلال الناس دعا عليه موسى كما سبق فاستجاب الله دعاءه ولا كلام في تأثير الدعاء مطلقاً ـ يحكى ـ أن معاوية استجاب الله دعاءه في حق ابنه يزيد وذلك أنه ليم على عهده إلى يزيد فخطب وقال: اللهم إن كنت إنما عهدت ليزيد لما رأيت من فعله فبلغه ما املته وأعنه وإن كنت إنما حملني حب الوالد لولده وأنه ليس لما صنعت به أهلاً فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك فكان كذلك، لأن ولايته كانت سنة ستين ومات سنة أربع وستين كما في «الصواعق» لابن حجر. والحاصل: أن الآفاق والأنفس مملوءة بالآيات والعبر فمن له عين مبصرة وأذن واعية يرى الآثار المختلفة ويسمع الأخبار المتواترة فيعتبر اعتباراً إلى أن يأتي اليقين، ويسلم من آثار القهر المتين، ولا يكون عبرة للغير بما اقترفه كل حين.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾.

﴿**ولقد بوأنا بني إسرائيل**﴾ أي: أسكناهم وأنزلناهم بعد ما أنجيناهم وأهلكنا أعداءهم فرعون وقومه. ﴿**مبوأ صدق**﴾ منزلاً صالحاً مرضياً ومكاناً محموداً وهو الشام ومصر فصاروا ملوكاً بعد الفراعنة والعمالقة، وتمكنوا في نواحيها. ومبوأ اسم مكان وصف بالصدق مدحاً له فإن عادة العرب إذا مدحت شيئاً أضافته إلى الصدق، تقول: رجل صدق. قال: الله تعالى: ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠] ﴿**ورزقناهم من الطيبات**﴾ أي: اللذائذ من الثمار وغيرها من المن والسلوى كما في «التبيان» ﴿**فما اختلفوا**﴾ في أمور دينهم ﴿**حتى جاءهم العلم**﴾ أي: إلا من بعد ما قرأوا التوراة وعلموا أحكامهم وما هو الحق في أمر الدين ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة فيه، يعني: أنهم تشعبوا في كثير من أمور دينهم بالتأويل طلباً للرياسة وبغياً من بعضهم على بعضهم حتى أداهم ذلك إلى القتال كما وقع مثله بين علماء هذه الأمة حيث افترقوا على الفرق المختلفة، وأولوا القرآن على مقتضى أهوائهم كالمعتزلة وغيرها من أهل الأهواء وفيهم من يقول بالظاهر. وفي «المثنوي»:

كردهٔ تأويل حرف بكررا خويش را تأويل كن نى ذكررا
بر هوا تأويل قرآن ميكنى پست وكژشد ازتو معنئ سني

أو المراد ببني إسرائيل معاصروا النبي عليه السلام كقريظة والنضير وبني قينقاع، أنزلهم الله ما بين المدينة، والشام من أرض يثرب ورزقهم من النخل وما فيها من الرطب والتمر الذي لا يوجد مثله في البلاد، فما اختلفوا في أمر محمد عليه السلام إلا من بعد ما علموا صدق نبوته وتظاهر معجزاته فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه وكفر آخرون.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: المراد بالعلم القرآن العظيم، وسمي القرآن علماً لكونه سبب العلم وتسمية السبب باسم المسبب مجاز مشهور ﴿**إن ربك يقضي بينهم**﴾ [حم كند ميان ايشان] ﴿**يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**﴾ فيميز المحق من المبطل بالإثابة والتعذيب وأما في الدنيا فيجرون على الستر والإمهال فإنها ليست بدار جزاء الأعمال. وفيه تهديد بيوم القيامة الذي هو يوم الامتحان.

چون محك ديدى سيه كشتى چو قلب نقش شپرى رفت وپيدا كشت كلب

﴿**فإن كنت في شك**﴾ أي: في شك ما يسير على الفرض والتقدير فإن مضمون الشرطية إنما هو تعليق شيء بشيء من غير تعرض لإمكان شيء منهما كيف لا، وقد يكون كلاهما ممتنعاً، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخرف: ٨١] ﴿**مما أنزلنا إليك**﴾ من القصص التي من جملتها قصة فرعون وقومه وأخبار بني إسرائيل. ﴿**فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك**﴾ فإن ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما ألقينا إليك، والمراد إظهار نبوته عليه السلام بشهادة الأحبار حسبما هو المسطور في كتبهم وإن لم يكن إليه حاجة أصلاً، أو وصف أهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة نبوته، أو تهييجه عليه السلام وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجويز صدور الشك منه عليه السلام ولذلك قال:

عليه السلام: «لا أشك ولا أسأل» [ودر زاد المسير آورده كه ان بمعنى ماى نافيه است يعني تودر شك نيستى إما براى زيادتيء بصيرت سؤال كن از اهل كتاب].

وقيل: الخطاب للنبي ﷺ، والمراد: أمته فإنه محفوظ ومعصوم من الشكوك والشبهات فيما أنزل، وعادة السلطان الكبير إذا كان له أمير وكان تحت راية ذلك الأمير جمع فأراد السلطان أن يأمر الرعية بأمر مخصوص بهم فإنه لا يوجه خطابه لهم، بل يوجه ذلك الخطاب لذلك الأمير الذي جعله أميراً عليهم ليكون أقوى تأثيراً في قلوبهم، أو الخطاب لكل من يسمع، أي: إن كنت أيها السامع في شك مما أنزلنا إليك على لسانه نبينا، وفيه تنبيه على أن من خالجه شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم.

چون چنين وسواس ديدى زود زود ... با خدا كردوردرا اند سجود
سجده كه را تركن ازاشاك روان ... كاى خدا يا وارهانم زين كمان
كوندانستى مرادحق ازين ... فاسأل أهل العلم حتى تطمئن

﴿لقد جاءك الحق﴾ الذي لا ريب في حقيقته. ﴿من ربك﴾ وظهر ذلك بالآيات القاطعة ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ بالتزلزل عما أنت عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل، والامتراء: التوقف في الشيء والشك فيه، وأمره أسهل من أمر المكذب فبدأ به أولاً ونهى عنه واتبع به ذكر المكذب ونهى أن يكون منهم كما قال:

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾.

﴿ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله﴾ من باب التهييج والإلهاب والمراد به إعلام أن التكذيب من القبح والمحذورية بحيث ينبغي أن ينهى عنه من لا يتصور إمكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به، وفيه قطع لأطماع الكفرة. ﴿فتكون﴾ بذلك ﴿من الخاسرين﴾ أنفساً وأعمالاً.

واعلم أن تصديق الآيات سواء كانت آيات الوحي كالقرآن، وآيات الإلهام كالمعارف الإلهية من أربح المتاجر الدينية، وتكذيبها من أخسر المكاسب الإنسانية، ولذا قال: بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم، أي: العلم الوهبي الكشفي أخاف عليه سوء الخاتمة، وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله وأقل عقوبة من ينكره أن لا يرزق منه شيئاً وهو علم الصديقين والمقربين كذا في «إحياء العلوم».

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره: الأطهر علم النبوة والولاية وراء طور العقل ليس للعقل دخول فيه بفكره، ولكن له القبول خاصة عند سليم العقل الذي لم يغلب عليه شبهة خيالية فما لنا إلا ما نص عليه الشرع فإنك تعلم أن دليل الأشعري شبهة عند المعتزلي وبالعكس والناظر بفكره لا يبقى على طور واحد فيخرج من أمر إلى نقيضه كما في «الفتوحات». وفي «المثنوي»:

تنكتر آمد خيالات ازعدم ... زان سبب باشد خيال اسباب غم

فلا بد من التصديق وكثرة الاجتهاد في طريق التوحيد ليتخلص المريد من الشك والشبهة والتقليد، ويصل بإقراره إلى ما لم يصل إليه العنيد.

﴿إن الذين حقت عليهم﴾ ثبتت ووجبت﴿كلمة ربك﴾ وهي قوله: «هؤلاء في النار ولا أبالي» أي: وجبت عليهم النار بسبق هذه الكلمة كما في «التأويلات النجمية». أو حكمه وقضاؤه بأنهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [السجدة: ١٣] الخ كما في «الإرشاد».

وقال الكاشفي: [يعني قولي كه در لوح محفوظ نوشته كه ايشان بر كفر ميرند وملائكه برا بران خبر داده] فهذه ثلاثة أقوال. ﴿لا يؤمنون﴾ أبدا إذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضائه أي: لا يؤمنون إيماناً نافعاً واقعاً في أوانه، فيندرج فيهم المؤمنون عند معاينة العذاب مثل فرعون باقياً عند الموت فيدخل فيهم المرتدون.

﴿ولو جاءتهم كل آية﴾ سألوها واقترحوها وأنث فعل كل لإضافته إلى مؤنث وذلك أن سبب إيمانهم، وهو تعلق إرادة الله به مفقود لكن فقدانه ليس لمنع منه سبحانه استحقاقه له بل لسوء اختيارهم المتفرع على عدم استعدادهم لذلك. ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ إلى أن يروه وحينئذٍ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾.

﴿فلولا﴾ حرف لولا تحضيض بمعنى هلا، وحرف التحضيض إذا دخل على الماضي يكون للتوبيخ على ترك الفعل. ﴿كانت﴾ تامة﴿قرية﴾ من القرى المهلكة، والمراد: أهاليها. ﴿آمنت﴾ قبل معاينة العذاب ولم تؤخر إيمانها إلى حين معاينته ما أخر فرعون وقومه وهو صفة لقرية. ﴿فنفعها إيمانها﴾ بأن يقبله الله منها ويكشف بسببه العذاب عنها. ﴿إلا قوم يونس﴾ لكن قوم يونس بن متى، ولم ينصرف يونس لعجمته وتعريفه وأن قيل باشتقاقه فلتعريفه ووزن الفعل المختص، ومتّى: بالتشديد اسم أبيه، وقال بعضهم: اسم أمه ولم يشتهر باسم أمه غير عيسى ويونس عليهما السلام﴿لما آمنوا﴾ أول ما رأوا أمارة العذاب ولم يؤخروا إلى حلوله. ﴿كشفنا عنهم﴾ رفعنا وأزلنا﴿عذاب الخزي﴾ أي: الذل والهوان الذي يفضح صاحبه وهو لا يدل على حصولهم في العذاب، بل يقع ذلك على أشراف العذاب عليهم كما قال: تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣] كان لإنقاذ منها حالة الإشراف عليها لا الحصول فيها كما في «التيسير»﴿في الحياة الدنيا﴾ فنفعهم إيمانهم لوقوعه في وقت الاختيار وبقاء التكليف لا حال اليأس﴿ومتعناهم﴾ بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم﴿إلى حين﴾ مقدر لهم في علم الله سبحانه، والمعنى بالفارسية، [چرا اهل قرى ايمان نياوردند قبل از معاينهٔ عذاب وتعجيل نكردند پيش ازحلول آن تانفع كردى ايشانرا ايمان ايشان ليكن قوم يونس چون امارات عذاب مشاهده نمودند تأخير نكردند ايمان خودرا تابوقت حلول وايمان آوردند] فالاستثناء على هذا منقطع ويجوز أن يكون متصلاً، والجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه يعني: أن لولا كلمة التحضيض في الأصل استعملت هنا للنفي، لأن في الاستفهام ضرباً من الجحد، كأنه قيل ما آمنت أهل قرية من القرى المشرفة على الهلاك فنفعهم إيمانهم إلا قوم يونس فيكون قوله تعالى: ﴿لما آمنوا﴾ استئنافاً لبيان نفع إيمانهم وفيه دلالة

على أن الإيمان المقبول هو الإيمان بالقلب. وفي «المثنوي»:

بندكى درغيب آمدخوب وكش حفظ غيب آيد در استبعاد خوش
طاعت وايمان كنون محمود شد بعد مرك اندرعيان مردود شد

- روي - أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من أرض الموصل، وهو بكسر النون الأولى وفتح الثانية، وقيل بضمها قرية على شاطىء دجلة في أرض الموصل وهو بفتح الميم وكسر الصاد المهملة اسم بلدة فدعاهم إلى الله تعالى مدة فكذبوه وأصروا عليه فضاق صدره، فقال: اللهم أن القوم كذبوني فأنزل عليهم نقمتك وذلك أنه كان في خلقه ضيق، فلما حملت عليه أثقال النبوة تفسخ تحتها، وقد قالوا: لا يستطيع حمل أثقال النبوة إلا أولو العزم من الرسل.

وهم نوح وهود وإبراهيم ومحمد عليهم السلام. أما نوح فلقوله ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٧١] الآية وقد سبق، وأما هود فلقوله ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِۦۖ﴾ [هود: ٥٤-٥٥] الآية، وأما إبراهيم فلقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة: ٤]. وأما محمد فلقول الله تعالى له ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] فصبر فقيل له: أخبرهم أن العذاب مصبحهم بعد ثلاث أو بعد أربعين.

قال الكاشفي: [يونس ايشانرا خبر داد ازميان قوم يونس بيرون رفته در شكاف كوهى پنهان شد چون زمان موعود نزديك رسيد حق تعالى بمالك دوزخ خطاب كردكه بمقدار شعيرهٔ از سموم دوزخ باين قوم فرست مالك فرمان إلهي بجا آورد وآن سموم بصورت ابرسياه بادود غليظ وشرارهٔ آتش بيامده كرد مدينهٔ نينوى رافراكرفت أهل آن شهرد انستندكه يونس راست كفته روى بملك خود آوردندواو مرد عاقل بودفر مودكه يونس را طلب كنيد چندانكه طلبيد ندنيا فتند ملك كفت اكر يونس برفت خدائى كه مارا بدو دعوت ميكرد باقيست ودانا وشنوا اكنون هيچ چارهٔ نيسست الا آنكه عجز وشكستى وتضرع بدركاه او بريم پس ملك سر وپا برهنه پلاسى درپوشيد ورعايا بهمين صورت روى بصحر انهادن مردوزن وخرد وبزرك خروش وفرياد دركرفتند كودكانرا ازمادران جدا كردند] قال: في «الكواشي»: فحنّ بعضهم إلى بعض وعجوا وتضرعوا واختلطت أصواتهم وفعلوا ذلك ليكون أرق لقلوبهم، وأخلص للدعاء وأقرب إلى الإجابة، وترادوا المظالم حتى كان الرجل يقلع الحجر قد وضع عليه بنيانه فيرده، وقالوا: جملة بالنية الخالصة: آمنا بما جاء به يونس أو قالوا: يا حي حين لا حي محيي الموتى ويا حي لا إله إلا أنت أو قالوا: اللهم أن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل.

من اميد وارم زلطف كريم كه خوانم كنه پيش عفو عظيم

افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله. [واز أول ذي الحجة تا عاشر محرم برين وجه مى ناليدند ودرين چهل روزه از افغان وناله نيا سوده در ماندكى وبيچاركى بموقف عرض مير سانيدند]

چارهٔ ما سازكه بى يا وريم كر توبرانى بكه رو آوريم
بى طربيم ازهمه سازندهٔ جز تو نداريم نوازندهٔ
پيش توكربى سرو پا آمديم هم باميد توخدا آمديم

[قومي ميكفتند خداوندا يونس مارا كفته بودكه خداى من كفته بند كان بخريد وآزاد كنيد ما بندكان توايم توبكرم خودمارا از عذاب آزادكن. جماعتي ديكرمى ناليدندكه الهنا مارا يونس خبر دادكه توخداوند فرموده، كه بيچاركان ودرماند كانرا دستكيرى ما بيچاره ودر مانده ايم بفضل خود مارا دستكير بعض ديكر بعرض مير سانيد ندكه اي پرورد كار ما يونس از قول توميفر مودكه هركه برشما ستم كند ازو دركذرانيد خدايا ما بكناه برخود ستم كرده ايم از ما عفوكن برخي ديكر بدين كونه اداميكر دندكه خدايا يونس ما راى كفت كه پروردكار من كفته است كه سائلا نرا رد مكنيد ما سائلان روى بدركاه كرمت آورده ايم مارا رد مكن.

ما تهى دستان بر آورديم دستى دردعا نقد فيضى نه برين دست كنهكاران همه

قاضي حاجات درويشان ومحتاجان توئى پس رواكن ازكرم حاجات بسيارهمه

القصة روز چهلكم كه آذينه بود وعاشورا أثر مناجات دلسوز ايشان ظهور نموده برات نجات ازديوان رحمت نوشته شد وظلمت سحاب مرتفع كشته ابر رحمت سايه، رأفت بر مفارق ايشان افكنده يونس بعد از چهل روز متوجه نينوى كشته ميخواست كه از حال قوم خبر كيرد چون بنزديك شهر رسيد وبر صورت واقعه مطلع شد ملال بسيار برو غلبه كرده باخود كفت من ايشانرا بعذاب ترسانيدم وعذاب بر رحمت مبدل شد اكر من بدين شهر روم مرا بكذب نسبت دهند] فذهب مغاضباً، ونزل السفينة فلم تسر فقال لهم: أن معكم عبداً آبقاً من ربه، وأنها لا تسير حتى تلقوه في البحر، وأشار إلى نفسه فقالوا: لا نلقيك يا نبي الله أبداً فاقترعوا فخرجت القرعة عليه ثلاث مرات فألقوه فالتقمه الحوت، وقيل: قائل ذلك بعض الملاحين وحين خرجت القرعة عليه ثلاثاً ألقى نفسه في البحر.

قال الشعبي: التقمه الحوت ضحوة يوم عاشوراء، ونبذه عشية ذلك اليوم أي: بعد العصر وقاربت الشمس الغروب وفيه بيان فضيلة يوم عاشوراء فإنه الذي كشف الله العذاب فيه عن قوم يونس وأخرج يونس من بطن الحوت وأزال عنه ذلك الابتلاء ـ حكي ـ أنه هرب أسير من الكفار يوم عاشوراء فركبوا في طلبه فلما رأى الفرسان خلفه وعلم أنه مأخوذ رفع رأسه إلى السماء، وقال: اللهم بحق هذا اليوم المبارك أسألك أن تنجيني منهم فأعمى الله أبصارهم جميعاً حتى تخلص منهم فصام ذلك اليوم فلم يجد شيئاً يفطر ويتعشى به فنام فأطعم وسقي في المنام فعاش بعد ذلك عشرين سنة لم يكن له حاجة إلى الطعام والشراب كما في «روضة العلماء». ومن صامه أعطاه الله ثواب عشرة آلاف ملك، وثواب عشرة آلاف حاج، ومعتمر، وثواب عشرة آلاف شهيد كما في «تنبيه الغافلين».

ذكر أن الله عز وجل يخرق ليلة عاشوراء زمزم إلى سائر المياه فمن اغتسل يومئذ أمن من المرض في جميع السنة كما في «الروض الفائق». والمستحب في ذلك اليوم فعل الخيرات من الصدقة والصوم والذكر وغيرها ولا يجعل ذلك يوم عيداً أو يوم مأتم كالشيعة والروافض والناصبة كما في «عقد الدرر». والاكتحال ونحوه وإن كان له أصل صحيح لكن لما كان شعاراً لأهل البدعة صار تركه سنة كالتختم باليمين فإنه لما كان شعار أهل البدعة صار السنة أن يجعل في يخنصر اليد اليسرى في زماننا كما في «شرح القهستاني».

﴿ولو شاء ربك﴾ إيمان من في الأرض من الثقلين **﴿لآمن من في الأرض كلهم﴾** بحيث لا يشذ منهم أحد **﴿جميعاً﴾** مجتمعين على الإيمان لا يختلفون لكنه لا يشاؤه لكونه مخالفاً

للحكمة التي عليها بني أساس التكوين والتشريع فشاء أن يؤمن به، من علم منه أنه لا يختار الكفر وأن لا يؤمن به من علم منه أنه لا يؤمن به تكميلاً لحكم القبضتين وتحصيلاً لأهل النشأتين، وجعل الكل مستعداً ليصح التكليف عليهم، وكان عليه السلام حريصاً على إيمان قومه شديد الاهتمام به، لأن نشأة الكامل حاملة للرحمة الكلية بحيث لا يريد إلا ايمان الكل ومغفرته ـ كما حكي ـ أن موسى عليه السلام حين قصد إلى الطور لقي في الطريق ولياً من أولياء الله تعالى فسلم عليه، فلم يرد سلامه فلما وصل إلى محل المناجاة قال: إلهي سلمت على عبد من عبادك فلم يرد علي سلامي قال الله تعالى: يا موسى إن هذا العبد لا يكلمني منذ ستة أيام قال موسى: لم يا رب قالا لأنه كان يسأل مني أن أغفر لجميع المذنبين وأعتق العصاة من عذاب جهنم أجمعين فما أجبت لسؤاله فما كلمني منذ ستة أيام كذا في «الواقعات المحمودية».

والحاصل: أن الله تعالى لما رأى من حبيبه عليه السلام ذلك الحرص أنزل هذه الآية وعلق إيمان قومه على مشيئته وقال له ﴿**أفأنت**﴾ أي: أربك لا يشاء ذلك فأنت ﴿**تكره الناس**﴾ على ما لم يشأ الله منهم ﴿**حتى يكونوا مؤمنين**﴾ ليس ذلك إليك كما في «الكواشي» فيكون الإنكار متوجهاً إلى ترتيب الإكراه المذكور على عدم مشيئته تعالى كما في «الإرشاد». وفي إيلاء الاسم حرف الاستفهام إيذان بأن أصل الفعل وهو الاكراه أمر ممكن مقدور لكن الشأن في المكره من هو؟ وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه، لأنه القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرهم إلى الإيمان وذلك غير مستطاع للبشر.

وقال السيد الشريف في «شرح المفتاح»: المقصود من قوله: ﴿**أفأنت تكره الناس**﴾ إنكار صدور الفعل من المخاطب لا إنكار كونه هو الفاعل مع تقرر أصل الفعل انتهى والتقديم لتقوية حكم الإنكار كما في «حواشي سعدي المفتي».

قال الكاشفي: [اين آيت منسوخ است بآيت قتال].

وقال في «التبيان»: والصحيح أنه لا نسخ لأن الإكراه على الإيمان لا يصح لأنه عمل القلب.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿**وما كان**﴾ أي: وما صح وما استقام ﴿**لنفس**﴾ من النفوس التي علم الله أنها تؤمن ﴿**أن تؤمن**﴾ في حال من أحوالها ﴿**إلا بإذن الله**﴾ أي: إلا حال كونها ملابسة بإذنه تعالى وتسهيله وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فإنه إلى الله. قال الحافظ:

رضا بداده بده وزجين كره بكشاى   كه بر من وتودر اختيار نكشادست

﴿**ويجعل الرجس**﴾ أي: الكفر بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس الذي هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره لكونه علماً في القبح والاستكراه، أي: يجعل الكفر ويبقيه ﴿**على الذين لا يعقلون**﴾ لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات، فلا يحصل لهم الهداية التي عبر عنها بالإذن فيبقون مغمورين بقبائح الكفر والضلال.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**ويجعل الرجس**﴾ أي: عذاب الحجاب ﴿**على الذين لا يعقلون**﴾ سنة الله في الهداية والخذلان فإن سنته أن تهتدي العقول المؤيدة بنور الإيمان إلى توحيد الله ومعرفته، ولا تهتدي العقول المجردة عن نور الإيمان إلى ذلك، وهذا رد على الفلاسفة فإنهم

يحسبون أن للعقول المجردة عن الإيمان سبيلاً إلى التوحيد والمعرفة انتهى. قال الحافظ:

اي كه از دفتر عقل آيت عشق آموزى ترسيم ابن نكته تحقيق ندانى دانست

﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَٰتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَانتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

﴿قل انظروا﴾ تفكروا يا أهل مكة ﴿ماذا﴾ مرفوع المحل على الابتداء ﴿في السموات والأرض﴾ خبره، أي: أيُّ شيء بديع فيهما من عجائب صنعه، الدالة على وحدته وكمال قدرته، فماذا جعل بالتركيب اسماً واحداً مغلباً فيه الاستفهام على اسم الإشارة، ويجوز أن يكون اسمين بمعنى ما الذي على أن تكون ما استفهامية مرفوعة على الابتداء، والظرف صلة الذي، والجملة خبر للمبتدأ وعلى التقديرين فالمبتدأ والخبر في محل النصب بإسقاط الخافض وفعل النظر معلق بالاستفهام ﴿وما﴾ نافية ﴿تغني الآيات والنذر﴾ جمع نذير على أنه فعيل بمعنى منذر، أو على أنه مصدر، أي: لا تنفع الآيات الأنفسية والآفاقية الدالة على الوحدانية والرسل المنذرون أو الإنذارات شيئاً. ﴿عن قوم لا يؤمنون﴾ في علم الله تعالى وحكمه.

﴿فهل ينتظرون﴾ أي: فما ينتظر كفار مكة وأضرابهم ﴿إلا مثل أيام الذين خلوا﴾ أي: إلا يوماً مثل أيام الذين مضوا ﴿من قبلهم﴾ من مشركي الأمم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود، وأصحاب الأيكة، وأهل المؤتفكة، أي: مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم، إذ لا يستحقون غيره وهم ما كانوا منتظرين لذلك، ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر، شبهوا بالمنتظر، والعرب تسمي العذاب والنعم أياماً وكل ما مضى عليك من خير وشر فهو أيام ﴿قل﴾ تهديداً لهم ﴿فانتظروا﴾ ما هو عاقبتكم من العذاب ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ لذلك أو فانتظروا إهلاكي إني معكم من المنتظرين لهلاككم، فإن العاقبة للمتقين على ما هي السنة القديمة الإلهية.

﴿ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا﴾ عطف على محذوف دل عليه قوله: ﴿مثل أيام الذين خلوا﴾ كأنه قيل: نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم عند نزول العذاب على حكاية الحال الماضية، فإن المراد أهلكنا ونجينا، ﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك الانجاء ﴿حقاً علينا﴾ اعتراض بين الفعل ومعموله ونصبه بفعله المقدر، أي: حق ذلك حقاً. ﴿ننجي المؤمنين﴾ من كل شدة وعذاب ولم يذكر إنجاء الرسل إيذاناً بعدم الحاجة إليه.

وفيه تنبيه على أن مدار النجاة هو الإيمان، وهذه سنة الله تعالى في جميع الأمم فإن الله تعالى كما أنجى الرسل المتقدمين ومن آمن بهم وأنجز ما وعد لهم، كذلك أنجى رسول الله ﷺ ومن معه من أصحابه وحقق لهم ما وعد لهم، وسينجي إلى قيام الساعة جميع المؤمنين من أيدي الكفرة وشرورهم ما دام الشرع باقياً والعمل به قائماً. قال السعدي قدس سره:

محالست چون دوست دارد ترا دردست دشمن كذارد ترا

وأقل النجاة الموت، فإن الموت تحفة المؤمن، ألا ترى إلى قوله عليه السلام حين مرّ بجنازة: مستريح أو مستراح منه، فالأول: هو الرجل الصالح يتخلص من تعب الدنيا ويستريح

في البرزخ بالثواب الروحاني وهو نصف النعيم، والثاني: هو الرجل الفاسق يستريح بموته الخلق ويتخلصون بموته من أذاه ويصل هو إلى العذاب الروحاني البرزخي وهو نصف الجحيم نعوذ بالله تعالى منه.

والحديث المناسب لآية الانتظار والإنجاء قوله ﷺ: «أفضل العبادة انتظار الفرج» وذلك لأن فيه استراحة القلب وثواب الصبر إذ المؤمن المبتلي يعتقد أن المبتلى هو الله تعالى وأنه لا كاشف له إلا هو، وذلك يخفف ألم البلاء عنه ويهون عليه الصبر، فيرفع الجزع ويجد الاستراحة في قلبه بخلاف حال الجاهل الذي لا يخطر بباله أن ما يجري عليه إنما هو بقضاء الله وأن الله لطيف بعباده، إذ ربما يعتقد أنه لا يتخلص من بلائه أبداً، فينسب العجز إلى الله تعالى من حيث لا يحتسب، ويتقلب في ألم البلاء صباحاً ومساء فنعوذ بالله منه. قال الحافظ:

اي دل صبور باش مخور غم كه عاقبت اين شم صبح كردد واين شب سحر شود

وفي الحديث: «اشتدى أزمة تنفرجي» خاطب عليه السلام السنة المجدبة فقال: ابلغي في الشدة والمشقة الغاية تنكشفي، وفيه تنبيه على أن لا بقاء للمحنة في دار الدنيا كما لا بقاء للنعمة. والأزمة: القحط، والشدة: وقيل أزمة امرأة وقعت في الطلق فقال عليه السلام: أي أزمة اشتدي: يعني ابلغي في الشدة الغاية تنفرجي حتى تجدي الفرج عن قريب بالوضع، والعرب تقول: إذا تناهت الشدة انفرجت. وقد عمل أبو الفضل يوسف بن محمد الأنصاري المعروف بابن النحوي لفظ الحديث مطلع قصيدة في الفرج بديعة في معناها كذا في «المقاصد الحسنة» لخاتمة الحافظ والمحدثين الإمام السخاوي رحمه الله سبحانه.

﴿قل يا أيها الناس﴾ خطاب لأهل مكة ﴿إن كنتم في شك من ديني﴾ الذي أتعبد الله به وأدعوكم إليه ولم تعلموا ما هو وما صفته ﴿فلا أعبد﴾ أي: فأنا لا أعبد وإلا لا نجزم ﴿الذين تعبدون من دون الله﴾ في وقت من الأوقات ﴿ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم﴾ يقبض أرواحكم بواسطة الملك، ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون العذاب، أي: فاعلموا تخصيص العبادة به تعالى ورفض عبادة ما سواه من الأصنام وغيرها مما تعبدونه جهلاً وذلك لأن شكهم ليس سبباً لعدم عبادة الأوثان وعبادة الله بل سبب للإعلام والإخبار بأن الدين كذا، ومثله وما بكم من نعمة فمن الله فإن استقرار النعمة في المخاطبين ليس سبباً لحصولها من الله تعالى، بل الأمر بالعكس وأنما هو سبب للأخبار بحصولها من الله تعالى ﴿وأمرت أن﴾ أي: بأن ﴿أكون من المؤمنين﴾ وفي الانتقال من العبادة التي هي جنس من أعمال الجوارح إلى الإيمان والمعرفة دلالة على أنه ما لم يصر الظاهر مزيناً بالأعمال الصالحة لا يستقر في القلب نور الإيمان والمعرفة، فأن الله تعالى جعل أحكام الشريعة أساس المعرفة، فإذا زال الأساس زال ما بنى عليه، وأيضاً العمل لباس المعرفة فإذا انسلخت المعرفة عن هذا اللباس صارت كسراج على وجه الريح.

علم آبست وعمل سد چون سبو چون سبو بشكست ريزد آب ازو

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

﴿وأن أقم وجهك للدين﴾ عطف على أن أكون وأن مصدرية أي: موصول حرفي وصلته لا تجب أن تكون خبرية بخلاف الموصول الاسمي، والمعنى وأمرت بالاستقامة في الدين

والاشتداد فيه بأداء الفرائض والانتهاء عن القبائح كما في «تفسير القاضي».

قال ابن الشيخ: في «حواشيه» وفيه إشارة إلى أن إقامة الوجه للدين كناية عن توجيه النفس بالكلية إلى عبادة الله تعالى والإعراض عما سواه، فإن من أراد أن ينظر إلى شيء نظراً بالاستقصاء فإنه يقيم وجهه في مقابلته بحيث لا يلتفت يميناً ولا شمالاً، فإنه لو التفت إلى جهة بطلت تلك المقابلة واختل النظر المراد ولذلك كني بإقامة الوجه عن صرف القوي بالكلية إلى الدين انتهى.

قال في «الكواشي»: والمعنى كن مؤمناً وأخلص عملك لله:

عبادت باخلاص نيت نكوست وكرنه چه آيد زبى مغز پوست

﴿حنيفاً﴾ حال من الدين، أي: مائلاً عن الأديان الباطلة مستقيماً لا اعوجاج فيه بوجه ما، ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ اعتقاداً وعملاً عطف على أقم داخل تحت الأمر.

قال الإمام: من عرف مولاه لو التفت بعد ذلك إلى غيره كان ذلك شركاً، وهذا هو الذي تسميه أصحاب القلوب بالشرك الخفي. قال المغربي:

اكر بغير توكردم نكاه درهمه عمر بياد جرم غرامت زديده ام بستان

﴿ولا تدع﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [الأعراف: ١٥٨] غير داخل تحت الأمر ﴿من دون الله﴾ استقلالاً ولا اشتراكاً ﴿ما لا ينفعك﴾ إذا دعوته بدفع مكروه أو جلب محبوب. ﴿ولا يضرك﴾ إذا تركته بسلب المحبوب دفعاً أو رفعاً أو بإيقاع المكروه ﴿فإن فعلت﴾ أي: ما نهيت عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر ﴿فإنك إذاً من الظالمين﴾ الضارين بأنفسهم فإنه إذا كان ما سوى الحق معزولاً عن التصرف، كان إضافة التصرف إلى ما سوى الحق وضعاً للشيء في غير موضعه فيكون ظلماً فلا نافع ولا ضار إلا الحق وكل شيء هالك إلا وجهه.

خيال جمله جهانرا بنور چشم يقين بجنب بحر حقيقت سراب مى بينم

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾.

﴿وإن يمسسك الله بضر﴾ [واكر برساند خداي بتو مرضي يا شدتي يا فقري] ﴿فلا كاشف له﴾ عنك ﴿إلا هو﴾ وحده ﴿وإن يردك بخير﴾ [واكر خواهد بتوصحت وراحت وغنا] ﴿فلا راد﴾ فلا دافع ﴿لفضله﴾ من جملة ما أرادك به من الخير كائناً من كان فيدخل فيه الأصنام، وفيه إيذان بأن فيضان الخير منه تعالى بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه ولعل ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الأمرين للإيذان بأن الخير مراد بالذات، وأن الضر إنما يمس من يمسه لما يوجبه من الدواعي الخارجية لا بالقصد الأولي ولم يستثن مع الإرادة كما استثنى مع المس بأن يقول إلا هو لأنه قد فرض أن تعلق الخير به واقع بإرادة الله تعالى فصحة الاستثناء تكون بإرادة ضده في ذلك الوقت وهو محال، إذ لا يتعلق الإرادتان للضدين في وقت واحد بخلاف مس الضر فإن إرادة كشفه لا تستلزم المحال. ﴿يصيب به﴾ [ميرساند فضل خودرا] أي: بفضله الشامل لما أرادك به من الخير ولغيره. ﴿من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾ فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وهو الغفور﴾ يستر بنور وجهه ظلمة وجود الصديقين ﴿الرحيم﴾ يتقرب برحمته إلى الطالبين الصادقين وهم الذين دينهم عبادة الله وطاعته ومحبته وطلبه لا عبادة الهوى والدنيا وطاعتها ومحبتها.

وقال في «المفاتيح»: معنى الغفور يستر القبائح والذنوب بإسبال الستر عليها في الدنيا وترك المؤاخذة والعقاب عليها في الآخرة.

وحظ العارف من هذا الاسم أن يستر من أخيه ما يحب أن يستر منه وقد قال عليه السلام: «من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة» والمغتاب والمتجسس والمكافىء على الإساءة بمعزل عن هذا الوصف، وإنما المتصف به من لا يفشي من خلق الله إلا سن ما فيه ـ يروى ـ أن عيسى عليه السلام مر مع الحواريين بكلب ميت قد غلب نتنه، فقالوا: ما أنتن هذه الجيفة فقال عيسى عليه السلام: ما أحسن بياض أسنانها تنبيهاً على أن الذي ينبغي أن يذكر من كل شيء ما هو أحسن كما في شرح «الأسماء الحسنى» للإمام الغزالي: وقال في «المثنوي» في الاسم الرحيم:

بند كان حق رحيم وبردبار   خوى حق دارند در اصلاح كار
مهربان بى رشوتان يارى كران   در مقام سخت ودر روز كران

نسأل الله تعالى أن يفيض علينا سجال رحمته ويديم دوران كاسات فضله ومغفرته.

﴿قل﴾ لكفار مكة ﴿يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم﴾ وهو القرآن العظيم واطلعتم على ما في تضاعيفه من البينات والهدى لم يبق لكم عذر ولا عليه تعالى حجة. ﴿فمن اهتدى﴾ بالإيمان به والعمل بما في مطاويه ﴿فإنما يهتدي لنفسه﴾ أي: منفعة اهتدائه لها خاصة ﴿ومن ضل﴾ بالكفر به والإعراض عنه ﴿فإنما يضل عليها﴾ أي: فوبال الضلال مقصور عليها. والمراد تنزيه ساحة الرسول عن شائبة غرض عائد إليه عليه السلام من جلب نفع أو دفع ضر كما يلوح به إسناد المجيء إلى الحق من غير إشعار يكون ذلك بواسطة. ﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾ بحفيظ موكول إلى أمركم وإنما أنا بشير ونذير.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿قد جاءكم الحق من ربكم﴾ القرآن وهو الحبل المتين ﴿فمن اهتدى﴾ إلى الاعتصام به ﴿فإنما يهتدي لنفسه﴾ بأن يخلصها من أسفل السافلين ويعيدها إلى أعلى عليين مقاماً ﴿ومن ضل﴾ عن الاعتصام به ﴿فإنما يضل عليها﴾ لأنها تبقى في أسفل الدنيا بعيدة عن الله معذبة بعذاب البعد وألم الفراق ﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾ فأوصلكم إلى تلك المقامات والدرجات، وأخلصكم من هذه السفليات والدركات بغير اختياركم وإنما أنا مأمور بتبليغ الوحي والرسالة والتذكير والموعظة.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾.

﴿واتبع﴾ اعتقاداً وعملاً وتبليغاً. ﴿ما يوحى إليك﴾ على نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور المتأكد يوما فيوماً ﴿واصبر﴾ على دعوتهم وتحمل أذيتهم ﴿حتى يحكم الله﴾ يقضي لك بالنصر وإظهار دينك ﴿وهو خير الحاكمين﴾ إذ لا يمكن الخطأ في حكمه لإطلاعه على السرائر إطلاعه على الظواهر:

از سپيدي تاسياهى كيرو تالوح وقلم   يك رقم از خط حكمش وهو خيرا الحاكمين

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿وهو خير الحاكمين﴾ فيما حكم بقبول الدعوة والقرآن

والأحكام والعمل بها لمن سبقت له العناية الأزلية، وبرد الدعوة والقرآن والأحكام والعمل بها لمن أدركته الشقاوة الأزلية.

وقال في «المفاتيح»: ومرجع الاسم الحاكم إما إلى القول الفاصل بين الحق والباطل والبر والفاجر والمبين لكل نفس جزاء ما عملت من خير أو شر وإما إلى التمييز من السعيد والشقي بالإثابة والعقاب. وحظ العبد منه أن يستسلم لحكمه وينقاد لأمره فإن من لم يرض بقضائه اختياراً أمضي فيه إجباراً ومن رضي به طوعاً عاش راضياً مرضياً ويكفي لنا موعظة حال رسول الله ﷺ فإنه رضي بقضاء الله وصبر على بلائه فعاش حميداً وصار عاقبة أمره إلى النصرة. وفي «المثنوي»:

صد هزاران كيميا حق آفريد كيميايى همچو صبر آدم نديد
چونكه قبض آمد تو دروى بسط بين تازه باش وچين ميفكن برجبين
چشم كودك همچو خر در آخرست چشم عاقل درحساب آخرست
اودر آخر چرب مى بيند علف وين زقصاب آخرش بيند تلف
آن علف تلخست كين قصاب داد بهر لحم ما ترا زويى نهاد
صبرمي بيند زپرده اجتهاد روى چون كلنار وزلفين مراد

ومما وقع له ﷺ من الأذية ما حدث به عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله في المسجد وهو يصلي وقد نحر جزور وبقي فرثه، أي: روثه في كرشه فقال أبو جهل: ايكم يقوم إلى هذا القذر ويلقيه على محمد، فقام عقبة بن أبي معيط، وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبي عليه السلام وهو ساجد فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض من شدة الضحك فهممنا، أي: خففنا أن نلقيه عنه حتى جاءت فاطمة رضي الله عنها فألقته عنه وأقبلت عليهم تشتمهم وكان بجواره ﷺ جماعة منهم أبو لهب والحكم بن العاص بن أمية، وعقبة بن أبي معيط وكانوا يطرحون عليه الأذى فإذا طرحوه عليه أخذه عليه السلام وخرج به ووقف على بابه، ويقول يا ابن عبد مناف أي: جوار هذا؟ ثم يلقيه في الطريق وقال عليه السلام: مرة فيمن التزم أذية له من رؤساء قريش مخاطباً لأصحابه: «أبشروا فإن الله تعالى مظهر دينه ومتمم كلمته وناصر نبيه أن هؤلاء الذين ترون مما يذبح على أيديكم عاجلاً» فوقع كما قال: حيث ذبحهم الأصحاب بأيديهم يوم بدر وهذه الأذية لا يظن ظان أنها منقصة له عليه السلام، بل هي رفعة له ودليل على فخامة قدره وعلو مرتبته وعظيم رفعته ومكانته عند ربه لكثرة صبره عليه السلام وحلمه واحتماله مع علمه باستجابة دعائه ونفوذ كلمته عند الله تعالى وقد قال: «أشد الناس بلاء الأنبياء» عليهم السلام فالأنبياء كالذهب، والشدائد التي تصيبهم كالنار التي يعرض عليها الذهب فأن ذلك لا يزيد الذهب إلا حسناً فكذا الشدائد لا تزيد الأنبياء إلا رفعة وفي «المثنوي»:

طبع را كشتند در حمل بدي تا حمولي كربود هست ايزدى
اي سليمان درميان زاغ وباز حلم حق شو باهمه مرغان بساز
أي: دوصد بلقيس حلمت را زبون كه اهد قومي أنهم لا يعلمون

نسأل الله تعالى أن يثبتنا على الحق المبين، ويحكم لنا بالنصر على نفوسنا، وهو خير الحاكمين تمت سورة يونس بالإمداد الرحماني، والتأييد الرباني في اليوم الحادي عشر يوم الاثنين في ذي القعدة الشريفة من سنة اثنتين ومائة وألف ويتلوها سورة هود.

تفسير سورة هود

وهي مكية وآيها مائة وثلاث وعشرون أو اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قال في «التأويلات النجمية» قوله: ﴿بسم الله﴾ إشارة إلى الذات ﴿الرحمن﴾ يشير إلى صفة الجلال ﴿الرحيم﴾ إلى صفة الجمال. والمعنى أن هاتين الصفتين قائمتان بذاته جل جلاله وباقي الأسماء مشتملة على هاتين الصفتين وهمان من صفات القهر واللطف.

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾.

﴿الر﴾ أي: هذه السورة الرأي: مسماة بهذا الاسم فيكون خبر مبتدأ محذوف أو لا محل له من الإعراب مسرود على نمط تعديد الحروف للتحدي والإعجاز، وهو الظاهر في هذه السورة الشريفة، إذ على الوجه الأول يكون كتاب خبراً بعد خبر فيؤدي إلى أن يقال: هذه السورة كتاب وليس ذاك بل هي آيات الكتاب الحكيم كما في سورة يونس، وحمل الكتاب على المكتوب أو على البعض تكلف، وهو اللائح بالبال قالوا: الله أعلم بمراده من الحروف المقطعة فإنها من الأسرار المكتومة كما قال الشعبي: حين سئل عنها سر الله فلا تطلبوه، والله تعالى لا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول، أو وارث رسول. وفي الحديث: «إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله» رواه أبو منصور الديلمي وأبو عبد الرحمن السلمي كما في «الترغيب».

قال الرقاشي: هي أسرار الله يبديها إلى أمناء أوليائه وسادات النبلاء من غير سماع، ولا دراسة، وهي من الأسرار التي لم يطلع عليها إلا الخواص كما في «فتح القريب».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: حفظت من رسول الله وعاءين فأما أحدهما «فبثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم».

قال البخاري: البلعوم مجرى الطعام كما في «شرح الكردي» على الطريقة المحمدية.

وقال سلطان المفسرين والمؤولين: ابن عباس رضي الله عنهما: معنى ﴿الر﴾ أنا الله أرى [منم خداي كه مي بينم طاعت مطيعاً نرا ومعصيت عاصياً نرا وهركس را مناسب عمل أو جزا خواهم داد پس اين كلمه مشتمل است بروعد ووعيد كما في «تفسير الكاشفي»] ويقال: الألف آلاؤه واللام لطفه والراء ربوبيته كما في «تفسير أبي الليث» وسيأتي في «التأويلات» غير هذا ﴿كتاب﴾ أي: هذا القرآن كتاب كما ذهب إليه غير واحد من المفسرين. ﴿أحكمت آياته﴾ نظمت نظماً محكماً لا يعتريه نقض ولا خلل لفظاً ومعنى كالبناء المحكم المرصف أو منعت

من النسخ بمعنى التغيير مطلقاً. وفي «المثنوي»:

مصطفى را وعده كرد ألطاف حق كر بميرى تو نميرد اين سبق

كس نتاند بيش وكم كردن درو تو به ازمن حافظي ديكر مجو

هست قرآن مرترا همچون عصا كفر هارا دركشد چون اژدها

تو اكر درزير حاكى خفتهٔ چون عصايش دان تو آنچه كفتهٔ

قاصد انرا برعصايت دست نى توبخسب اي شه مبارك خفتني

﴿ثم فصلت﴾ يقال عقد مفصل إذا جعل بين كل لؤلؤتين خرزة. والمعنى زينت آياته بالفوائد كما تزين القلائد بالفرائد أي: ميزت وجعلت تفاصيل في مقاصد مختلفة ومعان متميزة من العقائد والأحكام والمواعظ والأمثال وغير ذلك، وثم للتفاوت في الحكم أي: الرتبة لا للتراخي في الوجود والوقوع في الزمان أو للتراخي في الأخبار لا في الوقت، فإن الشائع في الجمل أن يراد بها نفس مفهومها، إلا أنه قد يراد بها الأخبار بمفهومها كما تقول فلان كريم الأصل، ثم كريم الفعل والمراد بالتراخي مجرد الترتيب مجازاً لظهور أن حقيقة التراخي منتفية بين الإخبارين ضرورة أن الإخبار بالتفصيل وقع عقيب الإخبار بالأحكام، أو يقال: بوجود التراخي باعتبار ابتداء الخبر الأول وانتهاء الثاني والفعلان من قبيل قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل يعني أنه لم يكن البعوض كبيراً أولاً، ثم جعله الله صغيراً لكنه كان ممكناً فنزل هذا الإمكان منزلة الوجود كما في «شرح الهندي» على الكافية ﴿من لدن حكيم خبير﴾ صفة ثانية للكتاب وصف أولاً بجلالة الشأن من حيث الذات ثم وصف من حيث الإضافة، ولدن بمعنى عند لكنها مختصة بأقرب مكان وعند للبعيد والقريب، ولهذا تقول: عندي كذا لما تملكه حضرك أو غاب عنك، ولا تقول لدي كذا إلا لما هو بحضرتك. والحكيم الخبير هو الله تعالى، حكيم فيما أنزل خبير بمن أقبل على أمره أو أعرض عنه.

﴿أن لا تعبدوا إلا الله﴾ مفعول له حذف منه اللام مع فقدان الشرط أعني كونه فعلاً لفاعل الفعل المعلل بناء على القياس المطرد في حذف حرف الجر مع أن المصدرية كأنه قيل كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لأجل ﴿أن لا تعبدوا إلا الله﴾، أي: تتركوا يا أهل مكة عبادة غير الله وتتمحضوا في عبادته دل على أن لا مقصود من هذا الكتاب الشريف إلا هذا الحرف الواحد فكل من صرف عمره إلى سائر المطالب فقد خاب وخسر. ﴿إنني لكم منه نذير وبشير﴾ كلام على لسان الرسول ﷺ. قوله: منه، إما حال من نذير وبشير أي: كائناً من جهة الله تعالى أو متعلق بنذير أي: أنذركم من عذابه أن كفرتم، أي: بقيتم على الكفر وعبادة غير الله تعالى وأبشركم بثوابه أن آمنتم، وتقديم النذير لأن التخويف هو الأهم، إذ التخلية قبل التحلية.

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣﴾.

﴿وأن استغفروا ربكم﴾ عطف على أن لا تعبدوا، سواء كان نهياً أو نفياً وأن مصدرية وسوغ سيبويه أن توصل أن بالأمر والنهي لأن الأمر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الأفعال، والاستغفار طلب المغفرة وهي أن يستر على العبد ذنوبه في الدنيا ويتجاوز عن عقوبته في العقبى ﴿ثم توبوا إليه﴾ ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها كما في «بحر العلوم» للسمرقندي.

وقال في «الإرشاد»: المعنى فعل ما فعل من الأحكام والتفصيل لتخصوا الله بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم من الشرك ثم ترجعوا إليه بالطاعة، انتهى. فثم أيضاً على بابها في الدلالة على التراخي الزماني ويجوز أن يكون ثم لتفاوت ما بين الأمرين وبعد المنزلة بينهما من غير اعتبار تعقيب وتراخ، فإن بين التوبة وهي انقطاع العبد إليه بالكلية وبين طلب المغفرة بونا بعيداً كذا ذكره الرضي.

قال الفراء: ثم ههنا بمعنى الواو، لأن الاستغفار توبة انتهى.

يقول الفقير: فرقوا بينهما كما قال الحدادي: عند قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١١٠] أي: بالتوبة الصادقة وشرطت التوبة؛ لأن الاستغفار لا يكون توبة بالإجماع ما لم يقل معه تبت، وأسأت ولا أعود إليه أبداً فاغفر لي يا رب ﴿يمتعكم متاعاً حسناً﴾ انتصابه على أنه مصدر بمعنى تمتيعاً حذف منه الزوائد. والتمتيع جعل الشخص متمتعاً منتفعاً بشيء. والمعنى يعيشكم عيشاً مرضياً لا يفوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينغصه شيء من المكدرات ﴿إلى أجل مسمى﴾ إلى آخر الأعمار المقدرة وتموتوا على فرشكم ـ كما حكي ـ أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام قل لفرعون أن آمنت بالله وحده عمرك في ملك وردك شاباً طرياً، فمنعه هامان وقال: له أنا أردك شاباً طرياً فأتاه بالوسمة فخضب لحيته بها، وهو أول من خضب بالسواد، ولذا كان الخضاب بالسواد حراماً.

وقال العتبي: أصل الامتاع الإطالة فيقال: جبل ماتع وقد متع النهار إذا طال. والمعنى لا يهلككم بعذاب الاستئصال إلى آخر أيام الدنيا.

وههنا سؤالان: الأول أن قوله عليه السلام: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» وقوله: «وخص البلاء بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل» ونحوهما يدل على أن نصيب المطيع عدم الراحة في الدنيا فكيف يكون في أمن وسعة إلى حين الموت، والجواب أن من ربط قلبه بالله ورضي بما قضاه الله في حقه حي حياة طيبة ولذا قال بعضهم: ﴿متاعاً حسناً﴾ [رضاست برانچه هست ازنعمت وصبر برانچه رونمايد ازسخت] ومن ربط قلبه بالأسباب كان أبداً في ألم الخوف من فوات محبوبه فيتنغص عيشه ويضطرب قلبه وكون الدنيا سجناً إنما هو بالإضافة إلى ما أعد للمؤمن من نعيم الآخرة وهو لا ينافي الراحة في الجملة ـ كما حكي ـ أنه كان قاض من أهل بغداد ماراً بزقاق كلخان مع خدمه وحشمه كالوزير فطلع الكلخاني في صورة جهنمي رث الهيئة كان القطران يقطر من جوانبه فأخذ بلجام بغلة القاضي فقال: أيد الله القاضي ما معنى قول نبيكم «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» أما ترى أن الدنيا جنة لك وأنت مؤمن محمدي والدنيا سجن لي وأنا كافر يهودي فقال: القاضي الدنيا وما ترى من زينتها وحشمتها سجن للمؤمنين بالنسبة إلى الجنة وما أعد لهم فيها من الدرجات وجنة للكافرين بالنسبة إلى جهنم وما أعد لهم فيها من الدركات فعقل اليهودي فاسلم وأخلص. والثاني: أن قوله تعالى: ﴿إلى أجل مسمى﴾ يدل على أن للعبد أجلين كما قال الكعبي: إن للمقتول أجلين أجل القتل وأجل الموت وإن المقتول لو لم يقتل لعاش إلى أجله الذي هو أجل الموت وكما قال الفلاسفة: إن للحيوان أجلاً طبيعياً هو وقت موته لتحلل رطوبته وانطفاء حرارته الغريزيتين وأجلاً اخترامياً بحسب الآفات والأمراض. والجواب أن الأجل واحد عند أهل السنة والجماعة، فإن الأرزاق والأعمار وإن كانت متعلقة بالأعمال كالاستغفار والتوبة في هذه الآية وكالصلة في قوله «صلة

الرحم تزيد العمر» لكنها مسماة بالإضافة في كل أحد بناء على علم الله باشتغاله بما يزيد في العمر من القرب فلا يثبت تعدد الأجل ﴿ويؤت كل ذي فضل﴾ في الأعمال والأخلاق والكمالات ﴿فضله﴾ والضمير راجع إلى «كل» أي: جزاء فضله من الثواب والدرجات العالية ولا يبخس منه.

قال سعيد بن جبير: في هذه الآية من عمل حسنة كتب له عشر حسنات، ومن عمل سيئة كتب عليه سيئة واحدة، فإن لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من العشرة واحدة وبقيت له تسع حسنات. [وجور جاني كفته كه ذو فضل آنست كه درديوان ازل بنام اونشان فضل نوشته باشند وهر آينه بعد از وجود بدان شرف خواهد رسيد آنراكه بدادندا زو بازنكيرند ﴿وإن تولوا﴾ أي: تتولوا أو تعرضوا عما ألقي إليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة وتستمروا على الإعراض، وإنما أخر عن البشارة جرياً على سنن تقدم الرحمة على الغضب ﴿فإني أخاف عليكم﴾ بموجب الشفقة والرحمة أو أتوقع ﴿عذاب يوم كبير﴾ شاق وهو يوم القيامة قال في «التبيان»: وهو كبير لما فيه من الأهوال فوصف بوصف ما يكون فيه.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾

﴿إلى الله مرجعكم﴾ أي: رجوعكم بالموت ثم بالبعث للجزاء في مثل ذلك اليوم لا إلى غيره وهو شاذ عن القياس؛ لأن المصدر الميمي من باب ضرب قياسه أن يجيء بفتح العين وهو لا يمنع الفصاحة نحو ويأبى الله ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ فيقدر على تعذيبكم إذ من جملة مقدوراته العذاب والثواب.

واعلم أن الآية تدل على فضل التوحيد وشرف الاستغفار ألا يرى أن الموحد المستغفر كيف ينال العيش الطيب في الدنيا والدرجات العالية في العقبى فهما مفتاح سعادة الدارين وفي الحديث: «لا إله إلا الله ثمن الجنة» وفي خبر آخر «مفتاح الجنة» وفي الخبر «قال آدم: يا رب إنك سلطت علي إبليس ولا استطيع أن أمتنع منه إلا بك قال الله تعالى: لا يولد لك ولد إلا وكلت عليه من يحفظه من مكر إبليس ومن قرناء السوء، قال: يا رب زدني قال: الحسنة عشر وأزيد والسيئة واحدة وأمحوها، قال: يا رب زدني، قال: التوبة مقبولة ما دام الروح في الجسد، قال: يا رب زدني قال الله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣] ثم الاستغفار لا يختص بكونه من الذنوب بل يكون من العبادة التي لا يؤتى بها على الوجه اللائق كما قال بعضهم: إن الصحابة كانوا يستغفرون من عبادتهم استقلالها وما يقع فيها. قال العرفي:

مالب آلوده بهر توبه بكشاييم ليك بانك عصيان ميزند ناقوس استغفار ما

وفي «التأويلات النجمية» قوله: ﴿الر﴾ يشير بالألف إلى الله وباللام إلى جبريل وبالراء إلى الرسول ﴿كتاب أحكمت آياته﴾ يعني القرآن كتاب أحكمت بالحكم آياته كقوله: ﴿ويعلمكم الكتاب والحكمة﴾ فالكتاب: هو القرآن، والحكمة: هي الحقائق والمعاني والأسرار التي أدرجت في آياته ﴿ثم فصلت﴾ أي: بينت لقلوب العارفين تلك الحقائق والحكم. ﴿من لدن حكيم﴾ أودع فيها الحكمة البالغة التي لا يقدر غيره على إيداعها فيها وهذا سر من أسرار إعجاز القرآن. ﴿خبير﴾ على تعليمها من لدنه لمن يشاء من عباده كقوله:

﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥﴾ [الكهف: ٦٥] يشير إلى أن للقرآن ظهراً يطلع عليه أهل اللغة وبطنا لا يطلع عليه إلا أرباب القلوب الذين أكرمهم الله بالعلم اللدني ورأس الحكمة وسرها أن تقول يا محمد لأمتك أمرتم. ﴿أن لا تعبدوا إلا الله﴾ أي: لا تعبدوا الشيطان ولا الدنيا ولا الهوى ولا ما سوى الله تعالى: ﴿إنني لكم منه نذير﴾ أنذركم بالقطيعة من الله تعالى أن تعبدوا وتطيعوا وتحبوا غيره وعذاب العبد في الجحيم ﴿وبشير﴾ أبشركم أن تعبدوه وتطيعوه وتحبوه بالوصول ونعم الوصال في دار الجلال وكان النبي عليه السلام مخصوصاً بالدعوة إلى الله من بين الأنبياء والمرسلين يدل عليه قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] ﴿وأن استغفروا ربكم﴾ فيما فرطتم من أيام عمركم في طلب غير الله وترك طلبه وتحصيل الحجب وإبطال الاستعداد الفطري ليكون الاستغفار تزكية لنفوسكم وتصفية لقلوبكم. ﴿ثم توبوا إليه﴾ ارجعوا بقدم السلوك إلى الله تعالى لتكون التوبة تحلية لكم بعد التزكية بالاستغفار، وهي قوله: ﴿يمتعكم متاعاً حسناً﴾ وهو الترقي في المقامات من السفليات إلى العلويات ومن العلويات، إلى حضرة العلي الكبير ﴿إلى أجل مسمى﴾ وهو انقضاء مقامات السلوك وابتداء درجات الوصول ﴿ويؤت كل ذي فضل﴾ ذي صدق واجتهاد في الطلب. ﴿فضله﴾ في درجات الوصول فإن المشاهدات بقدر المجاهدات، ﴿وإن تولوا﴾ تعرضوا عن الطلب والسير إلى الله ﴿ف﴾قل ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ عذاب يوم الانقطاع عن الله الكبير فإنه أكبر الكبائر وعذابه أعظم المصائب. ﴿إلى الله مرجعكم﴾ طوعاً أو كرهاً فإن كان بالطوع يتقرب إليكم بجذبات العنايات كما قال: «من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً» وإن كان بالكره تسحبون في النار على وجوهكم ﴿وهو على كل شيء﴾ من اللطف والقهر ﴿قدير﴾

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥﴾.

﴿ألا﴾ أي: تنبهوا أيها المؤمنون ﴿إنهم﴾ أي: مشركي مكة ﴿يثنون صدورهم﴾ من ثنى يثني أي: عطف وصرف. والمعنى يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والإعراض عن الحق وعداوة النبي ﷺ بحيث يكون ذلك مخفياً مستوراً فيها، كما تعطف الثياب على ما فيها من الأشياء المستورة. ﴿ليستخفوا منه﴾ الاستخفاء الاستتار، أي: ليختفوا ويستتروا من الله تعالى لجهلهم بما لا يجوز على الله تعالى - روي - عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في أخنس بن شريق الزهري وكان رجلاً حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله ﷺ المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها.

وقال ابن شداد: إنها نزلت في بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله ﷺ ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي عليه السلام فكأنه أنما كان يصنع ما يصنع لأنه لو رآه النبي عليه السلام لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدي ذلك إلى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق.

فإن قلت الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة؟.

قلت لك: أن تمنع ذلك، بل ظهوره إنما كان فيها ولو سلم فليكن هذا من باب الأخبار

عن الغيب وهو من جملة المعجزات. ﴿ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ أي: يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد وحين يأوون إلى فراشهم ويتدثرون ثيابهم وكان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى ثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي.

قال في «الكواشي»: حين توقيت للتغطي لا للعلم انتهى.

أي: لئلا يلزم تقييد علمه تعالى بسرهم وعلنهم بهذا الوقت الخاص وهو تعالى عالم بذلك في كل وقت، والجواب أنه تعالى إذا علم سرهم وعلنهم في وقت التغشية الذي يخفى فيه السر فأولى أن يعلم ذلك في غيره وهذا بحسب العادة وإلا فالله تعالى لا يتفاوت علمه بتفاوت أحوال الخلق ﴿يعلم ما يسرون﴾ أي: يضمرون في قلوبهم ﴿وما يعلنون﴾ بأفواههم وما مصدرية أي: إسرارهم وإعلانهم أو بمعنى الذي والعائد محذوف وقدم السر على العلن لأن مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن إذ ما من شيء يعلن إلا وهو أو مباديه قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه سبحانه بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية. ﴿إنه﴾ أي الله تعالى ﴿عليم بذات الصدور﴾ مبالغ في الإحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تفارقها أصلاً، فكيف يخفى عليه ما يسرون وما يعلنون.

اي كه در دل نهان كني سرى آنكه دل آفريد ميداند

ومعنى الآية: أن الذين اضمروا الكفر والعداوة لا يخفون علينا وسنجازيهم على ما أبطنوا من سوء أعمالهم حق جزائهم فحقه أن يتقي ويحذر ولا يجترىء على شيء مما يخالف رضاه:

صورت ظاهر ندارد اعتبار باطني بايد مبرا از غبار

واعلم أن إصلاح القلب أهم من كل شيء؛ إذ هو كالملك المطاع في إقليم البدن النافذ الحكم وظاهر الأعضاء كالرعية والخدم له والنفاق صفة من صفاته المذمومة وهو عدم موافقة الظاهر للباطن والقول للفعل.

وقال ناس لابن عمر: أنا لندخل إلى سلطاننا وأمرائنا فنقول: لهم: بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم فقال: كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ.

وقال حذيفة: إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد رسول الله، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: كانوا يومئذٍ يسرون واليوم يجهرون.

هركه سازد نفاق پيشهٔ خويش خوار كردد بنزد خالق وخلق

ومن آفات القلب العداوة.

وعن علي رضي الله عنه أنه قال العداوة شغل.

هركه پيشه كند عداوت خلق از همه خيرها جدا كردد
كه دلش خستهٔ عنا باشد كه تنش بستهٔ بلا كردد

وفي هذا المعنى قال حضرة الشيخ السعدي قدس سره:

دلم خانهٔ مهر يا رست وبس ازان جا نكنجد درو كين كس

وفي الآية إشارة إلى حال أهل الإنكار فإن كفار الشريعة كانوا يتغطون بثيابهم لئلا يسمعوا القرآن وكلام رسول الله ﷺ وكذا كفار الحقيقة لا يصغون إلى ذكر الصوفية بالجهر ولا يقبلون على استماع أسرار المشايخ وحقائق القرآن بل يثنون صدورهم ويظنون أن الله تعالى لا يعلم سرهم ونجواهم ولا يجازيهم على إعراضهم عن الحق وعداوتهم لأهله.

تم الجزء الحادي عشر في الثامن عشر من ذي القعدة من سنة اثنتين ومائة وألف

﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾.

﴿وما﴾ نافية ﴿من﴾ صلة ﴿دابة﴾ عام لكل حيوان يحتاج إلى الرزق صغيراً كان أو كبيراً ذكراً أو أنثى سليماً أو معيباً طائراً أو غيره لأن الطير يدب أي: يتحرك على رجليه في بعض حالاته ﴿في الأرض﴾ متعلق بمحذوف هو صفة لدابة أي: ما فرد من أفراد الدواب يستقر في قطر من أقطار الأرض ﴿إلا على الله رزقها﴾ غذاؤها ومعاشها اللائق لتكفله إياه تفضلاً ورحمة.

قال في «التبيان»: هو إيجاب كرم لا وجوب حق، انتهى. لأنه لا حق للمخلوق على الخالق ولذا قال: في «الجامع الصغير» يكره أن يقول الرجل في دعائه بحق نبيك أو بيتك أو عرشك أو نحوه إلا أن يحمل على معنى الحرمة كما في «شرح الطريقة».

وقال: في «بحر العلوم» إنما قال: على الله بلفظ الوجوب دلالة على أن التفضل رجع واجباً كنذور العباد.

وقال غيره: أتى بلفظ الوجوب مع أن الله تعالى لا يجب عليه شيء عند أهل السنة والجماعة اعتباراً لسبق الوعد وتحقيقاً لوصوله إليها البتة وحملاً للمكلفين على الثقة به تعالى في شأن الرزق، والإعراض عن إتعاب النفس في طلبه ففي كلمة على هنا استعارة تبعية شبه إيصال الله رزق كل حيوان إليه تفضلاً وإحساناً على ما وعده بإيصال من يوصله، وجوباً في انتفاء التخلف فاستعملت كلمة على [وكفته اند بمعنى من است يعني روزي همه ازخداست يا بمعنى إلى يعني روزي مفوض بخداي تعالى است اكر خواهد بسط كند واكر اراده نمايد قبض كند]. ﴿ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ يحتمل وجوهاً.

الأول: ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن مستقرها المكان الذي تأوي إليه ليلاً، أو نهاراً، أو تستقر فيه وتستكن ومستودعها الموضع الذي تدفن فيه إذا ماتت بلا اختيار منها كالشيء المستودع قال عبد الله: إذا كان مدفن الرجل بأرض أدته الحاجة إليها حتى إذا كان عند انقضاء أمره قبض فتقول الأرض يوم القيامة هذا ما استودعتني.

والثاني: مستقرها محل قرارها في أصلاب الآباء، ومستودعها موضعها في الأرحام وما يجري مجراها من البيض ونحوه، وسميت الأرحام مستودعاً، لأنها يوضع فيها من قبل شخص آخر بخلاف وضعها في الأصلاب فإن النطفة بالنسبة إلى الأصلاب في حيذها الطبيعي ومنشأها الخلقي.

والثالث: مستقرها مكانها من الأرض حين وجودها بالفعل، ومستودعها حيث تكون مودعة فيه قبل وجودها بالفعل من صلب أو رحم أو بيضة، ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الأخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة في الأرض.

والرابع: مستقرها في العدم يعلم أنه كيف قدرها مستعدة لقبول تلك الصورة المختصة بها ومستودعها لغرض تؤول إليه عند استكمال صورتها، وأيضاً يعلم مستقر روح الإنسان خاصة في عالم الأرواح لأنهم كانوا في أربعة صفوف كان في الصف الأول: أرواح الأنبياء وأرواح خواص الأولياء، وفي الصف الثاني: أرواح الأولياء وأرواح خواص المؤمنين، وفي

الصف الثالث: أرواح المؤمنين والمسلمين، وفي الصف الرابع أرواح الكفار والمنافقين ويعلم مستودع روحه عند استكمال مرتبة كل نفس منهم من دركات النيران، ودرجات الجنان إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر. ﴿كل﴾ أي: كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها. ﴿في كتاب مبين﴾ أي: مثبت في اللوح المحفوظ البين لمن ينظر فيه من الملائكة أو المظهر لما ثبت فيه للناظرين.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿في كتاب مبين﴾ أي: عنده في أم الكتاب الذي لا تغير فيه من المحو والإثبات انتهى.

وقد اتفقوا على أن أربعة أشياء لا تقبل التغير أصلاً، وهي: العمر، والرزق، والأجل، والسعادة أو الشقاوة.

فعلى العاقل أن لا يهتم لأجل رزقه ويتوكل على الله فإنه حسبه:

مكن سعديا ديده بر دست كس ... كه بخشنده پروردكارست وبس
اكر حق پرستى ز درها بست ... كه كروي براند نخواند كست

ـ روي ـ أن موسى عليه السلام عند نزول الوحي عليه بالذهاب إلى فرعون للدعوة إلى الإيمان تعلق قلبه بأحوال أهله قائلاً يا رب من يقوم بأمر عيالي؟ فأمره الله تعالى أن يضرب بعصاه صخرة فضربها فانشقت وخرج منها صخرة ثانية، ثم ضرب بعصاه عليها فانشقت وخرجت منها صخرة ثالثة، ثم ضربها بعصاه فخرجت منها دودة وفي فمها شيء يجري مجرى الغذاء لها، ورفع الحجاب عن سمع موسى فسمع الدودة تقول: سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني.

وعن أنس رضي الله عنه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ يوماً إلى المفازة في حاجة لنا فرأينا طيراً يلحن بصوت جهوري فقال عليه السلام: «أتدري ما يقول هذا الطير يا أنس»؟ قلت: الله ورسوله أعلم بذلك قال: «إنه يقول يا رب، أذهبت بصري وخلقتني أعمى فارزقني فإني جائع» قال: أنس فبينما نحن ننظر إليه إذ جاء طائر آخر وهو الجراد ودخل في فم الطائر فابتلعه ثم رفع الطائر صوته وجعل يلحن فقال عليه السلام: «أتدري ما يقول الطير يا أنس»؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: «إنه يقول الحمد لله الذي لم ينس من ذكره» وفي رواية: «من توكل على الله كفاه» كما في «إنسان العيون».

قيل: كان مكتوباً على سيف الحسين بن علي رضي الله عنه أربع كلمات، الرزق مقسوم، والحريص محروم، والبخيل مذموم، والحاسد مغموم، وفي الحديث: «من جاع أو احتاج وكتمه عن الناس وأفضى به إلى الله تعالى كان حقاً على الله أن يفتح له رزق سنة» كما في «روضة العلماء». وحقيقة التوكل في الرزق وغيره عند المشايخ الانقطاع عن الأسباب بالكلية ثقة بالله تعالى.

وهذا لأهل الخصوص فأما أهل العموم فلا بد لهم من التسبب. كما قال في «المثنوي»:

كر توكل ميكنى در كار كن ... كسب كن پس تكيه بر جبار كن

ثم رزق الإنسان يعم جسده وغذاء روحه. وفي «المثنوي»:

اين دهان بستى دهاني بازشد ... كو خورنده لقمهاى راز شد
كر ز شير ديو تن را وا برى ... در فطام أو بسى نعمت خورى

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾

﴿وهو الذي خلق السموات﴾ السبع، السماء الدنيا وهو فلك القمر من الموج المكفوف المجتمع وهو مقر أرواح المؤمنين، والسماء الثانية وهو فلك عطارد من درة بيضاء وهو مقر أرواح العباد، والسماء الثالثة وهو فلك الزهرة من الحديد وهو مقر أرواح الزهاد، والسماء الرابعة وهو فلك الشمس من الصفر وهو مقام أرواح أهل المعرفة، والسماء الخامسة وهو فلك المريخ من النحاس وهو مقام أرواح الأنبياء، والسماء السادسة وهو فلك المشتري من الفضة وهو مقام أرواح الأنبياء. والسابعة: وهو فلك زحل من الذهب وهو مقام أرواح الرسل وفوق هذه السموات الفلك الثامن وهو فلك الثوابت ويقال: له الكرسي وهو مقام أرواح أولي الحزم من الرسل وفوقه عرش الرحمن وهو مقام روح خاتم النبيين صلوات الله وسلامة عليهم أجمعين وجمع السموات لاختلاف العلويات أصلاً كما ذكرنا وذاتا لأنها سبع طبقات بين كل اثنتين منها مسيرة خمسمائة عام على ما ورد في الخبر وكذا ما بين السابعة والكرسي وبين الكرسي والعرش على ما نقل عن ابن مسعود رضي الله عنهما، قدم السموات لأنها منشأ أحكامه تعالى ومصدر قضاياه ومتنزل أوامره ونواهيه وأرزاقه ووعده ووعيده فإن ما يؤمرون به وينهون عنه وما يرزقونه في الدنيا وما يوعدونه في العقبى كله مقدر مكتوب في السماء ولأنها وما فيها من الآثار العلويات أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة على الكبرياء والعظمة ﴿والأرض﴾ أي: الأرضين السبع بدليل قوله السموات وأفردت فإن السفليات واحدة بالأصل والذات وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] أول بالأقاليم السبعة كما في «حواشي» سعدي المفتي وبين المشرق والمغرب خمسمائة عام كما بين السماء والأرض، وأكثر الأرض مفازة وجبل وبحار والقليل منها العمران ثم أكثر العمران أهل الكفر والقليل منها أهل الإيمان والإسلام، وأكثر أهل الإسلام أهل البدع والأهواء، وكلها على الضلالة والباطل، والقليل منهم على الحق، وهم أهل السنة والجماعة، وحول الدنيا ظلمة ثم وراء الظلمة جبل قاف وهو جبل محيط بالدنيا من زمردة خضراء وأطراف السماء ملتصقة به ووسط الأرض كلها عامرها وخرابها قبة الأرض وهو مكان تعتدل فيه الأزمان في الحر والبرد ويستوي فيه الليل والنهار أبداً لا يزيد أحدهما على الآخر ولا ينقص، وأما الكعبة فهي وسط الأرض المسكونة وأرفع الأرضين كلها إلى السماء مهبط آدم عليه السلام بأرض الهند وهو جبل عال يراه البحريون من مسافة أيام، وفيه أثر قدم آدم مغموسة في الحجر، ويرى على هذا الجبل كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ولا بد له في كل يوم من مطر يغسل قدمي آدم، وذروة هذا الجبل أقرب ذرى جبال الأرض إلى السماء كما في «إنسان العيون» ﴿في ستة أيام﴾ السموات في يومين والأرض في يومين وما عليها من أنواع الحيوان والنباتات وغير ذلك في يومين حسبما قيل في سورة ﴿حم﴾ السجدة ولم يذكر خلق ما في الأرض لكونه من تتمات خلقها. والمراد في ستة أوقات على أن يكون المراد باليوم يوم الشأن وهو الآن، وهو الزمان الفرد الغير المنقسم وقد مر تحقيقه، أو في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة فإن الأيام في المتعارف

زمان كون الشمس فوق الأرض ولا يتصور ذلك حين لا أرض ولا سماء، أو من أيام الآخرة كل يوم كألف سنة مما تعدون على ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي خلقها على التدريج مع أنه لو شاء لكان ذلك في أقل من لمح البصر حث على التأني في الأمور ولعل تخصيص ذلك بالعدد المعين باعتبار أصناف الخلق من الجماد والمعدن والنبات والحيوان والإنسان والأرواح. ﴿وكان عرشه﴾ العرش في أصل اللغة السرير والعرش المضاف إليه تعالى عبارة عن مخلوق عظيم موجود هو أعظم المخلوقات.

قال مقاتل: جعل الله تعالى للعرش أربعة أركان بين كل ركن وركن وجوه لا يعلم عددها إلا الله تعالى أكثر من نجوم السماء وتراب الأرض وورق الشجر ليس لطوله وعرضه منتهى لا يعلمه أحد إلا الله تعالى.

فإن قيل: لم خلق الله تعالى العرش وهو سبحانه لا حاجة له به؟

أجيب بوجوه. أحدها أنه جعله موضع خدمة ملائكته لقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥]. وثانيها: إنه أراد إظهار قدرته وعظمته كما قال مقاتل: السموات والأرض في عظم الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي مع السموات والأرض في عظم العرش كحلقة في فلاة وكلها في جنب عظمة الله تعالى كذرة في جنب الدنيا فخلقه كذلك ليعلم أن خالقه أعظم منه. وثالثها: إنه خلق العرش إرشاداً لعباده إلى طريق دعوته ليدعوه من الفوق لقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]. ورابعها: إنه خلقه لإظهار شرف محمد ﷺ وهو قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] وهو مقام تحت العرش. وخامسها: إنه جعله معدن كتاب الأبرار لقوله تعالى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨] وفيه تعظيم لهم ولكتابهم. وسادسها: إنه جعله مرآة الملائكة يرون الآدميين وأحوالهم كي يشهدوا عليهم يوم القيامة لأن عالم المثال والتمثال في العرش كالأطلس في الكرسي. وسابعها: إنه جعله مستوى الاسم الرحمن أي: محل الفيض والتجلي والإيجاد والأحدي كما جعل الشرع الذي هو مقلوبه مستوى الأمر التكليفي الإرشادي لا مستوى نفسه تعالى الله عن ذلك ﴿على الماء﴾ أي: العذب كما في «إنسان العيون».

قال كعب الأحبار: أصله ياقوتة خضراء فنظر إليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد من مخافة الله تعالى فلذلك يرتعد الماء إلى الآن وإن كان ساكناً ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها أي: ظهرها ثم وضع العرش على الماء وليس ذلك على معنى كون أحدهما على الآخر ملتصقاً بالآخر بل ممسك بقدرته كما في «فتح القريب».

قال الأصم: هذا كقولهم السماء على الأرض وليس ذلك على سبيل كون إحداهما ملتصقة بالأخرى، فالمعنى وكان عرشه تعالى قبل خلق السموات والأرض على الماء لم يكن حائل محسوس بينهما وإنما قلنا محسوس فإن بين السماء والأرض حائلاً هو الهواء لكن لما لم يكن محسوساً لم يعد حائلاً.

وفيه دليل على أن العرش والماء خلقا قبل السموات والأرض، والجمهور على أن أول ما خلق الله من الأجسام هو العرش ومن الأرواح الروح المحمدي الذي يقال له: العقل الأول والفلك الأعلى أيضاً. وفيه دليل أيضاً على إمكان الخلاء فإن الخلاء هو الفراغ الكائن بين الجسمين اللذين لا يتماسان وليس بينهما ما يماسهما، فإذا لم يكن بين العرش والماء حائل

يثبت الخلاء، والحكماء ذاهبون إلى امتناع الخلاء والمتكلمون إلى إمكانه.

قال في كتب الهيئة: مقعر سطح الفلك الأعظم يماس محدب فلك الثوابت ومحدبه لا يماس شيئاً إذ ليس وراءه شيء لا خلاء ولا ملاء بل عنده ينقطع امتدادات العالم كلها. وقيل من ورائه أفلاك من أنوار غير متناهية ولا قائل بالخلاء فيما تحت الفلك الأعظم بل هو الملاء.

وقال المولى أبو السعود رحمه الله: وكان عرشه قبل خلقهما على الماء ليس تحته شيء غيره سواء كان بينهما فرجة أو كان موضوعاً على متنه كما ورد في الأثر فلا دلالة فيه على إمكان الخلاء كيف لا؟ ولو دل لدل على وجوده لا على إمكانه فقط، ولا على كون الماء أول ما حدث في العالم بعد العرش وإنما يدل على أن خلقهما أقدم من خلق السموات والأرض من غير تعرض للنسبة بينهما انتهى.

قال الكاشفي: [در وقوف عرش برآب واستقرار آب برباد اعتبار عظيم است مراهان تفكررا ازعباد] ﴿ليبلوكم﴾ متعلق بخلق واللام لام العلة عقلاً ولام الحكمة والمصلحة شرعاً بمعنى أن الله تعالى فعل فعلاً لو كان يفعله من يراعي المصالح لم يفعله إلا لتلك المصلحة أي: خلق السموات والأرض وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها أنتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون إليه من مبادي وجودكم وأسباب معايشكم وأودع في تضاعيفهما من أعاجيب الصنائع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يبتليكم ويمتحنكم. ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ فيجازيكم بالثواب والعقاب بعد ما تبين المحسن من المسيء.

فإن قلت: الاختبار يتعلق بجميع العباد محسنين كانوا أو مسيئين وأحسن عملاً يخصصه بالمحسنين منهم لأن العمل الأحسن يخص بالمحسنين ولا يتحقق في أهل القبائح فيلزم أن يعتبر عموم الابتلاء وخصوصه معاً وهما متنافيان.

قلت: الابتلاء وإن كان يعم الفرق المكلفين إلا أن المراد خصوصه بالمحسنين تنبيهاً على أن المقصود الأقصى من خلق المخلوقات أن يتوسلوا بأحسن الأعمال إلى أجل المثوبات، وتحريضاً لهم على ترك القبائح والمنكرات، والمراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح، ولذلك فسره عليه السلام بقوله: «أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله» فإن لكل من القلب والقالب عملاً مخصوصاً به، فكما أن الأول أشرف من الثاني فكذا الحال في عمله فكيف لا ولا عمل بدون معرفة الله تعالى الواجبة على العباد وإنما طريقها النظري التفكر في عجائب صنعه، ولا طاعة بدون فهم الأوامر والنواهي، وقد روي عن النبي عليه السلام أنه قال: «لا تفضلوني على يونس بن متى، فإنه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض» قالوا: وإنما كان ذلك التفكر في أمر الله تعالى الذي هو عمل القلب لأن أحداً لا يقدر على أن يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل أهل الأرض وأما ذات الله تعالى فلا يسعها التفكر. وفي «المثنوي»:

بي تعلق نيست مخلوقي بدو ... آن تعلق هست بيچون اي عمو
اين تعلق را خرد چون ره برد ... بستهٔ فصلست ووصلست اين خرد
زين وصيت كرد مارا مصطفى ... بحث كم جوئيد در ذات خدا
آنكه درذاتش تفكر كردنيست ... در حقيقت آن نظر در ذات نيست
هست آن پندار او زيرا براه ... د هزا ران پرده آمد تا اله

وفي «التأويلات النجمية» الابتلاء على قسمين. قسم للسعداء وهو بلاء حسن وذلك أن السعيد لا يجعل المكونات مطلبه ومقصده الأصلي بل يجعل ذلك حضرة المولى والرفيق الأعلى ويجعل ما سوى المولى بإذن مولاه وأمره ونهيه وسيلة إلى القربات وتحصيل الكمالات فهو أحسن عملاً، وقسم للأشقياء وهو بلاء سيىء وذلك أن الشقي يجعل المكونات مطلبه ومقصده الأصلي ويتقيد بشهواتها ولذاتها ولم يتخلص من نار الحرص عليها والحسرة على فواتها ويجعل ما أنعم الله عليه به من الطاعات والعلوم التي هي ذريعة إلى الدرجات والقربات وسيلة إلى نيل مقاصده الفانية واستيفاء شهواته النفسانية فهو أسوء عملاً انتهى.

قال حضرة شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة: في بعض «تحريراته» نية الإنسان لا تخلو إما أن يكون متعلقها في لسانه وجنانه هو الدنيا فهو سيىء نية وعملاً وإما أن يكون متعلقها في لسانه هو الآخرة وفي جنانه هو الدنيا فهو أسوأ نية وعملاً، وإما أن يكون متعلقها في لسانه وجنانه هو الآخرة فهو حسن نية وعملاً الآخرة فهو حسن نية وعملاً وإما أن يكون متعلقها في لسانه وجنانه هو وجه الله تعالى فهو أحسن نية وعملاً فالأول حال الكفار والثاني حال المنافقين والثالث حال الأبرار والرابع حال المقربين وقد أشار الحق سبحانه إلى أحوال المقربين عبارة وإلى أحوال غيرهم إشارة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف: ٧] انتهى باجمال. قال الحافظ:

صحبت خور نخواهم كه بود عين قصور ... باخيال تواكر بادكرى بر دازم

اللهم اجعلنا من الفارين إليك والحاضرين لديك. ﴿ولئن قلت﴾ يا محمد لقومك وهم أهل مكة واللام لام التوطئة للقسم ﴿إنكم﴾ أيها المكلفون ﴿مبعوثون من بعد الموت﴾ يعني: يوم القيامة. ﴿ليقولن الذين كفروا﴾ منهم وهو جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه ﴿إن هذا﴾ ما هذا القرآن الناطق بالبعث. ﴿إلا سحر مبين﴾ أي: مثله في البطلان فإن السحر لا شك تمويه وتخييل باطل وإذا جعلوه سحراً فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨﴾.

﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب﴾ الموعود ﴿إلى أمة معدودة﴾ إلى طائفة من الأيام قليلة لأن ما يحصره العد قليل ﴿ليقولن﴾ أي: الكفار ﴿ما يحبسه﴾ أي: أيُّ شيء يمنع العذاب من المجيء والنزول فكأنه يريده فيمنعه مانع وإنما كانوا يقولونه بطريق الاستعجال استهزاء ومرادهم إنكار المجيء والحبس رأساً لا الاعتراف به والاستفسار عن حابسه. ﴿ألا﴾ [بدانيد] ﴿يوم يأتيهم﴾ العذاب كيوم بدر ﴿ليس مصروفاً عنهم﴾ أي: مدفوعاً عنهم، يعني: لا يدفعه عنكم دافع بل هو واقع بكم. ويوم منصوب بخبر ليس، وهو دليل على جواز تقديم خبر ليس، على ليس، فإنه إذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلاً على جواز تقديم خبرها إذ المعمول تابع للعامل فلا يقع إلا حيث يقع العامل. ﴿وحاق بهم﴾ ونزل بهم وأحاط وهو بمعنى يحيق فعبر عن المستقبل بلفظ الماضي تنبيهاً على تحقيق وقوعه ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: العذاب الذي كانوا يستعجلون به استهزاء.

واعلم أن السبب الموجب للعذاب كان الاستهزاء، والباعث على الاستهزاء كان الإنكار والتكذيب، والناس صنفان في طريق الآخرة صنف مبتاع نفسه من عذاب الله تعالى بالإيمان والأعمال الصالحة، وصنف مهلكها باتباع الهوى وترك الأعمال الصالحة والكفار أمنوا من عذاب الله تعالى وسخطه فوقعوا فيما وقعوا من العذاب العاجل والآجل وفي الحديث القدسي: «وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين إذا خافني في الدنيا آمنته يوم القيامة وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة» ولشدة الأمر قال الفضيل بن عياض: إني لا أغبط ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولا عبداً صالحاً أليس هؤلاء يعاينون القيامة وأهوالها وإنما أغبط من لم يخلق لأنه لا يرى أحوال القيام وشدائدها.

وعن السري السقطي: اشتهي أن أموت ببلدة غير بغداد مخافة أن لا يقبلني قبري فأفتضح عندهم.

فعلى العاقل أن يتدارك أمره قبل حلول الأجل كما قيل: [علاج واقعه پيش از وقوع بايدكرد] ويخاف من ربه ويستغفر من ذنبه ويحترز عن الإصرار وفي الحديث: «المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزىء بربه» والله تعالى يريد من كل جزء من أجزاء الإنسان ما خلقه له فمن القلب المعرفة والتوحيد، ومن اللسان الشهادة والتلاوة وترك الأذية بالاستهزاء وغيره فمن ترك الوفاء بما تعهد له من استعمال كل عضو فيما خلق هو لأجله فقد تعرض لسخط الله تعالى وعذابه وقد استهزأ أبو جهل بالنبي عليه السلام في بعض الأوقات حيث سار خلفه عليه السلام فجعل يخلج أنفه وفمه يسخر به فاطلع عليه ﷺ فقال له: «كن كذلك» فكان كذلك إلى أن مات لعنه الله واستهزأ به عليه السلام عتبة بن أبي معيط فبصق في وجهه فعاد بصاقه على وجهه وصار برصاً ومر عليه السلام بجماعة من كفار أهل مكة فجعلوا يغمزون في قفاه، ويقولون هذا يزعم أنه نبي وكان معه عليه السلام جبريل فغمز جبريل بأصبعه في أجسادهم فصاروا جروحاً وانتنت فلم يستطع أحد أن يدنو منهم حتى ماتوا وقس عليه التعرض لأهل الحق بشيء مكروه كما يفعله أهل الإنكار في حق سادات الصوفية ولا يدرون أنه يوجب المقت وربما يبتلى أحدهم بمرض هائل في بدنه وهو غافل عن سببه وجهة نزوله به، وكل عمل لا بدّ وأن يصل جزاؤه إلى عامله في الحال ولكن لا يرى في الدنيا بعين اليقين وإنما يرى في الآخرة إذا قيل له فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ألا ترى أن عذاب البعد واقع لأهل الغفلة والحجاب، ولكن ما ذاقوا ألمه لأنهم نيام فإذا ماتوا انتبهوا وذاقوا ذلك حساً، ولئن قلت: للأشقياء موتوا عن الطبيعة باستعمال الشريعة ومزاولة الطريقة لتحيوا بالحقيقة، فإن الحياة الحقيقة تكون بعد الموت عن الحياة الطبيعية ليقولن الذي ستروا حسن استعدادهم الفطري بتعلق المكونات ومحبتها وهم الأشقياء: إن هذا إلا كلام مموه لا أصل له كما في «التأويلات النجمية». قال السعدي:

بكوى آنچه دانى سخن سودمند | وكر هيچ كس رانيايد پسند
كه فردا پشيمان بر آرد خروش | كه آوخ چرا حق نكردم بكوش

وفي «المثنوي»:

منقبض كردند بعضى زين قصص | زانكه هر مرغى جدا دارد قفص
كود كان كرچه بيك مكتب درند | در سبق هريك زيك بالاترند

مرك پيش ازمرك اينست اي فتى ... اين چنين فرمود مارا مصطفى
كفت موتوا كلكم من قبل ان ... يأتي الموت تموتوا بالفتن

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾.

﴿ولئن﴾ اللام موطئة للقسم ﴿أذقنا الإنسان منا رحمة﴾ أي: أعطيناه نعمة من صحة وأمن وجدة وغيرها وأوصلناها إليه بحيث يجد لذتها والمراد مطلق الإنسان وجنسه الشامل للمؤمن والكافر بدلالة الاستثناء الآتي. وقوله ﴿منا﴾ حال من رحمة أي: لا باستحقاق منه ﴿ثم نزعناها منه﴾ أي: سلبنا تلك النعمة منه وأزلناها عنه وإيراد النزع للإشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها.

قال سعدي المفتي الظاهر: أن من صلة نزعناها، أي: قلعناها منه ولا يبعد أن يقال: - والله أعلم - أن من للتعليل يعني: أن منشأ النزع شؤم نفسه بارتكاب معصية الله ﴿إنه ليؤوس﴾ شديد اليأس من أن يعود إليه مثل تلك النعمة المسلوبة قطوع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره وتسليمه لقضائه وعدم ثقته به وهو جواب القسم ساد مسد جواب الشرط. ﴿كفور﴾ عظيم الكفران لما سلف له من النعم نساء له. قال السعدي قدس سره:

سكى را لقمه كردادى فراموش ... نكرد دكرزنى صد نوبتش سنك
وكر عمري نوازي سفلهٔ را ... بكمتر تندى آيد باتو درجنك

ومعنى الكفران: إنكار النعمة والمعروف وستره وترك شكره وحمده وعدم الثناء على فاعله ومعطيه.

وفيه إشارة إلى أن النزع إنما كان بسبب كفرانهم.

﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته﴾ كصحة بعد سقم وجدة بعد عدم وفرج بعد شدة أضاف سبحانه وتعالى إذاقة النعماء إلى ذاته الكريمة ومس الضراء إليها لا إلى ذاته الجليلة تنبيهاً على أن القصد الأول إيصال الخير إلى العباد تفضلاً منه تعالى ورحمة ومساس الشر ليس إلا لشؤم نفسه وفساد حاله مجازاة وانتقاماً قال الله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] وهذا هو المراد من قول البيضاوي: وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق الذي هو إدراك الطعم وعن ملابسة الضراء بالمس الذي هو مبدأ الوصول كأنما يلاصق البشرة من غير تأثير تنبيه على أن ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة. ﴿ليقولن﴾ الإنسان ﴿ذهب السيئات عني﴾ أي: المكاره والمصائب التي ساءتني. أي: فعلت بي ما أكره ولن يعتريني بعد أمثالها فإن الترقب لورود أمثالها مما يكدر السرور وينغص العيش. ﴿إنه لفرح﴾ [شاد مانست مغروريان] وهو اسم فاعل من فعل اللازم. والفرح إذا اطلق في القرآن كان للذم وإذا كان للمدح يأتي مقيداً بما فيه خير كقوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٧٠] كذا في حواشي سعدي المفتي.

يقول الفقير يرده قوله تعالى: ﴿إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤] والظاهر أن كونه للمدح أو للذم إنما هو بحسب المقام والقرائن.

واعلم أن الفرح بالنعمة ونسيان المنعم فرح الغافلين والعطب إلى هذا أقرب من السلامة والإهانة أوفى من الكرامة.

قال حضرة شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة: في بعض «تحريراته» هو المحبوب لذاته لا لعطائه وعطاؤه محبوب لكونه محبوباً لا لنفسه ونحبه ونحب عطاءه لحبه انتهى بإجمال، يشير قدس سره إلى الفرح بالله تعالى على كل حال ﴿فخور﴾ على الناس بما أوتي من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها. قال السعدي قدس سره:

چو منعم كند سفله را روزكار   نهد بردل تنك درويش بار
چو بام بلندش بودخود پرست   كندبول وخاشاك بربام پست

وقال:

كه اندر نعمتي مغرور وغافل   كهى ازتنك دستى خسته وريش
چو درسرا وضرا حالت اينست   ندانم كى بحق بردازى ازخويش

[يعني كى فارغ شوى ازخود وبحق مشغول شوى].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

﴿إلا الذين﴾ [مكر آنان كه] والاستثناء متصل ﴿صبروا﴾ على الضراء إيماناً بقضاء الله وقدره وفي الحديث: «ثلاثة لا تمسهم فتنة الدنيا والآخرة، المقر بالقدر، والذي لا ينظر بالنجوم والمتمسك بسنتي» ومعنى الإيمان بالقدر أن يعتقد أن الله تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق وأن جميع الكائنات بقضائه وقدره وهو مريد لها كلها وأما النظر في النجوم فقد كان حقاً في زمن إدريس عليه السلام، يدل عليه قوله تعالى خبراً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٨-٨٩] استدل بالنظر في النجوم على أنه سيسقم ثم نسخ في زمن سليمان عليه السلام كما في «بحر الكلام».

وفي كتاب «تعليم المتعلم» علم النجوم بمنزلة المرض فتعلمه حرام لأنه يضر ولا ينفع والهرب من قضاء الله تعالى وقدره غير ممكن انتهى.

فينبغي أن لا يصدق أهل النجوم فيما زعموا أن الاجتماعات والاتصالات الفلكية تدل على حوادث معينة وكوائن مخصوصة في هذا العالم.

قال العماد الكاتب: أجمع المنجمون في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة في جميع البلاد على خراب العالم في شعبان عند اجتماع الكواكب الستة في الميزان بطوفان الريح وخوّفوا بذلك ملوك الأعاجم والروم فشرعوا في حفر مغارات ونقلوا إليها الماء والأزواد وتهيأوا، فلما كانت الليلة التي عينها المنجمون للخراب بمثل ريح عاد، كنا جلوساً عند السلطان والشموع تتوقد فلا تتحرك ولم نر ليلة مثلها في ركودها ذكره الامام اليافعي وقال: في «إنسان العيون» أول من استخرج علم النجوم إدريس عليه السلام، أي: علم الحوادث التي تكون في الأرض باقتران الكواكب.

قال الشيخ محيي الدين بن العربي قدس سره: وهو علم صحيح لا يخطىء في نفسه وإنما الناظر في ذلك هو الذي يخطىء لعدم استيفائه النظر انتهى، ﴿وعملوا الصالحات﴾ شكراً لنعمائه الظاهرة والباطنة أو السالفة والآنفة والعمل الصالح هو ما كان لوجه الله تعالى.

وعن عمر رضي الله عنه الشكر والصبر مطيتان ما باليت أيهما أركب يشير رضي الله عنه إلى أن كل واحد من طريق الصبر والشكر موصل إلى الله تعالى ﴿أولئك﴾ الموصوفون بتلك الصفات الحميدة ﴿لهم مغفرة﴾ عظيمة لذنوبهم وأن جمت ﴿وأجر﴾ ثواب لأعمالهم الحسنة ﴿كبير﴾ أقله الجنة كما في «تفسير البيضاوي» وهو الجنة كما في «الكواشي».

قال سعدي المفتي: وصف الأجر بقوله «كبير» لما احتوى عليه من النعيم السرمدي ورفع التكاليف والأمن من العذاب ورضي الله عنهم والنظر إلى وجهه الكريم انتهى.

يقول الفقير الظاهر أن المراد بالأجر الكبير هو الجنة لأن نعم الله تعالى أدناها متاع الدنيا وأعلاها رضوان الله لقوله: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] وأوسطها الجنة ونعيمها فإذا وصف الرضى بالأكبرية لزم أن توصف الجنة بالكبيرية.

قال الكاشفي: [شيخ الإسلام فرموده كه درجنت نعمتي هست كه همه نعيم بهشتي در جنب آن محقر ومختصر باشد يعني مشاهده، أنوار لقاي خدا].

مارا بهشت بهر لقاي تودر خورست بي پرتو جمال توجنت محقرست

وفي الآيتين إشارتان: الأولى: أن من ذاق طعم بعض المقامات الإلهية وشهد بعض المشاهد الربانية ثم نزع ذلك منه بشؤم خطاياها وسوء أدبه ينبغي أن لا ييأس من روح الله ولا يكفر بنعمته كإبليس، بل إذا ابتلى بسدل الحجاب ورد الباب كان من شرط عبوديته أن يرجع إلى ربه معترفاً بظلمه على نفسه كآدم عليه السلام ليجتبيه ربه فيتوب عليه ويهديه، فإن من رحمة الله ونعمته على عبده أنه إذا أسرف على نفسه ثم تاب ورجع إلى ربه وجده غفوراً رحيماً، والثانية: أن من ذاق برد العفو وحلاوة الطاعة ينبغي أن لا يقول صرت معصوماً مطهراً مرفوع الحجاب فتعجبه نفسه فينظر إليها بنظر الإعجاب وينظر إلى غيره بنظر الحقارة ويأمن مكر الله فهو في كلتا الحالتين مذموم في حالة اليأس وكفران النعمة وفي حالة الإعجاب بنفسه وأمنه من مكر الله. قال الحافظ:

زاهد غرور داشت سلامت نبرد راه رند ازره نياز بدار السلام رفت

وقال:

زاهد ايمن مشو ازبازى غيرت زنهار كه ره ازصومعه تادير مغان اين همه نيست

فالآيتان تناديان على النفس الأمارة بصفاتها الرذيلة فلا بد من معالجتها وإصلاحها بما أمكن من المجاهدات أصلحها الله سبحانه وتعالى.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾ ـ روي ـ أن مشركي مكة لما قالوا: ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا ولا مخالفة آبائنا همّ النبي عليه السلام أن يدع سب آلهتهم ظاهراً فنزل الله تعالى هذه الآية، ولعل إما للترجي ومعناه توقع أمر مرجو لا وثوق بحصوله كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩] وإما للإشفاق وهو توقع أمر مخوف كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧] والرجاء والإشفاق يتعلقان بالمخاطبين دون الله سبحانه والمراد هنا إما الأول فالمعنى لعظم ما يرد على قلبك من تخليطهم تتوهم أنهم يزيلونك عن بعض ما أنت عليه

من تبليغ ما أوحي إليك ولا يلزم من توقع الشيء وجود ما يدعو إليه ووقوعه لجواز أن يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والثقة في التبليغ ههنا وأما الثاني فالمعنى أشفق على نفسك أن تترك تبليغ ما يوحى إليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم له واستهزائهم وهو أوجه من الأول كما في «بحر العلوم» للسمرقندي.

قال الكاشفي: ﴿فلعلك تارك﴾ [پس شايدكه توترك كننده باشى. امام ماتريدي رحمه الله ميكويد استفهام بمعنى نهى است: يعني ترك مكن] ﴿وضائق به صدرك﴾ أي: عارض لك ضيق صدر بتلاوته عليهم وتبليغه إليهم في أثناء الدعوة والمحاجة، وضمير به يعود إلى بعض ما يوحى وعدل عن ضيق إلى ضائق ليدل على أنه كان ضيقاً عارضاً غير ثابت لأن رسول الله ﷺ كان أفسح الناس صدراً ونحوه فلان سائد لمن عرضه له السودد وسيد لمن هو عريق فيه. ﴿أن يقولوا﴾ أي: مخافة أن يقولوا مكذبين ﴿لولا انزل عليه﴾ هلا القي عليه ﴿كنز﴾ مال من السماء يستعين به في أموره وينفقه في الاستتباع كالملوك.

قال ابن الشيخ: كنز أي: مال كثير من شأنه أن يجعل كنزاً أي: مالاً مدفوناً فإن الكنز اسم للمال المدفون فهو لا ينزل، فوجب أن يكون المراد به ههنا ما يكنز وقد جرت العادة بأن يسمى المال الكثير بهذا الاسم. ﴿أو جاء معه ملك﴾ يشهد له على صدق قوله ويعينه على تحصيل مقصوده فتزول الشبهة عن أمره، كما قال رؤساء مكة: يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهباً إن كنت رسولاً، وقال آخرون: ائتنا بالملائكة ليشهدوا بنبوتك، ﴿إنما أنت نذير﴾ ليس عليك إلا الإنذار بما أوحي إليك، ولا عليك ردوا أو تهكموا أو اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك ﴿والله على كل شيء وكيل﴾ فتوكل عليه فإنه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم.

قال «الكواشي»: تلخيصه أدّ الرسالة غير ملتفتٍ إليهم فإني حافظك وناصرك عليهم.

درشبى مهتاب مه را برسماك زسكان وعوعو ايشان چه باك

قال في «المفاتيح»: الوكيل: القائم بأمور العباد وتحصيل ما يحتاجون إليه. وقيل: الموكول إليه تدبير البرية وحظ العبد منه أن يكل إليه ويتوكل عليه ويلقي بالاستعانة إليه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿أم يقولون افتراه﴾ الضمير راجع إلى ما يوحى إليك، وأم منقطعة مقدرة ببل والهمزة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ والإنكار، والتعجب أما التوبيخ فكأنه قيل: أيتها لكون أن ينسبوا مثله إلى الافتراء ثم إلى الاقتدار على الذي هو أعظم الفرى وأفحشها إذ يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون عامة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة، وإذا كانت معجزة كان تصديقاً من الله له والعليم الحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفترياً، والمعنى: بل أيقولون افتراه وليس من عند الله. ﴿قل﴾ إن كان الأمر كما تقولون: ﴿فائتوا﴾ أنتم أيضاً ﴿بعشر سور مثله﴾ في البلاغة وحسن النظم، قال: هنا بعشر، وفي يونس والبقرة بسورة؛ لأن نزول هذه السورة الكريمة مقدم عليهما لأنهم تحدوا أولاً بالإتيان بعشر فلما عجزوا تحدوا بسورة واحدة.

وقوله، مثله نعت لسور أي أمثال، وتوحيده باعتبار كل واحد.

وقال سعدي المفتي: ولا يبعد أن يقال: إنه صفة للمضاف المقدر، فإن المراد بقدر عشر سور مثله والله أعلم. ﴿مفتريات﴾ صفة أخرى لسور. والمعنى فائتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة مختلقات من عند أنفسكم أن صح أني اختلقته من عند نفسي فإنكم فصحاء مثلي تقدرون على ما أقدر عليه بل أنتم أقدر لتعلمكم القصص والأشعار وتعودكم النثر والنظم.

وفي الآية: دلالة قاطعة على أن الله تعالى لا يشبهه شيء في صفة الكلام وهو القرآن كما لا يشبهه بحسب ذاته. ﴿وادعوا﴾ للاستظهار في المعارضة. ﴿من استطعتم﴾ دعاءه والاستعانة به من ألهتكم التي تزعمون أنها ممدة لكم ومدارهكم التي تلجأون إلى آرائهم في الملمات ليسعدوكم فيها ﴿من دون الله﴾ أي: حال كونكم متجاوزين الله تعالى ﴿إن كنتم صادقين﴾ في إني افتريته فإن ما افترى إنسان يقدر إنسان آخر أن يفتري مثله.

﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾ الضمير في لكم للرسول عليه السلام وجمع للتعظيم، أو له وللمؤمنين لأنهم اتباع له عليه السلام في الأمر بالتحدي وفيه تنبيه لطيف على أن حقهم أن لا ينفكوا عنه ويناصبوا معه لمعارضة المعاندين كما كانوا يفعلونه في الجهاد.

قال سعدي المفتي: اختلف في تناول خطاب النبي عليه السلام لأمته فقال الشافعية: لا، وقال الحنفية: والحنابلة نعم إلا ما دل الدليل فيه على الفرق انتهى. والمعنى فإن لم يستجب هؤلاء المشركون لكم يا محمد ويا أصحاب محمد عليه السلام، أي: ما دعوتموهم إليه من معارضة القرآن وإتيان عشر سور مثله وتبين عجزهم عنه بعد الاستعانة بمن استطاعوا بالاستعانة منه من دون الله تعالى ﴿فاعلموا إنما أنزل بعلم الله﴾ ما في إنما كافة وضمير انزل يرجع إلى ما يوحى وبعلم الله حال أي: ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله تعالى من المزايا والخواص والكيفيات.

وقال الكاشفي: [يعني ملتبس بعلمي كه خاصهء اوست وآن علمست بمصالح عباد وآنچه ايشانرا بكار آيد در معاش ودر معاد].

وقال في «التأويلات النجمية»: ﴿بعلم الله﴾ لا بعلم الخلق فإن فيه الأخبار عما سيأتي وهو بعد في الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله انتهى، والمراد الدوام والثبات على العلم أي: فدوموا أيها المؤمنون وأثبتوا على العلم الذي أنتم عليه لتزدادوا يقيناً وثبات قدم على أنه منزل من عند الله وأنه من جملة المعجزات الدالة على صدقه عليه السلام في دعوى الرسالة. ﴿وأن لا إله إلا هو﴾ أي: ودوموا على هذا العلم أيضاً، يعني: هو ينزل الوحي وليس أحد ينزل الوحي غيره لأنه الإله ولا إله غيره، ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ ثابتون على الإسلام راسخون فيه، أي: فاثبتوا عليه في زيادة الإخلاص.

وفي الآيات أمور: منها: أن الوحي على ثلاثة أنواع، نوع أمر عليه السلام بكتمانه إذ لا يقدر على حمله غيره، ونوع خير فيه، ونوع أمر بتبليغه إلى العام والخاص من الإنس والجن وهو ما يتعلق بمصالح العباد من معاشهم ومعادهم فلا يجوز تركه وإن ترتب عليه مضرة وضاق به الصدر وسبيل تبليغ الرسالة هو اللسان فلا رخصة في الترك وإن خاف.

قال صاحب «التيسير»: فهذا دليل قولنا في المكره على الطلاق والعتاق إن تكلم به نفذ لأن تعلق ذلك باللسان لا بالقلب والإكراه لا يمنع فعل اللسان فلا يمنع النفاذ انتهى.

وفي الحديث: «أن الله بعثني برسالته فضقت بها ذرعاً فأوحى الله تعالى إلي إن لم تبلغ

رسالتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت» ويدخل فيه العلماء الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فإنهم إذا عملوا بما علموا وتصدوا للتبليغ وخافوا الله دون غيره فإن الله تعالى يحفظهم من كيد الأعداء ـ حكي ـ أن زاهداً كسر خوابي الخمر لسليمان بن عبد الملك الخليفة وأتى به يعاقبه وكان للخليفة بغلة تقتل من ظفرت به، واتفق رأي وزرائه أن يلقى الزاهد بين يدي البغلة فألقي بين يديها فخضعت له فلم تقتله، فلما أصبحوا نظروا إليه فإذ هو صحيح فعلموا أن الله تعالى حفظه فاعتذروا إليه وخلوا سبيله:

كرت نهى منكر بر آيد زدست   نشايد جوبى دست وپايان نشست

ومنها أن المؤمنين ينبغي أن يعاونوا أئمتهم ومن اقتدى بهم في تنفيذ الحق وإجرائه وإلزام الخصم وإسكاته كما كان الأصحاب رضي الله عنهم يفعلون ذلك برسول الله ﷺ في الجهاد وغيره من الأمور الدينية وفي الحديث: «المؤمن للمؤمن كبنيان يشد بعضه بعضاً» يعني: المؤمن لا يتقوى في أمر دينه ودنياه إلا بمعونة أخيه كما أن بعض البناء يقوى ببعضه وفيه حث على التعاضد في غير الإثم كذا في «شرح المشارق» لابن الملك، وكان النبي ﷺ يضع لحسان منبراً في المسجد فيقوم عليه يهجو من كان يهجو رسول الله ﷺ ويدفع عن المسلمين ويقويهم على المشركين وكان روح القدس أي: جبريل يمده بالجواب ويلهمه الصواب.

هجا كفتن ارچه پسنديده نيست   مبادا كسى كاكت آن ندارد

چه آن شاعري كوهجا كونباشد   چوشيرى كه چنكال ودندان ندارد

ومنها لزوم الثبات على التوحيد ومن علاماته التكرير باللسان جهراً وإخفاء جمعية وانفراداً وفي الحديث: «جددوا إيمانكم» والمراد الانتقال من مرتبة إلى مرتبة فإن أصل الإيمان قديم بالأول كما في «الواقعات المحمودية». قال المولى الجامي قدس سره:

دلت آينهٔ خداي نماست   روى آينهٔ توتيره چراست

صيقلى دار صيقلى ميزن   باشد آينه ات شود روشن

صيقل آن اكرنهٔ آكاه   نيست جز لا إله إلا الله

وفي الحديث: «من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار، ومن مات يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة».

واعلم أن كلمة هو في قوله تعالى: ﴿لا إله إلا هو﴾ اسم تام بمنزلة لفظة الجلالة ولذا جعلها الصوفية قدس الله أسرارهم ورداً لهم في بعض أوقاتهم.

قال: في «فتح القريب»: من خواص اسم الله أنك إذا حذفت من خطه حرفاً بقي دالاً على الله تعالى فإن حذفت الألف بقي لله وإن حذفت اللام الأولى وأبقيت الألف بقي إله، وإن حذفتهما معاً بقي له ملك السموات والأرض، وإن حذفت الثلاثة بقي هو الله الحي القيوم لا إله إلا هو انتهى.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿من كان﴾ [هركه باشدكه ازدنائت همت] وكان صلة، أي: زائدة كما في «التبيان».

وقال في «الإرشاد»: للدلالة على الاستمرار ﴿يريد﴾ بما عمله من أعمال البر والإحسان

﴿الحياة الدنيا وزينتها﴾ أي: ما يزينها ويحسنها من الصحة والأمن والسعة في الرزق وكثرة الأولاد والرياسة وغير ذلك لا وجه الله تعالى، والمراد بالإرادة ما يحصل عند مباشرة الأعمال لا مجرد الإرادة القلبية لقوله تعالى: ﴿نوف إليهم أعمالهم فيها﴾ أي: نوصل إليهم ثمرات أعمالهم في الحياة الدنيا كاملة وليس المراد بأعمالهم أعمال كلهم، فإنه لا يجد كل متمن ما تمناه فإن ذلك منوط بالمشيئة الإلهية كما قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] ولا كل أعمالهم بل بعضها الذي يترتب عليه الأجر والجزاء ﴿وهم فيها﴾ أي: في الحياة الدنيا ﴿لا يبخسون﴾ لا ينقصون شيئاً من أجورهم.

﴿أولئك﴾ المريدون للحياة الدنيا وزينتها الموفون فيها ثمرات أعمالهم من غير بخس. ﴿الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾ لأن هممهم كانت مصروفة إلى الدنيا وأعمالهم مقصورة على تحصيلها فقد اجتنبوا ثمراتها فلم يبق في الآخرة إلا العذاب المخلد. ﴿وحبط ما صنعوا فيها﴾ يعني: بطل ثواب أعمالهم التي صنعوها في الدنيا لأنها لم تكن لوجه الله تعالى والعمدة في اقتضاء ثواب الآخرة هو الإخلاص ﴿وباطل﴾ [وناچيزاست] في نفس الأمر ﴿ما كانوا يعملون﴾ رياء وسمعة، فقوله: «باطل» خبر مقدم وما كانوا يعملون مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية معطوفة على الفعلية قبلها.

والآية في حق الكفار كما يفصح عنه الحصر في كينونة النار لهم.

واعلم: أن حسنات الكفار من البر وصلة الرحم والصدقة وبناء القناطر وتسوية الطرق والسعي في دفع الشرور وإجراء الأنهار ونحو ذلك مقبولة بعد إسلامهم يعني: يحسب ثوابها ولا يضيع. وأما قبل الإسلام فانعقد الإجماع على أنهم لا يثابون على أعمالهم بنعيم ولا تخفيف عذاب لكن يكون بعضهم أشد عذاباً من بعض بحسب جرائمهم.

وذكر الامام الفقيه أبو بكر البيهقي أنه يجوز أن يراد بما في الآيات والأخبار من بطلان خيرات الكفار أنهم لا يتخلصون بها من النار ولكن يخفف عنهم ما يستوجبونه بجنايات ارتكبوها سوى الكفر ووافقه المازري كما في «شرح المشارق» لابن الملك.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية في أهل الرياء من أهل القبلة فمعنى قوله تعالى: ﴿ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾ ليس يليق لهم إلا النار ولا يستحقون بسبب الأعمال الريائية إلا إياها، كقوله تعالى: ﴿جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [الكهف: ١٠٦] وجائز أن يتغمدهم الله برحمته فليس في الآية دلالة على الخلود والعذاب البتة، والظاهر أن الآية عامة لأهل الرياء مؤمناً كان أو كافراً أو منافقاً كما في «زاد المسير» والرياء مشتق من الرؤية وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس برؤيتهم خصال الخير كما في «فتح القريب».

وفي الحديث: «أن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء يقول الله عز وجل إذا جزى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»؟.

مرايي هر كسى معبود سازد مرايى را ازان كفتند مشرك

قال في «شرح الترغيب» المشرك يطلق على كل كافر من عابد وثن وصنم ومجوسي ويهودي ونصراني ومرتد وزنديق وعلى المرائي وهو الشرك الأصغر والشرك الخفي يقال: للقراء من أهل الرياء أردت أن يقال: فلان قارىء فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق

فعلت حتى يقال: فقيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال: فلان جريء فقد قيل ذلك فهؤلاء الثلاثة أول خلق تسعر بهم النار كما في الحديث: «ويصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء السابعة من صلاة وصوم ونفقة واجتهاد وورع فيقول لهم الملك الموكل بها اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فإنه أراد بعمله غير الله تعالى ويصعد الحفظة بعمله من صلاة وزكاة وصوم وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله ويشيعه ملائكة السموات حتى يقطعون الحجب كلها فيقول لهم الله تعالى أراد به غيري فعليه لعنتي فيقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا ويلعنه السموات السبع ومن فيهن» كما ورد في الحديث قال الحافظ:

كـويـا بـاورنـمـى دارنـد روزداورى كين همه قلب ودغل دركار داور ميكنند

قال الفضيل: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص الخلاص من هذين، معنى كلامه أن من عزم على عبادة الله تعالى ثم تركها مخافة أن يطلع الناس عليه فهو مراءٍ لأنه لو كان عمله لله تعالى لم يضره اطلاع الناس عليه ومن عمل لأجل أن يراه الناس فقد أشرك في الطاعة ويستثنى من كلامه مسألة لا يكون ترك العمل فيها لأجل الناس رياء وهي إذا كان الشخص يعلم أنه متى فعل الطاعة بحضرة الناس آذوه واغتابوه فإن الترك من أجلهم لا يكون رياء بل شفقة عليه ورحمة كما في «فتح القريب».

وقال في «شرح الطريقة»: من مكايد الشيطان أن الرجل قد يكون ذا ورد كصلاة الضحى والتهجد وتلاوة القرآن والأدعية المأثورة فيقع في قوم لا يفعلونه فيتركه خوفاً من الرياء، وهذا غلط منه، إذ مداومته السابقة دليل الإخلاص فوقوع خاطر الرياء في قلبه بلا اختيار ولا قبول، لا يضر ولا يخل بالإخلاص فترك العمل لأجله موافقة للشيطان وتحصيل لغرضه نعم عليه أن لا يزيد على معتاده إن لم يجد باعثاً وقد يترك لا خوفاً من الرياء، بل خوفاً من أن ينسب إليه ويقال: أنه مراءء وهذا عين الرياء لأنه تركه خوفاً من سقوط منزلته عند الناس، وفيه أيضاً سوء الظن بالمسلمين، وقد يقع في خاطره أن تركه لأجل صيانتهم من الغيبة لا لأجل الفرار من المذمة وسقوط المنزلة، وهذا أيضاً سوء الظن بهم إذ صيانة الغير من المعصية إنما يكون في ترك المباحات دون السنن والمستحبات انتهى كلامه.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿وحبط ما صنعوا﴾ من أعمال الخير ﴿فيها﴾ في الدنيا للدنيا ﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾ من الأعمال وإنك كانت حقاً لأنهم عملوها لغير وجه الله وهو باطل وبه يشير إلى أن كل من يعمل عملاً يطلب به غير الله فإن عمله ومطلوبه باطل كما قال ﷺ: «أن أصدق كلمة قالتها العرب: ألا كل شيء ما خلا الله باطل».

قال حضرة الشيخ الأكبر قدسنا الله بسره الأطهر: اعلم أن الموجودات كلها وإن وصفت بالباطل فهي حق من حيث الوجود، ولكن سلطان المقام إذا غلب على صاحبه يرى ما سوى الله تعالى باطلاً من حيث أنه ليس له وجود من ذاته فحكمه حكم العدم، وهذا معنى قولهم قوله باطل أي: كالباطل، لأن العالم قائم بالله لا بنفسه فهو من هذا الوجه باطل، والعارف إذا وصل إلى مقامات القرب في بداية عرفانه ربما تلاشت هذه الكائنات وحجب عن شهودها بشهود الخلق لأنها زالت من الوجود بالكلية، ثم إذا كمل عرفانه شهد الحق تعالى والخلق معاً في آن واحد وما كل أحد يصل إلى هذا المقام فإن غالب الناس أن شهد الخلق لم يشهد الحق وإن شهد الحق لم يشهد الخلق ولا يدرك الوحدة إلا من أدرك اجتماع الضدين ولعل من

المشهد الأول قول الاستاذ الشيخ أبي الحسن البكري قدس سره: أستغفر الله مما سوى الله تعالى؛ لأن الباطل يستغفر من إثبات وجوده لذاته كذا في «إنسان العيون» في سيرة الأمين المأمون. قال الشيخ المغربي:

سايه هستى مى نمايد ليك اندر اصل نيست نيست را ازهست اربشناختى يابى نجات

وقال أيضاً:

بيدار شواز خواب كه اين جمله خيالات اندر نظر ديدهٔ بيدار چون خوابيست

نسأل الله سبحانه أن يكشف القناع عن وجه المقصود ويتجلى لنا بجماله في وجه كل مظهر وموجود وهو الرحيم الودود ذو الفضل والفيض والجود.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ الهمزة للإنكار والبينة الحجة والبرهان، وعلى للاستعلاء المجازي، وهو الاستيلاء والاقتدار على إقامتها والاستدلال بها، ومن شرطية أو موصولة مبتدأ حذف خبره والتقدير أفمن كان على برهان ثابت من ربه يدل على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره وهو كل مؤمن مخلص كمن ليس على بينة يعني: سواء، بل الأول على السعادة وحسن العاقبة والثاني على الشقاوة وسوء الخاتمة ﴿ويتلوه﴾ من التلو وهو التبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل فتذكير الضمير الراجع إلى البينة إنما هو بتأويل. ﴿شاهد منه﴾ أي: شاهد من الله تعالى يشهد بصحته وهو القرآن ﴿ومن قبله﴾ أي: ومن قبل القرآن الشاهد ﴿كتاب موسى﴾ وهو التوراة فإنها أيضاً تتلو ذلك البرهان في التصديق ﴿إماماً﴾ كتاباً مؤتماً به في الدين ومقتدى وانتصابه على الحال ﴿ورحمة﴾ أي: نعمة عظيمة على من أنزل إليهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة باعتبار أحكامه الباقية المؤيدة بالقرآن العظيم.

قال في «إنسان العيون»: التوراة أول كتاب اشتمل على الأحكام والشرائع بخلاف ما قبله من الكتب فإنها لم تشتمل على ذلك وإنما كانت مشتملة على الإيمان بالله وتوحيده ومن ثمة قيل لها صحف وإطلاق الكتب عليها مجاز انتهى ﴿أولئك﴾ إشارة إلى من كان على بينة. ﴿يؤمنون به﴾ أي: يصدقون بالقرآن. ﴿ومن يكفر به﴾ [وهركه كافر شود بقرآن] ﴿من الأحزاب﴾ من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله ﷺ يقال: تحزبوا عليه أي: اجتمعوا ﴿فالنار موعده﴾ أي: مكان وعده الذي يصير إليه وفي جعلها موعداً إشعار بأن له فيها ما يوصف من أفانين العذاب﴿فلا تك في مرية منه﴾ أي: في شك من أمر القرآن وكونه من عند الله ﴿إنه الحق من ربك﴾ الذي يربيك في دينك ودنياك ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بأن ذلك حق لا شبهة فيه إما لقصور أنظارهم واختلال أفكارهم، وإما لعنادهم واستكبارهم، هذا ما اختاره البيضاوي وتبعه في ذلك أكثر المفسرين.

وقال المولى أبو السعود في «الإرشاد»: ما حاصله أن المراد بالبينة البرهان الدال على حقية الإسلام وهو القرآن والكون على بينة من الله عبارة عن التمسك بها ويتلوه، أي: يتبعه شاهد من القرآن شهيد بكونه من عند الله وهو إعجازه وما وقع فيه من الأخبار بالغيب أو شاهد

من الله تعالى كالمعجزات الظاهرة على يديه عليه السلام، ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان إقامة الشهادة بصحته وكونه من عند الله تعالى تابعاً له بحيث لا يفارقه في مشهد من المشاهد، فإن القرآن بينة باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذي يشهد بأمرها إلى يوم القيامة عند كل مؤمن وجاحد. عطف كتاب موسى في قوله تعالى: ﴿ومن قبله كتاب موسى﴾ على فاعله مع كونه مقدماً عليه في النزول فكأنه قيل أفمن كان على بينة من ربه ويشهد به شاهد آخر من قبل هو كتاب موسى.

وقال في «التأويلات النجمية»: وحمل الآية في الظاهر على النبي ﷺ وأبي بكر أولى وأحرى فإنه عليه السلام كما كان على بينة من ربه، كان أبو بكر شاهداً يتلوه بالإيمان والتصديق يدل عليه قوله: ﴿وَالَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ﴾ [الزمر: ٣٣] يعني: النبي عليه السلام وصدق به يعني: أبا بكر رضي الله عنه وهو الذي كان ثانيه في الغار وتاليه في الإمامة في مرضه عليه السلام حين قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» وكان تاليه بالخلافة بإجماع الصحابة وكان منه حيث قال ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: «إنهما مني بمنزلة السمع والبصر». ﴿ومن قبله﴾ أي: من قبل أبي بكر وشهادته بالنبوة كان ﴿كتاب موسى﴾ وهو التوراة ﴿إماماً﴾ يأتم به قومه بعده، وفي أيام محمد ﷺ كما ائتم به عبد الله بن سلام وسلمان وغيرهما من أحبار اليهود؛ ولأنه كان فيه ذكر النبي ﷺ بالنبوة والرسالة. ﴿ورحمة﴾ أي: الكتاب كان رحمة لأهل الرحمة وهي الذين يؤمنون بالكتاب وبما فيه كما قال: ﴿أولئك يؤمنون به﴾ يعني: أهل الرحمة ﴿ومن يكفر به﴾ أي: بالكتاب وبما فيه ﴿من الأحزاب﴾ أي: حزب أهل الكتاب وحزب الكفار وحزب المنافقين وأن زعموا أنهم مسلمون لأن؛ الإسلام بدعوى اللسان فحسب، وإنما يحتاج مع دعوى اللسان إلى صدق الجنان وعمل الأركان. ﴿فلا تك في مرية منه﴾ أي: من أن يكون الكافر بك وبما جئت به من أهل النار، لأن الإيمان بك إيمان بي وأن طاعتك طاعتي فلا يخطرن ببالك إني من سعة رحمتي لعلي أرحم من كفر بك كائناً من كان؛ فإني لا أرحمهم لأنهم مظاهر قهري. ﴿إنه الحق من ربك﴾ أي: يكون له مظاهر صفات القهر كما يكون له مظاهر صفات اللطف. ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بصفات قهره كما يؤمنون بصفات لطفه لرجائهم المذموم ولغرورهم المشؤوم بكرم الله فإنه غرهم بالله وكرمه الشيطان الغرور انتهى. قال الحافظ:

در كار خانهٔ عشق از كفرنا كزيرست آتش كرابسوز دكر بو لهب نباشد

واعلم أن حضرة القرآن إنما نزل لتمييز أهل اللطف وأهل القهر فهو البرهان النير العظيم الشأن، وبه يعلم أهل الطاعة من أهل العصيان، ولما كان الكلام صفة من الصفات القديمة له تعالى قال أهل التأويل في إشارة قوله: ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ أي: كشف بيان من تجلي صفة من صفات ربه. ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ أي: ويتبع الكشف شاهد من شواهد الحق فإن الكشف يكون مع الشهود ويكون بلا شهود. والمعنى أفمن كان على بينة من كشوف الحق وشواهده كمن كان على بينة من العقل والنقل مع احتمال السهو والغلط فيها ولذا. قال الحافظ:

عشق ميورزم واميدكه اين فن شريف چون هنرهاى دكر موجب حرمان نوشد

وقال الصائب:

طريق عقل را بر عشق رجحان مى دهد زاهد عصايى بهتر ازصد شمع كافورست اعمى را

وقال:

جمعى كه پشت كرم بعشق ازل نيند نازسمور ومنت سنجاب ميكشند

جعلنا الله وإياكم من المستبصرين لشواهد الحق وأوصلنا وإياكم إلى شهود النور المطلق وحشرنا وإياكم تحت لواء الفريق الأسبق.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿ومن أظلم﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿ممن افترى على الله كذباً﴾ بأن نسب إليه ما لا يليق به كقولهم للملائكة: بنات الله وقولهم لآلهتهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿أولئك﴾ المفترون ﴿يعرضون على ربهم﴾ المراد عرضهم على الموقف المعد للحساب والسؤال، وحبسهم فيه إلى أن يقضي الله تعالى بين العباد، لأنه تعالى ليس في مكان حتى يعرضون عليه وأسند لعرض إليهم والمقصود عرض أعمالهم، لأن عرض العامل بعمله وهو الافتراء هنا أفظع من عرض عمله مع غيبته ﴿ويقول الأشهاد﴾ عند العرض وهم الملائكة والنبيون والمؤمنون جمع شاهد أو شهيد كأصحاب وأشراف ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ المحسن إليهم والمالك لنواصيهم بالافتراء عليه وهؤلاء إشارة إلى تحقيرهم وإصغارهم بسوء صنيعهم ﴿ألا لعنة الله﴾ عذابه وغضبه ﴿على الظالمين﴾ بالافتراء المذكور وفي الحديث: «أن الله تعالى يدني المؤمن يوم القيامة فيستره من الناس فيقول أيك عبدي أتعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم يا رب فإذا قرره بذنوبه قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم ثم يعطي كتاب حسناته وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين يفضحونهم بما كانوا عليه في الدنيا ويبينون أنهم ملعونون عند الله بسبب ظلمهم» وفي الحديث: «من سمع سمع الله به»أي: من أظهر عمله للناس رياء أظهر الله نيته الفاسدة في عمله يوم القيامة وفضحه على رؤوس الإشهاد وهم الملائكة الحفظة. وقيل: عموم الملائكة. وقيل: عموم الخلائق أجمعين ثم وصفهم بالصد فقال:

﴿الذين يصدون﴾ أي: يمنعون كل من يقدرون على منعه بالتحريف وإدخال الشبه. ﴿عن سبيل الله﴾ عن دين الله وطريق طاعته ﴿ويبغونها عوجاً﴾ السبيل مؤنث سماعي، فلذلك أنث ضمير يبغونها يقال: بغيت الشيء طلبته وبغيتك خيراً أو شراً، أي: طلبت لك أي: ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب فيكون من قبيل إطلاق اسم السبب على المسبب.

قال في الإرشاد: وهذا شامل لتكذيبهم بالقرآن وقولهم إنه ليس من عند الله ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ أي: يصفونها بالعوج والحال أنهم كافرون بها لا أنهم مؤمنون بها ويزعمون أن لها سبيلاً سوياً يهدون الناس إليه وتكرير الضمير لتأكيد كفرهم واختصاصهم به، كأن كفر غيرهم ليس بشيء عند كفرهم.

﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿أولئك﴾ الكاذبون ﴿لم يكونوا معجزين﴾ الله تعالى أن يعاقبهم لو أراد عقابهم ﴿في الأرض﴾ مع سعتها وإن هربوا منها كل مهرب. ﴿وما كان لهم من دون الله من أولياء﴾ ينصرونهم ويمنعونهم من العقاب ولكن أخر ذلك إلى اليوم تحقيقاً للإمهال كما قال تعالى: ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطلاق: ١٧] والجمع باعتبار أفراد الكفرة كأنه قيل وما كان لأحد منهم من ولي ﴿يضاعف لهم العذاب﴾ استئناف كأنه قيل هؤلاء الذين شأنهم ذلك ما مصير أمرهم وعقبى حالهم؟ فقيل يضاعف لهم عذاب الأبد ضعفين. ﴿ما كانوا يستطيعون السمع﴾ النافع ﴿وما كانوا يبصرون﴾ الحق والآيات المنصوبة في الأنفس والآفاق وهو استئناف وقع تعليلاً لمضاعفة العذاب وليس المراد بالمضاعفة الزيادة بمرتبة واحدة لشمولها الزيادة بمراتب كما في «الحواشي السعدية». ولما كان قبح حالهم في عدم إذعانهم للقرآن الذي طريق تلقيه السمع أشد منه في عدم قبولهم لسائر الآيات المنوطة بالأبصار بالغ في نفي الأول حيث نفى عنهم الاستطاعة واكتفى في الثاني بنفي الأبصار.

﴿أولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى في «البحر» أنه على حذف مضاف، أي: راحة أو سعادة أنفسهم وإلا فأنفسهم باقية معذبة انتهى.

ولعل الإبقاء على حاله أنسب لمرام المقام وأن البقاء معذباً كلابقاء؛ إذ المقصود من البقاء انتفاع به. ﴿وضل﴾ بطل وضاع ﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾ من إلٰهية الآلهة وشفاعتها.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿لا جرم﴾ فيه ثلاثة أوجه، الأول: أن لا نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما في حيزه فاعله. والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل أي: حق ﴿أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ وهذا مذهب سيبويه. والثاني: أن جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام أي: كسب ذلك خسرانهم فالمعنى ما حصل من ذلك إلا ظهور خسرانهم. والثالث: أن لا جرم بمعنى لا بد أنهم في الآخرة هم الأخسرون وأيّاما كان فمعناه أنهم أخسر من كل خاسر.

قال الكاشفي: [بى شك وشبهه ايشان دران سراى ايشان زيانكار تر ازهمه زيانكاران چه پزستش بتانرا بپرستش خداي تعالى خريده اند ومتاع دنياي فإني را بر نعيم عقباي باقي اختيار كرده ودرين سود اغبن فاحش است]:

مايهٔ اين را بدنيا دادن ازدون همتيست
زانكى دنيا جملكى رنج است ودين آسايش است
نعمت فاني ستاني دولت باقي دهى
اندرين سودا خرد داندكه بن فاحش است

ـ وروى ـ ابن أبي الدنيا عن الضحاك أنه قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال يا رسول الله: من أزهد الناس، قال: «من لم ينس القبر والبلى وترك زينة الدنيا، وآثر ما يبقى على ما يفنى، ولم يعد غداً من أيامه وعد نفسه من الموتى» وفي الحديث: «بادروا بالأعمال فإن بين أيديكم فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً، ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا» ومن البائع دينه بالدنيا المدعي مع الله رتبة طلباً للرياسة واستجلاب

حظوظ النفس بطريق التزهد والشيخوخة وهو ملعون على ألسنة الأولياء الذين هم شهداء الله في الأرض لأنه نزل نفسه منزلة السادة الكبراء فظلم واستحق اللعنة. وفي «المثنوي»:

تــومـلاف ازمــشــك كــان بــوى پــيــاز ازدم تــومــيــكــنــد مــكــشــوف راز

كــلــشــكــر خــوردم هــمــى كــوئــى وبــوى مــيــزنــد ازســيــركــه يــاوه مــكــوى

ومن أوصاف المدعين إنهم بادعائهم الشيخوخة يقطعون سبيل الله على طالبيه بالدعوة إلى أنفسهم ويمنعونهم أن يتمسكوا بذيل إرادة صاحب ولاية يهديهم إلى الحق وهم بالآخرة هم كافرون على الحقيقة لأن من يؤمن بالآخرة ولقاء الله والحساب والجزاء على الأعمال لا يجري مع الله بمثل هذه المعاملات، ولهم عذاب الضلال عن سبيل الله بطلب الدنيا والقدوة فيها وعذاب إضلال أهل الإرادة عن طريق الحق باستتباعهم وهم مؤاخذون بخسرانهم وخسران اتباعهم وبحسبان أنهم يحسنون صنعاً فهم الأخسرون.

تــرســم نــرسـى بـكـعـبـه أي: أعــرابـي كـيـن ره كـه تـومـيـروى بـتـركـسـتـانـسـت

﴿إن الذين آمنوا﴾ أي: بكل ما يجب أن يؤمن به ﴿وعملوا الصالحات﴾ فيما بينهم وبين ربهم ﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾ الإخبات الخضوع ويستعمل باللام يقال: أخبت لله واستعماله بإلى في الآية لتضمينه معنى الاطمئنان والانقطاع، والمعنى: اطمأنوا وسكنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع ﴿أولئك﴾ المنعوتون بتلك النعوت ﴿أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ دائمون لم يأت هنا ضمير الفصل للإشارة - والله أعلم - إلى أن الخلود فيها ليس بمختص بهؤلاء الموصوفين، فإن المؤمن وإن لم يعمل الصالحات مآله الخلود في الجنة على ما هو مذهب أهل السنة كذا في «حواشي» سعدي المفتي.

وقال في «التأويلات النجمية»: ﴿إن الذين آمنوا﴾ بطلب الله وطلبوه على أقدام المعاملات الصالحات للطلب المفيدات للوصول إلى المطلوب وأنابوا إلى ربهم بالكلية ولم يطلبوا منه إلا هو واطمأنوا به ﴿أولئك أصحاب الجنة﴾ أي: أرباب الجنة كما يقال: رب الدار لصاحب الدار وهم مطلوبوا الجنة لا طلابها، وإنما هم طلاب الله هم فيها خالدون طلاباً.

﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿مثل الفريقين﴾ الكافر والمؤمن أي: حالهما العجيب لأن المثل لا يطلق إلا على ما فيه غرابة من الأحوال والصفات.

قال ابن الشيخ: لفظ المثل حقيقة عرفية في القول السائر المشبه مضربه بمورده، ثم يستعار للصفة العجيبة والحال الغريبة تشبيهاً لهما بالقول المذكور في الغرابة، فإنه لا يضرب إلا ما فيه غرابة ﴿كالأعمى والأصم والبصير والسميع﴾ أي: كهؤلاء فيكون ذواتهم كذواتهم فإن تشبيه حال الشيء بحال شيء آخر يستلزم تشبيه الشيء الأول بالثاني فالأعمى والأصم هم الكافرون والبصير والسميع هم المؤمنون. والواو في «والأصم والسميع» لعطف الصفة على الصفة كقولك هو الجواد والشجاع فإن الأدخل في المبالغة أن يشبه الكافر بالذي جمع بين العمى والصمم كالموتى، وذلك أن الكفرة حين لا ينظرون إلى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر، كان بصرهم كلا بصر، وسماعهم كلا سماع، فكان حالهم لانتفاء جدوى البصر والسماع كحال الموتى الذي فقدوا مصحح البصر والسمع.

قال ابن الشيخ: الأعمى إذا سمع شيئاً ربما يهتدي إلى الطريق، والأصم ربما ينتفع بالإشارة ومن جمع بينهما فلا حيلة له، وقس عليه الشخص الذي جمع بين الوصفين الشريفين اللذين هما البصر والسمع فإنه يكون بذلك على أحسن حال. وقدم الأعمى لكونه أظهر وأشهر في سوء الحال من الأصم. ﴿هل يستويان﴾ يعني الفريقين المذكورين والاستفهام إنكاري. ﴿مثلاً﴾ أي: حالاً وصفة وهو تمييز من فاعل يستويان منقول من الفاعلية والأصل هل يستوي مثلهما. ﴿أفلا تذكرون﴾ أي: أتشكون في عدم الاستواء وما بينهما من التباين، أو أتغفلون عنه فلا تتذكرون بالتأمل فيما ضرب لكم من المثل فيكون الإنكار وارداً على المعطوفين معاً أو أتسمعون هذا فلا تتذكرون فيكون راجعاً إلى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب وجوده وهو المثل المضروب.

وفي «التأويلات النجمية» الأعمى الذي لا يبصر الحق حقا والباطل باطلاً بل يبصر الباطل حقاً والحق باطلاً. والأصم من لا يسمع الحق حقاً والباطل باطلاً بل يسمع الباطل حقاً والحق باطلاً، والبصير الذي يرى الحق حقاً ويتبعه ويرى الباطل باطلاً ويجتنبه، والسميع الذي من كان الله سمعه فيسمع به ومن أبصر بالله لا يبصر غير الله ومن سمع بالله لا يسمع إلا من الله انتهى.

يعني يسمع من الحق تعالى ولا يرى أن أحداً في الوجود يخاطبه غير الله تعالى فهو ممتثل لكل ما يؤمر به ـ حكي ـ أن خير النساج لقيه إنسان، فقال: له أنت عبدي واسمك خير فسمع ذلك من الحق سبحانه، واستعمله الرجل في النسج أعواماً ثم بعد ذلك قال: له ما أنت عبدي ولا اسمك خير.

كوشى كه بحق بازبود درهمه جاى ازهيچ سخن نشنود إلا زخداى
وان ديده كزو نور پذيرد اورا هرذره بود آيينهٔ دوست نماى

وفي كل من مقام الرؤية والسماع ابتلاء، والطالب الصادق يقف عند الحد الذي حد له فلا ينظر إلى الحرام، ولا يرتكب المحذور كشرب الخمر، وإن قيل له من لسان واحد اشرب هذه الخمر، لأن هذا القول ابتلاء من الله تعالى هل يقف عند حده أو لا فلا بد من التحقق في الطريق ليكون تابعاً لأمر مولاه لا أسيراً لشهوته وعبداً لهواه وذلك التحقق والتبعية إنما يكون ويحصل بالاجتهاد والتشبث بذيل واحد من أهل الإرشاد. وفي «المثنوي»:

آن سواريكه سپه را شد ظفر اهل دين را كيست سلطان بصر
باعصا كوران اكرره ديده اند درپناه خلق روشن ديده اند
كرنه بينايان بدندى وشهان جمله كوران مرده اندى درجهان
نى زكوران كشت آيدنى درود نى عمارت نى تجارتها وسود

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وحرفه الباء لا الواو كما في سورة الأعراف لئلا يجتمع واوان أي: بالله لقد بعثنا نوحاً وهو ابن ملك بن متوشلخ بن إدريس عليهما السلام وهو أول نبي بعث بعده قال ابن عباس رضي الله عنهما:

بعث نوح على رأس أربعين من عمره، ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة، وكان عمره ألفاً وخمسين سنة، وقيل غير ذلك ولد نوح بعد الف وستمائة واثنتين وأربعين سنة من هبوط آدم عليه السلام وكانت دمشق داره ودفن في الكوفة.

وقال بعضهم: في الكرك، وقال بعضهم: في مغارة إبراهيم عليه السلام في القدس، ويقال: كان اسمه شاكراً وسمي نوحاً لكثرة نياحته على نفسه.

واختلفوا في سبب نياحته على ثلاثة أوجه، الأول: قلة رحمته حين قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: ٢٦] فلم يرض الله ذلك منه، والثاني: أنه مر بكلب؟ فقال: ما أقبحك من خلق فعاتبه الله على ذلك أعبتني أم عبت الكلب؟ فقام وناح على نفسه وذهب في البراري والجبال، والثالث: الميل والهوى إلى ولده ومراجعته إلى ربه حين قال: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود: ٤٥] فقال الله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦] فقام وناح على نفسه أو شفقة على الولد وخوفاً على نفسه كذا في «التبيان».

يقول الفقير عامله الله بلطفه الخطير إن بعض الزلات وإن كان سبباً للنياحة كما وقع أيضاً لداود عليه السلام وغيره إلا أن نياحة الأنبياء والأولياء إنما هي من جلال الله تعالى وهيبته الآخذة بقلوبهم فهي من صفات العاشقين وسمات العارفين، ألا ترى إلى يحيى عليه السلام لم ير أكثر نوحاً وبكاء منه في زمانه مع أنه لم يهم بذنب قط، وبكاء يعقوب عليه السلام لم يكن لمجرد فراق يوسف عليه السلام، بل كان فراقه سبباً صورياً ظاهرياً له، والله تعالى إذا أراد بكاء عبده وحنينه إلى جنابه ابتلاء بالفراق أو بالجوع أو بغيرهما كما لا يخفى على أهل القلوب وفي ذلك ترقيات له عجيبة وتجليات له غريبة، قد شاهدت هذه الحال من بعض أهل الكمال.

وههنا سؤال وهو أنه كيف يستقيم الإخبار في الأزل عن إرسال نوح عليه السلام بلفظ الماضي ونوح وقومه لم يجد بعد؟

والجواب أن هذا الإخبار بالنسبة إلى الأزل لا يتصف بشيء من الأزمنة إذ لا ماضي ولا مستقبل ولا حال بالنسبة إلى الله تعالى واتصافه به إنما هو بالنسبة إلى توجه الخطاب للسامع فإن كان معنى الكلام سابقاً على توجه الخطاب له كان ماضياً وإن كان معه أو بعده فالحال أو الاستقبال ﴿إني﴾ أي: فقال: لقومه إني ﴿لكم نذير﴾ مخوف ﴿مبين﴾ مظهر وذلك الإنذار على أكمل طرقه، أي: أبين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص منه بياناً ظاهراً لا شبهة فيه، ولم يقل وبشير لأن البشارة إنما تكون لمن آمن ولم يكن أحد آمن كما اقتصر على الإنذار في قوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ [المدثر: ٢] تقديماً للتخلية على التحلية.

﴿أن لا تعبدوا إلا الله﴾ أي: بأن لا تعبدوا على أنّ إن مصدرية والباء متعلقة بأرسلنا ولا ناهية، أي: أرسلناه ملتبساً بنهيهم عن الشرك.

قال في «التأويلات النجمية»: قال نوح: الروح لقومه القلب والنفس والبدن أن لا تعبدوا الدنيا وشهواتها والآخرة ودرجاتها فإن عبادة الله مهما كانت معلولة بشيء من الدنيا والآخرة فإنه عبد ذلك الشيء لا الله على الحقيقة انتهى.

ولذا قالوا: الرغبة في الإيمان والطاعة لا تنفع إلا إذا كانت تلك الرغبة رغبة فيه لكونه إيماناً وطاعة وأما الرغبة فيه لطلب الثواب وللخوف من العقاب فغير مفيدة. قال الشيخ المغربي قدس سره:

درجنت ديدار تماشاى جمالت ... باشد ز قصور ار بودم ميل بحورى

﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾ يوم القيامة أو يوم الطوفان. وأليم يجوز أن يكون صفة يوم وصفة عذاب على أن يكون جره للجوار، ووصفه بالأليم على الإسناد المجازي للمبالغة يعني أن إسناد الأليم إلى اليوم إسناد إلى الظرف، كقولك نهاره صائم، وإسناده إلى العذاب إسناد إلى الوصف كقولك جد جده والمتألم حقيقة هو الشخص المعذب المدرك لا وصفه ولا زمانه وإذا وصفا بالتألم دل على أن الشخص بلغ في تألمه إلى حيث سرى ما به من التألم إلى ما يلابسه من الزمان والأوصاف، فالأليم: بمعنى المؤلم على أنه اسم مفعول من الإيلام، ويجوز أن يكون بمعنى المؤلم على أنه اسم فاعل وهو صفة الله تعالى في الحقيقة؛ إذ هو الخالق للألم ـ روي ـ أن الله تعالى أرسل نوحاً إلى قومه فجاءهم يوم عيد لهم وكانوا يعبدون الأصنام ويشربون الخمور ويواقعون النساء كالبهائم من غير ستر فناداهم بصوت عالٍ ودعاهم إلى التوحيد ففزعوا، ثم نسبوه إلى الجنون وضربوه وكذبوه كما قال تعالى:

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ أي: الأشراف منهم الذين ملأوا القلوب هيبة والمجالس أبهة، ووصفهم بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم بذلك من أول الأمر، لا لأن بعض أشرافهم ليسوا بكفرة ﴿ما نراك إلا بشراً مثلنا﴾ لا مزية لك علينا تخصك من دوننا بالنبوة ووجوب الطاعة ولو كان كذلك لرأيناه فالرؤية بصرية وإلا بشراً حال من المفعول ويجوز أن تكون قلبية وهو الظاهر، فإلا بشرا مفعول ثان، وتعلق الرأي بالمثلية لا بالبشرية فقط.

قال الكاشفي: [ايشان هياكل بشر ديدند وازدرك حقائق اشيا غافل ماندند] مثنوى:

همسرى باانبيا بر داشتند ... اوليارا همچو خود پنداشتند
كفت اينك ما بشر ايشان بشر ... ماوايشان بستهٔ خوابيم وخور
اين ندانستند ايشان ازعمى ... هست فرقي درميان بى منتهى
هر دوكون زنبور خوردند ازمحل ... ليك شد زان نيش وزاين ديكر عسل
هردوكون آهو كيا خوردند وآب ... زاين يكى سركين شد وزان مشكناب
هر دون نى خوردند ازيك آبخور ... اين يكى خالي وآن پراز شكر

والإشارة أن النفس سفلية وطبعها سفلي ونظرها سفلي والروح علوي وله طبع علوي ونظر علوي فالروح العلوي من خصائصه دعوة غيره إلى عالمه لأنه بنظره العلوي يرى شرف العبادات وعزتها ويرى السفليات وخستها وذلتها فمن طبعه العلوي يدعو السفلي إلى العلويات والنفس السفلية بنظرها السفلي لا ترى العلويات ولا تميل بطبعها السفلي إلى العلويات بل تميل إلى السفليات وترى بنظرها السفلي كل شيء سفلياً فتدعو غيرها إلى عالمها فمن هنا ترى الروح العلوي بنظر المثلية، فكذلك صاحب هذه النفس يرى صاحب الروح العلوي بنظر المثلية فيقول ما نراك إلا بشراً مثلنا فلهذا ينظرون إلى الأنبياء، ولا يرونهم بنظر النبوة بل يرونهم بنظر الكذب والسحر والجنون ويرون اتباع الأنبياء بنظر الحقارة كما قالوا: ﴿وما نراك اتبعك﴾ الرؤية إن كانت بصرية يكون اتبعك حالاً من المفعول بتقدير قد وإن كانت قلبية يكون

مفعولاً ثانياً ﴿إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي﴾ أخساؤنا وأدانينا كالحاكة والأساكفة وأهل الصنائع الخسيسة ولو كنت صادقاً لاتبعك الأكياس والأشراف من الناس. فالأراذل جمع اسم تفضيل أي: أرذل كقوله: اكابر مجرميها وأحاسنكم أخلاقاً جمع أكبر وأحسن.

فإن قلت يلزم الاشتراك إذا بين الأشراف وبينهم في مأخذ الاشتقاق الذي هو الرذالة.

قلت هو للزيادة المطلقة والإضافة للتوضيح فلا يلزم ما ذكرت، وانتصاب بادي الرأي على الظرفية على حذف المضاف أي: اتبعك وقت حدوث بادي الرأي وظاهره، أو في أول الوهلة من غير تعمق وتدقيق تفكر من البدو، أو من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وإنما استرذلوهم مع كونهم أولي الألباب الراجحة لفقرهم وكان الأشراف عندهم من له جاه ومال كما ترى أكثر أهل زمانك يعتقدون ذلك ويبنون عليه إكرامهم وإهانتهم:

فـلـك بـمـردم نـادان دهـد زمـام مـراد تواهل فضلي ودانش همين كناهت بس

وما أعجب شأن أهل الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر ولا اتباعه وقد رضوا للإلهية بحجر وعبادته.

قال في «التأويلات النجمية» أما الأراذل من اتباع الروح البدن وجوارحه الظاهرة فإن الغالب على الحق أن البدن يقبل دعوة الروح ويستعمل الجوارح بالأعمال الشرعية، ولكن النفس الأمارة بالسوء تكون على كفرها، ولا تخلى البدن يستعمل بالأعمال الشرعية الدينية إلا لغرض فاسد ومصلحة دنيوية كما هو المعتاد لأكثر الخلق ﴿وما نرى لكم﴾ أي: لك ولمتبعيك فغلب المخاطب على الغائبين ﴿علينا من فضل﴾ من زيادة شرف في الملك والمال تؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة، واتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا نجد بكم فضيلة تستتبع اتباعنا لكم.

قال في «الكواشي»: وما نرى لكم علينا من فضل لأنكم بشر تأكلون وتشربون مثلنا. ﴿بل نظنكم كاذبين﴾ جميعاً لكون كلامكم واحداً ودعواكم واحدة.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ۝٢٨﴾

﴿قال﴾ نوح ﴿يا قوم﴾ [اي كروه من] ﴿أرأيتم﴾ أي: أخبروني فإن الرؤية سبب للإخبار ﴿إن كنت على بينة﴾ برهان ظاهر ﴿من ربي﴾ وشاهد يشهد بصحة دعواي. ﴿وآتاني رحمة من عنده﴾ هي النبوة ﴿فعميت عليكم﴾ أي: أخفيت تلك البينة عليكم. ﴿أنلزمكموها﴾ أي: أنلزمكم قبول تلك البينة ونوجبها عليكم ونجبركم على الاهتداء بها، وهذا استفهام معناه الإنكار يقول لا نقدر أن نلزمكم من ذات أنفسنا وهو جواب أرأيتم وساد مسد جواب الشرط ﴿وأنتم لها كارهون﴾ والحال أنكم لا تختارونها ولا تتأملون فيها ومحصول الجواب أخبروني إن كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة الدعوى إلا أنها خافية عليكم غير مسلمة عندكم أيمكننا إن نكرهكم على قبولها وأنتم معرضون عنها غير متدبرين فيها أي: لا يكون ذلك.

قال سعدي المفتي: المراد إلزام جبر بالقتل ونحوه فأما إلزام الإيجاب فهو حاصل.

قال قتادة: لو قدر الأنبياء أن يلزموا قومهم الإيمان لألزموهم ولكن لم يقدروا:

يـكـى را بـخـوانـى كـه مـقـبـول مـاسـت يـكـى را بـرانـى كـه مـخـذول مـاسـت

بدونيك امر ترا بنده اند بتسليم حكمت سر افكنده اند

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿ويا قوم لا أسألكم عليه﴾ على تبليغ الرسالة وهو إن لم يذكر فمعلوم من قوله ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود: ٢٥-٢٦] ﴿مالا﴾ تؤدونه إلي بعد إيمانكم واتباعكم لي فيكون ذلك أجراً لي في مقابلة اهتدائكم. ﴿إن أجري إلا على الله﴾ وهو الثواب الذي يثيبني في الآخرة، أي: ما بلغتكم من رسالة الله إلا لوجه الله لا لغرض من أغراض الدنيا. ﴿وما أنا بطارد الذين آمنوا﴾ لأنهم طلبوا منه أن يطرد من عنده من الفقراء والضعفاء حتى يجالسوه كما طلب رؤوس قريش من رسول الله ﷺ طرد فقراء المؤمنين الملازمين لمجلسه الشريف استنكافاً منهم أن ينتظموا معهم في سلك واحد. قال الحافظ:

آنچه زر ميشود از پرتو آن قلب سياه كيمياييست كه درصحبت درويشانست

وقال:

نظر كردن بدرويشان منافىء بزركى نيست
سليمان باچنان حشمت نظرها بودبامورش

قيل: إن الله تعالى اختار الفقر لرسول الله ﷺ نظراً لقلوب الفقراء حتى يتسلى الفقير بفقره كما يتسلى الغني بماله، وليدل على هوان الدنيا عند الله تعالى ﴿إنهم ملاقو ربهم﴾ يوم القيامة فيقتص لهم ممن ظلمهم كما في «الكواشي» أو إنهم فائزون في الآخرة بلقاء الله تعالى وحسن جزائه كأنه قيل: لا أطردهم ولا أبعدهم عن مجلسي، لأنهم مقربون في حضرة القدس وكيف أذل من أعزه الله تعالى. ﴿ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾ ما أمرتكم به وما جئتكم به قاله أبو الليث.

وقال في «الإرشاد»: تجهلون بكل ما ينبغي أن يعلم، ويدخل فيه جهلهم بلقائه تعالى وبمنزلتهم عنده وباستيجاب طردهم لغضب الله تعالى.

﴿ويا قوم من ينصرني من الله﴾ يدفع عني غضب الله تعالى ويمنعني من انتقامه ﴿إن طردتهم﴾ وهم بتلك الصفة والمثابة من الكرامة والزلفى ﴿أفلا تذكرون﴾ أي: أتستمرون على ما أنتم عليه من الجهل المذكور، فلا تتذكرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا أن ما تأتون بمعزل من الصواب، وفي الحديث: «حب الفقراء والمساكين من أخلاق الأنبياء والمرسلين وبغض مجالستهم من أخلاق المنافقين».

والإشارة يقول نوح الروح للنفس من يمنعك من عذاب الله تعالى وقهره إن منعت البدن من الطاعة والعبودية واقتصر على مجرد إيمان النفس وتخلقها بأخلاق الروح، كما هو معتقد أهل الفلسفة وأهل العناد فإنهم يقولون إن أصل العبودية معرفة الربوبية وجمعية الباطن والتحلية بالأخلاق الحميدة فلا عبرة للأعمال البدنية كذبوا والله وكذبوا الله ورسوله فضلوا كثيراً، والقول ما قال المشايخ رحمهم الله: الظاهر عنوان الباطن وقال النبي ﷺ: «لا يستقيم إيمان أحدكم حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم أعماله»

يعني أركان الشريعة تسري إلى الباطن عند استعمال الشريعة في الظاهر وإن الله تعالى أودع النور في الشرع والظلمة في الطبع وإنما بعث الأنبياء ليخرجوا الخلق من ظلمات الطبع إلى نور الشرع.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿ولا أقول لكم﴾ حين أدعي النبوة ﴿عندي خزائن الله﴾ أي: عندي رزق الله وأمواله حتى تستدلوا بعدمها على كذبي بقولكم، وما نرى لكم علينا من فضل، بل نظنكم كاذبين فإن النبوة أعز من أن تنال بأسباب دنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه.

قال سعدي المفتي: يعني: لا أدعي وجوب اتباعي بكثرة المال والجاه الدنيوي حتى تنكروا فضلي وإنما أدعي وجوبه، لأني رسول الله وقد جئت ببينة تشهد على ذلك ﴿ولا أعلم الغيبَ﴾ أي: لا أدعي في قولي ﴿إني لكم نذير مبين﴾ ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾، العلم على الغيب حتى تسارعوا إلى الإنكار والاستبعاد.

وقال سعدي المفتي: الظاهر أنهم حين ادعى النبوة سألوه عن المغيبات وقالوا: إن كنت صادقاً في دعواك فأخبرنا عن كذا وكذا، فقال: أنا أدعي النبوة وقد جئتكم بآية من ربي ولا أعلم الغيب إلا بإعلامه ولا يلزم من أن يكون سؤالهم مذكوراً في النظم أن سؤال طردهم كذلك ﴿ولا أقول﴾ لكم ﴿إني ملك﴾ حتى تقولوا ما نراك إلا بشراً مثلنا فإن البشرية ليست من موانع النبوة بل من مبادئها. يعني إنكم اتخذتم فقدان هذه الأمور الثلاثة ذريعة إلى تكذيبي والحال أني لا أدعي شيئاً من ذلك ولا الذي أدعيه يتعلق بشيء منها، وإنما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر. ﴿ولا أقول﴾ مساعدة لكم كما تقولون ﴿للذين تزدري أعينكم﴾ زراه إذا عابه واستصغره أي: لأجل المؤمنين الذي تزدريهم أعينكم لفقرهم وفي شأنهم، ولو كانت اللام للتبليغ لكان القياس لن يؤتيكم بكاف الخطاب، وإسناد الازدراء إلى الأعين للمبالغة والتنبيه على أنهم استرذلوهم بادىء الرؤية من غير رؤية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم. قال السعدي:

معانيست درزير حرف سياه … چودر پرده معشوق ودرميغ ماه

پسنديده ونغز بايد خصال … كه كاه آيد وكه رود جاه ومال

يقول الفقير: الظاهر أن إسناد الازدراء إلى الأعين إنما هو بالنسبة إلى ظهوره فيها كما يقال: فلان نظر إلى فلان بعين التحقير دون عين التعظيم، وهذا لا ينافي كونه من صفات القلب في الحقيقة ﴿لن يؤتيهم الله خيراً﴾ في الدنيا أو في الآخرة فعسى الله أن يؤتيهم خير الدارين وقد وقع كما قال، فإن نطق الأنبياء عليهم السلام إنما هو من الوحي والإلهام حيث أورثهم الله أرضهم وديارهم بعد عزتهم ﴿الله أعلم بما في أنفسهم﴾ من الإيمان والمعرفة ورسوخهم فيه ﴿إني إذاً﴾ أي: إذ قلت ذلك ﴿لمن الظالمين﴾ لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم، أو من الظالمين لأنفسهم، بذلك فإن وباله راجع إلى أنفسهم. وفيه تعريض بأنهم ظالمون في ازدرائهم واسترذالهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم» المراد أخوة الإسلام «لا يظلمه» بنقصه حقه أو بمنعه إياه «ولا يخذله» بترك الإعانة والنصرة إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه «ولا يحقره» أي: لا يحتقره ولا يستكبر عليه. والاحتقار بالفارسية [خوارداشتن] «التقوى ههنا التقوى ههنا التقوى ههنا» ويشير إلى صدره، وأصل التقوى الاجتناب والمراد ههنا اجتناب المعاصي وكأن المتقي يتخذ له وقاية من عذاب الله تعالى بترك المخالفة. وقوله ههنا إشارة إلى أن الأعمال الظاهرة لا تحصل بها التقوى وإنما تحصل بما يقع من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته فمن كانت التقوى في قلبه فلا ينظر إلى أحد بعين الحقارة «بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم» يعني: يكفيه من الشر احتقاره أخاه المسلم «كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله» العرض موضع المدح والذم من الإنسان كما في «فتح القريب».

وقال ابن الملك: عرض الرجل: جانبه الذي يصونه.

﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا﴾ خاصمتنا ﴿فأكثرت جدالنا﴾ أي: أطلته، والمجادلة روم أحد الخصمين إسقاط كلام صاحبه وهو من الجدل وهو شدة القتل ﴿فائتنا بما تعدنا﴾ أي: تعدنا من العذاب المعجل. ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في الدعوى والوعيد فإن مناظرتك تؤثر فينا.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿قال إنما يأتيكم به الله إن شاء﴾ عاجلاً أو آجلاً وليس موكولاً إليّ ولا مما يدخل تحت قدرتي، وفيه إشارة إلى أن وقوع العذاب بمشيئة الله لا بالأعمال الموجبة للوقوع ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ بالهرب أو بالمدافعة كما تدافعون في الكلام.

قال الإمام: فإن أحداً لا يعجزه أي: يمنعه مما أراد يفعله والمعجز هو الذي يفعل ما عنده فيتعذر به مراد الغير فيوصف بأنه أعجزه فقوله تعالى: ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ أي: لا سبيل لكم إلى أن تفعلوا ما عندكم فيمتنع على الله تعالى ما يشاء من العذاب إن أراد إنزاله بكم.

﴿ولا ينفعكم نصحي﴾ النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه الخير من فعل أو قول وحقيقته الخاصة إرادة الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش، وقيل هو إعلام موضع الغي ليتقي. وموضع الرشد ليقتفي ﴿إن أردت أن أنصح لكم﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه، والتقدير إن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة دالة على ما حذف من جواب قوله تعالى ﴿إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ والتقدير إن كان الله يريد أن يغويكم، فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي، وفيه إشارة إلى أن نصح الأنبياء ودعوتهم لا تفيد الهداية مع إرادة الله الغواية والكل بيد الله تعالى. قال الحافظ:

مكن بچشم حقارت نكاه برمن مست   كه نيست معصيت وزهد بي مشيت او

يقول الفقير: قد سبق أن نوحاً عليه السلام وصفهم بالجهل والجاهل لا ينفع فيه النصح والوعظ كما في «المثنوي»:

پند كفتن باجهول خوابناك   تخم افكندن بود درشوره خاك

چاك حمق وجهل نپذيرد رفو تخم حكمت كم دهش اي پندكو

﴿هو ربكم﴾ خالقكم والمتصرف فيكم وفق إرادته ﴿وإليه ترجعون﴾ فيجازيكم على أعمالكم لا محالة.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿أم يقولون﴾ قوم نوح ﴿افتراه له﴾ الضمير المستتر المرفوع لنوح عليه السلام والبارز للوحي الذي بلغه إليهم. ﴿قل﴾ يا نوح ﴿إن افتريته﴾ بالفرض البحت فهو لا يدل على أنه كان شاكاً بل هو قول يقال: على وجه الإنكار عند اليأس من القبول ﴿فعليّ إجرامي﴾ أي: وبال إجرامي وهو كسب الذنب فالمضاف محذوف، وإن كنت صادقاً فكذبتموني فعليكم عقاب ذلك التكذيب فحذف لدلالة قوله تعالى: ﴿وأنا بريء مما تجرمون﴾ عليه، أي: من إجرامكم في إسناد الافتراء إليّ فلا وجه لإعراضكم عني ومعاداتكم لي. وفيه إشارة إلى أن ذنوب النفس لا تنافي صفاء الروح ولا يتكدر الروح بها ما دام متبرئاً منها لكن كل من القوى يتكدر بما قارفه من ذنوب نفسه، فالجهل يكدر الروح والميل إلى ما سوى الله تعالى يكدر القلب، والهوى يكدر النفس والشهوة تكدر الطبيعة.

فعلى العاقل تجلية هذه المرائي وتصقيلها له تعالى والتوجه إلى الحضرة العلياء والعمل على وفق الهدى وترك المشتهيات.

قال حضرة شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة: الإنسان، إما حيواني وهم الذين غلب عليهم أوصاف الطبيعة وأحوال الشهوة، وإما شيطاني وهم الذين غلب عليهم أوصاف النفس وأحوال الشيطنة، وإما ملكي وهم الذين غلب عليهم أوصاف الروح وأحوال الملكية، وإما صاحب الجانبين وهم الذين استوى واشترك فيهم وصف الطبيعة والنفس ووصف الملكية والروح. وإما رحماني وهم الذين غلب عليهم وصف السر وحاله ثم الثلاثة الأول من يخرج منهم بالإيمان من الدنيا فهم يدخلون الجنة بالفضل أو بعد إقامة العدل وهم أصحاب اليمين وأرباب الجمال، ومن يخرج من الدنيا بلا إيمان فيدخلون الجحيم بالعدل وهم أصحاب الشمال وأرباب الجلال، والرابع: من يخرج منهم بالإيمان فهم أهل الأعراف والخامس: هم أرباب الكمال السابقون المقربون وما منا إلا له مقام معلوم ورزق مقسوم، ثم الحيوانيون بعدما خرجوا من الدنيا يحشرون مع الشياطين والملكيون يحشرون مع الملائكة وأصحاب الجانبين يحشرون بين الطرفين والرحمانيون يحشرون مع قرب الرحمن قال عليه السلام: «تموتون كما تعيشون وتحشرون كما تموتون» انتهى كلامه.

قال يحيى بن معاذ الرازي: الناس ثلاثة أصناف، رجل شغله معاده عن معاشه. ورجل شغله معاشه عن معاده، ورجل مشتغل بهما جميعاً فالأول: درجة الفائزين، والثاني: درجة الهالكين، والثالث: درجة المخاطرين وفي الحديث: «إن لله خواص يسكنهم الرفيع من الجنان كانوا أعقل الناس» قالوا يا رسول الله: كيف كانوا أعقل الناس؟ قال: «كانت همتهم المسابقة إلى ربهم والمسارعة إلى ما يرضيه، وزهدوا في الدنيا وفي رياستها، وفي فضولها ونعيمها فهانت عليهم فصبروا قليلاً، واستراحوا طويلاً».

تاكى م دنياي دنى اي دل دانا حيفست زخوبى كه شود عاشق زشتى

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك﴾ أي: المصرين على الكفر، وهو إقناط له عليه السلام من إيمانهم وإعلام لكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه **﴿إلا من قد آمن﴾** إلا من قد وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه وقد للتوقع وقد أصابت محزها.

وقال المولى أبو السعود رحمه الله: هذا الاستثناء على طريقة قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢] وقد سبق في أواخر سورة النساء.

وقال سعدي المفتي: إن قيل من قد آمن لا يحدث الإيمان بل يستمر عليه فكيف صح اتصال الاستثناء؟ قلنا قد تقرر أن لدوام الأمور المستمرة حكم الابتداء ولهذا لو حلف لا ألبس هذا الثوب وهو لابسه فلم ينزعه في الحال يحنث ومبنى الأيمان على العرف.

وقال القطب العلامة: **﴿إلا من قد آمن﴾** قد استعد للإيمان وتوقع منه ولا يراد الإيمان بالفعل وإلا لكان التقدير إلا من قد آمن فإنه يؤمن. **﴿فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾** هو تفتعل من البؤس ومعناه الحزن في استكانة وهي الخضوع، أي: لا تحزن حزن بائس مستكين، ولا تغتم بما كانوا يتعاطون من التكذيب والإيذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى أفعالهم وحان وقت الانتقام منهم، وعن النبي ﷺ إنه قال: «إن نوحاً كان إذا جادل قومه ضربوه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» انتهى.

ولما جاء هذا الوحي من عند الله تعالى دعا عليهم فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]. وفي «المثنوي»:

نا حمولى انبيارا از امر دان ورنه حمالست بدرا حلمشان

طبع را كشتند اندر حمل بد نا حمولى كر كند از حق بود

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: أول ما يتخلق المتخلق بعدم التأذي بأذى الأنام باحتماله صبراً، وواسطته أن لا يجدهم مؤذين لأنه موحد فيستوي عنده المسيء والمحسن في حقه، وخاتمته أن يرى المسيء محسناً إليه فإنه عالم بالحقائق متحقق بالتجلي الإلهي وهي بداية التحقيق.

والإشارة في الآية أن نوح الروح لا يؤمن من قومه إلا القلب والسر والبدن وجوارحه، فأما النفس فإنها لا تؤمن أبداً اللهم إلا نفوس الأنبياء وخواص الأولياء، فإنها تسلم أحياناً دون الإيمان وحال النفوس كأحوال الأعراب، كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] فإن معدن الإيمان القلوب ومظهر الإسلام النفوس، لأن الإسلام الحقيقي الذي قال تعالى فيه: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢] هو ضوء قد انعكس من مرآة القلب المنور بنور الإيمان فأما إسلام الأعراب إذ قال تعالى لهم: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] لم يكن ضوءاً منعكساً من مرآة القلب المنور ولكن هو ضوء منعكس من النور المودع في كلمة التوحيد والأعمال الصالحة عند إتيانها بالصدق علم أن إيمان الخواص ينزل من الحق تعالى بنظر عنايته على القلوب القابلة للفيض الإلهي بلا واسطة وإيمان العوام يدخل في قلوبهم من طريق الإقرار باللسان والعمل بالأركان **﴿فلا تبتئس﴾** على نفوس السعداء **﴿بما كانوا يفعلون﴾** من أعمال

الشر فإنها لهم كالجسد للأكسير ينقلب ذهباً مقبولاً عند طرح الروح فلذلك تنقلب أعمال الشر خيراً عند طرح التوبة عليها كما قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ [الفرقان: ٧٠] ﴿ولا تبتئس﴾ على نفوس الأشقياء ﴿بما كانوا يفعلون﴾ لأنها حجة الله على شقاوتهم وبتلك السلاسل يسحبون في النار على وجوهم كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿واصنع الفلك﴾ [چون فائده دعوت از ايشان منقطع كشته زمان نزول عذاب در رسيد حكم شدكه أي نوح ميان اجتهاد دبربند وبساز كشتي را] والأمر للوجوب إذ لا سبيل إلى صيانة الروح من الغرق إلا به فيجب كوجوبها. واللام إما للعهد بأن يحمل على أن هذا مسبوق بالوحي إليه أنه سيهلككم بالغرق وينجيه ومن معه بشيء سيصنعه بأمره تعالى ووحيه من شأنه كيت وكيت واسمه كذا وإما للجنس، والصنعة بالفارسية [كاركردن] والمراد ههنا نجر الخشب أي: نحته ليتحصل منه صورة السفينة ﴿بأعيننا﴾ العين ليست من الآلات التي يستعان بها على مباشرة العمل بل هي سبب لحفظ الشيء فعبر بها عنه مجازاً وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة والكثرة أسباب الحفظ والرعاية فالأعين في معنى محفوظاً على أنه حال من فاعل اصنع، أي: اصنعه محفوظاً من أن يمنعك أحد من أعدائك عن ذلك العمل وإتمامه ومن أن تزيغ في صنعته عن الصواب.

وقال الكاشفي: [بأعيننا بنكاه داشتن ما يا باعين ملائكة كه مدد كار وموكل تواند] يقول الفقير: الأول أنسب لما في سورة الطور من قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨] أي: في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك واتحاد القضية ليس بشرط ﴿ووحينا﴾ إليك كيف نصنعها وتعليمنا وإلهامنا، أي: موحى إليك كيفية صنعتها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر بالفارسية [چون سينهء مرغ وبراو] فأخذ القدوم وجعل يضرب ولا يخطىء [ودر اخبار آمده كه نوح عليه السلام چوب كشتى بطلبيد فرمان برسيد تادرخت ساج بكاشت ودرمدت بيست سال كه درخت برسيد مطلقاً هيچ فرزند متولد نشد تا اطفال قوم بالغ شدند وايشان نيز متابعت آبا كرده از قبول دعوت نوح أبا كردند پس نوح بساختن كشتى اشتغال فرمود] ونحتها في سنتين واستأجر أجراء ينحتون معه، وقيل في أربعمائة سنة.

ومن الغرائب ما في «حياة الحيوان» من أن أول من اتخذ الكلب للحراسة نوح عليه السلام قال: يا رب أمرتني أن أصنع الفلك وأنا في صناعته أصنع أياماً فيجيئون بالليل فيفسدون كل ما عملت، فمتى يلتئم لي ما أمرتني به قد طال عليّ أمري؟ فأوحى الله تعالى إليه يا نوح اتخذ كلباً يحرسك فاتخذ نوح كلباً، وكان يعمل بالنهار وينام بالليل فإذا جاء قومه ليفسدوا بالليل ينبحهم الكلب فينتبه نوح عليه السلام فيأخذ الهراوة ويثب إليهم فينهزمون منه فالتأم ما أراد وفعل السفينة برشاد. وفي «المثنوي»:

قابل تعليم وفهمست اين خرد ليك صاحب وحى تعليمش دهد

جمله حرفتها يقين از وحى بود | اول أو ليك عقل آنرا فزود
هيچ حرفت را بين كين عقل ما | ماند أو آموختن بي اوستا
كرچه اندر فكرموى اشكاف بد | هيچ پيشه رام بى اوستا نشد

وكان طول السفينة ثلاثمائة ذراع والذراع إلى المنكب وعرضها خمسين ذراعاً وسمكها أي: ارتفاعها في الهواء ثلاثين ذراعاً وبابها في عرضها أو كان طولها ألفاً ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع كما قيل إن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام: لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب فأخذ كفاً من ذلك التراب فقال: أتدرون من هذا قالوا: ـ الله ورسوله أعلم ـ قال: هذا كعب بن حام فضرب بعصاه وقال: قم بإذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى: أهكذا هلكت قال: لا مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت فقال: حدثنا عن سفينة نوح قال: كان طولها ألفاً ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للإنس وطبقة للطير ثم قال: عد بإذن الله تعالى كما كنت فعاد تراباً.

قال في «الكواشي»: وطلاها بالقار فلما أتمها أنطقها الله فقالت: لا إله إلا الله في الأولين والآخرين، أنا السفينة التي من ركبني نجا ومن تخلف عني هلك ولا يدخلني إلا أهل الإيمان والإخلاص فقال قومه: يا نوح هذا قليل من سحرك. **﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾** أي: لا تراجعني فيهم ولا تدعني في استدفاع العذاب عنهم، وفي وضع المظهر موضع المضمر تسجيل عليهم بالظلم ودلالة على أنه إنما نهى عن الدعاء لهم بالنجاة لتصميمهم على الظلم وأن العذاب إنما لحقهم لذلك **﴿إنهم مغرقون﴾** محكوم عليهم بالإغراق قد مضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل إلى كفه ولزمتهم الحجة فلم يبق إلا أن يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلاً للآخرين.

ويقال: للذين ظلموا يعني: ابنه كنعان كما في «تفسير» أبي الليث وزاد في «التبيان» امرأته والعة أو واعلة بالعين المهملة وهي أم كنعان.

يقول الفقير لعله هو الأصوب لأنه روي أن الأرض صاحت وقال: يا رب ما أحلمك على هؤلاء الكفرة يمشون على ظهري ويأكلون رزقك ويعبدون غيرك ثم نطقت السباع كذلك، فلما اشتد الأمر وعلم نوح أنه لا يؤمن من قومه أحد بعد دعا عليهم بالهلاك، فكيف يخاطب الله فيهم وفي نجاتهم. وأما كنعان وأمه فهما وإن كانا كافرين لكن لا يسوي بينهما وبينهم من حيث إن الشفقة على الأهل والأولاد أشد وكان من شأنه المخاطبة في حقهم ولذلك نهي عنها وسيجيء زيادة البيان في ذلك.

قال في «التأويلات النجمية»: **﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾** أي: النفوس فإن الظلم من شيمتها إنه كان ظلوماً جهولاً؛ لأنها تضع الأشياء في غير موضعها تضع عبادة الحق في هواها والدنيا وشهواتها، وفي هذا الخطاب حسم مادة الطمع عن إيمان النفوس، وفيه حِكَم يطول شرحها منها ترقي أهل الكمالات إلى الأبد فافهم جداً، وإن النفس مكمن مكر الحق حتى لا تأمن منها ومن صفاتها إنهم مغرقون في طوفان الفتن إلا من سلمة الله منه والسلامه في ركوب سفينة الشريعة، فإن نوح الروح إن لم يركبها كان من المغرقين انتهى. وفي الحديث: «مثلي ومثل أمتي كمثل سفينة نوح من تمسك بها نجا ومن تخلف عنها غرق» وفي «المثنوي»:

بهر اين فرمود پيغمبر كه من همچو كشتى ام بطوفان زمن
ما وأصحابيم چون كشتىء نوح هركه دست اندر زند يابد فتوح
چونكه باشيخى تودور از زشتىٔ روز وشب سيارى ودركشتىٔ
مكسل از پيغمبر ايام خويش تكيه كم كن برفن وبركام خويش
كرچه شيرى چون روى ره بى دليل خويش روبه در ضلالي وذليل

﴿ويصنع الفلك﴾ ينجرها، وهي حكاية حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة، ﴿وكلما﴾ أي: يصنعها والحال أنه كلما ﴿مر عليه ملأ﴾ أشراف ورؤساء ﴿من قومه سخروا منه﴾ استهزؤوا به لعمله السفينة إما لأنهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها فقالوا: يا نوح ما تصنع؟ قال: اصنع بيتاً يمشي على الماء فتعجبوا من قوله وسخروا منه، وإما لأنه كان يصنعها في برية بهماء في أبعد موضع من الماء في وقت عزته عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون: يا نوح صرت نجاراً بعد ما كنت نبياً ويقولون أتجعل للماء إكافاً فأين الماء؟ أو لأنه كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عيناً ولا أثراً عدوه من باب المحال، ثم لما رأوا اشتغاله بأسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع إنكار أن يكون لعمله عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة.

من اكرنيكم وبدتو برو وخودرا باش هر كسى آن درود عاقبت كاركه كشت

قوله ﴿كلما﴾ ظرف وما مصدرية ظرفية تقديره وكل وقت مرور سخروا منه والعامل سخروا منه ﴿قال﴾ استئناف كأن سائلاً سأل، فقال: فما صنع نوح عند بلوغ أذاهم الغاية فقيل: قال: ﴿إن تسخروا منا﴾ [اكر سخريه وافسوس ميكنيد باما] ﴿فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾ سخرية مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة.

قال المولى أبو السعود رحمه الله: أي: نعاملكم معاملة من يفعل ذلك؛ لأن نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة انتهى.

يقول الفقير: المقصود من هذه السخرية إصابة جزاء السخرية، وكل أحد إنما يجازي من جنس عمله لا من خلاف جنسه ألا ترى إلى قوله تعالى في حق الصائمين، ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤﴾ [الحاقة: ٢٤] فإنه يقال: لهم يوم القيامة كلوا يا من جوعوا بطونهم واشربوا يا من عطشوا أكبادهم، ولا يقال: كلوا يا من قطعوا الليل واشربوا يا من ثبتوا يوم الزحف، إذ ليس فيه المناسبة بين العمل وجزائه فالآية نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ۝٢٩﴾ [المطففين: ٢٩] ألا ترى إلى ما قال في «الجزاء»: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤﴾ [المطففين: ٣٤] ثم تمم بقوله: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٦].

وفي الآية إشارة إلى أن أهل النفس وتابعي هواها يستهزئون بمن يستعمل أركان الشريعة الظاهرة ويضحكون منهم في إتعابهم بها نفوسهم إذ هم بمعزل عن أسرارها وأنوارها فإن سخروا منهم بجهلهم لفائدة هذه السفينة فسوف يسخر بهم من ركبها إذ نجوا وهلكوا.

قال شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة: فكما أن العالم الغير العامل والجاهل الغير العامل سواء في كونهما مطروحين عن باب الله تعالى فكذلك العارف الغير العامل والغافل الغير العامل سواء في كونهما مردودين عن باب الله تعالى، لأن مجرد العلم والمعرفة ليس بسبب القبول والفلاح ما لم يقارن العمل بالكتاب والسنة بل كون مجردهما سبب الفلاح مذهب الحكماء

الغير الإسلامية فلا بد معهما من العمل حتى يكونا سبباً للنجاة كما هو مذهب أهل السنة والحكماء الإسلامية انتهى كلامه المقبول المفيد:

كاري كنيم ورنه حجالت بر آود روزى كه رخت جان بجهان دكر كثيم

قال السعدي قدس سره:

كنون كوش كآب از كمر در كذشت در وقت سيلابت از سر كذشت

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿فسوف تعلمون من﴾ عبارة عنهم وهي إما استفهامية في حيز الرفع، أو موصولة في محل النصب بتعلمون، وما في حيزها ساد مسد المفعولين.

قال سعدي المفتي من موصولة ويعدى تعلمون إلى واحد استعمالاً لها استعمال عرف في التعدية إلى واحد ﴿يأتيه عذاب﴾ وهو عذاب الغرق، ﴿يخزيه﴾ يهينه ويذله وصف العذاب بالإخزاء، لما في الاستهزاء والسخرية من لحوق الخزي والعار عادة. ﴿ويحل عليه﴾ حلول الدين الذي لا انفكاك عنه، ففي الكلام استعارة مكنية حيث شبه العذاب الأخروي الذي قضى الله تعالى به في حقهم بالدَّين المؤجل الواجب الحلول، وأثبت له الحلول الذي هو من لوازمه ﴿عذاب مقيم﴾ دائم هو عذاب النار.

﴿حتى إذا جاء أمرنا﴾ للتنور بالفوران أو للحساب بالإرسال وحتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لقوله ويصنع فإن كونها حرف ابتداء لا ينافي كون ما بعدها غاية لما قبلها. والمعنى وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الطوفان ﴿وفار التنور﴾ [وبجوشيد آب ازتنور] والتنور اسم أعجمي عربته العرب لأن أصل بنائه تنر وليس في كلام العرب نون قبل راء ذكره القرطبي أي: نبع منه الماء وارتفع بشدة كما يفور القدر بغليانها، والتنور: تنور الخبز لأهله وهو قول الجمهور - روي - أنه قيل لنوح إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب ومن معك في السفينة، فلما نبع الماء أخبرته امرأته فركب، وقيل: كان تنور آدم وكان من حجارة فصار إلى نوح وإنما نبع منه وهو أبعد شيء من الماء على خرق العادة، واختلفوا في مكان التنور أيضاً فقيل كان في الكوفة في موضع مسجدها عن يمين الداخل مما يلي باب الكنيسة؛ وكان عمل السفينة في ذلك الموضع، وفي «القاموس»: الغارقون مسجد الكوفة لأن الغرق كان فيه، وفي زاوية له فار التنور، وقيل: في الهند، وقيل: في موضع بالشام يقال له: عين وردة وقيل: التنور وجه الأرض أو أشرف موضع في الأرض، أي: أعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر ﴿قلنا﴾ جواب إذا وإن جعلت حتى جارة متعلقة بيصنع فإذا ليست بشرطية، بل مجرورة بحتى وقلنا استئناف. ﴿احمل فيها﴾ الضمير راجع إلى الفلك والتأنيث باعتبار السفينة ﴿من كل﴾ أي: من كل نوع من الحيوانات لا بدّ منه في الأرض ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١] مفعول احمل واثنين صفة مؤكدة له وزيادة بيان كقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١] والزوجان عبارة عن كل اثنين لا يستغني أحدهما عن الآخر، ويقال: لكل واحد منهما زوج يقال: وزوج خف وزج نعل.

قال في «الإرشاد»: الزوج ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج للأنثى كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد ولإزالة ذلك الاحتمال قيل اثنين كل منهما زوج الآخر وقدم ذلك على أهله وسائر المؤمنين لأنه إنما يحمل بمباشرة البشر وهم إنما يدخلونها بعد حملهم إياه ـ روي ـ أن نوحاً قال: يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين، فحشر الله إليه السباع والطير فجعل يضرب يديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والأنثى في اليسرى فيجعلهما في السفينة.

قال الحسن: لم يحمل في السفينة إلا ما يلد ويبيض، وأما ما يتولد من التراب كالحشرات والبق والبعوض فلم يحمل منه شيئاً.

قال الشيخ السمرقندي في «بحر الكلام»: وأول ما حمل نوح الذرة وآخر ما حمله الحمار فلما دخل صدره تعلق إبليس بذنبه فلم يستقل رجلاه فجعل نوح يقول: ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال نوح: ادخل والشيطان معك، فلما قالها نوح: خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال نوح: ما أدخلك عليّ يا عدو الله؟ قال: ألم تقل أدخل والشيطان معك، قال: اخرج عني يا عدو الله، قال: ما لك بدّ من أن تحملني معك وكان فيما يزعمون في ظهر الفلك انتهى.

وقال في «إن إبليس أراد أن يدخل السفينة فلم يمكن أن يدخل من غير إذن فتعلق بذنب حمار وقت دخوله في السفينة فلم يدخل الحمار في السفينة فألح عليه نوح عليه السلام فقال نوح للحمار: ادخل يا ملعون فدخل الحمار السفينة ودخل معه إبليس فلما كان بعد ذلك رأى نوح إبليس في السفينة فقال له: دخلت السفينة بغير أمري فقال له: إبليس ما دخلت إلا بأمرك فقال له: فأنا ما أمرتك فقال: أمرتني حين قلت للحمار ادخل يا ملعون ولم يكن ثمة ملعون إلا أنا فدخلت فتركه، وفي الحديث: «إذا سمعتم نهاق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطاناً وإذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً» قالوا: صوت كل حيوان تسبيح منه إلا الحمار فإن صوته من رؤية الشيطان وذلك يدل على كمال دناءته في نفسه، ولذا تعلق الشيطان بذنبه وجاء صديقاً له، وأما الديك فهو عدو له لأنه يصيح في أوقات الصلاة عند استماع صوت ديك العرش ولا بعد في تفاوت الحيوانات العجم كالإنسان وقد صح أن البغال كانت أسرع الدواب في نقل الحطب لنار إبراهيم عليه السلام ولذلك دعا عليها فقطع الله نسلها وإن الوزغ كان ينفخ في ناره ولذا ورد «من قتل وزغة في أول ضربة كتبت له مائة حسنة».

قال في «حياة الحيوان»: إذا ذبح الديك الأبيض الأفرق أحد لم يزل ينكب في أهله وماله.

وعن سالم بن عبد الله، عن أبيه، قال: لما ركب نوح عليه السلام في السفينة رأى فيها شيخاً لم يعرفه فقال له نوح: ما أدخلك؟ قال: دخلت لأصيب قلوب أصحابك فيكون قلوبهم معي وأبدانهم معك، قال نوح: اخرج يا عدو الله فقال إبليس: خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى إلى نوح إنه لا حاجة بك إلى الثلاث مره يحدثك بالثنتين قال: الحسد وبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيماً والحرص أبيح لآدم الجنة كلها فأصبت حاجتي منه بالحرص. وفي «المثنوي»:

حرص تودكار بدچون آتشست | اخكر ازرنك خوش آتش خوشست
آن سياهئ فحم در آتش نهان | چون شد آتش آن سياهى شد عيان
اخكراز حرص توشد فحم سياه | حرص چون شد ماند آن فحم تباه
آن زمان آن فحم احكر مينمود | آن نه حسن كارنار حرص بود
حرص كارت را بيار اثيده بود | حرص رفت وماند كار توكبود

وقيل: إن الحية والعقرب أتيا نوحاً فقالتا: احملنا فقال: أنتما سبب الضرر والبلاء فلا احملكما قالتا: احملنا فنحن نضمن لك لا نضر أحداً فمن قرأ حين خاف مضرتهما ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الصافات: ٧٩] ما ضرتاه.

وعن وهب بن منبه أمر نوح بأن يحمل من كل زوجين اثنين قال: يا رب كيف أصنع بالأسد والبقرة وبالعناق والذئب وبالحمام والهرة قال: يا نوح من ألقى بينهم العداوة؟ قال: أنت يا رب قال: فإني أؤلف بينهم حتى يتراضوا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما كثر الفار في السفينة حتى خافوا على حبال السفينة فأوحى الله تعالى إلى نوح أن امسح جبهة الأسد فمسحهما فعطس فخرج منها سنوران فأكلا الفار وكثرت العذرة في السفينة، فشكوا إلى نوح فأوحى الله تعالى أن امسح ذنب الفيل فمسحه فخرج منه خنزيران فأكلا العذرة وفي خبر آخر خنزير واحد، ودل خبر وهب على أن الهرة كانت من قبل وهذا الخبر على إنها لم تكن من قبل إلا أن يقال: إن قصة التأليف وقعت بعد خروج الهرة من أنف الأسد والله أعلم ﴿**وأهلك**﴾ عطف على زوجين والمراد امرأته المؤمنة فإنه كان له امرأتان أحدهما مؤمنة والأخرى كافرة وهي أم كنعان وبنوه ونساؤهم ﴿**إلا من سبق عليه القول**﴾ بأنه من المغرقين بسبب ظلمهم والمراد به ابنه كنعان وأمه واعلة فإنهما كانا كافرين والاستثناء منقطع إن أريد بالأهل الأهل إيماناً وهو الظاهر لقوله تعالى: ﴿**إنه ليس من أهلك**﴾ أو متصل أن أريد به الأهل قرابة ويكفي في صحة الاستثناء المعلومية عند المراجعة إلى أحوالهم والتفحص عن أعمالهم وجيء بعلى لكون السابق ضاراً لهم كما جيء باللام فيما هو نافع لهم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [الصافات: ١٧١] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١] ﴿**ومن آمن**﴾ عطف على وأهلك أي: واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم وإفراد الأهل منهم للاستثناء المذكور ﴿**وما آمن معه إلا قليل**﴾ [وإيمان نياورده بودند وموافقت نكرده بانوح مكر اندكى ازمردمان] ـ روي ـ عن النبي عليه السلام أنه قال: «كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم».

قال العتبي: قرأت في التوراة أن الله تعالى أوحى إليه أن أصنع الفلك وأدخل أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك ومن كل شيء من الحيوان زوجان اثنان فإني منزل المطر أربعين يوماً وليلة فأتلف كل شيء خلقته على وجه الأرض.

وعن مقاتل كانوا اثنين وسبعين رجلاً وامرأة وأولاد نوح ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان في سفينة نوح ثمانون رجلاً وامرأة أحدهم جرهم يقال: إن في ناحية الموصل قرية يقال: لها قرية الثمانين سميت بذلك لأنهم لما خرجوا من السفينة بنوها فسميت بهم.

والإشارة ﴿حتى إذا جاء أمرنا﴾ وهو حد البلاغة التي يكون العبد مأموراً بالركوب على سفينة الشريعة. ﴿وفار التنور﴾ أي: يفور ماء الشهوة من تنور القالب. ﴿قلنا احمل فيها﴾ في سفينة الشريعة. ﴿من كل﴾ صفة من صفات النفس. ﴿زوجين اثنين﴾ أي: كل صفة وزوجها كالشهوة وزوجها العفة، والحرص وزوجه القناعة، والبخل وزوجه السخاوة والغضب وزوجه الحلم، والحقد وزوجه السلامة، والعداوة وزوجها المحبة، والتكبر وزوجه التواضع، والتأني وزوجه العجلة، ﴿وأهلك﴾ أي: واحمل معك أهلك صفات الروح. ﴿إلا من سبق عليه القول﴾ من النفس ﴿ومن آمن﴾ أي: آمن معك من القلب والسر. ﴿وما آمن معه﴾ غالباً ﴿إلا قليل﴾ من صفات القلب فيه إشارة إلى أن كل ما كان من هذه الصفات وأزواجها في معزل عن سفينة الشريعة فهو غريق في طوفان الفتن، وهذا رد على الفلاسفة والإباحية فإنهم يعتقدون أن من أصلح أخلاقها الذميمة وعالجها بضدها من الأخلاق الحميدة فلا يحتاج إلى الركوب في سفينة الشرع ولا يعلمون أن الإصلاح والعلاج إذا صدرا من طبيعة لا يفيدان النجاة؛ لأن الطبيعة لا تعلم كيفية الإصلاح والعلاج ولا مقدار تزكية النفس وتحليتها وإن كانت الطبيعة واقفة على صلاح النفس وفسادها لعاجلتها في ابتداء أمرها وما كانت النفس محتاجة إلى طبيب عالم بالأمراض ومعالجتها وهم الأنبياء عليهم السلام حيث قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ [الجمعة: ٢] ليعلموا المرض من الصحة والداء من الدواء ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] والحكمة فبالتزكية عن الصفات الطبيعية يستحقون تحلية أخلاق الشريعة الربانية، كذا في «التأويلات النجمية».

﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾.

﴿وقال﴾ أي: نوح لمن معه من المؤمنين بعد إدخال ما أمره بحمله في الفلك من الأزواج.

قال الكاشفي: [نوح ايشانرا بنزديك كشتى آورد وسر پوشى كه ترتيب داده بود بالاي كشتى پوشيد واز زمين آب عذاب جوشيدن كرفت واز آسمان آب بلا رود آمدن آغاز كرد]. وروي - إنه حمل معه تابوت آدم وجعله معترضاً بين الرجال والنساء. ﴿اركبوا فيها﴾ أي: في السفينة وهو متعلق باركبوا وعدي بفي لتضمنه معنى ادخلوا وصيروا فيها راكبين.

قال في «الإرشاد»: الركوب العلو على الشيء المتحرك ويتعدى بنفسه، واستعماله هنا بكلمة في ليس لأن المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن فإن أظهر الروايات أنه عليه السلام جعل الوحوش والسباع والهوام في البطن الأسفل من الطبقات الثلاث للسفينة، والأنعام والدواب في الأوسط وركب هو ومن معه مع ما يحتاجون إليه من الزاد في الأعلى، بل رعاية لجانب المحلية والمكانية في الفلك، والسر فيه أن معنى الركوب العلو على شيء له حركة إما إرادية كالحيوان أو قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما، فإذا استعمل في الأول يوفر له حظ الأصل فيقال: ركبت الفرس وإن استعمل في الثاني يلوح لمحلية المفعول بكلمة في فيقال: ركبت في السفينة، قيل: إنهم ركبوا السفينة يوم العاشر من رجب وكان يوم الجمعة فاتت السفينة البيت فطافت أسبوعاً فسارت بهم مائة وخمسين يوماً واستقرت بهم على الجودي شهراً وكان خروجهم من السفينة يوم عاشوراء من محرم. ﴿بسم الله﴾ متعلق باركبوا حال من فاعله، أي: اركبوا مسمين الله أو قائلين بسم الله.

قال سعدي المفتي: كان أصل التقدير ملتبسين أو متبركين باسم الله وهو تأويل مسمين الله، أو قائلين بسم الله وعلى التقديرين فهو حال مقدرة، لأن وقت الجري والإرساء بعد الركوب، ﴿مجراها﴾ بفتح الميم من جري وبكسر الراء على الإمالة نصب على الظرفية أي: وقت جريها ﴿ومرساها﴾ أي: وقت إرسائها وحبسها وثبوتها.

وقال في «الكواشي»: بسم الله مجراها خبر ومبتدأ ومرساها عطف عليه أي: بسم الله إجراؤها وإرساؤها فكان عليه السلام إذا أراد أن تجري قال: بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسو قال: بسم الله فرست ومجراها ضماً وفتحاً مصدر أجريته وجريت به لغتان بمعنى كاذهبته وذهبت به ومرساها بضم الميم من ارست السفينة ترسى وقفت انتهى ﴿إن ربي لغفور﴾ للذنوب والخطايا ﴿رحيم﴾ لعباده ولهذا نجاكم من هذه الداهية ولولا ذلك لما فعله.

وفيه دلالة على أن نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض فضل الله وغفرانه ورحمته على ما عليه رأي أهل السنة ـ حكي ـ أن عجوزاً مرت على نوح وهو يصنع السفينة وكانت مؤمنة به فسألته عما يصنعه فقال: إن الله تعالى سيهلك الكفار بالطوفان وينجي المؤمنين بهذه السفينة فأوصت أن يخبرها نوح إذا جاء وقتها لتركب في السفينة من المؤمنين فلما جاء ذلك الوقت اشتغل نوح بحمل الخلق فيها ونسي وصية العجوز وكانت بعيدة منه ثم لما وقع ما وقع من إهلاك الكفار ونجاة المؤمنين وخرجوا من السفينة جاءت إليه تلك العجوز فقالت: يا نوح إنك قلت لي سيقع الطوفان ألم يأن أن يقع؟ قال: قد وقع وكان أمر الله مفعولاً وتعجب من أمر العجوز فإن الله تعالى قد أنجاها في بيتها من غير ركوب السفينة ولم تر الطوفان قط وهكذا حماية الله تعالى لعباده المؤمنين.

وقد صح عن بعض أهل الكشف أن موضع الجامع الكبير في بلدة بروسه كان بيتاً للعجوز المذكورة كما في «الواقعات المحمودية». وفي «المثنوي»:

كاملان ازدور نامت بشنوند ... تا بقعرباد وبودت دررووند
بلكه پيش از زادن توسالها ... ديده باشندت ترا باحالها
هركسى اندازهٔ روشن دلى ... غيب را بيند بقدر صيقلى

والإشارة أن سفينة الشريعة معمولة للنجاة لراكبيها من طوفان فتن النفس والدنيا والأمر بالركوب في قوله تعالى: ﴿اركبوا فيها﴾ يشير إلى كشف سر من أسرار الشريعة، وهو أن من ركب سفينة الشرع بالطبع وتقليد الآباء والاستاذين لم ينفعه للنجاة الحقيقية، كما ركب المنافقون بالطبع لا بالأمر فلم ينفعهم، وكما ركب إبليس في سفينة نوح فلم ينفعه وإنما النجاة لمن ركب فيها بالأمر وحفظاً لأدب المقام قال: ﴿بسم الله مجراها ومرساها﴾ أي: يكون مجريها من الله ومرساها إلى الله كقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝﴾ [النجم: ٤٢] ﴿إن ربي لغفور﴾ بالنجاة لمن ركبها ﴿رحيم﴾ لمن ركبها بالأمر لا بالطبع كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝﴾

﴿وهي﴾ أي: الفلك ﴿تجري﴾ حكاية حال ماضية ﴿بهم﴾ حال من فاعل تجري أي: وهم فيها، أي: ملتبسه بهم ولك أن تجعل الباء للتعدية يقال: أجريته وجريت به كأذهبته

وذهبت به فالمعنى بالفارسية [همى برد ايشانرا] والجملة عطف على محذوف دل عليه الأمر بالركوب أي: فركبوا فيها مسمين وهي تجري بهم. **﴿في﴾** خلال **﴿موج﴾** يعني: موج الطوفان والطوفان من كل شيء ما كان كثيراً مطيفاً بالجماعة كالمطر الغالب في هذا المقام. والموج جمع موجة وهو ما ارتفع من الماء إذا اشتد عليه الريح. **﴿كالجبال﴾** شبه كل موجة من ذلك بالجبل في عظمها وارتفاعها على الماء وتراكمها وظاهره يدل على أن السفينة تجري داخل الموج ولكن المراد أن الأمواج لما أحاطت السفينة من الجوانب شبهت بالتي تجري في داخل الأمواج.

فإن قلت: إن الماء ملأ ما بين السماء والأرض وإذا كان كذلك لم يتصور الموج فيه فما معنى جريها فيه.

قلت: هذا الجريان كان قبل أن يغمر الطوفان الجبال ثم كانت السفينة تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة كما قالوا: ولا يلزم الغرق لأن الله تعالى قادر على إمساك الماء عن الدخول في السفينة ألا ترى إلى الحوت الذي اتخذ سبيله في البحر سرباً [يعني هرجاكه ماهي ميرفت اب بالاي ومرتفع مى ايستاد] ومثله من الخوارق فلق البحر لموسى عليه السلام وقومه وجعله تعالى في الماء كوى متعددة **﴿ونادى﴾** [وآوازداد] **﴿نوح ابنه﴾** قيل: اسم ابنه كنعان، وقيل: يام واختلفوا أيضاً في أنه كان ربيبه أو ابنه لظهره فذهب أكثر علماء الرسوم إلى الأول لأن ولد الرسول المعصوم يستبعد أن يكون كافراً ولقراءة علي رضي الله عنه «ابنها» على أن يكون الضمير لامرأته واعلة بالعين المهملة أو والعة كما في «التبيان» ولقوله: **﴿إن ابني من أهلي﴾** دون أن يقول مني. وذهب بعضهم وجمهور علماء الحقيقة قدس الله أسرارهم إلى الثاني لقوله تعالى: **﴿ابنه﴾** وقول نوح **﴿يا بني﴾**.

يقول الفقير: أما قولهم ولد الرسول يستبعد أن يكون كافراً فمنقوض بابن آدم، وهو قابيل والله تعالى يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، وعلى هذا تدور حكمته في مظاهر جلاله وجماله وإذا ثبت أن والدي الرسول ووالد إبراهيم عليهما الصلاة والسلام كانوا كافرين فكيف يبعد أن يكون ولد نوح كافراً. وإما قراءة علي رضي الله عنه فإنما أسند فيها الابن إلى الأم لكونها كافرة مثله عادلة عن طريقة نوح فحق أن ينسب الكافر إلى الكافر لا إلى المؤمن لا لأنه أي: علياً اعتبر قوله: **﴿إنه ليس من أهلك﴾** فإنه وهم. وأما قوله: **﴿إن ابني من أهلي﴾** فلموافقة قوله تعالى: **﴿وأهلك﴾** كما لا يخفى.

فإن قيل: إنه عليه السلام لما قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] كيف ناداه مع كفره.

أجيب: بأن شفقة الأبوة لعلها حملته على ذلك النداء. والذي تقدم من قوله: **﴿إلا من سبق عليه القول﴾** كان كالمجمل فلعله جوز أن لا يكون هو داخلاً فيه كذا في «حواشي» ابن الشيخ **﴿وكان﴾** ابنه **﴿في معزل﴾** مكان منقطع عن نوح وعن دينه لكونه كافراً كما في «الكواشي».

وقال في «الإرشاد»: أي: في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وإخوته وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج إلى النداء المذكور وهو في محل النصب على أنه حال من ابنه والحال يأتي من المنادى لأنه مفعول به، والمعزل: بكسر الزاي اسم لمكان العزل وهو التنحية

والإبعاد يقال: عزله عنه إذا أبعده [پس ازفرط شفقت كفت]. ﴿يا بني اركب معنا﴾ بإدغام الباء في الميم لتقاربهما في المخرج [اي پسرك من سوار شود ركشتى باما تاايمن شوى]. ولم يقل اركب في الفلك لتعينها مع إغناء المعية عن ذكرها ﴿ولا تكن مع الكافرين﴾ فتهلك مثلهم، أي: لا تكون معهم في المكان وهو وجه الأرض خارج الفلك لا في الدين، وإن كان ذلك مما يوجبه كما يوجب ركوبه معه كونه معه في الإيمان؛ لأنه عليه السلام بصدد التحذير عن المهلكة فلا يلائمه النهي عن الكفر كذا في الإرشاد.

يقول الفقير: الذي يلوح أن المعنى وكان في معزل أي: بمكان عزل فيه نفسه عن أبيه بناء على ظن أن الجبل يعصمه من الغرق يا بني اركب معنا بأن تؤمن بالله ونعوت جماله وجلاله ولا تكن مع الكافرين، أي: منهم، لأنه إذا كان معهم مصاحباً لهم فقد كان منهم وبعضهم، كقوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

فإن قلت قوله تعالى: ﴿وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ يقطع رجاء الإيمان فكيف نادى نوح ابنه في إيمانه.

قلت: ذلك ليس بنص في حق ابنه مثل قوله: ﴿إلا من سبق عليه القول﴾ مع أنه من شأن الكمل أنه لا يستحيل عندهم مطلوب إلى أن يخبرهم الحق بإخبار مخصوص فحينئذٍ يصدقون ربهم ويحكمون باستحالة حصول ذلك المطلوب كحال موسى عليه السلام في طلب الرؤية لما أخبر بتعذر ذلك تاب وآمن.

﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿قال﴾ ابنه ﴿سآوي﴾ أصير وألتجىء ﴿إلى جبل﴾ من الجبال ﴿يعصمني﴾ يمنعني بارتفاعه ﴿من الماء﴾ فلا أغرق ولا أؤمن ولا أركب السفينة زعماً منه أن ذلك كسائر المياه والسيول المعتادة التي ربما يتقي منها بالصعود إلى الربى وجهلا بأن ذلك إنما كان لإهلاك الكفرة أن لا محيص من ذلك سوى الالتجاء إلى ملجأ المؤمنين ﴿قال﴾ نوح ﴿لا عاصم﴾ ذاتاً وصفة ﴿اليوم﴾ زاد اليوم تنبيهاً على أنه ليس كسائر الأيام التي تقع فيها الوقائع التي ربما يخلص من ذلك بالالتجاء إلى بعض الأسباب ﴿من أمر الله﴾ أي: عذابه الذي هو الطوفان.

وفيه تنبيه لابنه على خطاه في تسميته ماء، وتوهمه أنه كسائر المياه التي يتفصى منها بالهرب إلى بعض الأمكنة المرتفعة وتمهيد لحصر العصمة في جنابه عز جاره بالاستثناء كأنه قيل لا عاصم من أمر الله إلا هو وإنما قيل ﴿إلا من رحم﴾ أي: إلا الراحم وهو الله تعالى تفخيماً لشأنه الجليل بالإبهام ثم التفسير، وبالإجمال ثم التفصيل، وإشعاراً بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقها على غضبه فهو استثناء متصل وعاصم على معناه.

وقيل: بمعنى المعصوم كقوله تعالى: ﴿مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦] أي: مدفوق ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحاقة: ٢١] بمعنى مرضية، أي: لا معصوم من عذاب الله إلا من رحم الله.

وقيل: لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة على حذف المضاف على أن يكون بناء النسبة، وذو عصمة يطلق على عاصم وعلى معصوم، والمراد هنا المعصوم فهو مصدر من عصم المبني للمفعول ويكون من رحم بمعنى المرحومين والاستثناء متصلاً كالأولين، لأن المرحوم من

جنس المعصوم. ﴿وحال﴾ [وحائل شد] ﴿بينهما الموج﴾ أي: بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المجاوبة ﴿فكان من المغرقين﴾ من المهلكين بالماء.

وفيه دلالة على هلاك سائر الكفرة على أبلغ وجه فكان ذلك أمراً مقرر الوقوع عير مفتقر إلى البيان وفي إيراد كان دون صار مبالغة في كونه منهم. وفي «المثنوي»:

همچو كنعان كآشنا ميكرد او — كه نخواهم كشتئ نوح عدو
هين بيا در كشتى بابا نشين — تانكردى غرق طوفان اي مهين
كفت نى من آشنا آموختم — من بجز شمع تو شمع افرو ختم
هين مكن كين موج طوفان بلاست — دست وپاى آشنا امروز لاست
باد قهرست وبلاى شمع كش — جز كه شمع حق نمى بايد خمش
كفت مى رفتم بران كوه بلند — عاصمست آن كه مرا ازهر كزند
هين مكن كه كوه كاهست اين زمان — جز حبيب خويش را ندهدامان
كفت من كى پند تو بشنوده ام — كه طمع كردى كه من زين دوده ام
خوش نيامد كفت توهر كز مرا — من برى ام ازتو در هر دوسرا
اين دم سردتو در كوشم نرفت — خاصه اكنون كه شدم دانا وزفت
كفت باباچه زيان دارد اكر — بشنوى يكبار توپند پدر
همچنين مى كفت اوبند لطيف — همچنان ميكفت او دفع عنيف
نى پدر از نصح كنعان سير شد — نى دمى دركوش ان ادبير شد
اندرين كفتن بدند وموج تيز — بر سر كنعان زد وشد ريزريز

وقيل: إنه بنى قبة في أعلى الجبل وسدها عليه حتى لا يدخل فيها ماء فجاءه البول فبال داخل القبة فما برح البول يتزايد حتى غرق فيه والكفار غرقوا بالماء ـ روي ـ عن ابن عباس أنه قال: «أمطرت السماء أربعين يوماً وليلة، وخرج ماء الأرض كذلك» وذلك قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر: ١١-١٢] فارتفع الماء على أطول جبل في الأرض بخمسة عشر ذراعاً أو بثلاثين أو بأربعين وطافت بهم السفينة الأرض كلها في خمسة أشهر لا تستقر على شيء حتى أتت الحرم، فلم تدخله ودارت حول الحرم أسبوعاً وقد أعتق الله البيت من الغرق كما في «بحر العلوم».

وقال في «تفسير» أبي الليث: ورفع البيت الذي بناه آدم عليه السلام إلى السماء السادسة وهو البيت المعمور واستودع الحجر الأسود أبا قبيس إلى زمن إبراهيم عليه السلام وسمي أبا قبيس باسم رجل من جرهم اسمه قبيس هلك فيه كما في «إنسان العيون».

قال الحكيم: خرج قوس قزح بعد الطوفان أماناً لأهل الأرض من أن يغرقوا جميعاً، وسمي به، لأنه أول ما رؤي في الجاهلية على قزح جبل بالمزدلفة، أو لأن قزح هو الشيطان ومن ثمة قال علي رضي الله عنه: «لا تقل قوس قزح» لأن قزح هو الشيطان «ولكنها قوس الله» هي علامة كانت بين نوح وبين ربه تعالى وهي أمان لأهل الأرض من الغرق كما في «الصواعق» لابن حجر.

قال حضرة الشيخ الشهير: بأفتاده افندي قدس سره: تأثير طوفان نوح يظهر في كل ثلاثين سنة مرة واحدة لكن على الخفة فيقع مطر كثير ويغرق بعض القرى والبيوت من السيل

وفي الحديث: «سألت ربي ثلاثاً» أي: ثلاث مسائل «فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة» أي: القحط أراد به قحطاً يعم أمته «فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم» أراد بها الحرب والفتن «فمنعنيها».

وفي «التأويلات النجمية» ﴿وهي تجري﴾ يعني سفينة الشريعة ﴿بهم﴾ بمن ركبها بالأمر ﴿في موج﴾ أي: موج الفتن ﴿كالجبال﴾ من عظمتها ﴿ونادى نوح﴾ الروح ﴿ابنه﴾ كنعان النفس المتولدة بينه وبين القلب ﴿وكان في معزل﴾ من معرفة الله وطلبه ﴿يا بني اركب معنا﴾ سفينة الشريعة ﴿ولا تكن مع الكافرين﴾ من الشياطين المتمردة والأبالسة الملعونة المطرودة. ﴿قال﴾ يعني كنعان النفس. ﴿سآوي إلى جبل﴾ أي: جبل العقل ﴿يعصمني من الماء﴾ من ماء الفتن ﴿قال لا عاصم اليوم من أمر الله﴾ يعني: إذا نبع ماء الشهوات من أرض البشرية ونزول ماء ملاذ الدنيا وفتنها من سماء القضاء لا يتخلص منه إلا بسفينة الشريعة، فلا عاصم منه غيرها، وذلك قوله: ﴿إلا من رحم﴾ أي: يرحمه الله بالتوفيق للاعتصام بسفينة الشريعة، ﴿وحال بينهما الموج﴾ أي: بين كنعان النفس المعتصم بجبل العقل وبين العقل موج الشهوات النفسانية الحيوانية، وفتن زخارف الدنيا ﴿فكان من المغرقين﴾ يعني: كل نفس لا تعتصم بسفينة الشريعة وتريد أن تعتصم بجبل العقل لتتخلص به من طوفان الفتن المهلكة، كما هو حال الفلاسفة لا يتهيأ له متمناه وهو من الهالكين. وفي «المثنوي»:

پس بكوشى وباخر از كلال   خود بخود كوئى كه العقل عقال
همچو آن مرد مفلسف روز مرك   عقل را مى ديدى پس بى بال وبرك
بى غرض ميكرد آن دم اعتراف   كز زكاوت را نداىم اسب ازكزاف
از غروري سر كشيديم از رجال   آشنا كرديم در بحر خيال
آشنا هيچست اندر بحر روح   نيست آنجا چاره جز كشتىٔ نوح
همچو كنعان سوى هر كوهى مرو   از نبي لا عاصم اليوم شنو
مى نمايد پست آن كشتى زبند   مى نمايد كوه فكرت پس بلند
در بلندى كوه فكرت كم نكر   كه يكى موجش كند زير وزبر
كرتو كنعاني ندارى باورم   كردو صد چندين نصيحت آورم
كوش كنعان كي پذيرد اين كلام   كه براو مهر خدايست وختام
آخر اين اقرار خواهى كرد هين   هم زاول روز آخررا ببين
هركه آخر بين بود مسعود بود   نبودش هر دم بره رفتن عشور
كر نخوائى هردمى اين خفت وخيز   كن زخاك پاى مردى چشم تيز

وقال الحافظ:

يار مردان خداباش كه در كشتىٔ نوح   هست خاكى له بابي نخرد طوفانرا

ومن اللطائف المناسبة لهذا المحل ما قال خسرو دهلوي:

زيدرياى شهادت چون نهنك لابر آردسر   نيم فرض كردد نوح رادروقت طوفانش

قوله [زدرياى شهادت] هو قول المؤمنين أشهد [چون نهنك لابر آرد سر] هو ارتفاع لا والمراد من التيمم الضربتان ضربة إلا وضربة الله. والمراد من نوح اللسان ومن الفم السفينة وطوفانه تلفظه بأن لا إله إلا الله، وإذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله رفع لا رأسه من بحر

الشهادة ووقع الطوفان على اللسان فوجب عليه هاتان الضربتان، فإذا ضربهما نجا، وإن لم يضربهما ووقف ساعة غرق في بحر الطوفان، والوقف كفر كذا شرحه حضرة الشيخ بالي الصوفيوي شارح «الفصوص» قدس سره.

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وقيل﴾ بني على المفعول كأخواته الآتية لتعين الفاعل وهو الله تعالى إذ لا يقدر أحد غيره على مثل هذا القول البديع والفعل العجيب، أي: قال الله تعالى: بعد مدة الطوفان تنزيلاً للأرض والسماء منزلة من له صلاحية النداء. ﴿يا أرض﴾ قدم أمر الأرض على أمر السماء لابتداء الطوفان منها. ﴿ابلعي﴾ أي: انشفي فإن البلع حقيقة إدخال الطعام في الحلق بعمل الجاذبة، فهو استعارة لغور الماء في الأرض، ووجه الشبه الذهاب إلى مقرّ خفي يقال: نشف الثوب العرق بكسر الشين أي: شربه، وفيه دلالة على أنه ليس كالنشف المعتاد التدريجي ﴿ماءك﴾ أي: ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والأنهار، وإنما لم يقل ابلعي بدون المفعول لئلا يستلزم تركه ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وساكنات الماء بأسرهن نظراً إلى مقام ورود الأمر الذي هو مقام عظمة وكبرياء كذا في «المفتاح».

يقول الفقير: «تفسير الإرشاد» يدل على أن الماء المضاف إلى الأرض مجموع الماء الذي خرج من بطنها ونزول من السماء والظاهر الذي لا محيص عنه أنه ماء الأرض بخصوصه فإنها لما نشفته صار ما نزل من السماء هذه البحور على ما في «تفسير التيسير» ثم رأيت في بعض الكتب المعتبرة ما يوافق هذا وهو أن الله تعالى لما نزل الطوفان على قوم نوح عليه السلام انزل عليهم المطر من السماء أربعين يوماً بمياه كثيرة، وأمر عيون الأرض فانفجرت فكان الماآن سواء في اللين غير أن ماء السماء كان مثل الثلج بياضاً وبرداً، وماء الأرض مثل الحميم حرارة حتى ارتفع الماء على أعلى جبل في الدنيا ثمانين ذراعاً، ثم أمر الأرض فابتعلت ماءها وبقي ماء السماء لم تبتلعه الأرض فهذه البحور التي على وجه الأرض منها، وأما البحر المحيط فغير ذلك بل هو جزر عن الأرض حين خلق الله الأرض من زبده، انتهى ﴿ويا سماء أقلعي﴾ أي: أمسكي عن إرسال المطر يقال: اقلع الرجل عن عمله إذا كف، واقلعت السماء إذا انقطع مطرها فالإقلاع يشترك بين الحيوانات والجمادات.

قال العلماء: قيل مجاز مرسل عن الإرادة كأنه قيل أريد أن يرتد ما انفجر من الأرض إلى بطنها وأن ينقطع طوفان السماء وذلك بعد أربعين يوماً وليلة ـ روي ـ أنه لا ينزل من السماء قطرة من ماء إلا بكيل معلوم ووزن معلوم إلا ما كان يوم الطوفان فأنزل بغير كيل ووزن. وأصل الكلام قيل يا أرض ابلعي ماءك فبلعت ماءها، ويا سماء اقلعي عن إرسال الماء اقلعت عن إرساله، وغيض الماء النازل من السماء فغاض وترك ذكره لظهور انفهامه من الكلام ﴿وغيض الماء﴾ أي: نقص ما بين السماء والأرض من الماء فظهرت الجبال والأرض.

والغيض: النقصان يقال: غاض الماء قل ونضب وغاضه الله نقصه يتعدى ويلزم وهو في الآية من المتعدي لأن الفعل لا يبنى للمفعول بغير واسطة حرف الجر إلا إذا كان متعدياً بنفسه

﴿وقضي الأمر﴾ أي: أنجز الموعود من إهلاك الكافرين، وإنجاء المؤمنين فالقضاء ههنا بمعنى الفراغ كأنه قيل تم أمرهم وفرغ من إهلاكهم وإغراقهم.

قال في «المفتاح»: قيل الأمر دون أن يقال: أمر نوح لقصد الاختصار والاستغناء بحرف التعريف عن ذلك.

قال السيد: إما لأن اللام بدل من المضاف إليه كما هو مذهب الكوفية، وإما لأنها تغني غناء الإضافة في الإشارة إلى المعهود. ﴿واستوت﴾ واستقرت الفلك واختير استوت على سويت، أي: أقرت مع كونه أنسب بأخواته المبنية للمفعول اعتباراً لكون الفعل المقابل للاستقرار أعني الجريان منسوباً إلى السفينة على صيغة المبني للفاعل في قوله وهي تجري بهم مع أن استوت أخصر من سويت ﴿على الجودي﴾ هو جبل بالجزيرة بقرب الموصل أو بالشام أو بآمد ـ وروي ـ في الخبر أن الله تعالى أوحى إلى الجبال إني أنزل السفينة على جبل فتشامخت الجبال وتواضع الجودي لله تعالى فأرست عليه السفينة. قال السعدي قدس سره:

طريقت جزاين نيست درويش را كه افكنده داردتن خويش را
بلنديت بايد تواضع كزين كه آن نام را نيست راهى جزاين

والتواضع آخر مقام ينتهي إليه رجال الله تعالى وحقيقته العلم بعبودية النفس، ولا يصح مع العبودية رياسة أصلاً، لأنها ضد لها، ولهذا قال المشايخ قدس الله أسرارهم: آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة ولا تظن أن هذا التواضع الظاهر على أكثر الناس وعلى بعض الصالحين تواضع وإنما هو تملق لسبب غاب عنك، وكل يتملق على قدر مطلوبه والمطلوب منه فالتواضع سر من أسرار الله تعالى لا يهبه على الكمال إلا لنبي أو صديق كما في «المواقع».

وعن علي رضي الله عنه «أشد الخلق الجبال الرواسي والحديد أشد منها إذ ينحت به الجبل والنار تغلب الحديد والماء يطفىء النار والسحاب يحمل الماء والريح تحمل السحاب والإنسان يغلب الريح بالبنيان والنوم يغلب الإنسان والموت يغلب الكل».

وذكر أهل الحكمة أن مجموع ما عرف في الأقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وسبعون جبلاً.

وفي «زهرة الرياض» ستة آلاف وستمائة وثلاثة وسبعون جبلاً سوى التلول، منها ما طوله عشرون فرسخاً ومنها مائة فرسخ إلى ألف فرسخ.

وفي أسئلة الحكم، جعل الله الجبال كراسي أنبيائه كأحد لنبينا، والطور لموسى، وسر نديب لآدم، والجودي لنوح عليهم السلام وكفى بذلك شرفاً، وإنها بمنزلة الرجال في الأكوان يقال: للرجال الكامل جبل.

واختلفوا في أن أي: الجبال أفضل؟ فقيل أبو قبيس لأنه أول جبل وضع على الأرض وقيل عرفة وقيل: جبل موسى وقيل: قاف.

وقال السيوطي: أفضل الجبال جبل أحد وهو جبل من جبال المدينة وسمي بذلك لتوحده وانفراده عن غيره من الجبال التي هناك، وهذا الجبل يقصد لزيارة سيدنا حمزة رضي الله عنه ومن فيه من الشهداء رضي الله عنهم وهو على نحو ميلين أو على نحو ثلاثة من المدينة واستدل على أفضليته بأنه مذكور في القرآن باسمه في قراءة من قرأ ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ

عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ [آل عمران: ١٥٣] أي: بضم الهمزة والحاء وبقوله عليه السلام: «أحد ركن من أركان الجنة» أي: جانب عظيم من جوانبها وقوله: الآخر «أن أحداً هذا جبل يحبنا ونحبه، فإذا مررتم به فكلوا من شجرة ولو من عضاهه» وهي كل شجرة عظيمة لها شوك، والقصد الحث على عدم إهمال الأكل من شجره تبركاً به، ولا مانع أن تكون المحبة من الجبل على حقيقتها وضع الحب فيه كما وضع التسبيح في الجبال مع داود عليه السلام وكما وضعت الخشية في الحجارة قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] كما في «إنسان العيون».

يقول الفقير للجمادات حياة حقانية عند أهل الله تعالى كما قال في «المثنوي»:

بادرا بي چشم اكر بينش نداد فرق چون ميكردد اندر قوم عاد
كر نبودي نيل را آن نورديد ازچه قبطي را زسبطى ميكزيد
كرنه كوه سنك باديدار شد پس چرا داود راراو يار شد
اين زمين را كر نبودى چشم جان ازچه قارونرا فرو خوردى چنان

ومن هذا عرفت النداء في قوله تعالى ﴿يا أرض﴾ و ﴿يا سماء﴾ حقيقة عند العلماء بالله وكذا مقاله تعالى المنفهم من قوله وقيل.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: وكما نقول تجلى الله تعالى في صورة، كما يليق بجلاله، كذلك نقول تكلم بحرف وصوت كما يليق بجلالة، وكلام الله تعالى عين المتكلم في مرتبة، ومعنى قائم به في الأخرى كالكلام النفسي، ومركب من الحروف ومتعين بها في عالمي المثال والحس بحسبهما كما في «الدرة الفاخرة» للمولى الجامي رحمه الله.

ثم إن نوحاً هبط من السفينة إلى الجودي يوم عاشوراء.

وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم، واستقرت بهم على الجودي شهراً وذلك ستة أشهر، وهبطت بهم يوم عاشوراء وسيأتي ما يتعلق بذلك. ﴿وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ قوله ﴿بعداً﴾ مصدر مؤكد لفعله، المقدر أي: بعدوا بعداً أي: هلكوا من قولهم بعداً وبعداً إذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت، والمعنى: الدعاء عليهم بذلك وهو تعليم من الله تعالى لعباده أن يدعوا على الظالمين به أي: ليبعد القوم بعداً وليهلكوا، وهو بالفارسية. [دوري وهلاكي باد مرقوم ستمكارانرا] واللام في للقوم لبيان من دعى عليهم كاللام في هيت لك وسقياً لك متعلق بالفعل المحذوف، أو بقوله قيل أي: قيل لأجلهم هذا القول والتعرض لوصف الظلم للإشعار بعليته للهلاك، وفيه تعريض بأن سالكي مسالكهم في الظلم والتكذيب يستحقون مثل هذا الإهلاك والدعاء عليهم.

قال في «المفتاح»: وختم الكلام ختم إظهار لمكان السخط ولجهة استحقاقهم إياه لأن الدعاء بالهلاك بعد هلاكهم. قيل: ما نجا من الكفار غير عوج بن عنق كان في الماء إلى حجزته وهو معقد الإزار، وكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلث ذراع وقد عاش ثلاثة آلاف سنة وقد سبق في سورة المائدة وكان سبب نجاته أن نوحاً عليه السلام احتاج إلى خشب ساج للسفينة فلم يمكنه نقلها فحملها عوج إليه من الشام فنجاه الله من الغرق بذلك.

وقد ثبت أيضاً أن واحداً من آل فرعون كان يلبس قلنسوة مثل قلنسوة موسى عليه السلام ويسخر منه، وقد نجاه الله تعالى من الغرق في بحر القلزم بمجرد تشبهه الصوري، ولو تاب من جنايته لنجا من عذاب الدارين.

وعن أبي العالية قال: لما رست سفينة نوح عليه السلام إذا هو بإبليس على كوثل السفينة، أي: مؤخرها، فقال له نوح: ويلك قد غرق أهل الأرض من أجلك قد أهلكتهم، قال له إبليس: فما اصنع؟ قال: تتوب، قال: فسل ربك هل لي من توبة فدعا نوح ربه فأوحى الله تعالى إليه أن توبته أن يسجد لقبر آدم عليه السلام فقال له نوح: قد جعلت لك قال: وما هي؟ قال: تسجد لقبر آدم، قال: تركته حياً وأسجد له ميتاً.

وفيه إشارة إلى أن السجدة لآدم وهو مقبور كالسجدة له وهو غير مقبور، إذ الأنبياء عليهم السلام أحياء عند ربهم، وكذا كُمّل الأولياء قدس الله أسرارهم، كما قال الصائب:

مشو بمرك زامداد اهل دل نوميد   كه خواب مردم آكاه عين بيداريست

والشيطان الرجيم غفل عن هذا فنكل عن قبول الحق الصريح، ومثله من ينكر الأولياء أو زيارة قبورهم والاستمداد منهم نسأل الله العصمة ونعوذ به من الخذلان.

اعلم أن القرآن بجميع سورة وآياته معجز في غاية طبقات الفصاحة والبلاغة لكن بين بعض أجزائه تفاوت بحسب الاشتمال على الخواص، والمزايا فإن بعض المقام لا يتحمل ما تحمله مقام كلام فوقه من اللطائف والخفايا، فمن المرتفع شأنه في الحسن والقبول هذه الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿وقيل يا أرض ابلعي﴾ إلى آخره ولذا لما سمعها من تبوأ أسرة الفصاحة القحطانية وركب متن البلاغة في بدوّ الخطب العدنانية من العرب العرباء ومصاقع الخطباء سجدوا لفصاحتها وتطأطأوا دون سرادقات إحاطتها، ونسوا قصائدهم المعلقة ورجعوا عن منشآتهم المقررة المحققة، ولقد أحسن من نبه على التفاوت المذكور، وقال على ما هو المشهور:

دربيان ودر فصاحت كي بود يكسان سخن
كرچه كوينده بود چون جاحظ وچون اصمعي
از كلام ايزد بيچون كه وحي منزلست
كى بود تبت يدا چون قيل يا أرض ابلعي

ألا ترى أن الله سبحانه جعل الأنبياء عليهم السلام متساوية الأقدام في درجة النبوة وجعل استعدادات أممهم مختلفة فاختلافهم إنما هو لمعنى في نفسهم لا لمعنى في الذي أرسل إليهم، فلما كانت هذه الآيات الآفاقية والأنفسية الواقعة في مصحف الفرقان متفاوتة متباينة كانت الآيات البينات المندرجة في مصحف القرآن كذلك؛ إذ هو جامع لحقائق جميع النسخ الوجوبية والإمكانية موافق لما فصله الكتب العلمية والأعيانية ولله در شأن التنزيل في الإشارة إلى المراتب والله الغالب.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾ أي: يا أرض البشرية ماء شهواتك ويا سماء القضاء اقلعي عن إنزال مطر الآفات. ﴿وغيض الماء﴾ ماء الفتن أي: نقصت ظلمتها بنور الشرع وسكنت سورتها. ﴿وقضي الأمر﴾ أي: انقضى ما كان مقدراً من طوفان الفتن للابتلاء ﴿واستوت﴾ أي: سفينة الشريعة. ﴿على الجودي﴾ وهو مقام التمكين يعني أيام الطوفان كانت من مقامات التلوين في معرض الآفات والهلاك، فلما مضت تلك الأيام آل الأمر إلى مقام التمكين وفيه النجاة والثبات ونيل الدرجات. ﴿وقيل بعداً﴾ أي: غرقة

وهلاكاً ﴿للقوم الظالمين﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالتقاعد عن ركوب سفينة الشريعة انتهى.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿ونادى نوح ربه﴾ [وبخواند پروردكار خودرا]. ﴿فقال﴾ الفاء لتفصيل ما في النداء من الإجمال. ﴿رب﴾ [اي پروردكار] من ﴿إن ابني﴾ كنعان وسمي الابن ابناً لكونه بناء أبيه، أي: مبني أبيه ﴿من أهلي﴾ وقد وعدتني إنجاءهم في ضمن الأمر بحملهم في الفلك، ومن تبعيضية لأنه كان ابنه من صلبه على ما هو الأرجح أو كان ربيباً له فهو بعض أهله والأهل يفسر بالأزواج والأولاد وبالعبيد والإماء وبالأقارب وبالأصحاب وبالمجموع كما في «شرح المشارق» لابن ملك.

قال ابن الكمال: الأهل خاصة الشيء وما ينسب إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿إن ابني من أهلي﴾ ﴿وإن وعدك﴾ ذلك والوعد عبارة عن الأخبار بإيصال المنفعة قبل وقوعها. ﴿الحق﴾ الثابت الذي لا يتطرق إليه الخلف ولا يشك في إنجازه والوفاء به، والظاهر أن هذا النداء كان قبل غرق ابنه فإن الواو لا تدل على الترتيب، والمقصود منه طلب نجاته لا طلب الحكمة في عدم نجاته حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد إما بتقريبه إلى الفلك بتلاطم الأمواج أو بتقريبها إليه، ومجرد حيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلاً عن العلم به لظهور إمكان عصمة الله إياه برحمته والله على كل شيء قدير، ويؤيده ما في «بحر الكلام» أن ذكر المسألة أي: في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ﴾ [هود: ٤٦] كما سيأتي دليل على أن النداء كان قبل أن يغرق حتى يخاف عليه ﴿وأنت أحكم الحاكمين﴾ أي: أعلم الحكام وأعدلهم، إذ لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل، وربَّ جاهل ظالم من متقلدي الحكومة في زمانك لقد لقب أقضى القضاة، ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر قال جار الله:

قضاة زماننا صاروا لصوصاً عموماً في القضايا لا خصوصا
خشينا منهمو لو صافحونا للصوا من خواتمنا فصوصا

وفي الحديث: «القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به وأما الآخران فرجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار» أي: لا يعرف الحق فيخلط الحلال بالحرام. قال الشيخ السعدي:

مها زور مندى مكن بر كهان كه بر يك نمط مى نماند جهان
لب خشك مظلوم را كو بخند كه دندان ظالم بخواهند كند

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿قال﴾ الله تعالى ﴿يا نوح إنه﴾ أي: ابنك ﴿ليس من أهلك﴾ الذين عمهم الوعد بالإنجاء لخروجه منهم بالاستثناء فإن مدار الأهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر.

وعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة إنه ابنه غير أنه خالفه في العمل.

قال بعض الحكماء: الابن إذا لم يفعل ما فعل الأب انقطع عنه، والأمة إذا لم يفعلوا ما

فعل نبيهم أخاف أن ينقطعوا عنه، فظهر أن لا فائدة في نسب من غير علم وعمل وفي فخر بمجرد الآباء. قال السعدي قدس سره:

چو كنعا نرا طبيعت بى هنر بود پيمبر زاده كي قدرش نيفزود
هنر بنماى اكر داري نه كوهر كل از خارست وإبراهيم از آزر

وفي الحديث: «يا بني هاشم لا يأتني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم» والغرض تقبيح الافتخار لديه عليه السلام بالأنساب حين يأتي الناس بالأعمال:

وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهله

وهي قبيلة معروفة بالدناءة لأنهم كانوا يأكلون نقي عظام الميتة ﴿**إنه عمل غير صالح**﴾ أصله إنه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة في مداومته على العمل الفاسد، ولم يقل عمل فاسد مع أنهما متلازمان للإيذان بأن النجاة إنما كانت بسبب الصلاح.

يقول الفقير: لاح لي حين المطالعة معنى آخر وهو أن العمل بمعنى الكسب والفعل، ولا يبعد أن يكون المعنى إنه كسب غير صالح من غير احتياج إلى تقدير مضاف وقد ورد في الحديث تسمية الولد كسباً في قوله: «إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه» وفي قوله: «أنت ومالك لأبيك».

قيل لحكيم وهو يواقع زوجته: ما تعمل؟ قال: إن تم فإنساناً ﴿**فلا تسألن**﴾ سمي نداؤه سؤالاً لما فيه من السؤال والطلب، أي: إذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب مني. ﴿**ما ليس لك به علم**﴾ أي: مطلباً لا تعلم يقيناً أن حصوله صواب وموافق للحكمة ﴿**إني أعظك**﴾ [پندميدهم ترا] ﴿**أن تكون**﴾ أي: كراهة أن تكون ﴿**من الجاهلين**﴾ عبّر عن ترك الأولى بالجهل؛ لأن استثناء من سبق عليه القول قد دله على الحال وأغناه عن السؤال أشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الأمر عليه، فعوتب على أن اشتبه عليه ما يجب أن لا يشتبه.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿**قال**﴾ عند ذلك قبلت يا ربي هذا التكليف فلا أعود إليه إلا إني لا أقدر على الاحتراز منه إلا بإعانتك وهدايتك فلهذا بدأ أولاً بقوله ﴿**رب إني أعوذ بك أن أسألك**﴾ أي: من أن أطلب منك من بعد ﴿**ما ليس لي به علم**﴾ أي: مطلوباً لا أعلم أن حصوله مقتضى الحكمة، يعني: احفظني بعد اليوم من المعاودة إلى مثل السؤال، وكان على قدم الاستغفار إلى أن توفي، وهذه عادة الصالحين أنهم إذا وعظوا اتعظوا وإذا نبهوا للخطأ استغفروا وتعوذوا، وحكى تعالى ما كان من الأنبياء عليهم السلام ليقتدى بهم في الاستغفار وأن لا يقطع الرجاء من رحمة الله تعالى، وقد قبل الله تعالى توبة نوح عليه السلام كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ﴾ [هود: ٤٨]، ثم حقيقة التوبة تقتضي أمرين، أحدهما: العزم على ترك الفعل في المستقبل وإليه الإشارة بقوله: ﴿**إني أعوذ بك**﴾ الخ، والآخر: الندم والاستغفار لما مضى وإليه الإشارة بقوله: ﴿**وإلا**﴾ مركب من أن ولا، ثم أدغم أحدهما في الآخر ﴿**تغفر لي**﴾ أي: وإن لم تغفر لي ما صدر مني من السؤال المذكور. ﴿**وترحمني**﴾ بقبول توبتي ﴿**أكن من الخاسرين**﴾ أعمالاً بسبب ذلك فإن الذهول عن شكر الله لا سيما عند وصول مثل هذه

النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الأعداء والاشتغال بما لا يعني خصوصاً بمبادي خلاص من قيل في شأنه إنه عمل غير صالح والتضرع إلى الله تعالى في أمره معاملة غير رابحة وخسران مبين.

واعلم أن التوبة والاستغفار والالتجاء إلى الملك الغفار ورد لا ينقطع إلى الموت، وفعل يستمر إلى زمان الفوت، لأن المؤمن لا يزال متقلباً بين التنزلات والترقيات، والسالك لا يبرح مبتلى بالاستتار والتجليات، والكامل لا ينفك يتدرج إلى غايات مراتب السير في عوالم الصفات والذات، وهذا نوح قد سأل ما سأل ثم تاب، وهذا موسى قد طلب ما طلب ثم أناب، والكل جار بقضاء الله وقدره فإنه إذا جاء يتعطل العبد عن قواه وقدره. وفي «المثنوي»:

اين هم از تأثير حكمست وقدر چاه مى بينى ونتوانى حذر
نيست خودا زمرغ پران اين عجب كو نبيند دام وافتد در عطب
اين عجب كه دام بيند هم وتد كر بخواهد ور نخواهد مى فتد
چشم باز وكوش باز ودام پيش سوى دامى مى برد باپر خويش

ألا ترى إلى نوح عليه السلام فإنه لما ابتدر إلى سؤال ابنه نبه على تركه مرات.

والإشارة: **﴿ونادى نوح﴾** أي: نوح الروح **﴿ربه فقال رب إن ابني من أهلي﴾** أي: النفس المتولدة من ازدواج الروح والقالب من أهلي **﴿وإن وعدك الحق﴾** وذلك أن الله تعالى لما أراد بحكمته أن ينزل الأرواح المقدسة العلوية من أعلى عليين جواره وقربه إلى أسفل سافلين القالب قال أرواح الأنبياء والأولياء وخواص المؤمنين: يا ربنا وإلهنا تنزلنا من أعلى مقامات قربك إلى أسفل دركات بعدك، ومن عالم البقاء إلى عالم الفناء ومن دار السرور واللقاء إلى دار الحزن والبلاء ومن منزل التجرد والتواصل إلى منزل التوالد والتناسل ومن رتبة الاصطفاء والاجتباء إلى رتبة الاجتهاد والابتلاء، فوعدهم الله من عواطف إحسانه بأن ينجيهم وأهليهم من ورطات الهلاك فكما أن من قضية حكمته أن يكون لنوح أربعة بنين ثلاثة منهم مؤمنون وواحد كافر فكذلك حكمته اقتضت أن يكون للروح أربعة بنين ثلاثة منهم مؤمنون وهم القلب والسر والعقل، وواحد كافر وهو النفس فكما، كان ثلاثة من بني نوح معه في السفينة وكان واحد في معزل منه فكذلك ثلاثة من بني الروح معه كانوا في سفينة الشريعة وكان واحد وهو كافر النفس في معزل منه، ومن الدين والشريعة، فلما أشرف ولده الكافر على الغرق في بحر الدنيا وطوفان الفتن قال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق، **﴿وأنت احكم الحاكمين﴾** يعني: إن أنجيته أو أغرقته أنت اعدل العادلين فيما تفعله لأنك حكيم، وأحكم الحكماء، لا تخلو فعالك من عدل وحكمة أنت اعلم بها **﴿قال﴾** أي: الرب تعالى للروح **﴿يا نوح إنه ليس من أهلك﴾** أي: من أهل دينك وملتك والأهلية على نوعين أهلية القرابة وأهلية الملة والدين وما نفي هنا أهلية القرابة لتولدها من الروح، ثم أظهر علة نفي الأهلية الدينية فقال: **﴿إنه عمل غير صالح﴾** أي خلق للأمارية بالسوء وهذه سيرتها أبداً، ثم أدب الروح بآداب أهل القربة فقال: **﴿فلا تسألن ما ليس لك به علم﴾** أي: علم حقيقي بأن يجوز لأهل القربة، على بساط القرب هذا الانبساط أم لا. **﴿إني أعظك﴾** يا روح القدس **﴿أن تكون﴾** على البساط بهذا الانبساط **﴿من الجاهلين﴾** أي: من النفوس الجاهلة الظالمة. وفيه إشارة إلى أن الروح العالم العلوي يصير بمتابعة النفس وهواها جاهلاً سفليّ الطبع دنيء الهمة. **﴿قال﴾** أي:

الروح ﴿رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم﴾ من التماس نجاة النفس الممتحنة بآفات الدنيا وشهواتها من طوفان الفتن. ﴿وإلا تغفر لي﴾ تؤيدني بأنوار المغفرة ﴿وترحمني﴾ على عجزي عن الاهتداء بغير هداك ﴿أكن من الخاسرين﴾ يشير إلى أن الرحمة هي المانعة للروح من الخسران كذا في «التأويلات النجمية».

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾

﴿قيل﴾ القائل هو الله تعالى ﴿يا نوح اهبط﴾ هبط لازم ومتعد إلا أن مصدر اللازم الهبوط ومصدر المتعدي الهبط كالرجوع والرجع والمراد هنا الأول والهبوط بالفارسية [فرود آمدن] أي: انزل من الفلك إلى جبل الجودي الذي استقرت السفينة عليه شهراً أو من الجودي إلى الأرض المستوية. ﴿بسلام﴾ ملتبساً بسلامة من المكاره كائنة ﴿منا﴾ فسلام بمعنى السلامة حال من فاعل اهبط، ومنا صفة له دالة على تعظيمه وكماله، لأن ما كان من الله العظيم عظيم، أو بسلام وتحية منا عليك كما قال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الصافات: ٧٩] فالسلام بمعنى التسليم، والأول أوجه، لأن المقام مقام النجاة من الغرق. ﴿وبركات عليك﴾ أي: خيرات نامية في نسلك وما يقوم به معاشك ومعاشهم من أنواع الأرزاق. ﴿وعلى أمم﴾ ناشئة ﴿ممن معك﴾ متشعبة منهم فمن ابتدائية، والمراد الأمم المؤمنة المتناسلة ممن معه من أولاده إلى يوم القيامة فهو من إطلاق العام وإرادة الخاص هذا على رواية من قال: كان معه في السفينة أولاده وغيرهم مع الاختلاف في العدد فمات غير الأولاد، أي: بعد الهبوط ولم ينسل وهو الأرجح، وإما على رواية من قال: ما كان معه في السفينة إلا أولاده ونساؤهم على أن يكون المجموع ثمانية فلا يحتاج إلى التأويل، وأياً ما كان فنوح أبو الخلق كلهم، ولذا سمي آدم الثاني، وآدم الأصغر، لأنه لم يحصل النسل إلا من ذريته، وقد أخرج الله الكثير من القليل بقدرته كما أخرج من صلب زين العابدين الكثير الطيب وذلك إنه قتل مع سلطان الشهداء الحسين رضي الله عنه عامة أهل بيته ولم ينج إلا ابنه زين العابدين على أنه رضي الله عنه أصغرهم فأنمى الله تعالى ذريته السادة.

قال في «نفائس المجالس»: لما ارتفع الطوفان قسم نوح الأرض بين أولاده الثلاثة، فأما سام فأعطاه بلاد الحجاز واليمن والشام فهو أبو العرب، وأما حام فأعطاه بلاد السودان فهو أبو السودان، وأما يافث فأعطاه بلاد المشرق فهو أبو الترك.

قال في «أسئلة الحكم»: أما ممالك الأقاليم السبعة التي ضبط عددها في زمن المأمون فثلاثمائة وثلاث وأربعون مملكة، منها ثلاثة أيام وهي أضيقها، وثلاثة أشهر وهي أوسعها ووجدت مملكة في خط الاستواء لها ربيعان وصيفان وخريفان وشتاآن في سنة واحدة وفي بعضها ستة أشهر ليل وستة أشهر نهار وبعضها حر وبعضها برد، وأما جميع مدائن الأقاليم فهو أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وست وخمسون وقيل غير ذلك وما العمران في الخراب إلا كخردلة في كف أحدكم وفي الخبر: «إن لله دابة في مرج من مروجه رزقها كل يوم بقدر رزق العالم باسره» فانظر إلى سعة رحمة الله وبركاته ولا تغتم لأجل الرزق. وفي «المثنوي»:

جمله را رزاق روزى ميدهد قسمت هركس كه پيشش مينهد
سالها خوردى وكم نامد زخور ترك مستقبل كن وماضي نكر

﴿وأمم﴾ مبتدأ ﴿سنمتعهم﴾ صفة والخبر محذوف وهو منهم، أي: ليس جميع من تشعب منهم مسلماً ومباركاً عليهم، بل منهم أمم سنمتعهم في الدنيا معناه بالفارسية [زود باشدكه برخوردارى دهيم ايشانرا دردنيا بفراخىٔ عيش وسعت رزق] ﴿ثم يمسهم منا﴾ [پس برسد ايشانرا ازما] ﴿عذاب أليم﴾ [عذابي دردناك] إما في الآخرة أو في الدنيا أيضاً وهم الكفار وأهل الشقاوة، يشير سبحانه وتعالى إلى أن كون كل الناس سعداء أو أشقياء مخالف لحكمته فإنه أودع فيهم جماله وجلاله على مقتضى تدبيره فلا بد من ظهور آثار كل منهما، كما قال الحافظ:

در كار خانهٔ عشق ازكفرنا كزيرست آتش كرا بسوزد كر بولهب نباشد

ـ حكي ـ في التفاسير أنه لما رست السفينة على الجودي كشف نوح الطبق الذي فيه الطير فبعث الغراب لينظر هل غرقت البلاد كما في «حياة الحيوان» أو كم بقي من الماء فيأتيه بخبر الأرض كما في «تفسير أبي الليث» فأبصر جيفة فوقع عليها واشتغل بها فلم يرجع ولذا قالوا: في المثل أبطأ من غراب نوح، ثم أرسل الحمامة فلم تجد موضعاً في الأرض فجاءت بورق الزيتون في منقارها فعرف نوح أن الماء قد نقص وظهرت الأشجار ثم أرسلها فوقعت على الأرض فغابت رجلاها في الطين قدر حمرتهما فجاءت إلى نوح وأرته فعرف إن الأرض قد ظهرت فبارك على الحمامة وطوقها الخضرة التي في عنقها ودعا لها بالأمان فمن ثم تألف البيوت، ودعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يألف البيوت وتشاءم العرب بالغراب واستخرجوا من اسمه الغربة قالوا: غراب البين لأنه بان عن نوح.

واعلم أن نوحاً عليه السلام هبط بمن معه في السفينة يوم عاشوراء فصام وأمر من معه بصيامه شكراً الله تعالى وكان قد فرغت أزدواهم فجاء هذا بكف حنطة وهذا بكف عدس وهذا بكف حمص إلى أن بلغت سبعة حبوب فطبخها نوح عليه السلام لهم فأفطروا عليها وشبعوا جميعاً ببركات نوح، وكان أول طعام طبخ على وجه الأرض بعد الطوفان هذا فاتخذه الناس سنة يوم عاشوراء وفيه أجر عظيم لمن يفعل ذلك ويطعم الفقراء والمساكين.

وذكر أن الله عز وجل يخرق ليلة عاشوراء زمزم إلى سائر المياه فمن اغتسل يومئذٍ أمن من المرض في جميع السنة كما في «الروض الفائق» ومن وسع فيه على عياله في النفقة وسع الله له سائر سنته.

قال ابن سيرين: جربناه ووجدناه كذلك كما في «الأسرار المحمدية».

قال في «عقد الدرر واللآلى»: المستحب في ذلك يوم فعل الخيرات من الصدقة والصوم والذكر وغيرها، ولا ينبغي للمؤمن أن يتشبه بيزيد الملعون في بعض الأفعال، وبالشيعة والروافض والخوارج أيضاً، يعني: لا يجعل ذلك اليوم يوم عيد أو يوم مأتم، فمن اكتحل يوم عاشوراء فقد تشبه بيزيد الملعون وقومه، وإن كان للاكتحال في ذلك اليوم أصل صحيح فإن ترك السنة سنة إذا كانت شعاراً لأهل البدعة كالتختم باليمين فإنه في الأصل سنة لكنه لما كان شعار أهل البدعة والظلمة صارت السنة أن يجعل الخاتم في خنصر اليد اليسرى في زماننا كما في «شرح القهستاني» ومثله تقصير الثياب وتطويلها اللهم إلا أن يفعل بعض الأفعال كالاغتسال وزيارة الإخوان وتوسيع النفقة ونحوها من غير أن يخطر بباله التشبيه وعدمه كما إذا خرج بطريق التنزه والتفرج يوم نيروز النصارى أو نيروز العجم، وأهدى شيئاً إلى بعض إخوانه بطريق

الاتفاق أو بمصلحة داعية إليه من غير أن يخطر بقلبه الموافقة فإنه لا بأس.

ومن قرأ يوم عاشوراء وأوائل المحرم مقتل الحسين رضي الله عنه فقد تشبه بالروافض خصوصاً إذا كان بألفاظ مخلة بالتعظيم لأجل تحزين السامعين.

وفي «كراهية القهستاني» لو أراد ذكر مقتل الحسين ينبغي أن يذكر أولاً مقتل سائر الصحابة لئلا يشابه الروافضة انتهى.

قال حجة الإسلام الغزالي: يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين، وحكايته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فإنه يهيج بغض الصحابة والطعن فيهم وهم أعلام الدين، وما وقع بينهم من المنازعات فيحمل على محامل صحيحة، ولعل ذلك لخطأ في الاجتهاد لا لطلب الرياسة والدنيا كما لا يخفى.

وقال عز الدين بن عبد السلام: في فصل آفات اللسان الخوض في الباطل هو الكلام في المعاصي، كحكاية أحوال الوقاع، ومجالس الخمور وتجبر الظلمة، وكحكاية مذاهب أهل الأهواء وكذا حكاية ما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم انتهى.

قال في «عقد الدرر»: ويح قاتل الحسين كيف حاله مع أبويه وجده وأنشدوا:

لا بد إن ترد القيامة فاطم وقميصها بدم الحسين ملطخ
ويل لمن شفعاؤه خصماؤه والصور في يوم القيامة ينفخ

وفي الحديث: «قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا».

قال في «إنسان العيون»: أرسل أهل الكوفة إلى الحسين أن يأتيهم ليبايعوه، فأراد الذهاب إليهم فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لأبيه وخذلانهم لأخيه الحسن، فأبى إلا أن يذهب فبكى ابن عباس رضي الله عنهما وقال: واحسيناه ولم يبق بمكة إلا من حزن على مسيره، وقدم أمامه إلى الكوفة مسلم بن عقيل فبايعه من أهل الكوفة للحسين اثنا عشر ألفاً وقيل: أكثر من ذلك، ولما شارف الكوفة جهز إليه أميرها من جانب يزيد وهو عبد الله بن زياد عشرين ألف مقاتل وكان أكثرهم ممن بايع لأجل السحت العاجل على الخير الآجل، فلما وصلوا إليه ورأى كثرة الجيوش طلب منهم إحدى ثلاث إما أن يرجع من حيث جاء، أو يذهب إلى بعض الثغور، أو يذهب إلى يزيد يفعل فيه ما أراد، فأبوا وطلبوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد، فأبي فقاتلوه إلى أن أثخنته الجراحة فسقط إلى الأرض فحزوا رأسه وذلك يوم عاشوراء عام إحدى وستين ووضع ذلك الرأس بين يدي عبد الله بن زياد.

قال في «روضة الأخيار»: قبر الحسين رضي الله عنه بكربلاء، وهي من أرض العراق ورأسه بالشام في مسجد دمشق على رأس أسطوانة وقد رأى النبي ﷺ بعض الصالحين في النوم فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما ترى فتن أمتك؟ فقال: زادهم الله فتنة قتلوا الحسين ولم يحفظوني ولم يرعوا حقي فيه.

وعن الشعبي مرّ علي رضي الله عنه بكربلاء عند مسيره إلى صفين فوقف وسأل عن اسم هذه الأرض فقيل: كربلاء فبكى حتى بل الأرض من دموعه ثم قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يبكي فقال: «كان عندي جبريل آنفاً وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطىء الفرات بموضع يقال: له كربلاء ثم قبض جبريل قبضة من تراب اشمني إياها فلم أملك عيني أن فاضتا» ـ روي ـ أن تلك التربة جعلها رسول الله ﷺ في قارورة وقال: لأم سلمة رضي الله عنها: «إن

هذا من تربة الأرض التي يقتل بها الحسين فمتى صار دماً فاعلمي أنه قد قتل» قالت أم سلمة: فلما كان ليلة قتل الحسين سمعت قائلاً يقول:

أيها القاتلون جهلا حسينا   أبشروا بالعذاب والتذليل
قد لعنتم على لسان ابن داو   دموسى وحامل الإنجيل

قالت: فبكيت وفتحت القارورة فإذا التربة قد جرت دماً. حكي إن السماء احمرت لقتله.

قال ابن سيرين: والحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين، وحكمته على ما قال ابن الجوزي: إن غضبنا يؤثر حمرة الوجه والحق منزه عن الجسمية فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأفق إظهاراً لعظيم الجناية ولم يرفع حجر في الدنيا يوم قتله إلا وجد تحته دم عبيط.

وأخرج أبو الشيخ أن جمعاً تذاكروا أنه ما من أحد أعان على قتل الحسين إلا أصابه بلاء قبل أن يموت، فقال شيخ: أنا أعنت وما أصابني شيء فقام ليصلح السراج فأخذته النار فجعل ينادي النار النار وانغمس في الفرات ومع ذلك لم يزل ذلك به حتى مات، وبعضهم ابتلى بالعطش فكان يشرب راوية ولا يُروى، وبعضهم عوقب بالقتل أو العمى أو سواد الوجه أو زوال الملك في مدة يسيرة وغير ذلك، فإذا عرفت فكن على جانب ممن يعادي أهل البيت ومن صحبتهم فإن موالاتهم معاداة لأهل البيت وبغض لهم، واحفظ الحرمة يحفظك الله تعالى وفي الحديث: «إن لله تعالى ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله دينه ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله تعالى دينه ولا دنياه حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي ومن لم يعرف حق عترتي والأنصار والعرب فهو لإحدى ثلاث، إما منافق، وإما لزنية وإما حملت به أمه في غير طهر».

دركار دين زمردم بي دين مدد مخواه   ازماه منخسف مطلب نور صبحكاه

اللهم احفظنا من الانقطاع عن الوسائل الحقة وألحقنا في الدنيا والآخرة بالطائفة المحقة.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿تلك﴾ إشارة إلى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها قوله: **﴿من أنباء الغيب﴾** أي: بعض أخباره فإنه لتقادم عهده لم يبق علمه إلا عند الله تعالى. **﴿نوحيها﴾** أي: تلك القصة بواسطة جبريل خبر ثانٍ **﴿إليك﴾** ليكون لك هداية وأسوة فيما لقيه غيرك من الأنبياء عليهم السلام **﴿ما كنت تعلمها أنت ولا قومك﴾** خبر آخر، أي: مجهولة عندك وعند قومك **﴿من قبل هذا﴾** أي: من قبل إيحائنا إليك وإخبارنا بها، وفي ذكر جهلهم تنبيه على إنه عليه السلام لم يتعلمه إذ لم يخالط غيرهم وأنهم مع كثرتهم لم يسمعوه فكيف يؤخذ منهم.

قال سعدي المفتي: أعلمناهم بها ليكون لهم مثالاً وتحذيراً أن يصيبهم إذا كذبوك ما أصاب أولئك **﴿فاصبر﴾** متفرع على الإيحاء أي: وإذ قد أوحيناها.

وفي «تفسير أبي الليث» يعني: إن لم يصدقوك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة وأذية قومك وتكذيبهم كما صبر نوح في هذه المدة المتطاولة. **﴿إن العاقبة﴾** أي: آخر الأمر بالظفر في الدنيا وبالفوز في الآخرة. **﴿للمتقين﴾** أي: المؤمنين الموحدين الصابرين كما شاهدته في

نوح وقومه ولك فيه أسوة حسنة. وفيه تسلية لرسول الله ﷺ وللمؤمنين. قال الحافظ:

سروش عالم غيبم بشارتي خوش داد   كه كس هميشه كرفتار غم نخواهد ماند

قال الكاشفي: [پير طريقت فرمودكه صبر كليد همه بستكيها است وشكيبايي علاج همه خستكيها است نتيجهء شكيباي ظفراست وكار بي صبر ازهر روز بترست:

صبراست كليد كنج مقصود   بي صبر درمراد نكشود

كر صبر كنى مراد يابى   وزباي در افتى ازشتابى

ـ روي ـ عن خباب بن الأرت قال: أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد بردائه في ظل الكعبة فشكونا إليه فقلنا: يا رسول الله، ألا تدعو الله لنا وتستنصرنا فجلس محماراً لونه ثم قال: «إن من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفرله في الأرض حفرة فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه»، وفي الحديث: «يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الأرض فيغمس في النار غمسة فيخرج أسود محترقاً فيقال: له هل مر بك نعيم قط أو كنت فيه فيقول لا لم أزل في هذا البلاء منذ خلقني الله تعالى ويؤتي بأشد أهل الدنيا بلاء فيغمس في الجنة غمسة» يعني: يدخل فيها ساعة «فيخرج كأنه القمر ليلة البدر فيقال: له هل مر بك شدة قط فيقول لا لم أزل في هذا النعيم منذ خلقني الله تعالى».

يقول الفقير: هذا إذا صبر ولم يظفر ببغيته في الدنيا مع أن من الظفر والنصر الموت على ما قال بعض العلماء: في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾[البقرة: ٢١٤] فإن الميت إما مستريح أو مستراح منه ولكن غالب العادة الإلهية إنزال النصر للعاجز ولقد شاهدت في عصري كثيراً من مواد هذا الباب. منها: أني كنت في الأسكوب من الديار الرومية أنهي عن المنكر فلقيني من القوم في مدة ست سنين ما يضيق نطاق البيان عنه حتى آل الأمر إلى الهجرة من تلك البلدة فأخرجوني من بينهم، فانقلب الابتلاء إلى مقاساة شدائد الهجرة مع الأهل والأولاد، حتى إذا دخلت مدينة بروسة بإشارة حضرة الشيخ قدس سره ووجدت فيها الراحة العظمى استولى الكفار على البلاد الرومية وأحرقوا الأسكوب، وجعل الله من فيها من المستكبرين كأن لم يكن شيئاً مذكوراً. ومنها: أن إبراهيم الوزير في أواخر دولة السلطان محمد الرابع نفى حضرة شيخنا الأجل الذي جعله الله آية من آيات هذه الدورة القمرية إلى بلدة المعروفة بشمني، وكان حين النفي متمكناً في القسطنطينية فلم يلبث حتى نفاه الله أي: الوزير ثم قتل، ثم لما آلت الوزارة إلى مصطفى المعروف بابن كوپر يلي في دولة السلطان سليمان الثاني أخرج حضرة الشيخ أيضاً لغرض فاسد إلى جزيرة قبرس فما مضى سنة إلا قتل الوزير وجعل عبرة للمعتبرين ومثلاً للآخرين، وكنت أتحزن في أمر حضرة الشيخ حين كان في الجزيرة المذكورة، فبينما أنا في تفكره يوماً، إذ ورد لي كتاب من جنابه مندرج فيه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥] فصادف قتل الوزير وهو من كراماته العجيبة حفظه الله سبحانه ومتعنا بعلومه الإلهية ووارادته الربانية.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ٥٠ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٥١﴾.

﴿وإلى عاد﴾ قبيلة من العرب بناحية اليمن فهو متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ﴿أرسلنا﴾ في قصة نوح وهو الناصب لقوله: ﴿أخاهم﴾ وتقديم المجرور على المنصوب ههنا للحذار من الاضمار قبل الذكر. والمعنى وأرسلنا إلى عاد أخاهم أي: واحداً منهم في النسب من قولهم ويا أخا العرب يا أخا بني تميم يريدون يا واحداً منهم ﴿هوداً﴾ وكان عليه السلام من جملتهم فإنه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن إرم بن سام بن نوح. وقيل: هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ابن عم أبي عاد.

قال الكاشفي: [عاد چهارم پدر هودست وعاد پسر عوص بن أرم بن سام بن نوح است وبرين قول از أبناء عم عاد باشد] قال بعضهم: عاد هو اسم القبيلة وهي الفروع المنشعبة من أصل واحد فيكون اسم الأب الكبير في الحقيقة والتعبير بأخص الأوصاف التي هي الأخوة بمعنى انتساب شخصين إلى صلب واحد أو رحم واحد وإلى صلب ورحم معاً، ككونه كذلك بالنسبة إلى اتحاد الأب. وقال بعضهم: هو اسم ملكهم وكانوا يسمون باسم ملكهم وإنما جعل واحداً منهم لأنهم أفهم لقوله وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وأرغب في اقتفائه.

قيل: إن هوداً مكث في ديار قومه أربعين سنة يعبد الله ويتجنب أصنامهم فنزل عليه جبريل بالرسالة إلى بني عاد فذهب هود إليهم وهم بالأحقاف متفرقون، وهي الرمال والتلال وجعل يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وترك عبادة الأصنام، كما قال تعالى: ﴿قال﴾ استئناف بياني كأنه قيل ماذا قال؟ لهم فقيل قال: ﴿يا قوم﴾ [اي كروه من] ﴿اعبدوا الله﴾ وحده لأنه ﴿ما لكم من إله غيره﴾ فخصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئاً، وغيره بالرفع صفة لإله باعتبار محله. ﴿إن أنتم إلا مفترون﴾ أي: ما أنتم باتخاذكم الأصنام شركاء إلا مفترون على الله الكذب.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير بهود إلى القلب وبعاد إلى النفس وصفاتها فإن القلب أخو عاد النفس لأنهما قد تولدا من ازدواج الروح والقالب. فالمعنى: إنا أرسلنا هود القلب إلى عاد النفس كما أرسلنا نوح الروح إلى قومه وبهذا المعنى يشير إلى أن القلب قابل لفيض الحق تعالى: كما أن الروح قابل لفيضه، قال: يا قوم اعبدوا الله يشير إلى النفس، وصفاتها أن يتوجهوا لعبودية الحق وطلبه ما لكم من إله غيره، أي: شيء دونه لاستحقاق معبوديتكم ومحبوبيتكم ومطلوبيتكم إن أنتم إلا مفترون فيما تتخذون الهوى والدنيا معبوداً ومطلوباً.

﴿يا قوم لا أسألكم عليه﴾ أي: على تبليغ الرسالة. ﴿أجراً﴾ يعني جعلاً ورشوة، ومعناه لست بطامع في أموالكم. ﴿إن أجري إلا على الذي فطرني﴾ خلقني جعل الصلة فعل الفطرة لكونه أقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر. ﴿أفلا تعقلون﴾ أي: أتغفلون عن هذه القصة فلا تعقلونها.

واعلم: أن المال والجاه وثناء الخلق وغيرها من مشارب النفس عند أهل الله تعالى ولذا قالوا: ما من رسول إلا خاطب قومه بهذا القول إزاحة للتهمة وتمحيضاً للنصيحة فإنها لا تنجع ولا تنفع إلا إذا كانت خالصة غير مشوبة بشيء من المطامع:

طمع بند ودفتر زحكمت بشوى طمع بكسل وهرچه خواهى بكوى

كما روي عن بعض المشايخ أنه كان له سنور، وكان يأخذ من قصاب في جواره شيئاً من الغدد لسنوره فرأى على القصاب منكراً فدخل الدار فأخرج السنور أولاً، ثم جاء واحتسب على

القصاب، فقال: له القصاب لا أعطيك بعد اليوم لسنورك شيئاً، فقال: ما احتسب عليك إلا بعد إخراج السنور وقطع الطمع منك والطمع سكون القلب إلى منفعة مشكوكة.

مكن سعديا ديده بردست كس   كه بخشنده پرورد كارست وبس

طمع آب روى موقر بريخت   براى دوجو دامن در بريخت

وساحة قلوب الأنبياء عليهم السلام، وكذا الأولياء قدس سرهم مطهرة من دنس التعلق بغير الله في دعوتهم وإرشادهم، وإنما يريد أهل الإرشاد من هذه الأمة تعظيم جاه رسول الله ﷺ بتكثير اتباعه لا المال والمنافع الدنيوية فإن الآخرة خير وأبقى، وفي المثل: أجهل من داعي ثمانين من الضأن. قال ابن خالويه: إنه رجل قضى للنبي عليه السلام حاجة فقال: ائتني بالمدينة فأتاه فقال: «أيما أحب إليك ثمانون من الضأن أو ادعو الله أن يجعلك معي في الجنة» قال: بل ثمانون من الضأن قال: «أعطوه إياها» ثم قال: «إن صاحبة موسى عليه السلام كانت أعقل منك» وذلك أن عجوزاً دلته على عظام يوسف عليه السلام فقال لها موسى: «أيما أحب إليك أسأل الله أن تكوني معي في الجنة» أو مائة من الغنم قالت: الجنة ولكمال المحافظة على الدين لم يقبل العلماء المتقدمون أجرة على الوعظ والتعليم والأمامة والخطابة والتأذين وغيرها.

زيان ميكند مرد تفسير دان   كه علم وأدب ميفروشد بنان

﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢﴾.

﴿**ويا قوم استغفروا ربكم**﴾ آمنوا به ﴿**ثم توبوا إليه**﴾ من عبادة غيره لأن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان كما في «بحر العلوم» واللائح للبال أن المعنى اطلبوا مغفرة الله تعالى لذنوبكم السالفة من الشرك والمعاصي بأن تؤمنوا به فإن الإيمان يجب ما قبله، أي: يقطع ثم ارجعوا إليه بالطاعة فإن التحلية بالمهملة بعد التخلية بالمعجمة فيكون ثم على بابها في التراخي أيضاً. ﴿**يرسل السماء عليكم**﴾ أي: المطر ﴿**مدراراً**﴾ من أبنية مبالغة الفاعل يستوي فيه المذكر والمؤنث، وأصله من در اللبن درورا وهو كثرة وروده على الحالب، يقال سحاب مدرار ومطر مدرار إذا تتابع منه المطر في أوقات الاحتياج إليه. والمعنى حال كونه متتابعاً دائماً كلما تحتاجون.

وقال الكاشفي: [تابفر ستد از آسمان باراني پيوسته] ﴿**ويزدكم**﴾ [وبيفزايد وزياده كند] ﴿**قوة**﴾ مضافة منضمة ﴿**إلى قوتكم**﴾ أي: يضاعفها لكم وإنما رغبهم في الإيمان بكثرة المطر وزيادة القوة، لأنهم كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصاً عليها أشد الحرص فكانوا أحوج شيء إلى الماء، وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة ممنوعين بها من العدو مهيبين في كل ناحية.

وقال الكاشفي: [آورده اندكه عاديان دعوت هود قبلو نكردند وحق سبحانه وتعالى بشآمت آن سه سال باران ازايشان بازكرفت وزنان ايشانرا عاقره وعقيمه ساخت وچون أصحاب زراعت بودند ودشمنان نيزداشتند براى زراعت به باران وبراي دفع أعادي بأولاد محتاج شدند هود عليه السلام فرمودكه ﴿**يا قوم استغفروا**﴾ الخ فيكون معنى قوله: ﴿**ويزدكم قوة إلى قوتكم**﴾ قوتي باقوت شما يعني: [فرزندان دهد شمارا تابمدد ايشان بر دفع أعادي قادر شويد].

وعن الحسن بن علي أنه وفد على معاوية، فلما خرج تبعه بعض حجابه، فقال: إني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئاً لعل الله يرزقني ولداً، فقال: عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية، فقال: هلا سألته ممَ قال: ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال: ألم تسمع قول هود ﴿**ويزدكم قوة إلى قوتكم**﴾ وقال نوح ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح: ١٢] ﴿**ولا تتولوا**﴾ ولا تعرضوا عما أدعوكم إليه وأرغبكم فيه ﴿**مجرمين**﴾ أي: حال كونكم مصرين على الإجرام والآثام والإجرام كسب الجرم كالإذناب بكسر الهمزة كسب الذنب.

﴿قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿**قالوا**﴾ استئناف بتقدير سؤال سائل، كأنه قيل ما قال: له قومه بعد أن أمرهم ونهاهم فقيل: قالوا: ﴿**يا هود ما جئتنا ببينة**﴾ أي: بحجة تدل على صحة دعواك وإنما قالوه: لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات كما قالت: قريش لرسول الله ﷺ لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوات آياته الحصر ﴿**وما نحن بتاركي آلهتنا**﴾ أي: بتاركي عبادتهم وأصله تاركين سقطت النون بالإضافة. ﴿**عن قولك**﴾ حال من الضمير في تاركي، كأنه قيل: وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك، أي: صادراً تركنا عن ذلك بإسناد حال الوصف إلى الموصوف ومعناه التعليل على أبلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيده الباء واللام.

قال السعدي المفتي: قد يقال: عن للسببية كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤] فيتعلق بتاركي أي: بقولك المجرد عن حجة ﴿**وما نحن لك بمؤمنين**﴾ أي: بمصدقين فيما تدعونا إليه من التوحيد وترك عبادة الآلهة وهو إقناط له من الإجابة والتصديق.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿**إن نقول إلا اعتريك**﴾ قوله اعتراك جملة مفسرة لمصدر محذوف تقديره ما نقول في شأنك إلا قولنا اعتراك أي: أصابك من عراه يعره إذا أصابه ﴿**بعض آلهتنا بسوء**﴾ الباء للتعدية. والمعنى بالفارسية [مكر آنكه رسانيده اند بتو برخى ازخدايان ما رنجى وكزندى وعلتي] أي: بجنون لسبك إياها وصدك عنها وعداوتك مكافاة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين ﴿**قال**﴾ هود ﴿**إني أشهد الله واشهدوا**﴾ أي: وأقول أشهدوا لئلا يلزم عطف الإنشاء على الخبر ﴿**أني بريء**﴾ تنازع فيه أشهد الله واشهدوا أي: على أني بريء ﴿**مما تشركون**﴾ أي: من إشراككم.

﴿**من دونه**﴾ أي: من دون الله أو مما تشركون من آلهة غير الله فما موصولة وإشهاد الله تعالى حقيقة، وإشهادهم استهزاء بهم واستهانة، إذ لا يقول أحد لمن يعاديه أشهدك على أني بريء منك إلا وهو يريد عدم المبالاة ببراءته والاستهانة بعداوته.

واعلم أنهم لما سموا أصنامهم آلهة وأثبتوا لها الضرر نفى هود بقوله ﴿**إني أشهد الله**﴾ الآية كونهم آلهة رأساً ثم نفى الضرر بقوله: ﴿**فكيدوني**﴾ الكيد إرادة مضرة الغير خفية وهو من

الخلق الحيلة السيئة، ومن الله التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق، أي: إن صح ما تفوهتم به من كون آلهتكم مما تقدر على إضرار من يسبها ويصد عن عبادتها، فإني بريء منها فكونوا أنتم وآلهتكم ﴿جميعاً﴾ حال من ضمير كيدوني على قصد إهلاكي بكل طريق. ﴿ثم لا تنظرون﴾ لا تمهلوني ولا تسامحوني في ذلك فالفاء لتفريع الأمر على زعمهم في قدرة آلهتهم على ما قالوا: وعلى البراءة كليهما كما في «الإرشاد».

وفيه إشارة إلى أن النفس وصفاتها والشيطان والهوى والدنيا في كيد القلب على الدوام والقلب المؤيد بالتأييد الرباني لا يناله كيدهم.

جملهٔ عالم اكر دريا شود   چون تو باحق ترنكردد پاي تو

﴿إني توكلت على الله ربي وربكم﴾ يعني: إنكم وإلهتكم لا تقتدرون على ضرري فإني متوكل على الله القادر القوي وهو مالكي ومالك كل شيء إذ ﴿ما من دابة﴾ نسمة تدب على الأرض. ﴿إلا هو﴾ أي: رب تعالى ﴿آخذ بناصيتها﴾ الناصية عند العرب منبت الشعر في مقدمة الرأس ويسمى الشعر النابت هناك أيضاً ناصية تسمية له باسم منبته، والأخذ بناصية الإنسان عبارة عن قهره والغلبة عليه وكونه في قبضة الآخذ بحيث يقدر على التصرف فيه كيف يشاء، والعرب إذا وصفوا إنساناً بالذلة والخضوع لرجل قالوا: ما ناصيته إلا بيد فلان، أي: إنه مطيع له لأن كل من أخذت بناصيته فقد قهرته وأخذ الله بناصية الخلائق استعارة تمثيلية لنفاذ قدرته فيهم. والمعنى إلا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والغرض من هذا الكلام الدلالة على عظمته وجلالة شأنه وكبرياء سلطانه وباهر قدرته وأن كل مقدور وإن عظم وجل في قوته وجثته فهو مستصغر إلى جنب قدرته مقهور تحت قهره وسلطانه منقاد لتكوينه فيه ما يشاء غير ممتنع عليه ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾ يعني: إنه على الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿ما من دابة﴾ تدب في طلب الخير والشر ﴿إلا هو آخذ بناصيتها﴾ يجرها بها إلى الخير والشر وهي في قبضة قدرته مذللة له ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾ في إصلاح حال أهل الخير وإفساد حال أهل الشر.

وفيه إشارة أخرى: إن ربي على صراط مستقيم يدل طالبيه به عليه يقول من طلبه فليطلبه على صراط مستقيم الشريعة على أقدام الطريقة فإنه يصل إليه بالحقيقة وأيضاً يعني: الصراط المستقيم هو الذي ينتهي إليه لا إلى غيره كقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٤٢] [ودرنقد النصوص قدس سر جامعه مذكور است درباب احديت افعال وبيان تأثيرات ومؤثرات كه آن ذات متعاليه كه في الحقيقة مصدر جميع أفعال ومؤثر درتمام منفعلاتست بحكم تربيت هريكى را بحسب قابليات بسوى حضرت خود مي كشاند انيست سر آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم]

كش كشاند مى كشد كانا إليه راجعون   چوروى جاى دكر فكر غلط باشد جنون

وازين مقوله ها است قول قائل:

چون همه راه اوست ازچپ وراست   تو بهره كه ميروى اوراست
چون از وبود ابتداى همه   هم بدو باشد انتهاى همه

﴿فإن تولوا﴾ فإن تتولوا بحذف إحدى التاءين، أي: وإن تستمروا على التولي والإعراض

فلا تفريط مني **﴿فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم﴾** أي: لأني قد أديت ما عليّ من الإبلاغ وإلزام الحجة وكنتم محجوجين بأن بلغكم الحق فأبيتم إلا التكذيب والجحود، فالمذكور دليل الجزاء. **﴿ويستخلف ربي قوماً غيركم﴾** كلام مستأنف، أي: ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم **﴿ولا تضرونه﴾** بتوليكم وإعراضكم **﴿شيئاً﴾** من ضرر قط لأنه لا يجوز عليه المضار والمنافع وإنما تضرون أنفسكم. **﴿إن ربي على كل شيء حفيظ﴾** رقيب فلا يخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم.

واعلم أن بين وجوب التوكل على الله وكونه حفيظاً حصيناً أولاً بأن ربوبيته عامة لكل أحد، ومن يرب يدبر أمر المربوب ويحفظه فلا يحتاج حفظ الغير، وثانياً: بأن كل ذي نفس تحت قهره أسير عاجز عن الفعل والتأثير في غيره فلا حاجة إلى الاحتراز منه، وثالثاً: بأنه على طريق العدل في عالم الكثرة الذي هو ظل وحدته فلا يسلط أحداً على أحد إلا عن استحقاق لذلك بسبب ذنب وجرم ولا يعاقب أحداً من غير زلة ولو صغيرة نعم قد يكون لتزكية ورفع درجة فالمستفاد في ضمن ذلك كله نفي القدرة عنهم وعن آلهتهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله، والله تعالى لا يظلم الناس مثقال ذرة وما يرى في صورة الظلم فمن خفأ سره وحكمته، والعارف ينظر إلى الأسرار الإلهية ويحمل الوقائع على الحكم ـ حكي ـ أنه كان رجل سقاء بمدينة بخارى يحمل الماء إلى دار صائغ مدة ثلاثين سنة وكان لذلك الصائغ زوجة صالحة في نهاية الحسن والبهاء فجاء السقاء على عادته يوماً وأخذ بيدها وعصرها فلما جاء زوجها من السوق قالت: ما فعلت اليوم خلاف رضي الله تعالى فقال: ما صنعت فألحت فقال: جاءت امرأة إلى دكاني وكان عندي سوار فوضعته في ساعدها فأعجبني بياض يدها فعصرتها فقالت: الله أكبر هذه حكمة خيانة السقاء اليوم فقال الصائغ: أيتها المرأة إني تبت فاجعليني في حل، فلما كان من الغد جاء السقاء وتاب وقال: يا صاحبة المنزل اجعليني في حل فإن الشيطان قد أضلني فقالت: امض فإن الخطأ لم يكن إلا من الشيخ الذي في الدكان فاقتص الله منه في الدنيا، وأمثال ذلك من عدل الله تعالى فليكن العباد على العدالة خصوصاً الحكام والسلاطين، فإن العدل ينفع في الدنيا والآخرة ـ حكي ـ أن ذا القرنين سأل من ارسطاطاليس أي: شيء أفضل للملوك الشجاعة أم العدل؟ فقال: إذا عدل السلطان لم يحتج إلى الشجاعة، فمن آمن بالملك الديان وخشي من عذابه كل آن، فقد عدل واحترز عن الظلم والطغيان وفاز بالدرجات في أعلى الجنان، وإلا فقد عرض نفسه لعذاب النيران بل ولعذاب الدنيا أيضاً على أشد ما كان، ألا ترى إلى قوله تعالى حكاية **﴿ويستخلف ربي قوماً غيركم﴾** مع ماله من أنواع اللعنة.
قال: السعدي قدس سره:

نماند ستمكار بد روزكار بماند برو لعنت پايدار
خنك روز محشر تن دادكر كه در سايهء عرش دار دمقر

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿ولما﴾ [آن هنكام كه] **﴿جاء أمرنا﴾** أي: عذابنا فيكون واحد الأمور أو أمرنا بالعذاب فيكون مصدر أمر. **﴿نجينا هوداً والذين آمنوا معه﴾** وكانوا أربعة آلاف **﴿برحمة﴾** عظيمة كائنة

﴿منا﴾ أي: نجيناهم بمجرد رحمة وفضل لا بأعمالهم لأنه لا ينجو أحد وإن اجتهد في الأعمال والعمل الصالح إلا برحمة الله تعالى كما هو مذهب أهل السنة ﴿ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ شديد، وهو تكرير لبيان ما نجيناهم منه أي: كانت تلك التنجية تنجية من عذاب غليظ وهي السموم التي كانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج من أدبارهم فتقطعهم إرباً إرباً وقد سبق تفصيل القصة في سورة الأعراف فارجع إليها.

وفيه إشارة إلى أن العذاب نوعان خفيف وغليظ، فالخفيف، هو عذاب الشقاوة المقدرة قبل خلق الخلق، والغليظ: هو عذاب الشقي بشقاوة معاملات الأشقياء التي تجري عليه مع شقاوته المقدرة له قبل الوجود كما في «التأويلات النجمية» ـ روي ـ أن الله تعالى لما أهلك عاداً ونجى هوداً والمؤمنين معه أتوا مكة وعبدوا الله تعالى فيها حتى ماتوا.

قال في «إنسان العيون»: كل نبي من الأنبياء كان إذا كذبه قومه خرج من بين أظهرهم وأتى مكة يعبد الله تعالى حتى يموت وجاء «ما بين الركن اليماني والركن الأسود روضة من رياض الجنة» وإن قبر هود وشعيب وصالح وإسماعيل عليهم السلام في تلك البقعة وفي «فتوح الحرمين»:

هيج نبي هيج ولي هم نبود كونه برين دررخ اميد سود
كعبه بود نوكل مشكين من تازه از وباغ دل ودين من

﴿وتلك﴾ القبيلة يا قوم محمد ﴿عاد﴾ قال العلامة الطيبي: كأنه تعالى أذن بتصوير تلك القبيلة في الذهن ثم أشار إليها وجعلها خبراً للمبتدأ لمزيد الإبهام فيحسن التفسير بقوله ﴿جحدوا بآيات ربهم﴾ كل الحسن لمزيد الإجمال والتفصيل انتهى.

ويجوز أن تكون إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه تعالى قال: سيروا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا ففي الكلام مجاز حذف إما قبل المبتدأ أي: أصحاب تلك وإما قبل الخبر أي: قبور عاد كفروا بآيات ربهم بعد ما استيقنوها يعني: أنهم كانوا يعرفون أنها حق لكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة ويستمر على جحوده ولا يرعوي ﴿وعصوا رسله﴾ لأنهم عصوا رسولهم ومن عصى رسوله فقد عصى الكل لاتفاق كلمتهم على التوحيد وأصول الشرائع. قيل لم يرسل إليهم إلا هود وحده وهذا الجحود والعصيان شامل لكل فرد منهم أي: لرؤسائهم وأسافلهم. ﴿واتبعوا﴾ أي: الأسافل ﴿أمر كل جبار﴾ [فرمان هر سركشى] ﴿عنيد﴾ [ستيزه كاررا].

قال في «التبيان»: الجبار المتعظم في نفسه المتكبر على العباد، والعنيد الذي لا يقول الحق ولا يقبله.

وقال القاضي: أي: من كبرائهم الطاغين.

قال سعدي المفتي: أشار إلى أن الجبار بمعنى المتكبر فإنه يأتي بمعنى المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقاً ويقال: عند إذا طغى، والمعنى عصوا من دعاهم إلى الإيمان وما ينجيهم وأطاعوا من دعاهم إلى الكفر وما يرديهم.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وأتبعوا﴾ أي: التابعون والرؤساء ﴿في هذه الدنيا لعنة﴾ أي: إبعاداً عن الرحمة وعن

كل خير، أي: جعلت تابعة لهم ولازمة تكبهم في العذاب كمن يأتي خلف شخص فيدفعه من خلف فيكبه، وإنما عبر عن لزوم اللعنة لهم بالتبعية للمبالغة فكأنها لا تفارقهم وإن ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا ولوقوعه في صحبة اتباعهم رؤساءهم، يعني: أنهم لما اتبعوا اتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم جزاء وفاقاً. ﴿ويوم القيامة﴾ أي: اتبعوا في يوم القيامة أيضاً لعنة وهي عذاب النار المخلد حذفت لدلالة الأولى عليها. ﴿ألا إن عاداً كفروا ربهم﴾ جحدوه كأنهم كانوا من الدهرية وهم الذين يرون محسوساً ولا يرون معقولاً وينسبون كل حادث إلى الدهر.

قال في «الكواشي»: كفر يستعمل متعدياً ولازماً كشكرته وشكرت له ﴿ألا بعداً لعاد﴾ [بدانيدكه دوريست مر عاديا نرا يعني: ازرحمت دورند] كما قال في «التبيان»: أبعدهم الله فبعدوا بعداً. ﴿قوم هود﴾ عطف بيان لعاد لأن عادا عادان عاد هود القديمة وعاد إرم الحديثة، وإنما كرر ألا ودعاءه عليهم وأعاد ذكرهم تهويلاً لأمرهم وتفظيعاً له وحثاً على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم. وفي «المثنوي»:

بس سپاس اوراكه مارا درجهان كرد پيدا از پس پيشينيان
تاشنيديم آن سياستهاى حق بر قرون ماضيه اندر سبق
استخوان وپشم آن كر كان عيان بنكريد وپند كيريد اي مهان
عاقل از سر بنهد اين هستى وباد چون شنيد انجام فرعونان وعاد
ورنه بنهد ديكران از حال او عبرتي كيرند از اضلال او

ثم قوله: ﴿ألا بعداً لعاد قوم هود﴾ دعاء عليهم بالهلاك، أي: ليبعد عاد بعداً وليهلكوا والمراد به الدلالة على إنهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وذلك، لأن الدعاء بالهلاك بعد هلاكهم، ففائدته ما ذكر ثم اللام تدل أيضاً على الاستحقاق وعلى البيان كأنه قيل لمن؟ فقيل: لعاد.

قال سعدي المفتي: ويجوز أن يكون دعاء عليهم باللعن.

وفي «القاموس» البعد والبعاد اللعن انتهى.

وفي «الكفاية شرح الهداية» اللعن على ضربين.

أحدهما: الطرد من رحمة الله تعالى وذلك لا يكون إلا للكافر.

والثاني: الإبعاد عن درجة الأبرار ومقام الصالحين وهو المراد بقوله عليه السلام: «المحتكر ملعون» لأن أهل السنة والجماعة لا يخرجون أحداً من الإيمان بارتكاب الكبيرة وجاء في اللعن العام «لعن الله من لعن والديه، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض». قوله محدثاً بكسر الدال معناه الآتي بالأمر المنكر مما نهى عنه وحرم عليه، أي: من آواه وحماه وذب عنه ولم يكن ينكر عليه ويردعه، ومنار الأرض العلامات التي تكون في الطرق والحد بين الأراضي وفي الحديث: «لعن الله آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهده، والواشمة، والموشومة، ومانع الصدقة، والمحلل، والمحلل له». الوشم هو الزرقة الحاصلة في البدن بغرز الإبرة فيه وجعل النيلة أو الكحل في موضعه، والواشمة: الفاعلة، والموشومة المفعول بها ذلك، وفي الحديث: «لعن الله الراشي والمرتشي والرائش» أي: الذي يسعى بينهما وفي الحديث: «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها

ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وأكل ثمنها» ويكره للمسلم أن يؤجر نفسه من كافر لعصر العنب كما في «الأشباه» ويجوز بيع العصير لمن يتخذه خمراً لأن عين العصير عار عن المعصية، وإنما يلحقه الفساد بعد تغيره بخلاف بيع السلاح في أيام الفتنة، لأن عينه آلة بلا تغيير، يعني: يكره بيع السلاح أيام الفتنة إذا علم أن المشتري من أهل الفتنة لأنه يكون سبباً للمعصية وإذا باع مسلم خمراً وقبض الثمن وعليه دين كره لرب الدين أخذه منه، لأن الخمر ليست بمال متقوم في حق الذمي فملك الثمن فحل الأخذ منه وفي الحديث: «لعن المسلم كقتله».

قال ابن الصلاح: في «فتاواه» قاتل الحسين رضي الله عنه لا يكفر بذلك، وإنما ارتكب ذنباً عظيماً وإنما يكفر بالقتل قاتل نبي من الأنبياء.

ثم قال: والناس في يزيد ثلاث فرق، فرقة تتولاه وتحبه، وفرقة تسبه وتلعنه، وفرقة متوسطة في ذلك لا تتولاه ولا تلعنه وتسلك به مسالك سائر ملوك الإسلام وخلفائهم غير الراشدين في ذلك وهذه الفرقة هي المصيبة، ومذهبها هو اللائق بمن يعرف سير الماضين، ويعلم قواعد الشريعة المطهرة انتهى.

وقال سعد الدين التفتازاني:

اللعن على يزيد في الشرع يجوز والـلاعـن يـجـزي حسـنـات ويـفـوز
قــد صــح لــدي إنــه مــعــتــل واللـعـن مضـاعـف وذلك مهـموز

وباقي البحث فيه قد سبق في سورة البقرة ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾.

قال في «حياة الحيوان»: إن الله تعالى لم يجعل الدنيا مقصودة لنفسها بل جعلها طريقة موصلة إلى ما هو المقصود لنفسه، وإنه لم يجعلها دار إقامة ولا جزاء وإنما جعلها دار رحلة وبلاء، وإنه ملكها في الغالب الجهلة والكفرة وحماها الأنبياء والأولياء والأبدال وحسبك بها هواناً إنه سبحانه صغرها وحقرها وأبغضها وأبغض أهلها ومحبها ولم يرض لعاقل فيها إلا بالتزود للارتحال عنها وفي الحديث: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله ومن والاه وعالماً أو متعلماً» ولا يفهم من هذا إباحة لعن الدنيا وسبها مطلقاً، كما روى أبو موسى الأشعري إن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر أن العبد إذا قال: لعن الله الدنيا قالت: الدنيا لعن الله من عصى ربه» وهذا يقتضي المنع من سب الدنيا ولعنها، ووجه الجمع بينهما أن المباح لعنه من الدنيا ما كان منها مبعداً عن الله تعالى وشاغلاً عنه كما قال: السلف كل ما شغلك عن الله سبحانه من مال وولد فهو مشؤوم عليك، وأما ما كان من الدنيا يقرب من الله ويعين على عبادته فهو المحمود بكل لسان المحبوب لكل إنسان، فمثل هذا لا يسب بل يرغب ويحب، وإليه الإشارة حيث قال: «إلا ذكر الله ومن والاه أو عالماً أو متعلماً» وهو المصرح به في قوله: «نعمت مطية المؤمن» الخ وبهذا يرتفع التعارض بين الحديثين.

واعلم أن حقيقة اللعن هو الطرد عن الحضرة الإلهية إلى طلب شهوات الدنيا وتعب وجدانها وتعب فقدانها، فهو اللعنة الدنيوية وأما اللعنة يوم القيامة، فبالبعد والخسران والحرمان وعذاب النيران فالنفس إذا لم تقبل نصيحة هود القلب، وتركت مشارب القلب الدينية الباقية من لوامع النورانية وطوامع الروحانية وشواهد الربانية، وأقبلت على المشارب الدنيوية الفانية من

الشهوات والمستلذات الحيوانية وثناء الخلق والجاه عندهم وأمثال هذا فقد جاء في حقها ألا بعداً أي: طرداً وفرقة وقطيعة وحسرة لها عصمنا الله، وإياكم من مكايد النفس الأمارة وشرفنا بصلاح الحال إلى آخر الأعمال والآجال.

﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾.

﴿**وإلى ثمود**﴾ أي: وأرسلنا إلى ثمود وهي قبيلة من العرب سموا باسم أبيهم الأكبر ثمود بن عاد بن إرم بن سام. وقيل إنما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل، في «تفسير أبي الليث» إنما لم ينصرف لأنه اسم قبيلة وفي الموضع الذي ينصرف جعله اسماً للقوم. ﴿**أخاهم**﴾ أي: واحداً منهم في النسب. ﴿**صالحاً**﴾ عطف بيان لأخاهم وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيد بن خاور بن ثمود ﴿**قال**﴾ استئناف بياني كأن قائلاً قال: فما قال: لهم صالح حين أرسل إليهم؟ فقيل: قال ﴿**يا قوم**﴾ [اي قوم من] ﴿**اعبدوا الله**﴾ وحده لأنه ﴿**ما لكم من إله غيره**﴾ [نيست شمارا معبودي جزوى] ﴿**هو**﴾ لا غيره لأنه فاعل معنوي وتقديمه يدل على القصر ﴿**أنشأكم**﴾ كونكم وخلقكم ﴿**من الأرض**﴾ من لابتداء الغاية، أي: ابتداء إنشاءكم منها فإنه خلق آدم من التراب، وهو أنموذج منطو على جميع ذرياته التي ستوجد إلى يوم القيامة انطواء إجمالياً، لأن كل واحد منهم مخلوق من المني، ومن دم الطمث، والمني: إنما يتولد من الدم والدم إنما يتولد من الأغذية، وهي إما حيوانية، أو نباتية، والنباتية إنما تتولد من الأرض، والأغذية الحيوانية لا بد أن تنتهي إلى الأغذية النباتية المتولدة من الأرض، فثبت أنه تعالى أنشأ الكل من الأرض. ﴿**واستعمركم فيها**﴾ من العمر يقال: عمر الرجل يعمر عمراً بفتح العين وسكون الميم أي: عاش زماناً طويلاً واستعمره الله أي: أطال بقاءه، ونظيره بقي الرجل واستبقاه الله من البقاء أي: أبقاه الله فبناء استفعل للتعدية، والمعنى عمركم واستبقاكم في الأرض وبالفارسية [وزند كانى وبقاداد شمارا درزمين. درمدارك مذكورست كه سال عمر هريك از ثمود از سيصد تاهزار بوده] ويجوز أن يكون من العمارة بالفارسية [آباداں كردن].

قال كعب قوله تعالى: ﴿**واستعمركم فيها**﴾ يدل على وجوب عمارة الأرض لأن الاستعمار طلب العمارة، والطلب المطلق منه تعالى يحمل على الأمر والإيجاب. والمعنى أمركم بالعمارة فيها وأقدركم على إمارتها، كما قال الكاشفي: [شمارا قدرت داد برعمارت زمين تامنازل نزه ساختيد وبر حفر انهار وغرس أشجار اشتغال نموديد]. ﴿**فاستغفروه**﴾ فاطلبوا مغفرة الله بالإيمان يعني: [ايمان آريد تا شمارا بيامرزد] فإن ما فصل من فنون الإحسان داع إلى الاستغفار ﴿**ثم توبوا إليه**﴾ من عبادة غيره لأن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان وقد سبق تحقيق «ثم» هذه غير مرة ﴿**إن ربي قريب**﴾ أي: قريب الرحمة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] ﴿**مجيب**﴾ لمن دعاه وسأله.

قال سعدي المفتي: والذي يلوح للخاطر أن قوله تعالى قريب ناظر لتوبوا ومجيب لاستغفروا أي: ارجعوا إلى الله فإنه قريب ما هو بعيد واسألوا منه المغفرة فإنه مجيب لسائله لا يخيبه:

محالست اكر سربرين در نهى كه باز آيدت دست حاجت تهى

وحظ العبد من الاسم المجيب أن يجيب ربه فيما أمره ونهاه ويتلقى عباده بلطف الجواب وإسعاف السؤال والعبد إذا أجاب ربه فالله تعالى يجيبه كما قال أبو طالب لرسول الله ﷺ: ما أطوع ربك فقال عليه السلام: «وأنت يا عم لو أطعته لأطاعك».

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: الدعاء يوذن بالبعد وهو تعالى القريب وإذا كان القريب فلم تدعو وإن سكت قال لك: لم تدعو؟ هل استكبرت؟ فلم تبق الغبطة إلا للأخرس وهم البكم صم بكم عمي طوبى لهم وحسن مآب انتهى.

وهذا وصف العلماء بالله وهم الذين قيل فيهم من عرف الله كلّ لسانه.

چو بيت المقدس درون برقباب رها كرده ديوار بيرون خراب

بخود سر فرو وبرده همچون صدف نه مانند زدريا بر آورده كف

واعلم أن عمارة الظاهر بأفعال الشريعة من أسباب عمارة الباطن بأخلاق الربانية. قال العلماء: العمارة متنوعة إلى واجب ومندوب ومباح وحرام.

فالواجب: مثل سد الثغور وبناء القناطر على الأنهر المهلكة وبناء المسجد الجامع في المصر وغير ذلك.

والمندوب: كبناء القناطر على الأنهر الصغيرة والمساجد والمدارس والرباطات ونحو ذلك تيسيراً للناس والمباح كالزوايا والخانقاهات والبيوت التي تقي الحر والبرد وربما تكون الأخيرة واجبة.

قال في «الأسرار المحمدية»: الغرض من المسكن دفع المطر والبرد وأقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو من الفضول، والاقتصار على الأقل والأدنى يمكن في الديار الحارة وأما في البلاد الباردة في غلبة البرد ونفوذه من الجدران الضعيفة حتى كاد يهلك أو يمرض فالبناء بالطين وأحكامه لا يخرجه عن حد الزاهدين، وكذا في أيام الصيف عند اشتداد الحر واستضراره واستضرار أولاده بالبيت الشتوي السفلي لعدم نفود الهواء البارد فيه، ومن براغيثه في الليل المزعجات عن النوم، وأنواع الحشرات فيه فلا يجوز حملهم على الزهد بأن يتركهم على هذه الحال، بل عليه أن يبني لهم صيفياً علوياً لما روينا عن النبي عليه السلام: «من بنى بنياناً في غير ظلم ولا اعتداء، أو غرس غرساً في غير ظلم ولا اعتداء كان له أجراً جارياً ما انتفع به أحد من خلق الرحمن» انتهى والحرام كأبنية الجهلة الذين بنوا للمباهاة وأبنية الظلمة وغير ذلك مما ليس له به حاجة. وفي الخبر «من بنى فوق ما يكفيه جاء يوم القيامة وهو حامله على عنقه» وفي الحديث: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان منها لله تعالى» وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الأنهار وغرس الأشجار وعمروا الأعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى إليه إنهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي.

وعن معاوية إنه أخذ في إحياء الأرض في آخر أمره فقيل له فقال: ما حملني عليه إلا قول القائل:

ليس الفتى بفتى يستضاء به ولا يكون له في الأرض آثار

والمراد بهذه الآثار ما يتناول العمارة الواجبة والمندوبة. قال سعدي قدس سره:

نمرد آنكه ماند پس ازوى بجاي پل ومسجد وخان ومهمان سراى
هر آن كو نماند ازپسش يا دكار درخت وجودش نياورد بار
وكر رفت آثار خيرش نماند نشايد پس از مرك الحمد خواند

﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿قالوا﴾ قوم صالح بعد دعوتهم إلى الله تعالى وعبادته. **﴿يا صالح قد كنت فينا﴾** فيما بيننا **﴿مرجوًا﴾** مأمولاً **﴿قبل هذا﴾** الوقت وهو وقت الدعوة كانت تلوح فيك مخايل الخير وإمارات الرشد والسداد فكنا نرجوك أن تكون لنا سيداً ننتفع بك، ومستشاراً في الأمور ومسترشداً في التدابير فلما سمعنا منك هذا القول انقطع رجاؤنا عنك، وعلمنا أن لا خير فيك كما يقول بعض أهل الإنكار لبعض من يسلك طريق الإرادة والطلب: إن هذا قد فسد بل جن وكان قبل هذا رجلاً صالحاً عاقلاً فلا يرجى منه الخير. وفي «المثنوي»:

عقل جزوى عشق را منكربود كرچه بنمايد كه صاحب سربود

قال الحافظ:

مبين حقير كدايان عشق را كين قوم شهان بي كمر وخسروان بي كلهند
غلام همت دردى كشان يك رنكيم نه زين كروه كه ازرق ردا ودل سيهند

﴿أتنهانا﴾ معنى الهمزة الإنكار، أي: أتمنعنا من **﴿أن نعبد ما يعبد آباؤنا﴾** أي: عبدوه والعدل إلى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية **﴿وإننا﴾** من قال: أنا أسقط النون الثانية من أن دون كناية المتكلمين نا وهو المختار **﴿لفي شك مما تدعونا إليه﴾** من التوحيد وترك عبادة الأوثان **﴿مريب﴾** موقع في الريبة أي: قلق النفس وانتفاء الطمأنينة. يعني: [كمانى كه نفس را مضطرب ميسازد ودل آرام نمى دهد وعقل را شوريده مى كرداند] من أرابه أي: اوقعه في الريبة وإسناد الأرابة إلى الشك وهو أن يبقى الإنسان متوقفاً بين النفي والإثبات مجازي، لأن الريب هو انتفاء ما يرجح أحد طرفي النسبة أو تعارض الأدلة لا نفس الشك.

وقال سعدي المفتي: يجوز أن يعتقدوا أن الشك يوقع في القلق والاضطراب فيكون الإسناد حقيقياً وإن كان الموقع عند الموحدين هو الله تعالى.

﴿قال﴾ صالح **﴿يا قوم أرأيتم﴾** أي: أخبروني **﴿إن كنت﴾** في الحقيقة **﴿على بينة﴾** حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة **﴿من ربي﴾** مالكي ومتولي أمري **﴿وآتاني منه﴾** من جهته **﴿رحمة﴾** نبوة وإنما أتى بحرف الشك مع أنه متيقن أنه على بينة وأنه نبي لأن خطابه للجاحدين وهو على سبيل الفرض والتقدير كأنه قال: افرضوا وقدروا أني على بينة من ربي وأني نبي بالحقيقة وانظروا إن تابعتكم وعصيت ربي فيما أمرني **﴿فمن ينصرني من الله﴾** أي: فمن يمنعني من عذاب الله فيه تضمين ينصر معنى يمنع، وتقدير المضاف قبل اللفظة الجليلة.

وقال في «الإرشاد»: فمن ينصرني منجياً من عذابه تعالى. **﴿إن عصيته﴾** في تبليغ رسالته والنهي عن الإشراك به. **﴿فما تزيدونني﴾** إذا باستتباعكم إياي كما ينبىء عنه قولهم **﴿قد كنت فينا مرجواً قبل هذا﴾** أي ألا تفيدونني إذ لم يكن فيه أصل الخسران حتى يزيدوه **﴿غير**

تخسير﴾ أي: غير إن تجعلوني خاسراً بإبطال أعمالي وتعريضي لسخط الله تعالى، أو فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملوني عليه غير إن أنسبكم إلى الخسران، وأقول لكم إنكم لخاسرون فالزيادة على معناها وصيغة التفعيل للنسبة يقال: فسقه وفجره إذا نسبه إلى الفسق والفجور فكذا خسره إذا نسبه إلى الخسران.

وفي الآية: إشارة إلى أن لا رجوع عن الحق بعدما استبان فإنه ماذا بعد الحق إلا الضلال والخذلان والخسران.

قال أحد المشايخ في «وقته»: أبو عبد الله الشيرازي قدس سره رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول من عرف طريقاً إلى الله فسلكه، ثم رجع عنه عذبه الله بعذاب لم يعذب به أحداً من العالمين.

وقال الجنيد قدس سره: لو أقبل صديق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فإن ما فاته أكثر مما ناله.

وفي «شرح التجليات» البيعة لازمة إلى أن يلقى الله تعالى، ومن نكث الاتباع فحسبه جهنم خالداً فيها لا يكلمه الله ولا ينظر إليه وله عذاب أليم، هذا كما قال أبو سليمان الداراني قدس سره: حظه في الآخرة.

وأما الدنيا فقد قال أبو يزيد البسطامي قدس سره في حق تلميذه لما خالفه: دعوا من سقط من عين الله فرؤي بعد ذلك مع المخنثين وسرق فقطعت يده، هذا لما نكث أين هو ممن وفى ببيعته مثل تلميذ الداراني قيل له ألق نفسك في التنور فألقى نفسه فعاد عليه برداً وسلاماً وهذا نتيجة الوفاء.

واعلم أن المبايع في الحقيقة وهو معطي البيعة هو الله تعالى لكن خلق الوسائط والوسائل ليسهل الأخذ والعهد فجعل الأنبياء والشيوخ الورثة والسلاطين اللاحقين بالشيوخ مبايعين فهم معصومون محفوظون لا يأمرون بمعصية أصلاً ولا يتصور منهم نكث العهد قطعاً فبقي الاتباع فمن لزم منهم الباب استسعد بحسن المآب ومن رجع القهقرى ونعوذ بالله أذله الله وأخزاه.
وفي «المثنوي»:

مرسكانرا چون وفا آمد شعار ... روسكانرا ننك بدنامى ميار
بي وفائي چون سكانرا عار بود ... بي وفائي چون روا دارى نمود

فعلى العاقل أن لا يكون في تردد وشك مما دعا إليه الأنبياء والأولياء من التوحيد وحقائقه بل يتبع الحق إلى أن يصل إلى دقائقه فإن الترد والشك من أوصاف الكفرة، والقلق والاضطراب من أحوال الفجرة:

اين تردد عقبهٔ راه حقست ... اي خنك آنراكه پايش مطلقست
بى ترد مى رود برراه راست ... ره نمى دانى بجو كامش كجاست
كام آهورا بكيرو رومعاف ... تارسى ازكام آهو تابناف
كركران وكر شتابنده بود ... عاقبت جوينده يابنده بود

وقد رأينا في زماننا أشخاصاً يطلبون شيوخاً ورثة هم على بينة من ربهم فلا يجدونهم لأن في الطلب ضعفاً وتردداً وفي الاعتقاد والهمة توزعاً وتفرقاً، فإذا لم يكن الطالب على بصيرة من الأمر لا يجد أهل البصيرة، وإن كانوا نصب عينيه بل تزداد خسارته ونعم ما قيل الشمس

شمس وإن لم يرها الضرير ألا ترى إلى طغاة الأمم السالفة كيف أنكروا الأنبياء مع ظهور حججهم وبراهينهم للهم إنا نسألك العصمة والتوفيق.

﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿**ويا قوم**﴾ - روي - عن النبي عليه السلام أنه قال: «إن صالحاً لما دعا قومه إلى الله تعالى كذبوه، فضاق صدره فسأل ربه أن يأذن له في الخروج من عندهم، فأذن له فخرج وانتهى إلى ساحل البحر فإذا رجل يمشي على الماء، فقال له صالح: ويحك من أنت؟ فقال: أنا من عباد الله كنت في سفينة كان قومها كفرة غيري، فأهلكهم الله ونجاني منهم فخرجت إلى جزيرة أتعبد هناك فاخرج أحياناً وأطلب شيئاً من رزق الله، ثم أرجع إلى مكاني، فمضى صالح فانتهى إلى تل عظيم فرأى رجلاً، فانتهى إليه وسلم عليه، فرد عليه السلام فقال له صالح: من أنت؟ قال: كانت ههنا قرية كان أهلها كفاراً غيري فأهلكهم الله تعالى ونجاني منها، فجعلت على نفسي أن أعبد الله تعالى ههنا إلى الموت، وقد أنبت الله لي شجرة رمان وأظهر عين ماء آكل من الرمان وأشرب من ماء العين، وأتوضأ منه فذهب صالح، وانتهى إلى قرية كان أهلها كفاراً كلهم غير أخوين مسلمين يعملان عمل الخوص فضرب النبي عليه السلام مثلاً فقال: لو أن مؤمناً دخل قرية فيها ألف رجل كلهم كفار، وفيهم مؤمن واحد فلا يسكن قلبه مع أحد حتى يجد المؤمن ولو أن منافقاً دخل قرية فيها ألف رجل كلهم مؤمنون وفيهم منافق واحد، فلا يسكن قلب المنافق، مع أحد ما لم يجد المنافق فدخل صالح وانتهى إلى الأخوين فمكث عندهما أياماً وسأل عن حالهما فأخبرا أنهما يصبران على أذى المشركين وأنهما يعملان عمل الخوص ويمسكان قوتهما ويتصدقان بالفضل فقال صالح: الحمد لله الذي أراني في الأرض من عباده الصالحين الذي صبروا على أذى الكفار فأنا أرجع إلى قومي واصبر على أذاهم فرجع إليهم وقد كانوا خرجوا إلى عيد لهم فدعاهم إلى الإيمان فسألوه آية فقال: أية آية تريدون؟ فأشار سيدهم جندع بن عمرو إلى صخرة منفردة يقال لها: الكاثبة وقال له: اخرج من هذه الصخرة ناقة واسعة الجوف كثيرة الوبر عشراء أي: أتت عليها من يوم أرسل الفحل عليها عشرة أشهر فإن فعلت صدقناك فأخذ عليهم مواثقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا: نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانشقت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا فقال: يا قوم ﴿**هذه ناقة الله**﴾ الإضافة للتشريف والتنبيه على أنها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق؛ لأن الله تعالى خلقها من الصخرة دفعة واحدة من غير ولادة وكانت عظيمة الجثة جداً ﴿**لكم آية**﴾ معجزة دالة على صدق نبوتي فآمن جندع به في جماعة وامتنع الباقون، وانتصاب آية على الحال من ناقة الله، وعاملها ما في اسم الإشارة من معنى الفعل، أي: أشير إليها آية ولكن حال من آية متقدمة عليها لكونها نكرة لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت حالاً. ﴿**فذروها**﴾ أي: خلوها وشأنها ﴿**تأكل في أرض الله**﴾ ترع نباتها وتشرب ماءها فهو من قبيل الاكتفاء نحو تقيكم الحر والمراد إنه عليه السلام رفع عن القوم مؤونتها يعني: [روزى• اوبر شمانيست ونفع اورا شماراست] كما روى أنها كانت ترعى

الشجرة وتشرب الماء ثم تفرج بين رجليها فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلىء أوانيهم فيشربون ويدخرون وهم تسعمائة أهل بيت، ويقال: ألف وخمسمائة ثم إنه عليه السلام لما خاف عليها منهم ما شاهد من إصرارهم على الكفر فإن الخصم لا يحب ظهور حجة خصمه بل يسعى في إخفائها وإبطالها بأقصى ما يمكن من السعي فلهذا احتاط وقال: ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ [ومر سانيد بوي آزارى] فالباء للتعدية بولغ في النهي عن التعرض لها بما يضرها حيث نهى عن المس الذي هو من مبادي الإصابة ونكر السوء ليشمل جميع أنواع الأذى من ضرب وعقر وغير ذلك أي: لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من الأذى فضلاً عن عقرها وقتلها ﴿فيأخذكم عذاب قريب﴾ أي: قريب النزول وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم إلى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق عليهم ذلك.

﴿فعقروها﴾ عقرها قدار بأمرهم ورضاهم وقسموا لحمها على جميع القرية، والعقر: قطع عضو يؤثر في النفس وقدار كهمام بالدال المهملة اسم رجل وهو قدار بن سالف وتفصيل القصة سبق في سورة الأعراف.

قال الكاشفي: [صالح عليه السلام دران وقت درميان قوم نبود وچون بيامد حال با اوتقرير كردند] ﴿فقال﴾ لهم صالح ﴿تمتعوا﴾ أي: عيشوا ﴿في داركم﴾ في بلدكم ومنازلكم وتسمى البلاد الديار لأنه يدار فيها أي: يتصرف يقال: ديار بكر لبلادهم وتقول العرب: الذين حوالى مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد كما في «بحر العلوم» ﴿ثلاثة أيام﴾ الأربعاء والخميس والجمعة فإنهم عقروها ليلة الأربعاء وأهلكوا صبيحة يوم السبت كما في «التبيان» قيل: قال: لهم تصبح وجوهكم غداً مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب وكان كما قال: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما يدل عليه الأمر بالتمتع ثلاثة أيام من نزول العذاب عقيبها. ﴿وعد غير مكذوب﴾ أي: غير كذب كالمجلود بمعنى الجلد الذي هو الصلابة والجلادة أو غير مكذوب فيه فحذف حرف الجر فاتصل الضمير باسم المفعول، بإقامته مقام المفعول به توسعا كما يقال: شهدناه والأصل شهدنا فيه فأجرى الظرف مجرى المفعول، وذلك لأن الوعد إنما يوصف بكونه غير مكذوب إذا كان من شأنه أن يكون مكذوباً وليس كذلك، لأن المصدوق والمكذوب من كان مخاطباً بالكلام المطابق للواقع وغير الواقع وقلما يوصف بهما إلا الإنسان الصالح للخطاب.

والإشارة أن القوم إنما فعلوا ذلك جهلاً منهم بحقيقة الأمر ولا داء أدوأ من الجهل والدنيا مسكن النفس ومقرها، والتمتع فيها ثلاثة أيام اليوم الأول: هو يوم الجهل وفيه تصفر الوجوه، واليوم الثاني: هو يوم الغفلة وفيه تحمر الوجوه، واليوم الثالث: هو يوم الرين والختم على القلوب وفيه تسود الوجوه فلا يبقى إلا العذاب.

فعلى العاقل أن يزيل حجاب الجهل بمعرفة الله تعالى والغفلة باليقظة قبل حصول الرين فإنه عند حصوله لا يوجد له العلاج فإنه الداء العضال ونعوذ بالله تعالى، وكما تتلون الوجوه بنار الجلال كذلك تتلون بنور الجمال كما قال: ذو النون المصري، بينما أنا في طريق البصرة إذ سمعت قائلاً يقول يا شفيق يا رفيق ارفق بنا، فطلبت الصوت فإذا أنا بجارية متطلعة من قصر مشرف فقلت أراك مسفرة بغير خمار! فقالت: ما يصنع بالخمار وجه قد علاه الصفار، قلت ومم الصفار؟ قالت: من الخمار قلت يا جارية عساك تناولت من الشراب قالت: نعم شربت

البارحة بكأس الودّ مسرورة فأصبحت غداة صباحي هذا من شوقه مخمورة قلت أراك حكيمة فعظيني قالت: عليك بالسكوت ولزوم خدمته في ظلم البيوت حتى يتوهم الناس إنك مبهوت وارض من الله بالقوت واستعد ليوم تموت، لكي يبني لك بيت في الملكوت، أساسه من الزبرجد والياقوت. وفي «المثنوي»:

روح همچون صالح وتن ناقه است — روح اندر وصل وتن در فاقه است
روح صالح قابل آفات نيست — زخم بر ناقه بود بر ذات نيست
روح صالح قابل آزار نيست — نوريزدان سغبهٔ كفار نيست
جسم خاكى را بدو پيوسته جان — تا بيازارند وبينند امتحان
بي خبر كازار اين آزار أوست — آب اين خم متصل باآب جوست
ناقهٔ جسم ولي را بنده باش — تاشوى باروح صالح خواجه تاش

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿فلما جاء أمرنا﴾ [پس آن هنكام كه آمد فرمان ما بعذاب ايشان] **﴿نجينا﴾** التنجية [نجات دادن] **﴿صالحاً والذين آمنوا معه﴾** متعلق بنجينا أو بآمنوا وهو الأظهر إذ المراد آمنوا كما آمن صالح واتبعوه في ذلك لا أن زمان إيمانهم مقارن لزمان إيمانه فإن ايمان الرسول مقدم على إيمان من اتبعه من المؤمنين **﴿برحمة﴾** أي: ملتبسين بمجرد رحمة عظيمة **﴿منا﴾** وفضل لا بأعمالهم كما هو مذهب أهل السنة قال في «التأويلات النجمية»: هي توفيق أعمال النجاة.

وقال في «الإرشاد»: هي بالنسبة إلى صالح النبوة وإلى المؤمنين الإيمان **﴿ومن خزي يومئذٍ﴾** عطف على نجينا، أي: ونجيناهم من خزي يومئذٍ، أي: من زله ومهانته وفضيحته ولا خزي أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه.

قال ابن الشيخ: كرر نجينا لبيان ما نجاهم منه وهو هلاكهم يومئذٍ أي: يوم إذ جاء أمرنا فإن إذ مضافة إلى جملة محذوفة عوض عنها التنوين أو هو الذل والهوان الذي نزل بهم في ذلك اليوم ولزمهم بحيث بقي ما لحقهم من العار بسببه مأثوراً عنهم ومنسوباً إليهم إلى يوم القيامة، فإن معنى الخزي العيب الذي تظهر فضيحته ويستحي من مثله.

واعلم أن ظرف الزمان إذا أضيف إلى مبنى جاز فيه البناء والإعراب فمن قرأ بفتح الميم بناه لإضافته إلى مبنى وهو اذ الغير المتمكن ومن قرأ بكسرها أعربه لإضافة الخزي إليه، والقراءة الأولى لنافع والكسائي والثانية لغيرهما. **﴿إن ربك﴾** يا محمد **﴿هو القوي﴾** القادر على كل شيء **﴿العزيز﴾** الغالب عليه لا غيره.

وقال الكاشفي: **﴿هو القوي﴾** [اوست توانا بنجات مؤمنان **﴿العزيز﴾** غالب بر دشمان بر هلاك ايشان] ولكون الأخبار بتنجية الأولياء لا سيما عند الأنباء بحلول العذاب أهم، ذكرها أو لا ثم أخبر بهلاك الأعداء فقال:

﴿وأخذ الذين ظلموا﴾ أنفسهم **﴿الصيحة﴾** أي: صيحة جبرائيل عليه السلام وهو فاعل أخذ والموصول مفعوله والصيحة فعلة تدل على المرة من الصياح وهو الصوت الشديد يقال: صاح يصيح صياحاً، أي: صوت بقوة وفي سورة الأعراف **﴿فأخذتهم الرجفة﴾** أي: الزلزلة

ولعلها وقعت عقيب الصيحة المستتبعة لتموج الهواء.

قال الكاشفي: [در زاد المسير آورده كه درآن سه روزكه وعده حيات داشتند درخانهاى خود ساكن شده قبرها كنديد ندو منتظر عذاب مى بودند چون روز چهارم آفتاب طالع شده وعذاب نيامد ازمنازل بيرون آمده يكديركررا مى خواندند واستهزا ميكر دندكه ناكاه جبرائيل برصورت اصل خويش پايش برزمين وسر برآسمان پرهاى خويش نشر كرده ازمشرق تا مغرب پايهاى وى زرد وبالهايش سبز ودندانهاى سفيد وبراق وپيشانى باجلا ونوراني ورخسارى برا فروخته وموى سروي سرخ برنك مرجان ظاهر شده وأوفق را بپوشيد وقوم ثمود آن حالرا مشاهده نمودند وروى بمساكن نهاده بقبور در آمدند جبرائيل نعره زدكه موتوا عليكم لعنة الله بيكبار همه مردند وزلزله در خانها افتاده سقفها برايشان فرود آمد] ﴿فأصبحوا﴾ أي: صاروا ﴿في ديارهم﴾ في بلادهم أو في مساكنهم. ﴿جاثمين﴾ خامدين ميتين لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد. ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الأخذ وسرعته، اللهم إنا نعوذ بك من حلول غضبك، وجثومهم سقوطهم على وجوههم أو الجثوم السكون يقال: للطير إذا باتت في أوكارها جثمت ثم إن العرب أطلقوا هذا اللفظ على ما لا يتحرك من الموت.

قال في «بحر العلوم»: يقال: الناس جثم، أي: قعود لا حراك بهم ولا ينبسون بنبسة ومنه المجثمة التي نهى الشرع عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى. وفي «المثنوي»:

شحنهٔ قهر خدا ايشان بجست　　خونبهاى اشترى شهري درست
چون همه درنا اميدى سر زدند　　همچو اشتر دردو زانوا آمدند
در نبي آورد جبريل أمين　　شرح اين زانوا زدن را جاثمين
زانوا آندم زن كه تعليمت كنند　　وز چنين زانوا زدن بيمت كنند

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ أي: كأنهم لم يقيموا في ديارهم ولم يكونوا أحياء مترددين متصرفين وهو في موقع الحال أي: أصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم في مقام قط. والمغني المنزل والمقام الذي يقيم الحي به يقال: غنى الرجل بمكان كذا، أي: أقام به وغنى أي: عاش. ﴿ألا﴾ [بدانيد] ﴿إن ثمودا كفروا ربهم﴾ جحدوا بوحدانية الله تعالى فهذا تنبيه وتخويف لمن بعدهم ﴿ألا بعداً﴾ [دوري وهلاك] ﴿لثمود﴾ فقوله ﴿بعداً﴾ مصدر وضع موضع فعله فإن معناه بعدوا اي هلكوا، واللام لبيان من دعى عليهم، وفائدة الدعاء عليهم بعد هلاكهم الدلالة على استحقاقهم عذاب الاستئصال بسبب كفرهم وتكذيبهم وعقرهم ناقة الله تعالى.

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله لما نزل الحجر في غزوة تبوك قام فخطب الناس فقال: «يا أيها الناس لا تسألوا نبيكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج، فتشرب ماءهم يوم وردها ويحلبون من لبنها مثل الذي كانوا يشربون من مائها يوم غبها، فعتوا عن أمر ربهم فقال: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام وكان وعداً من الله غير مكذوب ثم جاءتهم الصيحة فأهلك الله من كان في مشارق الأرض ومغاربها منهم إلا رجلاً

كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله يقال له أبو رغال» قيل له يا رسول الله من أبو رغال قال: «أبو ثقيف».

الإشارة فيه أنه أشار إلى إهلاك النفس وصفاتها بعذاب البعد وصاعقة القهر إلا ما كان في حرم الله تعالى وهو الشريعة يعني: النفس وصفاتها إن لم تكن آمنت ولكن التجأت إلى حرم الشريعة آمنت من عذاب البعد فتكون بقدر التجائها في القرب وجوار الحق وهو الجنة ولهذا قال تعالى للنفس المطمئنة: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٩-٣٠] كما في «التأويلات النجمية». والناس في القرب والبعد والسلوك والترك على طبقات، فمنهم من اختار الله له في الأزل البلوغ إليه بلا كسب ولا تعمل فوقع مفطوراً على النظر إليه بلا اجتهاد بدفع غيره عن مقتضى قصده، ومنهم من شغلته الأغيار عن الله زماناً فلم يزل في علاج وجودها بتوفيق الله تعالى حتى أفناها ولم يبق له سواه سبحانه، ومنهم من بقي في الطريق ولم يصل إلى المقصد الأقصى لكون نشأته غير حاملة لما أراده، ومنهم من لم يدر ما الطريق وما الدخول فيها فبقي في مقامه الطبيعي. قال الحافظ:

قومي بجد وجهد خريدند وصل دوست   قومي دكر حواله بتقدير ميكنند

أما الأول فأخذوا بقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فالوصل إذا مما للكسب مدخل فيه فيكون كالوزارة الممكن حصولها بالأسباب، وأما الثاني فجعلوا الوصل من الاختصاصات الإلهية التي ليس للكسب مدخل فيها عند الحقيقة فهو كالسلطنة قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] وقال: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة: ٢٦٩] وقال: ﴿وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ﴾ [فاطر: ٢] هكذا لاح للخاطر والله أعلم بالبواطن والظواهر.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾﴾

﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم﴾ أي: وبالله لقد جاء جبريل وجمع من الملائكة معه في صورة الغلمان الذين يكونون في غاية الحسن والبهاء والجمال إلى إبراهيم عليه السلام. **﴿بالبشرى﴾** أي: ملتبسين بالبشارة بالولد من سارة بدليل ذكره في سور أخرى ولأنه أطلق البشرى هنا، وقيد في قوله: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ﴾ [هود: ٧١] والمطلق محمول على المقيد **﴿قالوا﴾** استئناف بياني **﴿سلاماً﴾** أي: سلمنا عليك سلاماً أو نسلم. وبالفارسية [سلام ميكنيم برتو سلام كردنى] **﴿قال﴾** إبراهيم عليكم **﴿سلام﴾** حياهم بأحسن من تحيتهم لأن الجملة الفعلية دالة على التجدد والحدوث والاسمية دالة على الثبات والاستمرار.

قال الكاشفي: [إبراهيم عليه السلام ندانست كه فرشتكانند ايشانرا در مهما نخانه نشانيد] **﴿فما﴾** نافية **﴿لبث﴾** مكث إبراهيم **﴿أن جاء بعجل﴾** ولد البقرة **﴿حنيذ﴾** يعني: [پس درنك نكرد تا آنكه آورد كوساله بريان كرده برسنك كرم] والحنيذ هو المشوي في حفرة من الأرض بالحجارة المحماة بغير تنور ومن غير أن تمسه النار كفعل أهل البادية فإنهم يشوون في الأخدود بالحجارة المحماة.

وفي «الكواشي» حنيذ مشوي في حفيرة يقطر دسماً من حنذت الفرس إذا وضعت إليه جلاله ليسيل عرقه.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿قالوا سلاماً﴾ أي: نبلغك سلاماً قولاً من رب رحيم ﴿قال سلام﴾ أي: علينا سلام الجليل وهذا كما كان حال الحبيب ليلة أسري به قال: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» قال الحبيب: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» والفرق بين الحبيب والخليل أن سلام الحبيب بلا واسطة وسلام الخليل بواسطة الرسل وفي سلام الحبيب زيادة رحمة الله وبركاته ﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾ تكرمة لسلام الخليل وإعزازاً لرسله انتهى.

قاصد دلبر كه آرد يك پيام از حبيب من كه آمديك سلام

مژ دكانه مال وجانم مى دهم هرچه ميدارم براهش مى نهم

قال مقاتل: إنما جاءهم بالعجل لأنه كان أكثر ماله البقر فلما قرب إليهم ووضع بين أيديهم كفوا عنه.

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾.

﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه﴾ لا يمدون إلى العجل أيديهم للأكل. ﴿نكرهم﴾ أنكر ذلك منهم ولم يعرف سبب عدم تناولهم منه وامتناعهم عنه. ﴿وأوجس﴾ الإيجاس الإدراك. وفي التهذيب [بيم دردل كرفتن] أي: أحس وأدرك ﴿منهم﴾ من جهتهم ﴿خيفة﴾ لما وقع في نفسه أنهم ملائكة وأن نزولهم لأمر أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه.

قال في «التأويلات النجمية»: ما كان خوف إبراهيم خوف البشرية بأن خاف على نفسه فإنه حين رمى بالمنجنيق إلى النار ما خاف على نفسه وقال: أسلمت لرب العالمين وإنما كان خوفه خوف الرحمة والشفقة على قومه يدل عليه. ﴿قالوا لا تخف إنا أرسلنا﴾ بالعذاب ﴿إلى قوم لوط﴾ خاصة ما أرسلنا إلى قومك فكن طيب النفس وكان أخا سارة أو ابن أخي إبراهيم عليهما السلام.

﴿وامرأته﴾ سارة بنت هاران بن ناخور وهي ابنة عمه. ﴿قائمة﴾ وراء الستر بحيث تسمع محاوراتهم أو على رؤوسهم للخدمة، وكانت نساؤهم لا تحجب كعادة الأعراب ونازلة البوادي والصحراء، ولم يكن التبرج مكروهاً وكانت عجوزاً، وخدمة الضيفان مما يعد من مكارم الأخلاق والجملة حال من ضمير قالوا: أي: قالوا: لإبراهيم لا تخف في حال قيام امرأته. ﴿فضحكت﴾ سروراً بزوال الخوف. ﴿فبشرناها بإسحاق﴾ أي: عقبنا سرورها بسرور أتم منه على ألسنة رسلنا وإسحاق بالعبرانية الضحاك. ﴿ومن وراء إسحاق﴾ الوراء فعال ولامه همزة عند سيبويه وأبي علي الفارسي، وياء عند العامة وهو من ظروف المكان، بمنى خلف وقدام فهو من الأضداد وقد يستعار للزمان كما في هذا المكان. والمعنى وهبنا لها بعد إسحاق ﴿يعقوب﴾ فهو من عطف جملة على جملة ولا يكون يعقوب على هذا مبشراً به.

وقال في «التبيان»: أي: بشروها بأنها تلد إسحاق وأنها تعيش إلى أن ترى ولد الولد وهو يعقوب بن إسحاق والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى حيث سمي به في البشارة قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [مريم: ٧] ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد أن ولد فسميا بإسحاق ويعقوب وتوجيه البشارة إليها لا إليه، مع أنه الأصل في ذلك

للدلالة على أن الولد المبشر به يكون منها ولأنها كانت عقيمة حريصة على الولد وكان لإبراهيم ولده إسماعيل من هاجر لأن المرأة أشد فرحاً بالولد.

وقال ابن عباس: ووهب فضحكت تعجباً من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها وعلى هذا تكون الآية من التقديم والتأخير تقديره وامرأته قائمة فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فضحكت كما في «بحر العلوم» و«تفسير أبي الليث».

وقال في «التأويلات النجمية»: هذه البشارة لها ما كانت بشارة تتعلق ببشريتها وحيوانيتها وما كان ضحكها للسرور بحصول الابن الذي هو من زينة الدنيا وإنما كان ضحكها لسرور نجاة القوم من العذاب وكانت بشارتها بنبوة ابنها إسحاق بعد إبراهيم ومن وراء إسحاق يعقوب أي بعد إسحاق يكون يعقوب نبياً وتكون النبوة في عقبهم إلى عهد خاتم النبيين محمد ﷺ فإنه يكون من عقب إسماعيل.

قال الكاشفي عند قوله تعالى: ﴿بالبشرى﴾ [در حقايق آورده كه مژده بود بظهور حضرت سيد أنبياء از صلب وى بآنكه خاتم پيغمبران وصاحب لواء حمداست وجه بشارت در مقابلهء اين تواند بودكه پدريرا چنين پسر باشد]:

خوش وقت آن پدركه چنين باشدش پسر ساباش ازان صدف كه چنين پرورد كهر
آبا ازو مكرم وابنا ازو عزيز صلوا عليه ما طلع الشمس والقمر

﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾.

﴿قالت﴾ كأنه قيل فماذا قالت: إذ بشرت بذلك فقيل قالت: ﴿يا ويلتا﴾ أي: يا عجباً أصله يا ويلتني فأبدل من الياء الألف، ومن كسرة التاء الفتحة لأن الألف مع الفتحة أخف من الياء مع الكسرة وأصل هذه الكلمة في الشر، لأن الشخص ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي واحضري فهذا أوان حضورك، ثم اطلق في كل أمر عجب كقولك يا سبحان الله وهو المراد هنا.

قال سعدي المفتي: أصل الدعاء بالويل ونحوه في التفجع لشدة مكروه يدهم النفس ثم استعمل في عجب يدهم النفس ﴿ءألد﴾ [آيا من بزايم] ﴿وأنا عجوز﴾ بنت تسعين أو تسع وتسعين سنة لم ألد قط ﴿وهذا﴾ الذي تشاهدونه ﴿بعلي﴾ أي: زوجي وأصله القائم بالأمر ﴿شيخاً﴾ ابن مائة سنة أو مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل معنى الإشارة.

قال في «الكواشي»: كأنها أشارت إلى معروف عندهم أي: هذا المعروف بعلي ثم قالت: شيخاً أي: أشير إليه في حال شيخوخته ولو لم يكن معروفاً عندهم لكان يجب أن يكون بعلها مدة شيخوخته ولم يكن بعلها مدة شبيبته ونحوه هذا زيد قائماً إن أخبرت من يعرفه صح المعنى وإن أخبرت من لا يعرفه لا يصح لأنه إنما يكون زيداً ما قام، فإذا ترك القيام فليس بزيد، وقدمت بيان حالها على بيان حال بعلها لأن مباينة حالها لما ذكر من الولادة أكثر إذ ربما يولد للشيوخ من الشواب ولا يولد للعجائز من الشبان. ﴿إن هذا﴾ أي: حصول الولد من هرمين مثلنا. ﴿لشيء عجيب﴾ بالنسبة إلى سنة الله المسلوكة فيما بين عباده ومقصدها استعظام نعمة الله عليها في ضمن الاستعجاب العادي لا استبعاد ذلك بالنسبة إلى قدرة الله تعالى؛ لأن

التعجب من قدرة الله يوجب الكفر لكونه مستلزماً للجهل بقدرة الله تعالى.

﴿قالوا﴾ منكرين عليها ﴿أتعجبين من أمر الله﴾ أي: من شأن الله تعالى بإيجاد الولد من كبيرين.

قال الكاشفي [ازكار خداى تعالى هيچ عجب نيست كه از صنع بي آلت واز فضل بي علت ازميان دو پير فرزندى بيرون آرد].

قدرتي راكه بر كمال بود كى چنينها از ومحال بود

قال سعدي المفتي: أخذ جبريل عموداً من الأرض يابساً فدلكه بين أصبعيه فإذا هي شجرة تهتز فعرفت أنه من الله تعالى.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿من أمر الله﴾ أي: من قدرة الله تعالى فإن لله تعالى سنة وقدرة فيجري أمر العوام بسنته وأمر الخواص إظهاراً للآية، والإعجاز بقدرته فأجرى أمركم بقدرته ومثلها امرأة عمران وهي حنة، كانت عاقراً لم تلد إلى أن عجزت أي: صارت عجوزاً، ثم حملت بمريم وقد سبق في آل عمران فإذا كان هذا الحمل بقدرة الله تعالى خارقاً للعادة لم يحتج إلى الحيض ولا يبعد الحيض أيضاً في كبر السن، كما فسر بعض العلماء قوله تعالى: ﴿ضحكت﴾ بحاضت قيل لما صلب الحجاج عبد الله بن الزبير جاءته أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق فلما رأته حاضت مع كبر سنها وقد بلغت مائة سنة وخرج اللبن من ثدييها وقالت: حنت إليه مراتعه ودرت عليه مراضعه، ﴿رحمة الله﴾ التي وسعت كل شيء واستبقت كل خير. ﴿وبركاته﴾ خيراته النامية المتكاثرة في كل باب التي من جملتها هبة الأولاد حالتان. ﴿عليكم﴾ لازمتان لكم لا تفارقاكم يا ﴿أهل البيت﴾ أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجب. والجملة مستأنفة فقيل خبر وهو الأظهر وقيل دعاء وقيل الرحمة النبوة والبركات الأسباط من بني إسرائيل لأن الأنبياء منهم وكلهم من ولد إبراهيم عليه السلام ومثله في قصة نوح عليه السلام ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ﴾ [هود: ٤٨] وقد سبق ﴿إنه﴾ أي: الله تعالى ﴿حميد﴾ فاعل ما يستوجب به الحمد من عبادة لا سيما في حقها ﴿مجيد﴾ كثير الخير والإحسان إلى عباده خصوصاً في أن جعل بيتها مهبط البركات.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿حميد﴾ على ما يجري من السنة والقدرة ﴿مجيد﴾ فيما ينعم به على العوام والخواص وأصل المجد في كلامهم السعة.

قال ابن الشيخ: المجد الكرم، والمجيد صيغة مبالغة منه.

وقال الإمام الغزالي رحمه الله: المجيد الشريف ذاته، الجميل أفعاله، الجزيل عطاؤه ونواله فكان شريف الذات إذا قارنه حسن الفعال سمي مجيداً.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع﴾ أي: زال الخوف والفزع الذي أصابه لما لم يأكلوا من العجل، واطمأن قلبه بعرفانهم بحقيقتهم الملكية وعرفان سبب مجيئهم ﴿وجاءته البشرى﴾ بنجاة قومه كما ﴿قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾ أو بالولد إسحاق كما قال: ﴿فبشرناها

بإسحاق﴾ وإبراهيم أصل في التبشير كما قال في سورة أخرى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات: ١٠١] **﴿يجادلنا﴾** أي: جادل وخاصم رسلنا لأنه صرح في سورة العنكبوت بكون المجادلة مع الرسل وجيء بجواب لما مضارعاً مع أنه ينبغي أن يكون ماضياً لكونها موضوعة للدلالة على وقوع أمر في الماضي لوقوع غيره فيه على سبيل الحكاية الماضية. **﴿في قوم لوط﴾** في شأنهم وحقهم لرفع العذاب جدال الضعيف مع القوي لا جدال القوي مع الضعيف بل جدال المحتاج الفقير مع الكريم الغني وجدال الرحمة والمعاطفة وطلب النجاة للضعفاء والمساكين الهالكين، وكان لوط ابن أخيه، وهو لوط بن آزور بن آزر، وإبراهيم بن آزر ويقال: ابن عمه وسارة كانت أخت لوط، فلما سمعا بهلاك قوم لوط اغتما لأجل لوط فطفق إبراهيم يجادل الرسل حين قالوا: إنا مهلكوا أهل هذه القرية فقال: أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها؟ قالوا: لا، قال: فأربعون؟ قالوا: لا قال: فثلاثون؟ قالوا: لا، حتى بلغ خمسة قالوا: لا قال: أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها؟ قالوا: لا، فعند ذلك قال: فإن فيها لوطاً قالوا: نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله.

﴿إن إبراهيم لحليم﴾ غير عجول على الانتقام من أساء إليه **﴿أواه﴾** كثير التأوه على الذنوب والتأسف على الناس.

وفي «ربيع الأبرار» معنى التأوه الدعاء إلى الله بلغة توافق النبطية **﴿منيب﴾** راجع إلى الله تعالى بما يحب ويرضى أي: كان جداله بحلم وتأوه عليهم فإن الذي لا يتعجل في مكافاة من يؤذيه يتأوه أي: يقول أوه وآه إذا شاهد وصول الشدائد إلى الغير وإنه مع ذلك راجع إلى الله في جميع أحواله أي: ما كان بعض أحواله، مشوباً بعلة راجعة إلى حظ نفسه، بل كان كله لله فتبين أن رقة القلب حملته على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والإنابة كما حملته على الاستغفار لأبيه.

يقول الفقير دلت الآية على أن المجادلة وقعت في قوم لوط ودلت التفاسير على أنها وقعت في لوط نفسه والمؤمنين معه ولا تنافي بينهما، فإن عموم الرحمة التي حملته عليها نشأة الأنبياء عليهم السلام لا يميز بين شخص، وشخص فإن الأمة بالنسبة إلى النبي كالأولاد بالنسبة إلى الأب، وكفرهم لا يرفع الرحمة في حقهم، ويدل عليه حال نوح مع ابنه كنعان كما وقفت عليه فيما سبق وإنما مجيء البشرى في حق قومه فقط فبقي الألم في حق الغير على حاله واتصال القرابة بين إبراهيم ولوط يقتضي أن يكون قوم لوط في حكم قوم إبراهيم فافهم.

﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿يا إبراهيم﴾ على إرادة القول أي: قالت الملائكة: يا إبراهيم **﴿أعرض عن هذا﴾** الجدال بالحلم والرحمة على غير أهل الرحمة **﴿إنه﴾** أي: الشأن **﴿قد جاء أمر ربك﴾** قدره بمقتضى قضائه الأزلي بعذابهم وهو أعلم بحالهم والقضاء هو الإرادة الأزلية، والعناية الإلهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق الإرادة بالأشياء في أوقاتها **﴿وإنهم آتيهم عذاب غير مردود﴾** غير مصروف عنهم بجدال ولا بدعاء ولا بغير ذلك وإنك مأجور مثاب فيما جادلتنا لنجاتهم، وهذا كما كان النبي ﷺ يقول: «اشفعوا تؤجروا وليقصن الله على لسان نبيه ما شاء» قال ابن الملك في «شرح الحديث»: لا يخفى أن مطلق الشفاعة لا يكون

سبباً للأجر فيحمل على أن تكون الشفاعة لأرباب الحوائج المشروعة كدفع ظلم وعفو عن ذنب ليس فيه حد انتهى.

والحد: واجب في اللواطة عند الإمامين لأنهما ألحقاها بالزنى، وعند أبي حنيفة يعزر في ظاهر الرواية وزاد في «الجامع الصغير» ويودع في السجن حتى يتوب، وروي عنه الحد في دبر الأجنبية ولو فعل هذا بعبده أو أمته أو منكوحته لا يحد بلا خلاف.

وفي «الشرح الأكملي» والظاهر أن ما ذهب إليه أبو حنيفة أنما هو استعظام لذلك الفعل فإنه ليس في القبح بحيث يجازي بما يجازي القتل أو الزنى وإنما التعزير لتسكين الفتنة الناجزة كما أنه يقول في اليمين الغموس: إنه لا يجب فيه الكفارة لأنه لعظمه لا يستتر بالكفارة.

يقول الفقير: الظاهر أن إتيان العذاب الغير المردود لإصرارهم على الكفر والتكذيب بعد استبانة الحق واللواطة من جملة أسباب الإتيان كالعقر لناقة الله بالنسبة إلى قوم صالح ـ روي ـ أن الرسل الذين بشروا إبراهيم خرجوا بعد هذه المجادلة من عنده وانطلقوا إلى قرية لوط سدوم وما بين القريتين أربعة فراسخ فانتهوا إليها نصف النهار فإذا هم بجوار يستقين من الماء فأبصرتهم ابنة لوط وهي تستقي الماء فقالت: لهم ما شأنكم وأين تريدون قالوا: أقبلنا من مكان كذا ونريد كذا فأخبرتهم عن حال أهل المدينة وخبثهم فأظهروا الغم من أنفسهم فقالوا: هل أحد يضفنا في هذه القرية؟ قالت: ليس فيها أحد يضيفكم إلا ذاك الشيخ، فأشارت إلى أبيها لوط وهو قائم على بابه فأتوا إليه.

وقال الكاشفي: [چون نزديك شهر سدوم رسيدندكه لوط در انجا مى بود نكاه كردند ديدندكه وى درزمين كار ميكرد ييش وى رفتند وسلام كردند] فلما رآهم وهيئتهم ساءه ذلك وهو قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾.

﴿ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم﴾ [اندوهكين شد بديشان] وهو فعل مبني للمفعول والقائم مقام الفاعل ضمير لوط من قولك ساءني كذا أي: حصل لي منه سوء وحزن وغم وبهم متعلق به أي: بسببهم. والمعنى ساءه مجيئهم لا لأنهم جاؤوا مسافرين وهو لا يود الضيف وقراه فحاشى بيت النبوة عن ذلك بل لأنهم جاؤوا في صورة غلمان حسان الوجوه فحسب أنهم أناس فخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم.

وفيه إشارة إلى عروض الهمّ والحزن له لهلاك قومه بالعذاب فانظر إلى التفاوت بين إبراهيم ولوط وبين قومهما حيث كان مجيئهم لإبراهيم للمسرة وللوط للمساءة مع تقديم المسرة؛ لأن رحمة الله سابقة على غضبه ـ وروي ـ أن الله تعالى قال لهم: لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما أتوا إليه قال لهم: أما بلغكم أمر هذه القرية؟ قالوا: وما أمرها؟ قال: أشهد بالله إنها لشرّ قرية في الأرض عملاً يقول ذلك أربع مرات فدخلوا منزله ولم يعلم بذلك أحد فأذاع خبرهم امرأته الكافرة كما ستقف عليه ﴿وضاق بهم ذرعاً﴾ [وتنك دل شد بجهت ايشان] وذرعا نصب على التمييز أي: ضاق بمكانهم صدره أو قلبه أو وسعه

وطاقته، وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه يقال: ضاق ذرع فلان بكذا إذا وقع في مكروه ولا يطيق الخروج منه. وفي «الاختري» ضاق به ذرعاً أي: طاقة وضاق بالأمر أي: لم يطقه ولم يقو عليه وكان مد إليه يده فلم تنله. قال الأزهري: الذرع يوضع موضع الطاقة والأصل فيه البعير يذرع بيديه في سيره ذرعاً على قدر سعة خطوته فإذا حمل عليه أكثر من طاقته ضاق ذرعه عن ذلك فضعف ومد عنقه وجعل ضيق الذرع عبارة عن قلة الوسع والطاقة فيقال: ما لي به ذرع ولا ذراع أي: ما لي به طاقة **﴿وقال هذا يوم عصيب﴾** أي: شديد عليّ وهو لغة جرهم كما في «ربيع الأبرار» ثم قال لوط لامرأته: ويحك قومي اخبزي ولا تعلمي أحداً، وكانت امرأته كافرة منافقة فانطلقت لطلب بعض حاجتها فجعلت لا تدخل على أحد إلا أخبرته، وقالت: إن في بيت لوط رجالاً ما رأيت أحسن وجوهاً منهم ولا أنظف ثياباً ولا أطيب رائحة، فلما علموا بذلك جاؤوا إلى باب لوط مسرعين فذلك قوله تعالى:

﴿وجاءه﴾ أي: لوطاً وهو في بيته مع أضيافه **﴿قومه﴾** والحال أنهم **﴿يهرعون إليه﴾** يسرعون إليه كأنما يدفعون دفعاً طلباً للفاحشة من أضيافه غافلين عن حالهم جاهلين بمآلهم والإهراع الإسراع.

قال في «التهذيب الهرع»: [براندن سخت وشتا بانيدن] يقال: اهرع القوم وهرعوا **﴿ومن قبل كانوا يعملون السيئات﴾** الجملة حال أيضاً من قومه أي: جاؤوا مسرعين والحال أنهم كانوا من قبل هذا الوقت وهو وقت مجيئهم إلى لوط منهمكين في عمل الفواحش [عملهاى بد از لواطه وكبوتر بازى وصفير زدن در مجالس وبراى استهزا نشستن برسر راهها] فتمرنوا بها، أي: تعودوا واستمروا حتى لم تعب عندهم قباحتها ولذلك لم يستحيوا ما فعلوا من مجيئهم مهرعين مجاهرين.

وفي «التأويلات النجمية» كانوا يعملون السيئات الموجبة للهلاك والعذاب فجاؤوا مسرعين مستقبلي العذاب وطلبوا من بيت النبوة من أهل الطهارة معاملة ساءتهم بخباثة نفوسهم ليستحقوا بذلك كمال الشقاوة وسرعة العذاب انتهى.

ودل ما ذكر على أن جهار الفسق فوق إخفائه ولذا رد شهادة الفاسق المعلن وفي الحديث: «كل أمتي معافى إلا المجاهرون» أي: لكن المجاهرون بالمعاصي لا يعافون بل يؤخذون في الدنيا إن كانت مما يتعلق بالحدود وأما في الآخرة فمطلقاً. قال السعدي قدس سره:

نه هركز شنيدم درين عمر خويش   كه بد مردرا نيكى آمد بپيش
نه ابليس بدكرد ونيكى نديد   بر پاك نايد زتخم پليد

﴿قال يا قوم﴾ [اي قوم من] **﴿هؤلاء﴾** مبتدأ خبره قوله **﴿بناتي﴾** الصلبية فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعيته فإن تزويج المسلمات من الكفار كان جائزاً في شريعته، وهكذا كان في أول الإسلام بدليل أنه عليه السلام زوج ابنتيه من أبي العاص بن وائل وعتبة بن أبي لهب قبل الوحي وهما كافران ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: **﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾** [البقرة: ٢٢١] وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه وأياً ما كان فقد أراد به وقاية ضيفه وذلك غاية في الكرم **﴿هن﴾** مبتدأ

خبره قوله ﴿أطهر لكم﴾ هذا لا يدل على أن إتيان الذكور كان طاهراً، كما لا يدل قولك النكاح أطهر من الزنى على كون الزنى طاهراً، لأنه خبث ليس فيه شيء من الطهارة لكن هؤلاء القوم اعتقدوا ذلك طهارة فبني ذلك على زعمهم الفاسد واعتقادهم الباطل، وهو مثل ما قال النبي عليه السلام لعمر رضي الله عنه: «الله أجل وأعلى» جواباً لأبي سفيان حيث قال: أعل هبل اعتقد علو صنمه وذلك اعتقاد فاسد لا شبهة فيه.

يقول الفقير عرض عليهم أولاً بناته لكي يرغبوا فيهن فينسد باب الفتنة ففيه حسن دفع لهم من أول الأمر وبناته وإن لم تف للجميع الكثير، لأنه على ما روي كان له بنتان لكنه إذا أرضى بهن البعض ممن كان مطاعاً انقطع عرق النزاع من الاتباع، ولئن سلم أنه لم يكن فيهم مطاع فلقد شاهدنا اندفاع شر كثير بخير يسير، ثم حكم بكونهن أطهر وهو للزيادة المطلقة على ما ذهب إليه الرازي في الكبير تأكيداً للترغيب وتقبيحاً لحالهم في استطابة الخبائث لينزجروا ويتركوا ما هم عليه من اللواطة، فإنه إذا كان المحيض أذى وقذراً يجب التجنب عنه مع كون المحل مباح الأصل فلأن يكون الجزاء كذلك أولى مع كون المحل حرام الأصل ﴿فاتقوا الله﴾ بترك الفواحش أو بإيثارهن عليهم ﴿ولا تخزون﴾ [مرا رسواى نكنيد] ﴿في ضيفي﴾ في حقهم وشأنهم فإن إخزاء ضيف الرجل إخزاؤه كما أن إكرام من يتصل به إكرامه. والضيف مصدر في الأصل يكون للقليل والكثير ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ رجل واحد يهتدي إلى الحق ويرعوي عن القبيح.

وقال الكاشفي: [آيانيست ازشما مردى راه يافته كه شمارا پند دهد واز عملهاى بد باز دارد].

وفي «التأويلات النجمية» رجل رشيد يقبل نصحي ويتوب إلى الله بالصدق فينجيكم من العذاب ببركته انتهى.

وذلك لأن الواحد على الحق كالسواد الأعظم وكالأكسير.

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾.

﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾ من حاجة أي: لا رغبة لنا فيهن فلا ننكحهن ومقصودهم أن نكاح الإناث ليس من عادتنا ومذهبنا ولذا قالوا: علمت فإن لوطاً كان يعلم ذلك ولا يعلم عدم رغبتهم في بناته بخصوصهن ويؤيده قوله ﴿وإنك لتعلم ما نريد﴾ هو إتيان الذكور وهو في الحقيقة طلب ما أعد الله لهم في الأزل من قهره يعني الهلاك بالعذاب ولما يئس من ارعوائهم عماهم عليه من الغي ﴿قال لو أن لي بكم قوة﴾ لو للتمني وهو الأنسب بمثل هذا المقام فلا يحتاج إلى الجواب وبكم حال من قوة أي: بطشاً، والمعنى بالفارسية [كاشكى مرا باشد بدفع شما قوتي] ﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾ عطف على أن لي بكم، لما فيه من معنى الفعل، والركن بسكون الكاف وضمها الناحية من الجبل وغيره أي: لو قويت على دفعكم ومقاومتكم بنفسي، أو التجأت إلى ناصر عزيز قوي استند إليه وأتمنع به فيحميني منكم شبه بركن الجبل في الشدة والمنعة.

وقال الكاشفي: [ياپناه كيرم وباز كردم بركنىء سخت يعني شعيره وقبيلهٔ كه بديشان منع

شماتوا نم كرد] وكان لوط رجلاً غريباً فيهم ليس له عشيرة وقبيلة يلتجىء إليهم في الأمور الملمة والغريب لا يعينه أحد غالباً في أكثر البلدان خصوصاً في هذا الزمان. قال الحافظ:

تيمار غريبان سبب ذكر جميلست   جانا مكر اين قاعده درشهر شمانيست

وإنما تمنى القوة لأن الله تعالى خلق الإنسان من ضعف كما قال: ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤] والعارف ينظر إلى هذا الضعف ذوقاً وحالاً ولذا قيل إن العارف التام المعرفة في غاية العجز والضعف عن التأثير والتصرف لانقهاره تحت الوحدة الجمعية وقد قال تعالى: ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩] والوكيل هو المتصرف، فإن ألهم التصرف بجزم تصرف، وإن منع امتنع وإن خير اختار ترك التصرف إلا أن يكون ناقص المعرفة. وفي «المثنوي»:

ما كه باشيم اي تومارا جان جان   تاكه ما باشيم باتو درميان

دست نى تادست جنباند بدفع   نطق نى تادم زند از ضر ونفع

پيش قدرت خلق جمله باركه   عاجزان چون پيش سوزن كاركه

وفي الحديث: «رحم الله أخي لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد» وهو نصر الله ومعونته. واختلف في معناه.

فقال الكاشفي، يعني: [بخداي پناه كرفت وخدا اورايارى دادكه ملجأ درماندكان جزدركاه اونيست]:

آستانش كه قبلهٔ همه است   درپناهش زماهى تابمه است

هركه دل درحمايتش بستست   ازغم هردوكون وارستست

وقال ابن الشيخ: أي: كان يريد أو يتمنى أن يأوي إلى ركن شديد وفي قوله: «رحم الله» إشارة إلى أن هذا الكلام من لوط ليس مما ينبغي من حيث إنه يدل على قنوط كلي ويأس شديد من أن يكون له ناصر ينصره، والحال أنه لا ركن أشد من الركن الذي كان يأوي إليه، أليس الله بكافٍ عبده انتهى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما بعث الله نبياً بعد لوط إلا في عز من قومه، يعني: استجيب دعوته ضرورة، وكان ﷺ يحميه قبيلته كأبي طالب فإنه كان يتعصب للنبي ويذب عنه دائماً وإنما اضطر إلى الهجرة بعد وفاته ـ روي ـ أن لوطاً أغلق بابه دون أضيافه حين جاؤوا وأخذ يحاولهم من وراء الباب، فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما بلوط من الكرب.

﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾.

﴿قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك﴾ بضرر ولا مكروه ولن يخزوك فينا وإن ركنك شديد فافتح الباب ودعنا، وإياهم، ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبرائيل ربه تعالى في عقوبتهم، فأذن له، فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم كما قال تعالى: ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ [القمر: ٣٧] فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فإن في بيت لوط سحرة وهددوا لوطاً، وقالوا: مكانك حتى نصبح **﴿فأسر بأهلك﴾** الإسراء بالفارسية [رفتن بشب] وهو لازم ومتعد وكذا السري فإن معناه [رفتن بشب] والمصدر على

فعل خص به المعتل كما في «التهذيب» والمعنى كما قال الكاشفي: [ببركسان خودرا] ﴿بقطع من الليل﴾ القطع في آخر الليل.

وقال ابن عباس: بطائفة من الليل، والمعنى [بپار شب يعني بعد از كذشتن برخى ازشب] فالباء في باهلك للتعدية ويجوز أن تكون للحال، أي: مصاحباً بهم وفي قوله ﴿بقطع﴾ للحال أي: مصاحبين بقطع على أن المراد به ظلمة الليل، وقيل الباء فيه بمعنى في، أي: أخرجوا ليلاً لتستبقوا نزول العذاب الذي موعده الصبح ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ منك ومن أهلك أي: لا يتخلف ولا ينصرف عن امتثال المأمور به، أو لا ينظر إلى ورائه فالظاهر على هذا أنه كان لهم في البلد أموال وأقمشة وأصدقاء، فالملائكة أمروهم بأن يخرجوا ويتركوا تلك الأشياء ويقطعوا تعلق قلوبهم كما قال في «التأويلات النجمية»: ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ إلى ما هم فيه من الدنيا وزينتها ومتاعها أراد به تجرد الباطن عن الدنيا وما فيها فإن النجاة من العذاب والهلاك منوط به انتهى وفي الحديث: «اللهم امض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم» أي: أنفذها وتممها لهم ولا تمسهم في بلدة هاجروا منها لئلا ينتقض الثواب بالركون إلى الوطن.

قال أبو الليث في «تفسيره»: جمع لوطاً أهله وابنتيه ريثا ورعورا فحمل جبريل لوط وبناته وماله على جناحه إلى مدينة زغر، وهي إحدى مدائن لوط وهي خمس مدائن، وهي على أربع فراسخ من سدوم ولم يكونوا على مثل عملهم انتهى ويخالفه الأمر بالإسراء كما لا يخفى.

وقال في «بحر العلوم»: وإنما نهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم ويجوز أن يكون النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التوقف؛ لأن من يلتفت إلى ما وراءه لا بد له من أدنى وقفة ﴿إلا امرأتك﴾ استثناء من قوله تعالى: ﴿فأسر بأهلك﴾ ﴿إنه﴾ أي: الشان ﴿مصيبها ما أصابهم﴾ من العذاب:

بابدان يار كشت همسر لوط خاندان نبوتش كم شد

يعني: وقعت أهل بيت نبوته في الضلالة فهلكت، والمراد امرأته فإنها مع تشرفها بالإضافة إلى بيت النبوة لما اتصلت بأهل الضلالة صارت ضالة: وأدّى ضلالها وكفرها إلى الهلاك معهم ففيه تنبيه على أن لصحبة الأغيار ضرراً عظيماً ﴿إن موعدهم الصبح﴾ أي: موعد عذابهم وهلاكهم وهو تعليل للأمر بالإسراء والنهي عن الالتفات المشعر بالحث على الإسراع كما في الإرشاد ـ وروي ـ أنه قال للملائكة: متى موعدهم؟ قالوا: الصبح فقال: أريد أسرع من ذلك فقالوا: ﴿أليس الصبح بقريب﴾ [آيا نيست صبح نزديك نفي نزديكست]، وإنما جعل ميقات هلاكهم الصبح لأنه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب حينئذٍ أفظع، ولأنه أنسب بكون ذلك عبرة للناظرين.

وفيه إشارة إلى أن صبح يوم الوفاة قريب لكل أحد فإذا أدركه، فكأنه لم يلبث في الدنيا إلا ساعة من نهار. قال السعدي قدس سره:

چرا دل برير كاروان مى نهيم كه ياران برفتند وما بررهيم
پس اي خاكساركنه عن قريب سفر كرد خواهى بشهر غريب
برين خاك جندان صبا بكذرد كه هرذره از ما بجايى برد

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿**فلما جاء أمرنا**﴾ أي: وقت عذابنا وموعده وهو الصبح ﴿**جعلنا**﴾ بقدرتنا الكاملة ﴿**عاليها**﴾ أي: عالي قرى قوم لوط وهي التي عبر عنها بالمؤتفكات وهي أربع مدائن فيها أربعمائة ألف أو أربعة آلاف.

قال الكاشفي: [درهريكى صد هزار مرد شمشيررن] وهي سدوم، وعامورا، وكادوما، ومذوايم، كانت على مسيرة ثلاثة أيام من بيت المقدس ﴿**سافلها**﴾ أي: قلبناها على تلك الهيئات. وبالفارسية [نكون ساختيم] ـ روي ـ أن جبريل جعل جناحه في أسفلها فاقتلعها من الماء الأسود ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة لم يكفأ إناء ولم ينتبه نائم، ثم قلبها عليهم فأقبلت تهوي من السماء إلى الأرض. ﴿**وأمطرنا عليها**﴾ على أهل المدائن من فوقهم [أي بعد از سر نكون شدن] وكان حقه جعلوا وأمطروا، أي: الملائكة المأمورون به فأسند إلى نفسه من حيث إنه المسبب تعظيماً للأمر وتهويلاً للخطب ﴿**حجارة من سجيل**﴾ من طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله [سنك كل] فعرب ﴿**منضود**﴾ نضد في الإرسال بتتابع بعضه بعضاً كقطار الأمطار. والنضد وضع الشيء بعضه على بعض وهو نعت لسجيل.

﴿**مسومة**﴾ نعت حجارة، أي: معلمة لا تشبه حجارة الدنيا، أو باسم صاحبها الذي تصيبه ويرمى بها، ﴿**عند ربك**﴾ أي: جاءت من عند ربك.

قال الكاشفي: [آماده كشته در خزائن پروردكار تو براى عذاب ايشان] ـ روي ـ إن الحجر اتبع شذاذهم أينما كانوا في البلاد ودخل رجل منهم الحرم وكان الحجر معلقاً في السماء أربعين يوماً حتى خرج فأصابه فأهلكه [در تفسير زاهدى آورده كه سنك كلان او برابر خمى بود وخردى مساوى اسبويى]. يقول الفقير: لعل الأمطار على تلك القرى بعد القلب إنما هو لتكميل العقوبة كالرجفة الواقعة بعد الصيحة لقوم صالح، ولتحصيل الهلاك لمسافريهم الخارجين من بلادهم لمصالحهم وهو الظاهر والله أعلم ﴿**وما هي**﴾ أي: الحجارة الموصوفة ﴿**من الظالمين**﴾ من كل ظالم فهم بسبب ظلمهم مستحقون لها ملابسون بها ﴿**ببعيد**﴾ تذكيره على تأويل الحجارة بالحجر. وفيه وعيد لأهل الظلم كافة، وعنه عليه السلام أنه سأل جبرائيل فقال يعني: ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرضة حجر يسقط من ساعة إلى ساعة يقال: فلان عرضة للناس لا يزالون يقعون فيه، وجعلت فلاناً عرضة لكذا، أي: نصبته فلا تظن الظالمين أنهم يتخلصون ويسلمون من هذه الحجارة أن تسقط عليهم وقت وفاتهم وحصولهم إلى صباح موتهم، ونظيره أن رسول الله ﷺ كان قاعداً مع أصحابه في المسجد فسمعوا هدّة عظيمة وهي صوت انهدام الحائط فارتاعوا، أي: خافوا وفزعوا فقال عليه السلام: «أتعرفون ما هذه الهدة»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «حجر ألقي من أعلى جهنم منذ سبعين سنة الآن وصل إلى قعرها وكان وصوله إلى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدة» فما فرغ من كلامه إلا والصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات وكان عمره سبعين سنة فلما مات حصل في قعرها قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] فكان سماعهم

تلك الهدة التي أسمعهم الله ليعتبروا، وفي الخبر قال رسول الله ﷺ: «ليلة أسري بي إلى السماء رأيت في السماء الثالثة حجارة موضوعة، فسألت عن ذلك جبريل فقال: لا تسأل عنها، فلما انصرفت وقفت على تلك الحجارة، وقلت أخبرني عن الحجارة فقال: هذه الحجارة فصلت من حجارة قوم لوط خبئت للظالمين من أمتك، ثم تلا ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾» كذا في «زهرة الرياض»:

چون عالم ازستمكر ننك دارد عجب نبودكه بروى سنك بارد

وفي «التبيان» والبعيد الذي ليس بكائن ولا يتصور وقوعه وكل ما هو كائن فهو قريب.

وعن محمد بن مروان قال: صرت إلى جزيرة النوبة في آخر ممرنا، فأمرت بالمضارب فضربت، فخرج النوب يتعجبون، وأقبل ملكهم رجل طويل أصلع حافٍ عليه كساء فسلم وجلس على الأرض، فقلت له ما لك لا تقعد على البساط؟ قال: أنا ملك وحق لمن رفعه الله أن يتواضع له إذا رفعه.

تواضع زكردن فرازان نكوست كدا كر تواضع كند خوى اوست

ثم قال: ما بالكم تطاون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم في كتابكم؟ فقلت: عبيدنا فعلوه بجهلهم، قال: ما بالكم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في دينكم قلت أشياعنا فعلوه بجهلهم قال: فما بالكم تلبسون الديباج وتتحلون بالذهب والفضة وهي محرمة عليكم على لسان نبيكم قلت: فعل ذلك أعاجم من خدمنا كرهنا الخلاف عليهم فجعل ينظر في وجهي ويكرر معاذري على وجه الاستهزاء ثم قال: ليس كما تقول يا ابن مروان، ولكنكم قوم ملكتم فظلمتم وتركتم ما أمرتم فأذاقكم الله وبال أمركم، ولله فيكم نعم لم تحص، وإني أخشى أن ينزل بك وأنت في أرضي مصيبة فتصيبني معك فارتحل عني.

واعلم أن الظلم من نتائج القساوة التي تمطر على كل قلب مقدار ما قدر له فلا يزال يزداد ظلم المرء بحسب ازدياد قساوة قلبه، فإذا أحاطت بمرآة قلبه قساوته أبعد من أن يكون مرجواً نجاته، وكان من المهلكين بحجر القساوة النازلة من سماء القهر والجلال، عصمنا الله وإياكم من البغي والفساد وأرشدنا إلى العدل والصلاح إنه ولي الإرشاد.

﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾.

﴿وإلى مدين﴾ هو اسم ابن إبراهيم عليه السلام ثم صار اسماً للقبيلة، أو اسم مدينة بناها مدين فسميت باسمه، أي: وأرسلنا إلى قبيلة مدين أو ساكني بلدة مدين. ﴿أخاهم﴾ أي: واحداً منهم في النسب. ﴿شعيباً﴾ عطف بيان له وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين ﴿قال﴾ استئناف بياني ﴿يا قوم﴾ [اي كروه من] ﴿اعبدوا الله﴾ وحده ولا تشركوا به شيئاً من الأصنام؛ لأنه ﴿ما لكم من إله غيره﴾ أي: ليس لكم إله سوى الله تعالى وكانت كلمة جميع الأنبياء في التوحيد واحدة فدعوا إلى الله الواحد وعبادته، فأمرهم شعيب بالتوحيد أولاً لأنه ملاك الأمر وقوامه ثم نهاهم عما اعتادوه من النقص في الكيل والوزن لأنه يورث الهلاك فقال: ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ أي: آلة الوزن والكيل وكان لهم مكيالان وميزانان أحدهما أكبر من الآخر فإذا اكتالوا على الناس يستوفون بالأكبر، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون بالأصغر،

والمراد لا تنقصوا حجم المكيال عن المعهود، وكذا الصنجات كي تتوسلوا بذلك إلى بخس حقوق الناس ويجوز أن يكون من ذكر المحل وإرادة الحال، والمعنى بالفارسية [مكاهيد وكم مكنيد پيمانه را در پيمودن ميكلات وترازورا در سنجيدن موزونات] وكل من البخسين شائع في هذا الزمان أيضاً، كأنه ميراث من الكفرة الخائنين ﴿إني أراكم بخير﴾ علة للنهي أي: ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف. يعني [درمانده ومحتاج نيستيدكه داعي باشد شمارا بخيانت بلكه منعم وتوانكريد رسم حق كزارى آنست كه مردم را از مال خود بهره مند كنيد نه آنكه از حقوق ايشان باز كيريد]. ﴿وإني أخاف عليكم﴾ إن لم ترجعوا عن ذلك النقص ﴿عذاب يوم محيط﴾ لا يشذ منه أحد منكم، والمراد منه عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال ووصف اليوم بالإحاطة وهي حال العذاب لاشتماله عليه ففيه إسناد مجازي، وأصل العذاب في كلام العرب من العذب، وهو المنع وسمي الماء عذباً لأنه يمنع العطش والعذاب عذاباً لأنه يمنع المعاقب من معاودة مثل جرمه ويمنع غيره من مثل فعله.

﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان﴾ إيفاء الحق إعطاؤه تاماً كاملاً، أي: اسعوا في إعطاء الحق على وجه التمام والكمال بحيث يحصل لكم اليقين بالخروج عن العهدة ﴿بالقسط﴾ حال من فاعل أوفوا، أي: ملتبسين بالعدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان فإن الزيادة في الكيل والوزن، وإن كانت تفضلاً مندوباً إليه لكنها في الآلة محظورة كالنقص فلعل الزائد للاستعمال عند الاكتيال والناقص للاستعمال وقت الكيل كذا في «الإرشاد». وصرح بالإيفاء بعد النهي عن ضده؛ لأن النهي عن نقص حجم المكيال وصنجات الميزان والأمر بإيفاء المكيال والميزان حقهما بأن لا ينقص في الكيل والوزن وهذا الأمر بعد مساواة المكيال والميزان للمعهود فلا تكرار في الآية كما في «حواشي» سعدي المفتي. ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ مطلقاً أي: سواء كانت من جنس المكيل والموزون أو من غيره وسواء كانت جليلة أو حقيرة، وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئاً كما يفعل السماسرة ويمكنون الناس وينقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ العثي أشد الفساد أي: ولا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم، لأنهم كانوا متمادين فيه فنهوا عن ذلك ومن الفساد نقص الحقوق، ومن الإفساد قص الدراهم والدنانير وترويج الزيوف ببعض الأسباب وغير ذلك.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾.

﴿بقية الله﴾ أي: ما أبقاه الله لكم من الحلال بعد ترك الحرام، فهي فعيلة بمعنى المفعول وإضافتها للتشريف كما في بيت الله وناقة الله، فإن ما بقي بعد إيفاء الكيل والوزن من الرزق الحلال يستحق التشريف. ﴿خير لكم﴾ مما تجمعون بالبخس والتطفيف فإن ذلك هباء منثور بل شر محض وإن زعمتم أن فيه خيراً، كما قال تعالى: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

قال في «شرح الشرعة»: ولا يخون أحد في مبايعته بالحيل والتلبيس فإن الرزق لا يزيد بذلك بل تزول بركته فمن جمع المال بالحيل حبة حبة، يهلكه الله جملة قبة قبة، ويبقى عليه وزره ذرة ذرة، كرجل كان يخلط اللبن بالماء ليرى كثيراً فجاء السيل وقتل بقره فقالت: صبيته يا أبتِ قد اجتمع المياه التي جعلتها في اللبن وقتلت البقر ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بشرط أن تؤمنوا، وإنما شرط الإيمان في خيرية ما بقي بعد الإيفاء؛ لأن فائدته وهي حصول الثواب والنجاة من العقاب إنما تظهر مع الإيمان فإن الكافر مخلد في عذاب النيران ومحروم من رضوان وثواب الرحمن سواء، أو في الكيل والميزان أو سلك سبيل الخوّان إن كنتم مصدقين لي في مقالتي لكم ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ أي: ما بعثت لأحفظكم عن المعاصي والقبائح وإنما بعثت مبلغاً ومنبهاً على الخير وناصحاً وقد بلغت.

من آنچه شرط بلاغست باتو ميكويم توخواه از سخنم پند كير وخواه ملال

اعلم أن العدل ميزان الله في الأرض سواء كان في الأحكام أو في المعاملات والعدول عنه يؤدي إلى مؤاخذة العباد فينبغي أن يجتنب الظلم والمراد بالظلم أن يتضرر به الغير والعدل إن لا يتضرر منه أحد بشيء كما قال عكرمة: أشهد أن كل كيال ووزان في النار، قيل له فمن أو في الكيل والميزان؟ قال: ليس رجل في المدينة يكيل كما يكتال ولا يزن كما يتزن، والله تعالى يقول: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [المطففين: ١].

وقال سعيد بن المسيب: إذا أتيت أرضاً يوفون المكيال والميزان فأطل المقام فيها، وإذا أتيت أرضاً ينقصون المكيال والميزان فأقل المقام فيها وفي الحديث: «ما ظهر الغلول في قوم إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب ولا فشا الزنى في قوم إلا كثر فيهم الموت، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع الله عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير حق إلا فشا فيهم الدم ولا ختر قوم بالعهد إلا سلط الله عليهم العدو» قوله: ولا ختر أي: غدر ونقض العهد كما في «الترغيب».

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ أي: مكيال المحبة وميزان الطلب فإن للمحبة مكيالاً وهو عداوة ما سوى الله تعالى كما قال الخليل: عند إظهار الخلة فإنهم عدولي إلا رب العالمين، فإنك أن تحب أحداً وشيئاً مع الله فقد نقصت في مكيال محبة الله وإن للطلب ميزاناً وهو السير على قدمي الشريعة والطريقة، كما قيل: خطوتان وقد وصلت فإن خطوت خطوتين دونهما فقد نقصت من الميزان انتهى.

فعلى السالك أن يتأدب بآداب الأولياء والأنبياء ويضع القدم في هذا الطريق الأولى كما أمر به وشرط له ولا بد من الأمانة والاستقامة، وإيتاء كل ذي حق حقه قائماً بالعدل والقسط القويم وازناً بالقسطاط المستقيم كائلاً بالكيل السليم، فعند ذلك يتفضل له المولى بالقبول والمدح في الدنيا والثواب والأنعام في الآخرة فيعيش سعيداً ويموت سعيداً، وأما إذا غدر وظلم وخان واستكبر وأصر يعدل له المولى بالرد والذم في الدنيا، والعقاب والانتقام في الآخرة إن لم يتداركه الفضل والعفو فيعيش شقياً، ويموت شقياً ويحشر شقياً. وفي «المثنوي»:

چون ترازوى توكژ بود و دغا راست چون جوئى ترازوى جزا
چونكه پاي چپ بود در غدر وكاست نامه چون آيد ترا در دست راست
چون جزا سايه است اي قد توخم سايهٔ توكژ فتد در پيش هم

﴿قالوا يا شعيب﴾ [آورده اندكه انبيا برد وقسم بوده اند بعضي آنكه ايشانرا فرمان حرب بود چون موسى وداود وسليمان عليهم السلام وبرخى آنكه ايشانرا بحرب نفر مودند وشعيب ازان جمله بودكه رخصت حرب نداشت قوم خودرا موعظه ميكفت وخودهمه شب نمازمى كرد كفتند قوم اوكه اي شعيب] ﴿أصلاتك﴾ [آيا نمازتو] ﴿تأمرك﴾ أسندوا الأمر إلى صلاته قصداً إلى الاستهزاء، فمرادهم السخرية لا حقيقة الاستفهام. والمعنى: أصلاتك تدعوك إلى أمرنا ﴿أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾ من الأوثان، وقد توارثنا عبادتها أباً عن جد أجابوا بذلك أمره عليه السلام إياهم بعبادة الله وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الأوثان، ﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ جواب عن أمره بإيفاء الحقوق ونهيه عن البخس والنقص معطوف على ما، وأو بمعنى الواو لأن ما كلفهم به شعيب هو مجموع الأمرين لا أحدهما. والمعنى أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء من التصرفات.

وقال بعضهم: كان ينهاهم عن تقطيع أطراف الدراهم والدنانير وقصها فأرادوا به ذلك. والمعنى ما نشاء من تقطيعها.

واعلم أن أول من استخرج الحديد والفضة والذهب من الأرض «هو شنك» في عصر إدريس عليه السلام، وكان ملكاً صالحاً داعياً إلى الإسلام، وأول من وضع السكة على النقدين الضحاك وإفساد السكة بأي وجه كان إفساد في الأرض.

وسئل الحجاج عما يرجو به النجاة فذكر أشياء منها ما أفسدت النقود على الناس ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ الأحمق السفيه بلغة مدين كما في «ربيع الأبرار».

وقال في «الكواشي»: تتعاطى الحلم والرشد ولست كذلك، أي: ما أنت بحليم ولا رشيد فيما تأمرنا وترشدنا إليه.

وقال أكثر أهل التفسير: أرادوا السفيه الضال الغاوي فتهكموا به كما يتهكم بالشحيح، فيقال: لو أبصرك حاتم لتعلم منك الجود. وبالمستجهل والمستخف فيقال: يا عالم يا حليم، فهو إذاً من قبيل الاستعارة التبعية نزلوا التضاد منزلة التناسب على سبيل الهزؤ فاستعاروا الحلم والرشد للسفه والغواية ثم سرت الاستعارة منهما إلى الحليم الرشيد.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾.

﴿قال﴾ شعيب ﴿يا قوم أرأيتم﴾ أخبروني ﴿إن كنت﴾ إيراد حرف الشك باعتبار حال المخاطبين ﴿على بينة من ربي﴾ أي: حجة واضحة وبرهان نير من مالك أمري عبر بهما عما أتاه الله تعالى من النبوة والحكمة رداً على مقالتهم الشنعاء في جعلهم أمره ونهيه غير مستند إلى سند ﴿ورزقني منه﴾ أي: من لدنه ﴿رزقاً حسناً﴾ هو النبوة والحكمة أيضاً عبر عنهما بذلك تنبيهاً على أنهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا وذلك مناط الحياة الأبدية له ولأمته.

وقال بعضهم: هو ما رزقه الله من المال الحلال من غير شائبة حرام، أي: من غير بخس وتطفيف وكان كثير المال، وجواب الشرط محذوف لأن إثباته في قصة نوح ولوط دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه، والمعنى أخبروني إن كنت على حجة واضحة ويقين من

ربي وكنت نبياً على الحقيقة فهل يصح لي أن أتبعكم وأشوب الحلال بالحرام ولا آمركم بتوحيد الله وترك عبادة الأصنام والكف عن المعاصي، والقيام بالقسط والأنبياء لا يبعثون إلا لذلك. **﴿وما أريد﴾** بنهيي إياكم عن التطفيف **﴿أن أخالفكم﴾** مخالفتكم حال كوني مائلاً **﴿إلى ما أنهاكم عنه﴾** يقال: خالفت زيداً إلى كذا إذا قصدته، وهو مولٍ عنه وخالفته عنه إذا كان الأمر بالعكس، أي: لا أنهى عن شيء وارتكبه من نقصان الكيل والوزن، أي: اختار لكم ما اختار لنفسي فإنه ليس بواعظ من يعظ الناس بلسانه دون عمله.

قال في «الاحياء»: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني. قال الحافظ:

واعظان كين جلوه در محراب ومنبر ميكنند چون بخلوت ميروند آن كار ديكر ميكنند
مشكلي دارم زدانشمند مجلس باز پرس توبه فرمايان چراخود توبه كمتر ميكنند

﴿إن أريد﴾ أي: ما أريد بما أباشره من الأمر والنهي. **﴿إلا الإصلاح﴾** إلا أن أصلحكم بالنصيحة والموعظة **﴿ما استطعت﴾** أي: مقدر ما استطعته من الإصلاح.

قال في «بحر العلوم»: ما مصدرية واقعة موقع الظرف أي: مدة استطاعتي الإصلاح وما دمت متمكناً منه لا أترك جهدي في بيان ما فيه مصلحة لكم. قال السعدي قدس سره:

بكوى آنچه دانى سخن سودمند وكر هيچ كس را نيايد پسند

﴿وما توفيقي﴾ مصدر من المبني للمفعول أي: كوني موفقاً لتحقيق ما أقصده من إصلاحكم **﴿إلا بالله﴾** إلا بتأييده ومعونته بل الإصلاح من حيث الخلق مستند إليه وإنما أنا من مباديه الظاهرة. والتوفيق يعدى بنفسه وباللام وبالباء، وهو تسهيل سبل الخير وأصله موافقة فعل الإنسان القدر في الخير والاتفاق هو موافقة فعل الإنسان خيراً كان أو شراً القدر.

وقال في «التأويلات النجمية»: التوفيق اختصاص العبد بعناية أزلية ورعاية أبدية **﴿عليه توكلت﴾** اعتمدت في ذلك معرضاً عما عداه، فإنه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل عن رتبة الاستمداد به في الاستظهار **﴿وإليه أنيب﴾** أي: ارجع فيما أنا بصدده في جميع أموري ويجوز أن يكون المراد وما كوني موفقاً لإصابة الحق والصواب في كل ما آتى وما أذر إلا بهدايته ومعونته، عليه توكلت وهو إشارة إلى محض التوحيد الذي هو أقصى مراتب العلم بالمبدأ وإليه أنيب أي: عليه أقبل بشرا شر نفسي في مجامع أموري.

وفيه إشارة إلى معرفة المعاد، والتوكل على ثلاثة أوجه، توكل المبتدي وهو ترك الأسباب في طلب المعاش، وتوكل المتوسط وهو ترك طلب المعاش في طلب العيش مع الله، وتوكل المنتهي وهو استهلاك الوجود في وجود الله وإفناء الاختيار في اختيار الله ليبقى في هويته بلا هو متصرفاً في الأسباب وإن لا يرى التصرف والأسباب إلا لمسبب الأسباب.

قال في «التأويلات القاشانية»: أول مراتب التوحيد توحيد الأفعال، ثم توحيد الصفات، ثم توحيد الذات فإن الذات محجوبة بالصفات، والصفات بالأفعال، والأفعال بالآثار والأكوان، فمن تجلت عليه الأفعال بارتفاع حجب الأكوان توكل، ومن تجلت عليه الصفات بارتفاع حجب الأفعال رضي وسلم، ومن تجلت عليه الذات بانكشاف حجب الصفات فهو في الوجدة فصار موحداً مطلقا انتهى.

تـا نـخـوانـى «لا» و «إلا الله» را درنـيـابـى مـنـهـج ايـن راه را
عشق آن شعله است كوچون برفروخت هرچه جز معشوق باقي حمله سوخت
تيغ «لا» در قتل غير حق براند درنكر آخر كه بعداز «لا» چه ماند
ماند «إلا الله» وباقي جمله رفت شادباش اي عشق شركت سوز ورفعت

فعلى العاقل أن يجتهد في طريق الحق بالأذكار النافعة والأعمال الصالحة إلى أن يصل إلى مقام التوحيد الحقيقي، ثم إذا وصل إليه اقتفى بأثر الأنبياء وكمل الأولياء في طريق النصح والدعوة ولم يرد إلا الإصلاح تكثيراً للاتباع المحمدية، وتقويماً لأركان العالم بالعدل ونظماً للناس في سلك الرشاد، والله ولي الإرشاد وهو المبدأ وإليه الرجوع والمعاد.

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ٨٩﴾.

﴿ويا قوم﴾ [اي كروه من] ﴿لا يجرمنكم﴾ يقال: جرم زيد ذنباً، أي: كسبه وجرمته ذنباً، أي: اكسبته إياه فهو يتعدى إلى واحد وإلى اثنين، والأول في الآية الكاف والميم. والمعنى لا يكسبنكم ﴿شقاقي﴾ فاعل لا يجرمنكم ويقال: جرمني فلان على أن صنعت كذا، أي: حملني فيقدر حرف الجر بعد أن. والمعنى لا يحملنكم بغضكم إياي على أن يصيبكم.

قال الكاشفي: [شما بران نداد ودشمني وستيزه كارى بامن كه برسد شمارا] ﴿مثل﴾ فاعل أن يصيب مضاف إلى قوله ﴿ما أصاب قوم نوح﴾ من الغرق ﴿أو قوم هود﴾ من الريح ﴿أو قوم صالح﴾ من الصيحة ﴿وما قوم لوط﴾ قال الجوهري: القوم بذكر ويؤنث ﴿منكم ببعيد﴾ يعني أنهم أهلكوا بسبب الكفر والمعاصي في عهد قريب من عهدكم فهم أقرب الهالكين منكم فإن لم تعتبروا بمن قبلهم من الأمم المعدودة فاعتبروا بهم ولا تكونوا مثلهم كيلاً يصيبكم مثل ما أصابهم.

والإشارة: إن في طبيعة الإنسان مركوزاً من صفات الشيطنة الإباء والاستكبار ومن طبعه أنه حريص على ما منع كما أن آدم عليه السلام لما منع من أكل الشجرة حرص على أكلها فلهاتين الصفتين إذا أمر بشيء أبى واستكبر، وإذا نهي عن شيء حرص على إتيانه لا سيما إذا صدر الأمر والنهي عن إنسان مثله، فإن طاعة الله هينة القبول بالنسبة إلى طاعة المخلوق لأن في الطاعة ذلة وهواناً وكسراً للنفس، وإن ما يحتمل المخلوق من خالقه أكثر مما يحتمله من مخلوق مثله ولهذا السر بعث الله الأنبياء وأمر الخلق بطاعتهم وقال: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩] فمن كان موفقاً من الله تعالى بالعناية الأزلية يأتمر بما أمر به، وينتهي عما نهى عنه ويطيع الرسل فيما جاؤوا به، أخرجته الطاعة من ظلمات صفاته المخلوقة إلى نور صفاته الخالقية ومن سبقته الشقاوة في الأزل تداركه الخذلان ووكل إلى نفسه وطبعه فلا يطيع الله ورسوله ويتمرد عن قبول الدعوة ويستكبر على الرسول ويعاديه بمعاداته ما أمره الله به فيصيبه قهر الله وعذابه ﴿مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ أي: وما معاملة قوم لوط من معاملتكم وذنوبهم من ذنوبكم ببعيد لأن الكفر كله من جنس واحد، وصفات الكفر قريب بعضها من بعض كذا في «التأويلات النجمية». قال في «المثنوي»:

پس وصيت كرد وتخم وعظ كاشت چون زمين شان شوره بدسودى نداشت
كرچه ناصح را بود صد داعيه پندرا أذنى ببايد واعيه
توبصد تلطيف وپندش ميدهى اوز پندت ميكند پهلوتهى
يك كس نا مستمع زاستيز ورد صد كس كوينده را عاجز كند
زانبينا ناصحتر وخوش لهجه تر كى بودكه رفت دمشان درحجر
زانچه كوه وسنك دركار آمدند مى نشد بدبحت را بكشاده بند
آنچنان دلها كه بدشان ما ومن نعتشان شد بل أشد قسوة

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾

﴿واستغفروا ربكم﴾ بالإيمان ﴿ثم توبوا إليه﴾ مما أنتم عليه من المعاصي وعبادة الأوثان لأن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان أو استغفروا بالإيمان، ثم ارجعوا إليه بالطاعة، أو استغفروا بالأعمال الصالحة وتوبوا بالفناء التام.

قال في «التأويلات النجمية»: واستغفروا من صفات الكفر ومعاملاته كلها وبدلوها بصفات الإسلام ومعاملاته فإنها تزكية النفوس عن الصفات الذميمة، ثم ارجعوا إليه على قدمي الشريعة والطريقة سائرين منكم إليه ليحليكم بتحلية الحقيقة، وهي الفناء عنكم والبقاء به. ﴿إن ربي رحيم﴾ عظيم الرحمة للمؤمنين والتائبين. ﴿ودود﴾ فاعل بهم من اللطف والإحسان كما يفعل البليغ المودة بمن يوده.

قال في «المفاتيح الودود»: مبالغة الوادّ ومعناه الذي يحب الخير لجميع الخلائق ويحسن إليهم في الأحوال كلها، وقيل المحب لأوليائه، وحاصله يرجع إلى إرادة مخصوصة وحظ العبد منه أن يريد للخلق ما يريد لنفسه، ويحسن إليهم حسب قدرته ووسعته، ويحب الصالحين من عباده، وأعلى من ذلك من يؤثرهم على نفسه كمن قال منهم: أريد أن أكون جسراً على النار يعبر عليه الخلق ولا يتأذون بها كما في «المقصد الأسنى» للغزالي.

قال الكاشفي في «تفسيره»: [قطب الأبرار مولانا يعقوب چرخى قدس سره در شرح أسماء الله تعالى معنى الودود درا برين وجه آورده است كه دوست دارندهٔ نيكى بهمه خلق ودوست دردلهاى بحق يعني أونيك را دوست ميداردونيكان اورا دوست ميدارند وفي الحقيقة دوستئ ايشان فرع دوستى اوست زيراكه چون بنظر تحقيق درنكر نداصل حسن واحسان كه سبب محبت مى باشد غير اورا ثابت نيست پسر خود خودرا دوست ميداردوازين باب نكتة چندد رآيت ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] بر منظر عيان جلوه نمود وللوالد الأعز زيدت حقائقه:

اين حسن توداده يوسفانرا خوبى وز عشق توكرده عاشقان يعقوبى
كرنيك نظر كند كسى غير تونيست در مرتبهٔ محبي ومحبوبي

واعلم أن الله تعالى لو لم يكن له ود لما هدى عباده، ولما فرح بتوبة عبده المؤمن كما قال ﷺ: «لله أفرح بتوبة عبد المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلة عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهب راحلته، فطلبها حتى اشتد عليه الحر والعطش قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه، فلا لله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من

هذا براحلته وزاده» فمن أضاع راحلته في برية الهوى بغلبة الغفلة فعليه الرجوع إلى مكانه الأول أعني الفطرة الأولى بالتسليم والموت الاختياري حتى يجد ما أضاعه، وفي الحديث إشارة إلى الطريق من البداية إلى النهاية أما إلى البداية فبقوله عليه السلام فاستيقظ لأن اليقظة ابتداء حال السالك وأما إلى النهاية فبقوله عليه السلام ليموت، لأن الفناء غاية السير إلى الله ثم إن قوله فاستيقظ فإذا راحلته عنده إشارة إلى البقاء بعد الفناء والرجوع إلى البشرية.

ثم اعلم أن التوبة على مراتب، أعلاها الرجوع عن جميع ما سوى الله تعالى إلى الله سبحانه، وهذا المقام يقتضي نسيان المعصية والتوبة عن التوبة فإن وقت الصفاء يقتضي نسيان الجفاء وأيضاً إذ تجلى الحق للسالك ورأى كل شيء هالكاً إلا وجهه فني الذوات كلها فما ظنك بالأعمال والله تعالى تواب يقبل التوبة إلا أن يكون العبد كذوباً ـ يحكى ـ أن مالك بن دينار مر بشابين يلهوان فوعظهما فقال أحدهما: أنا أسد من الأسود فقال مالك: سيأتيك أسد تكون عنده ثعلباً فمرض الشاب وعاده مالك فبكى الشاب وقال: قد جاء الأسد الذي صرت عنده ثعلباً فقال: ما لك تب إلى الله تعالى فإنه تواب فنودي من زاوية البيت جربناه مراراً فوجدناه كذوباً. وفي «المثنوي»:

توبه آرند وخدا توبه پذير امرا و كيرند او نعم الأمير

﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾﴾.

﴿قالوا﴾ استئناف بياني **﴿يا شعيب ما نفقه﴾** الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه أي: لا نعرف ولا نفهم **﴿كثيراً مما تقول﴾** أي: كل ما تقول من التوحيد ومن إيفاء الكيل والوزن وغير ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ [يونس: ٣٦] أي: كلهم على أحد الوجهين وذلك استهانة بكلامه واحتقاراً به كما يقول الرجل لصاحبه إذا لم يعبأ بحديثه ما ندري ما تقول، وإلا فشعيب كان يخاطبهم بلسانهم وهم يفهمون كلامه لكن لما كان دعاؤه إلى شيء خلاف ما كانوا عليه وآباؤهم قالوا ما قالوا: **﴿وإنا لنراك فينا﴾** أي: فيما بيننا **﴿ضعيفاً﴾** هو في المشهور من ليس له قوة جسمانية أي: لا قوة لك فتمتنع منا إن أردنا بك سوءاً، أو مهيناً لا عز لك وهذا لا يتعلق بالقوة الجسمانية فإن ضعيف الجسم قد يكون وافر الحرمة بين الناس وهو الظاهر لأن الكفرة كانوا يزدرون بالأنبياء وباتباعهم المؤمنين.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿ضعيفاً﴾** أي: ضعيف الرأي ناقص العقل وذلك؛ لأنه كما يرى العاقل السفيه ضعيف الرأي يرى السفيه العاقل ضعيف الرأي. **﴿ولولا رهطك﴾** ولولا حرمة قومك ومراعاة جانبهم وقالوا: ذلك كرامة لقومه؛ لأنهم كانوا على دينهم لا خوفاً منهم لأن الرهط من الثلاثة إلى السبعة أو التسعة أو العشرة وهم ألوف فكيف يخافون من رهطه **﴿لرجمناك﴾** لقتلناك برمي الحجارة وقد يوضع الرجم موضع القتل وإن لم يكن بالحجارة من حيث إنه سببه ولأن أول القتل وهو قتل قابيل هابيل لما كان بالحجارة سمي كل قتل رجماً وإن لم يكن بها.

قال عمر رضي الله عنه: تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم وتصلحوا بها أرحامكم. قالوا: ولو لم يكن في معرفة الأنساب إلا الاحتراز بها من صولة الأعداء ومنازعة الأكفاء لكان

تعلمها من أحزم الرأي وأفضل الصواب، ألا ترى إلى قول قوم شعيب ولولا رهطك لرجمناك فابقوا عليه لرهطه يقال: أبقيت على فلان إذا أرعيت عليه ورحمته ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ مكرم محترم حتى تمنعنا عزتك من رجمك بل رهطك هم الأعزة علينا لكونهم من أهل ديننا فإنما نكف عنك للمحافظة على حرمتهم، وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد، وتقديم الفاعل المعنوي لإفادة الحصر والاختصاص وإن كان الخبر صفة لا فعلاً وعلينا متعلق بعزيز وجاز لكون المعمول ظرفاً والباء مزيدة.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن من كان على الله بعزيز فإنه ليس على الجاهل بعزيز انتهى.

أقول: وذلك لأن العزة والشرف عند الجهلاء بالجاه والمال لا بالدين والكمال، وقد قال النبي عليه السلام: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم بل ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» يعني: إذا كانت لكم قلوب وأعمال صالحة تكونون مقبولين مطلقاً سواء كانت لكم صور حسنة وأموال فاخرة أم لا وإلا فلا. وفي «المثنوي»:

وقت بازى كودكان را زا اختلال مى نمايد اين خزفها زرو مال
عارفانش كيميا كر كشته اند تاكه شد كانها پريشان ونژند
باغها وقصرها وآب رود پيش چشم از عشق كلخن مى نمود

﴿قال﴾ شعيب في جوابهم ﴿يا قوم أرهطي﴾ [أيا عشيره وقوم من] وهمزة الاستفهام للإنكار والتوبيخ ﴿أعز عليكم﴾ [عزيز ترند برشما ودوسترند نزدشما] ﴿من الله﴾ كان الظاهر أن يقال: مني، إلا أنه قيل من الله، للإيذان بأن تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله تعالى وإنما أنكر عليهم أعزية رهطه منه تعالى مع أن ما أثبتوه إنما هو مطلق عزة رهطه لا أعزيتهم منه تعالى مع الاشتراك في أصل العزة لتكرير التوبيخ حيث أنكر عليهم أولاً بترجيح جنب الله تعالى وثانياً بنفي العزة بالمرة، والمعنى أرهطي أعز عليكم من الله تعالى فإنه مما لا يكاد يصح والحال أنكم لم تجعلوا له حظاً من العزة أصلاً ﴿واتخذتموه﴾ أي: الله تعالى ﴿وراءكم﴾ [از پس پشت خود] ﴿ظهرياً﴾ [همچو مرد فراموش شده] اي شيئاً منبوذاً وراء الظهر منسياً لا يبالي به أي: جعلتموه مثله بإشراككم به والإهانة برسوله فلا تبقون على الله وتبقون على رهطي، أي: فلا تحفظونني ولا ترحمونني لله وتراعون نسبة قرابتي إلى الرهط وتضيعون نسبتي إلى الله بالنبوة، فكأنكم زعمتم أن القوم أعز من الله حيث تزعمون أنكم تركتم قتلي إكراماً لرهطي والله أولى بأن يتبع أمره كأنه يقول حفظكم إياي في الله أولى منه في رهطي، والعرب تقول لكل ما لا يعبأ بأمره قد جعل فلان هذا الأمر بظهره، فالظهري: منسوب إلى الظهر والكسر لتغيير النسب كقولهم في النسبة إلى أمس أمسيّ بكسر الهمزة وإلى الدهر دهري بضم الدال. ﴿إن ربي بما تعملون﴾ من الأعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه. ﴿محيط﴾ لا يخفى عليه منها خافية وإن جعلتموه منسياً فيجازيكم عليها والإحاطة إدراك الشيء بكماله وإحاطة الله بالأعمال مجاز.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾.

﴿ويا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ مصدر من مكن مكانة فهو مكين إذا تمكن أبلغ التمكن والجار والمجرور في موقع النصب على الحال. والمعنى: اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة كل ما في وسعكم وطاقتكم من إيصال الشرور إلي، أو بمعنى المكان كمقام ومقامة فاستعيرت من العين للمعنى كما يستعار حيث للزمان وهو للمكان، والمعنى على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من الشرك والعداوة لي. ﴿إني﴾ أيضاً ﴿عامل﴾ على مكانتي فحذف للاختصار أي: عامل بقدر ما آتاني الله من القدرة وعلى حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد فكأنهم قالوا: ماذا يكون إذا عملنا على قوتنا فقال: ﴿سوف تعلمون من﴾ استفهام أي أينا، أو موصولة، أي: تعرفون الذي ﴿يأتيه عذاب يخزيه﴾ يذله ويهينه ﴿ومن هو كاذب﴾ عطف على من يأتيه لما أوعده وكذبوه أراد أن يدفع ذلك عن نفسه ويلحقه بهم فسلك سبيل إرخاء العنان لهم وقال: ﴿سوف تعلمون﴾ من المعذب والكاذب مني ومنكم وأينا الجاني على نفسه والمخطىء في فعله يريد أن المعذب والكاذب أنتم لا أنا ﴿وارتقبوا﴾ أي: انتظروا مآل ما أقول لكم سيظهر صدقه ﴿إني معكم رقيب﴾ منتظر فعيل بمعنى الراقب، وكان شعيب عليه السلام يسمى خطيب الأنبياء لحسن محاورته مع قومه وكمال اقتداره في مراجعته جوابهم، وكان كثير البكاء حتى عمي ثم رد الله عليه ـ عليه السلام ـ بصره فأوحى إليه يا شعيب ما هذا البكاء أشوقاً إلى الجنة أم خوفاً من النار؟ فقال: إلهي وسيدي إنك تعلم إني ما أبكي شوقاً إلى الجنة، ولا خوفاً من النار ولكن اعتقدت حبك بقلبي فإذا نظرت إليك فما أبالي ما الذي تصنع بي فأوحى الله تعالى يا شعيب إن يكون ذلك حقاً فهنيئاً لك لقائي يا شعيب، لذلك أخدمتك موسى بن عمران كليمي. قال المولى الجامي:

زهاد خلد خواهد واوباش عيش نقد ما خود بدولت غمت ازهر دورسته ايم

وهذه حال المقربين فإنهم جعلوا الله تعالى بين أعينهم، وجعلوا الخلق وراء ظهورهم خلاف ما عليه أهل الغفلة، فلم يلتفتوا إلى شيء من الكونين حباً لله تعالى وقصراً للنظر عليه وهم العبيد الأحرار، والناس في حقهم على طبقات، فأما أهل الشقاء فلم يعرفوهم من هم ولم يروهم أصلاً لانطماس بصيرتهم وعدم استعدادهم لهذا الانكشاف، ألا ترى إلى قوم شعيب كيف حجبهم كونه أعمى في الصورة عن رؤية جمال نبوته وظنوا أن لهم أبصاراً ولا بصر له، ولذا عدوه ضعيفاً ولم يعرفوا أنهم عمي في الحقيقة وأن أبصارهم الظاهرة لا تستجلب لهم شرفاً وأن الحق مع أهل الحق سواء ساعده الأسباب الصورية والآلات الظاهرة أولا، فإن الناس مشتركون فيما يجري على ظواهرهم من أنواع الابتلاء مفترقون فيما يرد على بواطنهم من أصناف النعماء، والله تعالى أرسل الأنبياء عليهم السلام إلى الناس الغافلين ليفتحوا عيون بواطنهم من نوم الغفلة، ويدعوهم إلى الله تعالى ووصاله ولقاء جماله، فمن كان له منهم استعداد لهذا الانفتاح رضي بالتربية والإرشاد وقام في طريق الحق بالسعي والاجتهاد، ومن لم يكن له منهم ذلك أبى واستكبر عن أخذ التلقين وامتنع عن الوصول إلى حد اليقين، فبقي في الظلمات كالأعمى لا يدري أين يذهب فيا أيها الإخوان ارجعوا إلى ربكم مع القوافل الروحانية فعن قريب ينقطع الطريق ولا يوجد الرفيق، ونعم ما قال من قال:

خيز دلامست شواز مى قدسي ازانك ما نه درين تيره جام بهر نشست آمديم

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿ولما جاء أمرنا﴾ الذي قدرناه في الأزل من العذاب والهلاك لقوم شعيب فالأمر واحد الأمور ﴿نجينا شعيباً﴾ قدم تنجيته إيذاناً بسبق الرحمة التي هي مقتضى الربوبية على الغضب الذي يظهر أثره بموجب الجرائم ﴿والذين آمنوا معه﴾ أي: ونجينا الذي اتبعوا شعيباً في الإيمان وآمنوا كما آمن هو ﴿برحمة﴾ أزلية صدرت ﴿منا﴾ في حقهم ومجرد فضل لا بسبب أعمالهم كما هو مذهب أهل السنة، وقال بعضهم: هي الإيمان الذي وفقناهم له.

يقول الفقير: وجه هذا القول أن العذاب والهلاك الذي هو من باب العدل قد أضيف إلى الكفر والظلم فاقتضى أن يضاف الخلاص، والنجاة الذي هو من باب الفضل إلى الإيمان ولما كان الإيمان، والعمل الصالح أمراً موقوفاً على التوفيق كان مجرد فضل ورحمة فافهم ﴿وأخذت الذين ظلموا﴾ أنفسهم بالإباء والاستكبار عن قبول دعوة شعيب ﴿الصيحة﴾ فاعل أخذت والمراد صيحة جبرائيل عليه السلام بقوله موتوا جميعاً. وفي سورة الأعراف ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: ٧٨] أي: الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضي إليها.

عن ابن عباس رضي الله عنهما «لم يعذب الله أمتين بعذاب واحد إلا قوم شعيب وصالح» وذلك إنه أصابهم حر شديد فخرجوا إلى غيضة لهم فدخلوا فيها فظهرت لهم سحابة كهيئة الظلة فأحدقت بالأشجار وأخذت فيها النار وصاح بهم جبريل ورجفت بهم الأرض فماتوا كلهم واحترقوا فذلك قوله تعالى: ﴿فأصبحوا﴾ أي: صاروا ﴿في ديارهم﴾ بلادهم أو مساكنهم ﴿جاثمين﴾ ميتين لازمين لأماكنهم لإبراح لهم منها. أي: لا زوال.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾.

﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ أي: لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين. ﴿ألا بعداً لمدين﴾ أي: هلاكاً لأهل مدين.

واعلم أن بعداً وسحقاً ونحوهما مصادر قد وضعت مواضع أفعالها التي لا يستعمل إظهارها. ومعنى بعداً بعدوا، أي: هلكوا. وقوله لمدين بيان لمن نبه عليه بالبعد نحو هيت لك.

قال الكاشفي: [بدانيدكه هلاكيست قوم مدين را ودوري از رحمت من] ﴿كما بعدت ثمود﴾ أي: هلكت، شبه هلاكهم بهلاكهم لأنهما أهلكتا بنوع من العذاب وهو الصيحة كما مر آنفاً. والجمهور على كسر العين من بعدت على أنها من بعد يبعد بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع بمعنى هلك يهلك، أرادت العرب أن تفرق بين البعد بمعنى الهلاك وبين البعد الذي هو ضد القرب ففرقوا بينهما بتغيير البناء فقالوا: بعد بالضم في ضد القرب وبعد بالكسر في ضد السلامة والبعد بالضم والسكون مصدر لهما والبعد بفتحتين إنما يستعمل في مصدر مكسور العين.

وفي الآية إشارة إلى أن الكفرة وأهل الهوى أفسدوا الاستعداد الروحاني الفطري في طلب الدنيا واستيفاء شهواتها، والاستكبار عن قبول الحق والهدى، وأدى تمردهم عن الحق

وتماديهم في الباطل إلى الهلاك صورة ومعنى، أما صورة فظاهر، وأما معنى فلأنهم أبعدوا عن جوار الله وطيب العيش معه إلى أسفل سافلين القطيعة فبقوا في نار الفرقة لا يحيون ولا يموتون وما انتفعوا بحياتهم فصاروا كالأموات وكما أن الصيحة من جبرائيل أهلكتهم فكذا النفخة من شعيب أحيت المؤمنين لأن أنفاس الأنبياء والأولياء كنفخ إسرافيل في الأحياء إذا كان المحل صالحاً لطرح الروح فيه كجسد الأكسير. قال في «المثنوي»:

سازد إسرافيل روزي ناله را جان دهد پوسيدهٔ صد ساله را
هين كه اسرافيل وقتند اوليا مرده را زيشان حياتست ونما
جان هريك مردهٔ ازكور تن برجهد ز آواز شان اندر كفن
سركشى از بندكان ذو الجلال وانكه دارند از وجود تو ملال
كهربا دارند چون پيدا كنند كاه هستىٔ ترا شيدا كنند
كهرباي خويش چون پنهان كنند زود تسليم ترا طغيان كنند

قد سبق أن قوم شعيب عدوه ضعيفاً فيما بينهم وما عرفوا أن الله القوي معه.

كرتو پيلى خصم تو از تو رميد نك جزا طيرا ابابيلت رسيد
كر ضعيفي درزمين خواهد امان غلغل افتد در سپاه آسمان
كر بدندانش كزى پرخون كنى درد دندانت بكيرد چون كنى
هر پيمبر فرد آمد درجهان فرد بود وصدجهانش درنهان
ابلهان كفتند مردى بيش نيست واي آن كوعاقبت انديش تيست

فعلى الصالحين أن يعتبروا بأحوال الصالحين فإنهم قد أخذوا الدنيا وآثروها على الآخرة ثم سلبهم الله أموالهم وديارهم كأن لم ينتفعوا بشيء ولم يقيموا في دار.

وعن جابر بن عبد الله أنه قال: شهدت مجلساً من مجالس رسول الله ﷺ إذ أتاه رجل أبيض الوجه حسن الشعر واللون عليه ثياب بيض، فقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال عليه السلام: «عليك السلام» فقال يا رسول الله: ما الدنيا؟ قال: «هي حلم المنام وأهلها مجازون ومعاقبون» قال يا رسول الله: وما الآخرة؟ قال: «عيش الأبد فريق في الجنة وفريق في السعير» فقال يا رسول الله: فما الجنة؟ قال: «بذل الدنيا لطالبها نعيمها لأهلها أبداً» قال: فما جهنم؟ قال: «بذل الآخرة لطالبها لا يفارقها أهلها أبداً» قال: فما خير هذه الأمة؟ قال: «الذي يعمل بطاعة الله» قال: فكيف يكون الرجل فيها؟ قال: «مشمراً كطالب القافلة» قال: فكم القرار بها؟ قال: «كقدر المتخلف عن القافلة» قال: فكم ما بين الدنيا والآخرة؟ قال: «غمضة عين» قال: فذهب الرجل فلم يُر فقال رسول الله ﷺ: «هذا جبريل أتاكم ليزهدكم في الدنيا ويرغبكم في الآخرة» كذا في «تنبيه الغافلين». قال السعدي قدس سره:

يكى بر سركور كل ميسرشت كه حاصل كندزان كل كورخشت
بانديشه لختى فرو رفت پير كه اي نفس كوته نظر پند كير
چه بندى درين خشت زرين دلت كه يك روز خشتى كند ازكلت
تو غافل در انديشهٔ سود ومال كه سرمايهٔ عمر شد پايمال
دل اندر دلارام دنيا مبند كه ننشست باكس كه دل برنكند
بر مرد هشيار دنيا خسست كه هر مدتي جاي ديكر كسست

﴿ولقد أرسلنا﴾ أي: وبالله لقد أرسلنا ﴿موسى﴾ حال كونه ملتبساً ﴿بآياتنا﴾ التسع التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الأموال والأنفس. ﴿وسلطان﴾ برهان ﴿مبين﴾ واضح هو من قبيل عطف الصفة مع اتحاد الموصوف أي: ولقد أرسلنا موسى بالجامع بين كونه آياتنا وبين كونه سلطاناً له على صدق نبوته واضحاً في نفسه أو موضحاً إياها فإن أبان جاء لازماً ومتعدياً كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [هود: ١١٠] أي: التوراة الجامعة بين كونها كتاباً وحجة تفرق بين الحق والباطل ويجوز أن يراد بسلطان مبين الغلبة والاستيلاء كقوله تعالى: ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾ [القصص: ٣٥].

﴿إلى فرعون وملئه﴾ أي: أشراف قومه ورؤسائه، وتخصيص ملئه بالذكر مع عموم رسالته لقومه كافة لأصالتهم في الرأي وتدابير الأمور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور. ﴿فاتبعوا أمر فرعون﴾ أي: أمره بالكفر بما جاء به موسى من البينات وأطاعوا قوله حين قال لهم: ما علمت لكم من إله غيري، وخالفوا أمر موسى بالتوحيد وقبول الحق، وإنما لم يصرح بكفر فرعون بآيات الله للإيذان بوضوح حاله فكان كفره وأمر ملئه بذلك محقق الوجود غير محتاج إلى الذكر صريحاً، وإنما المحتاج إلى ذلك شأن ملئه المترددين بين هاد إلى الحق وداع إلى الضلال، وإيراد الفاء للإشعار بمسارعتهم إلى الاتباع فكأنه لم يتراخ من الإرسال والتبليغ بل وقعا في وقت واحد. ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾.

قال الكاشفي: [نبوه كار فرعون برنهج رشد وصواب] وقال غيره: الرشد مستعمل في كل ما يحمده ويرتضي كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط فهو ضد الغي والرشيد بمعنى المرشد والإسناد مجازي، والمعنى وما هو مرشد إلى خير وهو عي محض وضلال صريح وإنما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه تجهيل لمتبعيه.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾.

﴿يقدم﴾ في «الصحاح» قدم بالفتح يقدم قدماً أي: تقدم وهو استئناف لبيان حاله في الآخرة ﴿قومه﴾ جميعاً من الأشراف وغيرهم ﴿يوم القيامة﴾ أي: يتقدمهم يوم الآخرة إلى النار وهم خلفه ويقودهم إلى النار كما كانوا يتبعونه في الدنيا ويقودهم إلى الضلال. ﴿فأوردهم النار﴾ أي: يوردهم ويدخلهم فيها. وإيثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة لأن الماضي متيقن الوجود.

واعلم أن الورود عبارة عن المجيء إلى الماء والإيراد إحضار الغير والمورد الماء فشبه فرعون بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء واتباعه بالواردة والنار بالماء الذي يردونه ثم قيل ﴿وبئس الورد المورود﴾ أي: بئس المورد الذي يردونه النار؛ لأن الورد إنما يورد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار على ضد ذلك.

﴿وأُتبعوا﴾ أي: الملأ الذين اتبعوا أمر فرعون. ﴿في هذه﴾ أي: في الدنيا ﴿لعنة﴾ لعنة عظيمة حيث لعنهم من بعدهم من الأمم. ﴿ويوم القيامة﴾ أي: حيث يلعنهم أهل الموقف قاطبة فهي تابعة لهم حيثما ساروا دائرة معهم أينما داروا فكما اتبعوا أمر فرعون اتبعتهم اللعنة في الدارين جزاء وفاقاً أو يلعنون ويطردون من رحمة الله تعالى في الدنيا بالغرق والآخرة بما

فيها من عذاب، فإن كل معذب ملعون مطرود من الرحمة كما أن كل مخذول محروم من التوفيق والعناية كذلك واكتفى ببيان حالهم الفظيع عن بيان حال فرعون؛ إذ حين كان حالهم هكذا فما ظنك بحال من أغواهم والقاهم في هذا الضلال البعيد وحيث كان شأن الاتباع أن تكون أعواناً للمتبوع جعلت اللعنة رفداً لهم على طريقة التهكم فقيل ﴿**بئس الرفد المرفود**﴾ الرفد قد جاء بمعنى العون وبمعنى العطية والملائم هنا هو الأول.

قال الزجاج: كل شيء جعلته عوناً لشيء وأسندت به شيئاً فقد رفدته، والمعنى بئس العون المعان رفدهم وهي اللعنة في الدارين وذلك أن اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة، وفي الآية بيان شقاء فرعون وإنه لم ينفعه إيمانه حين الغرق ولو نفعه لما كان قائد قومه إلى النار.

وفي «الفتوحات» في الباب الثاني والستين: المجرمون أربع طوائف كلها في النار لا يخرجون منها: وهم المتكبرون على الله تعالى، كفرعون وأمثاله ممن ادعى الربوبية لنفسه ونفاها عن الله تعالى فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨] وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤] يريد أنه ليس في السماء إله غيري وكذلك نمرود وغيره.

وقال في «الفتوحات»: في موضع آخر هو معتقدي وغير هذا قلت على سبيل البحث والاستكشاف انتهى.

وعلى هذا يحمل ما في «فصوص الحكم» من كونه مقبوضاً على الطهارة فتدبر وأمسك لسانك عن الشيخ فإن لكلمات الكبار محامل كثيرة، والقرآن لا ينقضي عجائبه وهي بكر بالنسبة إلى أرباب الرسوم، هدانا الله وإياكم إلى حقيقة العلم والعمل وأرشدنا وإياكم إلى طريقة الكمل.

وفي الآية أيضاً ذم لاتباع أهل الهوى وصحبة أهل الفسق فإن العرق دساس والطبع جذاب والمقارنة مؤثرة والأمراض سارية.

اي فغان ازيارنا جنس اي فغان ... همنشين نيك جوئيد اي مهان

وفي الحديث: «لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم، فمن ساكنهم أو جامعهم فهو منهم وليس منا» أي: لا تسكنوا مع المشركين في المسكن الواحد ولا تجتمعوا معهم في المجلس الواحد حتى لا يسري إليكم أخلاقهم الخبيثة وسيرهم القبيحة بحكم المقارنة، فقوم فرعون لما اتبعوا فرعون أوردهم النار ولو اتبعوا موسى لأوردهم الجنة. وفي «المثنوي»:

اي خنك آن مرده كز خو درسته شد ... در وجود زندهٔ پيوسته شد
سيل چون آمد بدريا بحر كشت ... دانه چون آمد بمزرع كشت كشت
چون تعلق يافت نان بأبو البشر ... نان مرده زنده كشت وباخبر
موم وهيزم چون فداي نارشد ... ذات ظلمانئ أو أنوار شد
سنك سرمه چونكه شد در ديدكان ... كشت بينائي شد آنجا ديده بان
واي آن زنده كه بامرده نشست ... مرده كشت وزندكى ازوى بجست

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ

﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ﴿١٠١﴾﴾.

﴿ذلك﴾ أي الخبر السابق يا محمد﴿من أنباء القرى﴾ بعض أنباء القرى المهلكة بما جنت أيدي أهلها﴿نقصه عليك﴾ خبر بعد خبر، أي مقصوص عليك ليكون فيه دلائل نبوتك.
﴿منها﴾ أي من تلك القرى﴿قائم﴾ باقٍ أثره وجدرانه كالزرع القائم على ساقه مثل ديار عاد وثمود﴿وحصيد﴾ مبتدأ حذف خبره، أي: ومنها عافي الأثر كالزرع المحصود مثل بلاد قوم نوح ولوط.

وقال الكاشفي: [قائم باقيست وآبادان وحصيد مفقوداست يا خراب].

وفي «التأويلات النجمية» من الأجساد ما هو قائم قابل لتدارك ما فات عنها وإصلاح ما أفسد النفس منها ومنها ما هو محصود بمحصد الموت مأيوس من التدارك.

﴿وما ظلمناهم﴾ بإهلاكنا إياهم والضمير إلى الأهل المحذوف المضاف إلى القرى.
﴿ولكن ظلموا أنفسهم﴾ بارتكاب ما يوجب الهلاك من الشرك وغيره فإنهم أكلوا رزق الله وعبدوا غيره وكذبوا رسله. وفيه إشارة إلى أنه تعالى أعطاهم استعداداً روحانياً وآلة لتحصيل كمالات لا يدركها الملائكة المقربون، فاستعملوا تلك الآلة على وفق الطبيعة لا على حكم الشريعة فعبدوا طاغوت الهوى ووثن الدنيا وأصنام شهواتها فجاءهم الهلاك من أيدي الأسماء الجلالية. ﴿فما أغنت عنهم﴾ ما نافية، أي فما نفعتهم ولا قدرت أن ترد بأس الله عنهم.
﴿آلهتهم التي يدعون﴾ أي: يعبدون وهي حكاية حال ماضية وإنما أريد بالدعاء العبادة لأنه منها ومن وسائطها ومنه قوله عليه السلام: «الدعاء هو العبادة». ﴿من دون الله﴾ أي: حال كونهم متجاوزين عبادة الله. ﴿من شيء﴾ في موضع المصدر أي شيئاً من الأغناء وهو القليل منه.
﴿لما جاء أمر ربك﴾ منصوب باغنت أي: حين مجيء عذابه ونقمته وهي المكافأة بالعقوبة.
﴿وما زادوهم﴾ الضمير المرفوع للأصنام والمنصوب لعبدتها وعبر عن الأصنام بواو العقلاء لأنهم نزلوها منزلة العقلاء في عبادتهم إياها واعتقادهم أنها تنفع﴿غير تتبيب﴾ من تب إذا هلك وخسر، وتبه غيره إذا أهلكه وأوقعه في الخسران، أي غير إهلاك وتخسير فإنهم إنما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم لها وكانوا يعتقدون في الأصنام جلب المنافع ودفع المضار فزال عنهم بسبب ذلك الاعتقاد منافع الدنيا والآخرة وجلب ذلك إليهم مضار الدنيا والآخرة وذلك من أعظم الهلاك وأشد الخسران.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴿١٠٣﴾﴾.

﴿وكذلك﴾ الكاف في محل الرفع على أنها خبر مقدم للمصدر المذكور بعده أي مثل ذلك الأخذ الذي مر بيانه. ﴿أخذ ربك إذا أخذ القرى﴾ أي أهلها وإنما أسند إليها للاشعار بسريان أثره إليها. ﴿وهي ظالمة﴾ حال من القرى وهي في الحقيقة لأهلها لكنها لما أقيمت مقامهم في الأخذ أجريت الحال عليها، وفائدتها الاشعار بأنهم أخذوا بظلمهم وكفرهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم. ﴿إن أخذه أليم شديد﴾ أي: عقوبة مؤلمة شديدة صعبة على المأخوذ والمعاقب لا يرجى منها الخلاص.

وعن أبي موسى رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ ﴿وكذلك أخذ ربك﴾» الآية.

كسى كر صرصر ظلمش دمادم چراغ عيش مظلومات بميرد
نميترسد ازان كايزد تعالى اكرچه دير كيرد سخت كيرد

والله تعالى لا يجير الظالم ولكن يمهله ويكله إلى نفسه فمن أمارية نفسه يظلم على نفسه وعلى نفس غيره فيؤاخذه الله تعالى بظلمه عدلاً منه، ولكنه إذا نظر بفضله ورحمته إلى عبد بنظر العناية يزيل بنور العناية ظلمات أمارية نفسه فتصير نفسه مأمورة لأمر الشريعة فلا يعمل إلا للنجاة من عذاب الآخرة ونيل الدرجات والقربات فعلى كل من أذنب أن يحذر أخذ ربه فيبادر إلى التوبة ويترك التسويف فإنه ورد: «هلك المسوفون».

قبول توبه بر رب كريمست فعجل إن في التأخير آفات

﴿إن في ذلك﴾ أي فيما نزل بالأمم الهالكة بذنوبهم أو فيما قصه الله من قصصهم ﴿لآية﴾ لعبرة بينة وموعظة بالغة ﴿لمن خاف عذاب الآخرة﴾ أي أقر به وآمن لأنه يعتبر به حيث يستدل بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على أحوال عذاب الآخرة وأما من أنكر الآخرة وأحال فناء العالم، ولم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لأسباب فلكية اتفقت في تلك الأيام لا لذنوب المهلكين فهو بمعزل من هذا الاعتبار تباً لهم، ولما لهم من الأفكار. قال الحافظ:

سير سپهر ودور قمر راچه اختيار در كردشند بر حسب اختيار دوست

﴿ذلك﴾ إشارة إلى يوم القيامة المدلول عليه بذكر الآخرة. ﴿يوم مجموع له الناس﴾ أي: يجمع له الأولون والآخرون للمحاسبة والجزاء واستعمال اسم المفعول حقيقة فيما تحقق فيه وقوع الوصف وقد استعمل ههنا فيما لم يتحقق مجازاً تنبيهاً على تحقق وقوعه. ﴿وذلك﴾ أي: يوم القيامة مع ملاحظة عنوان جمع الناس له ﴿يوم مشهود﴾ أي مشهود فيه حيث يشهد فيه أهل السموات والأرضين للموقف لا يغيب عنه أحد فالمشهود هو الموقف والشاهدون أي الحاضرون الخلائق والمشهود فيه اليوم فاتسع فيه إجراء للظرف مجرى المفعول به، واليوم كما يصح أن يوصف بأنه مشهود فيه بمعنى يشهد فيه الخلائق من كل ناحية لأمر له شأن أو لخطب يهمهم كيوم الجمعة والعيد وعرفة وأيام الحروب وقدوم السلطان، كذلك يصح أن يوصف بأنه مشهود أي مدرك كما تقول أدركت يوم فلان فأريد في هذا المقام اليوم المشهود فيه لما فيه من تهويل ذلك اليوم لا اليوم المشهود لأن سائر الأيام كذلك.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعۡدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾.

﴿وما نؤخره﴾ أي وما نؤخر أحداً في ذلك اليوم الملحوظ بعنواني الجمع والشهود ﴿إلا لأجل معدود﴾ إلا لانقضاء مدة قليلة بحذف المضاف.

قال الكاشفي: [مكر از براى كذشتن مدتي شمرده يعني تاوقت وي در نرسد قائم نكردد] حسما يقتضيه الحكمة، وفي الآيات تهديد وتخويف من الله وحث على تصحيح الحال وتصفية البال وتزكية الأعمال ومحاسبة النفوس قبل بلوغ الآجال، فإن العبد لا يحصد إلا ما يزرع ولا

يشرب إلا بالكأس التي يسقى، وفي الحديث القدسي «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظلموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وإني أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وجنكم وأنسكم كانوا على قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وجنكم وأنسكم قاموا في صعيد واحد فسألني كل واحد منكم مسألة وأعطيته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر غمسة واحدة، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم وأوفيكم إياها يوم القيامة، فمن وجد خيراً فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» فعلى العاقل أن يتدارك ما فات ولا يضيع الأوقات. قال المولى الجامي قدس سره:

هردم از عمر كرامي هست كنج بي بدل   ميرود كنج چنين هر لحضه باد آخ آخ

وقد خسر من فات عنه نفس في طلب غير الله فكيف يكون حال من أضاع أنفاسه في هواه.

﴿يوم يأت﴾ أي: حين يأتي ذلك اليوم المؤخر بانقضاء له وهو يوم القيامة فلا يلزم أن يكون للزمان زمان، وذلك لأن الحين مشتمل على ذلك اليوم وغيره من الأوقات ولا محذور في كون الزمان جزءاً من زمان آخر ألا ترى أن الساعة جزء من اليوم واليوم من الأسبوع والأسبوع من الشهر وعلى هذا؛ ويأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة كما قالوا لا أدر ولا أبال وهو كثير في لغة هذيل ـ روي ـ عن عثمان رضي الله عنه أنه عرض عليه المصحف فوجد فيه حروفاً من اللحن فقال لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل ما وجد فيه هذه الحروف فكأنه مدح هذيلاً بالفصاحة والناصب للظرف قوله: ﴿لا تكلم نفس﴾ لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة ﴿إلا بإذنه﴾ أي بإذن الله تعالى كقوله تعالى: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨] وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ويوم القيامة يوم مقداره ألف سنة من سني الدنيا ففيه مواقف وأزمنة وأحوال مختلفة يتكلمون في بعضها ويتساءلون كما قال: ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١] في بعضها لشدة الهول والفزع وظهور سطوة آثار القهر أو لعدم الإذن لهم في الكلام كما قال: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٥-٣٦] ويختم في بعضها على أفواههم وتتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: «تمكثون ألف عام في الظلمة لا تتكلمون». قال السعدي قدس سره:

[اكر تيغ قهر بركشد ولى وبني سردر كشد وكر غمزه لطف بجنباند بدانرا بنيكان رساند]

كر بمحشر خطاب قهر بود   انبيارا چه جاى معذرتست

پرده از لطف كو بردار   كاشقيارا اميد مغفرتست

﴿فمنهم﴾ أي: من الناس المذكور في قوله مجموع له الناس أو من أهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس ﴿شقي﴾ وجبت له النار بموجب الوعيد ﴿وسعيد﴾ أي:

ومنهم سعيد وجبت له الجنة بمقتضى الوعد. وتقديم الشقي على السعيد؛ لأن المقام مقام التحذير والإنذار.

قال في «التبيان» علامة الشقاوة خمسة أشياء، قساوة القلب، وجمود العين، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل، وقلة الحياء، وعلامة السعادة خمسة، أشياء لين القلب، وكثرة البكاء، والزهد في الدنيا، وقصر الأمل، وكثرة الحياء.

وفي «التأويلات النجمية:» ﴿شقي﴾ محكوم عليه بالشقاوة في الأزل ﴿وسعيد﴾ محكوم عليه بالسعادة في الأزل. وعلامة الشقاء الإعراض عن الحق وطلبه، والإصرار على المعاصي من غير ندم عليها، والحرص على الدنيا حلالها وحرامها، واتباع الهوى والتقليد والبدعة، وعلامة السعادة الإقبال على الله وطلبه، والاستغفار من المعاصي والتوبة إلى الله، والقناعة باليسير من الدنيا وطلب الحلال منها، واتباع السنة واجتناب البدعة ومخالفة الهوى انتهى [شيخ أبو سعيد خراز قدس سره فرموده كه حق سبحانه وتعالى درين سوره دوكار عظيم بيان فرموده يكى سياست جباري وسطوت قهاري كه دمار از روز كار كفار بر آورده ديكر حكم أزلي كه بشقاوت وسعادت خلق شرف نفاذ يافته وحضرت رسالت از هيبت آن خبر وسطوت اين حكم فرموده كه «شيبتني سورة هود»].

آن يكى را ازازل لوح سعادت بركنار وين يكى را تا ابد داغ شقاوت برجبين

عدل او ميراندراين را سوى أصحاب شمال فضل او ميخواند آنرانزد أصحاب يمين

قال ابن الشيخ في «حواشيه» قوله تعالى: ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ ظاهره يدل على أن أهل الموقف لا يخرجون عن هذين القسمين اللذين. أحدهما مخلد في النار أبداً إلا ما شاء ربك. وثانيهما مخلد في الجنة أبداً إلا ما شاء ربك؛ فيلزم أن يكون أطفال المشركين والمجانين الذين لم يعلموا صالحاً غير خارجين عنهما، فإن قلت: إنهم من أهل الجنة فبلا إيمان، وإن قلت إنهم من أهل النار فبلا ذنب، فاعلم أن أمرهم فيما يتعلق بالأمور الدنيوية تبع لأشرف الأبوين وفيما يتعلق بأمر الآخرة من الثواب والعقاب معلوم مما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه إنه قال سئل رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال عليه السلام: «الله أعلم بما كانوا عاملين من الكفر والإيمان إن عاشوا وبلغوا» وتحقيق هذا المقام؛ أن الله تعالى يحشر يوم القيامة أصحاب الفترات والأطفال الصغار والمجانين في صعيد واحد لإقامة العدل والمؤاخذة بالجريمة والثواب للعمل في أصحاب الجنة، فإذا حشروا في صعيد واحد بمعزل عن الناس بعث فيهم نبي من أفضلهم وتمثل لهم نار يأتي بها هذا النبي المبعوث في ذلك اليوم فيقول لهم أنا رسول الله إليكم فيقع عند بعضهم التصديق به ويقع التكذيب عند بعضهم ويقول لهم: اقتحموا هذه النار لأنفسكم، فمن أطاعني نجا ومن عصاني وخالف أمري هلك وكان من أهل النار فمن امتثل أمره منهم ورمى بنفسه فيها سعد ونال ثواب العمل ووجد تلك النار برداً وسلاماً، ومن عصاه استحق العقوبة ودخل النار ونزل فيها بعمله المخالف ليقوم العدل من الله تعالى في عباده هكذا ورد في صحيح الأخبار.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾.

﴿فأما الذين شقوا﴾ أي سبقت لهم الشقاوة وقضي لهم بالنار ﴿ففي النار﴾ أي مستقرون في جهنم كأن سائلاً قال ما شأنهم فيها فقيل ﴿لهم فيها زفير وشهيق﴾ الزفير إخراج النفس بقوة وشدة والشهيق رده واستعمالهما في أول ما ينهق الحمار وآخر ما يفرغ من نهيقه، وفيه استعارة تصريحية فإن المراد تشبيه صراخهم بأصوات الحمير، فكما أن الحمير لها أصوات منكرة كذلك لهم أصوات منكرة في جهنم كما يشاهد ذلك في أهل الابتلاء في الدنيا لا سيما عند الصلب أو الخنق أو ضرب العنق أو قطع اليد أو نحوها، فإن لبعض المجرمين حينئذٍ خواراً كخوار البقر يتغير صوته كما يتغير لونه وحال الآخرة أشد من حال الدنيا ألف مرة.

﴿خالدين فيها﴾ مقيمين دائمين فيها حال مقدرة من ضمير الاستقرار في الظرف وهو قوله في النار هذا إن أريد حدوث كونهم في النار.

وقال بعضهم: لا حاجة هنا إلى جعل الحال مقدرة كما في قوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] لأن الخلود بعد الدخول وهي ههنا حال من استقر فيها فلا حاجة إلى التقدير ﴿ما دامت السموات والأرض﴾ ما مصدرية والمصدر المؤول قائم مقام الظرف. والمعنى مدة دوامهما وهو عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع على عادة العرب وذلك أنهم إذا وصفوا شيئاً بالأبد والخلود قالوا ما دامت السموات والأرض، لأنهما باقيتان أبد الآباد على زعمهم فمثلوا ما قصد تأبيده بهما في عدم الزوال فورد القرآن على هذا المنهاج، وإن أريد تعليق قرارهم فيها بدوام السموات والأرض فالمراد سموات الآخرة وأرضها، وهي دائمة مخلدة ويدل عليه قوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وقوله: ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤] وإن أهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل، إما اسماء يخلقها الله فتظلهم أو يظلهم العرش وكل ما علاك فأظلك فهو سماء وكل ما استقرت عليه قدمك فهو أرض ولا فساد في التشبيه بما لا يعرف أكثر الخلق وجوده ولا مانع، ونظيره تشبيه الشيء بالكيمياء أو بمدينة ارم وغير ذلك [حضرت شيخ قدس سره درفتوحات آورده كه دوام آسمان وزمين از حيثيت جوهر ايشان مرادست نه از حيثيت صورت ايشان] وقال أهل التأويل سموات الأرواح والقلوب وأرض النفوس والبشرية ﴿إلا ما شاء ربك﴾ استثناء من الخلود في النار لأن بعض أهل النار وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لأن زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض ويجوز اجتماع الشقاوة والسعادة في شخص واحد باعتبارين كما قال في «التأويلات النجمية»: ﴿إلا ما شاء ربك﴾ من الأشقياء وذلك لأن أهل الشقاوة على ضربين شقي وأشقى فيكون من أهل التوحيد شقي بالمعاصي سعيد بالتوحيد فالمعاصي تدخله النار والتوحيد يخرجه منها ويكون من أهل الكفر والبدعة أشقى يصليه كفره وتكذيبه النار فيبقى خالداً مخلداً انتهى.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه «ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد بعد ما يلبثون فيها أحقاباً».

وعن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص مثله ومعناه عند أهل السنة أن لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان فتبقى طبقتهم خالية وأما مواضع الكفار فممتلئة أبداً. قال الحافظ:

دلا طمع مبر از لطف بي عنايت دوست   كه ميرسد همه را لطف بي نهايت او

وفي هذا البيت إشارة إلى سر خفي لا يدركه إلا أهل الإلهام.

قال بعض الكبار: الترقي والتدلي إنما يجري في هذا العالم وأما في الآخرة فلا ترقي فيها.

فإن قلت فقد ترقى العاصي إلى مرتبة الجنة بعد الخروج من النار.

قلت: ذلك الترقي كان في الدنيا بسبب الإيمان غير أن ظهوره كان في الآخرة فعذب أوّلاً ثم دخل الجنة. ﴿**إن ربك فعال لما يريد**﴾ من تخليد البعض كالكفار وإخراج البعض كالفساق من غير اعتراض عليه. وإنما قيل فعال لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة.

وقال المولى أبو السعود: ﴿**إلا ما شاء ربك**﴾ استثناء من الخلود على طريقة قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦] وقوله: ﴿مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢] وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] غير أن استحالة الأمور المذكورة معلومة بحكم العقل واستحالة تعلق المشيئة بعدم الخلود معلومة بحكم النقل، يعني أنهم مستقرون في النار في جميع الأزمنة إلا في زمان مشيئة الله تعالى لعدم قرارهم فيها وإذ لا إمكان لتلك المشيئة ولا لزمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود، فلا إمكان لانتهاء مدة قرارهم فيها ولدفع ما عسى يتوهم من كون استحالة تعلق المشيئة بطريق الوجوب على الله تعالى قال: ﴿**إن ربك فعال لما يريد**﴾ يعني أنه في تخليد الأشقياء في النار بحيث يستحيل وقوع خلافه فعال بموجب إرادته قاض بمقتضى مشيئته الجارية على سنن حكمته الداعية إلى ترتب الأجزئة على أفعال العباد، ولك أن تقول: إنهم ليسوا بمخلدين في العذاب الجسماني بل لهم من العقوبات والآلام الروحانية ما لا يعلمه إلا الله تعالى وهذه العقوبات، وإن كانت تعتريهم وهم في النار لكنهم ينسون بها عذاب النار ولا يحسون بها ألا ترى أن من دهمه الغم المفرط وأدهشه خطب جليل، فإنه لا يحس بقرص النملة والبرغوث ونحوهما وقس عليه الحال في جانب السرور كما سيأتي.

﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾.

﴿**وأما الذين سعدوا**﴾ من سعد بمعنى أسعد لغتان حكاهما الكسائي، أي قدر لهم السعادة وخلقوا لها، ﴿**ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك**﴾.

قال قتادة: الله أعلم بثنياه.

وقال الضحاك إلا ما مكثوا في النار حتى ادخلوا الجنة فإن التأبيد من مبدأ معين كما ينقص باعتبار الانتهاء فكذلك باعتبار الابتداء.

وقال المولى أبو السعود في «تفسيره»: إن حمل على طريقة التعليق بالمحال فقوله: ﴿**عطاء غير مجذوذ**﴾ نصب على المصدرية من معنى الجملة لأن قوله: ﴿**ففي الجنة خالدين فيها**﴾ يقتضي إعطاء وإنعاماً فكأنه قيل يعطيهم إعطاء غير مقطوع، بل ممتداً لا إلى نهاية وهو إما اسم مصدر هو الإعطاء أو مصدر بحذف الزوائد كقوله تعالى: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧] وإن حمل على ما أعد الله لعباده الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه «بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر للمشيئة.

قال بعض الكبار: أهل الجنة يبقى في مرتبة الجنة وأهل الترقي يتجاوز ويترقى إلى ما فوقها.

وتحقيقه على ما في «التأويلات النجمية» أن أهل السعادة على ضربين سعيد وأسعد فالسعيد من يبقى في الجنة ودرجاتها وغرفاتها إلى العليين بحسب العبادة والعبودية، والأسعد من يدخل الجنة ويعبر عن درجاتها وغرفاتها إلى مقامات القربة بحسب المعرفة والتقوى والمحبة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤-٥٥] وقال ﷺ: «إن أهل الجنة ليرون أهل العليين، كما يرى أحدكم الكوكب الدري في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم في أنعم مكان» فمن كان من أهل الجنة وأهل العليين فلهم خلود في الجنة ومن كان في مقام مقعد الصدق فهو في أنعم مقام من الجنة فلهم الخروج من الجنة من جذبات العناية إلى عالم الوحدة والسر في هذا أن السالك يسلك بقدم المعاملات إلى أعلى مقام الروحانية من حضيض البشرية وهو بعد في مقام الأثنينية وهو سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فلا عبور عن هذا المقام للملك المقرب ولا للنبي المرسل إلا برفرف جذبة العناية فإنها توازي عمل الثقلين وبها يصل العبد إلى عالم الوحدة فافهم جداً.

فما بقي هناك الدخول والخروج والاستثناء بقوله: ﴿إلا ما شاء ربك﴾ راجع إلى هذا المقام ولهذا قال: ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ لأنه لا انقطاع له ولا تغيير فيه انتهى.

يقول الفقير: على ما تلقف من فم حضرة الشيخ العلامة أبقاه الله بالسلامة: إن أهل الجنة يصلون بمقتضى الاستثناء الذي هو قوله تعالى: ﴿إلا ما شاء ربك﴾ إلى مقام لا يشابه ما قبله أصلاً وذلك بعد تطاول الزمان وتباعد التنعم في الجنان وعند ذلك يظهر سر الأزل في مرآة الأبد فكما أن مبدأ التعينات وهو شؤونات الغيبية أزل الأزال، كذلك مقام هذا التجلي المخصوص أبد الآباد فالأبد المضاف هو ما بعد هذا التجلي لا إلى نهاية، والمضاف إليه ما كان قبله مذ دخولهم الجنة وكذا الأزل فإن ما فوق المبدأ المذكور هو الأزل المضاف وما تحته هو الأزل المضاف إليه ونظير هذا هو ما يصل إليه أهل الفناء الكلي في الدنيا وذلك أنهم استوفوا حظهم من الأرزاق المعنوية بحيث لم يبق لهم بحسب مرتبتهم وتعينهم الخاصّ شيء لم يصلوا إليه من أسرار الأفعال والصفات والذات في جميع المراتب والتعينات، فعند ذلك يتجلى الله لهم بصورة أخرى لا تشابه ما قبلها أصلاً فيحيون حياة أبداً باقية، ثم السر المذكور المنسوب إلى أهل الجنة والعليين جار على أهل النار لكنهم أهل الجلال ومقامهم مقام الفردية ولذا لا تزوج لهم ولا تنعم بما يتنعم به أهل الجنان، وأهل الجنة أهل الجمال ومقامهم مقام الصفة ومقتضاه التنعم والتلذذ. فالفرق بين أهل الجنة وأهل النار أن لأهل الجنة ظهوراً بالصفات وفي الظهور بطون وهو سر الذات وأن لأهل النار بطوناً وليس في البطون ظهور، ولأهل الكمال إحاطة وسعة بحيث لا توصف وذلك في الدارين فالمقربون واقفون على أحوال الأبرار، ومكاشفون عن مقاماتهم ومواطنهم، وهم محجوبون عن المقربين في ذلك، وكذا الأبرار واقفون على أحوال أصحاب المشأمة وهم محجوبون عن الأبرار، فقس على حال الدنيا حال البرازخ والآخرة، ولذا قال بعض الكبار: إن الروح بعد خلاصه من حبس البدن إن كان علوياً بعضه يقطع برزخاً وبعضه أكثر إلى أن يسموا البرازخ فكلما قطع برزخاً ازداد إحاطة حتى يصل إلى المحيط الحقيقي، فهناك يضمحل الكل فهو محيط الكل وأما إذا كان سفلياً فإنه في البلاء والعياذ بالله تعالى.

ثم إن العلم الإلهي إنما يستكمل بعد أربعين سنة من أول المكاشفة والظهور كما أن العقل إنما يستكمل في سن الأربعين يعني أن الوصول إلى منتهى المراتب إنما يحصل في تلك المدة وقد أجرى الله عادته على ذلك فلا يطمع أحد فيه قبلها، فإن العلم يزداد إلى ذلك الحد ثم يحصل التحقق وتصير الأوصاف الطبيعية والنفسانية كلها تحت تسخيره وفي يده غالباً عليها بإذن الله تعالى وعونه فانظر إلى طول الطريق وعزة المطلب فاختر لك دليلاً إلى أن تصل إلى الله الرب. وفي «المثنوي»:

پيررا بكزين بي پير اين سفر هست ره پر آفت وخوف وخطر
آن رهى كه بارها تورفتهٔ بي قلاوز اندر آن آشفتهٔ
پس رهى راكه نديد ستى توهيچ هين مروتنها زر هبر سر مپيچ
كرنباشد سايهٔ بيرا يفضول پس تراسر كشته دارد بانك غول

اللهم خذ بأيدينا وجد علينا كل حين.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿فلا تك﴾ أصله لا تكن حذفت النون لكثرة الاستعمال أي إذا تبين عندك ما قصصت عليك من قصص المتقدمين وسوء عاقبتهم فلا تكن ﴿في مرية﴾ أي في شك ﴿مما يعبد هؤلاء﴾ ما مصدرية، أي من جهة عبادة هؤلاء الحاضرين من المشركين وكن على يقين في أنها ضلال سيىء العاقبة، كأنه قيل لم لا أكون في شك فأجيب لأنهم ﴿ما يعبدون إلا كما﴾ كان ﴿يعبد آباؤهم من قبل﴾ أي حالهم كحال آبائهم من غير تفاوت فهم على الباطل والتقليد لا على الحق والتحقيق.

وفيه إشارة إلى أن أهل الفترة الذين عبدوا الأصنام من أهل النار، فإن الذم ينادى على ذلك ﴿وإنا لموفوهم﴾ توفية الشيء تأديته وإعطاؤه على وجه التمام والضمير لهؤلاء الكفرة. ﴿نصيبهم﴾ أي حظهم المتعين لهم من العذاب الدنيوي والأخروي كما وفينا آباءهم أنصباءهم المقدرة حسب جرائمهم فسيلحقهم مثل ما لحق بآبائهم فإن التماثل في الأسباب يقتضي التماثل في المسببات.

فإن قيل: لا سبب عندنا إلا الله.

قلنا: يكفينا السببية العادية وهو ما يفضي إلى الشيء بحسب جريان العادة ﴿غير منقوص﴾ حال مؤكدة من النصيب كقوله: ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [فاطر: ٣١] وفائدته مع دفع توهم التجوز تقرير ذي الحال أي جعله مقرراً ثابتاً لا يظن أنه غيره.

وفي الآية: ذم للتقليد وهو قبول قول الغير بلا دليل وهو جائز في الفروع والعمليات ولا يجوز في أصول الدين والاعتقاديات، بل لا بد من النظر والاستدلال لكن إيمان المقلد صحيح عند الحنفية والظاهرية، وهو الذي اعتقد جميع ما وجب عليه من حدوث العالم ووجود الصانع وصفاته وإرسال الرسل وما جاؤوا به حقاً من غير دليل؛ لأن النبي ﷺ قبل إيمان الأعراب والصبيان والنسوان والعبيد والإماء من غير تعليم الدليل، ولكنه يأثم بترك النظر والاستدلال لوجوبه عليه ولا يحصل اليقين إلا بترك التقليد وبالوصول إلى عين التوحيد. قال المولى الجامي قدس سره:

سيراب كن زبحر يقين جان تشنه را زين بيش خشك لب منشين برسر آب ريب

ثم إن أهل التقليد وأرباب الطبيعة إنما يعبدون الدنيا والهوى في الحقيقة، فلا بد من ترك الهوى واتباع الهدى.

يقال: لما وقع الازدواج بين آدم وحواء وقع الازدواج بين إبليس والدنيا فتولد من الازدواج الأول نوع البشر ومن الثاني الهوى فجميع الأديان الباطلة والأخلاق المذمومة من تأثير ذلك الهوى.

قال بعض المحققين: لما جعل الله سلطان الروح ملكاً في ملك البدن وجعل العقل وزيره جعل النفس خليلة الروح فمالت النفس إلى الهوى فسئل الوزير عن حالها فقال وزير العقل: أيها الملك إن ههنا مسمى بالهوى قد أضل النفس فتوجه الروح إلى الله تعالى بالتضرع والابتهال فانقادت النفس للروح بالصلاح وحسن الحال، فمن أراد إصلاح نفسه فليرجع إلى القادر المتعال.

يقال: إن ضرر البدعة والهوى أكثر من ضرر المعصية فإن صاحب المعصية يعلم قبحها فيستغفر ويتوب بخلاف صاحب البدعة والهوى.

ثم إن البدعة والهوى عندنا معاشر الصوفية خلاف العمل بسنة النبي عليه السلام وسنة الأصحاب العظام وسنة المشايخ الكرام، والاتباع بالعقل الجزئي والطبع في كل فعل وترك. فعلى السالك أن لا يخالف السنن مطلقاً ولا يخرج عن آثار الأخيار ولا يلتفت إلى طعن الأغيار فإن الحق أحق أن يتبع

دين ما عشقست اي زاهد مكوبيهوده پند ما بترك دين خود كفتن نخواهيم ازكذاف

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَـٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾.

﴿ولقد﴾ أي: وبالله لقد **﴿آتينا موسى الكتاب﴾** أي التوراة وهو أول كتاب اشتمل على الأحكام والشرائع وأما ما قبله من الكتب فإنما كانت مشتملة على الإيمان بالله وتوحيده ومن ثمة قيل لها صحف وإطلاق الكتب عليها مجاز. **﴿فاختلف فيه﴾** أي في شأنه وكونه من عند الله وآمن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال يا محمد باختلاف قومك فيما آتيناك من القرآن واصبر على تكذيبهم كما صبر موسى على تكذيب قومه، ففيه تسلية له ﷺ ولما قسم ﷺ غنائم الطائف وأطال بعض المنافقين الكلام في أنه لم يعدل في القسمة قال عليه السلام: «من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله رحمة الله على أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر» يعني أن موسى أصابه الأذى الكثير من جهة قومه فصبر على أذاهم فلم يجزع فأنا أحق بالصبر منه لأن الجمعية الكمالية في ذاته عليه السلام أتم فحظه من الصفات الإلهية والأخلاق الحميدة الربانية أكثر وأوفر: قال المولى الجامي قدس سره في نعته:

بر دفتر جلال تو تورات يك رقم وز مصحف جمال توانجيل يك ورق

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ هي كلمة القضاء بانظارهم إلى يوم القيامة.

قال سعدي المفتي الأظهر: أن لا تقيد بيوم القيامة فإن أكثر طغاتهم نزل بهم العذاب يوم بدر وغيره **﴿لقضي بينهم﴾** أي: لا وقع القضاء بين المختلفين من قومك بإنزال العذاب الذي

يستحقه المبطلون ليتميزوا به عن المحقين ﴿وإنهم﴾ أي: وإن كفار مكة أريد به بعض من رجع إليهم ضمير بينهم للأمن من الإلباس ﴿لفي شك﴾ عظيم ﴿منه﴾ أي: من القرآن وإن لم يجر له ذكر فإن مقام التسلية ينادي على ذلك نداء غير خفي. ﴿مريب﴾ وصف لشك يقال أرابه أوقعه في الريبة. يعني [نفس را مضطرب ودل را شوريده كننده].

﴿وإن كلاً﴾ التنوين عوض عن المضاف إليه، أي وإن كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين: ﴿لما ليوفينهم ربك أعمالهم﴾ اللام الأولى موطئة للقسم والثانية جواب للقسم المحذوف، ولما بتشديد الميم أصله لمن ما بكسر الميم على أنها من الجارة دخلت على ما الموصولة أو الموصوفة فلما اجتمعت النون ساكنة مع ميم ما وجب ادغامها فقلبت ميماً فاجتمع في اللفظ ثلاث ميمات فحذفت إحداهن، أولاهن كانت المحذوفة أم وسطاهن على اختلاف الأقوال، والمعنى أن جميعهم لمن الذي أو لمن خلق أو لمن فريق والله ليوفينهم ربك أعمالهم من الإيمان وسائر الحسنات والكفر وسائر السيئات أي ليعطينهم ويؤدينهم جزاء أعمالهم خيراً أو شراً تاماً وافياً كاملاً. ﴿إنه﴾ أي الله تعالى ﴿بما يعملون﴾ أي بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر ﴿خبير﴾ بحيث لا يخفى عليه شيء من جلائه ودقائقه فيجازي كلاً بحسب عمله، وتوفية جزاء الطاعات وعد عظيم وتوفية جزاء المعاصي وعيد عظيم.

فعلى العاقل أن ينتبه من الغفلة ويجانب ما يخالف أمر الله تعالى فإن الله تعالى لا يفوته منه شيء.

بهمه كار بندهٔ دانا اوست — بمكافات أو توانا أوست

واعلم أن الكلمة الإلهية الأزلية سبقت بسعادة أهل الإيمان وشقاوة أهل الكفر فهم في قبضتي الكفر والقهر وإمهالهم وتأخيرهم إنما هو لاستكمال السعادة والشقاوة لنفوسهم ولغيرهم، فكتاب الله تعالى هو محك النفوس فمن آمن به وعمل بأحكامه فقد كملت سعادته ومن كفر به وترك العمل بأحكامه فقد كملت شقاوته، وكل واحد من الفريق الأول أهل يقين ونجاة وكل واحد من الفريق الثاني أهل شك وهلاك، وعادة الله تعالى جارية على تسليط أهل الإنكار على أهل الإقرار لاستخراج ما في معادن نفوسهم من جواهر أوصافه الشريفة كالصبر على الأذى والتحمل على البلاء والحلم على السفهاء والعفو عن الجهلاء والصفح عمن ليس له حياء لكي يتخلقوا بأخلاق الله تعالى ويظهر بها صدق عبوديتهم وتفاوت درجاتهم فإن المراتب ليست بالدعاوى والأماني بل بالحقائق والمعاني. قال المولى الجامي:

بى رنج كسى چون نبردره بسر كنج — آن به كه بكوشم بتمنا ننشينم

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام قدس سره مباني طريق الصوفية على أربعة أشياء وهي اجتهاد وسلوك وسير وطير، فالاجتهاد التحقق بحقائق الإيمان والسير التحقق بحقائق الإحسان والطير الجذبة بطريق الجود والإحسان إلى معرفة الملك المنان، فمنزلة الاجتهاد من السلوك منزلة الاستنجاء من الوضوء فمن لا استنجاء له لا وضوء له فكذا من لا اجتهاد له لا سلوك له ومنزلة السلوك من السير منزلة الوضوء من الصلاة فمن لا وضوء له لا صلاة له، فكذا من لا سلوك له لا سير له، وبعده الطير وهو الوصول وأدنى الانتساب في هذا الباب محبة أهل الاجتهاد وتصديق الواصلين إلى سر المبدأ والمعاد، ورعاية جانب المتحققين بحقائق القرآن دون العداوة والبغض والشنآن، وفي الحديث القدسي: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»

أي: أعلمته أني محارب له حيث كان محارباً لي بمعاداة أوليائي، فإذا كان معادي الوليّ ورافض علومه محارباً لله تعالى فما ظنك بمعادي النبي وتارك كتابه؟ ولا يفلح أحد ممن حارب الله تعالى ورسوله ووارث رسوله، فإن الله تعالى ذو البطش الشديد، فإذا أخذه لم يفلته نسأل الله العافية والوفاء والصفاء ونعوذ به من الخذلان وأهل الجفاء.

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾.

﴿فاستقم كما أمرت﴾ يقول الفقير: أي إذا تبين عندك يا محمد أحوال القرون الأولى وأن إخوانك الأنبياء ومؤمنيهم تحملوا من قومهم الأذى وصبروا واستقاموا على طريقتهم المثلى إلى أن يأتي أمر الله تعالى، فدم أنت أيضاً على الاستقامة على التوحيد والدعوة إليه كما أمرك الله تعالى. ﴿ومن تاب معك﴾ معطوف على المستكن في فاستقم من غير تأكيد بالمنفصل لوجود الفاصل القائم مقامه، أي ومن تاب من الشرك والكفر وشاركك في الإيمان هو المعنى بالمعية، وإلا فليس لهم مصاحبة له في التوبة عما ذكر إذ الأنبياء معصومون عن الكفر وكذا عن تعمد الكبائر قبل الوحي وبعده بالإجماع، لكن الظاهر أن الاشتراك في نفس التوبة يكفي في الاصطحاب ولا يلزم الاشتراك في المتوب عنه وقد كان عليه السلام يستغفر الله كل يوم أكثر من سبعين مرة على ما ورد في الحديث كذا في «حواشي» سعدي المفتي.

يقول الفقير: لعل التوبة في مثل هذا المقام هي الرجوع عن الحالة الأولى ومفارقتها سواء صدر فيها الكفر كسجود الصنم وغيره وهو حال أكثر المؤمنين، أو لم يصدر وهو حال الأقلين ومنهم رسول الله ﷺ وقد صح أنه عليه السلام شهد بأن علياً رضي الله عنه لم يكفر بالله قط طرفة عين مع قوله له في دعوة الإسلام: «وأدعوك إلى الكفر باللات والعزى» فإن هذا القول لا يقتضي كفره رضي الله عنه؛ إذ قد يدعى الرجل إلى كفر ما لم يتصف به إذا كان من شأنه الكفر به والإنكار عليه ﴿ولا تطغوا﴾ أي ولا تنحرفوا عما حد لكم بإفراط وتفريط فإن كلا طرفي قصد الأمور ذميم، وإنما سمي ذلك طغياناً وهو تجاوز الحد تغليظاً أو تغليباً لحال سائر المؤمنين على حاله. وفي سورة شورى ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الشورى: ١٥] والنهيان متقاربان إذ المراد عدم الاتباع لإهواء أهل الكفر؛ لأن في الاتباع الطغيان وفي عدمه الاستقامة المحضة ﴿إنه﴾ أي: الله تعالى. ﴿بما تعملون بصير﴾ عالم لا يخفى عليه شيء فيجازيكم على ذلك فاتقوه في المحافظة على حدوده وهو في معنى التعليل للأمر والنهي.

وعن بعض الصلحاء وهو أبو علي السنوسي رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في النوم فقلت له روي عنك إنك قلت: «شيبتني سورة هود» فقال: نعم فقلت: فما الذي شيبك منها أقصص الأنبياء وهلاك الأمم؟ قال: لا، ولكن قوله: فاستقم كما أمرت، وذلك لأن حقيقة الاستقامة هي الوفاء بالعهود كلها وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور من الطعام والشراب واللباس في كل أمر ديني ودنيوي ترغيب أو ترهيب أو حال أو حكم أو صفة أو معاملة وذلك هو الصراط المستقيم كالصراط المستقيم في الآخرة والتمشي على هذا الصراط الذي يقال لها الاستقامة الاعتدالية عسير جداً، كما قال في «بحر العلوم» الاستقامة على جميع حدود الله على الوجه الذي أمر الله بالاستقامة عليه مما يكاد يخرج عن طوق البشر ولذلك قال عليه السلام: «شيبتني سورة هود» ولن يطيق مثل هذه المخاطبة

بالاستقامة إلا من أيد بالمشاهدات القوية والآثار الصادقة ثم بالتثبت كما قال: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ [الإسراء: ٧٤] ثم حفظ وقت المشاهدة ومشافهة الخطاب، ولولا هذه المقدمات لتفسخ دون هذا الخطاب ألا تراه كيف قال للأمة: «استقيموا ولن تحصوا» أي لن تطيقوا الاستقامة التي أمرت بها.

قيل لمحمد بن فضل حاجة العارفين إلى ماذا؟ قال: حاجتهم إلى الخصلة التي كملت بها المحاسن كلها ألا وهي الاستقامة فكل من كان أتم معرفة كان أتم استقامة.

قال ابن عطاء: فاستقم، أي افتقر إلى الله مع تبريك من الحول والقوة.

وفي «التفسير الفارسي» للإمام القشيري [فر مودكه مستقيم آنكس است كه از راه حق بازنكردد تابسر منزل وصال برسد. وشيخ أبو علي دقاق كفته استقامت آنست كه سر خودرا از ما سوى محفوظ داري. وخواجه عصمت بخاري در صفت أهل استقامت فرموده]

كسى را دانم أهل استقامت   كه باشد برسر كوى ملامت
ز اوصاف طبيعت پاك برده   باطلاق هويت جان سپرده
تمام از كردتن دا من فشانده   برفته سايه وخوشيد مانده

وقال أبو علي الجرجاني: كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة ويطلب منك الاستقامة، فالكرامة الكبرى الاستقامة في خدمة الخالق لا بإظهار الخوارق.

قال حضرة الشيخ الشهير بالهدائي قدس سره في «نفائس المجالس»: لا تتيسر الاستقامة إلا بإيفاء حق كل مرتبة من الشريعة والطريقة والمعرفة والحقيقة، فمن رعاية حق الشريعة العدالة في الأحكام فالاستقامة في مرتبة الطبيعة برعاية الشريعة وفي مرتبة النفس برعاية الطريقة وفي مرتبة الروح برعاية المعرفة وفي مرتبة السر برعاية المعرفة والحقيقة، فمراعاة تلك الأمور في غاية الصعوبة ولذلك قال عليه السلام: «شيبتني سورة هود» فالكمال الإنساني بتكميل تلك المراتب لا بإظهار الخوارق، كما حكي أنه قيل للشيخ أبي سعيد: إن فلاناً يمشي على الماء قال إن السمك والضفدع كذلك، وقيل إن فلاناً يطير في الهواء فقال إن الطيور كذلك، وقيل إن فلاناً يصل إلى الشرق والغرب في آن واحد قال إن إبليس كذلك فقيل فما الكمال عندك قال أن تكون في الظاهر مع الخلق وفي الباطن مع الحق.

واعلم أن النفوس جبلت على الاعوجاج عن طريق الاستقامة إلا ما اختص منها بالعناية الأزلية والجذبة الإلهية. قال المولى الجامي قدس سره:

سالكان بي كشش دوست بجايي نرسند   سالها كرچه درين راه تك وپوى كنند

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿**ولا تركنوا**﴾ الركون هو الميل اليسير والخطاب لرسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين، أي ولا تميلوا أدنى ميل. ﴿**إلى الذين ظلموا**﴾ أي إلى الذين وجد منهم الظلم في الجملة ﴿**فتمسكم**﴾ بسبب ذلك وهو منصوب بإضمار إن في جواب النهي يعني: [بشما برسد] ﴿**النار**﴾ [آتش دوزخ] وإذا كان الركون إلى من صدر منهم ظلم مرة في الإفضاء إلى مساس

النار هكذا فما ظنك بالركون إلى من صدر منهم الظلم مراراً ورسخوا فيه؟ ثم بالميل إليهم كل الميل. **﴿وما لكم من دون الله من أولياء﴾** أي: من أنصار ينقذونكم من النار على أن يكون مقابلة الجمع بالجمع بطريق انقسام الآحاد على الآحاد، والجملة نصب على الحالية من مفعول فتمسكم النار وأنتم على هذه الحالة وهي انتفاء ناصركم **﴿ثم لا تنصرون﴾** جملة فعلية معطوفة على الاسمية قبلها. وكلمة ثم لاستبعاد نصرة الله تعالى إياهم مع استحقاقهم العذاب بسبب ركونهم، ثم لا ينصركم الله، إذ سبق في حكمه أن يعذبكم ولا يبقي عليكم. والآية أبلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه، والعجب من قوم يقرأون هذه الآية ويرون ما فيها ثم لا يرتدعون عن الظلم والميل إلى أهله ولا يتدبرون أنهم مؤاخذون غير منصورين. قال السعدي قدس سره:

كرازي بچاه اندر افتاده بود ... كه ازهول اوشير نرمانده بود
بد انديش مردم بجز بدنديد ... بيفتادو عاجز تر ازخود نديد
همه شب زفرياد وزاري نخفت ... يكى برسرش كوفت سنكي وكفت
تو هركز رسيدي بفرياد كس ... كه ميخواهى امروز فرياد رس
كه برريش جانت نهد مرهمي ... كه دلها زدردت بنالد همي
تومارا همي چاه كندي براه ... بسر لا جرم درفتادى بچاه
اكربد كنى چشم نيكى مدار ... كه هر كز نيارد كژا نكور بار

وفي الحديث: «إياكم والظلم فإنه يخرب قلوبكم» وفي تخريب القلب تخريب سائر الجسد فالظالم يظلم على نفسه حيث يخرب أعضاءه الظاهرة والباطنة، وعلى الله حيث يخرب بنيان الله ويغيره ويفسده، ولأنه إذا ظلم غيره وآذاه، فقد ظلم على الله ورسوله وآذاه. والدليل عليه قوله عليه السلام: «أنا من الله والمؤمنون مني فمن آذى مؤمناً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى» ودخل في الركون إلى الظالمين المداهنة والرضى بأقوالهم وأعمالهم ومحبة مصاحبتهم ومعاشرتهم، ومد العين إلى زهرتهم الفانية وغبطتهم فيما أوتوا من القطوف الدانية، والدعاء لهم بالبقاء وتعظيم ذكرهم، وإصلاح دواتهم وقلمهم ودفع القلم أو الكاغد إلى أيديهم والمشي خلفهم والتزيي بزيهم والتشبه بهم وخياطة ثيابهم وحلق رؤوسهم. وقد امتنع بعض السلف عن رد جواب الظلمة في السلام.

وقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء؟ فقال: لا فقيل له: يموت فقال: دعه فإنه إعانة للظالم.

وقال غيره: يسقى إلى أن يثوب إلى نفسه ثم يعرض عنه، وفي الحديث: «العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم» فإذا علمت هذا فاعلم أن الواجب عليك أن تعتزل عنهم بحيث لا تراهم ولا يرونك إذ لا سلامة إلا فيه، وأن لا تفتش عن أمورهم ولا تتقرب إلى من هو من حاشيتهم ومتصل بهم من إمامهم ومؤذنهم فضلاً عن غيرهم من عمالهم وخدمهم، ولا تتأسف على ما يفوت بسب مفارقتهم وترك مصاحبتهم، واذكر كثيراً قول رسول الله ﷺ: «إذا قرأ الرجل القرآن وتفقه في الدين، ثم أتى باب السلطان تملقاً إليه وطمعاً لما في يديه خاض بقدر خطاه في نار جهنم» والحديث كأنه مأخوذ من الآية فهما متطابقان معنى كما لا يخفى ـ وروي ـ أن الله تعالى

أوحى إلى يوشع بن نون إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال ما بال الأخيار فقال إنهم لم يغضبوا لغضبي فكانوا يواكلونهم ويشاربونهم وبهذا تبين أن بغض الظلمة والغضب عليهم لله واجب، وإنما ظهر الفساد في الرعايا وجميع أقطار الأرض براً وبحراً بفساد الملوك، وذلك بفساد العلماء أولاً؛ إذ لولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك، بل لو اتفق العلماء في كل عصر على الحق ومنع الظلم مجتهدين في ذلك مستفرغين مجهودهم لما اجترأ الملوك على الفساد ولاضمحل الظلم من بينهم رأساً وبالكلية، ومن ثم قال النبي عليه السلام: «لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه ما لم يمالىء قرّاؤها أمراءها» وإنما ذكر القراء لأنهم كانوا هم العلماء وما كان علمهم إلا بالقرآن ومعانيهم إلا بالسنة، وما وراء ذلك من العلوم إنما أحدثت بعدهم كذا في «بحر العلوم» للشيخ علي السمرقندي قدس سره.

يقول الفقير أصلحه الله القدير: ذكر في «الإحياء» أن من دخل على السلطان بلا دعوة كان جاهلاً ومن دعى فلم يجب كان أهل بدعة.

وتحقيق المقام أن الركون في الآية أسند إلى المخاطبين، والمخالطة وإتيان الباب والممالأة إلى العلماء والقراء فكل منها إنما يكون مذموماً إذا كان من قبل العلماء وأما إذا كان من جانب السلاطين والأمراء بأن يكونوا مجبورين في ذلك مطالبين بالاختلاط لأجل الانتفاع الديني فلا بأس حينئذٍ بالمخالطة لأن المجبور المطالب مؤيد من عند الله تعالى خال عن الأغراض النفسانية بخلاف ما إذا كان مقارناً بالأغراض النفسانية فيكون موكولاً إلى نفسه فتختطفه الشياطين نعوذ بالله تعالى.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

﴿وأقم الصلاة﴾ في الأمر بأفعال الخير جاء موحداً موجهاً إلى رسول الله ﷺ في الظاهر وإن كان المأمور به من حيث المعنى عاماً، وفي النهي عن المحظورات موجهاً إلى غير الرسول مخاطباً به أمته، فهذا من جليل البلاغة القرآنية والمراد بإقامة الصلاة أداؤها وإنما عبر عنه بها إشارة إلى أن الصلاة عماد الدين **﴿طرفي النهار﴾** أي: غدوة وعشية، وانتصابه على الظرفية لكونه مضافاً إلى الوقت فيعطى حكم المضاف إليه **﴿وزلفاً من الليل﴾** منصوب على الظرفية لعطفه على طرفي النهار أي ساعات من الليل وهي الساعات القريبة من النهار فإنه من أزلفه إذا قربه جمع زلفة كغرف جمع غرفة، ولمراد بصلاة الغدوة صلاة الفجر. وبصلاة العشية الظهر والعصر لأن ما بعد الزوال عشى، وبصلاة الزلف المغرب والعشاء وفيه دلالة بينة على إطلاق لفظ الجمع وهو الزلف على الاثنين فالآية مشتملة على الصلوات الخمس ونظيرها قوله تعالى في سورة ق ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ [طه: ١٣٠] أي: بصلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩] أي: بصلاة العصر والظهر فالعصر أصل في ذلك الوقت والظهر تبع لها كما في «تفسير المناسبات» **﴿ومن الليل﴾** في بعض أوقاته **﴿فسبحه﴾** بصلاتي المغرب والعشاء وفسر بعضهم طرفي النهار بالصبح والمغرب وزلف الليل بالعشاء والتهجد فإنه كان واجباً عليه فيوافق قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ [الإسراء: ٧٩] أو الوتر على ما ذهب إليه أبو حنيفة أو مجموع العشاء والوتر والتهجد على ما يقتضيه ظاهر صيغة الجمع في زلفاً. **﴿إن الحسنات﴾** على

الإطلاق لا سيما الصلوات الخمس. ﴿يذهبن السيئات﴾ أي: يكفرن الصغائر، يعني لا أنها تذهب السيئات نفسها إذ هي قد وجدت بل ما كان يترتب عليها، وفي الحديث: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنب الكبائر» ويمنعن من اقترافها كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] - روي - في سبب النزول أن أبا اليسر الأنصاري كان يبيع التمر فأتته امرأة، فأعجبته، فقال لها: إن في البيت أجود من هذا التمر فذهب بها إلى نحو بيته فضمها إلى نفسه وقبلها وفعل بها كل شيء إلا الجماع، فقالت له: اتقِ الله فتركها وندم، فأتى أبا بكر رضي الله عنه فأخبره فقال: استر على نفسك وتب إلى الله تعالى، فلم يصبر فأتى عمر رضي الله عنه فقال له مثل ذلك فلم يصبر، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما فعل فقال: «انتظر أمر ربي فاستر على نفسك» فلما صلى صلاة العصر نزلت هذه الآية فقال عليه السلام: «صليت العصر معنا» قال نعم فقال: «اذهب فإنها كفارة لما فعلت» فقال الحاضرون من الصحابة «هذا له خاصة أم للناس عامة» قال: «بل للناس كافة» وفي الحديث: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء» قالوا: لا قال: «فذلك مثل صلاة الخمس يمحو الله بها الخطايا».

واعلم: أن الذنوب كلها نجاسات والطاعات مطهرات وبماء أعضاء الوضوء تتساقط الأوزار ولذا كانت الغسالة في حكم النجاسة، ومن هنا أخذ بعض الفقهاء كراهة الصلاة بالخرقة التي يتمسح بها أعضاء الوضوء، وقال الله تعالى لموسى عليه السلام «يا موسى يتوضأ أحمد وأمته كما أمرتهم وأعطيهم بكل قطرة تقطر من الماء جنة عرضها كعرض السماء» فانظر إلى ما سلبه الوضوء وجلبه. قال الحافظ:

خوشا نماز ونياز كسى كه ازسردرد بآب ديده وخون جكر طهارت كرد

وأحسن الحسنات وأفضل الطاعات العلم بالله، وطريقه التوحيد، وخلاف هوى النفس، فبذكر الله يتخلص العبد من الذنوب، وبه يحصل تزكية النفوس وتصفية القلوب، وبه يتقوى العبد على طاعة الرحمن ويتخلص من كيد الشيطان، قالوا: يا رسول الله، لا إله إلا الله من الحسنات قال: «هي أحسن الحسنات» وفي الآية إشارة إلى إدامة الذكر والطاعة والعبادة في الليل والنهار إلا أن يكون له ضرورة من الحاجات الإنسانية فيصرف بعض الأوقات إليها كطلب المعاش في النهار والاستراحة في الليل، فإنه يحصل للقوى البشرية والحواس كلال، فيلزم دفعه بالمنام ليقوم في أثناء الليل نشيطاً للذكر والطاعة ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ أي أن أنوار الحسنات وهي الأعمال الصالحة والذكر والمراقبة طرفي النهار وزلفا من الليل يذهبن ظلمات سيئات الأوقات التي تصرف في قضاء الحوائج النفسانية الإنسانية وما يتولد من الاشتغال بها.

واعلم أن تعلق الروح النوراني العلوي بالجسد الظلماني السفلي موجب لخسران الروح إلا أن تتداركه أنوار الأعمال الصالحة الشرعية فتربي الروح وترقيه من حضيض البشرية إلى ذروة الروحانية بل إلى الوحدانية الربانية وتدفع عنه ظلمة الجسد السفلي كما أن إلقاء الحبة في الأرض موجب لخسران الحبة إلا أن يتداركها الماء فيربيها إلى أن تصير الحبة الواحدة إلى سبعمائة حبة والله يضاعف لمن يشاء.

فعلى العاقل أن يصبر على مشاق الطاعات والعبادات فإن له فيها أنواراً وحياة باقية:

مده براحت فاني حيات باقي را بمحنت دوسه روز ازغم ابدبكريز

﴿ذلك﴾ أي: المذكور من الاستقامة والإقامة وغيرهما ﴿ذكرى للذاكرين﴾ أي: موعظة للمتعظين، فمن امتثل إلى أمر الله تعالى فاستقام وأقام فقد تحقق بحقيقة الحال والمقام.

قال بعض الحكماء: علامة الذي استقام أن يكون مثله كمثل الجبل؛ لأن الجبل له أربع علامات، أحداها: أن لا يذيبه الحر، والثانية: أن لا يجمده البرد، والثالثة: أن لا تحركه الريح، والرابعة: أن لا يذهب به السيل، فكذا المستقيم إذا أحسن إليه إنسان لا يحمله إحسانه على أن يميل إليه بغير الحق كما يفعله أرباب الجاه والمناصب في هذا الزمان فإنهم بالشيء اليسير من الدنيا الواصل إليهم من يد رجل أو امرأة يتخطون الحد ويتركون الاستقامة وليس الاتعاظ وقبول النصيحة من شأنهم. والثاني: إذا أساء إليه إنسان لا يحمله ذلك على أن يقول بغير الحق. والثالث: أن هوى نفسه لا يحوله عن أمر الله تعالى. والرابع: أن حطام الدنيا لا يشغله عن طاعة الله. فقال الحافظ:

ببال وپرمر وازره كه تير پرتابى هوا كرفت زماني ولى بخاك نشست

يعني: لا تخرج بالقدرة الدنيوية والمكنة المالية عن حد الطريق المستقيم، فإن لكل ترق تنزلاً ألا ترى إلى حال السهم كيف صعد إلى جو السماء زماناً ثم سقط على الأرض فالإنسان لا بد وأن يسقط على الأرض في آخر أمره ونهاية عمره.

﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿واصبر﴾ يا محمد على مشاق الأوامر ويدخل فيه الأمة بالتبعية وقد كانت العادة القرآنية على إجراء أكثر خطابات الأوامر على النبي عليه السلام، وأكثر خطابات النهي على الأمة اعتباراً للأصالة في الاتصاف والتنزه والاجتناب فافهم ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ في أعمالهم صلاة كانت أو صبراً أو غيرهما من فرائض الإسلام ومندوبات الأعمال ومكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، أي: يوفيهم أجور أعمالهم من غير بخس أصلاً، وإنما عبر عن ذلك بنفي الإضاعة مع أن عدم إعطاء الأجر ليس بإضاعة حقيقة كيف لا والأعمال غيرم موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها، لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه من القبائح وإبراز الإثابة في معرض الأمور الواجبة، وهو تعليل للأمر بالصبر، وفيه إيماء إلى أن الصبر من باب الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه لأنه إذا قدر المرء على هذه المشاهدة هان عليه الصبر وغيره من مر الأحكام ولا يكون هذا الإحسان إلا بالإخلاص وإخلاص السريرة.

كر نباشد نيت خالص چه حاصل از عمل

وكان أهل الخير يكتب بعضهم إلى بعض بثلاث كلمات، من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح فيما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس.

واعلم: أن الله تعالى أمر ونهى ومراده إطاعة عباده له في كل ما يأتون وما يذرون فإن فلاحهم في ذلك ولا يرضى الله منهم إلا بالطاعة والتسليم والقبول. قال الحافظ:

مزن زچون وچرا دمكه بندهٔ مقبول قبول كرد بجان هر سخن كه جانان كفت

وعن أبي بكر الوراق قال: طلبنا أربعة أشياء سنين فوجدناها في أربعة. طلبنا رضى الله تعالى فوجدناه في طاعته، وطلبنا السعة في المعيشة فوجدناها في صلاة الضحى، وطلبنا سلامة الدين فوجدناها في حفظ اللسان، وطلبنا نور القبر فوجدناه في صلاة الليل، فعلى العاقل السعي في طريق الطاعات وتنوير القلب بنور العبادات.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**واصبر**﴾ أيها الطالب الصادق والعاشق الوامق على صرف الأوقات في طلب المحبوب بدوام الذكر ومراقبة القلب وترك الشهوات ومخالفة الهوى والطبيعة ﴿**فإن الله لا يضيع أجر المحسنين**﴾ أي سعي الطالبين كما قال: «ألا من طلبني وجدني» لأن من سنة كرمه قوله: «من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً» والمقصود من الحديث القدسي بيان سعة فيضه وجوده على عباده، والتقرب إلى الله تعالى إنما يكون بقطع التعينات، ورفع حجب الكثرة عن وجه الوحدة الذاتية إلا أن ذلك مشروط بشرائط ومربوط بالأسباب في الصورة الظاهرة، ولا تقيد تلك الشرائط والأسباب إلا بالجذبة الإلهية والدعوة الربانية، فمن دعاه وأزال الموانع عن طريقه فقد وصل وإلا فقد انقطع دونه الطرق وبقي متحيراً مبهوتاً.

داد حق را قابليت شرط نيست بلكه شرط قابليت داد اوست

اللهم ارحمنا فإن ذنوبنا قد جلت وحجبنا قد كثفت وحيلنا قد انقطعت وما بقي إلا التوفيق منك والعفو والغفران واللطف والكرم والإحسان إنك أنت المحسن في كل زمان ومكان.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾.

﴿**فلولا كان**﴾ لولا بمعنى هلا وكان بمعنى وجد. والمعنى بالفارسية [پس چرا نبود] ﴿**من القرون**﴾ الهالكة الكائنة ﴿**من قبلكم**﴾ على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته أو كائنة من قبلكم على أن يكون حالاً وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم.

قال في «القاموس»: القرن مائة سنة، وهو الأصح، لقوله عليه السلام لغلام: «عش قرناً» فعاش مائة سنة وكل أمة هلكت فلم يبق منها أحد ﴿**أولوا بقية**﴾ أصحاب فضل وخير وسمي الفضل والجودة بقية على أن يكون الهاء للنقل كالذبيحة، لأن الرجل إنما يستبقي مما يكسبه عادة أجوده وأفضله فصار مثلاً في الجودة والفضل، يقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم ومنه ما قيل: في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ﴿**ينهون**﴾ المفسدين نعت لأولوا ﴿**عن الفساد في الأرض**﴾ الواقع منهم حسبما حكي عنهم ومعناه جحد أي لم يكن فيهم أولوا بقية ينهون حتى لا ينزل العذاب بهم ﴿**إلا قليلاً ممن أنجينا منهم**﴾ استثناء منقطع أي لكن قليلاً ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وهم اتباع الأنبياء وسائرهم تاركوا النهي، ومن في ممن للبيان لا للتبعيض، لأن جميع الناجين ناهون ﴿**واتبع الذين ظلموا**﴾ عطف على مضمر دل عليه الكلام أي لم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا بمباشرة الفساد وترك النهي عنه، فيكون العدول إلى المظهر لإدراج المباشرين معهم في الحكم والتسجيل عليهم بالظلم وللإشعار بعلية ذلك لما

حاق بهم من العذاب. ﴿**ما أترفوا فيه**﴾ الأتراف الأنعام من الترف وهو النعمة أي أنعموا فيه من الشهوات واللذات وآثروها على أمر الآخرة، ويقال رفته النعمة أي أطغته. فالمعنى ما أطغوا فيه على أن يكون فيه للسببية والمراد هو الأموال والأملاك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق: ٦-٧] يعني اهتموا بكسبها وبذلوا وسعهم في تحصيلها وجمعها واعرضوا عما وراءها. أما المباشرون فظاهر. وأما المتساهلون فلما لهم في ذلك من نيل حظوهم الفاسدة ﴿**وكانوا مجرمين**﴾ عطف على اتبع وهذا بيان لسبب استئصال الأمم المهلكة وهو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع الشهوات وفي الحديث: «إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروا فلا ينكرون فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة» فكل قوم لم يكن فيهم آمر بالمعروف وناه عن المنكر من أرباب الصدق وهم مجتمعون على الفساد أو لا يأتمرون بالأمر بالمعروف ولا ينتهون بالنهي عن المنكر فإنهم هالكون. قال السعدي:

كرت نهى منكر برآيد ز دست نشايد چو بى دست وپايان نشست
بكو آنچه دانى سخن سودمند وكر هيچ كس را نيايد پسند
چو دست وزبانرا نماند مجال بهمت نمايند مردى رجال

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾

﴿**وما كان ربك ليهلك القرى**﴾ اللام لام الجحود عند البصريين وينتصب الفعل بعدها بإضمار إن وهي متعلقة بخبر كان المحذوف، أي: مريداً لإهلاك أهل القرى وقال الكوفيون: يهلك خبر كان زيدت اللام دلالة على التأكيد ﴿**بظلم**﴾ حال من الفاعل، أي: ظالماً لها بغير ذنب واستحقاق للهلاك بل استحال ذلك في الحكمة. ﴿**وأهلها مصلحون**﴾ غير ظالمين حال من المفعول. والمراد تنزيه الله تعالى عن الظلم بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وإلا فلا ظلم فيما فعل الله بعباده كائناً ما كان. وقيل قوله: ﴿**بظلم**﴾ متعلق بالفعل المتقدم والمراد به الشرك. والمعنى ليهلك القرى بسبب شرك أهلها وبمجرده وهم مصلحون فيما بينهم لا يضمون إلى شركهم فساداً آخر، وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ولهذا قال الفقهاء حقوق الله تعالى مبنية على المساهلة وحقوق العباد مبنية على المضايقة وقدموا عند تزاحم الحقوق حقوق العباد.

والحاصل: أن عذاب الاستئصال لا ينزل لأجل كون القوم معتقدين للشرك والكفر بل إنما ينزل ذلك العذاب إذا خانوا في المعاملات، وسعوا في أذى الخلق وظلمهم، وإنما لم يهلكهم بمجرد شركهم لأن مكافاة الشرك النار لا ما دونها، وإنما يهلكهم بمعاصيهم زيادة على شركهم مثل قوم صالح بعقر الناقة، وقوم لوط بالأفعال الخبيثة، وقوم شعيب بنقصان الكيل والوزن، وقوم فرعون بإيذائهم موسى وبني إسرائيل.

قال بعضهم: الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم.

واشتهر انو شروان بالعدل اشتهار حاتم بالجود حتى صار العادل لقباً له فلفظ العادل إنما يطلق عليه لعدم جوره وظهور عدله لا لمجرد المدح له والثناء عليه.

وأما سلاطين الزمان فلظهور جورهم وعدم اتصافهم بالعدل منعوا عن إطلاق لعادل

عليهم إذا إطلاقه عليهم حينئذٍ يكون بمجرد المدح لهم والثناء عليهم فيكون كذباً وكفراً ـ حكي ـ أن انو شروان لما مات كان يطاف بتابوته في جميع مملكته وينادي منادٍ من له علينا حق فليأت فلم يوجد أحد في ولايته له عليه حق من درهم.

شه كسرى از ظلم ازان ساده است كه در عهد أو مصطفى زاده است

وذكر عن أبي ميسرة قال أتى إلى رجل في قبره بعد ما دفن منكر ونكير فقالا له إنا ضارباك مائة سوط فقال الميت إني كنت كذا وكذا فتشفع حتى حطا عنه عشرة ثم لم يزل بهما حتى حطا عنه عشرة أخرى إلى أن صار إلى ضربة واحدة فقالا إنا ضارباك ضربة فضرباه واحدة فالتهب القبر ناراً فقال لم ضربتماني فقالا مررت برجل مظلوم فاستغاث بك فلم تغثه، فهذه حال الذي لم يغث المظلوم فكيف يكون حال الظالم؟ فعلى السلاطين والحكام العدل على كافة الأنام وتفتيش أحوال أهل الإسلام.

نـبـايـد بـنـزديـك دانـا پـسـنـد شبـان خـفـتـه وكـر در كـوسـفـنـد
مـكـن تـاتـوانـى دل خـلـق ريـش وكـر مـيـكـنـى مـيـكـنـى بـيـخ خـويـش

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

﴿ولو شاء ربك﴾ مشيئة قسر كما في «الكواشي»: **﴿لجعل الناس أمة واحدة﴾** متفقة على الحق ودين الإسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه أحد كما كانوا قبل الاختلاف قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [يونس: ١٩] وكما يكونون بعد الاختلاف في آخر الزمان في عهد عيسى عليه السلام على ما في بعض الروايات ولكن لم يشأ ذلك لما علم أنهم ليسوا بأهل لذلك فلم يكونوا أمة متفقة على الحق.

يقول الفقير: وقع الاتفاق في أول النشأة الإنسانية ثم آل الأمر إلى الاختلاف بمقتضى الحكمة الإلهية إلى عهد عيسى عليه السلام ويعود في زمانه على ما كان عليه قبل، ففيه إشارة إلى اتحاد سر الأزل والأبد فافهم جداً، وأما الاختلاف الواقع قبل آدم فغير معتبر لكونه من غير جنس الناس وكذا بعد عيسى عليه السلام لكونه بعد انقطاع الولاية المطلقة وانتقالها إلى نشأة أخرى **﴿ولا يزالون﴾** أي الناس **﴿مختلفين﴾** في الحق ودين الإسلام أي مخالفين له كقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣] أو على أنبيائهم كما قال عليه السلام: «إن الله بعثني رحمة للعالمين كافة فأدوا عني رحمكم الله ولا تختلفوا كما اختلف الحواريون على عيسى فإنه دعاهم إلى الله مثل ما أدعوكم إليه».

وفي الآية إثبات الاختيار للعبد لما فيها من النداء على أنهم صرفوا قدرتهم وإرادتهم إلى كسب الاختلاف في الحق، فإن وجود الفعل بلا فاعل محال، سواء كان موجباً أولاً وهو جبر متوسط وقول بين القولين وذلك لأن الجبرية اثنتان متوسطة تثبت كسباً في الفعل كالأشعرية من أهل السنة والجماعة، وخالصة لا تثبته كالجهمية، وإن القدرية يزعمون أن كل عبد خالق لفعله لا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى، فنحن معاشر أهل السنة نقول العبد كاسب والله خالق أي فعل العبد حاصل بخلق الله إياه عقيب إرادة العبد وقصده الجازم بطريق جرى العادة بأن الله يخلقه عقيب قصد العبد ولا يخلقه بدونه فالمقدور الواحد داخل تحت القدرتين

المختلفتين لأن الفعل مقدور الله من جهة الإيجاد ومقدور العبد من جهة الكسب.

يقول الفقير: قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: ١٧] ونحوه لا ينافي الاختيار لأن ذلك بالنسبة إلى فناء العبد في الحق، ولا كلام في أن المؤثر على كل حال هو الله تعالى. كما قال المولى الجامي قدس سره:

حق فاعل وهرچه جز حق آلات بود تأثير زآلت از محالات بود
هستى مؤثر حقيقي است يكيست باقي همه أوهام وخيالات بود

﴿إلا من رحم ربك﴾ استثناء متصل من الضمير في مختلفين وإن شئت من فاعل لا يزالون أي إلا قوماً هداهم الله بفضله إلى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه، أي لم يخالفوه. ﴿ولذلك﴾ أي وللرحمة بتأويل إن مع الفعل ﴿خلقهم﴾ الضمير لمن قاله ابن عباس، أي خلق أهل الرحمة للرحمة كما خلق أهل الاختلاف للاختلاف. وفي «المثنوي»:

چون خلقت الخلق كي يربح على لطف توفر مود أي قيوم وحي
لا لان تربح عليهم جودتست كه شود زو جمله ناقصها درست
عفو كن زين بند كان تن پرست عفو از درياي عفو او ليترست

﴿وتمت كلمة ربك﴾ أي: وجب قول ربك للملائكة أو حكمه، وهو ﴿لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ أي: من عصاتهما أجمعين أو منهما أجمعين لا من أحدهما فهو لتأكيد العموم للنوعين والثلان هما النوعان المخلوقان للاختلاف في دين الله الموصوفان بكفران نعم الله ونسيان حقه وهما سيان في الحكم فلأشقياء الجن ما لأشقياء الإنس من العقاب.

واعلم أن الناس في الأديان على أربعة أقسام سعيد. بالنفس والروح في لباس السعادة وهم الأنبياء وأهل الطاعة، والثاني: شقي بالنفس في لباس الشقاوة وهم الكفرة المصرون، والثالث: شقي بالنفس في لباس السعادة مثل بلعم بن باعورا وبرصيصا وإبليس، والرابع: سعيد بالنفس في لباس الشقاوة كبلال وصهيب وسلمان في أوائل أمرهم ثم بدل الله لباسهم بلباس التقوى والهداية، فأصل الأصول هو العناية الأزلية والهداية الإلهية والسعادة الأصلية.

قال في «الإحياء»: المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الإرادة والمانع من الإرادة عدم الإيمان وسبب عدم الإيمان عدم الهداية انتهى.

قرب توبا سباب وعلل نتوان يافت بى سابقهٔ فضل ازل نتوان يافت

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ في طلب الحق ﴿ولا يزالون﴾ الخلق ﴿مختلفين﴾ في الطلب فمنهم من طلب الدنيا ومنهم من طلب الآخرة منهم من طلب الحق ﴿إلا من رحم ربك﴾ فأخرجهم بنور رحمته من ظلمة طبيعتهم الجسمانية والروحانية إلى نور طلب الربوبية فلا يكونون طلاباً للدنيا والعقبى، بل يكونون طلاب جمال الله وجلاله ﴿ولذلك خلقهم﴾ أي ولطلب الله تعالى خلقهم وأكرمهم بحسن استعداد الطلب ورحمهم على توفيق الطلب وفضلهم على العالمين بفضيلة الوجدان ﴿وتمت كلمة ربك﴾ في الأزل: إذ قال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي ﴿لأملأن جهنم من الجنة﴾ أي من الأرواح المستهلكة المتمردة وهم إبليس واتباعه ﴿والناس﴾ وهم النفوس الأمارات بالسوء ﴿أجمعين﴾ كلهم من الفريقين المعرضين عن الله تعالى وطلبه انتهى. قال المولى الجامي قدس سره:

يا من ملكوت كل شيء بيده طوبى لمن ارتضاك ذخراً لغده
اين بس كه دلم جز تونداردكامى توخواه بده كام دلم خواه مده

وقال المغربي قدس سره:

نيست درباطن أرباب حقيقت جز حق جنت أهل حقيقت بحقيقت اينست

فإذا عرفت حقيقة الحال وسر هذا الكلام فجرد همتك من لباس علاقة كل حال ومقام وصر واصلاً إلى الله حاصلاً عنده هو غاية المرام.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

﴿وكلاً﴾ مفعول به لنقص وتنوينه عوض عن المضاف إليه المحذوف أي كل نبأ وخبر ﴿نقص عليك﴾ نخبرك به ﴿من أنباء الرسل﴾ بيان لكل أو صفة لما أضيف إليه كل لا لكلاً، لأن الفصيح وصف المضاف إليه ومن للتبعيض. ﴿ما نثبت به فؤادك﴾ بدل من كلا أو صفة لما أضيف إليه، والأظهر أن يكون المضاف إليه المحذوف في كلا المفعول المطلق لنقص، أي: كل اقتصاص، أي كل أسلوب من أساليبه نقص عليك من أنباء الرسل. وقوله ما نثبت به فؤادك مفعول نقص أي ما نشد به قلبك حتى يزيد يقينك ويطيب به نفسك وتعلم أن الذي فعل بك قد فعل بالأنبياء قبلك، والإنسان إذا ابتلي بمحنة وبلية، فرأى جماعة يشاركونه فيها خف على قلبه بليته كما يقال البلية إذا عمت خفت وطابت.

قال القاشاني رحمه الله في «شرح التائية»: للقلب وجه إلى الروح يسمى فؤاداً وهو محل الشهود كما قال سبحانه: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١] ووجه إلى النفس يسمى صدراً وهو محل صور العلوم والقلب عرش الروح في عالم الغيب كما أن العرش قلب الكائنات في عالم الشهادة انتهى ﴿وجاءك في هذه﴾ السورة على ما فسره ابن عباس رضي الله عنهما في منبر البصرة وعليه الأكثر ﴿الحق﴾ ما هو حق وبيان صدق وتخصيصها بالحكم بمجيء الحق فيها مع أن ما جاءه في جميع السور حق يحق تدبره وإذعانه والعمل بمقتضاه تشريفاً لها ورفعاً لمنزلتها ﴿وموعظة﴾ ونصيحة عظيمة ﴿وذكرى﴾ وتذكرة ﴿للمؤمنين﴾ لأنهم هم المنتفعون بالموعظة والتذكير بأيام الله وعقوبته.

قال في «الإرشاد»: أي الجامع بين كونه حقاً في نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين ولكون الوصف الأول حالاً له في نفسه حلي باللام دون ما هو وصف له بالقياس إلى غيره وتقديم الظرف أعني في هذه على الفاعل لأن المقصود بيان منافع السورة لا بيان ذلك فيها لا في غيرها.

﴿وقل للذين لا يؤمنون﴾ بهذا الحق ولا يتعظون به ولا يتذكرون من أهل مكة وغيرهم. ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ أي: حالكم وجهتكم التي هي عدم الإيمان. ﴿إنا عاملون﴾ على حالنا وهو الإيمان به والاتعاظ والتذكير به.

﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾.

﴿وانتظروا﴾ بنا الدوائر والنوائب على ما يعدكم الشيطان. ﴿إنا منتظرون﴾ أن ينزل بكم

ما نزل بأمثالكم من الكفرة على ما وعد الرحمن فهذا تهديد لهم لا إن الآية منسوخة بآية السيف.

واعلم أن تثبيت القلوب على الدين والطاعة إلى الله تعالى لا إلى غيره، لأنه تعالى أسنده إلى ذاته الكريمة وأن التثبت يكون منه بالواسطة وبغير الواسطة فإما بالواسطة فهنا كما قال: ﴿ما نثبت به﴾ أي: بالأنباء عن أقاصيص الرسل كقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وإما بغير الواسطة فكقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء: ٧٤] وهذا التثبيت من إنزال السكينة في قلبه بغير واسطة كقوله: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٦] وكقوله: ﴿هُوَ الَّذِىٓ أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

واعلم أنه كما يزداد الإيمان بالسكينة فكذلك يزداد اليقين على اليقين باستماع قصص الأنبياء والأمم السالفة كما قيل حكاياتِ الصالحين جند من جنود الله تعالى، وهذا لمن يثبت الله به قلبه لا لمن يزداد شكه على الشك وكفره على الكفر كأبي جهل ونحوه لأن الله تعالى أودع في كل شيء لطفه وقهره فمن فتح عليه باب لطفه أغلق عليه باب قهره ومن فتح عليه باب قهره، أغلق عليه باب لطفه قال في «المثنوي»:

ما هيانرا بحر نكذارد برون   خاكيانرا بحر نكذارد درون
اصل ماهى زاب وحيوان ازكاست   حيله وتدبير اينجا باطلست
قفل رفتست وكشاينده خدا   دست در تسليم زن اندر رضا

ومن فتح الله عليه باب لطفه جاءه الحق من هذا الباب، كما قال الله تعالى: ﴿وجاءك في هذه الحق﴾ أي: أنك لست بقادر أن تجيء في هذه بالحق لأن أبواب اللطف والقهر مغلوقة والمفتاح بيد الفتاح لا يقدر غير المفتاح أن يفتحه، فإذا هو الذي يفتح باب لطفه في كل شيء على العبد ويجيء بكرمه فيه إليه بلا كيف ولا أين. ﴿وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ ليطلبوا الحق من باب لطفه في كل شيء ولا يطلبوا من باب قهره.

اطلبوا الأرزاق من أسبابها   ادخلوا الأبيات من أبوابها

﴿وقل للذين لا يؤمنون﴾ بطلب الحق ووجدانه ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ في طلب المقاصد من باب قهر الحق تعالى. ﴿إنا عاملون﴾ في طلب الحق من باب لطفه ﴿وانتظروا﴾ قهر الحق من باب قهره ﴿إنا منتظرون﴾ وجدان الحق من باب لطفه وقد ثبت عند أهل التحقيق أن الوجود العيني تابع لعلم الله تعالى وهو تابع للمعلوم الذي هو عين ثابتة لكل فرد من أفراد الإنسان، وهم قد سألوا بلسان الاستعداد في تلك المرتبة، أي: حين كونهم أعياناً ثابتة كل مالهم وعليهم فسلوكهم في هذه النشأة إلى طريق الأعمال القهرية ودقهم باب الجلال الإلهي إنما هو من نتائج استعداداتهم ومقتضيات أسئلتهم السابقة، وقس عليه أهل اللطف والجمال، وكما أن الله تعالى نصر أنبيائه كذلك، ينصر أولياءه وصالح المؤمنين، ويفتح عليهم أبواب لطفه وكرمه، ويؤيدهم ويثبتهم ويحفظهم من تزلزل الأقدام بحسب مراتبهم، ويدفع عن قلوبهم الألم وإنما الألم، من فقدان العيان ـ يحكى ـ أن شاباً ضرب تسعة وتسعين سوطاً فما صاح ولا استغاث إلا في واحدة بعدها فتبعه الشبلي رحمه الله فسأله عن أمره، فقال: إن العين التي ضربت من أجلها كانت تنظر إليّ في التسعة والتسعين وفي الواحدة حجبت عني. وفي «المثنوي»:

هركجا باشد شه مارا بساط هست صحرا اكر بود سم الخياط
هركجا يوسف رخى باشد چوماه جنتست آن كرچه باشد قعر چام

فالكلام إنما هو في كون المرء مع الحق وشهوده في كل وقت.

﴿ولله﴾ اللام للاختصاص ﴿غيب السموات والأرض﴾ الغيب في الأصل مصدر وإضافة المصدر من صيغ العموم والإضافة بمعنى في أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه فكيف يخفى عليه أعمالكم ﴿وإليه﴾ تعالى وحده ﴿يرجع الأمر كله﴾ بضم الياء وفتح الجيم بمعنى يرد وبفتح الياء وكسر الجيم بمعنى يعود عواقب الأمور كلها يوم القيامة فيرجع أمرك يا محمد وأمر الكفار إليه فينتقم لك منهم ﴿فاعبده﴾ أي أطعه واستقم على التوحيد ﴿وتوكل عليه﴾ فوض إليه جميع أمورك فإنه كافيك وعاصمك من شرهم فعليك تبليغ ما أوحينا إليك بقلب فسيح غير مبال بعدواتهم وعتوهم وسفههم وفي تأخير الأمر بالتوكل عن الأمر بالعبادة إشعار بأنه لا ينفع بدونها ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ وكل عمل تعمله أنت وهم أي الكفار فالله تعالى عالم به غير غافل عنه لأن الغفلة والسهو لا يجوزان على من لا يخفى عليه شيء في السموات والأرض فيجازي كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق.

وعن كعب الأحبار أن فاتحة التوراة سورة الأنعام وخاتمتها هذه الآية وهي: ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ الخ.

اعلم أن علم الغيوب بالذات مختص بالله تعالى وأما أخبار الأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم أجمعين فبواسطة الوحي والإلهام وتعليم الله تعالى. ومن هذا القبيل إخباره عليه السلام عن حال العشرة المبشرة. وكذا عن حال بعض الناس.

وعن محمد بن كعب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة» فدخل عبد الله بن سلام فقام إليه الناس من أصحاب رسول الله فأخبروه بذلك قالوا: لو أخبرتنا بأوثق عمل ترجو به فقال: «إني ضعيف وإن أوثق ما أرجو به سلامة الصدر وترك ما لا يعني». وكذا إخباره عليه السلام عن أشراط الساعة وما يظهر في آخر الزمان من غلبة البدع والهوى وإماتة الصلاة وأتباع الشهوات.

وعن سيد الطائفة جنيد البغدادي رحمه الله قال لي خالي سري السقطي: تكلم على الناس وكنت اتهم نفسي في استحقاق ذلك ورأيت النبي عليه السلام وكان ليلة الجمعة فقال: تكلم على الناس، فانتبهت وأتيت بابه العامي فقال: لم تصدقنا حتى قيل لك: فقعدت من غد للناس أي بطريق العظة والتذكير فقعد علي غلام نصراني متنكراً وقال: أيها الشيخ ما معنى قوله عليه السلام: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» قال فأطرقت رأسي ورفعت فقلت: أسلم فقد حان وقت إسلامك فأسلم الغلام، فمثل هذا العلم والوقوف على أحوال الناس لا يحصل إلا بإخبار الله تعالى وإلا فكل ولي متحير في أمره وأمر غيره كما قال المولى الجامي:

اي دل توكه آن فضولي وبو العجبي از من چه نشان عافيت مي طلبي
سر كشته بود خواه ولى خواه نبي در وادي ما أدري ما يفعل بي

ثم إن التوكل عبارة عن الاعتصام به تعالى في جميع الأمور، ومحله القلب وحركة الظاهر لا تنافي توكل القلب بعد ما تحقق عند العبد أن التقدير من قبل الله تعالى، فإن تعسر شيء فبتقديره فالواجب على كافة العباد أن يعبدوا الله تعالى ويعتمدوا عليه كل الاعتماد لا على

الجاه والعقل والأموال والأولاد فإن الله تعالى خالق كل مخلوق ورازق كل مرزوق وفي الحديث: «ما من زرع على الأرض ولا ثمر على الأشجار إلا وعليه مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم هذا رزق فلان ابن فلان» وفي الحديث: «خلق الله الأرزاق قبل الأجساد بألف عام فبسطها بين السماء والأرض فضربتها الرياح فوقعت في مشارق الأرض ومغاربها، فمنهم من وقع رزقه في ألف موضع، ومنهم من وقع في مائة، ومنهم من وقع على باب داره يغدو ويروح حتى يأتيه». قال المولى الجامي قدس سره:

حرص چه ورزى كه نبودت اوسود   هيچ دوشش كرد دوهشت تونه
رنج طلب راهمه برخود مكير   يطلبك الرزق كما تطلبه

وأفضل العبادات في مقام التوكل هو التوكل، وفي مقام الرضى هو الرضى، وفي مقام الفناء هو الفناء، وعلى هذا، ثم إن العبادة وإن كثرت أنواعها، ولكن العبادة في الحقيقة ترك العادات ومخالفة النفس بالمجاهدات، والانقطاع عما سوى الله تعالى حتى يترقى العبد من مقام العبادة إلى مقام العبودية، ولا يحصل ذلك إلا بكمال التوحيد وكمال التوحيد لا يحصل إلا بالمداومة للعبادات والملازمة إلى ذكر الله تعالى في جميع الحالات.

يا رب ز دوكون بي نيازم كردان   واز افسر فقر سر فرزم كردان
درراه طلب محرم رازم كردان   زان ره كه نه سوى تست بازم كردان

والله ولي التوفيق وإليه تعود العواقب على التحقيق.

تمت سورة هود بفضل الله الودود في سحر ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ثلاث ومائة وألف.

تفسير سورة يوسف

وهي مكية وآيها مائة وإحدى عشرة على ما هو المضبوط

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ روي ـ عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «علموا أرقاءكم سورة يوسف فإنه أيما مسلم أملاها وعليها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة وأن لا يحسد مسلماً» كذا في «تفسير التبيان» وذلك أن يوسف عليه السلام ابتلي بحسد الإخوان وشدائد البئر والسجن فأرسل الله تعالى جبرائيل فسلاه وهون عليه تلك الشدائد بإيصاله إلى مقام الأنس والحضور، ثم أعطاه القوة والعزة والسلطنة فآل أمره إلى الصفاء بعد أنواع الجفاء فمن حافظ على تلاوة سورة يوسف وتدبر في معانيها، وصل إلى ما وصل يوسف من أنواع السرور كما قال ابن عطاء رحمه الله تعالى: لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح كما في «تفسير الكواشي» نسأل الله الراحة من جميع الحواشي ـ روي ـ أن أحبار اليهود قالوا لرؤساء المشركين سلوا محمداً لماذا انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف ففعلوا ذلك فنزلت هذه السورة.

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١﴾

﴿الر﴾ أي إنا الله أرى وأسمع سؤالهم إياك عن هذه القصة ويقال إنا الله أرى صنيع أخوة يوسف ومعاملتهم معه. ويقال إنا الله أرى ما يرى الخلق وما لا يرى الخلق. ويقال الر تعديد للحروف على سبيل التحدي فلا محل له من الإعراب أو خبر مبتدأ محذوف أي هذه السورة الر أي مسماة بهذا الاسم.

يقول الفقير أصلحه الله القدير: الحروف المقطعة من الأسرار المكتومة التي يحرم إفشاؤها لغير أهلها. وقول بعضهم هذه الحروف من المتشابهات القرآنية لا يعلم معانيها إلا الله سلوك إلى الطريق الأسلم وتسليم للأمر إلى أهله، وليس ببعيد من كرم الله تعالى أن يفيض معانيها على قلوب الكمل لكنهم إنما يرمزون بها ويشيرون بغير تصريح بحقائقها صونا للعقول الضعيفة وحفظاً للعهد المأخوذ منهم.

قدر كوهر چو كوهرى داند ... چه نهى در دكان خرده فروش

قال الحافظ:

قيمت در كرانما يه چه دانند عوام ... حافظاً كوهر يكدانه مده جز بخواص

وعن علي رضي الله عنه: «لو حدثتكم ما سمعته من فم أبي القاسم لخرجتم من عندي وتقولون إن علياً أكذب الكذابين وأفسق الفاسقين» كما في «شرح المثنوي». قال حضرت الشيخ العطار قدس سره.

دلـــى پـــر كـــوهـــر أســـرار دائـــم ولـــى انـــدر زبـــان مـــســـمـــار دارم

وقال حضرة مولانا قدس سره:

هـــركـــه را أســـرار كـــار آمـــو ختـــنـــد مـــهـــر كـــردنـــد ودهـــانـــش دوختـــنـــد

وكون هذه الحروف المبسوطة مما ليس لها وضع لغوي أو عرفي معلوم، لا ينافي أن يكون لها معان حقيقية في الحقيقة، فإن الواضع هو الله تعالى فيحتمل أنه وضع لها معاني معلومة لخلص عباده، بل الاحتمال مرفوع حيث إن نزول حرف التهجي على أبينا آدم عليه السلام يحقق موضعيتها، فقول العلماء إنها تعديد على نمط التحديد ليس له كثير معنى فافهم جداً، وفي الحديث: «سألني ربي» أي: ليلة المعراج «فلم استطع أن أجيبه فوضع يده بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد» أي يد قدرته لأنه سبحانه منزه عن الجارحة «فوجدت بردها فأورثني علوم الأولين والآخرين وعلمني علوماً شتى، فعلم أخذ عليّ كتمانه؛ إذ علم أنه لا يقدر على حمله غيري وعلم خيرني فيه وعلم أمرني بتبليغه إلى العام والخاص من أمتي» وهي الإنس والجن والملك كما في «إنسان العيون». ﴿**تلك**﴾ السورة وأشير إليها بما يشير إلى البعيد لأنه وصل من المرسل إلى المرسل فصار كالمتباعد، أو لأن الإشارة لما كانت إلى الموجود في الذهن أشير به إيماء إلى بعده عن حيز الإشارة لما إنها تكون بمحسوس مشاهد وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿**آيات الكتاب**﴾ أي: القرآن ﴿**المبين**﴾ من أبان بمعنى بان أي وضح وظهر أي الظاهر أمره في كونه من عند الله تعالى وفي إعجازه، أو بمعنى بين وأوضح أي المبين لما فيه من الأحكام والشرائع وخفايا الملك والملكوت وأسرار النشأتين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص.

وفي «بحر العلوم» الكتاب المبين هو اللوح وإبانته أنه قد كتب وبين فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه إبانة ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الذاتي عقب ذلك بما يدل على الشرف الإضافي فقيل:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾.

﴿**إنا أنزلناه**﴾ أي: الكتاب المتضمن قصة يوسف وغيرها في حال كونه ﴿**قرآناً عربياً**﴾ بلغتكم، فعربياً نعت لقرآناً نعت نسبة، لا نعت لزوم، لأنه كان قرآناً قبل نزوله فلما نزل بلغة العرب نسب إليها كما في «الكواشي». و﴿**قرآناً**﴾ حال موطئة، أي توطئة للحال التي هي عربياً لأنه في نفسه لا يبين الهيئة وإنما بينها للغير وهي ما يتبعها من الصفة فإن الحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة هي الحال في الحقيقة فكأن الاسم الجامد وطأ الطريق لما هو حال في الحقيقة بمجيئه قبلها موصوفاً بها كما في «شرح الكافية» للعلامة. ﴿**لعلكم تعقلون**﴾ أي: لكي تفهموا معانيه وتحيطوا بما فيه وتطلعوا على أنه خارج عن طوق البشر، منزل من عند خلاق القوى والقدر، والعقل إدراك معنى الكلام والعلة على التشبيه والاستعارة، فإن أفعال الله تعالى لا تعلل بالأغراض عند أهل السنة.

وقال في «بحر العلوم»: لعل مستعار لمعنى الإرادة لتلاحظ العرب معناه أو معنى الترجي أي أنزلنا قرآنا عربياً إرادة أن تعقله العرب ويفهموا منه ما يدعوهم إليه فلا يكون لهم حجة على

الله ولا يقولوا لنبيهم ما خوطبنا به كما قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ [فصلت: ٤٤].

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿الر﴾ يشير بألف إلى الله وباللام إلى جبريل وبالراء إلى الرسول، أي ما أنزل الله تعالى على لسان جبريل على قلب الرسول دلالات الكتاب من المحبوب إلى المحب ليهتدي المحب بالبيان طريق الوصول إلى المحبوب إنا كسوناه للقراءة كسوة العربية ﴿لعلكم تعقلون﴾ حقائق معانيه وأسراره ومبانيه وإشاراته بها إذ هي لغتكم، كما أنزلنا التوراة على أهلها بلغة العبري، والإنجيل بلغة السرياني، يشير به إلى أن حقيقة كلام الله تعالى منزهة في كلاميته عن كسوة الحروف والأصوات واللغات ولكن الخلق يحتاجون في تعقل معانيه إلى كسوة الحروف واللغات.

وفي الآيات دليل على شرف اللسان العربي وفي كلام الفقهاء العرب أولى الأمم لأنهم المخاطبون أولاً والدين عربي، وفي الحديث: «أحب العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي» وفي الحديث: «إن لواء الحمد يوم القيامة بيدي وإن أقرب الخلق من لوائي يومئذٍ العرب» وفي الحديث: «إذا ذلت العرب ذل الإسلام» وفي الحديث: «إن الله حين خلق الخلق بعث جبريل فقسم الناس قسمين: قسم العرب قسماً، وقسم العجم قسماً وكانت خيرة الله في العرب، ثم قسم العرب قسمين قسم اليمن قسماً، وقسم مضر قسماً وكانت خيرة الله في مضر وقسم مضر قسمين فكانت قريش قسماً وكانت خيرة الله في قريش، ثم أخرجني من خير من أنا منه».

تازىء يثربى لقب مكىْ هاشمي نسب معتكف سراى وحى امىْ امتي سراى

يقول الفقير: ولكون رسول الله ﷺ عربياً جاء وارثه الأكمل من العرب، وهو حضرة الشيخ الأكبر والمسك الأذفر والكبريت الأحمر محيي الدين بن عربي قدس الله نفسه الزاكية، وإنما قلت بكونه الوارث الأكمل لكونه خاتمة الولاية الخاصة المحمدية فهو من أكمل مظاهر هذه المرتبة وفيه ظهر التفضيل الذي لم يظهر في غيره ومن عداه طفيلي مائدته في هذا الباب وبهذا المعنى نصرح به ولا نكني وليمت المنكر بغيظه وغضبه ونعوذ بالله من سوء الاعتقاد.

﴿نحن نقص عليك﴾ نخبرك ونحدثك. وبالفارسية [ما ميخوا نيم برتو] من قصى أثره إذا اتبعه لأن من يقص الحديث ويرويه يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً كما يقال تلا القرآن إذا قرأه لأن من يتلو يتبع ما حفظ منه آية بعد آية. ﴿أحسن القصص﴾ مفعول به لنقص على أن يكون القصص مصدراً بمعنى المقصوص أي نبين لك أحسن ما يقص من الأنباء والأحاديث وهو قصة آل يعقوب والظاهر أنه أحسن ما يقص في بابه كقولك فلان أعلم الناس وأفضلهم تريد في فنه كما في «بحر العلوم» أي فلا يلزم أن يكون أحسن من قصة سيد الكونين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ويمكن أن يقال قد يراد بافعل الزيادة من وجه كما في قوله تعالى: ﴿أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الزخرف: ٤٨] كما في «حواشي» سعدي المفتي قال محيي السنة سمى الله قصة يوسف أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا من سير الملوك والمماليك، ومكر النساء، والصبر على أذى الأعداء، والتجاوز عنهم بعد الاقتدار وغير ذلك من الفوائد.

وقال بعضهم: لأن يوسف عليه السلام كان أحسن أبناء بني إسرائيل ونسبه أحسن

الأنساب كما قال ﷺ: «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم» والكرم اسم جامع لكل ما يحمد به، واجتمع في يوسف مع كونه ابن ثلاثة أنبياء متراسلين شرف النبوة وحسن الصورة وعلم الرؤيا ورياسة الدنيا وحياطة الرعايا في القحط والبلايا فأي رجل أكرم من هذا؟.

وقال بعضهم: لأن دعاءه كان أحسن الأدعية توفني مسلماً وألحقني بالصالحين وهو أول من تمنى لقاء الله تعالى بالموت.

غافلان ازموت مهلت خواستند عاشقان كفتند نى نى زود باش

وتزويجه أحسن التزويج، وفي قصة تزويجه صفة فرقة ووصلة، وصلة وغربة، وتلطيف وتعنيف وعشق وعاشق ومعشوق، وحبس وخلاص، وقيد وعبودية، وعتق، وتعارف وتناكر، وإقبال وفرار، ونفحة وجذبة، وإشارة وبشارة، وتعبير وتفسير، وتعسير وتيسير، وأودع في قصته ما لم يودع في غيره من اللطائف وأنواع المعاملات مما يروح الأرواح ويهيج الأشباح.

يقول الفقير: لا يبعد أن يقال إن قصة يوسف أحسن الأقاصيص السالفة في سورة هود في باب تسلية النبي ﷺ وفي نفسها أيضاً إذ ما يتعلق بالمحبوب محبوب وما ينبىء عن الأحسن أحسن كما قال المولى الجامي:

بس دلكش است قصهٔ خوبان وزان ميان تو يوسفي وقصهٔ تو أحسن القصص

وسيجيء ذكر الملاحة المتعلقة بجناب يوسف وحضرة الرسالة عليهما السلام.

وقال بعضهم: هي أول قصة نزلت على رسول الله ﷺ وهي أوجز لفظاً وأجمع معنى، مترجمة في الحقيقة عن أسرار الوراثة والخلافة والروح والقلب والقوى وتصفية النفس الأمارة التي ظهرت أولاً في صورة زليخا ثم أسلمت وتزكت وصفت إلى أن وصلت إلى مقام الرضى والامتنان بعد همها بأماريتها ثم اجتمعت بالروح اليوسفي بعد انقياد قواها في صورة الإخوة.

وقال في «التأويلات النجمية» إنما كانت أحسن القصص لأن لها مناسبة ومشابهة بأحوال الإنسان ورجوعه إلى الله ووصوله إليه وذلك لأنها تشير إلى معرفة تركيب الإنسان من الروح والقلب والسر والنفس وحواسه الخمس الظاهرة وقواه الست الباطنة والبدن وابتلائه بالدنيا وغير ذلك إلى أن يبلغ الإنسان أعلى مراتبه فإشارة يوسف إلى القلب ويعقوب إلى الروح وراحيل إلى النفس وأخوة يوسف إلى القوى والحواس ثم إن القرآن مع اشتماله على مثل هذه القصة البديعة وغيرها من عجائب البيان طعن فيه الكفار لكونهم عن غير أولي الأبصار وفي «المثنوي»:

چون كتاب الله بيامد هم بران اينچنين طعنه زدند آن كافران
كه اساطير است وافسانهٔ نژند نيست تعميقي وتحقيقي بلند
ذكر يوسف ذكر زلف وپر چمش ذكر يعقوب وزليخاى غمش

ونعم ما قال حضرة الشيخ السعدي قدس سره:

كسى بديدهٔ انكار اكر نكاه كند نشان صورت يوسف دهدبنا خوبى
وكر بچشم ارادت نكه كند درديو فرشته اش بنمايد بچشم كروبى

﴿بما أوحينا﴾ متعلقة بنقص وما مصدرية أي: بإيحائنا. **﴿إليك هذا القرآن وإن﴾** مخففة من الثقيلة أي: وأن الشأن **﴿كنت من قبله﴾** أي من قبل إيحائنا إليك هذا القرآن **﴿لمن**

الغافلين﴾ الغفلة عن الشيء هي أن لا يخطر ذلك بباله أي لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط، وهو تعليل لكونه موحى، والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لإجلال شأنه عليه السلام كما في «الإرشاد» فليست هي الغفلة المتعارفة بين الناس، ولله أن يخاطب حبيبه بما شاء ألا ترى إلى قوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢] وقوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ [الضحى: ٧] ونحوهما فإن مثل هذا التعبير إنما هو بالنسبة إلى الله تعالى وقد تعارفه العرب من غير أن يخطر ببالهم نقص ويجب علينا حسن الأداء في مثل هذا المقام رعاية للأدب في التعبير وتقرير الكلام مع أن الزمان وأهله قد مضى وانقضت الأيام والأنام اللهم اجعلنا فيمن هديتهم إلى لطائف البيان ووفقتهم لما هو الأدب في كل أمر وشأن إنك أنت المنان.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾.

﴿إذ قال يوسف﴾ أي: اذكر يا محمد وقت قول يوسف وهو اسم عبري ولذا لم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان عربياً لانصرف والعبري والعبراني لغة إبراهيم عليه السلام كما إن السرياني هي اللغة التي تكلم بها آدم عليه السلام.

قال السيوطي السرياني منسوب إلى سريانة وهي أرض الجزيرة التي كان نوح وقومه قبل الغرق فيها وكان لسانهم سريانياً إلا رجلاً واحداً يقال له جرهم وكان لسانه عربياً.

قال في «أنوار المشارق»: من اللطائف الاتفاقية أن الأسف في اللغة الحزن والأسيف العبد وقد اتفق اجتماعهما في يوسف ﴿لأبيه﴾ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

قال بعض من مال إلى الاشتقاق في هذه الأسماء: إنما سمي يعقوب؛ لأن يعقوب وعيصا كانا توأمين فاقتتلا في بطن أمهما حيث أراد يعقوب أن يخرج فمنعه عيص وقال: لئن خرجت قبلي لاعترضن في بطن أمي فلاقتلنها فتأخر يعقوب، فخرج عيص فأخذ يعقوب بعقب عيص فخرج بعده فلهذا سمي به، وسمي الآخر عيصاً لما عصى وخرج قبل يعقوب، وكان عيص رجلاً أشعر، وكان يعقوب أجرد، وكان عيص أحبهما إلى أبيه، وكان يعقوب أحبهما إلى أمه وكان عيص صاحب صيد وكان يعقوب صاحب غنم فلما كبر إسحاق وعمي قال لعيص يوماً: يا بني، أطعمني لحم صيد واقترب مني ادع لك بدعاء دعا لي به أبي هو دعاء النبوة، وكان لكل نبي دعوة مستجابة، وأخر رسولنا ﷺ دعاءه للشفاعة العظمى يوم القيامة، فخرج عيص لطلب صيد فقالت أمه ليعقوب يا بني اذهب إلى الغنم فاذبح منها شاة ثم اشوها والبس جلدها وقدمها إلى أبيك قبل أخيك وقل له أنا ابنك عيص لعله يدعو لك ما وعده لأخيك فلما جاء يعقوب بالشواء قال يا بت كل قال: من أنت؟ قال: أنا ابنك عيص فمسه فقال المس مس عيص والريح ريح يعقوب.

يقول الفقير: والأسلم أن يقال إن أمه أحضرت الشواء بين يدي إسحاق وقالت إن ابنك جاءك بشواء فادع له فظن إسحاق أنه عيص فأكل منه، ثم دعا لمن جاء به أن يجعل الله في ذريته الأنبياء والملوك فذهب يعقوب، ولما جاءه عيص قال يا أبت قد جئتك بالصيد الذي أردت فعلم إسحاق الحال وقال يا بني قد سبقك أخوك ولكن بقيت لك دعوة فهلم ادعو لك

بها فدعا أن يكون ذريته عدد التراب فأعطى الله له نسلاً كثيراً وجملة الروم من ولده روم، وكان إسحاق متوطناً في كنعان، وإسماعيل مقيماً في مكة، فلما بلغ إسحاق إلى مائة وثمانين من العمر وحضرته الوفاة وصى سراً بأن يخرج يعقوب إلى خاله في جانب الشام، حذراً من أن يقتله أخوه عيص حسداً لأنه أقسم بالله في قصة الشواء أن يقتل يعقوب، فانطلق إلى خاله ليا بن ناهز، وأقام عنده وكان لخاله بنتان أحداهما لايا، وهي كبراهما والأخرى راحيل، وهي صغراهما فخطب يعقوب إلى خاله بأن يزوجه إحداهما، فقال له خاله: هل لك مال قال لا ولكن اعمل لك فقال نعم صداقها أن تخدمني سبع سنين فقال يعقوب: أخدمك سبع سنين على أن تزوجني راحيل قال ذلك بيني وبينك فرعى له يعقوب سبع سنين فزوجه الكبرى وهي لايا، قال له يعقوب إنك خدعتني إنما أردت راحيل فقال له خاله إنا لا ننكح الصغيرة قبل الكبيرة فهلم فاعمل سبع سنين أخرى فازوجك أختها وكان الناس يجمعون بين الأختين إلى أن بعث الله موسى عليه السلام فرعى له سبع سنين أخرى فزوجه راحيل فجمع بينهما وكان خاله حين جهزها دفع إلى كل واحدة منهما أمة تخدمها اسم إحداهما زلفة والأخرى بلهة، فوهبتا الأمتين ليعقوب، فولدت لايا ستة بنين وبنتاً واحدة روبيل. شمعون. يهودا. لاوي. يسجر. زيالون. دنية.

وولدت زلفة ابنين دان. يغثالي.

وولدت بلهة أيضاً ابنين جاد، آشر، وبقيت راحيل عاقراً سنين ثم حملت وولدت يوسف وليعقوب من العمر إحدى وتسعون سنة، وأراد يعقوب أن يهاجر إلى موطن أبيه إسحاق بكل الحواشي، وكان ليوسف خال له أصنام من ذهب فقالت لايا ليوسف: اذهب واسترق منه صنماً لعلنا نستنفق منه فذهب يوسف فأخذ صنماً.

يقول الفقير: والأسلم أن خاله وهو أبو امرأته جهزه كما في بعض الكتب فخرج وقد رفع الله ما في قلب عيص من العداوة:

كفر ايمان كشت وديو اسلام يافت   آن طرف كان نور بي اندازه يافت

فلما التقيا تعانقا وكانا على المصافاة، وفي سنة الهجرة حملت راحيل ببنيامين وماتت في نفاسها ويوسف ابن سنتين، وكان أحب الأولاد إلى يعقوب وحين صار ابن سبع سنين رأى في المنام أن أحدى عشرة عصا طوالاً كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدائرة، وإذا عصا صغيرة تثبت عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه، فقال: إياك أن تذكر هذا لإخوتك ثم رأى ليلة الجمعة، وكانت ليلة القدر وهو ابن ثنتي عشرة سنة أو سبع عشرة ما حكى الله تعالى عنه بقوله: ﴿**يا أبت**﴾[كويند يوسف دركنار پدر در خواب بودناكاه سراسيمه ازخواب در آمد پس يعقوب كفت اي پسر تراچه رسيد كفت] يا أبت: واصله يا أبي فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في أن كل واحدة زيادة مضمومة إلى آخر الاسم، أو لأن التاء تدل في بعض المواضع على التفخيم كما في علامة ونسابة، والأب والأم مظنتا التفخيم كما اختاره الرضي. والمعنى بالفارسية [اي پدر خواب عجب ديدم]. ﴿**إني رأيت**﴾في المنام فهو من الرؤيا لا من الرؤية لقوله: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾ [يوسف: ٥].

قال في «الكواشي»: الرؤيا في المنام والرؤية في العين والرأي في القلب ﴿**أحد عشر كوكباً والشمس والقمر**﴾[من برسر كوهى بلند بودم كه حوالىء أو انهار جاري وأشجار

سبزبود] وعطف الشمس والقمر على كوكباً تخصيصاً أي لإظهار شرفهما على سائر الطوالع كعطف الروح على الملائكة ثم استأنف على تقدير كيف رأيت فقال ﴿رأيتهم لي ساجدين﴾ [اين ستار كان ونيرين فرود آمدند ومن در ايشان نكرستم ديدم مرا سجود كنند كان] أي سجدة تحية لا سجدة عبادة.

قال ابن الشيخ: لفظ السجود يطلق على وضع الجبهة على الأرض سواء كان على وجه التعظيم والإكرام أو على وجه العبادة، ويطلق أيضاً على التواضع والخضوع، وإنما أجريت مجرى العقلاء في الضمير لوصفها بوصف العقلاء أعني السجود ـ روي ـ عن جابر أن يهودياً جاء رسول الله ﷺ فقال: أخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت النبي عليه الصلاة والسلام فنزل جبريل فأخبره بذلك فقال عليه السلام: «إذا أخبرتك بذلك هل تسلم» قال نعم قال عليه السلام: «جريان، والطارق، والذيال، وقابس، وعمودان، والفليق، والمصبح، والضروح، والفرغ، ووثاب، وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له» فقال اليهودي إي والله إنها لأسماؤها.

واعلم أن يوسف رأى إخوته في صورة الكواكب؛ لأنه يستضاء بالإخوة ويهدي كما يهدي بالكواكب ورأى أباه وخالته ليا في صورة الشمس والقمر، وإنما قلنا خالته؛ لأن أمه ماتت في نفاس بنيامين كما مر وسجودهم له دخولهم تحت سلطنته وانقيادهم كما سيأتي في آخر القصة.

قال في «الإرشاد» ولا يبعد أن يكون تأخير الشمس والقمر إشارة إلى تأخر ملاقاته لهما عن ملاقاته لإخوته.

والإشارة: بالأحد عشر كوكباً إلى الحواس الخمس الظاهرة، من السمع والبصر والشم والذوق واللمس والقوى الست الباطنة من المفكرة والمذكرة والحافظة والمخيلة والواهمة والحس المشترك فإن كل واحدة من هذه الحواس والقوى كوكب مضيء يدرك به معنى مناسب له وهو إخوة يوسف القلب لأنهم تولدوا بازدواج يعقوب الروح وراحيل النفس كلهم بنو أب واحد.

والإشارة: بالشمس والقمر إلى الروح والنفس، ومقام كمالية الإنسان أن يكون للقلب سلطان يسجد له الروح والنفس والحواس والقوى كما سجد الملائكة لآدم أي تنقاد وتصير مسخرة مقهورة تحت يده وهذا هو الفتح المطلق الذي أشارت إليه سورة النصر، وليس لوارث ذا المقام بقاء في الدنيا غالباً أي بعد أن تحقق بحقيقته فافهم، جداً وكان شيخنا الأجل الأكمل من هذا القسم روح الله روحه، وأفاض علينا فتوحه، وهم يختارون المقام عند ربهم إذا وصلوا إلى نهاية مطالبهم كما قال المولى الجامي:

اكر كنند بمن عرض ديني وعقبي   من آستان تو بر هردوجاى بكزينم

والموت أنسب لكونهم في مقام العندية لكون التفصيل البرزخي أكثر من التفصيل الدنيوي وإلا فهم ليسوا في الدنيا ولا في العقبى في حياتهم ومماتهم.

ثم اعلم أن الرؤيا عبارة عن ارتسام صورة المرئي وانتقاشها في مرآة القلب في النوم دون اليقظة، فالرؤيا من باب العلم، ولكل علم معلوم، ولكل معلوم حقيقة، وتلك الحقيقة صورته، والعلم عبارة عن وصول تلك الصورة إلى القلب وانطباعها فيه، سواء كان في النوم أو

في اليقظة فلا محل له غير القلب، ولما كان عالم الأرواح متقدماً بالوجود والمرتبة على عالم الأجسام وكان الامداد الرباني الواصل إلى الأجسام موقوفاً على توسط الأرواح بينها وبين الحق وتدبير الأجسام مفوض إلى الأرواح، وتعذر الارتباط بين الأرواح والأجسام للمباينة الذاتية الثابتة بين المركب والبسيط، فإن الأجسام كلها مركبة، والأرواح بسيطة فلا مناسبة بينهما فلا ارتباط، وما لم يكن ارتباط لا يحصل تأثير ولا تأثر ولا امداد ولا استمداد، فلذلك خلق الله عالم المثال برزخا جامعاً بين عالم الأرواح وعالم الأجسام ليصح ارتباط أحد العالمين بالآخر فيتأتى حصول التأثر والتأثير ووصول الامداد والتدبير، وهكذا شأن روح الإنسان مع جسمه الطبيعي العنصري الذي يدبره ويشتمل عليه علماً وعملاً فإنه لما كانت المباينة ثابتة بين روحه وبدنه وتعذر الارتباط الذي يتوقف عليه التدبير ووصول المدد إليه خلق الله نفسه الحيوانية برزخاً بين البدن والروح المفارق، فنفسه الحيوانية من حيث إنها قوة معقولة هي بسيطة تناسب الروح المفارق، ومن حيث إنها مشتملة بالذات على قوى مختلفة متكثرة منبثة في أقطار البدن متصرفة بتصرفات مختلفة ومحمولة أيضاً في البخار الضبابي الذي في التجويف الأيسر من القلب الصنوبري تناسب المزاج المركب من العناصر فحصل الارتباط والتأثر والتأثير وتأتي وصول المدد.

وإذا وضح هذا فاعلم أن القوة الخالية التي في نشأة الإنسان من كونه نسخة من العالم بالنسبة إلى العالم المثالي المطلق، كالجزء بالنسبة إلى الكل، وكالجدول بالنسبة إلى النهر الذي هو مشرعه، وكما أن طرف الجدول الذي يلي النهر متصل به كذلك عالم الخيال الإنساني من حيث طرفه الأعلى متصل بعالم المثال.

والمثال نوعان: مطلق ومقيد، فالمطلق: ما حواه العرش المحيط من جميع الآثار الدنيوية والأخروية، والمقيد نوعان نوع هو مقيد بالنوم ونوع غير مقيد بالنوم مشروط بحصول غيبة وفتور ما في الحس كما في «الواقعات المشهورة» للصوفية وأول ما يراه الأنبياء عليهم السلام إنما هو الصور المثالية المرئية في النوم والخيال، ثم يترقون إلى أن يروا الملك في المثال المطلق أو المقيد في غير حال النوم لكن مع نوع فتور في الحس، وكونهم مأخوذين عن الدنيا عند نزول الوحي إنما هو مع بقاء العقل والتمييز ولذا لا ينتقض حينئذٍ وضوؤهم ولأنهم تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم لكون بواطنهم محلاة بصفات الله متخلقة بأخلاقه مطهرة عن أوصاف البشرية من الحرص والعجز والأمل والضعف وغير ذلك مما فيه نقص ظاهر بالإضافة إلى ذروة الكمال فضلاً عن النوم لأن النوم عجز وضعف وآفة، ولو حلت الآفة قلب النبي لجاز أن يحله سائر الآفات من توهم في الوحي وغفلة عنه وسآمة منه وفزع يمنعه عن واجب عليه.

قال بعضهم: إن الله قد وكل بالرؤيا ملكاً يضرب من الحكمة الأمثال، وقد اطلعه الله سبحانه على قصص ولد آدم من اللوح المحفوظ فهو ينسخ منها ويضرب لكل قصة مثلاً، فإذا نام يمثل له تلك الأشياء على طريق الحكمة لتكون بشارة له أو نذارة أو معاتبة ليكونوا على بصيرة من أمرهم.

وفي «شرح الشرعة» أن اللوح المحفوظ في المثال كمرآة ظهر فيها الصور، ولو وضع مرآة في مقابلة أخرى ورفع الحجاب بينهما كانت صورة تلك المرآة تتراءى في تلك والقلب مرآة تقبل رسوم العلوم واشتغاله بشهواته ومقتضى حواسه، كأنه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة

اللوح الذي هو من عالم الملكوت، فإن هبت ريح الرحمة حرك هذا الحجاب ورفع فيتلألأ في مرآة القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف، وقد يثبت ويدوم، وما دام متيقظاً فهو مشغول بما يورده الحس عليه من عالم الشهادة إلا من شاء الله تعالى من المؤيدين من عند الله تعالى فإذا ركدت الحواس عند النوم وتخلص القلب من شغلها ومن الخيال، وكان صافياً في جوهره، وارتفع الحجاب وقع في القلب شيء مما في اللوح بحسب صفاته إلا أن النوم لا يمنع الخيال عن عمله وحركته، فما وقع في القلب من اللوح يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه وتكون التخيلات أثبت في الحفظ من غيرها فإذا انتبه من النوم لا يتذكر إلا الخيال فيحتاج الرائي إلى معبر لينظر بفراسته أن هذا الخيال حكاية، أي معنى من المعاني، ولهذا السرّ كان من السنة لمن يرى في منامه شيئاً أن يقصه على عالم ناصح.

والرؤيا ثلاثة، أحدها: حديث النفس كمن يكون في أمر أو حرفة يرى نفسه في ذلك الأمر وكالعاشق يرى معشوقه ونحو ذلك، وثانيها: تخويف الشيطان بأن يلعب بالإنسان فيريه ما يحزنه ومن لعبه به الاحتلام الموجب للغسل، وهذان لا تأويل لهما، وثالثها: بشرى من الله تعالى بأن يأتيك ملك الرؤيا من نسخة أم الكتاب يعني من اللوح المحفوظ وهو الصحيح وما سوى ذلك أضغاث أحلام.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥﴾

﴿قال﴾ استئناف مبني على سؤال من قال فماذا قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة؟ فقيل قل ﴿يا بني﴾ تصغير ابن صغره للشفقة والمحبة وصغر السن، فإنه كان ابن ثنتي عشرة سنة كما مر، وأصله يا بنيا الذي أصله يا بني فأبدلت ياء الإضافة الفا كما قيل في يا غلامي يا غلاماً بناء على أن الألف والفتحة أخف من الياء والكسرة.

قال في «الإرشاد»: ولما عرف يعقوب من هذه الرؤيا أن يوسف يبلغه تعالى مبلغاً جليلاً من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه الكرام خاف عليه حسد الإخوة وبغيهم فقال صيانة لهم من ذلك، وله من معاناة المشاق ومقاساة الأحزان، وإن كان واثقاً من الله تعالى بأن سيتحقق ذلك لا محالة وطمعاً في حصوله بلا مشقة. ﴿لا تقصص﴾ [مخوان وپيدامكن] ﴿رؤيك﴾ كلا أو بعضاً ﴿على إخوتك﴾ وهم بنوا علاته العشرة كما هو المشهور إذ عدّ دنية من الرجال سهو فإن الأصح إنها بنت ليا، كما سبق، فقوله في «تفسير الإرشاد» المراد بإخوته ههنا الذين يخشى غوائلهم ومكايدهم من بني علاته الأحد عشر. وأما بنيامين الذي هو شقيق يوسف وأمهما راحيل فليس بداخل تحت هذا النهي؛ لأنه لا يتوهم مضرته ولا يخشى معرته ولا يكن معهم معدوداً في الرؤيا إذ لم يكن معهم في السجود ليوسف انتهى ليس بوجيه، بل ليس بسديد، إذ ليس في الإخوة من يسمى دنية كما في «حواشي» سعدي المفتي، ولا يلزم من عدم كون بنيامين داخلاً معهم في الرؤيا أن لا يكون منهم باعتبار التغليب فهو حادي الأحد عشر. ﴿فيكيدوا﴾ نصب بإضمار أن أي: فيفعلوا ﴿لك﴾ أي: لأجلك ولإهلاكك ﴿كيداً﴾ خفياً عن فهمك لا تقدر على مدافعته وهذا أوفق بمقام التحذير، وإن كان يعقوب يعلم أنهم ليسوا بقادرين على تحويل ما دلت الرؤيا على وقوعه والكيد

الاحتيال للاغتيال، أو طلب إيصال الشر بالغير وهو غير عالم به. **﴿إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾** استئناف كأن يوسف قال كيف يصدر ذلك عن إخوتي الناشئين في بيت النبوة؟ فقيل: إن الشيطان ظاهر العداوة للإنسان أو مظهرها قد بانت عداوته لك ولأبناء جنسك إذ اخرج أبويكم آدم وحواء من الجنة، ونزع عنهما لباس النور، وحلف إنه ليعلمن في نوع الإنسان كل حيلة وليأتينهم من كل جهة وجانب، فلا يزال مجتهداً في إغواء إخوتك وإضلالهم وحملهم على الأضرّ: فبه علم أنهم يعلمون تأويلها فقال ما قال.

قال بعض العارفين: برأ أبناءه من ذلك الكيد فألحقه بالشيطان لعلمه أن الأفعال كلها من الله تعالى، ولما كان الشيطان مظهراً لاسم المضل أضاف الفعل السببي إليه وهذه الإضافة أيضاً كيد ومكر، فإن الله تعالى هو الفاعل في الحقيقة لا المظهر الشيطاني:

حق فاعل وهرچه جز حق آلات بود — تأثير زآلت از محالات بود

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾.

﴿وكذلك﴾ أي مثل اجتبائك واختيارك من بين إخوتك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شأنك فالكاف في محل النصب على أنه صفة مصدر محذوف **﴿يجتبيك ربك﴾** يختارك ويصطفيك لما هو أعظم منها كالنبوة ويبرز مصداق تلك الرؤيا في عالم الشهادة إذ لا بد لكل صورة مرئية في عالم المثال حقيقة واقعة في عالم الشهادة وإن كانت الدنيا كلها خيالاً كما سيأتي تحقيقه.

خيال جمله جهانرا بنور چشم يقين — بجنب بحر حقيقت سراب مى بينم

﴿ويعلمك﴾ كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك؛ لأن الظاهر أن يشبه الاجتباء بالاجتباء والتعليم غير الاجتباء فلو كان داخلاً في حكم التشبيه كان المعنى ويعلمك تعليماً مثل الاجتباء بمثل هذا الرؤيا وظاهر سماجته؛ فإن الاجتباء وجه الشبه بين المشبه والمشبه به ولم يلاحظ في التعليم ذلك كذا قالوا.

يقول الفقير: هذا هو منهما نعمة جسيمة من الله تعالى كما يدل عليه مقام الامتنان فلا سماجة **﴿من تأويل الأحاديث﴾** أي: ذلك الجنس من العلوم فتطلع على حقيقة ما أقول فإن من وفقه الله تعالى لمثل هذه الرؤيا لا بد من توفيقه لتعبيرها فإن علم التعبير من لوازم الاجتباء غالباً.

والمراد بتأويل الأحاديث تعبير الرؤى جمع الرؤيا؛ إذ هي إما أحاديث الملك إن كانت صادقة أو أحاديث النفس والشيطان إن لم تكن كذلك، وتسميتها تأويلاً لأنه يؤول أمرها إليه أي يرجع إلى ما يذكره المعبر من حقيقتها، والأحاديث اسم جمع للحديث ومنه أحاديث الرسول والحديث في اللغة الجديد، وفي عرف العامة الكلام وفي عرف المحدثين ما يحدث عن النبي عليه السلام فكأنه لوحظ فيه مقابلة القرآن إذ ذاك قديم وهذا حادث. وفي «الصحاح» الحديث ضد القديم ويستعمل في قليل الكلام وكثيره لأنه يحدث شيئاً فشيئاً. **﴿ويتم نعمته عليك﴾** يا يوسف يجوز أن يتعلق بقوله يتم وأن يتعلق بنعمته أي بأن يضم إلى النبوة المستفادة من الاجتباء الملك ويجعله تتمة لها وتوسيط التعليم لرعاية الوجود الخارجي. **﴿وعلى﴾** كرر على ليمكن

العطف على الضمير المجرور. ﴿آل يعقوب﴾الآل وإن كان أصله الأهل إلا أنه لا يستعمل إلا في الأشراف بخلاف الأهل وهم أهله من بيته وغيرهم، فإن رؤية يوسف إخوته كواكب يهتدي بأنوارها من نعم الله عليهم لدلالتها على مصير أمرهم إلى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة إلى الفعل إتماماً لتلك النعمة.

وقال سعدي المفتي غاية ما تدل رؤيتهم على صور الكواكب مجرد كونهم هادين للناس ولا يلزم أن يكون ذلك بالنبوة والظاهر أنه عليه السلام علم ذلك بالوحي انتهى.

يقول الفقير: لعل يعقوب انتقل من كونهم على صور الكواكب إلى نبوتهم لأن الفرد الكامل للهداية أن يكون ذلك بالنبوة ولذلك قد قال الله تعالى في حق الأنبياء. ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣] فاعرف ذلك. ﴿كما أتمها على أبويك﴾نصب على المصدرية، أي: ويتم نعمته عليك إتماماً كائناً كإتمام نعمته على أبويك وهي نعمة الرسالة والنبوة. ﴿من قبل﴾أي: من قبل هذا الوقت أو من قبلك. ﴿إبراهيم وإسحاق﴾عطف بيان لأبويك والتعبير عنهما بالأب مع كونهما أبا جده وأبا أبيه للأشعار بكمال ارتباطه بالأنبياء الكرام.

قال في «الكواشي» الجد أب في الأصالة يقال فلان ابن فلان وبينهما عدة آباء انتهى.

أما إتمامها على إبراهيم فباتخاذه خليلاً وبانجائه من النار ومن ذبح الولد، وأما على إسحاق فبإخراج يعقوب والأسباط من صلبه، وكل ذلك نعم جليلة وقعت تتمة لنعمة النبوة ولا يجب في تحقيق التشبيه كون ذلك في جانب المشبه به مثل ما وقع في جانب المشبه في كل وجه.

والإشارة أن إتمام النعمة على يوسف القلب بأن يتجلى له ويستوي عليه إذ هو عرش حقيقي للرب تعالى دون ما سواه كما قال تعالى: «لا يسعني أرضي ولا سمائي وإنما يسعني قلب عبدي المؤمن»:

دردل مـؤمـن بـكـنـجـم اي عـجـب كـرمـرا جـوئـى دران دلـهـا طـلـب

ولهذا الاستحقاق كان يوسف القلب مختصاً بكمال الحسن، وإذا تجلى الله تعالى للقلب تنعكس أنوار التجلي من مرآة القلب على جميع المتولدات من الروح كالحواس والقوى وغيرهما من آل يعقوب الروح. ﴿إن ربك﴾أي: يفعل ما ذكر لأن ربك ﴿عليم﴾أي: عليم ﴿حكيم﴾أي: حكيم وهو معنى مجيئهما نكرتين، أي واسع العلم باهر الحكمة يعلم من يحق له الاجتباء ولا يتم نعمته إلا على من يستحقها، أو يفعل كما ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب.

اعلم أن الله تعالى قدم في بعض المواضع الاسم الحكيم على الاسم العليم وعكس في بعضها كما في هذا المقام، أما الأول فباعتبار حضرة العلم لأن العلم في تعلقه في الأعيان والحقائق العلمية تابع للحكمة، وذلك عبارة عن كونه تابعاً للمعلوم حيث تعلق به في تلك الحضرة على وجه ما أعطاه إياه من نفسه، وأما الثاني فهو باعتبار حضرة العين لأن الحكمة في تعلقها بالتعينات والصور المعينة تابعة للعلم، وهذا عبارة عن كون المعلوم تابعاً للعلم حيث إنما تعلقت بها في هذه الحضرة على وجه ما أعطاه العلم إياها من نفسه على الوجه الأول، فلا جرم أن المتبوع في أية مرتبة كان له التقدم، والتابع كذلك له التأخر جداً، ولا شك أن المعتبر إنما هو تقدم المعلومات على تعلق العلم بها بالذات في الحضرة الأولى، وتأخرها عنه في

الثانية، والحكمة إنما هي ترتب تلك المعلومات في مراتبها ووضعها في مواضعها في أية حضرة كانت، وهذا الترتيب والوضع في أي: مرتبة كان إذا وقع من الحكيم العليم والعليم الحكيم بحسب اقتضاآت استعداداتها الكلية الأزلية وبقدر استدعاآت قابليتها الجزئية الأبدية في النشاآت الدنيوية والبرزخية والنشرية والحشرية والنيرانية والجنانية والجسمانية والروحانية وغير ذلك من سائر النشاآت فافهم هداك الله إلى الفهم عن الله كذا في بعض تحريرات شيخنا الأجل ومرشدنا الأكمل قدس الله نفسه الزاكية وروح روحه في جميع المواطن كلها آمين.

﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾.

﴿لقد كان في يوسف وإخوته﴾ أي بالله قد كان في قصة يوسف وحكاية إخوته الأحد عشر. **﴿آيات﴾** علامات عظيمة الشأن دالة على قدرة الله القاهرة وحكمته الباهرة **﴿للسائلين﴾** لكل من سأل عن قصتهم وعرفها فإن كبار أولاد يعقوب بعد ما اتفقوا على إذلال أصغر أولاده يوسف وفعلوا به ما فعلوا قد اصطفاه الله للنبوة والملك وجعلهم خاضعين له منقادين لحكمه وإن وبال حسدهم له قد انقلب عليهم وهذا من أجل الدلائل على قدرة الله القاهرة وحكمته الباهرة.

وفي «التفسير الفارسي» [آورده اندكه چون يوسف خواب مذكوررا باپدر تقرير كرد ويعقوب بكتمان آن وصيت فرمود وباجتباء واتمام نعمت أو مژده داد بعض اززنان برادران او شنودند ونمازشام كه ايشان بخانه باز آمدند صورت حال را بازنمودند ايشانرا عرق حسد در حركت آمد بتدبير مهم مشغول شدند].

وقال يهودا وروبيل وشمعون: ما رضي أن يسجد له إخوته حتى يسجد له أبواه فدبروا لإخراجه من البين كما حكى الله عنهم بقوله:

﴿إذ قالوا﴾ [يا دكن آنراكه كفتند برادران يوسف بايكديكر] **﴿ليوسف﴾** [هرآينه يوسف] فلام الابتداء لتحقيق مضمون الجملة وتأكيده أي إن زيادة محبته لهما أمر محقق ثابت لا شبهة فيه **﴿وأخوه﴾** أي: شقيقه بنيامين والشقيق الأخ من الأب والأم وقد يقال للأخ لأب شقيق كأنه شق معك ظهر أبيك وللأخ من الأم لأنه شق معك بطن أمك.

وفي «القاموس الشقيق» كأمير الأخ كأنه شق نسبه من نسبه انتهى.

وإنما لم يذكر باسمه تلويحاً بأن مدار المحبة إخوَّته ليوسف من الطرفين الأب والأم فالمآل إلى زيادة الحب ليوسف، ولذلك دبروا لقتله وطرحه ولم يتعرضوا لبنيامين **﴿أحب إلى أبينا منا﴾** أحب أفعل تفضيل مبني من المفعول شذوذاً، وحد الخبر مع تعدد المبتدأ لأن أفعل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث، لأن تمامه بمن، ولا يثنى اسم التفضيل ولا يجمع ولا يؤنث قبل تمامه.

قال بعض العارفين: مال يعقوب إلى يوسف لظهور كمال استعداده الكلي في رؤياه حين رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين فعلم أبوه من رؤياه أنه يرث أباه وجده ويجمع استعدادات إخوته فكان يضمه كل ساعة إلى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له، وقيل لأن الله تعالى أراد ابتلاءه محبته إليه في قلبه ثم غيبه عنه ليكون

البلاء أشد عليه لغيرة المحبة الإلهية، إذ سلطان المحبة لا يقبل الشركة في ملكه، والجمال والكمال في الحقيقة لله تعالى، فلا يحتجب أحد بما سواه، ولا كيد أشد من كيد الولد ألا ترى أن نوحاً عليه السلام دعا على الكفار فاغرقهم الله تعالى فلم يحترق قلبه فلما بلغ ولده الغرق صاح ولم يصبر وقال ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ [هود: ٤٥] ﴿ونحن عصبة﴾ أي: والحال أنا جماعة قادرون على الحل والعقد أحقاء بالمحبة، وما معنى اختيار صغيرين ضعيفين على العشرة الأقوياء والعصبة والعصابة العشرة من الرجال فصاعداً وسموا بذلك لأن الأمور تعصب بهم وتشتد، والنفر ما بين الثلاثة إلى الخمسة والرهط ما بين الخمسة إلى العشرة. ﴿إن أبانا﴾ في ترجيحهما علينا في المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من الكفاية بالصغر والقلة. ﴿لفي ضلال﴾ أصل الضلال العدول عن القصد أي ذهاب عن طريق التعديل اللائق وتنزيل كل منا منزلته ﴿مبين﴾ ظاهر الحال نظروا إلى صورة يوسف ولم يحيطوا علما بمعناه فقالوا ما قالوا ولم يعرفوا أن يوسف أكبر منهم بحسب الحقيقة. وفي «المثنوي»:

عارفي پرسيد ازان پير كشيش ... كه تواى خواجه مسنن ترياك ريش
كفت نى من پيش ازو زائيده ام ... بي زريشى بس چهانرا ديده ام
كفت ريشت شد سفيد از حال كشت ... خوى زشت تو نكر ديده است وشت
او پس ازتو زاد وازتو بكذريد ... توچنين خشكى زسوداى ثريد
توبدان رنكى كه اول زادهٔ ... يك قدم زان پيشتر ننهادهٔ
همچنان دوغى ترش درمعدنى ... خود نكردى زو مخلص روغنى

قال في «الكواشي»: لا وقف من السائلين إلى صالحين لأن الكلام جملة محكية عنهم انتهى.

أي للتعلق المعنوي بين مقدم الكلام ومؤخره إلا أن يكون مضطراً بأن ينقطع نفسه فحينئذٍ يجب عليه أن يرجع إلى ما قبله ويوصل الكلام بعضه ببعض فإن لم يفعل أثم كما في بعض شروح الجزري وقرىء مبين.

﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ۝٩﴾.

﴿اقتلوا يوسف﴾ بكسر وضم والمشهور الكسر، وجه الضم التبعية لعين الفعل وهي مضمومة.

فإن قلت: الحسد من أمهات الكبائر لا سيما وقد أقدموا بسبب ذلك على القتل ونحوه وكل ذلك ينافي العصمة والنبوة.

قلت: المعتبر عصمة الأنبياء في وقت حصول النبوة فأما ما قبلها فذلك غير واجب كذا أجاب الامام.

وفي «شرح العقائد»: الأنبياء معصومون من الكفر قبل الوحي وبعده بالإجماع وكذا من تعمد الكبائر انتهى.

[درتيسير آورده كه چون شيطان اين كلمات از ايشان استماع كرد بصورت پيرى پرشان ظاهر شد وكفت يوسف ميخواهدكه شمارا ببندكى كيرد كفتنداى پير تدبير چيست كفت اقتلوا يوسف] ﴿أو اطرحوه أرضاً﴾ منكورة مجهولة بعيدة من العمران ليهلك فيها أو يأكله السباع وهو

معنى تنكيرها وإبهامها لا أن معناه، أي أرض كانت، ولذلك نصبت نصب الظروف المبهمة وهي ما ليس له حدود تحصره ولا أقطار تحويه.

وفيه إشارة إلى أن التغريب يساوي القتل كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [الحشر: ٣] فسلاطين الزمان كأنهم قاتلون العلماء لا سيما المشايخ منهم بتغريبهم وإقصائهم إلى البلاد البعيدة وتفريقهم من أولادهم واتباعهم، وذلك لكونه من غير سبب موجب غالباً أصلحنا الله تعالى وإياهم ﴿يخل﴾ بالجزم جواب للأمر، أي: يخلص ﴿لكم وجه أبيكم﴾ فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم إلى غيركم وتتوفر محبته فيكم فذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم؛ لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه، ويجوز أن يراد بالوجه الذات ﴿وتكونوا﴾ بالجزم عطف على يخل ﴿من بعده﴾ من بعد يوسف، أي: من بعد الفراغ من أمره. ﴿قوماً صالحين﴾ صلحت حالكم عند أبيكم أو تائبين إلى الله تعالى مما جئتم [واين نيز زمكائد إبليس بودكه ناشكيبان باديه آرزورا ازروى تسويف ميكويد مصراع امروز كنه كنيد وفردا توبه آخر تأمل ميكندكه عذر فردارا عمر فردا مى بايد وبر عمر اعتمادي نيست]:

كار امروز بفردا نكذارى زنهار كه چو فردا برسد نوبت كارد كرست

يقول الفقير: أما قول بعض الحكماء: هكذا يكون المؤمن يهيىء التوبة قبل المعصية فمعناه أن يصمم التوبة على ما سيصدر عنه من الزلات سهواً بحسب غلبة البشرية وإلا فلا معنى لتلويث لباس طاهر ثم تطهيره ورب ملسوع يموت قبل أن يصل إلى الترياق، فأكل السم على ظن أن الترياق يدفع مضرته ليس من ديدن أهل القلب السليم والعقل المستقيم.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿قال﴾ استئناف مبني على سؤال من سأل وقال اتفقوا على ما عرض عليهم من الأمرين أم خالفهم في ذلك أحد؟ فقيل قال: ﴿قائل منهم﴾ وهو يهوداً وكان أحسنهم فيه رأياً حيث جوزوا قتله ولم يساعدهم عليه ﴿لا تقتلوا يوسف﴾ فإن قتله عظيم لكونه من غير جرم ولا تطرحوه أرضاً لكونه في حكم القتل ﴿وألقوه﴾ يعني بدل الطرح ﴿في غيابة الجب﴾ في قعره وغوره وما أظلم منه من أسفله سمي به لغيبته عن عين الناظر، والجب البئر التي لم تطو بعد، لأنه ليس فيها غير جب الأرض وقطعها فإذا طويت فهر بئر. ﴿يلتقطه﴾ يأخذه على وجه الصيانة من الضياع والتلف فإن الالتقاط أخذ شيء مشرف على الضياع. ﴿بعض السيارة﴾ جمع سيار وهو بناء المبالغة أي بعض طائفة تسير في الأرض. وبالفارسية [بعضي ازراه كذريان كه بدانجا رسندو ببرندش بناحيتي ديكر وشما ازوبار رهيد] ﴿إن كنتم فاعلين﴾ [بمشورتي يعني چون غرض شمابودن اسوت برين وجه ميبايد كرد] لم يبت القول عليهم، بل إنما عرض ذلك عليهم تأليفاً لقلبهم وتوجيهاً لهم إلى رأيه وحذراً من نسبتهم له إلى التهكم والافتيات أي الاستبداد والتفرد.

قال سعدي المفتي: إنما قال هذا القائل ذلك لكونه أوجه مما ذكروه في التدبير فإن من التقطه من السيارة يحمله إلى موضع بعيد ويحصل المقصود بلا احتياج إلى الحركة بأنفسهم فربما لا يأذن لهم أبوهم وربما يطلع على قصدهم انتهى.

فانظر إلى هؤلاء الإخوان الذين أرحمهم له لا يرضى إلا بإلقاء يوسف في أسفل الجب وهكذا إخوان الزمان وأبناؤه فإن ألسنتهم دائرة بكل شر ساكتة عن كل خير.

جامى ابناي زمان از قول حق صمند وبكم نام ايشان نيست عند الله بجز شر الدواب
در لباس دوستى سازندكار دشمني حسب الامكان واجبست ازكيدايشان اجتناب
شكل ايشان شكل إنسان فعلشان فعل سباع هم زئاب في ثياب أو ثياب في ذئاب

وفي الآية إشارة: إلى أن الحواس والقوى تسعى في قتل يوسف القلب بسكين الهوى، فإن موت القلب منشأه الهوى وهو السم القاتل للقلب، أو تسعى في طرحه في أرض البشرية فإنه بعد موت القلب يقبل الروح بوجهه إلى الحواس والقوى لتحصيل شهواتها ومراداتها وتكون هي بعد موته قوماً صالحين للتنعم الحيواني والنفساني، قال قائل منهم وهو يهودا المتفكرة لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة جب القالب وسفل البشرية يلتقطه سيارة الحوادث النفسانية إن كنتم فاعلين ساعين به كذا في «التأويلات النجمية».

فالحياة الحقيقية إنما هي في حياة القلب، والقلب بيت الله ومحل استوائه عليه.

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن الفضل: العجب ممن يقطع الأودية والمفاوز والقفار ليصل إلى بيته وحرمه، لأن فيه آثار أنبيائه، كيف لا يقطع بالله نفسه وهواه حتى يصل إلى قلبه فإن فيه آثار مولاه وذكر الله تعالى هو طريق الوصول.

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم ـ رضي الله عنه ـ ذكر الله يرطب القلب ويلينه فإذا خلا عن الذكر أصابته حرارة النفس ونار الشهوات فقسا ويبس، وامتنعت الأعضاء من الطاعة فإذا مددتها انكسرت كالشجرة إذا يبست لا تصلح إلا للقطع، وتصير وقوداً للنار أعاذنا الله منها.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾.

﴿قالوا﴾[اورده اندكه برادران يوسف برقول يهوداً متفق شدند ونزد پدر آمده كفتند فصل بهار رسيده وسبزها از زمين دميده چه شودكه يوسف را باما بصحرا فرستي تاروزى بتماشا وتفرج بكذا رند يعقوب فرمودكه از هجر حسن بهار رخسار يوسف چون بلبل خزان ديده خواهم بود روامداريدكه شما دركلزار باشيد ومن درخانه بخار هجر كرفتار باشم]:

حريفان دربهار عيش خندان من اندر كنج غم چون دردمندان

[فرزندان يعقوب نا اميد شده پيش يوسف آمدند واز تماشاى سبزه وصحرا شمه باوى درميان آورده وكفتند

موسم كل دوسه روزيست غنيمت دانيد كه دكر نوبت تاراج خزان خواهد بود

يوسف چون نام تماشا شنيد خاطر مباركش متوجه صحرا شد وبا برادران پيش پدر آمده التماس أجازت نمود ومضمون اين مقال بزيان حال بعرض رسانيده]:

زين تنكناى خلو تم خاطر بصحرا مى كشد كزبوستان باد سحر خوش ميدهد بيغامرا

[يعقوب درفكر دور ودراز افتاد]، وعند ذلك قالوا: ﴿يا أبانا﴾خاطبوه بذلك تحريكاً لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيراً لرابطة الإخوة بينهم وبين يوسف ليتسببوا بذلك إلى استنزاله

عن رأيه في حفظه منهم لما أحس منهم بأمارات الحسد والبغي فكأنهم قالوا: ﴿ما لك لا تأمنا﴾ أي: أي عذر لك في ترك الأمن أي في الخوف ﴿على يوسف﴾ مع أنك أبونا ونحن بنوك وهو أخونا. قوله ﴿لا تأمنا﴾ حال من معنى الفعل في ما لك كما تقول مالك قائماً بمعنى ما تصنع قائماً ﴿وإنا له لناصحون﴾ الواو للحال من مفعول لا تأمنا، أي والحال إنا لمريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة والمقة.

وبالفارسية، [نيك خواهانيم وبغايت بروى مهربان] ﴿أرسله معنا غداً﴾ إلى الصحراء ﴿يرتع﴾ أي: يتسع في أكل الفواكه ونحوها، فإن الرتع هو الاتساع في الملاذ. ﴿ويلعب﴾ بالاستباق والتناضل ونحوهما مما يكون الغرض منه تعلم المحاربة مع الكفار وإنما سموه لعباً؛ لأنه في صورته وأيضاً لم يكونوا يومئذٍ أنبياء، وأيضاً جاز أن يكون المراد من اللعب الإقدام على المباحات لأجل انشراح الصدر، كما روي عنه عليه السلام أنه قال لجابر رضي الله عنه «فهلا بكراً» أي فهلا تزوجت بكرا «تلاعبها وتلاعبك».

قال أبو الليث: لم يريدوا به اللعب الذي هو منهي عنه، وإنما أرادوا به المطايبة في المزاح في غير مأثم. وفيه دليل على إنه لا بأس بالمطايبة، قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا بأس بفكاهة يخرج بها الإنسان من حد العبوس ـ روي ـ أنه أتى رجل برجل إلى علي فقال إن هذا زعم أنه احتلم على أمي، فقال أقمه في الشمس واضرب ظله ﴿وإنا له لحافظون﴾ من أن يناله مكروه ثم استأنف عمن يسأل ويقول: فماذا قال يعقوب.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿قال إني ليحزنني أن تذهبوا به﴾ [آنكه شما ببريداورا از پيش من] وذلك لشدة مفارقته عليّ وقلة صبري عنه.

فإن قيل: لام الابتداء تخلص المضارع للحال عند جمهور النجاة والذهاب ههنا مستقبل فيلزم تقدم الفعل على فاعله مع أنه أثره.

قلنا: إن التقدير قصد أن تذهبوا به والقصد حال أو تصور ذهابكم وتوقعه، والتصور موجود في الحال كما في العلة الغائية. ﴿و﴾ مع ذلك ﴿أخاف أن يأكله الذئب﴾ لأن الأرض كانت مذابة واللام للعهد الذهني، والحزن ألم القلب بفوت المحبوب، والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك أسند الأول إلى الذهاب به، المفوت لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف، والثاني إلى ما يتوقع نزوله من أكل الذئب ـ وروي ـ أنه رأى في المنام كأنه على رأس جبل ويوسف في صحراء فهجم عليه أحد عشر ذئباً فغاب يوسف بينهن، ولذا حذرهم من أكل الذئب ومع ذلك فقد دفعه إلى إخوته لأنه إذا جاء القضاء عمي البصر:

اين هم ازتأثير حكمست وقدر چاه مى بيني ونتوانى حذر

﴿وأنتم عنه غافلون﴾ [ازو بيخبران باشيد بسبب تماشا]

ازان ترسم كزو غافل نشينيد زغفلت صورت حالش نبينيد
درين ديرينه دشت محنت انكيز كهن كركى برودندان كندتيز

﴿قالوا﴾ والله ﴿لئن أكله الذئب ونحن عصبة﴾ [وحال آنكه ما كروهي توانا وقوى هيكليم

كه هريكي ازمابا ده شير در محاربه مقاومت ميتواندكرد] ﴿إنا إذاً﴾ [بدرستى كه ما آن وقت كه برادررا بكرك دهيم] ﴿لخاسرون﴾ [هر آيينه زيانكار ان باشيم] من الخسار بمعنى الهلاك أي لهالكون ضعفاً وخوراً وعجزاً.

وفي «الكواشي» مغبونون بترك حرمة الوالد والأخ، وإنما اقتصروا على جواب خوف يوسف من أكل الذئب ولم يجيبوا عن الاعتذار الأول لأنه السبب القوي في المنع دون الحزن لقصر مدته بناء على أنهم يأتون به عن قريب.

وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال: لا ينبغي للرجل أن يلقن الخصم الحجة لأن إخوة يوسف كانوا لا يعلمون أن الذئب يأكل الناس إلى أن قال ذلك يعقوب ولقنهم العلة في كيد يوسف، وفي الحديث: «البلاء موكل بالمنطق ما قال عبد لشيء والله لا أفعله إلا ترك للشيطان كل شيء فولع به حتى يؤثمه» وفي حديث: «إني لأجد نفسي تحدثني بالشيء فما يمنعني أن أتكلم به إلا مخافة أن ابتلى به» ـ يحكى ـ أن ابن السكيت من أئمة اللغة جلس مع المتوكل يوماً فجاء المعتز والمؤيد ابنا المتوكل فقال: أيما أحب إليك ابناي أم الحسن والحسين؟ قال: والله إن قنبر خادم علي رضي الله عنه خير منك ومن ابنيك فقال: سلوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات في تلك الليلة. ومن العجب أنه أنشد قبل ذلك إلى المعتز والمؤيد وكان يعلمهما فقال:

يصاب الفتى من عثرة بلسانه وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته في القول تذهب رأسه وعثرته في الرجل تبرأ على مهل

والإشارة أن القلب ما دام في نظر الروح مراقباً له غير مشغول باستعمال الحواس والقوى من الروح أن يرسل يوسف القلب معهم إلى مراتعهم الحيوانية ليتمتعوا به في غيبة يعقوب الروح وهو لا يأمنهم عليه لأنه واقف في مكيدتهم وإنهم يدعون نصحه وحفظه من الآفات والقلب إذا بعد من الروح ونظره يقرب منه ذئب الشيطان ويتصرف فيه ويهلكه، وخسران جميع أجزاء الإنسان في هلاك القلب وربحها في سلامته.

فعلى العاقل أن لا يلعب بالدنيا كالصبيان، ويحترز عن فتنتها وآفاتها ولا يرى ترك عنان النفس حذراً من الوقوع في بئر الهوى ويجتهد في قمع الهوى ودفع الميل إلى ما سوى الله تعالى:

وصل ميسر نشود جز بقطع قطع نخست ازهمه ببريدنست

عصمنا الله وإياكم من الاستماع إلى حديث النفس والشيطان وجعلنا وإياكم محفوظين من موجبات القطيعة والخذلان، إنه هو الكريم المنام المحسان.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿فلما ذهبوا به﴾ متصل بمحذوف، أي: فأذن له وأرسله معهم فلما ذهبوا به [پس آن هنكام كه برادران ببردند يوسف را] والجواب محذوف وهو فعلوا به من الأذية ما فعلوا.

وتفصيل المقام أن يعقوب عليه السلام لما رأى إلحاح إخوة يوسف في خروجه معهم إلى الصحراء ومبالغتهم بالعهد واليمين، ورأى أيضاً ميل يوسف إلى التفرج والتنزه رضي

بالقضاء فأذن فأمر أن يغسل بدن يوسف في طست كان أتى به جبريل إلى إبراهيم حين مجيء الفداء فأجرى فيه دم الكبش وأن يرجل شعره، ويدهن بدهن اسماعيل الذي جاء به جبريل من الجنة وأن يكحل ففعلوا ويروى أن إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وجرد عن ثيابه أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحاق، وإسحاق إلى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف.

وقال الكاشفي [چون تعويذي بربازويش بست وبمشايعهٔ فر زندان تاشجرة الوداع كه بردروازهٔ كنعان بودبيرون آمد ويوسف رادركنار كرفته كريه كنان اغاز وداع كرد]:

دل نمى خواست جدايى زتوا ماچه كنم دور أيام نه بر قاعدهٔ دلخواشنت
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

[يوسف كفت اي پدر سبب كريه چيست كفت اي يوسف ازين رفتن تو رايحهٔ اندوهى عظيم بمشام دل من ميرسد ونمى دانم كه سرا نجام كار بكجا خواهد كشيد بارى لا تنساني فإني لا أنساك مرافراموش مكن كه من ترانيز فراموش نخواهم كرد] فراموشى نه شرط دوستانست [پس فرزندانرا درباب محافظهٔ يوسف مبالغهٔ بسيار فرمود] وهم جعلوا يحملونه على عواتقهم إكراماً له وسروراً به، فذهبوا به [يعقوب درايشان مينكريست واز شوق لقاي فرزند ارجمند مى كريست]

هنوز سرو روانم زچشم ناشده دور دل ازتصور دورى چويد لرزانست

[چون فرزندان ازپيش نظروي غائب شدند روى بكنعان نهاد] فلمّا بعدوا به عن العيون تركوا وصايا أبيهم فألقوه على الأرض، وقالوا: يا صاحب الرؤيا الكاذبة أين الكواكب التي رأيتهم لك ساجدين حتى يخلصوك من أيدينا اليوم، فجعلوا يؤذونه ويضربونه وكلما لجأ إلى واحد منهم ضربه ولا يزدادون عليه إلا غلظة وحنقاً، وجعل يبكي بكاء شديداً وينادي يا أبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك لو تعلم ما يصنع بابنك أولاد الإماء.

قال الكاشفي: [درخاك خواري كرسنه وتشنه بروى مي كشيدند تابهلاك نزديك رسيد] وقال بعضهم: فأخذه روبيل فجلد به الأرض ووثب على صدره وأراد قتله ولوى عنقه ليكسرها، فنادى يوسف يا يهودا وكان أرفقهم به اتقِ الله وحل بيني وبين من يريد قتلي، فأخذته رقة ورحمة فقال يهودا: ألستم قد أعطيتموني موثقاً أن لا تقتلوه قالوا: بلى قال أدلكم على ما هو خير لكم من القتل ألقوه في الجب فسكن غضبهم، وقالوا: نفعل. ﴿**وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب**﴾ وعزموا على إلقاء يوسف في قعر الجب، وكان على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب بكنعان التي هي من نواحي الأردنّ، حفره شداد حين عمر بلاد الأردنّ، وكان أعلاه ضيقاً وأسفله واسعاً.

وقال الكاشفي: [هفتاد كز عمق يافت يا زياده] فأتوا به إلى رأس البئر فتعلق بثيابهم فنزعوها من يديه، فدلوه فيها بحبل مربوط على وسطه فتعلق بشفيرها، فربطوا يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه بالدم الكذب احتيالاً لأبيه، فقال: يا إخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به في حياتي ويكون كفناً بعد مماتي، فلم يفعلوا فلما بلغ نصفها قطعوا الحبل وألقوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة بجانب البئر فقام عليها وهو يبكي فنادوه وظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه فمنعهم يهودا.

قال الكاشفي [از حضرت ملك أعلى خطاب مستطاب بطائر آشيان سدرة المنتهى رسيدكه (أدرك عبدي جبريل) پيش ازانكه يوسف به تك چاه رسد بوي رسيد واورا باپنچهٔ مقدسهٔ خود كرفت وبربالاى صحره كه درتك چاه بود بنشانيد واز طعام وشراب بهشت بوي داد پيراهن خليل كه تعويذ وار بربازوداشت اورا بوشانيد] قال الحسن: ألقي يوسف في الجب وهو ابن ثنتي عشرة سنة ولقي أباه بعد ثمانين سنة، وقيل: كان يوسف ابن سبع عشرة سنة، وقيل ابن ثماني عشرة سنة ـ وروي ـ إن هوام البئر قال بعضها لبعض لا تخرجن من مساكنكن فإن نبياً من الأنبياء نزل بساحتكن فانجحرن إلا الأفعى فإنها قصدت يوسف فصاح بها جبريل فصمت وبقي الصمم في نسلها ولما ألقي في الجب قال: يا شاهدا غير غائب ويا قريباً غير بعيد ويا غالباً غير مغلوب اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً ـ وروي ـ اجعل لي فرجاً مما أنا فيه فما بات فيه.

قال الكواشي: لبث في البئر ثلاثة أيام أو خرج من ساعته انتهى.

وعلم جبريل يوسف هذا الدعاء أي في البئر «اللهم يا كاشف كل كربة، ويا مجيب كل دعوة، ويا جابر كل كسير، ويا ميسر كل عسير ويا صاحب كل غريب، ويا مؤنس كل وحيد لا إله إلا أنت سبحانك أسألك أن تجعل لي فرجاً ومخرجاً وأن تقذف حبك في قلبي حتى لا يكون لي هم ولا ذكر غيرك وأن تحفظني وترحمني يا أرحم الراحمين» ـ روي ـ أن يوسف لما ألقي في الجب ذكر الله بأسمائه الحسنى فسمعه الملائكة فقالوا يا رب نسمع صوتاً حسناً في الجب فأمهلنا ساعة فقال الله ألستم قلتم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] فحفته الملائكة فأنس بهم وكذلك إذا اجتمع المؤمنون على ذكر الله تعالى يقول الملائكة إلهنا انظرنا نستأنس بهم فيقول الله تعالى ألستم قلتم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] فالآن تتمنون الاستئناس بهم فعلم أن الملائكة المقربين تنزل لشرف الذكر كما في «نفائس المجالس»:

ذره ذره كاندرين ارض وسماست جنس خودرا هريكي چون كهرباست
ضدرا باضد ايناس از كجا با امام الناس نسناس از كجا
اين قدر كفتيم باقي فكر كن فكرا اكر جامد بودرو ذكر كن
ذكر آرد فكررا در اهتزاز ذكررا خورشيد اين افسرده ساز

كما في «المثنوي»: ﴿وأوحينا إليه﴾ تبشير إليه بما يؤول إليه أمره وإزاله لوحشته، وإيناساً له وكان وحي نبوة ورسالة كما عليه المحققون، وقد صح أن الله تعالى أوحى إلى يحيى وعيسى عليهما السلام قبل إدراكهما وذلك لأن الله تعالى قد فتح باب الولاية الخاصة لبعض الآحاد في صغرهم كالشيخ سهل قدس سره فلأن يكون باب النبوة مفتوحاً أولى، لكمال استعداد الأنبياء عليهم السلام فأمر الولاية والنبوة لا يتوقف على البلوغ وعلى الأربعين وإن استنبيء أكثر الأنبياء بعد الأربعين على ما جرى عليه عادة الله الغالبة هكذا لاح بالبال.

قال الكاشفي: [وما وحى فرستاديم سوى اوكه اندو هناك مباش بيرون زحضيض جاه رسانيم وبرار انرا بحاجتمندى نزديك توآريم] ﴿لتنبئنهم﴾ لتحدثن إخوتك فيما يستقبل ﴿بأمرهم هذا﴾ بما فعلوا لك ﴿وهم لا يشعرون﴾ بأنك يوسف لتباين حاليك حالك هذه وحالك يومئذٍ لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن أوهامهم ولطول المبدل للأشكال والهيئات، وذلك إنهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون، دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال: إنه ليخبرني هذا الجام أنه كان أخ لكم من أبيكم يقال له يوسف، وكان

يدنيه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابة الجب وقلتم لأبيكم أكله الذئب.

والإشارة: أن من خصوصية تعلق الروح بالقالب أن يتولد منها القلب العلوي والنفس السفلية والقوى والحواس فيكون ميل الروح والقلب ونزاعهما إلى عالم الروحانية وميل النفس والقوى والحواس إلى عالم الحيوانية، فإن وكل الإنسان إلى طبعه تكون الغلبة للنفس والبدن على الروح والقالب وهذا حال الأشقياء، وإن أيد القلب بالوحي في غيابة جب القلب إذا سبقت له العناية الأزلية تكون الغلبة للروح والقلب على النفس والبدن وهذا حال السعداء، فالأنبياء وكذا الأولياء مؤيدون من عند الله تعالى بالوحي والإلهام والصبر والاحتمال وإن كانوا في صورة الجفاء والجلال، وقد قضى الله تعالى على يعقوب ويوسف أن يوصل إليهما تلك الغموم الشديدة والهموم العظيمة ليصبرا على مرارتها ويكثر رجوعهما إلى الله تعالى وينقطع تعلق فكرهما عما سوى الله تعالى فيصلا إلى درجة عالية لا يمكن الوصول إليها إلا بتحمل المحن العظيمة كما قال بعض الكبار: سبب حبس يوسف في السجن اثنتي عشرة سنة تكميل ذاته بالخلوة والرياضة الشاقة والمجاهدات مما تيسر له عند أبيه ومن هذا المقام اغترب الأنبياء والأولياء عن أوطانهم. قال المولى الجامي:

بصبر كوش دلا روز هجر فائده چيست طبيب شربت تلخ ازبراى فائده ساخت

وقال بعضهم: ابتلي أبوه بفراقه لما في الخبر أنه ذبح جدياً بين يدي أمه فلم يرض الله تعالى ذلك منه، وأري دماً بدم وفرقة بفرقة لعظمة احترام شأن النبوة ومن ذلك المقام حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وقال بعضهم: استطعمه يوماً فقير فما اهتم بإطعامه فانصرف الفقير حزينا وفيه نظر كما قاله البعض لأن ذلك لا يليق بأخلاق النبوة.

وقال بعضهم: لما ولد يوسف اشترى يعقوب له ظئراً، وكان لها ابن رضيع فباع ابنها تكثيراً للبن على يوسف فبكت وتضرعت، وقالت: يا رب إن يعقوب فرق بيني وبين ولدي ففرق بينه وبين ولده يوسف فاستجاب الله دعاءها فلم يصل يعقوب إلى يوسف إلا بعد أن لقيت تلك الجارية ابنها وفي الحديث: «لا توله والدة بولدها» أي: لا تجعل والهة بتفريقه منها وذلك في السبايا كما في الجوهري، ومن أحاديث «المقاصد الحسنة» «من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة» ومثل هذا وإن كان بعيداً بالنسبة إلى الأنبياء عليهم السلام إلا أن القضاء يفعل ما يفعل.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره: إذا شاء الحق إنفاذ قوله تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] على عموم الأفعال في العبد بإيفاء زلة منه يجري عليه القدر بما أراده ثم يرده إلى مقامه إن كان من أهل العناية والوصول.

قيل لأبي يزيد قدس سره: أيعصي العارف فقال: ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾. قال الحافظ:

جايى كه برق عصيان بر آدم صفي زد ما راچه كونه زيبد دعوىٰ بي كناهى

هذا بالنسبة إلى حال يعقوب وابتلائه.

وأما بالنسبة إلى يوسف فقد حكي إنه أخذ يوماً مرآة فنظر إلى صورته فأعجبه حسنه وبهاؤه فقال لو كنت عبداً فباعوني لما وجد لي ثمن فابتلى بالعبودية وبيع بثمن بخس وكان ذلك سبب فراقه من أبيه.

وفيه إشارة إلى أن الجمال والكمال كله لله تعالى وإذا أضيف إلى العبد مجازاً فلا بد للعبد أن يجتهد إلى أن يصير حراً عما سوى الله تعالى ويتخلص من الاضافات والقيود ويرى الأمر كله لله تعالى ويكون عبداً محضاً حقاً لله تعالى. قال المولى الجامي:

كسوت خواجكى وخلعت شاهى چه كند هر كرا غاشيهٔ بند كيت بر دوش است

وبالجملة إن طريق التصفية طريقة صعبة ومن أسبابها الأدب والمحنة ولذلك ورد «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت» أي: ما صفى نبي مثل ما صفيت.

وذرة من محنة هذه الطريقة العلية أعلى من كثير من الكشف والكرامات وما ابتلى الله أحداً بمثل ما ابتلى به اصفياءه إلا اختاره لذاته ولعبوديته فافهم والله الهادي إلى الحقائق.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦﴾

﴿وجاؤوا أباهم عشاء﴾ ظرف أي في آخر النهار فإن العشاء آخر النهار إلى نصف الليل. وفي «تفسير أبي الليث» بعد العصر.

قال في «الكواشي»: وإنما جاؤوا عشاء ليقدموا على المبالغة في الاعتذار. ﴿يبكون﴾ حال، أي: متباكين. والتباكي بالفارسية [كريستن پيدا كردن] ـ روي ـ إن امرأة خاصمت زوجها إلى شريح فبكت فقال له الشعبي: يا أبا أمية أظنها مظلومة أما تراها تبكي فقال شريح قد جاء إخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي أن يقضي إلا بما أمر أن يقضي به من السنة المرضية. وفي «المثنوي»:

زراىٔ مضطر نشسته معنويست زارىٔ نزد دروغ آن غويست
كريهٔ اخوان يوسف حيلتست كه درونشان پرز رشك وعلتست

ـ روي ـ أنه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شي قالوا الأمر أعظم قال فما هو وأين يوسف؟

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾.

﴿قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق﴾ متسابقين في العدو أو الرمي يقال استبق الرجلان وتسابقا إذا عارضا في السبق طلباً للغلبة كما يقال انتضلا وتناضلا إذا عارضا في الرمي طلباً للغلبة. ﴿وتركنا يوسف﴾ [وبكذا شتيم يوسف راتنها] ﴿عند متاعنا﴾ أي: ما نتمع به من الثياب والأزواد وغيرهما فإن المتاع في اللغة كل ما انتفع به وأصله النفع الحاضر وهو اسم من متع كالسلام من سلم، والمراد به في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ﴾ [يوسف: ٦٥] أوعية الطعام ﴿فأكله الذئب﴾ عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد والتعهد ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ بمصدق لنا في مقالتنا ﴿ولو كنا﴾ عندك في اعتقادك ﴿صادقين﴾ موصوفين بالصدق والثقة لفرط محبتك ليوسف فكيف وأنت سيىء الظن بنا غير واثق بقولنا. والصدق هو الإخبار عن الشيء على ما هو به والكذب لا على ما هو به والتصديق باللسان الإخبار بكون القائل صادقاً وبالقلب الإذعان والقبول لذلك، والتكذيب بخلاف ذلك ﴿وجاؤوا﴾ [آمدند] ﴿على قميصه﴾ محله النصب على الظرفية من قوله: ﴿بدم﴾ أي: جاؤوا فوق قميصه بدم أو على الحالية منه

والخلاف في تقدم الحال على المجرور فيما إذا لم يكن الحال ظرفاً ﴿كذب﴾ مصدر وصف به الدم مبالغة، كأن مجيئهم من الكذب نفسه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته أو مصدر بمعنى المفعول أي مكذوب فيه لأنه لم يكن دم يوسف وقرأت عائشة رضي الله عنها بغير المعجمة أي كدب بمعنى كدر أو طريّ ـ روي ـ إنهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم أن يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر يوسف صاح بأعلى صوته فقال: أين القميص؟ فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص قال: تالله ما رأيت كاليوم ذئباً أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه قال كأنه قيل ما قال يعقوب هل صدقهم فيما قالوا أو لا؟ فقيل: ﴿قال﴾ لم يكن ذلك ﴿بل سولت لكم أنفسكم﴾ أي: زينت وسهلت قاله ابن عباس رضي الله عنهما. والتسويل: تقدير شيء في الأنفس مع الطمع في إتمامه.

قال الأزهري: كان التسويل تفعيل من سؤال الأشياء وهي الأمنية التي يطلبها فيزين لطالبها الباطل وغيره. ﴿أمراً﴾ من الأمور منكراً لا يوصف ولا يعرف فصنعتموه بيوسف استدل يعقوب على أنهم فعلوا بيوسف ما أرادوا وأنهم كاذبون بشيئين بما عرف من حسدهم الشديد وبسلامة القميص حيث لم يكن فيه خرق ولا أثر ناب فقوله ﴿بل سولت﴾ ردّ لقولهم ﴿أكله الذئب﴾ وبل للإعراض عما قبله وإثبات ما بعده على سبيل التدارك نحو جاء زيد بل عمرو كما في «بحر العلوم». ﴿فصبر جميل﴾ أي: فأمري صبر جميل وهو الذي لا شكوى فيه إلى الخلق وإلا فقد قال يعقوب ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. قال الكمال الخجندي:

بوصل صحبت يوسف عزيز من مشتاب جمال يار نبيني مكر بصبر جميل

قال شيخنا الأجل الأكمل روح الله روحه.

اعلم أن الصبر إذا لم يكن فيه شكوى إلى الخلق يكون جميلاً، وإذا كان فيه مع ذلك شكوى إلى الخالق يكون أجمل لما فيه من رعاية حق العبودية، ظاهراً حيث أمسك عن الشكوى إلى الخلق، وباطناً حيث قصر الشكوى على الخالق والتفويض جميل والشكوى إليه أجمل انتهى. قال الشيخ عمر بن الفارض قدس سره في تائيته:

ويحسن إظهار التجلد للقوي ويقبح غير العجز عند الأحبه

أي: لا يحسن إظهار التجلد والصبر على صدمات المحن مطلقاً بل يحسن للأعادي كما أظهر رسول الله ﷺ للكفار في غزواته ومناسكه. وأما عند الأحبة فلا يحسن إلا العجز لأن إظهار التجلد عندهم قبيح جداً كما أظهره سمنون في بعض مناجاته وقال:

وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني

فأدب بتسليط عسر البول عليه فاعترف بعجزه وطاف في سكك بغداد يستأجر الصبيان ويأمرهم أن ادعوا عمكم الكذاب «فقير وخسته بدركاهت إمدم رحمي» وقال بعضهم: الصبر الجميل تلقي البلاء بقلب رحيب ووجه مستبشر.

وقيل: لا أعايشكم على كآبة الوجه بل أكون لكم كما كنت وذلك لأن الموحد الحقيقي يطوي بساط الوسائط والأسباب، فلا يرى التأثير إلا من الله تعالى في كل باب، مع أن التغافل من أخلاق الكرام والعفو والصفح وقبول العذر من ديدن الأخيار:

اقبل معاذير من يأتيك معتذراً إن بر عندك فيما قال أو فجرا

﴿والله المستعان﴾ أي: المطلوب منه العون وهو إنشاء الاستعانة المستمرة. ﴿على ما

تصفون﴾ على إظهار حال ما تصفون من شأن يوسف وبيان كونه كذبا وإظهار سلامته كأنه علم منهم الكذب. قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات: ١٨٠].

قال البيضاوي هذه الجريمة كانت قبل استنبائهم إن صح انتهى، وذلك لأنهم قالوا لا دليل على امتناع صدور الكبيرة من الأنبياء قبل الوحي، وقوله: إن صح يدل على الشك في صحة استنبائهم، وأصاب في ذلك لأن الأنبياء محفوظون قبل نبوتهم كما أنهم معصومون بعدها من الأمور الموجبة للنفرة الغير اللائقة بشأنهم وليس همّ يوسف كما سيأتي من قبيل ما صدر من إخوته من الحسد وضربه والقائه في الجب بالفعل والكذب عمداً من غير تأويل. وأما قوله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٦] فلا يدل على نبوة غيره من الإخوان الموجودين إذ يكفي في إتمام النعمة على آل يعقوب إن لا تنقطع سلسلة النبوة من أعقابهم كما قال تعالى في كلمة التوحيد كلمة باقية في عقبه، فإنه لا ينافي وجود الشرك من بعض الأحفاد كما لا يخفى. وكذا تمثلهم في صورة الكواكب لا يدل على نبوتهم، لأنه إذا كان يعقوب بمنزلة الشمس التي تعينه بالنبوة ودعوة الخلق وهدايتهم إلى الله تعالى كان أولاده بمنزلة الكواكب التي تتبع الشمس والقمر ولو كان كلهم أنبياء لاستدعى أن يكون محبة يعقوب لهم على السوية أي من أول الأمر بناء على وراثة كلهم لنبوته، ولما ظهر ما ظهر من تفضيل يوسف عليهم فيوسف من بينهم كشيث من بين بني آدم عليه السلام، هكذا لاح ببال الفقير أيده الله القدير.

وفي الآيات إشارات إلى تزوير الحواس والقوى وتلبسها وتمويهاتها وتخيلاتها الفلسفية وكذباتها وحيلها ومكرها وكيدها وتوهماتها وتسويلاتها المجبولة عليها، وإن كانت للأنبياء وأن الروح المؤيد بنور الإيمان يقف على النفس وصفاتها وما جبلت الحواس والقوى عليه، ولا يقبل منها تمويهاتها وتسويلاتها ويرى الأمور كلها من عند الله وأحكامه الأزلية، فيصبر عليها صبراً جميلاً وهو الصبر على ظهور ما أراد الله فيها بالإرادة القديمة، والتسليم لها والرضى بها وبقوله: ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ يشير إلى الاستعانة بالله على الصبر الجميل فيما يجري من قضائه وقدره كذا في «التأويلات النجمية» نفعنا الله تعالى بها.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ۖ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿وجاءت سيارة﴾ جماعة يسيرون من جهة مدين إلى مصر فنزلوا قريباً من جب يوسف، وكان ذلك بعد ثلاثة أيام من إلقائه فيه.

قال الكاشفي: [روزچهارم مژده نجات بوى رسيد].

قال السمرقندي في «بحر العلوم»: كان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن إلا للرعاة فأخطأوا الطريق فنزلوا قريباً منه انتهى.

فهذا يخالف قوله تعالى: ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ [يوسف: ١٠] فإنه يقتضي كون الجب في الأمن والجادة والسير هو السير المعتاد. ﴿فأرسلوا﴾ أي: إلى الجب ﴿واردهم﴾ أي: الذي يرد الماء، أي: يحضره ليستقي لهم وكان ذلك مالك بن دعر الخزاعي.

قال في «القاموس» مالك بن دعر: بالدال المهملة ﴿فأدلى دلوه﴾ الإدلاء بالفارسية

[فرهشتن دلو] أي: أرسلها إلى الجب ليملأها فأوحى إلى يوسف بالتعلق بالحبل.

اي يوسف آخر بهرتست اين دلو در چاه آمده

[در معالم آورده كه ديوارهاى چاه برفراق يوسف بكريستند]، وذلك لأن للجمادات حياة حقانية لا يعرفها إلا العلماء بالله، فلها أنس الذكر والتوحيد والتسبيح ومجاورة أهل الحق وقد صح أن الجزع الذي كان يعتمد عليه رسول الله ﷺ حين الموعظة للناس أنّ أنين بني آدم لما فارقه رسول الله وذلك بعد أن عمل له المنبر. قال في «المثنوي»:

استن حنانه از هجر رسول ناله مى زد همچو أرباب عقول

كفت پيغمبر چه خواهى اي ستون كفت جانم ازفراقت كشت خون

فلما خرج يوسف إذا هو بغلام أحسن ما يكون وقد كان أعطى شطر الحسن فلما رآه مالك **﴿قال﴾** مبشراً نفسه وأصحابه **﴿يا بشرى هذا غلام﴾** [اي مژده وشادمانى] كأنه نادى البشرى وقال: تعالي وهذا أوانك حيث فاز بنعمة نادرة، وأي نعمة مكان ما يوجد مباحاً من الماء، وقيل: هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على إخراجه، كما قال الكاشفي: [اورا آوزداد وكفت اين پسريست كه دلورا كران ساخته پس بمدد كارىء أو يوسف را از چاه آورده]

چون آن ماه جهان آرا بر آمد ز جانش بانك يا بشرى بر آمد

بشارت كز چنين تاريك جاهى بر آمد پس جهان افروز ماهى

وذلك لأن ماء الحياة لا يوجد إلا في الظلمات كما أن العلم الإلهي إنما يوجد في ظلمات هذا القلب والقالب.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن القلب كما له بشارة من تعلق الجذبة وخلاصه من الجب، فكذلك للجذبة بشارة في تعلقها بالقلب وخلاصه من الجب وهي من أسرار. **﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾** [المائدة: ٥٤] **﴿وأسروه﴾** أي: أخفاه الوارد وأصحابه عن بقية الرفقة لئلا يطالبوا بالشركة فيه **﴿بضاعة﴾** حال كونه بضاعة أي متاعاً للتجارة فإنها قطعة من المال بضعت منه، أي قطعت للتجارة **﴿والله عليم بما يعملون﴾** لم يخف عليه إسرارهم.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وشروه﴾ أي: باعوه وهو من الأضداد والضمير للوارد وأصحابه.

يقول الفقير أيده الله القدير: جعلوه عرضة للابتذال بالبيع والشراء؛ لأنهم لم يعرفوا حاله إما لأن الله تعالى أغفلهم عن السؤال ليقضي أمراً كان مفعولاً، أو لأنهم سألوا عن حاله ولم يفهموا لغته لكونها عبرية. وههنا روايات واهية بعيدة ينبغي أن لا يلتفت إليها وإن ذهب إليها الجم الغفير من المفسرين ولله در المولى أبي السعود في إرشاده **﴿بثمن بخس﴾** زيف ناقص العيار.

قال الكاشفي: [ببهاى اندك وبي اعتبار] وهو بمعنى المبخوس لأن الثمن لا يوصف بالمعنى المصدري ووصف بكونه مبخوساً إما لرداءته وغشه أو لنقصان وزنه من بخسه حقه، أي: نقصه كما في «حواشي ابن الشيخ». وقال بعضهم: بثمن بخس، أي حرام منقوص لأن ثمن الحر حرام انتهى حمل البخس على المعنى لكون الحرام ممحوق البركات والقول الأول هو الأصح **﴿دراهم﴾** بدل من ثمن، أي لا دنانير **﴿معدودة﴾** أي: غير موزونة فهو بيان لقلته

ونقصانه مقداراً بعد بيان نقصانه في نفسه لأنهم كانوا يزنون الأوقية وهي أربعون درهماً ويعدون ما دونها. فعن ابن عباس أنها كانت عشرين درهماً. وعن السدي اثنين وعشرين درهماً.

قيل: إن الصبيان أخذوا النبي عليه السلام في طريق المسجد وقالوا: كن لنا جملاً كما تكون للحسن والحسين، قال لبلال اذهب إلى البيت وائت بما وجدته لأشتري نفسي منهم فأتى بثماني جوزات فاشترى بها نفسه وقال: «أخي يوسف باعوه بثمن بخس دراهم معدودة وباعوني بثماني جوزات» كذا في «روضة الأخبار» ﴿وكانوا﴾ أي: البائعون ﴿فيه﴾ في يوسف ﴿من الزاهدين﴾ الزهد والزهادة قلة الرغبة في الشيء أي من الذين لا يرغبون فيما بأيديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس وسبب ذلك أنهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به أو غير واثق بأمره يخاف أن يظهر له مستحق فينتزعه منه فيبيعه من أول مساوم بأوكس ثمن هذا مع الجمال الظاهر.

وفيه إشارة إلى أن الجمال الظاهر لا خطر له عند الله تعالى، وإنما الجمال هو الجمال الباطن، وفي الحديث: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم بل إلى قلوبكم وأعمالكم» يعني إذا كانت لكم قلوب وأعمال صالحة تكونون مقبولين مطلقاً، سواء كانت لكم صور حسنة وأموال فاخرة أم لا وإلا فلا، وليس بيع يوسف بثمن بخس بأعجب من بيعك نفسك بأدنى شهوة فلا بد من الإمساك والاحتماء والقناعة. قال المولى الجامي قدس سره:

هر آنكه كنج قناعت بكنج دنيا داد فروخت يوسف مصري بكمترين ثمني

[كويندكه نافع مولاي عبد الله بن عمركه استاد امام شافعي بود آنكاه كه مرد كفت اين چايكه را بكنيد بكنيند ند بيست وده هزار درم درسبوى بديد آمد كفت آنكاه كه از جنازهٔ من باز امده باشيد اين بدرويش دهيد اورا كفتند يا شيخ چون توكسى درم نهد كفت بحق اين وقت شك زكاة وى بر كردن من نيست وهر كز عيالان خودرا بسختى نداشتم لكن هركاه كه مرا آرزويى بودي آنچه بدان آرزو بايستى دادن درين سؤال افكندمى تااكر مرا روز سختى پيش آيد بدر سفلهٔ نبايد رفتن] ففي هذه الحكاية ما يدل على المجاهدة النفسية والطبعية. أما الأولى، فلأنه ما كتم المال وداخره لأجل الكنز بل لأجل البذل، وأما الثانية فلأنه منع عن طبيعته مقتضاها وشهواتها والحواس والقوى لا تعرف قدر القلب وتبيعه بأدنى حظ نفس فانٍ، لأنها مستعدة للاحتظاظ بالتمتعات الدنيوية الفانية والقلب مستعد للاحتظاظ بالتمتعات الأخروية الباقية، بل هو مستعد للاحتظاظ بالشواهد الربانية وإنه إذا سقي بشراب طهور تجلى الجمال والجلال يهريق سؤره على أرض النفس والقوى والحواس فيحتظون به فإنه للأرض من كأس الكرام نصيب.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِى مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وقال الذي اشتراه من مصر﴾ وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر وصاحب جنود الملك واسمه قطفير وكان يقال له العزيز.

قال في «القاموس»: العزيز الملك لغلبته على أهل مملكته ولقب من ملك مصر مع الاسكندرية انتهى.

وبيان كونه من مصر للإشعار بكونه غير من اشتراه من الملتقطين مما ذكر من الثمن البخس كما في «الإرشاد».

وقال الكاشفي: [وكفت آنكس كه خريد يوسف را ازاهل مصر] يعني عزيز انتهى.

وكان الملك يومئذٍ الريان بن الوليد من العماليق مات في حياة يوسف بعد أن آمن به وملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه إلى الإسلام فأبى.

قال في «القاموس»: قابوس ممنوع للعجمة والمعرفة معرب كاووس انتهى وهذا غير قابوس الذي قيل في خطه هذا خط قابوس أم جناح طاووس، فإنه كان ملكاً عظيماً مات في ثلاث وأربعمائة كما في «الروضة». وكان فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف فقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر: ٣٤] من قبيل خطاب الأولاد بأحوال الآباء.

قال الكاشفي: [چون خبر كاروان مدين بمصر آمد وكماشتكان عزيز بسرراه كاروان آمده يوسف را ديدند ازلمعهٔ جمال او شيفته وحيران بازكشته خبر بعزيز مصر بردند واو عاشق يوسف بود ازكوش]:

والأذن تعشق قبل العين أحياناً

فالتمسوا من مالكه عرض يوسف للبيع فزينه وأخرجه إلى السوق فلما رآه أهل مصر افتتنوا به:

اراسته آن يا رنبا زار بر آمد فرياد وفغان ازدر وديوار بر آمد

وعرض في بيع من يزيد ثلاثة أيام فزاد الناس بعضهم على بعض حتى بلغ ثمنه شيئاً لا يقدر عليه أحد.

خريداران ديكر لب به بستند پس زانوى خاموشى نشتند

فاشتراه عزيز مصر بوزنه مرة مسكاً ومرة لؤلؤاً ومرة ذهباً ومرة فضة ومرة حريراً وكان وزنه أربعمائة رطل ـ وحكي ـ أن عجوزاً أحضرت شيئاً من الغزل وأرادت أن تشتري به يوسف وإلى هذا يشير المولى الجامي بقوله:

بي سر عرفان متن تار فكرت خريدار يوسف مشوزين كلابه

وفيه إشارة إلى أنه ينبغي لكل أحد بذل ما في ملكه مما قدر عليه في طريق المطلوب فإنه من علامات العاشق.

هر كسى ازهمت والاى خويش سود برد در خور كالاى خويش

وكان سن يوسف إذ ذاك سبع عشرة سنة، وأقام في منزل العزيز مع ما مر عليه من مدة لبثه في السجن ثلاث عشرة سنة، واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين، وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وهو أول من عمل القراطيس ﴿لامرأته﴾ اللام متعلقة بقال لا باشترى، أي قال لامرأته راعيل بنت رعاييل، أو بنت هيكا هروان كما في «التبيان» ولقبها زليخا بضم الزاي المعجمة وفتح اللام كما في «عين المعاني» والمشهور في الألسنة فتح الزاي وكسر اللام ﴿أكرمي مثواه﴾ اجعلي محل إقامته كريماً حسناً مرضياً والمعنى أحسني تعهده في المطعم والمشرب وغيرهما، فهو كناية عن إكرام نفسه وإحسان تعهده كما يقال المقام العالي ويكنى به عن السلطان.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: يكنى عن الشريف بالجناب والحضرة والمجلس فيقال

السلام على حضرته المباركة ومجلسه الشريف، والمراد به السلام عليه لكن يكنى عنه بما يتعلق به نوع التعلق إجلالاً انتهى. ﴿عسى أن ينفعنا﴾ فيما نحتاج إليه ويكفينا بعض المهمات. وبالفارسية [شايد آنكه سود رساند مارا دركار ضياع وعقار وسر انجام مصالح روز كارما]﴿أو نتخذه ولداً﴾ أي نتبناه ونقيمه مقام الولد، وإنه لم يكن لها ولد وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة: عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت: ﴿يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [القصص: ٢٦] وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنه أن تفرس في عمر وولاه من بعده ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾ أي: جعلنا له فيها مكاناً والمراد أرض مصر وهي أربعون فرسخاً، في أربعين فرسخاً وذلك إشارة إلى مصدر الفعل المؤخر على أن يكون عبارة عن التمكين في قلب العزيز أو في منزله وكون ذلك تمكيناً في الأرض بملابسة أنه عزيز فيها، لا عن تمكين آخر يشبه به فالكاف مقحم للدلالة على فخامة شأن المشار إليه إقحاماً لا يترك في لغة العرب ولا في غيرها، ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل، أي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف في الأرض وجعلناه محباً في قلب العزيز ومكرماً في منزله ليترتب عليه ما ترتب بما جرى بينه وبين امرأة العزيز. ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ أي: نوفقه لتعبير بعض المنامات التي عمدتها رؤيا الملك وصاحبي السجن لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٣٧] فيؤدي ذلك إلى الرياسة العظمى.

وفي «تفسير أبي الليث»: من تأويل الأحاديث، يعني: تعبير الرؤيا وغير ذلك من العلوم ﴿والله غالب على أمره﴾ الهاء راجعة إلى الله أي على أمر نفسه لا يرده شيء ولا ينازعه أحد فيما شاء ويحكم في أمر يوسف وغيره بل إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أن الأمر كذلك فيأتون ويذرون زعماً منهم أن لهم من الأمر شيئاً وأنى لهم ذلك.

بود هركسى را دكر كونه راى   نباشد مكر آنچه خواهد خداي

وجاء في بعض الآثار أن الله تعالى يقول: «ابن آدم تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد فإن سلمت لي فيما أريد أعطيتك ما تريد» وإن نازعتني فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد» فالأدب مع الله تعالى أن يستسلم العبد لما أظهره الله تعالى في الوقت ولا يريد إحداث غيره.

وفي «التأويلات النجمية» لما أخرجوه من جب الطبيعة ذهبوا به إلى مصر الشريعة﴿وقال الذي اشتراه من مصر﴾ وهو عزيز مصر الشريعة أي الدليل والمربي على جادة الطريقة ليوصله إلى عالم الحقيقة﴿لامرأته﴾ وهي الدنيا﴿أكرمي مثواه﴾ أخدمي له في منزل الجسد بقدر حاجته الماسة﴿عسى أن ينفعنا﴾ حين يكون صاحب الشريعة وملكاً من ملوك الدنيا يتصرف فينا بإكسير النبوة فتصير الشريعة حقيقة والدنيا آخرة﴿أو نتخذه ولداً﴾ نربيه بلبان ثديي الشريعة والطريقة والفطام عن الدنيا الدنية﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾ يشير إلى أن تمكين يوسف القلب في أرض البشرية إنما هو ليعلم علم تأويل الرؤيا وهو علم النبوة، كما قال: ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ فكما أن الثمرة على الشجرة إنما تظهر إذا كان أصل الشجرة راسخاً في الأرض فكذلك على شجرة القلب إنما تظهر ثمرات العلوم الدينية والمشاهدة الربانية إذا كان قدم القلب ثابتاً في طينة الإنسانية﴿والله غالب على أمره﴾ بمعنيين أحدهما. أن يكون

الله غالباً على أمر القلب أي يكون الغالب على أمره ومحبة الله وطلبه والثاني أن يكون الغالب على أمر القلب جذبات العناية لتقيمه على صراط مستقيم الفناء منه والبقاء بالله فيكون تصرفاته بالله ولله وفي الله لأنه باق بهويته فأني عن أنانية نفسه **﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** أنهم خلقوا مستعدين لقبول هذه الكمالية يصرفون استعدادهم فيما يورثهم النقصان والخسران انتهى ما في «التأويلات».

ثم إن الله تعالى مدح العلم في هذه الآية وذم الجهل. أما الأول فلأن الله تعالى ذكر العلم في مقام الامتنان حيث قال: **﴿ولنعلمه﴾**. وأما الثاني فلأنه قال: **﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** وعلم منه أن أقلهم يعلمون. والعلم علمان علم الشريعة وعلم الحقيقة ولكل منهما فضل في مقامه وفي الخبر قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ فقال: «العلم بالله» قيل أي الأعمال يزيد مرتبة؟ قال: «العلم بالله»، فقيل نسأل عن العمل تجيب عن العلم فقال: «إن قليل العمل ينفع مع العلم وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل» والعلم بالله لا يتيسر إلا بتصفية الباطن وتجلية مرآة القلب وكان مطمح نظر الأكابر في إصلاح القلوب والسرائر دون القوالب والظواهر، لأن الظواهر مظهر نظر الخلق والبواطن مظهر نظر الحق وإصلاح ما يتعلق بالحق أولى من إصلاح ما يتعلق بالخلق:

كعبه بنياد خليل آز رست دل نظركاه جليل اكبرست

نسأل الله التوفيق.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ولما بلغ﴾ يوسف **﴿أشده﴾** قال في القاموس أي قوته وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين. واحد جاء على بناء الجمع كأنك ولا نظير لهما أو جمع لا واحد له من لفظه.

وقال أهل التفسير: أي منتهى اشتداد جسمه وقوته واستحكام عقله وتمييزه وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

والعقلاء ضبطوا مراتب أعمار الناس في أربع، الأولى سن النشو والنماء ونهايته إلى ثلاثين سنة، والثانية سن الوقوف وهو سن الشباب ونهايته إلى أن تتم أربعون سنة من عمره، والثالثة سن الكهولة وهو سن الانحطاط اليسير الخفي وتمامه إلى ستين سنة، والرابعة سن الشيخوخة وهو سن الانحطاط العظيم الظاهر وتمامه عند الأطباء إلى مائة وعشرين سنة، والأشد غاية الوصول إلى الفطرة الأولى بالتجرد عن غواشي الخلقة التي يسميها الصوفية بمقام الفتوة.

قال في «التعريفات» الفتوة في اللغة السخاء والكرم وفي اصطلاح أهل الحقيقة هي أن تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة **﴿آتيناه حكماً﴾** كمالا في العلم والعمل، استعد به الحكم بين الناس بالحق ورياستهم.

قال القشيري من جملة الحكم الذي آتاه الله نفوذ حكمه على نفسه حتى غلب شهوته فامتنع عما راودته زليخا عن نفسه، ومن لا حكم له على نفسه لم ينفذ حكمه على غيره.

قال الإمام نقلاً عن الحسن: كان نبياً من الوقت الذي ألقي فيه في غيابة الجب لقوله تعالى: **﴿ولما بلغ أشده آتيناه﴾** ولذا لم يقل ههنا ولما بلغ أشده واستوى كما قال في قصة

موسى لأن موسى أوحي إليه عند منتهى الأشد والاستواء وهو أربعون سنة وأوحي إلى يوسف عند أوله وهو ثمان عشرة سنة. ﴿وعلماً﴾ قالوا المراد من الحكم الحكمة العملية ومن العلم الحكمة النظرية وذلك لأن أصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون أولاً إلى الحكمة العملية ثم يترقون منها إلى الحكمة النظرية، وأما أصحاب الأفكار والأنظار العقلية فإنهم يصلون أولاً إلى الحكمة النظرية ثم ينزلون منها إلى الحكمة العملية، وطريقة يوسف عليه السلام هي الأول لأنه صبر على المكاره والبلاء والمحن ففتح الله له أبواب المكاشفات، قال الحافظ:

مكن زغصه شكايت كه در طريق طلب براحتى نرسيد آنكه زحمتى نكشيد

وقال:

چه جورها كه كشيدند بلبلان ازدى ببوى آنكه دكرنو بهار بازآمد

والحاصل: أن طريقة يوسف طريقة السالك المجذوب لا طريقة المجذوب السالك والأولى هي سنة الله الغالبة في أنبيائه وأوليائه، ففي قوله: ﴿حكماً وعلماً﴾ إشارة إلى استكمال النفس في قوتها العملية والنظرية.

وعن الحسن: من أحسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله، وفيه إشارة إلى أن المطيع تفتح له ينابيع الحكمة، وتنبيه على أن العطية الإلهية تصل إلى العبد وإن طال العهد إذا جاء أوانها فلطالب الحق أن ينتظر إحسان الله تعالى ولا ييأس منه، وفي الحديث: «أفضل أعمال أمتي انتظارهم فرج الله».

قال النصر لما عقل يوسف عن الله أوامره ونواهيه واستقام معه على شروط الأدب، أعطاه حكماً على الغيب في تعبير الرؤيا وعلماً بنفسه في مخالفة هواها.

قال بعض الأكابر: الكمال العلمي أفضل من الكمال العملي والتقصير من جهة العلم أشد من التقصير من جهة العمل فإن حسن العقيدة وصفاء القريحة بسبب العلم والكمال، ولشرفه أمر الله تعالى سيد الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم وسلامه بطلب الزيادة منه، فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] وقد ذكر أهل الإشارة أن آدم عليه السلام وصل إلى رياسة سجود الملائكة بعلم الأسماء، وسليمان إلى الملك العظيم بالفهم، وعلم منطق الطير، ويوسف إلى النجاة والشرف والعز بعلم التعبير فالعالم بعلم التوحيد كيف لا ينجو من الجحيم وينال شرف لقاء الله تعالى في دار النعيم. ﴿وكذلك﴾ أي مثل الجزاء العجيب الذي جزينا يوسف. ﴿نجزي المحسنين﴾ كل من يحسن في عمله وفي تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين إشعار بعلية الإحسان له وتنبيه على أنه سبحانه إنما آتاه الحكم والعلم لكونه محسناً في أعماله متقياً في عنفوان أمره، هل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

قال بعض الأكابر: نجزي المحسنين الذين يحسنون لأنفسهم في الطلب والإرادة والاجتهاد والرياضة فمن أدخل نفسه في زمرة أهل الإحسان جزاه الله بأحسن الجزاء وأحبه، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] فمن أحبه الله نال سعادة الدارين في الحديث: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً، فأحبه فيحبه جبريل فينادي في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض».

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولما بلغ﴾ يوسف القلب ﴿أشده﴾ مبلغ كمالية استعداده لقبول فيض الألوهية ﴿آتيناه حكماً وعلماً﴾ أفضنا عليه سجال الحكمة الإلهية والعلم اللدني

وكما أفضنا على القلب ما هو مستحقه من الحكمة والعلم بفضلنا. ﴿و﴾كرمنا ﴿كذلك نجزي المحسنين﴾الأعضاء الرئيسية والجوارح إذا أحسنوا الأعمال والأخلاق على قاعدة الشريعة والطريقة خير الجزاء وهو التبليغ إلى مقام الحقيقة انتهى.

ثم إن الجزاء ينبغي أن يكون مترتباً على انقضاء العمل، فتارة يظهر بعد تمام الأعمال كلها، وتارة يظهر لكل عمل منقض جزاء، وهكذا إلى الوصول إلى غاية الأجزية، فعلم تعبير رؤيا الملك وصاحبي السجن أوتي يوسف في السجن وتمامه مع انضمام العلوم الكلية بعد انتهاء الابتلاء فافهم المقام وكن على بصيرة من إدراك دقائق الكلام.

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه﴾المراودة المطالبة من راد يرود إذا جاء وذهب لطلب شيء، وهي مفاعلة من واحد لكن لما كان سبب هذا الفعل صادراً من الجانب المقابل لجانب فاعله فإن مراودتها إنما هي لجمال يوسف، كمداواة الطبيب إنما هي للمرض الذي هو من جانب المريض عبر عنه بالمسبب وجيء بصيغة المفاعلة وتعديتها بعن لتضمنها معنى المخادعة، فالمعنى خادعت زليخا يوسف عن نفسه لتنال غرضها أي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن شيء لا يريد إخراجه عن يده وهو يحتال أن يأخذه منه وهي عبارة عن التمحل في مواقعته إياها، والمحل طلب بحيلة وتكلف، كما في «القاموس» وإيراد الموصول لتقرير المراودة فإن كونه في بيتها مما يدعو إلى ذلك، قيل لواحدة ما حملك على ما أنت عليه مما لا خير فيه قالت قرب الوساد وطول السواد، ولإظهار كمال نزاهته فإن عدم ميله إليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها وامتناعه منها مع كونه تحت مملكتها ينادي بكونه في أعلى معارج العفة والنزاهة ـ حكي ـ أن زليخا كانت من أجمل النساء وكانت بنت سلطان المغرب واسمه طيموس فرأت ذات ليلة في المنام غلاماً على أحسن ما يكون من الحسن والجمال فسألت عنه فقال أنا عزيز مصر فلما استيقظت افتتنت بما رأت في الرؤيا وأدى ذلك إلى تغير حالها ولكنها كتمت حالها عن الأغيار دهراً.

نهان ميداشت رازش دردل تنك چوكان لعلى ولعل اندر دل سنك

ثم تفطن من في البيت من الجواري وغيرها أن بها أمراً فقال بعض بإصابة العين وبعض بإصابة السحر وبعض بمس الجن وبعض بالعشق.

صح عند الناس أني عاشق غير أن لم يعرفوا عشقي لمن

ففتش عن أمرها فما وجد من غير العشق.

زليخا عشق را پوشيده مى داشت بسينه تخم را پوشيده ميكاشت
ولى سر ميزد آن هردم زجايى همي كرد از برون نشو ونمايى
خوشست از بخردان اين نكته كفتن كه مشك عشق را نتوان نهفتن
اكر برمشك كر درپرده صد توى كند غمازى ازصد پرده اش بوي

وقد كان خطبها ملوك الأطراف فأبت إلا عزيز مصر، فجهزها أبوها بما لا يحصى من العبيد والجواري والأموال وأرسلها مع حواشيه إلى جانب مصر فاستقبلها العزيز بجمع كثير في

زينة عظيمة فلما رأته زليخا علمت أنه ليس الذي رأته في المنام فأخذت تبكي وتتحسر على ما فات من المطلوب.

نه آنست آنكه من در خواب ديدم بجست وجويش اين محنت كشيدم
خدا را اي فلك بر من ببخشاي برروى من درى از مهر بكشاي
مسوز ازغم من بي دست وپارا مده بركنج من اين اژدهارا

فسمعت من الهاتف لا تحزني يا زليخا فإن مقصودك إنما يحصل بواسطة هذا.

زليخا چون زغيب اين مژده بشنود بشكرانه سر خود برزمين سود

ثم لما دخلوا مصراً نزلوا زليخا في دار العزيز بالعز والاحترام وهي في نفسها على الفراق والآلام

بظاهر باهمه كفت وشنوداشت ولى دل جاي ديكر دركرو داشت
نهى صدر دسته ريحان پيش بلبل نخواهد خاطرش جزنكهت كل

وكانت هذه الحال سنين وبقيت بكراً؛ لأن العزيز كان عنيناً لا يقدر على المواقعة.

بيا جامى كه همت بركماريم ز كنعان ماه كنعانرا بر آريم
زليخا بادل اميد وارست نظر بر شاهرا انتظارست

فكان ما كان من حسد الإخوان ووصول يوسف إلى مصر بالعبودية، فلما رأته زليخا علمت أنه الذي رأته في المنام وقالت:

بخوابم روى زيباوى نمودست شكيب ازجان شيداوى ربودست
درين كشور زسودايش فتادم بدين شهر از تمنايش فتادم

[چون يوسف بخانهٔ عزيز در آمد سلطان عشق رخت بخانهٔ زليخا فرستاد ولشكر حسنش متاع صبر وسكون اورا بيغماداد]:

زليخا چون برويش ديده بكشاد بيك ديدارش افتاد آنچه افتاد
زحسن صورت ولطف شمائل اسيرش شدبيك دل نى بصددل
بمعشوقان چو يوسف كس نبوده جمالش ازهمه خوبان فزدوه
نبوداز عاشقان كس چون زليخا بعشق ازجمله بودافزون زليخا
ز طفلى تابه پير عشق ورزيد بشاهى واسيرى عشق ورزيد

[بعد آزانكه عشق بغايت كشيد وشوق بنهايت آنجاميد صورت حال بميان آورد بايوسف]:

- روي - أن يوسف كان يأوي إلى بستان في قصر زليخا يعبد الله فيه وكان قد قسم نهاره ثلاثة أقسام ثلثاً، لصلواته، وثلثا يبكي فيه، وثلثاً يسبح الله فيه ويذكره، فلما أدرك يوسف مبالغ الرجال جعلت زليخا تراوده عن نفسها، وهو يهرب منها إلى البستان فلما طال ذلك عليها تغير لونها واصفر وجهها ودخلت عليها داية من داياتها فأخبرتها بذلك، فأشارت عليها أن تبني له بيتاً مزيناً بكل ما تقدر عليه من الزينة والطيب ليكون وسيلة إلى صحبة يوسف، ولما فرغ الصناع من عمله دعت العزيز فدخل فأعجبه لكونه على أسلوب عجيب، وقال لها: سميه بيت السرور ثم خرج فاستدعت يوسف فزينوه بكل ما يمكن من الزينة وتزينت هي أيضاً وكانت بيضاء حسناء بين عينيها خال يتلألأ حسناً، ولها أربع ذوائب قد نظمتها بالدر والياقوت وعليها سبع حلل وأرسلت قلائدها على صدرها.

بز يورها نبودش احتياجي ولي افزود ازان خودرا رواجي
بخوبى كل بيستانها سمرشد ولى از عقد شبنم خو بترشد

فجاؤوا بيوسف.

در آمد ناكهان ازدر چوماهى عطارد حشمتي خورشيد جاهى
وجودي از خواص آب وكل دور جبين طلعتي نور على نور

فلما دخل عليها في القسم الأول من البيت أغفلته وأغلقته وراودته عن نفسه بكل حيلة، ثم أدخلته في الذي يليه فأغلقته وراودته بكل ما يمكن فلم يساعدها يوسف فدفعها بما قدر عليه ثم وثم إلى أن انتهى إلى البيت السابع فأغلقته وذلك قوله تعالى: **﴿وغلقت الأبواب﴾** عليها وعليه وكانت سبعة أبواب ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل الدالة على التكثير **﴿وقالت هيت لك﴾** اسم فعل معناه أقبل وبادر. وبالفارسية [بشتاب پيش من آي كه من ترا ام] واللام للبيان متعلقة بمحذوف أي لك أقول هذا ـ روي ـ عن ابن عباس أنه قال: كان يوسف إذا تبسم رأيت النور في ضواحكه، وإذا تكلم رأيت شعاع النور في كلامه يذهب من بين يديه، ولا يستطيع آدمي أن ينعت نعته. فقالت له: يا يوسف إنما صنعت هذا البيت المزين من أجلك فقال يوسف: يا زليخا إنما دعيتني للحرام وحسبي ما فعل بي أولاد يعقوب البسوني قميص الذل والحزن يا زليخا إني أخشى أن يكون هذا البيت الذي سميته بيت السرور بيت الأحزان والثبور، وبقعة من بقاع جهنم. فقالت زليخا: يا يوسف ما أحسن عينيك! قال هما أول شيء يسيلان إلى الأرض من جسدي. قالت: ما أحسن وجهك! قال هو للتراب يأكله، قالت: ما أحسن شعرك! قال: هو أول ما ينتشر من جسدي، قالت: إن فراش الحرير مبسوط فقم فاقض حاجتي، قال: إذاً يذهب نصيبي من الجنة، قالت: إن طرفي سكران من محبتك فارفع طرفك إلى حسني وجمالي، قال: صاحبك أحق بحسنك وجمالك مني قالت هبت لك **﴿قال معاذ الله﴾** هو من جملة المصادر التي ينصبها العرب بأفعال مضمرة ولا يستعمل إظهارها، كقولهم: سبحان الله وغفرانك وعونك أي أعوذ بالله معاذاً مما تدعونني إليه من العصيان والخيانة ثم علل الامتناع بقوله: **﴿إنه﴾** أي: الشأن الخطير هذا وهو **﴿ربي﴾** أي: سيد العزيز الذي اشتراني **﴿أحسن مثواي﴾** أي أحسن تعهدي ورعايتي حيث أمرك بإكرامي فما جزاؤه أن أسيىء إليه بالخيانة في حرمه.

وفيه إرشاد لها إلى رعاية حق العزيز بألطف وجه. **﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾** أي: لا يدخل في دائرة الفلاح والظفر كل ظالم كائناً من كان، فيدخل في ذلك المجازون للإحسان بالإساءة والعصيان لأمر الله تعالى [واز زبان حال يوسف كه بازليخا خطاب مي كرد كفته اند]:

زهى خجلت كه در روزقيامت كه افتد برزنا كاران غرامت
جزاى آن جفا كيشان نويسند مرا سر دفتر ايشان نويسند

وفي الآية دليل على أن معرفة الإحسان واجب، لأن يوسف امتنع لأجل شيئين لأجل المعصية والظلم ولأجل إحسان الزوج إليه. قال الجامي:

كه چون نوبت بهفتم خانه افتاد زليخا از جان بر خاست فرياد
مراتاكى درين محنت پسندى كه چشم رحمت ازرويم ببندى
بكفتا مانع من أين دو چيزست عتاب ايزد وقهر عزيز ست

زليخا كفت زان دشمن ميند يش | كه چون روز طرب بنشسته ام پيش
دهم جامى كه با جانش ستيزد | زمستى تا قيامت بر نخيزد
توميكويى خداي من كريمست | هميشه بر كنهكاران رحيمست
مرا از كوهر وزر صد خزينه | درين خلوت سرا باشد دفينه
فدا سازم همه بهر كناهت | كه تاباشد زايزد عذر خواهت
بكفت آنكس نيم كافتد پسندم | كه آيد بر كس ديكر كزندم
خداي من كه نتوان حقز اريش | برشوت كي توان آمرز كاريش
زليخا در تقاضا كرم يوسف | همي انكيخت اسباب توقف
دلش ميخواست درسفتن بالماس | ولي ميداشت حكم عصمتش پاس

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

كما قال تعالى: **﴿ولقد همت به﴾** الهم عقد القلب على فعل شيء قبل أن يفعل من خير أو شر وهو القصد والمراد همت بمخالطته ومجامعته إذا لهم لا يتعلق بالأعيان، أي قصدتها وعزمت عليها عزماً جازماً بعد ما باشرت مباديها وفعلت ما فعلت من المراودة وتغليق الأبواب ودعوته إلى نفسها بقولها: هيت لك، ولعلها تصدت هنالك لأفعال أخر من بسط يدها إليه، وقصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره إلى الهرب نحو الباب والتأكيد لدفع ما عسى يتوهم من اختصاص إقلاعها عما كانت عليه بما في مقالته من الزواجر. **﴿وهمّ بها﴾** بمخالطتها، أي: مال إليها بمقتضى الطبيعة البشرية، وشهوة الشباب ميلاً جبلياً لا يكاد يدخل تحت التكليف، لا قصداً اختيارياً، لأنه كما أنه بريء من ارتكاب نفس الفاحشة والعمل الباطل، كذلك بريء من الهمّ المحرم، وإنما عبر عنه بالهمّ لمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر بطريق المشاكلة، لا لشبهة به ولقد أشير إلى تباينهما بأنه لم يقل: ولقد هما بالمخاطلة أو هم كل منهما بالآخر.

قال حضرة الشيخ افتاده قدس سره: **﴿وهمّ بها﴾** أي هجم للطبيعة البشرية فقمع مقتضاها ولم يعط حكمها فإن عدم تقاضيها نقصان، بل الكمال أن لا يعطي لها حكمها مع غاية التوقان فيترقى به الإنسان وينال المراتب العالية عند الرحمن، ألا ترى أن العنين لا يمدح على ترك الجماع. وفي «المثنوي»:

هين مكن خودار خصى رهبان مشو | زانكه عفت هست شهوترا كرو
بى هوا نهى ازهوا ممكن نبود | هم غزابا مرد كان نتوان نمود

قال الشافعي: أربعة لا يعبأ الله بهم يوم القيامة زهد خصي، وتقوى جندي، وأمانة امرأة، وعبادة صبي وهو محمول على الغالب كما في «المقاصد الحسنة» ـ وروي ـ في الخبر إنه ليس من نبي إلا وقد أخطأ وهم بخطيئة غير يحيى بن زكريا، ولكنهم كانوا معصومين من الفواحش. فمن نسب إلى الأنبياء الفواحش كالعزم على الزنى ونحوه الذي يقوله الحشوية في يوسف كفر، لأنه شتم لهم كذا في «القنية».

قال بعض أرباب الأحوال كنت بمجلس بعض القصاص فقال ما سلم أحد من هوى ولا فلان وسمى من لا يليق ذكره في هذا المقام العظيم الشأن فقلت: اتق الله فقال: ألم يقل:

«حبب إليّ» فقلت: ويحك قال حبب ولم يقل أحببت، قال ثم خرجت بالهمّ فرأيت النبي عليه السلام فقال: لا تهتم فقد قتلناه قال فخرج ذلك القاص إلى بعض القرى فقتله بعض قطاع الطريق ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ أي: حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنى، والمراد برؤيته لها كمال إيقانه ومشاهدته لها مشاهدة واصلة إلى مرتبة عين اليقين التي تتجلى هناك حقائق الأشياء بصورها الحقيقية، وتتخلع عن صورها المستعارة التي بها تظهر في هذه النشأة على ما نطق به قوله عليه السلام: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» وكأنه قد شاهد الزنى بموجب ذلك البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته أقبح ما يكون، وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام، أي: لولا مشاهدته برهان ربه في شأن الزنى لجرى على موجب ميله الجبلي لعدم المانع الظاهر، ولكنه حيث كان شاهداً له من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان وفائدة هذه الشرطية بيان أن امتناعه لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل بمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعي الداخلية وترتب المقدمات الخارجية الموجبة لظهور الأحكام الطبيعية هذا.

وقد نص أئمة الصناعة على أن لو في أمثال هذه المواقع جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق، كما في مثل قوله تعالى: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان: ٤٢] فلا يتحقق هناك همّ أصلاً، وقالوا: البرهان ما رأى في جانب البيت مكتوباً ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢] أو قال له ملك: تهمّ بفعل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء، أو انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضاً على يديه، وبه كان يخوف صغيراً، أو رأى شخصاً يقول له: يا يوسف انظر إلى يمينك فنظر فرأى ثعباناً أعظم ما يكون، فقال هذا يكون في بطن الزاني غداً ﴿كذلك﴾ الكاف منصوب المحل وذلك إشارة إلى الإراءة المدلول عليها بقوله تعالى: ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ أي: مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناه برهاننا فيما قبل ﴿لنصرف عنه السوء﴾ خيانة السيد ﴿والفحشاء﴾ والزنى لأنه مفرط في القبح. وفيه آية بينة وحجة قاطعة على أنه لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه إليها قط وإلا لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء، وإنما توجه إليه ذلك من خارج فصرفه تعالى عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة كما في «الإرشاد» ﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾ الذين أخلصهم الله لطاعة بأن عصمهم مما هو قادح فيها.

وفيه دليل على أن الشيطان لم يجد إلى إغوائه سبيلاً ألا يرى إلى قوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

قال في «بحر لعلوم» واعلم أنه تعالى شهد ببراءته من الذنب ومدحه بأنه من المحسنين وأنه من عباده من المخلصين فوجب على كل أحد إن لا يتوقف في نزاهته وطهارة ذيله وعفته وتثبته في مواقع العثار.

قال الحسن: لم يقص الله عليكم ما حكي من أخبار الأنبياء تعييراً لهم، لكن لئلا تقنطوا من رحمته، لأن الحجة للأنبياء ألزم فإذا قبلت توبتهم كان قبولها من غيرهم أسرع، وعدم ذكر توبة يوسف دليل على عدم معصيته؛ لأنه تعالى ما ذكر معصية عن الأنبياء وإن صغرت إلا وذكر توبتهم واستغفارهم منها كآدم ونوح وداود وإبراهيم وسليمان عليهم السلام.

والإشارة: أن يوسف القلب وإن بلغ أعلى مراتبه في مقام الحقيقة وفنائه عن صفات

الأنانية واستغراقه في بحر صفات الهوية لا ينقطع عنه تصرفات زليخا الدنيا ما دام هو في بيتها وهو الجسد فإن الجسد للقلب بيت دنيوي، فالمعنى أنه: ﴿وراودته﴾ يوسف القلب زليخا الدنيا ﴿التي هو﴾ يوسف القلب ﴿في بيتها﴾ أي في الجسد الدنيوي، أي: ﴿عن نفسه﴾ لما رأت في نفسه لتعلقه بالجسد داعية الاحتظاظ من الحظوظ الدنيوية ليحتظ منها وتحتظ منه ﴿وغلقت الأبواب﴾ وهي أبواب أركان الشريعة يعني إذا فتحت الدنيا على القلب أبواب شهواتها وحظوظها غلقت عليه أبواب الشريعة التي تدخل منها أنوار الرحمة والهداية ونفحات الألطاف والعناية ﴿وقالت﴾ أي: الدنيا ﴿هيت لك﴾ أقبل إلي وأعرض عن الحق ﴿قال﴾ يعني: القلب الفاني عن نفسه الباقي بربه. ﴿معاذ الله﴾ أي: عياذي بالله مما سواه. ﴿إنه ربي﴾ الذي ربني بلبان ألطاف ربوبيته ﴿أحسن مثواي﴾ أي مقامي في عالم الحقيقة فلا أعرض عنه ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ الذين يقبلون على الدنيا ويعرضون عن المولى ﴿ولقد همت به﴾ أي همت الدنيا بالقلب لما ترى فيه من الحاجة الضرورية الإنسانية إليها ﴿وهم بها﴾ أي هم القلب بها فوق الحاجة الضرورية إليها لمشاركة النفس الحريصة على الدنيا ولذاتها. ﴿لولا أن أرى﴾ القلب ﴿برهان ربه﴾ وهو نور القناعة التي من نتائج نظر العناية إلى قلوب الصادقين ﴿كذلك لنصرف عنه﴾ عن القلب بنظر العناية ﴿السوء﴾ هو الحرص على الدنيا. ﴿والفحشاء﴾ وهو تصرف حب الدنيا فيه ﴿إنه﴾ قلب كامل ﴿من عبادنا﴾ لا من عباد الدنيا وغيرها ﴿المخلصين﴾ مما سوانا أي المخلصين من جنس الوجود المجازي الموصلين إلى الوجود الحقيقي، وهذا مقام كمالية القلب، أن يكون عبداً الله حراً عما سواه، فانياً عن أوصاف وجوده، باقياً بأوصاف ربه، كذا في «التأويلات النجمية» - حكي - عن علي بن الحسن أنه كان في البيت صنم فقامت زليخا وسترته بثوب فقال لها يوسف: لم فعلت هذا؟ قالت: استحييت منه أن يراني على المعصية.

درون پرده كردم جايكاهش ... كه تا نبود بسوى من نكاهش
زمن آيين بي ديني نبيند ... درين كارم كه مي بيني نبيند

فقال يوسف: أتستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه، وأنا أحق أن استحيي من ربي الذي خلقني فأحسن خلقي.

قال في «التبيان»: إن يوسف لما رأى البرهان قام هارباً مبادراً إلى الباب فتبعته زليخا، وذلك قوله تعالى:

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿واستبقا الباب﴾ بحذف حرف الجر، أي تسابقا إلى الباب البراني الذي هو المخرج من الدار ولذلك وحد بعد الجمع فيما سلف، أما يوسف فللفرار منها وأما هي فلتصده عن الخروج والفتح ﴿وقدت قميصه من دبر﴾ أي: اجتذبته من ورائه وخلفه فانشق طولاً نصفين وهو القد كما أن الشق عرضاً هو القط ﴿وألفيا﴾ وجدا وصادفا ﴿سيدها﴾ زوجها وهو قطفير تقول المرأة لزوجها سيدي ولم يقل سيدهما، لأن ملك يوسف لم يصح فلم يكن له سيدا على الحقيقة ﴿لدى الباب﴾ أي عند الباب البراني مقبلاً ليدخل، أو كان جالساً مع ابن عم لزليخا يقال له:

يمليخا ـ روي ـ عن كعب أنه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناسر ويسقط حتى خرج من الأبواب كما قال المولى الجامي:

چوكش اندر دويدن كام تيزش كشاد ازهر درى راه كريزش
بهر دركامدى بي در كشايي پريدى قفل جايي پره جايي
زليخا چون بديدان از عقب جست بوي در آخرين دركاه پيوست
پي باز آمدن دامن كشيدش زسوى پشت پيراهن در يدش
برون رفت از كف آن غم رسيده بسان غنچه پيراهن دريده
برون آمد پيش آمد عزيزش كروهى از خواص خانه نيزش

﴿قالت﴾ كأنه قيل فماذا كان حين ألفيا العزيز عند الباب، فقيل قالت: منزهة نفسها ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً﴾ من الزنى ونحوه وما نافية، أي ليس جزاؤه ﴿إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾ إلا السجن أو العذاب الأليم مثل الضرب بالسوط ونحوه، أو استفهامية، أي: أيّ شيء جزاؤه غير ذلك كما تقول من في الدار إلا زيد.

قال العزيز: من أراد باهلي سوءاً؟ قالت زليخا: كنت نائمة في الفراش فجاء هذا الغلام العبراني وكشف عن ثيابي وراودني عن نفسي:

چو دزدان بر سربالينم آمد بقصد حرمن نسرينم آمد
خيالش آنكه من ازوى نه آكاه بحرم كلستانم آورد راه
باذن باغبان ناكشته محتاج برد تا سنبل وكل را بتاراج

فالتفت العزيز إليه وقال يا غلام هذا جزائي منك حيث أحسنت إليك وأنت تخزيني.

ثمى شايد درين دير پر آفات جز احسان أهل احسانرا مكافاة
زكوى حقكزارى رخت بستى نمك خوردى نمكدانرا شكستي

كأنه قيل: فماذا قال يوسف حينئذٍ؟ فقيل:

﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿قال﴾ دفعاً عن نفسه وتنزيهاً لعرضه ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ طالبتني للمواقعة لا أني أردت بها سوءاً كما قالت:

زليخا هرچه ميكويد دروغست دروغ أو چراغ بي فروغست
زن از بهلوى چب شد آفريده كس از چب راستى هر كزنديده

فقال العزيز: ما أقبل قولك إلا ببرهان، وفي رواية نظر العزيز إلى ظاهر قول زليخا وتظلمها فأمر بأن يسجن يوسف وعند ذلك دعا يوسف بإنزال البراءة، وكان لزليخا خال، له ابن في المهد ابن ثلاثة أشهر أو أربعة أو ستة على اختلاف الروايات فهبط جبريل إلى ذلك الطفل وأجلسه في مهده، وقال له اشهد ببراءة يوسف فقام الطفل من المهد وجعل يسعى حتى قام بين يدي العزيز وكان في حجرانه.

فغان زد كاى عزيز آهسته ترباش ز تعجيل عقوبت بر حذر باش
سزاوار عقوبت نيست يوسف بطلف ومرحمت او ليست يوسف

عز يزاز كفتن كودك عجب ماند سخن با او بقانون ادب راند
كه اي ناشسته لب زالايش شير خدايت كرد تلقين حسن تفرير
بكوروشن كه اين آتش كه افروخت كزانم پردهٔ عز وشرف سوخت

كما قال الله تعالى: ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾ أي: ابن خالها الذي كان صبياً في المهد، وإنما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها ليكون أوجب للحجة عليها، وأوثق لبراءة يوسف وأنفى للتهمة عنه.

وفي «الإرشاد» ذكر كونه من أهلها لبيان الواقع إذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من أهلها أو من غيرهم.

واعلم أنه تكلم في المهد جماعة، منهم شاهد يوسف هذا، ومنهم نبينا ﷺ فإنه تكلم في المهد في أوائل ولادته وأول كلام تكلم به أن قال: «الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً». ومنهم عيسى عليه السلام ويأتي تكلمه في سورة مريم، ومنهم مريم، والدة عيسى عليهما السلام، ومنهم يحيى عليه السلام، ومنهم إبراهيم الخليل عليه السلام، فإنه لما سقط على الأرض استوى قائماً على قدميه وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد الحمد لله الذي هدانا لهذا. ومنهم نوح عليه السلام فإنه تكلم عقيب ولادته فإن أمه ولدته في غار خوفاً على نفسها وعليه فلما وضعته وأرادت الانصراف قالت وانوحاه فقال لها لا تخافي أحداً عليّ يا أمّاه فإن الذي خلقني يحفظني، ومنهم موسى عليه السلام، فإنه لما وضعته أمه استوى قاعداً وقال يا أماه لا تخافي أي من فرعون إن الله معنا، وتكلم يوسف عليه السلام في بطن أمه فقال: أنا المفقود والمغيب عن وجه أبي زماناً طويلاً فأخبرت أمه والده بذلك، فقال لها: اكتمي أمرك، وأجاب واحد أمّه بالتشميت وهو في بطنها حين عطست وسمع الحاضرون كلهم صوته من جوفها، ومنهم ابن المرأة التي مر عليها بامرأة يقال إنها زنت فشهد بالبراءة. ومنهم طفل لذي الأخدود. ومنهم ابن ماشطة بنت فرعون.

عن ابن الجوزي أن ماشطة بنت فرعون لما أسلمت أخبرت الابنة أباها بإسلامها، فأمر بإلقائها وإلقاء أولادها في النقرة المتخذة من النحاس المحماة، فلما بلغت النوبة إلى آخر ولدها وكان مرضعاً قال: اصبري يا أماه فإنك على الحق، ومنهم مبارك اليمامة قال بعض الصحابة دخلت داراً بمكة فرأيت فيها رسول الله وسمعت منه عجباً جاءه رجل بصبي يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال النبي عليه السلام: «يا غلام من أنا» قال الغلام بلسان طلق أنت رسول الله قال: «صدقت بارك الله فيك» ثم إن الغلام لم يتكلم بشيء فكنا نسميه مبارك اليمامة، وكانت هذه القصة في حجة الوداع، ومنهم صاحب جريج الراهب وقصته أن جريجاً كان يتعبد في صومعة فقالت بنية من بني إسرائيل لافتننه، فعرضت له نفسها فلم يلتفت إليها فمكنت نفسها من راعي غنم كان يأوى بغنمه إلى أصل صومعته، فولد غلاماً وقالت: إنه من جريج فضربوه وهدموا صومعته فصلى جريج وانصرف إلى الغلام ووضع يده على رأسه فقال: بحق الذي خلقك أن تخبرني من أبوك؟ فتكلم بإذن الله تعالى إن أبي فلان الراعي، فاعتذروا إلى جريج وبنوا صومعته، ومنهم ما ذكره الشيخ محيي الدين ابن العربي قدس سره قال: قلت لبنتي زينب مرة وهي في سن الرضاعة قريباً عمرها من سنة ما تقولين في الرجل يجامع حليلته ولم ينزل؟ فقالت: عليه الغسل فتعجب الحاضرون من ذلك ثم إني فارقت تلك البنت وغبت عنها سنة في

مكة وكنت أذنت لوالدتها في الحج وجاءت مع الحج الشامي فلما خرجت لملاقاتها رأتني من فوق الجمل وهي ترضع فقالت قبل أن تراني أمها هذا أبي وضحكت ورمت نفسها إليّ كما في «إنسان العيون».

﴿إن كان قميصه قد من قبل﴾ الشرطية محكية على إرادة القول كأنه قيل وشهد شاهد من أهلها فقال إن كان قميصه وجمع بين إن الذي هو للاستقبال، وبين كان، لأن المعنى إن يعلم أن قميصه قد من قبل أي من قدام فالشرط وإن كان ماضياً بحسب اللفظ لكنه في تأويل المضارع.

فإن قلت: كيف اطلق الشهادة على تقوّل هذه الشرطية مع أن الشهادة في عرف الشرع عبارة عن الإخبار بثبوت حق الغير على غيره بلفظ أشهد؟

قلت: هذه الشرطية تقوم مقام الشرطية وتؤدي مؤداها من حيث أن تقولها ثبت به صدق يوسف وبطل قولها **﴿فصدقت﴾** أي: فقد صدقت زليخا في قولها. **﴿وهو من الكاذبين﴾** في قوله لأنه إذا طلبها دفعته عن نفسها فشقت قميصه من قدام، أو يسرع خلفها ليدركها فيتعثر بذيله فينشق جيبه.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وإن كان قميصه قد من دبر﴾ من خلف **﴿فكذبت﴾** في قولها **﴿وهو من الصادقين﴾** لأنه يدل على أنها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته.

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿فلما رأى﴾ العزيز **﴿قميصه قد من دبر﴾** وعلم براءة يوسف وصدقه كما قال الجامي:

عزيز از طفل چون كوش اين سخن كرد   روان تفتيش حال پيرهن كرد
چو ديد ازپس دريده پيرهن را   ملامت كردآن مكاره زن را

﴿قال إنه﴾ أي الأمر الذي وقع فيه التشاجر **﴿من كيدكن﴾** من جنس حيلتكن ومكركن أيتها النساء لا من غيركن فخجلت زليخا، وتعميم الخطاب للتنبيه على أن ذلك خلق لهن عريق. **﴿إن كيدكن عظيم﴾** فإنه ألصق وأعلق بالقلب وأشد تأثيراً في النفس، أي من كيد الرجال فعظم كيد النساء على هذا بالنسبة إلى كيد الرجال؛ ولأن الشيطان يوسوس مسارقة وهن يوجهن به الرجال فالعظم بالنسبة إلى كيد الشيطان.

وعن بعض العلماء أنا أخاف من النساء ما لا أخاف من الشيطان فإنه تعالى يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦] وقال للنساء **﴿إن كيدكن عظيم﴾**:

ز كيد زن دل مردان دونيمست   زنانرا كيد هاى بس عظيمست
عزيز انرا كند كيد زنان خوار   بكيد زن بود دانا كرفتار
زمكر زن كسى عاجز مبادا   زن مكاره خود هركز مبادا

﴿يوسف﴾ أي قال العزيز يا يوسف **﴿أعرض عن هذا﴾** الأمر وعن التحديث به واكتمه حتى لا يشيع فيعيروني:

قدم ازراى غمازى بدرنه   كه باشد پرده بوش ازپرده دربه

﴿واستغفري﴾ أنت يا زليخا ﴿لذنبك﴾ الذي صدر عنك وثبت عليك ﴿إنك كنت﴾ بسبب ذلك ﴿من الخاطئين﴾ من جملة القوم الذين تعمدوا للخطيئة والذنب، يقال خطىء إذا أذنب عمداً والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وفي الحديث: «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» وكان العزيز رجلاً حليماً فاكتفى بهذا القدر في مؤاخذتها كما قال المولى الجامي:

عزيز اين كفت وبيرون شد زخانه بخوش خوبى سمر شد درزمانه
تحمل دلكش است اما نه چندين نكر خويى خوشست امانه چندين
چو مردازن بخوش خويى كشدبار زخوش خويى ببد رويى كشدكار
مكن باكارزن چندان صبوري كه افتد رخنه درسد غيوري

وقيل كان قليل الغيرة ـ وروي ـ أنه حلف أن لا يدخل عليها إلى أربعين يوماً وأخرج يوسف من عندها وشغله في خدمته وبقيت زليخا لا ترى يوسف:

دريغ آن صيد كزدامم برون رفت دريغ آن شهد كزكامم برون رفت
عزيمت كرد روزى عنكبوتي كه بهر خود كند تحصيل قوتي
بجايي ديد شهبازى نشسته زقيد دست شاهان بازرسته
بكرد اوتنيدن كرد آغاز كه بندد بال وپرش را زپرواز
زماني كار در پيكار او كرد لعاب خودهمه دركاراو كرد
چون آن شباز كرد ازوى كناره نماند غير تارى چند پاره
منم آن عنكبوت زارو رنجور فتاده ازمراد خويشتن دور
رك جانم كسسته همچو تارش نكشته مرغ اميد شكارش
كسسته تارم از هركار وبارى بدستم نيست جز بكسسته تارى

والإشارة إن يوسف القلب لما رأى برهان ربه وهو نظر نور العناية التي من نتائجها القناعة وهرب من زليخا الدنيا وما انخدع من زينتها وشهواتها اتبعته زليخا الدنيا. ﴿واستبقا الباب﴾ وهو الموت فإن الموت باب بين الدنيا والآخرة وكل الناس داخله فمن زحزح عن باب دار الدنيا دخل باب الدار الآخرة لأن من مات قامت قيامته، فتعلقت زليخا الدنيا بيد شهواتها بذيل قميص بشرية يوسف القلب قبل خروجه من باب الموت الحقيقي ﴿وقدت قميصه﴾ فقدت قميص بشريته ﴿من دبر﴾ فلما خرج يوسف القلب من باب موت البشرية، والصفات الحيوانية واتبعته زليخا الدنيا ﴿وألفيا سيدها لدى الباب﴾ وهو صاحب ولاية تربية يوسف القلب وزوج زليخا الدنيا وإنما سمى سيدها؛ لأن أصحاب الولايات هم سادة الدنيا والآخرة وهم الرجال الحقيقية المتصرفون في الدنيا كتصرف الرجل في امرأته ﴿قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً﴾ ما جزاء قلب يتصرف في الدنيا بالسوء وهو على خلاف الشريعة ووفق الطبيعة. ﴿إلا أن يسجن﴾ في سجن الصفات الذميمة النفسانية ﴿أو عذاب أليم﴾ أي: يعذب بألم البعد والفراق ﴿قال﴾ يوسف القلب وأظهر عداوة زليخا الدنيا بعد أن تخرق قميص بشريته وخرج من باب الموت عن صفاتها ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ لأنها كانت مأمورة بخدمتي كما قال: «يا دنيا اخدمي من خدمني» وإني كنت فاراً منها لقوله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠] ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾ أي: حكم بينهما حاكم وهو العقل الغريزي دون العقل المجرد فإن الغريزي

دنيوي والمجرد أخروي. فالمعنى أن حاكم العقل الغريزي الذي هو من أهل زليخا حكم **﴿إن كان قميصه قد من قبل﴾** أي إن كان قميص بشرية يوسف القلب قد من قبل يدل على أن التابع كان يوسف القلب على قدمي الهوى والحرص فعدل عن الصراط المستقيم العصمة وقد قميص بشريته من قُبُل. **﴿فصدقت﴾** زليخا الدنيا إنها متبوعة. **﴿وهو من الكاذبين﴾** في دعواه إنها راودتني عن نفسي واتبعتني **﴿وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت﴾** زليخا الدنيا إنها متبوعة. **﴿وهو من الصادقين﴾** يعني يوسف القلب صادق في أن زليخا الدنيا راودته عن نفسه واتبعته وإنه متبوع **﴿فلما رأى قميصه قد من دبر﴾** ميز حاكم العقل أن يد تصرف زليخا الدنيا لا تصل إلى يوسف القلب إلا بواسطة قميص بشريته **﴿قال إنه﴾** أي التعليق بقميص بشريته يوسف القلب **﴿من كيدكن﴾** أي: من كيد الدنيا وشهواتها **﴿إن كيدكن عظيم﴾** لأنكن تكدن في أمر عظيم وهو قطع طريق الوصول إلى الله العظيم على القلب السليم. **﴿يوسف أعرض عن هذا﴾** أي يا يوسف القلب اعرض عن زليخا الدنيا فإن كثرة الذكر تورث المحبة وحب الدنيا رأس كل خطيئة. **﴿واستغفري لذنبك﴾** يا زليخا الدنيا. **﴿إنك كنت﴾** بزينتك وشهواتك قاطعة طريق الله تعالى على يوسف القلب وأنت في ذلك. **﴿من الخاطئين﴾** الذين ضلوا عن الطريق وأضلوا كثيراً، كذا في «التأويلات النجمية» نفعنا الله بحقائقها.

﴿۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿وقال نسوة﴾ أي جماعة من النساء وكن خمساً امرأة الخباز، وامرأة الساقي وامرأة صاحب الدواب، وامرأة صاحب السجن، وامرأة الحاجب.

والنسوة: اسم مفرد لجميع المرأة وتأنيثه غير حقيقي، ولذا لم يلحق فعله تاء التأنيث.

وقال الرضي: النسوة جمع لأنها على وزن فعلة فيقدر لها مفرد وهو نساء كغلام وغلمة لا أنها اسم جمع [آورده اندكه اكرچه عزيز اين قصه را تسكين داد أما سخن عشق نهان كي ميماند شمهٔ ازين واقعه در السنهٔ عوام افتاد]

زليخارا چو بشكفت آن كل راز   جهاني شد بطعنش بلبل آواز

[وبعض از خواتين مصر زبان ملامت برزليخا درازكردند وهر آيينه عشق را غوغاي ملامت دركارست نه سوداي سلامت] قال الحافظ:

من أزان حسن روزافزون كه يوسف داشت دانستم.

كه عشق از پردهٔ عصمت برون آرد زليخارا وقال الجامي:

نسازد عشق راكنج سلامت   خوشا رسوايي وكويي ملامت

غم عشق ازملامت تازه كردد   وزين غوغا بلند آوازه كردد

﴿في المدينة﴾ ظرف لقال، أي أشعن الأمر في مصر أو صفة للنسوة.

وقال الكاشفي: [با يكديكر نشسته كفتند در شهر مصر بموضعي كه عين الشمس مضمون سخن ايشان آنكه]. **﴿امرأة العزيز﴾** والعزيز بلسان العرب الملك، والمراد به قطفير وزير الريان وبامرأته زليخا ولم يصرحن باسمها، على ما عليه عادة الناس عند ذكر السلطان والوزير ونحوهما وذكر من يتبعهم من خواص حرمهم.

وقال سعدي المفتي: صرحن بإضافتها إلى العزيز مبالغة للتشنيع لأن النفوس أقبل إلى سماع أخبار ذوي الأخطار وما يجري لهم. ﴿تراود فتاها﴾ أي: تطالب غلامها بمواقعته لها وتحتال في ذلك وتخادعه ﴿عن نفسه﴾ والفتى من الناس الشاب، ويستعار للمملوك وإن كان شيخاً كالغلام وهو المراد هنا وفي الحديث: «لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي» قال ابن الملك: إنما كره النبي عليه السلام أن يقول السيد عبدي لأن فيه تعظيماً لنفسه، ولأن العبد في الحقيقة إنما هو لله قيل إنما يكره إذا قاله على طريق التطاول على الرقيق والتحقير لشأنه وإلا فقد جاء القرآن به قال الله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾ [النور: ٣٢] ﴿قد شغفها حباً﴾ [بدرستى كه شكافته است غلاف دل اوازجهت دوستى يعني محبت يوسف بدرون دل او در آمده] وهو بيان لاختلال أحوالها القلبية كأحوالها القالبية خبر ثان وحباً تمييز منقول من الفاعلية، أي شق حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى فؤادها. والشغاف حجاب القلب وقرىء شعفها بالعين المهملة يقال شعفه الحب أحرق قلبه كما في «الصحاح».

اعلم أن المحبة هو الميل إلى أمر جميل، وهو إذا كان مفرطاً يسمى عشقاً، وهو إذا كان مفرطاً يسمى سكراً أو هيماناً، وصاحب العشق المفرط معذور غير ملوم، لأنه آفة سماوية كالجنون والمرض مثلاً، والمحبة أصل الإيجاد وسببه كما قال تعالى: «كنت كنزا مخفياً فأحببت أن أعرف». قال القاشاني: العشق أخص لأنه محبة مفرطة، ولذلك لا يطلق على الله لانتفاء الأفراط عن صفاته انتهى. قال الجنيد: قالت النار يا رب لو لم أطعك هل كنت تعذبني بشيء هو أشد مني؟ قال: نعم كن أسلط عليك ناري الكبرى قالت وهل نار أعظم مني قال نعم نار محبتي اسكنها قلوب أوليائي المؤمنين كذا في «فتح القريب».

قال يحيى بن معاذ: لو وليت خزائن العذاب ما عذبت عاشقاً قط لأنه ذنب اضطرار لا ذنب اختيار، وفي الحديث: «من عشق فعف وكتم ثم مات مات شهيداً». قال الحافظ:

عاشق شوارنه روزى كار جهان سر آيد ناخوانده نقش مقصود از كاركاه هستى

وعشق زليخا، وإن كان عشقاً مجازياً، لكن لما كان تحققها به حقيقة وصدقاً جذبها إلى المقصود، وآل الأمر من المجاز إلى الحقيقة لأنه قنطرتها. قال العطار في «منطق الطير»:

هركه او درعشق صادق آمدست بر سرش معشوق عاشق آمدست
كر بصدقي عشق پيش آيد ترا عاشقت معشوق خويش آيد ترا

﴿إنا لنراها﴾ أي: نعلمها علماً مضاهياً للمشاهدة والعيان فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة. ﴿في ضلال﴾ في خطأ وبعد عن طريق الرشد والصواب. ﴿مبين﴾ واضح لا يخفى كونه ضلالاً على أحد أو مظهر لأمرها فيما بين الناس، وإنما لم يقلن إنها لفي ضلال مبين، إشعاراً بأن ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم ورأي، مع التلويح بأنهن متنزهات عن أمثال ما هي عليه ولذا ابتلاهن الله تعالى بمارمين به الغير، لأنه ما عير أحد أخاه بذنب إلا ارتكبه قبل أن يموت، وهذه أعني ملامة الخلق وتضليهم علامة كمال المحبة ونتيجته لأن الله تعالى إذا اصطفى عبداً لجنابه رفع محبته الذاتية عن قلوب الأغيار غيرة منه عليه، ولذا ترى أرباب الأحوال وأصحاب الكشوف مذكورين غالباً بلسان الذم والتعيير، إذ هم قد تجاوزوا حد الجمهور فكانوا كالمسك بين الدماء، فكما أن المسك خرج بذلك الوصف

الزائد عن كونه جنس الدم فكذا العشاق خرجوا بما هم عليه من الحالة الجمعية الكمالية عن كونهم من جنس العباد ذوي التفرقة والنقصان، والجنس إلى الجنس يميل لا إلى خلافه فافهم حقيقة الحال وهو اللائح بالبال.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

﴿فلما سمعت بمكرهن﴾ باغتيابهن وسوء قولهن وقولهن، امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني وهو مقتها، وتسميته مكراً لكونه خفية منها كمكر الماكر وإن كان ظاهراً لغيرها. **﴿أرسلت إليهن﴾** تدعوهن للضيافة إكراماً لهن، ومكراً بهن، ولتعذر في يوسف لعلمها أنهن إذا رأينه دهشن وافتتن به. قيل دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات **﴿وأعتدت﴾** أي أحضرت وهيأت **﴿لهن متكأ﴾** أي ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد وغيرها عند الطعام والشراب كعادة المترفهين ولذلك نهي عن الأكل بالشمال أو متكأ. وقرىء متكأ وهو الأترج أو الزماورد بالضم وهو طعام من البيض واللحم معرب والعامة تقول البز ما ورد كما في «القاموس» **﴿وآتت كل واحدة منهن﴾** بعد الجلوس على المتكأ **﴿سكيناً﴾** لتستعمله في قطع ما يعهد فيما قدم بين أيديهن وقرب إليهن من اللحوم والفواكه ونحوها وقصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في أيديهن أن يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فيقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها لأن المتكىء إذا بهت لشيء وقعت يده على يده ـ روي ـ أنها اتخذت لهن ضيافة عظيمة من ألوان الأطعمة وأنواع الأشربة بحيث لا توصف.

روان هي سو كنيزان وغلامان ... بخدمت همچو طاوسان خرامان
پری رويان مصري حلقه بسته ... بمسندهای زركش خوش نشسته
چو خوان برداشتند از پيش آنان ... زليخا شكر كويان مدح خوانان
نهاد از طبع حيلت ساز پرفن ... ترنج وكزلكي بردست هر زن

﴿وقالت﴾ ليوسف وهن مشغولات بمعالجة السكاكين وأعمالها، فيما بأيديهن من الفواكه وأضرابها. **﴿اخرج﴾** يا يوسف **﴿عليهن﴾** أي: أبرز لهن. قال المولى الجامي:

بپای خود زليخا سوی او شد ... دران كاشانه هم زانوی اوشد
بزاری كفت كای نور دو ديده ... تمنای دل محنت رسيده
فتادم در زبان مردم ازتو ... شدم رسوا ميان مردم از تو
كرفتم آنكه در چشم تو خوارم ... بنزديك تو بس بي اعتبارم
مده زين خواری وبي اعتباري ... ز خاتونان مصرم شرمساری
شد از افسون آن افسو نكر كرم ... دل يوسف به بيرون آمدن نرم
پی تزيين أو چون با برخاست ... چوسروا زحلهٔ سبزش بياراست
فرود آو يخت كيسوی معنبر ... به پيش حله اش چون عنبر تر
ميانش راكه با مو همسری كرد ... ززرين منطقه زيور كری كرد
بسر تاج مرصع از جواهر ... زهر جوهر هزارش لطف ظاهر
بپا نعليني از لعل وكهر پر ... برو بسته هوال از رشتهٔ در

﴿فلما رأينه﴾ عطف على مقدر فخرج عليهن

زخلوت خانه آن كنج نهفته   برون آمد چون كلزار شكفته

فرأينه فلما رأينه ﴿أكبرنه﴾ عظمنه وهبن حسنه الفائق، وجماله الرائق، فإن فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وسيأتي مزيد البيان في هذا الشأن أو حضن ليوسف من شدة الشبق على حذف اللام، والشبق شدة شهوة الضراب والمرأة إذا اغتلمت واشتدت شهوتها سال دم حيضها من أكبرت المرأة إذا حاضت لأنها تدخل الكبر بالحيض، أو امنين لتوقهن إليه كما في «الكواشي».

وفي «الشرعة» ويستحب من أخلاق الزوجة ما قال علي بن أبي طالب: «خير نسائكم العفيفة الغليمة المطيعة لزوجها» ﴿وقطعن أيديهن﴾ أي جرحنها بالسكاكين لفرط وحشتهن وخروج حركات جوارحهن عن منهج الاختيار والاعتياد حتى لم يعلمن ما فعلن أو ابنها كما في «التبيان».

وقال وهب ماتت جماعة منهن كما قال المولى الجامي:

چو هريك را دران ديدار ديدن   تمنا شد ترنج خود بريدن
ندانسته ترنج از دست خود باز   ز دست خود بريدن كرد آغاز
يكى از تيغ انكشتان قلم كرد   بدل حرف وفاي اورقم كرد
يكى برساخت از كف صفحهٔ سيم   كشيدش جدول از سرخى چو تقويم
بهر جدول روانه سيلى از خون   ز حد خود نهاده پاي بيرون
كروهى زان زنان كف بريده   زعقل وصبر وهوش ودل رميده
زتيغ عشق يوسف جان نبردند   ازان مجلس نرفته جان سپردند
كروهى از خرد بيكانه كشتند   ز عشق آن پرى ديوانه كشتند
كروهى آمدند آخر بخود باز   ولى با درد وسوز عشق دمساز
جمال يوسف آمد خمى از مى   بقدر خود نصيب هركس ازوى

﴿وقطعن أيديهن﴾ لدهشتهن، والمدهوش لا يدرك ما يفعل، ولم تقطع زليخا يديها؛ لأن حالها انتهت إلى التمكين في المحبة كاهل النهايات، وحال النسوة كانت في مقام التلوين، كاهل البدايات فلكل مقام تلون وتمكن وبداية ونهاية.

قال القاشاني: خرج يوسف بغتة على النسوة فقطعن أيديهن لما أصابهن من الحيرة لشهود جماله والغيبة عن أوصافهن كما قيل:

غابت صفات القاطعات اكفها   في شاهد هو في البرية أبدع

ولا شك أن زليخا كانت أبلغ في محبته منهن لكنها لم تغب عن التمييز بشهود جماله لتمكن حال الشهود في قلبها انتهى.

«در حقائق سلمى» [مذكوراست كه حق تعالى بدين آيت مدعيان محبت را سرزنش ميكندكه مخلوقي دررؤيت مخلوقي بدان مرتبه ميرسدكه احساس الم قطع نميكند شمادر شهود پذير جمال خالق باديكه بهر هيچ كس از بلا وعنا متألم نشويد]

كر باتودمى دست دراغوش توان كرد   بيداد توسهلست فراموش توان كرد

وقال في «شرح الحكم» العطائية ما تجده القلوب من الهموم والأحزان يعني عند فقدان

مرادها وتشويش معتادها فلأجل ما منعت من وجود العيان إذ لو عاينت جمال الفاعل جمل عليها ألم البعد، كما اتفق في قصة النسوة اللاتي قطعن أيديهن انتهى ﴿وقلن حاش لله﴾ [پاكست خداي تعالى از صفت عجز درآ فريدن چنين مخلوقي] وأصله حاشا حذفت الألف الأخيرة تخفيفاً، وهو حرف جر يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زيد، فوضع موضع التنزيه والبراءة فمعناه تنزيه الله وبراءة الله، واللام لبيان المبرأ والمنزه، كما في سقيا لك والدليل في وضعه موضع المصدر قراءة أبي السماك حاشاً لله بالتنوين ﴿ما هذا بشراً﴾ أي آدمياً مثلنا؛ لأن هذا الجمال غير معهود للبشر ﴿إن﴾ نافية بمعنى ما ﴿هذا إلا ملك كريم﴾ يعني: على ربه كما في «تفسير أبي الليث» وهو من باب قصر القلب لقلبه حكم السامعين حيث اعتقدوا أنه بشر لا ملك وقصرنه على الملكية مع علمهن أنه بشر، لأنه ثبت في النفوس لا أكمل ولا أحسن خلقاً من الملك، يعني ركز في العقول من أن لا حي أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان ولذلك لا يزال يشبه بهما كل متناه في الحسن والقبح وغرضهن وصفه بأقصى مراتب الحسن والمال.

چو ديدندش كه جز والا كهرنيست بر آمد بانك كين هذا بشر نيست
نه چون آدم زآب وكل سرشتست ز بالا آمده قدسي فرشتست

قال بعضهم: إن من لطف الله بنا عدم رؤيتنا للملائكة على الصورة التي خلقوا عليها لأنهم خلقوا على أحسن صورة فلو كنا نراهم لطارت أعيننا وأرواحنا لحسن صورهم، ولذا ابتدىء رسول الله بالرؤيا تأنيساً له إذ القوى البشرية لا تتحمل رؤية الملك فجأة، وقد رأى جبريل في أوائل البعثة على صورته الأصلية فخر مغشياً عليه فنزل إليه في صورة الآدميين كما في «إنسان العيون».

قالوا: كان يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه كما يرى نور الشمس من السماء عليها، وكان يشبه آدم يوم خلقه ربه وكانت أمه راحيل وجدته سارة جميلتين جداً.

چه كويم كان چه حسن ودلبرى بود كه بيرون از حد حور وپرى بود
مقدس نوري ازقيد چه وچون سر از جلباب چون آورده بيرون
چون آن بيچون درين چون كرد آرام پى رو پوش كرده يوسفش نام
زليخايى كه رشك حور عين بود بمغرب پردهٔ عصمت نشين بود
ز خورشيد رحمش ناديده تابى كرفتار جمالش شد بخوانى

قال الكاشفي في «تفسيره الفارسي»: صاحب وسيط بإسناد خود از جابر أنصاري نقل ميكندكه حضرت رسالت ﷺ فرمودكه جبرائيل بر من فرود آمد وكفت خداي تعالى ترا سلام ميرساند وميكويد حبيب من حسن روى يوسف را ازنور كرسي كنوت دادم وكسوت حسن ترا ازنور عرش مقرّر كردم وما خلقت خلقاً أحسن منك يوسف را جمال بود وآن حضرت را كمال در شهود جمال يوسف دستها بريده شد در ظهور كمال محمدي زناها قطع يافت:

از حسن روى يوسف دست بريده سهلست ددپاي دلبر من سرها بريده باشد

[از عايشهٔ صديقه نقل ميكنند كه درصفت جمال حضرت رسالت پناه فرمودكه]

لوائم زليخا لو رأين جبينه لآثرن في القطع القلوب على اليد
زنان مصر بهنكام جلوهٔ يوسف زروى بيخودى ازدست خويش ببريدتد

مقرراست كه دل پاره ميكردند اكر جمال تواى نورديده ميديدند

وفي الحديث: «ما بعث الله نبياً إلاحسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم وجهاً وأحسنهم صوتاً».

يقول الفقير أيده الله القدير الظاهر أن بعض الأنبياء مفضل على البعض في بعض الأمور وأن الحسن بمعنى بياض البشرة مختص بيوسف وأن رسول الله ﷺ كان أسمر اللون لكن مع الملاحة التامة وهو لا ينافي الحسن وإليه يشير قول الحافظ:

آن سيه چرده كه شيرينئ عالم با اوست چشم ميكون لب خندان رخ خرم با اوست

وقول المولى الجامي:

دبير صنع نوشتست كرد عارض تو بمشكناب كه الحسن والملاحة لك

فالحسن أمر والملاحة أمر آخر وبالملاحة يفضل النبي عليه السلام على يوسف وعليه يحمل قول الجامي:

ز خوبئ توبهرجا حكايتي كفتند حديث يوسف مصري فسانهٔ باشد

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: قال لي جبريل «إن أردت أن تنظر من أهل الأرض شبيهاً بيوسف فانظر إلى عثمان بن عفان» وجاء «هو أشبه الناس بجدك إبراهيم وأبيكِ محمد» والخطاب لرقية بنت رسول الله زوجة عثمان، وكانت رقية ذات جمال بارع أيضاً ومن ثم كان النساء تغنيهما بقولهن أحسن شيء يرى إنسان رقية وبعلها عثمان، وجاء في حق رومان، أم عائشة رضي الله عنها بضم الراء وفتحها «من أراد أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان» وفيه بيان حسنها وكونها من أهل الجنة كما لا يخفى.

والإشارة: ﴿**وقال نسوة**﴾ صفات البشرية النفسانية من البهيمية والسبعية والشيطانية ﴿**في المدينة**﴾ في مدينة الجسد. ﴿**امرأة العزيز**﴾ وهي الدنيا. ﴿**تراود فتاها عن نفسه**﴾ تطالب عبدها وهو القلب كان عبداً للدنيا في البداية للحاجة إليها في التربية، فلما كمل القلب وصفا وصقل عن دنس البشرية واستأهل للنظر الإلهي، فتجلى له الرب تعالى فتنور القلب بنور جماله وجلاله احتاج إليه كل شيء وسجد له حتى الدنيا ﴿**قد شغفها حباً**﴾ أي أحبته الدنيا غاية الحب لما ترى عليه آثار جمال الحق، ولما لم يكن لنسوة صفات البشرية اطلاع على جمال يوسف القلب كن يلمن الدنيا على محبته فقلن ﴿**إنا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت**﴾ زليخا الدنيا ﴿**بمكرهن**﴾ في ملامتها ﴿**أرسلت**﴾ إلى الصفات وهيأت أطعمة مناسبة لكل صفة منها ﴿**وآتت كل واحدة منهن سكيناً**﴾ سكين الذكر ﴿**وقالت**﴾ زليخا الدنيا ليوسف القلب ﴿**اخرج عليهن**﴾ وهو إشارة إلى غلبات أحوال القلب على الصفات البشرية ﴿**فلما رأينه**﴾ فلمّا وقفن على جماله وكماله ﴿**أكبرنه**﴾ أكبرن جماله أن يكون جمال البشر. ﴿**وقطعن أيديهن**﴾ بسكين الذكر عن تعلق ما سوى الله ﴿**وقلن حاش لله ما هذا بشراً**﴾ أي: جمال بشر ﴿**إن هذا إلا**﴾ جمال ﴿**ملك كريم**﴾ وهو الله تعالى بقراءة من قرأ ملك بكسر اللام.

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿**قالت فذلكن**﴾ كن للنسوة وذا ليوسف ولم تقل فهذا مع إنه حاضر رفعا لمنزلته في

الحسن واسم الإشارة مبتدأ والموصول خبره، وهو ﴿الذي لمتنني فيه﴾ في شأنه فالآن علمتن من هو وما قولكن فينا.

قال الكاشفي: [واكنون دانستيدكه حق بطرف من بود]. قال سعدي:

ملامت كن مرا چندانكه خواهى   كه نتوان شستن از زنكى سياهى

وقال في «كتاب كلستان» [يكى را ازملوك عرب حديث ليلى ومجنون بكفتند وشورش حال اوكه باكمال فضل وبلاغت سر در بيابان نهاده است وزمان اختيار ازدست داده بفرمودش تا حاضر آوردند وملامت كردن كرفت كه در شرف نفس إنسان چه خلل ديديكه خوى حيواني كرفتى وترك عيش آدمي كفتي مجنون بناليد وكفت].

ورب صديق لامنى في ودادها   ألم يرها يوماً فيوضح لي عذري
كاش كانانكه عيب من جستند   رويت اي دلستان بديدندى
تابجاى ترنج در نظرت   بيخبر دستها بريدندي

[تا حقيقت معنى بر صورت دعوى كواهى دادي كه] قوله تعالى: ﴿فذلكن الذي لمتنني فيه﴾ وفي القصيدة البردية:

يا لائمي في الهوى العذري معذرة   مني إليك ولو انصفت لم تلم

والهوى العذري، عبارة عن الحب الشديد الفرط، نسبة إلى بني عذرة بضم العين وسكون الذال المعجمة قبيلة في اليمن مشهورة بالابتلاء بداء العشق وكثير من شبانهم يهلكون بهذا المرض، كما يحكى أن واحداً سأل منهم عن سبب انهماكهم في أودية المحبة والمودة، وموجب هلاكهم من شدة المحبة فأجابوا بأن في قلوبنا خفة وفي نسائنا عفة [اصمعي كفت وقت ازاوقات در أثناء أسفار بقبيلهٔ بني عذرة نزول كردم ودر وثاقي كه بودم دختري ديدم درغايت حسن وجمال روزي از سبيل تفرج از آنجا بيرون آمدم وطوفي ميكردم جوانى را ديدم ضعيف تر ازهلالي اين ابيات ميخواند وقطرات عبرات از ديد كان مي راند]

فلا عنكِ لي صب ولا فيك حيلة   ولا منك لي بد ولا منك مهرب
فلو كان لي قلبان عشت بواحد   وأفردت قلباً في هواك يعذب
ولي ألف باب قد عرفت طريقه   ولكن بلا قلب إلى أين اذهب

[از آن جماعت پرسيدم كه اين جوان كيست وحال اوچيست كفتند او بدان دختركه دران خانهٔ كه تو نزول كردهٔ عاشقست وبا آنكه بنت عم اوست ده سالست تا يكديكر را نديده اند اصمعي ميكويدكه بخانه باز كشتم وخال آن جوان با اين دختر تقرير كردم وكفتم شك نيست كه مهمان غريب را درعرب حرمتي هرچه تمامترست التماس آنست كه امروز جمال خود را بدو نمايى دختر كفت صلاح او درين نيست اصمعي كفت پنداشتم كه بخل ميكند ودفع ميدهد كفتم ازبراي دل مهمان يك دو قدم بردار تا از مشاهدهٔ جمال راحتي يابد كفت مرا رحمت وشفقت درحق عم زاده بيش از آنست اميد داري وليك ميدانم كه مصلحت او در ديدن من نيست أما چون باور نمى داري]

تو برر دربيت برايم من

أصمعي ميكويدكه برفتم وپيش آن جوان بنشستم وكفتم حاضر باش مشاهدهٔ دلدار راكه بالتماس من مي آيد تا بحضور خود مسكن ترا پرنور كرداند درين سخن بوديم كه دختر ازدور

بيدا شدودامن درزمين ميكشيدو كردآن برهوا ميرفت جوان چون آن كردبديد نعره• بزد وبرزمين افتاد آندام او چنه جا سوخته شد چون بخانه مراجعت كردم دختر بامن عتاب كرد وكفت]

آنچه امروز يافت او زتو يافت	وانچه ديد او رهكذار تو ديد

إنه لا يطيق مشاهدة غبار من آثار ذيلنا فكيف يطيق مشاهدة جمالنا ولقائنا.

ثم بعد ما أقامت زليخا عليهن الحجة، وأوضحت لديهن عذرها، وقد أصابهن من قبله عليه السلام ما أصابها، باحت لهن ببقية سرها، لأن شأن العشاق أن يظهر بعضهم لبعض ما في قلوبهم، غير ملتفت إلى تعيير أحد، ولا خائف لومة لائم، ولا مبال بزجر وسفاهة من جهل ولم يعلم حالهم فقالت: ﴿**ولقد راودته عن نفسه**﴾ طلبت منه أن يمكنني من نفسه حسبما قلتن وسمعتن ﴿**فاستعصم**﴾ [پس خويش را نكاداشت وسر بمن نياورد] أي طلب العصمة من الله مبالغاً في الامتناع لأنه يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو مجتهد في الاستذادة منها، وفيه برهان نير على أنه لم يصدر عنه شيء مخل باستعصامه بقوله معاذ الله من الهم وغيره. ﴿**ولئن لم يفعل ما آمره**﴾ من حذف الجار وإيصال الفعل إلى الضمير أي ما آمر به من موافقتي فالضمير للموصول. ﴿**ليسجنن**﴾ بالنون الثقيلة آثرت بناء الفعل للمفعول جرياً على رسم الملوك. والمعنى بالفارسية [هرآينه بزندان كرده شود] ﴿**وليكونًا**﴾ بالنون الخفيفة وإنما كتبت بالألف اتباعاً لخط المصحف مثل لنسفعا على حكم الوقف يعني أن النون الخفيفة يبدل منها في الوقف الألف وذلك إنما يكون في الحفيفة لشبهها بالتنوين ﴿**من الصاغرين**﴾ أي: الأذلاء في السبحن وهو من صغر بالكسر والصغير من صغر بالضم. قال الجامي:

اكر ننهد بكام من دكر پاي	ازين پس كنج زندان سازمش جاي
نكردد مرغ وحشي جزبدان رام	كه كيرد در قفس يك چند آرام

ولقد أتت بهذا الوعيد المنطوي على فنون التأكيد بمحضر منهن ليعلم يوسف أنها ليست في أمرها على خفية ولا خيفة من أحد فتضيق عليه الحيل، وينصحن له ويرشدن إلى موافقتها. قال الجامي:

بدو كفتند اي عمر كرامي	دريده پيرهن درنيك نامي
درين بستان كه كل باخار جفت است	كل بي خار چون توكم شكفت است
زليخا خاك شد درراهت اي پاك	همي كش كه كهي دامن برين خاك
حذر كن زانكه چون مضطر شوددوست	بخوارى دوست را از سركشد پوست
چو از سر بكذرد سيل خطر مند	نهد ما در بزير پاي فرزند
دهد هر لحظه تهديدت بزندان	كه هست آرامكاه نا پسندان
كجا شابد چنين محنت سرايي	كه باشد چاي چون تو دلربايي
خدارا بر وجود خود ببخشاي	بروى أو دري از مهر بكشاي
وكر باشد ترا ازوى ملالي	كه چندانش نمى بيني جمالي
چو زو ايمن شوى دمساز ما باش	نهاني همدم وهمراز ما باش
كه ماهريك بخوبي بي نظيريم	سپهر حسن را ماه منيريم
چو بكشاييم لبهاي شكرخا	زخجلت لب فروبندد زليخا
چنين شيرين وشكرخا كه ما ييم	زليخارا چه قدر آنجاكه ما ييم

چو يوسف كوش كردافسون كزايشان پي كام زليخا ياوريشان
كذشتند ازره دين وخردنيز نه تنها بهروي از بهر خود نيز

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿قال﴾ مناجياً لربه **﴿رب السجن﴾** الذي أوعدتني بالإلقاء فيه وهوه بالفارسية [زندان] **﴿أحب إليّ مما يدعونني إليه﴾** أي: آثر عندي من موافقتها لأن للأول حسن العاقبة دون الثاني:

عجب درمانده ام دركار اينان مرازندان به از ديدار اينان
به از صد سال درزندان نشينم كه يكدم طلعت اينان به بينم
بنا محرم نظر دلرا كند كور زدولخانهٔ قرب افكند دور

وعند ذلك بكت الملائكة رحمة له وهبط إليه جبريل فقال له: يا يوسف ربك يقرئك السلام ويقول لك اصبر فإن الصبر مفتاح الفرج وعاقبته محمودة، وإسناد الدعوة إليهن جميعاً لأنهن تنصحن له، وخوفنه من مخالفتها، أو لأنهن جميعاً دعونه إلى أنفسهن كما ذكر.

قال بعض الحكماء لو قال: رب العافية أحب إليّ لعافاه الله، ولكن لما نجا بدينه لم يبال ما أصابه في الله، والبلاء موكل بالمنطق.

وعن معاذ سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: «اللهم إني أسألك الصبر قال: سألت البلاء فاسأله العافية».

قال الشيخ سعدي: [في كتاب الكلستان پار سايى را ديدم كه بركنار دريا زحم پلنك داشت وبه هيچ دارو به نمى شد ومدتها درا رنجورى بودومدام شكر خدا مى كزاريد پرسيدندش كه چه شكر كنى كفت شكر آنكه بمصيبتي كر فتارم نه بمعصيتي بلى مردان خدا مصيبت را برمعصيت اختيار كنند نه بيني كه يوسف صديق دران حالت چه كفت ﴿قال رب السجن﴾ الآية]

كرمي آزار بكشتن دهد آن يار عزيز تانكويى كه دران دم غم جانم باشد
كويم از بندهٔ مسكين چه كنه صادر شد كودل آزرده شد ازمن غم آنم باشد

﴿وإلا﴾ وإن لم **﴿تصرف عني كيدهن﴾** [واكر نكرداني از من مكر وفريب ايشانرا يعني مرا در پناه عصمت نكيري]. **﴿أصب إليهن﴾** أمل إلى جانبهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية أي ميلاً اختيارياً قصدياً، والصبوة الميل إلى الهوى، ومنه الصبا لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها، وهذا فزع منه إلى ألطاف الله جرياً على سنن الأنبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة من الشرور على جناب الله، وسلب القوى والقدر عن أنفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن بإظهار أن لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث أدركني وإلا هلكت لأنه يطلب الإجبار والإلجاء إلى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعوه إلى هواهن. **﴿وأكن من الجاهلين﴾** أي: الذين لا يعملون بما يعلمون، لأن من لم يعمل بعلمه هو والجاهل سواء أو من السفهاء بارتكاب ما يدعونني إليه لأن الحكيم لا يفعل القبيح.

وفيه دلالة بينة على أن ارتكاب الذنب والمعصية عن جهل وسفاهة وإن من زنى فقد

دخل من جملة الكاذبين في الجهال.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿فاستجاب له ربه﴾ دعاءه الذي تضمنه قوله: **﴿وإلا تصرف عني كيدهن﴾** الخ فإن فيه استدعاء لصرف كيدهن والاستجابة تتعدى إلى الدعاء بنفسها نحو استجاب الله تعالى دعاءه وإلى الداعي باللام ويحذف الدعاء إذا عدي إلى الداع في الغالب فيقال استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه كما في «بحر العلوم» **﴿فصرف عنه كيدهن﴾** حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة حتى وطن نفسه على مقاساة السجن ومحنته واختارها على اللذة المتضمنة للمعصية **﴿إنه هو السميع﴾** لدعاء المتضرعين إليه **﴿العليم﴾** بأحوالهم وما يصلحهم.

وعن الشيخ أبي بكر الدقاق قدس سره قال: بقيت بمكة عشرين سنة وكنت اشتهي اللبن فغلبتني نفسي فخرجت إلى عسفان وهو كعثمان موضع على مرحلتين من مكة، فاستضفت حياً من أحياء العرب فوقعت عيني على جارية حسناء أخذت بقلبي فقالت يا شيخ لو كنت صادقاً لذهبت عنك شهوة اللبن، فرجعت إلى مكة وطفت بالبيت، فأريت في منامي يوسف الصديق عليه السلام فقلت له: يا نبي الله أقر الله عينك بسلامتك من زليخا فقال: يا مبارك بل أقر الله عينك بسلامتك من العسفانية ثم تلا ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمان: ٤٦] وأنشدوا:

وأنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

قال بعضهم: لا يمكن الخروج من النفس بالنفس وإنما يمكن الخروج عن النفس بالله.

وقال الشيخ أبو تراب النخشبي قدس سره: من شغل مشغولاً بالله عن الله أدركه المقت في الوقت فليس للعصمة شيء يعادلها.

والإشارة: أن القلب إذا لم يتابع أمر الدنيا وهوى نفسه ولم يجب إلى ما تدعوه دواعي البشرية يكون مسجوناً في سجن الشرع والعصمة من الله تعالى، والقلب وإن كان في كمالية قلب نبي من الأنبياء لو خلي وطبعه ولم يعصمه الله من مكايد الدنيا وآفات دواعي البشرية وهواجس النفس ووساوس الشيطان يميل إلى ما يدعونه إليه ويكون من جملة النفوس الظلومة الجهولة كما في «التأويلات النجمية». قال الحافظ:

دام سخت است مكر لطف خدا يا رشود ورنه آدم نبرد صرفه ز شيطان رجيم

نسأل الله القوة والغلبة على الأعداء الظاهرة والباطنة إنه هو المعين.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ثم بدا لهم﴾ أي ظهر للعزيز وأصحابه المتصدين للحل والعقد رأي، وثم يدل على تغير رأيهم في حقه. **﴿من بعد ما رأوا الآيات﴾** أي: الشواهد على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وغيرهما. **﴿ليسجننه﴾** [هر آيينه در زندان كنند اورا] أي قائلين والله ليسجننه **﴿حتى حين﴾** حتى جارة بمعنى إلى أي إلى حين انقطاع قالة الناس، وهذا بادي الرأي عند العزيز وخواصه، وأما عندها فحتى يذلله السجن ويسخره لها ويحسب الناس أنه المجرم فلبث في السجن خمس سنين أو سبع سنين والمشهور أنه لبث اثنتي عشرة سنة كما سيأتي عند قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف: ٤٢] وقال ابن الشيخ لا دلالة في الآية على

تعيين مدة حبسه وإنما القدر المعلوم إنه بقي محبوساً مدة طويلة لقوله تعالى: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] والحين عند أهل اللغة وقت من الزمان غير محدود ويقع على القصير منه والطويل، وأما عند الفقهاء فلو حلف والله لا أكلم فلاناً حيناً أو زماناً بلا نية على شيء من الوقت فهو محمول على نصف سنة، ومع نية شيء معين من الوقت فما نوى من الوقت. وفي الآية محذوف والتقدير لما تغير رأيهم في حقه ورأوا حبسه حبسوه وحذف لدلالة قوله: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ [يوسف: ٣٦] وذلك أن زوج المرأة قد ظهر له براءة يوسف فلا جرم لم يتعرض له واحتالت المرأة في طريق آخر، فقالت لزوجها: هذا العبد العبراني فضحني في الناس.

دريـن قـولـنـد مـرد وزن مـوافـق   كـه مـن بـروى بـجـانـم كـشـتـه عـاشـق

كما قال: هي راودتني عن نفسي وأنا لا أقدر على إظهار عذري فأرى أن الأصلح أن تحبسه لينقطع عن الناس ذكر هذا الحديث، وكان العزيز مطاعاً لها وجملاً ذلولاً زمامه في يدها فاغتر بقولها، ونسي ما عاين من الآيات وعمل برأيها وإلحاق الصغار به كما أوعدته به.

وقال الكاشفي: [آورده اندكه بعد از نوميدىء زنان ازوى زليخارا كفتند صلاح آنست كه اورا دوسه روزي بزندان بازداري شايد بسبب رياضت رام كردد وقدر نعمت وراحت را دانسته سر تسليم را بر خط فرمان نهد]

چـو كـوره سـاز زنـدانـرا بـرو كـرم   بـود زان كـوره كـردد آهـنـش نـرم
چـوكـردد كـرم زآتـش طـبـع فـولاد   از چـيـزى تـوانـد سـاخـت اسـتـاد
نـه كـرمـى نـرم اكـر نـتـوانـدش كـرد   چـه حـاصـل زانـكـه كـوبـد آهـن سـرد
زلـيـخـارا چـوزان جـادو زبـانـان   شـداز زنـدان امـيـد وصـل جـانـان
بـراى راحـت خـود رنـج او خـواسـت   دران ويـران امـيـد كـنـج او خـواسـت
چـو نـبـود عـشـق عـاشـق را كـمـالـي   نـه بـنـدد جـز مـراد خـود خـيـالـي
طـفـيـل خـويـش خـواهـد يـار خـودرا   بـكـام خـويـش خـواهـد كـار خـودرا
بـبـوى يـك كـل ازبـسـتـان مـعـشـوق   زنـد صـد خـار غـم بـر جـان مـعـشـوق

وكان للعزيز ثلاثة سجون، سجن العذاب، وسجن القتل، وسجن العافية، فأما سجن العذاب فإنه محفور في الأرض، وفيه الحيات والعقارب وهو مظلم لا يعرف فيه الليل من النهار، وأما سجن القتل: فإنه محفور في الأرض أربعين زراعاً وكان الملك إذا سخط على أحد يلقيه فيه على أم رأسه فلا يصل إلى قعره إلا وقد هلك، وأما سجن العافية: فإنه كان على وجه الأرض إلى جانب قصره فإذا غضب على أحد من حاشيته حبسه في ذلك السجن، فلما أرادت زليخا أن يسجن يوسف أرسلت إلى سجان سجن العافية وأمرته أن يصلح فيه مكاناً منفرداً ليوسف ثم قالت ليوسف: لقد أعييتني وانقطعت فيك حيلتي فلأسلمنك إلى المعذبين يعذبونك كما عذبتني، ولألبسنك بعد الحلي والحلل جبة صوف تأكل جلدك ولأقيدنك بقيد من حديد يأكل رجليك ثم نزعت ما كان عليه من اللباس وألبسته جبة صوف، وقيدته بقيد من حديد، كما قال المولى الجامي:

ز آهـن بـنـد بـر سـيـمـش نـهـادنـد   بـكـردن طـوق تـسـلـيـمـش نـهـادنـد
بـسـان عـيـسـى اش بـرخـر نـشـانـدنـد   بـهـر كـويـى ز مـصـران خـر بـرانـدنـد

منادي زن منادي بر كشيده | كه هر سركش غلام شوخ ديده
كه كيرد شيوهٔ بي حرمتي پيش | نهد پا در فراش خواجهٔ خويش
بود لائق كه همچون ناپسندان | بدين خواري برندش سوى زندان
ولي خلقي زهر سو در تماشا | همي كفتند حاشا ثم حاشا
كزين روى نكوبد كارى آيد | وزين دلدار دل آزاري آيد
فرشتست اين بصد پاكى سرشته | نيايد كار شيطان از فرشته
چنان كز زشت نيكويى نيايد | زنيكونيز بد خويى نيايد
بدينسان تا بزندانش ببردند | بعياران زندانش سپردند

فلما دنا من باب السجن نكس رأسه، فلما دخل قال: بسم الله وجلس وأحاط به أهل السجن وهو يبكي، وأتاه جبريل وقال له: مم بكاؤك وأنت اخترت السجن لنفسك؟ فقال: إنما بكائي لأنه ليس في السجن مكان طاهر أصلي فيه، فقال له جبريل: صل حيث شئت فإن الله قد طهر خارج السجن وداخله أربعين ذراعاً لأجلك، فكان يصلي حيث شاء، وكان يصلي ليلة الجمعة عند باب السجن. قال المولى الجامي:

چون آن دل زنده در زندان در آمد | بجسم مرده كويى جان بر آمد
دران محنت سرا افتاد جوشى | بر آمد زان كرفتاران خروشي
بشادي شد بدل اندوه ايشان | كم از كاهى غم چون كوه ايشان
بهرچا ياركلر خسار كردد | اكر كلخن بود كلزار كردد

- حكي - أن يوسف عليه السلام دعا لأهل السجن، فقال: اللهم اعطف عليهم الأخيار ولا تخفِ عنهم الأخبار فيقال: إنهم أعلم الناس بكل خبر.

چون درزندان كرفت از جنبش آرام | بندانيان زليخا داد پيغام
كزين پس محنتش مپسند بر دل | ز كردن غل زپايش بند بكسل
تن سيمينش از پشمين مفرساي | بذر كش حلهٔ سروش بياراي
بشوى از فرق او كرد نژندى | زتاج حشمتش ده سر بلندي
يكى خانه باري اوجدا كن | جدا از ديكران آنجاش جاكن
زمينش راز سندس فرش انداز | زاستبرق بساط دلكش انداز
دران خانه چومنزل ساخت يوسف | بساط بندكى انداخت يوسف
رخ آورد آنچنان كش بود عادت | دران منزل بمحراب عبادت
چو مردان در مقام صبر بنشست | بشكرانه كه ازكيد زنان رست
نيفتد درجهان كس را بلايى | كه نايد زان بلا بوي عطايي
اسيرى كز بلا باشد هراسان | كند بوي عطا دشوارس آسان

ثم إن زليخا أثر في قلبها الفراق وإحراق نار الاشتياق.

چو قدر نعمت ديدار نشناخت | بداغ دورى ازديدار بكداخت

وصارت دارها عين السجن في عينها.

به تنك آمد دران زندان دل او | يكى صد شد زهجران مشكل او
چه آسايش دران كلزار ماند | كزان كل رخت بندد خار ماند

زدل خونين رقم بر رو همي زد — بحسرت دست بر زانو همي زد
كه اين كارى كه من كردم كه كردست — چنين زهري كه من خوردم كه خوردست
درين محنت سرايك عشق پيشه — نزد چون من بپاي خويش تيشه

وكانت تتفكر في إلقاء نفسها من أعلى القصر أو شرب السم حتى تهلك، وكانت لها داية تسليها وتحثها على الصبر.

زمن بشنوكه هشتم پير اين كار — شكيبايى بود تدبير اين كار
بصبر اندر صدف باران شود در — بصبر از لعل وكوهر كان شود پر

ثم إنها عيل صبرها فجاءت ليلة مع دايتها إلى السجن وطالعت جمال يوسف من بعيد.

بديدش بر سر سجاده ازدور — چو خورشيد در خشان غرقهٔ نور
كهى چون شمع برپا ايستاده — زرخ زندانيانرا نور داده
كهى خم كرده قامت چون مه نو — فكنده بربساط از چهره پرتو
كهى سر برزمين از عذر تقصير — چو شاخ تازه كل ازباد شبكير
كهى طرح تواضع در فكنده — نشسته چون بنفشه سر فكنده

ثم لما أصبحت جعلت تنظر من روزنة القصر إلى جانب السجن.

نبودي هيچكه خالي ازين كار — كهى ديوار ديدي كاه ديدار
زنعمتهاى خوش هر لحظه چيزى — نهادى بر كف محرم كنيزى
فرستادى بزندان سوى يوسف — كه تاديدي بجايش روى يوسف
بكشت از حال خودروزى مزاجش — بزخم نشتر افتاد احتياجش
ز خونش بر زمين درديدهٔ كس — نيامد غير يوسف يوسف وبس
بكلك نشتر استاد سبك دست — بلوح خاك نقش اين حرف را بست
چنان ازدوست پر بودش رك وپوست — كه بيرون نا مدش از پوست جزدوست
خرش آنكس كورهايى يابداز خويش — نسيم آشنايى يابد از خويش
نه بويى باشدش ازخود نه رنكى — نه صلحي باشدش باكس نه جنكى
نيارد خويشتن را در شمارى — نكيرد پيش غير ازعشق كارى

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿ودخل معه السجن فتيان﴾ أي: أدخل يوسف السجن واتفق أن أدخل حينئذٍ آخران من عبيد الملك الأكبر وهو ريان بن الوليد، أحداهما شرابيه، واسمه أبروها أويونا، والآخر خبازه واسمه غالب أو مخلب - روي - أن جماعة من أهل مصر ضمنوا لهما مالاً لَيَسمَّا الملك في طعامه وشرابه فأجاباهم إلى ذلك، ثم إن الساقي نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز فسم الخبز، فلما حضر الطعام قال الساقي: لا تأكل أيها الملك فإن الخبز مسموم وقال الخباز: لا تشرب أيها الملك فإن الشراب مسموم، قال الملك: للساقي أشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كله فأبى فجربه بدابة فهلكت، فأمر بحبسهما فاتفق أن أدخلاه معه، وكأنه قيل ماذا صنعا بعد ما دخلا معه السجن فأجيب بأن **﴿قال أحدهما﴾** وهو الشرابي **﴿إني أراني﴾** في المنام كأني في

بستان، فإذا أنا بأصل حبلة حسنة فيها ثلاثة أغصان عليها ثلاثة عناقيد من عنب، فجنيتها وكان كأس الملك بيدي فعصرها فيه وسقيت الملك فشربه، وذلك قوله تعالى: ﴿أعصر خمراً﴾ أي: عنباً سماه بما يؤول إليه لكونه المقصود من العصر ﴿وقال الآخر﴾ وهو الخباز ﴿إني أراني﴾ كأني في مطبخ الملك ﴿أحمل فوق رأسي خبزاً﴾ فوق بمعنى على، أي: على رأسي، ومثله. ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال: ١٢] كما في «التبيان» ثم وصف الخبز بقوله. ﴿تأكل الطير منه﴾ يعني كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها خبز وألوان الأطعمة وأرى سباع الطير يأكلن من السلة العليا.

واختلف في أنهما هل رأيا رؤيا أو لم يريا شيئاً فتحالما اختباراً ليوسف، لأنه لما دخل السجن، قال لأهله: إني أعبر الأحلام ورأى أحدهما وهو الناجي وكذب الآخر وهو المصلوب. ﴿نبئنا بتأويله﴾ أي: أخبرنا بتفسير ما ذكر من الرؤيين وما يؤول إليه أمرهما وعبارة كل واحد منهما نبئني بتأويله مستفسرا لما رآه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة في الحكاية دون المحكي على طريقة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥١] فإنهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة مفردة خاصة به ﴿إنا نراك﴾ يجوز أن تكون من الرؤية بالعين وأن يكون من الرؤية بالقلب كما في «بحر العلوم» ﴿من المحسنين﴾ الذين يجيدون عبارة الرؤيا لما رأياه يقص عليه بعض أهل السجن رؤياه فيؤولها له تأويلاً حسناً ويقع الأمر على ما عبر به أو من المحسنين إلى أهل السجن، أي فأحس إلينا بكشف غمتنا إن كنت قادراً على ذلك، كما قال المولى الجامي:

چو زندان بركر فتاران زندان ... شد از ديدار يوسف باغ خندان
همه از مقدم او شاد كشتند ... زبند دردورنج آزاد كشتند
بكردن غلشان شد طوق اقبال ... بپا زنجير شان فرخنده خلخال
اكر زندانئ بيمار كشتى ... اسير محنت وتيمار كشتى
كمر بستي پي بيمار داريش ... خلاصي دادي از تيمار اريش
اكر جابر كرفتارى شدى تنك ... سوى تدبير كارش كردي آهنك
كشاده روشدي اورا دوا جوى ... زتنكى دركشاد آورديش روى
وكر بر مفلسي عشرت شدى تلخ ... زنا داري نموده غره اش سلخ
ززرداران كليد زر كرفتي ... زعيشش قفل تنكى بر كرفتي
وكر خوابي بديدي تنك بختي ... بكرداب بلا افتاده رختي
شنيدي ازلبش تعبير آن خواب ... بخشكي آمدي رختش زكرداب

وكان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول: ابشروا واصبروا تؤجروا.

صبوري مايهٔ اميدت آرد ... صبوري دولت جاويدت آرد

فقالوا: بارك الله عليك ما أحسن وجهك، وما أحسن خلقك، لقد بورك لنا في جوارك فمن أنت يا فتى؟ قال: أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب، ابن ذبيح الله إسحاق، ابن خليل الله إبراهيم عليهم السلام فقال له عامل السجن: لو استطعت خليت سبيلك ولكني أحسن جوارك، فكن في أي بيوت السجن شئت ـ وروي ـ أن الفتيين قالا له إنا لنحبك من حين رأيناك، فقال:

أنشدكما بالله أن لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط إلا دخل عليّ من حبه بلاء، لقد أحبتني عمتي فدخل عليّ من حبها بلاء، ثم أحبني أبي فدخل عليّ من حبه بلاء، ثم أحبني زوجة صاحبي، فدخل عليّ من حبها بلاء، فلا تحباني بارك الله فيكما.

قال بعضهم: ابتلى يوسف بالعبودية والسجن ليرحم المماليك والمسجونين إذا صار خليفة وملكاً في الأرض، وابتلى بجفاء الأقارب والحساد ليعتاد الاحتمال من القريب والبعيد وابتلى بالغربة ليرحم الغرباء وفي الخبر «يجاء بالعبد يوم القيامة فيقال له ما منعك أن تكون عبدتني؟ فيقول: ابتليتني فجعلت علي أرباباً فشغلوني فيجاء بيوسف عليه السلام في عبوديته فيقال: أنت أشد أم هذا؟ فيقول: بل هذا، فيقال لِمَ لم يمنعه ذلك أن عبدني، ويجاء بالغني فيقال ما منعك أن تكون عبدتني فيقول يا رب كثرت لي من المال فيذكر ما ابتلى به فيجاء بسليمان عليه السلام فيقال ءانت أغنى أم هذا؟ فيقول: بل هذا فيقول: لِمَ لم يمنعه ذلك أن عبدني، ويجاء بالمريض فيقال له ما منعك أن تعبدني فيقول: رب ابتليتني، فيجاء بأيوب عليه السلام فيقال: ءانت أشد ضراً وبلاء أم هذا؟ فيقول: بل هذا فيقال: لِمَ لم يمنعه ذلك إن عبدني، ويجاء بيائس من رحمة الله بسبب عصيانه، فيقال: لِمَ يئست من رحمتي؟ فيقول: لكثرة عصياني، فيجاء بفرعون فيقال أأنت كنت أكثر عصياناً أم هذا؟ فيقول بل هذا: فيقال له: ما هو يائس من الرحمة التي وسعت كل شيء حيث أجرى كلمة التوحيد على لسانه عند الغرق، فيوسف حجة على من ابتلى بالرق، والعبودية، إذا قصر في حق الله تعالى. وسليمان حجة على الملوك والأغنياء. وأيوب حجة على أهل البلاء. وفرعون حجة على أهل اليأس نعوذ برب الناس» أي بالنسبة إلى ظاهر الحال عند الغرق وإن كان كافراً في الحقيقة بإجماع العلماء وليس ما جرى على الأنبياء والأولياء من المحن والبلايا عقوبات لهم بل هي تحف وهدايا وفي الحديث: «إذا أحب الله عبداً صب عليه البلاء صباً».

جاميا دل بغم ودردنه اندرره عشق كه نشد مردره آنكس كه نه اين درد كشيد

والإشارة أنه لما دخل يوسف القلب سجن الشريعة، دخل معه السجن فتيان وهما ساقي النفس وخباز البدن غلامان لملك الروح أحدهما صاحب شرابه والآخر صاحب طعامه فالنفس صاحب شرابه تهيىء لملك الروح ما يصلح له شربه منه فإن الروح العلوي الأخروي لا يعمل عملاً في السفلى البدني إلا بشرب يشربه النفس، والبدن صاحب طعامه الذي يهيىء من الأعمال الصالحة ما يصلح لغذاء الروح، والروح لا يبقى إلا بغذاء روحاني باق، كما أن الجسم لا يبقى إلا بغذاء جسماني، وإنما حبسا في سجن الشريعة لأنهما مهتمان بأن يجعلا السم في شراب ملك الروح وطعامه فيهلكاه وهو سم الهوى والمعصية، فإذا كانا محبوسين في سجن الشريعة أمن ملك الروح من شرهما، والنفس والبدن كلاهما دنيوي وأهل الدنيا نيام، فإذا ماتوا انتبهوا وكل عمل يعمله أهل الدنيا هو بمثابة الرؤيا التي يراها النائم، فإذا انتبه بالموت يكون لها تأويل يظهر لها في الآخرة ويوسف القلب بتأويل مقامات أهل الدنيا عالم، لأنه من المحسنين أي الذين يعبدون الله على الرؤية والمشاهدة بقلوب حاضرة عند مولاهم وجوه ناضرة إلى ربها ناظرة، وكل حكم صدر من تلك الحضرة فهم شاهدوه في الغيب، كما قبل نزوله إلى عالم الغيب، فكسته القوة المتخيلة عند عبوره عليها كسوة خيالية تناسب معناه، فصاحب الرؤيا إن كان عالماً بلسان الخيال يعبره ولا يعرضه على المعبر ليكون ترجماناً له

فيترجم له بلسان الخيال، فيخبره عن الحكم الصادر من الحضرة الإلهية، فلهذا كانت الرؤيا الصالحة جزءاً من أجزاء النبوة لأنها فرع من الوحي الصادر من الله وتأويل الرؤيا جزء أيضاً من أجزاء النبوة لأنه علم لدني يعلمه الله من يشاء من عباده.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿قال﴾ يوسف أراد أن يدعو الفتيين إلى التوحيد الذي هو أولى بهما وأوجب عليهما مما سألا منه ويرشدهما إلى الإيمان، ويزينه لهما قبل أن يسعفهما بذلك كما هو طريقة الأنبياء والعلماء الصالحين في الهداية والإرشاد والشفقة على الخلق، فقدم ما هو معجزة من الأخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير

﴿لا يأتيكما طعام ترزقانه﴾ تطعمانه في مقامكما هذا حسب عادتكما المطردة. **﴿إلا نبأتكما بتأويله﴾** استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا يأتيكما طعام في حال من الأحوال إلا حال ما نبأتكما به بأن بينت لكما ماهيته من أي جنس هو ومقداره وكيفيته من اللون والطعم وسائر أحواله، وإطلاق التأويل عليه بطريق الاستعارة فإن ذلك بالنسبة إلى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التأويل بالنظر إلى ما رؤي في المنام وشبيه له. **﴿قبل أن يأتيكما﴾** قبل أن يصل إليكما، وكان يخبر بما غاب مثل عيسى عليه السلام كما قال: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩]. وفي المثنوي:

اين طبيبان بدن دانشورند بر سقام تو زتو واقفترند
تاز قاروره همي بينند حال كه نداني تو ازان رو اعتدال
هم زنبض وهم زرنك وهم زدم بو برند ازتو بهر كونه سقم
پس طبيبان الهي درجهان چون ندانند ازتوبى كفت دهان
هم زنبضت هم زچشمت هم زرنك صد سقم بينند درتو بي درنك
اين طبيبان نو آموزند خود كه بدين آياتشان حاجت بود
كاملان ازدور نامت بشنوند تا بقعر تارو بودت دروند
بلكه پيش اززادن توسالها ديده باشندت ترا با حالها

﴿ذلكما﴾ أي: ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات أيها الفتيان **﴿مما علمني ربي﴾** بالوحي والإلهام وليس من قبل التكهن والتنجم وذلك أنه لما نبأهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت وكم تأكلان فيجدان كما أخبرهما قالا: هذا من فعل العرافين والكهان، فمن أين لك هذا العلم؟ فقال: ما أنا بكاهن وإنما ذلك العلم مما علمني ربي، وفيه دلالة على أن له علوماً جمة ما سمعناه قطعة من جملتها وشعبة من دوحتها وكأنه قيل لماذا علمك ربك تلك العلوم البديعة فقيل: **﴿إني﴾** أي: لأني **﴿تركت﴾** رفضت **﴿ملة قوم﴾** أي: قوم كان من قوم مصر وغيره **﴿لا يؤمنون بالله﴾** والمراد بتركها الامتناع عنها رأساً لا تركها بعد ملابستها وإنما عبر عنه بذلك لكونه أدخل بحسب الظاهر في اقتدائهما به عليه السلام. **﴿وهم بالآخرة﴾** وما فيها من الجزاء **﴿هم كافرون﴾** على الخصوص دون غيرهم لإفراطهم في الكفر.

قال في «بحر العلوم»: هذا التعليل من أبين دليل على أن أفعال الله معللة بمصالح العباد كما هو رأي الحنفية مع أن الأصلح لا يكون واجباً عليه، قالوا: وما أبعد عن الحق قول من قال إنها غير معللة بها، فإن بعثة الأنبياء لاهتداء الخلق، وإظهار المعجزات لتصديقهم، وأيضاً لو لم يفعل لغرض يلزم العبث تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً انتهى.

قال في «التأويلات النجمية»: يعني لما تركت هذه الملة علمني ربي وفيه إشارة إلى أن القلب مهما ترك ملة النفس والهوى والطبيعة علمه الله علم الحقيقة وملتهم أنهم قوم لا يؤمنون بالله لأن النفس تدعي الربوبية، كما قال نفس فرعون أنا ربكم الأعلى، والهوى يدعي الألوهية كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] والطبيعة هي التي ضد الشريعة.

﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿**واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب**﴾ عرف شرف نسبه وأنه من أهل بيت النبوة لتتقوى رغبتهما في الاستماع منه والوثوق عليه، وكان فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب أمراً مشهوراً في الدنيا فإذا ظهر أنه ولدهم عظموه ونظروا إليه بعين الإجلال وأخذوا منه، ولذلك جوز للعالم إذا جهلت منزلة في العلم أن يصف نفسه ويعلم الناس بفضله حتى يعرف فيقتبس منه وينتفع به في الدين، وفي الحديث: «إن الله يسأل الرجل عن فضل علمه كما يسأله عن فضل ماله» وقدم ذكر ترك ملة الكفرة على ذكر اتباعه لملة آبائه لأن التخلية بالمعجمة متقدمة على التحلية بالمهملة، وفيه إشارة إلى أن الاتباع سبب للفوز بالكمالات والظفر بجميع المرادات والإشارة أن ملة إبراهيم السر وإسحاق الخفاء ويعقوب الروح التوحيد والمعرفة، ﴿**ما كان**﴾ أي: ما صح وما استقام فضلاً عن الوقوع ﴿**لنا**﴾ معاشر الأنبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا. ﴿**أن نشرك بالله من شيء**﴾ أي شيء كان من ملك أو جني أو أنسي فضلاً عن الجماد الذي لا يضر ولا ينفع ﴿**ذلك**﴾ التوحيد المدلول عليه بقوله ﴿**ما كان لنا**﴾ الخ ناشىء ﴿**من فضل الله علينا**﴾ بالوحي يعني [بوحي مارا آكاهى داده] ﴿**وعلى الناس**﴾ كافة بواسطتنا وأرسالنا لإرشادهم إذ وجود القائد للأعمى رحمة من الله أية رحمة ﴿**ولكن أكثر الناس**﴾ المبعوث إليهم ﴿**لا يشكرون**﴾ هذا فيعرضون عنه ولا ينتهون ولما كان الأنبياء وكمل الأولياء وسائط بين الله وخلقه لزم شكرهم تأكيداً للعبودية وقياماً بحق الحكمة.

﴿**يا صاحبي السجن**﴾ الإضافة بمعنى في، أي يا صاحبي في السجن لما ذكر ما هو عليه من الدين القويم تلطف في حسن الاستدلال على فساد ما عليه قوم الفتيين من عبادة الأصنام فناداهما باسم الصحبة في المكان الشاق الذي يخلص فيه المودة ويتمحض فهي النصيحة. ﴿**ءأرباب متفرقون**﴾ الاستفهام إنكاري [آيا خدايان پراكنده كه شما داريد اززر ونقره وآهن وچوب وسنك] أو من صغير وكبير ووسط كما في «التبيان». ﴿**خير**﴾ لكما ﴿**أم الله**﴾ المعبود بالحق ﴿**الواحد**﴾ المنفرد بالألوهية ﴿**القهار**﴾ الغالب الذي لا يغالبه أحد، وفيه إشارة إلى أن الله يقهر بوحدته الكثرة وأن الدنيا والهوى والشيطان وإن كان لها خيرية بحسب زعم أهلها لكنها شر محض عند الله تعالى لكونها مضلة عن طريق طلب أعلى المطالب وأشرف المقاصد.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿ما تعبدون﴾ الخطاب لهما ولمن على دينهما. **﴿من دونه﴾** أي من دون الله شيئاً. **﴿إلا أسماء﴾** مجردة لا مطابق لها في الخارج لأن ما ليس فيه مصداق إطلاق الاسم عليه لا وجود له أصلاً فكانت عبادتهم لتلك الأسماء فقط. **﴿سميتموها﴾** جعلتموها أسماء **﴿أنتم وآباؤكم﴾** بمحض جهلكم وضلالتكم. **﴿ما أنزل الله بها﴾** أي بتلك التسمية المستتبعة للعبادة. **﴿من سلطان﴾** من حجة تدل على صحتها **﴿إن الحكم﴾** في أمر العبادة المتفرعة على تلك التسمية **﴿إلا لله﴾** لأنه المستحق لها بالذات؛ إذ هو الواجب بالذات الموجد للكل، والمالك لأمره، فكأنه قيل فماذا حكم الله في هذا الشأن فقيل: **﴿أمر﴾** على ألسنة الأنبياء **﴿أن لا تعبدوا﴾** أي بأن لا تعبدوا **﴿إلا إياه﴾** الذي دلت عليه الحجج **﴿ذلك﴾** تخصيصه تعالى بالعبادة **﴿الدين القيم﴾** أي الثابت أو المستقيم وهو دين الإسلام الذي لا عوج فيه وأنتم لا تميزون الثابت من غيره، ولا المعوج من القويم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] وهو باعتبار الأصول واحد وباعتبار الفروع مختلف ولا يقدح الكثرة العارضة بحسب الشرائع المبنية على استعدادات الأمم في وحدته. **﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** فيخبطون في جهالتهم.

واعلم أن ما سوى الله تعالى ظل زائل، والعاقل لا يتبع الظل بل يتبع من خلق الظل، وهو الله تعالى واتباعه به هو تدينه بما أمر به، ومن جملته قصر العبادة له بالاجتناب عن الشرك الجلي والخفي وهو الإخلاص التام الموصل إلى الله الملك العلام.

قال بعض الفضلاء: الرغبة في الإيمان والطاعة لا تنفع إلا إذا كانت تلك الرغبة رغبة فيه لكونه إيماناً وطاعة وأما الرغبة فيه لطلب الثواب وللخوف من العقاب فغير مفيد انتهى ـ وحكي ـ أن أمرة قالت لجماعة ما السخاء عندكم؟ قالوا: بذل المال قالت هو سخاء أهل الدنيا والعوام، فما سخاء الخواص؛ قالوا: بذل المجهود في الطاعة، قالت: ترجون الثواب قالوا: نعم قالت تأخذون العشرة بواحد لقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] فأين السخاء؟ قالوا: فما عندك قالت: العمل لله تعالى لا للجنة ولا للنار ولا للثواب وخوف العقاب، وذلك لا يمكن إلا بالتجريد والتفريد والوصول إلى حقيقة الوجود، وبمثل هذا العمل يصل المرء إلى الله تعالى ويجد الله أطوع له فيما أراد، ولا تزال العوالم في قبضته بإذن الله تعالى فيحكم بحكم الله تعالى ويعلم بعلم الله تعالى فيخبر عن المغيبات كما وقع ليوسف عليه السلام.

قال أبو بكر الكتاني قال لي الخضر كنت بمسجد صنعاء وكان الناس يستمعون الحديث من عبد الرزاق وفي زاوية المسجد شاب في المراقبة فقلت له لم لا تسمع كلام عبد الرزاق؟ قال: أنا أسمع كلام الرزاق وأنت تدعوني إلى عبد الرزاق، فقلت له: إن كنت صادقاً فأخبرني من أنا؟ فقال: أنت الخضر؛ فللّه عباد قد بدلوا الحياة الفانية بالحياة الباقية وذلك ببذل الكل وإفنائه في تحصيل الوجود الحقاني وعملوا لله في الله بإسقاط ملاحظة الدارين، فكوشفوا عن صور الأكوان وحقائق المعاني.

وعن قدوة العارفين الشيخ عبد الله القرشي رحمه الله قال: دخلت مصر في أيام الغلاء

الكبير فعزمت أن ادعو الله لرفعه، فنوديت بالمنع فسافرت إلى الشام، فلما دنوت من قبل خليل الله تلقاني الخليل عليه السلام، فقلت يا خليل الله اجعل ضيافتي الدعاء لأهل مصر، فدعا لهم ففرج الله عنهم.

فقال الإمام اليافعي: قول الشيخ تلقاني الخليل حق لا ينكره إلا جاهل بمعرفة ما يرد عليهم من الأحوال التي يشاهدون فيها ملكوت السموات.

ثم اعلم أن جميع الأنبياء أمروا بالإيمان وإخلاص العبادة، والإيمان يقبل البلى كما دل عليه قوله عليه السلام: «جددوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله» وذلك بزوال الحب فلا بد من تجديد عقد القلب بالتوحيد، وكلمة التوحيد مركبة من النفي والإثبات فتنفي ما سوى المعبود وتثبت ما هو المقصود، ويصل الموحد إلى كمال الشهود، وحصول ذلك بنور التلقين والكينونة مع أهل الصدق واليقين، وأقل الأمر ملازمة المجالس وربط القلب بواحد منهم نسأل الله تعالى أن يوفقنا لتحصيل المناسبة المعنوية بعد المجالسة الصورية إنه وهاب العطايا فياض المعاني والحقائق.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ۝٤١﴾.

﴿يا صاحبي السجن﴾ الإضافة بمعنى في كما سبق. والمعنى بالفارسية [اي ياران زندان]. **﴿أما أحدكما﴾** وهو الشرابي ولم يعينه لدلالة لتعبير عليه. **﴿فيسقي﴾** [بياشاماند] **﴿ربه﴾** سيده **﴿خمراً﴾** كما كان يسقيه قبل ـ روي ـ أنه عليه السلام قال له: أما ما رأيت من الكرمة وحسنها فهو الملك وحسن حالك عنده، أو قال له ما أحسن ما رأيت أما حسن الحبلة، وهي أصل من أصول الكرم فهو حسن حالك وسلطانك وعزك وأما القضبان الثلاثة، فثلاثة أيام تمضي في السجن ثم يوجه الملك إليك عند انقضائهن فيردك إلى عملك فتصير كما كنت بل أحسن **﴿وأما الآخر﴾** وهو الخباز **﴿فيصلب فتأكل الطير من رأسه﴾** [ازكله‌ء سروى].

ـ روي ـ أنه عليه السلام قال له: بئس ما رأيت أما خروجك من المطبخ فخروجك من عملك وأما السلال الثلاثة فثلاثة أيام تمر ثم يوجه الملك إليك عند انقضائهن فيصلبك فتأكل الطير من رأسك.

وفي «الكواشي»: أكل الطير من أعلاها إخراجه في اليوم الثالث. **﴿قضي الأمر﴾** فرغ منه وأتم وأحكم وهو ما رأياه من الرؤيين وإسناد القضاء إليه مع أنه من أحوال مآله وهو نجاة أحدهما وهلاك الآخر لأنه في الحقيقة عين ذلك المآل وقد ظهر في عالم المثال بتلك الصورة **﴿الذي فيه تستفتيان﴾** تطلبان فتواه وتأويله ـ روي ـ أنه لما عبر رؤياهما جحدا وقالا ما رأينا شيئاً، فأخبر أن ذلك كائن صدقتما أو كذبتما، ولعل الجحود من الخباز؛ إذ لا داعي إلى جحود الشرابي إلا أن يكون ذلك لمراعاة جانبه فكان كما عبر يوسف حيث أخرج الملك صاحب الشراب ورده إلى مكانه وخلع عليه وأحسن إليه لما تبين عنده حاله في الأمانة، وأخرج الخباز ونزع ثيابه وجلده بالسياط حتى مات لما ظهر عنده خيانته وصلبه على قارعة الطريق، وأقبلت طيور سود فأكلت من رأسه وهو أول من استعمل الصلب ثم استعمله فرعون موسى كما حكي عنه من قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه: ٧١] ـ وروي ـ أن النبي ﷺ

لما رجع من غزوة بدر إلى المدينة ومر بعرق الظبية وهي شجرة يستظل بها أمر فصلب عقبة بن أبي معيط من الأسارى وهو أول مصلوب من الكفار في الإسلام وكان يفتري على رسول الله في مكة وبزق مرة في وجهه والصلب أصعب أنواع أسباب الهلاك لانحباس النفس في البدن ويفعله الحاكم بحسب ما رأى في بعض المجرمين تشديداً للجزاء وليكون عبرة للناس.

والإشارة: إما النفس فسقى الروح خمراً، وهو ما خامر العقل مرة من شراب الشهوات واللذات النفسانية وتارة بأقداح المعاملات والمجاهدات شراب الكشوف والمشاهدات الربانية وهي باقية في خدمة ملك الروح أبداً، وأما البدن فيصلب بحبل الموت فتأكل طير أعوان الملك من رأسه الخيالات الفاسدة التي جمعت في أم دماغه.

واعلم: أن الموت أشد شيء وأن المرء ينقطع عنده عن كل شيء ولا يبقى معه إلا ثلاث صفات صفاء القلب وأنسه بذكر الله وحبه لله، ولا يخفى إن صفاء القلب وطهارته عن أدناس الدنيا لا تكون إلا مع المعرفة، والمعرفة لا تكون إلا بدوام الذكر والفكر، وخير الأذكار التوحيد وفي الحديث: «ذكر الله علم الإيمان، وبراءة من النفاق، وحصن من الشيطان، وحرز من النار». قال المولى الجامي:

دلت آيينهٔ خداي نماست ... روى آيينهٔ توتيره چراست
صيقلى داري صيقلي ميزن ... باشد آيينهٔ ات شود روشن
صيقل آن اكرنهٔ آكاه ... نيست جز لا إله إلا الله

﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وقال﴾ يوسف **﴿للذي ظن﴾** يوسف **﴿أنه ناج منهما﴾** [ازان هردو يعني ساقيرا] أي وثق وعلم لأن الظن من الأضداد يكون شكا ويقيناً فالتعبير بالوحي، كما ينبيء عنه قوله: **﴿قضي الأمر﴾** إذ لو بنى جوابه على التعبير لما قال قضي، لأن التعبير على الظن، والقضاء هو الإلزام الجازم والحكم القاطع الذي لا يصح ابتناؤه على الظن **﴿اذكرني عند ربك﴾** أي: سيدك وقل له في السجن غلام محبوس ظلماً طال حبسه لعله يرحمني ويخلصني من هذه الورطة.

بكو هست اند اران زندان غريبي ... زعدل شاه دوران بي نصيبي
چنينش بي كنه مپسند رنجور ... كه هست اين از طريق معدلت دور

[أما چون تقرب برسيد واز ساغر جاه ودولت سرخوش كرديد از زندان وازاهل آن غافل شد] **﴿فأنساه الشيطان﴾** أي أنسى الشرابي بوسوسته والقائه في قلبه أشغالاً تعوقه عن الذكر وإلا فالإنساء في الحقيقة الله تعالى، والفاء للسببية فإن توصيته عليه السلام المتضمنة للاستعانة بغيرة تعالى كانت باعثة لما ذكر من الإنساء **﴿ذكر ربه﴾** أي: ذكر الشرابي له عليه السلام عند الملك والإضافة لأدنى ملابسة، يعني أن الظاهر أن يقال ذكره لربه على إضافة المصدر إلى مفعوله لأن الشائع في إضافته أن يضاف إلى الفاعل، أو المفعول به الصريح إلا أنه أضيف إلى غير الصريح للملابسة. قال المولى الجامي:

چنان رفت آن وصيت از خيالش ... كه بر خاطر نيامد چند سالش
نهال وعده اش مأيوسى آورد ... بزندان بلا محبوسي آورد

بـلـى آنـراكـه ايـزد بـركـزيـنـد بـصـدر عـز مـعـشـوقـي نـشـيـنـد
ره أسـبـاب درويـشـي بـه بـنـدد رهـيـن ايـن وآنـش كـم پـسـنـدد
نـخـواهـد دسـت او در دامـن كـس اسـيـردام خـويـشـش خـواهـد وبـس

وفي القصص أن زليخا سألت العزيز أن يخرج يوسف من السجن فلم يفعل وأنساهم الله أمر يوسف فلم يذكره ﴿فلبث﴾ يوسف بسبب ذلك الإنساء أو القول ﴿في السجن بضع سنين﴾ نصب على ظرف الزمان أي سبع سنين بعد الخمس لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعاً بعد الخمس».

قال في «الفتح» لبث يوسف في السجن اثنتي عشرة سنة عدد حروف اذكرني عند ربك فصاحباه اللذان دخلا معه السجن بقيا محبوسين فيه خمس سنين، ثم رأيا رؤياهما قبل انقضاء تلك المدة بثلاثة أيام، وفي هذا العدد كمال القوة والتأثير كالأئمة الاثني عشر على عدد البروج الاثني عشر وملائكة البروج الاثني عشر أئمة العالم والعالم، تحت إحاطتهم وفي الخبر إشارة إلى قوة هذا العدد معنى إذ اثنا عشر ألفاً لن يغلب عن قلة أبداً، ولذلك وجب الثبات على العسكر إذا وجد العدد المذكور، ولا إله إلا الله اثنا عشر، حرفا وكذا محمد رسول الله، ولكل حرف ألف باب فيكون للتوحيد اثنا عشر الف باب.

يقول الفقير: حبس الله تعالى يوسف في السجن اثني عشر عاماً لتكميل وجوده بكمالات أهل الأرض، والسماء، ففي العدد المذكور إشارة إليه مع إخوته الأحد عشر فله القوة الجمعية الكمالية فافهم.

قال بعضهم: فأنساه الشيطان ذكر ربه أي أنسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره وليس ذلك من باب الإغواء حتى يخالف إلا عبادك منهم المخلصين فإن معناه الإضلال بل هو من ترك الأولى.

وفي «بحر العلوم» والاستعانة بغير الله في كشف الشدائد وإن كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الأنبياء الذين هم أفضل الخلق وأهل الترقي فهي تنزل من باب ترك الأولى والأفضل، ولا شك أن الأنبياء يعاتبون على الصغائر معاتبة غيرهم على الكبائر كما في «الكواشي». وليس ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺلم يأخذه النوم ليلة من الليالي وكان يغلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه مخالفاً له إذ ليس فيه استعانة في كشف الشدة النازلة بغير الله، بل هو استئناس كما في «حواشي سعدي المفتي» ـ وحكي ـ أن جبريل دخل على يوسف في السجن فلما رآه يوسف عرفه، فقال له: يا أخا المنذرين ما لي أراك بين الخاطئين فقال له جبريل: يا طاهر الطاهرين إن الله كرمني بك وبآبائك وهو يقرئك السلام، ويقول لك أما استحييت مني إذا استعنت بغيري، وعزتي لا لبثنك في السجن بضع سنين قال يا جبريل: وهو عني راض قال نعم، إذا لا أبالي، وكان الواجب عليه أن يقتدي بجده إبراهيم في ترك الاستعانة بالغير كما روي أنه قال له جبريل حين رمى به في النار: هل لك حاجة فقال: أما إليك فلا قال فسل ربك قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي.

وعن مالك بن دينار لما قال يوسف للشرابي: اذكرني عند ربك قال الله تعالى يا يوسف اتخذت من دوني وكيلاً لأطيلن حبسك، فبكى يوسف، وقال يا رب أقسى قلبي كثرة الأحزان والبلوى فقلت كلمة ولا أعود.

وعن الحسن أنه كان يبكي إذا قرأها ويقول: نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس. قال الكمال الحجندي:

كيست در خوركه رسد دوست بفرياد دلش آنكه فرياد جور وستم او نكند
پارسا پشت فراغت ننهد بر محراب كر كند تكيه چرا بر كرم او نكند

والإشارة: وقال يوسف القلب المسجون في حبس الصفات البشرية للنفس اذكرني عند الروح، يشير إلى أن القلب المسجون في بدء أمره يلهم النفس بأن يذكره بالمعاملات المستحسنة الشرعية عند الروح ليتقوى بها الروح، وينتبه من نوم الغفلة الناشئة من الحواس الخمس، ويسعى في استخلاص القلب من أسر الصفات البشرية بالمعاملات الروحانية مستمداً من الألطاف الربانية، والشيطان بوساوسه يمحو عن النفس أثر الهامات القلب لينسى النفس ذكر الروح بتلك المعاملات.

وفيه معنى آخر: وهو أن الشيطان أنسى القلب ذكر ربه، يعني: ذكر الله حتى استغاث بالنفس ليذكره عند الروح ولو استغاث بالله لخلصه في الحال. ﴿فلبث في السجن بضع سنين﴾ يشير إلى الصفات البشرية السبع التي بها القلب محبوس، وهي الحرص والبخل والشهوة والحسد والعداوة والغضب والكبر، كما في «التأويلات النجمية».

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿وقال الملك﴾ أي ملك مصر وهو الريان بن الوليد ﴿إني أرى﴾ في المنام ﴿سبع بقرات﴾ جمع بقرة بالفارسية [كاو] ﴿سمان﴾ جمع سمينة نعت لبقرات ﴿يأكلهن سبع عجاف﴾ [هفت كاو لاغر] أي سبع بقرات عجاف جمع عجفاء والقياس عجف، لأن أفعل وفعلاء لا يجمع على فعال لكنه حمل على نقيضه وهو سمان والعجف الهزال والأعجف المهزول ـ روي ـ إنه لما قرب خروج يوسف من السجن جعل الله لذلك سبباً لا يخطر بالبال:

بسا قفلاكه ناپيدا كليدست برو راه كشايش نا بديدست
ز ناكه دست ضنعي درميان نى بفتحش هيچ صانع را كمان نى
بديد آيد زغيب آنر اكشادى وديعت در كشادش هر مرادي
چو يوسف دل زحيلتهاى خود كند بريد از رشتهٔ تدبير پيوند
بجز ايزد نماند اورا پناهى كه باشد در نوائب تكيه كاهى
ز پندار خودي وبخردي رست كرفتش فيض فضلي ايزدى دست

وذلك أن الملك أكبر كان يتخذ في كل سنة عيداً على شاطىء النيل ويحشر الناس إليه فيطعمهم أطيب الطعام، ويسقيهم ألذ الشراب، وهو جالس على سريره ينظر إليهم فرأى ليلة الجمعة في منامه سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس أو من البحر، كما في الكواشي وخرج عقيبهن سبع بقرات مهازيل في غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان فدخلن في بطونهن فلم ير منهن شيء ﴿وسبع﴾ أي: وأرى سبع ﴿سنبلات﴾ جمع سنبلة ﴿خضر﴾ جمع خضراء نعت لسنبلات والمعنى بالفارسية [هفت خوشهٔ سبزو تازه كه دانهاى ايشان منعقد شده بود] ﴿وأخر﴾ أي سبعاً أخر ﴿يابسات﴾ قد أدركت الحصاد والتوت على الخضر حتى غلبن عليها،

وإنما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات فلما استيقظ من منامه اضطرب بسبب أنه شاهد أن الناقص الضعيف استولى على الكامل، القوي فشهدت فطرته بأن هذه الرؤيا صورة شر عظيم يقع في المملكة إلا أنه ما عرف كيفية الحال فيه فاشتاق ورغب في تحصيل المعرفة بتعبير رؤياه فجمع أعيان مملكته من العلماء والحكماء فقال لهم: **﴿يا أيها الملأ﴾** فهو خطاب للأشراف من العلماء والحكماء أو للسحرة والكهنة والمنجمين وغيرهم.

كما قال الكاشفي: [اي كروه كاهنان ومعبران وأشراف قوم] **﴿أفتوني في رؤياي﴾** هذه، أي عبروها وبينوا حكمها وما يؤول إليه من العاقبة، وبالفارسية [فتوى دهيد يعني جواب كوييد مرا] **﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾** أي: تعلمون عبارة جنس الرؤيا علماً مستمراً وهي الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة في المنام إلى ما هي صور أمثلة لها من الأمور الآفاقية والأنفسية الواقعة في الخارج فالتعبير والعبارة الجواز من صورة ما رأى إلى أمر آخر من العبور وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا أثبت من عبرتها تعبيراً واللام للبيان، كأنه لما قيل كنتم تعبرون قيل لأي شيء فقيل للرؤيا وهذه اللام لم تذكر في بحث اللامات في كتب النحو.

واعلم: أن الرؤيا تطلب التعبير، لأن المعاني تظهر في الصور الحسية منزلة على المرتبة الخيالية، وأما إبراهيم عليه السلام فقد جرى على ظاهر ما أري في ذبح ابنه لأن شأن مثله أن يعمل بالعزيمة دون الرخصة ولو لم يفعل ذلك لما ظهر للناس تسليمه وتسليم ابنه لأمر الحق تعالى ـ وحكي ـ أن الإمام تقي بن مخلد صاحب المسند في الحديث رأى النبي ﷺ في المنام وقد سقاه لبناً فلما استيقظ استقاء وقاء لبناً أي ليعلم حقيقة هذه الرؤيا وتحقيق قوله عليه السلام: «من رآني في المنام فقد رآني في اليقظة فإن الشيطان لا يتمثل على صورتي» ولو عبر رؤياه لكان ذلك اللبن علماً فحرمه الله علماً كثيراً على قدر ما شرب من اللبن، ثم قاء، ووجه كون اللبن علماً أنه أول ما يظهر بصورة الحياة ويغتذى به الحيوان فيصير حياً، كما أن العلم أول ما يتعين به الذات فيظهر عالماً، ثم إن رآه عليه السلام أحد في المنام بصورته التي مات عليها من غير نقصان من أجزائه ولا تغير في هيئته فإنه يأخذ عنه جميع ما يأمره به أو ينهاه أو يخبره من غير تعبير وتأويل، كما كان يأخذ عنه من الأحكام الشرعية لو أدركه في الحياة الدنيا إلا أن يكون اللفظ مجملاً فإنه يؤوله، فإن أعطاه شيئاً في المنام فإن ذلك الشيء هو الذي يدخله التعبير، فإن خرج في الحس كما كان في الخيال فتلك الرؤيا لا تعبير لها ـ وحكي ـ أن رجلاً من الصلحاء رأى في المنام أنه لطم النبي عليه السلام فانتبه فزعاً وهاله ما رأى مع جلالة النبي عليه السلام عنده فأتى بعض الشيوخ فعرض عليه رؤياه، فقال له الشيخ: اعلم أنه عليه السلام أعظم من أن يكون عليه يد لك أو لغيرك، والذي رأيته لم يكن النبي عليه السلام إنما هو شرعه، قد أخللت بحكم من أحكامه وكون اللطم في الوجه يدل على أنك ارتكبت أمراً محرماً من الكبائر فافتكر الرجل في نفسه فلم يذكر أنه أقدم على محرم من الكبائر وكان من أهل الدين ولم يتهم الشيخ في تعبيره لعلمه بإصابته فيما كان يعبره، فرجع إلى بيته حزيناً فسألته زوجته عن سبب حزنه فأخبرها برؤياه وتعبير الشيخ فتعجبت الزوجة وأظهرت التوبة وقالت أنا أصدقك كنت حلفت أني إن دخلت دار فلان أحد معارفك فإني طالق، فعبرت على بابهم فحلفوا عليّ فاستحييت من إلحاحهم فدخلت إليهم وخشيت أن اذكر لك ما جرى فكتمت الحال، فتاب الرجل واستغفر وتضرع إلى الحق واعتدت المرأة ثم جدد العقد عليها.

ومن رأى الحق تعالى في صورة يردها الدليل لزم أن يعبر تلك الصورة التي توجب النقصان ويردها إلى الصورة الكمالية التي جاء بها الشرع، فما لم يكن عليه لا ينسب إليه تعالى كما في الأسماء، فما لم يطلق الشرع عليه ما لنا أن ننسبه إليه، وتلك الصورة التي ردها الدليل وجعلها مفتقرة إلى التعبير ما في حق حال الرائي يحسب مناسبته لتلك الصورة المردودة والمكان الذي يراه فيه أو في حقهما معاً ـ حكي ـ أن بعض الصالحين في بلاد الغرب رأى الحق تعالى في المنام في دهليز بيته، فلم يلتفت إليه فلطمه في وجهه فلما استيقظ قلق قلقاً شديداً فأخبر الشيخ الأكبر قدس سره بما رأى وفعل، فلما رأى الشيخ ما به من القلق العظيم قال له: أين رأيته؟ قال: في بيت لي قد اشتريته، قال الشيخ: ذلك الموضع مغصوب وهو حق للحق المشروع اشتريته ولم تراع حاله ولم تف بحق الشرع فيه فاستدركه فتفحص الرجل عن ذلك فإذا هو من وقف المسجد وقد بيع بغصب، ولم يعلم الرجل ولم يلتفت إلى أمره فلما تحقق رده إلى وقف المسجد واستغفر الله ولعل الشيخ علم من صلاح الرائي وشدة قلقه أنه ليس من قبيل الرائي فسأله عن المكان الذي رأى فيه فمثل هذا إذا رؤي يجب تأويله، وأما إذا كان التجلي في الصورة النورية كصورة الشمس أو غيرها من صور الأنوار كالنور الأبيض والأخضر وغير ذلك أبقينا تلك الصورة المرئية على ما رأينا كما نرى الحق في الآخرة فإن تلك الرؤية تكون على قدر استعدادنا فافهم المراتب والمواطن حتى لا تزل قدمك عن رعاية الظاهر والباطن.

وقد جاء في الحديث: «أن الحق يتجلى بصورة النقصان فينكرونه، ثم يتحول ويتجلى بصورة الكمال والعظمة فيقبلونه ويسجدون له» فمن صورة مقبولة ومن صورة مردودة فما يحتاج إلى التعبير ينبغي أن لا يترك على حاله فإن موطن الرؤيا وهو عالم المثال يقتضي التعبير ولذا قال ملك مصر. ﴿**أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون**﴾.

﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿**قالوا**﴾ استئناف بياني فكأنه قيل فماذا قال: الملأ للملك فقيل قالوا هي: ﴿**أضغاث أحلام**﴾ تخاليطها أي أباطيلها وأكاذيبها من حديث نفس أو وسوسة شيطان، فإن الرؤيا ثلاث، رؤيا من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما حدث المرء نفسه على ما ورد في الحديث. والاضغاث جمع ضغث.

قال في «القاموس» الضغث بالكسر قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس، وأضغاث أحلام رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها انتهى. والأحلام جمع حلم بضم اللام وسكونها وهي الرؤيا الكاذبة لا حقيقة لها، لقوله عليه السلام الرؤيا من الله والحلم من الشيطان، وإضافة الأضغاث إلى الأحلام من قبيل لجين الماء وهو الظاهر كما في «حواشي سعد المفتي» وجمعوا الضغث مع أن الرؤيا واحدة مبالغة في وصفها بالبطلان فإن لفظ الجمع كما يدل على كثرة الذوات يدل أيضاً على المبالغة في الاتصاف كما تقول فلان يركب الخيل لمن لا يركب إلا فرساً واحداً أو لتضمنها أشياء مختلفة من السبع السمان والسبع العجاف والسنابل السبع الخضر والآخر اليابسات فتأمل حسن موضع الأضغاث مع السنابل فلله در شأن التنزيل. ﴿**وما نحن**

بتأويل الأحلام﴾ أي المنامات الباطلة التي لا أصل لها **﴿بعالمين﴾** لا لأن لها تأويلاً ولكن لا نعلمه، بل لأنه لا تأويل لها، وإنما التأويل للمنامات الصادقة، ويجوز أن يكون ذلك اعترافاً منهم بقصور علمهم وأنهم ليسوا بنحارير في تأويل الأحلام مع أن لها تأويلاً فكأنهم قالوا هذه الرؤيا مختلطة من أشياء كثيرة والانتقال فيها من الأمور المخيلة إلى الحقائق العقلية الروحانية ليس بسهل وما نحن بمتبحرين في علم التعبير حتى نهتدي إلى تعبير مثلها، ويدل على قصورهم قول الملك **﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾** فإنه لو كان هناك متبحر لبت القول بالإفتاء ولم يعلقه بالشرط وهو اللائح بالبال وعلى تقدير تبحرهم عمى الله عليهم، وأعجزهم عن الجواب ليصير ذلك سبباً لخلاص يوسف من الحبس وظهور كماله.

﴿وقال الذي نجا منهما﴾ أي: من صاحبي يوسف وهو الشرابي **﴿وادكر﴾** أصله اذتكر فقلبت التاء دالاً والذال دالاً وأدغمت، والمعنى تذكر يوسف وما قاله. **﴿بعد أمة﴾** أي مدة طويلة حاصلة من اجتماع الأيام الكثيرة وهي سبع سنين كما أن الأمة إنما تحصل من اجتماع الجمع العظيم، فالمدة الطويلة كأنها أمة من الأيام والساعات والجملة حال من الموصول.

قال الكاشفي: [ملك ريان وليد از جواب ايشان متحير كشته در درياي تفكر غوطه خورده كه آيا اين مشكل من كه كشايد وراه تعبير اين واقعه كه بمن نمايد]

يا رب اين خواب پريشان مرا تعبير چيست

[ساقى كه ملك را متفكر ديد از حال يوسفش ياد آمدى] أي تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه أن يذكره عند الملك فجثا بين يدي الملك أي جلس على ركبتيه فقال: **﴿أنا أنبئكم بتأويله﴾** أي: أخبركم به خاطبه بلفظ الجماعة تعظيماً **﴿فأرسلون﴾** فابعثون إلى السجن فإن فيه رجلاً حكيماً من آل يعقوب يقال له يوسف يعرف تعبير الرؤيا قد عبر لنا قبل ذلك.

بود بيدار در تعبير هر خواب ... دلش از غوص اين دريا كهرياب
اكر كويى برو بكشايم اين راز ... وزو تعبير خوابت آورم باز
بكفتا اذن خواهى چيست ازمن ... چه بهتر كوررا از چشم روشن
مراچشم خرداين لحظه كورست ... كه از دانستن اين راز دورست

فأرسلوه إلى يوسف فأتاه فاعتذر إليه وقال:

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

يا **﴿يوسف أيها الصديق﴾** البليغ في الصدق وإنما وصفه بذلك؛ لأنه جرب أحواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه **﴿أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾** أي: في رؤيا ذلك فإن الملك قد رأى هذه الرؤيا ففي قوله أفتنا مع أن المستفتي واحد إشعار بأن الرؤيا ليست له بل لغيره ممن له ملابسة بأمور العامة، وأنه في ذلك سفير، ولم يغير لفظ الملك وأصاب فيه إذ قد يكون بعض عبارات الرؤيا

متعلقة باللفظ ﴿لعلي أرجع إلى الناس﴾ [تا باشدكه بازكردم بآن جواب تمام بسوى مردمان يعني ملك وملازمان او] ﴿لعلهم يعلمون﴾ [تاباشدكه ايشان ببركت تو بدانند تأويل اين واقعه را] كأنه قيل فما ذا قال يوسف في التأويل فقيل:

﴿قال تزرعون سبع سنين دأباً﴾ مصدر دأب في العمل إذا جدّ فيه وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل تزرعون بمعنى دائبين أي مستمرين على الزراعة على عادتكم بجد واجتهاد، والفرق بين الحرث والزرع أن الحرث القاء البذر وتهيئة الأرض، والزرع مراعاته وإنباته ولهذا قال: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٤] فأثبت لهم الحرث ونفى عنهم الزرع فالزرع أعم لأنه يقال زرع أي طرح البذر وزرع الله، أي أنبت كما في «القاموس» أخبرهم أنهم يواظبون سبع سنين على الزراعة ويبالغون فيها إذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو مصداق البقرات السمان وتأويلها ودلهم في تضاعيف ذلك على أمر نافع لهم فقال ﴿فما حصدتم﴾ [پس آنچه بدرويد ازغلات در هر سال] ﴿فذروه في سنبله﴾ أي: اتركوه فيه ولا تذروه كيلا يأكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها ولعله استدل على ذلك بالسنبلات الخضر وإنما أمرهم بذلك إذ لم يكن معتاداً فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة لم يأمرهم بها وجعلها أمراً محقق الوقوع وتأويلاً للرؤيا ومصداقاً لما فيها من البقرات السمان. ﴿إلا قليلاً﴾ [مكراندكى بقدر حاجت] ﴿مما تأكلون﴾ في تلك السنين فأنتم تدرسون وقت حاجتكم إليه. وفيه إرشاد منه عليه السلام لهم إلى التقليل في الأكل والاقتصار على استثناء المأكول دون البذر، لكون ذلك معلوماً من قوله قال تزرعون سبع سنين وبعد إتمام ما أمرهم به شرع في بيان بقية التأويل التي يظهر منها حكمة الأمر المذكور فقال:

﴿ثم يأتي من بعد ذلك﴾ أي من بعد السنين المذكورات وهو عطف على تزرعون ﴿سبع شداد﴾ جمع شديدة، أي: سبع سنين صعاب على الناس لأن الجوع أشد من الأسر والقتل ﴿يأكلن ما قدمتم لهن﴾ أي يأكل أهلهن ما ادخرتم من الحبوب المتروكة في سنابلها، وفيه تنبيه على أن أمره بذلك كان لوقت الضرورة وإسناد الأكل إليهم مع أنه حال الناس فيهن مجاز كما في نهاره صائم. وفيه تلويح بأنه تأويل لأكل العجاف السمان، واللام في لهن ترشيح لذلك فكأن ما ادخر في السنابل من الحبوب شيء قد هيىء وقدم لهن، كالذي يقدم للنازل وإلا فهو في الحقيقة مقدم للناس فيهن. ﴿إلا قليلاً مما تحصنون﴾ تحرزون وتدخرون للبذر ﴿ثم يأتي من بعد ذلك﴾ أي: من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة وأكل الغلال المدخرة ﴿عام فيه﴾ [سالى كه درو] ﴿يغاث الناس﴾ من الغيث، أي يمطرون فيكون بناؤه من ثلاثي وألفه مقلوبة من الياء يقال غاثنا الله من الغيث، وبابه باع ويجوز أن يكون من الغوث، أي: ينقذون من الشدة، فيكون بناؤه من رباعي تقول أغاثنا من الغوث فالألف مقلوبة من الواو. ﴿وفيه يعصرون﴾ أي: ما شأنه أن يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها، وتكرير فيه لأن الغيث والغوث من فعل الله والعصر من فعل الناس، وأحكام هذا العام المبارك ليست مستنبطة من رؤيا الملك، وإنما تلقاه من جهة الوحي فبشرهم بها، أول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة، والعجاف واليابسات بسنين مجدبة، وابتلاع العجاف للسمان بأكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة وبيانه أن البقر في جنس الحيوانات هو المخصوص بالعجافة وتناول النباتات حلوها ومرها وشرب المياه صافيها

وكدرها، كما أن السنة هي التي تسع الأمور كلها مرغوبها ومكروهها وتأتي بالحوادث حسنها وسيئها، وأيضاً المعتبر في أمر التعبير هو عبارة الرائي وقد عبر الملك عن رؤياه ببقرات وسنبلات فاستشعر يوسف من الأول بالاشتقاق الكبير على ما هو المعول عليه عند الأكابر آت قرب ومن الثاني سنة بلاء، ثم إن البلاء مشترك بين الخير والشر والخضر فيه حرفان من الخير مع ظهور ضاد الضوء بها واليابس هو البائس كذا في «شرح الفصوص» للشيخ مؤيد الدين الجندي قدس سره.

يقول الفقير أصلحه الله القدير: وجه تخصيص البقرات والسنابل أن البقر عليه في الأكل والحنطة معظم معاش الناس، فأشارت الرؤيا إلى أن الناس يقعون في ضيق معاش من جهة الحنطة التي هي أول مأكولاتهم، ومعظم أغذيتهم، ولا ينافيه وجود قحط آخر من سائر الأنواع.

والإشارة: أن السبع البقرات السمان صفات البشرية السبع التي هي الحرص والبخل والشهوة والحسد والعداوة والغضب والكبر، والعجاف صفات الروحانية السبع التي هي أضداد صفات البشرية، وهي القناعة والسخاء والعفة والغبطة والشفقة والحلم والتواضع، والملك الروح وهو ملك مصر القالب، والملأ الأعضاء والجوارح والحواس والقوى، وليس التصرف في الملكوت ومعرفة شواهده من شأنها، والناجي هي النفس الملهمة وهي إذا أرادت أن تعلم شيئاً مما يجري في الملكوت ترجع بقوة التفكر إلى القلب فتستخبر منه، فالقلب يخبرها لأنه يشاهد الملكوت ويطالع شواهده، وهو واقف بلسان القلب، وهو ترجمان بين الروحانيات والنفس فيما يفهم من لسان الغيب الروحاني يؤول للنفس، ويفهمها تارة بلسان الخيال، وتارة بالفكر السليم وتارة بالإلهام، وقوله: ﴿**تزرعون سبع سنين دأباً**﴾ يشير إلى تربية صفات البشرية السبع بالعادة والطبيعة، وذلك في سني أوان الطفولية قبل البلوغ وظهور العقل، وجريان قلم التكليف عليه ﴿**فما حصدتم**﴾ من هذه الصفات عند كماله فلا تستعملوه ﴿**فذروه**﴾ في أماكنه ﴿**إلا قليلا**﴾ مما تعيشون به وهو بمنزلة الغذاء لمصالح قيام القالب إلى أن تبلغوا حد البلاغة، ويظهر نور العقل في مصباح السر عن زجاجة القلب كأنه كوكب دريّ، ونور العقل إذا أيد بتأييد أنوار تكاليف الشرع بعد البلوغ وشرف بإلهام الحق في إظهار فجور النفس، وهو صفات البشرية السبع وتقواها وهو الاجتناب بالتزكية عن هذه الصفات، والتحلية بصفات الروحانية السبع وكان السبع العجاف قد أكلن السبع السمان، وإنما سمي السبع العجاف لأنها من عالم الأرواح وهو لطيف، وصفات البشرية من عالم الأجساد تنشأ وهو كثيف، فسميت السمان، ولا يبقى من صفات البشرية عند غلبات صفات الروحانية إلا قليلاً يحصن به الإنسان حياة قالبه وبقاء صورته، وبعد غلبات صفات الروحانية واضمحلال صفات البشرية يظهر مقام، فيه يتدارك السالك جذبات العناية وفيه يتبرأ العبد من معاملاته وينجو من حبس وجوده وحجب أنانيته، وكان حصنه وملجأه الحق تعالى كذا في «التأويلات النجمية». قال الكمال الخجندي:

جامه بده جان ستان روى مپيج اززيان عاشق بي مايه را عين زيانست سود
سر فناكوش كن جام بقا نوش كن حاجت تقرير نيست كزعدم آمد وجود

اللهم اجعلنا من أصحاب الفناء والبقاء وأرباب اللقاء.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿**وقال الملك**﴾ أي ملك مصر وهو الريان ﴿**ائتوني به**﴾ أي بيوسف وذلك أن الساقي لما رجع بتعبير الواقعة من عند يوسف إلى الملك، وفي محضره الأشراف أعجب به تعبيره وعلم أن له علماً وفضلاً فأراد أن يكرمه ويقربه ويستمع التعبير المذكور من فمه بالذات.

سخن كزدوست آرى شكراست آن ولى كرخود بكويد خوشتراست آن

ولذا قال: ائتوني به فعاد الساقي. ﴿**فلما جاءه**﴾ أي: يوسف ﴿**الرسول**﴾ وهو الساقي ليخرجه:

كه اي سرو رياض قدس بخرام سوى بستان سراي شاه نه كام

وقال إن الملك يدعوك فأبى أن يخرج معه ﴿**قال**﴾ للرسول ﴿**ارجع إلى ربك**﴾ أي سيدك ﴿**فاسأله**﴾ ليسأل ويتفحص ﴿**ما بال النسوة اللاتي**﴾ [كه چه حال بود حال آن زنان كه] ﴿**قطعن أيديهن**﴾ في مجلس زليخا كما سبق مفصلاً:

بكفتا من چه آيم سوى شاهي كه چون من بيكسى را بي كناهي
بزندان سالها محبوس كردست ز آثار كرم مأيوس كردست
اكر خواهدكه من بيرون نهم پاي ازين غمخانه كو اول بفرماي
كه آناني كه چون رويم بديدند زحيرت دررحم كفها بريدند
كه جرم من چه بوداز من چه ديدند چرا رختم سوى زندان كشيدند
بودكين سر شود بر شاه روشن كه پاكست از خيانت دامن من
مرا به كرزن ثقب خزائن كه باشم درفراش خانه خائن

ولم يذكر سيدته تأدباً ومراعاة لحقها واحترازاً عن مكرها، حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة وأما النسوة فقد كان يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن بإقرارها بأنها راودته عن نفسه فاستعصم.

قال العلماء: إنما أبى يوسف عليه السلام أن يخرج من السجن إلا بعد أن يتفحص الملك عن حاله مع النسوة لتنكشف حقيقة الحال عنده لا سيما عند العزيز ويعلم أنه سجن ظلماً فلا يقدر الحاسد إلى تقبيح أمره وليظهر كمال عقله وصبره ووقاره، فإن من بقي في السجن ثنتي عشرة سنة إذا طلبه الملك وأمر بإخراجه ولم يبادر إلى الخروج وصبر إلى أن تتبين براءته من الخيانة في حق العزيز وأهله، دل ذلك على براءته من جميع أنواع التهم، وعلى أن كل ما قيل فيه كان كذباً وبهتاناً، وفيه دليل على أنه ينبغي أن يجتهد في نفي التهمة ويتقي مواضعها، وفي الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعن مواقع التهم» ومنه قال عليه السلام للمارين به في معتكفه وعنده بعض نسائه «هي فلانة» نفياً للتهمة.

وروي عن النبي عليه السلام أنه استحسن حزم يوسف وصبره، حين دعاه الملك فلم يبادر إلى الخروج حيث قال عليه السلام: «لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشترطت أن يخرجوني، ولقد عجبت حين أتاه الرسول فقال ﴿**ارجع إلى ربك**﴾ الآية ولو كنت مكانه ولبثت

في السجن ما لبث لأسرعت الإجابة وبادرتهم الباب وما ابتغيت العذر إنه كان حليماً ذا أناة» الحلم بكسر الحاء تأخير مكافاة الظالم. والأناة على وزن القناة التأني وترك العجلة.

قال ابن الملك: هذا ليس إخباراً عن نبينا عليه السلام بتضجره وقلة صبره، بل فيه دلالة على مدح صبر يوسف وترك الاستعجال بالخروج ليزول عن قلب الملك ما كان متهماً به من الفاحشة ولا ينظر إليه بعين مشكوكة انتهى.

وقال الطيبي: هذا من رسول الله ﷺ على سبيل التواضع لا أنه كان مستعجلاً في الأمور غير متأن والتواضع لا يصغر كبيراً ولا يضع رفيعاً، بل يوجب لصاحبه فضلاً ويورثه جلالاً وقدراً. ﴿إن ربي﴾ إن الله ﴿بكيدهن﴾ بمكرزنان وقريب ايشان ﴿عليم﴾ حين قلن لي أطع مولاتك. وفيه استشهاد بعلم الله على أنهن كذنه وأنه بريء من التهمة، كأنه قيل احمله على التعرف يتبين له براءة ساحتي فإن الله يعلم أن ذلك كان كيداً منهن.

جوانمر داين سخن چون كفت باشاه — زنان مصررا كردند آكاه
كه پيش شاه يكسر جمع كشتند — همه پروانهٔ آن شمع كشتند

فلما حضرن.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾

﴿قال﴾ الملك لهن ﴿ما خطبكن﴾ أي شأنكن العظيم ﴿إذ راودتن﴾ ظاهر الآية يدل على أنهن جميعاً قد راودن لا امرأة العزيز فقط، فلا يعدل عنه إلا بدليل والمراودة المطالبة ﴿يوسف﴾ وخادعته ﴿عن نفسه﴾ هل وجدتن منه ميلاً إليكن.

كزان شمع حريم جان چه ديديد — كه بروى تيغ بدنامى كشيديد
زرويش در بهار وباغ بوديد — چرا ره سوى زندانش نموديد
بتى كازار باشد برتنش كل — كي ازدانا سزد بر كردنش غل
كلى كش نيست تاب باد شبكير — بپايش چون نهد جزآب زنجير

﴿قلن﴾ أي: جماعة النساء مجيبة للملك. ﴿حاش لله﴾ أصله حاشا بالألف فحذفت للتخفيف وهو في الأصل حرف وضع هنا موضع المصدر أي التنزيه واللام لبيان من يبرأ وينزه وقد سبق في هذه السورة فهو تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله. والمعنى بالفارسية [پاكست خداي تعالى از آنكه عاجز باشد از آفريدن مرد پاكيزه چو يوسف] ﴿ما علمنا عليه من سوء﴾ من ذنب وخيانة.

زيوسف ما بجز پاكى نديديم — بجز عز وشرفنا كي نديديم
نباشدد رصدف كوهر چنان پاك — كه بودازتهمت آن جان جهان پاك

﴿قالت امرأة العزيز﴾ أي: زليخا وكانت حاضرة في المجلس.

قال الكاشفي: [چون زليخا ديدكه جزراستى فائدهٔ ديكر نيست وى نيز بپاكىٔ يوسف اقرار كرد] ﴿الآن﴾ أرادت بالآن زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان شهادتهن. ﴿حصحص الحق﴾ أي وضح وانكشف وتمكن في القلوب والنفوس ﴿أنا راودته عن نفسه﴾ [مى جستم يوسف را از نفس او وآرزوى وصال كردم] لا أنه راودني عن نفسي ﴿وإنه لمن الصادقين﴾ أي

في قوله هي راودني عن نفسي. قال المولى الجامي:

بجرم خويش كرد اقرار مطلق بر آمد زوصداي حصحص الحق
بكفتا نيست يوسف را كناهى منم در عشق او كم كرده راهى
نخست اورا بوصل خويش خواندم چوكام من نداد از پيش راندم
بزندان از ستمهاى من افتاد دران غمها زغمهاى من افتاد
غم من چون كذشت ازحدو غايت بجانش كرد حال من سرايت
جفايى كر رسيد اورا زجافي كنون واجب بود اورا تلافي
هر احسان كايد ازشاه نكوكار بصد چندان بود يوسف سزاوار

قال ابن الشيخ: لما علمت زليخا أن يوسف راعى جانبها حيث قال ﴿ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن﴾ فذكرهن ولم يذكر إياها مع أن الفتن كلها إنما نشأت من جانبها وجزمت بأن رعايته إياها إنما كانت تعظيماً لجانبها وإخفاء للأمر عليها، فأرادت أن تكافئه على هذا الفعل الحسن فلذلك اعترفت بأن الذنب كله كان من جانبها، وأن يوسف كان بريئاً من الكل ـ روي ـ أن امرأة جاءت بزوجها إلى القاضي وادعت عليه المهر، فأمر القاضي بأن تكشف عن وجهها حتى يتمكن الشهود من أداء الشهادة على وجهها فقال الزوج لا حاجة إلى ذلك فإني مقر بصدقها في دعواها فقالت المرأة لما أكرمتني إلى هذا الحد فاشهدوا أني أبرأت ذمتك عن كل حق كان لي عليك.

قال في «الإرشاد» فانظر أيها المتصف هل ترى فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصماء عدم الشهادة بها والفضل ما شهدت به الخصماء.

قال بعض أرباب التأويل: أن قول نسوة القوى ﴿حاش لله﴾ وقول امرأة العزيز التي هي النفس الأمارة ﴿الآن حصحص الحق﴾ إشارة إلى تنور النفس والقوى بنور الحق واتصافها بصفة الانصاف والصدق، وحصول ذلك إنما هو بتكميل الأسماء السبعة أو الاثني عشر في سجن الخلوة، فإن القلب بهذه الخلوة والتكميل يصل إلى نور الوحدة ويحصل للنفس التزكية والاطمئنان والإقرار بفضيلة القلب وصدقه وبراءته فإن من كمال اطمئنان النفس اعترافها بالذنب واستغفارها مما فرط منها حالة كونها أمارة، والصدق في الأعمال كونها موافقة لرضى الله تعالى وخالية عن الأغراض وفي الأحوال كونها على وفق رضي الله تعالى وطاهرة عن الصفات النفسانية.

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿ذلك﴾ من كلام يوم يوسف أي طلب البراءة أو ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة.

قال الكاشفي؟ [ملك يوسف رابيغام دادكه زنان بكناه معترف شدند بياتاً بحضور تو ايشانرا عقوبت كنم يوسف فرمودكه غرض من عقوبت نبود اين خواست براي آن كردم كه] ﴿ليعلم﴾ أي العزيز ﴿أني لم أخنه﴾ في حرمه لأن المعصية خيانة ﴿بالغيب﴾ بظهر الغيب وهو حال من الفاعل أي لم أخنه وأنا غائب عنه خفي على عينه أو من المفعول أي وهو غائب عني خفي عن عيني أو ظرف أي بمكان الغيب أي وراء ستار والأبواب المغلقة ﴿وأن الله﴾ أي:

وليعلم أن الله ﴿لا يهدي كيد الخائنين﴾ أي لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه، كما لم يسدد كيد امرأته حتى اقرت بخيانة أمانة زوجها، وسمي فعل الخائن كيداً لأن شأنه أن يفعل بطريق الاحتيال والتلبيس فمعنى هداية الكيد إتمامه وجعله مؤدياً إلى ما قصد به، وفيه تعريض بامرأة العزيز في خيانتها أمانته، وبنفس العزيز في خيانة أمانة الله حين ساعدها على حبس يوسف بعد ما رأوا الآيات نزاهته ويجوز أن يكون ذلك لتأكيد أمانته لأنه لو كان خائناً لما هدى الله أمره وأحسن عاقبته. وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يوصل عباده الصادقين بعد الغم إلى السرور ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

قال بعضهم: كنت أقرأ الحديث من الشيخ أبي حفص وكان بقربنا حانوت عطار فجاء رجل فأخذ منه العطر بعشرة دراهم فسقط من يده ففزع الرجل فقلنا تفزع على يسير من الدنيا قال لو فزعت على الدنيا لفزعت حين سقط مني ثلاثة آلاف دينار مع جوهرة قيمتها كذلك ولكن الليلة ولد ولد لي فكلفت بلوازمه ولم يكن لي غير هذه العشرة وقد ضاعت فلم يبق لي غير الفرار ففزعي لفراق الأهل والأولاد، فسمع جندي قوله فاخرج كيساً فيه الدنانير والجوهرة بالعلامة التي أخبر بها الرجل ولم يؤخذ منه شيء، فسبحان من ابتلى عبده أولاً بالشدائد ثم أنجاه قال المولى الجامي:

دريـن دهـر كـهـن رسـميـسـت ديـريـن   كه بي تـلـخـى نـبـاشـد عـيـش شـيـريـن
خـورد نـه مـاه طـفـلـي در رحـم خـود   كـه آيـد بـارخ چـون مـاه بـيـرون
بـسـاسـخـتـي كه بـيـنـد لـعـل درسـنـك   كه خـورشـيـد در خـشـانـش دهـدرنـك

وفي الآية، دلالة على أن الخيانة من الصفات الذميمة، كما أن الأمانة من الخصائل المحمودة فالصلاة والصوم والوزن والكيل والعبيد والإماء والودائع كلها أمانات وكذا الإمامة والخطابة والتأذين ونحوها أمانات يلزم على الحكام تأديتها بأن يقلدوها أرباب الاستحقاق، ثم في الوجود الأنفسي أمانات مثل السمع والبصر واليد والرجل ونحوها وكل أولئك كان عنه مسؤولاً، والقلب أمانة فاحفظه عن الميل إلى ما سوى المولى. قال الصائب:

تـرا بـكـوهـر دل كـرده انـد امـانـتـدار   زدزد امـانـت حق رانـكـاه دار مـخـسـب

فمن تيقن أنه تعالى حاضر لديه ناظر عليه، لم يجترىء على سوء الأدب بموافقة النفس التي هي منبع القباحة والخيانة ـ وحكي ـ أن شاباً كان له رائحة طيبة فقيل له لك مصرف عظيم في تلك الرائحة فقال هي عطاء من الله تعالى وذلك إن امرأة أدخلتني بحيلة في بيتها وراودتني فلطخت نفسي وثيابي بالنجاسة فخلتني بظن الجنون، فأعطاني الله تعالى تلك الرائحة، ورأى الشاب في المنام يوسف الصديق، فقال له طوبى لك حيث خلصك الله من كيد امرأة العزيز، فقال عليه السلام: طوبى لك خلصك الله من تلك المرأة بدون هم منك، وقد صدر مني هم، أي هجوم الطبيعة البشرية وإن لم يكن هناك وجود مقتضاها نسأل الله العصمة والتوفيق في الدارين.

تم الجزء الثاني عشر في العشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث ومائة وألف

﴿وما أبرىء نفسي﴾ من كلام يوسف عليه السلام أي لا أنزهها عن السوء ولا أشهد لها بالبراءة الكلية قاله تواضعاً لله تعالى وهضماً لنفسه الكريمة لا تزكية لها وعجباً بحاله في الأمانة، ومن هذا القبيل قوله عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر لي» أو تحديثاً بنعمة الله تعالى

عليه في توفيقه وعصمته، أي لا أنزهها عن السوء من حيث هي هي، ولا أسند هذه الفضيلة إليها بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله تعالى ﴿إن النفس﴾ اللام للجنس، أي جميع النفوس التي من جملتها نفسي في حد ذاتها ﴿لأمارة بالسوء﴾ تأمر بالقبائح والمعاصي؛ لأنها أشد استلذاذاً بالباطل والشهوات وأميل إلى أنواع المنكرات، ولولا ذلك لما صارت نفوس أكثر الخلق مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة، وما صدرت منها الشرور أكثر من ههنا وجب القول بأن كل من كان أوفر عقلاً وأجل قدراً عند الله، كان أبصر بعيوب نفسه ومن كان أبصر بعيوبها كان أعظم اتهاماً لنفسه وأقل إعجاباً. ﴿إلا ما رحم ربي﴾ من النفوس التي يعصمها من الوقوع في المهالك ومن جملتها نفسي ونفوس سائر الأنبياء ونفوس الملائكة، أما الملائكة فإنه لم تركب فيهم الشهوة، وأما الأنبياء فهم وإن ركبت هي فيهم لكنهم محفوظون بتأييد الله تعالى معصومون فما موصولة بمعنى من. وفيه إشارة إلى أن النفس من حيث هي كالبهائم، والاستثناء من النفس، أو من الضمير المستتر في أمارة كأنه قيل إن النفس لأمارة بالسوء إلا نفساً رحمها ربي فإنها لا تأمر بالسوء أو بمعنى الوقت، أي هي أمارة بالسوء في كل وقت إلا وقت رحمة ربي وعصمته لها، ودل على عموم الأوقات صيغة المبالغة في أمارة يقال في اللغة أمرت النفس بشيء فهي آمرة وإذا أكثرت الأمر فهي أمارة ﴿إن ربي غفور﴾ عظيم المغفرة لما يعتري النفوس بموجب طباعها ﴿رحيم﴾ مبالغ في الرحمة لها بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك.

قال في «التأويلات النجمية» خلقت النفس على جبلة الأمارية بالسوء، طبعاً حين خليت إلى طبعها لا يأتي منها إلا الشر ولا تأمر إلا بالسوء ولكن إذا رحمها ربها ونظر إليها بنظر العناية يقلبها من طبعها ويبدل صفاتها ويجعل أماريتها مبدلة بالمأمورية، وشريرتها بالخيرية، فإذا تنفس صبح الهداية في ليلة البشرية وأضاء أفق سماء القلب صارت النفس لوامة، تلوم نفسها على سوء فعلها وندمت على ما صدر عنها من الأمارية بالسوء فيتوب الله عليها، فإن الندم توبة وإذا طلعت شمس العناية من أفق الهداية صارت النفس ملهمة، إذ هي تنورت بأنوار شمس العناية فألهمها نورها فجورها وتقواها، وإذا بلغت شمس العناية وسط سماء الهداية وأشرقت الأرض بنور ربها صارت النفس مطمئنة مستعدة لخطاب ربها بجذبة ﴿ارْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٨] انتهى.

يقول الفقير: سلوك الأنبياء عليهم السلام وإن كان من النفس المطمئنة إلى الراضية والمرضية والصافية، إلا أن طبع النفوس مطلقاً أي سواء كانت نفوس الأنبياء أو غيرهم على الأمارية وكون طبعها عليها لا يوجب ظهور آثار الأمارة بالنسبة إلى الأنبياء، ولذا لم يقل يوسف عليه السلام إن نفسي لأمارة بالسوء بعد ما قال: وما أبرىء نفسي، بل أطلق القول في الأمارية واستثنى النفوس المعصومة فلولا العصمة لوقع من النفس ما وقع، ولذا قال عليه السلام: «رب لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك» فالدليل على أمارية مطلق النفوس هذه الآية.

وقد قال ابن الشيخ في هذه السورة عند قوله تعالى: ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً﴾ يحتمل أن يكون المراد من الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على نفسه الأمارية بالسوء مستعلية عليها قاهرة لها انتهى فأثبت الأمارية لنفس يوسف.

وقال سعدي المفتي عند قوله تعالى: ﴿أصب إليهن﴾ في هذه السورة أيضاً على قول

البيضاوي، أي أمل إلى جانبهن: أو إلى أنفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي، قوله بطبعي أي بسبب طبعي ونفسي الأمارة بالسوء انتهى.

وقال حضرة الشيخ نجم الدين دايه قدس سره: عند قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] فشيطان الإنس نفسه الأمارة بالسوء وهي أعدى الأعداء انتهى.

وصرح أيضاً بذلك في مواضع أخر من تأويلاته وهكذا ينبغي أن يفهم هذا المقام فإنه من مزالق الأقدام، وقد رأيت من تحير فيه وزلق ووقع في هاوية الاضطراب والقلق، مع شهرته التامة والعامة في الأفواه القائلة بمكاشفاته ووصوله إلى الله، فليجتهد العبد مع النفس الأمارة حتى يصل إلى الاطمئنان فيتخلص من كيدها، والتوحيد أقوى الأمور في هذا الباب، لأنه أشد تأثيراً في تزكية النفس وطهارتها من الشرك الجلي والخفي.

قال في «نفائس المجالس»: النفس منبع العناد والخيانة ومعدن الشر والجناية فهي منشأ الفتن في الأنفس والآفاق، وسبب ظهور الظلم على الإطلاق، فلو حصل بين سلطان الروح ووزير العقل ومفتي القلب اتفاق لارتفع من القوى النفسانية والطبيعة خلاف وشقاق ـ وحكي ـ أن ثلاثة أثوار أحدها أصفر والثاني أزرق والثالث أسود استولت على جبل باتفاق منها بحيث لم يقدر غيرها أن يرعى في ذلك الجبل فتشاور الحيوانات يوماً في ذلك فقال أسد أنا أتدارك الأمر فجاء إلى سفح الجبل فلما هجم الأثوار لمنعه قال الأسد: يا إخوتي الأثوار اتركنني حتى أكون معكن فإنه يحصل بسببي زيادة قوة فرضين بإخوته وكونه بينهن، فيوماً قال للثور الأصفر والأزرق أيها الأخوان ألا تريان أن لا مناسبة بيننا وبين الأسود فلو دبرنا فيه لكان خيراً، قالا ماذا نفعل؟ قال: افعل ما أرى أن سامحتما وسكتيما قالا: فافعل ما شئت، فأتاه الأسد وهو يرعى فصال عليه فاستمد الثور الأسود من أخويه فلم يلتفتا فافترسه الأسد وأكله، ثم بعد زمان قال للأصفر يا أخي شعرك يشابه شعري فبيني وبينك مناسبة تامة ولكن أي مناسبة في أن يكون هذا الأزرق بيننا فتعال حتى نرفعه من البين ويخلو لنا الجبل، فقال: افعل ما شئت فأتاه وهو يرعى فلما أراد أن يتعرض له خار واستمد من أخيه فلم يرفع له أخوه رأساً فأكله، ثم بعد زمان قال للأصفر تهيأ فإني آكلك فإنه أي مناسبة في أن يكون بيننا إخوة واتفاق، فتضرع ولكن لم يسمعه الأسد فقال الثور: قد كنت أتصور مجيء هذا إلى رأسي منذ ما جاء إلى رأس أخي الثور الأسود ما جاء فافترسه وأكله، فالنفس مثل هذا الأسد إذا ظهرت في جبل الوجود غلبت على القوى وأكلتها، وفي هذا التمثيل مواعظ كثيرة لمن تأمل فيه. قال المولى جلال الدين الرومي قدس سره:

بيت من بيت نيست اقليمست هزل من هزل نيست تعليمست

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿وقال الملك﴾ [آورده اندكه چون باملك مصر سخنان يوسف باز كفتند آرزو مندىء وى بديدار يوسف زياده شد] ﴿ائتوني به﴾ [بياريد يوسف را پيش من] ﴿أستخلصه﴾ اجعله خالصاً ﴿لنفسي﴾ وخاصاً بي.

قال سعدي المفتي: كان استدعاء الملك يوسف أولاً بسبب علم الرؤيا فلذلك قال ائتوني

به فقط فلما فعل يوسف ما فعل وظهرت أمانته وصبره وهمته وجودة نظره وتأنيه في عدم التسرع إليه بأول طلب عظمت منزلته عنده وطلبه ثانياً بقوله ائتوني به أستخلصه لنفسي. ﴿فلما كلمه﴾ أي: فأتوا به فلما كلمه يوسف إثر ما أتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد من الرشد والدهاء وهو جودة الرأي ﴿قال﴾ له أيها الصديق ﴿إنك اليوم لدينا﴾ عندنا وبحضرتنا ﴿مكين﴾ ذو مكانة ومنزلة رفيعة ﴿أمين﴾ مؤتمن على كل شيء واليوم ليس بمعيار لمدة المكانة بل هو آن التكلم والمراد تحديد مبدأهما احترازاً عن احتمال كونهما بعد حين ـ روي ـ أن الرسول أي الساقي جاء إلى يوسف فقال أجب الملك. قال الحافظ:

ماه كنعانئ من مسند مصر آن توشد ... كاه آنست كه بدرود كنى زندانرا

قال المولى الجامي:

شب يوسف بكذشت از درازى ... طلوع صبح كردش كار سازى
چو شد كوه كران بر جانش اندوه ... بر آمد آفتابش از پس كوه

فخرج من السجن وودع أهل السجن ودعا لهم وقال لهم أعطف قلوب الصالحين عليهم ولا تستر لأخبار عنهم فمن ثم تقع الأخبار عند أهل السجن قبل أن تقع عند عامة الناس وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى، وقبور الأحياء، وشماتة الأعداء، وتجربة الأصدقاء، ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثياباً جدداً [در تيسير آورده كه ملك هفتاد حاجب را باهفتاد مركب آراسته با تاج ولباس ملكوانه بزندان فرستاد]

چو يوسف شد سوى خسرو روانه ... بخلعتهاى خاص خسروانه
فراز مركبي از پاي تا فرق ... چو كوهى كشته دردرو كهر غرق
بهر جا طبلهاى مشك و عنبر ... زهر سو بدرهاى زر وكوهر
براه مركب او مى فشاندند ... كدا را از كدايى مى رهاندند

[وچون نزديك ملك رسيد اورا احترام تمام نموده استقبال فرمود]

زقرب مقدمش شه چون خبر يافت ... باستقبال أو چون بخت بشتافت
كشيدش دركنار خويشتن تنك ... چو سرو كلرخ وشمشاد كلرنك
به پهلوى خودش بر تخت بنشاند ... به پر سشهاى خوش با او سخن راند

ـ روي ـ أنه لما دخل على الملك قال اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية وكان يوسف يتكلم باثنين وسبعين لساناً فلم يفهمها الملك فقال: ما هذا اللسان؟ قال: لسان آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ثم كلمه بالعربية فلم يفهمها الملك فقال: ما هذا اللسان؟ قال: لسان عمي إسماعيل وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه، وفيه إشارة إلى حال أهل الكشف مع أهل الحجاب فإن أصحاب الحقيقة، يتكلمونَ في كل مرتبة شريعة كانت أو طريقة أو معرفة أو حقيقة وأما أرباب الظاهر فلا قدرة لهم على التكلم إلا في مرتبة الشريعة وعلمان خير من علم واحد، وقال الملك: أيها الصديق إني أحب أن أسمع رؤياي منك فحكاها فعبرها يوسف على وجه بديع وأجاب لكل ما سأل بأسلوب عجيب:

جوابي دلكشن ومطبوع كفتش ... چنان كامدازان كفتن شكفتش

وفي الآية إشارتان. الأولى أن الروح يسعى في خلاص القلب من سجن صفات البشرية

ليكون خالصاً له في كشف حقائق الأشياء ولم يعلم أنه خلق لصلاح جميع رعايا مملكته روحانية وجسمانية كما قال عليه السلام: «إن في جسد ابن آدم لمضغة إذا صلحت صلح بها سائر الجسد وإذا فسدت فسد بها سائر الجسد ألا وهي القلب». والثانية: أن الله استحسن من الملك إحسانه مع يوسف واستخلاصه من السجن فأحسن إليه بأن رزقه الإيمان واستخلصه من سجن الكفر والجهل وجعله خالصاً لحضرته بالعبودية وترك الدنيا وزخارفها وطلب الآخرة ودرجاتها.

قال مجاهد: أسلم الملك على يده وجمع كثير من الناس لأنه كان مبعوثاً إلى القوم الذين كان بين أظهرهم.

يقول الفقير أيده الله القدير: إذا كان الإحسان إلى يوسف والإكرام له سبباً للإيمان والعرفان فما ظنك بمن آسى رسول الله ﷺ وذب عنه ما دام حياً وهو عمه أبو طالب فالأصح أنه ممن أحياه الله للإيمان كما سبق في الجلد الأول.

واعلم: أن اللطف والكرم من آثار السعادة الأزلية فلو صدر من الكافر يرجى أن ذلك يدعوه إلى الإيمان والتوحيد ويصير عاقبته إلى الفلاح والنجاح ولو صدر من أهل الإنكار أداه إلى الاستسعاد بسعادة التوفيق الخاص كما لا يخفى على أهل المشاهدة.

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾

﴿قال﴾ يوسف ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ أي أرض مصر فاللام للعهد، أي ولني أمرها من الإيراد والصرف [يعني مرا بر آنچه حاصل ولايت مصر باشد از نقود واطعمه خازن كردان] ﴿إني حفيظ﴾ لها عمن لا يستحقها ﴿عليم﴾ بوجوه التصرف فيها.

وذلك أنه لما عبر رؤيا الملك وأخبر بإتيان السنين المجدبة قال له: فما ترى يا يوسف؟ قال: تزرع زرعاً كثيراً وتأخذ من الناس خمس زروعهم في السنين المخصبة وتدخر الجميع في سنبله فيكفيك وأهل مصر مدة السنين المجدبة.

وفي «بحر العلوم» قال له: من حقك أن تجمع الطعام في الأهراء فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك، فقال الملك: ومن لي بذاك فقال ﴿اجعلني﴾ الآية.

ولى هركاررا بايد كفيلى — كه از دانش بود باوى دليلى
بدانش غايت آن كار داند — چو داند كاررا كردن تواند
زهر چيزى كه در عالم توان يافت — چو من دانا كفيلي كم توان يافت
بمن تفويض كن تدبير اين كار — كه نابد ديكرى چون من بدايدار

وذلك لأنه علم في الرؤيا التي رآها الملك أن الناس يصيبهم القحط فخاف عليهم القحط والتلف، فأحب أن تكون يداه على الخزانة ليعينهم وقت الحاجة شفقة على عباد الله وهي من أخلاق الخلفاء، وكانت خدمته معجزة لفراعنة مصر ولهذا قال فرعون زمانه حين بنى الفيوم له: هذا من ملكوت السماء، وهو أول من دون الدفاتر وعين علوم الحساب والهندسة بأنواع الأقلام والحروف.

وفي الآية: دليل على جواز طلب الولاية إذا كان الطالب ممن يقدر على إقامة العدل وإجراء أحكام الشريعة.

قال العلماء: سؤال تولية الأوقاف مكروه كسؤال تولية الأمارة والقضاء - روي - أن قوماً جاؤوا إلى النبي عليه السلام فسألوه ولاية فقال: «إنا لن نستعمل على عملنا من أراده» وذلك لأن الله تعالى يعين المجبور ويسدده ويكل الطالب إلى نفسه، والولاية أمور ثقيلة فلا يقدر الإنسان على رعاية حقوقها وإذا تعين أحد للقضاء أو الأمارة أو نحوهما لزمه القبول، لأنها من فروض الكفاية فلا يجوز إهمالها ويوسف عليه السلام كان أصلح من يقوم بما ذكر من التدبير في ذلك الوقت فاقتضت الحال تقلده وتطلبه إصلاحاً للعالم.

وفي الآية دلالة أيضاً على جواز التقلد من يد الكافر والسلطان الجائر، إذا علم إنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الباطل وإقامة الحق إلا بالاستظهار به وتمكينه، وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه - وحكى - الشيخ العلامة ابن الشحنة: أن تيمورلنك ذكروا عنه كان يتعنت على العلماء في الأسئلة، ويجعل ذلك سبباً لقتلهم وتعذيبهم مثل الحجاج، فلما دخل حلب فتحها عنوة وقتل وأسر كثيراً من المسلمين وصعد نواب المملكة وسائر الخواص إلى القلعة وطلب علماءها وقضاتها فحضرنا إليه، وأوقفنا ساعة بين يديه، ثم أمرنا بالجلوس فقال لمقدم أهل العلم عنده وهو المولى عبد الجبار ابن العلامة نعمان الدين الحنفي، قل لهم: إني سائلهم عن مسألة سألت عنها علماء سمرقند وبخارى وهراة وسائر البلاد التي افتتحتها ولم يفصحوا عن الجواب، فلا تكونوا مثلهم ولا يجاوبني إلا أعلمكم وأفضلكم وليعرف ما يتكلم به فقال لي عبد الجبار: سلطاننا يقول: بالأمس قتل منا ومنكم فمن الشهيد قتيلنا أم قتيلكم؟ ففتح الله عليّ بجواب حسن بديع فقلت جاء أعرابي إلى النبي عليه السلام، فقال «الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله» ومن قتل منا ومنكم لإعلاء كلمة الله فهو الشهيد فقال تيمورلنك: «خوب خوب» وقال عبد الجبار: ما أحسن ما قلت وانفتح باب المؤانسة فتكررت الأسئلة والأجوبة وكان آخر ما سأل عنه ما تقولون في علي ومعاوية ويزيد فقلت: لا شك أن الحق كان مع علي وليس معاوية من الخلفاء، فقال: قل عليّ على الحق ومعاوية ظالم، ويزيد فاسق قلت: قال صاحت الهداية يجوز تقليد القضاء من ولاة الجور فإن كثيراً من الصحابة والتابعين تقلدوا القضاء من معاوية وكان الحق مع على في توبته فسر لذلك، وأحسن إلينا وإلى من يتعلق بنا في البلدة - وروي - أن الملك لما عين يوسف عليه السلام لأمر الخزائن توفي قطفير في تلك الليالي كما قال المولى الجامي:

چو يوسف را خدا داد اين بلندي بقدر اين بلندي ار جمندي
عزيز مصررا دولت زبون كشت لو أي حشمت أو سر نكون كشت
دلش طاقت نياورد اين خلل را بزودي شد هدف تير اجل را
زليخا روى در ديوار غم كرد زبار هجر يوسف پشت خم كرد
نه از جاي عزيزش خانه آباد نه ازاندوه يوسف خاطر آزاد
فلك كو دير مهر وتيز كين است درين حرمان سرا كاروى اينست
يكى را بركشد چون خور بافلاك يكى را افكند چون سايه برخاك
خوش آن دانا بهر كارى وبارى كه از كارش بكيرد اعتباري
نه از اقبال او كردن فرازد نه از ادبار او جانش كدازد

ـ حكي ـ أن زليخا بعد ما توفي قطفير انقطعت عن كل شيء وسكنت في خرابة من خرابات مصر سنين كثيرة، وكانت لها جواهر كثيرة جمعت في زمان زوجها، فإذا سمعت من واحد خبر يوسف أو اسمه بذلت منها محبة له حتى نفدت ولم يبق لها شيء.

وقال بعضهم: أصاب زليخا ما أصاب الناس من الضر والجوع في أيام القحط فباعت حليها وحللها وجميع ما كانت تملكه وذهب نعمتها وبكت بكاء الشوق ليوسف وهرمت.

جواني تيره كشت از چرخ پيرش برنك شير شد موى چو قيرش
بر آمد صبح وشب هنكامه بر چيد بمشكستان او كافور باريد
به پشت خم آزان بودي سرش پيش كهجستى كم شده مايهٔ خويش

ثم لما غيرها الجهد واشتد حالها بمقاساة شدائد الخلوة في تلك الخرابة اتخذت لنفسها بيتاً من القصب على قارعة الطريق التي هي ممر يوسف، وكان يوسف يركب في بعض الأحيان وله فرس يسمع صهيله على ميلين، ولا يصهل إلا وقت الركوب فيعلم الناس أنه قد ركب فتقف زليخا على قارعة الطريق، فإذا مرَّ بها يوسف تناديه بأعلى صوتها فلا يسمع لكثرة اختلاط الأصوات:

زبس بر كوشها ميزد زهرجا صهيل مركبان باد پيما
زبس بر آسمان ميشد زهر سوى نفير چاوشان طرقوا كوى
كس از غوغا بحال اونيفتاد بحالي شدكه اوراكس مبيناد
چو كردى كوش آن حيران ومهجور زچاووشان صداي دور شودور
زدي افغان كه من عمريست دورم بصد محنت دران دوري صبورم
زجانان تا بكى مهجور باشم همان بهتركه از خود دور باشم
بكفتى اين وبيهوش اوفتادى زخود كرده فراموش او فتادى

فأقبلت يوماً على صنمها الذي كانت تعبده ولا تفارقه، وقالت له تباً لك ولمن يسجد لك أما ترحم كبري وعماي، وفقري، وضعفي في قواي فأنا اليوم كافرة بك

بكفت اين را بزد برسنك خاره خليل آسا شكستش پاره پاره
تضرع كرد ورو بر خاك ماليد بدركاه خداي پاك ناليد
اكر رودربست آوردم خدايا بآن بر خود جفا كردم خدايا
بلطف خود جفاي من بيامرز خطا كردم خطاي من بيامرز
زپس راه خطا پيمايى از من ستاندي كوهر بينايى ازمن
چو آن كرد خطا از من فشاندي بمن ده باز آنچه از من ستاندي
بود دل فارغ ازداغ تأسف بچنيم لا لهٔ ازباغ يوسف

فآمنت برب يوسف وصارت تذكر الله تعالى صباحاً ومساء، فركب يوسف يوماً بعد ذلك فلما صهل فرسه علم الناس أنه ركب، فاجتمعوا لمطالعة جماله ورؤية احتشامه، فسمعت زليخا الصهيل فخرجت من بيت القصب فلما مرَّ بها يوسف نادت بأعلى صوتها سبحان من جعل الملوك عبيداً بالمعصية، وجعل العبيد ملوكاً بالطاعة، فأمر الله تعالى الريح فألقت كلامها في مسامع يوسف فأثر فيه فبكى، ثم التفت فرآها فقال لغلامه اقضِ لهذه المرأة حاجتها فقال لها: ما حاجتك قالت: إن حاجتي لا يقضيها إلا يوسف فحملها إلى دار يوسف فلما رجع

يوسف إلى قصر نزع ثياب الملك، ولبس مدرعة من الشعر وجلس في بيت عبادته يذكر الله تعالى فذكر العجوز ودعا بالغلام وقال له: ما فعلت العجوز؟ فقال: إنها زعمت إن حاجتها لا يقضيها غيرك فقال ائتني بها فأحضرها بين يديه، فسلمت عليه وهو منكس الرأس فرق لها، ورد عليها السلام وقال لها: يا عجوز إني سمعت منك كلاماً فأعيديه فقالت: إني قلت سبحان من جعل العبيد ملوكاً بالطاعة، وجعل الملوك عبيداً بالمعصية فقال: نعم ما قلت، فما حاجتك؟ قالت يا يوسف ما أسرع ما نسيتني فقال من أنت؟ وما لي بك معرفة.

بكفت آنم كه چون روى تودیدم ترا از جملهٔ عالم بر كزيدم
فشاندم كنج وكوهر در بهايت دل وجان وقف كردم درهوايت
جواني درغمت بر باد دادم بدين پيرى كه مي بيني فتادم
كرفتي شاهد ملك اندر آغوش مرا يكبار تو كردى فراموش

أما أنا زليخا، فقال: يوسف لا إله إلا الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت، وأنت بعد في الدنيا يا رأس الفتنة وأساس البلية، فقالت: يا يوسف أبخلت عليّ بحياة الدنيا، فبكى يوسف وقال ما صنع حسنك وجمالك ومالك، قالت ذهب به الذي أخرجك من السجن وأورثك هذا الملك، فقال لها: ما حاجتك قالت: أو تفعل؟ قال: نعم وحق شيبة إبراهيم، فقالت لي ثلاث حوائج الأولى والثانية: أن تسأل الله أن يرد عليّ بصري وشبابي وجمالي، فإني بكيت عليك حتى ذهب بصري ونحل جسمي فدعا لها يوسف فرد الله عليها بصرها وشبابها وحسنها.

سفيدي شد زمشكين مهره اش دور در آمد در سواد نركسش نور
جواني پيريش را كشت هاله پس از چل سالكي شد هژده ساله

وقال بعضهم: كان عمرها يومئذٍ تسعين سنة، والحاجة الثالثة: أن تتزوجني فسكت يوسف وأطرق رأسه زماناً فأتاه جبريل وقال له يا يوسف ربك يقرأك السلام ويقول لك لا تبخل عليها بما طلبت.

كه ما عجز زليخارا چو ديديم بتو عرض نيازش را شنيديم
دلش ار تيغ نوميدي نخستيم بتو بالاي عرشش عقد بستيم

فتزوج بها، فإنها زوجتك في الدنيا والآخرة.

چو فرمان يافت يوسف از خداوند كه بندد با زليخا عقد وپيوند

دعا سلطان مصر وجميع الأشراف وضاف لهم

بقانون خليل ودين يعقوب بر آيين جميل وصورت خوب
زليخارا بعقد خود در آورد بعقد خويش يكتا كوهر آورد

ونزلت عليه الملائكة تهنئة بزواجه بها، وقالوا هناك الله بما أعطاك، فهذا ما وعدك ربك وأنت في الجب فقال يوسف الحمد لله الذي أنعم علي وأحسن إليّ وهو أرحم الراحمين ثم قال إلهي وسيدي أسألك أن تتم هذه النعمة وتريني وجه يعقوب وتقر عينه بالنظر إليّ وتسهل لإخوتي طريقاً إلى الاجتماع بي فإنك سميع الدعاء، وأنت على كل شيء قدير، وأرسلت زليخا إلى بيت الخلوة فاستقبلتها الجواري بأنواع الحلي والحلل فتزينت بها فلما جن الليل ودخل يوسف عليها قال لها: أليس هذا خيراً مما كنت تريدين؟ فقالت: أيها الصديق لا تلمني

فإني كنت امرأة حسناء ناعمة في ملك ودنيا وكان زوجي عنيناً لا يصل إلى النساء وكنت كما جعلك الله في صورتك الحسنة فغلبتني نفسي.

شكيبايي نبود از تو حد من بكش دامان عفوي از بد من
ز جرمي كز كمال عشق خيزد كجا معشوق با عاشق ستيزد

فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء وأصابها وفك الخاتم:

كليد حقه از ياقوت ترساخت كشادش قفل دروي كوهر انداخت

فحملت من يوسف وولدت له ابنين في بطن أحدهما أفراييم والآخر ميشا، وكانا كالشمس والقمر في الحسن والبهاء وباهى الله بحسنهما ملائكة السموات السبع، وأحب يوسف زليخا حباً شديداً وتحول عشق زليخا وحبها الأول إليه حتى لم يبق له بدونها قرار.

چو صدقش بود بيرون از نهايت در آخر كرد بر يوسف سرايت

وحول الله تعالى عشق زليخا المجازي إلى العشق الحقيقي، فجعل ميلها إلى الطاعة والعبادة وراودها يوسف يوماً ففررت منه فتبعها وقد قميصها من دبر فقالت، فإن قددت قميصك من قبل فقد قددت قميصي الآن فهذا بذاك.

درين كار ازتفاوت بي هراسيم به پيراهن درى رأساً برأسيم
چو يوسف روى او در بندكى ديد وزان نيت دلش را زندكى ديد
بنام او ز زر كاشانهٔ ساخت نه كاشانه عبادت خانهٔ ساخت

ووضع في البيت الذي بناه سريراً مرصعاً بالجواهر فأخذ بيدها وأجلسها عليه وقال:

درو بنشين پي شكر خدايي كزو داري بهر مو يى عطايي
توانكر ساختت بعد از فقيري جواني داد بعد از ضعف پيرى
بچشم نور رفته نور دادت وزان بررو در رحمت كشادت
پس از عمرى كه زهر غم چشاندت بتر ياك وصال من رساندت
ز ليخاهم بتوفيق الهي نشسته بر سرير پادشاهى
دران خلوت سرامى بود خرسند بوصل يوسف وفضل خداوند

وسيأتي وفاتهما في آخر السورة فانظر أيها المنصف إن الدنيا ما شغلتهما عن الله تعالى فاستعملا الأعضاء والجوارح في خدمة الله تعالى.

والإشارة: قال يوسف القلب لملك الروح ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ أرض الجسد فإن لله تعالى في كل شيء، وعضو من أعضاء ظاهر الجسد وباطنه خزانة من القهر واللطف فيها نعمة أخرى كالعين فيها نعمة البصر فإن استعملها في رؤية العين، ورؤية الآيات والصنائع فيجد اللطف وينتفع به وإن استعملها في مستلذاتها وشهوات النفس ولم يحفظ نفسه منها فيجد القهر ويضره ذلك فقس الباقي على هذا المثال، ولهذا قال يوسف ﴿إني حفيظ عليم﴾ أي: حافظ نفسي فيها عما يضرها عليم بنفعها وضرها واستعمالها فيما ينفع ولا يضر.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿وكذلك﴾ الكاف منصوبة بالتمكين وذلك إشارة إلى ما أنعم الله به عليه من إنجائه من

غم الحبس وجعل الملك الريان إياه خالصاً لنفسه ﴿مكنا ليوسف﴾ أي: جعلنا له مكاناً ﴿في الأرض﴾ أي أرض مصر وكانت أربعين فرسخاً في أربعين كما في «الإرشاد».

وقال في «المدارك» التمكين الأقدار وأعطاء القدرة.

وفي «تاج المصادر»: مكنه في الأرض بوأه إياها يتعدى بنفسه واللام كنصحته ونصحت له.

وقال أبو علي: يجوز أن يكون على حد ردف لكم ﴿يتبوأ منها﴾ حال من يوسف أي ينزل من بلادها ﴿حيث يشاء﴾ ويتخذه مباءة ومنزلاً وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت سلطانه، فكأنها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله، وفي الحديث: «رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة» وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما انصرمت السنة من يوم سأل الإمارة دعاه الملك فتوجه وختمه بخاتمه وردّاه بسيفه ووضع له سريراً من ذهب مكللاً بالدر والياقوت وطول السرير ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرة أذرع عليه ثلاثون فراشاً فقال يوسف أما السرير فأشدّ به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال الملك فقد وضعته إجلالاً لك وإقراراً بفضلك فجلس على السرير وأتت له الملوك وفوض إليه الملك أمره كما قال المولى الجامي:

چوشاه ازوى بديد اين كار سازى　　بملك مصر دادش سرفرازي

سپه را بندهٔ فرمان او كرد　　زمين را عرصهٔ ميدان او كرد

ونعم ما قيل:

پيرست چرخ واختر بخت تو نوجوان　　آن به كه پير نوبت خود باجوان دهد

وكان يوسف يومئذٍ ابن ثلاثين سنة كما في «التبيان» وأقام العدل في مصر وأحبته الرجال والنساء وأمر أهل كل قرية وبلدة بالاشتغال بالزرع وترك غيره فلم يدعوا مكاناً إلا زرعوه حتى بطون الأودية ورؤوس الجبال مدة سبع سنين وهو يأمرهم أن يدعوه في سنبله فأخذ منهم الخمس وجعله في الإهداء وكذا ما زرعه السلطان ثم أقبلت السنون المجدبة فحبس الله عنهم القطر من السماء والنبات من الأرض حتى لم ينبت لهم حبة واحدة، فاجتمع الناس وجاؤوا له وقالوا له يا يوسف قد فني ما في بيوتنا من الطعام فبعنا مما عندك فأمر يوسف بفتح الإهراء وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام في السنة الأولى بالدراهم والدنانير وفي الثانية بالحلي والجواهر وفي الثالثة بالدواب وفي الرابعة بالعبيد والإماء وفي الخامسة بالضياع والعقار وفي السادسة بأولادهم وفي السابقة برقابهم حتى استرقهم جميعاً فقالوا ما رأينا ملكاً أجل وأعظم منه فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع ربي فيما خولني فما ترى؟ فقال: أرى رأيك ونحن لك فقال إني أشهد الله وأشهدك إني قد اعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم.

قال الكاشفي: [حكمت درين آن بودكه مصريان يوسف را بوقت خريد وفروخت در صورت بندكي ديده بودند قدرت أزلي همه را طوق بندكئ او دركردن نهار تاكسي راكه دربارهٔ او سختى بي أدبانه نرسد] وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بعير تقسيطاً بين الناس وكان لم يشبع مدة القحط مخافة نسيان الجياع. قال السعدي قدس سره:

آنكه در راحت وتنعم زيست اوچه داندكه حال كرسنه چيست
حال درماندكى كسى داند كه باحوال خود فرومانند

﴿نصيب برحمتنا﴾ [ميرسانيم برحمت خود از نعيم ديني ودنيوي وصوري ومعنوي] فالباء للتعدية. ﴿من نشاء﴾ كل من نريد له ذلك لا يمنعنا منه شيء ﴿ولا نضيع أجر المحسنين﴾ عملهم بل نوفيه بكماله في الدنيا والآخرة ـ روي ـ عن سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق، وتلا هذه الآية وفي الحديث: «إن للمحسنين في الجنة منازل حتى المحسن إلى أهله وأتباعه» والإحسان وإن كان يعم أموراً كثيرة ولكن حقيقته المشاهدة والعيان وهي ليست رؤية الصانع بالبصر وهو ظاهر، بل المراد بها حالة تحصل عند الرسوخ في كمال الإعراض عما سوى الله تعالى، وتمام توجهه إلى حضرته بحيث لا يكون في لسانه وقلبه وهمه غير الله تعالى، وسميت هذه الحالة مشاهدة لمشاهدة البصيرة إياه تعالى كما أشار إليها بعض العارفين بقوله:

خيالك في عيني وذكرك في فمي وحبك في قلبي فأين تغيب

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿ولأجر الآخرة﴾ أي: أجرهم في الآخرة فالإضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذي لا نفاد له. ﴿خير﴾ لأنه أفضل في نفسه وأعظم وأدوم ﴿للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ الكفر والفواحش [چون يوسف بإحسان وتقوى ازقعر چاه بتخت وجاه رسيد]

بديني وعقبى كسى قدر يافت كه او جانب صبر وتقوى شتافت

وفي الآية: إشارة إلى أن غير المؤمن المتقي لا نصيب له في الآخرة.

قال بعض العارفين: لو كانت الدنيا ذهباً فانياً والآخرة خزفاً باقياً لكانت الآخرة خيراً من الدنيا فكيف والدنيا خذف فإن والآخرة ذهب باق.

وعن أبي هريرة قال: قلنا يا رسول الله: مم خلق الخلق؟ قال: «من الماء» قلنا: أخبرنا عن بنائها قال: «لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الإذفر وترابها الزعفران وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ومن يدخلها ينعم ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه وإن أهل الجنة ليزدادون كل يوم جمالاً وحسناً كما يزدادون في الدنيا هرماً» ولا بد من الطاعات فإنها بذر الدرجات وأجرة الجنات ـ حكي ـ أن إبراهيم بن أدهم أراد أن يدخل الحمام فمنعه الحمامي أن يدخله بدون الأجرة فبكى إبراهيم وقال إذا لم يؤذن أن أدخل في بيت الشيطان مجاناً فكيف لي بالدخول في بيت النبيين والصديقين.

يقول الفقير: فإن كان المراد ببيت النبيين الجنة، فلا بد في دخولها من صدق الأعمال وإن كان المراد القلب فلا بد في دخوله من صدق الأحوال، وعلى كلا التقديرين لا بد من العبودية لأنها مقتضى الحكمة ولذا قال: ﴿للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ فمن لا عبودية له لم تكن الآخرة عنده خيراً من الدنيا، إذ لو علم خيريتها يقينها لاجتهد في العبودية لله تعالى والامتثال بالأمر والاجتناب عن النهي، وقد جعل الله التصرف في عالم الملك والملكوت في العمل على وفق الشرع وخلاف الطبع إذ فيه المجاهدة التي هي حمل النفس على المكاره وترك الشهوات،

ألا ترى أن يوسف عليه السلام لما خالف الطبع ومقتضاه ونهى النفس عن الهوى ورضي بما قسم المولى وصبر على مقاساة شدائد الجب والسجن والعبودية جعله الله تعالى سلطاناً في أرض مصر، ففسح له في مكانه فكان مكافاة لضيق الجب والسجن وسخر له أهل مصر مجازاة للعبودية وزوجه زليخا بمقابلة كف طبعه عن مقتضاه.

والتقوى لا بد منها لأهل النعمة والمحنة، أما أهل النعمة فتقواهم الشكر لأنه وقاية من الكفران وجنة منه، وأما أهل المحنة فتقواهم الصبر لأنه جنة من الجزع والاضطراب.

فعلى العاقل أن يتمسك بعروة التقوى، فإنها لا انفصام لها، ولها عاقبة حميدة، وأما غيرها من العرى فلها انفصام وانقطاع وليس لها نتيجة مفيدة، كما شوهد مرة بعد أخرى، اللهم أعصمنا من الزلل في طريق الهدى واحفظنا عن متابعة النفس والهوى واجعلنا من الذين عرفوك فوقفوا عند أمرك وتوجهوا إليك فرفضوا علاقة المحبة لغيرك

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿وجاء إخوة يوسف﴾ [آورده اندكه اثر قحط بكنعان وبلاد شام رسيده كار بر أولاد يعقوب تنك كرديد وكفتند أي پدر درشهر مصر ملكيست كه همه قحط زدكانرا مى نوازد وكار غرباً وأبناء سبيل بد لخواه ايشان مي سازد]

زاحسانش آسوده بر ناوپير وزوكشته خوش دل غريب وفقير
ببخشش زابر بهارى فزون صفات كمالش زغايت برون

[اكر فرمايى برويم وطعامي جهت كرسنكان كنعان بياريم يعقوب أجازت فرمود وبنيامين را جهت خدمت خود باز كرفت وده فرزند ديكر هريك باشترى وبضاعتي كه داشتند روى براه آوردند ويك شترجهت بنيامين بابضاعت او همراه بردند] وقال بعضهم: لما أجدبت بلاد الشام وغلت أسعارها جمع يعقوب بنيه وقال لهم يا بني أما ترون ما نحن فيه من القحط فقالوا: يا أبانا وما حيلتنا؟ قال: اذهبوا إلى مصر واشتروا منها طعاماً من العزيز قالوا: يا نبي الله كيف يطيب قلبك ترسلنا إلى فراعنة الأرض وأنت تعلم عدواتهم لنا ولا نأمن أن ينالنا منهم شر، وكانت تسمى أرض مصر بأرض الجبابرة لزيادة الظلم والجور فقال لهم يا بني قد بلغني إنه ولي أهل مصر ملك عادل فاذهبوا إليه واقرئوه مني السلام فإنه يقضي حاجتكم ثم جهز أولاده العشرة وأرسلهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وجاء إخوة يوسف﴾ أي: ممتارين قالوا: لما دنا ملاقاة يعقوب بيوسف وتحول الحال من الفرقة إلى الوصلة ومن الألم إلى الراحة ابتلى الله الخلق ببلاء القحط، ليكون ذلك وسيلة إلى خروج أبناء يعقوب لطلب المعاش وهو إلى المعارفة والمواصلة، وكانت بين كنعان ومصر ثماني مراحل لكن أبهم الله تعالى ليعقوب عليه السلام مكان يوسف ولم يأذن ليوسف في تعريف حاله له إلى مجيء الوقت المسمى عند الله تعالى فجاؤوا بهذا السبب إلى يوسف في مصر. ﴿فدخلوا عليه﴾ أي على يوسف وهو في مجلس حكومته على زينة واحتشام ﴿فعرفهم﴾ في بادىء الرأي وأول النظر لقوة فهمه وعدم مباينة أحوالهم السابقة لحالهم يومئذٍ لمفارقته إياهم وهم رجال وتشابه هيئاتهم وزيهم في الحالين ولكون همته معقودة بهم وبمعرفة أحوالهم لا سيما في زمان القحط، وقد أخبره الله حين ما

ألقاه إخوته في الجب لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون، فعلم بذلك أنهم يدخلون عليه البتة فلذلك كان مترصداً لوصولهم إليه فلما رآهم عرفهم ﴿وهم له منكرون﴾ أي والحال إنهم منكرون ليوسف لطول العهد، لما قال ابن عباس رضي الله عنهما إنه كان بين أن قذفوه في البئر وبين أن دخلوا عليه أربعون سنة، ومفارقته إياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم أنه قد هلك، ولذهابه عن أوهامهم لقلة فكرهم فيه ولبعد حاله التي رأوه عليها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحاً في البئر، مشرياً بدراهم معدودة وقلة تأملهم في حلاه من الهيبة والاستعظام.

وفي «التأويلات النجمية» عرفهم بنور المعرفة والنبوة ﴿وهم له منكرون﴾ لبقاء ظلمة معاصيهم وحرمانهم من نور التوبة والاستغفار ولو عرفوه حق المعرفة ما باعوه بثمن بخس ﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾ أي: أصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج إليه المسافر وأوقر ركائبهم، أي: أثقل بما جاؤوا لأجله من الميرة، وهي بكسر الميم وسون الياء طعام يمتاره الإنسان أي يجلبه من بلد إلى بلد ﴿قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم﴾ [بياريد بمن برادرى كه شماراست ازپدر شما يعني علاتيست نه اعياني] والعلة الضرة وبنو العلات بنو أمهات شتى من رجل لأن الذي تزوجها على الأولى قد كانت قبلها تأهل ثم عل من هذه، وبنو الأعيان إخوة لأب وأم وبنو الأخياف إخوة، أمهم واحدة والأباء شتى، ولم يقل بأخيكم مبالغة في إظهار عدم معرفته لهم فإنه فرق بين مررت بغلامك ومررت بغلام لك، فإنك في التعريف تكون عارفاً بالغلام وفي التنكير أنت جاهل به، ولعله إنما قاله لما قيل من إنهم سألوه حملاً زائداً على المعتاد لبنيامين فأعطاهم ذلك وشرطهم أن يأتوا به ليعلم صدقهم، وكان يوسف يعطي لكل نفس حملاً لا غير تقسيطاً بين الناس.

وقال الكاشفي: [هريك را يك شتر بار كندم دادند كفتنديك شتروار ديكر بجهت برادر ماكه در خدمت پدر است بدهيد يوسف كفت من شمار مردم ميدهم نه بشمار شتر ايشان مبالغه نمودند ﴿قال ائتوني﴾] الآية.

وقال في «بحر العلوم» لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجترأ القول هذه المسألة ـ روي ـ أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما شأنكم فإني أنكركم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيوناً تنظرون عورة بلادي، قالوا: معاذ الله نحن إخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد، قال: فكم أنتم ههنا؟ قالوا: عشرة قال: فأين الآخر الحادي عشر؟ قالوا: عند أبيه ليتسلى به من الهالك، قال فمن يشهد لكم أنكم لستم بعيون وأن الذي تقولون حق؟ قالوا: أنا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد فيشهد لنا، قال: فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني بأخيكم من أبيكم وهو يحمل رسالة من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده ﴿ألا ترون﴾ [ايا نمى بينيد] ﴿أني أوفي الكيل﴾ أتمه لكم.

قال الكاشفي: [من تمام مى بيمايم پيمانه را وحق كسى بازنمى كيرم] ﴿وأنا خير المنزلين﴾ والحال أني في غاية الإحسان وفي إنزالكم وضيافتكم، وقد كان الأمر كذلك [يعني در انزال مهمانان وإكرام وإحسان باايشان دقيقهٔ فرونميكذاريم] ولم يقله عليه السلام بطريق

الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما أمرهم به.

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿فإن لم تأتوني به﴾ [پس اكرنيارد بمن آن برادررا] ﴿فلا كيل لكم عندي﴾ من بعد، أي في المستقبل فضلاً عن إيفائه والمقصود عدم إعطاء الطعام كيلاً ﴿ولا تقربون﴾ بدخول بلادي فضلاً عن الإحسان في الإنزال والضيافة.

قالوا: الله أمره بطلب أخيه ليعظم أجر أبيه على فراقه، وهو إما نهي أو نفي معطوف على الجزاء، كأنه قيل فإن لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا، يعني أنه سواء كان خبراً أو نهياً يكون داخلاً في حكم الجزاء معطوفاً عليه لكن جزمه على الثاني بلا الناهية، وعلى الأول بالعطف على ما هو في محل الجزم.

قال في «الإرشاد» وفيه دليل على أنهم كانوا على نية الامتيار مرة بعد أخرى وأن ذلك كان معلوماً له عليه السلام.

﴿قالوا سنراود عنه أباه﴾ سنخادعه عنه ونحتال في انتزاعه من يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله ﴿وإنا لفاعلون﴾ ذلك غير مفرطين ولا متوانين عبروا بما يدل على الحال تنبيهاً على تحقيق وقوعه كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾﴾ [الذاريات: ٦] وفيه إشارة إلى أن لطائف الحيل وسائل في الوصول إلى المراد وأن الانخداع كما أنه من شأن العامة كذلك هو من شأن خواص العباد بموجب البشرية التي ركبها الله على السوية بين الأفراد [آورده اندكه چهار كس درباغي رفتند بي أجازت مالك وبخوردن ميوه مشغول كشتند. يكى ازان جمله دانشمندي بود. ودوم علوي. وسوم لشكري. وچهارم بازارى خداوند باغ در آمد چون ديدكه دست خيانت دراز كرده اند وميوهٔ بسيار تلف شده باخود انديشه كردكه اكرنه بنوع از فريب ومكر وحيلت درپيش آيم باايشان برنيايم. اول روى بمرد عالم آورد وكفت تومردد انشمندي ومقتداي مايى ومصالح معاش ومعاد ما ببركت اقلام وحركت أقدام شما منوطست وأين بزرك ديكر ازخاندان نبوت وازاهل فتوت است وما ازجملهٔ چاكران خاندان ويم ودوستى ايشان بر ما واجبست چنانكه حق تعالى ميفر مايد ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] واين عزيز ديكر مرد لشكريست وخانمان وجان ما بتيغ بران وسعى وتدبيرايشان آبادان وباقيست شما اكر درباغ من آييد وتمام ميوها بمصلحت خود صرف كنيد جان ما وباغ ما فداي شما باد اين مرد بازارى كيست واورا حجت چيست وبچه سبب درباغ من آمده است ودست دراز كرده كريبان وى بكرفت واورا دست بردى تمام نمودكه آواز پاي در آمد ودست وپايش محكم ببست وبينداخت بعد ازان روى بلشكرى نهاد وكفت من بندهٔ سادات وعلما ام تونداتستهٔ كه من خراج اين باغ بسلطان داده أم اكر سادات وائمه بجان ما حكم فرمايند حاكم باشند أما بكوى كه توكيستى وبچه سبب درباغ من آمدى اورانيز بكرفت وكوشمالي تمام بتقديم رسانيد واورا نيز محكم دربست بعد ازان روى بدانشمند آوردكه همه عالم بندكان ساداتند وحرمت داشتن ايشان برهمه كس واجبست أما توكه مرد عالمي اين قدر ندانى كه درملك ديكران بي أجازت نبايد رفت ومال مسلمانان بغصب نبايد برد جان من وخانمان من فداى سادات بادهر جاهل كه خودرا دانشمند خواند وهيچ نداند درخور تأديب ومستحق تعذيب باشد

اورا نيزتمام بر نجانيد ومقيد كردانيد بعدازان روى بعلوى آورد وكفت اي لا سيد مكار وأي مدعى نابكار أي ننك سادات عظام وأي عاروشين شرفاء كرام بچه سبب درباغ من آمده، وبكدام دل وزهره اين دليرى نموده، رسول فرموده است كه مال امت من بر لا علويان حلالست اورانيز أدب بليغ بتقديم رسانيد ومحكم دست وپاى وى دربست وبلطف حيل هر چاررا تأديب كرد وبهاي ميوه كه خورده بودند ازايشان بستاد وبشفاعت ديكران دست ازايشان بداشت اكر حيله درامور دنيوي نبودي صاحب باغ كه يك تن بود تأديب چهار مرد نتوانستي كرد ومقصود أو بحصول موصول نكشتى] فإذا انقطع أسباب الحيل يلزم حينئذ الغلظة في المعاملة إن اقتضت الحال ذلك وإلايسكت ويسلم

چو دست ازهمه حيلتي دركسست   حلالست بردن بشمشير دست

﴿وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَـٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿وقال﴾ يوسف ﴿لفتيانه﴾ غلمانه الكيالين، أي الموكلين على خدمة الكيل جمع فتى وهو المملوك شاباً كان أو شيخاً. ﴿اجعلوا بضاعتهم في رحالهم﴾ دسوها في جواليقهم وذلك بعد أخذها وقبولها وإعطاء بدلها من الطعام، والبضاعة من البضع بمعنى الشق والقطع لأنها قطعة من المال. والرحل الوعاء ويقال لمنزل الإنسان ومأواه رحل أيضاً، ومنه نسي الماء في رحله، وكل بكل رحل من يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالاً وأدماً وقيل دراهم، فإن مقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الآحاد بالآحاد وإنما فعله عليه السلام تفضلاً عليهم وخوفاً من أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به مرة أخرى ﴿لعلهم يعرفونها﴾ أي: يعرفون حق ردها وحق التكرم بإعطاء البدلين. ﴿إذا انقلبوا﴾ أي: رجعوا ﴿إلى أهلهم﴾ وفتحوا أوعيتهم فالمعرفة مقيدة بالرجوع وتفريغ الأوعية ﴿لعلهم يرجعون﴾ لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا مرة أخرى بأخيهم بنيامين، فإن التفضل عليهم بإعطاء البدلين ولا سيما عند إعادة البضاعة من أقوى الدواعي إلى الرجوع.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿فلما رجعوا﴾ من مصر ﴿إلى أبيهم﴾ في كنعان ﴿قالوا﴾ قبل أن يشتغلوا بفتح المتاع. ﴿يا أبانا منع منا الكيل﴾ مصدر كلت الطعام إذا أعطيته كيلاً ويجوز أن يراد به المكيال أيضاً على طريقة ذكر المحل وإرادة الحال، أي منع ذلك فيما بعد في المستقبل وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتيار مرة بعد أخرى معهوداً فيما بينهم وبينه عليه السلام.

قال الكاشفي: [يعني ملك مصر حكم كردكه ديكر طعام برمانه پيمانند اكر بنيامين را نبريم] وذكروا له إحسانه، وقالوا: إنا قدمنا على خير رجل.نزلنا، وأكرمنا بكرامة لو كان رجلاً من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته وذكروا أنه ارتهن شمعون. ﴿فأرسل معنا أخانا﴾ بنيامين إلى مصر وفيه إيذان بأن مدار المنع عدم كونه معهم ﴿نكتل﴾ بسببه ما نشاء من الطعام من الاكتيال يقال اكتلت عليه، أي: أخذت منه كيلاً ﴿وإنا له لحافظون﴾ من أن يصيبه مكروه ضامنون برده.

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًاۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿قال﴾ يعقوب ﴿هل آمنكم عليه﴾ استفهام في معنى النفي، وآمن فعل مضارع والأمن والائتمان بمعنى وهو بالفارسية [أمين داشتن كسى را]. ﴿إلا كما أمنتكم على أخيه﴾ منصوب على أنه نعت مصدر منصوب أي إلا أمنا كامني إياكم على أخيه يوسف ﴿من قبل﴾ وقد قلتم في حقه ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم، فلا أثق بكم ولا بحفظكم وإنما أفوض الأمر إلى الله تعالى ﴿فالله خير﴾ مني ومنكم ﴿حافظاً﴾ تمييز أو حال، مثل: لله دره فارساً. ﴿وهو أرحم الراحمين﴾ من أهل السموات والأرضين فأرجو أن يرحمني بحفظه، ولا يجمع عليّ مصيبتين، وهذا كما ترى ميل منه إلى الإذن والإرسال لما رأى فيه من المصلحة.

قال كعب: لما قال يعقوب فالله خير حافظاً قال الله تعالى: وعزتي لأردنّ عليك كليهما بعد ما توكلت عليّ فينبغي أن يتوكل على الله ويعتمد على حفظه دون حفظ ما سواه فإن ما سواه محتاج في حفظه إلى الأسباب والآلات والله تعالى غني بالذات مستغن عن الوسائط في كل الأمور وفي جميع الحالات ولذا حفظ يوسف في الجب وكذا دانيال عليه السلام فإن بخت نصر طرحه في الجب وألقى عليه أسدين فلم يضراه، وجعلا يلحسانه ويتبصبصان إليه فأتاه رسول فقال يا دانيال فقال: من أنت؟ قال: أنا رسول ربك إليك أرسلني إليك بطعام فقال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره.

ومن حفظه تعالى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ إذا أراد الحاجة أبعد فذهب يوماً تحت شجرة فنزع خفيه قال ولبس أحدهما فجاء طائر فأخذ الخف الآخر فحلق به في السماء فانفلت منه أسود سالخ وهو نوع من الأفعوان شديد السواد وسمي بذلك لأنه يسلخ جلده كل عام فقال النبي عليه السلام: «هذه كرامة أكرمني الله بها اللهم إني أعوذ بك من شر من يمشي على رجلين ومن شر من يمشي على أربع ومن شر من يمشي على بطنه».

ومن لطائف الأخبار ما ذكر في «أنيس الوحدة» بالفارسية: [مردى رازنى بود صاحب جمال واوازغايت غيرت كه از لوازم محبت است طاقتي نداشتى كه باد بر سر زلف أو كذر يا فتى يا آفتاب جهان تاب دروى تافتي:

بادرا كر خبر ازغيرت عاشق بودي بر سر سنبل زلفش نكذشتى ازبيم

أطراف وجوانب خانه چنان محفوظ ومضبوط كردانيده كه ازنظر غير دائماً مصون ومستور بودي زن چون روزي چند دران خانهٔ ضيق بماند بتنك آمد شوهر را كفت مراتا اين غايت چرادر بند ميدارى:

در قفص طلبد هر كجا كرفتاريست

پيش ازين مرا كرفتار مدارزن اكر بد كار ونابكار باشد هيچ افريده اورا نكاه نتواند داشت وندارد واكر پارسا وعفيفه ونيكو كار باشد سر بهركه درجهان بلكه بماه آسمان فرونيارد ازين بندو حبس دست بدار ومرا بامستورى من سپاركه عفت من مرا حافظي بي مثل ورافبي بي نظيرست ازين نوع چند انكه كفت درنكرفت بلكه در محافظت أو بيشترمى كوشيد زن خواست

که اورا برهاني نمايد در جوار اوزالي بودکه کاه کاهي ازشکاف دربا اوسخن کفتي روزي اورابخواند وبجواني که دران همسايه بود پيغام فرستاد وکفت مدتي است تادر عشق کرفتارم وبى تو عاشق زارم وخواهان دولت مواصلت وآرزومند سعادت ملاقات زال تبليغ رسالت کرد جوان چون وصف حسن وجمال اوشنيده بود ازشادى در طرب واهتزاز آمد واز مسرت وابتهاج در هواى عشق جون باز بپرواز جواب فرستاد که:

جانا بزبان من سخن ميکويى باخود سخن از زبان تو ميکويى
کيست آنکس که نخوهدکه توجانش باشى

من بعد در سراين کارم وعشق ترا بجان خريدار أما شوهر مردي عظيم غيورست وتمناي وصالت انديشهٔ دور کفت

راه وصل ما بپاى عاشقان کر ترا رغبت بود کامى بود

مصلحت آنست که بعزم سفر آوازه دراندازى وصندوقي بزرك بسازى وبشوهر من فرستي که بسفر ميروم وصندوقي پر ازمتاع دارم وبجز ازتو بهيچ کس اعتماد ندارم ميخواهم که بخانهٔ ثو آرم وبامانت بسپارم اکر قبول کنى لطفي بموقع خود بود ورهين منت کردم اورا وداع کنى وبروى وبعد ازان درين صندوق روى وغلامت بخانهٔ ما آرد وهرکاه که شوهرم بيرون رود

تو ز صندوق خويش بيرون آي وز جمالم هميشه مى آساي

جوانرا اين تدبير خوش آمد وبران موجب کار پيش کرفت چون صندوق را بخانهٔ آن فرستاد وموضعي معين کرد که صندوق بنهد زن پيش شوهر آمد وکفت اين چيست وصندوق کيست شوهر حال بازفکت زن کفت ميدانيکه در صندوق چيست کفت نمى دانم کفت از عقل دور باشدکه صندوقي مقفل بخانه آرى ونداني‌که درانجا چيست اکر فردا خصم بيايد وکويد درابحا أنواع جواهر ولآلى بود وخلاف آن باشد چون از عهدهٔ آن بيرون آبى صواب آن باشد که يکى را ازخانهٔ او بيارى وجمعي از محلت حاضر کر داني تاسر صندوق بکشايند وهرچه در آنجا باشد بنمايند تادر وقت مطالبت أمانت طرق قيل وقال مسدود باشد مرد چون سخن مقبول شنيد صلاح درين ديد غلام آن مرد وجماعتي چند حاضر کردانيد وسر صندوق بکشادند وجوانرا ديدند در آنجا چون مغزدر پسته نشسته وازغايت خجالت وشر مسارى زبان نطق بسته شوهر زن صاحب جمال نيك متحير ومتغير شد زن کفت أي خواجه اين جوانرا هيچ کناهى نيست اين کار منست وپيشهٔ من غرض آن بودکه چون پيوسته مرا مقيد ومعذب ميداشتى خواستم که باتو نمايم که زنانر هرکز نکاه نتوان داشت زن بايدکه خود مستور ونيك نام بود اکرچه از آنچه احتراز ميکردي مرا بدان ميل والتفاتي بودي يانه عفت من مانع آن حالت کشتى تو بدست خود يارى آورده بودي أما غرض من نمودن بر هانست واظهار عفت خود اکنون مرا باعفت خود سپار ودست از محافظت ومراقبت من بدار مرد چون آن حال مشاهده کرد دست ازرعايت أو بداشت وبيش ازان اورا مقيد نداشت وبحفظ حق حواله کرد].

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾

﴿ولما فتحوا متاعهم﴾ الذي حملوه من مصر وهو اسم من متع كالكلام والسلام من كلم

وسلم، وهو في الأصل كل ما انتفع به والمراد به هنا أوعية الطعام مجازاً إطلاقاً للكل على بعض مسمياته، ويسمى بعضهم هذا النوع من المجاز أعني إطلاق الكل على البعض حقيقة قاصرة ﴿وجدوا بضاعتهم﴾ [يافتند بضاعت خو دراكه تسليم ملك كرده بودند] ﴿ردت إليهم﴾ تفضلاً وقد علموا ذلك بدلالة الحال، كأنه قيل ماذا قالوا حينئذٍ؟ فقيل: ﴿قالوا﴾ لأبيهم ولعله كان حاضراً عند الفتح كما في «الإرشاد» ويؤيده ما في القصص من أن يعقوب قال لهم: يا بني قدموا أحمالكم لأدعو لكم فيها بالبركة فقدموا أحمالهم وفتحوها بين يديه فرأوا بضاعتهم في رؤوس أحمالهم فقالوا عند ذلك ﴿يا أبانا ما نبغي﴾ ما استفهامية منصوبة بنبغي وهو من البغي بمعنى الطلب أي أي شيء نطلب وراء هذا من الإحسان. ﴿هذه بضاعتنا﴾ [اينست بضاعت ماكه غله بدين بضاعت بما فروخته اند] ﴿ردت إلينا﴾ أي: حال كونها مردودة إلينا تفضلاً من حيث لا ندري بعد ما من علينا بالمنن العظام هل من مزيد على هذا فنطلبه أرادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لأمره والالتجاء إليه في استجلاب المزيد ﴿ونمير أهلنا﴾ أي نجلب إليهم الطعام من عند الملك، وهو معطوف على مقدر أي ردت إلينا فنستظهر بها ونمير أهلنا في رجوعنا إلى الملك يقال مار أهله يميرهم ميرا إذا أتاهم بالميرة وهي الطعام المجلوب من بلد إلى بلد ومثله امتار. ﴿ونحفظ أخانا﴾ من الجوع والعطش وسائر المكاره ﴿ونزداد﴾ [وزياده بستانيم بواسطهٔ او] ﴿كيل بعير﴾ أي حمل بعير يكال لنا من أجل أخينا لأنه كان يعطي باسم كل رجل حمل بعير كأنه قيل أي حاجة إلى الازدياد فقيل: ﴿ذلك﴾ أي: ما يحمله أباعرنا ﴿كيل يسير﴾ أي: مكيل قليل لا يقوم بأودنا أي قوتنا.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿قال﴾ أبوهم ﴿لن أرسله معكم﴾ بعد ما عاينت منكم ما عاينت ﴿حتى تؤتون﴾ [تابدهيد مرا] ﴿موثقاً من الله﴾ أي عهداً موثوقاً به أي معتمداً مؤكداً بالحلف وذكر الله، وهو مصدر ميمي بمعنى الثقة استعمل في الآية بمعنى اسم المفعول أي الموثوق به، وإنما جعله موثقاً منه تعالى لأن توكيد العهود به مأذون فيه من جهته تعالى فهو إذن منه تعالى ﴿لتأتنني به﴾ جواب القسم إذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به في كل الأوقات ﴿إلا أن يحاط بكم﴾ إلا وقت الإحاطة بكم وكونهم محاطاً بهم إما كناية عن كونهم مغلوبين مقهورين بحيث لا يقدرون على إتيانه البتة أو عن هلاكهم وموتهم جميعاً وأصله من العدو فإن من أحاط به العدو يصير مغلوباً عاجزاً عن تنفيذ مراده أو هالكاً بالكلية، ولقد صدقت هذه القصة المثل السائر وهو قولهم البلاء موكل بالمنطق فإن يعقوب عليه السلام قال أولاً في حق يوسف ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٣] فابتلي من ناحية هذا القول حيث قالوا أكله الذئب وقال ههنا ﴿لتأتنني به إلا أن يحاط بكم﴾ فابتلي أيضاً بذلك وأحيط بهم وغلبوا عليه كما سيأتي.

قال الكاشفي: [درتبيان فرموده كه اورا بشما ندهم تا سوكند خوريد بحق محمد ﷺ خاتم النبيين وسيد المرسلين ايشان قبول نموده بمنزلت حضرت پيغمبر ما سوكند خوردند كه درمهم بنيامين غدر نكنند]. ﴿فلما آتوه موثقهم﴾ عهدهم من الله حسبما أراد يعقوب ﴿قال الله على ما نقول وكيل﴾ أي على ما قلنا في أثناء طلب الموثق وإيتائه من الجانبين وكيل مطلع رقيب يريد به عرض ثقته بالله وحثهم على مراعاة ميثاقهم.

وفيه إشارة إلى أن التوكل بعد التوكيد كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وفي «الكواشي» في قول يعقوب ﴿لن أرسله معكم﴾ الآية دليل على جواز التعلق بالأسباب الظاهرة مع صحة التوكل. وفي «المثنوي»:

كر توكل ميكنى در كار كن كشت كن پس تكيه برجبا ركن

فينبغي للإنسان أن يجمع بين رعاية الأسباب المعتبرة في هذا العالم وبين أن لا يعتمد عليها وأن لا يراعيها إلا لمحض التعبد، بل بربط قلبه بالله وبتقديره ويعتمد عليه وعلى تدبيره، ويقطع رجاه عن كل شيء سواه وليس الشأن أن لا تترك السبب بل الشأن أن تترك السبب، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية لأن التجريد حال الآخذ من الله بلا واسطة فالمتجرد في هذه الحالة كمن خلع عليه الملك خلعة الرضى فجعل يتشوف لسياسة الدواب.

قال بعض المشايخ مثل المتجرد والمتسبب كعبدين للملك قال لأحدهما اعمل وكل من عمل يدك، وقال للآخر الزم أنت حضرتي وأنا أقوم لك بقسمتي فمتى خرج واحد منهما عن مراد السيد منه فقد أساء الأدب وتعرض لأسباب المقت والعطب والأسباب على أنواع.

فقد قيل: من وقع في مكان بحيث لم يقدر على الطعام والشراب فاشتغل باسم الصمد كفاه والصمدية هي الاستغناء عن الأكل والشرب.

وعن بعضهم أنه سافر للحج على قدم التجريد وعاهد الله سبحانه أن لا يسأل أحداً شيئاً فلما كان في بعض الطريق مكث مدة لا يفتح عليه شيء فعجز عن المشيء ثم قال هذا حال ضرورة تؤدي إلى تهلكة بسبب الضعف المؤدي إلى الانقطاع، وقد نهى الله عن الإلقاء إلى التهلكة ثم عزم على السؤال فلما همّ بذلك انبعث من خاطره رده عن ذلك العزم ثم قال أموت ولا انقض عهداً بيني وبين الله تعالى، فمرت القافلة وانقطع واستقبل القبلة مضجعاً، ينتظر الموت فبينما هو كذلك إذا هو بفارس قائم على رأسه معه إداوة فسقاه وأزال ما به من الضرورة فقال له أتريد القافلة؟ فقال: وأين مني القافلة؟ فقال قم وسار معه خطوات ثم قال قف هنا والقافلة تأتيك فوقف وإذا بالقافلة مقبلة من خلفه فانظر إن البقاء فرع الفناء، فما دام لم يحصل للمرء الفناء عن الوجود لم يجد البقاء من الله ذي الفيض والجود:

يكجو از خر من هستي نتواند برداشت هركه در كوى فنا درره حق دانه نكشت

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿وقال﴾ يعقوب ناصحاً لبنيه لما ازمع على إرسالهم جميعاً ﴿يا بني لا تدخلوا﴾ مصر ﴿من باب واحد﴾ وكان لها أربعة أبواب ﴿وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ أي: من طرق شتى وسكك مختلفة مخافة العين فإن العين والسحر حق، أي كائن أثرهما في المعين والمسحور، وصاهم بذلك في هذه الكرة لأنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة مشتهرين في مصر بالقربة عند الملك فخاف عليهم إن دخلوا جماعة واحدة أن يصابوا بالعين ولم يوصهم في الكرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين حينئذٍ مغمورين بين الناس غير متجملين تجملهم في الثانية، وكان الداعي إليها خوفه على بنيامين [در لطائف آورده كه يعقوب در اول مهر پدري پيداكرد وآخر عجز

بندكي آشكار كرد كه كفت] ﴿وما أغني عنكم﴾ أي: لا أنفعكم ولا أدفع عنكم بتدبيري ﴿من الله﴾ وقضائه ﴿من﴾ من زائدة لتأكيد النفي ﴿شيء﴾ أي: شيئاً فإن الحذر لا يمنع القدر.

من جهد همي كنم قضا ميكويد   بيرون ز كفايت تو كار دكرست

ولم يرد به الغاء الحذر بالمرة كيف لا وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] وقال: ﴿خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١] بل أراد بيان أن ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة، بل هو تدبير في الجملة وإنما التأثير وترتب المنفعة عليه من العزيز القدير، وأن ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله وهرب منه إليه. ﴿إن الحكم﴾ أي: ما الحكم مطلقاً ﴿إلا لله﴾ لا يشاركه أحد ولا يمانعه شيء فلا يحكم أحد سواه بشيء من السوء وغيره ﴿عليه﴾ لا على أحد سواه ﴿توكلت﴾ في كل ما آتى واذر، وفيه دلالة على أن ترتيب الأسباب غير مخل بالتوكل ﴿وعليه﴾ دون غيره ﴿فليتوكل المتوكلون﴾ الفاء لإفادة التسبب فإن فعل الأنبياء سبب لأن يقتدى بهم.

قال سهل بن عبد الله التستري قدس سره للعباد على الله ثلاثة أشياء تكليفهم وآجالهم والقيام بأمرهم، ولله على العباد ثلاثة التوكل عليه واتباع نبيه والصبر على ذلك إلى الموت. ومعنى ذلك أن الثلاثة الأول دخول العبد فيها تكلف إذ لا يتصور وجودها بسبب منه، ولا يجب على الله شيء. والثلاثة الآخر لا بد من قيام العبد بها إذ لا بد من تسببه فيها.

واعلم أنه قد شهدت بإصابة العين تجاريب العلماء من الزمن الأقدم وتطابق ألسنة الأنبياء على حقيتها: قال الكمال الجندي:

عقل باطل شمرد چشم توهر خون كه كند   ظاهراً بي خبر ازنكتهٔ العين حقست

وفي الحديث: «إن العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر» وعن علي رضي الله عنه إن جبريل أتى النبي ﷺ فوافقه مغتماً فقال يا محمد ما هذا الغم الذي أراه في وجهك فقال «الحسن والحسين أصابهما عين» فقال يا محمد صدقت فإن العين حق وتحقيقه أن الشيء لا يعان إلا بعد كماله وكل كامل فإنه يعقبه النقص بقضاء، ولما كان ظهور القضاء بعد العين أضيف ذلك إليها فالتأثير الحاصل عقيبه هو فعل الله على وفق إجراء عادته إذ لا تأثير للعين حقيقة على ما هو مذهب أهل السنة.

وقال بعضهم تأثير المؤثر في غيره لا يجب أن يكون مستنداً إلى القوى الجسمانية بل قد يكون التأثير نفسانياً محضاً، ويدل عليه أن اللوح الذي يكون قليل العرض إذا كان موضوعاً على الأرض يقدر الإنسان على المشي عليه، ولو كان موضوعاً فيما بين جدارين عاليين يعجز عن المشي عليه وما ذلك إلا لأن خوفه من السقوط يوجب سقوطه منه، فعلمنا أن التأثيرات النفسانية موجودة من غير أن يكون للقوى الجسمانية مدخل لها، وأيضاً إذ تصور الإنسان كون فلان مؤذياً له حصل في قلبه غضب يسخن بذلك مزاجه جداً، فمبدأ تلك السخونة ليس إلا ذاك التصور النفساني ولأن مبدأ الحركات البدنية ليس إلا التصورات النفسانية، فلما ثبت أن تصور النفس يوجب تغير بدنه الخاص لم يبعد أيضاً أن يكون بعض النفوس بحيث تتعدى تأثيراتها إلى سائر الأبدان فثبت أنه لا يمتنع في العقل أن يكون بعض النفوس مؤثراً في سائر الأبدان فإن جواهر النفس مختلفة بالماهية فجاز أن يكون بعض النفوس بحيث يؤثر في تغيير بدن حيوان آخر بشرط أن يراه ويتعجب منه.

وقال بعضهم: وجه إصابة العين أن الناظر إذا نظر إلى شيء واستحسنه ولم يرجع إلى الله وإلى رؤية صنعه قد يحدث الله في المنظور علة بجناية نظره على غفلة، ابتلاء من الله لعباده ليقول المحق إنه من الله، وغيره من غيره فيؤاخذ الناظر لكونه سبباً.

وقال بعضهم: صاحب العين إذا شاهد الشيء وأعجب به كانت المصلحة له في تكليفه أن يغير الله ذلك الشيء حتى لا يبقى قلب المكلف متعلقاً به.

وقال بعضهم: لا يستبعد أن ينبعث من عين بعض الناس جواهر لطيفة غير مرئية فتتصل بالمعين فيتضرر بالهلاك والفساد، كما قيل مثل ذلك في بعض الحيات فإن من أنواع الأفاعي ما إذا وقع بصرها على عين إنسان مات من ساعته، والتأثير غير موقوف على الاتصالات الجسمية بل بعضها بالمقابلة والرؤية وبعضها لا يحتاج إلى المقابلة بل يتوجه الروح إليه ونحوه، ومن هذا القبيل شر الحسود المستعاذ منه، حتى قال بعضهم إن بعض العائنين لا يتوقف عينهم على الرؤية بل ربما يكون أعمى فيوصف له الشيء فتؤثر نفسه فيه بالوصف من غير رؤية.

قال القزويني ويختص بعض النفوس من الفطرة بأمر غريب لا يوجب مثله لغيرها، كما ذكر أن في الهند قوماً إذا اهتموا بشيء اعتزلوا عن الناس وصرفوا همتهم إلى ذلك الشيء فيقع على وفق اهتمامهم. ومن هذا القبيل ما ذكر أن السلطان محمود غزا بلاد الهند وكان فيها مدينة كلما قصدها مرض، فسأل عن ذلك فقيل له إن عندهم جمعاً من الهند إذا صرفوا همتهم إلى ذلك يقع المرض على وفق ما اهتموا، فأشار إليه بعض أصحابه بدق الطبول ونفخ البوقات الكثيرة لتشويش همتهم ففعل ذلك فزال المرض واستخلصوا المدينة فهذا تأثير الهمة، وأما تأثير المحبة فقد حكى أن بعض الناس كان يهوى شاباً يلقب ببدر الدين فاتفق أنه توفي ليلة البدر فلما أقبل الليل وتكمل البدر لم يتمالك محبه رؤيته من شدة الحزن وأنشد يخاطب البدر.

شقيقك غيب في لحده ... وتطلع يا بدر من بعده
فهلا خسفت وكان الخسوف ... لباس الحداد على فقده

فخسف القمر من ساعته، فانظر إلى صدق هذه المحبة وتأثيرها في القمر وصدق من قال إن المحبة مغناطيس القلوب، وتأثير الأرواح في الأجسام أمر مشاهد محسوس فالتأثير للأرواح ولشدة ارتباطها بالعين نسبت إليها.

قال بعض الحكماء: ودليل ذلك أن ذوات السموم إذا قتلت بعد لسعها خف أثر لسعها لأن الجسد تكيف بكيفية السم وصار قابلاً للانحراف، فما دامت حية فإن نفسها تمده بامتزاج الهواء بنفسها وانتشاق اللمسوع به وهذا مشاهد، ولا أقول إن خاصية قتلها منحصرة فيها فقط بل هي إحدى فوائدها المنقولة عنها، وأصل ذلك كله من إعجاب العائن بالشيء فيتبعه كيفية نفسه الخبيثة فيستعين على تنفيذ سميتها بعينه وقد يعين الرجل نفسَه بغير إرادة منه وهذا أردى ما يكون.

وينبغي أن يعلم أن ذلك لا يختص بالإنس بل قد يكون في الجن أيضاً وقيل عيونهم أنفذ من اسنة الرماح.

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي عليه السلام رأى في بيتها جارية وفي وجهها صفرة فقال: «استرقوا لها فإن بها النظرة» وأراد بها العين أصابتها من الجن.

قال الفقهاء: من عرف بذلك حبسه الإمام وأجرى له النفقة إلى الموت فلما كان أصل ذلك استحسانه.

قال عثمان رضي الله عنه: لما رأى صبياً مليحاً، «دسموا نونته لئلا تصيبه العين» أي سودوا نقرة ذقنه.

قالوا: ومن هذا القبيل نصب عظام الرؤوس في المزارع والكروم ووجهه أن النظر الشؤم يقع عليه أولاً فتنكسر سورته فلا يظهر أثره، وقد جعل الله لكل داء دواء ولكل شي ضداً فالدعوات والأنفاس الطيبة تقابل الأثر الذي حصل من النفوس الخبيثة، والحواس الفاسدة فتزيله ـ وروي ـ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله ﷺ في أول النهار فرأيته شديد الوجع ثم عدت إليه آخر النهار فرأيته معافى فقال «إن جبريل عليه السلام أتاني فرقاني وقال بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن كل عين وحاسد الله يشفيك قال عليه السلام فأفقت» وفيه وفيما ذكر من حديث أم سلمة دلالة على جواز الاسترقاء وعليه عامة العلماء هذا إذا كانت الرقى من القرآن أو الاذكار المعروفة أما الرقى التي لا يعرف معناه فمكروهة.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت له ﷺ «هلا تنشرت» أي تعلمت النشرة وهي الرقية.

قال بعضهم: وفيه دليل على عدم كراهة استعمال النشرة حيث لم ينكر عليه السلام ذلك عليها، وكرهها جمع، واستدلوا بحديث في سنن أبي داود مرفوعاً «النشرة من عمل الشيطان» وحمل ذلك على النشرة التي تصحبها العزائم المشتملة على الأسماء التي لا تفهم كما قال المطرزي في «المغرب» إنما تكره الرقية إذا كانت بغير لسان العرب ولا يدرى ما هو ولعله يدخل فيه سحراً وكفراً.

وأما ما كان من القرآن وشيء من الدعوات فلا بأس به.

وأما تعليق التعويذ وهو الدعاء المجرب أو الآية المجربة أو بعض أسماء الله لدفع البلاء فلا بأس به ولكن ينزعه عند الخلاء والقربان إلى النساء كذا في «التتارخانية» وعند البعض يجوز عدم النزع، إذا كان مستوراً بشيء والأولى النزع. وكان عليه السلام يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما فيقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة فعوذوا بها أولادكم فإن إبراهيم كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق» رواه البخاري في «صحيحه». وكلمات الله كتبه المنزلة على أنبيائه أو صفات الله كالعزة والقدرة وغيرهما وكونها تامة لعرائها عن النقص والانفصام. وكان أحمد بن حنبل يستدل بقوله بكلمات الله التامة على أن القرآن غير مخلوق ويقول إن رسول الله ﷺ لا يستعيذ بمخلوق وما من كلام مخلوق إلا وفيه نقص فالموصوف منه بالتمام غير مخلوق وهو كلام الله تعالى.

يقول الفقير: جاءت الاستعاذة بمخلوق في قول علي رضي الله عنه: إذا كنت بواد تخاف فيه السبع فقل أعوذ بدانيال وبالجب من شر الأسد وذلك أن دانيال لما ابتلى بالسباع كما ذكرناه عند قوله تعالى: ﴿فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين﴾ جعل الله الاستعاذة به في ذلك تمنع شر الذي لا يستطاع كما في «حياة الحيوان».

قال بعضهم: هذا مقام من بقي له التفات إلى غير الله فأما من توغل في بحر التوحيد حيث لا يرى في الوجود إلا الله لم يستعذ إلا بالله ولم يلتجىء إلا إلى الله والنبي عليه السلام لما ترقى عن هذا المقام قال «أعوذ بك منك».

وإلهامه إحدى الهوام وهي حشرات الأرض.

وقال الخطابي: ذوات السموم كالحية والعقرب ونحوهما، وأما حديث ابن عجرة «أيؤذيك هوام رأسك» فالمراد بها القمل على الاستعارة.

واللامة الملمة، من المت به أي نزلت، وجيء على فاعلة ولم يقل ملمة للازدواج بهامة ويجوز أن يكون على ظاهرها بمعنى جامعة للشر على المعيون من لمه يلمه إذا جمعه يقال إن دارك تلم الناس أي تجمعهم.

وفي «الفتوحات المكية» إن التأثير الحاصل من الحروف وأسماء الله تعالى من جنس الكرامات أي إظهار الخواص بالكرامة فإن كل أحد لا يقدر استخراج خواص الأشياء.

وعن عائشة رضي الله عنها يؤمر العائن أن يتوضأ ثم يغتسل منه المعين وهو الذي أصيب بالعين.

وعن الحسن دواء إصابة العين أن تقرأ هذه الآية ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [القلم: ٥١-٥٢] وليس في الباب أنفع من هذه الآية لدفع العين.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي عليه السلام «كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه فقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين فنفث فيهما ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه يفعل ذلك ثلاث مرات» وقد قيل إن ذلك أمان من السحر والعين والهوام وسائر الأمراض والجراحات.

والسنة لمن رأى شيئاً فأعجبه، فخاف عليه العين أن يقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله ثم يبرك عليه تبريكاً، فيقول: بارك الله فيك وعليك.

وذكر أن أعجب ما في الدنيا ثلاثة، البوم لا تظهر بالنهار خوف أن تصيبها لعين لحسنها كما قال في «حياة الحيوان» ولما تصور في نفسها أنها أحسن الحيوان لم تظهر إلا بالليل. والثاني الكركي لا يطأ الأرض بقدميه بل بأحداهما فإذا وطئها لم يعتمد عليها خوف أن تخسف الأرض. والثالث الطائر الذي يقف على سوقه في الماء من الأنهار ويعرف بمالك حزين يشبه الكركي لا يشبع من الماء خشية أن يفنى فيموت عطشاً، ونظيره أن دوداً بطبرستان يكون بالنهار من المثقال إلى الثلاثة يضيء في الليل كضوء الشمع ويطير بالنهار فيرى له أجنحة وهي خضراء ملساء لا جناحين له في الحقيقة غذاؤه التراب لم يشبع قط منه خوفاً من أن يفنى تراب الأرض فيهلك جوعاً.

يقول الفقير: ذلك الطائر وهذا الدود إشارة إلى أهل الحرص والبخل من أهل الثروة فإنهم لا يشبعون من الطعام بل من الخبز خوفاً من نفاد أموالهم مع كثرتها، ونعوذ بالله وقد التقطت إلى هنا من «إنسان العيون» و«شرح المشارق» لابن الملك و«شرح الشرعة» لابن السيد على أنوار المشارق و«شرح الطريقة» لمحمد الكردي و«الأسرار المحمدية» ولغة «المغرب» و«حياة الحيوان» و«شرح الحكم» و«حواشي» ابن الشيخ و«حواشي» سعد المفتي.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿ولما دخلوا﴾ [آن هنكام كه در آمدند اولاد يعقوب] ﴿من حيث أمرهم أبوهم﴾ من الأبواب المتفرقة في البلد والجار والمجرور في موضع الحال، أي دخلوا متفرقين ﴿ما كان يغني عنهم﴾ رأي يعقوب ودخولهم متفرقين ﴿من الله﴾ من جهته تعالى ﴿من شيء﴾ أي: شيئاً مما قضاه عليهم والجملة جواب لما ﴿إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها﴾ حاجة منصوبة بإلا لكونها بمعنى لكن، وقضاها بمعنى أظهرها، ووصى بها خبر لكن، والمعنى أن رأي يعقوب في حق بنيه وهو أن يدخلوا من الأبواب المتفرقة واتباع بنيه له في ذلك الرأي ما كان يدفع عنهم شيئاً مما قضاه الله عليهم، ولكن يعقوب أظهر بذلك الرأي ما في نفسه من الشفقة والاحتراز من أن يعانوا، أي: يصابوا بالعين ووصى به، أي لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطر من غير اعتقاد أن للتدبير تأثيراً في تغيير التقرير، وأما إصابة العين فإنما لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم لا لأنها اندفعت بذلك مع كونها مقتضية عليهم. قال في «المثنوي»:

كرشود ذرات عالم حيله پيچ ... باقضاى آسمان هيچست هيچ
هرچه آيد زآسمان سوى زمين ... نى مقر دارد نه چاهره نه كمين
حيله ها وچارها كز اژ دهاست ... پيش إلا الله إنها جمله لاست

﴿وإنه﴾ أي يعقوب ﴿لذو علم﴾ جليل ﴿لما علمناه﴾ بالوحي ونصب الأدلة ولذلك قال ﴿وما يغني عنكم من الله من شيء﴾ لأن العين لو قدر أن تصيبهم أصابتهم وهم متفرقون كما تصيبهم وهم مجتمعون ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أسرار القدر ويزعمون أن يغني الحذر.

تدبير كند بنده وتدبير نداند ... تقدير خدارند بتدبير نماند

وفي «التأويلات النجمية» ﴿ولكن﴾ أرباب الصورة ﴿لا يعلمون﴾ أن ما يجري على خواص العباد إنما هو بوحينا وإلهامنا وتعليمنا فهم يعلمون بما نأمرهم ونحن نفعل ما نشاء بحكمتنا.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿ولما دخلوا على يوسف﴾ [وآن وقت كه در آمدند اولاد يعقوب بر يوسف ببارگاه او رسيدند يوسف بر تخت نشسته بود ونقاب فرو كذاشته پرسيدكه چه كسانيد كفتند كنعا نيانيم كه مارا فرموده بوديد كه برادر خودرا بياريد اورا ازپدر خواستيم وبعهد وپيمان آورديم] فقال لهم أحسنتم وستجدون ذلك عندي فاجلسوا فجلسوا على حاشية البساط فأكرمهم ثم أضافهم واجلسهم مثنى مثنى أي كل اثنين منهم على قصعة.

وفي «التبيان» على خوان.

قال الكاشفي [يوسف فرمودكه هر دو برادر كه ازيك پدر ومادرند بريك خوان طعام خورند هر دو كس بريك خوان بنشستند بنيامين تنها مانده بكريه در آمد وميكريست تابيهوش شد يوسف بفر مود تاكلاب بروى او زدنن چون بهوش آمد پرسيدكه اي جوان كنعاني تراچه شدكه بيهوش شدي كفت أي ملك حكم فرموديدكه هركس بابرادر أعياني طعام خورد مرا برادري ازمادر وپدر بودكه يوسف نام داشت بياد آمد باخود كفتم لو كان أخي يوسف حياً لأجلسني معه از شوق اين حال بي طاقت شدم سبب كريه وبيهو شيء من أين بود كفت بياتاً

من برادر توباشم وبا توبريك خوان نشيم پس بفرمود تا خوان وبرابر داشتند ودرپس پرده آوردند واورانيز طلبيده وبدين بهانه] ﴿آوى إليه﴾ في الطعام ﴿أخاه﴾ بنيامين، وكذا في المنزل والمبيت وأنزل كل اثنين منهم بيتاً ثم قال له: هل تزوجت؟ قال نعم ولي عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم أخ لي هلك.

وفي «القصص» رزقت ثلاثة أولاد ذكور قال فما أسماؤهم؟ قال: اسم أحدهم ذئب، فقال له يوسف أنت ابن نبي فكيف تسمى ولدك بأسماء الوحوش؟ فقال: إن إخوتي لما زعموا أن أخي أكله الذئب سميت ابني ذئباً حتى إذا صحت به ذكرت أخي فأبكي، فبكى يوسف وقال: ما اسم الآخر قال: دم قال ولم سميت بهذا الاسم فقال إخوتي جاؤوا بقميص أخي متضمخاً بالدم، فسميته بذلك حتى إذا صحت به ذكرت أخي يوسف فأبكي فبكى يوسف وقال وما اسم الثالث؟ قال: يوسف سميت به حتى إذا صحت به ذكرت أخي فأبكي، فبكى يوسف وقال في نفسه: إلهي وسيدي هذا أخي أراه بهذا الحزن فكيف يكون حال الشيخ يعقوب، اللهم أجمع بيني وبينه قبل فراق الدنيا ثم قال له: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك، قال: من يجد أخاً مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام إليه وعانقه وتعرف إليه وعند ذلك ﴿قال إني أنا أخوك﴾ يوسف.

قال الكاشفي [يوسف نقاب بسته دست بطعام كردچون بنيامين را نظر بر دست يوسف افتاد بكريست يوسف اورا پرسيدكه اين چه كريه است كفت أي ملك چه ما نندست دست تو بدست برادرم يوسف كه اين كلمه را شنيد طاقتش نماند نقاب ازچهره برداشت وبنيامين را كفت منم برادر تو].

وفي القصص جعل بنيامين يأكل ويغص بأكله ويطيل النظر إلى يوسف فقال له يوسف أراك تطيل النظر إليّ فقال إني أخي الذي أكله الذئب يشبهك فقال له يوسف أنا أخوك ﴿فلا تبتئس﴾ فلا تحزن.

قال في تهذيب المصادر [الابتئاس: اندو هكين شدن] ﴿بما كانوا يعملون﴾ بناء فيما مضى فإن الله قد أحسن إلينا وجمعنا بخير وأمره أن لا يخبرهم بل يخفى الحال عنهم. وفيه تنبيه على أن إخفاء المرام وكتمه مما يستحب في بعض المكان ويعين على تحصيل المقاصد ولذلك ورد في الأثر «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان» وأيضاً في الضيافة المذكورة إشارة إلى أن إطعام الطعام من سنن الأنبياء العظام كان إبراهيم عليه السلام مضيافاً لا يأكل طعاماً بلا ضيف.

وعن جابر رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «ألا أحدثكم بغرف الجنة» قلنا بلى يا رسول الله بأبينا وأمنا قال «إن في الجنة غرفاً من أصناف الجواهر يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» قال قلت لمن هذه الغرف يا رسول الله قال: «لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام».

ثم إن في قوله: ﴿فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾ إشارة إلى أن الله تعالى لا يهدي كيد الحاسدين بل النصر الإلهي والتأييد الرباني مع القوم الصالحين ولذلك قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] ألا ترى إلى ما فعل أولاد يعقوب في حق يوسف وأخيه من

الحسد والأذى فما وصلوا إلى ما أملوا بل الله تعالى جمع بينهما أي الأخوين ولو بعد حين وكذا بين يعقوب ويوسف.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿فلما جهزهم بجهازهم﴾ الجهاز المتاع وهو كل ما ينتفع به أي كال كيلهم وأعطى كل واحد منهم حمل بعير وأصلحهم بعدتهم وهي الزاد في السفر.

وفي القصص قال يوسف لإخوته أتحبون سرعة الرجوع إلى أبيكم قالوا نعم فأمر الكيال بكيل الطعام وقال له زدهم وقر بعير ثم جهزهم بأحسن جهاز وأمرهم بالمسير ـ روي ـ إن يوسف لما تعرف إلى أخيه بنيامين [از هوش برفت وباخود آمده دست دركردن يوسف افكند وبزبان حال كفت

اين كه مى بينم به بيداريست يا رب يا بخواب

خويشتن رادر چنين راحت پس از چندين عذاب

آنكه دست در دامن زد] قائلاً له فأنا لا أفارقك قال يوسف قد علمت اغتمام والدي بي فإذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أشهرك بأمر فظيع قال لا أبالي فافعل ما بدا لك قال ادس صاعي في رحلك ثم أنادي عليك بأنك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل فلما جهزهم بجهازهم ﴿جعل السقاية﴾ هي مشربة بكسر الميم أي إناء يشرب منه جعلت صواعاً يكال به وكانت من فضة وكان الشرب في إناء الفضة مباحاً في الشريعة الأولى أو من بلور أو زمردة خضراء أو ياقوتة حمراء تساوي مائتي ألف دينار ويشرب يوسف منها وقال في الكواشي كانت من ذهب مرصعة بالجواهر كال بها لإخوته إكراماً لهم.

وقال الكاشفي [ملك ازان آب خوردي درين وقت بجهت عزت ونفاست طعام آنرا پيمانه ساخته بود] ﴿في رحل أخيه﴾ بنيامين ولما انفصلوا عن مصر نحو الشام أرسل يوسف من استوقفهم فوقفوا ﴿ثم أذن مؤذن﴾ أي نادى مناد من فتيان يوسف واسمه أفراييم ﴿أيتها العير﴾ [اي كاروانيان] وهي الإبل التي عليها الأحمال لأنها تعير أي تذهب وتجيء والمراد أصحاب الإبل ﴿إنكم لسارقون﴾ قال بعضهم هذا الخطاب بأمر يوسف فلعله أراد بالسرقة أخذهم له من أبيه ودخول بنيامين فيه بطريق التغليب وهو من قبيل المبالغة في التشبيه أي أخذتم يوسف من أبيه على وجه الخيانة كالسراق وقد صدر التعريض والتورية من الأبناء عليهم السلام ـ روي ـ إن رسول الله ﷺ لما نزل قريباً من بدر ركب هو وأبو بكر حتى وقفا على شيخ من العرب يقال له سفيان فسأله عليه السلام عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم فقال لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما فقال له عليه السلام إذا أخبرتنا أخبرناك فأخبر الشيخ حسبما بلغه خبرهم فلما فرغ قال من أنتما فقال عليه السلام: «نحن من ماء دافق» وأوهم إنه من ماء العراق ففيه تورية وأضيف الماء إلى العراق لكثرته به ـ وروي ـ أن رسول الله ﷺ لما خرج من الغار وتوجه إلى المدينة كان أبو بكر رضي الله عنه رديفاً له وإذا سأله أي أبا بكر سائل من هذا الذي معك يقول هذا الرجل يهديني الطريق يعني طريق الخير كذا في إنسان العيون.

قال في حواشي سعدي المفتي الكذب إذا تضمن مصلحة يرخص فيه [دروغ مصلحت

آميز به ازراست فتنه انكيز] وقال بعضهم هذا الخطاب من قبل المؤذن بناء على عزمه وذلك أن يوسف وضع السقاية بنفسه في رحل أخيه وأخفى الأمر عن الكل أو أمر بذلك بعض خواصه.

قال في القصص إنه ابنه وأمره بإخفاء ذلك عن الكل ثم إن أصحاب يوسف لما طلبوا السقاية وما وجدوها وما كان هناك أحد غير الذين ارتحلوا غلب على ظنهم إنهم هم الذين أخذوها فنادى المنادي من بينهم على حسب ظنه إنكم لسارقون ﴿**قالوا**﴾ أي الإخوة ﴿**وأقبلوا عليهم**﴾ جملة حالية من قالوا جيء بها للدلالة على إزعاجهم مما سمعوه لمباينته لحالهم أي وقد أقبلوا على طالبي السقاية ﴿**ماذا تفقدون**﴾ أي تعدمون تقول فقدت الشيء إذا عدمته بأن ضل عنك لا بفعلك والمآل ما الذي ضاع منكم.

﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿**قالوا**﴾ في جوابهم ﴿**نفقد صواع الملك**﴾ وصيغة المضارع في كلا المحلين لاستحضار الصورة ثم قالوا تربية لما تلقوه من قبلهم وإراءة لاعتقاد إنه إنما بقي في رحلهم اتفاقاً ﴿**ولمن جاء به**﴾ من عند نفسه مظهراً له قبل التفتيش.

وفي «البحر» ولمن دل على سارقه وفضحه ﴿**حمل بعير**﴾ من البر جعلا له ﴿**وأنا به زعيم**﴾ كفيل أؤديه إلى من جاء به ورده لأن الملك يتهمني في ذلك وهو قول المؤذن.

وفي «التأويلات النجمية» فيه إشارة إلى أن من يكون مستأهلاً لحمل البعير الذي هو علف الدواب متى يكون مستحقاً لمشربة هي من مشارب الملوك ﴿**قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض**﴾ قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم والجمهور على أن التاء بدل من الواو مختصة باسم الله تعالى. والمعنى ما أعجب حالكم أنتم تعلمون علماً جلياً من ديانتنا وفرط أمانتنا إننا بريئون مما تنسبون إلينا فكيف تقولون لنا إنكم لسارقون. وقوله لنفسد أي لنسرق فإنه من أعظم أنواع الفساد ﴿**وما كنا سارقين**﴾ أي ما كنا نوصف بالسرقة قط وإنما حكموا بعلمهم ذلك لأن العلم بأحوالهم الشاهدة يستلزم العلم بأحوالهم الغائبة.

﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿**قالوا**﴾ أي أصحاب يوسف ﴿**فما جزاؤه**﴾ على حذف المضاف أي فما جزاء سرقة الصواع عندكم وفي شريعتكم ﴿**إن كنتم كاذبين**﴾ في جحودكم ونفى كون الصواع فيكم ﴿**قالوا جزاؤه من وجد**﴾ أي أخذ من وجد الصواع ﴿**في رحله**﴾ واسترقاقه وكان حكم السارق في شرع يعقوب أن يسترق سنة بدل القطع في شريعتنا ﴿**فهو جزاؤه**﴾ تقرير لذلك الحكم أي فأخذه جزاؤه ﴿**كذلك**﴾ أي مثل ذلك الجزاء الأدنى ﴿**نجزي الظالمين**﴾ بالسرقة تأكيد للحكم المذكور غب تأكيد وبيان بقبح السرقة ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم منها وهم عما فعل بهم غافلون.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

﴿فبدأ﴾ يوسف بعد ما رجعوا إليه التفتيش ﴿بأوعيتهم﴾ بأوعية الإخوة العشرة أي بتفتيشها ﴿قبل﴾ تفتيش ﴿وعاء أخيه﴾ بنيامين لنفي التهمة - روي - أن أصحاب يوسف قالوا انيخوا نفتش رحالكم فأناخوا وواثقين ببراءتهم ففتشوا رحل الأخ الأكبر ثم الذي يليه ثم وثم إلى أن بلغت النوبة إلى رحل بنيامين فقال يوسف ما أظن أخذ هذا شيئاً فقالوا والله لا نتركه حتى ننظر في رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا فلما فتحوا متاعه استخرجوه منه وذلك قوله ﴿ثم استخرجها﴾ أي الصواع لأنه يذكر ويؤنث ﴿من وعاء أخيه﴾ فلما وجد الصاع مدسوساً في رحل بنيامين واستخرج منه نكسوا رؤوسهم وانقطت ألسنتهم فأخذوا بنيامين مع ما معه من الصواع وردوه إلى يوسف وأخذوا يشتمونه بالعبرانية وقالوا له يا لص ما حملك على سرقة صاع الملك ولا يزال ينالنا منك بلاء كما لقينا من ابن راحيل فقال بنيامين بل ما لقي ابنا راحيل البلاء إلا منكم فأما يوسف فقد عملتم به ما فعلتم وأما أنا فسرّقتموني أي نسبتموني إلى السرقة قالوا فمن جعل الإناء في متاعك أليس قد خرج من رحلك قال إن كنتم سرقتم بضاعتكم الأولى وجعلتموها في رحالكم فكذلك انا سرقت الصاع وجعلته في رحلي فقال روبيل والله لقد صدق وأراد بنيامين أن يخبرهم بخبر يوسف فذكر وصيته له فسكت ﴿كذلك﴾ نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة على فخامة المشار إليه وكذا ما في ذلك من معنى البعد أي مثل ذلك الكيد العجيب وهو عبارة عن إرشاد الإخوة إلى الافتاء المذكور بإجرائه على ألسنتهم وبحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا فمعنى قوله تعالى ﴿كدنا ليوسف﴾ صنعنا له ودبرنا لأجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست كما في قوله: ﴿فيكيدوا لك كيداً﴾ فإنها داخلة على المتضرر على ما هو الاستعمال الشائع. والكيد في الأصل عبارة عن المكر والخديعة وهو أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه ﴿ما كان﴾ يوسف ﴿ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ استئناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه كأنه قيل لماذا فعل يوسف ذلك فقيل لأنه لم يكن ليأخذ أخاه بما فعل في دين ملك مصر في أمر السارق أي في حكمه وقضائه إلا به لأن جزاء السارق في دينه إنما كان ضربه وتغريمه ضعف ما أخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب فلم يكن يتمكن بما صنعه من أخذ أخيه بالسرقة التي نسبها إليه في حال من الأحوال ﴿إلا أن يشاء الله﴾ أي إلا حال مشيئته التي هي عبارة عن إرادته لذلك الكيد وإلا حال مشيئته للأخذ بذلك الوجه.

قال الكواشي لولا شريعة أبيه لما تمكن من أخذ أخيه انتهى.

قال في «بحر العلوم» وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها إلى مصالح ومنافع دينية كقوله لأيوب ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ [ص: ٤٤] ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول إبراهيم «هي أختي» لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها إلا مصالح وطرق إلى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلماً وذريعة إليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح ﴿نرفع درجات﴾ أي رتباً كثيرة عالية من العلم وانتصابها على المصدرية أو الظرفية أو على نزع الخافض أي إلى درجات والمفعول قوله تعالى ﴿من نشاء﴾ أي نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف ﴿وفوق كل ذي علم﴾ من الخلق ﴿عليم﴾ ارفع درجة منه في العلم يعني ليس من عالم إلا وفوقه اعلم منه حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى.

دست شد بالاي دست اين تاكجا تا بيزدان كه إليه المنتهى
كان يكى درياست بي غور وكران جمله درياها چوسيلي پيش آن

وعن محمد بن كعب أن رجلاً سأل علياً رضي الله عنه عن مسألة فقال فيها قولاً فقال الرجل ليس هو كذا ولكنه كذا وكذا فقال علي أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ من عبادنا بأن نؤتيه علم الصعود من حضيض البشرية إلى ذروة العبودية بتوفيق الربوبية ﴿وفوق كل ذي علم﴾ آتيناه علم الصعود ﴿عليم﴾ يجذبه من المصعد الذي يصعد إليه بالعلم المخلوق إلى مصعد لا يصعد إليه إلا بالعلم القديم وهو السير في الله بالله إلى الله وهذا صواع لا يسعه أوعية الإنسانية انتهى كلام التأويلات.

﴿۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨﴾

﴿قالوا﴾ أن الصواع لما خرج من رحل بنيامين افتضح الإخوة ونكسوا رؤوسهم حياء فقالوا تبرئة لساحتهم ﴿إن يسرق﴾ بنيامين فلا عجب ﴿فقد سرق أخ له من قبل﴾ يريدون به يوسف.

واختلف فيما أضافوا إلى يوسف من السرقة فقيل كان أخذ في صباه صنماً كان لجده أبي أمه لأنه كان يعبد الأصنام بحران وهي بفتح الحاء المهملة وتشديد الراء قرية في جانب دمشق فقالت رحيل لابنها يوسف خذ الصنم واكسره لعله يترك عبادة الصنم فأخذه يوسف وكسره وألقاه بين الجيف في الطريق وهو الأصح لما ذكر في الفردوس أن النبي ﷺ قال: «سرق يوسف صنماً لجده أبي أمه من فضة وذهب فكسره وألقاه على الطريق» وعيره إخوته بذلك.

وفيه إشارة إلى أن الإنسان الكامل قابل لتهمة السرقة في بدء الأمر وهي الاستراق من الشهوات الدنيوية النفسانية ويخلص في النهاية للأمور الأخروية الروحانية فبين أول الأمر وآخره فرق كثير.

وقيل كانت لإبراهيم منطقة يتوارثها أكابر ولده فورثها إسحاق ثم وقعت إلى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة أمه راحيل وكانت تحبه حباً شديداً بحيث لا تصبر عنه فلما شب أراد يعقوب أن ينزعه منها فاحتالت بأن شدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو نائم وقالت فقدت منطقة إسحاق فانظروا من أخذها ففتشوا فوجدوها مشدودة علي يوسف تحت ثيابه فقالت إنه سرقها مني فكان سلماً لي وكان حكمهم إن من سرق يسترق فتوسلت بهذه الحيلة إلى إمساكه عند نفسها فتركه يعقوب عندها إلى أن ماتت ﴿فأسرّها يوسف﴾ أي أكن الحزازة الحاصلة مما قالوا والحزازة وجع في القلب من غيظ ونحوه كما في القاموس.

وقال في الكواشي فأسرها أي كلمتهم إنه سرق ﴿في نفسه﴾ لا إنه أسرها في بعض أصحابه كما في قوله: ﴿وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩﴾ [نوح: ٩] ﴿ولم يبدها لهم﴾ أي: لم يظهرها لهم لا قولاً ولا فعلاً صفحاً عنهم وحلماً كأنه قيل فماذا قال في نفسه عند تضاعيف ذلك

الاسرار، فقيل: ﴿قال أنتم شر مكاناً﴾ أي: منزلة حيث سرقتم أخاكم من أبيكم ثم طفقتم تفترون على البريء.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: عوقب يوسف بثلاث حين همّ بزليخا فسجن، وحين قال اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين، وحين قال إنكم لسارقون فردوا عليه وقالوا فقد سرق أخ له من قبل ﴿والله أعلم بما تصفون﴾ أي: عالم علماً بالغاً إلى أقصى المراتب بأن الأمر ليس كما تصفون من صدور السرقة منا، بل إنما هو افتراء علينا، فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم.

وفي «البحر» أعلم بما تصفون منكم لأنه عالم بحقائق الأمور وكيف كانت سرقة أخيه الذي أحلتم سرقته عليه انتهى.

فأعلم على ما قرره على معناه التفضيلي، فإن قيل: لم يكن فيهم علم والتفضيل يقتضي الشركة قلنا: يكفي الشركة بحسب زعمهم فإنهم كانوا يدعون العلم لأنفسهم ألا يرى إلى قولهم فقد سرق أخ له من قبل على سبيل الجزم كما في «الحواشي السعدية» ـ روي ـ أنهم أكلوا العزيز في إطلاق بنيامين فقال روبيل أيها الملك لتردّن إلينا أخانا أو لأصيحنّ صيحة تضع منها الحوامل في مصر وقامت شعور جسده فخرجت من ثيابه، وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لا يطاقون خلا أنه إذا مس من غضب واحد منهم سكن غضبه، فقال يوسف لابنه قم إلى جنبه فمسه ويروى خذ بيده فمسه فسكن غضبه فقال روبيل إن هنا لبذراً من بذر يعقوب، فقال يوسف من يعقوب؟ وروي إنه غضب ثانياً، فقام إليه يوسف فركضه برجله وأخذ بتلابيبه فوقع على الأرض، فقال: أنتم معشر العبرانيين تظنون أن لا أحد أشد منكم:

خدايى كه بالا وبست آفريد ... ز بردست هردست دست آفريد

قال السعدي:

كرچه شاطر بودخروس بجنك ... چه زند پيش باز رويين چنك

كربه شيرست در كر فتن موش ... ليك موشست در مصاف پلنك

ولما رأوا أن لا سبيل لهم إلى تخليصه خضعوا، حيث ﴿قالوا﴾ مستعطفين ﴿يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً﴾ في السن لا يكاد يستطيع فراقه [وبعد ازهلاك پسر خود يوسف بدو انس والفت دارد] ﴿فخذ أحدنا مكانه﴾ بدله على وجه الاسترهان أو الاسترقاق، فلسنا عنده بمنزلته من المحبة والشفقة ﴿إنا نراك من المحسنين﴾ إلينا في الكيل والضيافة، فأتمم إحسانك بهذه النعمة.

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

﴿قال﴾ يوسف ﴿معاذ الله﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول به، أي نعوذ بالله معاذاً من ﴿أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده﴾ غير من وجد الصواع في رحله، لأن أخذنا له إنما هو بقضية فتواكم فليس لنا الإخلال بموجبها ﴿إنا إذاً﴾ أي: إذا أخذنا غير من وجد متاعنا عنده، ولو برضاه ﴿لظالمون﴾ في مذهبكم وما لنا ذلك.

قال في «بحر العلوم» وإذا جواب لهم وجزاء، لأن المعنى إن أخذنا بدله ظلمنا، هذا ظاهره، وأما باطنه فهو أن الله أمرني بالوحي أن آخذ بنيامين لمصالح علمها الله في ذلك، فلو أخذت غيره لكنت ظالماً وعاملاً بخلاف الوحي.

وفيه إشارة إلى أن العمل بخلاف الإلهام أيضاً ظلم، لأن كل وارد يرد من الله تعالى لا بد أن يعمل به النبي والولي ويضعه في المحل الذي عينه الله، فالأنبياء والأولياء منتظرون لأمر الله في كل حادثة، فما لم يأمروا به ولم يخبروا لا يصدقونه ولا يتبعونه.

وكان لسري تلميذة ولها ولد عند المعلم فبعث به المعلم إلى الرحى، فنزل الصبي في الماء فغرق فاعلم المعلم سرياً بذلك، فقال السري: قوموا بنا إلى أمه فمضوا إليها، وتكلم السري عليها في علم الصبر، ثم تكلم في علم الرضى فقالت يا أستاذ وأي شيء تريد بهذا؟ فقال لها: إن ابنك قد غرق فقالت ابني؟ فقال: نعم فقالت إن الله تعالى ما فعل هذا، ثم عاد السري في كلامه في الصبر والرضى فقالت: قوموا بنا فقاموا معها حتى انتهوا إلى النهر فقالت: اين غرق؟ قالوا ههنا فصاحت ابني محمد فأجابها لبيك يا أماه، فنزلت وأخذت بيده فمضت به إلى منزلها فالتفت السري إلى الجنيد وقال أي شيء؟ هذا فقال أقول قال قل قال إن المرأة مراعية لما لله عليها، وحكم من كان مراعياً لما لله عليه أن لا تحدث حادثة حتى يعلم بها فلما لم تكن تعلم هذه الحادثة أنكرت، فقالت: إن ربي ما فعل هذا.

ثم إن الظلم على أنواع فالحكم بغير ما حكم الله به ظلم، وطلب الظلم ظلم، والصحبة بغير المجانس ظلم، ومن ابتلي بالظلم وسائر الأوزار فعليه التدارك بالتوبة والاستغفار.

قال سهل: إذا أحب الله عبداً جعل ذنبه عظيماً في نفسه، وفتح له باباً من التوبة إلى رياض أنسه، وإذا غضب على عبد جعل ذنبه صغيراً في عينيه، فكلما أدبه لا يتعظ نسأل الله التوبة **﴿فلما استيأسوا منه﴾** يئسوا غاية اليأس بدلالة صيغة الاستفعال.

قال الكاشفي: [پس آن وقت كه نوميد شدند از يوسف ودانستند كه برادررا بديشان نمى دهد] **﴿خلصوا﴾** اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم غيرهم **﴿نجياً﴾** متناجين في تدبير أمرهم على أي صفة يذهبون، وماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيهم.

قال في «الكواشي» جماعة يتناجون سراً، لأن النجي من تساره، وهو مصدر يعم الواحد والجمع والذكر والأنثى **﴿قال كبيرهم﴾** في السن وهو روبيل أو في العقل وهو يهوداً أو رئيسهم وهو شمعون، وكانت له الرياسة على إخوته كأنهم أجمعوا عند التناجي على الانقلاب جملة ولم يرض، فقال: منكراً عليهم **﴿ألم تعلموا﴾** أي قد علمتم يقيناً **﴿أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله﴾** عهداً وثيقاً، وهو حلفهم بالله وكونه من الله لإذنه فيه.

وقال الكاشفي: [وشما سوكند خوريد بمحمد آخر زمان كه درشان وى غدر نكنيد اكنون اين صورت واقع شد]. **﴿ومن قبل﴾** أي من قبل هذا وهو متعلق بالفعل الآتي. **﴿ما﴾** مزيدة **﴿فرطتم في يوسف﴾** أي: قصرتم في شأنه ولم تحفظوا عهد أبيكم وقد قلتم وإنا لناصحون وإنا له لحافظون، فنحن متهمون بواقعة يوسف فليس لنا مخلص من هذه الورطة **﴿فلن أبرح الأرض﴾** ضمن معنى المفارقة فعدي إلى المفعول، أي لن أفارق أرض مصر ذاهباً منها فلن أبرح تامة لا ناقصة، لأن الأرض لا تحمل على المتكلم. **﴿حتى يأذن لي أبي﴾** في العود إليه وكأن أيمانهم كانت معقودة على عدم الرجوع بغير إذن يعقوب. **﴿أو يحكم الله لي﴾** بالخروج

منها على وجه لا يؤدي إلى نقض الميثاق أو بخلاص أخي بسبب من الأسباب. ﴿وهو خير الحاكمين﴾ إذ لا يحكم إلا بالحق والعدل.

قال الكاشفي: [وميل ومداهنه در حكم او نيست].

﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿ارجعوا﴾ أنتم ﴿إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق﴾ على ظاهر الحال ﴿وما شهدنا﴾ عليه بالسرقة ﴿إلا بما علمنا﴾ وشاهدنا أن الصواع استخرج من وعائه ﴿وما كنا للغيب﴾ أي باطن الحال ﴿حافظين﴾ فما ندري أحقيقة الأمر كما شاهدنا أم هي بخلافه؟ يعني: [بظاهر دزدي أو ديدم أما ازنفس الأمر خبر نداريم كه بروتهمت كردند وصاع را درباراو نهادند يا خود مباشر اين أمر بوده]. ثم إنهم لما كانوا متهمين بسبب واقعة يوسف أمرهم كبيرهم بأن يبالغوا في إزالة التهمة عن أنفسهم ويقولوا:

﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾ أي: وقولوا لأبيكم أرسل إلى أهل مصر واسألهم عن كنه القصة لتبين لك صدقنا ﴿والعير التي أقبلنا فيها﴾ العير الإبل التي عليها الأحمال، أي أصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم، وكانوا قوماً من كنعان من جيران يعقوب. ﴿وإنا لصادقون﴾ ثم رجع كبيرهم فدخل على يوسف، فقال له: لِمَ رجعت؟ قال إنك اتخذت أخي رهينة فخذني معه فجعله عند أخيه وأحسن إليهما، كأنه قيل فماذا كان عند قول المتوقف لإخوته ما قال فقيل:

﴿قال﴾ يعقوب عندما رجعوا إليه فقالوا له ما قال لهم أخوهم. ﴿بل﴾ اضراب عما يتضمن كلامهم من ادعاء البراءة من التسبب فيما نزل به وأنه لم يصدر منهم ما يؤدي إلى ذلك من قول أو فعل، كأنه قيل لم يكن الأمر كذلك بل ﴿سولت لكم﴾ زينت وسهلت ﴿أنفسكم أمراً﴾ من الأمور اردتموه ففعلتموه وهو فتواكم أن جزاء السارق أن يؤخذ ويسترق، وإلا فما أدرى الملك أن السارق يؤخذ بسرقته لأن ذلك إنما هو من دين يعقوب لا من دين الملك ولولا فتواكم وتعليمكم لما حكم الملك بذلك، ظن يعقوب عليه السلام سوءاً بهم كما كان في قصة يوسف قبل فاتفق أن صدق ظنه هناك ولم يتحقق هنا.

قال السعدي: [دروغ كفتن بضربت لازب ما ندكه اكر نيز جراحت درست شود نشان بماند چون برادران يوسف بدروغي موسوم شدند بر راست كفتن ايشان نيز اعتماد نماند] قال الله تعالى: ﴿بل سولت لكم﴾ الآية.

كسى را كه عادت بود راستي ... خطا كر كند در كذا رند ازو
وكر نامور شد بناراستي ... دكر راست باور ندارند ازو

﴿فصبر جميل﴾ أي: فأمري صبر جميل وهو أن لا يكون فيه شكوى إلى الخلق.

وعن أبي الحسن قال: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام فبينا أنا أطوف وإذا بامرأة قد أضاء حسن وجهها، فقلت: والله ما رأيت إلى اليوم قط نضارة وحسناً مثل هذه المرأة، وما

ذاك إلا لقلة الهم والحزن فسمعت ذلك القول مني فقالت كيف قلت يا هذا الرجل؟ والله إني لوثيقة بالأحزان مكلومة الفؤاد بالهموم والأشجان ما يشركني فيها أحد، فقلت وكيف ذلك قال ذبح زوجي شاة ضحينا بها ولي ولدان صغيران يلعبان وعلى يدي طفل يرضع فقمت لأصنع لهم طعاماً إذ قال ابني الكبير للصغير، ألا أريك كيف صنع أبي بالشاة؟ قال بلى فاضجعه وذبحه وخرج هارباً نحو الجبل فأكله ذئب، فانطلق أبوه في طلبه فأدركه العطش فمات، فوضعت الطفل وخرجت إلى الباب انظر ما فعل أبوهم فدب الطفل إلى البرمة وهي على النار فألقى يده فيها وصبها على نفسه وهي تغلي فانتشر لحمه عن عظمه فبلغ ذلك ابنة لي كانت عند زوجها فرمت بنفسها إلى الأرض فوافقت أجلها فأفردني الدهر من بينهم، فقلت لها فكيف صبرك على هذه المصائب العظيمة فقالت: ما من أحد ميز الصبر والجزع إلا وجد بينهما منهاجاً متفاوتاً فأما الصبر بحسن العلانية فمحمود العاقبة وأما الجزع فصاحبه غير معوض ثم أعرضت وهي تنشدني:

صبرت وكان الصبر خير معول ... وهل جزع يجدي علي فاجزع
صبرت على ما لو تحمل بعضه ... جبال غرور أصبحت تتصدع
ملكت دموع العين حتى رددتها ... إلى ناظري فالعين في القلب تدمع

﴿عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً﴾ [شايدكه خداي تعالى آورد همه ايشانرا بمن]. أي: بيوسف وأخيه والمتوقف بمصر، فإنهم حين ذهبوا إلى البادية أول مرة كانوا اثني عشر فضاع يوسف وبقي أحد عشر، ولما أرسلهم إلى مصر في الكرة الثانية عادوا تسعة لأن بنيامين حبسه يوسف واحتبس ذلك الكبير الذي قال فلن أبرح الأرض فلما بلغ الغائبون ثلاثة لاجرام أورد صيغة الجمع ﴿إنه هو العليم﴾ بحالي في الحزن والأسف ﴿الحكيم﴾ الذي لم يبتلني إلا لحكمة بالغة.

واعلم أن البلاء على ثلاثة أضرب، منها تعجيل عقوبة للعبد، ومنها امتحان ليبرز ما في ضميره فيظهر لخلقه درجته اين هو من ربه، ومنها كرامة ليزداد عنده قربة وكرامة، وأما تعجيل العقوبة فمثل ما نزل بيوسف عليه السلام من لبثه في السجن بالهم الذي هم به ومن لبثه بعد مضي المدة في السجن. بقوله: ﴿اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين﴾ ومثل ما نزل بيعقوب كما قال وهب: أوحى الله إلى يعقوب أتدري لما عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة؟ قال: لا إلهي، قال لأنك شويت عناقاً وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه ـ وروي ـ أن سبب ابتلاء يعقوب إنه ذبح عجلاً بين يدي أمه وهو يخور.

وقيل: اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت ـ وروي ـ أنه أوحى إليه إنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه منها شيئاً. وأما الامتحان فمثل ما نزل بأيوب عليه السلام قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]. وأما الكرامة فمثل ما نزل بيحيى بن زكريا عليهما السلام ولم يعمل خطيئة قط ولم يهم بها فذبح ذبحاً وأهدى رأسه إلى بغي من بغايا بني إسرائيل وفي الكل عظم الأجر والثواب بالصبر وعدم الاضطراب.

وقام بعضهم ليقضي ورده من الليل فأصابه البرد فبكى من شدته فجازت عليه سنة فقال له قائل ما جزاء إن أنمناهم وأقمناك إلا أن تبكي علينا فانتبه واستغفر.

قال أبو القاسم القشيري: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، يقول في آخر عمره، وقد اشتدت به العلة: من أمارات التأييد حفظ التوحيد في أوقات الحكم، ثم قال: كالمفسر لفعله مفسراً لما كان فيه من حاله: وهو أن يقرضك بمقاريض القدرة في إمضاء الأحكام قطعة قطعة وأنت ساكن خامد قال الحافظ:

عاشقا نرا كردر آتش مى پسندد لطف يار تنك چشمم كر نظر در چشمهٔ كوثر كنم

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾.

﴿وتولى عنهم﴾ أعرض يعقوب عنهم كراهة لما سمع منهم.

قال الكاشفي: [پس يعقوب ازغايت ملال توجه به بيت الأحزان فرمود] قال الجامي:

رواى همدم تودر بزم طرب بادوستان خوش زي

مرا بكذار تاتنها درين بيت الحزن ميرم

﴿وقال يا أسفي على يوسف﴾ الأسف: أشد الحزن والحسرة، وأصله يا أسفي بإضافة الأسف إلى ياء المتكلم فقلبت الياء ألفاً طلباً للتخفيف لأن الفتحة والألف أخف من الكسرة والياء نادى أسفه وقال يا أسفا تعال واحضر فهذا أوانك. قال الجامي:

كرچو يوسف زما شوى غائب همچو يعقوب ما ويا أسفا

وقال الحافظ:

يوسف عز يزم رفعت أي برادران رحمي كز غمش عجب ديدام حال پير كنعاني

وإنما تأسف على يوسف مع أن الحادث مصيبة أخويه بنيامين والمحتبس والحادث أشد على النفس، دلالة به على تمادي أسفه على يوسف وإن زرأه أي مصيبته مع تقادم عهده كان غضاً عنده طرياً، ولأن زرأ يوسف كان قاعدة المصيبات ولأنه كان واثقاً بحياتهما عالماً بمكانهما طامعاً في إيابهما، وأما يوسف فلم يكن في شأنه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله وفضله وفي الحديث: «لم تعط أمة من الأمم إنا الله وإنا إليه راجعون عند المصيبة إلا أمة محمد ﷺ» ألا يرى إلى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع بل قال يا أسفاً على يوسف.

وعن أبي ميسرة قال لو إن الله أدخلني الجنة لعاتبت يوسف بما فعل بأبيه حيث لم يكتب كتاباً ولم يعلم حاله ليسكن ما به من الغم انتهى.

يقول الفقير: هذا كلام ظاهري وذهول عما سيأتي من الخبر الصحيح أن هذا كان بأمر جبرائيل عن أمر الله تعالى، وإلا فكيف يتصور من الأنبياء قطع الرحم، وقد كان بين مصر وكنعان ثماني مراحل. ﴿وابيضت عيناه من الحزن﴾ الموجب للبكاء فإن العبرة إذا كثرت محقت سواد العين وقلبته إلى بياض وقد تعميها كما أخبر عن شعيب عليه السلام، فإنه بكى من حب الله تعالى حتى عمي فرد الله عليه بصره، وكذا بكى يعقوب حتى عمي وهو الأصح لقوله تعالى: ﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩]. قال الكمال الخجندي:

زكريه برسر مردم يقين كه خانهٔ چشم فرو رود شب هجران زبس كه بارانست

- روي - أنه ما جفت عيناً يعقوب من يوم فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين سنة، وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب.

فإن قلت: لم ذهب بصر يعقوب بفراقه واشتياقه إلى يوسف.

قلت: لئلا يزيد حزنه النظر إلى أولاده ولسر شهود الجمال، لما ورد في الخبر النبوي يرويه عن جبريل عن ربه قال: «يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه» يعني: عينيه قال: «سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، قال تعالى: «جزؤاه الخلود في داري؛ والنظر إلى وجهي» وفي الخبر «أول من ينظر إلى وجه الرب تعالى الأعمى» قال بعض الكبار: أورث ذلك العمى بذهاب بصره النظر إلى الجمال اليوسفي الذي هو مظهر من مظاهر الجمال المطلق؛ لأن الحق تعالى تجلى بنور الجمال في المجلى اليوسفي فأحبه أبوه وابتلى بحبه أهل مصر من وراء الحجاب.

وفيه إشارة: إلى أنه ما لم يفن العارف العين الكوني الشهادي لا يصل إلى شهود الجمال المطلق:

هر محنتي مقدمهٔ راحتي بود شد همزبان حق چو زبان كليم سوخت

فالعارف يشاهد الجمال المطلق بعين السر في مصر الوجود الإنساني، وينقاد له القوى والحواس جميعاً.

واستدل بالآية على جواز التأسف والبكاء عند النوائب، فإن الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فإنه قل من يملك نفسه عند الشدائد.

قال أنس ـ رضي الله عنه ـ دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين، وكان ظئراً لإبراهيم ولده عليه السلام فأخذ رسول الله إبراهيم فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله قال: «يا ابن عوف إنها رحمة» ثم اتبعها أخرى أي دمعة أخرى فقال: «إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

قال في الروضة: وإبراهيم ابن النبي عليه السلام مات في المدينة وهو ابن ثمانية عشر شهراً انتهى. وإنما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الحدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب. وعنه عليه السلام أنه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال: «ما نهيتكم عن البكاء وإنما نهيتكم عن صوتين أحمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح» قال في «المغرب» الحمق: نقصان العقل وإنما قيل لصوتي النياحة والترنم في اللعب أحمقان لحمق صاحبهما.

والبكاء على ثلاثة أوجه، من الله وعلى الله وإلى الله، فالبكاء منه من توبيخه وتهديده، والبكاء إليه من شوقه ومحبته، والبكاء عليه من خوف الفراق، وفرق الله بين يوسف وأبيه لميله إليه ومحبته عليه والمحبوب يورث المحنة. والعميان من الأنبياء إسحاق ويعقوب وشعيب. ومن الأشراف عبد المطلب بن هاشم، وأمية بن عبد شمس، وزهرة بن كلاب، ومطعم بن عدي. ومن الصحابة سواء كان أعمى في عهده أو حدث له بعد وفاته عليه السلام البراء بن عازب، وجابر بن عبد الله، وحسان بن ثابت، والحكم بن أبي العاص، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن يربوع، وصخر بن حرب أبو سفيان، والعباس بن عبد المطلب، وعبد الله بن الأرقم، وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمير، وعبد الله بن أبي أوفى، وعتبان بن مالك، وعتبة بن مسعود الهذلي، وعثمان بن عامر أبو قحافة، وعقيل بن أبي طالب، وعمرو ابن أم مكتوم المؤذن، وقتادة بن النعمان. ﴿**فهو كظيم**﴾ مملوء من الغيظ على أولاده ممسك له في قلبه.

در ديست درين سينه كه كفتن نتوانيم

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿**قالوا تالله تفتؤا**﴾ أي لا تفتأ ولا تزال وحذفت لا لعدم الالتباس؛ لأنه لو كان إثباتاً للزمه اللام والنون أو إحداهما ﴿**تذكر يوسف**﴾ تفجعاً عليه ﴿**حتى تكون حرضاً**﴾ مريضاً مشرفاً على الهلاك ﴿**أو تكون من الهالكين**﴾ أي الميتين.

وفيه إشارة إلى أنه لا بد للمحب من ملامة الخلق فأول ملامتي في العالم آدم عليه السلام حين طعن فيه الملائكة ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] ولو امعنت النظر رأيت أول ملامتي على الحقيقة حضرة الربوبية لقولهم ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] وذلك لأنه تعالى كان أول محب ادعى المحبة، وهو قوله: ﴿يُحِبُّهُمۡ﴾ [المائدة: ٥٤] فطالما يلوم أهل السلوّ المحبين ومن علامة المحب أن لا يخاف في الله لومة لائم:

ملامت كن مرا چندانكه خواهى   كه نتوان شستن اززنكى سياهى

﴿**قال إنما أشكو بثي**﴾ البث أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس، أي ينشره فكأنهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية والاشكاء، فقال لهم إني لا أشكو ما بي إليكم أو إلى غيركم حتى تتصدوا للتسلي، وإنما أشكو همي ﴿**وحزني إلى الله**﴾ ملتجئاً إلى جنابه تضرعاً لدى بابه في دفعه.

رازكويم بخلق وخوار شوم   باتو كويم بزر كوار شوم

والحزن أعم من البث، فإذا عطف على الخاص يراد به الأفراد الباقية، فيكون المعنى لا اذكر الحزن العظيم والحزن القليل إلا مع الله.

فإن قيل: لم قال يعقوب فصبر جميل ثم قال يا اسفا على يوسف وقال إنما اشكو بثي وحزني إلى الله فكيف يكون الصبر مع الشكوى؟

قيل: ليس هذا إلا شكاية من النفس إلى خالقها وهو جائز، ألا ترى أن أيوب عليه السلام قال: ﴿رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] وقال تعالى مع شكواه إلى ربه في حقه ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾ [ص: ٤٤] لأنه شكا منه إليه وبكى منه عليه فهو المعذور لديه، لأن حقيقة الصبر ومعناه الحقيقي حبس النفس ومنعها عن الشكوى إلى الغير وترك الركون إلى الغير وتحمل الأذى والابتلاء لصدوره من قضائه وقدره، كما قيل بلسان الحقيقة:

كل شيء من المليح مليح   لكن الصبر عنه غير مليح

وقيل:

والصبر عنك فمذموم عواقبه   والصبر في سائر الأشياء محمود

وذلك لأن المحب لا يصبر عن حضرة المحبوب، فلا يزال يعرض حاله وافتقاره إلى حضرته، ولسان العشق لسان التضرع والحكاية لا لسان الجزع والشكاية كما أشار العاشق:

بشنوازنى چون حكايت ميكند   از جداييها شكايت ميكند

يعني: شكاية العارف الواقف في صورة الشكوى حكاية حاله وتضرعه وافتقاره إلى حبيبه.

وعن أنس رضي الله عنه رفعه إلى النبي عليه الصلاة والسلام: «أن رجلاً قال ليعقوب:

ما الذي اذهب بصرك وحنى ظهرك؟ قال: أما الذي اذهب بصري فالبكاء على يوسف، وأما الذي حنى ظهري فالحزن على أخيه بنيامين؟ فأتاه جبريل فقال: أتشكو إلى غير الله؟ قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، قال جبريل: الله أعلم بما قلت منك، قال ثم انطلق جبريل ودخل يعقوب بيته، فقال أي رب أما ترحم الشيخ الكبير أذهبت بصري وحنيت ظهري فرد على ريحانتي فأشمهما شمة واحدة ثم اصنع بي بعد ما شئت فأتاه جبريل فقال يا يعقوب إن الله يقرئك السلام ويقول أبشر فإنهما لو كانا ميتين لنشرتهما لك لأقربهما عينك، ويقول لك يا يعقوب أتدري لِمَ أذهبت بصرك وحنيت ظهرك ولِمَ فعل إخوة يوسف بيوسف ما فعلوه؟ قال: لا، قال إنه أتاك يتيم مسكين وهو صائم جائع وذبحت أنت وأهلك شاة فطعمتموها ولم تطعموه، ويقول: إني لم أحب من خلقي شيئاً حبي اليتامى والمساكين فاصنع طعاماً وادع المساكين» قال أنس قال عليه السلام: «فكان يعقوب كلما أمسى نادى مناديه من كان صائماً فليحضر طعام يعقوب، وإذا أصبح نادى مناديه من كان مفطراً فليفطر على طعام يعقوب» ذكره في «الترغيب والترهيب». قال السعدي قدس سره:

نخواهى كه باشى برا كنده دل   پرا اكنند كانرا زخاطر مهل
كسى نيك بيند بهر دو سراى   كه نيكي رساند بخلق خداي

﴿وأعلم من الله﴾ من لطفه ورحمته ﴿ما لا تعلمون﴾ فأرجو أن يرحمني ويلطف بي ولا يخيب رجائي أو أعلم من الله بنوع من الإلهام ما لا تعلمون من حياة يوسف ـ وروي ـ أنه رأى ملك الموت في منامه فسأله عنه فقال هو حي، وقيل علم من رؤيا يوسف أنه لا يموت حتى يخروا له سجداً ـ وروي ـ أن يوسف قال لجبريل: أيها الروح الأمين هل لك علم بيعقوب قال نعم وهب الله له الصبر الجميل، وابتلاه بالحزن عليك فهو كظيم، قال فما قدر حزنه قال حزن سبعين ثكلى قال فما له من الأجر قال أجر مائة شهيد، وما ساء ظنه بالله ساعة قط.

وقال السدي: لما أخبره ولده بسيرة الملك أحست نفسه فطمع وقال لعله يوسف فقال:

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

﴿يا بني اذهبوا﴾ إلى مصر ﴿فتحسسوا من يوسف وأخيه﴾ أي تعرفوا من خبرهما بحواسكم فإن التحسس طلب الشيء بالحاسة.

قال في «تهذيب المصادر» [التحسس مثل التجسس: آكاهى جستن] وفي «الإحياء» بالجيم في تطلع الأخبار وبالحاء في المراقبة بالعين.

وقال في «إنسان العيون» ما بالحاء أن يفحص الشخص عن الأخبار بنفسه وما بالجيم أن يفحص عنها بغيره وجاء تحسسوا ولا تجسسوا انتهى.

والمراد بأخيه بنيامين، ولم يذكر الثالث وهو الذي قال فلن أبرح الأرض واحتبس بمصر لأن غيبته اختيارية لا يعسر إزالتها.

قال ابن الشيخ: فإن قلت كيف خاطبهم بهذا اللطف وقد تولى عنهم؟ فالجواب أن التولي التجاء إلى الله والشكاية إليه والإعراض عن الشكاية إلى أحد منهم ومن غيرهم، لا ينافي الملاطفة والمكالمة معهم في أمر آخر انتهى.

قالوا لها أما بنيامين فلا نترك الجهد في أمره، وأما يوسف فإنه ميت وإنا لا نطلب الأموات فإنه أكله الذئب منذ زمان، فقال لهم يعقوب: ﴿ولا تيأسوا من روح الله﴾ لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه واليأس والقنوط انقطاع الرجاء.

وعن الأصمعي: إن الروح ما يجد الإنسان من نسيم الهواء فيسكن إليه وتركيب الراء والواو والحاء يفيد الحركة والاهتزاز فكل ما يلتذ الإنسان ويهتز بوجوده فهو روح.

قال في «الكواشي»: أصله استراحة القلب من غمه؛ والمعنى لا تقنطوا من راحة تأتيكم من الله انتهى.

وقرىء ﴿من روح الله﴾ بالضم أي من رحمته التي يحيي بها العباد. ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ لعدم علمهم بالله وصفاته فإن العارف لا يقنط في حال من الأحوال، أي في الضراء والسراء ويلاحظ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝﴾ [الشرح: ٥] فصنع الله عجيب وفرج الله قريب، وفي الحديث: «الفاجر الراجي أقرب إلى الله من العابد القانط» ـ وروي ـ أن رجلاً مات فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام مات ولي من أوليائي فاغسله، فجاء موسى عليه السلام فوجده قد طرحه الناس في المزابل لفسقه، فقال موسى يا رب أنت تسمع مقالة الناس في حقه، فقال الله تعالى يا موسى إنه تشفع عند موته بثلاثة أشياء، لو سأل بها جميع المذنبين لغفرت، الأول أنه قال: يا رب أنت تعلم أني وإن كنت ارتكبت المعاصي بفعل الشيطان والقرين السوء ولكني كنت أكرهها بقلبي، والثاني أني وإن كنت مع الفسقة بارتكاب المعاصي ولكن الجلوس مع الصالحين كان أحب إلي. والثالث لو استقلبني صالح وفاجر كنت أقدم حاجة الصالح.

وفي رواية وهب بن منبه قال: يا رب لو عفوت عني لفرح أنبياؤك وأولياؤك وحزن عدوك الشيطان ولو عذبتني لكان الأمر بالعكس ولا ريب أن فرح الأولياء أحب إليك من فرح الأعداء فارحمني وتجاوز عني قال الله تعالى فرحمته فإني غفور رحيم خاصة لمن أقر بالذنب.

فعلى العاقل أن لا يقنط من رحمة ربه فإنه تعالى يكشف الشدائد في الدنيا والآخرة ـ حكي ـ أن رجلاً بقي في جزيرة بلا زاد فقال بطريق اليأس:

إذا شاب الغراب أتيت أهلي ... وصار القار كاللبن الحليب

فسمع قائلاً يقول:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب

فلما نظر رأى سفينة فوصل بها إلى أهله.

قال في «التأويلات النجمية» في الآية إشارة إلى أن الواجب على كل مسلم أن يطلب يوسف قلبه وبنيامين سره، ولا ييأس أن يجد روح الله أي ريحه منهما بل من وجد قلبه وجد فيه ربه إذ هو سبحانه متجل لقلوب أوليائه المؤمنين وقد وعد الله بوجدانه الطالبين فقال: «ألا من طلبني وجدني» والسر فيه إن طلب الحق تعالى يكون بالقلب لا بالقالب ووجدانه أيضاً يكون في القلب كما قال موسى عليه السلام إلهي أين أطلبك؟ قال: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» أي من محبتي، وفي قوله: ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ إشارة إلى أن ترك طلب الله واليأس من وجدانه كفر انتهى. وفي «المثنوي»:

كر كران وكر شتابنده بود ... آنكه جوينده است يابنده بود

در طـلـب زن دائـمـاً تـوهـر دودسـت — كـه طـلـب درراه نـيـكـو رهـبـرسـت
لـنـك ولـوك وخـفـتـه شـكـل بـي أدب — سـوى اومـى غـيـثـر واو رامـى طـلـب
كـه بـكـفـت وكـه بـخـامـوشـى وكـه — بـوي كـردن كـيـر هـرسـو بـوي شـه
كـفـت آن يـعـقـوب بـا اولاد خـويـش — جـسـتـن يـوسـف كـنـيـد از حـد بـبـيـش
هـرخـسـى خـودرا دريـن جـسـتـن بـجـد — هـر طـرف رانـيـد شـكـل مـسـتـعـد
كـفـت از روح خـدا لا تـيـأسـوا — هـمـچـو كـم كـرده پـسـر رو سـوبـسـو
ازره حـس دهـان پـرسـان شـويـد — كـوش را بـر چـار راه او نـهـيـد
هـركـجـا بـوي خـوش آيـد بـوبـريـد — سـوى آن سـركـاشـنـاى آن سـريـد
هـر كـجـا لـطـفـي بـبـيـنـي ازكـسـى — سـوى أصـل لـطـف ره يـابـى عـسـى
ايـن هـمـه خـوشـهـا زدر يـايـيـست ژرف — جـزوراً بـكـذار وبـر كـل دار طـرف

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿فلما دخلوا عليه﴾ ـ روي ـ أن يعقوب أمر بعض أولاده فكتب بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء، أما جدي إبرهيم فإنه ابتلى بنار النمرود، فصبر وجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وأما أبي إسحاق فابتلي بالذبح فصبر ففداه الله بذبح عظيم، وأما أنا فابتلاني الله بفقد ولدي يوسف فبكيت عليه حتى ذهب بصري ونحل جسمي، وقد كنت اتسلى بهذا الغلام الذي أمسكته عندك وزعمت أنه سارق، وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً، فإن رددته عليّ وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام [پس نامه بفر زندان داد واندك بضاعتي ازپشم وروغن وأمثال آن ترتيب نموده ايشانرا بمصر فرستاد ايشان بمصر آمده براد ريراكه آنجا بود ملاقات كردند وباتفاق روى بباركاه يوسف نهادند پس آن هنكام در آمدند برادران يوسف بروى] **﴿قالوا يا أيها العزيز﴾** أي: الملك القادر الغالب **﴿مسنا﴾** أصابنا **﴿وأهلنا﴾** وهم من خلفوهم **﴿الضر﴾** الفقر والحاجة وكثرة العيال وقلة الطعام. **﴿وجئنا ببضاعة﴾** [وآورده ايم بضاعتي] **﴿مزجاة﴾** [اندك وبى اعتبار] أي مردودة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقاراً لها من ازجيته إذا دفعته وطردته وكان بضاعتهم من متاع الأعراب صوفاً وسمناً، وقيل: هي الصنوبر والحبة الخضراء، وهي الفستق أو دراهم زيوف لا تؤخذ إلا بنقصانها **﴿فأوف لنا الكيل﴾** فأتم لنا الكيل الذي هو حقنا.

قال بعضهم أعطنا بالزيف كما تبيع بالدراهم الجياد ولا تنقصنا شيئاً **﴿وتصدق علينا﴾** تفضل بالمسامحة وقبول المزجاة فإن التصدق التفضل مطلقاً، واختص عرفاً بما يبتغي به ثواب الله ولذا لا يقال في العرف اللهم تصدق عليّ؛ لأنه لا يطلب الثواب من العبد بل يقال أعطني أو تفضل عليّ وارحمني.

ثم هذا، أي: حمل التصدق على المساهلة في المعاملة على قول من يرى تحريم الصدقة على جميع الأنبياء وأهليهم أجمعين، وأما على قول من جعله مختصاً بنبينا عليه السلام فالمراد حقيقة الصدقة **﴿إن الله يجزي المتصدقين﴾** يثيب المتفضلين أحسن الجزاء والثواب.

قال الضحاك: لم يقولوا إن الله يجزيك لأنهم لم يعلموا أنه مؤمن.

يقول الفقير: دخل يوسف في لفظ الجمع سواء شافهوه بالجزاء أولاً مع أن الجزاء ليس بمقصور على الجزاء الأخروي بل قد يكون دنيوياً وهو أعم فافهم.

ومن آثار الثواب الدنيوي: ما حكي عن الشيخ أبي الربيع أنه قال: سمعت امرأة في بعض القرى أكرمها الله بشاة تحلب لبناً وعسلاً فجئت إليها وحلبت الشاة فوجدتها كما سمعت وسألت عن سببها، قالت: كانت لنا شاة نتقوّت بلبنها فنزلت علينا ضيف وقد أمرنا بإكرامه فذبحناها له لوجه الله تعالى، فعوضنا الله تعالى هذه الشاة ثم قالت: إنها ترعى في قلوب المريدين يعني لما طابت قلوبنا طاب ما عندنا فطيبوا قلوبكم يطب لكم ما عندكم فالاعتقاد الصحيح والنية الخالصة وطيب الخاطر لها تأثير عظيم ـ حكي ـ أن السلطان محمود مر على أرض قوم يكثر فيها قصب السكر وكان لم يره بعد فقشر له بعض القصبات فلما مص منه السكر استحسنه والتذ منه في الغاية فخطر بباله أن يضع فيه شيئاً من الرسوم كالباج والخراج حتى يحصل له من هذا القصب في كل سنة كذا وكذا فلما مص بعد هذه الخاطرة وجده قصباً يابساً خالياً عن السكر فسمعه من تلك القبيلة شيخ عتيق وقال قد همّ الملك بأن يفعل بدعة وظلماً في مملكته أو فعلها فلذلك نفد سكر القصب فاستتاب السلطان في نفسه ورجع عما خطر بباله فلما مصه ثانياً بعد ذلك وجده مملوءاً من السكر كما كان فهذا من تأثير النية والهمة.

ثم إن الصدقة لا تختص بالمال بل كل معروف صدقة، ومنها العدالة بين الاثنين، والإعانة والكلمة الطيبة والمشي إلى الصلاة وإماطة الأذى عن الطريق ونحوها، وكذا النوافل لا تختص عند أهل الإشارة بالصلوات بل تعم كل خير زائد وفي الحديث القدسي: «لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره» فعلى العاقل الاشتغال بنوافل الخيرات من الصدقات وغيرها. قال السعدي قدس سره:

يكى دربيابان سكى تشنه يافت ... برون ازرمق در حياتش نه يافت
كله دلو كرد آن بسنديده كيش ... چو حبل اندران بست دستار خويش
به خدمت ميان بست وباز وكشاد ... سك ناتون را دمي آب داد
خبر داد پيغمبر از حال مرد ... كه داور كناهان او عفو كرد
ألا كر جفا كارى انديشه كن ... وفاپيش كيرو كرم پيشه كن
كسى باسكى نيكوى كم نكرد ... كجاكم شود خير بانيك مرد
كرم كن چنان كت بر آيدزدست ... جهانبان در خير بر كس نبست
كرت در بيابان نباشد چهى ... چراغى بنه در زيارتكهي
به قنطار زربخش كردن زكنج ... نباشد چو قيراطي ازدست رنج
بردهر كسى بار در خور دزور ... كرانست پاي ملخ پيش مور

ثم في قوله: ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾ الآية إشارة إلى أن طالب الحق ينبغي له عرض الحاجة والفقر والافتقار ورؤية تقصيره، فإن الفناء محبوب المحبوب، وطريق حسن لنيل المطلوب ولذلك لما سمع يوسف كلامهم هذا أدركته الرحمة فرفع الحجاب وخلصهم من ألم الفرقة والاضطراب.

ومن هذا المقام ما قيل لأبي يزيد البسطامي قدس سره: خزائننا مملوءة بالأعمال فأين

العجز والافتقار والتضرع والسؤال؟ ولا يلزم من هذا ترك العمل فإنه لا بد منه في مقامه ألا ترى أن الإخوة إنما قالوا ما قالوا بعد أن جاؤوا ببعض الأمتعة، فللطالب أن يعمل قدر طاقته ولكن لا يغتر بعلمه بل يتقرب إليه بالفناء وترك الرؤية ليكون ذلك وسيلة إلى المعرفة والقربة والوصلة. قال أبو يزيد البسطامي قدس سره:

چار چيز آورده ام شاهاكه در كنج تو نيست نيستى وحاجت وعجز ونياز آورده ام

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾.

﴿قال﴾ لما رأى يوسف تمسكن إخوته رق لهم فلم يتمالك من أن عرفهم نفسه.

قال الكاشفي [آن نامهٔ يعقوب بركوشهٔ تخت نهادند يوسف نامه را بخواند كريه بروى غلبه كرد عنان تمالك ازدست داده كفت اي برادران].

﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾ أي: هل تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه فهو سؤال عن الملزوم، والمراد لازمه وفعلهم بأخيه بنيامين إفراده عن يوسف وأذاه بأنواع الأذى وإذلاله حتى كان لا يقدر أن يكلمهم إلا بعجز وذلة. ﴿إذ أنتم جاهلون﴾ [چه آن وقت نادان بوديد بقبح آن] فلذلك أقدمتم على ذلك أو جاهلون بما يؤول إليه أمر يوسف، وإنما كان كلامه هذا شفقة عليهم وتنصحاً لهم في الدين وتحريضاً على التوبة لا معاتبة وتثريباً إيثاراً لحق الله على حق نفسه ـ روي ـ أنه لما قرأ الكتاب بكى وكتب إليه «بسم الله الرحمن الرحيم إلى يعقوب إسرائيل الله من ملك مصر أما بعد أيها الشيخ فقد بلغني كتابك وقرأته وأحطت به علماً وذكرت فيه آباءك الصالحين، وذكرت أنهم كانوا أصحاب البلايا فإنهم إن ابتلوا وصبروا ظفروا، فاصبر كما صبروا والسلام، فلما قرأ يعقوب الكتاب، قال: والله ما هذا كتاب الملوك ولكنه كتاب الأنبياء ولعل صاحب الكتاب هو يوسف».

قال الكاشفي: [آنكه نقاب افكند وتاج ازسر بر داشت ايشانرا نظر بران شكل وشمائل افتاد] ﴿قالوا أئنك لأنت يوسف﴾ استفهام تقرير [يعني البته تويى يوسف كه باين جمال وكمال ديكرى نتواند بود]

كه دارد ازهمه خوبان رخى چنين كه تو دارى

تبارك الله ازين روى نازنين كه تودارى

﴿قال أنا يوسف وهذا أخي﴾ من أبي وأمي ذكره مبالغة في تعريف نفسه وتفخيماً لشأن أخيه وإدخالاً له في قوله: ﴿قد منّ الله علينا﴾ فكأنه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والإذلال، فأنا يوسف وهذا أخي قد أنعم الله علينا بالخلاص مما ابتلينا به والاجتماع بعد الفرقة والأنس بعد الوحشة. ﴿إنه﴾ أي: الشأن ﴿من﴾ [هركه] ﴿يتق﴾ أي يفعل التقوى في جميع أحواله أويق نفسه عما يوجب سخط الله وعذابه. ﴿ويصبر﴾ على المحن كمفارقة الأوطان والأهل والعشائر والسجن ونحوها، أو على مشقة الطاعات أو عن المعاصي التي تستلذها النفس ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ أي: أجرهم وإنما وضع المظهر موضع المضمر

للتنبيه على أن المحسن من جمع بين التقوى والصبر [چون برادران يوسف را بشناختند روى بتخت آورده خواستند كه درپاى وى افتند يوسف ازتخت فروده آمده ايشانرا در كنار كرفت].

﴿قالوا تالله لقد آثرك الله علينا﴾ اختارك وفضلك علينا بالجمال والكمال والجاه والمال **﴿وإن﴾** أي: وإن شأننا وحالنا **﴿كنا لخاطئين﴾** يقال خطىء فعل الأثم عمداً، وأخطأ فعله غير عمد أي لمتعمدين بالذنب إذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك أعزك وأذلنا، وفيه إشعار بالتوبة والاستغفار ولذلك.

﴿قال لا تثريب عليكم اليوم﴾ [هيچ سرزنش نيست برشما امروز ومن هركز ديكر كناه شمارا باروى شمانيارم] وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش، ومعناه إزالة الثرب فكأن التعبير والاستقصاء في اللوم يذيب جسم الكريم وثربه لشدته عليه كما في الكواشي.

وقال ابن الشيخ: سمي التقريع تثريباً تشبيهاً له بالتثريب في اشتمال كل منهما على معنى التمزيق فإن التقريع يمزق العرض ويذهب ماء الوجه. واليوم منصوب بالتثريب أي لا تثريب عليكم اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بسائر الأيام؟ باليوم الزمان مطلقاً ثم ابتدأ فقال **﴿يغفر الله لكم﴾** فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم أو منصوب بيغفر وذلك أن يوسف صفح عن جريمتهم يومئذٍ فسقط حق العبد وتابوا إلى الله فلم يبق حق الله لأن الله تعالى يقبل التوبة عن عباده فلذلك قال **﴿يغفر الله لكم﴾**.

وفي «التأويلات النجمية» أخبر بصنيعهم في البداية ولكنه كان سبب رفعة منزلته ونيل مملكته في النهاية فلذلك قال: **﴿يغفر الله لكم﴾** انتهى.

ومن كرم يوسف أن إخوته أرسلوا إليه إنك تدعونا إلى طعامك بكرة وعشياً ونحن نستحيي منك بما فرط منا فيك فقال: إن أهل مصر وإن ملكت فيهم، كانوا ينظرون إليّ بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ، ولقد شرفت بكم الآن وعظمت في العيون حيث علم الناس أنكم إخوتي وأني من حفدة إبراهيم عليه السلام ـ وروي ـ أن رسول الله ﷺ أخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش «ما ترونني فاعلاً بكم»؟ قالوا نظن خيراً أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال: «أقول ما قال أخي يوسف **﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾**» ـ وروي ـ أن أبا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس: إذا أتيت الرسول فاتل عليه **﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾** ففعل فقال عليه السلام: «غفر الله لك ولمن علمك» **﴿وهو أرحم الراحمين﴾** لأن رحمة الراحمين أيضاً برحمته، أو لأن رحمتهم جزء من مائة جزء من رحمته تعالى والمخلوق إذا رحم فكيف الخالق.

باهى بسوزد جهانى كناه ... بأشكى بشويد درون سياه
بدر ماندهٔ تخت شاهى دهد ... بدر ماند كان هر چه خواهى دهد

قال السعدي قدس سره:

نه يوسف كه چندان بلاديد وبند ... چو حكمش روان كشت وقدرش بلند
كنه عفو كرد آل يعقوب را ... كه معنى بود صورت خوب را
بكر دار پدشان مقيد نكرد ... بضاعات مزجات شان رد نكرد
ز لطف همين چشم داريم نيز ... درين بي بضاعت ببخش اي عزيز
بضاعت نياوردم إلا اميد ... خدايا ز عقوم مكن نا اميد

قال في «بحر العلوم» الذنب للمؤمن سبب للوصلة والقرب من الله فإنه سبب لتوبته وإقباله على الله. قال أبو سليمان الداراني ما عمل داود عليه السلام عملاً أنفع له من الخطيئة ما زال يهرب منها إلى الله حتى اتصل.

وقال في «التأويلات النجمية» في قوله: ﴿وهو أرحم الراحمين﴾ إشارة إلى أنه أرحم من أن يجري على عبد من عباده المقبولين أمراً يكون فيه ضرر لعبد آخر في الحال وأنفع في المآل، ثم لا يوفقه لاسترضاء الخصم ليعفو عنه ما جرى منه ويستغفر له حتى يرحمه الله، وأيضاً إنه تعالى أرحم للعبد المؤمن من والديه وجميع الرحماء انتهى ـ حكي ـ أنه اعتقل لسان فتى عن الشهادة حين أشرف على الموت فأخبروا النبي ﷺ فدخل عليه وعرض الشهادة فاضطرب ولم يعمل لسانه فقال عليه السلام: «أما كان يصلي أما كان يزكي أما كان يصوم» قالوا بلى قال: «فهل عق والديه» قالوا نعم قال: «هاتوا بأمه» فجاءت وهي عجوز عوراء فقال عليه السلام «هلا عفوت أللنار حملته تسعة أشهر؟ أللنار أرضعته سنتين؟ فأين رحمة الأم» فعند ذلك انطلق لسانه بالكلمة والنكتة أنها كانت رحيمة لا رحمانة فللقليل من رحمتها ما جوزت إحراقه بالنار فالرحمن الرحيم الذي لا يتضرر بجناية العباد كيف يستجيز إحراق المؤمنين المواظب على كلمة الشهادة سبعين سنة.

﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

﴿اذهبوا﴾ لما عرفهم يوسف نفسه وعرفوه سألهم عن أبيه فقال ما فعل أبي بعدي قالوا اذهبت عيناه فأعطاهم قميصه، وقال: اذهبوا يا إخوتي. ﴿بقميصي هذا﴾ حال والباء للملابسة والمصاحبة ويجوز أن تكون للتعدية. فالمعنى بالفارسية [ببريد اين پيراهن مرا] وهو القميص المتوارث، كما روي عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: «أما قوله اذهبوا بقميصي هذا فإن نمرود الجبار لما ألقى إبراهيم في النار نزل الله جبريل بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة، وقعد معه يحدثه فكسا إبراهيم ذلك القميص إسحاق وكساه إسحاق يعقوب وكساه يعقوب يوسف فجعله في قصبة من فضة وعلقها» أي للحفظ من العين وغيرها.

وفي «التبيان» مخافة من إخوته عليه فألقي في الجب والقميص في عنقه وكان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى أو سقيم إلا صح وعوفي.

وفي «التأويلات النجمية» فيه إشارة إلى أن قميص يوسف القلب من ثياب الجنة وهو كسوة كساه الله تعالى من أنوار جماله إذا ألقى على وجه يعقوب الروح الأعمى يرتد بصيراً، ومن هذا السر أرباب القلوب من المشايخ يلبسون المريدين، خرقتهم لتعود بركة الخرقة إلى أرواح المريدين فيذهب عنهم العمى الذي حصل من حب الدنيا والتصرف فيها انتهى.

قال بعض الحفاظ: من الكذب قول من قال إن علياً ألبس الخرقة الحسن البصري فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعاً فضلاً عن أن يلبسه الخرقة انتهى.

يقول الفقير هذا من سنة المشايخ قدس الله أسرارهم فإنهم لبسوا الخرقة وألبسوها تبركاً وتيمناً وهم قد فعلوا ذلك بإلهام من الله تعالى وإشارة فليس لأحد أن يدعي أنه من الزيادات والبدع القبيحة.

وزرت في بلدة قونية مرقد حضرة الشيخ صدر الدين قدس سره وله في حجرة الكتب خرقة لطيفة محفوظة يقال إنها من ألبسة الجنة وغسلت طرفاً من ذيلها في طست له يستشفى بمائه وشربت على نية زوال الأمراض الظاهرة والباطنة والحمد لله. ﴿**فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً**﴾ يصير بصيراً، كقولك: جاء البناء محكماً بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيراً ويأتي إليّ حال كونه بصيراً ذاهباً بياض عينه وراجعاً إليها الضوء وينصره قوله ﴿**وائتوني**﴾ [وبيابيد بمن]. أي: أنتم وأبي ففيه تغلب المخاطبين ﴿**بأهلكم أجمعين**﴾ بنسائكم وذراريكم ومواليكم، فإن الأهل يفسر بالأزواج والأولاد وبالعبيد والإماء وبالأقارب وبالأصحاب وبالمجموع ـ روي ـ أن يهوداً حمل القميص وقال أنا أحزنته، بحمل القميص الملطخ بالدم إليه فأفرحه كما أحزنته فحمله وهو حاف حاسر من مصر إلى كنعان ومعه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها حتى أتاه وكانت المسافة ثمانين فرسخاً.

قال الكاشفي: [پيراهن بوي داد وأسباب راه جهت پدر ومتعلقان مهيا ساخنه برادران تسليم كرد].

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾

﴿**ولما فصلت العير**﴾ يقال فصل من البلد فصولاً إذا انفصل منه وجاوز حيطانه وعمرانه.

قال الكاشفي [وآن وقت كه جدا شد يعني بيرون آمد كاروان از عمارت مصر وبفضاء صحرا رسيده]. ﴿**قال أبوهم**﴾ يعقوب لمن عنده من ولد ولده وغيرهم ﴿**إني لأجد ريح يوسف**﴾ أوجده الله، أي جعله واجداً ريح ما عبق أي لزق ولصق من ريح يوسف من ثمانين فرسخاً حين أقبل به يهودا.

أيها السالون قوموا واعشقوا تلك ريا يوسف فاستنشقوا

قال في «المثنوي»:

بوي پيراهان يوسف را شديد آنكه حافظ بود يعقوبش كشيد

وهذا البيت إشارة إلى حال أهل السلوك والسكر وأصحاب الزهد والعشق، وذلك لأن الزاهد ذاهل عما عنده كالحمار الغافل عما استصحبه من الكتب فكيف يعرف ما عند غيره، والعاشق يستنشق من كل مظهر ريح سر من الأسرار ويدخل في خيشومه من روائح النفس الرحماني ما لو عاش الزاهد الف سنة على حاله ما شم شيئاً منها.

قال أهل المعاني: إن الله أوصل إليه رائحة يوسف عند انقضاء المحنة ومجيء وقت الروح والفرح من المكان البعيد، ومنع من وصول خبره إليه مع قرب إحدى البلدتين من الأخرى، وذلك يدل على أن كل سهل فهو في زمان المحنة صعب وكل صعب فهو في زمان الإقبال سهل.

وذكر أن ريح الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص، فأذن لها فأتته بها. قال المولى الجامي:

ديرمى جنبد بشيراي باد بركنعان كذر مژدهٔ پيراهن يوسف ببر يعقوب را

ولذلك يستروح كل محزون بريح الصبا ويتنسمها المكروبون، فيجدون لها روحاً وهي التي تأتي من ناحية المشرق وفيها لين إذا هبت على الأبدان نعمتها ولينتها وهيجت الأشواق إلى الأحباب والحنين إلى الأوطان قال الشاعر:

أيا جبلي نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها
فإن الصبا ريح إذا ما تنفست على نفس مهموم تجلت همومها

قال الحافظ:

باصبا همراه بفرست ازرحت كلدستهٔ بوكه بويي بشنويم از خاك بستان شما

وفي «التبيان» هاجت الريح فحملت ريح القميص من مسافة ثمانين فرسخاً واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص انتهى.

يقول الفقير: هذا موافق لما ذكر من أنه كان في القميص ريح الجنة لا يقع على مبتلى إلا صح فالخاصية في ريح الجنة لا في ريح يوسف كما ذهب إليه البيضاوي.

وأما الإضافة في قوله: ﴿ريح يوسف﴾ فللملابسة كما لا يخفى.

قال الامام الجلدكي في كتاب الإنسان من كتاب «البرهان» لعمري كلما كثفت طينة الإنسان وزادت كثافتها نقصت حواسه في مدركاتها لحجب الكثافة الطارية على ذات الإنسان من أصل فطرته، وأما جوهر ذات الإنسان إذا لطف وتزايدت لطافته فإن جميع حواسه تقوى ويزيد إدراكها وكثير من أشخاص النوع الإنسان يدركون بحاسة الشم الروائح العطرة من بعد المسافة على مسافة ميل، أو أكثر من ذلك على مسيرة أميال ولعل من تزايدت لطافته يدرك رائحة ما لا رائحة له من الروائح المعتادة كما قال الله تعالى حكاية عن يعقوب: ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾ وهذه الحاسة مخصوصة بأهل الكشف لا بغيرهم من الناس انتهى. وفي «المثنوي»:

بود واي گشم باشد نور ساز شد زبويى ديدهٔ ديدهٔ يعقوب باز
بوي بد مريده را تارى كند بوي يوف ديده را يارى كند
بوي كل ديدي كه انجاكل نبود جوش مل ديدي كه انجامل نبود
آن شنيدي داستان بايزيد كه زحال بو الحسن پيشين چه ديد
روزي آن سلطان تقوى ميكذشت بامريدان جانب صحرا ودشمت
برى خوش آمد مراورا ناكهان از سوادري زسوى خارقان
هم برانجا نالهٔ مشتاق كرد بوي را ازباد استشاق كرد
چون در وآثار مستى شد بديد يك مريد اورا ازان دم بر رسيد
پس بپر سيدش كه اين أحوال خوش كه برونست از حجاب پنج وشش
كاه سرخ وكاه زرد وكه سپيد مى شود رويت چه حالست ونويد
مى كشى بوي وبظاهر نيست كل بي شك از غيبست واز كلزار كل
كفت بوي بو العجب آمد بمن همچنانكه مصطفى را از يمن
كه محمد كفت برست ضبا از يمن مي آيدم بوي خدا
از اويس واز قرن بوي عجب مر نبي را مست كرد وپر طرب
كفت ازين سوبوي يارى مي رسد اندرين ده شهرياري مي رسد
بعد چندين سال مي زايد شهى مي زند بر آسمانها خر كهي
رويش از كلزار حق كلبون بود از من او اندر مقام افزون بود

چيست نامش كفت نامش بو الحسن　　حليه اش واكفت از كيسو ذقن
قد او ورنك او وشكل او　　يك بيك واكفت از كيسو ورو
حليهاي روح اورا هم نمود　　از صفات واز طريق وجا وبود

﴿لولا أن تفندون﴾ أي تنسبوني إلى الفند وهو الخرف ونقصان العقل وفساد الرأي من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة، إذ لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها، أي نقصان عقلها ذاتي لا حادث من عارض الهرم وجواب لولا محذوف تقديره لولا تفنيدكم لصدقتموني.

واعلم: أن الخرف بالفارسية: [فرتوت شدن] لا يطرأ على الأنبياء والورثة، لأنه نوع من الجنون الذي هو من النقائص وهم مبرأون مما يشين بهم من الآفات.

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

﴿قالوا﴾ أي الحاضرون عنده ﴿تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ [درهمان حيرت قديمى در أفراط محبت يوسف وبسيارىء ذكر أو وتوقع ملاقات أو بعد از چهل سال يا هشتاد سال] وكان عندهم قد مات وفيه إشارة إلى أنه لا بد للعاشق من لائم:

يا عاذل العاشقين دع فئة　　أضلها الله كيف ترشدها
مكن بنامه سياهى ملامت من مست　　كه آكهست تقدير برسرش چه نوشت

﴿فلما أن﴾ إن صلة أي زائدة لتأكيد الفعلين واتصالهما حتى كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان من غير وقت ﴿جاء البشير﴾ [مژده دهنده] وهو يهودا. ﴿ألقاه على وجهه﴾ طرح البشير القميص على وجه يعقوب. ﴿فارتد﴾ الارتداد انقلاب الشيء إلى حال كان عليها وهو من الأفعال الناقصة أي عاد ورجع. ﴿بصيراً﴾ بعدما كان قد عمي ورجعت قوته وسروره بعد الضعف والحزن:

داشت در بيت حزن جامى جاي　　جاءه منك بشير فنجا

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿فلما أن جاء البشير﴾ من حضرة يوسف القلب إلى يعقوب الروح بقميص أنوار الجمال ﴿ألقاه على وجهه فارتد بصيراً﴾ يشير إلى أن الروح كان بصيراً في بدو الفطرة ثم عمي لتعلقه بالدنيا وتصرفه فيها ثم ارتد بصيراً بوارد من القلب.

ورد البشير بما أقر الأعينا　　وشفى النفوس فنلن غايات المنى
وتقاسم الناس المسرة بينهم　　قسما فكان أجلهم حظاً أنا

وفيه إشارة إلى أن القلب في بدو الأمر كان محتاجاً إلى الروح في الاستكمال فلما كمل وصلح لقبول فيضان الحق بين الأصبعين ونال مملكة الخلافة بمصر القربة في النهاية صار الروح محتاجاً إليها لاستنارته بأنوار الحق، وذلك، لأن القلب بمثابة المصباح في قبول نار نور الإلهية والروح بمثابة الزيت، فيحتاج المصباح في البداية إلى الزيت في قبول النار ولكن الزيت يحتاج إلى المصباح وتركيبه في النهاية ليقبل بواسطته النار، فإن الزيت بلا مصباح وآلاته ليس قابلاً للنار فافهم جداً. ﴿قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ أي: ألم أقل لكم يا بني حين أرسلتكم إلى مصر وأمرتكم بالتجسس ونهيتكم عن اليأس من روح الله إني أعلم من

الله ما لا تعلمون من حياة يوسف وإنزال الفرج ـ وروي ـ أنه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما أصنع بالملك وعلى أي دين تركته قال على دين الإسلام قال الآن تمت النعمة.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾

﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا﴾ [آمرزش طلب براي ما ازخدا عز وجل] ﴿إنا كنا خاطئين﴾ متعمدين للخطيئة والإثم مذنبين بما فعلنا بك وبيوسف وبنيامين، ومن حق شفقتك علينا أن تستغفر لنا ذنوبنا فإنه لولا ذلك لكنا هالكين.

﴿قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم﴾ سوف وعسى ولعل في وعد الأكابر والعظماء يدل على صدق الأمر وجده ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت وإنما يعنون بذلك إظهار وقارهم وترك استعجالهم فعلى ذلك جرى وعد يعقوب كأنه قال إني استغفر لكم لا محالة وإن تأخر كما في «بحر العلوم».

وعن شعبي قال: ﴿سوف أستغفر لكم ربي﴾ قال اسأل يوسف إن عفا عنكم استغفر لكم ربي، فإن عفو المظلوم شرط المغفرة فأخر الاستغفار إلى وقت الاجتماع بيوسف، فلما قدموا عليه في مصر قام إلى الصلاة في السحر ليلة الجمعة، وكانت ليلة عاشوراء، فلما فرغ رفع يديه، وقال: اللهم اغفر جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما أتوا به أخاهم، وقام يوسف خلفه يؤمن، وقام إخوته خلفهما أذلة خاشعين، فأوحى الله إليه إن الله قد غفر لك ولهم أجمعين ثم لم يزل يدعو لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة إلى أن حضره الوفاة.

والتحقيق في هذا المقام ما قاله حضرة شيخي وسندي قدس الله سره في بعض تحريراته وهو أنه تعالى قال في حكاية قول يوسف عليه السلام: ﴿يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ وقال في حكاية قول يعقوب عليه السلام: ﴿سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم﴾ وذلك لأنه انبعث من غيب قلب يوسف النظر إلى ما نال إليه بسبب إخوته من النعماء والآلاء وانبعث أيضاً من غيب قلبه النية والإرادة للاستغفار لهم، فقال بلا توقف ولا تأخر: ﴿يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ أي: وهو أرحم بكم مني ومن أبي ومنكم ومن سائر الراحمين وهو يرحمكم ويغفر لكم بسبب استغفاري لكم قدر ما نلت إليه بسبب ابتلائي بكم بل فوقه، إذ لولا رحمته ومغفرته لكم لما ابتلاني بكم ولما أنالني إلى ما رأيتم من السلطنة الظاهرة والباطنة والنعمة التامة الكاملة، ولم ينبعث عن غيب قلب يعقوب عليه السلام ذلك، بل انبعث النظر إلى ما وصل إليه بسببهم من العناء والمحن، ولم ينبعث النية للاستغفار لهم، بل توقف وتأخر إلى انبعاث النية من جانب الغيب حتى يستغفر لهم بالنية الصادقة المأذونة من قبل الحق تعالى فقال إشارة إلى هذا وتنبيهاً لهم عليه. ﴿سوف أستغفر لكم﴾ ربي حين تنبعث نية الاستغفار إلى قلبي من قبل العزيز الغفار ولا تستعجلوا ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ لأنه كما أنزل عليّ هذه المنح في صورة المحن من قبلكم يرحمكم ويغفر لكم ولولا إرادته الرحمة والمغفرة لكم لما ابتلاكم بهذا البلاء ولكن هذه الوقعة نعمة في صورة النقمة ورحمة في صورة الغضب، الحمد لله على ما أنعم وهو الأكرم والأرحم وأصل ذلك إرادة الحق سبحانه أن يتجلى لهم بالقبض

والجلال من جانب أبيهم وبالبسط والجمال من جانب أخيهم حتى ينالوا إلى مرتبة الصبر بالتجلي الأول، ويصلوا إلى مرتبة الشكر التجلي الثاني وتكون تربيتهم بالقبضتين واليدين، ومرتبتهم جامعة بين المرتبتين فلو كان التجلي من كلا الجانبين بالقبضة واليد الواحدة لكان مخالفاً لسنته القديمة فإنه لا يتجلى لأحد من مجليين إلا بصورتين مختلفتين، وكذا لا يتجلى لشخصين من مجليين إلا بصورتين ألا ترى أنه لا يوجد شخصان في صورة واحدة وإن كانا من أب واحد، لأن في اتحاد التجلي فيهما تحصيل حاصل وهو نوع عبث تعالى شأنه عن العبث علواً كبيراً.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾.

﴿فلما دخلوا على يوسف﴾ ـ روي ـ أن يوسف وجه إلى أبيه جهازاً كثيراً ومائتي راحلة وسأله أن يأتيه بأهله أجمعين فتهيأ يعقوب للخروج إلى مصر. قال الخجندي:

كرد شيرين دهن ما خبر يار عزيز | كه زمصرت دكرا اينك شكرى مي آيد

فتوجه مع أولاده وأهاليهم إلى مصر على رواحلهم فلما قربوا من مصر أخبر بذلك يوسف.

صبا زدوست پيامي بسوى ما آورد | بهمدمان كهن دوستى بجا آورد
براي چشم ضعيف رمد كرفتهٔ ما | ز خاك مقدم محبوب توتيا آورد

فاستقبله يوسف والملك الريان في أربعة آلاف من الجند أو ثلاثمائة ألف فارس والعظماء وأهل مصر بأجمعهم، ومع كل واحد من الفرسان جنة من فضة وراية من ذهب فتزينت الصحراء بهم واصطفوا صفوفاً، وكان الكل غلمان يوسف ومراكبه، ولما صعد يعقوب تلاً ومعه أولاده وحفدته أي أولاد أولاده ونظر إلى الصحراء مملوءة من الفرسان مزينة بالألوان نظر إليهم متعجباً فقال له جبريل: انظر إلى الهواء فإن الملائكة قد حضرت سروراً بحالكم كما كانوا محزونين مدة لأجلك. يعني [ازين لشكر وتجمل عجب ميداري ببالا نكر جنود ملك از زمين تا فلك بتفرج آمده بشادىٔ تو مبتهج ومسروروند چنانچه درين مدت ازانده تومحزون ورنجور بودند]. ثم نظر يعقوب إلى الفرسان، فقال: أيهم ولدي يوسف، فقال جبريل: هو ذاك الذي فوق رأسه ظلة فلم يتمالك أن أوقع نفسه من البعير فجعل يمشي متوكئاً على يهودا:

راه نزديك و بماندم سخت دير | سير كشتم زين سواري سيرسير
سر نكون خودرا زاشتردر فكند | كفت سوزندم زغم تاچند چند

فقال جبريل: يا يوسف إن أباك يعقوب قد نزل لك فأنزل له فنزل من فرسه وجعل كل واحد منهما يعدو إلى الآخر فلما تقربا قصد يوسف أن يبدأ بالسلام فقال جبريل لا حتى يبدأ يعقوب به؛ لأنه أفضل وأحق فابتدأ به وقال السلام عليك يا مذهب الأحزان.

چه جورها كه كشندند بلبلان ازدى | ببوى آنكه دكر نو بهار باز آيد

فتعانقا وبكيا سروراً وبكت ملائكة السموات وماج الفرسان بعضهم في بعض وصهلت الخيول وسبحت الملائكة وضرب بالطبول والبوقات فصار كأنه يوم القيامة.

چه خوش جاليست روى دوست ديدن | پس از عمري بيك ديكر رسيدن
بكام دل زماني آرميدن | بهم كفتن سخن وزهم شنيدن

قال يوسف: يا أبت بكيت عليّ حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا؟ فقال: بلى ولكن خشيت أن يسلب دينك فيحال بيني وبينك، نسأل الله الثبات على الإيمان إنه الكريم المنان.

عروسي بود نوبت ما تمت كرت نيك روزي بود خاتمت

﴿آوى إليه أبويه﴾ الجمهور على أن المراد بأبويه أبوه وخالته ليا لأن أمه راحيل كانت قد ماتت في ولادة بنيامين ولذلك سمي بنيامين فإن يامين وجع الولادة بلسانهم كما في تفسير أبي الليث. والرابة وهي موطوءة الأب تدعى أماً لقيامها مقام الأم أو لأن الخالة أم كما أن العم أب. والمعنى ضمهما إلى نفسه فاعتنقهما وكأنه عليه السلام حين استقبلهم نزلهم في خيمة أو بيت كان له هنالك فدخلوا عليه في ذلك البيت أو الخيمة وضمهما إليه.

وقال الكاشفي: [پس در نزديك مصر موضعي بود ازان يوسف وقصر رفيع در آنجا ساخته بودند يوسف در انجا نزول فرمود پس آن هنكام كه در آمد بر يوسف دران منزل آوى إليه أبويه جاي داد بسوى خود پدر وخالهء خودراكه بجاي ما درش بود وديكر باره برادران را دركنار كرفت خالته را پرسش فرمود وبرادر زادكانرا نوازش كرد]. ﴿وقال﴾ لهم قبل أن يدخلوا مصر ﴿ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾ من الجوع والخوف وسائر المكاره قاطبة، لأنهم كانوا قبل ولاية يوسف يخافون ملوك مصر ولا يدخلونها إلا بإجازتهم لكونهم جبابرة، والمشيئة متعلقة بالدخول والأمن معاً كقولك للغازي ارجع سالماً غانماً إن شاء الله، فالمشيئة متعلقة بالسلامة والغنم معاً والتقدير ادخلوا مصر آمنين وذو الحال هو فاعل ادخلوا.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿ورفع أبويه﴾ عند نزولهم بمصر وكانوا اثنين وسبعين رجلاً وامرأة وكانوا حين خرجوا منها مع موسى عليه السلام ستمائة ألف وخمسمائة وبضعا وتسعين أو سبعين رجلاً سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي ألف. ﴿على العرش﴾ وهو السرير الرفيع الذي كان يجلس عليه يوسف وهو بالفارسية [تخت] أي اجلسهما معه على سرير الملك تكرمة لهما فوق ما فعله لإخوته، واشتركوا في دخول دار يوسف لكنهم تباينوا في الإيواء فانفرد الأبوان بالجلوس معه على سرير الملك لبعدهما من الجفاء كذا غداً إذا وصلوا إلى الغفران يشتركون فيه في دخول الجنة ولكنهم يتباينون في بساط القربة فيختص به أهل الصفاء دون من اتصف اليوم بالالتواء.

هركسى ازهمت والاى خويش سود برد در خور كالاي خويش

﴿وخروا له﴾ [وبروى درافتادند پدر وخاله وبرادران مرورا] ﴿سجداً﴾ حال مقدرة لأن السجود بعد الخرور يكون؛ أي حال كونهم ساجدين تحية وتكرمة له، فإنه كان السجود عندهم جارياً مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الناشئة في التعظيم والتوقير والرفع مؤخر عن الخرور إذ السجود له كان قبل الصعود على السرير في أول الملاقاة لأن ذلك هو وقت التحية إلا أنه قدم لفظاً للاهتمام بتعظيمه لهما، والترتيب

الذكري لا يجب كونه على وقف الترتيب الوقوعي وليصل به ذكر كونه تعبير الرؤيا.

قال الكاشفي: [يوسف كه آن حال مشاهده نمود إظهار مسرت وبهجت فرمود] ﴿**وقال يا أبت**﴾ [أي پدرمن] ﴿**هذا**﴾ [اين سجده كردن شمارا]. ﴿**تأويل رؤياي**﴾ التي رأيتها وقصصتها عليك ﴿**من قبل**﴾ في زمن الصبى يريد قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝٤﴾ [يوسف: ٤] ﴿**قد جعلها ربي حقاً**﴾ صدقاً في اليقظة واقعاً بعينها.

قال بعضهم: وقعت رؤيا يوسف بعد أربعين سنة وإليها ينتهي الرؤيا. يقول الفقير: فيكون القول بأن الاجتماع كان بعد ثمانين سنة مرجوحاً.

واعلم أن السبب في تأخير ظهور المنامات الجيدة وسرعة الرديئة هو أن القدرة الإلهية المظهرة لهذه المنامات تعجل البشارة بالخيرات الكامنة قبل أوانها بمدة طويلة لتكون مدة السرور أطول وتؤخر الانذار بالشرور الكامنة إلى زمان يقرب من حصولها ليقصر زمان الهم والحزن.

قال الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره: في شرح قوله عليه السلام: «أصدق المنامات ما رؤي في السحر»: اعلم أن السحر هو زمان أواخر الليل واستقبال أول النهار، والليل مظهر الغيب والظلمة، والنهار هو زمان الكشف والوضوح ومنتهى سير المغيبات والمقدرات الغيبية في العلم الإلهي ثم في عالم المعاني والأرواح ولما كان زمان السحر هو مبدأ زمان استقبال كمال الانكشاف والتحقق، لزم أن الذي يرى إذ ذاك يكون قريب الظهور والتحقق وإلى ذلك أشار يوسف بقوله: هذا ﴿**تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً**﴾ أي: ما كملت حقية الرؤيا إلا بظهورها في الحس فإن فيه ظهر المقصود من تلك الصورة الممثلة وأينعت ثمراتها انتهى.

وقال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر. ﴿**هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً**﴾ أي: أظهرها في الحس بعد ما كانت في صورة الخيال، فقال النبي عليه السلام: «الناس نيام» أي جعل النبي عليه السلام اليقظة أيضاً نوعاً من أنواع النوم لغفلة الناس فيها عن المعاني الغيبية والحقائق الإلهية، كما يغفل النائم عنها فكان قول يوسف ﴿**قد جعلها ربي حقاً**﴾ بمنزلة من رأى في نومه أنه استيقظ من رؤيا رآها ثم ذكرها وعبرها ولم يعلم أنه في النوم عينه ما برح فإذا استيقظ، يقول: رأيت كذا ورأيت كأني استيقظت وأولتها بكذا هذا مثل ذلك، كما قال في «المثنوي»:

اين جهانراكه بصورت قائمست　　كفت پيغمبر كه حلم نائمست
او كمان برده كه اين دم خفته ام　　بي خبر زان كوست در خواب دوم

فانظر كم بين إدراك محمد وبين إدراك يوسف عليهما السلام في آخر أمره حين قال: ﴿**هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً**﴾ معناه ثابتاً حساً، أي محسوساً وما كان إلا محسوساً فإن الخيال لا يعطى أبداً إلا المحسوسات ليس له غير ذلك، فالنبي عليه السلام جعل الصورة الحسية أيضاً كالصورة الخيالية التي تجلى الحق والمعاني الغيبية فيها، وجعل يوسف الصور الحسية حقاً ثابتاً والصور الخيالية غير ذلك فصار الحس عنده مجالي للحق والمعاني الغيبية دون الخيال، فانظر ما أشرف علم ورثة سيد الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. وهم، أي: الورثة الأولياء الكاملون المطلعون على هذه الأسرار.

والإشارة: أن يعقوب هو الروح، وزوجته النفس، وأولاده أوصاف البشرية والقوى والحواس، ويوسف هو القلب والقلب بمثابة العرش، وهو على الحقيقة عرش الرحمن والسجدة كانت على الحقيقة لرب لعرش لا للعرش، وقوله: ﴿إن شاء الله﴾ لأنه لا يصل إلى مصر حضرة الملك العزيز أحد إلا بجذبة مشيئته وقوله ﴿آمنين﴾ أي: من الانقطاع عن تلك الحضرة فإنها منزهة عن الاتصال والانفصال والانقطاع عنها.

فعلى العاقل أن يجتهد في طريق الوصول إلى أن تنفتح بصيرته ويتخلص من الظلمة ولا يقول أين هو كما قال في «المثنوي»:

اين جهان پر آفتاب ونورماه — أو بهشت سر فرو برده بچاه
كه اكر حقست پس كوروشنى — سر زچه بردار وبنكراي دنى
جمله عالم شرق وغرب آن نور يافت — تاتودر چاهى نخواهد برتوتافت

وصحبة هذا النور إنما تحصل بالصبر على المعاصي والشرور، وإصلاح الطبيعة والنفس بالشريعة والطريقة، وحبس الوجود في ظلمة بيت الخلوة إلى إشراق نور الحقيقة ألا ترى إلى قول الحافظ الشيرازي:

آنكه پيرانه سرم صحبت يوسف بنواخت — اجر صبريست كه در كلبهٔ احزان كردم

اللهم اجعلنا من الواصلين ﴿وقد أحسن بي﴾ قال في «الكواشي» المفعول محذوف تقديره أحسن بي صنعه والمشهور استعمال الإحسان بإلى وقد يستمل بالباء أيضاً كما في قوله: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [البقرة: ٨٣] والمعنى بالفارسية [وبدرستى كه نيكويي كرده است بمن آفرين كارمن] ﴿إذ أخرجني من السجن﴾ [چون بيرون آورد مرا اززندان] ولم يذكر الجب لئلا يستحي إخوته ومن تمام الصفح والعفو أن لا يذكر ما تقدم من الذنب، ولأنه كان في السجن مع الكفار وفي الجب مع جبرائيل ولأنه كان في وقت دخول الجب صغيراً ولا يجب الشكر على الصبيان ولأن عهده بالسجن أقرب من الجب فلذا ذكره والوجه الأول أرجح، وقد سبق مثله في حق زليخا أيضاً حيث قال: ﴿ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن﴾ ولم يذكر زليخا.

قال لقمان رضي الله عنه: خدمت أربعة آلاف نبي واخترت من كلامهم ثماني كلمات. إن كنت في الصلاة فاحفظ قلبك، وإن كنت في بيت الغير فاحفظ عينيك، وإن كنت بين الناس فاحفظ لسانك، واذكر اثنين، وانسَ اثنين، أما اللذان تذكرهما فالله والموت، وأما اللذان تنساهما إحسانك في حق الغير وإساءة الغير في حقك.

وفي «التأويلات» أخرجني من سجن الوجود، ولهذا لم يقل من الجب جب البشرية ونعمة إخراجه من سجن الوجود أكبر من نعمة إخراجه من جب البشرية. ﴿وجاء بكم﴾ [وآورد شمارا] ﴿من البدو﴾ قال في «القاموس» والبدو والبادية خلاف الحضر لكون الصحراء بادية على العين أي ظاهرة سميت بها وكانوا أصحاب المواشي والعمد أي الأخبية ينتقلون في الماء والمرعى.

وقال الكاشفي: [وآن موضعي بود اززمين فلسطين درزمين شام كه يعقوب آنجا نشستى وآن نزديك كنعان بود يوسف جهت شكر نعمت فرمودكه حق سبحانه وتعالى مرا اززندان بتخت رسانيد وشمارا ازباديه نزديك من آورد تابايكديرك برنشينيم] ﴿من بعد أن نزغ الشيطان

بيني وبين إخوتي﴾ أي أفسد بيننا وحرش واغرى من نزغ الرائض الدابة إذا نخسها وحملها على الجري والحركة ولقد بالغ في الإحسان حيث نسب ذلك إلى الشيطان.

يقول الفقير: الأدب أن يسند الشر إلى النفس والشيطال لأنهما معدنه ومنشأه، وإن كان الكل بخلق الله تعالى ﴿إن ربي لطيف لما يشاء﴾ أي: لطيف التدبير لأجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب ما من صعب إلا وهو بالنسبة إلى تدبيره سهل.

وقال في «الكواشي»: ذو لطف بمن يشاء واللطف الإحسان الخفي.

قال الامام الغزالي رحمه الله: إنما يستحق هذا الاسم من يعلم دقائق المصالح وغوامضها ومادق منها وما لطف ثم يسلك في إيصالها إلى المستصلح سبيل الرفق دون العنف، وإذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الإدراك تم معنى اللطف ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل إلا لله تعالى، وحظ العبد من هذا الوصف الرفق بعباد الله تعالى والتلطف بهم في الدعوة إلى الله والهداية إلى سعادة الآخرة، من غير إزراء وعنف ومن غير تعصب وخصام وأحسن وجوه اللطف فيه الجذب إلى قبول الحق بالشمائل والسير المرضية والأعمال الصالحة فإنها أوقع وألطف من الألفاظ المزينة. وفي «المثنوي»:

پند فعلى خلق را جذابتر كه رسدد رجان هربا كوش كر

﴿إنه هو العليم﴾ بليغ العلم بوجوه المصالح والتدابير. ﴿الحكيم﴾ الذي يفعل كل شيء على قضية الحكمة وقد سبق في أوائل هذه السورة سر التقدم والتأخر بين اسمي العليم والحكيم ـ روي ـ أن يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزائن القراطيس وهو أول من عملها قال يا بني ما أعقك؟ عندك هذه القراطيس وما كتبت إليّ على ثماني مراحل.

صدبارشد ازعشق توام حال دكر كون يكبار نكفتي فلان حال توچون شد

قال: أمرني جبريل، قال أو ما تسأله؟ قال: أنت ابسط إليه مني فاسأله، قال جبريل: الله أمرني بذلك لقولك: أخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتني. قال المولى الجامي:

زليخا چون زيوسف كام دل يافت بوصل دائمش آرام دل يافت
تمادى يافت أيام وصالش دران دولت زچل بكذشت سالش
پياپي داد آن نخل برومند بر فرزند بل فرزند فرزند
مرادي درجهان دردل نبودش كه برخوان امل حاصل نبودش

وولد ليوسف من راعيل، أي زليخا إفراييم وميشا وحمة امرأة أيوب علي السلام، وولد لإفراييم نون، ولنون يوشع فتى موسى، ولما نزل يعقوب في قصر يوسف جاء أولاد يوسف فوقفوا بين يدي يعقوب ففرح بهم وقبلهم، وحدثه يوسف بحديثه مع زليخا وما كان منه ومنها وأخبره أن هؤلاء أولاده منها فاستدعاها يعقوب فحضرت وقبلت يده وسألته زليخا أن ينزل عندها فقال لا أرضى بزينتكم هذه ولكن اصنعوا لي عريشاً من البردى والقصب مثل عريشي بأرض كنعان فصنعوا له عريشاً كما أراد ونزل فيه في أتم سرور وغبطة.

قال السهيلي: كان مساكن نبينا ﷺ مبنية من جريد النخل عليه طين وبعضها من حجارة مرصوصة وسقفها كلها من جريد.

وعن الحسن البصري: كنت وأنا مراهق أدخل بيوت أزواج النبي عليه السلام في خلافة عثمان رضي الله عنه فأتناول سقفها بيدي، وهدمها عمر بن عبد العزيز بعد موت أزواجه عليه السلام وأدخلها في المسجد.

قال بعضهم: ما رأيت باكياً أكثر من ذلك اليوم، وليتها تركت ولم تهدم حتى يقصر الناس عن البناء ويرضون بما رضي الله لنبيه عليه السلام، ومفاتيح خزائن الأرض بيده عليه السلام، أي فإن ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر في البنيان، وفي الحديث: «إن شر ما ذهب فيه مال المرء المسلم البنيان».

وكتب بهلول على حائط من حيطان قصر عظيم بناه أخوه الخليفة هارون؛ يا هارون رفعت الطين ووضعت الدين رفعت الجص ووضعت النص، إن كان من مالك فقد أسرفت، إن الله لا يحب المسرفين، وإن كان من مال غيرك ظلمت إن الله لا يحب الظالمين.

﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿رب﴾ - روي - أن يعقوب أقام مع يوسف أربعاً وعشرين سنة، وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحاق فنقله يوسف بنفسه في تابوت من ساج فوافق يوم وفاة عيص فدفنا في قبر واحد وكانا في بطن واحد وكان عمرهما مائة وسبعاً وأربعين سنة كما في «تفسير أبي الليث» ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثاً وعشرين سنة، وكان عمره مائة وعشرين سنة فلما جمع الله شمله وانتظمت أسبابه واطردت أحواله ورأى أمره على الكمال علم أنه أشرف على الزوال وأن نعيم الدنيا لا يدوم على كل حال قال قائلهم:

إذا تـم أمـر دنـا نـقـصـه تـوقـع زوالا إذا قـيـل تـم

فاسألِ الله الموت بحسن العاقبة.

قال الكاشفي [يوسف پدررا بخواب ديدكه ميكويد اي يوسف بغايت مشاق لقاي توام بشتاب تاسه روز ديكر نزد من آيى يوسف از خواب در آمد وبرادرانرا طلبيد ووصيتها كرد ويهودا ولي عهد ساخته فرزندانرا بروسپرد وبطريق مناجات كفت اي پروردكار من] ﴿قد آتيتني من الملك﴾ أي أعطيتني بعضاً منه عظيماً وهو ملك مصر إذ لم يكن له ملك كل الدنيا.

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره: كان في وجود يوسف عليه السلام قابلية السلطنة وأما سلطان الأنبياء ﷺ فقد أفنى جميع ما في ملك وجوده من جهة الأفعال والصفات فلم يبق شيء، فظهر مكانه شيء لا يوصف بحيث وقع تجلى الذات فملكه وسلطانه لا يدانيه شيء ولذا لو قال أحد على وجه التحقير إنه كان فقيراً يكفر.

شمع سراجهٔ أبيت اختر برج لو دنوت تـارك ديـنـئ دنى مـالـك مـلـكـت دنـا

﴿وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾ [وبياموختى مرا از تعبير خوابها] ومن للتبعيض أيضاً لأنه لم يؤت علم كل التأويل على التفصيل وإن جاز أن يؤتى ملكته، ويقال من هنا لإبانة الجنس لا للتبعيض.

قال ابن الكمال: الأحاديث مبني على واحده المستعمل وهو الحديث، كأنهم جمعوا حديثاً على أحدثة ثم جمعوا الجمع على أحاديث كقطيع واقطعه وأقاطيع، والمراد بالأحاديث

الرؤي جمع الرؤيا وتأويلها بيان ما تؤول هي إليه في الخارج وعلم التعبير من العلوم الجليلة لكنه ليس من لوزم النبوة والولاية، فقد يعطيه الله بعض خواصه على التفصيل وبعضهم على الإجمال. ﴿فاطر السموات والأرض﴾ أي: خالقهما وموجدهما من العدم إلى الوجود.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان معنى الفاطر غير ظاهر لي إلى أن تقدم رجلان من العرب يدعي كل منهما الملكية في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها أي ابتدأت حفرها فعرفت ذلك ﴿أنت وليي﴾ سيدي وأنا عبدك.

وقال الكاشفي: [تويى يا رمن ومتولىء كارمن] أي القائم بأمري ﴿في الدنيا والآخرة﴾ [درين سراي ودران سراي] واعلم أن من عرض له حاجة فأراد أن يدعو فعليه أن يقدم الثناء على الله تعالى ولذا قدم يوسف عليه السلام الثناء، ثم قال داعياً. ﴿توفني مسلماً﴾ وهو طلب للوفاة على حال الإسلام لأنها تمام النعمة ونحوه ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ويجوز أن يكون تمنيا للموت أي اقبضني إليك مخلصاً بتوحيدك.

قيل: ما تمنى الموت نبي قبله ولا بعده إلا هو. وفي «المثنوي»:

پس رجال از نقل عالم شادمان وزبقا اش شادمان اين كودكان
همچنين باد اجل بر عارفان نرم وخوش همچون نسيم يوسفان
آتش إبراهيم را دندان نزد چون كزيده حق بود چونش كزد

وفي الحديث: «الموت تحفة المؤمن» لأن الدنيا سجنه لا يزال منها في عناء بمقاساة نفسه ورياضتها في شهواتها ومدافعة شيطانه فالموت إطلاقه واستراحته، كما قيل موت الأمراء فتنة وموت العلماء مصيبة وموت الأغنياء محنة، وموت الفقراء راحة، وفي الحديث: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، وقالوا يا رسول الله كلنا نكره الموت قال: «ليس ذلك بكراهة للموت ولكن المؤمن إذا احتضر جاء البشير من الله بما يرجع إليه، فليس شيء أحب إليه من لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الفاجر أو الكافر إذا احتضر جاءه النذير بما هو صائر إليه من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه» ومعنى محبة الله أفاضة فضله على المؤمن وإكثار العطايا له ومعنى كراهته تبعيد الكافر عن رحمته وإرادة نقمته.

وإنما دعا يوسف بهذا الدعاء وهو التوفي مسلماً ليقتدي به قومه ومن بعده ممن ليس بآمن على ختمه فلا يترك الدعاء امتثالاً له، لأن ظواهر الأنبياء عليهم السلام كانت لنظر الأمم إليهم ليعلموا موضع الشكر من موضع الاستغفار. ﴿وألحقني بالصالحين﴾ أي بآبائي المرسلين في الجنة أو بعامة الصالحين في النعمة والكرامة وهو اسم للأنبياء لكمال حالهم واستجماع خصال الخير فيهم قال تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنبياء: ٨٦].

قال سعدي المفتي: فيه بحث فإن يوسف من أكابر الأنبياء والصلاح أول درجات المؤمنين فكيف يليق به أن يطلب اللحاق بمن هو في البداية ثم قال ويمكن أن يقال سبيله سبيل الاستغفار عن نبينا عليه السلام فإن أمثاله تصدر عن الأنبياء هضماً للنفس انتهى.

يقول الفقير: هذا معنى ساقط ذهول عن حقيقة الحال وكأنه ذهب بوهمه إلى ترتيب قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] ولم يعرف أن مرتبة الصلاح مرتبة عظيمة جامعة لجميع المراتب، فإن الصالح إذا ترقى من مقامه يسمى شهيداً ثم صديقاً ثم نبياً ويلزم منه أن لا يتصف الشهيد مثلاً بالصلاح، فإن تسميته شهيداً

إنما هي باعتبار صفة غالبة كتسمية الإنسان أميراً ثم وزيراً باعتبار تفاوت درجات ولايته مع كونه إنساناً في نفسه، فكما أن أرباب البداية يسمون صلحاء كذلك أصحاب النهاية بشهادة الله تعالى كما قال: ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنبياء: ٨٦] وقال: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف: ١٩٦] ووجهه أن النهاية هي الرجوع إلى البداية فالتوفي مسلماً إشارة إلى مرتبة الفناء في الله، والإلحاق بالصالحين إشارة إلى مرتبة البقاء بالله فإن المعنى عند أهل الإشارة توفتني مسلماً أي افنى عني بك مستسلماً والحقني بالصالحين للبقاء بك بأن تغنيني عني وتبقيني ببقائك الأزلي الأبدي فافهم وفقك الله ـ روي ـ أن يوسف عليه السلام قص رؤياه المذكورة كما نقل عن الكاشفي على زليخا ودعا بهذا الدعاء فعلمت أن الله يقبل دعاءه وأن الأمر يصير إلى الفرقة بعد الوصلة فبكت وقالت إلهي:

ندارم طاقت هجران يوسف ... زتن كش جان من باجان يوسف
بقائون وفانيكو نباشد ... كه من باشم بدنيا اونباشد
وكر بامن نسازى همره اورا ... مرا بيرون براول آنكه اورا
بديكر اوز يوسف بامدادان ... كه شد دلها زفيض صبح شاذان
ببر كرده لباس شهرياري ... برون آمد بآهنك سوازي
چو پا دريك ركاب آورد جبريل ... بدو كفتا مكن زين بش تعجيل
امان نبود زچرخ عمر فرساي ... كه سايد درركاب ديكرت پاي
عنان بكسل زآمال اماني ... بكش پا از ركاب زندكاني
چو يوسف اين بشارت كرد ازوكوش ... زشادى شد بروهستى فراموش
زشاهى دامن همت بر افشاند ... يكى از وارثان ملك برخواند
بجاي خودشه آن مر زكردش ... بخصلتهاي نيك اندر زكردش
دكر كفتار زليخارا بخوانيد ... بميعاد وداع من رسانيد
بكفتند او زدست غم زبونست ... فتاده درميان خاك وخونست
ندارد طاقت اين باد جانش ... بحال خويش بكذار آنجنانش
بكف جبريل حاضر داشت سيبى ... كه باغ خلد ازان ميداشت زيبى
چو يوسف را بدست آن سيب بنهاد ... روان آن سيب را بويدو جان داد
چو يوسف را ازان بوجان بر آمد ... زجان حاضران افغان بر آمد
زليخا كفت اين سوز وفغان چيست ... پراز غوغا زمين وآسمان چيست
بدو كفتند كان شاه جوان بخت ... بسوى تخته رو كرد از سر تخت
وداع كلبهٔ تنك جهان كرد ... وطن بر اوج كاخ لامكان كرد
زهول اين سخن آن سرو چالاك ... سه روز افتاد همچون سايه بر خاك
چو چارم روز شد زان خواب بيدار ... سماع آن زخود بر دش دكر بار
سه باراينسان سه روز از خود همي رفت ... بداغ سينه سوز خود همي رفت
چهارم بار چون آمد بخود باز ... ز يوسف كرد اول پرسش آغاز
جز اين ازوى خبر بازش ندادند ... كه همچون كنج درخاكش نهادند
بيك جنبش ازين اندوه خانه ... بر حلت كاه يوسف شد روانه

كهى فرقش همي بوسيدو كه پاي | فغان ميزد زدل كاي واي من واي
فرو رفته توهمچون آب در خاك | به بيرون مانده مَن چون خار وخاشاك
چو درد وحسرتش از حد برون شد | برسم خاك بوسى سر نكون شد
بچشمان خود انكشتان در آورد | دو نركس را زنركسدان بر آورد
بخاك وى فكند از كاسهٔ سر | كه نركس كاشتن درخاك بهتر
بخاكش روى خو آلوده بنهاد | بمسكيني زمين بوسيد وجان داد
خوش آن عاشق كه در هجران چنان مرد | بخلوتكاه جانان جان چنان برد
نخست از غير جانان ديده بركند | وزان پس نقد جان برخا كش افكند
هزاران فيض بر جان وتنش باد | بجانان ديدهٔ جان روشنش باد
حريفان حال اورا چون بديدند | فغان وناله بر كردون كشيدند
ز كرد فرقتش رخ پاك كردند | بجنب يوسفش درخاك كرند

وقال في «القصص»: ماتت زليخا قبله فحزن عليها ولم يتزوج بعدها ولما دنت وفاة يوسف وصى إلى ولده افرائيم أن يسوس الناس، وقال: إن يوسف خرج بأهله وأولاده وإخوته ومن آمن معه من مصر ونزل عليه جبريل فخرق له من النيل خليجاً إلى الفيوم ولحق به كثير من الناس وبنوا هناك مدينتين وسموهما الحرمين، فكان يوسف هناك سنين إلى أن مات فتخاصم المصريون في مدفنه من جانبي النيل كل طائفة أرادت أن يدفن يوسف في جانبه وسمته تبركاً بقبره الشريف وجلباً للخصب حتى هموا بالقتال، ثم تصالحوا على أن يدفن سنة في جانب مصر وسنة في جانب آخر من البدو، فدفن في الجانب المصري فأخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر من البدو ثم نقل إلى الجانب البدوي فأخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر المصري، ثم اتفقوا على دفنه في وسط النيل، وقدروا ذلك بسلسلة وعملوا له صندوقاً من مرمر.

شكاف سنك قيرانداى كردند | ميان قعر نيلش جاي كردند
يكى شد غرق بحر آشنايي | يكى لب تشنه در بر جدايي
به بين حيله كه چرخ بي وفاكرد | كه بعد مركش از يوسف جدا كرد
نمى دانم كه باايشان چه كين داشت | كه زير خاكشان آسوده نكذاشت

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: إن الله تعالى حين أمر موسى عليه السلام بالسير ببني إسرائيل أمره أن يحمل معه عظام يوسف وأن لا يخلفها بأرض مصر وأن يسير بها حتى يضعها في الأرض المقدسة أي وفاء بما أوصى به يوسف، فقد ذكر أنه لما أدركته الوفاة أوصى أن يحمل إلى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياته من ذلك، فسأل موسى عمن يعرف موضع قبر يوسف فما وجد أحداً يعرفه إلا عجوزاً في بني إسرائيل فقالت له يا نبي الله أنا أعرف مكانه وأدلك عليه إن أنت أخرجتني معك ولم تخلفني بأرض مصر قال افعل، وفي لفظ أنها قالت أكون معك في الجنة فكأنه ثقل عليه ذلك فقيل له: أعطها طلبتها فأعطاها وقد كان موسى وعد بني إسرائيل أن يسير بهم إذا طلع القمر فدعا ربه أن يؤخر طلوع القمر حتى يفرغ من أمر يوسف ففعل فخرجت به العجوز حتى أرته إياه في ناحية من النيل. وفي لفظ في مستنقعة ماء أي وتلك المستنقعة في ناحية من النيل فقالت لهم: انضبوا عنها الماء أي ارفعوه

عنها ففعلوا فقالت: احفروا فحفروا وأخرجوه. وفي لفظ أنها انتهت به إلى عمود على شاطىء النيل، أي في ناحية منه فلا يخالفه ما سبق في أصله سكة من حديد فيها سلسلة، ويجوز أن يكون حفرهم الواقع في تلك الرواية كان على إظهار تلك السلسلة فلا مخالفة، ووجده في صندوق من حديد في وسط النيل في الماء استخرجه موسى وهو في صندوق من مرمر أي داخل ذلك الصندوق الذي من الحديد فاحتمله.

وفي «أنيس الجليس» أن موسى جاءه شيخ له ثلاثمائة سنة فقال له يا نبي الله ما يعرف قبر يوسف إلا والدتي فقال له موسى: قم معي إلى والدتك فقام الرجل ودخل منزله وأتى بقفة فيها والدته فقال لها: ألك علم بقبر يوسف قالت نعم ولا أدلك على قبره إلا أن دعوت الله أن يرد عليّ شبابي إلى سبع عشرة سنة ويزيد في عمري مثل ما مضى فدعا موسى لها وقال لها كم عمرك قالت تسعمائة سنة فعاشت الفا وثمانمائة سنة فأرته قبر يوسف وكان في وسط نيل مصر ليمر النيل عليه فيصل إلى جميع مصر فيكونوا شركاء في بركته فأخصب الجانبان وكان بين دخول يوسف مصر إلى يوم خروج موسى أربعمائة سنة وهو أي يوسف أول نبيّ من بني إسرائيل.

قال في «بحر العلوم» ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم تزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله موسى فنجاهم من الفراعنة بعونه وتيسيره.

وعن عمر بن عبد العزيز أن ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسألة للموت فقال: صنع الله على يديك خيراً كثيراً أحييت سنناً وأمت بدعاً، وفي حياتك خير وراحة للمسلمين، فقال: أفلا أكون كالعبد الصالح لما أقر الله عينه وجمع له أمره قال توفني مسلماً وألحقني بالصالحين.

كرت ملك جهان زير نكين است   بآخر جاي تو زير زمين است

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾.

﴿ذلك﴾ المذكور من نبأ يوسف يا محمد **﴿من أنباء الغيب﴾** من الأخبار التي غاب عنك علمها **﴿نوحيه إليك﴾** على لسان جبريل وهو خبر ثانٍ لقوله: **﴿ذلك﴾**. **﴿وما كنت﴾** حاضراً **﴿لديهم﴾** أي: عند إخوة يوسف **﴿إذ أجمعوا أمرهم﴾** حين عزموا على إلقائه في غيابة الجب فإن الإجماع العزم على الأمر يقال أجمعت الأمر وعليه **﴿وهم يمكرون﴾** به وبابيه ليرسله معهم وإنما نفى الحضور وانتفاؤه معلوم بغير شبهة تهكماً بالمنكرين للوحي من قريش وغيرهم لأنه كان معلوماً عند المكذبين علماً يقيناً أنه عليه السلام ليس من جملة هذا الحديث وأشباهه ولا قرأ على أحد ولا سمع منه، وليس من علم قومه فإذا أخبر به لم يبق شبهة في أنه من جهة الوحي لا من عنده فإذا أنكروه تهكم بهم.

وقيل لهم قد علمتم يا مكابرين أنه لا سماع له من أحد ولا قراءة ولا حضور ولا مشاهدة لمن مضى من القرون الخالية ـ روي ـ أن كفار قريش وجماعة من اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف على سبيل التعنت، فلما أخبرهم على موافقة التوراة لم يسلموا فحزن النبي عليه السلام فعزاه الله بقوله:

﴿**وما أكثر الناس**﴾ عام لأهل مكة وغيرهم. ﴿**ولو حرصت**﴾ على إيمانهم وبالغت في إظهار الآيات لهم، والحرص طلب شيء باجتهاد في إصابته ﴿**بمؤمنين**﴾ لعنادهم وتصميمهم على الكفر وهذا في الحقيقة من أسرار القدر؛ لأن عدم إيمانهم من مقتضيات استعداداتهم الأزلية الغير المجعولة وأحوال أعيانهم الثابتة.

فإن قلت: فما فائدة التكليف والأمر بما يعلم عدم وقوعه؟ قلت: فائدته تمييز من له استعداد ذلك لتظهر السعادة والشقاوة وأهلهما.

فإن قلت: لم كان الكفرة أكثر مع أن الله تعالى خلق الخلق للعبادة.

قلت: المقصود ظهور الإنسان الكامل وهو واحد كألف.

﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾.

﴿**وما تسألهم عليه**﴾ أي على الإنباء أو الإرشاد بالقرآن ﴿**من أجر**﴾ مال يعطونك كما يفعله حملة الأخبار والمراد إنا أرخينا العلة في التكذيب حيث بعثناك مبلغاً بلا أجر ﴿**إن هو**﴾ أي ما القرآن ﴿**إلا ذكر**﴾ عظة من الله وانذار ﴿**للعالمين**﴾ عامة بعثاً لهم على طلب النجاة.

وفيه إشارة إلى أن الدعوة والإرشاد وسائر أفعال الخير لا يطلب فيها المنفعة من الناس فإنها لله تعالى، وما كان لله لا يجوز أن يشوبه شيء من أعراض الدنيا والآخرة. وفي «المثنوي»:

عاشقا نرا شادماني وغم اوست   دست مزدو اجرت خدمت هم اوست

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن اللاهوتية غير محتاجة إلى الناسوتية وإن دعتها إلى الاستكمال لأنها كاملة في ذاتها مكملة لغيرها.

﴿**وكأين**﴾ قال المولى الجامي في شرح الكافية من الكناية كأين وإنما بني لأن كاف التشبيه دخلت على أي، وأي كان معرباً لكنه انمحى عن الجزأين معناهما الإفرادي فصار المجموع كاسم مفرد، بمعنى كم الخبرية فصار كأنه اسم مبني على السكون آخره نون ساكنة كما في من لا تنوين تمكن، ولهذا يكتب بعد الياء نون مع أن نون التنوين لا صورة لها في الخط. اهـ ﴿**من آية**﴾ أي: كثير من الآيات الدالة على وجود الصانع وتوحيده وصفاته من العلم والقدرة وغير ذلك ﴿**في السموات والأرض**﴾ صفة آية كالشمس والقمر والنجوم والمطر والشجر والدواب والبحار والأنهار ﴿**يمرون عليها**﴾ خبر كأين أي يمرون على الآيات ويشاهدونها ﴿**وهم عنها معرضون**﴾ لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها والقرآن هو المبين لتلك الآيات فمن لم يكن متصفاً بأخلاقه إذا قرأ القرآن ناداه الله ما لك ولكلامي؟ وأنت معرض عني دع عنك كلامي إن لم تتب إليّ، ولما سمع المشركون قوله ﴿**وكأين من آية**﴾ الآية قالوا إنا نؤمن بالله الذي خلق هذه الأشياء فانزل الله.

﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾ حيث يثبت له شريكاً في المعبودية تقول العرب في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، ويقول أهل مكة الله ربنا وحده لا شريك له والملائكة بناته فلم يوحدوه بل اشركوا ويقول عبدة الأصنام: الله ربنا وحده والأصنام شركاؤه في استحقاق العبادة، وقالت اليهود ربنا الله وحده وعزيز ابن الله، وقالت النصارى ربنا الله وحده والمسيح ابنه.

وفي «التأويلات» ﴿وما يؤمن أكثرهم﴾ أكثر الخلق ﴿بالله﴾ وطلبه ﴿إلا وهم مشركون﴾ برؤية الإيمان والطلب إنهما منهم لا من الله فإن من يرى السبب فهو مشرك ومن يرى المسبب فهو موحد وإن كل شيء هالك في نظر الموحد إلا وجهه انتهى.

ولما دخل الواسطي نيسابور سأل أصحاب الشيخ أبي عثمان المغربي بم يأمركم شيخكم؟ قالوا: يأمرنا بالتزام الطاعة ورؤية التقصير عنها، فقال: أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها بشهود منشأها ومجراها.

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

﴿أفأمنوا﴾ يعني: المشركون ﴿أن تأتيهم غاشية من عذاب الله﴾ عقوبة تغشاهم وتشملهم. ﴿أو تأتيهم الساعة بغتة﴾ مصدر في موضع الحال بالفارسية [ناكاه] أي فجأة من غير سابقة علامة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بإتيانها غير مستعدين لها.

فإن قيل: أما يؤدي قوله بغتة مؤدّى قوله ﴿وهم لا يشعرون﴾ فيستغنى عنه.

قيل: لا فإن معنى قوله وهم لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم بأمور دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون، وفي الحديث: «موت الفجأ أخذة أسف» بكسر السين أي غضبان، يعني: موت الفجأة أثر غضب الله على العبد، والفجاءة بالمد مع الضم وبالقصر مع فتح الفاء هي البغتة دون تقدم مرض ولا سبب، وفي الحديث: «أكره موتاً كموت الحمار» قيل: وما موت الحمار قال: «موت الفجأة» وإنما كره لئلا يلقي المؤمن ربه على غفلة من غير أن يقدم لنفسه عذراً ويجدد توبة ويرد مظالمه ـ وروي ـ أن إبراهيم وداود وسليمان عليهم السلام ماتوا فجأة، ويقال إنه موت الصالحين وحمل الجمهور الأول على من له تعلقات يحتاج إلى الإيصاء أما المنقطعون المستعدون فإنه تخفيف ورفق بهم، كذا في «شرح الترغيب» المسمى «بالفتح القريب».

ذكر بعض السلف أن الخضر عليه السلام هو الذي يقتل الذين يموتون فجأة كما في «إنسان العيون».

قال في «التأويلات النجمية» وفي الحقيقة يشير بالساعة إلى عشق ومحبة من الله بلا سبب من الأسباب وقيل العشق عذاب الله والعشق أخص من المحبة لأنه محبة مفرطة والعشق عبارة عن هيجان القلب عند ذكر المحبوب والشوق عبارة عن انزعاج القلب إلى لقاء المحبوب.

وقال حكيم: الشوق نور شجرة المحبة والعشق ثمرتها.

وقال بعض أهل الرياضة: الشوق في قلب المحب كالفتيل في المصباح والعشق كالدهن. قال المولى الجامي:

اسير عشق شو كآزاد باشي غمش برسينه نه تاشاد باشي
نى عشقت دهد كرمى وهستى ذكر افسردكى وخود پرستى

﴿قل هذه سبيلي﴾ أي: هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي أي طريقي وهما يذكران ويؤنثان، ثم فسرها بقوله: ﴿أدعو إلى الله﴾ إلى دينه وطاعته وثوابه الموعود يوم البعث ﴿على بصيرة﴾ بيان وحجة بصيرة أي واضحة مرشدة إلى المطلوب فإن

الدليل إذا كان بصيراً يتمكن من الإرشاد والهداية بخلاف ما إذا كان أعمى. ﴿أنا﴾ تأكيد للمستتر في «ادعو» ﴿ومن اتبعني﴾ عطف عليه أي ادعو إليه إنا ويدعوا إليه من اتبعني ﴿وسبحان الله﴾ اسم من التسبيح منصوب بفعل مضمر وهو اسبح، أي أسبح الله تسبيحاً، أي انزهه تنزيهاً من الشركاء. ﴿وما أنا من المشركين﴾ عطف على وسبحان الله عطف الجملة على الجملة.

وفي «نفائس المجالس» قل هذه سبيلي أي الدعوة إلى التوحيد الذاتي طريقي المخصوصة بي ثم فسر السبيل بقوله ادعو إلى الله إلى الذات الأحدية الموصوفة بجميع الصفات على بصيرة أنا ومن اتبعني فكل من يدعو إلى ذلك السبيل فهو من أتباعي. قال في «المثنوي»:

اين چنين فرمود آن شاه رسل ... كه منم كشتى درين درياي كل
با كسى كودر بصيرتهاى من ... شد خليفه راستي برجاي من
كشتى نوحيم در درياكه نا ... رو نكرداني زكشتى اي فتا

وكان الأنبياء قبله عليه السلام يدعون إلى المبدأ والمعاد وإلى الذات الواحدية الموصوفة ببعض الصفات الإلهية إلا إبراهيم عليه السلام فإنه قطب التوحيد ولذا أمر الله نبينا عليه السلام باتباعه بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣] فهو من أتباع إبراهيم باعتبار الجمع دون التفصيل، إذ لا متمم لتفاصيل الصفات إلا هو ولذا لم يكن غيره خاتماً. ﴿وسبحان الله﴾ أنزهه عن اشتراك الغير، بل هو الداعي إلى ذاته. ﴿وما أنا من المشركين﴾ المثبتين للغير في مقام التوحيد.

قال بعضهم: الداعي إلى الله يدعو الخلق به والداعي إلى سبيله يدعوهم بنفسه ولذلك كثرت الإجابة إلى الثاني لمشاركته الطبع، ثم الاتباع شامل للاتباع على الظاهر كما هو حال العامة وللاتباع على الحقيقة كما هو حال الخاصة، ولا سبيل إلى الدعوة على بصيرة إلا بعد الاتباع قولاً وفعلاً وحالاً، وهو النتيجة من الاتباع على الظاهر ـ حكي ـ أن فقيهاً قصد إلى زيارة أبي مسلم المغربي فسمعه يلحن في القرآن فقال في نفسه: قد ضاع سعيي ثم سلط أسدين على الفقيه حين خرج للوضوء وقت التهجد فهرب وصاح ودفعهما أبو مسلم ثم قال للفقيه: إن كنت لحنت في القرآن فقد لحنت في الإيمان فنحن نسعى في تصحيح الباطن فيخاف منا المخلوق وأنتم تسعون في الظاهر فتخافون الخلق ـ وحكي ـ أن ابن الرشيد اختار البقاء على الفناء فعيره أبوه يوماً وقال لحقني العار منك بين الملوك فدعا طيراً فأجابه ثم قال لأبيه ادع أنت فدعاه فلم يجب فقال لحقني العاربين أولياء الله لأنك كنت أسير الدنيا، والبصيرة قوة للقلب المنور بنور القدس يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها بمثابة البصر للنفس يرى به صور الأشياء وظواهرها وهي التي يسميها الحكماء العاقلة النظرية، والقوة القدسية، وجميع قلوب بني آدم في الأصل مائلة للبصيرة بحسب الفطرة لكنها لاشتغالها بالذات والشهوات والإعراض عن الطاعات والعبادات أظلمت وبنور البصيرة والتوفيق آمنت بلقيس وسحرة فرعون ونحوهم.

واعلم أن اتباع الرسول ﷺ باب النجاة وطريق السعادة العظمى.

قال سهل: محب الله على الحقيقة يكون اقتداؤه في أحواله وأقواله وأفعاله بالنبي عليه السلام.

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره سأل أمام إبراهيم پاشا مني يوماً عن تأويلات السلمى لأجل الأذية فقلت له نخلي ذلك فإننا لسنا من أهله ولكن نفتح «المثنوي» بنيتك ففتحت فجاء.

رهـو و راه طـريـقـت ايـن بـود كـاو بـاحـكـام شـريـعـت مـيـرود

فتعجب المرحوم وترك الإنكار بعد ذلك على أولياء الله تعالى.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

﴿**وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً**﴾ لا ملائكة، فهو رد لقولهم لو شاء ربنا لا نزل ملائكة قالوا ذلك تعجباً وإنكاراً لنبوته فقال تعالى كيف يتعجبون من إرسالنا إياك والحال أن من قبلك من الرسل كانوا على مثل حالك لأن الاستفاضة منوطة بالجنسية، وبين البشر والملك مباينة من جهة اللطافة والكثافة ولو أرسل ملك لكان في صورة البشر كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩] وقس عليه الجن فلا يكون من الجن رسول إلى البشر، وفي عبارة الرجال دلالة على أن الله تعالى ما بعث رسولاً إلى الخلق من النسوان، لأن مبنى حالهن على التستر ومنتهى كمالهن هي الصديقية لا النبوة، فمنها آسية ومريم وخديجة وفاطمة وعائشة رضي الله عنهن أجمعين.

قال الكاشفي: [ودر باب سجاح كاهنه كه دعوىء نبوت مي كرده كفته اند]

أصـحـت نـبـيـتـنـا أنـثـى نـطـوف بـهـا ولـم تـزل أنـبـيـاء الله ذكـرانـا

﴿**نوحي إليهم**﴾ على لسان الملك كما نوحي إليك. ﴿**من أهل القرى**﴾ من أهل الأمصار دون أهل البوادي لغلبة الجهل والقسوة والجفاء عليهم. والمراد بالقرية الحضر خلاف البادية فتشمل المصر الجامع وغيره، أي ما يسمى بالفارسية [ده وشهر] لكنه فرق كثير بين المصر الجامع وغيره، ولذا قال عليه السلام: «لا تسكنوا الكفور فإن ساكني الكفور ساكنوا القبور» والكفور القرى واحدها كفر يريد بها القرى النائية البعيدة عن الأمصار ومجتمع أهل العلم لكون الجهل عليهم أغلب وهم إلى التبدع أسرع. وفي «المثنوي»:

ده مـرو ده مـر درا أحـمـق كـنـد عـقـل را بـي نـور وبـي رونـق كـنـد
قـول بـيـغـمـبر شـنـو أي مـجـتـبـى كـور عـقـل آمـد وطـن درروسـتـا
هـركـه دررسـتـابـود روزى وشـام تـا بـمـاهـى عـقـل او نـبـود تـمـام
تـابـمـاهـى احـمـقـي بـا او بـود ازحـشـيـش ده جـزايـنـهـا چـه درود
وانـكـه مـاهـى بـاشـد انـدر روسـتـا روز كـارى بـاشـدش جـهـل وعـمـى

فإن قيل: فما تقول في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠]. قلنا لم يكن يعقوب وبنوه من أهل البادية بل خرجوا إليها لمواشيهم.

وفي «التأويلات النجمية» إن الرسالة لا تستحقها إلا الرجال البالغون المستعدون للوحي من أهل قرى الملكوت والأرواح لا من أهل المدائن الملك والأجساد ولذا قيل الرجال من القرى انتهى. وفي «المثنوي»:

ده چـه بـاشـد شـيـخ واصـل نـاشـده دسـت در تـقـلـيـد درحـجـت زده
پـيـش شـهـر عـقـل كـلي ايـن حـواس چـون خـران چـشـم بـسـتـه در خـراس

﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ آياسير نمى كنند كافران درزمين شام ويمن وبرديار عادو تمود نميكذرند يعني بايدكه بكذرند] ﴿فينظروا﴾ [پس به بينند بنظر عبرت]. ﴿كيف كان﴾ [چه كونه بود] ﴿عاقبة الذين من قبلهم﴾ من المشركين المكذبين الذين أهلكوا بشؤم إشراكهم وتكذيبهم فيحذروهم وينتهوا عنهم وإلا يحيق بهم مثل ما حاق بهم لأن التماثل في الأسباب يوجب التماثل في المسببات ﴿ولدار الآخرة﴾ [وهر آيينه سراي آخرت يعني بهشت ونعمت او] وهو من إضافة الموصوف إلى صفته وأصله وللدار الآخرة، كما في قوله تعالى ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ [القصص: ٨٣] ﴿خير﴾ بهتراست از لذات فانيه‌ء دنيا] ﴿للذين اتقوا﴾ الشرك والمعاصي ﴿أفلا تعقلون﴾ تستعملون عقولكم لتعرفوا إنها خير.

چه نسبت چاه سفلى را بنزهتكا روحاني چه ماند كلخن تيره بكاشنهاى سلطاني

ـ روي ـ أن عيسى ـ عليه السلام ـ قال لأصحابه لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم، قالوا: ومن الموتى قال الراغبون في الدنيا والمحبون لها.

وقال بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لصدر التابعين: إنكم أكثر أعمالاً واجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا خيراً منكم، قيل ولم ذاك؟ قال كانوا ازهد منكم في الدنيا وأرغب في الآخرة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾

﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾ حتى غاية محذوف دل عليه الكلام أي لا يغررهم تمادي أيامهم، فإن من قبلهم امهلوا حتى أيس الرسل من النصر عليهم في الدنيا أو من إيمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير رادع. ﴿وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ بتخفيف الذال وبناء الفعل للمفعول، والمكذوب من كان مخاطباً بالكلام الغير المطابق للواقع حتى ألقى خبر كاذب، والمعنى وظنوا أنهم قد كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون. وعن ابن عباس رضي الله عنهما وظنوا حين ضعفوا وغلبوا إنهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر، وقال كانوا بشراً وتلا قوله: ﴿وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤] فأراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية دون ترجح أحد الجائزين على الآخر، لأن ذلك غير جائز على المسلمين فما بال رسل الله الذين هم أعرف الخلق بربهم وإنه متعال عن خلف الميعاد ﴿جاءهم نصرنا﴾ فجأة من غير احتساب، والمعنى أن زمان الإمهال قد تطاول عليهم حتى توهموا أن لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا بغتة بغير سبق علامة. ﴿فنجي﴾ بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء. ﴿من نشاء﴾ قائم مقام الفعل وهم الأنبياء والمؤمنون التابعون لهم، وإنما لم يعينهم للدلالة على أنهم الذين يستأهلون أن شأن نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم ﴿ولا يرد بأسنا﴾ عذابنا ﴿عن القوم المجرمين﴾ إذا نزل بهم.

قال في «التأويلات النجمية»: وفي قوله تعالى: ﴿إذا استيأس الرسول وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء﴾ إشارة إلى أن النصر كان للرسل منجياً من الابتلاء وللأمم المكذبة مهلكاً بالعذاب، ثم أكد هذا المعنى بقوله: ﴿ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾ أي المكذبين. والمعنى ويرد بأسنا عن القوم المطيعين.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿لقد كان في قصصهم﴾ الضمير للرسل وأممهم أي أخبارهم. وقرىء بكسر القاف جمع قصة. **﴿عبرة﴾** اسم من الاعتبار وهو الاتعاظ حقيقته تتبع الشيء بالتأمل **﴿لأولي الألباب﴾** لذوي العقول المبرأة من شوائب الإلف والركون إلى الحس.

قال في «بحر العلوم»: أي عظة يتعظ بها ذوو العقول بعدهم فلا يجترئون على نحو ما أخبر هؤلاء من أسباب بأس الله والإهلاك بل يجتنبون عن مثلها، لأنهم إن أتوا بمثلها يترتب على فعلهم مثل ذلك الجزاء ويسعون في أسباب النصرة والنجاة إذا سمعوا بحال الأمم الماضية وهوانهم على الله.

والحاصل أن في قصص إخوة يوسف فكرة وتدبرا لأولي الألباب وذلك أن من قدر على اعزاز يوسف وتمليكه مصر بعد ما كان عبداً لبعض أهلها قادر على أن يعز محمداً وينصره.

قال الكاشفي: [سلمى از جعفر صادق نقل ميكند كه مراد از أولي الألباب أرباب اسرارست پس اعتبار ازين قصها أرباب أسرار باشد وحقائق الكلام در آينهٔ دل بي غل ايشان روى نمايد]

ولى در يابد أسرار معاني   كه روشن شد بنور جاوداني

﴿ما كان﴾ القرآن وما ذكر فيه **﴿حديثاً يفترى﴾** يتقوله بشر **﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾** أي ولكن كان تصديق ما تقدمه من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء ودليل صحتها؛ لأنه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها افتقار المجتمع عليه إلى شهادة الحجة. **﴿وتفصيل كل شيء﴾** وتبيين كل شيء من أمور الدين لاستنادها كلها إليه على التفصيل أو الإجمال إذ ما من أمر منها إلا وهو مبتنى على الكتاب والسنة أو الإجماع أو القياس والثلاثة الأخيرة مستندة إليه بوسط أو بغير وسط. **﴿وهدى﴾** من الضلالة **﴿ورحمة﴾** من العذاب **﴿لقوم يؤمنون﴾** من آمن وأيقن وانتصاب الأربعة بعد لكن للعطف على خبر كان.

واعلم أن القرآن جامع لجميع المراتب، ففيه تفصيل ظاهر الدين وباطنه. فالأول للمؤمن بالإيمان الرسمي البرهاني، والثاني للمؤمن بالإيمان الحقيقي العياني، وأيضاً هو هدى على العموم والخصوص ورحمة من عذاب جهنم وعذاب الفرقة والقطيعة، فإن من اهتدى إلى أنواره واطلع على أسراره دخل جنة الذوق والحضور والشهود وأمن من بلاء البشرية والوجود ولله تعالى عباد، لهم تجلى حقائق الآفاق ثم تجلى حقائق الأنفس ثم تجلى حقائق القرآن، فهذه نسخ ثلاث لا بد للواصل من تلاوة آياته وأصل تلك النسخ الثلاثة ومبدأها نسخة حقائق الرحمن وإلى تلك النسخ الأربع الإشارة بالكتب الأربعة الإلهية.

فعلى العاقل أن يتعظ بمواعظ القرآن، ويهتدي إلى حقائقه، ويتخلق بأخلاقه، ولا يقتصر على تلاوة نظمه وأنشد ذو النون المصري.

منع القرآن بوعده ووعيده   مقل العيون بليلها لا تهجع
فهموا عن الملك العظيم كلامه   فهما تذل له الرقاب وتخضع

اللهم اجعل القرآن خلق الجنان وسائر الأركان

تمت سورة يوسف في أواسط شهر الله رجب من سنة ثلاث ومائة وألف

تفسير سورة الرعد

وهي مدنية وقيل مكية إلا قوله: ﴿ولا يزال الذين كفروا﴾ وقوله: ﴿ويقول الذين كفروا﴾ وآيها ثلاث وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾

﴿المر﴾ في كلام الشيخ محيي الدين بن العربي قدس سره في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩] إن الشعر محل للإجمال واللغز والتورية، أي وما رمزنا لمحمد ﷺ شيئاً ولا لغزنا ولا خاطبناه بشيء ونحن نريد شيئاً، ولا أجملنا له الخطاب حيث لم يفهمه وأطال في ذلك، وهل يشكل على ذلك الحروف المقطعة في أوائل السور ولعله ـ رضي الله عنه ـ لا يرى أن ذلك من المتشابه أو أن المتشابه ليس مما استأثر الله بعلمه كذا في «إنسان العيون».

قال ابن عباس: معناه أنا الله أعلم وأرى ما لا يعلم الخلق وما لا يرى من فوق العرش إلى ما تحت الثرى، فتكون الألف واللام مختصرتين من أنا الله الدالين على الذات والميم والراء من أعلم وأرى الدالين على الصفة.

وقال الكاشفي: [الف آلاي اوست ولام لطف بي منتهاي أو وميم ملك بي زوال وراء رأفت بركمال] فتكون كل واحدة منها مختصرة من الكلمات الدالة على الصفات الإلهية.

وفي «التبيان» الألف الله واللام جبريل والميم محمد والراء الرسل، أي: أنا الله الذي أرسل جبريل إلى محمد بالقرآن وإلى الرسل بغيره من الكتب الإلهية والصحف الربانية.

وقال ابن الشيخ: الظاهر أن ﴿المر﴾ مستقل والتقدير هذه السورة مسماة بألمر ﴿تلك﴾ أي آيات هذه السورة ﴿آيات الكتاب﴾ أي القرآن.

وفي «التأويلات» إن حروف ﴿المر﴾ آيات القرآن. فبالألف يشير إلى قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] الآية. وباللام يشير إلى قوله: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٣] وبالميم إلى قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٤] وبالراء إلى قوله: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزخرف: ٨٢] كما أن ق إشارة إلى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص:١] وهو مرتبة الأحدية التي هي التعين الأول. وص إشارة إلى ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص: ٢] وهو مرتبة الصمدية التي هي التعين الثاني ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾﴾ [الصافات: ١٠] إشارة إلى التعينات التابعة له ﴿والذي أنزل إليك من ربك﴾ أي: القرآن وهو مبتدأ خبره قوله ﴿الحق﴾ ليس كما يقول المشركون إنك تأتي به من قبل نفسك باطلاً فالإيمان به

والعمل بأحكامه واجب فمن اعتصم به وهو حبل الله ينجيه من الأسفل الذي هبط إليه بقوله: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا﴾ [البقرة: ٣٨].

واعلم أن المنزل من عند الله أعم من الحكم المنزل صريحاً كالأحكام الثابتة بصريح نص القرآن ومن الحكم المنزل ضمناً كالتي تثبت بالسنة والإجماع والقياس فالكل حق ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بالقرآن ويجحدون بحقيته وأنه حبل من الله يوصل المعتصم به إليه، لإفراطهم في العناد، وخروجهم عن طريق السداد، وعدم تفكرهم في معانيه وإحاطتهم بما فيه، وكفرهم به لا ينافي كونه حقاً منزلاً من عند الله تعالى فإن الشمس شمس وإن لم يرها الضرير والشهد شهد وإن لم يجد طعمه المرور والتربية إنما تفيد المستعد والقابل دون المنكر والباطل. قال المولى الجامي:

هيچ سودى نكند تر بيت نا قابل ... كرچه بر تر نهى از خلق جهان مقدارش
خار خشكى كه نشاني بسر ديوارش ... سبز وخرم نشود از نم باران هركز

ثم بين دلائل ربوبيته وأحديته بقوله:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ۝٢﴾.

﴿الله﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿الذي رفع السموات﴾ خلقها مرفوعة بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة عام لا أن تكون موضوعة فرفعها. ﴿بغير عمد﴾ بالفتح جمع عماد أو عمود وهو بالفارسية [استون] حال من السموات، أي رفعها خالية من عمد وأساطين ﴿ترونها﴾ الضمير راجع إلى عمد والجملة صفة لها، أي خالية من عمد مرئية وانتفاء العمد المرئية يحتمل أن يكون لانتفاء العمد والرؤية جميعاً، أي لا عمد لها فلا ترى، ويحتمل أن يكون لانتفاء الرؤية فقط بأن يكون لها عماد غير مرئي وهو القدرة، فإنه تعالى يمسكها مرفوعة بقدرته فكأنها عماد لها، أو العدل، لأن بالعدل قامت السموات، أي العلويات والسفليات.

آسمان وزمين بعدل بپاست ... شد زشاهان بغير عدل نخاست
كر نباشد ستون خيمه بجاي ... كي بود خيمه بي ستون برپاي

ويجوز أن يكون ترونها جملة مستأنفة فالضمير راجع إلى السموات، كأنه قيل ما الدليل على أن السموات مرفوعة بغير عمد فأجيب بأنكم ترونها غير معمودة ﴿ثم استوى على العرش﴾ ثم لبيان تفاضل الخلقين وتفاوتهما، فإن العرش أفضل من السموات، لا للتراخي في الوقت لتقدمه عليها والاستواء في اللغة بالفارسية [راست بيستادن] والعرش سرير الملك وهو هنا مخلوق عظيم موجود هو أعظم المخلوقات وتحته الماء العذب كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [هود: ٧] وهو بحر عظيم لا يعلم مقدار عظمته إلا الله، والمعنى على ما في «بحر العلوم» ثم أوفى على العرش يقال أوفى على الشيء إذا أشرف عليه أي اطلع عليه من فوق، وفي الحديث: «إن الله كبس عرصة جنة الفردوس بيده ثم بناها لبنة من ذهب مصفى ولبنة من مسك مذرى، وغرس فيها من كل طيب الفاكهة وطيب الريحان وفجر فيها أنهارها ثم أوفى ربنا على عرشه فنظر إليها فقال وعزتي وجلالي لا يدخلك مدمن خمر، ولا مصرّ على زنى، ولا ديوث، ولا قتات، ولا قلاع، ولا جياف، ولا ختار».

وقال البيضاوي: ﴿ثم استوى على العرش﴾ بالحفظ والتدبير فالاستواء على العرش عبارة عن الاستيلاء على الملك والتصرف فيما رفعه بلا عمد، يقال: استوى فلان على العرش إذا ملك وإن لم يقعد عليه البتة.

قال ابن الشيخ: الظاهر أن كلمة ثم لمجرد العطف والترتيب مع قطع النظر عن معنى التراخي، لأن استيلاءه تعالى على التصرف فيما رفعه، ليس بمتراخ عن رفعه والتحقيق أن المراد بهذا الاستواء استواؤه سبحانه لكن لا باعتبار نفسه وذاته تعالى علواً كبيراً عما يقول الظالمون بل باعتبار أمره الإيجادي وتجليه الحبي الأحدي، وإنما كان العرش محلى هذه الاستواء لأن التجليات التي هي شروط التجليات المتعينة، والأحكام الظاهرة والأمور البارزة والشؤون المتحققة في السماء والأرض وفيما بينهما من عالم الكون والفساد بالأمر الإلهي والإيجاد الأزلي إنما تمت باستيفاء لوازمها واستكمال جوانبها واستجماع أركانها الأربعة المستوية في ظهور العرش بروحه وصورته وحركته الدورية، لأنه لا بد في استواء تجليات الحق في هذه العوالم بتجليه الحبي وأمره الايجادي من الأمور الأربعة التي هي من هذه التجليات الحبية والإيجادية الحسية هي حركة العرش وهي بمنزلة الحد الأكبر، ولما استوى أمر تمام حصول الأركان الأربعة الموقوف عليها بتوقيف الله التجليات الإيجادية الأمرية المتنزلة بين السموات السبع والأرضين السبع بحسب مقتضيات استعدادات أهل العصر، وموجبات قابليات أصحاب الزمان في كل يوم بل في كل آن، كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] وقوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمان: ٢٩] في العرش كان العرش مستوى الحق بهذا الاعتبار، واستواء الأمر الإيجادي على العرش بمنزلة استواء الأمر التكليفي الإرشادي على الشرع، وكل منهما مقلوب الآخر كذا في «الأبحاث البرقيات» لحضرة شيخنا الأجل قدس الله سره ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ ذللهما لما يراد منهما وهو انتفاع الخلق بهما كما قال في «بحر العلوم» معيني تسخيرهما نافعتين للناس حيث يعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر، وينوران لهم في الليل والنهار ويدرآن الظلمات ويصلحان الأرض والأبدان والأشجار والنباتات. ﴿كل﴾ منهما ﴿يجري لأجل مسمى﴾ اللام بمعنى إلى، أي إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا أو تمام، دوره وللشمس والقمر منازل كل منهما يغرب في كل ليلة في منزل ويطلع في منزل حتى ينتهي إلى أقصى المنازل. ﴿يدبر الأمر﴾ يقضي ويدبر أمر ملكوته من الإعطاء والمنع والإحياء والإماتة ومغفرة الذنوب وتفريج الكروب ورفع قوم ووضع آخرين وغير ذلك.

وفي «التأويلات» ﴿يدبر الأمر﴾ أمر العالم وحده وهو يدل على أن الاستواء أي العلو على العرش بالقدرة لتدبير المكونات لا للتشبيه. ﴿يفصل الآيات﴾ يبين البراهين الدالة على التوحيد والبعث وكمال القدرة والحكمة ﴿لعلكم﴾ [شايدكه شما] ﴿بلقاء ربكم﴾ [بديدار پروردكار خود يعني بديدن جزاكه خواهد دادسر قيامت]. ﴿توقنون﴾ [بي كمان كرديد ودانيدكه هركه قادرست بر آفريدن اين اشيا قدرت دارد براعاده واحيا].

قال في «بحر العلوم» لعل مستعار لمعنى الإرادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي أي يفصل الآيات إرادة أن تتأملوا فيها وتنظروا فتستدلوا بها عليه ووحدته وقدرته وحكمته وتيقنوا أن من قدر على خلق السموات والعرش وتسخير الشمس والقمر مع عظمها وتدبير الأمور كلها كان على خلق الإنسان مع مهانته وعلى إعادته وجزائه أقدر.

واعلم أنه كان ما كان من إيجاد عالم الإمكان ليحصل للناس المشاهدة والاطمئنان والإيقان. قال المولى الجامي:

سير آب كن زبحر يقين جان تشنه را   زين پيش خشك لب منشين برسر آب ريب

وعن سيدنا علي رضي الله عنه «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً» وذلك أن أهل المكاشفة وصلوا من علم اليقين إلى عين اليقين الذي يحصل لأهل الحجاب يوم القيامة فلو ارتفع الغطاء وهو دار الدنيا وظهرت الآخرة ما ازدادوا يقيناً بل كانوا على ما كانوا عليه في الدنيا بخلاف أهل الحجاب فإن علمهم إنما يكون عين اليقين يوم القيامة، ويدل عليه قوله عليه السلام: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» أي: ماتوا موتاً اختيارياً أو اضطرارياً حصل لهم اليقظة.

فعلى العاقل تحصيل اليقين والنظر بالعبرة في آيات العالمين.

قال الفقيه: لا غنية للمؤمن عن ست خصال. أولاها علم يدله على الآخرة والثانية رفيق يعينه على طاعة الله ويمنعه عن معصية الله. والثالثة معرفة عدوه والحذر منه. والرابعة عبرة يعتبر بها في آيات الله وفي اختلاف الليل والنهار. والخامسة إنصاف الخلق لكيلا يكون له يوم القيامة خصماء. والسادسة الاستعداد للموت ولقاء الرب قبل نزوله كيلاً يكون مفتضحاً يوم القيامة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿وهو الذي﴾ [اوست آن قادر مطلق كه] ﴿مدّ الأرض﴾ بسطها طولاً وعرضاً ووسعها لتثبت عليها الأقدام ويتقلب الحيوان أي أنشأها ممدودة لا أنها كانت مجموعة في مكان فبسطها، وكونها بسيطة لا ينافي كريتها لأن جميع الأرض جسم عظيم والكرة إذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها يشاهد كالسطح.

وفي «تفسير أبي الليث» بسطها من تحت الكعبة على الماء وكانت تكفأ بأهلها كما تكفأ السفينة بأهلها فأرساها بالجبال الثقال.

وفي بعض الآثار: إن الله تعالى قبل أن يخلق السموات والأرض أرسل على الماء، ريحاً هفافة فصفقت الريح الماء أي ضرب بعضه بعضاً فأبرز منه خشفة بالخاء المعجمة وهي حجارة يبست بالأرض في موضع البيت كأنها قبة وبسط الحق سبحانه من ذلك الموضع جميع الأرض طولها والعرض فهي أصل الأرض وسرتها في الكعبة وسط الأرض المسكونة وأما وسط الأرض كلها عامرها وخرابها فهي قبة الأرض وهو مكان تعتدل فيه الأزمان في الحر والبرد ويستوي الليل والنهار فيه أبداً لا يزيد أحدهما على الآخر ولا ينقص واصل طينة رسول الله ﷺ من سرة الأرض بمكة ولما تموج الماء رمى بتلك الطينة إلى محل مدفنه بالمدينة فلذلك دفن عليه السلام فيها.

قال بعضهم: الأرض مضجعنا وكانت أمنا فيها معايشنا وفيها نقبر. ﴿وجعل فيها رواسي﴾ من رسا الشي إذا ثبت جمع راسية والتاء للمبالغة كما في علاّمة لا للتأنيث؛ إذ لا يقال جبل راسية. والمعنى وجعل فيها جبالاً ثابتة أوتاداً للأرض لئلا تضطرب فتستقر ويستقر عليها وكان اضطرابها من عظمة الله تعالى قال ابن عباس رضي الله عنهما كان أبو قبيس أول جبل وضع على الأرض.

قال في «القاموس»: أبو قبيس جبل بمكة سمي برجل حداد من مذحج كمجلس لأنه أول من بنى فيه وكان يسمى الأمين لأن الركن كان مستودعاً فيه.

قال في «إنسان العيون»: وكان أول جبل وضع عليها أبا قبيس وحينئذٍ كان ينبغي أن يسمى أبا الجبال وأن يكون أفضلها مع أن أفضلها كما قال السيوطي أحد لقوله عليه السلام: «أحد يحبنا ونحبه» وهو بضمتين جبل بالمدينة. ذكر أهل الحكمة أن مجموع ما عرف في الأقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وسبعون جبلاً منها ما طوله عشرون فرسخاً، ومنها مائة فرسخ إلى ألف فرسخ ويقال ستة آلاف وستمائة وثلاثة وسبعون جبلاً سوى التلول، وليس فيها جبل إلا وله عروق من جبل قاف، فإذا أراد الله تعالى أن يزلزل الأرض أوحى إلى جبل قاف، فيحرك ذلك العرق من الجبل فتزلزل. وفي «المثنوي»:

رفت ذو القرنين سوى كوه قاف … ديدكه را كز زمرد بود صاف
كرد عالم حلقه كشته أو محيط … مانند حيران اندران خلق بسيط
كفت تو كوهى دكرها چيستند … كه به پيش عظم توباز ايستند
كفت ركهاى منند آن كوهها … مثل من نبود در حسن وبها
من بهر شهري ركى دارم نهان … بر عروقم بسته أطراف جهان
حق چو خواهد زلزلهٔ شهري مرا … كويد او من برجهانم عرق را
پس بجنبانم من آن رك را بقهر … كه بدان رك متصل كشتست شهر
چون بكويد بس شود ساكن ركم … ساكتم وز روى فعل اندرتكم
همچو مرهم ساكن وبس كاركن … چون خرد ساكن و زوجنبان سخن
نزد انكس كه نداند عقلش اين … زلزله هست از بخارات زمين

﴿وأنهاراً﴾ جارية ضمها إلى الجبال وعلق بهما فعلاً واحداً من حيث إن الجبال أسباب لتولدها وذلك أن الحجر جسم صلب، فإذا تصاعدت الأبخرة من قعر الأرض ووصلت إلى الجبل احتبست هناك فلا تزال تتزاحم وتتضاعف حتى تحصل بسبب الجبل مياه عظيمة ثم إنها لكثرتها وقوتها تنقب الجبل وتخرج وتسيل على وجه الأرض، وفي الملكوت إن الله يرسل على الأرض الثلوج والأمطار فتشربها الأرض حتى يعدلها في طبعها ومشربها فتصير عيوناً في عروق الأرض ثم تنشق الأرض عنها في المكان الذي يؤمر بالانشقاق فيه فتظهر على وجه الأرض منفعة للخلائق والملك الموكل بذلك ميكائيل وأعوانه.

ومن الأنهار العظيمة: الفرات وهو نهر الكوفة، ودجلة وهو نهر بغداد، وسيحان بفتح السين المهملة نهر المصيصة، وسيحون وهو نهر بالهند، وجيحان بفتح الجيم نهر أذنة في بلاد الأرمن، وجيحون وهو نهر بلخ والنيل وهو نهر مصر.

يقال: إن واحداً من الملوك جمع قوماً وهيأ لهم السفن ومكنهم من زاد سنة وأمرهم أن يسيروا في النيل حتى يقفوا على آخره فخرجوا ستة أشهر ولم يصلوا إلى آخره إلا أنهم رأوا هناك قبة فيها خلق على صورة الآدميين، خضر الأبدان فاصطادوا منه ليحملوه فلم يزل يضطرب عليهم حتى مات فعالجوه وملحوه واحتملوه ليراه الناس.

وفي «الواقعات المحمودية» أن ذا القرنين طلب رأس النيل فلم يجد ـ وحكي ـ أنهم وصلوا إلى جبل فكل من نظر وراءه لم يأت، فربطوا في وسط شخص حبلاً فبعد أن نظر

جذبوه وسألوا منه فلم ينطق حتى مات.

قال بعضهم: لولا دخول بحر النيل في الملح الذي يقال له البحر الأخضر قبل أن يصل إلى بحيرة الزنج ويختلط بملوحته لما قدر أحد على شربه لشدة حلاوته، ولذا يقال: إن النيل نهر العسل في الجنة ومن الأنهار نهر أرس كما قال الشاعر:

ارس را در بيابان جوش باشد بدريا چون رسد خاموش باشد

﴿ومن كل الثمرات﴾ متعلق بقوله: ﴿جعل فيها زوجين اثنين﴾ اثنين تأكيد للزوجين كما هو دأب العرب في كلامهم، أي: وخلق فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين زوجين كالحلو والحامض والأسود والأبيض والأصفر والأحمر والصغير والكبير. ﴿يغشي الليل النهار﴾ أي يجعل الليل غاشياً يغشي النهار بظلمته فيذهب بنور النهار أي يجعله مستوراً بالليل ويغطيه بظلمته ولم يذكر العكس اكتفاء بأحد الضدين.

قال البيضاوي: يلبسه مكانه فيصير الجوّ مظلماً بعد ما كان مضيئاً يعني أن الإغشاء إلباس الشيء الشيء ولما كان إلباس الليل النهار وتغطية النهار به غير معقول لأنهما متضادان لا يجتمعان واللباس لا بد أن يجتمع مع اللابس قدر المضاف وهو مكانه ومكان النهار هو الجو وهو الذي يلبس ظلمة الليل، شبه أحداث الظلمة في الجو الذي هو مكان الضوء بإلباسها إياه وتغطيه بها فأطلق عليه اسم الاغشاء والإلباس فاشتق منه لفظ يغشي فصار استعارة تبعية. ﴿إن في ذلك﴾ أي: في كل من الأرض والجبال والأنهار والثمار والملوين. ﴿لآيات﴾ تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره.

أما في الأرض: فمن حيث هي ممدودة مدحوة كالبساط لما فوقها وفيها المسالك والفجاج للماشين في مناكبها وغير ذلك مما فيها من العيون والمعادن والدواب مثلاً.

وأما الجبال: فمن جهة رسوها وعلوها وصلابتها وثقلها وقد أرسيت الأرض بها كما يرسى البيت بالأوتاد. وأما الأنهار: فحصولها في بعض جوانب الجبال دون بعض لا بد أن يستند إلى الفاعل المختار الحكيم.

وأما الثمار: فالحبة إذا وقعت في الأرض وأثرت فيها نداوة الأرض ربت وكبرت وبسبب ذلك ينشق أعلاها وأسفلها فتخرج من الشق الأعلى الشجرة الصاعدة، وتخرج من الشق الأسفل العروق الغائصة في أسفل الأرض وهذا من العجائب لأن طبيعة تلك الحبة واحدة وتأثير الطبائع والأفلاك والكواكب فيها واحد ثم إنه خرج من أحد جانبي تلك الحبة جرم صاعد إلى الهواء ومن الجانب الآخر منها جرم غائص في الأرض، ومن المحال أن يتولد من طبيعة واحدة طبيعتان متضادتان فعلمنا أن ذلك إنما كان بسبب تدبير المدبر الحكيم، ثم إن الشجرة النابتة من تلك الحبة بعضها يكون خشباً وبعضها يكون نورة، وبضعها يكون ثمرة ثم إن تلك الثمرة، أيضاً يحصل فيها أجسام مختلفة الطبائع، فالجوز له أربعة أنواع من القشور، قشره الأعلى، وتحته القشرة الخشبية، وتحته القشرة المحيطة باللب، وتحت تلك القشرة قشرة أخرى في غاية الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز واللوز رطباً، وأيضاً قد يحصل في الثمرة الواحدة الطبائع المختلفة فالعنب مثلاً وعجمه باردان يابسان، ولحمه وماؤه حاران رطبان، فتولد هذه الطبائع المختلفة من الحبة الواحدة مع تساوي تأثيرات الطبائع وتأثيرات الأنجم والأفلاك لا بد وأن يكون لأجل تدبير الحكيم القدير، وأما الملوان فلا يخفى ما في اختلافهما

ووجودهما من الآية أي الدلالة الواضحة. ﴿لقوم يتفكرون﴾ فيستدلون، والتفكر تصرف القلب في طلب معاني الأشياء وكما أن في العالم الكبير أرضاً وجبالاً ومعادن وبحاراً وأنهاراً وجداول وسواقي فكذلك في الإنسان الذي هو العالم الصغير مثله، فجسده كالأرض وعظامه كالجبال ومخه كالمعادن وجوفه كالبحر وأمعاؤه كالأنهار وعروقه كالجداول وشحمه كالطين وشعره كالنبات ومنبت الشعر كالتربة الطيبة وأنسه كالعمران وظهره كالمفاوز ووحشته كالخراب وتنفسه كالرياح وكلامه كالرعد وأصواته كالصواعق وبكاؤه كالمطر وسروره كضوء النهار وحزنه كظلمة الليل ونومه كالموت ويقظته كالحياة وولادته كبدء سفره وأيام صباه كالربيع وشبابه كالصيف وكهولته كالخريف وشيخوخته كالشتاء وموته كانقضاء مدة سفره والسنون من عمره كالبلدان والشهور كالمنازل والأسابيع كالفراسخ وأيامه كالأميال وأنفاسه كالخطى فكلما تنفس نفساً كان يخطو خطوة إلى أجله فلا بد من التفكر في هذه الأمور.

ويقال: أخلاق الأبدال عشرة أشياء: سلامة الصدور، وسخاوة في المال، وصدق اللسان، وتواضع النفس، والصبر في الشدة، والبكاء في الخلوة، والنصيحة للخلق، والرحمة للمؤمنين، والتفكر في الأشياء، وعبرة من الأشياء.

وعن النبي عليه السلام أنه مر على قوم يتفكرون فقال لهم «تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق» كذا في تنبيه «الغافلين» وفي «المثنوي»:

بى تعلق نيست مخلوقي بدو ... آن تعلق هست بيچون اي عمو
اين تعلق را خرد چون ره برد ... بستۀ وصلست وفصلست اين خرد
زين وصيت كرد مارا مصطفى ... بحث كم جوئيد درذات خدا
آنكه درذاتش تفكر كرد نيست ... در حقيقت آن نظر در ذات نيست
هست آن پندار اوزيرا براه ... صد هزاران پرده آمد تا اله
هريكي در پردۀ موصول جوست ... وهم او آنست كان خود عين هوست
پس پيمبر دفع كرد اين وهم ازو ... تاناباشد در غلط سودا پز او

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾.

﴿وفي الأرض﴾ خبر مقدم لقوله ﴿قطع﴾ جمع قطعة بالفارسية [پاره] ﴿متجاورات﴾ أي بقاع متلاصقات بعضها طيبة تنبت شيئاً وبعضها سبخة لا تنبت وبعضها قليلة الريع وبعضها صلبة وبعضها كثيرة الريع وبعضها رخوة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لأفعاله على وجه دون وجه لم يكن كذلك لاشتراك تلك القطع وانتظامها في جنس الأرضية ﴿وجنات﴾ عطف على قطع أي: بساتين. ﴿من أعناب﴾ جمع عنب بالفارسية [انكور] وسمت العرب العنب الكرم لكرم ثمرته وكثرة حمله وتذلله للقطف ليس بذي شوك ولا بشاق المصعد ويؤكل غضاً ويابساً وأصل الكرم الكثرة والجمع للخير، وبه سمي الرجل كرماً لكثرة خصال الخير فيه.

واعلم: أن قلب المؤمن لما فيه من نور الإيمان أولى بهذا الاسم، ولذا قال عليه السلام: «لا يقولن أحدكم الكرم فإنما الكرم قلب المؤمن» قال ابن الملك: سبب النهي أن

العرب كانوا يسمون العنب وشجرته كرماً؛ لأن الخمر المتخذة منه تحمل شاربها على الكرم، فكره النبي ﷺ هذه التسمية لئلا يتذاكروا به الخمر ويدعوهم حسن الاسم إلى شربها، وجعل المؤمن وقلبه أحق أن يتصف به لطيبه وذكائه، والغرض منه تحريض المؤمن على التقوى وكونه أهلا لهذه التسمية. ﴿**وزرع**﴾ بالرفع عطف على جنات وتوحيده لأنه مصدر في أصله. ﴿**ونخيل**﴾ النخل والنخيل بمعنى واحد. بالفارسية [خرما بنان]. ﴿**صنوان**﴾ نعت لنخيل جمع صنو وهي النخلة لها رأسان وأصلهما واحد أي نخلات يجمعهن أصل واحد. وبالفارسية [چند شاخ ازيك اصل رسته] وفي الحديث: «لا تؤذوني في العباس فإنه بقية آبائي وإن عم الرجل صنو أبيه» قال في «القاموس» ما زاد في الأصل الواحد كل واحد منهما صنو، ويضم ويقال هو عام في جميع الشجر ﴿**وغير صنوان**﴾ ومتفرقات مختلفة الأصول، وفي الحديث: «اكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من فضلة طينة آدم وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم ابنة عمران فأطعموا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن رطب فتمر» ـ وحكى ـ المسعودي أن آدم عليه السلام لما هبط من الجنة خرج ومعه ثلاثون قضيباً مودعة أصناف الثمر فيها.

منها عشرة لها قشر الجوز واللوز والفستق والبندق والشاه بلوط والصنوبر والرمان والنارنج والموز والخشخاش. ومنها عشرة لا قشر لها ولثمرها نوى الرطب والزيتون والمشمش والخوخ والإجاص والعناب والغبيراء والدوابق والزعرور والنبق.

ومنها عشرة لها قشر ولا نوى: التفاح والكمثري والسفرجل والتين والعنب والأترج والخرنوب والقثاء والخيار والبطيخ، وهذا لا ينافي كون هذه الثمرات مخلوقة في الأرض كما لا يخفى. ﴿**يسقى**﴾ المذكور من القطع والجنات والزرع والنخيل ﴿**بماء واحد**﴾ والماء جسم رقيق مائع به حياة كل نام ﴿**ونفضل**﴾ بنون العظمة أي ونحن نفضل ﴿**بعضها على بعض في الأكل**﴾ في الثمر شكلاً وقدراً وطعماً ورائحة فمنها بياض وسواد وصغير وكبير وحلو ومر وحامض وجيد ورديء وذلك أيضاً مما يدل على الصانع الحكيم وقدرته، فإن إنبات الأشجار بالثمار المختلفة الأصناف والأشكال والألوان والطعوم والروائح مع اتحاد الأصول والأسباب لا يكون إلا بتخصيص قادر مختار، لأنه لو كان ظهور الثمار بالماء والتراب لوجب في القياس أن لا يختلف الألوان والطعوم ولا يقع التفاضل في الجنس الواحد إذا نبت في مغرس واحد بماء واحد. والأكل بضم الكاف وسكونها ما يتهيأ للأكل ثمراً كان أو غيره كقوله تعالى في صفة الجنة ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥] فإنه عام في جميع المطعومات وإطلاق الثمر على الحب لا يصح إلا باعتبار التغليب فإن الثمر حمل الشجر على ما في «القاموس».

قال الكاشفي: [درتبيان آورده كه اين مثل بني آدم در اختلاف الوان واشكال وهيآت وأصوات باوجود آنكه پدر همه يكيست. در مدارك كفته كه مثل اختلاف قلوبست در آثار وأنوار وأسرار وهردلي را صفتي وهر صفت را نتيجهٔ دمي باشد موصوف بانكار واستكبار كه ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٢٢] وباز دمي آرميده بذكر حضرت پرورد كاركه ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨].

ببين تفاوت ره كز كجاست تابكجا

قال بعض الكبار: العلم الحاصل لأهل الله كالماء، فإن الماء حياة الأشباح، والعلم حياة

الأرواح واختلاف العلم مع كونه حقيقة واحدة باختلاف الجوارح والأشخاص، كاختلاف الماء في الطعوم باختلاف البقاع مع كونه حقيقة واحدة، فمن الماء عذب فرات كعلم الموحد العارف بالله ومنه ملح أجاج كعلم الجاهل المحجوب بالسوي والغير، فإنه شاب اللطيفة العلمية عند مروروه عليها بما يكفيها ويغيرها عن لطفها الطبيعي. قال الحافظ:

پاك وصافى شو واز چاه طبيعت بدرآى كه صفايي ندهد آب تراب آلوده

وقال في المولى الجامي:

نكتهٔ عرفان مجو از خاطر آلودكان كهور مقصودرا دلهاي پاك آمد صدف

﴿إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآيات﴾ لدلالات واضحة ﴿لقوم يعقلون﴾ يعملون على قضية عقولهم وأن من قدر على خلق الثمار المختلفة الأشكال والألوان والطعوم والروائح من الأرض والماء ولا تناسب بين التراب والماء، وقدر على إحياء الأرض بالماء وجعلها قطعاً متجاورات وحدائق ذات بهجة قدر على إعادة ما ابدأه بل هذا ادخل في القدرة من ذلك وأهون في القياس.

والإشارة في أرض الإنسانية قطع من النفس والقلب والروح والسر والخفي متقاربات بقرب الجوار مختلفات في الحقائق فمنها حيوانية، ومنها ملكوتية ومنها روحانية ومنها جبروتية ومنها عظموتية، وبالجنات يشير إلى هذه الأعيان المستعدة لقبول الفيض عند قبولها وتثميرها من أعناب وهي ثمرة النفس، فمن الصفات ما تدل على الغفلة والحماقة والسهو واللهو فإنها أصل السكر، وزرع وهو ثمرة القلب فإن القلب بمثابة الأرض الطيبة القابلة للزرع من بذر الصفات الروحانية والنفسانية، فبأي بذر صفة من الصفات ازدرعت يتجوهر القلب بجوهر تلك الصفة فتارة يصير بظلمات النفس ظلمانياً، وتارة يصير بنور الروح نورانياً، وتارة يصير بنور الرب ربانياً كما قال: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] ﴿ونخيل﴾ وهو الروح ذو فنون من الأخلاق الحميدة الروحانية كالكرم والجود والسخاء والشجاعة والقناعة والحلم والحياء والتواضع والشفقة ﴿صنوان﴾ وهو السر الجبروتي وبه يكشف أسرار الجبروت التي بين الرب والعبد ولها مثل ومثال ويحكى عنها. ﴿وغير صنوان﴾ وهو الخفي المكاشف بحقائق العظموت التي لا مثل لها ولا مثال ولا يحكى عنها، كما قال: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ⑩﴾ [النجم: ١٠] وكما قيل:

بين المحبين سر ليس يفشيه

﴿يسقى بماء واحد﴾ وهو ماء القدرة والحكمة ﴿ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ في الثمرات والنتائج فبعضها أشرف من بعضها، وإن كان لكل واحدة منها شرف في موضعه لاحتياج الإنسان في أثناء السلوك. ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ الذين يلتمسون من القرآن أسراراً وآيات تدلهم على السير إلى الله وتهديهم إلى الصراط المستقيم إليه كما في «التأويلات النجمية».

﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ⑤﴾.

﴿وإن تعجب﴾ أي إن يقع منك عجب وتعجبت من شيء يا محمد أو أيها السامع

﴿فعجب قولهم﴾ خبر ومبتدأ أي فليكن ذلك العجب من قول المشركين. ﴿ءاذا كنا تراباً﴾ [آيا آن وقت كه ما باشيم خاك يعني بعد ازمرك كه ما خاك باشيم] والجملة الاستفهامية منصوبة المحل على أنها محكية بالقول، وإذا ظرف محض ليس فيها معنى الشرط والعامل محذوف دل عليه قوله ﴿أئنا﴾ [أياما] ﴿لفي خلق جديد﴾ [باشيم در آفرينش نو] والتقدير إذا كنا تراباً أنبعث ونخلق لا كنا لأنه مضاف إليه فلا يعمل ولا خلق جديد لأن ما بعد أداة الاستفهام وكذا أن لا يعمل فيما قبله.

وقال بعضهم: وإن تعجب من إنكار المشركين البعث وعبادتهم الأصنام بعد اعترافهم بالقدرة على ابتداء الخلق فحقيق بأن تتعجب منه أي فقد وضعت التعجب في موضعه لكونه جديراً لأن يتعجب منه فإن من قدر على إبداء هذه المخلوقات قدر على إعادتها.

آنكه پيدا ساختن كارش بود زندكى دادن چه دشوارتش بود

والتعجب حالة انفعالية تعرض للنفس عند إدراك ما لا يعرف سببه فهو مستحيل في حق الله تعالى فكان المراد إن تعجب فعجب عندك.

قال في «التأويلات النجمية» ﴿وإن تعجب﴾ أي تعلم إنك يا محمد لا تعجب شيئاً لأنك ترى الأشياء منا ومن قدرتنا وإنك تعلم أني على كل شيء قدير ولكن إن تعجب على عادة أهل الطبيعة إذا رأوا شيئاً غير معتاد لهم أو شيئاً ينافي نظر عقولهم ﴿فعجب قولهم﴾ أي فتعجب من قولهم ﴿ءإذا كنا تراباً﴾ أي صرنا تراباً بعد الموت ﴿أئنا لفي خلق جديد﴾ أي: بعود تراب أجسادنا أجساداً كما كان وتعود إليها أرواحنا فنحيي مرة أخرى. معنى الآية أنهم يتعجبون من قدرة الله لأن الله هو الذي خلقهم من لا شيء في البداية، إذ لم تكن الأرواح والأجساد ولا التراب فالآن أهون عليه أن يخلقهم من شيء وهو التراب والأرواح ولكن العجب تعجبهم بعد أن رأوا أن الله خلقهم من لا شيء من أن يخلقهم مرة أخرى من شيء. ﴿أولئك﴾ [آن كروه كه منكرينند] ﴿الذين كفروا بربهم﴾ لأنهم كفروا بقدرته على البعث.

وفي «التأويلات» ﴿كفروا بربهم﴾ أنه خلقهم من لا شيء إذ أنكروا أنه لا يخلقهم من شيء ﴿وأولئك الأغلال في أعناقهم﴾ [وآن كر وهندكه غلها دركردنهاى ايشانست] أي مقيدون بالكفر والضلال لا يرجى خلاصهم، يقال للرجل هذا غل في عنقك للعمل الرديء، ومعناه إنه لازم لك لا يرجى خلاصك منه، والغل طوق يقيد به اليد إلى العنق.

وفي «التأويلات» هي أغلال الشقاوة التي جعلها القدير الأزلي في أعناقهم كما قال: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣] ويجوز أن يكون على حقيقته أي يغلون يوم القيامة [يعني روز قيامت غل آتشين بركردن ايشان نهند وعلامت كفار در دوزخ اين باشد] وفي الحديث «ينشىء الله سحابة سوداء مظلمة فيقال يا أهل النار أيُّ شيء تطلبون فيذكرون بها سحابة الدنيا فيقولون يا ربنا الشراب فتمطرهم أغلالاً تزيد في أغلالهم، وسلاسل تزيد في سلاسلهم وجمراً يلتهب عليهم» ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ توسيط ضمير الفصيل وتقديم فيها يفيد الحصر أي هم الموصوفون بالخلود في النار لا غيرهم وأن خلودهم إنما هو في النار لا في غيرها فثبت أن أهل الكبائر لا يخلدون في النار.

وفي «التأويلات» هم الذين قال الله تعالى فيهم في الأزل «وهؤلاء في النار ولا أبالي» فآل أمرهم إلى أن يكونوا أصحاب النار إلى الأبد، فالشرك والإنكار من أعظم المعاصي والأوزار

وعن النبي عليه السلام مخبراً عن الله تعالى أنه قال: «عبدي ما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي شيئاً غفرت لك على ما كان منك، ولو استقبلتني بملىء الأرض خطايا وذنوباً لأستقبلتك بملئها مغفرة واغفر لك ولا أبالي» أي إن لم تشرك بي شيئاً غفرت لك على ما كان منك من نفي جميع الإشراك، لأن النكرة إذا وقعت في سياق النفي تفيد العموم، وهذا لا يحصل إلا بعد إصلاح النفس فالمرء أسير في يد نفسه، والهوى كالغل في عنقه، وهذا الغل الملازم له في دنياه معنوي وسيصير إلى الحس يوم القيامة، إذ الباطن يصير هناك ظاهراً ـ كما حكي ـ عن بعض العصاة أنه مات فلما حفروا قبره وجدوا فيه حية عظيمة، فحفروا له قبراً آخر فوجدوها فيه، ثم كذلك قبراً بعد قبر إلى أن حفروا نحواً من ثلاثين قبراً وفي كل قبر يجدونها فلما رأوا أنه لا يهرب من الله هارب ولا يغلب الله غالب دفنوه معها، وهذه الحية هي عمله، قال السعدي قدس سره:

برادر زكار بدان شرم دار   كه درروي نيكان شوى شرمسار
ترا خود بماند سراز ننك پيش   كه كرت بر آيد عملهاى خويش

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾

﴿ويستعجلونك﴾ الاستعجال طلب تعجيل الأمر قبل مجيء وقته، أي يطلب مشركو مكة منك العجلة **﴿بالسيئة﴾** بإتيان العقوبة المهلكة وسميت العقوبة سيئة لأنها تسؤوهم **﴿قبل الحسنة﴾** متعلق بالاستعجال ظرف له، أو بمحذوف على أنه حال مقدرة من السيئة أي قبل العافية والإحسان إليهم بالإمهال، ومعنى قبل العافية قبل انقضاء الزمان المقدر لعافيهم وذلك أنه عليه السلام كان يهدد مشركي مكة تارة بعذاب القيامة، وتارة بعذاب الدنيا، وكلما هددهم بعذاب القيامة أنكروا القيامة والبعث وكلما هددهم بعذاب الدنيا استعجلوه، وقالوا متى تجيئنا به؟ فيطلبون العقوبة والعذاب والشر بدل العافية والرحمة والخير، استهزاء منهم وإظهاراً أن الذي يقوله لا أصل له ولذا قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] والله تعالى صرف عن هذه الأمة عقوبة الاستئصال، وأخر تعذيب المكذبين إلى يوم القيامة فذلك التأخير هو الحسنة في حقهم فهؤلاء طلبوا منه عليه السلام نزول ملك العقوبة ولم يرضوا بما هو حسنة في حقهم.

واعلم: أن استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة استعجالهم بالكفر والمعاصي قبل الإيمان والطاعات فإن منشأ كل سعادة ورحمة هو الإيمان الكامل والعمل الصالح، ومنشأ كل شقاوة وعذاب هو الكفر والشرك والعمل الفاسد. **﴿وقد خلت﴾** حال من المستعجلين: أي مضت **﴿من قبلهم المثلات﴾** أي عقوبات أمثالهم من المكذبين كالخسف والمسخ والرجفة، فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا.

نرود مرغ سوى دانه فراز   چون دكر مرغ بيند اندر بند
پند كير از مصائب دكران   تا نكيرند ديكران زتو پند

جمع مثلة بفتح الثاء وضمها وهي العقوبة لأنها مثل المعاقب عليه وهو الجريمة.

وفي «التبيان» أي العقوبات المهلكات يماثل بعضها بعضاً **﴿وإن ربك لذو مغفرة﴾** ستر وتجاوز **﴿للناس على ظلمهم﴾** أي مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب وإلا لما ترك على ظهر الأرض من دابة

پس پرده بيند عملهاي بد   هم او پرده پوشد بآلاى خود
وكر برجفا پيشه بشتافتى   هميشه زقهرش امان يافتى

وهو حال من الناس، أي: حال اشتغالهم بالظلم كما يقال رأيت فلاناً على أكله والمراد حال اشتغاله بالأكل.

فدلت الآية على جواز العقوبة بدون التوبة في حق أهل الكبيرة من الموحدين.

قال في «التأويلات النجمية»: هم الذين قال تعالى فيهم «هؤلاء في الجنة ولا أبالي» ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ لمن شاء من العصاة.

وفي التأويلات لمن قال فيهم «هؤلاء في النار ولا أبالي» ـ روي ـ إنها لما نزلت قال رسول الله ﷺ «لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ أحد العيش، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد» وبالفارسية. [اكر عفو خداي نبود عيش هيچ احدى كوارنده نشدى واكر وعيد حق نبودي همه كس تكيه برعفو كرده از عمل بازماندى

زحق مي ترس تا غافل نكردى   مشو نوميد تابد دل نكردي

محققان بر آنندكه تمهيد قواعد خوف ورجا درين آيت است ميفر ما يدكه آمر زنده است تا ازرحمت او نوميد نشوند عقوبت كننده است تا ازهيبت او ايمن نباشد] ونظير الآية قوله تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

لقي يحيى عيسى عليهما السلام: فتبسم عيسى على وجه يحيى، فقال: ما لي أراك لاهياً كأنك آمن فقال الآخر ما لي أراك عابساً، كأنك آيس، فقالا: لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي فأوحى الله تعالى أحبكما إليّ أحسنكما ظناً بي.

يقال: الخوف ما دام الرجل صحيحاً أفضل، وإذا مرض فالرجاء أفضل، يعني إذا كان الرجل صحيحاً كان الخوف أفضل حتى يجتهد في الطاعات ويجتنب المعاصي، فإذا مرض وعجز عن العمل كان الرجاء له أفضل.

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود بشر المذنبين وأنذر الصديقين قال: يا رب كيف أبشر المذنبين وأنذر الصديقين؟ قال بشر المذنبين أنى لا يتعاظمني ذنب إلا أغفره وأنذر الصديقين أن لا يعجبوا بأعمالهم وإني لا أضع عدلي وحسابي على أحد إلا هلك.

كر بمحشر خطاب قهر كند   انبيارا چه جاي معذرتست
پرده ازروى لطف كو بردار   كاشقيارا اميد مغفرتست

واعلم أن الله تعالى ركب في الإنسان الجمال والجلال، فرجاؤه ناظر إلى الجمال وخوفه ناظر إلى الجلال وإلى كليها الإشارة بالجسم والروح لكن رحمته وهو الروح وحاله سبقت على غضبه وهو الجسد وما تبعه، والحكم للسابق لا للاحق فعليك بالرجاء مع العمل إلى حلول الأجل.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾

﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل﴾ حرف تحضيض. والمعنى بالفارسية [چر افرو فرستاده

نمى شود] ﴿عليه﴾ محمد ﴿آية من ربه﴾ التنوين للتعظيم، أي آية جلية يستعظمها من يدركها في بادىء نظره، وعلامة ظاهرة يستدل بها على صحة نبوته، وذلك لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة على رسول الله ﷺ وتهاونهم فاقترحوا عليه آيات تعنتاً لا استرشاداً، وإلا لأجيبوا إلى مقترحهم وذلك مثل ما أوتي موسى وعيسى وصالح من انقلاب العصا حية وإحياء الموتى وخروج الناقة من الصخرة فقيل لرسول الله: ﴿إنما أنت منذر﴾ مرسل للإنذار والتخويف لهم من سوء العاقبة كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك، وصحة ذلك حاصلة بأية آية كانت، ولو أجيب إلى كل ما اقترحوا لأدى إلى إتيان ما لا نهاية له لأنه كلما أتى بمعجزة جاء واحد آخر فطلب منه معجزة أخرى وذلك يوجب سقوط دعوة الأنبياء. ﴿ولكل قوم هاد﴾ أي ولكل قوم نبي مخصوص بمعجزة من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم إلى الحق ويدعوهم إلى الصواب، ولما كان الغالب في زمان موسى هو السحر جعل معجزته ما هو أقرب إلى طريقهم، ولما كان الغالب في أيام عيسى الطب جعل معجزته ما يناسب الطب، وهو إحياء الموتى وإبراء الأبرص والأكمه، ولما كان الغالب في زمان نبينا ﷺ الفصاحة والبلاغة جعل معجزته فصاحة القرآن وبلوغه في باب البلاغة إلى حد خارج عن قدرة الإنسان، فلما لم يؤمنوا بهذه المعجزة مع أنها أقرب إلى طريقهم وأليق بطباعهم فإن لا يؤمنوا عند إظهار سائر المعجزات أولى.

والمراد بالهادي هو الله، أي إنما أنت منذر وليس لك هدايتهم ولكل قوم من الفريقين هاد يهديهم، هادٍ لأهل العناية بالإيمان والطاعة إلى الجنة، وهادٍ لأهل الخذلان بالكفر والعصيان إلى النار كما في «التأويلات النجمية».

قال الغزالي في «شرح الأسماء الحسنى»: الهادي هو الذي هدى خواص عباده أولاً إلى معرفة ذاته حتى استشهدوا على الأشياء به وهدى عوام عباده إلى مخلوقاته حتى استشهدوا بها على ذاته وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد له منه في قضاء حاجاته، فهدى الطفل إلى التقام الثدي عند انفصاله والفرخ إلى التقاط الحب عند خروجه، والنحل إلى بناء بيته على شكل التسديس لكونه أوفق الأشكال لبدنه، والهداة من العباد الأنبياء عليهم السلام ثم العلماء الذين أرشدوا الخلق إلى السعادة الأخروية وهدوهم إلى صراط الله المستقيم، بل الله الهادي لهم على ألسنتهم وهم مسخرون تحت قدرته وتدبيره.

وفي «تفسير الكواشي» أو المنذر محمد، والهادي علي رضي الله عنه احتجاجاً بقوله عليه السلام: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم» والغرض من الإرشاد إقامة جاه محمد عليه السلام بتكثير اتباعه الكاملين، وفي الحديث «تناكحوا تناسلوا فإني مكاثر بكم الأمم» وهذا التناكح والتناسل يشمل ما كان صوريا وما كان معنوياً فإن السلسلة ممدودة من الطرفين إلى آخر الزمان، وسيخرج في أمته مهدي يحكم بشريعته وينفي تحريف المائلين وزيغ الزائغين في خلافته عن ملته.

وأخرج الطبراني أنه عليه السلام قال لفاطمة رضي الله عنها «نبينا خير الأنبياء وهو أبوك وشهيدنا خير الشهداء وهو عم أبيك حمزة، ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث شاء وهو ابن عم أبيك جعفر، ومنا سبطاً هذه الأمة الحسن والحسين وهما ابناك ومنا المهدي».

وروى أبو داود في سننه: أنه من ولد الحسن، وكان سر ترك الحسن الخلافة لله تعالى

شفقة على الأمة فجعل الله القائم بالخلافة الحق عند شدة الحاجة إليها من ولده ليملأ الأرض عدلاً وظهوره يكون بعد أن يكسف القمر في أول ليلة من رمضان وتكسف الشمس في النصف منه، فإن ذلك لم يوجد منذ خلق الله السموات والأرض عمره عشرون سنة وقيل أربعون ووجهه كوكب دريّ على خده الأيمن خال أسود ومولده بالمدينة المنورة، ويظهر قبل الدجال بسبع سنين ويخرج الدجال قبل طلوع الشمس من مغربها بعشر سنين، وقبل ظهور المهدي أشراط وفتن. قال الحافظ:

تو عمر خواه وصبوري كه چرخ شعبده باز هزار بازى ازين طرفه تر برانكيزد

حفظنا الله وإياكم من الأكدار وجعلنا في خير الدار وحسن الجوار.

﴿الله﴾ وحده ﴿يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ أي حملها على أن ما مصدرية، والحمل بمعنى المحمول أو ما تحمله من الولدان ذكر أو أنثى تام أو ناقص حسن أو قبيح طويل أو قصير سعيد أو شقي ولي أو عدو جواد أو بخيل عالم أو جاهل عاقل، أو سفيه كريم، أو لئيم، حسن الخلق أو سيىء الخلق إلى غير ذلك من الأحوال الحاضرة والمترقبة فما موصولة والعائد محذوف، كما في قوله: ﴿وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾ أي: نقص جميع الأرحام وزيادتها، أو ما تغيضه وما تزداده فإن كلا من غاض وازداد يستعمل لازماً ومتعدياً. يقال غاض الماء يغيض غيضاً إذا قل ونضب، وغاضه الله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ [هود: ٤٤] ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد وأخذت منه حقي وازددت منه كذا فإن كان لازماً فالغيوض والزيادة لنفس الأرحام في الظاهر، ولما فيها في الحقيقة وإن كان متعدياً فهما لله تعالى وعلى كلا التقديرين فالإسناد مجازي، والأرحام جمع رحم وهو مبيت للولد في البطن ووعاؤه.

واعلم أن رحم المرأة عضلة وعصب وعروق ورأس عصبها في الدماغ، وهي على هيئة الكيس ولها فم بإزاء قبلها، ولها قرنان شبه الجناحين تجذب بهما النطفة وفيها قوة الإمساك لئلا ينزل من المني شيء وقد أودع الله في ماء الرجل قوة الفعل، وفي ماء المرأة قوة الانفعال فعند الامتزاج يصير مني الرجل كالأنفحة الممتزجة. باللبن واختلفوا فيما تغيضه الأرحام وما تزداده، فقيل هو جثة الولد فإنه قد يكون كبيراً وقد يكون صغيراً وقد يكون تام الأعضاء وقد يكون ناقصا، وقيل هو مدة ولادته فإن أقلها ستة أشهر عند الكل وقد تكون تسعة أشهر وأزيد عليها إلى سنتين عند أبي حنيفة، وإلى أربع عند الشافعي وإلى خمس عند مالك ـ روي ـ أن الضحاك بن مزاحم التابعي مكث في بطن أمه سنتين وأن مالكاً مكث في بطن أمه ثلاث سنين على ما في «المحاضرات» للجلال السيوطي وأخبر مالك إن جارة له ولدت ثلاثة أولاد في اثنتي عشرة سنة تحمل أربع سنين وهرم بن حبان بقي في بطن أمه أربع سنين ولذلك تسمى هرماً.

وعن الحسن: الغيوضة أن تضع لثمانية أشهر أو أقل من ذلك والازدياد أن تزيد على تسعة أشهر.

وعنه الغيض الجنين الذي يكون سقطاً لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام.

وفي «إنسان العيون» وقع الاختلاف في مدة حمله ﷺ فقيل: بقي في بطن أمه تسعة أشهر كملاً، وقيل: عشرة أشهر، وقيل: ستة أشهر، وقيل: سبعة أشهر، وقيل: ثمانية أشهر فيكون ذلك آية كما أن عيسى عليه السلام ولد في الشهر الثامن كما قيل به، مع نص الحكماء والمنجمين على أن من يولد في الشهر الثامن لا يعيش، بخلاف التاسع والسابع والسادس الذي هو أقل مدة حمل.

وقد قال الحكماء في بيان سبب ذلك: أن الولد عند استكماله سبعة أشهر يتحرك للخروج حركة عنيفة أقوى من حركته في الشهر السادس، فإن خرج عاش وإن لم يخرج استراح في البطن عقيب تلك الحركة المضنية له فلا يتحرك في الشهر الثامن ولذلك نقل حركته في البطن في ذلك الشهر فإذا تحرك للخروج وخرج فقد ضعف غاية الضعف فلا يعيش لاستيلاء حركتين مضعفتين له مع ضعفه.

وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي قدس سره: لم أر للثمانية صورة في نجوم المنازل ولهذا كان المولود إذا ولد في الشهر الثامن يموت ولا يعيش، وعلى فرض أن يعيش يكون معلولاً لا ينتفع بنفسه، وذلك لأن الشهر الثامن يغلب فيه على الجنين البرد واليبس وهو طبع الموت انتهى.

وقيل: هو عدة الولد فإن الرحم قد يشتمل على ولد واحد وعلى اثنين وثلاثة وأربعة ـ روي ـ أن شريكاً التابعي وهو أحد فقهاء المدينة كان رابع أربعة في بطن أمه.

وقال الشافعي: أخبرني شيخ باليمن أن امرأته ولدت بطوناً في كل بطن خمسة، وقيل هو دم الحيض فإنه يقل ويكثر، وقيل: غيض الأرحام الحيض على الحمل فإذا حاضت المرأة الحامل كان نقصاناً في الولد لأن دم الحيض غذاء الولد في الرحم فإذا أهراقت الدم ينتقص الغذاء فينتقص الولد وإذا لم تحض يزداد الولد ويتم، فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقته باستمساك الدم. ﴿وكل شي عنده﴾ تعالى ﴿بمقدار﴾ [باندازه است كه ازان زياده وكم نشود].

وفي «بحر العلوم» مقدر مكتوب في اللوح معلوم قبل كونه قد علم حاله وزمانه ومتعلقه.

وفي «التبيان» أي بحد لا يجاوزه من رزق وأجل.

﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾.

﴿عالم الغيب﴾ خبر مبتدأ محذوف واللام للاستغراق أي هو تعالى عالم كل ما يطلق عليه اسم الغيب وهو ما غاب عن الحس فيدخل فيه المعلومات والأسرار الخفية والآخرة.

قال بعضهم: ما ورد في القرآن من إسناد علم الغيب إلى الله تعالى إنما هو بالنسبة إلينا إذ لا غيب بالنسبة إلى الله تعالى.

وقال بعض سادات الصوفية قدس الله أسرارهم: لما سقطت جميع النسب والإضافات في مرتبة الذات البحت والهوية الصرفة انتفت النسبة العلمية فانتفى العلم بالغيب، يعني: بهذا الاعتبار وأما باعتبار التعينات، وإثبات الوجودات في مرتبة الصفات وهي مرتبة الذات الواحدية فالعلم على حاله فافهم.

بـرو عـلـم يـك ذره پـوشـيـده نـيـسـت كه پـيدا وپـنـهـان بـنـزدش يـكـيـسـت

﴿والشهادة﴾ أي: كل ما يطلق عليه اسم الشهادة وهو ما حضر للحس فيدخل فيه الموجودات المدركة والعلانية والدنيا. ﴿الكبير﴾ العظيم الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء ﴿المتعال﴾ المستعلي على كل شيء بقدرته.

وفي «الكواشي»: عن صفات المخلوقين وقول المشركين.

وفي «التأويلات» ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ ذرة من ذرات المكونات من الآيات الدالة على وحدانيته لأنه أودعه فيها وقال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]. قال الشاعر:

ففي كل شيء له آية تدل على إنه الواحد

وقال:

جهان مرآت حسن شاهد ماست فشاهد وجهه في كل ذرات

وأيضاً يعلم ما أودع فيها من الخواص والطبائع ﴿وما تغيض الأرحام﴾ أرحام الموجودات وأرحام المعدومات، أي وما تغيض من المقدرات أرحام الموجودات بحيث تبقى في الأرحام ولا تخرج منها ﴿وما تزداد﴾ أي وما تخرج منها ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ أي: وكل شيء مما يخرج من أرحام الموجودات والمعدومات وما يبقى فيها عند علمه وحكمته بمقدار معين موافق لحكمة خروج ما خرج وبقاء ما بقي لأنه ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي عالم بما غاب عن الوجود والخروج بحكمته وبما شاهد في الوجود والخروج ﴿الكبير المتعال﴾ في ذاته وإحاطة علمه بالموجودات والمعدومات وبما في أرحامهما المتعال في صفته بأنه متفرد بها.

وفي «شرح الأسماء الحسنى» الكبير هو ذو الكبرياء، والكبرياء عبارة عن كمال الذات، وأعني بكمال الذت كمال الوجود، وكمال الوجود يرجع إلى شيئين أحدهما دوامه أزلاً وأبداً وكل موجود مقطوع بعدم سابق أو لاحق فهو ناقص، ولذلك يقال للإنسان إذا طالت مدة وجوده إنه كبير أي كبير السن طويل مدة البقاء، ولا يقال عظيم السن فالكبير يستعمل فيما لا يستعمل فيه العظيم وإن كان ما طالت مدة وجوده مع كونه محدود مدة البقاء كبيراً، فالدائم الأزلي الأبدي الذي يستحيل عليه العدم أولى بأن يكون كبيراً، والثاني أن وجوده هو الوجود الذي يصدر عنه وجود كل موجود فإن كان الذي تم وجوده في نفسه كاملاً وكبيراً، فالذي فاض منه الوجود لجميع الموجودات أولى بأن يكون كاملاً كبيراً، والكبير من العباد هو الكامل الذي لا يقتصر عليه صفات كمال، بل ينتهي إلى غيره ولا يجالسه أحد إلا ويفيض عليه من كماله شيء، وكمال العبد في عقله وورعه وعلمه، فالكبير هو العالم التقي المرشد للخلق الصالح لأن يكون قدوة يقتبس من أنواره وعلومه ولهذا قال عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء، والمتعال بمعنى العلي إلا أن فيه نوع مبالغة وهو الذي لا رتبة فوق رتبته، والعبد لا يتصور أن يكون علياً مطلقاً، إذ لا ينال درجة إلا ويكون في الوجود ما هو فوقها وهي درجات الأنبياء والملائكة، نعم يتصور أن ينال درجة لا يكون في جنس الإنس من يفوقه وهي درجة نبينا عليه السلام ولكنه قاصر بالإضافة إلى العلو المطلق لأن علوه بالإضافة إلى بعض الموجودات والآخر علوه بالإضافة إلى الموجودات لا بطريق الوجوب، بل يقارنه إمكان وجود إنسان فوقه فالعلي المطلق هو الذي له الفوقية لا بالإضافة وبحسب الوجوب لا بحسب الوجد الذي يقارنه إمكان نقيضه.

﴿سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به﴾ من مبتدأ خبره سواء؛ ومنكم حال من ضمير سواء لأنه بمعنى مستو، ولم يثن الخبر مع إنه خبر عن شيئين، لأنه في الأصل مصدر وإن كان هنا بمعنى مستو، والاستواء يقتضي شيئين وهما الشخصان المرادان بمن. والمعنى مستو في علم الله تعالى من أضمر القول في نفسه ومن أظهره بلسانه منكم أيها الناس. ﴿ومن هو

مستخف بالليل وسارب بالنهار﴾ الاستخفاء [پنهان شدن] والسروب [برفتن بروز] كما في «تهذيب المصادر». والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق كما في «القاموس» وسارب معطوف على من فيتحقق شيآن ومن موصوفة كأنه قيل سواء منكم إنسان هو مستتر ومتوار في الظلمات وآخر ظاهر في الطرقات كما قال في «بحر العلوم». وسارب أي ذاهب في سربه بارز بالنهار يراه كل واحد.

وقال الكاشفي: [وهركه طلب خفاء ميكند ومى پوسد عمل خودرا بشب وهركه ظاهرست وآشكارا ميكند عمل خودرا بروز يعني مطلقاً هيچ چيز از قول وفعل سر وعلانيه برو پوشيده نيست].

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾.

﴿له﴾ أي الله تعالى، أو للإنسان الموصوف بما ذكر ﴿معقبات من بين يديه ومن خلفه﴾ جمع معقبة والتاء للمبالغة كما في علامة لا للتأنيث، فإن الملك لا يوصف بالذكورة ولا بالأنوثة وصيغة التفعيل للمبالغة والتكثير، كما في قولك طوف البيت لا للتعدية. والتعقيب [در عقب كسى بيامدن] كما في «التهذيب» يقال عقبه تعقيباً جاء بعقبه. والمعقبات ملائكة الليل والنهار كما في «القاموس». وقيل للملائكة الحفظة معقبات لكثرة تعاقب بعضهم بعضاً في النزول إلى الأرض بعضهم بالليل وبعضهم بالنهار إذا مضى فريق، خلفه فريق أي يعقب ملائكة الليل ملائكة النهار وملائكة النهار ملائكة الليل ويجتمعون في صلاة الفجر والعصر، والمعنى له ملائكة يتعاقب بعضهم بعضاً كائنون من أمام الإنسان ووراء ظهره أي يحيطون به من جوانبه. ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ من بأسه ونقمته إذا أذنب بدعائهم له ومسألتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب من ذنبه وينيب أو يحفظونه من المضار التي أمر الله بالحفظ منها.

قال مجاهد: ما من عبد إلا له ملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام فما يأتيه منهم شيء يريده إلا قال وراءك إلا شيء يأذن الله فيه فيصيبه ـ وروي ـ عن عمرو بن أبي جندب قال: كنا جلوساً عند سعيد بن قيس بصفين فأقبل علي رضي الله عنه يتوكأ على عنزة له بعد ما اختلط الظلام فقال سعيد أأمير المؤمنين؟ قال: نعم قال: أما تخاف أن يغتالك أحد قال إنه ليس من أحد إلا ومعه من الله حفظة من أن يتردى في بئر أو يخر من جبل أو يصيبه حجر أو تصيبه دابة فإذ جاء القدر خلوا بينه وبين القدر.

قال في «أسئلة الحكم» اختلف العلماء في عدد الملائكة التي وكلت على كل إنسان، فقيل: عشرون ملكاً، وقيل أكثر والأول أصح لأن عثمان رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فذكر عشرين ملكاً وقال: «ملك عن يمينك على حسناتك وهو أمير على الملك الذي عن يسارك» كما. قال تعالى: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ﴾ [ق: ١٧] وملكان بين يديك ومن خلفك لقوله تعالى: ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ و«ملك قائم على ناصيته إذا تواضع لله رفعه وإذا تجبر على الله قصمه وملكان على شفتيك يحفظان عليك الصلاة على النبي عليه السلام وملك على فيك لا يدع الحية تدخل فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي فتنزل ملائكة الليل على ملائكة النهار فهؤلاء عشرون ملكاً» على كل آدمي وإبليس بالنهار وأولاده بالليل.

قال بعض الأئمة: إن قلت الملائكة التي ترفع عمل العبد في اليوم هم الذين يأتون أم غيرهم؟ قلت: الظاهر أنهم هم وأن ملكي الإنسان لا يتغيران عليه ما دام حياً، فإذا مات قالا يا رب قد قبضت عبدك فإلى أين نذهب قال تعالى: «سمائي مملوءة من ملائكتي وأرضي مملوءة من خلقي يطيعونني اذهبا إلى قبر عبدي فسبحاني وحمداني وهللاني وكبراني ومجداني وعظماني واكتبا ذلك كله لعبدي إلى يوم القيامة» وقيل المعقبات أعوان السلطان فهو توبيخ الغافل المتمادي في غروره والتهكم به على اتخاذه الحراس بناء على توهم أنهم يحفظونه من أمر الله وقضائه كما يشاهد من بعض الملوك والسلاطين.

والعاقل يعلم أن القضايا الإلهية والنوازل المقدرة مما لا يمكن التحفظ منه فانظروا رأيهم وما ذهبوا إليه.

از كمان قضا چوتير قدر بدر آمد نشد مفيد سپر

ويقال للمؤمن طاعات وصدقات يحفظونه من عذاب الله عند الموت وفي القبر وفي القيامة.

قال بعض السلف: إذ احتضر المؤمن يقال للملك: شم رأسه فيقول: أجد في رأسه القرآن فيقال: شم قلبه فيقول أجد في قلبه الصيام فيقال: شم قدميه فيقول أجد في قدميه القيام فيقال حفظ نفسه حفظه الله ﴿إن الله لا يغير ما بقوم﴾ من العافية والنعمة ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ حتى يتركوا الشكر وينقلبوا من الأحوال الجميلة إلى القبيحة.

كرت هواست كه معشوق نكسلد پيوند نگاه دار سر رشته تا نكه دارد

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم﴾ من الوجود والعدم ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ باستدعاء الوجود والعدم بلسان الاستحقاق للوجود والعدم على مقتضي حكمته ووفق مشيئته انتهى.

وفي الآية: تنبيه لجميع الناس ليعرفوا نعمة الله عليهم ويشكروا له كيلا تزول، فدوران اللسان بالذكر والجنان بالفكر من الأمور الجميلة، فإذا تحول المرء من الذكر إلى النسيان فقد تحول إلى الحالة القبيحة، فإذا لا يجد من الفيض الإلهي ما يجده قبل وقد غير الله بشؤوم المعصية أشياء كثيرة غير إبليس وكان اسمه عزازيل فسماه إبليس.

قال إبراهيم بن أدهم مشيت في زرع إنسان فناداني صاحبه يا بقر فقلت غير اسمي بزلة فلو كثرت لغير الله معرفتي، وكذا غير اسمي هاروت وماروت وكان اسمهما قبل اقتراف الذنب عزلا وعزايا، وكذا غير لون حام بن نوح إذ نظر إلى عورة أبيه وكان نائماً فأخبر نوح بذلك فدعا عليه فسوده الله فالهند والحبشة من نسله، وقيل إن نوحاً قال لأهل السفينة وهي تطوف بالبيت العتيق إنكم في حرم الله وحول بيته لا يمس أحد امرأة وجعل بينهم وبين النساء حاجزاً فتعدى ولده حام ووطىء زوجته فدعا الله عليه بأن يسود لون بنيه فأجاب الله دعاءه، وغير الصورة على داود بزلة واحدة وغير الصورة على قوم موسى لأخذهم الحيتان فصيرهم قردة، وعلى قوم عيسى فصيرهم خنازير وغير المال والبساتين على آل القطروس حيث منعوا الناس عنها فأحرقتها نار، وكذلك هلاك أموال القبط بدعاء موسى ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨] الآية فصار ماؤهم دماً وأموالهم حجراً وغير العلم على أمية بن أبي الصلت، كان نائماً فأتاه طائر وأدخل منقاره في فيه فلما استيقظ نسي جميع علومه، وكان من بلغاء قريش

وكان يرجو أن يكون هو نبي آخر الزمان أو وعد الإيمان به، فلما بعث نبينا ﷺ أنكره وغير المكان على آدم بزلة واحدة وخسف بقارون الأرض حيث منع الزكاة. قال الحافظ:

كنج قارون كه فروميرود از قهر هنوز خوانده باشى كه هم ازغيرت درويشانست

وغير اللسان على رجل بسبب العقوق، نادته والدته فلم يجبها فصار أخرس، وغير الإيمان على برصيصا بعد ما عبد الله مائتين وعشرين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين لأنه لم يشكر يوماً على نعمة الإسلام.

شكر نعمت نعمتت افزون كند كفر نعمت از كفت بيرون كند

﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً﴾ عذاباً وهلاكاً ﴿فلا مرد له﴾ فلا ردّ له، والعامل في إذا ما دل عليه، قوله ﴿فلا مرد له﴾ وهو لا يرد، وإذا عند نحاة البصرة حقيقة في الظرف وقد تجيء للشرط من غير سقوط معنى الظرف، نحو إذا قمت، قمت، أي: أقوم وقت قيامك تعليقاً لقيامك بقيامة بمنزلة تعليق الجزاء بالشرط ودخوله، إما في أمر كائن متحقق في الحال نحو:

إذا أرى الدنيا وأبناءها استعصم الرحمن من شرها

أوامر منتظر لا محالة مثل ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١﴾ [الواقعة: ١] و ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكوير: ١] فهي ترد الماضي إلى المستقبل لأنها حقيقة في الاستقبال وعند الكوفيين يجيء للظرف والشرط نحو:

وإذا يحاس الحيس يدعى جندب

ونحو:

وإذا تصبك خصاصة فتحمل

﴿وما لهم﴾ أي: لمن أراد تعالى إهلاكه ﴿من دونه﴾ سوى الله تعالى ﴿من وال﴾ ممن يلي أمرهم ويدفع عنهم السوء. والوالي من أسماء الله تعالى وهو من ولي الأمور وملك الجمهور والولاية تنفيذ القول على الغير شاء الغير أو أبى.

وفيه دليل على أن خلاف مراد الله محال فإنه المتفرد بتدبير الأشياء المنفذ للتدبير ولا معقب لحكمه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ۝١٢﴾

﴿هو﴾ تعالى وحده. ﴿الذي يريكم البرق﴾ هو الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقاً إذا لمع. ﴿خوفاً﴾ أي: إرادة خوف أو إخافة من الصاعقة وخراب البيوت ﴿وطمعاً﴾ أي إرادة طمع أو إطماعاً في الغيب ورجاء بركته وزوال المشقة، والمطر يكون لبعض الأشياء ضرراً ولبعضها رحمة فيخاف مه المسافر ومن في خزينته التمر والزبيب ومن له بيت لا يكف ويطمع فيه المقيم وأهل الزرع والبساتين، ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر فإن انتفاعهم إنما هو بالنيل وبالمطر يحصل الوطر.

وفيه إشارة إلى أن في باطن جمال الله تعالى جلالاً وفي باطن جلاله جمالاً وأسند الإراءة إلى ذاته لأنه الخالق في الأبصار نوراً يحصل به الرؤية للخلائق، وهذه الإراءة إما متعلقة بعالم الملك وهي ظاهرة وإما متعلقة بعالم الملكوت، فمعناها أن الله تعالى إذا أرى السائر برقاً من لمعان أنوار الجلال يغلب عليه خوف الانقطاع واليأس، وإذا أراه برقاً من تلألؤ أنوار الجمال

يغلب عليه الرجاء والاستثناء ﴿وينشىء السحاب﴾ أي: يبتدىء إنشاء السحاب، أي: خلقه وفيه دلالة على أن السحاب يعدمه الله تعالى ثم يخلقه جديداً والسحاب اسم جنس والواحدة سحابة، ولذا وصف بقوله: ﴿الثقال﴾ بالماء جمع.

واختلف في أن الماء ينزل من السماء إلى السحاب، أو يخلقه الله في السحاب فيمطر.

وفي «حواشي ابن الشيخ»: السحاب جسم مركب من أجزاء رطبة مائية ومن أجزاء هوائية وهذه الأجزاء المائية المشوبة بالأجزاء الهوائية إنما حدثت وتكونت في جو الهواء بقدرة المحدث القادر على ما شاء، والقول بأن تلك الأجزاء تصاعدت من الأرض فلما وصلت إلى الطبقة الباردة من الهواء بردت فثقلت فرجعت إلى الأرض باطل؛ لأن الأمطار مختلفة فتارة تكون قطراتها كبيرة، وتارة تكون صغيرة، وتارة متقاربة، وتارة متباعدة، وتارة تدوم زماناً طويلاً، وتارة لا تدوم فاختلاف الأمطار في هذه الصفات مع أن طبيعة الأرض واحدة، وكذا طبيعة الشمس المسخنة للبخارات واحدة لا بد أن يكون بتخصيص الفاعل المختار.

وأيضاً فالتجربة دلت على أن للدعاء والتضرع في نزول الغيث أثراً عظيماً ولذلك كان صلاة الاستسقاء مشروعة فعلمنا أن المؤثر فيه هو قدرة الفاعل لا الطبيعة والخاصية.

يقول الفقير: إن المردود هو إسناد الحوادث إلى الكون من غير ملاحظة تأثير الله تعالى فيها وأما إذا أسندت إلى الأسباب مع ملاحظة المسبب فهو مقبول، لأن هذا العالم عالم الأسباب والحكمة، وما هو أدخل في القدرة الإلهية فهو أولى بالاعتبار.

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾.

﴿ويسبح الرعد﴾ اختلف العلماء فيه والتحقيق أنه اسم ملك خلق من نور الهيبة الجلالية والرعد صوته الشديد أيضاً يسوق السحاب بصوته كما يسوق الحادي الإبل بحدائه، فإذا سبح أوقع الهيبة على الخلق كلهم حتى الملائكة.

يقول الفقير: لعل الرعد صوت ذلك الملك وإسناد التسبيح إلى صوته لكمال فيه ﴿بحمده﴾ في موقع الحال أي حامدين له وملتبسين بحمده [يعني تسبيح را باتحميد مقترن ميسازد] فيصيح سبحان الله والحمد لله، وفي الحديث: «البرق والرعد وعيد لأهل الأرض فإذا رأيتموه فكفوا عن الحديث وعليكم بالاستغفار» وإذا اشتد الرعد قال عليه السلام: «لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك» ﴿والملائكة من خيفته﴾ من عطف العام على الخاص أي ويسبح الملائكة من خوف الله وخشيته وهيبته وجلاله وذلك لأنه إذا سبح الرعد وتسبيحه ما يسمع من صوته لم يبق ملك إلا رفع صوته بالتسبيح، فينزل القطر والملائكة خائفون من الله وليس خوفهم كخوف ابن آدم فإنه لا يعرف أحدهم من على يمينه ومن على يساره ولا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء أصلاً.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما من سمع الرعد فقال: «سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فأصابته صاعقة فعليّ ديته» ﴿ويرسل الصواعق﴾ جمع صاعقة، هي نار لا دخان لها تسقط من السماء، وتتولد في السحاب، وهي أقوى نيران هذا العالم، فإنها إذا نزلت من السحاب فربما غاصت في البحر وأحرقت الحيتان تحت البحر

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود سألت النبي عليه السلام عن الرعد ما هو؟ فقال: «ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله» قالوا فما الصوت الذي يسمع «قال زجره السحاب فإذا شدت سحابة ضمها، وإذا اشتد غضبه طارت من فيه نار هي الصاعقة» والمخاريق جمع مخراق وهو في الأصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضاً والمراد به ههنا آلة يسوق بها الملك السحاب ﴿**فيصيب بها**﴾ الباء للتعدية. والمعنى بالفارسية [پس ميرساند آنرا] ﴿**من يشاء**﴾ أصابته فيهلكه والصاعقة تصيب المسلم وغيره ولا تصيب الذاكر.

يقول الفقير: لعل وجهه أن الصاعقة عذاب عاجل ولا يصيب إلا الغافل وأما الذاكر فهو مع الله ورحمته، وبين الغضب والرحمة تباعد، وقولهم تصيب المسلم بشير إلى أن المصاب بالصاعقة على حاله من الإيمان والإسلام ولا أثر لها فيه كما في اعتقاد بعض العوام ﴿**وهم**﴾ أي هؤلاء الكفار مع ظهور هذه الدلائل. ﴿**يجادلون في الله**﴾ حيث يكذبون رسوله فيما يصفه به من العظمة والتوحيد والقدرة التامة، والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل. ﴿**وهو شديد المحال**﴾ أي شديد المكر والكيد لأعدائه يهلكهم من حيث لا يحتسبون من محل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان، ومنه تمحل لكذا إذا تكلف في استعمال الحيلة واجتهد فيه.

قال في «أسباب النزول» إن رسول الله عليه السلام بعث رجلاً مرة إلى رجل من فراعنة العرب قال: «فاذهب فادعه لي» فقال يا رسول الله إنه أعتى من ذلك قال: «فاذهب فادعه لي» قال فذهبت إليه فقلت يدعوك رسول الله، فقال: وما الله أمن ذهب هو أمن فضة أو من نحاس؟ قال الراوي وهو أنس فرجع إلى رسول فأخبره وقال قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك قال لي كذا وكذا قال: «فارجع إليه الثانية فادعه» فرجع إليه فأعاد عليه مثل الكلام الأول ورجع إلى النبي عليه السلام فأخبره فقال: «ارجع إليه» فرجع إليه الثالثة فأعاد عليه مثل ذلك الكلام فبينما هو يكلمه؛ إذ بعث الله سحابة حيال رأسه فرعدت فوقع منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه فأنزل الله تعالى: ﴿**ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال**﴾.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية والتي قبلها في عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وهو أخو لبيد بن ربيعة الشاعر لأمه وذلك أنهما أقبلا يريدان رسول الله ﷺ، فقال رجل من أصحابه يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك فقال: «دعه فإن يرد الله به خيراً يهده» فأقبل حتى قام عليه قال: يا محمد ما لي إن أسلمت؟ قال: «لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم» قال تجعل لي الأمر بعدك قال: «لا ليس ذلك إليّ إنما ذاك إلى الله تعالى يجعله حيث شاء» قال أسلم على أن لك المدر ولي الوبر، يعني: لك ولاية القرى ولي ولاية البوادي قال: «لا» قال فماذا تجعل لي قال: «أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها» قال أو ليس ذلك إليّ اليوم وكان أوصى إلى أربد إذا رأيتني أكلمه قدر من خلفه فاضربه بالسيف، فجعل يخاصم رسول الله ﷺ ويراجعه فدار أربد خلفه عليه السلام ليضربه فاخترط من سيفه شبراً ثم حبسه الله فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي إليه فالتفت رسول الله فرأى أربد وما يصنع بسيفه فقال: «اللهم اكفنيهما بما شئت» فأرسل الله على أربد صاعقة في يوم صائف صاحي فأحرقته، وولى عامر هارباً فقال يا محمد دعوت ربك فقتل أربد والله لأملأن عليك الأرض

رجالاً ألفاً أشعر وألفاً أمرد فقال عليه السلام: «يمنعك الله من ذلك وأبناء قيلة» يريد الأوس والخزرج فنزل عامر بيت امرأة سلولية فلما أصبح ضم إليه سلاحه وخرج، وهو يقول: واللات لئن اصحر محمد إليّ وصاحبه، يعني: ملك الموت لأنفذنهما برمحي.

صعوه كاو باعقاب سازد جنك　　دهد ازخون خود پرش رارنك

فلما رأى الله ذلك منه أرسل ملكاً فلطمه بجناحه فأذراه بالتراب، وخرجت على ركبته غدة في الوقت عظيمة فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم مات على ظهر فرسه فأنزل الله تعالى في هذه القصة قوله: ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به﴾ حتى بلغ ﴿وما دعاء الكافرين إلاّ في ضلال﴾ قالوا في قوله ﴿وهم يجادلون في الله﴾ على هذا للحال أي يصيب بالصاعقة من يشاء في حال جداله في الله، فإن أربد وكذا فرعون العرب في الرواية الأولى لما جادل في الله أحرقته الصاعقة، وقوله: غدة كغدة البعير أي أصابتني غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية، وسلول قبيلة من العرب أقلهم وأرذلهم قال قائل في حقهم.

إلى الله أشكو أنني بت طاهراً　　فجاء سلولي فبال على نعلي
فقلت اقطعوها بارك الله فيكمو　　فإني كريم غير مدخلها رجلي

كأن عامراً يقول ابتليت بأمرين كل واحد منهما شر من الآخر، أحدهما: أن غدتي غدة مثل غدة البعير وأن موتي موت في بيت أرذل الخلائق، والغدة الطاعون للإبل وقلما يسلم منه يقال أغد البعير، أي صار ذا غدة وهي طاعونة.

وفي الآية: إشارة إلى أن أهل الجدال في ذات الله وفي صفاته مثل الفلاسفة والحكماء اليونانية الذين لم يتابعوا الأنبياء وما آمنوا بهم وتابعوا العقل دون أدلة السمع. وبعض المتكلمين من أهل الأهواء والبدع هم الذين أصابهم صواعق القهر، واحترقت استعداداتهم في قبول الإيمان فظلوا يجادلون في الله هل هو فاعل مختار أو موجب بالذات لا بالاختيار، ويجادلون في صفات الله هل لذاته صفات قائمة به، أو هو قادر بالذات ولا صفات له ومثل هذه الشبهات المكفرة المضلة عن سبيل الرشاد والله تعالى شديد العقوبة والأخذ لمن جادل فيه بالباطل، كذا في «التأويلات النجمية».

﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾﴾

﴿له﴾ [مرخدايراست] وتقديم الخبر لإفادة التخصيص. ﴿دعوة الحق﴾ أي: الدعاء الحق على أن يكون من باب إضافة الموصوف إلى الصفة والدعوة بمعنى العبادة والحق بمعنى الحقيق اللائق الغير الباطل. والمعنى أن الدعوة التي هي التضرع والعبادة قسمان ما يكون حقاً وصواباً وما يكون باطلاً وخطأً، فالتي تكون حقاً منها مختصة به تعالى لا يشاركه فيها غيره أو له الدعوة المجابة على أن يكون الحق بمعنى الثابت الغير الضائع الباطل، فإنه الذي يجيب لمن دعاه دون غيره.

قال في «المدارك» المعنى أن الله يدعى فيستجيب الدعوة. ويعطي السائل الداعي سؤاله فكانت دعوة ملابسة لكونه حقيقاً بأن يوجه إليه الدعاء بخلاف ما لا ينفع دعاؤه.

فرو ماند كانرا برحمت قريب　　تضرع كنانرا بدعوت مجيب

﴿والذين يدعون من دونه﴾ أي والأصنام الذين يدعونهم الكفار متجاوزين الله في الدعاء إلى الأصنام فحذف الراجع، أو والكفار الذين يدعون الأصنام من دونه تعالى فحذف المفعول ﴿لا يستجيبون﴾ أي: لا يجيب الأصنام وضمير العقلاء لمعاملتهم إياها معاملة العقلاء. ﴿لهم﴾ أي: الكفار﴿بشيء﴾ من مراداتهم﴿إلا كباسط كفيه إلى الماء﴾ استثناء مفرغ من أعم عام المصدر أي إلا استجابة مثل استجابة مادٍ يديه، أي: كاستجابة الماء من بسط كفيه إليه.

قال الكاشفي: [مكر همچون اجابت كسى كه بكشاده هرد وكف خودار بسوى آب يعني تشنه٭ كه بر سر چاهي رسد ويااو دلو رسنى نبود هردودست خود بسوى چاه بكشايد وبفرياد وزارى آب رامي طلبد]. ﴿ليبلغ فاه﴾ [تا بدهن او برسد]. أي: يدعو الماء بلسانه ويشير إليه بيده ليصل إلى فمه فاللام متعلق بباسط ففاعل يبلغ هو الماء﴿وما هو﴾ أي: الماء﴿ببالغه﴾ ببالغ فيه لأنه جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه ولا يقدر على نفعهم، والتشبيه من المركب التمثيلي شبه حال الأصنام مع من دعاءهم من المشركين وهو عدم استجابتهم دعاء المشركين وعدم فوز المشركين من دعائهم الأصنام شيئاً من الاستجابة والنفع بحال الماء الواقع بمرأى من العطشان الذي يبسط إليه كفيه يطلب منه، أي يبلغ فاه وينفعه من احتراق كبده ووجه الشبه عدم استطاعة المطلوب، منه إجابة الدعاء وخيبة الطالب عن نيل ما هو أحوج إليه من المطلوب وهذا الوجه كما ترى منتزع من عدة أمور. ﴿وما دعاء الكافرين﴾ يعني لأصنامهم ﴿إلا في ضلال﴾ في ضياع وخسار وباطل، لأن الآلهة لا تقدر على إجابتهم وأما دعاؤهم له تعالى فالمذهب جواز استجابته كما في كتب الكلام والفتاوى، وقد أجاب الله دعاء إبليس وغيره ألا ترى أن فرعون كان يدعو الله في مكان خال عند نقصان النيل فيستجيب الله دعاءه ويمده فإذا كان الله لا يضيع دعاء الكافرين فما ظنك بالمؤمن، والماء وإن كان من طبعه التسفل ولكن الله تعالى إذا أراد يحركه من المركز إلى جانب المحيط على خلاف طبعه بطريق خرق العادة كما وقع لبعض أولياء الله تعالى فإنهم لوصولهم إلى المسبب قد لا يحتاجون إلى الأسباب ـ حكي ـ عن الشيخ أبي عبد الله بن حفيف ـ رضي الله عنه ـ قال: دخلتُ بغداد قاصداً الحج وفي رأسي نخوة الصوفية، يعني: حدة الإرادة وشدة المجاهدة وإطراح ما سوى الله تعالى، قال: ولم آكل أربعين يوماً، ولم أدخل على الجنيد وخرجت ولم أشرب وكنت على طهارتي فرأيت ظبياً في البرية على رأس بئر وهو يشرب وكنت عطشان فلما دنوت من البئر ولى الظبي، وإذا الماء في أسفل البئر فمشيت وقلت يا سيدي ما لي عندك محل هذا الظبي، فسمعت من خلفي يقال: جربناك فلم تصبر ارجع فخذ الماء إن الظبي جاء بلا ركوة ولا حبل وأنت جئت ومعك الركوة والحبل فرجعت فإذا البئر ملآن فملأت ركوتي فكنت أشرب منها وأتطهر إلى المدينة ولم ينفد الماء، فلما رجعت من الحج دخلت الجامع فلما وقع بصر الجنيد عليّ، قال: لو صبرت لنبع الماء من تحت قدمك.

والإشارة في الآية: أن الله تعالى دعاة يدعون الخلق بالحق إلى الحق والذين يدعون لغير الحق لا يقبلون النصح إذا خرج من القلب الساهي ولا يتأثر، فهم كمن بسط يده إلى الماء إراءة للخلق بأن يريد شربه وما هو ببالغه أي فمه فلا حصل الشرب على الحقيقة وإن توهم الخلق أنه شارب وهذا مثل ضربه الله للدعاة من أهل الأهواء والبدع يدعون الخلق إلى الله لغير الله فلا يستجابون على الحقيقة وإن استجيبوا في الظاهر لأنهم استجابوا لهم على الضلال يدل

عليه قوله: ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ الخلق عن الحق كما في «التأويلات النجمية».

ترسم نرسى بكعبه أي أعرابي كاين ره كه توميروي بتركستانست

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾.

﴿ولله يسجد﴾ حقيقة وهو بوضع الجبهة على الأرض. ﴿من في السموات﴾ يعني الملائكة وأرواح الأنبياء والأولياء وأهل الدرجات من المؤمنين. ﴿والأرض﴾ من الملائكة والمؤمنين من الثقلين ﴿طوعاً﴾ حال أي طائعين حالتي الشدة والرخاء ﴿وكرهاً﴾ أي: كارهين حالة الشدة والضرورة وذلك من الكافرين والمنافقين والشياطين، ويقال من ولد في الإسلام طوعاً ومن سبى من دار الحرب كرهاً، وفي الحديث: «عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل» وفيه إشارة إلى أن من أهل المحبة والوفاء من يطلب لدخول الجنة فيأبى ذلك طلباً للقيام بالخدمة فتوضع في أعناقهم السلاسل من الذهب فيدخلون بها الجنة. قال الكمال الخجندي:

نيست ما راغم طوبى وتمناي بهشت شيوهٔ مردم نا اهل بودهمت پست

﴿وظلالهم﴾ على حذف الفعل، أي: ويسجد ظلال أهل السموات والأرض بالعرض أي تبعاً لذي الظل ويجوز أن يراد بالسجود معناه المجازي وهو انقيادهم لإحداث ما أراده الله فيهم شاؤوا أو كرهوا، وانقياد ظلالهم لتصريفه إياها بالمد والتقليص ونقلها من جانب إلى جانب فالكل مذلل ومسخر تحت الأحكام والتقدير ﴿بالغدو والآصال﴾ الغدو جمع غداة وهي البكرة والآصال جمع أصيل وهو العشي من حين زوال الشمس إلى غيبوبتها كما في «بحر العلوم».

وقال في «الكواشي» وغيره: الأصيل ما بين العصر وغروب الشمس والباء بمعنى في ظرف ليسجد أي يسجد في هذين الوقتين والمراد بهما الدوام؛ لأن السجود سواء أريد به حقيقته أو الانقياد والاستسلام لا اختصاص له بالوقتين، وتخصيصهما مع أن انقياد الظلال وميلانها من جانب إلى جانب وطولها بسبب انحطاط الشمس وقصرها بسبب ارتفاعها لا يختص بوقت دون وقت بل هي مستسلمة منقادة لله تعالى في عموم الأوقات لأن الظلال إنما تعظم وتكثر فيهما.

قال في «التأويلات النجمية» وظلالهم أي نفوسهم فإن النفوس ظلال الأرواح وليس السجود بالطوع من شأن النفوس، لأن النفس أمارة بالسوء طبعاً إلا ما رحم الرب تعالى لتسجد طوعاً والإكراه على السجود بتبعية الأرواح وأيضاً ولله يسجد من في السموات أي سموات القلوب من صفت القلوب والأرواح والعقول طوعاً والأرض أي ومن في أرض النفوس من صفات النفس والحيوانية والسبعية والشيطانية كرهاً لأنه ليس من طبعهم السجود والانقياد اهـ.

قال بعض الكبار: من أسرار هذا العالم أنه ما من حادث إلا وله ظل يسجد لله تعالى سواء كان ذلك الحادث مطيعاً أو عاصياً فإن كان من أهل الموافقة فهو ساجد مع ظلاله وإن كان من أهل المخالفة فالظل نائب منابه في الطاعة [وحقيقت آنست كه طوع ورغبت صفت آنهاست كه لطف ازل نهال ايمان درز مين دل ايشان نشانده ونفرت وكراهيت خاصيت آنانكه قهر لم يزل تخم خذلان در مزرعهٔ نفس نافرمان ايشان فشانده]

برآن زخمى زندكين بي نيازيست برين مرهم نهدكين دلنوازيست

قال الكاشفي: [اين سجده؛ دوم است از سجدات قرآني وحضرت شيخ رضي الله عنه در سفر سابع ازفتوحات كه ذكر سجده؛ قرآني ميكند اين را سجود الظلال وسجود العام كفه وفرموده كه لازم است بنده تصديق كند خدايرا درين خبر وسجده آرد] وقد سبق في آخر الأعراف ما يتعلق بسجدة التلاوة فارجع.

وأما سجدة الشكر وهي أن يكبر ويخر ساجداً مستقبل القبلة، فيحمده تعالى ويشكره ويسبح ثم يكبر فيرفع رأسه فقد قال الشافعي يستحب سجود الشكر عند تجدد النعم كحدوث ولد أو نصر على الأعداء ونحوه، وعند دفع نقمة كنجاة من عدو أو غرق ونحو ذلك، وعن أبي حنيفة ومالك أن سجود الشكر مكروه، ولو خضع فتقرب لله تعالى بسجدة واحدة من غير سبب فالأرجح إنه حرام قال النووي: ومن هذا ما يفعله كثير من الجهلة الضالين من السجود بين يدي المشايخ فإن ذلك حرام قطعاً بكل حال، سواء كان إلى القبلة أو لغيرها وسواء قصد السجود لله أو غفل وفي بعض صوره ما يقتضي الكفر كذا في «الفتح القريب».

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿قل﴾ يا محمد للمشركين **﴿من﴾** [كيست] **﴿رب السموات والأرض﴾** خالقهما ومالكهما ومتولي أمرهما **﴿قل﴾** في الجواب **﴿الله﴾** إذ لا جواب لهم سواه لأنه البين الذي لا مراء فيه فكأنه حكاية لاعترافهم به. **﴿قل﴾** إلزاماً لهم **﴿أفاتخذتم من دونه أولياء﴾** الهمزة للإنكار والفاء للاستبعاد أي أبعد إقراركم هذا وعلمكم بأنه تعالى صانع العالم ومالكه اتخذتم من دونه تعالى أصناماً وهو منكر بعيد من مقتضى العقل **﴿لا يملكون﴾** أي: تلك الأولياء **﴿لأنفسهم نفعاً ولا ضراً﴾** لا يستطيعون لأنفسهم جلب نفع إليها ولا دفع ضرر عنها وإذا عجزوا عن جلب النفع إلى أنفسهم ودفع الضرر عنها كانوا عن نفع الغير ودفع الضر عنه أعجز، ومن هو كذلك فكيف يعبد ويتخذ ولياً وهذا تجهيل لهم وشهادة على غباوتهم وضلالتهم التي ليس بعدها.

والإشارة: قل من رب السموات القلوب وأرض النفوس ومن دبر فيهما درجات الجنان بالأخلاق الحميدة ودركات النيران بالأخلاق الذميمة وجعل مشاهدة القلوب مقامات القرب وشواهد الحق ومراتع النفوس شهوات الدنيا ومنازل البعد، قل الله أي أجب أنت عن هذا السؤال لأن الأجانب منه بمعزل قل للأجانب أفأتخذتم من دونه أولياء من الشياطين والدنيا والهوى لا يملكون لأنفسهم ولا لكم نفعاً ولا ضراً في الدنيا والآخرة؛ لأنهم مملوكون والمملوك لا يملك شيئاً. **﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾** وارد على التشبيه، أي: فكما لا يستوي الأعمى والبصير في الحس كذلك لا يستوي المشرك الجاهل بعظمة الله وثوابه وعقابه وقدرته مع الموحد العالم بذلك.

قال في «التأويلات النجمية» الأعمى من يرى غير الله مالكاً ومتصرفاً في الوجود والبصير من لا يرى مالكاً ولا متصرفاً في الوجود غير الله وأيضاً الأعمى هو النفوس لأنها تتعلق بغير الله وتحب غيره، والبصير القلوب لأنها تتعلق بالله وتحبه فالأعمى من عمي بالحق وأبصر بالباطل

والبصير من أبصر بالحق وعمي بالباطل، وأيضاً الأعمى من أبصر بظلمات الهوى والبصير من أبصر بأنوار المولى. **﴿أم هل تستوي الظلمات والنور﴾** هذا وارد على التشبيه أيضاً، أي فكما لا تستوي الظلمات والنور كذلك لا يستوي الشرك والإنكار والتوحيد والمعرفة، وعبر عن الشرك بصيغة الجمع لأنه أنواع؛ شرك النصارى وشرك اليهود وشرك عبدة الأوثان وشرك المجوس وغيرها بخلاف التوحيد.

وفي «التأويلات» هل يستوي المستكن في ظلمات الطبيعة والهوى ومن هو مستغرق في بحر نور جمال المولى فالأول كالأعمى إذ لا يقدر أن يرى الملكوت من ظلمات الملك والثاني كالبصير فكما أن المستغرق في البحر والغائص فيه لا يرى غير الماء فكذا لا يرى أهل البصيرة سوى الله. قال المولى الجامي:

عاشق اندر ظاهر وباطن نه بيند غير دوست   پيش اهل باطن اين معنى كه كفتم ظاهرست

﴿أم جعلوا لله شركاء﴾ بل اجعلوا فأم منقطعة، والهمزة للإنكار بمعنى لم يكن. والمعنى بالفارسية [يا آيا كافران ساختند براي خداي انبازاني كه] **﴿خلقوا كخلقه﴾** صفة شركاء داخلة في حكم الإنكار يعني أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين مثل خلق الله **﴿فتشابه الخلق عليهم﴾** حتى يتشابه ويلتبس عليهم خلق الله وخلقهم، فيقولوا هؤلاء قدروا على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه أقل خلق الله وأذله وأصغره وأحقره فضلاً عن أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق. **﴿قل الله خالق كل شيء﴾** من الأجسام والأعراض لا خالق غير الله فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها، ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله **﴿وهو الواحد القهار﴾** يحتمل أن يكون هذا القول داخلاً تحت الأمر بقل، ويحتمل أن يكون استئنافاً إخباراً منه تعالى بهذين الوصفين أي المتوحد بالألوهية الغالب على كل شيء فما سواه مقهور مغلوب له ومن الأشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يتوهم أن يكونوا له أولياء وشركاء:

نرد خدمت چون بنا موضع بباخت   شير سنكين را شقى شيرى شناخت

قال المولى الجامي:

مده بعشوهٔ صورت عنان دل جامي   كه هست دريس اين پرده صورت آرايى

وفي «التأويلات النجمية» الواحد في ذاته وصفاته القهار لمن دونه أي هو الواحد في خلق الأشياء وقهرها لا شريك له فيه ولا في المطلوبية والمحبوبية، فالعارف لا يطلب غير الله ولا يرى في مرآة الأشياء إلا الله.

شهود يار در ايغار مشرب جاميست   كدام غيركه لا شيء في الوجود سواه

والآية: إشارة إلى أنه تعالى خالق الخير والشر - روى - عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ، إذ أقبل أبو بكر وعمر في جمعة من الناس فلما دنوا سلموا على رسول الله فقال بعض القوم: يا رسول الله قال أبو بكر الحسنات من الله والسيئات منا وقال عمر الحسنات والسيئات كلها من الله تعالى فتابع بعض القوم أبا بكر وبعض القوم عمر فقال عليه السلام: «ما أقضي بينكما إلا كما قضى إسرافيل بين جبرائيل وميكائيل أما جبرائيل فقال مثل مقالتك يا عمر وأما ميكائيل فقال مثل مقالتك يا أبا بكر، فقال جبرائيل: إذا اختلف أهل السماء اختلف أهل الأرض فهلم نتحاكم إلى إسرافيل فقصا عليه القصة فقضى

بينهما أن القدر خيره وشره من الله تعالى» ثم قال النبي عليه السلام: «فهذا قضائي بينكما» قال: «يا أبا بكر لو شاء الله أن لا يعصي في الأرض لم يخلق إبليس». قال الحافظ:

دركار خانهٔ عشق در كفرنا كزيرست آتش كرا بسوز دكر بو لهب نباشد

نسأل الله التوفيق إلى الخير والفلاح والرشاد.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿أنزل﴾ أي الله تعالى ﴿من السماء ماء﴾ أي مطراً ينحدر منها إلى السحاب، ومنه إلى الأرض وهو رد لمن زعم أنه يأخذه من البحر ومن زعم أن المطر إنما يتحصل من ارتفاع أبخرة رطبة من الأرض إلى الهواء فينعقد هناك من شدة برد الهواء ثم ينزل مرة أخرى، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن تحت العرش بحر ينزل منه أرزاق الحيوانات يوحي الله إليه فيمطر ما شاء من سماء إلى سماء الدنيا، ويوحي إلى السحاب أن غربله فيغربله فليس من قطرة تقطر إلا ومعها ملك يضعها موضعها ولا ينزل من السماء قطرة إلا بكيل معلوم ووزن معلوم إلا ما كان يوم الطوفان من ماء فإنه نزل بغير كيل ولا وزن.

يقول الفقير: هذه الرواية أدل على قدرة الله تعالى مما ذهب إليه الحكماء كما لا يخفى فقول من قال في التفسير أي من السماء نفسها، فإن مبادي الماء منها ففي لفظة من مجاز تضييق للأمر وعدول عن الحقيقة من غير وجه معتد به والله على كل شيء قدير ﴿فسالت﴾ من ذلك الماء والسيلان الجريان. ﴿أودية﴾ جمع واد كأندية جمع ناد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة والمراد ههنا الأنهار بطريق ذكر المحل وإرادة الحال، ونكرها لأن المطر يأتي على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية دون بعض ﴿بقدرها﴾ بفتح الدال وسكونها صفة لأودية أو متعلق بسالت والضمير راجع إلى المعنى المجازي للأودية أي بمقدارها الذي علم الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضار أي بالقدر الذي لا يتضرر الناس به. وبالفارسية [باندازهٔ كه خداي تعالى مقرر كرده كه آن سود رساند وزيان نكند] وذلك لأن ضرب المطر مثلاً للحق فوجب أن يكون مطراً خالصاً للنفع خالياً من المضرة ولا يكون كبعض الأمطار والسيول الجواحف، ويجوز أن يكون الضمير راجعاً إلى المعنى الحقيقي لها على طريق الاستخدام أي بمقدارها في الصغر والكبر أي إن صغر الوادي قل الماء وإن اتسع الوادي كثر الماء، وبالفارسية [بقدرها باندازهٔ خود يعني هر وادي بمقدار خود در جزوى وبزركى وتنكى وفراخي برداشت] ﴿فاحتمل السيل﴾ أي حمل ورفع. ﴿زبداً﴾ هو اسم لكل ما علا وجه الماء من رغوة وغيرها سواء حصل بالغليان أو بغيره. وبالفارسية [كف] واصله كل شيء تولد من شيء مع مشاهبته له ومنه الزبد. ﴿رابياً﴾ عالياً فوق الماء ﴿ومما يوقدون عليه في النار﴾ خبر مقدم لقوله زبد مثله وعليه متعلق بيوقدون. والإيقاد جعل النار تحت الشيء ليذوب، وفي النار حال من الضمير في عليه، أي ومن الذي يوقد الناس عليه يعني [ميكذارند] حال كونه ثابتاً في النار وهو يعم الفلزات، والفلز بكسر الفاء واللام وشد الزاي جوهر الأرض أي الأجساد السبعة المعدنية التي تذاب وهي الذهب والفضة والحديد والنحاس والآنك والزئبق والصفر ﴿ابتغاء

﴿حلية﴾ مفعول له، أي طلب زينة فإن أكثر الزين من الذهب والفضة ﴿أو متاع﴾ عطف على حلية وهو ما يتمتع به أي ينتفع به كالنحاس والحديد والرصاص يذاب فيتخذ منه الأواني وآلات الحروب والحرث. ﴿زبد مثله﴾ قوله: مثله صفة زبد، أي: ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء يعلو عليه إذا أذيب وهو الخبث على أن تكون من ابتدائية أو بعضه زبد مثله على أن تكون تبعيضية. ﴿كذلك﴾ في محل النصب أي مثل ذلك الضرب والبيان والتمثيل ﴿يضرب الله الحق والباطل﴾ أي: بينهما ويمثلهما فإنه تعالى مثل الحق في الثبات والنفع بالماء النافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الأمتعة المختلفة، وشبه الباطل في سرعة زواله وقلة نفعه بالزبد الضائع، أي بزبد السيل الذي يرمى به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب، فالزبد وإن علا الماء فهو ينمحق وكذا الباطل وإن علا الحق في بعض الأحوال فإن الله سيمحقه ويبطله بجعل العاقبة للحق وأهله، كما قيل: للحق دولة وللباطل صولة. قال الحافظ:

سحر با معجزه پهلو نزند ايمن باش ... سامری كيست كه دست از يد بيضا ببرد

وبين وجه الشبه وهو الذهاب باطلاً مطروحاً والثبات نافعاً مقبولاً بقوله: ﴿فأما الزبد﴾ [اما كف روى آب وخبث بالاى فلز] وبدأ بالزبد مع تأخره فإن ذا الزبد يبقى بعد الزبد ويتأخر وجوده الاستمراري ﴿فيذهب جفاء﴾ قال في «القاموس» الجفاء كغراب الباطل وهو حال، أي باطلاً مرمياً به. ﴿وأما ما ينفع الناس﴾ كالماء وخلاصة الفلز. ﴿فيمكث في الأرض﴾ أي يبقى ولا يذهب فينتفع به الناس أما الماء فيثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والقنى والآبار وأما الفلز فيبقى أزمنة متطاولة ﴿كذلك﴾ [همچنين كه ذكر كرده شد] ﴿يضرب الله الأمثال﴾ ويبينها لإيضاح المشتبهات، والمثل القول الدائر بين الناس، والتمثيل أقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي وهو إظهار للوحشي في صورة المألوف.

قال الكاشفي: [بعضي بدانندكه مراد ازين آب قر آنست كه حيات دل اهل ايمانست وأودية دلها اندكه فراخور استعداد خود ازان فيض ميكيرند وزبد هواجس نفساني ووساوس شيطاني است].

وقال أبو الليث في «تفسيره» شبه الباطل بالزبد يعني احتملت القلوب على قدر هواها باطلاً كثيراً فكما أن السيل يجمع كل قذر فكذلك الهوى يحتمل الباطل وكما أن الزبد لا وزن له فكذلك الباطل لا ثواب له، والإيمان واليقين ينتفع به أهله في الآخرة كما ينتفع بالماء الصافي في الدنيا، والكفر والشك لا ينتفع به في الدنيا والآخرة.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿أنزل من السماء﴾ من سماء القلوب ﴿ماء﴾ المحبة ﴿فسالت أودية﴾ النفوس ﴿بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً﴾ من الأخلاق الذميمة النفسانية والصفات البهيمية الحيوانية وأنزل من سماء الأرواح ماء مشاهدات أنوار الجمال فسالت أودية القلوب بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً من أنانية الروحانية وأنزل من سماء الجبروت ماء تجلى صفة الألوهية فسالت أودية الأسرار بقدرها فاحتمل السيل زبد الوجود المجازي. قال في «المثنوي»:

چون تجلى كرد اوصاف قديم ... پس بسوزد وصف حادث را كليم

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾.

﴿للذين استجابوا لربهم﴾ خبر مقدم لقوله ﴿الحسنى﴾ أي للمؤمنين الذين أجابوا في الدنيا إلى ما دعا الله إليه من التوحيد والطاعة المثوبة الحسنى في الآخرة، وهي الجنة وسميت بذلك لأنها في نهاية الحسن لكونها من آثار الجمال الصفاتي، وأما الأحسن فهو الله تعالى وحسنه الأزلي من ذاته لا من غيره فقد علم من هذا أن الداعي إلى الحسنى هو الله تعالى والمجيب إلى تلك الدعوة الإلهية هم المؤمنون، والجنة ونعيمها هي الضيافة العظمى وقد ورد «اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل».

قال بعض الكبار: من أحب رؤية الله أحب الجنة لأنها محلها.

يقول الفقير: فيه تصريح بأن الجنة محل الرؤية لا محل الله تعالى حتى يلزم إثبات المكان له ولا يلزم من كونها محل الرؤية كونها محله تعالى لأن التقيد بالمكان حال الرائي لا حال المرئي والدنيا والآخرة سواء بالنسبة إلى الرائي كما أنهما سيان بالنسبة إلى المرئي إذ لو رؤي في الدنيا بحسب ارتفاع الموانع لكان لا يضر إطلاقه وتنزهه، وكذا لو رؤي في الجنة وقد ثبت أن رسول الله ﷺ رآه في الدنيا فجعلت الدنيا ظرفاً لرؤيته مع أن الله تعالى على تنزهه الأزلي وإذا عرفت هذا عرفت ضعف قول الفقهاء لو قال أرى الله في الجنة يكفر لأنه يزعم أن الله تعالى في الجنة والحق أن يقال نرى الله في الجنة انتهى قولهم.

مجرد پابيش ز اطلاق وتقييد اكر جلباب هستى راكنى شق

﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ وهم الكافرون بالله الخارجون عن الطاعة وهو مبتدأ خبره قوله ﴿لو أن لهم﴾ [اكر باشد مرايشانرا] ﴿ما في الأرض جميعاً﴾ من نقودها وأمتعتها وضياعها ﴿ومثله معه﴾ وضعفه معه [يعني آن قدركه نقود وأقمشهء ديني هست باآن اضافت كنند وهمه در تصرف كافران باشد روز قيامت] ﴿لافتدوا به﴾ جعلوه فداء أنفسهم من العذاب ولو فادوا به لا يقبل منهم.

يقول الفقير: سر هذا أنهم بسبب الدنيا غفلوا عن الله تعالى وحين الانتباه بالموت والبعث صغر في أعينهم الدنيا وما فيها فلو قدروا لبذلوا الكل وأخذوا الله تعالى بدلاً منه فقد قصروا في وقت القبول وتمنوا ما تمنوا حين لا درهم ولا دينار.

مده براحت فاني حيات باقي را بمحنت دوسه روز ازغم ابد بكريز

﴿أولئك﴾ [آن كروه] ﴿لهم سوء الحساب﴾ هو المناقشة بأن يحاسب الرجل بذنبه ولا يغفر منه شيء.

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك» قلت أو ليس يقول الله ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝﴾ [الانشقاق: ٨] فقال: «إنما ذلك العرض ولكن من نوقش في الحساب يهلك» والمناقشة الاستقصاء في الحساب بحيث لا يترك منه شيء يقال ناقشه الحساب إذا عاسره فيه واستقصى فلم يترك قليلاً ولا كثيراً، ومعنى الحديث أن المناقشة في الحساب وعدم المسامحة مفض إلى الهلاك ودخول النار ولكن الله يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء.

قال النووي: وهذا لمن لم يحاسب نفسه في الدنيا فيناقش بالصغيرة والكبيرة فأما من تاب وحاسب نفسه فلا يناقش كما في «الفتح القريب».

نريزد خدا آب روى كسى كه ريزد كناه آب چشمش بسى

﴿ومأواهم﴾ مرجعهم بعد المناقشة ﴿جهنم﴾

فإن قلت: هلا قيل مأواهم النار.

قلت: لأن في ذكر جهنم تهويلاً وتفظيعاً ويحتمل أن يكون جهنم هي أبعد النار قعراً من قولهم بئر جهنم بعيدة القعر.

قال بعضهم: جهنم معرب وكأنه في الفرس [چه نم] ﴿وبئس المهاد﴾ [وبد جايكاهست دوزخ] وهو بمعنى الممهود المبسوط يقال مهدت الفراش مهداً أي بسطته، أطلق ههنا بمعنى المستقر مطلقاً أي بئس موضع القرار جهنم ـ وروى ـ أحمد أنه عليه السلام قال لجبريل «ما لي لا أرى ميكائيل ضاحكاً» فقال: «ما ضحك منذ خلقت النار» ـ وروي ـ أن موسى عليه السلام ناجى ربه فقال يا رب خلقت خلقاً وربيتهم بنعمتك ثم تجعلهم يوم القيامة في نارك قال في «المثنوي»:

مستفيدي اعجمي شد آن كليم تا عجميا نرا كند زين سر عليم

فأوحى الله تعالى إليه آن يا موسى قم فازرع زرعاً فزرعه فسقاه وقام عليه وحصده وداسه فقال له: ما فعلت بزرعك يا موسى قال قد رفعته قال: فما تركت منه شيئاً قال: يا رب تركت ما لا خير فيه قال يا موسى: فإني أدخل النار ما لا خير فيه وهو الذي يستنكف أن يقول لا إله إلا الله وفي «المثنوي».

چونكه موسى كشت وشد كشتش تمام خوشهايش يافت خوبى ونظام
داس بكرفت ومران را مى بريد پس ندا ازغيب دركوشش رسيد
كه چرا كشتى كنى وپرورى چون كمالى يافت آنرا مى برى
كفت يا رب زان كنم ويران وپست كه در اينجا دانه هست وكاه هست
دانه لايق نيست در انبار كاه كاه در انبار كندم هم تباه
نيست حكمت اين دورا آميختن فرق واجب مى كند در بيختن
كفت اين دانش تو ازكه يا فتى كه بدانش بيدرى برساختى
كفت تميزم تودادي اي خدا كفت پس تميز چون نبود مرا
در خلايق روحهاى پاك هست روحهاى تيره وكلناك هست
اين صدفها نيست دريك مرتبه در يكى دراست ودر ديكر شبه
واجبست اظهار اين نيك وتباه همچنا كاظهار كندمها زكاه

﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿أفمن يعلم﴾ [آيا كسى ميداندكه] ﴿أنما أنزل إليك من ربك﴾ [آنكه هرچه فرو فرستاده اند بسوى تو از پروردكار تو] ﴿الحق﴾ [درست وراستست] يعني يعلم أن القرآن الذي أنزل الله تعالى هو الحق وهو حمزة بن عبد المطلب أو عمار ﴿كمن هو أعمى﴾ قلبه فينكر القرآن وهو أبو جهل أي لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصره ولا يتبعه وهذا عام فيمن كان كذلك. وفي «المثنوي»:

در سرورو در كشيده چادرى رونهان كرده زچشمت دلبرى

شاه نامه يا كليله پيش تو | همچنان باشد كه قرآن ازعتو
فرق آنكه باشد ازحق ومجاز | كه كند كحل عنايت چشم باز
وزنه پشك ومشك پيش اخشمى | هردويكسانست چون نبودشمى
كفت يزدان كه ترا هم ينظرون | نقش حمامند هم لا يبصرون

﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ أي لا يقبل نصح القرآن ولا يعمل به إلا ذوو العقول الصافية من معارضة الوهم.

قال في «التأويلات» هم المستخرجة عقولهم من قشور آفات الحواس والوهم والخيال المؤيدة بتجلي أنوار الجمال والجلال.

اعلم أن طالب الحق لا بد له في التزكية من التفكر ثم التذكر وبينهما فرق فإن التذكر فوق التفكر فإن التفكر طلب، والتذكر وجود، يعني أن التفكر لا يكون إلا عند فقدان المطلوب لاحتجاب القلب بالصفات النفسانية فتلتمس البصيرة مطلوبه، وأما التذكر فعند رفع الحجاب وخلوص الخلاصة الإنسانية من قشور صفات النفس والرجوع إلى الفطرة الأولى فيتذكر ما انطبع في النفس في الأزل من التوحيد والمعارف بعد النسيان.

قال في «حياة الأرواح» التذكر لا يكون إلا لذي لب قد خلص من قشر غواشي النشأة قال تعالى: ﴿وما يتذكر إلا أولو الألباب﴾ والنسيان إنما يحصل بسبب الغواشي كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾ [طه: ١١٥] وقد أمر الله بأحكام الشريعة لإزالة هذه الغواشي والملابس وعدد الأعضاء المكلفة ثمانية، وهي العين والأذن واللسان واليد والبطن والفرج والرجل والقلب فعلى كل واحد من هذه الأعضاء تكليف يخصه من أنواع الأحكام الشرعية أو فعال المحمدة عند الله، فالمحمدة كالصلاة والصوم وما أشبه ذلك والمذمة كضربك نفسك بسكين لتقتلها ومنها ما لا يلحقك فيه مذمة ولا محمدة كصنف المباح، ولا يجوز ذلك هذا الفعل إلا في ذاتك وأما في غيرك فلا إلا بشرط ما، فالذي لذاتك كنظرك إلى عورتك والذي هو مع غيرك ثمانية أصناف المال والولد والزوجة وملك اليمين والبهيمة والجار والأجير والأخ الإيماني والطيني.

﴿الذين﴾ الموصولات مع صلاتها مبتدأة خبرها قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]

﴿يوفون بعهد الله﴾ عهد الله مضاف إلى مفعوله، أي بما عقدوه على أنفسهم من الشهادة والاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى شهدنا، وبالفارسية: [آنانكه وفاميكنند به پيمان خداي تعالى كه درروز ميثاق بسته اند] ﴿ولا ينقضون الميثاق﴾ أي ذلك العهد بينهم وبين الله وكذا عهودهم بينهم وبين الناس فهو تعميم بعد تخصيص.

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾

﴿والذين يصلون﴾ [وآنانكه پيوند ميكنند] ﴿ما أمر الله به أن يوصل﴾ المفعول الأول محذوف تقديره ما أمرهم به وأن يوصل بدل من الضمير المجرور أي يوصله.

وهذه الآية يندرج فيها أمور.

الأول صلة الرحم واختلف في حد الرحم التي يجب صلتها. فقيل كل ذي رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكراً والآخر أنثى حرمت مناكحتهما فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام

والعمات وأولاد الخال والخالات. وقيل هو عام في كل ذي رحم محرماً كان أو غير محرم وارثاً كان أو غير وارث وهذا القول هو الصواب.

قال النووي: وهذا أصح والمحرم من لا يحل له نكاحها على التأبيد لحرمتها. فقولنا على التأبيد احتراز عن أخت الزوجة، وقولنا لحرمتها احتراز عن الملاعنة فإن تحريمها ليس لحرمتها بل للتغليظ.

واعلم أن قطع الرحم حرام والصلة واجبة، ومعناها التفقد بالزيارة والإهداء والإعانة بالقول والفعل وعدم النسيان، وأقله التسليم وإرسال السلام والمكتوب، ولا توقيت فيها في الشرع بل العبرة بالعرف والعادة كذا في «شرح الطريقة». وصلة الرحم سبب لزيادة الرزق وزيادة العمر وهي أسرع أثراً كعقوق الوالدين فإن العاق لهما لا يمهل في الأغلب ولا تنزل الملائكة على قوم فيهم قاطع رحم.

والثاني الإيمان بكل الأنبياء عليهم السلام فقولهم نؤمن ببعض ونكفر ببعض قطع لما أمر الله به أن يوصل.

والثالث موالاة المؤمنين فإنه يستحب استحباباً شديداً زيارة الإخوان والصالحين والجيران والأصدقاء والأقارب وإكرامهم وبرهم وصلتهم وضبط ذلك يختلف باختلاف أحوالهم ومراتبهم وفراغهم وينبغي للزائر أن تكون زيارته على وجه لا يكرهون وفي وقت يرتضون فإن رأى أخاه يحب زيارته ويأنس به أكثر زيارته والجلوس عنده، وإن رآه مشتغلاً بعبادة أو غيرها أو رآه يحب الخلوة يقل زيارته حتى لا يشغله عن عمله، وكذا عائد المريض لا يطيل الجلوس عنده إلا أن يستأنس به المريض، ومن تمام المواصلة المصافحة عند الملاقاة ويستحب مع المصافحة البشاشة بالوجه والدعاء بالمغفرة وغيرها. قال الحافظ:

يارى اندركس نمى بينيم يارانرا چه شد   دوستى كي آخر آمدد وستدارا نراچه شد
كسى نمى كويدكه يارى داشت حق دوستى   حق شنا سانراچه حال افتاد ويار انراچه شد

والرابع: مراعاة حقوق كافة الخلق حتى الهرة والدجاجة.

وعن الفضيل أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال: من أين أنتم؟ قالوا: من أهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين ـ وروي ـ أن امرأة عذبت في هرة حبستها فلم تطعمها إلى أن ماتت وامرأة رحمها الله وغفر لها بسبب أن سقت كلباً عطشان بخفها.

وكان أويس القرني يقتات من المزابل ويكتسي منها فنبحه يوماً كلب على مزبلة فقال له أويس: كل مما يليك وأنا آكل مما يليني ولا تنبحني فإن جزت الصراط فأنا خير منك وإلا فأنت خير مني.

يقول الفقير: وذلك لأن الإنسان السعيد خير البرية والشقي شر البرية، والكلب داخل في البرية وهذا كلام من مقام الانصاف فإن أهل الحق لا يرون لأنفسهم فضلاً ولذا كانوا يعدون من سواهم أيّاما كان خيراً منهم، وورد: «رب بهيمة خير من راكبها» وهذا العلم أعطاهم مراعاة الحقوق مع جميع الحيوانات **﴿ويخشون ربهم﴾** أي وعيده عموماً **﴿ويخافون سوء الحساب﴾** خصوصاً فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا.

وقال أبو هلال العسكري الخوف يتعلق بالمكروه ومنزل المكروه يقال خفت زيداً وخفت

المرض كما قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال: ﴿ويخافون سوء الحساب﴾ والخشية تتعلق بمنزل المكروه ولا يسمى الخوف من نفس المكروه خشية ولهذا قال ﴿ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾ انتهى وسوء الحساب سبق قريباً والخوف من أجل المنازل وأنفعها للقلب وهو فرض على كل أحد.

هركه ترسد مرورا ايمن كنند مر دل ترسنده را ساكن كنند

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿والذين صبروا﴾ على ما تكرهه النفوس من أنواع المصائب ومخالفة الهوى من مشاق التكاليف ﴿ابتغاء وجه ربهم﴾ طلباً لرضاه من غير أن ينظروا إلى جانب الخلق رياء وسمعة ولا إلى جانب النفس زينة وعجبا.

واعلم أن مواد الصبر كثيرة منها. الصبر على العمى وفي الحديث القدسي: «إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه» أي العينين وسميتا بذلك لأنهما أحب الأشياء إلى الشخص «فصبر على البلاء راضياً بقضاء الله تعالى عوضته منهما الجنة» والأعمى أول من يرى الله تعالى يوم القيامة. ومنها الصبر على الحمى وصداع الرأس وموت الأولاد والأحباب وغير ذلك من أنواع الابتلاء، ومنها الصوم فإن فيه صبراً على ما تكرهه النفس من حيث إنها مألوفة بالأكل والشرب والصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله عليه السلام: «الصوم نصف الصبر والصبر نصف الإيمان». قال الحافظ:

ترسم كزين چمن نبرى آستين كل كز كلشنش تحمل خارى نميكنى

- روي - أن شقيق بن إبراهيم البلخي دخل على عبد الله بن المبارك متنكراً فقال له عبد الله من أين أتيت؟ فقال: من بلخ قال: وهل تعرف شقيقاً: قال نعم، قال كيف طريقة أصحابه؟ فقال: إذا منعوا صبروا وإذا أعطوا شكروا، فقال عبد الله: طريقة كلا بنا هكذا، فقال: وكيف ينبغي أن يكون الأمر فقال الكاملون هم الذين إذا منعوا شكروا وإن أعطوا آثروا.

قال حضرة شيخي وسندي روح الله روحه في بعض مناجاته: اللهم إني أحمدك في السراء والضراء، وأقول في السراء الحمد لله المنعم المفضل نظراً إلى النعمة الظاهرة والمنحة الجلية في السراء وأقول في الضراء الحمد لله على كل حال نظراً إلى النعمة الباطنة والمنحة الخفية في الضراء لكن أشكرك في السراء وأقول الشكر لله طمعاً في زيادة النعمة والمنحة بمقتضي وعدك في قولك ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] فإذا دفعت عني البلية ورفعت المحنة فاشكرك مطلقاً كما أحمدك كذلك وأقول الشكر لله مطلقاً كما أقول الحمد لله كذلك انتهى.

وهذا كلام لم أر مثله من المتقدمين حقيق بالقبول والحفظ فرضي الله عن قائله ﴿وأقاموا الصلاة﴾ المفروضة أي داوموا على إقامتها ﴿وأنفقوا مما رزقناهم﴾ أي بعضه الذي وجب عليهم إنفاقه فمن للتبعيض والمراد بالبعض المتصدق به الزكاة المفروضة لاقترانه بالصلاة التي هي أخت الزكاة وشقيقتها أو مطلق ما ينفق في سبيل الله نظراً إلى إطلاق اللفظ من غير قرينة الخصوص ﴿سراً﴾ لمن لا يعرف بالمال يتناول النوافل لأنها في السر أفضل ﴿وعلانية﴾ لمن عرف به يشمل الفرائض لوجوب المجاهرة بها نفياً للتهمة، وانتصابهما على الحال أي ذوي سر

وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين، أو على الظرف أي وقتي سر وعلانية أو على المصدر أي انفاق سر وعلانية. والمعنى إسرار النوافل من الصدقات والإعلان بالفرائض.

ومن الانفاق الواجب الانفاق على الأبوين إذا كانا فقيرين.

قال الفقهاء: تقدم الأم على الأب في النفقة إذا لم يكن عند الولد إلا كفاية أحدهما لكثرة تعبها عليه وشفقتها وخدمتها ومعاناة المشاق في حمله ثم وضعه ثم إرضاعه ثم تربيته وخدمته ومعالجة أوساخه وتمريضه وغير ذلك كما في «الفتح القريب».

قال الشيخ عز الدين: الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة فإن منع واجباً منهما فهو بخيل، ولكن الذي يمنع واجب الشرع أبخل كالذي يمنع أداء الزكاة والنفقة الواجبة أو يؤديها بمشقة فإنه بخيل بالطبع متسخ بالتكلف، أو كان بحيث لا يطيب له أن يعطي من أطيب ماله أو من أوسطه فهذا كله بخل وأما واجب المروءة المضايقة والاستقصاء في المحقرات فإن ذلك مستقبح واستقباحه يختلف بالأحوال والأشخاص فمن كثر ماله يستقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ما لا يستقبح أقل منه في المبايعة والمعاملة، فيختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة أو معاملة وبما به المضايقة من طعام أو ثوب فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المروءة وجاء في وصف البخيل.

لو عبر البحر بأمواجه ... في ليلة مظلمة بارده
وكفه مملوءة خردلاً ... ما سقطت من كفه واحده

وفيه:

خواجه در ما هتاب نان ميخورد ... در سرايى كه هيج خلقي نبود
سايهٔ خويش را كسى پنداشت ... كاسه از پيش خويشتن بربود

واعلم أن الله تعالى أسند الانفاق إليهم وإعطاء الرزق إلى ذاته تعالى تنبيهاً على أنهم أمناء الله فيما أعطاهم ووكلاؤه، والوكيل دخيل في التصرف لا أصيل، فينبغي له أن يلاحظ جانب الموكل لا جانب نفسه ولا جانب الخلق وقد قالوا من طمع في شكر أو ثناء فهو بياع لا جواد فإنه اشترى المدح بماله والمدح لذيذ مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير غرض.

كرم ولطف بي غرض بايد ... تا ازان مردمتهم نبود
از كرم چون جزا طمع داري ... آن تجارت بود كرم نبود

ومن الكرم ضيافة الإخوان في شهر رمضان، وفي الحديث: «يا أصحابي لا تنسوا أمواتكم في قبورهم خاصة في شهر رمضان فإن أرواحهم يأتون بيوتهم فينادي كل أحد منهم ألف مرة من الرجال والنساء أعطفوا علينا بدرهم أو برغيف أو بكسرة خبز أو بدعوة أو بقراءة آية أو بكسوة كساكم الله من لباس الجنة» كذا في «ربيع الأبرار» فإذا كان الرغيف أو الكسرة مفيداً مقبولاً عند الله تعالى فما ظنك بما فوقه من اللذائذ وفي الحديث: «من لقم أخاه لقمة حلوة صرف الله عنه مرارة الموقف يوم القيامة» ﴿ويدرأون بالحسنة السيئة﴾ ويدفعونها بها فيجاوزون الإساءة بالإحسان والظلم بالعفو والقطع بالوصل والحرمان بالعطاء.

كم مباش از درخت سايه فكن ... هركه سنكش زند ثمر بخشش
از صدف يا دكير نكتهٔ حلم ... هركه زد برسرش كهر بخشش

أو المعنى يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها وأحسن الحسنات كلمة لا إله إلا الله إذ التوحيد رأس الدين فلا أفضل منه كما أن الرأس أفضل الجوارح.

وعن ابن كيسان إذا اذنبوا تابوا فيكون المراد بالحسنة التوبة وبالسيئة المعصية.

قال عبد الله بن المبارك: هذه ثمان خصال مسيرة إلى ثمانية أبواب الجنة ﴿أولئك﴾ [آن كروه كه بدين صفات موصوفند] ﴿لهم عقبى الدار﴾ عاقبة الدنيا ومرجع أهلها وهي العاقبة المطلقة التي هي الجنة وأما النار فإنما كانت عقبى الكافرين لسوء اختيارهم وليس كونها عاقبة دار الدنيا مقصوداً بالذات بخلاف الجنة.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾

﴿جنات عدن﴾ بدل من عقبى الدار والعدن الإقامة يقال عدن بالبلد يعدن بالكسر أي أقام وسمي منبت الجواهر من الذهب ونحوه المعدن بكسر الدال لقرارها فيه أو لأن الناس يقيمون فيه، الصيف والشتاء. ﴿يدخلونها﴾ أي جنات يقيمون فيها ولا يخرجون منها بعد الدخول.

وقيل: هو وسط الجنان وأفضلها وأعلاها وهو مقام التجلي الإلهي والانكشاف الإلهي خلقه الله بيده من غير واسطة.

يقول الفقير: الوجه الثاني أوجه عندي، لأن الإقامة في الجنة من شأن كل مؤمن كاملاً كان أو ناقصاً وأما الإقامة في جنة عدن فإنما هي من شأن المؤمن الكامل وليس الكمال إلا بإتيان هذه الخصال الثمان وليس كل أحد يكفل بمؤونتها ويتصف بها إلا من هداه الله من الخواص ﴿ومن صلح من آبائهم﴾ عطف على المرفوع في يدخلونها وإنما ساغ للفصل بالضمير.

قال في «بحر العلوم» وآبائهم جمع أبوي كل واحد منهم، كأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم والمعنى إنه يلحق بهم الصلحاء من أبويهم ﴿وأزواجهم﴾ جمع زوج. بالفارسية [زن] ويقال للمرأة الزوج والزوجة والزوج أفصح. ﴿وذرياتهم﴾ أولادهم وإن لم يبلغوا مبلغ فضلهم تبعاً لهم وتعظيماً لشأنهم وتكميلاً لفرحهم. ويقال من أعظم سرورهم أن يجتمعوا فيتذاكروا أحوالهم في الدنيا ثم يشكروا الله على الخلاص منها، والفوز بالجنة، وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة فإنه إذا جاز أن تعلو بمجرد التبعية للكاملين في الإيمان تعظيماً لشأنهم فلأن تعلو بشفاعتهم أولى والتقييد بالصلاح دليل على أن النسب المجرد لا ينفع قيل:

أتفخر باتصالك من عليّ ... وأصل البولة الماء القراح
وليس بنافع نسب زكي ... يدنسه صنائعك القباح
أصل را اعتبار چندان نيست ... روى تركل زخار خندان نيست
مى زغوره شود شكرازنى ... عسل از نحل حاصلست بقى

﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ من أبواب المنازل فإنه يكون لمقامهم ومنازلهم أبواب فيدخلون عليهم من كل باب ملك.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿سلام عليكم﴾ في موقع الحال، لأن المعنى قائلين سلام عليكم يعني سلمكم الله من

العذاب سلامة وما تخافون منه وفي الحديث: «إن للعبد من أهل الجنة لسبعين ألف قهرمان إذ الملائكة يحبونه ويسلمون عليه ويخبرونه بما أعد الله تعالى».

قال مقاتل: يدخلون عليهم في مقدار يوم وليلة من أيام الدنيا ثلاث كرات معهم الهدايا والتحف من الله يقولون سلام عليكم بشارة لهم بدوام السلامة ﴿بما صبرتم﴾ أي هذه الكرامة العظمى بسبب صبركم في الدنيا على الفقر وملازمة الطاعة، تلخيصه تعبتم ثمة فاسترحتم هنا [در اخبار آمده كه حضرت رسالت عليه السلام بلال را كفت چنان فقيركن كه بخداي رسى نه غنى]

كـانـجـا فـقـرا از هـمـه مـقـبـولـتـرنـد

وعن أنس رضي الله عنه قال: بعث الفقراء إلى رسول الله ﷺ رسولاً فقال يا رسول الله إني رسول الفقراء إليك فقال: «مرحباً بك جئت من عند قوم هم أحب إلي» فقال يا رسول الله إن الفقراء يقولون لك إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله، هم يحجون ولا نقدر عليه ويتصدقون ولا نقدر عليه، ويعتقون ولا نقدر عليه وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخراً لهم فقال عليه السلام: «بلغ الفقراء عني آن لمن صبر واحتسب منهم ثلاث خصال ليس للأغنياء منها شيء. أما الخصلة الأولى فإن في الجنة غرفاً من ياقوت أحمر ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجوم لا يدخلها إلا نبي فقير، أو شهيد فقير أو مؤمن فقير. والخصلة الثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام. والخصلة الثالثة إذ قال الفقير: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مخلصاً وقال الغني مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير في فضله وتضاعف الثواب وإن أنفق الغني معها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع الرسول إليهم وأخبرهم بذلك فقالوا رضينا يا رب» ﴿فنعم عقبى الدار﴾ المخصوص بالمدح محذوف أي فنعم عقبى الدار جنات عدن، واللام في الدار للجنس لا غير كما في «بحر العلوم» وقد وعدهم الله بثلاثة أمور الأول الجنة والثاني أن يضم إليهم من آمن من أهلهم ولم يعملوا مثل عملهم والثالث دخول الملائكة عليهم من كل باب مبشرين لهم بدوام السلامة.

وعن الشيخ عبد الواحد بن زيد رحمه الله قال: كنت في مركب فطرحتنا الريح إلى جزيرة وإذا فيها رجل يعبد صنماً فقلنا له: يا رجل من تعبد فاومأ إلى الصنم، فقلنا له: إن إلهك هذا مصنوع، عندنا من يصنع مثله ما هذا باله يعبد، قال: فأنتم من تعبدون؟ قلنا: نعبد الذي في السماء عرشه وفي الأرض بطشه وفي الأحياء والأموات قضاؤه قال: ومن أعلمكم بهذا؟ قلنا وجه إلينا رسولاً كريماً فأخبرنا بذلك قال فما فعل الرسول فيكم؟ قلنا لما أدى الرسالة قبضه الله إليه وترك عندنا كتاباً فأتيناه بالمصحف وقرأنا عليه سورة فلم يزل يبكي حتى ختمنا السورة فقال: ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يعصى ثم أسلم وعلمناه شرائع الدين وسوراً من القرآن فلما كان الليل صلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا فقال يا قوم هذا الإله الذي دللتموني عليه ينام إذا جن الليل قلنا: لا قال فبئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام فأعجبنا كلامه، فلما قدمنا عبادان قلت لأصحابي هذا قريب عهد بالإسلام فجمعنا له دراهم وأعطيناه فقال: ما هذا؟ قلنا دراهم تنفقها فقال: لا إله إلا الله دللتموني على طريق لم تسلكوها أنا كنت في جزائر البحر أعبد صنماً من دونه فلم يضيعني وأنا لا أعرفه فكيف يضيعني الآن وأنا أعرفه فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل لي: إنه في الموت فأتيته فقلت له هل من حاجة؟ قال قضى

حوائجي من جاء بكم إلى الجزيرة، قال عبد الواحد فغلبتني عيناي فنمت عنده فرأيت روضة خضراء فيها قبة وفي القبة سرير وعلى السرير جارية حسناء لم ير أحسن منها وهي تقول بالله إلا ما عجلتم به إليّ فقد اشتد شوقي إليه فاستيقظت فإذا به قد فارق الدنيا فغسلته وكفنته وواريته فلما كان الليل رأيت في منامي تلك الروضة وفيها تلك القبة وفي القبة ذلك السرير وعلى السرير تلك الجارية وهو إلى جانبها وهو يقرأ هذه الآية ﴿**والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار**﴾.

واعلم أن استماع سلام الملائكة ورؤيتهم في الدنيا مخصوص بخواص البشر للطافة جوهرهم كما قال الإمام الغزالي رحمه الله في «المنقذ من الضلال» إن الصوفية يشاهدون الملائكة في يقظتهم أي لحصول طهارة نفوسهم وتزكية قلوبهم وقطعهم العلائق وحسمهم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال وإقبالهم على الله بالكلية علماً دائماً وعملاً مستمراً وأما غيرهم فلا يراهم إلا في عالم المثال أو في النشأة الآخرة كما لا يخفى.

﴿**والذين**﴾ هم الكفار ﴿**ينقضون عهد الله**﴾ المأخوذ عليهم بالطاعة والإيمان ﴿**من بعد ميثاقه**﴾ أي من بعد توكيد ذلك العهد بالإقرار والقبول وهو العهد الذي جرى بينهم إذ أخرجهم من ظهر آدم وعاهدهم على التوحيد والعبودية كقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس: ٦٠] الآية. فالعهد عهدان عهد على المحبة وهو للخواص وعهد على العبودية وهو للعوام فأهل عهد المحبة ما نقضوا عهودهم أبداً وأهل عهد العبودية من كان عهدهم مؤكداً بعهد المحبة ما نقضوه ومن لم يكن عهدهم مؤكداً نقضوه وعبدوا غيره وأشركوا به الأشياء وأحبوها للهوى.

واعلم أن هذا العهد يتذكره أهل اليقظة الكاملة المنسلخون عن كل لباس وغاشية كما قال ذو النون المصري: وقد سئل عن سر ميثاق ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] هل تذكره فقال: نعم كأنه الآن في أذني وكما قال بعضهم مستقرباً أي عاداً لعهد ألست قريباً كأنه بالأمس كان ولذا ما نسوه، وأما غيرهم وهم أهل الحجاب فاستبعدوه ولم يذكروا منه شيئاً ﴿**ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل**﴾ سبق إعرابه أي يقطعون الأرحام وموالاة المؤمنين وما بينه الأنبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق حيث آمنوا ببعضهم وكفروا ببعضهم ﴿**ويفسدون في الأرض**﴾ بالدعاء إلى عبادة غير الله تعالى وبالظلم وتهييج الحروب والفتن وفي الحديث: «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها» وهي إيقاع الناس في الاضطراب والاختلال والاختلاف والمحنة والبلية بلا فائدة دينية وذلك حرام لأنه فساد في الأرض واضرار المسلمين وزيغ والحاد في الدين. قال السعدي قدس سره:

زان همنشين تاتواني كريز   كه مرفتنهٔ خفته را كفت خيز

فمن الفتنة أن يغرى الناس على البغي والخروج على السلطان وذلك لا يجوز وإن كان ظالماً لكونه فتنة وفساداً في الأرض، وكذا معاونه المظلومين إذا أرادوا الخروج عليه وكذا المعاونة له لكونه إعانة على الظلم وذلك لا يجوز، ومنها أن يقول للناس ما لا تصل عقولهم إليه وفي الحديث: «أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم». ومنها أن يذكر للناس ما لا يعرفه بكهنه ولا يقدر على استخراجه فيوقعهم في الاختلاف والاختلال والفتنة والبلية كما هو شأن بعض الوعاظ في زماننا. ومنها أن يحكم أو يفتي بقول مهجور أو ضعيف أو قوي يعلم أن

الناس لا يعلمون به بل ينكرونه أو يتركون بسببه طاعة أخرى كمن يقول لأهل القرى والبوادي والعجائز والعبيد والإماء لا تجوز الصلاة بدون التجويد وهم لا يقدرون على التجويد فيتركون الصلاة رأساً وهي جائزة عند البعض وإن كان ضعيفاً، فالعمل به واجب وكمن يقول للناس لا يجوز البيع والشراء والاستقراض بالدراهم والدنانير إلا بالوزن لأن رسول الله ﷺ نص عليها بالوزن فهو وزني أبداً وإن ترك الناس فيه الوزن فهذا القول قوي في نفسه وهو قول الامام أبي حنيفة ومحمد مطلقاً وقول أبي يوسف في غير ظاهر الرواية وهي خروجها عن الوزنية بتعامل الناس إلى العددية فهذه الرواية وإن كانت ضعيفة فالقول بها واجب ولازم فراراً من الفتنة فيجب على القضاة والمفتين والوعاظ معرفة أحوال الناس وعاداتهم في القبول والرد والسعي والكسل ونحوها فيكلمونهم بالأصلح والأوفق لهم حتى لا يكون كلامهم فتنة للناس وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه يجب على الآمر والناهي معرفة أحوال الناس وعاداتهم وطبائعهم ومذاهبهم لئلا يكون فتنة للناس وتهييجاً للشر وسبباً لزيادة المنكر وإشاعة المكروه **﴿أولئك لهم اللعنة﴾** في الآخرة والجملة خبر والذين ينقضون. واللعنة: الإبعاد من الرحمة والطرد من باب القرب **﴿ولهم سوء الدار﴾** أي: سوء عاقبة الدنيا وهي جهنم فاللعنة وسوء العاقبة لاصقان بهم لا يعدوانهم إلى غيرهم وفيه تنفير للمسلمين عن هذه الخصال الثلاث وإن لا ترفع همتهم حول ذلك الحمى، وفي الحديث: «ما نقض قوم العهد إلا كان القتل بينهم ولا ظهرت الفاحشة إلا سلط الله عليهم الموت ولا منع قوم الزكاة إلا حبس عنهم القطر». وفي الحديث «من أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلاً ولا صرفاً» أي فريضة ونافلة كما في «الأسرار المحمدية».

وفا وعهد نكو باشد ار بياموزى وكرنه هركه توبيني ستمكرى داند

واعلم أن اللعنة لعنتان: طرد عن الجنة وهو للكافرين وطرد عن ساحة القربة والوصلة وهو للمؤمنين الناقصين فمن قصر في العبودية وسعى في إفساد الأرض الاستعداد وقع في دار القطيعة والهجران وإن كان صورة في الجنان ورب كامل في الصورة ناقص في المعنى وبالعكس. قال المولى الجامي:

چه غم زمنقصت صورت أهل معنى را چوجان زروم بود كوتن از حبش مي باش

ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام إذ ألقي في النار كانت برداً وسلاماً فلم يضره كونه في صورة النار والنمرود كان في صورة النعمة فلم ينفعه ذلك بل وجد في النعمة نقمة نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الجنة والقربة والوصلة.

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿الله﴾ وحده **﴿يبسط الرزق﴾** يوسعه في الدنيا **﴿لمن يشاء﴾** بسطه وتوسيعه **﴿ويقدر﴾** قال في «تهذيب المصادر». القدر [تنك كردن] وهو من باب ضرب أي يضيق الرزق لمن يشاء ويعطيه بقدر كفايته لا يفضل عنه شيء كأنه قيل لو كان من نقض عهد الله ملعونين في الدنيا ومعذبين في الآخرة لما فتح الله عليهم أبواب النعم واللذات في الدنيا فقيل إن فتح باب الرزق في الدنيا لا تعلق له بالكفر والإيمان بل هو متعلق بمجرد مشيئة الله فقد يضيق على المؤمن امتحاناً لصبره وتكفيراً لذنوبه ورفعاً لدرجاته ومن هذا القبيل ما وقع لأكثر الأصحاب رضي الله

عنهم من المضايقة ويوسع على الكافرين استدراجاً ومنه ما وقع لأكثر كفار قريش من الوسعة ثم إن الله تعالى جعل الغنى لبعضهم صلاحاً وجعل الفقر لبعضهم صلاحاً وقد جعل في غنى بعضهم فساداً كالفقر وفي الكل حكمة ومصلحة. قال الحافظ:

ازين رباط دو در چون ضرور تست رحيل — رواق طاق معيشت چه سر بلندوچه پست
بهست ونيست مرنجان ضمير وخوش دل باش — كه نيستيست سر انجام هر كمال كه هست
ببال وپرمرو ازره كه تر پر تابى — هوا كرفت زماني ولى بخاك نشست

﴿وفرحوا﴾ يعني مشركي مكة. والفرح لذة في القلب لنيل المشتهى ﴿بالحياة الدنيا﴾ بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح شكر وسرور بفضل الله وإنعامه عليهم.

وفيه دليل على أن الفرح بالدنيا حرام.

افتخار ازرنك وبو واز مكان — هست شادي وفريب كودكان

قال في «شرح الحكم» عند قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: ٥٨] إنما لم يؤمر العبد برفض الفرح جملة لأن ذلك من ضرورات البشر التي لا يمكن رفعها بل ينبغي صرفها للوجه اللائق بها وكذا جميع الأخلاق كالطمع والبخل والحرص والشهوة والغضب لا يمكن تبدلها بل يصح أن تصرف إلى وجه لائق بها حتى لا تتصرف إلا فيه. ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة﴾ ليست ظرفاً للحياة ولا للدنيا لأنهما لا يقعان فيها بل هي حال والتقدير وما الحياة القريبة كائنة في جنب حياة الآخرة أي بالقياس إليها ففي للمقايسة وهي الداخلة بين مفضول سابق وفاضل لاحق. ﴿إلا متاع﴾ إلا شيء قليل يتمتع به كزاد الراعي وعجالة الراكب وهي ما يتعجل به من تميرات أو شربة سويق أو نحو ذلك.

قال الصاحب بن عباد: سمعت امرأة في بعض القبائل تسأل أين المتاع ويجيب ابنها الصغير بقوله جاء الرقيم أي الكلب وأخذ المتاع وهو ما يبل بالماء فيمسح به القصاع وفيه تقبيح لحال الدنيا.

قال الكاشفي: [بامتاعى از امتعه كه وفايي وبقايي ندارد چون ادوات خانه] مثل القصعة والقدح والقدر ينتفع بها ثم تذهب، والعاقل لا يفرح بما يفارقه عن قريب ويورثه حزناً طويلاً وإن حدثته نفسه بالفرح به يكذبها.

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه — فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا

ـ حكي ـ أنه حمل إلى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجوهر لم ير له نظير وفرح به الملك فرحاً شديداً فقال لمن عنده من الحكماء: كيف ترى هذا؟ قال: أراه فقراً حاضراً ومصيبة عاجلة قال: وكيف ذلك؟ قال: إن انكسر كان مصيبة لا جبر لها وإن سرق صرت فقيراً إليه وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة والفقر فاتفق أنه انكسر القدح يوماً فعظمت المصيبة على الملك وقال: صدق الحكيم ليته لم يحمل إلينا.

قال في «الحكم العطائية» إن أردت أن لا تعزل فلا تتول ولاية لا تدوم لك وكل ولايات الدنيا كذلك وإن لم تعزل عنها بالحياة عزلت عنها بالممات قال وقد جعل الله الدنيا محلاً للأغيار ومعدناً لوجود الأكدار تزهيداً لك فيها حتى لا يمكنك استناد إليها ولا تعريج عليها.

وقد قيل: إن الله تعالى أوحى إلى الدنيا «تضيقي وتشددي على أوليائي وترفهي وتوسعي

على أعدائي تضيقي على أوليائي حتى لا يشتغلوا بك عني وتوسعي على أعدائي حتى يشتغلوا بك عني فلا يتفرغوا لذكري».

وفي «التأويلات النجمية» ﴿الله يبسط الرزق﴾ الكشوف والشهود ﴿لمن يشاء﴾ من عباده المحبين والمحبوبين ويضيق لمن فتح عليهم أبواب الدنيا وشهواتها فأغرقهم فيها ﴿وفرحوا﴾ بها ﴿بالحياة الدنيا﴾ أي باستيفاء لذاتها وشهواتها ﴿وما الحياة الدنيا﴾ بالنسبة إلى من عبر عنها ولم يلتفت إليها فيجد في آخرتها ما يجد إلا تمتع أيام قلائل بأدنى شيء خسيس فان. قال الكمال الجندي:

جهان وجمله لذاتش بزنبور وعسل مانند
كه شير ينيش بسيارست وزان افزون شر وشورش

وقال المولى الجامي:

مرد جاهل چاه كيتي را لقلب دولت نهد همچنا نكه آماس بيند طفل كويد فربه است

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ويقول الذين كفروا﴾ ثبتوا واستمروا على كفرهم وعنادهم وهم كفار مكة ﴿لولا﴾ هلا وبالفارسية [چرا] ﴿أنزل عليه﴾ على محمد ﴿آية﴾ عظيمة كائنة ﴿من ربه﴾ [بران وجهي كه ما ميخواهيم] مثل آيات موسى وعيسى عليهما السلام من العصا وإحياء الموتى ونحوهما لكون دليلاً وعلامة على صدقه ﴿قل إن الله يضل من يشاء﴾ إضلاله باقتراح الآيات تعنتا بعد تبين الحق وظهور المعجزات فلا تغني عنه كثرة المعجزات شيئاً إذا لم يهده الله ﴿ويهدي إليه من أناب﴾ من أقبل إلى الحق ورجع عن العناد فضمير إليه راجع إلى الحق.

قال في «القاموس»: ناب إلى الله تاب كأناب، والإضلال خلق الضلالة في العبد والهداية خلق الاهتداء، والدلالة على طريق يوصل إلى المطلوب مطلقاً، وقد يسند كل منهما إلى الغير مجازاً بطريق السبب والقرآن ناطق بكلا المعنيين فيسند الإضلال إلى الشيطان في مرتبة الشريعة وإلى النفس في مرتبة الطريقة وإلى الله في مرتبة الحقيقة.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾

﴿الذين آمنوا﴾ بدل ممن أناب أو خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين آمنوا ﴿وتطمئن قلوبهم﴾ [وآرام مى يا بدد لهاى ايشان] ﴿بذكر الله﴾ إذا سمعوا ذكر الله أحبوه واستأنسوا به ودل في الذكر القرآن فالمؤمنون يستأنسون بالقرآن وذكر الله الذي هو الاسم الأعظم ويحبون استماعها، والكفار يفرحون بالدنيا ويستبشرون بذكر غير الله كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر: ٤٥] ﴿ألا﴾ [بدانيدكه] ﴿بذكر الله تطمئن القلوب﴾ قلوب المؤمنين ويستقر اليقين فيها فقلوب العوام تطمئن بالتسبيح والثناء وقلوب الخواص بحقائق الأسماء الحسنى وقلوب الأخص بمشاهدة الله تعالى.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿ويقول الذين كفروا﴾ أي: ستروا الحق بالباطل ﴿لولا أنزل عليه﴾ على من يدعو الخلق إلى الحق ﴿آية من ربه﴾ ظاهرة من المعجزات والكرامات كما نزل

على بعضهم ليستدلوا بها على صدق دعواهم ﴿قل الله يضل من يشاء﴾ أن يضله في الأزل بعين الآية ليراها سحراً ويحسبها باطلاً ويرشد إلى حضرة جلاله من يرجع إليه طالباً مشتاقاً إلى جماله.

وفيه إشارة إلى أن الطالب الصادق في الطلب هو من أهل الهداية في الهداية وليس ممن يشاء الله ضلالته في الأزل، وهم الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله لا بذكر غيره يعني أهل الهداية هم الذين آمنوا.

واعلم أن القلوب أربعة: قلب قاس: وهو قلب الكفار والمنافقين، فاطمئنانه بالدنيا وشهواتها كقوله تعالى: ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ [يونس: ٧]. وقلب ناس وهو قلب المسلم المذنب كقوله تعالى: ﴿فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] فاطمئنانه بالتوبة ونعيم الجنة كقوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢]. وقلب مشتاق وهو قلب المؤمن المطيع فاطمئنانه بذكر الله كقوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾. وقلب وحداني وهو قلب الأنبياء وخواص الأولياء فاطمئنانه بالله وصفاته كقوله تعالى لخليله عليه السلام في جواب قوله: ﴿كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠] باراءتك إياي كيفية إحياء الموتى إذا تتجلى لقلبي بصفة محييك فأكون بك محيي الموتى ولهذا إذا تجلى الله لقلب العبد يطمئن به فينعكس نور الاطمئنان من مرآة قلبه إلى نفسه فتصير النفس مطمئنة به أيضاً فتستحق لجذبات العناية وهي خطاب ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٨] فافهم جداً انتهى.

قال في «نفائس المجالس» الذكر صيقل القلوب وسبب سرور المحبوب، فمن ذكر الله فالله يذكره كما قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] فالمحجوبون تطمئن قلوبهم بذكرهم له تعالى وأما الواصلون فاطمئنان قلوبهم بذكره تعالى ـ روي ـ أن النبي عليه السلام بعث بعثاً قبل نجد فغنموا ورجعوا، فقال رجل ما رأينا بعثاً أفضل غنيمة وأسرع رجعة من هذا البعث، فقال عليه السلام: «ألا أدلكم على قوم أفضل غنيمة وأسرع رجعة قوم شهدوا صلاة الصبح ثم جلسوا يذكرون الله حتى طلعت الشمس» قال أبو سعيد: خرج رسول الله يوماً على حلقة من أصحابه فقال: «ما أجلسكم»؟ فقالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام قال: «آلله ما أجلسكم إلا ذلك» قوله آلله بالجر والمد على القسم أي بالله ما أجلسكم قالوا بالله ما أجلسنا إلا ذاك قال: «أما إني لم استحلفكم تهمة ولكن أتاني جبرائيل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة».

فإن قلت: ما تقول فيما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إنه سمع قوماً اجتمعوا في المسجد يهللون ويصلون على النبي عليه السلام برفع الصوت جهراً فراح إليهم وقال لهم ما عهدنا هذا على عهد رسول الله وما أراكم إلا مبتدعين فما زال يكرر ذلك حتى أخرجهم من المسجد.

قلت: أجاب عنه صاحب «الرسالة التحقيقية» في طريق الصوفية الشيخ سنبل الخلوتي قدس سره بأنه كذب وافتراء على ابن مسعود لمخالفته النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وأفعال الملائكة قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ﴾ [البقرة: ١١٤] ولو سلمنا صحة وقوعه فهو لا يعارض الأدلة المذكورة لأنه أثر، والأثر لا يعارض الحديث كما لا يخفى وبطلان الأدلة

يدل على بطلان المدلولات وفي الحديث: «علامة حب الله حب ذكر الله وعلامة بغض الله بغض ذكر الله».

واعلم أن نور الذكر قدره على قدر حال الذاكر، وذلك بالفناء في الله والذاكرون على أربعة أصناف.

الصنف الأول: أهل الخلوة ووظيفتهم في اليوم والليلة من الذكر الخفي القوي بالنفي والإثبات والحركة الشديدة سبعون ألف لا إله إلا الله وهؤلاء مشتغلون بالحق لا بغيره.

الصنف الثاني أهل العزلة ووظيفتهم من الذكر الخفي في اليوم والليلة ثلاثون ألف لا إله إلا الله وهؤلاء مشتغلون تارة بالحق وتارة بأنفسهم.

الصنف الثالث أصحاب الأوقات وهؤلاء وظيفتهم من الذكر جهراً وخفية اثنا عشر ألفاً وهؤلاء مشغولون بالحق مرة وبمصالح أنفسهم مرة وبالخلق أخرى.

الصنف الرابع أصحاب الخدمة وهؤلاء وظيفتهم ذكر الجهر على كل حال من الأحوال ليلاً ونهاراً بعد المداومة على الوضوء.

قال بعض الأكابر: من قال في الثلث الأخير من ليلة الثلاثاء لا إله إلا الله ألف مرة بجمع همة وحضور قلب وأرسلها إلى ظالم عجل الله دماره وخرب دياره وسلط عليه الآفات وأهلكه بالعاهات.

قال الشيخ أبو العباس أحمد البوني قدس الله روحه من قال ألف مرة لا إله إلا الله وهو على طهارة في كل صبيحة يسر الله عليه أسباب الرزق من نسبته وكذلك من قالها عند منامه العدد المذكور باتت روحه تحت العرش تتغذى من ذلك العالم حسب قواها. قال المولى الجامي قدس سره:

دلت آيينهٔ خداي نماست ... روى آيينهٔ توتيره چراست

صيقلى وار صيقلى ميزن ... باشد آيينه ات شود روشن

صيقل آن اكرنهٔ آكاه ... نيست جز لا إله إلا الله

ومن شرط الذكر أن يأخذه الذاكر بالتلقين من أهل الذكر كما أخذه الصحابة بالتلقين من رسول الله ﷺ ولقن الصحابة التابعين والتابعون المشايخ شيخاً بعد شيخ إلى عصرنا هذا وإلى أن تقوم القيامة كذا في «ترويح القلوب بلطائف الغيوب» للشيخ عبد الرحمن البسطامي قدس سره الخطير.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾

﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الذين جمعوا بين الإيمان بالقلب والعمل الصالح بالجوارح وهو مبتدأ خبره **﴿طوبى لهم﴾** [زند كانى خوش است ايشانرا] واللام للبيان كما في سلام لك، وهو مصدر من طاب كزلفى وبشرى، أصله طيبي انقلبت الياء واواً لضم ما قبلها كما في موقن.

وفي «التبيان»: غبطة وسرور لهم وفرح وقيل نعم حالهم **﴿وحسن مآب﴾** أي مرجع يعني ولهم حسن منقلب ومرجع ينقلبون ويرجعون إليه في الآخرة وهو الجنة.

وقال بعضهم: طوبى علم الشيء بعينه كما قال كعب الأحبار: سألت رسول الله عن

أشجار الجنة فقال: «إن أكبر أشجارها شجرة طوبى وخيمتي تحتها أصلها من در وأغصانها من زبرجد وأوراقها من سندس عليها سبعون ألف غصن أقصى أغصانها يلحق بساق العرش وأدنى أغصانها في سماء الدنيا ليس في الجنة دار ولا بحبوحة ولا قصر ولا قبة ولا غرفة ولا حجرة ولا سرير إلا وفيها غصن منها فتظل عليها وفيها من الثمار ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين».

قال في «الفتح القريب» أصلها في دار محمد ﷺ ثم تنقسم فروعها على جميع منازل أهل الجنة كما انتشر منه العلم والإيمان على جميع أهل الدنيا وقد غرسها الله بيده وينبع من أصلها عينان الكافور والسلسبيل، وفيها من جميع الثمار والأزهار والألوان إلا السواد وكل ورقة تظل أمة وعلى كل ورقة منها ملك يسبح الله بأنواع التسبيح عظيمة الجسد لا يدرك آخرها يسير الراكب الجادّ تحت ظلها مائة عام وقيل ألف عام ما يقطعها.

قال بعض الكبار: المراد بالعمل الصالح التزكية وطوبى لهم بالوصول إلى الفطرة الأصلية وكمال الصفات وحسن مآب بالدخول في جنة القلب أعني جنة الصفات.

قال الحريري: طوبى لمن طاب قلبه مع الله لحظة في عمره ورجع إلى ربه بقلبه في وقت من الأوقات.

قال الجنيد: طاب أوقات العارفين بمعرفتهم والعمل الصالح ما أريد به وجه الله تعالى وهو المثمر والمفيد لا غيره.

شاخ بي ميوه كرهمه طوبيست ... ببريدش بميوه پيونديد

فالعمل الذي للجنة ليس لوجه الله تعالى فإنه تعالى لو لم يخلق جنة ولا ناراً كان مستحقاً لأن يعبد.

هرزاهد خشكى چه سزاوار بهشت است ... شايستهٔ آتش شمر آنهاكه چنانند

وفي «التأويلات النجمية» ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يشير إلى الذين غرسوا غرس الإيمان، وهي كلمة لا إله إلا الله في أرض القلب وربوه بماء الشريعة ودهقنة الطريقه وهو الأعمال الصالحة حتى صار شجرة طيبة كما ضرب الله لهذا مثلاً فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤] فلما كملت الشجرة وأثمرت الحقيقة كانت ﴿طوبى لهم وحسن مآب﴾ وهي الرجوع والإياب إلى الله نفسه لا إلى ما سوا وهذا هو الثمرة الحقيقية يدل عليه قوله: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ [النبا: ٣٩] فعلى هذا يشير بطوبى إلى حقيقة شجرة لا إله إلا الله في قلب النبي عليه السلام وفي قلب كل مؤمن منها غصن فافهم جداً. قال الشيخ العطار قدس سره:

هر دو عالم بستهٔ فتراك او ... عرش وكرسي كرده قبله خاك او

پيشواي اين جهان وآن جهان ... مقتداى اشكارا ونهارا

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿كذلك﴾ أي مثل إرسالنا الرسل إلى أممهم قبلك يا محمد ﴿أرسلناك في أمة﴾ بمعنى إلى كما في قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٩] وفي «بحر العلوم» وإنما عدي الإرسال بفي وحقه أن يعدى بإلى؛ لأن الأمة موضع الإرسال ﴿قد خلت﴾ مضت وتقدمت

﴿من قبلها﴾ عائد إلى أمة على لفظها. **﴿أمم﴾** أرسلوا إليهم فليس ببدع إرسالك إلى أمتك ثم علل الإرسال فقال: **﴿لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك﴾** ضمير عليهم راجع إلى أمة على معناها، أي لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا إليك وهو القرآن وما فيه من شرائع الإسلام وتزينهم بحلية الإيمان، فإن المقصود من نزول القرآن هو العمل بما فيه وتحصيل السيرة الحسنة لا التلاوة المحضة والاستماع المجرد فالعامي المتعبد راجل، سالك والعالم المتهاون راكب نائم. قال السعدي: [تلميذ بي ارادت عاشق بي زرست وروندهء بي معرفت مرغ بي پرو عالم بي عمل درخت بي بر وزاهد بي علم خانهء بي در] **﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾** حال من فاعل أرسلناك، أي وحالهم إنهم يكفرون بالله الواسع الرحمة، ولا يعرفون قدر رحمته وإنعامه إليهم بإرسالك وإنزال القرآن العظيم عليهم ـ وروي ـ أن أبا جهل سمع النبي عليه السلام وهو في الحجر يدعو يا الله يا رحمن فرجع إلى المشركين، وقال: إن محمداً يدعو إلهين يدعو الله ويدعو آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة يعني، به مسليمة الكذاب صاحب اليمامة وهي بلدة في البادية فنزلت هذه الآية **﴿قل﴾** لهم يا محمد **﴿هو﴾** أي الرحمن الذي كفرتم به وأنكرتم معرفته **﴿ربي﴾** خالقي ومتولي أمري **﴿لا إله إلا هو﴾** خبر بعد خبر أي هو مجامع لهذين الوصفين من الربوبية والألوهية فلا مستحق للعبادة سواه ومعنى لا إله إلا هو الواحد المختص بالإلهية **﴿عليه توكلت﴾** إليه أسندت أمري في العصمة من شركم والنصرة عليكم **﴿وإليه﴾** لا إلى غيره **﴿متاب﴾** مصدر تاب يتوب واصله متابي أي مرجعي ومرجعكم فيرحمني وينتقم لي منكم والانتقام من الرحمن أشد، ولذا قيل نعوذ بالله من غضب الحليم. قال الحافظ:

بمهلتي كه سپهرت دهد زراه مرو تراكه كفت كه اين زال ترك دستان كفت

والإشارة: أن الأمم لما كفروا بالله كفروا بالرحمن؛ لأن الرحمانية قد اقتضت إيجاد المخلوقات فإن القهارية كانت مقتضية الواحدية بأن لا يكون معه أحد، فسبقت الرحمانية القهارية في إيجاد المخلوقات ولهذا السر قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣] فأرسل الله الرسل وأنزل معهم الكتب ليقرأوا عليهم ويذكروهم بأيام الله التي كان الله ولم يكن معه شيء ثم أوجدهم وأخرجهم من العدم إلى الوجود وهو الذي رب كل شيء وخالقه ولا إله إلا هو وإليه المرجع والمآب كما في «التأويلات النجمية».

يقول الفقير: عبارة الخطاب في أرسلناك للنبي ﷺ فهو المرسل لغة واصطلاحاً وصاحب الوحي والدعوة وإشارته لكل واحد من ورثته الذين هم على مشربه إلى يوم القيامة بحسب كونه مظهراً لإرثه فهو المرسل لغة لا اصطلاحاً وصاحب الإلهام والإرشاد وكما أن لكل زمان صاحب دولة وظهور فكذا له صاحب رحمة وتصرف معنوي، ولذا قال عليه السلام: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» فأثبت لهم النبوة بمعنى الإخبار عن الله بالإلهام وفي قوله: **﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾** إشارة إلى أن المنعم عليه يجب أن لا يكفر المنعم بل يشكره بالإيمان والاعتقاد كما دل عليه ما قبله، والكفر والانكار من أقبح القبائح كما أن الإيمان والإقرار من أحسن المحاسن ولحسن الظن والاعتقاد الحسن تأثير بليغ ـ روي ـ أن جماعة من السراق نزلوا على أهل رباط فسأل عنهم صاحب الرباط فاستحيوا منه وقالوا نحن الغزاة فهيأ لهم طعاماً وجاءت امرأة بطست ليغسلوا أيديهم قبل الطعام وقالت إن لي بنتاً عمياء أغسلها تبركاً بغسالة

الغزاة فغسلوا فغسلت المرأة وجه ابنتها بها فأصبحت سالمة من العمى.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾

﴿**ولو أن قرآناً**﴾ ـ روي ـ أن نفراً من مشركي مكة معهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أمية قالوا يا محمد إن يسرك أن نتبعك فسير لنا بقرآنك الجبال عن حوالي مكة فإنها ضيقة حتى تتسع لنا الأرض فنتخذ البساتين والمحارث وشقق الأرض وفجر لنا الأنهار والعيون كما في أرض الشام وأحي رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب ليكلمونا ونسألهم عن أمرك أحق ما تقول أم باطل فلما اقترحوا عليه ﷺ هذه الآيات نزل قوله: ﴿**ولو أن**﴾ الخ وجواب الشرط محذوف كما سيأتي. والمعنى بالفارسية [واكر كتابي بودي كه درين عالم] ﴿**سيرت به الجبال**﴾ التسيير بالفارسية [برفتن آوردن] أي نقلت من أماكنها واذهبت عن وجه الأرض بالفارسية [رانده شدى بوي كوهها يعني در وقت خواندن وى از مواضع خود برفتي] ﴿**أو قطعت به الأرض**﴾ شققت فجعلت أنهاراً وعيوناً. وبالفارسية [يا شكافته شدى بدو زمين چون برو خواندندى] ﴿**أو كلم**﴾ أحيي ﴿**به الموتى**﴾ [يا بسخن در آوردندى از بركت خواندن او مرد كانرا] أي لكان هذا القرآن لكونه غاية في الإعجاز ونهاية في التذكير، والمراد منه تعظيم شأن القرآن والرد على المشركين الذين كابروا في كون القرآن آية واقترحوا آية غيرها والتنبيه على أن ما ينفعهم في دينهم خير لهم مما ينفعهم في دنياهم كالزراعة ونحوها مع أن في القرآن تأثيرات وخاصيات أنفسية عجيبة فلو كان لهم استعداد لظهور تلك التأثيرات لسيرت به جبال نفوسهم وقطعت به أرض بشريتهم وأحيى به قلوبهم الموتى ﴿**بل**﴾ [نه چنانست كه كافران ميكويند بقرآن تويا بفرمان تو بايد اينها واقع شود] ﴿**لله الأمر**﴾ أي أمر خلقه ﴿**جميعاً**﴾ فله التصرف في كل شيء وله القدرة على ما أراد وهو قادر على الإتيان بما اقترحوه من الآيات إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لا تنفعهم الآيات ـ روي ـ أنه لما نزلت هذه الآية قال عليه السلام: «والذي نفسي بيده لقد أعطاني ما سألتم ولو شئت لكان ولكن خيرني بين أن تدخلوا في باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وبين أن يكلكم إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلوا عن باب الرحمة فاخترت باب الرحمة وأخبرني أنه إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم أن يعذبكم عذاباً لم يعذبه أحداً من العالمين» كما في «أسباب النزول» للإمام الواحدي.

واعلم أن الكفار ما أبصروا نور القرآن فعموا عن رؤية البرهان، وكذا أهل الانكار غفلوا عن سر القرآن فحرموا من المشاهدة والعيان. وفي «المثنوي»:

تو ز قرآن اي پسر ظاهر مبين ... ديو آدم رانه بيند جز كه طين
ظاهر قرآن چو شخص آدميست ... كه نقوشش ظاهر وجانش خفيست

ولا شك أن من تخلق بالقرآن الذي هو صفة الله تعالى قدر على ما لم يقدر عليه غيره وفي الحديث: «لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار» أي: لو صور القرآن وجعل في إهاب وألقي في النار ما مسته ولا أحرقته ببركة القرآن فكيف بالمؤمن الحامل له المواظب على تلاوته.

ومن الحكايات اللطيفة أن علياً رضي الله عنه مرض فقال أبو بكر رضي الله عنه لعمر وعثمان رضي الله عنهما إن علياً قد مرض فعلينا العيادة فأتوا بابه وهو يجد خفة من المرض ففرح فرحاً فتموج بحر سخائه فدخل بيته فلم يجد شيئاً سوى عسل يكفي لواحد في طست وهو أبيض وأنور وفيه شعر أسود، فقال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ لا يليق الأكل قبل المقالة فقالوا أنت أعزنا وأكرمنا وسيدنا فقل أولاً فقال: الدين أنور من الطست وذكر الله تعالى أحلى من العسل والشريعة أدق من الشعر فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ الجنة أنور من الطست ونعيمها أحلى من العسل والصراط أدق من الشعر فقال عثمان ـ رضي الله عنه ـ القرآن أنور من الطست وقراءة القرآن أحلى من العسل وتفسيره أدق من الشعر فقال علي ـ رضي الله عنه ـ الضيف أنور من الطست وكلام الضيف أحلى من العسل وقلبه أدق من الشعر نور الله تعالى قلوبنا بنور العرفان وأوصلنا وإياكم إلى سر القرآن آمين يا الله يا رحمن ﴿**أفلم ييأس الذين آمنوا**﴾ اليأس قطع الطمع عن الشيء والقنوط منه والاستفهام بمعنى الأمر ـ روي ـ أن طائفة من المؤمنين قالوا يا رسول الله أجب هؤلاء الكفار يعنون كفار مكة إلى ما اقترحوا من الآيات فعسى أن يؤمنوا فقال تعالى أفلم يقنط المؤمنون من إيمان هؤلاء الكفرة بعد ما رأوا كثرة عنادهم بعد ما شاهدوا الآيات ﴿**أن**﴾ أي علماً منهم أنه ﴿**لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً**﴾ فآمنوا وقد يستعمل اليأس بمعنى العلم مجازاً لأنه مسبب عن العلم بأن ذلك الشيء لا يكون فإن المخففة مع ما في حيزها في محل النصب على أنهار مفعول اليأس بمعنى العلم. والمعنى أفلم يعلم الذين آمنوا أن الله تعالى لا يهدي الناس جميعاً لعدم تعلق مشيئتة باهتداء الجميع فيهدي من يشاء ويضل من يشاء بمقتضى قبضتيه الجمالية والجلالية. قال الحافظ:

در كار خانهٔ عشق از كفرنا كزيرست آتش كرا بسوزد كربو لهب نباشد

﴿**ولا يزال الذين كفروا**﴾ بالرحمن وهم كفار مكة ﴿**تصيبهم بما صنعوا**﴾ أي بسبب ما فعلوا من كفرهم وأعمالهم الخبيثة ﴿**قارعة**﴾ داهية تقرعهم وتفجأهم من القتل والأسر والحرب والجدب وأصل القرع الضرب والصدع، تلخيصه لا يزال كفار مكة معذبين بقارعة ﴿**أو تحل**﴾ القارعة أي تنزل ﴿**قريباً**﴾ [بموضعي نزديك] ﴿**من دارهم**﴾ أي مكة فيفزعون فيها ويقلعون ويتطاير عليهم شرارها ويتعدى إليهم شرورها ويجوز أن يكون تحل خطاباً للنبي عليه السلام فإنه حل بجيشه قريباً من دارهم عام الحديبية فأغار على أموالهم ومواشيهم.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**قارعة**﴾ من الأحكام الأزلية تقرعهم في أنواع المعاملات التي تصدر منهم موجبة للشقاوة وبقوله: ﴿**أو تحل قريباً من دارهم**﴾ يشير إلى أن الأحكام الأزلية تارة تصدر منهم وتارة من مصاحبهم فتوافقوا في أسباب الشقاوة وترافقوا إلى ما أوعدهم الله من درك الشقاء كما قال: ﴿**حتى**﴾ يعني [بلابديشان خواهد رسيد تاوقتى كه] ﴿**يأتي وعد الله**﴾ وهو موتهم أو يوم القيامة أو فتح مكة ﴿**إن الله لا يخلف الميعاد**﴾ لامتناع الخلف لكونه نقصاً منافياً للألوهية وكمال الشيء، والميعاد بمعنى الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة، والوعد عبارة عن الأخبار بإيصال المنفعة قبل وقوعها.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم

بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾ كاستهزاء قومك بك والتنكير للتكثير أي بجميع الرسل من قبلك ويدل عليه قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [يس: ٣٠] ومعنى الاستهزاء الاستحقار والاستهانة والأذى والتكذيب ﴿فأمليت للذين كفروا﴾ أي للمستهزئين الذين كفروا. والإملاء الإمهال وأن يترك ملاوة من الزمان أي مدة طويلة منه في دعة وأمن، كالبهيمة في المرعى أي أطلت لهم المدة في أمن وسعة بتأخير العقوبة ليتمادوا في المعصية ﴿ثم أخذتهم﴾ بالعقوبة بعد الإملاء والاستدراج ﴿فكيف كان﴾ [پس چه ونه بود] ﴿عقاب﴾ عقابي إياهم كيف رأيت ما صنعت بمن استهزأ برسلي ولم ير النبي عليه السلام عقوبتهم إلا أنه علم بالتحقيق فكأنه رأى عياناً.

وفي «بحر العلوم» فإنكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتشاهدون أثر ذلك وهذا تعجيب من شدة أخذه لهم سلى رسول الله ﷺ عن استهزائهم به وأذاهم وتكذيبهم واقتراحهم الآيات بأن له في الأنبياء أسوة وأن جزاء ما يفعلون به ينزل بهم كما نزل بالمستهزئين بالأنبياء جزاء ما فعلوا.

وفيه إشارة إلى أن من أمارات الشقاء الاستهزاء بالأنبياء والأولياء وفي الحديث: «من أهان لي» ويروى «من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة» أي من أغضب وآذى واحداً من أوليائي فقد حاربني والله أسرع شيء إلى نصرة أوليائه لأن الولي ينصر الله فيكون الله ناصره ـ وروي ـ أن الله تعالى قال لبعض أوليائه: أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت راحة نفسك وأما ذكرك إياي فقد تشرفت بي فهل واليت فيّ ولياً وهل عاديت فيّ عدواً، فمحبة أولياء الله تعالى وموالاتهم من أنفع الأعمال عند الله وبغضهم وعداوتهم واستحقارهم والطعن فيه من أضر الأعمال عنده تعالى وأكبر الكبائر [آورده انده كه سپهالارى بود ظالم وباتباع خود بخانهٔ يكى از مشايخ كبار فرود آمد خداوند خانه كفت من منشوري دارم بخانهٔ من فرود ميا كفت منشور بنما شيخ درخانه رفت ومصحفي عزيز داشت ودر پيش آمد وباز كرد اين آيت بر آمدكه] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧] [سپهسا لا ركفت من پنداشتم كه منشور أمير داري بدان التفات نكرد ودرخانهٔ شيخ فرود آمد آن شب قو لنجش بكرفت وهلاك شد] قال الصائب:

نتيجهٔ نفس كرم عند ليبانست ... كه عمر شبنم كستاخ يكزمان باشد

ولا شك أن مثل هذه المعاملات القبيحة من غلبة أوصاف النفس، فعلى العاقل أن يزكي نفسه عن سفساف الأخلاق حتى يتخلص من قهر القهار الخلاق ألا ترى أن المؤمنين نظروا إلى النبي عليه السلام بعين التعظيم وبدلوا الكبر بالتواضع والفناء ودخلوا في الاستسلام فاستسعدوا بسعادة الدارين وأما الكفرة فعتوا عتواً كبيراً فاستأصلهم الله من حيث لا يحتسبون فشقوا شقاوة أبدية وهكذا حال سائر المؤمنين والمنكرين إلى يوم القيامة فإن الأولياء ورثة الرسول عليه السلام والمعاملة معهم كالمعاملة معه. قال الكمال الخجندي:

مقربان خداانـد وارثـان رسـول ... توازخداي چنين دور وازرسولى چيست

﴿أفمن﴾ [يا كسى كه] فمن موصولة مرفوعة المحل على الابتداء والخبر محذوف والاستفهام بمعنى النفي أي فالله الذي ﴿هو قائم﴾ رقيب ﴿على كل نفس﴾ صالحة أو طالحة ﴿بما كسبت﴾ من خير وشر يحفظه عليها فيجازيها به يعني أراد المجازاة ولم يغفر كمن ليس بهذه الصفة من الأصنام التي لا تضر ولا تنفع وهذا كقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧] أي لا يكون من هو قائم على كل نفس يعلم خيرها وشرها ويجازيها على حسب ذلك كمن ليس بقائم على شيء متناه في العجز والضعف والجهل ومعنى القيام التولي لأمور خلقه والتدبير للأرزاق والآجال وإحصاء الأعمال للجزاء يقال قام فلان إذا كفاه وتولاه ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ أي الأصنام وهو استئناف، يعني: أن الكفار سووا بين الله وبين الأصنام واتخذوها شركاء له في العبادة وإنما تكون سواء وشركاء فيها لو كانت سواء وشركاء في القيام على كل نفس فما أعجب كفرهم وإشراكهم وتسويتهم مع علمهم التفاوت بينهما أي تعجبوا من ذلك ﴿قل سموهم﴾ بينوا شركاءكم بأسمائهم وصفوهم بصفاتهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة والشركة يشير إلى أن الأسماء مأخذها من الصفات فإن لم تروا منهم شيئاً من صفات الله فكيف تسمونهم كما قال الكاشفي [مراد آنست كه حق را حى وقادر وخالق ورزاق وسميع وبصير وعليم وحكيم ميكويند واطلاق هيچ يك ازين اسما بر اصنام نمى تواندكرد] قال في «بحر العلوم» قوله: ﴿قل سموهم﴾ من فن الكناية وذلك لأن معنى سموهم عينوا أساميهم، ولما كان تعيين الشي بالاسم من لوازم وجوده جعل عدم التعيين كناية عن عدم وجود الشيء، يعني ليس لهم عندنا أسام يستحقون بها العبادة وإن كانت عندكم فسموهم بها وانظروا هل يستحقون بها ولما لم تكن لهم عندهم أيضاً اسام تقتضي استحقاق العبادة لم يستحقوها ولم يتحقق لهم العبادة والشركة ﴿أم تنبئونه﴾ أم منقطعة مقدرة ببل والهمزة الإنكارية أي بل أتخبرون الله تعالى ﴿بما لا يعلم في الأرض﴾ أي بما لا وجود له ولا علم الله متعلق بوجوده وهو الشركاء المستحقون للعبادة وهو نفي للملزوم ينفي اللازم بطريق الكناية، أي: لا شريك له ولا علم، إذ لو كان الشريك موجوداً لكان معلوماً لله تعالى لأن علم الله لازم لوجود الشيء وإلا يلزم جهله تعالى الله عن ذلك فإذا لم يكن وجوده معلوماً له وجب أن لا يكون موجوداً لاستلزام انتفاء اللازم ملزومه.

قال في «بحر العلوم» ﴿أم تنبئونه﴾ إضراب عن ذكر تسميتهم وتعيين أساميهم إلى ذكر تنبئتهم ومعنى الهمز في أم الانكار بمعنى ما كان ينبغي أو لا ينبغي أن يكون ذلك.

وفي «التبيان» تأويل الآية فإن سموهم بصفات الله فقل أتبنئونه بما لا يعلم في الأرض ﴿أم بظاهر من القول﴾ بل تسمونهم شركاء بكلام لا حقيقة له كتسمية الزنجي كافوراً.

وفي «بحر العلوم» هو إضراب عن ذكر تنبئتهم وإخبارهم إلى ذكر تسميتهم الأصنام بشركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى، ومعنى الهمزة في «أم» الإنكار والتعجب كأنه قال دع ذلك المذكور واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك أن قولهم بالشركاء قول لا يعضده برهان فما هو إلا لفظ يتفوهون به فارغ عن معنى تحته كالألفاظ المهملة التي هي أجراس لا تدل على معان ولا يتكلم بها عاقل تنفراً منها واستقباحاً ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ أنفسهم بتخيلهم أباطيل ثم ظنهم إياها حقاً، وهو اتخاذهم الله شركاء خذلانا من الله. والمكر صرف الغير عما يقصده بحيلة والمزين إما الشيطان بوسوسته كقوله

تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النمل: ٢٤] أو الله تعالى كقوله: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النمل: ٤] وفي الحديث: «بعثت داعياً ومبلغاً وليس لي من الهدى شيء وخلق إبليس مزيناً وليس إليه من الضلالة شيء».

حق فاعل وهرچه جز حق آلات بود تأثير زآلت از محالات بود

﴿وصدوا﴾ من الصد وهو المنع ﴿عن السبيل﴾ سبيل الحق ﴿ومن﴾ [هركه] ﴿يضلل الله﴾ يخذله عن سبيله.

قال سعدي المفتي: ولا منع عند أهل السنة أن يفسر الاضلال بخلق الضلال وكذا الهداية يجوز أن تفسر بخلق الاهتداء ﴿فما له من هاد﴾ فما له من أحد يقدر على هدايته ويوفقه لها.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا﴾ بالقتل والأسر وسائر ما ينالهم من المصائب والمحن ولا يلحقهم إلا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذاباً، وأصل العذاب في كلام العرب من العذب وهو المنع يقال عذبته عذباً إذا منعته وسمي الماء عذباً لأنه يمنع العطش، وسمي العذاب عذاباً لأنه يمنع المعاقب من معاودة مثل جرمه ويمنع غيره من مثله فعله.

وفي «التأويلات النجمية» وهو عذاب البعد والحجاب والغفلة والجهل وعذاب عبودية النفس والهوى والدنيا وشياطين الجن والإنس ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ أشد وأصعب لدوامه وهو عذاب النار وعذاب نار القطيعة وألم البعد وحسرة التفريط في طاعة الله تعالى وندامة الإفراط في الذنوب والمعاصي والحصول على الخسارات والهبوط من الدرجات ونزول الدركات ﴿وما لهم من الله﴾ أي من عذابه ﴿من واق﴾ حافظ ومانع حتى لا يعذبوا. من الثانية زائدة والأولى متعلقة بواق.

وفي «التأويلات» ﴿وما لهم من الله﴾ من خذلان الله في الدنيا وعذاب الله في الآخرة ﴿من واق﴾ يقيهم من الخذلان والعذاب وفي حديث المعراج «ثم أتى على واد فسمع صوتاً منكراً فقال يا جبريل ما هذا الصوت قال صوت جهنم تقول يا رب ائتني بأهلي وبما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وغساقي وغسليني وقد بعد قعري واشتد حري ائتني بما وعدتني قال لك كل مشرك ومشركة وخبيث وخبيثة وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب قالت رضيت» كما في «الترغيب والترهيب».

وكان ابن مرثد لا تنقطع دموع عينيه ولا يزال باكياً فسئل عن ذلك فقال لو أن الله أوعدني بأني لو أذنبت لحبسني في الحمام أبداً لكان حقيقاً على أنها لا تنقطع دموعي، فكيف وقد أوعدني بأن يحبسني في نار قد أوقد عليها ثلاثة آلاف سنة أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت ثم أخرى حتى أبيضت ثم أخرى حتى اسودت فهي سوداء مظلمة كالليل المظلم، فهذه حال المعذب بالنار الصغرى وأما المعذب بالنار الكبرى وهي نار القطيعة والهجر فحاله أشد وأعظم.

بررخ جامى بودبي رويت ازدوزخ درى كرز روضه خازن اندر قبر او روزن كند

نسأل الله العصمة والتوفيق لطريق الحق والتحقيق.

﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ من الشرك والمعاصي وهو مبتدأ خبره محذوف أي فيما قصصنا عليك مثل الجنة أي صفتها التي هي كالمثل السائر في الغرابة ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ حال من العائد المحذوف من الصلة والتقدير وعد بها المتقون مقدراً جريان أنهارها أربعة من تحت أشجارها بمقابلة المراتب الأربع التي هي الشريعة والطريقة والمعرفة والحقيقة وتعطى هذه الأنهار على الكمال لمن جمع بين هذه المراتب الأربع وهم المقربون وأما غيرهم من الأبرار وأرباب البرازخ فإنهم وإن كانوا يشربون منها لكنهم لا يجدون فيها ما يجده أولئك المقربون من زيادة اللذة لتفاوت معرفتهم بالله.

هر كسى از همت والاي خويش سود برد در خور كالاي خويش

﴿أكلها﴾ [ميوهٔ آن بستان].

قال في «الكواشي» ما يؤكل فيها ﴿دائم﴾ لا ينقطع ولا يمنع منه بخلاف ثمر الدنيا.

﴿وظلها﴾ أي: وظلها دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس لأنه لا شمس في الجنة ولا حر ولا برد فالمراد بدوام الظل دوام الاستراحة، وإنما عبر عنه به لندرة الظل عند العرب وفيه معظم استراحاتهم في أرضهم، والمراد بدوام الأكل الدوام بالنوع لا الدوام بالجزء والشخص فإنه إذا فني منه شيء جيء ببدله وهذا لا ينافي الهلاك لحظة كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] على أن دوامه مضاف إلى ما بعد دخول الجنة كما يقتضيه سوق الكلام فهلاكه لحظة عند هلاك كل شيء قبل الدخول لا ينافي وجوده وبقاءه بعده.

وفي الآية رد على الجهمية حيث قالوا إن نعم الجنة يفنى ومن مقالات لبيد قبل إسلامه.

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

ولما أنشده في مجلس من قريش وقال:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

قال عثمان بن مظعون رضي الله عنه صدقت ولما قال:

وكل نعيم لا محالة زائل

قال: كذبت لما فهم أنه أراد بالنعيم ما هو شامل لنعيم الآخرة [أمام قشيري فرموده كه اهل ايمان امروز در ظل رعايتند وفردا در ظل حمايت وعارفان بدنيا وعقبى در ظل عنايت كه پيوسته است]

سايهٔ دولت او در دوجهان جاويدست اي خوش آن بنده كه اين سايه فتدبر سراو

﴿تلك﴾ الجنة التي بلغك وصفها وسمعت بذكرها ﴿عقبى الذين اتقوا﴾ مآلهم وعاقبة أمرهم ﴿وعقبى الكافرين النار﴾ لا غيره فالتقوى طريق إلى الجنة والكفر طريق إلى النار.

والإشارة: أن الله تعالى يشير إلى حقيقة أمر الجنة التي وعدها للمتقين ووصفها بأنها تجري من تحتها الأنهار وهي أنهار الفضل والكرم ومياه العناية والتوفيق ﴿أكلها دائم﴾ وهي مشاهدات الجمال ومكاشفات الجلال ﴿وظلها﴾ أي وهم في ظل هذه المقامات والأحوال التي هي من وجوده لا من شمس وجودهم على الدوام بحيث لا تزول أبداً وتلك الأحوال والمقامات عاقبة من اتقى بالله عما سواه وعاقبة من أعرض عن هذه المقامات والأحوال نار القطيعة والحسرة كما في «التأويلات النجمية». وفي «المثنوي»:

جور دوران وهرآن رنجى كه هست سهلتر از بعد حق وغفلتست
زانكه اينها بكذرد آن نكذرد دولت آن دارد كه جان آكه برد

[شبلي ديد زنى راكه ميكريد وميكويد يا ويلاه من فراق ولدي. شبلي كريست وكفت يا ويلاه من فراق الأحد. آن زن كفت چرا چنين ميكويي. شبلي كفت تو كريه ميكنى بر فراق مخلوقي كه هر آينه فإني خواهد شد من چرا كريه نميكنم بر فراق خالقي كه باقي باشد]

فرزند ويا چونكه بميرند عاقبت اي دوست دل مبند بجز حي لا يموت

عصمنا الله وإياكم من نار البعد والعذاب الأليم وشرفنا بالذوق الدائم والنعيم المقيم.

﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ يريد المسلمين من اليهود كعبد الله بن سلام وأصحابه ومن النصارى وهم ثمانون رجلاً أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة، فالمراد بالكتاب التوراة والإنجيل ﴿يفرحون بما أنزل إليك﴾ بجميعه وهو القرآن كله، لأنه من فضل الله ورحمته على العباد ولا شك أن المؤمن الموقن يسره ما جاء إليه من باب الفضل والإحسان ﴿ومن الأحزاب﴾ ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ بالعداوة نحو كعب بن الأشرف واتباعه والسيد والعاقب أسقفي نجران وأشياعهما وبالفارسية [واز لشكرهاى كفر وضلالت] ﴿من ينكر بعضه﴾ وهو ما يخالف شرائعهم.

وفي «الكواشي»: لأنهم وافقوا في القصص وأنكروا غيرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما آمن اليهود بسورة يوسف وكفر المشركون بجميعه.

واعلم أن القرآن يشتمل على التكاليف والأحكام وعلى الأسرار والحقائق فالروح والقلب والسر يفرحون بالكل. وأما النفس والهوى والقوى فينكر بعضه لثقل تكاليفه وجهل فوائده اللهم ارفع عنا تعب التكاليف واجعلنا بالقرآن خير أليف واحفظنا من المخالفة والانكار واحشرنا مع أهل القبول والإقرار.

مزن زچون وچرا دم كه بندهٔ مقبل قبول كرد بجان هر سخن كه جانان كفت

﴿قل﴾ يا محمد في جواب المنكرين ﴿إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به﴾ أي: إنما أمرت فيما أنزل إليّ بأن أعبد الله وأوحده، وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم إلى إنكاره. وأما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الإلهية في جزئيات الأحكام لأن الله الحكيم ينزل بحسب ما يقتضيه صلاح أهل العالم كالطبيب يعامل المريض بما يناسب مزاجه من التدبير والعلاج ﴿إليه﴾ أي إلى الله وتوحيده لا إلى غيره ﴿أدعوا﴾ العباد أو أخصه بالدعاء إليه في جميع مهامي ﴿وإليه مآب﴾ أي مرجعي ومرجعكم للجزاء لا إلى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الأنبياء. فأما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالأعصار والأمم فلا معنى لإنكار المخالف فيه.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وكذلك﴾ أي وكما أنزلنا الكتاب على الأنبياء بلغة أممهم كما قال: ﴿كذلك أرسلناك

في أمة﴾ أو ومثل هذا الإنزال المشتمل على أصول الديانات المجمع عليها كما هو المشهور في مثله. ﴿أنزلناه﴾ يعني: القرآن ﴿حكماً﴾ يحكم في كل شيء يحتاج إليه العباد على مقتضى الحكمة والصواب، فالحكم مصدر بمعنى الحاكم لما كان جميع التكاليف الشرعية مستنبطاً من القرآن كان سبباً للحكم فأسند إليه الحكم إسناداً مجازياً ثم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة ويقال حكماً أي محكماً لا يقبل النسخ والتغيير ﴿عربياً﴾ مترجماً بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه، وانتصاب حكماً على أنه حال موطئة وعربياً صفته والحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة هي الحال فكأن الاسم الجامد وطأ الطريق لما هو حال في الحقيقة لمجيئه قبلها موصوفاً بها ـ روي ـ أن المشركين كانوا يدعونه عليه السلام إلى اتباع ملة آبائهم المشركين وكاد اليهود يدعونه إلى الصلاة إلى قبلتهم أي بيت المقدس بعد ما حول عنها فقال تعالى ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ التي يدعونك إليها لتقرير دينهم جعل ما يدعونه إليه من الدين الباطل والطريق الزائغ هوى، وهو ما يميل إليه الطبع وتهواه النفس بمجرد الاشتهاء من غير سند مقبول ودليل معقول لكونه هوى محضاً ﴿بعد ما جاءك من العلم﴾ من الدين المعلوم صحته بالبراهين ﴿ما لك من الله﴾ من عذابه ﴿من ولي﴾ ينصرك ﴿ولا واق﴾ يحفظك ويمنع عنك العذاب وهذا خطاب له عليه السلام والمراد تحريض أمته على التمسك بالدين وتحذيره من التزلزل فإنه إذا حذر من كان أرفع منزلة من الكل هذا التحذير، كان غيره أولى بذلك أعانك الله وإياي في كل مقام.

فعلى العاقل أن يسلك طريق العبودية إلى عالم الربوبية ولا يشرك شيئاً من الدنيا والآخرة بل يكون مخلصاً في طلبه، ومن اتبع الشرك بعد ما جاءه من العلم وهو طلب الوحدانية، ببذل الأنانية ما له من الله من ولي يخرجه من ظلمات الاثنينية إلى نور الوحدانية ولا واقٍ يقيه من عذاب البعد وحجاب الشركة في الوجود بالوجود فطريق الخلاص إنما هي العبودية.

قال الامام الفخر الرازي في «الكبير» وقد بلغ شرف العبودية مبلغاً بحيث اختلف العلماء في العبودية والرسالة المستجمعين في المرسلين أيهما أفضل فقالوا إن العبودية أفضل واستدلوا عليه بأنه بالعبودية ينصرف من الخلق إلى الحق وبالرسالة ينصرف من الحق إلى الخلق والعبودية أن يكل أموره إلى سيده فيكون هو المتكفل تعالى بإصلاح مهامه والرسالة التكفل بمهام الأمة وشتان ما بينهما هذا آخر كلامه.

والعبودية هي مقام الجمع، والرسالة مقام التفرقة، انظر إلى النبي ﷺ كان في تمحض عبوديته مع ربه كما أخبر عنه «أبيت عند ربي هو يطعمني ويسقيني» وفي حال رسالته يقول: «علميني يا حميراء» لينقطع من الحق إلى الخلق وكفى شرفاً تقديم العبد على الرسول في أشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وفي العبودية معنى الكرامة والتشريف كما قال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]. قال الحافظ:

كدايىء ذرجانان بسلطنت مفروش كسى ز سايهٔ اين در بآفتاب رود

وعن علي رضي الله عنه كفاني شرفاً أن تكون لي رباً، وكفاني عزاً أن أكون لك عبداً وكما أن الله تعالى هو خالق العبد فكذا لا جاعل للعبد عبداً وذلك برفع هواه إلا هو، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم

مِّنْ أَحَدٍ﴾ [النور: ٢١] أبداً ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٩] فإن المطهر بالكسر في الحقيقة هو الله تعالى وما سواه أسباب ووسائط.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴿٣٨﴾﴾.

﴿**ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك**﴾ بشراً مثلك يا محمد وهو جواب لقول قريش إن الرسول لا بد وأن يكون من جنس الملائكة ﴿**وجعلنا لهم أزواجاً وذرية**﴾ أي نساء وأولاداً كما هي لك فلما جاز ذلك في حقهم فلم لا يجوز مثله أيضاً في حقك، وهو جواب لقول اليهود ما نرى لهذا الرجل همة إلا في النساء والنكاح ولو كان نبياً لاشتغل بالزهد والعبادة ـ روي ـ أنه كان لداود عليه السلام مائة امرأة منكوحة وثلاثمائة سرية ولابنه سليمان عليه السلام ثلاثمائة امرأة مهرية وسبعمائة سرية فكيف يضر كثرة الأزواج لنبينا عليه السلام.

وفي «التأويلات النجمية» أن الرسل لما جذبتهم العناية في البداية رقتهم من دركات البشرية الحيوانية إلى درجات الولاية الروحانية ثم رقتهم منها إلى معارج النبوة والرسالة الربانية في النهار فلم يبق فيهم من دواعي البشرية وأحكام النفسانية ما يزعجهم إلى طلب الأزواج بالطبيعة والركون إلى الأولاد بخصائص الحيوانية بل جعل لهم رغبة في الأزواج والأولاد على وفق الشريعة بخصوصية الخلافة في إظهار صفة الخالقية كما قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴿٥٩﴾﴾ [الواقعة: ٥٩] انتهى.

وقال الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»: الأنبياء زيدوا في القوة بفضل نبوتهم وذلك إن النور إذا امتلأت منه الصدور ففاض في العروق التذت النفس والعروق فأثار الشهوة وقواه انتهى.

وفي الحديث: «فضلت على الناس بأربع بالسخاء والشجاعة وقوة البطش وكثرة الجماع» وطاف عليه السلام على نسائه التسع ليلة، وتطهر من كل واحدة قبل أن يأتي الأخرى وقال هذا أطيب وأطهر وأوتي عليه السلام قوة أربعين رجلاً من أهل الجنة في الجماع وقوة الرجل من أهل الجنة كمائة من أهل الدنيا فيكون أعطي عليه السلام قوة أربعة آلاف رجل، وسليمان عليه السلام قوة مائة رجل وقيل ألف رجل من رجال الدنيا.

قال في «إنسان العيون» لا يخفى أن أزواجه عليه السلام المدخول بهن اثنتا عشرة امرأة وكان له أربع سراري.

وفي «بستان العارفين» ما تزوج من النساء أربع عشرة نسوة.

وفي «الواقعات المحمدية» إن فخر الأنبياء عليه وعليهم السلام قد تزوج إحدى وعشرين امرأة ومات عن تسع نسوة، قال سفيان بن عيينة كثرة النساء ليست من الدنيا لأن علياً رضي الله عنه كان أزهد أصحاب النبي عليه السلام، وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية وتزوج المغيرة بن شعبة ثمانين امرأة.

وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما منكاحاً حتى نكح زيادة على مائتي امرأة وقد قال عليه السلام: «أشبهت خلقي وخلقي».

يقول الفقير: قد تزوج شيخي وسندي روح الله روحه قدر عشرين وجمع بين أربع مهرية

وخمس عشرة سرية، وكان يقول للعامي حين يسأل عن كثرة نكاحه أن لكل أحد ابتلاء في هذه الدار وقد ابتليت بكثرة النكاح ويقول لهذا الفقير في خلوته إنها من أسرار النبوة وخصائص خواص هذه الأمة وأشار به إلى الحديث المشهور «حبب إليّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة» فهذا العشق والمحبة إنما يكون لأصحاب النفوس القدسية وهم يطالعون في كل شيء ما لا يطالعه غيرهم. ونعم ما قيل:

منعم كنى زعشق وي اي مفتئ زمان   معذور دارمت كه تو اورا نديدهٔ

﴿وما كان لرسول﴾ وما صح لواحد منهم ولم يكن في وسعه ﴿أن يأتي بآية﴾ تقترح عليه ﴿إلا بإذن الله﴾ أي بأمره لا باختيار نفسه ورأيه فإنهم عبيد مر بوبون وهو جواب لقول المشركين لو كان رسولاً من عند الله لكان عليه أن يأتي بأي شيء طلبنا منه من المعجزات ولا يتوقف فيه وفيه إشارة إلى أن حركات عامة الخلق وسكناتهم بمشيئة الله تعالى وإرادته وإن حركات الرسل وسكناتهم بإذن الله ورضاه ﴿لكل أجل﴾ وقت ﴿كتاب﴾ حكم مكتوب مفروض يليق بصلاح حال أهله فإن الحكمة تقتضي اختلاف الأحكام على حسب اختلاف الأعصار والأمم، وهو جواب لقولهم لو كان نبياً ما نسخ أكثر أحكام التوراة والإنجيل.

وقال الشيخ في «تفسيره»: أي لكل شيء قضاه الله وقت مكتوب معلوم لا يزاد عليه ولا ينقص منه أو لا يتقدم ولا يتأخر عنه [ياهر أجلى را از آجال خلائق كتابيست نزديك خداي تعالى كه جزوى كسى را بر آجال خلق اطلاع نباشد].

﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾

﴿يمحو الله ما يشاء﴾ محوه ﴿ويثبت﴾ ما يشاء إثباته فينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما هو خير منه أو مثله ويترك ما يقتضيه حكمته غير منسوخ. أو يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها. أو يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة وذلك لأنهم مأمورون بكتب جميع ما يقول الإنسان ويفعل فإذا كان يوم الاثنين والخميس يعارض ما كتبه الحفظة بما في اللوح المحفوظ فينفي من كتاب الحفظة ما لا جزاء له من ثواب وعقاب ويثبت ماله جزاء من أحدهما ويترك مكتوباً كما هو، فإن كان في أول الديوان وآخره خير يمحو الله ما بينهما من السيئات وإن لم يكن في أوله وآخره حسنات أثبت ما فيه من السيئات.

واختلف هل يكتب الملك ذكر القلب فسئل سفيان بن عيينة هل يعلم الملكان الغيب؟ فقال: لا فقيل له: فكيف يكتبان ما لا يقع من عمل القلب؟ فقال: لكل عمل سيما يعرف بها كالمجرم يعرف بسيماه إذا هم العبد بحسنة فاح من فيه رائحة المسك فيعلمون ذلك فيثبتونها وإذا هم بسيئة واستقر عليها قلبه فاح منه ريح منتنة. وجعل النووي هذا أي كونهم يكتبون عمل القلب أصح.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: الملك لا سبيل له إلى معرفة باطن العبيد في قول أكثرهم انتهى. ويؤيده ما في «ريحان القلوب» أن الذكر الخفي هو ما خفي عن الحفظة لا ما يخفض به الصوت وهو خاص به ﷺ ومن له أسوة حسنة انتهى.

يقول الفقير: يحتمل أن الإنسان الكامل لكونه حامل أمانة الله ومظهر أسراره وخير البرية لا يطلع عليه الملك ويطلع على حال غيره بعلامات خفية عن البشر إلزاماً وإحصاء لعمله، كما

قال تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾ [الكهف: ٤٩] أو يمحو ويثبت في السعادة والشقاوة والرزق والأجل ـ روي ـ عن عمر رضي الله عنه أنه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول: اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها وإن كنت كتبتني في أهل الشقاوة فامحني وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة لأنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب.

وفي الأثر أن الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه فيرد إلى ثلاثة أيام ويكون قد بقي من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيرد إلى ثلاثين سنة.

قال في «التأويلات النجمية» لأجل أهل المشيئة والإرادة في حركاتهم وقت معين لوقوع الفعل فيه وكذا لأهل الإذن والرضى ثم يمحو الله ما يشاء لأهل السعادة من أفاعيل أهل الشقاوة ويثبت لهم من أفاعيل أهل السعادة ويمحو ما يشاء لأهل الشقاوة من أفاعيل أهل السعادة ويثبت لهم من أفاعيل أهل الشقاوة وعنده أم الكتاب الذي مقدر فيه حاصل أمر كل واحد من الفريقين وخاتمتهم فلا يزيد ولا ينقص انتهى.

يقول الفقير: إن التغير والتبدل والمحو والإثبات إنما هو بالنسبة إلى السعادة والشقاوة العارضتين فإنهما تقبلان ذلك بخلاف الأصليتين كما روي أنه عليه السلام قال: «إذا مضت على النطفة خمس وأربعون ليلة يدخل الملك على تلك النطفة فيقول يا رب أشقي أم سعيد؟ فيقضي الله ويكتب الملك فيقول يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي الله ويكتب الملك فيقول عمله ورزقه فيقضي الله ويكتب الملك ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقض منها» فعلم أن بطن الأم ناظر إلى لوح الأزل فلا يتغير أبداً وأما عالم الحس فناظر إلى اللوح وعلى هذا يحمل قول بعضهم: «إن الله يمحو ما يشاء ويثبت» إلا الشقاوة والسعادة والموت والحياة والرزق والعمر والأجل والخلق والخلق. كما قال السعدي قدس سره:

خوى بد در طبيعتي كه نشست   نرهد جز بوقت مرك ازدست

فمعنى زيادة العمر بصلة الرحم أن يكتب ثواب عمله بعد موته، فكأنه زيد في عمره أو هو من باب التعليق أو الفرض والتقدير ويمحو الأحوال ويثبت أضدادها من نحو تحويل النطفة علقة ثم مضغة إلى آخرها، ويمحو الأعمال إذا كان كافراً ثم أسلم في آخر عمره محيت الأعمال التي كانت في حال كفره فأبدلت حسنات، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ [الفرقان: ٧٠] وإذا كان مسلماً ثم كفر في آخر عمره محيت أعماله الصالحة فلم ينتفع بها كما قال تعالى: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦] فالله تعالى يمحو الكفر ويثبت الإيمان ويمحو الجهل ويثبت العلم والمعرفة ويمحو الغفلة والنسيان ويثبت الحضور والذكر ويمحو البغض ويثبت المحبة ويمحو الضعف ويثبت القوة ويمحو الشك ويثبت اليقين ويمحو الهوى ويثبت العقل ويمحو الرياء ويثبت الإخلاص ويمحو البخل ويثبت الجود ويمحو الحسد ويثبت الشفقة ويمحو التفرقة ويثبت الجمع على هذا النسق ودليله ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] محواً وإثباتاً.

قال الكاشفي: [ابو درداء رضي الله عنه از حضرت نقل ميكندكه چون سه ساعت ازشب باقي ماند حق سبحانه وتعالى نظر ميكند در كتابي كه غير ازو هيچكس دران اطلاع نمى كند هرچه خواهد ازومحو كند وهرچه خواهد ثبت كند در فصول آورده كه محو كند رقوم انكار

ازقلوب أبرار وإثبات كند بجاي آن رموز وأسرار].

وقال الشبلي ـ رحمه الله ـ يمحو ما يشاء من شهود العبودية وأوصافها ويثبت ما يشاء من شهود الربوبية ودلائلها.

وقال ابن عطاء: يمحو الله أوصافهم ويثبت أسرارهم لأنها موضع المشاهدة.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿يمحو الله ما يشاء﴾ من الأخلاق الذميمة النفسانية ﴿ويثبت﴾ ما يشاء من الأخلاق الحميدة الروحانية للعوام ويمحو من الأخلاق الروحانية ويثبت من الأخلاق الربانية للخواص ويمحو آثار الوجود ويثبت آثار الجود لأخص الخواص كل شيء هالك إلا وجهه [امام قشيري ميفر ما يدكه محو حظوظ نفساني ميكند وإثبات حقوق رباني يا شهود خلق ميبرد وشهود حق مي آرد يا آثار بشريت محو ميكند وأنوار احديت ثابت ميسازد ازان بنده مى كاهد وازان خود مي افزايد تا چنانچه باول خود بود بآخرهم خود باشد. شيخ الإسلام فرموده كه الهي جلال وعزت نوجاي اشارت نكذاشت محو وإثبات توراه اضافت. برداشت ازان من كاست وازان تو مي فزود بآخرهمان شدكه باول بود]

محنت همه درنهاد آب وكل ماست   پيش ازدل وكل چه بود آن حاصل ماست

در عالم نيست خانۀ داشته ايم   رفتيم بدان خانه كه سر منزل ماست

﴿وعنده﴾ تعالى ﴿أم الكتاب﴾ العرب تسمي كل ما يجري مجرى الأصل أماً ومنه أم الرأس للدماغ وأم القرى لمكة، أي أصله الذي لا يتغير منه شيء وهو ما كتبه في الأزل وهو العلم الأزلي الأبدي السرمدي القائم بذاته وقد أحاط بكل شيء علماً بلا زيادة ولا نقصان وكل شيء عنده بمقدار وهو لوح القضاء السابق فإن الألواح أربعة لوح القضاء السابق الخالي عن المحو والإثبات وهو لوح العقل الأول، ولوح القدر أي لوح النفوس الناطقة الكلية التي يفصل فيها كليات اللوح الأول ويتعلق بأسبابها وهو المسمى باللوح المحفوظ، ولوح النفوس الجزئية السماوية التي ينتقش فيها كل ما في هذا العالم بشكله وهيئاته ومقداره وهو المسمى بالسماء الدنيا وهو بمائبة خيال العالم، كما أن الأول بمثابة روحه والثاني بمثابة قلبه، ثم لوح الهيولى القابل للصور في عالم الشهادة.

وفي «الواقعات المحمودية» اعلم أن اللوح معنوي وصوري. فالصوري ثمانية عشر ألفاً أصغرها في هذا التعين وهو قابل للتغير والتبدل، وقوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ ناظر إليه. وأما المعنوي: فلا يقبل التغير والتبدل وليس له زمان ولا حجم وما ذكروا من أن اللوح ياقوتة حمراء أطرافه من زبرجد فهو اللوح الصوري. وأما المعنوي ففي علم الله تعالى الأزلي وهو لا يتغير أبداً وقد وقع الكل بإرادة واحدة.

وفي الوجود الإنساني أيضاً لوحان جزئيان معنوي وصوري فالمعنوي الجزئي باب اللوح المعنوي الكلي والصوري للصوري فالصوري ينكشف لأكثر الأولياء، وأما المعنوي فلا يحصل إلا لواحد بعد واحد. وفي موضع آخر منها جميع ما سوى الله تعالى مما كان وما سيكون من إرادة واحدة أزلية لا تكثر فيها ولا تغير ولا تبدل وهي المراد من قوله ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٩] وأما قوله: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ فناظر إلى تعلقات تلك الإرادة الأزلية التي هي من الصفات الحقيقية بالمحدثات على ما تقتضيه حكمته ومن جملتها أفعال العبودية فتصدر منهم بإرادتهم الحادثة واختيارهم الجزئي بمعنى أنهم يصرفون اختيارهم إلى جانب أفعالهم

فيخلقها الله سبحانه فالكسب منهم والخلق من الله فلا يلزم الجبر، والأعمال إعلام فمن قدر له السعادة ختم بالسعادة من قدر له الشقاوة ختم بالشقاوة وفي الحديث: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» وفي قوله عليه السلام في الحديث: «فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها» وقوله: «فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» تنبيه على سببية العمل في الجانبين حيث لم يقل فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار أو الجنة بل ذكر العمل أيضاً كما لا يخفى على المتفطن.

واعلم أن الله تعالى علق كثيراً من العطايا على الأعمال الصالحة وأمر العباد بها وفي الحديث «الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل».

وفي «الإحياء» إن قيل ما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له؟ قلنا: إن من جملة القضاء كون الدعاء سبباً لرد البلاء واستجلاب الرحمة وصار كالترس فإنه لما كان لرد السهم لم يكن حمله مناقضاً للاعتراف بالقضاء فكذا الدعاء فقدر الله الأمر وقدر سببه.

قال الحسن البصري: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب. وقال: علامة الحقيقة: ترك ملاحظة العمل لا ترك العمل فعلى العاقل أن يجتهد في أعمال البر ويكف النفس عن الهوى إلى أن يجيء الأجل. قال الكمال الخجندي قدس سره:

بكوش تابكف آرى كليد كنج وجود كه بي طلب نتوان يافت كوهر مقصود

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾

﴿وإن ما نرينك﴾ في حياتك يا أفضل الرسل وأصله وإن نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ومن ثمة الحقت النون بالفعل **﴿بعض الذي نعدهم﴾** أي مشركي مكة من العذاب والزلازل والمصائب والجواب محذوف أي فذاك شافيك من أعدائك.

پس از مرك آنكس نبايد كريست كه روزى پس از مرك دشمن بزيست

﴿أو نتوفينك﴾ أي نقبض روحك الطاهرة قبل إراءة ذلك فلا تحزن **﴿فإنما عليك البلاغ﴾** اسم أقيم مقام التبليغ كالأداء مقام التأدية أي تبليغ الرسالة وأداء الأمانة لا غير **﴿وعلينا الحساب﴾** أي مجازاتهم يوم القيامة لا عليك فننتقم منهم أشد الانتقام فلا يهمنك إعراضهم ولا تستعجل بعذابهم ونظيره قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الزخرف: ٤١] يعني لا يتخلصون من عذاب الله مت أو بقيت حياً.

وفي «التأويلات النجمية» **﴿وإن ما نرينك﴾** بالكشف والمشاهدة **﴿بعض الذي نعدهم﴾** وعدناهم من العذاب والثواب قبل وفاتك كما كان ﷺ يخبر عن العشرة المبشرة وغيرهم بدخولهم الجنة وقد أخبر السائل عن أبيه حين قال أين أبوك؟ قال: «أبي وأبوك في النار» وقال ﷺ: «رأيت الجنة وفيها فلان ورأيت النار وفيها فلان» **﴿أو نتوفينك﴾** قبل أن نريك من أحوالهم **﴿فإنما عليك البلاغ﴾** فيما أمرناك بتبليغه ولا عليك القبول فيما تقول **﴿وعلينا الحساب﴾** في الرد والقبول انتهى، وكأن الكفرة قالوا أين ما وعد ربك أن يريك فقال تعالى:

﴿أو لم يروا أنا نأتي الأرض﴾ أي: يأتي أمرنا أرض الكفرة ﴿ننقصها من أطرافها﴾ حال من فاعل نأتي أو من مفعوله أي نفتح ديار الشرك بمحمد والمؤمنين به فما زاد في بلاد الإسلام باستيلائهم عليها جبراً وقهراً نقص من ديار الكفرة، والله تعالى إذا قدر على جعل بعض ديار الكفرة للمسلمين فهو قادر على أن يجعل الكل لهم أفلا يعتبرون ﴿والله يحكم لا معقب لحكمه﴾ محل لا مع المنفى النصب على الحال أي يحكم نافذاً حكمه خالياً عن المعارض والمناقض، وحقيقته الذي يعقب الشيء بالرد والإبطال. والمعنى: أنه حكم للإسلام بالغلبة والإقبال وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس وذلك كائن لا يمكن تغييره ﴿وهو سريع الحساب﴾ فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد عذاب الدنيا من القتل والإجلاء.

يقول الفقير: نقص الأرض إنما يكون بالفتح المبني على الأمر بالجهاد وهو إنما فرض بالمدينة فالأظهر أن الآية مدنية لا مكية كما لا يخفى، وكون السورة مكية لا ينافيه وقد تعرض من ذهب إلى كونها مكية لاستثناء آيتين كما أشير إليهما في عنوان السورة ولم يتعرض لهذه الآية والحق ما قلنا.

وقال بعضهم: نقص الأرض ذهاب البركة أو خراب النواحي أو موت الناس أو موت العلماء والفقهاء والخيار وفي الحديث: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» وفي ذكر إذا دون إن إشارة إلى أنه كائن لا محالة بالتدريج.

وقال سلمان رضي الله عنه: لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يتعلم الآخر فإذا هلك الأول ولم يتعلم الآخر هلك الناس.

وقال ابن المبارك: ما جاء فساد هذه الأمة إلا من قبل الخواص وهم خمسة العلماء والغزاة والزهاد والتجار والولاة أما العلماء فهم ورثة الأنبياء، وأما الزهاد فعماد الأرض، وأما الغزاة فجند الله في الأرض، وأما التجار فأمناء الله في الأمة، وأما الولاة فهم الرعاة فإذا كان العالم للدين واضعاً للمال رافعاً فبمن يقتدي الجاهل؟ وإذا كان الزاهد في الدنيا راغباً فبمن يقتدي التائب وإذا كان الغازي طامعاً فكيف يظفر بالعدو، وإذا كان التاجر خائناً فكيف تحصل الأمانة، وإذا كان الراعي ذئباً فكيف تحصل الرعاية.

نكند جور پيشه سلطاني كه نيايد ذكرك چوباني

والإشارة ﴿أو لم يروا أنا نأتي الأرض﴾ البشرية ﴿ننقصها من أطرافها﴾ من أوصافها بالازدياد في أوصاف الروحانية وأرض الروحانية ننقصها من أخلاقها بالتبديل بالأخلاق الربانية وأرض العبودية ننقصها من آثار الخلقية بإظهار أنوار الربوبية ﴿والله يحكم﴾ من الأزل إلى الأبد ﴿لا معقب﴾ لا مقدم ولا مؤخر ولا مبدل ﴿لحكمه وهو سريع الحساب﴾ فيما قدر ودبر وحكم فلا يسوغ لأحد تغيير حكم من أحكامه.

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ تسلية لرسول الله ﷺ أي مكر الذين قبل مشركي مكة بأنبيائهم والمؤمنين بهم كما مكر أهل مكة بمحمد عليه السلام ومكرهم ما أخفوه من تدبير

القتل والإيذاء بهم، مكر نمرود بإبراهيم عليه السلام وبني الصرح وقصد السماء ليقتل رب إبراهيم، ومكر فرعون بموسى عليه السلام واليهود بعيسى عليه السلام وثمود بصالح عليه السلام كما قالوا لنبيتنه وأهله أي لنقتلهم ليلاً ومكر كفار مكة في دار الندوة حين أرادوا قتل النبي ﷺ ﴿فللّه المكر جميعاً﴾ مكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة.

وفي «الكواشي» أسباب المكر وجزاؤه بيد الله لا يغلبه أحد على مراده فيجازيهم جزاء مكرهم وينصر أنبياءه ويبطل مكر الكافرين إذا هو من خلقه فالمكر جميعاً مخلوق له ليس يضر منه شيء إلا بإذنه ثم بين قوة مكره وكماله بقوله ﴿يعلم ما تكسب كل نفس﴾ من خير وشر فيعد جزاءها.

وفي «التأويلات النجمية» في أهل كل زمان وقرن مكر وهم يمكرون به فللّه المكر جميعاً فإنه مكر بهم ليمكروا بمكره مكراً مع أهل الحق ليبتليهم الله بمكرهم ويصبروا على مكرهم ثقة بالله إنه هو خير الماكرين. وفي «المثنوي»:

مر ضعيفاً توبي خصمي مدان ... از نبي إذ جاء الله بخوان
كرد خود چون كرم پيله برمتن ... بهر خودچه ميكني اندازه كن
كر توپيلى خصم تو از تورميد ... نك جزا طيرا ابابيلت رسيد
كر ضعيفي در زمين خواهداماں ... غلغل افتد درسپاه آسمان
كر بد ندانش كزى پرخون كنى ... در ددندانت بكيرد چون كنى

﴿وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾ من الفريقين حيثما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه واللام تدل على أن المراد بالعقبى العاقبة المحمودة والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى عند الموت ودخول الجنة.

قال سعدي المفتي: ثم لا يبعد أن يكون المراد ـ والله أعلم ـ سيعلم الكفار من يملك الدنيا آخراً فاللام للملك انتهى.

فينبغي للمؤمن أن يتوكل على المولى ويعتمد على وعده ويوافقه باستعجال ما عجله واستئجال ما أجله وكما أنه تعالى نصر رسوله فكان ما كان، كذلك ينصر من نصر رسوله في كل عصر وزمان، فيجعله غالباً على أعدائه الظاهرة والباطنة ـ روي ـ أنه عليه السلام أمر في غزوة بدر أن يطرح جيف الكفار في القليب وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان اليوم الثالث أمر عليه السلام براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه حتى وقف على شفة القليب وجعل يقول «يا فلان ابن فلان هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقاً فإني وجدت ما وعدني الله حقاً» فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا روح فيها فقال عليه السلام: «ما أنتم باسمع لما أقول منهم» وفي رواية «لقد سمعوا ما قلت غير إنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئاً».

وعن قتادة رضي الله عنه أحياهم الله حتى سمعوا كلام رسول الله توبيخاً لهم وتصغيراً ونقمة وحسرة وكان أبو لهب قد تأخر في مكة وعاش بعد أن جاء الخبر عن مصاب قريش ببدر أياماً قليلة، ورمى بالعدسة وهي بثرة تشبه العدسة من جنس الطاعون فقتلته فلم يحفروا له حفيرة ولكن أسندوه إلى حائط وقذفوا عليه الحجارة خلف الحائط حتى واروه، لأن العدسة

قرحة كانت العرب تتشاءم بها ويرون أنها تعدي أشد العدوى، فلما أصابت أبا لهب تباعد عنه بنوه وبقي بعد موته ثلاثاً لا يقرب جنازته ولا يحاول دفنه حتى أنتن فلما خافوا السبة أي سب الناس لهم فعلوا به ما ذكر، وفي رواية حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه فوجد جزاء مكره برسول الله ﷺ وكانت عائشة رضي الله عنها إذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها، قال في «النور» وهذا القبر الذي يرجم خارج باب شبيكة الآن ليس بقبر أبي لهب وإنما هو قبر رجلين لطخا الكعبة بالعذرة وذلك في دولة بني العباس فإن الناس أصبحوا ووجدوا الكعبة ملطخة بالعذرة فرصدوا للفاعل فأمسكوهما بعد أيام فصلبا في ذلك الموضع فصارا يرجمان إلى الآن فهذا جزاؤهما في الدنيا وقد مكر الله بهما بذلك فقس على هذا جزاء من استهزأ بدين الله وأهل دينه من العلماء الأخيار والأتقياء الأبرار، وقد مكر بعض الوزراء بحضرة شيخي وسندي في أواخر عمره فأماته الله قبله بأيام فرؤي في المنام وهو منكوس الرأس لا يرفعها حياء مما صنع بحضرة الشيخ اللهم احفظنا واعصمنا من سوء الحال وسيئات الأعمال.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿ويقول الذين كفروا﴾ يعني مشركي مكة أو رؤساء اليهود فتكون الآية مدنية ﴿لست﴾ يا محمد ﴿مرسلا﴾ فيه إشارة إلى أن من يقول للرسول ﷺ إنه ليس مرسلاً من الله كما قالت الفلاسفة إنه حكيم وليس برسول فقد كفر.

قال في «هدية المهديين»: أما الإيمان بسيدنا محمد عليه السلام فيجب بأنه رسولنا في الحال وخاتم الأنبياء والرسل، فإذا آمن بأنه رسول ولم يؤمن بأنه خاتم الرسل لا نسخ لدينه إلى يوم القيامة لا يكون مؤمناً.

شمسهٔ نه مسند وهفت اختران ختم رسل وخواجهٔ پيغمبران

﴿قل كفى بالله﴾ الباء دخلت على الفاعل ﴿شهيداً﴾ تمييز ﴿بيني وبينكم﴾ [بآنكه من بيغمبرم بشما] والمراد بشهادة الله تعالى إظهار المعجزات الدالة على صدقه في دعوى الرسالة ﴿ومن عنده أم الكتاب﴾ وهو الذي علمه الله القرآن وعلمه البيان وأراه آيات القرآن ومعجزاته فبذلك علم حقية رسالته وشهد بها وهم المؤمنون فالمراد بالكتاب القرآن.

وعن عبد الله بن سلام أن هذه الآية نزلت فيّ، فالمراد به التوراة فإن عبد الله بن سلام وأصحابه وجدوا نعته عليه السلام في كتابهم فشهدوا بحقية رسالته وكانت شهادتهم أيضاً قاطعة لقول الخصوم، واعلم أن رسول الله ﷺ أرسل إلى الخلق كافة الإنس والجن والملك والحيوان والنبات والحجر. قال العطار قدس سره:

داعئ ذرات بود آن پاك ذات در كفش تسبيح ازان كفتى حصات

وفي «المثنوي»:

سنكها اندر كف بو جهل بود كفت اين احمد بكواين چيست زود
كر رسولي چيشت درمشتم نهان چون خبر داري زراز آسمان
كفت چون خواهي بكويم آن چهاست يا بكويند آنكه ما حقيم وراست

كفت بو جهل اين دوم نادر ترست   كفت آرى حق ازان قادر ترست
ازميان مشت اوهر پاره سنك   در شهادت كفتن آمد بي درنك
لا إله كفت وإلا الله كفت   كوهر أحمد رسول الله سفت
چون شنيد از سنكها بو جهل اين   زد زخشم آن سنكهارا بر زمين

وقد أخذ الله تعالى بأبصار الإنس والجن عن إدراك حياة الجماد إلا من شاء الله من خواص عباده ولو لم يكن سر الحياة سارياً في جميع العالم لما سبح الحصى ونحوه، وقد ورد «أن كل شي سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له» ولا يشهد إلا من كان حياً عالماً وكذا لا يحب إلا من كان كذلك، وقد ورد في حق جبل أحد قوله عليه السلام: «أحد يحبنا ونحبه».

ثم إن الأكوان مملوءة من أعلام الرسالة وشواهد النبوة ولقد خلق الله العرش الذي هو أول الأجسام وأعظمها، فكتب عليه قبل كل شيء الكلمة الطيبة كما روي أن آدم عليه السلام لما اقترف الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت قال وكيف عرفت محمداً، قال: لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك قال صدقت يا آدم إنه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن.

وعن بعضهم رأيت في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب عليه بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة واضحة خلقة أبدعها الله بقدرته في الورقة ثلاثة أسطر الأول لا إله إلا الله والثاني محمد رسول الله والثالث إن الدين عند الله الإسلام.

وفي «الواقعات المحمودية» كل قول يقبل الاختلاف بين المسلمين إلا كلمة لا إله إلا الله فإنه غير قابل فمعناه متحقق وإن لم يتكلم به أحد تمت سورة الرعد في الحادي والعشرين من شوال المنتظم في سلك شهور سنة ثلاث ومائة وألف.

تفسير سورة إبراهيم

وهي مكية إلا ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا﴾ الآيتين
وهي إحدى أو اثنتان أو أربع أو خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يشير إلى أن ببركة اسم الله وهو اسم ذاته تبارك وهو الاسم الأعظم ابتدأت بخلق العالمين إظهاراً لصفة الرحمانيته فالرحيمية ليكون عالم الدنيا مظهر صفة رحمانية ولهذا يقال يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، وذلك لأن المخلوقات من الحيوان والجماد والمؤمن والكافر والسعيد والشقي عامة ينتفعون في الدنيا بصفة رحمانيته التي على صيغة المبالغة في الرحمة وفي الآخرة لا ينتفع بصفة رحيميته إلا المؤمنون خاصة كما قال ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] كما في «التأويلات النجمية»:

جامى اكر ختم نه برر حمتست بهرچه شد خاتمهٔ آن رحيم

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ①﴾

﴿الر﴾ يشير بالألف إلى القسم بآلائه ونعمائه وباللام إلى لطفه وكرمه وبالراء إلى القرآن يعني قسماً بآلائي ونعمائي إن صفة لطفي وكرمي اقتضت إنزال القرآن وهو كتاب الخ كما في «التأويلات النجمية».

وقال حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره أهل السلوك يعرفون المتشبهات على قدر مرتبتهم فمثل قوله تعالى: ﴿ق﴾ و﴿ن﴾ إشارة إلى مرتبة واحدة في ملك وجوده مثل ﴿حم﴾ إشارة إلى مرتبتين ومثل ﴿الم. الر﴾ إشارة إلى ثلاث مراتب ومثل ﴿كهيعص. وحمعسق﴾ إشارة إلى خمس مراتب. وفي البعض إشارة إلى سبع مراتب فقوله عليه السلام: «إن للقرآن ظهراً وبطناً» لا يعرفه غير أهل السلوك وما ذكره العلماء تأويله لا تحقيقه، فمثل القاضي وصاحب الكشاف سلوكهم من جهة اللفظ لا المعنى وكان في تفسير القاضي روحانية لكنه بدعاء عمر النسفي صاحب تفسير التيسير والمنظومة في الفقه وكان هو مدرس الثقلين ـ روي ـ أن شخصاً رأى الامام عمر النسفي بعد موته في المنام فقال كيف كان سؤال منكر ونكير فقال رد الله إلى روحي فسألاني فقلت لهما أخبركما في رد الجواب نظماً أو نثراً فقالا قل نظماً فقلت:

ربي الله لا إله سواه ونبيي محمد مصطفاه
ديني الإسلام وفعلي ذميم اسأل الله عفوه وعطاه

فانتبه ذلك الشخص في المنام وقد حفظ البيتين.

يقول الفقير علم: الحروف المقطعة من نهايات علوم الصوفية المحققين فإنهم إنما يصلون إلى هذا العلم الجليل بعد أربعين سنة من أول السلوك بل أول الفتح، فهو من الأسرار المكتومة ولا بد لطالبه من الاجتهاد الكثير على يدي إنسان كامل. قال الكمال الخجندي قدس سره:

كرت دانستن علم حروفست آرزو صوفي
نخست افعال نيكوكن چه سوداز خواندن اسما
بنا اهل ارنشان دادي كمال ازخاك دركاهش
كشيدي كحل بينايي ولي در چشم نابينا

قال الكاشفي [در شرح تأويلات ازامام مارتيدي مذكوراست كه حروف مقطعة ابتلاست مر تصديق مؤمن وتكذيب كافررا وخداي تعالى بندكانرا بهرچه ميخواهد امتحان كند] ﴿كتاب﴾ أي: القرآن المشتمل على هذه السورة وغيرها كتاب فهو خبر مبتدأ محذوف.

وفي تفسير «الكاشفي»: [جمعي بر آنندكه اين حروف اسامي قر آنندوبدين وجه توان كفت كه الريعني قرآن كتاب] ﴿أنزلناه إليك﴾ يا محمد بواسطة جبرائيل حال كونه حجة على رسالتك بإعجازه يناسب قوله تعالى فيما بعد ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ ثم بين المصلحة في إنزال الكتاب على رسول الله ﷺ بقوله ﴿لتخرج الناس﴾ كافة بدعائك وإرشادك إياهم إلى ما تضمنه الكتاب من العقائد الحقة والأحكام النافعة ﴿من الظلمات إلى النور﴾ أي: من أنواع الضلالة إلى الهدى ومن ظلمة الكفر والنفاق والشك والبدعة إلى نور الإيمان والإخلاص واليقين والسنة ومن ظلمة الكثرة إلى نور الوحدة ومن ظلمة حجب الأفعال وأستار الصفات إلى نور وحدة الذات ومن ظلمة الخلقية إلى نور تجلي صفة الربوبية وذلك أن الله تعالى خلق عالم الآخرة وهو عالم الأرواح من النور وجعل زبدته روح الإنسان، وخلق عالم الدنيا وهو عالم الأجسام وجعل زبدته جسم الإنسان، وكماأنه تعالى جعل عالم الأجسام حجاباً لعالم الأرواح جعل ظلمات صفات جسم الإنسان حجاباً لنور صفات روح الإنسان وجعل العالمين بظلماتهما وأنوارهما حجاباً لنور صفة الوهيته كما قال ﷺ: «إن لله سبعين حجاباً من نور وظلمة لو كشفت لأحرقت سبحات وجه ما انتهى إليها بصره» وما جعل الله لنوع من أنواع الموجودات استعداداً للخروج من هذه الحجب إلا للإنسان لا يخرج منها أحد إلا بتخريجه إياه منها، واختص المؤمن بهذه الكرامة كما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] فجعل النبي ﷺ والقرآن من أسباب تخريج المؤمنين من حجب الظلمات إلى النور ﴿بإذن ربهم﴾ أي بحوله وقوته أي لا سبيل له إلى ذلك إلا به وإنما قال ربهم لأنه تعالى مربيهم، وما قال بإذن ربك ليعلم إن هذه التربية من الله لا من النبي عليه السلام كذا في «التأويلات النجمية».

وقال أهل التفسير: الباء متعلق بتخرج أي تخرج منها إليه لكن لا كيف ما كان فإنك لا تهدي من أحببت بل بإذن ربهم فإنه لا يهتدي مهتد إلا بإذن ربه أي بتيسيره وتسهيله ولما كان الإذن من أسباب التيسير أطلق عليه فإن التصرف في ملك الغير متعذر فإذا أذن تسهل وتيسر.

واعلم أن الدعوة عامة الهداية خاصة كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥] وإذن الله شامل لجميع الناس في الظلمات إذ المقصود من إيجاد العوالم وإنشاء النشئات كلها ظهور الإنسان الكامل وقد حصل وهو الواحد الذي كالألف وهو السواد الأعظم فلا تقتضي الحكمة اتفاق الكل على الحق لأن لله تعالى جمالاً وجلالاً لا بد لكليهما من أثر.

در كار خانهٔ عشق ز كفرنا كزيرست   آتش كرا بسوزد كر بولهب نباشد

﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ بدل من قوله ﴿إلى النور﴾ بتكرير العامل وإضافة الصراط إلى العزيز وهو الله على سبيل التعظيم له، والمراد دين الإسلام فإنه طريق موصل إلى الجنة والقربة والوصلة، والعزيز الغالب الذي ينتقم لأهل دينه من أعدائهم، والحميد المحمود الذي يستوجب بذلك الحمد من عباده.

وفيه إشارة إلى أن العبور على الظلمات الجسمانية والأنوار الروحانية هو الطريق إلى الله تعالى وهو العزيز الذي لا يصل العبد إليه إلا بالخروج من هذه الحجب وهو الحميد الذي يستحق من كمالية جماله وجلاله أن يحتجب بحجب العزة والكبرياء والعظمة.

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٣﴾﴾.

﴿الله﴾ بالجر عطف بيان للعزيز الحميد، لأنه علم للذات الواجب الوجود الخالق للعالم. ﴿الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ من الموجودات من العقلاء وغيرهم.

وفيه إشارة إلى أن سير السائرين إلى الله لا ينتهي بالسير في الصفات وهي العزيز الحميد وإنما ينتهي بالسير في الذات وهو الله، فالمكونات أفعاله فمن بقي في أفعاله لا يصل إلى صفاته ومن بقي في صفاته لا يصل إلى ذاته ومن وصل إلى ذاته وصولاً بلا اتصال ولا انفصال بل وصولاً بالخروج من أنانيته إلى هويته تعالى ينتفع به في صفاته وأفعاله. قال الكمال الخجندي قدس سره:

وصل ميسر نشود جز بقطع   قطع نخست ازهمه ببر يدنست

وقال المولى الجامي قدس سره:

سبحانك لا علم لنا إلا ما   علمت والهمت لنا الهاما
ما را برهان زما وآكاهى ده   از سر معيني كه داري باما

﴿وويل﴾ الويل الهلاك.

وقال الكاشفي: [رنج ومشقت] وهو مبتدأ خبره قوله ﴿للكافرين﴾ بالكتاب وأصله النصب كسائر المصادر إلا أنه لم يشتق منه فعل لكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه فيقال ويل لهم كسلام عليكم. ﴿من عذاب شديد﴾ من لتبيين الجنس صفة لويل أو حال من ضميره في الخبر أو ابتدائية متعلقة بالويل على معنى أنهم يولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله تعالى: ﴿دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا﴾ [الفرقان: ١٣].

﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾ محل الموصول الجر على أنه بدل من الكافرين أو صفة له. والاستحباب استفعال من المحبة. والمعنى يختارون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الحياة الآخرة الأبدية فإن المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحب إليها وأفضل عندها من غيره.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يأخذون ما تعجل فيها تهاوناً بأمر الآخرة وهذا من أوصاف الكافر الحقيقي فإنه يجد ويجتهد في طلب الدنيا وشهواتها ويترك الآخرة بإهمال السعي في طلبها واحتمال الكلفة والمشقة في مخالفة هوى النفس وموافقة الشرع، فينبغي للمؤمن الحقيقي أن لا يرضى باسم الإسلام ولا يقنع بالإيمان التقليدي فإنه لا يخلو عن الظلمات بخلاف الإيمان الحقيقي فإنه نور محض وليس فيه تغيير أصلاً.

كي سيه كردد زآتش روى خوب   كونهد كلكونه از تقوى القلوب

﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ أي: ويمنعون الناس عن قبول دين الله.

وفيه إشارة إلى أن أهل الهوى يصرفون وجوه الطالبين عن طلب الله، ويقطعون عليهم طريق الحق في صورة النصيحة ويلومون الطلاب على ترك الدنيا والعزلة والعزوبة والانقطاع عن الخلق للتوجه إلى الحق ﴿ويبغونها﴾ أي ويبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل إلى الضمير، أي يطلبون لها ﴿عوجاً﴾ زيغاً واعوجاجاً، أي يقولون لمن يريدون صده وإضلاله إنها سبيل ناكبة وزائغة غير مستقيمة [يعني اين راه كج است وبمنزل مقصود نميرسد]. والزيغ الميل عن الصواب والنكوب الاعراض ﴿أولئك﴾ الموصوفون بالقبائح المذكورة. ﴿في ضلال بعيد﴾ أي: ضلوا عن طريق الحق ووقعوا عنه بمراحل، والبعد في الحقيقة من أحوال الضال، لأنه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله مجازاً للمبالغة وفي جعل الضلال محيطاً بهم إحاطة الظرف بما فيه ما لا يخفى من المبالغة وليس في طريق الشيطان فوق من هو ضال ومضل كما أنه ليس في طريق الرحمن فوق من هو مهتد وهاد وقد أشير إلى كليهما في هذه الآيات فإن إنزال الكتاب على رسول الله إشارة إلى اهتدائه به كما قال تعالى في مقام الامتنان ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢] وقوله لتخرج صريح في هدايته وإرشاده ولكل وارث من ورثته الأكملين حظ أوفى من هذين المقامين وهم المظاهر للاسم الهادي، وقوله تعالى يستحبون ويصدون إشارة إلى الضلال والاضلال وهم ورثة الشيطان في ذلك أي المظاهر للاسم المضل.

فعلى العاقل أن يحقق إيمانه بالذكر الكثير وينقطع من الدنيا وما فيها إلى العليم الخبير.

وسئل سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي قدس سره عن السنة والفريضة فقال: السنة ترك الدنيا والفريضة الصحبة مع المولى لأن السنة كلها تدل على ترك الدنيا والكتاب كله يدل على صحبة المولى فمن عمل بالسنة والفريضة فقد كملت النعمة في حقه ووجب عليه الشكر الكثير شرفنا الله وإياكم بالسلوك إلى طريق الأخيار والأبرار.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ④﴾.

﴿وما أرسلنا من رسول﴾ [درزاد للسير آورده كه قريش ميكفتند چه حالتست كه همه كتب منزل بلغة عجمي فرود آمده وكتابي كه بمحمد مي آيد عربيست آيت آمدكه] ﴿وما أرسلنا

من رسول﴾ ﴿إلا﴾ ملتبساً ﴿بلسان قومه﴾ لفظ اللسان يستعمل فيها هو بمعنى العضو وبمعنى اللغة والمراد هنا هو الثاني أي بلغة قومه الذين هو منهم وبعث فيهم [يعني كروهى كه اواز ايشان زاده ومبعوث شده بديشان چه هرپيغمبرى را اول دعوت نزديكان خود بايد كرد] ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود: ٥٠] ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣] ونحو ذلك ولا ينتقض بلوط عليه السلام فإنه تزوج منهم وسكن فيما بينهم فحصل المقصود الذي هو معرفة قومه بلسانه وديانته، وعمم المولى أبو السعود حيث قال إلا ملتبساً بلسان قومه متكلماً بلغة من أرسل إليهم من الأمم المتفقة على لغة، سواء بعث فيهم أم لا انتهى ﴿ليبين﴾ كل رسول ﴿لهم﴾ أي لقومه ما دعوا إليه وأمروا بقبوله فيفقهوه عنه بسهولة وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فإنهم أولى الناس بأن يدعوهم وأحق بأن ينذرهم ولذلك أمر النبي عليه السلام بإنذار عشيرته أولاً ولقد بعث عليه السلام إلى الناس جميعاً بل إلى الثقلين ولو نزل الله كتبه بألسنتهم مع اختلافها وكثرتها استقل ذلك بنوع من الإعجاز لكن أدى إلى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق أيدي التحريف، وإضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الألفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في أتعاب النفوس وكذا القرائح فيه من القرب والطاعات المقتضية لجزيل الثواب وأيضاً لما جعله الله تعالى سيد الأنبياء وخيرهم وأشرفهم وشريعته خير الشرائع وأشرفها وأمته خير الأمم وأفضلهم أراد أن يجمع أمته على كتاب واحد منزل بلسان هو سيد الألسنة وأشرفها وأفضلها إعطاء للأشرف الأشرف وذلك هو اللسان العربي الذي هو لسان قومه ولسان أهل الجنة فكان سائر الألسنة تابعاً له كما أن الناس تابع للعرب، مع ما فيه من الغنى عن النزول بجميع الألسنة لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل أي يبعث الرسل إلى الأطراف يدعونهم إلى الله ويترجمون لهم بألسنتهم يقال ترجم لسانه إذا فسره بلسان آخر ومنه الترجمان كما في «الصحاح».

قال في «لسان العيون»: أما قول اليهود أو بعضهم وهم العيسوية طائفة من اليهود أتباع عيسى الأصفهاني أنه عليه السلام إنما بعث للعرب خاصة دون بني إسرائيل وأنه صادق ففاسد لأنهم إذا أسلموا أنه رسول الله وأنه صادق لا يكذب لزمهم التناقض لأنه ثبت بالتواتر عنه أنه رسول الله لكل الناس ثم قال ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤] لأنه لا يدل على اقتصار رسالته عليهم بل على كونه متكلماً بلغتهم ليفهموا عنه أولاً، ثم يبلغ الشاهد الغائب ويحصل الأفهام لغير أهل تلك اللغة من الأعاجم بالتراجم الذين أرسلوا إليهم فهو ﷺ مبعوث إلى الكافة وإن كان هو وكتابه عربيين، كما كان موسى وعيسى عليهما السلام مبعوثين إلى بني إسرائيل بكتابيهما العبراني وهو التوراة والسرياني وهو الانجيل، مع أن من جملتهم جماعة لا يفهمون بالعبرانية ولا بالسريانية كالأروام فإن لغتهم اليونانية انتهى.

والحاصل أن الإرشاد لا يحصل إلا بمعرفة اللسان ـ حكي ـ أن أربعة رجال عجمي وعربي وتركي ورومي وجدوا في الطريق درهماً فاختلفوا فيه ولم يفهم واحد منهم مراد الآخر فسألهم رجل آخر يعرف الألسنة فقال للعربي أي شيء تريد؟ وللعجمي [چه ميخواهى] وللتركي «نه استرسين» وعلم أن مراد الكل أن يأخذوا بذلك الدرهم عنباً ويأكلوه فأخذ هذا العارف الدرهم منهم واشترى لهم عنباً فارتفع الخلاف من بينهم بسبب معرفة ذلك الرجل

لسانهم ـ وحكي ـ أن بعض أهل الانكار ألحوا على بعض من المشايخ الأميين أن يعظهم باللسان العربي تعجيزاً له وتفضيحاً فحزن لذلك فرأى في المنام رسول الله ﷺ يأمره بما التمسوا منه من الوعظ فأصبح متكلماً بذلك اللسان وحقق القرآن بحقائق عجزوا عنها وقال أمسيت كرديا وأصبحت عربياً. وفي «المثنوي»:

خويش راصافي كن از اوصاف خويش تـابـبـيـنـي ذات پـاك صـاف خـويـش
بـيـنـي انـدر دل عـلـوم انـبـيـا بـي كـتـاب وبـي مـعـيـد واوسـتـا
سـر امـسـيـنـا لـكـرديـا بـدان راز اصـبـحـنـا عـرابـيـا بـخـوان

﴿فيضل الله من يشاء﴾ إضلاله أي: يخلق فيه الكفر والضلال لمباشرة الأسباب المؤدية إليه.

قال الكاشفي: [پس كمراه كرداند خداي تعالى هركه را خواهد يعني فرو كذا ردتاكه كمراه شود] والفاء فصيحة مثلها في قوله تعالى: ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] كأنه قيل فبينوه لهم فاضل الله منهم من شاء إضلاله لما لا يليق إلا به. ﴿ويهدي من يشاء﴾ هدايته أي يخلق فيه الإيمان والاهتداء لاستحقاقه له لما فيه من الإنابة والإقبال إلى الحق.

قال الكاشفي: [وراه نمايد هركه را خواهد يعني توفيق دهدتاراه يابد] ﴿وهو العزيز﴾ الغالب على كل شيء فلا يغالب في مشيئته ﴿الحكيم﴾ الذي لا يفعل شيئاً من الاضلال والهداية إلا لحكمة بالغة وفيه أن ما فوض إلى الرسل إنما هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق وأما الهداية والإرشاد إليه فذلك بيد الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ أي ليتكلم معهم بلسان عقولهم ﴿ليبين لهم﴾ الطريق إلى الله وطريق الخروج من ظلمات أنانيتهم إلى نور هويته ﴿فيضل الله من يشاء﴾ في أنانيته ﴿ويهدي من يشاء﴾ بالخروج إلى هويته ﴿وهو العزيز﴾ أي هو أعز من أن يهدي كل واحد إلى هويته ﴿الحكيم﴾ بأن يهدي من هو المستحق للهداية إليه فمن هذا تحقق إنه تعالى هو الذي يخرجهم من الظلمات إلى النور لا غيره انتهى.

فعلى العاقل أن يصرف اختياره في طريق الحق ويجتهد في الخروج من بوادي الأنانية فقد بين الله الطريق وأرشد إلى الأسباب فلم يبق إلا الدخول والانتساب.

قال بعض الكبار: النظر الصحيح يؤدي إلى معرفة الحق وذلك بالانتقال من معلوم إلى معلوم إلى أن ينتهي إلى الحق لكن طريق التصور والفكر وأهله لا يتخلص من الأنانية والاثنينية وأما المكاشفة فليس فيها الانتقال المذكور وطريقها الذكر ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١] كيف قدم الذكر على الفكر فالطريقة الأولى طريقة الإشراقيين والثانية طريقة الصوفية المحققين.

قال الإمام الغزالي ـ كرم الله وجهه ـ: من عرف الله بالجسم فهو كافر ومن عرف الله بالطبيعة فهو ملحد ومن عرف الله بالنفس فهو زنديق ومن عرف الله بالعقل فهو حكيم ومن عرف الله بالقلب فهو صديق ومن عرف الله بالسر فهو موقن ومن عرف الله بالروح فهو عارف ومن عرف الله بالخفي فهو مفرد ومن عرف الله بالله فهو موحد أي بالتوحيد الحقيقي.

طـالـب تـوحـيـدرا بـايـدقـدم بـر «لا» زدن بعد زان در عـالـم وحدت دم «الا» زدن
رنك وبويي از حقيقت كربدست آوردة چون كل صد برك بايد خيمه بر صحرازدن

وإنما منع الأغيار من شهود الآثار غيرة من الله العزيز القهار.

معشوق عيان ميكذرد برتو وليكن اغيار همي بيند ازان بسته نقابست

ومعنى الوحدة الحاصلة بالتوحيد زوال الوجود المجازي الموهم للاثنينية وظهور الوجود الحقيقي على ما كان عليه.

هرموج ازين محيط أنا البحر ميزند كرصد هزاردست بر آيد دعا يكيست

حققنا الله وإياكم بحقائق التوحيد ووصلنا وإياكم إلى سر التجريد والتفريد وجعلنا من المهديين الهادين وإلى طريق الحق داعين.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾

﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ ملتبساً **﴿بآياتنا﴾** يعني اليد والعصا وسائر معجزاته الدالة على صحة نبوته **﴿أن﴾** مفسرة لمفعول مقدر للفظ دال على معنى القول مؤد معناه أي أرسلناه بأمر هو **﴿أخرج قومك من الظلمات﴾** من أنواع الضلال التي كلها ظلمات محض كالكفر والجهالة والشبهة ونحوها **﴿إلى النور﴾** إلى الهدى كالإيمان والعلم واليقين وغيرها.

وقال المولى أبو السعود ـ رحمه الله ـ: الآيات معجزاته التي أظهرها لبني إسرائيل والمراد إخراجهم بعد مهلك فرعون من الكفر والجهالات التي أدتهم إلى أن يقولوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة إلى الإيمان بالله وتوحيده وسائر ما أمروا به انتهى.

يقول الفقير: قد تقرر أن القرآن يفسر بعضه بعضاً فقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ [هود: ٩٦ـ٩٧] ينادي بأعلى صوته على أن المراد بالآيات غير التوراة وبالقوم القبط وهم فرعون واتباعه وأن الآية محمولة على أول الدعوة ولما كان رسولنا ﷺ مبعوثاً إلى الكافة قال الله تعالى في حقه **﴿لتخرج الناس﴾** ولم يقل لتخرج قومك كما خصص وقال هنالك **﴿بإذن ربهم﴾** وطواه هنا لأن الإخراج بالفعل قد تحقق في دعوته عليه السلام فكان أمته أمة دعوة وإجابة ولم يتحقق في دعوة موسى إذ لم يجبه القبط إلى أن هلكوا وإن أجابه بنو إسرائيل والعمدة في رسالته كان القبط، ومن شأن الرسول تقديم الإنذار حين الدعوة كما قال نوح عليه السلام في أول الأمر. ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [نوح: ٢٥] ولذا وجب حمل قوله تعالى: **﴿وذكرهم بأيام الله﴾** على التذكير بالوقائع التي وقعت على الأمم الماضية قبل قوم نوح وعاد وثمود. والمعنى وعظهم وأنذرهم مما كان في أيام الله من الوقائع ليحذروا فيؤمنوا كما يقال رهبوت خير من رحموت أي لأن ترهب خير من أن ترحم وأيام العرب ملاحمها وحروبها كيوم حنين ويوم بدر وغيرهما.

وقال بعضهم: ذكرهم نعمائي ليؤمنوا بي كما روي أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن حببني إلى عبادي فقال يا رب كيف أحببك إلى عبادك والقلوب بيدك؟ فأوحى الله تعالى أن ذكرهم نعمائي ومن هنا وجب الكلام عند الكلام بما يرجح رجاءه فيقال له لا تحزن فقد وفقك الله للحج أو للغزو أو لطلب العلم أو نحو ذلك من وجوه الخير ولو لم يرد بك خيراً لما فعله في حقك فهذا تذكير أي تذكير وأيام الله في الحقيقة هي التي كان الله ولم يكن معه شيء من أيام الدنيا ولا من أيام الآخرة.

فعلى السالك أن يتفكر ثم يتذكر كونه في مكنون علم الله تعالى ويخرج من الوجود المجازي المقيد باليوم والليل ويصل إلى الوجود الحقيقي الذي لا يوم عنده ولا ليل **﴿إن في ذلك﴾** إشارة إلى أيام الله **﴿لآيات﴾** عظيمة أو كثيرة دالة على وحدانية الله وقدرته وعلمه وحكمته **﴿لكل صبار﴾** مبالغ في الصبر على طاعة الله وعلى البلايا **﴿شكور﴾** مبالغ في الشكر على النعم والعطايا كأنه قال لكل مؤمن كامل إذ الإيمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر، وتخصيص الآيات بهم لأنهم المنتفعون بها لا لأنها خافية عن غيرهم فإن التبيين حاصل بالنسبة إلى الكل وتقديم الصبر لكون الشكر عاقبته.

آخـــر هـــركـــريـــه آخـــر خـــنـــده ايـــســـت

فالمنذرون المذكرون بالكسر صبروا على الأذى والبلاء فظفروا والعاقبة للمتقين والمنذرون المذكورون بالفتح تمادوا في الغي والضلال فهلكوا ألا بعدا للقوم الظالمين. وفي «المثنوي»:

عـاقـل از سر بـنـهـد ايـن هـسـتـى وبـاد چـون شـنـيـد انـجـام فـرعـونـان وعـاد
ورنـه بـنـهـد ديـكـران از حـال او عـبـرتـي كـيـرنـد از اضـلال او

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾.

﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ أي اذكر للناس يا أفضل المخلوق وقت قول موسى لقومه، وهم بنو إسرائيل والمراد بتذكير الأوقات تذكير ما وقع فيها من الحوادث المفصلة، إذ هي محيطة بذلك فإذا ذكرت ذكر ما فيها كأنه مشهد معاين **﴿اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون﴾** أي إنعامه عليكم وقت إنجائه إياكم من فرعون وأتباعه وأهل دينه وهم القبط **﴿يسومونكم سوء العذاب﴾** استئناف لبيان انجائهم أو حال من آل فرعون.

قال في «تهذيب المصادر» [السوم: جشانيدن عذاب وخواري] قال الله تعالى: **﴿يسومونكم سوء العذاب﴾** انتهى.

وفي «بحر العلوم» من سام السلعة إذا طلبها والمعنى. يذيقونكم أو يبغونكم شدة العذاب ويريدونكم عليه، والسوء مصدر ساء يسوء وهو اسم جامع للآفات كما في «التبيان» والمراد جنس العذاب السيىء أو استعبادهم واستعمالهم في الأعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر **﴿ويذبحون أبناءكم﴾** المولودين من عطف الخاص على العام كأن التذبيح لشدته وفظاعته وخروجه عن مرتبة العذاب المعتاد جنس آخر ولو جاء بحذف الواو كما في البقرة والأعراف لكان تفسيراً للعذاب وبياناً له، وإنما فعلوا لأن فرعون رأى في المنام أن ناراً أقبلت من نحو بيت المقدس فأحرقت بيوت القبط دون بيوت بني إسرائيل فخوفه الكهنة وقالوا له إنه سيولد منهم ولد يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فشمر عن ساق الاجتهاد وحسر عن ذراع العناد وأراد أن يدفع القضاء وظهوره ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

صـعـوه كـه بـاعـقـاب سـازد جـنـك دهـد از خـون خـود پـرش را رنـك

﴿ويستحيون نساءكم﴾ أي يبقون نساءكم وبناتكم في الحياة للاسترقاق والاستخدام وكانوا يفردون النساء عن الازواج، وذلك من أعظم المضار والابتلاء؛ إذ الهلاك أسهل من

هذا. ﴿وفي ذلكم﴾ أي فيما ذكر من أفعالهم الفظيعة. ﴿بلاء من ربكم عظيم﴾ أي محنة عظيمة لا تطاق.

فإن قلت: كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم.

قلت: أقدار الله إياهم وإمهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ويجوز أن يكون المشار إليه الانجاء من ذلك، والبلاء الابتلاء بالنعمة كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] والله تعالى يبلو عباده بالشر ليصبروا فيكون محنة وبالخير ليشكروا فيكون نعمة.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾

﴿وإذ تأذن ربكم﴾ من جملة مقال موسى لقومه معطوف على نعمة أي اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن وتأذن بمعنى آذان أي علم أعلاماً بليغاً لا يبقى معه شائبة شبهة أصلاً، لما في صيغة التفعل من معنى التكلف المحمول في حقه تعالى على غايته التي هي الكمال.

وقال الخليل: تأذن لكذا أوجب الفعل على نفسه. والمعنى أوجب ربكم على نفسه ﴿لئن شكرتم﴾ اللام لام التوطئة وهي التي تدخل على الشرط، تقدم القسم لفظاً أو تقديراً لتؤذن أن الجواب له لا للشرط وهو مفعول تأذن على أنه أجرى مجرى قال، لأنه ضرب من القول أو مقول قول محذوف. والمعنى وإذ تأذن ربكم فقال لئن شكرتم يا بني إسرائيل نعمة الانجاء وإهلاك العدو وغير ذلك وقابلتموها بالثبات على الإيمان والعمل الصالح ﴿لأزيدنكم﴾ نعمة إلى نعمة ولا ضاعفن لكم ما آتيكم واللام ساد مسد جواب القسم والشرط جميعاً.

قال الكاشفي: [شيخ عبد الرحمن سلمى قدس سره از أبو علي جرجاني قدس سره اكر شكر كنيد بر نعمت اسلام زيادة كنم آنرا بايمان واكر سپاس داري كنيد برايمان افزون كردانم باحسان واكر بران شكر كوييد زيادة ازم آنرا بمعرفت واكر بر آن شاكر باشيد برسانم بمقام وصلت واكر آنرا شكر كوييد بالأبرم بدرجهٔ قربت وبشكران نعمت در آرم بخلوتكاه أنس ومشاهده وازين كلام حقائق اعلام معلوم ميشود كه شكر مرقات ترقى ومعراج تصاعد بر در جاتست]. وفي «المثنوي»:

شكر نعمت نعمتت افزون كند كس زيان بر شكر كفتي چون كند
شكر باشد دفع علتهاى دل سود دارد شاكر از سوداي دل

وقال في «التأويلات»: النجمية ﴿لئن شكرتم﴾ التوفيق ﴿لأزيدنكم﴾ في التقرب إليّ ﴿ولئن شكرتم﴾ التقرب إليّ ﴿لأزيدنكم﴾ في تقربي إليكم ﴿ولئن شكرتم﴾ تقربي إليكم ﴿لأزيدنكم﴾ في المحبة ﴿ولئن شكرتم﴾ المحبة ﴿لأزيدنكم﴾ في محبتي لكم ﴿ولئن شكرتم﴾ محبتي ﴿لأزيدنكم﴾ في الجذبة إليّ ﴿ولئن شكرتم﴾ الجذبة ﴿لأزيدنكم﴾ في البقاء ﴿ولئن شكرتم﴾ البقاء ﴿لأزيدنكم﴾ في الوحدة ﴿ولئن شكرتم﴾ الوحدة ﴿لأزيدنكم﴾ في الصبر على الشكر والشكر على الصبر والصبر على الصبر والشكر على الشكر لتكونوا صباراً شكوراً ﴿ولئن كفرتم﴾ أي لم تشكروا نعمتي وقابلتموها بالنسيان والكفران أي لأعذبنكم فيكون قوله ﴿إن عذابي لشديد﴾ تعليلاً للجواب المحذوف أو فعسى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد فما ظنك بأكرم الأكرمين حيث لم يقل إن عذابي لكم

ونظيره قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

قال سعدي المفتي: ثم المعهود في القرآن أنه إذا ذكر الخير أسنده إلى ذاته تعالى وتقدس وإذا ذكر العذاب بعده عدل عن نسبته إليه وقد جاء التركيب هنا على ذلك أيضاً فقال في الأول ﴿لأزيدنكم﴾ وفي الثاني ﴿إن عذابي لشديد﴾ ولم يأت التركيب لأعذبنكم انتهى.

ثم إن شدة العذاب في الدنيا بسلب النعم وفي العقبى بعذاب جهنم.

وفي «التأويلات النجمية»: إن عذاب مفارقتي بترك مواصلتي لشديد فإن فوات نعيم الدنيا والآخرة شديد على النفوس وفوات نعيم المواصلات أشد على القلوب والأرواح.

قال في «بحر العلوم» لقد كفروا نعمه حيث اتخذوا العجل وبدلوا القول فعذبهم بالقتل والطاعون.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: قال من رزق ستاً لم يحرم ستاً، من رزق الشكر، لم يحرم الزيادة لقوله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ ومن رزق الصبر لم يحرم الثواب لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. قال المولى الجامي:

اكر زسهم حوادث مصيبتي رسدت | درين نشمين حرمان كه موطن خطرست
مكن بدست جزع خرقهٔ صبوري چاك | كه فوت اجر مصيبت مصيبت دكرست

ومن رزق التوبة لم يحرم القبول لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٢٥] ومن رزق الاستغفار لم يحرم المغفرة لقوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠] من رزق الدعاء لم يحرم الإجابة لقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وذلك لأن الله تعالى لا يمكن العبد من الدعاء إلا لإجابته ومن رزق النفقة لم يحرم الخلف لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩]. وفي «المثنوي»:

كفت پيغمبر كه دائم بهر پند | دو فرشته خوش منادى مى كنند
كاي خدايا منفقانرا سير دار | هر درمشانرا عوض ده صد هزار
اي خدايا ممسكانرا در جهان | تومده إلا زيان اندر زيان

فعلى العاقل أن يشكر النعمة ويرجو من الله الملك القادر الخالق الرزاق أن لا يفتر القلب واللسان واليد من الفكر والذكر والانفاق. ولقد ترك بلعم بن باعورا شكر نعمة الإسلام والإيمان فعوقب بالحرمان ونعوذ بالله من الخذلان اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين والمطيعين الصابرين القانعين إنك أنت المعين في كل حين آمين.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾.

﴿وقال موسى إن تكفروا﴾ نعمه تعالى ولم تشكروها. ﴿أنتم﴾ يا بني إسرائيل ﴿ومن في الأرض﴾ من الثقلين ﴿جميعاً﴾ حال من المعطوف والمعطوف عليه. ﴿فإن الله﴾ تعليل للجواب المحذوف، أي إن تكفروا لم يرجع وباله إلا عليكم فإن الله ﴿لغني﴾ عن شكركم

وشكر غيركم ﴿حميد﴾ محمود في ذاته وصفاته وأفعاله لا تفاوت له بإيمان أحد ولا كفره.

قال الكاشفي: [ذرات مخلوقات بنعمت او ناطق والسنهٔ جميع اشيا بتسبيح وحمداو جاري]

بـذكـرش جـمـلـهٔ ذرات كـويـا   هـمـه اورا زروى شـوق جـويـا

قال السعدي قدس سره:

بـذكـرش هـرچـه بيـني درخـروشـست   دلى دانـد دريـن معنـى كـه كـوشـسـت
نه بلبل بركلش تسبيح خوانيست   كـه هـر خـارى بـتـوحيدش زبـانـيـسـت

﴿ألم يأتكم﴾ من كلام موسى، استفهم عن انتفاء الإتيان على سبيل الإنكار فأفاد إثبات الإتيان وإيجابه فكأنه قيل أتاكم. ﴿نبأ الذين من قبلكم﴾ أي أخبارهم ﴿قوم نوح﴾ اغرقوا بالطوفان حيث كفروا ولم يشكروا نعم الله، وقوم نوح بدل من الموصول ﴿وعاد﴾ أهلكوا بالريح معطوف على قوم نوح. ﴿وثمود﴾ أهلكوا بالصيحة ﴿والذين من بعدهم﴾ من بعد هؤلاء المذكورين من قوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات وغير ذلك، وهو عطف على قوم نوح وما عطف عليه ﴿لا يعلمهم إلا الله﴾ اعتراض أي لا يعلم عدد تلك الأمم لكثرهم ولا يحيط بذواتهم وصفاتهم وأسمائهم وسائر ما يتعلق بهم إلا الله تعالى فإنه انقطعت أخبارهم وعفت آثارهم وكان مالك بن أنس يكره أن ينسب الإنسان نفسه أباً أباً إلى آدم وكذا في حق النبي عليه السلام لأن أولئك الآباء لا يعلم أحد إلا الله وكان ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ إذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني أنهم يدعون علم الأنساب وقد نفى الله علمها عن العباد.

وقال في «التبيان» النسابون وإن نسبوا إلى آدم فلا يدعون إحصاء جميع الأمم انتهى.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ما بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً أي قرناً لا يعرفون، وقيل أربعون، وقيل سبعة وثلاثون.

وفي «النهر»: لأبي حيان إن إبراهيم عليه السلام هو الجد الحادي والثلاثون لنبينا عليه السلام.

قال في «إنسان العيون»: كان عدنان في زمن موسى عليه السلام وهو النسب المجمع عليه لنبينا عليه السلام وفيما قبله إلى آدم اختلاف، سبب الاختلاف فيما بين عدنان وآدم أن قدماء العرب لم يكونوا أصحاب كتب يرجعون إليها وإنما كانوا يرجعون إلى حفظ بعضهم من بعض.

والجمهور على أن العرب قسمان قحطانية وعدنانية، والقحطانية شعبان سبأ وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر وأما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها إلى قحطان وبعضهم إلى عدنان ثم إن الشيخ عليا السمرقندي رحمه الله قال في تفسيره الموسوم «ببحر العلوم» لقائل أن يقول يشكل بالآية قول النبي ﷺ «إن الله تعالى قد رفع إلي الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كما أنظر إلى كفي هذه جلياً جلاها الله لنبيه كما جلاها للنبيين قبل» لدلالته صريحاً على أن جميع الكوائن إلى يوم القيامة مجلى ومكشوف كشفاً تاماً للأنبياء عليهم السلام والحديث مسطور في «معجم» الطبراني و«الفردوس».

يقول الفقير: إن الله تعالى أعلم حبيبه عليه السلام ليلة المعراج جميع ما كان وما سيكون وهو لا ينافي الحصر في الآية، لقوله تعالى في آية أخرى ﴿فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ

ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] يعني به جنابه عليه السلام ولئن سلم فالذي علمه إنما هو كليات الأمور لا جزئياتها وكلياتها جميعاً ومن ذلك المقام وما أدري ما يفعل بي ولا بكم فصح الحصر والله أعلم فاعرف هذه الجملة ﴿جاءتهم رسلهم﴾ ملتبسين ﴿بالبينات﴾ وقال الكاشفي [آوردند] فالباء للتعدية أي بالمعجزات الواضحة التي لا شبهة في حقيتها فبين كل رسول لأمته طريق الحق وهو استئناف لبيان نبأهم ﴿فردوا أيديهم في أفواههم﴾ أي أشاروا بها إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم إنا كفرنا بما أرسلتم به، أي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره إقناطاً لهم من التصديق أوردوا أيديهم في أفواه أنفسهم إشارة بذلك إلى الرسل إن انكفوا عن مثل هذا الكلام فإنكم كذبة ففي بمعنى على كما في «الكواشي».

وقال قتادة: كذبوا الرسل وردوا ما جاؤوا به يقال رددت قول فلان في فيه أي كذبته ﴿وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به﴾ على زعمكم من الكتب والرسالة.

قال المولى أبو السعود ـ رحمه الله ـ: هي البينات التي أظهروها حجة على رسالاتهم ومرادهم بالكفر بها الكفر بدلالتها على صحة رسالاتهم ﴿وإنا لفي شك﴾ عظيم ﴿مما تدعوننا إليه﴾ من الإيمان بالله والتوحيد.

قال سعدي المفتي: المراد أما المؤمن به أو صحة الإيمان إذ لا معنى لشكهم في نفس الإيمان.

فإن قلت: الشك ينافي الجزم بالكفر بقولهم إنا كفرنا.

قلت: متعلق الكفر هو الكتب والشرائع التي أرسلوا بها ومتعلق الشك هو ما يدعونهم إليه من التوحيد مثلاً والشك في الثاني لا ينافي القطع في الأول. ﴿مريب﴾ موقع في الريبة وهي قلق النفس وعدم اطمئنانها بالشيء، وهي علامة الشر والسعادة [يعني كماني كه نفس را مضطرب ميسازد ودلرارا آم نمى دهد وعقل را شوريده كرداند] وهو صفة توكيدية لشك.

﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾.

﴿قالت رسلهم﴾ استئناف بياني، أي قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم الحمقاء ﴿أفي الله شك﴾ أي: أفي شأنه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوب الإيمان به وحده شك ما، وهو أظهر من كل ظاهر حتى تكونوا من قبله في شك مريب أي لا شك في الله، أدخلت همزة الانكار على الظرف لأن الكلام في المشكوك فيه لا في الشك إنما ندعوكم إلى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الأدلة وظهور دلالتها عليه وأشاروا إلى ذلك بقوله ﴿فاطر السموات والأرض﴾ صفة للاسم الجليل أي مبدعهما وما فيهما من المصنوعات فهما تدلان على كون فاطر فطرهما فإن كينونتهما بلا كون مكون واجب الكون محال لأنه يؤدي إلى التسلسل والتسلسل محال وذلك المكون هو الله تعالى [روزى امام أعظم رحمه الله در مسجد نشسته بود جماعتي اززنادقه در آمدند وقصد هلاك او كردند امام كفت يك سؤال را جواب دهيد بعد ازان تيغ ظلم را آب دهيد كفتند مسئله چيست كفت من سفينه‌ء ديدم پربار كران برروى دريا روان چنانكه هيج ملاحى محافظت نميكرد كفتند اين محالست زيراكه كشتى بي ملاح بريك نسق

رفتن محال باشد كفت سبحان الله سپر جملهء افلاك وكواكب ونظام عالم علوي وسفلي از سيريك سفينه عجب تراست همه ساكت كشتند وأكثر مسلمان شدند] ﴿يدعوكم﴾ إلى طاعته بالرسل والكتب ﴿ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ أي: بعضها وهو ما عدا المظالم وحقوق العباد مما بينهم وبينه تعالى فإن الإسلام يجبه أي يقطعه ومنع سيبويه زيادة من في الإيجاب وأجازه أبو عبيدة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿يدعوكم﴾ من المكونات إلى المكون لا لحاجته إليكم بل لحاجتكم إليه ﴿ليغفر لكم﴾ بصفة الغفارية ﴿من ذنوبكم﴾ التي أصابتكم من حجب ظلمات خلقية السموات والأرض فاحتجبتم بها عنه ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ إلى وقت سماه الله وجعله آخر أعماركم يبلغكموه إن آمنتم وإلا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت فهو مثل قوله عليه السلام «الصدقة تزيد في العمر» فلا يدل على تعدد الأجل كما هو مذهب أهل الاعتزال ﴿قالوا﴾ للرسل وهو استئناف بياني ﴿إن أنتم﴾ أي ما أنتم في الصورة والهيئات. ﴿إلا بشر﴾ آدميون ﴿مثلنا﴾ من غير فضل يؤهلكم لما تدعون من النبوة فلم تخصون بالنبوة دوننا، ولو شاء الله أن يرسل إلى البشر رسلاً لأرسل من جنس أفضل منهم وهم الملائكة على زعمهم من حيث عدم التدنس بالشهوات وما يتبعها ﴿تريدون﴾ بدعوى النبوة ﴿أن تصدونا﴾ تصرفونا بتخصيص العبادة بالله ﴿عما كان يعبد آباؤنا﴾ أي عن عبادة ما استمر آباؤنا على عبادته وهو الأصنام من غير شيء يوجبه وإن لم يكن الأمر كما قلنا بل كنتم رسلاً من جهة الله كما تدعونه ﴿فائتونا﴾ [پس بياريد] ﴿بسلطان مبين﴾ ببرهان ظاهر على صدقكم وفضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة حتى نترك ما لم نزل نعبده أبا عن جد، كأنهم لم يعتبروا ما جاءت به رسلهم من الحجج والبينات واقترحوا عليهم آية أخرى تعنتا ولجاجاً.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿قالت لهم رسلهم﴾ زاد لفظ لهم لاختصاص الكلام بهم حيث أريد الزامهم بخلاف ما سلف من إنكار وقوع الشك في الله فإن ذلك عام وإن اختص بهم ما يعقبه أي قالوا لهم معترفين بالبشرية ومشيرين إلى منة الله عليهم. ﴿إن﴾ ما ﴿نحن إلا بشر مثلكم﴾ كما تقولون لا ننكره ﴿ولكن الله يمن﴾ ينعم بالنبوة والوحي ﴿على من يشاء من عباده﴾ وفيه دلالة على أن النبوة عطائية كالسلطنة، لا كسبية كالولاية والوزارة ﴿وما كان﴾ وما صح وما استقام ﴿لنا أن نأتيكم بسلطان﴾ أي بحجة من الحجج فضلاً عن السلطان المبين بشيء من الأشياء، وسبب من الأسباب. ﴿إلا بإذن الله﴾ فإنه أمر يتعلق بمشيئة الله إن شاء كان وإلا فلا تلخيصه إنما نحن عبيد مربوبون.

ناتواني وعجز لازم ماست قدرت واختيار ازان خداست
كارهارا بحكم راست كند اوتواناست هرچه خواست كند

﴿وعلى الله﴾ دون ما عداه مطلقاً ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله فليتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم.

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

﴿ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿وما لنا﴾ أي: أيُّ عذر ثبت لنا ﴿أن لا نتوكل على الله﴾ أي في أن لا نتوكل عليه ﴿وقد هدانا سبلنا﴾ أي والحال أنه أرشد كلاً منا سبيله ومنهاجه الذي شرع له وأوجب عليه سلوكه في الدين وهو موجب للتوكل ومستدع له.

قال في «التأويلات»: وهي الإيمان والمعرفة والمحبة فإنها سبل الوصول ومقاماته انتهى وحيث كانت أذية الكفار مما يوجب الاضطراب القادح في التوكل قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا﴾ في أبداننا وأعراضنا أو بالتكذيب ورد الدعوة والإعراض عن الله والعناد واقتراح الآيات وغير ذلك مما لا خير فيه وهو جواب قسم محذوف ﴿وعلى الله﴾ خاصة ﴿فليتوكل المتوكلون﴾ أي فليثبت المتوكلون على ما أحدثوه من التوكل المسبب عن الإيمان فالأول لإحداث التوكل والثاني للثبات عليه فلا تكرار.

والتوكل تفويض الأمر إلى من يملك الأمور كلها وقالوا المتوكل من إن دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية الله فعلى هذا إذا وقع الإنسان في شدة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لأنه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله.

وفي «التأويلات النجمية» للتوكل مقامات، فتوكل المبتدىء قطع النظر عن الأسباب في طلب المرام ثقة بالمسبب وتوكل المتوسط قطع تعلق الأسباب بالمسبب وتوكل المنتهي قطع التعلق بما سوى الله للاعتصام بالله انتهى.

قال القشيري رحمه الله: ﴿وما لنا أن لا نتوكل على الله﴾ وقد حقق لنا ما سبق به الضمان من وجوه الإحسان وكفاية ما أظلنا من الامتحان ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا﴾ والصبر على البلاء يهون على رؤية المبلى وأنشدوا في معناه.

مر ما مر بي لأجلك حلو   وعذابي لأجل حبك عذب

قال الحافظ:

اكر بلطف بخواني مزيد الطافست   وكر بقهر براني درون ما صافست

قيل لما قدم الحلاج لتقطع يده فقطعت يده اليمنى أولاً ضحك، ثم قطعت اليسرى فضحك ضحكاً بليغاً، فخاف أن يصفر وجهه من نزف الدم فاكب بوجهه على الدم السائل ولطخ وجهه وبدنه وأنشأ يقول:

الله يعلم أن الروح قد تلفت   شوقاً إليك ولكني أمنيها
ونظرة منك يا سؤلي ويا أملي   أشهى إليّ من الدنيا وما فيها
يا قوم إني غريب في دياركمو   سلمت روحي إليكم فاحكموا فيها
لم أسلم النفس للأسقام تتلفها   إلا لعلمي بأن الوصل يحييها
نفس المحب على الآلام صابرة   لعل مسقمها يوماً يداويها

ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: يا مولاي إني غريب في عبادك وذكرك أغرب مني والغريب يألف الغريب ثم ناداه رجل: قال يا شيخ ما العشق؟ قال: ظهره ما ترى وباطنه دق عن الورى.

ومن لطائف هذه الآية الكريمة ما روى المستغفري عن أبي ذر رفعه إذا آذاك البرغوث فخذ قدحاً من ماء واقرأ عليه سبع مرات ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١٢] الآية ثم قل إن كنتم مؤمنين فكفوا شركم وأذاكم عنا ثم رشه حول فراشك فإنك تبيت آمنا من شرهم.

ولابن أبي الدنيا في التوكل له، أن عامل إفريقية كتب إلى عمر بن عبد العزيز يشكو إليه الهوام والعقارب فكتب إليه وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول وما لنا أن لا نتوكل على الله الآية.

قال زرعة بن عبد الله: أحد رواته وينفع من البراغيث كذا في «المقاصد الحسنة».

قال بعض العارفين: إن مما أخذ الله على الكلب إذا قرىء عليه ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨] لم يؤذ ومما أخذ الله على العقرب أنه إذا قرىء عليها ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الصافات: ٧٩] لم تؤذ ومما أخذ الله على البراغيث **﴿وما لنا أن لا نتوكل على الله﴾** الآية ومن أراد الأمن من شرها فليأخذ ماء ويقرأ عليه هذه الآية سبع مرات ثم ليقل سبع مرات إن كنتم آمنتم بالله فكفوا شركم عنا أيتها البراغيث ويرشه حول مرقده.

غنيمت شمارند مردان دعا كه چوشن بود پيش تيربلا

﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا﴾ من مدينتنا وديارنا **﴿أو لتعودن في ملتنا﴾** عاد بمعنى صار والظرف خبر أي لتصيرن في أهل ملتنا فإن الرسل لم يكونوا في ملتهم قط إلا أنهم لما لم يظهروا المخالفة لهم قبل الاصطفاء اعتقدوا أنهم على ملتهم فقالوا ما قالوا على سبيل التوهم أو بمعنى رجع والظرف صلة والخطاب لكل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد أي لتدخلن في ديننا وترجعن إلى ملتنا وهذا كله تعزية للنبي عليه السلام ليصبر على أذى المشركين كما صبر من قبله من الرسل **﴿فأوحى إليهم﴾** أي: إلى الرسل **﴿ربهم﴾** مالك أمرهم عند تناهي كفر الكفرة بحيث انقطع الرجاء عن إيمانهم، وقال: **﴿لنهلكن الظالمين﴾** أي المشركين فإن الشرك لظلم عظيم.

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾.

﴿ولنسكننكم الأرض﴾ أي أرض الظالمين وديارهم **﴿من بعدهم﴾** أي من بعد إهلاكهم عقوبة لهم على قولهم لنخرجنكم من أرضنا وفي الحديث «من آذى جاره ورثه الله داره» قال الزمخشري في «الكشاف» ولقد عاينت هذه في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي أنا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوماً إلى أبناء خالي يترددون فيها ويدخلون في داره ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول الله ﷺ: «من آذى جاره ورثه الله داره» وحدثتهم وسجدنا شكر الله تعالى. قال السعدي قدس سره:

تحمل كن أي ناتوان از قوى كه روزى توانا تر ازوى شوى

لب خشك مظلوم ركو بخند كه دندان ظالم بخواهند كند

﴿ذلك﴾ إشارة إلى الموجب به وهو إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ديارهم أي ذلك الأمر والوعد محقق ثابت **﴿لمن خاف﴾** الخوف غم يلحق لتوقع المكروه **﴿مقامي﴾** موقفي وهو موقف الحساب لأنه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة يقومون ثلاثمائة عام لا

يؤذن لهم فيقعدون أما المؤمنون فيهوّن عليهم كما يهوّن عليهم الصلاة المكتوبة ولهم كراسي يجلسون عليها ويظلل عليهم الغمام ويكون يوم القيامة عليهم ساعة من نهار.

قال في «التأويلات لنجمية» العوام يخافون دخول النار والمقام فيها والخواص يخافون فوات المقام في الجنة لأنها دار المقامة، وأخص الخواص يخافون فوات مقام الوصول ﴿وخاف وعيد﴾ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة أي وعيدي بالعذاب وعقابي. والمعنى أن ذلك حق لمن جمع بين الخوفين أي للمتقين كقوله: ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

﴿واستفتحوا﴾ معطوف على فأوحى والضمير للرسل أي استنصروا الله وسألوه الفتح والنصرة على أعدائهم أو للكفار ﴿وخاب كل جبار عنيد﴾ أي فنصروا عند استفتاحهم وظفروا بما سألوا وأفلحوا وخسر وهلك عند نزول العذاب قومهم المعاندون فالخيبة بمعنى مطلق الحرمان دون الحرمان من المطلوب وإن كان الاستفتاح من الكفرة فهي بمعنى الحرمان من المطلوب غب الطلب وهو أوقع حيث لم يحصل ما توقعوه لأنفسهم إلا لأعدائهم وهذا كمال الخيبة التي عدم نيل المطلوب وإنما قيل ﴿وخاب كل جبار عنيد﴾ ذماً لهم وتسجيلاً عليهم بالتجبر والعناد لا أن بعضهم ليسوا كذلك وأنه لم تصبهم الخيبة والجبار الذي يجبر الخلق على مراده والمتكبر عن طاعة الله والمتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله. والعنيد بمعنى المعاند الذي يأبى أن يقول لا إله إلا الله أو المجانب للحق المعادي لأهله.

وقال الكاشفي: [نوميد ماند وبى بهره كشت از خلاص هر كرد نكشى كه ستيزنده شود بحق يا معرض از طاعت او].

قال الإمام الدميري في «حياة الحيوان»: حكى الماوردي في كتاب «أدب الدنيا والدين» أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاءل يوماً في المصحف فخرج قوله تعالى: ﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد﴾ فمزق المصحف وأنشأ يقول:

أتوعد كل جبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

فلم يلبث أياماً حتى قتل شرّ قتلة وصلب رأسه على قصره ثم على سور بلده انتهى.

قال في «إنسان العيون»: مروان كان سبباً لقتل عثمان رضي الله عنه وعبد الملك ابنه كان سبباً لقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ووقع من الوليد بن يزيد بن عبد الملك الأمور الفظيعة انتهى.

يقول الفقير: رأى رسول الله ﷺ بني أمية في صورة القردة فلعنهم فقال: «ويل لبني أمية» ثلاث مرات ولم يجيء منهم الخير والصلاح إلا من أقل القليل وانتقلت دولتهم بمعاونة أبي مسلم الخراساني إلى آل العباس وقد رآهم رسول الله ﷺ يتعاورون منبره فسره ذلك وتفصيله في كتاب «السير والتواريخ».

﴿من ورائه جهنم﴾ هذا وصف حال كل جبار عنيد وهو في الدنيا أي بين يديه وقدامه فإنه معد لجهنم واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث إليها في الآخرة أو من وراء حياته وهو ما بعد الموت فيكون وراء بمعنى خلف كما قال الكاشفي: [ازپس او دورخست يعني در روز حشر رجوع أو بدان خواهد بود] وحقيقته ما تواري عنك واحتجب واستتر فليس من الأضداد بل هو موضع لأمر عام يصدق على كل من الضدين.

وقال المطرزي: في الوراء فعال ولامه همزة عند سيبويه وأبي علي الفارسي، وياء عند العامة وهو من ظروف المكان بمعنى خلف وقدام وقد يستعار للزمان. ﴿ويسقى﴾ عطف على مقدر جواباً عن سؤال سائل كأنه قيل فماذا يكون إذن، فقيل يلقى فيها ويسقى ﴿من ماء﴾ مخصوص لا كالمياه المعهودة ﴿صديد﴾ هو القيح المختلط بالدم أو ما يسيل من أجساد أهل النار وفروج الزناة وهو عطف بيان لماء أبهم أولاً ثم بين بالصديد تعظيماً وتهويلاً لأمره وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على أنه من أشد أنواعه أو صفة عند من لا يجيز عطف البيان في النكرات وهم البصريون فإطلاق الماء عليه لكونه بدله في جهنم ويجوز أن يكون الكلام من قبيل زيد أسد فالماء على حقيقته كما قال أبو الليث ويقال ماء كهيئة الصديد وفي الحديث: من فارق الدنيا وهو سكران دخل القبر سكران وبعث من قبره سكران وأمر به إلى النار سكران فيها عين يجري منها القيح والدم هو طعامهم وشرابهم ما دامت السماوات والأرض.

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾.

﴿يتجرعه﴾ استئناف بياني كأنه قيل فماذا يفعل به فقيل يتجرعه وفي التفعل تكلف ومعنى التكلف أن الفاعل يتعانى ذلك الفعل ليحصل بمعاناته كتشجع، إذ معناه استعمل الشجاعة وكلف نفسه إياها لتحصل فالمعنى. لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه يتكلف جرعه مرة بعد أخرى لا بمرة واحدة لمرارته وحرارته ورائحته المنتنة. ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ أي لا يقارب أن يسيغه ويبتلعه فضلاً عن الإساغة بل يغص به فيشربه باللتيا والتي، جرعة غب جرعة، فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش، وأخرى بشربه على تلك الحال فإن السوغ انحدار الشراب في الحلق بسهولة وقبول نفس، ونفيه لا يوجب نفي ما ذكر جميعاً وفي الحديث: «إنه يقرب إليه فيتكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شرب قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره» ﴿ويأتيه الموت﴾ أي: أسبابه من الشدائد والآلام ﴿من كل مكان﴾ ويحيط به من الجهات الست فالمراد بالمكان الجهة أو من كل مكان من جسده حتى من أصول شعره وإبهام رجله وهذا تفظيع لما يصيبه من الألم أي لو كان ثمة موت لكان واحد منها مهلكاً ﴿وما هو بميت﴾ أي والحال أنه ليس بميت حقيقة فيستريح ﴿ومن ورائه﴾ من بين يديه أي بعد الصديد.

وقال الكاشفي: [ودرپس اوست باوجود چنين محنتى كه] ﴿عذاب غليظ﴾ لا يعرف كنهه أي يستقبل كل وقت عذاباً أشد وأشق مما كان قبله ففيه رفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتبار كما في عذاب الدنيا.

وعن الفضيل هو قطع الأنفاس وحبسها على الأجساد ولذا جاء الصلب أشد أنواع العذاب نعوذ بالله. واستثنى من شدة العذاب عما النبي عليه السلام أبو لهب وأبو طالب.

أما أبو لهب فكان له جارية يقال لها ثويبة وهي أول من أرضعته عليه السلام بعد إرضاع أمه له فبشرته بولادته عليه السلام وقالت له أشعرت أن آمنة ولدت ولداً وفي لفظ غلاماً لأخيك عبد الله، فأعتقها أبو لهب وقال أنت حرة، فجوزي بتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بأن يسقى ماء في جهنم في تلك الليلة أي ليلة الاثنين في مثل النقرة التي بين السبابة والإبهام.

وفي «المواهب» رؤي أبو لهب بعد موته في المنام فقيل له ما حالك؟ قال في النار إلا أنه يخفف عني كل ليلة اثنين وامص من بين اصبعي هاتين ماء وأشار برأس أصبعيه وأن ذلك بإعتاقي لثويبة عند ما بشرتني بولادة النبي ﷺ بإرضاعها له كذا في «إنسان العيون».

وأما أبو طالب، فقال العباس رضي الله عنه: قلت يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك قال: «نعم هو في ضحضاح من النار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار» وفي الحديث: «إن الكافر يخفف عنه العذاب بالشفاعة» لعل هذا يكون مخصوصاً بأبي طالب كما في شرح المشارق لأبي الملك.

قال في «إنسان العيون» قبول شفاعته عليه السلام في عمه أبي طالب عدّ من خصائصه عليه السلام فلا يشكل بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨] وفي الحديث: «إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي كان في الجاهلية» يعني أخاه من الرضاعة من حليمة ويجوز أن يكون ذكر شفاعته لأبويه كان قبل إحيائهما وإيمانهما به وكذا لأخيه فإنه كان قبل أن يسلم وقد صح أن حليمة وأولادها أسلموا انتهى، الكل في «الإنسان» وفي الحديث: «يقال لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفدي به؟ فيقول نعم فيقال أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً فما أردت أن لا تشرك بي شيئاً» كما في «المصابيح».

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾

﴿مثل الذين كفروا بربهم﴾ أي: صفتهم وحالهم العجيبة الشأن التي هي كالمثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **﴿أعمالهم كرماد﴾** كقولك صفة زيد عرضه مهتوك وماله منهوب أو خبره محذوف أي فيما يتلى عليكم مثلهم، وقوله أعمالهم جملة مستأنفة مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد **﴿اشتدت به الريح﴾** الاشتداد هنا بمعنى العدو والباء للتعدية أي حملته وأسرعت في الذهاب به.

وقال الكاشفي: [همچو حا كنستريست كه سخت بكذر دبروباد] **﴿في يوم عاصف﴾** ريحه أي شديد قوي فحذفت الريح ووصف اليوم بالعصوف مجازاً كقولك يوم ماطر وليلة ساكنة وإنما السكون لريحها. **﴿لا يقدرون﴾** يوم القيامة **﴿مما كسبوا﴾** في الدنيا من أعمال الخير **﴿على شيء﴾** ما أي لا يرون له أثراً من ثواب وتخفيف عذاب كما لا يرون أثراً من الرماد المطير في الريح **﴿ذلك﴾** أي: ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم. يعني كفرهم وأعمالهم المبنية عليه وعلى التفاخر والرياء مع حسبانهم محسنين وهو جهل مركب وداء عضال حيث زين لهم سوء أعمالهم فلا يستغفرون منها ولا يتوبون بخلاف عصاة المؤمنين ولذا قال **﴿هو الضلال البعيد﴾** صاحبه عن طريق الحق والصواب بمراحل أو عن نيل الثواب فأسند البعد الذي هو من أحوال الضال إلى الضلال الذي هو فعله مجازاً مبالغة، شبه الله صنائع الكفار من الصدقة وصلة الرحم وعتق الرقاب وفك الأسير وإغاثة الملهوفين وعقر الإبل للأضياف ونحو ذلك مما هو من باب المكارم في حبوطها وذهابها هباء منثوراً لبنائها على غير أساس من معرفة الله والإيمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف [يعني مانند توده

خاكسرست كه بادسخت بران وزد بهوا برده در أطراف پرا كنده سازد وهيچ كس برجمع آن قادر نبود وازان نفع نكيرد] فكما لا ينتفع بذلك الرماد المطير كذلك لا ينتفع بالأعمال المقرونة بالكفر والشرك.

ففيه رد أعمال الكفار وأعمال أهل البدع والأهواء لاعتقادهم السوء فدل على أن الأعمال مبنية على الإيمان وهو على الاخلاص.

[كرنباشد نبيت خالص چه حاصل از عمل].

روى الطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام ـ رضي الله عنه ـ أي أخا أبي جهل بن هشام أتى النبي ﷺ يوم حجة الوداع فقال يا رسول الله إنك تحث على صلة الرحم والإحسان إلى الجار وإيواء اليتيم وإطعام الضيف وإطعام المسكين وكل هذا مما يفعله هشام يعني والده فما ظنك به يا رسول الله فقال عليه السلام: «كل قبر لا يشهد صاحبه أن لا إله إلا الله فهو جذوة من النار وقد وجدت عمي أبا طالب في طمطام من النار فأخرجه الله لمكانه مني وإحسانه إليّ فجعله في ضحضاح من النار» أي: مقدار ما يغطي قدميه وهذا مخصوص بأبي طالب كما سبق ـ حكي ـ أن عبد الله بن جدعان وهو ابن عم عائشة رضي الله عنها كان في ابتداء أمره صعلوكاً وكان مع ذلك شريراً فاتكاً يجني الجنايات فيعقل عنه أبوه وقومه حتى أبغضته عشيرته فخرج هائماً في شعاب مكة يتمنى الموت فرأى شقاً في جبل فلما قرب منه حمل عليه ثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراجين فلما تأخر انساب أي رجع عنه فلا زال كذلك حتى غلب على ظنه أن هذا مصنوع فقرب منه وأمسك بيده فإذا هو من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره ثم دخل المحل الذي كان هذا الثعبان على بابه فوجد فيه رجالاً من الملوك ووجد في ذلك المحل أموالاً كثيرة من الذهب والفضة وجواهر كثيرة من الياقوت واللؤلؤ والزبرجد فأخذ منه ما أخذ ثم اعلم ذلك الشق بعلامة وصار ينقل منه شيئاً فشيئاً ووجد في ذلك الكنز لوحاً من رخام فيه أنا نفيلة بن جرهم بن قحطان بن هود نبي الله عشت خمسمائة عام وقطعت غور الأرض ظاهرها وباطنها في طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك منجياً من الموت.

جهان أي پسر ملك جاود نيست ... زدنيا وفاداري اميد نيست
نه بر باد رفتي سحركاه وشام ... سرير سليمان عليه السلام
بآخر نديدي كه برباد رفت ... خنك آنكه بادانش وداد رفت

ثم بعث عبد الله بن جدعان إلى أبيه بالمال الذي دفعه في جناياته ووصل عشيرته كلهم فسادهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف، وكانت جفنته يأكل منها الراكب على البعير وسقط فيها صبي فغرق أي مات قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ينفعه ذلك يوم القيامة فقال «لا لأنه لم يقل يوماً يا رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين» أي لم يكن مسلماً لأنه ممن أدرك البعثة ولم يؤمن كما في «إنسان العيون» ـ روي ـ لما أتى عليه السلام بسبايا طيئ وقعت جارية في السبي فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلى عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإني بنت سيد قومي وإن أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط إني بنت حاتم طي فقال لها رسول الله ﷺ: «يا جارية هذه صفة المؤمنين

حقاً ولو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه وقال: خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق».

قال في «أنيس الوحدة»: وجليس الخلوة قيل لما عرج النبي عليه السلام اطلع على النار فرأى حظيرة فيها رجل لا تمسه النار فقال عليه السلام ما بال هذا الرجل في هذه الحظيرة لا تمسه النار فقال جبريل عليه السلام هذا حاتم طي صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده.

قال السعدي:

كنون بركف دست نه هرچه هست — كه فردا بدندان كزى پشت دست
مكردان غرب ازدرت بي نصيب — مباداكه كردى بدرها غريب
نه خواهندهٔ بر در ديكران — بشكران خواهنده از درمران
پريشان كن امروز كنجينه چست — كه فردا كليدش نه دردست تست

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿ألم تر﴾ خطاب لرسول الله ﷺ والمراد أمته بدليل يذهبكم والأمة أمة الدعوة والرؤية رؤية القلب.

وفي «التأويلات النجمية» يخاطب روح النبي ﷺ فإن أول ما خلق الله روحه ثم خلق السماوات والأرض وروحه ناظر مشاهد خلقتها، أي: ألم تعلم أو لم تنظر والاستفهام للتقرير أي قدر رأيت **﴿أن الله خلق السموات والأرض﴾** قال في «بحر العلوم» آثار فعل الله بالسموات والأرض وسعة الأخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة. **﴿بالحق﴾** ملتبسة بالحكمة البالغة والوجه الصحيح الذي ينبغي أن يخلق عليه لا باطلاً ولا عبثاً. **﴿إن يشأ يذهبكم﴾** يعدمكم بالكلية أيها الناس **﴿ويأت بخلق جديد﴾** أي يخلق بدلكم خلقاً آخر من جنسكم آدميين أو من غيره خيراً منكم وأطوع لله.

وفي «التأويلات النجمية» **﴿إن يشأ يذهبكم﴾** أيها الناس المستعد لقبول فيض اللطف والقهر **﴿ويأت بخلق جديد﴾** مستعد لقبول فيض لطفه وقهره من غير الإنسان انتهى.

رتب قدرته على ذلك على خلق السماوات والأرض على هذا النمط البديع إرشاداً إلى طريق الاستدلال فإن من قدر على خلق مثل هاتيك الأجرام العظيمة كان على تبديل خلق آخر بهم أقدر ولذلك قال:

﴿وما ذلك﴾ أي إذهابكم والإتيان بخلق جديد مكانكم **﴿على الله بعزيز﴾** بمتعذر أو متعسر، بل هو هين عليه يسير فإنه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

كار اكر مشكل اكر آسانست — همه درقدرت او يكسانست

ومن هذا شأنه حقيق بأن يؤمن به ويعبد ويرجى ثوابه ويخشى عقابه.

والآية تدل على كمال قدرته تعالى وصبوريته حيث لا يؤاخذ العصاة على العجلة.

وفي «صحيح البخاري ومسلم» عن أبي موسى «لا أحد اصبر على أذى سمعه من الله إنه يشرك به ويجعل له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم» ثم إن تأخير العقوبة يتضمن لحكم منها رجوع التائب وانقطاع حجة المصر.

فعلى العاقل أن يخشى الله تعالى على كل حال فإنه ذو القهر والكبرياء والجلال.

وعن جعفر الطيار ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت مع النبي ﷺ في طريق فاشتد علي العطش فعلمه النبي عليه السلام وكان حذاءنا جبل فقال عليه السلام: «بلغ مني السلام إلى هذا الجبل وقل له يسقيك إن كان فيه ماء» قال: فذهبت إليه وقلت السلام عليك أيها الجبل فقال الجبل بنطق لبيك يا رسول رسول الله فعرضت القصة فقال بلغ سلامي إلى رسول الله قل له منذ سمعت قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] بكيت بخوف أن أكون من الحجارة التي هي وقود النار بحيث لم يبق في ماء، ثم إن هذا التهديد في الآية إنما نشأ من الكفر والمعصية ولو كان مكانهما الإيمان والطاعة لحصل التبشير وكل منهما جار إلى يوم القيامة.

وعن إسماعيل المحاملي قال رأيت في المنام كأني على فضاء من الأرض انظر شرق الأرض وغربها وكأن شخصاً نزل من السماء فبسط يمينه وشماله إلى أطراف الأرض فجمع بكلتا يديه شيئاً من وجه الأرض ثم ضمهما إلى صدره وارتفع إلى السماء ثم نزل كذلك وفعل كالأول ثم نزل في المرة الثالثة وبسط يديه وهم بأن يجمع شيئاً ثم ترك وأرسل يديه ولم يأخذ. وهمّ بالصعود فقال ألا تسألني فقلت بلى من أنت قال أنا ملك أرسلني الله في المرة الأولى أن أخذ الخير والبركة عن وجه الأرض فأخذت، وفي الثانية أن أخذ الشفقة والرحمة، فأخذت وفي الثالثة أن آخذ الإيمان فنوديت أن محمداً يشفع إليّ وإني قد شفعته فلا أسلب الإيمان من أمته فاترك فتركت فصعد إلى السماء ويداه مرسلتان كذا في «زهرة الرياض» وعند قرب القيامة يسلب الله الإيمان والقرآن فيبقى الناس في صورة الآدميين دون سيرتهم ثم يذهبهم الله جميعاً ويظهر أن العزة والملك لله تعالى. قال الجامي:

باغير او اضافت شاهى بود چنانك   بريك دو چوب پاره ز شطرنج نام شاه

﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وبرزوا﴾ أي: بزر الموتى من قبورهم يوم القيامة إلى أرض المحشر أي يظهرون ويخرجون عند النفخة الثانية حين تنتهي مدة لبثهم في بطن الأرض، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] وإيثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه ﴿لله﴾ أي لأمر الله ومحاسبته فاللام تعليلية، وصلة برزوا محذوفة أي برزوا من القبور الموتى ﴿جميعاً﴾ أي جميعهم من المؤمنين والكافرين، كما في «تفسير الكاشفي» أو القادة والاتباع اجتمعوا للحشر والحساب وهذا كقوله ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧] كما في «تفسير أبي الليث» ﴿فقال الضعفاء﴾ الاتباع والعوام جمع ضعيف والضعف خلاف القوة، وقد يكون في النفس وفي البدن وفي الحال وفي الرأي والمناسب للمقام هو الأخير فإنه لو كان في رأيهم قوة لما اتبعوهم في تكذيب الرسل والإعراض عن نصائحهم.

يقول الفقير في هذه الشرطية نظر لأنه ربما يكون الرجل قوة رأي وجودة فكر مع إنه لا يستقل به لكونه ضعيف الحال خائفاً من سطوة المتغلبة من أهل الكفر والضلال فالأولى أن

يكون الضعيف بمعنى المستذل المقهور كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ [النساء: ٧٥] ﴿للذين استكبروا﴾ أي لرؤسائهم المستكبرين الخارجين عن طاعة الله ﴿إنا كنا﴾ في الدنيا ﴿لكم تبعاً﴾ جمع تابع كخدم جمع خادم وهو المستن بآثار من يتبعه أي تابعين في تكذيب الرسل والأعراض عن نصائحهم مطيعين لكم فيما أمرتمونا به. ﴿فهل أنتم﴾ [پس هيچ هستيد شما] ﴿مغنون﴾ دافعون ﴿عنا من عذاب الله من شيء﴾ من الأولى للبيان واقعة موقع الحال قدمت على صاحبها لكونه نكرة والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول أي بعض الشيء الذي هو عذاب الله والفاء للدلالة على سببية الاتباع للأغناء، والمراد التوبيخ والعتاب لأنهم كانوا يعلمون أنهم لا يغنون عنهم شيئاً مما هم فيه ﴿قالوا﴾ أي المستكبرون جواباً عن معاتبة الاتباع واعتذاراً عما فعلوا بهم يا قوم ﴿لو هدانا الله﴾ إلى الإيمان ووفقنا له ﴿لهديناكم﴾ ولكن ضللنا فأضللناكم أي اخترنا لكم ما اخترنا لأنفسنا.

وقال الكاشفي: [اكر خداي تعالى نمودى طريق نجات را از عذاب هر آيينه ما نيز شمرا راه مينموديم بدان أما طرق خلاصي مسدود است وشفاعت ما درين دركاه مردود].

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿قالوا﴾ يعني أهل البدع للمتقلدة ﴿لو هدانا الله﴾ إلى طريق أهل السنة والجماعة وهو الطريق إلى الله وقربته ﴿لهديناكم﴾ إليه وفيه إشارة إلى أن الهداية والضلالة من نتائج لطف الله وقهره ليس إلى أحد من ذلك شيء فمن شاء جعله مظهراً لصفات لطفه ومن شاء جعله مظهراً لصفات قهره. قال الحافظ:

درين چمن نكنم سر زنش بخودرويى چنانكه پرورشم ميدهند ميرويم

﴿سواء علينا أجزعنا﴾ في طلب النجاة من ورطة الهلاك والعذاب والجزع عدم الصبر على البلاء. ﴿أم صبرنا﴾ على ما لقينا انتظاراً للرحمة أي مستو علينا الجزع والصبر في عدم الانجاء ففيه إقناط الضعفاء، والهمزة وأم لتأكيد لتسوية ونحوه اصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان أن لا جدوى في ذلك فقالوا ﴿ما لنا من محيص﴾ من منجي ومهرب من العذاب. وبالفارسية [كريز كاهى وپناهى] من الحيص وهو العدول على جهة الفرار يقال حاص الحمار إذا عدل بالفرار.

وفي «التأويلات»: ﴿ما لنا من محيص﴾ من مخلص للنجاة لأنه ضاع منا آلة النجاة وأوانها ويجوز أن يكون قوله سواء علينا كلام الضعفاء والمستكبرين جميعاً ويؤيده أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر أي رجاء أن يرحمهم الله بصبرهم على العذاب كما رحم المؤمنين بصبرهم على الطاعات فيصبرون كذلك فلا ينفعهم [يعني ازهيچ يك فائده نمى رسد] فعند ذلك يقولون ذلك. قال السعدي قدس سره:

فراشو چو بيني در صلح باز كه ناكه درتوبه كردد فراز

توپيش از عقوبت در عفو كوب كه سودى ندارد دفغان زير چوب

كنون كردبايد عمل را حساب نه روزي كه منشور كردد كتاب

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿وقال الشيطان﴾ الذي أضل الضعفاء والمستكبرين ﴿لما قضي الأمر﴾ أي أحكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أو أمر أهل السعادة بالسعادة وأمر أهل الشقاوة بالشقاوة.

قال الكاشفي: [تمامت دوز خيان مجتمع شده زبان ملامت بر إبليس دراز كنند إبليس برمنبر آتشين برآيد وكويد باشقياء أنس كه اي ملامت كنندكان] ﴿إن الله وعدكم وعد الحق﴾ [وعده راست ودرست كه حشر وجزا خواهد بود] فوفى لكم بما وعدكم ﴿ووعدتكم﴾ أي وعد الباطل وهو أن لا بعث ولا حساب، ولئن كان، فالأصنام شفعاؤكم ولم يصرح ببطلانه لما دل عليه قوله ﴿فأخلفتكم﴾ أي موعدي على حذف المفعول الثاني أي نقضته والإخلاف حقيقة هو عدم انجاز من يقدر على إنجاز وعده وليس الشيطان كذلك فقوله أخلفتكم يكون مجازاً جعل تبين خلف وعده كالإخلاف منه كأنه كان قادراً على إنجازه وأني له ذلك [يعني امروز ظاهر شدكه من دروغ كفته بودم] ﴿وما كان لي عليكم من سلطان﴾ أي تسلط وقهر فالجئكم إلى الكفر والمعاصي.

قال في «بحر لعلوم» لقائل أن يقول: قول الشيطان هذا مخالف لقوله الله ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ [النحل: ١٠٠] فما حكم قول الشيطان أحق هو أم باطل على أنه لا طائل تحته في النطق بالباطل في ذلك المقام انتهى.

يقول الفقير: جوابه أن نفي السلطان بمعنى القهر والغلبة لا ينافي إثباته بمعنى الدعوة والتزيين فالشيطان ليس له سلطان بالمعنى الأول على المؤمنين والكافرين جميعاً وله ذلك بالمعنى الثاني على الكفار فقط كما دل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ [النحل: ١٠٠] وأما المؤمنون وهم أولياء الله فيتولون الله بالطاعة فهم خارجون عن دائرة الاتباع بوسوسته إذ هو يجري في عالم الصفات وهو عالم الأفعال، وأما عالم الذات فيخلص للمؤمن فأنى للشيطان سبيل إليه، ولو كان لآمن فافهم هداك الله ﴿إلا أن دعوتكم﴾ إلا دعائي إياكم إلى طاعتي بوسوسة وتزيين وهو ليس من جنس السلطان والولاية في الحقيقة ﴿فاستجبتم لي﴾ اجبتم لي طوعاً واختياراً ﴿فلا تلوموني﴾ فيما وعدتكم بالباطل لأني خلقت لهذا، ولأني عدو مبين لكم وقد حذركم الله عداوتي كما قال ﴿لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس: ٦٠] لا يفتننكم الشيطان ومن تجرد للعداوة لا يلام إذا دعا إلى أمر قبيح ﴿ولوموا أنفسكم﴾ يعني باختياركم المعصية وحبكم لها صدقتموني فيما كذبتكم وكذبتم الله فيما صدقكم، وذلك لأن مقالي كان ملائماً لهوى أنفسكم وكلام الحق مخالف لهواها ومر على مزاق النفوس، أي فأنتم أحق باللوم مني ﴿ما أنا بمصرخكم﴾ بمغيثكم مما أنتم فيه من العذاب ﴿وما أنتم بمصرخي﴾ مما أنا فيه يعني لا ينجي بعضنا بعضاً من عذاب الله والإصراخ الإغاثة، والمصرخ بالفارسية [فرياد رس] وإنما تعرض لذلك مع إنه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان عدم إصراخه إياهم وإيذاناً بأنه أيضاً مبتلي بمثل ما ابتلوا به ومحتاج إلى الإصراخ فكيف من إصراخ الغير ﴿إني كفرت﴾ اليوم ﴿بما أشركتمون﴾ بإشراككم إياي الله في الطاعة. وبالفارسية: [بانچه شريك مى كرديدمرا باخداي تعالى درفرمان برداری] ﴿من قبل﴾ أي قبل هذا اليوم أي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته [يعني بيزاز شدم از شرك شما].

قال في «الإرشاد» يعني أن إشراككم لي بالله هو الذي يعصمكم في نصرتي لكم بأن كان

لكم على حق حيث جعلتموني معبوداً، وكنت أودّ ذلك وأرغب فيه فاليوم كفرت بذلك ولم أحمده ولم أقبله منكم بل تبرأت منه ومنكم فلم يبقى بيني وبينكم علاقة ﴿إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ تتمة كلامه أو ابتداء كلام من الله تعالى، والظالمون هم الشيطان ومتبعوه من الإنس لأن الشيطان وضع الدعوة إلى الباطل في غير موضعها، وإنهم وضعوا الاتباع في غير موضعه وفي حكاية أمثاله لطف للسامعين وإيقاظ لهم حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم.

هركه نقص خويش راديد وشناخت   اندر استكمال خودده اسب تاخت

هركه آخر بين تر او مسعود تر   هركه آخور بين تر او مبعود تر

ثم أخبر عن حال المؤمنين ومآلهم بقوله.

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح والمدخلون هم الملائكة. ﴿جنات﴾ [در بهشتهاى كونا كون كه] ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ [ميرود اززير درختان جويها] ﴿خالدين فيها﴾ [درحالتى كه جاويدان باشندران] ﴿بإذن ربهم﴾ متعلق بادخل أي بأمره أو بتوفيقه وهدايته وفيه إشارة إلى أن الإنسان إذا خلي وطبعه لا يؤمن ولا يعمل الصالحات، والجنات، إن لم تكن العناية لا يبقى أحد في جنة القلب ساعة كما لم يبق آدم في الجنة خالداً كما في «التأويلات النجمية» ﴿تحيتهم فيها سلام﴾ التحية دعاء بالتعمير وإضافتها إلى الضمير من إضافة المصدر إلى المفعول أي تحييهم الملائكة في الجنات بالسلام من الآفات أو يحيي المؤمنون بعضهم بعضاً بالسلام والسلام تحية المؤمنين في الدنيا أيضاً.

وأصله صدر من أبينا آدم عليه السلام على ما روى وهب بن منبه أن آدم لما رأى ضياء نور نبينا ﷺ سأل الله عنه فقال هو نور النبي العربي محمد من أولادك، فالأنبياء كلهم تحت لوائه فاشتاق آدم إلى رؤيته فظهر نور النبي عليه السلام في أنملة مسبحة آدم فسلم عليه فرد الله سلامه من قبل النبي عليه السلام فمن هنا بقي السلام سنة لصدوره عن آدم وبقي رده فريضة لكونه عن الله تعالى. ونظيره ركعات الوتر فإنه عليه السلام لما أم الأنبياء في بيت المقدس أوصاه موسى عليه السلام أن يصلي له ركعة عند سدرة المنتهى قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ [السجدة: ٢٣] أي لقاء موسى ليلة المعراج فلما صلى ركعة ضم إليها ركعة أخرى لنفسه فلما صلاهما أوحى الله تعالى إليه أن صل ركعة أخرى، فلذلك صار وتداً كالمغرب فلما قام إليها ليصليها غشاه الله بالرحمة والنور فانحل يداه بلا اختيار منه فلذلك كان رفع اليد سنة وإليه أشار النبي عليه السلام بقوله: «إن الله زادكم صلاة ألا وهي الوتر»، وقيل لما صلى الركعة الثانية وقام إلى الثالثة رأى والديه في النار ففزع وانحل يداه ثم جمع قلبه فكبر وقال: «اللهم أنا نستعينك» الخ كما في «التقدمة شرح المقدمة» فما صلاه عليه السلام لنفسه صار سنة وما صلاه لموسى صار واجباً وما صلاه لله تعالى صار فريضة، ولما كان أصل هذه الصلاة وصية موسى أطلق عليها الواجب.

وقال الفقهاء: يقول في الوتر نويت صلاة الوتر للاختلاف في وجوبه.

﴿ألم تر﴾ ألم تشاهد بنور النبوة يا محمد كما في «التأويلات النجمية».

وقال الكاشفي: [آيا نديدي وندانستى أي بنده؛ بينا ودانا كه براي تفهيم شما] ﴿كيف ضرب الله مثلاً﴾ بين شبهها ووضعه في موضعه اللائق به وكيف في محل النصب بضرب لا بألم تر لما في كيف من معنى الاستفهام فلا يتقدم عليه عامله. ﴿كلمة طيبة﴾ منصوب بمضمر والجملة تفسير لقوله ﴿ضرب الله مثلاً﴾ كقولك. شرف الأمير زيداً كساه حلة وحمله على فرس أي جعل كلمة طيبة وهي كلمة التوحيد أي شهادة أن لا إله إلا الله ويدخل فيها كل كلمة حسنة كالقرآن والتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة إلى الإسلام ونحوها مما أعرب عن حق أو دعا إلى صلاح ﴿كشجرة طيبة﴾ أي حكم بأنها مثلها لا أنه تعالى صيرها مثلها قال عليه السلام: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمر لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل النمافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر» والحنظل بالفارسية [هندوانه؛ أبو جهل] ثم إن النخلة أكرم الأشجار على الله فإنها خلقت من فضلة طينة آدم وولدت تحتها مريم كما ورد في أحاديث «المقاصد الحسنة» ولذا جاء ثمرتها أحلى وأطيب من سائر الثمار. ﴿أصلها ثابت﴾ أي: أسفلها ذاهب بعروقه في الأرض متمكن فيها ﴿وفرعها﴾ أي: أعلاها ورأسها ﴿في السماء﴾ في جهة العلو.

﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿تؤتي أكلها﴾ تعطي ثمرها ﴿كل حين﴾ وقته الله لإثمارها وهي السنة الكاملة؛ لأن النخلة تثمر في كل سنة مرة ومدة اطلاعها إلى وقت صرامها ستة أشهر.

وقال بعضهم: كل حين أي ينتفع بها على الأحيان كلها، لأن ثمر النخل يؤكل أبداً ليلاً ونهاراً صيفاً وشتاء: وفي كل ساعة إما تمراً أو رطباً أو بسراً كذلك عمل المؤمن يصعد أول النهار وآخره لا ينقطع أبداً كصعود هذه الشجرة ولا يكون في كلمة الإخلاص زيادة ولا نقصان لكن يكون لها مدد وهو التوفيق بالطاعات في الأوقات كما يحصل النماء لهذه الشجرة بالتربية ﴿بإذن ربها﴾ بإرادة خالقها وتيسيره وتكوينه ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ [وميراند خداي تعالى مثلها را يعني بيان ميكند براي مردمان]. ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتفطنون بضرب الأمثال لأن في ضربها زيادة إفهام وتذكير فإنه تصوير للمعاني بصور المحسوسات. وفي الإنجيل سورة تسمى سورة الأمثال وهي في كلام الأنبياء والعلماء والحكماء كثيرة لا تحصى.

﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ هي كلمة الكفر ويدخل فيها كل كلمة قبيحة من الدعاء إلى الكفر وتكذيب الحق ونحوهما ﴿كشجرة خبيثة﴾ كمثل شجرة خبيثة أي صفتها كصفتها وهي الحنظل ويدخل فيها كل ما لا يطيب ثمرها من الكسوب وهو نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض، ويقال له اللبلاب، والعشقة والثوم قد يقال إنها من النجم لا الشجر والظاهر إنه من باب المشاكلة.

قال في «التبيان» وخبثها غاية مرورتها ومضرتها وكل ما خرج عن اعتداله فهو خبيث.

وقال الشيخ الغزالي رحمه الله: شبه العقل بشجرة طيبة والهوى بشجرة خبيثة فقال: ﴿ألم تر كيف﴾ الخ انتهى.

فالنفس الخبيثة الأمارة كالشجرة الخبيثة تتولد منها الكلمة الخبيثة وهي كلمة تتولد من خباثة النفس الخبيثة الظالمة لنفسها بسوء اعتقادها في ذات الله وصفاته، أو باكتساب المعاصي والظالمة لغيرها بالتعرض لعرضه أو ماله. ﴿اجتثت﴾ الجث القطع باستئصال أي اقتلعت جثتها وأخذت بالكلية. ﴿من فوق الأرض﴾ لكون عروقها قريبة منها. ﴿ما لها من قرار﴾ استقرار عليها. يقال قر الشيء قراراً نحو ثبت ثباتاً. قال الكاشفي: [نيست اورا ثبات واستحكام يعني نه بيخ دارد برزمين ونه شاخ درهوا]

نه بيخى كه آن باشد اورا مدار   نه شاخى كه كردد بدان سايه دار
كيا هيست افتاده بر روئ خاك   پريشان وبى حاصل وخورناك

[حق سبحانه وتعالى تشبيه كرد درخت ايما نراكه أصل آن در دل مؤمن ثابتست وأعمال أو بجانب أعلاي عليين مرتفع وثواب أو در هر زمان بدو واصل بدرخت خرماكه بيخ أو مستقراست درمنبت أو وفرع متوجه بجانب علو ونفع أو در هر وقت دهنده بخلق وتمثيل نمود كلمهٔ كفر وعبادت أصنام راكه دردل كافر مقلد بجهت عدم حجت وبرهان بران ثباتي ندارد وعملي كه نيز بمقصد قبول رسد ازو صادر نميشود بشجرهٔ حنظل كه نه اصل اورا قراريست ونه فرع اورا اعتباري]

نهال سايه ورى شرع ميوهٔ دارد   چنان لطيف كه برهيچ شاخسارى نيست
درخت زندقه شاخيست خشك وبى سايه   كه پيش هيچكسش هيچ اعتباري نيست

وفي «الكواشي» قالوا: شبه الإيمان بالشجرة لأن الشجرة لا بد لها من أصل ثابت وفرع قائم ورأس عال فكذا الايمان لا بد له من تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالأبدان.

وقال أبو الليث: المعرفة في قلب المؤمن العارف ثابتة بل هي أثبت من الشجرة في الأرض لأن الشجرة تقطع ومعرفة العارف لا يقدر أحد أن يخرجها من قلبه إلا المعرف الذي عرفه.

﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ هو كلمة التوحيد لأنها راسخة في قلب المؤمن كما قال الكاشفي [قول ثابت كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله اسكت كه خداي تعالى بران ثابت ميدارد مؤمنانرا]. ﴿في الحياة الدنيا﴾ أي: قبل الموت فإذا ابتلوا ثبتوا ولم يرجعوا عن دينهم ولو عذبوا أنواع العذاب كمن تقدمنا من الأنبياء والصالحين، مثل زكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين قتلهم أصحاب الأخدود والذين مشطت لحومهم بأمشاط الحديد.

قال سعدي المفتي: روي أن جرجيس كان من الحواريين علمه الله الاسم الذي يحيي به الموتى وكان بأرض الموصل جبار يعبد الصنم فدعاه جرجيس إلى عبادة الله وحده فأمر به فشد جلاه ويداه ودعا بأمشاط من الحديد فشرح بها صدره ويديه ثم صب عليه ماء الملح فصبره الله تعالى ثم دعا بمسامير من حديد فسمر بها عينيه وأذنيه فصبره الله تعالى عليه ثم دعا بحوض من نحاس فأوقد تحته حتى أبيض ثم ألقي فيه فجعله الله برداً وسلاماً ثم قطع أعضاءه إرباً إرباً فأحياه الله تعالى ودعاهم إلى الله تعالى ولم يؤمن الملك فأهلكه الله مع قومه بأن قلب المدينة

عليهم وجعل عاليها سافلها. وشمعون كان من زهاد النصارى وكان شجاعاً يحارب عبدة الأصنام من الروم ويدعوهم إلى الدين الحق، وكان يكسر بنفسه جنوداً مجندة واحتال عليه ملك الروم بأنواع من الحيل ولم يقدر عليه إلى أن خدع امرأته بمواعيد فسألته في وقت خلوة كيف يغلب عليه، فقال إن أشد بشعري في غير حال الطهارة فإني حينئذٍ لم أقدر على الحل فأحاطوا به في منامه وشدوه كذلك والقوه من قصر الملك فهلك.

وفي «نفائس المجالس» عمدوا إلى قتله بالأذية فدعا الله تعالى أن ينجيه من الأعداء فأنجاه الله تعالى فأخذ عمود البيت وخرّ عليهم السقف فهلكوا. ﴿**وفي الآخرة**﴾ أي: يثبتهم في القبر عند سؤال منكر ونكير وفي سائر المواطن والقبر من الآخرة فإنه أول منزل من منازل الآخرة. ﴿**ويضل الله الظالمين**﴾ أي يخلق الله في الكفرة والمشركين الضلال فلا يهديهم إلى الجواب بالصواب كما ضلوا في الدنيا ﴿**ويفعل الله ما يشاء**﴾ من تثبت أي خلق ثبات في بعض واضلال أي خلق ضلال في آخرين من غير اعتراض عليه.

وفي «التأويلات النجمية» يمكنهم في مقام الإيمان بملازمة كلمة لا إله إلا الله والسير في حقائقها في مدة بقائهم في الدنيا وبعد مفارقة البدن، يعني أن سير أصحاب الأعمال ينقطع عند مفارقة الروح عن البدن وسير أرباب الأحوال يثبت بتثبيت الله أرواحهم بأنوار الذكر وسيرهم في ملكوت السموات والأرض بل طيرهم في عالم الجبروت بأجنحة أنوار الذكر وهي جناحا النفي والإثبات فإن نفيهم بالله عما سواه وإثباتهم بالله في الله لا ينقطع أبد الآباد.

والآية: دليل على حقية سؤال القبر وعلى تنعيم المؤمنين في القبر فإن تثبيت الله عبده في القبر بالقول الثابت هو النعمة كل النعمة.

قال الفقيه أبو الليث قد تكلم العلماء في عذاب القبر.

قال بعضهم يجعل الروح في جسده كما كان في الدنيا ويجلس أي يأتيه ملكان أسودان أزرقان فظان غليظان أعينهما كالبرق الخاطف وأصواتها كالرعد القاصف معهما مرزبة فيقعدان الميت ويسألانه فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول المؤمن الله ربي والإسلام ديني ومحمد ﷺ نبي فذلك هو الثبات وأما الكافر والمنافق فيقول لا أدري فيضرب بتلك المرزبة فيصيح صيحة يسمعها ما بين الخافقين إلا الجن والإنس.

وقال بعضهم: يكون الروح بين جسده وكفنه.

وقال بعضهم: يدخل الروح في جسده إلى صدره وفي كل ذلك قد جاءت الآثار والصحيح أن يقر الإنسان بعذاب القبر ولا يشغل بكيفيته.

وفي «أسئلة الحكم»: الأرواح بعد الموت ليس لها نعيم ولا عذاب حسي جسماني لكن ذلك نعيم أو عذاب معنوي حتى تبعث أجسادها فترد إليها فتنعم عند ذلك حساً ومعنى.

ألا ترى إلى بشر الحافي رحمه الله لما رؤي في النوم قيل ما فعل الله بك قال غفر لي وأباح لي نصف الجنة يعني روحه منعمة بالجنة فإذا حشر ودخل الجنة ببدنه يكمل النعيم بالنصف الآخر، وهل عذاب القبر دائم أو ينقطع؟ فالجواب نوع دائم بدليل قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦] ونوع منقطع وهو بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه كما يعذب في النار مدة ثم يزول عنه العذاب وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار أو ثواب بحج أو قراءة تصل إليه من بعض أقاربه أو

غيرهم كما في «الفتح القريب» وفي الحديث: «اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرّد إلى أرذل العمل وأعوذ بك من فتنة الدجال وأعوذ بك من عذاب القبر»، وكان ﷺ إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبت فإنه الآن يسأل» ـ وروي ـ أن النبي ﷺ لما دفن ولده إبراهيم وقف على قبره فقال: «يا بني القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب إنا لله وإنا إليه راجعون يا بني قل الله ربي والإسلام ديني ورسول الله أبي» فبكت الصحابة منهم عمر رضي الله عنه حتى ارتفع صوته فالتفت إليه رسول الله فقال: «ما يبكيك يا عمر» فقال: يا رسول الله هذا ولدك وما بلغ الحلم ولا جرى عليه القلم ويحتاج إلى تلقين مثلك يلقنه التوحيد في مثل هذا الوقت، فما حال عمر وقد بلغ الحلم وجرى عليه القلم وليس له ملقن مثلك فبكى النبي عليه السلام وبكت الصحابة معه فنزل جبريل بقوله تعالى: ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾ فتلا النبي عليه السلام الآية فطابت الأنفس وسكنت القلوب وشكروا الله.

وقال بعضهم: الأنبياء والصبيان والملائكة لا يسألون وقد اختص نبينا ﷺ بسؤال أمته عنه بخلاف بقية الأنبياء وما ذاك إلا أن الأنبياء قبل نبينا كان الواحد منهم إذا أتى أمته وأبوا عليه اعتزلهم وعوجلوا بالعذاب، وأما نبينا عليه السلام فبعث رحمة بتأخير العذاب ولما أعطاه الله السيف دخل في دينه قوم مخافة من السيف فقيض الله فتاني القبر ليستخرجا بالسؤال ما كان في نفس الميت فيثبت المسلم ويزل المنافق.

وفي بعض الآثار: يتكرر السؤال في المجلس الواحد ثلاث مرات وفي بعضها أن المؤمن يسأل سبعة أيام والمنافق أربعين يوماً. ولا يسأل من مات يوم الجمعة وليلته من المؤمنين. وكذا في رجب وشعبان ورمضان وهو بعد العيد في مشيئته الله تعالى لكن الله تعالى هو أكرم الأكرمين فالظن على أنه لا يؤمر بالسؤال كما في «الواقعات المحمودية».

وفي كلام الحافظ السيوطي لم يثبت في التلقين حديث صحيح أو حسن بل حديثه ضعيف باتفاق جمهور المحدثين والحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال.

فعلى العاقل أن يموت قبل أن يموت ويحيى بالحياة الطيبة وذلك بظهور سر الحياة له بتربية مرشد كامل كما قال في «المثنوي»:

هين كه اسرافيل وقتند اوليا ... مرده را زيشان حياتست ونما
جانهاى مرده اندر كورتن ... برجهد زآوازشان اندر كفن
كويداين آواز زآواها جداست ... زنده كردن كار آواز خداست
ما بمرديم وبكلى كاستيم ... بانك حق آمد همه بر خاستيم
مطلق ان آواز خودازشه بود ... كرچه از حلقوم عبد الله بود
كفت اورامن زبان وچشم تو ... من حواس ومن رضا وخشم تو
روكه بي يسمع وبي يبصر توئى ... سر توئى چه جاي صاحب سر توئى
چون شدى من كان لله أزوله ... حق ترا باشدكه كان الله له
كه توئى كويم ترا كاهى منم ... هرچه كوئى آفتاب روشنم
هركجا تابم زمشكات دمى ... حل شد آنجا مشكلات عالمي
ظلمتي راكافتا بش برنداشت ... ازدم ما كردد آن ظلمت چو چاشت

وكما أن لأنفاس الأولياء بركة ويمنا للأحياء فكذا للأموات حين التلقين فإنه فرق بين تلقين الغافل الجاهل وبين تلقين المتيقظ العالم بالله نسأل الله تعالى أن يثبتنا وإياكم على الحق المبين إلى أن يأتي اليقين ويجعلنا من الصديقين الذين يتمكنون في مقام الأمن عند خوف أهل التلوين.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿ألم تر إلى الذين﴾ من رؤية البصر وهو تعجب لرسول الله ﷺ أي هل رأيت عجباً مثل هؤلاء. ﴿بدلوا﴾ غيروا ﴿نعمة الله﴾ على حذف المضاف. أي شكر نعمته ﴿كفراً﴾ بأن وضعوه مكانه أو بدلوا نفس النعمة كفراً فإنهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كأهل مكة خلقهم الله تعالى وأسكنهم حرمه وجعلهم قوّام بيته ووسع عليهم أبواب رزقه وشرفهم بمحمد ﷺ فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وأسروا وقتلوا يوم بدر فصاروا أذلاء مسلوبي النعمة.

وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية أما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين كأنهما يتأولان ما سيتلى من قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟﴾ [إبراهيم: ٣٠] الآية ﴿وأحلوا﴾ أنزلوا ﴿قومهم﴾ بإرشادهم إياهم إلى طريقة الشرك والضلال وعدم التعرض لحلولهم لدلالة الإحلال عليه إذ هو فرعه كقوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨] وأسند الإحلال وهو فعل الله إلى أكابرهم لأن سببه كفرهم وسبب كفرهم أمر أكابرهم إياهم بالكفر ﴿دار البوار﴾ أي: الهلاك.

﴿جهنم﴾ عطف بيان لها ﴿يصلونها﴾ حال منها أي داخلين فيها مقاسين لحرها يقال صلى النار صليا قاسي حرها كتصلاها ﴿وبئس القرار﴾ أي: بئس المقر جهنم.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَـٰلٌ ﴿٣١﴾﴾.

﴿وجعلوا﴾ عطف على أحلوا داخل معه في حكم التعجب أي جعلوا في اعتقادهم الباطل وزعمهم الفاسد. ﴿لله﴾ الفرد الأحد الذي لا شريك له في الأرض ولا في السماء. ﴿أنداداً﴾ أشباهاً في التسمية حيث سموا الأصنام آلهة أو في العبادة. ﴿ليضلوا﴾ قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا ﴿عن سبيله﴾ القويم الذي هو التوحيد ويوقعوهم في ورطة الكفر والضلال وليس الإضلال غرضاً حقيقياً لهم من اتخاذ الأنداد، ولكن لما كان نتيجة له كما كان الإكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجيء شبه بالغرض وأدخل اللام عليه بطريق الاستعارة التبعة ونسب الاضلال الذي هو فعل الله إليهم؛ لأنهم سبب الضلالة حيث يأمرون بها ويدعون إليها. ﴿قل﴾ تهديداً لأولئك الضالين المضلين ﴿تمتعوا﴾ انتفعوا بما أنتم عليه من الشهوات التي من جملتها كفران النعم العظام، واستتباع الناس في عبادة الأصنام. وبالفارسية: [بكذارانيد عمرهاى خود باازروها وعبادت بتان]. ﴿فإن مصيركم﴾ يوم القيامة ﴿إلى النار﴾ ليس إلا فلا بد لكم من تعاطي ما يوجب ذلك أو يقتضيه من أحوالكم والمصير مصدر صار

التامة بمعنى رجع وخبر إن هو قوله إلى النار.

دلت الآيتان على أمور:

الأول: أن الكفران سبب لزوال النعمة بالكلية كما أن الشكر سبب لزيادتها.

شكر نعمت نعمتت افزون كند   كفر نعمت از كفت بيرون كند

وفي حديث المعراج: «إن الله شكا من أمتي شكايات، الأولى: إني لم أكلفهم عمل الغد وهم يطلبون مني رزق الغد، والثانية: إني لا أدفع أرزاقهم إلى غيرهم وهم يدفعون عملهم إلى غيري، والثالثة: إنهم يأكلون رزقي ويشكرون غيري ويخونون معي ويصالحون خلقي. والرابعة أن العزة لي وأنا المعز وهم يطلبون العزة من سواي، والخامسة: أني خلقت النار لكل كافرٍ وهم يجتهدون أن يوقعوا أنفسهم فيها».

والثاني: أن القرين السوء يجرّ المرء إلى النار ويحله دار البوار فينبغي للمؤمن المخلص السني أن يجتنب عن صحبة أهل الكفر والنفاق والبدعة حتى لا يسرق طبعه من اعتقادهم السوء وعملهم السيىء ولهم كثرة في هذا الزمان وأكثرهم في زي المتصوفة.

أي فغان ازيارنا جنس أي فغان   همنشين نيك جوييد أي مهان

والثالث: أن جهنم دار القرار للأشرار وشدة حرها مما لا يوصف. وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن أهون أهل النار عذاباً رجل في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمقم» والأخمص بفتح الهمزة هو المتجافي من الرجل أي من بطنها عن الأرض والغليان شدة اضطراب الماء ونحوه على النار لشدة إيقادها. والمرجل بكسر الميم وفتح الجيم قدر معروف سواء كان من حديد أو نحاس أو حجارة أو خزف هذا هو الأصح. وقيل هو القدر من النحاس خاصة.

وفي الآية: إشارة إلى نعمة ألوهية وخالقية ورازقية عليهم بدلوها بالكفر والانكار والجحود وأحلوا أرواحهم وقلوبهم ونفوسهم وأبدانهم دار الهلاك وأنزلوا أبدانهم جهنم يصلونها وبئس القرار وهي غاية البعد عن الحضرة، والحرمان عن الجنان وأنزلوا نفوسهم الدركات وقلوبهم العمى والصمم والجهل وأرواحهم العلوية أسفل سافلين الطبيعة بتبديل نعم الأخلاق الملكية الحميدة بالأخلاق الشيطانية السبعية الذميمة، وجعلوا لله أنداداً من الهوى والدنيا وشهواتها ليضلوا الناس بالاستتباع عن طلب الحق تعالى والسير إليه على أقدام الشريعة والطريقة الموصل إلى الحقيقة قل تمتعوا بالشهوات الدنيا ونعيمها فإن مصيركم نار جهنم للأبدان ونار الحرمان للنفوس ونار الحسرة للقلوب ونار القطيعة للأرواح كما في «التأويلات النجمية».

﴿قل لعبادي الذي آمنوا﴾ قال بعض الحكماء: شرف الله عباده بهذه الياء وهي خير لهم من الدنيا وما فيها لأن فيها إضافة إلى نفسه والاضافة تدل على العتق لأن رجلاً لو قال لعبده يا ابن أو ولد لا يعتق ولو قال يا بني أو ولدي يعتق بالإضافة إلى نفسه كذلك إذا أضاف العباد إلى نفسه فيه دليل أن يعتقهم من النار ولا شرف فوق العبودية. قال الجامي:

كسوت خواجكى وخلعت شاهى چه كند   هركرا غاشيهٔ بند كيت بر دوشست

وكان سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي قدس سره يقول: الخلق يفرون من الحساب وأنا أطلبه فإن الله تعالى لو قال لي أثناء الحساب عبدي لكفاني شرفاً، والمقول هنا محذوف

دل عليه الجواب أي قل لهم أقيموا وأنفقوا ﴿يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم﴾ أي يداوموا على ذلك. وبالفارسية [بكو أي محمد ﷺ يعني أمركن مربند كان مراكه ايمان آورده اندبرين وجه كه نماز كزاريد ونفقه كنيد تاايشان بامرتونماز كزارند ونفقه دهند از آنچه عطاداده باايشان ازاموال] ويجوز أن يكون المقول يقيموا وينفقوا على أن يكونا بمعنى الأمر وإنما أخرجا عن صورة الخبر للدلالة على التحقق بمضمونهما والمسارعة إلى العمل بهما.

فإن قيل: لو كان كذلك لبقي إعرابه بالنون.

قلنا: يجوز أن يبنى على حذف النون لما كان بمعنى الأمر. ﴿سراً وعلانية﴾ منتصبان على المصدر من الأمر المقدر أي أنفقوا إنفاق سر وعلانية، أو على الحال أي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين أو على الظرف أي وقتي سر وعلانية.

والأحب في الإنفاق إخفاء المتطوع وإعلان الواجب وكذا الصلوات والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون إليها كما هو صنيع الكفرة. ﴿من قبل أن يأتي﴾ قال في «الإرشاد»: الظاهر أن من متعلقة بأنفقوا ﴿يوم﴾ وهو يوم القيامة ﴿لا بيع فيه﴾ فيبتاع المقصر ما يتلافى تقصيره به وتخصيص البيع بالذكر لاستلزام نفيه نفي الشراء ﴿ولا خلال﴾ ولا مخالة فيشفع له خليل والمراد المخالة بسبب ميل الطبع ورغبة النفس فلا يخالف قوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧] لأن الواقع فيما بينهم المخالة لله أو من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا انتفاع في بمبايعة ولا مخالة وإنما ينتفع فيه بالطاعة التي من جملتها إقامة الصلاة والانفاق لوجه الله تعالى، وادخار المال وترك إنفاقه إنما يقع غالباً للتجارات والمهاداة فحيث لا يمكن ذلك في الآخرة فلا وجه لادخاره إلى وقت الموت.

وفي الآية إشارة إلى الأعمال الباطنة القلبية كالإيمان وإلى الأعمال الظاهرة القالبية كإقامة الصلاة والانفاق.

قال أبو سعيد الخراساني قدس سره: خزائن الله في السماء وخزائنه في الأرض القلوب لأنه تعالى خلق قلب المؤمن بيت خزائنه، ثم أرسل ريحاً فهبت فيه فكنسته من الكفر والشرك والنفاق والغش ثم أنشأ سحابة فأمطرت فيه ثم أنبت شجرة فأثمرت الرضى والمحبة والشكر والصفوة والإخلاص والطاعة ثم طاب الظاهر بحسب طيب الباطن.

وعن مكحول الشامي رحمه الله: إذا تصدق المؤمن بصدقة ورضي عنه ربه تقول جهنم يا رب ائذن لي بالسجود شكراً لك فقد اعتقت أحداً من أمة محمد من عذابي ببركة صدقته لأني استحيي من محمد أن أعذب أمته مع أن طاعتك واجبة عليّ. قال المولى الجامي:

هرچه داري چون شكوفه برفشان زيراكه سنك

بهرميوه ميخور دهردم زدست سفله شاخ

والإشارة: ﴿قل لعبادي﴾ لا عباد الهوى. ﴿الذين آمنوا﴾ بنور العناية وعرفوا قدر نعمة الوهيتي ولم يبدلوها كفراً ﴿يقيموا الصلاة﴾ ليلازموا عتبة العبودية ويديموا العكوف على بساط القربة ويثبتوا في المناجاة والمكالمة. ﴿وينفقوا﴾ على الطالبين المريدين ﴿مما رزقناهم سراً﴾ من أسرار الألوهية ﴿وعلانية﴾ من أحكام العبودية في طريق الربوبية ﴿من قبل أن يأتي يوم﴾

وهو يوم مفارقة الأرواح عن الأبدان. ﴿لا بيع فيه﴾ أي لا يقدر على الانفاق بطريق طلب المعاوضة ﴿و لا خلال﴾ أي: ولا بطريق المخالّة من غير طلب العوض لأن آلة الانفاق خرجت من يده وبطل استعداد دعوة الخلق إلى الحق وتربيتهم بالتسليك والتزكية والتهذيب والتأديب كما في «التأويلات النجمية».

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿الله﴾ مبتدأ خبره ﴿الذي خلق السموات﴾ وما فيها من الأجرام العلوية ﴿والأرض﴾ وما فيها من أنواع المخلوقات وقدم السماوات لأنها بمنزلة الذكر من الأنثى ﴿وأنزل من السماء﴾ أي من السحاب فإن كل ما علاك سماء أو من الفلك فإن المطر منه يبتدىء إلى السحاب ومنه إلى الأرض على ما دلت عليه ظواهر النصوص.

يقول الفقير: هو الأرجح عندي؛ لأن الله تعالى زاد بيان نعمه على عباده فبين أولاً خلق السماوات والأرض ثم أشار إلى ما فيها من كليات المنافع لكنه قدم وأخر كتأخير تسخير الشمس والقمر ليدل على أن كلاً من هذه النعم نعمة على حدة، ولو أريد السحاب لم يوجد التقابل التام وأياً ما كان فمن ابتدائية. ﴿ماء﴾ أي نوعاً منه وهو المطر ﴿فأخرج به﴾ أي بسبب ذلك الماء الذي أودع فيه القوة الفاعلية، كما أنه أودع في الأرض القوة القابلية ﴿من الثمرات﴾ من أنواع الثمرات ﴿رزقاً لكم﴾ تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل للمطعوم والملبوس مفعول لأخرج ومن للتبيين حال منه ولكم صفة كقولك أنفقت من الدراهم ألفاً أو للتبعيض بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٢٧] كأنه قيل انزل من السماء بعض الماء فأخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم إذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا أخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق ثمراً وكان أحب الفواكه إلى نبينا عليه السلام الرطب والبطيخ، وكان يأكل البطيخ بالرطب ويقول «يكسر حر هذا ببرد هذا وبرد هذا بِحَرِ هذا» فإن الرطب حار رطب والبطيخ بارد رطب كما في «شرح المصابيح» وفي الحديث: «من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر» قوله: تصبح، أي: أكل وقت الصباح قبل أن يأكل شيئاً آخر وعجوة عطف بيان لسبع تمرات وهي ضرب من أجود التمر في المدينة يضرب إلى السواد يحتمل أن يكون هذه الخاصية في ذلك النوع من التمر ويحتمل أن يكون بدعائه له حين قالوا أحرق بطوننا تمر المدينة، وفي الحديث: «كلوا التمر على الريق فإنه يقتل الديدان في البطن» وكان عليه السلام يأخذ عنقود العنب بيده اليسرى ويتناول حبة حبة بيده اليمنى كذا في «الطب النبوي» وفي البطيخ والرمان قطرة من ماء الجنة. وروي عن علي كلوا الرمان فليس منه حبة تقع في المعدة إلا أنارت القلب وأخرست الشيطان أربعين يوماً.

وقال جعفر بن محمد ريح الملائكة ريح الورد وريح الأنبياء ريح السفر جل وريح الحور ريح الآس: ﴿وسخر لكم الفلك﴾ بأن أقدركم على صنعتها واستعمالها بما ألهمكم كيفية ذلك ﴿لتجري﴾ أي الفلك لأنه جمع فلك ﴿في البحر﴾ [دردريا] ﴿بأمره﴾ بإرادته إلى حيث توجهتم وانطوى في تسخير الفلك تسخير البخار وتسخير الرياح.

قال في شرح «حزب البحر»: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمرو بن العاص صف لي البحر فقال يا أمير المؤمنين مخلوق عظيم يركبه خلق ضعيف دود على عود.

وفي «أنوار المشارق» يجوز ركوب البحر للرجال والنساء عند غلبة السلامة كذا قال الجمهور. وكره ركوبه للنساء لأن الستر فيه لا يمكنهن غالباً، ولا غض البصر عن المتصرفين فيه ولا يؤمن انكشاف عوراتهن في تصرفهن لا سيما فيما صغر من السفن مع ضرورتهن إلى قضاء الحاجة بحضرة الرجال. ﴿وسخر لكم الأنهار﴾ أي المياه العظيمة الجارية في الأنهار العظام وتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجنانهم وما أشبه ذلك.

قال في «بحر العلوم» اللام فيها للجنس أو للعهد أشير بها إلى خمسة أنهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهري العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وسخرها للناس وجعل فيها منافع لهم في أصناف معاشهم وسائر الأنهار تبع لها وكأنها أصولها.

﴿وسخر لكم الشمس والقمر﴾ حال كونهما ﴿دائبين﴾ قال في «تهذيب المصادر» الدأب [دائم شدن] فالمعنى دائمين متصلين في سيرهما لا ينقطعان إلى يوم القيامة.

وقال في «القاموس» دأب في عمله كمنع دأبا ويحرك ودؤوباً بالضم جد وتعب. فالمعنى مجدين في سيرهما وإنارتهما ودرئهما الظلمات وإصلاحهما يصلحان الأرض والأبدان والنبات لا يفتران أصلاً ويفضل الشمس على القمر لأن الشمس معدن الأنوار الفلكية من البدور والنجوم وأصلها في النورانية وأن أنوارهم مقتبسة من نور الشمس على قدر تقابلهم وصفوة إجرامهم. ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ يتعاقبان بالزيادة والنقصان والإضاءة والإظلام والحركة والسكون فيهما أي لمعاشكم ومنامكم ولعقد الثمار وإنضاجها. واختلفوا في الليل والنهار أيهما أفضل.

قال بعضهم قدم الليل على النهار لأن الليل لخدمة المولى والنهار لخدمة الخلق ومعارج الأنبياء عليهم السلام كانت بالليل ولذا قال الامام النيسابوري الليل أفضل من النهار.

يقول الفقير: الليل محل السكون ففيه سر الذات وله المرتبة العليا والنهار محل الحركة ففيه سر الصفات، وله الفضيلة العظمى وأول المراتب وآخرها السكون كما أشار إليه قوله تعالى في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق» فالخلق يقتضي الحركة المعنوية وما كان قبل الحركة والخلق إلا سكون محض وذات بحت فافهم. وسيد الأيام يوم الجمعة وإذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة تضاعف الحج لسبعين حجة على غيره وبهذا ظهر فضل يوم الجمعة على يوم عرفة. وأفضل الليالي ليلة المولد المحمدي لولاه ما نزل القرآن ولا نعتت ليلة القدر وهو الأصح.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾ أي: أعطاكم مصلحة لكم بعض جميع ما سألتموه فإن الموجود من كل صنف بعض ما قدره الله وهذا كقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ

﴿فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾ [الإسراء: ١٨] فمن للتبعيض أو كل ما سألتموه على أن من للبيان وكلمة كل للتكثير، كقولك: فلان يعلم كل شيء وأتاه كل الناس وعليه قوله تعالى: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤].

قال الكاشفي: [وبداد شمارا أزهر چه خواستيد يعني آنچه محتاج إليه شمابود خواسته وناخواسته بشماارزاني داشت] ﴿وإن تعدوا نعمة الله﴾ التي أنعم بها عليكم بسؤال وبغيره. ﴿لا تحصوها﴾ لا تطيقوا حصرها وعدها ولو إجمالاً لكثرتها وعدم نهايتها.

وفيه دليل على أن المفرد يفيد الاستغراق بالإضافة وأصل الإحصاء أن الحساب كان إذا بلغ عقداً معيناً من عقود الأعداد وضعت له حصاة ليحفظ بها ثم استؤنف العدد. والمعنى لا توجد له غاية فتوضع له حصاة والنعم على قسمين نعمة المنافع لصحة البدن والأمن والعافية والتلذذ بالمطاعم والمشارب والملابس والمناكح والأموال والأولاد ونعمة دفع المضار من الأمراض والشدائد والفقر والبلاء، وأجل النعم استواء الخلقة وإلهام المعرفة [سلمى قدس سره فرمودكه مراد ازين نعمت حضرت پيغمبر ما ست ﷺ كه سفر بزر كر وواسطهٔ نزديكترميان حق وخلق اوست وفي نفس الأمر حصر صفات كمال وشرح أنوار جمال اواز دائرهٔ تصور وتخيل بيرون وازاندازهٔ تأمل وتفرك افزونست]

بـر ذروهٔ مـعـارج قـدر رفـيـع تـو نى عقـل راه يابد ونى فـهـم پى پرد

﴿إن الإنسان لظلوم﴾ لبليغ في الظلم يظلم النعمة بإغفال شكرها أو بوضعها في غير موضعها أو يظلم نفسه بتعريضها للحرمان. ﴿كفار﴾ شديد الكفران لها، أو ظلوم في الشدة يشكو ويجزع، كفار في النعمة يجمع ويمنع. واللام في الإنسان للجنس ومصداق الحكم بالظلم والكفران بعض من وجد فيه من أفراده كما في «الإرشاد» ـ روي ـ أنه شكا بعض الفقراء إلى واحد من السلف فقره وأظهر شدة اهتمامه به فقال أيسرّك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم، فقال لا فقال أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألف درهم فقال: لا فقال أيسرّك جعل الله أنك مجنون ولك عشرة آلاف قال: لا، فقال أما تستحيي إنك تشكو مولاك وعندك عروض بأربعين ألف.

ودخل ابن السماك على بعض الخلفاء وفي يده كوز ماء وهو يشربه، فقال: عظني فقال لو لم تعط هذه الشربة إلا ببذل جميع أموالك وإلا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه؟ قال نعم قال ولو لم تعط إلا بملكك كله فهل كنت تتركه؟ قال: نعم، فقال لا، تفرح بملك لا يساوي شربة ماء وإن نعمة على العبد في شربة ماء عند العطش أعظم من ملك الأرض كلها بل كل نفس لا يستوي بملك الأرض كلها فلو أخذ لحظة حتى انقطع الهواء عنه مات ولو حبس في بيت حمام فيه هواء حار أو في بئر فيه هواء ثقيل برطوبة الماء مات غماً ففي كل ذرة من بدنه نعم لا تحصى.

نـعـمـت حق شـمـار وشـكـر كـذار نـعـتـش را اكـرچـه نـيـسـت شـمـار
شـكـر بـاشـد كـلـيـد كـنـج مـزيـد كـنـج خـوهـى مـنـه ز دست كـلـيـد

والإشارة ﴿الله الذي خلق السموات﴾ سموات القلوب ﴿والأرض﴾ أرض النفوس ﴿وأنزل من السماء﴾ من سماء القلوب ﴿ماء﴾ ماء الحكمة ﴿فأخرج به من الثمرات﴾ من ثمرات الطاعات ﴿رزقاً﴾ لأرواحكم فإن الطاعات غذاء الأرواح كما أن الطعام غذاء الأبدان

﴿وسخر لكم الفلك﴾ فلك الشريعة ﴿لتجري في البحر﴾ في بحر الطريقة ﴿بأمره﴾ بأمر الحق لا بأمر الهوى والطبع لأن استعمال فلك الشريعة إذا كان بأمر الهوى والطبع سريعاً ينكسر ويغرق ولا يبلغ ساحل الحقيقة إلا بأمر أولي الأمر وملاحيه وهو الشيخ الواصل الكامل المكمل كما قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] وقال النبي عليه السلام: «من أطاع أميري فقد أطاعني ومن أطاعني فقد أطاع الله» وكم من سفن لأرباب الطلب لما شرعت في هذا البحر بالطبع انكسرت بنكباء الأهواء وتلاطم أمواج الغرة وانقطعت دون ساحلها ﴿وسخر لكم الأنهار﴾ أنهار العلوم اللدنية ﴿وسخر لكم الشمس﴾ شمس الكشوف ﴿والقمر﴾ قمر المشاهدات ﴿دائبين﴾ بالكشف والمشاهدة ﴿وسخر لكم الليل﴾ ليل البشرية ﴿والنهار﴾ نهار الروحانية وتسخير هذه الأشياء عبارة عن جعلها سبباً لاستكمال استعداد الانسان في قبول الفيض الإلهي المختص به من بين سائر المخلوقات وفي قوله. ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾ إشارة إلى أنه تعالى أعطى الإنسان في الأزل حسن استعداد استدعى منه لقبول الفيض الإلهي وهو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤] ثم للابتلاء رده إلى أسفل سافلين ثم آتاه من كل ما سأله من الأسباب التي تخرجه من أسفل سافلين وتصعده إلى أعلى عليين، فإذا أمعنت النظر في هذه الآيات رأيت أن العالم بما فيه خلق تبعاً لوجود الإنسان وسبباً لكماليته كما أن الشجرة خلقت تبعاً لوجود الثمرة وسبباً لكماليتها فالإنسان البالغ الكامل الواصل ثمرة شجرة المكونات فافهم جداً ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ لأن نعمته على الإنسان قسمان قسم يتعلق بالمخلوقات كلها وقد بينا أنها خلقت لاستكمال الإنسان وهذه النعمة لا يحصى عدها لأن فوائدها عائدة إلى الإنسان إلى الأبد وهي غير متناهية فلا يحصى عدها وقسم يتعلق بعواطف الوهيته وعوارف ربوبيته فهي أيضاً غير متناهية ﴿إن الإنسان لظلوم﴾ لنفسه بأن يفسد هذا الاستعداد الكامل بالاعراض عن الحق والاقبال على الباطل. ﴿كفار﴾ لأنعم الله إذ لم يعرف قدرها ولم يشكر لها وجعلها نقمة لنفسه بعد ما كانت نعمة من ربه كما في «التأويلات النجمية».

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وإذ قال إبراهيم﴾ واذكر وقت قول إبراهيم في مناجاته أي بعد الفراغ من بناء البيت ﴿رب اجعل هذا البلد﴾ [اين شهر مكه را] ﴿آمناً﴾ أهله بحيث لا يخاف فيه من المخاوف والمكاره كالقتل والغارة والأمراض المنفرة من البرص والجذام ونحوهما فإسناد الأمن إلى البلد مجاز لوقوع الأمن فيه وإنما الآمن في الحقيقة أهل البلد ﴿واجنبني وبني﴾ يقال جنبه كنصره وأجنبته وجنبته أي أبعدته. والمعنى بعدني وإياهم ﴿أن نعبد الأصنام﴾ واجعلنا منه في جانب بعيد، أي ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الإسلام والبعد عن عبادة الأصنام.

قال بعضهم: رأى القوم يعبدون الأصنام فخاف على بنيه فدعا.

يقول الفقير: الجمهور على أن العرب من عهد إبراهيم استمرت على دينه من رفض عبادة الأصنام إلى زمن عمرو بن لحي كبير خزاعة فهو أول من غير دين إبراهيم وشرع للعرب الضلالات وهو أول من نصب الأوثان في الكعبة وعبدها، وأمر الناس بعبادتها وقد كان أكثر الناس في الأرض المقدسة عبدة الأصنام وكان إبراهيم يعرفه فخاف سرايته إلى كل بلد فيه

واحد من أولاده فدعا فعصم أولاده الصلبية من ذلك، وهي المرادة من قوله: ﴿وبني﴾ فإنه لم يعبد أحد منهم الصنم لاهي وأحفاده وجميع ذريته وذلك لأن قريشاً مع كونهم من أولاد إسماعيل عبادتهم الأصنام مشهورة وأما قوله تعالى في حم الزخرف: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٨] فالصحيح أن هذا لا يستلزم تباعد جميع الأحفاد عن عبادة الأصنام بل يكفي في بقاء كلمة التوحيد في عقبه أن لا ينقرض قرن ولا ينقضي زمان إلا وفي ذريته من هو من أهل التوحيد قلوا أو كثروا إلى زمان نبينا ﷺ وقد اشتهر في كتب السير أن بعض آحاد العرب لم يعبد الصنم قط ويدل عليه قوله عليه السلام: «لا تسبوا مضر فإنه كان على ملة إبراهيم» هذا ما لاح لي من التحقيق ومن الله التوفيق. وإنما جمع الأصنام ليشتمل على كل صنم عبد من دون الله لأن الجمع المعرف باللام يشمل كل واحد من الأفراد كالمفرد باتفاق جمهور أئمة التفسير والأصول والنحو، أي وأجنبنا أن نعبد أحداً مما سمي بالصنم كما في «بحر العلوم» وخصصها الامام الغزالي بالحجرين أي الذهب والفضة إذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى فيها أن تعتقد الإلهية في شيء من الحجارة فاستعاذ إبراهيم من الاغترار بمتاع الدنيا.

يقول الفقير: الظاهر أن الامام الغزالي خصص الحجرين بالذكر بناء على أنهما أعظم ما يضل الناس وقد شبه رسول الله ﷺ طلاب الدراهم والدنانير بعبدة الحجارة فقال: «تعس عبد الدراهم تعس عبد الدنانير» وإلا فكل ما هو من قبيل الهوى فهو صنم ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] ولذا قال في «التأويلات النجمية». صنم النفس الدنيا. وصنم القلب العقبى. وصنم الروح الدرجات العلى. وصنم السر عرفان القربات. وصنم الخفي الركون إلى المكاشفات والمشاهدات وأنواع الكرامات فلا بد من الفناء عن الكل.

سالك پاك رو نخوانندش آنكه ازما سوى منزه نيست

قال شيخي وسندي روّح الله روحه في بعض المجالس، معي أهل الدنيا كثير وأهل العقبى قليل، وأهل المولى أقل من القليل وذلك كالسلاطين والملوك فإنهم بالنسبة إلى الوزراء أقل وهم بالنسبة إلى سائر أرباب الجاه كذلك، وهم بالنسبة إلى الرعية كذلك فالرعايا كثيرون وأقل منهم أرباب الجاه وأقل منهم الوزراء وأقل منهم السلاطين فلا بد من ترك الأصنام مطلقاً وأعظم الحجب والأصنام الوجود المعبر عنه بالفارسية.

هستى بودو جود مغربي لات ومنات أو بود نيست بتى چو بود او درهمه سو منات تو

وفي الآية: دليل على أن عصمة الأنبياء بتوفيق الله تعالى وحقيقة العصمة أن لا يخلق الله تعالى في العبد ذنباً مع بقاء قدرته واختياره ولهذا قال الشيخ أبو منصور: العصمة لا تزيل المحنة أي التكليف فينبغي للمؤمن أن لا يأمن على إيمانه وينبغي أن يكون متضرعاً إلى الله ليثبته على الإيمان كما سأل إبراهيم لنفسه ولبنيه الثبات على الإيمان ـ وروي ـ عن يحيى بن معاذ أنه كان يقول: اللهم أن جميع سروري بهذا الايمان وأخاف أن تنزعه مني فما دام هذا الخوف معي رجوت أن لا تنزعه مني.

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿رب﴾ [اي پرورد كار من] **﴿إنهن﴾** أي: الأصنام **﴿أضللن كثيراً من الناس﴾** ولذلك سألت منك أن تعصمني وبني من إضلالهن، واستعذت بك منه، يقول: بهن ضل كثير من الناس، فكان الأصنام سبباً لضلالتهم فنسب الاضلال إليهن وإن لم يكن منهن عمل في الحقيقة كقوله تعالى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠] أي اغتروا بسببها وقال بعضهم كان الاضلال منهن لأن الشياطين كانت تدخل أجواف الأصنام وتتكلم ـ كما حكي ـ أن واحداً من الشياطين دخل جوف صنم أبي جهل فأخذ يتحرك ويتكلم في حق النبي عليه السلام كلمات قبيحة فأمر الله واحداً من الجن فقتل ذلك الشيطان ثم لما كان الغد واجتمع الناس حول ذلك الصنم أخذ يتحرك ويقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وأنا صنم لا ينفع ولا يضر ويل لمن عبدني من دون الله فلما سمعوا ذلك قام أبو جهل وكسر صنمه وقال إن محمداً سحر الأصنام.
قال الكمال الخجندي قدس سره:

بشكن بت غرور كه دردين عاشقان   يك بت كه بشكنند به ازصد عبادتست

﴿فمن﴾ [هركس كه] **﴿تبعني﴾** منهم فيما ادعوا إليه من التوحيد وملة الإسلام **﴿فإنه مني﴾** من تبعيضية فالكلام على التشبيه أي كبعضي في عدم الانفكاك عني، وكذلك قوله: «من غشنا فليس منا» أي ليس بعض المؤمنين على أن الغش ليس من أفعالهم وأوصافهم **﴿ومن عصاني﴾** أي لم يتبعني فإنه في مقابلة تبعني كتفسير الكفر في مقابلة الشكر بترك الشكر. **﴿فإنك غفور رحيم﴾** قادر على أن تغفر له وترحمه ابتداء وبعد توبته.

وفي دليل على أن كل ذنب فللّه تعالى أن يغفره حتى الشرك إلا أن الوعيد فرق بينه وبين غيره فالشرك لا يغفر بدليل السمع وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١١٦] وإن جاز غفرانه عقلاً فإن العقاب حقه تعالى فيحسن إسقاطه مع أن فيه نفعاً للعبد من غير ضرر لأحد وهو مذهب الأشعري.

وفي «التأويلات النجمية» قد حفظ الأدب فيما قال ومن عصاني وما قال ومن عصاك لأنه بعصيان الله لا يستحق المغفرة والرحمة والإشارة فيه أن من عصاني لعلي لا أغفر له ولا أرحم عليه فإن المكافاة في الطبيعة واجبة ولكن من عصاني فتغفر له وترحم عليه فيكون من غاية كرمك وعواطف إحسانك فإنك غفور رحيم وفي الحديث: «ينادي مناد من تحت العرش يوم القيامة يا أمة محمد أمّا ما كان لي من قبلكم فقد وهبت لكم» [يعني كناهى كه درميان من وشماست بخشيدم] «وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي» والتبعات جمع تبعة بكسر الباء ما اتبع به من الحق.

وذكر أن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله قال إلهي إن كان ثوابك للمطيعين فرحمتك للمذنبين إني وإن كنت لست بمطيع فارجو ثوابك وأنا من المذنبين فارجو رحمتك.

نصيب ماست بهشت اي خداشناش برو   كه مستحق كرامت كنا هكارانند

﴿ربنا﴾ [اي پرورد كارما] والجمع لأن الآية متعلقة بذريته فالتعرض لوصف ربوبيته تعالى لهم أدخل في القبول **﴿إني أسكنت من ذريتي﴾** أي بعض ذريتي وهم إسماعيل ومن ولد منه فإن اسكانه متضمن لإسكانهم. ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧] هو وادي مكة فإنها حجرية لا تنبت أي لا يكون فيها شيء من زرع قط كقوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨] بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج وما فيه إلا الاستقامة لا غير.

وفي «تفسير الشيخ» لأنها: واد بين جبلين لم يكن بها ماء ولا حرث.

وفي «بحر العلوم» وأما في زماننا فقد رزق الله أهله ماء جارياً ﴿عند بيتك المحرم﴾ ظرف لأسكنت كقولك صليت بمكة عند الركن وهو الكعبة والإضافة للتشريف وسمي محرماً لأنه عظيم الحرمة حرم الله التعرض له بسوء يوم خلق السماوات والأرض وحرم فيه القتال والاصطياد، وأن يدخل فيه أحد بغير إحرام ومنع عنه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقاً لأنه أعتق منه.

وفي «التأويلات النجمية» عند بيتك المحرم وهو القلب المحرم أن يكون بيتاً لغير الله كما قال: «لا يسعني أرضي ولا سمائي وإنما يسعني قلب عبدي المؤمن».

آنكه ترا كوهر كنجينه ساخت كعبهٔ جان در حرم سينه ساخت

﴿ربنا﴾ كرر النداء لإظهار كمال العناية بما بعده ﴿ليقيموا الصلاة﴾ اللام لام كي متعلقة باسكنت أي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع الخالي من كل مرتفق ومرتزق إلا لإقامة الصلاة عند بيتك المحرم لدلالة قوله: ﴿بواد غير ذي زرع﴾ على أنه لا غرض له دنيوي في إسكانهم عند البيت المحرم وتخصيص الصلاة بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها ولأن بيت الله لا يسعه إلا الصلاة وما في معناه وهي الأصل في إصلاح النفس وكان قريش يمتنعون عن ذلك لزيادة كبرهم ﴿فاجعل أفئدة من الناس﴾ جمع فؤاد وهي القلوب ومن للتبعيض ﴿تهوي إليهم﴾ تسرع إليهم شوقاً وتطير نحوهم محبة، يقال هوى يهوي من باب ضرب هوياً وهوياً سقط من علو إلى سفل سرعة. وأيضاً صعد وارتفع كما في كتب اللغة، وأما ما يكون من باب علم فهو بمعنى أحب يقال هوية هوى فهو هو أحبه وتعديته بإلى لتضمنه معنى الشوق والنزوع. والمعنى بالفارسية [پس نكردان دلهاى بعضي از مردمان راكه بكشش محبت بشتابند بسوى ايشان] أي: إسماعيل وذريته وهم المؤمنون ولو قال أفئدة الناس بدون من التبعيضة لازدحمت عليهم فارس والروم والترك والهند.

آنراكه چنان جمال باشد كردل ببرد حلال باشد
وآنكس كه برانچنان جمالى عاشق نشود وبال باشد

قال المولى الجامي قدس سره:

رو بحرم نه كه بران خوش حريم هست سيه بوش نكارى مقيم
قبلهٔ خوبان عرب روى او سجدهٔ شوخان عجم سوى او

﴿وارزقهم﴾ أي ذريتي الذين أسكنتهم هناك أو مع من ينحاز إليهم من الناس وإنما لم يخص الدعاء بالمؤمنين، كما في قوله: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦] اكتفاء بذكر إقامة الصلاة: ﴿من الثمرات﴾ من أنواعها بأن يجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك أو يجبي إليه من الأقطار البعيدة وقد حصل كلاهما حتى إنه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ـ روي ـ عن ابن عباس أن الطائف وهي على ثلاث مراحل من مكة كانت من أرض فلسطين فلما دعا إبراهيم بهذه الدعوة رفعها الله ووضعها رزقاً للحرم ﴿لعلهم يشكرون﴾ تلك النعمة بإقامة الصلاة وأداء سائر مراسم العبودية.

يقول الفقير: اختلف العلماء في أن هذا الدعاء بعد بناء البيت أو قبل أول ما قدم مكة ويؤيد الأول قوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] فإن الظاهر إن الإشارة حسية وقوله:

﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] وقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩] فإن إسحاق لم يكن موجوداً قبل البناء.

وقال بعضهم: الإشارة في هذا البلد إلى الموجود في الذهن قبل تحقق البلدية فإن الله لما أبان موضعه صحت إشارته إليه والمسؤول توجيه القلوب إلى الذرية للمساكنة معهم لا توجيهها إلى البيت للحج فقط وإلا لقيل تهوي إليه وهو عين الدعاء بالبلدية.

يقول الفقير: فيه نظر لأنه لم لا يجوز أن يكون المعنى على حذف المضاف أي تهوي إلى موضعهم الشريف للحج وقد أشار إليه في التيسير حيث قال عند قوله: ﴿تهوي إليهم﴾ حبب هذا البيت إلى عبادك ليأتوه فيحجوه.

قال في «الإرشاد»: تسميته إذ ذاك بيتاً ولم يكن له بناء وإنما كان نشزاً أي مكاناً مرتفعاً تأتيه السيول فتأخذ ذات اليمين وذات الشمال باعتبار ما كان من قبل فإن تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وإنما الاختلاف في كمية عدده، كما قال الكاشفي عند قوله: ﴿بيتك المحرم﴾ [مراد موضع خانهء ضراح است كه درزمان آدم بوده واكرنه بوقت دعاء إبراهيم خانهء نبوده﴾ والضراح كغراب البيت المعمول في السماء الرابعة كما في «القاموس».

ويؤيد هذا ما روي أن إبراهيم عليه السلام كان يسكن في أرض الشام وكانت لزوجته سارة جارية اسمها هاجر فوهبتها من إبراهيم، فلما ولدت له إسماعيل غارت سارة وحلفته أن يخرجهما من أرض الشام إلى موضع ليس فيه ماء ولا عمارة فتأمل إبراهيم في ذلك، كما قال الكاشفي [خليل متأمل شد وجبرائيل وحي آوردكه هرچه ساره ميكويد چنان كن پس إبراهيم ببراقي نشسته وهاجر وإسماعيل را سوار كرده باندك زماني ازشام بزمين حرم آمد] فلما أخرجهما إلى أرض مكة جاء بها وبابنها وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد ولم يكن بمكة يومئذٍ أحد وليس بها ماء ووضع عندها جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم عاد متوجهاً إلى الشام فتبعته أم إسماعيل، وجعلت تقول له إلى من تكلنا في هذا البلقع؟ وهو لا يرد عليها جواباً حتى قالت: الله أمرك بهذا بأن تسكني وولدي في هذا البلقع فقال إبراهيم نعم قالت: إذا لا يضيعنا فرضيت ورجعت إلى ابنها ومضى إبراهيم حتى إذا استوى على ثنية كداء وهو كسماء جبل بأعلى مكة أقبل على الوادي، أي استقبل بوجهه نحو البيت ورفع يديه فقال: ﴿ربنا إني أسكنت﴾ الآية وجعلت أم إسماعيل ترضعه وتأكل التمر وتشرب الماء فنفد التمر والماء فعطشت هي وابنها فجعل يتلبط فذهبت عنه لئلا تراه على تلك الحالة فصعدت الصفا تنظر لترى أحداً فلم تر، ثم نزلت أسفل الوادي ورفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى أتت المروة وقامت عليها ونظرت لترى أحداً فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث أي حفر بجناحه حتى ظهر الماء.

قال الكاشفي: [چشمهء زمزم بركف جبريل يا باثر قدم إسماعيل بديد آمد] فجعلت تحوضه بيدها وتغرف من الماء لسقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ﷺ: «رحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم» أو قال: «لو لم تغرف من الماء لكانت عيناً معيناً» أي جارية ظاهرة على وجه الأرض فشربت وأرضعت ولدها فقال الملك لا تخافوا الضيعة فإن ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله كما في «تفسير الشيخ».

قال في «الإرشاد»: وأول آثار هذه الدعوة ما روي أنه مرت رفقة من جرهم تريد الشام وهم قبيلة من اليمن فرأوا الطير تحوم على الجبل فقالوا لا طير إلا على الماء فقصدوا إسماعيل وهاجر فرأوهما وعندهما عين ماء، فقالوا: أشركينا في مائك نشركك في ألباننا ففعلت وكانوا معها إلى أن شب إسماعيل وماتت هاجر فتزوج اسماعيل منهم كما هو المشهور.

قال الكاشفي: [قبيله جرهم آنجا داعيه أقامت نمودند وروز بروز شوق مردم بران جانب درتزايدست].

وفي «التأويلات النجمية» قوله: ﴿إني أسكنت﴾ الآية يشير إلى محمد ﷺ فإنه كان من ذريته وكان في صلب اسماعيل فتوسل بمحمد ﷺ إلى الله تعالى في إعانة هاجر وإسماعيل يعني أن ضيعت إسماعيل ليهلك فقد ضيعت محمداً وأهلكته.

بيشتر از آمدن زربكان سكهٔ توبود بعالم عيان

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾.

﴿ربنا﴾ [اي پرورد كارما]﴿إنك تعلم ما نخفي وما نعلن﴾ من الحاجات وغيرها ومقصده إن إظهار هذه الحاجات ليس لكونها غير معلومة لك بل إنما هو لإظهار العبودية والافتقار إلى رحمتك والاستعجال لنيل أياديك.

جز خضوع وبندكى واضطرار اندرين حضرت ندارد اعتبار

﴿وما يخفى﴾ دائماً إذ لا ماضي ولا مستقبل ولا حال بالنسبة إلى الله تعالى﴿على الله﴾ علام الغيوب﴿من﴾ للاستغراق﴿شيء﴾ ما﴿في الأرض ولا في السماء﴾ لأنه العالم بعلم ذاتي تستوي نسبته إلى كل معلوم.

آنچه پيدا وآنچه پنهانست همه بادانش تو يكسانست

لا عارضي ولا كسبي ليختص بمعلوم دون معلوم كعلم البشر والملك، تلخيصه لا يخفى عليك شيء ما في مكان فافعل بنا ما هو مصلحتنا فالظرف متعلق بيخفى أو شيء ما كائن فيهما على أنه صفة لشيء.

﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر﴾ على ههنا معنى مع وهو في موقع الحال أي وهب لي وأنا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاماً للنعمة وإظهاراً لشكرها؛ لأن زمان الكبر زمان العقم﴿إسماعيل﴾ سمي إسماعيل لأن إبراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولداً، ويقول: اسمع يا أيل وأيل هو الله فلما رزق به سماه به كما في «معالم التنزيل».

وقال في «إنسان العيون» معناه بالعبرانية مطيع الله روي أنه ولد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة. ﴿وإسحاق﴾ اسمه بالعبرانية الضحاك كما في «إنسان العيون» روي أنه ولد له إسحاق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وإسماعيل يومئذٍ ابن ثلاث عشرة سنة. ﴿إن ربي﴾ ومالك أمري، ﴿لسميع الدعاء﴾ أي: لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه إذا اعتد به وفيه إشعار بأنه دعا ربه وسأل منه الولد كما قال: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات: ١٠٠]

فأجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من أجل النعم وأجلاها.

﴿رب اجعلني مقيم الصلاة﴾ معدّلاً لها من أقمت العود إذا قومته، أو مواظباً عليها من قامت السوق إذا نفقت أي راجت، أو مؤدياً لها والاستمرار يستفاد من العدول من الفعل إلى الاسم حيث لم يقل اجعلني أقيم الصلاة. ﴿ومن ذريتي﴾ أي وبعض ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني وإنما بعض لعلمه بإعلام الله تعالى واستقرار عادته في الأمم الماضية أن يكون في ذريته كفار وهو يخالف قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨] والإشارة إلى إقامة الصلاة إلى إدامة العروج فإن الصلاة معراج المؤمن وبه يشير إلى دوام السير في الله بالله. ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ واستجب دعائي هذا المتعلق باجعلني وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلاة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة الأصنام ولذلك جيء بضمير الجماعة ﴿ربنا اغفر لي﴾ أي ما فرط مني من ترك الأولى في باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر ﴿ولوالدي﴾ وهذا الاستغفار منه إنما كان قبل تبين الأمر له عليه السلام. يعني [قبل ازنهى بوده وهنوز يأس ازايمان ايشان نداشت].

قال في «الكواشي»: استغفر لأبويه وهما حيان طمعاً في هدايتهما أو أن أمه أسلمت فأراد إسلام أبيه وذلك أنهم صرحوا بأن أمه كانت مؤمنة ولذا قرأ بعضهم: «ولوالدتي» وقال الحافظ السيوطي يستنبط من قول إبراهيم. ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾ وكان ذلك بعد موت عمه بمدة طويلة إن المذكور في القرآن بالكفر والتبري من الاستغفار له أي في قوله ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤] هو عمه لا أبوه الحقيقي والعرب تسمي العم أباً كما تسمي الخالة أمّاً.

قال في «حياة الحيوان»: في الحديث: يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعص؟ فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك فيقول: إبراهيم يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي أن يكون في النار فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ والذيخ بكسر الذال ذكر الضباع الكثيرة الشعر فيؤخذ بقوائمه ويلقى في النار والحكمة في كونه مسخ ضبعاً دون غيره من الحيوان أن الضبع لما كان يغفل عما يجب التيقظ له وصف بالحمق، فلما لم يقبل آزر النصيحة من أشفق الناس عليه وقبل خديعة عدوه الشيطان أشبه الضبع الموصوفة بالحمق لأن الصياد إذا أراد أن يصيدها رمى في حجرها بحَجَر فتحسبه شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك، ولأن آزر لو مسخ كلباً أو خنزيراً كان فيه تشويه لخلقه فأراد الله إكرام إبراهيم بجعل أبيه على هيئة متوسطة.

قال في «المحكم»: يقال ذيخته أي ذللته فلما خفض إبراهيم له جناح الذل من الرحمة لم يحضر بصفة الذل يوم القيامة.

انتهى كلام الامام الدميري في «حياة الحيوان»: ﴿وللمؤمنين﴾ كافة من ذريته وغيرهم واكتفى بذكر مغفرة المؤمنين دون مغفرة المؤمنات لأنهن تبع لهم في الأحكام وللإيذان باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة جيء بضمير الجماعة، وفي الحديث: «من عمم بدعائه المؤمنين والمؤمنات استجيب له» فمن السنة أن لا يختص نفسه بالدعاء.

قال في «الأسرار المحمدية»: اعلم إنه يكره للامام تخصيص نفسه بالدعاء بأن يذكر ما

يذكر على صيغة الأفراد لا على صيغة الجمع.

قال رسول الله ﷺ: «لا يؤم عبد قوماً فيخص نفسه بالدعاء دونهم فإن فعل فقد خانهم» رواه ثوبان بل الأولى أيضاً إن كان منفرداً أن يأتي بصيغة الجمع فينوي نفسه وآباءه وأمهاته وأولاده وإخوانه وأصدقاءه المؤمنين الصالحين فيعممهم بالدعاء وينالهم بركة دعائه وينال الداعي بركات هممهم وتوجههم بأرواحهم إليه ـ روي ـ عن السلف بل عن النبي ﷺ أن يصيبه بعدد كل مؤمن ومؤمنة ذكره حسنة، يعني أن نواه بقلبه حين دعائه فهكذا افهم واعمل في جميع دعواتك انتهى «كلام الأسرار». ﴿يوم يقوم الحساب﴾ أي يثبت ويتحقق محاسبة أعمال المكلفين على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق.

وفي «التأويلات» ﴿ربنا اغفر لي﴾ أي: استرني وامحني بصفة مغفرتك لئلا أرى وجودي فإنه حجاب بيني وبينك.

خمير مايهٔ هر نيك وبد تويى جامي   خلاص از همه مي بايدت زخود بكريز

﴿ولوالدي﴾ أي: ولمن كان سبب وجودي من آبائي العلوي وأمهاتي السفلي لكيلا يحجبوني وعن رؤيتك. ﴿للمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ وهو يوم كان في حساب الله في الأزل يقوم لكمالية كل نفس أو نقصانيته انتهى.

يقول الفقير: دعا إبراهيم عليه السلام بالمغفرة وقيدها بيوم القيامة لأن يوم القيامة آخر الأيام والخلاص فيه من المحاسبة والمناقشة يؤدّي إلى نجاة الأبد والفوز بالدرجات لأنه ليس بعد التخلية بالمعجمة إلا التحلية بالمهملة فقدّم الأهم والأصل ولشدة هذا اليوم.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: إني لا أغبط ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولا عبداً صالحاً أليس هؤلاء يعاينون القيامة وأهوالها وإنما أغبط من لم يخلق لأنه لا يرى أهوال القيامة وشدائدها.

قال أبو بكر الواسطي رحمه الله: الدول ثلاث دولة في الحياة ودولة عند الموت ودولة يوم القيامة. فأما دولة الحياة فبان يعيش في طاعة الله، ودولة الموت بأن تخرج روحه مع شهادة أن لا إله إلا الله، وأما دولة النشر، فحين يخرج من قبره فيأتيه البشير بالجنة جعلنا الله وإياكم من أهل هذه الدولة الثلاث التي لا دولة فوقها في نظر أهل السعادة والعناية.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ الحسبان بالكسر بمعنى الظن والغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور، والظالمون أهل مكة وغيرهم من كل أهل شرك وظلم، وهو خطاب لرسول الله ﷺ والمراد تثبيته على ما كان عليه من عدم حسبانه تعالى، كذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس: ١٠٥] مع ما فيه من الإيذان لكونه واجب الاحتراز عنه في الغاية حتى نهى من لا يمكن تعاطيه. والمعنى دم على ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلاً عن أعمالهم ولا تحزن بتأخير ما يستوجبونه من العذاب الأليم ﴿إنما يؤخرهم ليوم﴾ تعليل للنهي، أي لا يؤخر عذابهم إلا لأجل يوم هائل. ﴿تشخص فيه

الأبصار﴾ ترتفع فيه أبصار أهل الموقف أي تبقى أعينهم مفتوحة لا تتحرك أجفانهم من هول ما يرونه، يعني: أن تأخيره للتشديد والتغليظ لا للغفلة عن أعمالهم ولا لإهمالهم، يقال شخص بصر فلان، كمنع وأشخصه صاحبه إذا فتح عينيه ولم يطرف بجفنيه.

﴿مهطعين﴾ حال مقدرة من مفعول يؤخرهم، أي: مسرعين إلى الداعي مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع كإسراع الأسير والخائف. وبالفارسية. [بشتابند بسوى إسرافيل كه ايشانرا بعرصهٔ محشر خواند] يقال اهطع البعير في السير إذا أسرع. ﴿مقنعي رؤوسهم﴾ أي: رافعيها مع إدامة النظر من غير التفات إلى شيء.

قال في «تهذيب المصادر»: الاقناع أن يرفع رأسه ويقبل بطرفه إلى ما بين يديه.

وعن الحسن وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد ﴿لا يرتد إليهم طرفهم﴾ لا يرجع إليهم تحريك أجفانهم حسب ما يرجع إليهم كل لحظة بل تبقى أعينهم مفتوحة لا تطرف أي لا تضم.

وفي «الكواشي»: أصل الطرف تحريك الجفون في النظر ثم سميت العين طرفاً مجازاً، والمعنى أنهم لا يلتفتون ولا ينظرون مواقع أقدامهم لما بهم انتهى. ﴿وأفئدتهم﴾ قلوبهم ﴿هواء﴾ خالية من العقل والفهم لفرط الحيرة والدهش كأنها نفس الهواء الخالي عن كل شاغل.

وفي «الكواشي»: تلخيصه، الأبصار شاخصة والرؤوس مقنعة، والقلوب فارغة زائلة لهول ذلك اليوم ثبتك الله وإيانا فيه.

والآية تسلية لرسول الله ﷺ وتعزية للمظلوم وتهديد للظالم.

قال أحمد بن حضرويه: لو أذن لي في الشفاعة ما بدأت إلا بظالمي قيل له وكيف؟ قال: لأني نلت به ما لم أنله بوالدي قيل: وما ذاك قال تعزية الله في قوله: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾. وفي «المثنوي»:

آن يكى واعظ چو بر تخت آمدى قاطعان راه را داعي شدي
دست برمى داشت يا رب رحم ران بربدان ومفسدان وطاغيان
برهمه تسخر كنان اهل خير برهمه كافر دلان واهل دير
او نكردي آن دعا براصفيا مى نكردي جز خبيثا نرا دعا
مرورا كفتند كين معهود نيست دعوت اهل ضلالت جود نيست
كفت نيكويى ازينها ديده ام من دعاشان زين سبب بكزيده ام
خبث وظلم وجور چندان ساختند كه مرا ازشر بخير انداختند
هر كهى كه رو بدنيا كرد مى من ازيشان زخم وضربت خوردمى
كردمى از زخم آن جانب پناه باز آوردندمى كر كان براه
چون سبب ساز صلاح من شدند پس دعاشان برمنست اي هوشمند

وفي «الكواشي»: واستدل بعضهم على قيام الساعة بموت المظلوم مظلوماً قالوا وجد على جدار الصخرة:

نامت عيونك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

قال السعدي قدس سره:

نخفتست مظلوم ازآهش بترس زدود دل صبحكاهش بترس
نترسى كه پاك اندروني شبى بر آرد سوز جكر يا ربي
نمى ترسى ازكرك ناقص خرد كه روزي پلنكيت برهم درد

والإشارة: ﴿ولا تحسبن الله غافلا﴾ أي في الأزل ﴿عما يعمل الظالمون﴾ اليوم، يعني: كل عمل يعمله الظالمون لم يكن الله غافلاً عنه في الأزل بل كل ذلك كان بقضائه وقدره وإرادته مبنياً على حكمته البالغة جعل سعادة أهل السعادة وشقاوة أهل الشقاوة مودعة في أعمالهم والأعمال مودعة في أعمارهم ليبلغ كل واحد من الفرقتين على قدمي أعمالهم الشرعية والطبيعية إلى منزل من منازل السعداء ومنزل من منازل الأشقياء يوم القيامة فلذا أخر الظالمين ليزدادوا إثماً يبلغهم منازل الأشقياء.

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿وأنذر الناس﴾ أي خوفهم جميعاً يا محمد ﴿يوم يأتيهم العذاب﴾ أي من يوم القيامة أو من يوم موتهم فإنه أول أيام عذابهم حيث يعذبون بالسكرات، وهذا الإنذار للكفرة أصالة وللمؤمنين تبعية وإن لم يكونوا معذبين. ﴿فيقول الذين ظلموا﴾ منهم بالشرك والتكذيب. ﴿ربنا أخرنا﴾ ردنا إلى الدنيا وأمهلنا. ﴿إلى أجل قريب﴾ إلى أمد وحدّ من الزمان قريب قال سعدي المفتي لعل في النظم تضميناً، والتقدير ردنا إلى ذي أجل قريب أي قليل وهو الدنيا مؤخراً عذابنا.

وقال الكاشفي: [عذاب مارا تأخيركن ومارا بدنيا فرست ومهلت ده تامدتي نزديك او] آخر آجالنا وأبقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك. ﴿نجب دعوتك﴾ جواب للأمر أي الدعوة إليك وإلى توحيدك. ﴿ونتبع الرسل﴾ فيما جاؤونا به، أي نتدارك ما فرطنا فيه من إجابة الدعوة واتباع الرسل. ﴿أو لم تكونوا أقسمتم من قبل﴾ على إضمار القول عطفاً على «فيقول»، أي: فيقال لهم توبيخاً وتبكيتاً ألم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا أقسمتم، أي حلفتم إذ ذاك بألستكم تكبراً وغروراً. ﴿ما لكم من زوال﴾ مما أنتم عليه من التمتع جواب للقسم أو بألسنة الحال حيث بنيتم شديداً وأملتم بعيداً ولم تحدثوا أنفسكم بالانتقال عن هذه الحال.

وفيه إشعار بامتداد زمان التأخير وما لكم من زوال من هذه الدار إلى دار أخرى للجزاء فالأول مبني على إنكار الموت والثاني على إنكار البعث.

وفي «التأويلات النجمية» يشير به إلى التناسخية فإنهم يزعمون أن لا زوال لهم ولا للدنيا بأن واحداً منهم إذا مات انتقل روحه إلى قالب آخر فأراد بهذا الجواب أن لو رجعناكم إلى الدنيا لتحقق عندكم مذهب التناسخ، وما أقسمتم من قبل على أنه ما لكم من زوال.

قال في «التعريفات» التناسخ عبارة عن تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر من غير تخلل زمان بين التعلقين للتعشق الذاتي بين الروح والجسد.

﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ بالشرك والمعاصي كعاد وثمود غير محدثين

لأنفسكم بما لقوا من العذاب بسبب ما اكتسبوا من السيئات. ﴿وتبين لكم﴾ بمشاهدة الآثار وتواتر الأخبار. ﴿كيف فعلنا بهم﴾ من الإهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد وليس الجملة فاعلاً لتبين لأن الاستفهام له صدر الكلام ولأن كيف لا يكون إلا ظرفاً أو خبراً أو حالاً بل فاعله ما دلت هي عليه دلالة واضحة أي فعلنا العجيب بهم. ﴿وضربنا لكم الأمثال﴾ أي بينا لكم في القرآن العظيم صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الأمور التي هي في الغرابة كأمثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا بها وتقيسوا أعمالهم على أعمالكم ومآلكم على مآلهم وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل إلى حلول العذاب الآجل فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي يعني أنكم سمعتم هذا كله في الدنيا فلم تعتبروا فلو رجعتم بعد هذا اليوم لا ينفعكم الموعظة أيضاً. وفي «المثنوي»:

قصۀ آن آبكيرست اي عنود كه دراوسه ماهئ اشكرف بود
چند صيادى سوى آن آبكير بركذشتند وبديدند آن ضمير
پس شتابيدند تادام آورند ماهيان واقف شدند وهو شمند
آنكه عاقل بود عزم راه كرد عزم راه مشكل ناخواه كرد
كفت بااينها ندارم مشورت كه يقين شستم كنند از مقدرت
مهر زاد وبود برجانشان تند كاهلى وحمقشان برمن زند
مشورت را زندۀ بايد نكو كه ترا زنده كند آن زنده كو
اي مسافر با مسافر رأى زن زانكه پايت بسته دارد رأى زن
ازدم حب الوطن بكذر مأيست كه وطن آن سوست جان اين سوى نيست
كفت آن ماهئ زيرك ره كنم دل زرأى ومشورتشان بركنم
نيست وقت مشورت هين راه كن چون على تو آه اندر چاه كن
شب روپنهان روى كن چون عسس سوى دريا عزم كن زين آبكير
محرم آن آه كميابست وبس بحرجو وترك اين كرداب كير
سينه را پاساخت مى رفت آن حذور از مقم باخطر تابحر نور
همچو آهو كزپى اوسك بود مى دود تادر تنش يكرك بود
خواب خركوش وسك اندرپى خطاست خواب خوددر چشم ترسنده كجاست
رنجها بسيار ديد وعاقبت رفت آخر سوى أمن وعافيت
خويشتن افكند در درياي ژرف كه نيابد حد آن را هيچ طرف
پس چو صيادان بياوردند دام نيم عاقل را ازان شدتلخ كام
كفت آه من فوت كردم فرصه را چون نكشتم همره آن رهنما
بركذشته حسرت آوردن خطاست باز نايد رفته ياد آن هباست
كفت ماهئ دكر وقت بلا چونكه ماند از سايۀ عاقل جدا
كوسوى دريا شد وازغم عتيق فوت شد از من چنان نيكو رفيق
ليك زان نينديشم وبرخود زنم خويشتن را اين زمان مرده كنم
پس بر آرم اشكم خود برزبر پشت زيرم مى روم بر آب بر
مى روم برى چنانكه خس رود نى بسباحي چنانكه كس رود

مرده كردم خويش وبسپارم بآب مرك پيش ازمرك امنست وعذاب
همچنان مردوشكم بالافكند آب مي بردش نشيب وكه بلند
هريكى زان قاصدان غصبه بس برد كه دريغا ماهئ بهتر بمرد
پس كرفتش يك صياد ارجمند پس پروتف كرد وبرخا كش فكند
غلط وغلطان رفت پنهان اندر آب مانند آن أحمق همي كرد اضطراب
دام افكندند اندر دام ماند احمقى اورا دران آتش فشاند
برسر آتش بيشت تابهٔ با حماقت كشته او همخوابهٔ
او همي چوشيد از تف سعير عقل مى كفتش ألم يأتك نذير

او همي كفت از شكنجه وزبلا همچو جان كافران قالوا بلى
باز مي كفتي كه اكر اين بارمن وارهم زين محنت كردن شكن
من نسازم جز بدر يايى وطن آبكيريرا نسازم من سكن
آن ندامت از نتيجه رنج بود نى زعقل روشن چون كنج بود
مى كند او توبه وپيرخرد بانك لو ردوا لعادوا مي زند

فينبغي للمؤمن أن يكثر ذكر الموت فإنه لا غنية للمؤمن عن ست خصال. أولاها: علم يدله على الآخرة، والثانية: رفيق يعينه على طاعة الله ويمنعه عن معصية الله، والثالثة: معرفة عدوه والحذر منه. والرابعة: عبرة يعتبر بها، والخامسة: إنصاف الخلق لكيلا تكون له يوم القيامة خصماء. والسادسة الاستعداد للموت قبل نزوله لكيلا يكون مفتضحاً يوم القيامة.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿**وقد مكروا مكرهم**﴾ أي فعلنا بالذين ظلموا ما فعلنا والحال إنهم قد مكروا في إبطال الحق وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذي استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا فيه كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم والمكر الخديعة. ﴿**وعند الله مكرهم**﴾ أي: جزاء مكرهم الذي فعلوه. ﴿**وإن**﴾ وصلية ﴿**كان مكرهم**﴾ في العظم والشدة ﴿**لتزول منه الجبال**﴾ مسوى لإزالة الجبال عن مقارّها معداً لذلك.

قال في «الإرشاد»: أي وإن كان مكرهم في غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه مسوى ومعداً لذلك لكونه مثلاً في ذلك.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾

﴿**فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله**﴾ بتعذيب الظالمين ونصر المؤمنين، وأصله مخلف رسله وعده وقدم المفعول الثاني إعلاماً بأن لا يخلف وعده أحداً فكيف يخلف رسله الذين هم خيرته وصفوته والوعد عبارة عن الإخبار بإيصال المنفعة قبل وقوعها. والمعنى دم على ما كنت عليه من اليقين بعدم إخلافنا رسلنا وعدنا. ﴿**إن الله عزيز**﴾ غالب لا يماكر قادر لا يدافع. ﴿**ذو انتقام**﴾ لأوليائه من أعدائه.

قال في «القاموس»: انتقم منه عاقبه.

[ودر معالم از مرتضى علي رضي الله عنه نقل ميكندكه اين آيت در قصهٔ نمرود

جباراست که چون سلامت إبراهيم از آتش مشاهده كرد كفت بزرك خدايى دارد إبراهيم كه اورا از آتش رهانيد من خواهم كه برآسمان روم وأورا به بينم أشراف مملكت كفتندكه آسمان بغايت مرتفع است وبدو رفتن باآساني ميسر نشود نمرود نشنيد وفرمود تاصرحي سازند درسه سال بايت بلندكه ارتفاع آن پنجهزار كزبود ودو فرسخ عرض آن بود وچون برانجا رفت آسمانرا همچنان ديدكه در زمين ميديد روز ديكر آن بنا بنهاد وبادى مهيب بوزيد وآن بنارا از بيخ وبنياد بكند وچون آن صرح از پاي در آمد وخلق بسيار هلاك شد نمرود خشم كرفت وكفت برآسمان روم وبا خداي إبراهيم كه مناره مرا بيفكند جنك كنم پس چهار كركس پرورش داد تاقوت تمام كرفتند وصندوقي چهار كوشه ساخت ودو دريكي فوقاني وديكري تحتاني در راست كرد بر چهار طرف أو چهار نيزه كه زير وبالا تونستي شد تعبيه نمود پس كركسانرا كرسنه داستند وچهار مردار برسر نيزها كرده أطراف صندق را برتن كركسان بستند ايشان از غايات جوع ميل ببالا كرده جانب مردار پراوز نمودند وصندوق راكه نمرود بايك تن در آنجا بود بهوا بعد ازشبانروزي نمرود در فوقاني كشاده آسمانرا برهمان حال ديدكه برزمين ميديد رفيق ر كفت تادر تحتاني بكشاد كفت بنكر تاچه مي بيني آنكس نكاه كرد وجواب دادكه غير آب چيزى ديكر نمى بينم بعد از شبا نروزي ديكركه باب فوقاني بكشاد همان حال بودكه روز سابق مشهده نمود ورفيق كه باب تحتاني بكشود بجزدود وتاريكي چيزى مشود نبود نمرود بترسيدي] فنودي أيها الطاغي اين تريد.

قال عكرمة: كان معه في التابوت غلام قد حمل القوس والنشاب فرمى بسهم فعاد إليه السهم متلطخاً بدم سمكة قذفت نفسها من بحر في الهواء وقيل طائر أصابه السهم فقال كفيت شغل إله السماء ثم أمر نمرود صاحبه أن يصوب الخشبات وينكس اللحم ففعل فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال هفيف التابوت والنسور ففزعت فظنت أنه قد حدث حادث في السماء وأن الساعة قد قامت فكادت تزول عن أماكنها وهو المراد من مكرهم.

يقال إن نمرود أول من تجبر وقهر وسن سنن السوء، وأول من لبس التاج فأهلكه الله ببعوضة دخلت في خياشيمه فعذب بها أربعين يوماً ثم مات.

سوى او خصمي كه تير انداخته پشته كارش كفايت ساخته

وفي «المثنوي»:

اي خنك انراكه ذلت نفسه وأي آن كزسر كشى شد چون كه او
بندكئ او به از سلطاني است كه انا خيردم شيطاني است
فرق بين وبركزين تواي جليس بندكئ آدم از كبر بليس

أيها المؤمنون: أين الأنبياء والمرسلون؟ وأين الأولياء المقربون؟ وأين الملوك الماضية والجبارون المتكبرون ما لكم لا تنظرون إليهم ولا تعتبرون فاجتهدوا في الطاعات إن كنتم تعقلون واتقوا يوم ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ أي اذكر يوم تبدل هذه الأرض المعروفة

أرضاً أخرى غير معروفة وتبدل السموات غير السموات ويكون الحشر وقت التبديل عند الظلمة دون الجسر، أو يكون الناس على صراط كما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت لرسول الله ﷺ يا رسول الله هل تذكرون أهاليكم يوم القيامة؟ قال: «أما عند مواطن ثلاثة فلا عند الصراط والكتاب والميزان» قالت قلت يا رسول الله يوم تبدل الأرض غير الأرض أين الناس يومئذٍ؟ قال: «سألتني عن شيء ما سألني أحد قبلك الناس يومئذٍ على الصراط» والتبديل قد يكون في الذات كما بدلت الدراهم دنانير وقد يكون في الصفات كما في قولك بدلت الحلقة خاتماً إذا أذبتها وغيرت شكلها والآية تحتملهما.

نقل القرطبي عن صاحب «الإفصاح» إن الأرض والسماء تبدلان مرتين المرة الأولى تبدل صفتهما فقط، وذلك قبل نفخة الصعق، فتتناثر كواكبها وتخسف الشمس والقمر، أي يذهب نورهما ويكون مرة كالدهان ومرة كالمهل، وتكشف الأرض وتسير جبالها في الجو كالسحاب وتسوي أوديتها وتقطع أشجارها وتجعل قاعاً صفصفاً أي بقعة مستوية والمرة الثانية تبدل ذاتهما وذلك إذا وقفوا في المحشر فتبدل الأرض بأرض من فضة لم يقع عليها معصية وهي الساهرة والسماء تكون من ذهب كما جاء عن علي رضي الله عنه.

والإشارة: تبدل أرض البشرية بأرض القلوب فتضمحل ظلماتها بأنوار القلوب وتبدل سموات الأسرار بسموات الأرواح فإن شموس الأرواح إذا تجلت لكواكب الأسرار انمحت أنوار كواكبها بسطوة أشعة شموسها بل تبدل أرض الوجود المجازي عند إشراق تجلى أنوار الربوبية بحقائق أنوار الوجود الحقيقي كما قال: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] ﴿وبرزوا﴾ أي خرج الخلائق من قبورهم ﴿لله الواحد القهار﴾ أي لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على أن الأمر في غاية الصعوبة كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] فإن الأمر إذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لأحد إلى غيره ولا مستجار.

يقول الفقير: سمعت شيخي وسندي قدس سره وهو يقول في هذه الآية هذا ترتيب أنيق فإن الذات الأحدية تدفع بوحدتها الكثرة ويقهرها الآثار فيضمحل الكل فلا يبقى سواه تعالى.

قال في «المفاتيح»: القهار هو الذي لا موجود إلا وهو مقهور تحت قدرته مسخر لقضائه عاجز في قبضته.

وقيل هو الذي أذل الجبابرة وقصم ظهورهم بالإهلاك.

﴿وترى المجرمين يومئذٍ﴾ أي: يوم هم بارزون ﴿مقرنين﴾ حال من المجرمين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد الفاسدة أو قرنوا مع الشياطين الذين أغووهم أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال ﴿في الأصفاد﴾ متعلق بمقرنين أي يقرنون في الأصفاد وهي القيود كما في «القاموس» جمع صفد محركة وأصله الشد يقال صفدته إذا شددته شداً وثيقاً.

﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿سرابيلهم﴾ أي: قمصانهم جمع سربال ﴿من قطران﴾ هو عصارة الأبهل والأرز ونحوهما.

قال في التفاسير: هو ما يتحلب من الأبهل فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربي فيحرق الجرب بحدته وقد تصل حرارته إلى الجوف وهو أسود منتن يسرع فيه اشتعال النار يطلى به جلود أهل النار يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الألوان الأربعة من العذاب لذع القطران وحرقته وإسراع النار في جلودهم واللون الموحش ونتن الريح على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين فإنه ورد «وإن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» وقس عليها القطران ونعوذ بالله من عذابه كله في الدنيا والآخرة وما بينهما.

وقال في «التبيان»: القطران في الآخرة ما يسيل من أبدان أهل النار.

وعن يعقوب ﴿**من قطران**﴾ والقطر النحاس أو الصفر المذاب والآني المتناهي حره ﴿**وتغشى وجوههم النار**﴾ أي تعلوها وتحيط بها النار التي تمس جلدهم المسربل بالقطران لأنهم لم يتوجهوا بها إلى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لأجله كما تطلع على أفئدهم لأنها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات.

وفي «بحر العلوم»: الوجه يعبر به عن الجملة والذات مجازاً وهو أبلغ من الحقيقة أي وتشملهم النار وتلبسهم لأن خطاياهم شملتهم من كل جانب فجوزوا على قدرها حتى الاصرار والاستمرار.

﴿**ليجزي الله**﴾ متعلق بمضمر، أي: يفعل بهم، وذلك ليجزي ﴿**كل نفس**﴾ مجرمة ﴿**ما كسبت**﴾ من أنواع الكفر والمعاصي جزاء موافقاً لعملها. ﴿**إن الله سريع الحساب**﴾ إذ لا يشغله حساب عن حساب فيتمه في أعجل ما يكون من الزمان فيوفى الجزاء بحسبه أو سريع المجيء يأتي عن قريب.

وفي «التأويلات» وترى المجرمين وهم أرواح أجرموا إذا تبعوا النفوس ووافقوها في طلب الشهوات والإعراض عن الحق يومئذٍ، أي: يوم التجلي مقيدين في النفوس بقيود صفاتها الذميمة الحيوانية ولا يستطيعون للبروز والخروج لله سرابيلهم من قطران المعاصي وظلمات النفوس وهم محجوبون بها عن الله وتغشى وجوههم نار الحسرة والقطيعة والحرمان، ليجزي الله كل نفس، أي: كل روح بما كسبت من صحبة النفس وموافقتها إن الله سريع الحساب، أي: يحاسب الأرواح بالسرعة في الدنيا ويجزيهم بما كسبوا في متابعة النفوس من العمى والصمم والجهل والغفلة والبعد وغير ذلك من الآفات قبل يوم القيامة.

﴿**هذا**﴾ القرآن بما فيه من فنون العظات والقوارع ﴿**بلاغ للناس**﴾ كفاية لهم في الموعظة والتذكير.

قال في «القاموس»: البلاغ كسحاب الكفاية ﴿**ولينذروا به**﴾ عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ أي كفاية لهم في أن ينصحوا وينذروا به.

وفي «التأويلات»: أي لينتبهوا بهذا البلاغ قبل المفارقة عن الأبدان فينتفعوا به فإن الانتباه بالموت لا ينفع. ﴿**وليعلموا**﴾ بالتأمل فيما فيه من الآيات ﴿**إنما هو إله واحد**﴾ [آنكه اوست خداي يكتا] أي: لا شريك له فيعبدوه ولا يعبدوا إلٰهاً غيره من الدنيا والهوى والشيطان وما يعبدون من دون الله. ﴿**وليذكر أولو الألباب**﴾ أي لتذكروا ما كانوا يعملون من قبل من التوحيد وغيره من شؤون الله ومعاملته مع عباده فيرتدعوا عما يرديهم من الصفات التي يتصف بها الكفار ويتدرعوا بما يحصنهم من العقائد الحقة والأعمال الصالحة.

قال «البيضاوي» اعلم أنه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هي الغاية، والحكمة في إنزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية التي هو التدرع بلباس التقوى.

قال في «بحر العلوم»: وليذكر أولو الألباب أي وليتعظ ذوو العقول فيختاروا الله ويتقوه في المحافظة على أوامره ونواهيه وبذلك وصى جميع أولي الألباب من الأولين والآخرين قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] ويكفيهم ذلك عظة أن اتعظوا، والعقول في ذلك متفاوتة فيجزي كل أحد منهم على قدر عقله قال النبي ﷺ: «إن في الجنة مدينة من نور لم ينظر إليها ملك مقرب ولا نبي مرسل جميع ما فيها من القصور والغرف والأزواج والخدام من النور أعدها الله للعاقلين فإذا ميز الله أهل الجنة من أهل النار ميز أهل العقل فجعلهم في تلك المدينة فيجزي كل قوم على قدر عقولهم فيتفاوتون في الدرجات كما بين مشارق الأرض ومغاربها بألف ضعف».

يقول الفقير: أشير بالعقلاء ههنا إلى من اختاروا الله على غيره وإن كانوا متفاوتين في مراتبهم بحسب تفاوت عقولهم وعلومهم بالله وهم المرادون فيما ورد «أكثر أهل الجنة البله» والعقلاء في عليين فالأبله وهو من اختار الجنة ونعيمها دون من اختار الله وقربه في المرتبة فإنه العابد بالمعاملات الشرعية وهذا العارف بالأسرار الإلهية والعارف فوق العابد ألا ترى أن مقامه من نور ومقام العابد من الجوهر والنور فوق الجوهر في اللطافة. قال الكمال الخجندي:

نيست ما راغم طوبى وتمناى بهشت   شيوهٔ مردم نا اهل بودهمت پست

وقال المولى الجامي:

يا من ملكوت كل شيء بيده   طوبى لمن ارتضاك ذخره الغده

اين پس كه دلم جز تونداردكامى   توخواه بده كام دلم خوا مده

جعلنا الله ممن اختاره على غيره في المحافظة على حدوده واتعظ بموعظته ونصيحته وخلص له أمر محياه ومماته ورزقنا الفوز بشرف عفوه ومرضاته برسوله محمد وعترته الطيبين الطاهرين آمين.

تمت سورة إبراهيم بعون الله الكريم صبيحة اليوم الأول من ذي الحجة من سنة ثلاث ومائة وألف

تفسير سورة الحجر

وهي مكية وآيها تسع وتسعون كما في التفاسير الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾.

﴿الر﴾ اسم للسورة وعليه الجمهور أي هذه السورة مسماة بالر.

وقال الكاشفي: ﴿علما را در حروف مقطعة أقاويل بسيارست جمعي بر آنندكه مطلقاً درباب آن سخن كفتن سلوك سبيل جرأتست. ودر ينابيع آورده كه فاروق را از معنى اين حروف برسيدند فرمودند اكردورى سخن كويم متكلف باشم وحق تعالى بيغمبر خودرا فرموده كه بكو وما أنا من المتكلفين] يقول الفقير: إنما عد حضرة الفاروق ـ رضي الله عنه ـ المقال فيه من باب التكلف لا من قبيل ما يعرف بالذوق الصحيح والمشرب الشافي، واللسان قاصر عن إفادة ما هو كذلك على حقيقته لأنه ظرف الحروف والألفاظ لا ظرف المعاني والحقائق ولا مجال له لكونه منتهياً مقيداً أن يسع فيه ما لا نهاية له.

وفيه إشعار بأن الكلام فيه ممكن في الجملة، وأما قول من قال: إن هذه الحروف من أسرار استأثر الله بعلمها ففي حق القاصرين عن فهم حقائق القرآن والخالين عن ذوق هذا الشأن وعلم عالم المشاهدة والعيان، وإلا فالذي استأثر الله بعلمه إنما هي الممتنعات وهي ما لم يشم رائحة الوجود بل بقي في غيب العلم المكنون بخلاف هذه الحروف فإنها ظهرت في عالم العين، وما هو كذلك لا بد وأن يتعلق به علم الأكملين لكونه من مقدوراتهم فالفرق بين علم الخالق والمخلوق أن علم الخالق عام شامل بخلاف علم المخلوق فافهم هداك الله [وبعضي كويند هر حرفي اشارت باسميست چنانچه در الر الف اشارت باسم الله است ولام باسم جبريل ورا باسم خضرت رسول الله ﷺ اين كلام ازخداي تعالى بواسطهء جبريل برسول رسيده] ﴿تلك﴾ السورة العظيمة الشأن. ﴿آيات الكتاب﴾ الكامل الحقيق باختصاص اسم الكتاب على الإطلاق على ما يدل عليه اللام أي بعض من جميع القرآن أو من جميع المنزل إذ ذاك أو آيات اللوح المحفوظ ﴿وقرآن﴾ عظيم الشأن ﴿مبين﴾ مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والمصالح أو لسبيل الرشد والغي أو فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام فهو من أبان المتعدي ويمكن أن يجعل من اللازم، الظاهر أمره في الإعجاز، أو الواضحة معانيه للمتدبرين، أو البين للذين أنزل عليهم لأنه بلغتهم وأساليبهم، وعطف القرآن على الكتاب من عطف إحدى الصفتين على الأخرى أي الكلام الجامع بين التكابية والقرآنية.

وفي «: التأويلات النجمية» يشير بكلمة ﴿تلك﴾ إلى قوله: ﴿الر﴾ أي كل حرف من هذه الحروف حرف من آية من ﴿آيات الكتاب و﴾ هي ﴿قرآن مبين﴾

فالألف إشارة إلى آية ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

واللام إشارة إلى آية ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الفتح: ١٤].

والراء إشارة إلى آية ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ﴾ [الأعراف: ٢٣] فالله تعالى اقسم بهذه الآيات الثلاث بإشارة هذه الحروف الثلاثة ثم اقسم بجميع القرآن بقوله: ﴿وقرآن مبين﴾.

﴿ربما﴾ رب ههنا للتكثير كما في «مغني اللبيب». والمعنى بالفارسية «أي بساوقت كه» ﴿يود﴾ يتمنى في الآخرة ﴿الذين كفروا﴾ بالقرآن وبكونه من عند الله ﴿لو كانوا مسلمين﴾ يعني في الدنيا مستسلمين لأحكام الله تعالى وأوامره ونواهيه ومفعول يود محذوف لدلالة لو كانوا مسلمين عليه أي يودون الإسلام على أن لو للتمني حكاية لودادتهم فلا تقتضي جواباً، وإنما جيء بها على لفظ الغيبة نظراً إلى أنهم مخبر عنهم ولو نظر إلى الحكاية لقيل لو كنا مسلمين، وأما من جعل لو الواقعة بعد فعل يفهم منه معنى التمني حرفاً مصدرية فمفعول يود عنده لو كانوا مسلمين، على أن يكون الجملة في تأويل المفرد، وفي الحديث: «إذا كان يوم القيامة واجتمع أهل النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار، لمن في النار من أهل القبلة: ألستم مسلمين؟ فقالوا: بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم؟ وأنتم معنا في النار؟ قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيغضب الله لهم يفضل رحمته فيأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذٍ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين» وفي الحديث: «لا يزال الرب يرحم ويشفع إليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الإسلام» أي: يتمنونه أشد التمني ويودونه أشد الودادة وإلا فنفس الودادة ليست بمختصة بوقت دون وقت بل هي مستمرة في كل آن يمر عليهم قبل دخول النار وبعده كما يدل عليه رب التكثيرية.

وقال بعضهم: ربما يود الذين فسقوا لو كانوا مطيعين وربما يود الذين كسلوا لو كانوا مجتهدين وربما يود الذين غفلوا لو كانوا ذاكرين.

اكر مرده مسكين زبان داشتى ... بفرياد وزاري فغان داشتى

كه اي زنده چون هست امكان كفت ... لب از ذكر چون مرده برهم مخفت

چومارا بغفلت بشد روز كار ... توبارى دمي چند فرصت شمار

وقال عبد الله بن المبارك: ما خرج أحد من الدنيا من مؤمن وكافر إلا على ندامة وملامة لنفسه، فالكافر لما يرى من سوء ما يجازي به، والمؤمن لرؤية تقصيره في القيام بموجب الخدمة وترك الحرمة وشكر النعمة.

وقال ابن العرجي: الكفران هنا كفران النعمة ومعناه ربما يود الذين جهلوا نعم الله عندهم وعليهم أن لو كانوا شاكرين عارفين برؤية الفضل والمنة.

يقول الفقير: عبارة الكفر وإن كانت شاملة لكفر الوحدة وكفر النعمة لكن الآية نص في الأول ولا مزاحمة في باب المعاني الثواني التي هي من قبيل الإشارات القرآنية والمدلولات المحتملة فعليك العمل بالكل فإنه سلوك لخير السبل.

﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٣﴾

﴿ذرهم﴾ أي دع الكفار يا محمد عن النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة لا سبيل إلى ارعوائهم عن ذلك.

والآية منسوخة بآية القتال كما في «بحر العلوم».

قال الكاشفي: [امر تهوين وتحقيراست يعني كافران درچه حسابند دست ازيشان بدار تا در دنيا] ﴿يأكلوا﴾ كالأنعام ﴿ويتمتعوا﴾ بدنياهم وشهواتها والمراد دوامهم على ذلك لا إحداثه فإنهم كانوا كذلك، وهما أمران بتقدير اللام لدلالة ذرهم عليه أو جواب أمر على التجوز لأن الأمر بالترك يتضمن الأمر بهما أي دعهم وبالغ في تخليتهم وشأنهم بل مرهم بتعاطي ما يتعاطون ﴿ويلههم﴾ أي: يشغلهم عن اتباعك أو عن الاستعداد للمعاد. ﴿الأمل﴾ التوقع لطول الأعمار وبلوغ الأوطار واستقامة الأحوال وأن لا يلقوا في العاقبة والمآل إلا خيراً. قال الصائب:

درسر اين غافلان طول امل دانى كه چيست اشيان كردست مارى دركبوتر خانهٔ

قال في «بحر العلوم»: إن الأمل رحمة لهذا الأمة لولاه لتعطل كثير من الأمور وانقطع أغلب أسباب العيش والحياة، قال رسول الله ﷺ: «إنما الأمل رحمة الله لأمتي لولا الأمل ما أرضعت أم ولداً ولا غرس غارس شجراً» رواه أنس، والحكمة لا تقتضي اتفاق الكل على الإخلاص والإقبال الكلي على الله فإن ذلك مما يخل بأمر المعاش، ولذلك قيل: لولا الحمقى لخربت الدنيا.

قال بعضهم: لو كان الناس كلهم عقلاء لما أكلنا رطباً ولا شربنا ماء بارداً يعني أن العقلاء لا يقدمون على صعود النخيل لاجتناء الرطب، ولا على حفر الآبار لاستنباط الماء البارد كما في «اليواقيت».

قال في «شرح الطريقة»: الأمل إرادة الحياة للوقت، للتراخي بالحكم، والجزم، أعني بلا استثناء ولا شرط صلاح، وهو مذموم في الشرع جداً، وغوائله أربع الكسل في الطاعة وتأخيرها وتسويف التوبة وتركها وقسوة القلب بعد ذكر الموت والحرص على جمع الدنيا والاشتغال بها عن الآخرة ﴿فسوف يعلمون﴾ سوء صنيعهم إذا عاينوا جزاءه وهو وعيد لهم.

قال في «التأويلات النجمية»: قوله: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل﴾ تهديد لنفس ذاقت حلاوة الإسلام ثم عادت إلى طبعها الميشوم واستحلت مشاربها من نعيم الدنيا واستحسنت زخارفها فيهددها بأكل شهوات الدنيا والتمتع بنعيمها ثم قال: ﴿فسوف يعلمون﴾ ما خسروا من أنواع السعادات والكرامات والدرجات والقربات وما فات منهم من الأحوال السنية والمقامات العلية وما أورثتهم الدنيا الدنية من البعد من الله والمقت وعذاب نار القطيعة والحرمان.

﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ ۝٤ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٥﴾

﴿وما أهلكنا﴾ شروع في بيان سر تأخير عذابهم إلى يوم القيامة وعدم نظمهم في سلك الأمم الدارجة في تعجيل العذاب أي: وما أهلكنا. ﴿من قرية﴾ من القرى بالخسف بها وبأهلها كما فعل ببعضها أو باخلائها عن أهلها غب إهلاكهم كما فعل بآخرين ﴿إلا ولها﴾ في ذلك الشأن ﴿كتاب﴾ أي: أجل مقدر مكتوب في اللوح المحفوظ واجب المراعاة بحيث لا يمكن تبديله لوقوعه حسب الحكمة المقتضية له. ﴿معلوم﴾ لا ينسى ولا يغفل حتى يتصور التخلف عنه بالتقدم والتأخر. فكتاب مبتدأ خبره الظرف والجملة حال من قرية فإنها لعمومها، لا سيما

بعد تأكده بكلمة من في حكم الموصوفة كما أشير إليه، والمعنى وما أهلكنا قرية من القرى في حال من الأحوال إلا حال أن يكون لها كتاب أي أجل مؤقت لهلكها قد كتبناه لانهلكها قبل بلوغه، معلوم لا يغفل عنه حتى تمكن مخالفته بالتقدم والتأخر، أو صفة للقرية. المقدرة التي هي بدل من المذكورة على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة أي وما اهلكنا قرية من القرى إلا قرية لها كتاب معلوم، وتوسيط الواو بينهما وإن كان القياس عدمه للإيذان بكمال الالتصاق بينهما من حيث أن الواو شأنها الجمع والربط.

﴿ما تسبق﴾ ما نافية **﴿من﴾** زائدة **﴿أمة﴾** من الأمم الهالكة وغيرهم **﴿أجلها﴾** المكتوب في كتابها أي لا يجيء هلاكها قبل مجيء كتابها **﴿وما يستأخرون﴾** أي وما يتأخرون عنه، وإنما حذف لأنه معلوم ولرعاية الفواصل، وصيغة الاستفعال للإشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له، وأما تأنيث ضمير أمة في أجلها وتذكيره في يستأخرون فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾** حتى يظهر منها ما هو سبب هلاكها وتستوفي نفسها من الحظوظ ما يبطل الحقوق. **﴿وما يستأخرون﴾** لحظة بعد استيفاء أسباب الهلاك والعذاب. قال السعدي:

طريقي بدست آر وصلحي بجوى   شفيعي برانكيز وعذري بكوى
كه يك لحظه صورت نه بنددامان   چو پيمانه پرشد بدور زمان

فعلى العاقل أن يجتهد في تزكية النفس الأمارة، وإزالة صفاتها المتمردة ومن المعلوم أن الدنيا كالقرية الصغيرة والآخرة كالبلدة الكبيرة ولم يسلم من الآفات إلا من توجه إلى السواد الأعظم «فإنه ما من لكل نفس» فلو مات عند الطريق فقد وقع أجره على الله، ولو تأخر واجتهد في عمارة قرية الجسد واشتغل بالدنيا وأسبابها هلك مع الهالكين، وإذا كان لكل نفس أجل لا تموت إلا عند حلوله وهو مجهول فلا بد من التهيىء في كل زمان وذكر الموت كل حين وآن وقصر الأمل وإصلاح العمل ودفع الكسل.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: إنه اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله يقول: «ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر إن أسامة لطويل الأمل، والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلا ظننت أن شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت إني واضعه حتى اقبض، ولا لقمت لقمة إلا ظننت إني لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين» أي: لا تقتدرون على اعجاز الله عن إتيان ما توعدون به من الموت والحشر والحساب وغيرها من أحوال القيامة وأهوالها.

﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨﴾.

﴿وقالوا﴾ أي: مشركوا مكة وكفار العرب لغاية تماديهم في العتو والغي.

وفي بعض التفاسير نزلت في عبد الله بن أمية **﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾** نادوا به النبي عليه السلام على وجه التهكم، ولذا جننوه بقولهم: **﴿إنك لمجنون﴾** إذ لا يجتمع اعتقاد

نزول الذكر عليه ونسبة الجنون إليه. والمعنى: إنك لتقول قول المجانين حين تدعي أن الله نزل عليك الذكر أي القرآن.

وقال الكاشفي: [بدرستي توديوانه كه مارا از نقد بنسيه مي خواني] وجواب هذه الآية قوله تعالى في سورة القلم ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ [القلم: ٢] أي: ما أنت بمجنون حال كونك منعماً عليك بالنبوة وكمال العقل.

يقول الفقير: الجنون من أوصاف النقصان يجب تبرئة ساحة الأنبياء وكمل الأولياء منه وعد نسبته إليهم من الجنون، إذ لا سفه أشد من نسبة النقصان وسخافة العقل والاذعان إلى المراجيح الرزان، ولا عقل من العقول إلا وهو مستفيض من العقل الأول الذي هو الروح المحمدي، والعاقل بالعقل المعادي مجنون عند العاقل بالعقل المعاشي وبالعكس، ولا يكون مجنوناً بالجنون المقبول إلا بعد دخول دائرة العشق.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر.

جننا مثل مجنون بليلى   شغفنا حب جيران بسلمى

يعني جننا من الأزل إلى الأبد بجنون عشق المعشوق الوجه الحق وحب المحبوب الجمال المطلق كما جن مجنون بجنون عشق المعشوق ليلى الخلق، وحب المحبوب الجمال المقيد. قال الصائب:

روزن عالم غيبست دل اهل جنون   من وآن شهركه ديوانه فراوان باشد

﴿لو ما﴾ حرف تحضيض بمعنى هلا وبالفارسية [چرا] ﴿تأتينا﴾ [نمى آرى] فالباء للتعدية في قوله ﴿بالملائكة﴾ يشهدون بصحة نبوتك ويعضدونك في الأنذار كقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧] يعني: [اكر راست مى كويي كه پيغمبرى فرشتكانرا حاضركن تا بحضور ما كواهى دهند برسالت تو] أو يعاقبوننا على التكذيب كما أتت الأمم المكذبة لرسلهم. ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في دعواك فإن قدرة الله على ذلك مما لا ريب فيه وكذا احتياجك إليه في تمشية أمرك فقال الله تعالى في جوابهم:

﴿ما ننزل الملائكة إلا بالحق﴾ أي: ملتبساً بالوجه الذي يحق ملابسة التنزيل به مما تقتضيه الحكمة وتجري به السنة الإلهية والذي اقترحوه من التنزيل لأجل الشهادة لديهم وهم هم، ومنزلتهم في الحقارة والهوان منزلتهم، مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة أصلاً، فإن ذلك من باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يفتح على غير الأنبياء العظام، من أفراد كمل المؤمنين، فكيف على أمثال أولئك الكفرة اللئام، وإنما الذي يدخل في حقهم تحت الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستئصال كما فعل بأضرابهم من الأمم السالفة ولو فعل ذلك لاستؤصلوا بالمرة ﴿وما كانوا إذاً منظرين﴾ إذن جواب وجزاء لشرط مقدر وهي مركبة من إذ وهو اسم بمعنى الحين ثم ضم إليه إن فصار أذان ثم استثقلوا الهمزة فحذفوها فمجيء لفظة إن دليل على إضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا إذ إن كان ما طلبوه منظرين والأنظار التأخير. والمعنى ولو نزلنا الملائكة ما كانوا مؤخرين بعد نزولهم طرفة عين كدأب سائر الأمم المكذبة المستهزئة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى قلم القضاء بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة لتعلق العلم الإرادة بازديادهم عذاباً وبإيمان بعض ذراريهم.

وفي «تفسير الكاشفي» ﴿ما ننزل الملائكة إلا بالحق﴾ مكر بوحي نازل بعذاب. يعني

ملك رابصورت أصلي وقتى توانند ديدكه بجهت عذاب نازل شوند چنانچه قوم مود جبريل رادر زمان صيحه ديدند يابوقت مرك چنانچه همه كس مي بينند ﴿وما كانوا إذاً﴾ ونباشند آن هنكام كه ملائكه را بدين صورت فرستيم ﴿منظرين﴾ از مهلت داد كان يعني في الحال معذب شوند].

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١١﴾.

﴿إنا نحن﴾ لعظم شأننا وعلو جنابنا ونحن ليست بفصل لأنها بين اسمين وإنما هي مبتدأ كما في الكواشي ﴿نزلنا الذكر﴾ ذلك الذكر الذي أنكروه وأنكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك إلى الجنون وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول إيماء إلى أنه أمر لا مصدر له وفعل لا فاعل له.

قال الكاشفي: [وذكر بمعنى شرف نيز مى آيد يعني اين كتاب موجب شرف خوانند كانست] يعني في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ [المؤمنون: ٧١] أي: بما فيه شرفهم وعزهم وهو الكتاب ﴿وإنا له لحافظون﴾ في كل وقت من كل ما لا يليق به كالطعن فيه والمجادلة في حقيته والتكذيب له والاستهزاء به، والتحريف والتبديل والزيادة والنقصان ونحوها، وأما الكتب المتقدمة فلما لم يتول حفظها واستحفظها الناس تطرق إليها الخلل.

وفي «التبيان» أو حافظون له من الشياطين من وساوسهم وتخاليطهم. يعني [شيطان نتواندكه دروچيزى از باطل بيفزايد يا چيزى از حق كم كند].

قال في «بحر العلوم»: حفظه إياه بالصرفة على معنى أن الناس كانوا قادرين على تحريفه ونقصانه كما حرفوا التوراة والإنجيل لكن الله صرفهم عن ذلك أو بحفظ العلماء وتصنيفهم الكتب التي صنفوها في شرح الفاظه ومعانيه ككتب التفسير والقراآت وغير ذلك. وفي «المثنوي»:

مصطفى را وعده كرد الطاف حق ... كر بميرى تونميرد اين سبق
من كتاب معجزت را رافعم ... بيش وكم كن را زقرآن مانعم
من ترا اندر دو عالم حافظم ... طاعنا نرا از حديثت دافعم
كس نتاند بيش وكم كردن درو ... تو به ازمن حافظي ديكر مجو
رونقت را روز روز افزون كنم ... نام توبر زر و بر نقره زنم
منبر ومحراب سازم بهرتو ... در محبت قهر من شد قهرتو
چا كرانت شهرها كيرند وجاه ... دين توكيرد زماهى تابماه
تا قيامت باقيش داريم ما ... تومترس ازنسخ دين اي مصطفى

وعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» ذكره أبو داود في سننه.

وفيما ذكر إشارة إلى أن القرآن العظيم ما دام بين الناس لا يخلو وجه الأرض عن المهرة من العلماء والقراء والحفاظ ـ روي ـ «أنه يرفع القرآن في آخر الزمان من المصاحف فيصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم

يرجع الناس إلى الأشعار والأغاني وأخبار الجاهلية» كما في «فصل الخطاب».

فعلى العاقل التمسك بالقرآن وحفظه نظماً ومعنى فإن النجاة فيه، وفي الحديث: «من استظهر القرآن خفف عن والديه العذاب وإن كانا مشركين»، وفي حديث آخر «اقرأوا القرآن واستظهروه فإن الله لا يعذب قلباً وعىٰ القرآن» وفي حديث آخر «لو جعل القرآن في إهاب ثم ألقى في النار ما احترق» أي من جعله الله حافظاً للقرآن لا يحترق.

وسئل الفرزدق لِمَ يهجوك جرير بالقيد فقال: قال لي أبي يوماً: تعال فذهبت أثره حتى جئنا إلى بادية فرأينا من بعيد شخصاً يجلس تحت شجرة مشغولاً بالعبادة، فغير أبي أوضاعه فمشى على مسكنة وذلة، فلما قرب منه خلع نعليه وسلم بالخضوع والخشوع عليه وهو لم يلتفت إليه ثم تضرع ثانياً فرفع رأسه ورد سلامه ثم خاطبه أبي بالتواضع إليه، وقال: إن هذا ابني وله قصائد من نفسه، فقال مرة: قل لابنك تعلم القرآن واحفظه قال ثم رجعنا من عنده فبكيت، فقال أبي: لِمَ تبكي يا بني ونور عيني؟ قلت: لِمَ لا أبكي وقد التفت إلى شخص وأنت من فضلاء الدهر وفصحائه وهو لم يلتفت إليك أصلاً؟ قال: اسكت هو أمير علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قلت: الآن هو أمرني بحفظ القرآن، فقال: نعم فعهدت أن أحفظه وقيدت قدميّ بالأدهم حتى حفظته ثم أطلقت فانظر إلى اهتمامه وحفظه.

درقيامت نرسد شعر بفرياد كسى   كه سراسر سخنش حكمت يونان كردد

كما قال مولانا سيف الدين المناري: وكان من كبار العلماء رأيت لبعضهم كلمات في الدنيا عالية ثم رأيته حال الرحلة عن الدنيا في غاية الضعف والتشويش وقد ذهب عنه التحقيقات والمعارف في ذلك الوقت فإن الأمر الحاصل بالتعمل والتكلف كيف يستقر حال الهرم والأمراض وضعف الطبيعة سيما حال مفارقة الروح.

قيل: اشتغل الامام زفر رحمه الله في آخر عمره بتعليم القرآن وتلاوته سنتين ثم مات وراه بعض شيوخ عصره في منامه فقال لولا سنتان لهلك زفر.

قال الكاشفي: [وكويند ضمير عائد بحضرت رسالت است يعني نكهبان وييم از مضرت اعدا] كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

كر جمله جهانم خصم كردند   نترسم چون نكهدارم توباشى
زشادى درهمه حالم نكنجم   اكريك لحظه غمخوارم توباشى

والإشارة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩] في قلوب المؤمنين وهو قول لا إله إلا الله نظيره قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢] وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤] فالمنافق يقول لا إله إلا الله ولكن لم ينزله الله في قلبه ولم يحصل فيه الإيمان ﴿وإنا له لحافظون﴾ أي في قلوب المؤمنين ولو لم يحفظ الله الذكر والإيمان في قلوب المؤمن لما قدر المؤمن على حفظه لأنه ناس.

﴿ولقد أرسلنا﴾ أي رسلاً وإنما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه ﴿من قبلك﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿في شيع الأولين﴾ أي: فرقهم وأحزابهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب، سموا بذلك لأن بعضهم يشايع بعضاً ويتابعه، من شايعه إذا تبعه ومنه الشيعة وهم الذين شايعوا علياً وقالوا إنه الامام بعد رسول الله، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده وإضافته إلى الأولين من إضافة الموصوف إلى صفة عند الفراء، والأصل في الشيع

الأولين ومن حذف الموصوف عند البصريين أي في شيع الأمم الأولين، ومعنى إرسالهم فيهم جعل كل منهم رسولاً فيما بين طائفة منهم ليتابعوه في كل ما يأتي وما يذر من أمور الدين.

﴿وما يأتيهم من رسول﴾ أي ما أتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها. ﴿إلا كانوا به يستهزئون﴾ كما يفعله هؤلاء الكفرة وفيه تسلية لرسول الله ﷺ بأن هذه عادة الجهال مع الأنبياء، والجملة في محل النصب على أنها حال مقدرة من ضمير مفعول في يأتيهم إذا كان المراد بالإتيان حدوثه، أو في محل الرفع على أنها صفة لرسول فإن محله الرفع على الفاعلية أي إلا رسول كانوا به يستهزئون.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿كذلك﴾ أي: كإدخالنا الاستهزاء في قلوب الأولين. ﴿نسلكه﴾ أي: ندخل الاستهزاء، والسلك إدخال الشيء في الشيء كإدخال الخيط في المخيط أي الإبرة والرمح في المطعون. ﴿في قلوب المجرمين﴾ على معنى أنه يخلقه ويزينه في قلوبهم والمراد بالمجرمين مشركوا مكة ومن شايعهم في الاستهزاء والتكذيب.

﴿لا يؤمنون به﴾ أي بالذكر وهو بيان للجملة السابقة واختار المولى أبو السعود رحمه الله أن يكون ذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام السابق من إلقاء الوحي مقروناً بالاستهزاء، وأن يعود ضمير نسلكه وبه إلى الذكر على أن يكون لا يؤمنون به حالاً من ضمير نسلكه، والمعنى أي مثل ذلك المسلك الذي سلكناه في قلوب أولئك المستهزئين برسلهم وبما جاؤوا به من الكتب، نسلك الذكر في قلوب أهل مكة أو جنس المجرمين حال كونه مكذباً غير مؤمن به، لأنهم كانوا يسمعون القرآن بقراءة النبي ﷺ فيدخل في قلوبهم، ومع ذلك لا يؤمنون لعدم استعدادهم لقبول الحق لكونهم من أهل الخذلان. قال السعدي قدس سره:

کسی را که پندار در سر بود ... مپندار هر کزکه حق بشنود
زعلمش ملال آید ازوعظ ننك ... شقائق بباران نرويد ز سنك

قال سعدي المفتي: مكذباً أي حال الإلقاء من غير توقف كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩] أي: في ذلك الزمان من غير توقف وتفكر فلا حاجة إلى جعلها حالاً مقدرة أي كما فعله الطيبي.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿كذلك نسلكه﴾ أي: الكفر ﴿في قلوب المجرمين لا يؤمنون به﴾ بواسطة جرمهم فإن بالجرم يسلك الكفر في القلوب كما يسلك الإيمان بالعمل الصالح في القلوب نظيره ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥] ﴿وقد خلت سنة الأولين﴾ أي: قد مضت طريقتهم التي سنها الله في إهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء، يعني: [هركه از ايشان هلاك شده بترك قبول حق وتكذيب رسل بوده] وفيه وعيد لأهل مكة على استهزائهم وتكذيبهم.

نه هر كز شنيدم درين عمر خويش ... كه بدمردار نيكى آمد به بيش

﴿ولو فتحنا عليهم﴾ أي على هؤلاء المقترحين المعاندين الذين يقولون لو ما تأتينا

بالملائكة ﴿باباً من السماء﴾ أي باباً ما لا باباً من أبوابها المعهودة، كما قيل ويسرنا لهم الرقي والصعود إليه ﴿فظلوا﴾.

قال في «بحر العلوم» الظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمعناها أي فصاروا ﴿فيه﴾ أي: في ذلك الباب ﴿يعرجون﴾ يصعدون بآلة أو بغيرها ويرون ما فيها من العجائب عياناً أو فظل الملائكة يصعدون وهم يشاهدونهم، ويقال ظل يعمل كذا إذا علمه بالنهار دون الليل، فالمعنى فظل الملائكة الذين اقترحوا إتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يروه عياناً، مستوضحين طول نهارهم كما قال الكاشفي: [پس باشند همه روزفر شتكان در نظر ايشان دران بر بالاميروند وازان در زير مى آيند].

﴿لقالوا﴾ لغاية عنادهم وتشكيكهم في الحق ﴿إنما سكرت أبصارنا﴾ أي سدت من باب الاحساس. يعني [اين صورت در خارج وجود ندارد].

قال في «القاموس»: قوله تعالى: ﴿سكرت أبصارنا﴾ أي حبست عن النظر وحيرت أو غطيت وغشيت.

وفي «تهذيب المصادر»: السكر [بند بستن] كما قال الكاشفي [جزين نيست كه بربسته اند چشمهاى مارا و خيره ساخته] ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٥] قد سحرنا محمد كما قالوه عند ظهور سائر الآيات الباهرة كما قال تعالى حكاية عنهم ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝﴾ [القمر: ٢] تلخيصه لو أوتوا بما طلبوا لكذبوا لتماديهم في الجحود والعناد وتناهيهم في ذلك كما في «الكواشي». وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على أنهم يبتون القول بذلك وأن ما يرونه لا حقيقة له وإنما هو أمر خيل إليهم بنوع من السحر، قالوا: كلمة إنما تفيد الحصر في المذكور آخراً فيكون الحصر في الأبصار لا في التسكير فكأنهم قالوا سكرت أبصارنا لا عقولنا فنحن وإن نتخايل بأبصارنا هذه الأشياء لكنا نعلم بعقولنا أن الحال بخلافه، ثم قالوا: بل نحن كأنهم اضربوا عن الحصر في الأبصار وقالوا بل جاوز ذلك إلى عقولنا بسحر سحره لنا.

أي رسول ما تو جادوا نيستى آنچنانكه هيچ مجنون نيستى

واعلم أن السحر من خرق العادة، وخرق العادة قد يصدر من الأولياء فيسمى كرامة، وقد يصدر من أصحاب النفوس القوية من أصل الفطرة وإن لم يكونوا أولياء وهم على قسمين: إما خير بالطبع أو شرير، والأول: إن وصل إلى مقام الولاية فهو وليّ وإن لم يصل فهو من الصلحاء المؤمنين والمصلحين، والثاني: خبيث ساحر ولكل منهما التصرّف في العالم الشهادي بحسب مساعدة الأسباب المهيأة لهم فإن ساعدتهم الأسباب الخارجية استولوا على أهل العالم كالفراعنة من السحرة وإن لم تساعدهم ليس لهم ذلك إلا بقدر قوّة اشتغالهم بأسبابهم الخاصة والسحر لا بقاء له بخلاف المعجزة كالقرآن فإنه باق على وجه كل زمان والسحر يمكن معارضته بخلافها ولا يظهر السحر إلا على يد فاسق، وكذا الكهانة والضرب بالرمل والحصى ونحو ذلك والضرب بالحصى هو الذي يفعله النساء ويقال له الطرق وقيل الخط في الرمل وأخذ العوض عليه حرام كما في «فتح القريب».

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في «كتاب اختلاف الأئمة» السحر رقى وعزائم وعقد تؤثر في الأبدان والقلوب فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه وله حقيقة عند الأئمة الثلاثة.

وقال الإمام أبو حنيفة: لا حقيقة له ولا تأثير له في الجسم وبه قال جعفر الاسترابادي

من الشافعية وتعلمه حرام بالإجماع، وكذا تعلم الكهانة والشعبذة والتنجيم والضرب بالشعير وأما المعزم الذي يعزم على المصروع ويزعم أنه يجمع الجن وإنها تطيعه فذكره أصحابنا في السحرة ـ روي ـ عن الإمام أحمد أنه توقف فيه، وسئل سعيد بن المسيب عن الرجل الذي يؤخذ عن امرأته ويلتمس من يداويه فقال إنما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع فإن استطعت أن تنفع أخاك فافعل انتهى ما في اختلاف الأئمة باختصار، وكون السحر إشراكاً مبني على اعتقاد التأثير منه دون الله والتطير والتكهن والسحر على اعتقاد التأثير كفر، وكذا الذي تطير له أو تكهن له أو سحر له إن اعتقد ذلك وصدقه كفر وإلا فحرام وليس بكفر، فعلى الأول معنى قوله عليه السلام: «ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له» أنه كافر وعلى الثاني ليس من أهل سنتنا وعامل طريقتنا ومستحق شفاعتنا، وأما تعليق التعويذ وهو الدعاء المجرب أو الآية المجربة أو بعض أسماء الله تعالى لدفع البلاء فلا بأس، ولكن ينزعه عند الخلاء والقربان إلى النساء كذا في «التاتارخانية»، وعند البعض يجوز عدم النزع إذا كان مستوراً بشيء والأولى النزع كذا في «شرح الكردي على الطريقة».

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾.

﴿ولقد جعلنا﴾ الجعل هنا بمعنى الخلق والابداع. والمعنى: بالفارسية [وبدرستى كه ما آفرديم وپيدا كرديم]. ﴿في السماء﴾ متعلق بجعلنا. ﴿بروجاً﴾ قصوراً ينزلها السيارات السبع في السموات السبع كما أشار إليها في «نصاب الصبيان» على الترتيب بقوله:

هفت كوكب هست كيتى را كاه ازيشان مدار وكاه خلل
قمرست وعطارد وزهره شمس ومريخ ومشترى وزحل

وهي البروج الاثنا عشر المشهورة المختلفة الهيئات والخواص وأسماؤها: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت. وقد بسطنا القول في البروج والمنازل في أوائل سورة يونس فليراجع ثمة، وإنما سميت البروج التي هي القصور المرفوعة لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها، واشتقاق البرج من التبرج لظهورها.

وفي «شرح التقويم»: البرج في اللغة الحصن وغاية الحصن المنع عن الدخول والوصول إلى ما فيه ويقسم دور الفلك ويسمى كل قسم منها برجاً طول كل واحد ثلاثون درجة وعرضه مائة وثمانون من القطب إلى القطب وكل ما يقع في كل قسم يكون في ذلك البرج ولما كانت هذه الأقسام المتوهمة في الفلك كالموانع عن تصرفات أشخاص العالم السفلي فيما فيها من الأنجم وغيرها كما أشير إليه في الكتاب الإلهي بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢] اعتبر المناسبة وسميت بالبروج ﴿وزيناها﴾ أي السماء بتلك البروج المختلفة الاشكال والكواكب سيارات كانت أو ثوابت وسميت السيارة لسرعة حركاتها وسميت الثابتة بالثوابت إما لثبات أوضاعها أبداً وإما لقلة حركاتها الثابتة وغاية بطئها، فإن السماويات ليست بساكنة وحركات الثوابت على رأي أكثر المتأخرين درجة واحدة في ست وستين سنة شمسية وثمان وستين سنة قمرية فيتم برجاً في ألفي سنة ودورة في أربعة وعشرين ألف سنة وتسمى

الثوابت بالكواكب البيابانية إذ يهتدى بها في الفلاة وهي البيابان بالعجمية، والكواكب الثابتة بأجمعها على الفلك الثامن وهو الكرسي وفوقه الفلك الأطلس أي فلك الأفلاك وهو العرش، سمي بالأطلس لخلوه عن الكواكب تشبيهاً له بالثوب الأطلس الخالي عن النقش ثم حركة الأفلاك بالإرادة وحركة الكواكب بالعرض إذ كل منها مركوز في الفلك كالكرة المنغمسة في الماء والكواكب التي أدركها الحكماء بإرصادهم ألف وتسعة وعشرون فمنها سيارة ومنها ثوابت والكل مما أدركوا وما لم يدركوا زينة السماء كما أن في الأرض زينة لها ﴿للناظرين﴾ لكل من ينظر إليها فمعنى التزيين ظاهر، أو للمتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك على قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فتزيينها ترتيبها على نظام بديع مستتبع للآثار الحسنة، وتخصيصهم لأنهم هم المنفعون بها وأما غيرهم فنظرهم كلا نظر. قال السعدي قدس سره:

دوچشم از پی صنع باری نكوست　　زعيب برادر فرو كير و دوست
غبار هوا چشم عقلت بدوخت　　سموم هوا كشت عمرت بسوخت
بكن سرمهٔ غفلت از چشم پاك　　كهفردا شوى سرمه در چشم خاك

﴿وحفظناها﴾ أي السماء ﴿من كل شيطان رجيم﴾ مرمى بالنجوم فلا يقدر أن يصعد إليها ويوسوس في أهلها ويتصرف في أهلها ويقف على أحوالها، فيلاحظ في الكلام معنى الإضافة إذ الحفظ لا يكون من ذات الشيطان، وفي كلمة كل ههنا دلالة على أن اللام في الشيطان الرجيم في الاستعاذة لاستغراق الجنس كما في «بحر العلوم».

وقال بعضهم: هل المراد في الاستعاذة كل شيطان أو القرين فقط الظاهر إنه في حقنا القرين قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦] وفي حق رسول الله ﷺ إبليس، أما نحن فلان الإنسان لا يؤذيه من الشياطين إلا ما قرن به وما بعد فلا يضر شيئاً.

والعاقل لا يستعيذ مما لا يؤذيه وأما الرسول عليه السلام فلأنه لما قيل له ولا أنت يا رسول الله قال: «ولا أنا ولكن الله تعالى أعانني عليه حتى أسلم فلا يأمرني إلا بخير» فإذا كان قرينه عليه السلام قد أسلم فلا يستعيذ منه فالاستعاذة حينئذٍ من غيره وغيره يتعين أن يكون إبليس أو أكابر جنوده لأنه قد ورد في الحديث: «أن عرش إبليس على البحر الأخضر وجنوده حوله وأقربهم إليه أشدهم بأساً ويسأل كلا منهم عن عمله وإغوائه ولا يمشي هو إلا في الأمور العظام» والظاهر أن أمر رسول الله ﷺ من أهم المهمات عنده فلا يؤثر به غيره من ذريته.

يقول الفقير إنما يستعيذ عليه السلام من الشيطان امتثالاً للأمر الإلهي لا غير، إذ لا تسلط له على أفراد أمته المخلصين بالفتح فضلاً عن التسلط عليه وهو آيس من وسوسته ﷺ لأنه يحترق من نوره عليه السلام فلا يقرب منه، وأما قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] ففرض وتقدير وتشريع وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١] لا يدل على وقوع المس في حق كل متق، بل يكفي وجوده في حق بعض أفراد الأمة في الجملة ولئن سلم كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢] أي إذا قرأ وناجى ألقى الوسوسة في قراءته ومناجاته فهو يعلم أنه عليه السلام لا يعمل بمقتضى وسوسته، لأنه نفسه أخرج المخلصين بالفتح من أن يتعرض لهم إغواء

أو يؤثر فيهم وسوسة، ولا مانع من الاستعاذة من كل شيطان سواء كان مؤذياً أم لا، إذ عداوته القديمة لبني آدم مصححة لها، ومن نصب نفسه للعداوة فأولاده تابعة له في ذلك وقد ذكروا أن لوسوسته اليوم في قلوب جميع أهل الدنيا حالة واحدة وهو كقبض عزرائيل عليه السلام الأرواح من بني آدم وهي في مواضع مختلف وهو في مكان واحد.

﴿إلا من استرق السمع﴾ محله النصب على أنه استثناء متصل، لأن المسترق من جنس الشيطان الرجيم أي إن فسر الحفظ بمنع الشياطين عن التعرض لها على الإطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة أو منقطع أي ولكن من استرق السمع أن فسر ذلك بالمنع عن دخولها أو التصرف فيها والاستراق افتعال وبالفارسية: [بدزديدن] والمسترق المستمع مختفياً كما في «القاموس» والسمع بمعنى المسموع كما قال الكاشفي [بدزدد سخنى مسموع] واستراق السمع اختلاسه سراً شبه به خطفتهم اليسيرة من قطاع السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر. ﴿فأتبعه﴾ أي: تبعه ولحقه وبالفارسية [پس از پی در آيدش وبدو رسد وبسوزدش] قال ابن الكمال: الفرق قائم بين تبعه واتبعه يقال اتبعه اتباعاً إذا طلب الثاني اللحوق بالأول وتبعه تبعاً إذا مر به ومضى معه ﴿شهاب﴾ لهب محرق وهي شعلة نار ساطعة ﴿مبين﴾ ظاهر أمره للمبصرين ومما يجب التنبه له أن هذا حكاية فعل قبل النبي ﷺ وأن الشياطين كانت تسترق في بعض الأحوال قبل أن يبعثه الله فلما بعث رسول الله ﷺ كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الإنس والجن ومنع الاستراق رأساً وبالكلية.

مهى بر آمد وبازار تيركى بشكست كلى شكفت وهيا هوى خار آخرشد

ويعضده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات ولما ولد محمد عليه السلام منعوا من السموات كلها بالشهب، وما يوجد اليوم من أخبار الجن على ألسنة المخلوقين إنما هو خبر منهم عما يرونه في الأرض مما لا نراه نحن كسرقة سارق أو خبية في مكان خفي، ونحو ذلك، وإن أخبروا بما سيكون كان كذباً كما في «آكام المرجان».

وفي الحديث: «إن الملائكة تنزل إلى العنان فتذكر الأمر الذي قضى في السماء فيسترق الشيطان السمع فيوحيه إلى الكهان فيكذبون مائة كذبة من عند أنفسهم».

وفي بعض التفاسير إن الشياطين كانوا يركب بعضهم بعضاً إلى السماء الدنيا أو كان الشيطان المارد يصعد ويكون الآخر أسفل منه فإذا سمع قال للذي هو أسفل منه قد كان من الأمر كذا وكذا فيهرب الأسفل لأخبار الكهنة ويرمي المستمع بالشهاب فهم لا يرمون بالكواكب نفسها لأنها قارة بالفلك على حالها وما ذاك إلا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص فمنهم من يحرق وجهه وجبينه ويده وحيث يشاء الله ومنهم من يخبل أي يفسد عقله حتى لا يعود إلى الاستماع من السماء فيصير غولاً فيضل الناس في البوادي ويغتالهم أي يهلكهم ويأخذهم من حيث لم يدروا.

قال ابن الأثير في «النهاية»: الغول أحد الغيلان وهي جنس من الجن والشيطان، وكانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فتتلون تلونا في صور شتى تضلهم عن الطريق وتهلكهم انتهى.

وفيه إشارة إلى أن وجود الغول لا ينكر، بل المنكر تشكلهم بأشكال مختلفة وإهلاكهم

بني آدم وهو مخالف لما سبق آنفاً من التفاسير اللهم إلا أن يراد أن ذلك قبل بعثة النبي عليه السلام وقد أبطله عليه السلام بقوله: «لا غول ولكن السعالى» أي: لا يستطيع الغول أن يضل أحداً فلا معنى للزعم المذكور. والسعالى بالسين المفتوحة والعين المهملة سحرة الجن جمع سعلاة بالكسر ولكن في الجن سحرة تتلبس وتتخيل لهم.

قال في «أنوار المشارق»: والذي ذهب إليه المحققون أن الغول شيء يخوف به ولا وجود له كما قال الشاعر:

الجود والغول والعنقاء ثالثة ... أسماء أشياء لم توجد ولم تكن

وتزعم العرب أنه إذ انفرد رجل في الصحراء ظهرت له في خلقة إنسان ورجلاها رجلاً حمار انتهى.

وأما قول صاحب «المثنوي» قدس سره:

ذكر حق كن بانك غولاً نرا بسوز ... چشم نركس را ازين كركس بدوز

فيشير إلى الشياطين الخبيثة المفسدة بل إلى كل مضل للطالب عن طريق الحق على سبيل التشبيه وفائدة الذكر كونه دافعاً لوساوسه لأنه إذا ذكر الله خنس الشيطان أي تأخر، ولعل المراد ـ والله أعلم ـ أن الجن ليس لهم دماغ كأدمغة بني آدم فلا تحمل لهم على استماع الصوت الجهوري الشديد فالذاكر إذا رفع صوته بالذكر طرد عن نفسه الشيطان وأحرقه بنور ذكره وأفسد عقله بشدة صوته وشهاب نفسه المؤثر.

ذكر أبو بكر الرازي أن التكبير جهراً في غير أيام التشريق لا يسن إلا بإزاء العدو واللصوق تهيبياً لهم انتهى.

يقول الفقير: لما كان أعدى العدو هي النفس وأشد اللصوص والسراق هو الشيطان اعتاد الصوفية بجهر الذكر في كل زمان ومكان تهيبياً لهما وطرداً لوسوستهما والقاآتهما.

والعاقل لا يستريب فيه أصلاً ولا يصيخ إلى قول المنكر رأساً.

وقال محمد بن طلحة في «العقد الفريد»: قد اختار الحكماء للسلطان جهارة الصوت في كلامه ليكون أهيب لسامعيه وأوقع في قلوبهم انتهى.

وفيه إشارة إلى أن الروح مع القوى والأعضاء كالسلطان مع الاتباع والرعايا فما هو ملتزم في الآفاق ملتزم في الأنفس إلى أن ترتفع الحاجة والضرورة بأن أوقع المكالمة مع الندماء لكون المقام مقام الانبساط وقس عليه حال أهل الشهود والوصول إلى الله والحصول عنده بحيث ما غابوا لحظة.

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿والأرض﴾ نصب على الحذف على شريطة التفسير. **﴿مددناها﴾** بسطناها ومهدناها للسكنى. وبالفارسية [وزمين را باز كشيدم برروى آب ازز يرخانه كعبه] عن أبي هريرة رضي الله عنه خلقت الكعبة أي موضعها قبل الأرض بألفي سنة كانت حشفة على الماء عليها ملكان

يسبحان الله فلما أراد الله أن يخلق الأرض دحاها منها أي بسطها فجعلها في وسط الأرض.

وفي بعض الآثار: أن الله سبحانه وتعالى قبل أن يخلق السموات والأرض كان عرشه على الماء أي العذب، فلما اضطرب العرش كتب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن، فلما أراد أن يخلق السموات والأرض أرسل الريح على ذلك الماء فتموج فعلاه دخان فخلق من ذلك الدخان السموات، ثم أزال ذلك الماء عن موضع الكعبة فيبس. وفي لفظ أرسل على الماء ريحاً هفافة فصفقت الريح الماء أي ضرب بعضه بعضاً فأبرز عنه خشفة بالخاء المعجمة وهي حجارة يبست بالأرض في موضع البيت كأنها قبة وبسط الحق سبحانه من ذلك الموضع جميع الأرض طولها وعرضها وهي أصل الأرض وسرتها أي وسط الأرض المعمورة المسكونة وأما وسط الأرض عامرها وخرابها فقبة الأرض وهو مكان معتدل فيه الأزمان في الحر والبرد ومستوفية الليل والنهار أبداً.

واعلم أن من الأمكنة الأرضية ما يلحق بعالم الجنان كمكة والمدينة وبيت المقدس والمساجد والبقاع للعبودية، خصوصاً ما بين قبر النبي عليه السلام ومنبره روضة من رياض الجنة ومن دخله وزاره بالاعتقاد الخالص والنية الصادقة كان آمناً من المكاره والمخاوف في الدنيا والآخرة.

اين چه زمين است كه عرش برين رشك برد باهمه رفعت بدين
چونكه نيم محرم ديوار تو مى نكرم بردر وديوار تو
آنكه شرف يافت بديدار تو جان چه بود تاكنند ايثار تو

﴿وألقينا فيها رواسي﴾ أي: جبالاً ثوابت، لولا هي لمارت، فلم يستقر له أحد على ظهرها يقال رسا رسوا ورسوّا ثبت كأرسى، شبه الجبال الرواسي استحقاراً لها واستقلالاً لعددها وإن كانت خلقاً عظيماً بحصيات قبضهن قابض بيده فنبذهن وما هو إلا تصوير لعظمته وتمثيل لقدرته وإن كان فعل عظيم يتحير فيه الأذهان فهو هين عليه. والمعنى وجعلنا في الأرض رواسي بقدرتنا الباهرة وحكمتنا البالغة وذلك بأن قال لها كوني فكانت، فأصبحت الأرض وقد أرسيت بالجبال بعد أن كانت تمور موراً، فلم يدر أحد مم خلقت، وعدد الجبال سوى التلول ستة آلاف وستمائة وثلاثة وسبعون على ما في «زهرة الرياض» وأول جبل نصب على وجه الأرض أبو قبيس وهو جبل بمكة وأفضل الجبال على ما قاله السيوطي أحد بضمتين وهو جبل بالمدينة لقوله عليه السلام: «أحد يحبنا ونحبه» وكان مهبط آدم عليه السلام بأرض الهند بجبل عال يراه البحريون من مسافة أيام وفيه أثر قدم آدم مغموسة في الحجر ويرى على هذا الجبل كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ولا بد له في كل يوم من مطر يغسل قدمي آدم وذروة هذا الجبل أقرب ذري جبال الأرض إلى السماء كما في «إنسان العيون» ويضاف هذا الجبل إلى سرنديب وهو بلد بالهند والجبال خزائن الله في أرضه لمنافع عباده وإنها بمنزلة الرجال في الأكوان يقال للرجل الكامل جبل ـ حكي ـ أن بعض الأولياء رأى مناماً في الليلة التي هلك فيها رجال بغداد على يد هولاكو خان إن جبال العراقين ذهبت من وجه الأرض بهبوب الرياح المظلمة على بغداد فوصل الخبر أن هولاكو خان قد دخل مدينة بغداد في تلك الليلة وقتل من الأولياء والعلماء والصلحاء والأمراء وسائر الناس ما لا يحصى عدداً.

سركشته بودخواه ولى خواه نبي درواي ما أدري ما يفعل بي

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿والأرض مددناها﴾ أي: أن أرض البشرية تميد كنفس الحيوانات إلى أن أرساها الله بجبال العقل وصفات القلب.

كشتئ بي لنكر آمد مردشر كه زباد كژنمي يابد حذر
لنكر عقلست عاقل را امان لنكرى دربوزه كن از عاقلان

﴿وأنبتنا فيها﴾ أي في الأرض لأن الفواكه الجبلية غير منتفع بها في الأكثر أو لأن الأرض تعمها فإنها لما ألقيت فيها صارت منها ﴿من كل شيء موزون﴾ بميزان الحكمة ذاتاً وصفة ومقداراً أي مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون. يعني [برويانيديم اززمين چيزهاى نيكو مشتمل بر منافع كليه از اشجار ومزروعات باآنكه وزن كنند وبه پيمانند].

﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ بالياء التصريحية لأنه من العيش فالياء أصلية فوجب تصريحاً وهو جمع معيشة أي ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرها مما يتعلق به البقاء ﴿ومن لستم له برازقين﴾ [روزى دهند كان] وهو عطف على معايش كأنه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقيه من العيال والمماليك والخدم والدواب وما أشبهها على طريقة التغليب، وذكرهم بهذا العنوان لرد حسبانهم إنهم يكفون مؤوناتهم، ولتحقيق أن الله تعالى هو الذي يرزقهم وإياكم، أو عطف على محل لكم وهو النصب كأنه قيل وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين فيكون من عطف الجار والمجرور على الجار والمجرور ﴿وإن من شيء﴾ أي: ما من شيء من الأشياء الممكنة ﴿إلا عندنا﴾ يعني [درتحت فرماننا] ﴿خزائنه﴾ جمع خزانة بمعنى المخزن وهي ما يحفظ فيه نفائس الأموال لا غير، غلب في العرف على ما للملوك والسلاطين من خزائن أرزاق الناس شبهت مقدوراته تعالى في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة من وصول أيديهم مع كمال افتقارهم إليها ورغبتهم فيها وكونها مهيأة متأتية لإيجاده وتكوينه بحيث متى تعلقت الإرادة بوجودها وجدت بلا تأخير بنفائس الأموال المخزونة في الخزائن السلطانية فذكر الخزائن على طريقة الاستعارة التخييلية.

يقول الفقير: سمعت من حضرة شيخي وسندي قدس سره أن الإشارة بالخزائن إلى الأعيان الثابتة فلا يفيض شيء إلا من الأعيان الثابتة وعلم الله تابع المعلوم وما يقتضيه من الأحوال فما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿وما ننزله﴾ أي ما نوجد وما نكون شيئاً من تلك الأشياء ملتبساً بشي من الأشياء ﴿إلا بقدر معلوم﴾ أي إلا ملتبساً بمقدار معين يقتضيه الحكمة ويستدعيه المشيئة التابعة لها.

وفي «الكواشي»: وما نوجده مع كثرته وتمكننا منه إلا بحد محسوب على قدر المصلحة. وبالفارسية [مكر باندازهء دانسته شده كه نه كم ازان شايدونه زياده بران بايد] وحيث كان إنشاء ذلك بطريق التفضل من العالم العلوي إلى العالم السفلي كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦] وكان ذلك بطريق التدريج عبر عنه بالتنزيل.

وفي «تفسير أبي الليث» ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾ أي مفاتيح رزقه ويقال خزائن المطر ﴿وما ننزله﴾ أي المطر ﴿إلا بقدر معلوم﴾ يعني بكيل ووزن معروف.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني: يعلمه الخزان إلا يوم الطوفان الذي اغرق الله فيه قوم نوح فإنه طغى على خزائنه وكثر فلم يحفظوا ما خرج منه يومئذٍ أربعين يوماً.

وفي «بحر العلوم» وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه

والإنعام بأضعاف ما وجد، وما نعطيه إلا بمقدار فعلم أن ذلك خير لهم وأقرب إلى جمع شملهم أو بتقدير علمنا، أنهم يسلمون معه من المضرة ويصلون إلى المنفعة ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في لأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير.

وفي «التأويلات النجمية»: إن لكل شيء خزائن مختلفة مناسبة له كما لو قدرنا شيئاً من الأجسام فله خزانة لصورته وخزانة لاسمه وخزانة لمعناه وخزانة للونه وخزانة لرائحته وخزانة لطعمه وخزانة لطبه وخزانة لخواصه وخزانة لأحواله المختلفة الدائرة عليه بمرور الأيام وخزانة لنفعه وضره وخزانة لظلمته ونوره وخزانة لملكوته وغير ذلك وهو خزانة لطف الله وقهره وما من شيء إلا وفيه لطف الله وقهره مخزون وقلوب العباد خزائن صفات الله تعالى بأجمعها وما ننزل شيئاً مما في خزائنه إلا بقدر ما هو معلومنا في الأزل لحكمتنا البالغة المقتضية لإيجاده وإنزاله ﴿**وأرسلنا الرياح لواقح**﴾ حال مقدرة جمع ريح لاقح إذا أتت بسحاب ماطر من لقحت الناقة تلقح حبلت وألقحها الفحل إذا أحبلها وحملها الماء فكان الريح حملت الماء وحملته السحاب فشبهت الريح التي تجيء بالخير من إنشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا يكون كذلك.

وقال أبو عبيدة: لواقح بمعنى ملاقح جمع ملقحة لأنها تلقح السحاب والأشجار بأن تقويها وتنميها إلى أن يخرج ثمرها وقيل بأن تجري الماء فيها حتى تهتز وتخرج الزهر.

قالوا الرياح للخير والريح للشر لقوله عليه السلام: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً» وأما قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢] فقد جاء فيه الريح المفردة بمعنى الخير والنفع باعتبار قيدها لا باعتبار إطلاقها.

قال محمد بن علي ـ رضي الله عنه ـ ما هبت ريح ليلاً ولا نهاراً إلا قام رسول الله ﷺ وقعد وقال: «اللهم إن كان بك اليوم سخط على أحد من خلقك بعثتها تعذيباً له فلا تهلكنا في الهالكين وإن كنت بعثتها رحمة فبارك لنا فيها» فإذا قطرت قطرة قال «رب لك الحمد ذهب السخطط ونزلت الرحمة». قال مطرف رحمه الله لو حبست الريح عن الناس لانتن ما بين السماء والأرض ﴿**فأنزلنا**﴾ بعدما أنشأنا بتلك الرياح سحاباً ماطراً ﴿**من السماء**﴾ من جانب العلو فإن كل ما علاك سماء وهو ظاهر هناك لا الفلك ﴿**ماء**﴾ أي بعض الماء كما يفيده التنكير فإنه معلوم عند الناس علماً يقينياً أنه لم ينزل من السماء الماء كله بل قدر ما يصلون به إلى المنفعة ويسلمون معه من المضرة ﴿**فأسقيناكموه**﴾ أي جعلنا المطر لكم سقيا تشربونه وتسقونه المواشي والضياع. وبالفارسية [پس بخوار انيديم شمارا آن آب وتصرف داديم دران] وسقى وأسقى واحد.

قال في «الإرشاد» هو أبلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معداً لهم يرتفقون به متى شاؤوا وهى أطول كلمة في القرآن وحروفها أحد عشر وحروف انلزمكموها عشرة ﴿**وما أنتم له**﴾ أي للمطر المنزل ﴿**بخازنين**﴾ أي نحن القادرون على إيجاده وخزنه في السحاب وإنزاله وما أنتم على ذلك بقادرين، وقيل ما أنتم بخازنين له بعدما أنزلناه في الغدران والآبار والعيون بل نحن نخزن في هذه المخازن ونحفظ فيها لنجعلها سقياً لكم مع أن طبيعة الماء تقتضي الغور وهو بالفارسية [فروشدن آب درزمين امام ماتريدي در تأويلات فرموده كه نيستند شمامر خدايرا خزينه داران يعني خزاين او دردست شمانيست زآنچه شما خزينه نهيد همه ازان اوست].

﴿وإنا لنحن نحيي﴾ بإيجاد الحياة في بعض الأجسام القابلة لها وتقديم الضمير للحصر وهو إما تأكيد للأول أو مبتدأ خبره الفعل والجملة خبر لأنا ولا يجوز كونه ضمير الفصل لأنه يقع بين الاسمين ﴿ونميت﴾ بإعدامها وإزالتها عنها وقد يعم الإحياء والإماتة لما يشمل الحيوان والنبات والله تعالى يحيي الأرض بالمطر أيام الربيع ويميتها أيام الخريف ويحيي بالإيمان ويميت بالكفر [در لطائف قشيري مذكوراست كه زندكى ميدهيم دلهارا بأنوار مشاهده ومي ميرانيم نفوس را درنار مجاهده يا زنده مي سازيم بمواقت طاعات ومرده مي كردانيم بمتابعت شهوات].

ومن مقالات حضرة الشيخ الأكبر لولده صدر الدين القنوي ـ قدس الله سرهما ـ وكم قتلت وأحييت من الأولاد والأصحاب مات من مات وقتل من قتل ولم يحصل له ما حصل لك وهو شهود تجلي الذات الدائم الأبدي الذي لا حجاب بعده ولا مستقر للكمل دونه فقال صدر الدين يا سيدي الحمد لله على اختصاصي بهذه الفضيلة اعلم أنك تحيي وتميت وتفصيله في شرح الفصوص.

قال الامام الغزالي ـ رحمه الله ـ: معنى المحيي والمميت الموجد ولكن الوجود إذا كان هو الحياة سمي فعله إحياء وإذا كان هو الموت سمي فعله إماتة ولا خالق للموت والحياة إلا الله فمرجع هذين الاسمين إلى صفات الفعل ﴿ونحن الوارثون﴾ قيل للباقي وارث الميت لأنه يبقى بعد فنائه. فالمعنى ونحن الباقون بعد فناء الخلق جميعاً، المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك المجازي، الحاكمون في الكل أولاً وآخراً وليس لهم إلا التصرف الصوري والملك المجازي، وفيه تنبيه على أن المتأخر ليس بوارث للمتقدم كما يتراءى من ظاهر الحال والمكاشفون المشاهدون المعاينون يرون الأمر الآن على ما هو عليه من العدم فإن قيامة العارفين دائمة فهم سامعون الآن من الله تعالى من غير حرف ولا صوت نداء لمن الملك اليوم موقنون بأن الملك لله الواحد القهار في كل يوم وفي كل ساعة وفي كل لحظة.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿وإنا لنحن نحيي﴾ قلوب أوليائنا بأنوار جمالنا ﴿ونميت﴾ نفوسهم بسطوة نظرات جلالنا ﴿ونحن الوارثون﴾ بعدا إفناء وجودهم ليبقوا ببقائنا. وفي «المثنوي»:

پشه آمد از حديقه وزكياه وز سليمان كشته پشه داد خواه
كاي سليمان معدلت مي كسترى بر شياطين وآدمي زاد وپرى
مشكلات هر ضعيفي از تو حل پشه باشد در ضعيفي خود مثل
داد ده مارا ازين غم كن جدا دست كيراي دست تو دست خدا
پس سليمان كفت اي انصاف وجو داد وانصاف ازكه ميخوهى بكو
كيست آن ظالم كه ازباد بروت ظلم كرست وخرا شيده است روت
كفت پشه داده من ازدست باد كو دودست ظلم مارا بركشاد
بانك زدآن شه كه اي باد صبا پشه افغان كرد از ظلمت بيا
هين مقابل شو توبا خصم وبكو پاسخ خصم وبكن دفع عدو
باد چون بشنيد آمد تيز تيز شه بكرفت آن زمان راه كريز
پس سليمان كفت اي پشه كجا باش تابر هردورانم من قضا

كفت اي شه مرك من ازبود اوست خود سياه اين روز من ازدوداوست
او چون آمد من كجا يابم قرار كو بر آرد ازنهاد من دمار
همچنين جوياي دركاه خدا چون خدا آمد شود جوينده لا
كرچه آن وصلت بقا اندر بقاست ليك زا اول أن بقا اندر فناست
سايهايى كه بود جوياي نور نيست كردد چون كند نورش ظهور
عقل كي ماند چو باشد سرده او كل شيء هالك إلا وجهه
هالك آمد پيش وجهش هست ونيست هست اندر نيستي خود طرفه ايست

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم﴾ استقدم بمعنى تقدم أي من تقدم منكم ولادة وموتاً يعني الأولين من زمان آدم إلى هذا الوقت **﴿ولقد علمنا المستأخرين﴾** استأخر بمعنى تأخر أي من تأخر منكم ولادة وموتاً يعني الآخرين إلى يوم القيامة أو من تقدم في الإسلام والجهاد وسبق إلى الطاعة ومن تأخر في ذلك لا يخفى علينا شيء من أحوالكم.

﴿وإن ربك هو﴾ لا غير **﴿يحشرهم﴾** أي يجمع المتقدمين والمتأخرين يوم القيامة للجزاء، وهو القادر على ذلك والمتولي له لا غير فهو رد لمنكري البعث. **﴿إنه حكيم﴾** بالغ الحكمة متقن في أفعاله فإنها عبارة عن العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والإتيان بالأفعال على ما ينبغي وهي صفة من صفاته تعالى لا من صفات المخلوقين، وما يسمونه الفلاسفة الحكمة هي المعقولات وهي من نتائج العقل والعقل من صفات المخلوقين فكما لا يجوز أن يقال لله العاقل لا يجوز للمخلوق الحكيم إلا بالمجاز لمن آتاه الله الحكمة كما في «التأويلات النجمية» **﴿عليم﴾** وسع علمه كل شيء ولعل تقديم صفة الحكمة للإيذان باقتضائها للحشر والجزاء.

وقال الامام الواحدي في «أسباب النزول»: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت تصلي خلف النبي عليه السلام امرأة حسناء في آخر النساء فكان بعضهم يتقدم في الصف الأول ليراها وكان بعضهم في الصف المؤخر فإذا ركع نظر من تحت إبطه فنزلت.

وقيل: كانت النساء يخرجن إلى الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان من الرجال من في قلبه ريبة يتأخر إلى آخر صف الرجال ومن النساء من في قلبها ريبة تتقدم إلى أول صف النساء لتقرب من الرجال فنزلت، وفي الحديث: «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها» قال في «فتح القريب» هذا ليس على عمومه بل محمول على ما إذا اختلطن بالرجال فإذا صلين متميزات لا مع الرجال فهن كالرجال ومن صلى منهن في جانب بعيد عن الرجال فأول صفوفهن خير لزوال العلة والمراد بشر الصفوف في الرجال والنساء كونها أقل ثواباً وفضلاً وأبعدها عن مطلوب الشرع وخيرها بعكسه. وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن عن مخالطة الرجال ورؤيتهن وتعلق القلب بهن عند رؤية حركاتهن وسماع كلامهن ونحو ذلك، وذم أول صفوفهن لعكس ذلك والصف الأول الممدوح الذي وردت الأحاديث بفضله والحث عليه هو الذي يلي الإمام، سواء كان صاحبه على بعد من الإمام أو قرب وسواء تخلله مقصورة أو منبراً وأعمدة ونحوها أم لا هذا

هو الصحيح وقيل الصف الأول هو المتصل من طرف المسجد إلى طرفه لا تتخله مقصورة ونحوها فإن تخلل الذي يلي الامام شيء فليس بأول بل الأول ما لم يتخلله شيء وإن تأخر.

وقيل الصف الأول عبارة عن مجيء الانسان إلى المسجد أولاً وإن صلى في صف متأخر وعن أنس رضي الله عنه حض رسول الله ﷺ على الصف الأول في الصلاة فازدحم الناس عليه وكان بنو عذرة دورهم قاصية عن المسجد فقالوا نبيع دورنا ونشتري دوراً قريبة من المسجد فأنزل الله تعالى هذه الآية يعني إنما يؤجرون بالنية وفي الحديث: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات» قالوا بلى يا رسول الله قال: «إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة».

قال في «فتح القريب» الدار البعيدة لمن يقدر على المشي أفضل وهذا في حق من هو متفرغ لذلك ولا يفوته بكثرة خطاه أو مشيه إلى المسجد مهم من مهمات الدين فإن كان يفوته ذلك كالاشتغال بالعلم والتعلم والتعليم ونحو ذلك من فروض الكفاية فالدار القريبة في حقه أفضل وكذا الضعيف عن المشي ونحوه.

فإن قيل روى الإمام أحمد في مسنده أن النبي ﷺ قال: «فضل البيت القريب من المسجد على البعيد منه كفضل المجاهد على القاعد عن الجهاد».

فالجواب أن هذا في نفس البقعة وذاك في الفعل فالبعيد داراً مشيه أكثر وثوابه أعظم والبيت القريب أفضل من البيت البعيد ولهذا قيل في قوله ﷺ: «الشؤم في ثلاث المرأة والدار والفرس» إن شؤم الدار أن تكون بعيدة عن المسجد لا يسمع ساكنها الأذان.

قال العلماء: ينبغي أن يستثنى من أفضلية الأبعد الإمام، فإن النبي عليه السلام والأئمة بعده لم تتباعد عن المسجد لطلب الأجر.

واختلف فيمن قربت داره من المسجد هل الأفضل له أن يصلي فيه، أو يذهب إلى الأبعد فقالت طائفة الصلاة في لأبعد أفضل عملاً بظاهر الأحاديث وقيل الصلاة في الأقرب أفضل لما روى الدارقطني أن النبي ﷺ قال: «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد» ولإحياء حق المسجد ولماله من الجوار فإن كان في جواره مسجد ليس فيه جماعة وبصلاته فيه تحصل الجماعة كان فعلها في مسجد الجوار أفضل على المذهب، لما في ذلك من عمارة المسجد وإحيائه بالجماعة، أما لو كان إذا صلى في المسجد الجوار صلى وحده فالبعيد أفضل ولو كان إذا صلى في بيته صلى جماعة وإذا صلى في المسجد صلى وحده ففي بيته أفضل.

قال بعضهم: جار المسجد أربعون داراً من كل جانب، وقيل جار المسجد من سمع النداء ويقال: أراد بالآية المصلين في أول الوقت والمؤخرين إلى آخره وفي الحديث: «أول الوقت رضوان الله ووسط الوقت رحمة الله وآخر الوقت عفو الله تعالى» قال في شرح «كتاب الشهاب» للقضاعي عند قوله عليه السلام: «نوروا بالفجر فإنه أعظم للأجر» [كفت نماز بامداد بروشنايي كنيدكه مزد بزر كترباشد يعني بآخر وقت واين مذهب أبو حنيفة رحمه الله باشدكه نماز بآخر وقت فاضلتر باشد يعني كه وجوب متأكد ترباشد كه بفوات نزديكتر باشد ومذهب امام شافعي رحمه الله كفت اول الوقت رضوان الله وآخر الوقت عفو الله وعفو نباشد إلا ازكناه پس معلوم كشت كه اول وقت فاضلتر باشد] قال أبو محمد النيسابوري المراد بآخر الوقت بعد خروجه لأن العفو يقتضي ذلك لأنه لا يكون إلا عن ذنب، فالمراد بأول الوقت عنده جميع

الوقت كما قال في «أسئلة الحكم» لوقت وقتان، وقت الأداء ووقت القضاء فوقت الأداء هو أول الوقت المرضي عند الله ووقت القضاء هو الوقت المرخص فيه وآخر الوقت هو القضاء وهو عفو الله عمن قضى الصلاة خارج وقتها.

فإن قيل: ما معنى أول الوقت رضوان الله؟.

والجواب: أن أول الوقت بمنزلة المفتاح، فإذا حصل وعرف قدره فقد استعد لرضى الله تعالى لأن العبرة للفاتح والخاتم فإذا حصل المفتاح حصل الختم وينبغي أن يشتغل بأسباب الصلاة عند دخول الوقت، أو يقدم ما يمكن تقديمه من الأسباب قبل دخول الوقت ويشرع في الصلاة إذا دخل الوقت لتنطبق الصلاة على أول الوقت، ويستحب التأخير في مسائل، منها الإبراد بالظهر. ومنها فقد الماء أول الوقت وكان ذا ثقة من وجوده آخر الوقت، ومنها إذا كان بحضرة طعام تتوق نفسه إليه، ومنها إذا كان يتحقق الجماعة آخر الوقت، ومنها إذا كان بمواضع منهى عنها كمواضع المكس والأسواق والربا ومن أعظم مواضع الربا الصاغة فإنه يحرم دخولها بغير حاجة لغلبة الربا فيها.

قال في «شرح المهذب»: فإذا تيقنت بهذا المذكور فعليك بالإقدام على الطاعات والمسارعة إلى العبادات حتى لا يظفر بك النفس والشيطان في جميع الحالات، واحذر من التسويف ولعلك لا تنال ما أملت من عمر وزمان. وفي «المثنوي»:

صوفى ابن الوقت باشد اي رفيق   نيست فردا كفتن از شرط طريق

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ أي هذا النوع بأن خلقنا أصله وأول فرد من أفراده خلقاً بديعاً منطوياً على خلق سائر أفراده انطواء إجمالياً ﴿من صلصال﴾ من طين يابس غير مطبوخ يصلصل أي يصوّت عند نقره وإذا طبخ، أي: مسته النار فهو فخار. ﴿من حمأ﴾ أي كان ذلك الصلصال من طين تغير وأسود بطول مجاورة الماء ﴿مسنون﴾ صفة حمأ أي منتن. وبالفارسية [بوي كرفته بواسطهٔ بسيار بودن در آب چون لايى كه درنك حوض وجوى باشد] أو مصور من سنة الوجه وهي صورته أو مصبوب من سن الماء صبه أي مفرغ على هيئة الإنسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة في القوالب كالرصاص والنحاس ونحوهما كأنه سبحانه أفرغ الحمأ فصوّر من ذلك تمثال إنسان أجوف فيبس حتى إذا نقر صوت ثم غيره إلى جوهر آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

قال الكاشفي: [صاحب تبيان كفته كه حق سبحانه وتعالى آدم را ازخاك آفريد بران وجه كه آب برخاك بارانيد تاكل شد ومدتي بكذشت تاحمأ كشت پس آنرا تصوير كرد مسنون بمعنى مصوراست آنكه بكذاشت تاخشك شد وبمرتبهٔ صلصال رسيد] وكان بين خلقه ونفخ روحه أربع جمع من الآخرة وخلق بعد العصر يوم الجمعة والظاهر أنه خلق في جنة من جنات الدنيا بغربيها وعليه أكابر أهل الله تعالى.

﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿والجان﴾ أبا الجن.

قال في «الروضة»: إبليس وهو أبو الجن والجان اسم جمع للجن كما في «القاموس» وسمي بذلك لأنه يجن أي يستتر، ويجوز أن يراد به الجنس كما هو الظاهر من الإنسان لأن تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقاً منها ﴿**خلقناه من قبل**﴾ من قبل خلق الإنسان ﴿**من نار السموم**﴾ من نار الشديد الحر فإن السموم في اللغة الريح الحارة، والريح الحارة فيها نار. والفرق بين السموم والحرور أن السموم تكون غالباً بالنهار والحرور الريح الحارة بالليل، وقد تكون بالنهار كما في «القاموس». وقيل سميت سموماً لأنها بلطفها تنفذ في مسام البدن وهي ثقبه كالفم والمنخر والأذن، وقيل نار السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها، وهي نار بين السماء والحجاب فإذا أحدث الله أمراً خرقت الحجاب فهوت إلى ما أمرت فالهدة التي تسمعون خرق ذلك، وقدم خلق الإنسان على الجان مع أنه خلق قبله تعظيماً لشأنه وإظهاراً لفضله وكان بين خلق آدم والجن ستون ألف سنة.

واتفق أهل العلم من أهل التحقيق إن عالم الملك مقدم خلقة على عالم الجان وعالم الجان مقدم على عالم الإنسان وانتقل ملك الدنيا إلى آدم ليحصل له الاعتبار بالسابقين ويظهر له الفضل على الكل بتأخيره عن جميع المخلوقات لأنه كالخاتم على الباب وهو خاتم المخلوقات ونتيجة الكائنات ونسخة الكليات من المحسوسات والمعقولات وبه تم كمال الوجود لتحقيقه بوصفي الجمال والجلال واللطف والقهر بخلاف الملك فإنه مخلوق على جناح واحد وهو اللطف. قال المولى الجامي:

ملاتك را چه سود از حسن طاعت چو فيض عشق بر آدم فروريخت

ولم يكن قبل آدم خلق من التراب فخلق آدم منه ليكون عبداً خضوعاً وضوعاً ذلولاً مائلاً إلى السجود لأنه مقام العبودية الكاملة فكل جنس يميل إلى جنسه ولهذا تواضع آدم لله واستكبر إبليس عن التواضع فأبى وعلا وتكبر فمال إلى جنسه لأنه خلق من نار.

قال أهل الحكمة: لا شك أن الله تعالى قادر خلق آدم ابتداء على هيئة خاصة من مادة خاصة وإنما خلقه من تراب ثم من طين ثم من حمأ مسنون ثم من صلصال كالفخار إما لمحض المشيئة الإلهية التي هي محض الحكمة الجامعة أو لما فيه من دلالة الملائكة ومصلحتهم ومصلحة الخلق لأن خلق الإنسان من هذه الأمور أعجب من خلق الشيء من شكله وجنسه.

﴿**وإذ قال ربك**﴾ أي: اذكر يا محمد وقت قوله تعالى ﴿**للملائكة**﴾ [بجهت خلافت زمين].

يقول الفقير: إن في هؤلاء الملائكة اختلافاً شديداً والحق ما ذهب إليه أكابر أهل الله تعالى من أن المقول لهم القول الآتي والساجدين لآدم عليه السلام هم الذين تنزلوا من مرتبة الأرواح إلى مرتبة الأجسام فدخل فيهم جبريل ونحوه من أكابر الملائكة وأصاغرهم سماوية كانت أو أرضية لأن كلهم ملتبسون بملابس الجسمانية اللطيفة فاللام لاستغراق الجنس وأما المراد بالعالين في قوله تعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] الملائكة المهيمون الذين بقوا في عالم الأرواح واستغرقوا في نور شهود الحق وليس لهم شعور بنفوسهم فضلاً عن آدم وغيره وهم خير من هذا النوع الإنساني في شرف الحال لا في الجمعية والكمال، والإنسان فوق الملائكة الأرضية والسماوية في رتبة الفضيلة والكمال بل في شرف الحال أيضاً لأنهم

كلهم عنصريون مخلوقون بيد واحدة فليس لهم شرف حاله ولا رتبة كماله. قال الحافظ:

فرشه عشق نداندكه چيست قصه مخوان بـخـوان جـام وكـلابـي بـخـاك آدم ريـز

﴿إني خالق﴾ فيما سيأتي البتة كما يدل عليه التعبير باسم الفاعل الدال على التحقيق ﴿بشراً﴾ قال في «القاموس» البشر محركة الإنسان ذكراً أو أنثى واحداً أو جمعاً وقد يثنى ويجمع أبشاراً وظاهر جلد الإنسان ﴿من صلصال﴾ متعلق بخالق أو صفة لبشراً أي بشراً كائناً من صلصال كائن ﴿من حمأ مسنون﴾ تقدم تفسيره شاورهم الله تعالى بصورة الامتحان ليميز الطيب أي الملك من الخبيث أي إبليس فسلم الملك وهلك إبليس ولذلك قيل عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان.

وقيل: أخبرهم سبحانه بتكوين آدم قبل أن يخلقه ليوطنوا أنفسهم على فناء الدنيا وزوال ملكوتها كما قال تعالى لآدم ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] والسكنى لا تكون إلا على وجه العارية ليوطن نفسه على الخروج من الجنة. قال الصائب:

مـهـيـاي فـنـارا از عـلائـق نـيـسـت پـراويـي

نيند يشد زخاك آنكس كه دا من دركمردارد

وإنما خلق الله آدم بعد جميع المخلوقات ليكون خاتم المخلوقات كسيد المرسلين خاتم الأنبياء فظهر فيه شرف الختم فهو بمنزلة خاتم الملك على باب الكنز الخاص.

﴿فإذا سويته﴾ أي صورته بالصورة الإنسانية والخلقة البشرية ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ النفخ إجراء الريح إلى تجويف جسم صالح لإمساكها والامتلاء بها وهو كناية عن إيجاد الحياة ولا نفخ ثمة ولا منفوخ بل ليس عند الحقيقة إلا لقاء الموجد اسم فاعل بالموجد اسم مفعول وسريان هويته إليه وظهور صفته وفعله فيه.

قال الشيخ عز الدين: النفخ عبارة عما اشعل نور الروح في المحل القابل فالنفخ سبب الاشعال وصورة النفخ في حق الله تعالى محال، والمسبب غير محال فعبر عن نتيجة النفخ بالنفخ وهو الاشعال، وأما السبب الذي اشتعل به نور الروح فهو صفة في الفاعل، وصفة في المحل القابل أما صفة الفاعل فالجود الذي هو ينبوع الوجود وهو فياض بذاته على كل موجود حقيقة وجوده ويعبر عن تلك الصفة بالقدرة ومثالها فيضان نور الشمس على كل قابل الاستنارة عند ارتفاع الحجاب بينهما والقابل هو الملونات دون الهواء الذي لا تلون له وأما صفة المحل القابل فالاستواء والاعتدال الحاصل في التسوية كما قال تعالى: ﴿فإذا سويته﴾ ومثال صفة القابل صقالة المرآة فإن المرآة قبل صقالتها لا تقبل الصورة وإن كانت محاذية لها فإذا صقلت حدثت صورة من ذي الصورة المحاذية لها فكذلك إذا حصل الاستواء في النطفة حدث فيها الروح.

آن صـفـاي آيـنـه وصـفـت دلـسـت صـورت بـي مـنـتـهـاراً قـابـلـسـت

أهـل صـيـقـل رسـتـه انـدازبـوورنـك هـر دمـى بـيـنـنـد خـوبـى بـي درنـك

وإنما أضاف النفخ إلى ذاته لأنه تعالى باشر تسويته وتعديله فخلقه وسواه وعدله بيديه المقدستين ثم نفخ بذاته دون واسطة فيه من روحه الإضافي وهو نفسه الرحماني الذي يقال له الوجود الظلي المشار إليه بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] نفخاً استلزم

لكونه نفخاً بالذات فيما بوشرت تسويته باليدين معرفة الأسماء كلها جمالية لطفية كانت أو جلالية قهرية.

قال الشيخ عز الدين: الروح منزهة عن الجهة والمكان وفي قوتها العلم بجميع الأشياء والاطلاع عليها وهذه مناسبة ومضاهاة ليست لغيره من الجسمانيات فلذلك اختصت بالإضافة إلى الله تعالى.

قال الامام الجلدكي في «كتاب الإنسان»: من كتاب البرهان: جوهر الإنسان حقيقة واحدة في الفطرة الأولى ذات قوى كثيرة وهو المسمى عند الصوفية روحاً وقلباً وعند الحكيم نفساً ناطقة فإذا تعلق بالبدن انتشرت قواه واختفى نوره وحصل له مراتب كثيرة وعند احتجابه بغواشي النشأة واستحالته بالأمور الطبيعية يسمى نفساً، وعند تجرده وظهور نوره يسمى عقلاً، وعند إقباله على الحق ورجوعه إلى العالم القدسي ومشاهدته يسمى روحاً وباعتبار اطلاعه ومعرفته للحق وصفاته وأسمائه جمعاً وتفصيلاً يسمى قلباً وباعتبار إدراكه للجزئيات فقط واتصافه بالملكات والهيئات التي هي مصادر الأفعال يسمى نفساً انتهى كلامه.

يقول الفقير: ذهب جمع من أهل السنة والجماعة منهم الغزالي والامام الرازي وفاقاً للحكماء والصوفية إلى أن الروح أثر مجرد غير حال بالبدن يتعلق به تعلق العاشق بالمعشوق يدبر أمره على وجه لا يعلمه إلا الله تعالى، وتحقيق المقام أن الروح سلطاني وحيواني فالأول من عالم الأمر ويقال له المفارق أيضاً لمفارقته عن البدن وتعلقه به تعلق التدبير والتصرف وهو لايغني بخراب هذا البدن وإنما يفنى تصرفه في الأعضاء ومحل تعينه هو القلب الصنوبري والقلب من عالم الملكوت.

قال في «التعريفات» الروح الأعظم هو الروح الإنساني مظهر الذات الإلهية من حيث ربوبيتها والثاني من عالم الخلق ويقال له القلب والعقل والنفس أيضاً وهو سار في جميع أعضاء البدن كما قال في «التعريفات» الروح الحيواني جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن وأقوى مظاهره الدم ومحل تعينه هو الدماغ، وهو أثر الروح السلطاني ومبدأ الأفعال والحركات، وهو بمنزلة الصفة من الذات فكما أن الأفعال الإلهية تبتني على اجتماع الذات بالصفة كذلك الأفعال تتفرع على اجتماع الروح السلطاني بالروح الحيواني، وكما أن الصفات الإلهية الكمالية كانت في بطن غيب الذات الأحدية قبل وجود هذه الأفعال والآثار، كذلك هذا الروح الحيواني كان بالقوة في باطن الروح السلطاني قبل تعلقه بهذا البدن.

قال حضرة شيخي قدس سره: في بعض تحريراته: غيب السر وهو السر الأخفى أي سر السر مظهر الوجود المطلق عن جميع التعينات السلبية والإيجابية بالإطلاق الذاتي الأصلي الحقيقي الوجودي لا بالإطلاق الإضافي النسبي الوهمي الاعتباري، والسر مظهر التعين الأول الذاتي الأحدي الجمعي والروح السلطاني مظهر التعين الثاني الصفاتي الواحد الفرقي، والروح الحيواني مظهر التعين الثالث الفعلي ولا حجاب إلا جهالة النفس بنفسها وغفلتها عنها فلو ارتفعت جهالتها وغفلتها لشاهدت الأمر وعاينته كما تشاهد الشمس في وسط السماء وتعاينها، اللهم ارفع الحجب عن القلوب حتى تنفتح أبواب الغيوب انتهى بعبارته.

قال الله تعالى في بعض كتبه المنزلة: اعرف نفسك يا إنسان تعرف ربك وقال عليه

الصلاة والسلام: «اعرفكم بنفسه أعرفكم بربه» ومن فضل الله تعالى على الإنسان أن علمه طريق معرفته بأن جمع في شخصه مع صغر حجمه من العجائب ما يكاد يوازي عجائب كل العالم حتى كأنه نسخة مختصرة من هيئة العالم.

آدمي چيست برزخى جامع صورت خلق وحق درو واقع
متصل با دقائق جبروت مشتمل بر حقائق ملكوت

ليتوسل الإنسان بالتفكر فيها إلى العلم بالله الذي هو أجل العلوم وأشرف المعارف. ومعنى الآية فإذا كملت استعداده وجعلت فيه الروح حتى جرى آثاره في تجاويف أعضائه فحيي وصار حساساً متنفساً. ﴿فقعوا له﴾ أمر من وقع يقع وفيه دليل على أنه ليس المأمور به مجرد الانحناء كما قيل أي: أسقطوا له ﴿ساجدين﴾ امتثالاً لأمر الله تعالى وتحية لآدم وتعظيماً وتكريماً له واسجدوا لله على أنه عليه السلام بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته وحكمته.

يقول الفقير: لي رؤيا صادقة في هذا المقام وهي أني رأيت حضرة شيخي وسندي روح الله روحه في المنام في غاية من الانبساط فسألته عن بعض ما يتعلق بالموت فقال كنت على الطهارة الكاملة إلى آخر النفس فلما قبض روحي دخلت فجاً يجري فيه عين ماء فتوضأت منه لأنه وقع الحدث بالنزع ثم عرج بي إلى السماء ثم رجعت إلى جنازتي فصليت علي مع الحاضرين فقلت له هل يبقى العقل والإدراك الذي في هذه النشأة الدنيوية على حاله؟ قال: نعم ثم أخذ بيدي وهو متبسم فقال لي مرتين كن معتقداً لي كأنه أظهر السرور من حسن اعتقادي له فاستيقظت ففي هذه الرؤيا أمور.

منها أن الوضوء ينتقض عند النزع وعليه بني مشروعية الغسل في الأصح والمؤمن الكامل طاهر في حياته ومماته فلا يتنجس والحدث غير التنجس ولو سلم فهو بالنسبة إلى الناقص.

والحاصل إنه يغسل الكامل غسل الناقص، لأنه على غير وضوء بحسب الظاهر ولأنه في هذه النشأة الدنيوية تابع للناقص فيما يتعلق بالأمور الظاهرة، ومنها بيان بقاء العقل والإدراك على حاله لأن العقل والإيمان والولاية ونحوها من صفات الروح وهو لا يتغير بالموت، ومنها أن الروح الكامل يشهد جنازته فيكون أسوة للناس في الصلاة فصلاته على نفسه إشارة إلى أن الكامل هو الساجد والمسجود له في مرتبة الحقيقة فعبادته له لا لغيره فافهم جداً، وصلاة الناس عليه إشارة إلى سجود الملائكة لآدم ولهذا شرعت صلاة الجنازة مطلقاً تحقيقاً لهذا السر العظيم ولا ينافيه كونها دعاء وثناء في مرتبة الشريعة إذ لكل مرتبة حد بحسب الوقوف عنده.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿فإذا سويته﴾ تسوية تجعله قابلاً لنفختي وللروح المضاف إليّ ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ يشير بتشريف هذه الإضافة إلى اختصاص الروح بأعلى المرتب من الملكوت الأعلى وكمال قربه إلى الله كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] وإلى اختصاصه بقبول النفخة فإنه تشرف بهذا التشريف وخص به من سائر المخلوقات ﴿فقعوا له ساجدين﴾ وذلك لأن الروح لما أرسل من أعلى مراتب القرب بنفخة الحق تعالى إلى أسفل سافلين القالب كان عبوره على الروحانيات والملائكة المقربين وهم خلقوا من نور فاندرجت أنوار صفاتهم في نور صفاته، كما تندرج أنوار الكواكب في نور الشمس ثم عبر عن الجن والشياطين فاتخذ زبدة خواص صفاتهم ثم عبر على الحيوانات فاستفاد منهم الحواس والقوى

ثم تعلق بالقالب المخلوق بيد الله المخمر فيه لطف الله وقهره المستعد لقبول التجلى فلما خلق الله آدم وتجلى فيه قال لأهل الخطاب وهم الملائكة فقعوا له ساجدين لاستحقاق كماله في الخلقة وشرفه بالعلم وقابليته للتجلي.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿**فسجد الملائكة**﴾ أي: فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة ﴿**كلهم**﴾ بحيث لم يشذ منهم أحد أرضياً كان أو سماوياً ﴿**أجمعون**﴾ بحيث لم يتأخر في ذلك أحد منهم عن أحد بل سجدوا مجتمعين.

يقول الفقير: هذا في الحقيقة تعظيم للنور المنطبع في مرآة آدم عليه السلام وهو النور المحمدي والحقيقة الأحمدية ولله در الحافظ في قوله:

ملك در سجدهٔ آدم زمين بوس تو نيت كرد
كه در حسن تو لطفي يافت بيش از طور انساني

قوله: ﴿**أجمعون**﴾ تأكيد بعد تأكيد لكنه لوحظ فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع كما تلاحظ المعاني الأصلية في الكنى، إذ لا ينافي إقامته مقام كل في إفادة معنى الإحاطة إفادة معنى زائد يقصد ضمناً وتبعاً، فإذا فهمت الإحاطة من لفظ آخر لم يكن بدّ من مراعاة الأصل صوناً للكلام عن الإلغاء ولا ريب في أن السجود معاً أكمل أصناف السجود فيحمل عليه.

قال في «بحر العلوم» قالوا: هو نظير المفسر فإن قوله فسجد الملائكة ظاهر في سجود جميع الملائكة لأن الجمع المعرف باللام ظاهر في العموم يتناول كل واحد من الأفراد كالمفرد لكنه يحتمل التخصيص وإرادة البعض كما في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ﴾ [آل عمران: ٤٢] أي جبريل فبقوله كلهم انقطع ذلك الاحتمال وصار نصاً لازدياد وضوحه على الأول ولكنه يحتمل التأويل والحمل على التفرق فبقوله أجمعون انسد ذلك الاحتمال وصار مفسراً لانقطاع الاحتمال عن اللفظ بالكلية.

فإن قلت: قد استثنى إبليس فيكون محتملاً للتخصيص.

قلت: الاستثناء ليس بتخصيص.

﴿**إلا إبليس**﴾ إبلس يئس وتحير ومنه إبليس أو هو أعجمي انتهى.

وعلى الثاني ليس فيه اشتقاق، وهو الأصح عند الجمهور والاستثناء متصل لأنه الأصل لأنه كان جنياً مفرداً مستوراً فيما بين الملائكة فأمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد الملائكة تغليب الذكر على الأنثى ثم استثنى كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلاً ونظيره قولك رأيتهم إلا هنداً، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال الله لجماعة من الملائكة اسجدوا لآدم فلم يفعلوا فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ثم قال لجماعة أخرى اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس.

يقول الفقير: فيه إشكالان الأول إن عبادة الملائكة طبيعية فلا يتصور منهم التردد فضلاً عن الامتناع عن الامتثال للأمر الإلهي لا سيما أن إبليس لو شاهد تلك الحال لبادر إلى الامتثال خوفاً من سطوة الجلال اللهم إلا أن لا يكون بحضوره والثاني أن التأكيدين أفادا المعية

والاجتماع وذلك بالنظر إلى جميع الملائكة وفيما ذكره تفريق لطائفة عن أخرى **﴿أبى أن يكون مع الساجدين﴾** أبى الشيء يأباه ويأبيه إباء وإباءة كرهه وأبيته إياه كما في «القاموس» وهو جواب قائل قال لم لم يسجد أي عدم سجوده لم يكن من تردده بل من إبائه واستكباره ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً فيتصل به ما بعده أي لكن إبليس أبى أن يكون معهم في السجود لآدم.

وفيه دلالة على كمال ركاكة رأيه حيث ادمج في معصية واحدة ثلاث معاص، مخالفة الأمر والاستكبار مع تحقير آدم ومفارقة الجماعة والإباء عن الانتظام في سلك أولئك المقربين الكرام.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره: في روح القدس اعلم أنه لا شيء أنكى على إبليس من آدم في جميع أحواله في صلاته من سجوده لأنها خطيئته فكثرة السجود وتطويله يحزن الشيطان وليس الإنسان بمعصوم من إبليس في صلاته إلا في سجوده لأنه حينئذٍ يتذكر الشيطان معصيته فيحزن فيشتغل بنفسه عنه ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلتي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار» فالعبد في سجوده معصوم من الشيطان غير معصوم من النفس فخواطر السجود إما ربانية أو ملكية أو نفسية وليس للشيطان عليه من سبيل فإذا أقام من سجوده غابت تلك الصفة عن إبليس فزال حزنه فاشتغل به. وفي «المثنوي»:

آدمي را دشمن پنهان بسيست	آدميْ باحذر عاقل كسيست
خلق پنهان زشتشان وخوبشان	مى زند بردل بهر دم كوبشان
بهر غسل اردر روى درجويبار	بر تو آسيبى زند در آب خار
كرچه پنهان خار درآبست پست	چونكه دو تومى خلد دانى كه هست
خار خارو حيلها ووسوسه	از هزاران كس بوديك كسه
باش تاخسهاى تو مبدل شود	تا ببيني شان ومشكل حل شود

﴿قال﴾ استئناف مبني على سؤال من قال فماذا قال تعالى عند ذلك فقيل قال الله **﴿يا إبليس ما لك﴾** أي أي سبب لك **﴿أن لا تكون﴾** في أن لا تكون **﴿مع الساجدين﴾** لآدم مع أنهم ومنزلتهم في الشرف منزلتهم، وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد تخلفه عنهم بل لكل من المعاصي الثلاث المذكورة.

﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾

﴿قال﴾ إبليس وهو أيضاً استئناف بياني. **﴿لم أكن لأسجد﴾** اللام لتأكيد النفي أي ينافي حالي ولا يستقيم مني أن أسجد. **﴿لبشر﴾** أي: جسم كثيف وأنا جوهر روحاني **﴿خلقته من صلصال﴾** [از كل خشك] **﴿من حمأ مسنون﴾** [ازلاى سياه بوي ناك] وقد تقدم تفسيره. يعني: [اورا از اخس عناصر آفريدي كه خاكست ومرا ازاشرف آن كه آتش است پس روحانىْ لطيف چرا فرمان جسمانىْ كثيف بردواورا سجده كند إبليس نظر بظاهر آدم داشت واز باطن أو غافل بود صورتش را ويرنه ديد ندانست كه كنج أسرار دران خرابه مدفونست.

كجست درين خانه كه در كون نكنجد	اين كنج خراب از پى آن كنج نهانست
في الجملة هرآنكس كه درين خانه رهى يافت	سلطان زمين است وسليمان زمانست

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ لما فيهم من خصوصية انقياد النورية واختصاص العلم بقبول النصح ﴿إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾ لاختصاصه بالتمرد وتمرد النارية والجهل الذي هو مركوز فيه ولحسبانه أنه عالم إذ ﴿قال﴾ له ربه ﴿يا إبليس ما لك أن لا تكون مع الساجدين﴾ أي ما حجتك في الامتناع عن السجود ﴿قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون﴾ أي حجتي أنك خلقتني من نار وهي جوهر لطيف نوراني علوي وخلقته من طين وهو كثيف ظلماني سفلي فأنا خير منه بهذا الدليل فأشار بهذا الاستدلال إلى أن آدم لا ينبغي أن يسجد له لفضله عليه، ومن غاية جهالته وسخافة عقله يشم من نتن كلامه أن الله أخطأ فيما أمره وأمر الملائكة من السجود لآدم وحسب الله جعل استحقاق آدم لسجود الملائكة في بشرية آدم وخلقته من الطين وهو بمعزل عما جعل الله استحقاقه للسجود في سر الخلافة المودعة في روحه المشرف بشرف الإضافة إلى حضرته المختص باختصاص نفخته المتعلم للأسماء كلها المستعد لتجلي جماله وجلاله فيه، ومن ههنا قيل لإبليس إنه أعور لأنه كان بصيراً بإحدى عينيه التي يشاهد بها بشرية آدم وما أودع فيها من الصفات الذميمة الحيوانية السبعية المذمومة المتولدة منها الفساد وسفك الدماء وإنه كان أعمى بإحدى عينيه التي يشهد بها سر الخلافة المودع في روحانيته وما كرم به من علم الأسماء والنفخة الخاصة وشرف الإضافة إلى نفسه وغير ذلك من الاصطفاء والاجتباء.

قال حضرة شيخي وسندي في بعض تحريراته: الأرض وحقائق الأرض في الطمأنينة والإحسان بالوجود لذلك لا يزال ساكناً وسكوناً وساكتاً وسكوتاً لفوزه بوجود مطلوبه فكان أعلى مرتبة العلو في عين السفل وقام بالرضى المتعين من قلب الأرض فمقامه رضى وحاله تسليم ودينه إسلام انتهى.

ويشير إلى سر كلام حضرة الشيخ قول من قال:

ارس را دربيابان جوش باشد بدريا چون رسد خاموش باشد

وقول الصائب أيضاً:

عاشقا نرا تافنا ازشادى وم چاره نيست سيل را پست وبلندى هست تادريا شدن

﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٣٥ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٣٨﴾.

﴿قال﴾ الله تعالى ﴿فاخرج منها﴾ أمر إهانة وإبعاد كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ﴾ [طه: ٩٧] والضمير للجنة وخروجه منها لا ينافي دخولها بطريق الوسوسة وكذا يستلزم خروجه من السموات أيضاً ومن زمرة الملائكة المقربين ومن الخلقة التي كان عليها وهي الصورة الملكية وصفاتها كما هو شأن المطرودين المغضوبين وقد كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسناً وأظلم بعد ما كان نورانياً.

قال أبو القاسم: الأنصاري إن الله باين بين الملائكة والجن والإنس في الصور والاشكال فإن قلب الله تعالى الملك إلى بنية الإنسان ظاهراً وباطناً خرج عن كونه ملكاً، وقس عليه غيره ﴿فإنك رجيم﴾ من الرجم بالحجر أي الرمي به وهو كناية عن الطرد لأن من يطرد يرجم بالحجارة على أثره أي مطرود من رحمة الله ومن كل خير وكرامة، أو من الرجم بالشهب وهو

كناية عن كونه شيطاناً أي من الشياطين الذين يرجمون بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فإن من عارض النص بالقياس فهو رجيم معلون.

﴿وإن عليك اللعنة﴾ الإبعاد عن الرحمة وحيث كان من جهة الله تعالى وإن كان جارياً على ألسنة العباد وقيل في سورة ص ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [ص: ٧٨] إلى يوم الجزاء والعقوبة وفيه إشعار بتأخير عقابه وجزائه إليه وأن اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لفعله وإنما يتحقق ذلك يومئذٍ وحد اللعن بيوم الدين لأن عله اللعنة في الدنيا فإذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة عذاب ينسى عنده اللعنة.

وفي «التبيان»: هذا بيان للتأبيد لا للتوقيت كقوله: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [هود: ١٠٨] في التأبيد ويؤيده وقوع اللعن في ذلك اليوم كما قال تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤] وهو لعن مقارن بالعذاب الأليم نسأل الله الفوز والعاقبة، وإنما حكم عليه باللعنة لاستحقاقه لذلك بحسب الفطرة وفي الأزل فكانت غداءه إلى أبد الآباد. وفي «المثنوي»:

كر جهان باغى پراز نعمت شود قسم مور ومار هم خاكى بود
كرم سركين درميين آن حدث در جهان نقلي ندانند جز خبث

وفيه إشارة إلى أن إبليس النفس مأمور بسجود آدم الروح ومن دأبه وطبعه الإباء عن طاعة الله تعالى والاستكبار عن خليفة الله والامتناع عن سجوده وذلك في بدء خلقتهما على فطرة الله التي فطر الناس عليها فلما أمر إبليس بسجوده وأبى قال: ﴿فاخرج منها﴾ أي: من فطرة الله المستعدة لقبول الكفر والإيمان ﴿فإنك رجيم﴾ مطرود عن جوارنا لأنك قبلت الكفر دون الإيمان ﴿وإن عليك اللعنة﴾ وهي من نتائج صفات القهر أي مقهوراً مبعداً عن مقام عبادنا المقبولين ﴿إلى يوم الدين﴾ أي إلى أن نولج ليل الدين في نهار الدين، وتطلع شمس شواهدنا من مشرق الروح وتصير أرض النفوس مشرقة بأنوار الشواهد، فتكون مطمئنة بها متبدلة صفاتها الذميمة الحيوانية المظلمة بأخلاق الروحانية الحميدة النورانية المستحقة لخطاب ارجعي كما في «التأويلات النجمية» ﴿قال﴾ إبليس عليه ما يستحق ﴿رب﴾ [اي پروردكار] ﴿فأنظرني﴾ الفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فإنك رجيم أي إذا جعلتني رجيماً فامهلني واخرني ﴿إلى يوم يبعثون﴾ أي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم، والبعث إحياء الميت كالنشر وأراد بذلك أن يجد لإغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت إذ لا موت بعد يوم البعث فأجابه إلى الأول دون الثاني، كما قال تعالى:

﴿قال﴾ الله تعالى ﴿فإنك من المنظرين﴾ أي: من جملة الذين أخرت آجالهم أزلاً ودل على أن ثمة منظرين غير إبليس وهم الملائكة فإنهم ليسوا بذكور ولا إناث ولا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون إلى آخر الزمان وأما الشياطين فذكور وإناث يتوالدون ولا يموتون بل يخلدون كما خلد إبليس، وأما الجن فيتوالدون وفيهم ذكور وإناث ويموتون.

بلغ الحجاج بن يوسف أن بأرض الصين مكاناً إذا أخطأوا فيه الطريق سمعوا صوتاً يقول: هلموا إلى الطريق ولا يرون أحداً فبعث ناساً وأمرهم أن يتخاطؤوا الطريق عمداً، فإذا قالوا لكم هلموا إلى الطريق فاحملوا عليهم فانظروا ما هم ففعلوا ذلك قال فدعوهم فقالوا هلموا إلى الطريق فحملوا عليهم، فقالوا: إنكم لن ترونا فقلت منذ كم أنتم ههنا قالوا ما

نحصي السنين غير أن الصين خربت ثماني مرات وعمرت ثماني مرات ونحن ههنا، والصين موضع بالكوفة، ومملكة بالمشرق منها الأواني الصينية وبلدة بأقصى الهند.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إن إبليس إذا مرت عليه الدهور وحصل له الهرم عاد ابن ثلاثين سنة.

ويقال: إن الخضر عليه السلام يجدده الله تعالى في بدنه في كل مائة وعشرين سنة فيعود شاباً وهو من المنظرين، كما في الأخبار الصحيحة وهذه المخاطبة وإن لم تكن بواسطة لكن لا تدل على علو منصب إبليس؛ لأن خطاب الله تعالى له على سبيل الإهانة والإذلال كما في التفاسير.

وقال بعضهم: الصحيح أنه لا يجوز أن يكون كلمه كفاحاً أي شفاهاً ومواجهة وإنما كلمه على لسان ملك، لأن كلام الباري لمن كلمه رحمة ورضى وتكرّم وإجلال، ألا ترى أن موسى عليه السلام فضل بذلك على سائر الأنبياء ما عدا الخليل ومحمداً عليهما السلام وجميع الآي الواردة محمولة على أنه أرسل إليه بملك يقول له.

فإن قلت: أليس رسالته إليه أيضاً تشريفاً.

قيل: مجرد الإرسال ليس بتشريف وإنما يكون لإقامة الحجة بدلالة أن موسى عليه السلام أرسل إلى فرعون وهامان ولم يقصد إكرامهما وتشريفهما كذا في «آكام المرجان».

﴿**إلى يوم الوقت المعلوم**﴾ أي: المعين عند الله تعالى لا يتقدم ولا يتأخر وهو وقت موت الخلق عند النفخة الأولى ثم لا يبقى بعد ذلك حي إلا الله تعالى أربعين سنة إلى النفخة الثانية.

همه تخت وملكي پذيرد زوال بجز ملك فرمان ده لا يزال

قال الكاشفي يعني: [زمان فناء خلق بنفخهٔ أول كه نفخهٔ صعقه كويند چه قول جمهور آنست كه نفخهٔ اول نفخهٔ موت باشد ونفخهٔ ثاني نفخهٔ أحياء وميان دو نفخه بقول اشهر چهل سال خواهد بود پس إبليس چهل سال مرده باشد پس انكيخته شود].

قال في «السيرة الحلبية» هذه النفخة التي هي نفخة الصعق مسبوقة بنفخة الفزع التي يفزع بها أهل السموات والأرض فتكون الأرض، كالسفينة في البحر تضربها الأمواج، وتسير الجبال كسير السحاب وتنشق السماء وتكسف الشمس ويخسف القمر.

وعن وهب أن اليوم المعلوم الذي أنظر إليه إبليس هو يوم بدر قتلته الملائكة في ذلك اليوم.

وقيل وقت طلوع الشمس من مغربها بدليل قول النبي عليه السلام: «إذا طلعت الشمس من مغربها خر إبليس ساجداً ينادي ويجهر إليه مرني أن أسجد لمن شئت فيجتمع ذرياته فيقولون يا سيدنا ما هذا التضرع فيقول إنما سألت ربي أن ينظرني إلى الوقت المعلوم وهذا الوقت المعلوم ثم تخرج دابة الأرض من صدع في الصفا فأول خطوة تضعها بأنطاكية فيأتي إبليس فتلطمه وتقتله بوطئها» والقول الأول أشهر.

قال أحنف بن قيس: قدمت المدينة أريد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، فإذا أنا بحلقة عظيمة وكعب الأحبار فيها يحدث الناس ويقول لما حضر آدم عليه السلام الوفاة قال: يا رب سيشمت بي عدوي إبليس إذا رآني ميتاً وهو منظر إلى يوم القيامة، فأجيب أن يا آدم إنك سترد

إلى الجنة ويؤخر اللعين إلى النظرة ليذوق ألم الموت بعدد الأولين والآخرين ثم قال لملك الموت صف كيف تذيقه الموت؟ فلما وصفه، قال: يا رب حسبي فضج الناس وقالوا يا أبا إسحاق كيف ذلك فأبى فألحوا فقال: يقول الله تعالى لملك الموت عقيب النفخة الأولى قد جعلت فيك قوة أهل السموات السبع وأهل الأرضين السبع وإني ألبستك اليوم أثواب السخط والغضب كلها فانزل بغضبي وسطوتي على رجيمي إبليس، فأذقه الموت واحمل عليه مرارة الأولين والآخرين من الثقلين أضعافاً مضاعفة، وليكن معك من الزبانية سبعون ألفاً قد امتلأوا غيظاً وغضباً وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من أغلالها وانزع روحه المنتن بسبعين ألف كلاب من كلاليبها وناد مالكاً ليفتح أبواب النيران، فينزل ملك الموت بصورة لو نظر إليها أهل السموات والأرضين لماتوا بغتة من هو لها فينتهي إلى إبليس فيقول قف لي يا خبيث لأذيقنك الموت كم من عمر أدركت وقرون أضللت؟ وهذا هو الوقت المعلوم، قال فيهرب اللعين إلى المشرق فإذا هو بملك الموت بين عينيه فيهرب إلى المغرب فإذا هو بين عينيه فيغوص البحار فتتنزه عنه البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الأرض ولا محيص له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم عليه السلام ويتمرغ في التراب من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق حتى إذا كان في الموضع الذي اهبط فيه آدم عليه السلام، وقد نصبت له الزبانية الكلاليب وصارت الأرض كالجمرة احتوشته الزبانية وطعنوه بالكلاليب ويبقى في النزع والعذاب إلى حيث شاء الله تعالى.

هـركـسـى آن درود عـاقـبـت كـاركـه كـشـت

ويقال لآدم وحواء عليهما السلام اطلعا اليوم إلى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان فينظران إلى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا أتممت علينا نعمتك.

شكر خداكه هرچه طلب كردم ازخدا ... بر منتهاى همت خود كامران شدم

قال في «أسئلة الحكم» إنما استجاب الله دعاءه بإنظاره إلى يوم الدين مكافأة له بعبادته التي مضت في السماء وعلى وجه الأرض ليعلم أنه لا يضيع أجر العاملين فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره إما في الدنيا معجلاً مثوبته وأما في الآخرة في حق المؤمن.

وقال في موضع آخر: أهلك الله تعالى أعداء سائر الأنبياء كفرعون ونمرود وشداد وأبقى عدو آدم الصفي وهو إبليس وذريته لأن إبليس لم يكن عدو آدم فحسب إنما كان عدو الله فأمهله وأبقاه إلى آخر الدهر استدراجاً من حيث لا يعلم ليتحمل من الأوزار ما لا يتحمله غيره من الأشرار والكفار فأنظره إلى يوم القرار ليحصل به الاعتبار لذوي الأبصار بأن أطول الأعمار في هذه الدار لرئيس الكفار وقائد زمرة الفجار وأساء الأدب ودعا لنفسه بالبقاء والكبرياء والفراعنة لم يدعوا بالبقاء لأنفسهم وما أصروا على الاستكبار في جميع أعمارهم.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾.

﴿قال﴾ إبليس ﴿رب﴾ [اي پرورد كار من] ﴿بما أغويتني﴾ الباء للقسم وما مصدرية والجواب ﴿لأزينن لهم﴾ أي: أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم أي لذرية آدم المعاصي والشهوات واللذات فالمفعول محذوف. والإغواء [بي راه كردن] يقال غوى غواية ضل.

والتزيين [بياراستن]. ﴿في الأرض﴾ أي في الدنيا التي هي دار الغرور كما في قوله تعالى: ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٧٦] لأن الأرض محل متاعها ودارها.

وفي «التبيان»: أزين لهم المقام في الأرض كي يطمئنوا إليها وإقسامه بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره كما في قوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ [ص: ٨٢] لا ينافي إقسامه بهذا فإنه فرع من فروعها وأثر من آثارها فلعله اقسم بهما جميعاً فحكي تارة قسمه بصفة فعل وهو الإغواء وأخرى بصفة ذاته وهي العزة.

قال الكاشفي: [برخى براننذكه دربما اغويتني باسببي است يعني سبب آنكه مراكمراه كردى من بياريم معاصي رابچشم مردمان] وجعله سعدي المفتي أولى لأن جعل الإغواء مقسماً به غير متعارف إذ الإيمان مبنية على العرف [هرچه بعرف مردمان آنرا سوكند توان كفت يمين است وإلا لا].

يقول الفقير حفظه الله القدير: سمعت من حضرة شيخي وسندي روح الله روحه آن آدم عليه السلام كاشف عن شأنه الذاتي فسلك طريق الأدب حيث ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] وأما إبليس فلم يكن له ذلك ولذلك قال: ﴿بما أغويتني﴾ حيث أسند الأغواء إلى الله تعالى إذ تلك الغواية كانت ثابتة في عينه العلمية وشأنه الغيبي فاقتضت الظهور في هذا العالم، فأظهرها الله تعالى ومن المحال أن يظهر الله تعالى ما ليس بثابت ولا مقدر، وقولهم السعادة الأزلية والعناية الرحمانية من طريق الأدب وإلا فأحوال كل شيء تظهر لا محالة فاسمع واحفظ وصن. قال الحافظ:

پير ما كفت خطا بر قلم صنع نرفت آفرين بر نظر پاك خطا پوشش بود

﴿ولأغوينهم أجمعين﴾ ولأحملنهم أجمعين على الغواية والضلالة.

﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ الذين أخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من شوائب الشرك الجلي والخفي، فلا يعمل فيهم كيدي فإنهم أهل التوحيد الحقيقي على بصيرة من أمرهم ويقظة.

وفي «التأويلات النجمية»: أخلصتهم من حبس الوجود بجذبات الألطاف وأفنيتهم عنهم بهويتك.

ومما كتب لي حضرة شيخي وسندي قدس سره في بعض مكاتيبه الشريفة: أن الصادق والمخلص بالكسر من باب واحد وهو التخلص من شوائب الصفات النفسانية مطلقاً والصديق والمخلص بالفتح من باب واحد وهو التخلص أيضاً من شوائب الغيرية، والثاني أوسع فلكاً وأكثر إحاطة فاجتهد في اللحوق بأصحاب الثاني حتى تأمن من جميع الأغيار والأكدار وكفاك في شرف الصدق أن اللعين ما رضي لنفسه الكذب حتى استثنى المخلصين. قال الحافظ:

طريق صدق بياموز از آب صافي دل براستى طلب ازاد كي چوسرو چمن

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال إبليس لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم، فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أزال اغفر لهم ما استغفروني» وفي الحديث: «لما لعن إبليس قال فبعزتك لا أفارق قلب ابن آدم حتى يموت قال قيل له وعزتي لا أحظر عنه التوبة حتى يغرغر بالموت» وإنما خلق الله إبليس ليميز به العدو من الحبيب، والشقي من السعيد، فخلق الله الأنبياء ليقتدى بهم

السعداء، وخلق إبليس ليقتدى به الأشقياء، ويظهر الفرق بينهما فإبليس دلال وسمسار على النار، والخلاف وبضاعته الدنيا ولما عرضها على الكافرين قيل: ما ثمنها؟ قال ترك الدين فاشتروها بالدين، وتركها الزاهدون واعرضوا عنها، والراغبون فيها لم يجدوا في قلوبهم ترك الدين ولا الدنيا فقالوا له أعطنا مذاقة منها حتى ننظر ما هي فقال إبليس أعطوني رهناً فأعطوه سمعهم وأبصارهم ولذا يحب أرباب الدنيا استماع أخبارها ومسارها ومشاهدة زينتها لأن سمعهم وبصرهم رهن عند إبليس فأعطاهم المذاقة بعد قبض الرهن فلم يسمعوا من الزهاد عيب الدنيا ولم يبصروا قبائحها بل استحسنوا زخرفها ومتاعها فلذلك قيل حبك الشيء يعمي ويصم.

ودخل قوم على أبي مدين فشكوا وسوسة الشيطان فقال: قد خرج من عندي الساعة وشكا منكم وقال قل: لأصحابك يتركوا دنياي حتى اترك لهم دينهم ومتى تعرضوا لمتاعي الدنيا اتشبث بمتاعهم الآخرة.

قال أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ أعداؤك أربعة الدنيا وسلاحها لقاء الخلق وسجنها العزلة.

جامى بملك ومال چوهر سفله دل مبند ... كنج فراغ وكنج قناعت ترا بس است

والشيطان وسلاحه الشبع وسجنه الجوع.

جوع باشد غذاي أهل صفا ... محنت وابتلاي أهل هوا

والنفس وسلاحها النوم وسجنها السهر.

نركس اندر خواب غفلت يافت بلبل صدوصال

خفته تابينا بود دولت به بيداران رسد

والهوى وسلاحه الكلام وسجنه الصمت.

اكر بسيار دانى ادنكى كوى ... يكى را صد مكو صدرا يكى كوى

﴿قال﴾ الله تعالى لإبليس ﴿هذا﴾ أي: تخلص المخلصين من إغوائك. ﴿صراط﴾ [راهيست كه حق است] ﴿عليّ﴾ [برمن رعايت آن] أي كالحق الذي يجب مراعاته في تأكد ثبوته وتحقق وقوعه إذ لا يجب على الله شيء عند أهل السنة ﴿مستقيم﴾ لا عوج فيه ولا انحراف عنه. ويجوز أن يكون هذا إشارة إلى الإخلاص على معنى أنه طريق يؤدي إلى الوصول إلي من غير اعوجاج وضلال فإيثار حرف الاستعلاء على حرف الانتهاء لتأكيد الاستقامة والشهادة باستعلاء من ثبت عليه فهو أدل على التمكين من الوصول وهو تمثيل إذ لا استعلاء لشيء على الله تعالى.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿إن عبادي﴾ وهم المشار إليهم بالمخلصين الجديرون بالإضافة إلى جنابه تعالى لخلوصهم في الإيمان وسلامتهم من إضافة الوجود إلى أنفسهم وحريتهم عما سوى الله تعالى ﴿ليس لك عليهم﴾ على قلوبهم ﴿سلطان﴾ تسلط وتصرف بالأغواء.

قال في «الأسئلة» قيل للشيطان ما حالك مع أبي مدين؟ قال كمثل رجل يبول في البحر

المحيط يريد أن يلوثه هل أسفه منه، أو كمثل رجل يريد أن يطفىء أنوار الشمس بنفسه هل ترى أجهل منه.

وقيل لبعضهم: كيف مجاهدتك للشيطان؟ قال ما الشيطان نحن قوم صرفنا هممنا إلى الله تعالى فكفانا من دونه وفي معناه أنشد.

تسترت عن دهري بظل جنابه فعيني ترى دهري وليس يرانيا
فلو تسأل الأيم ما اسمي ما درت واين مكاني ما عرفن مكانيا

﴿إلا من اتبعك من الغاوين﴾ [مكر آنكس كه متابعت تو كند ازكمراهان كه توبد ومسلط تواني شد].

وفيه إشارة إلى أن إغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان بمعنى القهر والجبر بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم فيتسلط عليهم بالوسوسة والتزيين.

فإن قلت: إن الله تعالى لم يمنع إبليس عن النبي ﷺ.

قلت: سلطه عليه ثم عصمه منه ولذا أسلم شيطانه على يديه وأخذه مرة وجعل رداءه في عنقه حتى استعاذ منه فهو كمثل الفراش يريد أن يطفىء نور السراج فيحرق نفسه.

قال علي رضي الله عنه: الفرق بين صلاتنا وصلاة أهل الكتاب وسوسة الشيطان لأنه فرغ من عمل الكفار لأنهم وافقوه يقول إذا كفر أحد إني بريء منك والمؤمن يخالفه والمحاربة تكون مع المخالفة قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يوسوس لكم ما لو تكلمتم به لكفرتم فعليكم بقراءة ﴿قل هو الله أحد﴾».

قال حضرة شيخي وسندي روح الله روحه ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٦٣] العلماء الصلحاء ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] وهم الذين قال الله تعالى في حقهم ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ والعلماء الفسقاء الجهلاء الذين يمشون على الأرض كبراً وتعظماً وإذا خاطبهم العالمون قالوا كلاماً شنيعاً وملاماً قبيحاً وهم الذين قال الله في حقهم ﴿إلا من اتبعك من الغاوين﴾ فاتقوا الله يا أولي الألباب من العلم الخبيث الذي مال إلهي الخبيثون إذ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات واطلبوا يا ذوي القلوب العلم الطيب الذي قصد إليه الطيبون إذ الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك هم الراشدون المهديون لعلكم تفلحون في الدنيا والآخرة بالعلم النافع والعمل الصالح وأنفع جميع العلوم النافعة هو العلم الإلٰهي الحاصل بالتجلي الإلهي والفيض الرحماني والإلهام الرباني المؤيد بالكتاب الإلهي والحديث النبوي، ولا يحصل ذلك العلم بهذا التجلي والفيض والإلهام إلا عند إصلاح الطبيعة بالشريعة وتزكية النفس بالطريقة وتخلية القلب وتحلية الفؤاد بالمعرفة وتجلية الروح وتصفية السر بالحقيقة بأكمل التوحيد وأشمل التجريد وأفضل التفريد من جميع ما سوى الله، حتى لا يبقى في الطلب والقصد والتوجه والمحبة شيء مما سواه من السلفات الفانية ففروا إلى الله من جميع ما سوى الله سبق المفردون السابقون السابقون أولئك المقربون انتهى كلام الشيخ في «اللائحات البرقيات». قال الجامي:

از عالم صورت كه همه نقش خيالست ره سوى حقيقت نبري در چه خيالي

﴿وإن جهنم﴾ معرب فارسي الأصل، يقال: ركية جهنام، أي: بعيدة الغور وكأنه في الفرس [چه نم] وفي تفسير الفاتحة للفناري سميت جهنم لبعد قعرها يقال بئر جهنام إذا كانت

بعيدة القعر وقعرها خمس وسبعون مائة من السنين وهي أعظم المخلوقات وهي سجن الله في الآخرة ﴿لموعدهم﴾ مكان الوعد للمتبعين أي مصيرهم ﴿أجمعين﴾ تأكيد للضمير والعامل الإضافة يعني الاختصاص لا اسم مكان فإنه لا يعمل.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾

﴿لها سبعة أبواب﴾ يدخلون منها كل باب فوق باب على قدر الطبقات لكل طبقة باب ﴿لكل باب﴾ من تلك الأبواب المنفتح على طبقة من الطبقات، وقوله: ﴿منهم﴾ أي من الاتباع حال من قوله ﴿جزء مقسوم﴾ ضرب معين مفرز من غيره حسبما يقتضيه استعداده فللطبقة الأولى وهي العليا العصاة من المسلمين.

وعن الشيخ الأكبر قدس سره: الأطهر أنه قال: تبقى جهنم خالية ومراده الطبقة العالية فإنها مقر عصاة المؤمنين ولا ريب أن من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان أي من معرفة الله تعالى فإنه لا يبقى مخلداً فتبقى جهنم خالية، وأما الطبقات السافلة فأهلها مخلدة.

يقول الفقير: لكلامه محمل آخر عندي معلوم عند القوم لا يصح كشفه وللطبقة الثانية اليهود، وللثالثة النصارى، وللرابعة الصابئون. وللخامسة المجوس، وللسادسة المشركون، وللسابعة المنافقون.

واختلف الروايات في ترتيب طبقات النار، وفي الأكثر جهنم أولها وفيما بعدها اختلاف أيضاً كما في «حواشي سعدي چلبي» المفتي. وسميت جهنم لما سبق. ولظى لشدة إيقادها. والحطمة لأنها تحطم. والسعير لتوقدها. وسقر لشدة الالتهاب. والجحيم لعمقها. والهاوية لهويها وتسفلها.

وفي «بحر العلوم» أعلم أنه لا يتعين لتلك الأبواب السبعة إلا من عصى الله تعالى بالأعضاء السبعة العين والأذن واللسان والبطن والفرج والرجل والأولى في الترتيب ما في «الفتوحات» أن كونها سبعة أبواب بحسب أعضاء التكليف وهي السمع والبصر واللسان واليدان والقدمان والفرج والبطن فالأعضاء السبعة مراتب أبواب النار فاحفظها كلها من كل ما نهاه الله وحرمه وإلا يصير ما كان لك عليك وتنقلب النعمة عقوبة.

هفت در دوز خند در تن تو ساخته نقشان درو در بند
هين كه دردست تست قفل امروز در هر هفت محكم اندر بند

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وإن جهنم﴾ البعد والاحتراق من الفراق ﴿لموعدهم أجمعين * لها سبعة أبواب﴾ من الحصر والشرة والحقد والحسد والغضب والشهوة والكبر ﴿لكل باب﴾ من الأرواح المتبعين لإبليس النفس المتصفين بصفاتها ﴿جزء مقسوم﴾ بحسب الاتصاف بصفاتها.

وقيل خلق الله تعالى للنار سبعة أبواب دركات بعضها تحت بعض. وللجنة ثمانية أبواب درجات بعضها فوق بعض لأن الجنة فضل والزيادة في الفضل والثواب كرم وفي العذاب جور. وقيل الأذان سبع كلمات والإقامة ثمان فمن أذن وأقام غلقت عنه أبواب النيران وفتحت له أبواب الجنة الثمانية.

واعلم أن أشد الخلق عذاباً في النار إبليس الذي سن الشرك وكل مخالفة وعامة عذابه بما

يناقض ما هو الغالب عليه في أصل خلقته، وهي النار فيعذب غالباً بما في جهنم من الزمهرير.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿إن المتقين﴾ الاتقاء على ثلاثة أوجه اتقاء عن محارم الله بأوامر الله، واتقاء عن الدنيا وشهواتها بالآخرة ودرجاتها واتقاء عما سوى الله تعالى بالله وصفته والأول تقوى العوام والثاني تقوى الخواص والثالث تقوى الأخص ﴿في جنات وعيون﴾ مستقرون فيها لكل واحد منهم جنة وعين على ما تقتضي قاعدة مقابلة الجمع بالجمع والاستغراق هو المجموعي أو لكل منهم عدة منهما على أن يكون الألف واللام للاستغراق الأفرادي.

قال الكاشفي يعني: [باغهاكه درن چشمها روان بود از شير وخمر وانكبين وآب].

يقول الفقير: جعل ما يستقرون فيه في الآخرة كأنهم مستقرون فيه في الدنيا لشدة أخذهم بالأسباب المؤدية إليه ونظيره في حق أهل النار ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠].

﴿ادخلوها﴾ أي يقال لهم من ألسنة الملائكة عند وصولهم إلى الباب وعند توجههم من جنة إلى جنة ادخلوا أيها المتقون تلك الجنات ملتبسين ﴿بسلام﴾ أي حال كونكم سالمين من كل مخوف أو مسلماً عليكم يسلم الله تعالى عليكم والسلام من الله هو الجذبة الإلهية كما في «التأويلات النجمية». ﴿آمنين﴾ من الآفات حال أخرى.

وفي «التأويلات»: ﴿آمنين﴾ من الموانع للدخول والخروج بعد الوصول وفيه إشارة إلى أن السير في الله لا يمكن إلا بالله وجذباته، كما كان حال النبي ﷺ ليلة المعراج حين تأخر عنه جبريل في سدرة المنتهى.

چنان كرم در تيه قربت براند   كه درسدره جبريل ازو باز ماند

ونفى عنه الرفرف في مقام قاب قوسين، وما وصل إلى مقام أو أدنى وهو كمال القرب إلا بجذبة ادن مني فبسلام الله سلم من موانع الدخول والخروج بعد الوصول.

﴿ونزعنا﴾ [وبيرون كشيم] ﴿ما في صدورهم﴾ [آنچه درسينهاى بهشتيان باشد] ﴿من غلٍ﴾ أي: حقد كامن في القلب بسبب عداوة كانت منهم في الدنيا.

عن علي رضي الله عنه: أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم.

وفيه إشارة إلى أن غل أوصاف البشرية من أمارية النفس وصفتها الذميمة لا ينتزع من النفوس إلا بنزع الله تعالى إياه ومن لم ينزع عنه الغل لم يأمن من الخروج بعد الدخول كما كان حال آدم عليه السلام لما أدخل الجنة قبل تزكية النفس ونزع صفاتها عنها أخرج منها بالغل الذي كان من نتائجه، وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه ونزع عنه الغل بالتوبة وهداه إلى الجنة.

يقول الفقير: انتزاع الغل إما أن يكون في الدنيا وذلك بتزكية النفس عن الأوصاف القبيحة وتخلية القلب عن سفساف الأخلاق وهو للكاملين وأما أن يكون في الآخرة وهو للناقصين جعلنا الله وإياكم من المتصافين ﴿إخواناً﴾ حال من الضمير في جنات.

قال الكاشفي: [در آيند ببهشت در حالتى كه برادران باشند يكديكريرا يعني درمهر باني

ودوستارى] وزاد في هذه السورة إخوانا لأنها نزلت في أصحاب رسول الله عليه السلام وما سواها علم في المؤمنين.

يقول الفقير: فهم إذا كانوا إخواناً يعني على المصافاة لم يبق بينهم التحاسد لا في الدنيا على العلوم والمعارف ولا في الآخرة على درجات الجنة ومراتب القرب. ﴿على سرر﴾ [برادران نشسته برتختها از زرمكلل بجواهر. ﴿متقابلين﴾ رويها بيكديكر آورده اند بهشتيان قفاي يكديرك نمى بينند] قال مجاهد تدور بهم الأسرة حيث ما أرادوا فهم متقابلون في جميع أحوالهم يرى بعضهم بعضاً وذلك من نتائج مصافاتهم في الدنيا.

﴿لا يمسهم﴾ [نميرسد ايشانرا] ﴿فيها﴾ [دربهشت] ﴿نصب﴾ [رنجى ومشقتى كه آن سراي تنعم وراحتست] أي شيء منه إذ التنكير للتقليل لا غير.

قال في «الإرشاد» أي تعب بأن لا يكون لهم فيها ما يوجبه من الكد في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل أصلاً أو بأن لا يعتريهم ذلك وإن باشروا الحركات العنيفة لكمال قوتهم ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ أبد الآباد لأن تمام النعمة بالخلود.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿لا يمسهم فيها نصب﴾ من الحسد لبعضهم على درجات بعض وأهل كل درجة مقيمون في تلك الدرجة لا خروج لهم منها إلى درجة تحتها ولا فوقها وهم راضون بذلك لأن غل الحسد منزوع منهم.

پاك وصافى شو وازچاه طبيعت بدر آي ... كه صفايي ندهد آب تراب آلوده

وفي الحديث «أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها، ولا يتمخطون ولا يتغوطون آنيتهم فيها الذهب، وأمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض في قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشياً] رواه البخاري.

قال «فتح القريب» أي: يسبحون الله بقدر البكرة والعشي فأوقات الجنة من الأيام والساعات تقديرات فإن ذلك إنما يجيء من اختلاف الليل والنهار وسير الشمس والقمر وليس في الجنة شيء من ذلك.

قال القرطبي: هذا التسبيح ليس عن تكليف وإلزام لأن الجنة ليست بمحل التكليف وإنما هي محل جزاء وإنما هو عن تيسير وإلهام كما قال في الرواية الأخرى «يلهمون التسبيح والتحميد والتكبير كما يلهمون النفس» ووجه التشبيه أن نفس الإنسان لا بد له منه ولا كلفة عليه ولا مشقة في فعله وسر ذلك أن قلوبهم قد تنورت بمعرفته وأبصارهم قد تمتعت برؤيته وقد غمرتهم سوابغ نعمه وامتلأت أفئدتهم بمحبته ومخالته فألسنتهم ملازمة ذكره ورهينة شكره فمن أحب شيئاً أكثر ذكره.

﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿نبىء عبادي﴾ [آورده اندكه روزى حضرت پيغمبر صلى الله عليه وسلم درباب بني شيبة بمسجد الحرام در آمد جمعي از صحابه را ديدكه مى خندند فرمودكه «ما لي أراكم تضحكون» چيست كه شمارا خندان مي بينم صحابه رايحهٔ عتابي ازين سخن استشمام نمودند وآن

حضرت در كذشت وهنوز بحجره نار سيده بازكشت وكفت جبرائيل آمد وپيام آوردكه چرابند كان مرانا اميد سازى] ﴿نبىء عبادي﴾ أي أعلم عبادي وأخبرهم ﴿أني﴾ أي باني ﴿أنا﴾ وحدي فهو لقصر المسند على المسند إليه ﴿الغفور﴾ [من آمر زنده ام كسى راكه آمر زش طلبد] ﴿الرحيم﴾ [وبخشنده ام بركسى كه توبه كند] أي لا يستر عليهم ولا يمحو ما كان منهم لا ينعم عليهم بالجنة إلا أنا وحدي ولا يقدر على ذلك غيري.

﴿وأن عذابي﴾ [وبآنكه عذاب من برعاصي كه ازتوبه واستغفار منحرفست] ﴿هو العذاب الأليم﴾ هو مثل أنا المذكور أي وأخبرهم بأن ليس عذابي إلا العذاب الأليم وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب حيث لم يقل على وجه المقابلة وإني المعذب المؤلم إيذان بأنهما مما يقتضيهما الذات وأن العذاب إنما يتحقق بما يوجبه من خارج وترجيح وعد اللطف وتأكيد صفة العفو.

كرچه جرم من ازعدد بيش است سبقت رحمتي ازان پيش است
چه عجب كر عذاب ننمايد بركنه پيشكان ببخشايد

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن المختصين بعبوديته هم الأحرار عن رق عبودية ما سواه من الهوى والدنيا والعقبى وهم مظاهر صفات لطفه ورحمته والعذاب لمن يكون عبد الهوى والدنيا وما سوى الله وإنه مظهر صفات قهره وعزته.

وفيه إشارة أخرى إلى سير السائرين وطيران الطائرين في هواء العبودية وفضاء الربونية إنما يكون على قدمي الخوف والرجاء وبجناحي الإنس والهيبة معتدلاً فيهما من غير زيادة إحداهما على الأخرى وفي «الروضة»لقي يحيى عيسى عليهما السلام فتبسم عيسى على وجه يحيى فقال ما لي أراك لاهياً كأنك آمن؟ فقال: ما لي أراك عابساً كأنك آيس؟ فقالا لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي فأوحى الله تعالى أحبكما إليّ أحسنكما ظناً بي، وروي أحبكما إلى الطلق البسام ولم يزل زكريا عليه السلام يرى ولده يحيى مغموماً باكياً مشغولاً بنفسه فقال يا رب طلبت ولداً انتفع به قال طلبته ولياً والولي لا يكون إلا هكذا.

قال مسروق: إن المخافة قبل الرجاء فإن الله تعالى خلق جنة وناراً فلن تخلصوا إلى الجنة حتى تمروا بالنار.

يقول الفقير: الذي ينبغي أن يقدمه العبد هو الخوف لأنه الأصل وفيه تخلية القلب من الأماني الفاسد ولا ينافيه كون متعلق الرجاء هو السابق وهو رحمة الله الواسعة فإنها الأصل وهو بالنسبة إلى صفات الله ولذا جاء في الحديث: «لو يعلم العبد قدر رحمة الله ما تورع عن حرام ولو يعلم العبد قدر عقوبة الله لبخع نفسه» أي أهلكها في عبادة الله تعالى «ولما أقدم على ذنب».

واعلم أن أسباب المغفرة كثيرة أعظمها العشق والمحبة فإن الله تعالى إنما خلق الإنس والجن للعبادة الموصلة إلى المعرفة الإلهية والجذبة الربانية. قال الحافظ:

هرچند غرق بحر كناهم زشش جهت كر آشناى عشق شوم غرق رحمتم

وأسباب العذاب أيضاً كثيرة أعظمها الجهل بالله تعالى وصفاته.

فعلى العاقل أن يجتهد في طريق العشق والمحبة والمعرفة إلى أن يصل إلى المراد ويستريح من تعب الطلب والاجتهاد فإن الواصل إلى المنزل مستريح.

وقد قيل الصوفي من لا مذهب له، وأما من بقي في الطريق فهو في أصبعي الرحمن لا يزال يتقلب من حال إلى حال ومن أمن إلى خوف وبالعكس إلى أن تنقطع الاضافات وعند ذلك يعتدل حاله ويستقيم ميزان علمه وعمله فيعبد الله تعالى إلى أن يأتيه اليقين وهو الموت ﴿ونبئهم﴾ وأخبر أمتك يا محمد﴿عن ضيف إبراهيم﴾ يستوي فيه القليل والكثير أي أضيافه وهو جبريل مع أحد عشر ملكاً على صورة الغلمان الوضاء وجوههم جعلهم ضيفاً، لأنهم كانوا في صورة الضيف أو لكونهم ضيفاً في حسبان إبراهيم عليه السلام.

﴿إذ دخلوا عليه﴾ ظرف لضيف فإنه مصدر في الأصل. ﴿فقالوا﴾ عند دخولهم عليه ﴿سلاماً﴾ أي: نسلم سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ، فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة. ﴿قال﴾ إبراهيم ﴿إنا منكم وجلون﴾ خائفون فإن الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه وإنما قاله عليه السلام حين امتنعوا من أكل ما قربه إليهم من العجل الحنيذ، لما إن المعتاد عندهم أنه إذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يجيء بخير لا عند ابتداء دخولهم.

﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا الضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿قالوا﴾ أي الملائكة ﴿لا توجل﴾ لا تخف يا إبراهيم ﴿إنا نبشرك﴾ استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فإن المبشر به لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا حزن كيف لا؟ وهو بشارة ببقائه وبقاء أهله في عافية وسلامة زماناً طويلاً. والبشارة هو الاخبار بما يظهر سرور المخبر به. والمعنى بالفارسية [بدرستى ترامژده ميدهيم] ﴿بغلام﴾ [به بشرى اسحاق نام] ﴿عليم﴾ أي إذا بلغ. يعني [وقتى كه بلوغ رسد علم نبوت بوي خواهد رسيد].

﴿قال أبشرتموني﴾ [آيا بشارت ميدهيد مرا] ﴿على أن مسني الكبر﴾ وأثر فيّ والاستفهام للتعجب والاستبعاد عادة وعلى بمعنى مع أي مع مس الكبر بأن يولد لي أي أن الولادة أمر مستنكر عادة مع الكبر وأمر عجيب من بين هرمين وهو حال أي أبشرتموني كبيراً أو بمعنى بعد أي بعدما أصابني الكبر والهرم ﴿فبم تبشرون﴾ هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قيل فبأي أعجوبة تبشرون.

وفي «التفسير الفارسي» [پس بچه نوع مژده ميدهيد مرا] وهو بفتح النون مع التخفيف؛ لأنها نون الجماعة وقرىء بكسر النون مع التخفيف لأن أصله تبشروني حذفت الياء وأقيم الكسر مقامها.

﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ أي بما يكون لا محالة ﴿فلا تكن من القانطين﴾ من الآيسين من ذلك، فإن الله تعالى قادر على أن يخلق بشراً بغير أبوين، فكيف من شيخ فانٍ وعجوز عاقر، وكان مقصده عليه السلام استعظام نعمته تعالى عليه في مضمن التعجب العادي المبني على سنة الله المسلوكة فيما بين عباده لا استبعاد ذلك بالنسبة إلى قدرته تعالى كما ينبىء عنه قوله تعالى بطريق الحكاية ﴿من القانطين﴾ دون من الممترين ونحوه.

﴿قال ومن يقنط﴾ استفهام إنكاري أي لا يقنط ﴿من رحمة ربه﴾ [از بخشش آفريده

كارخود] ﴿إلا الضالون﴾ أي: المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحمته وكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه السلام ﴿لَا يَاْيْئَسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] ومراده نفي القنوط عن نفسه على أبلغ وجه أي ليس بي قنوط من رحمته تعالى وإنما الذي أقول لبيان منافاة حالي لفيضان تلك النعمة الجليلة علي.

وفيه إشارة إلى أن بشارته بغلام عليم مع كبره وكبر امرأته بشارة للطالب الصادق وإنه وإن كان مسناً قد ضعف جسمه وقواه، وعجز عن جهاد النفس ومكابدتها واستعمالها في مباشرة الطاعات والأعمال البدنية ويوئسه الشيطان من نيل درجات القرب لأن أسباب تحصيل الكمال قد تناهت ومعظمها العمر والشباب، ولهذا قال المشايخ: الصوفي بعد الأربعين بارد فلا يقنط من رحمة ربه ويتقرب إليه بأعمال القلبية ليتقرب إليه ربه بأصناف الطاف الربوبية وجذبات أعطافه فيخرج من صلب روحه ورحم قلبه غلاماً عليماً بالعلوم اللدنية والرسوم الدينية، وهو واعظ الله الذي في قلب كل مؤمن وقد اشتغل أفراد كالقفال والقدوري بعد كبرهم ففاقوا على علمهم وراقوا بمنظرهم ولطف الله تعالى واصل على كل حال.

قال في «شرح الحكم» من استغرب أن ينقذه الله من شهوته التي اعتقلته عن الخيرات وأن يخرجه من وجود غفلته التي شملته في جميع الحالات فقد استعجز القدرة الإلهية والله تعالى يقول: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥] فأبان سبحانه أن قدرته شاملة صالحة لكل شيء وهذا من الأشياء وإن أردت الاستعانة على تقوية رجائك في ذلك فانظر لحال من كان مثلك ثم أنقذه الله وخصه بعنايته كإبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض وابن المبارك وذي النون ومالك بن دينار وغيرهم من مجرمي البداية.

تا سقاهم ربهم آيد جواب تشنه باش والله أعلم بالصواب

قال في «تاج العروس»: من قصر عمره فليذكر بالأذكار الجامعة مثل سبحان الله عدد خلقه ونحو ذلك والمراد بقصر العمر أن يكون رجوعه إلى الله في معترك المنايا ونحوها من الأمراض المخوفة والأعراض المهولة.

دع التكاسل تغنم قد جرى مثل
كه زاد راهروان چستيست وچالاكى

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿قال﴾ إبراهيم ﴿فما خطبكم أيها المرسلون﴾ أي: أمركم وشأنكم الخطر لعل إبراهيم عليه السلام علم بالقرائن أن مجيء الملائكة ليس لمجرد البشارة، بل لهم شأن آخر لأجله أرسلوا فكأنه قال إن لم يكن شأنكم مجرد البشارة فماذا هو؟

﴿قالوا﴾ أي الملائكة ﴿إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ مصرين على إجرامهم متناهين في آثامهم وهم قوم لوط.

﴿إلا آل لوط﴾ استثناء متصل من الضمير في مجرمين، أي إلى قوم أجرموا جميعاً إلا آل لوط يريد أهله المؤمنين فالقوم والإرسال شاملان للمجرمين وغيرهم. والمعنى إنا أرسلنا إلى قوم أجرم كلهم إلا آل لوط لنهلك الأولين وننجي الآخرين، واكتفى بنجاة الآل لأنهم إذا نجوا

وهم تابعون فالمتبوع وهو لوط أولى بذلك ولوط بن هاران بن تارخ وهو ابن أخي إبراهيم الخليل، كان قد آمن به وهاجر معه إلى الشام بعد نجاته من النار، واختتن لوط مع إبراهيم وهو ابن ثلاث وخمسين وإبراهيم ابن ثمانين أو مائة وعشرين فنزل إبراهيم فلسطين، وهي البلاد التي بين الشام ومصر منها الرملة وغزة وعسقلان وغيرها ونزل لوط الأردنّ، وهي كورة بالشام فأرسل الله لوطاً إلى أهل سدوم بالدال وكانت تعمل الخبائث فأرسل الله إليهم ملائكة للإهلاك. ﴿إنا لمنجوهم أجمعين﴾ أي مما يصيب القوم من العذاب وهو قلب مدائنهم.

﴿إلا امرأته﴾ استثناء من الضمير واسمها واهلة. ﴿قدرنا﴾ حكمنا وقضينا ﴿إنها لمن الغابرين﴾ الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وأسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص كما يقول خاصة الملك أمرنا بكذا والآمر هو الملك.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿فلما جاء آل لوط المرسلون﴾ أي: الملائكة، ﴿قال﴾ لوط ﴿إنكم قوم منكرون﴾ غرباء لا يعرفون أو ليس عليكم زي السفر ولا أنتم من أهل الحضر فأخاف أن تطرقوني بشر.

﴿قالوا﴾ ما جئناك بما تنكرنا لأجله. ﴿بل جئناك﴾ [بلكه آمده ايم بتو] ﴿بما كانوا فيه يمترون﴾ أي: بما فيه سرورك وتشفيك من عدوك، وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون في وقوعه، أي يشكون ويكذبونك جهلاً وعناداً.

﴿وأتيناك﴾ [آورده ايم بتو] ﴿بالحق﴾ بالمتيقن الذي لا مجال فيه للامتراء والشك وهو عذابهم. ﴿وإنا لصادقون﴾ في الأخبار بنزوله بهم.

﴿فأسر بأهلك﴾ فاذهب بهم من السرى وهو السير في الليل.

قال الكاشفي: [پس برون بر ازشهر اهل خودرا بشب] ﴿بقطع من الليل﴾ في طائفة من الليل أي بعض منه. وبالفارسية [در پارهٔ كه ازشب بكذرد] ﴿واتبع أدبارهم﴾ جمع دبر وهو من كل شيء عقبه، ومؤخره، أي: وكن على أثرهم لتسوقهم وتسرع بهم وتطلع على أحوالهم فلا تفرط منهم التفاتة استحياء منك ولا غيرها من الهفوات.

قال في «برهان القرآن»: لأنه إذا ساقهم وكان من ورائهم علم بنجاتهم ولا يخفى عليه حالهم ﴿ولا يلتفت منكم﴾ أي: منك ومنهم ﴿أحد﴾ فيرى ما وراءه من الهول فلا يطيقه أو جعل الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف، لأن من يلتفت لا بد له من أدنى وقفة ولم يقل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك، كما في هود اكتفاء بما قبله وهو قوله إلا امرأته ﴿وامضوا﴾ [وبرويد] ﴿حيث تؤمرون﴾ حيث أمركم الله بالمضي إليه وهو الشام أو مصر أو زغر وهي قرية بالشام.

قال الكاشفي: [شهرستان پنجم است اهل آن هلاك نخواهندشد].

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾﴾.

﴿وقضينا إليه﴾ وأوحينا إلى لوط مقتضياً مبتوتاً ذلك الأمر مبهم يفسره ﴿أن دابر هؤلاء﴾

المجرمين أي آخرهم ﴿مقطوع﴾ [بريده وبركنده است] أي مهلك يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد ﴿مصبحين﴾ حال من هؤلاء، أي: وقت دخولهم في الصبح وهو تعين وقت هلاكهم كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ [هود: ٨١] وتلخيصه أوحينا إليه أنهم يهلكون جميعاً وقت الصبح فكان كذلك.

وفي الآيات إشارات:

الأولى أن لا عبرة بالنسب والقرابة والصحبة بل بالعلم النافع والعمل الصالح ألا ترى أن الله استثنى امرأة لوط فجعلها في الهالكين ولم تنفعها الزوجية بينها وبين لوط كما لم تنفع الأبوة والبنوة بين نوح وابنه كنعان ولله در من قال:

بابدان يا ركشت همسر لوط خاندان نبوتش كم شد

وذلك أنها صحبت لوطاً صورة لا سيرة وصحبت الكفرة صورة وسيرة فلم تنفعها الصورة.

بيش اند ناس صورت ونسناس سيرتان خلقي كه آدم اند بخلق وكرم كم اند

والنسناس حيوان بحري صورته كصورة الإنسان وقيل غير ذلك.

والثانية: أن الشك من صفات الكفرة كما أن اليقين من صفات المؤمنين. وفي «المثنوي»:

افت وخيزان ميرود مرغ كمان با يكى پر بر اميد آشيان
چون زظن وارست علمش رونمود شد دوپر آن مرغ پرها را كشود

والثالثة: أن سالك طريق الحق ينبغي أن لا يلتفت إلى شيء سوى الله تعالى لأنه المقصد الأقصى والمطلب الأعلى بل يمضي إلى حيث أمر وهو عالم الحقيقة ألا ترى أن النبي ﷺ لم يلتفت إلى يمينه ويساره ليلة المعراج بل توجه إلى مقام قاب قوسين وهو عالم الصفات ثم إلى مقام أو أدنى وهو عالم الذات ولم يعقه عائق أصلاً، وهكذا شأن من له علو همة من المهاجرين من بلد إلى بلد ومن مقام إلى مقام. قال المولى الجامي قدس سره:

نشان عشق چه پرسى زهر نشان بكسل كه تا اسير نشاني به بي نشان نرسى

نسأل الله العصمة من الوقوف في موطن النفس والوصول إلى حضيرة القدس والأنس.

﴿وجاء أهل المدينة﴾ [چون زن لوط مهمانان نيكوروررا ديد خبر بقوم فرستاد] وجاء أهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور منزل لوط ومدائن قوم لوط كانت أربعاً وقيل سبعاً وأعظمها سدوم.

وفي «درياق الذنوب» لابن الجوزي: كانت خمسين قرية ﴿يستبشرون﴾ الاستبشار [شاد شدن] أي مظهرين السرور بأنه نزل بلوط عدّة من المرد في غاية الحسن والجمال قصدا إلى ارتكاب الفاحشة.

﴿قال﴾ لوط لهم لما قصدوا أضيافه ﴿إن هؤلاء ضيفي﴾ إطلاق الضيف على الملائكة بحسب اعتقاده عليه السلام لكونهم في زي الضيف ﴿فلا تفضحون﴾ [پس مرا رسواى مكنيد درنزد ايشان] بان تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا أنه ليس لي قدر وحرمة أو لا تفضحون بفضيحة ضيفي فإن من أهين ضيفه أو جاره فقد أهين كما أن الإكرام كذلك. يقال فضحه كمنعه كشف مساويه وأظهر من أمره ما يلزمه العار.

﴿واتقوا الله﴾ في مباشرتكم لما يسوءني أو في ركوب الفاحشة واحفظوا ما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ولا تخزون﴾ ولا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لمن أجرتهم بمثل تلك الفعلة القبيحة. وبالفارسية [ومرا خار وخجل مسازيد پيش مهمانان] من الخزي وهو الهوان.

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

﴿قالوا أو لم ننهك عن العالمين﴾ [از حمايت عالميان يعني غريبان كه فاحشهء ايشان مخصوص بغربا بوده].

قال في «الإرشاد» الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر أي ألم نقدم إليك ولم ننهك عن التعرض لهم بمنعهم عنا وكانوا يتعرضون لكل واحد من الغرباء بالسوء، وكان عليه السلام يمنعهم عن ذلك بقدر وسعه، وهم ينهونه عن أن يجير أحد أو يوعدونه بقولهم لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين، ولما رآهم لا يقلعون عما هم عليه.

﴿قال هؤلاء بناتي﴾ أي بنات قومي فازوجهن إياكم أو تزوجوهن ففي الكلام حذف وإنما جعل بنات قومه كبناته فإن كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة والتربية رجالهم بنوه ونساؤهم بناته، أو أراد بناته الصلبية أي فتزوجوهن ولا تتعرضوا للأضياف وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعية المناكحة بين المسلمات والكفار فإن نكاح المؤمنات من الكفار كان جائزاً فأراد أن يقي أضيافه ببناته كرماً وحمية.

وقيل: كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه ايثا وزعورا ﴿إن كنتم فاعلين﴾ قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم فإن الله تعالى خلق النساء للرجال لا الرجال للرجال.

وفي الآيات فوائد:

الأولى: أن إكرام الضيف ورعاية الغرباء من أخلاق الأنبياء والأولياء وهو من أسباب الذكر الجميل. قال الحافظ:

تيمار غريبان سبب ذكر جميلست　　جانا مكراين قاعده در شهر شمانيست

وقال السعدي قدس سره:

غريب آشنا باش وسياح دوست　　كه سيح جلاب نام نكوست

وفي الحديث: «من أقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وقرى الضيف دخل الجنة» كما في «الترغيب».

والثانية: أنه لا بد لكل مؤمن متق أن يسد باب الشر بكل ما أمكن له من الوجوه ألا ترى أن لوطاً عليه السلام لما لم يجد مجالاً لدفع الخبيثين عرض عليهم بناته بطريق النكاح وإن كانوا غير أكفاء دفعاً للفساد.

والثالثة: أن محل التمتع هي النساء لا الرجال، كما قالوا ضرر النظر في الأمرد أشد لامتناع الوصول في الشرع لأنه لا يحل الاستمتاع بالأمرد أبداً. قال السعدي قدس سره:

خرابت كند شاهد خانه كن　　برو خانه آباد كردان بزن

نشايد هوس باختن باكلى　　كه هر بامدادش بود بلبلى

مكن بد بفرزند مردم نكاه　　كه فرزند خويشت برآيد تباه

چـر اطـفـل يـكـروزه هـوشـش نـبـرد كـه در صنـع ديدن چه بـالـغ چـه خـرد
مـحـقـق هـمـي بـيـنـد از آب وكـل كـه در خـو بـرويـان چـيـن وچـكـل

﴿لعمرك﴾ قسم من الله تعالى بحياة النبي ﷺ وهو المشهور وعليه الجمهور والعمر بالفتح والضم واحد وهو البقاء إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإيثار الأخف، لأن الحلف كثير الدور على ألسنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك قسمي كما حذفوا الفعل في قولهم: تالله ﴿إنهم﴾ أي: قوم لوط ﴿لفي سكرتهم﴾ غوايتهم أو شدة غلمتهم التي أزالت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه والصواب الذي يشار به إليهم من ترك البنين إلى البنات. ﴿يعمهون﴾ يتحيرون ويتمارون، فكيف يسمعون النصح.

قال في «القاموس»: العمه التردد في الضلال والتحير في منازعة أو طريق أو أن لا يعرف الحجة عمه كجعل وفرح عمها وعموها وعموهة وعمهانا فهو عمه وعامه انتهى. ويعمهون حال من الضمير في الجار والمجرور كما في «بحر العلوم».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ما خلق الله تعالى نفساً أكرم على الله من محمد ﷺ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره.

وفي «التأويلات النجمية» هذه مرتبة ما نالها أحد من العالمين إلا سيد المرسلين وخاتم النبيين عليه الصلاة والسلام من الأزل إلى الأبد وهو أنه تعالى أقسم بحياته فانياً عن نفسه باقياً بربه كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ [الزمر: ٣٠] أي ميت عنك حي بنا وهو مختص بها المقام المحمود انتهى.

چـون نـبـي ازهـسـتـئ خـود سر بـتـافـت فـرق پـاكـش از لـعـمـرك تـاج يـافـت
داشـت از حـق زنـدكـي دربـنـدكـي شـد لـعـمـرك جـلـوهٔ آن زنـدكـي

واعلم أن الله تعالى قد أقسم بنفسه في القرآن في سبعة مواضع والباقي من القسم القرآني قسم بمخلوقاته كقوله: ﴿والتين والزيتون﴾. ﴿والصافات﴾. ﴿والشمس﴾. ﴿والضحى﴾ ونحوها.

فإن قلت: ما الحكمة في معنى القسم من الله تعالى؟ فإن كان لأجل المؤمن فالمؤمن يصدق بمجرد الأخبار من غير قسم وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده.

قلت: إن القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمراً.

فإن قلت: ما الحكمة في أن الله تعالى قد أقسم بالخلق وقد ورد النهي عن القسم بغير الله تعالى.

قلت في ذلك وجوه:

أحدها: أنه على حذف مضاف أي ورب التين ورب الشمس وواهب العمر.

والثاني: أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفون.

والثالث: أن الإقسام إنما يكون بما يعظم المقسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل فهو يقسم بما شاء من خلقه وليس لأحد أن يقسم إلا بالله وهذا كالنهي عن الامتنان قال الله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٧] وعن تزكية النفس ومدحها وقد مدح الله تعالى نفسه وقد أقسم الله تعالى بالنبي عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿لعمرك﴾ ليعرف الناس عظمته عند الله ومكانته عند الله

ومكانته لديه فالقسم إما لفضيلة أو لمنفعة كقوله: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾﴾ [التين: ١] وكان الحلف بالآباء معتاداً في الجاهلية فلما جاء الله تعالى بالإسلام نهاهم الرسول عليه السلام عن الحلف بغير الله تعالى.

واختلف في الحلف بمخلوق والمشهور عند المالكية كراهيته وعند الحنابلة حرام.

وقال النووي: هو عند أصحابنا مكروه وليس بحرام قيد العراقي ذلك في شرح الترمذي بالحلف بغير اللات والعزى وملة الإسلام فأما الحلف بنحو هذا فحرام والحكمة في النهي عن الحلف بغير الله تعالى أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به، وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى لا يضاهي بها غيرها وقسمه تعالى بما شاء من مخلوقاته تنبيه على شرف المحلوف به فهو سبحانه ليس فوقه عظيم يحلف به فتارة يحلف بنفسه وتارة بمخلوقاته كما في «الفتح القريب». ويمكن أن يكون المراد بقولهم لعمري وأمثاله ذكر صورة القسم لتأكيد مضمون الكلام وترويجه فقط لأنه أقوى من سائر المؤكدات وأسلم من التأكيد بالقسم بالله تعالى لوجوب البر به وليس الغرض اليمين الشرعي وتشبيه غير الله تعالى به في التعظيم وذكر صورة القسم على هذا الوجه لا بأس به كما قال عليه السلام: «قد أفلح وأبيه» كذا في «الفروق».

﴿فأخذتهم﴾ أي قوم لوط **﴿الصيحة﴾** أي: صيحة جبريل عليه السلام. **﴿مشرقين﴾** أي حال كونهم داخلين في وقت شروق الشمس وهو بالفارسية [بر آمدن خرشيد] وكان ابتداء العذاب حين أصبحوا، كما قال: **﴿إن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾** وتمامه حين أشرقوا لأن جبريل قلع الأرضين بهم ورفعها إلى السماء ثم هوى بها نحو الأرض ثم صاح بهم صيحة عظيمة فالجمع بين مصبحين ومشرقين باعتبار الابتداء والانتهاء فمقطوع على حقيقة فإن دلالة اسمي الفاعل والمفعول على الحال، وحال القطع هو حال المباشرة لا حال انقضائه، لأنه مجاز حينئذٍ، وذلك أن تقول مقطوع بمعنى بقطع عن قريب.

﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿فجعلنا عاليها﴾ [زبرآن شهر ستانهارا] **﴿سافلها﴾** زير آن يعني زيروبر كردانيم آنرا] وذلك بأن رفعناها إلى قريب من السماء على جناح جبريل ثم قلبناها عليهم فصارت منقلبة بهم.

وقوله عاليها مفعول أول لجعلنا وسافلها مفعول ثان له وهو أدخل في الهول والفظاعة من العكس.

﴿وأمطرنا عليهم﴾ في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب. **﴿حجارة﴾** كائنة **﴿من سجيل﴾** من طين متحجر عليه اسم من يرمى به فهلكوا بالخسف والحجارة.

قال في «القاموس» السجيل كسكيت حجارة كالمدر معرب [سنك كل] أو كان طبخت بنار جهنم وكتب فيها أسماء القوم أو قوله تعالى: **﴿من سجيل﴾** أي: من سجل مما كتب لهم إنهم يعذبون بها قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾﴾ [المطففين: ٩٨] والسجيل بمعنى السجين.

قال الأزهري هذا أحسن ما مر عندي وأبينها انتهى.

وفي «الكواشي»: وأمطرنا على شذاذهم، أي: على من غاب عن تلك البلاد.

﴿إن في ذلك﴾ أي فيما ذكر من القصة من تعرض قوم لوط لضيف إبراهيم طمعاً فيهم وقلب المدينة على من فيها وأمطار الحجارة عليها وعلى من غاب منهم. ﴿لآيات﴾ لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق ويعتبر ﴿للمتوسمين﴾ أي: المتفكرين المتفرسين الذين يبسطون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء وباطنه بسمته، وبالفارسية [مرخدا وندان فراست راكه بزيركى درنكرند وحقيقت ايشان بسمات آن بشناسند] يقال توسمت في فلان كذا، أي: عرفت وسمة فيه أي أثره وعلامته وتوسم الشيء تيره وتفرسه.

﴿وإنها﴾ [وبدرستى كه آن شهر ستانهاى مؤتفكه] ﴿لبسبيل مقيم﴾ أي طريق ثابت يسلكه الناس ويرون آثار تلك البلاد بين مكة والشام لم تندرس بعد فاتعظوا بآثارهم يا قريش إذا أذهبتم إلى الشام لأنها في طريقكم.

﴿إن في ذلك﴾ أي في كون آثار تلك القرى بمرآى من الناس يشاهدونها في ذهابهم وإيابهم. ﴿لآية﴾ عظيمة ﴿للمؤمنين﴾ بالله ورسوله فإنهم الذين يعرفون أن ما حاق بهم من العذاب الذي ترك ديارهم بلاقع إنما حاق بهم لسوء صنيعهم وأما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق أو الأوضاع الفلكية، وإفراد الآية بعد جمعها فيما سبق لما أن المشاهد ههنا بقية الآثار لا كل القصة كما فيما سلف.

وقال في «برهان القرآن»: ما جاء في القرآن من الآيات فلجمع الدلائل، وما جاء من الآية فلوحدانية المدلول عليه فلما ذكر عقيبه المؤمنين وهم مقرون بوحدانية الله تعالى وحد الآية انتهى.

وفي الآيات فائدتان:

الأولى: مدح الفراسة وهي الإصابة في النظر وفي الحديث: «إن كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون» المحدث بفتح الدال المشددة هو الذي يلقى في نفسه شيء فيخبر به فراسة ويكون كما قال وكأنه حدثه الملأ الأعلى وهذه منزلة جليلة من منازل الأولياء «فإنه إن كان في أمتي هذه فإنه عمر بن الخطاب» لم يرد النبي عليه السلام بقوله إن كان في أمتي التردد في ذلك لأن أمته أفضل الأمم وإذا وجد في غيرها محدثون ففيها أولى بل أراد بها التأكيد لفضل عمر كما يقال أن يكن لي صديق فهو فلان يريد بذلك اختصاصه بكمال الصداقة لا نفي سائر الأصدقاء وفي الحديث: «اتقوا فراسة العلماء لا يشهدوا عليكم بشهادة فيكبكم الله بها يوم القيامة على مناخركم في النار فوالله إنه لحق يقذفه الله في قلوبهم ويجعله على أبصارهم» وعنه عليه السلام: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله ثم قرأ ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ كذا في «بحر العلوم» [آورده اندكه خواجه بزركوار قطب الأخيار خواجه عبد الخالق عجدواني قدس سره روزي درمعرفت سخن مي كفت ناكاه جواني در آمد بصورت زاهدان خرقه در بر وسجاده بركتف دركوشه بنشست وبدع اززماني برخاست وكفت حضرت رسالت ﷺ فرموده كه «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» سراين حديث چيست حضرت خواجه فرمودندكه سراين حديث آنست كه زنار ببرى وايمان آرى جوان كفت نعوذ بالله كه در من زنار باشد خواجه بخادم كفت خزقه ازسر جوان بركش زنارى بديد آمد جوان في الحال زنار ببريد وايمان آورد وحضرت خواجه فرمودندكه اي ياران بياييد تابر موافقت اين

نوعهدكه زنار ظهر بريد زنارهاى باطن را قطع كنيم خروش از مجلسيان بر آمد ودر قدم خواجه افتادند تجديد توبه كردند.

توبه چون باشد پشيمان آمدن بر در حق نو مسلمان آمدن
عام را توبه زكار بد بود خاص را توبه زديد خود بود

والفائدة الثانية: أن في إهلاك الأمم الماضية وإنجاء المؤمنين منهم إيقاظاً وانتباهاً ووعداً ووعيداً وتأديباً لهذه الأمة المعتبرين فاعتبروا بأحوالهم واجتنبوا عن أفعالهم وابكوا فهذه ديار الظالمين ومصارعهم.

وكان يحيى بن زكريا عليه السلام يبكي حتى رق خده وبدت أضراسه هذا وقد كان على الجادة فكيف بمن حاد إخواني الدنيا سموم قاتله والنفوس عن مكايدها غافلة كم من دار دارت عليها دوائر النعم فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس وفقنا الله وإياكم للهدى وعصمنا من أسباب الجهل والردى، وسلمنا من شر النفوس فإنها شر العدى وجعلنا من المنتفعين بوعظ القرآن والمعتبرين بآيات الفرقان ما دام هذا الروح في البدن وقام في المقام والوطن.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

﴿وإن كان﴾ إن مخففة من أن وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية أي وإن الشأن كان ﴿أصحاب الأيكة﴾ وهم قوم شعيب عليه السلام. والأيكة الشجر الملتف المتكاثف وكانت عامة شجرهم المقل.

قال في «القاموس»: المقل المكي ثمر شجر الدوم وكانوا يسكنونها فبعثه الله إليهم كما بعثه إلى أهل مدين فكذبوه.

وقال بعضهم: مدين وأيكة واحد لأن الأيكة كانت عند مدين وهذا أصح كما في تفسير أبي الليث.

قال الجوهري: من قرأ أصحاب الأيكة فهي الغيضة ومن قرأ ليكة فهي اسم القرية ﴿لظالمين﴾ متجاوزين عن الحد.

﴿فانتقمنا منهم﴾ [پس انتقام كشيديم از ايشان بعذاب يوم الظلة].

قال في «التبيان» أهلك الله أهل مدين بالصيحة وأهل الأيكة بالنار وذلك أن الله أرسل عليهم حراً شديداً سبعة أيام فخرجوا ليستظلوا بالشجر من شدة الحر فجاءت ريح سموم بنار فأحرقتهم.

وفي بعض التفاسير: بعث الله سحابة فالتجأوا إليها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم منها ناراً فأحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة ونعم ما قيل والشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم ﴿وإنهما﴾ يعني: سدوم التي هي أعظم مدائن قوم لوط والأيكة. ﴿لبإمام مبين﴾ لبطريق واضح. وبالفارسية [برراهى روشن وهويداست كه مردم ميكذرند ومي بينند] والامام اسم ما يؤتم به قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] أي: يؤتم ويقتدى بك ويسمى به الكتاب أيضاً لأنه يؤتم بما أحصاه الكتاب قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] أي: بكتابهم وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢] يعني: في اللوح

المحفوظ وهو الكتاب ويسمى الطريق إماماً؛ لأن المسافر يأتم به ويستدل به ويسمى مطمر البناء إماماً وهو الزيج أي الخيط الذي يكون مع البنائين.

[معرب زه].

قال أبو الفرج بن الجوزي: كان قوم شعيب مع كفرهم يبخسون المكايل والموازين فدعاهم إلى التوحيد ونهاهم عن التطفيف ـ روي ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر برجل يبيع طعاماً فسأله كيف يبيع فأخبره فأوحى الله إليه أن أدخل يدك فيه فإذا هو مبلول فقال عليه الصلاة والسلام: «ليس منا من غش».

قال في «القاموس» غشه لم يمحضه النصح أو أظهر خلاف ما أضمر والمغشوش الغير الخالص والاسم الغش بالكسر.

وفي «تهذيب المصادر» الغش.

[خيانت كردن].

واشتقاقه من الغشش وهو الماء الكدر.

وفي «الفتح القريب»: أصله، أي: الغش من اللبن المغشوش وهو المخلوط بالماء تدليساً.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ بطعام وقد حسنه صاحبه فأدخل يده فيه فإذا هو طعام رديء فقال: «بع هذا على حدة وهذا على حدة فمن غشنا فليس منا».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أن رجلاً كان يبيع الخمر في سفينة له ومعه قرد في السفينة وكان يشوب الخمر بالماء فأخذ القرد الكيس فصعد الذروة وفتح الكيس فجعل يأخذ ديناراً فيلقيه في السفينة وديناراً في البحر حتى جعله نصفين وفي الحديث: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» وفي الحديث: «ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرؤ مم أخذ المال من حلال أو من حرام» يا ابن آدم عينك مطلقة في الحرام ولسانك مطلق في الآثام وجسدك يتعب في كسب الحطام تيقظ يا مسكين مضى عمرك وأنت في غفلتك فأين الدليل على سلامتك.

عليك بالقصد لا تطلب مكاثره   فالقصد أفضل شيء أنت طالبه
فالمرؤ يفرح بالدنيا وبهجتها   ولا يفكر ما كانت عواقبه
حتى إذا ذهبت عنه وفارقها   تبين الغبن فاشتدت مصائبه

قال السعدي قدس سره:

قناعت كن أي نفس براند كي   كه سلطان ودرويش بيني يكى
مبر طاعت نفس شهوت پرست   كه هرساعتش قبلهٔ ديكرست

﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ الحجر بكسر الحاء اسم لأرض ثمود قوم صالح عليه السلام بين المدينة والشام عند وادي القرى، كانوا يسكنونها وكانوا عرباً، وكان صالح عليه السلام من أفضلهم نسباً فبعثه الله إليهم رسولاً وهو شاب فدعاهم حتى شمط ولم يتبعه إلا قليل مستضعفون.

كوى توفيق وسلامت درميان افكنده اند   كس بميدان درنمى آيد سوار انراچه شد

فكذب أصحاب الحجر، أي: ثمود المرسلين أي صالحاً فإن من كذب واحداً من الأنبياء

فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والأصول التي لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار، ونظيره قولهم فلان يلبس الثياب ويركب الدواب وما له إلا ثوب ودابة.

يقول الفقير: كما لا اختلاف بين الأنبياء في أصول الشرائع كذلك لا اختلاف بين الأولياء في أصول الحقائق بل وقد تتحد العبارات أيضاً إذ الكل آخذون من مشرب واحد مكاشفون عن ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ومن فرق بنيهم كان مكذباً للكل.

بي خبر كازارايـن آزار اوست   آب ايـن خم متصـل بـآب جوست

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُمْ ءَايَـٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وآتيناهم﴾ أي ثمود **﴿آياتنا﴾** هي الناقة كان فيها آيات كما قال الكاشفي [خروج ناقة ازسنك معجزه ايست مشتمل بربسيارى از غرائب چون بزركى خلقت كه هركز شترى بعظمت او نبوده وزادن بعد از خروج يعني ولادتها مثلها في العظم في الحال وبسيارى شيركه همه ثمودرا كافى بود وبر سرچاه آمدن آب در روز نوبت او وخوردن تمام آب را بيك نوبت].

قال في «الفتح القريب»: لما طال دعاؤه اقترحوا أن يخرج لهم الناقة آية فكان من أمرها وأمرهم ما ذكر الله تعالى في كتابه العزيز. **﴿فكانوا عنها﴾** أي: عن تلك الآيات **﴿معرضين﴾** أعراضاً كلياً بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا، والإعراض [روى بكردانيد ازچيز] وكان عقر الناقة وقسم لحمها يوم الأربعاء.

قال ابن الجوزي: لا بالناقة اعتبروا ولا بتعويضهم اللبن شكروا عتوا عن المنعم وبطروا وعموا عن الكرم، فما نظروا وكلما رأوا آية من الآيات كفروا الطبع الخبيث لا يتغير والمقدر عليه ضلالة لا يزول. قال الحافظ:

بآب زمزم وكوثر سفيد نتوان كرد   كليم بخت كسى راكه بافتند سياه

﴿وكانوا ينحتون﴾ النحت بالفارسي [بتراشيدن] **﴿من الجبال﴾** جمع جبل. وبالفارسية [كوه].

قال في «القاموس»: الجبل محركة كل وتد للأرض عظم وطال فإن انفرد فاكمة أوقنة **﴿بيوتاً﴾** جمع بيت وهي اسم مبني مسقف مدخله من جانب واحد بنى للبيتوتة سواء كان حيطانه أربعة أو ثلاثة والدار تطلق على العرصة المجردة بلا ملاحظة البناء معها. **﴿آمنين﴾** من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الأعداء لوثاقتها فهو حال مقدرة، أو من العذاب والحوادث لفرط غفلتهم.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

﴿فأخذتهم الصيحة﴾ أي صيحة جبريل فإنه صاح فيهم صيحة واحدة فهلكوا جميعاً.

وقيل: أتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض فتقطعت قلوبهم في صدورهم، وفي سورة الأعراف ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: ٧٨] أي الزلزلة ولعلها لوازم الصيحة المستتبعة لتموج الهواء تموجاً شديداً يفضي إليها فهي مجاز عنها **﴿مصبحين﴾** حال من الضمير المنصوب أي داخلين في وقت الصبح في اليوم الرابع وهو يوم الأحد، والصبح يطلق على زمان ممتد إلى الضحوة وأول يوم من الثلاثة اصفرت وجوه القوم وفي الثاني احمرت وفي الثالث اسودت فلما كملت الثلاثة صح استعدادهم للفساد والهلاك

فكان اصفرار وجوه الأشقياء في موازنة أسفار وجوه السعداء قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [عبس: ٣٨] ثم جاء في موازنة الاحمرار قوله تعالى في السعداء ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ [عبس:٣٨ ـ ٣٩] فإن الضحك من الأسباب المولدة لاحمرار الوجوه فالضحك في السعداء احمرار الوجنات ثم جعل في موازنة تغيير بشرة الأشقياء بالسواد قوله تعالى: ﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٩] وهو ما أثره السرور في بشرتهم كما أثر السواد في بشرة الأشقياء.

﴿فما أغنى عنهم﴾ أي لم يدفع عنهم ما نزل بهم يقال ما يغني عنك هذا أي ما يجدي عنك وما ينفعك ﴿ما كانوا يكسبون﴾ من بناء البيوت الوثيقة والأموال الوافرة والعدد المتكاثرة ـ روي ـ أن صالحاً عليه السلام انتقل بعد هلاك قومه إلى الشام بمن أسلم معه فنزلوا رملة فلسطين ثم انتقل إلى مكة فتوفي بها وهو ابن ثمان وخمسين سنة وكان أقام في قومه عشرين سنة.

وعن جابر رضي الله عنه، مررنا مع رسول الله ﷺ على الحجر فقال لنا «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء» ثم زجر رسول الله ﷺ راحلته فأسرع حتى خلفها، وكان هذا في غزوة تبوك خشي ﷺ على أصحابه رضي الله عنهم أن يجتازوا على تلك الديار غير متعظين بما أصاب أهل تلك الديار فنبه عليه الصلاة والسلام على أن الإنسان لا ينبغي له السكنى في أماكن الظلمة، مخافة أن يصيبهم بلاء فيصاب به أو تسرق طباعه من طباعهم، ولو كانت خالية منهم، لأن آثارهم مذكرة بأحوالهم وربما أورثت قسوة وجبروتا.

يقول الفقير: إذا كان لا ينبغي للمؤمن السكنى في أماكن الظلمة لا ينبغي له أداء الصلاة فيها ولا الحركة إليها بلا ضرورة قوية فإن الله تعالى خلق الأماكن على التفاوت كما خلق الأزمان كذلك وشأن التقوى العزيمة دون الرخصة، والمرؤ إذا أطلق أعضاءه الظاهرة أطلق قواه الباطنة وفيه اختلال الحال وميل القلب إلى ما سوى الله المتعال ولن يكون عارفاً إلا بالتوجه إلى الحضرة العلياء.

ذو النون المصري قدس سره [ميكويد روزي در أثناء سفر بدر شهري رسيدم خواستم كه دراندرون شهر روم ردر آن شهر كوشكى ديدم وجويي روان بنزديك جوى رفتم وطهارت كردم چون چشم بربام كوشك افتاد كنيزكى ديدم ايستاده درغايت حسن وجمال چون نظر أو بمن افتاد كفت أي ون النون چون ترا ازدور ديدم پنداشتم كه مجنوني وچون طهارت كردى تصور كردم كه عالمي وچون از طهارت فارغ شدى وپيش آمدي پنداشتم كه عارفي اكنون محقق شدم كه نه مجنوني ونه عالمي ونه عارفي فتم چرا كفت اكر ديونه بودي طهارت نكردي واكر عالم بودي نظر بخانهء بيكانه ونا محرم نكردى واكر عارف بودي دل تو بما سوى الله مائل نبودي.

قال الخجندي:

سالك پاك رو نخوانندش — آنكه از ما سوى منزه نيست
آستين كوتهي چه سودانرا — كه زدنياش دست كوته نيست

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾.

﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما﴾ أي بين جنسي السموات والأرضين ولو أراد بين أجزاء المذكور لقال بينهن.

وفيه إشارة إلى أن أصل السموات واحدة عند بعضهم ثم قسمت كذا في «الكواشي» ﴿إلا بالحق﴾ أي إلا خلقاً ملتبساً بالحق والحكمة لا باطلاً وعبثاً أو للحق والباء توضع موضع اللام يعني لينظر عبادي إليهما فيعتبروا.

دو چشم ازپى صنع بارى نكوست زعيب برادر فرو كير ودوست
در معرفت ديدهٔ آدميست كه بكشوده بر آسمان وزميست

﴿وإن الساعة﴾ أي القيامة لتوقعها كل ساعة كما في «المدارك».

وقال ابن ملك: هي اسم لوقت تقوم فيه القيامة سمي بها لأنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم.

وقال ابن الشيخ: سميت الساعة ساعة لسعيها إلى جانب الوقوع ومسافتها الأنفاس.

﴿لآتية﴾ لكائنة لا محالة، كما قيل: [كرچه قيامت دير آمد ولى مي آمد] أي فينتقم الله لك يا محمد فيها من أعدائك وهم المكذبون ويجازيك على حسناتك وإياهم على سيئاتهم فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا ليجزي كل محسن بإحسانه وكل مسيء بإساءته ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ يقال صفح عنه عفا، وصفح أعرض وترك، أي فاعرض عن المكذبين إعراضاً جميلاً وتحميل أذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم.

قال الكاشفي يعني: [عفوكن حق نفس خودرا ودر صدد مكافات مباش].

﴿إن ربك﴾ الذي يبلغك إلى غاية الكمال ﴿هو الخلاق﴾ لك ولهم ولسائر الموجودات على الإطلاق.

قال الكاشفي: [اوست آفرينندهٔ خلائق وأفلاك نظم خالق أفلاك وأنجم بر علا مردم وديو وپرى ومرغ را].

خالق دريا ودشت وكوه وتيه ملكت او بي حد وأوبى شبيه
نقش اوكردست ونقاش من أوست غير اكر دعوى كندا وظلم جوست

﴿العليم﴾ [دانا بأهل وفاق ونفاق].

وفي «الإرشاد»: بأحوالك وأحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بأن تكل جميع الأمور إليه ليحكم بينهم.

وفي الآية أمر بالمخالفة بالخلق الحسن وكان ﷺ أحسن الناس خلقاً وأرجح الناس حلماً وأعظم الناس عفواً وأسخى الناس كفا.

قال الفضيل: الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان.

وكان زين العابدين عظيم التجاوز والصفح والعفو حتى أنه سبه رجل فتغافل عنه فقال له إياك أعني فقال وعنك أعرض أشار إلى آية خذا العفو وائمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين.

ولما ضرب جعفر بن سليمان العباسي والي المدينة مالكاً رضي الله عنه ونال منه وحمل مغشيا وأفاق قال أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل ثم سئل فقال خفت أن أموت وألقى النبي ﷺ واستحيي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي.

ولما قدم المنصور المدينة ناداه ليقتص له من جعفر فقال أعوذ بالله والله ما ارتفع منها

سوط إلا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله ﷺ.

قيل: الحلم ملح الأخلاق.

وكانت عائشة رضي الله عنها تبكي على جارية فقيل لها في ذلك فقالت أبكي حسرة على ما فاتني من تحمل السفه منها والحلم عن سوء خلقها فإنها سيئة الخلق.

والإشارة ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي إلا مظهر الآيات الحق بالحق لأرباب الحق المكاشفين بصفات الحق فإنه لا شعور للسموات والأرض وما بينهما من غير الإنسان بأنها مظهر لآيات الحق وإنما الشعور بذلك للإنسان الكامل كما قال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠] وهم الذين خلص لب أخلاقهم الربانية من قشر صفاتهم الإنسانية وفيه معنى آخر ﴿وما خلقنا السموات﴾ أي سموات الأرواح ﴿والأرض﴾ أي أرض الأشباح ﴿وما بينهما﴾ من النفوس والقلوب والأسرار والخفيات ﴿إلا بالحق﴾ أي إلا لمظهر الحق ومظهره الإنسان فإنه مخصوص به من بين سائر المخلوقات والمكونات لأنه بجميع مبانيه الظاهرة ومعانيه الباطنة مرآة لذات الحق تعالى وصفاته فهو مظهره عند التزكية والتصفية ومظهره عند التخلية والتحلية لشعوره بذلك كما كان حال من صقل مرآته عن صدأ أنانيته وتجلي بشهود هويته عند تجلي ربوبيته بالحق فقال أنا الحق ومن قال بعد فناء أنانيته عند بقاء السبحانية سبحاني ما أعظم شأني.

وفي قوله: ﴿وإن الساعة لآتية﴾ إشارة إلى أن قيامة العشق لآتية لنفوس الطالبين الصادقين من أصحاب الرياضات في مكابدة النفس ومجاهدتها لأن الطلب والصدق والاجتهاد من نتائج عشق القلب وإنه سيتعدى إلى النفس لكثرة الاجتهاد في رياضتها فتموت عن صفاتها في قيامة العشق ومن مات فقد قامت قيامته ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ يا أيها الطالب الصادق عن النفس المرتاضة بأن تواسيها وتدارسها ولا تحمل عليها إصراً ولا تحملها ما لا طاقة لها به فإن في قيامة العشق يحصل من تزكية العشق في لحظة واحدة ما لا يحصل بالمجاهدة في سنين كثيرة لأن العشق جذبة الحق وقال ﷺ: «جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين» ﴿إن ربك هو الخلاق العليم﴾ يشير بالخلاق وهو للمبالغة إلى إنه تعالى خالق لصور المخلوقات ومعانيها وحقائقها العليم بمن خلقه مستعداً لمظهرية ذاته وصفاته ومظهريتهما له شعوره بهما كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

﴿ولقد آتيناك﴾ قال الحسين بن الفضل: إن سبع قوافل وافت من بصري واذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد بمكة فيها أنواع من البز وأفاوية الطيب والجوهر وأمتعة البحر فقالت المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله فأنزل الله هذه الآية وقال قد أعطيتكم سبع آيات هي خير لكم من هذه السبع القوافل ويدل على صحة هذا قوله تعالى على أثرها. ﴿لا تمدن عينيك﴾ الآية كما في «أسباب النزول» للامام الواحدي [ودرتيسير آورده كه هفت كاروان قريش دريكروز بمكه در آمدند بامطاعم بسيار وملابس بيشمار ودر خاطر مبارك حضرت خطور فرمودكه مؤمنان راكرسنه وبرهنه كذرانند ومشركانرا

اين همه مال باشد] فقال الله تعالى: ﴿ولقد آتيناك﴾ يا محمد ﴿سبعاً﴾ هي الفاتحة لأنها مائة وثلاثة وعشرون حرفاً وخمس وعشرون كلمة وسبع آيات بالاتفاق غير أن منهم من عد أنعمت عليهم دون التسمية ومنهم من عكس. ﴿من المثاني﴾ وهي القرآن ومن للتبعيض كما قال تعالى في سورة الزمر ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] جمع مثنى لأنه ثني فيه أي كرر في القرآن الوعد والوعيد والأمر والنهي والثواب والعقاب والقصص كما في «الكواشي» ﴿والقرآن العظيم﴾ [وديكر داديم ترا قرآن عظيم كه نزد ما قدر او بزرك وثواب أو بسيارت] وهو من عطف الكل على البعض وهو السبع ويجوز أن يكون من للبيان فالسبع هي المثاني كقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠] يعني: اجتنبوا الأوثان وتسمية الفاتحة مثاني لتكرر قراءتها في الصلاة ولأنها تثنى بما يقرأ بعدها في الصلاة من السورة والآيات لأن نصفها ثناء العبد لربه ونصفها عطاء الرب للعبد ويؤيد هذا الوجه قوله عليه السلام لأبي سعيد لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن قال ما هي قال: «الحمد لله رب العالمين وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته» وهذا يدل على جواز إطلاق القرآن على بعضه.

قال في «فتح القريب»: عطف القرآن على السبع المثاني ليس من باب عطف الشيء على نفسه وإنما هو من باب ذكر الشيء بوصفين أحدهما معطوف على الآخر أي هي الجامعة لهذين الوصفين.

يقول الفقير: لما كانت الفاتحة أعظم أبعاض القرآن من حيث اشتمالها على حقائقه صح اطلاق الكل عليها وأما كونها مثاني فباعتبار تكرر كل آية منها في كل ركعة ولا يبعد كل البعد أن يقال أن تسميتها بالمثاني باعتبار كونها من أوصاف القرآن والجزؤ إذا كان كأنه الكل صح اتصافه بما اتصف به الكل.

﴿لا تمدن عينيك﴾ أي: نظر عينيك ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحساناً للمنظور إليه أي ولا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك ﴿إلى ما متعنا به﴾ من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها إعجاباً به وتمنياً أن يكون لك مثله. ﴿أزواجاً منهم﴾ أصنافاً من الكفرة كاليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأصنام فإن ما في الدنيا من أصناف الأموال والذخائر بالنسبة إلى ما أوتيته من النبوة والقرآن والفضائل والكمالات مستحقر لا يعبأ به فإن ما أوتيته كمال مطلوب بالذات مفض إلى دوام اللذت يعني قد أعطيت النعمة العظمى.

پيش درياي قدر حرمت تو نه محيط فلك حبابي نيست
داري آن سلطنت كه در نظرت ملك كونين در حسابي نيست

فاستغنِ بما أعطيت ولا تلتفت إلى متاع الدنيا ومنه الحديث: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» ذكر الحافظ لهذا الحديث أربعة أوجه: أحدها أن المراد بالتغني رفع الصوت. والثاني: الاستغناء بالقرآن عن غيره من كتاب آخر ونحوه لفضله كما قال أبو بكر رضي الله عنه من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيماً وعظم صغيراً. والثالث: تغريد الصوت بحيث لا يخل بالمعنى فاختار رسول الله ﷺ أن يترك العرب التغني بالأشعار بقراءة القرآن على الصفة التي كانوا يعتادونها في قراءة الأشعار. والرابع: تحسين الصوت وتطييبه بالقراءة من غير تغريد الصوت ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي على الكفرة حيث لم يؤمنوا ولم ينتظموا في سلك اتباعك ليتقوى بهم ضعفاء المسلمين لأن مقدوري عليهم الكفر.

وقال الكاشفي: [واندوه مخور برياران خودبه بي نوايي ودرويشى] ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وارفق بهم وطب نفساً عن إيمان الأغنياء مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحط.

قال في «تهذيب المصادر»: الخفض [فرو بردن] وهو ضد الرفع قال الله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ [الواقعة: ٣] أي ترفع قوماً إلى الجنة وتخفض قوماً إلى النار [ودر كشف الأسرار كفته كه خفض جناح كنايتست از خوش خويى ومقرراست كه خلعت خلق عظيم جزبر بالاي آن حضرت نيامده].

ذات ترا وصف نكو خوييست — خوى توسرمايهٔ نيكوييست
روز ازل دوخته حكيم قديم — برقد تو خلعت خلق عظيم

﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ۝٨٩ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ۝٩٠﴾.

﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾ أي المنذر المظهر لنزول عذاب الله وحلوله.

وقال في «إنسان العيون» ذكر في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ أن عيراً لأبي جهل قدمت من الشام بمال عظيم وهي سبع قوافل ورسول الله وأصحابه ينظرون إليها وأكثر أصحابه بهم عرى وجوع فخطر ببال النبي عليه السلام شيء لحاجة أصحابه فنزلت، أي: أعطيناك سبعاً من المثاني مكان سبع قوافل فلا تنظر لما أعطيناه لأبي جهل وهو متاع الدنيا الدنية ولا تحزن على أصحابك واخفض جناحك لهم فإن تواضعك لهم أطيب لقلوبهم من ظفرهم بما يحب من أسباب الدنيا.

ففي «زوائد الجامع الصغير» «لو أن فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان والقرآن في الكفة الأخرى لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرات».

وفي لفظ «فاتحة الكتاب شفاء من كل داء» ذكر في خواص القرآن إنه إذا كتبت الفاتحة في إناء طاهر ومحيت بماء طاهر وغسل وجه المريض بها عوفي بإذن الله تعالى، وإذا كتبت بمسك في إناء زجاج ومحيت بماء الورد وشرب ذلك الماء البليد الذهن الذي لا يحفظ سبعة أيام زالت بلادته وحفظ ما يسمع.

والإشارة قال الله تعالى لنبيه ﷺ وهو الإنسان الكامل. ﴿ولقد آتيناك سبعاً﴾ هي سبع صفات ذاتية لله تبارك وتعالى السمع والبصر والكلام والحياة والعلم والإرادة والقدرة ﴿من المثاني﴾ أي من خصوصية المثاني وهي المظهرية، والمظهرية لذاته وصفاته مختصة بالإنسان، فإن غير الإنسان لم توجد له المظهرية ولو كان ملكاً، ومن ههنا يكشف سر من أسرار وعلم آدم الأسماء كلها فمنها أسماء صفات الله وذاته، لأن آدم كان مظهرها ومظهرها وكان الملك مظهر بعض صفاته ولم يكن مظهراً ولذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] فلما لم يكونوا مظهرها وكانوا مظهر بعضها ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢] ولهذا السر اسجد الله الملائكة لآدم عليه السلام ﴿والقرآن العظيم﴾ أي: حقائقه القائمة بذاته تعالى وخلقاً من أخلاقه القديمة بأن جعل القرآن العظيم خلقه العظيم كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤] ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ قالت كان خلقه القرآن وفي قوله: ﴿لا تمدن عينيك إلى ما

متعنا به أزواجاً منهم﴾ إشارة إلى أن الله تعالى إذا أنعم على عبده ونبيه بهذه المقامات الكريمة والنعم العظيمة يكون من نتائجها أن لا يمد عينيه لا عين الجسماني ولا عين الروحاني إلى ما متع الله به أزواجاً من الدنيا والآخرة منهم أي من أهلها ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي: على ما فاته من مشاركتهم فيها كما كان حالة رسول الله ﷺ ليلة المعراج إذ يغشى السدرة ما يغشى من نعيم الدارين ما زاغ البصر برؤيتها وما طغى بالميل إليها ثم قال: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ في هذا المقام قياماً بأداء تشكر نعم الله وتواضعا له لنزيدك بهما في النعمة والرفعة.

وفيه معنى آخر واخفض بعد وصولك إلى مقام المحبوبية جناحك لمن اتبعك من المؤمنين لتبلغهم على جناح همتك العالية إلى مقام المحبوبية يدل على هذا التأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] كما في «التأويلات النجمية».

﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾ هو من قول الله تعالى لا من قول الرسول عليه الصلاة والسلام متعلق بقوله ولقد آتيناك لأنه بمعنى أنزلنا أي أنزلنا عليك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم إنزالاً مماثلاً لإنزال الكتابين على اليهود والنصارى المقتسمين.

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

﴿الذين جعلوا القرآن﴾ المنزل عليك يا محمد ﴿عضين﴾ أجزاء. وبالفارسية [پاره پاره يعني بخش كردند قرآنرا] والموصول مع صلته صفة مبينة لكيفية اقتسامهم أي قسموا القرآن إلى حق وباطل حيث قالوا عناداً وعدواناً بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهم وهذا المعنى مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما. والغرض بيان المماثلة بين الآيتين لا بين متعلقيهما كما في «الصلوات الخليلية» فإن التشبيه فيها ليس لكون رحمة الله الفائضة على إبراهيم وآله أتم وأكمل مما فاض على النبي عليه الصلاة والسلام وإنما ذلك للتقدم في الوجود فليس في التشبيه إشعار بأفضلية المشبه به من المشبه فضلاً عن إيهام أفضلية ما تعلق به الأول مما تعلق به الثاني فإنه عليه الصلاة والسلام أوتي ما لم يؤت أحد قبله ولا بعد مثله. وعضين جمع عضة هي الفرقة والقطعة أصلها عضوة فعلة من عضى الشاة تعضية إذا جعلها أعضاء، وإنما جمعت جمع السلامة جبراً للمحذوف وهو الواو كسنين وعزين والتعبير عن تجزية القرآن بالتعضية التي هي تفريق الأعضاء من ذي الروح المستلزم لإزالة حياته وإبطال اسمه دون مطلق التجزئة والتفريق اللذين يوجدان فيما لا يضره التبعيض من المثليات للتنصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم هذا.

وقد قال بعضهم: المقتسمون اثنا عشر أو ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام موسم الحج فاقتسموا عقاب مكة وطرقها وقعدوا على أبوابها فإذا جاء الحاج قال واحد منهم لا تغتروا بهذا الرجل فإنه مجنون وقال آخر كاهن وآخر عرّاف وآخر شاعر وآخر ساحر فثبط كل واحد منهم الناس عن اتباعه عليه الصلاة والسلام ووقعوا فيه عندهم فأهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات وعلى هذا فيكون الموصول مفعولاً أولاً لأنذر الذي تضمنه النذير أي أنذر لمعضين الذين يجزؤون القرآن إلى شعر وسحر وكهانة وأساطير الأولين مثل ما أنزلنا على المقتسمين أي سننزل على أن يجعل المتوقع كالواقع وهو من الاعجاز لأنه إخبار بما سيكون وقد كان وهذا المعنى هو الأظهر ذكره ابن إسحاق كذا في «التكملة» لابن عساكر.

﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾ أي لنسألن يوم القيامة أصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع بأن يقال لم فعلتم وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمان: ٣٩] أي: لا يسألون أي شيء فعلتم ليعلم ذلك من جهتهم لأن سؤال الاستعلام محال على الملك العلام ويجوز أن يكون السؤال مجازاً عن المجازاة لأنه سببها.

﴿عما كانوا يعملون﴾ في الدنيا من قول وفعل وترك.

وقال في «بحر العلوم» فإن قلت: قد ناقض هذا قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمان: ٣٩] قلت إن يوم القيامة يوم ويل مقدار خمسين ألف سنة ففيه أزمان وأحوال مختلفة في بعضها لا يسألون ولا يتكلمون كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «تمكثون ألف عام في الظلمة يوم القيامة لا تتكلمون» وفيها بعضها يسألون ويتساءلون قال الله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الصافات: ٢٧] وفي بعضها يتخاصمون.

وقال كثير من العلماء: يسألهم عن لا إله إلا الله وهي كلمة النجاة وهي كلمة الله العليا لو وضعت في كفة والسموات والأرضون السبع في كفة لرجحت بهن من قالها مرة غفر له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر. قال المغربي:

اكرچه آينهٔ داري از براي رخش ... ولى چه سودكه داري هميشه آينه تار

بيا بصيقل توحيد زآينه بردار ... غبار شرك كه تاپاك كردد از ژنكار

وفي «التأويلات النجمية»: كان النبي عليه الصلاة والسلام مأموراً بإظهار مقامه وهو النبوة وبتعريف نفسه أنه نذير للكافرين كما أنه بشير للمؤمنين وأنه لما أمر بالرحمة والشفقة ولين الجانب للمؤمنين بقوله: **﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾** إظهاراً للعطف أمر بالتهديد والوعيد والإنذار بالعذاب للكافرين إظهاراً للقهر بقوله: **﴿وقل إني أنا النذير المبين * كما أنزلنا على المقتسمين﴾** أي ننزل عليكم العذاب كما أنزلنا على المقتسمين وهم الذين اقتسموا قهر الله المنزل على أنفسهم بالأعمال الطبيعية غير الشرعية فإنها مظهر قهر الله وخزانته كما أن الأعمال الشرعية مظهر لطف الله وخزانته فمن قرع باب خزانة اللطف أكرم به وأنعم به عليه ومن دق باب خزانة القهر أهين به وعذب، ثم أخبر عن أعمالهم التي اقتسموا قهر الله بها على أنفسهم بقوله: **﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾** أي جزأوه أجزاء في الاستعمال فقوم قرأه وداموا على تلاوة ليقال لهم القراء وبه يأكلون، وقوم حفظوه بالقراآت ليقال لهم الحافظ وبه يأكلون، وقوم حصلوا تفسيره وتأويله طلباً للشهرة وإظهاراً للفضل ليأكلوا به، وقوم استخرجوا معانيه واستنبطوا فقهه وبه يأكلون وقوم شرعوا في قصصه وإخباره ومواعظه وحكمه وبه يأكلون وقوم أولوه على وفق مذاهبهم وفسروه بآرائهم فكفروا لذلك، ثم قال **﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾** إنما عملوه بالله وفي الله ولله أو بالطبع في متابعة النفس للمنافع الدنيوية نظيره قوله ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨] انتهى ما في «التأويلات».

قوله عن صدقهم أي عنده تعالى لا عندهم كذا فسره الجنيد قدس سره وهو معنى لطيف عميق فإن الصدق والإسلام عند الخلق سهل ولكن عند الحق صعب فنسأل الله تعالى أن يجعل إسلامنا وصدقاً حقيقياً مقبولاً لا اعتبارياً مردوداً.

وعن أبي القاسم الفقيه أنه قال: أجمع العلماء على ثلاث خصال أنها إذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها إلا ببعض، الإسلام الخالص عن الظلمة، وطيب الغذاء، والصدق لله في الأعمال.

قال في «درياق الذنوب»: وكان عمر بن عبد العزيز يخاف مع العدل ولا يأمن العدول رؤي في المنام بعد موته باثنتي عشرة سنة فقال الآن تخلصت من حسابي فاعتبر من هذا يا من أكب على الأذى.

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿فاصدع بما تؤمر﴾ ما موصولة والعائد محذوف أي فاجهر بما تؤمر به من الشرائع أي تكلم به جهاراً وأظهره، وبالفارسية [پس آشكارا كن وبظاهر قيام نماى بآنچه فرستاده اند ازاوامر ونواهي] يقال صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً من الصديع وهو الفجر أي الصبح، أو فاصدع فافرق بين الحق والباطل واكشف الحق وأبنه من غيره من الصدع في الزجاجة وهو الإبانة كما قال في «القاموس» الصدع الشق في شيء صلب ثم قال وقوله تعالى: **﴿فاصدع بما تؤمر﴾** أي شق جماعاتهم بالتوحيد.

وفي «تفسير أبي الليث» كان رسول الله عليه السلام قبل نزول هذه الآية مستخفياً لا يظهر شيئاً مما نزل الله تعالى حتى نزل **﴿فاصدع بما تؤمر﴾**.

يقول الفقير: كان عليه الصلاة والسلام مأموراً بإظهار ما كان من قبيل الشرائع والأحكام لا ما كان من قبيل المعارف والحقائق فإنه كان مأموراً بإخفائه إلا لأهله من خواص الأمة وقد توارثه العلماء بالله إلى هذا الآن كا قال المولى الجامي:

رسيد جان بلب ودم نمى توانم زد   كه سر عشق همي ترسم آشكار شود

وأما ما صدر من بعضهم من دعوى المأمورية في إظهار بعض الأمور الباعثة على تفرق الناس واختلافهم في الدين فمن الجهل بالمراتب، وعدم التميز بين ما كان ملكياً ورحمانياً، وبين ما كان نفسانياً وشيطانياً فإن الطريق والمسلك والمطلب عزيز المنال والله الهادي إلى حقيقة الحال.

نكتهٔ عرفان مجو از خاطر آلودكان   جوهر مقصود را دلهاي پاك آمد صدف

﴿وأعرض عن المشركين﴾ أي لا تلتفت إلى ما يقولون ولا تبال بهم ولا تقصد الانتقام منهم.

فإن قلت: قد دعا النبي عليه الصلاة والسلام على بعض الكفار فاستجيب له كما روي أنه مر بالحكم بن العاص فجعل الحكم يغمز به عليه السلام فرآه فقال: «اللهم اجعل به وزغاً» فرجف وارتعش مكانه والوزغ الارتعاش وهذا لا ينافي ما هو عليه من الحلم والإغضاء على ما يكره.

قلت: ظهر له في ذلك إذن من الله تعالى ففعل ما فعل وهكذا جميع أفعاله وأقواله فإن الوارث الكامل لا يصدر منه إلا ما فيه إذن الله تعالى فما ظنك بأكمل الخلق علماً وعملاً وحالاً.

﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ بقمعهم واهلاكهم، قال الكاشفي: [بدرستى كه ما كافيت كرديم ازتوشر استهزا كنندكان] **﴿الذين يجعلون مع الله﴾** [آنانكه ميزنند وشريك ميكنند باخداي حق] **﴿إلهًا آخر﴾** [خداي ديكر باطل] يعني الأصنام وغيرها والموصول منصوب بأنه صفة

المستهزئين ووصفهم بذلك تسلية لرسول الله ﷺ وتهويناً للخطب عليه بإعلامه أنهم لم يقتصروا على الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام بل اجترأوا على العظيمة التي هي الإشراك الله سبحانه. ﴿فسوف يعلمون﴾ [پس زود بدانند عاقبت كارو بينند مكافات كردار خودرا] فهو عبارة عن الوعيد وسوف ولعل وعسى في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الأمر وجده ولا مجال للشك بعده فعلى هذا جرى وعد الله ووعيده والجمهور على أنها نزلت في خمسة نفر ذوي شأن وخطر، كانوا يبالغون في إيذاء رسول الله ﷺ والاستهزاء به فأهلكهم الله في يوم واحد وكان اهلاكهم قبل بدر منهم العاص بن وائل السهمي والد عمرو بن العاص رضي الله عنه، كان يخلج خلف رسول الله بأنفه وفمه يسخر به فخرج في يوم مطير على راحلة مع ابنين له فنزل شعباً من تلك الشعاب فلما وضع قدمه على الأرض قال لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئاً فانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه، ومنهم الحارث بن القيس بن العطيلة أكل حوتاً مالحاً فأصابه عطش شديد فلم يزل يشرب الماء حتى انقد أي انشق بطنه فمات في مكانه، ومنهم الأسود بن المطلب بن الحارث خرج مع غلام له فأتاه جبريل وهو قاعد إلى أصل شجرة فجعل ينطح أي يضرب جبريل رأسه على الشجرة وكان يستغيث بغلامه فقال غلامه لا أرى أحداً يصنع بك شيئاً غير نفسك فمات مكانه وكان هو وأصحابه يتغامزون بالنبي وأصحابه ويصفرون إذا رأوه، ومنهم أسود بن عبد يغوث خرج من أهله فأصابه السموم فاسود حتى صار كالفحم وأتى أهله فلم يعرفوه فأغلقوا دونه الباب ولم يدخلوه دارهم حتى مات.

قال في «إنسان العيون»: هو أي الأسود هذا ابن خال النبي عليه الصلاة والسلام، وكان إذا رأى المسلمين قال لأصحابه استهزاء بالصحابة قد جاءكم ملوك الأرض الذين يدنون كسرى وقيصر وذلك لأن ثياب الصحابة كانت رثة وعيشهم خشناً، ومنهم الوليد بن المغيرة والد خالد رضي الله عنه وعم أبي جهل خرج يتبختر في مشيته حتى وقف على رجل يعمل السهام فتعلق سهم في ثوبه فلم ينقلب لينحيه تعاظماً، فأخذ طرف ردائه ليجعله على كتفه فأصاب السهم أكحله فقطعه ثم لم ينقطع عنه الدم حتى مات.

وقال الكاشفي في «تفسيره»: [آورده اندكه پنج تن از اشراف قريش در ايذاء وآزارسيد عالم ﷺ بسيار كوشيدندى وهرجاه ويرا ديدندى بفسوس واستهزاء پيش آمدندى روزى آن حضرت در مسجد حرام نشسته بودبا جبرائيل اين پنج تن بر آمدند وبدستور معهود سخنان كفته بطواف حرم مشغول شدند جبرائيل فرمود يا رسول الله مرا فرموده اندكه شر ايشانرا كفايت كنم پس اشارت كرد بساق وليد بن مغيرة وبكف پاىٔ عاص بن وائل وبه بيني حارث بن قيس وبروي أسود بن عبد يغوث وبچشم أسود بن مطلب وهو پنج ازيشان دراندك زماني هلاك شدند وليد بدكان تير تراشى بكذشت وپيكانى دردا من او آويخت ازروى عظمت سر زير نكردكه از جامه باز كند آن پيكان ساق ويرا مجروح ساخت ورك شرياني ازان بريده كشت وبدوزخ رفت وخارى در كف پاىٔ عاصم خليده پايش ورم كردوبدان بمرد واز بيني حارث خون وقبح روان شدوجان بداد وأسود روى خودرا بخاك وخاشاك ميزد تاهلاك شد وچشم أسود بن مطلب نابيناشد از غضب سربر زمين زدتاجانش بر آمد] وحينئذٍ يكون معنى كفاية هذا له عليه الصلاة والسلام أنه لم يسع ولم يتكلف في تحصيل ذلك كما في «إنسان العيون» وهؤلاء هم المرادون بقوله ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ وإن كان المستهزئون غير منحصرين فيهم

فقد جاء أن أبا جهل وأبا لهب وعقبة والحكم بن العاص ونحوهم كانوا مستهزئين برسول الله ﷺ في أكثر الأوقات بكل ما أمكن لهم من طرح القذر على بابه والغمز ونحوهما. وفي «المثنوي»:

آن دهان كژكردواز تسخر بخواند ... مر محمد را دهانش كژبماند
باز آمد كاى محمد عفو كن ... اي ترا الطاف وعلم من لدن
من ترا افسوس مي كردم زجهل ... من بدم افسوس رامنسوب واهل
چون خدا خواهدكه پرده كس درد ... ميلش اندر طعنهٔ پاكان برد
ورخدا خواهدكه پوشد عيب كس ... كم زند درعيب معيوبان نفس

وفي «التأويلات» ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ الذين يستعملون الشريعة بالطبيعة للخليقة ويراؤون أنهم لله يعملون استهزاء بدين الله، ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ إلى قوله ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٥ - ١٦] لأنهم ﴿الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر﴾ وهو الخلق والهوى والدنيا في استعمال الشريعة بالطبيعة ﴿فسوف يعلمون﴾ حين يجازيهم الله بما يعملون لمن عملوا كما قيل:

سوف ترى إذا انجلى الغبار ... أفرس تحتك ام حمار

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾.

﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك﴾ [تنك ميشود سينهٔ تر] ﴿بما يقولون﴾ [بآنچه كافران ميكويند] من كلمات الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك وبه: يعني [دشوارمى آيد ترا كفتار كفار] وادخل قد توكيداً لعلمه بما هو عليه من ضيق الصدر بما يقولون ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعد والوعيد لهم. ذكر ابن الحاجب أنهم نقلوا قد إذا دخلت على المضارع من التقليل إلى التحقيق كما أن ربما في المضارع نقلت من التقليل إلى التحقيق.

﴿فسبح بحمد ربك﴾ فافزع إليه تعالى والتجىء فيما نابك أي نزل بك من ضيق الصدر والحرج، بالتسبيح والتقديس ملتبساً بحمده.

قال الكاشفي [پس تسبيح كن تسبيحي مقترن بحمد پرورد كارتو يعني بكوسبحان الله والحمد لله] واعلم أن سبحان الله كلمة مشتملة على سلب النقص والعيب عن ذات الله وصفاته فما كان من أسمائه سلبياً فهو مندرج تحت هذه الكلمة كالقدوس وهو الطاهر من كل عيب والسلام وهو الذي سلم من كل آفة والحمد لله كلمة مشتملة على إثبات ضروب الكمال لذاته وصفاته تعالى فما كان من أسمائه متضمناً للإثبات كالعليم والقدير والسميع والبصير ونحوها فهو مندرج تحتها فنفينا بسبحان الله كل عيب عقلناه وكل نقص فهمناه وأثبتنا بالحمد لله كل كمال عرفناه وكل جلال أدركناه ﴿وكن من الساجدين﴾ أي المصلين يكفك ويكشف الغم عنك - روي - أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة أي لجأ.

وفي «بحر العلوم» وكن من الذين يكثرون السجود له لأن المراد بالساجدين الكاملون في السجود المبالغون فيه وذلك ما يكون إلا بإكثاره.

يقول الفقير: كثرة السجود في الظاهر باعثة لدوام التوجه إلى الله وهو المطلوب هذا باعتبار الابتداء وأما باعتبار الانتهاء فالذي وصل إلى دوام الحضور يجد في نفسه تطبيق حاله

بالظاهر فلا يزال يسجد شكراً آناء الليل وأطراف النهار لا تعب ولا كلفة ويجد في صلاته ذوقاً لا يجده حين فراغه منها.

لـيـلـة ذوق سـجـدهٔ پـيـش خـدا خـوشـتـر آيـد ازدوصـد دولـت تـرا

قال الكاشفي: [صاحب كشف الأسرار آورده كه ازتنكد لىء توآكاهيم وآنچه بتومير سدا زغصهٔ بيكانكان خبر داريم توبحضور دل بنماز درآى كه ميدن مشاهده است وبامشاهدهٔ دوست بار بلا كشيدن آسان باشد يكى از پيران طريقت كفته كه درباز ار بغداد ديدم كه يكى راصد تازيانه زدند آهى نكرد ازوى پرسيدم كه اي جوانمردان همه زخم خوردى ونناليدى كفت آرى شيخا معذورم داركه معشوقم در برا بر بود وميديدكه مرا براى أو ميزنند از نظارهٔ وى بالم زحم شعور نداشتم]

تـوتـيـغ مـيـزن وبـكـذار تـا مـن بـيـدل نـظـارهٔ كـنـم آن چـهـرهٔ نـكـاريـن را

قال في «شرح الحكم» ما تجده القلوب من الهموم والأحزان يعني عند فقدان مرادها وتشويش معتادها فلأجل ما منعت من وجود العيان إذ لو عاينت جمال الفاعل جمل عليها ألم البعد كما اتفق في قصة النسوة اللاتي قطعن أيديهن ـ ويحكى ـ أن شاباً ضرب تسعة وتسعين سوطاً ما صاح ولا استغاث ولا تأوه فلما ضرب الواحدة التي كملت بها المائة صاح واستغاث فتبعه الشبلي قدس سره فسأله عن أمره فقال إن العين التي ضربت من أجلها كانت تنظر إلي في التسعة والتسعين وفي الواحدة حجبت عني وقد قال الشبلي من عرف الله لا يكون عليه غم أبداً.

﴿واعبد ربك﴾ دم على ما أنت عليه من عبادته تعالى **﴿حتى يأتيك اليقين﴾** أي: الموت فإنه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق ويزول بنزوله كل شك وإسناد الإتيان إليه للإيذان بأنه متوجه إلى الحي طالب للوصول إليه. والمعنى دم على العبادة ما دمت حياً من غير اخلال بها لحظة كقوله: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١] ووقت العبادة بالموت لئلا يتوهم أن لها نهاية دون الموت فإذا مات انقطع عنه عمله وبقي ثوابه، وهذا بالنسبة إلى مرتبة الشريعة. وأما الحقيقة فباقية في كل موطن إذ هي حال القلب والقلب من الملكوت ولا يعرض الفناء والانقطاع لأحوال الملكوت نسأل الله الوصول إليه والاعتماد في كل شيء عليه، وفي الحديث: «ما أوحي إلي أن أجمع المال وأكن من التاجرين ولكن أوحى إليّ أن **﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾**».

وفي «التأويلات النجمية» **﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك﴾** من ضيق البشرية وغاية الشفقة وكمال الغيرة **﴿بما يقولون﴾** من أقوال الأخيار ويعملون عمل الأشرار **﴿فسبح بحمد ربك﴾** أنك لست منهم **﴿وكن من الساجدين﴾** لله سجدة الشكر **﴿واعبد ربك﴾** بالإخلاص **﴿حتى يأتيك اليقين﴾** أي إلى الأبد وذلك أن حقيقة اليقين المعرفة ولا نهاية لمقامات المعرفة فكما أن الواصل إلى مقام من مقامات المعرفة يأتيه يقين بذلك المقام في المعرفة كذلك يأتيه شك بمعرفة مقام آخر في المعرفة فيحتاج إلى يقين آخر في إزالة هذا الشك إلى ما لا يتناهى فثبت أن اليقين ههنا إشارة إلى الأبد انتهى كلامه.

قال في «العوارف» منازل طريق الوصول لا تقطع أبد الآباد في عمر الآخرة الأبدي فكيف في العمر القصير الدنيوي.

اي بـرادر بـي نـهـايـت در كـهـيـسـت   هـر كـچـاكـه مـيـرسـى بـالله مـائـسـت

قيل: اليقين اسم ورسم وعلم وعين وحق فالاسم والرسم للعوام والعلم علم اليقين للأولياء وعين اليقين لخواص الأولياء وحق اليقين للأنبياء وحقيقة

حق اليقين اختص بها نبينا محمد

صلى الله عليه وسلم

تمت سورة الحجر في الثالث عشر من شهر ربيع الأول في سنة أربع ومائة وألف

تم المجلد الرابع بتوفيق الله تعالى من تفسير القرآن المسمى بـ «روح البيان» ويليه المجلد الخامس إن شاء الله تعالى أوله تفسير سورة النحل

١٦ - سورة النحل

وهي مكية إلا من ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخرها
وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾

﴿أتى أمر الله﴾ روي أن كفار قريش كانوا يستبطئون نزول العذاب الموعود لهم سخرية بالنبي عليه السلام وتكذيباً للوعد ويقولون إن صح ما يقولون من مجيء العذاب فالأصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت. وأمر الله هو العذاب الموعود لأن تحققه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب وإتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوقع في سلك الواقع وقد وقع يوم بدر. والمعنى دنا واقترب ما وعدتم به أيها الكفرة **﴿فلا تستعجلوه﴾** أي: أمر الله ووقوعه إذ لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم منه واستعجالهم وإن كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهكم والاستعجال طلب الشيء قبل حينه **﴿سبحانه﴾** [پاكست خداي] **﴿وتعالى﴾** [وبر ترست] **﴿عما يشركون﴾** أي: تبرأ وتقدس بذاته عن أن يكون له شريك فيدفع ما أراد بهم بوجه من الوجوه ولما كان المنزه للذات الجليلة هو نفس الذات آل التنزيه إلى معنى التبري. وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما أنزل الله تعالى ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر: ١] قال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما رأوا أنه لا ينزل شيء قالوا: ما نرى شيئاً فأنزل ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١] الآية فأشفقوا وانتظروا قرب الساعة فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فأنزل الله تعالى **﴿أتى أمر الله﴾** فوثب النبي عليه السلام قائماً مخافة الساعة وحذر الناس من قيامها ورفع الناس رؤوسهم فنزل **﴿فلا تستعجلوه﴾** أي: لا تطلبوا الأمر قبل حينه فاطمأنوا وجلس النبي عليه السلام بعد قيامه وليس في هذه الرواية استعجال المؤمنين بل خوفهم وظنهم ثم إن الاستعجال بها لا يوصف به المؤمنون قال الله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ [الشورى: ١٨] بل الظاهر أنهم لما سمعوا أول الآية اضطربوا لظن أنه وقع ثم لما سمعوا خطاب الكفار بقوله فلا تستعجلوه اطمأنوا كما في «حواشي» سعدي المفتي. ولما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» يعني: إصبعيه المسبحة والوسطى معناه أن ما بيني وبين الساعة بالنسبة إلى ما مضى من الزمان مقدار فضل الوسطى على المسبحة شبه القرب الزماني بالقرب المساحي لتصوير غاية قرب الساعة وفي حديث آخر: «مثلي ومثل الساعة كفرسي

رهان». قال في «القاموس»: كفرسي رهان يضرب للاثنين يسبقان إلى غاية فيستويان وهذا التشبيه في الابتداء لأن الغاية تجلي عن السابق لا محالة، انتهى.

والإشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ كلام قديم كان الله في الأزل به متكلماً والمخاطبون به بعد في العدم محبوسون وهم طبقات ثلاث منهم الغافلون والعاقلون والعاشقون فكان الخطاب مع الغافلين بالعتاب إذا كانوا مشتاقين إلى الدنيا وزخارفها ولذاتها وشهواتها وهم أصحاب النفوس:

نفس اكرچه زير كست وخرده دان   قبله اش دنياست اورا مرده دان

والخطاب مع العاقلين بوعد الثواب إذ كانوا مشتاقين إلى الطاعات والعبادات والأعمال الصالحات التي تبلغهم إلى الجنة ونعيمها الباقية وهم أرباب العقول:

نصيب ماست بهشت اى خداشناس برو   كه مستحق كرامت كنا هكارانند

والخطاب مع العاشقين بوصلة رب الأرباب إذ كانوا مشتاقين إلى مشاهدة جمال ذي الجلال:

چه سود ازروزن جنت اكر شيرين معاذ الله   زكوى خود درى در روضه فرهاد نكشايد

فاستعجل أرواح كل طبقة منهم للخروج من العدم إلى الوجود لنيل المقصود وطلب المفقود فتكلم الله في الأزل بقوله: ﴿أتى أمر الله﴾ أي: سيأتي أمر الله للخروج من العدم لإصابة ما كتب لكل طبقة منكم في القسمة الأزلية ﴿فلا تستعجلوه﴾ فإنه لا يفوتكم يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤] أي: في العدم وهو يسمع خفيات أسراركم ويبصر خفيات سرائركم المعدومة. ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ أي: هو منزه في ذاته ومتعال في صفاته أن يكون له شريك يعمل عمله أو شبيه يكون بدله:

قهار بى منازع وغفار بى ملال   ديان بى معادن وسلطان بى سپاه

باغير أو أضافت شاهى بود چنانك   بريك دو چوب پاره زشطرنج تام شاه

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾

﴿ينزل﴾ الله تعالى ﴿الملائكة﴾ أي: جبريل لأن الواحد يسمى بالجمع إذا كان رئيساً تعظيماً لشأنه ورفعاً لقدره أو هو ومن معه من حفظة الوحي كما قال السهيلي في كتاب «التعريف والإعلام» ﴿ينزل الملائكة﴾ يعني ملائكة الوحي وهم جبريل وقال الملائكة بالجمع لأنه قد ينزل بالوحي مع غيره.

- وروي - عن عامر الشعبي بإسناد صحيح قال: وكل إسرافيل بمحمد ﷺ ثلاث سنين وكان يأتيه بالكلمة والكلمتين ثم نزل عليه جبريل بالقرآن والحكمة في توكيل إسرافيل به أنه الموكل بالصور الذي فيه هلاك الخلق وقيام الساعة ونبوته ﷺ مؤذنة بقرب الساعة وانقطاع الوحي. وفي «صحيح مسلم» أنه نزل عليه بسورة الحمد، أي فاتحة الكتاب، ملك لم ينزل بها جبريل كما قال بعضهم وهو بشيع. وذكر ابن أبي حيثمة خالد بن سنان العبسي وذكر نبوته وأنه وكل به من الملائكة مالك خازن النار وكان من أعلام نبوته أن ناراً يقال لها نار الحدثان كانت تخرج على الناس من مغارة فتأكلهم والزرع والضرع ولا يستطيعون ردها فردها خالد بن سنان بعصاه حتى رجعت هاربة منه إلى المغارة التي خرجت منها فلم تخرج بعد. وفي الحديث:

«وكان نبياً ضيعه قومه» يعني خالد بن سنان، أي ضيعوا وصية نبيهم حيث لم يبلغوه مراده من أخبار أحوال القبر، وقوله عليه السلام: «إني أولى الناس بعيسى ابن مريم فإنه ليس بيني وبينه نبي» أي نبي داع للخلق إلى الله وشرع، وسبق تفصيل القصة في سورة المائدة عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾ [المائدة: ١٥] الآية فلينظر هناك. وذكر أن ملكاً يقال له زياقيل كان ينزل على ذي القرنين وذلك الملك هو الذي يطوي الأرض يوم القيامة ويقبضها فتقع أقدام الخلائق كلهم بالساهرة فيما ذكره بعض أهل العلم، وهذا مشاكل لتوكيله بذي القرنين الذي قطع مشارق الأرض ومغاربها كما أن قصة خالد بن سنان وتسخير النار له مشاكلة لحال الملك الموكل به كذا في كتاب التعريف وأسئلة الحكم.

﴿بالروح﴾ أي بالوحي الذي من جملته القرآن على نهج الاستعارة فإنه يحيي القلوب الميتة بالجهل أو يقوم في الدين مقام الروح في السجد، يعني أن الروح استعارة تحقيقية عن الوحي ووجه التسمية أحد هذين الوجهين والقرينة إبدال أن أنذروا من الروح. وقال بعضهم: البناء بمعنى مع أي ينزل الملائكة مع جبريل.

قال «الكاشفي» [درتبيان ميكويد كه هيچ ملكى فرونيايد الاكه روح بااوست ورقيب بروچنانچه بر آدميان حفظه ميباشند]. ﴿من أمره﴾ بيان للروح الذي أريد به الوحي فإنه أمر بالخير وبعث عليه وأيضاً هو من عالم الأمر المقابل لعالم الخلق وإن كان جبريل من عالم الخلق أو هو متعلق بينزل ومن للسببية كالباء مثلها في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ﴾ [نوح: ٢٥] أي ينزلهم بالروح بسبب أمره وأجل إرادته ﴿على ما يشاء من عباده﴾ أن ينزلهم به عليهم لاختصاصهم بصفات تؤهلهم لذلك ﴿أن أنذروا﴾ بدل من الروح أي ينزلهم متلبسين بأن أنذروا أي بهذا القول والمخاطبون به الأنبياء الذين نزلت الملائكة عليهم والآمر هو الله والملائكة نقلة للأمر كما يشعر به الباء في المبدل منه وأن مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف، أي ينزلهم ملتبسين بأن الشأن أقول لكم أنذروا والإنذار الإعلام خلا أنه مختص بإعلام المحذور من نذر بالشيء كفرح علمه فحذره وأنذره بالأمر إنذاراً، أعلمه وحذره وخوّفه في إبلاغه كذا في «القاموس» أي أعلموا الناس أيها الأنبياء ﴿أنه﴾ أي الشأن ﴿لا إله إلا أنا﴾ [كس نيست خداى مستحق عبادت مكر من كه آفريننده وروزى دهندهٔ همه ام] وإنباؤه عن المحذور ليس لذاته بل من حيث اتصاف المنذرين بما يضاده من الإشراك وذلك كاف في كون إعلامه إنذاراً كما قال سعدي المفتي في «حواشيه»: التخويف بلا إله إلا أنا من حيث إنهم كانوا يثبتون له تعالى ما لا يليق لذاته الكريمة من الشركاء والأنداد فإذا كان ما أسندوه خلاف الواقع وهو مستبد بالألوهية فالظاهر أنه ينتقم منهم على ذلك ﴿فاتقون﴾ [پس بترسيد از من وجز مرا پرستش مكنيد].

مرا بندكى كن كه دارا منم ... توازبندكانى ومولامنم

وفي الآية دلالة على أن الملائكة وسائط بين الله وبين رسله وأنبيائه في إبلاغ كتبه ورسالاته وأنهم ينزلون بالوحي على بعضهم دفعة في وقت واحد كما نزلوا بالتوراة والإنجيل والزبور على موسى وعيسى وداود والدال عليه قراءة ابن كثير وأبي عمرو وينزل من أنزل وعلى بعضهم منجماً موزعاً على حسب المصالح وكفاء الحوادث كما نزلوا بالقرآن منجماً في عشرين سنة أو في ثلاث وعشرين على ما يدل عليه قراءة الباقين لأن في التنزيل دلالة على التدرج

والتكثر والإنزال بشموله التدريجي والدفعي أعم منه وأنه ليس ذلك النزول بالوحي جملة واحدة أو متفرقاً إلا بأمر الله وعلى ما يراه خيراً وصواباً وأن النبوة موهبة الله ورحمته يختص بها من يشاء من عباده وأن المقصود الأصلي في ذلك إعلامهم الناس بتوحيد الله تعالى وتقواه في جميع ما أمر به ونهى عنه والأول هو منتهى كمال القوة العلمية والثاني هو أقصى كمالات القوة العلمية. قال في «بحر العلوم» واتقاء الله باجتناب الكفر والمعاصي وسائر القبائح يشمل رعاية حقوقها بين الناس.

والإشارة ﴿**ينزل الملائكة بالروح من أمره**﴾ أي: بالوحي وبما يحيي القلوب من المواهب الربانية من أمره أي: من أمر الله وأمره على وجوه منها ما يرد على الجوارح بتكاليف الشريعة ومنها ما يرد على النفوس بتزكيتها بالطريقة ومنها ما يرد على الأرواح بملازمة الحضرة للمكاشفات ومنها ما يرد على الخفيات بتجل الصفات لإفناء الذوات ﴿**على من يشاء من عباده**﴾ من الأنبياء والأولياء ﴿**أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا**﴾ أي: اعلموا أوصاف وجودكم يبذلها في أنانيتي أن لا إله إلا أنا ﴿**فاتقون**﴾ أي: فاتقوا عن أنانيتكم بأنانيتي كذا في «التأويلات النجمية». قال شيخي وسندي روح الله روحه في بعض تحريراته المتقي إما أن يتقي بنفسه عن الحق سبحانه وإما بالحق عن نفسه والأول هو الاتقاء بإسناد النقائص إلى نفسه عن إسنادها إلى الحق سبحانه فيجعل نفسه وقاية لله تعالى والثاني هو الاتقاء بإسناد الكمالات إلى الحق سبحانه عن إسنادها إلى نفسه فيجعل الحق سبحانه وقاية لنفسه والعدم نقصان والوجود كمال فاتقوا الله حق تقاته بأن تضيفوا العدم إلى أنفسكم مطلقاً ولا تضيفوا الوجود إليها أصلاً وتضيفوا الوجود إلى الله مطلقاً ولا تضيفوا العدم إليه أصلاً فإن الله تعالى موجود دائماً أزلاً وأبداً سرمداً لا يجوز في حقه العدم أصلاً ونفوسكم من حيث هي هي معدومة دائماً وأزلاً وأبداً وسرمداً لا يجوز في حقها الوجود أصلاً وطريان الوجود عليها من حيث فيضان الجود الوجودي عليها من الحق تعالى لا يوجب وجودها أصلاً من حيث هي هي عند هذا الطريان على عدمها الأصلي من حيث هي دائماً مطلقاً فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا انتهى كلام الشيخ.

كر تويى جمله در فضاى وجود هم خود انصاف ده بكو حق كو
در همه اوست پيش چشم شهود چيست پندارى هستىء من وتو
پاك كن جامى ازغبار دويى لوح خاطر كه حق يكيست نه دو

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٤﴾ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿**خلق السموات والأرض**﴾ أي: الأجرام العلوية والآثار السفلية. يقال قبل أن يخلق الله الأرض كان موضع الأرض كله ماء فاجتمع الزبد في موضع الكعبة فصارت ربوة حمراء كهيئة التل وكان ذلك يوم الأحد ثم ارتفع بخار الماء كهيئة الدخان حتى انتهى إلى موضع السماء وما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام كما بين المشرق والمغرب فجعل الله درة خضراء فخلق منها السماء فلما كان يوم الاثنين خلق الشمس والقمر والنجوم ثم بسط الأرض من تحت الربوة ﴿**بالحق**﴾ أي: بالحكمة والمصلحة لا بالباطل والعبث ونعم ما قيل:

إنـــمـــا الـــكـــون خـــيـــال وهـــو حـــق فـــي الـــحـــقـــيـــقـــه

ويقال: جعل الله الأرواح العلوية والأشباح السفلية مظاهر أفاعيله فهو الفاعل فيما يظهر على الأرواح والأشباح ﴿تعالى﴾ وتقدس. وبالفارسية [بر ترست خداى تعالى وبزركترا] ﴿عما يشركون﴾ عن شركة ما يشركونه به من الباطل الذي لا يبدىء ولا يعيد فينبغي للسالك أن يوحد الله تعالى ذاتاً وصفة وفعلاً فإن الله تعالى هو الفاعل خلق حجاب الوسائط لا بالوسائط بل بالذات فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً وهو ما أريد به وجه الله ولا يشرك بعبادة ربه أحداً وقيل للمرائي مشرك:

مـــرايـــى هـــركـــســـى مـــعـــبـــود ســـازد مـــرايـــى را ازان كـــفـــتـــنـــد مـــشـــرك

﴿خلق الإنسان﴾ أي: بني آدم لا غير لأن أبويهم لم يخلقا من النطفة بل خلق آدم من التراب وحواء من الضلع الأيسر منه ﴿من نطفة﴾ قال في «القاموس»: النطفة ماء الرجل. والمعنى بالفارسية [از آب منى كه جماديست بى حس وحركت وفهم وهيولائى كه وضع وشكل نپذيرد پس اورافهم وعقل داد] ﴿فإذا هو﴾ [پس آنكاه او] أي: الإنسان بعد الخلق وأتى بالفاء إشارة إلى سرعة نسيانهم ابتداء خلقهم ﴿خصيم﴾ بليغ الخصومة شديد الجدل ﴿مبين﴾ أي: مظهر للحجة أو ظاهر لا شبهة في زيادة خصومته وجدله يعني: [مناظره ميكند وميخواهدكه سخن خودرا بحجت ثابت سازد]. قال في «التكملة»: الظاهر أن الآية على العموم وقد حكى المهدوي أن المراد به أبي بن خلف الجمحي فإنه أتى النبي ﷺ بعظم رميم فقال: يا محمد أترى الله تعالى أي: أتظن أن الله يحيي هذا بعد ما قد رمّ فنزلت ومثلها الآية التي في آخر سورة يس وفيه نزلت يعني: [او در اول جمادى بوده وما اورا حس ونطق داديم اكنون باما مجادله ميكند چرا استدلال نمى كند بابداء برا عاده كه هركه برابداء قادر بود هر آيينه برين نيز قدرت دارد].

وفي «التأويلات النجمية» أي: جعل الإنسان من نطفة ميتة لا فعل لها ولا علم بوجودها فإذا أعطيت العلم والقدرة صارت خصماً لخالقها مبيناً وجودها مع وجود الحق وادعت الشركة معه في الوجود والأفاعيل انتهى. والآية وصف الإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة قالوا: خلق الله تعالى جوهر الإنسان من تراب أولاً ثم من نطفة ثانياً وهم ما ازدادوا إلا تكبراً وما لهم والكبر بعد أن خلقوا من نطفة نجسة في قول عامة العلماء:

نـــه در ابـــتـــدا بـــودى آب مـــنـــى اكـــر مـــردى از ســـر بـــدركـــن مـــنـــى

وفي «إنسان العيون»: أن فضلاته ﷺ طاهرة انتهى. وهو من خصائصه عليه السلام كما صرحوا به في كتب السير وحكم النطفة أسهل من الفضلات لأنها أخف منها.

ـ يحكى ـ أن بعض أهل الرياضة المحققين من أهل التوحيد الحقاني كان يشم من فضلاتهم رائحة المسك وذلك ليس ببعيد لصفوة باطنهم وسريان آثار حالهم إلى جميع أعضائهم وأجزائهم فهم من النطفة صورة ومن النور معنى وليس غيرهم مثلهم لأن معناهم ظهر في صورة الوجود فغابوا من الغيبة ووصلوا إلى عالم الشهود بخلاف غيرهم من أرباب الغفلة فإن أنت تطمع في الوصول إلى ما وصلوا أو الحصول عند ما حصلوا فعليك بإخلاص العمل وترك المراء والجدل فإن حقيقة التوحيد لا تحصل للخصم العنيد بل هي منه بمكان بعيد.

﴿والأنعام﴾ جمع نعم وقد يسكن عينه وهي الإبل والبقر والغنم والمعز وهي الأجناس

الأربعة المسماة بالأزواج الثمانية اعتباراً للذكر والأنثى لأن ذكر كل واحد من هذه الأنواع زوج بأنثاه وأنثاه زوج بذكره فيكون مجموع الأزواج ثمانية بهذا الاعتبار من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين فالخيل والبغال والحمير خارجة من الأنعام وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى: ﴿خلقها لكم﴾ ولمنافعكم ومصالحكم يا بني آدم وكذا سائر المخلوقات فإنها خلقت لمصالح العباد ومنافعهم لا لها يدل عليه قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] وقوله: ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [لقمان: ٢٠] وأما الإنسان فقد خلق له تعالى كما قال: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه: ٤١] فالإنسان مرآة صفات الله تعالى ومجلى أسمائه الحسنى ﴿فيها دفء﴾ [در ايشان پوستست كرم كننده يعني جامعها ازپشم وموي كه سرما بازدارد]. والدفء نقيض حدة البرد أي: بمعنى السخونة والحرارة ثم سمي به كل ما يدفأ به أي: يسخن به من لباس معمول من صوف الغنم أو وبر الإبل أو شعر المعز هذا وأما الفرو فلا بأس به بعد الدباغة من أي صنف كان وقد عد الإمام الشافعي رحمه الله لبس جلد السباع مكروهاً وكان لرسول الله ﷺ جبة فنك يلبسها في الأعياد والفنك بالتحريك دابة فروتها أطيب أنواع الفراء وأشرفها وأعدلها صالح لجميع الأمزجة المعتدلة كما في «القاموس» ثم إن أسباب التسخين إنما تلزم للعامة وقد اشتهر أن النبي ﷺ لم يصطل بالنار وكذا بعض الخواص فإن حرارة باطنهم تغني عن الحرارة الظاهرة، قال الصائب:

جمعى كه پشت كرم بعشق ازل نيند ... ناز سمور ومنت سنجاب ميكشند

﴿ومنافع﴾ نسلها ودرها وركوبها والحراثة بها وثمنها وأجرتها ﴿ومنها تأكلون﴾ من للتبعيض أي: تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك بخلاف الغدة والقبل والدبر والذكر والخصيتين والمرارة والمثانة ونخاع الصلب والعظم والدم فإنها حرام. وتقديم الظرف لرعاية الفاصلة أو لأن الأكل منها هو الأصل الذي يعتمده الناس في معائشهم وأما الأكل من غيرها من الطيور وصيد البر والبحر فعلى وجه التداوي أو التفكه والتلذذ فيكون القصر إضافياً بالنسبة إلى سائر الحيوانات حتى لا ينتقض بمثل الخبز ونحوه من المأكولات المعتادة.

﴿ولكم فيها﴾ مع ما فصل من أنواع المنافع الضرورية ﴿جمال﴾ أي: زينة في أعين الناس ووجاهة عندهم ﴿حين تريحون﴾ تردونها من مراعيها إلى مراحها ومباركها بالعشي أي: في آخر النهار من أراح الإبل إذا ردها إلى المراح بضم الميم وهو موضع إراحة الإبل والبقر والغنم. والإراحة بالفارسية [شبانكاه باز آوردن اشتر وكوسفند] ﴿وحين تسرحون﴾ ترسلونها بالغداة أي: في أول النهار في المرعى وتخرجونها من حظائرها إلى مسارحها من سرح الراعي الإبل إذا رعاها وأرسلها في المرعى. قال في «تهذيب المصادر» والسروح [بچراهشتن] وسرح لازم ومتعد يقال: سرحت الماشية وسرحت الماشية انتهى. وتعيين الوقتين لأن الرعاة إذا أراحوا بالعشي وسرحوها بالغداة تزينت الافنية بها أي: ما اتسع من أمام الدار كما في «القاموس» وتجاوب الثغاء والرغاء الأول صوت الشاة والمعز والثاني ذوات الخف فيجل بكسر الجيم أي: يعظم أهلها في أعين الناظرين ويكسبون الجاه والحرمة عند الناس وأما عند كونها في المراعي فينقطع إضافتها الحسية إلى أربابها وعند كونها في الحظائر لا يراها راء ولا ينظر إليها ناظر وقدم الإراحة على السرح وإن كانت بعده لأن الجمال فيها أظهر إذ هي حضور بعد

غيبة وإقبال بعد إدبار على أحسن ما يكون ملأى البطون مرتفعة الضلوع حافلة الضروع. قال في «القاموس»: الجمال الحسن في الخلق والخلق وتجمل تزين وجمله زينه وفي الحديث: «جمال الرجل فصاحة لسانه» وفي حديث آخر «الجمال صواب المقال والكمال حسن الفعال».

بهايم خموشند وكويا بشر   پرا كنده كوى ازبهايم بتر

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿وتحمل أثقالكم﴾ جمع ثقل بفتح الثاء والقاف وهو متاع المسافر وحشمه أي: تحمل أمتعتكم وأحمالكم. ﴿إلى بلد﴾ بعيد أياً ما كان فيدخل فيه إخراج أهل مكة متاجرهم إلى اليمن ومصر والشام ﴿لم تكونوا بالغيه﴾ واصلين إليه بأنفسكم مجردين عن الأثقال لولا الإبل أي: لو لم تخلق الإبل فرضاً. ﴿إلا بشق الأنفس﴾ فضلاً عن استصحابها معكم أي: عن أن تحملوها على ظهوركم إليه. والشق بالكسر والفتح الكلفة والمشقة وهو استثناء مفرغ من أعم الأشياء أي: لم تكونوا بالغيه بشيء من الأشياء إلا بشق الأنفس ﴿إن ربكم لرؤوف رحيم﴾ عظيم الرأفة بكم وعظيم الإنعام عليكم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وأنعمها عليكم لانتفاعكم وتيسير الأمر عليكم. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان في بعض مغازيه فبينما هم يسيرون إذ أخذوا فرخ طائر أي: ولده فأقبل أحد أبويه حتى سقط في أيدي الذين أخذوا الفرخ فقال عليه الصلاة والسلام: «ألا تعجبون لهذا الطير أخذ فرخه فأقبل حتى سقط في أيديكم والله لله أرحم بعباده من هذا الطائر بفرخه».

فرومانده كانرا برحمت قريب   تضرع كنانرا بدعوت مجيب

وفي الآية إشارة إلى أن في خلق الحيوانات انتفاعاً للإنسان فإنهم ينتفعون بها حين اطلاعهم على صفتها الحيوانية الذميمة بالصفات الملكية الحميدة احترازاً عن الاحتباس في حيزها واجتناباً عن شبهها بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وهذه الصفات الحيوانية إنما خلقت فيهم لتحمل أثقال أرواحهم إلى بلد عالم الجبروت ولذا ورد «نفسك مطيتك فارفق بها».

واعلم أن الله تعالى منّ على عباده بخلق الإبل والبقر والغنم والمعز وقد كان لرسول الله ﷺ إبل يركبها وهي الناقة القصوى أي المقطوع طرف إذنها والجدعاء أي: المقطوعة الأنف أو مقطوعة الأذن كلها والعضباء أي: المشقوقة الأذن. قال بعضهم: وهذه ألقاب ولم يكن بتلك شيء من ذلك والعضباء هي التي كانت لا تسبق فسبقت فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله ﷺ: «إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه» وهي التي لم تأكل بعد وفاة رسول الله ولم تشرب حتى ماتت وجاء أن ابنته فاطمة رضي الله عنها تحشر عليها. قال السعدي: [حلم شتر چنانكه معلومست اكر طفلى مهارش كيرد وصد فرسنك ببرد كردن ازمتابعت او نپيچد اما اكردرره هو لناك پيش آيدكه موجب هلاك باشد وطفل بنادانى خواهدكه آن جايكه برود زمام از كفش بكسلاند وديكر مطاوعت نكندكه هنكام درشتى ملاطفت مذموم است وكفته اندكه دشمن بملاطفت دوست نكردد بلكه طمع زياده كند]:

كسى كه لطف كند باتوخاك پايش باش   وكر خلاف كنددردو چشمش آكن خاك

سخن بلطف وكرم بادرشت كوى مكوى كه زنك خورده نكردد بنرم سوهان پاك

قال في «حياة الحيوان»: وإذا أحرق وبر الجمل وذر على الدم السائل قطعه وقراده يربط في كم العاشق فيزول عشقه ولحمه يزيد في الباءة أي: الجماع. والبقر من بقر إذا شق لأنها تشق الأرض بالحراثة. وقيل لمحمد بن الحسين بن علي رضي الله عنهم: الباقر لأنه شق العلم ودخل فيه مدخلاً بليغاً وإذا أردت أن ترى عجباً فادفن جرة في الأرض إلى حلقها وقد طلي باطنها بشحم البقر فإن البراغيث كلها تجتمع إليها وإذا بخر البيت بشحمه مع الزرنيخ أذهب الهوام خصوصاً العقارب ولم ينقل أنه ﷺ ملك شيئاً منها أي: من البقر للقنية فلا ينافي أنه ضحى عن نسائه بالبقر كما في «إنسان العيون». يقال: ثلاث لا يفلحون: بائع البشر، وقاطع الشجر، وذابح البقر والمراد القصاب المعتاد لذلك وفي الحديث: «عليكم بألبان البقر وأسمانها وإياكم ولحومها فإن ألبانها وأسمانها دواء وشفاء ولحومها داء». قال الإمام السخاوي: قد صح أن النبي عليه الصلاة والسلام ضحى عن نسائه بالبقر، قال الحليمي: هذا ليبس الحجاز ويبوسة لحم البقر ورطوبة لبنها وسمنها فكأنه يرى اختصاص ذلك وهذا التأويل مستحسن وإلا فالنبي عليه السلام لا يتقرب إلى الله تعالى بالداء فهو إنما قال ذلك في البقر لتلك اليبوسة وجواب آخر أنه عليه السلام ضحى بالبقر لبيان الجواز أو لعدم تيسر غيره انتهى كلام السخاوي وفي الحديث «صوفها رياش وسمنها معاش» يعني الغنم الرياش اللباس الفاخر يعني أن ما على ظهرها سبب الرياش ومادتها وما في بطنها سبب المعاش وهو الحياة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أمر رسول الله ﷺ الأغنياء باتخاذ الغنم وأمر الفقراء باتخاذ الدجاج وقال: «الدجاج غنم فقراء أمتي والجمعة حج فقرائها» وعند اتخاذ الأغنياء الدجاج يأذن الله بهلاك القرى وجاء «اتخذوا الغنم فإنها بركة» قال في «حياة الحيوان»: جعل الله البركة في نوع الغنم وهي تلد في العام مرة ويؤكل منها ما شاء الله ويمتلىء منها جوف الأرض بخلاف السباع فإنها تلد ستاً وسبعاً ولا يرى منها إلا واحدة في أطراف الأرض وكان له ﷺ مائة من الغنم وسبعة أعنز كانت ترعاها أم أيمن رضي الله عنها وكان له عليه السلام شاة يختص بشرب لبنها وماتت له عليه الصلاة والسلام شاة فقال: «ما فعلتم بإهابها» قالوا: إنها ميتة قال: «دباغها طهورها» قال الإمام الدميري: كبد الكبش إذا أحرقت طرية ودلك بها الأسنان بيضتها وقرن الكبش إذا دفن تحت شجرة يكثر حملها وإذ انحملت المرأة بصوف النعجة قطعت الحبل وإذا غطى الإناء بصوف الضأن الأبيض وفيه عسل لا يقربه النمل.

﴿**والخيل**﴾ عطف على الأنعام أي: خلق الله الخيل وهو اسم جنس للفرس لا واحد له من لفظه كالإبل. والخيل نوعان: عتيق وهجين والفرق بينهما أن عظم البرذون أعظم من عظم الفرس وعظم الفرس أصلب وأنقل والبرذون أجمل من الفرس والفرس أسرع منه والعتيق بمنزلة الغزال والبرذون بمنزلة الشاة فالعتيق ما أبواه عربيان سمي بذلك لعتقه من العيوب وسلامته من الطعن فيه بالأمور المنقصة. وسميت الكعبة بالبيت العتيق لسلامتها من عيب الرق لأنه لم يملكها مالك قط. والهجين الذي أبوه عربي وأمه عجمية. وخلق الله الخيل من ريح الجنوب وكان خلقها قبل آدم عليه السلام لأن الدواب خلقت يوم الخميس وآدم خلق يوم الجمعة بعد العصر والذكر من الخيل خلق قبل الأنثى لشرفه كآدم وحواء. وأول من ركب الخيل إسماعيل عليه السلام وكانت وحوشاً ولذلك قيل لها العراب وفي الحديث: «اركبوا الخيل فإنها ميراث

أبيكم إسماعيل» وقد سبق قصة انقيادها لإسماعيل في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧] الآية وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ لم يكن شيء أحب إليه بعد النساء من الخيل وفي الحديث: «لما أراد ذو القرنين أن يسلك في الظلمة إلى عين الحياة سأل أي: الدواب في الليل ابصر فقالوا: الخيل فقال: أي الخيل أبصر فقالوا: الإناث قال: فأي الإناث أبصر فقالوا: البكارة فجمع من عسكره ستة آلاف فرس كذلك» وكان له ﷺ سبعة أفراس. الأول الكسب شبه بكسب الماء وانصبابه لشدة جريه. والثاني: المرتجز سمي به لحسن صهيله مأخوذ من الرجز الذي هو ضرب من الشعر. والثالث: اللحيف كامير اوزبير كأنه يلحف الأرض بذنبه لطوله أي: يغطيها وقيل: هو بالخاء المعجمة كامير وزبير. والرابع: اللزاز مأخوذ من لازته أي: لاصقته فكأنه يلحق بالمطلوب لسرعته. والخامس: الورد وهو ما بين الكميت والأشقر الكميت كزبير الذي خالط حمرته قنوء وقنأ قنوءاً شدت حمرته والأشقر من الدواب الأحمر في مغرة حمرة يحمر منها العرف والذنب ومن الناس من تعلو بياضه حمرة. والسادس: الطرف بكسر الطاء المهملة وإسكان الراء وبالفاء الكريم الجيد من الخيل. والسابع: السبحة بفتح السين المهملة وإسكان الموحدة وفتح الحاء المهملة أي: سريع الجري وفي الحديث: «ما من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ويقول: رب إنك سخرتني لابن آدم وجعلت رزقي في يده اللهم فاجعلني أحب إليه من أهله وولده» وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الفرس يقول: إذا التقت الفئتان سبوح قدوس رب الملائكة والروح ولذلك قيل: رب بهيمة خير من راكبها وكان له في الغنيمة سهمان وعن النبي عليه السلام: «لا يعطى إلا لفرس واحد» عربياً كان أو غيره لأن الله تعالى قال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] ولم يفرق بين العربي وغيره ويقال: إن الفرس لا طحال له وهو مثل لسرعته وحركته كما يقال للبعير لا مرارة له أي: لا جسارة له والفرس يرى المنامات كبني آدم وزبله إذا دخن به أخرج الولد من البطن. قال الحافظ شرف الدين الدمياطي في كتاب الخيل: إذا ربط الفرس العتيق في بيت لم يدخله الشيطان وأما الفرس الذي فيه شؤم فهو الذي لا يغزى عليه ولا يستعمل في مصلحة حميدة ولا يركبه صالح وفي الحديث «من نقى شعيراً لفرسه ثم جاء به حتى يعلق عليه كتب الله له بكل شعيرة حسنة» قال موسى للخضر أي: الدواب أحب إليك؟ قال: الفرس والحمار والبعير لأن الفرس مركب أولي العزم من الرسل والبعير مركب هود وصالح وشعيب ومحمد عليهم السلام والحمار مركب عيسى والعزير عليهما السلام فكيف لا أحب شيئاً أحياه الله بعد موته قبل الحشر. ﴿**والبغال**﴾ جمع بغل وهو مركب من الفرس والحمار ويقال أول من استنتجها قارون وله صبر الحمار وقوة الفرس وهو مركب الملوك في أسفارهم ومعبرة الصعاليك في قضاء أوطارهم. وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن البغال كانت تتناسل وكانت أسرع الدواب في نقل الحطب لنار إبراهيم خليل الرحمٰن فدعا عليها فقطع الله نسلها وهذه الرواية تستدعي أن يكون استنتاجها قبل قارون لأن إبراهيم مقدم على موسى بأزمنة كثيرة وإذا بخر البيت بحافر البغل الذكر هرب منه الفأر وسائر الهوام كما في حياة الحيوان. وكان له ﷺ بغال ست. منها بغلة شهباء يقال لها دلدل أهداها إليه المقوقس والي مصر من قبل هرقل والدلدل في الأصل القنفذ وقيل ذكر القنافذ وقيل عظيمها وكان عليه الصلاة والسلام يركبها في المدينة وفي الأسفار وعاشت حتى ذهبت أسنانها

فكان يدق لها الشعير وعميت وقاتل علي رضي الله عنه عليها مع الخوارج بعد أن ركبها عثمان رضي الله عنه وركبها بعد علي رضي الله عنه ابنه الحسن ثم الحسين ثم محمد ابن الحنفية رضي الله عنهم. يقول الفقير: إنما ركبوها وقد كانت مركبه عليه الصلاة والسلام طلباً للنصرة والظفر فالظاهر أنهم لم يركبوها في غير الوقائع لأن من آداب التابع أن لا يلبس ثياب متبوعه ولا يركب دابته ولا يقعد في مكانه ولا ينكح امرأته. ومنها بغلة يقال لها فضة. ومنها الايلية. وبغلة أهداها إليه كسرى. وأخرى من دومة الجندل. وأخرى من عند النجاشي. ﴿والحمير﴾ جمع حمار وكان له ﷺ من الحمر اثنان: يعفور وعفير والعفرة الغبرة. وفي كتاب «التعريف والأعلام» أن اسم حماره عليه الصلاة والسلام عفير ويقال له يعفور.

ـ روي ـ أن يعفوراً وجده ﷺ بخيبر وأنه تكلم فقال: اسمي زياد بن شهاب وكان في آبائي ستون حماراً كلهم ركبهم نبي وأنت نبي الله فلا يركبني أحد بعدك فلما توفي رسول الله ﷺ ألقى الحمار نفسه في بئر جزعاً على رسول الله ﷺ فمات وذكر أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يرسله إذا كانت له حاجة إلى أحد من أصحابه فيأتي الحمار حتى يضرب برأسه باب الصحاب فيخرج إليه فيعلم أن النبي عليه الصلاة والسلام يريده فينطلق مع الحمار إليه والحمار من أذل خلق الله تعالى كما قال الشاعر:

ولا يقيم على ضيم يراد به ... إلا الاذلان عير الحيّ والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يشبح فلا يرثي له أحد

أي: لا يصبر على ظلم يراد به في حقه إلا الأذلان اللذان هما في غاية الذل ولفظ البيت خبر والمعنى نهى عن الصبر على الظلم وتحذير وتنفير للسامعين عنه وفي الحديث «من لبس الصوف وحلب الشاة وركب الأتن فليس في جوفه شيء من الكبر» والاتن جمع اتان وهي الحمارة ﴿لتركبوها﴾ تعليل بمعظم منافعها وإلا فالانتفاع بها بالحمل أيضاً مما لا ريب في تحققه ﴿وزينة﴾ انتصابها على المفعول له عطفاً على محل لتركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعلاً لفاعل الفعل المعلل به دون الأول فإن الركوب فعل الراكب وهو المخلوق والزينة فعل الزائن وهو الخالق أو مصدر لفعل محذوف أي: وتتزينوا بها زينة وقد احتج به أبو حنيفة رحمه الله تعالى على حرمة أكل لحم الخيل لأنه علل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الأكل بعدما ذكره في الأنعام ومنفعة الأكل أقوى. والآية سيقت لبيان النعمة ولا يليق بالحكيم أن يذكر في موضع المنة أدنى النعمتين ويترك أعلاهما كذا في «المدارك»، وفي الحمر الأهلية خلاف مالك. وفي الخيل خلاف أبي يوسف ومحمد والشافعي كما في «بحر العلوم» والتفصيل في كتاب الذبائح من الكتب الفقهية. ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ من أنواع المخلوقات من الحشرات والهوام والطيور وحيوانات البحر ومخلوقات ما وراء جبل قاف وفي الحديث «أن الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها في البحر وأربعمائة في البر» ومن أنواع السمك ما لا يدرك الطرف أولها وآخرها وما لا يدركها الطرف لصغرها» وفي الحديث: «إن الله خلق أرضاً بيضاء مثل الدنيا ثلاثين مرة محشوة خلقاً من خلق الله لا يعلمون أن الله تعالى يعصى طرفة عين» قالوا: يا رسول الله أمن ولد آدم هم؟ قال: «لا يعلمون أن الله خلق آدم» قالوا: فأين إبليس منهم قال: «لا يعلمون أن الله خلق إبليس» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ كما في «البستان» وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن عن يمين العرش نهراً من نور مثل السموات

السبع والأرضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل كل سحر فيغتسل فيزداد نوراً إلى نور وجمالاً إلى جمال وعظماً إلى عظم ثم ينتفض فيخلق الله من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون ألف ملك البيت المعمور وسبعون ألف ملك الكعبة لا يعودون إليه إلى يوم القيامة كما في «الإرشاد» وفي الحديث: «إذا ملئت جهنم تقول الجنة ملأت جهنم بالجبابرة والملوك والفراعنة ولم تملأني إلا من ضعفاء خلقك فينشىء الله خلقاً عند ذلك فيدخلهم الجنة فطوبى لهم من خلق لم يذوقوا موتاً ولم يروا سوءاً بأعينهم» كما في «بحر العلوم».

واعلم أن الله تعالى قال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] وكيف يحصر من كان قليل العلم مخلوقات الله الغير المحصورة التي هي مظاهر كلماته التامة وأسمائه العامة فالأولى السكوت وقد أظهر الأنبياء عليهم السلام العجز مع سعة علومهم وإحاطة قلوبهم فما ظنك في حق أفراد الأمة:

در محفلى كه خورشيد اندر شمار ذره است

خودرا بزرك ديدن شرط أدب نباشد

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ويخلق﴾فيكم بعد رجوعكم بالجذبة إلى مستقركم ﴿ما لا تعلمون﴾قبل الرجوع إليه وهو قبول فيض نور الله تعالى بلا واسطة انتهى. قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الاطهر سكت النبي عليه السلام عن الاستخلاف إذ في أمته من يأخذ الأمر عن ربه فيكون بباطنه خليفة الله وبظاهره خليفة رسول الله فهو تابع ومتبوع وسامع ومسموع ومع ذلك فهو يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك والموحى إلى الرسول والمعدن الذي يأخذ منه الرسول وقد نبه سبحانه على ذلك بقوله: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨] بيد أنّ الرسول قابل للزيادة في ظاهر الأحكام والخليفة الولي ليس كذلك ناقص عن رتبة النبوة انتهى فانظر إلى استعداد كامل هذه الأمة كيف أخذوا الفيض من الله بلا واسطة نسأل الله تعالى أن يملأ قلوبنا بمحبتهم واعتقادهم ويوفقنا لأعمالهم ورشادهم ويحشرنا معهم وتحت لوائهم ويدخلنا الجنة ونحن من رفقائهم.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿وعلى الله قصد السبيل﴾القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد أي: مستقيم على نهج إسناد حال سالكه إليه كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه والمراد بالسبيل الطريق بدليل إضافة القصد إليه أي حق عليه سبحانه بموجب رحمته ووعده المحتوم لا واجب إذ لا يجب عليه شيء من بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه إلى الحق الذي هو التوحيد بنصب الأدلة وإرسال الرسل وإنزال الكتب لدعوة الناس إليه ﴿ومنها﴾ في محل الرفع على الابتداء إما باعتبار مضمونه وإما بتقدير الموصوف أي بعض السبيل أو بعض من السبيل فإنها تذكر وتؤنث. قال ابن الكمال: الفرق بين الطريق والصراط والسبيل أنها متساوية في التذكير والتأنيث أما في المعنى فبينها فرق لطيف وهو أن الطريق كل ما يطرقه

طارق معتاداً كان أو غير معتاد والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك والصراط من السبيل ما لا التواء فيه أي: لا اعوجاج بل يكون على سبيل القصد فهو أخص. ﴿جائر﴾أي: مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه إليه وهو طريق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر كاليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر ملل الكفر وأهل الأهواء والبدع ومن هذا علم أن قصد السبيل هو دين الإسلام والسنة والجماعة جعلنا الله وإياكم على قصد السبيل وحسن الاعتقاد والعمل وحفظنا وإياكم من الجائر والزيغ والزلل. قال مرجع طريقة الجلوتية بالجيم أعني حضرة الشيخ محمود هدايى الاسكداري قدس سره: رأيت صور أعلام أهل الأديان في مبشرتي ليلة الاثنين والعشرين من جمادى الآخرة لسنة اثنتي عشرة وألف وهي هذه ➤———— هذا علم أهل الإيمان وصورة استمدادهم من الحق تعالى بالتوجه إلى العلو اقتداء بمن قال في حقه المولى الأعلى ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٧] ٨٨ ———— هذا علم النصارى وصورة انحرافهم عن الحق ٨٨ ———— هذا علم اليهود وصورة انحرافهم عن الحق اكتفاء بالقلب انتهى ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾أي: ولو شاء الله أن يهديكم إلى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة إليه البتة مستلزمة لاهتدائكم أجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأ لأن مشيئته تابعة للحكمة الداعية إليها ولا حكمة في تلك المشيئة لما أن مدار التكليف والثواب والعقاب إنما هو الاختيار الجزئي الذي يترتب عليه الأعمال التي بها نيط الجزاء. وقال أبو الليث في «تفسيره»: لو علم الله أن الخلق كلهم أهل للتوحيد لهداهم انتهى. يقول الفقير: هو معنى لطيف مبني على أن العلم تابع للمعلوم فلا يظهر من الأحوال إلا ما أعطته الأعيان إلى العلم الإلهي كالإيمان والكفر والطاعة والعصيان والنقصان والكمال فمن كان مقتضى ذاته الإيمان والطاعة والكمال وكان أهلاً لها في عالم عينه الثابتة أعطاها للعلم فشاء الله هدايته في هذه النشأة بحكمته ومن كان مقتضى استعداده خلاف لم يشأ الله هدايته حين النزول إلى مرتبة وجوده العنصري وإلا لزم التغير في علم الله تعالى وهو محال وفي الحديث «إنما أنا رسول وليس إليّ شيء من الهداية ولو كانت الهداية إليّ لآمن كل من الأرض وإنما إبليس مزين وليس له من الضلالة شيء ولو كانت الضلالة إليه لأضل كل من في الأرض ولكن الله يضل من يشاء» كذا في «تلقيح الأذهان» قال الحافظ:

مكن بچشم حقارت ملامت من مست	كه نيست معصيت وزهد بى مشيت او

وقال:

درين چمن نكم سرزنش بخود رويى	چنانكه پرورشم مى دهند ومى رويم

وقال:

رضا بداده بده وزجبين كره بكشاي	كه برمن وتو در اختيار نكشادست

فعليك بترك القيل والقال ورفض الاعتزال والجدال فإن الرضى والتسليم سبب القبول وخلافه يؤدي إلى غضب الحبيب المقبول.

ـ يحكى ـ عن حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر أنه قال أقمت بمدينة قرطبة بمشهد فأراني الله أعيان رسله عليهم السلام من لدن آدم إلى نبينا عليه الصلاة والسلام فخاطبني منهم هود عليه السلام وأخبرني في سبب جمعيتهم وهو أنهم اجتمعوا شفعاء للحلاج إلى نبينا عليه الصلاة والسلام وذلك أنه كان قد أساء الأدب بأن قال في حياته الدنيوية: إن رسول الله ﷺ

همته دون منصبه قيل له ولم ذلك قال: لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥] وكان من حقه لا يرضى إلا أن يقبل الله تعالى شفاعته في كل كافر ومؤمن لكنه ما قال: ألا إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» فلما صدر منه هذا القول جاءه رسول الله ﷺ في واقعة وقال له: يا منصور أنت الذي أنكرت علي الشفاعة؟ فقال: يا رسول الله قد كان ذلك فقال: ألم تسمع أنني حكيت عن ربي عز وجل «إذا أحببت عبداً كنت له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً» فقال: بلى يا رسول الله فقال: أولم تعلم أني حبيب الله؟ قال: بلى يا رسول الله قال: فإذا كنت حبيب الله كان هو لساني القائل فإذا هو الشافع والمشفوع إليه وأنا عدم في وجوده فأي عتاب عليّ يا منصور؟ فقال: يا رسول الله أنا تائب من قولي هذا فما كفارة ذنبي؟ قال: قرب نفسك لله قرباناً فاقتل نفسك بسيف شريعتي فكان من أمره ما كان ثم قال هود عليه السلام: وهو من حيث فارق الدنيا محجوب عن رسول الله ﷺ والآن هذه الجمعية لأجل الشفاعة له إلى رسول الله ﷺ انتهى. يقول الفقير سامحه الله القدير في هذه القصة أمران أحدهما عظم شأن الحلاج قدس سره بدلالة عظم شأن الشفاعة والثاني أنه قتل في بغداد في آخر سنة ثلاثمائة وتسع ومات حضرة الشيخ الأكبر بالشام سنة ثمان وثلاثين وستمائة فبينهما من المدة ثلاثمائة وتسع وعشرون سنة والظاهر والله أعلم أن روح الحلاج كان محجوباً عن روح رسول الله ﷺ أكثر من ثلاثمائة سنة تقريباً وذلك بسبب كلمة صدرت منه على خلاف الأدب فإن من كان على بساط القرب والحضور ينبغي أن يراعي الأدب في كل أمر من الأمور فما ظنك بمن جاوز حد الشريعة ورخص نظم القرآن ومعانيه اللطيفة وعمل بالخيالات والأوهام فليس أولئك إلا كالأنعام نسأل الله العافية والعفو والإنعام.

﴿**هو الذي أنزل**﴾ بقدرته القاهرة﴿**من السماء**﴾ إلى السحاب ومنه إلى الأرض﴿**ماء**﴾ نوعاً منه وهو المطر. وفي «بحر العلوم» تنكيره للتبعيض أي بعض الماء فإنه لم ينزل من السماء الماء كله﴿**لكم منه**﴾ أي: من ذلك الماء المنزل﴿**شراب**﴾ أي: ما تشربونه والظرف الأول وهو لكم خبر مقدم لشراب والثاني حال منه ومن تبعيضية. ﴿**ومنه شجر**﴾ من ابتدائية أي: ومنه وبسببه يحصل شجر ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت من الأرض سواء كان له ساق أو لا وفي حديث عكرمة «لا تأكلوا ثمن الشجر فإنه سحت» يعني: الكلأ وهو بالقصر ما رعته الدواب من الرطب واليابس وإنما كان ثمنه سحتاً لما في حديث آخر «الناس شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار» أي: في اصطلائها وضوئها لا في الجمر كما أن المراد بالماء ماء الأنهار والآبار لا الماء المحرز في الظروف والحيلة فيه أن يستأجر موضعاً من الأرض ليضرب فيه فسطاطاً أو ليجعله حظيرة لغنمه فتصح الإجارة ويبيح صاحب المرعى الانتفاع له بالرعي فيحصل مقصودهما كذا في «الكافي» ويجوز بيع الأوراق على الشجرة لا بيع الثمرة قبل ظهورها والحيلة في ذلك بيعها مع الأوراق أول ما تخرج من وردها فيجوز البيع في الثمر تبعاً للبيع في الأوراق كما في «أنوار المشارق». ﴿**فيه تسيمون**﴾ الاسامة بالفارسية [بيرون هشتن رمه بچرا] يقال: سامت الماشية رعت وأسامها صاحبها من السومة بالضم وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعي علامات في الأرض أي: ترعون مواشيكم قدم الشجر لحصوله بغير صنع من البشر ثم استأنف أخباراً عن منافع الماء فقال: لمن قال هل له منفعة غير ذلك.

﴿**ينبت**﴾ الله تعالى﴿**لكم**﴾ لمصالحكم ومنافعكم﴿**به**﴾ أي: بما أنزل من السماء

﴿الزرع﴾ الذي هو أصل الأغذية وعمود المعاش. قال الكاشفي [مراد حبوب غاذيه است كه زراعت ميكنند]. قال في «بحر العلوم»: الزرع كل ما استنبت بالبذر مسمى بالمصدر وجمعه زروع. قال كعب الأحبار لما أهبط الله تعالى آدم جاء ميكائيل بشيء من حب الحنطة وقال هذا رزقك ورزق أولادك قم فاضرب الأرض وابذر البذر قال: ولم يزل الحب من عهد آدم إلى زمن إدريس كبيضة النعام فلما كفر الناس نقص إلى بيضة الدجاجة ثم إلى بيضة الحمامة ثم إلى قدر البندقة ثم إلى قدر الحمصة ثم إلى المقدار المحسوس إلا أن يقال إن البوم لا يأكل الحنطة ولا يشرب الماء أما الأول فلأن آدم عصى بالحنطة ربه وأما الثاني فلأن قوم نوح أهلكوا بالماء ﴿والزيتون﴾ الذي هو إدام من وجه وفاكهة من وجه. وقال الكاشفي يعني [درخت زيتون را]. قال في «إنسان العيون»: شجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة وكان زاده ﷺ وقت تخليه بغار حراء بالمد والقصر الكعك والزيت وجاء «ائتدموا بالزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة» وهي الزيتون وقيل لها مباركة لأنها لا تكاد تنبت إلا في شريف البقاع التي بورك فيها كأرض بيت المقدس. ﴿والنخيل﴾ [وخرما بنانرا] والنخيل والنخل بمعنى واحد وهو اسم جمع والواحدة نخلة كالثمرة والثمر وفي الحديث: «أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من فضل طينة آدم وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم ابنة عمران فأطعموا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن رطب فتمر» كما في «المقاصد الحسنة» ﴿والأعناب﴾ [وتا كهارا] جمع الأعناب للإشارة إلى ما فيها من الاشتمال على الأصناف المختلفة. وفيه إشارة إلى أن تسمية العنب كرماً لم يكن بوضع الواضع ولكنه كان من الجاهلية كأنهم قصدوا به الاشتقاق من الكرم لكون الخمر المتخذة منه تحث على الكرم والسخاء فنهى النبي عليه السلام عن أن يسموه بالاسم الذي وضعه الجاهلية وأمرهم بالتسمية اللغوية بوضع الواضع حيث قال: «لا تقولوا الكرم ولكن قولوا العنب والحبلة» ثم بين قبح تلك الاستعارة بقوله: «إنما الكرم قلب المؤمن» يعني: أن ما ظنوه من السخاء والكرم فإنما هو من قلب المؤمن لا من الخمر إذ أكثر تصرفات السكران عن غلبة من عقله فلا يعتبر ذلك العطاء كرماً ولا سخاء إذ هو في تلك الحالة كصبي لا يعقل السخاء ويؤثر بماله سرفاً وتبذيراً فكما لا يحمل ذلك على الكرم فكذا إعطاء السكران كذا في «أبكار الأفكار». وخصص هذه الأنواع المعدودة بالذكر للإشعار بفضلها وشرفها ثم عمم فقال: ﴿ومن كل الثمرات﴾ من تبعضية أي: بعض كلها لأنه لم يخرج بالمطر جميع الثمرات وإنما يكون في الجنة أي: لم يقل كل الثمرات لأن كلها لا تكون إلا في الجنة وإنما أنبت في الأرض من كلها للتذكرة ولعل المراد ومن كل الثمرات التي يحتملها هذه النشأة الدنيوية وترى بها وهي الثمرات المتعارفة عند الناس بأنواعها وأصنافها فتكون كلمة من صلة كما في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٣١] على رأي الكوفية وهو اللائح. ﴿إن في ذلك﴾ أي: في إنزال الماء وإنبات ما فصل ﴿لآية﴾ عظيمة دالة على تفرده تعالى بالألوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة ﴿لقوم يتفكرون﴾ فإن من تفكر في أن الحبة والنواة تقع في الأرض وتصل إليها نداوة تنفذ فيها فينشق أسفلها فيخرج منه عروق تنبسط في أعماق الأرض وينشق أعلاها إن كانت منتكسة في الوقوع ويخرج منه ساق فينمو ويخرج منه الأوراق والأزهار والحبوب والثمار على أجسام مختلفة الأشكال والألوان والخوص والطبائع وعلى نواة قابلة لتوليد الأمثال على النمط المحرر لا إلى نهاية مع اتحاد المواد واستواء

نسبة الطبائع السفلية والتأثيرات العلوية بالنسبة إلى الكل علم أن من هذه أفعاله وآثاره لا يمكن أن يشبهه شيء في شيء من صفات الكمال فضلاً عن أن يشاركه أخس الأشياء في صفاته التي هي الألوهية واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علواً كبيراً:

روضه جانبخش جانها آفريد بغچة كون ومكانها آفريد
كرد ازهر شاخها كل برك وبار جلوه او نقش ديكر آشكار

والتفكر تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب قالوا: الذكر طريق والفكر وسيلة المعرفة التي هي أعظم الطاعات. قال بعضهم: الذكر أفضل للعامة لما في الفكر لهم من خوف الوقوع في الأباطيل وتمكن الشبه عندهم كما يعرض ذلك لكثير من العوام في زماننا والفكر أفضل لأرباب العلم عند التمكن من الفكر المستقيم فإنهم كلما عرضت لهم شبهة تطلبوا دليلاً يزيلها فكان الفكر لهم أفضل من الذكر إذا لم يتمكنوا من حصول الفكر البليغ مع الذكر وإليه أشار عليه السلام بقوله: «تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة».

ـ روي ـ أن عثمان رضي الله عنه ختم القرآن في ركعة الوتر لتمكنه من التدبر والتفكر ولم يبح ذلك لمن لم يتمكن من تدبره ومعرفة فقهه وأجل له مدة يتمكن فيها من ذلك كالثلاثة والسبعة.

والإشارة في الآية ﴿**هو الذي أنزل من السماء ماء**﴾ الفيض ﴿**لكم منه شراب**﴾ المحبة لقلوبكم ﴿**ومنه شجر**﴾ قوى البشرية ودواعيها فيه ترعون مواشي نفوسكم ينبت لغذاء أرواحكم به زرع الطاعات وزيتون الصدق ونخيل الأخلاق الحميدة وأعناب الواردات الربانية ومن كل ثمرات المعقولات والمشاهدات والمكاشفات والمكالمات والأحوال كلها ﴿**إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون**﴾ بنظر العقل في هذه الصنائع الحكمية.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿**وسخر لكم**﴾ أي: لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وإنضاجها ﴿**الليل والنهار**﴾ يتعاقبان خلفة كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الفرقان: ٦٢] قال بعضهم: الليل ذكر كآدم والنهار أنثى كحواء والليل من الجنة والنهار من النار ومن ثمة كان الأنس بالليل أكثر. ﴿**والشمس والقمر**﴾ تسخرا في سيرهما وإنارتهما أصالة وخلافة وإصلاحهما لما نيط بهما صلاحه كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم، قال السعدي:

ابر وباد ومه وخورشيد وفلك در كارند تاتو نانى بكف آرى وبغفلت نخورى
همه از بهر نو سركشته وفرمان بردار شرط إنصاف نباشد كه توفرمان نبرى

والتسخير بالفارسية [رام كردانيدن] وليس المراد بتسخير هذه لهم تمكنهم من تصريفها كيف شاؤوا كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ [الزخرف: ١٣] ونظائره بل هو تصريفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم لا أن ذلك تسخير لهم وتصرف من قبلهم حسب إرادتهم ﴿**والنجوم مسخرات بأمره**﴾ مبتدأ وخبر أي: سائر النجوم في حركاتها وأوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما مسخرات أي: مذللات لله خلقها ودبرها كيف شاء أو لما خلقن له بأمره أي: بإرادته ومشيئته وحيث لم يكن عود منافع النجوم إليهم في الظهور

بمثابة ما قبلها من الملوين والقمرين لم ينسب تسخيرها إليهم بأداة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شيء آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث إلى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار. وقرىء بنصب النجوم على تقدير وجعل النجوم مسخرات بأمره أو على أنه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات حال من الكل والعامل ما في سخر من معنى نفع أي: نفعكم بها حال كونها مسخرات لله أو لما خلقن له بإيجاده وتقديره **﴿إن في ذلك﴾** أي: فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملاً ومفصلاً **﴿لآيات﴾** باهرة متكاثرة **﴿لقوم يعقلون﴾** يفتحون عقولهم للنظر والاستدلال ويعتبرون وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظيم القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية أظهر جميع الآيات علقت بمجرد العقل من غير حاجة إلى التأمل والتفكر. قال أهل العلم العقل جوهر مضيء خلقه الله في الدماغ وجعل نوره في القلب يدرك الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة وهو للقلب بمنزلة الروح للجسد فكل قلب لا عقل له فهو ميت وهو بمنزلة قلب البهائم وسئل النبي ﷺ من أحسن الناس عقلاً قال: «المسارع إلى مرضاة الله تعالى والمجتنب عن محارم الله تعالى» قالوا: أخف حلماً من العصفور قال حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه:

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم ... جسم البغال وأحلام العصافير

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وما ذرأ لكم﴾ عطف على قوله والنجوم رفعاً ونصباً على أنه مفعول لجعل المقدر أي: وما خلق **﴿في الأرض﴾** من حيوان ونبات حال كونه **﴿مختلفا ألوانه﴾** أي: أصنافه فإن اختلافها غالباً يكون باختلاف اللون سخر لله تعالى أو لما خلق به من الخواص والأحوال والكيفيات أو جعل ذلك مختلف الأصناف لتتمتعوا من ذلك بأي صنف شئتم. وفي «بحر العلوم»: **﴿مختلفا ألوانه﴾** هيآته من خضرة وبياض وحمرة وسواد وغير ذلك. وفي أكثر التفاسير وما ذرأ معطوف على الليل والنهار أي: وسخر لكم ما خلق لأجلكم وتعقب بأن ذكر الخلق لهم مغن عن ذكر التسخير واعتذر بأن الأول لا يستلزم الثاني لزوماً عقلياً لجواز كون ما خلق لهم عزيز المرام صعب المنال **﴿إن في ذلك﴾** الذي ذكر من التسخيرات ونحوها **﴿لآية﴾** دالة على أن من هذا شأنه واحد لا شريك له **﴿لقوم يذكرون﴾** فإن ذلك غير محتاج إلا إلى تذكر ما عسى يغفل عنه من العلوم الضرورية.

والإشارة **﴿وسخر لكم الليل﴾** ليل البشرية **﴿والنهار﴾** نهار الروحانية **﴿والشمس﴾** شمس الروح **﴿والقمر﴾** قمر القلب **﴿والنجوم﴾** نجوم القوى والحواس الخمس **﴿مسخرات بأمره﴾** وهو خطاب وتسخيرها استعمالها على وفق الشريعة وقانون الطريقة بمعالجة طبيب حاذق البصيرة والولاية كامل التصرف في الهداية مخصوص بالعناية **﴿إن في ذلك لآيات﴾** لشاهدات **﴿لقوم يعقلون﴾** بشواهد الحق من غير التفكر بل بالمعاينات **﴿وما ذرأ لكم﴾** وما خلق لمصالحكم **﴿في الأرض﴾** في أرض جبلتكم من الاستعدادات **﴿مختلفا ألوانه﴾** منها ملكية ومنها شيطانية ومنها حيوانية **﴿إن في ذلك لآية لقوم يذكرون﴾** عبور أرواحهم على هذه العوالم المختلفة وتلونها في كل عالم بلون ذلك العالم من عوالم الملكية والشيطانية والحيوانية إلى أن

ردت إلى أسفل سافلين القالب كذا في «التأويلات النجمية»، فعلى العاقل أن يتخلص من قيد الغفلة ويربط نفسه بسلسلة أهل التذكر، قال محمد بن فضل: ذكر اللسان كفارات ودرجات وذكر القلب زلفى وقربات والتذكر من شأن القلب والقلب أمير الجسد وأسير الحق وفي الحديث: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات» وفي هذه إشارة إلى الأسباب التي هي حجاب بين القلب وبين الملكوت وأصحاب القلوب من الانس ثلاثة صنف كالبهائم قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] وصنف أجسادهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله كذا في «الخالصة»، قال السعدي قدس سره:

ترا ديده درسر نهادند وكوش دهن جاى كفتار ودل جاى هوش

مكر باز دانى نشيب از فراز نكويى كه اين كونهست يادراز

يعني: أن الله تعالى خلق كل عضو من الأعضاء بالحكمة فاستعملوها فيما خلقت له.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿**وهو الذي سخر البحر**﴾ قال في «القاموس»: البحر الماء الكثير أو الملح فقط والجمع أبحر وبحور وبحار انتهى. وفي «الكواشي» سخر البحر العذب والملح أي: جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد. قال بعضهم: هذه البحور على وجه الأرض ماء السماء النازل وقت الطوفان فإن الله تعالى أمر الأرض بعد هلاك القوم فابتلعت ماءها وبقي ماء السماء لم تبتلعه الأرض وأما البحر المحيط فغير ذلك بل هو جزر على الأرض حين خلق الله الأرض من زبده. ويجوز ركوب البحر بشرط علم السباحة وعدم دوران الرأس وإلا فقد ألقى نفسه إلى التهلكة وأقدم على ترك الفرائض وذلك للرجال والنساء كما قاله الجمهور وكره ركوبه للنساء لأن حالهن على الستر وذا متعسر في السفينة غالباً لا سيما في الزورق وهي السفينة الصغيرة ﴿**لتأكلوا منه**﴾ أي: من العذب والملح كما في «الحواشي» ﴿**لحما طريا**﴾ من الطراوة فلا يهمز وهو بالفارسية [تازه] والمراد السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيواناً للتلويح بانحصار الانتفاع به في الأكل كما في «الإرشاد» وللإيذان بعدم احتياجه للذبح كسائر الحيوانات غير الجراد كما هو اللائح وصفه بالطراوة إرشاداً لأن يتناول طرياً فإن أكله قديداً أضر ما يكون كما هو المقرر عند الأطباء وفيه بيان لكمال قدرته حيث خلقه عذباً طرياً في ماء زعاق وهو كغراب الماء المر الغليظ لا يطاق شربه ومن إطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثوري إلى أن من حلف لا يأكل اللحم حنث بأكله والجواب أن مبنى الإيمان العرف ولا ريب في أنه لا يفهم من اللحم عند الإطلاق ألا ترى أن الله تعالى سمى الكافر دابة حيث قال: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٥٥] ولا يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة. وفي «حياة الحيوان» المذهب المفتى به حل الجميع من الحيوانات التي في البحر إلا السرطان والضفدع والتمساح سواء كان على صورة كلب أو خنزير أم لا وفي الحديث «أكل السمك يذهب بالحسد» كما في «بحر العلوم» والسمك يستنشق الماء كما يستنشق بنو آدم وحيوان البر الهواء إلا أن حيوان البر يستنشق الهواء بالأنوف ويصل بذلك إلى قصبة الرئة

والسمك يستنشق بأصداغه فيقوم له الماء في تولد الروح الحيواني في قلبه مقام الهواء في إقامة الحياة ولم نستغن نحن وما أشبهنا من الحيوان عنه لأن عالم السماء والأرض دون عالم الهواء ونحن من عالم الأرض ونسيم البرّ لو مرّ على السمك ساعة لهلك، وفي «المثنوي»:

ما هيانرا بحر نكذارد برون   خا كيانرا بحر نكذارد درون

أصل ما هى آب وحيوان ازكلست   حيله وتدبير اينجا باطلست

﴿وتستخرجوا منه﴾ أي: من البحر الملح ﴿حلية﴾ الحلية الزينة من ذهب أو فضة والمراد بها في الآية اللؤلؤ والحجر الأحمر الذي يقال له المرجان ﴿تلبسونها﴾ تتزين بها نساؤكم وإنما أسند إليهم لكونهن منهم ولبسهن لأجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم ﴿وترى الفلك﴾ أي: لو حضرت أيها المخاطب لرأيت السفن ﴿مواخر فيه﴾ جواري في البحر مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة بحيزومها من المخر وهو شق الماء يقال مخرت السفينة كمنع جرت وشقت الماء بجآجئها جمع جؤجؤ بالضم وهو صدر السفينة. وقال الفراء المخر صوت جري الفلك بالرياح ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ عطف على تستخرجوا أي: لتطلبوا من سعة رزقه بركوبها للتجارة فإن تجارته اربح من تجارة البر وإليه أشار حضرة سعدي بقوله:

سود دريا نيك بودى كرنبودى بيم موج

صحبت كل خوش بدى كرنيستى تشويس خار

وفي الحديث «من ركب البحر في ارتجاجه ففرق برئت منه الذمة» وارتجاجه هيجانه من الموج وهو الحركة الشديدة ومعناه أن لكل أحد من الله عهداً وذمة بالحفظ فإذا ألقى نفسه إلى التهلكة فقد انقطع عنه عهد الله فلندور السلامة حين الموج الشديد لم يجز ركوبه وعصى فاعله ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أي: تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون بأدائها بالطاعة والتوحيد ولعل مستعار لمعنى الإرادة كما في «بحر العلوم» ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لأنه أقوى في باب الإنعام من حيث إنه جعل المهالك سبباً للانتفاع وتحصيل المعاش. قال صاحب «كشف الأسرار» [آورده اندكه حق سبحانه وتعالى ازروى ظاهر درزفين درياها آفريد چون قلزم وعمان ومحيط وجزائر وبراى عبور بران كشتيها مقرّر فرموده واز روى باطن در نفس آدمي درياها بديد كرده چون درياهاى شغل وغم وحرص وغفلت وتفرقه وبراى عبور ازان كشتيها تعيين نموده. هركه دركشتى توكل نشيند ازدرياى شغل بساحل فراغت رسد. وهركه در كشتى قناعت جاى كند از درياى حرص بساحل زهد آيد وهركه دركشتى ذكر نشيند ازدرياى غفلت بساحل آكاهى رسد. وهركه بشكتى توحيد در آيد از درياى تفرقه بساحل آكاهى رسد. وبحقيقت تفرقه دربقاست وجمعيت درفنا باوجود آن در مملكت تفرقه وبيخودان در مرتبة جمع]:

بحساب خودى قلم دركش   درره بيخودى علم بركش

تا بجاروب «لا» نرو بى راه   كى رسى در حريم الا الله

والإشارة وهو الذي سخر لكم بحر العلوم لتأكلوا منه الفوائد الغيبية والمواهب السنية وتستخرجوا من بحر العلوم جواهر المعاني ودرر الحقائق حلية لقلوبكم تلبس بها أرواحكم النور والبهاء وترى سفائن الشرائع والمذاهب جاريات في بحر العلوم ولتبتغوا من فضله وهو الأسرار الخفيات عن الملائكة المقربين ولعلكم تشكرون هذه النعم الجسيمة والعطيات العظيمة

التي اختصكم بها عن العالمين كما في «التأويلات النجمية».

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿**وألقى**﴾ الله تعالى بقدرته القاهرة ﴿**في الأرض**﴾ هي كروية الشكل محلها وسط العالم وسميت بالأرض لأنها تأرض أي: تأكل أجساد بني آدم ﴿**رواسي**﴾ أي: جبالاً ثوابت من غير سبب ولا ظهير كأنها حصيات قبضهن قابض بيده فنبذهن في الأرض فهو تصوير لعظمته وتمثيل لقدرته وأن كل عسير فهو عليه يسير أي: وجعل فيها رواسي بأن قال لها: كوني فكانت فأصبحت الأرض وقد أرسيت بالجبال بعد أن كانت تمور موراً فلم يدر أحد مم خلقت من رسا الشيء إذا نبت جمع راسية والتاء للتأنيث على أنها صفة جبال ﴿**أن تميد بكم**﴾ مفعول له والميد الحركة والميل يقال ماد يميد ميداً تحرك ومنه سميت المائدة. والمعنى كراهة أن تميل بكم وتضطرب. وبالفارسية [تاميلى نكند بشمازمين يعني متحرك ومضطرب نكزدد وشمارا نيكودارد] وقد خلق الله الأرض مضطربة لكونها على الماء ثم أرساها بالجبال وهي ستة آلاف وستمائة وثلاثة وسبعون جبلاً سوى التلول على جريان عادته في جعل الأشياء منوطة بالأسباب فالأرض بلا جبال كاللحم بلا عظام فكما أن وجود الحيوان وجسده إنما يستمسك بالعظم فكذا الأرض إنما تقوم بالرواسي ألا ترى أن سطيحا الكاهن لم يكن في بدنه عظم سوى القفا لكونه من ماء المرأتين وكان لا يستمسك وإنما يخرج في السنة مرة ملفوفاً في خرقة أو موضوعاً على صحيفة من فضة ﴿**وأنهارا**﴾ جمع نهر ويحرك مجرى الماء أي: وجعل فيها أنهاراً لأن في ألقى معنى الجعل إذ الالقاء جعل مخصوص وذلك مثل الفرات نهر الكوفة ودجلة نهر بغداد وجيحون نهر بلخ وجيحان نهر اذنه في بلاد الأرمن وسيحون نهر الهند وسيحان نهر المصيصة والنيل نهر مصر وغيرها من الأنهار الجارية في أقطار الأرض ﴿**وسبلا**﴾ وطرقاً مختلفة جمع سبيل وهو الطريق وما وضح يعني [بديد كرديم در زمين راههاا از هر موضعي بموضعي] ﴿**لعلكم تهتدون**﴾ إرادة أن تهتدوا بها إلى مقاصدكم ومنازلكم. قال بعضهم خذوا الطريق ولو دارت واسكنوا المدن ولو جارت وتزوجوا البكر ولو بارت أي: ولو كانت البكر بورا أي: فاسدة هالكة لا خير فيها:

زن نوكن اي دوست هر نوبهار   كه تقويم پارين نيايد بكار

﴿**وعلامات**﴾ أي: وجعل فيها معالم يستدل بها السابلة وهي القوم المختلفة على الطريق بالنهار من جبل وسهل ومياه وأشجار وريح كما قال الإمام: رأيت جماعة يشمون التراب وبواسطة ذلك الشم يتعرفون الطرقات ﴿**وبالنجم هم يهتدون**﴾ بالليل في البراري والبحار حيث لا علامة غيره ولعل الضمير لقريش فإنهم كانوا كثيري التردد للتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم في أسفارهم وصرف النظم عن سنن الخطاب وتقديم النجم وإقحام الضمير للتخصيص كأنه قيل وبالنجم خصوصاً هؤلاء يهتدون فالاعتبار بذلك ألزم لهم والشكر عليه أوجب عليهم والمراد بالنجم الجنس أو هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وذلك لأنها تعلم بها الجهات ليلاً لأنها دائرة حول القطب الشمالي فهي لا تغيب والقطب في وسط بنات نعش الصغرى والجدي هو النجم المفرد الذي في طرفها والفرقدان هما النجمان اللذان في الطرف

الآخر وهما من النعش والجدي من البنات ويقرب من بنات نعش الصغرى بنات نعش الكبرى وهي سبعة أيضاً أربعة نعش وثلاث بنات وبإزاء الأوسط من البنات السهى وهو كوكب خفي صغير كانت الصحابة رضي الله عنهم تمتحن فيه أبصارهم كذا في «التكملة» لابن عسكر. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في طرقكم وقبلتكم ثم كفوا وتعلموا من الأنساب ما تصلون به أرحامكم قيل: أول من نظر في النجوم والحساب إدريس النبي عليه السلام. قال بعض السلف: العلوم أربعة: الفقه للأديان والطب للأبدان والنجوم للأزمان والنحو للسان وأما قوله عليه السلام: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر» أي: تعلم قطعة منه فقد قال الحافظ: المنهي عنه من علم النجوم هو ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية من مستقبل الزمان كمجيء المطر ووقوع الثلج وهبوب الريح وتغير الأسعار ونحو ذلك ويزعمون أنهم يدركون هذا بسير الكواكب واقترانها وافتراقها وظهورها في بعض الأزمان دون بعض وهذا علم استأثر الله به لا يعلمه أحد غيره كما حكي أنه لما وقع قران الكواكب السبعة في دقيقة من الدرجة الثالثة من الميزان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة حكم المنجمون بخراب الربع المسكون من الرياح وكان وقت البيدر ولم يتحرك ريح ولم يقدر الدهاقين على رفع الحبوب ولذا استوصى تلميذ من شيخه بعد التكميل عند افتراقه فقال: إن أردت أن لا تحزن أبداً فلا تصحب منجماً وإن أردت أن تبقي لذة فمك فلا تصحب طبيباً. قال الشيخ: [منجمي بخانه خود در آمد مرد بيكانه را ديد بازن او بهم نشسته دشنام دادِ وسقط كفت وفتنه وآشوب بر خاست صاحب دلى برين حال واقف شد وكفت]:

تو بر اوج فلك چه دانى چيست   چو ندانى كه درسراى تو كيست

فأما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال وجهة القبلة وكم مضى وكم بقي فإنه غير داخل في النهي انتهى كلام الحافظ مع زيادة. يقول الفقير أصحاب النظر والاستدلال محتاجون إلى معرفة شيء من علم النجوم والحكمة والهيئة والهندسة ونحوها مما يساعده ظاهر الشرع الشريف إذ هو أدخل في التفكر وقد قال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١] ولا يمكن صرف التفكر إلى المجهول المطلق فلا بد من معلومية الأمر ولو بوجه ما وهذا القدر خارج عن الطعن والجرح كما قال السيد الشريف النظر في النجوم ليستدل بها على توحيد الله تعالى وكمال قدرته من أعظم الطاعات وأما أرباب الشهود والعيان فطريقهم الذكر وبه يصلون إلى مطالعة أنوار الملك والملكوت ومكاشفة أسرار الجبروت واللاهوت فيشاهدون في الأنفس والآفاق ما غاب عن العيون ويعاينون في الظاهر والباطن ما تحير فيه الحكماء والمنجمون ثم إن الاهتداء إما بنجوم عالم الآفاق وهو للسائرين من أرض إلى أرض وإما بنجوم عالم الأنفس وهو للمهاجرين من حال إلى حال وفي الحديث «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» وهذا الاقتداء والاهتداء مستمر باق إلى آخر الزمان بحسب التوارث في كل عصر فلا بد من الدليل وهو صاحب البصيرة والولاية كامل التصرف في الهداية المخصوص بالعناية، قال الحافظ:

بكوى عشق منه بى دليل راه قدم   كه من بخويش نمودم صد اهتمام ونشد

وفي «التأويلات النجمية»: وألقى في أرض البشرية جبال الوقار والسكينة لئلا تميل بكم صفات البشرية عن جادة الشريعة والطريقة وأنهاراً من ماء الحكمة وطريق الهداية لعلكم تهتدون

إلى الله تعالى وعلامات من الشواهد والكشوف وبنجم الهداية من الله يهتدون إلى الله وهو جذبة العناية يخرجكم بها من ظلمات وجودكم المجازي إلى نور الوجود الحقيقي انتهى. قال الشيخ أبو القاسم الخزيمي الغراري في «كتاب الأسئلة المقحمة في الأجوبة المفحمة»: قوله تعالى: **﴿وألقى في الأرض﴾** إلى قوله: **﴿لعلكم تهتدون﴾** فيه دليل أنه تعالى أراد من الكل الاهتداء والشكر وأن كل من لا يهتدي فليس ذلك بإرادته تعالى والجواب المراد به أن يذكرهم النعم التي يستحق عليها الشكر في قوله تعالى: **﴿خلق السموات والأرض﴾** إلى قوله: **﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾** ثم بين تعالى أن هذه النعم كلها توجب الشكر والهداية ثم يختص بها من يشاء كما قال تعالى: **﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾**.

﴿أفمن يخلق﴾ هذه المصنوعات العظيمة وهو الله تعالى. وبالفارسية [آيا كسى كه مرا آفريند اين همه مخلوقات راكه مذكور شد] **﴿كمن لا يخلق﴾** كمن لا يقدر على شيء أصلاً وهو الأصنام ومن للعقلاء لأنهم سموها آلهة فأجريت مجرى العقلاء أو لأنه قابله بالخالق وجعله معه كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ [النور: ٤٥] والهمزة للإنكار أي: أبعد ظهور دلائل التوحيد تتصور المشابهة والمشاركة يعني: [خالق رابا مخلوق هيچ مشابهتى نيست پس عاجزرا شريك قادر ساختن غايت عناد ونهايت جهلست] واختير تشبيه الخالق بغير الخالق مع اقتضاء المقام بظاهره عكس ذلك مراعاة لحق سبق الملكة على العدم **﴿أفلا تذكرون﴾** أي: ألا تلاحظون فلا تذكرون ذلك فتعرفون فساد ما أنتم عليه يا أهل مكة فإنه بوضوحه بحيث لا يفتقر إلى شيء سوى التذكر وهو بالفارسية [ياد كردن].

﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وإن تعدوا﴾ العد بالفارسية [شمردن]. **﴿نعمة الله﴾** الفائضة عليكم مما لم يذكر **﴿لا تحصوها﴾** لا تطيقوا حصرها وضبط عددها ولو إجمالاً فضلاً عن القيام بشكرها يقال أحصاه أي: عده كما في «القاموس»، وأصله أن الحساب كان إذا بلغ عقداً وضعت له حصاة ثم استؤنف العدد. والمعنى لا توجد له غاية فتوضع له حصاة:

عطا يست هرمو ازو برتنم چكونه بهر موى شكرى كنم

﴿إن الله لغفور﴾ ستور يتجاوز عن تقصيركم في شكرها **﴿رحيم﴾** عظيم الرحمة والنعمة لا يقطعها عنكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بسبب ما أنتم عليه من العصيان ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها وتقديم وصف المغفرة على نعت الرحمة لتقدم التخلية على التحلية. قال ابن عطاء: إن لك نفساً وقلباً وروحاً وعقلاً ومحبة وديناً ودنيا وطاعة ومعصية وابتداء وانتهاء وحينا وأصلاً وفصلاً فنعمة النفس الطاعات والإحسان والنفس فيهما تتقلب ونعمة القلب اليقين والإيمان وهو فيهما يتقلب ونعمة الروح الخوف والرجاء وهو فيهما يتقلب ونعمة العقل الحكمة والبيان وهو فيهما يتقلب ونعمة المعرفة الذكر والقرآن وهي فيهما تتقلب ونعمة المحبة الالفة والمواصلة والأمن من الهجران. وهي فيها تتقلب وهذا تفسير قوله: **﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾** انتهى.

واعلم أنه لو صرف جميع عمر الإنسان إلى الأعمال الصالحة وإقامة الشكر لما كافأ نعمة الوجود فضلاً عن سائر النعم:

لو عشت ألف عام — في سجدة لربي
شكر الفضل يوم — لم أقض بالتمام
والعام ألف شهر — والشهر ألف يوم
واليوم ألف حين — والحين ألف عام

قال الشيخ سعدي قدس سره:

عذر تقصير خدمت آوردم — كه ندارم بطاعت استظهار
عاصيان ازكناه توبه كنند — عارفان ازعبادت استغفار

المراد رؤية العمل لا ترك العمل وينبغي للعبد أن يكون تحت طاعة المولى لا تحت طاعة النفس والشيطان فإن المطيع والعاصي لا يستويان.

ـ حكي ـ أن عابداً من بني إسرائيل عبد الله تعالى سبعين سنة فأراد الله أن يظهره على الملائكة فأرسل إليه ملكاً يخبره أنه مع تلك العبادة لا يليق بالجنة فقال العابد: نحن خلقنا للعبادة فينبغي أن نعبد خالقنا امتثالاً لأمره فرجع الملك فقال: إلهي أنت تعلم بما قال: فقال الله تعالى: إذا لم يعرض عن عبادتنا فنحن مع الكرم لا نعرض عنه اشهدوا أني قد غفرت له فللعبد أن يكون قصده مراعاة الأمر وإخراج النفس عن البين وهو حجاب عظيم للوصول إلى الحقيقة وعلى تقدير الزلة فالمسارعة إلى الاستغفار فإنه نعم المطهر من درن الذنوب والأوزار.

﴿**والله يعلم ما تسرون**﴾ ما تضمرون من العقائد والأعمال ﴿**وما تعلنون**﴾ أي: تظهرونه منهما أي يستوي بالنسبة إلى علمه المحيط سركم وعلنكم فحقه أن يتقي ويحذر ولا يجترىء على شيء مما يخالف رضاه.

﴿**والذين يدعون**﴾ أي: والآلهة الذين يعبدهم الكفار والدعاء بمعنى العبادة في القرآن كثير ﴿**من دون الله**﴾ نصب على الحال أي: متجاوزين الله فإن معنى دون أدنى مكان من الشيء ثم استعير للتفاوت في الأحوال والرتب ثم اتسع فيه فاستعمل في كل من تجاوز حداً إلى حد وتخطى حكماً إلى حكم ﴿**لا يخلقون شيئاً**﴾ من الأشياء أصلاً أي: ليس من شأنهم ذلك لأنهم عجزة ﴿**وهم يخلقون**﴾ أي: شأنهم ومقتضى ذاتهم المخلوقية لأنها ذوات ممكنة مفتقرة في ماهيتها ووجوداتها إلى الموجد. قال في «القاموس»: الخالق في صفاته المبدع للشيء المخترع على غير مثال سبق.

﴿**أموات**﴾ جمع ميت خبر ثان للموصول أي: جمادات لا حياة فيها وبالفارسية [وايشان باوجود، مخلوقيت مردكانند] ولم يقل موات لأنهم صوروا على شكل من تحله الروح. قال في «القاموس»: الموات كغراب وكسحاب ما لا روح فيه وأرض لا مالك لها ﴿**غير أحياء**﴾ جمع حي ضد الميت أي: غير قابلين للحياة كالنطفة والبيضة فهي أموات على الإطلاق ﴿**وما يشعرون أيان يبعثون**﴾ الشعور [بدانستن] يقال: شعر به كنصر وكرم شعراً وشعوراً علم به وفطن له وعقله. وأيان مركب من أي: التي للاستفهام وآن بمعنى الزمان فلذلك كان بمعنى متى أي سؤالاً عن الزمان كما كان اين سؤالاً عن المكان فلما ركبا وجعلا اسماً واحداً بنيا على الفتح كبعلبك وبعث الموتى نشرهم أي: إحياؤهم كما في «القاموس» والمعنى ما يعلم أولئك

الآلهة متى يبعث عبدتهم من القبور. وفيه إيذان بأن معرفة وقت البعث مما لا بد منه في الألوهية وتعريض بأنهم كما لا بد لهم من الموت لا بد لهم من البعث وهم منكرون لذلك وهو اللائح.

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إلٰهكم إله واحد﴾ [يكتا ويكانه است] لا تشاركه شيء في شيء. ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ وأحوالها من البعث والجزاء وغير ذلك والإيمان في اللغة التصديق بالقلب وفي الشريعة هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان، قال السهيلي في كتاب «الأمالي»: الفرق بين التصديق والإيمان أن التصديق لا بد أن يكون في مقابلة خبر والإيمان قد يكون في مقابلة خبر صادق وقد يكون عن فكر ونظر فإذا نظرت في الصنعة وعرفت بها الصانع آمنت ولم تكن مصدقاً بخبْر إذ لا خبر هناك فإذا جاء الخبر بما آمنت به وأقررت صدقت الخبر وأيضاً أن التصديق قد يكون بالقلب وأنت ساكت تقول: سمعت الحديث فصدقته والإيمان لا بد من اجتماع اللفظ مع العقد فيه لغة وشرعاً انتهى ﴿قلوبهم منكرة﴾ للوحدانية متصفة بالنكارة لا بالمعرفة. ﴿وهم مستكبرون﴾ أي: وهم قوم لا يزال الاستكبار عن اعتراف الوحدانية والتعظيم عن قبول الحق دأبهم كما في الإنكار سجيتهم.

﴿لا جرم﴾ [هر آيينه راست است] ﴿أن الله﴾ [آنكه خداى تعالى] ﴿يعلم ما يسرون﴾ من إنكار قلوبهم ﴿وما يعلنون﴾ من استكبارهم. لا جرم للتحقيق والتأكيد بمنزلة حقاً. قال أبو البقاء: في لا جرم أربعة أقوال: أحدها: أن لا رد لكلام ماض أي: ليس الأمر كما زعموا. وجرم فعل بمعنى كسب وفاعله مضمر فيه وأن ما بعده في موضع النصب على المفعول به. والقول الثاني: أن لا جرم كلمتان ركبتا وصار معناهما حقاً وما بعدها في موضع رفع بأنه فاعل لحق. والثالث أن المعنى لا محالة فيكون ما بعدها في موضع رفع أيضاً وقيل في موضع نصب أو جر. والرابع: أن التقدير لا منع ﴿إنه﴾ أي: الله تعالى ﴿لا يحب المستكبرين﴾ عن التوحيد أي: جنس المستكبرين سواء كانوا مشركين أو مؤمنين. والاستكبار رفع النفس فوق قدرها وجحود الحق والفرق بين المتكبر والمستكبر أن التكبر عام لإظهار الكبر الحق كما في أوصاف الحق تعالى فإنه جاء في أسمائه الحسنى الجبار المتكبر وفي قوله عليه السلام: «التكبر على المتكبر صدقة» ولإظهار الكبر الباطل كما في قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] والاستكبار إظهار الكبر باطلاً كما في قوله تعالى في حق إبليس ﴿اسْتَكْبَرَ﴾ [ص: ٧٤] ومنه ما في هذا المقام. وفي «العوارف»: الكبر ظن الإنسان أنه أكبر من غيره والتكبر إظهاره ذلك وفي الحديث: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان». قال الخطابي فيه تأويلان: أحدهما أن المراد كبر الكفر ألا ترى أنه قابله في نقيضه بالإيمان والآخر أنه تعالى إذا أراد أن يدخله الجنة نزع ما في قلبه من الكبر حتى يدخلها بلا كبر. قال في «فتح القريب»: هذان التأويلان فيهما بعد فإن الحديث ورد في سياق النهي عن الكبر المعروف وهو الارتفاع على الناس وإحقارهم ودفع الحق وقيل: لا يدخلها دون مجازاة إن جازاه وقيل: لا يدخلها مع المتقين أول وهلة. وعن أبي هريرة

رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «قال الله تعالى: يا بني آدم خلقتكم من التراب ومصيركم إلى التراب فلا تتكبروا على عبادي في حسب ولا مال فتكونوا عليّ أهون من الذر وإنما تجزون يوم القيامة بأعمالكم لا بأحسابكم وإن المتكبرين في الدنيا أجعلهم يوم القيامة مثل الذر يطأهم الناس كما كانت البهائم تطأه في الدنيا».

ـ وحكي ـ أنه افتخر رجلان عند موسى عليه السلام بالنسب والحسب فقال أحدهما: أنا فلان ابن فلان حتى عدّ تسعة فأوحى الله تعالى إليه قل له هم في النار وأنت عاشرهم وأنشد بعضهم:

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعاً ... فكم تحتها قوم همو منك أرفع

فإن كنت في عز وحرز ورفعة ... فكم مات من قوم همو منك أمنع

فعليك بالتواضع وعدم الفخر على واحد فإن التواضع باب من أبواب الجنة والفخر باب من أبواب النار واللازم فتح أبواب الجنان وسد أبواب النيران وتحصيل الفقر المعنوي الذي ليس الفخر في الحقيقة إلا به فإنه لا يليق المرء بدولة المعنى ورياسة الحال وسلطنة المقام إلا بتحلية ذاته بحلية التواضع وزينة الفناء، قال الحافظ:

تاج شاهى طلبى كوهر ذاتى بنماى ... ورخوداز كوهر جمشيدو فريدون باشى

اللهم اجعلنا من أهل التواضع لا من أرباب التملق واجعلنا من أصحاب التحقق بعد التخلق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿**وإذا قيل لهم**﴾ عن السعدي اجتمعت قريش فقالوا: إن محمداً رجل حلو اللسان إذا كلم رجلاً ذهب بقلبه فانظروا أناساً من أشرافكم فابعثوهم في كل طريق مكة على رأس ليلة أو ليلتين فمن جاء يريده ردوه عنه فخرج ناس منهم من كل طريق فكان إذا جاء وافد من القوم ينظر ما يقول محمد فنزل بهم قالوا له: هو رجل كذاب ما يتبعه إلا السفهاء والعبيد ومن لا خير فيه وأما أشياخ قومه وأخيارهم فهم مفارقوه فيرجعه أحدهم وإذا كان الوافد ممن هداه الله يقول: بئس الوافد أنا لقومي إن كنت جئت حتى إذا بلغت مسيرة يوم رجعت قبل أن ألقى هذا الرجل فانظر ما يقول فيدخل مكة فيلقى المؤمنين فيسألهم ما يقول لهم فيقولون خيراً فذلك قوله تعالى: ﴿**وإذا قيل لهم**﴾ أي: لهؤلاء المشركين المستكبرين المقتسمين من قبل الوفود أو وفود الحاج في الموسم ﴿**ماذا أنزل ربكم**﴾ ماذا منصوب بأنزل بمعنى أي شيء أنزل ربكم على محمد ﴿**قالوا أساطير الأولين**﴾ عدلوا عن الجواب فقالوا: هذا أساطير الأولين على أن يكون خبر مبتدأ محذوف لأنهم أنكروا إنزال القرآن بخلاف قوله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا﴾ [النحل: ٣٠] كما يجيء ويجوز أن يكون ماذا مرفوعاً بالابتداء أي: ما الذي أنزله ربكم قالوا أساطير الأولين أي: ما تدعون نزوله أحاديث الأمم السالفة وأباطيلهم وليس من الإنزال في شيء يعني: [هيچ نفر ستاده وآنچه آدمى خواند أساطير الأولين است] قال في

«القاموس»: الأساطير الأحاديث لا نظام لها جمع أسطار وأسطير بكسرهما وأسطور وبالهاء في الكل.

﴿ليحملوا أوزارهم﴾ [بار كناهان خودرا] واللام للعاقبة إذ لم يكن داعيهم إلى ذلك القول حمل الأوزار ولكن الاضلال غير أن ذلك لما كان نتيجة قولهم وثمرته شبه بالداعي الذي لأجله يفعل الفاعل الفعل كما في «بحر العلوم». وقال في «الإرشاد» اللام للتعليل في نفس الأمر من غير أن يكون غرض أي: قالوا ما قالوا ليحملوا أوزارهم الخاصة بهم وهي أوزار ضلالهم أي تحتم حمل الأوزار عليهم على تقدير التعليل. والأوزار جمع وزر وهو الثقل والحمل الثقيل **﴿كاملة﴾** لم يكفر منها شيء بنكبة أصابتهم في الدنيا كما يكفر بها أوزار المؤمنين فإن ذنوبهم تكفر عنهم من الصلاة إلى الصلاة ومن رمضان إلى رمضان ومن الحج إلى الحج وتكفر بالشدائد والمصائب أي: المكروهات من الآلام والأسقام والقحط حتى خدش العود وعثرة القدم. **﴿يوم القيامة﴾** ظرف ليحملوا **﴿ومن أوزار الذين يضلونهم﴾** أي: وبعض أوزار من ضل بإضلالهم وهو وزر الإضلال والتسبيب للضلال لأنهما شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه فيتحاملان الوزر وفي الحديث: «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»، وفي «المثنوي»:

هركه بنهد سنت بد اى فتى ... تادر افتد بعداو خلق ازعمى
جمع كردد بروى آن جمله بزه ... كوسرى بوده است وايشان دم غزه

﴿بغير علم﴾ حال من الفاعل أي: يضلونهم غير عالمين بأن ما يدعون إليه طريق الضلال وبما يستحقونه من العذاب الشديد في مقابلة الإضلال أو من المفعول أي: يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وفائدة التقييد بها الإشعار بأن مكرهم لا يروج عند ذوي لب وإنما يتبعهم الأغبياء والجهلة والتنبيه على أن جهلهم ذلك لا يكون عذراً إذ كان يجب عليهم أن يبحثوا ويميزوا بين المحقق الحقيق بالاتباع وبين المبطل.

چشم باز وكوش باز ودام پيش ... سوى دامى مى پرد باپر خويش

﴿ألا ساء ما يزرون﴾ ساء في حكم بئس والضمير الذي فيه يجب أن يكون مبهماً يفسره ما يزرون والمخصوص بالذم محذوف أي: بئس شيئاً يزرونه أي: يحملونه فعلهم. وبالفارسية [بدانيد كه بدكاريست آن بارى كه ايشان مى كشند].

واعلم أنه لا يحمل أحد وزر أحد إذ كل نفس تحمل ما كسبت هي لا ما كسبت غيرها إذ ليس ذلك من مقتضى الحكمة الإلهية وأما حمل وزر الاضلال فهو حمل وزر نفسه لأنه مضاف إليه لا إلى غيره. فعلى العاقل أن يجتنب من الضلال والإضلال في مرتبة الشريعة والحقيقة فمن حمل القرآن على الأساطير ودعا الناس إلى القول بها فقد ضل وأضل وكذا من حمل إشارات القرآن على الأباطيل لا على الحقائق فإنه ضل بالإنكار وأضل طلاب الحق عن طريق الإقرار فحمل حجاب الضلال وحجاب الإضلال وكلما تكاثف الحجب وتضاعف الأستار بعد المرء عن درك الحق ورؤية الآثار والمراد بالإشارات الصحيحة المشهود لحقيتها بالكتاب والسنة وهي الإشارات الملهمة إلى أهل الوصول لا الإشارات التي تدعيها الملاحدة وجهلة المتصوفة مما يوافق هواهم فإنها ليست من الإشارات في شيء كما قال في «المثنوي»:

بر هوا تأويل قرآن ميكنى ... پست وكژ شد از تو معنى سنى

آن مكس بر برك كاه وبول خر همچو كشتيبان همى افراشت سر
كفت من دريا وكشتى خوانده عام مدتى در فكر آن مى مانده ام
اينك اين دريا واين كشتى ومن مرد كشتيبان واهل ورأى زن
بر سر دريا همى رانند او عمد مى نمودش آن قدر بيرون زحد
صاحب تأويل باطل چون مكس وهم او بول خر وتصوير خس
كرمكس تأويل بكذارد براى آن مكس را بخت كرداند هماى

﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ المكر الخديعة يعني قد مكر أهل مكة كما مكر الذين من قبلهم وصار المكر سبباً لهلاكهم لا لهلاك غيرهم لأن من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكباً. قال في «المدارك»: الجمهور على أن المراد نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل وكان قصراً عظيماً طوله خمسة آلاف ذراع وعرضه فرسخان ليقاتل عليه من في السماء بزعمه ويطلع على إله إبراهيم عليه السلام. ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ البنيان البناء والجمع أبنية والقواعد جمع قاعدة وقواعد البيت أساسه أو أساطينه أي: قصد الله تخريب بنائهم من جهة أصوله وأساسه وأتاه أمره وحكمه وبأسه أو من جهة الأساطين التي بنوا عليها بأن ضعفت. ﴿فخر﴾ أي: سقط ﴿عليهم السقف﴾ أي: سقف بنائهم. ﴿من فوقهم﴾ يعني: [اول بام بر ايشان فرود آمد پس ديوارها] إذ لا يتصور البناء بعد هدم القواعد وجاء بفوقهم وعليهم للإيذان بأنهم كانوا تحته فإن العرب لا تقول سقط علينا البيت وليسوا تحته.

ـ روي ـ أنه هبت عليه ريح هائلة فألقت رأسه في البحر وخر الباقي عليهم ولما سقط الصرح تبلبلت الألسن من الفزع يومئذٍ: يعني: [بهم بر آمد وسخن ايشان مختلف كشت هر قومى بزبانى سخن كفتن آغاز كردند وهيچ يك زبان آن ديكر ندانست] فتكلموا ثلاثة وسبعين لساناً فلذلك سميت ببابل وكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية ﴿وآتاهم العذاب﴾ أي: الهلاك بالريح ﴿من حيث لا يشعرون﴾ بإتيانه منه بل يتوقعون إتيان مقابله مما يريدون ويشتهون. والمعنى أن هؤلاء الماكرين القائلين للقرآن العظيم أساطير الأولين سيأتيهم في الدنيا من العذاب مثل ما أتاهم وهم لا يحتسبون [دمياطى آورده كه مراد ازين عذاب بعوضه است كه بر لشكر نمرود مسلط شد. در لباب فرموده كه خداى تعالى نمرودرا مبتلا كردانيد به پشه كه در بينى اورفته بود ودر دماغ وى جاى كرفته وبزرك شد وچهار صد سال درانجا بماند ودرين مدت پيوسته مطرقه برسراو ميزدند تا فى الجمله آرام يافت.] شيخ فريد الدين عطار قدس سره در منطق الطير آورده:

نيم پشه برسر دشمن كماشت درسراو چارصد سالش بداشت
چون دهد حكمش ضعيفى رامدد سبلت خصم قوى را بركند

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ثم يوم القيامة﴾ أي: هذا العذاب جزاؤهم في الدنيا ويوم القيامة ﴿يخزيهم﴾ [رسواى كرداند ايشانرا] أي: يذل أولئك المفترين والماكرين الذين من قبلهم جميعاً بعذاب الخزي على رؤوس الأشهاد وأصل الخزي ذل يستحيى منه وثم لتفاوت ما بين الجزاءين ﴿ويقول﴾ لهم

تفضيحاً وتوبيخاً فهو إلى آخره بيان للإخزاء ﴿أين شركائي﴾ بزعمكم ﴿الذين كنتم تشاقون﴾ أصله تشاققون أي: تخاصمون الأنبياء والمؤمنين ﴿فيهم﴾ أي: في شأنهم بأنهم شركاء أحقاء حين بينوا لكم بطلانها. والمراد بالاستفهام استحضارها للشفاعة أو المدافعة على طريق الاستهزاء والتبكيت والاستفسار عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة بل يكفي في ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذي كانوا يزعمون أنهم متصفون به من عنوان الإلهية فليس هناك شركاء ولا أماكنها ﴿قال الذين أوتوا العلم﴾ من أهل الموقف وهم الأنبياء والمؤمنون الذين أوتوا علماً بدلائل التوحيد وكانوا يدعونهم في الدنيا إلى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم أي: يقولون توبيخاً لهم وإظهاراً للشماتة بهم. ﴿إن الخزي﴾ أي: الفضيحة والذل والهوان وبالفارسية [خوارى ورسوايى] ﴿اليوم﴾ متعلق بالخزي وإيراده للإشعار بأنهم كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق ﴿والسوء﴾ أي: العذاب ﴿على الكافرين﴾ بالله تعالى وبآياته ورسله وهو قصر للجنس الادعائي كأن ما يكون من الذل وهو العذاب لعصاة المؤمنين لعدم بقائه ليس من ذلك الجنس.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ في محل الجر على أنه نعت للكافرين وفائدة تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره إلى حين الموت دون من آمن منهم ولو في آخر عمره أي: على الكافرين المستمرين على الكفر إلى أن تتوفاهم الملائكة أي: يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه. ﴿ظالمي أنفسهم﴾ أي: حال كونهم مستمرين على الكفر والاستكبار فإنه ظلم منهم على أنفسهم وأي ظلم حيث عرضوها للعذاب المخلد بوضعها بالاستكبار على الملك الجبار غير موضعها وبدلوا فطرة الله تبديلاً ﴿فألقوا السلم﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿ويقول أين شركائي﴾ والسلم بالتحريك الاستسلام أي: فيلقون الاستسلام والانقياد في الآخرة حين عاينوا العذاب ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من التكبر والعلو وشدة الشكيمة قائلين ﴿ما كنا نعمل﴾ في الدنيا ﴿من سوء﴾ أي: من شرك قالوه منكرين لصدوره عنهم قصداً لتخليص نفوسهم من العذاب ﴿بلى﴾ رد عليهم من قبل أولي العلم وإثبات لما نفوه أي: بلى كنتم تعملون ما تعملون ﴿إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾ فهو يجازيكم عليه وهذا أوانه فلا يفيد إنكاركم وكذبكم على أنفسكم.

﴿فادخلوا﴾ الفاء للتعقيب ﴿أبواب جهنم﴾ أي: كل صنف بابه المعدّ له ﴿خالدين فيها﴾ إن أريد بالدخول حدوثه فالحال مقدّرة وإن أريد مطلق الكون فيها فمقارنة ﴿فلبئس مثوى المتكبرين﴾ الفاء عطف على فاء التعقيب واللام للتأكيد تجري مجرى القسم والمثوى المنزل والمقام والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم، والمعنى بالفارسية: [پس هر آينه بد مقامى وبد آرامكاهيست متكبرانرا جهنم] وذكرهم بعنوان التكبر للإشعار بعليته لثوآئهم فيها أي: إقامتهم والمراد المتكبر عن التوحيد أو كل متكبر من المشركين والمسلمين. قال حضرة الشيخ علي السمرقندي قدس سره في تفسيره المسمى «بحر العلوم» التكبر ينقسم على ثلاثة أقسام.

التكبر على الله وهو أخبث أنواع الكبر وأقبحها وما منشأه إلا الجهل المحض. ثم التكبر على الرسل من تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وهذا كالتكبر على الله تعالى في القيامة واستحقاق العذاب السرمدي. والثالث التكبر على العباد وهو بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره فيأبى عن الانقياد لهم ويدعوه إلى الرفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويستنكف عن مساواتهم وهو أيضاً قبيح وصاحبه جاهل كبير يستأهل سخطاً عظيماً لو لم يتب وإن كان دون الأولين للدخول تحت عموم قوله: ﴿مثوى المتكبرين﴾ وأيضاً من تكبر على أحد من عباد الله فقد نازع الله في ردائه وفي صفة من صفاته. قال أبو صالح حمدان بن أحمد القصار رحمة الله عليه: من ظن أن نفسه خير من نفس فرعون فقد أظهر الكبر، وفي «المثنوي»:

آنچه در فرعون بودواندر توهست لیك ازدرهات محبوس چهست
آتشت را هیزم فرعون نیست زانكه چون فرعون اوراعون نیست

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال: إني آمركما باثنين وأنهاكما عن اثنين آمركما بلا اله إلا الله فلو أن السموات السبع والأرضين السبع وضعن في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن ولو أن السموات السبع والأرضين السبع حلقة مبهمة لقصمتهن لا إله إلا الله وآمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل نبي بها يرزق الخلق وأنهاكما عن الكفر والكبر».

﴿وقيل﴾ - روي - أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام موسم الحج من يأتيهم بخبر النبي ﷺ فإذا جاء الوافد كفه المقتسمون الذين اقتسموا طرق مكة وأمروه بالانصراف وقالوا: إن لم تلقه كان خيراً لك فإنه ساحر كاهن كذاب مجنون فيقول: أنا شر وافد إن رجعت إلى قومي دون أن أستطلع أمر محمد وأراه فيلقي أصحاب النبي عليه السلام فيخبرونه بصدقه فذلك قوله وقيل أي: من طرف الوافدين ﴿للذين اتقوا﴾ عن الكفر والشرك وهم المؤمنون المخلصون ﴿ماذا﴾ أي: أي شيء فهو مفعول قوله: ﴿أنزل ربكم﴾ على محمد ﴿قالوا﴾ في جوابه أنزل ﴿خيرا﴾ وفي تطبيق الجواب بالسؤال إشارة إلى أن الإنزال واقع وأنه نبي حق. قال الكاشفي: [مراد ازخير قر آنست كه جامع جميع خيرات ومستجمع مجموع حسنات وبركات اوست ونيكوهاي ديني ودنياوى وخوبيهاي صوري ومعنوي ناشى ازو]. ﴿للذين أحسنوا﴾ أعمالهم وقالوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله فإنه أحسن الحسنات وهو كلام مستأنف جيء به لمدح المتقين. ﴿في هذه﴾ الدار ﴿الدنيا حسنة﴾ أي: مثوبة حسنة مكافأة فيها بإحسانهم وهي عصمة الدماء والأموال واستحقاق المدح والثناء والظفر على الأعداء وفتح أبواب المكاشفات والمشاهدات الذي من أوتيه فقد فاز بالقدح المعلى.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن من أحسن أعماله بالصالحات وأخلاقه بالحميدات وأحواله بالانقلاب عن الخلق إلى الحق فله حسنة من الله وهو أن ينزله منازل الواصلين الكاملين في الدنيا ﴿ولدار الآخرة﴾ أي: ولثوابهم فيها ﴿خير﴾ مما أوتوا في الدنيا من المثوبة أو دار الآخرة خير من الدنيا على الإطلاق فإن الآخرة كالجوهر والدنيا كالخزف وقيمة الجوهر أرفع من قيمة الخزف بل لا مناسبة بينهما أصلاً ﴿ولنعم دار المتقين﴾ [ونيكو سرابيست مرپر هيز كارانرا سراي آخرت]. قال الحسن دار المتقين الدنيا لأنهم منها يتزودون للآخرة. يقول الفقير فيه مدح للدنيا باعتبار أنها متاع بلاغ فإنها باعتبار أنها متاع الغرور مذمومة كما قال في «المثنوي».

چيست دنيا ازخدا غافل شدن نى قماش ونقره وميزان وزن
مال راكز بهر دين باشى حمول نعم مال صالح خواندش رسول
آب در كشتى هلاك كشتى است آب اندر زير كشتى يشتى است
چونكه مال وملك را ازدل برانند زان سليمان خويش جز مسكين نخواند
كوزه سربسته اندر آب رفت از دل پرباد فوق آب رفت
باد درويشى چودر باطن بود بر سر آب جهان ساكن بود

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن للأتقياء الواصلين داراً غير دار الدنيا ودار الآخرة فدارهم مقعد الصدق في مقام العندية ونعم الدار.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿جنات عدن﴾ عدن علم أي: لهم بساتين عدن حال كونهم **﴿يدخلونها﴾** حال كونها **﴿تجري من تحتها الأنهار﴾** أي: من تحت منازلها الأنهار الأربعة على أن يكون المنبع فيها بشهادة من **﴿لهم﴾** خبر مقدم **﴿فيها﴾** أي: في تلك الجنات حال من المبتدأ المؤخر وهو قوله: **﴿ما يشاؤون﴾** ويحبون من أنواع المشتهيات. قال البيضاوي في تقديم الظرف تنبيه على أن الإنسان لا يجد جميع ما يريده إلا في الجنة. يقول الفقير إن قلت هل يجوز للمرء أن يشتهي في الجنة اللواطة؟ وقد ذهب إليه من لا وقوف له على جلية الحال فالجواب أن الاشتهاء المذكور مخالف لحكمة الرب الغفور ولو جاز هو لجاز نكاح الأمهات فيها على تقدير الاشتهاء وأنه مما لا يستريب عاقل في بطلانه ألا ترى أن الذكور وكذا الزنى واللواطة والكذب ونحوها كان حراماً مؤبداً في الدنيا في جميع الأديان لكونه مما لا تقتضي الحكمة حله بخلاف الخمر ونحوها ولذا كانت هي أحد الأنهار الجارية فيها فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا يستطيب ما استخبثته الطباع السليمة. قال الكاشفي: [ودر جواب كسى كه كويد شايد بهشتى خواهد كه بدرجات أنبيا ومنازل أوليا ومراتب شهدا برسد وكفته اند دربهشت غيظ وحسدكه موجب تمناها باشد نيست با آنكه هريك ازبهشتيان بآنچه دارند راضى اند].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من الأتقياء من مشيئته الجنة ونعيمها ومن مشيئته العبور على الجنة والخروج إلى مقعد الصدق في مقام العندية فلهم ما يختارون من الجنة ومقعد الصدق **﴿كذلك﴾** أي: مثل ذلك الجزاء الأوفى **﴿يجزي الله المتقين﴾** أي: كل من يتقي عن الشرك والمعاصي.

﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ نعت للمتقين أي: يقبض ملك الموت وأعوانه أرواحهم حال كونهم **﴿طيبين﴾** أي: طاهرين عن دنس الظلم لأنفسهم بتبديل فطرة الله. وفائدته الإيذان بأن ملاك الأمر في التقوى هو الطهارة عما ذكر إلى وقت توفيهم. ففيه حث للمؤمنين على ذلك ولغيرهم على تحصيله. وقيل: طيبين بفيض أرواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية إلى جناب القدس جعلنا الله وإياكم منهم، وفي «المثنوي»:

همچنين باد أجل باعارفان نرم وخوش همچون نسيم يوسفان

وفي «التأويلات النجمية» أي: طيبي الأعمال عن دنس الشهوات والمخالفات. وطيبي

الأخلاق عن المذمومات الملوثة بالطبعيات دون الشرعيات. وطيبي الأحوال عن وصمة ملاحظات الكونين ﴿يقولون﴾ حال من الملائكة أي: قائلين لهم على وجه التعظيم والتبشير. ﴿سلام عليكم﴾ لا يخيفكم بعد مكروه. قال القرطبي: إذا استدعيت نفس المؤمن جاءه ملك الموت فقال: السلام عليك يا ولي الله الله يقرئك السلام وبشره بالجنة. ﴿ادخلوا الجنة﴾ أي: جنات عدن فإنها معدة لكم فاللام للعهد والمراد دخولهم لها في وقته كما قال الكاشفي: [بعد ازسلام كويند فرداكه مبعوث شويد در آييد دربهشت كه براى شما آماده است] والقبر روضة من رياض الجنة ومقدمة لنعيمها ومن دخله على حسن الحال والأعمال فكأنه دخل جنته ووجد نعيماً لا يزول ولا يزال. ﴿بما كنتم تعملون﴾ بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة والعمل وإن لم يكن موجباً للجنة لأن الدخول فيها محض فضل من الله إلا أن الباء دلت على أن الدرجات إنما تنال بالأعمال وصدق الأحوال فإن المراد من دخول الجنة إنما هو اقتسام المنازل بحسب الأعمال [وكفته اند] زرع يومك حصاد غدك:

بكوش امروز تا تخمى بپاشى ... كه فردا بر جوى قادر نباشى
كر اينجا كشت كردن را نورزى ... دران خرمن به از ارزن نيرزى

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن دخول الجنة للأتقياء جزاء لإصلاح أعمالهم والعبور عليها جزاء لإصلاح أخلاقهم والخروج إلى مقعد الصدق جزاء لإصلاح أحوالهم فلكل متق مقام بحسب معاملته مع الله تعالى وفي الحديث: «عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة: النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك». قال في «بحر العلوم» المراد بالصديق كل من آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد منهم بدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩] ويدل عليه أيضاً الآية التي نحن فيها كما لا يخفى ويعضده قول النبي عليه السلام «الله تعالى بنى جنات عدن بيد قدرته وجعل ملاطها المسك وترابها وحصباءها اللؤلؤ لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرس غرسها بيد قدرته وقال لها: تكلمي قالت: قد أفلح المؤمنون فقال: طوبى لك منزل الملوك» وفي قولها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: ١] تنبيه على أن سكانها أهل الإيمان بالله ورسله انتهى. يقول الفقير: لا شك أن أهل الإيمان كلهم يدخلون الجنة لكن بحسب تفاوت درجاتهم في مراتب الإيمان تتفاوت منازلهم الجنانية فالفردوس وعدن للخواص ومن يلحق بهم وغيرهما للعوام وكمال الإيمان إنما يحصل بمكاشفة أسرار الملكوت ومشاهدة أنوار الجبروت وصاحبه الصديق الأكبر والدليل على ما قلنا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧﴾ [الكهف: ١٠٧] فإنهم قد قالوا في التفسير إن أهلها هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وهو الوصف الزائد على مطلق الإيمان ولذا وعدوا بتلك الجنان إذ من كان أرفع مرتبة في الدنيا بحسب العلوم النافعة والأخلاق الفاضلة كان أعلى درجة في الجنة.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٣٣ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٣٤ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا

حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾

﴿هل ينظرون﴾ [أيا انتظار ميبرند كفار مكه] أي ما ينتظرون ﴿إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ أي: ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم بالعذاب لمواظبتهم على الأسباب الموجبة له المؤدية إليه فكأنهم يقصدون إتيانه ويترصدون لوروده. ﴿أو يأتي أمر ربك﴾ أي: العذاب الدنيوي وقد أتى يوم بدر ﴿كذلك﴾ مثل فعل هؤلاء من الشرك والظلم والتكذيب والاستهزاء ﴿فعل الذين﴾ خلوا ﴿من قبلهم﴾ من الإثم ﴿وما ظلمهم الله﴾ بما سيتلى من عذابهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بالكفر والمعاصي المؤدية إليه.

﴿فأصابهم﴾ عطف على قوله فعل الذين من قبلهم. والمعنى بالفارسية [رسيد ايشانرا بحكم عدل] ﴿سيئات ما عملوا﴾ أي: أجزية أعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه إيذاناً بفظاعته لا على حذف المضاف فإنه يوهم أن لهم أعمالاً غير سيآتهم. ﴿وحاق بهم﴾ أي: أحاط بهم ونزل من الحيق الذي هو إحاطة الشر كما في «القاموس» الحيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ من العذاب الموعود.

﴿وقال الذين أشركوا﴾ أي: أهل مكة ﴿لو شاء الله﴾ عدم عبادتنا لشيء غيره ﴿ما عبدنا من دونه﴾ [بجز خداي تعالى] ﴿من شيء نحن ولا آباؤنا﴾ الذين نقتدي بهم في ديننا ﴿ولا حرمنا من دونه﴾ [بجز خداي تعالى] ﴿من شيء﴾ يعني: تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام. ومذهب أهل السنة أن الكفر والمعاصي وسائر أفعال العباد بمشيئة الله وخلقه والكفار وإن قالوا الشرك وغيره بمشيئة الله لكنهم يستدلون بذلك على إباحة تحريم الحلال وسائر ما يرتكبون من المعاصي ويزعمون أن الشرك والمعاصي إذا كانت بمشيئة الله تعالى ليست معصية ولا عليها عذاب فهذا كلام حق أريد به الباطل فصار باطلاً. وفي «المدارك» هذا الكلام صدر منهم استهزاء ولو قالوه اعتقاداً لكان صواباً انتهى [حسين بن فضل كفته كه اكر كفار اين سخن از روى تعظيم وإجلال ومعرفت الهى كفتندى حق سبحانه وتعالى ايشانرا بدان عيب نكردى]، قال الحافظ:

درين چمن نكنم سرزنش بخود رويى چنانكه پرورشم ميدهند ميرويم

وقال:

نقش مستورى ورندى نه بدست من وتـــ ـــت آنچه سلطان ازل كفت بكن آن كردم

يقول الفقير: فرق بين الجاهل الغافل المحجوب وبين العارف المتيقظ الواصل إلى المطلوب والأدب إسناد المقابح إلى النفس والمحاسن إلى الله تعالى فإنه توحيد أي توحيد ﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك الفعل الشنيع ﴿فعل الذين من قبلهم﴾ من الأمم أي: أشركوا بالله وحرموا حله وعصوا رسله وجادلوهم بالباطل حين نبهوهم على الخطأ وهدوهم إلى الحق ﴿فهل على الرسل﴾ [پس هست برفر ستاد كان يعني نيست برايشان] ﴿إلا البلاغ المبين﴾ أي: ليست وظيفتهم إلا تبليغ الرسالة تبليغاً واضحاً واطلاع الخلق على بطلان الشرك وقبحه لا الجاءهم إلى قبول الحق وتنفيذ قولهم عليهم شاؤوا أو أبوا.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ

وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾
إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ
جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾
لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ
إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا
حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

﴿ولقد بعثنا في كل أمة﴾ من الأمم. وبالفارسية [درميان هركر وهى]. ﴿رسولا﴾ خاصاً بهم كما بعثناك ﴿أن اعبدوا الله﴾ أن مفسرة لبعثنا أي: قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله وحده. ﴿واجتنبوا الطاغوت﴾ هو الشيطان وكل ما يدعو إلى الضلال وذلك لإلزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه أن منهم من لا يأتمر بالأوامر ولا يؤمن. والطاغوت فعلوت من الطغيان كالجبروت والملكوت من الجبر والملك وأصله طغيوت فقدم اللام على العين وتاؤه زائدة دون التأنيث. ﴿فمنهم﴾ أي: من تلك الأمم والفاء فصيحة أي: فبلغوا ما بعثوا به من الأمر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم. ﴿من هدى الله﴾ خلق فيه الاهتداء إلى الحق الذي هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئي إلى تحصيله. ﴿ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ [كمر اهى بسبب خذلان الهى] أي: وجبت وثبتت إلى حين الموت لعناده وإصراره عليها وعدم صرف قدرته فلم يخلق فيه الاهتداء ولم يرد أن يطهر قلبه ﴿فسيروا﴾ سافروا يا معشر قريش إذ الكلام معهم ﴿في الأرض فانظروا﴾ في أكنافها وفي الفاء الموضوعة للتعقيب إشارة إلى وجوب المبادرة إلى النظر والاستدلال المؤديين إلى الإقلاع عن الضلال ﴿كيف كان عاقبة المكذبين﴾ من عاد وثمود ومن سار بسيرتهم ممن حقت عليه الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون من منازلهم وديارهم آثار الهلاك والعذاب ﴿إن تحرص﴾ يا محمد ﴿على هداهم﴾ أي: إن تطلب هداية قريش بجهدك. وبالفارسية [اكرسخت كوشى وحرص ورزى] ﴿فإن الله لا يهدي من يضل﴾ أي: فاعلم أن الله لا يخلق الهداية جبراً وقهراً فيمن يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره. ﴿وما لهم من ناصرين﴾ من ينصرهم برفع العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار الجمعية في الضمير فإن مقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الآحاد إلى الآحاد.

واعلم أن سرّ بعثة الأنبياء عليهم السلام إلى الخلق أن يأمروهم بعبادة الله واجتناب طاغوت الهوى وما يعبدون من دون الله ويعلموهم كيفية العبادة الخالصة من الشوائب وكيفية الاجتناب عما سوى الله ليصلوا بهذين القدمين إلى حضرة الجلال كما قال بعضهم خطوتان وقد حصلت. فالخطوة الأولى عبادة الله بالتوحيد وهو التوجه إلى الله تعالى بالكلية طلباً وشوقاً ومحبة. والثانية الخروج عما سوى الله بالكلية صدقاً واجتهاداً بليغاً لينالوا ما نال من قال لربه ـ كلي بكلك مشغول فقال كلي لكلك مبذول ـ كما في «التأويلات النجمية». فعلى العاقل أن يجتهد في طريق العبودية وهي رفض المشيئة لأن العبد لا مشيئة له لأنه لا يملك ضراً ولا نفعاً.

ـ وحكي ـ أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله اشترى عبداً فقال له: أي شيء تأكل؟ قال: ما

تطعمني؟ قال: أي شيء تعمل؟ قال: ما تستعملني قال: أي شيء لك إرادة؟ قال: وأين تبقى إرادة العبد في جنب إرادة سيده ثم راجع إبراهيم نفسه وقال: يا مسكين ما كنت لله في عمرك ساعة مثل ما كان هذا لك في هذه الحالة؟ إن قلت الطاعة راجحة أم ترك المخالفات. قلت: الاحتماء غالب على المعالجة بالأدوية كما يفعله أهل الهند فإنهم يداوون مرضاهم بترك الأكل أياماً. وقد قال أبو القاسم: لا تطلبوا الآخرة بالبذل والإيثار واطلبوا بالترك والكف. وهذا عكس ما عليه أهل الزمان فإن عبادهم يأتون ما أمكن لهم من الطاعات وهم غرقى في بحر المخالفات إذ ليس لهم مبالاة في باب التروك فلو أنهم اقتصروا على الفرائض والواجبات واجتهدوا في باب الكف عن الرذائل والمخالفات لكان خيراً لهم ولذا قال في «المثنوي»:

بهر اين بعض صحابه از رسول ملتمس بودند مكر نفس غول
كوچه آميزدز أغراض نهان در عبادتها ودر اخلاص جان
فضل طاعت را نجستندى ازو عيب ظاهر را نجستندى كه كو
مو بمو و ذره ذره مكر نفس مى شناسيدند چون كل از كرفس

نسأل الله تعالى أن يهدينا إلى حق اليقين ويعصمنا من أعمال من قال في حقهم وما لهم من ناصرين.

﴿وأقسموا بالله﴾ الإقسام [سو كند خوردن] والقسم محركة اليمين بالله. والمعنى بالفارسية [سوكند خوردند بخداى تعالى] عن أبي العالية كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين فأتاه يتقاضاه فكان فيما تكلم به والذي أرجوه بعد الموت أنه لكذا يعني: [دراثناء مكالمه كفت بدان خداى كه بعد ازمرك بلقاء او اميد وارم] فقال المشرك: إنك لتزعم أنك تبعث بعد الموت [أي كفت تواميد وارى كه بعد ازمرك زنده شوى مسلمان كفت آرى آن كافر بايمان غلاظ وشدادكه دركيش او مقرر بود سوكند يا دكردكه هيچكس بعد ازمرك زنده نشود] فانزل الله تعالى هذه الآية ﴿جهد أيمانهم﴾ [سخترين سوكند ايشان يعني جهد كردند در تغليظ سوكند]. يقال جهد الرجل في كذا كمنع جد فيه وبالغ واجتهد. قال في «القاموس» وقوله تعالى: ﴿جهد أيمانهم﴾ أي: بالغوا في اليمين واجتهدوا انتهى. مصدر في موقع الحال أي: جاهدين في أيمانهم أي: حلفوا بالله مبالغين في أيمانهم حتى بلغوا غاية شدتها وكادتها. وفي تفسير أبي الليث كل من حلف بالله فهو جهد اليمين لأنهم كانوا يحلفون بالأصنام وبآبائهم ويسمون اليمين بالله جهد أيمانهم ﴿لا يبعث الله من يموت﴾ مقسم عليه ﴿بلى﴾ إثبات لما بعد النفي أي بلى يبعثهم ﴿وعدا﴾ أي: وعد بذلك وعداً ثابتاً ﴿عليه﴾ إنجازه لامتناع الخلف في وعد الله تعالى ﴿حقا﴾ أي: حق حقاً ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أنهم يبعثون والقول بعدمه لجهلهم بشؤون الله تعالى من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم على سر التكوين والغاية القصوى منه.

﴿ليبين لهم﴾ عبارة عن إظهار ما كان مبهماً قبل ذلك أي: يبعث الله كل من يموت مؤمناً كان أو كافراً ليبين لهم الشأن ﴿الذي يختلفون﴾ مع المؤمنين ﴿فيه﴾ من الحق المنتظم للبعث والجزاء وجميع ما خالفوه مما جاء به الشرع المبين والمؤمنون وإن كانوا عالمين بذلك عند معاينة حقيقة الحال يتضح الأمر فيصل علمهم إلى مرتبة عين اليقين لأنه يحصل لهم مشاهدة الأحوال كما هي ومعاينتها بصورها الحقيقية. ﴿وليعلم الذين كفروا﴾ بالله تعالى بالإشراك

وإنكار البعث وتكذيب وعده الحق عندما خرجوا من قبورهم ﴿أنهم كانوا كاذبين﴾ في قولهم لا يبعث الله من يموت ونحوه وهو إشارة إلى السبب الداعي إلى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب.

﴿إنما﴾ ما كافة ﴿قولنا﴾ مبتدأ ﴿لشيء﴾ أي: أي شيء كان مما عز وهان متعلق بقولنا على أن اللام للتبليغ كهي في قولنا قلت له قم فقام. فإن قلت فيه دليل على أن المعدوم شيء لأنه سماه قبل كونه. قلت: التعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته تعالى لا أنه كان شيئاً قبل ذلك.

وفي «التأويلات النجمية»: في الآية دلالة على أن المعدوم الذي في علم الله إيجاده قبل إيجاده شيء بخلاف المعدوم الذي في علم الله عدمه أبداً ﴿إذا أردناه﴾ ظرف لقولنا أي وقت إرادتنا لوجوده ﴿أن نقول له كن﴾ خبر للمبتدأ أي: أحدث لأنه من كان التامة بمعنى الحدوث التام ﴿فيكون﴾ عطف على مقدر أي فنقول ذلك فيكون أو جواب لشرط محذوف أي فإذا قلنا ذلك فهو يكون ويحدث عقيب ذلك وهذا الكلام مجاز عن سرعة الإيجاد وسهولته على الله وتمثيل الغائب وهو تأثير قدرته في المراد بالشاهد وهو أمر المطاع للمطيع في حصول المأمور به من غير امتناع وتوقف ولا افتقار إلى مزاولة عمل واستعمال آلة وليس هناك قول ولا مقول له ولا آمر ولا مأمور حتى يقال إنه يلزم أحد المحالين إما خطاب المعدوم أو تحصيل الحاصل. والمعنى أن إيجاد كل مقدور على الله بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من بعض المقدورات:

آنكه پيش ازوجود جان بخشد هم تواند كه بعد ازان بخشد

چون در آورد ازعدم بوجود چه عجب بازاكر كند موجود

وذهب فخر الإسلام وغيره إلى أن حقيقة الكلام مرادة بأن أجرى الله سنته في تكوين الأشياء أن يكوّنها بهذه الكلمة إذ لم يمتنع تكوينها بغيرها. والمعنى يقول له أحدث فيحدث عقيب هذا القول لكن المراد هو الكلام النفسي المنزه عن الحروف والأصوات لا الكلام اللفظي المركب منهما لأنه حادث يستحيل قيامه بذاته تعالى. يقول الفقير: أفادني شيخي وسندي روح الله روحه في قوله عليه السلام: «إن الله فرد يحب الفرد» إن مقام الفردية يقتضي التثليث فهو ذات وصفة وفعل وأمر الإيجاد يبنى على ذلك وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ فهو ذات وإرادة وقول والقول مقلوبه بعد الإعلال اللقا فليس عند الحقيقة هناك قول وإنما هو لقاء الموجد اسم فاعل بالموجد اسم مفعول وسريان هويته إليه وظهور صفته وفعله فيه فافهم هذه الدقيقة. قال الروح ينزل بالمطر وله تعين في كل نشأة بما يناسب حاله فعند تمام الخلقة في الرحم ينفخ الله تعالى الروح وهو عبارة عن تعين الروح وظهوره كظهور النار من غير إيقاد ولكن عبر عنه بالنفخ تفخيماً لأن العقل قاصر عن دركه ولذا قال العلماء: لا يبحث عن ذات الباري تعالى وكيفية تعلق القدرة بالمعدومات وكيفية العذاب بعد الموت.

﴿والذين هاجروا في الله﴾ أي: في شأن الله ورضاه وفي حقه والتمكين من طاعته ولوجهه ﴿من بعد ما ظلموا﴾ هم الذين ظلمهم أهل مكة من أصحاب رسول الله ﷺ وأخرجوهم من ديارهم فهاجروا إلى الحبشة ثم إلى المدينة فجمعوا بين الهجرتين لا المهاجرون مطلقاً فإن السورة مكية.

ـ روي ـ أن رسول الله ﷺ لما رأى ما نزل بالمسلمين من توالي الأذى عليهم من كفار قريش قال لهم: «تفرقوا في الأرض فإن الله سيجمعكم» قالوا: إلى أين نذهب؟ قال: «اخرجوا إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً عظيماً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه» فهاجر إليها ناس ذو عدد قال بعضهم كانوا فوق ثمانين مخافة الفتنة فراراً إلى الله تعالى بدينهم منهم من هاجر إلى الله بأهله كعثمان بن عفان رضي الله عنه هاجر ومعه زوجته رقية بنت النبي ﷺ وكان أول خارج ومنهم من هاجر بنفسه وفي الحديث «من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب له الجنة وكان رفيق أبيه خليل الله إبراهيم ونبيه محمد عليهما السلام» **﴿لنبوئنهم﴾** لننزلنهم **﴿في الدنيا حسنة﴾** أي: مباءة حسنة وهي المدينة المنورة حيث آواهم أهلها ونصروهم. يقال بوأه منزلاً أنزله والمباءة المنزل فهي منصوبة على الظرفية أو على أنها مفعول ثان إن كان لنبوئنهم في معنى لنعطينهم **﴿ولأجر الآخرة﴾** المعد لهم في مقابلة الهجرة **﴿أكبر﴾** مما يعجل لهم في الدنيا. في «المدارك» الوقف لازم عليه لأن جواب قوله **﴿لو كانوا يعلمون﴾** محذوف والضمير للكفار أي: لو علموا أن الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين ويجوز أن يعود إلى المؤمنين المهاجرين فإنهم لو علموا علم المشاهدة لازدادوا في المجاهدة والصبر وأحبوا الموت وليس الخبر كالمعاينة.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿الذين﴾ أي: المهاجرون هم الذين **﴿صبروا﴾** على مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم.

ـ روي ـ أن النبي ﷺ لما توجه مهاجراً إلى المدينة وقف ونظر إلى مكة وبكى وقال: «والله إني لأخرج منك وإني لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله تعالى وأكرمها على الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت» قال الهمام:

مشتاب ساربان كه مراپاى دركلست	در كردنم زحلقه زلفش سلاسلست
تعجيل ميكنى تو وپايم نمى رود	بيرون شدن زمنزل أصحاب مشكلشت
چون عاقبت زصحبت ياران بريدنيست	پيوند باكسى نكند هركه عاقلست

وكذا صبروا على مفارقة الأهل والشدائد من أذية الكفار وبذل الأرواح ونحو ذلك. **﴿وعلى ربهم﴾** خاصة **﴿يتوكلون﴾** منقطعين إليه معرضين عما سواه مفوضين إليه الأمر كله والمعنى على المضي والتعبير بصيغة المضارع لاستحضار صورة توكلهم البديعة.

والإشارة **﴿والذين هاجروا في الله﴾** بالأبدان عما نهى الله عنه بالشريعة وهاجروا بالله بالقلوب عن الحظوظ الأخروية برعاية الطريقة وهاجروا إلى الله بالأرواح عن مقامات القربة ورؤية الكرامات بجذبات الحقيقة بل هاجروا عن الوجود المجازي مستهلكاً في بحر الوجود الحقيقي حتى لم يبق لهم في الوجود سوى الله من بعدما ردوا إلى أسفل السافلين لننزلنهم على أقرب القرب في حال حياتهم ولأجر الآخرة أي: بعد الخروج من الدنيا والخلاص من حبس

أوصاف البشرية وتلوثها بها أكبر أي: أعظم وأجل وأصفى وأهنى وأمرى مما كان لهم من حسنات الدنيا لو كانوا يعلمون قدره ويؤدون شكره الذين صبروا على الائتمار بالأوامر وعلى الانتهاء عن النواهي بل صبروا على المجاهدات والمكابدات لنيل المشاهدات والمواصلات ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ صبروا بالله في طلبه وتوكلوا على الله في وجدانه فبالصبر ساروا وبالتوكل طاروا ثم في الله حاروا حيرة لا نهاية لها إلى الأبد كما في «التأويلات النجمية».

اعلم أن من توكل على الله وانقطع إليه كفاه الله كل مؤونه ومن انقطع إلى الدنيا وأهلها لا يتم أمره فإن أهل الدنيا لا تقدر على النفع وإيصال الخير ما لم يرد الله. قال أبو سعيد الخراز قدس سره أقمنا بمكة ثلاثة أيام لم نأكل شيئاً وكان بحذائنا فقير معه ركوة مغطاة بحشيش وربما أراه يأكل خبزاً حواري فقلت له: نحن ضيفك فقال: نعم فلما كان وقت العشاء مسح يده على سارية فناولني درهمين فاشترينا خبزاً فقلت: بم وصلت إلى ذلك فقال: يا أبا سعيد بحرف واحد تخرج قدر الخلق من قلبك تصل إلى حاجتك.

﴿وما أرسلنا﴾ وذلك أن مشركي قريش لما بلغهم النبي ﷺ الرسالة ودعاهم إلى عبادة الله تعالى أنكروا ذلك وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً ولو أراد أن يبعث إلينا رسولاً لبعث من الملائكة الذين عنده فنزل قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ أي: الأمم الماضية ﴿إلا رجالا﴾ آدميين لا ملكاً وقوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١] أي: إلى الملائكة أو إلى الأنبياء ولا امرأة إذ مبني حالها على الستر والنبوة تقتضي الظهور ولا صبياً ونبوة عيسى في المهد لا تنافيه إذ الرسالة أخص. قال ابن الجوزي اشتراط الأربعين في حق الأنبياء ليس بشيء. ﴿نوحي إليهم﴾ على ألسنة الملائكة في الأغلب وأكثر الأمر وفيه إشارة إلى أن الرسالة والنبوة والولاية لا تسكن إلا في قلوب الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله:

نه هركس سزاوار باشد بصدر كرامت بفضلست ورتبت بقدر

﴿فسألوا﴾ أي: فإن شككتم في ذلك فاسألوا يا معشر قريش ﴿أهل الذكر﴾ علماء أهل الكتاب ليخبروكم أن الله تعالى لم يبعث إلى الأمم السالفة إلا بشراً وكانوا يشاورونهم في بعض الأمور ولذلك أحالهم إلى هؤلاء للإلزام ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ ذلك. وفي الآية إشارة إلى وجوب المراجعة إلى العلماء فيما لا يعلم. وسئل الإمام الغزالي رحمه الله: من أين حصل لك الإحاطة بالعلوم أصولها وفروعها فتلا هذه الآية أي: أفاد أن ذلك العلم الكلي إنما حصل باستعلام المجهول من العلماء وترك العار وقد ورد [الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها] يعني ينبغي للمؤمن أن يطلب الحكمة كما يطلب ضالته.

﴿بالبينات والزبر﴾ بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدر وقع جواباً عن سؤال من قال بم أرسلوا فقيل: أرسلوا بالبينات والزبر. والبينات جمع بينة وهي الواضحة. والزبر جمع زبور وهو الكتاب بمعنى المزبور أي: المكتوب ﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾ أي: القرآن إنما سمي به لأنه تذكير وتنبيه للغافلين. يعني أنه سبب الذكر فأطلق عليه المسبب ﴿لتبين للناس﴾ كافة العرب والعجم ﴿ما نزل إليهم﴾ في ذلك الذكر من الأحكام والشرائع وغير ذلك من أحوال القرون المهلكة بأفانين العذاب حسب أعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بياناً شافياً كما ينبىء عنه صيغة التفعيل في الفعلين ﴿ولعلهم يتفكرون﴾ التفكر تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب أي وإرادة أن يجيلوا فيه أفكارهم فيتنبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا عما

يؤدي إلى مثل ما أصاب الأولين من العذاب.

وفي «التأويلات النجمية»: ولعلهم أي: وفي إنزال الذكر إليك حكمة أخرى وهي لعل الناس يتفكرون فيما يسمعون من بيان القرآن والأحكام منك على أنك أمي ما قرأت الكتب المنزلة ولا تعلمت العلوم وإنما تبين لهم من نور الذكر فيلازمون الذكر ويواظبون عليه ليصلوا إلى مقام المذكورين في متابعتك ورعاية سنتك. ولما سئل النبي ﷺ عن جلاء القلب قال: «ذكر الله وتلاوة القرآن والصلاة عليّ» ولا شك أن خير الأذكار كلمة التوحيد. قال إبراهيم الخواص رحمه الله: دواء القلب خمسة: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع إلى الله عند السحر، ومجالسة الصالحين. وفي «أبكار الأفكار» أفضل الذكر قراءة القرآن فإنها أفضل من الدعوة الغير المأثورة. وأما المأثورة فقيل: إنها أفضل منها وقيل: القراءة أفضل انتهى. وفي «نفائس المجالس» مما يجب فيه التدبر والتذكر قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ [النساء: ١٣٦] فالله تعالى أمر المؤمنين بالإيمان أي: بتكرار عقد القلب وتجديده كما ورد «جددوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله». قال بعض الكبار: قد علم بحديث التجديد أن الإيمان يقبل البلى وذلك بزوال الحب وتجديده بالتوحيد وكلمة التوحيد مركبة من النفي والإثبات فبنفي ما سوى المعبود وإثبات ما هو المقصود يصل الموحد إلى كمال الشهود وحصول ذلك بنور التلقين والكينونة التامة مع الصادقين كما قال تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] والكينونة صورية وهي بملازمة أهل الصدق ومجالستهم ومعنوية وهي باتخاذ الأسرار وتحصيل المناسبة المعنوية فلا بد من الارتباط بواحد من الصادقين:

زمن اي دوست اين يك پندبپذير ... برو فتراك صاحب دولتى كير
كه قطره تا صدف را درنيايد ... نكردد كوهر وروشن نتابد

واعلم أن التبيين حق أهل الدعوة والإرشاد إذ ليس عليهم إلا البلاغ المبين والعمل بموجب الدعوة على العباد إذ ليس عليهم إلا قبول ما جاء من طرف النبي الأمين فإذا قبلوا ذلك ورجعوا في المشكلات إليه أو إلى وارث من ورثته الكمل علموا ما لم يعلموا ووصلوا إلى كمال العلم والعمل وحصلوا عند المقصود من نزول القرآن فطوبى لهم فلهم درجات الجنان ورؤية المنان.

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾

﴿أفأمن الذين مكروا السيآت﴾ هم أهل مكة الذين مكروا برسول الله ﷺ وراموا صدّ أصحابه عن الإيمان واحتالوا في إبطال الإسلام والفاء عطف على مقدر والإنكار موجه إلى المعطوفين معاً. والسيآت نعت لمصدر محذوف، أي: ألم يتفكروا فأمن الذين مكروا المكرات السيآت التي قصت عنهم أو مفعول به لمكروا على تضمينه معنى فعلوا أي: فعلوا السيآت وعملوا الكفر والمعاصي ﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾ مفعول لأمن أي أن يغوّر بهم الأرض حتى يدخلوا فيها إلى الأرض السفلى كما فعل بقارون وأصحابه. وبالفارسية [ازآنكه فرو برد خداى تعالى ايشانرا درزمين] ذكر الحافظ أن الكركي لا يطأ الأرض بقدميه بل بأحدهما فإذا

وطئها لم يعتمد عليها خوفاً أن تخسف الأرض فإذا لم يأمن الطير من الخسف فما بال الإنسان العاقل يمشي على الأرض وهو غافل ﴿أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ بإتيانه أي: في حال غفلتهم.

ديدى آن قهقه كبك خرامان حافظ كه زسر پنچه شاهين قضا غافل بود

﴿أو يأخذهم في تقلبهم﴾ التقلب [بركشتن] وفي «القاموس» تقلب في الأمور تصرف كيف شاء انتهى. أي: في حالتي تقلبهم في مسايرتهم ومتاجرهم وأسباب دنياهم. وقال سعدي المفتي: الظاهر أن المراد من قوله أو يأتيهم الخ حال نومهم وسكونهم ولا يلزم أن يكون من جانب السماء ومن الثانية إتيانه حال يقظتهم وتصرفهم كقوله تعالى: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤] ﴿فما هم بمعجزين﴾ بناجين من عذاب الله القهار سابقين قضاءه بالهرب والفرار على ما يوهمه التقلب والسير في الديار وفي الحديث: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» أي: ليمهل ويطول عمره حتى يكثر منه الظلم ثم يأخذه أخذاً شديداً فإذا أخذه لم يتركه ولم يخلصه أحد من الله وفي الحديث تسلية للمظلوم ووعيد للظالم لئلا يغتر بإمهاله، قال الشيخ سعدي قدس سره:

مها زور مندى مكن بر كهان كه بريك نمط مى نماند جهان
نمى ترسى اى كرك ناقص خرد كه روزى پلنكيت برهم درد

﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ قال في «القاموس» تخوف الشيء تنقصه ومنه أو يأخذهم على تخوف انتهى. ولقي رجل أعرابياً فقال: يا فلان ما فعل دينك فقال: تخوفته يعني تنقصته كما في تفسير أبي الليث. والمعنى أو يأخذهم على أن ينقصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا ولا يهلكهم في حالة واحدة فيكون المراد مما قبلها عذاب الاستئصال ومنها الأخذ شيئاً فشيئاً والمراد بذكر الأحوال الثلاث بيان قدرة الله تعالى على إهلاكهم بأي وجه كان لا الحصر فيها ﴿فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾ حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها والمعنى أنه إذا لم يأخذكم مع ما فيه فإنما رأفته تقيكم ورحمته تحميكم.

وفي «التأويلات النجمية» رؤوف بالعباد إذ أعطاهم حسن الاستعداد رحيم عليهم عند إفساد استعدادهم بالمعاصي بأن لا يأخذهم في الحال ويتوب عليهم في المآل ويقبل توبتهم بالفضل والنوال ومن المعاصي التقلب من أعمال الدنيا إلى أعمال الآخرة بالرياء أو من أعمال الآخرة إلى أعمال الدنيا بالهوى وعذابه الرد من حرم القبول والرجع من درجات الوصول. فعلى العاقل التيقظ في الأمور وترك السيآت والشرور فإنه لا يشعر من أين يأتي العذاب من قبل الأعمال الدنيوية أو من قبل الأعمال الأخروية ومن جهل المريد بنفسه وبحق ربه أن يسيء الأدب بإظهار دعوى مثلاً فتؤخر العقوبة عنه إمهالاً له فيظنه إهمالاً فيقول: لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد وأوجب الإبعاد اعتباراً بظاهر الأمر وما ذلك إلا لفقد نور بصيرته أو ضعف نورها وإلا فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر حتى ربما ظن أنه متوفر في عين تقصير ولو لم يكن من قطع المدد إلا منع المزيد لكان قطعاً لأن من لم يكن في زيادة فهو في نقصان. قال بعضهم: الزم الأدب ظاهراً وباطناً فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهراً ولا أساء أحد الأدب في الباطن إلا عوقب باطناً من ضيع الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يظن القبول. وقال رويم لابن خفيف: اجعل عملك ملحاً وأدبك دقيقاً، وفي «المثنوي»:

ازخـدا جـويـيـم تـوفـيـق وأدب | بى أدب محـروم كـشـت از لـطف رب
بـى أدب تـنـهـانـه خـودرا داشـت بـد | بـلـكـه آتـش درهـمـه آفـاق زد
هـركـه نـامـردى كـنـددر راه دوسـت | رهـزن مـردان شـدونـا مـرد اوسـت

اللهم اجعلنا من المتأدبين بآداب حبيبك وأصحابك إلى يوم السؤال وجوابه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَٰلُهُۥ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾

﴿أولم يروا﴾ الهمزة للإنكار وهي داخلة في الحقيقة على النفي وإنكار النفي نفي له ونفي النفي إثبات. والرؤية هي البصرية المؤدية إلى التفكر والضمير لكفار مكة أي: ألم ينظروا ولم يروا ﴿إلى ما خلق الله﴾ أي: قد رأوا أمثال هذه الصنائع فما لهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه ﴿من شيء﴾ بيان لما الموصولة أي: من كل شيء ﴿يتفيؤوا ظلاله﴾ أي: ترجع شيئاً فشيئاً من جانب إلى جانب وتدور من موضع إلى موضع حسبما تقتضيه إرادة الخالق فإن التفيؤ مطاوع الافاءة. قال في «تهذيب المصادر»: التفيؤ [باز آمدن سايه بعد از انتصاف النهار] ولا يكون التفيؤ إلا بالعشي قال الله تعالى: ﴿يتفيؤوا ظلاله﴾ انتهى. والظلال جمع الظل وهو بالفارسية [سايه] والجملة صفة لشيء. قال في «الإرشاد»: ولعل المراد بالموصول الجمادات من الجبال والأشجار والأحجار التي لا يظهر لظلالها أثر سوى التفيؤ بارتفاع الشمس وانحدارها وأما الحيوان فظله يتحرك بتحركه. وفي «التبيان» يريد به الشجر والنبات وكل جسم قائم له ظل ﴿عن اليمين والشمائل﴾ متعلق بيتفيأ. والشمائل جمع شمال. بالجر ضد اليمين وبالفتح الريح التي مهبها بين مطلع الشمس وبنات نعش أو من مطلع النعش إلى مسقط النسر الطائر كما في «القاموس» أي: ألم يروا الأشياء التي لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها أي: عن جانبي كل واحد منها وشقيه. وفي «التبيان» أي في أول النهار عن اليمين وفي آخره عن الشمال يعني من جانب إلى جانب إذا كنت متوجهاً إلى القبلة استعارة من يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء وتوحيد اليمين وجمع الشمائل لأن مذهب العرب إذا اجتمعت علامتان في شيء واحد أن يلغي واحد ويكتفي بأحدهما كقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] كذا في «الأسئلة المقحمة».

والإشارة أن المخلوقات على نوعين. منها ما خلق من شيء كعالم الخلق وهو عالم الأجسام. ومنها ما خلق من غير شيء كعالم الأمر وهو عالم الأرواح كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩] يعني خلقت روحك من قبل خلق جسدك ومنه قوله عليه السلام «إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي ألف عام» كذا في «التأويلات النجمية» ﴿سجداً لله﴾ أي: حال كون تلك الظلال ساجدين لله دائرين على مراد الله في الامتداد والتقلص وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له في التفيؤ ﴿وهم داخرون﴾ يقال: دخر كمنع وفرح دخوراً ودخراً صغر وذل وادخره كما في «القاموس» وهو حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى إذ المراد ظلال كل شيء وإيراد صيغة الخاصة بالعقلاء لأن الدخور من

خصائصهم أو لأن من جملة ذلك من يعقل فغلب. والمعنى ترجع الظلال من جانب إلى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها منقادة لما قدر لها من التفيؤ والحال أن أصحابها من الأجرام داخرة أي: صاغرة منقادة لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به وبعدما بين سجود الظلال من الأجرام السفلية الثابتة في أحيازها ودخورها له سبحانه شرع في بيان سجود المخلوقات المتحركة بالإرادة سواء كانت لها ظلال أم لا فقيل: ﴿ولله يسجد﴾ أي: له تعالى وحده ويخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالاً واشتراكاً فالقصر ينتظم القلب والإفراد ﴿ما في السموات﴾ من العلويات قاطبة ودخل فيه الشمس والقمر والنجوم ﴿وما في الأرض﴾ كائناً ما كان ﴿من دابة﴾ بيان لما في الأرض فإن قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥] يدل على اختصاص الدابة بما في الأرض لأن ما في السماء لا يخلق بطريق التولد وليس لهم دبيب بل لهم أجنحة يطيرون بها. يقول الفقير: الظاهر أن الطيران لا ينافي الدبيب وقد نقل أن في السماء خلقاً يدبون ودبيبه لا يستلزم كونه مخلوقاً من الماء المعهود إذ من الماء كل شيء حي فيكون من دابة بياناً لما في السماء والأرض وما عام للعقلاء وغيرهم. وفي «الأسئلة المقحمة» أن ما لا يعقل أكثر عدداً ممن يعقل فغلب جانب ما لا يعقل لأنه أكثر عدداً ﴿والملائكة﴾ عطف على ما في السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيماً وإجلالاً ﴿وهم﴾ أي: والحال أن الملائكة مع علو شأنهم ﴿لا يستكبرون﴾ لا يتعظمون عن عبادته والسجود له بل يتذللون فكل شيء بين يدي صانعه ساجد بسجود يلائم حاله كما أن كل شيء يسبح بحمده تسبيحاً يلائم حاله فتسبيح بعضهم بلسان القال وتسبيح بعضهم بلسان الحال والله يعلم لسان حالهم كما يعلم لسان قالهم، وفي «المثنوي»:

چون مسبح كرده هر چيزرا ... ذات بى تميز وباتميز را
هر يكى تسبيح بر نوع دكر ... كويد او ازحال آن اين بى خبر
آدمي منكر ز تسبيح جماد ... وان جماد اندر عبادت او ستاد

واعلم أن الله تعالى أعطى لكل شيء من أصناف المخلوقات من الحيوانات إلى الجمادات سمعاً وبصراً ولساناً وفهماً به يسمع كلام الحق ويبصر شواهد الحق ويكلم الحق ويفهم إشارة الحق كما أخبر الله تعالى عن حال السموات والأرض وهما في العدم أعطاهما سمعاً به سمعتا قوله ائتيا طوعاً أو كرهاً وأعطاهما فهما به فهمتا كلامه وأعطاهما لساناً به قالتا أتينا طائعين فكل شيء يسبح الله بذلك اللسان ويسجد له بذلك الطوع. فمن هذا اللسان الملكوتي معجزة النبي عليه السلام كانت الحصى تسبح في يده. وكذلك الأحجار الثلاثة كلمت داود عليه السلام واوّبت الجبال معه ولما قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ﴾ [الإسراء: ٤٤] فلا يبعد أن يسجد لله كل شيء وإن لم نفقه سجوده. قال الكاشفي: [درين آيت سجده بايد كرد واين سجده سوم است از سجدهاى قرآني. وحضرت شيخ قدس سره در فتوحات اين را سجود عالم بالا وادنا خوانده كه در مقام ذلت وخوف حق را سجده مى كنند پس بنده بايدكه درين محل بدين صفت موسوم شود خودرا بزمره ساجدان كنجايش دهد] ﴿يخافون ربهم﴾ أي: مالك أمرهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون. ﴿من فوقهم﴾ أي: يخافونه تعالى خوف هيبة وإجلال وهو فوقهم بالقهر لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٨] فهو حال من ربهم. قال في «التبيان» عند قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ

فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ يعني الغالب عباده وفوق صلته انتهى. أو يخافون أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم فهو متعلق بيخافون.

قال في «التأويلات النجمية»: معنى ﴿يخافون ربهم﴾ أي: يأتيهم العذاب ﴿من فوقهم﴾ إن عصوه ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ أي: ما يأمرهم الخالق من الطاعات والتدبيرات من غير تثاقل عنه وتوان فيه وفيه أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهي والوعد والوعيد وبين الخوف والرجاء وفي الحديث «إن لله ملائكة في السماء السابعة سجد منذ خلقهم الله إلى يوم القيامة ترعد فرائصهم من مخافة الله فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم وقالوا ما عبدناك حق عبادتك» كذا في «تفسير أبي الليث».

ويقال من لسان الإشارة أن الأمطار والمياه دموع الملائكة والأرض فهم يخافون الله تعالى بقدر ما وسعهم من معرفة جلاله فما بال الإنسان يمشي آمناً ضاحكاً مع سوء حاله والله الهادي.

﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وقال الله﴾ لجميع المكلفين ﴿لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ تأكيد ﴿إنما هو إله واحد﴾ لا شريك له ولا شبيه:

از همـــه در صفـــات ذات خـــدا لـــيـــس شـــيء كـــمـــثـــلـــه أبـــدا

﴿فإياي﴾ لا غيري ﴿فارهبون﴾.

خافون ﴿وله﴾ وحده خلقاً وملكاً ﴿ما في السماوات﴾ من الملائكة ﴿والأرض﴾ من الجن والإنس ﴿وله الدين﴾ أي: الطاعة والانقياد من كل شيء في السموات والأرض وما بينهما ﴿واصباً﴾ حال من الدين أي: واجباً ثابتاً لا زوال له لأنه الاله وحده الواجب أن يرهب منه يقال وصب يصب وصوباً أي: دام وثبت. ﴿أفغير الله تتقون﴾ الهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر أي: أبعد العلم بما ذكر من التوحيد واختصاص الكل به خلقاً وملكاً غير الله تطيعون فتتقون.

﴿وما بكم﴾ أي: أيُّ شيء يلابسكم ويصاحبكم ﴿من نعمة﴾ أي: نعمة كانت كالغني وصحة الجسم والخصب ونحوها ﴿فمن الله﴾ فهي من قبل الله فما شرطية أو موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الإخبار دون الحصول فإن ملابسة النعمة بهم سبب للإخبار بأنها منه تعالى لا لحصولها منه ﴿ثم إذا مسكم الضر﴾ أي: الفقر والبلاء في جسدكم والقحط ونحوها مساساً يسيراً. ﴿فإليه تجأرون﴾ تتضرعون في كشفه لا إلى غيره. والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا﴾ [ناكاه] ﴿فريق منكم﴾ وهم كفاركم ﴿بربهم يشركون﴾.

﴿ليكفروا﴾ بعبادة غيره ﴿بما آتيناهم﴾ من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة ففي اللام استعارة تبعية وقوله ليكفروا من الكفران وقيل اللام لام العاقبة ﴿فتمتعوا﴾ بقية آجالكم أي: فعيشوا وانتفعوا بمتاع الحياة الدنيا أياماً قليلة وهو أمر تهديد ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة أمركم وما ينزل بكم من العذاب.

وفي الآيات إشارات: منها أن أكثر الخلق اتخذوا مع الله إلهاً آخر وهو الهوى وهو ما يميل إليه الطبع وتهواه النفس بمجرد الاشتهاء من غير سند مقبول ودليل معقول قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] فلهذا قال: ﴿إلهين﴾ وما قال آلهة لأنه ما عبد إلهاً آخر إلا بالهوى ولذلك قال ﷺ: «ما عُبِدَ إله أبغض على الله من الهوى» فقال: ﴿إنما هو إله واحد﴾ أي: الذي خلق الهوى وسائر الآلهة ﴿فإياي فارهبون﴾ فإني أنا الذي يستحق أن يرغب إليه ويرهب منه لا الهوى والآلهة فإنهم لا يقدرون على نفع ولا ضر. وعن بعضهم قال: انكسرت بنا السفينة وبقيت أنا وامرأتي على لوح وقد ولدت في تلك الحالة صبية فصاحت بي وقالت: يقتلني العطش فقلت: هوذا يرى حالنا فرفعت رأسي فإذا رجل في الهواء جالس وفي يده سلسلة من ذهب فيها كوز من ياقوت أحمر فقال: هاك اشربا فأخذت الكوز وشربنا منه فإذا هو أطيب رائحة من المسك وأبرد من الثلج وأحلى من العسل فقلت: من أنت؟ يرحمك الله فقال: عبد لمولاك فقلت: بم وصلت إلى هذا؟ قال: تركت الهوى لمرضاته فأجلسني على الهواء ثم غاب عني فلم أره رضي الله عنه.

ومن الإشارات أن كاشف الضر هو الله تعالى فمن أراد كشفه عن الأسباب لا عن المسبب فقد أشرك ألا ترى أن وكيل السلطان إذا قضى لك حاجة فأنت وإن كنت شاكراً لفعله ولكن إنما تدعو في الحقيقة للسلطان حيث قلد العمل لمثل هذا فحاجتك إنما قضيت في الحقيقة من قبل السلطان من حيث إن فعل هذا خلف حجاب الأسباب لا بالأسباب فافهم. ومنها أن الكفران سبب لزوال النعمة، وفي «المثنوي»:

باشد آن كفران نعمت در مثال — كه كنى با محسن خود توجدال
كه نمى آيد مرا اين نيكوئى — من بر نجم زين چه رنجه ميشوى
لطف كن اين نيكو ئى رادور كن — من نخواهم عاقبت رنجور كن

نسأل الله العصمة من الكفار وعذابه.

﴿ويجعلون﴾ أي: كفار مكة ﴿لما لا يعلمون﴾ أي: للأصنام التي لا يعلم الكفار حقيقتها وقدرها الخسيس ويعتقدون فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عند الله تعالى ﴿نصيباً﴾ [بهره] ﴿مما رزقناهم﴾ من الزرع والأنعام وغيرهما تقرباً إليها فقالوا: هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وهو مذكور في الأنعام ويحتمل أن يعود ضمير لا يعلمون إلى الأصنام وصيغة جميع العقلاء لكون ما عبارة عن آلهتهم التي وصفوها بصفات العقلاء أي: الأشياء التي غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيباً وحظاً في أنعامهم وزروعهم أم لا ﴿تالله لتسألن﴾ سؤال توبيخ وتقريع ﴿عما كنتم تفترون﴾ في الدنيا بأنها آلهة حقيقة بأن يتقرب إليها. وفيه إشارة إلى أن أصحاب النفوس والأهواء يجعلون مما رزقهم الله من الطاعات نصيباً بالرياء لمن لا علم لهم بأحوالهم ليحسنوا في حقهم ظناً ويكتسبوا عندهم منزلة وهم غافلون فارغون عن توهمهم وافترائهم في نفوسهم عليهم:

بروى ريا خرقه سهلست دوخت كرش باخدا درتوانى فروخت

﴿ويجعلون لله البنات﴾ هم خزاعة وكنانة كانوا يقولون الملائكة بنات الله [وسخن بعضى از كفار اين بود كه حق تعالى باجن مصاهرت كرد وملائكة متولد شد نعوذ بالله] ﴿سبحانه﴾ [پاكست خداى از قول ايشان كه ميكويند خداى تعالى دختران دارد] ﴿ولهم ما يشتهون﴾ من البنين أي: يختارون لأنفسهم الأولاد الذكور ما مرفوعة المحل على أنها مبتدأ والظرف المقدم خبره والجملة حالية ثم وصف كراهتهم البنات لأنفسهم فقال:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى﴾ البشارة بمعنى الإخبار على الوضع الأصلي والمضاف مقدر أي: أخبر بولادتها [يعني: چون كسى را از كافران خبر دهندكه ترا دخترى متولد شده]. ﴿ظل وجهه﴾ أي: صار من الظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمعناها أو هو بمعناه يقال ظل يفعل كذا إذا فعله نهاراً أي: دام النهار كله لأن أكثر الوضع يتفق بالليل ويتأخر أخبار المولود إلى النهار وخصوصاً بالأنثى فيظل نهاره ﴿مسودا﴾ [سياه ازاندوه وغم وشرمندكى درميان قوم] واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو بالفارسية [خجل كردن] يقال شوربه فعل به فعلاً يستحيى منه فتشور ﴿وهو كظيم﴾ مملوء غضباً على المرأة لأجل ولادتها الأنثى. ومن هنا أخذ المعبرون من رأى أو رؤي له أن وجهه أسود فإن امرأته تلد أنثى.

﴿يتوارى﴾ يستخفى ﴿من القوم﴾ [از كروه آشنايان وخويشان]. ﴿من سوء ما بشر به﴾ أي: من أجل سوء المبشر به ومن أجل تعييرهم والتعبير عنها بما لإسقاطها عن درجة العقلاء. ﴿أيمسكه﴾ التذكير باعتبار ما أي متردداً في أمره ومحدثاً نفسه في شأنه أيمسك ذلك المولود ويتركه. ﴿على هون﴾ ذل وهوان للعمل والاستقاء والخدمة فهو حال من المفعول أي: يمسكها مهانة ذليلة ويحتمل أن يكون حالاً من الفاعل أي: يمسكها مع رضاه بهوان نفسه. ﴿أم يدسه﴾ يخفيه ﴿في التراب﴾ بالوأد يعني: [زنده در كور كند چنانچه بنو تميم وبنو مضر ميكردند] ولقد بلغ بهم المقت إلى أن يهجر بعضهم البيت الذي فيه المرأة إذا ولدت أنثى ﴿ألا ساء﴾ [بدانيدكه بدست]. ﴿ما يحكمون﴾ [آنچه حكم ميكنند مشركان يعني دخترانرا كه پيش ايشان قدر وحرمت نداند بخداى نسبت ميدهند] ويختارون لأنفسهم البنين فمدار الخطأ جعلهم ذلك لله مع إبائهم إياه.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ ممن ذكرت قبائحهم ﴿مثل السوء﴾ صفة السوء الذي هو كالمثل في القبح وهي الحاجة إلى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وإيثار الذكور للاستظهار بهم ووأد البنات لدفع العار وخشية الإملاق مع احتياجهم إليهن طلب النكاح المنادى كل ذلك بالعجز والقصور والشح البالغ المنفور. ﴿ولله المثل الأعلى﴾ أي: الصفة العجيبة الشأن التي هي مثل في العلو مطلقاً وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والوجود الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين. ﴿وهو العزيز﴾ المتفرد بكمال القدرة لا سيما على مؤاخذتهم ﴿الحكيم﴾ الذي يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة ومن حكمته أن خلق الذكور والإناث. فعلى

العاقل أن يستسلم لأمر الله تعالى وينقاد لحكمه فإن كل ظهور إنما هو منه تعالى وبإرادته والله تعالى إذا أراد شيئاً فليس للعبد أن يريد خلافه فإنه لا يكون أبداً، قال الحافظ:

بدردوصاف ترا نيست حكم دم دركش كه هرچه ساقىء ما كرد عين الطافست

وفي «الشرعة»: ويزداد فرحاً بالبنات مخالفة لأهل الجاهلية وفي الحديث «من بركة المرأة تبكيرها بالبنات» أي: يكون أول ولدها بنتاً ألم تسمع قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩] حيث بدأ بالاناث وفي الحديث «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار» والابتلاء هو الامتحان لكن أكثر استعمال الابتلاء في المحن والبنات قد تعد منها لأن غالب هوى الخلق في الذكور. وفسر بعض شراح المصابيح الإحسان إليهن بالتزويج بالاكفاء لكن الاوجه أن يعمم. قال بعض الفقهاء: لا يزوج بنته معتزلياً فإن اختلاف الاعتقاد بين السني والبدعي كاختلاف الدين وشأن التقوى الاحتراز عن صحبة غير المجانس ومصاهرته:

آن يكى را صحبت اخيار يار لا جرم شد پهلوى فجار جار

وقال ﷺ: «سألت الله أن يرزقني ولداً بلا مؤونة فرزقني البنات» وقال: «لا تكرهوا البنات فإني أبو البنات». ومن لطائف «الروضة» سأل الحجاج بعض جلسائه عن أرق الصوت عندهم فقال أحدهم: ما سمعت صوتاً أرق من صوت قارىء حسن الصوت يقرأ كتاب الله في جوف الليل قال ذلك الحسن وقال آخر ما سمت صوتاً أعجب من أن أترك امرأتي ماخضاً وأتوجه إلى المسجد بكيراً فيأتيني آت فيبشرني بغلام فقال: واحسناه فقال شعبة بن علقمة التميمي لا والله ما سمعت قط أعجب إلي من أن أكون جائعاً فاسمع خفخفة الخوان فقال الحجاج أبيتم يا بني تميم إلا الزاد.

أيها المحبوس في رهن الطعام سوف تنجو إن تحملت الفطام

چون ملك تسبيح حق راكن غذا تارهى همچون ملائك از اذى

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

﴿ولو يؤاخذ الله﴾ فاعل هنا بمعنى فعل ﴿الناس﴾ أي: الكفار ﴿بظلمهم﴾ بكفرهم ومعاصيهم ﴿ما ترك عليها﴾ أي: على الأرض المدلول عليها بالناس وبقوله: ﴿من دابة﴾ لأنها ما يدب على الأرض والعرب تقول: فلان أفضل من عليها وفلان أكرم من تحتها فيردون الكناية إلى الأرض والسماء من غير سبق ذكر لظهور الأمر بين يدي كل متكلم وسامع ومن هذا القبيل قولهم والذي شقهن خمساً من واحدة يعني الأصابع من اليد ولم يقل على ظهرها احترازاً عن الجمع بين الظاءين في كلام واحد وهو لو وجوابه فإنه ثقيل في كلام العرب. والمعنى ما ترك على وجه الأرض من دابة قط بل أهلكها بالكلية بشؤم ظلم الظالمين كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] فهلاك الدواب بآجالها وهلاك الناس عقوبة. وعن أبي هريرة أنه سمع رجلاً يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقال:

بلى والله حتى أن الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: لو عذب الله الخلائق بذنوب بني آدم لأصاب العذاب جميع الخلائق حتى الجعلان في جحرها ولأمسكت السماء عن الأمطار ولكن أخرهم بالعفو والفضل. يقول الفقير: إن أثر الظلم ضار صورة ومعنى وذلك أن أحداً إذا أحرق بيته يسري ذلك إلى بيوت المحلة بل البلدة ويحترق بسببه الدواب والهوام.

بى أدب تنهانه خودرا داشت بد بلكه آتش درهمه آفاق زد

﴿ولكن﴾ لا يؤاخذهم بذلك بل ﴿يؤخرهم﴾ يمهلهم بحلمه ﴿إلى أجل مسمى﴾ أي: معين لأعمارهم أو لعذابهم كي يتوالدوا ويتناسلوا أو يكثر عذابهم ﴿فإذا جاء﴾ [پس چون بيايد] ﴿أجلهم﴾ المسمى ﴿لا يستأخرون﴾ عن ذلك الأجل أي: لا يتأخرون. وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عنه مع طلبهم له:

كه يك لحظه صورت نبندد امان چو پيمانه پرشد بدور زمان

﴿ساعة﴾ أقصر وقت وهي مثل في قلة المدة ﴿ولا يستقدمون﴾ أي: لا يتقدمون وإنما تعرض لذكره مع أنه لا يتصور الاستقدام عند مجيء الأجل مبالغة في عدم الاستيخار بنظمه في سلك ما يمتنع.

﴿ويجعلون لله﴾ أي: يثبتون له سبحانه وينسبون إليه في زعمهم ﴿ما يكرهون﴾ لأنفسهم من البنات ومن الشرك في الرياسة ﴿و﴾ مع ذلك ﴿تصف﴾ تقول ﴿ألسنتهم الكذب﴾ مفعول تصف وهو ﴿أن لهم الحسنى﴾ بدل الكل من الكذب أي: العاقبة الحسنى عند الله وهي الجنة إن كان البعث حقاً كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠] فلا ينافي قولهم لا يبعث الله من يموت فإنه يكفي في صحته الفرض والتقدير. وعن بعضهم أنه قال لرجل من الأغنياء: كيف تكون يوم القيامة إذا قال الله هاتوا ما دفع إلى السلاطين وأعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الأموال الفاخرة وإذا قال ما دفع إليّ فيؤتى بالكسر والخرق وما لا مؤونة له أما تستحي من ذلك الموقف وقرأ هذه الآية ﴿لا جرم﴾ رد لكلامهم ذلك وإثبات لنقيضه وهو مصدر بمعنى حقاً. وبالفارسية [حق چنين است كه فردا قيامت] ﴿أن لهم﴾ مكان ما أملوا من الحسنى ﴿النار﴾ التي ليس وراءها عذاب وهي علم في السوء ﴿وأنهم مفرطون﴾ أي: مقدمون إلى النار معجلون إليها من أفرطته إذا قدمته في طلب الماء أو منسيون متركون في النار من أفرطت فلاناً خلفي إذا خلفته ونسيته خلفك ثم سلى رسوله عما يناله من جهالات الكفرة ليصبر على أذاهم فقال:

﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك﴾ أي: رسلاً إلى من تقدمك من الأمم فدعوهم إلى الحق فلم يجيبوا إلى ذلك. ﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ القبيحة من الكفر والتكذيب بالرسل فعكفوا عليها مصرين. ﴿فهو﴾ أي الشيطان ﴿وليهم﴾ أي: قرينهم وبئس القرين ﴿اليوم﴾ أي: يوم زين لهم الشيطان أعمالهم فيه على طريقة حكاية الحال الماضية أو في الدنيا تولى إضلالهم بالغرور فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ويوم القيامة وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصر غيره فهذه حكاية حال آتية أي: في حال كونهم معذبين في النار والولي بمعنى الناصر. يقول الفقير الظاهر أن المراد باليوم يوم النبي ﷺ وعصره وبالضمير في ولاهم أعقابهم وأنسابهم من الكفرة المعاصرين والله أعلم. ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب أليم﴾ هو عذاب النار.

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وما أنزلنا عليك الكتاب﴾ أي: القرآن لعلة من العلل ﴿إلا لتبين لهم﴾ أي: للناس ﴿الذي اختلفوا فيه﴾ من التوحيد وأحوال المعاد والحلال والحرام والمراد بالمختلفين المؤمنون والكافرون كما في «الكواشي» ﴿وهدى ورحمة﴾ معطوفان على محل لتبين وانتصابهما لأنهما فعلا الذي أنزل الكتاب بخلاف التبيين فإنه فعل المخاطب لا فعل المنزل أي: وللهداية من الضلالة والرحمة من العذاب ﴿لقوم يؤمنون﴾ وتخصيصهم لأنهم المنتفعون بالقرآن. قال سهل بن عبد الله: لا يتصل أحد بالله حتى يتصل بالقرآن ولا يتصل بالقرآن حتى يتصل بالرسول ولا يتصل بالرسول حتى يتصل بالأركان التي قام بها الإسلام.

ـ وحكي ـ عن مالك بن دينار أنه قال: يا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم فإن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض. وعن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكون فتنة» قلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما كان بعدكم وحكم ما بينكم وهو العلم وهو الفصل ليس بالهزل لا تشبع منه العلماء وهو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه فقد هدي إلى صراط مستقيم». ثم إن تبيين أحكام القرآن للعامة وحقائقه للخاصة، إنما هو لرسول الله ﷺ بالأصالة والاستقلال ولورثته بعده قرناً بعد قرن بالفرعية، والتبعية. فعلماء الظواهر يخلصون الناس من الاختلاف فيما يتعلق بالظواهر بالبيان الصريح. وعلماء البواطن يخلصونهم من الاختلاف فيما يتعلق بالبواطن بالكشف الصحيح ولكل منهم مشرب لا يخيب وارده وهم أساطين الدين وسلاطين المسلمين.

واعلم أن الاتعاظ بالمواعظ القرآنية يدخل العبد في السعادة الباقية ويخلصه من الحظوظ النفسانية.

ـ حكي ـ أن إبراهيم بن أدهم سر ذات يوم بمملكته ونعمته ثم نام فرأى رجلاً أعطاه كتاباً فإذا فيه مكتوب لا تؤثر الفاني على الباقي ولا تغتر بملكك فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم فسارع إلى أمر الله فإنه يقول: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فانتبه فزعاً وقال: هذا تنبيه من الله تعالى وموعظة وهدى ورحمة فتاب إلى الله واشتغل بالطاعة، قال المولى الجامي قدس سره:

هركه دل برعشوة كيتى نهاد ... بر حذر باش از غرور وجهل او
دامن أو كير كزهمت فشاند ... آستين بردنبى وبر اهل او

شرفنا الله وإياكم بالعصمة عن الهوى وبالتمسك بأسباب الهدى.

﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿والله أنزل من السماء﴾ إلى السحاب ومنه إلى الأرض ﴿ماء﴾ نوعاً خاصاً من الماء وهو المطر ﴿فأحيا به الأرض﴾ أي: أنبت بسبب المطر في الأرض أنواع النباتات ﴿بعد موتها﴾ أي: بعد يبسها شبه تهيج القوى النامية في الأرض وإحداث نضارتها بأنواع النباتات بالإحياء

وهو إعطاء الحياة وهي صفة تقتضي الحس والحركة وشبه يبوستها بعد نضارتها بالموت بعد الحياة وما يفيده الفاء من التعقيب العادي لا ينافيه ما بين المعطوفين من المهلة ﴿إن في ذلك﴾ أي: في إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض الميتة به ﴿لآية﴾ دالة على وحدته تعالى وعلمه وقدرته وحكمته إذ الأصنام وغيرها لا تقدر على شيء ﴿لقوم يسمعون﴾ هذا التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر فكأن من ليس كذلك أصم لا يسمع، وفي «المثنوي»:

چون سليمان سوى مرغان سبا ... يك صفيرى كرد آن جمله را
جزمكر مرغى كه بدبى جان وپر ... ياچو ماهى كنك بداز اصل كر
نى غلط كفتم كه كركر سرنهد ... پيش وحى كبريا سمعش دهد

وقال بعضهم:

﴿والله أنزل من السماء ماء﴾ قرآناً هو سبب حياة المؤمنين فأحيى به قلوب الميتة بالجهل ﴿إن في ذلك لآية لقوم يسمعون﴾ القرآن يسمع بسمع يسمع به كلام الله من الله فإن الله تعالى متكلم بكلام أزلي أبداً ولا يسمع كلامه إلا من أكرمه الله بسمع يسمع كلامه كقوله تعالى: ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم والحق تعالى تارة يتلو عليك الكتاب من الكبير الخارج وتارة يتلو عليك من نفسك فاسمع وتأهب لخطاب مولاك إليك في أي مقام كنت وتحفظ من الوقر والصمم فالصمم آفة تمنعك عن إدراك تلاوته عليك من الكتاب الكبير وهو الكتاب المعبر عنه بالفرقان والوقر آفة تمنعك من إدراك تلاوته عليك من نفسك المختصرة وهو الكتاب المعبر عنه بالقرآن إذ الإنسان محل الجمع لما تفرق في العالم الكبير وعلامة السامعين المتحققين في سماعهم انقيادهم إلى كل عمل مقرب إلى الله تعالى من جهة سماعه أعني من التكليف المتوجه على اوذن من أمر أو نهي كسماعه للعلم والذكر والثناء على الحق تعالى والموعظة الحسنة والقول الحسن. ومن علامته أيضاً التصامم عن سماع الغيبة والبهتان والسوء من القول والخوض في آية الله والرفث والجدال وسماع القينات وكل محرم حجر الشارع عليك سماعه قال الله تعالى: ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] فالكافر الخائض والمنافق الجليس له المستمع لخوضه كذلك من جالس الصديقين والعارفين في مجالسهم المطهرة وأنديتهم المقدسة فإنه شريك لهم في كل خير ينالون من الله تعالى وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام فيهم: «إنهم القوم لا يشقى بهم جليسهم» فالمرء مع من جالس في الدنيا بالطاعة والأدب الشرعي وفي الآخرة بالمعاينة والقرب المشهدي نسأل الله تعالى أن يجعلنا مع الصلحاء في الدنيا والآخرة إنه الفياض الوهاب.

﴿وإن لكم﴾ أيها الناس ﴿في الأنعام﴾ جمع نعم بالتحريك وهي الأنواع الأربعة التي هي الإبل والبقر والضأن والمعز. والمعنى بالفارسية: [در وجود چهار پايان] ﴿لعبرة﴾ دلالة يعبر بها من الجهل إلى العلم كأنه قيل: كيف العبرة؟ فقيل: ﴿نسقيكم﴾ [مى آشامانيم شمارا] قال الزجاج سقيته وأسقيته بمعنى واحد. وفي «الأسئلة المقحمة» يقال: أسقيته إذا جعلت له سقياً دائماً وسقيته إذا أعطيته شربه ﴿مما في بطونه﴾ من للتبعيض لأن اللبن بعض ما في بطونه والضمير يعود إلى بعض الأنعام وهو الإناث لأن اللبن لا يكون للكل أو إلى المذكور أي: في بطون ما ذكرنا قاله الكسائي. والمعنى بالفارسية [بعضى از آنچه كه در شكمهاى ذوات ألبانست ازجنس نعم] ﴿من بين فرث ودم لبنا﴾ من ابتدائية متعلقة بنسقيكم لأن بين الفرث والدم مبدأ

الإسقاء والفرث فضالة العلف في الكرش وثفله والكرش للحيوان بمنزلة المعدة للإنسان ﴿خالصا﴾ صافياً ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث ﴿سائغا﴾ بالفارسية [كوارنده] ﴿للشاربين﴾ أي: سهل المرور في حلقهم قيل: لم يغص أحد باللبن قط وليس في الطعام والشراب أنفع منه ألا يرى إلى قوله عليه السلام: «إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل: اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه وإذا شرب لبناً فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فإني لا أعلم شيئاً أنفع في الطعام والشراب منه». قال في «الكواشي»: المعنى خلق الله اللبن في مكان وسط بين الفرث والدم وذلك أن الكرش إذا طبخت العلف صار أسفله فرثاً وأوسطه لبناً خالصاً لا يشوبه شيء وإعلاء دماً وبينه وبينهما حاجز من قدرة الله لا يختلط أحدهما بالآخر بلون ولا طعم ولا رائحة مع شدة الاتصال ثم تسلط الكبد على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش ثم ينحدر، فإن قلت إن اللبن والدم لا يتوالدان في الكرش إذ البهائم إذا ذبحت لم يوجد في كرشها لبن ولا دم. قلت: المراد كان أسفله مادة الفرث وأوسطه مادة اللبن وأعلاه مادة الدم فالمنحدر إلى الضروع مادة اللبن لا مادة الدم وقول بعضهم: إن الدم ينحدر إلى الضروع فيصير لبناً ببرودة الضرع بدليل أن الضرع إذا كانت فيه آفة يخرج منه الدم مكان اللبن مدفوع بأنه يجوز أن يتلون اللبن بلون الدم بسبب الآفة وهو اللائح بالبال ومن بلاغات الزمخشري.

كما يحدث بين الخبيثين ابن لا يؤبن الفرث والدم يخرج منهما اللبن

أي: كما أن اللبن الطيب الطاهر يخرج من بين الخبيثين اللذين هما الفرث والدم بحيث لا يشوبه شيء من أوصافهما مع كمال الاتصال والاكتناف كذلك يخرج الابن الطيب الطاهر الذي لا يعاب بشيء أصلاً من بين الأبوين الخبيثين بحيث لا يوجد فيه شيء من أوصافهما الخبيثة:

مى زغوره شود شكر ازنى عسل ازنحل حاصلست بقى

مكوزنهار اصل عود چوبست به بين دودش چه مستثنى وخوبست

- وسئل - شقيق عن الإخلاص فقال: تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم [در قوت القلوب فرموده كه تمامى نعمت بخلوص لبن است يعني اكر دروى يكى از وصفين فرث ودم باشد تمام نعمت نبود وطبع اورا قبول نكند همچنين معامله بندكان باحق بايدكه خالص بود اكر بشوب فرث رياودم هوا آميخته كردد از خلوص دور واز نظر قبول مهجور خواهد بود زيرا كه ريا در عمل شرك خفيست وصفاى عمل بسبب شوب هوا منتفى در ريا نظر بردم است ودر هوا برغرض خود وبر هروجه عمل خالى از آلود كى نيست]:

طاعت آلوده نيايد بكار مشك جكر سوده نيايد بكار

هركه ز آلود كى افتاد پاك پيش نظرها نبود تا بناك

وفي الآية إشارة إلى اعتبار العاقل فيما سقاه الله مما في بطون أنعام النفوس فإنها كالأنعام من بين فرث الخواطر الشيطاني ودم الخواطر النفساني لبناً خالصاً من الإلهام الرباني جائزاً لأهل هذا الشرب على الصراط المستقيم من غير تلعثم كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب﴾ [ومى آشامانيم شمارا از كونه ميوهاوى درختان خرما

ودرختان انكورها] ونسقيكم أيها الناس من عصيرها ونطعمكم ثم بين كنه الاسقاء والإطعام وكشفه بقوله: ﴿تتخذون منه﴾ أي: من عصيرها ﴿سكرا﴾ قال في «القاموس»: السكر محركة الخمر ونبيذ يتخذ من التمر. فالآية سابقة على تحريم الخمر دالة على كراهتها حيث قوبل السكر بالرزق الحسن ومقابل الحسن لا يكون حسناً ﴿ورزقاً حسنا﴾ كالتمر والدبس والزبيب والرب والخل وفي الحديث «خير خلكم خل خمركم». قال في «الروضة» خطب المأمون بمرو فسعل الناس فنادى بهم ألا من كان له سعال فليتداوى بشرب خل الخمر ففعلوا فانقطع سعالهم. قال بعضهم: انظر إلى الأخبار عن نعمة اللبن ونعمة السكر والرزق الحسن لما كان اللبن لا يحتاج إلى معالجة من الناس أخبر عن نفسه بقوله: ﴿نسقيكم﴾ ولما كان السكر والرزق الحسن يحتاج إلى معالجة قال: ﴿تتخذون﴾ فأخبر عنهم باتخاذهم منه السكر والرزق الحسن ﴿إن في ذلك﴾ الإسقاء ﴿لآية﴾ باهرة ﴿لقوم يعقلون﴾ يستعملون عقولهم في الآيات بالنظر والتأمل.

وفي «التأويلات النجمية»: ومن ثمرات نخيل الطاعات وأعناب المجاهدات تتخذون من ثمرات الطاعات والمجاهدات وهي المكاشفات والمشاهدات ووقائع أرباب الطلب وأحوالهم العجيبة سكراً ورزقاً حسناً السكر ما يجعل منها شرب النفس فتسكر النفس فتارة تميل عن الحق والصراط المستقيم ميلان السكران وتارة تظهر رعوناتها بالأفعال والأقوال رياء وسمعة وشهرة والرزق الحسن ما يكون منها شرب القلب والروح فيزداد منه الشوق والمحبة والصدق والطلب كما قال بعضهم:

شربت الحب كأساً بعد كأس ... فما نفد الشراب وما رويت

وقالوا:

سقاني شربة أحيى فؤادي ... بكأس الحب من بحر الوداد

إن في ذلك الاعتبار لدلالة لقوم يدركون بالعقل إشارات الحق ويفهمونها انتهى ما في «التأويلات». قال أهل التحقيق: العقل شجرة ثمرها العلم والحلم فشرف الثمر دال على شرف المثمر وصاحب العقل في قومه كالنبي في أمته. قال بعض العلماء: قسم العقل بألفي جزء: ألف للأنبياء والرسل والملائكة وتسعمائة وتسعة وتسعون جزءاً لمحمد ﷺ ومن الواحد أربعة دوانق للعلماء ودانق لعامة الرجال ونصف دانق للنساء ونصف لأهل القرى والرساتيق. والدانق بفتح النون وكسرها سدس الدرهم. قال حكيم العمر في الدنيا قليل والحسرة في الآخرة طويلة والعبد بعمل نفسه في الآخرة إما عزيز وإما ذليل. فعلى كل عاقل واجب أن يجتهد في إصلاح نفسه قبل أن يأتيه اليقين ويأخذ إشارة من كل رطب ويابس وغث وسمين ويصحو من سكر الغفلة والهوى ويشرب من مشرب التيقظ والهدى، وفي «المثنوي»:

عقل جزؤى را وزير خود مكير ... عقل كل را ساز اي سلطان وزير

كين هواپر حرص وحالى بين بود ... عقل را انديشه يوم الدين بود

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وأوحى ربك﴾ يا محمد ﴿إلى النحل﴾ هو ذباب العسل وزنبوره أي: ألهمها وقذف في قلوبها وعلمها بوجه لا يعلمه إلا هو مثل قوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة: ٥] والوحي يقع على كل تنبيه خفي والله تعالى ألهم كل حيوان أن يلتمس منافعه ويجتنب مضاره وقد ألهم الله الغراب أن يبحث في الأرض ليرى قابيل كيف يواري سوءة أخيه هابيل، كما في «المثنوي»:

پس بچنكال اززمين انكيخت كرد زود زاغ مرده را در كور كرد
دفن كردش پس بپوشيدش بخاك زاغ از الهام حق يد علمناك

قال الزجاج: سميت نحلاً لأن الله تعالى نحل الناس العسل الذي يخرج منها إذ النحلة العطية وكفاها شرفاً قول الله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ وكل ذباب في النار إلا ذباب العسل. قال في عجائب المخلوقات: يقال ليوم عيد الفطر يوم الرحمة وفيه أوحى ربك إلى النحل صنعة العسل. قال في «حياة الحيوان»: يحرم أكل النحل وإن كان العسل حلالاً كالآدمية لبنها حلال ولحمها حرام ويكره قتلها وأما بيعها في الكوارة فصحيح أن يشاهد جميعها وإلا فهو بيع غائب فإن باعها وهي ظاهرة. ففي «التتمة» يصح. وفي «التهذيب» عكسه. وقال أبو حنيفة: لا يصح بيع النحل كالزنبور وسائر الحشرات ويجوز بيع دود القز من الذي يصنع به ﴿أن اتخذي﴾ لنفسك أي: بأن اتخذي فإن مصدرية وصيغة التأنيث لأن النحل يذكر ويؤنث ﴿من الجبال﴾ [ازشكاف كوهها] ﴿بيوتاً﴾ [خانه هاى مسدس] أي: مساكن تأوي إليها وسمي ما تبنيه لتعسل فيه بيتاً تشبيهاً ببناء الإنسان لما في بيوته المسدسة المتساوية بلا بركار ومسطر من الحذاقة وحسن الصنعة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين إلا بآلات وأنظار دقيقة واختارت المسدس لأنه أوسع من المثلث والمربع والمخمس ولا يبقى بينها فرج خالية كما تبقى بين المدورات وما سواها من المضلعات ومن للتبعيض لأنها لا تبنى في كل جبل وكذا قوله: ﴿ومن الشجر﴾ لأنها لا تبنى في كل شجر. والمعنى بالفارسية [وازميان درختان نيز خانه كيريد يعنى در بعضى شجر جاى كنيد در جانب كوه وفتى كه مالكى وصاحبي نداشته باشد] وكذا في قوله: ﴿ومما يعرشون﴾ لأنها لا تبنى في كل ما يعرشه الناس أي: يرفعه من الأماكن لتعسل فيها وهذا إذا كان لملاك. وقال بعضهم ومما يعرشون من كرم أو سقف أو جدران أو غير ذلك ولما كان أهم شيء للحيوان بعد الراحة من هم المقيل إلا كل ثنى به ولما كان عاماً في كل ثمر ذكره بحرف التراخي إشارة إلى عجيب الصنع في ذلك وتيسره لها فقال:

﴿ثم كلي﴾ وأشار إلى كثرة الرزق بقوله: ﴿من كل الثمرات﴾ فهو للتكثير كقوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] أو من كل الثمرات المشتهاة عندك من حلوها وحامضها ومرها وغير ذلك فهو عام مخصوص بالعادة ﴿فاسلكي﴾ جواب شرط محذوف أي: فإذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فادخلي. ﴿سبل ربك﴾ في الجبال وفي خلال الشجر أي: طرق ربك التي ألهمك وعرفك الرجوع فيها إلى مكانك من الخلية بعد بعدك عنها حال كون السبل ﴿ذللا﴾ جمع ذلول أي: موطأة للسلوك مسهلة وذلك أنها إذا أجدب عليها ما حولها سافرت إلى المواضع البعيدة في طلب النجعة ثم ترجع إلى بيوتها من غير التباس وانحراف وأشار باسم الرب إلى أنه لولا عظيم إحسانه في تربيتها لما اهتدت إلى ذلك وهذا كما يقال في القطا وهو طائر معروف يضرب به المثل في الهداية ويقال: «أهدى من قطاة»

وذلك أنه يترك فراخه ثم يطلب الماء من مسيرة عشرة أيام وأكثر فيرده فيما بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ثم يرجع فلا يخطي لا صادراً ولا وارداً أي: ذهاباً وإياباً كذا في «شرح الشفاء» ثم اتبعه نتيجة ذلك جواباً لمن قال ماذا يكون من هذا كله فقال: ﴿**يخرج من بطونها**﴾ أي: بطون النحل بالقيء ﴿**شراب**﴾ أي: عسل لأنه مشروب وذلك أن النحل تأكل الأجزاء اللطيفة الطلية الحلوة الواقعة على أوراق الأشجار والأزهار وتمص من الثمرات الرطبة والأشياء العطرة ثم تقيء في بيوتها ادخاراً للشتاء فينعقد عسلاً بإذن الله تعالى وإلى هذا أشار ظهير الفاريابي بقوله:

بدان طمع كه دهن خوش كنى زغايت حرص
نشسته مترصد كه قى كند زنبور

وأما قول علي رضي الله عنه في تحقير الدنيا أشرف الناس ابن آدم فيها لعاب دودة وأشرف شرابه رجيع نحلة فوارد على طريق القبيح وإن كان العسل في نفسه مما يستلذ ويستطاب على أن إطلاق الرجيع عليه إنما هو لكونه مما يحويه البطن. وفي «حياة الحيوان» قد جمع الله تعالى في النحلة السم والعسل دليلاً على كمال قدرته وأخرج منها العسل ممزوجاً بالشمع وكذلك عمل المؤمن ممزوج بالخوف والرجاء وهي تأكل من كل الشجر ولا يخرج منها إلا حلو إذ لا يغيرها اختلاف مآكلها والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، وفي «المثنوي»:

اين كه كرمناست وبالاميرود ... وحيش از زنبور كى كمتر بود
چونكه اوحى الرب إلى النحل آمدست ... خانة وحيش پراز حلوا شدست
او بنور وحى حق عز وجل ... كرد عالم را پراز شمع وعسل

وللعسل أسماء كثيرة. منها الحافظ الأمين لأنه يحفظ ما يودع فيه فيحفظ الميت أبداً واللحم ثلاثة أشهر والفاكهة ستة أشهر وكل ما أسرع إليه الفساد إذا وضع في العسل طالت مدة مقامه وكان عليه السلام يحب الحلواء والعسل. قال العلماء: المراد بالحلواء هٰهنا كل حلو وذكر العسل بعدها تنبيهاً على شرفه ومزيته وهو من باب ذكر الخاص بعد العام وفيه جواز أكل لذيذ الأطعمة والطيبات من الرزق وأن ذلك لا ينافي الزهد والمراقبة لا سيما إذا حصل إنفاق وفي الحديث «أول نعمة ترفع من الأرض العسل». وقال علي رضي الله عنه: إنما الدنيا ستة أشياء: مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم. فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب. وأشرف المشروبات الماء يستوي فيه البر والفاجر. وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة. وأشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال. وأشرف المشمومات المسك وهو دم حيوان. وأشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال ﴿**مختلف ألوانه**﴾ من أبيض وأخضر وأصفر وأسود بسبب اختلاف سن النحل فالأبيض يلقيه شباب النحل والأصفر كهولها والأحمر شيبها وقد يكون الاختلاف بسبب اختلاف لون النور. قال حكيم يونان لتلامذته كونوا كالنحل في الخلايا وهي بيوتها قالوا: وكيف النحل في خلاياها؟ قال: إنها لا تترك عندها بطالاً إلا نفته وأقصته عن الخلية لأنه يضيق المكان ويفنى العسل وإنما يعمل النشيط لا الكسل. وعن ابن عمر رضي الله عنهما مثل المؤمن كالنحلة تأكل طيباً وتصنع طيباً ووجه المشابهة بينهما حذق النحل وفطنته وقلة أذاه ومنفعته وتنزهه عن الأقذار وطيب أكله وأنه لا يأكل من كسب غيره وطاعته وأن للنحل آفات تقطعه عن عمله منها الظلمة والغيم والريح

والدخان والماء والنار وكذلك المؤمن له آفات تغيره عن عمله ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام وماء السفه ونار الجوى ﴿فيه﴾ أي: في الشراب وهو العسل ﴿شفاء للناس﴾ أي: شفاء الأوجاع التي يعرف شفاؤها منه يعني أنه من جملة الأشفية المشهورة النافعة لأمراض الناس وليس المراد أنه شفاء لكل مرض كما قال في «حياة الحيوان»، قوله: ﴿فيه شفاء للناس﴾ لا يقتضي العموم لكل علة وفي كل إنسان لأنه نكرة في سياق الإثبات بل المراد أنه يشفي كما يشفي غيره من الأدوية في حال دون حال وكان ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم يحملانه على العموم. قال البيضاوي: ﴿فيه شفاء للناس﴾ إما بنفسه كما في الأمراض البلغمية أو مع غيره كما في سائر الأمراض إذ قلما يكون معجون إلا والعسل جزء منه وأما السكر فمختص به بعض البلاد وهو محدث ولم يكن فيما تقدم من الأزمان يجعل في الأشربة والأدوية إلا العسل.

ـ روي ـ أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي قد اشتكى بطنه فقال: «اسقه عسلاً» فسقاه عسلاً فما زاده إلا استطلاقاً فعاد إلى النبي عليه الصلاة والسلام فذكر له ذلك فقال: «اسقه عسلاً» فسقاه ثانياً فما زاده إلا استطلاقاً ثم رجع فقال: يا رسول الله سقيته فما نفع فقال: «اذهب فاسقه عسلاً فقد صدق الله وكذب بطن أخيك» فسقاه فشفاه الله فبرىء كأنما انشط من عقال وفي الحديث «إن الله جعل الشفاء في أربعة الحبة السوداء والحجامة والعسل وماء السماء» وجاء رجل إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وشكا له سوء الحفظ فقال: أترجع إلى أهل قال: نعم فقال: قل لها تعطيك من مهرها درهمين عن طيب نفس فاشتر بهما لبناً وعسلاً واشربهما مع شربة من ماء المطر على الريق ترزق حفظاً. فسئل الحسن بن الفضل عن هذا فقال: أخذه من قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ [ق: ٩] وفي اللبن ﴿خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦] وفي العسل ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩] وفي المهر ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤] فإذا اجتمعت البركة والشفاء والهنيء والمريء والخالص السائغ فلا عجب أن ينفع.

ـ وروي ـ عن عوف بن مالك أنه مرض فقال: ائتوني بماء فإن الله تعالى قال: ﴿وأنزلنا من السماء ماء مباركا﴾ ثم قال: ائتوني بعسل وقرأ الآية ثم قال: ائتوني بزيت من شجرة مباركة فخلط الجميع ثم شربه فشفي، وكان بعضهم يكتحل بالعسل ويتداوى به من كل سقم وإذا خلط العسل الذي لم يصبه ماء ولا نار ولا دخان بشيء من المسك واكتحل به نفع من نزول الماء في العين والتلطخ به يقتل القمل. والمطبوخ منه نافع للسموم ولعقه علاج لعضة الكلب. قال إمام الأولياء محمد بن علي الترمذي قدس سره: إنما كان العسل شفاء للناس لأن النحل ذلت لله مطيعة وأكلت من كل الثمرات حلوها ومرها محبوبها ومكروهها تاركة لشهواتها فلما ذلت لأمر الله صار هذا الأكل كله لله فصار ذلك شفاء للأسقام. فكذلك إذا ذل العبد لله مطيعاً وترك هواه صار كلامه شفاء للقلوب السقيمة انتهى. وفي العسل ثلاثة أشياء: الشفاء والحلاوة واللين. وكذلك المؤمن قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] ويخرج من الشاب خلاف ما خرج من الكهل والشيخ كذلك حال المقتصد والسابق. وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء من كل داء أي: في الأبدان والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل:

ريح اكر بسيار شد كى غم خورم   چون شفاوى جان بيمارم تويى

﴿إن في ذلك﴾ أي: في أمر نحل العسل ﴿لآية﴾ حجة ظاهرة دالة على القدرة الربانية ﴿لقوم يتفكرون﴾ أي: للذين تفكروا فعلموا أن النحلة على صغر جسمها وضعف خلقتها لا تهتدي لصنعة العسل بنفسها فإن ذلك بصانع صنعها خالف بينها وبين غيرها من الحشرات الطائرة فاستدل بذلك على خالق واحد قادر لا شريك له ولا شبيه. قال الكاشفي: ﴿لقوم يتفكرون﴾ [مركر وهى راكه تفكر كنند در اختصاص بصنايع دقيقه وأمور رقيقه وهر آينه اينها بوجود نكيرد الااز الهام توانايي ودانايي كه چندين حكمت درجانوري ضعيف وديعت نهد انقيادي دارند كه ازراه فرمان منحرف نشوند امانتى كه ميوه تلخ خورند وعسل شيرين بازدهند ورعى كه جز پاك وپاكيزه نخورند طاعتى كه هركز خلاف فرمان نكنند تمكنى كه فرسنكها بروندوباز با وطن خود رجوع نمايند طهارتي كه هركز برقازورات ننشينند وازان نخورند وصناعتى كه اكر همه بنايان عالم جميع شوند همچو خانهاى مسدس ايشان نتوانند ساخت پس همچنانچه ازعسل ايشان شفاى الم ظاهر حاصل شود ازتفكر احوال ايشان شفاء مرض باطن كه جهلست دست دهد]:

فكر دلرانيك وهم نمكين كند كام جانرا چون عسل شيرين كند
شربت فكر اربكام جان رسد چاشنىء آن بماند تا ابد

قال القشيري رحمه الله: إن الله تعالى أجرى سنته أن يخفي كل عزيز في شيء حقير جعل الابريسم في الدود وهو أصغر الحيوانات وأضعفها والعسل في النحل وهو أضعف الطيور وجعل الدر في الصدف وهو اوحش حيوان من حيوانات البحر وأودع الذهب والفضة والفيروزج في الحجر وكذلك أودع المعرفة والمحبة في قلوب المؤمنين وفيهم من يخطىء وفيهم من يعصي ومنهم من يعرف ومنهم من يجعل أمره:

كسى راكه نزديك ظنت بداوست ندانى كه صاحب ولايت هم اوست

قال في «التأويلات النجمية»: في الآية إشارة إلى أن تصرف كل حيوان في الأشياء مع كثرتها واختلاف أنواعها إنما هو بتعريف الله تعالى إياه وإلهامه على قانون حكمته وإرادته القديمة لا من طبعه وهواه. وإنما خص النحل بالوحي وهو الإلهام والرشد من بين سائر الحيوانات لأنها أشبه شيء بالإنسان لا سيما بأهل السلوك فإن من دأبهم وهجيراهم أن يتخذوا من الجبال بيوتاً اعتزالاً عن الخلق وتبتلاً إلى الله تعالى كما كان حال النبي ﷺ حيث كان يتحنث إلى حراء أسبوعاً وأسبوعين وشهراً وإن من شأنهم النظافة في الموضع والملبوس والمأكول كذلك النحل من نظافتها تضع ما في بطنها على الحجر الصافي أو على خشب نظيف لئلا يخالطه طين أو تراب ولا تقعد على جيفة ولا على نجاسة احترازاً عن التلوث كما يحترز الإنسان عنه وثمرات البدن الأعمال الصالحة وثمرات النفوس الرياضات والمجاهدات ومخالفات الهوى وثمرات القلوب ترك الدنيا وطلب العقبى والتوجه إلى حضرة المولى وثمرات الأسرار شواهد الحق والتطلع على الغيوب والتقرب إلى الله فهذه كلها أغذية الأرواح والله تعالى قال للنحل ﴿كلي من كل الثمرات﴾ وقال مثله للسالكين ﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون: ٥١] ﴿والله﴾ المحيط بكل شيء علماً وقدرة ﴿خلقكم﴾ أوجدكم وأخرجكم من العدم إلى الوجود. وبالفارسية [ازظلمت آبادنا بود بصحراى انوار وجود آورد] ﴿ثم يتوفاكم﴾ أي: يقبض أرواحكم على اختلاف الأسنان صبياناً وشباناً وكهولاً فلا يقدر الصغير على أن يؤخر ولا

الكبير على أن يقدم فمنكم من يموت حال قوته ﴿ومنكم من يرد﴾ قبل توفيه أي: يعاد ﴿إلى أرذل العمر﴾ أخسه وأحقره وهو الهرم والخرف الذي يعود فيه كهيئته الأولى في أوان طفوليته ضعيف البنية ناقص القوة والعقل قليل الفهم وليس له حد معلوم في الحقيقة لأنه رب ابن ستين انتهى إلى أرذل العمر ورب ابن مائة لم يرد إليه. وقال قتادة: إذا بلغ تسعين سنة يتعطل عن العمل والتصرف والاكتساب والحج والغزو ونحوها ولذا دعا محمد بن علي الواسطي لنفسه فقال:

يا رب لا تحيني إلى زمن أكون فيه كلاً على أحد

خذ بيدي قبل أن أقول لمن ألقاه عند القيام خذ بيدي

وسأل الحجاج شيخاً كيف طعمك؟ قال: إذا أكلت ثقلت وإذا تركت ضعفت فقال: كيف نومك؟ قال: أنام في المجمع وأسهر في المهجع فقال: كيف قيامك وقعودك؟ قال: إذا قعدت تباعدت عني الأرض وإذا قمت لزمتني فقال: كيف مشيك؟ قال: تعقلني الشعرة وتعثرني البعرة ﴿لكي لا يعلم بعد علم شيئا﴾ ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولية في سوء الفهم والنسيان وأن يعلم شيئاً ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه إن سئل عنه فمؤدى الكلام لينسى ما يعلم وهو يستلزم أن لا يعلم زيادة علم على علمه لأنه إذا كان حاله بحيث ينسى ما علم فكيف يزيد علمه واللام في لكي هي لام كي دخلت على كي للتأكيد وهي متعلقة بيرد. وقال بعضهم: اللام جارة وكي حرف مصدري كأن وشيئاً مفعول لا يعلم. ﴿إن الله عليم﴾ بمقادير أعماركم. قال الكاشفي: [داناست وجهل بردانايى او طارى نشود]. ﴿قدير﴾ [تواناست وعجز برتوانايى اوراه نيايد] أي: قدير على كل شيء يميت الشاب النشيط ويبقى الهرم الفاني، قال الشيخ سعدي قدس سره:

اى بسا است تيزروكه بماند كه خرلنك جان بمنزل برد

پس كه درخاك تن درستانرا دفن كردند وزخم خورده نمرد

وفيه تنبيه على أن تفاوت الآجال ليس إلا بتقدير قادر حكيم ركب أبنيتهم وعدّل أمزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ. قالوا: أسنان الإنسان سبعة أطوار: طور الطفولية إلى سبع سنين. ثم الصبي إلى أربع عشرة سنة. ثم الشباب إلى اثنتين وثلاثين سنة، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة، ثم الهرم إلى منتهى العمر. وفي «الإرشاد»: ضبطوا مراتب العمر في أربع: الأولى سن النشو والنماء، والثانية سن الوقوف وهي سن الشباب، والثالثة سن الانحطاط القليل وهي سن الكهولة، والرابعة سن الانحطاط الكثير وهي سن الشيخوخة ولا عمر أسوأ حالاً من عمر الهرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل والقوة وعند إخلاله لا يوجد له شفاء ولا يمنعه دواء وكان رسول الله ﷺ يدعو «أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات». قال بعضهم: حكم الهرم إنما يظهر في حق الكافر لأن المسلم يزداد عقله لصلاحه في طول عمره كرامة له وفي الحديث «من قرأ القرآن لم يردّ إلى أرذل العمر» وكذا من يتدبره ويعمل به كما في «تفسير العيون». يقول الفقير: لا شك أن الجنون والعته ونحوهما من صفات النقصان فالله تعالى لا يبتلي كامل الإنسان أنبياء وأولياء فالمراد بقولهم: إن العلماء لا يعرض لهم العته وإن بلغوا إلى أرذل العمر علماء الآخرة والعلماء بالله لا مطلق العلماء كما لا يخفى إذ قد شاهدنا من علماء

زماننا من صار حاله إلى حال الطفولية ثم إن أرذل العمر وإن كان أشد الأزمان وأصعبها لكنه أوان المغفرة ورفعة الدرجة وفي الحديث: «إذا بلغ المرء ثمانين سنة أثبتت حسناته ومحيت سيآته وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله ذنبه ما تقدم منه وما تأخر وكان أسير الله في الأرض وشفيعاً لأهل بيته يوم القيامة».

ـ روي ـ أن رجلاً قال للنبي عليه الصلاة والسلام: أصابني فقر فقال: «لعلك مشيت أمام شيخ» وأول من شاب من ولد آدم إبراهيم عليه السلام فقال: يا رب ما هذا؟ قال: هذا نوري فقال: رب زدني من نورك ووقارك وكان الرجل في القرون الأولى لا يحتلم حتى يأتي عليه ثمانون سنة. وعن وهب أن أصغر من مات من ولد آدم ابن مائتي سنة. قال بعض المشايخ: هذه الأمة وإن كانت أعمارهم قصاراً قليلة لكن أمدادهم كثيرة وهم ينالون في زمن قصير ما ناله الأقدمون في مدة طويلة من المرتبة وهذا فضل من الله تعالى. قال حكيم: إن خير نصفي عمر الرجل آخره يذهب جهله ويثوب حلمه ويجتمع رأيه وشرّ نصفي عمر المرأة آخره يسوء خلقها ويحد لسانها ويعقم رحمها وفي الحديث «خير شبابكم من تشبه بكهولكم وشر كهولكم من تشبه بشبابكم». يقول الفقير: هذا يشمل التشبه بأنواعه في الأقوال والأحوال والأفعال والقيام والقعود واللباس ونحوها فالصوفي شيخ في المعنى لأن مراده الفناء عن الأوصاف كلها فينبغي له أن يلبس لباس الكهول وإن كان شاباً وفي الحديث: «من أتى عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار». قال يحيى بن معاذ رحمه الله: مقدار عمرك في جنب عيش الآخرة كنفس واحد فإذا ضيعت نفسك فخسرت الأبد إنك لمن الخاسرين. وفي الآية إشارة إلى الفناء والبقاء فالمتوفى هو الفاني عن إثبات وجوده والمردود هو الباقي بوجود موجد وجوده وقوله: ﴿**لكي لا يعلم بعد علم شيئا**﴾ أي: ليكون عاقبة أمره أن لا يعلم بعد فناء علمه شيئاً بعلمه بل يعلم بربه الأشياء كما هي كما في «التأويلات النجمية».

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿**والله**﴾ تعالى وحده ﴿**فضل بعضكم على بعض في الرزق**﴾ أي: جعلكم متفاوتين فيه فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم مالك ومنكم مملوك. والرزق ما يسوقه الله تعالى إلى الحيوان من المطعومات والمشروبات. وفيه تنبيه على أن غنى المكثر ليس من كياسته ووفور عقله وكثرة سعيه ولا فقر المقل من بلادته ونقصان عقله وقلة سعيه بل من الله تعالى ليس إلا:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

قال الحافظ:

سكندر را نمى بخشند آبى ... بزور وزر ميسر نيست اين كار

قال ابن الشيخ: وهذا التفاوت غير مختص بالمال بل هو واقع في الذكاء والبلادة والرشد والدناءة والحسن والقباحة والصحة والسقامة وغير ذلك:

كنج زر كرنبود كنج قناعت باقيست ... آنكه آن داد بشاهان بكدايان اين داد

وفي «التأويلات النجمية»: فضل الله الأرواح على القلوب في رزق المكاشفات والمشاهدات بعد الفناء والرد إلى البقاء. وفضل القلوب على النفوس في رزق الزهد والورع

والتقوى والصدق واليقين والإيمان والتوكل والتسليم والرضى. وفضل النفوس على الأبدان في رزق التزكية ومقاساة شدائد المجاهدات والصبر على المصائب والبلايا وحمل أعباء الشريعة بإشارات الطريقة وتبديل الأخلاق الذميمة بالحميدة وفضل أبدان المؤمنين على أبدان الكافرين في رزق الأعمال التي هي أركان الشريعة وقراءة القرآن والذكر باللسان مشرفة بإخلاص بالجنان ﴿فما الذين فضلوا﴾ أي: فليس الموالي الذين فضلوا في الرزق على المماليك ﴿برادي رزقهم﴾ أي: بمعطي رزقهم الذي رزقهم إياه أصله رادين سقط النون للإضافة ﴿على ما ملكت أيمانهم﴾ على مماليكهم الذين هم شركاؤهم في المخلوقية والمرزوقية ﴿فهم﴾ أي الملاك والمماليك ﴿فيه﴾ في الرزق ﴿سواء﴾ في الفاء دلالة على ترتب التساوي على الرد أي: لا يردون عليهم رداً مستتبعاً للتساوي في التصرف والتشارك في التدبير وإنما يردون عليهم منه شيئاً يسيراً والحاصل أنهم لا يجعلون ما رزقناهم من الأموال وغيرها شركة بينهم وبين مماليكهم بحيث لا يرضون بمساواة مماليكهم لأنفسهم وهم أمثالهم في البشرية والمخلوقية فما بالهم كيف جعلوا مماليكه تعالى ومخلوقه شركاء له مع كمال علوه فأين التراب ورب الأرباب. وهذا كما ترى مثل ضرب لكمال قباحة ما فعله المشركون تقريعاً عليهم وكانوا يقولون في التلبية لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك. ﴿أفبنعمة الله يجحدون﴾ الفاء للعطف على مقدر وهي داخلة في المعنى على الفعل والجحود الإنكار والباء لتضمينه معنى الكفر والمعنى أبعد علمهم بأن الرزاق هو الله تعالى يشركون به فيجحدون نعمته فإن الإشراك يقتضي أن يضيفوا نعم الله الفائضة عليهم إلى شركائهم وينكروا كونها من عند الله تعالى فالله تعالى يدعو عباده بهذه الآية إلى التوحيد ونفى الشرك حتى يتخلصوا من الشرك والظلمات ويتشرفوا بالتوحيد الخالص والأنوار العاليات. فعلى العبد الطاعة والسعي إلى تحصيل الرضوان والعرفان وإنما الرزق على المولى الكريم المنان. ومن الكلمات التي نقلها كعب الأحبار عن التوراة «يا ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وقسمت رزقك فلا تتعب وفي أكثر منه لا تطمع ومن أقل منه لا تجزع فإن أنت رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك وكنت عندي محموداً وإن كنت لم ترض به وعزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البر ولا ينالك منها إلا ما قسمته لك وكنت عندي مذموماً. يا ابن آدم خلقت لك السموات والأرضين. ولم أعي بخلقهن أيعييني رغيف أسوقه إليك من غير تعب. يا ابن آدم أنا لك محب فبحبي عليك كن لي محباً. يا ابن آم لا تطالبني برزق غد كما لا أطالبك بعمل غد فإني لم أنس من عصاني فكيف من أطاعني».

واعلم أن عباد الله في باب الرزق على وجوه: منهم من جعل رزقه في الطلب فمن جعل رزقه في الطلب فعليه بكسب الحلال الطيب كعمل اليد مثلاً، ومنهم من جعل رزقه في القناعة وهي في اللغة الرضى بالقسمة وفي اصطلاح أهل الحقيقة هي السكون عند عدم المألوفات، ومنهم من جعل رزقه في التوكل وهو الثقة بما عند الله واليأس مما في أيدي الناس، ومنهم من جعل رزقه في المشاهدة والمجاهدة كما قال ﷺ: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» وهو إشارة إلى المشاهدة وقال: «جعل رزقي تحت ظل رمحي» وهو إشارة إلى المجاهدة فعلى العاقل المجاهدة والعبادة لله تعالى خالصاً لا لأجل تنعم النفس في الجنة والخلاص من النار فإنها معلولة والمعبود في الحقيقة هو الثواب والعقاب ولذا قال في «المثنوي»:

هشت جنت هفت دوزخ پيش من هست پيدا همچوبت پيش وثن

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿والله﴾ تعالى وحده ﴿جعل لكم من أنفسكم﴾ من جنسكم ﴿أزواجاً﴾ نساء لتأنسوا بها وتقيموا بذلك جميع مصالحكم ويكون أولادكم أمثالكم. ومن هنا أخذ بعض العلماء أنه يمتنع أن يتزوج المرء امرأة من الجن إذ لا مجانسة بينهما فلا مناكحة وأكثرهم على إمكانه ويدل عليه أن أحد أبوي بلقيس كان جنياً. قال ابن الكلبي كان أبوها من عظماء الملوك فتزوج امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس وفيه حكايات أخر في «آكام المرجان». فإن قيل: غلبة عنصر النار في الجن تمنع من أن تتكون النطفة الإنسانية في رحم الجنية لما فيها من الرطوبات فتضمحل ثمة لشدة الحرارة النيرانية وقس عليه نكاح الجنى الإنسية. قلت: إنهم وإن خلقوا من نار فليسوا بباقين على عنصرهم الناري بل قد استحالوا عنه بالأكل والشرب والتوالد والتناسل كما استحال بنو آدم عن عنصرهم الترابي بذلك على أن الذي خلق من نار هو أبو الجن كما خلق آدم أبو الإنس من تراب وأما كل واحد من الجن غير أبيهم فليس مخلوقاً من النار كما أن كل واحد من بني آدم ليس مخلوقاً من تراب. وذكروا أيضاً جواز المناكحة بين الإنسان وإنسان الماء كما قال في «حياة الحيوان» أن في بحر الشام في بعض الأوقات من شكله شكل إنسان وله لحية بيضاء يسمونه شيخ البحر فإذا رآه الناس استبشروا بالخصب.

ـ وحكي ـ أن بعض الملوك حمل إليه إنسان ماء فأراد الملك أن يعرف حاله فزوجه امرأة فأتاه منها ولد يفهم كلام أبويه فقيل للولد ما يقول أبوك: قال: يقول أذناب الحيوان كلها في أسفلها فما بال هؤلاء أذنابهم في وجوههم. وذكروا أيضاً بنات الماء ومناكحة الإنسان إياهن وتولد الأولاد منهن ﴿وجعل لكم من أزواجكم﴾ أي: جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره ﴿بنين﴾ [فرزندان] ﴿وحفدة﴾ جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت: وإليك نسعى ونحفد أي: جعل لكم خدماً يسرعون في خدمتكم وطاعتكم ويعينونكم كأولاد الأولاد ونحوهم. يقول الفقير: حمل الحفدة على البنات كما فعله البعض بناء على أنهن يخدمنه في البيوت أتم خدمة ضعيف لأن الخطاب لكون السورة مكية مع المشركين وهم كانوا تسودّ وجوههم حين الاخبار بالبنات فلا يناسب مقام الامتنان حملها عليهن ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ من اللذائذ كالعسل ونحوه ومن للتبعيض لأن كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا إلا أنموذج منها. يقول الفقير المقصود الطيبات المنفهمة بحسب العرف وهي طيبات البلدة والناحية والإقليم لا الطيبات المشتملة عليها الدنيا والجنة فكل الطيبات مرزوق بها العباد ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ الفاء في المعنى داخلة على الفعل وهي للعطف على مقدر أي: أيكفرون بالله الذي شأنه هذا فيؤمنون بالباطل وهو أن الأصنام تنفعهم وأن البحائر ونحوها حرام ﴿وبنعمة الله هم يكفرون﴾ حيث يضيفونها إلى الأصنام أو المراد بالباطل الأصنام وما يفضي إلى الشرك وبنعمة الله الإسلام والقرآن وما فيه من التوحيد والأحكام. والباطل عند أهل الحقيقة قسمان: باطل حقيقي وهو ما لا تحقق ولا وجود ولا ثبوت له بأن لم يقع التجلي الإلهي في عالمه أصلاً وقسم باطل مجازي وهو التعينات الموجودة كلها أما بطلانه فلكونه عدماً في نفسه «ألا

كل شيء ما خلا الله باطل» وأما مجازيته فلكونه مجلى ومرآة للوجود الإضافي والحق المجازي والمؤمن بالباطل مطلقاً كافر بالله تعالى.

سالك پاك رو نخوانندش آنكه از ما سوى منزه نيست

﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا﴾ الرزق مصدر وشيئاً نصب على المفعولية منه والمراد من الموصول الآلهة أي: ما لا يقدر على أن يرزق منهم شيئاً لا من السموات مطراً ولا من الأرض نباتاً ﴿ولا يستطيعون﴾ أن يملكوه إذ لا استطاعة لهم أصلاً لأنهم جماد.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ أي: فلا تشبهوا الله بشيء من خلقه وتشركوا به فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال وقصة بقصة والله تعالى واحد حقيقي لا شبه له أزلاً وأبداً.

در تصور ذات اورا كنج كو تا در آيد در تصور مثل او

قال في «الإرشاد» أي: لا تشبهوا بشأنه تعالى شأناً من الشؤون واللام مثلها في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ﴾ [التحريم: ١٠] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم: ١١] لا مثلها في قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ [يس: ١٣] ونظائره ﴿إن الله يعلم﴾ كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فالله تعالى هو العالم بالخطأ والصواب ومن خطأ الإنسان عبادته الدنيا والهوى وطلب المقاصد من المخلوقين وجعلهم أمثال الله وليس في الوجود مؤثر إلا الله تعالى فهو المقصود ومنه الوصول إليه. وعن النبي ﷺ: «إن الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار وأن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم» وذلك لأن الله تعالى ليس له زمان ولا مكان وإن كان الزمان والمكان مملوءين من نوره فأهل السماء والأرض في طلبه سواء. وقال موسى عليه السلام: أين أجدك يا رب؟ قال: يا موسى إذا قصدت إليّ فقد وصلت إليّ أشار تعالى إلى أن القاصد واصل بغير زمان ومكان وإنما الكلام في القصد الوجداني الجمعي والميل الكلي لأن من طلب وجدّ وجد ومن قرع الباب ولجّ ولج والباب هو باب القلب فإن منه يدخل المرء بيت المعرفة الإلهية ثم يصل إلى صدر المشاهدة الربانية فيحصل الأنس والحضور والذوق والصفاء ويرتفع الهيبة والحيرة والوحشة والغفلة والكدر والجفاء اللهم اجعلنا من الواصلين آمين.

﴿ضرب الله مثلا﴾ ضرب المثل تشبيه حال بحال وقصة بقصة أي: ذكر وأورد شيئاً يستدل به على تباين الحال بين جنابه وبين ما أشركوا به وليس المراد حكاية ضرب الماضي بل المراد إنشاؤه بما ذكر عقيبه ﴿عبداً مملوكاً﴾ بدل من مثلاً وتفسير له والمثل في الحقيقة حالته العارضة له من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلاً ووصفه بالمملوكية ليخرج عنه الحر لاشتراكهما في كونهما عبداً لله تعالى ﴿لا يقدر على شيء﴾ وصفه بعدم القدرة لتمييزه عن المكاتب والمأذون اللذين لهما تصرف في الجملة ﴿ومن رزقناه﴾ من موصوفة معطوفة على

عبداً كأنه قيل وحراً رزقناه بطريق الملك ليطابق عبداً ﴿منا﴾ من جانبنا الكبير المتعال ﴿رزقاً حسناً﴾ حلالاً طيباً أو مستحسناً عند الله مرضياً. قال الكاشفي: [روزى نيكو يعني بسيار وبى مزاحم كه درو تصرف تواند كرد] ﴿فهو﴾ [پس اين مرزوق] ﴿ينفق منه﴾ أي: من ذلك الرزق الحسن ﴿سرا وجهرا﴾ أي: حال السر والجهر وقدم السر على الجهر للإيذان بفضله عليه. قال الكاشفي: [پنهان وآشكارا يعني هر نوع كه ميخواهد خرج ميكند وازكس نميترسد] ﴿هل يستوون﴾ جمع الضمير للإيذان بأن المراد مما ذكر من اتصف بالأوصاف المذكورة من الجنسين المذكورين لا فردان متعينان منهما. والمعنى بالفارسية: [آيا برابرند يعني مساوى نباشند بندكان بى اختيار باخواجكان صاحب اقتدار پس چون مملوك عاجز بامالك قادر متصرف برابر نيست پس بنان كه اعجز مخلوقاتند شريك قادر على الاطلاق چكونه توانند بود]:

راه تـو بـنـور لا يـزالـى ... از شـرك وشـريـك هـردو خـالـى
آن بـنـده كـه عـاجـزست ومـحـتـاج ... كـى راه بـرد بـصـاحـب تـاج

ما للتراب ورب الأرباب [صاحب كشف المحجوب آورده كه روزى بخلوت شيخ أبو العباس شيباني در آمدم ويرا ديدم كه اين آيت ميخواندو ميكريست ونعره مى زدپنداشتم كه ازدنيا بخواهد رفت كفتم أي شيخ اين چه حالتست فرمودكه يازده سال ميكذرد تاورد من اينجار سيده است وازينجادر نميتوانم كذشت آرى حدوث درقدم نميتواندر سيدو ممكن ازكنه واجب خبر نتوانددداد]:

نـيـسـت بـاهـسـت چـون زنـد پـهـلـو ... قـطـره بـابـحـر چـون كـنـد دعـوى

﴿الحمد لله﴾ اعتراض أي: كل الحمد لله تعالى لأنه معطي جميع النعم وإن ظهرت على أيدي بعض الوسائط وليس شيء من الحمد للأصنام لعدم استحقاقها إياه فضلاً عن العباد ﴿بل أكثرهم﴾ [بلكه اكثر مشركان. يعني همه ايشان] ﴿لا يعلمون﴾ ذلك فيضيفون نعمه تعالى إلى غيره ويعبدونه لأجلها. وفي «الإرشاد» نفي العلم عن أكثرهم للإشعار بأن بعضهم يعلمون ذلك وإنما لا يعلمون بموجبه عناداً كقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل: ٨٣].

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾

﴿وضرب الله مثلا﴾ آخر يدل على ما يدل عليه المثل السابق على أوضح وجه وأظهره ﴿رجلين﴾. قال في «الكواشي»: تقديره مثلاً مثل رجلين فمثلاً الأول مفعول والثاني بدل منه أو بيان فحذف الثاني وأقيم مقامه رجلين. ﴿أحدهما أبكم﴾ وهو من ولد أخرس ولا بد أن يكون أصم كما قال الكاشفي: [وبى شبهه كنك مادر زاد نشود] ﴿لا يقدر على شيء﴾ من الأشياء المتعلقة بنفسه أو بغيره بحدس أو فراسة لقلة فهمه وسوء إدراكه ﴿وهو كل على مولاه﴾ ثقل وعيال على من يعوله ويلي أمره وهذا بيان لعدم قدرته على إقامة مصالح نفسه بعد ذكر

عدم قدرته على شيء مطلقاً ﴿أينما يوجهه﴾ أي حيث يرسله مولاه في أمره وكفاية مهم وهو بيان لعدم قدرته على إقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة ﴿لا يأت بخير﴾ [باز نيامد به نيكويى يعني كارى نسازد وكفايتى نكند لا يفهم ولا يفهم] ﴿هل يستوي هو﴾ [آيا برابر باشد اين ابكم] مع ما فيه من الأوصاف المذكورة ﴿ومن يأمر بالعدل﴾ أي: من هو منطيق فهم ذو رأي وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لجميع الفضائل والمكارم وهذا كسحبان وباقل فإن سحبان كان رجلاً فصيحاً بليغاً متكلماً بحيث لا يقطع الكلام ولو سرده يوماً وليلة ولا يكرر ولو اقتضى الحال فبعبارة أخرى ولا يتنحنح وان باقلاً كان رجلاً اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً فسئل عن شرائه ففتح كفيه وأخرج لسانه يشير إلى ثمنه فانفلت الظبي فضرب به المثل في العي ﴿وهو﴾ في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام للخاص والعام ﴿على صراط مستقيم﴾ [برراهى راستست وسيرتى درست وطريقه پسنديده كه بهر مطلب كه توجه نمايد زود بمقصد ومقصود رسد پس چنانكه بجاهل مساوى اين كامل فاضل نيست پس بتان بي اعتبار را مساوات باحضرت پروردكار جل شانه نباشد]. وقال الإمام السهيلي في كتاب «التعريف والإعلام فيما أبهم من القرآن»: أن الأبكم هو أبو جهل واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. والذي يأمره بالعدل عمار بن ياسر العنسي وعنس بالنون حي من مدلج وكان حليفاً لبني مخزوم رهط أبي جهل وكان أبو جهل يعذبه على الإسلام ويعذب أمه سمية وكانت مولاة لأبي جهل وقال لها ذات يوم: إنما آمنت بمحمد لأنك تحبينه لجماله ثم طعنها بالرمح في فيها فماتت فكانت أول شهيدة في الإسلام. وفي الآية إشارة إلى أن النفس الأمارة لا تقدر على شيء من الخير لأن من شأنها متابعة هواها ومخالفة مولاها وأن الروح من شأنه أن يأمر النفس بطاعة الله وحسن عبوديته كما أن النفس تأمر الروح بمعاصي الله وعبودية هواها فالتوفيق في جانب الروح وأعداء المؤمن ثلاثة: النفس، والشيطان، والدنيا، فحارب النفس بالمخالفة وحارب الشيطان بالذكر وحارب الدنيا بالقناعة. وعن حكيم نفسك لصك فاحفظها وهي عدوك فجاهدها كذا في «الخالصة».

﴿ولله﴾ تعالى خاصة لا لأحد غيره استقلالاً ولا إشراكاً وكان كفار قريش يستعجلون وقوع القيامة استهزاء فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿غيب السموات والأرض﴾ أي: علم ما غاب فيهما عن العباد. قال في «الإرشاد»: فيه إشعار بأن علمه سبحانه حضوري فإن تحقق الغيوب في أنفسها علم بالنسبة إليه تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب السموات والأرض ﴿وما أمر الساعة﴾ الساعة اسم لوقت تقوم فيه القيامة سمي بها لأنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم أي: وما شأن قيام القيامة التي هي من الغيوب في سرعة المجيء ﴿إلا كلمح البصر﴾ اللمح النظر بسرعة أي: كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها. يعني: [آوردن خداي تعالى مر قيامت را آسانترست ازآنكه شما ديده برهم زنيد] ﴿أو هو﴾ أي: بل أمرها فيما ذكر من السرعة والسهولة ﴿أقرب﴾ من لمح البصر وأسرع زماناً. قال الكاشفي: [أقرب نزديكتراست چه لمح بصر دو فعل است وضع جفن ورفع آن وإيقاع قيامت باحياء موتى يك فعل پس ممكن است ووقوع آن در نصف زمان اين حركت] وأو ليست للشك بل للتخيير أي: تخيير المخاطبين بين أن يشبهوا أمر قيامها بلمح البصر وأن يقولوا هو أقرب وإنما ضرب به المثل لأنه لا يعرف زمان أقل منه ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لأن بعض

المقدورات. يعني: [تواند احياء خلائق دفعة چنانچه قادراست بر احياء ايشان بر سبيل تدريج پس از ابتداء ظهور ايشان خبر داد تاااز مبدأ وبر معاد استدلال كنند].

واعلم أنهم قالوا: [كرچه قيامت دير آمد ولى مى آمد] يعني هو دانٍ عند الله تعالى وإن كان بعيداً عندنا فلا بد من التهييء له. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: متى الساعة؟ قال عليه السلام: «ما أعددت لها؟» قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله فقال: «أنت مع من أحببت» وشرط كون المرء مع من أحب أن يشترك معه في الدين ويتحد ومن مقتضاه إتيان المأمورات وترك المحظورات فإن المحبة الكاملة لا تحصل إلا به فمن خالف أمر الله تعالى وأمر نبيه فقد فارقهما فكيف يحبهما مع البينونة؟ قال الشيخ سعدي قدس سره:

نظر دوست نادر كند سوى تو چودر روى دشمن بودروى تو
ندانى كه كمتر نهد دوست پاي چوبيندكه دشمن بود درسراى

ثم اعلم أن رجوع النفس إلى ربها يكون بإماتتها عن أوصافها وإحيائها بصفات الله والإماتة تكون بتجلي صفة الجلال والإحياء بتجلي صفة الجمال فإذا تجلى الله لعبد لا يبقى له زمان ولا مكان إذ هو فان عن وجوده باق ببقاء الحق إن الله على كل شيء من المواهب التي يعزبها أولياءه قدير وإن لم يفهم الأغبياء بعقولهم كيفية تلك المعارف والكمالات بل العقلاء بعقولهم السليمة بمعزل من إدراك تلك الحقائق وذلك لأنها خارجة عن طور العقل.

سيل ضعيف واصل دريا نميشود

والتجليات ثلاثة: الأول: التجلي العلمي وأهله من أصحاب البرازخ لا يصح أن يكون مرشداً إلا تقليداً. والثاني: التجلي العيني. والثالث: التجلي الحقي وأهلهما من أرباب اليقين والوصول من شأنهم إرشاد الناس في جميع المراتب أي: في مرتبة الطبيعة والنفس والقلب والروح والطريقة والمعرفة والحقيقة وهم أهل البصيرة الذين أشير إليهم في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨] فعليك بالاقتداء بهم دون غيرهم. فإن قلت ما الفرق بين أهل التجلي الثاني والثالث؟ قلت إنهما بعد اشتراكهما في أن كلاً منهما قطب إرشاد يتميز الثالث بالقطبية الكبرى التي هي أعلى المناصب.

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿**والله**﴾ تعالى وحده ﴿**أخرجكم من بطون أمهاتكم**﴾ جمع الأم زيدت الهاء فيها كما زيدت في الإهراق من أراق ﴿**لا تعلمون شيئاً**﴾ أي: حال كونكم غير عالمين شيئاً أصلاً من أمور الدنيا والآخرة ولا مما كانت أرواحكم تعلم في عالم الأرواح ولا مما كانت ذراتكم تعلم من فهم خطاب ربكم إذ قال: ألست بربكم ولا مما علمت إذ قالت بالجواب بلى ولا مما تعلم الحيوانات حين ولادتها من طلب غذائها ومعرفة أمها والرجوع إليها والاهتداء إلى ضروعها وطريق تحصيل اللبن منها ومشيها خلفها وغير ذلك مما تعلم الحيوانات وتهتدي إليه ولا يعلم الطفل منه شيئاً ولا يهتدي إليه قال الشيخ سعدي قدس سره:

مر غك از بيضه برون آيدوروزى طلبد آدمى بچه ندارد خبر وعقل وتميز

﴿وجعل لكم السمع﴾ قدمه على البصر لما أنه طريق تلقى الوحي ولذا ابتلي بعض الأنبياء بالعمى دون الصمم أو لأن إدراكه أقدم من إدراك البصر ألا ترى أن الوليد يتأخر انفتاح عينيه عن السمع وإفراده باعتبار كونه مصدراً في الأصل ﴿والأبصار﴾ جمع بصر وهي محركة حس العين ﴿والأفئدة﴾ جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدر وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة. قال في «بحر العلوم»: استعملت في هذه الآية وفي سائر آيات وردت فيها في الكثرة لأن الخطاب في جعل لكم وأنشأ لكم عام. والمعنى جعل لكم هذه الأشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة بأن تحسوا بمشاعركم جزئيات الأشياء وتدركوها بأفئدتكم وتتنبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرر الإحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية.

واعلم أن قوله: ﴿وجعل﴾ عطف على أخرجكم وليس فيه دلالة على تأخر الجعل المذكور عند الإخراج لما أن مدلول الواو هو الجمع مطلقاً لا الترتيب على أن أثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الإخراج كما في «الإرشاد». والتحقيق أن لله تعالى صفات سبعاً مرتبة وهي الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام وإذا قلب الكلام يصير كمالاً فآخر الكمال الكلام كما أن أول الكمال الكلام لأن أول التعينات الإلهية هي الهوية الذاتية وآخرها الكلام مطلقاً وعلى هذا يدور الأمر في المظهر الإنساني ألا ترى أن أول ما يبدو في الجنين حس السمع ثم البصر ثم الكلام ولذا حرم تزوج الحبلى من النكاح اتفاقاً ومن الزنى اختلافاً لما قال عليه السلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر لا يسقين ماءه زرع غيره». فإن قيل فم الرحم منسد بالحبل فكيف يوجد سقي الزرع. قلنا قد جاء في الخبر «إن سمع الحمل وبصره يزداد حدة بالوطء» فظهر أن آخر ما يظهر بعد الولادة هو الكلام ومقتضى مقام الامتنان أن هذه القوى إنما تظهر آثارها بعد الإخراج من بطون الأمهات وهذا لا ينافي حصولها قبله بالقوة القريبة من الفعل ﴿لعلكم تشكرون﴾ إرادة أن تشكروا هذه الآلات وشكرها استعمالها فيما خلقت لأجله من استماع كلام الله وأحاديث رسول الله وحكم أوليائه وما ليس فيه ارتكاب منهي ومن النظر إلى آيات الله والاستدلال بها على وجوده ووحدته وعلمه وقدرته فمن استعملها في غير ما خلقت له فقد كفر جلائل نعم الله تعالى وخان في أماناته، قال الشيخ السعدي قدس سره:

كذر كاه قرآن وپندست كوش ... به بهتان وباطل شنيدن مكوش
دوچشم ازپى صنع بارى نكوست ... زعيب برادر فرو كيرو دوست

وقال الصائب:

ترابكو هردل كرده اند امانتدار ... زدزد امانت حق را نكاهدار مخسب

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ لأجسادكم كما جعل للحيوانات لتسمعوا بها وتبصروا وتفهموا ما يسمع الحيوان ويبصر ويفهم وجعل لأرواحكم سمعاً تسمعون به ما تسمع الملائكة وبصراً تبصرون به ما تبصر الملائكة وفؤاداً تفهمون به ما تفهم الملائكة وجعل لأسراركم سمعاً تسمعون بالله وبصراً تبصرون بالله وفؤاداً تعرفون بالله وهذه الحواس مستفادة من قوله تعالى: «كنت له سمعاً وبصراً ولساناً فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق» ﴿لعلكم تشكرون﴾ بهذه الآلات نعم الله وأداء شكر نعم الله باستعمالها وصرفها في طلب الله وترك الالتفات إلى النعم بل للمنعم. وفي الآية إشارة أخرى والله أخرجكم من بطون

أمهاتكم أي: من العدم وهو الأم الحقيقي لا تعلمون شيئاً قبل أن يعلمكم الله أسماء كل شيء وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة حين خاطبكم بقوله: ألست بربكم فتجلى لكم بربوبيته فبنور سمعه أعطاكم لساناً تجيبونه بقولكم بلى لعلكم تشكرون فلا تسمعون بهذا السمع إلا كلامه ولا تبصرون بهذا البصر إلا جماله ولا تحبون بهذا الفؤاد إلا ذاته ولا تكلمون بهذا اللسان إلا معه.

﴿ألم يروا إلى الطير﴾ تقرير لمن ينظر إليهن وتعجيب من شأنهن. والطير جمع طائر أي: ألم ينظروا إليها ليستدلوا بها على قدرة الله تعالى ﴿مسخرات﴾ مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المساعدة له. وفيه مبالغة من حيث إن التسخير جعل الشيء منقاداً للآخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر والفلك والدواب للإنسان والواقع هنا تسخير الهواء للطير لتطير فيه كيف تشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله للطيران. وفيه تنبيه على أن الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى وكذا إحراق النار وإهلاك البرد ليسا بذاتهما بل بتأثير الله تعالى وعلى هذا ﴿في جو السماء﴾ في الهواء غير متباعد من الأرض وإضافته إلى السماء لما أنه في جانبها من الناظر. قال في «القاموس» الجو الهواء ﴿ما يمسكهن﴾ في الجو عن السقوط حين قبض أجنحتهن وبسطها ووقوفهن ﴿إلا الله﴾ بقدرته الواسعة وتدبيره لهن من الريوش الكبار والصغار فإن ثقل جسدها ورقة قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها تمسكها والهواء للطائر كالماء للسابح فهو يقبض يديه ويبسطها ولا يغرق مع ثقل جسده ورقة الماء وأعجب من ذلك وأدل فيه على القدرة الباهرة تعشيش بعض الطير في الهواء. ومن أخبار الرشيد أنه خرج يوماً للصيد فأرسل بازاً أشهب فلم يزل يعلو حتى غاب في الهواء ثم رجع بعد اليأس منه ومعه سمكة فأحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل: يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضي الله عنهما أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق فيه دواب بيض تفرخ فيه شيئاً على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذات ريش فأجاز مقاتلاً على ذلك وأكرمه. ومن ذلك الطير الأبابيل التي رمت أصحاب الفيل بحجارة من سجيل وهي الطير السود على هيئة الخطاطيف. ومن ذلك ما يقال له بالفارسية [هما] فإنه من سكان الهواء يبيض ويفرخ فيه وليس له رجل وهو في جثة العقعق إلا أنه سكري اللون ويوجد جسده بعد وفاته في صحارى الهند. ومن عجائب الطيور الرخ بالضم وهو طير في جزائر الصين يكون جناحه الواحد عشرة آلاف باع. قال في «القاموس»: هو طائر كبير يحمل الكركدان انتهى. وكان وصل إلى المغرب رجل من التجار ممن سافر في بحر الصين وألقتهم الريح إلى جزيرة عظيمة فخرج إليها أهل السفينة ليأخذوا الماء والحطب فرأوا قبة عظيمة أعلى من مائة ذراع لها لمعان وبريق فعجبوا منها فلما دنوا منها إذا هي بيضة الرخ فجعلوا يضربونها بالخشب والفؤوس والحجارة حتى انشقت عن فرخ كأنه جبل فتعلقوا بريش جناحه فجروه فنفض جناحه فبقيت هذه الريشة معهم خرج أصلها من جناحه ولم يكمل بعد خلقه فقتلوه وحملوا ما قدروا عليه من لحمه فلما طلعت الشمس إذ الرخ قد أقبل في الهواء كالسحابة العظيمة في رجله قطعة حجر كالبيت العظيم أكبر من السفينة فلما حاذى السفينة ألقى ذلك الحجر بسرعة فوقع الحجر في البحر وسبقت السفينة ونجاهم الله تعالى بفضله ورحمته كذا في «حياة الحيوان». ﴿إن في ذلك﴾ الذي ذكر من تسخير الطير للطيران بأن

خلقها خلقة يمكن معها الطيران بأن جعل لها أجنحة خفيفة وأذناباً كذلك وخلق الجوّ بحيث يمكن الطيران فيه وإمساكها في الهواء على خلاف طباعها ﴿لآيات﴾ [نشانها ظاهرست] ﴿لقوم يؤمنون﴾ أي: من شأنهم أن يؤمنوا وإنما خص ذلك بهم لأنهم المنتفعون به حيث يطيرون في هواء المعرفة بجناح التفكر فيما ذكر ويصلون إلى وكر الكرامة.

فكر ازين خانه فرازت كشد سوى سرا پرده رازت كشد

وفي «المثنوي»:

كر بينى ميل خود سوى سبا پر دولت بركشا همچون هما
وربيني ميل خود سوى زمين نوحه ميكن هيچ منشين ازحنين

وفي الحديث: «كونوا في الدنيا أضيافاً واتخذوا المساجد بيوتاً وعودوا قلوبكم الرقة وأكثروا من التفكر والبكاء ولا يختلفن بكم الأهواء». وعن محمد بن عبد الله أنه قال: الفكرة على خمسة أوجه: فكرة في آيات الله يتولد منها المعرفة. وفكرة في آلاء الله ونعمائه يتولد منها المحبة. وفكرة في وعد الله وثوابه يتولد منها الرغبة. وفكرة في وعد الله وعقابه يتولد منها الرهبة. وفكرة في جفاء النفوس بجنب إحسان الله إليها يتولد منها الحياء والندم.

وفي الآية إشارة إلى أن طير الأرواح مسخرة في جو سماء القلوب لا يمسكهن إلا الله لأن الأرواح علويات وإنما سكونها في سفل الأجساد بتسخير الله إياها كقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] وقوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥﴾ [التين: ٥] وهذا كسلطان نزل في خراب بحسب الاقتضاء وإلا فشأنه أعلى من ذلك وجاهه أرفع منه كما لا يخفى.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝٨٠﴾

﴿والله جعل لكم من بيوتكم﴾ المعهودة التي تبنونها من الحجر والمدر وهو تبيين لذلك المجعول المبهم في الجملة ﴿سكناً﴾ فعل بمعنى مفعول أي: موضعاً تسكنون فيه وقت إقامتكم. وبالفارسية [آرامكاهى]. قال في «الكواشي»: كل ما يسكن إليه أو فيه سكن بمعنى مسكن. وفي «الواقعات المحمودية» للسلوك شروط ثلاثة: الزمان، والمكان، والأخوان. أما الأولان فلأنه لا بد من خلو الزمان عن الفترة وكذا المكان. وأما الإخوان فلتدارك حوائج السالك لئلا يتقيد بها فلا بد من الشرائط المذكورة لدوام السلوك واستمراره من غير انقطاع انتهى. والظاهر أن المكان أقدم للسلوك ثم الزمان ثم الإخوان ثم صفاء الخاطر. وفي «الأسرار المحمدية»: الغرض في المسكن دفع المطر والبرد وأقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو من الفضول والاقتصار على الأقل والأدنى يمكن في الديار الحارة أما في البلاد الباردة في غلبة البرد ونفوذه من الجدران الضعيفة حتى كاد يهلك أو يمرض فالبناء بالطين وأحكامه لا يخرجه عن حد الزاهدين وكذا في أيام الصيف عند اشتداد الحر واستضرار أولاده بالبيت الشتوي السفلي لعدم نفوذ الهواء البارد فيه ومن البراغيث في الليل المزعجات عن النوم وأنواع الحشرات فيه فلا يجوز حملهم على الزهد بأن يتركهم على هذه الحال بل عليه أن يبني لهم صيفياً علوياً لما روينا عن النبي عليه الصلاة والسلام: «من بنى بنياناً في غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غراساً في غير ظلم ولا اعتداء كان له أجراً جارياً ما انتفع به أحد من خلق الرحمٰن»

انتهى. وكتب بهلول على حائط من حيطان قصر عظيم بناه أخوه الخليفة هارون الرشيد يا هارون رفعت الطين ووضعت الدين رفعت الجص ووضعت النص إن كان من مالك فقد أسرفت إن الله لا يحب المسرفين وإن كان من مال غيرك ظلمت إن الله لا يحب الظالمين ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام﴾ [از پوست چهار پايان] جمع نعم بالفتح وهو مخصوص بالأنواع الأربعة التي هي الإبل والبقر والغنم والمعز ﴿بيوتا﴾ أخر مغايرة لبيوتكم المعهودة وهي الخيام والقباب والأخبية والفساطيط من الأنطاع والأدم. ﴿تستخفونها﴾ تجدونها خفيفة يخف عليكم نقضها وحملها ونقلها ﴿يوم ظعنكم﴾ أي: وقت ترحلكم وسفركم ﴿ويوم إقامتكم﴾ وقت نزولكم في الضرب والبناء. ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها﴾ جمع صوف ووبر وشعر والكنايات راجعة إلى الأنعام أي: وجعل لكم من أصواف الضأن وأوبار الإبل وأشعار المعز ﴿أثاثا﴾ أي: متاع البيت مما يلبس ويفرش ﴿ومتاعا﴾ أي: شيئاً يمتع به بفنون التمتع ﴿إلى حين﴾ إلى مدة من الزمان فإنها لصلابتها تبقى مدة مديدة. قال الجاحظ: اتفقوا على أن الضأن أفضل من المعز بدليل الأضحية ويفضل المعز على الضأن لغزارة اللبن وثخانة الجلد وما نقص من ألية المعز يزيد في شحمه ولذلك قالوا زيادة المعز في بطنه ولما خلق الله جلد الضأن رقيقاً غزر صوفه ولما خلق الله جلد المعز ثخيناً قل شعره كذا في «حياة الحيوان» فالله تعالى خلق هذه الأنعام للانتفاع بجلودها ولحومها وأصوافها وأوبارها وأشعارها ولا يجوز الانتفاع بشحوم الميتة. وعن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح وهو بمكة: «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام» فقيل: يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال: «لا هو حرام» والاستصباح [چراغ فراكرفتن] وكما أن هذه الحيوانات وما يتبعها ينتفع بها الإنسان في سفره وحضره فكذا القوى الحيوانية والحواس الخمس ينتفع بها السالك في السير إلى الله فإنها مطية وفي وقت الوقفة للاستراحة والتربية فإنها مما لا بد منه لكونها من الأسباب المعينة، قال الكمال الخجندي:

باكرم روى واقف اين راه چنين كفت   آهسته كه اين ره بدويدن نتوان يافت

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿والله جعل لكم مما خلق﴾ من غير صنع من قبلكم ﴿ظلالا﴾ جمع ظل وهو ما يستظل به أي: أشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه بذلك لما أن تلك الديار غالبة الحرارة ﴿وجعل لكم من الجبال أكنانا﴾ [پوششها] جمع كن وهو ما يستكن فيه أي: مواضع تستكنون فيها من الكهوف والغيران والسروب. قال عطاء: إنما أنزل القرآن على قدر معرفتهم ألا ترى أنه تعالى قال: ﴿وجعل لكم من الجبال أكنانا﴾ وما جعل من السهولة أعظم منه ولكنهم كانوا أصحاب جبال ﴿وجعل لكم سرابيل﴾ جمع سربال وهو كل ما يلبس أي: جعل لكم ثياباً من القطن والكتان والصوف وغيرها ﴿تقيكم الحر﴾ [نكاه ميدارد

شمارا ازضرر كرما] ولم يذكر البرد لدلالته عليه لأنه نقيضه أو لأن وقايته هي الأهم عندهم لكون البرد يسيراً محتملاً بخلاف الديار الرومية فإنها غالبة البرودة ولذا قيل: الحر يؤذي الرجل والبرد يقتله. قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره برد الربيع غير مضر لكن هذا في ديار العرب فإن في برد تلك الديار اعتدالاً بخلاف ديارنا وفي الحديث «اغتنموا برد الربيع فإنه يعمل بأبدانكم كما يعمل بأشجاركم واجتنبوا برد الخريف فإنه يعمل بأبدانكم كما يعمل بأشجاركم»، وفي «المثنوي»:

آن خزان نزد خدا نفس وهواست | عقل وجان عين بهارست وبقاست
مر ترا عقلست جزؤى درنهان | كامل العقلى بجو اندر جهان
جزؤ تو از كل اوكلى شود | عقل كل بر نفس چون غلى شود
پس بتأويل اين بود كانفاس پاك | چون بهارست وحيات برك تاك
از حديث اوليا ترم ودرشت | تن مپوشان زانكه دينت راست پشت
كرم كويد سرد كويد خوش بكير | تاز كرم وسرد بجهى وازسعير
كرم وسردش نوبهار زند كيست | ماية صدق ويقين بند كيست
زانكه زان بستان جانها زنده است | زين جواهر بحردل آكنده است

﴿وسرابيل﴾ ودروعاً من الحديد ﴿تقيكم بأسكم﴾ أي: البأس والألم الذي يصل إلى بعضكم من بعض في الحرب من الضرب والطعن. والبأس الشدة في الحرب والقتل والجراحة كما في «التبيان» وأول من عمل الدرع داود عليه السلام فإن الله تعالى ألان له الحديد كالشمع كما قال: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبا: ١٠] وصحب لقمان داود شهوراً وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما أتمها لبسها وقال: نعم لبس الحرب أنت.

چو لقمان ديد كاندر دست داود | همى آهن بمعجز موم كردد
نه پرسيدش چه ميسازى كه دانست | كه بى پر سيدنش معلوم كردد

﴿كذلك﴾ كإتمام هذه النعم التي تقدمت ﴿يتم نعمته عليكم﴾ يا معشر قريش ﴿لعلكم تسلمون﴾ الإسلام هٰهنا بمعنى الاستسلام والانقياد وضع موضع سببه وهو تنظرون وتتفكرون أي إرادة أن تنظروا فيما أسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة والأنفسية والآفاقية فتعرفوا حق منعهما فتؤمنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا لأمره.

﴿فإن تولوا﴾ فعل ماض أي: فإن أعرضوا عن الإسلام ولم يقبلوا منك ما ألقى إليهم من البينات والعبر والعظات وفي صيغة التفعل إشارة إلى أن الفطرة الأولى داعية إلى الإقبال على الله والإعراض لا يكون إلا بنوع تكلف ومعالجة ﴿فإنما عليك البلاغ المبين﴾ أي: فلا قصور من جهتك لأن وظيفتك هي البلاغ الموضح أو الواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع المسبب عكس لعلكم تسلمون، قال الشيخ سعدي قدس سره:

ما نصيحت بجاى خود كرديم | روزكارى درين بسر برديم
كر نيايد بكوش رغبت كس | بر رسولان پيام باشد وبس

وقال:

بكوى آنچه دانى سخن سودمند | وكر هيچ كس را نيايد پسند
كه فردا پشيمان بر آرد خروش | كه اوخ چراحق نكردم بكوش

﴿يعرفون﴾ أي: بعض المشركين ﴿نعمة الله﴾ المعدودة في هذه السورة ويعترفون أنها من الله ﴿ثم ينكرونها﴾ بأفعالهم حيث يعبدون غير منعمها أو بقولهم إنها بشفاعة آلهتنا أو بسبب كذا ومعنى ثم استبعاد الإنكار بعد حصول المعرفة ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ أي: المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿يعرفون نعمة الله﴾ بتعريفك ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ بك وبنعمة الله إظهاراً للقهر فمن وصل إليه النعمة من يد أحد فلا بد من الشكر فإنه الواسطة وإلا فقد تعرض لحرمان كثير من النعم الإلهية.

چو بيابى تو نعمتي درچند خرد باشد چو نقطه موهوم
شكر آن يافته فرو مكذار كه زنا يافته شوى محروم

قال السري السقطي قدس سره: الشكر على ثلاثة أوجه: شكر القلب، وشكر البدن، وشكر اللسان. فشكر القلب أن يعرف العبد أن النعم كلها من الله تعالى. وشكر البدن أن لا يستعمل جارحة من جوارحه إلا في طاعة الله. وشكر اللسان دوام حمد الله.

- وروي - أن عيسى عليه السلام مرّ بغني فأخذ بيده فذهب به إلى فقير فقال: هذا أخوك في الإسلام وقد فضلك الله عليه بالسعة فاشكر لله على ذلك ثم أخذ بيد الفقير فذهب به إلى مريض فقال: إن كنت فقيراً فلست بمريض ما كنت تصنع لو كنت فقيراً مريضاً فاشكر لله ثم ذهب بالمريض إلى كافر فقال: ما كنت تصنع لو كنت فقيراً مريضاً كافراً فاشكر لله فهداهم إلى الشكر بطريق المشاهدة ومقابلة حالهم بحال من سواهم ونبههم من الغفلة ليقبلوا على الشكر ويحترزوا عن الكفران.

واعلم أن الكفر بالله أشد من الكفر بنعمة الله لأن الأول لا يفارق الثاني بخلاف العكس لأن بعض الكفرة قد يكفر بنعمة الله ولا يكفر بالله فيجمع بين الإيمان بالله والكفر بنعمته ولذا قال الله تعالى عبارة ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦] وكنى إشارة عن أنه ما يؤمن أقلهم بالله إلا وهم موحدون وهم المؤمنون حقاً وصدقاً فأولئك هم المخلصون المفلحون.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿ويوم نبعث﴾ أي: اذكر يا أفضل الرسل يوم نحشر وهو يوم القيامة ﴿من كل أمة﴾ [ازميان هر كروهى] ﴿شهيدا﴾ نبياً يشهد لهم بالإيمان والطاعة وعليهم بالكفر والعصيان ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ في الاعتذار إذ لا عذر لهم. والعذر في الأصل تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه بأن يقول لم أفعل أو فعلت لأجل كذا أو فعلت ولا أعود، وثم للدلالة على أن ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبىء عن الإقناط الكلي وهو عندما يقال لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون أشد من ابتلائهم بشهادة الأنبياء عليهم السلام فهي للتراخي الرتبي ﴿ولا هم يستعتبون﴾ يسترضون أي: لا يقال لهم ارضوا ربكم ولا يطلب منهم ما يوجب العتبى وهي الرضى وذلك لأن الرضى إنما يكون بالإيمان والعمل الصالح والآخرة دار الجزاء لا دار العمل والتكليف

والدنيا مزرعة الآخرة فكل بذر فسد في الأرض وبطل استعداده لقبول التربية ولم يتم أمر نباته إذا حصد وحصل في البيدر لا يفيده أسباب التربية لتغيير أحواله فالأرواح بذور في أرض الأشباح ومربيها ومنبتها وثمرها أعمال الشريعة بشرط الإيمان ومفسدها ومبطلها ومغيرها عن أحوالها الكفر وأعمال الطبيعة والموت حصادها والقيامة بيدرها، قال الحافظ:

كـاری كـنـيـم ورنـه خـجـالـت بـر آورد روزيكه رخت جان بجهان دكر كشيم

﴿وإذا رأى الذين ظلموا﴾ كفروا ﴿العذاب﴾ الذي يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم صاحوا وطلبوا من مالك تخفيف العذاب ﴿فلا يخفف عنهم﴾ ذلك العذاب بعد الدخول ﴿ولا هم ينظرون﴾ أي: لا يمهلون قبله ليستريحوا [أي زمانى ايشانرا مهلت ندهند وبى عذاب نكذارند] فكل من وضع الكفر وأعمال الطبيعة موضع الإيمان وأعمال الشريعة فلا يخفف عنه أثقال الأخلاق الذميمة ولا يؤخر لتبديل مذمومها بمحمودها.

﴿وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم﴾ أوثانهم التي عبدوها ﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا﴾ أي: آلهتنا التي جعلناها شركاء ﴿الذين كنا ندعو من دونك﴾ أي: نعبدهم متجاوزين عبادتك وهو اعتراف بأنهم كانوا مخطئين في ذلك والتماس بتوزيع العذاب بينهم ﴿فألقوا﴾ أي: شركاؤهم ﴿إليهم القول﴾ يقال: ألقيت إلى فلان كذا أي: قلت أي أنطقهم الله تعالى فأجابوهم بالتكذيب وقالوا لهم: ﴿إنكم﴾ أيها المشركون ﴿لكاذبون﴾ في ادعائكم أننا شركاء الله إذ ما أمرناكم بعبادتنا وكنا مشغولين بتسبيح الله وطاعته فارغين عنكم وعن أحوالكم كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤].

﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وألقوا﴾ أي: المشركون ﴿إلى الله يومئذ السلم﴾ الاستسلام والانقياد لحكمه بعد الاستكبار عنه في الدنيا:

چون كار ز دست رفت فرياد چه سود

﴿وضل عنهم﴾ أي: ضاع وبطل ﴿ما كانوا يفترون﴾ من أن لله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبرأوا منهم.

﴿الذين كفروا﴾ في أنفسهم ﴿وصدوا﴾ غيرهم ﴿عن سبيل الله﴾ بالمنع عن الإسلام والحمل على الكفر ﴿زدناهم عذابا﴾ لصدهم ﴿فوق العذاب﴾ أي: كانوا يستحقونه بكفرهم. والمعنى بالفارسية [بيفزاييم ايشانرا عذابى بر عذابى] ﴿بما كانوا يفسدون﴾ أي: زدنا عذابهم بسبب استمرارهم على الإفساد وهو الصد المذكور. قال ابن جبير في زيادة عذابهم هي عقارب أمثال البغال وحيات أمثال البخت تلسع إحداهن اللسعة فيجد صاحبها حميتها أربعين خريفاً ويقال: يسألون الله تعالى ألف سنة المطر ليسكن ما بهم من شدة الحر فيظهر لهم سحابة فيظنون أنها تمطر فجعلت السحابة تمطر عليهم بالحيات والعقارب فيشتد ألمهم لأنه إذا جاء الشر من حيث يؤمل الخير كان أغم. وقال ابن عباس ومقاتل خمسة أنهار من صفر مذاب

كالنار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار، يعني: [پنج جوى ازروى كداخته بطرف ايشان روان كردد وبسرجوى ازان معذب شوند در مقدار ساعات شبى ازشبهاى دنيا وبدو جوى ديكر درمدت اندازه روزى ازروزهاى اين جهان]. يقول الفقير لعل سر هذا العدد أن أركان الإسلام خمسة لا سيما أن الصلوات الخمس في تطهير الباطن كالأنهار الخمسة الجارية لتطهر الظاهر فلما أضاعوا هذه الأركان وما أقاموها بدل الله بها خمسة أنهار من الصفر المذاب ليعذبوا بها ولكل عمل جزاء وفاق.

﴿**ويوم نبعث**﴾ تكرير لما سبق تثنية للتهديد. ﴿**في كل أمة**﴾ [ويادكن اي محمد روزيرا كه برانكيزانيم درميان هركروهى] ﴿**شهيدا عليهم**﴾ أي: نبياً ﴿**من أنفسهم**﴾ من جنسهم قطعاً لمعذرتهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم ولوط عليه السلام لما تأهل فيهم وسكن فيما بينهم كان منهم وفي قوله عليهم إشعار بأن شهادة أنبيائهم على الأمم تكون بمحضر منهم ﴿**وجئنا بك**﴾ [وبياريم ترا يا محمد] ﴿**شهيدا على هؤلاء**﴾ الأمم وشهدائهم كقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] ﴿**ونزلنا عليك الكتاب**﴾ الكامل في الكتابية الحقيق بأن يخص به اسم الجنس وهو القرآن العظيم ﴿**تبيانا**﴾ بياناً بليغاً ﴿**لكل شيء**﴾ يتعلق بأمور الدين ومن ذلك أحوال الأمم مع أنبيائهم. فإن قلت كيف هذا ومعلوم أن أكثر الأحكام غير مبنية في القرآن ولذلك اختلف العلماء فيها إلى قيام الساعة؟ قلت كونه تبياناً لكل شيء من أمور الدين باعتبار أن فيه نصاً على بعضها وإحالة لبعضها على السنة حيث أمر باتباع النبي ﷺ وطاعته وقيل فيه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾﴾ [النجم: ٣] وحثاً على الإجماع وقد رضي رسول الله لأمته باتباع أصحابه حيث قال: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» وقد اجتهدوا وقاسوا ووطأوا طرق الاجتهاد فكانت السنة والإجماع والقياس مستندة إلى تبيان الكتاب ولم يضر ما في البعض من الخفاء في كونه تبياناً فإن المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية ﴿**وهدى**﴾ وكاملاً في الهداية من الضلالة ﴿**ورحمة**﴾ للعالمين فإن حرمان الكفرة من مغانم آثاره من تفريطهم لا من جهة الكتاب ﴿**وبشرى**﴾ وبشارة بالجنة ﴿**للمسلمين**﴾ خاصة. وفيه إشارة إلى أن في الكتاب بيان كل شيء يحتاج إليه السالك في أثناء السلوك والسير إلى الله إلى أن يصل إلى أقصى مقام الكمال المقدر للإنسان وهذا الكتاب هاد يهدي إلى الله عباده برحمته وبشارة لمن أسلم وجهه لله وتابع النبي ﷺ بالوصول إلى مقام الكمال وحضرة الجلال وكما أن المنزل عليه هو الرسول والبيان من لسانه يؤخذ لا من لسان غيره فكذا الملهم عليه هو وارث الرسول والإرشاد من تربية غيره فمن أسلم أي: استسلم وانقاد لتربية الوسائط ولم يتحرك بشيء من عند نفسه كالميت على يد الغسال فقد هدى إلى طريق التطهر عن الادناس النفسانية ووصل إلى درجات العارفين، قال الحافظ:

من بسر منزل عنقاً نه بخود بردم راه   قطع اين مرحله بامرغ سليمان كردم

واعلم أن القرآن كاف لأهل الشريعة والحقيقة فمن مشى على ما صرح به وأشار فقد أمن من العثار ومن خرج عن العمل به واتبع نفسه وهواه فقد بعد عن الله وأسخط مولاه قال سهل بن عبد الله: أصول الدين على ركنين التمسك بكتاب الله والاقتداء بسنة رسول الله. وعن أبي يزيد قدس سره ستة أشياء حصن الأعضاء السبعة: استعمال العلم، وحسن الأدب، ومحاسبة النفس، وحفظ اللسان، وكثرة العبادة، ومتابعة السنة. وقال جنيد البغدادي قدس

سره: مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة. وقال علي رضي الله عنه: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر رسول الله ﷺ.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿إن الله يأمر﴾ في القرآن ﴿بالعدل﴾ بأن لا تظلموا أنفسكم وغيركم ولا تجوروا أي: بالتسوية في الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وإيصال كل حق إلى ذي حقه أو يأمر بمراعاة التوسط بين الأمور اعتقاداً كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر وكذا القول بأن الله لا يؤاخذ عبده المؤمن بشيء من الذنوب مساهلة عظيمة والقول بأنه يخلده في النار بالمعاصي تشديد عظيم والعدل مذهب أهل السنة وعملاً كالتعبد بأداء الفرائض والواجبات المتوسطة بين البطالة والترهب وخلقاً كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والشجاعة المتوسطة بين التهور والجبن والواجب معرفة الوسط في كل شيء فإن القصد ممدوح والإفراط والتفريط مذمومان وقال ﷺ لمن سأله مستشيراً في الترهب وصيام الدهر وقيام الليل كله بعد زجره إياه «إن لنفسك عليك حقاً ولزوجك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً فصم وافطر وقم ونم» ولما رأى ﷺ عمر رضي الله عنه يقرأ رافعاً صوته فسأله فقال: أوقظ الوسنان واطرد الشيطان قال عليه السلام: «اخفض من صوتك قليلاً» وأتى أبا بكر رضي الله عنه فوجده يقرأ خافضاً صوته فسأله فقال: قد أسمعت من ناجيت فقال عليه السلام له: «ارفع من صوتك قليلاً» ومثله الإمام فإنه لا يجهر فوق حاجة الناس ولا يخافت خافضاً صوته بحيث يشتبه عليهم تلاوته فيراعى بين ذلك حداً وسطاً وإلا فهو مسيء.

وفي «التأويلات النجمية»: العدل صرف ما أعطاك الله من الآلات الجسمانية والروحانية ومن الأموال الدنيوية ومن شرائع الدين وأعماله في طلب الله والسير منك به إليه لأن صرفه في طلب غيره ظلم، قال الحافظ:

فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ   كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد

﴿والإحسان﴾ وأن تحسنوا الأعمال مطلقاً لقوله عليه السلام: «إن الله كتب الإحسان في كل شيء». وعن فضيل أنه قال: لو أحسن الرجل الإحسان كله وكان له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين.

ـ وروي ـ أن امرأة عذبت في هرة حبستها ولم تطعمها إلى أن ماتت. وامرأة رحمها الله وغفر لها بسبب أن سقت كلباً عطشان بخفها.

ـ وحكي ـ أن حضرة الشيخ الشبلي رحمه الله مر في بعض طرق بغداد بهرّة ترعد من برد الهواء فأخذها وجعلها في كمه رحمة لها فكان ذلك سبب قبوله عند الله ووصوله إلى درجة الولاية ويدخل فيه العفو عن الجرائم والإحسان إلى من أساء:

هركه سنكت دهد ثمر بخشش

والصبر على الأوامر والنواهي وأداء النوافل فإن الفرض لا بد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب وفي الحديث: «حسنوا نوافلكم فبها تكمل فرائضكم» وفي المرفوع «النافلة هدية المؤمن إلى ربه فليحسن أحدكم هديته وليطيبها» كما في «المقاصد الحسنة». وأيضاً الإحسان

هو المشاهدة كما قال عليه السلام: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وإن لم تكن تراه فإنه يراك» وليست المشاهدة رؤية الصانع بالبصر وهو ظاهر بل المراد بها حالة تحصل عند الرسوخ في كمال الإعراض عما سوى الله وتمام توجهه إلى حضرته بحيث لا يكون في لسانه وقلبه وهمه غير الله وسميت هذه الحالة المشاهدة لمشاهدة البصيرة إياه تعالى كما أشار إليها بعض العارفين بقوله:

خيالك في عيني وذكرك في فمي وحبك في قلبي فأين تغيب

كذا في «الرسالة الرومية».

وفي «التأويلات النجمية»: الإحسان أن تحسن إلى الخلق بما أعطاك الله وأراك سبل الرشاد فترشدهم وتسلك بهم طريق الحق للوصول أو الوصال يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧] انتهى. وأيضاً العدل الإعراض عما سوى الله والإحسان الإقبال على الله ﴿وإيتاء ذي القربى﴾ القربى بمعنى القرابة أي: أعطاه الأقارب ما يحتاجون إليه من المال والدعاء بالخير وهو داخل في الإحسان وإنما أفرد بالذكر إظهاراً لجلالة صلة الرحم وتنبيهاً على فضيلتها كقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القدر: ٤] والرحم عام في كل رحم محرماً كان أو غير محرم وارثاً كان أو غير وارث من أولاد الأعمام والعمات والأخوال والخالات وغير ذلك وقطع الرحم حرام موجب لسخط الله وانقطاع ملائكة الرحمة عن بيت القاطع والصلة واجبة باعثة على كثرة الرزق وزيادة العمر سريعة التأثير ومعناها التفقد بالزيارة والإهداء والإعانة بالقول والفعل وعدم النسيان وأقله التسليم وإرسال السلام أو المكتوب ولا توقيت فيها في الشرع بل العبرة بالعرف والعادة كما في «شرح الطريقة». قال الكاشفي: [در فصول عبد الوهاب فرموده كه عدل توحيد است ومحبت خداى وإحسان دوستى حضرت بيغمبر وفرستادن صلوات برو وايتاء ذي القربى محبت أهل بيت است] ودعاء أصحابه رضي الله عنهم.

وفي «التأويلات النجمية»: أقرب القربى إليك نفسك فصلة رحمها أن تنجيها من المهالك وترجع بها إلى مالك الممالك ﴿وينهى عن الفحشاء﴾ عن الذنوب المفرطة في القبح قولاً وفعلاً كالكذب والبهتان والاستهانة بالشريعة والزنى واللواطة ونحوها.

وفي «التأويلات»: هي ما يحجبك عن الله ويقطعك عنه أياماً كان من مال أو ولد أو نحوهما فإنه لا أقبح من الانقطاع عن الله ومثله أسبابه فإن ما يجر إلى الأقبح أقبح والعياذ بالله تعالى ﴿والمنكر﴾ وعما تنكره النفوس الزاكية السليمة ولا ترتضيه كما في «بحر العلوم» أو هو الشرك أو مما لا يعرف في شريعة ولا سنة أو الإصرار على الذنب أو ما أسخط الله تعالى.

وفي «التأويلات»: ما ينكر به عليك من إضلال أهل الحق وإغوائهم وإحداث البدع وإثارة الفتن كما في أهالي هذا الزمان خصوصاً متصوفهم ﴿والبغي﴾ والظلم والاستيلاء على الناس والتطاول عليهم بلا سبب وتجسس عيوبهم وغيبتهم والطعن عليهم والتجاوز من الحق إلى الباطل ونحو ذلك.

وفي «التأويلات»: هو ما ثار من سورة صفات نفسك فيصيب الخلق منك ما يضرهم ويؤذيهم [وآنرا بقوت رياضت ببايد شكست تا قواعد سلوك درستى يابد زيرا بحكم اعدى عدوك بدترين دشمن نفس است]:

اين سك نفس شوم وبد كاره كه دراغوش تست همواره

بدترين قاصديست جان ترا مى خورد مغز استخوان ترا

بيشتر كرترا ببندد جست محكمش بندكن كه دشمن تست

[در لطائف التقرير در تفسير اين آيت آورده كه استقامت مالك بسه چيزبود واضطراب اين بسه چيز منهى عنه وهريك ازينها ثمرة پس ثمرة عدل نصر تست ونتيجة إحسان ثنا ومدحست وفائدة صلة رحم انس والفت اما نتيجة فحشاء فساددين وثمرة منكر برانكيختن اعدا وحاصل بغى محروم ماندن ازمتمنى] ﴿يعظكم﴾ [پند ميدهد خداى تعالى شمارا] يعني بأمر هذه المستحسنات ونهي هذه المستقبحات ﴿لعلكم تذكرون﴾ طلباً لأن تتعظوا فتأتمروا بالأمر وتنتهوا بالنهي. وقد أمر الله تعالى في هذه الآية بثلاثة أشياء ونهى عن ثلاثة أشياء وجمع في هذه الأشياء الستة علم الأولين والآخرين وجميع الخصال المحمودة والمذمومة ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي أجمع آية في القرآن للخير والشر ولذا يقرأها كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة لتكون عظة جامعة لكل مأمور ومنهي كما في «المدارك» وحين أسقطت من الخطب لعنة اللاعنين لعلي أمير المؤمنين رضي الله عنه أقيمت هذه الآية مقامها كما في «بحر العلوم». وقال الإمام السيوطي في «كتاب الوسائل إلى معرفة الأوائل»: أول من قرأ في آخر الخطبة ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ الخ عمر بن عبد العزيز ولزمها الخطباء إلى عصرنا هذا تولى عمر الخلافة سنة تسع وتسعين ومدة خلافته سنتان وخمسة أشهر وكان صاحب المائة الأولى بالإجماع. وكان ﷺ يقرأ «ق» أي: في آخر الخطبة. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ إذا الشمس كورت إلى قوله ما أحضرت. وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقرأ آخر سورة النساء يستفتونك الآية. وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقرأ الكافرون والإخلاص ذكر ذلك ابن الصلاح. يقول الفقير انظر إن كلاً منهم اختار ما يناسب الحال والمقام بحسب اختلاف الزمان وإلا لكفى لهم الاقتداء بالنبي عليه السلام في تلاوة سورة «ق» ومنه يعرف استحباب الترضية والتصلية فإنها كانت بحسب المصلحة المقتضية لها وهي رد الروافض ومن يتبعهم في البغض ولا شك أن مثل ذلك من مهمات الدين فليس هذا بمنكر وإنما المنكر ترجيعات المؤذنين ولحون الأئمة والخطباء بحيث يحرفون الكلم عن مواضعه رعاية للنغمات والمقامات الموسيقية نعم قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره إذا كان الذكر بنغمة لذيذة فله في النفس أثر كما للصورة الحسنة في النظر. وأول من قرأ في الخطبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٦] الآية، المهدي العباسي وعليه العمل في هذا الزمان أي: في الخطب المطولة وأما في الخطب المختصرة لبعض العارفين فليس ذلك فيه لكن المؤذن يقرأه عند خروج الخطيب. والأحوط في هذا الزمان أن يقرأ عنده ما اختاره حضرة الشيخ وفا قدس سره وهو عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إذا قلت لصاحبك انصت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت» فاستمعوا وأنصتوا رحمكم الله وذلك لأن أكثر المؤذنين اعتادوا في الآية المذكورة ما يخرجها عن القرآنية من اللحن الفاحش ولنبك على غربة الدين ووحشة أهل اليقين وظهور البدع بين المسلمين.

﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾

﴿وأوفوا﴾ أي: استمروا على الإيفاء وهو بالفارسية [وفا كردن] قال الكاشفي: [نزول آيت درشان جمعيست كه باحضرت رسالت ﷺ درمكه عهد بستند وغلبه قريش وضعف مسلمانان مشاهده كرده جزع واضطراب درايشان بديد آمد شيطان خواست كه ايشانرا بفريبد تانقض عهد پيغمبر كنند حق سبحانه وتعالى بدين آيت ايشانرا ثابت قدم كردانيد وفرموده كه وفاكنيد] ﴿بعهد الله﴾ وهو البيعة لرسول الله ﷺ على الإسلام فإنها مبايعة الله تعالى لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] لأن الرسول فان في الله باق بالله وفي الحديث «الحجر الأسود يمين الله في أرضه فمن لم يدرك بيعة رسول الله فمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله» والمبايعة من جهة الرسول هو الوعد بالثواب ومن جهة الآخر التزام طاعته وسميت المعاهدة مبايعة تشبيهاً بالمعاوضة المالية ثم هو عام لكل عهد يلتزمه الإنسان باختياره لأن خصوص السبب لا ينافي عموم الحكم ﴿إذا عاهدتم﴾ إذا عاقدتم وواثقتم والعهد العقد والميثاق ﴿ولا تنقضوا الأيمان﴾ التي تحلفون بها عند المعاهدة أي: لا تحنثوا في الحلف ﴿بعد توكيدها﴾ حسبما هو المعهود في أثناء العهود أي: توثيقها بذكر الله وتشديدها باسمه كما في «بحر العلوم». وقال سعدي المفتي: الظاهر أن المراد بالأيمان الأشياء المحلوف عليها كما في قوله عليه السلام: «من حلف على يمين» الخ لأنه لو كان المراد باليمين ذكر اسم الله فهو غير التأكيد لا المؤكد فتأمل ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلا﴾ شاهداً رقيباً فإن الكفيل من يراعي لحال المكفول به محافظة عليه ﴿إن الله يعلم ما تفعلون﴾ من نقض الأيمان والعهود فيجازيكم على ذلك.

واعلم أن الوفاء تأدية ما أوجبت على نفسك إما بالقبول أو بالنذر. وعن بعض المتكلمين إذا رأيتم الرجل أعطي من الكرامات حتى يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه في حفظ الحدود والوفاء بالعهود ومتابعة الشريعة. قيل لحكيم: أي شيء أعمل حتى أموت مسلماً؟ قال: لا تصحب مع الله إلا بالموافقة ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ولا مع النفس إلا بالمخالفة ولا مع الشيطان إلا بالعداوة ولا مع الدين إلا بالوفاء.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وأوفوا بعهد الله﴾ بائتمار أوامر الله وانتهاء نواهيه ﴿إذا عاهدتم﴾ مع الله يوم الميثاق ﴿ولا تنقضوا الأيمان﴾ مع الله ﴿بعد توكيدها﴾ وهو إشهادكم على أنفسكم وقولكم بلى شهدنا ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلا﴾ بجزاء وفائكم وهو تكفل منكم بالوفاء بما عهد معكم على الجزاء كما قال ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] وتفصيل الوفاء من الله والعبد ما شرح النبي ﷺ في حديث معاذ رضي الله عنه فقال: «هل تدري يا معاذ ما حق الله على الناس» قال: قلت: الله أعلم ورسوله قال: «حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» أي: يطلبوه بالعبادة ولا يطلبوا معه غيره ثم قال: «أتدري يا معاذ ما حق الناس على الله إذا فعلوا ذلك» قال: قلت: الله ورسوله اعلم قال: «فإن حق الناس على الله أن لا يعذبهم» يعني بعذاب الفراق والقطيعة بل يشرفهم بالوجدان والوصال كما قال: «ألا من طلبني وجدني» وفي «المثنوي»:

ما درين دهليز قاضيّ قضا ... بهر دعوى ألستيم وبلى
چون بلى كفتيم آنرا ز امتحان ... فعل وقول ما شهوداست وبيان
ازچه دردهليز قاضي تن زديم ... نى كه ما بهر كواهى آمديم

تاكه ندهى آن كواهى اى شهيد توازين دهليزكى خواهى رهيد
فعل وقول آمد كواهان ضمير هردو پيدايى كند سر ستير
جرعه برخاك وفا آنكس كه ريخت كى تواند صيد دولت زوكريخت
پس پيمبر كفت بهر اين طريق باوفاتر ازعمل نبود رفيق
كربود نيكى ابد يارت شود وربود بد در لحد مارت شود

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿**ولا تكونوا**﴾ أيها المؤمنون في نقض العهد ﴿**كالتي**﴾ كالمرأة التي ﴿**نقضت**﴾ النقض في البناء والحبل وغيره ضد الإبرام كما في «القاموس». وبالفارسية [شكستن پيمان وپشم بازكردن يارپسمان] ﴿**غزلها**﴾ الغزل [ريسمان رستن] وهو ههنا مصدر بمعنى المغزول أي: ما غزلته من صوف وغيره ﴿**من بعد قوة**﴾ متعلق بنقضت أي: من بعد إبرام ذلك الغزل وأحكامه فجعلته ﴿**أنكاثا**﴾ حال من غزلها جمع نكث بمعنى المنكوث وهو كل ما ينكث فتله أي: يحل غزلاً كان أو حبلاً. والمعنى طاقات نكثت فتلها والمراد تقبيح حال النقض بتشبيه حال الناقض بمثل هذه المرأة المعتوهة من غير تعيين إذ لا يلزم في التشبيه أن يكون للمشبه به وجود في الخارج. وقال الكلبي ومقاتل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية المكية وكانت خرقاء موسوسة اتخذت مغزلاً قدر ذراع وسنارة مثل أصبع وهي بالكسر الحديدة في رأس المغزل وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى نصف النهار تأمرهن بنقض جميع ما غزلن. قال الكاشفي: [حق سبحانه وتعالى تشبيه ميفرمايد شكستن عهد را به پاره كردن رسن وميفر ما يدكه چنانچه آن زن حمقا رسن تاب داده خودرا ضايع ميكند مردم عاقل بايدكه هر رشته خودبسر انكشت نقض پاره نكند تابحكم ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] جزاء وفابيابد]:

كرت هواست كه دلدار نكسلد پيمان نكاه دار سر رشته تا نكهدارد

﴿**تتخذون أيمانكم دخلا بينكم**﴾ حال من الضمير في لا تكونوا أي: مشابهين بامرأة شأنها هذا حال كونكم متخذين أيمانكم مفسدة ودخلاً بينكم وأصل الدخل ما يدخل في الشيء ولم يكن منه ﴿**أن تكون أمة**﴾ أي: بسبب أن تكون جماعة قريش ﴿**هي أربى من أمة**﴾ أزيد عدد وأوفر مالاً من جماعة المؤمنين وهذا نهي لمن يحالف قوماً فإن وجد أيسر منهم وأكثر ترك من حالف وذهب إليه. ومحل هي أربى من أمة نصب خبر كان. وفي «المدارك» هي أربى مبتدأ وخبر في موضع الرفع صفة لأمة وأمة فاعل يكون وهي تامة ﴿**إنما يبلوكم الله به**﴾ أي: بأن تكون أمة هي أربى من أمة أي: يعاملكم بذلك معاملة من يختبركم لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله أم تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال والظبي وإن كان واحداً فهو خير من قطيع الخنزير والسواد الأعظم هو الواحد على الحق ويقال: سمي الدجال دجالاً لأنه يغطي الأرض بكثرة جموعه ولا يلزم منه كونه على الحق وأفضل من في الأرض يومئذٍ لأن الله تعالى لا ينظر إلى الصور والأموال بل إلى القلوب

والأعمال فإذا كانت للناس قلوب وأعمال صالحة يكونون مقبولين مطلقاً سواء كانت لهم صور حسنة وأموال فاخرة أم لا وإلا فلا، قال الشيخ سعدي قدس سره:

ره راست بايد نه بالاى راست   كه كافرهم ازروى صورت جوماست

﴿وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ في الدنيا إذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب وهو إنذار وتخويف من مخالفة ملة الإسلام ودين الحق فإنها مؤدية إلى العذاب الأبدي.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿ولو شاء الله﴾ مشيئة قسر وإلجاء. **﴿لجعلكم أمة واحدة﴾** متفقة على الإسلام **﴿ولكن﴾** لا يشاء ذلك لكونه مزاحماً لقضية الحكمة بل **﴿يضل من يشاء﴾** إضلاله أي: يخلق فيه الضلال حسبما يصرف اختياره الجزئي إليه **﴿ويهدي من يشاء﴾** هدايته حسبما يصرف اختياره إلى تحصيلها فالإضلال والهداية مبنيان على الاختيار. وفيه سر عظيم لا يعرفه إلا الأخيار **﴿و﴾** بالله **﴿لتسألن﴾** جميعاً يوم القيامة سؤال تبكيت ومجازاة لا سؤال تفهم **﴿عما كنتم تعملون﴾** في الدنيا من الوفاء والنقض ونحوهما فتجزون به.

واعلم أن العهود مواطنها لكثيرة ومن العهود الحقة ما يجري بين المريدين الصادقين والشيوخ الكاملين من البيعة وهي لازمة حتى يلقوا الله تعالى.

وفي الآية إشارة إلى المريد الذي تعلق بذيل إرادة صاحب ولاية من المشايخ وعاهده على صدق الطلب والثبات عليه عند مقاساة شدائد المجاهدات والتصبر على مخالفات النفس والهوى وملازمات الصحبة والانقياد للخدمة والتحمل على الإخوان وحفظ الأدب معهم ففي أثناء تحمل هذه المشاق تسأم نفسه وتضعف عن حمل هذه الأثقال فينقض عهده ويفسخ عزمه ويرجع قهقرى ثم يتخذ ما كان أسباب طلب الله من الإرادة والمجاهدة ولبس الخرقة وملازمة الصحبة والخدمة والفتوحات التي فتح الله له في أثناء الطلب والسير آلات طلب الدنيا وأدوات تحصيل شهوات نفسه بالتصنع والمرآة والسمعة ابتلاء من الله إظهاراً للعزة إذا عظمت النفس وشهواتها في نظر النفس وأعرضت عن الله في طلبها فمثل هذا حسبه جهنم البعد والقطيعة. قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره هنا رجل ابن ابن المولى جلال يقال له ديوانه چلبي يأكل ويشرب ويشتغل بالشهوات ويزعم أن له نظراً إلى الحقيقة من المظاهر حفظنا الله تعالى من الإلحاد ففي حالة الاحتضار استغفر وقال: يا حسرتا لم أعرف الطريق ويرجى أن يعفى لسبق ندامته وكان له كشوف سفلية وقطع بخطوة واحدة سبعين خطوة وأكثر ولكن الكشوف السفلية مثلها مما كان في مرتبة الطبيعة غير مقبولة بل هي من الشيطان وعوام الناس يعدون أصحاب أمثال هذه الكشوف الشيطانية الأقطاب بل الغوث الأعظم لكونهم على الجهل الجمادي لا يميزون بين الخير والشر ولصعوبة هذا الأمر قال المولى الجامي قدس سره في بعض رباعياته:

در مسجد وخانقه بسى كرديدم   بس شيخ ومريدرا كه پابوسيدم
نه يكساعت از هستى خود رستم   نه آنكه زخويش رسته باشد ديدم

اللهم اعصمنا من الدعوى واجعلنا من أهل التقوى.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿**ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم**﴾ مكراً وغدراً ﴿**فتزل**﴾ [بلغزد] نصب في جواب النهي ﴿**قدم**﴾ أي: أقدامكم أيها المؤمنون عن محجة الحق ﴿**بعد ثبوتها**﴾ عليها ورسوخها فيها بالإيمان وإفراد القدم وتنكيرها للإيذان بأن زلل قدم واحدة أيّ قدم كانت عزت أو هانت محذور عظيم فكيف بأقدام كثيرة ﴿**وتذوقوا السوء**﴾ أي: العذاب الدنيوي ﴿**بما صددتم**﴾ بصدودكم وخروجكم أو بصدكم ومنعكم غيركم ﴿**عن سبيل الله**﴾ الذي ينتظم الوفاء بالعهود والإيمان فإن من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ﴿**ولكم**﴾ في الآخرة ﴿**عذاب عظيم**﴾ شديد.

﴿**ولا تشتروا بعهد الله**﴾ أي: لا تأخذوا بمقابلة عهده تعالى وبيعة رسوله ﴿**ثمناً قليلاً**﴾ أي: لا تستبدلوا بها عوضاً يسيراً وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا ﴿**إن ما عند الله**﴾ من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الآخرة ﴿**هو خير لكم**﴾ مما يعدونكم ﴿**إن كنتم تعلمون**﴾ أي: إن كنتم من أهل العلم والتمييز.

﴿**ما عندكم**﴾ من أعراض الدنيا وإن كثرت ﴿**ينفد**﴾ يفنى وينقضي ﴿**وما عند الله**﴾ من أنواع رحمة المخزونة ﴿**باق**﴾ لا نفاد له وهو حجة على الجهمية لأنهم يقولون بأن نعيم الجنة يتناهى وينقطع ﴿**ولنجزين**﴾ أي: والله لنعطين ﴿**الذين صبروا**﴾ على أذية المشركين ومشاق الإسلام التي من جملتها الوفاء بالعهود والفقر ﴿**أجرهم**﴾ الخاص بهم بمقابلة صبرهم على الأمور المذكورة وهو مفعول ثان لنجزين ﴿**بأحسن ما كانوا يعملون**﴾ أي: لنجزينهم بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور وإنما أضيف إليه الأحسن للاشعار بكمال حسنه كما في قوله تعالى: ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨] فقد علم من الآيات أن للوفاء بالعهد والثبات على الإيمان والصبر على المشاق ثمرات دنيوية وأخروية. فعلى العاقل أن لا ينقض المعاهدة التي بينه وبين الله وكذا بين العلماء العاملين والصلحاء الكاملين. وعن بعض أهل العلم كنت بالمصيصة فإذا برجلين يتكلمان في الخلوة مع الله تعالى فلما أرادا أن ينصرفا قال أحدهما للآخر: تعال نجعل لهذا العلم ثمرة ولا يكون حجة علينا فقال له اعزم على ما شئت فقال: أن لا آكل ما لمخلوق فيه صنع قال: فتبعتهما وقلت: أنا معكما فقالا: على الشرط قلت: على أي شرط شرطتما فصعدا جبل لكام ودلاني على كهف وقالا: تعبد فيه فدخلت فيه وجعل كل واحد يأتيني بما قسم الله تعالى وبقيت مدة ثم قلت: إلى متى أقيم هٰهنا أنا أسير إلى طرطوس وآكل من الحلال وأعلم الناس العلم واقرىء القرآن فخرجت ودخلت طرطوس وأقمت بها سنة فإذا أنا برجل منهما قد وقف عليّ وقال: يا فلان خنت في عهدك ونقضت الميثاق ألا إنك لو صبرت كما صبرنا لوهب لك ما وهب لنا قلت: ما الذي وهب لكما؟ قال: ثلاثة أشياء: طي الأرض من المشرق إلى المغرب بقدم واحد والمشي على الماء والحجبة إذا شئنا ثم احتجب عني ففي هذه الحكاية ما يغني العاقل عن التصريح فانظر إلى ذلك العالم كيف اختار ما عند

الناس فحرم مما عند الله من الكرامات والكفالات وذلك أن نقض العهد بسبب عرض دنيوي في صورة أمر ديني فإن التعليم وإقراء الناس وإن كان من الأمور الأخروية ألا أنه لا بد لطالب الحق حين تخليه وانقطاعه من التجرد عن كل اسم ورسم وصورة، فإن قيل:

منصب تعليم نوع شهوتيست

وما يعقل هذا المقام إلا العالمون وفي «المثنوي»:

كرنبودى امتحان هربدى هر مخنث دروغا رستم بدى

خود مخنث را زره بوشيده كير چون به بيند زحم كردد چون اسير

ونعم ما قيل وعند الامتحان يكرم الرجل أو يهان فمن زل عند الامتحان فقد افتضح وذاق وجع القطيعة والفراق وما له من خلاق ومن ثبت وصبر وافتكر العاقبة ظفر بالمراد وجوزي جزاء لا يعلمه إلا رب العباد فإنه أعد لعباده الصالحين ما لا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿من﴾ [هركه] **﴿عمل﴾** [بكند] **﴿صالحا﴾** أي: عملاً صالحاً أي: عمل كان وهو ما كان لوجه الله تعالى ورضاه ليس فيه هوى ولا رياء والفرق بينهما أن الهوى بالنسبة إلى النفس والرياء بالنسبة إلى الخلق **﴿من ذكر أو أنثى﴾** أي: حال كون ذلك العامل من رجل أو امرأة بينه بالنوعين ليعمهما الوعد الآتي ولا يتوهم التخصيص بالذكور بناء على كثرة استعمال لفظ من فيهم وأن الإناث لا يدخلن في أكثر الأحكام والمحاورات إلا بطريق التغليب أو التبعية **﴿وهو﴾** أي: والحال أن ذلك العامل. **﴿مؤمن﴾** قيده به إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة في استحقاق الثواب وإنما المتوقع عليها تخفيف العذاب كما قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى يأمر بالكافر السخي إلى جهنم فيقول لمالك خازن جهنم عذبه وخفف عنه العذاب على قدر سخائه الذي كان في دار الدنيا» كما في «تفسير السمرقندي» ويؤيده ما قيل إنه لما عرج النبي ﷺ اطلع على النار فرأى حظيرة فيها رجل لا تمسه النار فقال جبرائيل عليه السلام: هذا حاتم طي صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده كما في «أنيس الوحدة». **﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾** في الدنيا يعيش عيشاً طيباً لأنه إن كان موسراً فظاهر وإن كان معسراً فيطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الأجر العظيم في الآخرة كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله بخلاف الفاجر فإنه إن كان معسراً فظاهر وإن كان موسراً فلا يدعه الحرص وخوف الفوت أن يتهنأ بعيشه **﴿ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾** أي: ولنعطينهم في الآخرة أجرهم الخاص بهم بما كانوا يعملون من الصالحات وإنما أضيف إليه الأحسن للإشعار بكمال حسنه كما سبق في حق الصابرين.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بالذكر إلى القلب وبالأنثى إلى النفس فالعمل الصالح من النفس استعمال الشريعة بتقوى الله وصدقه على وفق الطريقة تزكية عن صفاتها الذميمة وأفعالها الطبيعية والعمل الصالح من القلب حسن توجهه إلى الله بالكلية لطلب الله والإعراض عما سواه تصفية للتحلية بصفات الله والتخلق بأخلاقه وبقوله: **﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾** يشير إلى

إحياء كل واحد منهما بالحياة الطيبة على قدر صلاحية عمله وحسن استعداد في قبولها فإحياء النفس بالحياة الطيبة أن تصير مزكاة عن صفاتها متحلية بأخلاق القلب الروحاني مطمئنة بذكر الله راجعة إلى ربها راضية مرضية وإحياء القلب بالحياة الطيبة أن يصير متخلقاً بأخلاق الله ويكون فانياً عن أنانيته بهويته حياً بحياته طيباً عن دنس الإثنينية ولوث الحدوث فإن الله طيب عن هذه الأوصاف فلا يقبل إلا طيباً. ثم اعلم أن صلاحية أعمال العباد إنما تكون على قدر صدقهم في المعاملات وحسن استعدادهم في قبول الفيض الإلهي فيكون طيب حياتهم باحياء الله إياهم بحسب ذلك ولنجزينهم في الآخرة أجر كل طائفة منهم بأوفر ما كانوا يظنون أن يجازيهم الله على أعمالهم بيانه قوله: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] وعن بعض أصحاب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قال لما مات أحمد: رأيته في المنام وهو يمشي ويتبختر في مشيه فقلت له: يا أخي أي: مشية هذه؟ قال: مشية الخدام في دار السلام فقلت له: ما فعل الله بك قال: غفر لي وألبسني نعلين من ذهب وقال: هذا جزاء قولك القرآن كلام الله المنزل غير مخلوق وقال: يا أحمد قم حيث شئت فدخلت الجنة فإذا سفيان الثوري رحمه الله له جناحان أخضران يطير بهما من نخلة إلى نخلة وهو يقرأ هذه الآية ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤] فقلت له: أي شيء خبر عبد الواحد الوراق رحمه الله قال: تركته في بحر من النور يراد به الملك الغفور فقلت: ما فعل بشر بن الحارث رحمه الله فقال: بخ بخ ومن مثل بشر تركته بين يدي الجليل والجليل سبحانه مقبل عليه وهو يقول كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب وتنعم يا من لم يتنعم. وقال بعض الأخيار: رأيت الشيخ أبا إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي رحمه الله في المنام بعد وفاته وعليه ثياب بيض وعلى رأسه تاج فقلت له: ما هذا البياض؟ فقال: شرف الطاعة قلت: والتاج قال عز العلم فعلم من هذا المذكور أن من عمل صالحاً لا بد أن يصل إليه جزاء عمله وأن الجزاء من جنس العمل وأنه يختلف بحسب اختلاف حال العامل. فعلى العاقل المبادرة إلى الأعمال الصالحة والصبر على مشاق الطاعات إلى أن يجيء وعد الله تعالى قال الحافظ:

صبركن حافظ بسختى روزوشب عاقبت روزى بيابى كام را

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِ[illegible] ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿فإذا قرأت القرآن﴾ أي: أردت قراءته عبر عن الإرادة بالقراءة على طريقة إطلاق اسم المسبب على السبب إيذاناً بأن المراد هي الإرادة المتصلة بالقراءة ﴿فاستعذ بالله﴾ أي: فاسأله تعالى أن يعيذك ويحفظك ﴿من الشيطان﴾ البعيد عن الخير ﴿الرجيم﴾ المرجوم بالطرد واللعن أي: من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القرآن فإن ناصية كل مخلوق بيده أو قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو المختار من الروايات الأربع عشرة الواردة في ألفاظ الاستعاذة كما في تفسير خواجه پارسا قدس سره.

﴿إنه﴾ أي: الشيطان أو الشان ﴿ليس له سلطان﴾ تسلط وولاية ﴿على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ على أولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فإن وسوسته لا تؤثر فيهم لما أمر

القارىء بأن يسأل الله تعالى أن يعيذه من وساوسه وتوهم منه أن له تسلطاً وولاية على إغواء بني آدم كلهم بين الله تعالى أن لا تسلط له على المؤمنين المتوكلين فقوله إنه الخ في معرض التعليل للأمر بالاستعاذة وإشارة إلى أن مجرد القول لا ينفع بل لا بد لمن أراد أن لا يكون للشيطان سبيل عليه أن يجمع بين الإيمان والتوكل.

﴿إنما سلطانه﴾ أي: تسلطه وغلبته بدعوته المستتبعة للاستجابة لا سلطانه بالقسر والإلجاء فإنه منتف عن الفريقين لقوله تعالى حكاية عنه ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ [إبراهيم: ٢٢] وقد أفصح عنه قوله تعالى: ﴿على الذين يتولونه﴾أي: يتخذونه ولياً ويستجيبون دعوته ويطيعونه فإن المقسور بمعزل عن ذلك كذا في «الإرشاد» وهو جواب عما قال السمرقندي في تفسيره من أن في بناء الكلام على الحصر والاختصاص رداً للشيطان في قوله للكفرة في جهنم ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ [إبراهيم: ٢٢] وتكذيباً له انتهى ﴿والذين هم به﴾ سبحانه وتعالى ﴿مشركون﴾ مثبتون الشريك في الألوهية أو بسبب الشيطان إذ هو الذي حملهم على الإشراك بالله.

قال في «التأويلات النجمية»: الخطاب في هذه الآية مع الأمة وإن خص النبي ﷺ لأن الشيطان كان يفر من ظل عمر رضي الله عنه وهو أحد تابعيه فكيف يقدر على أن يدور إليه سيما أسلم شيطانه على يده ﷺ يدل عليه قوله: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ يعني سلطان نور الإيمان والتوكل غالب على سلطان وسوسة الشيطان فإذا كان هذا حال الأمة مع الشيطان فكيف يكون حال النبوة معه فثبت أن المراد بالخطاب الأمة وإنما خص النبي ﷺ به لتعتبر الأمة وتتنبه أن مثل النبي ﷺ مهما يكن مأموراً بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم فتكون الأمة بها أولى وأحق. قال بعضهم: المراد كل شيطان أو القرين فقط الظاهر أنه في حقنا القرين قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦] وفي حق رسول الله ﷺ إبليس أما نحن فلأن الإنسان لا يؤذيه من الشياطين إلا ما قرن به وما بعد فلا يضره شيئاً والعاقل لا يستعيذ ممن لا يؤذيه وأما الرسول ﷺ فإن قرينه لما أسلم تعين أن يكون الاستعاذة من إبليس أو أكابر جنوده وتخصيص الاستعاذة بالله عند قراءة القرآن من الشيطان الرجيم لمعان وفوائد أولها كي يتذكر القارىء واقعة الشيطان ويتفكر في أمره أنه إنما صار شيطاناً رجيماً بعد أن كان ملكاً كريماً لأنه فسق عن أمر ربه وخالفه وأبى أن يسجد لآدم واستكبر وكان من الكافرين أي: فصار من الكافرين فيتنبه بذلك عند قراءة القرآن ويصفي نيته قبل القراءة على أن يأتمر بما أمره الله في القرآن وينتهي عما نهاه عنه احترازاً عن المخالفة فإن فيها الطرد واللعن والرجم والفسق والكفر وأنها مظنة للخلود في النار وثانيها لأن العبد لا يخلو من حديث النفس وهواجسها ومن إلقاء الشيطان ووساوسه وقلبه لا بد يتشوش بذلك فلا يجد حلاوة كلام الله فأمر بالاستعاذة وتزكيته للنفس عن هواجسها وتصفيته للقلب عن وساوس الشيطان ليتجلى بنور القرآن فإن التجلية تكون بعد التزكية والتصفية وثالثها لأن في كل كلمة من كلمات القرآن لله تعالى إشارات ومعاني وحقائق لا يفهمها إلا قلب مطهر عن تلوثات الهواجس والوساوس معطر بطيب أنفاس الحق وذلك مودع في الاستعاذة بالله فأمر بها لحصول الفهم.

- وروى - جبير بن مطعم قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي فقال: «الله أكبر كبيراً والحمد

لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه» قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة يعني الجنون. وفي قوله: ﴿إنه ليس له سلطان﴾ الآية إشارة إلى أن تصرف الشيطان وقدرته بالإغواء والاضلال على الإنسان إنما ينقطع بقدر نور الإيمان وقوة التوكل فمهما يكمل الإيمان والتوكل يكون المؤمن زاهداً عن الدنيا راغباً في الآخرة متبتلاً إلى الله تعالى فلا يبقى للشيطان عليه سلطان في إضلاله وإغوائه ولكن يؤول أمره إلى الوسوسة وفيها صلاح المؤمن فإن إبريز إخلاص قلبه عن غش صفات نفسه لا يتخلص إلا بنار وسوسة الشيطان لأنه يطلع على بقايا صفات نفسه بما تكون الوسوسة من جنسه فيزيد في الرياضة ومجاهدة النفس وملازمة الذكر فبها تنقص وتنمحي بقية صفات النفس ويزداد نور الإيمان وقوة التوكل وقربة الحق وقبوله. وفي بعض الأخبار أن النبي ﷺ قال: «إن إبليس قال: يا رب قلت في كتابك إن عبادي ليس لك عليهم سلطان فمن هم؟ فقال تعالى: من كان نور وجهه من عرشي وطينه من طين إبراهيم ومحمد عليهما السلام وقلبه خزينتي قال إبليس فمن هم؟ فقال تعالى: من كان نادماً على ذنبه وخائفاً من خاتمته فنور وجهه من نور عرشي ومن كان يطعم الطعام ويرحم العباد فطينه من طينهما ومن كان راضياً بحكمي مسارعاً إلى ابتغاء مرضاتي فقلبه خزينتي». وفي الخبر: «إذا لعن المؤمن شيطاناً يقول: لعنت لعيناً وإذا قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يقول قصم ظهري لأنه يحيل إلى القادر». وفي الخبر «من استعاذ بالله في اليوم عشر مرات من الشيطان وكل الله به ملكاً يرد عنه الشياطين»، قال الحافظ:

درراه عشق وسوسه اهرمن بسيست هش دار وكوش دل بپيام سروش كن

واعلم أن الاستعاذة واجبة على كل من شرع في قراءة القرآن سواء بدأ من أوائل السور أو من أجزائها مطلقاً وإن أراد به افتتاح الكتب أو الدرس كما يقرأ التلميذ على الأستاذ لا يتعوذ كذا في «أنوار المشارق» والوجوب مذهب الجمهور كما في «الإرشاد»، وقال الفناري في تفسير الفاتحة والاستعاذة غير واجبة عند الجمهور والأمر في فاستعذ للندب انتهى. وقال الكاشفي في تفسيره: [وأمر باستعاذة قبل از قراءت بقول جمهور أمر استحبابست وباختيار جمعي از كبرا برسبيل ايجاب. در تفسير قرطبي قولي هست كه استعاذه برحضرت رسول الله ﷺ تنها فرض بوده بوقت قراءت واقتداء امت برو برسبيل سنت است] انتهى. والتعوذ في الصلاة ينبغي أن يكون واجباً لظاهر الأمر إلا أن السلف أجمعوا على سنته كما في «الكافي». قال القرطبي: أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله يتعوذان في الركعة الأولى في الصلاة ويريان قراءة الصلاة كلها قراءة واحدة كما في «حواشي» سعدي المفتي. والغرض نفي الوسوسة في التلاوة فشرع لافتتاح القراءة. قال جعفر الصادق رضي الله عنه: إن التعوذ تطهير الفم عن الكذب والغيبة والبهتان تعظيماً لقراءة القرآن:

زبان آمد ازبهر شكر وسپاس بغيبت نكردانداش حق شناس

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ قال سلطان المفسرين ترجمان القرآن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه آية فيها شدة أخذ الناس بها وعملوا ما شاء الله أن يعملوا فيشق ذلك عليهم فينسخ الله هذه الشدة ويأتيهم بما هو ألين منهما وأهون عليهم رحمة من الله تعالى فيقول لهم كفار قريش: إن محمداً يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غداً ويأتيهم بما هو أهون عليهم وما هو إلا مفتر يقوله من تلقاء نفسه. والمعنى: إذا أنزلنا آية من القرآن مكان آية منه وجعلناها بدلاً منها بأن نسخناها ﴿والله أعلم بما ينزل﴾ جملة معترضة بين الشرط وجوابه وهو قالوا لتوبيخ الكفرة على قولهم والتنبيه على فساد سندهم أي: اعلم بما ينزل أولاً وآخراً من الأحكام والشرائع التي هي مصالح ورب شيء يكون مصلحة في وقت يكون مفسدة في وقت آخر فينسخه ويثبت مكانه ما يكون مصلحة لخلقه ﴿قالوا﴾ أي: الكفرة ﴿إنما أنت مفتر﴾ على الله متقول من عند نفسك ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أن الله أمر بأشياء نظراً لصلاح عباده وأقلهم يعلم الحكمة في النسخ ولكن ينكر عناداً.

﴿قل﴾ رداً عليهم ﴿نزله﴾ أي: القرآن المدلول عليه بالآية ﴿روح القدس﴾ أي: الروح المقدس المطهر من الأدناس البشرية وهو جبريل عليه السلام وإضافة الروح إلى القدس وهو الطهر كإضافة حاتم إلى الجود حيث قيل حاتم الجود للمبالغة في ذلك الوصف كأنه طبع منه فالمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وفي صيغة التفعيل في الموضعين إشعار بأن التدريج في الإنزال مما يقتضيه الحكمة البالغة ﴿من ربك﴾ من سيدك ومتولي أمرك ﴿بالحق﴾ في موقع الحال أي: نزله ملتبساً بالحق الثابت الموافق للحكمة المقتضية له بحيث لا يفارقها إنشاء ونسخاً وفيه دلالة على أن النسخ حق ﴿ليثبت﴾ الله تعالى أو جبريل مجازاً ﴿الذين آمنوا﴾ على الإيمان بأنه كلامه فإنهم إذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح اللائقة بالحال رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم على أن الله حكيم فلا يفعل إلا ما هو حكمة وصواب ﴿وهدى﴾ من الضلالة ﴿وبشرى﴾ بالجنة ﴿للمسلمين﴾ المنقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتاً لهم وهداية وبشارة. وفيه تعريض بحصول أضداد الأمور المذكورة لمن سواهم من الكفار.

قال في «التأويلات النجمية»: إن الله تعالى هو الطبيب والقرآن هو الدواء يعالج به من مرض القلوب كقوله تعالى: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧] كما أن الطبيب يداوي المريض كل وقت بنوع من الأدوية على حسب المزاج والعلة لإزالتها ويبدل الأشربة والمعاجين بنوع آخر وهو أعلم بالمعالجة من غيره وكذلك الله عز وجل يعالج قلوب العباد بتبديل آية وإنزال آية مكانها والله أعلم بما ينزل ويعالج به العبد فالذين لا يعلمون قوانين الأمراض والمعالجات يحملون ذلك على الافتراء وفي التنزيل والتبديل تثبيت الإيمان في قلوب المؤمنين بإزالة أمراض الشكوك عن قلوبهم فإن القرآن شفاء وهدى لصحة الدين وسلامة القلوب وبشارة للمسلمين الذين استسلموا للطبيب والمعالجة لصحة دينهم وكان الصحابة رضي الله عنهم يكتفون ببعض السور القرآنية ويشتغلون في العمل بها فإن المقصود من القرآن العمل به.

ـ روي ـ أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وقال: علمني مما علمك الله فدفعه إلى رجل يعلمه القرآن فعلمه ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ ①﴾ حتى بلغ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ⑦ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ⑧﴾ [الزلزلة: ١-٨] فقال الرجل: حسبي فأخبر النبي ﷺ بذلك

فقال: «دعوه فقد فقه الرجل»، قال الشيخ سعدي قدس سره:

علم چندانكه بيشتر خواني چون عمل درتونيست ناداني
نه محقق بود نه دانشمند چار پايي بروكتابي چند
آن تهي مغزراچه علم وخبر كه بروهيرم است ويا دفتر

وقال: [عالم نا پرهيز كار كوريست شعله دار. بى فائده هركه عمر درباخت چيزى نخريدوزر بينداخت] أي: أضاع المال ولم يكن على شيء نسأل الله التوفيق للتقوى والعمل بالقرآن في كل مكان وزمان.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿**ولقد نعلم**﴾ ادخل قد توكيداً لعلمه بما يقولون ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعد والوعيد لهم. ذكر ابن الحاجب أنهم نقلوا قد إذا دخلت على المضارع من التقليل إلى التحقيق كما أن ربما في المضارع نقلت من التقليل إلى التحقيق. ﴿**أنهم**﴾ أي: كفار مكة ﴿**يقولون إنما يعلمه**﴾ أي: القرآن ﴿**بشر**﴾. قال الإمام الواحدي في «أسباب النزول» عن عبيد بن مسلمة قال: كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر اسم أحدهما يسار والآخر جبر وكانا صيقلين [يعني شمشير هارا صيقل زدندى] فكانا يقرآن كتاباً لهم بلسانهم وكان رسول الله ﷺ يمر بهما ويسمع قراءتهما فكان المشركون يقولون يتعلم منهما فأنزل الله تعالى هذه الآية وأكذبهم فالمراد بالبشر ذانك الغلامان ﴿**لسان الذي يلحدون إليه أعجمي**﴾ مبتدأ وخبر وكذا ما بعده لإبطال طعنهم. والإلحاد الإمالة من ألحد القبر إذا مال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل إمالة عن الاستقامة فقالوا: ألحد فلان في قوله وألحد في دينه ومنه الملحد لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها ولم يمله عن دين إلى دين والأعجمي هو الذي لا يفصح وإن كان عربياً والعجمي المنسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً. والمعنى لغة الرجل الذي يميلون إليه القول عن الاستقامة ويشيرون إليه أنه يعلم محمداً أعجمية غير بينة ﴿**وهذا**﴾ القرآن الكريم ﴿**لسان عربي مبين**﴾ ذو بيان وفصاحة فكيف يصدر عن أعجم. يعني أن القرآن معجز بنظمه كما أنه معجز بمعناه لاشتماله على الأخبار عن الغيب فإن زعمتم أن بشراً يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا النظم الذي أعجز جميع أهل الدنيا.

وفي «التأويلات النجمية»: الأعجمي هو الذي لا يفهم من كلام الله تعالى ما أودع الله فيه من الأسرار والإشارات والمعاني والحقائق فإنه لا يحصل ذلك إلا لمن رزقه الله فهما يفهم به واللسان العربي هو الذي يسره الله تعالى على لسان نبيه ﷺ وبين له معانيه وحقائقه كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧] وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٨-١٩] فالعربي المبين هو الذي أعطاه الله قلباً فهيماً ولساناً مبيناً فافهم جداً.

﴿**إن الذين لا يؤمنون بآيات الله**﴾ أي: لا يصدقون أنها من عند الله بل يقولون فيها ما يقولون يسمونها تارة افتراء وأخرى أساطير معلمة من البشر ﴿**لا يهديهم الله**﴾ إلى سبيل النجاة هداية موصلة إلى المطلوب لما علم أنهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم ﴿**ولهم**﴾ في الآخرة

﴿عذاب أليم﴾ [عذابي دردناك بجهت كفر ايشان بقرآن ونسبت افتراء بحضرت پيغمبر ﷺ وحال آنكه مفترى ايشانند].

﴿إنما يفتري الكذب﴾ التصريح بالكذب للمبالغة في بيان قبحه والفرق بين الافتراء والكذب أن الافتراء هو افتعال الكذب من قول نفسه والكذب قد يكون على وجه التقليد للغير فيه وفاعل يفتري هو قوله: ﴿الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾ رد لقولهم إنما أنت مفتر يعني إنما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يترقب عقاباً عليه ليرتدع عنه وأما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن أن يصدر عنه افتراء البتة. قال في «التأويلات النجمية»: وجه الاستدلال أن الافتراء من صفات النفس الأمارة بالسوء وهي نفس الكافر الذي لا يؤمن بآيات الله فإن نفس المؤمن مأمورة لوامة ملهمة من عند الله مطمئنة بذكر الله ناظرة بنور الله مؤمنة بآيات الله لأن الآيات لا ترى إلا بنور الله كما قال ﷺ: «المؤمن ينظر بنور الله» فإذا كان من شأن المؤمن أن لا يفتري الكذب إذ هو ينظر بنور الله فكيف يكون من شأن رسول الله ﷺ أن يفتري الكذب وهو نور من الله ينظر بالله ﴿وأولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من عدم الإيمان بآيات الله ﴿هم الكاذبون﴾ على الحقيقة لا على الزعم بخلاف رسول الله ﷺ فإن حاله على العكس أو الكاملون في الكذب إذ لا كذب أعظم من تكذيب آياته والطعن فيها بأمثال هاتيك الأباطيل. فاللام للجنس والحقيقة ويدعى قصر الجنس في المشار إليهم مبالغة في كمالهم في الكذب وعدم الاعتداد بكذب غيرهم. قال في «الإرشاد»: السر في ذلك أن الكذب الساذج الذي هو عبارة عن الإخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الأمر بخلق الله تعالى أو بوقوع ما لم يقع كذلك مدافعة لله تعالى في فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه في فعله وقوله المنبىء عنه معاً انتهى. قيل للنبي ﷺ: المؤمن يزني؟ قال: «قد يكون ذلك» قيل: المؤمن يسرق؟ قال: «قد يكون ذلك» قيل: المؤمن يكذب؟ قال: «لا» ويكفي في قبح الكذب أن الشيطان استثنى العباد المخلصين من أهل الإغواء ولم يكذب فإنه يعلم أن وسوسته لا تؤثر فيهم. قال أرسطاليس: فضل الناطق على الأخرس بالنطق وزين النطق الصدق والأخرس والصامت خير من الكاذب.

بهائم خموشند وگويا بشر پرا كنده كوى از بهائم بتر

وقد قالوا: النجاة في الصدق كما أن الهلاك في الكذب ـ خطب الحجاج ـ يوماً فأطال فقام رجل وقال: الصلاة الصلاة الوقت يمضي ولا ينتظرك يا أمير الحبشة فقال قومه: إنه مجنون قال إن أقر بجنته فقيل له فقال: معاذ الله أن أقول ابتلاني وقد عافاني فبلغه فعفا عنه لصدقه فصار الصدق سبباً للنجاة اللهم اجعلنا من الصادقين.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿من كفر بالله﴾ أي: تلفظ بكلمة الكفر ﴿من بعد إيمانه﴾ به تعالى كابن حنظل وطعمة ومقيس وأمثالهم ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر الآتي عليه وهو قوله: ﴿فعليهم غضب﴾ وقدره الكاشفي بقوله: [در معرض غضب رباني باشد] لكنه

جعل من شرطية كما يدل عليه تعبيره بقوله: [هركه كافر شود بخداي تعالى ازپس ايمان خويش ومرتد كردد] ويجوز أن يكون الخبر الآتي خبراً لهما معاً ﴿إلا من﴾ [مكر كسى كه] ﴿أكره﴾ اجبر على ذلك التلفظ بأمر يخاف على نفسه أو على عضو من أعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب لأن الكفر لغة يعم القول والعقد كالإيمان أي: لا من كفر بإكراه وقيل منقطع لأن الكفر اعتقاد والإكراه على القول دون الاعتقاد. والمعنى لكن المكره على الكفر باللسان ﴿وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ [ارميده باشد] بالإيمان حال من المستثنى أي: والحال أن قلبه مطمئن بالإيمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل على أن الإيمان المنجي المعتبر عند الله هو التصديق بالقلب ﴿ولكن من﴾ لم يكن كذلك بل ﴿شرح بالكفر صدرا﴾ أي: اعتقده وطاب به نفساً. وبالفارسية [وليكن هركس كه بكشايد بكفر سينه را] ﴿فعليهم غضب﴾ عظيم ﴿من الله﴾ في الحديث «إن غضب الله هو النار» ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ العذاب والعقاب الإيجاع الشديد وتقديم الظرف فيهما للاختصاص والدلالة على أنهم أحقاء بغضب الله وعذابه العظيم لاختصاصهم بعظم الجرم وهو الارتداد. قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت الآية في عمار رضي الله عنه وذلك أن كفار قريش أخذوه وأبويه ياسر وسمية وصهيباً وبلالاً وخباباً وسالماً فعذبوهم ليرتدوا فأبى أبواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجىء أي: ضرب بحربة في قلبها وقالوا إنما أسلمت من أجل الرجال والتعشق بهم فقتلوها وقتلوا ياسراً وهما أول قتيلين في الإسلام وأما عمار فكان ضعيف البدن فلم يطق لعذابهم فأعطاهم بلسانه ما أكرهوه عليه وهو سب النبي ﷺ وذكر الأصنام بخير فقالوا: يا رسول الله إن عماراً كفر فقال عليه الصلاة والسلام: «كلا إن عماراً ملىء إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه» فأتى عمار رسول الله وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال: «ما لك إن عادوا لك فعدلهم بما قلت» وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الإكراه الملجىء وإن كان الأفضل أن يجتنب عنه ويصبر على الأذى والقتل كما فعله أبواه كما روي أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين فقال لأحدهما: ما تقول في محمد؟ قال رسول الله قال: فما تقول فيّ؟ قال: فأنت أيضاً فخلاه وقال للآخر: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله قال: فما تقول فيّ؟ قال: أنا أصم فأعاد ثلاثاً فأعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله ﷺ فقال: أما الأول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئاً له، وفي الحديث: «أفضل الجهاد كلمة العدل عند سلطان جائر» وإنما كان أفضل الجهاد لأن من جاهد العدو كان متردداً بين خوف ورجاء ولا يدري هل يغلب أو يغلب وصاحب السلطان مقهور في يده فهو إذا قال الحق وأمره بالمعروف فقد تعرض للتلف فصار ذلك أفضل أنواع الجهاد من أجل غلبة الخوف كذا في «أبكار الأفكار في مشكل الأخبار».

﴿ذلك﴾ الكفر بعد الإيمان ﴿بأنهم﴾ أي: بسبب أنهم ﴿استحبوا﴾ [دوست داشتند وبركزيدند] فتعدية الاستحباب بعلى لتضمنه معنى الإيثار ﴿الحياة الدنيا﴾ [زندكانى دنيارا] ﴿على الآخرة﴾ [بر نعيم آخرت] ﴿وأن الله﴾ [وديكر بجهت آنست كه خداى تعالى] ﴿لا يهدي﴾ إلى الإيمان وإلى ما يوجب الثبات عليه هداية قسر والجاء ﴿القوم الكافرين﴾ في علمه المحيط فلا يعصمهم من الزيغ وما يؤدي إليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا أحد الأمرين إما إيثار الحياة الدنيا على الآخرة وإما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية قسر بأن آثروا الآخرة على الحياة الدنيا أو بأن هداهم الله تعالى هداية قسر لما كان ذلك لكن الثاني مخالف

للحكمة والأول مما لا يدخل تحت الوقوع وإليه أشير بقوله تعالى:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من القبائح **﴿الذين طبع الله﴾** [مهر نهاد خداي تعالى] **﴿على قلوبهم﴾** [بر دلهاى ايشان تا قول حق درنيا فتند] **﴿وسمعهم﴾** [وبركوشهاى ايشان تاسخن حق نشنوند] **﴿وأبصارهم﴾** [وبر ديدهاى ايشان تا آثار قدرت حق نديدند] **﴿وأولئك هم الغافلون﴾** أي: الكاملون في الغفلة أعظم من الغفلة عن تدبر العواقب.

﴿لا جرم أنهم﴾ [حقاً كه دران هيچ شك نيست كه ايشان] **﴿في الآخرة هم الخاسرون﴾** إذا ضيعوا أعمارهم وصرفوها إلى العذاب المخلد. وبالفارسية [دران سراى ديكر ايشانند زيان زدكان چه سرمايه عمر ضايع كرده دربازار دنيى سودى بدست نياوردند ومفلس وار در شهر قيامت جزدست تهى ودل پرحسرت وندامت نخواهد بود]، قال الشيخ سعدي:

قيامت كه بازار مينو نهند ... منازل بأعمال نيكو دهند
بضاعت بچندان آنكه آرى برى ... اكر مفلسى شرمسارى برى
كه بازار چندانكه آكنده تر ... تهى دست رادل پرا كنده تر
كسى راكه حسن عمل بيشتر ... بدركاه حق منزلت پيشتر

قال في «التأويلات النجمية»: يعني أهل الغفلة في الدنيا هم أهل الخسارة في الآخرة. وفيه إشارة أخرى وهي أن التغافل بالأعضاء عن العبودية تورث خسران القلوب عن مواهب الربوبية انتهى. قال بعض الأكابر ولا حجاب إلا جهالة النفس بنفسها وغفلتها عنها فلو ارتفعت جهالتها وغفلتها لشاهدت الأمر وعاينته كما تشاهد الشمس في وسط السماء وتعاينها. قال وهب بن منبه خلق ابن آدم ذا غفلة ولولا ذلك ما هنىء عيشه، وفي «المثنوي»:

استن اين عالم اى جان غفلتست ... هو شيارى اين جهانرا آفتست
هو شيارى زان جهانست وچو آن ... غالب آمد پست كردد اين جهان
هو شيارى آفتاب وحرص يخ ... هو شيارى آب واين عالم وسخ

اللهم اجعلنا من أهل اليقظة والانتباه ولا تجعلنا ممن اتخذ الهه هواه وشرفنا بمقامات المكاشفين العارفين وأوصلنا إلى حقيقة اليقين والتحقيق والتمكين إنك أنت النصير والمعين.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿ثم إن ربك﴾. قال قتادة: ذكر لنا أنه لما أنزل الله تعالى أن أهل مكة لا يقبل منهم الإسلام حتى يهاجروا كتب بها أهل المدينة إلى أصحابهم من أهل مكة فلما جاءهم ذلك خرجوا فلحقهم المشركون فردوهم فنزل: ﴿الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ [العنكبوت: ١ - ٢] فكتبوا بها إليهم فتبايعوا بينهم على أن يخرجوا فإن لحقهم المشركون من أهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا أو يلحقوا بالله فأدركهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزل الله تعالى هذه الآية كذا في «أسباب النزول» للواحدي. وثم

للدلالة على تباعد رتبة حالهم عن رتبة حالهم التي يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الإشارة لا عن رتبة حال الكفرة كذا في «الإرشاد» ﴿للذين هاجروا﴾ إلى دار الإسلام وهم عمار وصهيب وخباب وسالم وبلال ونحوهم. واللام متعلقة بالخبر وهو الغفور على نية التأخير وإن الثانية تأكيد للأولى لطول الكلام ﴿من بعد ما فتنوا﴾ أي: عذبوا على الارتداد وأكرهوا على تلفظ كلمة الكفر فتلفظوا بما يرضيهم أي: الكفرة مع اطمئنان قلوبهم ﴿ثم جاهدوا﴾ في سبيل الله ﴿وصبروا﴾ على مشاق الجهاد ﴿إن ربك من بعدها﴾ من بعد المهاجرة والجهاد والصبر ﴿لغفور﴾ بما فعلوا من قبل أي: لستور عليهم محاء لما صدر منهم ﴿رحيم﴾ منعم عليهم من بعد بالجنة جزاء على تلك الأفعال الحميدة والخصال المرضية.

واعلم أن المهاجرة مفاعلة من الهجرة وهي الانتقال من أرض إلى أرض والمجاهدة مفاعلة من الجهد وهو استفراغ الوسع وبذل المجهود. قال في «التعريفات»: المجاهدة في اللغة المحاربة وفي الشرع محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها مما هو مطلوب في الشرع انتهى. وكل من المهاجرة الصورية والمعنوية وكذا المجاهدة مقبولة مرضية اذ من كان في أرض لا يقيم فيها شعائر دينه وأهلها ظالمون فهاجر منها لدينه ولو شبراً وجبت له الجنة ومن فارق موطن النفس والمألوفات وحارب الأعداء الباطنة وجبت له القربة ومرتبة الصديقين فوق مرتبة الشهداء. وعن عمر بن الفارض قدس سره أنه حضر جنازة رجل من أولياء الله تعالى قال: فلما صلينا عليه امتلأ الجو بطيور خضر فجاء طير كبير فابتلعه ثم طار فتعجبت فقال لي رجل كان قد نزل من السماء وحضر الصلاة لا تتعجب فإن أرواح الشهداء في حواصل الطيور خضر ترعى في الجنة أولئك شهداء السيوف وأما شهداء المحبة فأجسادهم أرواح إذ آثار الأرواح اللطيفة تسري إلى الأجساد فتحصل اللطافة لها أيضاً ولذا لا تبلى أجساد الكمل ولا بد لمن أراد أن يصل إلى هذه الرتبة ويحيى حياة أبدية من أن يميت نفسه الأمارة ويزكيها عن سفساف الأخلاق ورذائل الأوصاف كالكبر والعجب والرياء والغضب والحسد وحب المال وحب الجاه يقال إن الدركات السبع للنار بمقابلة هذه الصفات السبع للنفس فالخلاص من هذه الصفات سبب الخلاص من تلك الدركات، قال الشيخ سعدي قدس سره:

ترا شهوت وكبر وحرص وحسد — چو خون دررکندو چوجان درجسد
كر اين دشمنان تقويت يافتند — سراز حكم ورأى توبر تافتند
تو بر كره توسنى در كمر — نكر تانپيچد ز حكم توسر
اكر پالهنك از كفت در كسيخت — تن خويشتن كشت وخون توريخت

ثم إن الله تعالى غفور من حيث الأفعال يتجلى لأهل التزكية من مرتبة توحيد الأفعال وغفور من حيث الصفات يتجلى لهم من مرتبة توحيد الصفات وغفور من حيث الذات يتجلى لهم من مرتبة توحيد الذات فيستر أفعالهم وصفاتهم وذواتهم وينعم عليهم بآثار أفعاله وأنوار صفاته وأسرار ذاته فيتخلصون من الفاني ويصلون إلى الباقي ويجدون ثمرات المجاهدات وهي المشاهدات ونتائج المفارقات وهي المواصلات وعواقب المعاقبات وهي التنعم في الجنات العاليات والاستراحة الدائمة في مقامات القربات اللهم اعنا على سلوك سبيل الهجرة والصبر والجهاد واحفظنا من فتنة أهل البغي والفساد إنك أنت الأهل للإعانة والإمداد.

﴿يوم تأتي كل نفس﴾ منصوب باذكر والمراد يوم القيامة ﴿تجادل عن نفسها﴾ أضاف النفس إلى النفس لأنه يقال لعين الشيء نفسه ولنقيضه غيره والنفس جملة الشيء أيضاً فالنفس الأولى بمعنى الجملة والثانية بمعنى العين والذات. والمعنى اذكر يا محمد ويا كل من يصلح للخطاب يوم يأتي كل إنسان يجادل ويخاصم عن ذاته يسعى في خلاصه بالاعتذار كقولهم هؤلاء أضلونا وما كنا مشركين لا يهمه شأن غيره فيقول نفسي نفسي وذلك حين زفرت جهنم زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه حتى خليل الرحمٰن عليه السلام وقال رب نفسي أي: أريد نجاة نفسي. قال أحمد الدورقي مات رجل من جيراننا شاب فرأيته في الليل وقد شاب فقلت: ما قصتك قال دفن بشر المريسي في مقبرتنا فزفرت جهنم زفرة شاب منها كل من في المقبرة وبشر أخذ الفقه عن أبي يوسف القاضي إلا أنه اشتغل بالكلام وقال بخلق القرآن وأضل خلقاً كثيراً ببغداد في زمن المأمون وقطعه عبد العزيز الكتاني وبالجملة كان بشر من جملة شياطين الانس حتى نصبه الشيطان خليفة لمن في بغداد إذ فعل بالخلق ما فعله الشيطان من الإضلال، قال الحافظ:

دام سختست مكر لطف خدايا شود ورنه آدم نبرد صرفه زشيطان رجيم

وقال:

سزدم چوابر بهمن كه درين چمن بكريم طرب آشيان بلبل بنكر كه زاغ دارد

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿كل نفس﴾ على قدر بقاء وجودها ﴿تجادل عن نفسها﴾ إما دفعاً لمضارها أو جذباً لمنافعها حتى الأنبياء عليهم السلام يقولون نفسي نفسي إلا محمداً ﷺ فإنه فان عن نفسه باق بربه فإنه يقول أمتي أمتي لأنه المغفور من ذنب وجوده المتقدم في الدنيا والمتأخر في الآخرة بما فتح له ليلة المعراج إذ واجهه بخطاب السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ففني عن وجوده بالسلام وبقي بوجوده بالرحمة وكان رحمة مهداة أرسل ببركاته إلى الناس كافة ولكنه رفع المنزلة من تلك الضيافة خاصة لخواص متابعيه كما قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين يعني الذين صلحوا لبذل الوجود في طلب المقصود ونيل الجود فما بقي لهم مجادلة عن نفوسهم مع الخلق والخالق كما قال بعضهم كل الناس يقولون غداً نفسي نفسي وأنا أقول ربي ربي ﴿وتوفى كل نفس﴾ برة أو فاجرة أي: تعطى وافياً كاملاً وبالفارسية [تمام داده شود هر نفس را] ﴿ما عملت﴾ أي: جزاء ما عملت بطريق إطلاق اسم السبب على المسبب إشعاراً بكمال الاتصال بين الأجزية والأعمال وإيثار الإظهار على الإضمار للإيذان باختلاف وقتي المجادلة والتوفية وإن كانتا في يوم واحد ﴿وهم لا يظلمون﴾ لا ينقصون أجورهم ولا يعاقبون بغير موجب ولا يزاد في عقابهم على ذنوبهم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى يخاصم الروح الجسد يقول الروح يا رب لم يكن لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها ويقول الجسد: خلقتني كالخشب ليست لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا كشعاع النور فيه نطق لساني وأبصرت عيني ومشت رجلي قال: فيضرب لهما مثلاً مثل أعمى ومقعد دخلا حائطاً وفيه ثمار فالأعمى لا يبصر الثمار والمقعد لا ينالها فحمل الأعمى المقعد فأصابا من الثمر فعليهما العذاب كذا في «تفسير السمرقندي» وفيه إشارة إلى أن كل نفس عملت سوءاً توفي العذاب بنار الجحيم ونار القطيعة وكل نفس عملت خيراً توفي الثواب من نعيم الجنان

ولقاء الرحمٰن فلا يعذب أهل النعيم ولا يثاب أهل الجحيم كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿**وضرب الله مثلا قرية**﴾ أي: قصة أهل قرية كانت في قرى الأولين وهي أيلة كما في الكواشي وهي بلد بين ينبع ومصر وضرب المثل صنعه واعتماله ولذا قال الكاشفي في تفسيره [وپيدا كرد خدا مثلي] ولا يتعدى إلا إلى مفعول واحد وإنما عدي إلى اثنين لتضمينه معنى الجعل وتأخير قرية مع كونها مفعولاً أولا لئلا يحول المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب عليها إذ التأخير عن الكل مخل بتجاذب أطراف النظم وتجاوبها. والمعنى جعل أهلها مثلاً لأهل مكة خاصة أو لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله بنعمتهم نقمة ودخل فيهم أهل مكة دخولاً أولياً ﴿**كانت آمنة**﴾ ذات أمن من كل مخوف. قال الكاشفي: [أيمن از نزول قياصره وقصه جبابره] ﴿**مطمئنة**﴾ [ارميده واهل آن آسوده]. قال في الكواشي لا ينتقلون عنها إلى غيرها لحسنها ﴿**يأتيها رزقها**﴾ أقوات أهلها صفة ثانية لقرية وتغير سبكها عن الصفة الأولى لما أن إتيان رزقها متجدد وكونها آمنة مطمئنة ثابت مستمر ﴿**رغدا**﴾ واسعاً ﴿**من كل مكان**﴾ من نواحيها من البر والبحر ﴿**فكفرت**﴾ أي: كفر أهلها ﴿**بأنعم الله**﴾ أي: بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع والمراد بها نعمة الرزق والأمن المستمر وإيثار جمع القلة للإيذان بأن كفران نعمة قليلة حيث أوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة.

ـ روي ـ أن أهل أيلة كانوا يستنجون بالخبز كما في الكواشي. يقول الفقير: الخبز هو الأصل بين النعم الإلٰهية ولذا أمر آدم عليه السلام الذي هو أصل البشر بالحراثة فمن كفر به فقد كفر بجميع النعم وتعرض لزوالها وكذا الاعتقاد الصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة هو الأساس المبني عليه قبول الأعمال الصالحة فمن أفسد اعتقاده فقد أفسد دينه وتعرض لسخط الله تعالى:

بآب زمزم اكرشست خرقه زاهد شهر چه سود ازان چوندارد طهارت ازلي

والمقصود طهارة الوجود والقلب عن لوث الأنية والتعلق بغير الله تعالى ﴿**فأذاقها الله**﴾ أي: أذاق أهلها. وبالفارسية [پس بچشانيد خداى تعالى اهل آنرا] واصل الذوق بالفم ثم يستعار فيوضع موضع الابتلاء والاختبار كما في «تفسير أبي الليث» ﴿**لباس الجوع**﴾ حتى أكلوا ما تغوطوه لأن الجزاء من جنس العمل. قال في «الأسئلة المقحمة في الأجوبة المفحمة» كيف سمي الجوع لباساً قيل لأنه يظهر من الهزال وشحوب اللون وضيق الحال ما هو كاللباس ﴿**والخوف**﴾ . قال في «الإرشاد» شبه أثر الجوع والخوف وضرهما المحيط بهم باللباس الغاشي للابس فاستعير له اسمه وأوقع عليه الإذاقة المستعارة لمطلق الإيصال المنبئة عن شدة الإصابة بما فيها من اجتماع إدراك الملامسة والذائقة على نهج التجريد فإنها لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على الألسنة جرت مجرى الحقيقة ﴿**بما كانوا يصنعون**﴾ فيما قبل من الكفران ثم بين أن ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله على الخلق أيضاً فقال:

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿ولقد جاءهم﴾ أي: أهل تلك القرية ﴿رسول منهم﴾ أي: من جنسهم يعرفونه بأصله ونسبه فأخبرهم بوجوب الشكر على النعمة وأنذرهم سوء عاقبة الكفران ﴿فكذبوه﴾ في رسالته ﴿فأخذهم العذاب﴾ المستأصل غب ما ذاقوا نبذة من ذلك ﴿وهم ظالمون﴾ حال كونهم ظالمين بالكفران والتكذيب حيث جعلوا الأول موضع الشكر والثاني موضع التصديق وترتيب العذاب على التكذيب جرى على سنة الله تعالى كما قال.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥]. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هذا المثل لأهل مكة فإنهم كانوا في حرم آمن ويتخطف الناس من حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكانت تجبى إليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم فكفروا بأنعم الله وكذبوا رسول الله ﷺ فأصابهم بدعائه ﷺ بقوله: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» ما أصابهم من القحط والجدب حتى أكلوا الجيف والكلاب الميتة والجلود والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر والدم أي: يخلط الدم بأوبار الإبل ويشوي على النار وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان من الجوع وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت من سرايا رسول الله ﷺ بعد الهجرة حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم فوقعوا في خوف عظيم من أهل الإسلام حتى تركوا سفر الشام والتردد إليه ثم أخذهم يوم بدر ما أخذهم من العذاب.

وفي الآية إشارة إلى أن النفس الأمارة بالسوء إذا كفرت في قرية شخص الإنسان بنعم الطاعات والتوفيق واتبعت هواها وتمتعت بشهواتها ابتليت بانقطاع ميرة الحق وأكل جيفة الدنيا وميتة المستلذات وخوف العذاب بسوء صنيعها فلا بد للسالك أن يقتفي أثر رسول الخاطر الروحاني المؤيد بالإلهام الرباني ويترك الاقتداء بالنفس والشيطان فإنهما يجران إلى الأخلاق الذميمة المستتبعة للآثار القبيحة وقد بعث النبي ﷺ لإتمام الأخلاق الحميدة على وفق الشريعة كما قال: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» والمكارم: جمع مكرمة كالمصالح جمع مصلحة وإضافته إلى الأخلاق من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف أي: بعثت لأتمم الأخلاق الكريمة والشيم الحسنة وذلك أن الأنبياء عليهم السلام كل واحد منهم مبعوث بسر وحكمة إلهية راجعة إلى تكميل البشر وتحسين أخلاقهم ونبينا عليه السلام مبعوث لتتميم تلك الأخلاق الكريمة وتكميلها على وجه التفصيل ولهذا جاء بشرع جامع لجميع جهات الحسن وهذا سر قوله: «لا نبي بعدي» فمن ادعى نبياً بعده جهل بقدره وقدر علماء أمته كما لا يخفى.

﴿فكلوا مما رزقكم الله﴾ أي: وإذ قد استبان لكم يا أهل مكة حال من كفر بأنعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من اللتيا والتي أولاً وآخراً فانتهوا عما أنتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول كيلا يحل بكم مثل ما أحل بهم واعرفوا حق نعم الله وأطيعوا رسوله في أمره ونهيه وكلوا من رزق الله من الحرث والأنعام وغيرهما حال كونه ﴿حلالا طيبا﴾ أي: لذيذاً تستطيبه النفوس وذروا ما تفترون من تحريم البحائر ونحوها فحلالاً حال من ما رزقكم الله ويجوز أن يكون مفعول كلوا. وفيه إشارة إلى أن أنوار الشريعة وأسرار الحقيقة رزق

معنوي للعاشق الصادق وما قبلته الشريعة والحقيقة فهو حلال طيب وما ردته فهو حرام خبيث ولذا قيل:

علم دين فقهست وتفسير وحديث هركه خواند غيرازين كردد خبيث

أي: العلم المقبول النافع هذه العلوم وما شهدت هي له بالقبول من الظواهر والبواطن ﴿واشكروا نعمة الله﴾ واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعنى داخلة على الأمر بالشكر وإنما دخلت على الأمر بالأكل لكون الأكل ذريعة إلى الشكر فكأنه قيل فاشكروا نعمة الله غب أكلها حلالاً طيباً ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ أي: تطيعون وتريدون رضاه أن تستحلوا ما أحل الله وتحرموا ما حرم الله.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾ أي: أكلها وهي ما لم تلحقه الذكاة. وبالفارسية [مردار] فاللحم القديد المجلوب إلى الروم من أفلاق حرام لأنهم إنما يضربون رأس البقر بالمقمعة ولا يذكون ﴿والدم﴾ المسفوح أي: المصبوب من العروق وأما المختلط باللحم فمعفو والأولى غسله ﴿ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ أي: رفع الصوت للصنم به وذلك قول أهل الجاهلية باللات والعزى أي: إنما حرم هذه الأشياء دون ما تزعمون حرمته من البحائر والسوائب ونحوهما وتنحصر المحرمات فيها إلا ما ضمه إليها دليل كالسباع والحمر الأهلية.

ـ روي ـ أنه عليه السلام «نهى عن أكل ذي مخلب من الطيور وكل ذي ناب من السباع».

ـ وروى ـ خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه عليه السلام «نهى عن لحوم الخيل والبغال والحمير». وفيه حجة لأبي حنيفة على صاحبيه في تحليلهما أكل لحوم الخيل وما روياه عن جابر رضي الله عنه أنه قال: «نهى النبي عليه السلام عن لحوم الحمر الأهلية وأذن في لحم الخيل» معارض لحديث خالد والترجيح للمحرم كذا في «حواشي» الفاضل سنان چلبي. والإشارة إلى الميتة جيفة الدنيا والحيوان هي الدار الآخرة ولو لم يكن للآخرة حياة لكانت جيفة [جيفة را براي مرد كيش جيفة كويند نى براي بوي زشت وصورت قبيحة] فاعرف، وفي «المثنوي»:

آن جهان چون ذره ذره زنده اند نكته دانند وسخن كوينده اند
در جهان مرده شان آرام نيست كين علف جز لائق أنعام نيست
هركرا كلشن بود بزم وطن كى خورد او باده اندر كولخن
جاى روح پاك عليين بود كرم باشد كش وطن سركين بود

وإن الدم شهوات الدنيا. ولحم الخنزير الغيبة والحسد والظلم. وما أهل لغير الله به مباشرة كل عمل مباح لا لله وللتقرب إليه بل لهوى النفس وطلب حظوظها كما في «التأويلات النجمية» ﴿فمن اضطر﴾ الاضطرار الاحتياج إلى الشيء واضطره إليه أحوجه وألجأه فاضطر بضم الطاء والضرورة الحاجة. قال الكاشفي [بس هركه بيچاره شود ومحتاج كردد بخوردن

يكى از محرمات] فتناول شيئاً من ذلك حال كونه ﴿غير باغ﴾ أي: على مضطر آخر بالاستئثار عليه فإن هلاك الآخر ليس بأولى من هلاكه فهو حال من فعل مقدر كما أشير إليه. والباغي من البغي يقال بغى عليه بغياً علا وظلم ﴿ولا عاد﴾ أي: متجاوز قدر الضرورة وسد الجوع يقال عدا الأمر وعنه جاوزه ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ أي: لا يؤاخذه بذلك فأقيم سببه مقامه.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿فمن اضطر﴾ إلى نوع منها مثل طلب القوت بالكسب الحلال أو التأهل للتوالد والتناسل أو الاختلاط مع الخلق للمناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من أبواب البر غير معرض عن طلب الحق ولا مجاوز عن حد الطريقة ﴿فإن الله غفور﴾ لما اضطروا إليه ﴿رحيم﴾ على الطالبين بأن يبلغهم مقاصدهم.

واعلم أن مواضع الضرورة مستثناة ولذا قال في «التهذيب» يجوز للعليل شرب البول والدم للتداوي إذا أخبره طبيب مسلم أن شفاءه فيه ولم يجد من المباح ما يقوم مقامه. وأجاز بعضهم استشارة أهل الكفر في الطب إذا كانوا من أهله كما في «إنسان العيون» والأولى التجنب عنه لأن المؤمن ولي الله والكافر عدو الله ولا خير لولي من عدو الله فلا بد للمريض من المراجعة إلى المجانس وأهل الوقوف والتجربة، قال الصائب:

زبى دردان علاج دردخود جستن بآن ماند   كه خار از پابرون آردكسى بانيش عقربها

وفي «الأشباه»: يرخص للمريض التداوي بالنجاسات وبالخمر على أحد القولين واختار قاضيخان عدمه وإساغة اللقمة بها إذا غص اتفاقاً وإباحة النظر للطبيب حتى للعورة والسوءتين انتهى. قال الفقيه أبو الليث رحمه الله يستحب للرجل أن يعرف من الطب مقدار ما يمتنع به عما يضر ببدنه انتهى.

ـ وروي ـ عن علي كرم الله وجهه أنه قال لحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء وقد صح عن النبي عليه السلام أنه ضحى عن نسائه بالبقر. قال الحليمي هذا ليبس الحجاز ويبوسة لحم البقر ورطوبة لبنها وسمنها فكأنه يرى اختصاص ذلك به وهذا التأويل مستحسن وإلا فالنبي عليه السلام لا يتقرب إلى الله تعالى بالداء فهو إنما قال ذلك في البقر كما قال: «عليكم بألبان البقر وسمنانها وإياكم ولحومها فإن ألبانها وسمنانها دواء وشفاء ولحومها داء» لتلك اليبوسة. وجواب آخر أنه ضحى بالبقر لبيان الجواز أو لعدم تيسر غيره كذا في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي.

﴿ولا تقولوا﴾ يا أهل مكة ﴿لما تصف ألسنتهم﴾ ما موصولة واللام صلة لا تقولوا مثل ما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌۢ﴾ [البقرة: ١٥٤] أي: لا تقولوا في شأن ما تصف ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير ترتيب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلاً عن استناده إلى وحي أو قياس مبني عليه ﴿الكذب﴾ ينتصب بلا تقولوا ﴿هذا حلال وهذا حرام﴾ بدل منه، فالمعنى لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لما تصفه ألسنتكم بالحل والحرمة فقدم عليه كونه كذباً وأبذل منه هذا حلال وهذا حرام مبالغة واللام صلة مثل ما يقال لا تقل للنبيذ إنه حرام أي: في شأنه وذلك لاختصاص القول بأنه في شأنه. وفيه إيماء إلى أن ذلك مجرد وصف باللسان لا حكم عليه عقد كذا في «حواشي» سعدي المفتي. ويقال في الآية تنبيه للقضاة والمفتين كيلا يقولوا قولاً بغير حجة وبيان كما في «تفسير أبي الليث». ﴿لتفتروا على الله الكذب﴾ فإن مدار

الحل والحرمة ليس إلا أمر الله فالحكم بالحل والحرمة إسناد للتحليل والتحريم إلى الله من غير أن يكون ذلك منه. واللام لام العاقبة لا الغرض لأن الافتراء لم يكن غرضاً لهم.

وفي الآية إشارة إلى ما تقولت النفوس بالحسبان والغرور أنا قد بلغنا إلى مقام يكون علينا بعض المحرمات الشرعية حلالاً وبعض المحللات حراماً فيفترون على الله الكذب أنه أعطانا هذا المقام كما هو من عادة أهل الإباحة كذا في «التأويلات النجمية» ﴿**إن الذين يفترون على الله الكذب**﴾ في أمر من الأمور ﴿**لا يفلحون**﴾ لا يفوزون بمطالبهم التي ارتكبوا الافتراء للفوز بها.

﴿**متاع قليل**﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة تنقطع عن قريب ﴿**ولهم**﴾ في الآخرة ﴿**عذاب أليم**﴾ لا يكتنه كنههم.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿**وعلى الذين هادوا**﴾ يعني: على اليهود خاصة دون غيرهم من الأولين والآخرين ﴿**حرمنا ما قصصنا عليك**﴾ أي: بقوله: ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ [الأنعام: ١٤٦] الآية ﴿**من قبل**﴾ أي: من قبل نزول الآية فهو متعلق بقصصنا أو من قبل التحريم على هذه الأمة فهو متعلق بحرمنا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بإبطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فإنهم كانوا يقولون لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الأمر إلينا ﴿**وما ظلمناهم**﴾ بذلك التحريم ﴿**ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾ حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه حسبما نعى عليهم في قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠] الآية ولقد ألقمهم الحجر قوله تعالى: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران: ٩٣].

ـ روي ـ أنه ﷺ لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجرأوا أن يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها أن تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديداً أوضح بيان. وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم ﴿**ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة**﴾ [بسبب غفلت وناداني وعدم تفكر در عواقب أمور]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل من يعمل سوءاً فهو جاهل وإن كان يعلم أن ركوبه سيئة. والسوء يحتمل الافتراء على الله وغيره. واللام متعلقة بالخبر وهو لغفور وإن الثانية تكرير على سبيل التأكيد لطول الكلام ووقوع الفصل كما مر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ [النحل: ١١٠] الآية ﴿**ثم تابوا من بعد ذلك**﴾ أي: من بعدما عملوا السوء والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتأكيد والمبالغة ﴿**وأصلحوا**﴾ أعمالهم أو دخلوا في الصلاح ﴿**إن ربك من بعدها**﴾ من بعد التوبة كقوله:

﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٨] في أن الضمير عائد إلى مصدر الفعل. قال سعدي المفتي لم يذكر الإصلاح لأنه تكميل التوبة فإنها الندم على المعصية من حيث إنها معصية مع عزم أن لا يعود فعدم العود والإصلاح تحقيق لذلك العزم ﴿لغفور﴾ لذلك السوء أي: ستور له محاء ﴿رحيم﴾ يثبت على طاعته تركاً وفعلاً وتكرير قوله تعالى ﴿إن ربك﴾ لتأكيد الوعد وإظهار كمال العناية بإنجازه. فعلى العاقل أن يرجع عن الإعراض عن الله ويقبل عليه بصدق الطلب وإخلاص العمل والتوبة بمنزلة الصابون فكما أن الصابون يزيل الأوساخ الظاهرة فكذلك التوبة تزيل الأوساخ الباطنة يعني الذنوب وفي «المثنوي»:

كرسيه كردى تونامه عمر خويش ... توبه كن زانها كه كردستى توپيش
عمر اكر بكذشت بيخش اين دم است ... آب توبه اش ده اكر اوبى نم است
بيخ عمرت را بده آب حيات ... تا درخت عمر كردد باثبات
جمله ماضيها ازين نيكو شوند ... زهر پارينه ازاين كردد چوقند

واعلم أن توبة العوام من السيآت وتوبة الخواص من الزلات والغفلات وتوبة الأكابر من رؤية الحسنات والالتفات إلى الطاعات لا تركها والعبد إذا رجع عن السيئة وأصلح عمله أصلح الله شأنه وأفضل الأعمال خلاف هوى النفس والذكر بلا إله إلا الله وفي الحديث «إن لله عموداً من ياقوت أحمر رأسه تحت العرش وأسفله على ظهر الحوت في الأرض السفلى فإذا قال العبد لا إله إلا الله محمد رسول الله عن نية صادقة اهتز العرش فتحرك الحوت والعمود فيقول الله تعالى: اسكن يا عرشي فيقول العرش: كيف أسكن وأنت لا تغفر لقائلها فيقول الله تعالى: اشهدوا يا سكان سمواتي أني قد غفرت لقائلها الذنوب صغيرها وكبيرها سرها وعلانيتها، فبذكر الله تعالى يتخلص العبد من الذنوب وبه تحصل تزكية النفس وتصفية القلوب».

﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ على حدة لحيازته من الفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد إلا متفرقاً في أمة جمة كما قيل:

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد
جانا تويكانه ولى ذات توهست ... مجموعه آثار كمالات همه

وفي الحديث «حسين سبط من الأسباط» كما في «المصابيح» بمعنى أنه من الأمم يقوم وحده مقامها أو بمعنى أنه يتشعب منه الفروع الكثيرة إذ السادات من نسل زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما. فلا دلالة في الحديث على نبوة الحسين كما ادعاه بعض المفترين في زماننا هذا نعوذ بالله ومن قال بعد نبينا نبي يكفر كما في «بحر الكلام». ويقال أمه بمعنى مأموم أي: يؤمه الناس ويقصدونه ليأخذوا منه الخير ومعلم الخير إمام في الدين وهو عليه السلام رئيس أهل التوحيد وقدوة أصحاب التحقيق مجادل أهل الشرك وألقمهم الحجر ببينات باهرة وأبطل مذاهبهم بالبراهين القاطعة ﴿قانتا لله﴾ مطيعاً له قائماً بأمره ﴿حنيفا﴾ مائلاً عن كل دين باطل إلى الدين الحق ﴿ولم يك من المشركين﴾ في أمر من أمور دينهم أصلاً وفرعاً. وفيه رد على كفار قريش في قولهم نحن على ملة أبينا إبراهيم.

﴿شاكراً لأنعمه﴾ جمع نعمة صفة ثالثة لأمة.

ـ روي ـ أنه كان لا يأكل إلا مع ضيف ولم يجد ذات يوم ضيفاً فأخر غداءه فجاءه فوج من الملائكة في زي البشر فقدم لهم الطعام فخيلوا إليه أن بهم جذاماً فقال: الآن وجبت

مؤاكلتكم شكراً لله على أن عافاني وابتلاكم ويقال إنه أراد الضيافة لأمة محمد ثم دعا الله لأجلها وقال: إني عاجز وأنت قادر على كل شيء فجاء جبريل فأتى بكف من كافور الجنة فأخذ إبراهيم فصعد إلى جبل أبي قبيس ونثره فأوصله الله إلى جميع أقطار الدنيا فحيثما سقطت ذرة من ذراته كان معدن الملح فصار الملح ضيافة إبراهيم عليه السلام، قال الشيخ سعدي قدس سره:

خور وپوش بخشاي وراحت رسان — نكه مى چه داري زبهر كسان
غم شادمانى نماند وليك — جزاي عمل ماند ونام نيك

﴿واجتباه﴾ اختاره للنبوة ﴿وهداه إلى صراط مستقيم﴾ موصل إليه وهو ملة الإسلام المشتمل على التسليم وقد أوتي تسليماً أي: تسليم وآتيناه في الدنيا حسنة حالة حسنة من الذكر الجميل والثناء فيما بين الناس قاطبة والأولاد الأبرار والعمر الطويل في السعة والطاعة وأن حضرة الرسالة ﷺ من نسله وأن الصلاة عليه مقرونة بصلاة النبي عليه كما يقول المصلي من هذه الأمة كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ أصحاب الدرجات العالية في الجنة وهم الأنبياء عليهم السلام فالمراد الكاملون في الصلاح والواصلون إلى غاية الكمال ﴿ثم أوحينا إليك﴾ مع علو طبقتك وسمو رتبتك وما في ثم من التراخي في الرتبة للتنبيه على أن أجل ما أوتي إبراهيم اتباع الرسول ملته ﴿أن اتبع ملة إبراهيم﴾ الملة اسم لما شرعه الله لعباده على لسان الأنبياء من أمللت الكتاب إذا مليته وهي الدين بعينه لكن باعتبار الطاعة له والمراد بملته الإسلام المعبر عنه بالصراط المستقيم ﴿حنيفاً﴾ حال من المضاف إليه لما أن المضاف لشدة اتصاله به جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رأيت وجه هند قائمة ﴿وما كان من المشركين﴾ بل كان قدوة الموحدين وهو تكرير لما سبق لزيادة تأكيد وتقرير لنزاهته عما هم عليه من عقد وعمل. قال العلماء المأمور به الاتباع في الأصول دون الفروع المتبدلة بتبدل الأعصار واتباعه له بسبب كونه مبعوثاً بعده وإلا فهو أكرم الأولين والآخرين على الله.

تواصل وباقى طفيل توانند — تو شاهى ومجموع خيل توانند

وكان ﷺ على دين قومه قبل النبوة أي: على ما بقي فيهم من إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في حجهم ومناسكهم وبيوعهم وأساليبهم وأما التوحيد فإنهم كانوا قد بدلوه والنبي عليه السلام لم يكن إلا عليه.

قال في «التأويلات النجمية»: لما سلك النبي ﷺ طريق متابعته واسلم وجهه لله ليذهب إلى الله كما ذهب إبراهيم وقال: إني ذاهب إلى ربي نودي في سره إن إبراهيم كان خليلنا وأنت حبيبنا فالفرق بينكما أن الخليل لو كان ذاهباً يمشي بنفسه فالحبيب يكون راكباً أسري به فلما بلغ سدرة المنتهى وجد مقام الخليل عندها فقيل له إن السدرة مقام الخليل لو رضيت بها لنزينها لك إذ يغشى السدرة ما يغشى ولعلو همته الحبيبية ما زاغ البصر بالنظر إليها وما طغى باتخاذ المنزل عندها ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى وهو مقام الحبيب فبقي مع بلا هو في خلوة لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب وهو جبريل ولا نبي مرسل وهو هويته عليه السلام لما جاوز حد المتابعة صار متبوعاً فإن كان ﷺ في الدنيا محتاجاً إلى متابعة الخليل فالخليل يكون في الآخرة محتاجاً إلى شفاعته كما قال: «الناس محتاجون إلى شفاعتي يوم

القيامة حتى إبراهيم» انتهى ما في «التأويلات». ثم الآية تدل على شرف المتابعة فإن الحبيب مع شرفه العظيم إذا كان مأموراً بالمتابعة فما ظنك بغيره من أفراد الأمة ففي المتابعة وصحبة الأخيار والصلحاء شرف وسعادة عظمى ألا يرى أن عشرة من الحيوانات من أهل الجنة بشرف القرين كناقة صالح وكبش إسماعيل ونملة سليمان وكلب أصحاب الكهف ولله در من قال:

سك أصحاب كهف روزى چند پى مردم كرفت ومردم شد

وعن النبي عليه السلام «أن رجلاً يبقى متحيراً من الإفلاس فيقول الله: يا عبدي أتعرف العبد الفلاني أو العارف الفلاني فيقول: نعم فيقول الله: فاذهب فإني قد وهبتك له». وعن الشيخ بهاء الدين أن خادم الشيخ أبي يزيد البسطامي قدس سره كان رجلاً مغربياً فجرى الحديث عنده في سؤال منكر ونكير فقال المغربي: والله إن يسألاني لأقولن لهما فقالوا له: ومن يعلم ذلك؟ فقال: اقعدوا على قبري حتى تسمعوني فلما انتقل المغربي جلسوا على قبره فسمعوا المسألة وسمعوه يقول: أتسألونني وقد حملت فروة أبي يزيد على عنقي فمضوا وتركوه.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿إنما جعل السبت﴾ أي: فرض تعظيم يوم السبت والتخلي فيه للعبادة وترك الصد فيه فتعدية جعل بعلى لتضمينه معنى فرض والسبت يوم من أيام الأسبوع بمعنى القطع والراحة فسمي به لانقطاع الأيام عنده إذ هو آخر أيام الأسبوع وفيه فرغ الله من خلق السموات والأرض أو لأن اليهود يستريحون فيه من الأشغال الدنيوية ويقال اسبتت اليهود إذا عظمت سبتها وكان اليهود يدعون أن السبت من شعائر الإسلام وأن إبراهيم كان محافظاً عليه أي: ليس السبت من شعائر إبراهيم وشعائر ملته التي أمرت يا محمد باتباعها حتى يكون بينه ﷺ وبين بعض المشركين علاقة في الجملة وإنما شرع ذلك لبني إسرائيل بعد مدة طويلة. قال الكاشفي: [در زاد المسير آورده كه آن روز حضرت موسى عليه السلام يكى را ديدكه متاعى را برداشته بجايى ميبرد بفرمود تا كردنش بزدند وتنش را در محلى بيفكند ندكه مرغان مردار خوار چهل روز اجزا واحشاى اومى خوردند] وذلك لهتك حِرمة شريعته بمثل ذلك العمل:

كرا شرع فتوى دهد برهلاك الا تاندارى ز كشتنش باك

﴿على الذين اختلفوا فيه﴾ منشأ الاختلاف هو الطرف المخالف للحق وذلك أن موسى عليه السلام أمر اليهود أن يجعلوا في الأسبوع يوماً واحداً للعبادة وأن يكون ذلك يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا: نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والأرض وهو السبت إلا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فأذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فأطاع أمر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأما غيرهم فلم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله قردة دون أولئك المطيعين. يقول الفقير: أما الفرقة الموافقة فنجوا لانقيادهم لأمر الله تعالى وفناء باطنهم عن الإرادة التي لم تنبعث من الله تعالى وأما الفرقة المخالفة فهلكوا لمخالفتهم لأمر الله تعالى وبقائهم بنفوسهم الأمارة ولا شك أن من أجبر وفق ومن تحرك بإرادته وكل إلى

نفسه ﴿وإن ربك ليحكم بينهم﴾ أي: بين الفريقين المختلفين فيه ﴿يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ أي: يفصل ما بينهما من الاختلاف فيجازي الموافق بالثواب والمخالف بالعقاب وفيه إيماء إلى أن ما وقع في الدنيا من مسخ أحد الفريقين وإنجاء الآخر بالنسبة إلى ما سيقع في الآخرة شيء لا يعتد به وفي الحديث: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة أوتينا من بعدهم» يعني: يوم الجمعة فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فلنا اليوم ولليهود غداً وللنصارى بعد غد. وفي الآية إشارة إلى أن الاختلاف فيما أرشد الله به الناس إلى الصراط المستقيم من الأوامر والنواهي لاستحلال بعضها وتحريم بعضها ابتداعاً منهم على وفق الطبع والهوى وإن كان التشديد فيه على أنفسهم يكون وبالاً عليهم وضلالاً عن الصراط المستقيم. فالواجب على العباد في العبادات والطاعات والمجاهدات وطلب الحق الاتباع وترك الابتداع كما قال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وعضوا عليها بالنواجد وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة». وجاء رجل للشيخ أبي محمد عبد السلام بن بشيش قدس سره فقال: يا سيدي وظف عليّ وظائف وأوراداً فغضب الشيخ وقال أرسول أنا فأوجب الواجبات الفرائض معلومة والمعاصي مشهورة فكن للفرائض حافظاً وللمعاصي رافضاً واحفظ قلبك من إرادة الدنيا واقنع من ذلك كله بما قسم لك فإذا خرج لك مخرج الرضى فكن لله فيه شاكراً وإذا خرج لك مخرج السخط فكن عليه صابراً وفي قوله تعالى: ﴿إن ربك ليحكم﴾ الآية إشارة إلى أن الله تعالى يحكم بعدله بين أهل السنة وأهل البدع فيقول هؤلاء في الجنة بفضلي ولا أبالي وهؤلاء في النار بعدلي ولا أبالي وأهل البدعة ثنتان وسبعون فرقة من أهل الظواهر وإحدى عشرة فرقة من أهل البواطن كلهم على خلاف الحق من حيث الاعتقاد وكلهم في النار والفرقة الناجية من المتصوفة وغيرهم هم الموافقون للكتاب والسنة عقداً وعملاً نسأل الله تعالى أن يحفظنا من الزيغ والضلال ولا بد من أخ ناصح في الدين كامل في طريق اليقين مرشد إلى الحق المتين قال الحافظ قدس سره:

قطع اين مرحله بى همر هى خضر مكن ظلماً تست بترس از خطر كمراهى

﴿ادع﴾ الناس يا أفضل الرسل من سبيل الشيطان ﴿إلى سبيل ربك﴾ وهو الإسلام الموصل إلى الجنة والزلفى. قال حضرة الشيخ العطار قدس سره:

نور او چون اصل موجودات بود ذات أو چون معطىء هر ذات بود
واجب آمد دعوت هر دوجهانش دعوت ذرات پيدا ونهانش

واعلم أن كل عين من الأعيان الموجودة مستند إلى اسم من الأسماء الإلٰهية واصل من طريق ذلك الاسم إلى الله الذي له أحدية جميع الأسماء. لا يقال فما فائدة الدعوة حينئذٍ؟ لأنا نقول الدعوة من المضل إلى الهادي ومن الجائر إلى العدل ﴿بالحكمة﴾ بالحجة القطعية المفيدة للعقائد الحقة المزيحة لشبهة من دعى إليها فهي لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق ﴿والموعظة الحسنة﴾ أي: الدلائل الإقناعية والحكايات النافعة فهي لدعوة عوامهم. يقال وعظه يعظه وعظاً وعظة وموعظة ذكره ما يلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ كما في «القاموس» ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ أي: ناظر معانديهم بالطريقة التي هي أحسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الأيسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكيناً لشغبهم وإطفاء للهبهم كما فعله الخليل عليه السلام. والآية دليل على أن المناظرة والمجادلة في العلم

جائزة إذا قصد بها إظهار الحق. قال الشيخ السمرقندي في تفسيره في هذه الآية تنبيه على المدعو إلى الحق فرق ثلاث. فإن المدعو إلى الله بالحكمة قوم وهم الخواص. وبالموعظة قوم وهم العوام. وبالمجادلة قوم وهم أهل الجدال وهم طائفة ذوو كياسة تميزوا بها عن العوام ولكنها ناقصة مدنسة بصفات رديئة من خبث وعناد وتعصب ولجاج وتقليد ضال تمنعهم عن إدراك الحق وتهلكهم فإن الكياسة الناقصة شر من البلاهة بكثير ألم تسمع أن أكثر أهل الجنة البله فليستعمل كل منها مع ما يناسبها فإنه لو استعمل الحكمة للعوام لم يفد شيئاً حيث لم يفهموها لسوء بلادتهم وعدم فطنتهم.

نكته كفتن پيش كژفهمان زحكمت بى كمان
جوهرى چنداز جواهر ريختن پيش خراست

وفي المثنوي:

كى توان باشيعه كفتن از عمر   كى توان بربط زدن درپيش كر

وإن استعمل الجدال مع أهل الحكمة تنفروا منه تنفر الرجل من الإرضاع بلبن الطفل.

وفي «التأويلات النجمية» قوله: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**﴾ إشارة إلى أن دعاء العوام إلى سبيل ربك وهو الجنة بالحكمة وهو الخوف والرجاء لأنهم يدعون ربهم خوفاً من النار وطمعاً في الجنة والموعظة الحسنة هي الرفق والمداراة ولين الكلام والتعريض دون التصريح وفي الخلا دون الملا فإن النصح على الملا تقريع:

كر نصيحت كنى بخلوت كن   كه جز اين شيوه نصيحت نيست
هر نصيحت كه بر ملا باشد   آن نصيحت بجز فضيحت نيست

ودعاء الخواص إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وهي أن تحبب الله إليهم وتوفر دواعيهم في الطلب وترشدهم وتهديهم إلى صراط الله وتسلكهم فيه وتكون لهم دليلاً وسراجاً منيراً إلى أن يصلوا في متابعتك وتزكيتك إياهم إلى مراتب المقربين ﴿**وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ لكل طائفة منها فجادل أهل النفاق واغلظ عليهم وجادل أهل الوفاق باللطف والرحمة واخفض جناحك للمؤمنين واعف عنهم واستغفر لهم. وقال حضرة شيخي وسندي روح الله روحه في كتابه المسمى «باللائحات البرقيات» بالحكمة أي: بالبصيرة على رعاية المناسبة في مقتضيات الأحوال والمقامات بالتليين والتخفيف والتعريض في مقاماتها والتغليظ والتشديد والتصريح في مقاماتها ونحو ذلك من المناسبات الحكمية الجالبة للمصالح والسالبة للمفاسد والموعظة الحسنة أي: المتضمنة للحسنات والمشتملة على الترغيبات والمتناولة للترهيبات والجالبة للقلوب إلى المحبوبات والسالبة للنفوس عن المقبوحات وغير ذلك مما يختص ويليق بالموعظة الحسنة التي هي الموعظة بالحق والعلم الكامل والعقل والتام لا الموعظة بالنفس والجهل والحمق فإن تلك الموعظة إنما هي بالبصيرة الشاملة الصحيحة وهذه الموعظة إنما هي بالغفلة العامة الفاسدة وفي الحقيقة الموعظة الحسنة هي الموعظة الجامعة لجوامع الكلم وجادلهم بالتي أي: بالمجادلة التي هي أحسن وهي المجادلة الحقانية التي تكون بالرفق واللين والصفح والعفو والسمع والكلام بقدر العقول والنظر إلى عواقب الأمور والصبر والتأني والتحمل والحلم وغير ذلك من خواص المجادلة التي هي أحسن مثل كون المراد منها إظهار الحق وبيان الصدق لمن خالف الحق والصدق بكمال الإعراض عن جميع الأغراض والإعراض

وتمام الترحم للمخالفين المعاندين الضالين عن سبيل الحق والصدق والجاهلين الغافلين السائرين إلى سبيل الباطل والكذب وما سوى ذلك من الخواص واللوازم ﴿**إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله**﴾ [بآنكس كه كمراه شد ازراه حق كه اسلامست] وأعرض عن قبول الحق بعدما عاين من الحكم والمواعظ والعبر ﴿**وهو أعلم بالمهتدين**﴾ بذلك أي: ما عليك إلا ما ذكر من الدعوة والتبليغ والمجادلة بالأحسن وأما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا عليك بل الله أعلم بالضالين والمهتدين فيجازي كلاً منهم بما يستحقه فكأنه قيل: إن ربك أعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكأنك تضرب منه في حديد بارد، قال الشيخ سعدي قدس سره:

توان پاك كردن زژنك آينه ... وليكن نيايد زسنك آينه

وقال الحافظ:

كوهر پاك ببايدكه شود قابل فيض ... ورنه هرسنك وكلي لؤلؤ ومرجان نشود

واعلم أن الناس ثلاثة أصناف: صنف مقطوع بحسن خاتمتهم مطلقاً كالأنبياء عليهم السلام والعشرة المبشرة، وصنف مقطوع بسوء عاقبتهم كأبي جهل وقارون وهامان وفرعون وغيرهم ممن قطع بسوء خاتمتهم مطلقاً. وصنف مشكوك في حسن خاتمتهم وسوء خاتمتهم مطلقاً كعامة المؤمنين الأبرار وكافة الكافرين الفجار فإن الأبرار كانوا ممدوحين في ظاهر الشريعة من جهة العقائد والأعمال في الحال والفجار كانوا مذمومين في ظاهر الشريعة من تلك الجهة في الحال لكن أمرهم في المآل مفوض إلى الله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح ويميز بينهما في الآخرة والعاقبة فكم من ولي في الظاهر يعود عدواً لله ووليا للشيطان نعوذ بالله لكون ضلاله ذاتياً قد تداخله الاهتداء العارضي فاستترت ظلمته بصورة نور الاهتداء كاستتار ظلمة الليل بنور النهار عند إيلاج الليل في النهار وكم من عدو في الظاهر يعود ولياً لله وعدواً للشيطان لكون اهتدائه أصلياً قد تداخله الضلال العارضي فاستتر نوره بظلمة الضلال العارضي كاستتار نور النهار بظلمة الليل عند إيلاج النهار في الليل فكما لا ينفع الأول الاهتداء العارضي ويكون غايته إلى الهلاك كذلك لا يضر هذا الثاني الضلال العارضي ويكون خاتمته إلى النجاة.
وعن أبي إسحاق ـ رحمه الله تعالى ـ قال: كان رجل يكثر الجلوس إلينا ونصف وجهه مغطى فقلت له: إنك تكثر الجلوس إلينا ونصف وجهك مغطى اطلعني على هذا قال وتعطيني الأمان قلت: نعم قال: كنت نباشا فدفنت امرأة فأتيت قبرها فنبشت حتى وصلت إلى اللبن فرفعت اللبن ثم ضربت بيدي إلى الرداء ثم ضربت بيدي إلى اللفافة فمددتها فجعلت تمدها هي فقلت: أتراها تغلبني فجثيت على ركبتي فجردت اللفافة فرفعت يدها فلطمتني وكشف وجهه فإذا أثر خمس أصابع في وجهه فقلت له ثم مه قال ثم رددت عليها لفافتها وإزارها ثم ردت التراب وجعلت على نفسي أن لا أنبش ما عشت قال: فكتبت بذلك إلى الأوزاعي فكتب إليّ الأوزاعي ويحك اسأله عمن مات من أهل التوحيد ووجهه إلى القبلة فسألته عن ذلك فقال أكثرهم حول وجهه عن القبلة فكتبت بذلك إلى الأوزاعي فكتب إلي إنا لله وإنا إليه راجعون ثلاث مرات أما من حول وجهه عن القبلة فإنه مات على غير السنة أي: على غير ملة الإسلام وذلك لأن ترك العمل بالكتاب والسنة والإصرار على المعاصي يجر كثير من العصاة إلى الموت على الكفر والعياذ بالله، قال الشيخ سعدي قدس سره:

عروسي بود نوبت ما تمت كرت نيك روزى بودى خاتمت

نسأل الله سبحانه أن يحفظ نور إيماننا وشمع اعتقادنا من صرصر الزوال ويثبت أقدامنا بالقول الثابت في جميع الأوقات وعلى كل حال.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿وإن عاقبتم﴾ أي: أردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب للمحمي إن أكلت فكل قليلاً **﴿فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾** أي: بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة إطلاق اسم المسبب على السبب نحو كما تدين تدان أي: كما تفعل تجازى سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء على الطريقة المذكورة أو على نهج المشاكلة والمزاوجة يعني تسمية الأذى الابتدائي معاقبة من باب المشاكلة وإلا فإنها في وضعها الأصل تستدعي أن تكون عقيب فعل نعم العرف جار على إطلاقها على ما يعذب به أحد وإن لم يكن جزاء فعل كما في «حواشي» سعدي المفتي. قال القرطبي أطبق جمهور أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وذلك أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وجدعوا أنوفهم وآذانهم وقطعوا مذاكيرهم ما بقي أحد غير ممثول به إلا حنظلة بن الراهب لأن أباه عامر الراهب كان مع أبي سفيان فتركوه لذلك ولما انصرف المشركون عن قتلى أحد انصرف رسول الله عليه الصلاة والسلام فرأى منظراً ساءه رأى حمزة قد شق بطنه واصطلم أنفه وجدعت أذناه ولم ير شيئاً كان أوجع لقلبه منه فقال: «رحمة الله عليك كنت وصولاً للرحم فعالاً للخير لولا أن تحزن النساء أو يكون سنة بعدي لتركتك حتى يبعثك الله من بطون السباع والطير أما والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلنّ بسبعين مكانك» وقال المؤمنون: إن أظهرنا الله عليهم لنزيدن على صنعهم ولنمثلن مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط ولنفعلن ثم دعا عليه السلام ببردته فغطى بها وجه حمزة فخرجت رجلاه فجعل على رجليه شيئاً من الإذخر ثم قدمه فكبر عليه عشراً ثم جعل يجاء بالرجل فيوضع وحمزة مكانه حتى صلى عليه سبعين صلاة وكان القتلى سبعين. وفي «التبيان» صلى النبي عليه السلام على عمه حمزة سبعين تكبيرة أو صلاة انتهى.

ـ روي ـ أن أبا بكر رضي الله عنه صلى على فاطمة رضي الله عنها وكبر أربعاً، وهذا أحد ما استدل به فقهاء الحنفية على تكبيرات الجنازة أربع كما في «أنوار المشارق». قال في «أسباب النزول» ما حاصله: أن حمزة رضي الله عنه قتله وحشي الحبشي وكان غلاماً لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم بدر فلما سارت قريش إلى أحد قال له جبير إن قتلت حمزة عم محمد لعمي طعيمة فأنت عتيق فأخذ الوحشي حربته فقذفه بها وكانت لا تخطىء حربة الحبشة حين قذفوا فكان ما كان ثم أسلم الوحشي وقال له ﷺ: «هل تستطيع أن تغيب عني وجهك» وذلك أنه عليه السلام كرهه لقتله حمزة فخرج فلما قبض رسول الله ﷺ وخرج الناس إلى مسيلمة الكذاب قال الوحشي لأخرجن إلى مسيلمة لعلي أقتله فأكافىء به حمزة فخرج مع الناس فوفقه الله لقتله. ثم إن القتلى لما دفنوا وفرغ منهم نزلت هذه الآية فكفر

عليه السلام عن يمينه وكفه عما أراده والأمر وإن دل على إباحة المماثلة في المثلة من غير تجاوز لكن في تقييده بقوله: ﴿وإن عاقبتم﴾ حث على العفو تعريضاً. قال في «بحر العلوم» لا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الأخبار بالنهي عنها حتى الكلب العقور ﴿ولئن صبرتم﴾ أي: عن المعاقبة بالمثل وعفوتم وهو تصريح بما علم تعريضاً ﴿لهو﴾ أي: لصبركم هذا ﴿خير﴾ لكم من الانتصار بالمعاقبة أي: العفو خير للعافين من الانتقام وإنما قيل: ﴿للصابرين﴾ مدحاً لهم وثناء عليهم بالصبر وعند ذلك قال ﷺ: «بل نصبر يا رب». قال في «الخلاصة»: رجل قال لآخر يا خبيث هل يقول له بلى أنت الأحسن أن يكف عنه ولا يجيب ولو رفع الأمر إلى القاضي ليؤدبه يجوز ومع هذا لو أجاب لا بأس به. وفي «مجمع الفتاوى» لو قال لغيره يا خبيث فجازاه بمثله جاز لأنه انتصار بعد الظلم وذلك مأذون فيه قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الشورى: ٤١] والعفو أفضل قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] وإن كانت تلك الكلمة موجبة للحد لا ينبغي أن يجيبه بمثله تحرزاً عن إيجاب الحد على نفسه. وفي تنوير الأبصار للإمام التمرتاشي ضرب غيره بغير حق وضرب المضروب يعزران ويبدأ بإقامة التعزير بالبادي انتهى. ثم أمر به ﷺ صريحاً لأنه أولى الناس بعزائم الأمور لزيادة علمه بشؤونه تعالى ووفور وثوقه به فقيل:

﴿واصبر﴾ على ما أصابك من جهتهم من فنون الآلام والأذية وعاينت من إعراضهم عن الحق بالكلية وصبره عليه السلام مستتبع لاقتداء الأمة كقول من قال لابن عباس رضي الله عنهما عند التعزية اصبر نكن بك صابرين فإنما صبر الرعية عند صبر الرأس ﴿وما صبرك إلا بالله﴾ بتوفيق الله وإعانته لك على الصبر لأن الصبر من صفات الله ولا يقدر أحد أن يتصف بصفاته أي: إلا به بأن يتحلى بتلك الصفة. قال جعفر الصادق رضي الله عنه أمر الله أنبياءه بالصبر وجعل الحظ الأعلى منه للنبي ﷺ حيث جعل صبره بالله لا بنفسه وقال: ﴿وما صبرك إلا بالله﴾ ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي: على الكافرين بوقوع اليأس من إيمانهم بك ومتابعتهم لك نحو ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المائدة: ٦٨] ﴿ولا تك﴾ أصله لا تكن حذفت النون تخفيفاً لكثرة استعماله بخلاف لم يصن ولم يخن ونحوهما ومعنى كثرة الاستعمال أنهم يعبرون بكان ويكون عن كل الأفعال فيقولون كان زيد يقول وكان زيد يجلس فإن وصلت بساكن ردت النون وتحركت نحو ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [النساء: ٣٨] و﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ﴾ [البينة: ١] الآية ﴿في ضيق﴾ أي: لا تكن في ضيق صدر من مكرهم فهو من الكلام المقلوب الذي يسجع عليه عند أمن الالتباس لأن الضيق وصف فهو يكون في الإنسان ولا يكون الإنسان فيه. وفيه لطيفة أخرى وهي أن الضيق إذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط به من جميع الجوانب ﴿مما يمكرون﴾ أي: من مكرهم بك فيما يستقبل فأول نهي عن التأثم بمطلوب من قبلهم فات والثاني عن التأثم بمحذور من جهتهم آتٍ.

﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾ اجتنبوا المعاصي ومعنى المعية الولاية والفضل ﴿والذين هم محسنون﴾ في أعمالهم ويقال مع الذين اتقوا مكافاة المسيء والذين هم محسنون إلى من يعادي إليهم فالإحسان على الوجه الأول بمعنى جعل الشيء جميلاً حسناً وعلى الثاني ضد الإساءة وفي الحديث: «إن للمحسن ثلاث علامات يبادر في طاعة الله ويجتنب محارم الله ويحسن إلى من أساء إليه».

ز احسان خاطر مردم شود شاد   بتقوى خانه دين كردد آباد
بسوى اين صفتها كر شتابى   رضاي خلق وخالق هر دويابى

قال ممشاد الدينوري: رأيت ملكاً من الملائكة يقول لي: كل من كان مع الله فهو هالك إلا رجل واحد قلت: من هو؟ قال: من كان الله معه وهو قوله: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ وذلك لأن المقصود كينونة المحبوب مع المحب إذ هو يشعر بالرضى والإقبال وأما كينونة المحب مع المحبوب فقد تحصل مع سخط المحبوب وإدباره. وعن هرم بن حيان أنه قيل له حين احتضر أوص فقال: إنما الوصية من المال ولا مال لي أوصيكم بخواتيم سورة: النحل أي من ﴿ادع إلى سبيل ربك﴾ إلى آخرها. يقول الفقير سامحه الله القدير جمع شيخي وسندي روح الله روحه أصحابه قبل وفاته بيوم فقال: اعلموا أيها الأصحاب أنه لا مال لي حتى أوصي به ولكني على مذهب أهل السنة والجماعة شريعة وطريقة ومعرفة وحقيقة فاعرفوني هكذا واشهدوا لي بهذا في الدنيا والآخرة فهذا وصيتي وأشار حضرة الشيخ بهذا إلى أنه لا زيغ ولا إلحاد في اعتقاده وفي طريقه أصلاً فإنهم قالوا: إن أهل التصوف تفرقت على اثنتي عشرة فرقة فواحدة منهم سنيون وهم الذين أثنى عليهم العلماء والبواقي بدعيون. ويعلم السني بشاهدين. أحدهما ظاهر والآخر باطن فالظاهر استحكام الشريعة والباطن السلوك على البصيرة واليقظة والعلم لا على العمى والغفلة والجهل فمن عمل بخواتيم هذه السورة واتصف بحقيقة العفو والصبر والحلم والانشراح في المنشط والمكره وترك الحزن والغم على الفائت والآتي. وبالتقوى على مراتبها وبالإحسان بأنواعه فقد جعل لنفسه علامة الولاية والمعية والإيمان الكامل وحسن الخاتمة وخير العاقبة اللهم احفظنا من الميل إلى السوى والغير واختم عواقبنا بالخير يا رب.

تمت سورة النحل بما تحتويه من شواهد العقل والنقل في يوم السبت التاسع عشر من شعبان المبارك المنتظم في سلك شهور سنة أربع ومائة وألف.

١٧ - سورة الإسراء

وهي مائة وإحدى عشرة آية مكية.

قال في «الكواشي»: إلا من ﴿وإن يكادوا ليستفزونك﴾ إلى ﴿نصيرا﴾ أو فيها من المدني من ﴿قل رب أدخلني مدخل صدق﴾ ﴿وإن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ ﴿وإن ربك أحاط بالناس﴾ ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ والتي تليها انتهى.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ①﴾

﴿سبحان﴾ اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه ومتضمن معنى التعجب وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره تقديره اسبح الله عن صفات المخلوقين سبحاناً بمعنى تسبيحاً ثم نزل منزلة الفعل فناب منابه كقولهم معاذ الله وغفرانك غير ذلك. وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكره بعده وهو لا ينافي التعجب.

قال في «التأويلات النجمية»: كلمة سبحان للتعجب بها يشير إلى أعجب أمر من أموره تعالى جرى بينه وبين حبيبه. وفي «الأسئلة الحكم» أما اقتران الإسراء بالتسبيح ليتقي بذلك ذو العقل وصاحب الوهم ومن يحكم عليه خياله من أهل التشبيه والتجسيم مما يخيله في حق الخالق من الجهة والجسد والحد والمكان. وإنما تعجب بعروجه دون نزوله عليه السلام لأنه لما عرج كان مقصده الحق تعالى ولما نزل كان مقصد الخلق والمقصود من التعجب التعجب بعروجه. وأيضاً أن عروجه أعجب من نزوله لأن عروج الكثيف إلى العلو من العجائب ﴿الذي أسرى بعبده﴾ . قال الكاشفي: [پاكى وبى عيبي آنرا كه بجهت كرامت ببرد بنده خودرا كه محمد است ﷺ] الإسراء السير بالليل خاصة كالسرى يقال اسرى وسري أي: سار ليلاً ومنه السرية واحدة السرايا لأنها تسري في خفية وأسرى به أي: سيره ليلاً. قال النضر: سقط السؤال والاعتراضات على المعراج بقوله: أسرى دون سار ونظيره قوله عليه السلام: «حبب إلي من دنياكم ثلاث» حيث لم يقل أحببت. وإنما قال بعبده دون بنبيه لئلا يتوهم فيه نبوة وألوهة كما توهموا في عيسى ابن مريم عليهما السلام بانسلاخه عن الأكوان وعروجه بجسم إلى الملأ الأعلى مناقضاً للعادات البشرية وأطوارها. وأدخل الباء للمناسبة بين العبودية التي هي الذلة والتواضع وبين الباء التي هي حرف الخفض والكسر فإن كل ذليل منكسر. وفيه إشارة إلى شرف مقام العبودية حتى قال الإمام في تفسيره: إن العبودية أفضل من الرسالة لأن بالعبودية ينصرف من الخلق إلى الحق فهي مقام الجمع وبالرسالة ينصرف من الحق إلى الخلق فهي مقام

الفرق والعبودية أن يكل أموره إلى سيده فيكون هو المتكفل بإصلاح مهامه والرسالة التكفل بمهام الأمة وشتان ما بينهما. قال الشيخ الأكبر قدس سره: إن معراجه عليه السلام أربع وثلاثون مرة واحدة بجسده والباقي بروحه رؤيا رآها أي: قبل النبوة وبعدها وكان الإسراء الذي حصل له قبل أن يوحى إليه توطئة له وتيسيراً عليه كما كان بدأ نبوته الرؤيا الصادقة والذي يدل على أنه عليه السلام عرج مرة بروحه وجسده معاً قوله أسرى بعبده فإن العبد اسم للروح والجسد جميعاً وأيضاً أن البراق الذي هو من جنس الدواب إنما يحمل الأجساد وأيضاً لو كان بالروح حال النوم أو حال الفناء أو الانسلاخ لما استبعده المنكرون إذ المتهيئون من جميع الملل يحصل لهم مثل ذلك ويتعارفونه بينهم. قال الكاشفي: [آنانكه درين قصه ثقل جسدرا مانع دانند ازصعود ارباب بدعت اند ومنكر قدرت].

آنكه سرشت تنش ازجان بود سير وعروجش بتن آسان بود

وقد ذكروا أن جبريل عليه السلام أخذ طينة النبي ﷺ فعجنها بمياه الجنة وغسلها من كل كثافة وكدورة فكأن جسده الطاهر كان من العالم العلوي كروحه الشريف. فإن قلت ففيمَ أسري به؟ قلت: قال ﷺ: «أسري بي في قفص من لؤلؤ فراشه من ذهب» كما في «بحر العلوم».

﴿ليلا﴾ نصب على الظرف وهو تأكيد إذ الإسراء في لسان العرب لا يكون إلا ليلاً حتى لا يتخيل أنه كان نهاراً ولا يظن أنه حصل بروحه أو لإفادة تقليل مدة الإسراء في جزء من الليل لما في التنكير من الدلالة على البعضية من حيث الإفراد فإن قولك سرت ليلاً كما يفيد بعضية زمان سيرك من الليالي يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما إذا قلت: سرت الليل فإنه يفيد استيعاب السير له جميعاً فيكون معياراً للسير لا ظرفاً له وهي ليلة سبع وعشرين من رجب ليلة الاثنين وعليه عمل الناس قالوا: إنه عليه السلام ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين وأسري به ليلة الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ومات يوم الاثنين ولعل سره أن يوم الاثنين إشارة إلى التعين الثاني الذي هو مبدأ الفياضية ونظيره الباء كما أن الباء من الحروف الهجائية له التعين الثاني فكذا يوم الاثنين فكان الألف ويوم الأحد بمنزلة تعين الذات والباء ويوم الاثنين أي: تعينهما بمنزلة تعين الصفات فافهم وفي وصف هذه الليلة، قال المولى الجامي قدس سره:

ز قدر او مثالى ليلة القدر ز نور او براتى ليلة البدر
سواد طره اش خجلت ده حور بياض غره اش نور على نور
نسيمش جعد سنبل شانه كرده هوايش اشك شبنم دانه كرده
بمسمار ثوابت چرخ سيار به بسته در جهان درهاى ادبار
طرب راچون سخن خندان ازولب كر يزان روز محنت زو شباشب

فإن قلت فلِمَ جُعِل المعراج ليلاً ولم يجعل نهاراً؟ حتى لا يكون إشكال وطعن. قلت: ليظهر تصديق من صدق وتكذيب من كذب. وأيضاً أن الليل محل الخلوة بالحبيب فالليل حظ الفراش والوصال والنهار حظ اللباس والفراق والليل مظهر البطون والنهار مظهر الظهور والليل راحة والراحة من الجنة والنهار تعب والتعب من النار وكان الإسراء قبل الهجرة بسنة، يعني: [درسال دوازدهم از مبعث بوده] ﴿من المسجد الحرام﴾ أصح الروايات على أن الإسراء كان من بيت أم هانىء بنت أبي طالب وكان بيتها من الحرم والحرم كله مسجد. قالوا حدود الحرم

من جهة المدينة على ثلاثة أميال ومن طريق العراق على سبعة أميال ومن طريق الجعرانة على تسعة أميال ومن طريق الطائف على سبعة أميال ومن طريق جدة على عشرة أميال والمواقيت الخمسة التي وقتها النبي ﷺ وعينها للإحرام فناء للحرم وهو فناء للمسجد الحرام وهو فناء للبيت شرفه الله تعالى فالبيت إشارة إلى الذات الإلهية والمسجد الحرام إلى الصفات والحرم إلى الأفعال وخارج المواقيت إلى الآثار ومن قصد مكة سواء كان للزيارة أو غيرها لا يحل له التجاوز من هذه الأفنية غير محرم تعظيماً لها وقس عليه دخول المساجد وحضور المشايخ أصحاب القلوب للصلاة والزيارة فإنه لا بد من أدب الظاهر والباطن في كل منهما.

ـ ذكروا ـ أن الحجر الأسود أخرج من الجنة وله ضوء فكل موضع بلغ ضوءه كان حرماً.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لما أهبط آدم إلى الأرض خر ساجداً معتذراً فأرسل الله تعالى جبريل بعد أربعين سنة يعلمه بقبول توبته فشكا إلى الله تعالى ما فاته من الطواف بالعرش فأهبط الله له البيت المعمور وكان ياقوتة حمراء فأضاء ما بين المشرق والمغرب فنفرت من ذلك النور الجن والشياطين وفزعوا وتفرقوا في الجو ينظرونه فلما رأوه أي: النور من جانب مكة أقبلوا يريدون الاقتراب إليه فأرسل الله تعالى ملائكته فقاموا حوالي الحرم في مكان الاعلام اليوم ومنعوهم فمن ثمة تسمى الحرم بالحرم. ﴿إلى المسجد الأقصى﴾ أي: بيت المقدس وسمي بالأقصى أي: الأبعد لأنه لم يكن حينئذٍ وراءه مسجد فهو أبعد المساجد من مكة وكان بينهما أكثر من مسيرة شهر. قال بعض العارفين: أشار بالمسجد الحرام إلى مقام القلب المحرم أن يطوف به مشركو القوى البدنية الحيوانية وترتكب فيه فواحشها وخطاياها وتحجه غير القوى الحيوانية من الصفات البهيمية والسبعية. وأشار بالمسجد الأقصى إلى مقام الروح الأبعد من العالم الجسماني لشهود تجليات الذات. قال في «هدية المهديين»: معراج النبي عليه السلام إلى المسجد الأقصى ثابت بالكتاب وهو في اليقظة وبالجسد بإجماع القرن الثاني ثم إلى السماء بالخبر المشهور ثم إلى الجنة أو العرش أو إلى طواف العالم بخبر الواحد انتهى. قال الكاشفي: [رفتن آن حضرت ازمكه ببيت المقدس بنص قرآن ثابتست ومنكر آن كافر وعروج برآسمانها ووصول بمرتبه قربت بأحاديث صححه مشهوره كه قريبست بحد تواتر ثابت كشت وهركه إنكار آن كند ضال ومبتدع باشد].

شاهد معراج نبي وافرست — وآنكه مقرنيست بدين كافرست
دستكه سلطنت اين وصال — نيست به پامزدى خيل خيال
عقل چه داند چه مقامست اين — عشق شناست كه چه دامست اين

﴿الذي باركنا حوله﴾ [آن مسجدى كه بركت كرديم بركرد او] ببركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحي والملائكة ومتعبد الأنبياء من لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالأنهار والأشجار المثمرة فدمشق والأردن فلسطين من المدائن التي حوله ﴿لنريه من آياتنا﴾ غاية للإسراء وإشارة إلى أن الحكمة في الإسراء به إراءة آيات مخصوصة بذاته تعالى التي ما شرف بإراءتها أحداً من الأولين والآخرين إلا سيد المرسلين وخاتم النبيين فإنه تبارك وتعالى أرى خليله عليه السلام وهو أعز الخلق عليه بعد حبيبه الملكوت كما قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ٧٥] وأرى حبيبه آيات ربوبيته الكبرى كما قال: ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٨] ليكون من المحبين المحبوبين فمن تبعضية لأن ما أراه الله تعالى في

تلك الليلة إنما هو بعض آياته العظمى وإضافة الآيات إلى نفسه على سبيل التعظيم لها لأن المضاف إلى العظيم عظيم.

وسقط الاعتراض بأن الله تعالى أرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وأرى نبينا عليه السلام بعض آياته فيلزم أن يكون معراج إبراهيم أفضل. وحاصل الجواب أنه يجوز أن يكون بعض الآيات المضافة إلى الله تعالى أعظم وأشرف من ملكوت السموات والأرض كلها كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٨]، قالوا في التفاسير هي ذهابه في بعض الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الأنبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية ونحوها. قال في: «أسئلة الحكم» أما الآيات الكبرى: فمنها في الآفاق ما ذكره عليه السلام من النجوم والسموات والمعارج العلى والرفرف الأدنى وصرير الأقلام وشهود الألواح وما غشي الله سدرة المنتهى من الأنوار وانتهاء الأرواح والعلوم والأعمال إليها ومقام قاب قوسين من آيات الآفاق. ومنها آيات الأنفس كما قال سبحانه ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] وقوله: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩] من آيات الأنفس وهو مقام المحبة والاختصاص بالهو ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠] مقام المسامرة وهو الهوّ غيب الغيب وأيده ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١] والفؤاد قلب القلب وللقلب رؤية وللفؤاد رؤية فرؤية القلب يدركها العمى كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] والفؤاد لا يعمى لأنه لا يعرف الكون وما له تعلق إلا بسيده فإن العبد هنا عبد من جميع الوجوه منزه مطلق التنزيه في عبوديته فما نقل عبده من مكان إلى مكان إلا ليريه من آياته التي غابت عنه كأنه تعالى قال: ما أسريت به إلا لرؤية الآيات لا إليّ فإني لا يحدني مكان ولا يقيدني زمان ونسبة الأمكنة والأزمنة إلى نسبة واحدة وأنا الذي وسعني قلب عبدي فكيف أسري به إليّ وأنا عنده ومعه أينما كان نزولاً وعروجاً واستواء ﴿إنه هو السميع﴾ لأقواله ﷺ بلا أذن كما يتكلم من غير آلة الكلام وهو اللسان ويعلم من غير أداة العلم وهو القلب ﴿البصير﴾ بأفعاله بلا بصر حسبما يؤذن به القصر فيكرمه ويقربه بحسب ذلك. وفيه إيماء إلى أن الإسراء المذكور ليس إلا لتكرمته ورفع منزلته وإلا فالإحاطة بأقواله وأفعاله حاصلة من غير حاجة إلى التقريب.

وفي «التأويلات» وفي قوله: ﴿إنه هو السميع البصير﴾ إشارة إلى أن النبي ﷺ هو السميع الذي قال الله: «كنت له سمعاً فبي يسمع وبي يبصر» فتحقيقه لنريه من آياتنا المخصوصة بجمالنا وجلالنا إنه هو السميع بسمعنا البصير ببصرنا فإنه لا يسمع كلامنا إلا بسمعنا ولا يبصر جمالنا إلا ببصرنا.

چودر مكتب بي نشاني رسيد چكويم كه آنجا چه ديد وشنيد
ورق در نوشتند وكم شد سبق شنيدن بحق بود وديدن بحق

ـ وتفصيل القصة ـ أنه عليه السلام بات ليلة الاثنين ليلة السابع والعشرين من رجب كما سبق في بيت أم هاني بنت أبي طالب واسمها على الأشهر فاختة أسلمت يوم الفتح وهرب زوجها جبيرة إلى نجران ومات بها على كفره واضطجع عليه السلام هناك بعد أن صلى الركعتين اللتين كان يصليهما وقت العشاء ونام ففرج عن سقف بيتها ونزل جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام ومع كل واحد منهم سبعون ألف ملك وأيقظه جبريل بجناحه كما قال المولى الجامي:

درين شب آن چراغ چشم بينش سزاى آفرين از آفرينش
چو دولت شد زبد خواهان نهانى سوى دولت سراى امهانى
به پهلوتكيه بر مهد زمين كرد زمين را مهد جان نازنين كرد
دلش بيدار چشمش درشكر خواب نديده چشم بخت اين خواب در خواب
در آمد ناكهان ناموس اكبر سبك رو ترازين طاوس اخضر
برو ماليد پركاى خواجه بر خيز كه امشب خوابت آمد دولت انكيز
برون بر يكزمان زين خوابكه رخت توبخت عالمي بيخواب به بخت

قال عليه السلام: «فقمت إلى جبريل فقلت: أخي جبريل ما لك؟ فقال: يا محمد إن ربي تعالى بعثني إليك أمرني أن آتيه بك في هذه الليلة بكرامة لم يكرم بها أحد قبلك ولا يكرم بها أحد بعدك فإنك تريد أن تكلم ربك وتنظر إليه وترى في هذه الليلة من عجائب ربك وعظمته وقدرته» قال عليه السلام: «فتوضأت وصليت ركعتين» وشق جبريل صدره الشريف من الموضع المنخفض بين الترقوتين إلى أسفل بطنه أي: أشار إلى ذلك فانشق فلم يكن الشق بآلة ولم يسل دم ولم يجد له عليه السلام ألماً لأنه من خرق العادة وظهور المعجزات فجاء بطست من ماء زمزم واستخرج قلبه عليه السلام فغسل ثلاث مرات ونزع ما كان فيه من أذى. وفيه إشارة إلى فضل زمزم على المياه كلها جنانية أو غيرها ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء إيماناً وحكمة فأفرغ فيه لأن المعاني تمثل بالأجسام كالعلم بصورة اللبن ووضعت فيه السكنة ثم أعاد القلب إلى مكانه والتأم صدره الشريف فكانوا يرون أثراً كأثر المخيط في صدره وهو أثر مرور يد جبريل. ووقع له عليه السلام شق الصدر ثلاث مرات:

ـ والمرة الأولى: ـ حين كان في بني سعد وهو ابن خمس سنين على ما قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وأخرج في هذه المرة العلقة السوداء من القلب التي هي حظ الشيطان ومحل غمزه أي: محل ما يلقيه من الأمور التي لا تنبغي فلم يكن للشيطان في قلب النبي عليه السلام حظ وكذا لم يكن لقلبه الطاهر ميل إلى لعب الصبيان ونحوه وهو مما اختص به دون الأنبياء عليهم السلام إذ لم يكن لهم شرح الصدر على هذا الأسلوب وللورثة الكمل حظ من هذا المعنى فإنه يخرج من بعضهم الدم الأسود بالقيء في حال اليقظة ومن بعضهم حال الفناء والانسلاخ والأول أتم لأنه يزول القلب بالكلية فينشط للعبادات كالعادات وجاء جبريل في هذه المرة بخاتم من نور يحار الناظرون دونه فختم به قلبه عليه السلام لحفظ ما فيه وختم أيضاً بين كتفيه بخاتم النبوة أي الذي هو علامة على النبوة وكان حوله خيلان فيها شعرات سود مائلة إلى الحضرة وكان كالتفاحة أو كبيض الحمامة أو كزر الحجلة وهو طائر على قدر الحمامة كالقطاة أحمر المنقار والرجلين ويسمى دجاج البر وزرها بيضتها. قال الترمذي والصواب حجلة السرير واحدة الحجال وزرها الذي يدخل في عروتها كما في «حياة الحيوان» مكتوب عليه «لا إله إلا الله محمد رسول الله» أو «محمد نبي أمين» أو غير ذلك. والتوفيق بين الروايات بتنوع الحظوظ بحسب الحالات والتجليات أو بالنسبة إلى أنظار الناظرين. قال الإمام الدميري: إن بعض الأولياء سأل الله تعالى أن يريه كيف يأتي الشيطان ويوسوس فأراه الحق هيكل الإنسان في صورة بلور وبين كتفيه شامة سوداء كالعش والوكر فجاء الخناس يتحسس من جميع جوانبه وهو في صورة خنزير له خرطوم كخرطوم الفيل فجاء من بين الكتفين فأدخل خرطومه قبل قلبه

فوسوس إليه فذكر الله تعالى فخنس وراءه ولذلك سمي بالخناس لأنه ينكص على عقبيه مهما حصل نور الذكر في القلب ولهذا السر الإلهي كان عليه السلام يحتجم بين كتفيه ويأمر بذلك ووصاه جبريل بذلك لتضعيف مادة الشيطان وتضييق مرصده لأنه يجري وسوسته مجرى الدم ولذلك كان خاتم النبوة بين كتفيه إشارة إلى عصمته من وسوسته لقوله: «أعانني الله عليه فأسلم» أي: بالختم الإلهي أيده به وخصه وشرفه وفضله بالعصمة الكلية فأسلم قرينه وما أسلم قرين آدم فوسوس إليه لذلك.

ـ والمرة الثانية: ـ عند مجيء الوحي في بلوغه سن أربعين ليحصل له التحمل لأعباء الرسالة.

ـ والمرة الثالثة: ـ ليلة الإسراء وهو ابن ثنتين وخمسين ليتسع قلبه لحفظ الأسرار الإلهية والكلمات الربانية وجاء جبريل هذه الليلة بدابة بيضاء ومن ثمة قيل لها البراق بضم الموحدة لشدة بريقها أو لسرعتها فهي كالبرق الذي يلمع في الغيم كما قال المولى الجامي قدس سره:

پسيج راه عرشت كردم اينك ... براقى برق سير آوردم اينك
جهنده برزمين خوش بادپايى ... پرنده درهوا فرخ همايى
چو عقل كل سوى أفلاك كردى ... چو فكر هندسه كيتى نوردى
نه دست كس عنان أو بسوده ... نه از پايى ركابش كشته سوده

وهي دابة فوق الحمار دون البغل. قال صاحب «المنتقى»: الحكمة في كونه على هيئة بغل ولم يكن على هيئة فرس التنبيه على أن الركوب في سلم وأمن لا في خوف وحرب أو لإظهار الآية في الإسراع العجيب في دابة لا يوصف شكلها بالإسراع فإنه كان يضع خطوه عند أقصى طرفه ويؤخذ من هذا أنه أخذ من الأرض إلى السماء في خطوة لأن بصر من في الأرض يقع على السماء وإلى السموات السبع في سبع خطوات لأن بصر من يكون في السماء يقع على السماء التي فوقها وبه يرد على من استبعد من المتكلمين إحضار عرش بلقيس في لحظة واحدة. وقال في «ربيع الأبرار»: خد البراق كخد الإنسان وقوائمها كقوائم البعير وعرفها كعرف الفرس وعليها سرج من لؤلؤة بيضاء وركابان من زبرجد أخضر وعليه لجام من ياقوت أحمر يتلألأ نوراً. قال في «إنسان العيون»: لا ذكر ولا أنثى ومن لا يوصف بوصف المذكر والمؤنث فهو حقيقة ثالثة ويكون خارجاً من قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] كما خرجت الملائكة من ذلك فإنهم ليسوا ذكوراً ولا إناثاً. قال عليه السلام: «فما رأيت دابة أحسن منها وإني لمشتاق إليها من حسنها فقلت: يا جبريل ما هذه الدابة؟ فقال: هذا البراق فاركب عليه حتى تمضي إلى دعوة ربك فأخذ جبريل بلجامها وميكائيل بركابها وإسرافيل من خلفها فقصدت إلى أن أركبها فجمحت الدابة وأبت فوضع جبريل يده على وركها وقال لها: أما تستحيين مما فعلت فوالله ما ركبك أحد أكرم على الله من محمد فرشحت عرقاً من الحياء». قال ابن دحية: لم يركب البراق أحد قبله عليه السلام ووافقه الإمام النووي فقول جبريل ما ركبك لا ينافيه لأن السالبة تصدق بنفي الموضوع. فقالت: يا جبريل لم استصعب منه إلا ليضمن أن يشفع لي يوم القيامة لأنه أكرم الخلائق على الله فضمن لها ذلك. قالوا: الورد الأبيض خلق من عرق جبريل والأصفر من عرق البراق. وعن أنس رضي الله عنه رفعه «لما عرج بي إلى السماء بكت الأرض من بعدي فنبت الأصفر من نباتها فلما رجعت قطر عرقي على الأرض فنبت ورد أحمر ألا

من أراد أن يشم رائحتي فليشم الورد الأحمر». قال أبو الفرج النهرواني: هذا الخبر يسير من كثير مما أكرم الله تعالى به نبيه عليه السلام ودل على فضله ورفيع منزلته كما في «المقاصد الحسنة».
يقول الفقير: هذا لا يستلزم أن لا يكون قبل هذا ورد أحمر وأبيض وأصفر إذ ذلك من باب الكرامة ونظير ذلك أن حواء عليها السلام حين أهبطت إلى الأرض بكت فما وقع من قطرات دموعها في البحر صار لؤلؤاً وهذا لا يستلزم أن لا يكون قبل هذا در في البحر وقس عليه الملح فإن إبراهيم عليه السلام أتى بكف من كافور الجنة فذراه فحيثما وقع ذرة منه في أطراف العالم انقلب مملحة وكان قبل هذا ملح لكن لا بهذه المثابة. قال عليه السلام: «فركبتها»:

ازان دولت سرا چون خواجه دين خرامان شد بعزم خانه زين
شد از سبوحيان كردون صداده كه سبحان الذي أسرى بعبده

واختلفوا هل ركبها جبريل معه. قال صاحب المنتقى: الظاهر عندي أنه لم يركب لأنه عليه السلام مخصوص بشرف الإسراء فانطلق البراق يهوي به يضع حافره حيث أدرك طرفه حتى بلغ أرضاً فقال له جبريل: انزل فصل هٰهنا ففعل ثم ركب فقال له جبريل: أتدري أين صليت؟ قال: «لا» قال: صليت بمدين وهي قرية تلقاء غزة عند شجرة موسى سميت باسم مدين بن موسى لما نزلها فانطلق البراق يهوي به فقال له جبريل: انزل فصل ففعل ثم ركب فقال له: أتدري أين صليت؟ قال: «لا» قال: صليت ببيت لحم وهي قرية تلقاء بيت المقدس حيث ولد عيسى عليه السلام وبينا هو ﷺ على البراق إذ رأى عفريتاً من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رآه فقال له جبريل: ألا أعلمك كلمات تقولهن إذا أنت قلتهن طفئت شعلته وخر لفيه؟ فقال عليه السلام: «بلى» فقال جبريل: قل أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات اللاتي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمٰن فقال عليه السلام: «ذلك» فانكب لفيه وطفئت شعلته. ورآى ﷺ حال المجاهدين في سبيل الله أي: كشف له عن حالهم في دار الجزاء بضرب مثال. فرأى قوماً يزرعون ويحصدون من ساعته وكلما حصدوا عاد كما كان فقال: «يا جبرائيل ما هذا؟» قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما أنفقوا من خير فهو يخلفه والمراد تكرير الجزاء لهم. ونادى مناد عن يمينه يا محمد انظرني أسألك فلم يجبه فقال: «ما هذا يا جبريل؟» فقال: هذا داعي اليهود أما إنك لو أجبته لتهودت أمتك أي: لتمسكوا بالتوراة والمراد غالب الأمة. ونادى مناد عن يساره كذلك فلم يجبه فقال: «ما هذا يا جبريل؟» فقال: هذا داعي النصارى أما إنك لو أجبته لتنصرت أمتك أي: لتمسكوا بالإنجيل. وكشف له عليه السلام عن حال الدنيا بضرب مثال فرأى امرأة حاسرة عن ذراعيها لأن ذلك شأن المقتنص لغيره وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى ومعلوم أن النوع الواحد من الزينة يجلب القلوب إليه فكيف بوجود سائر أنواع الزينة، قال الحافظ:

خوش عروسيست جهان ازسر صورت ليكن
هركه پيوست بدو عمر خودش كابين داد

وقال:

از ره مرو بعشوه ديني كه اين عجوز مكاره مى نشيند ومحتاله مى رود

فقالت: يا محمد انظرني أسألك فلم يلتفت إليها فقال: «من هذا يا جبريل» فقال: تلك الدنيا أما إنك لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة. ورأى ﷺ على جانب الطريق عجوزاً فقالت: يا محمد انظرني فلم يلتفت إليها فقال: «من هذه يا جبريل؟» فقال: إنه لم يبق شيء من عمر الدنيا إلا ما بقي من عمر تلك العجوز. وفي كلام بعضهم قد يقال لها شابة وعجوز بمعنى يتعلق بذاتها وبمعنى يتعلق بغيرها. الأول وهو أنها من أول وجود هذا النوع الإنساني إلى أيام إبراهيم عليه السلام تسمى الدنيا شابة وفيما بعد ذلك إلى بعثة نبينا عليه السلام كهلة ومن بعد ذلك إلى يوم القيامة تسمى عجوزاً وهذا بالنسبة إلى القرن الإنساني وإلا فقد خلق آدم عليه السلام والدنيا عجوز ذهب شبابها ونضارتها كما ورد في بعض الأخبار. فإن قلت: الشباب ومقابله إنما يكون في الحيوان. قلت: الغرض من ذلك التمثيل. وكشف له عليه السلام عن حال من يقبل الأمانة مع عجزه عن حفظها بضرب مثال فأتى على رجل جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال: «ما هذا يا جبريل؟» قال: هذا الرجل من أمتك يكون عنده أمانات الناس لا يقدر على أدائها ويريد أن يتحمل عليها. قيل: «اتقوا الواوات» أي: اتقوا مدلولات الكلمات التي أولها واو كالولاية والوزارة والوصاية والوكالة والوديعة. وكشف له عن حال من ترك الصلاة المفروضة في دار الجزاء فأتى على قوم ترضخ رؤوسهم كلما رضخت عادت كما كانت فقال: «يا جبريل من هؤلاء؟» قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة أي: المفروضة عليهم. وكشف له عن حال من يترك الزكاة الواجبة عليه فأتى على قوم على إقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل والغنم ويأكلون الضريع وهو اليابس من الشوك والزقوم ثمر شجر مر له زفرة قيل: إنه لا يعرف شجره في الدنيا وإنما هو شجر في النار وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾ [الصافات: ٦٤] ويأكلون رضف جهنم أي: حجارتها المحماة التي تكون بها فقال: «من هؤلاء يا جبريل» قال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم المفروضة عليهم. وكشف له عن حال الزناة بضرب مثل فأتى على قوم من بين أيديهم لحم نضيج في قدور ولحم نيىء أيضاً في قدور خبيث فجعلوا يأكلون من ذلك النيىء الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال: «ما هذا يا جبريل» قال: هذا الرجل من أمتك يكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتي رجلاً خبيثاً فتبيت عنده حتى تصبح. وكشف له عن حال من يقطع الطريق بضرب مثال فأتى عليه السلام على خشبة لا يمر بها ثوب ولا شيء إلا خرقته فقال: «من هذه يا جبريل» قال: هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه وتلا ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف: ٨٦]. وفيه إشارة إلى الزناة المعنوية وقطاع الطريق عن أهل الطلب وهم الدجاجلة والأئمة المضلة في صورة السادة القادة الأجلة فإنهم يفسدون أرحام الاستعدادات والاعتقادات بما يلقون فيها من نطف خلاف الحق ويصرفون المقلدين عن طريق التحقيق ويقطعون عليهم خير الطريق فأولئك يحشرون مع الزناة والقطاع. وكشف له عن حال من يأكل الربا أي: حالته التي يكون عليها في دار الجزاء فرأى رجلاً يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة فقال: «من هذا» فقال: آكل الربا. وكشف له عن حال من يعظ ولا يتعظ فأتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت فقال: «من هؤلاء يا

جبريل» فقال: هؤلاء خطباء الفتنة خطباء أمتك يقولون ما لا يفعلون:

ازمن بكوى عالم تفسير كوى را   كردر عمل نكوشى توناداں مفسرى
بار درخت علم ندانم بجز عمل   باعلم اكر عمل نكنى شاخ بى برى

وكشف له عن حال المغتابين للناس فمر على قوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقال: «من هؤلاء يا جبريل» فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم. وكشف له عن حال من يتكلم بالفحش بضرب مثال فأتى على حجر يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث يخرج فلا يستطيع فقال: «من هذا يا جبريل» فقال: هذا الرجل من أمتك يتكلم الكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها. وكشف له عن حال من أحوال الجنة فأتى على واد فوجده طيباً بارداً ريحه ريح المسك وسمع صوتاً فقال: «يا جبريل ما هذا» قال: هذا صوت الجنة تقول يا رب ائتني ما وعدتني. وكشف له عن حال من أحوال النار فأتى على واد فسمع صوتاً منكراً ووجد ريحاً خبيثة فقال: «ما هذا يا جبريل» قال: صوت جهنم تقول يا رب ائتني ما وعدتني، وفي المثنوى:

ذره ذره كاندرين ارض وسماست   جنس خود راهريكى چون كهرباست
معده نانرا مى كشد تا مستقر   مى كشد مر آب را تف جكر
چشم جذاب بتان زاين كويهاست   مغز جويان ازكلستان بويهاست

ومر عليه السلام على شخص متنحياً عن الطريق يقول: هلم يا محمد قال جبريل: سر يا محمد قال عليه السلام: «من هذا» قال: عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه:

آدمى را دشمن پنهان بسيست   آدمى با حذر عاقل كسيست

ومر عليه السلام على موسى وهو يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر وهو يقول برفع صوته أكرمته وفضلته فقال: «من هذا يا جبريل» قال: هذا موسى بن عمران عليه السلام قال: «ومن يعاتب» قال له: يعاتب ربه فيك. والعتاب مخاطبة فيها إدلال والظاهر أنه عليه السلام نزل عند قبره فصلى ركعتين. ومر عليه السلام على شجرة تحتها شيخ وعياله فقال: «من هذا يا جبريل» قال: هذا أبوك إبراهيم عليه السلام فسلم عليه فرد عليه السلام فقال: من هذا الذي معك يا جبريل؟ قال: هذا ابنك محمد ﷺ قال: مرحباً بالنبي العربي الأمي ودعا له بالبركة وكان قبر إبراهيم تحت تلك الشجرة فنزل عليه السلام وصلى هناك ركعتين ثم ركب وسار حتى أتى الوادي الذي في بيت المقدس فإذا جهنم تنكشف عن مثل الزرابي وهي النمارق أي: الوسائد فقيل: يا رسول الله كيف وجدتها؟ قال: «مثل الحممة» أي: الفحمة ومضى عليه السلام حتى انتهى إلى إيليا من أرض الشام وهو بالكسر مدينة القدس واستقبله من الملائكة جم غفير لا يحصى عددهم فدخلها من الباب اليماني الذي فيه مثال الشمس والقمر ثم انتهى إلى بيت المقدس وكان بباب المسجد حجر فأدخل جبريل يده فيه فخرقه فكان كهيئة الحلقة وربط به البراق. وفي حديث أبي سفيان رضي الله عنه قبل إسلامه أنه قال لقيصر يحط من قدره ﷺ: ألا أخبرك أيها الملك عنه خبراً تعلم منه أنه يكذب؟ فقال: وما هو؟ قال: إنه يزعم أنه خرج من أرضنا أرض الحرم فجاء مسجدكم هذا ورجع إلينا في ليلة واحدة فقال بطريق: أنا أعرف تلك الليلة فقال له قيصر: ما أعلمك بها قال: إني كنت لا أبيت ليلة حتى أغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير واحد وهو الباب الفلاني غلبني فاستعنت عليه

بعمالي ومن يحضرني فلم يفد فقالوا إن البناء نزل عليه فاتركوه إلى غد حتى يأتي بعض النجارين فيصلحه فتركه مفتوحاً فلما أصبحت غدوت فإذا الحجر الذي من زاوية الباب مثقوب وإذا فيه أثر مربط الدابة ولم أجد بالباب ما يمنعه من الإغلاق فعلمت أنه إنما امتنع لأجل ما كنت أجده في العلم القديم أن نبياً يصعد من بيت المقدس إلى السماء وعند ذلك قلت لأصحابي: ما حبس هذا الباب الليلة إلا لهذا الأمر. ولا يخفى أن عدم انغلاق الباب إنما كان ليكون آية وإلا فجبريل لا يمنعه باب مغلق ولا غيره وكذا خرق المربط وربط البراق وإلا فالبراق لا يحتاج إلى الربط كسائر الدواب الدنيوية فإن الله تعالى قد سخره لحبيبه عليه السلام. ولما استوى عليه السلام على الحجر المذكور قال جبريل: يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين قال: «نعم» قال جبريل: فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن فسلم عليه السلام عليهن فرددن عليه السلام فقال: من أنتن قلن خيرات حسان نساء قوم أبرار نقوا فلم يدرنوا وأقاموا فلم يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا ثم دخل عليه السلام المسجد ونزلت الملائكة وأحيى الله له آدم ومن دونه من الأنبياء من سمى الله ومن لم يسم حتى لم يشذ منهم أحد فرآهم في صورة مثالية كهيئتهم الجسدانية إلا عيسى وإدريس والخضر والياس فإنه رآهم بأجسادهم الدنيوية لكونهم من زمرة الاحياء كما هو الظاهر فسلموا عليه وهنأوه بما أعطاه الله تعالى من الكرامة وقالوا: الحمد لله الذي جعلك خاتم الأنبياء فنعم النبي أنت ونعم الأخ أنت وأمتك خير الأمم ثم قال جبريل: تقدم يا محمد وصل بإخوانك من الأنبياء ركعتين فصلى بهم ركعتين وكان خلف ظهره إبراهيم وعن يمينه إسماعيل وعن يساره إسحاق عليهم السلام وكانوا سبعة صفوف ثلاثة صفوف من الأنبياء المرسلين وأربعة من سائر الأنبياء. قال في «إنسان العيون»: والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن هذه الصلاة كانت من النفل المطلق ولا يضر وقوع الجماعة فيها انتهى. وفي «منية المفتي» أيضاً إمامة النبي عليه السلام ليلة المعراج لأرواح الأنبياء وكانت في النافلة انتهى. قال عليه السلام: «لما وصلت إلى بيت المقدس وصليت فيه ركعتين» أي: إماماً بالأنبياء والملائكة «أخذني العطش أشد ما أخذني فأتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر فأخذت الذي فيه اللبن وكان ذلك بتوفيق ربي فشربته إلا قليلاً منه وتركت الخمر فقال جبريل: أصبت الفطرة يا محمد» لأن فطرته هي الملائمة للعلم والحلم والحكمة «أما إنك لو شربت الخمر لغوت أمتك كلها ولو شربت اللبن كله لما ضل أحد من أمتك بعدك فقلت: يا جبريل اردد عليّ اللبن حتى أشربه كله فقال جبريل: قضي الأمر ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم». قال بعضهم: إنه لم يختلف أحد أنه عرج به ﷺ من عند القبة التي يقال لها قبة المعراج عن يمين الصخرة وقد جاء «صخرة بيت المقدس من صخور الجنة» وفيها أثر قدم النبي عليه السلام. قال أبي بن كعب: ما من ماء عذب إلا وينبع من تحت صخرة بيت المقدس ثم يتفرق في الأرض وهذه الصخرة من عجائب الله فإنها صخرة شعثاء في وسط المسجد الأقصى قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها إلا الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ومن تحتها المغارة التي انفصلت من كل جهة فهي معلقة بين السماء والأرض. قال الإمام أبو بكر بن العربي في شرح الموطأ امتنعت لهيبتها أن أدخل من تحتها لأني كنت أخاف أن تسقط عليّ بالذنوب ثم بعد مدة دخلتها فرأيت العجب العجاب تمشي في جوانبها من كل جهة فتراها منفصلة عن الأرض لا يتصل بها

من الأرض شيء ولا بعض شيء وبعض الجهات أشد انفصالاً من بعض. قال بعضهم: بيت المقدس أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً وباب السماء الذي يقال له: مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس أي: ولهذا أسري به عليه السلام من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليحصل العروج مستوياً من غير تعويج. يقول الفقير رقاه الله القدير إلى معرفة سر المعراج المنير: لعل وجه الإسراء إلى بيت المقدس هو التبرك بقدمه الشريفة لكون مدينة القدس ومسجدها متعبد كثير من الأنبياء ومدفنهم لا لأنه يحصل العروج مستوياً فإن ذلك من باب قياس الغائب على الشاهد وتقدير الملكوت بالملك إذ الأرواح الطيبة وألطفها النبي عليه السلام بجسمه وروحه لا حائل لهم واعتبار الاستواء والتعويج من باب التكلف الذي لا يناسب حال المعراج. وقد ثبت أن عيسى عليه السلام سينزل إلى المنارة البيضاء الدمشقية ولم يعهد أنها حيال باب السماء فالجواب العقلي لا يتمشى هٰهنا. قال في «ربيع الأبرار» «ثم قال لي جبريل: قم يا محمد فقمت فإذا بسلم من ذهب قوائمه من فضة مركب من اللؤلؤ والياقوت يتلألأ نوره وإذا أسفله على صخرة بيت المقدس ورأسه في السماء فقيل لي: يا محمد اصعد فصعدت». وفي «إنسان العيون»: عرج إلى السماء من الصخرة على المعراج لا على البراق. والمعراج بكسر الميم وفتحها الذي تعرج أرواح بني آدم فيه وهو سلم له مرقاة من ذهب وهذا المعراج لم تر الخلائق أحسن منه أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحاً إلى السماء أي: بعد خروج روحه فإن ذلك عجبه بالمعراج الذي نصب لروحه لتعرج عليه وذلك شامل للمؤمن والكافر إلا أن المؤمن يفتح لروحه باب السماء دون الكافر فترد بعد عروجها تحسراً وندامة وتبكيتاً له وذلك المعراج أتى به من جنة الفردوس وأنه منضد باللؤلؤ أي: جعل فيه اللؤلؤ بعضه على بعض عن يمينه ملائكة ويساره ملائكة فصعد ﷺ ومعه جبريل. وفي كلام بعض المشايخ أن المراد بالمعراج صورة الجذب والانجذاب وتمثيل الصعود وإلا فالآلة لا تتمشى هناك إذ لا يقاس السير الملكوتي على السير الملكي والظاهر أن عالم الملكوت مشتمل على ما هو صورة ومعنى والصورة هناك تابعة للمعنى كحال صاحب السير والإسراء فإنه لو لم يكن جسده تابعاً لروحه لتعذر العروج فلصورته صورة ولمعناه معنى وكل منهما خلاف ما تتصوره الأوهام وهو اللائح بالبال والحمد لله الملك المتعال.

واعلم أن المعدن والنبات والحيوان مركبات تسمى بالمواليد الثلاثة آباؤها الأثيريات أي: الأجرام الأثيرية التي هي الأفلاك بما فيها من الأجرام النيرة وأمهاتها العنصريات والعناصر أربعة الأرض والماء والهواء والنار فالأرض ثقيل على الإطلاق والماء ثقيل بالإضافة إلى الهواء والنار وهو محيط بأكثر الأرض والهواء خفيف مضاف إلى الثقلين يطلب العلو وهو محيط بكرة الأرض والماء والنار خفيف على إطلاق يحيط بكرة الهواء والنبي ﷺ جاوز هذه العناصر ليلة المعراج بالحركة القسرية والحركة القسرية غير منكورة عندنا وعند المحيلين لهذا الإسراء الجسماني فإنا نأخذ الحجر وطبعه النزول فنرمي به في الهواء فصعوده في الهواء بخلاف طبعه وبطبعه أما قولنا بخلاف طبعه فإن طبعه يقتضي الحركة نحو المركز فصعوده في الهواء عرضي بالحركة القسرية وهي الرمي به علواً وأما قولنا وبطبعه فإنه على طبيعة يقبل بها الحركة القسرية ولو لم يكن ذلك في طبعه لما انفعل لها ولا قبلها وكذلك اختراقه عليه السلام الفلك الأثيري وهو نار والجسم الإنساني مهيأ مستعد لقبول الاحتراق ثم إن المانع من الاحتراق أمور يسلمها

الخصم فتلك الأمور كانت الحجب التي خلقها الله سبحانه في جسم المسرى به فلم يكن عنده استعداد الانفعال للحرق كبعض الأجسام المطلية بما يمنعها من الاحتراق بالنار أو أمر آخر وهو أن الطريق الذي اخترقه ليس النار فيه إلا محمولة في جسم لطيف ذلك الجسم هو المحرق بالنار فسلب عنه النار وحل به ضدها كنار إبراهيم عليه السلام قال عليه السلام: «انتهيت إلى بحر أخضر عظيم أعظم ما يكون من البحار فقلت: يا جبرائيل ما هذا البحر؟ فقال: يا محمد هذا بحر في الهواء لا شيء من فوقه يتعلق به ولا شيء من تحته يقر فيه ولا يدري قعره وعظمته إلا الله تعالى ولولا أن هذا البحر كان حائلاً لاحترق ما في الدنيا من حر الشمس» ثم قال: «ثم انتهيت إلى السماء الدنيا واسمها رقيع فأخذ جبريل بعضدي وضرب بابه به وقال: افتح الباب» وإنما استفتح لكون إنسان معه ولو انفرد لما طلب الفتح ولكون مجيئه على خلاف ما كانوا يعرفونه قبل: «قال الحارس: من أنت؟ قال: جبريل قال: ومن معك فإنه رأى شخصاً معه لم يعرفه قال: محمد قال: أوقد بعث محمد قال: نعم» وذلك لجواز أن يعرف ولادته عليه السلام ويخفى عليه بعثته قال: «الحمد لله ففتح لنا الباب ودخلنا فلما نظر إلي قال: مرحباً بك يا محمد ولنعم المجيء مجيئك فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: إسماعيل خازن السماء الدنيا وهو ينتظر قدومك فادن وسلم عليه فدنوت وسلمت فرد عليّ السلام وهنأني فلما صرت إليه قال: أبشر يا محمد فإن الخير كله فيك وفي أمتك فحمد الله على ذلك» وهذا الملك لم يهبط إلى الأرض قط إلا مع ملك الموت لما نزل لقبض روحه الشريفة «تحت يده سبعون ألف ملك تحت يد كل ملك سبعون ألف ملك قال: وإذا جنوده قائمون صفوفاً ولهم زجل بالتسبيح يقولون سبوحاً سبوحاً لرب الملائكة والروح قدوساً قدوساً لرب الأرباب سبحان العظيم الأعظم وكان قراءتهم سورة الملك فرأيت فيها كهيئة عثمان بن عفان فقلت: بم بلغت إلى هنا قال: بصلاة الليل»:

هركج سعادت كه خدا داد بحافظ ازيمن دعاى شب وورد سحرى بود

قال: «ثم انتهيت إلى آدم فإذا هو كهيئة يوم خلقه الله تعالى» أي: على غاية من الحسن والجمال «وكان تسبيحه سبحان الجليل الأجل سبحان الواسع الغني سبحان الله العظيم وبحمده فإذا هو تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة خرجت من جسد طيب اجعلوها في عليين وتعرض عليه أرواح ذريته الكفار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة خرجت من جسد خبيث اجعلوها في سجين». فإن قلت أرواح الكفار لا تفتح لها أبواب السماء فكيف تعرض عليه وهو في السماء. قلت: المراد بعض أرواح ذريته الكفار يقع نظره عليها وهي دون السماء لأنها شفافة. فإن قلت: ما ذكر يقتضي أن يكون أرواح المؤمنين كلهم في عليين في السماء الرابعة وقد ثبت أن أرواح العصاة محبوسة بين السماء والأرض. قلت: التحقيق أن مبدأ مراتب السعداء من السماء الدنيا على درجات متفاوتة إلى عليين ومبدأ مراتب الأشقياء من مقعر سماء الدنيا إلى منازل مختلفة إلى سجين تحت السابعة وهو مسكن إبليس وذريته فمراتب أرواح الكفار أنزل من مراتب أرواح عصاة المؤمنين تلتحق بعد التهذيب إلى مقارها العلوية قال عليه السلام: «فتقدمت إليه وسلمت عليه فقال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح» أي: لقيت رحباً وسعة وكان مقره فلك القمر لمناسبته في السرعة فإن القمر يسير في الشهر ما يسير الشمس في السنة من المنازل فناسب في سرعة حركاته حركاته الذهنية وانتقالاته الباطنية

وموجب هذه الرؤية الخاصة أي: رؤيته عليه السلام لآدم في السماء الدنيا دون غيره من الأنبياء عليهم السلام مناسبة صفاتية أو فعلية أو حالية فلا تنافي أن يشارك آدم في هذه السماء غيره من بعض الأنبياء وقس عليها الرؤية فيما فوقها من السموات كما سيجيء. قال في تفسير «المناسبات» في سورة النجم فأول ما رأى ﷺ من الأنبياء عليهم السلام آدم عليه السلام الذي كان في أمن الله وجواره فأخرجه إبليس عدوه منهما وهذه القصة تشبهها الحالة الأولى من أحوال النبي عليه السلام حين أخرجه أعداؤه من حرم الله وجوار بيته فأشبهت قصته في هذا قصة آدم مع أن آدم يعرض عليه ذريته البر والفاجر منهم فكان في السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لأن أرواح أهل الشقاء لا تلج في السماء ولا تفتح لهم أبوابها انتهى قال عليه السلام: «ورأيت رجالاً لهم مشافر كمشافر الإبل» أي: كشفاه الإبل «وفي أيديهم قطع من نار كالأفهار» أي الحجارة «التي كل واحد منها ملء الكف يقذفونها في أفواههم تخرج من أدبارهم قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: أكلة أموال اليتامى ظلماً» وهؤلاء لم يتقدم رؤيته لهم في الأرض ولعل المراد بالرجال الأشخاص أو خصوا بذلك لأنهم أولياء للأيتام غالباً «ثم رأيت رجالاً لهم بطون أمثال البيوت فيها حيات ترى من خارج البطون بطريق آل فرعون يمرون عليهم كالإبل المهيومة حين يعرضون على النار لا يقدرون أن يتحولوا من مكانهم ذلك» أي: فتأطهم آل فرعون الموصوفون بما ذكر المقتضي لشدة وطئهم لهم والمهيومة التي أصابها الهيام وهو داء يأخذ الإبل فتهيم في الأرض ولا ترعى أو العطاش والهيام شدة العطش. وفي رواية «كلما نهض أحدهم خر» أي: سقط «قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا» وتقدمت رؤيته عليه السلام لهم في الأرض لا بهذا الوصف بل أن الواحد منهم يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة ولا مانع من اجتماع الوصفين لهم أي: فيخرجون من ذلك النهر ويلقون في طريق من ذكر وهكذا عذابهم دائماً «ثم رأيت أخونة عليها لحم طيب ليس عليها أحد وأخرى عليها لحم منتن عليها ناس يأكلون قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يتركون الحلال ويأكلون الحرام» أي: من الأموال أعم مما قبله وهؤلاء لم يتقدم رؤيته لهم في الأرض «ثم رأيت نساء متعلقات بثديهن فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال ما ليس من أولادهن أي: بسبب زناهن» وفي رواية «أنه عليه السلام رأى في هذه السماء النيل والفرات» وذلك لأن منبعهما من تحت سدرة المنتهى ويمران في الجنة ويجاوزانها إلى السماء الدنيا فينصبان إلى الأرض من طرف العالم فيجريان. وفي زيادة «الجامع الصغير» «إن النيل يخرج من الجنة ولو التمستم فيه حين يسيح لوجدتم فيه من ورقها» قال ﷺ: «ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهم السلام» أي: شبيه أحدهما بصاحبه ثيابهما وشعرهما «ومعهما نفر من قومهما فرحبا بي ودعوا لي بخير» وكونهما ابن الخالة أي: أن أم كل خالة الآخر هو المشهور والتفصيل في آل عمران. قال في «تفسير المناسبات» ثم رأى في الثانية عيسى ويحيى وهما الممتحنان باليهود أما عيسى فكذبته اليهود وآذته وهموا بقتله فرفعه الله وأما يحيى فقتلوه، قال في «المثنوي»:

چون سفيها نراست اين كاروكيا لازم آمد يقتلون الأنبياء

ورسول الله ﷺ بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان وكانت محنته

فيها باليهود وآذوه وظاهروا عليه وهموا بإلقاء الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله كما نجى عيسى منهم ثم سموه في الشاة فلم تزل تلك الأكلة تعاده حتى قطعت أبهره كما قال عند الموت وهكذا فعلوا بابني الخالة عيسى ويحيى. قوله تعاده يقال عادته اللسعة إذا أتته لعداد بالكسر أي: لوقت وفي الحديث: «ما زالت أكلة خيبر تعادني فهذا أوان قطعت أبهري» وهو عرق في الظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه وذلك أن يهودية أتت رسول الله بشاة مسمومة فأكل منها وأكل القوم فقال عليه السلام: «ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة» فمات بشر بن البراء منه فجيء بها إلى رسول الله فسألها عن ذلك فقالت: أردت أن أقتلك فقال عليه السلام: «ما كان الله ليسلط علي ذلك» أي: على قتلي. قال الشيخ افتاده قدس سره: وإنما لم يؤثر السم فيه عليه السلام إلى الاحتضار لأن إرشاده عليه السلام وإن كان في عالم التنزل غير أن تنزله كان من مرتبة الروح وهي أعدل المراتب فلم يؤثر فيه إلى الاحتضار فلما احتضر تنزل إلى أدنى المراتب لأن الموت إنما يجري على البشرية فلما تنزل إلى تلك المرتبة أثر فيه «ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال جبريل قيل: ومن معك قال: محمد قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام ومعه نفر من قومه وإذا هو أعطى شطر الحسن» أي: نصف الحسن الذي أعطيه الناس غير نبينا عليه السلام وفي كلام بعضهم أعطي شطر الحسن الذي أوتيه نبينا عليه السلام وكان نبينا عليه السلام أملح وإن كان يوسف أبيض، قال المولى الجامي:

دبير صنع نوشت است كرد عارض تو بمشك ناب كه الحسن والملاحة لك

وذلك أن الحسن والملاحة من عالم الصفات ولم يحصل لغيره عليه السلام ما حصل له من تجليات الصفات على الكمال صورة ومعنى إذ هو أفضل من الكل فالتجلي له أكمل وهو اللائح بالبال قال عليه السلام: «فرحب بي ودعا لي بخير قال في «تفسير المناسبات» أما لقاؤه ليوسف عليه السلام في السماء فإنه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حالة يوسف عليه السلام وذلك أن يوسف ظفر بإخوته بعدما أخرجوه من بين ظهرانيهم فصفح عنهم وقال: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢] الآية وكذلك نبينا عليه السلام أسر يوم بدر جملة من أقاربه الذين أخرجوه فيهم عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من أطلقه ومنهم من فداه ثم ظهر عليهم بعد ذلك عام الفتح فجمعهم فقال لهم: «أقول ما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم» «ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك قال: محمد قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير» قال الله تعالى في حقه: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: ٥٧] أي: السماء الرابعة حال حياته على أحد الوجوه وكونه في الجنة كما في بعض الروايات لا ينافي وجوده في السماء المذكورة تلك الليلة. قيل: رفع إلى السماء من مصر بعد أن خرج منها ودار الأرض كلها وعاد إليها ودعا الخلائق إلى الله تعالى باثنتين وسبعين لغة خاطب كل قوم بلغتهم وعلمهم العلوم وهو أول من استخرج علم النجوم أي: علم الحوادث التي تكون في الأرض باقتران الكواكب وهو علم صحيح لا يخطىء في نفسه وإنما الناظر في ذلك هو الذي يخطىء لعدم استيفائه النظر. قال في «المناسبات» ثم لقاؤه لإدريس عليه السلام في السماء الرابعة وهو المكان الذي سماه الله مكاناً علياً وإدريس أول من آتاه الله الخط بالقلم فكان ذلك موذناً بحالة رابعة وهو شأنه ﷺ حتى

أخاف الملوك وكتب إليهم يدعوهم إلى طاعته حتى قال أبو سفيان وهو عند ملك الروم حين جاء كتاب النبي عليه السلام ورأى ما رأى من خوف هرقل لقد أمر أمر ابن أبي كبشة حين أصبح يخافه ملك ابن أبي الأصفر وكتب بالقلم إلى جميع ملوك الأرض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشي وملك عمان ومنهم من هادن وأهدى إليه وأتحفه المقوقس ومنهم من تعصى عليه فأظفره الله به وهذا مقام عليّ وخط بالقلم على نحو ما أوتي إدريس عليه السلام: «ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم ففتح لنا فإذا أنا بهارون عليه السلام ونصف لحيته بيضاء ونصف لحيته سوداء تكاد تضرب إلى سرته من طولها وحوله قوم من بني إسرائيل وهو يقص عليهم فرحب بي ودعا لي بخير» وكان هارون محبباً في قومه لأنه كان ألين إليهم من موسى لأن موسى كان فيه بعض الشدة عليهم ومن ثمة كان له منهم بعض الأذى. قال في «المناسبات»: لقاؤه عليه السلام في السماء الخامسة لهارون المحبب في قومه يوذن بحب قريش وجميع العرب له بعد بغضهم فيه. قال وهب بن منبه: وجدت في أحد وسبعين كتاباً أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله ﷺ إلا كحبة بين رمال الدنيا. ومما يتفرع على العقل إقناء الفضائل واجتناب الرذائل وإصابة الرأي وجودة الفطنة وحسن السياسة والتدبير وقد بلغ من ذلك ﷺ الغاية التي لم يبلغها بشر سواه ومما لا يكاد يقضي منه العجب حسن تدبيره ﷺ للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة كيف ساسهم واحتمل جفاءهم وصبر على أذاهم إلى أن انقادوا إليه واجتمعوا عليه واختاروه على أنفسهم وقاتلوا دون أهلهم وآباءهم وأبناءهم وهجروا في رضاه أوطانهم «ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم ففتح لنا فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير» وكان موسى رجلاً آدم طوالاً كثير الشعر مع صلابته لو كان عليه قميصان لنفذ الشعر منهما وكان إذا غضب يخرج شعر رأسه من قلنسوته وربما اشتعلت قلنسوته لشدة غضبه ولشدة غضبه لما فر الحجر بثوبه صار يضربه حتى ضربه ست ضربات أو سبعاً مع أنه لا إدراك له ووجه بأنه لما فر صار كالدابة والدابة إذا جمحت فصاحبها يؤديها بالضرب. يقول الفقير: إنما فر الحجر لأن للجمادات حياة حقانية عند أهل الله تعالى وربما يظهر أثرها في الظاهر فتصير في حكم الاحياء من ذوي الروح وإليه الإشارة بهذه الأبيات «المثنوية»:

بادرا بى چشم اكر بينش نداد   فرق چون مى كرد اندر قوم عاد
كرنبودى نيل را آن نور ديد   ازچه قبطي را زسبطى مى كزيد
كرنه كوه وسنك باديدار شد   پس جرا داودرا اويار شد
اين زمين را كرنبودى چشم وجان   ازچه قارون را فراخوردى چنان

قال عليه السلام: «فلما جاوزت أي عن موسى بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل من أمتي» أي بل ومن سائر الأمم لأن أهل الجنة من الأمم مائة وعشرون صفاً هذه الأمة منها ثمانون صفاً وسائر الأمم أربعون. قال أبن الملك: إنما بكى موسى إشفاقاً على أمته حيث قصر عددها عن عدد أمة محمد لا حسداً عليه لأنه لا يليق به وأما قوله إن غلاماً بعث بعدي فلم يكن على سبيل التحقير بل على

معنى تعظيم المنة لله تعالى لأن محمداً مع كونه غير طويل العمر في عبادة ربه خصه بهذه الفضيلة. يقول الفقير: بكاء موسى عليه السلام هو المناسب لمقامه لأنه كان له غيرة غالبة ولذا لما مر عليه السلام عليه وهو يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر سمع منه وهو يقول برفع صوته أكرمته فضلته يخاطب ربه وعاتبه ادلالاً وهو لا يستلزم الحسد والتحقير لأن كمل أفراد الأمة مطهرون عن مثل هذا فكيف الأنبياء خصوصاً أولو العزم منهم ومن البين أن أهل الجنة يرضون بما أوتوا من الدرجات على حسب استعداداتهم فلا يتمنى بعضهم مقام بعض لكونه خارجاً عن الحكمة فكذا الأنبياء والأولياء في مقاماتهم المعنوية وإلا لما استراحوا وهو مخل برتبتهم. قال في «المناسبات»: ولقاؤه في السماء السادسة لموسى عليه السلام يؤذن بحالة تشبه حالة موسى عليه السلام حين أمر بغزوة الشام وظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها وأدخل بني إسرائيل البلد الذي خرجوا منه بعد إهلاك عدوهم وكذلك غزا رسول الله ﷺ تبوك من أرض الشام وظهر على صاحب دومة الجندل حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به أسيراً وافتتح مكة ودخل أصحابه البلد الذي خرجوا منه «ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: أوقد بعث إليه قال: نعم ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام قال: هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح». قال الإمام التوربشتي: أمر النبي عليه السلام بالتسليم على الأنبياء وإن كان أفضل لأنه كان عابراً عليهم وكان في حكم القائم وهم في حكم القعود والقائم يسلم على القاعد والمرئي كان أرواح الأنبياء مشكلة بصورهم التي كانوا عليها إلا عيسى فإنه مرئي بشخصه قال عليه السلام: «وإذا إبراهيم رجل أشمط جالس عند باب الجنة» أي في جهتها وإلا فالجنة فوق السماء السابعة «على كرسي مسنداً ظهره إلى البيت المعمور» وهو من عقيق محاذ للكعبة بحيث لو سقط سقط عليها «يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون كالأنفاس الإنسانية يدخلون من الباب الواحد ويخرجون من الباب الآخر» فالدخول من باب مطالع الكواكب والخروج من باب مغاربها قال عليه السلام: «وإذا أنا بأمتي شطرين شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس وشطر عليهم ثياب رمدة فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب الرمدة فصليت أنا ومن معي في البيت المعمور» أي ركعتين والظاهر أنه ليس المراد بالشطر النصف حتى يكون العصاة من أمته بقدر الطائعين منهم. يقول الفقير المراد بالشطرين الفرقتان والفرقة التي عليهم ثياب بيض طائفة بالنسبة إلى الذين عليهم ثياب رمدة لأن الحكمة الإلهية اقتضت كون أهل العصيان والنفس أكثر من أهل الطاعة والتزكية إذ المقصود ظهور الإنسان الكامل وهو حاصل مع أن الواحد على الحق هو السواد الأعظم فيكون أهل الطاعة كالشطر بالنسبة إلى أهل العصيان نسأل الله تعالى أن يدخلنا بيت القلب مع الداخلين ويزيل أوساخ وجوداتنا بحرمة النبي الأمين. قال السهيلي قد ثبت في الصحيح أن أطفال المؤمنين والكافرين في كفالة سيدنا إبراهيم عليه السلام وأن رسول الله قال لجبريل حين رآهم مع إبراهيم «من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أولاد المؤمنين الذين يموتون صغاراً» قال له: «وأولاد الكافرين» قال: وأولاد الكافرين. وقد روي في أطفال الكافرين أيضاً «أنهم خدم لأهل الجنة». وجاء أن إبراهيم عليه السلام قال لرسول الله: «أقرىء أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأن غراسها

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» كما قال المولى الجامي:

يادكن آنكه درشب اسرا | يا حبيب خدا خليل خدا
كفت كووى ازمن اى رسول كرام | امت خويش را زبعد سلام
كه بود پاك وخوش زمين بهشت | ليك آنجا كسى درخت نكشت
خاك او پاك وطيب افتاده | ليك هست از درختها ساده
غرس أشجار ان بسعى جميل | بسمله حمد له است پس تهليل
هست تكبير نيز ازان اشجار | خوش كسى كش جزين نيايد كار
باغ جنات تحتها الأنهار | سبز وخرم شود ازان اشجار

قال عليه السلام: «واستقبلتني جارية لعساء وقد أعجبتني فقلت لها: يا جارية أنت لمن؟ قالت: لزيد بن حارثة» واللعس لون الشفة إذا كان تضرب إلى السواد قليلاً وذلك مستملح. يقول الفقير زيد: هذا هو الذي تبناه رسول الله ﷺ وكانت زينب تحت نكاحه فطلقها ليتزوجها رسول الله فلما آثر النبي عليه السلام بها أبدل الله مكانها زوجاً له من الحور مليحة جداً وجازاه بها فإن لكل فناء وترك مشروع أثراً معنوياً فما انتقص شيء في الظاهر إلا وقد انتقل في الباطن والآخرة باطن بالنسبة إلى الدنيا فمن ترك حظه فيها وجده في الآخرة أعلى منه وأوفر. ورأى عليه السلام في السماء السابعة فوجاً من الملائكة نصف أبدانهم من النار ونصفها من الثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفىء النار وهم يقولون: اللهم كما ألفت بين النار والثلج فألف بين قلوب عبادك المؤمنين حمله بعض الأكابر على معنى أن نصف أجزائه ثلج ونصف أجزائه نار فامتزجا وحصل بينهما مزاج واحد والظاهر أن الأول أدل على القدرة فإن اجتماع الأضداد بالمعنى الذي ذكره موجود في أكثر المركبات. قال في «المناسبات»: ثم لقاؤه في السماء السابعة إبراهيم عليه السلام لحكمتين إحداهما أنه رآه عند البيت المعمور مسنداً ظهره إليه والبيت المعمور حيال الكعبة أي بازائها ومقابلتها وإليه تحج الملائكة كما أن إبراهيم هو الذي بنى الكعبة وأذن في الناس بالحج والحكمة الثانية أن آخر أحوال النبي عليه السلام حجه إلى البيت الحرام وحج معه ذلك العام نحو من سبعين ألفاً من المسلمين ورؤية إبراهيم عند أهل التأويل تؤذن بالحج لأنه الداعي إليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة قال ﷺ: «ثم ذهب بي» أي جبريل «إلى سدرة المنتهى» وهي شجرة فوق السماء السابعة في أقصى الجنة إليها ينتهي الملائكة بأعمال أهل الأرض من السعداء وإليها تنزل الأحكام العرشية والأنوار الرحمانية «وإذا أوراقها كآذان الفيلة» جمع الفيل أي في الشكل وهو الاستدارة لا في السعة إذ الواحدة منها تظل الخلق كما في بعض الروايات «وثمرها كالقلال» جمع قلة وهي الجرة العظيمة وهذه الشجرة هي الحد البرزخي بين الدارين فأغصانها نعيم لأهل الجنة وأصولها زقوم لأهل النار ولأفنانها حنين بأنواع التسبيحات والتحميدات والترجيعات عجيبة الألحان تطرب لها الأرواح وتظهر عليها الأحوال وأم فيها رسول الله ملائكة السموات في الوتر فكان إمام الأنبياء في بيت المقدس وإمام الملائكة عند سدرة المنتهى فظهر بذلك فضله على أهل الأرض والسماء ويخرج من أصل تلك الشجرة أربعة أنهار نهران باطنان أي يبطنان ويغيبان في الجنة بعد خروجهما من أصل تلك الشجرة وهما الكوثر ونهر الرحمة ونهران ظاهران أي يستمران ظاهرين بعد خروجهما من أصل تلك الشجرة فيجاوزان الجنة وهما النيل نهر مصر والفرات نهر الكوفة.

قال بعضهم لولا دخول بحر النيل في الملح الذي يقال له البحر الأخضر قبل أن يصل إلى بحيرة الزنج لما قدر أحد على شربه لشدة حلاوته ومر الفرات في بعض السنين فوجد فيه رمان مثل البعير فيقال إنه رمان الجنة. يقول الفقير لعله من البساتين التي يقال لها جنان الأرض إذ سقوط الثمار من أماكنها من الفساد غالباً وليس لثمار الجنة ذلك اللهم إلا أن يقال وجود ذلك الرمان في الفرات على تقدير أن يكون من رمان الجنة إنما هو ليكون آية لذوي الاستبصار ودخل عليه السلام الجنة فإذا فيها جنابذ أي قباب الدرّ وإذا ترابها المسك ورمانها كالدلاء وطيرها كالبخت وانتهى إلى الكوثر فإذا فيه آنية الذهب والفضة فشرب منه فإذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك وفي الحديث «ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل والذي نفس محمد بيده لا يقطف رجل ثمرة من الجنة فتصل إلى فيه حتى يبدل الله مكانها خيراً منها» وهذا القسم يرشد إلى أن ثمرة الجنة كلها حلوة تؤكل وأنها تكون على صورة ثمرة الدنيا المرة وغشي السدرة ما غشي من نور الحضرة الإلهية فصار لها من الحسن غير تلك الحالة التي كانت عليها فما أحد من خلق يستطيع أن ينعتها من حسنها لأن رؤية الحسن تدهش الرائي ورأى عليه السلام جبرائيل عند تلك السدرة على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق أي ما بين المشرق والمغرب يتناثر من أجنحته الدر والياقوت.

ـ ويروى ـ أن جبريل لما وصل إلى السدرة التي هي مقامه تأخر فلم يتجاوز فقال عليه السلام: «أفي مثل هذا المقام يترك الخليل خليله» فقال: لو تجاوزت لأحرقت بالنور. وفي رواية لو دنوت أنملة لأحرقت، قال الشيخ سعدي قدس سره:

چنان كرم درنيه قربت براند	كه درسدره جبريل ازوباز ماند
بدو كفت سالار بيت الحرام	كه اى حامل وحى برتر خرام
چو در دوستى مخلصم يا فتى	عنانم ز صحبت چرا تافتى
بكفتا فرا تر مجالم نماند	بماندم كه نيروى بالم نماند
اكريك سرموى بر تر پرم	فروغ تجلى بوزد پرم

فقال عليه السلام: «يا جبريل هل لك من حاجة إلى ربك قال: يا محمد سل الله لي أن أبسط جناحي على الصراط لأمتك حتى يجوزوا عليه» قال عليه السلام: «ثم زج بي في النور فخرق بي سبعون ألف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجاباً غلظ كل حجاب خمسمائة عام وانقطع عني حس كل ملك فلحقني عند ذلك استيحاش فعند ذلك نادى مناد بلغة أبي بكر قف فإن ربك يصلي» أي يقول سبحاني سبحاني سبقت رحمتي على غضبي وجاء نداء من العلي الأعلى «ادن يا خير البرية ادن يا أحمد ادن يا محمد فأدناني ربي حتى كنت كما قال ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى».

ـ وروي ـ أنه عليه السلام عرج من السماء السابعة إلى السدرة على جناح جبريل ثم منها على الرفرف وهو بساط عظيم. قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني هو نظير المحفة عندنا ونادى جبريل من خلفه يا محمد إن الله يثني عليك فاسمع وأطع ولا يهولنك كلامه فبدأ عليه السلام بالثناء وهو قوله: «التحيات لله والصلوات والطيبات» أي العبادات القولية والبدنية والمالية فقال تعالى: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» فعمم عليه السلام سلام الحق فقال:

«السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» فقال جبريل: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» وتابعه جميع الملائكة. قال بعض الكبار اخترق الأفلاك من غير أن تسكن عن تحريكها كاختراق الماء والهواء إلى أن وصل سدرة المنتهى فقعد على الرفرف فاخترق عوالم الأنوار إلى أن جاز موضع القدمين إلى العرش أي المستوى المفهوم من قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كل ذلك بجسمه فعاين محل الاستواء فلما فارق عالم التركيب والتدبير لم يبق له أنيس من جنسه فاستوحش من حيث مركبه فنودي بصوت أبي بكر: «قف يا محمد إن ربك يصلي» فسكن وتلا عليه عند ذلك ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣] هذا لسان الأحباب وخطاب الأخلاء والأصحاب وهذا أول الأبواب المعنوية من هنا تقع في بحر الإشارات والمعاني وهو الإسراء البسيط فتقع المشاهدة بالبصر لا بالجارحة لأعيان الأرواح المهيمة التي لا مدخل لها في عالم الأجسام فترك الرفرف ومشاهدة الجسم وانسلخ من الرسم والاسم وسافر برفرف همته فحطت العين بساحل بحر العمى حيث لا حيث ولا أين فأدركت ما أدركت من خلف حجاب العزة الأحمى الذي لا يرتفع أبداً ثم عادت بلا مسافة إلى شهود عينها ثم إلى تركيب كونها المتروك بالمستوى مع الرفرف فقوله: «ثم دنا» إشارة إلى العروج والوصول وقوله: «فتدلى» إلى النزول والرجوع وقوله ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ [النجم: ٩] بمنزلة النتيجة إشارة إلى الوصول إلى مرتبة الذات الواحدية أي عالم الصفات المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ٢] وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩] إشارة إلى مرتبة الذات الأحدية أي عالم الذات المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وكان المعراج في صورة الصعود والهبوط لأنه وقع بالجسم والروح معاً وإلا فالملك والملكوت مندرج في الوجود الإنساني وكل تجل يحصل له إنما هو من الداخل لا من الخارج قال ﷺ: «سألني ربي فلم أستطع أن أجيبه فوضع يده بين كتفيّ بلا تكييف ولا تحديد» أي يد قدرته سبحانه منزه عن الجارحة «فوجدت بردها فأورثني علم الأولين والآخرين وعلمني علوماً شتى فعلم أخذ علي كتمانه إذ علم أنه لا يقدر على حمله غيري وعلم خيرني فيه وعلم أمرني بتبليغه إلى العام والخاص من أمتي» وهي الإنس والجن وهذا التفصيل يدل على أن العلوم الشتى هذه العلوم الثلاثة كما يدل عليه الفاء وهي زائدة على علوم الأولين والآخرين فالعلم الأول من باب الحقيقة الصرفة والثاني من باب المعرفة والثالث من باب الشريعة. ومن جملة ما أوحي في هذا الموطن من القرآن خواتيم سورة البقرة وبعض سورة والضحى وبعض الم نشرح لك وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣] والوحي بلا واسطة يقتضي الخطاب فسمع عليه السلام كلام الحق من غير كيفية كما سمعه موسى عليه السلام من كل جانب ورآه:

كلام سرمدى بى نقل بشنيد   خداوند جهانرا بى جهت ديد
بديد آنچه زحد ديدن برون بود   مپرس اما ز كيفيت كه چون بود

قال الإمام النووي الراجح عند أكثر العلماء أنه رأى ربه بعيني رأسه، يقول الفقير: يعني بسره وروحه في صورة الجسم بأن كان كل جزء منه سمعاً واتحد البصر بالبصيرة فهي رؤية بهما معاً من غير تكييف فافهم فإنه جملة ما يتفصل. فإن قلت: ما الفرق بين الأنبياء وبين نبينا عليه السلام في باب الرؤية فإنهم يرونه ويشاهدونه حال الانسلاخ الكلي. قلت ما حصل لنبينا

عليه السلام فوق الانسلاخ إذ الرؤية في صورة الانسلاخ إنما هي بالبصيرة فقط وأما رؤيته تعالى في الجنة فقيل لا يراه الملائكة وقيل يراه منهم جبريل خاصة مرة واحدة. قال بعضهم وقياس عدم رؤية الملائكة عدم رؤية الجن له تعالى ورد ذلك. يقول الفقير: لعل وجه الاختلاف عند الحقيقة أن الملائكة والجن على جناح واحد وهو الجمال والإنس على جناحين وهما الجمال والجلال المقول لهما الكمال فلا يرونه تعالى من مرتبة مؤمني الإنس وإنما يشاهدونه تعالى من مرتبة أنفسهم فافهم وأما أنه ليس لهم مشاهدة أصلاً فلا مساعدة له بوجه من الوجوه واتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام وصحتها أي وقوعها لأن ذلك المرئي إنما هو صفة من صفات الله تعالى.

ـ روي ـ عن أبي يزيد البسطامي قدس سره أنه قال: رأيت ربي في المنام فقلت له: كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك ثم تعال.

ـ وروي ـ أن حمزة القارىء قرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره في المنام حتى إذا بلغ إلى قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] قال الله تعالى: قل يا حمزة وأنت القاهر، يقول الفقير: سمعت من شيخي وسندي قدس سره أن شيخه عبد الله الشهير بذاكر زاده روح الله روحه أراد أن يستخلفه فامتنع عليه فرأى في تلك الليلة في المنام أن الله تعالى أعطاه المصحف وقال له خذ هذا وادع عبادي إليّ وكان من آثار هذا المنام أن الله تعالى وفقه لإحياء العلم والدعوة إلى الله في المراتب الأربع وزاد خلفاؤه على المائة والخمسين كلهم من أهل التفسير ولم يتيسر هذا المقام لغيره من مشايخ العصر قال عليه السلام: «فرض الله عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة» قيل: كانت كل صلاة منها ركعتين ألا يرى أنه من قال لله عليّ صلاة يلزمه ركعتان ويخالفه ما قالوا: إنه عليه السلام كان يصلي كل يوم وليلة ما يبلغ إلى خمسين صلاة وفق ما فرض ليلة المعراج فالظاهر أن هذه الخمسين باعتبار الركعات لأنه هو المضبوط عنه عليه السلام يعني كان يصلي في اليوم والليلة من الفرائض والنوافل خمسين ركعة وصرح بعضهم بأن المراد الخمسون وقتاً فالظاهر أن كل وقت كان مشتملاً على ركعتين لأن الصلاة في الأصل كانت ركعتين ركعتين ثم زيدت في الحضر وأقرت في السفر قال عليه السلام: «فنزلت إلى إبراهيم فلم يقل شيئاً ثم أتيت موسى» أي في الفلك السادس «فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة» يعني مارستهم ولقيت الشدة فيما أردت فيهم من الطاعة قال عليه السلام: «فرجعت إلى ربي» يعني رجعت إلى الموضع الذي ناجيت ربي فيه وهو سدرة المنتهى «فخررت ساجداً فقلت: أي ربي خفف عن أمتي فحط عني خمساً فرجعت إلى موسى وأخبرته قال: إن أمتك لا تطيق ذلك قال: فلم أزل أرجع بين ربي وموسى ويحط خمساً خمساً حتى قال موسى: بم أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم قال: ارجع فاسأله التخفيف فقلت: قد راجعت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم» يعني: فلا أرجع فإن رجعت كنت غير راض ولا مسلم ولكن أرضى بما قضى الله وأسلم أمري وأمرهم إلى الله «فلما جاوزت نادى منادٍ أمضيت فريضتي» يعني قال الله تعالى: يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة كما قال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] والصلاة إنما تحصل بتوجه القلب والعمل

الواحد في مرتبة القلب يقابل العشرة وقال: «من همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشراً ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم يكتب شيء فإن عملها كتبت سيئة واحدة». وعن ابن عمر رضي الله عنهما كانت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة سبع مرات وغسل البول من الثوب سبع مرات ولم يزل ﷺ يسأل ربه حتى جعلت الصلاة خمساً وغسل الجنابة مرة واحدة وغسل البول من الثوب مرة وفي الحديث «أكثروا من الصلاة على موسى فما رأيت أحداً من الأنبياء أحوط على أمتي منه» وجاء «كان موسى أشدهم عليّ حين مررت به وخيرهم عليّ حين رجعت فنعم الشفيع كان لكم موسى» وذلك فإنه كما تقدم لما جاوزه النبي عند الصعود بكى فنودي ما يبكيك؟ فقال: رب هذا غلام أي لأنه ﷺ كان حديث السن بالنسبة إلى موسى بعثته بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل من أمتي، فإن قلت هذا وقوع النسخ قبل البلاغ وقد اتفق أهل السنة والمعتزلة على منعه، قلت: وقع بعد البلاغ بالنسبة إلى النبي عليه السلام لأنه كلف بذلك ثم نسخ فإذا نسخ في حقه نسخ في حق أمته لأن الأصل أن ما ثبت في حق كل نبي ثبت في حق أمته إلا أن يقوم الدليل على الخصوصية. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي إلى السماء تحت العرش سبعين مدينة كل مدينة مثل مدائنكم هذه سبعين مرة مملوءة من الملائكة يسبحون الله ويقدسونه ويقولون في تسبيحهم اللهم اغفر لمن شهد الجمعة» أي صلاتها «اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة» أي لصلاتها «ورأيت ليلة أسري بي مكتوباً على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقلت لجبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة قال: لأن السائل يسأل وعنده شيء والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة» وبيان كون درهم القرض بثمانية عشر درهماً أن درهم القرض بدرهمين من دراهم الصدقة كما جاء في بعض الروايات ودرهم الصدقة بعشرة تصير الجملة عشرين ودرهم القرض يرجع للمقرض بدله بدرهمين من عشرين يتخلف ثمانية عشر «ورأيت رضوان خازن الجنة فلما رآني فرح بي ورحب بي وأدخلني الجنة وأراني فيها من العجائب ما وعد الله فيها لأوليائه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ورأيت فيها درجات أصحابي ورأيت فيها الأنهار والعيون وسمعت فيها صوتاً وهو يقول: آمنا برب العالمين فقلت: ما هذا الصوت يا رضوان؟ قال: هم سحرة فرعون وأزواجهم وسمعت آخر وهو يقول: لبيك اللهم فقلت: من هو قال: أرواح الحجاج وسمعت التكبير فقال هؤلاء الغزاة وسمعت التسبيح فقال هؤلاء الأنبياء ورأيت قصور الصالحين وعرضت عليّ النار وإن كانت في الأرض السابعة فإذا على بابها مكتوب وإن جهنم لموعدهم أجمعين» قال عليه السلام: «وأبصرت ملكاً لم يضحك في وجهي فقلت: يا أخي جبريل من هذا؟ قال: مالك خازن النار لم يضحك منذ خلقه الله ولو ضحك إلى أحد لضحك إليك فقال له جبريل: يا مالك هذا محمد فسلم عليه فسلم عليّ وهنأني بما صرت إليه من الكرامة والشرف» وإنما بدأ خازن النار بالسلام عليه ﷺ ليزيل ما استشعر من الخوف منه ويشير إلى أنه ومن اتبعه من الصالحين سالمون من النار ناجون قال عليه السلام: «فسألته أن يعرض عليّ النار بدركاتها فعرضها عليّ بما فيها وإذا فيها غضب الله» أي نقمته «لو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها وإذا قوم يأكلون الجيف فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ورأيت قوماً تنزع ألسنتهم من أقفيتهم فقلت: من هم؟ فقال: هم الذين يحلفون بالله كاذبين ورأيت جماعة من النساء علقن

بشعورهن فقلت: من هن؟ قال: هن اللاتي لا يستترن من غير محارمهن ورأيت جماعة منهن لباسهن من القطران فقلت: من هن؟ قال: نائحات» جمع نائحة وهي الباكية على الميت مع عد أخلاقه ومحاسنه. ودل حديث المعراج على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن لأن الإنسان إذا علم ثواباً مخلوقاً اجتهد في العبادة ليحصل ذلك الثواب وإذا علم عقاباً مخلوقاً اجتهد في اجتناب المعاصي لئلا يصيبه ذلك العقاب وقد صح أن الجنان قيعان وعمارتها بالأعمال كما دل عليه حديث الغراس فيما سبق.

واعلم أنه عليه السلام أسري به من مكة إلى بيت المقدس على البراق ومن بيت المقدس إلى السماء الدنيا على المعراج ومنها إلى السماء السابعة على جناح الملائكة ومنها إلى السدرة على جناح جبريل ومنها إلى العرش على الرفرف والظاهر أن النزول كان على هذا الترتيب. وقال بعض الأكابر من أهل الله: إنه أسري به إلى السدرة على البراق وأيا ما كان فلما نزل إلى السماء الدنيا نظر إلى أسفل منه فإذا هو بهرج ودخان وأصوات فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم حتى لا ينظروا إلى العلامات ولا يتفكروا في ملكوت السموات ولولا ذلك لرأوا العجائب أي أدركوها ونزل عليه السلام إلى بيت المقدس وتوجه إلى مكة وهو على البراق حتى وصل إلى بيته الأشرف بالحرم المكي الأحمى بحجر الكعبة العظيمة أو إلى بيت أم هاني كما يدل عليه ما يجيء من تقرير القصة وكان زمان ذهابه ومجيئه ثلاث ساعات أو أربع ساعات. وفي كلام السبكي أن ذلك كان قدر لحظة ولا بدع لأن الله تعالى قد يطيل الزمن القصير كما يطوي الطويل لمن يشاء.

ـ روي ـ في مناقب الشيخ موسى السدراني من أكابر أصحاب الشيخ أبي مدين قدس الله سرهما أن له ورداً في اليوم والليلة سبعين ألف ختمة. يقول الفقير: قال شيخي وسندي قدس سره في الكلام عليه: إن اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة فيكون في كل اثنتي عشرة ساعة خمس وثلاثون ألف ختمة لأنه إما أن ينبسط إلى ثلاث وأربعين سنة وتسعة أشهر وإما إلى أكثر وعلى التقدير الأول يكون اليوم والليلة منبسطاً إلى سبع وثمانين سنة وستة أشهر فيكون في كل يوم وليلة من أيام السنين المنبسطة إليها ولياليها ختمتان ختمة في اليوم وختمة في الليلة كما هو العادة ويحتمل التوجيه بأقل من ذلك باعتبار سرعة القاري هذا فإنه صدق وقد كوشف لي هكذا وقد صدقته وقبلته وهذا سر عظيم انتهى كلام الشيخ، وقد ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص الشمس أي عظمه وسعته ضعف ما بين طرفي كرة الأرض مائة ونيفاً وستين مرة ثم إن طرفها الأسفل يصل موضع طرفها الأعلى في أقل من ثانية وهي جزءاً من ستين جزءاً من الدقيقة والدقيقة جزء من ستين جزءاً من الدرجة وهي جزء من خمسة عشر جزءاً من الساعة فإذا كانت هذه السرعة ممكنة للجماد فكيف لا يمكن لأفضل العباد إذا أراد رب البلاد والله تعالى قادر على جميع الممكنات فيقدر أن يخلق مثل هذه الحركة في جسد النبي عليه السلام أو فيما يحمله. قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره قد ذهب عليه السلام وجاء ولم يتم ماء إبريقه انصباباً ومن كان مؤمناً لا ينكر المعراج ولكن وقوع السير المذكور في مقدار ذلك الزمن اليسير يشكل عند العقل بحسب الظاهر وأما عند التحقيق فلا إشكال ألا يرى أن في الوجود الإنساني شيئاً لطيفاً أعني القلب يسير من المشرق إلى المغرب بل جميع العوالم في آن واحد وهو بديهي لا ينكره من له أدنى تمييز حتى البله والصبيان أفلا يجوز أن تحصل تلك

اللطافة لوجود النبي ﷺ بقدرة الله تعالى فوقع ما وقع منه في الزمن اليسير:

راه زانــــدازه بــــرون رفـــتـــه   پــى نــتــوان بــردكــه چــون رفــتــه

عــقــل دريــن واقــعــه حــاشــا كــنــد   عــقــل نــه حــاشــا كــه تــمــنــا كــنــد

ـ روي ـ أن رسول الله ﷺ لما رجع من ليلته قص القصة على أم هانىء وقال: «إني أريد أن أخرج إلى قريش فأخبرهم بذلك» فقالت: أنشدك الله أي بفتح الهمزة أي أسألك بالله ابن عم أي يا ابن عمي أن لا تحدث أي لا تحدث بهذا قريشاً فيكذبك من صدقك فلما كان الغداة تعلقت بردائه فضرب بيده على ردائه فانتزعه من يدها وانتهى إلى نفر من قريش في الحطيم هو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود وأولئك النفر مطعم بن عدي وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة فقال: «إني صليت العشاء» أي أوقعت صلاة في ذلك الوقت «في هذا المسجد وصليت به الغداة» أي أوقعت صلاة في ذلك الوقت وإلا فصلاة العشاء لم تكن فرضت وكذا صلاة الغداة التي هي الصبح لم تكن فرضت كما تقدم «وأتيت فيما بين ذلك بيت المقدس» وأخبرهم عما رأى في السماء من العجائب وأنه لقي الأنبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وجاء أنه لما دخل المسجد الحرام وعرف أن الناس يكذبونه وما أحب أن يكتم ما هو دليل على قدرة الله تعالى وما هو دليل على علو مقامه الباعث على اتباعه قعد حزيناً فمر به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس إليه عليه السلام فقال كالمستهزىء: هل كان من شيء؟ قال: «نعم أسري بي الليلة» قال: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس» قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: «نعم» قال: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟ قال: «نعم» قال: يا معشر كعب بن لؤي فانفضت إليه المجالس وجاؤوا حتى جلسوا إليهما فقال: حدث قومك بما حدثتني به فقال: «إني أسري بي» قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس فنشر لي الأنبياء وصليت بهم وكلمتهم» فقال أبو جهل كالمستهزىء: صفهم لنا فقال عليه السلام: «أما عيسى ففوق الربعة دون الطويل» أي لا طويل ولا قصير «عريض الصدر جاعد الشعر» أي في شعره «تثنى وتكسر تعلوه صهبة» أي يعلو شعره شقرة «ظاهر الدم» أي يعلوه حمرة «كأنما خرج من ديماس» أي حمام وأصله الكنّ الذي يخرج منه الإنسان وهو عريان وأصله الظلمة يقال ليل دامس والحمام لفظ عربي. وأول واضع له الجن وضعته لسليمان عليه السلام وقيل: الواضع بقراط الحكيم وقيل: شخص سابق على بقراط استفاده من رجل كان به تعقيد العصب فوقع في ماء حار في جب فسكن فصار يستعمله حتى برىء وفي الحديث «اتقوا بيتاً يقال له الحمام فمن دخله فليستتر» ولم يدخل عليه السلام الحمام ولم يكن ذلك في بلاد الحجاز وإنما كان في أرض العجم والشام «وأما موسى فضحم آدم» أي أسمر ومن ثمة كان خروج يده بيضاء مخالفاً لونها لسائر لون جسده آية «طويل كأنه من رجال شنوءة» وهي طائفة من اليمن أي ينسبون إلى سنوءة وهو عبد المطلب بن كعب من أولاد الأزد معروفون بالطول «كثير الشعر غائر العينين متراكم الأسنان متقلص الشفتين خارج اللثة» وهو اللحم الذي خارج الأسنان عابس «وأما إبراهيم فوالله إنه لأشبه الناس بي خلقاً وخلقاً فضجوا» أي صاح قريش وعظموا ذلك وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على رأسه متعجباً ومنكراً قالوا: نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعداً شهراً ومنحدراً شهراً أتزعم أنك أتيته في ليلة واحدة واللات والعزى لا نصدقك وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال إلى أبي بكر رضي الله عنه أي أسرع أو مشى فقال: إن كان

قد قال ذلك فلقد صدق قالوا: أتصدقه على ذلك؟ قال: إني أصدقه على أبعد من ذلك أي إن ذهب إلى بيت المقدس في ليلة واحدة أصدقه فإني أصدقه في خبر السماء في غدوة وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس وروحة وهي اسم للوقت من الزوال إلى الليل والمراد هنا أنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أي مجيء الخبر له من السماء بواسطة الملك أبعد مما تتعجبون منه فسمي الصديق وهو الكثير الصدق فهو للمبالغة وتسمية أبي بكر بسبب هذا الجواب الصدق بهذا الاسم للمبالغة في كيفية الصدق فإنه صدق كامل في مثل هذا المقام الذي كذب فيه أكثر الناس وكان علي رضي الله عنه يحلف بالله أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق أي فهي تسمية الله بالذات لا تسمية الخلق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد أي قالوا: يا محمد صف لنا بيت المقدس كم له من باب أرادوا بذلك إظهار كذبه عليه السلام لأنهم عرفوا أنه عليه السلام لم يره قال: «فكربت كرباً شديداً لم أكرب مثله قط لأنهم سألوني عن أشياء لم أثبتها وكنت دخلته ليلاً وخرجت منه ليلاً فقمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس» أي كشفه لي أي بوجود صورته ومثاله في جناح جبريل أو برفع الحجاب بينه وبين بيت المقدس حتى رآه عليه السلام وهو في مكانه إذ كان يصل بصره إلى حيث يصل إليه قلبه أو بإعدامه هناك وإيجاده في مكة طرفة عين بحيث يتصل بعدمه وجوده على ما هو شأن الخلق الجديد ومنه زيارة الكعبة لبعض الأولياء كما قال في «المثنوي»:

هرنفس نو ميشود دنيا وما بى خبر ازنوشدن اندر بقا
عمر همچون جوى نونو مى رسد مستمرى مى نمايد درجسد
آن زتيزى مستمر شكل آمده است چون شرركش تيز جنبانى بدست
شاخ آتش را بجنبانى بساز در نظر آتش نمايد بس دراز
اين درازى مدت ازتيزى صنع مى نمايد سرعت انكيزى صنع

قال: «فطفقت» أي: جعلت أخبرهم عن آياته أي: علاماته وأنا أنظر إليه. قال في «المواهب» ولم يسألوه عما رأى في السماء لأنه لا عهد لهم بذلك فقالوا: إما لنعت فقد أصاب فقالوا: ما آية ذلك يا محمد؟ أي ما العلامة الدالة على هذا الذي أخبرت به فإنا لم نسمع بمثل هذا قط أي: هل رأيت في مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده على صدقك أي لأن وصفك لبيت المقدس يحتمل أن تكون حفظته عمن ذهب إليه فقال عليه السلام: «آية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا» أي في الروحاء وهو محل قريب من المدينة أي بينه وبين المدينة ليلتان «قد أضلوا ناقة لهم» أي وأنا متوجه وذاهب «وانتهيت إلى رحالهم وإذا قدح ماء فشربت منه» فاسألوهم عن ذلك وشرب الماء للغير جائز لأنه كان عند العرب كاللبن مما يباح لكل مجتاز من أبناء السبيل قالوا: فأخبرنا عن عيرنا قال: «مررت بها في التنعيم» وهو محل قريب من مكة أي وأنا راجع إلى مكة فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها «وأنها تقدم مع طلوع الشمس يتقدمها جمل أورق» وهو ما بياضه إلى سواد «عليه غرارتان إحداهما سوداء والأخرى برقاء» أي فيها بياض وسواد أي حوالق مخطط ببياض فابتدر القوم الثنية أي الجبل فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد أشرقت فقال آخر هذه والله العير قد أقبلت يتقدمها جمل أورق كما قال محمد عليه الغرارتان فتاب المرتدون وأصر المشركون وقالوا إنه ساحر. وجاء في بعض الروايات أن

الشمس حبست له عليه السلام عن الطلوع حتى قدمت تلك العير وحبس الشمس وقوفها عن السير أي عن الحركة بالكلية وقيل بطؤ حركتها وقيل ردها إلى ورائها. فإن قيل حبسها ورجوعها مشكل لأنها لو تخلفت أو ردت لاختلت الأفلاك وفسد النظام. قلنا: حبسها وردها من باب المعجزات ولا مجال للقياس في خرق العادات. وقد وقع حبس الشمس لبعض الأنبياء كداود وسليمان ويوشع وموسى عليهم السلام. وأما عود الشمس بعد غروبها فقد وقع له ﷺ في خيبر فعن أسماء بنت عميس رضي الله تعالى عنها قالت: كان عليه السلام يوحى إليه ورأسه الشريفة في حجر علي رضي الله عنه ولم يسر عنه حتى غربت الشمس وعلي لم يصل العصر فقال له رسول الله: «أصليت العصر» قال: لا فقال عليه السلام: «اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس» قالت أسماء فرأيتها طلعت بعدما غربت وهو من أجل إعلام النبوة فليحفظ. وذكر أنه وقع لبعض الوعاظ ببغداد كان يعظ بعد العصر ثم أخذ في ذكر فضائل آل البيت فجاءت سحابة غطت الشمس فظن وظن الناس الحاضرون عنده أن الشمس غابت فأرادوا الانصراف فأشار إليهم أن لا يتحركوا ثم أدار وجهه إلى ناحية المغرب وقال:

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي ... مدحي لآل المصطفى ولنجله
إن كان للمولى وقوفك فليكن ... هذا الوقوف لولده ولنسله

فطلعت الشمس فلا يحصى ما رمي عليه من الحلي والثياب وهو من الاتفاقات الغريبة كما حكي أن بعض الناس كان يهوى شاباً يلقب ببدر الدين فاتفق أنه توفي ليلة البدر فلما أقبل الليل وتكمل البدر لم يتمالك محبة رؤيته من شدة الحزن وأنشد يخاطب البدر:

شقيقك غيب في لحده ... وتطلع يا بدر من بعده
فهلا خسفت وكان الخسوف ... لباس الحداد على فقده

فخسف القمر من ساعته فانظر إلى صدق المحبة وتأثيرها في القمر وصدق من قال إن المحبة مغناطيس القلوب، قال الكمال الخجندي:

بچشم اهل نظركم بود زپروانه ... دلى كه سوخته آتش محبت نيست

اللهم اجعلنا من أهل المحبة والوداد آمين وحين زالت الشمس من اليوم الذي يلي ليلة المعراج نزل جبريل وأم بالنبي عليه السلام ليعلمه أوقات الصلوات وهيئتها وأعداد ركعاتها ثم صيح بأصحابه «الصلاة جامعة» لأن الإقامة المعروفة للصلاة لم تشرع إلا بالمدينة فاجتمعوا فصلى النبي عليه السلام بالناس فسميت تلك الصلاة صلاة الظهر لأنها فعلت عند قيام الظهيرة أي شدة الحر أو عند نهاية ارتفاع الشمس فصلاته عليه السلام بالناس كانت بعد صلاته مع جبريل وأمه جبريل يومين يوماً في أول الوقت ويوماً في آخره وكان ذلك عند باب الكعبة مستقبلاً لصخرة الله ثم التفت جبريل وقال: يا محمد هذا وقتك ووقت الأنبياء من قبلك والوقت ما بين هذين الوقتين وإنما لم تقع البداءة بالصبح مع أنها أول صلاة بعد ليلة الإسراء لأن الإتيان بها يتوقف على بيان الإتيان بالكيفية أي على بيان علم كيفيتها المعلق عليه الوجوب كأنه قيل: أوجبت حيث ما تبين كيفيته في وقته والصبح لم تبين كيفيتها في وقتها فلم تجب. فإن قيل قول جبريل هذا وقتك ووقت الأنبياء من قبلك يقتضي أن هذه الصلوات كانت مشروعة لكل واحد من الأنبياء قبله وليس كذلك لأنها من خصائص هذه الأمة. قلنا معناه أن وقتك هذا

المحدود الطرفين مثل وقت الأنبياء قبلك فإنه كان محدود الطرفين أو أن بعضهم صلى الفجر وبعضهم ما يليها وهو لا ينافي كون المجموع على هذه الكيفية من خصائص هذه الأمة.

ـ روي ـ أن أول من صلى الفجر آدم عليه السلام حين أهبط إلى الأرض من الجنة وأظلمت عليه الدنيا وجنّ الليل ولم يكن يرى قبل ذلك فخاف خوفاً شديداً فلما انشق الفجر صلى ركعتين شكراً لله تعالى لحصول النجاة من ظلمة الليل ولرجوع النهار أو لما تيب عليه كان ذلك عند الفجر فصلى ركعتين شكراً لحصول التوبة وزوال المخالفة وطلوع النور التوفيق وغروب ظلمة المخالفة. وأول من صلى بعد الزوال إبراهيم عليه السلام حين فدى ابنه عند الظهر صلى أربعاً شكراً لذهاب غم الولد ولنزول الفداء ولرضى الله حين نودي قد صدقت الرؤيا ولصبر ولده على أذى الذبح ومشقته. وأول من صلى العصر يونس عليه السلام حين أنجاه من ظلمات أربع: الزلزلة، والليل، والماء، وبطن الحوت. وأول من صلى المغرب عيسى عليه السلام فالركعة الأولى لنفي الألوهية عن نفسه والثانية لنفيها عن والدته والثالثة لإثباتها لله تعالى وقيل: غفر لداود عليه السلام عند الغروب فقام يصلي أربع ركعات فجهد أي تعب فجلس في الثالثة أي سلم فيها فصارت المغرب ثلاثاً. وأول من صلى العشاء موسى عليه السلام حين خرج من مدين وضل الطريق وكان في غم المرأة وغم أخيه هارون وغم فرعون عدوه وغم أولاده فلما أنجاه الله من ذلك كله صلى أربعاً. وأول من صلى الوتر نبينا عليه الصلاة والسلام. قال في «تفسير التيسير» أم رسول الله ملائكة السموات في الوتر فكان إمام الأنبياء في بيت المقدس وإمام الملائكة عند سدرة المنتهى فظهر ذلك فضله على أهل الأرض والسماء انتهى. قال في «التقدمة شرح المقدمة» قيل لما قام إلى الثالثة رأى والديه في النار ففزع وانحل يداه ثم كبر وقنت واستغاث بالله من النار وأهلها وأتمها على ثلاث ركعات فصارت وتراً. قيل: فرضت الصلوات الخمس في المعراج ركعتين ركعتين حتى المغرب ثم زيد في صلاة الحضر فأكملها أربعاً في الظهر أي في غير يوم الجمعة وأربعاً في العصر وثلاثاً في المغرب وأربعاً في العشاء وأقرت صلاة الصبح على ركعتين فعن عائشة رضي الله عنها فرضت صلاة الحضر والسفر ركعتان أي في الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء فلما أقام رسول الله أي بعد شهر وقيل: وعشرة أيام من الهجرة زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلاة الفجر أي لم يزد عليها شيء لطول القراءة فيها وتركت صلاة المغرب فلم يزد عليها إلا ركعة فصارت ثلاثاً وقيل: فرضت الخمس في المعراج أربعاً إلا المغرب ففرضت ثلاثاً وإلا الصبح ففرضت ركعتين وإلا صلاة الجمعة ففرضت ركعتين ثم قصرت الأربع في السفر أي في السنة الرابعة من الهجرة وهو المناسب لقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ﴾ [النساء: ١٠١]. قال بعضهم: والحكمة في جعل الصلاة في اليوم والليلة خمساً أن الحواس لما كانت خمساً والمعاصي تقع بوساطتها كانت كذلك لتكون ماحية لما يقع في اليوم والليلة من المعاصي أي بسبب تلك الحواس وقد أشار إلى ذلك النبي عليه السلام بقوله: «أرأيتم لو كان بباب أحدكم نهر يغتسل منه في اليوم والليلة خمس مرات أكان ذلك يبقى من درنه شيئاً» قالوا لا يا رسول الله قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا». وقال بعضهم: جعلها خمس صلوات إظهاراً لسر التضعيف قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] فالخمس عشر مرات خمسون وهي العدد الذي فرض ليلة المعراج قبل التخفيف.

وقيل لأن الكعبة بنيت من خمسة جبال طور سينا وطور زيتا والجودي وحرا وأبو قبيس ولهذا السر جعل الطواف حول البيت الحرام بمنزلة الصلاة ولكن الصلاة أفضل من الطواف إلا في حق الحاج فإنه مختص بالمحل الشريف والصلاة بخلافه. وقيل: جعلها خمساً شكراً للعناصر الأربعة وجمعيتها في نشأة الإنسان وقد جعل الله الصلاة على أربعة أركان القيام والركوع والقعود والسجود لتكون شكراً لهذه العناصر الأربعة، أو لأن الخلق أربعة أصناف قائم مثل الأشجار وراكع مثل الأنعام وقاعد مثل الأحجار وساجد مثل الهوام فأراد أن يوافق الجميع في أحوالهم فيشاكل كل واحد من الخلق وجعل الله في أوضاع الصلاة جمعية العالم كلها وجعلت الصلاة مثنى وثلاث ورباع لتوافق أجنحة الملائكة فإنها جعلت أجنحة للشخص بها يطير إلى الله تعالى. قال حضرة الشيخ الشهير بافتادة قدس سره: صلاة الصبح في مقابلة الجسم والروح والأربع في المراتب الأربع أي الطبيعة والنفس والقلب والروح وصلاة المغرب كانت لعيسى ولذلك صارت ثلاثاً لأنه ليس له حظ الطبيعة. وقال حضرة شيخي وسندي قدس الله سره في كتاب «اللائحات البرقيات» عند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] إن الليل إشارة إلى مرتبة اللاتعين وهي مرتبة الجلال الاطلاقي الذاتي الحقيقي الوجودي لكمال الإطلاق الذاتي الحقيقي الوجودي والنهار إشارة إلى مرتبة التعين وهي مرتبة الجمال الإطلاقي الذاتي الحقيقي الوجودي لذلك الكمال المذكور نعته ثم صلاة الفجر من الصلوات الخمس المشتمل عليها الليل والنهار بركعتيها إشارة إلى الاثنينية والتمايز بين المرتبتين المذكورتين والركعة الأولى إشارة إلى مرتبة الجلال والركعة الثانية إشارة إلى مرتبة الجمال وأحدية مجموع الركعتين واجتماع الركعتين والتقاؤهما في ذلك المجموع إشارة إلى كمال واجتماع الجلال والجمال والتقائهما في ذلك الكمال ثم صلاة المغرب منها عكس صلاة الفجر ليظهر فيها ما بطن فيها من الأحدية الجامعة والركعة الأولى إشارة إلى الجلال والثانية إلى الجمال والثالثة إلى الكمال الجامع ومرتبة اللاتعين مرتبة القوة ومرتبة التعين مرتبة الفعل ولولا القوة لما تحقق الفعل والقوة إجمال والفعل تفصيل فلولا خزينة القوة لما ظهر كرم الفعل وجود الفضل ثم صلاة العشاء منها بركعاتها الأربع إشارة إلى التعينات الأربعة الذاتية والأسمائية والصفاتية والأفعالية في مرتبة اللاتعين والجلال بالقوة وصلاة الظهر منها بركعاتها الأربع إشارة إلى تلك التعينات الأربعة في مرتبة الجمال الإلهي بالفعل وصلاة العصر منها بركعاتها الأربع إشارة إليها في مرتبة الجمال الكوني بالفعل ثم الفرائض إشارة إلى الوجود الحقاني الإلهي المنبسط على الأكوان مطلقاً والواجبات إشارة إلى الوجودات الخلقية الكونية الأخصية والسنن إشارة إلى الوجودات الخلقية الكونية الخاصية والمستحبات إشارة إلى الوجودات الخلقية العامية ثم ساق حضرة الشيخ روح الله روحه في ذلك الكتاب كلاماً طويلاً من طلبه وجده، وسئل ابن عباس رضي الله عنهما هل تجد الصلوات الخمس في كتاب الله تعالى فقال: نعم وتلا قوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم: ١٧-١٨] وأراد بحين تمسون المغرب والعشاء وبحين تصبحون الفجر وبعشيا العصر وبحين تظهرون الظهر وإطلاق التسبيح بمعنى الصلاة جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الصافات: ١٤٣]، قال القرطبي أي من المصلين، وفي الكشاف عن ابن عباس رضي الله عنهما كل تسبيح في القرآن فهو صلاة والعمدة في الصلاة

الطهارة الباطنة وحضور القلب، وفي «المثنوي»:

روى ناشسته نبيند روى خور — لا صلاة كفت إلا بالطهور

وهو بالفتح مصدر بمعنى التطهير ومنه «مفتاح الصلاة الطهور» واسم لما يتطهر به كما في «المغرب» قال الحافظ:

طهارت ارنه بخون جكر كند عاشق — بقول مفتى عشقش درست نيست نماز

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾

﴿وآتينا موسى الكتاب﴾ أي التوراة جملة واحدة بعدما أسريناه إلى الطور **﴿وجعلناه﴾** أي ذلك الكتاب **﴿هدى لبني إسرائيل﴾** هادياً لأولاد يعقوب يهتدون إلى الحق والصواب بما فيه من الأحكام والخطاب **﴿أن لا تتخذوا﴾** أن مفسرة لما يتضمنه الكتاب من الأمر والنهي بمعنى أي كما في قوله كتبت إليه أن افعل كذا. قال الكاشفي: [وكفيتم مرايشانرا كه آيافرا ميكيريد] **﴿من دوني﴾** [بجز ازمن] **﴿وكيلا﴾** [پرور دكاريكه مهم خود بدو كذاريد]، قوله من دوني بمعنى غيري أحد مفعولي لا تتخذوا ومن مزيدة.

﴿ذرية﴾ أي: يا ذرية **﴿من حملنا مع نوح﴾** في السفينة أو نصب على الاختصاص بتقدير أعني يقال ذرأ خلق والشيء كثر ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين كما في «القاموس». والمراد تأكيد الحمل على التوحيد بتذكير إنعامه عليهم في ضمن إنجاء آبائهم من الغرق في سفينة نوح. قال في «الكواشي»: هذا منة على جميع الناس لأنهم كلهم من ذرية من أنجى في السفينة من الغرق. والمعنى كانوا مؤمنين فكونوا مثلهم واقتفوا بآثار آبائكم. قال الكاشفي: [مرادسامست كه ابراهيم عليه السلام جد بني إسرائيل است ازنسل اوبود يعني نعمت نجات از طوفان كه به بدرشما ارزانى داشتيم ياد كنيد وشكر كوييد] **﴿إنه﴾** أي نوحاً عليه السلام **﴿كان عبدا شكورا﴾** كثير الشكر في مجامع حالاته وكان إذا أكل قال: الحمد لله الذي أطعمني ولو شاء أجاعني وإذا شرب قال: الحمد لله الذي سقاني ولو شاء أظمأني وإذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء جردني وإذا تغوط قال الحمد لله الذي أخرج عني أذاه في عافية ولو شاء حبسه.

ـ وروي ـ أنه كان إذا أراد الإفطار عرض طعامه على من آمن به فإن وجده محتاجاً آثره به وفيه إيذان بأن إنجاء من معه كان ببركة شكره عليه السلام وحث الذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك الذي هو أعظم مراتب الكفران.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿إنه كان عبدا شكورا﴾** أي كان نوح عبداً شكوراً يرى الضراء نعمة منا كما يرى السراء نعمة منا فيشكرنا في الحالتين جميعاً فلما بالغ في الشكر سمي شكوراً فالله تعالى بالغ في ازدياد النعمة جزاء لمبالغته في الشكر حتى أنعم على ذرية من حملهم مع نوح وهم بنو إسرائيل بإيتاء التوراة الهادية إلى التوحيد المنجية من الشرك.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾

﴿وقضينا إلى بني إسرائيل﴾ يقال: قضى إليه أنهاه وأبلغه أي أعلمناهم وأوحينا إليهم وحياً جزماً وبيناً. **﴿في الكتاب﴾** في التوراة فإن الإنزال والوحي إلى موسى إنزال ووحي إليهم. **﴿لتفسدن في الأرض﴾** والله لتفسدن في أرض الشام وبيت المقدس **﴿مرتين﴾** مصدر

والعامل فيه من غير لفظه أي إفساداً بعد إفساد إفسادتين: أولهما مخالفة حكم التوراة وقتل شعيا وحبس أرميا حين أنذرهم سخط الله وارميا بتشديد الياء مع ضم الهمزة على رواية الزمخشري وبضم الهمزة وكسرها مخففاً على رواية غيره. وفي «القاموس» إرميا بالكسر نبي، والثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى ﴿ولتعلن علوا كبيرا﴾ ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى [يعني سركش خواهيد شد ازطاعت من] والعلو العتو على الله والجراءة. قال الكاشفي: [درين قصه اختلاف بسيارست وهر مفسري نقلى كه بدور سيده ايراد نموده وقول أصح وأشهر در مختار القصص وسير وغير آن از كتبى كه در اخبار انبيا عليهم السلام نوشته اند چنانست كه چون سلطنت بني إسرائيل درولايت شام بصديقه رسيده از اولاد سلما واو مردى ضعيف حال واعرج بود ملوك اطراف طمع درولايت ايليه بسته متوجه آن صوب شدند اول سنجاريب ملك موصل بيامد ومتعاقب او سلما پاشاه آذربايجان رسيد وهردوتلاش شهر بيت المقدس نموده بايكديكر محاربه آغازكردند آتش قتال ميان ايشان اشتعال پذيرفت ودرياى مبارزت ازصرصر مخاصمت بموج در آمد]:

سپهداران سپه درهم فكندند صلاى مرك در عالم فكندند
زپيكان عالمى را ژاله بكرفت زخون روى زمين را لاله بكرفت

عاقبت سطوت هيبت الهى ظهور نموده هردولشكر ازيكديكر منهزم كشتند وغنايم ايشان بدست بني إسرائيل افتاد ديكر باره پادشاه روم وملك صقاليه وسلطان اندلس هريك بالشكر جرار كرار همه تيغ زن ونيزه كذار بردر بيت المقدس جمع شدند وچون رتبه سلطنت شركت برنتابد ايشان نيز آغاز نزاع كرده بلشكر آرايى ونبرد آزمايى قيام واهتمام نمودند:

در افتادند همچون شير غران بكرز ونيزه وشمشير بران

بني إسرائيل دعاي «اللهم اشتغل الظالمين بالظالمين وأخرجنا من بينهم سالمين غانمين» آغاز كردند ونكباي نكبت غبار ادبار برديده آن خا كساران پاشيد هزيمت را غنيمت دانسته دلها برفرار قرار داده از يكديكر كريزان شدند:

نه جاى قرار ونه جاى ستيز نهادند ناكام رو دركريز

أموال ايشان نيز به دست بني إسرائيليان افتاد وچون غنيمت پنج لشكر عظيم درحوزه تصرف در آوردند بحكم ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝﴾ [العلق: ٦-٧] سرتجبر از كريبان عصيان بر آورده ودست تغلب ازآستين طغيان بيرون كرده حكم توراترا برطرف نهادندهر چند ارميا پيغمبر ايشانرا پند داد وكفت از آنچه درتورات مقر رشده واين فساد أول است مكنيدوخودرا در معرض سخط الهي مياريد نشنيدند حق سبحانه وتعالى بخت نصر مجوسي راكه كاتب سنجاريب بود وبعداز فوت او بحكم وصيت ملك بوى رسيدبرايشان كماشت تابيا مدوبا ايشان حرب كرده غالب شدو مسجدرا خراب كرد تورات را بسوخت وهفتاد هزار كسى را بني إسرائيل بنده كرفت واين عقوبت اول بود بعد ازان كورش همدانى كه زنى از بني إسرائيل حواسته بودازين حال خبر يافت مال بسياربر كرفت وسى هزار بنا وسائر عمله باخود آورد وسى سال بعمارت ولايت ايليه اشتغال نمود تابحال اول بازآمد وديكر باره بني إسرائيل خوش وقت شدند وأموال وأولاد ايشان روى بازويادنها دند باز سوداى اين مخالفت ازنهادايشان سربرزد ويحيى معصوم را بقتل رسانيدند وقصد هلاك عيسى عليهما السلام [كردند

عقوبت دوم دررسيد وطرطوس رومى برايشان غلبه كرد ديكر باره مسجد خراب كردواندو ختهاي ايشانرا بغارت بردند] كما قال تعالى:

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾

﴿فإذا جاء﴾ [پس چون بيايد] ﴿وعد أولاهما﴾ أي: أولى كرتي إفساد أي حان وقت حلول العقاب الموعود ﴿بعثنا عليكم﴾ لمؤاخذتكم بجناياتكم ﴿عبادا لنا﴾ أكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس. قال الكاشفي: [اضافت خلق است نه اضافت مدح چه مراد بخت نصر است بقول اصح]، يقول الفقير المراد من الإضافة بيان كونهم مظاهر الاسم المذل المنتقم القهار كما يفيده مقام العظمة لا التشريف فإن الكافر ليس من أهله. ﴿أولي بأس شديد﴾ كقولهم ظل ظليل لأن البأس يتضمن الشدة أي ذوي قوة وبطش في الحروب [دمياطى كفت كه مهيب باشد آوازهاى ايشان چون رعد] وهم بخت نصر من مجوس بابل وهو بضم الباء أصله بوخت بمعنى ابن ونصر بفتح النون والصاد المشددة والراء المهملة اسم صنم وجد عنده بخت نصر ولم يعرف له اب ينسب إليه، وقال بعضهم كان بخت نصر عاملاً على العراق لملك الأقاليم في ذلك الحين لهراست بن كى اجواد كان لهراست مشتغلاً بقتال الترك فوجه بخت نصر إلى بني إسرائيل في المرة الأولى ﴿فجاسوا﴾ من الجوس وهو التردد خلال الدور والبيوت في الغارة أي ترددوا لطلبكم بالفساد ﴿خلال الديار﴾ قال في «القاموس»: الخلل منفرج ما بين الشيئين ومن السحاب مخارج الماء كخلاله وخلال الدار أيضاً ما حوالي جدرها وما بين بيوتها انتهى. قالوا: يجوز أن يكون مفرداً بمعنى الوسط أو جمع خلل بمعنى الأوساط مثل جبل وجبال. والديار جمع دار وهو المحل يجمع البناء والعرصة. والمعنى مشوا في وسط المنازل أو في أوساطها للقتل والأسر والغارة فقتلوا علماءهم وكبارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفاً وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين بعضاً مما جرت به السنة الإلهية ﴿وكان﴾ وعد عقابهم ﴿وعدا مفعولا﴾ وعداً لا بد أن يفعل.

﴿ثم رددنا﴾ أعدنا ﴿لكم الكرة عليهم﴾ أي: الدولة والغلبة على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم ورجعتم من الإفساد والعلو تلخيصه بعد ظفرهم بكم أظفرناكم بهم. والكرة في الأصل المرة وعليهم متعلق بها لأنه يقال كر عليه أي عطف.

ـ حكي ـ أن كورش الهمذاني غزا أهل بابل فظهر عليهم وسكن الدار فتزوج امرأة من بني إسرائيل فطلبت من زوجها أن يرد قومها إلى أرضهم فردهم إلى أرضهم بيت المقدس فالكرة هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني إسرائيل أساراهم ورجوع الملك إليهم فمكثوا فيها فرجعوا إلى أحسن ما كانوا عليه ثم عادوا فعصوا الثانية ﴿وأمددناكم بأموال﴾ يقال أمد الجيش إذا قواه وكثره عدداً أي قويناكم بأموال كثيرة بعدما نهبت أموالكم ﴿وبنين﴾ بعدما سبيت أولادكم ﴿وجعلناكم أكثر نفيرا﴾ عدداً مما كنتم أو من عدوكم وهو من ينفر مع الرجل من قومه.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ۝٧﴾

﴿**إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها**﴾ أي إحسان الأعمال وإساءتها كلاهما مختص بكم لا يتعدى ثوابها ووبالها إلى غيركم فاللام على أصلها وهو الاختصاص. قال سعدي المفتي الأولى أن تكون للاستحقاق كما في قوله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الرعد: ٣٤]. قال في «تفسير النيسابوري»: قال أهل الإشارة إنه أعاد الإحسان ولم يذكر الإساءة إلا مرة ففيه دليل على أن جانب الرحمة أغلب ويجوز أن يترك تكريره استهجاناً ﴿**فإذا جاء**﴾ [پس چون بيايد] ﴿**وعد الآخرة**﴾ أي حان وقت ما وعد من عقوبة المرة الآخرة من الإفسادين [دويست ودوسال] ﴿**ليسوءوا وجوهكم**﴾ يقال: ساءه مساءة فعل به ما يكره وهو متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه أي بعثناهم ليجعلوا آثار المساءة والكآبة بادية في وجوهكم فأريد بالوجوه الحقيقية وآثار الأعراض النفسانية في القلب تظهر في الوجه. وفي الكواشي وخصت الوجوه بالمساءة والمراد أهلها لأن أول ما يظهر من الحزن عليها ﴿**وليدخلوا المسجد**﴾ الأقصى ويخربوه ﴿**كما دخلوه أول مرة**﴾ وخربوه ﴿**وليتبروا**﴾ أي ليهلكوا ﴿**ما علوا**﴾ كل شيء علوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم ﴿**تتبيرا**﴾ إهلاكاً فظيعاً لا يوصف والمراد بهم طرطوس الرومي وجنوده كما سبق. وقال بعضهم: سلط الله عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه هردوس قال لواحد من عظماء جنوده: كنت حلفت بإلهي إذا ظفرت بأهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى يسيل دماؤهم وسط عسكري فأمره أن يقتلهم فدخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دماً يغلي فسألهم عنه فقالوا: دم قربان لم يقبل منا فقال: ما صدقتموني فقتل على ذلك الدم سبعين ألفاً من رؤسائهم وغلمانهم وأزواجهم فلم يهدأ الدم ثم قال: إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحداً فقالوا: إنه دم نبي كان ينهانا ويخبرنا بأمركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه فقال: ما كان اسمه قالوا: يحيى بن زكريا قال: الآن صدقتموني لمثل هذا ينتقم ربكم منكم، وكان قتل يحيى ملك من بني إسرائيل يقال له لاخت حمله على قتله امرأة اسمها اربيل وكانت قتلت سبعة من الأنبياء وقتل يحيى كان بعد رفع عيسى فلما رأى أنهم صدقوا خر ساجداً ثم قال: يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهدأ بإذن الله قبل أن لا أبقي أحداً منهم فهدأ فرفع عنهم القتل وقال: آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل وأيقنت أنه لا رب غيره وقال لبني إسرائيل إن هردوس أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره ولست أستطيع أن أعصيه قالوا: افعل ما أمرت فأمرهم أن يحفروا خندقاً ويذبحوا دوابهم حتى سال الدم في العسكر فلما رأى هردوس ذلك أرسل إليه أن أرفع عنهم القتل فسلب عنهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة والمسكنة ثم انصرف إلى بابل وهي الوقعة الأخيرة النازلة على بني إسرائيل وبقي بيت المقدس خراباً إلى عهد خلافة عمر رضي الله عنه فعمره المسلمون بأمره. قال الكاشفي: [حق سبحانه وتعالى درتورات بعداز وعده اين دو عقوبت با ايشان كفته بود].

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾

﴿**عسى ربكم**﴾ [شايد كه پرورد كار شما يا بني إسرائيل] ﴿**أن يرحمكم**﴾ [آنكه رحمت

كند برشما وباز شمارا منعم] أي بعد المرة الثانية إن تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصي فتابوا فرحمهم ﴿وإن عدتم﴾ مرة ثالثة إلى المعاصي. قال سعدي المفتي الأولى كما في الكشاف مرة ثانية إذ العود مرتان والأول بدء لا عود إلا أن يقال أول المرات كونهم تحت أيدي القبط ﴿عدنا﴾ إلى عقوبتكم ولقد عادوا فأعاد الله عليهم النقمة بأن سلط عليهم الأكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الأتاوة ونحو ذلك أو عادوا بتكذيب محمد ﷺ وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة وأجلى بني النضير وقدر الجزية على الباقين فهم يعطونها عن يد وهم صاغرون وهم في عذاب من المؤمنين إلى يوم القيامة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وإن عدتم﴾ إلى الجهل ﴿عدنا﴾ إلى العدل بل إلى الفضل، وفي «المثنوي»:

چونكه بدكردى بترس ايمن مباش زانكه تخمست وبرويانند خداش
چند كاهى او بپوشاند كه تا آيد آخر زان پشيمان تورا
بارها پو شد پى اظهار فضل باز كيرد از پى اظهار عدل
تاكه اين هردوصفت ظاهر شود آن مبشر كردد اين منذر شود

﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا﴾ أي محبساً ومقراً يحصرون فيه لا يستطيعون الخروج منها أبد الآباد فهو فعيل بمعنى فاعل أي حاصرة لهم ومحيطة بهم وتذكيره إما لكونه بمعنى النسبة كلابن وتامر أو لحمله على فعيل بمعنى مفعول أو بالنظر إلى لفظ جهنم إذ ليس فيه علامة التأنيث. وعن الحسن حصيراً اي بساطا كما يبسط الحصير المرمول والحصير المنسوج وإنما سمي الحصير لأنه حصرت طاقاته بعضها فوق بعض.

واعلم أن جهنم عصمني الله وإياك منها من أعظم المخلوقات وهي سجن الله في الآخرة يسجن فيه المعطلة أي نفاة الصانع والمشركون والكافرون والمنافقون وأهل الكبائر من المؤمنين ثم يخرج بالشفاعة وبالامتنان الإلهي من جاء النص الإلهي فيه وأوجدها الله تعالى بطالع الثور ولذلك خلقها الله تعالى في صورة الجاموس وجميع ما يخلق فيها من الآلام التي يجدها الداخلون فيها فمن صفة الغضب الإلهي ولا يكون ذلك عند دخول الخلق فيها من الجن والإنس متى دخلوها وأما إذا لم يكن فيها أحد من أهلها فلا ألم فيها في نفسها ولا في نفس ملائكتها بل هي ومن فيها من زبانيتها في رحمة الله لمنغمسون ملتذون يسبحون الله لا يفترون. فعلى العاقل أن يتباعد عن الأسباب المقربة إلى النار ويستعيذ بالله من حرها وبردها آناء الليل وأطراف النهار ويرجو رحمة الله تعالى وهي في التسليم والتلقي من النبوة والوقوف عند الكتاب والسنة عصمنا الله وإياكم من المخالفة والعصيان وشرفنا بالموافقة والطاعة كل حين وآن وجعلنا من المخلصين في بابه المقبلين على جنابه المحترزين عن عذابه وعقابه.

﴿إن هذا القرآن﴾ الذي آتيناك يا محمد ﴿يهدي﴾ الناس كافة لا فرقة مخصوصة منهم كدأب الكتاب الذي آتيناه موسى ﴿للتي﴾ للطريقة التي ﴿هي أقوم﴾ أي أقوم الطرائق وأسدها وأصوبها أعني ملة الإسلام والتوحيد والمراد بهدايته لها كونه بحيث يهتدي إليها من يتمسك به لا تحصيل الاهتداء بالفعل فإنه مخصوص بالمؤمنين ﴿ويبشر﴾ [مژده ميدهيد] ﴿المؤمنين﴾ بما في تضاعيفه من الأحكام والشرائع ﴿الذين يعملون الصالحات﴾ التي شرحت فيه ﴿أن لهم﴾ أي بأن لهم بمقابلة تلك الأعمال ﴿أجرا كبيرا﴾ بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر مرات

فصاعداً. قال الكاشفي: [مزدى بزرك يعني بهشت] وذلك لأنه يستصغر عند الجنة ونعيمها الدنيا وما فيها.

﴿وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ وأحكامها المشروحة فيه من البعث والحساب والجزاء ﴿أعتدنا لهم﴾ [آماده كرديم براى ايشان] أي فيما كفروا به وأنكروا وجوده من الآخرة ﴿عذابا أليما﴾ وهو عذاب جهنم والجملة معطوفة على جملة يبشر بإضمار يخبر ويجوز أن يكون معطوفاً على أن لهم أجراً كبيراً فالمعنى أنه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب أعدائهم فإن المرء يستبشر ببلية عدوه.

يـا وصـال يـار يـا مـرك عـدو بـازىء چرخ زين دو يك كارى كند

واعلم أن القرآن مظهر الاسم الهادي وهو كتاب الله الصامت والنبي عليه السلام كتاب الله الناطق وكذا ورثته الكمل بعده وأن الدلالة والإرشاد إنما تنفع المؤمنين العاملين بما فيه وهو لم يترك شيئاً من أمور الدين والدنيا الا وتكفل ببيانه إما إجمالاً أو تفصيلاً. قال ابن مسعود رضي الله عنه إذا أردتم العلم فآثروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين.

ـ روي ـ أنه تفكر بعض العارفين في أنه هل في القرآن شيء يقوي قوله عليه السلام: «يخرج روح المؤمن من جسده كما يخرج الشعر من العجين» فختم القرآن بالتدبر فما وجده فرأى النبي ﷺ في منامه وقال: يا رسول الله قال الله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] فما وجدت معنى هذا الحديث في كتاب الله تعالى فقال عليه السلام: «اطلبه في سورة يوسف» فلما انتبه من نومه قرأها فوجده وهو قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣١] أي: لما رأين جمال يوسف عليه السلام اشتغلن به وما وجدن ألم القطع وكذلك المؤمن إذا رأى ملائكة الرحمة ورأى إنعامه في الجنة وما فيها من النعيم والحور والقصور اشتغل قلبه بها ولا يجد ألم الموت وانفهم من الحكاية أن القارىء ينبغي أن يقرأ القرآن بتدبر تام حتى يصل إلى كل مرام وقد نهى النبي عليه السلام أن يختم القرآن في أقل من ثلاث وقال: «لم يفقه» أي لم يكن فقيهاً في الدين «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث» يعني: لا يقدر الرجل أن يتفكر ويتدبر في معنى القرآن في ليلة أو ليلتين لأنه يقرأ على العجلة حينئذٍ بل ينبغي أن يقرأ القرآن في ثلاث ليال أو أكثر حتى يقرأ عن طيب نفس ونشاطها ويتفرغ لتدبر معناه ولذا اختار بعضهم الختم في كل جمعة وبعضهم في كل شهر وبعضهم في كل سنة بحسب درجات التدبر والتفتيش ويغتنم الحضور للدعاء عند ختم القرآن فإنه يستجاب وفي الحديث: «من شهد خاتمة القرآن كان كمن شهد المغانم حين تقسم ومن شهد فاتحة القرآن كان كمن شهد فتحاً في سبيل الله» ففي الافتتاح عند الاختتام إحراز لهاتين الفضيلتين وإذلال للشيطان. قال في «شرح الجزري» ينبغي أن يلح في الدعاء وأن يدعو بالأمور المهمة والكلمات الجامعة وأن يكون معظم ذلك أو كله في أمور الآخرة وأمور المسلمين وصلاح سلاطينهم وسائر ولاة أمورهم في توفيقهم للطاعات وعصمتهم من المخالفات وتعاونهم على البر والتقوى وقيامهم بالحق عليه وظهورهم على أعداء الدين وسائر المخالفين ومما يقول النبي عليه السلام عند ختم القرآن «اللهم ارحمني بالقرآن العظيم واجعله لي إماماً ونوراً وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله حجة لي يا رب

العالمين» وكان أبو القاسم الشاطبي رحمه الله يدعو بهذا الدعاء عند ختم القرآن «اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك وأبناء إمائك ماض فينا حكمك عدل فينا قضاؤك نسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في شيء من كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا وشفاء صدورنا وجلاء أحزاننا وهمومنا وسائقنا وقائدنا إليك وإلى جناتك جنات النعيم ودارك دار السلام مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين برحمتك يا أرحم الراحمين». قال في «القنية»: لا بأس باجتماعهم على قراءة الإخلاص جهراً عند ختم القرآن ولو قرأ واحد واستمع الباقون فهو أولى انتهى. وجه الأولوية أن الغرض الأهم من القراءة إنما هو تصحيح مبانيها لظهور معانيها ليعمل بما فيها وفي القراءة بصوت واحد يتشوش الخواطر مع أن بعض القارئين بالجمعية يأتي ببعض الكلمة والآخر ببعضها ويقع حذف الحرف والزيادة وتحريك الساكن وتسكين المحرك ومد القصر وقصر المد مراعاة للأصوات فيأثمون.

عشقت رسد بفرياد كرخود بسان حافظ قرآن زبر بخوانى در چار ده روايت

نسأل الله تعالى أن يوصلنا إلى حقائق القرآن وأسراره ويطلعنا على الحكم والمصالح في قصصه وأخباره ويجعلنا من أهل التحقيق إنه ولي التوفيق.

﴿ويدع الإنسان بالشر﴾ ويدعو الله عند غضبه بالشر واللعن والهلاك على نفسه وأهله وخدمه وماله. والمراد بالإنسان الجنس أسند إليه حال بعض أفراده أو حكى عنه حاله في بعض أحيانه وحذفت واو يدع ويمح وسندع لفظاً كياء سوف يؤت الله ويناد المناد وما تغن النذر وصلاً لاجتماع الساكنين ووقفا وهي مرادة معنى حملاً للوقف على الوصل ولو وقف عليها اضطراراً لوقف بلا واو في ثلاثتها اتباعاً للإمام كما في الكواشي ﴿دعاءه بالخير﴾ مثل دعائه لهم بالخير والرزق والعافية والرحمة ويستجاب له فلو استجيب له إذا دعا باللعن كما يجاب له بالخير لهلك أو يدعوه بما يحسبه خيراً وهو شر في نفسه فينبغي أن يدعو بما هو خير عند الله تعالى لا بما يشتهيه ﴿وكان الإنسان﴾ بحسب جبلته ﴿عجولا﴾ يسارع إلى طلب ما يخطر بباله ولا ينظر عاقبته ولا يتأنى إلى أن يزول عنه ما يعتريه. قال الكاشفي: [تعجيل دارد در انقلاب ازحالي بحالي نه درسرا تحمل دار دونه درضرا نه در كرما شكيباست ونه درسرما].

واعلم أن الدعاء إما بلسان الحقيقة وإما باعتبار السيئة المفضية إلى الشر الموجبة له فالإنسان عجول قولاً وفعلاً يتمادى في الأعمال الموجبة للشر والعذاب وفي الحديث: «المؤمن وقاف والمنافق وثاب» قال آدم عليه السلام لأولاده: كل عمل تريدون أن تعملوا فقفوا له ساعة فإني لو وقفت ساعة لم يكن أصابني ما أصابني قال أعرابي: إياكم والعجلة فإن العرب تكنيها أم الندامات، وفي «المثنوي»:

بيش سك چون لقمه نان افكنى بوكندو انكه خورد اى مقتنى

اوببينى بوكند ما باخرد هم ببو يئمش بعقل منتقد

قيل: العجلة من الشيطان إلا في ستة مواضع: أداء الصلاة إذا دخل الوقت، ودفن الميت إذا حضر وتزويج البكر إذا أدركت وقضاء الدين إذا وجب وإطعام الضيف إذا نزل وتعجيل التوبة إذا أذنب. ثم شرع في بيان بعض الهداية التكوينية التي أخبر بها القرآن الهادي فقال:

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

﴿**وجعلنا الليل والنهار**﴾ قدم الليل لأن فيه تظهر غرر الشهور أي: جعلناهما بسبب تعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر ﴿**آيتين**﴾ دالتين على وجود الصانع القدير ووحدته إذ لا بد لكل متغير من مغير وإنما قال ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسراء: ١٢] وقال في موضع آخر: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] لأن الليل والنهار ضدان بخلاف عيسى ومريم وقيل لأن عيسى ومريم كانا في وقت واحد والشمس والقمر آيتان لأنهما في وقتين ولا سبيل إلى رؤيتهما معاً ﴿**فمحونا آية الليل**﴾ الفاء تفسيرية والإضافة بيانية كما في إضافة العدد إلى المعدود أي: فمحونا الآية التي هي الليل. والمحو في الأصل إزالة الشيء الثابت والمراد هنا إبداعها ممحوة الضوء مطموسة كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل أي: أنشأهما كذلك بقرينة أن محو الليل في مقابلة جعل النهار مضيئاً ﴿**وجعلنا آية النهار**﴾ أي: الآية التي هي النهار ﴿**مبصرة**﴾ مضيئة تبصر فيها الأشياء وصفها بحال أهلها ويجوز أن تكون الإضافة في المحلين حقيقية فالمراد بآية الليل والنهار والقمر والشمس.

ـ روي ـ أن الله تعالى خلق كلاً من نور القمر والشمس سبعين جزءاً ثم أمر جبريل فمسح بجناحه ثلاث مرات فمحا من القمر تسعة وستين جزءاً فحولها إلى الشمس ليتميز الليل من النهار إذ كان في الزمن الأول لا يعرف الليل والنهار فالسواد الذي في القمر أثر المحو وهذا السواد في القمر بمنزلة الخال على الوجه الجميل ولما كان زمان الدولة العربية الأحمدية قمرياً ظهر عليه أثر السيادة على النجوم وهو السواد لأنه سيد الألوان كما ظهر على الحجر المكرم الذي خرج أبيض من الجنة أثر السيادة بمبايعة الأنبياء والأولياء عليهم السلام وجعل الله شهورنا قمرية لا شمسية تنبيهاً من الله للعارفين أن آياتهم ممحوّة من ظواهرهم مصروفة إلى بواطنهم فاختصوا من بين جميع الأمم الماضية بالتجليات الخاصة. وقيل فيهم كتب في قلوبهم الإيمان مقابلة قوله فانسلخ منها قال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ [يس: ٤٠] أي: في علو المرتبة والشرف. قال: حضرت شيخي وسندي قدس سره في «كتاب البرقيات» بعد تفصيل بديع ثم لآية الليل مرتبة الفرعية والتبعية ولآية النهار مرتبة الأصلية والاستقلالية لأن نور القمر مستفاد من نور الشمس ثم سر محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة هو نفي الاستواء وإثبات الامتياز حتى يتعين حد المستفيد وطوره بأن يكون أنزل بحسب الضعف والنقصان وحد المفيد وطوره بأن يكون ارفع بحسب القوة والكمال ويرتبط كل منهما بالآخر من غير تعد وتجاوز عن حده وطوره بل عرف كل قدره ولزوم مقامه حتى يطرد النظام والانتظام ويستمر القيام والدوام من غير خلل واختلال ثم هذا السر إشارة إلى سر أن لمظاهر الجلال مرتبة التبعية والفرعية ولمظاهر الجمال مرتبة الاستقلالية والأصلية لأن الإمداد الواصل إلى مظاهر الجلال لقيامهم ودوامهم وبقائهم مستفاد من مظاهر الجمال ولذا قيل: لولا الصلحاء لهلك الطلحاء وحكمة محو أفكار مظاهر الجلال عن الإصابة إلى الأخطاء وجعل أفكار مظاهر الجمال مبصرة مصيبة هو نفي المساواة وإثبات المباينة بينهما حتى يتحقق رتبة الأصل بالقوة والغلبة ورتبة الفرع بالضعف والعجز والذلة ويقوم النظام ويدوم الانتظام من غير أن يظهر التجاوز والتعدي

من طرف مرتبة التبعية إلى رتبة الاستقلالية عند المقابلة والمقاومة بل يطرد الارتفاع والاعتلاء والاستيلاء على الوجه الأوفق والحد الأحق في طرف الأصالة ويستمر الأمر في نفسه إلى ما شاء الله خالق البرية ثم مرتبة القمر إشارة إلى المراتب الإلهية إلى مرتبة الربوبية ومرتبة الشمس إلى مرتبة الألوهية وفي المراتب الكونية الآفاقية مرتبة القمر إشارة إلى مرتبة الكرسي واللوح ومرتبة الشمس إشارة إلى مرتبة العرش والقلم وفي مراتب الكونية الأنفسية مرتبة القمر إشارة إلى مرتبة الروح ومرتبة الشمس إشارة إلى مرتبة السر وغير ذلك من الإشارات القرآنية **﴿لتبتغوا﴾** متعلق بقوله: **﴿وجعلنا آية النهار﴾** أي: لتطلبوا لأنفسكم في بياض النهار **﴿فضلا من ربكم﴾** أي: رزقاً وسماه فضلاً لأن إعطاء الرزق لا يجب على الله وإنما يفيضه بحكم الربوبية وفي التعبير عن الكسب بالابتغاء دلالة على أن ليس للعبد في تحصيل الرزق تأثير سوى الطلب **﴿ولتعلموا﴾** متعلق بكلا الفعلين أي: لتعلموا باختلاف الجديدين أو ميزهما ذاتاً من حيث الإظلام والإضاءة مع تعاقبهما وسائر أحوالهما **﴿عدد السنين﴾** التي يتعلق بها غرض علمي لإقامة مصالحكم الدينية والدنيوية **﴿والحساب﴾** أي: الحساب المتعلق بما في ضمنها من الأوقات أي: الأشهر والليالي والأيام وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة ولولا ذلك لما علم أحد حسبان الأوقات ولتعطلت أمور كثيرة. والحساب إحصاء ما له كمية منفصلة بتكرير أمثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة فيها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل والعد: إحصاؤه بمجرد تكرير أمثاله من غير أن يتحصل منه شيء كذلك فالسنة تتحصل بعدة شهور والشهر بعدة أيام واليوم بعدة ساعات. والسنين جمع سنة وهي شمسية وقمرية فالسنة الشمسية مدة وصول الشمس إلى النقطة التي فارقتها من ذلك البرج وذلك ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم والسنة القمرية اثنا عشر شهراً قمرياً ومدتها ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وثلث يوم قالوا: إن أقر العنين أنه لم يصل أجله الحاكم سنة قمرية في الصحيح وبحسب فدية الصلاة بالسنة الشمسية أخذاً بالاحتياط من غير اعتبار ربع اليوم ففدية كل فرض من الحنطة خمسمائة درهم وعشرون درهماً وللوتر كذلك فيكون فدية كل صلاة يوم وليلة من الحنطة ثلاثة آلاف درهم ومائة وعشرين درهماً وفدية كل سنة شمسية مائة واثنان وأربعون كيلاً بكيل القسطنطينية وسبع أوقية ويكون قيمة هذا المقدار من الحنطة محسوبة بالحساب الجاري بين الناس في كل عهد وزمان **﴿وكل شيء﴾** تفتقرون إليه في المعاش والمعاد وهو منصوب بفعل يفسره قوله تعالى: **﴿فصلناه تفصيلا﴾** أي: بيناه في القرآن بياناً بليغاً لا التباس معه فأزحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا فليتبع العاقل ما أدركه أي: لحقه علمه وليفوض ما جهله منه إلى العلم. وفيه إشارة إلى أن العالم إذا تدبر في القرآن وقف على جميع المهمات وكان الصحابة رضي الله عنهم يكرهون أن يمضي يوم ولم ينظروا في مصحف لأن النظر إليه عبادة. وفيه أيضاً وقوف على المرام فإن التدبر يؤدي إلى ظهور خفايا الكلام.

ـ حكي ـ أن الإمام محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة دخل على أبي حنيفة لتعلم الفقه قال: استظهرت القرآن يا بني قال: لا قال: استظهر أوّلاً فغاب سبعة أيام ثم رجع إلى أبي حنيفة فقال: ألم أقل لك استظهر قال: استظهرت. قال الشافعي رضي الله عنه: بت عنده ليلة فصليت إلى الصبح واضطجع هو إلى الصبح فاستنكرت ذلك منه فقام وصلى ركعتي الفجر من غير توضؤ فقلت له في ذلك فقال: أظننت أني نمت كلا استخرجت من كتاب الله نيفاً وألف

مسألة فأنت عملت لنفسك وأنا عملت للأمة أو إنما اضطجعت لأن صفاء خاطري في تلك الحالة. وهذه الصورة سرّ ما قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر سبب اضطجاع الأنبياء على ظهورهم عند نزول الوحي إليهم أن الوارد الإلهي الذي هو صفة القيومية إذا جاءهم اشتغل روح الإنسان عن تدبيره فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع إلى أصله وهو لصوقه بالأرض. ثم إن في القرآن تفصيلاً لأهل العبارة وأهل الإشارة، وفي «المثنوي»:

تو زقر آن اي پسر ظاهر مبين ديو آدم را نبيند غير طين

ظاهر قرآن چو شخص آدميست كه نقوشش ظاهر وجانش خفيست

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

﴿وكل إنسان﴾ مكلف مؤمناً كان أو كافراً ذكراً أو أنثى عالماً أو أمياً سلطاناً أو رعية حراً أو عبداً **﴿ألزمناه﴾** الإلزام [لازم كردن] **﴿طائره﴾** أي: عمره الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كأنه طار إليه من عش الغيب ووكر القدر **﴿في عنقه﴾** تصوير لشدة اللزوم وكمال الارتباط أي: ألزمناه عمله بحيث لا يفارقه أبداً بل يلزمه لزوم القلادة والغل للعنق لا ينفك عنه بحال.

كه هرنيك وبدى كان ازمن آيد مرا نا كام غل در كردن آيد

قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف خص العنق بإلزامه الطائر؟ الجواب لأن العنق موضع السمات والقلائد مما يزين أو يشين فينسبون الأشياء اللازمة إلى الأعناق يقال هذا في عنقي وفي عنقك انتهى. وفي «حياة الحيوان»: أنهم قالوا تقلدها طوق الحمامة الهاء كناية عن الخصلة القبيحة أي: تقلد طوق الحمامة لأنها لا يزايلها ولا يفارقها كما لا يفارق الطوق الحمامة ومثل قوله تعالى: **﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾** أن عمله لازم له لزوم القلادة والغل لا ينفك عنه انتهى.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى ما طار لكل إنسان في الأزل وقدر بالحكمة الأزلية والإرادة القديمة من السعادة والشقاوة وما يجري عليه من الأحكام المقدرة والأحوال التي جرى بها القلم من الخلق والخلق والرزق والأجل ومن صغائر الأعمال وكبائرها المكتوبة له وهو بعد في العدم وطائره ينتظر وجوده فلما أخرج كل إنسان رأسه من العدم إلى الوجود وقع طائره في عنقه ملازماً له في حياته ومماته حتى يخرج من قبره يوم القيامة وهو في عنقه وهو قوله: **﴿ونخرج له﴾** أي لكل إنسان **﴿يوم القيامة﴾** والبعث للحساب **﴿كتابا﴾** مسطوراً فيه عمله نقيراً وقطميراً وهو مفعول نخرج **﴿يلقاه﴾** الإنسان أي: يجده ويراه **﴿منشورا﴾** مفتوحاً بعدما كان مطوياً صفتان لكتابان أو الأول صفة والثاني حال. قال الحسن: بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك. فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك. وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيآتك حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة. يعني: [چون آدمي درسكرات افتد نامه عمل او در پيچند وچون مبعوث كردند باز كشاده بدست وى ودهند].

﴿اقرأ كتابك﴾ على إرادة القول أي: يقال اقرأ كتابك، عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم

يكن في الدنيا قارئاً ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ أي: كفى نفسك والباء زائدة واليوم ظرف لكفى وحسيبا تمييز وعلى صلته لأنه بمعنى الحاسب وتذكيره مبني على تأويل النفس بالشخص. يعني: [خود به بين كه چه كرده ومستحق چه نوع پاداشتى] وفوض تعالى حساب العبد إليه لئلا ينسب إلى الظلم ولتجب الحجة عليه باعترافه. قال الحسن: انصف من انصفك أنصف من جعلك حسيب نفسك [عمر رضي الله عنه كفته كه حاسبوا قبل أن تحاسبوا امروز دفتر اعمال خود در پيش نه ودرنكركه ازنيك وبد چه كرده وچون فرصت دارى درتدارك أحوال خود كوش كه فردا مجال تلافى نخواهد بود. دركشف الاسرار آورده كه پدرى پسر خويش را كفت امروز هرچه بامردم كويى وهرچه از ايشان شنوى وهر عملى كه كنى بامن بكوى وحركات وسكنات خويش بر من عرض كن آن پسر تا نماز شام تمام كردار يكروزه را باز كفت پدر روزى ديكر از پسر همين حال درخواست پسر كفت اي پدر زينهار هرچه خواهى از رنج وكلفت بكشم اين صورت بكذار كه طاقت ندارم پدر كفت من ترا درين كارمى بندم تابيدار وهشيار باشى وازموقف حساب غافل نشوى كه ترا طاقت يكروزه حساب دادن باپدر نيست حساب همه عمر باحق تعالى چون خواهى داد]:

تو نمى دانى حساب روز وشام پس حساب عمر چون كويى تمام
زين عملهاى نه بر نهج صواب نيست جز شرمندكى وقت حساب

﴿من اهتدى﴾ [هركه راه يابد وبراه راست رود] أي: بهداية القرآن وعمل بما في تضاعيفه من الأحكام وانتهى عما نهاه ﴿فإنما يهتدي لنفسه﴾ فإنما تعود منفعة اهتدائه إلى نفسه لا تتخطاه إلى غيره ممن لم يهتد ﴿ومن ضل﴾ عن الطريقة التي يهديه إليها ﴿فإنما يضل عليها﴾ فإنما وبال إضلاله عليها لا على من عداه ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل من صاحبه. وقال البيضاوي لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه أي: في الآخرة وإلا ففي حكم الدنيا يتعدى نفع الاهتداء وضرر الضلال إلى الغير كما في «حواشي» سعدي المفتي ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾. قال في «القاموس» الوزر بالكسر الإثم والثقل والحمل الثقيل انتهى أي: لا تحمل نفس حاملة للوزر أي: الاثم وزر نفس أخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية من وزرها ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم بل إنما تحمل كل منهما وزرها فلا يؤاخذ أحد بذنب غيره وهذا تحقيق لمعنى قوله تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ وأما ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥] وقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥] من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته فهو في الحقيقة انتفاع بحسنة نفسه وتضرر بسيئته فإن جزاء الحسنة والسيئة اللتين يعملهما العامل لازم له وإنما الذي يصل إلى من يشفع جزاء شفاعته لا جزاء أصل الحسنة والسيئة وكذلك جزاء الضلال مقصور على الضالين وما يحمله المضلون إنما هو جزاء الإضلال لا جزاء الضلال وقوله: ﴿ولا تزر﴾ الخ تأكيد للجملة الثانية وإنما خص بها قطعاً للأطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون أنهم لم يكونوا على الحق فالتبعة على أسلافهم الذين قلدوهم والتبعة ما يترتب على الشيء من المضرة ويتفرع عليه من العقوبة. وقال الكاشفي: [وليد بن مغيرة كافرانرا ميكفت متابعت من كنيد ومن كناهان شمارا بردارم حق سبحانه وتعالى ميفر ما يدكه هر نفسى

بارخود خواهد برداشت نه بار ديكرى] هذا. وقد قال بعضهم: المراد بالكتاب نفسه المنتقشة بآثار أعماله فإن كل عمل يصدر من الإنسان خيراً أو شراً يحدث منه في جوهر روحه أثر مخصوص إلا أن ذلك الأثر يخفي ما دام الروح متعلقاً بالبدن مشتغلاً بواردات الحواس والقوى فإذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامته لأن النفس كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود إلى العالم العلوي فيزول الغطاء وينكشف الأحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة بحسب العقل وأنه لا ينافي ما ورد في النقل بل يؤيد هذا المعنى ما روي عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئاً ثم المراد بالقيامة على هذا التفصيل هي القيامة الصغرى لكن هذا الكلام أشبه بقواعد الفلسفة كما في «حواشي» سعدي المفتي. يقول الفقير: لا يخفى أن الآخرة جامعة للصورة والمعنى فللإنسان صحيفتان صحيفة عمله التي هي الكتاب وصحيفة نفسه فكل منهما ناطق عن عمله وحاله كما قال في «التأويلات النجمية»: يجوز أن يكون هذا الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها نسخة نسخها الكرام الكاتبون بقلم أعماله في صحيفة أنفاسه من الكتاب الطائر الذي في عنقه ولهذا يقال له: **﴿اقرأ كتابك﴾** أي: كتابتك التي كتبتها **﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾** فإن نفسك مرقومة بقلم أعمالك إما برقوم السعادة أو برقوم الشقاوة من اهتدى إلى الأعمال الصالحة فإنما يهتدي لنفسه فيرقمها برقوم السعادة ومن ضل عنها بالأعمال الفاسدة فإنما يضل عليها فيرقمها برقوم الشقاوة **﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾** أي: لا يرقم راقم بقلم أوزاره نفس غيره **﴿وما كنا معذبين﴾** أي: وما صح وما استقام منا بل استحال في عادتنا المبنية على الحكم البالغة أن نعذب أحداً من أهل الضلال والأوزار اكتفاء بقضية العقل **﴿حتى نبعث﴾** إليهم **﴿رسولا﴾** يهديهم إلى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج ويمهد الشرائع قطعاً للمعذرة وإلزاماً للحجة. وفيه دلالة على أن البعثة واجبة لا بمعنى الوجوب على الله بل بمعنى أن قضية الحكمة تقتضي ذلك لما فيه من المصالح والحكم والمراد بالعذاب المنفي هو العذاب الدنيوي وهو من مقدمات العذاب الأخروي فجوزوا على الكفر والمعاندة بالعذاب في الدارين وما بينهما أيضاً وهو البرزخ والبعث غاية لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له لا لعدم وقوعه مطلقاً كيف لا والأخروي لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدنيوي أيضاً لا يحصل إلا بعد تحقق ما يوجبه من الفسق والعصيان.

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾ أي: وإذا دنا وقت تعلق إرادتنا بإهلاك قرية بأن نعذب أهلها **﴿أمرنا﴾** بالطاعة على لسان الرسول المبعوث إلى أهلها **﴿مترفيها﴾** متنعميها وكبارها وملوكها. والمترف كمكرم من أبطرته النعمة وسعة العيش والترفة بالضم النعمة والطعام الطيب وخصهم بالذكر مع توجه الأمر إلى الكل لأنهم الأصول في الخطاب والباقي اتباع لهم **﴿ففسقوا فيها﴾** أي: خرجوا عن الطاعة وتمردوا في تلك القرية **﴿فحق عليها القول﴾** أي: ثبت وتحقق موجبه بحلول العذاب إثر ما ظهر فسقهم وطغيانهم. قال الكاشفي: [پس واجب شود براهل آن ده كلمه عذاب كه سبقت كرفته در حكم ازلى مستوجب عقوبت شدند] **﴿فدمرناها﴾** بتدمير أهلها وتخريب ديارها. والتدمير الإهلاك مع طمس الأثر وهدم البناء **﴿تدميرا﴾** وقيل: الأمر مجاز

من الحمل على الفسق والتسبب له بأن صب عليهم ما أبطرهم وأفضى بهم إلى الفسوق.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾

﴿وكم أهلكنا من القرون﴾ كم مفعول أهلكنا ومن القرون تبيين لإبهام كم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس أي: وكثيراً من القرون أهلكنا والقرن مدة من الزمان يخترم فيها المرء والأصح أنه مائة سنة لقوله عليه السلام لغلام: «عش قرناً» فعاش مائة والقرن كل أمة هلكت فلم يبق منها أحد وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم **﴿من بعد نوح﴾** من بعد زمنه كعاد وثمود ومن بعدهم ولم يقل من بعد آدم لأن نوحاً أول نبي بالغ قومه في تكذيبه وقومه أول من حلت بهم العقوبة العظمى وهو الاستئصال بالطوفان **﴿وكفى بربك﴾** أي: كفى ربك **﴿بذنوب عباده خبيرا بصيرا﴾** يحيط بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير مع أنه مضاف إلى الغيب والأمور الباطنة والبصير مضاف إلى الأمور الظاهرة كالشهيد لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي مبادي الأعمال الظاهرة. وفيه إشارة إلى أن البعث والأمر وما يتلوهما من فسقهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فإن ذلك حاصل قبل ذلك وإنما هو لقطع الأعذار وإلزام الحجة من كل وجه. وفي الآية تهديد لهذه الأمة لا سيما مشركي مكة لكي يطيعوا الله ورسوله ولا يعصوه فيصيبهم مثل ما أصابهم.

ـ روي ـ عن الشعبي أنه قال: خرج أسد وذئب وثعلب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وغزالاً وأرنباً فقال الأسد للذئب: اقسم فقال حمار الوحش للملك والغزال لي والأرنب للثعلب قال: فرفع الأسد يده وضرب رأس الذئب ضربة فإذا هو منجدل بين يدي الأسد ثم قال للثعلب: اقسم هذه بيننا فقال الحمار يتغدى به الملك والغزال يتعشى به والأرنب بين ذلك فقال الأسد: ويحك ما أقضاك من علمك هذا القضاء فقال القضاء الذي نزل برأس الذئب ولذلك قيل العاقل من وعظ بغيره:

مرد دركارها چوكرد نظر ... بهزه اعتبار ازان برداشت
هرچه آن سود مند بود كرفت ... هرچه ناسود مندبود كذاشت

وفي «التأويلات النجمية» **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾** يشير إلى أن الأعمال الصالحة والفاسدة التي ترقم النفوس برقوم السعادة والشقاوة لا يكون لها أثر إلا بقبول دعوة الأنبياء أو بردها فإن السعادة والشقاوة مودعة في أوامر الشريعة ونواهيها **﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾** أي: من قرى النفوس **﴿أمرنا مترفيها﴾** وهي النفوس الأمارة بالسوء **﴿ففسقوا فيها﴾** أي: فخرجوا عن قيد الشريعة ومتابعة الأنبياء بمتابعة الهوى واستيفاء شهوات النفس **﴿فحق عليها القول﴾** أي: فوجبت لها الشقاوة بمخالفة الشريعة **﴿فدمرناها تدميرا﴾** بإبطال استعداد قبول السعادة إذ صارت النفس مرقومة برقوم الشقاوة الأبدية **﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح﴾** أي: أبطلنا حسن استعدادهم لقبول السعادة برد دعوة الأنبياء عليهم السلام **﴿وكفى بربك بذنوب عباده﴾** إذ لم يقبلوا دعوة الأنبياء **﴿خبيرا بصيرا﴾** فإنه المقدر في الأزل المدبر إلى الأبد أسباب سعادة عباده وأسباب شقاوتهم انتهى.

﴿من كان﴾ [هركه باشد از روى خساست همت] **﴿يريد﴾** بأعماله **﴿العاجلة﴾** الدار

الدنيا فقط أي: ما فيها من فنون مطالبها وهم الكفرة والفسقة وأهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة والذكر ﴿عجلنا له فيها﴾ أي: في تلك العاجلة ﴿ما نشاء﴾ تعجيله له من نعيمها لا كل ما يريد فإن الحكمة لا تقتضي وصول كل واحد إلى جميع ما يهواه ﴿لمن نريد﴾ تعجيل ما نشاء له فإنها لا تقتضي وصول كل طالب إلى مرامه فإن الله تعالى يبتلي بعض العباد بالطلب من غير حصول المطلوب وبعضهم يبتلى به بحصول المطلوب المشروط به إما مقارناً لطلبه وإما بعده لأن وقت الطلب قد يفارق وقت حصول المطلوب فيحصل الطلب في وقت والمطلوب في وقت وبعضهم لا يبتلى بالطلب بل يصل إليه الفيض بلا طلب فالأول طلب ولا شيء. والثاني طلب وشيء. والثالث شيء ولا طلب قوله: ﴿لمن نريد﴾ بدل من الضمير في له بإعادة الجار بدل البعض فإنه راجع إلى الموصول المنبىء عن الكثرة ﴿ثم جعلنا له﴾ مكان ما عجلنا له ﴿جهنم﴾ وما فيها من أصناف العذاب ﴿يصلاها﴾ يدخلها وهو حال من الضمير المجرور ﴿مذموما﴾ ملوماً لأن الذم اللوم وهو خلاف المدح والحمد يقال ذممته وهو ذميم غير حميد كما في «بحر العلوم» ﴿مدحورا﴾ مطروداً من رحمة الله تعالى فإن الدحر الطرد والإبعاد.

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾

﴿ومن﴾ [هركه ازروى علو همت] ﴿أراد﴾ بالأعمال ﴿الآخرة﴾ الدار الآخرة وما فيها من النعيم المقيم ﴿و سعى لها سعيها﴾ أي: السعي اللائق بها وهو الإتيان بما أمر والانتهاء عما نهى لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والإخلاص فإنها للاختصاص ﴿وهو مؤمن﴾ أي: والحال أنه مؤمن إيماناً صحيحاً لا شرك معه ولا تكذيب فإنه العمدة ﴿فأولئك﴾ الجامعون الشرائط الثلاثة من إرادة الآخرة والسعي الجميل لها والإيمان ﴿كان سعيهم مشكوراً﴾ مقبولاً عند الله تعالى بحسن القبول مثاباً عليه فإن شكر الله الثواب على الطاعة وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينيه إشعار بأنه العمدة فيها.

اعلم أن الله تعالى خلق الإنسان مركباً من الدنيا والآخرة ولكل جزء منهما ميل وإرادة إلى كله ليتغذى منه ويتقوى ويتكمل به ففي جزئه الدنيوي وهو النفس طريق إلى دركات النيران وفي جزئه الأخروي وهو الروح طريق إلى درجات الجنان وخلق القلب من هذين الجزءين وله طريق إلى ما بين اصبعي الرحمٰن اصبع اللطف وأصبع القهر فمن يرد الله به أن يكون مظهر قهره أزاغ قلبه وحول وجهه إلى الدنيا فيريد العاجلة ويربي بها نفسه إلى أن تبلغه إلى دركات جهنم البعد ويصلى نار القطيعة ومن يرد الله به أن يكون مظهر لطفه أقام قلبه وحول وجهه إلى عالم العلو فيريد الآخرة ويسعى لها سعيها وهو الطلب بالصدق وهو مؤمن بأن من طلبه وجده فأولئك كان سعيهم في الوجود مشكوراً من الموجد في الأزل.

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿كلا﴾ منصوب بنمد أي: كل واحد من مريدي الدنيا ومريدي الآخرة ﴿نمد﴾ أي: نزيد مرة أخرى بحيث يكون الآنف مدداً للسالف لا نقطعه وما به الإمداد هو ما عجل لأحدهما من

العطايا العاجلة وما أعد للآخر من العطايا الآجلة المشار إليها بمشكورية السعي ﴿هؤلاء﴾ بدل من كُلاً ﴿وهؤلاء﴾ عطف عليه أي: نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم ﴿من عطاء ربك﴾ أي: من معطاه الواسع الذي لا يتناهى له لأن العطاء اسم ما يعطي وهو متعلق بنمد ومغن عن ذكر ما به الإمداد ومنه على أن الإمداد المذكور ليس بطريق الاستيجاب بالسعي والعمل بل بمحض التفضل ﴿وما كان عطاء ربك﴾ أي: دنيوياً وأخروياً ﴿محظورا﴾ ممنوعاً عمن يريده من البر والفاجر بل هو فائض على البر في الدنيا والآخرة وعلى الفاجر في الدنيا فقط وإن وجد منه ما يقتضي الحظر وهو الفجور والكفر، قال الشيخ سعدي:

اديـم زمـيـن سـفـره عـام اوسـت   برين خوان يغماچه دشمن چه دوست
پـس پـرده بـيـنـد عـمـلـهـاى بـد   هـم اوپـرده پـوشـد بـآلاى خـود
وكـر بـرجـفـا پـيـشـه بـشـتـافـتـى   كى از دست قـهـرش امان يـافـتـى

﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ كيف في محل النصب بفضلنا على الحالية لا بانظر لأن الاستفهام يحجب أن يتقدم عليه عامله لاقتضائه صدر الكلام أي: انظر يا محمد بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعض الآدميين على بعض فيما أمددناهم من العطايا الدنيوية فمن وضيع ورفيع ومالك ومملوك وموسر وصعلوك تعرف بذلك مراتب العطايا الأخروية ودرجات تفاضل أهلها على طريقة الاستشهاد بحال الأدنى على حال الأعلى كما فصح عنه قوله تعالى: ﴿وللآخرة﴾ أي: هي وما فيها ﴿أكبر﴾ من الدنيا ﴿درجات﴾ نصب على التمييز وهي جمع درجة بمعنى المرتبة والطبقة ﴿وأكبر تفضيلاً﴾ وذلك لأن التفاوت في الآخرة بالجنة ودرجاتها العالية لأن ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ من أهل الدنيا في النعمة والدولة وموافاة المرادات ليتحقق لك أنها من إمدادنا إياهم ﴿وللآخرة﴾ أي: أهل الآخرة ﴿أكبر درجات وأكبر تفضيلا﴾ من أهل الدنيا لأن مراتب الدرجات الأخروية وفضائل أهلها باقية غير متناهية ونعمة الدنيا وفضائل أهلها فانية متناهية، قال الحافظ:

في الجملة اعتماد مكن برثبات دهر   كين كار خانه ايست كه تغيير ميكنند

فعلى العاقل تحصيل الدرجات الأخروية الباقية. وفي الحديث «أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الألباب» أراد بذوي الألباب العلماء ألا يرى إلى قوله عليه السلام: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» وفي رواية «كفضل القمر على سائر الكواكب» وقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا۟ الْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] يرفع العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فبهذه الشواهد يتضح أن تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت معارفهم الإلهية وعلومهم الحقيقة كما قال عليه السلام: «إن في الجنة مدينة من نور لم ينظر إليها ملك مقرب ولا نبي مرسل جميع ما فيها من القصور والغرف والأزواج والخدم من النور أعدها الله للعاقلين فإذا ميز الله أهل النار ميز أهل العقل فجعلهم في تلك المدينة فيجزى كل قوم على قدر عقولهم فيتفاوتون في الدرجات كما بين المشارق والمغارب بألف ضعف» وعنه عليه السلام: «إن في الجنة درجة لا ينالها إلا أصحاب الهموم» يعني: في طلب الخير والمعيشة وقال عليه السلام: «إن في الجنة درجة لا ينالها إلا ثلاثة أقسام: عادل وذو رحم واصل وذو عيال صبور» فقال علي رضي الله

عنه: ما صبر ذي العيال قال: «لا يمن على أهله ما ينفق عليهم».

ـ روي ـ أن عدة من الناس اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الإذن لبلال وصهيب فشق على أبي سفيان فقال لسهيل بن عمرو: إنما أبينا من قبلنا فإنهم دعوا ودعينا يعني إلى الإسلام فأسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر فما أعد الله لهم في الجنة أكثر. وقرىء وأكثر تفضيلاً. وفي قول بعضهم أيها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا أما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي أكبر وأفضل وعنه عليه السلام: «بين المجاهد والقاعد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة» أي: عدوه وعنه عليه السلام: «تعلموا العلم فالله تعالى يبعث يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر الخلق على درجاتهم» كما في «بحر العلوم» وفي «المثنوي»:

علم را دوپر كما نرا يك پراست ... ناقص آمد ظن به برواز ابتراست
مرغ يك پر زود افتد سرنكون ... بازبر پرد دوكامى يافزون
افت وخيزان ميپرد مرغ كمان ... بايكى پر بر اميد آشيان
چون زظن وارست وعلمش رونمود ... شد دوپبر آن مرغ يك پربر كشود
بعد ازان يمشي سويا مستقيم ... نى على وجه مكبا او سقيم

اللهم اجعلنا من أهل اليقين والتمكين.

﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ الخطاب للرسول ﷺ والمراد أمته فإن بعضهم قالوا: الأصل في الأوامر هو وفي النواهي امته. ﴿فتقعد﴾ بالنصب جواباً للنهي والقعود بمعنى الصيرورة وعبارة عن المكث أي: فتمكث في الناس كما تقول لمن سأل عن حال شخص قاعد في أسوأ حال ومعناه ماكث سواء كان قائماً أو جالساً وقد يراد القعود حقيقة لأن من شأن المذموم المخذول أن يقعد حائراً يتفكر أو عبر بغالب حاله وهو القعود ﴿مذموما مخذولا﴾ خبران أو حالان أي: جامعاً على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى فإن الشريك عاجز عن النصرة. وفيه إشعار بأن الموحد جامع بين المدح والنصرة وإشارة إلى أن طالب الحق لا يطلب مع الله غيره من الدارين ونعمهما.

﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿وقضى ربك﴾ أي: أمر كل مكلف أمراً مقطوعاً به فضمن قضى معنى أمر وجعل المضمن أصلاً والمضمن فيه قيداً له لأن المقضي يجب وقوعه ولم يقع من بعض المخاطبين التوحيد.

وفي «التأويلات النجمية»: وإنما قال ربك أراد به النبي لأنه مخصوص بالتربية أصالة والأمة تبع له في هذا الشأن وقوله: ﴿وقضى ربك﴾ أي: حكم وقدر في الأزل ﴿أن لا تعبدوا﴾ أي: بأن لا تعبدوا على أن أن مصدرية ولا نافية ﴿إلا إياه﴾ لأن العبادة غاية التعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ أي: بأن تحسنوا بهما إحساناً لأنهما السبب الظاهري للوجود والتعيش والله تعالى هو السبب الحقيقي فأخبر تعظيم

السبب الحقيقي ثم اتبعه بتعظيم السبب الظاهري يعني الله تعالى قرن إحسان الوالدين بتوحيده لمناسبتهما لحضرة الألوهية والربوبية في سببيتهما لوجودك وتربيتهما إياك عاجزاً صغيراً وهما أول مظهر ظهر فيهما آثار صفات الله تعالى من الإيجاد والربوبية والرحمة والرأفة بالنسبة إليك ومع ذلك فهما محتاجان إلى قضاء حقوقهما والله غني عن ذلك. فأهم الواجبات بعد التوحيد إحسانهما وفي الحديث: «بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله» ذكره الإمام ﴿**إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما**﴾ [اكر برسد نزديك تو بزرك سالى وكبر سن يكى ازايشان ياهردو ايشان يعني بزنيد تايير شوند ومحتاج خدمت تو كردند]، قوله: إما مركبة من أن الشرطية وما المزيدة لتأكيدها ولذلك حل الفعل نون التأكيد ومعنى عندك في كنفك وكفالتك وأحدهما فاعل للفعل وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيما بعده مع أن ما سبق على الجمع للاحتراز عن التباس المراد فإن المقصود نهي كل أحد عن تأفيف والديه ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع أو بالتثنية لم يحصل هذا المراد، قال في «الأسئلة المقحمة»: إن قلت كيف خص الله حال الكبر بالإحسان إلى الوالدين وهو واجب في حقهما على العموم والجواب أن هذا وقت الحاجة في الغالب وعند عدم الحاجة إجابتهما ندب وفي حالة الحاجة فرض انتهى ﴿**فلا تقل لهما**﴾ أي: لواحد منهما حالتي الانفراد والاجتماع ﴿**أف**﴾ هو صوت يدل على تضجر واسم للفعل الذي هو الضجر وقرىء بحركات الفاء فالتنوين على قصد التنكير كصه ومه وايه وغاق وتركه على قصد التعريف والكسر على أصل البناء إن بني على الكسر لالتقاء الساكنين وهما الفاآن والفتح على التخفيف والضم للاتباع كمنذ وهو بالشاذ. والمعنى لا تتضجر بما تستقذر منهما وتستثقل من مؤونتهما وهو عام لكل أذى لكن خص بعضه بالذكر اعتناء بشأنه فقيل: ﴿**ولا تنهرهما**﴾ أي: لا تزجرهما بإغلاظ إذا كرهت منهما شيئاً ﴿**وقل لهما**﴾ بدل التأفيف ﴿**قولا كريما**﴾ ذا كرم وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن الأدب ويستدعيه النزول على المروءة مثل أن تقول: يا أبتاه ويا أماه كدأب إبراهيم عليه السلام إذ قال لأبيه: يا أبت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الأدب وديدن الدعاء إلا أن يكون في غير وجههما كما قالوا ولا يرفع صوته فوق صوتهما ولا يجهر لهما بالكلام بل يكلمهما بالهمس والخضوع إلا لضرورة الصمم والإفهام ولا يسب والدي رجل فيسب ذلك الرجل والديه ولا ينظر إليهما بالغضب.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿**واخفض لهما جناح الذل**﴾ جناح الذل استعارة بالكناية جعل الذل والتواضع بمنزلة طائر فأثبت له الجناح تخييلاً أي: تواضع لهما ولين جانبك وذلك أن الطائر إذا قصد أن ينحط خفض جناحه وكسره وإذا قصد أن يطير رفعه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلاً في التواضع ولين الجانب. قال القاضي وأمره بخفضه مبالغة في إيجاب الذل وترشيحاً للاستعارة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كن مع الوالدين كالعبد المذنب الذليل الضعيف للسيد الفظ الغليظ أي: في التواضع والتملق ﴿**من الرحمة**﴾ من ابتدائية أو تعليلية أي: من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما قالوا: ينظر إليهما بنظر المحبة والشفقة والترحم وفي الحديث «ما من ولد ينظر إلى الوالد وإلى والدته نظر مرحمة إلا كان له بها حجة

وعمرة» قيل: وإن نظر في اليوم ألف مرة قال: «وإن نظر في اليوم مائة ألف» كما في «خالصة الحقائق» ويقبل رجل أمه تواضعاً.

ـ حكي ـ أن رجلاً جاء إلى الأستاذ أبي إسحٰق فقال: رأيت البارحة في المنام أن لحيتك مرصعة بالجواهر واليواقيت فقال: صدقت فإني البارحة مسحت لحيتي تحت قدم والدتي قبل أن نمت فهذا من ذاك ويباشر خدمتهما بيده ولا يفوضها إلى غيره لأنه ليس بعار للرجل أن يخدم معلمه وأبويه وسلطانه وضيفه ولا يؤمه للصلاة وإن كان أفقه منه أي: أعلم بالفقه من الأب ولا يمشي أمامهما إلا أن يكون لإماطة الأذى عن الطريق ولا يتصدر عليهما في المجلس ولا يسبق عليهما في شيء أي: في الأكل والشرب والجلوس والكلام وغير ذلك. قال الفقهاء: لا يذهب بأبيه إلى البيعة وإذا بعث إليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الإناء منه إذا شربها. وعن أبي يوسف إذا أمره أن يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير أوقد كما في «بحر العلوم» ولا ينسب إلى غير والديه استنكافاً منهما فإنه يستوجب اللعنة قال عليه السلام: «فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً» أي: نافلة وفريضة كما في «الأسرار المحمدية». قال في «القاموس»: الصرف في الحديث التوبة والعدل الفدية أو هو النافلة والعدل الفريضة أو بالعكس أو هو الوزن والعدل الكيل أو هو الاكتساب والعدل الفدية ﴿**وقل رب ارحمهما**﴾ وادع الله أن يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وإن كانا كافرين لأن من الرحمة أن يهديهما إلى الإسلام. قال الكاشفي: [حقيقت دعا رحمت ازولد درحق والدين آنست كه اكر مؤمن اند ايشانرا ببهشت رسان واكر كافراند راه نماى باسلام وايمان]. قال ابن عباس: ما زال إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه حتى مات فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه يعني ترك الدعاء ولم يستغفر له بعدما مات على الكفر كذا في «تفسير أبي الليث» وفي الحديث: «إذا ترك العبد الدعاء للوالدين ينقطع عنه الرزق في الدنيا» سئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال: كل ذلك واصل إليه ولا شيء أنفع له من الاستغفار ولو كان شيء أفضل منه لأمرت به في الأبوين ويعضده قوله عليه السلام: «إن الله ليرفع درجة العبد في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذا؟ فيقول: باستغفار ولدك» وفي الحديث: «من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة كان باراً» قال الشيخ سعدي قدس سره:

سالها بر تو بكذردكه كذر نكنى سوى تربت پدرت
تو بجاى پدرچه كردى خير تاهمان چشم دارى ازپسرت

﴿**كما ربياني صغيرا**﴾ الكاف في محل النصب على أنه نعت مصدر محذوف أي: رحمة مثل رحمتهما عليّ وتربيتهما وإرشادهما لي في حال صغري وفاء بوعدك للراحمين.

ـ روي ـ أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ إن أبوي بلغا من الكبر أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما؟ قال: «لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما».

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿**ربكم أعلم بما في نفوسكم**﴾ بما في ضمائركم من قصد البر والتقوى وكأنه تهديد على أن يضمر لهما كراهة واستثقالاً ﴿**إن تكونوا صالحين**﴾ قاصدين الصلاح والبر دون العقوق

والفساد ﴿فإنه﴾ تعالى ﴿كان للأوابين﴾ أي: الرجاعين إليه تعالى مهما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر ﴿غفورا﴾ لما وقع منهم من نوع تقصير أو أذية فعلية أو قولية. قال الإمام الغزالي رحمه الله: أكثر العلماء على أن طاعة الوالدين واجبة في الشبهات ولم تجب في الحرام المحض لأن ترك الشبهة ورع ورضى الوالدين حتم أي: واجب. قيل: إذا تعذر مراعاة حق الوالدين جميعاً بأن يتأذى أحدهما بمراعاة الآخر يرجح حق الأب فيما يرجع إلى التعظيم والاحترام لأن النسب منه ويرجح حق الأم فيما يرجع إلى الخدمة والإنعام حتى لو دخلا عليه يقوم للأب ولو سألا منه شيئاً يبدأ في الإعطاء بالأم كما في «منبع الآداب». قال الفقهاء تقدم الأم على الأب في النفقة إذا لم يكن عند الولد إلا كفاية أحدهما لكثرة تعبها عليه وشفقتها وخدمتها ومعاناة المشاق في حمله ثم وضعه ثم إرضاعه ثم تربيته وخدمته ومعالجة أوساخه وتمريضه وغير ذلك كما في «فتح القريب»:

جنت سراى ما درانست   زير قد مات ما درانست
روزى بكن اي خداى مارا   چيزى كه رضاي ما درانست

ـ وشكا ـ رجل إلى رسول الله ﷺ أباه وأنه يأخذ ماله فدعا به فإذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال: إنه كان ضعيفاً وأنا قوي وفقيراً وأنا غني فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي واليوم أنا ضعيف وهو قوي وأنا فقير وهو غني ويبخل عليّ بماله فبكى عليه السلام فقال: «ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى» ثم قال للولد «أنت ومالك لأبيك» وفي الحديث: «رغم أنفه» فقيل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك والداه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة» يعني بسبب برهما وإحسانهما: وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لولا أني أخاف تغير الأحوال عليكم بعدي لأمرتكم أن تشهدوا لأربعة أصناف بالجنة: أولهما امرأة وهبت صداقها من زوجها لأجل الله تعالى وزوجها راضٍ، والثاني: ذو عيال كثير يجهد في المعيشة لأجلهم حتى يطعمهم الحلال، والثالث التائب على أن لا يعود إليه أبداً كاللبن لا يعود إلى الثدي، والرابع البار بوالديه» ويجب على الأبوين أن لا يحملا الولد على العقوق بسوء المعاملة والجفاء ويعيناه على البر.

ـ وحكي ـ عن بعض العرفاء أنه قال: إن لي ابناً منذ ثلاثين سنة ما أمرته بأمر مخافة أن يعصيني فيحق عليه العذاب. يقول الفقير: فسد الزمان وتغير الإخوان ولنبكِ على أنفسنا من سوء الأخلاق وقد كانت الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وهم هم يبكون دماً من أخلاق النفس فما لنا لا نبكي ونحن منغمسون في بحر الخطايا والذنوب متورطون في بئر القبائح والعيوب لا إنصاف لنا في حق أنفسنا ولا في حق الغير ونعم ما قال الحافظ حكاية لهذا التغير الناشىء من النفس الأمارة بالسوء:

هيچ رحمى نه برادر به برادر دارد   هيچ شوقى نه پدررا به پسر مى بينم
دخترانرا همه جنكست وجدل بامادر   پسرانرا همه بدخواه پدر مى بينم
جاهلان راهمه شربت زكلابست وعسل   قوت داناهمه از قوت جكر مى بينم
اسب تازى شده مجروح بزير پالان   طوق زرين همه بركردن خر مى بينم

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ

ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾﴾

﴿**وآت**﴾ يا أفضل المخلوق ويدخل فيه كل واحد من أمته ﴿**ذا القربى**﴾ أي: القرابة وهم المحارم مطلقاً عند أبي حنيفة رحمه الله سواء كانت قرابتهم ولادية كالولد والوالدين أو غير ولادية كالاخوة والأخوات ﴿**حقه**﴾ وهي النفقة أي: إذا كانوا فقراء.

اعلم أنه لا يجب على الفقير إلا نفقة أولاده الصغار الفقراء ونفقة زوجته غنية أو فقيرة مسلمة أو كافرة وأما الغني وهو صاحب النصاب الفاضل عن الحوائج الأصلية ذكراً كان أو أنثى فيجب عليه نفقة الأبوين ومن في حكمهما من الأجداد والجدات إذا كانوا فقراء سواء كانوا مسلمين أو كافرين وهذا إذا كانوا ذمة فإن كانوا حرباً لا يجب وإن كانوا مستأمنين. ويجب نفقة كل ذي رحم محرم مما سوى الوالدين إن كان فقيراً صغيراً أو أنثى أو زمناً أو أعمى ولا يحسن الكسب لخرقه فإن كان قادراً عليه لا يجب اتفاقاً أو لكونه من الشرفاء والعظماء. وتجب نفقة الأبوين مع القدرة على الكسب ترجيحاً لهما على سائر المحارم وطالب العلم إذا لم يقدر على الكسب لا تسقط نفقته على الأب كالزمن فإن نفقة البنت بالغة والابن زمناً بالغاً على الأب وإذا كان للفقير أب غني وابن غني فالنفقة على الأبوين ولا نفقة مع اختلاف الدين إلا بالزوجية كما سبق والولاد فنفقة الأصول الفقراء مسلمين أو لا على الفروع الأغنياء ونفقة الفروع الفقراء مسلمين أو لا على الأصول الأغنياء فلا تجب على النصراني نفقة أخيه المسلم ولا على المسلم نفقة أخيه النصراني لعدم الولاء بينهما ويعتبر في نفقة قرابة الولاد أصولاً وفروعاً الأقرب فالأقرب وفي نفقة ذي الرحم يعتبر كونه أهلاً للإرث ولا يجب النفقة لرحم ليس بمحرم اتفاقاً كأبناء العم بل حقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والموافقة والتفصيل في باب النفقة في الفروع فارجع إليه وفي الحديث: «البر والصلة يطيلان الأعمار ويعمران الديار ويكثران الأموال» وإن كان القوم فجاراً وإن البر والصلة ليخففان الحساب يوم القيامة.

وفي الآية إشارة إلى النفس فإنها من ذوي قربى القلب ولها حق كما قال عليه الصلاة والسلام: «إن لنفسك عليك حقاً» المعنى لا تبالغ في رياضة النفس وجهادها لئلا تسأم وتمل وتضعف عن حمل أعباء الشريعة وحقها رعايتها عن السرف في المأكول والملبوس والاثاث والمسكن وحفظها عن طرفي الإفراط والتفريط كما في «التأويلات النجمية» ﴿**والمسكين وابن السبيل**﴾ أي: وآتهما حقهما مما كان مفترضاً بمكة بمنزلة الزكاة. المسكين من لا شيء له والفقير من له شيء دون نصاب وقيل بالعكس. وابن السبيل أي: الملازم لها هو من له مال لا معه وهو المسافر المنقطع عن ماله ﴿**ولا تبذر تبذيرا**﴾ بصرف المال إلى من سواهم ممن لا يستحقه فإن التبذير تفريق في غير موضعه وأما الإسراف الذي هو تجاوز الحد في صرفه فقد نهى عنه بقوله: ﴿**ولا تبسطها كل البسط**﴾ سعدي:

نه هركس سزاوار باشد بمال يكى مال خواهد يكى كو شمال

﴿**إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين**﴾ أي: أعوانهم في إهلاك أنفسهم ونظراءهم في كفران النعمة والعصيان كما قال ﴿**وكان الشيطان لربه كفورا**﴾ مبالغاً في الكفر به لا يشكر نعمه بامتثال أوامره ونواهيه وكان قريش ينحرون الإبل ويبذرون أموالهم في السمعة وسائر ما لا خير

فيه من المناهي والملاهي [مجاهد فرموده كه اكر برابركوه زردر وجوه خير صرف كنند اسراف نباشدا اكر جوى ياحبه در باطل خرج نمايند اسراف باشد] وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير، سعدي:

كنون بركف دست نه هرچه هست كه فردا بدندان كزى پشت دست

﴿وإما﴾ [واكر] ﴿تعرضن﴾ [اعراض كنى] ﴿عنهم﴾ أي: إن اعتراك أمر اضطرك إلى أن تعرض عن أولئك المستحقين من ذوي القربى وغيرهم ﴿ابتغاء رحمة من ربك﴾ أي: لفقد رزق من ربك إقامة للمسبب مقام السبب فإن الفقد سبب للابتغاء ﴿ترجوها﴾ من الله تعالى لتعطيهم والجملة صفة رحمة وكان عليه السلام إذا سئل شيئاً وليس عنده سكت حياء وأمر بالقول الجميل لئلا يعتريهم الوحشة بسكوته فقيل: ﴿فقل لهم قولا ميسورا﴾ سهلاً ليناً وعدهم بوعد فيه يسر وراحة لهم وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور أي: اليسر فهو مصدر على مفعول أي: قل لهم أغناكم الله من فضله رزقنا الله وإياكم.

ـ روي ـ أن عيسى عليه السلام قال: من ردَّ سائلاً خائباً عن بابه لم تعبر الملائكة بيته سبعة أيام ومن مات فقيراً راضياً من الله بفقره لا يدخل الجنة أحد أغنى منه كذا في «الخالصة».

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ [يدبسته بركردن خود واين كنايتست ازامساك] ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ [ومكشاى دست خودرا همه كشادن يعني اسراف مكن]. قال أهل التفسير: هما تمثيلان لمنع الشحيح وإعطاء المسرف زجراً لهما عنهما وحملا على ما بينهما من الاقتصاد الذي هو بين التقتير والإسراف وهو الكرم والجود، والمعنى ولا تمسك يدك عن النفقة في الحق كل الإمساك بحيث لا تقدر على مدها كمن يده مغلولة إلى عنقه فلا يقدر على إعطاء شيء ولا تجد كل الجود فتعطي جميع ما عندك ولا يبقى شيء منه كمن يبسط كفه كل البسط فلا يبقى شيء فيها ﴿فتقعد﴾ جواب للنهيين أي: فتصير ﴿ملوما﴾ عند الله وعند الناس في الدارين وهو راجع لقوله: ﴿ولا تجعل يدك﴾ ﴿محسورا﴾ نادماً أو منقطعاً بك لا شيء عندك وهو راجع إلى قوله: ﴿ولا تبسطها﴾:

مبند ازسر امساك دست در كردن كه خصلتيست نكوهيده پيش اهل بها
مكن بجانب إسراف نيز چندان ميل كه هرچه هست بيكدم كنى زدست رها
چودر ميانه اين هر دوراه چندانى تفاوتست كه از آفتاب تابسها
پس اختيار وسط راست در جميع امور بدان دليل كه خير الأمور أوسطها

وفي «الكواشي»: الصحيح أن هذا خطاب للنبي والمراد غيره لأنه أفسح الناس صدراً وكان لا يدخر شيئاً لغد انتهى وسيأتي تحقيق المقام. قال الكاشفي: [در اسباب نزول آمده كه مسلمه بايهوديه كرو بستند ومضمون رهن آنكه حضرت رسالت پناه عليه السلام از موسى كليم عليه السلام سخى ترست وسخاوت موسى آن بودكه سائل را رد نميكرد بچيزيكه ازوفاضل بوده يابسخن خوش اورا خوشنود ميساخت القصه ازجهت ازمايش شخصى دختر خودرا بجانب نبوتآب فرستاد دخترك آمد وكفت كه يا رسول الله ما در من از شماپيراهن ميطلبد حضرت فرمود زمان تازمان برسد توساعتى ديكر بازا ئى دخترك بعد از زمانى باز آمدكه مادر

من آن پيراهنى ميطلبدكه دربر شماست حضرت بحجره درآمد وپيراهن بيرون كرده بوى داد وخود برهنه بنشست بلال قامت صلاة كشيد وياران منتظر خروج آن حضرت بودند وآن حضرت بسبب برهنكى بيرون نمى آمد آيت آمدكه ولا تجعل الخ]. قال في «برهان القرآن»: فدخل وقت الصلاة ولم يخرج للصلاة حياء فدخل عليه أصحابه فرأوه على تلك الصفة فلاموه على ذلك فأنزل الله ﴿فتقعد ملوما محسورا﴾ مكشوفاً هذا هو الأظهر من تفسيره انتهى. يقول الفقير: وذلك لأن أصحابه لاموه فصار ملوماً وبقي عرياناً فصار محسوراً أي: مكشوفاً لأن الحسر الكشف فعلى هذا كان الأنسب أن يراد القعود حقيقة ولم يرض في الإرشاد بهذه الرواية بناء على أن السورة مكية والقصة مدنية والعلم عند الله تعالى.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يوسعه على بعض ويضيقه على بعض آخرين بمشيئته التابعة للحكمة وبالفارسية [بدرستى كه پروردكار توكشاده مى كرداند روزى را براى هركه خواهد وتنك مى سازد براى هركه ارادت او اقتضاكند واين بسط وقبض ازمحض حكمت است وكس زهره اعتراض ندارد].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير به إلى الخروج عن أوطان البشرية والطبيعية الإنسانية إلى فضاء العبودية بقدمي التوكل على الله وتفويض الأمور إليه فإن كان يبسط للنفس في بعض الأوقات ببعض المرادات ليفرش لها بساط البسط ويقدر عليها في بعض الأوقات متمناها ليضبط أحوالها بمجامع القبض فالأمور موكولة إلى حكمه البالغة وأحكامه الأزلية ﴿إنه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾ أي: يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم قال الله تعالى: «وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الغنى لو أفقرته لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الفقر لو أغنيته لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الصحة لو أسقمته لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا السقم لو أصححته لأفسده ذلك إني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم إني عليم خبير» رواه أنس رضي الله عنه كما في «بحر العلوم» فيغني الله ويفقر ويبسط ويقبض ولو أغناهم جميعاً لطغوا ولو أفقرهم لنسوا فهلكوا وفي الحديث: «بادروا بالأعمال خمساً: غنى مطغياً وفقراً منسياً وهرماً مفنداً ومرضاً مفسداً وموتاً مجهزاً» فإذا كان الغنى لبعض مطغياً صرفه الله تعالى عمن علم ذلك منه وأفقره لأن الفقر علم منه أنه لا ينسيه بل يشغل لسانه بذكره وحمده وقلبه بالتوكل عليه والالتجاء إليه وإذا كان الفقر لبعضهم منسياً صرفه عمن علم ذلك منه، وفي «المثنوي»:

فقر ازين رو فخر آمد جاودان ... كه بتقوى ماند دست نارسان
زان غنا وزان غنى مردود شد ... كه ز قدرت صبرها پدرود شد
آدمى را عجز وفقر آمد امان ... از بلاى نفس پر حرص وغمان

فعلى العاقل التسليم لأمر الله تعالى والرضى بقضائه والصبر في موارد القبض والشكر في

مواقع البسط والإنفاق مهما أمكن. قال في «الأسرار المحمدية»: كان أويس القرني رحمه الله إذا أصبح أو أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب ثم يقول: اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به. وكان الحلاج رحمه الله يقول مخبراً عن حاله: إذا قعد الرجل عشرين يوماً جائعاً ثم فتح له طعام فعرف أن في البلد من هو أحوج إلى ذلك منه فأكله ولم يؤثر به ذلك المحتاج فقد سقط عن رتبته وهذا مقام عال بالنسبة إلى حال أويس ظاهراً ولكن قال الشيخ الكامل محمد بن علي العربي قدس سره: اعلم أن قول أويس ينبه على مقامه الأعلى وقطبيته المثلى لأن ذلك القول معرب عن حال إمام الوقت فيعطي ما ملك ويتضرع هذا التضرع لمن استخلفه على عبيده بالرحمة لهم والشفقة عليهم والمكمل من سبقت رحمته غضبه كما أخبر الله سبحانه عن أكمل الخلفاء وسيد الأقطاب بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ولكن العارف إذا كان صاحب حال مثل الحلاج فرق بين نفسه ونفس غيره فعامل نفسه بالشدة والقهر والعذاب ونفس غيره بالإيثار والرحمة والشفقة. وأما إذا كان صاحب مقام وتمكين وقوة بأن عرف الفرق بين الحال والمقام صارت نفسه عنه أجنبية وارتفع هو علوياً وبقيت مع أبناء جنسها سفلية فلزمه العطف عليها كما لزمه العطف على غيرها لأن أدب العارف من ذي الولاية أنه إذا خرج بصدقة ولقي أول مسكين يليق لدفع الصدقة إليه يدفعها إليه البتة فإذا تركه إلى مسكين آخر ولم يدفع للأول فقد انتقل من ربه إلى هوى نفسه فإنها مثل الرسالة لا يخص بالدعوة شخصاً دون شخص فأول من يلقاه بقوله قل لا إله إلا الله فالولي الكامل خليفة الرسول فإذا وهب الباري للولي رزقاً يعلم أنه مرسل به إلى عالم النفوس الحيوانية فينزل من سماء عقله إلى أرض النفوس ليؤدي إليهم ذلك القدر الذي وجه به فأول نفس تستقبله نفسه لا نفس غيره لأن نفوس الغير ليست متعلقة به فلا تعرفه. وأما نفسه فمتعلقة به ملازمة بابه فلا يفتحه إلا عليها فتطلب أمانتها فيقدمها على غيرها بالإعطاء لأنها أول سائل وإلى هذا السر أشار الشارع ﷺ بقوله: «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول» والأقربون أولى بالمعروف لتعلقهم بك ولزومهم بابك ولا تعلق للغير بك ولا له ملازمة نفسك وأهلك فلما تأخروا أخروا كسائر أسرار الله تعالى متى خرج من عند الحق على باب الرحمة فأي قلب وجد سائلاً متعرضاً دفع إليه حظه من الأسرار والحكم على قدر ما يراقبه من التعطش والجوع والذلة والافتقار وهم خاصة الله وعلى هذا المقام حرض الشارع بقوله: «تعرضوا لنفحات الله سبحانه» وهذا سر الحديث ومراد الشرع فمن تأخر أخر ومن نسي نسي فانظر الآن كم بين المنزلتين والمقامين ثم انظر أيضاً إلى هذا المقام على علوه وسموه كيف اشترك في الظاهر مع أحوال العامة فإنهم أول ما يجودون فعلى نفوسهم ثم إلى غيرها وإنما تصرفهم تحت حكم هذه الحقيقة وهم لا يشعرون وبعماهم عن هذه الأسرار ونزولهم إلى حضيض البهائم بحيث لا يعرفون مواقع أسرار العالم مع الله حرصوا على الإيثار ومدحوا به وهو مقام الحلاج الذي ذكر عنه وظننت أنه غاية في الترقي والعلو وهكذا فلتعزل الحقائق وتحاك حلل الدقائق أهـ. كلام الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر والمسك الأذفر قدس سره الأطهر.

﴿ولا تقتلوا﴾ يا معشر العرب ﴿أولادكم﴾ [فرزندان شما] ﴿خشية إملاق﴾ مخافة الفقر ولا لغير مخافته إلا أن الحال اقتضت ذلك يقال أملق: افتقر وقتلهم أولادهم وأدهم بناتهم مخافة الفقر أي: دفنها حية فنهاهم الله تعالى عنه وضمن لهم أرزاقهم فقال: ﴿نحن نرزقهم

وإياكم﴾ لا غيرنا [پس غم روزى ايشان مخوريدكه هركرا اوجان دهد نان دهد]، سعدي:

خداوند كارى كه عبدى خريد بدارد فكيف آنكه عبد آفريد

ترا نيست اين تكيه بر كردكار كه مملوك را بر خداوند كار

قال هرم لأويس القرني رحمه الله: أين تأمرني أن أكون فأومأ إلى الشام فقال الهرم: كيف المعيشة بها قال أويس: أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها العظة **﴿إن قتلهم كان خطأ كبيرا﴾** ذنباً عظيماً لما فيه من هدم بنيان الله وقطع النسل. والخطىء كالإثم وزناً ومعنى من خطىء وقرىء خطا بفتحتين بالقصر والمد.

اعلم أن من أول هذه الآية إلى قوله تعالى: **﴿ملوما مدحورا﴾** عشر آيات وهو إشارة إلى تبديل عشر خصال مذمومة بعشر خصال محمودة. أما المذمومات فأولها البخل، وثانيها الأمل وهما في قوله تعالى: **﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾** فإن البخل وطول الأمل حملهم على قتل أولادهم فدلهم على تبديلهما بالسخاء والتوكل بقوله: **﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾**.

ـ يحكى ـ أن يحيى بن زكريا عليهما السلام لقي إبليس في صورته فقال له: يا إبليس أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك فقال: أحب الناس إلي المؤمن البخيل وأبغضهم إلي الفاسق السخي قال يحيى: وكيف ذلك؟ قال: لأن البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي أتخوف أن يطلع الله عليه في سخاه فيقبله ثم ولى وهو يقول: لولا أنك يحيى لم أخبرك. قالوا: ولا ينبغي أن يلجىء أهل بيته على الزهد بل يدعوهم إليه فإن أجابوا وإلا تركهم ووسع عليهم في دنياهم من غير خروج عن حد الاعتدال وفعل بنفسه ما شاء.

﴿ولا تقربوا الزنى﴾ بالقصر وإتيان المقدمات من القبلة والغمزة والنظر بالشهوة فضلاً عن أن تباشروه. وقرىء بالمد لغتان أو مصدر زانى زناء كقاتل قتالاً كما في «الكواشي» **﴿إنه﴾** أي: الزنى **﴿كان فاحشة﴾** فعلة ظاهرة القبح متجاوزة الحد وهو كالقتل فإن فيه تضييع الأنساب فإن من لم يثبت نسبه ميت حكماً **﴿وساء سبيلا﴾** أي: بئس طريق الزنى لأنه يجر صاحبه إلى النار وهو طريق أيضاً إلى قطع الأنساب وتهيج الفتن وفي الحديث: «إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان على رأسه كالظلة فإذا انقطع رجع إلى الإيمان».

ـ وروي ـ عن بعض الصحابة رضي الله عنه أنه قال: «إياكم والزنى فإن فيه ست خصال: ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة. فأما التي في الدنيا فنقصان الرزق يعني: تذهب البركة من الرزق ويصير محروماً من الخير ونقصان العمر والبغض في قلوب الناس فإنه يذهب بالبهاء. وأما الثلاث التي في الآخرة فغضب الرب وشدة الحساب والدخول في النار» وفي الخبر: «العينان تزنيان واليدان تزنيان»، وفي «المثنوي»:

مرغ زان دانه نظر خوش ميكند دانه هم از دور راهش مى زند

اين نظر ازدور چون تيرست وسم عشقت افزون مى شود صبرتوكم

واعلم أن غلبة الشهوة. تورث الزنى فالشهوة هي الثالثة من العشر المذمومة فتبدلها الله تعالى بالعفة حين نهاهم عن الزنية.

ـ حكي ـ أنه كان بالبصرة رجل معروف بالمسكي لأنه كان يفوح منه رائحة المسك فسئل عنه فقال: كنت من أحسن الناس وجهاً وكان لي حياء فقيل لأبي: لو أجلسته في السوق لانبسط مع الناس فأجلسني في حانوت بزاز فجاءت عجوز فطلبت متاعاً فأخرجت لها ما طلبت

فقالت: لو توجهت معي لثمنه فمضيت معها حتى أدخلتني في قصر عظيم فيه قبة عظيمة عليها سرير فإذا فيه جارية على فرش مذهبة فجذبتني إلى صدرها فقلت: الله فقالت: لا بأس فقلت: إني حاقب ودخلت الخلاء وتغوطت ومسحت به وجهي وبدني فقيل: إنه مجنون فخلصت ورأيت الليلة رجلاً قال لي: أين أنت من يوسف بن يعقوب ثم قال: أتعرفني قلت: لا قال: أنا جبريل ثم مسح يده على وجهي وبدني فمن ذلك الوقت يفوح المسك علي من رائحة جبريل عليه السلام وذلك ببركة العفة والتقوى. ولقي إبليس موسى عليه السلام فقال: يا موسى اذكرني حين تغضب فإن وجهي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقي الزحف فإني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره ولده وزوجته وأهله حتى يولي وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك ورسولك إليها كما في «آكام المرجان».

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله﴾ قتلها بأن عصمها بالإسلام أو بالعهد فدخل فيه الذمي والمعاهد. **﴿إلا بالحق﴾** استثناء مفرغ أي: لا تقتلوها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق أي: بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان وزنى بعد إحصان وقتل نفس معصومة عمداً **﴿ومن﴾** [هركه] **﴿قتل مظلوما﴾** غير مرتكب واحدة من هذه الثلاث **﴿فقد جعلنا لوليه﴾** لمن يلي أمره بعد وفاته من الوارث أو السلطان عند عدمه إذ هو ولي من لا ولي له **﴿سلطانا﴾** تسلطاً واستيلاء على القاتل إن شاء قتل وإن شاء أخذ الدية **﴿فلا يسرف﴾** أي: الولي **﴿في القتل﴾** أي: في أمر القتل بأن يجاوز الحد المشروع بأن يزيد عليه المثلة أو بأن يقتل غير القاتل من أقاربه وكانوا يقتلون غير القاتل إذا لم يكن القتل بواء أي سواء يقال فلان بواء لدم فلان أي سواء. قال الكاشفي: [درجاهليت چون كسى كشته شدى وارث قاتل اورا نكشتى بلكه قصد مهتر قبيله قاتل كردى] أو بأن يقتل الاثنين مكان الواحد كعادة الجاهلية كان إذا قتل منهم شريف لا يرضون بالقاتل بل بأن يقتلوا معه جماعة من أقاربه أو بأن يقتل القاتل في مادة الدية **﴿إنه﴾** أي: الولي **﴿كان منصورا﴾** ينصره الشرع والسلطان يعني أن الله ينصره بأن أوجب له القصاص والدية وأمر الحكام بإعانته في الاستيفاء أو الهاء للمقتول ونصره قتل قاتله وحصول الأجر له. فإن قلت: ما توبة القاتل عمداً؟ قلت: قال رسول الله ﷺ: «توبة القاتل عمداً في ثلاث إما أن يقتل وإما أن يعفى عنه وإما أن يؤخذ منه الدية أي: هذه الخصال فعل به فهي توبته» رواه أنس رضي الله عنه.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾ فضلاً عن أن تتصرفوا فيه **﴿إلا بالتي هي أحسن﴾** إلا بالخصلة والطريقة التي هي أحسن الخصال والطرائق وهي حفظه واستثماره. يعني: [معامله كنيدكه اصل مايه براى وى بما ندو ربح او بوصله معاش او نشيند] **﴿حتى﴾** غاية لجواز التصرف على الوجه

الأحسن المدلول عليه بالاستثناء. ﴿يبلغ أشده﴾ قوته وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين واحد جاء على بناء الجمع كآنك ولا نظير لهما كما في «القاموس». وقال في «بحر العلوم»: بلوغ الأشد بالإدراك وقيل إن يؤنس منه الرشد مع أن يكون بالغاً وآخره ثلاث وثلاثون سنة انتهى.

﴿وأوفوا بالعهد﴾ سواء جرى بينكم وبين ربكم أو بينكم وبين غيركم من الناس والإيفاء بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه بالمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل إلا بالباء فرقاً بينه وبين الإيفاء الحسي كإيفاء الكيل والوزن ﴿إن العهد كان مسؤولا﴾ مطلوباً يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفي به فمسؤولا من سألته الشيء أو كان مسؤولاً عنه على أن يكون من سألته عن الشيء فيكون من باب الحذف والإيصال فإن جعل الضمير بعد انقلابه مرفوعاً مستكناً في اسم المفعول كقوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [هود: ١٠٣] أي: مشهود فيه. وفي «الكواشي» أو يسأل حقيقة توبيخاً لناكثيه كسؤال الموؤودة لم قتلت توبيخاً لقاتلها فيكون تمثيلاً أي: جعل العهد متمثلاً على هيئة من يتوجه السؤال إليه كما تجعل الحسنات أجساماً نورانية والسيآت أجساماً ظلمانية فتوزن كما في «حواشي» سعدي المفتي ﴿وأوفوا الكيل﴾ أي: أتموه ولا تخسروه ﴿إذا كلتم﴾ وقت كيلكم للمشترين وتقييد الأمر بذلك لأن التطفيف هناك وأما وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة إلى الأمر بالتعديل قال تعالى: ﴿إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ﴾ [المطففين: ٢] ﴿وزنوا بالقسطاس﴾ وهو القرسطون أي: القبان وهو معرب كبان بمعنى الميزان العظيم أو هو كل ما يوزن به من موازين العدل صغيراً كان أو كبيراً. قال بعضهم: هو معرب رومي ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لانتظام المعربات في سلك الكلم العربية. وقال في «بحر العلوم»: والجمهور على أنه عربي مأخوذ من القسط وهو العدل وهو الأصح فإن كان من القسط وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس وإلا فهو رباعي على وزن فعلال ﴿المستقيم﴾ أي: العدل السوي ولعل الاكتفاء باستقامته عن الأمر بإيفاء الوزن لما أنه عند استقامته لا يتصور الجور غالباً بخلاف الكيل فإن كثيراً ما يقع التطفيف مع استقامة الآلة كما أن الاكتفاء بإيفاء الكيل عن الأمر بتعديله لما أن إيفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد أمر بتقويمه أيضاً في قوله تعالى: ﴿أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [هود: ٨٥] ﴿ذلك﴾ أي: إيفاء الكيل والوزن السوي ﴿خير﴾ لكم في الدنيا إذ هو أمانة توجب الرغبة في معاملته والذكر الجميل ﴿وأحسن تأويلا﴾ عاقبة تفعيل من آل إذا رجع والمراد ما يؤول إليه.

اعلم أن رابع الخصال العشر المذمومة الغضب وهي في قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ فإن استيلاء الغضب يورث القتل بغير الحق فبدله بالحلم في قوله: ﴿ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا﴾ وفي الحديث: «قرب الخلائق من عرش الرحمٰن يوم القيامة المؤمن الذي قتل مظلوماً رأسه عن يمينه وقاتله عن شماله وأوداجه تشخب دماً فيقول: رب سل هذا لِمَ قتلني فبم حال بيني وبين صلاتي فيقول الله تعست ويذهب به إلى النار». قال أنوشروان: أربع قبائح وهي في أربعة أقبح البخل في الملوك والكذب في القضاة والحدة في العلماء أي: شدة الغضب والوقاحة في النساء وهي قلة الحياء قيل الحلم حجاب الآفات. وخامسها: الإسراف فإن الإفراط في كل شيء يورث الإسراف فبدله بالقوام في قوله: ﴿فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا﴾ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: مر رسول الله

بسعد وهو يتوضأ فقال: «ما هذا السرف يا سعد» قال: أفي الوضوء سرف؟ قال: «نعم وإن كنت على نهر جار». وسادسها: الحرص وهو في قوله: ﴿**ولا تقربوا مال اليتيم**﴾ فإن التصرف في مال اليتيم من الحرص فبدله بالقناعة في قوله: ﴿**إلا بالتي هي أحسن**﴾ قيل لحكيم: ما بال الشيخ أحرص على الدنيا من الشاب؟ قال: لأنه ذاق من طعم الدنيا ما لم يذقه الشاب، قال الصائب:

ريشه نخل كهن سال ازجوان افزونترست   بيشتر دلبستكى باشد بدنيا پير را

وعن الثوري رحمه الله: من باع الحرص بالقناعة فقد ظفر بالغنى. وسابعها: نقض العهد فبدله بالوفاء به بقوله: ﴿**وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا**﴾ [سلمى آورده كه خدا يرا عهد هست بر جوارح آدمي بملازمت آداب وبرنفس او باداء فرائض وبردل او بخوف وخشيت وبرجان او بآنكه از مقام قرب دور نشود وبر سر او بآنكه مشاهده ما سوى نكند وازهر عهدي خواهند پرسيد]:

تاكسى از عهده آن عهد چون آيد برون

ولا شك أن إخوان الزمان ليس وفاء لا بحقوق الله تعالى ولا بحقوق الناس، حافظ:

وفا مجوى زكس ورسخن نمى شنوى   بهره ز طالب سيمرغ وكيميا ميباش

وثامنها: الخيانة فبدلها بالأمانة بقوله: ﴿**وأوفوا الكيل إذا كلتم**﴾ الآية. واحتضر رجل فإذا هو يقول: جبلين من نار جبلين من نار فسئل أهله عن عمله فقالوا: كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أتى رسول الله التجار فقال: «يا معشر التجار إن الله باعثكم يوم القيامة فجاراً إلا من صدق ووصل وأدى الأمانة» وفي «نوابغ الكلم» الأمين آمن والخائن حائن وهو من الحين بمعنى الهلاك ولله در القائل:

امين مجوى ومكو باكسى امانت عشق   درين زمانه مكر جبرائيل امين باشد

﴿**ولا تقف**﴾ أي: لا تتبع من قفا أثره يقفو تبعه ومنه سميت القافية قافية ﴿**ما ليس لك به علم**﴾ أي: لا تكن في اتباع ما لا علم لك به من قول أو فعل كمن يتبع مسلكاً لا يدري أنه يوصله إلى مقصده. قال الزمخشري وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لأن ذلك نوع من العلم فقد أقام الشرع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به انتهى. يعني أن الاعتقاد الراجح في حكم الاعتقاد الجازم للإجماع على وجوب العمل بالشهادة والاجتهاد في القبلة ونحو ذلك فلا دليل في الآية على من منع اتباع الظن والعمل بالقياس كالظاهرية ﴿**إن السمع**﴾ [بدرستى كه كوش] ﴿**والبصر**﴾ [وچشم] ﴿**والفؤاد**﴾ [ودل] ﴿**كل أولئك**﴾ أي: كل واحد من هذه الجوارح فأجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن أحوالها شاهدة على أصحابها ﴿**كان عنه**﴾ عن نفسه وعما فعل به صاحبه ﴿**مسؤولا**﴾ [پرسيده شده يعني از ايشان خواهند پرسيدكه صاحب شما باشما چه معامله كرده از سمع سؤال كنند چه شنيدى واز چشم پرسندكه چه ديدى وچرا ديدى واز دل پرسندكه چه دانستى وچرا دانستى]. قال في «بحر العلوم»: اعلم أن المراد بالنهي عن اتباع كل ما فيه جهل مما يتعلق بالسمع والبصر والقلب كأنه تعالى قال: لا تسمع كل ما لا يجوز سماعه ولا تبصر كل ما لا يجوز إبصاره ولا تعزم على كل ما لا يجوز لك العزم عليه لأن كل واحد منها يسأله الله تعالى ويجازيه ولم يذكر اللسان مع أنه من أعظمها لأن السمع يدل عليه لأن ما يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم وتلك

الحصائد من قبل المسموعات اللازمة للسمع. وفي الآية دلالة على أن العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية كما قال تعالى: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] أي: بما كسبت مما يدخل تحت الاختيار من خبائث أعمال القلب من حب الدنيا ومن الرياء والعجب والحسد والكبر والنفاق مثلاً وأما ما لا يدخل تحت الاختيار فلا يؤاخذ به ألا ترى إلى قوله عليه السلام: «عفى عن أمتي ما حدثت بها نفوسها». قال في «الأشباه والنظائر» حديث النفس لا يؤاخذ به ما لم يتكلم أو يعمل به كما في حديث مسلم وحاصل ما قالوه: إن الذي يقع في النفس من قصد المعصية على خمس مراتب: الهاجس وهو ما يلقى فيها ثم جريانه فيها وهو الخاطر ثم حديث النفس وهو ما يقع فيها من التردد هل يفعل أو لا ثم الهم وهو ترجيح قصد العمل ثم العزم وهو قوة ذلك القصد والجزم به فالهاجس لا يؤاخذ به إجماعاً لأنه ليس من فعله وإنما هو شيء أورد عليه لا قدرة له على رده ولا صنع والخاطر الذي بعده كان قادراً على دفعه بصرف الهاجس أول وروده ولكن هو وما بعده من حديث النفس مرفوعان بالحديث الصحيح وإذا ارتفع حديث النفس ارتفع ما قبله بالأولى. وقال بعض الكبار: جميع الخواطر معفوة إلا بمكة المكرمة ولهذا اختار عبد الله بن عباس رضي الله عنهما السكنى بالطائف احتياطاً لنفسه ثم هذه الثلاث لو كانت في الحسنات لم يكتب له بها أجر لعدم القصد وأما الهم فقد بين في الحديث الصحيح: «إن الهم بالحسنة يكتب حسنة والهم بالسيئة لا يكتب عليه سيئة وينتظر فإن تركها لله تعالى كتب حسنة وإن فعلها كتب سيئة واحدة» والأصح في معناه أنه يكتب عليه الفعل وحده وهو معنى قوله واحدة وأن الهم مرفوع وأما العزم فالمحققون على أنه يؤاخذ به ومنهم من جعله من الهم المرفوع. وفي «البزازية»: من كتاب الكراهية هم بمعصية لا يأثم إن لم يصمم عزمه عليه وإن عزم يأثم إثم العزم لا إثم العمل بالجوارح إلا أن يكون أمراً يتم بمجرد العزم كالكفر.

واعلم أن قوله تعالى: **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾** إشارة إلى تاسع الخصال العشر وهو الظلم وهو وضع الشيء في غير موضعه باستعمال الجوارح والأعضاء على خلاف ما أمر به فبدله بالعدل بقوله: **﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾** فظلم السمع استعماله في استماع الغيبة واللغو والرفث والبهتان والقذف والملاهي والفواحش وعدله استعماله في استماع القرآن والأخبار والعلوم والحكم والمواعظ والنصيحة والمعروف وقول الحق:

كذركاه قرآن وپندست كوش   به بهتان وباطل شنيدن مكوش

وظلم البصر النظر إلى المحرمات والشهوات وإلى من فوقه في دنياه وإلى من دونه في دينه وإلى متاع الدنيا وزينتها وزخارفها وعدله النظر في القرآن والعلوم وإلى وجه العلماء والصلحاء وإلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها وإلى الأشياء بنظر الاعتبار وإلى من دونه في دنياه وإلى من فوقه في دينه:

دوچشم از پى صنع بارى نكوست   نه عيب برا در فرو كيرو دوست

وقد ثبت عن علي رضي الله عنه أنه ما نظر إلى عورته وسوأته منذ ما تعلق نظره إلى رسول الله ﷺ بناء على أن الابصار الناظرة لوجهه عليه السلام لا يليق لها أن تنظر إلى السوأة فاعتبر وتأدب. ونظيره ما قال عثمان رضي الله عنه ما كذبت منذ أسلمت وما مسست فرجي

باليمين منذ بايعت النبي عليه السلام ولا أكلت الكراث ونحوه منذ قرأت القرآن وظلم الفؤاد قبول الحقد والحسد والعداوة وحب الدنيا والتعلق بما سوى الله تعالى وعدله تصفيته عن هذه الأوصاف الذميمة وتحليته بتبديل هذه الصفات والتخلق بأخلاق الله تعالى:

پـايـى بـيـفـشـان از آيـيـنـه كـرد   كـه صيقـل نـكـيـرد چـو زنـكـار خـورد

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾

﴿ولا تمش في الأرض﴾ التقييد لزيادة التقرير **﴿مرحا﴾** ذا مرح فهو مصدر وقع موقع الحال بمعنى التكبر والتبختر. قال الكاشفي: [مرحا رفتن خداوند تكبر يعني مخرام چنانكه متكبران خرامند] والمراد النهي عن المشي بالتكبر والتعظم **﴿إنك لن تخرق الأرض﴾** لن تجعل فيها خرقاً ونقباً بشدة وطأتك. **﴿ولن تبلغ الجبال طولا﴾** بتطاولك فالمراد به هو الطول المتكلف الذي يتكلفه المختال وهو تهكم بالمتكبر وتعليل للنهي بأن التكبر حماقة مجردة ولن ينال الإنسان بكبره وتعظمه شيئاً من الفائدة وهو أي: الكبر عاشر الخصال العشر فإن المشية بالخيلاء من الكبر فبدله بالتواضع بقوله: **﴿إنك لن تخرق﴾** الآية:

زخـاك آفـريـدت خـداونـد پـاك   پس اي بـنـده افـتـادكـى كـن چـوخـاك

وفي الحديث «من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان».

وجـود تـو شـهـريـسـت پـرنـيـك وبـد   تـو سـلـطـان ودسـتـور دانـا خـرد

هـمـا نـاكـه دونـان كـردن فـراز   دريـن شـهـر كـبـرسـت وسـودا وآز

چـو سـلـطـان عـنـايـت كـنـد بـابـدان   كـجـا مـانـد آسـايـش بـخـردان

وعن أبي هريرة أنه قال: «ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ كأنما الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله كأنما الأرض تطوى له إنا نجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث».

﴿كل ذلك﴾ إشارة إلى ما ذكر من الخصال الخمس والعشرين من قوله تعالى: **﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾** فهو نهي عن اعتقاد أن مع الله الهاً آخر وهو أولاها والثانية والثالثة قوله: **﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه﴾** فهو أمر بعبادة الله ونهي عن عبادة غيره والبواقي ظاهرة بعد الأوامر والنواهي **﴿كان سيئه﴾** يعني المنهي عنه وهو أربع عشرة خصلة فإن المأمور به حسن وهو إحدى عشرة ثلاث مستترة وثمان ظاهرة كما في «بحر العلوم» **﴿عند ربك مكروها﴾** المراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على أن الحوادث كلها واقعة بإرادته تعالى. فاندفع تمسك المعتزلة بالآية على مذهبهم في أن القبائح لا تتعلق بها الإرادة وإلا لاجتمع الضدان الإرادة والكراهة ووصف ذلك بمتعلق الكراهة مع أن البعض من الكبائر للإيذان بأن مجرد الكراهة عنده تعالى كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك ولذا كان المكروه عند أهل التقوى كالحرام في لزوم الاحتراز ومن لم يعرفه تعدى إلى دائرة الإباحية فتدبر وتحفظ وتأدب.

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا

ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿ذلك﴾ أي: الذي تقدم من التكاليف المفصلة ﴿مما أوحى إليك ربك﴾ أي: بعض منه أو من جنسه حال كونه ﴿من الحكمة﴾ التي هي علم الشرائع ومعرفة الحق لذاته وهو مقصود الحكمة النظرية وعمدتها والخير للعمل به وهي الحكمة العلمية أو من الأحكام المحكمة التي لا يتطرق إليها النسخ والفساد ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ الخطاب للرسول والمراد غيرة ممن يتصور منه صدور المنهي عنه وتكريره للتنبيه بأن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه فإن من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله أو تركه غيره ضاع سعيه وأنه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه علومه وحكمه وإن بدّ فيها أساطين الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضلّ من النعم وقد رتب عليه ما هو عائدة الإشراك في الدنيا حيث قيل: ﴿فتقعد مذموماً مخذولاً﴾ ورتب عليه ها هنا نتيجته في العقبى فقيل: ﴿فتلقى في جهنم ملوماً﴾ تلوم نفسك وتذمك وتلومك الناس والملائكة ﴿مدحوراً﴾ مطروداً مبعداً من رحمة الله ومن كل خير وهو تمثيل فإنه تعالى شبه من أشرك بالله استحقاراً له بخشبة يأخذها آخذ في كفه فيطرحها في التنور فالتوحيد أصل الحسنات والشرك أصل السيئات.

قال أهل التحقيق: إن كلمة لا إلٰه إلا الله إذا قالها الكافر تنفي ظلمة الكفر وتثبت في قلبه نور التوحيد وإذا قالها المؤمن تنفي عنه ظلمة النفس وتثبت في قلبه نور الوحدانية وإن من قالها في كل يوم ألف مرة فبكل مرة تنفي عنه شيئاً لم تنفه المرة الأولى ومقام العلم بالله لا ينتهي إلى الأبد، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

اى برادر بى نهايت دركهيست   هركجا كه ميرسى بالله مأيست

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: ما طابت الدنيا إلا بذكرك ولا الآخرة إلا بعفوك ولا الجنة إلا بلقائك، وفي الحديث: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم». والتوحيد إثبات الوحدة فأهله على الكمال من يفر من الكثرة إلى الوحدة. قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله: سمعت وصف وليّ في جبل فبت عند باب صومعته ليلة فسمعته يقول: إلٰهي إن بعض عبادك طلب منك تسخير الخلق فأعطيته مراده وأنا أريد منك أن لا يحسنوا معاملتهم معي حتى لا ألتجىء إلا إلى حضرتك حققنا الله وإياكم بحقائق هذا المقام وشرفنا بالفرار كل لحظة إلى جنابه العلام ومعنى الفرار إيثاره تعالى على ما سواه لأن علوّ الهمة إنما يظهر فيه.

ـ حكي ـ أن سلطاناً كان يحب واحداً من وزرائه أكثر من غيره فحسدوه وطعنوا فيه فأراد السلطان أن يظهر حاله في الحب فأضافهم في دار مزينة بأنواع الزينة ثم قال: ليأخذ كل منكم ما أعجبه في الدار، فأخذ كل منهم ما أعجبه من الجواهر والمتاع وأخذ الوزير المحسود السلطان، وقال: ما أعجبني إلا أنت. قال الحافظ:

كداى كوى تو ازهشت خلد مستغنيست   اسير عشق تو ازهر دوكون ازادست

يعني أن العاشق الصادق لا يختار إلا المعشوق ويصير حراً عن هوى غيره على كل حال

﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً﴾ خطاب للقائلين بأن الملائكة بنات الله وكان المشركون يستنكفون من البنات فيختارون لأنفسهم الذكور ومع ذلك ينسبون إليه تعالى الأناث فأنكر الله ذلك منهم. والإصفاء بالشيء جعله خالصاً والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يفسره المذكور وعبر عن البنات بالأناث إظهاراً لجهة خساستهن لأن الأنوثة أخس أوصاف الحيوان. والمعنى أفضلكم على جنابه فخصكم بأفضل الأولاد على وجه الخلوص وآثر لذاته أخسها وأدناها كما في قوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [النجم: ٢١] أي هذا خلاف الحكمة وما عليه عقولكم وعادتكم فإن العبيد لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها من الشوب ويكون أرداها وأدونها للسادات. قال الكاشفي: [ايا بركزيد شمارا پرورد كار شما به پسران وفرا كرفت براى خودرا ازملائكه دختران اين خلاف آنست كه عادت شما بران جارى شده كه ازدختران ننك ميداريد وبه پسران مى نازيد] ﴿إنكم لتقولون﴾ بإضافة الولد إليه تعالى ﴿قولا عظيماً﴾ لا يجترىء عليه أحد حيث تجعلونه من قبيل الأجسام المتجانسة السريعة الزوال ثم تضيفون إليه ما تكرهون من أخس الأولاد وتفضلون عليه أنفسكم بالبنين ثم تصفون الملائكة الذين هم من أشرف الخلق بالأنوثة التي هي أخس أوصاف الحيوان.

قال في «التأويلات النجمية»: قوله تعالى: ﴿أفأصفاكم﴾ الآية يشير إلى كمال ظلومية الإنسان وكمال جهوليته أما كمال ظلوميته فإنهم ظنوا بالله سبحانه أنه من جنس الحيوانات التي من خاصيتها التوالد وأما كمال جهوليته فإنهم لم يعلموا أن الحاجة إلى التوالد لبقاء الجنس فإن الله تعالى باق أبدي لا يحتاج إلى التوالد لبقاء الجنس ولم يعلموا أن الله منزه عن الجنس وليست الملائكة من جنسه فإنه خالق أزلي أبدي وأما الملائكة فهم المخلوقون ومن كمال الظلومية والجهولية أنهم حسبوا أن الله تعالى إنما أصفاهم بالبنين واختار لنفسه البنات لجهله بشرف البنين على البنات فلهذا قال تعالى: ﴿إنكم لتقولون قولا عظيما﴾ أي: قولاً ينبىء عن عظيم أمر ظلوميتكم وجهوليتكم ﴿ولقد صرفنا﴾ هذا المعنى وكررناه وبيناه. قال الكاشفي: [وبدرستى كردانيديم ومكرر ساختيم برآيت خودرا ازولد] ﴿في هذا القرآن﴾ على وجوه من التصريف في مواضع منه ﴿ليذكروا﴾ أي: ليذكروا ما فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه ﴿وما يزيدهم﴾ أي: والحال أنه ما يزيدهم ذلك التصريف البالغ ﴿إلا نفورا﴾ عن الحق وإعراضاً عنه. قال الكاشفي: [مكر رميدن ازحق ودورشدن].

﴿قل﴾ في إظهار بطلان ذلك من جهة أخرى ﴿لو كان معه﴾ تعالى ﴿آلهة كما يقولون﴾ أي: المشركون قاطبة والكاف في محل النصب على أنها وقعت صفة لمصدر محذوف أي: كوناً مشابهاً لما يقولون والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة ﴿إذاً﴾ [آنكاه] ﴿لابتغوا﴾ أي: طلبت تلك الآلهة ﴿إلى ذي العرش﴾ [بسوى خداوند عرش] أي: إلى من له الملك والربوبية على الإطلاق ﴿سبيلاً﴾ بالمغالبة والممانعة أي: ليغالبوه ويقهروه ويدفعوا عن أنفسهم العيب والعجز كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض يشير إلى أن الآلهة لا يخلو أمرهم من أنهم كانوا أكبر منه أو كانوا أمثاله أو كانوا أدون منه فإن كانوا أكبر منه طلبوا طريقاً إلى إزعاج صاحب العرش ونزع الملك قهراً وغلبة ليكون لهم الملك لا له كما هو المعتاد من الملوك.

فالآية إشارة إلى برهان التمانع على تصويرها قياساً استثنائياً استثنى فيه نقيض التالي وإن كانوا أمثاله لم يرضوا بأن يكون الملك واحداً مثلهم وهم جماعة معزولون عن الملك فأيضاً

نازعوه في الملك وإن كانوا أدون منه فالناقص لا يصلح للإلهية إذاً لابتغوا إلى ذي العرش الكامل في الإلهية سبيلاً للخدمة والعبودية والقربة فالآية إشارة إلى قياس اقتراني تصويره لو فرض معه آلهة لتقربوا إليه بالطاعة وكل من تقربوا إليه بها لا يكونون آلهة فما فرض آلهة لا يكون آلهة فلو مستعمل لمجرد الشرط لا للامتناع والمراد بالآلهة ما هو من أولي العلم كعيسى وعزير والملائكة كذا في «التأويلات النجمية» مع مزج من «حواشي» سعدي المفتي.

﴿سبحانه﴾ أي: تنزه بذاته تنزهاً حقيقياً به ﴿وتعالى﴾ متباعداً ﴿عما يقولون﴾ من أن معه آلهة وأن له بنات. قال في «بحر العلوم»: هو تنزيه وتعجيب من قولهم أي ما أبعد من له الملك والربوبية وما أعلاه عما يقولون ﴿علوا﴾ واقع موقع تعالياً كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [نوح: ١٧] أي: إنباتاً ﴿كبيرا﴾ لا غاية وراءه كيف لا وأنه سبحانه في أقصى غايات الوجود وهو الوجود الذاتي وما يقولون من أن له تعالى شركاء وأولاداً في أبعد مراتب العدم أعني الامتناع.

واعلم أن الله أحد في ذاته وواحد في صفاته والشرك إنما يجيء من التوهم فكما أن للمشركين آلهة بحسب توهمهم فكذا لضعفاء المؤمنين بحسب جهلهم وغفلتهم كما قال الدينوري في قوله تعالى: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] منهم من صنمه نفسه قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: ٤٣] ومنهم من صنمه زوجته في المحبة والإطاعة ومنهم من صنمه تجارته بأن اتكل عليها حتى ترك طاعة الله لأجلها.

- حكي - أن مالك بن دينار رحمه الله كان إذا قرأ في الصلاة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥] غشي عليه فسئل فقال: نقول إياك نعبد ونعبد أنفسنا أي: بإطاعة الهوى ونقول: إياك نستعين ونرجع إلى أبواب غيره:

اي تو بنده اين جهان محبوس جان چند كويى خويش راخواجه جهان
خدمت ديكر كنى هر صبح وشام وانكهى كويى كه من حق را غلام
بنده حق در درش باشد مقيم با خلوص واعتقاد مستقيم

فعلى العاقل أن يكرر ذكر التوحيد ويجدد العهد الذي بينه وبين ذي العرش المجيد فإنه سبب المغفرة والترقي إلى درجات الأبرار والمقربين كما لا يخفى على أرباب اليقين. وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله العرش وهو أعظم مخلوق اضطرب أربعة وعشرين ألف عام فأظهر الله أربعة وعشرين حرفاً وهو قول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فسكن أربعة وعشرين ألف عام حتى خلق الله أول خلق وأمره بالتوحيد فقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله فاضطرب العرش فقال الله اسكن فقال: كيف اسكن وأنت لا تغفر لقائلها فقال تعالى: أسكن فإني آليت على نفسي قبل أن خلقتك بألفي عام أن لا أجريها على لسان عبد إلا غفرت له» نسأل الله العفو والغفران.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾

﴿تسبح له السموات والأرض ومن فيهن﴾ التسبيح تنزيه الحق وتبعيده عن نقائص

الإمكان والحدوث وتسبيح السموات والأرض بلسان الحال الدال علي وجود الخالق وقدرته وحكمته وتسبيح من فيهن من الملائكة والجن والإنس بلسان القال الناطق بما يسمع منهم على أن المراد بالتسبيح معنى منتظم لما ينطق به لسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز وهو الاشتمال على ما يدل على التنزيه فإنه مشترك بين اللفظ الدال عليه وبين مثل الحدوث والإمكان الدال على تنزيه الله تعالى عن لوازم الإمكان وتوابع الحدوث ﴿وإن﴾ نافية أي: ما ﴿من شيء﴾ من الأشياء حيواناً كان أو نباتاً يدل على الصانع وقدرته وحكمته فإنها تنطق بذلك. قال الكاشفي: [تنزيه ميكند اورا ازسمات نقصان وستايش مينمايد بصفات كمال] ﴿إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ الفقه عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه أي: لا تفهمون أيها المشركون لإخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم التسبيح وهم وإن كانوا إذا سئلوا عن خالق السموات والأرض قالوا الله إلا أنهم لما جعلوا معه آلهة مع إقرارهم فكأنهم لم ينظروا ولم يقروا لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فإذن لم يفهموا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق ﴿إنه كان حليما﴾ ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما أنتم عليه من الإعراض عن التدبر في الدلائل والانهماك في الإشراك. والحلم تأخير مكافأة الظالم بالنسبة إلى الخالق والطمأنينة عند صورة الغضب بالنسبة إلى المخلوق ﴿غفورا﴾ لمن تاب منكم ورجع إلى التوحيد هذا ما عليه الزمخشري والبيضاوي وأبو السعود ومن يليهم من أهل الظاهر وهم الذين لهم عين واحدة وسمع واحد. وقال الشيخ علي السمرقندي قدس سره في «بحر العلوم»: ذهب السلف الصالح إلى أن التسبيح في الآية في المحلين محمول على حقيقته وهو الأصح فإنه إن كان كلام الجماد مسلماً فينبغي أن يكون تسبيحه أيضاً مسلماً. قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن». وعن ابن مسعود رضي الله عنه ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل على أن شهادة الجوارح والجلود مما نطق به القرآن الكريم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ [ص: ١٨] كان داود إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح. وقال مجاهد: كل الأشياء تسبح الله حياً كان أو جماداً وتسبيحاً «سبحان الله وبحمده». وعن المقداد بن معدي كرب أن التراب يسبح ما لم يبتل والخربزة تسبح ما لم ترفع من موضعها والورق ما دام على الشجر والماء ما دام جارياً والثوب ما دام جديداً فإذا اتسخ ترك التسبيح والوحش والطير إذا صاحت فإذا سكتت تركت التسبيح وفي الحديث: «ما اصطيد حوت في البحر ولا طائر يطير إلا بما يضيع من تسبيح الله» كما في «تفسير المدارك». وقال النخعي: كل شيء من جماد وحيّ يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف. وقال عكرمة: الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح والشجر أو النبات إذا قطع يسبح ما دام رطباً. قال في «الكواشي»: وهذا ممكن عقلاً وقدرة. وذكر في جنائز «الخلاصة» يكره قطع الحطب والحشيش الرطب من القبر من غير حاجة أي: لأنه يسبح. وفي «الملتقط»: مقبرة قديمة لم يبق من آثارها شيء ليس للناس أن ينتفعوا بها ولا بالبناء فيها ولا بإرسال الدابة في حشيشها.

قال في «فتح القريب» المجيب إذا حصلت البركة بتسبيح الجماد فالقرآن الذي هو أشرف الأذكار أولى بحصول البركة ولا سيما إذا كان من رجل صالح ولهذا استحب العلماء قراءة القرآن عند القبر. وهل يغرس الريحان أو الجريد على باب منزل القبر أو على قافية اللحد؟

الجواب: أنه ورد في الحديث مطلقاً فيحصل المقصود بأي موضع غرس في القبر. وكان عليه السلام يخطب مستنداً إلى جذع فصنع رجل منبراً ثلاث درجات وأراد النبي عليه السلام أن يقوم على المنبر فحنّ الجذع فرجع النبي عليه السلام إليه ووضع يده عليه وقال: «اختر أن أغرسك في المكان الذي كنت وتكون كما كنت وإن شئت أغرسك في الجنة فتشرب من أنهارها وعيونها فيحسن نبتك وتثمر فيأكل أولياء الله من ثمرك» فاختار الجنة والدار الآخرة على الدنيا فلما قبض النبي عليه السلام رفع إلى مكان ففني وأكلته الأرضة وقيل: دفن كما قال في «المثنوي»:

استن حنانه از هجر رسول	ناله مى زد همچوارباب عقول
كفت پيغمبر چه خواهى اي ستون	كفت جانم ازفراقت كشت خون
مسندت من بودم از من تاختى	بر سر منبر تو مسند ساختى
كفت خواهيكه ترا نخلى كنند	شرقي وغربي زتو ميوه چنند
يا در آن عالم ترا سروى كند	تا ترو تازه بمانى بى كزند
كفت آن خواهم كه دائم شد بقاش	بشنو اي غافل كم ازچوبى مباش
آن ستون را دفن كردانـدر زمين	تاچو مردم حشر كردد يوم دين
آنكه اورا نبود از اسرار داد	كى كند تصديق او ناله جماد

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جلس في مكان معه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فتناول النبي عليه السلام سبع حصيات فوضعن في كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد أبي بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ثم وضعهن في يد عمر ثم في يد عثمان فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل. وذكر عبد الله القرطبي أن داود عليه السلام قال: لأسبحن الله تعالى هذه الليلة تسبيحاً ما سبحه به أحد من خلقه فنادته ضفدع من ساقية في داره أتفخر على الله بتسبيحك وإن لي سبعين سنة ما جف لساني من ذكر الله وإن لي عشر ليال ما طعمت ولا شربت اشتغالاً بكلمتين فقال: وما هما؟ قالت: «يا مسبحاً بكل لسان ويا مذكوراً بكل مكان» فقال داود لنفسه وما عسى أن أقول أبلغ من هذا. وذكر الشيخ أبو عمرو في سبب توبته أني كنت ليلة على ظهري متوجهاً إلى السماء فرأيت خمس حمامات: إحداهن تقول: سبحان من عنده خزائن كل شيء وما ينزله إلا بقدر معلوم. والثاني تقول: سبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى. والثالثة تقول: سبحان من بعث الأنبياء حجة على خلقه وفضل عليهم محمداً ﷺ. والرابعة تقول: كل ما في الدنيا باطل إلا ما كان لله ولرسوله. والخامسة تقول: يا أهل الغفلة قوموا إلى ربكم رب كريم يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم فلما سمعت ذلك ذهبت عني فلما جئت إليّ وجدت قلبي خالياً عن حب الدنيا فلما أصبحت سلكت طريقاً بنية أن أسلم نفسي إلى مرشد فلقيت شيخاً ذا هيبة ووقار فبعد التسليم أقسمت بالله أن يخبرني من هو؟ فقال: أنا الخضر وقد كنت عند الشيخ عبد القادر وهو سيد العارفين في الوقت فقال لي: يا أبا العباس إن رجلاً أصابه جذبة إلهية ونودي من فوق السماء مرحباً بك عبدي وعاهد الله على أن يسلم نفسه إلى شيخ فائتني به ثم قال لي الخضر: فعليك بملازمته ثم وجدت نفسي ببغداد فلقيت الشيخ عبد القادر فقال لي مرحباً بمن جذبه مولاه بألسنة الطير وجمع له كثيراً من الخير وبالجملة فالتسبيح غير ممتنع من الجمادات بل هو كائن من الكائنات لا ينكره إلا منكر خوارق

العادات [درفتوحات مذكوراست كه اكر مراد ازين تسبيح آنست كه ايشان بلسان الحال كويند پس درايراد ولكن لا تفقهون تسبيحهم فائده نباشد] يعني أن قوله ولكن الخ يحقق أن المراد هو حقيقة التسبيح لا الدلالة على وحدانيته فالخطاب عند أهل الحقيقة في قوله: لا تفقهون عام للمسلمين والمشركين أي: لا تسمعون فلا تفقهون تسبيحهم لأنه ليس المقصود سماع اللفظ مجرداً بل التدبر فيه ليدرك ما أدى اللافظ فيسبح كما سبحه. قال في «الكواشي»: ﴿**ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾ لأنه ليس بلغتكم ويجوز أن يفهم تعالى بعض عباده تسبيح بعض الجمادات والعجماوات كداود وسليمان عليهما السلام. يقول الفقير: هذا التعليل غير مناسب لعموم الآية لأن لغات ما له أصوات مختلفة لا تفقه وإن كانت مسموعة ومن الأشياء ما ليس له صوت مسموع وقد أثبت له أيضاً تسبيح فافقه [سلمى از ابو عثمان مغربي قدس سرهما نقل ميكندكه تمام مكونات باختلاف لغات تسبيح الهي ميكويند اما آنرانشنود وفهم نكند مكر عالم رباني كه كوش دل او كشاده بود] ونعم ما قال:

بذكرش هرچه بيني درخروشت   دلى داند درين معنى كه كوشست
نه بلبل بركلش تسبيح خوانست   كه هر خارى بتسبيحش زبانست

وفي «الخصائص الصغرى» وخص عليه السلام بتسليم الحجر وبكلام الشجر وبشهادتها له ﷺ بالنبوة وإجابتها دعوته. قال السهيلي: يحتمل أن يكون نطق الحجر كلاماً مقروناً بحياة وعلم ويحتمل أن يكون صوتاً مجرداً غير مقترن بحياة. وقال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر أكثر العقلاء بل كلهم يقولون إن الجمادات لا تعقل فوقفوا عند بصرهم والأمر عندنا ليس كذلك فإذا جاءهم عن نبي أو ولي أن حجراً كلمه مثلاً يقولون خلق الله فيه العلم والحياة في ذلك الوقت والأمر عندنا كذلك بل سر الحياة سار في جميع العالم وقد ورد أن كل شيء سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد إلا من علم وقد أخذ الله بأبصار الإنس والجن عن إدراك حياة الجماد إلا من شاء الله كنحن وأضرابنا فإنا لا نحتاج إلى دليل في ذلك لكون الحق سبحانه قد كشف لنا عن حياتها عيناً وأسمعنا تسبيحها ونطقها وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلي إنما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله تعالى ولولا ما عنده من العظمة لما تدكدك [ودرباب ثانى عشر از سفر ثاني فتوحات فرموده كه ما بكوش خود شنيديم كه سنكى بزبان قال: ذكر ملك متعال كفت وباما خطاب كرد چون مخاطبه عارفان وسخنان آرا نموده كه هر آدمى آنرا درنيابد]. وقال في كتاب «الطريقة» له: إذا رأيت هؤلاء العوالم مشتغلين بالذكر الذي أنت عليه فكشفك خيالي غير صحيح وإنما ذلك خيالك أقيم لك في الموجودات وإذا شهدت في هؤلاء تنوعات الأذكار فهو الكشف الصحيح. قال بعض الكبار: كل معلوم حي لأنه يعطي العلم للعالم فكما أن نور الشمس ينور كل من يراه فكذلك الحي لذاته يحيى به كل من يراه فكل شيء به حي فالأشجار والجمادات لهن حياة عند أرباب الكشف وكلام يسمعه من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. قال حضرة الشيخ افتاده قدس سره: إن السالك يسمع حركات الأفلاك في أثناء سلوكه وذلك بقوة رياضية وقال خليفته حضرة الهدائي قدس سره: خرجت للوضوء وقت التهجد فسمعت الماء الجاري يقول بهذا الوزن يا دائم يا دائم يا دائم يا دائم ونظائره كثيرة لا تحصى. يقول الفقير: دعا حضرة شيخي وسندي روح الله روحه بعض الصوفية للإفطار وكان وقتئذٍ لا يفطر إلا على الماء والخبز. ثم لا يأكل إلا عشية الغد فقال:

هذا الخبز له روح حقاني فظاهره يرجع إلى الجسد وروحه يرجع إلى الروح فيتقوى به الجسم والروح جميعاً ولكل موجود روح إما حيواني أو حقاني فجسد الميت له روح حقاني أي: غير روحه الذي فارقه ألا ترى أن الله تعالى لو أنطقه لنطق فنطقه بإنطاق الله تعالى إنما هو لأن له روحاً حقانياً وقد جاء أن كل شيء يسبح بحمده وما هو إلا بكون المسبح ذا روح ولو كان حجراً أو شجراً أو غير ذلك، وفي «المثنوي»:

چون شما سوى جمادى مى رويد — محرم جان جمادان چون شويد
از جمادى عالم جانها يويد — غلغل اجزاى عالم بشنويد
فاش تسبيح جمادات آيدت — وسوسه تأويلها نر بايدت
چون ندارد جان تو قنديلها — بهر بينش كرده تأويلها
كه غرض تأويل ظاهر كى بود — دعوى ديدن خيال وغى بود
بلكه هر بيننده را ديدار آن — وقت عبرت ميكند تسبيح خوان
پس چواز تسبيح يادت مى دهد — آن دلالت همچو كفتن مى بود
اين بود تأويل أهل اعتزال — واى آنكس كوندارد نور حال
چون زحس بيرون نيامد آدمى — باشد از تصوير غيبي أعجمي

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿يسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن﴾ أي: ينزهه عما يقولون من كل نقيصة ذرات المكونات وأجزاء المخلوقات فمن له روح فبلسانه ولغته وهذا مما يفقه العقلاء وأما الجمادات فبلسان الملكوتي كما قال: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ أي: يحمده على نعمة الإيجاد والتربية ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ لأنه ليس من جنس تسبيحكم.

واعلم أن الله أثبت لكل ذرة من ذرات الموجودات ملكوتاً بقوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يس: ٨٣] والملكوت باطن الكون وهو الآخرة والآخرة حيوان لا جماد لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] فثبت بهذا الدليل على أن لكل ذرة من ذرات الموجودات لساناً ملكوتياً ناطقاً بالتسبيح والحمد تنزيهاً لصانعه وبارئه وحمداً له على ما أولاه من نعمه وبهذا اللسان نطق الحصى في يد النبي ﷺ وبهذا تنطق الأرض يوم القيامة كما قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ [الزلزلة: ٤] وبهذا اللسان تشهد أجزاء الإنسان وأبعاضه يوم القيامة ويقولون: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، وبهذا اللسان نطق السموات والأرض حين ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] فافهم جداً واغتنم ﴿إنه كان حليما﴾ في الأزل إذ أخرج من العدم من يتولد منه أن يتخذ مع الله آلهة أخرى ﴿غفورا﴾ لمن تاب عن مثل هذه المقالات انتهى. وقال القاشاني: اعلم أن لكل شيء خاصية لا يشاركه فيها غيره وكما لا يخصه دون ما عداه يشتاقه ويطلبه إذا لم يكن حاصلاً ويحفظه ويحبه إذا حصل فهو بإظهار خاصيته وتوحده في تلك الخاصية ينزهه تعالى عن الشريك فكأنه يقول بلسان الحال أوحده على ما وحدني وإلا لم يكن متفرداً بها متوحداً فيها وبطلبه كماله ينزهه عن صفات النقص كأنه يقول يا كامل كملني وبإظهار كماله بحمده ويقول أحمده على ما كملني حتى أن الحيوان في طلب الرزق يقول: يا رزاق ارزقني وبوجود الرزق يقول: أحمده على ما رزقني وبإشفاقه على ولده يقول: أرأفني الرؤوف وأرحمني الرحيم فالسموات السبع تسبحه وتنزهه عن العجز والفناء وتحمده بالديمومية

والعلو والتأثير والقدرة والبقاء والملك والربوبية وبأن كل يوم هو في شأن والأرض بالدوام والثبات والخلاقية والرزاقية وقبول الطاعة وأمثال ذلك والملائكة بالحياة والعلم والقدرة والمجردات منهم بالتنزه عن التعلق بالمادة والوجوب مع جميع ما ذكر منهم مع كونهم مسبحين إياه مقدسين له حامدين فإن كل ما يحمده بصفة كمالية ينزهه ويسبحه بمقابلها وكل مسبح عن نقصان يحمده بكمال يقابله فهم يسبحونه في عين التحميد ويحمدونه في عين التسبيح ولكون لا تفقهون تسبيحهم لقلة النظر والفكر في ملكوت الأشياء وعدم الإصغاء إليهم للغفلة وإنما يفقه من كان له قلب منور بنور التوحيد أو ألقى السمع وهو شهيد فإن القلب من عالم الملكوت فإذا تنور بنور التوحيد يفقه تسبيح الأشياء لأنه في عالمه أنه كان حليماً لا يعاجلكم بعقوبة ترك التسبيح في طلب كمالاتكم وإظهار خواصكم التي منها فهم تسبيح الأشياء وتوحيده كما وحدوه وغفوراً يغفر غفلاتكم وإهمالكم انتهى كلامه مع بعض تغييرات وزيادة والله الهادي إلى طريق حقيقة التسبيح والتوحيد لكل سالك مريد.

﴿وإذا قرأت القرآن﴾ [وچون مى خوانى قرآنرا] ﴿جعلنا بينك﴾ [مى سازيم ومى آريم ميان تو] ﴿وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ وهم كفار قريش وكانوا منكري البعث ﴿حجابا﴾ يحجبهم من أن يدركوك على ما أنت عليه من النبوة ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجترأوا على أن يقولوا إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً ﴿مستورا﴾ عن الحس بمعنى غير حسي مشاهد فمستور على موضوعه أو ذا ستر فصيغة مفعول للنسبة كقولهم سيل مفعم أي: ذو إفعام من أفعمت الإناء أي: ملأته هذا ما ذهب إليه المولى أبو السعود رحمه الله في هذه الآية. وقال في «الكواشي»: كان المشركون يؤذون النبي ﷺ مصلياً وجاءت أم لهب بحجر لترضخه فزل انتهى فيكون معنى قوله: ﴿وإذا قرأت القرآن﴾ وإذا صليت عبر عن الصلاة بالقرآن لاشتمالها عليه كما عبر عن الخطبة به على بعض الأقوال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠٤] الآية فيلزم أن تحمل الآية على خصوص المادة فهم إذاً لم يروا الحجاب فلا يرون المحتجب به فيسلم من أذاهم ولم يكن كذلك دائماً كما يدل عليه القواطع.

وقال سعدي المفتي: لعل الأولى أن يحمل على ما روي أنها أنزلت في أبي سفيان والنضير وأبي جهل وأم جميل امرأة أبي لهب كانوا يؤذون رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن فحجب الله أبصارهم إذا قرأ وكانوا يمرون به ولا يرونه انتهى. وهو ذهول عما بعد الآية في قوله تعالى: ﴿نحن أعلم بما يستمعون به﴾ كما يأتي مع ما فيه من الرواية وهو اللائح بالضمير في هذا المقام الخطير.

وفي الآية إشارة إلى أن من قرأ القرآن حق قراءته ارتقى إلى أعلى مراتب القرب كما جاء في الأثر: «إن عدد آي القرآن على عدد درج الجنة فمن استوفى جميع آي القرآن استولى على أقصى درج الجنة» واستيفاء جميع آي القرآن في الحقيقة هو التخلق بأخلاق القرآن فالقرآن من أخلاق الله وصفاته والمتخلق بأخلاقه يكون متخلقاً بأخلاق الله وهذا يكون بعد العبور عن الحجب الظلمانية والنورانية تمكنا في مقعد صدق عند مليك مقتدر فهو الذي جعل بينه وبين الذي لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ولم يقل ساتراً لأن الحجاب يستر الواصل عن المنقطع ولا يستر المنقطع عن الواصل فيكون الواصل بالحجاب مستوراً عن المنقطع كما في «التأويلات النجمية».

وفيه إشارة إلى أن من تحصن بكتابه فهو في حصن حصين والمضيع لوقته من تحصن بعلمه أو بنفسه فيكون هلاكه في موضع أمنه:

هركه او بيرون شد از حصن خدا جان او آخر شد از جسمش جدا

مرد حق بين كى كندتكيه بغير هر قضا چون از خدا آيد بسير

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أغطية كثيرة جمع كنان وهو الغطاء ﴿أن يفقهوه﴾ مفعول له أي: كراهة أن يفهموا القرآن على كنهه ويعرفوا أنه من عند الله تعالى وهو على رأي الكوفيين ولا يرضاه البصريون لقلة حذف لا بالنسبة إلى حذف المضاف وهذا تمثيل لتجافي قلوبهم عن الحق ونبوها عن قبوله واعتقاده كأنها في غلف وأغطية تحول بينها وبينه وتمنع من نفوذه فيها كما في «بحر العلوم» يقول الفقير: ذلك التجافي والنبو إنما هو من تراكم الحجب المعنوية على القلب والفطرة الأصلية وإن كانت مقتضية للفقه والإدراك والخروج إلى نور العلم لكن ظلمة تلك الحجب مانعة عن ذلك فالكلام وإن كان وارداً في صورة التمثيل لكنه على حقيقته في نفس الأمر ﴿وفي آذانهم وقرا﴾ صمماً ونقلاً مانعاً عن سماعه اللائق به وهو تمثيل لمج أسماعهم للحق ونبوها عن الإصغاء إليه كأن بها صمماً يمنع عن سماعه ولما كان القرآن معجزاً من حيث اللفظ والمعنى أثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى حق فهمه وإدراك اللفظ حق إدراكه ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾ أي: واحداً غير مشفوع به آلهتهم أي: إذا قلت لا إله إلا الله وهو مصدر وقع موقع الحال أصله تحده وحده بمعنى واحداً وحده أي: منفرداً فحذف الفعل الذي هو الحال وأقيم المصدر مقامه ﴿ولوا على أدبارهم﴾ [باز كردند كافران بربشتهاى خود] اي هربوا ونفروا ﴿نفورا﴾ هو مصدر كالقعود أو جمع نافر أي: أعرضوا ورجعوا حال كونهم نافرين والنفور [برميدن] كما في «التهذيب».

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿نحن أعلم بما يستمعون﴾ ملتبسين ﴿به﴾ من اللغو والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن فمحل به حال كما تقول يستمعون بالهزء أي: هازئين فالباء للملابسة ويجوز أن تكون للسببية أي: بسببه ولأجله.

ـ ويروى ـ أنه كان يقوم عن يمينه ﷺ إذا قرأ رجلان من عبد الدار وعن يساره رجلان

فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار. ﴿إذ يستمعون إليك﴾ ظرف لأعلم وفائدته تأكيد الوعيد بالاخبار بأنه كما يقع الاستماع المزبور منهم يتعلق به العلم لأن العلم يستفاد هناك من أحد وكذا قوله تعالى: ﴿وإذ هم نجوى﴾ لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع بل بما به التناجي المدلول عليه بسياق النظم. والمعنى نحن أعلم بالذي يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الأمور المذكورة وبالذي يتناجون به فيما بينهم ونجوى مرفوع على الخبر بتقدير المضاف أي: ذوو نجوى ﴿إذ يقول الظالمون﴾ بدل من إذ هم ووضع الظالمون موضع المضمر للدلالة على أن هذا القول منهم ظلم وتجاوز عن الحد. وفيه دليل على أن ما يتناجون به غير ما يستمعون به أي: يقول كل منهم للآخرين عند تناجيهم ﴿إن تتبعون﴾ أي: ما تتبعون إن وجد منكم الاتباع فرضاً ﴿إلا رجلا مسحورا﴾ أي: سحر فجنّ فمن ظلمهم وضعوا اسم المسحور موضع المبعوث.

﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ أي: مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون. قال الكاشفي: [بزدند براى تو مثلها وترا توصيف كردند بمجنون وساحر وكاهن وشاعر] ﴿فضلوا﴾ في جميع ذلك عن منهاج المحاجة ﴿فلا يستطيعون سبيلا﴾ إلى طعن يمكن أن يقبله أحد فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في أمر لا يدري ما يصنع ويأتون بما لا يرتاب في بطلانه أحد أو فضلوا عن الحق والرشاد فلا يستطيعون سبيلاً إليه لأنهم بالغوا في الضلالة والإنكار وكانوا مستمعين بالهوى فيستمعون الأساطير والسحر والشعر ولو استمعوا بالله لاستمعوا كلام الله وصفاته ولانحراف مزاجهم وحصول المرض في قلوبهم كانوا يتنفرون عند استماع ذكر الواحد الأحد بالوحدانية والوحدة ولا يجدون حلاوة التوحد بل يجدون منه المرارة لسوء المزاج. ومن هذا القبيل إكباب أهل الهوى في كل عصر على استماع القصص والأساطير معرضين عن كلام الله الملك العلي الكبير بل وأكثرهم لا يريد إلا المحادثة الدنيوية والمذاكرة العرفية والتعدي إلى أعراض الناس والاتباع إلى ما يوسوس به الوسواس الخناس والقدح في شأن أهل الحق الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر. وقد ورد في التوراة أنه تعالى قال: يا عبدي أما تستحيي مني إذا يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرأه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك منه شيء وهذا كتابي أنزلته إليك انظره كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت فيه عليك لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أو كنت أهون عليك من بعض إخوانك. يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغى إلى حديثه بكل قلبك فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل في حديثه أومأت إليه إن كف وها أنا إذن مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني أفجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك كذا في «الإحياء».

هركه تعظيم حق كند دائم ... شود از دل بامراو قائم

﴿وقالوا﴾ أي: الكفرة المنكرون للبعث من أهل مكة نسوا بداية خلقهم أنهم خلقوا من تراب بل أنهم خلقوا من لا شيء كقوله تعالى: ﴿خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩] فقالوا على سبيل الإنكار والاستبعاد ﴿أئذا كنا﴾ [آيا آنهنكام كه سويم ما بعد ازمرك بمرور زمان] ﴿عظاما﴾ استخوانها] ﴿ورفاتا﴾ هو ما بولغ في دقه وتفتيته ﴿أئنا لمبعوثون﴾ [آيابر انكيخته شد كان شويم] ﴿خلقا جديدا﴾ نصب على المصدر من غير لفظه أو على الحالية على

أن الخلق بمعنى المخلوق. قوله إذا متمحضة للظرفية وهو الأظهر والعامل فيها ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لأن ما بعد أن والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث أو نعاد وهو المرجع للإنكار أي: حياتنا بعد الموت محال منكر لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنافي وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيصه به فإنهم منكرون للاحياء بعد الموت وإن كان البدن على حاله بل لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إليه في حالة منافية له.

﴿**قل**﴾ جواباً لهم ﴿**كونوا حجارة**﴾ [سنك] ﴿**أو حديدا**﴾ [يا آهن]. ﴿**أو خلقا مما يكبر في صدوركم**﴾ يعظم عندكم من قبول الحياة لكونه أبعد شيء منها فإنكم مبعوثون ومعادون لا محالة أي: فإن قدرته تعالى لا تقصر عن إحيائكم لاشتراك الأجسام في قبول الأعراض فكيف إذا كنتم عظاماً مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشيء أقبل لما عهد فيه مما لم يعهد والأمر وارد على التمثيل يعني في المثل [كرديد بتن خود سنك يا آهن] كما في تفسير الكاشفي. وقال في «الكواشي» هو أمر تعجيز وتوبيخ لا أمر الزام. وقال في «بحر العلوم» ليس الأمر هٰهنا على حقيقته بل على المجاز لأن المقصود إهانتهم وقلة المبالاة بهم لا طلب كونهم حجارة أو حديداً لعدم قدرتهم على ذلك وما يكبر في صدورهم السموات والجبال. والجمهور على أنه الموت إذ ليس في النفس شيء أكبر من الموت أي: لو كنتم الموت بعينه لأميتكم ولأبعثكم ﴿**فسيقولون**﴾ [پس زود باشدكه كويند] ﴿**من**﴾ [كيست كه] ﴿**يعيدنا**﴾ يبعثنا بعد الموت. يعني [زنده سازد مارا پس ازمرك] وقد نسوا مبدأهم فلزمهم نسيان معادهم ﴿**قل الذي فطركم**﴾ أي: يعيدكم القادر العظيم الذي اخترعكم وأنشأكم ﴿**أول مرة**﴾ من غير مثال وكنتم تراباً ما شم رائحة الحياة فهو المبدىء والمعيد. يعني: [پس آنكه خاك را تواندجان داد در بدايت هم خاك را زنده تواند ساخت در نهايت] ﴿**فسينغضون إليك رؤوسهم**﴾ انغض حرك أي: سيحرّكونها نحوك تعجباً وإنكاراً ﴿**ويقولون**﴾ استهزاء ﴿**متى هو**﴾ أي: ما ذكرت من الإعادة فهو سؤال عن وقت البعث بعد تعيين الباعث ﴿**قل**﴾ لهم ﴿**عسى أن يكون**﴾ ذلك ﴿**قريبا**﴾ فإن كل آت قريب أو لأنه مضى أكثر الزمان وبقي أقله. قال في «بحر العلوم» أي: هو قريب لأن عسى في الأصل للطمع والإشفاق من الله تعالى واجب يعني أنه قرب وقته فقد قرب ما يكون فيه من الحساب والعقاب.

﴿**يوم يدعوكم**﴾ من الأجداث كما دعاكم من العدم ﴿**فتستجيبون**﴾ منها استجابة الأحياء أي: اذكروا يوم يبعثكم فتنبعثون وقد استعير لهما الدعاء والإجابة إيذاناً بكمال سهولة التأتي. وقال أبو حيان: والظاهر أن الدعاء حقيقة أي: يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الأخيرة كما قال: ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١] ومعنى فتستجيبون توافقون الداعي فيما دعاكم إليه كما قال الكاشفي: [بخواند شمارا اسرافيل در نفخه اخيره بجهت قيام ازقبور پس شما اجابت كنيد اسرافيل را]. وقال بعضهم: المقصود منها الإحضار للمحاسبة والجزاء. يقول الفقير: لا يخفى أن الدعوى متعددة فدعاء البعث والنشر ودعاء الحشر كما قال تعالى: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ﴾ [القمر: ٨] أي: مسرعين ودعاء الكتاب كما قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةًۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ﴾ [الجاثية: ٢٨] والمراد في هذا المقام هو الدعوة الأولى لأن الكلام في البعث ﴿**بحمده**﴾ حال من فاعل تستجيبون أي: حامدين لله تعالى على قدرته على البعث كما قال سعيد بن جبير: إنهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: سبحانك اللهم وبحمدك

فيقدسونه ويحمدونه حين لا ينفعهم ذلك.

وفي «الكواشي» «بحمده» أي: بإرادته وأمره كما قال الكاشفي: [در تفسير بصائر حمدرا بمعنى أمر داشت چنانچه درآيت فسبح بحمد ربك أي: صل بأمره پس معنى آيت چنين بودكه خداى شمارا بخواند بامر او واجابت كنيد اورا] ﴿وتظنون﴾ عندما ترون من الأمور الهائلة ﴿إن لبثتم﴾ أي: ما لبثتم في القبور أو في الدنيا ﴿إلا قليلا﴾ بالنسبة إلى لبثكم بعد الإحياء إلى الأبد. فإن قيل: كل أحد يستقصر مدة حياته في الدنيا ولو عمر أطول الأعمار. قلنا ذلك الاستقصار مع العلم بمدة العمر لطويل أمله وفي القيامة يذهل عن تلك المدة لشدة الهول. قال الكاشفي: [يعني زندكى خودرا دردنيا اندك شمريد نسبت بآن پس بايدكه خردمند آكاه نيز حيات دنيارا درجنب زندكى عقبى اندك شمرد واين اندك فانى را دركار آن بسيار باقى صرف كند تادران يوز بعذاب حسرت وندامت درنماند]. قال الشيخ سعدي قدس سره:

بدينـي تـوانـى كـه عـقـبـى خـرى بـخـرجـان مـن ورنـه حـسـرت خـورى
كـسـى كـوى دولـت زدنـيـا بـبـرد كـه بـاخـود نـصـيـبـي بـعـقـبـى بـبـرد

فلا بد من الاستعداد ليوم القيامة بالأعمال الصالحة والاجتناب عن المعاصي فإنه عما قريب يصير العلم عيناً.

واعلم أنك إذا مت فقد قامت قيامتك لأن الإنسان إذا مات فقد عاين أمر القيامة لأنه يرى الجنة والنار والملائكة ولا يقدر على عمل من الأعمال فصار بمنزلة من حضر يوم القيامة فختم على عمله بالموت فيقوم يوم القيامة على ما مات عليه فطوبى لمن كان خاتمته بخير. قال أبو بكر الواسطي ـ رحمه الله ـ: الدولة ثلاث دولة في الحياة وهي أن يعيش في طاعة الله تعالى، ودولة عند الموت وهي أن تخرج روحه بشهادة أن لا إله إلا الله، ودولة يوم القيامة وهو أن يأتيه البشير بالجنة حين يخرج من قبره ولا ريب في أن العاصي ومنكر البعث يأتيه النذير بالنار فلا بد من الطاعة والإقرار فإن الله تعالى يحيي الأرض بعد موتها وهو دليل على النشور، وفي «المثنوي»:

خـاك را ونـطـفـه را ومـضـغـه را پـيـش چـشـم مـا هـمـى دارد خـدا
كـز كـجـا آوردمـت اي بـدنـيـت كـه ازان آيـد هـمـني خـفـريـقـيـت
تـوبـدان عـاشـق بـدى در دور آن مـنـكـر ايـن فـضـل بـودى آن زمـان
ايـن كـرم چـون دفـع آن انـكـارتـست كـه مـيـان خـاك مـى كـردى نـخـست
حـجـت انـكـار شـد انـشـار تـو از دوابـدتـر تـرشـد ايـن بـيـمـارتـو
خـاك را تـصـويـر ايـن كـار از كـجـا نـطـفـه را خـصـمـى وانـكـار از كـجـا
چـون دران دم بـى دل وبـى سـربـدى فـكـرت وانـكـار را مـنـكـر بـدى
از جـمـادي چـونكـه انـكـارت بـرسـت هـم ازيـن انـكـار حـشـرت شـد درسـت
پـس مـثـال تـوچـوآن حـلـقـه زنـيـسـت كزدرونش خواجه كوبد خواجه نيست
حلقه زن زين نيست دريابدكه هست پـس ز خـلـقـه بـر نـدارد هـيـچ دسـت
پـس هـم انـكـارت مـبـيـن مـيـكـنـد كـز جـمـاد او حـشـر صـدفـن مـيـكـنـد

﴿وقل﴾ يا محمد ﴿لعبادي﴾ أي: المؤمنين ﴿يقولوا﴾ أي: للمشركين عند محاورتهم معهم بني على حذف النون لما كان بمعنى الأمر كما بني الاسم المتمكن في النداء في قولك يا

زيد على الضمة لما أشبه قبل وبعد ﴿التي﴾ أي: الكلمة التي ﴿هي أحسن﴾ ولا يخاشنوهم كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

قال في «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن اختصاص بعض العباد بتشريف الإضافة إلى نفسه يؤدي إلى تأثير نظر العناية فيهم فيخرج منهم القول الأحسن والفعل الأحسن والخلق الأحسن. أما القول الأحسن فهو الدعاء إلى الله بلا إله إلا الله مخلصاً. وأما الفعل الأحسن فهو ما كان على قانون الشريعة وآداب الطريقة متوجهاً إلى عالم الحقيقة. وأما الخلق الأحسن فهو مع الله بأن يسلم وجهه لله محسناً في طلبه ومع الخلق بأن يحسن إليهم بلا طمع في الإحسان والشكر منهم ويتجاوز عن إساءتهم إليه ويعيش فيهم بالنصيحة يأمرهم بالمعروف بلا عنف وينهاهم عن المنكر بلا فضيحة ﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ يقال: نزغ بينهم أفسد وأغرى ووسوس أي: يفسد ويهيج الشر والمراء بينهم فلعل المخاشنة بهم تفضي إلى العناد وازدياد الفساد.

وفي «التأويلات ﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ إذا لم يعيشوا بالنصيحة فينبغي لعقلاء كل زمان أن يكونوا في باب النصيحة مثل الأصحاب رضي الله عنهم بحيث إن حالهم ومعاملتهم مع أهالي زمانهم لا يتفاوت على حالهم لو كانوا في زمن الرسول ﷺ ﴿إن الشيطان كان﴾ قدماً ﴿للإنسان عدوا مبينا﴾ ظاهر العداوة لا يزيد صلاحهم أصلاً بل يريد هلاكهم وقد أبان عداوته لهم إذا خرج أباهم من الجنة ونزع عنه لباس النور.

﴿ربكم﴾ أيها المشركون ﴿أعلم بكم﴾ منا ﴿إن يشأ يرحمكم﴾ بالتوفيق للإيمان ﴿أو إن يشأ يعذبكم﴾ بالإماتة على الكفر فهو تفسير للتي هي أحسن وما بينهما اعتراض أي: قولوا لهم هذه الكلمة وما يشاكلها ولا تصرحوا بأنهم من أهل النار فإنه مما يهيجهم على الشر مع أن العاقبة مما لا يعلمه إلا الله فعسى يهديهم إلى الإيمان هذا ما ذهب إليه صاحب الكشاف وتبعه البيضاوي وأبو السعود رحمهما الله. وقال الجمهور: المراد بالتي هي أحسن هي المحاورة الحسنة بحسب المعنى والرحمة الإنجاء من كفار مكة وأذاهم والتعذيب تسليطهم عليهم فيكون الخطاب في ربكم للمؤمنين.

وفي «التأويلات»: هو أعلم بمن جعله منكم مظهر صفة لطفه ورحمته فيرحمه ويخلصه من إضلال الشيطان وإغوائه وبمن جعله منكم مظهر صفة قهره وعذابه فيعذبه بإضلاله وإغوائه ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلا﴾ موكولاً إليك يا محمد أمورهم ومفوضاً تجبرهم على الإيمان كما قال: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] وإنما أرسلناك بشيراً ونذيراً فدارهم ومر أصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المخاصمة وعنه عليه السلام: «إن الله أمرني بمداراة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض»، حافظ:

اسايشى دوكيتى تفسير اين دوحرفست ... بادوستان تلطف بادشمنان مدارا

كما قال بعضهم في عيش الإنسان الكامل: [باخدا بصدق. وباخلق بانصاف. وبانفس بقهر. وبازير دستان بشفقت. وبابزركان بحرمت. وبادوستان بنصيحت. وبادشمنان بمدارا. وباعلما بتواضع. وبادرويشان بسخا. وباجاهلان بخاموشى].

﴿وربك أعلم بمن في السموات والأرض﴾ وتفاصيل أحوالهم الظاهرة والباطنة التي بها يستأهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوته وولايته من يستحقه وهو رد لاستبعاد قريش

أن يكون يتيم أبي طالب نبياً وأن يكون العراة الجوع أصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون أن يكون ذلك في بعض الأكابر والصناديد وذكر من في السموات لإبطال قولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [الفرقان: ٢١] وذكر من في الأرض لرد قولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] أي: من إحدى القريتين مكة والطائف كالوليد بن المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود الثقفي وقيل غيرهما.

وفي «التأويلات»: هو أعلم بمن جعل منهم مظهر صفة لطفه ومن جعل منهم مظهر صفة قهره في السموات كالملائكة وإبليس والأرض كالمؤمنين والكافرين ﴿**ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض**﴾ قال البيضاوي وتبعه أبو السعود أي: بالفضائل النفسانية والتبري من العلائق الجسمانية لا بكثرة الأموال والاتباع حتى داود فإنه شرفه بما أوحي إليه من الكتاب لا بما أوتي من الملك انتهى. يقول الفقير: هذا صريح في أنهم متفاضلون في معنى التبري من العلائق الجسمانية وهو خطأ فإن تفاضلهم في ذلك إنما هو على من عداهم من أفراد الأمة لا على إخوانهم الأنبياء وتحقيقه أنه ليس فيهم العلائق الروحانية لمنافاتها الوصول إلى الله تعالى والأخذ من عالم القدس ولذا قالوا: باب العلم بالله لا ينفتح وفي القلب لمحة للعالم بأسره الملك والملكوت وأما العلائق الجسمانية كالملك وكثرة الأزواج والأولاد ونحو ذلك فهي وعدمها سواء بالنسبة إليهم فعيسى ويحيى عليهما السلام مع ما هما عليه من الزهد والتجرد لا فضيلة لهما في ذلك على داود وسليمان عليهما السلام مع ما هما عليه من الملك وكثرة الأزواج وإسناد العلاقة إليهم ولو صورة ليس من الأدب فالوجه أن التفضيل إنما هو بالكتاب والرسالة والخلة والتكليم والمعراج والرؤية والشفاعة ونحو ذلك كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] الآية والقرآن يفسر بعضه بعضاً. قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر فضل سليمان عليه السلام بالظهور بمجموع الملك وعيسى بالكلام في المهد والتأييد بروح القدس وإحياء الموتى وخلق الطين طيراً بالإذن ونحو ذلك وموسى بالتكليم واليد والعصا وفرق البحر وانفجار الحجر ونحوها وفضل صالح بخروج ناقة من الحجر ونحوها وهود بالريح العقيم وإبراهيم بالنجاة من النار ونحو ذلك ويوسف بالجمال وتأويل الرؤيا ولما تفاضل استعدادهم لتمام التجلي من حيث النبوة تفاضلوا أيضاً فإنه ليس في الوجود إلا متغذ مرزوق وقد فضل الله بعض المرزوقين على بعض والرزق حسي للجسوم وعقلي للأرواح كالعلوم فأما من حيث ولايتهم الذاتية واستنادهم إلى الله تعالى فهم نفس واحدة فلا فاضل ولا مفضول ولذا قال عليه السلام: «لا تفضلوني بين الأنبياء» ﴿**وآتينا داود زبورا**﴾ تفضيلاً له كان زبور داود مائة وخمسين سورة ليس فيها حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود بل تمجيد وتحميد ودعاء نكر زبورا هنا وعرفه في الأنبياء حيث قال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] لأنهما واحد كعباس والعباس.

وفي «التأويلات النجمية»: قوله: ﴿**ولقد فضلنا**﴾ الآية يشير إلى أن الحكمة الأزلية اقتضت ارتفاع درجات المقبولين واتضاع دركات المردودين فإنهما مظاهر صفة اللطف والقهر ولكل واحد من اللطف والقهر نصيب منه حكمة بالغة في إظهار كمالات اللطف والقهر من الأزل إلى الأبد وفضلنا الأنبياء بعضهم على بعض بارتفاع المكان في القربة وقبول أثر نظر العناية على حسب سرايته في الأمة وخيريتها ألا ترى أنه عليه السلام لما كان أفضل الأنبياء

كانت أمته خير الأمم وكتابه أفضل الكتب ففي قوله: ﴿وآتينا داود زبورا﴾ إشارة إلى أن فضل النبي ﷺ على داود بقدر فضل القرآن على الزبور انتهى. وقد نعت الله نبينا عليه السلام وأمته المرحومة في جميع الكتب المتقدمة.

أي وصف تو در كتاب موسى ... وى نعت تو در زبور داود
مقصود تويى ز آفرينش ... باقي بطفيل تست موجود

وفضله الله بكثرة الاتباع أيضاً كما قال عليه السلام: «أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها أمتي». وفي «جامع الأصول»: عن الزهري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ يتذاكرون وهم ينتظرون خروجه فخرج حتى دنا منهم فسمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم: عجباً إن الله تعالى اتخذ من خلقه خليلاً اتخذ إبراهيم خليلاً وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليماً وقال آخر ماذا بأعجب من جعل عيسى كلمة الله وروحه فقال آخر: ماذا بأعجب من آدم اصطفاه الله عليهم فسلم رسول الله ﷺ على أصحابه وقال: «قد سمعت كلامكم وأعجبكم أن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وأن موسى نجي الله وهو كذلك وأن عيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وأن آدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر وأنا أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح الله فأدخلها ومعي فقراء المهاجرين ولا فخر» وفي الحديث «إن الله اختارني على الأنبياء واختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار من أصحابي أربعاً: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً» ـ رضي الله عنهم ـ كما في «بحر العلوم»، قال المولى الجامي قدس سره:

خدا بر سروران سرداريش داد ... ز خيل انبيا سا لا ريش داد
پى ديوار ايمان بود كارش ... شد اورا چار ركن از چار يارش

فكما أن البيت يقوم بالأركان الأربعة فكذا الدين يقوم بالخلفاء الأربعة ولذلك قال عليه السلام: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» لأنهم أصول بالنسبة إلى من عداهم من المؤمنين.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾

﴿قل ادعوا﴾ [بخوانيد اي مشركان مكه] ﴿الذين زعمتم﴾ أنهم آلهة ﴿من دونه﴾ أي: متجاوزين الله تعالى كالملائكة والمسيح وأمه وعزير ﴿فلا يملكون﴾ فلا يستطيعون ﴿كشف الضر عنكم﴾ إزالة نحو المرض والفقر والقحط ﴿ولا تحويلا﴾ ولا تحويله ونقله منكم إلى غيركم من القبائل.

﴿أولئك الذين يدعون﴾ أولئك مبتدأ صفته الذين وخبره يبتغون أي: أولئك الآلهة الذين يدعونهم المشركون من المذكورين ﴿يبتغون﴾ يطلبون لأنفسهم ﴿إلى ربهم﴾ ومالك أمورهم ﴿الوسيلة﴾ أي: القربة بالطاعة والعبادة. قال الكاشفي: [وسيلتى ودست آويزى يعني تقرب ميكنند بطاعت وعبادت او بحضرت او جل جلاله] ﴿أيهم أقرب﴾ بدل من واو يبتغون وأي

موصولة أي: يبتغي من هو أقرب إلى الله منهم الوسيلة فكيف بمن دونه من غير الأقرب [يعني آنهاكه مقربان در كاهند از ملائكة وغير ايشان توسل ميكنند بحق سبحانه پس غير مقرب خود بطريق اولى كه وجه توجه بدان حضرت آورد]. قال في «الكواشي»: أو أيهم استفهام مبتدأ خبره أقرب والجملة نصب بيدعون. والمعنى يطلبون القرب إليه تعالى لينظروا أي: معبوديهم أقرب إليه فيتوسلوا به تلخيصه آلهتهم أيضاً يطلبون القرب إليه تعالى ﴿ويرجون رحمته﴾ بالوسيلة ﴿ويخافون عذابه﴾ بتركها كدأب سائر العباد فأين هم من كشف الضر فضلاً عن الإلهية ﴿إن عذاب ربك كان محذورا﴾ حقيقياً بأن يحذره كل أحد حتى الرسل والملائكة وإن لم يحذره العصاة لكمال غفلتهم بل يتعرضون له وتخصيصه بالتعليل لما أن المقام مقام التحذير من العذاب. فعلى العاقل أن يترك الاعتذار ويحذر من بطش القهار. عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال لعمر رضي الله عنه حين طعن يعني: [نيزه زده] يا أمير المؤمنين أسلمت حين كفر الناس وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس وتوفي رسول الله وهو عنك راض ولم يختلف عليك اثنان وقتلت شهيداً قال عمر رضي الله عنه: المغرور من غررتموه والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع أي: القيامة وما بعد الموت لأن المرء يطلع فيه على عمله ويلقى أموراً هائلة. قال بعض الحكماء: الحزن يمنع الطعام والخوف يمنع الذنوب والرجاء يقوي على الطاعات وذكر الموت يزهد عن الفضول والخوف والرجاء إنما يكونان من الله تعالى لأن المعبود مفيض الخير والجود. وأما الأنبياء وورثتهم الكمل فوسائط بين الله تعالى وبين الخلق ولا بد من طاعتهم من حيث نبوتهم ووراثتهم ومن التقرب إليهم لتحصيل الزلفى، وفي «المثنوي»:

از انس فرزند مالك آمده است ... كه بمهمانى او شخصى شده است
او حكايت كرد كز بعد طعام ... ديد انس دستار خوانرا زرد فام
چركن وآلوده كفت اي خادمه ... اندر افكن در تنورش يكدمه
در تنور پرز آتش در فكند ... آن زمان دستار خوانرا هو شمند
جمله مهمانان دران حيران شدند ... انتظار دور كندورى بدند
بعد يكساعت در آورد از تنور ... پاك واسپيد وازان اوساخ دور
قوم كفتند اي صحابي عزيز ... چون نه سوزيد ومنقى كشت نيز
كفت زانكه مصطفى دست ودهان ... پس بماليد اندرين دستار خوان
اي دل ترسنده از نار وعذاب ... با چنان دست ولبى كن اقتراب
چون جمادى را چنين تشريف داد ... جان عاشق را چها خواهد كشاد
مر كلوخ كعبه را چون قبله كرد ... خاك مردان باش اي جان درنبرد

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿وإن﴾ نافية ﴿من﴾ استغراقية ﴿قرية﴾ [ديهى وشهرى]. قال المولى أبو السعود رحمه الله: المراد بها القرية الكافرة أي: ما من قرية الكفار ﴿إلا نحن مهلكوها﴾ أي: مخربوها البتة

بالخسف بها أو باهلاك أهلها بالكلية لما ارتكبوا من عظائم المعاصي الموجبة لذلك ﴿قبل يوم القيامة﴾ لأن الهلاك يومئذٍ غير مختص بالقرى الكافرة ولا هو بطريق العقوبة وإنما هو لانقضاء عمر الدنيا ﴿أو معذبوها﴾ أي: معذبو أهلها على الإسناد المجازي ﴿عذابا شديدا﴾ بالقتل والقحط والزلازل ونحوها من البلايا الدنيوية والعقوبات الأخروية لأن التعذيب مطلق عما قيد به الإهلاك من قبلية يوم القيامة وكثير من القرى العاصية قد أخرت عقوباتها إلى يوم القيامة هذا ما ذهب إليه المولى أبو السعود رحمه الله. يقول الفقير: لا يخفى أن هذا التعميم لا يناسب سوق الآية وقيد القبلية معتبر في الشق الثاني أيضاً وهو لا ينافي العذاب الشديد الواقع بعد يوم القيامة حسبما أفصح عنه القاطع فالوجه حمل الإهلاك على الاستئصال والتعذيب على أنواع البلية التي هي أشد من الموت وعمم في «بحر العلوم» القرية يدل عليه إيراده قوله عليه السلام: «إن أمتي أمة مرحومة إنما جعل عذابها في القتل والزلازل والفتن» وقوله عليه السلام: «إن حظ أمتي من النار بلاها تحت الأرض» وقد قيل: الهلاك للقرى الصالحة والعذاب للطالحة قالوا: خراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من الجوع وخراب البصرة من الغرق وخراب أيلة من العراق وخراب الجزيرة من الجبل وخراب الشام من الروم وخراب مصر من انقطاع النيل وخراب الاسكندرية من البربر وخراب الأندلس من الروم وخراب فارس من الزلازل وخراب أصفهان من الدجال وخراب نهاوند من الجبل وخراب خراسان من حوافر الخيل وخراب الري من الديلم وخراب الديلم من الأرمن وخراب الأرمن من الخزر وخراب الخزر من الترك وخراب الترك من الصواعق وخراب السند من الهند وخراب الهند من أهل السد يأجوج ومأجوج.

- وروي - عن وهب بن منبه أن الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب أرمينية وأرمينية آمنة حتى تخرب مصر ومصر آمنة حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة وإذا كانت الملحمة الكبرى فتحت قسطنطينية على يدي رجل من بني هاشم ﴿كان ذلك﴾ الذي ذكر من الإهلاك والتعذيب ﴿في الكتاب﴾ أي: اللوح المحفوظ ﴿مسطورا﴾ مكتوباً لم يغادر منه شيء إلا بين فيه كيفياته وأسبابه الموجبة له ووقته المضروب له وفي الحديث «أول شيء خلق الله القلم من نور فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين والقلم مسيرة خمسمائة عام واللوح مثله فقال للقلم أجر فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة برها وفاجرها رطبها ويابسها فصدقوا بما بلغكم عن الله من قدرته» وفي الحديث «أول ما خلق الله القلم بيده ثم خلق النون وهو الدواة ثم قال: اكتب فقال: وما أكتب؟ قال: ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة ثم ختم على فم القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة» رواه ابن عباس رضي الله عنهما.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وإن من قرية﴾ أي: قرية قالب الإنسان ﴿إلا نحن مهلكوها﴾ بموت قلبه وروحه ﴿قبل يوم القيامة﴾ أي: قبل موت القالب فإن من مات فقد قامت قيامته ﴿أو معذبوها﴾ بصب البلاء والمحن والأمراض والعلل والمصائب والنقص في الأموال والأنفس وأنواع الرياضات والمجاهدات ومخالفات الهوى بالاختيار والاضطرار ﴿عذابا شديدا﴾ فإن الفطام من المألوفات شديد ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾ من الأزل عزة وعظمة وكبرياء وجبروتاً فلا يصل السائر الصادق المحب إلى سرادقات جلاله شوقاً إلى جماله إلا بعد العبور على العقبة الكؤود ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾ [البلد: ١١-١٢] فلما كان حال البلوغ إلى بيته قوله: ﴿لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النحل: ٧] فكيف يكون

حال أهل الوصول إليه ولهذا قال ﷺ: «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت» فلما لم يصل أحد إلى مقامه الذي وصل ما أوذي أحد في السير إلى الله والسير في الله والسير بالله مثل ما أوذي ﷺ وإيذاء السائرين بإذاية وجودهم في السير ففي السير إلى الله ذوبان الأفعال وفي السير في الله ذوبان الصفات وفي السير بالله ذوبان الذات فافهم جداً، سعدي:

جفا نبرده چه دانى توقدر يار تحصيل كام دل بتكاپوى خوش ترست

حافظ:

مكن زغصه شكايت كه در طريق طلب برا حتى نرسيد آنكه زحمتي نكشيت

وقال:

خام را طاقت پروانه پرسوخته نيست ناز كانرا نرسد شيوه جان افشانى

اللهم اجعلنا من أهل الصبر على البلاء وارزقنا من غنائم أهل الولاء.

﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ الباء مزيدة أي: وما صرفنا عن إرسال الآيات التي اقترحها قريش من إحياء الموتى وقلب الصفا ذهباً ورفع جبال مكة لتنبسط الأرض وتصلح للزراعة وإجراء الأنهار لتحصل الحدائق ونحو ذلك. ﴿إلا أن كذب بها الأولون﴾ استثناء مفرغ من أعم الأشياء أي: وما منعنا عن إرسالها شيء من الأشياء إلا تكذيب الأولين الذين هم أمثالهم في الطبع كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا تكذيب أولئك واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا أن لا نستأصلهم لأن فيهم من يؤمن أو يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الأمم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال: ﴿وآتينا ثمود الناقة﴾ وهو عطف على ما يفصح عنه النظم الكريم كأنه قيل: وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون حيث آتيناهم ما اقترحوا من الآيات الباهرة فكذبوها وآتينا ثمود الناقة بسؤالهم ﴿مبصرة﴾ بينة ذات أبصار على أن يكون للنسبة فالتاء للمبالغة وأسند إليها حال من يشاهدها مجازاً ﴿فظلموا بها﴾ فكفروا بها ظالمين أي: لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر وظلموا أنفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما أن ثمود عرب مثلهم وأن لهم من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون آثار هلاكهم وروداً وصدوراً ﴿وما نرسل بالآيات﴾ المقترحة ﴿إلا تخويفا﴾ من نزول العذاب المستأصل كالطليعة له فإن لم يخافوا نزل أو بغير المقترحة كالمعجزات وآثار القرآن إلا تخويفاً بعذاب الآخرة فإن أمر من بعثت إليهم مؤخر إلى يوم القيامة كرامة لك. قيل: إن الرسول عليه السلام هو الأمان الأعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فإذا أماتوها أماتهم الله وأهلكهم إذ لهذه الأمة نصيب من عذاب الدنيا بقدر حالهم وذلك في أواخر الزمان كما سبق في المجلس السابق. ومنه الزلازل والمخاوف والطاعون فإنه زجر لأهل الفسق وتسلط الظلمة فإنه عذاب أي عذاب. فينبغي للمؤمن أن يسارع إلى طريق التقوى وإحياء سنة خير الورى وفي الحديث «من أحيا سنتي فقد أحياني ومن أحياني فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة» وفي الحديث: «من حفظ سنتي أكرمه الله بأربع خصال: المحبة في قلوب البررة، والهيبة في قلوب الفجرة، والسعة في الرزق، والثقة بالدين» كما أن الرسول عليه السلام أمان ما عاش فكذا وارثه الأكمل فإن اعتقاده واتباع طريقته كالإيمان بالرسول واتباع شريعته إذ هو نائب عنه وخليفة له فالاقتران بأهل الصلاح والتقوى مما يرفع الله به العذاب وقد ورد في الحديث «إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا من أهل القبور» ذكره

الكاشفي في «الرسالة العلية» وابن الكمال في الأربعين حديثاً والمراد بأهل القبور من مات بالاختيار قبل الموت بالاضطرار، قال الحافظ:

مدد از خاطر رندان طلب اي دل ورنى كار صعبست مباداكه خطايى بكنيم

واعلم أن المؤمن الصادق في إيمانه لا يعذبه الله في الآخرة لأن نبيه يكون فيهم يوم القيامة وما دام هو بين الأمة لا يعذبهم الله وتقول لهم جهنم جز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ ناري فإن دخل المجرمون النار فذلك بجهة الخلوص لا الخلود.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾

﴿**وإذ قلنا لك**﴾ واذكر إذ أوحينا إليك ﴿**إن ربك أحاط بالناس**﴾ أي: علماً وقدرة فهم في قبضته فامض لأمرك ولا تخف أحداً. قال بعض الكبار: إحاطة الله سبحانه عند العارفين بالموجودات كلها عبارة عن تجليه بصور الموجودات فهو سبحانه بأحدية جميع أسمائه سار في الموجودات كلها ذاتاً وحياة وعلماً وقدرة إلى غير ذلك من الصفات والمراد بإحاطته تعالى هذه السراية ولا يعزب عنه ذرة في السموات والأرض وكل ما يعزب عنه يلتحق بالعدم وقالوا: هذه الإحاطة ليست كإحاطة الظرف بالمظروف ولا كإحاطة الكل بأجزائه ولا كإحاطة الكلي بجزئياته بل كإحاطة الملزوم بلازمه فإن التعينات اللاحقة لذاته المطلقة إنما هي لوازم له بواسطة أو بغير واسطة وبشرط أو بغير شرط ولا تقدح كثرة اللوازم في وحدة الملزوم ولا تنافيها ﴿**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس**﴾ المراد بالرؤيا ما عاينه عليه السلام ليلة المعراج من عجائب الأرض والسماء والتعبير عن ذلك بالرؤيا إما لأنه لا فرق بينه وبين الرؤية كما في «الكواشي» الرؤيا تكون نوماً ويقظة كالرؤية أو لأنها وقعت بالليل وتقضت بالسرعة كأنها منام أو لأن الكفرة قالوا: لعلها رؤيا فتسميتها رؤيا على قول المكذبين. قال في «الحواشي السعدية» قد يقال تسميتها رؤيا على وجه التشبيه والاستعارة لما فيها من الخوارق التي هي بالمنام أليق في مجاري العادات انتهى. أي: وما جعلنا الرؤية التي أريناكها ليلة الإسراء عياناً مع كونها آية عظيمة حقيقة بأن لا يتلعثم في تصديقها أحد ممن له أدنى بصيرة إلا فتنة افتتن بها الناس حتى ارتد بعضهم ﴿**والشجرة الملعونة في القرآن**﴾ عطف على الرؤيا والمراد بلعنها فيه لعن طاعمها على الإسناد المجازي أو إبعادها عن الرحمة فإن تلك الشجرة التي هي الزقوم تنبت في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة أي: وما جعلناها إلا فتنة لهم حيث أنكروا ذلك وقالوا: إن محمداً يزعم الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول: ينبت فيها الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالاً بعيداً حيث كابروا قضية عقولهم فإنهم يرون النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحماة فلا يضرها ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر السمندل تلقى في النار ولا تؤثر فيها. قال الكاشفي: [وعجب ازايشان بودكه ازدرخت سبز آتش ميكر فتند كما قال تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠] وهيچ فكر نمى كردندكه آتش در درخت وديعت نهد چه عجب كه درخت در آتش برويانند] وهو المرخ والعفار يوجدان في أغلب بوادي العرب يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما أخضران يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو أنثى فتنقدح النار بإذن الله تعالى ﴿**ونخوفهم**﴾ بذلك وبنظائره من الآيات فإن

الكل للتخويف ﴿فما يزيدهم﴾ التخويف ﴿إلا طغيانا كبيرا﴾ عتوا متجاوزاً عن الحد فلو أنا أرسلنا بما اقترحوه من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها وفعل بهم ما فعل بأشياعهم وقد قضينا بتأخير العقوبة العامة لهذه الأمة إلى الطامة الكبرى. وأوحى الله إلى عيسى عليه السلام كم من وجه مليح صبيح ولسان فصيح وبدن صحيح غدا بين طباق النيران يصيح فلا بدّ من الخوف فإن العارفين يخافون فما ظنك بغيرهم. قال المزني: دخلت على الشافعي رحمه الله في مرضه الذي مات فيه فقلت له: كيف أصبحت يا أستاذي؟ قال: أصبحت عن الدنيا راحلاً ولإخواني مفارقاً ولعملي ملاقياً ولكأس المنية شارباً وعلى الله وارداً فما أدري أروحي إلى جنة أم إلى نار ثم أنا أقول:

ولم أدر أي الحالتين تنوبني ... وأنك لا تدري متى أنت ميت

وفي «المثنوي»:

لا تخافوا هست نزل خائفان ... هست درخور از براى خائفان

هركه ترسد مرورا ايمن كنند ... مردل ترسنده را ساكن كنند

آنكه خوفش نيست چون كويى مترس ... درس چه دهى نيست او محتاج درس

واعلم أن رؤية الآيات واستماعها تزيد المؤمنين إيماناً وتقويهم في باب اليقين لأن التربة الطيبة لا تغير الماء الزلال ولا تخرجه عن طبعه والخبيثة لا يحصل لها به نماء إذ لا يستعد ولا يستحق إلا العقم نسأل الله تعالى أن يفيض علينا سجال العلوم ويزيدنا في الفهوم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾﴾

﴿وإذ قلنا للملائكة﴾ أي: واذكر وقت قولنا للملائكة ما عدا الأرواح العالية وهم الملائكة المهيمة الذين لا شعور لهم بخلق آدم عليه السلام ولا بغيره لاستغراقهم في شهود الحق تعالى ﴿اسجدوا لآدم﴾ تحية وتكريماً لما له من الفضائل المستوجبة لذلك.

قال في «التأويلات النجمية»: أن الله خلق آدم فتجلى فيه فكانت السجدة في الحقيقة للحق تعالى وكان آدم بمثابة الكعبة قبلة للسجود ﴿فسجدوا﴾ له من غير تلعثم أداء لحقه عليه السلام وامتثالاً للأمر فدل ائتمارهم بأوامر الحق والانتهاء عن نواهيه على السعادة الأزلية ﴿إلا إبليس﴾ فإنه أبى واستكبر فدل المخالفة والاستكبار والإباء على الشقاوة الأزلية إذ الأبد مرآة الأزل يظهر فيها صورة الحال سعادة وشقاوة. قال في «بحر العلوم»: استثنى إبليس من الملائكة وهو جني لأنه قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه تغليب الرجال على المرأة في قولك: خرجوا إلا فلانة ثم استثنى الواحد منهم استثناء متصلاً ﴿قال﴾ اعتراضاً وعجباً وتكبراً وإنكاراً عندما وبخه تعالى بقوله: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٢] ﴿ءأسجد﴾ وأنا مخلوق من العنصر العالي وهو النار؟ قال الكاشفي: [أيا سجده كنم يعني نكنم] ولم يصح مني واستحال أن أسجد لأن الاستفهام المعني به الإنكار يكون بمعنى النفي ﴿لمن خلقت طينا﴾ نصب على نزع الخافض أي: من طين مثل واختار موسى قومه أي: من قومه فاستحق اللعن والطرد والبعد.

﴿قال﴾ إبليس بعدما لعن وطرد وأبعد إظهاراً للعداوة وإقداماً على الحسد كما قال في «الإرشاد» وقال إبليس لكن لا عقيب كلامه المحكي بل بعد الانظار المترتب على الاستنظار المتفرع على الأمر بخروجه من بين الملأ الأعلى باللعن المؤبد وإنما لم يصرح اكتفاء بما ذكر في موضع آخر فإن توسيط قال بين كلامي اللعين للإيذان بعدم اتصال الثاني بالأول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره ﴿أرأيتك هذا الذي كرمت علي﴾ الكاف حرف خطاب أي: ليس باسم حتى يكون في محل النصب على أنه مفعول رأيت بل هو حرف أكد به ضمير الفاعل المخاطب لتأكيد الإسناد فلا محل له من الإعراب وهذا مفعول أول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصفة عليه وأرأيت هٰهنا بمعنى أخبرني بأن يجعل العلم الذي هو سبب الاخبار مجازاً عن الاخبار وبأن يجعل الاستفهام مجازاً عن الأمر بجامع الطلب. والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته عليّ بأن أمرتني بالسجود له لم كرمته عليّ وفضلته بالخلافة والسجود وأنا خير منه لأنه خلق من طين وخلقت من نار، وفي «المثنوي»:

آنكه آدم را بدن ديد اورميد — وآنكه نور مؤتمن ديد او خميد

تو زقر آن اى پسر ظاهر مبين — ديو آدم را نه بيند جز كه طين

﴿لئن أخرتن﴾ حياً، يعني: [مرك مرا تأخير كنى چنانكه موعودست] ﴿إلى يوم القيامة﴾ يعني على صفة الإغواء والإضلال وهو كلام مبتدأ واللام موطئة وجوابه قوله: ﴿لأحتنكن ذريته﴾ أي: لأستولين على أولاده ونسله استيلاء قوياً بالاغواء كما قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] يقال: احتنكه استولى عليه كما في «القاموس». قال في «الإرشاد» من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها إذا جعلت في حنكها الأسفل حبلاً تقودها به أو لأستأصلنهم بالإغواء. يعني: [هر آينه ازبيخ بركنم فرزندان اورا باغوا وچنان كنم كه بعذاب تو مستأصل شوند] من قولهم احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلاً. قال في «الأسئلة المقحمة»: علم إبليس أن فيهم شهوات مركبة فهي سبب ميلهم عن الحق إلى الباطل قياساً على أبيهم حين مال إلى أكل الشجرة بشهوته انتهى وقيل غير ذلك ﴿إلا قليلا﴾ منهم وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى.

﴿قال﴾ الله تعالى: ﴿اذهب﴾ على طريقتك السوء بالإغواء والإضلال. وفي «بحر العلوم» ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء بل معناه امض لما قصدته أو طرد له وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه أو هو على وجه الإهانة والتهديد تقول لمن لا يقبل منك اذهب وكن على ما اخترت لنفسك. قال الكاشفي: [امراهانت است وابعاد يعني اورا براند ازدركاه قرب وكفت درپى مهم خودبرو] ﴿فمن تبعك منهم﴾ على الضلالة. قال الكاشفي: [هركه متابعت كندترا وفرمان توبرد] ﴿فإن جهنم جزاؤكم﴾ أي: جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب رعاية لحق المتبوعية ﴿جزاء موفورا﴾ من وفر الشيء كمل أي: تجزون جزاء مكملاً فنصبه على المصدر بإضمار فعله. قال الكاشفي: [جزايى تمام يعني عذابي بردوام].

﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾

﴿واستفزز﴾ أي: استخف وحرك ومنه استفزه الغضب استخفه والاستفزاز [سبك

كردن]. وفي «بحر العلوم»: واستزل وحرك. يعني: [ازجاى بجنبان وبلغزان] ﴿من استطعت منهم﴾ من قدرت أن تستفزه من ذريته. وقال الكاشفي [هركه را توانى لغزانيد ازايشان] ﴿بصوتك﴾ بوسوستك ودعائك إلى الشر والمعصية وكل داع إلى معصية الله فهو من حزب إبليس وجنده. [وامام زاهدي ازابن عباس نقل ميكندكه هر آوازى كه نه در رضاى خداى تعالى ازدهان بيرون آيد آواز شيطانست]. وقال مجاهد بالغناء والمزامير فالمغنون والزامرون من جند إبليس وقد ورد في الخبر الوعيد على الزامر وفي الحديث «بعثت لكسر المزامير وقتل الخنازير» المزامير جمع مزمار وهو آلة معروفة يضرب بها ولعل المراد آلات الغناء كلها تغليباً والكسر ليس على حقيقته بل مبالغة عن النهي لقرينة. فإن قلت الحديث المذكور صريح في قبح المزمار والظاهر من قوله عليه السلام حين سمع صوت الأشعري وهو يقرأ «لقد أوتي هذا من مزامير آل داود» خلافه. قلت: ضرب المزامير مثلاً لحسن صوت داود عليه السلام وحلاوة نغمته كأن في حلقه مزامير بها والآل مقحم ومعناه الشخص كذا في «شرح الأربعين» حديثاً لابن كمال.

وفي «التأويلات النجمية»: واستزل بتمويهات الفلاسفة وتشبيهات أهل الأهواء والبدع وخرافات الدهرية وطامات الإباحية وما يناسبها من مقالات أهل الطبيعة مخالفاً للشريعة ﴿واجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ [وبرانكيزان برايشان بسواران وپيادكان يعني ديواني كه معاون تواند دروسوسه واغوا همه را جمع كن در تسلط برايشان]. وفي «الكواشي» جلب وأجلب واحد بمعنى الحث والصياح أي: صح عليهم بأعوانك وأنصارك من راكب وراجل من أهل الفساد والخيل الخيالة بتشديد الياء وهي أصحاب الخيول ومنه قوله عليه السلام: «يا خيل الله اركبي». والرجل بالسكون بمعنى الراجل وهو من لم يكن له ظهر يركبه. قال ابن عباس ومجاهد وقتادة أن خيلاً ورجلاً من الجن والإنس فما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله فهو من رجل إبليس ويجوز أن يكون استفزازه بصوته وإجلابه بخيله ورجله تمثيلاً لتسلطه على من يغويه فكأنه مغواراً وقع على قوم فصوت بهم صوتاً يزعجهم من أماكنهم ويقلعهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم. ﴿وشاركهم﴾ [شركت ده بايشان] ﴿في الأموال﴾ بحملهم على كسبها أو جمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي من الربا والإسراف ومنع الزكاة وغير ذلك ﴿والأولاد﴾ بالحث على التوصل إليهم بالأسباب المحرمة والوأد والإشراك كتسميتهم بعبد العزى وعبد الحارث وعبد الشمس وعبد الدار وغير ذلك. والتضليل بالحمل على الأديان الزائغة والحرف الذميمة والأفعال القبيحة.

وقال في «التأويلات النجمية»: بتضييع زمانهم وإفساد استعدادهم في طلب الدنيا ورياستها متغافلين عن تهذيب نفوسهم وتزكيتها وتأديبها وتوقيها عن الصفات المذمومة وتحليتها بالصفات المحمودة وتعليمهم الفرائض والسنن والعلوم الدينية وتحريضهم على طلب الآخرة والدرجات العلى والنجاة من النار والدركات السفلى انتهى. وعن جعفر بن محمد أن الشيطان يقعد على ذكر الرجل فإذا لم يقل باسم الله أصاب معه امرأته وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل وقد جعل الله له في كثير من الأشياء نصيباً وفي الحديث: «إن إبليس لما أنزل إلى الأرض قال: يا رب أنزلتني الأرض وجعلتني رجيماً فاجعل لي بيتاً قال: الحمام قال: فاجعل لي

مجلساً قال: الأسواق ومجامع الطرق قال: فاجعل لي طعاماً قال: ما لم يذكر اسم الله عليه قال: اجعل لي شراباً قال: كل مسكر قال: اجعل لي مؤذناً قال: المزامير قال: اجعل لي قرآناً قال: الشعر قال: اجعل لي كتاباً قال: الوشم قال: اجعل لي حديثاً قال: الكذب قال: اجعل لي رسلاً قال: الكهنة قال: اجعل لي مصائد قال: النساء» كما في «بحر العلوم» للسمرقندي ﴿وعدهم﴾ المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بتطويل الأمل وإخبارهم أن لا جنة ولا نار ونحو ذلك ﴿وما يعدهم الشيطان﴾ اللازم يحتمل العهد والجنس قال عليه السلام: «ما منكم من أحد إلا وله شيطان» ﴿إلا غرورا﴾ يعني: [خطارا در صورت ثواب مى آرايد] وهو تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب. قال في «بحر العلوم»: هذه الأوامر واردة على طريق التهديد كقوله للعصاة اعملوا ما شئتم وقيل على سبيل الخذلان والتخلية.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾

﴿إن عبادي﴾ الإضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه أن من تبعه ليس منهم [امام قشيري فرموده كه بنده حق آنست كه دربند غير نباشد. وشيخ عطار فرمايد]:

چوتودر بند صد چيزى خدارا بنده چون باشى

كه تودر بند هر چيزى كه باشى بنده آنى

﴿ليس لك عليهم سلطان﴾ أي: تسلط وقدرة على إغوائهم كما قال: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل: ٩٩] ﴿وكفى بربك وكيلا﴾ لهم يتوكلون عليه ويستمدونه يا إبليس الخلاص من إغوائك.

قال في «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن عباد الله هم الأحرار عن رق الكونين وتعلقات الكونين فلا يستعبدهم الشيطان ولا يقدر على أن تعلق بهم فيضلهم عن طريق الحق ويغويهم بما سواه عنه ﴿وكفى بربك وكيلا﴾ لهم في ترتيب أسباب سعادتهم وتفويت أسباب شقاوتهم والحراسة من الشيطان والهداية إلى الرحمن. يقول الفقير: لا يلزم من نفي التسلط أن لا يقصدهم الشيطان أصلاً فإن ذلك يرده قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١] فإن كلمة إذا تدل على التحقيق والوقوع ولكنهم محفوظون من الاتباع لكونهم مؤيدين من عند الله تعالى.

- حكي - أنه جاء يهودي إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد نحن نعبد بحضور القلب بلا وسواس الشيطان ونسمع من أصحابك أنهم يصلون بالوساوس فقال عليه السلام لأبي بكر رضي الله عنه: «أجبه» فقال: يا يهودي بيتان بيت مملوء بالذهب والفضة والدر والياقوت والأقمشة النفيسة وبيت خراب خال ليس فيه شيء من المذكورات أيقصد اللص إلى البيت المعمور المملوء من الأقمشة النفيسة أم يقصد إلى البيت الخراب فقال اليهودي يقصد إلى البيت المعمور المملوء بذلك فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: قلوبنا مملوءة بالتوحيد والمعرفة والإيمان واليقين والتقوى والإحسان وغيرها من الفضائل وقلوبكم خالية عن هذه فلا

يقصد الخناس إليها فأسلم اليهودي فظهر أن الشيطان قاصد ولكنه غير واصل إلى مراده فإن الله يحفظ أولياءه.

﴿ربكم﴾ [پرور دكار شما] وهو مبتدأ خبره قوله ﴿الذي﴾ القادر الحكيم الذي ﴿يزجي﴾ الإزجاء [راندن] يقال: زجاه وأزجاه ساقه أي: يسوق ويجري بقدرته الكاملة ﴿لكم﴾ لمنافعكم ﴿الفلك﴾ أي: السفن ﴿في البحر﴾ [در دريا]. قال في «القاموس» البحر الماء الكثير ﴿لتبتغوا﴾ لتطلبوا ﴿من فضله﴾ من رزق هو فضل من قبله ﴿إنه كان بكم﴾ أزلاً وأبداً ﴿رحيما﴾ حيث هيأ لكم ما تحتاجون إليه وسهل عليكم ما يعسر من أسبابه فالمراد الرحمة الدنيوية والنعمة العاجلة المنقسمة إلى الجليلة والحقيرة.

﴿وإذا مسكم﴾ [وچون برسد شمارا] ﴿الضر في البحر﴾ خوف الغرق فيه ﴿ضل من تدعون﴾ أي: ذهب عن خواطركم كل من تدعون في حوادثكم وتستغيثون ﴿إلا إياه﴾ تعالى وحده من غير أن يخطر ببالكم أحد منهم وتدعوه لكشفه استقلالاً أو اشتراكاً ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً أي: ضل كل من تدعونه وتعبدونه من الآلهة كالمسيح والملائكة وغيرهم من عونكم وغوثكم ولكن الله هو الذي ترجونه لصرف النوازل عنكم ﴿فلما﴾ [پس آن هنكام كه] ﴿نجاكم﴾ من الغرق وأوصلكم ﴿إلى البر﴾ [بسوى بيابان] ﴿أعرضتم﴾ عن التوحيد وعدتم إلى عبادة الأوثان ونسيتم النعمة وكفرتم بها ﴿وكان الإنسان كفورا﴾ بليغ الكفران ولم يقل وكنتم كفوراً ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعمة.

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿أفأمنتم﴾ الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم من ﴿أن يخسف بكم جانب البر﴾ الذي هو مأمنكم كقارون وبكم في موضع الحال وجانب البر مفعول به أي: يقلبه الله وأنتم عليه ويجوز أن تكون الباء للسببية أي: يلقبه بسبب كونكم فيه. قال سعدي المفتي أي: يقلب جانب البر الذي أنتم فيه فيحصل بخسفه إهلاككم وإلا فلا يلزم من خسف جانب البر بسببهم إهلاكهم. وقال الكاشفي: [آيا ايمن شديدكه ازدريا بصحرا آمديد يعني ايمن مباشيد از آنكه فرو بردشمارا بكرانه از زمين يعني آنكه قادراست كه شمارا درآب فروبرد توانست برآنكه در خاك نهان كند]. قال في «القاموس»: خسف المكان يخسف خسوفاً ذهب في الأرض وخسف الله بفلان الأرض غيبه فيها لازم ومتعد. وفي «التهذيب» الخسف [بزمين فروبردن] قال الله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١] ﴿أو يرسل عليكم﴾ من فوقكم ﴿حاصبا﴾ ريحاً ترمي الحصباء وهي الحصى الصغار يرجمكم بها فيكون أشد عليكم من الغرق في البحر وقيل: أي يمطر عليكم حصباء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل ﴿ثم لا تجدوا لكم وكيلا﴾ يحفظكم من ذلك ويصرفه عنكم فإنه لا رادّ لأمره الغالب.

﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه﴾ في البحر بعد خروجكم إلى البر وسلامتكم ﴿تارة﴾ مرة ﴿أخرى﴾ بخلق دواعي تلجئكم إلى أن ترجعوا فتركبوه فإسناد الإعادة إليه تعالى مع أن العود إليه باختيارهم باعتبار خلق تلك الدواعي الملجئة. وفيه إيماء إلى كمال شدة هول ما لاقوه في

التارة الأولى بحيث لولا الإعادة لما عادوا وأوثرت كلمة في على كلمة إلى المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه ﴿فيرسل عليكم﴾ وأنتم في البحر ﴿قاصفا من الريح﴾ وهي التي لا تمر بشيء إلا قصفته أي: كسرته وجعلته كالرميم وذكَّر قاصفاً لأنه ليس بإزائه ذكر فجرى مجرى حائض كما في «الكواشي». ﴿فيغرقكم﴾ بعد كسر فلككم كما ينبىء عنه عنوان القصف ﴿بما كفرتم﴾ بسبب إشراككم وكفرانكم لنعمة الإنجاء ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به﴾ [بآن غرق كردن] ﴿تبيعا﴾ مطالباً يتبعنا بانتصار أو صرف. قال في «القاموس»: التبيع كأمير التابع ومنه قوله تعالى: ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ أي: ثائراً ولا طالباً انتهى.

وفي الآيات إشارات:

منها: أن الشريعة كالفلك في بحر الحقيقة إذ لو لم يكن هذا الفلك ما تيسر لأحد العبور على بحر الحقيقة والمقصود منه جذبة العناية إذ هي ليست بمكتسبة للخلق بل من قبيل الفضل فعلى من يريد النيل إلى هذه الجذبة أن يسير بقدمي العلم والعمل، قال في «المثنوي»:

رهرووراه طريقت اين بود كاو بأحكام شريعت مى رود

ومنها: أن الإعراض عن الحق بالكفران يؤدي إلى الخسران. قال الجنيد: لو أقبل صديق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فإن ما فاته أكثر مما ناله. قال أوحد المشايخ في وقته أبو عبد الله الشيرازي: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول: من عرف طريقاً إلى الله فسلكه ثم رجع عنه عذبه الله تعالى بعذاب لم يعذبه به أحداً من العالمين.

درين ره دائماً ثابت قدم باش بروازرهزن غم بي الم باش
زبازار توجه رو مكردان همه سودى كه خواهى اندرين دان

ومنها: أن جميع الجوانب والجهات متساوية بالنسبة إلى قدرته تعالى وقهره سلطانه لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه فعلى العبد أن يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب حيث كان فإن الله كان متحلياً بجماله وجلاله في جميع الأينيات ولذا كان أهل اليقظة والحضور لا يفرقون بين أين وأين وبين حال وحال لمشاهدتهم إحاطة الله تعالى فإن الله تعالى لو شاء لأهلك من حيث لا يخطر بالبال ألا ترى أنه أهلك النمرود بالبعوض فكان البعوض بالنسبة إلى قدرته كالأسد ونحوه في الإهلاك وربما رأيت من غص بلقمة فمات فانظر في أن تلك اللقمة مع أنها من أسباب الحياة كانت من مبادى الممات فأماته الله من حيث يدري حياته فيه ولو أمعنت النظر لوجدت شؤون الله تعالى في هذا العالم عجيبة:

هركرا خواهد خدا آرد بچنك نيست كس را قوت بازوى جنك

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾

قال الله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ التكريم والإكرام بمعنى والاسم منه الكرامة والمعنى: [بالفارسية وهر آيينه كرامى كرديم فرزندان آدم را]. قال المولى أبو السعود: بني آدم قاطبة تكريماً شاملاً لبرهم وفاجرهم.

وفي «التأويلات النجمية»: خصصناهم بكرامة تخرجهم من حيز الاشتراك وهي على ضربين جسدانية وروحانية فالكرامة الجسدانية عامة يستوي فيها المؤمن والكافر وهي تخمير

طينته بيده أربعين صباحاً وتصويره في الرحم بنفسه وأنه تعالى صوره فأحسن صورته وسواه فعدله في أي صورة ما شاء ركبه ومشاه سوياً على صراط مستقيم مستقيم القامة أخذاً بيديه آكلاً بأصابعه مزيناً باللحى والذوائب صانعاً بأنواع الحرف والكرامة الروحانية على ضربين خاصة وعامة فالعامة أيضاً يستوي فيها المؤمن والكافر وهي أن كرمه بنفخه فيه من روحه وعلمه الأسماء كلها وكلمه قبل أن خلقه بقوله: ألست بربكم فأسمعه خطابه وأنطقه بجوابه بقوله: قالوا: بلى وعاهده على العبودية وأولده على الفطرة وأرسل إليه الرسل وأنزل عليه الكتب ودعاه إلى الحضرة ووعده الجنة وخوفه النار وأظهر له الآيات والدلالات والمعجزات والكرامة الروحانية الخاصة ما كرم به أنبياءه ورسله وأولياءه وعباده المؤمنين من النبوة والرسالة والولاية والإيمان والإسلام والهداية إلى الصراط المستقيم وهو صراط الله والسير إلى الله وفي الله وبالله عند العبور على المقامات والترقي عن الناسوتية بجذبات اللاهوتية والتخلق بأخلاق الإلّهية عند فناء الأنانية وبقاء الهوية [امام قشيري قدس سره فرموده كه مراد از بني آدم مؤمناً نند چه كافرانرا بنص ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨] از تكريم هيچ نصيبي نيست وتكريم مؤمنان بدانست كه ظاهر ايشانرا بتوفيق مجاهدات بياراست وباطن ايشانرا بتحقيق مشاهدات منورساخت] كما قال في «بحر العلوم» الظاهر عندنا تكريمهم بالإيمان والعمل الصالح بدليل قوله عليه السلام: «إن المؤمن يعرف في السماء كما يعرف الرجل أهله وولده وإنه أكرم على الله من ملك مقرب» انتهى [محمد بن كعب رضي الله عنه كفت كه كرامت آدميان بدانست كه حضرت محمد ﷺ ازايشانست].

اي شـــرف دوده آدم بـــتـــو ... روشـــنـــى ديـــده عـــالـــم بـــتـــو
كيست درين خانه كه خيل تونيست ... كيست برين خوان كه طفيل تونيست
ازتـو صـلايـى بـالـسـت آمـده ... نيـسـت بـمـهـمـانـىء هـمـمـت آمـده

﴿وحملناهم﴾[وبرداشتيم ايشانرا وسوار كرديم] ﴿في البر﴾[دربيابان بر جهار پايان] ﴿والبحر﴾[ودردريا بكشتيها] من حملته إذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شيء كذلك.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: عبرناهم عن بر الجسمانية وبحر الروحانية إلى ساحل الربانية [ودر حقائق سلمى آمده كه كرامى ساختيم آدميانرا بمعرفت وتوحيد وبرداشتيم ايشانرا دربر نفس وبحر قلب وكفته اند بر آنست كه ظهور دارد از صفات وبحر آنچه مستوراست از حقائق ذات] ﴿ورزقناهم﴾[وروزى داديم ايشانرا] ﴿من الطيبات﴾من فنون النعم المستلذة مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم كالسمن والزبد والتمر والعسل وسائر الحلاوى.

وفي «التأويلات النجمية»: وهي المواهب التي طيبها من الحدوث فيطعم بها من يبيت عنده ويسقيه بها وهي طعام المشاهدات وشراب المكاشفات التي لم يذق منها الملائكة المقربون اطعم بها أخص عباده في أواني المعرفة وسقاهم بها في كأسات المحبة أفردهم بها عن العالمين ولهذا اسجد لهم الملائكة المقربين، قال المولى الجامي قدس سره:

مـلائـك راچـه سـوداز حـسـن طـاعـت ... چـو فـيـض عـشـق بـر آدم فـروريـخـت

وقال الحافظ:

فرشته عشق نداندكه چيست قصه مخوان ... بـخـواه جـام وكـلابـى بـخـاك آدم ريـز

﴿وفضلناهم﴾ [وافزونى داديم ايشانرا] أي: في العلوم والإدراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي يتميز بها الحق من الباطل والحسن من القبيح ﴿على كثير ممن خلقنا﴾ وهم ما عدا الملائكة عليهم السلام ﴿تفضيلا﴾ عظيماً فحق عليهم أن يشكروا نعم الله ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله أحد ممن له أدنى تمييز فضلاً عمن فضل على من عدا الملأ الأعلى الذين هم العقول المحضة وإنما استثنى جنس الملائكة من هذا التفضيل لأن علومهم دائمة عارية عن الخطأ والخلل وليس فيه دلالة على الأفضلية بالمعنى المتنازع فيه فإن المراد هٰهنا بيان التفضيل في أمر مشترك بين جميع أفراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن أن يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله تعالى كما في «الإرشاد». وقال في «بحر العلوم»: فيه دلالة على أن بني آدم فضلوا على كثير وفضل عليهم قليل وهو أبوهم آدم وأمهم حواء عليهما السلام لما فيهما من فضل الأصالة على من تفرع منهما من سائر الناس لا الملائكة المقربون كما زعم الكلبي وأبو بكر الباقلاني وحثالة المعتزلة وألا يلزم التعارض بين الآيات وذلك أن الله أمر الملائكة كلهم بالسجود لآدم على وجه التعظيم والتكريم ومقتضى الحكمة الأمر للأدنى بالسجود للأعلى دون العكس وأيضاً قال: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] فيفهم منه كل أحد من أهل اللسان قصده تعالى إلى تفضيل آدم على الملائكة وبيان زيادة علمه واستحقاقه التعظيم والتكريم وقال: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣] والملائكة من جملة العالم فمحال أن تدل الآية التي نحن بصددها على ما زعموا من تفضيل الملك على البشر كلهم وأيضاً مما يدل على بطلان ما زعموا قول النبي ﷺ: «إن الله فضل المرسلين على الملائكة المقربين لما بلغت السماء السابعة لقيني ملك من نور على سرير فسلمت عليه فرد علي السلام فأوحى الله إليه سلم عليك صفيي ونبيي فلم تقم إليه وعزتي وجلالي لتقومن فلا تقعدن إلى يوم القيامة» انتهى. وفي «الأسئلة المقحمة»: المشهور من مذهب أهل الحق أن الأنبياء أفضل من الملائكة انتهى. قال الكاشفي: [علمارا در تفضيل بشر مباحث دور ودرازاست آنكه جمهور أهل سنت برآنند كه بني آدم فاضل ترند از رسل ملائكة ورسل ملائكة افضلند از اولياى بني آدم وأولياي بني آدم شريفترند از اولياي ملائكة وصلحاي أهل ايمانرا أفضل است برعوام ملائكة وعوام ملائكة بهترند از فساق مؤمنان].

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ يعني على الملائكة لأنهم الخلق الكثير ممن خلق الله تعالى وفضل الإنسان الكامل على الملك بأنه خلق في أحسن تقويم وهو حسن استعداده في قبول فيض نور الله بلا واسطة وقد تفرد به الإنسان عن سائر المخلوقات كما قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ إلى قوله: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب: ٧٢] والأمانة هي نور الله كما صرح به في قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] إلى أن قال: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥] فافهم جداً واغتنم فإن هذا البيان أعز من الكبريت الأحمر وأغرب من عنقاء مغرب انتهى. قال الكاشفي: [وعلى الجملة اين آيت دليل فضيلت وجامعيت انسانست كه از همه مخلوقات مرآت صافي جهت انعكاسي صفات إلٰهي همه اوست وبس چنانچه از مضمون اين ابيات حقائق سمات فهم توان فرمود]:

آمد آينه جمله كون ولي همچو آينه نكرده جلي

به نمودند درو بوجه كمال صورت ذو الجلال والإفضال
زانكه بوداين تفرق عددى مانع از سر جامع واحدى
كشت آدم جلاى اين مرآت شدعيان ذات او بجمله صفات
مظهري كشت كلي وجامع سر ذات از صفات از لامع
شد تفاصيل كون را مجمل بر مثال تعين اول
بوى اين دائره مكمل شد آخر اين نقطه عين اول شد

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾

﴿يوم ندعو﴾ نصب بإضمار اذكر على أنه مفعول به ﴿كل أناس﴾ [هر كروهى را از بني آدم] والاناس جمع الناس كما في «القاموس» ﴿بإمامهم﴾ أي: بمن ائتموا به من نبي فيقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ونحو ذلك أو مقدم في الدين فيقال: يا حنفي ويا شافعي ونحوهما أو كتاب فيقال: يا أهل القرآن ويا أهل الإنجيل وغيرهما أو دين فيقال يا مسلم ويا يهودي ويا نصراني ويا مجوسي وغير ذلك.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى ما يتبعه كل قوم وهو إمامهم. فقوم يتبعون الدنيا وزينتها وشهواتها فيدعون يا أهل الدنيا. وقوم يتبعون الآخرة نعيمها ودرجاتها فيدعون يا أهل الآخرة. وقوم يتبعون الرسول ﷺ محبة الله وطلباً لقربته ومعرفته فيدعون يا أهل الله. وقيل: الإمام جمع أم كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم وأمهاتهم إجلال عيسى عليه السلام وتشريف الحسنين رضي الله عنهما إذ في نسبتهما إلى أمهما إظهار انتسابهما إلى رسول الله ﷺ نسباً بخلاف نسبتهما إلى أبيهما والستر على أولاد الزنى وينصره ما روي عن عائشة رضي الله عنها وابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأمهاتهم ستراً منه على عباده» كما في «بحر العلوم» ويؤيده أيضاً حديث التلقين حيث قال رسول الله ﷺ: «إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فإنه يسمعه ولا يجيب ثم يقول يا فلان ابن فلانة فإنه يستوي قاعداً ثم يقول: يا فلان ابن فلانة فإنه يقول أرشدك الله رحمك الله ولكن لا تشعرون فليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبلة فإن منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه يقول: انطلق لا نقعد عند من لقن حجته فيكون حجيجه دونهما» فقال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف اسم أمه قال: «فلينسبه إلى حواء» ذكره الإمام السخاوي في «المقاصد الحسنة» وصححه بأسانيده وكذا الإمام القرطبي في «تذكرته» وفهم منه شيآن الأول استحباب القيام وقت التلقين والثاني أن المرء يدعى باسمه واسم أمه لا باسم أبيه ولكن جاء في أحاديث «المقاصد» «والمصابيح» أنه عليه السلام قال: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم» ولعله لا يخالف ما سبق فإنه ورد ترغيباً في تحسين الأسماء وتغيير القبيح منها إذ كانوا يسمون بالأسماء القبيحة على عادة الجاهلية مثل المضطجع وأصرم وعاصية ونحوها وكان عليه السلام يغير القبيح إلى الحسن فغير أصرم وهو من الصرم بمعنى القطع إلى زرعة

وهو بالضم والسكون قطعة من الزرع كأنه قال: لست مقطوعاً بل أنت منبت متصل بالأصل وغير المضطجع إلى المنبعث وعاصية إلى جميلة ﴿فمن﴾ [هر كه را] ﴿أوتي﴾ [داده شود] يومئذٍ من أولئك المدعوين ﴿كتابه﴾ صحيفة أعماله ﴿بيمينه﴾ وهم السعداء وفي إيتاء الكتاب من جانب اليمين تشريف لصاحبه وتبشير ﴿فأولئك﴾ الجمع باعتبار معنى من ﴿يقرؤون كتابهم﴾ قراءة ظاهرة مسرورين ينتفعون بما فيه من الحسنات ولم يذكر الأشقياء وإن كانوا يقرأون كتبهم أيضاً لأنهم إذا قرأوا ما فيها لم يفصحوا به خوفاً وحياء وليس لهم شيء من الحسنات ينتفعون به ﴿ولا يظلمون﴾ أي: لا ينقصون من أجور أعمالهم المرتسمة في كتبهم بل يؤتونها مضاعفة ﴿فتيلا﴾ أي: قدر فتيل وهو ما يفتل بين إصبعين من الوسخ أو القشرة التي في شق النواة أو أدنى شيء فإن الفتيل مثل في القلة والحقارة.

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

﴿ومن﴾ [وهركه] أي: من المدعوين المذكورين ﴿كان في هذه﴾ الدنيا ﴿أعمى﴾ أعمى القلب لا يهتدي إلى رشده. يعني: [دلش راه صواب نه بيند] ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ لا يرى طريق النجاة لأن العمى الأول موجب للثاني فالكافر لا يهتدي إلى طريق الجنة والعاصي إلى ثواب المطيع والقاصر إلى مقامات الكاملين ﴿وأضل سبيلا﴾ من الأعمى في الدنيا لزوال الاستعداد وتعطل الأسباب والآلات وفقدان المهلة.

قال في «التأويلات النجمية»: : ﴿فمن أوتي كتابه بيمينه﴾ فهو أهل السعادة من أصحاب اليمين وفيه إشارة إلى أن السابقين الذين هم أهل الله تعالى لا يؤتون كتابهم كما لا يحاسبون حسابهم ﴿فأولئك يقرؤون كتابهم﴾ لأنهم أصحاب البصيرة والقراءة والدراية ﴿ولا يظلمون فتيلا﴾ في جزاء أعمالهم الصالحة وفيه إشارة إلى أن أهل الشقاوة الذين هم أصحاب الشمال لا يقرؤون كتابهم لأنهم أصحاب العمى والجهالة ﴿ومن كان في هذه أعمى﴾ أي: في هذه القراءة والدراية بالبصيرة أعمى في الدنيا لقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الحج: ٤٦] الآية ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ لأنه يوم تبلى السرائر تجعل الوجوه من السرائر فمن كان في سريرته أعمى هٰهنا يكون ثمة في صورته أعمى للمبالغة لأن عمى السريرة هٰهنا كان قابلاً للتدارك وقد خرج ثمة الأمر من التدارك فيكون أعمى عن رؤية الحق. ﴿وأضل سبيلا﴾ في الوصول إليه لفساد الاستعداد وإعواز التدارك انتهى. يقول الفقير: إن قلت هل يحصل الترقي والتيقظ لبعض الأفراد بعد الموت الصوري؟ قلت: إن السالك الصادق في طلبه إذا سافر من مقام طبيعته ونفسه فمات في الطريق أي: بالموت الاضطراري قبل أن يصل إلى مراده بالموت الاختياري فله نصيب من أجر الواصلين وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠] كما قال بعض الكبار: من مات قبل الكمال فمراده يجيء إليه كما أن من مات في طريق الكعبة يكتب له أجر حجين انتهى. أشار إلى أن الله تعالى قادر على أن يكمله في عالم البرزخ بواسطة روح من الأرواح أو بالذات

فيصير أمره بعد النقصان الموهوم إلى الكمال المعلوم وقد ثبت في الشرع أن الله تعالى يوكل ملكاً لبعض عباده في القبر فيقرئه القرآن ويعلمه أي: إن كان قد مات أثناء التعلم. وأما غير السالك فلا يجد الترقي بعد الموت أي: بالنسبة إلى معرفة الحق إذ من المتفق شرعاً وعقلاً وكشفاً أن كل كمال لم يحصل للإنسان في هذه النشأة وهذه الدار فإنه لا يحصل له بعد الموت في الدار الآخرة كما في «الفكوك» فما يدل على عدم الترقي بعد الموت من قوله تعالى: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى﴾ إنما هو بالنسبة إلى معرفة الحق لا لمن لا معرفة له أصلاً فإنه إذا انكشف الغطاء ارتفع العمى بالنسبة إلى دار الآخرة ونعيمها وجحيمها والأحوال التي فيها وأما قوله عليه السلام: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله» فهو يدل على أن الأشياء التي يتوقف حصولها على الأعمال لا تحصل وما لا يتوقف عليها بل يحصل بفضل الله ورحمته فقد يحصل وذلك من مراتب الترقي كما في شرح «الفصوص» للمولى الجامي قدس سره فقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] ليس معناه أن ما يحصل للإنسان مقصور على سعيه بل معناه ليس للإنسان إلا ما يمكن أن يكون بسعيه فما يمكن أن يكون بسعيه فهو بسعيه والباقي فضل من الله تعالى كالسعي في مرتبة الملك. وأما الملكوت فلا يمكن إلا بمحض فضل الله فلا مدخل فيه للسعي كما في «الواقعات المحمودية». فعلى العاقل أن يسعى في تحصيل البصيرة قبل أن يخرج من الدنيا ويكون من الذين يشاهدون الله تعالى في كل مرآة من المرايا، وفي «المثنوي»:

اين جهان پر آفتاب ونور ماه ... او بهشته سرفرو برده بچاه
كه اكر حقست كو آن روشنى ... سربر آر ازچاه بنكر اي دنى
جمله عالم شرق وغرب آن نور يافت ... تاتودر چاهى نخواهد برتوتافت
چه رها كن رو بايوان وكروم ... كم ستيز اينجا بدان كاللج شوم
اي بسا بيدار چشم وخفته دل ... خودچه بيند چشم اهل آب وكل
وانكه دل بيدار ودارد چشم سر ... كربخسبد بر كشايد صد بصر
كرتو اهل دل نه بيدار باش ... طالب دل باش ودرپيكار باش
وردلت بيدارشدمى خسب خوش ... نيست غائب ناظرت ازهفت وشش
كفت پيغمبركه خسبد چشم من ... ليك كى خسبد دلم اندر وسن
شاه بيدارست حارس خفته كير ... جان فداى خفتكان دل بصير

﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ ذكروا في سبب نزول هذه الآية وجوهاً والأسلم ما في «تفسير الكواشي» من أن المشركين طلبوا من النبي عليه السلام أن يجعل آية رحمة مكان آية عذاب وبالعكس ويمس آلهتهم عند استلام الحجر ويطرد الضعفاء والمساكين عنه ونحو ذلك وأطمعوه في إسلامهم قالوا: فمال إلى بعض ذلك فنزل وإن هي المخففة من المشددة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية أي: أن الشأن قاربوا أن يوقعوك في الفتنة بالاستزلال ويخدعوك. قال الكاشفي: [بكردانند ترا] ﴿عن الذي أوحينا إليك﴾ من الأمر والنهي والوعد والوعيد ﴿لتفتري علينا﴾ أي: لتختلق علينا ﴿غيره﴾ أي: غير الذي أوحينا إليك كما تقدم ﴿وإذاً﴾ أي: ولو اتبعت أهواءهم وفعلت ما طلبوا منك ﴿لاتخذوك خليلا﴾ أي: صديقاً وولياً وكنت لهم ولياً وخرجت من ولايتي.

﴿ولولا أن ثبتناك﴾ أي: ولولا تثبيتنا إياك على الحق وعصمتنا ﴿لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا﴾ من الركون الذي هو أدنى ميل فنصبه على المصدرية أي: لقاربت أن تميل إلى اتباع مرادهم شيئاً يسيراً من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن أدركتك العصمة فمنعتك من أن تقرب من أدنى مراتب الركون إليهم فضلاً عن نفس الركون وهو صريح في أنه عليه السلام ما هم بإجابتهم مع قوة الداعي إليها ودليل على أن العصمة بتوفيق الله وعنايته. قال بعض الكبار: إنما سماه قليلاً لأن روحانية النبي عليه السلام كانت في أصل الخلقة غالبة على بشريته إذ لم يكن حينئذٍ لروحه شيء يحجب عن الله فالمعنى لولا التثبيت وقوة النبوة ونور الهداية وأثر نظر العناية لقد كدت تركن إلى أهل الأهواء هوى النفسانية لمنافع الإنسانية قدراً يسيراً لغلبة نور الروحانية وخمود نور البشرية.

﴿إذاً﴾ لو قاربت أن تركن إليهم أدنى ركنة ﴿لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾ أي: عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لأن خطأ الخطير أخطر وكان أصل الكلام عذاباً ضعفاً في الحياة وعذاباً ضعفاً في الممات بمعنى مضاعفاً ثم حذف الموصوف وأقيمت مقامه الصفة وهو الضعف ثم أضيفت إضافة موصوفها فقيل: ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل لأذقناك أليم الحياة وأليم الممات. ﴿ثم لا تجد لك علينا نصيرا﴾ يدفع عنك العذاب. [امام ثعلبي آورده كه بعد از نزول اين آيت بحضرت فرمود، اللهم لا تكلني إلى نفسي ولو طرفة عين].

الـــهـــي بـــره خـــوددار مـــارا دمـى بـانـفـس مـا مـكـذار مـارا

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٧٦﴾﴾

﴿وإن كادوا﴾ أي: وإن الشأن قارب أهل مكة ﴿ليستفزونك﴾ يقال: استفزه أزعجه أي: ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم وينزعونك بسرعة وفسر بعضهم الاستفزاز بالاستزلال بالفارسية [بلغزانيد] ﴿من الأرض﴾ أي: الأرض التي أنت فيها وهي أرض مكة ﴿ليخرجوك منها﴾. إن قلت أليس أخرجوه بشهادة قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾ [محمد: ١٣] وقوله عليه السلام حين خرج من مكة متوجهاً إلى المدينة: والله إني لأخرج منك وإني لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله وأكرمها على الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت. قلت: لم يتحقق الإخراج بعد نزول هذه الآية ثم وقع بعده حيث هاجر عليه السلام بإذن الله تعالى وكانوا قد ضيقوه قبل الهجرة ليخرج كما قال الكاشفي: [أهل مكة در اخراج آنحضرت عليه الصلاة والسلام مشاورت كردند ورأى ايشان بران قرار كرفت كه دردشمنى بحد افراط نمايندكه آنحضرت بضرورت بيرون بايد رفت اين آيت نازل شد] ﴿وإذاً﴾ أي: ولئن أخرجت ﴿لا يلبثون خلافك﴾ أي: بعد إخراجك ﴿إلا قليلا﴾ أي: إلا زماناً قليلاً وقد كان كذلك فإنهم أهلكوا ببدر بعد هجرته عليه السلام.

﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾﴾

﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا﴾ السنة العادة ونصبها على المصدرية أي: سن الله سنة وهي أن يهلك كل أمة أخرجت رسولهم من بين أظهرهم فالسنة لله تعالى وإضافتها إلى

الرسل لأنها سنت لأجلهم على ما ينطق به قوله تعالى: ﴿ولا تجد لسنتنا﴾ أي: لعادتنا بإهلاك مخرجي الرسل من بينهم ﴿تحويلا﴾ أي: تغييراً وفيه إشارة إلى أن من سنة الله تعالى على قانون الحكمة القديمة البالغة في تربية الأنبياء والمرسلين أن يجعل لهم أعداء يبتليهم بهم في إخلاص إبريز جواهرهم الروحانية الربانية عن غش أوصافهم النفسانية الحيوانية وهذا الابتلاء لا يتبدل لأنه مبني على الحكمة والمصلحة والإرادة القديمة وما هو مبني عليها لا يتغير. قال بعض الكبار: أهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم فإن خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك ولأن تصاب في بدنك خير من أن تصاب في قلبك ولعدو ترجع به إلى مولاك خير من حبيب يشغلك عن مولاك وكل بلاء سوط من سياط الله تعالى يسوق إلى حقيقة التوحيد ويقطع أسباب العلاقات فهو لذة في صورة الم، قال الحافظ:

بدرد وصاف تراحكم نيست دم دركش … كه هرچه ساقىء ما كرد عين الطافست

واعلم أن النبي عليه السلام لم يتحرك لا في ظاهره ولا في باطنه إلا بتحريك الله تعالى فإلقاء أهل الفتنة لا يؤثر في باطنه المنور بفكر ما وميل لكن الله تعالى أشار إلى لزوم التحفظ والاحتياط في جميع الأمور فإن للإنسان أعداء ظاهرة وباطنة والصابر لا يرى إلا خيراً وهو زوال الابتلاء وهلاك الأعداء كما قال تعالى: ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦] وفي الحديث القدسي: «من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة» أي: من أغضب وآذى واحداً من أوليائي وهم المتقون حقيقة التقوى فقد بارزني بالمحاربة لأن الولي ينصر الله فيكون الله ناصره فمن عادى من كان الله ناصره فقد برز لمحاربة الله وظهر.

﴿أقم الصلاة﴾ أدمها ﴿لدلوك الشمس﴾ أي: وقت زوالها أو غروبها يقال: دلكت الشمس دلوكاً غربت أو اصفرت ومالت أو زالت عن كبد السماء كما في «القاموس». ﴿إلى غسق الليل﴾ إلى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الأخيرة والغاسق الليل إذا غاب الشفق والمراد إقامة كل صلاة في وقتها المعين لا إقامتها فيما بين الوقتين على الاستمرار ﴿وقرآن الفجر﴾ أي: صلاة الفجر بالنصب عطفاً على مفعول أقم أو على الإغراء أي: الزم وسميت قرآناً لأنه ركنها كما تسمى ركوعاً وسجوداً فالآية تدل على تفسير الدلوك بالزوال جامعة للصلوات الخمس ﴿إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ يشهده ويحضره ملائكة الليل وملائكة النهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار. يعني: [فرشتكان شب اورا مشاهده ميكنند ودر آخر ديوان اعمال شب ثبت مى نمايند وملائكة روز اورا مى بينند وافتتاح أعمال روز ثبت ميكنند] وفي وقت الصباح أيضاً شواهد القدرة على تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو أخو الموت بالانتباه.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ۝٧٩﴾

﴿ومن الليل﴾ نصب على الظرفية أي: قم بعض الليل ﴿فتهجد به﴾ أي: أزل والق الهجود وهو النوم فإن صيغة التفعل تجيء للإزالة نحو تأثم أي: جانب الإثم وأزاله ويكون التهجد نوماً من الاضداد والضمير المجرور للقرآن من حيث هو لا بقيد إضافته إلى الفجر أو للبعض المفهوم من قوله ﴿ومن الليل﴾ أي: تهجد في ذلك البعض على أن الباء بمعنى في ﴿نافلة لك﴾ النفل في الأصل بمعنى الزيادة أي: فريضة زائدة على الصلوات الخمس

المفروضة خاصة بك دون الأمة كما روت عائشة رضي الله عنها «ثلاث علي فريضة وهي سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل» أو تطوعاً لزيادة الدرجات بخلاف تطوع الأمة فإنه لتكفير الذنوب وتدارك الخلل الواقع في فرائضهم كما قال قتادة ومجاهد أن الوجوب قد نسخ في حقه عليه السلام كما نسخ في حق الأمة فصارت الأمور المذكورة نافلة لأن الله تعالى قال: ﴿نافلة لك﴾ ولم يقل عليك وانتصاب نافلة على المصدرية بتقدير تنفل ﴿عسى﴾ في اللغة للطمع والطمع والاشفاق من الله كالواجب. قال الكاشفي: [شايد والبته چنين بود] ﴿أن يبعثك ربك﴾ من القبر فيقيمك ﴿مقاما محمودا﴾ عندك وعند جميع الناس وهو مقام الشفاعة العامة لأهل المحشر يغبطه به الأولون والآخرون لأن كل من قصد من الأنبياء للشفاعة يحيد عنها ويحيل على غيره حتى يأتوا محمداً للشفاعة فيقول: أنا لها ثم يشفع فيشفع فيمن كان من أهلها [صاحب فتوحات آورده كه مقام محمود مقاميست مرجع جميع مقامات ومنظر تمام أسماء الهية وآن خاصه حضرت محمد است وباب شفاعت درين مقام كشاده ميشود].

اي ذات تودردو كون مقصود وجود ... نام تو محمد ومقامت محمود

والآية رد على المعتزلة المنكرين للشفاعة زعماً أنها تبليغ غير المستحق للثواب إلى درجة المستحقين للثواب وذلك ظلم ولم يعلموا أن المستحق للثواب والعقاب من جعله الله لذلك مستحقاً بفضله وعدله ولا واجب لأحد على الله بل هو يتصرف في عباده على حكم مراده فإن قالت المعتزلة: رويتم عن النبي عليه السلام: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» فعلى هذا المستحق للشفاعة إنما هو من قتل النفس وزنى وشرب الخمر فإن أصحاب الكبائر هؤلاء وهذا إغراء ظاهر لخلق الله على مخالفة أوامره. فالجواب أنه ليس فيه إغراء وإنما فيه أن صاحب الكبائر مع قربه من عذاب الله واستحقاقه عقوبته تستدركه شفاعتي وتنجيه عنايتي وينقذه أرحم الراحمين بحرمتي ومكانتي ففيه مدح الرسول ﷺ نفسه بما له عند الله تعالى من الدرجة الرفيعة والوسيلة فإذا كان حكم صاحب الكبائر هذا فكيف ظنك بصاحب الصغيرة ودعواهم بأن يكون ظلماً قلت: أليس خلقه الله وخلق له القدرة على ارتكاب الكبائر ومكنه منها ولم يكن ذلك إغراء منه على ارتكاب الكبائر كذلك في حق الرسول ﷺ كذا في «الأسئلة المقحمة». وفي «المثنوي»:

كفت پيغمبركه روز رستخيز ... كى كذارم مجرمانرا اشك ريز
من شفيع عاصيان باشم بجان ... تارهانم شان زاشكنجه كران
عاصيان وأهل كبائر رابجهد ... وارهانم ازعتاب ونقض عهد
صالحان امتم خود فارغند ... از شفاعتهاي من روز كزند
بلكه ايشانرا شفاعتها بود ... كفت شان چون حكم نافذمى رود

ثم الآية ترغيب لصلاة التهجد وهي ثمان ركعات قالت عائشة رضي الله عنها: ما كان يزيد رسول الله ﷺ في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثاً» وقال الشيخ عبد الرحمٰن البسطامي قدس سره في «ترويح القلوب»: إذا دخل الثلث الأخير من الليل يقوم ويتوضأ ويصلي التهجد ثنتي عشرة ركعة يقرأ فيها بما شاء وأراد من حزبه وكان عليه الصلاة والسلام يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة يوتر بخمس لا يجلس إلا في آخرهن انتهى وفي

الحديث: «أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل».

دلابر خيز وطاعت كن كه طاعت به زهركارست
سعادت آنكسى داردكه وقت صبح بيدارست
خروسان در سحر كوينده قم يا أيها الغافل
تو ازمستى نمى دانى كسى داندكه هشيارست

وعن ابن عباس رضي الله عنهما:

إذا كثر الطعام فحذروني فإن القلب يفسده الطعام
إذا كثر المنام فنبهوني فإن العمر ينقصه المنام
إذا كثر الكلام فسكتوني فإن الدين يهدمه الكلام
إذا كثر المشيب فحرّكوني فإن الشيب يتبعه الحمام

وفي الخبر: «إذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد فإن قعد وذكر الله انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة أخرى وإن صلى ركعتين انحلت العقد كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح كسلان خبيث النفس» وليل القائم يتنور بنور عبادته كوجهه.

- يحكى - عن شاب عابد أنه قال: نمت عن وردي ليلة فرأيت كأنّ محرابي قد انشق وكأني بجوار قد خرجن من المحراب لم أر أحسن أوجهاً منهن وإذا واحدة فيهن شوهاء أي: قبيحة لم أر أقبح منها منظراً فقلت: لمن أنتن ولمن هذه؟ فقلن: نحن لياليك التي مضين وهذه ليلة نومك فلو مت في ليلتك هذه لكانت هذه حظك. وكان بعض الصالحين يقوم الليل كله ويصلي صلاة الصبح بوضوء العشاء كأبي حنيفة رحمه الله ونحوه. قال بعضهم: لأن أرى في بيتي شيطاناً أحب إلي من أن أرى وسادة فإنها تدعو إلى النوم. وقال بعض العارفين إن الله يطلع على قلوب المستيقظين بالأسحار فيملأها نوراً فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم إلى قلوب الغافلين.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾

﴿وقل رب أدخلني﴾ القبر ﴿مدخل صدق﴾ أي: إدخالاً مرضياً على طهارة وطيب من السيآت ﴿وأخرجني﴾ منه عند البعث ﴿مخرج صدق﴾ أي: إخراجاً مرضياً ملقى بالكرامة آمناً من السخط يدل على هذا المعنى ذكره أثر البعث. فالمدخل والمخرج مصدران بمعنى الإدخال والإخراج والإضافة إلى الصدق لأجل المبالغة نحو حاتم الجود أي: إدخالاً يستأهل أن يسمي ادخالاً ولا يرى فيه ما يكره لأنه في مقابلة مدخل سوء ومخرج سوء وقيل المراد إدخال المدينة والإخراج من مكة فيكون نزولها حين أمر بالهجرة ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليستفزونك﴾ وقيل: إدخاله في كل ما يلابسه من مكان أوامر وإخراجه منه ورجح الأكثرون هذا الوجه فالمعنى حيثما أدخلتني وأخرجتني فليكن بالصدق مني ولا تجعلني ذا وجهين فإن ذا الوجهين لا يجوز أن يكون أميناً ﴿واجعل لي من لدنك﴾ من خزائن نصرك ورحمتك ﴿سلطانا﴾ برهاناً وقهراً ﴿نصيرا﴾ ينصرني من أعداء الدين أو ملكاً وعزا ناصراً للإسلام مظهراً له على الكفر فأجيبت دعوته بقوله: والله يعصمك من الناس فإن حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الأرض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعل له وعنه عليه

السلام أنه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال: «انطلق فقد استعملتك على أهل الله» وكان شديداً على المريب ليناً على المؤمن وقال: لا والله لا أعلم متخلفاً يتخلف من الصلاة في جماعة إلا ضربت عنقه فإنه لا يتخلف عن الصلاة إلا منافق فقال أهل مكة: يا رسول الله لقد استعملت على أهل الله عتاب بن أسيد أعرابياً جافياً فقال عليه السلام: «إني رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقها قلقاً شديداً حتى فتح له فدخلها» فأعز الله الإسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير.

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾

﴿وقل جاء الحق﴾ الإسلام والقرآن ﴿وزهق الباطل﴾ من زهق روحه إذا خرج أي: ذهب وهلك الشرك والشيطان:

ديو بكريزد ازان قوم كه قرآن خوانند

إمام قشيري قدس سره [فرموده حق آنست كه براى خداى بود وباطل آنكه بغير او باشد صاحب تأويلات بر آنست كه حق وجود ثابت واجبست عز شانه كه ازلي وابديست وباطل وجود بشرىء امكانى كه قابل زوال وفناست وچون اشعه لمعات وجود حقاني ظاهر كردد وجود موهوم ممكن درجنب آن متلاشى ومضمحل شود].

همه هرچه هستند ازان كمترند كه باهستيش نام هستى برند
چو سلطان عزت علم بركشد جهان سربجيب عدم دركشد

﴿إن الباطل﴾ كائناً ما كان ﴿كان زهوقا﴾ أي: شأنه أن يكون مضمحلاً غير ثابت. عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فجعل ينكت بمخصرة كانت بيده في عين واحد واحد ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل» فينكب لوجهه حتى ألقي جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال: «يا علي ارم به» فصعد فرمي به فكسره.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾

﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء﴾ لما في الصدور من أدواء الريب وإسقام الأوهام ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ به فإنهم ينتفعون به ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء فإن كل القرآن في تقويم دين المؤمنين واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ﴿ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ أي: لا يزيد القرآن الكافرين المكذبين به الواضعين للأشياء في غير مواضعها مع كونه في نفسه شفاء من الأسقام إلا هلاكاً بكفرهم وتكذيبهم. وفيه إيماء إلى أن ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية لهم في أثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الأمراض وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك. وفيه تعجيب من أمره حيث يكون مداراً للشفاء والهلاك كبعض المطر يكون درا وسما باستعداد المحل وعدم استعداده، قال الحافظ:

كوهر پاك ببايدكه شود قابل فيض ورنه هرسنك وكلى لؤلؤ ومرجان نشود

واعلم أن القرآن شفاء للمرض الجسماني أيضاً روي أنه مرض للأستاذ أبي القاسم القشيري قدس سره ولد مرضاً شديداً بحيث أيس منا فشق ذلك على الأستاذ فرأى الحق

سبحانه في المنام فشكا إليه فقال الحق تعالى: اجمع آيات الشفاء واقرأها عليها واكتبها في إناء واجعل فيه مشروباً واسقه إياه ففعل ذلك فعوفي الولد وآيات الشفاء في القرآن ست ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤]، ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]، ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ [الشعراء: ٨٠]، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]. قال تاج الدين السبكي رحمه الله في طبقاته: ورأيت كثيراً من المشايخ يكتبون هذه الآيات للمريض ويسقاها في الإناء طلباً للعافية وقوله عليه السلام: «من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله» يشمل الاستشفاء به للمرض الجسماني والروحاني. قال الشيخ التميمي رحمه الله في «خواص القرآن»: إذا كتبت الفاتحة في إناء طاهر ومحيت بماء طاهر وغسل المريض وجهه عوفي بإذن الله فإذا شرب من هذا الماء من يجد في قلبه تقلباً أو شكاً أو رجيفاً أو خفقاناً يسكن بإذن الله وزال عنه ألمه وإذا كتبت بمسك في إناء زجاج ومحيت بماء ورد وشرب ذلك الماء البليد الذي لا يحفظ يشربه سبعة أيام زالت بلادته وحفظ ما يسمع. فعلى العاقل أن يتمسك بالقرآن ويداوي به مرضه وقد ورد: «القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما داؤكم فذنوبكم وأما دواؤكم فالاستغفار» فلا بد من معرفة المرض أولاً فإنه ما دام لم يعرف نوعه لا تتيسر المعالجة وأهل القرآن هم الذين يعرفون ذلك فالسلوك بالوسيلة أولى.

﴿**وإذا أنعمنا**﴾ [وچون أنعام كنيم ما] ﴿**على الإنسان**﴾ بالصحة والسعة ﴿**أعرض**﴾ [روي بكرداند ازشكرما] ﴿**ونأى بجانبه**﴾ [وبنفس خود دور شود وكرانه كيرد يعني تكبر وتعظم نمايد واز طريق حق برطرف كردد] فهو كناية عن الاستكبار والتعظم لأن نأي الجانب وتحويل الوجه من ديدن المستكبرين يقال: نأيته وعنه بعدت وكذا ناءِ ﴿**وإذا مسه الشر**﴾ من فقر أو مرض أو نازلة من النوازل وفي إسناد المساس إلى الشر بعد إسناد الإنعام إلى ضمير الجلالة إيذان بأن الخبر مراد بالذات والشر ليس كذلك ﴿**كان يؤوساً**﴾ شديد اليأس من روح الله وفضله وهذا وصف للجنس باعتبار بعض أفراده ممن هو على هذه الصفة ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١] ونظائره فإن ذلك شأن بعض منهم.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ۝٨٤﴾

﴿**قل كل**﴾ من المؤمنين والكافرين ﴿**يعمل**﴾ عمله ﴿**على شاكلته**﴾ طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة، يعني: [هركس آن كندكه ازوسزد]:

هـــركـــســـى آن كـــنـــد كـــزوســـايـــد

من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تشعب منه. قال في «القاموس»: الشاكلة الشكل والناحية والنية والطريقة والمذهب ﴿**فربكم**﴾ الذي برأكم على هذه الطبائع المختلفة ﴿**اعلم بمن هو أهدى سبيلا**﴾ أسدّ طريقاً وأبين منهاجاً أي: يعلم المهتدي والضال فيجازي كلاً بعمله. وفي الآية إشارة إلى أن الأعمال دلائل الأحوال، وفي «المثنوي»:

درزميـن كـرنـيشـكـر ورخـودنـيسـت ... تـرجـمـان هـرزمـيـن نـبـت ويـسـت

فمن وجد نفسه في خير وطاعة وشكر فليحمد الله تعالى كثيراً ومن وجدها في شر وفسق وكفران ويأس فليرجع قبل أن يخرج الأمر من يده.

ـ روي ـ أن ملكاً صاحب زينة واسع المملكة كثير الخزينة اتخذ ضيافة وجمع أمراءه وأحضر ألوان الأطعمة والأشربة فلما أرادوا التناول إذا طرق رجل حلقة الباب بحيث تزلزل السرير فقال له الغلمان: ما هذا الحرص وسوء الأدب أيها الفقير اصبر حتى نأكل ونطعمك فقال: ما لي حاجة إلى طعامكم وإنما أريد الملك فقالوا: ما لك وللملك فطرق ثانياً أشد من الأول فقصدوا إليه بالسلاح فصاح صيحة وقال: مكانكم أنا ملك الموت جئت أقبض روح ملك دار الفناء فبطلت حواسهم وقواهم عن الحركة فاستمهل الملك فأبى فتأسف وقال: لعن الله المال فإنه غرني فاليوم خرجت صفر اليد وبقي نفعه للأعداء وحسابه وعذابه عليّ فأنطق الله المال فقال: لا تلعنني بل العن نفسك فإني كنت مسخراً لك وكنت مختاراً فالآن لم تترك الظلم لاعتيادك حتى تسب البريء والمذنب أنت ففي هذه الحكاية أمور:

الأول: أن الله تعالى أنعم على هذا الملك بالملك والمال والجاه والجلال فأعرض عن شكرها ولم يقيدها به، سعدي:

خردمند طبعان منت شناس ... بدوزند نعمت بميخ سپاس

والثاني: أنه مسه الموت فكان يؤوساً من فضل الله حيث اشتغل باللعن والسب بدل التوبة والتوجه إلى الله تعالى والله تعالى يقبل توبة عبده ما لم يغرغر، سعدي:

طريقي بدست آر وصلحى بجوى ... شفيعي برا نكيز وعذري بكوى

كه يكلحظه صورت نبندد امان ... چون پيمانه پرشد بدور زمان

والثالث: أنه عمل على شاكلته فجوزي الشر إذ لم يكن له استعداد لغيره.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

﴿ويسألونك﴾ [آورده اندكه كفار عرب نضر بن حارث وأبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط را بمدينه فرستادند تا ازيهود يثرب استفسار حال حضرت پيغمبر عليه السلام نمايند چون باايشان ملاقات كرده احوال باز كفتند يهود متعجب شد كفتند اي صناديد عرب ما دانسته ايم كه زمان ظهور پيغمبرى نزديكست وازسخنان شما رائحه أحوال آن نبي استشمام ميتوان كرد شما بجهت آزمايش ازوپرسيدكه طواف مشرق ومغرب كه كرده وأحوال جوانان كه درزمان پيشين كم شدند چكونه است وروح چيست اكرهرسه سؤال راجواب دهد يا هيچ كدام را جواب ندهد بدانيدكه او پيغمبر نيست واكر دوراجواب دهد وازروح هيچ نكويد پيغمبراست ايشان بمكه آمده مجلس ساختند وازان حضرت سؤال كردند آن دو سؤال را جواب داد ودر قصه روح اين آيت نازل شد]**﴿ويسألونك﴾** أي: اليهود**﴿عن الروح﴾** الذي هو روح البدن الإنساني ومبدأ حياته سألوه عن حقيقته فأجيبوا بقوله: **﴿قل الروح من أمر ربي﴾** أي: من جنس ما استأثر الله بعلمه من الأسرار الخفية التي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر فالأمر واحد الأمور بمعنى الشأن والإضافة للاختصاص العلمي لا الإيجادي لاشتراك الكل فيه كذا في **«الإرشاد»**. وقال البيضاوي من الإبداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من أصل كأعضاء

جسده انتهى.

اعلم أن ما تعلق به الإيجاد ودخل تحت الوجود فإما أن يكون حصوله ووجوده لا من مادة ولا في مدة فهو المبدعات كالمجردات فهي موجودة من كل وجه بالفعل وليس لها حالة منتظرة الوجود وهي مظاهر للأسماء التي بحركة بعضها يتقدر الزمان وإما من مادة وفي مدة فهي المسميات بالمحدثات وهي العناصر والمركبات منها وإما في مدة لا من مادة فقيل لا وجود لهذا القسم لأن كل ما يتحصل في مدة لا بد وأن يكون من مادة إلا على قول من ذهب بحدوث النفس الناطقة عند حدوث البدن وهذه الأقسام الباقية مظاهر الأسماء المتغيرة الأحكام على الوجه الذي اطلع عليه أهل الله ذكره داود القيصري قدس سره. قال: حضرت شيخي وسندي روح الله روحه الطاهر في شرح تفسير الفاتحة للشيخ صدر الدين القنوي قدس سره الخلق عالم العين والكون والحدوث روحاً وجسماً والأمر عالم العلم والاله والوجوب وعالم الخلق تابع لعالم الأمر إذ هو أصله ومبدأه قل الروح من أمر ربي انتهى وسيجيء غير هذا ﴿**وما أوتيتم**﴾ أيها المؤمنون والكافرون كما في «تفسير الكواشي» ﴿**من العلم إلا قليلا**﴾ لا يمكن تعلقه بأمثال ذلك أي: إلا علماً قليلاً تستفيدونه من طرق الحواس فإن اكتساب العقل للمعارف النظرية إنما هو من الضروريات المستفادة من إحساس الجزئيات ولذلك قيل: من فقد حساً فقد علماً ولعل أكثر الأشياء لا يدركه الحس ولا شيئاً من أحوال المعرفة لذاته وهو إشارة إلى أن الروح مما لم يمكن معرفة ذاته إلا بعوارض تميزه عما يلتبس به. قال في «بحر العلوم» الخطاب في ﴿**وما أوتيتم**﴾ عام ويؤيده ما روي أن رسول الله ﷺ لما قال لهم ذلك قالوا: أنحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال: «بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلاً» فقالوا: ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وساعة تقول هذا فنزلت ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧] وما قالوه باطل مردود فإن علم الحادث في جنب علم القديم قليل إذ علم العباد متناه وعلم الله لا نهاية له والمتناهي بالنسبة إلى غير المتناهي كقطرة بالإضافة إلى بحر عظيم لا غاية له. قال بعض الكبار: علم الأولياء من علم الأنبياء بمنزلة قطرة من سبعة أبحر وعلم الأنبياء من علم نبينا محمد عليه السلام بهذه المثابة وعلم نبينا من علم الحق سبحانه بهذه المنزلة فالعلم الذي أوتيه العباد وإن كان كثيراً في نفسه لكنه قليل بالنسبة إلى علم الحق تعالى: [شيخ أبو مدين مغربي قدس سره فرمودكه اين اندكى كه خداى تعالى داده است از علم نه ازان ماست بلكه عاريتست نزديك ما وبسياري آن برسيده ايم پس على الدوام جاهلاً نيم وجاهل را دعوى دانش نرسد] قال المولى الجامي:

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمت وألهمت لنا الهاما

قال في «الكواشي»: اختلفوا في الروح وماهيته ولم يأت أحد منهم على دعواه بدليل قطعي غير أنه شيء بمفارقته يموت الإنسان وبملازمته له يبقى انتهى. يقول الفقير: الروح سلطاني وحيواني والأول من عالم الأمر ويقال له المفارق أيضاً لمفارقته عن البدن وتعلقه به تعلق التدبير والتصرف وهو لا يفنى بخراب هذا البدن وإنما يفنى تصرفه في أعضاء البدن ومحل تعينه هو القلب الصنوبري والقلب من عالم الملكوت والثاني من عالم الخلق ويقال له: القلب والعقل والنفس أيضاً وهو سار في جميع أعضاء البدن إلا أن سلطانه قوي في الدم فهو

أقوى مظاهره ومحل تعينه هو الدماغ وهو إنما حدث بعد تعلق الروح السلطاني بهذا الهيكل المحسوس فهو من انعكاس أنوار الروح السلطاني وهو مبدأ الأفعال والحركات فإن الحياة أمر مغيب مستور في الحي لا يعلم إلا بآثاره كالحس والحركة والعلم والإرادة وغيرها ولولا هذا الروح ما صدر من الإنسان ما صدر من الآثار المختلفة لأنه بمنزلة الصفة من الذات فكما أن الأفعال الإلهية تبتني على اجتماع الذات بالصفة كذلك الأفعال الإنسانية تتفرع من اجتماع الروح السلطاني بالروح الحيواني وكما أن الصفات الإلهية الكمالية كانت في باطن غيب الذات الأحدية قبل وجود هذه الأفعال والآثار كذلك هذا الروح الحيواني كان بالقوة في باطن الروح السلطاني قبل تعلقه بهذا البدن فإذا عرفت هذا وقفت على معنى قوله عليه السلام: «أولياء الله لا يموتون بل ينقلون من دار إلى دار» لأن الانتقال كالانسلاخ حال الفناء التام. وللروح خمسة أحوال:

حالة العدم: قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١] الآية.

وحالة الوجود في عالم الأرواح قال الله تعالى: «خلقت الأرواح قبل الأجساد بألفي سنة».

وحالة التعلق: قال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩].

وحالة المفارقة: قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وحالة الإعادة: قال: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٢١].

أما فائدة حالة العدم فلحصول المعرفة بحدوث نفسه وقدم صانعه.

وأما فائدة حالة الوجود في عالم الأرواح فلمعرفة الله بالصفات الذاتية من القادرية والحياتية والعالمية والموجودية والسميعية والبصيرية والمتكلمية والمريدية.

وأما فائدة تعلقه بالجسد فلاكتساب كمال المعرفة في عالم الغيب والشهادة من الجزئيات والكليات.

وأما فائدة نفخ الروح في البدن فلحصول المعرفة بالصفات الفعلية من الرزاقية والتوابية والغفارية والرحمانية والرحيمية والمنعمية والمحسنية والوهابية.

وأما فائدة حالة المفارقة فلدفع الخبائث التي حصلت للروح بصحبة الأجسام ولشرب الذوق في مقام العندية.

وأما فائدة حالة الإعادة فلحصول التنعمات الأخروية.

وفي «التأويلات النجمية»: إن الله تعالى خلق العوالم الكثيرة ففي بعض الروايات خلق ثلاثمائة وستين ألف عالم ولكنه جعلها محصورة في عالمين اثنين وهما الخلق والأمر كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فعبر عن عالم الدنيا وما يدرك بالحواس الخمس الظاهرة وهي: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس بالخلق وعبّر عن عالم الآخرة وهو ما يدرك بالحواس الخمس الباطنة وهي العقل والقلب والسر والروح والخفي بالأمر فعالم الأمر هو الأوليات العظائم التي خلقها الله تعالى للبقاء من الروح والعقل والقلم واللوح والعرش والكرسي والجنة والنار ويسمى عالم الأمر أمراً لأنه أوجده بأمر كن من لا شيء بلا واسطة شيء كقوله: ﴿خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ١] ولما كان أمره قديماً فما كوّن بالأمر القديم وإن كان حادثاً كان باقياً وسمي عالم الخلق خلقاً لأنه أوجده بالوسائط من شيء كقوله:

﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٨٥] فلما أن الوسائط كانت مخلوقة من شيء مخلوق سماه خلقاً خلقه الله للفناء فتبين أن قوله: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ إنما هو لتعريف الروح معناه أنه من عالم الأمر والبقاء لا من عالم الخلق والفناء وأنه ليس للاستبهام كما ظن جماعة أن الله تعالى أبهم علم الروح على الخلق واستأثره لنفسه حتى قالوا: إن النبي عليه السلام لم يكن عالماً به جل منصب حبيب الله عن أن يكون جاهلاً بالروح مع أنه عالم بالله وقد منّ الله عليه بقوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ [النساء: ١١٣] احسبوا أن علم الروح مما لم يكن يعلمه ألم يخبر أن الله علمه ما لم يكن يعلم فأما سكوته عن جواب سؤال الروح وتوقفه انتظاراً للوحي حين سألته اليهود فقد كان لغموض يرى في معنى الجواب ودقة لا تفهمها اليهود لبلادة طباعهم وقساوة قلوبهم وفساد عقائدهم فإنه وما يعقلها إلا العالمون وهم أرباب السلوك والسائرون إلى الله فإنهم لما عبروا عن النفس وصفاتها ووصلوا إلى حريم القلب عرفوا النفس بنور القلب ولما عبروا بالسر عن القلب وصفاته ووصلوا إلى مقام السر عرفوا بعلم السر القلب وإذا عبروا عن السر ووصلوا إلى عالم الروح عرفوا بنور الروح السر وإذا عبروا عن عالم الروح ووصلوا إلى منزل الخفي عرفوا بشواهد الحق الروح وإذا عبروا عن منزل الخفي ووصلوا إلى ساحل بحر الحقيقة عرفوا بأنوار صفات مشاهدات الجميل الخفي وإذا فنوا بسطوات تجلي صفات الجلال عن أنانية الوجود ووصلوا إلى لجة بحر الحقيقة كوشفوا بهوية الحق تعالى وإذا استغرقوا في بحر الهوية وأبقوا ببقاء الألوهية عرفوا الله بالله فإذا كان هذا حال الولي فكيف حال من يقول: علمت ما كان وما سيكون.

واعلم أن الروح الإنساني وهو أول شيء تعلقت به القدرة جوهرة نورانية ولطيفة ربانية من عالم الأمر وعالم الأمر هو الملكوت الذي خلق من لا شيء وعالم الخلق هو الملك الذي خلق من شيء كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥] وما خلق الله من شيء والعالم عالمان يعبر عنهما بالدنيا والآخرة والملك والملكوت والشهادة والغيب والصورة والمعنى والخلق والأمر والظاهر والباطن والأجسام والأرواح ويراد بهما ظاهر الكون وباطنه فثبت بالآية أن الملكوت الذي هو باطن الكون خلق من لا شيء إذ ما عداه من الملك خلق من شيء وأما قوله ﷺ: «أول ما خلق الله جوهرة» «وأول ما خلق الله روحي» «وأول ما خلق الله العقل. وأول ما خلق الله القلم». وقول بعض الكبراء من الأئمة: إن أول المخلوقات على الإطلاق ملك كروبي يسمى العقل وهو صاحب القلب وتسميته قلماً كتسمية صاحب السيف سيفاً كما قيل لخالد بن وليد رضي الله عنه سيف الله وهو أول لقب في الإسلام وقول الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗا﴾ [النبأ: ٣٨] وقد جاء في الخبر «إن الروح ملك يقوم صفاً» فلا يبعد أن يكون هذا الملك العظيم الذي هو أول المخلوقات هو الروح النبوي فإن المخلوق الأول مسمى واحد وله أسماء مختلفة فبحسب كل صفة فيه سمي باسم آخر ولا ريب أن أصل الكون كان النبي عليه السلام لقوله: «لولاك لما خلقت الكون» فهو أولى أن يكون أصلاً وما سواه أولى أن يكون تبعاً له لأنه كان بالروح بذر شجرة الموجودات فلما بلغ أشده وبلغ أربعين سنة كان بالجسم والروح ثمرة شجرة الموجودات وهي سدرة المنتهى فكما أن الثمرة تخرج من فرع الشجرة كان خروجه إلى قاب قوسين أو أدنى ولهذا قال: «نحن الآخرون السابقون» يعني: الآخرون بالخروج كالثمرة والسابقون بالخلق كالبذر فيلزم من ذلك أن يكون

روحه ﷺ أول شيء تعلقت به القدرة وأن يكون هو المسمى بالأسماء المختلفة فباعتبار أنه كان درة صدف الموجودات سمي درة وجوهرة كما جاء في الخبر «أول ما خلق الله جوهرة» وفي رواية «درة فنظر إليها فذابت فخلق منها كذا وكذا» وباعتبار نورانيته سمي نوراً وباعتبار وفور عقله سمي عقلاً وباعتبار غلبات الصفات الملكية عليه سمي ملكاً وباعتبار أنه صاحب القلم سمي قلماً وكيف يظن به عليه السلام أنه لم يكن عارفاً بالروح والروح هو نفسه وقد قال: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» والأرواح كلها خلقت من روح النبي ﷺ وأن روحها أصل الأرواح ولهذا سمي أمياً أي: أنه أم الأرواح فكما كان آدم عليه السلام أبا البشر كان النبي عليه السلام أبا الأرواح وأمها كما كان آدم أباً وحوا أمها وذلك أن الله تعالى لما خلق روح النبي عليه السلام كان الله ولم يكن معه شيء إلا روحه وما كان شيء آخر حتى ينسب روحه إليه أو يضاف إليه غير الله فلما كان روحه أول باكورة أثمرها الله تعالى بإيجاده من شجرة الوجود وأول شيء تعلقت به القدرة شرفه بتشريف إضافته إلى نفسه تعالى فسماه روحي كما سمي أول بيت من بيوت الله وضع للناس وشرفه بالإضافة إلى نفسه فقال له بيتي ثم حين أراد أن يخلق آدم سواه ونفخ فيه من روحه أي: من الروح المضاف إلى نفسه وهو روح النبي ﷺ كما قال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩] فكان روح آدم من روح النبي عليه السلام بهذا الدليل وكذلك أرواح أولاده لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة: ٩٨] وقال في عيسى ابن مريم عليه السلام: «ونفخنا فيه من روحنا» فكانت النفخة لجبريل وروحها من روح النبي عليه السلام المضاف إلى الحضرة وهذا أحد أسرار قوله: «آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة» ثم قوله تعالى: **﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾** راجع إلى اليهود الذين سألوا النبي عليه السلام عن الروح يعني أنكم سألتموني وقد أجبتكم أنه من أمر ربي ولكنكم ما تفقهون كلامي لأني أخبركم عن عالم الآخرة وعن الغيب وأنتم أهل الدنيا والحس وعلمها قليل بالنسبة إلى الآخرة وعلمها فإنكم عن علمها غافلون كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: ٧] انتهى ما في «التأويلات» باختصار.

﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾ اللام الأولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد جوابي القسم والشرط والمعنى والله إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من المصاحف والصدور فلم نترك منه أثراً وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب وهذا الكلام وارد على سبيل الفرض والمحال يصح فرضه لغرض فكيف ما ليس بمحال **﴿ثم لا تجد لك به﴾** بالقرآن أي: بعد ذهابه كما قال الكاشفي: [پس نيابي تو براي خود بآن يعني نيابي بعد ازبردن آن] **﴿علينا وكيلا﴾** [وكيلي كه آنرا استرداد برما كند وبسينها ومصحفها باز آرد] وعلينا متعلق بوكيلاً.

﴿إلا رحمة من ربك﴾ إلا أن يرحمك ربك فيرد عليك كأن رحمته تتوكل عليك بالرد فالاستثناء متصل. وقال الكاشفي: [ليكن رحمتست از پروردكار توكه آنرا باقي ميكذارد ومحو نمى كند] فالاستثناء منقطع. وفي «الكواشي» إلا رحمة مفعول له أي: حفظناه عليك للرحمة ثم قال: وهذا خطاب له عليه السلام والمراد غيره **﴿إن فضله كان عليك كبيرا﴾** بإرسالك وإنزال الكتاب عليك وإبقائه في حفظك. قال الكاشفي: [بدرستى كه فضل اوست برتو بزرك

كه تراسيد ولد آدم ساخته وختم پيغمبران كردانيد ولواء حمد ومقام محمود بتو داد وقرآن بتو فرستاده درميان امت نوباقى ميكذارد ومحو نمى سازد].

﴿قل﴾ للذين لا يعرفون جلالة قدر التنزيل بل يزعمون أنه من كلام البشر ﴿لئن اجتمعت الإنس والجن﴾ أي: اتفقوا ﴿على أن يأتوا﴾ [بيارند] ﴿بمثل هذا القرآن﴾ في البلاغة وكمال المعنى وحسن النظم والاخبار عن الغيب وفهم العرب العرباء وأرباب البيان وأهل التحقيق وتخصيص الثقلين بالذكر لأن التحدي معهما لا مع الملائكة إذ المنكر لكونه من عند الله منهما لا من غيرهما وإلا فلا يقدر على إتيان مثله إلا الله تعالى وحده. وفي «عين الحياة» لفظ الجن يتناول الملائكة وكل من لم يدركه حس البصر لأنهم مستورون عن البصر يقال جن بترسه إذا ستر به ولذا قيل للترس المجن. وفي «بحر العلوم» ذكر الإنس والجن دون الملائكة إشارة إلى أن من شأن الثقلين أن يجتمعوا على المحال بخلاف الملائكة إذ ليس من شأنهم ذلك ﴿لا يأتون بمثله﴾ بكلام مماثل له في صفاته البديعة وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة وساد مسد جزاء الشرط ولولاها لكان جواباً له بغير جزم لكون الشرط ماضياً.

قال في «التأويلات النجمية»: وإنما قال: لا يأتون بمثله لأنه ليس لكلام الله تعالى مثل إذ كلامه صفته وكما أنه ليس لذاته مثل فكذلك ليس لصفاته مثل لأنها قديمة قائمة بذاته تبارك وتعالى وصفات المخلوقات مخلوقة قابلة للتغيير والفناء ﴿ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ مظاهراً ومعاوناً في الإتيان بمثله أي: لم يكن بعضهم ظهيراً لبعض ولو كان إلخ.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾﴾

﴿ولقد صرفنا﴾ أي: بالله قد رددناه وكررناه بوجوه مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان ووكادة رسوخ واطمئنان ﴿للناس في هذا القرآن﴾ المنعوت بالنعوت الفاضلة ﴿من كل مثل﴾ من كل معنى بديع هو كالمثل في الغرابة والحسن واستجلاب النفس ليتلقوه بالقبول ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾ جحوداً وإنكاراً للحق وإنما جاز الاستثناء من الموجب مع أنه لا يصح ضربت إلا زيداً لأنه متأول بالنفي مثل لم يرد ولم يرض وما قبل وما اختار.

وفي الآية فوائد:

منها: أن القرآن العظيم أجل النعم وأعظمها فوجب على كل عالم وحافظ أن يقوم بشكره ويحافظ على أداء حقوقه قبل أن يخرج الأمر من يده. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولا دين لهم وإن هذا القرآن تصبحون يوماً وما فيكم منه شيء فقال رجل: كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا نعلم أبناءنا ويعلم أبناؤنا أبناءهم فقال يسري عليه ليلاً فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الرب تعالى: ما لك؟ فيقول: يا رب أتلى ولا يعمل بي أتلى ولا يعمل بي وفي الحديث: «ثلاثة هم الغرباء في الدنيا القرآن في جوف الظالم والرجل الصالح في قوم سوء والمصحف في بيت لا يقرأ منه»، قال الشيخ سعدي:

علم چندانكه بيشتر خوانى — چون عمل نيست نادانى
نه محقق بود نه دانشمند — چار پايى برو كتاب چند
آن تهى مغزراچه علم وخبر — كه برو هيزمست ويا دفتر

وقال:

عالم اندرميان جاهل را — مثلى كفته اند صديقان
شاهدي درميان كورانست — مصحفي درسيان زنديقان

ومنها: أنه ليس في استعداد الإنسان ولا في مخلوق غيره أن يأتي بكلام جامع مثل كلام الله تعالى له عبارة في غاية الجزالة والفصاحة وإشارة في غاية الدقة والحذاقة ولطائف في غاية اللطف والنظافة وحقائق في غاية الحقية والنزاهة. قال جعفر بن محمد الصادق ـ رضي الله عنهما ـ عبارة القرآن للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء، وفي «المثنوي»:

خوش بيان كرد آن حكيم غزنوى — بهر محجوبان مثال معنوى
كه زقر آن كرنه بيند غير قال — اين عجب نبود ز اصحاب ضلال
كز شعاع آفتاب پر زنور — غير كرمى مى نيابد چشم كور
تو زقرآن اي پسر ظاهر مبين — ديو آدم را نبيند جزكه طين
ظاهر قرآن چو شخص آدميست — كه نقوشش ظاهر وجانش خفيست

اعلم أن القرآن غير مخلوق لأنه صفة الله تعالى وصفاته بأسرها أزلية غير مخلوقة. قال أبو حنيفة رحمه الله: فمن قال إنها مخلوقة أو وقف فيها أو شك فيها فهو كافر بالله وما ذكر من الوجوه الدالة على حدوث اللفظ فهو غير المتنازع فيه عند الأشعرية والمنصورية أيضاً كمن قال بأن كلامه تعالى حرف وصوت يقومان بذاته ومع ذلك قديم وأعجب من هذا قولهم الجلد والعلاقة قديمان أيضاً. وفي «الفتوحات المكية»: قدس الله سر مصدرها أن المفهوم من كون القرآن حروفاً أمران الأمر الواحد يسمى قولاً وكلاماً ولفظاً والأمر الآخر يسمى كتابة ورقماً وخطا والقرآن يخط فله حروف الرقم وينطق به فله حروف اللفظ فهل يرجع كونه حروفاً منطوقاً بها لكلام الله الذي هو صفته أو للمترجم عنه؟.

فاعلم أنه قد أخبرنا نبيه ﷺ أنه سبحانه يتجلى في يوم القيامة بصور مختلفة فيعرف وينكر فمن كان حقيقته تقبل التجلي لا يبعد أن يكون الكلام بالحروف المتلفظ بها المسماة كلاماً لبعض تلك الصور كما يليق بجلاله وكما تقول تجلى في صورة كما يليق بجلاله كذلك تقول تكلم بحرف وصوت كما يليق بجلاله وقال رضي الله عنه بعد كلام طويل فإذا تحققت ما قررناه يثبت أن كلام الله هو هذا المتلو المسموع المتلفظ به المسمى قرآناً توراة وزبوراً وإنجيلاً انتهى. قال بعضهم: كلام الله عين المتكلم في رتبة ومعنى قائم به في أخرى كالكلام النفسي وأنه مركب من الحروف ومتعين بها في عالمي المثال والحس يحس بهما.

ومنها: أن أكثر الناس لا يعرفون قدر النعم الإلهية ولا يتنبهون للتنبيهات الربانية فواحد من الألف للجنة وبعث الباقي إلى النار وهم الجهلاء الذين أعرضوا عن الحق وتعلمه، وفي «المثنوي»:

پند كفتن باجهول خوابناك — تخم افكندن بودور شوره خاك
چاك حمق وجهل نپذيرد رفو — تخم حكمت كم دهش اي پندكو

﴿وقالوا﴾ قال الإمام الواحدي في «أسباب النزول»: روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عتبة وشيبة وأبا سفيان والنضر بن الحارث وأبا البختري والوليد بن المغيرة وأبا جهل وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف ورؤساء قريش اجتمعوا عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا إليه أن أشراف قومك اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم سريعاً وهو يظن أنه بدا لهم في أمره بداء وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عتبهم حتى جلس إليهم فقالوا: يا محمد إنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة وما بقي أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك فإن كنت إنما جئت بهذا تطلب به مالاً جعلنا لك من أموالنا ما تكون به أكثرنا مالاً وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا وإن كان هذا الرئيّ الذي يأتيك قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئيّ بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك فقال رسول الله ﷺ: «ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم ولا للشرف فيكم ولا للملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليّ كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم» قالوا: يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا فقد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلاداً ولا أقل مالاً ولا أشد عيشاً منا فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك فليسر عنّا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا أو يبسط لنا بلادنا وليجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا ما مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخاً صدوقاً فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فإن صنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولاً كما تقول فقال رسول الله ﷺ: «ما بهذا بعثت إنما جئتكم من عند الله بما بعثني به فقد بلغتكم ما أرسلت به فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه أصبر لأمر الله» قالوا: فإن لم تفعل هذا فسل ربك أن يبعث ملكاً يصدقك وسله أن يجعل لك جنات وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ويغنيك بها عما سواك فإنك تقوم في الأسواق وتلتمس المعاش فقال عليه السلام: «ما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت إليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً» قالوا: سله أن يسقط علينا السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل فقال عليه السلام: «ذلك إلى الله تعالى إن شاء فعل» وقال قائل منهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً وقام عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي وهو ابن عاتكة بنت عبد المطلب ابن عمة النبي عليه السلام ثم أسلم بعد وحسن إسلامه فقال: لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً وترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتينا وتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول فانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً لما فاته من متابعة قومه لما رأى من مباعدتهم عنه فأنزل الله تعالى.

﴿وقالوا﴾ أي: مشركو مكة ورؤساؤهم ﴿لن نؤمن لك﴾ لن نعترف لك يا محمد بنبوتك ورسالتك ﴿حتى تفجر لنا﴾ [تا وقتى كه روان سازى براى ماء] ﴿من الأرض﴾ أرض مكة ﴿ينبوعا﴾ [چشمه پر آب هركز كم نكردد] فالينبوع العين الكثيرة الماء ينبع ماؤها ولا يغور ولا ينقطع.

﴿أو تكون لك جنة﴾ بستان يستر أشجاره ما تحتها من العرصة ﴿من نخيل وعنب﴾ [از درختان خرما وانكور يعني مشتمل بران درختان] وهما اسم جمع لنخلة وعنبة ﴿فتفجر الأنهار﴾ أي: تجريها بقوة ﴿خلالها﴾ [درميان آن بستانها] قال في «القاموس» خلال الدار ما حوالي جدورها وما بين بيوتها وخلال السحاب مخارج الماء ﴿تفجيرا﴾ كثيراً والمراد إما إجراء الأنهار خلالها عند سقيها أو إدامة إجرائها كما ينبىء عنه الفاء لا ابتداؤه.

﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾

﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا﴾ جمع كسفة كقطع وقطعة لفظاً ومعنى حال من السماء والكاف في كما في محل النصب على أنه صفة مصدر محذوف أي: إسقاطاً مماثلاً لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سبا: ٩] ﴿أو تأتي﴾ [يابيارى] ﴿بالله والملائكة قبيلا﴾ مقابلاً كالعشير والمعاشر كما قال الكاشفي: [در مقابله يعني عيان نمايى انتهى] أو كفيلاً يشهد بصحة ما تدعيه وهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها أي: والملائكة قبيلاً.

﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾ من ذهب وأصله الزينة. قال الكاشفي [خانه از زركه در انجا بنشيني واز درويشى يا زرهى] ﴿أو ترقى﴾ تصعد ﴿في السماء﴾ في معارجها فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة كرضي رقياً أي: صعد وعلا صعوداً وعلواً ﴿ولن نؤمن لرقيك﴾ أي: لأجل رقيك فيها وحده أي: صعودك فاللام للتعليل أو لن نصدق رقيك فيها فاللام صلة ﴿حتى تنزل﴾ منها ﴿علينا كتابا﴾ فيه تصديقك ﴿نقرؤه﴾ نحن من غير أن يتلقى من قبلك وكانوا يقصدون بمثل هذه الاقتراحات اللج والعناد ولو كان مرادهم الاسترشاد لكفاهم ما شاهدوا من المعجزات ﴿قل﴾ تعجباً من شدة شكيمتهم واقتراحهم وتنزيهاً لساحة السبحان ﴿سبحان ربي﴾ [پاكست پروردكار من از آنكه بروى تحكم كند كسى يا شريك أو شود در قدرت] ﴿هل كنت﴾ [آيا هستم من] ﴿إلا بشرا﴾ لا ملكاً حتى يتصور مني الترقي في السماء ونحوه ﴿رسولا﴾ مأموراً من قبل ربي بتبليغ الرسالة من غير أن يكون لي خيرة في الأمر كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله على أيديهم حسبما يلائم حال قومهم ولم تكن الآيات إليهم ولا لهم أن يتحكموا على الله بشيء منها وقوله بشراً خبر كنت ورسولاً صفته وفيه إشارة إلى أنهم أرباب الحس الحيواني يطلبون الإعجاز من ظاهر المحسوسات ما لهم بصيرة يبصرون بها شواهد الحق ودلائل النبوة وإعجاز عالم المعاني بالولاية الروحانية والقوة الربانية فيطلبون فيه تزكية النفوس وتصفية القلوب وتحلية الأرواح وتفجير ينابيع الحكمة من أرض القلوب لينبت منها تخيل المشاهدات وأعناب المكاشفات في جنات المواصلات.
فعلى السالك الصادق أن يطلب الوصول إلى عالم المعنى فإنه هو المطلب الأعلى ولن يصل إليه إلا بقدمي العلم والعمل والرجوع إلى حالة التراب بالتواضع قال عيسى عليه السلام: أين تنبت الحبة؟ قالوا: في الأرض فقال عيسى: كذلك الحكمة لا تنبت إلا في قلب مثل الأرض يشير إلى التواضع ورفع الكبر وإلى هذا الإشارة بقول سيد البشر ﷺ: «ظهرت ينابيع الحكمة

من قلبه على لسانه» والينابيع لا تكون إلا في الأرض وهو موضع نبع الماء وهذا المقام إنما يحصل بترك الرياسة وهو بمعرفة النفس وعبوديتها فلا يجتمع العبودية والرياسة أبداً فإن واحداً لا يصير سلطاناً ورعية معاً وإلى هذا يشير المولى الجامي بقوله:

بالباس فقر بايد خلعت شاهى درست زشت باشد جامه نيمى اطلس ونيمى پلاس

فانظر في هذه الآيات إلى سوء أدب المشركين بالاقتراحات المنقولة عنهم وإلى كمال الأدب المحمدي والفناء الأحمدي وترك الاعتراض.

ـ حكي ـ أن ليلى لما كسرت إناء قيس المجنون رقص ثلاثة أيام من الشوق فقيل: أيها المجنون كنت تظن أن ليلى تحبك فقد كسرت إناءك فضلاً عن المحبة فقال: إنما المجنون من لم يتفطن لهذا السر يعني: أن كسر الوعاء عبارة عن الإفناء فالطالب لا يصل إلى مقصوده إلا بعد إفناء وجوده.

خمير مايه هرنيك وبدتويى جامى خلاص ازهمه مى بابدت زخود بكريز

فالعاقل يسعى في إفناء الوجود واستجلاب الشهود ويجهد في تطهير القلب عن الإدناس ولا يأنس بشيء سوى ذكر رب الناس. وقال الإمام الغزالي رحمه الله: لا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث: صفات صفاء القلب أعني طهارته عن أدناس الدنيا وأنسه بذكر الله تعالى وحبه لله وصفاء القلب وطهارته لا يكون إلا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الذكر والفكر وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

﴿**وما منع الناس**﴾ أي: قريشاً من ﴿**أن يؤمنوا**﴾ بالقرآن وبالنبوة ﴿**إذ جاءهم الهدى**﴾ وقت مجيء الوحي ظرف لمنع أو يؤمنوا ﴿**إلا أن قالوا**﴾ إلا قولهم ﴿**أبعث الله بشرا**﴾ حال من ﴿**رسولا**﴾ منكرين أن يكون رسول الله من جنس البشر فالمانع هو الاعتقاد المستلزم لهذا القول.

﴿**قل**﴾ جواباً لشبهتهم ﴿**لو كان**﴾ لو وجد واستقر ﴿**في الأرض**﴾ بدل البشر ﴿**ملائكة يمشون**﴾ على أقدامهم كما يمشي الناس ولا يطيرون بأجنحتهم إلى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلموا ما يجب علمه ﴿**مطمئنين**﴾ ساكنين فيها قارين ﴿**لنزلنا عليهم من السماء ملكا**﴾ حال من ﴿**رسولا**﴾ ليبين لهم ما يحتاجون إليه من أمور الدنيا والدين لأن الجنس إلى الجنس يميل ولما كان سكان الأرض بشراً وجب أن يكون رسولهم بشراً ليمكن الإفادة والاستفادة وهم جهلوا أن التجانس يورث التوانس والتخالف يوجب التنافر.

أو بشر فرمود وخودرا مثلكم تا بجنس آيندوكم كر دندوكم

زانكه جنسيت عجائب جاذبيست جاذب جنست هر جاطا لبيست

﴿**قل كفى بالله**﴾ وحده ﴿**شهيدا**﴾ على أني بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم كذبتم

وعاندتم ﴿بيني وبينكم﴾ لم يقل بيننا تحقيقاً للمفارقة ﴿إنه كان بعباده﴾ من الرسل والمرسل إليهم ﴿خبيرا بصيرا﴾ محيطاً بظواهر أحوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك. وفيه تسلية له عليه السلام وتهديد للكافرين. وفي الآية إشارة إلى أن الجهلاء يستبعدون إرسال الإنسان الكامل من أبناء جنسهم ويحسبون أن الملائكة أعلى درجة منه مع ما جعله الله مسجوداً للملائكة وأودع فيه من سر الخلافة ولو كان الملك مستأهلاً للخلافة في الأرض لكان الله نزل رسولاً من الملائكة وهو شاهد بأنه مستعد للرسالة والخلافة والملك.

﴿ومن يهد الله﴾ ابتداء كلام ليس بداخل تحت الأمر أي: يخلق فيه الاهتداء إلى الحق. قال الكاشفي: [وهر كراراه نمايد خداى تعالى يعني حكم كندبهدايت او وتوفيق] ﴿فهو المهتد﴾ لا غير ﴿ومن يضلل﴾ أي: يخلق فيه الضلال بسوء اختياره. قال الكاشفي [وهركرا كمراه سازد يعني حكم فرمايد بضلالت او وفرو كذا رد اورا] ﴿فلن تجد لهم﴾ أشار بالتوحيد في جانب الهداية إلى وحدة طريق الحق وقلة سالكيه وبالجمع في جانب الضلال إلى تعدد سبل الباطل وكثرة أهله ﴿أولياء﴾ كائنين ﴿من دونه﴾ تعالى فهو في موقع الصفة ويجوز أن يكون حالاً كما في «بحر العلوم» أي: أنصاراً يهدونهم إلى طريق الحق ويدفعون عنهم الضلالة وفي الحديث: «إنما أنا رسول وليس إلي من الهداية شيء ولو كانت الهداية إليّ لآمن كل من في الأرض وإنما إبليس مزين وليس له من الضلالة شيء ولو كانت الضلالة إليه لأضل كل من في الأرض ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء»، قال الحافظ:

مكن بچشم حقارت نكاه برمن مست　　كه نيست معصيت وزهد بى مشيت او

﴿ونحشرهم يوم القيامة﴾ كائنين ﴿على وجوههم﴾ سحباً أو مشياً فإن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ﴿عميا﴾ حال من ضمير وجوههم وهو جمع أعمى ﴿وبكما﴾ جمع أبكم وهو الأخرس ﴿وصما﴾ جمع أصم من الصمم محركة وهو انسداد الأذن وثقل السمع. إن قيل ما وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢] وقوله: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ [الكهف: ٥٣] وقوله: ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]، قلت: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: معنى الآية لا يرون ما يسرّهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ولا يستمعون ما يلذ مسامعهم لما قد كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعون. وقال مقاتل: هذا إذا قيل لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون فيصيرون بأجمعهم صماً بكماً عمياً نعوذ بالله من سخطه.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ونحشرهم﴾ إلخ لأنهم كانوا يعيشون في الدنيا مكبين ﴿على وجوههم﴾ في طلب السفليات في الدنيا وزخارفها وشهواتها ﴿عميا﴾ عن رؤية الحق ﴿وبكما﴾ من قول الحق ﴿وصما﴾ عن استماع الحق وذلك لعدم إصابة النور المرشوش على الأرواح ﴿وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء: ٧٢] الآية وقال ﷺ: «يموت الإنسان على ما عاش ويحشر على ما مات عليه» ﴿مأواهم﴾ منزلهم ومسكنهم والمأوى كل مكان يأوي إليه شيء ليلاً كان أو نهاراً ﴿جهنم﴾ خبر مأواهم والجملة استئناف ﴿كلما خبت﴾ يقال: خبت النار والحرب والحدة خبواً وخبوّاً سكنت وطفئت كما في «القاموس» ﴿زدناهم سعيرا﴾ [بيفزاييم براى ايشان آتش سوزان يابر افروزيم آتش را] أي: كلما سكن لهبها بأن أكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق فيهم ما تتعلق به النار زدناهم توقداً بأن بدلناهم جلوداً غيرها فعادت ملتهبة ومسعرة. فإن قلت قوله

تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] يدل على أن النار لا تتجاوز في تعذيبهم عن حد الإنضاج إلى حد الإحراق والإفناء. قلت: النضج مجاز عن مطلب تأثير النار ثم ما ذكر من التجديد بعد الإفناء عقوبة لهم على إنكارهم الإعادة بعد الفناء بتكريرها مرة بعد أخرى ليروها بعد أخرى فيروها عياناً حيث لم يعلموها برهاناً كما يفصح عنه قوله:

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾

﴿ذلك﴾ مبتدأ خبر قوله: ﴿جزاؤهم بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿كفروا بآياتنا﴾ العقلية والنقلية الدالة على صحة الإعادة دلالة واضحة. وفي «التأويلات»: كانوا في جهنم الحرص والشهوات كلما سكنت نار شهوة باستيفاء حظها زادوا سعيرها باشتغال طلب شهوة أخرى ولو كانوا مؤمنين بالحشر والنشر ما أكبوا على جهنم الحرص على الدنيا وشهواتها وما أعرضوا عن الآيات البينات التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام، وفي «المثنوي»:

كوزه چشم حريصان برنشد تا صدف قانع نشد پردر نشد

﴿وقالوا﴾ منكرين أشد الإنكار ﴿أئذا كنا عظاما﴾ [آيا آن وقت كه كرديم استخوان] ﴿ورفاتا﴾ الرفات الحطام وهو الفتات المكسر. وقال مجاهد رفاتاً أي: تراباً ﴿أئنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ إما مصدر مؤكد من غير لفظه أي: لمبعوثون بعثاً جديداً وإما حال أي: مخلوقين مستأنفين وقد سبق تفسير هذه الآية في هذه السورة.

﴿أولم يروا﴾ أي: ألم يتفكروا ولم يعلموا ﴿أن الله الذي خلق السموات والأرض﴾ من غير مادة مع عظمهم ﴿قادر على أن يخلق مثلهم﴾ في الصغر على أن المثل مقحم والمراد بالخلق الإعادة. قال الكاشفي: [مثل تعبير از نفس شيء كنند چنانكه مثلك لا يفعل كذا اي أنت] ﴿وجعل لهم أجلا لا ريب فيه﴾ عطف على أو لم يروا فإنه في قوة قد رأوا والمعنى قد علموا أن من قدر على خلق السموات والأرض فهو قادر على خلق أمثالهم من الإنس وجعل لهم ولبعثهم أجلاً محققاً لا ريب فيه هو يوم القيامة. قال الكاشفي: [بدرستى كه خداى تعالى مقرر كرده است براى فناى ايشان مدتى كه هيچ شك نيست دران وآن زمان مركست يا بجهت اعاده ايشان أجلي نهاده كه قيامتست] ﴿فأبى الظالمون﴾ فامتنعوا من الانقياد للحق ولم يرضوا ﴿إلا كفورا﴾ جحوداً به.

﴿قل﴾ [بكوكافرانرا] ﴿لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي﴾ خزائن رزقه التي أفاضها على كافة الموجودات وأنتم مرتفع بفعل يفسره المذكور لا مبتدأ لأنها لا تدخل إلا على الفعل والأصل لو تملكون أنتم تملكون ﴿إذاً لأمسكتم﴾ لبخلتم من قولك للبخيل ممسك فلا يقدر له مفعول ﴿خشية الإنفاق﴾ مخافة عاقبته وهو النفاد ﴿وكان الإنسان قتورا﴾ يقال قتر ضيق. والمعنى كان ضيقاً مبالغاً في البخل لأن مبني أمره على الحاجة والضنة بما يحتاج إليه وملاحظة العوض فيما يبذل، قال رسول الله ﷺ لحي من الأنصار: «من سيدكم يا بني سلمة» قالوا الجد بن قيس على بخل فيه فقال عليه السلام: «وأي داء أدوى من البخل بل سيدكم عمر بن

الجموح» فالبخل والحرص من الصفات المذمومة فلا بد من تطهير النفس عنهما وتحليتها بالسخاء والقناعة وترك طول الأمل فإن الشيطان يستعبد البخيل ولو كان مطيعاً وينأى عن السخي ولو كان فاسقاً وجنس الإنسان وإن كان قتوراً مخلوقاً على القبض واليبوسة كالتراب إلا أن من أفراده خواص متخلقين بصفات الله تعالى ومتحققين بأسرار ذاته. قال حسان بن ثابت رضي الله عنه في مدح النبي ﷺ:

له راحة لو أن معشار جودها على البر كان البر أندى من البحر

الراحة الكف والمعشار بمعنى العشر.

- روي - أن زين العابدين رضي الله عنه لقيه رجل فسبه فثارت إليه العبيد والموالي فقال لهم زين العابدين: مهلاً على الرجل ثم أقبل عليه وقال ما ستر من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها فاستحيى الرجل فألقى عليه خميصة كانت عليه وهي كساء أسود معلم وأمر بألف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسل ولا يتوهم مغرور أنهم كانوا أهل دنيا ينفقون منها الأموال إنما كانوا أهل سخاء ومروءة كانت تأتيهم الدنيا فيخرجونها في العاجل وفيهم يصدق قول القائل:

وهم ينفقون المال في أول الغنى ويستأنفون الصبر في آخر الفقر
إذا نزل الحي الغريب تقارعوا عليه فلم تدر المقل من المثرى

قال الشيخ سعدي قدس سره:

اكر كنج قارون بچنك آورى نماند مكر آنكه بخشى برى
بخيل توانكر بدينار وسيم طلسمست بالاى كنجى مقيم
ازان سالها مى بماند زرش كه لرزد طلسمى چنين بر سرش
بسنك أجل ناكهان بشكنند بآسود كى كنج قسمت كنند

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات﴾ معجزات ﴿بينات﴾ واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله وهي العصا واليد البيضاء والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات ﴿فاسأل بني إسرائيل﴾ أي: فقلنا له ﴿إذ جاءهم﴾ سلهم يا موسى من فرعون وقل له ارسل معي بني إسرائيل أي: أولاد يعقوب. وقال الكاشفي: [پس بپرس اي محمد ز بني إسرائيل يعني ازعلماى ايشان همين آيات را تا صدق قول توبر مشركان ظاهر كردد] أي: ليظهر صدقك حين اختبروك عندهم على وفق ما أخبرتهم إذ جاءهم [چون آمد موسى برايشان كه چه كذشت ميان وى وفرعون].

وفي «التأويلات النجمية»: إذ جاءهم موسى بهذه الآيات هل رأوها واستدلوا بها وآمنوا كأهل الحق ممن جعلهم الله أئمة يهدون بأمره وكانوا بآياته يوقنون ﴿فقال له فرعون﴾ قال في «الإرشاد» الفاء فصيحة أي: فأظهر عند فرعون ما آتيناه من الآيات البينات وبلغه ما أرسل به فقال له فرعون: ﴿إني لأظنك يا موسى مسحورا﴾ سحرت فتخبط عقلك ولذا تتكلم بمثل هذه الكلمات الغير المعقولة وهذا يشبه قوله: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧

ويجوز أن يكون المسحور للنسبة بمعنى ذي السحر كما قال في «التأويلات النجمية»: لما كان فرعون من أهل الظن لا من أهل اليقين رآه بنظر الظن الكاذب ساحراً ورأى الآيات سحراً.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾

﴿قال﴾ موسى ﴿لقد علمت﴾ [بدرستى كه تو دانسته اي فرعون بدل خود اكرچه بزبان تلفظ نكنى].

وفي «التأويلات النجمية»: لو نظرت بنظر العقل لعلمت أنه ﴿ما أنزل هؤلاء﴾ يعني: الآيات التي أظهرها ﴿إلا رب السموات والأرض﴾ خالقهما ومدبرهما ﴿بصائر﴾ حال من الآيات أي: بينات مكشوفات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وتكابر. وبالفارسية [آيتهاي روشن كه هريك دليلست برنبوت من].

وفي «التأويلات النجمية»: أي ترى بنور البصيرة والعقل انتهى. قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: العلم ليس جالباً للسعادة إلا من حيث طرده الجهل فلا تحجب بعلمك فإن فرعون علم نبوة موسى وإبليس علم حال آدم واليهود علموا نبوة محمد ﷺ وعلى إخوانه وحرموا التوفيق للإيمان فأشقاهم زماناً ذلك الاستيقان قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] قال الكمال الخجندي:

در علم محققان جدل نيست   از علم مراد جز عمل نيست

وقال الحافظ:

نه من زبى عملى درجهان ملولم وبس   ملالت علما هم ز علم بي عملست

﴿وإني لأظنك يا فرعون مثبورا﴾ مصروفاً عن الخير مطبوعاً على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا أي: ما صرفك أو هالكاً فإن الثبور الهلاك.

وفي «التأويلات النجمية» أي: بلا بصيرة وعقل والظن ظنان: ظن كاذب، وظن صادق، وكان ظن فرعون كاذباً وظن موسى صادقاً.

﴿فأراد﴾ أي: فرعون من نتائج ظنه الكاذب ﴿أن يستفزهم﴾ الاستفزاز الإزعاج. والمعنى بالفارسية [برانكيزد ودور كند موسى وقوم او] ﴿من الأرض﴾ أي: أرض مصر أو من وجه الأرض بالقتل والاستئصال ﴿فأغرقناه﴾ أي: فرعون ﴿ومن معه﴾ من القبط ﴿جميعا﴾ ونجينا موسى وقومه من نتائج ظنه الصادق. قال في «الإرشاد»: فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه بالإغراق.

﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وقلنا من بعده﴾ أي: من بعد إغراق فرعون ﴿لبني إسرائيل﴾ أولاد يعقوب ﴿اسكنوا الأرض﴾ التي أراد أن يستفزكم منها وهي أرض مصر إن صح أنهم دخلوها بعده أو الأرض مطلقاً ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ يعني قيامة الساعة ﴿جئنا بكم﴾ [بياريم شما وايشانرا بحشر كاه] ﴿لفيفا﴾ [جماعتي آميخته باهم پس حكم كنيم ميان شما] تمييز سعداء وأشقياء. واللفيف الجماعات من قبائل شتى قد لف بعضها ببعض. قال في «القاموس»: ﴿جئنا بكم لفيفا﴾ مجتمعين مختلطين من كل قبيلة انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: يلتف الكافرون بالمؤمنين لعلهم ينجون بهم من العذاب فيخاطبون بقوله تعالى: ﴿وَامْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يس: ٥٩] ولا ينفعهم التلفف بل يقال لهم: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧] انتهى. يقول الفقير: وذلك لأن التلفف الصوري والارتباط الظاهري لا ينفع الكفار والمنافقين إذ لم يجمع بينهم وبين المؤمنين الاعتقاد الخالص والعمل الصالح فكانوا كمن انكسرت سفينتهم فتعلق من لا يحسن السباحة بالسباح فتعلقه هذا لا ينفعه إذ البحر عميق والساحل بعيد فكم من سباح لا ينجو فكيف غيره، سعدي:

در آبى كه پيدا نباشد كنار غرور شناور نيايد بكار

وفي الحديث «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» يعني: من أخره في الآخرة عمله السيىء أو تفريطه في العمل الصالح لم ينفعه شرف النسب من جهة الدنيا ولم ينجبر به نقيصته فإن نسبه ينقطع هناك ألا ترى أن الغصن اليابس يقطع من الشجرة ليبوسته ورطوبة الباقي وغضارته إذ لا مناسبة بينه وبين الأغصان الغضة الطرية فهو وإن كان غصن تلك الشجرة متعلقاً بها منسوباً إليها لكنه ليبوسته حري بالقطع وإنما النسب المفيد هو نسبة التقوى ولذا قال عليه السلام: «كل تقي نقي آلي» وكل من لم يكن متصفاً بالتقوى والنقاوة فليس من آله كأبي لهب ونحوه وليس له طريق ينتهي إلى الله تعالى فيا حسرة قوم ظنوا الوصول مع تضييع الأصول وبذل النقد في الفضول وعرضت على بعض الأكابر عطية من الله تعالى بلا واسطة فقال: لا أقبلها إلا على يد محمد ﷺ يعني على الصراط السوي فجاءته من تم فقد ضوعفت فهذا شاهد بأن صحة الاتصال بالله إنما هي بصحة الاتصال بواسطة وهو الرسول ﷺ وأن الرسول وشريعته محك فتضرب المواهب والعطايا عليه فإن جاءت موافقة لما أمره قبلت وإلا ردت إذ يحتمل أن يكون ذلك من قبل الشيطان والنفس جاء ملبوساً بلباس الحق مزخرفاً فلا بد من التميز وهو من أصعب الأمور فعليك أيها الأخ في الله بالثبات والوقار ولا يستفزك العدو حتى لا تقع في ورطة البوار، قال الحافظ:

در راه عشق وسوسه اهر من بسيست هش دار وكوش دل بپيام سروش كن

والله المنجي والموفق.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾

﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾ أي: وما أنزلنا القرآن إلا ملتبساً بالحق المقتضي لإنزاله وما نزل إلا ملتبساً بالحق الذي اشتمل عليه فالمراد بالحق في كل من الموضعين معنى يغاير الآخر فلا يرد أن الثاني تأكيد للأول. قال الكاشفي: [درتبيان آمده كه با بمعنى على است ومراد ازحق محمد ﷺ يعني وعلى محمد نزل. درمدارك آورده احمد بن أبي كجواري كفت محمد بن سماك بيمارشد قاروزه أو بطبيب ترسا مى برديم مردى نيكو روى وخوشبوى وجامه پاكيزه پوشيده بما رسيد وصورت حال پرسيد بوى كفتيم فرمودكه سبحان الله در مهم دوست خداى تعالى از دشمن خداى استعانت مى كنيد باز كرديد وباين سماك بكوييدكه دست خود برموضع وجع بنه وبكوى **﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾** وازچشم ما غائب شد باز كشتيم

وقصه بعرض شيخ ورسانيديم دست بران موضع نهاد واين كلمات بكفت في الحال شفا يافت وكفته اند آن كس خضر عليه السلام بود أثر حكمت اين كار طبيبان الهيست].

وفي «التأويلات النجمية» إنزال القرآن كان بالحق لا بالباطل وذلك لأنه تعالى لما خلق الأرواح المقدسة في أحسن تقويم ثم بالنفخة رده إلى أسفل سافلين وهو القالب الإنساني احتاجت الأرواح في الرجوع إلى أعلى عليين قرب الحق وجواره إلى حبل تعتصم به في الرجوع فأنزل الله القرآن وهو حبله المتين وقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وبالحق نزل ليضل به أهل الشقاوة وبالرد والجحود والامتناع عن الاعتصام به ويبقى في الأسفل حكمة بالغة منه ويهدي به أهل السعادة بالقبول والإيمان والاعتصام به والتخلق بخلقه إلى أن يصل به إلى كمال قربه فيعتصم به كما قال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الحج: ٧٨] **﴿وما أرسلناك إلا مبشرا﴾** للمطيع بالثواب **﴿ونذيرا﴾** للعاصي من العقاب فلا عليك إلا التبشير والإنذار.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿مبشرا﴾** لأهل السعادة بسعادة الوصول والعرفان عند التمسك بالقرآن **﴿ونذيرا﴾** لأهل الشقاوة بشقاوة البعد والحرمان والخلود في النيران عند الانفصام عن حبل القرآن وترك الاعتصام به [سلمى قدس سره فرموده كه مژده دهنده آنراكه از ما روى بكرداند وبيم كننده آنراكه روى بما آورد يعني بدكارانرا بشارت دهد بسعت رحمت وكمال عفو ما تا روى بدركاه ما آرند]:

حافظاً رحمت او بهر كنهكارا نست　　نا اميدى مكن اي دوست كه فاسق باشى

نيكانرا انذار كند از أثر هيبت وجلال تابر أعمال خود اعتماد ننمايند:

زاهد غرور داشت سلامت نبرد راه　　رنده ازره نياز بدار السلام رفت

﴿وقرآنا﴾ منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى: **﴿فرقناه﴾** نزلناه مفرقاً. وبالفارسية [وپرا كنده فرستاديم قر آنرا يعني آيت آيت وسوره سوره] **﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾** أي: مهل وتأن فإنه أيسر للحفظ وأعون على الفهم **﴿ونزلناه﴾** في ثلاث وعشرين سنة **﴿تنزيلا﴾** على قانون الحكمة وحسب الحوادث وجوابات السائلين.

﴿قل﴾ للذين كفروا **﴿آمنوا به﴾** أي: بالقرآن **﴿أو لا تؤمنوا﴾** فإن إيمانكم به لا يزيده كمالاً وامتناعكم عنه لا يورثه نقصاً:

حاجت مشاطه نيست روى دلارام را

والأمر للتهديد كما في «تفسير الكاشفي» **﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾** أي: العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل نحو عبد الله بن سلام واتباعه من اليهود والنجاشي وأصحابه من النصارى **﴿إذا يتلى﴾** أي: القرآن **﴿عليهم يخرون للأذقان﴾** [بيفتند برزنخهاى خود] أي: يسقطون على وجوههم فاللام بمعنى على والأذقان الوجوه على سبيل التعبير عن الكل بالجزء مجازاً **﴿سجدا﴾** أي: حال كونهم ساجدين تعظيماً لأمر الله وهو تعليل لما يفهم من قوله آمنوا به أو لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك أي: إن لم تؤمنوا فقد آمن به أحسن إيمان من هو خير منكم. قال البيضاوي ذكر الذقن لأنه أول ما يلقى الأرض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به. قال سعدي المفتي في حواشيه فيه بحث فإنه ظاهر أن أول ما يلقى

الأرض من وجه الساجد جبهته وأنفه إلا أن يقال إن طريق سجدتهم غير ما عرفناه انتهى. يقول الفقير معنى اللقاء هنا كون الذقن أقرب شيء إلى الأرض من الأنف والجبهة حال السجدة إذ الأقرب إلى الأرض بالنسبة إلى حال الخرور الركبة ثم اليدان ثم الرأس وأقرب أجزاء الرأس الذقن والأقرب إلى السماء بالإضافة إلى حال الرفع الرأس وأقرب أجزاء الرأس الجبهة فافهم.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿ويقولون﴾ في سجودهم **﴿سبحان ربنا﴾** [پاكست پرورد كارما] عما يفعل الكفرة من التكذيب أو عن خلفه وعده الذي في الكتب السالفة ببعث محمد وإنزال القرآن عليه **﴿إن﴾** أي: أن الشأن **﴿كان وعد ربنا لمفعولا﴾** كائناً لا محالة واقعاً البتة لأن الخلف نقص وهو محال على الله تعالى. يقول الفقير: الظاهر أن المراد بالوعد وعد الآخرة كما يدل عليه سياق الآية من قصة موسى وفرعون وما قبلها من قصة قريش في إنكار البعث والله أعلم.

﴿ويخرون للأذقان يبكون﴾ أي: حال كونهم باكين من خشية الله تعالى كرر الخرور للاذقان لاختلاف السبب فإن الأول لتعظيم أمر الله والثاني لما أثر فيهم من مواعظ القرآن. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «تضرعوا وابكوا فإن السموات والأرض والشمس القمر والنجوم يبكون من خشية الله» **﴿ويزيدهم﴾** أي: القرآن بسماعهم **﴿خشوعا﴾** كما يزيدهم علماً ويقيناً بالله والخشوع [فروتنى] وتضرع.

واعلم أن التواضع والسجود من شأن الأرواح والبكاء والخشوع من شأن الأجساد وإنما أرسلت الأرواح إلى الأجساد لتحصيل هذه المنافع في العبودية. قال الكاشفي: [اين سجده چهارم است از سجدات قرآن وحضرت شيخ قدس سره اين را سجود العلماء خوانده وفرموده كه بحقيقت اين سجود متجليست زيرا كه خشوع از وقوع تجلى باشد بر ظاهر يابر هردو وچون خبر دادكه خشوع ايشان زياده ميشود وخشوع نمى باشد الا از تجلى الهي پس زيادتى خشوع دليل زيادتى تجلى باشد وبرآن تقدير اين سجود تجلى بود وساجد بايدكه ببركت اين سجده از فيض تجلى بهره مند وخضوع او بيفزايد] ما تجلى الله لشيء إلا خضع له:

لمعه نور تجلى از قدم — بر حدوث افتد فرو ريزدزهم
پس خضوع اينجا زوال هستى است — وزبلندى موجب اين بستى است

فعليك ببذل الوجود وإفنائه فإنه تعالى إنما يتجلى لأهل الفناء نعم إن الفناء من التجلي كما دل عليه الخبر المذكور، وفي «المثنوي»:

چون تجلى كرد أوصاف قديم — پس بسوزد وصف محدث راكليم

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾

﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾.

- روي - أن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ إنك لتقل ذكر الرحمٰن وقد أكثر الله في التوراة فنزلت. والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء والمراد بالله والرحمٰن الاسم لا المسمى وأو للتخيير والمراد أنهما سيان في حسن الإطلاق والإفضاء إلى المقصود. والمعنى سموا بهذا الاسم أو بهذا واذكروا إما هذا وإما هذا **﴿أيا ما تدعوا﴾** [هركدام را بخوانيد وبدان حق را

خوانده باشيد] والتنوين عوض عن المضاف إليه وما صلة لتأكيد ما في أي من الإبهام أي أي هذين الاسمين سميتم وذكرتم ﴿فله﴾ أي: للمسمى لأن التسمية لمسمى هذين الاسمين وهو ذاته تعالى لا للاسم ﴿الأسماء الحسنى﴾ وحسن جميع أسمائه يستدعي حسن ذينك الاسمين. والحسنى تأنيث الأحسن لأن حكم الأسماء حكم المؤنث نحو الجماعة الحسنى وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والجمال. قال في «بحر العلوم» معنى كونها أحسن الأسماء أنها مستقلة بمعاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والإلهية والأفعال التي هي النهاية في الحسن. وقال بعضهم: نزلت هذه الآية حين سمع المشركون رسول الله ﷺ يقول: يا الله يا رحمٰن فقالوا إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهاً آخر فالمراد هو التسوية بين اللفظين بأنهما مطلقان على ذات واحدة وإن اختلف معناهما واعتبار إطلاقهما والتوحيد إنما هو للذات الذي هو المعبود وأو للإباحة لأن الإباحة يجوز فيها الجمع بين الفعلين دون التخيير والله أعلم.

قال المولى الفناري رحمه الله: إن لاسم الجلالة اختصاصاً وضعياً واستعمالياً وللرحمٰن اختصاصاً استعمالياً وقولهم رحمٰن اليمامة مسيلمة تعنت في كفرهم كما لو سموه الله مثلاً انتهى. وقال الإمام السهيلي رحمه الله في كتاب «التعريف والإعلام»: كان مسيلمة قديماً يتكذب ويتسمى بالرحمٰن وقد قيل إنه تسمى بالرحمن قبل مولد عبد الله والد النبي ﷺ ثم عَمَّرَ عمراً طويلاً إلى أن قتل باليمامة قتله وحشي في خلافة أبي بكر رضي الله عنه انتهى.

ـ وروي ـ أن بعض الجبابرة سمى نفسه بلفظ الجلالة فصهر ما في بطنه من دبره وهلك من ساعته لأن هذا الاسم الجليل لا يليق إلا لجناب الحق تعالى ولهذا لم يشاركه فيه أحد كما قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] أي: مشاركاً له في هذا الاسم وقال فرعون مصر للقبط أنا ربكم الأعلى ولم يقدر أن يقول أنا الله تعالى. قال حضرة الهدائي قدس سره استمداد جميع الأسماء من الاسم الرحمٰن الذي هو مقام خاتم النبوة والشفاعة العامة وإليه ينتهي كل الأسماء واستمداده من اسم الذات فينبغي للسالك أن لا يقصر بالعبادة في مراتب بعض الأسماء حتى يصل إلى المسمى ويجمع جميع الأسماء ويكون فوق الكل، وفي «المثنوي»:

دست شد بالاى دست اين تاكجا ... تا بيزدان كه اليه المنتهى

كان يكى درياست بى غور وكران ... جمله درياها چوسيلى پيش ان

﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ أي: بقراءة صلاتك في المسجد الحرام بحيث تسمع المشركين فإن ذلك يحملهم على سب القرآن ومن أنزله ومن جاء به واللغو فيه ففيه حذف المضاف لأن الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذكار أو هو من تسمية الجزء بالكل مجازاً ﴿ولا تخافت بها﴾ أي: بقراءتها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين. قال الكاشفي: [وآواز فرو مدار بآن] ﴿وابتغ﴾ اطلب ﴿بين ذلك﴾ أي: بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور ﴿سبيلا﴾ أمراً وسطاً فإن خير الأمور أوساطها والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار أنه أمر يتوجه إليه المتوجهون ويؤمه المقتدون فيوصلهم إلى المطلوب.

ـ روي ـ أن أبا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول: أناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه يجهر بها ويقول: أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان فلما نزلت أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يرفع قليلاً وعمر أن يخفض قليلاً.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾

﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا﴾ لأن الولادة من صفات الأجسام لا غير وهو رد لليهود والنصارى وبني مدلج حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ في ملك العالم أي: الألوهية فإن الكل عبيده والعبد لا يصلح أن يكون شريكاً لسيده في ملكه وهو ورد للثنوية القائلين بتعدد الآلهة، وفي «المثنوي»:

واحد اندر ملك اورا يار نى بند كانش را جز او سالار نى
نيست خلقش را دكركس مالكى شركتش دعوى كند جزها لكى

﴿ولم يكن له ولي من الذل﴾ لم يوال أحداً من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته فإنه محال أنه يذل فيحتاج إلى أحد يتعزز به ويدفع عنه المذلة إذ له العزة كلها فليس له مذلة دلالة ولا له احتياج إلى ولي يدفع الذل عنه وهو رد للمجوس والصابئين في قولهم لولا أولياء الله لذل الله تعالى عن ذلك. وفي «الأسئلة المقحمة»: كيف جعل عدم الولد علة استحقاق الحمد؟ الجواب أن هذا ليس بتعليل لوجوب الحمد إنما هو بيان من يقع له الحمد كما تقول الحمد لله الأول الآخر الحمد لله رب العالمين انتهى. وفي «الكشاف» كيف رتب الحمد على نفي الولد والشريك والذل؟! أي: مع أنه لم يكن من الجميل الاختياري قلت: إن من هذا وصفه هو الذي يقدر على إيلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد ﴿وكبره تكبيرا﴾ عظمه تعظيماً أو قل الله أكبر من الاتخاذ والشريك والولي. وقال الكاشفي [يعني حق را بزركتر دان از وصف واصافان ومعرفت عارفان]:

فكرها عاجزست زاوصافش عقلها هرزه ميزند لافش
عقل عقلست جان جانست او آن كزو برترست آنست او

وكان النبي ﷺ إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وكان يسميها آية العزة.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ يشير إلى أن الله اسم الذات والرحمن اسم الصفة ﴿أيا ما تدعوا﴾ أي: بأي اسم من اسم الذات والصفات تدعونه ﴿فله الأسماء الحسنى﴾ أي: كل اسم من أسمائه حسن فادعوه حسناً وهو أن تدعوه بالإخلاص ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ أي: بدعائك وعبادتك رياء وسمعة ﴿ولا تخافت بها﴾ أي: ولا تخفها بالكلية عن نظر لئلا يحرموا المتابعة والأسوة الحسنة ﴿وابتغ بين ذلك سبيلا﴾ وهو إظهار الفرائض بالجماعات في المساجد وإخفاء النوافل وحداناً في البيوت ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا﴾ فيكون كمال عنايته وعواطف إحسانه مخصوصاً بولده ويحرم عباده معه ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ فيكون مانعاً له من إصابة الخير إلى عباده وأوليائه ﴿ولم يكن له ولي من الذل﴾ فيكون محتاجاً إليه فينعم عليه دون ما استغنى عنه بل أولياؤه الذين آمنوا وجاهدوا في الله حق جهاده وكبروا الله وعظموه بالمحبة والطلب والعبودية وهو معنى قوله: ﴿وكبره تكبيرا﴾ انتهى [علم الهدى فرموده كه حق سبحانه دوست نكيرد تابمدد ايشان ازدل بعز رسد بلكه

دوست كيرد تا بلطف وى از حضيض مذلت تابا وج عزت ترقى كند] كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وهذه الولاية عامة مشتركة بين جميع المؤمنين وترقيهم من الجهل إلى العلم وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢] وهذه الولاية خاصة بالواصلين إلى الله من أهل السلوك وترقيهم من العلم إلى العين ومن العين إلى الحق. قال في «شرح الحكم العطائية»: إن عباد الله المخلصين قسمان: قوم أقامهم الحق لخدمته وهم العباد والزهاد وأهل الأعمال والأوراد وقوم خصهم بمحبته وهم أهل المحبة والوداد والصفاء واتباع المراد وكل في خدمته وتحت طاعته وحرمته إذ كلهم قاصد وجهه ومتوجه إليه قال الله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٠] وهذا عام في كل طريق وظاهر في كل فريق ﴿**وما كان عطاء ربك محظورا**﴾ فيحجر أو يحصر في نوع واحد أو صفة واحدة. وقد قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: الزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة. وقال أبو يزيد البسطامي قدس سره: اطلع الله سبحانه إلى قلوب أوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة فشغلهم بالعبادة، قال الحافظ:

درين چمن نكنم سرزنش بخودرويى چنانكه پرورشم ميدهند ميرويم

تمت سورة الإسراء في أوسط جمادى الأولى
من سنة خمس ومائة وألف.

١٨ - سورة الكهف

وهي مائة وعشر آيات مكية وقيل إلا قوله ﴿واصبر نفسك﴾ الآية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾

﴿الحمد لله﴾ اللام للاستحقاق أي: هو المستحق للمدح والثناء والشكر كله لأن كل وجود شيء نعمة من نعمه فلا منعم إلا هو. قال القيصري رحمه الله الحمد قولي وفعلي وحالي أما القولي فحمد اللسان وثناؤه عليه بما أثنى به الحق على نفسه على لسان أنبيائه عليهم السلام وأما الفعلي فهو الإتيان بالأعمال البدنية من العبادات والخيرات ابتغاء لوجه الله تعالى وتوجهاً إلى جنابه الكريم لأن الحمد كما يجب على الإنسان باللسان كذلك يجب عليه بحسب مقابلة كل عضو بل على كل عضو كالشكر وعند كل حال من الأحوال كما قال النبي عليه السلام: «الحمد لله على كل حال» وذلك لا يمكن إلا باستعمال كل عضو فيما خلق لأجله على الوجه المشروع عبادة للحق تعالى وانقياداً لأمره لا طلباً لحظوظ النفس ومرضاتها وأما الحالي: فهو يكون بحسب الروح والقلب كالاتصاف بالكمالات العلمية والعملية والتخلق بالأخلاق الإلهية لأن الناس مأمورون بالتخلق بلسان الأنبياء صلوات الله عليهم لتصير الكمالات ملكة نفوسهم وذواتهم وفي الحقيقة هذا حمداً لحق نفسه في مقامه التفصيلي المسمى بالمظاهر من حيث عدم مغايرتها له وأما حمده ذاته في مقامه الجمعي الإلهي قولاً فهو ما نطق به في كتبه وصحفه من تعريفاته نفسه بالصفات الكمالية وفعلاً فهو إظهار كمالاته الجمالية والجلالية من غيبه إلى شهادته ومن باطنه إلى ظاهره ومن علمه إلى عينه في مجالي صفاته ومحال آيات أسمائه وحالاً فهو تجلياته في ذاته بالفيض الاقدس الأولى وظهور النور الأزلي فهو الحامد والمحمود جمعاً وتفصيلاً، قال المولى الجامي:

آنجا كه كمال كبرياى تو بود   عالم نمى از بحر عطاى تو بود
ما راچه حد حمد وثناى توبود   هم حمد وثناى تو سزاى توبود

﴿الذي أنزل على عبده﴾ محمد الذي يستأهل أن يكون عبداً مطلقاً حقيقياً حراً عن جميع ما سوى الله ولذا يقول: «أمتي أمتي» يوم يقول كل نبي نفسي نفسي وفيه إشعار بأن شأن الرسول أن يكون عبداً للمرسل لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عليه السلام: ﴿الكتاب﴾ أي: القرآن الحقيق باسم الكتاب وهو في اللغة جمع الحروف ورتب استحقاق الحمد على

إنزاله تنبيهاً على أنه من أعظم نعمائه إذ فيه سعادة الدارين ﴿ولم يجعل له﴾ أي: القرآن ﴿عوجا﴾ [چيزى ازكچى] أي: شيئاً من العوج بنوع اختلال في النظم وتناف في المعنى أو عدول عن الحق إلى الباطل واختار حفص عن عاصم السكت على عوجاً وهو وقفة لطيفة من غير تنفس لئلا يتوهم أن ما بعده صفة له واختار السكت أيضاً على مرقدنا إذ لا يحسن القطع بالكلية بين مقوليهم ولا الوصل لئلا يتوهم أن هذا إشارة إلى مرقدنا فافهم.

﴿قيماً﴾ انتصابه بمضمر تقديره جعله قيماً أي: مستقيماً معتدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط أو قيماً بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد فيكون وصفاً له بالتكميل بعد وصفه بالكمال والقيم والقيوم والقيام بناء مبالغة للقائم. قال الكاشفي: [در تأويلات آورده كه ضمير له راجع بعبداست ومعنى آنكه نداد بنده خودرا ميل بغير خود وكردانيد اورا مستقيم در جميع أحوال] ﴿لينذر﴾ أي: أنزل لينذر الكتاب أو محمد بما فيه الذين كفروا ﴿بأسا﴾ عذاباً ﴿شديدا﴾ صادراً ﴿من لدنه﴾ من عنده تعالى نازلاً من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وهو إما عذاب الاستئصال في الدنيا أو عذاب النار في العقبى أو كلاهما وإنما قال من لدنه لأنه هو المعذب دون الغير ﴿ويبشر﴾ [مزده دهد] ﴿المؤمنين﴾ المصدقين ﴿الذين يعملون الصالحات﴾ أي: الأعمال الصالحة وهي ما كانت لوجه الله تعالى ﴿أن لهم﴾ أي: بأن لهم في مقابلة إيمانهم وأعمالهم المذكورة ﴿أجرا حسنا﴾ هو الجنة وما فيها من النعيم ﴿ماكثين﴾ حال من ضمير لهم ﴿فيه﴾ أي: في ذلك الأجر ﴿أبدا﴾ من غير انقطاع وانتهاء وتغير حال نصب على الظرفية لماكثين وتقديم الإنذار على التبشير لتقدم التخلية على التحلية.

﴿وينذر﴾ أيضاً خاصاً ﴿الذين قالوا اتخذ الله ولدا﴾ كاليهود والنصارى وبني مدلج من كفار العرب.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾

﴿ما لهم به﴾ أي: باتخاذه تعالى ولداً ﴿من علم ولا لآبائهم﴾ الذين قلدوهم في ذلك يعني لا يقتضي العلم أن يتخذ الله ولداً لاستحالته في نفسه وإنما قالوا بالجهل من غير فكر ونظر فيما يجوز على الله ويمتنع ومن علم مرفوع على الابتداء ومن مزيدة لتأكيد النفي ﴿كبرت﴾ عظمت أي: نبت ﴿كلمة﴾ تمييز وتفسير للضمير المبهم الذهني في كبرت مثل ربه رجلاً ﴿تخرج من أفواههم﴾ صفة للكلمة تفيد استعظام اجترائهم على التفوه بها والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها يعني: إسناد الخروج إليها مع أن الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت لملابسته بها. قال القاضي: عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وإيهام احتياجه إلى ولد يعينه ويخلفه إلى غير ذلك من الزيغ.

وفي «التأويلات»: كبرت كلمة كفر وكذب قالوها عند الله تعالى وهي أكبر الكبائر إذ نسبوها إلى الله وكذبوا عليه وكذبوه ﴿إن يقولون﴾ أي: ما يقولون في هذا الشأن ﴿إلا كذبا﴾ إلا قولاً كذباً لا يكاد يدخل تحت إمكان الصدق.

﴿فلعلك﴾ [پس تو مكر] ﴿باخع﴾ مهلك ﴿نفسك﴾.

قال في «التأويلات النجمية»: معناه نهي أي: لا تبخع نفسك كما يقال لعلك تريد أن

تفعل كذا أي: لا تفعل كذا أو فكأنك كما قال تعالى في شأن عاد ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الشعراء: ١٢٩]. قال في «القاموس»: بخع نفسه كمنع قتلها غماً وبخع بالشاة بالغ في ذبحها حتى بلغ البخاع هذا أصله ثم استعمل في كل مبالغة فلعلك باخع نفسك أي: مهلكها مبالغاً فيها حرصاً على إسلامهم والبخاع ككتاب عرق في الصدر ويجزي في عظم الرقبة وهو غير النخاع بالنون فيما زعم الزمخشري انتهى ﴿على آثارهم﴾ غماً ووجداً على فراقهم. قال الكاشفي: [بعد ازبركشتن ايشان از تو بايس از انكار ايشان ترا يعني كار برخود آسان كير وغم بردل بى غل منه] ﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ أي: القرآن. إن قلت تسمية القرآن حديثاً دليل على حدوثه. قلت: سماه حديثاً لأنه يحدث عند سماعهم له معناه ولأنه عائد إلى الحروف التي وقعت بها العبارة عن القرآن كما في «الأسئلة المقحمة». قال في «الصحاح»: الحديث ضد القديم ويستعمل في قليل الكلام وكثيره ﴿أسفا﴾ مفعول له لباخع والأسف أشد الحزن كما في «القاموس»: إذ لفرط الحزن والغضب والحسرة مثل حاله ﷺ في شدة الوجد على إعراض القوم عن الإيمان بالقرآن وكمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه إهلاك نفسه عند مفارقة أحبته تأسفاً على مفارقتهم وهذه غاية الرحمة والشفقة على الأمة وكمال القيام بأداء حقوق الرسالة والإقدام على العبودية فوق الطاقة وكان من دأبه ﷺ أن يبالغ في القيام بما أمر إلى حد أن ينهى عنه كما أنه ﷺ حين أمر بالإنفاق بالغ فيه إلى أن أعطى قميصه وقعد في البيت عرياناً فنهي عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩] فتكلم بعض الكبار في الحزن فقال: الحزن حلية الأدباء طوبى لمن كان شعاره الحزن ودثاره الحزن وبيته الحزن وطعامه الحزن وشرابه الحزن به يلتذ الصديقون والنبيون إذا أحب الله تعالى عبداً ألقى له نائحة في قلبه ومن لم يذق طعام الحزن لم يذق لذة العبادة على أنواعها ولا يغرنك ما تسمع من قول صديق متمكن أن الحزن مقام نازل فإن مراده أن الحزن تابع للمحزون مثل العلم مع المعلوم فيتضع باتضاعه ويرتفع بارتفاعه. قال إبراهيم بن بشار: صحبت إبراهيم بن أدهم فرأيته طويل الحزن دائم الفكر واضعاً يده على رأسه كأنما أفرغت عليه الهموم إفراغاً. وكان سفيان عند رابعة فقال: واحزناه فقالت: قل واقلة حزناه فإنك لو كنت حزيناً ما هنأك العيش. وعن داود عليه السلام قال: الهي أمرتني أن أطهر قلبي فبماذا أطهر؟ قال: يا داود بالهموم والغموم، قال الحافظ:

روى زردست وآه درد آلود عاشقانرا دواى رنجورى

اللهم منّ على قلبي بهمك.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾

﴿إنا جعلنا ما على الأرض﴾ من الحيوان والنبات والمعدن **﴿زينة لها﴾** ولأهلها.

قال في «التأويلات النجمية»: أي: زينا الدنيا وشهواتها للخلق ملاءمة لطباعهم وجعلناها محل ابتلاء **﴿لنبلوهم﴾** لنعاملهم معاملة من يختبر حتى يظهر **﴿أيهم أحسن عملا﴾** في ترك الدنيا ومخالفة هوى نفسه طلباً لله ومرضاته وأيهم أقبح عملاً في الإعراض عن الله وما عنده من الباقيات الصالحات والإقبال على الدنيا وما فيها من الفانيات الفاسدات. قال في «الإرشاد»

أي: استفهامية مرفوعة بالابتداء وأحسن خبرها وعملاً تمييز والجملة في محل النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته. قال الكاشفي: [محققان برانندكى ما اى في ما على الأرض بمعنى من است ومراد انبيا يا علما يا حفظة قرآن كه زينت زمين ايشانند وجمعى كويند آرايش زمين برجال الله است ازان روى كه قيام عالم بوجود شريف ايشان بازبسته است]:

روى زمين بطلعت ايشان منور است چون آسمان بزهره وخورشيد ومشترى

﴿وإنا لجاعلون﴾ فيما سيأتي عند تناهي عمر الدنيا ﴿ما عليها صعيدا﴾ تراباً ﴿جرزا﴾ لا نبات فيه وسنة جرز لا مطر فيها. قال الكاشفي: [صعيداً جرزاً هامون وبى كياه يعني بآخر اين عمارتها را خراب خواهيم ساخت پس دل برآن منهيد وبزينت ناپايدار فريفته مشويد]:

جهان ازرنك وبوسازد اسيرت ولى نزديك ارباب بصيرت
نه رنك دلكشش را اعتباريست نه بوى دلفريبش را مداريست

قال بعض الكبار صعيداً جرزاً لا حاصل له إلا الندامة والغرامة فالناسك السالك والطالب الصادق والمحب المحق من يحرم على نفسه الدنيا وزينتها حرامها وحلالها وهي ما زين للناس كما قال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤] لأن مع حب الله لا يسوغ حب الدنيا وشهواتها بل حب الآخرة ودرجاتها.

ـ حكي ـ أنه كان لهارون الرشيد ولد في سن ست عشرة سنة فزهد في الدنيا واختار العباء على القباء فمر يوماً على الرشيد وحوله وزراؤه فقالوا: لقد فضح هذا الولد أمير المؤمنين بين الملوك بهذه الهيئة فدعاه هارون الرشيد وقال: يا بني لقد فضحتني بحالك فلم يجبه الولد ثم التفت فرأى طيراً على حائط فقال: أيها الطائر بحق خالقك إلا جئت على يدي فقعد الطائر على يده ثم قال: ارجع إلى مكانك فرجع ثم دعاه إلى يد أمير المؤمنين فلم يأت فقال لأبيه: بل أنت فضحتني بين الأولياء بحبك للدنيا وقد عزمت على مفارقتك ثم إنه خرج من بلده ولم يأخذ إلا خاتماً ومصحفاً ودخل البصرة وكان يعمل يوم السبت في الطين ولا يأخذ إلا درهماً ودانقاً للقوت قال أبو عامر البصري: استأجرته يوماً فعمل عمل عشرة وكان يأخذ كفاً من الطين ويضعه على الحائط ويركب الحجارة بعضها على بعض فقلت: هذا فعال الأولياء فإنهم معانون ثم طلبته يوماً فوجدته مريضاً في خربة فقال:

يا صاحبي لا تغترر بتنعم فالعمر ينفد والنعيم يزول
وإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول

ثم وصاني بالغسل والتكفين في جبته فقلت: يا حبيبي ولم لا أكفنك في الجديد فقال: الحي أحوج إلى الجديد من الميت يا أبا عامر الثياب تبلى والأعمال تبقى ثم ادفع هذا المصحف والخاتم إلى الرشيد وقل له: يقول لك ولدك الغريب لا تدومن على غفلتك قال أبو عامر فقضيت شأنه ودفعت المصحف والخاتم إلى الرشيد وحكيت ما جرى فبكى وقال: فيم استعملت قرة عيني وقطعة كبدي قلت: في الطين والحجارة قال: استعملته في ذلك وله اتصال برسول الله ﷺ فقلت: ما عرفته قال: ثم أنت غسلته قلت: نعم فقبل يدي وجعلها على صدره ثم زار قبره ثم رأيته في المنام على سرير عظيم في قبة عظيمة فسألته عن حاله فقال: صرت إلى رب راض أعطاني ما لا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وآلى على ذاته

ونفسه الشريفة أي: قال: بالله الذي خلقني لا يخرج عبد من الدنيا كخروجي إلا أكرمه مثل كرامتي.

نكه دار فرصت كه عالم دميست / دمى پيش دانا به از عالميست
برفتندو هركس درود آنچه كشت / نماند بجز نام نيكو وزشت
دل اندر دلارام دنيا مبند / كه ننشست باكس كه دل برنكند

اللهم اجعلنا من المنقطعين إليك.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

﴿أم حسبت﴾ الخطاب للرسول ﷺ والمراد إنكار حسبان أمته وأم منقطعة مقدرة ببل التي هي للانتقال من حديث إلى حديث لا للإبطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور وببل وحدها عند غيرهم أي: بل أحسبت وظننت بمعنى ما كان ينبغي أن يحتسب ولم حسبت. قال الكاشفي: [آورده اندكه چون يهود قريش راسه سؤال در آمو ختندكه ازحضرت رسالت ﷺ پرسيدند بايكديكر ميكفتندكه قصه جوانان بس عجبست عجب ازوى كه جواب آن داند حق سبحانه وتعالى آيت فرستادكه ﴿أم حسبت﴾ نه چنانست كه ميكويند آيامى پندارى تو] ﴿أن أصحاب الكهف﴾ الكهف الغار الواسع في الجبل فإن لم يكن واسعاً فغار ﴿والرقيم﴾ هو كلبهم بلغة الروم.

- يروى - عن الصاحب بن عباد أنه كان يتردد في معنى الرقيم وتبارك والمتاع ويدور على قبائل العرب فسمع امرأة تسأل أين المتاع ويجيب ابنها الصغير بقوله: الرقيم أخذ المتاع وتبارك الجبل فاستفسر عنها وعرف أن الرقيم هو الكلب وأن المتاع هو ما يبل بالماء فيمسح به وأن تبارك بمعنى صعد. قال في «القاموس»: الرقيم كأمير قرية أصحاب الكهف أو جبلهم أو كلبهم أو الوادي أو الصحراء أو لوح رصاصي أو حجري نقش ورقم فيه نسبهم وأسماؤهم ودينهم ومم هربوا وجعل على باب الكهف فالرقيم عربي فعيل بمعنى مفعول. قال الطبري: كان في بيت الملك رجلان مؤمنان اسم أحدهما يندروس والآخر روناس كتبا اسماءهم وقصتهم وأنسابهم في لوحين من رصاص ووضعاهما في تابوت من نحاس ثم جعلاه على فم الغار في البنيان وقالا: لعل الله أن يظهر عليهم قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة فتعلم أخبارهم ﴿كانوا﴾ في بقائهم على الحياة مدة طويلة من الدهر [يعني در خواب ماندن سيصدونه سال] ﴿من آياتنا﴾ من بين آياتنا ودلائل قدرتنا ﴿عجبا﴾ أي: آية ذات عجب وضعا له موضع المضاف أو وصفا لذلك بالمصدر مبالغة والعجيب ما خرج عن حد أشكاله ونظائره وهو خبر لكانوا ومن آياتنا حال منه. والمعنى أن قصتهم وإن كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة بالنسبة إلى سائر الآيات فإن لله تعالى آيات عجيبة قصتهم عندها كالنزر الحقير. قال الكاشفي: [يعني قصه ايشان بنسبت قدرت ما كه در آفرينش ارض وسما ظاهراست چندان عجيب وغريب نيست مراد از كهف غاريست جيرم نام واقع دركوه تباخلوس از حوالي شهر افسوس كه دار الملك دقيانوس بود آورده اندكه دقيانوس درزمان تسخير ممالك روم بشهر افسوس رسيد وآنجا مذبحى براى بتان كه معبودان او بودند ساخته أهل شهررا تكليف پرستش ايشان كرد هركه سخن اوشنيد

خلاص يافت وهركه تمرد نمود بقتل رسيد شش جوان نورسيده خدا پرست از بزركان زادكان شهر كوشه كرفته بدعا ونياز مشغول كشتند واز حق سبحانه وتعالى در خواست نمودندكه ايشانرا ازفتنه آن جبار ايمن سازد القصه مهم ايشان بعرض دقيانوس رسيده وباحضار ايشان امر كرده تهديد بسيارنمود ايشان بر طريق توحيد رسوخ ورزيده مطلقاً فرمان أو قبول نكردند دقيانوس بفرمودتا حلى وحلل كه دربرداشتند ازايشان انتزاع كردند وكفت شما جوانيد وخرد سال وشمارا دوسه روزى مهلت دادم تادركار خود تأمل كنيد وببينيدكه مصلحت شمادر قبول قول منست يا دررد آن پس ازان شهر متوجه موضعى ديكر شد وجوانان رفتن اورا غنيمت دانسته بايكديكر درباب مهم خود مشاورت نمودند ورأى همه بر فرار قرار يافت هريك ازخانه پدر قدرى مال بجهت زاد ونفقه بر داشته روى بكوهى كه نزديك شهر بود آوردند ودرراه شبانى بديشان رسيدو بدين ايشان در آمد ودرمرافقت موافقت نمود سك شبان نيزبر عقب ايشان دويدن آغاز كردچندان كه منع كردند ممتنع نشد وخداى اورا بسخن آوردنا بزبان فصيح كفت از من مترسيدكه من دوستان خدايرا دوست ميدارم شمادر خواب رويد تا من شمارا پاسبانى كنم اما چون نزديك كوه شدند شبان كفت من درين كوه غارى ميدانم كه بدان پناه مى توان كرفت پس اتفاق روى بغار نهادند وحق سبحانه وتعالى ازرفتن ايشان بغار برين وجه خبر ميدهد].

﴿إذ أوى﴾ ظرف لعجباً أو مفعول لا ذكر أي: اذكر حين صار وأتى وانضم والتجأ ﴿الفتية﴾ يعني: فتية من أشراف الروم أكرههم دقيانوس على الشرك فأبوا وهربوا ﴿إلى الكهف﴾ هو جيروم في جبلهم بنجلوس واتخذوه مأوى. والفتية جمع الفتى وهو الشاب القوي الحدث ويستعار للملوك وإن كان شيخاً كالغلام وعن النبي ﷺ: «لا يقل أحدكم عبدي وأمتي ولكن ليقل فتاي وفتاتي» وعن أبي يوسف من قال: أنا فتى فلان كان إقراراً منه بالرق ﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك﴾ من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون أهل المعاداة فمن ابتدائية متعلقة بآتنا ﴿رحمة﴾ خاصة تستوجب المغفرة والرزق والأمن من الأعداء ﴿وهيىء لنا من أمرنا﴾ كلا الجارين متعلق بهيىء لاختلافهما في المعنى وأصل التهيئة إظهار هيئة الشيء وفي «الصحاح» هيأت الشيء أصلحته والإصلاح نقيض الإفساد وهو جعل الشيء على الحالة المستقيمة النافعة والإفساد هو الإخراج عن حد الاعتدال. والمعنى أصلح ورتب وأتمم لنا من أمرنا الذي هو مهاجرة الكفار والمثابرة على الطاعة ﴿رشدا﴾ إصابة للطريق الموصل إلى المطلوب واهتداء إليه.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾

﴿فضربنا على آذانهم﴾ أي: حجاباً يمنع سماعها أي: أنمناهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الإنامة الثقيلة المانعة عن وصول الأصوات إلى الآذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الآذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند النوم لما أنها المحتاجة إلى الحجب عادة إذ هي الطريقة للتيقظ غالباً لا سيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق والفاء في ضربنا كما في قوله فاستجبنا له بعد قوله إذ نادى فإن الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال وغير ذلك ايتاء رحمة لدنية خافية عن أبصار

المتمسكين بالأسباب العادية استجابة لدعواتهم ﴿في الكهف﴾ ظرف مكان لضربنا ﴿سنين﴾ ظرف زمان له ﴿عددا﴾ أي: ذوات عدد هي ثلاثمائة وتسع سنين كما سيأتي ووصف السنين بذلك إما للتكثير وهو الأنسب بإظهار كمال القدرة أو للتقليل وهو الأليق بمقام إنكار كون القصة عجباً من بين سائر الآيات العجيبة فإن مدة لبثهم كبعض يوم عنده تعالى.

﴿ثم بعثناهم﴾ أي: أيقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت وفيه دليل على أن النوم أخو الموت في اللوازم من البعث وتعطيل الحياة والالتحاق بالجمادات ﴿لنعلم﴾ العلم هنا مجاز عن الاختبار بطريق إطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به قطعاً بل قد يكون لإظهار عجزه عنه على سنن التكاليف التعجيزية كقوله تعالى: ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٥٨] وهو المراد هنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم ﴿أي الحزبين﴾ أي: الفريقين المختلفين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سيأتي.

ـ وروي ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أحد الحزبين الفتية والآخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكاً بعد ملك وذلك لأن اللام للعهد ولا عهد لغيرهم وأي مبتدأ خبره قوله: ﴿أحصى﴾ فعل ماض أي: ضبط ﴿لما لبثوا﴾ أي: للبثهم فما مصدرية ﴿أمدا﴾ يقال ما أمدك أي: منتهى عمرك أي: غايته فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك إلى العليم الخبير ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم من حفظ أبدانهم وأديانهم فيزدادوا يقيناً بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به أمر البعث ويكون ذلك لطفاً لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفارهم. والأمد بمعنى المدى كالغاية في قولهم ابتداء الغاية على طريق التجوز بغاية الشيء عنه فالمراد بالمدى المدة كما أن المراد بالغاية المسافة وهو مفعول لأحصى والجار والمجرور حال منه قدمت عليه لكونه نكرة فأحصى فعل ماض هنا وهو الصحيح لا أفعل تفضيل لأن المقصود بالاختيار إظهار عجز الكل عن الإحصاء رأساً لا إظهار أفضل الحزبين وتمييزه عن الأدنى مع تحقق أصل الإحصاء فيهما.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿أم حسبت﴾ إشارة إلى النبي ﷺ أي: إنك إن حسبت ﴿أن﴾ أحوال ﴿أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا﴾ أي: من آيات إحساننا مع العبد ﴿عجبا﴾ فإن في أمتك من هو أعجب حالاً منهم وذلك أن فيهم أصحاب الخلوات الذين كهفهم الذي يأوون إليه بيت الخلوة ورقيمهم قلوبهم المرقومة برقم المحبة فهم محبي ومحبوبي وألواح قلوبهم مرقومة بالعلوم اللدنية، قال الحافظ:

خاطرت كي رقم قيض پذيرد هيهات مكر ازنقش پرا كنده ورق ساده كنى

وإن كان أصحاب الكهف آووا إلى الكهف خوفاً من لقاء دقيانوس وفراراً فإنهم آووا إلى كهف الخلوة شوقاً إلى لقائي وفراراً إلي، قال الحافظ:

شكر كمال حلاوت پس از رياضت يافت نخست درشكن تنك ازان مكان كيرد

وإن كان مرادهم من قولهم ﴿ربنا آتنا﴾ الآية النجاة من شر دقيانوس والخروج من الغار بالسلامة فمراد هؤلاء القوم النجاة من شر نفوسهم والخروج من ظلمات غار الوجود للوصول إلى أنوال جمالي وجلالي، قال الحافظ:

مددى كر بچراغى نكند آتش طور چاره تيره شب وادى ايمن چه كنم

وبقوله: ﴿فضربنا﴾ الآية يشير إلى سد آذان ظاهر أصحاب الخلوة وآذان باطنهم لئلا يقرع مسامعهم كلام الخلق فتنقش ألواح قلوبهم به وكذلك ينعزل جميع حواسهم عن نقش قلوبهم ثم إنهم يمحون النقوش السابقة عن القلوب بملازمة استعمال كلمة الطلاسة وهي كلمة لا إله إلا الله حتى تصفو قلوبهم بنفي لا إله عما سوى الله وبإثبات إلا الله تتنور قلوبهم بنور الله وتنتقش بنور العلوم اللدنية إلى أن يتجلى تبارك وتعالى لقلوبهم بذاته وجميع صفاته فيفنيهم الله عنهم ويبقيهم به وهو سر قوله: ﴿ثم بعثناهم﴾ أي: أحييناهم بنا ﴿لنعلم أي الحزبين﴾ أي: حزب أصحاب الكهف وحزب أصحاب الخلوة أحصى أي: أخطأ وأصوب لما لبثوا في كهفهم وبيت خلوتهم أمداً غاية لبثهم.

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾

﴿نحن نقص عليك﴾ أي: نخبرك ونبين لك وقد مر اشتقاقه في مطلع سورة يوسف ﴿نبأهم﴾ أي: خبَر أصحاب الكهف والرقيم ﴿بالحق﴾ صفة لمصدر محذوف أي: نقص قصاً ملتبساً بالحق والصدق. وفيه إشارة إلى أن القصاص كثيراً يقصون بالباطل ويزيدون وينقصون ويغيرون القصة كل واحد يعمل برأيه موافقاً لطبعه وهواه وما يقص بالحق إلا الله تعالى: ﴿إنهم فتية﴾ [شبان] ﴿آمنوا بربهم﴾. قال في «التكملة»: سبب إيمانهم أن حوارياً من حواريي عيسى عليه السلام أراد أن يدخل مدينتهم فقيل له: إن على بابها صنماً لا يدخلها أحد إلا سجد له فامتنع من دخولها وأتى حماماً كان قريباً من تلك المدينة فآجر نفسه فيه فكان يعمل فيه فتعلق به فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه ثم هرب الحواري بسبب ابن الملك أراد دخول الحمام بامرأة فنهاه الحواري فانتهره فلما دخل مع المرأة ماتا في الحمام فطلبه الملك لما قيل له إنه قتل ابنك فهرب ثم قال الملك: من كان يصحبه؟ فسموا الفتية فهربوا إلى الكهف. يقول الفقير: الظاهر أن إيمانهم كان بالإلهام الملكوتي والانجذاب اللاهوتي من غير دليل يدلهم على ذلك كما يشير إليه كلام «التأويلات» وسيأتي. واختلف فيهم متى كانوا فروى بعض الناس أنهم كانوا قبل عيسى ابن مريم وأن عيسى أخبر قومه خبرهم وأن بعثهم من نومهم كان بعد رفع عيسى في الفترة بينه وبين محمد عليهما السلام. وروى بعضهم أن أمرهم كان بعد عيسى وأنهم كانوا على دين عيسى. قال الطبري وعليه أكثر العلماء ﴿وزدناهم﴾ [وبيفزوديم ايشانرا] ﴿هدى﴾ بأن ثبتناهم على الدين الحق وأظهرنا لهم مكنونات محاسنه.

وفي «التأويلات النجمية»: سماهم باسم الفتوة لأنهم آمنوا بالتحقيق لا بالتقليد وطلبوا الهداية من الله إلى الله بالله ولكنهم طلبوا الهداية في البداية بحسب نظرهم وقدر همتهم فالله تعالى على قضية (من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا) زاد في هداهم فضلاً منه وكرماً كما قال: ﴿وزدناهم هدى﴾ أي: زدنا على متمناهم في الهداية فإنهم كانوا يتمنون أن يهديهم الله إلى الإيمان بالله وبما جاء به الأنبياء وبالبعث والنشور وإيماناً بالغيب فزاد الله على متمناهم في الهداية حين بعثهم من رقدتهم بعد ثلاثمائة وتسع سنين وما تغيرت أحوالهم وما بليت ثيابهم فصار الإيمان إيقاناً والغيب عيناً وعياناً.

ميوه باشد آخر از هار تو كعبه باشد آخر اسفار تو

﴿وربطنا على قلوبهم﴾ أي: قويناهم حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الأهل والأوطان والنعيم والإخوان واجترأوا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار وفي الحديث «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» وذلك لأن المجاهد متردد بين رجاء وخوف وأما صاحب السلطان فمتعرض للتلف فصار الخوف أغلب. قال في «الأساس»: ربطت الدابة شددتها برباط والمربط الخيل ومن المجاز ربط الله على قلبه أي: صبره ولما كان الخوف والقلق يزعج القلوب عن مقارها كما قال الله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠] قيل في مقابلته ربط قلبه إذا تمكن وثبت وهو تمثيل شبه تثبيت القلوب بالصبر بشد الدواب بالرباط ﴿إذ قاموا﴾ منصوب بربطنا والمراد بقيامهم انتصابهم لإظهار شعار الدين وقيل: المراد قيامهم بين يدي دقيانوس الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام فحينئذٍ يكون ما سيأتي من قوله تعالى: ﴿هؤلاء﴾ منقطعاً عما قبله صادراً عنهم بعد خروجهم من عنده.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وربطنا على قلوبهم إذ قاموا﴾ يعني: لئلا يلتفتوا إلى الدنيا وزخارفها وينقطعوا إلى الله بالكلية ولذلك ما اختاروا بعد البعث الحياة في الدنيا ورغبوا في أن يرجعوا إلى جوار الحق تعالى: ﴿فقالوا ربنا رب السموات والأرض﴾ رب العالم ومالكه وخالقه والصنم جزء من العالم فهو مخلوق لا يصلح للعبادة ﴿لن ندعو﴾ لن نعبد أبداً وبالفارسية [نخواهيم پرستيد] ﴿من دونه إلها﴾ معبوداً آخر لا استقلالاً ولا اشتراكاً والعدول عن أن يقال رباً للتنصيص على رد المخالفين حيث كانوا يسمون أصنامهم آلهة ﴿لقد قلنا إذاً﴾ [آن هنكام كه ديكرى را پرستيم] ﴿شططا﴾ قولاً ذا شطط أي: تجاوز عن الحد فهو نعت لمصدر محذوف بتقدير المضاف أو قولاً هو عين الشطط على أنه وصف بالمصدر مبالغة. قال في «القاموس» شط في سلعته شططا محركة جاوز القدر والحد وتباعد عن الحق انتهى وحيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما أنها لا تعرى عن الاعتراف بألوهية المعبود والتضرع إليه قيل لقد قلنا وإذا جواب وجزاء أي: لو دعونا من دونه إلّهاً والله لقد قلنا قولاً خارجاً عن حد العقول مفرطاً في الظلم.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾

﴿هؤلاء﴾ مبتدأ وفي التعبير باسم إشارة تحقير لهم ﴿قومنا﴾ عطف بيان له. يعني: [اين كروه كه كسان ما اند درنسب يعني جمعى از اهل افسوس].

وقال في «التأويلات النجمية» إنما قالوا: ﴿قومنا﴾ أي: كنا من جملتهم وبالضلالة في زمرتهم فأنعم الله علينا بالهداية والمعرفة وفرق بيننا وبينهم بالرعاية والعناية وخلصنا من عبادة الهوى والدنيا وشهواتها ﴿اتخذوا من دونه آلهة﴾ خبره وهو إخبار في معنى الإنكار أي: عبدوا الأصنام وجعلوها آلهة جهلاً منهم. قال أبو حيان: اتخذوا هنا يحتمل أن يكون بمعنى عملوا لأنها أصنام هم نحتوها وأن يكون بمعنى صيروا. وفي «المثنوي»:

پيش چوب وپيش سنك نقشى كنند اي بسا كولان كه سرهامى نهند
ديو الحاح غوايت ميكند شيخ الحاح هدايت ميكند

﴿لولا يأتون﴾ هلا يأتون. وبالفارسية [چرانمى آرندكه كافران] ﴿عليهم﴾ على ألوهيتهم ﴿بسلطان بين﴾ بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم يعني يعبدون آلهة لم يتمسكوا في صحة عبادتها ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا لهم فيها علم ضروري ولا دليل عقلي. وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات مردود والآية إنكار وتعجيز وتبكيت لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال ﴿فمن أظلم﴾ [پس كيست سمتكارتر] ﴿ممن افترى على الله كذبا﴾ بنسبة الشريك إليه تعالى عن ذلك علواً كبيراً. والمعنى أنه أظلم من كل ظالم وعذابه أعظم من كل عذاب لأن الظلم موجب للعذاب فيكون الأعظم للأظلم.

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾

﴿وإذ اعتزلتموهم﴾ الاعتزال بالفارسية [جداشدن] أي: فارقتموهم في الاعتقاد وأردتم الاعتزال الجسماني وهو خطاب بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم. قال الكاشفي: [قبل أزين كذشت كه دقيانوس بعد از معارضه ايشان مهلت دادوايشان فرار كردند يمليخا كه مهتر ايشان بود دراثناى طريق بايشان كفت ﴿وإذ اعتزلتموهم﴾ وچون يكسو شديد ازاهل شرك ودورى جستيد ازا يشان] ﴿وما يعبدون إلا الله﴾ عطف على الضمير المنصوب وما مصدرية أو موصولة أي: إذ اعتزلتموهم ومعبوديهم إلا الله أي: وعبادتهم إلا عبادة الله وعلى التقديرين فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كأهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الأوثان ﴿فأووا﴾ التجأوا ﴿إلى الكهف﴾ قال الفراء هو جواب إذ كما تقول إذ فعلت فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه أي: إذ اعتزلتموهم اعتزالاً اعتقادياً فاعتزلوهم اعتزالاً جسمانياً أو إذا أردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء إلى الكهف. وفيه إشارة إلى أن الاعتزال الاعتقادي يوجب الاعتزال الجسماني. ومن ثم قال في «مجمع الفتاوى» سئل الرستغفني عن المناكحة بين أهل السنة وبين أهل الاعتزال فقال: لا يجوز ﴿ينشر لكم﴾ يبسط لكم ويوسع عليكم ﴿ربكم﴾ مالك أمركم ﴿من رحمته﴾ من تفضله وإنعامه في الدارين ﴿ويهيىء لكم﴾ يسهل لكم ﴿من أمركم﴾ الذي أنتم بصدده من الفرار بالدين ﴿مرفقا﴾ ما ترفقون وتنتفعون به وجزمهم بذلك لخلوص يقينهم عن شوب الشك وقوة وثوقهم. وفي الحديث: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة» وفي الآية: إشارة إلى أن التائب الصادق والطالب المحق من اعتزل عن قومه وترك أهل صحبته وقطع عن إخوان سوئه واعتقد أن لا يعبد إلا الله يعرض عما سوى الله مستعيناً بالله متوكلاً على الله فارّاً إلى الله من غير الله، قال الخجندي:

وصل ميسر نشود جز بقطع ... قطع نخست از همه ببريدنست

ثم يأوي إلى كهف الخلوة، قال الجامي:

زابناى دهر وقت كسى خوش نميشود ... خوش وقت آنكه معتكف كنج عزلتست

متمسكاً بذيل إرادة شيخ كامل مكمل واصل موصل ليربيه ويزيد في هدايته ويربط على قلبه بنور الولاية وقوة الرعاية كما كان حال أصحاب الكهف، وفي «المثنوي»:

كرچه شيرى چون روى ره بى دليل ... خويش بيني در ضلالي وذليل

هين مپر الا كه باپرهاى شيخ ... تابيني عون لشكرهاى شيخ

ولكنهم كانوا مجذوبين من الله مربوبين بربهم وذلك من النوادر ولا حكم للنادر وإليه يشير قوله عليه السلام: «إن الله أدبني فأحسن تأديبي» وهذا من قدرة الله أن يهدي جماعة إلى الإيمان بلا واسطة رسول أو نبي ويجذبهم بجذبات العناية إلى مقامات القرب ومحل الأولياء بلا شيخ مرشد وهاد مرب ومن سنة الله أن يهدي عباده بالأنبياء والرسل وبخلافتهم ونيابتهم بالعلماء الراسخين والمشايخ المقتدين ففي قوله: ﴿**فأووا إلى الكهف**﴾ إشارة إلى الالتجاء بالخلوة والتمسك بالمشايخ المسلكين يعني لهذه الطريقة ﴿**ينشر لكم ربكم من رحمته**﴾ أي: يخصصكم برحمة الخاصة المضافة إلى نفسه وهو أن يجذبهم بجذبات العناية ويدخلهم في عالم الصفات ليتخلقوا بأخلاقه ويتصفوا بصفاته كقوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ [الشورى: ٨] وله رحمة عامة مشتركة بين المؤمن والكافر والجن والإنس والحيوان ﴿**ويهيىء لكم من أمركم مرفقا**﴾ أي: ينشر لكم طريق الوصول والوصال كما في «التأويلات النجمية».

﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾

﴿**وترى الشمس**﴾ يا محمد أو يا من يصلح للخطاب ويتأتى منه الرؤية وليس المراد به الإخبار بوقوع الرؤية تحقيقاً بل الإنباء بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس. قال الكاشفي: [آورده اندكه جوانان اتفاق نموده بكوه در آمدند وشبان ايشانرا بغار در آورد وچون درو قرار كرفتند حق سبحانه وتعالى خواب برايشان كماشت همانجا بخفتند دقيانوس بعد ازدوسه روزى بافسوس باز آمده أحوال جوانان پرسيد وچون ازفرار ايشان خبر يافت آباء ايشانرا براحضار ايشان تكليف نمود كفتند اي ملك مبلغي أموال ما برده بدين كوه متحصن شدند دقيانوس باجمعى ازعقب ايشان برفت وايشانرا درون غار تكيه كرده يافت پنداشت كه بيدارندكفت درغارابسنك بر آريد تاهم آنجا بميرند پس درغاررا استوار كردند ودومؤمن ازمقربان دقيانوس اسامى واحوال جوانرا برلوحى ازسنك نقش كرد ودر ديوار غار وضع كردند باميد آنكه شايد كسى روزى آنجارسد وازحوال ايشان خبر دار كردد]. يقول الفقير: فيكون ما ذكر في الآية من تزاور الشمس وقرضها طالعة وغاربة قبل أن سد دقيانوس باب الكهف إذ لا يتصور دخول شعاع الشمس من الباب المسدود حتى يحتاج إلى التزاور والقرض كما لا يخفى ﴿**إذا طلعت تزاور**﴾ أي: تتزاور وتتنحى وتميل بحذف إحدى التاءين من الزور بفتح الواو وهو الميل ﴿**عن كهفهم**﴾ الذي آووا إليه فالإضافة لأدنى ملابسة ﴿**ذات اليمين**﴾ أي: جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل إلى قعره أي: جانبه الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم لأن الكهف كان جنوبياً أي: كانت ساحته داخلة في جانب الجنوب أو زوّرها الله عنهم وصرفها على منهاج خرق العادة كرامة لهم وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين أي: الجهة المسماة باسم اليمين ﴿**وإذا غربت**﴾ أي: تراها عند غروبها ﴿**تقرضهم**﴾ القرض القطع ومنه المقراض أي: تقطعهم ولا تقربهم ﴿**ذات الشمال**﴾ أي: جهة ذات شمال الكهف أي: جانبه الذي يلي المشرق. وفي «القاموس» تقرضهم ذات الشمال أي: تخلفهم شمالاً وتجاوزهم وتقطعهم وتتركهم على شمالها ﴿**وهم في فجوة منه**﴾ الفجوة الفرجة وما اتسع من الأرض

وساحة الدار وهي جملة حالية مبنية لكون ذلك أمراً بديعاً أي: تراها تميل عنهم يميناً وشمالاً ولا تحوم حولهم في نهارهم كله مع أنهم في متسع من الأرض أي: في وسط معرض لإصابتها لولا أن صرفتها عنهم يد التقدير ﴿ذلك﴾ أي: ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها حالتي الطلوع والغروب مع كونهم في موقع شعاعها ﴿من آيات الله﴾ العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة أهله عنده ﴿من﴾ [هركه] ﴿يهد الله﴾ إلى الحق بالتوفيق له ﴿فهو المهتد﴾ الذي أصاب الفلاح واهتدى إلى السعادة كلها فلن يقدر على إضلاله أحد والمراد إما الثناء عليهم بأنهم المهتدون أو التنبيه على أن أمثال هذه الآية كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للاستبصار بها ﴿ومن يضلل﴾ أي: يخلق فيه الضلالة لصرف اختياره إليها ﴿فلن تجد له﴾ أبداً وإن بالغت في التتبع والاستقصاء ﴿وليا﴾ ناصراً ﴿مرشدا﴾ يهديه إلى الفلاح لاستحالة وجوده في نفسه لا أنك لا تجده مع وجوده أو إمكانه.

﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨﴾

﴿وتحسبهم﴾ تظنهم والخطاب فيه كما في ترى ﴿أيقاظا﴾ متنبهين جمع يقظ بفتح القاف وكسرها وهو اليقظان ومدار الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر ﴿وهم رقود﴾ نيام جمع راقد مثل بكيا وجثيا في سورة مريم جمع باك وجاث والأصل بكوى وجثوى على وزن رقود [در كشف الأسرار آورده كه اين حال نمودار كار جوانمردان طريقتست چون بظواهر ايشان درنكرى بينى كه جلوه كراند در ميدان أعمال وچون سرائر ايشان دريابى بينى كه ازهمه فارغند در بوستان لطف ذو الجلال بباطن مست وبظاهر هشيار بمعنى بيكار وبصورت دركار].

ظاهري با اين وآن درساخته — باطني از جمله وابرد اخته

﴿ونقلبهم﴾ في رقدتهم بأيدي الملائكة ﴿ذات اليمين﴾ نصب على الظرفية أي: جهة تلي إيمانهم ﴿وذات الشمال﴾ أي: جهة تلي شمائلهم كيلا تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم على طول الزمان قال أبو هريرة رضي الله عنه: كانت لهم تقلبتان في السنة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما تقلبة واحدة من جانب إلى جانب لئلا تأكل الأرض لحومهم وذلك في يوم عاشوراء وتعجب منه الإمام وقال: إن الله قادر على حفظهم من غير تقليب وأجاب عنه سعدي المفتي بقوله: لا ريب في قدرة الله ولكن تعالى جعل لكل شيء سبباً في أغلب الأحوال انتهى. قال بعض الكبار: الميل إلى اليمين عند النفي حين التلفظ بكلمة الشهادة وإلى اليسار عند الإثبات مأخوذ من هذه الآية الشريفة.

قال في «التأويلات النجمية»: فيه إشارة لطيفة وهي أن المريد الذي يربيه الله بلا واسطة المشايخ يحتاج إلى أن يكون كالميت بين يدي الغسال مسلماً نفسه بالكلية إليه مدة ثلاثمائة سنة وتسع سنين حتى يبلغ مبلغ الرجال والمريد الذي يربيه الله بواسطة المشايخ لعله يبلغ مبلغ الرجال البالغين بخلوة أربعين يوماً أو خلوتين أو خلوات معدودة وذلك أن هؤلاء خلفاء الله بواسطة المشايخ وصورة لطفه كما أن الأشجار في الجبال تربى بلا واسطة فلا تثمر كما تثمر الأشجار في البساتين بواسطة الدهاقين وتربيتهم.

زمن اي دوست اين يك پندبپذير — برو فتراك صاحب دولتي كير

كه قطره تا صدف را درنيايد نكردد كوهر و روشن نتابد

﴿وكلبهم﴾ هو كلب راع قد تبعهم على دينهم واسمه قطمير ﴿باسط ذراعيه﴾ حكاية حال ماضية ولذلك أعمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام وأبي جعفر من البصريين يجوز إعماله مطلقاً والذراع من المرفق إلى رأس الأصبع الوسطى ﴿بالوصيد﴾ أي: بموضع الباب من الكهف. قال في «القاموس» الوصيد الفناء والعتبة انتهى. قال السدي الكهف لا يكون له عتبة ولا باب وإنما أراد أن الكلب منه موضع العتبة من البيت.

ـ روي ـ أنه يدخل الجنة مع المؤمنين على ما قال مقاتل عشرة من الحيوانات تدخل الجنة ناقة صالح وعجل إبراهيم وكبش إسماعيل وبقرة موسى وحوت يونس وحمار عزير ونملة سليمان وهدهد بلقيس وكلب أصحاب الكهف وناقة محمد ﷺ فكلهم يصيرون على صورة كبش ويدخلون الجنة ذكره في «مشكاة الأنوار»، قال الشيخ سعدي قدس سره:

سك أصحاب كهف روزى چند پى نيكان كرفت ومردم شد

يعني: [بامردمان داخل جنت شد درصورت كبش. ودر تفسير إمام ثعلبي مذكوراست كه هركه درشبانروز بر حضرت نوح عليه السلام درود فرستد از كژدم ضرري بوى نرسد وهركه اين كلمات ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾ نوشته باخود دارد از سك متضرر نكردد]. قال في «حياة الحيوان» أكثر أهل التفسير على أن كلب أهل الكهف كان من جنس الكلاب.

ـ وروي ـ عن ابن جريج أنه قال: كان أسداً ويسمى الأسد كلباً لأن النبي عليه السلام دعا على عتبة بن أبي لهب أن يسلط الله عليه كلباً من كلابه فأكله الأسد والكلب نوعان أهلي وسلوقي نسبة إلى سلوق وهي مدينة باليمن ينسب إليها الكلاب السلوقية فإنه يكون فيها كلاب طوال يصيدون بها. ومن بلاغات الزمخشري السوقية والكلاب السلوقية سواء يعني أن السوقية لما فيهم من سوء الخلق ورداءة المعاملة والكلاب السلوقية متساويتان وكلا النوعين في الطبع سواء وفي طبعه الاحتلام وتحيض إناثه. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كلب أمين خير من صاحب خوان. وكان للحارث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم وكان شديد المحبة لهم فخرج في بعض منتزهاته ومعه ندماؤه فتخلف منهم واحد فدخل على زوجته فأكلا وشربا ثم اضطجعا فوثب الكلب عليهما فقتلهما فلما رجع الحارث إلى منزله فوجدهما قتيلين عرف الأمر فأنشد يقول:

وما زال يرعى ذمتي ويحوطني ويحفظ عرسي والخليل يخون

فيا عجباً للخل تحليل حرمتي ويا عجباً للكلب كيف يصون

وفي «عجائب المخلوقات»: أن شخصاً قتل شخصاً بأصفهان وألقاه في بئر وللمقتول كلب يرى ذلك فكان يأتي كل يوم إلى رأس البئر وينحي التراب عنها ويشير وإذا رأى القاتل نبح عليه فلما تكرر منه ذلك حفروا الموضع فوجدوا القتيل ثم أخذوا الرجل فأقر فقتل به قال المولى الجامي في «ذم أبناء الزمان»:

در لباس دوستى سازند كار دشمنى

حسب الإمكان واجبست ازكيدايشان اجتناب

شكل ايشان شكل انسان فعل شان فعل سباع

هم ذئاب في ثياب أو ثياب في ذئاب

وعن الحسن البصري رحمه الله قال في الكلب عشر خصال ينبغي لكل مؤمن أن تكون فيه:

الأولى: أن يكون جائعاً فإنه من دأب الصالحين.

والثانية: أن لا يكون له مكان معروف وذلك من علامات المتوكلين.

والثالثة: أن لا ينام من الليل إلا قليلاً وذلك من علامات المحبين.

والرابعة: إذا مات لا يكون له ميراث وذلك من صفات المتزهدين.

والخامسة: أنه لا يترك صاحبه وإن ضربه وجفاه وذلك من علامات المريدين الصادقين.

والسادسة: أنه يرضى من الأرض بأدنى الأماكن وذلك من علامات المتواضعين.

والسابعة: إذا تغلب على مكانه تركه وانصرف إلى غيره وهذه من علامات الراضين.

والثامنة: إذا ضرب وطرد وجفى عليه وطرح له كسرة أجاب ولم يحقد على ما مضى وذلك من علامات الخاشعين.

والتاسعة: إذا حضر الأكل جلس بعيداً ينظر وهذه من خصال المساكين.

والعاشرة: أنه إذا رحل من مكان لا يلتفت إليه وهذه من علامات المحزونين كذا في «روض الرياحين» للإمام اليافعي رحمه الله **﴿لو اطلعت عليهم﴾** أي: لو عاينتهم وشاهدتهم وأصل الاطلاع الإشراف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة **﴿لوليت منهم﴾** أي: هربت **﴿فرارا﴾** نصب على المصدرية من معنى ما قبله إذ التولية والفرار من واحد أي: وليت تولية أو فررت فراراً **﴿ولملئت﴾** [وهر آينه پركرده شوى] **﴿منهم رعباً﴾** خوفاً يملأ الصدر ويرعبه وهو إما مفعول ثان أو تمييز وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة والهيئة كانت أعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم. قال الكاشفي: [مراد آنست كه كسى را طاقت ديدن ايشان نيست بجهت آنكه چشمهاى ايشان كشاده است ومويها وناخونهاى ايشان دراز شده وايشان درمكان مظلم وموحش اند] وعن معاوية رضي الله عنه أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما: ليس لك ذلك وقد منع الله من هو خير منك فقال: **﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا﴾** فقال معاوية: لا أنتهي حتى أعلم علمهم فبعث ناساً وقال لهم: اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف جاءت ريح فأحرقتهم وقيل: فأخرجتهم. فإن قيل: من أين يفهم المنع من الآية؟ قلنا: من حيث دلالتها على أنهم لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة لا يستطيع أحد أن ينظر إليهم نظر الاستقصاء وهذا الذي طلبه معاوية ولم يسمع لأنه ظن أن هذا المعنى وهو امتناع الاطلاع عليهم مختص بذلك الزمان الذي قبل بعثهم والإعثار عليهم وبناء المسجد فوقهم. وأما ابن عباس رضي الله عنه فقد علم أن ذلك عام في جميع الأزمان كذا في «حواشي» سعدي المفتي. يقول الفقير: لا شك أن عبارة الخطاب في لو اطلعت وما يليه لحضرة الرسالة وإشارته لكل من يصلح له من أمته فمعاوية داخل تحت إشارة هذا الخطاب فيكون التفتيش عنهم إذاً ضائعاً لا طائل تحته وذلك لأن مطالعة ما خرج عن حد إشكاله من الأمور العجيبة الخارقة لا تتيسر لكل نظر ألا ترى أنه عليه السلام مع غلبة الملكية عليه لما رأى جبرائيل على صورته العجيبة وقد سد بأجنحته ما بين المشرق والمغرب خر مغشياً عليه مع أن في النظر إليهم ابتذالاً لهم بالنسبة إلى من ليس من أهله وقد جرت عادة الله تعالى على ستر المعاني في الدنيا والصور في البرزخ الذي هو مقدمة عالم

الآخرة فكما لا يشاهد الروح وهو في البرزخ لكون حس الرائي حجاباً مانعاً كذلك الجسد الطاهر الطيب المقدس لكونه متصلاً بمقام الروح ولذا لا تأكله الأرض فافهم.

ـ حكي ـ أن صوفياً رأى ولياً من أولياء الله تعالى راكباً لأسد وبيده حية بدل السوط فلما شاهده هلك من هيبة المقام.

خام را طاقة پروانه پر سوخته نيست

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿**وكذلك**﴾ قال الكاشفي: [چون دقيانوس در غار برايشان استوار كرده باز كشت وبدار الملك باز آمدند كه زمانى را باداجل بناى حياتش درهم فكند وآن همه ملك ومال وجلال متلاشى كشت]:

دمى چند بشمرد وناچيز شد   زمانه بخنديد كونيز شد

[وبعد ازو چند مالك ديكر برآن ممالك نظر كرد تا نوبت ملك صالح تندروس وكويند تندروسى رسيد واو مردى مؤمن وخداى ترس بود واكثر اهل زمان اورا در حشر جسد شبهه افتاد ومنكران شدند هرچند ملك ايشانرا پند داد سود نكرد حق سبحانه وتعالى خراست كه دليل برحشر جسد برايشان نمايد اصحاب كهف را ازخواب بيدار كردچنانچه كفت]

﴿**وكذلك**﴾ أي: كما أنمناهم تلك الإنامة الطويلة وحفظنا أجسادهم وثيابهم من البلى والتحلل آية دالة على كمال قدرتنا ﴿**بعثناهم**﴾ أي: أيقظناهم من النوم ﴿**ليتساءلوا بينهم**﴾ أي: ليسأل بعضهم بعضاً فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة ﴿**قال**﴾ استئناف لبيان تسألهم ﴿**قائل منهم**﴾ هو رئيسهم مكشلينا. وفي «بحر العلوم»: مكسلمينا ﴿**كم**﴾ [چندوقت] ﴿**لبثتم**﴾ في منامكم لعله قال لما رأى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة ﴿**قالوا**﴾ أي: بعضهم ﴿**لبثنا يوماً أو بعض يوم**﴾ قيل: إنما قالوه لما أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم آخر النهار فقالوا: لبثنا يوماً فلما رأوا أن الشمس لم تغرب بعد قالوا أو بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم ينسبوا إلى الكذب. وقال الكاشفي: [ايشان بامداد بغار بر آمده بودند چون درنكر يستند آفتاب بوقت چاشت رسيده ديدند قالوا لبثنا كفتند درنك كرديم اينجا يوماً روزى اكردى روز در خواب شده باشيم او بعض يوم ياپاره از روزا كردرين روز خفته باشيم].

يقول الفقير: هذا أولى مما قبله لأن قوله فابعثوا أحدكم بورقكم يدل على بقاء ما يسع فيه الذهاب والإياب من النهار بخلاف ما لو كان الوقت قبيل الغروب إذ يبعد البعث المذكور فيه لعدم إمكان العود عادة لمكان المسافة بين الكهف والمدينة ﴿**قالوا**﴾ أي: بعض آخر منهم بما سنح لهم من الأدلة أو بإلهام من الله. وقال الكاشفي: [پس چون ناخنان خودرا باليده ومويهاى سررا دراز يافتند كفتند بعضى ازايشان بعضى ديكريرا] ﴿**ربكم أعلم بما لبثتم**﴾ أي: أنتم لا تعلمون مدة لبثكم لأنها متطاولة ومقدارها مبهم وإنما يعلمها الله تعالى وبه يتحقق التحزب إلى الحزبين المعهودين فيما سبق ﴿**فابعثوا أحدكم**﴾ يمليخا ﴿**بورقكم هذه إلى المدينة**﴾ قالوه

إعراضاً عن التعمق في البحث لأنه ملتبس لا سبيل لهم إلى علمه وإقبالاً على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبىء عنه الفاء والورق الفضة مضروبة أو غير مضروبة ووصفها باسم الإشارة يشعر بأن القائل ناولها بعض أصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وحملهم لها دليل على أن التزود أي: أخذ الزاد لا ينافي التوكل على الله بل هو فعل الصالحين ودأب المنقطعين إلى الله دون المتوكلين على الإنفاقات والتوكل يكون بعد مباشرة الأسباب، وفي «المثنوي»:

كرتوكل ميكني دركار كن كشت كن پس تكيه بر جبار كن

رمز الكاسب حبيب الله شنو از توكل در سبب كاهل مشو

وكونهم متوكلين علم من قولهم ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقا﴾ والمدينة طرسوس وكان اسمها في الجاهلية افسوس. قال في «القاموس»: طرسوس كحلزون بلد مخصب كان للأرمن ثم أعيد إلى الإسلام في عصرنا ﴿فلينظر أيها﴾ أي: أهلها على حذف المضاف كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] ﴿أزكى طعاما﴾ أحل وأطيب وأكثر وأرخص طعاماً ﴿فليأتكم﴾ [پس بيارد بشما] ﴿برزق﴾ بقوت وهو ما يقوم به بدن الإنسان ﴿منه﴾ أي: من ذلك الأزكى طعاماً. قال الكاشفي: [در زمان ايشان در آن شهر كسان بودندكه ايمان خود مخفى مى داشتند غرض آن بودكه ذبيحه ايشان پيدا كند] ﴿وليتلطف﴾ وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا يغبن أو في الاستخفاء لئلا يعرف قال بعض المتقدمين حسبت القرآن بالحروف فوجدت النصف عند قوله في سورة الكهف: ﴿وليتلطف﴾ اللام الثاني في النصف الأول والطاء والفاء في النصف الثاني كما في «البستان». ﴿ولا يشعرن بكم أحدا﴾ من أهل المدينة فإنه يستدعي شيوع أخباركم أي: لا يفعلن ما يؤدي إلى الشعور بنا من غير قصد فسمي ذلك إشعاراً منه بهم لأنه سبب فيه فالنهي على الأول تأسيس وعلى الثاني تأكيد للأمر بالتلطف.

﴿إنهم﴾ أي: ليبالغ في التلطف وعدم الإشعار لأنهم ﴿إن يظهروا عليكم﴾ أي: يطلعوا عليكم ويظفروا بكم والضمير للأهل المقدر في أيها ﴿يرجموكم﴾ يقتلوكم بالرجم وهو الرمي بالحجارة إن ثبتم على ما أنتم عليه وهو أخبث القتلة وكان من عادتهم ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ أي: يصيروكم إلى ملة الكفر أو يدخلوكم فيها كرهاً من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨] وقيل: كانوا أولاً على دينهم فآمنوا. يقول الفقير: هذا هو الصواب لقوله تعالى: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم﴾ وذلك لأنه لو لم يكن إيمانهم حادثاً لقيل إنهم فتية مؤمنون وإيثار كلمة في على كلمة إلى للدلالة على الاستقرار الذي هو أشد شيء عندهم كراهة ﴿ولن تفلحوا إذاً﴾ أي: إن دخلتم فيها ولو بالكره والإلجاء لن تفوزوا بخير ﴿أبدا﴾ لا في الدنيا ولا في الآخرة لأنكم وإن أكرهتم ربما استدرجكم الشيطان بذلك إلى الإجابة حقيقة والاستمرار عليها.

وفي «التأويلات النجمية»: العجب كل العجب أنهم لما كانوا ثلاثمائة سنة وتسع سنين في مقام عندية الحق خارجين عن عنديتهم ما احتاجوا إلى طعام الدنيا وقد استغنوا عن الغذاء الجسماني بما نالوا من الغذاء الروحاني كما كان حال النبي ﷺ كان يواصل الأيام ويقول: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» فلما رجعوا من عندية الحق إلى عندية نفوسهم قالوا: ﴿فابعثوا﴾ الخ ففي طلبهم أزكى طعاماً إشارة إلى أرباب الوصول وأصحاب المشاهدة لما

شاهدوا ذلك الجمال والبهاء وذاقوا طعم الوصال وجدوا حلاوة الأنس وملاطفات الحبيب فإذا رجعوا إلى عالم النفوس تطالبهم الأرواح والقلوب بأغذيتهم الروحانية فيتعللون بمشاهدة كل جميل لأن كل جمال من جمال الله وكل بهاء من بهاء الله ويتوصلون بلطافة الأطعمة إلى تلك الملاطفات كما قالوا: ﴿فليأتكم برزق منه وليتلطف﴾ أي: في الطعام ﴿ولا يشعرن بكم أحدا﴾ وفيه إشارة إلى الاحتراز عن شعور أهل الغفلة بأحوال أرباب المحبة فإن لهم في النهاية أحوالاً كأنها كفر عند أهل البداية كما قال أبو عثمان المغربي قدس سره إرفاق العارفين باللطف وإرفاق المريدين بالعنف ﴿إنهم إن يظهروا عليكم﴾ يعني: أهل الغفلة ﴿يرجموكم﴾ بالملامة فيما يشاهدون منكم يا أهل المعرفة من وسعة الولاية وقوتها واستحقاق التصرف في الكونين وانعدام تصرفهما فيكم فإنهم بمعزل عن بصيرة يشاهدون بها أحوالكم فمن قصر نظرهم يطعنون فيكم:

عشق درهر دل كه سازد بهر دردت خانه اول از سنك ملامت افكند بنيـاداو

﴿أو﴾ يريدون أن ﴿يعيدوكم في ملتهم﴾ وهي عبادة أصنام الهوى وطواغيت شهوات الدنيا وزينتها فإن رجعتم إليها فلن تفلحوا إذاً أبداً. يقول الفقير: اعلم أنه لا يخلو الأعصار من مثل دقيانوس الجبار صورة ومعنى فمن أراد السلامة في بدنه ودينه وعمله واعتقاده وعرضه فليجدها في الوحدة والاعتزال عن الناس والإيواء إلى كهف البيت والذهول عن أحوال الناس صغيرهم وكبيرهم رفيعهم ووضيعهم كالنائم فإنه مسلوب الحس لا يدري ما الدنيا وما فيها لغموض العينين لا يفرق بين سواد وبياض وإن ادعى أحد أنه بحر لا يتغير فذلك غرور محض لأن عدم التغير لا يحصل إلا للمنتهي ففي الاختلاط ضرر كثير وهو كالرضاع يغير الطباع وغايته موافقة أهل الهوى طوعاً أو كرهاً نعوذ بالله من ذلك ونسأله الحفظ من الوقوع في المهالك ونرجو منه الفلاح الأبدي والخلاص السرمدي.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾

﴿وكذلك﴾. قال الكاشفي: [يمليخاكه بعقل كامل موصوف بود وصيتها قبول نموده روى بشهر نهاد وبدروازه رسيد أوضاع آن را متغير ديد وچون بشهر درآمد بازار ومحلات وأشكال وألوان مردم بر نمطى ديكر يافت حيرى بروى غلبه كرد آخر الأمر بدكان خباز آمد ودرمى از آنچه همراه داشت بوى داد تادر عوض نان بستاند نان واى زرى ديد منقش بنام دقيانوس خيال بست كه اين مرد كنجى يافته آن زررا ببازارى ديكر بديكرى نمود بيك لحظه اين خبر دربازار منتشر شده بشحنه رسيد ويمليخارا طلبيدة تهديدى عظيم نمود وطلب باقي زرها كرد يمليخا كفت من كنجى نيافته ام دى روز اين زررا ازخانه پدر برداشته ام وأمر وزببازار آورده ام نام پدرش پرسيدند وچون كفت كسى از اهل شهر ندانست ويراتكذيب نمودند واو ازغايت دهشت كفت مراپيش دقيانوس بريدكه او ازمهم من آكاهى دارد مردمان آغاز استهزا كردندكه دقيانوس قريب سيصد ساله شدكه مرده است تو مارا افسوس ميكرى يمليخا كفت شما بامن سخريه ميكنيد ديروز ما جماعتى ازوى كريخته بكوه رفتيم وامروز مرا بشهر بطلب طعام فرستادند من بجزاين چيزى ندانم القصه اورانزديك ملك آوردند وصورت حال تقرير كرد

ملك باجماعتي از مقربان واشراف بلد روى بغار آوردند ويمليخا بغار در آمد ويارانرا ازصورت حال خبر داد وعلى الفور ملك برسيد وآن لوح كه بردر غار بود برخواندند واسامى واحوال ايشان معلوم كرد وباقوم بغار در آمده ايشانرا ديد باروبهاى تازه وجامهاى نو متحير شده برايشان سلام كرد جواب دادند حق سبحانه وتعالى ازين حال اخبار فرمود] ﴿وكذلك﴾ أي: كما أنمناهم وبعثناهم من تلك النومة لما في ذلك من إظهار القدرة الباهرة والحكمة البالغة وازدياد بصيرتهم ويقينهم ﴿أعثرنا﴾ أي: أطلعنا الناس ﴿عليهم﴾ أي: على أصحاب الكهف وأصله أن الغافل عن شيء ينظر إليه إذا عثر به فيعرفه فكان العثار سبب العلم به فأطلق اسم السبب على المسبب. قال في «تهذيب المصادر» الإعثار [بررسانيدن كسى را بر چيزى] قال الله تعالى: ﴿وكذلك أعثرنا﴾ والاطلاع [بر رسانيدن كسى برنهانى] العرب تقول: اطلع فلان على القوم ظهر لهم حتى رأوا واطلع عنهم غاب عنهم حتى لا يروه ﴿ليعلموا﴾ أي: الذين اطلعناهم على حالهم وهم قوم تندروس الذين أنكروا البعث ﴿أن وعد الله﴾ أي: وعده بالبعث للروح والجسد معاً ﴿حق﴾ صدق لا خلف فيه لأن نومهم وانتباههم بعده كحال من يموت ثم يبعث إذ النوم أخو الموت ﴿وأن الساعة﴾ أي: القيامة التي هي عبارة عن وقت بعث الخلائق جميعاً للحساب والجزاء ﴿لا ريب فيها﴾ لا شك في قيامها ولا شبهة في وقوعها فإن من شاهد أنه تعالى توفى نفوسهم وأمسكها ثلاثمائة سنة وأكثر حافظاً أبدانهم من التحلل والتفتت ثم أرسلها إليها علم يقيناً أنه تعالى يتوفى نفوس جميع الناس ويمسكها إلى أن يحشر أبدانها فيردها إليها للحساب والجزاء.

پيش قدرت كارها دشوار نيست عجزها باقوت حق كار نيست

يقول الفقير: هذا من لطف الله بالقوم وإرشاده إياهم بصورة النوم حيث أظهر هذه القدرة وبين الحق بوجه يقوم مقام بعث الرسول لمن هو من أهل اليقظة.

وفي «التأويلات النجمية» قوله: ﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ إشارة إلى أنا كما اطلعنا بعض منكري البعث والنشور بالأجساد على أحوال أصحاب الكهف ليعلموا ويتحقق لهم أن وعد الله بالبعث وإحياء الموتى حق وأن قيام الساعة لا ريب فيه إنا قادرون على إحياء بعض القلوب الميتة وإن وعد الله به بقوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] وبقوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] حق وإن قيام قلوب الصديقين المحبين لا ريب فيه انتهى [در تفسير امام ثعلبي مذكور است كه حضرت رسالت ﷺ را آرزوى آن شدكه أصحاب كهف رابه بيند جبريل آمدكه يا رسول الله نوايشانرا درين دنيا نخواهى ديد اما ازاخيار أصحاب خود چهاركس را بفرست تا ايشانرا بدين تو دعوت كنند آن حضرت فرمودكه چكونه فرستم وكه را برفتن بفرمايم جبريل فرمود رداى مبارك خود بكستران وصديق وفاروق ومرتضى وأبو درداء رضي الله عنهم بكوتا هريك بكوشه نشيند وبادراكه مسخر سليمان بود بطلب كه خداى تعالى اورا مطيع توكردانيد بفرماى تا ايشانرا برداشته بدان غار برد حضرت آنچنان كردوصحابه بدرغار سيدند سنكى بود برداشتند سك ايشان روشنى بانك دركرفت وحمله آورد واما چون چشم وى ايشانرا ديدم جنبانيدن آغار نهاد وبسر اشارت كردكه در آييد ايشان در آمده كفتند السلام عليكم ورحمة الله وبركاته حق سبحانه أرواح بأجساد ايشاز بازآورد تابر خاستند وجواب سلام بازدادند صحابه كفتند نبي الله محمد بن عبد الله ﷺ شما سلام رسانيده ايشان كفتند السلام على محمد

رسول الله پس دعوت كردند ايشانرا بدين اسلام وايشان قبول نمودند وحضرت پيغمبررا سلام رسانيدند باز در مضاجع خود تكيه كردند وبارديكر نزد خروج مهدي از اهل محمد عليه السلام زنده شوند ومهدي برايشان سلام كند وجواب دهند پس بميرند ودرقيامت مبعوث كردند] ﴿إذ يتنازعون﴾ قال بعض أصحاب التفسير: هو متعلق باذكر المقدر، يقول الفقير: هو الأظهر والأنسب لترتيب الفاء الآتية عليه فيكون كلاماً منفصلاً عما قبله والمتنازعون هم قوم تندروس ﴿بينهم أمرهم﴾ أي: تدبير أمر أصحاب الكهف حين توفاهم الله ثانياً بالموت كيف يخفون مكانهم وكيف يستر الطريق إليهم ﴿فقالوا﴾ أي: بعض أهل المدينة ﴿ابنوا عليهم﴾ أي: على باب كهفهم ﴿بنيانا﴾ [ديوارى كه ازچشم مردم پوشيده شوند] يعني لا يعلم أحد تربتهم وتكون محفوظة من تطرق الناس كما حفظت تربة رسول الله بالحظيرة ﴿ربهم أعلم بهم﴾ بحالهم وشأنهم لا حاجة إلى علم الغير بمكانهم ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ من المسلمين وملكهم ﴿لنتخذن عليهم مسجدا﴾ أي: لنبنينَّ على باب كهفهم مسجداً يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم.

ـ روي ـ أنه لما اختلف قوم تندروس في البعث مقترحين وجاحدين دخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحاً جلس على رماد وسأل ربه أن يظهر الحق فألقى الله تعالى في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به دقيانوس باب الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله فلما انتشر خبرهم واطلع عليهم الملك وأهل المدينة مسلمهم وكافرهم كلموهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك: نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والإنس ثم رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وماتوا فألقى عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوتاً من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجداً.
يقول الفقير: هذه حال أهل الفناء ولذا لم يقبل حضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره البناء على مرقده فعملوا من الألواح ثم أخذتها الصاعقة كأنه لم يقبل الغطاء وسببه ما سمعته من حضرة شيخي وسندي روح الله روحه وهو أنه قال إن الشيخ صدر الدين كان من أولاد الملوك كحضرة مولانا صاحب «المثنوي» وكان مولانا تاركاً للدنيا مطلقاً وصدر الدين متجملاً صورة حتى كان له خدام متزينون وله إبريق وطشت من فضة وتغير عليه شخص في ذلك فأشار حضرة الشيخ إلى الإبريق فأتى إلى حضرة الشيخ وقربه فتحير الحاضرون وتاب الشخص وقال يوماً لحضرة مولانا نعيش كالملوك ونضطجع كالصعلوك فقال مولانا نعيش كالصعلوك ونضطجع كالملوك ولذا ترى تربة مولانا على الاحتشام العظيم دون مرقد صدر الدين رزقنا الله شفاعتهما، قال المولى الجامي:

وصلش مجودر اطلس شاهى كه دوخت عشق
اين جامه برتنى كه نهان زير زنده بود

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿سيقولون﴾ الضمائر في الأفعال الثلاثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي ﷺ من أهل

الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه إسناد كل قولٍ فيها إلى كلهم بل إلى بعضهم سألوا رسول الله فأخر الجواب ﷺ إلى أن يوحى إليه فيهم فنزلت إخباراً بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وأن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم أي: سيقول اليهود هم أي: أصحاب الكهف ﴿**ثلاثة**﴾ أي: ثلاثة أشخاص ﴿**رابعهم كلبهم**﴾ أي: جاعلهم أربعة بانضمامه إليهم كلبهم ﴿**ويقولون**﴾ أي: النصارى وإنما لم يجىء بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ﴿**خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب**﴾ رمياً بالخبر الخفي عليهم وإتياناً به كقوله: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [سبأ: ٥٣] أي: يأتون به أو ظناً بالغيب من قولهم رجماً بالظن إذا ظن وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين معاً أي: راجمين أو على المصدر منهما فإن الرجم والقول واحد أي: يرجمون رجماً بالغيب ﴿**ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم**﴾ القائلون المسلمون بطرق التلقن من هذا الوحي وما فيه مما يرشدهم إلى ذلك من عدم نظم في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها وذلك لأن الوحي مقدم على المقالة المذكورة على ما يدل عليه السنن ﴿**قل**﴾ تحقيقاً للحق ورداً على الأولين ﴿**ربي أعلم**﴾ قال سعدي المفتي أي: أقوى علماً وأزيد في الكيفية فإن مراتب اليقين متفاوتة في القوة ولا يجوز أن يكون التفضيل بالإضافة إلى الطائفتين الأوليين إذ لا شركة لهما في العلم ﴿**بعدتهم**﴾ بعددهم ﴿**ما يعلمهم إلا قليل**﴾ ما يعلمهم عدتهم إلا قليل من الناس قد وفقهم الله للاستشهاد بتلك الشواهد. قال ابن عباس - رضي الله عنهما - حين وقعت الواو وانقطعت العدة أي: لم يبق بعدها عدة عاد يعتد بها وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم قطعاً وجزماً وعليه مدار قوله أنا من ذلك القليل. وعن علي رضي الله عنهم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشازنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه كفشططيوش أو كفيشيططيوش. قال الكاشفي: الأصح أنه مرطوش. قال النيسابوري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أسماء أصحاب الكهف تصلح للطلب والهرب وإطفاء الحريق تكتب في خرقة ويرمى بها في وسط النار ولبكاء الطفل تكتب وتوضع تحت رأسه في المهد وللحرث تكتب على القرطاس وترفع على خشب منصوب في وسط الزرع وللضربان والحمى المثلثة والصداع والغنى والجاه والدخول على السلاطين تشد على الفخذ اليمنى ولعسر الولادة تشد على فخذها اليسرى ولحفظ المال والركوب في البحر والنجاة من القتل ﴿**فلا تمار**﴾ المماراة [ستيزه كردن] الفاء لتفريع النهي على ما قبله أي: إذ قد عرفت جهل أصحاب القولين الأولين فلا تجادلهم ﴿**فيهم**﴾ أي: في شأن أصحاب الكهف ﴿**إلا مراء ظاهرا**﴾ إلا جدالاً ظاهراً غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما في القرآن من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم فإنه مما يخل بمكارم الأخلاق ﴿**ولا تستفت**﴾ [وفتوى مجوى يعني مپرس] ﴿**فيهم**﴾ أي: في شأنهم ﴿**منهم**﴾ أي: من الخائضين ﴿**أحداً**﴾ فإن فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك مع أنه لا علم لهم بذلك. قال الكاشفي: [أهل تأويل را درباب أصحاب كهف سخن پسياراست بعض كويند اين قصه نمود از أحوال بدلاء سبعة است كه هفت اقليم عالم بوجود ايشان قائمست وكهف خلو تخانه ايشان بود وكلب نفس حيوانية]. وعن الخضر عليه السلام أنه قال: ثلاثمائة هم الأولياء وسبعون هم النجباء وأربعون هم أوتاد الأرض وعشرة هم النقباء وسبعة هم العرفاء وثلاثة هم المختارون

العرفاء وثلاثة هم المختارون وواحد هو الغوث لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتخشع وحسن الحلية ولكن بلغوا بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين اصطفاهم الله بعلمه واستخلصهم لنفسه وهم لا يسبون شيئاً ولا يلعنونه ولا يؤذون من تحتهم ولا يحقرونه ولا يحسدون من فوقهم أطيب الناس خبراً وألينهم عريكة وأسخاهم نفساً كذا في «روض الرياحين» للإمام اليافعي رحمه الله [ونزد جمعى اشارتست بروح وقلب وعقل فطرى ومعيش وقوت قدسيه وسر وخفى كه تعلق بكهف بدن دارد ودقيانوس نفس أماره است].

كنـد مـردرا نـفـس اماره خـوار اكـر هـو شـمـنـدى عـزيـزش مـدار
مـبـرطـاعـت نـفـس شـهـوت پـرسـت كـه هـرسـاعـتـش قـبـلـه ديـكـرسـت

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿ولا تقولن﴾ نهي تأديب **﴿لشيء﴾** أي: لأجل شيء تعزم عليه **﴿إني فاعل ذلك﴾** الشيء **﴿غدا﴾** أي: فيما يستقبل من الزمان مطلقاً فيدخل فيه الغد دخولاً أولياً فإنه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فسألوه ﷺ فقال: «ائتوني غداً أخبركم» ولم يستثن أي: لم يقل إن شاء الله وتسميته استثناء لأنه يشبه الاستثناء في التخصص فأبطأ عليه الوحي أيام حتى شق عليه. يعني: [غبار ملال بر مرآت دل بي غل آن حضرت نشست] وكذبته قريش وقالوا ودعه ربه وأبغضه.

﴿إلا أن يشاء الله﴾ استثناء مفرغ من النهي أي: لا تقولن ذلك في حال من الأحوال إلا حال ملابسته بمشيئته تعالى على الوجه المعتاد وهو أن يقال إن شاء الله وفيه إشارة إلى أن الاختيار والمشيئة لله وأفعال العباد كلها مبنية على مشيئته كما قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ [الإنسان: ٣٠] **﴿واذكر ربك﴾** أي: قل إن شاء الله **﴿إذا نسيت﴾** ثم تذكرته كما روي أنه عليه السلام لما نزل قال: «إن شاء الله» **﴿وقل عسى﴾** [شايدكه] **﴿أن يهدين ربي﴾** أي: يوفقني **﴿لأقرب من هذا﴾** أي: لشيء أقرب وأظهر من نبأ أصحاب الكهف من الآيات والدلائل الدالة على نبوتي **﴿رشدا﴾** أي: إرشاداً للناس ودلالة على ذلك وقد فعل حيث أراه من البينات ما هو أعظم من ذلك وأبين كقصص الأنبياء المتباعدة أيامهم والحوادث النازلة في الأعصار المستقبلة إلى قيام الساعة. قال سعدي المفتي: لما جعل اليهود الحكاية عن أصحاب الكهف دالة على نبوته هون الله أمرها وقال: **﴿قل عسى﴾** الآية كما هون المحكي في مفتتح الكلام بقوله: **﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم﴾** الآية انتهى. وقال السمرقندي في «بحر العلوم»: والظاهر أن يكون المعنى إذا نسيت شيئاً فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه أن تقول عسى ربي أن يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه رشداً وأدنى خيراً ومنفعة انتهى. قال الإمام في تفسيره: والسبب في أنه لا بد من ذكر هذا القول هو أن الإنسان إذا قال سأفعل الفعل الفلاني غداً لم يبعد أن يموت قبل أن يجيء الغد ولم يبعد أيضاً لو بقي حياً أن يعوقه من ذلك الفعل عائق فإذا لم يقل إن شاء الله صار كاذباً في ذلك الوعد والكذب منفر وذلك لا يليق بالأنبياء عليهم السلام فلهذا السبب وجب عليه أن يقول: إن شاء الله حتى أنه بتقدير أن يتعذر عليه الوفاء بذلك الموعود لم يصر كاذباً فلم يحصل التنفير انتهى. قال أبو

الليث ـ رحمه الله ـ روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام: «لأطوفن الليلة على مائة امرأة كل امرأة تأتي بغلام يقاتل في سبيل الله ونسي أن يقول إن شاء الله فلم تأتِ واحدة منهن بشيء إلا امرأة بشق غلام» فقال النبي عليه السلام: «والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لولد له ذلك» وذلك أن من لم يعلق فعله بمشيئته تعالى فإن من سنته أن يجري الأمر على خلاف مشيئته ليعلم أن لا مشيئة في الحقيقة إلا لله تعالى وفي الحديث: «إن من تمام إيمان العبد أن يستثني في كل حديثه» أي: سواء كان ذلك باللسان والقلب معاً أو بالقلب فقط فإن مجرد الاستثناء باللسان غير مفيد، وفي «المثنوي»:

ترك استثناء مرادم قسوتيست ... نى همين كفتن كه عارض حالتيست

اي بسا نا ورده استثنا بكفت ... جان او باجان استثناست جفت

ومن لطائف «روضة الخطيب» أنه سئل رجل إلى أين؟ فقال: إلى الكناسة لأشتري حماراً فقيل: قل إن شاء الله فقال: لست أحتاج إلى الاستثناء فالدراهم في كمي والحمير في الكناسة فلم يبلغ الكناسة حتى سرقت دراهمه من كمه فرجع فقال رجل: من أين؟ قال: من الكناسة إن شاء الله سرقت دراهمي إن شاء الله.

واعلم أن ابن عباس رضي الله عنهما جوز الاستثناء المنفصل بالآية المذكورة وعامة الفقهاء على خلافه إذ لو صح ذلك لما تقرر إقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب في الإخبار عن الأمور المستقبلة. قال القرطبي في تأويل الآية: هذا في تدارك التبرّي والتخلص من الإثم وأما الاستثناء المغير للحكم فلا يكون إلا متصلاً انتهى. قال في مناقب الإمام الأعظم روي أن محمد بن إسحاق صاحب المغازي كان يحسد أبا حنيفة لما روي من تفضيل المنصور أبي جعفر أبا حنيفة على سائر العلماء فقال محمد بن إسحاق عند أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور لأبي حنيفة ما تقول في رجل حلف وسكت ثم قال: إن شاء الله بعد ما فرغ من يمينه وسكت فقال أبو حنيفة: لا يعمل الاستثناء لأنه مقطوع وإنما ينفعه إذا كان متصلاً فقال محمد بن إسحاق: كيف لا ينفعه وقد قال جد أمير المؤمنين وهو عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه يعمل الاستثناء وإن كان بعد سنة لقوله تعالى: ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ فقال أمير المؤمنين: أهكذا قول جدي فقال: نعم فقال المنصور على وجه الغضب لأبي حنيفة: أتخالف جدي يا أبا حنيفة؟ فقال أبو حنيفة لقول ابن عباس تأويل يخرج على الصحة ثم قال لأمير المؤمنين: إن هذا وأصحابه لا يرونك أهلاً للخلافة لأنهم يبايعونك ثم يخرجون فيقولون إن شاء الله ويخرجون من بيعتك ولا يكون في عنقهم حنث فقال أمير المؤمنين لأعوانه: خذوا هذا يعني محمد بن إسحاق فأخذوه وجعلوا رداءه في عنقه وحبسوه.

ملزم آمد محمد إسحاق ... مبتلاً شد بنقيض إطلاق

وفيه تعظيم إمام الملة قائل الحق بغير العلة.

﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿ولبثوا﴾ أي: الفتية وهو بيان لاجمال قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الكهف: ١١] ﴿في كهفهم﴾ إحياء نياماً ﴿ثلاث مائة سنين﴾ عطف بيان لثلاثمائة لا

تميز وإلا لكان أقل مدة لبثهم عند الخليل ستمائة سنة لأن أقل الجمع عنده اثنان وعند غيره تسعمائة لأن أقله ثلاثة عندهم هذا على قراءة مائة بالتنوين وأما على قراءة الإضافة فأقيم الجمع مقام المفرد لأن حق المائة أن يضاف إلى المفرد وجه ذلك أن المفرد في ثلاثمائة درهم في المعنى جمع فحسن إضافته إلى لفظ الجمع كما في الأخسرين أعمالاً فإنه ميز بالجمع وحقه المفرد نظراً إلى مميزه ﴿وازدادوا تسعاً﴾ أي: تسع سنين وهو إشارة إلى أن ذلك الحساب على اعتقاد أهل الكتاب شمسي وأما عند العرب فهو قمري والقمري يزيد على الشمسي تسعاً لأن التفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلاث سنين ولذلك قال وازدادوا تسعاً هو مفعول ازدادوا والسنة الشمسية مدة وصول الشمس إلى النقطة التي فارقتها من ذلك البرج وذلك ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم والسنة القمرية اثنا عشر شهراً قمرياً ومدتها ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وثلث يوم. قال الكاشفي: [وبتحقيق سيصدسال شمسي سيصدونه سال قمري ودوماه نوازده روز باشد].

﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾، قال البغوي: إن الأمر في مدة لبثهم كما ذكرنا فإن نازعوك فيها فأجبهم و﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ أي: بالزمان الذي لبثوا فيه لأن علم الخفيات مختص به ولذلك قال: ﴿له﴾ خاصة ﴿غيب السموات والأرض﴾ أي: ما غاب عن أهل الأرض ﴿أبصر به﴾ [چه بيناست خداى تعالى بهر موجودى] ﴿وأسمع﴾ [وچه شنواست بهر مسموعي]. قال الشيخ في تفسيره الضمير في به لله محله رفع لكونه فاعلاً لفعل التعجب والباء زائدة والهمزة في الفعلين للصيرورة أصله بصر الله وسمع ثم غير إلى لفظ الأمر وليس بأمر إذ لا معنى للأمر هنا ومعناه ما أبصر الله بكل موجود وما أسمعه لكل مسموع وصيغة التعجب ليست على حقيقتها لاستحالته على الله بل للدلالة على أن شأن علمه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه إدراك المدركين لا يحجبه شيء ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة إليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والخفي والجلي ولعل تقديم أمر إبصاره تعالى لما أن الذي نحن بصدده من قبيل المبصرات.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿أبصر به وأسمع﴾ أي: هو البصير بكل موجود وهو السميع بكل مسموع فبه أبصر وبه أسمع انتهى. قال القيصري رحمه الله سمعه تعالى عبارة عن تجليه بعلمه المتعلق بحقيقة الكلام الذاتي في مقام جمع الجمع والأعياني في مقام الجمع والتفصيل ظاهراً وباطناً لا بطريق الشهود وبصره عبارة عن تجليه وتعلق علمه بالحقائق على طريق الشهود وكلامه عبارة عن التجلي الحاصل من تعلق الإرادة والقدرة لإظهار ما في الغيب وإيجاده قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ [يس: ٨٢] الآية ﴿ما لهم﴾ أي: لأهل السموات والأرض ﴿من دونه﴾ تعالى ﴿من ولي﴾ يتولى أمرهم وينصرهم استقلالاً ومن الأولى متعلقة بولي على الحال والثانية للاستغراق كأنه قيل ما لهم من دونه ولي ما ﴿ولا يشرك في حكمه أحداً﴾ أي: لا يجعل الله تعالى أحداً من الموجودات العلوية والسفلية شريكاً لذاته العالية في قضائه الأزلي إلى الأبد لعزته وغناه. قال الإمام المعنى أنه تعالى لما حكى أن لبثهم هو هذا المقدار فليس لأحد أن يقول بخلافه انتهى. قال بعض الكبار هذه الأمور المدبرة المنزلة بين السموات والأرض الجارية الحادثة في الواقع الظاهرة على أيدي مظاهرها وأسبابها في الخارج في الليل والنهار هي الأمور المحكمة المحفوظة من تبديل غير الحق تعالى وتغييره لأنها

المقادير التي قدرها ودبرها وأحكم صنعها ولا قدرة لأحد غيره على محو ما أثبته وإثبات ما محاه ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] وليس لغيره كائناً من كان غير التسليم والرضى إذ ليس بشريك له تعالى في حكمه وفي الحديث القدسي «قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع فمن رضي فله الرضى مني حتى يلقاني ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني»، قال الحافظ:

رضا بداده بده وزجبين كره بكشاي   كه برمن وتو در اختيار نكشادست

وقال:

در دائره قسمت ما نطقه تسليميم   لطف آنچه تو انديشى حكم انچه توفرمايى

يعني: ليس للعبد اعتراض على المولى في حكمه وأمره وإنما له التسليم والرضى وترك التدبير كما قال بعض الكبار عن لسان الحق تعالى يا مهموماً بنفسه كنت من كنت لو ألقيتها إلينا وأسقطت تدبيرها وتركت تدبيرك لها واكتفيت بتدبيرنا لها من غير منازعة في تدبيرنا لها لاسترحت جعلنا الله وإياكم هكذا بفضله وهذا مقال عال لم يصل إليه إلا أفراد الرجال الذين رفعوا منازعة النفس من البين ومشوا بالتسليم والرضى في كل أين يا رجل أين هم في هذا الزمان وكيف تبين حالهم للإنسان فاجتهد لعلك تظفر بواحد منهم حتى تكون ممن رضي الله عنهم.

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك﴾ أي: القرآن للتقرب إلى الله تعالى بتلاوته والعمل بموجبه والاطلاع على أسراره ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله والفرق بين التلاوة والقراءة أن التلاوة قراءة القرآن متابعة كالدراسة والأوراد الموظفة والقراءة أعم لأنها جمع الحروف باللفظ لا اتباعها **﴿لا مبدل لكلماته﴾** لا قادر على تبديله وتغييره غيره تعالى كقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ [النحل: ١٠١] فهو عام مخصوص فافهم **﴿ولن تجد﴾** أبد الدهر وإن بالغت في الطلب **﴿من دونه﴾** تعالى **﴿ملتحدا﴾** ملتجأ تعدل إليه عند نزول بلية. وقال الشيخ في تفسيره ولن تجد من دون عذابه ملتجأ تلجأ إليه إن هممت بذلك التبديل فرضاً انتهى.

واعلم أن القرآن لا يتبدل أبداً ولا يتغير بالزيادة والنقصان سرمداً وكذا أحكامه لأنه محفوظ في الصدور بنظمه ومعانيه وإنما يتبدل أهله بتبدل الأعصار فيعود العلم والعمل إلى الجهل والترك نعوذ بالله تعالى. قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: مررت بحجر مكتوب عليه قلبني أنفعك فقلبته فإذا مكتوب عليه أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب ما لم تعلم.

كر همه علم عالمت باشد   بى عمل مدعى وكذابى

ومن فرق المتصوفة المبتدعة قوم يسمون بالإلهامية يتركون طلب العلم والدرس ويقولون القرآن حجاب والأشعار قرآن الطريقة فيتركون القرآن ويتعلمون الأشعار فهلكوا بذلك قال الكمال الخجندي:

دل از شنيدن قرآن بكيردت همه وقت   چو باطلان ز كلام حقت ملولى چيست

قال إبراهيم الخواص: جلاء القلب ودواؤه خمسة: قراءة القرآن بالتدبر، وإخلاء البطن،

وقيام الليل، والتضرع إلى الله عند السحر، ومجالسة الصالحين فمن اشتغل بشهوته وهواه عن هذه الأمور الشاقة بقي على مرضه الروحاني ولم يجد لنفسه ملتحداً سوى العذاب والهلاك فانظر يا مسيء الأدب أن لا مرجع إلا إلى الله تعالى فكيف ترجع إليه بالأشعار التي اخترعتها أنت وأمثالك من أهل النفس والهوى بدل القرآن الذي أرسله الله إليك وأمر بالعمل به فما جوابك يوم يجثو المقربون على ركبهم من الهول كما قال الشيخ سعدي:

دران روز كز فعل پرسند وقول اولو العزم را تن بلرزد زهول

بجايى كه دهشت خورد انبيا توعذر كنه را چه دارى بيا

فالواجب أن تجثو في هذا اليوم بين يدي عالم لتعلم القرآن وكيفية العمل به ومعرفة طريق الوصول إلى حقائقه فإنه نسخة إلهية فيها علوم جميع الأنبياء والأولياء فمن أراد دخول الدار من شيخ وشاب فليأت من طرف الباب. وعن علي رضي الله عنه: من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ وهو في غير الصلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات. قالوا: أفضل التلاوة على الوضوء والجلوس شطر القبلة وأن يكون غير متربع ولا متكىء ولا جالس جلسة متكبر ولكن نحو ما يجلس بين يدي من يهابه ويحتشم منه. وفي «الأشباه»: استماع القرآن أثوب من تلاوته انتهى. فما يفعل البعض في هذا الزمان من إخفاء آية الكرسي في بعض الجوامع والمجامع ليس على ما ينبغي وذلك لأن في القوم من هو أمي لا يحسن قراءة الآية المذكورة فاللائق أن يجهر بها المؤذن لينال المستمعون ثواب التلاوة بل أزيد وهو ظاهر على أرباب الإنصاف ولا يخرج عن هذا الحد إلا أصحاب الاعتساف.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿واصبر نفسك﴾ احبسها وثبتها مصاحبة ﴿مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ في أول النهار وآخره والمراد الدوام أي: مداومين على الدعاء في جميع الأوقات أو بالغداة لطلب التوفيق والتيسير والعشي لطلب عفو التقصير. نزلت حين طلب رؤساء الكفار طرد فقراء المسلمين من مجالسه عليه السلام كصهيب وعمار وخباب وغيرهم وقالوا: اطرد هؤلاء الذين ريحهم ريح الصنان يعني: [اين پشمينه پوشان بي قدررا كه بوى خرقهاى ايشان مارا متأذى دارد از مجلس خود دورساز] حتى نجالسك فإن أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء لأنهم قوم أرذلون كما قال قوم نوح ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] فلم يأذن الله في طرد الفقراء لأجل أن يؤمن جمع من الكفار. فإن قيل يرجح الأهم على المهم وطرد الفقراء يسقط حرمتهم وهو ضرر قليل وعدم طردهم يوجب بقاء الكفار على كفرهم وهو ضرر عظيم. قلنا من ترك الإيمان حذراً من مجالسة الفقراء لم يكن إيمانه إيماناً بل يكون نفاقاً قبيحاً يجب أن لا يلتفت إليه كذا في «تفسير الإمام». يقول الفقير شأن النبوة عظيم فلو طردهم لأجل

أمر غير مقطوع كان ذنباً عظيماً بالنسبة إلى منصبه الجليل مع أن الطرد المذكور من ديدن الملوك والأكابر من أهل الظواهر وعظماء الدين يتحاشون عن مثل ذلك الوضع نظراً إلى البواطن والسرائر ﴿يريدون﴾ بدعائهم ذلك ﴿وجهه﴾ تعالى حال من الضمير المستكن في يدعون أي: مريدين لرضاه لا شيء آخر من أعراض الدنيا فالوجه مجاز عن الرضى والمناسبة بينهما أن الرضى معلوم في الوجه وكذا السخط كما في «الحواشي الحسينية» على «التلويح». ﴿ولا تعد عيناك عنهم﴾ أي: لا يجاوزهم نظرك إلى غيرهم. قال الكاشفي: [بايدكه نكذرد چشمهاى توازايشان] من عدا الأمر وعنه جاوزه كما في «القاموس» فعيناك فاعل لا تعد وهذا نهي للعينين والمراد صاحبهما يعني نهيه عليه السلام عن الازدراء بفقراء المسلمين لرثاثة زيهم طموحاً إلى زي الأغنياء. وقال ذو النون رحمه الله خاطب الله نبيه عليه السلام وعاتبه وقال له: اصبر على من صبر علينا بنفسه وقلبه وروحه وهم الذين لا يفارقون محل الاختصاص من الحضرة بكرة وعشيا فمن لم يفارق حضرتنا فحق أن تصبر عليه فلا تفارقه وحق لمن لا تعدو عينهم عني طرفة عين أن لا ترفع نظرك عنهم وهذا جزاؤهم في العاجل ﴿تريد﴾ يا محمد ﴿زينة الحياة الدنيا﴾ أي: تطلب مجالسة الأغنياء والأشراف وأهل الدنيا وهي حال من الكاف وفي إضافة الزينة إلى الحياة الدنيا تحقير لشأنها وتنفير عنها. قال الكاشفي: [ببايد دانست كه آن حضرت را هر كزبدنيا وزينت آن ميل نبوده بلكه معنىء آيت اينست كه مكن عمل كسى مائل بزينت دنيا چه مائل بدنيا از فقر معرض وبراغنيا مقبل باشد]. وفي «زبدة التفاسير»: تريد حال صرف للاستقبال لا أنه حكم على النبي عليه السلام بإرادته زينة الدنيا وهو قد حذر عن الدنيا وزينتها ونهى عن صحبة الأغنياء كما قال: «لا تجالسوا الموتى» يعني الأغنياء ﴿ولا تطع﴾ في تنحية الفقراء عن مجلسك ﴿من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ الغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور أي: جعلت قلبه في فطرته الأولى غافلاً عن الذكر ومحتوماً عن التوحيد كرؤساء قريش ﴿واتبع هواه﴾ الهوى بالفارسية [آرزوى نفس] مصدر هواه إذا أحبه واشتهاه ثم سمي به المهوى المشتهى محموداً كان أو مذموماً ثم غلب على غير المحمود وقيل: فلان اتبع هواه إذا أريد ذمه ومنه فلان من أهل الهوى إذا زاغ عن السنة متعمداً وحاصله ميلان النفس إلى ما تشتهيه وتستلذه من غير داعية الشرع قالوا يجوز نسبة فعل العبد إلى نفسه من جهة كونه مقروناً بقدرته ومنه واتبع هواه وإلى الله من حيث كونه موجداً له ومنه أغفلنا ﴿وكان أمره فرطا﴾ قال في «القاموس»: الفرط بضمتين الظلم والاعتداء والأمر المجاوز فيه عن الحد انتهى أي: متقدماً للحق والصواب نابذاً له وراء ظهره من قولهم فرس فرط أي: متقدم للخيل.

وفي «التأويلات»: ﴿وكان أمره﴾ في متابعة الهوى هلاكاً وخسراناً وفي الآية تنبيه على أن الباعث لهم إلى هذا الاستعداد إغفال قلوبهم عن ذكر الله وإشغالها بالباطل الفاني عن الحق الباقي وعلى أن العبرة والشرف بحلية النفس وصفاء القلب وطهارة السرائر لا بزينة الجسد وحسن الصورة والظواهر، قال الحافظ:

قلندران حقيقت به نيم جو نخرند   قباى اطلس آنكس كه ازهنر عاريست

وقال الجامي قدس سره:

چه غم منقصت صورت أهل معنى را   چو جان زروم بود كوتن از حبش مى باش

وفي الحديث: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم بل إلى قلوبكم وأعمالكم» يعني: إذا كانت لكم قلوب وأعمال صالحة تكونون مقبولين مطلقاً سواء كانت لكم صور حسنة وأموال فاخرة أم لا وإلا فلا مطلقاً وكذا الحكم في الظاهر والباطن فافهم.

- روى - أن الله تعالى لما اتخذ إبراهيم خليلاً قالت الملائكة: يا رب إنه كيف يصلح للخلة وله شواغل من النفس والولد والمال والمرأة فقال تعالى: أنا لا أنظر إلى صورة عبدي وماله بل إلى قلبه وأعماله وليس لخليلي محبة لغيري فإن شئتم جربوه فجاءه جبريل وكان لإبراهيم عليه السلام اثنا عشر كلباً للصيد ولحفظ الغنم وطوق كل كلب من الذهب إيذاناً بخساسة الدنيا وحقارتها فسلم عليه جبريل فقال: لمن هذه؟ فقال: لله ولكن في يدي فقال تبيع واحداً منها؟ قال: اذكر الله وخذ ثلثها فقال سبوح قدوس رب الملائكة والروح فأعطى الثلث ثم قال اذكره ثانياً وخذ ثلثها واذكر ثالثاً وخذ كلها برعاتها وكلابها ثم اذكره رابعاً وأنا أقِرُّ لك بالرق فقال الله تعالى: كيف رأيت خليلي يا جبريل؟ قال: نعم العبد خليلك يا رب فقال إبراهيم لرعاة الغنم سوقوا الأغنام خلف صاحبي هذا فقال جبريل: لا حاجة لي إلى ذلك وأظهر نفسه فقال: أنا خليل الله لا أسترد هبتي فأوحى الله إلى إبراهيم أن يبيعها ويشتري بثمنها الضياع والعقار ويجعلها وقفاً فأوقاف الخليل وما يؤكل على مرقده الشريف من ثمنها.

واعلم أن قدر الأذكار لا يعرفه إلا الكبار ألا يرى أن الخليل كيف فدى نفسه بعد إعطاء الكل بشرف ذكر الله وتعظيمه فليسارع العشاق إلى ذكر القادر الخلاق فإن صيقل القلوب ذكر علام الغيوب، قال الشيخ المغربي قدس سره:

اكـرچـه آيـنـه داري از بـراي رخـش   چه سودا كرچه كه داري هميشه آينه نار

بـيـا بـصـيـقـل تـوحـيـد زآيـنـه بـزدا   غـبـار شـرك كـه نـاپـاك كـردد از زنـكـار

قال أهل التحقيق إن كلمة التوحيد لا إله إلا الله إذا قالها الكافر تنفي عنه ظلمة الكفر وتثبت في قلبه نور التوحيد وإذا قالها المؤمن تنفي عنه ظلمة النفس وتثبت في قلبه نور الوحدانية وإن قالها في كل يوم ألف مرة فكل مرة تنفي عنه شيء لم تنفعه في المرة الأولى فإن مقام العلم بالله لا ينتهي إلى الأبد وفي الحديث: «جلوسك ساعة عند حلقة يذكرون الله خير من عبادة ألف سنة» كما في مجالس حضرة الهدايي قدس سره والذكر يوصل إلى حضور المذكور وشهوده في مقام النور قال جلال الدين الرومي قدس سره:

آدمـي ديـدسـت وبـاقـي پـوسـتـسـت   ديـدآن ديـديـكـه ديـدى دوسـتـسـت

اللهم اجعلنا من أهل النظر إلى نور جمالك ومن المتشرفين بشرف وصالك.

﴿**وقل**﴾ لأولئك الغافلين المتبعين هواهم ﴿**الحق**﴾ ما يكون ﴿**من ربكم**﴾ من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى فإنه باطل أو هذا الذي أوحي إلي هو الحق كائناً من ربكم فقد جاء الحق وانزاحت العلل فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم مما فيه النجاة والهلاك.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**وقل الحق من ربكم**﴾ في التبشير والإنذار وبيان السلوك لمسالك أرباب السعادة والاحتراز عن مهالك أصحاب الشقاوة ﴿**فمن شاء فليؤمن**﴾ من نفوس أهل السعادة ﴿**ومن شاء فليكفر**﴾ من قلوب أهل الشقاوة. قال في «الإرشاد»: ﴿**فمن شاء فليؤمن**﴾ كسائر المؤمنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعليل ﴿**ومن شاء فليكفر**﴾ لا أبالي بإيمان من آمن وكفر من كفر فلا أطرد المؤمنين المخلصين لهواكم لرجاء إيمانكم بعدما تبين

الحق ووضح الأمر وهو تهديد ووعيد لا تخيير أراد أن الله تعالى لا ينفعه إيمانكم ولا يضره كفركم فإن شئتم فآمنوا وإن شئتم فاكفروا فإن كفرتم فاعلموا أن الله يعذبكم وإن آمنتم فاعلموا أنه يثيبكم كما في «الأسئلة المقحمة» قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾ [الزمر: ٧] أي: عن إيمانكم ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] وإن تعلق به إرادته من بعضهم ولكن لا يرضى رحمة عليهم لاستضرارهم به ﴿وَإِن تَشْكُرُوا﴾ [الزمر: ٧] الله فتؤمنوا ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] أي: الشكر. قال في «بحر العلوم»: فمن شاء الإيمان فليصرف قدرته وإرادته إلى كسب الإيمان وهو أن يصدق بقلبه بجميع ما جاء من عند الله ومن شاء عدمه فليختره فإني لا أبالي بكليهما. وفيه دلالة بينة على أن للعبد في إيمانه وكفره مشيئة واختياراً فهما فعلان يتحققان بخلق الله وفعل العبد معاً وكذا سائر أفعاله الاختيارية كالصلاة والصوم مثلاً فإن كل واحد منهما لا يحصل إلا بمجموع إيجاد الله وكسب العبد وهو الحق الواسط بين الجبر والقدرة ولولا ذلك لما ترتب استحقاق العباد على ذلك بقوله: ﴿إنا أعتدنا﴾ هيأنا ﴿للظالمين﴾ أي: لكل ظالم على نفسه بإرادة الكفر واختياره على الإيمان ﴿نارا﴾ عظيمة عجيبة ﴿أحاط بهم﴾ يحيط بهم وإيثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق ﴿سرادقها﴾ أي: فسطاطها وهو الخيمة شبه به ما يحيط بهم من النار. وفي «بحر العلوم» السرادق ما يدار حول الخيمة من شقق بلا سقف. وعن أبي سعيد قال عليه السلام: «سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة» ﴿وإن يستغيثوا﴾ [واكرفرياد خواهى كنند ازتشنكى] ﴿يغاثوا﴾ [فرياد رس شوند] ﴿بماء كالمهل﴾ كالحديد المذاب وقيل غير ذلك والتفصيل في «القاموس» وعلى أسلوب قوله يعني في التهكم فاعتبوا بالصيلم أي: يجعل المهل لهم مكان الماء الذي طلبوه كما أن الشاعر جعل الصيلم لهم أي: الداهية مكان العتاب الذي يجري بين الأحبة ﴿يشوي﴾ [بريان كند وبسوزد] ﴿الوجوه﴾ إذا قدم ليشرب من فرط حرارته وعن النبي عليه السلام «هو كعكر الزيت» أي: درديه في الغلظة والسواد فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه ﴿بئس الشراب﴾ ذلك الماء الموصوف لأن المقصود تسكين الحرارة وهذا يبلغ في الإحراق مبلغاً عظيماً ﴿وساءت﴾ النار ﴿مرتفقاً﴾ تمييز أي: متكأ ومنزلاً وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وأنى ذلك في النار وإنما هو لمقابلة قوله: ﴿وحسنت مرتفقا﴾. وقال سعدي المفتي الاتكاء على المرفق كما يكون للاستراحة يكون للتحير والتحزن وانتفاء الأول هنا مسلم دون الثاني فلا تثبت المشاكلة انتهى. يقول الفقير المتكأ بمعنى [تكيه كاه] بالفارسية والاعتماد لا يراد حقيقته وإنما يراد المنزل فيجرد عن الاستراحة لكونه جهنم نعوذ بالله منها. فعلى المؤمن الاجتناب عن الظلم والمعاصي والإصرار عليهما على تقدير الذلة فالتدارك بالاستغفار والندامة والاشتغال بالتوحيد والأذكار وإلا فالسفر بعيد وحر النار شديد وماؤها مهل وصديد وقيدها حديد وفي الحديث «إن أدنى أهل النار عذاباً ينعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعله».

ـ روي ـ عن مالك بن دينار أنه قال: مررت على صبي وهو يلعب بالتراب يضحك تارة ويبكي أخرى فأردت أن أسلم عليه فمنعتني نفسي فقلت: يا نفس كان النبي ﷺ يسلم على الصغار والكبار فسلمت فقال: وعليك السلام ورحمة الله يا مالك فقلت: ومن أين عرفتني؟ قال: ألفت روحي بروحك في عالم الملكوت فعرفني الحي الذي لا يموت فقلت: ما الفرق بين النفس والعقل؟ فقال: نفسك التي منعتك عن السلام وعقلك الذي حرضك عليه فقلت:

لم تلعب بالتراب؟ فقال: لأنا خلقنا منه ونعود إليه فقلت: ولم الضحك والبكاء؟ قال: إذا ذكرت عذاب ربي أبكي وإذا ذكرت رحمته أضحك فقلت: يا ولدي أي: ذنب لك حتى تبكي أي: لأنك لست بمكلف؟ قال: لا تقل هذا فإني رأيت أمي لم توقد الحطب الكبار إلا بالصغار فعليك بالاعتبار، وفي «المثنوي»:

نى ترا از روى ظاهر طاعتي — نى ترا درسر باطن نيتى
نى ترا شبها مناجات وقيام — نى ترا در روز پرهيز وصيام
نى ترا حفظ زبان ز آزار كس — نى نظر كردن بعبرت پيش وپس
پيش چه بود ياد مرك ونزع خويش — پس چه باشد مردن ياران زپيش
نى ترا بر ظلم توبه پر خروش — اي دغا كندم نماى جو فروش
چون ترازوى تو كج بود ودغا — راست چون جويى ترازوى جزا
چونكه پاى چپ بدى درغدروكاست — نامه چون آيد ترا دردست راست
چون جزا سايه است اى قد توخم — سايه تو كج فتد در پيش هم

وعن يزيد الرقاشي أنه قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ متغير اللون قال النبي عليه السلام: «يا جبريل ما لي أراك متغير اللون» فقال: يا محمد جئتك الساعة التي أمر الله فيها بمنافخ النار فقال ﷺ: «صف لي جهنم» قال: يا محمد إن الله لما خلق جهنم جعلها سبع طبقات إن أهون طبقة منها فيها سبعون ألف ألف جبل من نار وفي كل جبل سبعون ألف ألف واد من نار وفي كل واد سبعون ألف ألف بيت من نار وفي كل بيت سبعون ألف ألف صندوق من نار وفي كل صندوق سبعون ألف ألف نوع من العذاب نعوذ بالله تعالى منه» كذا في «مشكاة الأنوار» وهذا غير محمول على المبالغة بل هو على حقيقته لأنه مقابل بنعيم الجنان فكل من العذاب والنعيم خارج عن دائرة العقل وليس للعاقل إلا التسليم والاحتراز عن موجبات العذاب الأليم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ جمعوا بين عمل القلب وعمل الأركان. والصالحات جمع صالحة وهي في الأصل صفة ثم غلب استعمالها فيما حسنه الشرع من الأعمال فلم تحتج إلى موصوف ومثلها الحسنة فيما يتقرب به إلى الله تعالى **﴿إنا لا نضيع﴾** [الإضاعة كم كردن] **﴿أجر من أحسن عملا﴾** الأجر الجزاء على العمل وعملاً مفعول أحسن والتنوين للتقليل ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على أن الأجر إنما يستحق بالعمل دون العلم إذ به يستحق ارتفاع الدرجات والشرف والرتب كما في الحديث القدسي: «ادخلوا الجنة بفضلي واقتسموها بأعمالكم» وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قام أعرابي إلى النبي ﷺ في حجة الوداع والنبي واقف بعرفات على ناقته العضباء فقال: إني رجل متعلم فخبرني عن قول الله تعالى **﴿إن الذين آمنوا﴾** الآية فقال عليه السلام: «يا أعرابي ما أنت منهم ببعيد وما هم عنك ببعيد هم هؤلاء الأربعة الذين هم وقوف معي أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فأعلم قومك أن هذه الآية نزلت في هؤلاء الأربعة» ذكره الإمام السهيلي في كتاب «التعريف والإعلام».

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾

﴿**أولئك**﴾ المنعوتون بالنعت الجليل ﴿**لهم جنات عدن**﴾. قال الإمام العدن في اللغة: الإقامة فيجوز أن يكون المعنى أولئك لهم جنات إقامة كما يقال هذه دار إقامة ويجوز أن يكون العدن اسماً لموضع معين من الجنة وهو وسطها وأشرف مكان وقوله جنات لفظ جمع فيمكن أن يكون المراد ما قاله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمان: ٤٦] ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمن: ٦٢] ويمكن أن يكون نصيب كل واحد من المكلفين جنة على حدة ﴿**تجري من تحتهم الأنهار**﴾ الأربعة من الخمر واللبن والعسل والماء العذب وذلك لأن أفضل البساتين في الدنيا البساتين التي تجري فيها الأنهار ﴿**يحلون فيها**﴾ أي: في تلك الجنات من حليت المرأة إذا لبست الحلي وهي ما تتحلى به من ذهب وفضة وغير ذلك من الجوهر والتحلية [پيرايه بركردن]. قال الكاشفي: [پيرايه بسته شوند دران بوستانها] ﴿**من أساور**﴾ من ابتدائية وأساور جمع أسورة وهي جمع سوار بالفارسية [دستوان] ﴿**من ذهب**﴾ من بيانية صفة لأساور وتنكيرها لتعظيم حسنها وتبعيده من الإحالة به. قال في «بحر العلوم» وتنكير أساور للتكثير والتعظيم. عن سعيد بن جبير يحلى كل واحد منهم ثلاثة أساور: واحد من ذهب وواحد من فضة وواحد من لؤلؤ وياقوت فهم يسورون بالأجناس الثلاثة على المعاقبة أو على الجمع كما تفعله نساء الدنيا ويجمعن بين أنواع الحلي. قال بعض الكبار: أي يتزينون بأنواع الحلي من حقائق التوحيد الذاتي ومعاني التجليات العينية الأحدية فالذهبيات هي الذاتيات والفضيات هي الصفات النوريات كما قال: ﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١] ﴿**ويلبسون ثيابا خضرا**﴾ [جامهاى سبز] وذلك لأن الخضرة أحسن الألوان وأكثرها طراوة وأحبها إلى الله تعالى: ﴿**من سندس وإستبرق**﴾ ما رق من الديباج وما غلظ منه والديباج الثوب الذي سداه ولحمته ابريسم واستبرق ليس باستفعل من البرق كما زعمه بعض الناس بل معرب استبره جمع بين النوعين للدلالة على أن لبسهما مما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين.

اعلم أن لباس أهل الدنيا إما لباس التحلي وإما لباس الستر فأما لباس التحلي فقال تعالى في صفته: ﴿**يحلون**﴾ الآية وأما لباس الستر فقال تعالى في صفته ﴿**ويلبسون**﴾ الآية. فإن قيل: ما السبب في أنه تعالى قال في الحلي يحلون على فعل ما لم يسم فاعله والمحلي هو الله أو الملائكة وقال في السندس والاستبرق ويلبسون بإسناد اللبس إليهم. قلنا: يحتمل أن يكون اللبس إشارة إلى ما استوجبوه بعلمهم بمقتضى الوعد الإلهي وأن يكون الحلي إشارة إلى ما تفضل الله به عليهم تفضلاً زائداً على مقدار الوعد وأيضاً فيه إيذان بكرامتهم وبيان أن غيرهم يفعل بهم ذلك ويزينهم به بخلاف اللبس فإنه يتعاطاه بنفسه شريفاً وحقيراً يقول الفقير: لا شك أن لباس الستر يلبسه المرء بنفسه ولو كان سلطاناً فلذا أسند إليه وأما لباس الزينة فغيره يزينه به عادة كما يشاهد في السلاطين والعرائس ولذا أسند إلى غيره على سبيل التعظيم والكرامة ﴿**متكئين فيها على الأرائك**﴾ جمع أريكة: وهي السرير في الحجال ولا يسمى السرير وحده أريكة. والحجال جمع حجلة وهي بيت يزين بالثياب للعروس وخص الاتكاء لأنه هيئة المتنعمين والملوك على أسرتهم. قال ابن عطاء متكئين على أرائك الإنس في رياض القدس

وميادين الرحمة فهم على بساتين الوصلة شاهدون عليكم في كل حال ﴿نعم الثواب﴾ ذلك إشارة إلى جنات عدن ونعيمها والثواب جزاء الطاعة ﴿وحسنت﴾ أي: الأرائك ﴿مرتفقا﴾ أي: متكأ ومنزلاً للاستراحة.

اعلم أنه لا كلام في حسن الجنة وصفة نعيمها وإنما الكلام في الاستعداد لها فالصالحات من الأعمال من الأسباب المعدة لها وهي ما كانت لوجه الله تعالى من الصوم والصلاة وسائر وجوه الخيرات، قال الشيخ سعدي قدس سره:

قيامت كه بازار مينو نهند منازل باعمال نيكو نهند
كسى راكه حسن عمل بيشتر بدركاه حق منزلت پيشتر
بضاعت بچندانكه آرى برى اكر مفلسى شر مسار برى
كه بازار چندانكه آكنده تر تهى دست را دل پرا كنده ثر

قال في «التأويلات النجمية»: إن لأهل الإيمان والأعمال جزاء يناسب صلاحية أعمالهم وحسنها فمنها أعمال تصلح للسير بها إلى الجنات وغرفها وهي الطاعات والعبادات البدنية بالنية الصالحة على وفق الشرع والمتابعة ومنها أعمال تصلح للسير إلى الله تعالى وهي الطاعات القلبية من الصدق في طلب الحق والإخلاص في التوحيد وترك الدنيا والإعراض عما سوى الله والإقبال على الله بالكلية والتمسك بذيل إرادة الشيخ الكامل الواصل المكمل الصالح ليسلكوا ولا يغتر بالأماني فإن من زرع الشعير لا يحصد حنطة.

ـ حكي ـ أن رجلاً ببلخ أمر عبده أن يزرع حنطة فزرع شعيراً فرآه وقت حصاده وسأله وقال: زرعت شعيراً على ظن أن ينبت حنطة فقال: يا أحمق هل رأيت أحداً زرع شعيراً فحصد حنطة فقال العبد: فكيف تعصى الله أنت وترجو رحمته.

هر كسى آن درود عاقبت كار كه كشت

أما علمت أن الدنيا مزرعة الآخرة؟ قال: حضرة جلال الدين الرومي قدس سره:

جمله دانند اين اكرتو نكروى هرچه مى كاريش روزى بدورى

فتاب الرجل وأعتق غلامه فمن أيقظه الله عن سنة الغفلة عرف الله وكان في تحصيل مرضاته ومرتبة العارف فوق مرتبة العابد والكرامات الكونية لا قدر لها. وقد ثبت فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه على سائر الصحابة رضي الله عنهم حتى قيل في شأنه إن الله يتجلى لأهل الجنة عامة ولأبي بكر خاصة مع أنه لم ينقل عنه شيء من الخوارق وذلك التجلي إنما هو بكرامته العلمية التي أعطاها الله إياه وأحسن التحقيق بحقائقها ولأهلها جنة عاجلة قلبية في الدنيا.

﴿۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿واضرب لهم مثلا رجلين﴾ مفعولان لـ «ضرب» أولهما ثانيهما لأنه المحتاج إلى التفصيل والبيان أي: اضرب يا محمد وبين للكافرين المتقلبين في نعم الله والمؤمنين المكابدين لمشاق الفقر مثلاً حال من رجلين مقدرين أو أخوين من بني إسرائيل. قال في الجلالين: يريد ابني ملك كان في بني إسرائيل. قال أبو حيان ويظهر من قوله: ﴿فقال لصاحبه﴾ أنه ليس أخاه انتهى. يقول الفقير: هذا ذهول عن عنوان الكلام إذ التعبير عنهما برجلين يصحح إطلاق

الصاحب على الأخ وأيضاً أخذ الكافر بيد أخيه المسلم وإدخاله إياه جنته طائفاً به فيما يأتي مما ينادي على صحة ما ادعيناه إذ لا تنافي هذه الصحبة الأخوة وكل منهما من أخص الأوصاف قالوا: كان أحد الأخوين مؤمناً واسمه يهودا والآخر كافراً واسمه قطروس بضم القاف ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتقاسماها بينهما فاشترى الكافر أرضاً بألف دينار وبنى داراً بألف دينار وتزوج امرأة بألف واشترى خدماً ومتاعاً بألف فقال المؤمن: اللهم إن أخي اشترى أرضاً بألف دينار وأنا أشتري منك أرضاً في الجنة فتصدق به وإن أخي بنى داراً بألف دينار وأنا أشتري منك داراً في الجنة فتصدق به وإن أخي تزوج امرأة بألف وأنا أجعل ألفاً صداقاً للحور فتصدق به وإن أخي اشترى خدماً ومتاعاً بألف وأنا أشتري منك الولدان المخلدين بألف فتصدق ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر به في حشمه فقام إليه فنظر إليه وقال: ما شأنك؟ قال: أصابتني حاجة فأتيت لتصيبني بخير فقال: وما فعلت بمالك وقد اقتسمنا مالاً وأخذت شطره فقص عليه القصص قال: إنك إذاً لمن المتصدقين بهذا اذهب فلا أعطينك شيئاً فطرده ووبخه على التصدق بماله ﴿**جعلنا لأحدهما**﴾ وهو الكافر ﴿**جنتين**﴾ بستانين ﴿**من أعناب**﴾ من كروم متنوعة فإطلاق الأعناب عليها مجازاً ويجوز أن يكون بتقدير المضاف أي أشجار أعناب ﴿**وحففناهما بنخل**﴾ أي: جعلنا النخل محيطة بالجنتين ملفوفاً بها كرومهما وبالفارسية [يعني درختان خرما كردا كرد در آورديم] يقال: حفه القوم إذا طافوا به أي: استداروا وحففته بهم أي: جعلتهم حافين حوله وهو متعد إلى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولاً ثانياً مثل غشيته وغشيته به ﴿**وجعلنا بينهما**﴾ وسطهما يعني [پيدا كرديم ميان آن دوباغ] ﴿**زرعا**﴾ ليكون كل منهما جامعاً للأقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الأنيق.

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿**كلتا الجنتين آتت أكلها**﴾ بثمرها وبلغ مبلغاً صالحاً للأكل وإفراد الضمير في آتت للحمل على لفظ المفرد. قال الحريري ولا يثنى خبر كلا إلا بالحمل على المعنى أو لضرورة الشعر ﴿**ولم تظلم منه**﴾ لم تنقص من أكلها ﴿**شيئا**﴾ كما يعهد في سائر البساتين فإن الثمار تتم في عام واحد وتنقص في عام غالباً وكذا بعض الأشجار تأتي بالثمر في بعض الأعوام دون بعض ﴿**وفجرنا خلالهما**﴾ وشققنا فيما بين كل من الجنتين وأخرجنا وأجرينا ﴿**نهرا**﴾ على حدة ليدوم شربهما ونزيد بهاؤهما ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر إيتاء الأكل مع أن الترتيب الخارجي على العكس للإيذان باستقلال كل من إيتاء الأكل وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين ولو عكس لانفهم أن المجموع خصلة واحدة بعضها مرتب على بعض فإن إيتاء الأكل متفرع على السقي عادة وفيه إيماء إلى أن إيتاء الأكل لا يتوقف على السقي كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥] ﴿**وكان له**﴾ أي: لصاحب الجنتين ﴿**ثمر**﴾ أنواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله الذي ذكر. وقال الشيخ في تفسيره بفتحتين جمع ثمرة وهي المجني من الفاكهة وذكرها وإن كانت الجنة لا تخلو عنها إيذان بكثرة الحاصل له في الجنتين من الثمار وغيرها. وقال الكاشفي: ﴿**وكان له ثمر**﴾ [همه ميوه يعني از انكور خرما وميوهاى ديكر داشت واختصاص آنها بذكر غالبيت بوده] ﴿**فقال لصاحبه**﴾ أخيه المؤمن ﴿**وهو**﴾ أي:

والحال أن القائل ﴿يحاوره﴾ يكلمه ويراجعه الكلام من حار إذا رجع. قال الكاشفي: [واو مجادله مى كرد با او وسخن باز مى كردانيد انتهى] ولهذه المحاورة والمعية أطلق عليه الصاحب ﴿أنا أكثر منك مالا﴾ عن محمد بن الحسن ـ رحمه الله ـ: المال كله ما يتملكه الناس من دراهم أو دنانير أو ذهب أو فضة أو حنطة أو خبز أو حيوان أو ثياب أو سلاح أو غير ذلك والمال العين هو المضروب ﴿وأعز نفرا﴾ حشماً وأعواناً وأولاداً ذكوراً لأنهم الذين ينفرون معه دون الإناث والنفر بفتحتين من الثلاثة إلى العشرة من الرجال ولا يقال فيما فوق العشرة يقول الفقير: لاح لي هٰهنا إشكال وهو أنه إن حمل أفعل على حقيقته في التفضيل يلزم أن يكون الرجلان المذكوران مقدرين لا محققين أخوين لأنه على تقدير التحقيق يقتضي أن لا يكون لأحدهما مال أصلاً كما يفصح عنه البيان السابق وقد أثبت هٰهنا الأكثرية للكافر والأقلية للمؤمن وجوابه يستنبط من السؤال والله أعلم بحقيقة الحال.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿ودخل﴾ صاحب الجنتين وهو قطروس ﴿جنته﴾ بصاحبه يطوف به فيها ويعجبه منها ويفاخره بها وتوحيدها يعني: بعد التثنية لاتصال إحداهما بالأخرى وإما لأن الدخول يكون في واحدة فواحدة. وقال الشيخ: افردها إرادة للروضة ﴿وهو﴾ أي: والحال أنه ﴿ظالم لنفسه﴾ ضار لها يعجب بماله وكفره بالمبدأ والمعاد وهو أقبح الظلم كأنه قيل: فماذا قال إذ ذاك؟ ﴿قال ما أظن﴾ كثيراً ما يستعار الظن للعلم لأن الظن الغالب يداني العلم ويقوم مقامه في العادات والأحكام ومنه المظنة للعلم ﴿أن تبيد﴾ تفنى وتهلك وتنعدم من باد إذا ذهب وانقطع ﴿هذه﴾ الجنة ﴿أبدا﴾ الأبد الدهر وانتصابه على الظرف والمراد هنا المكث الطويل وهو مدة حياته لا الدوام المؤبد إذ لا يظنه عاقل لدلالة الحس والحدس على أن أحوال الدنيا ذاهبة باطلة فلطول أمله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته قال بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنته والاغترار بها وأمره بتحصيل الباقيات الصالحات.

﴿وما أظن الساعة﴾ أي: القيامة التي هي عبارة عن وقت البعث ﴿قائمة﴾ كائنة فيما سيأتي ﴿ولئن رددت﴾ والله لئن رجعت ﴿إلى ربي﴾ بالبعث على الفرض والتقدير كما زعمت فليس فيه دلالة على أنه كان عارفاً بربه مع أن العرفان لا ينافي الإشراك وكان كافراً مشركاً. قال في «البرهان» قال تعالى: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ [الكهف: ٣٦] وفي حم ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ [فصلت: ٥٠] لأن الرد على الشيء يتضمن كراهة المردود ولما كان في الكهف تقديره ولئن رددت عن جنتي هذه التي أظن أن لا تبيد أبداً إلى ربي كان لفظ الرد الذي يتضمن الكراهة أولى وليس في حم ما يدل على كراهته فذكر بلفظ الرجع ليقع في كل سورة ما يليق بها ﴿لأجدن﴾ يومئذٍ ﴿خيرا منها﴾ من هذه الجنة ﴿منقلبا﴾ تمييز أي: مرجعاً وعاقبة ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة اعتقاد أنه تعالى إنما أولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه سبحانه وهو معه أينما توجه ولم يدر أن ذلك استدراج، يعني: [مقتضاي استحقاق من آنست كه فردا بهشت بمن دهد چنانچه امروز اين باغ بمن داده] فقول من قال إنه كريم رحيم يعطيني

في الآخرة خيراً مما أعطاني في الدنيا وهو مخالف لأوامره ونواهيه غاية الغرور بالله تعالى كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦﴾ [الانفطار: ٦] إلى قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ۝١٤﴾ [الانفطار: ١٤]:

آتشى خوش برفروزيم ازكرم تانما ندجرم وزلت بيش وكم

﴿قال له صاحبه﴾ أي: أخوه المؤمن وهو استئناف كما سبق ﴿وهو يحاوره﴾ أي: والحال أن القائل يخاطبه ويجادله: قال في «الإرشاد» وفائدة هذه الجملة الحالية التنبيه من الأمر الأول على أن ما يتلوه كلام معتنى بشأنه مسوق للمحاورة ﴿أكفرت﴾ حيث قلت: ما أظن الساعة قائمة فإنه شك في صفات الله وقدرته ﴿بالذي خلقك﴾ أي: في ضمن خلق أصلك آدم عليه السلام ﴿من تراب﴾ فإنه متضمن بخلقه منه إذ هو أنموذج مشتمل إجمالاً على جميع أفراد الجنس وهمزة الاستفهام للتقرير والإمكان بمعنى ما كان ينبغي أن تكفر ولم كفرت بمن أوجدك من تراب أولاً ﴿ثم من نطفة﴾ أي: من مني في رحم أمك ثانياً وهي مادتك القريبة ﴿ثم سواك﴾ جعلك معتدل الخلق والقامة حال كونك ﴿رجلا﴾ إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال. قال في «القاموس» الرجل بضم الجيم وسكونها معروف أو إنما هو إذا احتلم وشب.

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ۝٣٨ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ۝٣٩ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ۝٤٠ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ۝٤١﴾

﴿لكنا هو الله ربي﴾ أصله لكن أنا فحذفت الهمزة بنقل حركتها إلى نون لكن أو بدون نقل على خلاف القياس فتلاقت النونان فكان الإدغام أثبت جميع القراء ألفها في الوقف وحذفوها في الوصل غير ابن عامر فإنه أثبتها في الوصل أيضاً لتعويضها من الهمزة أو لإجراء الوصل مجرى الوقف وهو ضمير الشأن مبتدأ خبره الله ربي وتلك الجملة خبر أنا والعائد منها إليه ياء الضمير في ربي والاستدراك من قوله: أكفرت كأنه قال لأخيه: أنت كافر بالله لكني مؤمن موحد فوقع لكن بين جملتين مختلفتين في النفي والإثبات ﴿ولا أشرك بربي أحدا﴾ فيه إيذان بأن كفره كان بطريق الإشراك.

﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت﴾ وهلا قلت عند دخول جنتك ﴿ما شاء الله﴾ ما موصولة خبر مبتدأ محذوف أي: الأمر ما شاء الله واللام في الأمر للاستغراق والمراد تحضيضه على الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله تعالى إن شاء أبقاها على حالها عامرة وإن شاء أفناها وجعلها خربة ﴿لا قوة إلا بالله﴾ أي: هلا قلت ذلك اعترافاً بعجزك وبأن ما تيسر لك من عمارتها وتدبيرها إنما هو بمعونته تعالى وإقداره وفي الحديث: «من رأى شيئاً فأعجبه فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم تضره العين» وفي الحديث: «من رأى أحداً أعطي خيراً من أهل أو مال فقال عنده ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم ير فيه مكروهاً» وفسر النبي عليه السلام معنى لا حول ولا قوة إلا بالله فقال: «لا حول تحول عن معاصي الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بالله» وروي «أنها دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهمّ» ﴿إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا﴾ أصله إن ترني والرؤية إما بصرية بأقل حال وإما علمية فهو مفعول ثان والأول ياء المتكلم المحذوفة وأنا على التقديرين تأكيد للياء.

﴿فعسى﴾ لعل ﴿ربي أن يؤتين﴾ أصله يؤتينني ﴿خيرا من جنتك﴾ هذه في الآخرة بسبب إيماني لأن الجنة الدنيوية فانية والأخروية باقية والجملة جواب الشرط ﴿ويرسل عليها﴾ على جنتك في الدنيا ﴿حسبانا من السماء﴾ عذاباً يرميها به من برد أو صاعقة أو نار. قال في «القاموس»: الحسبان بالضم جمع حساب والعذاب والبلاء والشر والصاعقة. يقول الفقير: إنما توقعه في حقه لعلمه بأن الكفران مؤد إلى الخسران وأن الإعجاب سلب للخراب كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] فكلامه هذا جواب عن قول صاحبه المنكر ما أظن أن تبيد هذه أبداً ﴿فتصبح﴾ الإصباح هنا بمعنى الصيرورة أي: تصير جنتك ﴿صعيداً زلقاً﴾ مصدر أريد به المفعول مبالغة أي: أرضاً ملساء يزلق عليها بملاصقتها باستئصال نباتها وأشجارها وجوز القرطبي أن تكون زلقاً من زلق رأسه أي: حلقه والمراد أنه لا يبقى فيها نبات كالرأس المحلوق فزلقا بمعنى مزلوق أيضاً.

﴿أو يصبح ماؤها غورا﴾ أي: غائراً في الأرض ذاهباً لا تناله الأيدي ولا الدلاء فأطلق هذا المصدر مبالغة ﴿فلن تستطيع﴾ تقدر إبداله ﴿له﴾ أي: للماء الغائر ﴿طلبا﴾ فضلاً عن وجدانه ورده. قال في الجلالين لا يبقى له أثر تطلبه به.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾

﴿وأحيط بثمره﴾ عطف على مقدر كأنه قيل فوقع بعض توقعه من المحذور وأهلك أمواله المعهودة التي هي جنتاه وما حوتاه مأخوذ من أحاط به العدو لأنه إذا أحاط به فقد غلبه واستولى عليه فيهلكه ﴿فأصبح﴾ صار ﴿يقلب كفيه﴾ ظهراً لبطن تأسفاً وتحسراً كما هو عادة النادمين فإن النادم يضرب يديه واحدة على الأخرى. قال في «بحر العلوم» تقليب الكفين وعض الكف والأنامل واليدين وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايات عن الندم والحسرة لأنها من روادفها فتطلق الرادفة على المردوف فيرتقي الكلام به إلى الذروة العليا ويزيد الحسن بقبول السامع ولأنه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كأنه قيل فأصبح يندم ﴿على ما أنفق﴾ [برآن چيزى خرج نموده بود اول] ﴿فيها﴾ في عمارتها من المال، وفي «المثنوي»:

بر كذشته حسرت آوردن خطاست باز نايد رفته ياد آن هباست

ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك الآن من الجنة لما أنه إنما يكون على الأفعال الاختيارية يقول الفقير الظاهر أن الإنفاق إنما هو لتملكها فالتحسر على ماله مغن عن التحسر على الجنة لأنها بدله وهذا شائع في العرف كما يقول بعض النادمين قد صرفت لهذا كذا وكذا مالاً وقد آل عمره إلى الهلاك متحسراً على المال المصروف ﴿وهي﴾ أي: الجنة من الأعناب المحفوفة بنخل ﴿خاوية﴾ خالية ساقطة يقال خوت الدار خويا تهدمت وخلت من أهلها ﴿على عروشها﴾ دعائمها المصنوعة للكروم سقطت عروشها على الأرض وسقط فوقها الكروم وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع لكونها العمدة قيل أرسل الله عليها ناراً فأحرقتها وغار ماؤها ﴿ويقول﴾ عطف على يقلب ﴿يا ليتني﴾ [كاشكى من] ﴿لم أشرك بربي أحدا﴾ كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه إنما أتى من جهة الشرك فتمنى أنه كان موحداً غير مشرك حين لم ينفعه التمني ولما كان رغبته في الإيمان لطلب الدنيا لم يكن قوله هذا توبة وتوحيداً لخلوه عن

الإخلاص. قال ابن الشيخ في سورة الأنعام: الرغبة في الإيمان والطاعة لا تنفع إلا إذا كانت تلك الرغبة رغبة لكونه إيماناً وطاعة أما الرغبة فيه لطلب الثواب وللخوف من العقاب فغير مفيدة انتهى، وفي «المثنوي»:

آن نـدامـت از نـتـيـجـه رنـج بـود نـى زعـقـل روشـن چـون كـنـج بـود
چونكه شدرنج آن ندامت شد عدم مـى نـيـرزد خـاك آن تـوبـه نـدم
مـيـكـنـد او تـوبـه وپـر خـرد بـانـك لـو ردوا لـعـادوا مـيـزنـد

﴿ولم تكن له فئة﴾ جماعة ﴿ينصرونه﴾ يقدرون على نصره بدفع الهلاك أو على رد المهلك والإتيان بمثله ﴿من دون الله﴾ فإنه القادر وحده على نصره بذلك لا غير لكنه لا ينصره لاستحقاقه الخذلان بكفره ومعاصيه ﴿وما كان منتصرا﴾ ممتنعاً بقوته عن انتقامه سبحانه.

﴿هنالك﴾ أي: في ذلك المقام وتلك الحال [دروقت زوال نعمت] ﴿الولاية لله الحق﴾ أي: النصرة له تعالى وحده لا يقدر عليها أحد وهو تقرير لقوله تعالى: ﴿ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله﴾ أو ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم كما نصر بما فعل بالكافر أخاه المؤمن وحقق ظنه وترك عدوه مخذولاً مقهوراً أو يؤيده قوله تعالى: ﴿هو﴾ أي: الله تعالى ﴿خير ثواباً وخير عقبا﴾ بمعنى العاقبة أي: لأوليائه. قال سعدي المفتي وعقبى يشمل العاقبة الدنيوية أيضاً كما لا يخفى. قال في «الجلالين»: أفضل ثواباً ممن يرجى ثوابه وعاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره.

واعلم أن هذه القصة مشتملة على فوائد كثيرة وأعظمها أن التوحيد وترك الدنيا سبب للنجاة في الدارين والشرك وحب الدنيا سبب للهلاك فيهما. وعن وهب بن منبه أنه قال: جمع عالم من علماء بني إسرائيل سبعين صندوقاً من كتب العلم كل صندوق سبعون ذراعاً فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان أن قل لهذا العالم لا تنفعك هذه العلوم وإن جمعت أضعافاً مضاعفة ما دام معك ثلاث خصال: حب الدنيا، ومرافقة الشيطان، وإيذاء مسلم وذلك أن فرعون علم نبوة موسى عليه السلام ولكن منعه حب الدنيا والرياسة عن المتابعة فلم ينفعه علمه المجرد وكذا علم إبليس حال آدم عليه السلام واليهود حال نبينا ﷺ وما سعدوا بمجرد علمهم وما وجدوا خير عاقبة ولو عملوا بما وعظوا لنجوا وفي «المثنوي»:

كـرچـه نـاصـح را بـود صـد داعـيـه پـنـدرا اذنـى بـبـايـد واعـيـه
تـو بـصـد تـلـطـيـف پـندش مـى دهـى او ز پـنـدت مـيـكـنـد پـهـلـو تـهـى
يـك كـس نـا مـسـتـمـع زاسـتـيـز ورد صـد كـس كـويـنـده را عـاجـز كـنـد
ز أنـبـيـا نـا صـح ترو خـوش لـهـجـه تـر كـى بـود كـه رفـت دمـشـان در حـجـر
زانـكـه كـوه وسـنـك دركـار آمـدنـد مـى نـشـد بـدبـخـت را بـكـشـاده بـنـد
آنـچـنـان دلـهـا كـه بـدشـان ومـا ومـن نـتـشـان شـد بـل أشـد قـسـوة

ألا يرى لم ينجع فيه وعظ أخيه المسلم لزيادة قسوة قلبه فآلت عاقبته إلى الندامة.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا﴾ أي: اذكر لقومك وبين ما يشبهها في زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا ولا يعكفوا عليها ولا يعرضوا عن الآخرة بالكلية ﴿كماء﴾ استئناف لبيان المثل أي: هي كماء ﴿أنزلناه من السماء﴾ [از سحاب يا از جانب سما] ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء وحده بل بمجموع ما في حيز الأداة. ﴿فاختلط به نبات الأرض﴾ التف وتكاثف بسببه حتى خالط بعضه بعضاً. يعني: [قوت كرفت ونشو ونماى خود بكمال رسانيد وزمين بدو تازه وخرم شد] ﴿فأصبح﴾ فصار ذلك النبات الملتف أثر بهجته ﴿هشيما﴾ مهشوماً مكسوراً ليبسه من الهشم وهو كسر الشيء الرخو ﴿تذروه الرياح﴾ تحمله وتفرقه يقال ذرت الريح الشيء وأذرته وذرته اطارته واذهبته وذرا هو بنفسه والحنطة نقاها في الريح كما في «القاموس». وهذه الآية مختصرة من قوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ﴾ [يونس: ٢٤] الآية. قال الكاشفي: [همچنين آدمى بزندكى وتازكى كه دارد خوش برآيد همچنين كه نامه عمر ازعنفوان بپايان رسد مقتضى أجل در آمده نهال نهاداورا بصر صرفنا خشك سازد وخر منهاى از وآرزورا بباد نيستى بر دهد]:

بهار عمر بسى دلفريب ورنكينست ولى چه سود كه دارد خزان مرك از پى

﴿وكان الله على كل شيء﴾ من الإنشاء والإبقاء والإفناء وغير ذلك ﴿مقتدرا﴾ قادراً على الكمال لا يعجزه شيء. فعلى العاقل أن لا يغتر بالحياة الدنيا فإنها فانية ولو طالت مدتها وزائلة ولو أعجبت زينتها، قال الشيخ سعدي قدس سره:

چو شيبت در آمد بروى شباب شبت روزشد ديده بركن زخواب
دريغاكه بكذشت عمر عزيز بخواهد كذشت اين دمى چند نيز
فرو رفت جم را يكى نازنين كفن كردچون كرمش ابريشمين
بدخمه در آمد پس از چند روز كه بروى بكريد بزارى وسوز
چو پوشيده ديدش حرير كفن بفكرت چنين كفت باخو يشتن
من از كرم بركنده بودم بزور بكندند ازو باز كرمان كور
در يغا كه بى ما بسى روز كار برويد كل وبشكفد نو بهار

واعلم أن الذي أدركته العناية الأزلية بعد تعلق الروح بالجسد كتعلق الماء بالأرض فيبعث الله إليه دهقاناً من دهاقين الأولياء والأنبياء ومعه بذر الإيمان والتوحيد ليلقيه بيد الدعوة وتبليغ الرسالة في أرض نفسه فيقع منها في تربة طيبة وهي القلب كما ضرب الله تعالى مثلاً ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وكقوله: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨] فينبت عن بذر التوحيد وهي كلمة لا إله إلا الله شجرة الإيمان بماء الشريعة فيعلو به الروح من أسفل سافلين الإنسانية إلى أعلى درجات الروحانية وأقرب منازل قربات الربانية كقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] والله تعالى قادر على أن يخذله وينفيه في أسفل سافلين الجسمانية الحيوانية ليصير الروح العلوي كالأنعام بل هو أضل وعلى أن يجذبه بجذبات العناية إلى أعلى عليين مراتب القرب ليكون مسجوداً لملائكة المقربين، قال المولى الجامي:

سالكان بى كشش دوست بجايى نرسند سالها كرچه درين راه تك وپوى كنند

نسأل الله تعالى أن يجذبنا بسلاسل محبته ويجعلنا من أهل طاعته وقربته. قال وهب:

رأيت في بعض الكتب الدنيا غنيمة الأكياس وغفلة الجهال فالأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم كانوا في الدنيا ولم يلتفتوا إليها ولم يرغبوا فيها قالوا: ليس كل من دخل المحبس يكون محبوساً فيه بل ربما دخله لإخراج المحبوس واستنقاذ المأسور فالنفوس النبوية ومن يتبعها إنما وردت إلى عالم الكون والفساد لاستنقاذ النفوس المحبوسة المأسورة فكما أن المحبوس إذا اتبع ذلك الداخل خرج ونجا فكذلك من اتبع الأنبياء في سننهم ومناهجهم خرج ونجا.

﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ الزينة مصدر في الأصل أطلق على المفعول مبالغة كأنهما نفس الزينة والمعنى أن ما يفتخر به الناس لا سيما رؤساء العرب من المال والبنين شيء يتزينون به في الحياة الدنيا ويفني عنهم عن قريب. وبالفارسية: [مال وپسران آرايش زندكانىء دنيا آمد ندتوشه راه معاد چه باندك زماني تلف وهدف زوال خواهد شد] وفي «المثنوي»:

همچنين دنيا اكرچه خوش شكفت   بانك هم زد بيوفايىء خويش كفت
كون مى كويد بيامن خوش پى ام   وإن فسادش كفت رو من لا شي ام
اى زخوبى بهاران لب كزان   بنكر آن سردى وزردىء خزان
كودكى از حسن شد مولاى خلق   بعد فردا شد خرف رسواى خلق

﴿والباقيات الصالحات﴾ الباقيات اسم لأعمال الخير لا وصف ولذا لم يذكر الموصوف أي: أعمال الخير التي تبقى ثمراتها أبد الآباد من الصلاة والصوم وأعمال الحج وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ونحو ذلك من الكلم الطيب.

ـ روي ـ أنه عليه السلام خرج على قومه فقال: «خذوا جنتكم» قالوا: يا رسول الله أمن عدو حضر قال: «لا بل من النار» قالوا: وما جنتنا من النار قال: «سبحان الله» إلى آخر الكلمات. قال الكاشفي: [بعض علما برانندكه باقيات صالحات بنات است كه بحكم هن ستر من النار سبب خلاص والدين باشند] وفي الحديث: «من ابتلي» الابتلاء هو الامتحان لكن أكثر استعمال الابتلاء في المحن والبنات مما تعد منها لأن غالب هوى الخلق في الذكور «من هذه البنات بشيء» من بيانية مع مجرورها حال من شيء «فأحسن إليهن» فسر الشارح هنا الإحسان بالتزويج بالأكفاء لكن الأوجه أن يعمم الإحسان «كن له ستراً من النار» لأن احتياجهن إليه كان أكثر حال الصغر والكبر فمن يسترهن بالإحسان يجازى بالستر من النيران كما في «شرح المشارق» لابن الملك ﴿خير﴾ من الفانيات الفاسدات من المال والبنين ﴿عند ربك﴾ أي: في الآخرة ﴿ثوابا﴾ عائدة تعود إلى صاحبها ﴿وخير أملا﴾ رجاء حيث ينال بها صاحبها في الآخرة كل ما كان يؤمله في الدنيا وأما ما مر من المال والبنين فليس لصاحبه أمل يناله. والآية تزهيد للمؤمنين في زينة الحياة الدنيا الفانية وتوبيخ للمفتخرين بها قال بعضهم: لا ينجو من زينة الحياة الدنيا إلا من كان باطنه مزيناً بأنوار المعرفة وضياء المحبة ولمعان الشوق وظاهره مزيناً بآداب الخدمة وشرف الهمة وعلو النفس وتغلب زينة باطنه زينة حب الدنيا شوقاً منه إلى ربه وتغلب زينة ظاهره زينة الدنيا لأن زينتها أزين. وعن الضحاك عن النبي عليه السلام أنه قيل: يا رسول الله من أزهد الناس؟ قال: «من لم ينس القبر والبلى وترك فضول زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد من أيامه غداً وعد نفسه من الموتى» وفي الحديث: «قال الله تعالى: يفرح عبدي المؤمن إذا بسطت له شيئاً من الدنيا وذلك أبعد له مني ويحزن إذا أقترت عليه الدنيا وذلك أقرب له مني» ثم تلا عليه السلام هذه الآية ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ

وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦] إن ذلك فتنة لهم، قال الشيخ سعدي:

يكى پارسا سيرت وحق پرست — فتادش يكى خشت زرين بدست
همه شب در انديشه كين كنج ومال — درو تازيسم ره نيابد زوال
دكر قامت عجزم ازبهر خواست — نيايد بزكس دوتا كرد وراست
سرايى كنم پاى بستش رخام — درختان سقفش همه عود خام
يكى حجره خاص ازپى دوستان — در حجره اندر سرا بوستان
بفرسودم ازرقعه بررقعه دوخت — تف ديكران چشم ومغزم بسوخت
ديكر زير دستان برندم خورش — براخت دهم روح را پرورش
بسختى بكشت اين نمد پسترم — روم زين سپس عبقرى كسترم
خيالش حزف كرد وكاليوه رنك — بمغزش فرو برده خرچنك چنك
فراغ مناجات وزارش نماند — خور وخواب وذكر ونمازش نماند
بصحرا در آمد سراز عشوه مست — كه جايى نبودش قرار نشست
يكى بر سركور كل ميسرشت — كه حاصل كند زان كل كور خشت
باانديشه لختى فرو رفت پير — كه اى نفس كوته نظر پندكير
چه پندى درين خشت زرين دلت — كه يك روز خشتى كنند از كلت
توغافل در انديشه سود ومال — كه سرمايه عمرشد پايمال
بكن سرمه غفلت از چشم پاك — كه فردا شوى سرمه در چشم خاك

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿**ويوم نسير الجبال**﴾ أي: اذكر حين نقلعها من أماكنها وتسير في الجو على هيآتها أو تسير أجزاؤها بعد أن نجعلها هباء منبثاً والمراد بتذكيره تحذير المشركين مما فيه من الدواهي ﴿**وترى**﴾ يا محمد أوياكل من يصلح للرؤية ﴿**الأرض**﴾ جميع جوانبها ﴿**بارزة**﴾ ظاهرة ليس عليها ما يسترها من جبل ولا شجر ولا نبات ﴿**وحشرناهم**﴾ جمعنا أهل الإيمان والكفر إلى الموقف من جانب ﴿**فلم نغادر**﴾ لم نترك ﴿**منهم أحدا**﴾ تحت الأرض يقال غادره وأغدره إذا تركه ومنه الغدر الذي هو ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل وتركه في الأرض الغائرة.

﴿**وعرضوا**﴾ أي: الخلائق يوم القيامة يعني المحشورين ﴿**على ربك**﴾ على حكمه وحسابه ﴿**صفا**﴾ مفرد منزل منزلة الجمع كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧] أي: أطفالاً والمعنى صفوفاً يقف بعضهم وراء بعض غير متفرقين ولا مختلطين شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان ليحكم فيهم بما أراد لا ليعرفهم ﴿**لقد جئتمونا**﴾ أي: فيقال لهم ثمة لقد جئتمونا كائنين ﴿**كما خلقناكم أول مرة**﴾ حفاة عراة لا شيء من المال والولد. وعن عائشة رضي الله عنها قلت: يا رسول الله كيف يحشر الناس يوم القيامة؟ قال: «عراة حفاة» قلت: والنساء؟ قال: «نعم» قلت: يا رسول الله نستحيي قال: «يا عائشة الأمر أشد من ذلك لن يهمهم أن ينظر بعضهم إلى بعض».

وفي «التأويلات»: ﴿وعرضوا على ربك صفا﴾ أي: صفاً صفاً من الأنبياء والأولياء والمؤمنين والكافرين والمنافقين ويقال لهم: ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة﴾ في خمسة صفوف: صف من الأنبياء، وصف من الأولياء، وصف من المؤمنين، وصف من الكافرين، وصف من المنافقين ﴿بل زعمتم﴾ أيها الكافرون المنكرون للبعث والزعم الادعاء بالكذب ﴿أن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿لن نجعل لكم موعدا﴾ بل للخروج والانتقال من قصة إلى أخرى كلاهما للتوبيخ والتقريع أي: زعمتم في الدنيا أنه لن نجعل لكم أبداً وقتاً ننجز فيه ما وعدناه على ألسنة الأنبياء من البعث وما يتبعه. والآية تشير إلى عزته تعالى وعظمته وإظهار شظية من صفة جلاله وقهره وآثار عدله لينتبه النائمون من نوم غفلتهم ويتأهب الغافلون بأسباب النجاة لذلك اليوم ويصلحوا أمر سريرتهم وعلانيتهم لخطاب الحق تعالى وجوابه إذ إليه المرجع والمآب والعرض على الله هو العرض الأكبر ليس كعرض على الملوك. قال عتبة الخواص: بات عندي عتبة الغلام فبكى حتى غشي عليه فقلت: ما يبكيك؟ قال: ذكر العرض على الله قطع أوصال المحبين.

ـ حكي ـ أن سليمان بن عبد الملك وهو سابع خلفاء المروانية قال لأبي حازم: ما لنا نكره الآخرة؟ قال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون الانتقال من العمران إلى الخراب فقال: صدقت يا أبا حازم فيا ليت شعري ما لنا عند الله تعالى غداً قال: إن شئت تعلم ذلك ففي كتاب الله فقال: أين أجده؟ فقال في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣-١٤] قال: فكيف يكون العرض على الله تعالى فقال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله مسروراً وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه محسوراً فبكي سليمان بكاء شديداً، قال الشيخ سعدي قدس سره:

نـر يـزد خـدا آب روى كـسـى ... كـه ريـزد كـنـاه آب چـشـمـش بـسـى
كـر آيـيـنـه ازآه كـردد سـيـاه ... شـود روشـن آيـيـنـه دل زآه
بـترس ازكـنـاهـان خويش اين نـفس ... كـه روز قـيـامـت نـترسـى زكـس
پـلـيـدى كـنـد كـربـه در جـاى پـاك ... چـو زشـتـش نـمـايـد بـيـوشـد بـخـاك
تـو آزادى ازنـا پـسـنـديـدهـا ... نـتـرسـى كـه بـروى فـتـد ديـدهـا
بـر انـديـش ازبـنـده پـر كـنـاه ... كـه از خـواجـه غـائـب شـود چـنـدكـاه
اكـربـاز كـردد بـصـدق ونـيـاز ... بـز نـجـيـر وبـنـدش نـيـار نـدبـاز

ـ روي ـ عن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه قال: إني لا أغبط ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولا عبداً صالحاً أليس هؤلاء يعاينون القيامة وأهوالها وإنما أغبط من لم يخلق لأنه لا يرى أحوال القيامة وشدائدها وذلك لأن من عاين الأمر على ما هو عليه اشتد خوفه ولم ير لنفسه حالاً ولا مقاماً مع أن المرء لا يخلو عن أسباب منجية ومهلكة فأي الرجال المهذب.

ـ روي ـ أن عمر رضي الله عنه رؤي بعد موته بثنتي عشرة سنة وهو يمسح جبينه ويقول: كنت في الحساب إلى الآن وقد نوقشت في جدي سقط من جسر مكسور فانكسرت رجله على أني لم أجرم له ولم أصلح الجسر حتى سقط الجدي ولكن غفر الله لي وعفا عني بسبب عصفور اشتريته من صبي فأرسلته.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿ووضع الكتاب﴾ عطف على عرضوا داخل تحت الأمور الهائلة التي أريد تذكيرها بتذكير وقتها وضع صحف الأعمال في إيمان أصحابها وشمائلها أو في الميزان ﴿فترى المجرمين﴾ قاطبة ﴿مشفقين﴾ خائفين ﴿مما فيه﴾ من الذنوب ومن ظهورها لأهل الموقف.

شد سيه چون نامهاى تعزيه بر معاصى متن نامه حاشيه
جمله فسق ومعصيت بد يكسرى همچو دار الحرب پر از كافرى
آنچنان نامه پليد وپر وبال در يمين نايد در آمد در شمال
خود همينجا نامه خودرا ببين دست چپ را شايد آن در يمين
چون نباشى راست مى دان كه چبى هست پيدا نعره شير وكبى
كرچبى باحضرت اوراست باش تا ببينى دست برد لطفها ش

﴿ويقولون﴾ عند وقوفهم على تضاعيفه نقيراً وقطميراً تعجباً من شأنه ﴿يا ويلتنا﴾ منادين لهلكتهم التي هلكوا بها من بين الهلكات مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا هول ما لاقوه فإن الويل والويلة الهلكة أي: يا هلكتنا احضري وتعالي فهذا أوانك ﴿مال هذا الكتاب﴾. قال البقاعي: رسم لام الجر وحده إشارة إلى أنهم صاروا من قوة الرعب وشدة الكرب يقفون على بعض الكلمة أي: أيّ شيء له حال كونه ﴿لا يغادر﴾ لا يترك ﴿صغيرة ولا كبيرة﴾ من الزلل تصدر عن جانيها ﴿إلا أحصاها﴾ حواها وضبطها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة. وعن سعيد بن جبير: الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا.

وفي «التأويلات النجمية»: الصغيرة كل تصرف في شيء بالشهوة النفسانية وإن كان من المناجاة والكبيرة التصرف في الدنيا على حبها وإن كان من حلالها لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة انتهى. وفي الحديث «إياكم ومحقرات الذنوب فإن محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى طبخوا أخبزتهم» وفي الحديث: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنها تجيء يوم القيامة كأمثال الجبال وكفارتها الصدقة» ﴿ووجدوا ما عملوا﴾ في الدنيا من السيآت أو جزاء ما عملوا ﴿حاضرا﴾ مثبتاً في كتابهم.

وفي «التأويلات»: لأنهم كتبوا صالح أعمالهم بقلم أفعالهم في صحائف قلوبهم وسوء أعمالهم في صحائف نفوسهم وقد يوجد عكس ما في هذه الصحائف على صفحات الأرواح نورانياً أو ظلمانياً ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ فيكتب ما لم يعمل من السيآت أو يزيد في عقابه الملائم لعمله فيكون إظهاراً لمعدلة القلم الأزلي.

وفي «التأويلات»: فإن كان النور غالباً على صفحة روحه فهو من أهل الجنة وإن كانت الظلمة غالبة عليها فهو هالك ومن لا يشوب نوره بالظلمة فهو من أهل الدرجات والقربات ومن أدركته الجذبات وبدلت سيآته بالحسنات وأخرج إلى النور الحقيقي من الظلمات فهو في مقعد صدق عند مليك مقتدر انتهى. فعليك بالحسنات والكف عن السيآت فإن كل أحد يجد ثمرة شجرة أعماله. عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت جالسة ذات يوم إذ جاءت امرأة قد سترت يدها في كمها فقالت عائشة: ما لك لا تخرجين يدك من كمك؟ قالت: لا تسأليني يا أم المؤمنين إنه كان لي أبوان وكان أبي يحب الصدقة وأما أمي فكانت تبغض الصدقة فلم أرها

تصدقت بشيء إلا قطعة شحم وثوباً خلقاً فلما ماتا رأيت في المنام قد قامت القيامة ورأيت أمي قائمة بين الخلق واضعة الخلقان على عورتها ورأيت الشحم بيدها وهي تلحسه وتنادي واعطشاه ورأيت أبي على شفير الحوض وهو يسقي الماء ولم يكن عند أبي صدقة أحب إليه من سقي الماء فأخذت قدحاً من ماء فسقيت أمي فنوديت من فوق ألا من سقاها شلت يده فاستيقظت وقد شلت يدي، قال الحافظ قدس سره:

دهقان سال خورده چه خوش كفت باپسر ای نور چشم من بجز از كشته ندروی

قال الشيخ سعدي قدس سره:

كنون وقت تخمست اكر پروری كر اميدواری كه خر من بری

بشهر قيامت مرو تنكدست كه وجهی ندارد بغفلت نشست

مكن عمر ضايع بافسوس وحيف كه فرصت عزيزست والوقت سيف

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾

﴿وإذ قلنا للملائكة﴾ أي: اذكر وقت قولنا لهم ﴿اسجدوا لآدم﴾ سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة وكان ذلك مشروعاً في الأمم السالفة ثم نسخ بالسلام ﴿فسجدوا﴾ جميعاً غير الأرواح العالية امتثالاً للأمر وإنما لم يسجد الملائكة العالون لأنهم لم يؤمروا بالسجود وقد سبق في سورة الحجر ﴿إلا إبليس﴾ فإنه لم يسجد بل أبى واستكبر وكأنه قيل ما باله لم يسجد فقيل: ﴿كان من الجن﴾ أي: كان أصله جنياً خلق من نار السموم ولم يكن من الملائكة وإنما صح الاستثناء المتصل لأنه أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله: ﴿فسجدوا﴾ ثم استثنى كما يستثني الواحد منهم استثناء متصلاً كقولك: خرجوا إلا فلانة لامرأة بين الرجال. قال في كتاب «التكملة» قيل: إن المراد بقوله: ﴿كان من الجن﴾ أي: كان أول الجن لأن الجن منه كما أن آدم من الإنس لأنه أول الإنس. وقيل: إنه كان بقايا قوم يقال لهم الجن كان الله تعالى قد خلقهم في الأرض قبل آدم فسفكوا الدماء وقاتلتهم الملائكة. وقيل: إنه كان من قوم خلقهم الله وقال لهم: اسجدوا لآدم فأبوا فبعث الله عليهم ناراً أحرقتهم ثم خلق هؤلاء بعد ذلك فقال لهم: اسجدوا لآدم ففعلوا وأبى إبليس لأنه كان من بقية أولئك الخلق. قال البغوي: كان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث فلما عصى غير اسمه وصورته فقيل: إبليس لأنه أبلس من الرحمة أي: يئس والعياذ بالله تعالى ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ أي: خرج عن طاعته فالأمر على حقيقته جعل عدم امتثاله للأمر خروجاً عنه ويجوز أن يكون المراد المأمور به وهو السجود والفاء للسببية لا للعطف أي: كونه من الجن سبب فسقه ولو كان ملكاً لم يفسق عن أمر ربه لأن الملك معصوم دون الجن والإنس.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ وخلع قلادة التقليد عن عنقه ليعلم أن الأصيل لا يخطىء وعند الامتحان يكرم الرجل أو يهان كما أن البعرة تشابه المسك وتعارضه في الصورة فلما امتحنا بالنار تبين المقبول من المردود والمبغوض من المودود، وقال الحافظ قدس سره:

خوش بود اكر محك تجربه آمد بميان تا سيه روی شود هركه دروغش باشد

﴿أفتتخذونه﴾ الهمزة للإنكار والتعجب والفاء للتعقيب أي: عقيب عملكم يا بني آدم بصدور الفسق عن إبليس تتخذونه ﴿وذريته﴾ أي: أولاده وأتباعه جعلوا ذريته مجازاً. قال الكاشفي: [كويند بمعنى اتباع وتسميه ايشان بذريت ازقبيل مجاز بود واكثر برانند كه او زذريت نيست] قال في «القاموس»: ذرأ كجعل خلق والشيء كثره ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين انتهى وسيأتي الكلام على هذا ﴿أولياء من دوني﴾ فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي أي ذلك الاتخاذ منكر غاية الإنكار حقيق بأن يتعجب منه ومعنى الاستبدال منهم من قوله من دونه فإن معناه مجاوزين عني إليهم وهو عين الاستبدال ﴿وهم﴾ أي: والحال أن إبليس وذريته ﴿لكم عدو﴾ أي: أعداء فحقهم أن تعادوهم لا أن توالوهم شبه بالمصادر للموازنة كالقبول ﴿بئس للظالمين بدلا﴾ من الله إبليس وذريته تمييز.

﴿ما أشهدتهم﴾ إشارة إلى غناه تعالى عن خلقه ونفي مشاركتهم في الألوهية أي: ما أحضرت إبليس وذريته ﴿خلق السموات والأرض﴾ لاعتضد بهم في خلقهما وأشاورهم في تدبير أمرهما حيث خلقتهما قبل خلقهم. وفيه رد لمن يدعي أن الجن يعلمون الغيب لأنهم لم يحضروا خلق السموات والأرض حتى يطلعوا على مغيباتهما ﴿ولا خلق أنفسهم﴾ ولا أشهدت بعضهم خلق بعضهم كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ [النساء: ٢٩] ﴿وما كنت متخذ المضلين﴾ أي: الشياطين الذين يضلون الناس عن الدين والأصل متخذهم فوضع المظهر موضع المضمر ذماً لهم وتسجيلاً عليهم بالإضلال ﴿عضدا﴾ أعواناً في شأن الخلق وفي شأن من شؤوني حتى يتوهم شركتهم في التولي بناء على الشركة في بعض أحكام الربوبية. قال في «القاموس»: العضد الناصر والمعين وهم عضدي وأعضادي انتهى.

اعلم أن الله تعالى منفرد في الألوهية والكل مخلوق له وقد خلق الملائكة والجن والإنس فباين بينهم في الصورة والأشكال والأحوال. قال سعيد بن المسيب الملائكة ليسوا بذكور ولا إناث ولا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون والجن يتوالدون وفيهم ذكور وإناث ويموتون والشياطين ذكور وإناث يتوالدون ولا يموتون بل يخلدون في الدنيا كما خلد فيها إبليس وإبليس هو أبو الجن وقيل: إنه يدخل ذنبه في دبره فيبيض بيضة فتتفلق البيضة عن جماعة من الشياطين: قال الإمام السهيلي في كتاب «التعريف والاعلام» سمي من ولد إبليس في الحديث الأقبص دهامة بن الأقبص وسمي منهم بلزون وهو الموكل بالأسواق وأمهم طرطبة ويقال: بل هي حاضنتهم ذكره النقاش باضت ثلاثين بيضة عشراً في المشرق وعشراً في المغرب وعشراً في وسط الأرض وأنه خرج من كل بيضة جنس من الشياطين كالعفاريت والغيلان والقطاربة والجان وأسماؤهم مختلفة وكلهم عدو لبني آدم بنص هذه الآية إلا من آمن منهم انتهى. قال الكاشفي: [در تبيان آورده كه چون حق سبحانه وتعالى إبليس را برانداز پهلوى چپ او زوجهء وراكه آودنام دارد بيافريد واورا بشمار ريكهاى بيابان فر زندانند وازاولاد او يكى مره است كنيت بدو يافته است وديكر لا قيس موسوس صلوات و«ولهان» بالتحريك موسوس طهارتست يعني «الولهان شيطان يولع الناس بكثرة استعمال الماء ويضحكهم عند الوضوء» وإمام أحمد غزالي رحمه الله در اربعين آورده كه شيطان را چند فرزنداست وباتفاق زلنبور ازاولاد او صاحب اسواقست كه بدروغ وكم فروشي وخيانت وسوسه ميكند واعول صاحب ابواب زنانست يعني «صاحب الزنى الذي يأمر به ويزينه» وثبر صاحب مصائب كه بثبور ونوحه وشق جيوب ولطم

خدود ودعوى الجاهلية ميفرمايد وميسوط صاحب اراجيفست يعني: «صاحب الكذب الذي يسمع فيلقى الرجل فيخبر بالخبر فيذهب الرجل إلى القوم فيقول لهم: قد رأيت رجلاً أعرف وجهه ما أدري ما اسمه حدثني بكذا وكذا» وداسم باخورنده طعام كه بسم الله نكفته باشد شركت ميكند]. وفي آكام المرجان داسم هو الذي يدخل مع الرجل وأهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم [ومدهيش موكل علما است كه ايشانرا براهواء مختلفه ميدارد]. ثم في الآيتين إشارات:

منها ما يتعلق بالله تعالى أراد أن يظهر صفة لطفه وصفة قهره وكمال قدرته وحكمته فأظهر صفة لطفه بآدم إذ خلقه من صلصال من حمأ مسنون وأمر ملائكته الذين خلقوا من النور بسجوده من كمال لطفه وجوده وأظهر صفة قهره بإبليس إذ أمره بسجوده لآدم بعد أن كان رئيس الملائكة ومقدمهم ومعلمهم وأشدهم اجتهاداً في العبادة حتى لم يبق في سبع السموات ولا في سبع الأرضين موضع شبر إلا وقد سجد لله تعالى عليه سجدة حتى امتلأ من العجب بنفسه حتى لم ير أحداً فأبى أن يسجد لآدم استكباراً وقال: أنا خير منه فلعنه الله وطرده إظهاراً للقهر وأظهر كمال قدرته وحكمته بأن بلغ من غاية القدرة والحكمة من خلق من قبضة تراب ظلماني كثيف سفلي إلى مرتبة يسجد له جميع الملائكة المقربين الذين خلقوا من نور علوي لطيف روحاني.

ومنها ما يتعلق بآدم عليه السلام وهو أنه تعالى لما أراد أن يجعله خليفة في الأرض أودع في طينته عند تخميرها بيده أربعين صباحاً سر الخلافة وهو استعداد قبول الفيض الإلهي بلا واسطة وقد اختصه الله وذريته بهذه الكرامة بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] من بين سائر المخلوقات كما أخبر عليه السلام عن كشف قناع هذا السر بقوله: «إن الله خلق آدم فتجلى فيه» ولهذه الكرامة صار مسجوداً للملائكة المقربين، قال الحافظ قدس سره:

فرشته عشق نداندكه چيست قصه مخوان بخواه جام وكلابى بخاك آدم ريز

ومنها ما يتعلق بالملائكة وهو أنهم لما خلقوا من النور الروحاني العلوي كان من طبعهم الانقياد لأوامر الله تعالى والطاعة والعبودية فلما أمروا بسجود آدم وامتحنوا به وذلك غاية الامتحان لأن السجود أعلى مراتب العبودية والتواضع لله فإذا امتحن أحد أن يسجد لغير الله فذلك غاية الامتحان للامتثال فلم يتلعثموا في ذلك وسجدوا لآدم بالطوع والرغبة من غير كره وإباء امتثالاً وانقياداً لأوامر الله كما قال: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

ومنها ما يتعلق بإبليس وهو أنه لما خلق للضلالة والغواية والإضلال والإغواء خلق من النار وطبعها الاستعلاء والاستكبار وإن نظمه الله في سلك الملائكة منذ خلقه وكساه كسوة الملائكة وهو قد تشبه بأفعالهم تقليداً لا تحقيقاً حتى عد من جملتهم وذكر في زمرتهم بل زاد عليهم في الاجتهاد والاعتياد بالاعتقاد فاتخذوه رئيساً ومعلماً لما رأوا منه اشتداده في الاجتهاد بالإراءة دون الإرادة فلما امتحن بسجود آدم في جملة الملائكة هبت نكباء النكبة وانخلع عنه كسوة أهل الرغبة والرهبة ليميز الله الخبيث من الطيب فطاشت عنه تلك المخادعات وتلاشت منه تلك المبادرات وعاد الميشوم إلى طبعه وقد تبين الرشد من غيه فسجد الملائكة وأبى إبليس واستكبر من غيه وظهر أنه كان من الجن وأنه طبع كافراً، قال الحافظ قدس سره:

زاهد ايمن مشو از بازى غيرت زنهار كه ره از صومه تادير مغان اين همه نيست

ومنها أن في أولاد آدم من هو في صورة آدم لكنه في صفة إبليس وأنهم شياطين الإنس وأماراتهم أنهم يتخذون إبليس وذريته أولياء من دون الله فيطيعون الشيطان ولا يطيعون الرحمٰن ويتبعون ذرية الشيطان ولا يتبعون ذرية آدم من الأنبياء والأولياء ولا يفرقون بين الأولياء والأعداء فبجهلهم يظلمون على أنفسهم ويبدلون الله وهو وليهم بالشياطين وهم لهم عدو وأولياء الله تعالى هم الذين لا يبدلون الله تعالى بما سواه ويتخذون ما سواه عدواً كما قال إبراهيم خليل الله ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٧] لأنه رأى صحة الخلة مع الله في صحة العداوة مع ما سواه.

ومنها: أن إخباره تعالى بأنه ما أشهد الشياطين خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم دليل على أنه يشهد بعض أوليائه على ما لم يشهد أعداءه فيبصر بنوره الأزلي ابتداء تعلق قدرته ببعض الأشياء المعدومة وكيفية إخراجها من العدم إلى الوجود وأما قول أهل النظر لا يبحث عن كيفية وجود الباري تعالى وكيفية تعلق القدرة بالمعدومات وكيفية العذاب بعد الموت ونحو ذلك فلا ينافيه إذ المستبعد عند العقل الجزئي مستقرب عند الكشف الكلي وكلامنا مع أهل الكشف لا مع غيره، قال الصائب:

سخن عشق باخرد كفتن   بررك مرده نيشتر زدنست

وفي «المثنوي»:

اى كه برد عقلي هديه با اله   عقل اينجا كمترست ازخاك راه

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾

﴿ويوم يقول﴾ أي: يوم يقول الله للكفار توبيخاً وتعجيزاً وهو يوم القيامة وقال بعضهم: يقول على ألسنة الملائكة: يقول الفقير: الأظهر هو الأول لأنه قد ثبت أن الله تعالى يتجلى يوم القيامة للخلق مسلمهم وكافرهم بصور شتى حتى يرونه بحسب ما اعتقدوه في هذه الدار فلا يبعد كلامه معهم أيضاً لأنه كلام بالعيب والتوبيخ لا بالرضى والتشريف كما كلم إبليس بعد اللعن والطرد على ما سبق في سورة الحجر ونحوها ﴿نادوا شركائي﴾ أضافهم إليه على زعمهم تهكماً بهم وتقريعاً لهم ﴿الذين زعمتم﴾ ادعيتم أنهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل من عبد من دونه تعالى ﴿فدعوهم﴾ أي: نادوهم للإعانة ذكر كيفية دعوتهم في آية أخرى قالوا ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا﴾ [إبراهيم: ٢١] ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ فلم يغيثوهم أي: لم يدفعوا عنهم ضراً ولا أوصلوا إليهم نفعاً إذ لا إمكان لذلك فهو لا ينافي إجابتهم صورة ولفظاً كما قال حكاية عن الأصنام أنها تقول: ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣]. وفيه إشارة إلى أن امتثال أوامره ونواهيه ينفع العبد إذا كان في الدنيا قبل موته وبثمره في الآخرة فأما إذا كان في الآخرة فلا ينفعه الإيمان والأعمال فإن قوله: ﴿نادوا شركائي﴾ أمر من الله تعالى وقد امتثلوا أمره بقوله: ﴿فدعوهم﴾ فلم ينفعهم الامتثال لأن الشركاء ﴿لم يستجيبوا لهم﴾ ﴿وجعلنا بينهم﴾ بين الداعين والمدعوين ﴿موبقاً﴾ اسم مكان أو مصدر من وبق وبوقاً كوثب وثوباً أو وبق وبقا كفرح فرحاً إذا هلك مهلكاً يشتركون فيه وهو النار أو عداوة هي في الشدة

نفس الهلاك. وقال الفراء: ﴿وجعلنا﴾ تواصلكم في الدنيا هلاكاً في الآخرة فالبين على هذا القول التواصل كقوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] على قراءة من قرأ بالرفع ومفعول أول لجعلنا وعلى الوجه الأول مفعول ثان. قال في «القاموس»: الموبق كمجلس المهلك وواد في جهنم وكل شيء حال بين الشيئين انتهى فالمعنى على الثاني بالفارسية [وادى ازوادهاى دوزخ پيدا كنم ميان ايشان كه مهلكه عظيم باشد وهمه ايشانرا دران معذب سازيم]. يقول الفقير الظاهر أن المعنى على الثالث أي: جعلنا بينهم برزخاً يفصل أحدهما على الآخر فلا يشفع مثل الملائكة وعيسى وعزير وتبرأ غيرهم وهو لا ينافي الاجتماع. والاشتراك في النار بمن قضي له الدخول كما لا يخفى.

﴿ورأى المجرمون النار﴾ حين أمروا بالسوق إليها. قال الكاشفي: [وبه بيند مشركان آتش دوزخ را از چهل ساله را] ﴿فظنوا﴾ فأيقنوا ﴿أنهم مواقعوها﴾ مخالطوها واقعون فيها فإن المخالطة إذا قويت سميت مواقعة. قال الإمام: والأقرب أنهم يرون النار من بعيد فيظنون أنهم مواقعوها مع الرؤية من غير مهلة لشدة ما يسمعون من تغيظها وزفيرها كقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١٢] والمكان البعيد مسيرة خمسمائة سنة ﴿ولم يجدوا عنها مصرفا﴾ انصرافاً أو مكاناً ينصرفون إليه. قال الكاشفي: [مصرفا مكانى باز كردند بد آن يا كريز كاهى] لأنها أحاطت بهم من كل جانب.

﴿ولقد صرفنا﴾ أي: أقسم قسماً لقد كررنا وأدرنا على وجوه كثيرة من النظم ﴿في هذا القرآن للناس﴾ لمصلحتهم ومنفعتهم ﴿من كل مثل﴾ كمثل الرجلين المذكورين ومثل الحياة الدنيا ليتذكروا ويتعظوا أو من كل معنى داع إلى الإيمان هو كالمثل في غرابته وحسنه. قال الكاشفي: [ازهر مثل بران محتاجند از قصص كذشته كه سبب عبرت كردد ودلائل قدرت كامله كه موجب ازدياد بصيرت شود]:

حق تعالى بمحض فضل عميم ... در كتاب كريم وحكم قديم
آنچه مر جمله را بكار آيد ... كفته است آنچنانكه مى آيد

﴿وكان الإنسان﴾ جنس الإنسان بحسب جبلته ﴿أكثر شيء جدلا﴾ جدلاً تمييز أي: أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل كالجن والملك أي: جدله أكثر من جدل كل مجادل وهو هٰهنا شدة الخصومة بالباطل لاقتضاء خصوصية المقام وإلا فالجدل لا يلزم أن يكون بالباطل قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] وهو من الجدل الذي هو الفتل والمجادلة الملاواة لأن كلاً من المجادلين يلتوي على صاحبه وفي الحديث «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» رواه أبو أمامة كما في «تفسير أبي الليث».

قال في «التأويلات النجمية» من طبيعة الإنسان المجادلة والمخاصمة وبها يقطعون الطريق على أنفسهم. فتارة مع الأنبياء يجادلون لا يقبلون بالنبوة والرسالة حتى يقاتلونهم. وتارة يجادلون في الكتب المنزلة ويقولون ما أنزل الله على بشر من شيء. وتارة يجادلون في محاكماتها. وتارة يجادلون في متشابهاتها. وتارة يجادلون في ناسخها ومنسوخها. وتارة يجادلون في تفسيرها وتأويلها. وتارة يجادلون في أسباب نزولها. وتارة يجادلون في قراءتها. وتارة يجادلون في قدمها وحدوثها على هذا حتى لم يفرغوا من المجادلة إلى المجاهدة ومن المخاصمة إلى المعاملة ومن المنازعة إلى المطاوعة ومن المناظرة إلى المواصلة فلهذا قال

تعالى: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾ ومن هذا عالجهم بقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١] الآية ومن كلمات مولانا قدس سره:

ماراچه ازين قصه كه كاو آمد وخر رفت اين وقت عزيزست ازين عربده بازآى

فعلى العاقل أن يشتغل بنفسه ويترك المراء والجدل فإن مرجعه هو النقيض والتمزيق للغير وهو من مقتضى السبعية وفي الحديث: «لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان محقاً» فإذا لزم ترك الجدال وهو محق فكيف وهو مبطل أعاذنا الله تعالى وإياكم منه بفضله وجعلنا من المتكلمين بالخير والمعرضين عن لغو الغير قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢] الآية وقال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾

﴿وما منع الناس﴾ أي: لم يمنع أهل مكة من ﴿أن يؤمنوا﴾ بالله تعالى ويترك الشرك الذي هم عليه ﴿إذ جاءهم الهدى﴾ وهو الرسول الكريم الداعي والقرآن العظيم الهادي ﴿و﴾ من أن ﴿يستغفروا ربهم﴾ من أنواع الذنوب ﴿إلا﴾ انتظار ﴿أن يأتيهم سنة الأولين﴾ أي: سنة الله وعادته في الأمم الماضية وهو الاستئصال لما كان تعنتهم مفضياً إليه جعلوا كأنهم منتظرون له ﴿أو﴾ انتظار أن ﴿يأتيهم العذاب﴾ عذاب الآخرة حال كونه ﴿قبلا﴾ أنواعاً جمع قبيل أو عياناً لهم أي: معايناً. وبالفارسية [روى باروى]. قال في «الجلالين» يعني القتل يوم بدر. وقال في «الأسئلة المقحمة»: كيف وعدهم في هذه الآية بإحدى العقوبتين إن لم يؤمنوا ولم يفعل ذلك بمن لم يؤمنوا منهم الجواب إنما وعدهم بذلك إن تركوا الإيمان كلهم فقد آمن أكثرهم يوم فتح مكة.

﴿وما نرسل المرسلين﴾ إلى الأمم ملتبسين بحال من الأحوال ﴿إلا مبشرين﴾ للمؤمنين والمطيعين بالثواب والدرجات ﴿ومنذرين﴾ للكافرين والعاصين بالعقاب والدركات فإن طريق الوصول إلى الأول والحذر عن الثاني مما لا يستقل به العقل فكان من لطف الله ورحمته أن أرسل الرسل لبيان ذلك. يقول الفقير: إشارة إلى أن العلماء الذين هم بمنزلة أنبياء بني إسرائيل رحمة الله من الله تعالى أيضاً إذ ببيانهم يضمحل ظلم الشبه وينحل عقد الشكوك وبإرشادهم يحصل كمال الاهتداء ويتم أمر السلوك ﴿ويجادل الذين كفروا﴾ أي: يجادلون الرسل المبشرين والمنذرين ﴿بالباطل﴾ [به بيهوده] حيث يقولون: ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة ويقترحون آيات بعد ظهور المعجزات تعنتاً ﴿ليدحضوا﴾ ليزيلوا ﴿به﴾ بالجدال ﴿الحق﴾ الذي مع الرسل عن مقره ومركزه ويبطلوه من ادحاض القدم وهو إزلاقها عن موطنها والدحض الزلق. ومن بلاغات الزمخشري حجج الموحدين لا تدحض بشبه المشبه كيف يضع ما رفع إبراهم أبرهه، وفي «المثنوي»:

هركه بر شمع خدا آرد پفو شمع كى ميرد بسوزد پوزاو

﴿واتخذوا آياتي﴾ الدالة على الوحدة والقدرة ونحوهما ﴿وما أنذروا﴾ خوفوا به من العذاب ﴿هزوا﴾ سخرية يعني موضع استهزاء فيكون من باب الوصف بالمصدر مبالغة.

﴿ومن أظلم﴾ استفهام على سبيل التوبيخ أي: من أشد ظلماً ﴿ممن ذكر بآيات ربه﴾ أي: وعظ بالقرآن الكريم ﴿فأعرض عنها﴾ لم يتدبرها ولم يتفكرها ﴿ونسي ما قدمت يداه﴾ من الكفر والمعاصي ولم يتفكر في عاقبتها ولم ينظر في أن المسيء والمحسن لابد لهما من جزاء ولما كان الإنسان يباشر أكثر أعماله بيديه غلب الأعمال باليدين على الأعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدين له يداك. قال بعضهم: أحق الناس تسمية بالظلم من يرى الآيات فلا يعتبر بها ويرى طريق الخير فيعرض عنها ويرى مواقع الشر فيتبعها ولا يجتنب عنها ﴿إنا جعلنا﴾ إهمالهم كما في «تفسير الشيخ» ﴿على قلوبهم أكنة﴾ أغطية جمع كنان وهو تعليل لإعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم ﴿أن يفقهوه﴾ كراهة أن يقفوا على كنه الآيات وتوحيد الضمير باعتبار القرآن ﴿و﴾ جعلنا ﴿في آذانهم وقرا﴾ ثقلاً وصمماً يمنعهم عن استماعه. وفيه إشارة إلى أن أهل اللغو والهذيان لا يصيخون إلى القرآن، قال الكمال الخجندي قدس سره:

دل از شنيدن قرآن بكير درهمه وقت   چو باطلان ز كلام حقت ملولى چيست

﴿وإن تدعهم إلى الهدى﴾ أي: إلى طريق الفلاح وهو دين الإسلام ﴿فلن يهتدوا إذاً أبدا﴾ أي: فلن يكون منهم اهتداء البتة مدة التكليف كلها لأنه محال منهم. قال الكاشفي: [مراد جمعي اند از كفار مكه كه علم حق بعدم ايمان ايشان متعلق بود] وإن جواب عن سؤال النبي ﷺ وجزاء للشرط أما كونه جواباً فلان قوله: ﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة﴾ في معنى لا تدعهم إلى الهدى ثم نزل حرصه عليه السلام على إسلامهم منزلة قوله ما لي لا أدعوهم فأجيب بقوله: ﴿وإن تدعهم﴾ الآية وأما كونه جزاء فلأنه على انتفاء الاهتداء لدعوة الرسول على معنى أنهم جعلوا ما هو سبب لوجود الاهتداء سبباً لانتفائه بالإعراض عن دعوته.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾

﴿وربك﴾ مبتدأ خبره قوله ﴿الغفور﴾ البليغ في المغفرة وهي صيانة العبد عما استحقه من العقاب للتجاوز عن ذنوبه من الغفر وهو إلباس الشيء ما يصونه من الدنس ﴿ذو الرحمة﴾ الموصوف بالرحمة وهي الإنعام على الخلق خبر بعد خبر وإيراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب وأن المغفرة ترك المضار وهو سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب وأما الرحمة فهي فعل وإيجاد ولا يدخل تحت الوجود إلا ما يتناهى وتقديم الوصف الأول لأن التخلية قبل التحلية ﴿لو يؤاخذهم﴾ لو يريد مؤاخذتهم ﴿بما كسبوا﴾ من الذنوب ﴿لعجل لهم العذاب﴾ في الدنيا من غير إمهال لاستيجاب أعمالهم لذلك ولكنه لم يعجل ولم يؤاخذ بغتة ﴿بل لهم موعد﴾ بالفارسية [زمان وعد] فهو اسم زمان والمراد يوم بدر أو يوم القيامة فيعذبون فيه ﴿لن يجدوا﴾ ألبتة حين مجيء الموعد ﴿من دونه﴾ من غيره تعالى ﴿موئلا﴾ منجى وملجأ يقال وأل أي: نجا ووأل إليه أي: لجأ إليه وقيل من دون العذاب. قال سعدي المفتي: هو أولى وفيه دلالة على أبلغ وجه على أن لا ملجأ لهم ولا منجى فإن من

يكون ملجأه العذاب كيف يرى وجه الخلاص والنجاة انتهى. ويجوز أن يكون المعنى لن يجدوا عند حلول الموعد موئلاً بالفارسية [پناهى وكريز كاهى] وهو اللائح والله أعلم.

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿وتلك القرى﴾ أي: قرى عاد وثمود وأضرابهما وهي مبتدأ على تقدير المضاف أي: وأهل تلك القرى خبره قوله تعالى: ﴿أهلكناهم لما ظلموا﴾ أي: وقت ظلمهم مثل ظلم أهل مكة بالتكذيب والجدال وأنواع المعاصي ولما إما حرف كما قال ابن عصفور وإما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد به الوقت المعين الذي عملوا فيه الظلم بل زمان من ابتداء الظلم إلى آخره ﴿وجعلنا لمهلكهم﴾ أي: عيناً لهلاكهم لأن المهلك بفتح اللام وكسرها الهلاك ﴿موعدا﴾ ممتداً لا يتأخرون عنه [پس چرا قريش عبرت نكيرند وازشرك ونافرمانى دست باز نمى دارند «السعيد من وعظ بغيره». ورشيد الدين وطواط در ترجمه اين كلام سعادت فرموده]:

نيكبخت آن كسى بودكه دلش آنچه نيكو تراست بپذيرد
ديكرانرا چوپند داده شود او ازان پند بهره بر كيرد

وفي الآيات إشارات:

منها: أن أسباب الهداية وإن اجتمعت بالكلية لا يهتدي بها الناس ولا يؤمنون إلا بجذبات العنايات كما قال عليه السلام: «لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا» قال المولى الجامي:

سالكان بى كشش دوست بجايى نرسند سالها كرچه درين راه تك وپوى كنند

فالاهتداء بهداية الله تعالى وبالسيف كما قال عليه السلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» وكما قال: «أنا نبي السيف ونبي الملحمة».

ومنها أن أهل الباطل يرون الحق باطلاً والباطل حقاً وذلك من عمى قلوبهم وسخافة عقولهم فيجادلون الأنبياء والأولياء جهلاً منهم وضلالة ويسعون في إبطال الحق وأما أهل الحق فينقادون للأنبياء والأولياء ويستسلمون لهم من غير عناد وجدال وذلك لأنهم ينظرون بنور الله فيرون الحق حقاً ويتبعونه ويرون الباطل باطلاً ويجتنبونه لا جرم أنهم يتخذون آيات الله جداً لا هزواً فيأتمرون بما أمروا به وينتهون عما نهوا عنه.

ومنها: أن رحمة الله تعالى في الدنيا تعم المؤمن والكافر لأنه لا يؤاخذهم بما كسبوا في الدنيا بقطع الرزق ونحوه وتخص يوم القيامة بالمؤمن والعذاب يخص الكافر كقوله تعالى: ﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا﴾ أي: إنما أهلكنا أهل تلك القرى بعد أن كان من سنتنا أن تعم رحمتنا المؤمن والكافر في الدنيا لأنهم ضموا مع كفرهم الظلم ومن سنتنا أن لا نمهل الظالم ولا نهمله كما قال عليه السلام: «الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم» وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ [الأنعام: ١٢٩] وذلك لأن همم المظلومين المظطرين مؤثرة ودعاؤهم مستجاب قال عليه السلام: «اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» ومن هذا المقام يعرف سر قوله عليه السلام: «ولدت في زمن الملك العادل» فإن إطلاق العادل على أنوشروان بالنسبة إلى انتفاء الظلم الآفاقي عنه وقد كان في نفسه مجوسياً والشرك ظلم عظيم، قال الشيخ سعدي:

مهازورمندى مكن بركهان | كه بريك نمط مى نماند جهان
پريشانى خاطر داد خواه | بر اندازد ازمملكت بادشاه
خنك روز محشرتن داد كر | كه در سايه عرش دارد مقر

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿وإذ قال موسى﴾:

ـ روي ـ أن موسى عليه السلام لما ظهر على مصر مع بني إسرائيل بعد هلاك القبط أمره الله أن يذكر قومه إنعام الله عليهم فخطب خطبة بليغة رقت بها القلوب وذرفت العيون فقال واحد من علماء بني إسرائيل: يا موسى من أعلم؟ قال: أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه تعالى فأوحى إليه بل أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان في أيام أفريدون الملك العادل العاقل قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى وهو قد بعث في أيام كشتاسف بن لهراسب كما قاله ابن الأثير في «تاريخه» فقال: يا رب أين أطلبه وكيف يتيسر لي الظفر به والاجتماع معه قال: اطلبه على ساحل البحر عند الصخرة وخذ حوتاً مملوحاً في مكتل يكون زاداً لك فحيث فقدته أي: غاب عنك فهو هناك فأخذ حوتاً فجعله في مكتل فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت فأخبرني. والمعنى اذكر وقت قول موسى بن عمران لما فيه من العبرة وزعم أهل التوراة أن موسى هذا هو موسى بن ميشا بن يوسف النبي عليه السلام وأنه كان نبياً قبل موسى بن عمران لاستبعادهم أن يكون كليم الله المختص بالمعجزات الباهرة مبعوثاً للتعلم والاستفادة ممن هو دونه فلهذا لا يبعد عن العالم الكامل أن يجهل بعض الأشياء فالفاضل قد يكون مفضولاً من وجه بل المراد منه صاحب التوراة وإطلاق هذا الاسم يدل عليه لأنه لو أراد غيره لقيده كما يقال: قال أبو حنيفة الدينوري تمييزاً عن أبي حنيفة الإمام ﴿لفتاه﴾ وهو يوشع بن نون بن افراييم بن يوسف وهو ابن أخت موسى وكان من أكبر أصحابه ولم يزل معه إلى أن مات وخلفه في شريعته وكان من أعظم بني إسرائيل بعد موسى سمي فتاه إذ كان يخدمه ويتبعه ويتعلم منه ويسمى الخادم والتلميذ فتى وإن كان شيخاً وإليه يشير القول المشهور: «تعلم يا فتى فالجهل عار» وهو عبد حكمي كما قال شعبة: من كتبت عنه أربعة أحاديث فأنا عبده إلى أن أموت وقيل لعبده وإنما قال لفتاه تعليماً للأدب قال عليه السلام: «ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي» قال أبو يوسف: من قال أنا فتى فلان كان إقراراً منه بالرق. يقول الفقير المشهور وهو الوجه الأول وتأبى جلالة هذا السفر إلا أن يكون الصاحب من أولي الخطر ونظيره أن نبينا ﷺ لما أراد الهجرة لم يرض برفاقته في سفره إلا الصديق رضي الله عنه لكونه أعز أصحابه وخليفته بعده كما أن يوشع صار خليفة موسى بعده ﴿لا أبرح﴾ من برح الناقص كزال يزال أي: لا أزال أسير فحذف الخبر اعتماداً على قرينة الحال إذ كان ذلك عند التوجه إلى السفر ويدل عليه أيضاً ذكر السفر في قوله: ﴿لقد لقينا من سفرنا﴾ فقول سعدي المفتي: لا دلالة في نظم القرآن على هذا ولعله علم من الأثر أو من أخبار المؤرخين ذهول عما بعد الآية ﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ هو ملتقى بحر فارس والروم

مما يلي المشرق وهو المكان الذي وعد الله موسى بلقاء الخضر فيه. قال سعدي المفتي بحرا فارس والروم إنما يلتقيان في المحيط على ما سيجيء في سورة الرحمٰن أعني المحيط الغربي فإن الالتقاء هناك كما لا يخفى على من يعرف وضع البحار فالمراد بملتقاهما هنا موضع يقرب التقاؤهما فيه مما يلي المشرق ويعطي لما يقرب من الشيء حكم ذلك الشيء ويعبر به عنه انتهى. وفيه إشارة: إلى أن موسى والخضر عليهما السلام بحران لكثرة علمهما أحدهما وهو موسى بحر الظاهر والباطن والغالب عليه الظاهر على الشريعة والآخر وهو الخضر بحرهما والغالب عليه الباطن أي: الحقيقة إذ تتفاوت الأنبياء عليهم السلام بحسب غلبة الجمال أو الجلال على نشأتهم وسيأتي التحقيق إن شاء الله تعالى فملتقاهما إذا المكان الذي يتفق اجتماعهما فيه لا موضع معين ﴿أو أمضي﴾ من مضى في الأمر بمعنى نفذ وأمضاه أنفذه ﴿حقبا﴾ هو بضم القاف وسكونه ثمانون سنة. والمعنى أسير زماناً طويلاً أتيقن معه فوات المطلب يعني حتى يقع إما بلوغ المجمع أو مضي الحقب. وفي بعض التفاسير: أسيرُ دهراً طويلاً حتى أجد هذا العالم. قال الكاشفي: [موسى فرمود كه مدام ميروم تابرسم بمنزل او ياميروم زمان دراز كه هشتاد سال باشد يعني بهيچ وجهي روى ازسفر نمى تابم تا اورا بيابم]:

دست از طلب ندارمِ تاكام من بر آيد

وفي «المثنوي»:

كر كران وكر شتابنده بود آنكه جو ينده است يا بنده بود
در طلب زن دائماً توهردو دست كه طلب در راه نيكو رهبرست

قال الإمام في تفسيره: هذا إخبار من موسى بأنه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد والعناء العظيم في السفر لأجل طلب العلم وذلك تنبيه على أن المتعلم لو سار من المشرق إلى المغرب لطلب مسألة واحدة لحق له ذلك انتهى. قال في «روضة الخطيب» رجل جاء من المدينة إلى مصر لحديث واحد ولذا لم يعد أحد كاملاً إلا بعد رحلته ولا وصل مقصده إلا بعد هجرته. وقالوا: كل من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الاتباع ويكشف عن قلبه القناع فهو في هذا الشأن لقيط لا أب له دعي لا نسب له انتهى. ومن كلام أبي يزيد البسطامي قدس سره: من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان، وفي «المثنوي»:

پير را بكزين كه بى پير اين سفر هست بس پرآفت وخوف وخطر
چون كرفتى پير هين تسليم شو همچو موسى زير حكم خضر رو

قال في «التأويلات النجمية»: في الآية إشارات:

منها: أن شرط المسافر أن يطلب الرفيق ثم يأخذ الطريق.

ومنها: أن من شرط الرفيقين أن يكون أحدهما أميراً والثاني مأموراً له ومتابعاً.

ومنها: أن يعلم الرفيق عزيمته ومقصده ويخبر عن مدة مكثه في سفره ليكون الرفيق واقفاً على أحواله فإن كان موافقاً له يرافقه في ذلك.

ومنها: أن من شرط الطالب الصادق أن يكون نيته في طلب شيخ يقتدي به أن لا يبرح حتى يبلغ مقصوده ويظفر به فإن طلب الشيخ طلب الحق تعالى على الحقيقة انتهى كلامه قدس سره.

﴿فلما بلغا﴾ قال الكاشفي: [موسى عليه السلام فرمودكه اي يوشع توبامن موافقت نماى

در طلب اين بنده صالح يوشع فرمود آرى من بتو موافقم ورفاقت تو مغتنم مى شمارم:

خوشست آوار كى آنرا كه همراهى چنين باشد

پس يوشع عليه السلام تهى چندان وماهى برداشته باتفاق موسى روانه شد] والفاء فصيحة أي: فذهب موسى ويوشع يمشيان فلما بلغا ﴿مجمع بينهما﴾ بينهما ظرف أضيف له اتساعاً فالمعنى مكاناً يكاد يلتقي وسط ما امتد من البحرين طولاً. قال الكاشفي: [بمجمع كه ميان دو درياست آنجا برصحره بركنار چشمه حيات بود نشستند موسى عليه السلام درخواب رفته بود ويوشع دران چشمه وضو ساخت وقطره برآن ماهى بريان چكيد في الحال زنده شد روى بدريا نهاد ويوشع متحيرشد وموسى ازخواب در آمده تفقد حال يوشع وماهى ننموده روى براه نهاد وازغايت تعجيل سفر] ﴿نسيا حوتهما﴾ الذي جعل فقدانه أمارة وجدان المطلوب أي: نسي موسى تذكر الحوت لصاحبه وصاحبه نسي الأخبار بأمره فلا يخالفه ما في حديث الصحيحين من إسناد النسيان إلى صاحبه. وفي «الأسئلة المقحمة»: كانا جميعاً قد زوداه لسفرهما فجاز إضافة ذلك إليهما وإن كان الناسي أحدهما وهو يوشع يقال: خرج القوم وحملوا معهم الزاد وإنما حمله بعضهم ﴿فاتخذ﴾ الحوت. إن قلت كيف أتى بالفاء وذهاب الحوت مقدم على النسيان؟ قلت: الفاء فصيحة ولا يلزم أن يكون المعطوف عليه الذي يفصح عنه الفاء معطوفاً على نسيا بالفاء بل بالواو والتقدير وحيى الحوت فسقط في البحر فاتخذ ﴿سبيله﴾ أي: طريق الحوت ﴿في البحر سربا﴾ مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال منه أي: مسلكاً كالسرب وهو بيت في الأرض وثقب تحتها وهو خلاف النفق لأنه إذا لم يكن له منفذ يقال له سرب وإذا كان له منفذ يقال له نفق وذلك أن الله تعالى أمسك جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه وهو ما عقد من أعلى البناء وبقي ما تحته خالياً يعني أنه إنجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم تلتئم هكذا فسر النبي ﷺ هذا المقام كما في حديث الصحيحين. وبالفارسية [سربا مثل سردابه كه دران توان رفت هرجا كه ما هى بريان ميرفت آب بالاى أو مرتفع مى ايستاد در زمين خشك ميكشت] فلا وجه لقول بعض المفسرين كالقاضي ومن يتبعه سرباً أي: مسلكاً يسلك فيه ويذهب من قوله: ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠﴾ [الرعد: ١٠] وهو الذاهب على وجهه في الأرض.

﴿فلما جاوزا﴾ أي: مجمع البحرين الذي جعل موعداً للملاقاة أي: انطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان الغد ألقي على موسى الجوع ليتذكر الحوت ويرجع إلى مطلبه فعند ذلك ﴿قال لفتاه آتنا غداءنا﴾ ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبىء عنه الجواب والغداء بالفتح هو ما يعد للأكل أول النهار والعشاء ما يعد له آخره ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا﴾ أي: بالله لقد لقينا من هذا السفر الذي سرناه بعد مجاوزة مجمع البحرين ﴿نصبا﴾ تعباً وإعياء. قال النووي: إنما لحقه النَّصَب والجوع ليطلب موسى الغداء فيتذكر به يوشع الحوت وفي الحديث «لم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره به». وفي «الأسئلة المقحمة»: كيف جاع موسى ونصب في سفرته هذه وحين خرج إلى الميقات ثلاثين يوماً لم يجع ولم ينصب قيل لأن هذا السفر كان سفر تأديب وطلب علم واحتمال مشقة وذلك السفر كان إلى الله تعالى انتهى والجملة في محل التعليل للأمر بإيتاء الغداء إما باعتبار النصب إنما يعتري بسبب الضعف الناشىء عن الجوع وإما باعتبار ما في أثناء التغدي من استراحة ما كما قال الكاشفي: [بيار طعام چاشت مارا تا بخوريم كه كرسنه شديم ودمى بر آساييم چون يوشع سفره پيش آورد وقصه ما هي بيادش آمد].

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿قال﴾ فتاه ﴿أرأيت﴾ [خبردارى]. وقال ابن ملك هو يجيء بمعنى أخبرني وهنا بمعنى التعجب ومفعوله محذوف وذلك المحذوف عامل في قوله: ﴿إذ أوينا إلى الصخرة﴾ يعني عجبت ما أصابني حين وصلنا إلى الصخرة ونزلنا عندها ﴿فإني نسيت الحوت﴾ أن أذكر لك أمره وما شاهدت منه من الأمور العجيبة ثم اعتذر بإنساء الشيطان إياه لأنه لو ذكر ذلك لموسى ما جاوز ذلك المكان وما ناله النصب فقال: ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان﴾ بوسوسته الشاغلة عن ذلك ﴿أن أذكره﴾ بدل اشتمال من الضمير أي: وما أنساني أن أذكره لك ﴿واتخذ سبيله في البحر﴾ سبيلاً ﴿عجبا﴾ وهو كون مسلكه كالطاق والسرب فعجباً ثاني مفعولي اتخذ والظرف حال من أولهما أو ثانيهما وهو بيان لطرف من أمر الحوت منبىء عن طرف آخر وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء بالاعتذار كأنه قيل حيي واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه سبيلاً عجباً يعني: أن قوله ﴿وما أنسانيه﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه سببه ما يجري مجرى العذر والعلة لوقوع ذلك النسيان. قال الإمام: فإن قيل انقلاب السمكة المالحة حية حالة عجيبة جعل الله تعالى حصول هذه الحالة العجيبة دليلاً على الوصول إلى المطلوب فكيف يعقل حصول النسيان في هذا المعنى أجاب العلماء عنه بأن يوشع كان قد شاهد المعجزات الباهرة من موسى كثيراً فلم يبق لهذه المعجزة عنده وقع عظيم فجاز حصول النسيان وعندي فيه جواب آخر وهو أن موسى لما استعظم علم نفسه أزال الله تعالى عن قلب صاحبه هذا العلم الضروري تنبيهاً لموسى على أن العلم لا يحصل إلا بتعليم الله تعالى وحفظه على القلب الخاطر انتهى. وقال بعضهم: لعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره إلى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وهي حياة السمكة المملوحة المأكول بعضها وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه وإنما نسبه إلى الشيطان هضماً لنفسه أي: لمقتضى نفسه من الاغترار والافتخار بأمثاله.

وفي الآيات إشارات:

منها: أن الطالب الصادق إذا قصد خدمة شيخ كامل يسلكه طريق الحق يلزمه مرافقة رفيق التوفيق ومعه حوت قلبه الميت بالشهوات النفسانية المملح بملح حب الدنيا وزينتها ومجمع البحرين هو الولاية بين الطالب وبين الشيخ ولم يظفر المريد بصحبة الشيخ ما لم يصل إلى مجمع ولايته فافهم جدا وعند مجمع الولاية عين الحياة الحقيقية فبأول قطرة من تلك العين تقع على حوت قلب المريد يحيى ويتخذ سبيله في البحر عن الولاية سرباً.

ومنها: أن الله يحول بين المرء وقلبه فينسى المريد قلبه حين فقده وينسى القلب المريد إذا وجد الشيخ، وفي «المثنوي»:

اي خنك آن مرده كزخودرسته شد دروجود زنده پيوشته شد
واى آن زنده كه بامرده نشست مرده كشت وزنده كى ازوى پرست

ومنها أن المريد لو تطرق إليه الملالة في أثناء السلوك وأصابت قلبه الكلالة وسولت له

نفسه التجاوز عن خدمة الشيخ وترك صحبته حتى يظن أن لو سافر عن خدمته واشتغل بطاعة ربه وجاهد نفسه في طلب الحق تعالى لعله يصل مقصده ويحصل مقصوده بلا واسطة الشيخ والاقتداء به هيهات فإنه ظن فاسد ومتاع كاسد وأنه يضيع عمره ويتعب نفسه ويضل عن سبيل الرشاد ويبعد عن طريق السداد إلا إن أدركته العناية الأزلية التي هي الكفاية الأبدية وردت إليه صدق الإرادة، وفي «المثنوي»:

آن رهى كه بارها تورفته ... بى قلاوز اندرآن آشفته
پس رهى راكه نرفتستى توهيچ ... هين مروتنها زرهبر سرمپچ
هين مپرالا كه باپرهاى شيخ ... تابيبنى عون ولشكر هاى شيخ

ومنها: أن صحبة الشيخ المرشد غداء للمريد لاشتمالها على ما يجري مجرى الغذاء للروح من الأقوال الطيبة والأفعال الحسنة ومتى جاوز صحبته أتعب نفسه بلا فائدة الوصول ونيل المقصود ولا يحمل على هذا إلا شيطان الخذلان فيلزم الرجوع والعود إلى ملازمة الخدمة في مرافقة رفيق التوفيق كما رجع موسى ويوشع عليهما السلام قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩] أي: في صحبتهم ولا تكونوا مع الكاذبين، وفي «المثنوي»:

هر طرف غولى همى خواند ترا ... كاى برادرراه خواهى هين بيا
رهنمايم هم رهت باشم رفيق ... من قلاوزم درين راه دقيق
نى قلاوزست ونى ره داند او ... يوسفا كم روسوى آن كرك خو

نسأل الله العصمة والتوفيق.

﴿قال﴾ موسى عليه السلام: ﴿ذلك﴾ الذي ذكرت من أمر الحوت ﴿ما﴾ أي: الذي ﴿كنا نبغ﴾ أصله نبغي والضمير العائد إلى الموصول محذوف أي: نبغيه ونطلبه لكونه أمارة للفوز بالمرام من لقاء الخضر عليه السلام ﴿فارتدا﴾ رجعا من ذلك الموضع وهو طرف نهر ينصب إلى البحر ﴿على آثارهما﴾ طريقهما الذي جاءا منه والآثار الإعلام جمع أثر وأثر وخرج في أثره وأثره أي: بعده وعقبه. وبالفارسية: [برنشانهاى قدم خود] ﴿قصصا﴾ مصدر فعل محذوف أي: يقصان قصصاً أي: يتبعان آثارهما اتباعاً ويتفحصان تفحصاً حتى أتيا الصخرة التي حيي الحوت عندها وسقط في البحر واتخذ سبيله سرباً.

﴿فوجدا عبدا﴾ التنكير للتفخيم ﴿من عبادنا﴾ الإضافة للتشريف وكان مسجى بثوب فسلم عليه موسى وعرفه نفسه وأفاد أنه جاء لأجل التعلم والاستفادة. والجمهور على أنه الخضر بفتح الخاء المعجمة وكسر الضاد وهو لقبه وسبب تلقيبه بذلك ما جاء في الصحيح أنه عليه السلام قال: «إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء» الفروة وجه الأرض اليابسة وقيل النبات اليابس المجتمع والبيضاء الأرض الفارغة لا غرس فيها لأنها تكون بيضاء واهتزاز النبات تحركه وكنيته أبو العباس واسمه بليا بباء موحدة مفتوحة ثم لام ساكنة ثم مثناة تحت ابن ملكان بفتح الميم وإسكان اللام ابن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح. قال أبو الليث: إنه عليه السلام ذكر قصة الخضر فقال: «كان ابن ملك من الملوك فأراد أبوه أن يستخلفه من بعده فلم يقبل وهرب منه ولحق بجزائر البحر فلم يقدر عليه» وتفصيله على ما في كتاب «التعريف والإعلام» للإمام السهيلي وهو أن أباه كان ملكاً

وأن أمه كانت بنت فارس واسمها إلهاً وإنها ولدته في مغارة وأنه ترك هنالك وشاة ترضعه في كل يوم من غنم رجل من القرية فأخذه الرجل فرباه فلما شب وطلب الملك أبوه كاتباً وجمع أهل المعرفة والنبالة ليكتب الصحف التي نزلت على إبراهيم وشيث كان فيمن قدم عليه من الكتاب ابنه الخضر وهو لا يعرفه فلما استحسن خطه ومعرفته ونجابته سأله عن جلية أمره فعرف أنه ابنه فضمه لنفسه وولاه أمر الناس ثم إن الخضر فر من الملك وزهد في الدنيا وسار إلى أن وجد عين الحياة فشرب منها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما الخضر ابن آدم لصلته ونسيء له في أجله حتى يكذب الدجال وفيه إشارة إلى أن لكل دجال في كل عصر مكذباً ومبطلاً لأمره، قال الحافظ:

كجاست صوفى دجال فعل ملحد شكل بكوبسوزكه مهدىء دين پناه رسيد

وأخرج عن ابن عساكر: أن آدم لما حضره الموت أوصى بنيه أن يكون جسده الشريف معهم في غار فكان جسده في المغارة معهم فلما بعث الله نوحاً ضم ذلك الجسد في السفينة بوصية آدم فلما خرج منها قال لبنيه: إن آدم دعا بطول العمر لمن يدفنه من أولاده إلى يوم القيامة فذهب أولاده إلى الغار ليدفنوه وكان فيهم الخضر فكان هو الذي تولى دفن آدم فأنجز الله ما وعده فهو يحيي ما شاء الله له أن يحيي. قال في «فتح القريب»: ومن أغرب ما قيل: إنه ابن آدم لصلبه وقيل إنه من الملائكة وهذا باطل ومن أعجب ما قيل: إنه ابن فرعون صاحب موسى كما في «تواريخ مصر» وقيل أنه ابن خالة ذي القرنين كان في سفره معه وشرب من ماء الحياة مد الله عمره إلى الوقت المعلوم ولا بعد فإنه كان من بني آدم من يعيش ثلاثة آلاف سنة أو أكثر وقيل: إنه ابن عاميل بن شمالخين بن ارما بن علقما بن عيصو بن إسحاق النبي وكان عاميل ملكاً. والجمهور على أنه نبي غير مرسل وعند الصوفية المحققين ولي غير نبي واختلفوا في حياته والأكثر على أنه موجود بين أظهرنا وهذا متفق عليه عند الصوفية لأن حكاياتهم أنهم رأوه في المواضع الشريفة وكالموه أكثر من أن يحصى نقله الشيخ الأكبر في الفتوحات المكية وأبو طالب المكي في كتبه والحكيم الترمذي في نوادره وغير ذلك من المحققين من سادات الأمة الذين لا يتصور اجتماعهم على الكذب والافتراء بمجرد الأخبار النقلية حاشاهم عن ذلك وقد ثبت وجوده فلا يكون عدمه إلا بدليل ولا دليل على موته ولا نص فيه من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا نقل أنه مات بأرض كذا في وقت كذا في زمن ملك من الملوك. وفي «تفسير البغوي»: أربعة من الأنبياء أحياء إلى يوم البعث اثنان في الأرض وهما الخضر وإلياس أي: وإلياس في البر والخضر في البحر يجتمعان كل ليلة على ردم ذي القرنين يحرسانه وأكلهما الكرفس والكمأة واثنان في السماء إدريس وعيسى عليهما السلام. وفي كتاب «التمهيد» لأبي عمر إمام الحديث في وقته أن رسول الله ﷺ حين غسل وكفن سمعوا قائلاً يقول: السلام عليكم يا أهل البيت إن في الله خلفاً من كل هالك وعوضاً من كل تالف وعزاء من كل مصيبة فعليكم بالصبر فاصبروا واحتسبوا ثم دعا لهم ولا يرون شخصه فكانوا أي: الأصحاب وأهل البيت يرونه أنه الخضر. وفي كتاب «الهواتف» أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقي الخضر وعلمه هذا الدعاء وذكر فيه ثواباً عظيماً ومغفرة ورحمة لمن قاله في أثر كل صلاة وهو «يا من لا يشغله سمع عن سمع ويا من لا تغلطه المسائل ويا من لا يتبرم من إلحاح الملحين أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك». قال الهروي: إن الخضر قد جاء النبي عليه السلام مراراً وأما

قوله عليه السلام: «لو كان حياً لزارني» فلا يمنع وقوع الزيارة بعده. قال في فصل الخطاب: إن الخضر قد صحب النبي عليه السلام وروى عنه أحاديث. وفي «الخصائص الصغرى»: أن في غزوة تبوك اجتمع عليه السلام بالياس فعن أنس رضي الله عنه غزونا مع النبي عليه السلام حتى إذا كنا بفج الناقة عند الحجر سمعنا صوتاً يقول: اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها فقال عليه السلام: «يا أنس انظر ما هذا الصوت» فدخلت الجبل فإذا رجل عليه ثياب بياض أبيض الرأس واللحية طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع فلما رآني قال: أنت رسول النبي عليه السلام؟ قلت: نعم قال: ارجع إليه وأقرئه السلام وقل له هذا أخوك الياس يريد أن يلقاك فرجعت إلى النبي عليه السلام فأخبرته فجاء عليه السلام يمشي وأنا معه حتى إذا كنا قريباً منه تقدم النبي وتأخرت أنا فتحدثا طويلاً فنزل عليهما من السماء شيء يشبه السفرة ودعواني فأكلت معهما قليلاً فإذا فيها كمأة ورمان وحوت وتمر وكرفس فلما أكلت قمت فتنحيت ثم جاءت سحابة فاحتملته فأنا أنظر إلى بياض ثيابه فيها تهوى به قبل الشام فقلت للنبي عليه السلام بأبي أنت وأمي هذا الطعام الذي أكلنا من السماء نزل عليه؟ قال عليه السلام: «سألته عنه فقال: يأتيني به جبرائيل في كل أربعين يوماً أكلة وفي كل حول شربة من ماء زمزم وربما رأيته على الجب يملأ بالدلو فيشرب وربما سقاني» والأكثر من المحدثين على وفاة الخضر سئل البخاري عن الخضر والياس هل هما في الأحياء؟ قال: كيف يكون ذلك وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يبقى على رأس المائة ممن هو اليوم على وجه الأرض أحد» وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] والجواب أن هذا الحكم جار على الأكثر ولا حكم للنادر الذي يعيش فوق المائة فقد عاش سلمان ومعدي كرب وأبو طفيل فوق المائة وكانوا موجودين في ذلك الزمان عند إخباره عليه السلام والمراد بالخلود هو التأبيد ولا شك أن حياة الخضر وغيره منقطعة عند الصعقة قبل القيامة فيمتنع الخلود. وأما من قال من العلماء لا يجوز أن يكون الخضر باقياً لأنه لا نبي بعد نبينا فلا عبرة لكلامه لأنه لم يتنبأ بعده بل قبله كعيسى أبقاه الله لمعنى وحكمة إلى أن يرتفع القرآن من وجه الأرض. وذكر الشيخ الأكبر قدس سره في بعض كتبه أنه يظهر مع أصحاب الكهف في آخر الزمان عند ظهور المهدي ويستشهد ويكون من أفضل شهداء عساكر المهدي. وفي آخر صحيح مسلم في أحاديث الدجال أنه يقتل رجلاً ثم يحيى قال إبراهيم بن سفيان صاحب مسلم يقال: إن هذا الرجل هو الخضر وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يلتقي الخضر والياس في كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان على هذه الكلمات «بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله» من قالهن ثلاث مرات حين يصبح ويمسي آمنه الله من الحرق والغرق والسرق ومن الشيطان والحية والعقرب، وزاد أحمد في الزهد أنهما يصومان رمضان في بيت المقدس. وعن علي رضي الله عنه مسكن الخضر بيت المقدس فيما بين باب الرحمة إلى باب الأسباط. قال القاشاني: الخضر كناية عن البسط والياس عن القبض وأما كون الخضر شخصاً إنساناً باقياً من زمان موسى إلى هذا العهد أو روحانياً يتمثل بصورته لمن يرشده فغير متحقق عندي بل قد يتمثل ويتخيل معناه له بالصفة الغالبة عليه ثم يضمحل وهو روح ذلك الشخص أو روح القدس انتهى. يقول الفقير: تمثل الروح بالصفة الغالبة قد وقع لكثير من أهل

السلوك ولكن ليس كل مرئي في اليقظة تمثلاً كما في المنام فقد يظهر المثال وقد يظهر حقيقته ولله في كل شيء حكمة بالغة ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ هي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصه بجناب الكبرياء. قال الإمام مسلم: إن النبوة رحمة كما في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢] ونحوه ولكن لا يلزم أن تكون الرحمة نبوة فالرحمة هنا هي طول العمر على قول من ذهب إلى عدم نبوته ﴿وعلمناه من لدنا علما﴾ خاصاً هو علم الغيوب والإخبار عنها بإذنه تعالى على ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما أو علم الباطن. قال في «بحر العلوم»: إنما قال من لدنا مع أن العلوم كلها من لدنه لأن بعضها بواسطة تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علماً لدنيا بل العلم اللدني هو الذي ينزله في القلب من غير واسطة أحد ولا سبب مألوف من خارج كما كان لعمر وعلي ولكثير من أولياء الله تعالى المرتاضين الذين فاقوا بالشوق والزهد على كل من سواهم كما قال سيد الأولين والآخرين عليه السلام: «نفس من أنفاس المشتاقين خير من عبادة الثقلين» وقال عليه السلام: «ركعتان من رجل زاهد قلبه خير وأحب إلى الله من عبادة المتعبدين إلى آخر الدهر» وقد صدق لكنه قليل كما قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٦] ومن هنا يتبين لك معرفة رفعة الصحابة رضي الله عنهم وعظمهم رتبة ومكاناً من الله فإنهم أئمة المشتاقين والزاهدين الشاكرين ونجوم لهم يهتدون بهم انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿فوجدا عبداً من عبادنا﴾ أي: حراً من رق عبودية غيرنا من أحرارنا أي: ممن أحررناهم من رق عبودية الأغيار واصطفيناهم من الأخيار ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ يعني جعلناه قابلاً لفيض نور من أنوار صفاتنا بلا واسطة ﴿وعلمناه من لدنا علما﴾ وهو علم معرفة ذاته وصفاته الذي لا يعلمه أحد إلا بتعليمه إياه.

واعلم أن كل علم يعلمه الله تعالى عباده ويمكن للعباد أن يتعلموا ذلك العلم من غير الله تعالى فإنه ليس من جملة العلم اللدني لأنه يمكن أن يتعلم من لدن غيره يدل عليه قوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠] فإن علم صنعة اللبوس مما علمه الله داود عليه السلام فلا يقال إنه العلم اللدني لأنه يحتمل أن يتعلم من غير الله تعالى فيكون من لدن ذلك الغير وأيضاً إن العلم اللدني ما يتعلق بلدن الله تعالى وهو علم معرفة ذاته وصفاته تعالى انتهى. قال الجنيد قدس سره: العلم اللدني ما كان تحكماً على الأسرار بغير ظن فيه ولا خلاف لكنه مكاشفات الأنوار عن مكنونات المغيبات وذلك يقع للعبد إذا زم جوارحه عن جميع المخلوقات وأفنى حركاته عن كل الإرادات وكان شبحاً بين يدي الحق بلا تمن ولا مراد. قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: باب الملكوت والمعارف من المحال أن ينفتح وفي القلب شهوة هذا الملكوت وأما باب العلم بالله تعالى من حيث المشاهدة فلا ينفتح وفي القلب لمحة للعالم بأسره الملك والملكوت [درفتوحات ازسلطان العارفين قدس سره نقل ميكندكه باجمعى دانشمندان مى كفته] أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت:

كلشني كز نقل رويد يكدمست ... كلشني كز عشق رويد خرمست

كلشني كز كل دمد كردد تباه ... كلشني كز دل دمد وافرحتاه

علم چون بردل زند يارى شود ... علم چون بر كل زند بارى شود

واعلم أن الصوفية سموا العلوم الحاصلة بسبب المكاشفات العلوم اللدنية وتفصيل الكلام

أنا إذا أدركنا أمراً من الأمور وتصورنا حقيقة من الحقائق فإما أن نحكم عليه بحكم وهو التصديق أو لا نحكم وهو التصور وكل واحد من هذين القسمين فإما أن يكون ضرورياً حاصلاً من غير كسب وطلب وإما أن يكون كسبياً أما العلوم الضرورية فهي تحصل في النفس والعقل من غير كسب وطلب مثل تصورنا الألم واللذة والوجود والعدم ومثل تصديقنا بأن النفي والإثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان وأن الواحد نصف الاثنين وأما العلوم الكسبية فهي التي لا تكون حاصلة في جوهر النفس ابتداء بل لا بد من طريق يتوصل به إلى اكتساب تلك العلوم فإن كان التوصل إلى استعلام المجهولات بتركيب العلوم البديهية فهو طريق النظر وإن كان بتهيئة المحل وتصفيته عن الميل إلى ما سوى الله تعالى فهو طريق الكشف والكشف أنواع أعلاها أسرار ذاته تعالى وأنوار صفاته وآثار أفعاله وهو العلم الإلهي الشرعي المسمى في مشرب أهل الله علم الحقائق أي: العلم بالحق سبحانه وتعالى من حيث الارتباط بينه وبين الخلق وانتشاء العالم منه بقدر الطاقة البشرية إذ منه ما ليس في الطاقة البشرية وهو ما وقع فيه الكمل في ورطة الحيرة وأقروا بالعجز عن حق المعرفة وهذا العلم الجليل بالنسبة إلى سائر العلوم كالشمس بالنسبة إلى الذرات وكالبحر إلى القطرات فعلوم أهل الله مبنية على الكشف والعيان وعلوم غيرهم من الخواطر الفكرية والأذهان وبداية طريقهم التقوى والعمل الصالح وبداية طريق غيرهم تحصيل الوظائف والمناصب وجمع الحطام الذي لا يدوم وقال المولى الجامي:

جـان زاهـد سـاحـل وهـم وخـيـال جـان عـارف غـرقـه بـحـر شـهـود

قال حضرة شيخي وسندي روح الله روحه الطيب وقدس سره الزكي في كتاب «اللائحات البرقيات» المراد بالرحمة علم العبادة والدراسة والظاهر والشريعة ولذلك عبر عنه بالرحمة بناء على عمومه مثلها حيث قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ولكون مقام هذا العلم الظاهري مقام القرب الصفاتي عبر عن مقامه بما يعبر به عن مقام هذا القرب الصفاتي من قوله تعالى: ﴿من عندنا﴾ أي: من مقام واحدية صفاتنا ومرتبة قربها والمراد بالعلم علم الإشارة والوراثة والباطن والحقيقة ولذلك عبر عنه بلفظ العلم بناء على التعبير بالمطلق على الفرد الكامل إذ العلم الباطني من العلم الظاهري بمنزلة الروح واللب من الجسد والقشر وبمنزلة المعنى من الصورة فلا جرم أن العلم الباطني من العلم الظاهري بمنزلة الفرد الكامل من الفرد الناقص والعلم الظاهري من العلم الباطني بمنزلة الفرد الناقص من الفرد الكامل والنقصان الموهوم المعتبر في العلم الظاهري بحسب الإضافة والنسبة إلى العلم الباطني باعتبار المقام الذي يوجب الامتياز بينهما من جهة الصورة لا يقدح في كماله الذاتي الحقيقي في عينه ونفسه كما أن الكمال المعتبر في العلم الباطني بحسب الإضافة والنسبة إلى العلم الظاهري باعتبار المقام الموجب للافتراق بينهما من جهة التعين لا يزيد في كماله الذاتي الحقيقي في نفسه وذاته بل كل منهما من حيث هو بالنظر إلى ذاته مع قطع النظر إلى الإضافة والنسبة المعتبرة بينهما بحسب المقامات والتعلقات وغير ذلك كمال محض لا يتصور في واحد منهما نقصان أصلاً فكما أن الجهل والغفلة في أنفسهما محض نقصان حقيقي فكذلك العلم والمعرفة في أنفسهما محض كمال حقيقي وإنما الاعتبارات لئلا تبطل حقائق الأحكام ولذا قيل لولا الاعتبارات أي: الاضافات والنسب المعتبرة بين الأشياء لبطلت الحقائق ولما كان مقام هذا الباطن مقام القرب الذاتي عبر عن مقام ما يعبر به عن مقام القرب الذاتي من قوله: ﴿من لدنا﴾ أي: من مقام

أحدية ذاتنا ومرتبتها ولذا خص كبار الصوفية في اصطلاحاتهم لفظ العلم اللدني بهذا العلم الباطني الحاصل بمحض تعليم الله تعالى من لدنه بغير واسطة عبارة ولذلك قال بعضهم:

تعلمنا بلا حرف وصوت قرأناه بلا سهو وفوت

يعني بطريق الفيض الإلهي والإلهام الرباني لا بطريق التعليم اللفظي والتدريس القولي ولكون مقام العلم الظاهري من مقام العلم الباطني بمنزلة الظاهر من الباطن حيث يتعلق العلم الظاهري بظواهر الشريعة وصورها والعلم الباطني بمنزلة الباب من البيت ومن أراد دخول البيت فليأت من باب وبيت العلم ومدينته هو النبي عليه السلام وباب هذا البيت والمدينة هو علي ـ رضي الله عنه ـ كمال قال عليه السلام: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها».

كرتشنه فيض حق بصدقى حافظ سر چشمه آن زساقى كوثر پرس

واعلم أن التحقيق الحقيق في هذا المقام أن العلم المأمور موسى عليه السلام بتعلمه من الخضر هو العلم الباطني المتعلم بطريق الإشارة لا العلم الباطني المتعلم بطريق المكاشفة ولا العلم الظاهري المتعلم بطريق العبارة والدليل عليه إرسال الحق سبحانه موسى إلى عبده الخضر وعدم تعليمه بواسطة أمين الوحي جبرائيل وتعليم الخضر بطريق الإشارة بالأمور الثلاثة لكن لما كان الظاهر بالنظر إلى غلبة جانب علم الظاهر في وجود موسى أن يطلب تعلمه بطريق العبارة لا بطريق الإشارة وطريقه طريق الإشارة لا طريق العبارة قال: إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً من طريق التعلم بالإشارة لا بالعبارة والغالب عليك إنما هو طريق العبارة لا طريق الإشارة كما أن الغالب على طريق الإشارة لا طريق العبارة ولكل وجهة هو موليها قل كل يعمل على شاكلته. ثم إن الإمام الأعظم من الحسن البصري رحمهما الله تعالى بمنزلة موسى من الخضر عليهما السلام كما أن العكس بالعكس من جهة ما هو الغالب في نشأة كل منهما ولذلك أفاد الإمام الهمام العلم الظاهري غالباً وتقيد بترتيب أنوار الشريعة وأحكامها عبارة وصراحة وأفاد العلم الباطني نادراً وتعرض لأسرار الحقيقة ودقائقها إشارة وكناية بخلاف الحسن البصري فالإمام شمسي المشرب والحسن قمري المشرب ولذلك كان فلك الإمام أعظم وأوسع من فلك الحسن البصري وكان الإمام رحمة لأهل العموم عامة وكان الحسن البصري رحمة لأهل الخصوص خاصة والإمام مظهر اسم الرحمٰن والحسن مظهر اسم الرحيم ويدل على هذا كله انتشار مذهبه شرقاً وغرباً وهو من جميع المذاهب بمنزلة النبوة المحمدية والولاية العيسوية من جميع النبوات والولايات من جهة الخاتمية وحيث يختم به جميع المذاهب الحقة كما ختم بالنبوة المحمدية جميع النبوات ويختم بالولاية العيسوية جميع الولايات ولكون مشربه ومذهبه شمسياً سمي سراج الأمة وكاشف الغمة ورافع الظلمة ودافع البدعة ومحيي الدين وحافظ الشريعة بالكتاب والسنة ولكون مشرب الحسن ومذهبه قمرياً أنار القلوب والنفوس والطبائع المظلمة بظلمة الغفلة والهوى بأنوار المعرفة وأسرار الحقيقة والهدى تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً وفي تقديم السراج على القمر المنير إشارة إلى تقديم رتبة الإمام على رتبة الحسن إذ هو مظهر اسم الأول والظاهر والحسن مظهر اسم الآخر والباطن والأولان مقدمان على الثانيين بتقديم إلهي في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] وهذا التفاوت إنما هو باعتبار ترتيب المراتب وأما في أصل الكمال وحقيقة الفضل فهم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها لسر يعرفه من يعرف ويغفل

عنه من يغفل ورئيس أهل الذكر الصوفية الحنفية هو الإمام الأعظم الأكمل ورئيس أهل الذكر الصوفية الشافعية هو الإمام الشافعي الأفضل ورئيس أهل الذكر الصوفية الحنبلية هو الإمام الحنبلي التقي ورئيس أهل الذكر الصوفية المالكية هو الإمام مالك الزكي وهؤلاء الأئمة العظام كالخلفاء الأربعة الفخام كالنجوم بل كالأقمار بل كالشموس بأيهم اقتدى السالك اهتدى الحق المبين وهم لدين الحق كالأركان الأربعة للبيت وهم أيضاً من سائر الأقطاب والأولياء كالعرش والشمس من الأفلاك والنجوم وليس لغيرهم ممن بعدهم إلى يوم القيامة بدون الاقتداء بهم اهتداء إلى طريق الجنة والرؤية ومن اقتدى بهم في الشريعة والطريقة والحقيقة وعلم علومهم وعمل أعمالهم وتأدب بآدابهم على مذهب أيهم كان بحسب وسعه فلا شك أنه اقتفى أثر رسول الله عليه السلام ومن لم يقتد بهم في ذلك فلا شك أنه ضل عن أثر الرسول وخرج عن دائرة القبول هذا كله كلام حضرة شيخي وسندي مع اختصار. وأما ما يلوح من كلمات بعض المشايخ من أن المجتهدين لم ينالوا العشق فله محامل ذكرنا بعضاً منها في كتابنا الموسوم «بتمام الفيض» والذي يظهر أنها كلمات صدرت حالة السكر والغلبات فلا اعتبار بها والأدب التام أن يمسك عنهم إلا بخير الكلام.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾

﴿**قال له موسى**﴾ استئناف مبني على سؤال نشأ من السياق كأنه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل: قال له موسى أي: للخضر عليهما السلام: ﴿**هل أتبعك**﴾ أصحبك ﴿**على أن تعلمن**﴾ على شرط أن تعلمن وهو في موضع الحال من الكاف وهو استئذان منه في اتباعه له على وجه التعليم ويكفيك دليلاً في شرف الاتباع ﴿**مما علمت رشدا**﴾ أي: علماً ذا رشد أرشد به في ديني والرشد إصابة الخير. قال الكاشفي: [علمي كه مبني بررشد باشد] يعني: إصابة خير ولقد راعى في سوق الكلام غاية التواضع معه فينبغي للمرء أن يتواضع لمن هو أعلم منه. قال الإمام: والآية تدل على أن موسى راعى أنواع الأدب جعل نفسه تبعاً له فقال: ﴿**هل أتبعك**﴾ واستأذن في إثبات هذه التبعية وأقر على نفسه بالجهل وعلى أستاذه بالعلم في قوله: ﴿**على أن تعلمن**﴾ ومن في قوله: ﴿**مما علمت**﴾ للتبعيض أي: لا أطلب مساواتك في العلوم وإنما أريد بعضاً من علومك كالفقير يطلب من الغني جزءاً من ماله وقوله: ﴿**مما علمت**﴾ اعتراف بأنه أخذ من الله وقوله: ﴿**رشدا**﴾ طلب للإرشاد أي: ما لولاه لضل وهذا يدل على أنه طلب أن يعامله بمثل ما عامله الله به أي: ينعم بالتعليم كما أنعم الله عليه فإن البذل من الشكر، قال الحافظ:

أي صاحب كرامت شكرانه سلامت ... روزى تفقدى كن درويش بى نوارا

قال قتادة: لو كان أحد مكتفياً من العلم لاكتفى نجي الله موسى ولكنه قال: ﴿**هل أتبعك**﴾ الآية. وقال الزجاج وفيما فعل موسى وهو من أجلة الأنبياء من طلب العلم والرحلة في ذلك ما يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته ولذا ورد «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد»، وفي «المثنوي»:

خاتم ملك سليمانست علم ... جمله عالم صورت وجانست علم

قال العلماء ولا ينافي نبوة موسى وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من نبي آخر ما لا يتعلق له بأحكام شريعته من أسرار العلوم الخفية وقد أمر الله بأخذ العلم منه فلا دلالة له. قال شيخي وسندي روح الله روحه تعليم موسى وتربيته بالخضر إنما هو من قبيل تعليم الأكمل وتربيته بالكامل لأنه تعالى قد يطلع الكامل على أسرار يخفيها عن الأكمل وإذا أراد أن يطلع الأكمل عليها أيضاً فقد يطلعه بالذات وقد يطلعه بواسطة الكامل ولا يلزم من توسط الكامل أن يكون أكمل من الأكمل أو مثله والكامل كامل مطلقاً والأكمل أكمل مطلقاً والرجحان للأكمل جداً ولا تسمع إلى غير ذلك مما يقول الضالون وقول الخضر لموسى عليه السلام يا موسى أنت على علم علمك الله وأنا على علم علمني الله إنما هو بناء على الامتياز المعتبر بينهما بحسب الغالب في نشأة كل منهما وإلا فالعلم الظاهر والباطن حاصلان في نشأة كل منهما انتهى وفهم منه جواب ما سبق من قوله إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك فإن المراد إثبات أعلميته في علم من العلوم الخاصة دون سائرها وقد انعقد الإجماع على أن نبينا عليه السلام أعلم الخلق وأفضلهم على الإطلاق وقد قال: «أنتم أعلم بأمور دنياكم». وفي قصص الأنبياء بينما هما على ساحل البحر إذ أقبل طائر وغمس منقاره في البحر ثم أخرجه ومسحه على جناحه ثم طار نحو المشرق ثم أطار نحو المغرب ثم رجع وصاح فقال الخضر: يا موسى أتروي ما قال هذا الطائر؟ قال: لا قال: إنه يقول ما أوتي بنو آدم من العلم إلا بمقدار ما أخذت من هذا البحر بمنقاري.

ازعلم تونكته ايست عالم زان دائره نقطه ايست آدم

وفي «التأويلات النجمية»: من آداب المريد الصادق بعد طلب الشيخ ووجدانه أن يستجيز منه في اتباعه وملازمة صحبته تواضعاً لنفسه وتعظيماً لشيخه بعد مفارقة أهاليه وأوطانه وترك مناصبه واتباعه وإخوانه وأخدانه كما كان حال موسى إذ قال للخضر: ﴿هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾ بإرشاد الله لك أي: تعلمني طريق الاسترشاد من الله بلا واسطة جبريل والكتاب المنزل ومكالمة الحق تعالى فإن جميع ذلك كان حاصلاً له. فإن قيل فهل مرتبة فوق هذه المراتب الثلاث؟ قلنا إن هذه المراتب وإن كانت عزيزة جليلة ولكن مجيء جبريل يقتضي الواسطة وإنزال الكتاب يدل على البعد والمكالمة تنبىء عن الإثنينية والرشد الحقيقي من الله للعبد هو أن يجعله قابلاً لفيض نور الله بلا واسطة وذلك يتجلى جماله وجلاله الذي كان مطلوب موسى بقوله: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فإن فيه رفع الإثنينية وإثبات الوحدة التي لا يسع العبد فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل. ومنها أن المريد إذا استسعد بخدمة شيخ واصل ينبغي أن يخرج عما معه من الحسب والنسب والجاه والمنصب والفضائل والعلوم ويرى نفسه كأنه أعجمي لا يعرف الهر من البر أي: ما يهره مما يبره أو القط من الفار أو العقوق من اللطف أو الكراهية من الإكرام كما في «القاموس»، قال الحافظ:

خاطرت كى رقم فيض پذيرد هيهات مكر از نقش پراكنده ورق ساده كنى

وينقاد لأوامره ونواهيه كما كان فإن كليم الله لم يمنعه النبوة والرسالة ومجيء جبريل وإنزال التوراة ومكالمة الله واقتداء بني إسرائيل به أن يتبع الخضر ويتواضع له وترك أهاليه وأتباعه وأشياعه وكل ما كان له من المناصب والمناقب وتمسك بذيل إرادته منقاد لأوامره ونواهيه.

﴿قال﴾ الخضر ﴿إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنه مما لا يصح ولا يستقيم والمراد نفي الصبر على ما يدل عليه قوله وكيف تصبر ويلزم من نفيها نفيه. وفيه دليل على أن الاستطاعة مع الفعل [موسى كفت چرا صبر نتوانم كرد كفت بجهت آنكه تو پيغمبرى وحكم تو بر ظاهر است شايدكه ازمن عملى صادر شود در ظاهر آن منكر وناشايسته نمايد وجه حكمت آنراندانى وبرآن صبر كردن نتوانى].

﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾ تمييز من خبر يخبر كنصر وعلم بمعنى عرف أي: لم يحط به خبرك أي: علمك وهو إيذان بأنه يتولى أموراً خفية منكرة الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يصبر إذا رأى ذلك ويأخذ في الإنكار. قال الإمام المتعلم قسمان منه من مارس العلوم ومنه من لم يمارسها والأول إذا وصل إلى من هو أكمل منه عسر عليه التعلم جداً لأنه إذا رأى شيئاً أو سمع كلاماً فربما أنكره وكان صواباً فهو لألفته بالقيل والقال يغتر بظاهره ولا يقف على سره وحقيقته فيقدم على النزاع ويثقل ذلك على الأستاذ وإذا تكرر منه الجدل حصلت النفرة وإليه أشار الخضر بقوله: ﴿إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ لأنك ألفت الكلام والإثبات والإبطال والاعتراض والاستدلال ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾ أي: لست تعلم حقائق الأشياء كما هي. قال حضرة شيخي وسندي روح الله روحه في كتاب «اللائحات البرقيات» كل واحد من العلمين أي: الظاهر والباطن موجود في وجود كل من موسى والخضر عليهما السلام إلا أن الغالب في نشأة موسى هو العلم الظاهري كما يدل عليه رسالته وقوله للخضر ﴿هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾ لأن المتعلم من المخلوق إنما هو العلم الظاهري المتعلم بالحرف والصوت لا العلم الباطني المتعلم من الله بلا حرف وصوت بل بذوق وكشف إلهي وإلقاء وإلهام سبحاني لأن جميع علوم الباطن إنما تحصل بالذوق والوجدان والشهود والعيان لا بالدليل والبرهان وهي ذوقيات لا نظريات فإنها ليست بطريق التأمل السابق ولا بسبيل التعلم اللاحق بترتيب المبادي والمقدمات وعلى اعتبار حصولها بطريق الانتقال بالواسطة لا بطريق الذوق بغير الواسطة والغالب في نشأة الخضر هو العلم الباطني كما يدل عليه ولايته ولو قيل بنبوته وقوله لموسى عليه السلام: ﴿إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾ يعني: بحسب غلبة جانب علم الظاهر وعلم الرسالة على جانب علم الباطن وعلم الولاية إذ الحكم للأغلب القاهر انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: ومن الآداب أن يكون المريد ثابتاً في الإرادة بحيث لو يرده الشيخ كرات بعد مرات ولا يقبله امتحاناً له في صدق الإرادة يلازم عتبة بابه ويكون أقل من ذباب فإنه كلما ذب آب كما كان حال كليم الله فإنه كان الخضر يرده ويقول له: ﴿إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾ أي: كيف تصبر على فعل يخالف مذهبك ظاهراً ولم يطلعك الله على الحكمة في إتيانه باطناً ومذهبك أنك تحكم بالظاهر على ما أنزل الله عليك من علم الكتاب ومذهبي أن أحكم بالباطن على ما أمرني الله من العلم اللدني وقد كوشفت بحقائق الأشياء ودقائق الأمور في حكمة إجرائها وذلك أنه تعالى أفناني عني بهويته وأبقاني به بألوهيته فبه أبصر وبه أسمع وبه أنطق وبه آخذ وبه أعطي وبه أفعل وبه أعلم فإني لا أعلم ما لم يعلم وأنه يقول ستجدني.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾

﴿قال﴾ موسى عليه السلام: ﴿ستجدني﴾ [زود باشدكه يابى مرا] ﴿إن شاء الله صابرا﴾ معك غير معترض عليك والصبر الحبس يقال صبرت نفسي على كذا أي: حبستها وتعليق الوعد بالمشيئة إما طلباً لتوفيقه في الصبر ومعونته أو تيمناً به أو علماً منه بشدة الأمر وصعوبته فإن الصبر من مثله عند مشاهدة الفساد شديد جداً لا يكون إلا بتأييد الله تعالى. وقيل: إنما استثنى لأنه لم يكن على ثقة فيما التزم من الصبر وهذه عادة الصالحين. ويقال إن أمزجة جميع الأنبياء البلغم إلا موسى فإن مزاجه كان المرة. فإن قلت ما معنى قول موسى للخضر: ﴿ستجدني﴾ الآية ولم يصبر وقول إسماعيل عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] فصبر. قال بعض العلماء لأن موسى جاء صحبة الخضر بصورة التعلم والمتعلم لا يصبر إذا رأى شيئاً حتى يفهمه بل يعترض على أستاذه كما هو دأب المتعلمين وإسماعيل لم يكن كذلك بل كان في معرض التسليم والتفويض إلى الله تعالى وكلاهما في مقامهما واقفان. وقيل: كان في مقام الغيرة والحدة والذبيح في مقام الحكم والصبر. قال بعض العارفين قال الذبيح من الصابرين أدخل نفسه في عداد الصابرين فدخل وموسى عليه السلام تفرد بنفسه وقال صابراً فخرج والتفويض من التفرد أسلم وأوفق لتحصيل المقام ووصول المرام. ﴿ولا أعصي لك أمرا﴾ عطف على صابراً أي: ستجدني صابراً وغير عاص أي: لا أخالفك في شيء ولا أترك أمرك فيما أمرتني به وفي عدم هذا الوجدان من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان.

وفي «التأويلات النجمية»: ومن الآداب أن لا يكون معترضاً على أفعال الشيخ وأقواله وأحواله وجميع حركاته وسكناته معتقداً له في جميع حالاته وإن شاهد منه معاملة غير مرضية بنظر عقله وشرعه فلا ينكره بها ولا يسيء الظن فيه بل يحسن فيه الظن ويعتقد أنه مصيب في معاملاته مجتهد في آرائه وإنما الخطأ من قصور نظري وسخافة عقلي وقلة علمي.

﴿قال فإن اتبعتني﴾ صحبتني لأخذ العلم وهو أذن له في الاتباع بعد اللتيا والتي والفاء لتفريع الشرطية على ما مر من التزامه للصبر والطاعة ﴿فلا تسألني عن شيء﴾ تشاهده من أفعالي وتنكره مني في نفسك أي: لا تفاتحني بالسؤال عن حكمته فضلاً عن المناقشة والاعتراض ﴿حتى أحدث لك منه ذكرا﴾ حتى ابتدىء ببيانه. وفيه إيذان بأن كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من آداب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع.

قال في «التأويلات النجمية»: ومن الآداب أن يسد على نفسه باب السؤال فلا يسأل الشيخ عن شيء حتى يحدث له منه ذكراً إما بالقال وإما بالحال انتهى.

ـ روي ـ أن لقمان دخل على داود عليه السلام وهو يسرد دروعاً ولم يكن رآها قبل ذلك فتعجب منه فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته الحكمة فأمسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ قام داود ولبسها ثم قال نعم الدرع للحرب. وقيل: كان يتردد إليه سنة وهو يريد أن يسأل ذلك فلم يسأل. قالت الحكماء إن كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب. وعن بعض الكبار الصمت على قسمين: صمت باللسان عن الحديث بغير الله مع غير الله جملة وصمت بالقلب عن خاطر

كوني البتة فمن صمت لسانه ولم يصمت قلبه خف وزره ومن صمت قلبه ولم يصمت لسانه فهو ناطق بلسان الحكمة ومن صمت لسانه وقلبه ظهر له سره وتجلى له ربه ومن لم يصمت لسانه وقلبه كان مسخرة للشيطان. فعلى العاقل أن يجتهد حتى يسلم قلبه من الانقباض ولسانه من الاعتراض وينسى ما سوى الله تعالى ولا تلعب به الأفكار ويصبر عند مظان الصبر ويستسلم لأمر الله الملك الغفار فإن لله تعالى في كل شيء حكمة وفي كل تلف عوضاً، وفي «المثنوي»:

لا نسلم واعتراض ازما برفت ... چون عوض مى آيداز مفقودزفت
چونكه بى آتش مرا كرمى رسد ... راضيم كر آتش مارا كشد
بى چراغى چون دهد اوروشنى ... كر چراغت شدجه افغان ميكنى
دانه پر مغز باخاك دزم ... خلوتى وصحبتي كرد ازكرم
خويشتن درخاك كلى محو كرد ... تاناندش رنك وبوى سرخ وزرد
از پس آن محو قبض اونماند ... بر كشاد وبست شد مركب براند

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الخلوة به والصحبة بالأهل والتسليم للأمر.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾

﴿فانطلقا﴾ أي: ذهب موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان السفينة وأما يوشع فقد صرفه موسى إلى بني إسرائيل. وقال الكاشفي: [ويوشع بر عقب ايشان ميرفت]. يقول الفقير وهو الظاهر فإن تثنية الفعل إنما هي لأجل الانتقال من قصة موسى مع يوشع إلى قصته مع الخضر فكان يوشع تبعاً لهما فلم يذكر ويدل على هذا قوله عليه السلام: «مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوا بغير نول» على ما في المشارق ولا مقتضى لرده إلى بني إسرائيل فإن هارون عليه السلام كان معهم والله أعلم. **﴿حتى إذا ركبا﴾** دخلا **﴿في السفينة﴾**. وقال في «الإرشاد» في سورة هود: معنى الركوب العلو على شيء له حركة إما إرادية كالحيوان أو قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فإذا استعمل في الأول يوفر له حظ الأصل فيقال: ركبت الفرس وإن استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال ركبت في السفينة. وفي «الجلالين»: **﴿حتى إذا ركبا﴾** البحر **﴿في السفينة﴾**.

ـ روي ـ أنهما مرا بالسفينة فاستحملا ملاحيها فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول بفتح النون أي: بغير أجرة **﴿خرقها﴾** ثقبها الخضر وشقها لما بلغوا اللج أي: معظم الماء حيث أخذ فأساً فقلع بغتة أي: على غفلة من القوم من ألواحها لوحين مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه وأخذ الخضر قدحاً من زجاج ورقع به خرق السفينة أو سده بخرقة.

ـ روي ـ أنه لما خرق السفينة لم يدخلها الماء. وقال الإمام في تفسيره والظاهر أنه خرق جدارها لتكون ظاهرة العيب ولا يتسارع إلى أهلها الغرق فعند ذلك **﴿قال﴾** موسى منكراً عليه **﴿أخرقتها﴾** يا خضر **﴿لتغرق أهلها﴾** فإن خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي إلى غرق أهلها وهم قد أحسنوا بنا حيث حملونا بغير أجرة وليس هذا جزاءهم فالام للعاقبة. وقال سعدي المفتي ويجوز أن يحمل على التعليل بل هو الأنسب لمقام الإنكار **﴿لقد جئت﴾** أي: أتيت وفعلت **﴿شيئاً إمراً﴾** [چيزى شكفت وشنيع وبر دل كران]. قال في «القاموس» أمر أمر

منكر عجب. ومن بلاغات الزمخشري كم أحدث بك الزمان أمراً أمراً كما لم يزل يضرب زيد عمراً أي: كما ثبت دوام هذه القصة. قال في «الأسئلة المقحمة» كان من حق العلم الواجب عليه الإنكار بحكم الظاهر إلا أنه كان يلزم مع ذلك التوقف وقت قلب العادة، قال الحافظ:

مزن زچون چرادم كه بنده مقبل قبول كردبجان هرسخن كه جانان كفت

﴿قال﴾ الخضر لموسى ﴿ألم أقل﴾ أي: قد قلت: ﴿إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ ما تقدر أن تصبر معي البتة وهو تذكير لما قاله من قبل متضمن للإنكار على عدم الوفاء بوعد.

﴿قال﴾ [كفت موسى كه آن سخن از خاطرم رفته بود] ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾ بنسياني وصيتك بعدم السؤال عن حكمة الأفعال قبل البيان فإنه لا مؤاخذة على الناسي كما ورد في صحيح البخاري «من أن الأول كان من موسى نسياناً والثاني فرطاً والثالث عمداً» ﴿ولا ترهقني﴾ يقال رهقه كفرح غشيه وأرهقه إياه والإرهاق أن يحمل الإنسان على ما لا يطيقه وأرهقه عشراً كلفه إياه في «القاموس» أي: ولا تغشني ولا تكلفني ولا تحملني. قال الكاشفي: [ودر مرسان مرا] ﴿من أمري﴾ وهو اتباعه إياه ﴿عسرا﴾ [دشوارى] مفعول ثاني للإرهاق أي: لا تعسر عليّ متابعتك ويسرها عليّ فإني أريد صحبتك ولا سبيل لي إليها إلا بالإغضاء والعفو وترك المناقشة.

بپوش دامن عفوي بروى جرم مرا مريزآب رخ بنده بدين چون وچرا

وفي «التأويلات النجمية»: ومن آداب الشيخ وشرائطه في الشيخوخة أن لا يحرص على قبول المريد بل يمتحنه بأن يخبره عن دقة صراط الطلب وعزة المطلوب وعسرته وفي ذلك يكون له مبشراً ولا يكون منفراً فإن وجده صادقاً في دعواه وراغباً فيما يهواه معرضاً عما سواه يتقبله بقبول حسن ويكرم مثواه ويقبل عليه إقبال مولاه ويربيه تربية الأولاد ويؤدبه بآداب العباد. ومنها أن يتغافل عن كثير من زلات المريد رحمة عليه ولا يؤاخذه بكل سهو أو خطأ أو نسيان عهد لضعف حاله إلا بما يؤدي إلى مخالفة أمر من أوامره أو مزاولة نهي من نواهيه أو يؤدي إلى إنكار واعتراض على بعض أفعاله وأقواله فإنه يؤاخذه به وينبهه عن ذلك فإن رجع عن ذلك واستغفر منه واعترف بذنبه وندم شرط معه أن لا يعود إلى أمثاله ويعتذر عما جرى عليه كما كان حال الكليم حيث قال: ﴿لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا﴾ أي: لا تضيق علي أمري فإني لا أطيق ذلك انتهى. وفي الآية تصريح بأن النسيان يعتري الأنبياء عليهم السلام للإشعار بأن غيره تعالى معيوب غير معصوم ولكن العصيان يعفي غالباً فكيف بنسيان قارنه الاعتذار وقد قيل:

أقبل معاذير من يأتيك معتذراً إن برّ عندك فيما قال أو فجرا

ثم إن امتحان الله وامتحان أوليائه شديد فلا بد من الصبر والتسليم والرضى:

قفل زفتست وكشاينده خدا دست در تسليم زن اندر رضا

قال الخجندي:

بجفا دوشدن ازتو نباشد محمود هركجا پاى ايازست سر محمودست

وعن الشيخ أبي عبد الله بن خفيف قدس سره قال: دخلت بغداد قاصداً الحج وفي رأسي نخوة الصوفية يعني حدة الإرادة وشدة المجاهدة وإطراح ما سوى الله قال: ولم آكل أربعين يوماً ولم أدخل على الجنيد وخرجت ولم أشرب وكنت على طهارتي فرأيت ظبياً في

البرية على رأس بئر وهو يشرب وكنت عطشاناً فلما دنوت من البئر ولى الظبي وإذا الماء في أسفل البئر فمشيت وقلت: يا سيدي أمالي عندك محل هذا الظبي فسمعت من خلفي يقال: جربناك فلم تصبر ارجع فخذ الماء إن الظبي جاء بلا ركوة ولا حبل وأنت جئت ومعك الركوة والحبل فرجعت فإذا البئر ملآن فملأت ركوتي وكنت أشرب منها وأتطهر إلى المدينة ولم ينفذ الماء فلما رجعت من الحج دخلت الجامع فلما وقع بصر الجنيد قدس سره عليّ قال: لو صبرت لنبع الماء من تحت قدمك لو صبرت صبر ساعة اللهم اجعلنا من أهل العناية.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾

﴿فانطلقا﴾ الفاء فصيحة والانطلاق الذهاب أي: فقبل الخضر عذر موسى عليه السلام فخرجا من السفينة فانطلقا ﴿حتى إذا﴾ [تاچون] ﴿لقيا﴾ في خارج قرية مرا بها ﴿غلاما﴾ [پسرى را زيباروى وبلندقامت خضر اورا درپس ديوارى ببرد] ﴿فقتله﴾ عطف على الشرط بالفاء أي: فقتله عقيب اللقاء واسمه جيسور بالجيم أو حيسور بالحاء أو حينون قاله السهيلي ومعنى قتله أشار بأصابعه الثلاث الإبهام والسبابة والوسطى وقلع رأسه كما قال رسول الله ﷺ: «ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله» كذا في الصحيحين برواية أبي بن كعب رضي الله عنه ﴿قال﴾ موسى والجملة جزآء الشرط ﴿أقتلت نفسا زكية﴾ طاهرة من الذنوب لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث أي: الإثم والذنب وهو قول الأكثرين. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو زاكية والباقون زكية فعيلة للمبالغة في زكاتها وطهارتها وفرق بينهما أبو عمرو بأن الزاكية هي التي لم تذنب قط والزكية التي أذنبت ثم تابت ﴿بغير نفس﴾ بغير قتل نفس محرمة يعني لم تقتل نفساً فيقتص منها. قيل الصغير لا يقاد فالظاهر من الآية كبر الغلام وفيه أن الشرائع مختلفة فلعل الصغير يقاد في شريعته ويؤيد هذا الكلام ما نقل البيهقي في «كتاب المعرفة» أن الأحكام إنما صارت متعلقة بالبلوغ بعد الهجرة. وقال الشيخ تقي الدين السبكي إنها إنما صارت متعلقة بالبلوغ بعد أحد. وقال في «إنسان العيون»: إنما صح إسلام علي رضي الله عنه مع أنهم أجمعوا على أنه لم يكن بلغ الحلم ومن ثم نقل عنه رضي الله عنه أنه قال:

سبقتكمو إلى الإسلام طرا ... صغيراً ما بلغت أوان حلمي

أي كان عمره ثماني سنين لأن الصبيان كانوا إذ ذاك مكلفين لأن القلم إنما رفع عن الصبي عام خيبر. قال في «الإرشاد»: وتخصيص نفي هذا المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من الكفر بعد الإيمان والزنى بعد الإحصان لأنه أقرب إلى الوقوع نظراً إلى حال الغلام وفي الحديث «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً»، فإن قلت: ما معنى هذا وقد قال عليه السلام: «كل مولود يولد على الفطرة»، قلت: المراد بالفطرة استعداده لقبول الإسلام وذلك لا ينافي كونه شقياً في جبليته أو يراد بالفطرة قولهم بلى حين قال الله: «ألست بربكم»، قال النووي لما كان أبواه مؤمنين كان هو مؤمناً أيضاً فيجب تأويله بأن معناه والله أعلم أن ذلك الغلام لو بلغ لكان كافراً ﴿لقد جئت﴾ فعلت ﴿شيئا نكرا﴾ منكراً أنكر من الأول لأن ذلك كان

خرقاً يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل إلى تداركه. وقيل الأمر أعظم من النكر لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة. قال جماعة من القراء نصف القرآن عند قوله تعالى: ﴿لقد جئت شيئا نكرا﴾.

﴿قال﴾ الخضر: ﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ توبيخ لموسى على ترك الوصية وزيادة لك هنا لزيادة العتاب على تركها لأنه قد نقض العهد مرتين.

﴿قال﴾ موسى ﴿إن سألتك عن شيء﴾ [اى چيزى كه صادر شود مثل اين افعال منكره] ﴿بعدها﴾ أي: بعد هذه المرة ﴿فلا تصاحبني﴾ أي: لا تكن صاحبي ومقارني بل أبعدني عنك وإن سألت صحبتك ﴿قد بلغت من لدني﴾ [بدرستى كه رسيدى از نزديك من] ﴿عذرا﴾ أي: قد وجدت عذراً من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات. وبالفارسية [چون سه بار مخالفت كنم هرآينه درترك صحبت من معذور باشى] العذر بضمتين والسكون في الأصل تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه بأن يقول لم أفعل أو فعلت لأجل كذا أو فعلت فلا أعود وهذا الثالث التوبة فكل توبة عذر بلا عكس. والاعتذار عبارة عن محو أثر الذنب وأصله القطع يقال: اعتذرت إليه أي: قطعت ما في قلبه من الموجدة وفي الحديث: «رحم الله أخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب». وفي «الخصائص الصغرى»: ومن خصائصه ﷺ أنه جمعت له الشريعة والحقيقة ولم يكن للأنبياء إلا أحدهما بدليل قصة موسى مع الخضر عليهما السلام والمراد بالشريعة الحكم بالظاهر وبالحقيقة الحكم بالباطن وقد نص العلماء على أن غالب الأنبياء إنما بعثوا ليحكموا بالظاهر دون ما اطلعوا عليه من بواطن الأمور وحقائقها وبعث الخضر ليحكم عليه من بواطن الأمور وحقائقها ومن ثمة أنكر موسى على الخضر في قتله للغلام بقوله: ﴿لقد جئت شيئاً نكرا﴾ فقال له الخضر: وما فعلته عن أمري ومن ثمة قال الخضر لموسى إني على علم من عند الله لا ينبغي لك أن تعمل به لأنك لست مأموراً بالعمل به وأنت على علم من عند الله لا ينبغي لي أن أعمل به لأني لست مأموراً بالعمل به. وفي «تفسير ابن حبان»: والجمهور على أن الخضر نبي وكان علمه معرفة بواطن أمور أوحيت إليه أي: ليعمل بها وعلم موسى الحكم بالظاهر أي: دون الحكم بالباطن ونبينا ﷺ حكم بالظاهر في أغلب أحواله وحكم بالباطن في بعضها بدليل قتله عليه السلام للسارق وللمصلي لما اطلع على باطن أمرهما وعلم منهما ما يوجب القتل. وقد ذكر بعض السلف أن الخضر إلى الآن ينفذ الحكم بالحقيقة وأن الذين يموتون فجأة هو الذين يقتلهم فإن صح ذلك فهو في هذه الأمة بطريق النيابة عن النبي ﷺ فإنه صار من أتباعه عليه السلام كما أن عيسى عليه السلام عندما ينزل يحكم بشريعته نيابة عنه لأنه من أتباعه. وفيه أن عيسى اجتمع به ﷺ اجتماعاً متعارفاً ببيت المقدس فهو صحابي كذا في «إنسان العيون»، يقول الفقير: لا وجه لتخصيص عيسى فإنه عليه السلام كما اجتمع به عليه السلام ذلك الاجتماع كذلك الخضر والياس عليهما السلام اجتمعا به اجتماعاً متعارفاً كما سبق فهما صحابيان أيضاً. وفيه بيان شرف نبينا ﷺ حيث إن هؤلاء الأنبياء الكرام استمهلوا من الله تعالى ليكونوا من أمته:

سر خيل انبيا وسپهدار اتقيا ... سلطان باركاه دنى قائد امم

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿فانطلقا﴾ أي: ذهبا بعدما شرطا ذلك ﴿حتى إذا أتيا أهل قرية﴾ هي أنطاكية بالفتح والكسر وسكون النون وكسر الكاف وفتح الياء المخففة قاعدة العواصم وهي ذات أعين وسور عظيم من صخر داخله خمسة أجبل دورها اثنا عشر ميلاً كما في «القاموس». قال الكاشفي: [واهل ديه چون شب شدى دروازه دربستندى وبراى هيچكس نكشادندى نماز شام موسى وخضر بدان ديه رسيدند وخواستندكه بديه در آيند كسى دروازه مكشود واهل ديه را كفتند اينجا غريب رسيده ايم كرسنه نيز هستيم چون مارا درديه جاى ندادید بارى طعام جهت ما بفر ستيد] وذلك قوله تعالى: ﴿استطعما أهلها﴾ أي: طلبا منهم الطعام ضيافة. قيل: لم يسألاهم ولكن نزولهما عندهم كالسؤال منهم. قال في «الأسئلة المقحمة»: استطعم موسى هٰهنا فلم يطعم وحين سقى لبنات شعيب ما استطعتم وقد أطعم حيث قال: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥] والجواب هٰهنا أن الحرمان كان بسبب المعارضة بحيث لم يكتف بعلم الله بحاله بل جنح إلى الاعتماد على مخلوق فأراد السكون بحادث مسبوق وهناك جرى على توكله ولم يدخل وساطة بين المخلوقين وبين ربه بل حط الرحل ببابه فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٨] قال الحافظ:

فقير وخسته بدركاهت آمدم رحمى	كه جزدعاى توام نيست هيچ دست آويز

وقال:

ما آبروى فقر وقناعت نمى بريم	باپادشه بكوى كه روزى مقدرست

قوله: ﴿استطعما أهلها﴾ في محل الجر على أنه صفة لقرية وجه العدول عن استطعامهم على أن يكون صفة للأهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فإن الإباء من الضيافة وهم أهلها قاطنون بها أقبح وأشنع ﴿فأبوا﴾ امتنعوا ﴿أن يضيفوهما﴾ أي: من تضييفهما وهو بالفارسية [مهمان كردن] يقال ضافه إذا نزل به ضيفاً وأضافه وضيفه أنزله وجعله ضيفاً له هذا حقيقة الكلام ثم شاع كناية عن الإطعام وحقيقة ضاف مال إليه من ضاف السهم عن الغرض إذا مال وعن النبي عليه السلام: «كانوا أهل قرية لئاماً»، قال الشيخ سعدي قدس سره:

بزر كان مسافر بجان پرورند	كه نام نكويى بعالم برند
غريب آشنا باش وسياح دوست	كه سياح جلاب نام نكوست
تبه كردد ان مملكت عن قريب	كزوخاطر آزرده كردد غريب
نكو دار ضيف ومسافر عزيز	وز آسيب شان بر حذرباش نيز

وفي الحكاية أن أهلها لما سمعوا الآية جاؤوا إلى النبي عليه السلام بحمل من الذهب وقالوا: نشتري بهذا أن تجعل الباء تاء يعني فأتوا أن يضيفوهما أي: لأن يضيفوهما وقالوا: غرضنا دفع اللؤم فامتنع وقال: تغييرها يوجب دخول الكذب في كلام الله والقدح في الإلهية كذا في «التفسير الكبير» ﴿فوجدا فيها﴾ قال الكاشفي: [ايشان كرسنه بيرون ديه بودند بامداد روى براه نهادند پس يافتند در نواحى ديه] ﴿جدارا﴾ [ديوارى مائل شده بيك طرف] ﴿يريد أن ينقض﴾ الإرادة نزوع النفس إلى شيء مع حكمه فيه بالفعل أو عدمه والإرادة من الله هي الحكم وهذا من مجاز كلام العرب لأن الجدار لا إرادة له وإنما معناه قرب ودنا من السقوط كما يقول العرب داري تنظر إلى دار فلان إذا كانت تقابلها. قال في «الإرشاد» أي: يداني أن يسقط فاستعيرت الإرادة للمشارفة للدلالة على المبالغة في ذلك. والانقضاض الإسراع في

السقوط وهو انفعال من القض يقال قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير والكواكب لسقوطها بسرعة. وقيل هو افعلال من النقض كأحمر من الحمرة ﴿فأقامه﴾ فسواه الخضر بالإشارة بيده كما هو المروي عن النبي عليه السلام وكان طول الجدار في السماء مائة ذراع ﴿قال﴾ له موسى لضرورة الحاجة إلى الطعام. قال الكاشفي: [كفت موسى اين أهل ديه مارا جاى ندادند وطعام نيز نفرستادند پس چرا ديوار ايشانرا عمارت كردى] والجملة جزاء الشرط ﴿لو شئت لاتخذت﴾ افتعل من اتخذ بمعنى أخذ كأتبع وليس من الأخذ عند البصريين ﴿عليه﴾ على عملك ﴿أجرا﴾ أجرة حتى نشتري بها طعاماً. قال بعضهم لما قال له ﴿لتغرق أهلها﴾ قال الخضر: أليس كنت في البحر ولم تغرق من غير سفينة ولما قال: ﴿أقتلت نفسا زكية بغير نفس﴾ فقال: أليس قتلت القبطي بغير ذنب ولما قال: ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾ قال: أنسيت سقياك لبنات شعيب من غير أجرة وهذا من باب لطائف المحاورات. قال القاسم لما قال موسى هذا القول وقف ظبي بينهما وهما جائعان من جانب موسى غير مشوي ومن جانب الخضر مشوي لأن الخضر أقام الجدار بغير طمع وموسى رده إلى الطمع. قال ابن عباس رضي الله عنهما: رؤية العمل وطلب الثواب به يبطل العمل ألا ترى الكليم لما قال للخضر: ﴿لو شئت﴾ الآية كيف فارقه. وقال الجنيد قدس سره: إذا وردت ظلمة الاطماع على القلوب حجبت النفوس عن نظرها في بواطن الحكم. يقول الفقير: إن قلت كيف جوز موسى طلب الأجر بمقالة العمل الذي حصل بمجرد الإشارة وهو من طريق خرق العادة الذي لا مؤونة فيه. قلت: لم ينظر إلى جانب الأسباب وإنما نظر إلى النفع العائد إلى جانب أصحاب الجدار ألا ترى أنه جوز أخذ الأجر بمقالة الرقية بسورة الفاتحة ونحوها وهو ليس من قبيل طلب الأجرة على الدعوة فإنه لا يجوز للنبي أن يطلب أجراً من قومه على دعوته وإرشاده كما أشير إليه في مواضع كثيرة من القرآن.

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾

﴿قال﴾ الخضر ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ أي: هذا الوقت وقت الفراق بيننا وهذا الاعتراض الثالث سبب الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني وإضافة الفراق إلى البين إضافة المصدر إلى الظرف اتساعاً ﴿سأنبئك﴾ سأخبرك السين للتأكيد لعدم تراخي التنبئة ﴿بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا﴾ التأويل رجع الشيء إلى مآله والمراد به هٰهنا المآل والعاقبة إذ هو المنبأ به دون التأويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص أبوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الأحسن واستخراج اليتيمين للكنز قال رسول الله ﷺ: «وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما» أي: يبين الله لنا بالوحي.

وفي «التأويلات النجمية»: ومن آداب الشيخ أنه لو ابتلي المريد بنوع من الاعتراض أو مما يوجب الفرقة يعفو عنه مرة أو مرتين ويصفح ولا يفارقه فإن عاد إلى الثالثة فلا يصاحبه لأنه قد بلغ من لدنه عذراً ويقول كما قال الخضر هذا فراق بيني وبينك. ومنها أنه لو آل أمر الصحبة إلى المفارقة بالاختيار أو بالاضطرار فلا يفارقه إلا على النصيحة فينبئه عن سر ما كان عليه الاعتراض ويخبره عن حكمته التي لم يحط بها خبراً ويبين له تأويل ما لم يستطع عليه صبراً لئلا يبقى معه إنكار فلا يفلح إذا أبدا انتهى. يقول الفقير وهو المراد بقول بعض الكبار من قال لأستاذه لم لم يفلح؟ قال أبو يزيد البسطامي قدس سره في حق تلميذه لما خالفه دعوا

من سقط من عين الله فرؤي بعد ذلك من المحنثين وسرق فقطعت يده هذا لما نكث العهد فأين هو ممن وفى ببيعته مثل تلميذ أبي سليمان الداراني قدس سره قيل له: ألقِ نفسك في التنور فألقى نفسه فيه فعاد عليه برداً وسلاماً وهذه نتيجة الوفاء، وفي المثنوي:

جرعه بر خاك وفا آنكس كه ريخت كى تواند صيد دولت زو كريخت

جعلنا الله وإياكم من المتحققين بحقائق المواثيق والعهود.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾

﴿أما السفينة﴾ التي خرقتها ﴿فكانت لمساكين﴾ لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وكانوا عشرة إخوة خمسة منهم زمنى ﴿يعملون في البحر﴾ بها مؤاجرة طلباً للكسب فإسناد العمل إلى الكل بطريق التغليب أو لأن عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين.

اعلم أن الفقير في الشريعة من له مال لا يبلغ نصاباً قدر مائتي درهم أو قيمتها فاضلاً عن حاجته الأصلية سواء كان نامياً أو لا والمسكين من لا شيء له من المال هذا هو الصحيح عند الحنفية والشافعية يعكسون. قال القاضي في الآية دليل أن المسكين يطلق على من يملك شيئاً لم يكفه وحمل اللام على التمليك. وقال مولانا سعدي: إنما يكون دليلاً إذا ثبت أن السفينة كانت ملكاً لهم لكن للخصم أن يقول اللام للدلالة على اختصاصها بهم لكونها في يدهم عارية أو كونهم أجراء كما ورد في الأثر انتهى. وقد نص على هذين الوجهين صاحب «الكفاية في شرح الهداية» ولئن سلمنا أن السفينة كانت ملكاً لهم فإنما سماهم الله مساكين دون فقراء لعجزهم عن دفع الملك الظالم ولزمانتهم والمسكين يقع على من أذله شيء وهو غير المسكين المشهور في مصرف الصدقة هذا هو تحقيق المقام ﴿فأردت﴾ بحكم الله وإرادته ﴿أن أعيبها﴾ أي: اجعلها ذات عيب ﴿وكان﴾ [وحال آنكه هست] ﴿وراءهم﴾ أمامهم كقوله: ومن ورائهم برزخ فوراء من الأضداد مثل قوله فما فوقها أي: دونها أريد به هٰهنا الأمام دون الخلف على ما يأتي من القصص ﴿ملك﴾ كافر اسمه جلندي بن كركرد كان بجزيرة الأندلس ببلدة قرطبة وأول فساد ظهر في البحر كان ظلمه على ما ذكره أبو الليث وأول فساد ظهر في البر قتل قابيل هابيل على ما ذكره أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾ [الروم: ٤١] الآية ﴿يأخذ كل سفينة﴾ صحيحة جيدة وهو من قبيل إيجاز الحذف ﴿غصبا﴾ من أصحابها وانتصابه على أنه مصدر مبين لنوع الأخذ أو على الحالية بمعنى غاصباً والغصب أخذ الشيء ظلماً وقهراً ويسمى المغصوب غصباً وخوف الغصب سبب لإرادة عيبها لكنه أخر عنها لقصد العناية بذكرها مقدماً وجه العناية أن موسى لما أنكر خرقها وقال: أخرقتها لتغرق أهلها اقتضى المقام الاهتمام لدفع مبنى إنكاره بأن الخرق لقصد التعييب لا لقصد الإغراق.

ـ وروي ـ أن الخضر اعتذر إلى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره. وفي قصص الأنبياء فبينما هم كذلك استقبلتهم سفينة فيها جنود الملك وقالوا إن الملك يريد أن يأخذ سفينتكم إن لم يكن فيها عيب ثم صعدوا إليها وكشفوها فوجدوا موضع اللوح مفتوحاً فانصرفوا فلما بعدوا عنهم أخذ الخضر ذلك اللوح ورده إلى مكانه، وفي المثنوي:

كر خضر در بحر كشتى را شكست | صد درشتى درشكست خضر هست

فظاهر فعله تخريب وباطنه تعمير، وفي المثنوي:

آن يكى آمد زمين را مى شكافت | ابلهى فرياد كرد وبرنتافت
كين زمين را ازچه ويران ميكنى | مى شكافيّ وپريشان ميكنى
كفت اي ابله برو برمن مران | تو عمارت از خرابى باز دان
كى شود كلزار وكندم زار اين | تا نكردد زشت وويران ابن زمين
كى شود بستان وكشت وبرك بر | تا نكردد نظم او زير وزبر
تا نشكا فى بنشتر ريش چغز | كى شود نيكو وكى كرديد نغز
تا نشوزد خلطهايت از دوا | كى رود شورش كجا آيد شفا
پاره پاره كرد درزى جامه را | كس زند آن درزى علامه را
كه چرا اين اطلس بكز يده را | بر دريدى چه كنم بدر بده را
هر بناى كهنه كآبادان كنند | نى كه اول كهنه را ويران كنند
همچنين نجار وحداد وقصاب | هستشان پيش از عمارتها خراب
آن هليله وان بليله كوفتن | زان تلف كردند معمورى تن
تا نكوبى كندم اندر آسيا | كى شود آراسته زان خوان ما

وفي إفناء الوجود المجازي تحصيل للوجود الحقيقي فما دامت البشرية وأوصافها باقية على حالها لا يظهر آثار الأخلاق الإلهية البتة.

وفي «التأويلات النجمية»: في الآية إشارات:

منها: أن خرق السفينة وإعابتها لئلا تؤخذ غصباً ليس من أحكام الشرع ظاهراً ولكنه لما كان فيه مصلحة لصاحبها في باطن الشرع جوز ذلك ليعلم أنه يجوز للمجتهد أن يحكم فيما يرى أن صلاحه أكثر من فساده في باطن الشرع بما لا يجوز في ظاهر الشرع إذا كان موافقاً للحقيقة كما قال: ﴿**وكان وراءهم**﴾ الآية.

ومنها: أن يعلم عناية الله في حق عباده المساكين الذين يعملون في البحر غافلين عما وراءهم من الآفات كيف أدركتهم العناية بنبي من أنبيائه وكيف دفع عنهم البلاء ودرأ عنهم الآفة.

ومنها: أن يعلم أن الله تعالى في بعض الأوقات يرجح مصلحة بعض السالكين على مصلحة نبي من أنبيائه في الظاهر وإن كان لا يخلو في باطن الأمر من مصلحة النبي في إهمال جانبه في الظاهر كما أن الله تعالى رجح رعاية مصلحة المساكين في خرق السفينة على رعاية مصلحة موسى لأنه كان من أسباب مفارقته عن صحبة الخضر ومصلحته ظاهراً كانت في ملازمة صحبة الخضر وقد كان فراقه عن صحبته متضمناً لمصالح النبوة والرسالة ودعوة بني إسرائيل وتربيتهم في حق موسى باطناً انتهى. يقول الفقير: ومنها أن أهل السفينة لما لم يأخذوا النول من موسى والخضر عوضهم الله تعالى خيراً من ذلك حيث نجى سفينتهم من اليد العادية وفيه فضيلة الفضل.

﴿**وأما الغلام**﴾ الذي قتلته وهو جيسور ﴿**فكان أبواه**﴾ اسم أبيه كازبرا واسم أمه سهوى كما في التعريف ﴿**مؤمنين**﴾ مقرين بتوحيد الله تعالى ﴿**فخشينا**﴾ خفنا من ﴿**أن يرهقهما**﴾ رهقه

غشيه ولحقه وأرهقه طغياناً أغشاه إياه وألحق ذلك به كما في «القاموس». قال الشيخ أي: يكلفهما ﴿طغيانا﴾ ضلالة ﴿وكفرا﴾ ويتبعان له لمحبتهما إياه فيكفران بعد الإيمان ويضلان بعد الهداية وإنما خشي الخضر من ذلك لأن الله أعلمه بحال الولد أنه طبع أي: خلق كافراً.

﴿فأردنا﴾ [پس خواستيم ما] ﴿أن يبدلهما ربهما﴾ يعوضهما ويرزقهما ولداً ﴿خيرا منه زكاة﴾ طهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة ﴿وأقرب﴾ منه ﴿رحما﴾ رحمة وبراً بوالديه. قال ابن عباس رضي الله عنهما أبدلهما الله جارية تزوجها نبي من الأنبياء فولدت سبعين نبياً. قال مطرف فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما فليرض المرء بقضاء الله فإن قضاء الله للمؤمن خير له من قضائه فيما يحب:

آن پسررا كش خضر ببريد حلق ... سر آنرا در نيابد عام خلق
آنكه جان بخشد اكر بكشدرواست ... نائب است ودست او دست خداست
بس عداوتها كه آن يارى بود ... بس خرابيها كه معمارى بود

فرب عداوة هي في الحقيقة محبة ورب عدو هو في الباطن محب وكذا عكسه وانتفاع الإنسان بعدو مشاجر يذكر عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يخفي عليه عيوبه، وفي المثنوي:

در حقيقت دوستانت دشمنند ... كه زحضرت دور ومشغولت كنند
در حقيقت هر عدو داروى تست ... كيميا ونافع ودلجوى تست
كه ازو اندر كريزى در خلا ... استعانت جويى از لطف خدا

ـ وكان ـ واعظ كلما وعظ ودعا أشرك في دعائه قطاع الطريق ودعا لهم فسئل عن ذلك فقال: إنهم كانوا سبباً لسلوكي هذا الطريق أي: طريق الفقراء واختياري الفقر على الغنى فإني كنت تاجراً فأخذوني وآذوني وكلما خطر ببالي أمر التجارة ذكرت أذاهم وجفاهم فتركت التجارة وأقبلت على العبادة.

وفي الآية إشارات:

منها أن قتل النفس الزكية بلا جرم منها محظور في ظاهر الشرع وإن كان فيه مصلحة لغيره ولكنه في باطن الشرع جائز عند من يكاشف بخواتيم الأمور ويتحقق له أن حياته سبب فساد دين غيره وسبب كمال شقاوة نفسه كما كان حال الخضر مع قتل الغلام لقوله تعالى: ﴿وأما الغلام﴾ الآية فلو عاش الغلام لكان حياته سبب فساد دين أبويه وسبب كمال شقاوته فإنه وإن طبع كافراً شقياً لم يكن يبلغ كمال شقاوته إلا بطول الحياة ومباشرة أعمال الكفر.

ومنها تحقيق قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٦] الآية فإن أبوي الغلام كانا يكرهان قتل ابنهما بغير قتل نفس ولا جرم وكان قتله خيراً لهما وكانا يحبان حياة ابنهما وهو أجمل الناس وكان حياته شراً لهما وكان الغلام أيضاً يكره قتل نفسه وهو خير له ويحب حياة نفسه وهو شر له لأنه بطول حياته يبلغ إلى كمال شقاوته.

ومنها: أن من عواطف إحسان الله تعالى أنه إذا أخذ من العبد المؤمن شيئاً من محبوباته وهو مضر له والعبد غافل عن مضرته فإن صبر وشكر فالله تعالى يبدله خيراً منه مما ينفعه ولا يضره كما قال تعالى ﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما﴾ الآية كما في «التأويلات النجمية»: نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الصابرين الشاكرين في الشريعة والطريقة ويوصلنا إلى ما هو خير وكمال في الحقيقة.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

﴿وأما الجدار﴾ المعهود ﴿فكان لغلامين يتيمين﴾ اسمهما اصرم وصريم ابنا كاشح وكان سياحاً تقياً واسم أمهما دنيا فيما ذكره النقاش ﴿في المدينة﴾ في القرية المذكورة فيما سبق وهي أنطاكية ﴿وكان تحته﴾ أي: تحت الجدار ﴿كنز لهما﴾ [كنجى براى ايشان] هو في الأصل مال دفنه إنسان في أرض وكنزه يكنزه أي: دفنه أي مال مدفون لهما من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعاً وهو الظاهر لإطلاق الذم على كنزهما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤] لمن لا يؤدي زكاتهما وما تعلق بهما من الحقوق. وقيل كان لوحاً من ذهب أو من رخام مكتوب فيه «بسم الله الرحمٰن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر» أي: أن الأمور كائنة بقضاء الله تعالى وتقديره «كيف يحزن»؟ أي: على فوات نعمة وإتيان شدة «وعجبت لمن يؤمن بالرزق» أي: أن الرزق مقسوم والله تعالى رازق كل أحد «كيف ينصب»؟ أي: يتعب في تحصيله «وعجبت لمن يؤمن بالموت» أي: أنه سيموت وهو حق «كيف يفرح»؟ أي: بحياته القليلة القصيرة «وعجبت لمن يؤمن بالحساب» أي: أن الله تعالى يحاسب على كل قليل وكثير «كيف يغفل»؟ أي: عن ذلك ويشغل بتكثير متاع الدنيا «وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وعجبت لمن يؤمن بالنار كيف يضحك» وفي الجانب الآخر مكتوب «أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه» وهو قول الجمهور كما في «بحر العلوم». ﴿وكان أبوهما صالحا﴾ كان الناس يضعون الودائع عند ذلك الصالح فيردها إليهم سالمة فحفظاً بصلاح أبيهما في مالهما وأنفسهما. قال جعفر بن محمد: كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء فيكون الذي دفن ذلك الكنز جدهما السابع ﴿فأراد ربك﴾ بالأمر بتسوية الجدار ﴿أن يبلغا أشدهما﴾ أي: حلمهما وكمال رأيهما. قال في «بحر العلوم»: الأشد في معنى القوة جمع شدة كأنعم في نعمة على تقدير حذف الهاء وقيل لا واحد له وبلوغ الأشد بالإدراك وقيل إن يونس منه الرشد مع أن يكون بالغاً وآخره ثلاث وثلاثون سنة أو ثماني عشرة وإنما قال الخضر في تأويل خرق السفينة ﴿فأردت أن أعيبها﴾ بالإسناد إلى نفسه لظاهر القبح وفي تأويل قتل الغلام ﴿خشينا﴾ بلفظ الخشية والإسناد إلى نا لأن الكفر مما يجب أن يخشاه كل أحد وقال في تأويل الجدار ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ بالإسناد إلى الله تعالى وحده لأن بلوغ الأشد وتكامل السن ليس إلا بمحض إرادة الله تعالى من غير مدخل وأثر لإرادة العبد فالأول في نفسه شر قبيح والثالث خير محض والثاني ممتزج. وقال بعضهم لما قال الخضر ﴿فأردت﴾ ألهم من أنت حتى يكون لك إرادة فجمع في الثانية حيث قال: ﴿فأردنا﴾ فالهم من أنت وموسى حتى يكون لكما إرادة فخص في الثالثة الإرادة بالله أي: دون إضافة الإرادة إلى نفسه وادعاء الشركة فيهما أيضاً ﴿ويستخرجا كنزهما﴾ من تحت الجدار ولولا أني أقمته لانقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية. فإن قيل إن عرف واحد من اليتيمين والقيم عليهما الكنز امتنع أن يترك

سقوط الجدار وإن لم يعرفوا فكيف يسهل عليهم استخراجه. قلنا لعلهما لم يعلماه وعلم القيم إلا أنه كان غائباً كذا في «تفسير الإمام». يقول الفقير قوله وإن لم يعرفوا الخ غير مسلم لأن الله تعالى قادر على أن يعرفهما مكان ذلك الكنز بطريق من الطرق ويسهل عليهما استخراجه على أن واجد الكنز في كل زمان من غير سبق معرفة بالمكان ليس بنادر واللام في كنز لهما لاختصاص الوجدان بهما ومن البعيد أن يعيش الجد السابع إلى أن يولد للبطن السادس من أولاده ويدفن له مالاً أو يعين له ﴿رحمة من ربك﴾ لهما مصدر في موقع الحال أي: مرحومين من قبله تعالى أو علة لأراد فإن إرادة الخير رحمة أو مصدر لمحذوف أي: رحمهما الله بذلك رحمة ﴿وما فعلته﴾ أي: ما فعلت ما رأيته يا موسى من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ﴿عن أمري﴾ عن رأيي واجتهادي وإنما فعلته بأمر الله ووحيه وهذا إيضاح لما أشكل على موسى وتمهيد للعذر في فعله المنكر ظاهراً وهكذا الطريق بين المرشد والمسترشد في إزالة الشكوك والشبه عنه شفقة له ﴿ذلك﴾ المذكور من العواقب ﴿تأويل ما لم تسطع عليه صبرا﴾ أي: لم تستطع فحذف التاء للتخفيف وهو إنجاز للتنبئة الموعودة.

ـ روي ـ أن موسى لما أراد أن يفارقه قال له الخضر: لو صبرت لأتيت على ألف عجب كل عجب أعجب مما رأيت فبكى موسى على فراقه وقال له: أوصني يا نبي الله، قال: لا تطلب العلم لتحدث به الناس واطلبه لتعمل به وذلك لأن من لم يعمل بعلمه فلا فائدة في تحديثه بل نفعه يعود إلى غيره، وفي المثنوي:

جوع يوسف بود آن يعقوب را ... بوى نانش مى رسيد ازدورجا
آنكه بستد پيرهن رامى شتافت ... بوى پيراهان يوسف مى نيافت
وانكه صدفرسنك زآن سوبوى او ... چونكه بد يعقوب مى بوييد بو
اي بسا عالم زدانش بى نصيب ... حافظ علمست آنكست نى حبيب
مستمع ازوى همى بايد مشام ... كرچه باشد مستمع ازجنس عام
زانكه پيراهان بدستش عاريه است ... چون بدست آن نخاسى جاريه است
جاريه پيش نخاسى سرسريست ... در كف او ازبراى مشتريست

ومن وصايا الخضر: كن نَفَّاعاً ولا تكن ضراراً، وكن بشاشاً ولا تكن عبوساً غضاباً، وإياك واللجاجة، ولا تمش في غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، ولا تعير المذنبين خطاياهم بعد الندم، وابكِ على خطيئتك ما دمت حياً، ولا تؤخر عمل اليوم إلى الغد، واجعل همك في معادك، ولا تخض فيما لا يعنيك، ولا تأمن لخوف من أمنك، ولا تيأس من الأمن من خوفك، وتدبر الأمور في علانيتك، ولا تذر الإحسان في قدرتك. فقال له موسى: قد أبلغت في الوصية فأتم الله عليك نعمته وغمرك في رحمته وكلأك من عدوه، فقال له الخضر: أوصني أنت يا موسى فقال له موسى: إياك والغضب إلا في الله، ولا تحب الدنيا فإنها تخرجك من الإيمان وتدخلك في الكفر فقال له الخضر: قد أبلغت في الوصية فأعانك الله على طاعته وأراك السرور في أمرك وحببك إلى خلقه وأوسع عليك من فضله قال له: آمين كما في «التعريف والإعلام» للإمام السهيلي رحمه الله. وفي بعث موسى إلى الخضر إشارة إلى أن الكمال في الانتقال من علوم الشريعة المبنية على الظواهر إلى علوم الباطن المبنية على التطلع إلى حقائق الأمور كما في «تفسير الإمام». قال بعض العارفين: من لم يكن له نصيب من هذا

العلم أي: العلم الوهبي الكشفي أخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى النصيب التصديق به وتسليمه لأهله وأقل عقوبة من ينكره أن لا يرزق منه شيئاً وهو علم الصديقين والمقربين كذا في «إحياء العلوم».

وفي الآية إشارات:

منها: أنه تعالى من كمال حكمته وغاية رأفته ورحمته في حق عباده يستعمل نبيين مثل موسى والخضر عليهما السلام في مصلحة الطفلين.

ومنها: أن مثل الأنبياء يجوز أن يسعى في أمر دنيوي إذا كان فيه صلاح أمر أخروي لا سيما فائدة راجعة إلى غيره في الله.

ومنها: أن يعلم أن الله تعالى يحفظ بصالح قوماً وقبيلة ويوصل بركاته إلى البطن السابع منه كما قال: ﴿**وكان أبوهما صالحا**﴾. قال محمد بن المنكدر إن الله يحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وعشيرته والدويرات أي: أهلها حوله فلا يزالون في حفظ الله وستره. وقال سعيد بن المسيب إني أصلي وأذكر ولدي فأزيد في صلاتي. وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿**وكان أبوهما صالحا**﴾ أنه قال: حفظا بصلاح أبيهما وما ذكر منهما صلاحاً فإذا نفع الأب الصالح مع أنه السابع كما قيل في الآية فما بالك بسيد الأنبياء والمرسلين بالنسبة إلى قرابته الطاهرة الطيبة المطهرة. وقد قيل: إن حمام الحرم إنما أكرم لأنه من ذرية حمامتين عششتا على غار ثور الذي اختفى فيه النبي عليه السلام عند خروجه من مكة للهجرة كما في «الصواعق» لابن حجر. وذكر أن بعض العلوية هم هارون الرشيد بقتله فلما دخل عليه أكرمه وخلى سبيله فقيل: بمَ دعوت حتى أنجاك الله منه؟ فقال: قلت: يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظني لصلاح آبائي كما في «العرائس».

ومنها: ليتأدب المريد فيما استعمله الشيخ وينقاد له ولا يعمل إلا لوجه الله ولا يشوب عمله بطمع دنيوي وغرض نفساني ليحبط عمله ويقطع حبل الصحبة ويوجب الفرقة.

ومنها: أن الله تعالى يحفظ المال الصالح للعبد الصالح إذا كان فيه صلاح.

ومنها: ليتحقق أن كل ما يجري على أرباب النبوة وأصحاب الولاية إنما يكون بأمر من أوامر الله ظاهراً وباطناً. أما الظاهر فكحال الخضر كما قال: ﴿**وما فعلته عن أمري**﴾ أي: فعلته بأمر ربي. وأما الباطن فكحال موسى واعتراضه على الخضر في معاملته ما كان خالياً عن أمر باطن من الله تعالى في ذلك لأنه كان اعتراضه على وفق شريعته.

ومنها: أن الصبر على أفاعيل المشايخ أمر شديد فإن زل قدم مريد صادق في أمر من أوامر الشيخ أو تطرق إليه إنكار على بعض أفعال المشايخ أو اعتراه اعتراض على بعض معاملاته أو أعوزه الصبر على ذلك فليعذره ويعف عنه ويتجاوز إلى ثلاث مرات فإن قال بعد الثالثة هذا فراق بيني وبينك يكون معذوراً ومشكوراً ثم ينبئه عن أفاعيله ويقول له ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً. قال في «العوارف» ويحذر المريد الاعتراض على الشيخ ويزيل اتهام الشيخ عن باطنه في جميع تصاريفه فإنه السم القاتل للمريدين وقل أن يكون مريد يعترض على الشيخ بباطنه فيفلح ويذكر المريد في كل ما أشكل عليه من تصاريف الشيخ قصة موسى مع الخضر كيف كان يصدر من الخضر تصاريف ينكرها موسى ثم لما كشف له عن معناها بأن لموسى وجه الصواب في ذلك فهكذا ينبغي للمريد أن يعلم أن كل تصرف أشكل عليه صحته

من الشيخ عند الشيخ فيه بيان وبرهان للصحة انتهى، قال الحافظ:

نصيحتي كنمت بشنو وبهانه مكير هر آنكه ناصح مشفق بكويدت بپذير

وينبغي أن يكون المرشد محققاً ومشفقاً لا مقلداً غير مشفق كيلا يضيع سعي من اقتدى به فإنه قيل:

إذا كان الغراب دليل قوم سيهديهم إلى أرض الجياف

قال الحافظ:

دردم نهفته به زطبيبان مدعى باشد كه ازخزانه غيبش دواكنند

قال الصائب:

ربي دردان علاج درد خودجستن بآن ماند كه خاراز پابرون آرد كسى بانيش عقربها

ومنها: أنه إذا تعارض ضرران يجب تحمل أهونهما لدفع أعظمهما وهو أصل ممهد غير أن الشرائع في تفاصيله مختلفة مثاله. رجل عليه جرح لو سجد سال جرحه وإن لم يسجد لم يسل فإنه يصلي قاعداً يومي بالركوع والسجود لأن ترك الركوع والسجود أهون من الصلاة مع الحدث. وشيخ لا يقدر على القراءة إن صلى قائماً ويقدر عليها إن صلى قاعداً يصلي قاعداً مع القراءة ولو صلى في الفصلين قائماً مع الحدث وترك القراءة لم يجز. ورجل لو خرج إلى الجماعة لا يقدر على القيام ولو صلى في بيته صلى قاعداً صححه في «الخلاصة» وفي «شرح المنية» يصلي في بيته قائماً قال ابن نجيم وهو الأظهر ومن اضطر وعنده ميتة ومال الغير أكلها دونه. ورجل قيل له لتلقين نفسك في النار أو من الجبل أو لأقتلنك وكان الإلقاء بحيث لا ينجو يختار ما هو الأهون في زعمه عند الإمام وعندهما يصبر حتى يقتل كذا في «الأشباه».

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾

﴿**ويسألونك عن ذي القرنين**﴾ هم اليهود سألوه على وجه الامتحان عن رجل طواف بلغ شرق الأرض وغربها أو سأل قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك إلى ورود الجواب وهو ذو القرنين الأكبر واسمه اسكندر بن فيلقوس اليوناني ملك الدنيا بأسرها كما قال مجاهد ملك الأرض أربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان وذو القرنين والكافران نمرود وبخت نصر وفي «مشكاة الأنوار» شداد بن عاد بدل بخت نصر وكان ذو القرنين بعد نمرود في عهد إبراهيم عليه السلام على ما يأتي ولكنه عاش طويلاً ألفاً وستمائة سنة على ما قالوا. وفي «تفسير الشيخ» وكان بعد ثمود وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذي هو من الملك بمنزلة الوزير. قال ابن كثير والصحيح أنه ما كان نبياً ولا ملكاً وإنما كان ملكاً صالحاً عادلاً ملك الأقاليم وقهر أهلها من الملوك وغيرهم وانقادت له البلاد مات بمدينة شهرزور بعدما خرج من الظلمة ودفن فيها وفي «التبيان» مدة دوران ذي القرنين في الدنيا خمسمائة ولما فرغ من بناء السد رجع إلى بيت المقدس ومات به وإنما سمي بذي القرنين لأنه بلغ قرني الشمس أي: جانبيها مشرقها ومغربها كما لقب أردشير واضع النرد بطويل اليدين لنفوذ أمره حيث أراد. وفي «القاموس»: لما دعاهم إلى الله ضربوه على قرنه الأيمن فمات فأحياه الله ثم دعاهم فضربوه على قرنه الأيسر فمات ثم أحياه الله كما سمي علي بن أبي

طالب رضي الله عنه بذي القرنين لما كان شجتان في قرني رأسه إحداهما من عمرو بن ود والثانية من ابن ملجم لعنه الله. وفي «قصص الأنبياء» وكان قد رأى في منامه أنه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرقها وغربها فلما قص رؤياه على قومه سموه به. وقال الإمام السيوطي رحمه الله في «الأوائل» أول من لبس العمامة ذو القرنين وذلك أنه طلع له في رأسه قرنان كالظلفين يتحركان فلبسها من أجل ذلك ثم إنه دخل الحمام ومعه كاتبه فوضع العمامة وقال لكاتبه هذا أمر لم يطلع عليه غيرك فإن سمعت به من أحد قتلتك فخرج الكاتب من الحمام فأخذه كهيئة الموت فأتى الصحراء فوضع فمه بالأرض ثم نادى ألا إن للملك قرنين فأنبت الله من كلمته قصبتين فمر بهما راع فقطعهما واتخذهما مزماراً فكان إذا زمر خرج من القصبتين ألا إن للملك قرنين فانتشر ذلك في المدينة فقال ذو القرنين هذا أمر أراد الله أن يبديه. وأما ذو القرنين الثاني وهو اسكندر الرومي الذي يؤرخ بأيامه الروم فكان متأخراً عن الأول بدهر طويل أكثر من ألفي سنة كان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلاثمائة سنة وكان وزيره أرسطا طاليس الفيلسوف وهو الذي حارب دارا وأذل ملوك الفرس ووطىء أرضهم وكان كافراً عاش ستاً وثلاثين سنة فالمراد بذي القرنين في القرآن هو الأول دون الثاني وقد غلط كثير من العلماء في الفرق بينهما فظنوا أن المذكور في الآية هو الرومي سامحهم الله تعالى ﴿**قل**﴾ لهم في الجواب: ﴿**سأتلو عليكم**﴾ سأذكر لكم أيها السائلون ﴿**منه**﴾ أي: من خبر ذو القرنين وحاله فحذف المضاف ﴿**ذكرا**﴾ نبأ مذكوراً وبياناً أو سأتلو في شأنه من جهته تعالى ذكراً أي: قرآناً والسين للتأكيد والدلالة على التحقق أي: لا أترك التلاوة ألبتة.

﴿**إنا مكنا له في الأرض**﴾ شروع في تلاوة الذكر المعهود حسبما هو الموعود والتمكين هٰهنا الإقدار وتمهيد الأسباب فلا يحتاج إلى المفعول يقال مكنه ومكن له ومعنى الأول جعله قادراً قوياً ومعنى الثاني جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما في الوجود وتقاربهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الآخر كما في قوله: ﴿مَكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ [الأنعام: ٦] أي: جعلناهم قادرين من حيث القوى والأسباب والآلات على أنواع التصرفات فيها ما لم نجعله لكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والأسباب فكأنه قيل ما لم نمكن لكم فيها أي: ما لم نجعلكم قادرين على ذلك فيها أو مكنا لهم في الأرض ما لم نمكن لكم وهذا إذا كان التمكين مأخوذاً من المكان بناء على توهم أن ميمه أصلية أو المعنى إنا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف من حيث التدبير والرأي والأسباب حيث سخر له السحاب ومد له في الأسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الأرض وذللت له طرقها. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كان إبراهيم عليه السلام بمكة فأقبل عليها ذو القرنين فلما كان بالأبطح قيل له في هذه البلدة إبراهيم خليل الرحمٰن فقال ذو القرنين ما ينبغي لي أن أركب في بلدة فيها إبراهيم خليل الرحمٰن فنزل ذو القرنين ومشى إلى إبراهيم فسلم عليه إبراهيم واعتنقه فكان هو أول من عانق عند السلام كما في «إنسان العيون ودرر الغرر» فعند ذلك سخر له السحاب لأن من تواضع رفعه الله فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع آلاتهم إذا أرادوا غزوة قوم وسخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه.

چون نهد در تو صفات جبرئيل   همچو فرخى برهوا جويى سبيل

چون نهند در تو صفتهاى خرى صد پرت كرهست در آخور پرى
چونكه چشم دل شده محرم بنور ظلمت كون ومكان شد ازتو دور
هركه نا بينا شود اندر جهان روز او باشب برابر بى كمان

﴿وآتيناه من كل شيء﴾ أراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه ﴿سببا﴾ أي: طريقاً يوصل إليه وهو كل ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة. وبالفارسية [دست آويزى كه بدان سبب اورا آن چيز ميسر ميشد].

﴿فأتبع﴾ بالقطع أي: فأراد بلوغ المغرب فأتبع ﴿سببا﴾ يوصله إليه أي: لحقه وتبعه وسلكه وسار. قال في «القاموس»: واتبعتهم تبعتهم وذلك إذا كانوا سبقوك فلحقتهم واتبعتهم أيضاً غيري وقوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ [يونس: ٩٠] أي: لحقهم ففي الاتباع معنى الإدراك والإسراع. قال ابن الكمال: يقال تبعه اتباعاً إذا طلب الثاني اللحوق بالأول وتبعه تبعاً إذا مر به ومضى معه. قال في «الإرشاد»: ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية انتهى. وقال في «التبيان»: قصد إلى ناحية المغرب يطلب عين الحياة عند بحر الظلمات لأنه قيل له ثمة عين الحياة من شرب منها لم يمت أبداً إلى يوم القيامة فمشى نحو الظلمات لعله يقع بالعين.

وفي «التأويلات النجمية» يشير بقوله: ﴿ويسألونك﴾ الآية إلى أن السائل لا يرد وأن في القصص للقلوب عبرة وتقوية وتثبتاً وبقوله: ﴿إنا مكنا له في الأرض﴾ يشير إلى تمكن الخلافة أي: مكناه بخلافتنا في الأرض وآتيناه بالخلافة ما كان سبب وجود كل مقدور من مقدوراتنا بالأصالة حتى صار قادراً على قلب الأعيان وكانت الدنيا مسخرة له فلو أراد طويت له الأرض وإذا شاء مشى على الماء وإذا أحب طار في الهواء ويدخل النار فأتبع سبباً كل مقدور فصار مقدوراً له بالخلافة في الأرض ما كان مقدوراً لنا بالأصالة في السماء والأرض انتهى. يقول الفقير: إنما بدأ بالسير إلى المغرب إشارة إلى كون ترتيب السلوك عروجاً فإن المغرب إشارة إلى الأجسام والمشرق إلى الأرواح فما دام لم يتم سير الأجسام من الأكوان لا يحصل الترقي إلى عالم الأرواح ثم إلى عالم الحقيقة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾

﴿حتى إذا بلغ﴾ [تا چون رسيد] ﴿مغرب الشمس﴾ إلى منتهى الأرض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن أحد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط. قال الشيخ: أي بلغ قوماً في جهة ليس وراءهم أحد لأنه لا يمكنه أن يبلغ موضع غروب الشمس. قال في «التبيان» ولما وصل ذو القرنين إلى مغرب الشمس يطلب عين الحياة قال له شيخ: هي خلف أرض الظلمة ولما أراد أن يسلك في الظلمة سأل أي: الدواب في الليل أبصر قالوا الخيل فقال: أي: الخيل أبصر قالوا الإناث فقال أي: الإناث: أبصر قالوا البكارة فجمع من عسكره ستة آلاف فرس كذلك فركبوا الرماك وترك بقية عسكره فدخلوا الظلمات فساروا يوماً وليلة فأصاب الخضر العين لأنه كان على مقدمة جيشه صاحب لوائه الأكبر فشرب منها واغتسل وأخطأ ذو القرنين، قال الحافظ:

فيض ازل بزور زر ار آمدى بدست — آب خضر نصيبه اسكندر آمدى

فساروا على حصحاص من حجارة لا يدرون ما هي فسألوه عنها فقال الإسكندر: خذوا من هذه الحجارة ما استطعتم فإنه من أقل منها ندم ومن أكثر منها ندم فأخذوا وملأوا مخالي دوابهم من تلك الحجارة فلما خرجوا نظروا إلى ما في مخالبهم فوجدوه زمرداً أخضر فندموا كلهم لكونهم لم يكثروا من ذلك **﴿وجدها﴾** أي: رأى الشمس **﴿تغرب في عين حمئة﴾** أي: ذات حمأة وهي الطين الأسود، بالفارسية: [آب مكدر لاى آميز] من حمئت البئر إذا كثرت حمأتها ولعله لما بلغ ساحل البحر رآها كذلك إذ ليس في مطمح نظره غير الماء كراكب البحر ولذلك قال: **﴿وجدها تغرب﴾** ولم يقل كانت تغرب. وقال بعضهم: لما بلغ موضعاً لم يبق بعده عمارة في جانب المغرب وجد الشمس كأنها تغرب في وهدة مظلمة كما أن راكب البحر يراها كأنها تغرب في البحر إذا لم ير الشط وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر وإلا فقد علم أن الأرض كرة والسماء محيطة بها والشمس في الفلك وجلوس قوم في قرب الشمس غير موجود والشمس أكثر من الأرض بمرات كثيرة فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض. قال السمرقندي رحمه الله في «بحر العلوم»: فإن قيل قد ورد في الحديث أن الشمس تشرق من السماء الرابعة ظهرها إلى الدنيا ووجهها يشرق لأهل السموات وعظمها مثل الدنيا ثلاثمائة مرة أو ما شاء الله فكيف يمكن دخولها في عين من عيون الأرض قلنا إن قدرة الله تعالى باهرة وحكمته بالغة فالله تعالى قادر أن يدخل السموات السبع والأرضين السبع في أصغر شيء وأحقره فما ظنك بما فيها من الشمس وغيرها انتهى.

وفي «التأويلات»: فإن قال قائل: إنا قد علمنا أن الشمس في السماء الرابعة ولها فلك خاص يدور بها في السماء فكيف يكون غروبها في عين حمئة قلنا: إن الله تعالى لم يخبر عن حقيقة غروبها في عين حمئة وإنما أخبر عن وجدان ذي القرنين غروبها فيها فقال: **﴿وجدها تغرب في عين حمئة﴾** وذلك أن ذا القرنين ركب بحر الغرب وأجرى مركبه إلى أن بلغ في البحر موضعاً لم يتمكن جريان المراكب فيه فنظر إلى الشمس عند غروبها وجدها تغرب بنظره في عين حمئة انتهى. قال بعضهم: إذا كان ذو القرنين نبياً فنظر النبي ثاقب يرى الأشياء على ما هي عليها كما رأى النبي عليه السلام النجاشي من المدينة وصلى عليه وإن لم يكن نبياً فذلك الوجدان بحسب حسبانه **﴿ووجد عندها﴾** عند تلك العين يعني عند نهاية العمارة. وبالفارسية: [يافت نزديك آن چشمه بر ساحل درياى محيط غربى] **﴿قوما﴾** [كروهى را در ناسك مذكوراست كه ايشان قومي بودند بت پرست سبز چشم سرخ موى لباس ايشان پوست حيوانات وطعام ايشان كوشت حيوان آبى] قال بعضهم قوماً في مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا أصوات أهلها لسمع الناس وجوب الشمس حين تجب. وقال الإمام السهيلي: هم أهل جابلص بالفتح وهي مدينة يقال لها بالسريانية جرجيسا لها عشرة آلاف باب بين كل بابين فرسخ يسكنها قوم من نسل ثمود بقيتهم الذين آمنوا بصالح عليه السلام وأهل جابلص آمنوا بالنبي عليه السلام لما مر بهم ليلة الإسراء. وقال في أسئلة الحكم: أما حديث جابلصا وجابلقا وايمان أهاليهما ليلة المعراج وأنهما من الإنسان الأول فمشهور **﴿قلنا﴾** بطريق الإلهام ويدل على نبوته كونه مأموراً بالقتال معهم كما قال عليه السلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» كما في «التأويلات» قال الحدادي: لا يمكن إثبات نبوة إلا بدليل قطعي. **﴿يا ذا القرنين**

إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا﴾ أمراً ذا حسن فحذف المضاف أي أنت مخير في أمرهم بعد الدعوة إلى الإسلام إما تعذيبك بالقتل إن أبوا وإما إحسانك بالعفو أو الأسر وسماهما إحساناً في مقابلة القتل ويجوز أن يكون إما وإما للتوزيع والتقسيم دون التخبير أي: ليكن شأنك معهم إما التعذيب وإما الإحسان فالأول لمن بقي على حاله والثاني لمن تاب.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾

﴿**قال**﴾ ذو القرنين ﴿**أما من**﴾ [اما كسى كه] ﴿**ظلم**﴾ نفسه بالإصرار على الكفر ولم يقبل الإيمان مني ﴿**فسوف نعذبه**﴾ أنا ومن معي في الدنيا بالقتل. وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور ومن آمن أعطاه وكساه ﴿**ثم يرد إلى ربه**﴾ في الآخرة ﴿**فيعذبه**﴾ فيها ﴿**عذابا نكرا**﴾ منكراً لم يعهد مثله وهو عذاب النار.

﴿**وأما من آمن**﴾ بموجب دعوتي ﴿**وعمل**﴾ عملاً ﴿**صالحا**﴾ حسبما يقتضيه الإيمان ﴿**فله**﴾ في الدارين ﴿**جزاء الحسنى**﴾ أي: فله المثوبة الحسنى حال كونه مجزياً بها فجزاء حال أو فله في الدار الآخرة الجنة ﴿**وسنقول له من أمرنا**﴾ أي: مما نأمر به ﴿**يسرا**﴾ أي: سهلاً متيسراً غير شاق. وبالفارسية [كارى آسان فراخور طاقت او] وتقديره ذا يسر وأطلق عليه المصدر مبالغة يعني لا نأمره بما يصعب عليه بل بما يسهل. قال الكاشفي: [آورده اندكه لشكر ظلمت مرا برقوم ناسك كاشت تابكوش ودهن در آمد وزنهار خواستند وبوى ايمان آوردند].

قال في «قصص الأنبياء» سار ذو القرنين نحو المغرب فلا يمر بأمة إلا دعاها إلى الله تعالى فإن أجابوه قبل منهم وإن لم يجيبوه غشيتهم الظلمة فألبست مدينتهم وقراهم وحصونهم وبيوتهم وأبصارهم ودخلت أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم فلا يزالون منها متحيرين حتى يستجيبوا له حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجد عندها القوم الذين ذكرهم الله في كتابه ففعل بهم كما فعل بغيرهم ثم مشى على ما في الظلمة ثمانية أيام كملاً وثماني ليال وأصحابه ينتظرون حتى انتهى إلى الجبل الذي هو محيط بالأرض كلها وإذا بملك قابض على الجبل وهو يقول: سبحان ربي من الأزل إلى منتهى الدهر وسبحان ربي من أول الدنيا إلى آخرها وسبحان ربي من موضع كفي إلى عرش ربي وسبحان ربي من منتهى الظلمة إلى النور بصوت رفيع شديد لا يفتر فلما رأى ذلك ذو القرنين خر ساجداً لله فلم يرفع رأسه حتى قواه الله وأعانه على النظر إلى ذلك الجبل والملك القابض عليه فقال له الملك: كيف قويت على أن تبلغ هذا الموضع ولم يبلغه أحد من ولد آدم قبلك قال: قواني الله الذي قواك على قبض هذا الجبل فأخبرني عن قبضك على هذا الجبل فقال: إني موكل به وهو جبل قاف المحيط بالأرض ولولا هذا الجبل انكفأت الأرض بأهلها وليس على ظهر الأرض جبل أعظم منه فلما أراد ذو القرنين الرجوع قال للملك: أوصني قال الملك: يا ذا القرنين لا يهمنك رزق غد، ولا تؤخر عمل اليوم لغد، ولا تحزن على ما فاتك وعليه بالرفق ولا تكن جباراً متكبراً.

تكبر كند مرد حشمت پرست ... نداندكه حشمت بحلم اندرست
وجود تو شهريست پرنيك وبد ... تو سلطان ودستور دانا خرد
همانا كه دونان كردن فراز ... درين شهر كبرست وسود اوآز

چو سلطان عنايت كند بابدان كجا ماند آسايش بخردان
تو خودراچو كودك ادب كن بچوب بكرز كران مغز مردم مكوب

﴿ثم أتبع سببا﴾ أي: تبع وسلك طريقاً راجعاً من مغرب الشمس موصلاً إلى مشرقها. قال الكاشفي: [قوم تماسك را باخودبرده لشكر نوررا زپيش روان كرد وعسكر ظلمت را ازپس بداشت وبجانب جنوب متوجه شده قوم هاويل راكه قطر ايمن بود مسخر كرد بهمان طريق كه درناسك مذكور شد پس روى بمشرق نهاد].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾﴾

﴿حتى إذا بلغ﴾ [تاچون رسيد] ﴿مطلع الشمس﴾ يعني الموضع الذي تطلع عليه الشمس أولاً من معمورة الأرض. وبالفارسية: [موضعي كه مبدأ عماراتست از جانب شرق] إذ لا يمكنه أن يبلغ موضع طلوع الشمس قيل بلغه في اثنتي عشرة سنة وقيل في أقل من ذلك بناء على ما ذكر من أنه سخر له السحاب وطوى له الأسباب ﴿وجدها تطلع على قوم﴾ عراة ﴿لم نجعل لهم من دونها﴾ من أمام الشمس ﴿سترا﴾ من اللباس والبناء يعني ليس لهم لباس يتسترون به من حر الشمس ولا بناء يستظلون فيه لأن أرضهم لا تمسك الأبنية لغاية رخاوتها وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوا الأسراب أو البحر من شدة الحر وإذا ارتفعت عنهم خرجوا يعني: [وقتى كه آفتاب ارتفاع پذير فتى وازسمت رأس ايشان دور كشتى اززير زمين بيرون آمده ماهى كرفتندى وبا آفتاب بريان كرده خوردندى]. قال الحدادي: ليس على رؤوسهم ولا على أجسادهم شعر وليس لهم حواجب وكأنما سلخت وجوههم وذلك من شدة حر بلادهم.

ـ وحكي ـ عن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقالوا: بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلتحف بالأخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له: جئنا ننظر كيف تطلع الشمس قال: فبينما نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي عليّ ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء إذ هو فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا سرباً لهم فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم. عن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض وهم الزنج. وقال الكاشفي: [ايشان قوم منسل بودند]. وقال السهيلي ـ رحمه الله ـ: هم أهل جابلق بالفتح وهي مدينة لها عشرة آلاف باب بين كل بابين فرسخ يقال لها بالسريانية مرقيشاً وهم نسل مؤمني قوم عاد الذين آمنوا بهود عليه السلام وأهل جابلق آمنوا بالنبي عليه السلام ليلة أسري به ووراء جابلق أمم وهم من نسل وثاقيل وفارس وهم لم يؤمنوا بالنبي عليه السلام.

قال في «التأويلات النجمية»: في الآية إشارة إلى أن هذا العالم عالم الأسباب لم يبلغ أحد إلى شيء من الأشياء ولا إلى مقصد من المقاصد إلا أن مكنه الله تعالى وآتاه سبب بلاغ ذلك الشيء والمقصد ووفقه لاتباع ذلك السبب فباتباع السبب بلغ ذو القرنين مغرب الشمس ومطلعها.

﴿كذلك﴾ أي: أمر ذي القرنين كما وصفناه لك في رفعة المحل وبسطة الملك أو أمره فيهم كأمره في أهل الغرب من التخيير والاختيار. قال الكاشفي: [همچنان كرد اسكندر بايشان كه بااهل مغرب كرد وبجانب قطر ايسر روان شد وبقومى رسيدكه ايشان راتأويل خوانند وبايشان همان سلوك نمود] ﴿وقد أحطنا بما لديه﴾ من الأسباب والعدد. وبالفارسية [وبدرستى كه ما أحاطه داشتيم بآنچه نزديك او بود] ﴿خبرا﴾ تمييز أي: علماً تعلق بظواهره وخفاياه. وبالفارسية [ازروى آكاهى] يعني أن ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير فانظر إلى سعة لطف الله تعالى وإمداده بمن شاء من عباده فإنه ذكر وهب بن منبه أن ذا القرنين كان رجلاً من أهل الاسكندرية ابن امرأة عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان خارجاً عن قومه ولم يكن بأفضلهم حسباً ولا نسباً ولكنه نشأ في ذات حسن وجمال وحلم ومروءة وعفة من لدن كان غلاماً إلى أن بلغ رجلاً ولم يزل منذ نشأ يتخلق بمكارم الأخلاق ويسمو إلى معالي الأمور إلى أن علا صيته وعز في قومه وألقى الله تعالى عليه الهيبة ثم إنه زاد به الأمر إلى أن حدث نفسه بالأشياء فكان أول ما أجمع عليه رأيه الإسلام فأسلم ثم دعا قومه إلى الإسلام فأسلموا عنوة منه عن آخرهم ثم كان من أمره ما كان [اسكندررا پرسيدند مشرق ومغرب بچه كرفتى كه ملوك پيشين را خزائن ولشكر بيش ازتو بود چنين فتح ميسر نشد كفت بعون خداى عز وجل كه هر مملكت راكه كرفتم رعيتش را نيازردم ونام پادشاهانرا جزبنيكويى نبردم]:

بزركش نحو انند اهل خرد ... كه نام برز كان بزشتى برد

وقال بعضهم:

فلم أرَ مثل العدل للمرء رافعاً ... ولم أرَ مثل الجور للمرء واضعا

كنت الصحيح وكنا منك في سقم ... فإن سقمت فإنا السالمون غدا

دعت عليك اكفت طالما ظلمت ... ولن تردّ يد مظلومة أبدا

وفي تفسير «التبيان»: كان أي: ذو القرنين ملكاً جباراً فلما هلك أبوه ولي مكانه فعظم تجبره وتكبره فقبض الله له قريناً صالحاً فقال له: أيها الملك دع عنك التجبر وتب إلى الله تعالى قبل أن تموت فغضب عليه الإسكندر وحبسه فمكث في المحبس ثلاثة أيام فبعث الله إليه ملكاً كشف سقف المحبس وأخرجه منه وأتى به منزله فلما أصبح أخبر الاسكندر بذلك فجاء إلى السجن فرأى سقف السجن قد ذهب فاقشعر جلد الاسكندر وعلم أن ملكه ضعيف عند قدرة الله تعالى فانصرف متعجباً وطلب الرجل المحبوس فوجده قائماً يصلي على جبل طالس فقال الرجل لذي القرنين تب إلى الله فهمّ بأخذه وأمر جنوده به فأرسل الله عليهم ناراً فأحرقتهم وخر الاسكندر مغشياً عليه فلما أفاق تاب إلى الله تعالى وتضرع إلى الرجل الصالح وأطاع الله وأصلح سيرته وقصد الملوك الجبابرة وقهرهم ودعا الناس إلى طاعة الله وتوحيده وكان من أول أمره أن بنى مسجداً واسعاً طوله أربعمائة ذراع وعرض الحائط اثنان وعشرون ذراعاً وارتفاعه في الهواء مائة ذراع. وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للغني عند أول أمره أن يصرف شطراً من ماله إلى وجه من وجوه الخير لا إلى ما يشتهيه طبعه ويميل إليه نفسه كما أن المفتي إذا تصدر يبدأ في فتواه بما يتعلق بالتوحيد ونحوه وكذا لابس جديد أو مغسول يبدأ بالمسجد والصلاة والذكر ونحوها لا بالخروج إلى السوق وبيت الخلاء ونحوهما. ثم إن الفتح الصوري إنما يُبتنىٰ على الأسباب الصورية إذ لا يحصل التسخير غالباً إلا بكثرة العدد والعدد وأما الفتح المعنوي

فحصوله مبني على الفناء وترك الأسباب والتوجه إلى مسبب الأسباب كما قال الصائب:

هركس كشيد سربكريبان نيستى تسخير كرد مملكت بى زوال را

فالاسكندر الحقيقي الذي لا يزول ملكه ولا يحيط بما لديه إلا الله تعالى هو من ايد ظاهره بأحكام الطاعات ومعاملات العبودية وباطنه بأنوار المشاهدات وتجليات الربوبية فإنه حينئذٍ تموت النفس الأمارة وتزول يدها العادية القاهرة عن قلعة القلب ويظهر جنود الله التي لا يعلمها إلا هو لكثرتها اللهم اجعلنا من المؤيدين بالأنوار الملكوتية والأمداد اللاهوتية إنك على ما تشاء قدير.

﴿ثم أتبع سببا﴾ أي: أخذ طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب آخذاً من الجنوب إلى الشمال.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿حتى إذا بلغ﴾ [تاچون رسيد] ﴿بين السدين﴾ بين الجبلين اللذين سد ما بينهما وهما جبلان عاليان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق من ورائهما يأجوج ومأجوج. والسد بالفتح والضم واحد بمعنى الجبل والحاجز أو بالفتح ما كان من عمل الخلق وبالضم ما كان من خلق الله لأن فعل بمعنى مفعول أي: هو مما فعله الله وخلقه وانتصاب بين على المفعولية لأنه مبلوغ وهو من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفاً كما ارتفع في قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] وانجرّ في قوله: ﴿قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨] ﴿وجد من دونهما﴾ أمام السدين ومن ورائهما مجاوزاً عنهما. وقال الكاشفي: [يافت درپيش آن دوكوه] وفسره في «تفسير الجلالين» أيضاً بقوله عندهما ﴿قوما﴾ أمة من الناس ﴿لا يكادون يفقهون قولا﴾ أي: لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم لغرابة لغتهم. وقال الزمخشري: ﴿لا يكادون يفقهون﴾ إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها كما يفهم البكم وهو الترك. قال أهل التاريخ: أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبش والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج. وقال في «أنوار المشارق» أصل الترك بنو قنطورا وقنطورا أمة كانت لإبراهيم عليه السلام فولدت له أولاداً فانتشر منهم الترك.

﴿قالوا﴾ على لسان ترجمانهم بطريق الشكاية والظاهر أن ذى القرنين كان قد أوتي اللغات ففهم كلامهم.

وفي «التأويلات النجمية»: كيف أخبر عنهم أنهم ﴿لا يكادون يفقهون قولا﴾ ثم قال: ﴿قالوا﴾ الآية قلنا كلمة كاد ليست لوقوع الفعل كقوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ [مريم: ٩٠] أي: قاربت الانفطار فلن تنفطر وإذا دخل فيها لا الجحود وما النفي تكون لوقوع الفعل كقوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] أي: قرب أن لا يذبحوها فذبحوها وكذلك قوله: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: ٩٣] أي: لا يفقهون قولاً يلين به قلب ذي القرنين ليجعل لهم السد ففقهوا بإلهام الحق تعالى حتى قالوا: ﴿يا ذا القرنين إن يأجوج

ومأجوج﴾ اسمان أعجميان بدليل منع الصرف أو عربيان ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث لأنهما علمان لقبيلتين من أولاد يافث بن نوح كما سبق أو من احتلام آدم عليه السلام كما ذكر في «عين المعاني» وغيره أن آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فهم منها يتصلون بنا من جهة الأب دون الأم. وقال في «أنوار المشارق» هذا منكر جداً لا أصل له وكذا قال في «بحر العلوم»: واعلم أن هذا مخالف لقوله عليه السلام: «ما احتلم نبي قط» انتهى.

يقول الفقير: سمعت من فم حضرة شيخي وسندي روح الله روحه أنه قال في أول من ابتلي بالاحتلام أبونا آدم عليه السلام لحكمة خفية كما ابتلي نبينا عليه السلام ببعض السهو لحكمة علية والحديث المذكور مخصوص بمن عداه والمنع عن الكلام فيه إنما هو لرعاية الأدب فافهم جداً ﴿مفسدون في الأرض﴾ أي: في أرضنا بالقتل والتخريب وإتلاف الزروع وكانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه وربما أكلوا الناس إذا لم يجدوا شيئاً من الأنعام ونحوها وكان لا يموت أحد منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما بنو آدم عشرهم:

چو پوزينكان آمده در وجود مژه زرد ورخ سرخ وديده كبود
ندارند جز خواب وخور هيچ كار نميرد يكى تا نزايد هزار

وهم أصناف صنف منهم طول الرجل منهم مائة وعشرون ذراعاً وصنف منهم قد هم على شبر واحد طولهم وعرضهم سواء وصنف منهم كبار الآذان يفترش أحدهم أحد أذنيه ويلتحف بالأخرى ولهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم وما يقيهم من الحر والبرد فلا يغزلون ولا ينسجون يعوون عوى الذئاب ويتسافدون كتسافد البهائم يقال سفد الذكر على أنثى نزا لهم مخالب في أيديهم وأضراس كأضراس السباع وأنياب يسمع لها حركة كحركة الجرس في حلوق الإبل لا يمرون بفيل ولا جمل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه ويأكلون الحشرات والحيات والعقارب. قال في «حياة الحيوان»: التنين ضرب من الحيات كأكبر ما يكون فيها وفي فمه أنياب مثل أسنة الرماح وهو طويل كالنخلة السحوق أحمر العينين مثل الدم واسع الفم والجوف براق العينين يبتلع كثيراً من الحيوان يخافه حيوان البر والبحر إذا تحرك يموج البحر لشدة قوته وأول أمره يكون حية متمردة تأكل من دواب البر ما ترى فإذا كثر فسادها احتملها ملك وألقاها في البحر فتفعل بدواب البحر ما كانت تفعل بدواب البر فيعظم بدنها حتى يكون رأسها كالتل العظيم فيبعث الله تعالى ملكاً يحملها ويلقيها إلى يأجوج ومأجوج. قال في «قصص الأنبياء»: إذا قذفوا بها خصبوا وإلا قحطوا ﴿فهل﴾ [پس آيا] ﴿نجعل لك خرجا﴾ جعلاً من أموالنا أي: أجراً نخرجه لك والخرج والخراج واحد كالنول والنوال أو الخراج ما على الأرض والزمة والخرج المصدر أو الخرج ما كان على كل رأس والخراج ما كان على البلد أو الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك أداؤه ﴿على أن تجعل﴾ [بشرط آنكه بكنى] ﴿بيننا وبينهم سدا﴾ حاجزاً يمنعهم من الخروج والوصول إلينا.

﴿قال﴾ ذو القرنين ﴿ما مكني﴾ بالادغام وقرىء بالفك أي: الذي مكنني وبالفارسية: [آنچه دست رس داده مرا] ﴿فيه ربي﴾ وجعلني فيه مكيناً قادراً من الملك والمال وسائر الأسباب ﴿خير﴾ مما تريدون أن تبذلوه إليّ من الخراج فلا حاجة لي إليه ونحوه قول سليمان عليه السلام: ﴿فما آتاني الله خير مما آتاكم﴾ ﴿فأعينوني بقوة﴾ بفعلة وصناع يحسنون البناء

والعمل بآلات لا بد منها في البناء ﴿أجعل﴾ جواب الأمر ﴿بينكم وبينهم ردما﴾ حاجزاً حصيناً وحجاباً عظيماً. وبالفارسية [حجابي سخت كه بعضى ازان بر بعضى مركب باشد] وهو أكبر من السد وأوثق يقال ثوب مردم أي: فيه رقاع فوق رقاع وهذا إسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه.

﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾

وفي «التأويلات النجمية»: قوله تعالى: ﴿آتوني زبر الحديد﴾ تفسير للقوة فيكون المراد بها ترتيب الآلات. وزبر جمع زبرة كغرف جمع غرفة وهي القطعة الكبيرة وهذا لا ينافي رد خراجهم لأن المأمور به الإيتاء بالثمن والمناولة ولأن إيتاء الآلة من قبيل الإعانة بالقوة دون الخراج على العمل. قال في «القصص»: قالوا من أين لنا من الحديد ما يسع هذا العمل فدلهم على معدن الحديد والنحاس ولعل تخصيص الأمر بالإيتاء بها دون سائر الآلات من الصخور ونحوها لما أن الحاجة إليها أمس إذ هي الركن في السد. قال الكاشفي: [منقولست كه فرمود تاخشتها از آهن بساختند بفارغ دلى جابجاتن زدند همه روزشب خشت آهن زدند وحكم كرد تاميان آن كوه را چهار هزار قدم بود درشصت وپنج كز عرض بكنند تا بآب رسيد]. وفي «القصص»: قاس ما بين الصدفين فوجده ثلاثة أميال. وقال بعضهم: حفر ما بين السدين وهو مائة فرسخ حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب بدل الطين لها والبنيان من زبر الحديد بين كل زبرتين الحطب والفحم ﴿حتى إذا﴾ [تاچون] ﴿ساوى بين الصدفين﴾ الصدف منقطع الجبل أو ناحيته وبين مفعول كبين السدين أي: آتوه إياها فجعل يبني شيئاً فشيئاً حتى إذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين مساوياً لهما في السمك يعني ملأ ما بينهما إلى أعلاهما وكان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعاً ثم وضع المنافخ حوله ﴿قال﴾ للعملة ﴿انفخوا﴾ على زبر الحديد بالكير والنار ﴿حتى إذا جعله﴾ أي: المنفوخ فيه وهو زبر الحديد ﴿نارا﴾ كالنار في الحرارة والهيئة وإسناد الجعل المذكور إلى ذي القرنين مع أنه فعل الفعلة للتنبيه على أنه العمدة في ذلك وهم بمنزلة الآلة ﴿قال﴾ للذين يتولون أمر النحاس من الإذابة ونحوها ﴿آتوني﴾ قطراً أي: نحاساً مذاباً ﴿أفرغ عليه قطرا﴾ الإفراغ الصب أي: اصبب على الحديد المحمى قطراً فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وإسناد الافراغ إلى نفسه للسر الذي وقفت عليه آنفاً.

بهر روى فرشى برانكيختند   برو روى حل كرده مى ريختند

﴿فما اسطاعوا﴾ بحذف تاء الافتعال تخفيفاً وحذراً من تلاقي المتقاربين، وقال في «برهان القرآن»: اختار التخفيف في الأول لأن مفعوله حرف وفعل وفاعل ومفعول فاختير فيه الحذف والثاني مفعوله اسم واحد وهو قوله نقباً انتهى. والفاء فصيحة أي: فعلوا ما أمروا به من إيتاء القطر فافرغ عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلاً صلداً أي: صلباً أملس فجاء يأجوج ومأجوج فقصدوا أن يعلوه وينقبوه فما قدروا ﴿أن يظهروه﴾ أن يعلوه بالصعود لارتفاعه وملاسته ﴿وما استطاعوا له نقبا﴾ أي: وما قدروا أن ينقبوه ويخرقوه من أسفله لصلابته وثخانته وهذه معجزة عظيمة لأن تلك الزبر الكثيرة إذا أثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان

على أن يحوم حولها فضلاً عن النفخ فيها إلى أن تكون كالنار أو عن إفراغ القطر عليها فكأنه سبحانه صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك المباشرين للأعمال فكان ما كان والله على كل شيء قدير كذا في «الإرشاد»: أخذاً عن «تفسير الإمام». يقول الفقير: ليس ببعيد أن يكون المباشرة بالنفخ والصب من بعيد بطريق من طرق الحيل ألا ترى أن نار نمرود لما كانت بحيث لا يقرب منها أحد عملوا المنجنيق فألقوا بها إبراهيم عليه السلام فيها وعن رسول الله ﷺ أن رجلاً أخبره به أي: بالسد فقال: «كيف رأيته» قال: كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال: «قد رأيته» وذلك لأن الطريقة الحمراء من النحاس والسوداء من الحديد.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾

﴿**قال**﴾ ذو القرنين ﴿**هذا**﴾ السد ﴿**رحمة**﴾ عظيمة ونعمة جسيمة ﴿**من ربي**﴾ على كافة العباد لا سيما على مجاهديه. وفيه إيذان بأنه ليس من قبيل الآثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو إحسان إلهي محض وإن ظهر بمباشرتي ﴿**فإذا جاء**﴾ [پس چون بيايد] ﴿**وعد ربي**﴾ مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيامة والمراد بمجيئه ما ينتظم مجيئه ومجيء مباديه من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى ونحو ذلك ﴿**جعله**﴾ أي: السد أشار إليه مع متانته ﴿**دكاء**﴾ أرضاً مستوية وقرىء دكاً أي: مدكوكاً مستوياً بالأرض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك وفيه بيان لعظم قدرته تعالى بعد بيان سعة رحمته ﴿**وكان وعد ربي**﴾ أي: وعده المعهود أو كل ما وعد به ﴿**حقا**﴾ ثابتاً لا محالة واقعاً ألبتة.

وفي «التأويلات النجمية»: وفي قوله: ﴿**هذا**﴾ إلى آخر الآية دلالة على نبوته فإنه أخبر عن وعد الحق وتحقيق وعده وهذا من شأن الأنبياء وإعجازهم انتهى. وهذا آخر حكاية ذي القرنين. قيل: إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون الشعاع قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرون غداً ولم يستثن فيعيده الله كما كان فيأتون غداً فيجدونه كالأول فإذا أراد الله خروجهم خلق فيهم رجلاً مؤمناً فيحفرون السد حتى يبقى منه اليسير فيقول لهم: ارجعوا فستحفرون غداً إن شاء الله تعالى فإذا عادوا من الغد إلى الحفر قال لهم: قولوا بسم الله فيحفرونه ويخرجون على الناس فكل من لحقوه قتلوه وأكلوه ولا يمرون على شيء إلا أكلوه ولا بماء إلا شربوه فيشربون ماء دجلة والفرات ويأكلون ما فيه من السمك والسرطان والسلحفاة وسائر الدواب حتى يأتوا بحيرة طبرية بالشام وهي مملوءة ماء فيشربون فيأتي آخرهم فلا يجدون فيها قطرة ماء فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء وطافوا الأرض إلا أنهم لا يستطيعون أن يأتوا المساجد الأربعة مسجد مكة ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس ومسجد طور سيناء ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الأرض هلم فنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه في جبل الطور حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيدعون عليهم عيسى عليه السلام فيرسل الله عليهم دوداً تسمى النغف فتأخذهم في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط عيسى وأصحابه من الطور فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيدعو الله فيرسل الله طيراً كأعناق

البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين منتخب من «المصابيح وتفسير التبيان» وغيرهما. وعن زينب أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها فزعاً يقول: «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها» قالت زينب: فقلت يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث» أي: الزنى والمراد بهذا الحديث أنه لم يكن في ذلك الردم ثقبة إلى هذا اليوم وقد انفتحت فيه ثقبة وانفتاح الثقبة فيه من علامات قرب القيامة وإذا توسعت خرجوا منها وخروجهم بعد خروج الدجال. قال في «فتح القريب» المراد بالويل الحزم وقد وقع ما أخبر به عليه السلام بما استأثر به عليهم من الملك والدولة والأموال والأمارة وصار ذلك في غيرهم من الترك والعجم وتشتتوا في البوادي بعد أن كان العز والملك والدنيا لهم ببركته عليه السلام وما جاء من الإسلام والدين فلما لم يشكروا النعمة وكفروها بقتل بعضهم بعضاً وسلب بعضهم أموال بعض سلبها الله منهم ونقلها إلى غيرهم كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] فعلى العاقل أن يحترز من فتنة يأجوج النفس والطبيعة والشيطان ويبني عليها سد الشريعة الحصينة والطريقة المتينة ويكون اسكندر إقليم الباطن والملكوت واللاهوت.

﴿وتركنا﴾ في «القاموس»: الترك الجعل كأنه ضد أي: وجعلنا **﴿بعضهم﴾** بعض الخلائق **﴿يومئذ﴾** يوم إذ جاء الوعد بمجيء بعض مباديه **﴿يموج في بعض﴾** آخر والموج الاضطراب أي: يضطربون اضطراب أمواج البحر ويختلط إنسهم وجنهم حيارى من شدة الهول. وبالفارسية [روز قيامت انس وجن ازروى تحير واضطراب درهم آميزند]. قال في «الإرشاد»: لعل ذلك قبل النفخة الأولى **﴿ونفخ في الصور﴾** هي النفخة الثانية التي عندها يكون الحشر بمقتضى الفاء التي بعدها ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الأولى لئلا يقع الفصل بين ما يقع في النشأة الأولى من الأحوال والأهوال وبين ما يقع منها في النشأة الآخرة. والمعنى: نفخ إسرافيل في الصور أرواح الخلائق عند استعداد صور الأجساد لقبول الأرواح كاستعداد الحشيش لقبول الاشتعال فتشتعل بأرواحها فإذا هم قيام ينظرون وكل يتخيل أن ذلك الذي كان فيه منام كما يتخيله المستيقظ وقد كان حين مات وانتقل إلى البرزخ كالمستيقظ هناك وأن الحياة الدنيا كانت له كالمنام وفي الآخرة يعتقد في أمر الدنيا والبرزخ أنه منام في منام وأن اليقظة الصحيحة هي التي هو عليها في الدار الآخرة حيث لا نوم فيها. وسئل رسول الله ﷺ عن الصور فقال: «هو قرن من نور ألقمه إسرافيل».

واعلم: أن لا شيء من الأكوان أوسع منه وإذا قبض الله الأرواح من هذه الأجسام الطبيعية حيث كانت أودعها صوراً جسدية في مجموع هذا القرن النور فجمع ما يدركه الإنسان بعد الموت في البرزخ من الأمور إنما يدركه بعين الصورة التي هو فيها في القرن وبنورها وهو إدراك حقيقي فمن الصور ما هي مقيدة عن التصرف. ومنها مطلقة كأرواح الأنبياء كلهم وأرواح الشهداء. ومنها ما يكون لها نظر إلى عالم الدنيا في هذه الدار. ومنها ما يتجلى للنائم في حضرة الخيال التي هي فيه وهو الذي يصدق رؤياه أبداً وكل رؤيا صادقة ولا تخطى ولكن العابر الذي يعبرها هو المخطى حيث لم يعرف ما المراد بها وكذلك قوم فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً في تلك الصور ولا يدخلونها فإنهم محبوسون في ذلك القرن ويوم القيامة

يدخلون أشد العذاب وهو العذاب المحسوس لا المنخيل كما في «تفسير الفاتحة» للفناري.
﴿فجمعناهم﴾ أي: جمعنا الخلائق بعدما تمزقت أجسادهم في صعيد واحد للحساب والجزاء ﴿جمعا﴾ عجيباً لم نترك من الملك والإنس والجن والحيوانات أحداً وفي الحديث: «السعيد في ذلك اليوم في ذلك الجمع من يجد مكاناً يضع عليه أصابع رجليه» كما «في ربيع الأبرار».

وقال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الله تعالى من كمال قدرته يحيي الخلق بسبب يميتهم به وهو النفخة وبالنفخة الأولى كما أماتهم كقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨] كذلك بالنفخة الأخيرة أحياهم كقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩] وفيه إشارة إلى أن الخلق محتاجون إلى اتباع سبب كل شيء ليبلغوا إليه وهم لا يقدرون على أن يجعلوا سبباً لشيء سبباً لشيء آخر على ضده والخالق سبحانه هو المسبب فهو قادر على أن يجعل الشيء الواحد سبباً لوجود الشيئين المتضادين كما جعل النفخة في الصورة سبباً للممات والحياة، وفي «المثنوي».

سازد اسرافيل روزى ناله را ... جان دهد پوسيده صد ساله را
انبيارا در درون هم نغمهاست ... طالبانرا زان حيات بى بهاست
نشنود آن نغمهارا كوش حس ... كز ستمها كوش حس باشد نجس
نشنود نغمه پرى را آدمي ... كوبود زاسرار پريان أعجمي
كرچه هم نغمه پرى زين عالمست ... نغمه دل بر تر از هر دودمست
كر پرى وآدمي زندانيند ... هر دو در زندان اين نادانيند
نغمهاى اندرون اوليا ... اولا كويدكه اي اجزاى لا
هين زلاى نفى سرها بر زنيد ... اين خيال ووهم يكسو افكنيد
اي همه پوشيده دركون وفساد ... جان باقيتان نروييد ونزاد
هين كه اسرافيل وقتند اوليا ... مرده را زيشان حياتست ونما
جان هريك مرده از كورتن ... بر جهد ز آواز شان اندر كفن
كويد اين آواز زآواها جداست ... زنده كردن كار آواز خداست
ما بمرديم وبكلى كاستيم ... بانك حق آمد همه بر خاستيم
مطلق آن آواز خود ازشه بود ... كرچه از حلقوم عبد الله بود

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿وعرضنا﴾ يقال: عرض الشيء له أظهره أي: أظهرنا ﴿جهنم﴾ معرب والأصل [چه نم] كذا قال البعض ﴿يومئذ﴾ يوم إذ جمعنا الخلائق كافة ﴿للكافرين﴾ منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظاً وزفيراً ﴿عرضا﴾ هائلاً لا يعرف كنهه وفي الحديث: «يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» أي: يؤتى بها يوم القيامة من المكان الذي خلقها الله فيه فتوضع بأرض حتى لا يبقى طريق للجنة إلا الصراط وهذه الأزمّة تمنعها عن الخروج على أهل المحشر إلا من شاء الله كذا في «شرح المشارق» لابن ملك وتخصيص العرض بالكافرين مع أنها بمرأى من أهل الجمع قاطبة لأن ذلك لأجلهم

خاصة وهذا العرض يجري مجرى العقاب لهم من أول الأمر لما يتداخلهم من الغم العظيم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن جهنم لو كانت معروضة على أرواح الكافرين قبل يوم القيامة كما كانت معروضة على أرواح المؤمنين آمنوا بها كما آمن المؤمنون بها إذ لم تكن أعينهم في غطاء عن ذكر الله وكانوا يستطيعون سمعاً لكلام الله تعالى لأن آذان قلوبهم مفتوحة.

﴿الذين﴾ الموصول مع صلته نعت للكافرين أو بدل ولذا لا وقف على عرضا كما في «الكواشي». ﴿كانت أعينهم﴾ وهم في الدنيا ﴿في غطاء﴾ غلاف غليظ محاطة بذلك من جميع الجوانب. والغطاء ما يغطي الشيء ويستره. وبالفارسية: [پرده وبوشش] ﴿عن ذكري﴾ عن الآيات المؤدية لأولي الأبصار المتدبرين فيها إلى ذكري بالتوحيد والتمجيد كما قيل:

ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

برك درختان سبز درنظر هوشيار هرورقى دفتريست معرفت كرد كار

﴿وكانوا﴾ مع ذلك ﴿لا يستطيعون﴾ لفرط تصاممهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول ﷺ ﴿سمعا﴾ استماعاً لذكري وكلامي يعني أن حالهم أعظم من الصمم فإن الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به وهؤلاء زالت عنهم تلك الاستطاعة:

چون توقر آن خوانى اي صدر امم كوش شانرا پرده سازم ازصمم

چشمشانرا نيز سازم چشم بند تابيبنند وكلامت نشنوند

قال في «الإرشاد»: وهذا تمثيل لإعراضهم عن الأدلة السمعية كما أن الأول تصوير لتعاميهم عن الآيات المشاهدة بالابصار قال بعض الكبار: كانت أعين نفوسهم في غطاء الغفلة عن نظر العبرة وأعين قلوبهم في غطاء حب الدنيا وشهواتها عن رؤية درجات الآخرة ودركاتها وأعين أسرارهم في غطاء الالتفات إلى الكونين عن شواهد المكون وأعين أرواحهم في غطاء تذكار ما سوى الله تعالى عن ذكر الله تعالى فإذا فتحت العين الباطنة بالمشاهدة فتحت العين الظاهرة بنظر الاعتبار وكذا السمع بظاهر السمع تابع لسمع الباطن ويدخل في سماع كلام الحق سماع سنن المصطفى ﷺ وسير الصالحين.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾

﴿أفحسب الذين كفروا﴾ الهمزة للإنكار والتوبيخ على معنى إنكار الواقع واستقباحه كما في قولك أضربت أباك لإنكار الوقوع كما في أتضرب أباك والفاء للعطف على مقدر تفصح عنه الصلة على توجيه الإنكار والتوبيخ إلى المعطوفين جميعاً أي: أكفروا بي مع جلالة شأني فحسبوا وظنوا ﴿أن يتخذوا عبادي﴾ من الملائكة وعيسى وعزير وهم تحت سلطاني وملكوتي ﴿من دوني﴾ مجاوزين إياي أي: تاركين عبادتي ﴿أولياء﴾ معبودين ينصرونهم من بأسي على معنى أن ذلك ليس من الاتخاذ في شيء لما أنه إنما يكون من الجانبين وهم عليهم السلام منزهون عن ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانك أنت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثاني محذوف أي: أفحسبوا اتخاذهم نافعاً لهم والوجه هو الأول لأن في هذا تسليماً لنفس الاتخاذ واعتداداً به في الجملة كذا في «الإرشاد». ﴿إنا أعتدنا جهنم﴾ هيأناها ﴿للكافرين﴾ المعهودين ﴿نزلا﴾ وهو ما يعد للنزيل والضيف أي: أحضرنا جهنم للكافرين كالنزل المعد للضيف وفيه تهكم بهم

كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] وإيماء إلى أن لهم وراء جهنم من العذاب ما هي أنموذج له وهو كونهم محجوبين عن رؤية الله تعالى كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [المطففين: ١٥-١٦] جعل الصليّ أي: الدخول تالياً في المرتبة للمحجوبية فهو دونها في الرتبة وفسره ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بموضع النزول والمثوى. فالمعنى بالفارسية [منزل ومأوايى كه براى مهمان آرند ودرين معنى تهكم است برآنكه ايشانرا عذابها خواهد بودكه دوزخ درپيش آن چيزى محقر باشد]. وفي الآية إشارة إلى أن من ادعى محبة الله وولاءه لا يتخذ من دون الله أولياء إذ لا يجتمع ولاية الحق وولاية الخلق ومن كفر بنعمة الولاء واتخذ من دون الله أولياء فله جهنم البعد والقطيعة أبداً. وقد قال بعض المحققين: أبت المحبة أن تستعمل محباً لغير محبوبه وحب الله تعالى قطب تدور عليه الخيرات وأصل جامع لأنواع الكرامات وعلامته الجريان على موجب الأمر والنهي كما قال بعضهم نزه ربك وعظمه من أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك فالذين كفروا أضاعوا أيامهم بالكفر والآثام وعبدوا المعدوم وهو ما سوى الله الملك العلام وأكلوا وشربوا في الدنيا كالأنعام فلا جرم جعل الله لهم جهنم نزلاً وشر مقام وأما المؤمنين فقد جاهدوا في الله بالطاعات واشتغلوا بالرياضات والمجاهدات وما عبدوا غير الموجود الحقيقي في وقت من الأوقات فلا جرم أحسن الله إليهم بالدرجات العاليات فالخلاص والنجاة في التوجه إلى الله رفيع الدرجات.

ـ حكي ـ أنه كان ملك مشرك جبار فأخذه المسلمون فجعلوه في قمقمة ووضعوها في نار شديدة فأسلم وتضرع إلى الله تعالى فأمطرت السماء فخرجت ريح شديدة وألقتها في مملكة فرآها أهل تلك المملكة وسألوه فقال: أنا الملك الفلاني فلما أسلمت وتضرعت إلى الله خلصني من الشدة فأسلم أهل تلك المملكة لِمَا رأوا عظم قدرة الله تعالى وشاهدوا شواهد توحيده والحمد لله تعالى.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿قل هل ننبئكم﴾ نخبركم أنا ومن تبعني من المؤمنين أيها الكفرة. ﴿بالأخسرين أعمالا﴾ نصب على التمييز والجمع للإيذان بتنوعها أي: بالقوم الذين هم أشد الخلق وأعظمهم خسراناً فيما عملوا. وبالفارسية [برزيانكار ترين مردمان ازروى كردارها]. قال في «الإرشاد»: هذا بيان حال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الأعمال الحسنة في أنفسها من صلة الرحم وإطعام الفقراء وعتق الرقاب ونحوها وفي حسبانهم أيضاً حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة آثارها غب بيان حالهم باعتبار أعمالهم السيئة في أنفسها مع كونها حسنة في حسبانهم.

﴿الذين﴾ كأنه قيل منهم فقيل هم الذين ﴿ضل سعيهم﴾ في إقامة الأعمال الحسنة في أنفسها أي: ضاع وبطل بالكلية. وبالفارسية [كم شد وضائع كشت شتافتن ايشان بعملهاى نيكونماى] ﴿في الحياة الدنيا﴾ متعلق بالسعي لا بالضلال لأن بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا ﴿وهم﴾ أي: ضل والحال أنهم ﴿يحسبون﴾ يظنون ﴿أنهم يحسنون صنعا﴾ يعني: يعملون عملاً ينفعهم في الآخرة. وبالفارسية [وايشان مى پندارند آنكه ايشان نيكويى ميكنند كاررا]

والإحسان الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي أي: يحسبون أنهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لإعجابهم بأعمالهم التي سعوا في إقامتها وكابدوا في تحصيلها. وفي الآية: إشارة إلى أهل الأهواء والبدع وأهل الرياء والسمعة فإن اليسير من الرياء شرك وأن الشرك محبط الأعمال كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] وأن هؤلاء القوم يبتدعون في العقائد ويراؤون بالأعمال فلا يعود وبال البدعة والرياء إلا إليهم والحاصل أن العمل المقارن بالكفر باطل وإن كان طاعة وكذا العمل المقارن بالشرك الخفي وإذا كان ما هو طاعة مردوداً لمجاورته المنافي فما ظنك بما هو معصية في نفسه وهو يظنه طاعة فيأتي به فمثل أهل الرياء والسمعة والبدعة وطالب المنة والشكر من الخلق على معروفه وكذا الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع وحملوها على الرياضات الشاقة ليسوا على شيء:

كرت بيخ إخلاص در بوم نيست ... ازين دركسى چون تومحروم نيست

كرا جامه پاكست وسيرت پليد ... در دوز خش را بنايد كليد

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ هم أهل حروراء قرية بالكوفة وهم الخوارج الذين قاتلهم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه كما في «التكملة». والخوارج قوم من زهاد الكوفة خرجوا عن إطاعة علي ـ رضي الله عنه ـ عند رضاه بالتحكيم بينه وبين معاوية قالوا كفر بالتحكيم إن الحكم إلا لله وكانوا اثني عشر ألف رجل اجتمعوا ونصبوا راية الخلاف وسفكوا الدماء وقطعوا السبيل فخرج إليهم علي رضي الله عنه ورام رجوعهم فأبوا إلا القتال فقاتلهم بالنهروان فقتلهم واستأصلهم ولم ينج منهم إلا القليل وهم الذين قال فيهم ﷺ: «يخرج قوم في أمتي يحقر أحدكم صلاته في جنب صلاتهم وصومه في جنب صومهم ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم» وقال عليه السلام: «الخوارج كلاب النار» كذا في «شرح الطريقة».

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾

﴿**أولئك**﴾ المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي مع الحسبان المزبور ﴿**الذين كفروا بآيات ربهم**﴾ بدلائله الداعية إلى التوحيد عقلاً ونقلاً ﴿**ولقائه**﴾ بالبعث وما يتبعه من أمور الآخرة على ما هي عليه ﴿**فحبطت**﴾ بطلت بذلك ﴿**أعمالهم**﴾ المعهودة حبوطاً كلياً فلا يثابون عليها ﴿**فلا نقيم لهم يوم القيامة**﴾ أي: لأولئك الموصوفين بما مر من حبوط الأعمال ﴿**وزنا**﴾ أي: فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقداراً واعتباراً [بلكه خوار ومبتذل خواهند بود] لأن مداره الأعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الأعمال عطف عليه بطريق التفريع وأما ما هو من أجزية الكفر فسيجيء بعد ذلك وفي الحديث «يؤتى بالرجل الطويل الأكول الشروب فلا يزن جناح بعوضة» أي: لا يوضع له قدر لخساسته وكفره وعجبه «اقرأوا إن شئتم: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾» أي: لا نضع لأجل وزن أعمالهم ميزاناً لأنه إنما يوضع لأهل الحسنات والسيآت من الموحدين ليتميز به مقادير الطاعات والمعاصي ليترتب عليه التكفير أو عدمه لأن ذلك في الموحدين بطريق الكمية وأما الكفر فإحباط للحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعاً.

وفي «التأويلات النجمية»: لأن وزن الأشخاص والأعمال في ميزان القيامة إنما يكون بحسب الصدق والإخلاص فمن زاد إخلاصه زاد ثقل وزنه ومن لم يكن فيه وفي أعماله إخلاص لم يكن له ولا لعمله وزن ومقدار كما قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ [الفرقان: ٢٣] أي: بلا إخلاص ﴿فجعلناه هباء منثورا﴾ فلا يكون للهباء المنثور وزن ولا قيمة.

﴿ذلك﴾ أي: الأمر ذلك وقوله تعالى: ﴿جزاؤهم جهنم﴾ جملة مبينة له ﴿بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا﴾ يعني: بسبب كفرهم وإنكارهم لما يجب إيمانهم وإقرارهم به واتخاذهم القرآن وغيره من الكتب الإلهية ورسل الله وأنبياءه سخرية واستهزاء من قبيل الوصف بالمصدر للمبالغة يعني أنهم بالغوا في الاستهزاء بآيات الله ورسله فكأنهم جعلوها وإياهم عين الاستهزاء أو المعنى مهزوا بهما أو مكان هزء.

واعلم أن العلماء ورثة الأنبياء وعلومهم مستنبطة من علومهم فكما أن العلماء العاملين ورثة الأنبياء والمرسلين في علومهم وأعمالهم كذلك المستهزئون بهم ورثة أبي جهل وعقبة ونحوهما في استهزائهم وضلالهم. ومن استهزاء أبي جهل بالنبي ﷺ أنه كان يخلج بأنفه وفمه خلف رسول الله يسخر به فاطلع عليه عليه السلام يوماً فقال: «كن كذلك» فكان كذلك إلى أن مات. ومن استهزاء عقبة به عليه السلام أنه بصق يوماً في وجه النبي ﷺ فعاد بصاقه على وجهه وصار برصاً وفي حقه نزل ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧] أي: في النار يأكل إحدى يديه إلى المرفق ثم يأكل الأخرى فتنبت الأول فيأكلها وهكذا كذا في «إنسان العيون» وفي الحديث: «إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فإذا جاء أغلق دونه فما يزال كذلك حتى أن الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فما يأتيه» كما في «الطريقة» اللهم اجعلنا من أهل الجد لا من أهل الهزل ووفقنا للعمل بما في القرآن الجزل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا﴾ في الدنيا ﴿وعملوا الصالحات﴾ من الأعمال وهي ما كانت خالصة لوجه الله تعالى ﴿كانت لهم﴾ في علم الله تعالى ﴿جنات الفردوس﴾ [بهشتهاى فردوس يعني بوستانهاى مشتمل بر اشجاركه أكثر آن تاك بود]. قال في «القاموس»: الفردوس البستان يجمع كل ما يكون في البساتين يكون فيه الكروم وقد يؤنث عربية أو رومية نقلت أو سريانية انتهى ﴿نزلا﴾ خبر كانت والجار والمجرور متعلق بمحذوف على أنه حال من نزلا والنزل المنزل وما هيىء للضيف النازل أي: كانت جنات الفردوس منازل مهيأة لهم أو ثمار جنات الفردوس نزلاً أو جعلت نفس الجنات نزلاً مبالغة في إكرام. وفيه إيذان بأنها عندما أعدها الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» بمنزلة النزل بالنسبة إلى الضيافة. قال الكاشفي: هي دولة اللقاء، قال الحافظ:

نعمت فردوس زاهد راوما راروى دوست   قيمت هركس بقدر همت والاى اوست

وفي «المثنوي»:

هشت جنت هفت دوزخ پيش من   هست پيدا همچو بت پيش شمن

ومن هنا قال أبو يزيد البسطامي قدس سره لو عذبني الله يوم القيامة لشغلني بالجنة ونعيمها فلا جنة أعلى من جنة اللقاء والوصال ولا نار أشد من نار الهجران والفراق:

روزشب غصه وخون ميخورم وچون نخورم
چون زديدار تو دورم بچه باشم دلشاد

﴿خالدين فيها﴾ حال مقدرة أي: مقدرين الخلود في تلك الجنات ﴿لا يبغون عنها حولا﴾ مصدر كالصغر والجملة حال من صاحب خالدين أي: لا يطلبون تحولاً وانتقالاً عنها إلى غيرها كما ينتقل الرجل من دار إذا لم توافقه إلى دار إذ لا مزيد عليها وفيها كل المطالب. قال الإمام وهذا الوصف يدل على غاية الكمال لأن الإنسان في الدنيا إذا وصل إلى أي درجة كانت في السعادة فهو طامح الطرف إلى ما هو أعلى منها ويجوز أن يراد نفي التحول وتأكيد الخلود كما في «تفسير الشيخ» وهذا كناية عن التخليد وقال المراد بالفردوس ربوة خضراء في الجنة أعلاها وأحسنها يقال لها سرة الجنة وفي الحديث «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض الفردوس أعلاها فيها تتفجر الأنهار الأربعة وفوقها عرش الرحمٰن فإذا سألتم الله فاسألوا الفردوس» وفي الحديث: «جنتان الفردوس أربع جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما فضة وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ذهب» [ودرتبيان آورده كه خداى تعالى فردوس را بيد قدرت خود آفريده وبمقدار هر روز از روزهاى دنيا پنجاه كرت بدو نظر كرده وميفرما يدكه «ازدادي طيباً وحسناً لأوليائي» افزون ساز حسن جمال وتازه كى وپاكى خودرا براى دوستان من] وفي بعض الروايات «يفتحها كل يوم خمس مرات». يقول الفقير التوفيق بين الروايتين أن الأولى من مقام التفصيل والثانية من مقام الإجمال إذ المقصود ازدياد حسنها وطيبها كلما أدى الصلوات الخمس وهي في الأصل خمسون صلاة كما سبق في بحث المعراج وفي الحديث: «إن الله غرس الفردوس بيده ثم قال: وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث» قيل ما الديوث يا رسول الله؟ قال: «الذي يرضى الفواحش لأهله» كما في «تفسير الحدادي». وقال في «بحر العلوم»: قال عليه السلام: «إن الله كبس عرصة جنة الفردوس بيده ثم بناها لبنة من ذهب مصفى ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من طيب الفاكهة وطيب الريحان وفجر فيها أنهارها ثم أوفى ربنا على العرش فنظر إليها فقال: وعزتي لا يدخلك مدمن خمر ولا مصر على زنى». يقول الفقير: إن قلت فعلى ما ذكر من أوصاف الفردوس يكون مقام المقربين فكيف يترتب جزاء الخاصة على العامة. قلت: يؤول العنوان بمن جمع بين الإيمان والعمل على وجه الكمال وهو بأن آمن إيماناً عيانياً بعدما آمن برهانياً وعمل بإخلاص الباطن وشرائط الظاهر على وفق الشريعة وقانون الطريقة فيدخل فيه الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر على ما فسر كعب فإن الدلالة على الخير والمنع من الشر من فواضل الأعمال وخواص الرجال. ويدل على ما ذكرنا ما قبل الآية من قوله تعالى في حق الكفار ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه﴾ فإن المراد بيان المؤمنين المتصفين بأضداد ما اتصفوا به والإيمان باللقاء أي: الرؤية والمشهود بعد الإيمان بالآيات والشاهد وهو بالترقي من العلم والغيب والآثار إلى العين والشهادة والأنوار ويدل عليه ما بعد الآية أيضاً من قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو﴾ إلى آخره فافهم وهكذا لاح بالبال والله أعلم بحقيقة الحال نسأل الله الفردوس بل

وتجلي جماله والاحتظاظ بكاسات وصاله، قال الحافظ:

كداى كوى تو ازهشت خلد مستغنيست　　اسير عشق تو ازهردو كون آزادست

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾

﴿قل لو كان البحر﴾ [بكوا كرباشد درياى محيط كه شامل ارضست] كذا في «تفسير الكاشفي». وقال غيره: يريد الجنس يعني لو كان ماء جنس البحر ﴿مدادا﴾ نقساً وحبراً والثلاثة بمعنى ما يكتب به نزلت حين قال حيي بن أخطب في كتابكم ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] ثم تقرأون ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] كأنه يشير إلى أن التوراة خير كثير فكيف يخاطب أهلها بهذا الخطاب يعني أن ذلك خير كثير بالنسبة إلينا ولكنه قطرة من بحر كلمات الله:

علمها از بحر علمش قطره　　اين چو خورشيدست وآنها ذره

كر كسى در علم صد لقمان بود　　پيش علم كاملش نادان بود

لأنه لو كان ماء البحر مداداً ﴿لكلمات ربي﴾ لكلمات علمه وحكمته يعني لمعلوماته وحكمه فتكتب من ماء البحر كما تكتب من المداد والحبر. قال في «تفسير الجلالين» ﴿لكلمات ربي﴾ أي: لكتابتها وهي حكمه وعجائبه والكلمات هي العبارات عنها انتهى ﴿لنفد البحر﴾ يعني: ماء جنس البحر بأسره مع كثرته ولم يبق فيه شيء لأن كل جسم متناهٍ ﴿قبل أن تنفد كلمات ربي﴾ أي: من غير أن تفنى معلوماته وحكمه فإنها غير متناهية لا تنفد كعلمه فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر وإنما اختار جمع القلة على الكثرة وهي الكلم تنبيهاً على أن ذلك لا يقابل بالقليل فكيف بالكثير كما في «بحر العلوم». وقال أبو القاسم الفزاري في «الأسئلة المقحمة»: ما معنى قوله كلمات ربي فذكر بلفظ الجمع وكلمته واحدة صفة له والجواب قيل معاني كلمات ربي فلا نهاية لها لأن متعلقات الصفات القديمة غير متناهية والفلاسفة يحملون كل كلمة جاءت في القرآن على الروح ويقولون بأن الروح الإنسانية قديمة منه بدت وإليه تعود. ورأيت في كلمات بعض المعاصرين الذين يدعون التحقيق في الكلام ويحومون حول هذا الحمى إظهاراً من نفوسهم التفطن في الشطح ولكن تارة يعرض بها وتارة يصرح بذلك وإياكم ثم إياكم والاغترار بها فإنها من أوائل حكم الفلسفة وأوائل العلوم مسوقة ولكنها عند البحث قلما تعود بطائل يتروج وهو مطوي ويهجر وهو منشور انتهى. ﴿ولو جئنا بمثله﴾ بمثل البحر الموجود يعني بمائة. وقال الكاشفي: [واكرنيز بياريم مثل درياى محيط] ﴿مددا﴾ تمييز أي زيادة ومعونة أي: لنفد أيضاً والكلمات غير نافدة لعدم تناهيها فحذف جزاء الثاني لدلالة الأول عليه ويجوز أن يكون التقدير ولو جئنا بمثله مدداً ما نفدت كلمات الله وهو أحسن لكونه أوفق بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧] ولأنه يدل به على تحقق نفاد البحر وعدم تحقق نفاد الكلمات صريحاً فيكفي مؤنة كثيرة من الكلام كما في «بحر العلوم». قال في «الإرشاد»: قوله: ﴿ولو جئنا﴾ كلام من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن يجيء به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله والواو لعطف الجملة على نظيرتها أي: لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى لو لم يجيء بمثله مدداً ولو جئنا بقدرتنا القاهرة بمثله عوناً وزيادة لأن مجموع المتناهيين متناه

بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الأجسام لا يكون إلا متناهياً لقيام الأدلة القاطعة على تناهي الابعاد. قال الإمام قولنا الله تعالى قادر على مقدورات غير متناهية مع قولنا إن حدوث ما لا نهاية له محال معناه أن قادرية الله تعالى لا تنتهي إلى حد إلا ويصح منه الإيجاد بعد ذلك انتهى أي: فلا يلزم منه عدم تناهي الممكنات. قال شيخي وسندي قدس الله سره في بعض تحريراته قوله كلمات علمه وحكمته الظاهر أن المراد الكلمات التي يعبر بها عن معلومات الله تعالى وما يتعلق به حكمته فكلمة قبل على المجاز عن نفاد البحر دون أن يكون لها تحقق النفاد أي: ينفد البحر ولا يتحقق لكلمات الرب نفاد. فإن قلت إنما يتم ما ذكرتم إذا كانت الكلمات هي المعلومات المحكومة والمقدورة كالممكنات والممتنعات فكيف يتم ما ذكرتم إذ كل منهما مما ينفد ويتناهى فهٰهنا اشكال لأنه إن قيل: إنهما ليسا من المعلومات فيلزم أنهما من غير المعلومات فيلزم على الباري تعالى ما هو المحال والمفقود في حقه الأعلى من الجهل والغفلة فهو غير متصور في شأنه العلي. قلنا: إن البحر إذا كان مداداً وكانت كل قطرة منه قد عينت لأن يكتب بها نفسها باعتبار كونها من الكلمات والمعلومات ينفد بكتابة نفسه وقطراته ولا يبقى منه شيء يكتب به ما عداه من الكلمات ولو جيء بمثله مدداً لأن جميع المتناهى متناه فضلاً عن نفاد الكلمات وتناهي المعلومات فإنها غير متناهية لا تنفد أو قلنا: إن المراد مطلق المعلومات العام الشامل لكل ما يتعلق به علمه سواء كان ذات الباري تعالى وصفاته العليا وأسماؤه الحسنى أو غيره من الموجودات الممكنة والمعدومات الممتنعة فحينئذٍ يتم ما ذكرنا وإن كان يرى في صورة ما لا يتم ولا يصح باعتبار أن يكون من المعلومات ما له تناهٍ ونفاد من الممكنات والممتنعات ثم إن في إطلاق الكلمات على بعض ما يتعلق به علمه تعالى ما ليس في إطلاق المعلومات عليه من الاشكال والخفاء كذات الباري تعالى وصفاته مع أنهما من المعلومات المعبر عنها بالكلمات فيرى أن تفسير الكلمات بالمحكومات أو بالمقدورات أولى منه بالمعلومات إذ في إضافة الكلمات إلى الرب إشعار به وإشارة إليه وتسمية الممكنات بالكلمات من تسمية المسبب باسم السبب لأنها إنما تكوّنت بكلمة كن كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ﴾ [يس: ٨٢] الآية ومحصل الكلام أن نفاد البحر وقوعاً أو فرضاً أمر ذاتي غير معلل مطلقاً كان مداداً أم لا فإن كل جسم متناه ونافد قطعاً وعدم نفاد كلمات الرب لا وقوعاً ولا فرضاً أمر أصلي غير معلل أزلاً فإنها غير متناهية أبداً ولا نافدة سرمداً انتهى كلام حضرة الشيخ روح الله روحه.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾

﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ قل يا محمد ما أنا إلا آدمي مثلكم في الصورة ومساو بكم في بعض الصفات البشرية ﴿يوحى إلي﴾ من ربي ﴿أنما إلهكم إله واحد﴾ ما هو إلا متفرد في الألوهية لا نظير له في ذاته ولا شريك له في صفاته، يعني: أنا معترف ببشريتي ولكن الله منّ عليّ من بينكم بالنبوة والرسالة.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن بني آدم في البشرية واستعداد الإنسانية سواء النبي والولي والمؤمن والكافر والفرق بينهم بفضيلة الإيمان والولاية والنبوة والوحي والمعرفة بأن إله

العالمين إله واحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد انتهى كما قال الشيخ سعدي:

ره راست بايد نه بالاى راست ... كه كافرهم ازروى صورت چو ماست

﴿فمن كان يرجو﴾ شرط جزاؤه فليعمل. والمعنى بالفارسية: [پس هركه اميد ميدارد] ﴿لقاء ربه﴾. قال في «الإرشاد»: كان للاستمرار ولرجاء توقع وصول الخبر في المستقبل والمراد بلقائه كرامته أي: فمن استمره على رجاء كرامته تعالى. وقال الإمام: أصحابنا حملوا لقاء الرب على رؤيته والمعتزلة على لقاء ثوابه يقال لقيه كرضيه رآه كما في «القاموس». ﴿فليعمل﴾ لتحصيل ذلك المطلوب العزيز ﴿عملا صالحا﴾ [كارى شايسته يعني بسنديده خداى]. قال الأنطاكي: من خاف المقام بين أيدي الله فليعمل عملاً يصلح للعرض عليه والرجاء يكون بمعنى الخوف والأمل كما في البغوي. وقال ذو النون العمل الصالح هو الخالص من الرياء. وقال أبو عبد الله القرشي: العمل الصالح الذي ليس للنفس إليه التفات ولا به طلب ثواب وجزاء.

وقال في «التأويلات النجمية»: العمل الصالح متابعة النبي عليه السلام والتأسي بسنته ظاهراً وباطناً فأما سنة باطنه فالتبتل إلى الله وقطع النظر عما سواه [يعني ديده همت ازماسوى بربستن وجز بشهود حضرت مولى نا كشودن] كما قال الله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النجم: ١٧].

روى ازهمه برتافتم وسوى توكردم ... چشم ازهمه بربستم وديدار توديدم

﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ [شريك نيارد وانباز نسازد بپرستش پروردكار خود يكى را]. قال أبو البقاء أي: في عبادة ربه ويجوز أن يكون على بابه أي: بسبب عبادة ربه انتهى. وفي «الإرشاد»: إشراكاً جلياً كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا إشراكاً خفياً كما يفعله أهل الرياء ومن يطلب به أجراً انتهى. وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يقل ولا يشرك به لأنه أراد العمل الذي يعمله ويحب أن يحمد عليه. وعن الحسن هذا فيمن أشرك بعمل يريد الله به والناس على ما روي أن جندب بن زهير رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ: إني لأعمل العمل لله فإذا اطلع عليه أحد سرني فقال: «إن الله لا يقبل ما شورك فيه» فنزلت تصديقاً له عليه السلام وروي أنه قال له: «لك أجران أجر السر وأجر العلانية» وهذا على حسب النية فإذا سره ظهوره ليقتدي به كما هو شأن الكاملين المخلصين المعرضين عما سوى الله أو تنتفي عنه التهمة إذ كان ذلك من الواجبات فله أجران فأما إذا أراد به مجرد مدح الناس وانتشار الصيت والذكر فهو محض الرياء والشرك فيخفى المقتدي احترازاً عن إفساد العمل. وعن عبد الله بن غالب أنه كان إذا أصبح يقول رزقني الله البارحة خيراً قرأت كذا وصليت كذا فإذا قيل له يا أبا فراس أمثلك يقول مثل هذا يقول قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى: ١١] وأنتم تقولون لا تحدث بنعمة الله وإنما يجوز مثله إذا قصد به اللطف وأن يقتدي به غيره وأمن على نفسه الفتنة والستر أولى ولو لم يكن فيه إلا التشبه بأهل الرياء والسمعة لكفى كذا في «الكشاف» في سورة الضحى. والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والإخلاص في العمل، قال الشيخ سعدي قدس سره:

عبادت باخلاص نيت نكوست ... وكرنه چه آيد زبى مغز پوست
چه زنار مغ درميانت چه دلق ... كه دريوشى ازبهر پندار خلق
بروى ريا خرقه سهلست دوخت ... كرش باخدا درتوانى فروخت

قال في «بحر العلوم» إن قلت: ما معنى الرياء؟ قلت العمل لغير الله بدليل قوله عليه السلام «إن أخوف ما أخاف على أمتي الإشراك بالله أما أني لا أقول يعبدون شمساً ولا قمراً ولا شجراً ولا وثناً ولكن أعمالاً لغير الله تعالى». قال في «الأشباه»: ولا يدخل الرياء في الصوم انتهى هذا إذا لم يجوّع نفسه إظهاراً لأثره في وجهه أو لم يقل ولم يعرض به كما لا يخفى على ما روي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى صلاة يرائي بها فقد أشرك ومن صام صوماً يرائي به فقد أشرك» وقرأ ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ الآية كما في «الحدادي» وقس عليه التصدق والحج وسائر وجوه البر:

مـرايـى هـركـسـى مـعـبـود سـازد مـرايـى را ازان كـفـتـنـد مـشـرك

وفي الحديث: «إنما حرم الله الجنة على كل مرائي» ليس البر في حسن اللباس والزي ولكن البر المسكنة والوقار.

كـراجـامـه پـاكـسـت وسـيـرت پـلـيـد در دوز خـش را نـبـايـد كـلـيـد

بـنـزديـك مـن شـب رو راهـزن بـه ازفـاسـق پـارسـا پـيـرهـن

وفي الحديث: «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان أشرك في عمل عمله لله أحداً فليطلب ثواب عمله من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك».

زعـمـرو اى پـسـر چـشـم اجـرت مـدار چـو درخـانـه زيـد بـاشـى بـكـار

وفي الحديث: «إن في جهنم وادياً تستعيذ جهنم من ذلك الوادي في كل يوم مائة مرة أعد ذلك للمرائين» وفي الحديث: «اتقوا الشرك الأصغر» قيل وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء»، وفي الحديث «إن أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الخفي فإياكم وشرك السرائر فإن الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء» فشق على الناس فقال عليه السلام: «أفلا أدلكم على ما يذهب صغير الشرك وكبيره قولوا: اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم» كذا في «عين المعاني».

ـ حكي ـ أن بعض الخلفاء أراد أن يتطهر فعدا غلمانه ليصبوا عليه الماء فصدهم عن ذلك وتلا هذه الآية وأظنه المرتضى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ كذا في الأسئلة المقحمة لأبي القاسم الفزاري. يقول الفقير: كان المرتضى رضي الله عنه عمم الإشراك إلى الرياء والاستعانة في الوضوء ونحوه نظراً إلى ظاهر النظم وذلك زيادة في التقوى ونظيره أن الشافعي أوجب الوضوء من لمس المرأة باليد ونحوها نظراً إلى إطلاق قوله تعالى: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣] وهو عمل بالعزيمة كما لا يخفى. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال» رواه مسلم قال ابن ملك اللام فيه للعهد ويجوز أن تكون للجنس لأن الدجال من يكثر منه الكذب والتلبيس وقد جاء في الحديث «يكون في آخر الزمان دجالون» فأهل الأهواء والبدع دجاجلة زمانهم والسر في العصمة منه أن هذه الآيات العشر مشتملة على قصة أصحاب الكهف وهم لما التجأوا إلى الله تعالى من شر دقيانوس الكافر أنجاهم الله منه فالمرجو منه تعالى أن يحفظ قارئها من الدجال ويثبته على الدين القويم. وفي رواية للنسائي «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال». وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «من قرأ

الكهف كما أنزلت كانت له نوراً يوم القيامة من مقامه إلى مكة ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه» رواه الحاكم. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال عليه السلام: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين». وعن أبي سعيد قال: «من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق» رواه الدارمي في مسنده موقوفاً على أبي سعيد كذا في «الترغيب والترهيب» للإمام المنذري. وفي تفسير «التبيان»: روى عبد الله بن فردة رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «ألا أدلكم على سورة شيعها سبعون ألف ملك حين نزلت ملأ عظمها ما بين السماء والأرض لتاليها مثل ذلك» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «سورة الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر له إلى يوم الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام وأعطي نوراً يبلغ السماء ووقي فتنة الدجال». وفي «تفسير الحدادي» عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «من قرأ سورة الكهف فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة تكون فيها ومن قرأ الآية التي في آخرها حين يأخذ مضجعه كان له نور يتلألأ إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه وإن كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نور يتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ». وفي «تفسير البيضاوي» عن النبي عليه السلام: «من قرأ عند مضجعه ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ كان له نور في مضجعه يتلألأ إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ». وفي «فتح القريب» من قرأ عند إرادة النوم ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الخ ثم قال اللهم أيقظني في أحب الأوقات إليك واستعملني بأحب الأعمال إليك فإنه سبحانه يوقظه ويكتبه من قوام الليل. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا أردت أن تقوم أية ساعة شئت من الليل فاقرأ إذا أخذت مضجعك ﴿قل لو كان البحر مدادا﴾ الآية فإن الله يوقظك متى شئت من الليل. وتكلموا في القراءة في الفراش مضطجعاً. قال في «الفتاوى الحمدية»: لا بأس للمضطجع بقراءة القرآن انتهى. والأولى أن لا يقرأ وهو أقرب إلى التعظيم كما في «شرح الشرعة» ليحيى الفقيه. وعن ظهير الدين المرغيناني لا بأس للمضطجع بالقراءة مضطجعاً إذا أخرج رأسه من اللحاف لأنه يكون كاللبس وإلا فلا نقله قاضي خان. وفي «المحيط»: لا بأس بالقراءة إذا وضع جنبيه على الأرض لكن يضم رجليه إلى نفسه انتهى. نسأل الله تعالى أن يوقظنا من الغفلة قبل انقضاء الأعمار ويؤنسنا بالقرآن آناء الليل وأطراف النهار تمت سورة الكهف والحمد لله تعالى يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر رمضان من سنة خمس ومائة وألف.

١٩ - سورة مريم

ثمان أو تسع وتسعون آية وهي مكية إلا آية السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ ﴾

﴿كهيعص﴾ اسم للسورة ومحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص أي: مسمى به وإنما صحت الإشارة إليه مع عدم جريان ذكره لأنه باعتبار كونه على جناح الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان، كذا في «الإرشاد».

وقال في تفسير الشيخ قسم أقسم بالله تعالى أو هي اسم من أسمائه الحسنى ويدل عليه ما قرأوا في بعض الأدعية من قولهم يا كهيعص يا حمعسق أو أنه مركب من حروف يشير كل منها إلى صفة من صفاته العظمى. فالكاف من كريم وكبير. والهاء من هاد. والياء من رحيم. والعين من عليم وعظيم. والصاد من الصادق أو معناه هو تعالى كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق في وعده.

قال الكاشفي: [در مواهب صوفيان از مواهب الهى كه بر حضرت شيخ ركن الدين علاء الدولة سمناني قدس سره فرود آمده مذكوراست كه حضرت رسالت را ﷺ سه صورتست يكى بشرى كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ﴾ [الكهف: ١١٠] دوم ملكى چنانكه فرموده است (لست كأحد ابيت عند ربي) سيوم حقي كما قال: (لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل) وازين روشنتر «من رآني فقد رأى الحق» وحق سبحانه را با او درهر صورتي سخن بعبارتي ديكر واقع شده است در صورت بشرى كلمات مركبه چون ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] ودر صورت ملكي حروف مفرده مانند﴿كهيعص﴾ واخواته ودرصورت حقى كلامى مبهم كه ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم: ١٠]:

درتنكناى حرف نكنجد بيان ذوق ... زان سوى حرف ونقطه حكايات ديكرست]

وفي «التأويلات النجمية» في سورة البقرة يحتمل أن يكون﴿الم﴾ وسائر الحروف المقطعة من قبيل المواضعات والمعميات بالحروف بين المحبين لا يطلع عليها غيرهم وقد واضعها الله تعالى مع نبيه عليه السلام في وقت لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ليتكلم بها معه على لسان جبريل بأسرار وحقائق لا يطلع عليها جبريل ولا غيره. يدل على هذا ما روي في الأخبار أن جبريل عليه السلام نزل بقوله تعالى: ﴿كهيعص﴾ فلما قال كاف قال النبي عليه السلام: «علمت» فقال ها فقال: «علمت» فقال يا فقال: «علمت» فقال عين فقال: «علمت» فقال صاد فقال: «علمت» فقال جبريل: كيف علمت ما لم أعلم؟ وفي «أسئلة

الحكم» علوم القرآن ثلاثة:

علم لم يطلع الله عليه أحداً من خلقه وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه من معرفة كنه ذاته ومعرفة حقائق أسمائه وصفاته وتفاصيل علوم غيوبه التي لا يعلمها إلا هو وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه بوجه من الوجوه إجماعاً، العلم الثاني ما اطلع عليه نبيه من أسرار الكتاب واختصه به وهذا لا يجوز الكلام فيه إلا له عليه السلام أو لمن أذن له وأوائل السور من هذا القسم وقيل من القسم الأول.

العلم الثالث: علوم علمها الله نبيه مما أودع كتابه من المعاني الجليلة والخفية وأمره بتعليمها ﴿ذكر﴾ أي: هذا المتلو ذكر ﴿رحمة ربك﴾ ذكر مضاف إلى مفعوله ﴿عبده﴾ مفعول رحمة ﴿زكريا﴾ بدل منه وهو زكريا يمد ويقصر ابن آزر.

قال الكاشفي: [واو ازاولاد رجعيم بن سليمان بن داود عليهم السلام بوده بيغمبر عاليشان ومهتر احبار بيت المقدس وصاحب قربان]. قال الإمام زكريا من ولد هارون أخي موسى وهما من ولد لاوى بن يعقوب بن إسحاق ﴿إذ نادى ربه نداء خفياً﴾ ظرف لرحمة ربك. والمعنى بالفارسية [چون ندا كرد وبخواند پروردكار خودرا در محراب بيت المقدس بعد از تقريب قربان وخواندن پنهان] ولقد راعى عليه السلام حسن الأدب في دعائه فإنه مع كونه بالنسبة إليه تعالى كالجهر أدخل في الإخلاص وأبعد من الرياء وأقرب إلى الخلاص من غائلة مواليه الذين كان يخافهم فإنه إذا أخفى لم يطلعوا عليه ومن لوم الناس على طلب الولد لتوقفه على مبادي لا يليق به تعاطيها وقت الكبر والشيخوخة وكانت سنه وقتئذ تسعاً وتسعين على ما اختاره الكاشفي.

فإن قلت شرط النداء الجهر فكيف يكون خفيا.

قلت: دعا في الصلاة فأخفاه.

يقول الفقير النداء وإن كان بمعنى الصوت لكن الصوت قد يتصف بالضعف ويقال صوت خفي وهو الهمس فكذا النداء وقد صح عن الفقهاء أن بعض المخافتة يعد من أدنى مراتب الجهر وتفصيله في «تفسير الفاتحة» للفناري. ولي فيه وجه خفي لاح عند المطالعة وهو أن النداء الخفي عند الخواص كالذكر الخفي هو ما خفي عن الحفظة فضلاً عن الناس لا يخفض به الصوت والوجه في عبارة النداء الإشارة إلى شدة الإقبال والتوجه في الأمر المتوجه إليه كما هو شأن الأنبياء ومن له بهم أسوة حسنة من كمل الأولياء.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴿٦﴾﴾

﴿قال﴾ استئناف وقع بياناً للنداء ﴿رب﴾ [اي پروردكار من] ﴿إني وهن العظم مني﴾ الوهن الضعف وإنما أسنده إلى العظم وهو بالفارسية [استخوان] لأنه عماد بيت البدن فإذا أصابه الضعف مع صلابته وقلة تأثره من العلل أصاب سائر الأجزاء. قال قتادة: اشتكى سقوط الأضراس كما في البغوي وإفراده للقصد إلى جنس المنبىء عن شمول الوهن لكل فرد من أفراده ولو جمع لخرج بعض العظام عن الوهن. «ومني» متعلق بمحذوف وهو حال من

العظم وهو تفصيل بعد الإجمال لزيادة التقرير لأن العظم من حيث إنه يصدق على عظمه يفيد نسبته إليه إجمالاً ﴿واشتعل الرأس﴾ مني حذف اكتفاء بما سبق ﴿شيبا﴾ شبه الشيب في بياضه وإنارته بشواظ النار وانتشاره في الشعر ومنبته مبالغة وإشعاراً لشمول الشيب جملة الرأس حتى لم يبق من السواد شيء وجعل الشيب تمييزاً إيضاحاً للمقصود والأصل اشتعل شيب رأسي فوزانه بالنسبة إلى الأصل وزان اشتعل بيته ناراً بالنسبة إلى اشتعل النار في بيته، قال الشيخ سعدي:

چو شيبت در آمد بروى شباب   شبت روز شد ديده بركن زخواب
من آن روز ازخود بربدم اميد   كه افتادم اندر سياهى سفيد
چو دوران عمر از چهل در كذشت   مزن دست وپاكآب ازسر كذشت
دريغاكه بكذشت عمر عزيز   بخواهد كذشت اين دمى چندنيز

﴿ولم أكن بدعائك رب شقياً﴾ ولم أكن بدعائي إياك خائباً في وقت من أوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي وهذا توسل منه بما سلف من الاستجابة عند كل دعوة أثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن وضعف الحال فإنه تعالى بعدما عوّد عبده بالإجابة دهراً طويلاً لا يخيبه أبداً لا سيما عند اضطرار وشدة افتقار.

ـ روي ـ أن محتاجاً قال لبعضهم: أنا الذي أحسنت إلى وقت كذا فقال: مرحباً بمن توسل بنا إلينا وقضى حاجته ووجهه أن الرد بعد القبول يحبط الإنعام الأول والمنعم لا يسعى فيه وكأنه يقول ما رددتني حين ما كنت قوي القلب والبدن غير متعود بلطفك فلو رددتني الآن بعدما عودتني القبول مع نهاية ضعفي لتضاعف ألم قلبي وهلكته يقال سعد بحاجته إذا ظفر بها وشقي بها إذا خاب كذا في «تفسير الإمام» ثم بين أن ما يريده منتفع به في الدين فقال:

﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾ أي بعد موتي فلا بد لي من الخلف وهو متعلق بمحذوف ينساق إليه الذهن أي جور الموالي لا بخفت لفساد المعنى والجملة عطف على قوله أني وهن مترتب مضمونه على مضمونها فإن ضعف القوى وكبر السن من مبادي خوفه من يلي أمره بعد موته ومواليه بنوا عمه وكانوا شرار بني إسرائيل فخاف أن لا يحسنوا خلافته في أمته ويبدلوا عليهم دينهم.

قال في «القاموس» المولى المالك والعبد والمعتق والصاحب والقريب كابن العم ونحوه والجار والحليف والابن والعم والنزيل والشريك وابن الأخت والولي والرب والناصر والمنعم والمنعم عليه والمحب والتابع والصهر انتهى. ﴿وكانت امرأتي﴾ هي ايشاع بنت فاقوذ بن فيل وهي أخت حنة بنت فاقوذ. قال الطبري وحنة هي أم مريم. وقال القتيبي امرأة زكريا هي ايشاع بنت عمران فعلى هذا القول يكون يحيى ابن خالة عيسى على الحقيقة وعلى القول الآخر يكون ابن خالة أمه وفي حديث الإسراء: «فلقيت ابني الخالة يحيى وعيسى» وهذا شاهد للقول الأول قاله الإمام السهيلي في كتاب «التعريف والإعلام» ﴿عاقرا﴾ أي: لا تلد من حين شبابها فإن العاقر من الرجال والنساء من لا يولد له ولد وكان سنها حينئذٍ ثماني وتسعين على ما اختاره الكاشفي ﴿فهب﴾ [پس ببخش] ﴿لي من لدنك﴾ كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما، فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازاً، ولدن في الأصل ظرف بمعنى أول غاية زمان أو مكان أو غيرهما من الذوات، أي اعطني من محض فضلك الواسع وقدرتك بطريق الاختراع لا

بواسطة الأسباب العادية فإني وامرأتي لا نصلح للولادة ﴿وليا﴾ ولداً من صلبي يلي أمر الدين بعدي كما قال:

﴿يرثني﴾ صفة لوليا أي: يرثني من حيث العلم والدين والنبوة فإن الأنبياء لا يورثون المال كما قال عليه السلام: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة». فإن قلت وقد وصف الولي بالوراثة ولم يستجب له في ذلك فإن يحيى خرج من الدنيا قبل زكريا على ما هو المشهور. قلت: الأنبياء وإن كانوا مستجابي الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات حسبما تقتضيه المشيئة الإلهية المبنية على الحكم البالغة ألا يرى إلى دعوة إبراهيم عليه السلام في حق أبيه وإلى دعوة النبي عليه السلام حيث قال: «وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعتها» وقد كان من قضائه تعالى أن يهبه يحيى نبياً مرضياً ولا يرثه فاستجيب دعاؤه في الأول دون الثاني ﴿ويرث من آل يعقوب﴾ بن إسحاق بن إبراهيم الملك يقال ورثه وورث منه لغتان. وآل الرجل خاصة الذين يؤول إليه أمرهم للقرابة أو الصحبة أو الموافقة في الدين. وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام أبو مريم وكان آل يعقوب أخوال يحيى بن زكريا. قال الكلبي: كان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وملوكهم وكان زكريا رئيس الأحبار يومئذٍ فأراد أن يرث ولده حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم ﴿واجعله﴾ أي: الولد الموهوب ﴿رب رضيا﴾ مرضياً عندك قولاً وفعلاً وتوسيط رب بين مفعولي الجعل كتوسيطه بين كان وخبرها فيما سبق لتحريك سلسلة الإجابة بالمبالغة في التضرع ولذلك قيل إذا أراد العبد أن يستجاب له دعاؤه فليدع الله بما يناسبه من أسمائه وصفاته. واعلم أن الله تعالى لا يمكن العبد من الدعاء إلا لإجابته كلاً أو بعضاً كما وقع لزكريا:

هم زاول تو دهى ميل دعا ... تو دهى آخر دعاها را جزا
ترس وعشق توكمند لطف ماست ... زير هر يارب تو لبيكهاست

وفي الحديث: «من فتح له باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة» وذلك لأن في الدعاء إظهار الذلة والافتقار وليس شيء أحب إلى الله من هذا الإظهار ولذا قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: كابدت العبادة ثلاثين سنة فرأيت قائلاً يقول لي: يا أبا يزيد خزائنه مملوءة من العبادات إن أردت الوصول إليه فعليك بالذلة والافتقار ولذا قال عند دخوله عالم الحقيقة:

چار جيز آورده ام شاهاكه دركنج تونيست ... نيستي وحاجت وعجز ونياز آورده ام

وعن بعض أهل المعرفة:

نعم السلاح الدعاء، ونعم المطية الوفاء، ونعم الشفيع البكاء، كما في «خالصة الحقائق»

ثم إن الدعاء إما للدين أو للدنيا والأول مطمح نظر الكمل ألا ترى أن زكريا طلب من الله أن يكون من ذريته من يرث العلم الذي هو خير من ميراث المال لأن نظام العالم في العلم والعمل والصلاح والتقوى والعدل والإنصاف وفيه إشارة إلى أنه لا بد للكامل من مرآة يظهر فيها كمالاته ألا ترى أن لله تعالى خلق العوالم وبث فيها أسماءه الحسنى وجعل الإنسان الكامل في كل عصر مجلى أنواره ومظهر أسراره فمن أراد الوصول إلى الله تعالى فليصل إلى الإنسان الكامل فعليك بطلب خير الأول ليحيى به ذكرك إلى يوم التناد ومن الله رب العباد الفيض والإمداد والتوفيق لأسباب الوصول إلى المراد.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾

﴿يا زكريا﴾ على إرادة القول أي: قال تعالى على لسان الملك يا زكريا كما قال في سورة آل عمران ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩] **﴿إنا نبشرك﴾** [ما بشارت ميدهيم ترا] والبشارة بكسر الباء الإخبار بما تظهر سروراً في المخبر **﴿بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا﴾** [همنام] أي: شريكاً له في الاسم حيث لم يسم أحد قبله بيحيى وهو شاهد بأن التسمية بالأسامي الغريبة تنويه للمسمى وإياها كانت العرب تعني لكونها أنبه وأنوه وأنزه عن النبز [در زاد المسير فرموده كه وجه فضيلت نه ازان رويست كه پيش ازو كسى مسمى بدين اسم نبوده چه بسيار آدمى بدين وجه يافت شودكه پيش ازو مسمى نبوده باشد پس فضيلت آنست كه حق سبحانه وتعالى بخود تولى تسميه او نموده به پدر ومادر حواله نكرد] كما أن زينب أم المؤمنين رضي الله عنها زوجها الله بالذات حبيبه عليه السلام حيث قال: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] ولذا كانت تفتخر بهذا على سائر الأزواج المطهرة: [وامام ثعلبي آورده كه ذكر قبل ازان فر مودكه بعد ازو كسى ظهور خواهد كردكه اورا بچند بن اسم خاص اختصاص دهد واسم سامى اورا ازنام همايون فرجام خود مشتق سازد] كما قال حسان رضي الله عنه.

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

اى خواجه كه عاقبت كارامتست ... محمود ازان شدست كه نامت محمداست

والأظهر أن يحيى اسم أعجمي وإن كان عربياً فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش. قيل سمي به لأنه حيي به رحم أمه أو حيي دين الله بدعوته أو حيي بالعلم والحكمة التي أوتيها. وفيه إشارة إلى أن من لم يحيه الله بنوره وعلمه فهو ميت أو حيي به ذكر زكريا كما أن آدم حيي ذكره بشيث ونوحاً حيي ذكره بسام وكذا الأنبياء الباقون ولكن ما جمع الله لأحد من الأنبياء في ولده قبل ولادة يحيى بين الاسم العلم الواقع منه تعالى وبين الصفة الحاصلة في ذلك النبي إلا لزكريا عناية منه إليه وهذه العناية إنما تعلقت به إذ قال: **﴿فهب لي من لدنك وليا﴾** فقدم الحق تعالى حيث كنى عنه بكاف الخطاب على ذكر ولده حين عبر عنه بالولي فأكرمه الله بأن وهبه ولياً طلبه وسماه بما يدل على صفة زكريا وهو حياة ذكره كذا قال الشيخ الأكبر قدس سره: قال الإمام السهيلي: في كتاب «التعريف والإعلام» كان اسمه في الكتاب الأول حيا وكان اسم سارة زوجة إبراهيم يسارة وتفسيرها بالعربية لا تلد فلما بشرت بإسحاق قيل لها سارة سماها بذلك جبريل فقالت يا إبراهيم لم نقص من اسمي حرف فقال ذلك إبراهيم لجبرائيل عليه السلام فقال: إن ذلك الحرف قد زيد في اسم ابن لها من أفضل الأنبياء واسمه حيا وسمي يحيى ذكره النقاش.

﴿قال﴾ استئناف مبني على السؤال كأنه فماذا قال زكريا حينئذٍ فقيل قال: **﴿رب﴾** ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه تعالى إليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة والجد في التبتل إليه تعالى والاحتراز عما عسى يوهم خطابه للملك من توهم إن علمه بما صدر عنه متوقف على توسطه كما أن علم البشر بما يصدر عنه سبحانه متوقف على ذلك في عامة

الأوقات ﴿أنى﴾ [چكونه] ﴿يكون لي غلام﴾ أي: كيف أو من أين يحدث لي غلام ﴿و﴾ الحال أنه قد ﴿كانت امرأتي عاقرا﴾ لم تلد في شبابها وشبابي فكيف وهي عجوز الآن ﴿وقد بلغت﴾ أنا ﴿من الكبر﴾ من أجل كبر السن ﴿عتيا﴾ يبوسة وجفافاً كالعود اليابس من قولهم عتا العود إذا يبس وعتا الشيخ إذا كبر وهرم وولى ويقال لكل شيء انتهى قد عتا وإنما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بأن المؤثر فيه كمال قدرته وأن الوسائط عند التحقيق ملغاة فأنى استعجاب واستبعاد من حيث العبادة لا من حيث القدرة.

قال الإمام فان قيل لم تعجب زكريا بقوله: ﴿أني يكون لي غلام﴾ مع أنه طلبه قلنا تعجب من أن يجعلهما شابين ثم يرزقها الولد أو يتركهما شيخين ويلدان مع الشيخوخة يدل عليه قوله تعالى: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠] أي: أعدنا له قوة الولادة انتهى. وفي «الأسئلة المقحمة» أراد من التي يكون منه هذا الولد أمن هذه المرة وهي عاقر أم من امرأة أخرى أتزوج بها أو مملوكة.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾

﴿قال﴾ الملك المبلغ للبشارة ﴿كذلك﴾ أي: الأمر كما قلت. وبالفارسية: [همجنين است كه توكفتى ازپيرى] وضعف أما ﴿قال ربك هو﴾ [اين كاركه آفريدن فرزنداست درين سن ازين دو شخص] مع بعده في نفسه ﴿علي﴾ [برقدت من خاصة] ﴿هين﴾ [آسانست] أرد عليك قوتك حتى تقوى على الجماع وأفتق رحم امرأتك بالولد كما في تفسير «الجلالين والكاشفي». وقال في «الإرشاد» الكاف في كذلك مقحمة كما في مثلك لا يبخل فمحلها النصب على أنه مصدر تشبيهي لقال الثاني وذلك إشارة إلى مصدره الذي هو عبارة عن الوعد السابق لا إلى قول آخر شبه هذا به وقوله: ﴿هو عليّ هين﴾ جملة مقررة للوعد المذكور دالة على إنجازه داخلة في حيز قال الأول كأنه قيل قال الله مثل ذلك القول البديع قلت: أي مثل ذلك الوعد الخارق للعادة وعدت هو عليّ خاصة هين وإن كان في العادة مستحيلاً ويجوز أن يكون محل الكاف في كذلك الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وذلك إشارة إلى ما تقدم من وعده تعالى أي: قال عز وعلا أمر كما وعدت وهو واقع لا محالة وقوله: ﴿قال ربك﴾ استئناف. مقرر لمضمونه ﴿وقد خلقتك من قبل﴾ من قبل يحيى في تضاعيف خلق آدم ﴿ولم تك﴾ إذ ذاك ﴿شيئاً﴾ أصلاً بل عد ما صرفا فخلق يحيى من البشرين اهون من خلقك مفردا والمراد خلق آدم لأنه انموذج مشتمل على جميع الذرية.

قال الإمام وجه الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وقد خلقتك﴾ إلخ أن خلقه من العدم الصرف خلق للذات والصفات وخلق الولد من شيخين لا يحتاج إلا إلى تبديل الصفات والقادر على خلق الذات والصفات أولى أن يقدر على تبديل الصفات انتهى.

قال في «بحر العلوم» ولفظ الشيء عندنا يختص بالموجود وبالعكس، ونفي كون الشيء تقرير لعدمه فالآية دليل على أن المعدوم ليس بشيء.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾

﴿قال رب اجعل لي آية﴾ الجعل إبداعي وقيل بمعنى التصيير أي: علامة على وقوع الحبل لا تلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها وهذا السؤال ينبغي أن يكون بعدما مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما روي أن يحيى كان أكبر من عيسى بستة أشهر أو بثلاث سنين ولا ريب في أن دعاء زكرياء كان في صغر مريم لقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٨] وهي إنما ولدت عيسى وهي بنت عشر سنين أو ثلاث عشرة سنة كذا في «الإرشاد» والأسئلة المقحمة ﴿قال﴾ الله تعالى: ﴿آيتك أن لا تكلم الناس﴾ أي أن لا تقدر على أن تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح كما هو المفهوم من تخصيص الناس ﴿ثلاث ليال﴾ مع أيامهن للتصريح بها في سورة آل عمران ﴿سويا﴾ حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطرار دون الاختيار أي: تمنع الكلام فلا تطيق به حال كونك سوى الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس قالوا: رجع تلك الليلة إلى امرأته فقربها ووقع الولد في رحمها فلما أصبح امتنع عليه الكلام الناس.

﴿فخرج﴾ صبيحة حمل امرأته ﴿على قومه من المحراب﴾ من المصلى أو من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرون أن يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا إذ خرج عليهم متغيراً لونه فأنكروه صامتاً وقالوا: ما لك يا زكريا ﴿فأوحى إليهم﴾ أي: أومأ إليهم لقوله تعالى: ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١] ﴿أن سبحوا﴾ أن إما مفسرة لأوحي أو مصدرية والمعنى أي: صلوا أو بأن صلوا ﴿بكرة﴾ هي من طلوع الفجر إلى وقت الضحى ﴿وعشيا﴾ هو من وقت زوال الشمس إلى أن تغرب وهما ظرفا زمان للتسبيح.

عن أبي العالية أن المراد بهما صلاة الفجر وصلاة العصر أو نزهوا ربكم طرفي النهار وقولوا سبحان الله ولعله كان مأموراً بأن يسبح شكراً ويأمر قومه بذلك كما في «الإرشاد».

يقول الفقير: هو الظاهر لأن معنى التسبيح في هذا الموضع تنزيه الله تعالى عن العجز عن خلق ولد يستبعد وقوعه من الشيخين لأن الله على كل شيء قدير وقد ورد في الاذكار «لكل أعجوبة سبحان الله».

وفي «التأويلات النجمية» في قوله: ﴿يا زكريا﴾ إلى ﴿بكرة وعشيا﴾ إشارة إلى بشارات:

منها: أنه تعالى ناداه باسمه زكريا وهذه كرامة منه.

ومنها: أنه سماه يحيى ولم يجعل له من قبل سميا بالصورة والمعنى أما بالصورة فظاهر وأما بالمعنى فإنه ما كان محتاجاً إلى شهوة من غير علة ولم يهمّ إلى معصية قط وما خطر بباله همها كما أخبر عن حاله النبي عليه السلام وفي قوله: ﴿لم نجعل له من قبل سميا﴾ إشارة إلى أنه تعالى يتولى تسمية كل إنسان قبل خلقه وما سمي أحد إلا بإلهام الله كما أن الله تعالى ألهم عيسى عليه السلام حين قال: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] وفي قوله: ﴿قال رب أنى يكون لي غلام﴾ الآية، إشارة إلى أن أسباب حصول الولد منفية من الوالدين بالعقر والكبر وهي من السنة الإلهية فإن من السنة أن يخلق الله الشيء من الشيء كقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥] ومن القدرة أنه تعالى يخلق الشيء من لا شيء فقال: ﴿أنى يكون لي غلام﴾ أي: أمن السنة أم من القدرة فأجابه الله تعالى بقوله: ﴿قال كذلك﴾ أي: الأمر لا يخلو من السنة أو القدرة وفي قوله: ﴿قال ربك هو عليّ هين﴾ إشارة إلى أن كلا الأمرين علي هين إن شئت أردّ عليكما أسباب حصول الولد من القوة على الجماع وفتق الرحم بالولد كما جرت

به السنة وإن شئت أخلق لك ولداً من لا شيء بالقدرة كما خلقتك من قبل ولم تك شيئاً أي: خلقت روحك من قبل جسدك من لا شيء بأمركن ولهذا قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥] وهو أول مقدور تعلقت القدرة به، وفي «المثنوي»:

آب از جوشش همى كردد هوا وان هوا كردد ز سردى آبها
بلكه بى اسباب بيرون زين حكم آب رويانيد تكوين از عدم
تو ز طفلى چون سببها ديده در سبب از جهل بر چفسيده

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾

﴿**يا يحيى**﴾ على إرادة القول أي: ووهبنا له يحيى وقلنا له يا يحيى. قال الكاشفي: [القصة سه روز بدين منوال كذشت پس بحال خود آمد ويحيى عليه السلام بعد از مضى مدت حمل متولد شد ودر كوذكى پلاس پوشيده بااحبار عبادت بطريق رياضت موافقت مى نمود تا وقتى كه وحى بدو فرود آمد وازحق سبحانه وتعالى خطاب رسيدكه يا يحيى] ﴿**خذ الكتاب**﴾ أي: التوراة ﴿**بقوة**﴾ بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد. قال في «الجلالين» أي: أعطيتكها وقويتك على حفظها والعمل بما فيها. قال المولى الجامي في «شرح الفصوص»: لولا إمداد الحق زكريا وزوجته بقوة غيبية ربانية خارجة عن الأسباب المعتادة ما صلحت زوجته ولا تيسر لها الحمل ثم إنه كما سرت تلك القوة من الحق في زكريا وزوجته تعدت منهما إلى يحيى ولذلك قال له الحق ﴿**يا يحيى خذ الكتاب بقوة**﴾. قال في «الأسئلة المقحمة»: أي: دليل فيها على المعتزلة؟ الجواب أنه دليل على أن الاسم والمسمى واحد لأنه تعالى قال: ﴿**اسمه يحيى**﴾ ثم نادى الشخص فقال: ﴿**يا يحيى**﴾ ﴿**وآتيناه الحكم**﴾ حال كونه ﴿**صبيا**﴾. قال ابن عباس: الحكم النبوة استنبأه الله تعالى وهو ابن ثلاث سنين أو سبع وإنما سميت النبوة حكماً لأن الله تعالى أحكم عقله في صباه وأوحى إليه. وقيل: الحكم الحكمة وفهم التوراة والفقه في الدين فهو بمعنى المنع ومنه الحاكم لأنه يمنع الظالم من الظلم والحكمة ما يمنع الشخص من السفه.

ـ روي ـ أنه دعاه الصبيان إلى اللعب فقال: ما للعب خلقنا. قال الكاشفي: [درين سخن پندى عظيم است بيخبران بازيچه كاه غفلت راكه عمر عزيز ببازى ميكذرانند وبدام فريب ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦] مقيد شده اند]:

عمر ببازيچه بسر ميبرى پاى باندازه بدر ميبرى
به كه زبازىء جهان پاكشى طفل نه چند ببازى خوشى

يقول الفقير: مثل يحيى عليه السلام في هذه الأمة المرحومة الشيخ العارف المحقق سهل بن عبد الله التستري قدس سره فإنه تم له أمر السلوك من ثلاث سنين إلى سبع سنين كما سمعت من شيخي وسندي روح الله روحه يعني وقع له الانكشاف والإلهام وظهر له الحال التام وهو ابن ثلاث سنين فكان ما كان إلى سبع فسبحان القادر وهذا من لطافة الحجاب وأما من كان كثيف الحجاب فيحتاج في إزالته إلى مجاهدات شاقة في مدة طويلة.

واعلم أن روح الكامل سريع التعلق ببدنه يعني أن مادة النطفة تصل سريعاً إلى الأبوين

فيحصل العلوق والولادة على أحسن وصف وفي أعدل زمان فيجيء الولد غالباً عليه أحكام الوجوب اللهم أعنا على إزالة الحجب الظلمانية والنورانية واجعلنا مكاشفين للأنوار الربانية.

﴿**وحنانا من لدنا**﴾ عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق يقال حنّ أي: ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرأفة أي: وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا أو رحمة في قلبه وشفقة على أبويه وغيرهما ﴿**وزكاة**﴾ أي: طهارة من الذنوب. قال الإمام: لم تدعه شفقته إلى الإخلال بواجب لأن الرأفة ربما أورثت ترك الواجب ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢] فالمعنى جمعنا له التعطف عليهم مع الطهارة عن الإخلال بالواجبات انتهى. أو صدقة أي: تصدق الله به على أبويه أو وفقناه للتصدق على الناس ﴿**وكان تقيا**﴾ مطيعاً متجنباً عن المعاصي لم يعمل خطيئة ولم يهم بها قط.

﴿**وبرا بوالديه**﴾ عطف على تقيا أي: بارّاً بهما لطيفاً بهما محسناً إليهما ﴿**ولم يكن جبارا عصيا**﴾ متكبراً عاقاً لهما أو عاصياً لربه. قال في «بحر العلوم» الجبار المتكبر وقيل هو الذي يضرب ويقتل على الغضب لا ينظر في العواقب وقيل هو المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾

﴿**وسلام**﴾ سلامة من الله تعالى وأمان ﴿**عليه**﴾ على يحيى أصله وسلمنا عليه في هذه الأحوال وهي أوحش المواطن لكن نقل إلى الجملة الاسمية للدلالة على ثبات السلام واستقراره فإن وحشتها لا تكاد تزول إلا بثبات السلام فيها ودوامه ﴿**يوم ولد**﴾ من رحم أمه من طعن الشيطان كما يطعن سائر بني آدم ﴿**ويوم يموت**﴾ بالموت الطبيعي من هول الموت وما بعده من عذاب القبر ﴿**ويوم يبعث**﴾ حال كونه ﴿**حياً**﴾ من هول القيامة وعذاب النار. وفيه إشارة إلى الولادة من أم الطبيعة والموت بالفناء عن مقتضيات الطبيعة في الله والبعث بالبقاء بعد الفناء. وقال ابن أبي عيينة أوحش ما يكون الإنسان في هذه الأحوال يوم ولد فيخرج مما كان ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر لم ير مثله فخص يحيى بالسلام في هذه المواطن.

واعلم أن زكريا إشارة إلى الروح الإنساني وامرأته إلى الجثة الجسدانية التي هي زوج الروح ويحيى إلى القلب وقد استبعد الروح بسبب طول زمان التعلق بالقالب أن يتولد له قلب قابل لفيض الألوهية بلا واسطة كما قال: «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن» وهو الفيض الأزلي لم يؤت لواحد من الحيوانات والملائكة كما قال المولى الجامي:

ملائك را چه سود از حسن طاعت   چو فيض عشق بر آدم فرو ريخت

ثم إنه لما بشر بولادة القلب الموصوف بما ذكر طلب آية يهتدي بها إلى كيفية حمل القالب العاقر بالقلب الحي الذي حيي بنور الله تعالى قال: ﴿**آيتك أن لا تكلم الناس**﴾ أي: لا تخاطب غير الله ولا تلتفت إلى ما سوى الله ثلاث ليال وبها يشير إلى مراتب ما سوى الله وهي ثلاث: الجمادات، والحيوانات، والروحانيات، فإذا تقرب إلى الله تعالى بعدم الالتفات إلى ما سواه يتقرب إليه بموهبة الغلام الذي هو القلب الحي بنوره فخرج زكريا الروح من محراب هواه وتبعه على قوم صفات نفسه وقلبه وأنانيته فقال: كونوا متوجهين إلى الله معرضين عما سواه آناء

الليل وأطراف النهار بل بكرة الأزل وعشيّ الأبد فلما ولد له يحيى القلب قيل له يا يحيى خذ كتاب الفيض الإلهي بقوّة ربانية لا بقوّة إنسانية لأنه خلق الإنسان ضعيفاً وهو عن القوة بمعزل وأن الله هو الرزاق ذو القوّة المتين فجاء صاحب علم وحكمة ورحمة وطهارة من الميل إلى ما سوى الله واتقاء ﴿وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا﴾ كالنفس الأمارة بالسوء أما بره بوالد الروح فتنويره بنور الفيض الإلهي إذ هو محل قبول الفيض لأن الفيض الإلهي وإن كان نصيب الروح أو لا ولكن لا يمسكه للطافة الروح بل يعبر عنه الفيض ويقبله القلب ويمسكه لأن فيه صفاء وكثافة فبالصفاء يقبل الفيض وبالكثافة يمسكه كما لا هي أن الشمس فيضها يقبل الهواء لصفائه ولكن لا يمسكه للطافة الهواء فأما المرة فتقبل فيضها بصفائها وتمسكه لكثافتها وهذا أحد أسرار حمل الأمانة التي حملها الإنسان ولم تحملها الملائكة وأما برّه بوالدة القالب فباستعمالها على وفق أوامر الشرع ونواهيه لينجيها من عذاب القبر ويدخلها الجنة كذا في «التأويلات النجمية» باختصار. قال بعض الأولياء: كنت في تيه بني إسرائيل فإذا رجل يماشيني فتعجبت منه وألهمت أنه الخضر فقلت له: بحق الحق من أنت؟ قال: أنا أخوك الخضر فقلت له: أريد أن أسألك قال: سل قلت: بأي وسيلة رأيتك؟ قال: ببرك أمك كما في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي. فعلى العاقل أن يكون باراً بوالديه مطلقاً أنفسين أو أفاقيين فإن البر يهدي إلى الجنة ودار الكرامة ويبشر في شدائد الأحوال بالأمن والأمان وأنواع السلامة.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾﴾

﴿واذكر﴾ يا محمد للناس ﴿في الكتاب﴾ أي: القرآن أو السورة الكريمة فإنها بعض من الكتاب فصح إطلاقه عليها ﴿مريم﴾ على حذف المضاف أي: خبر بنت عمران وقصتها فإن الذكر لا يتعلق بالأعيان ومريم بمعنى العابدة قال بعض العلماء في حكمة ذكر مريم باسمها دون غيرها من النساء أن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في ملأ ولا يبتذلون أسماءهن بل يكنون عن الزوجة بالعرس والعيال والأهل ونحو ذلك فإذا ذكروا الإماء لم يكنوا عنهن ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر والتصريح بها فلما قالت النصارى في حق مريم ما قالت وفي ابنها صرح الله تعالى باسمها ولم يكنّ عنها تأكيداً للأموّة والعبودية التي هي صفة لها وإجراء للكلام على عادة العرب في ذكر إمائها ومع هذا فإن عيسى عليه السلام لا أب له واعتقاد هذا واجب فإذا تكرر ذكره منسوباً إلى الأم استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقاده من نفي الأب عنه وتنزيه الأم الطاهرة عن مقالة اليهود لعنهم الله تعالى كذا في «التعريف والإعلام» للإمام السهيلي. وقال في «أسئلة الحكم»: سميت مريم في القرآن باسمها لأنها أقامت نفسها في الطاعة كالرجل الكامل فذكرت باسمها كما يذكر الرجال من موسى وعيسى ونحوهما عليهم السلام وخوطبت كما خوطب الأنبياء كما قال تعالى: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: ٤٣] ولذا قيل: بنبوتها ﴿إذ انتبذت﴾ ظرف لذلك المضاف من النبذ وهو الطرح والانتباذ افتعال منه ﴿من أهلها﴾ من قومها متعلق بانتبذت ﴿مكانا شرقيا﴾ مفعول له باعتبار ما في ضمنه من معنى الإتيان. قال الحسن ومن ثمة اتخذ النصارى المشرق قبلة كما

اتخذ اليهود المغرب قبلة لأن الميقات وإيتاء التوراة واقعاً في جانب الجبل الغربي كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤] والمعنى حين اعتزلت وانفردت وتباعدت من قومها وأتت مكاناً شرقياً من دار خالتها ايشاع زوجة زكريا فإن موضعها كان المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها وإذا طهرت عادت إلى المسجد فاحتاجت يوماً إلى الاغتسال وكان الوقت وقت الشتاء فجاءت إلى ناحية شرقية من الدار وموضع مقابل للشمس.

﴿فاتخذت من دونهم﴾ أي: أرخت من أدنى مكان أهلها. قال الكاشفي: [از پيش ايشان يعني از سوى ايشان] **﴿حجابا﴾** ستراً تتستر به. قال الكاشفي: [پرده كه مانع باشد ازديدن] فبينما هي في مغتسلها وقد تطهرت ولبست ثوبها أتاها الملك في صورة آدمي شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى: **﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾** أي: جبريل فإنه كان روحانياً فأطلق عليه الروح للطافته مثله ولأن الدين يحيى به. وقال بعض الكبار جبرائيل هو الروح حقيقة باعتبار حقيقته المجردة مجازاً باعتبار صورته المثالية ومن خصائص الأرواح المجردة التي من صفاتها الذاتية الحياة ومن شأنها التمثل بالصور المثالية لأنها لا تمس شيئاً في حال تمثلها إلا حيى ذلك الشيء وسرت منها الحياة فيه ولذا قبض السامري قبضة تراب من أثر ب اف جبرائيل فنبذها في صورة العجل المتخذة من حلي القوم فخار العجل بسراية الحياة فيه وقيل سماه روحاً مجازاً محبة له وتقريباً كقولك أنت روحي لمن تحب **﴿فتمثل لها﴾** [پس متمثل شد جبريل براى مريم] يعني فتشبه لأجلها فانتصاب قوله: **﴿بشرا﴾** على أنه مفعول به **﴿سويا﴾** تام الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئاً وذلك لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقي إليها من كلماته تعالى إذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع استماع كلامه ولأنه جاء للنفخ المنتج للبشر فتمثل بشراً ولو جاء على صورة الملك لجاء عيسى على صورة الروحانيين كما لا يخفى. وفيه إشارة إلى أن القربان بعد الطهر التام أطهر والولد إذن أنجب فافهم.

وفي «التأويلات»: الروح هو نور كلمة الله التي يعبر عنها بقوله كن وإنما سمي نور كلمته روحاً لأنه به يحيى القلوب الميتة كما قال: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾] [الأنعام: ١٢٢] الآية فتارة يعبر عن الروح بالنور وتارة يعبر عن النور بالروح كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] الآية فأرسل الله إلى مريم نور كلمة كن فتمثل لها بشراً سوياً كما تمثل نور التوحيد بحروف لا إله إلا الله والذي يدل على أن عيسى من نور الكلمة قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] أي: نور من لقائه فلما تمثلت الكلمة بالبشر أنكرتها مريم ولم تعرفها فاستعاذت بالله منه.

﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك﴾ يا شاب ذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة مما دهمها. قال في «الكشاف»: دل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة **﴿إن كنت تقيا﴾** تتقي الله وتبالي بالاستعاذة به وجواب الشرك محذوف ثقة بدلالة السياق عليه أي: فإني عائذة به. وقال الكاشفي: [يعني تومتقى ومتورعى من از توپر هيز ميكنم وپناه بحق ميبرم فكيف كه چنين نباشى]. قال الشيخ في تفسيره: وإنما قالت ذلك لأن التقي يتعظ بالله ويخاف والفاسق يخوف

بالسلطان والمنافق يخوف بالناس كما قال في «التأويلات النجمية» يعني: أنك إن كنت تقياً من أهل الدين تعرف الرحمن فلا تقربني بعوذي به وإن كنت شقياً لا تعرف الرحمن فأتعوذ منك بالخلق فأجابها.

﴿قال إنما أنا رسول ربك﴾ يريد أني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وإنما أنا رسول ربك الذي استعذت به ﴿لأهب لك غلاما﴾ أي: لأكون سبباً في هبته بالنفخ في الدرع ﴿زكيا﴾ طاهراً من الذنوب ولوث الظلمة النفسانية الإنسانية.

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾

﴿قالت﴾ استبعاداً ظاهراً أي: متعجبة من حيث العادة لا مستبعدة من حيث القدرة ﴿أنى يكون لي﴾ [چكونه بودمرا] ﴿غلام﴾ كما وصف ﴿ولم يمسسني بشر﴾ أي: والحال أنه لم يباشرني بالنكاح رجل فإن المس كناية عن الوطء الحلال أما الزنى فإنما يقال خبث بها أو فجر أو زنى وإنما قيل بشر مبالغة في بيان تنزهها عن مبادي الولادة ﴿و﴾ الحال أنه ﴿لم أك بغيا﴾ فعول بمعنى الفاعل أصله بغوياً. قال الشيخ في «تفسيره»: ولم يقل بغية لأنه وصف غالب على المؤنث كحائض أي: فاجرة تبغي الرجال. وبالفارسية [زنا كار وجوينده فجور] يريد نفي الوطء مطلقاً وأن الولد إما من النكاح الحلال أو الحرام أما الحلال فلأنها لم يمسها بشر وأما الحرام فلأنها لم تك بغيا فإذا انتفى السببان جميعاً انتفى الولد.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولم يمسسني بشر﴾ قبل هذا ﴿ولم أك بغيا﴾ ليمسسني بشر بعد هذا بالزنى أو بالنكاح لأني محررة محرم عليّ الزوج.

﴿قال كذلك﴾ أي: الأمر كما قلت. وبالفارسية: [يعني چنين است كه توميكويى هيچ كس بنكاح وسفاح ترامس نكرده است] فأما ﴿قال ربك﴾ الذي أرسلني إليك ﴿هو﴾ أي: ما ذكرت من هبة الغلام من غير أن يمسك بشر أصلاً ﴿علي﴾ خاصة ﴿هين﴾ يسر وإن كان مستحيلاً عادة لما أني لا أحتاج إلى الأسباب والوسائط.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿قال كذلك﴾ الذي تقولين ولكن ﴿قال ربك هو علي هين﴾ أن أخلق ولداً من غير ماء منيّ والد فإني أخلقه من نور كلمة كن كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩] ﴿ولنجعله﴾ أي: ونفعل ذلك لنجعل وهب الغلام ﴿آية للناس﴾ وبرهاناً يستدلون بها على كمال قدرتنا فالواو اعتراضية أو لنبين به عظم قدرتنا ولنجعله الخ.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿آية﴾ أي: دلالة على قدرتي بأني قادر على أن أخلق ولداً من غير أب كما أني خلقت آدم من غير أب وأم وخلقت حواء من غير أم ﴿ورحمة﴾ عظيمة كائنة ﴿منا﴾ عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بإرشاده وبين قوله: ﴿ورحمة منا﴾ وقوله: ﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾ فرق عظيم وهو أنه تعالى إذا أدخل عبداً في رحمته يرحمه ويدخله الجنة ومن جعله رحمة منه يجعله متصفاً بصفته وكذا بين قوله: ﴿رحمة منا﴾ وقوله في حق نبينا عليه السلام ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧] أبداً أما في الدنيا فبأن لا ينسخ دينه وأما في الآخرة فبأن يكون الخلق محتاجين إلى شفاعته حتى إبراهيم عليه السلام فافهم جداً كذا في «التأويلات

النجمية» ﴿وكان﴾ خلقه بلا فحل ﴿أمرا مقضيا﴾ قضيت به في سابق علمي وحكمت بوقوعه لا محالة فيمتنع خلافه فلا فائدة في الحزن وهو معنى قوله: «من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب». يقول الفقير: ذلك أن العلم تابع للمعلوم فكل ما يقتضيه من الأحوال فالله تعالى يظهره بحكمته وخلق عيسى عليه السلام على الصفة المذكورة كان في الأزل بمقتضى الحكمة القديمة مقدراً فجميع الأعيان وما يتبعها من الأحوال المختلفة داخلة تحت الحكمة فمن كوشف عن سر هذا المقام هانت عليه المصائب والآلام إذ كل ما نبت في مزرعة الوجود الخارجي فهو من بذر الحكم الأزلي على حسب تفاوت الاستعدادات كتفاوت المزارع فمن وجد خيراً فيحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، قال الحافظ:

نمى كنم كله ليكن ابر رحمت دوست بكشت زار جكر تشنكان ندادنمى

أي: لا أشتكي من هذا المعنى فإنه من مقتضى ذاتي، وقال:

درين چمن مكنم سرزنش بخود رويى چنانكه پرورشم ميدهند ميرويم

أي: لا تثريب عليّ في هذا المعنى فإنه من قضاء الله تعالى. قال الإمام أبو القاسم القشيري قدس سره: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول في آخر عمره وقد اشتدت به العلة من أمارات التأييد حفظ التوحيد في أوقات الحكم ثم قال كالمفسر لفعله مفسراً لما كان فيه من حاله هو أن يقرضك بمقاريض القدرة في إمضاء الأحكام قطعة قطعة وأنت شاكر حامد انتهى. فقصة مريم من جملة أحكام الله تعالى ولذا عرفت الحال لأنها كانت صديقة وصبرت على أذى القوم وشماتتهم وفي الحديث: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه وإن رضي اصطفاه» فالواجب على العبد الحمد على البلية لما تضمنته من النعمة فإن فقد فالصبر وكلاهما من طريق العبودية وإذا وقف مع الجزع المستفاد من وجود الشفقة على نفسه فهو من غلبة الهوى. قال أحمد بن حضرويه قدس سره الطريق واضح والدليل لائح والداعي قد أسمع فما التحير بعد هذا إلا من العمى وفي الحديث خطاباً لابن عباس رضي الله عنهما «إن استطعت أن تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل وإلا ففي الصبر على ما تكره خير كثير». قال في «شرح الحكم العطائية» ثم إذا تأملت ظهر لك أن التحقق بالمعرفة منطو في وجود البلايا إذ ليست المعرفة إلا بتحقق أوصافه تعالى حتى يفنى في أوصافه كل شيء من وجودك فلا يبقى لك عز مع عزه ولا غنى مع غناه ولا قدرة مع قدرته ولا قوة مع قوته وهذا يتحقق لك بوجود البلية إذ هي مشعرة بقهر الربوبية فافهم هذا وفقنا الله وإياكم للتحقق بحقيقة الحال والتمكن في مقام الصبر والحمد على جميع الأحوال، وفي «المثنوي»:

صد هزاران كيميا حق آفريد كيميايى همچو صبر آدم نديد

وذلك لأن بالبلاء تحترق الأوصاف الرديئة الخلقية وبالصبر يحصل الأخلاق الإلهية والصفات الحقية.

﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾

﴿فحملته﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فاطمأنت مريم إلى قول جبريل فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت عيسى عقيب النفخ. يقول الفقير:

وصول النفخ إلى الجوف لا يحتاج إلى منفذ من المنافذ كالفم ونحوه ألا ترى أن الروح حين دخل جسد آدم دخل من اليافوخ وهو وسط الرأس إذا اشتد وقبل اشتداده كما في رأس الطفل يقال له الفادية بالفاء ثم نزل إلى العينين ثم إلى الفم ثم إلى سائر الأعضاء.

واعلم أن لعيسى عليه السلام جهة جسمانية وجهة روحانية وأحدية جمع للجهتين فإذا نظر إلى جهة الجسمانية يظن أنه تكون من ماء مريم وإذا نظر إلى جهة الروحانية وآثارها من إحياء الموتى وخلق الطير من الطين يحكم أنه من نفخ جبريل وإذا نظر إلى أحدية جمعها يقال إنه تكون منهما فالتحقيق أن الملك لما تمثل لها بشراً سوياً نزل الماء منها إلى الرحم لشدة اللذة بالنظر إليه فتكون عيسى من ذلك الماء المتولد عن النفخ الموجب للذة منها فهو من ماء أمه فقط خلافاً للطبيعيين فإنهم ينكرون وجود الولد من ماء أحد الزوجين دون الآخر. فإن قلت: قد ثبت أن ماء الرجل يكون منه العظم والعصب وماء المرأة يكون منه اللحم والدم فكيف جاء عيسى مركباً من هذه الأجزاء؟ قلت: خروجه على الصورة البشرية كامل الأجزاء إنما هو من أجل أمه لأن ماءها محقق ومن أجل تمثل جبريل في صورة البشر فإنه إنما مثل في صورة البشر حتى لا يقع التكوين في هذا النوع الإنساني إلا على الحكم المعتاد الذي جرت به العادة غالباً وهو تولده من شخصين إنسانين وقد توهمت في النفخ الماء فحصل الماء المتوهم أيضاً ووجود بعض الأشياء قد يترتب على توهمه كترتب السقوط عن الجذع على توهمه ولأجل تكونه من نفخ جبريل طالت إقامته في صورة البشر لأن للأرواح صفة البقاء.

ـ روي ـ أن مولد عيسى عليه السلام كان قبل مولد نبينا عليه السلام بخمسمائة وخمس وخمسين سنة وقد بقي بعد وسينزل ويدعو الناس إلى دين نبينا عليه السلام. قال بعض الكبار: لو لم يتمثل جبريل عند النفخ بالصورة البشرية لظهر عيسى على صورة الروحانيين ولو نفخ فيها وقت الاستعاذة على الحالة التي كانت عليها من تحرّج صدرها وضجرها لتخيلها أنه بشر يريد مواقعتها على وجه لا يجوز في الشرائع لخرج عيسى بحيث لا يطيقه أحد لشكاسة خلقه أي: رداءته لسراية حال أمه فيه لأن الولد إنما يتكوّن بحسب ما غلب على الوالدين من المعاني النفسانية والصور الجسمانية. نقل في الأخبار: أن امرأة ولدت ولداً صورته صورة البشر وجسمه جسم الحية فلما سئلت عنها أخبرت أنها رأت حية عند المواقعة، وأن امرأة ولدت ولداً له عين أربع ورجلان كرجل الدب وكانت قبطية جامعها زوجها وهي ناظرة إلى دبين كانا عند زوجها فلما قال لها جبريل: **﴿إنما أنا رسول ربك﴾** جئت من عنده **﴿لأهب لك غلاما زكيا﴾** انبسطت عن ذلك القبض لما عرفت أنه مرسل إليها من عند ربها وانشرح صدرها لما تذكرت بشارة ربها إياها بعيسى ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [آل عمران: ٤٥] فنفخ فيها في حين الانبساط والانشراح فخرج عيسى منبسطاً منشرح الصدر لسراية حال أمه فيه. ولذا قالوا: يتفكر عند الجماع الأقوياء ويمثل بين عينيه صورة رجل على أحسن خلقة وأقوم جثة وأفضل خلق وأكمل حال قالوا: حملته وسنها وقتئذٍ ثلاث عشرة سنة وقد حاضت حيضتين قبل أن تحمل. واختلف في مدة حملها كما اختلف في مدة حمل آمنة والدة النبي عليه السلام. ففي رواية عن ابن عباس كانت مدة الحمل والولادة ساعة واحدة وجعله بعضهم أصح لأن عيسى كان مبدعاً ولم يكن من نطفة يدور في أدوار الخلقة ويؤيده عطف قوله **﴿فانتبذت به﴾** بالفاء التعقيبية.

يقول الفقير: القول بأن مثل هذه الفاء قد يدل على ترتيب الحكم وعدم تكونه من نطفة ظاهرة البطلان لأنه من ماء محقق وماء متوهم كما سبق وكونه من المبدعات بلا سبب ظاهر لا يستلزم أن يكون جميع أحواله بطريق خرق العادة. وفي رواية أخرى عنه كانت تسعة أشهر كحمل أكثر النساء إذ لو كان أقل لذكر هٰهنا في جملة مدائحها وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية إلا عيسى وكان ذلك آية أخرى. قال الحكماء في بيان سبب ذلك: أن الولد عند استكماله سبعة أشهر يتحرك للخروج حركة عنيفة أقوى من حركته في الشهر السادس فإن خرج عاش وإن لم يخرج استراح في البطن عقيب تلك الحركة المضعفة فلا يتحرك في الشهر الثامن ولذلك تقل حركته في البطن في ذلك الشهر فإذا تحرك للخروج وخرج فقد ضعف غاية الضعف فلا يعيش لاستيلاء حركتين مضعفتين له مع ضعفه. وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي قدس سره لم أر للثمانية صورة في نجوم المنازل ولهذا كان المولود إذا ولد في الشهر الثامن يموت ولا يعيش وعلى فرض أن يعيش يكون معلولاً لا ينتفع بنفسه وذلك لأن الشهر الثامن يغلب فيه على الجنين البرد واليبس وهو طبع الموت **﴿فانتبذت به﴾** الباء للملابسة والجار والمجرور في حيز النصب على الحالية أي: فاعتزلت ملتبسة به أي: وهو في بطنها كقوله تنبت بالدهن أي: تنبت ودهنها فيها **﴿مكانا قصيا﴾** مفعول انتبذت على تضمين معنى الإتيان كما سبق أي: أتت مكاناً بعيداً من أهلها. قال الكاشفي: [مكاني دورز شهر ايليا كويند بكوهى رفت درجانب شرقي از شهريا بوادى بيت لحم كه شش ميل دور بود از ايليا] وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ في حديث الإسراء: «فقال ليْ جبريل أنزل فصلِ فصليت فقال: أتدري أين صليت؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى ابن مريم» وهو حديث صحيح أو حسن رواه النسائي والبيهقي في «دلائل النبوة» أو أقصى الدار وهو الأنسب لقصر مدة الحمل كما في «الإرشاد». وقال في «قصص الأنبياء»: لما دنت ولادة مريم خرجت في جوف الليل من منزل زكريا إلى خارج بيت المقدس وأحبت أن لا يعلم بها زكريا ولا غيره.

﴿فأجاءها﴾ تعدية جاء بالهمزة أي: جاء بها واضطرها **﴿المخاض﴾** وجع الولادة. وبالفارسية [درد زادن] يقال مخضت المرأة إذا تحرك الولد في بطنها للخروج **﴿إلى جذع النخلة﴾** لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة إذ لم تكن لها قابلة تعينها. وقال في القصص: رأت نخلة يابسة في جوف الليل فجلست عند أصلها.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة﴾** لإظهار المعجزة في الجذع انتهى. والجذع ما بين العرق والغصن أي: أسفلها ما دون الرأس الذي عليه الثمر وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء ولعله تعالى ألهمها ذلك ليريها من آياته ما يسكن روعتها فإن النخلة اليابسة التي لا رأس لها قد أثمرت في الشتاء وهي أقل شيء صبراً على البرد وثمرها إنما هو من جمارها بعد اللقاح والجمار رأس النخلة وهو شيء أبيض لين وليطعمها الرطب الذي هو خرست النفساء الموافقة لها والخرسة بالتاء طعام النفساء وبدونها طعام الولادة **﴿قالت يا ليتني مت﴾** [كفت كاشكى من مردمى] وهو بكسر الميم من مات يمات كخفت وقرىء بضمها من مات يموت **﴿قبل هذا﴾** اليوم أو هذا الأمر كما في «الجلالين» وإنما قالته مع أنها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل من الوعد الكريم استحياء من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله وخوفاً من ملامتهم وحذراً من وقوع

الناس في المعصية بما تكلموا فيها أو جرياً على سنن الصالحين عند اشتداد الأمر عليهم كما روي عن عمر رضي الله عنه أنه أخذ تبنة من الأرض فقال: يا ليتني هذه التبنة ولم أكن شيئاً وعن بلال أنه قال: ليت بلالاً لم تلده أمه.

فقولي تارة يا رب زدني وأخرى ليت أمي لم تلدني

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿قبل هذا﴾ أي: قبل هذا الحمل فإنه بسبب حملي وولدي يدخل الله النار خلقاً عظيماً لأن بعضهم يتهمني بالزنى وبعضهم يتهم ولدي بابن الله ﴿وكنت﴾ [وبودمى] ﴿نسيا﴾ شيئاً حقيراً شأنه أن ينسى ولا يعتد به أصلاً ﴿منسيا﴾ لا يخطر ببال أحد من الناس وهو نعت للمبالغة.

وفي «التأويلات»: ﴿نسيا منسيا﴾ في العدم لا يذكرني الله بالإيجاد. وقال الكاشفي: [يعني هيچكس مرا ندانستى وازمن حساب نداشتى وحال آنكه همه اخبار بيت المقدس مرامى شناسندكه دختر امام ايشانم در كفالت زكريا بوده ام وهنوز بكارت من زائل نشده وشوهرى نكرده ام واكنون فرزند مى زايم واز خجالت آن حال نمى دانم چه كنم]:

هرچند بروى كار درمينكرم محنت زده چوخود نمى بينم من

﴿فناداها﴾ أي: جبرائيل حين سمع جزعها لأن عيسى لم يتكلم حتى أتت به قومها ﴿من تحتها﴾ من مكان أسفل منها تحت الأكمة. وقال في «القصص»: من تحت النخلة. وفي «الأسئلة المقحمة» قرىء بفتح الميم يعني به عيسى لما خرج من البطن ناداها ﴿أن لا تحزني﴾ أن مفسرة بمعنى أي: لا تحزني بولادة عيسى وبمكان القحط [وتمناى مرك مكن] أو مصدرية على حذف الباء تقديره بأن لا تحزني. والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار ﴿قد جعل ربك تحتك﴾ أي: في مكان أسفل منك ﴿سريا﴾ نهراً صغيراً على ما فسره النبي عليه السلام. قال ابن عباس رضي الله عنهما أن جبريل ضرب برجله الأرض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولاً. وقال بعض أرباب الحقيقة: أنبأ عيسى عن نبوته في المهد بقوله: ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠] وفي بطن أمه بقوله: ﴿لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا﴾ أي: سيداً على القوم بالنبوة انتهى. فيكون من السرو وهو السؤدد.

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾

﴿وهزي﴾ هز الشيء تحريكه إلى الجهات المتقابلة تحريكاً عنيفاً متداركاً والمراد هٰهنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله: ﴿إليك﴾ أي: إلى جهتك ﴿بجذع النخلة﴾ الباء صلة للتأكيد كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] قال الفراء: تقول العرب هزه وهز به ﴿تساقط﴾ أي: تسقط النخلة ﴿عليك﴾ إسقاطاً متواتراً حسب تواتر الهز ﴿رطبا﴾ [خرماى تازه] ﴿جنيا﴾ وهو ما قطع قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول أي: رطباً مجنياً أي: صالحاً للاجتناء قد بلغ الغاية. قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف أمرها بهز النخلة هٰهنا وقبل ذلك كان زكريا يجد رزقها في المحراب فالجواب أنها في حالة الطفولية كانت بلا علاقة أوجبت العناء والمشقة. وقال في «أسئلة الحكم» ما الحكمة في أمرها بالهز قيل لأنها تعجبت من ولد بغير أب فأراها الرطب من نخل يابس آية منه تعالى كيلا تتعجب منه. وأما سر كون الآية في النخلة فلأنها خلقت من طينة آدم وفيها نسبة معنوية لحقيقة الإنسانية دون غيرها لعدم حصولها بغير

زوج ذكر يسمى بالتأبير وقال: لم أجرى الله النهر بغير سعي مريم ولم يعطها الرطب إلا بسعيها؟ قيل: لأن الرطب غذاء وشهوة والماء سبب للطهارة والخدمة وقيل ثمرة الرطب صورة العمل الكسبي والماء صورة سر الفيض الإلهي فأجرى كل شيء في منزله ومقامه لأن كل كرامة صورة عمل السالك إذا تحقق وتخلق به وقيل جرت عادة الله تعالى في الرطب بأسباب التعمل كالغرس والسقي والتأبير والماء ليس له سبب أرضي بل هو وهبي سماوي ولذا أجرى النهر لمريم بغير سبب.

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾

﴿فكلي﴾ من ذلك الرطب **﴿واشربي﴾** من ماء السري وكان ذلك إرهاصاً لعيسى أو كرامة لأمه وليس بمعجزة لفقد شرطها وهو التحدي كما في «بحر العلوم». قال الإمام في تفسيره قدم الأكل لأن حاجتها إليه أشد من حاجتها إلى الماء لكثرة ما سال منها من الدماء. فإن قيل مضرة الخوف أشد لأنه ألم الروح والجوع والعطش ألم البدن ونقل أنه أجيع شاة ثم قدم إليها العلف وربط عندها ذئب فلم تأكل ثم أبعد الذئب وكسر رجلها فتناولت فدل على أن ألم الخوف أشد فلم أخر الله سبحانه دفع ضرره. قلنا: كان الخوف قليلاً لبشارة جبريل فلم يحتج إلى التذكير مرة أخرى انتهى. قالوا: التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وهو بالفارسية [كام كودك بماليدن] يقال حنك الصبي مضغ تمراً أو غيره فدلكه بحنكه وقالوا: كان من العجوة وهي بالحجاز أم التمر كما في «القاموس» وفي الحديث: «إذا ولدت امرأة فليكن أول ما تأكل الرطب فإن لم يكن رطب فتمر فإنه لو كان شيء أفضل منه لأطعمه الله تعالى مريم بنت عمران حين ولدت عيسى». قال الربيع بن خيثم: ما للنفساء عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل **﴿وقري عينا﴾** وطيبي نفساً وارفضي عنها ما أحزنك وأهمك فإن الله تعالى قد نزه ساحتك بالخوارق من جري النهر واخضرار النخلة اليابسة وإثمارها قبل وقتها لأنهم إذا رأوا ذلك لم يستبعدوا ولادة ولد بلا فحل واشتقاقه من القرار فإن العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه من النظر إلى غيره يقال أقر الله عينيك أي: صادف فؤادك ما يرضيك فيقر عينك من النظر إلى غيره. قال في «القاموس»: قرت عينه تقر بالكسر والفتح قرة ويضم وقروراً بردت وانقطع بكاؤها أو رأت ما كانت متشوفة إليه انتهى. أو من القر بالضم وهو البرد فإن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنة العين للمحبوب والمكروه.
وقال الكاشفي: [وقري عيناً وروشن ساز چشم را بفرزند ياخود بسبز شدن درخت وبر دادن او كه مناسبت باحال تو دارد چه آنكه قادراست بر اظهار خرما از درخت يابس قدرت دارد برايجاد ولد ازمادربى پدر وحق سبحانه وملائكه فرستاد تابكرد مريم در آمدند وچون عيسى عليه السلام متولد شد اورا فرا كرفته پشستند ودرحرير بهشت پيچيده دركنار مريم نهادند] قالوا: ما من مولود يستهل غيره [وندا رسيد] **﴿فإما ترين من البشر أحدا﴾** أي: فإن ترى آدمياً كائناً من كان وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط وهي بمنزلة لام القسم في أنها إذا دخلت على الفعل دخلت معها النون المؤكدة **﴿فقولي﴾** له إن استنطقك أي: سألك على ولدك [يعني پرسند اين فرزند از كجاست] ولامكِ عليه **﴿إني نذرت﴾** أوجبت على نفسي **﴿للرحمن**

صوما﴾ أي: صمتاً أو صياماً وكان صيام المجتهدين من بني إسرائيل بالإمساك عن الطعام والكلام حتى يمسي وقد نسخ في هذه الأمة لأنه عليه السلام نهى عن صوم الصمت. قال في أبكار الأذكار السكوت في وقته صفة الرجال كما أن النطق في موضعه شرف الخصال:

اكرچه پيش خرمند خامشى ادبست بوقت مصلحت آن به كه درسخن كوشى
دوچيز طيره عقلست دم فرو بستن بوقت كفتن وكفتن بوقت خاموشى

وأما إيثار أصحاب المجاهدة السكوت فلعلمهم بما في الكلام من حظ النفس وإظهار صفات المدح والميل إلى حسن النطق. فأما صمت الجاهلية فمنهي عنه كما ورد لا يتم بعد الاحتلام ولا صمات يوم إلى الليل فكان أهل الجاهلية من نسكهم اعتكاف يوم وليلة بالصمات فنهوا في الإسلام عن ذلك وأمروا بالحديث بالخير والذكر. يقول الفقير: إن المنهي عنه هو السكوت مطلقاً. وأما السكوت عن كلام الناس مع ملازمة الذكر فمقبول بل مأمور به ولذا جعل دوام السكوت أحد الشرائط الثمان فصحة الانقطاع وفائدة السلوك إنما تحصل به وباخواته **﴿فلن أكلم اليوم إنسيا﴾** [پس سخن نخواهم كفت امروز باهيچ آدمي بلكه باملائكه وباحق سخن ميكويم ومناجات ميكنم] أمرت بأن تخبر بنذرها بالإشارة فالمعنى قولي ذلك بالإشارة لا باللفظ. قال الفراء: العرب تسمي كل وصل إلى الإنسان كلاماً بأي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فإذا أكد لم يكن إلا حقيقة الكلام وإنما أمرت بذلك لكراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم والاكتفاء بكلام عيسى أنه قاطع لطعن الطاعن والرائب في براءة ساحتها وذلك أن الله تعالى أراد أن يظهر براءتها من جهة عيسى فتكلم ببراءة أمه وهو في المهد وفيه أن السكوت عن السفيه واجب ومن أذل الناس سفيه لم يجد مسافهاً، قال الصائب:

درجنك ميكند لب خاموش كار تيغ داد جواب مردم نادان چه لازمست

وقال:

باكران جانان مكو حرف كران تانشنوى كوه در رد صدا بى اختيار افتاده است

ومن بلاغات الزمخشري: ما قدع السفيه بمثل الإعراض وما أطلق عنانه بمثل العراض سورة السفيه تكسرها الحلماء والنار المضطرمة يطفئها الماء يعني أن سورة السفيه كالنار المضطرمة ولا يطفأها إلا الحلم كما لا يطفىء النار إلا الماء والنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله. وفي الآية: إشارة إلى الصوم عن الالتفات لغير الله تعالى كما قال بعض الكبار الدنيا يوم ولنا فيه صوم ولا يكون إفطاره إلا على مشاهدة الجمال. فعلى السالك أن ينقطع عن عالم الناسوت ويقطع لسانه عن غير ذكر اللاهوت حتى يحصل قطع الطريق والوصول إلى منزل التحقيق وكما أن مريم هزت النخلة فأسقطت عليها رطباً جنياً فكذا مريم القلب إذا هزت بنخلة الذكر وهي كلمة «لا إله إلا الله» تسقط عليها من المشاهدات الربانية والمكاشفات الإلّهية ما به يحصل التمتعات التي هي مشارب الرجال البالغين كما كان حال النبي ﷺ يقول: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» اللهم اجعلنا من الذين كوشفوا عن وجه حقيقة الحال ووصلوا إلى تجليات الجمال والجلال.

﴿فأتت به قومها﴾ والباء بمعنى مع أي: جاءتهم مع ولدها راجعة إليهم عندما طهرت من نفاسها وجعلها الكاشفي للتعدية حيث قال: [پس آورد مريم عيسى را]. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنها خرجت من عندهم حين شرقت الشمس وجاءتهم عند الظهر ومعها

صبي ﴿تحمله﴾ في موقع الحال أي: حاملة له.

ـ روي ـ أن زكريا افتقد مريم فلم يجدها في محرابها فاغتم غماً شديداً وقال لابن خالها يوسف: اخرج في طلبها فخرج يقص أثرها حتى لقيها تحت النخلة فلما رجعت إلى قومها وهم أهل بيت صالحون وزكريا جالس معهم بكوا وحزنوا ثم ﴿قالوا﴾ موبخين لها ﴿يا مريم لقد جئت شيئا﴾ على حذف الباء من شيئاً ومآله فعلت شيئاً ﴿فريا﴾ أي: عظيماً بديعاً منكراً مقطوعاً بكذبه من فرى الجلد إذا قطعه. والفرية بالكسر الكذب والفري الأمر المختلق المصنوع أو العظيم وهو يفري الفرى يأتي بالعجب في عمله. وفي «الأختري»: أنه من الأضداد يجيء بمعنى الأمر الصالح والسيىء. قال الكاشفي: [چيزى شكفت يا زشت كه در ميان اهل بيت مثل اين واقع نبوده].

﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾

﴿يا أخت هارون﴾ روي عن النبي عليه السلام أنهم إنما عنوا به هارون النبي عليه السلام وكانت من أعقاب من كان معه في مرتبة الأخوة وذلك بأن تكون من أخت هارون أو أخيه وكان بينها وبينه ألف وثمانمائة سنة وقيل كان هارون أخاها من أبيها وكان رجلاً صالحاً وقيل هو أخو موسى نسبت إليه بالأخوة لأنها من ولده كما يقال يا أخا العرب أي: يا واحداً منهم ﴿ما كان أبوك﴾ عمران ﴿امرأ سوء﴾ المرء مع ألف الوصل الإنسان أو الرجل ولا يجمع من لفظه كما في «القاموس». وسوء بفتح السين وبإضافة امرأ إليه وهي أكثر استعمالاً من الصفة والمعنى ما كان عمران زانياً قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. قال الكاشفي: [نبودپدرتو عمران مردى بد بلكه مردى كه مسجد اقصارا اشرف احبار بود] ﴿وما كانت أمك﴾ حنة بنت فاقوذ ﴿بغيا﴾ زانية فمن أين لك هذا الولد من غير زوج وهو تقرير لكون ما جاءت به فريا منكراً وتنبيه على أن ارتكاب الفواحش من أولاد الصالحين أفحش.

واعلم أن المعتاد من أهل الزمان إذا أظهر الله في كل زمان نبياً أو ولياً يخصه بمعجزة أو كرامة أن ينكر عليه أكثرهم وينسبوه إلى الجنون والضلالة والافتراء والكذب والسحر وأمثالها وأما الأقلون فيعرفون أن من سافر عن منزل الجمهور فإنه يرجع عن سفره ومعه من العلوم الغريبة والأحوال العجيبة ما لم يألف بها العقول ولم يشاهدها الأنظار فلا يرجعون بالرد عليه بل بالاعتقاد، وفي «المثنوي»:

مغزرا خالي كن از انكار يار   تا كه ريحان يابد از كلزار يار
تابيابى بوى خلد ازيار من   چون محمد بوى رحمان ازيمن

﴿فأشارت إليه﴾ أي: إلى عيسى أن كلموه ليجيبكم ويكون كلامه حجة لي والظاهر أنها حينئذٍ بينت نذرها وأنها بمعزل عن محاورة الإنس ﴿قالوا﴾ منكرين لجوابها ﴿كيف نكلم﴾ نحدث ﴿من كان في المهد﴾ [در كهواره يعنى درخور كهواره] ﴿صبيا﴾ ولم نعهد فيما سلف صبياً رضيعاً في الحجر يكلمه عاقل لأنه لا قدرة له على فهم الخطاب ورد الجواب وكان لإيقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم صالح لقريبه وبعيده وهو هٰهنا لقريبه خاصة بدليل

أنه مسوق للتعجب أو زائدة والظرف صلة من وصبياً حال من المستكن فيه أو تامة أو دائمة كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤]. يقول الفقير: الظاهر إن كان لتحقيق صباوته فإن الماضي دال على التحقق.

﴿قال﴾ استئناف بياني كأنه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل: قال عيسى بلسان فصيح ﴿إني عبد الله﴾ أقر على نفسه بالعبودية أول ما تكلم رداً على من يزعم بربوبيته من النصارى وإزالة للتهمة عن الله مع إفادة إزالة تهمة الزنى عن أمه لأنه تعالى لا يخص الفاجرة بولد مثله. قال الجنيد لست بعبد سوء ولا عبد طمع ولا عبد شهوة وفيه إشارة إلى أن أفضل أسماء البشرية العبودية. يقول الفقير: سمعت من فم حضرة شيخي وسندي روح الله روحه أنه قال عبد الله فوق عبد الرحمٰن وهو فوق عبد الرحيم وهو فوق عبد الكريم ولذا جعل رسول الله ﷺ عبد الله وكذا عبد الحي وعبد الحق أعلى الأسماء وأمثلها لأن بعض الأسماء الإلهية يدل على الذات وبعضها على الصفات وبعضها على الأفعال والأولى أرفع من الثانية وهي من الثالثة. قيل: كان المستنطق لعيسى زكريا وقد أكرم الله تعالى أربعة من الصبيان بأربعة أشياء: يوسف بالوحي في الجب، وعيسى بالنطق في المهد، وسليمان بالفهم، ويحيى بالحكمة في الصباوة. وأما الفضيلة العظمى والآية الكبرى أن الله أكرم سيد المرسلين عليه وعليهم السلام في الصباوة بالسجدة عند الولادة بأنه رسول الله وشرح الصدر وختم النبوة وخدمة الملائكة والحور عند ولادته وأكرم بالنبوة في عالم الأرواح قبل الولادة والصباوة وكفى بذلك اختصاصاً وتفضيلاً:

شمسه نه مسند وهفت اختران ختم رسل خواجه پيغمبران

﴿آتاني الكتاب﴾ الإنجيل ﴿وجعلني نبيا وجعلني﴾ مع ذلك ﴿مباركا﴾ نفاعاً معلماً للخير أخبر عما يكون لا محالة بصيغة الماضي والجمهور على أن عيسى آتاه الله الإنجيل والنبوة في الطفولية وكان يعقل عقل الرجال كما في «بحر العلوم». يقول الفقير المشهور أنه أوحى الله إليه بعد الثلاثين فتكون رسالته متأخرة عن نبوته ﴿أينما كنت﴾ حيثما كنت فإنه لا يتقيد بأين دون اين ﴿وأوصاني بالصلاة﴾ أي: أمرني بها أمراً مؤكداً ﴿والزكاة﴾ أي: زكاة المال ملكية. يقول الفقير: الظاهر أن إيصاءه بها لا يستلزم غناء بل هي بالنسبة إلى أغنياء أمته وعموم الخطابات الإلهية منسوب إلى الأنبياء تهييجاً للأمة على الائتمار والانتهاء ﴿ما دمت حيا﴾ في الدنيا. قال في «بحر العلوم»: فيه دلالة بينة على أن العبد ما دام حياً لا يسقط عنه التكاليف والعبادات الظاهرة فالقول بسقوطها كما نقل عن بعض الإباحيين كفر وضلال.

وفي «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أنه ما دام العبد حياً لا بد من مراقبة السر وإقامة العبودية وتزكية النفس. يقول الفقير: إقامة التكاليف عبودية وهي إما للتزكية كالمبتدئين وإما للشكر كالمنتهين وكلا الأمرين لا يسقط ما دام العبد حياً بالغاً فإذا تغير حاله بالجنون ونحوه فقد عذر.

﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾

﴿وبرا﴾ [مهربان] ﴿بوالدتي﴾ عطف على مباركاً أي: جعلني باراً بها محسناً لطيفاً وهو إشارة إلى أنه بلا فحل ﴿ولم يجعلني جبارا﴾ متكبراً. وبالفارسية [كرد نكشى متعظم كه خلق

را تكبر كنم وانسانرا بر نجانم] ﴿شقيا﴾ عاصياً لربه.

﴿والسلام علي﴾ [سلام خداى برمنست] ﴿يوم ولدت﴾ بلا والد طبيعي أي: من طعن الشيطان ﴿ويوم أموت﴾ من شدائد الموت وما بعده ﴿ويوم أبعث حيا﴾ حال أي: من هول القيامة وعذاب النار كما هو على يحيى يعني السلامة من الله وجهت إليّ كما وجهت إلى يحيى في هذه الأحوال الثلاثة العظام على أن التعريف للعهد والأظهر على أنه للجنس والتعريض باللعن عن أعدائه فإن إثبات جنس السلام لنفسه تعريض لإثبات ضده لأضداده كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧] فإنه تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى فلما كلمهم عيسى بهذا الكلام أيقنوا ببراءة أمه وأنها من أهل العصمة والبعد من الريبة ولم يتكلم بعد حتى بلغ سن الكلام. قال في «الأسئلة المقحمة» قوله: ﴿ويوم أبعث حياً﴾ يدل على أن لا حياة في القبر لأنه ذكر حياة واحدة والجواب أنه أراد بها الدائمة الباقية بخلاف حياة القبر انتهى. يقول الفقير: لا شك أن حياة البرزخ على النصف من حياة يوم البعث فإن الأولى حياة الروح فقط والثانية حياة الروح والجسد معاً وهي المرادة هٰهنا ولا انقطاع لحياة الأرواح مذ خلقت من الأبديات فافهم. ثم إنه نكر في سلام يحيى وعرف في سلام عيسى لأن الأول من الله والقليل منه كثير قال بعضهم قليلك لا يقال له قليل ولهذا قرأ الحسن اهدنا صراطاً مستقيماً أي: نحن راضون بالقليل، كذا في «برهان القرآن». قال شيخي وسندي في «كتاب البرقيات» له قدس سره: إنما أتى بطريق الغيبة في حق يحيى عليه السلام لأن كلا منهما أهل الحقيقة والفناء والكمال الجامع بين الجلال والجمال وأهل الشريعة والبقاء والجلال والجمال مندرجون تحت حيطة الكمال إلا أن الميل الاستعدادي الأزلي إلى جانب الحقيقة والفناء وكمال الجلال غالب في جمعية يحيى عليه السلام بحسب الفطرة الإلهية الأزلية وهذه الغلبة ليست اختيارية بل اضطرارية أزلية حاصلة باستيلاء سلطنة الحقيقة والفناء وكمال الجلال على قلبه وهذا الميل إلى جانب الشريعة والبقاء جمال غالب في جمعية عيسى عليه السلام بحسب الفطرة الإلهية الأزلية وهذه الغلبة أيضاً ليست اختيارية بل اضطرارية حاصلة باستيلاء دولة الشريعة والبقاء وجمال الكمال على قلبه ومقتضى الغلبة اليحياوية السكوت وترك النطق ولذا كان المتكلم في بيان أحواله هو الله تعالى وأتى بطريق الغيبة لا نفسه وهو من قبيل من عرف كل لسانه لغلبة الفناء على البقاء وكل من كل لسانه في معرفة الله فهو على مشرب يحيى ومقتضى الغلبة العيسوية النطق وترك السكوت ولذا كان المتكلم في بيان أحوال نفسه وأتى بطريق الحكاية دون الله تعالى وهو من قبيل من عرف الله طال لسانه لغلبة البقاء على الفناء وكل من طال لسانه في معرفة الله فهو على مشرب عيسى عليه السلام وحال كل منهما بقضاء الله ورضاه وهما مشتركان في الجمعية الكبرى مجتمعان في ميل الأهلية العظمى ومنفردان في غلبة العليا بأن تكون غلبة ميل يحيى عليه السلام إلى الفناء وغلبة ميل عيسى عليه السلام إلى البقاء ولو اجتمعا في تلك الغلبة أيضاً لما امتاز حال أحدهما عن الآخرة بل يكون عبثاً نوعاً تعالى الله عن العبث ولذا لم يتجل لأحد بعين ما يتجلى به لغيره بل إنما يتجلى لكل متجل له بوجه آخر ولهذه الحكمة كان الجلال غالباً في قلب يحيى والجمال غالباً في قلب عيسى عليه السلام حتى يكون التجلي لكل منهما بوجه آخر مع أحدية أصله ويوجد بينهما فرق بعد الجمع وكل من ورث هذا المقام بعدهما إلى يوم القيامة من أولياء الله الكرامة يقول الله له بطريق الفيض والإلهام السلام عليك

يوم ولدت ويوم تموت ويوم تبعث حياً ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وهو من قبيل مبشراتهم الدنيوية التي أشير إليها بقوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٤] إلا أنهم يكتمون أمثاله لكونهم مأمورين بالكتمان وعلمهم بسلامتهم يكفي لهم ولا حاجة لهم بعلم غيرهم وأما الأنبياء عليهم السلام فهم يخبرون بسلامتهم لكونهم شارعين فلا بد لغيرهم من العلم بسلامتهم حتى يؤمن ويقبل دعوتهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى. قال في «أسئلة الحكم»: أخبر رسول الله ﷺ عن مقامهما حيث قال: «إن عيسى ويحيى التقيا فقال يحيى لعيسى كأنك قد أمنت مكر الله وقال عيسى ليحيى كأنك قد أيست من فضل الله ورحمته فأوحى الله تعالى إليهما أن أحبكما إليّ أحسنكما ظناً بي» وكان عاقبة أمره في مقام الجلال أن قتل فلم يزل فائراً دمه حتى قتل من أجله سبعون ألفاً قصاصاً منه فسكن فورانه وكان عاقبة أمر عيسى في مقام البسط والجمال أن رفع إلى السماء أي إلى الملأ الأعلى من مظاهر الجمال فكلاهما في مقامهما فائزان كاملان انتهى.

وفي «التأويلات النجمية» قوله: ﴿**ويوم أموت**﴾ فيه إشارة إلى أن عيسى المعنى المتولد من نفخ الحق في القلب قابل الموت بسم غلبات صفات النفس والمعاملات المنتجة منها لئلا يغتر الواصل بأنه إذا حي بحياة لا يموت المعنى الذي في قلبه، يقول الفقير:

اى بسازنده بمرده مغرور — شده از دائره زندكى دور
كشت بروى متغير حالش — زهر شد جمله فيض بالش
ماند دوعين قفا صورت او — كرچه در صورت ظاهر شده رو
درپى نفس بدش هركه دويد — تا نبنداركه سر منزل ديد

قال في «التكملة»: ولد عيسى عليه السلام في أيام ملوك الطوائف لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل وقيل لأكثر من ذلك وكان حمل مريم به وهي ابنة ثلاث عشرة سنة ونبيء عيسى وهو ابن ثلاثين سنة ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وعاشت مريم بعده ست سنين وخرجت به أمه من الشام إلى مصر وهو صغير خوفاً عليه من هيردوس الملك وذلك أن ملك فارس علم بمولده لطلوع نجمه فوجه له هدايا من الذهب والمر واللبان فأتت رسله بالهدايا حتى دخلت على هيردوس فسألوه عنه فلم يعلم به فأخبروه بخبره وبأنه يكون نبياً وأخبروه بالهدايا فقال لهم: لم أهديتم الذهب؟ قالوا: لأنه سيد المتاع وهو سيد أهل زمانه قال لهم: ولم أهديتم المر؟ قالوا: لأنه يجبر الجرح والكسر وهو يشفي السقام والعلل قال: ولم أهديتم اللبان؟ قالوا: لأنه يصعد دخان إلى السماء وكذلك هو يرفع إلى السماء فخافه هيردوس وقال لهم: إذا عرفتم مكانه فعرفوني به فإني راغب فيما رغبتم فيه فلما وجدوه دفعوا الهدايا لمريم وأرادوا الرجوع إلى هيردوس فبعث الله لهم ملكاً وقال لهم إنه يريد قتله فرجعوا ولم يلقوا هيردوس وأمر الله مريم أن ينتقل به إلى مصر ومعهما يوسف بن يعقوب النجار فسكنت به في مصر حتى كان ابن اثنتي عشرة سنة ومات هيردوس فرجعت إلى الشام انتهى.

ـ روي ـ أن مريم سلمت عيسى إلى معلمه فعلمه أبجد فقال عيسى: أتدري ما «أبجد»؟ قال: لا فقال: أما الألف فآلاء الله والباء بهاء الله والجيم جلال الله والدال دين الله فقال المعلم: أحسنت فما «هوز»؟ فقال: الهاء هو الله الذي لا إله إلا هو والواو ويل للمكذبين

والزاي زبانية جهنم أعدت للكافرين فقال المعلم: أحسنت فما «حطي»؟ قال: الحاء حطة الخطايا عن المذنبين والطاء شجرة طوبى والياء يد الله على خلقه فقال: أحسنت فما «كلمن»؟ قال: الكاف كلام الله واللام لقاء أهل الجنة بعضهم بعضاً والميم ملك الله والنون نور الله فقال: أحسنت فما «سعفص»؟ قال: السين سناء الله والعين علم الله والفاء فعله في خلقه والصاد صدقه في أقواله فقال: أحسنت فما «قرشت»؟ قال: القاف قدرة الله والراء ربوبيته والشين مشيئته والتاء تعالى الله عما يشركون فقال له المعلم: أحسنت ثم قال لمريم: خذي ولدك وانصرفي فإنه علمني ما لم أكن أعرفه كذا في «قصص الأنبياء». قيل: هذه الكلمات وهي أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت وثخذ وضظغ أسماء ثمانية ملوك فيما تقدم. وقيل هي أسماء ثمانية من الفلاسفة. وقيل هذه الكلمات وضعها اليونانيون لضبط الأعداد وتمييز مراتبها كذا في «شرح التقويم». وقال محمد بن طلحة في «العقد الفريد»: أول من وضع الخط العربي وأقامه وصنع حرفه وأقسامه ستة أشخاص من طسم كانوا نزولاً عند عدنان بن داود وكانت أسماؤهم أبجد وهوز حطي وكلمن وسعفص وقرشت ووضعوا الكتابة والخط على أسمائهم فلما وجدوا في الألفاظ حروفاً ليست في أسمائهم ألحقوها بها وسموها الروادف وهي الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين على حسب ما يلحق حروف الجمل هذا تلخيص ما قيل في ذلك وقيل غيره انتهى.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

﴿**ذلك**﴾ الذي فصلت نعوته الجليلة ﴿**عيسى ابن مريم**﴾ لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الأبلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفاً بأضداد ما يصفونه ثم عكس على الحكم ﴿**قول الحق**﴾ قول الثابت والصدق وهو بالنصب على أنه مصدر مؤكد لقال إني عبد الله الخ وقوله ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ٣٤] اعتراض ﴿**الذي فيه يمترون**﴾ أي: يشكون فإن المرية الشك فيقولون هو ابن الله.

﴿**ما كان لله**﴾ ما صح وما استقام له تعالى: ﴿**أن يتخذ من ولد**﴾ أي: ولداً وجاء بمن لتأكيد النفي العام.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: جزءاً فإن الولد جزء الوالد كما قال عليه السلام: «فاطمة بضعة مني» ﴿**سبحانه**﴾ أي: تنزه وتعالى تنزيهاً عن بهتان النصارى لأنه ليس للقديم جنس إذ لا جنس له ولذلك قالوا: لا فصل له ﴿**إذا قضى أمراً**﴾ أي: أراد كونه ﴿**فإنما يقول له كن فيكون**﴾ قال لعيسى: كن فكان من غير أب والقول هٰهنا مجاز عن سرعة الإيجاد. والمعنى أنه تعالى إذا أراد تكوين الأشياء لم تمتنع عليه ووجدت كما أرادها على الفور من غير تأخير في ذلك كالمأمور المطيع الذي إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع كان المأمور به مفعولاً لا حبس ولا إبطاء وهو المجاز الذي يسمى التمثيل.

﴿**وإن الله ربي وربكم فاعبدوه**﴾ من تمام كلام عيسى عطف على قوله: ﴿**إني عبد الله**﴾ داخل تحت القول ﴿**هذا**﴾ الذي ذكرته من التوحيد ﴿**صراط مستقيم**﴾ لا يضل سالكه.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا

لَكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿**فاختلف الأحزاب**﴾ جمع حزب بمعنى الجماعة ﴿**من بينهم**﴾ أي: من بين الناس المخاطبين بقوله: ﴿**ربكم فاعبدوه**﴾ وهم القوم المبعوث إليهم فقالت النسطورية: هو ابن الله واليعقوبية هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء وقالت الملكانية هو عبد الله ونبيه.

وفي «التأويلات النجمية» أي: تحزبوا ثلاث فرق: فرقة يعبدون الله بالسير على قدمي الشريعة والطريقة بالعبور على المقامات والوصول إلى القربات وهم الأولياء والصديقون وهم أهل الله خاصة وفرقة يعبدون الله على صورة الشريعة وأعمالها وهم المؤمنون المسلمون وهم أهل الجنة وفرقة يعبدون الهوى على وفق الطبيعة ويزعمون أنهم يعبدون الله كما أن الكفار يعبدون الأصنام ويقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فهؤلاء ينكرون على أهل الحق وهم أهل البدع والأهواء والسمعة والنفاق وهم أهل النار ﴿**فويل للذين كفروا**﴾ وهم المختلفون. والويل الهلاك وهو نكرة وقعت مبتدأ وخبره ما بعده ونظيره سلام عليك فإن أصله منصوب نائب مناب فعله لكنه عدل به إلى الرفع على الابتداء للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ﴿**من مشهد يوم عظيم**﴾ أي: من شهود يوم عظيم الهول والحساب والجزاء وهو يوم القيامة.

﴿**أسمع بهم وأبصر**﴾ [چه شنو باشد كافران وچه بينا] وهو تعجب من حدة سمعهم وأبصارهم يومئذٍ ومعناه أن استماعهم وأبصارهم للهدى ﴿**يوم يأتوننا**﴾ للحساب والجزاء يوم القيامة جدير بأن يتعجب منه بعد أن كانوا في الدنيا صماً وعمياً والتعجب استعظام الشيء مع الجهل بسببه ثم استعمل لمجرد الاستعظام ﴿**لكن الظالمون اليوم**﴾ أي: في الدنيا ﴿**في ضلال مبين**﴾ في خطأ ظاهر لا يدرك غايته حيث أغفلوا الاستماع والنظر بالكلية حين ينفعهم.

عمر مكن ضايع بافسوس وحيف   كه فرصت عزيزست والوقت سيف

كه فردا پشيمان برآرى خروش   كه آوخ چرا حق نكردم بكوش

﴿**وأنذرهم**﴾ خوفهم يا محمد يعني الظالمين ﴿**يوم الحسرة**﴾ أي: من يوم يتحسر فيه ويتحزن الناس ويندمون قاطبة أما المسيء فعلى إساءته وأما المحسن فعلى قلة إحسانه ﴿**إذ قضي الأمر**﴾ بدل من يوم الحسرة أي: فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار.

ـ وروي ـ أن النبي عليه السلام سئل عن ذلك فقال: «حين يجاء بالموت على صورة الكبش الأملح فيذبح والفريقان ينظرون فينادي المنادي يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرح وأهل النار غماً إلى غم» ﴿**وهم في غفلة**﴾ أي: عما يفعل بهم في الآخرة ﴿**وهم لا يؤمنون**﴾ وهما جملتان حاليتان من الضمير المستتر في قوله تعالى: ﴿**في ضلال مبين**﴾ أي: مستقرون في ذلك وهم في تينك الحالتين وما بينهما اعتراض.

﴿**إنا نحن**﴾ تأكيد لأنا ﴿**نرث**﴾ نملك ﴿**الأرض ومن عليها**﴾ ذكر من تغليباً للعقلاء أي: لا يبقى لأحد غيرنا عليهم ملك ولا ملك وقد سبق في سورة الحجر ما يتعلق بهذه الآية ﴿**وإلينا يرجعون**﴾ أي: يردون للجزاء لا إلى غيرنا استقلالاً أو اشتراكاً.

اعلم أن الرجوع على نوعين: رجوع بالقهر وهو رجوع العوام لأن نفوسهم باقية مطمئنة بالدنيا فلا يخرجون مما هم عليه إلا بالكراهة ورجوع باللطف وهو رجوع الخواص لأن نفوسهم فانية غير مطمئنة بالدنيا والعقبى بل بالمولى الأعلى فيخرجون من الدنيا والموت ولقاء الله تعالى أحب إليهم من كل شيء. فعلى السالك أن يجتهد في تحصيل الفناء والبقاء وتكميل الشوق إلى اللقاء ويرجع إلى الله تعالى قبل أن يرجع فإن سرّ لمن الملك اليوم دائر على هذا.

صرصر قهروى از ممكن وحدت بوزيد حس وخاشاك تعين همه برباد ببرد
هرچه در عرصه امكان بوجود آمده بود سيل عزت همه را تا عدم آباد ببرد

ولله عباد خوطبوا فصار كلهم اذناً وشهدوا فصار كلهم عيناً ووجدوا في الرحيل حتى حطوا الرحل عند الملك الجليل:

نظرت في الراحة الكبرى فلم أرها تنال إلا على جنس من التعب
والجد منها بعيد في تطلبها فكيف تدرك بالتقصير واللعب

قال الشيخ أبو الحسن المزين رحمه الله: دخلت البادية على التجريد حافياً حاسراً فخطر ببالي أنه ما دخل بهذه البادية في هذه السنة أحد أشد تجريداً مني فجذبني إنسان من ورائي وقال: يا حجام كم تحدث نفسك بالأباطيل فظهر أن الترك والتجرد والرجوع في الحق على مراتب ولكل سالك خطوة فلا يغتر أحد بحاله ولا يخطر العجب بباله. وعن إبراهيم الخواص قدس سره قال: دخلت البادية فأصابتني شدة فكابدتها وصابرتها فلما دخلت مكة داخلني شيء من الإعجاب فنادتني عجوز من الطواف يا إبراهيم كنت معك في البادية فلم أكلمك لأني لم أرد أن أشغل سرك عنه أخرج هذا الوسواس عنك فظهر أن التوفيق للرجوع إلى الله إنما هو من الله وكل كمال فبحوله وقوته ونصرته ومعونته.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَٰنَ إِنَّ الشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾

﴿واذكر في الكتاب إبراهيم﴾ أي: اتل يا محمد على قومك في السورة أو القرآن قصة إبراهيم وبلغها إياهم كقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الشعراء: ٦٩] وذلك أن أهل الملل كانوا يعترفون بفضله ومشركو العرب يفتخرون بكونهم من أبنائه فأمر الله تعالى حبيبه عليه السلام أن يخبرهم بتوحيده ليقلعوا عن الشرك **﴿إنه كان صديقا﴾** ملازماً للصدق في كل ما يأتي وما يذر مبالغاً فيه قائماً في جميع الأوقات **﴿نبيا﴾** خبر آخر لكان مقيد للأول مخصص له أي: كان جامعاً بين الصديقية والنبوة وذلك أن الصديقية تلو النبوة ومن شرطها أن لا يكون نبياً إلا وهو صديق وليس من شرط الصديق أن يكون نبياً. ولأرباب الصدق مراتب صادق وصدوق وصديق فالصادق من صدق في قيامه مع الله بالله وفي الله وهو الفاني عن نفسه والباقي بربه. والفرق بين الرسول والنبي أن الرسول من بعث لتبليغ الأحكام ملكاً كان أو إنساناً بخلاف النبي فإنه مختص بالإنسان.

﴿إذ قال﴾ بدل من إبراهيم بدل الاشتمال لأن الأحيان مشتملة على ما فيها أي: اذكر

وقت قوله: ﴿لأبيه﴾ آزر متلطفاً في الدعوة مسهلاً له ﴿يا أبت﴾ أي: يا أبي فإن التاء عوض عن ياء الإضافة ولذلك لا يجتمعان أي: لا يقال يا أبتي ولا يقال يا أبتا لكون الألف بدلاً من الياء ﴿لم تعبد ما لا يسمع﴾ ثناءك وتضرعك له به عند عبادتك له وما عبارة عن الصور والتماثيل ولام الإضافة التي دخلت على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك: بمَ، وعلامَ، وفيمَ، وإلامَ، وممَ، وعمَ، حذفت الألف لأن ما والحرف كشيء واحد وقل استعمال الأصل ﴿ولا يبصر﴾ خضوعك وخشوعك بين يديه ﴿ولا يغني عنك﴾ أي: لا يقدر على أن ينفعك ﴿شيئا﴾ لا في الدنيا ولا في الآخرة وهو مصدر أي: شيئاً من الإغناء وهو القليل منه أو مفعول به أي: ولا يدفع عنك شيئاً من عذاب الله تعالى.

﴿يا أبت إني قد جاءني﴾ بطريق الوحي ﴿من العلم ما لم يأتك فاتبعني﴾ ولا تستنكف عن التعلم مني ﴿أهدك﴾ [ما بنمايم ترا] ﴿صراطا سويا﴾ أي: مستقيماً موصلاً إلى أعلى المراتب منجياً من الضلال لم يشافهه بالجهل المفرط وإن كان في أقصاه ولم يصف نفسه بالعلم الفائق وإن كان كذلك بل جعل نفسه في صورة رفيق له في مسير يكون أعرف وذلك من باب الرفق واللطف.

﴿يا أبت لا تعبد الا سيطان﴾ فإن عبادتك للأصنام عبادة له إذ هو الذي يزينها لك ويغريك عليها ﴿إن الشيطان كان للرحمن عصيا﴾ ومن جملة عصيانه إباؤه عن السجدة ومعلوم أن طاعة العاصي تورث النقم وزوال النعم والتعرض لعنوان الرحمانية لإظهار كمال شناعة عصيانه.

﴿يا أبت إني أخاف﴾ إن مت على ما أنت عليه من متابعة الشيطان وعصيان الرحمن ﴿أن﴾ أي: من أن ﴿يمسك﴾ يصيبك. وبالفارسية [بر سيد بتو] ﴿عذاب﴾ كائن ﴿من الرحمن﴾ وذلك الخوف للمجاملة ﴿فتكون﴾ [پس باشى] ﴿للشيطان وليا﴾ أي: قريناً له في اللعن المخلد أو قريباً تليه ويليك من الولي وهو القرب.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾

﴿قال﴾ استئناف بياني كأنه قيل فماذا قال أبوه عندما سمع منه هذه النصائح الواجبة القبول فقيل قال مصراً على عناده ﴿أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾ أي: أمعرض ومنصرف أنت عنها بتوجيه الإنكار إلى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كأن الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلاً عن ترغيب الغير عنها قدم الخبر على المبتدأ للاهتمام والأولى كونه مبتدأ وأنت فاعله سد مسد الخبر لئلا يلزم الفصل بين الصفة وما يتعلق بها وهو عن كذا في «تفسير الشيخ». ﴿لئن لم تنته﴾ والله لئن لم ترجع عما كنت عليه من النهي عن عبادتها ﴿لأرجمنك﴾ بالحجارة حتى تموت أو تبعد عني وقيل باللسان يعني: الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن وأصل الرجم الرمي بالرجام بالكسر وهي الحجارة ﴿واهجرني﴾ عطف على ما دل عليه لأرجمنك أي: فاحذرني واتركني ﴿مليا﴾ أي: زماناً طويلاً سالماً مني ولا تكلمني من الملاوة وهو الدهر ﴿قال﴾ إبراهيم وهو استئناف بياني.

﴿سلام عليك﴾ [سلام برتو يعنى ميروم ووداع ميكنم] فهو سلام مفارقة لا سلام لطف وإحسان لأنه ليس بدعاء له كقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥] على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة ودل على جواز متاركة المنصوح إذا أظهر اللجاج. والمعنى سلمت مني لا أصيبك بمكروه بعد ولا أشافهك بما يؤذيك ولكن **﴿سأستغفر لك ربي﴾** السين للاستقبال أو لمجرد التأكيد أي: استدعيه أن يغفر لك بأن يوفقك للتوبة ويهديك إلى الإيمان كما يلوح به تعليل قوله: ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ﴾[الشعراء: ٨٦] بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦] والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبيين أنه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه وإنما المحظور استدعاؤه له مع بقائه على الكفر فإنه مما لا مساغ له عقلاً ولا نقلاً وأما الاستغفار له بعد موته على الكفر فلا يأباه قضية العقل وإنما الذي يمنعه السمع ألا يرى إلى أنه عليه السلام قال لعمه أبي طالب «لا أزال أستغفر لك ما لم أنهَ عنه» فنزل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية ولا اشتباه في أن هذا الوعد من إبراهيم وكذا قوله: ﴿لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤] وما ترتب عليهما من قوله ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ﴾[الشعراء: ٨٦] إنما كان قبل انقطاع رجائه عن إيمانه لعدم تبين أمره ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾ [التوبة: ١١٤] **﴿إنه كان بي حفياً﴾** أي: بليغاً في البر والإلطاف يقال حفيت به بالغت وتحفيت في إكرامه بالغت.

﴿وأعتزلكم﴾ أي: أتباعد عنك وعن قومك بالمهاجرة بديني حيث لم يؤثر فيكم نصائحي **﴿وما تدعون من دون الله﴾** أي: تعبدون **﴿وأدعو ربي﴾** أي: اعبده وحده **﴿عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً﴾** أي: بدعائي إياه خائباً ضائع السعي وفيه تعريض لشقائهم في عبادتهم آلهتهم.

حاجت زكسى خواه كه محتاجا نرا   بى بهره نكرداند از انعام عميم

وفي تصدير الكلام بعسى إظهار التواضع ومراعاة حسن الأدب.

﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله﴾ بالمهاجرة إلى الشام. قال في «تفسير الشيخ»: فارتحل من كوثى إلى الأرض المقدسة **﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾** ابن إسحاق بدل من فارقه من أقربائه الكفرة لا عقيب المجاوزة والمهاجرة فإن المشهور أن الموهوب حينئذٍ إسماعيل لقوله: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾ [الصافات: ١٠١] إثر دعائه بقوله: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾ [الصافات: ١٠٠] ولعل تخصيصهما بالذكر لأنهما شجرة الأنبياء أو لأنه أراد أن يذكر إسماعيل بفضل على انفراده **﴿وكلاً جعلنا نبيا﴾** أي: كل واحد منهم جعلناه نبياً لا بعضهم دون بعض فكلاً مفعول أول لجعلنا قدم عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة إلى من عداهم بل بالنسبة إلى بعضهم.

﴿ووهبنا لهم من رحمتنا﴾ كل خير ديني ودنيوي مما لا يوهب لأحد من العالمين **﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾** ثناء حسناً رفيعاً فإن لسان الصدق هو الثناء الحسن على أن يكون المراد باللسان ما يوجد به من الكلام ولسان العرب وإضافته من إضافة الموصوف إلى الصفة أي: يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾ [الشعراء: ٨٤].

اعلم أن في الآيات إشارات:

منها: الرفق وحسن الخلق فإن الهادي إلى الحق يجب أن يكون رفيقاً فإن العنف يوجب إعراض المستمع وفي الحديث «أوحى الله إلى إبراهيم يا خليل حَسِّن خلقك ولو مع الكفار

تدخل مداخل الأبرار فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه بأن أظله تحت عرشي وأسكنه حظيرة القدس وأدنيه من جواري»، قال الصائب:

كذشت عمرو نكردى كلام خودرا نرم ترا چه حاصل ازين آسياى دندانست

ومنها المتابعة قال أبو القاسم: الطريق إلى الحق المتابعة من علت مرتبته اتبع الكتاب ومن نزل عنهم اتبع الرسول عليه السلام ومن نزل عنهم اتبع الصحابة رضي الله عنهم ومن نزل عنهم اتبع أولياء الله والعلماء بالله وأسلم الطرق إلى الله طريق الاتباع لأن سهل بن عبد الله قال: أشد ما على النفس الاقتداء فإنه ليس للنفس فيه نفس ولا راحة.

ومنها العزلة قال أبو القاسم: من أراد السلامة في الدنيا والآخرة ظاهراً وباطناً فليعتزل قرناء السوء وأخدان السوء ولا يمكنه ذلك إلا بالالتجاء والتضرع إلى ربه في ذلك ليوفقه لمفارقتهم فإن المرء مع من أحب. قال بعض الكبار: العزلة سبب لصمت اللسان فمن اعتزل عن الناس لم يجد من يحادثه فأداه ذلك إلى صمت اللسان وهي على قسمين: عزلة المريدين بالأجسام عن الأغيار وعزلة المحققين بالقلوب عن الأكوان فليست قلوبهم محالاً لغير علم الله الذي هو شاهده الحاصل فيها من المشاهدة ونية أهل العزلة إما اتقاء شر الناس وإما اتقاء شره المتعدي إليهم وهو أرفع من الأول إذ سوء الظن بالنفس أولى من سوء الظن بالغير وإما إيثار صحبة المولى على صحبة السوى فأعلى المعتزلين من اعتزل عن نفسه إيثاراً لصحبة ربه فمن آثر العزلة على المخالطة فقد آثر ربه على غيره ولم يعرف أحد ما يعطيه الله من المواهب والأسرار والعزلة تعطي صمت اللسان لا صمت القلب إذ قد يتحدث المرء في نفسه بغير الله ومع غير الله فلهذا جعل الصمت ركناً برأسه من أركان الطريق وحال العزلة التنزيه عن الأوصاف سالكاً كاد المعتزل يكون صاحب يقين مع الله تعالى حتى لا يكون له خاطر متعلق بخارج بيت عزلته والهجرة سبب للعزلة عن الأشرار من هاجر في طلب رضى الله أكرمه الله في الدنيا والآخرة. فعلى العاقل أن يجتهد في تحصيل الرضى بالهجرة والخلوة والعزلة ونحوها، قال الصائب:

در مشرب من خلوت اكر خلوت كوراست بسيار به از صحبت ابناى زمانست

ومنها: أن من فارق محبوبه ابتغاء لمرضاة الله تعالى فإن الله تعالى يجعل له بدلاً خيراً من ذلك وأحب فيأنس به ويتوحش عما ألف به فيما مضى فيحصل الحل والعقد على مراد الله اللهم اجعلنا من المنقطعين إليك والمستوحشين عما سواك والسالكين إلى سبيل الفناء والطالبين لرضاك.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾

﴿واذكر في الكتاب موسى﴾ قدم ذكره على إسماعيل لئلا ينفصل عن ذكر يعقوب **﴿إنه كان مخلصاً﴾** أخلصه الله من الادناس والنقائص ومما سواه وهو معنى الفتح الموافق للصديق فإن أهل الإشارة قالوا: إن الصادق والمخلص بالكسر من باب واحد وهو التخلص من شوائب الصفات النفسانية مطلقاً والصديق والمخلص بالفتح من باب واحد وهو التخلص أيضاً من شوائب الغيرية.

قال في «التأويلات النجمية»: اعلم أن الإخلاص في العبودية مقام الأولياء فلا يكون ولي إلا وهو مخلص ولا يكون كل مخلص ولياً ولا يكون رسولاً إلا وهو نبي ولا يكون كل نبي رسولاً والمخلص بكسر اللام من أخلص نفسه في العبودية بالتزكية عن الأوصاف النفسانية الحيوانية والمخلص بفتح اللام من أخلصه الله بعد التزكية بالتحلية بالصفات الروحانية الربانية كما قال النبي عليه السلام: «من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» وقال تعالى: «الإخلاص سرّ بيني وبين عبدي لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل أنا الذي أتولى تحلية قلوب المخلصين بتجلي صفات جمالي وجلالي لهم» وفي الحقيقة لا تكون العبودية مقبولة إلا من المخلصين لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] ولإخلاص المخلصين مراتب أدناها أن تكون العبودية لله خالصة لا يكون لغير الله فيها شركة وأوسطها أن يكون العبد مخلصاً في بذل الوجود لله إلى الله وأعلى درجة المخلصين أن يخلصهم من حبس وجودهم بأن يفنيهم عنهم ويبقيهم بوجوده **﴿وكان رسولاً نبياً﴾** أرسله الله إلى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولاً مع كونه أخص وأعلى. يقول الفقير: تأخير نبياً لأجل الفواصل.

﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾ الطور جبل بين مصر ومدين والأيمن في الأصل خلاف الأيسر أي: جانب اليمن وهو صفة للجانب أي: ناديناه من ناحيته اليمنى وهي التي تلي يمين موسى إذ لا يمين للجبل ولا شمال أو من جانبه الميمون من اليمن ومعنى ندائه منه أنه تمثل له الكلام من تلك الجهة. وقال في «الجلالين»: أقبل من مدين يريد مصر فنودي من الشجرة وكانت في جانب الجبل على يمين موسى **﴿وقربناه نجيا﴾** تقريب تشريف مثل حاله بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته حيث كلمه بغير واسطة ملك ونجياً أي: مناجياً حال من أحد الضميرين في ناديناه والمناجاة [راز كفتن] كما في «التهذيب» يقال ناجاه مناجاة ساره كما في «القاموس».

﴿ووهبنا له من رحمتنا﴾ أي: من أجل رحمتنا ورأفتنا به **﴿أخاه هارون﴾** أخاه مفعول وهبنا وهارون عطف بيان لأخاه **﴿نبيا﴾** حال منه ليكون معه وزيراً معيناً كما سأل ذلك ربه فقال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩﴾ [طه: ٢٩] فالهبة على ظاهرها كما في قوله: ﴿وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ﴾ [مريم: ٤٩] فإن هارون كان أسن من موسى فوجب الحمل على المعاضدة والموازرة [صاحب كشف الأسرار كويد حضرت موسى عليه السلام را هم روش بود وهم كشش اشارت بروش او ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ﴾ [الأعراف: ١٤٣] عبارت از كشش او **﴿وقربناه نجيا﴾** سالك تا در روش است خطر دارد وچون كشش در رسيد خطر را باوكار نيست يعنى در سلوك شوب تفرقه هست وجذبه محض جمعيت است:

با خود روى بيحاصلى چون او كشيدت واصلى
رفتن كجا بردن كجا اين سر ربانيست اين

قال المولى الجامي:

سالكان بى كشش دوست بجايى نرسند سالها كرچه درين راه تك وپوى كنند]

وفي «التأويلات النجمية»: قوله: **﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا﴾** يشير إلى أن

النبوة ليست بكسبية بل هي من مواهب الحق تعالى يهب لمن يشاء النبوة ويهب لمن يشاء الرسالة من رحمته وفضله لا من كسبهم واجتهادهم على أن توفيق الكسب والاجتهاد أيضاً من مواهب الحق تعالى وفيه إشارة إلى أن موسى عليه السلام أشد اختصاصاً بالقربة والقبول عند الله تعالى حتى يهب أخاه هارون النبوة والرسالة بشفاعته والعجب أن الله تعالى يهب النبوة والرسالة بشفاعة موسى عليه السلام وأنه يهب الأنبياء والرسل محمد ﷺ لقوله: «الناس يحتاجون إلى شفاعتي حتى إبراهيم عليه السلام» اللهم اجعلنا من المستسعدين بشفاعته واحشرنا تحت لوائه ورايته.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾

﴿واذكر في الكتاب إسماعيل﴾ فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه لإبراز كمال الاعتناء بأمره بإيراده مستقلاً أي: واتل على قومك يا محمد في القرآن قصة جدك إسماعيل وبلغها إليهم **﴿إنه كان صادق الوعد﴾** فيما بينه وبين الله وكذا بين الناس.

قال في «التأويلات النجمية»: فيما وعد الله بأداء العبودية انتهى. والوعد عبارة عن الإخبار بإيصال المنفعة قبل وقوعها وإيراده بهذا الوصف لكمال شهرته به واتصاله بأشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن إسماعيل عليه السلام وعد صاحباً له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة:

نيست بر مردم صاحب نظر ... صورتى از صدق ووفا خوبتر

وناهيك أنه وعد الصبر على الذبح فوفى حيث قال: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] وفيه حث على صدق الوعد والوفاء به والأصل فيه نيته لقوله عليه السلام: «إذا وعد الرجل أخاه ومن نيته أن يفي فلم يف ولم يجيء للميعاد فلا إثم عليه».

واعلم أن الله تعالى أثنى على إسماعيل بكونه صادق والوعد إشارة إلى أن الثناء إنما يتحقق بصدق الوعد وإتيان الواعد بالموعود لا بصدق الوعيد وإتيان المتوعد بما توعد به إذ لا يثني عقلاً وعرفاً على ما يصدر منه الآفات والمضرات بل على من يصدر منه الخيرات والمبرات ومن هذا ذهب بعض العلماء إلى الخلف في الوعيد جائز على الله تعالى دون الوعد صرحه الإمام الواحدي في «الوسيط» في قوله تعالى في سورة النساء ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣] الآية وفي الحديث: «من وعد لأحد على عمله ثواباً فهو منجز له ومن أوعده على عمله عقاباً فهو بالخيار» والعرب لا تعد عيباً ولا خلفاً أن يعد أحد شراً ثم لا يفعله بل ترى ذلك كرماً وفضلاً كما قيل:

وإني إذا أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

وقيل:

إذا وعد السرّاء نجز وعده ... وإن أوعد الضراء فالعقل مانعه

وأحسن يحيى بن معاذ في هذا المعنى حيث قال الوعد والوعيد حق فالوعد حق العباد على ما ضمن لهم إذا فعلوا ذلك أن يعطيهم كذا ومن أولى بالوفاء من الله والوعيد حقه على العباد قال: لا تفعلوا كذا فأعذبكم ففعلوا فإن شاء عفا وإن شاء أخذ لأنه حقه وأولاهما العفو

والكرم لأنه غفور رحيم كذا في «شرح العضد» للجلال الدواني ﴿وكان رسولا﴾ أرسله الله تعالى إلى جرهم وإلى العماليق وإلى قبائل اليمن في زمن أبيه إبراهيم عليهما السلام. قال في «القاموس»: جرهم كقنفذ حي من اليمن تزوج فيهم إسماعيل ﴿نبيا﴾ يخبر عن الله وكان على شريعة أبيه إبراهيم ولم يكن له كتاب أنزل إليه بإجماع العلماء وكذا لوط وإسحاق ويعقوب.

﴿وكان يأمر أهله﴾ الخاص وهو من اتصل به بجهة الزوجية والولاد والعام وهو من اتصل به بجهة الدعوة وهم قومه ويجوز أن يرجح الأول لأن الأهم أن يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن هو أقرب الناس إليه قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [طه: ١٣٢] ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] فإنهم إذا صلحوا صلح الكل وتزيى بزيهم في الخير والصلاح ﴿بالصلاة﴾ التي هي أشرف العبادات البدنية ﴿والزكاة﴾ التي هي أفضل العبادات المالية. وفيه إشارة إلى أن من حق الصالح أن ينصح للأقارب والأجانب ويحظيهم بالفوائد الدينية:

اى صاحب كرامت شكرانه سلامت روزى تفقدي كن درويش بى نوارا

﴿وكان عند ربه مرضيا﴾ في الأقوال والأفعال والأحوال. وفي «الجلالين»: مرضياً لأنه قد قام بطاعته انتهى:

اى مرد اكرت رضاء دلبر بايد آن بايد كرد هرچه او فرمايد
كر كويد خون كرى مكو ازچه سبب وركويد جان بده مكوكه نايد

وعن بعض الصالحين أنه قال: نزل عندي أضياف وعلمت أنهم من أبدال فقلت لهم: أوصوني بوصية بالغة حتى أخاف الله قالوا: نوصيك بستة أشياء: أولها: من كثر نومه فلا يطمع في رقة قلبه. ومن كثر أكله فلا يطمع في قيام الليل. ومن اختار صحبة ظالم فلا يطمع في استقامة دينه. ومن كان الكذب والغيبة عادته فلا يطمع في أن يخرج من الدنيا مع الإيمان. ومن كثر اختلاطه بالناس فلا يطمع في حلاوة العبادة. ومن طلب رضى الناس فلا يطمع في رضى الله تعالى.

واعلم أن المرضي المطلق هو الإنسان الكامل الجامع لجميع الكمالات المحيط بحقائق جميع الأشياء والصفات وأما من دونه فمرضي بوجه دون وجه وعلى حال دون حال نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أهل الرضى واليقين والسكون والتمكين آمين.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾

﴿واذكر في الكتاب إدريس﴾ هو جد أبي نوح فإن نوحاً بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو إدريس النبي عليه السلام ابن يرد بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم ولد وآدم حي قبل أن يموت بمائة سنة كذا في «روضة الخطيب». وقال الكاشفي: [در جامع الأصول آورده كه ادريس بصد سال بعد ازوفات آدم متولد شده] هو أول من وضع الميزان والمكيال وأول من اتخذ السلاح وجاهد في سبيل الله وسبى واسترق بني قابيل وأول من خط بالقلم ونظر في علم الحساب والنجوم وأول من خاط الثياب وكانوا يلبسون الجلود وأول من لبس ثوب القطن واشتقاقه من الدرس يمنعه منع صرفه نعم لا يبعد أن يكون في تلك اللغة قريباً من ذلك فلقب به لكثرة دراسته إذ روي أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة ﴿إنه كان صديقا﴾

ملازماً للصدق في جميع أحواله ﴿نبياً﴾ خبر آخر لكان مخصص للأول إذ ليس كل صديق نبياً. قال عباس بن عطاء: أدنى منازل المرسلين أعلى مراتب النبيين وأدنى مراتب النبيين أعلى مراتب الصديقين وأدنى مراتب الصديقين أعلى مراتب المؤمنين.

﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ وهو السماء الرابعة فإن النبي عليه السلام رأى آدم ليلة المعراج في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في الثانية ويوسف في الثالثة وإدريس في الرابعة وهارون في الخامسة وموسى في السادسة وإبراهيم في السابعة. واختلف القائلون بأنه في السماء أهو حي فيها أم ميت فالجمهور على أنه حي وهو الصحيح وقالوا: أربعة من الأنبياء في الأحياء اثنان في الأرض وهما الخضر والياس واثنان في السماء إدريس وعيسى كما في «بحر العلوم». قال الكاشفي: [در رفع ادريس اخبار متنوعه هست ابن عباس فرمودكه روزى ادريس را حرارت آفتاب غلبه كرد مناجات كردكه آلهى باوجود اين مقدار بعدكه ميان من وآفتاب هست ازحرارت او باحتراق نزديك شدم آيا آن فرشته كه حامل اوست چه حال داشته باشد خدايا بار آفتاب وشدت بروسبك كردان واورا ازتاب حرارت آفتاب درسايه عنايت خود محفوظ دار:

ازتاب آفتاب حوادث چه غم خورد آنرا كه سائبان عنايت پناه اوست

حق سبحانه وتعالى دعاى أو مستجاب فرمود روز ديكر آن فرشته كه حامل آفتابست خودرا سبكبار يافت وتأثيرى ازحرارت او فهم نكرد سبب آنرا از حضرت عزت استدعا نمود خطاب رسيدكه بنده من ادريس در حق تو دعا كرده ومن اجابت كردم آن فرشته اجازت خواست كه بزيارت ادريس آيد اجازت يافت وبرزمين آمد وبالتماس ادريس اورا به پر بافر خود نشانيده بآسمان بردو نزديك مطلع آفتاب رسانيده وباستدعاى ادريس كميت عمرو كيفيت اجل وى از ملك الموت پرسيد وعزرائيل ديوان اعمار نكاه كرده فرمود كه حكم آلهى درباره اين كس كه توميكويى آنست كه حالى نزديك مطلع آفتاب متوفى شود وچون آن فرشته باز آمد ادريس را يافت نقد جان بخازن اجل سپرده طوطى روحش بشكرستان قدس پرواز كرده. وروايتي ديكر آنست كه ملك الموت از كثرت طاعت ادريس مشتاق ديدارش شد وباذن حق تعالى برزمين آمده ويرادريافت وبامر آلهى بالتماس ادريس جانش برداشت وباز حق سبحانه جانش داد وعزرائيل اورا بآسمان برد ودوزخ بدو نمود واز آنجا ببهشت رفت وديكر بيرون نيامد] فالآية دلت على رفعته وعلى علو مكانه وهو فلك الشمس أما رفعته فبتبعية مكانه وأما علو مكانه فبوجهين: أحدهما باعتبار ما تحته من الكرات الفلكية والعنصرية وثانيهما باعتبار المرتبة بالنسبة إلى جميع الأفلاك وذلك أن فلك الشمس تحته سبعة أفلاك: فلك الزهرة، وفلك عطارد، وفلك القمر، وكرة الأثير أي: النار، وكرة الهواء، وكرة الماء، وكرة التراب، وفوقه سبعة أفلاك أيضاً: فلك المريخ، وفلك المشتري، وفلك زحل، وفلك الثوابت، والفلك الأطلس، وفلك الكرسي، وفلك العرش، فأعلى الأمكنة بالمكانة والمرتبة فلك الشمس الذي هو قطب الأفلاك إذ الفيض إنما يصل من روحانيته إلى سائر الأفلاك كما أن من كوكبه يتنور الأفلاك جميعاً وذلك كما يقال على القلب يدور البدن أي: منه يصل الفيض إلى سائر البدن وفي فلك الشمس مقام روحانية إدريس كما يشعر به حديث المعراج.

وفي «التأويلات النجمية»: المكان العلي فوق المكونات عند المكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر انتهى. وقد أعطى الله تعالى للمحمديين علو المكانة لكن العبد لا يتصور أن

يكون علياً مطلقاً إذ لا ينال درجة إلا ويكون في الوجود ما هو فوقها وهي درجات الأنبياء والملائكة نعم يتصور أن ينال درجة لا يكون في جنس الإنس من يفوقه وهي درجة نبينا عليه السلام ولكنه قاصر بالإضافة إلى العلو المطلق لأنه علو بالإضافة إلى بعض الموجودات والآخر علو بالإضافة إلى الوجود لا بطريق الوجوب بل يقارنه إمكان وجود إنسان فوقه فالعلي المطلق هو الذي له الفوقية لا بالإضافة وبحسب الوجوب لا بحسب الوجود الذي يقارنه إمكان نقيضه، وفي «المثنوي»:

دست بر بالاى دست اين تاكجا — تا بيزدان كه اليه المنتهى
كان يكى درياست بى غور وكران — جمله درياها چوسيلى پيش آن
حيلها وچارها كر ازدهاست — پيش الا الله انها جمله لاست

فعلى العامة أن لا يلتفتوا إلى العلو الإضافي الحاصل من بعض الرياسات كالقضاء والتدريس والإمامة والإمارة ونحوها وعلى الخاصة أن لا ينظروا إلى العلو الاعتباري الحاصل من بعض المقامات كالأفعال والصفات فإن الكمال الحقيقي هو الترقي من كل إضافة فانية وعلاقة زائلة والتجرد من ملابس كل كون حادث صورة ومعنى ألا ترى إلى حال أصحاب الصفة رضي الله عنهم نسأل الله تعالى أن لا يجعلنا من المفتخرين بغيره.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا۩ ﴿٥٨﴾﴾

﴿**أولئك**﴾ إشارة إلى المذكورين في هذه السورة من زكريا إلى إدريس وهو مبتدأ خبره قوله ﴿**الذين أنعم الله عليهم**﴾ بأنواع النعم الدينية والدنيوية وأصناف المواهب الصورية والمعنوية وقد أشير إلى بعض ما يخص كلاً منهم ﴿**من النبيين**﴾ بيان للموصول ونظيره في سورة الفتح ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿**من ذرية آدم**﴾ بدل منه بإعادة الجار يقال ذرأ الشيء كثر ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين كما في «القاموس» ﴿**وممن حملنا مع نوح**﴾ أي: ومن ذرية من حملنا معه في سفينته خصوصاً وهم من عدا إدريس فإن إبراهيم كان من ذرية سام بن نوح ﴿**ومن ذرية إبراهيم**﴾ وهم الباقون ﴿**وإسرائيل**﴾ عطف على إبراهيم أي: ومن ذرية إسرائيل أي: يعقوب وكان منهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى. وفيه دليل على أن أولاد البنات من الذرية لأن عيسى من مريم وهي من نسل يعقوب ﴿**وممن هدينا واجتبينا**﴾ أي: ومن جملة من هديناهم إلى الحق واصطفيناهم للنبوة والكرامة قالوا من فيه للتبيين إن عطف على من النبيين وللتبعيض إن عطف على ومن ذرية آدم ﴿**إذا تتلى**﴾ تقرأ ﴿**عليهم**﴾ على هؤلاء الأنبياء ﴿**آيات الرحمن**﴾ أي: آيات الترغيب والترهيب في كتبهم المنزلة ﴿**خروا**﴾ سقطوا على الأرض حال كونهم ﴿**سجدا**﴾ ساجدين جمع ساجد ﴿**وبكيا**﴾ باكين جمع باك وأصله بكويا والمعنى أن الأنبياء قبلكم مع ما لهم من علو الرتبة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله تعالى كانوا يسجدون ويبكون لسماع آيات الله فكونوا مثلهم وفي الحديث «اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا» يقال تباكى فلان إذا تكلف البكاء أي: إن لم تبك أعينكم فلتبك قلوبكم يعني تحزنوا عند سماع القرآن فإن القرآن نزل بحزن على المحزونين. قال الكاشفي: [كلام دوست مهيج شوقست چون آتش شوق

بركانون دل بر افروخته كردد ازديده خون ريختن كيرد:

اى دريغا اشك من دريابدى تانثار دلبر زيبا بدى

اشك كان ازبهر آن بارند خلق كوهرست واشك پندارند خلق]

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿خروا﴾ بقلوبهم على عتبة العبودية ﴿سجدا﴾ بالتسليم للأحكام الأزلية ﴿وبكيا﴾ بكاء السمع بذوبان الوجود على نار الشوق والمحبة انتهى. قالوا: ينبغي أن يدعو الساجد في سجدته بما يليق بآياتها فههنا يقول: «اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك» وفي آية الإسراء «اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك» وفي آية تنزيل السجدة يقول: «اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك». قال الكاشفي: [اين سجده پنجمست از سجدات كلام الله حضرت شيخ قدس سره اين سجده راكه بجهت تلاوت آيات رحمانى مى بايد سجود انعام عام كفته وكريه كه متفرع براوست انرا كريه فرح وسرور ميداند چه رحمت رحما نيست مقتضى لطف ورأفت است وموجب بهجت ومسرت پس نتيجه او طربست نه اندوه وتعب].

﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾

﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ يقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون أي: فعقب الأنبياء المذكورين وجاء بعدهم عقب سوء من أولادهم. وفي «الجلالين» بقي من بعد هؤلاء قوم سوء يعني اليهود والنصارى والمجوس انتهى. وفي الحديث «ما من نبي بعثه الله في أمة إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» ذكره مسلم ﴿أضاعوا الصلاة﴾ تركوها أو أخروها عن وقتها أو ضيعوا ثوابها بعد الأداء بالنميمة والغيبة والكذب ونحوها أو شرعوا فيها بلا نية وقاموا لها بلا خضوع وخشوع ﴿واتبعوا الشهوات﴾ من شرب الخمر واستحلال نكاح الأخت من الأب والانهماك في فنون المعاصي. وعن علي رضي الله عنه هم من بني المشيد وركب المنظور ولبس المشهور وفي الحديث «أوحى الله إلى داود مثل الدنيا كمثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب يجرونها أفتحب أن تكون كلباً مثلهم فتجر معهم يا داود طيب الطعام ولين اللباس والصيت في الناس والجنة في الآخرة لا يجتمعان أبداً».

واعلم أن تيسير أسباب الشهوات ليس من أمارة الخير وعلامة النجاة في الآخرة ومن ثمة امتنع عمر رضي الله عنه من شرب ماء بارد بعسل وقال: اعزلوا عني حسابها. وقال وهب بن منبه: التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر: من أين؟ فقال: أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي وقال الآخر: أمرت بإهراق زيت اشتهاه فلان العابد والشهوة في الأصل التمني ومعناها بالفارسية [آرزو خواستن] والمراد بها في الآية المشتهيات المذمومة. والفرق بين الهوى والشهوة أن الهوى هو المذموم من جملة الشهوات والشهوة قد تكون

محمودة وهي من فعل الله تعالى وهي ما يدعو الإنسان إلى الصلاح وقد تكون مذمومة وهي من فعل النفس الأمارة بالسوء وهي استجابتها لما فيه لذاتها البدنية ولا عبادة لله أعظم وأشرف من مخالفة الهوى والشهوات وترك اللذات، قال الشيخ سعدي:

مبر طاعت نفس شهوت يرست كه هر ساعتش قبله ديكرست
مرو دريى هرچه دل خواهدت كه تمكين تن نورجان كاهدت
كند مردرا نفس اماره خوار اكر هو شمندى عزيزش مدار

﴿فسوف يلقون غياً﴾ أي: شراً فإن كل شر عند العرب غي فكل خير رشاد. وعن الضحاك جزاء غي كقوله تعالى ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] أي: جزاء أثام. وقيل غي واد من جهنم يستعيذ من حره أوديتها أعد للزاني وشارب الخمر وآكل الربا وشاهد الزور ولأهل العقوق وتارك الصلاة.

﴿إلا من تاب﴾ رجع من الشرك والمعاصي ﴿وآمن﴾ اختيار الإيمان مكان الكفر ﴿وعمل صالحا﴾ بعد التوبة والندم ﴿فأولئك﴾ المنعوتون بالتوبة والإيمان والعمل الصالح ﴿يدخلون الجنة﴾ بموجب الوعد المحتوم ﴿ولا يظلمون﴾ لا ينقصون من جزاء أعمالهم ﴿شيئا﴾ ولا يمنعونه فالظلم بمعنى النقص والمنع وشيئاً مفعوله ويجوز أن يكون شيئاً في موضع المصدر أي: ولا يظلمون البتة شيئاً من الظلم.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾

﴿جنات عدن﴾ بدل من الجنة بدل البعض لأن الجنة تشتمل على جنات عدن وما بينهما اعتراض وجنات عدن علم لجنة مخصوصة كشهر رمضان وقد يحذف المضاف حيث يقال جاء رمضان وقيل جنات عدن علم لدار الثواب جميعها والعدن الإقامة وهو الأنسب بمثل هذا المقام فإن جنة عدن المخصوصة وجنة الفردوس لا يدخلهما العوام بالأصالة لأنهما مقام المقربين ﴿التي وعد الرحمن عباده﴾ أي: وعدها إياهم ملتبسة ﴿بالغيب﴾ أي: وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو غائبين عنها لا يرونها وإنما آمنوا بها بمجرد الاخبار والتعرض لعنوان الرحمة للإيذان بأن وعدها وإنجازه لكمال سعة رحمته تعالى. وفي الإضافة إشارة إلى أن المراد من يعبده مخلصاً له في العبودية لا يعبد الدنيا والنفس والهوى إذ كمال التشريف بالإضافة إنما يحصل بهذا المعنى فله جنة عدن المخصوصة ﴿إنه﴾ أي: الله تعالى ﴿كان وعده﴾ أي: موعوده الذي هو الجنة ﴿مأتيا﴾ أي: يأتيه من وعد له لا محالة بغير خلف فالمأتي بمعنى المفعول من الإتيان أو بمعنى الفاعل أي: جائياً ألبتة.

﴿لا يسمعون فيها﴾ في تلك الجنات ﴿لغوا﴾ أي: فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن أهلها. وفيه تنبيه على أن اللغو مما ينبغي أن يجتنب عنه في هذه الدار ما أمكن ﴿إلا سلاماً﴾ استثناء منقطع أي: لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم أو تسليم بعضهم على بعض ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة﴾ [بامداد] ﴿وعشيا﴾ [شبانكاه] والمراد دوام الرزق كما يقال أنا عند فلان صباحاً ومساء يراد الدوام منه وقيل يؤتى طعامهم على مقدار البكرة والعشي إذ لا نهار ثمة ولا ليل بل هم في نور أبداً وإنما وصف الله الجنة بذلك لأن العرب لا

تعرف من العيش أفضل من الرزق بالبكرة والعشي. قال الإمام في تفسيره فإن قيل المقصود من الآيات وصف الجنة بأمور مستعظمة وليس وصول الرزق بكرة وعشياً منها قلنا قال الحسن: أراد أن يرغب كل قوم بما أحبوه في الدنيا فلذلك ذكر أساور الذهب والفضة ولبس الحرير الذي كان عادة العجم والأرائك التي كانت عادة أشراف اليمن ولا شيء أحب إلى العرب من الغداء والعشاء.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿**ولهم رزقهم فيها**﴾ من رؤية الله تعالى ﴿**بكرة وعشيا**﴾ كما جاء في الخبر: «وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشياً» انتهى.

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾

﴿**تلك**﴾ إشارة إلى الجنة المذكورة المتقدمة يريد تلك التي بلغك وصفها وسمعت بذكرها ﴿**الجنة**﴾ قال في «الإرشاد»: مبتدأ وخبر جيء به لتعظيم شأن الجنة وتعيين أهلها ويجوز أن يكون الجنة صفة للمبتدأ الذي هو اسم الإشارة وخبره قوله: ﴿**التي نورث**﴾ أي: نورثها ونعطيها بغير اختيار الوارث ﴿**من عبادنا من كان تقيا**﴾ مجتنباً عن الشرك والمعاصي مطيعاً لله أي: نبقيها عليهم بتقواهم ونمتعهم بها كما نبقي على الوارث مال مورثه ونمتعه به. قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف قال نورث والميراث ما انتقل من شخص إلى شخص والجواب أن هذا على وجه التشبيه أراد أن الأعمال سبب لها كالنسب ملك بلا كسب ولا تكلف وكذا الجنة عطاء من الله ورحمة منه خلافاً للقدرية انتهى. والوراثة أقوى ما يستعمل في التملك والاستحقاق من حيث إنها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا إبطال ولا إسقاط. قال في «الأشباه»: لو قال الوارث تركت حقي بطل حقه انتهى. وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا وأطاعوا زيادة في كرامتهم. قال المولى الفناري في تفسير الفاتحة: اعلم أن الجنات ثلاث:

الأولى جنة اختصاص إلهي وهي التي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا حد العمل وحدهم من أول ما يولد إلى أن يستهل صارخاً إلى انقضاء ستة أعوام ويعطي الله من شاء من عباده من جنات الاختصاص ما شاء ومن أهلها المجانين الذين ما عقلوا ومن أهلها أهل التوحيد العلمي ومن أهلها أهل الفترات ومن لم تصل إليهم دعوة رسول.

والجنة الثانية: جنة ميراث ينالها كل من دخل الجنة ممن ذكرنا من المؤمنين وهي الأماكن التي كانت معينة لأهل النار لو دخلوها.

والجنة الثالثة: جنة الأعمال وهي التي يتزل الناس فيها بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر سواء كان الفاضل بهذه الحال دون المفضول أو لم يكن فما من عمل إلا وله جنة يقع التفاضل فيها بين أصحابها ورد في الحديث الصحيح عن النبي عليه السلام أنه قال لبلال: «يا بلال بمَ سبقتني إلى الجنة فما وطئت منها موضعاً إلا سمعت خشخشتك أمامي» فقال: يا رسول الله ما أحدثت قط إلا توضأت وما توضأت إلا صليت ركعتين فقال رسول الله ﷺ: «بهما» فعلمنا أنها كانت جنة مخصوصة بهذا العمل فما من فريضة ولا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرم ومكروه إلا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص

يناله من دخلها ومن الناس من يجمع في الزمن الواحد أعمالاً كثيرة فيصرف سمعه وبصره ويده فيما ينبغي في زمان صومه وصدقته بل في زمان صلاته في زمان ذكره في زمان نيته من فعل وترك فيؤجر في الزمن الواحد من وجوه كثيرة فيفضل غيره ممن ليس له ذلك نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الطاعة.

﴿**وما نتنزل إلا بأمر ربك**﴾. قال مجاهد: أبطأ الملك على رسول الله ﷺ ثم أتاه فقال له عليه السلام: «ما حبسك يا جبرائيل» قال: وكيف آتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تأخذون شواربكم ولا تنقون براجمكم ولا تستاكون ثم قرأ ﴿**وما نتنزل إلا بأمر ربك**﴾ كما في «أسباب النزول» و«سفينة الأبرار» وفي الحديث: «نقوا براجمكم» وهي مفاصل الأصابع والعقد التي على ظهرها يجتمع فيها الوسخ واحدها برجمة وما بين العقدتين يسمى راجبة والجمع رواجب وذلك مما يلي ظهرها وهو قصبة الأصبع فلكل أصبع برجمتان وثلاث رواجب إلا الإبهام فإن له برجمة وراجبتين فأمر بتنقيته لئلا يدرن فيبقى فيه الجنابة ويحول الدرن بين الماء والبشرة ذكره القرطبي. وقال بعض المفسرين: هو حكاية لقول جبريل حين استبطأه رسول الله لما سئل عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا أن يوحى إليه فيه فأبطأ عليه أربعين يوماً أو خمسة عشر فشق عليه ذلك مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل ببيان ذلك قال له: «أبطأت عليّ حتى ساء ظني واشتقت إليك» فقال جبريل: إني كنت أشوق ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست فأنزل الله هذه الآية وسورة والضحى. والتنزل النزول على مهل لأنه مطاوع للتنزيل والمعنى قال الله لجبريل: قل لمحمد وما نتنزل وقتاً غب وقت إلا بأمر الله على ما تقتضيه حكمته.

﴿**له**﴾ أي: لله بالاختصاص ﴿**ما بين أيدينا**﴾ من الأمور الأخروية الآتية ﴿**وما خلفنا**﴾ من الأمور الدنيوية الماضية ﴿**وما بين ذلك**﴾ ما بين ما كان وما سيكون أي: من هذا الوقت إلى قيام الساعة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**له ما بين أيدينا**﴾ من التقدير الأزلي ﴿**وما خلفنا**﴾ من التدبير الأبدي ﴿**وما بين ذلك**﴾ من أزل إلى الأبد انتهى. ونظيره قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿**وما كان ربك نسيا**﴾ [فر اموشكار يعنى ازحال تو آكاهست هركاه كه خواهد مارا بتوفرستد]. قال أهل التفسير فعيل بمعنى فاعل من النسيان بمعنى الترك أي: تاركاً لك كما زعمت الكفرة وإن تأخر عنك الوحي لمصلحة أو بمعنى نقيض الذكر الذي هو الغفلة أي: غافلاً عنك.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾

﴿**رب السموات والأرض**﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: هو مالكهما ﴿**وما بينهما**﴾ من الخلق فكيف يجوز النسيان على الرب ﴿**فاعبده**﴾ أي: إذا كان هو الرب فاثبت على عبادته يا محمد والعبادة قيام العبد بما تعبد به وتكلف من امتثال الأوامر والنواهي.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**فاعبده**﴾ بجسدك ونفسك وقلبك وسرك وروحك فعبادة جسدك إياه بأركان الشريعة وهي الائتمار بما أمرك الله به والانتهاء عما نهاك الله عنه وعبادة نفسك بآداب الطريقة وهي ترك موافقة هواها ولزوم مخالفة هواها وعبادة القلب والإعراض عن

الدنيا وما فيها والإقبال على الآخرة ومكارمها وعبادة السر خلوه عن تعلقات الكونين اتصالاً بالله تعالى ومحبة وعبادة الروح ببذل الوجود لنيل الشهود ﴿**واصطبر لعبادته**﴾ أي: اصبر لمشاقها ولا تحزن بإبطاء الوحي واستهزاء الكفرة وشماتتهم بك فإنه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والآخرة. وتعدية الاصطبار باللام لا بحرف الاستعلاء كما في قوله ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمبارز اصطبر لقرنك أي: اثبت له فيما يورد عليك من شدائده وحملاته ﴿**هل تعلم له سمياً**﴾ السمي الشريك في الاسم والمثل والشبيه أي: مثلاً يستحق أن يسمى إلٰهاً وإنما قيل للمثل سمي لأن كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والنظير وكل واحد منهما سمي لصاحبه أو أحداً يسمي الله غيره فإن المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة أصلاً والمراد بإنكار العلم ونفيه إنكار المعلوم ونفيه أي: لا يكون ولم يكن ذلك. قال الكاشفي: [يكى از آثار سطوت آلهي آن بودكه هيچ كس ازاهل شرك معبود خودرا الله نكفته اند عزت احديت وغيرت الوهيت اين اسم سامى را از تصرف كفار وتسميه ايشان در حصن حصين امان محفوظ داشت وزبان اهل ايمانرا در نعمت ومحنت وسرا وضرا بتكرر آن نام نامى جارى ساخت]:

الله الله چه طرفه نامست اين حرزدل وردجان تمامست اين

بس بود نزد صاحب معنى حسبي الله كواه اين دعوى

روي أن بعض الجبابرة سمى نفسه بلفظ الجلالة فصهر ما في بطنه من دبره وهلك من ساعته وقال فرعون مصر للقبط أنا ربكم الأعلى ولم يقدر أن يقول أنا الله. قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يسمى أحد الرحمٰن وغيره. قال المولى الفناري في ترتيب أسماء البسملة: إن لاسم الجلالة اختصاصاً وضعياً واستعمالياً وللرحمٰن اختصاصاً استعمالياً وقولهم رحمٰن اليمامة لمسيلمة تعنت في كفرهم كما لو سموه الله مثلاً ولا اختصاص للرحيم قالت قريش لرسول الله ﷺ: بلغنا أنك إنما يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمٰن وإنا والله لن نؤمن بالرحمٰن أبداً وقد عنوا بالرحمٰن مسيلمة الكذاب وقيل عنوا كاهناً كان لليهود باليمامة وقد رد الله عليهم بأن الرحمٰن المعلم له هو الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠] أي: توبتي ورجوعي كما في «إنسان العيون» وتكره التسمية بالأسماء التي لا تليق إلا بالله تعالى كالرحمٰن والرحيم والإله والخالق والقدوس ونحوها قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣] قال بعض المفسرين قل سموهم بأسمائي ثم انظروا هل تليق بهم أي: لا تليق بهم وغير رسول الله ﷺ اسم العزيز لأن العزة لله وشعار العبد الذلة والاستكانة كما في «ابكار الأفكار».

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾

﴿**ويقول الإنسان**﴾ بطريق الإنكار والاستبعاد للبعث وهو أبي بن خلف حين فت عظماً بالياً فقال: يزعم محمد أنا نبعث بعدما نموت ونصير إلى هذه الحال ﴿**أئذا ما مت**﴾ وكنت رميماً ﴿**لسوف أخرج**﴾ من القبر حال كوني ﴿**حيا**﴾ وبالفارسية [آياچون بميرم من هر آينه زود

بيرون شوم از خاك زنده يعني چكونه تواند بودكه مرده زنده شود وازخاك بيرون آيد] تقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار لما أن المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج وهو البعث لا به فإن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها لصدارتها وهي في الأصل للحال وهٰهنا للتأكيد المجرد أي: لتأكيد معنى همزة الإنكار في أئذا ولذا جاز اقترانها بسوف الذي هو حرف الاستقبال. وفي «التكملة» اللام في قوله تعالى: ﴿لسوف﴾ ليست للتأكيد فإنه منكر فكيف يحقق ما ينكر وإنما كلامه حكاية لكلام النبي عليه السلام كأنه ﷺ قال إن الإنسان إذا مات لسوف يخرج حياً فأنكر الكافر ذلك وحكي قوله فنزلت الآية على ذلك حكاه الجرجاني في كتاب «نظم القرآن». قال في «بحر العلوم» لما كانت هذه اللام لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر وجب تقدير مبتدأ وخبر وأن يكون أصله لأنا سوف أخرج حياً وما في أئذا ما للتوكيد أيضاً وتكرير التوكيد إنكار على إنكار.

﴿أولا يذكر الإنسان﴾ الهمزة للإنكار التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه يقول. والذكر في الأصل هو العلم بما قد علم من قبل ثم تخلله سهو وهم ما كانوا عالمين فالمراد به هنا التذكر والتفكر والمعنى أيقول ذلك ولا يتفكر ﴿إنا خلقناه من قبل﴾ أي: من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه ﴿ولم يك﴾ أصله لم يكن حذف النون تخفيفاً لكثرة الاستعمال أو تشبيهاً بحروف العلة في امتداد الصوت. وقال الرضي: النون مشابه للواو في الغنة ﴿شيئا﴾ بل كان عدماً صرفاً فيعلم أن من قدر على الابتداء من غير مادة قدر على الإعادة بجمع المواد بعد تفريقها وفي هذا دليل على صحة القياس حيث أنكر عليه وجهله في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى فيستدل به على البعث والإعادة قيل لو اجتمع الخلق على إيراد حجة في البعث على هذا الاختصار ما قدروا.

﴿فوربك﴾ الواو للقسم. والمعنى بالفارسية [پس بحق پرورد كار توكه بوقت قيامت] ﴿لنحشرنهم﴾ لنجمعنّ القائلين بالسوق إلى المحشر بعد ما أخرجناهم من الأرض أحياء ﴿والشياطين﴾ معهم وهم الذين أغووهم إذ كل كافر سيحشر مع شيطانه في سلسلة ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم﴾ حال كونهم ﴿جثيا﴾ جمع جاث من جثا يجثو ويجثي جثوا وجثياً فيهما جلس على ركبتيه كما في «القاموس» أي: جالسين على الركب لما يعرضهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما جثيا جماعات جمع جثوة وهي الجماعة واختاره في تفسير «الجلالين».

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾

﴿ثم لننزعن﴾ لنخرجن قاله البغوي والنزع الجذب ﴿من كل شيعة﴾ أمة وفرقة شاعت أي: نبعث غاوياً من الغواة ﴿أيهم﴾ موصول حذف صدر صلته منصوب بننزعن الذين هم أو استفهام مبتدأ خبره أشد فرفعه على الحكاية أي: لننزعن الذين يقال لهم أيهم ﴿أشد﴾ [سختتر وبسيارتر] ﴿على الرحمن﴾ [برخداى تعالى] ﴿عتيا﴾ [از جهت سركشى وجرأت يعني أول ازهر امتى آنراكه نافرمان تربوده جدا كنيم] يقال عتا على فلان إذا تجاوز الحد في الظلم

والمقصود أنه يميز من كل طائفة منهم الأعصى فالأعصى فإذا اجتمعوا يطرح في النار على الترتيب. قال في الكبير يحضرهم أولاً ثم يخص أشدهم تمرداً بعذاب أعظم إذ عذاب الضال المضل يجب أن يكون فوق عذاب من يضل تبعاً وليس عذاب من يورد الشبهة كعذاب من يقتدي به غافلاً قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨] انتهى. يقول الفقير في الآية تهديد عظيم لأبي المذكور وأنه أول منزوع من مشركي العرب لكونه أشد على الرحمٰن عتياً من جهة مقالته المذكورة.

واعلم أن أول الأمر البعث ثم الحشر ثم الإحضار ثم النزع ثم الإدخال في النار وهو قوله تعالى:

﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى﴾ [سزاوار ترند] ﴿بها﴾ [بآتش دوزخ] ﴿صليا﴾ دخولاً يعني [ميدانيم كه كيست سزاى انكه اورا نخست در آتش افكنند] وهم المنتزعون يقال صلى يصلي كلقى يلقي ومضى يمضي إذا دخل النار.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾

﴿وإن منكم﴾ أي: وما منكم أيها الناس ﴿إلا واردها﴾ أي: واصل جهنم وداخلها ﴿كان﴾ أي: ورودهم إياها ﴿على ربك حتما﴾ مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الأمير أي: أمراً محتوماً أوجبه الله على ذاته ﴿مقضيا﴾ حتى أنه لا بد من وقوعه ألبتة.

﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [پس نجات دهيم آنانرا كه پرهيز كردند از شرك يعنى بيرون آريم ازدوزخ] أحال الورود إلى الوارد وأحال النجاة إلى نفسه تعالى. ففيه إشارة إلى أن كل وارد يرد بقدم الطبيعة في هاوية الهوى إن شاء وإن أبى ولو خلى إلى طبيعته لا ينجو منها أبداً ولكن ما نجا من نجا إلا بإنجاء الله تعالى إياه ﴿ونذر﴾ نترك ﴿الظالمين﴾ لأنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿فيها﴾ في جهنم ﴿جثيا﴾ [بزانو در آمد كان] وهو إشارة إلى هوانهم وتقاعدهم عن الحركة إلى الجنة مع الناجين. وفي تفسير «الجلالين» جثياً أي: جميعاً انتهى.

اعلم أن الوعيدية وهم المعتزلة قالوا: إن من دخلها لا يخرج منها وقالت المرجئة لا يدخلها مؤمن قط وقالوا إن الورود هٰهنا هو الحضور لا الدخول فأما أهل السنة فقالوا يجوز أن يعاقب الله العصاة من المؤمنين بالنار ثم يخرجهم منها. وقالوا معنى الورود الدخول كقوله تعالى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨] وقال تعالى ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] وبدليل قوله تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ والنجاة إنما تكون بعد الدخول فيها كقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] فإن قلت كيف يدخلونها والله تعالى يقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ﴾ [الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٢]. قلت: المراد به الإبعاد عن عذابها. قال في «الأسئلة المقحمة» يجوز أن يدخلوها ولا يسمعوا حسيسها لأن الله تعالى يجعلها عليهم برداً وسلاماً كما جعلها على إبراهيم عليه السلام فالمؤمنون يمرون بجهنم وهي برد وسلام والكافرون وهي نار كما أن الكوز الواحد كان يشربه القبطي فيصير دماً والإسرائيلي فيكون ماء عذباً:

مؤمن فسون چه داند بر آتشش بخواند سوزش درو نماند كردد چونور روشن

وفي الحديث: «جز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لهبي»، وفي «المثنوي»:

كويدش بكذر سبك اى محتشم ورنه آتشهاى تومرد آتشم

فإن قلت إذا لم يكن في دخول المؤمنين عذاب فما الفائدة فيه؟ قلت وجوه:

الأول: أن يزيدهم سروراً إذا علموا الخلاص منه.

والثاني: يزيد غم أهل النار لظهور فضيحتهم عند المؤمنين والأولياء الذين كانوا يخوفونهم بالنار.

والثالث: يرون أعداءهم المؤمنين قد تخلصوا منها وهم يبقون فيها.

والرابع: أن المؤمنين إذا كانوا معهم فيها بكتوهم فيزداد غمهم.

والخامس: أن مشاهدة عذابهم توجب مزيد التذاذهم بنعيم الجنة.

يقول الفقير: لا شك عند أهل المعرفة أن جهنم صورة النفس الأمارة ففي الدنيا يرد كل من الأنبياء والأولياء والمؤمنين والكافرين هاوية الهوى بقدم الطبيعة لكن الأنبياء لكون نفوسهم من المطمئنة يجدونها خامدة وأما الأولياء فيردون عليها وهي ملتهبة ثم يجهدون إلى أن يطفئوها بنور الهدى ويلتحق بهم بعض المؤمنين وهم المعفو عنهم ولا يمر هؤلاء الطوائف الجليلة بالنار في الآخرة فلا يحترقون بها أصلاً وأما الكفار فلما كان كفرهم كبريت الهوى في الدنيا فلا جرم يدخلون النار في الآخرة وهي ملتهبة فيبقون هناك محترقين مخلدين ويلتحق بهم بعض العصاة وهم المعذبون لكنهم يخرجون منها بسبب نور تقواهم عن الشرك. وقال ابن مسعود والحسن وقتادة ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها وذلك لأنه لا طريق إلى الجنة سوى الصراط فالمرور في حكم الورود وفي الحديث: «لا يموت لمسلم ثلاث من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم» وهي قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ والتحلة مصدر حللت اليمين أي: أبررتها وتحلة القسم ما يفعله الحالف مما أقسم عليه مقدار ما يكون باراً في قسمه فهو مثل في القليل المفرط القلة. وقال مجاهد وورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام: «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء» وفي الحديث: «الحمى حظ كل مؤمن من النار» وقد جاء «إن حمى ليلة كفارة سنة ومن حم يوماً كان له براءة من النار وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» وعن جابر رضي الله عنه استأذنت الحمى على رسول الله عليه السلام فقال: «من هذه» قالت أم ملدم فأمر بها عليه السلام إلى أهل قبا فلقوا منها ما لا يعلمه إلا الله فشكوا إليه عليه السلام فقال: «إن شئتم دعوت الله ليكشفها عنكم وإن شئتم تكون لكم طهوراً» قالوا: أويفعل ذلك قال: «نعم» قالوا فدعها قالت عائشة رضي الله عنها قدمنا المدينة وهي أوبى أرض الله ولما حصلت لها الحمى قال لها عليه السلام: «ما لي أراك هكذا» قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله هذه الحمى وسبّتها فقال: «لا تسبيها فإنها مأمورة ولكن إن شئت علمتك كلمات إذا قلتهن أذهب الله عنك» قالت: فعلمني قال: «قولي اللهم ارحم جلدي الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق يا أم ملدم إن كنت آمنت بالله العظيم فلا تصدعي الرأس ولا تنتني الفم ولا تأكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عني إلى من اتخذ مع الله إلهاً آخر» فقالتها فذهبت عنها كذا في إنسان العيون.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾

﴿وإذا تتلى﴾ [وچون خوانده شود] ﴿عليهم﴾ أي: على المشركين ﴿آياتنا﴾ القرآنية ﴿بينات﴾ واضحات الاعجاز والمعاني وهي حال مؤكدة فإن آيات الله لا ينفك عنها الوضوح ﴿قال﴾ [كويند] ﴿الذين كفروا﴾ كنضر بن الحارث وأصحابه ﴿للذين آمنوا﴾ أي: لفقراء المؤمنين واللام للتبليغ كما في مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٧] أو لام الأجل أي: لأجلهم في حقهم ﴿أيّ الفريقين﴾ أي: المؤمنين والكافرين كأنهم قالوا أينا ﴿خير﴾ نحن أو أنتم ﴿مقاماً﴾ مكاناً ومسكناً يعني [مارا منازل نزه است وهمه اسباب معيشت] ﴿وأحسن ندياً﴾ أي: مجلساً ومجتمعاً. قال بعض المفسرين الندى المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم يعنى [در مجمع ما همه صناديد قريش وأشراف عرب اند ودر مجلس او همه موالى وضعفاً].

ـ يروى ـ أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة فإذا سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها قالوا مفتخرين بالحظوظ الدنيوية على فقراء المؤمنين لو كنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا أحسن لأن الحكيم لا يليق به أن يوقع أولياءه في العذاب والذل وأعداءه في العز والراحة لكن الأمر بالعكس وقصدهم بهذا الكلام صرفهم عن دينهم فرد الله عليهم بقوله:

﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ كم مفعول أهلكنا ومن قرن بيان لإبهامها وأهل كل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم مأخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها. وقال الكاشفي: [من قرن: كروهى را مجتمع بودند در زمان واحد] انتهى كأنه أخذه من الاقتران ﴿هم أحسن﴾ في محل النصب على أنه صفة لكم ﴿أثاثاً﴾ تمييز عن النسبة وهو متاع البيت يعني [نيكوتر ازجهت امتعه بيت كه آرايش منازل بدان باشد] ﴿ورئيا﴾ هو المنظر والهيئة فعل من الرؤية لما يرى كالطحن لما يطحن والمعنى كثيراً من القرون التي كانوا أفضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية كعاد وثمود وأضرابهم من الأمم العاتية قبل هؤلاء أي: كفار قريش أهلكناهم بفنون العذاب لو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا. وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى كأنه قيل فلينظر هؤلاء أيضاً مثل ذلك. قال الكاشفي: [نه آن مال هلاك از ايشان دفع كرد ونه آن جمال عذاب از ايشان باز داشت]:

برمال وجمال خويشتن تكيه مكن ... كانرا بشبى برند وآنرا بتبى

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن أهل الإنكار وأهل العزة بالله ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ من الحقائق والأسرار ﴿قال الذين كفروا﴾ ستروا الحق بالإنكار والاستهزاء ﴿للذين آمنوا﴾ من أهل التحقيق إذا رأوهم مرتاضين مجاهدين مع أنفسهم متحملين متواضعين متذللين متخاشعين وهم متنعمون متمولون متكبرون متبعو شهوات أنفسهم ضاحكون مستبشرون ﴿أي الفريقين﴾ منا ومنكم ﴿خير مقاماً﴾ منزلة ومرتبة في الدنيا ووجاهة عند الناس وتوسعاً في المعيشة ﴿وأحسن ندياً﴾ مجلساً ومنصباً وحكماً فقال تعالى في جوابهم ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ أي: أهلكناهم بحب الدنيا ونعيمها إذ أغرقناهم في بحر شهواتها واستيفاء لذاتها والتعزز

بمناصبها ﴿هم أحسن أثاثاً ورئياً﴾ استعداداً واستحقاقاً في الكمالات الدينية منكم كما قال عليه السلام: «خياركم في الإسلام خياركم في الجاهلية إذا فقهوا».

﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾

﴿قل﴾ للمفتخرين بالمال والمنال ﴿من﴾ شرطية والمعنى بالفارسية [هركه] ﴿كان﴾ مستقراً ﴿في الضلالة﴾ [دركمر اهى ودر دورى ازراه حق] مغموراً بالجهل والغفلة عن عواقب الأمور ﴿فليمدد له الرحمن مداً﴾ أي: يمد له ويمهله بطول العمر وأعطاه المال والتمكين من التصرفات وإخراجه على صيغة الأمر للإيذان بأن ذلك مما ينبغي أن يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير أو للاستدراج واعتبار الاستقرار في الضلالة لما أن المد لا يكون إلا للمصرين عليها إذ رب ضال يهديه الله والتعرض لعنوان الرحمانية لما أن المد من أحكام الرحمة الدنيوية. قال شيخي وسندي قدس سره في بعض تحريراته ﴿فليمدد له الرحمن مداً﴾ أي: فليستدرجه الرحمٰن استدراجاً بمد عمره وتوسيع ماله وتكثير ولده أو فليمهله الرحمٰن إمهالاً بمد راحته على الطغيان وإيصال نعمته على وجه الإحسان حتى يقع في العقاب والعذاب على سبيل التدريج لا التعجيل فيكون عقابه وعذابه أكمل وأشمل أثراً وألماً لأن الأخذ على طريق التدريج والنعمة أشد منه على طريق التعجيل والنقمة مع أن مبدأ المد مطلقاً هو الرحمٰن دون القهار أو الجبار لأن كلاً منهما مبدأ الشدة ولذلك عبر به لا بغيره هذا هو الخاطر ببالي في وجه التعبير بالرحمٰن وإن كانت أشدية عقاب الرحمٰن وجهاً لكن وجه أشدية عقابه ما ذكرنا لأنه إذا أراد العقاب يأتي به على وجه الرحمة والنعمة فيكون كدراً بعد الصفاء وألما بعد الراحة وشدة بعد الرخاء فهذا أقوى أثراً والحاصل لا يتصور وقوع المد المذكور إلا من الرحمٰن لأنه أصله ومنشأه انتهى كلامه روح الله روحه ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون﴾ [تاوقتى كه ببينند آنچه بيم كرده شده اند بدان] غاية للمد الممتد وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الضميرين الأولين باعتبار لفظها ﴿إما العذاب وإما الساعة﴾ تفصيل للموعود على سبيل البدل فإنه إما العذاب الدنيوي بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم إياهم قتلاً وأسراً وإما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الحزن والنكال على طريقة منع الخلو دون الجمع فإن العذاب الأخروي لا ينفك عنهم بحال. قال الإمام أي: لو فرض أن هذا الضال المتنعم قد مد له في أجله أليس أنه ينتهي إلى عذاب في الدنيا أو في الآخرة فسيعلم أن النعم لا تنفعه كما قال تعالى: ﴿فسيعلمون﴾ جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى فإنها هي التي تحكي بعدها الجملة ولذا وقع بعد الجملة الشرطية أي: حتى إذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الدنيوي أو الأخروي فقط فسيعلمون حينئذٍ ﴿من هو شر مكاناً﴾ من الفريقين بأن يشاهدوا الأمر على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون أنهم شر مكاناً لا خير مقاماً. قال الكاشفي: [پس بدانند آنرا كه بدترست از هر دو كروه ازجهت مكان جه جاى مؤمنان درجات جنان باشد ومأواى ايشان دركات نيران]:

افتخار از رنك وبو واز مكان هست شادى وفريب كودكان

قال في «بحر العلوم»: جعلت الشرارة للمكان ليفيد إثباتها لأهله لأنه إذا ثبت الأمر في

مكان الرجل فقد ثبت له كما في قولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه ﴿**وأضعف جنداً**﴾ أي: فئة وأنصاراً لا أحسن ندياً كما كانوا يدعونه. قال في «تفسير الجلالين» وذلك أنهم إن قتلوا ونصر المؤمنون عليهم علموا أنهم أضعف جنداً ضعفاء كلا ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الكهف: ٤٣] وإنما ذكر ذلك رداً لما كانوا يزعمون أن لهم أعواناً من الأعيان وأنصاراً من الأخيار ويفتخرون بذلك في الأندية والمحافل.

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾

﴿**ويزيد الله الذين اهتدوا هدى**﴾ كلام مستأنف سيق لبيان حال المهتدين إثر بيان حال الضالين أي: ويزيد الله المؤمنين إيماناً وعملاً ويقيناً ورشداً كما زاد الضالين ضلالاً ومدهم في استدراجهم ﴿**والباقيات الصالحات خير**﴾ كلام مستأنف وارد من جهته تعالى لبيان فضل أعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام الملقن لقوله تعالى: ﴿**عند ربك ثواباً**﴾ هو الجزاء لأنه نفع يعود إلى المجزى وهو اسم من الإثابة أو التثويب أي: الأعمال التي تبقى عائدتها أبداً خير عند ربك من مفاخرات الكفار وحظوظهم العاجلة ﴿**وخير مرداً**﴾ مرجعاً وعاقبة لأن مآلها رضوان الله والنعيم الدائم ومآل هذا السخط والعذاب المقيم. وقال الكاشفي يعني [اكر كافر انرا دردنيا جاه ومال است ودر آخرت وبال ونكال خواهدشد اما مؤمن دردنيا هم هدايت دارندوهم حمايت ودر آخرت هم ثواب خواهند داشت وهم حسن المآب]:

بدنيى سر فراز ونام دارند   بعقبى كامدار وكام كارند

ففي الآية إشارة إلى أن الضرر القليل المتناهي الذي يعقبه نفع كثير غير متناه كما هو حال المؤمنين خير من عكسه كما هو حال الكافرين فإمهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله كما أن قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لأن الله تعالى أراد به ما هو خير له وعوضه منه.

واعلم أن الباقيات الصالحات هي أعمال الآخرة كلها ومنها الكلمات الطيبة. قال أبو الدرداء رضي الله عنه: جلس رسول الله عليه السلام ذات يوم وأخذ عوداً يابساً وأزال الورق عنه ثم قال: «إن قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ليحط الخطايا كما يحط ورق هذه الشجرة الريح خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن فهن الباقيات الصالحات وهي من كنوز الجنة».

وفي «التأويلات النجمية»: الباقيات الصالحات هي الأعمال الصالحات التي هي من نتائج الواردات الإلهية التي ترد من عند الله إلى قلوب أهل الغيوب يعني كل عمل يصدر من عند نفس العبد من نتائج طبعه وعقله لا يكون من الباقيات الصالحات يدل عليه قوله ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] انتهى. فعلى العاقل أن يجتهد في إصلاح النفس وتزكيتها ليتولد منها الأعمال الباقية والأحوال الفاضلة ويحصل له نسل بلا عقم ونكاح منتج قوانا الله وإياكم في ذلك آمين.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾

﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾ نزلت فيمن سخر بالبعث وهو العاص بن وائل كان لخباب بن الأرت عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا أكفر بمحمد حياً ولا ميتاً ولا حين نبعث قال: وإذا بعثت جئتني فيكون لي مال وولد فأعطيك والهمزة للتعجب من حاله والإيذان بأنها من الغرابة والشناعة بحيث يجب أن يرى ويقضي منها العجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي: أنظرت فرأيت الذي كفر بآياتنا التي من جملتها آيات البعث ﴿وقال﴾ مستهزئاً بها مصدراً كلامه باليمين الفاجرة ﴿لأوتين﴾ في الآخرة إن بعثت يعني [بمن دهند] ﴿مالاً وولداً﴾ أي: أنظر إليه يا محمد فتعجب من حالته البديعة وجراءته الشنيعة.

﴿أطلع الغيب﴾ همزته استفهام وأصله أأطلع من قولهم اطلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه وطلع الثنية. والمعنى أقد بلغ من عظمة الشأن إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحد به العليم الخبير حتى ادعى أن يؤتى في الآخرة مالاً وولداً وأقسم عليه ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ أو اتخذ من عالم الغيب عهداً بذلك فإنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين علم الغيب وعهد من عالمه وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فإن وعد الله بالثواب عليهما كالعهد الموثق عليه ﴿كلا﴾ ليس الأمر على ما يقول.

﴿سنكتب ما يقول﴾ سنحفظ عليه ما يقول من الكذب والكفر والاستهزاء فنجازيه به ﴿ونمد له من العذاب مداً﴾ مكان ما يدعيه لنفسه من الإمداد بالمال والولد أي: نطول له من العذاب ما يستحقه.

﴿ونرثه﴾ بموته ﴿ما يقول﴾ أي: مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما أوتيه في الدنيا من المال والولد. وفيه إيذان بأنه ليس لما يقوله مصداق موجود سوى ما ذكر أي: ننزع ما آتيناه كما في «الإرشاد». وقال في «العيون» ما بدل من هاء نرثه بدل اشتمال أي: نهلكه ونورث ماله وولده غيره. وقال الكاشفي: [وميراث ميكيريم آنچه ميكويدكه فردا بمن خواهند داد يعني مال وفرزند] ﴿ويأتينا﴾ يوم القيامة ﴿فرداً﴾ وحيداً خالياً لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلاً عن أن يؤتى ثمة زائداً. وفي الآية إشارة إلى أن أهل الغرور يدعون الإحراز للفضيلتين المال والولد في الدنيا والنجاة والدرجات في الآخرة وينكرون على أهل التجرد في الإعراض عن الكسب واعتزال النساء والأولاد ولا يدرون أنهم يقعون بذلك في عذاب البعد إذ لا سند لهم أصلاً، قال الكمال الخجندي:

بشكن بت غروركه ردين عاشقان   يك بت كه بشكنند به ازصد عبادتست

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾

﴿واتخذوا﴾ أي: مشركو قريش ﴿من دون الله آلهة﴾ أي: اتخذوا الأصنام آلهة متجاوزين الله تعالى ﴿ليكونوا لهم عزا﴾ أي: ليتعززوا بهم بأن يكونوا لهم وصلة إليه تعالى وشفعاء عنده وأنصاراً ينجون بهم من عذاب الله تعالى. قال بعضهم: كيف تظفر بالعز وأنت تطلبه في محل الذل ومكانه إذ ذللت نفسك بسؤال الخلق ولو كنت موفقاً لأعززت نفسك بسؤال الحق أو بذكره أو بالرضى لما يرد عليك منه فتكون عزيزاً في كل حال دنيا وآخرة.

﴿كلا﴾ ليس الأمر على ما ظنوا ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾ سينكر الكفرة حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم عبادتهم لهم ﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ أعداء للآلهة كافرين بها بعد أن كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها. وقال في تفسير الجلالين ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾ أي: يجحدونها لأنهم كانوا جماداً لم يعرفوا أنهم يعبدون ويكونون عليهم ضداً أي: أعواناً وذلك أن الله تعالى يحشر آلهتهم فينطقهم ويركب فيهم العقول فتقول: يا رب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك انتهى فالضمير في يكفرون ويكونون للآلهة.

﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾ أي: سلطناهم عليهم بسبب سوء اختيارهم حال كون تلك الشياطين ﴿تؤزهم أزاً﴾ أي: تغريهم وتهيجهم على المعاصي تهييجاً شديداً بأنواع الوساوس والتسويلات فإن الاز والهز والاستفزاز أخوات معناها شدة الازعاج. وفي «العيون» الاز في الأصل هو الحركة مع صوت متصل من ازيز القدر أي: غليانه والمراد تعجيب رسول الله عليه السلام من أقاويل الكفرة وتماديهم في الغي والانهماك في الضلال والإفراط في العناد والإجماع على موافقة الحق بعد اتضاحه وتنبيه على أن جميع ذلك منهم بإضلال الشياطين وإغوائهم لا لأن له مسوغاً في الجملة.

﴿فلا تعجل عليهم﴾ أي: بأن يهلكوا حسبما تقضيه جناياتهم حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الأرض من فسادهم يقال عجلت عليه بكذا إذا استعجلته منه ﴿إنما نعد لهم﴾ أيام آجالهم ﴿عداً﴾ أي: لا تعجل بهلاكهم فإنه لم يبق لهم إلا أيام محصورة وأنفاس معدودة فيجازيهم بها. وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخول قبرك. وكان ابن السماك رحمه الله عند المأمون فقرأها فقال: إذا كانت الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مِدد فما أسرع ما تنفد قال أعرابي: كيف تفرح بعمر تقطعه الساعات وسلامة بدن تعرض للآفات. قال العلامة الزمخشري استغنم تنفس الأجل وإمكان العمل وأقطع ذكر المعاذير والعلل فإنك في أجل محدود وعمر ممدود. قال المنصور لما حضرته الوفاة بعنا الآخرة بنومة قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: من حافظ على الأنفاس فالساعات في حكمه إلى ما فوق ذلك ومن كان وقته الساعات فأتته الأنفاس ومن كان وقته الأيام فأتته الساعات ومن كان وقته الجمعة فأتته الأيام ومن كان وقته الشهور فأتته الأسابيع ومن كان وقته السنون فأتته الشهور ومن كان وقته العمر فأتته السنون ومن فاته عمر لم يكن له وقت ولم تعد همته بهمة:

على نفسك فليبك من ضاع عمره

ويطول الوقت ويقصر بحسب حضور صاحبه فمنهم من وقته ساعة ويوم وجمعة وشهر وسنة ومرة واحدة في عمره ومن الناس من لا وقت له لغلبة بهيميته عليه واستغراقه في الشهوات، قال المولى الجامي:

هردم از عمر كرامى هست كنج بى بدل　　ميرود كنج چنين هر لحظه برباد آخ آخ

وقال:

عمر توكنج وهر نفس ازوى يكى كهر　　كنجى چنين لطيف مكن رايكان تلف

وقال الحافظ:

كارى كشيم ورنه خجالت بر آورد　　روزيكه رخت جان بجهان دكر كشيم

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝٨٦ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٨٧ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩﴾

﴿يوم نحشر المتقين﴾ أي: اذكر يا محمد لقومك بطريق الترغيب والترهيب يوم نجمع أهل التقوى والطاعة **﴿إلى الرحمن﴾** إلى ربهم الذي يغمرهم برحمته الواسعة حال كونهم **﴿وفدا﴾** وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وإنعامهم والوافد من يأتي بالخير. وفي «التهذيب» الوفد والوفادة [بنزديك امير شدن بحاجت] وفي «القاموس» وفد إليه وعليه قدم ورد وهم وفود ووفد.

وفي «التأويلات النجمية»: إنما خص حشر وفد المتقين إلى حضرة الرحمانية لأنها من صفات اللطف ومن شأنها الجود والانعام والفضل والكرم والتقريب والمواهب انتهى. والرحمة إن كانت من صفات الذات يراد بها إرادة إيصال الخير ودفع الشر وإن كانت من صفات الفعل يراد بها إيصال الخير ودفع الشر كما في «بحر العلوم». وعن علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت وأزمتها زبرجد ثم ينطق بهم حتى يقرعوا باب الجنة. قال الكاشفي: **﴿وفدا﴾** [در حالتى كه سواران باشند بر ناقهاى بهشت يعنى ايشانرا سوار ببهشت برند چنانچه وافدانرا بدركاه ملوك ميبرند، إمام قشيري رحمه الله فرمودكه بعضى بر نجائب طاعات وعبادات باشند وقومى بر مراكب همم ونيات. آنانكه بر مراكب طاعت باشند بهشت جويانند ايشانرا بروضه جنان برند. وآنانكه بر نجائب همت باشند خداى طلبانند ايشانرا بقرب رحمت خوانند جنان جوى ديكرست ورحمان جوى ديكر. در كشف الاسرار آورده كه ممشاد دينورى رحمه الله در حال نزع بود درويشى پيش وى ايستاده ودعا مى كردكه خدايا برو رحمت كن وبهشت اورا كرامت كن ممشاد بانك بروزدكه اى غافل سى سالست كه بهشت را باشرف وعزت وحور وقصور برمن جلوه ميدهند ومن كوشه چشم هست برو نيفكنده ام اكنون بدركاه قرب ميروم زحمت خود آورده وبراى من بهشت ورحمت مى خواهى]:

باغ فردوس از براى ديدنش بايد مرا بى جمالش روضه رضوان چه كار آيد مرا

﴿ونسوق المجرمين﴾ العاصين كما تساق البهائم **﴿إلى جهنم وردا﴾** مشاة عطاشا فإن من يرد الماء لا يرده إلا العطش وحقيقة الورد المسير إلى الماء.

﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ إن كانت الشفاعة مصدراً من المبني للفاعل والعهد بمعنى الاذن لأنه يقال عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره به فالمعنى لا يملك أحد من العباد أيا من كان أن يشفع للعصاة إلا من اتخذ من الله إذناً فيها كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وإن كانت مصدراً من المبني للمفعول والعهد عهد الإيمان فالمعنى لا يملك المجرمون أن يشفع لهم إلا من كان منهم مسلماً. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي عليه السلام قال لأصحابه ذات يوم «أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهداً» قالوا: وكيف ذلك؟ قال: «يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك وأنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من

الخير وأني لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عهداً توفينيه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع» أي: ختم عليه بخاتم «ووضع تحت العرش فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الرحمٰن عهداً فيدخلون الجنة» كما في «بحر العلوم الكبير».

﴿وقالوا اتخذ الرحمٰن ولداً﴾ أي: قال اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب أن الملائكة بنات الله فقال الله تعالى.

﴿لقد جئتم شيئاً إداً﴾ الإد والإدة بكسرهما العجب والأمر الفظيع والداهية والمنكر كالأد بالفتح كما في «القاموس» أي: فعلتم أمراً منكراً شديداً لا يقادر قدره فإن جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته. وقال الكاشفي: [بدرستى كه آوردى چيزى زشت يعنى ناخوش وبى ادبانه].

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿تكاد السموات﴾ صفة الأدّ أي: تقرب من أن ﴿يتفطرن منه﴾ يتشققن مرة بعد أخرى من عظم ذلك الأمر فإن التفطر التشقق وهو بالفارسية [شكافته شدن] وأصل التفعل التكلف.

﴿وتنشق الأرض﴾ وتكاد تنشق الأرض وتنصدع أجزاؤها.

ـ وروي ـ عن بعض الصحابة أنه قال: كان بنو آدم لا يأتون شجرة إلا أصابوا منها منفعة حتى قالت فجرة بني آدم اتخذ الرحمٰن ولداً فاقشعرت الأرض وشاك الشجر ﴿وتخر الجبال﴾ أي: تسقط وتتهدم ﴿هدّا﴾ مصدر مؤكد لمحذوف هو حال من الجبال أي: تهد هدا أي: تكسر كسرا يعني [پاره پاره كردد]. قال في «القاموس» الهدُّ: الهدم الشديد والكسر كالهدود. والمعنى أن هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تطق بها هاتيك الأجرام العظام وتفتتت من شدتها أو أن فظاعتها في استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلمه تعالى على أهل الأرض وأنه لا يعالجهم بالعقاب لخرب العالم وبدد قوائمه غضباً على من تفوه بها.

﴿أن دعوا للرحمن ولداً﴾ منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد أو مجرور بإضمارها أي: تكاد السموات تتفطرن والأرض تنشق والجال تخر لأن دعوا له سبحانه ولداً ودعوا من دعا بمعنى سمي المتعدي إلى المفعولين وقد اقتصر على ثانيهما ليتناول كل ما دعي له من عيسى وعزير والملائكة ونحوهم إذ لو قيل دعوا عيسى ولداً لما علم الحكم على العموم أو من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى إلى فلان أي: انتسب إليه.

﴿وما ينبغي للرحمٰن أن يتخذ ولداً﴾ حال من فاعل قالوا وينبغي مطاوع بغى إذا طلب أي: قالوه والحال أنه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلاً لاستحالته في نفسه وذلك لأن الولد بضعة من الوالد فهو مركب ولا بد للمركب من مؤلف فالمحتاج إلى المؤلف لا يصلح أن يكون إلّهاً.

﴿إن كل من في السموات والأرض﴾ أي: ما منهم أحد من الملائكة والثقلين فإن بمعنى النفي كما ولك مبتدأ خبره آتى ومن موصوفة لأنها وقعت بعد كل نكرة ﴿إلا آتي الرحمن﴾

حال كونه ﴿عبداً﴾ أي: إلا وهو مملوك يأوي إليه بالعبودية والانقياد. وفي «العيون»: سيأتي جميع الخلائق يوم القيامة إلى الرحمٰن خاضعاً ذليلاً مقراً بالعبودية كالملائكة وعيسى وعزير وغيرهم يعني: يلتجئون إلى ربوبيته منقادين كما يفعل العبيد للملوك فلا يليق به اتخاذ الولد منهم انتهى. قال أبو بكر الوراق رحمه الله: ما تقرب أحد إلى ربه بشيء ازين عليه من ملازمة العبودية وإظهار الافتقار لأن ملازمة العبودية تورث دوام الخدمة وإظهار الافتقار إليه يورث دوام الالتجاء والتضرع، قال الحافظ:

فقير وخسته بدركاهت آمدم رحمى   كه جزدعاى توام نيست هيج دست آويز

﴿لقد أحصاهم﴾ أي: حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم أحد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته مع إفراط كثرتهم ﴿وعدهم عداً﴾ أي: عد أشخاصهم وأنفاسهم وآجالهم.

﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾ أي: كل واحد منهم آت إياه تعالى منفرداً من الاتباع والأنصار فلا يجانسه شيء من ذلك ليتخذه ولداً ولا يناسبه ليشرك به وفي الحديث القدسي «كذبني ابن آدم» أي: نسبني إلى الكذب «ولم يكن له ذلك» يعني لم يكن التكذيب لائقاً به بل كان خطأ «وشتمني» الشتم وصف الغير بما فيه نقص وإزراء «ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني» يعني: لن يحييني الله بعد موتي كما خلقني وليس أول الخلق بأهون عليّ أي: بأسهل والخلق بمعنى المخلوق من إعادته أي: من إعادة المخلوق بل إعادته أسهل لوجود أصل البنية.

اعلم أن هذا مذكور على طريق التمثيل لأن الإعادة بالنسبة إلى قوانا أيسر من الإنسان وأما النسبة إلى قدرة الله تعالى فلا سهولة في شيء ولا صعوبة «وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولداً» وإنما صار هذا شتماً لأن التولد هو انفصال الجزء عن الكل بحيث ينمو وهذا إنما يكون في المركب وكل مركب محتاج إلى المؤلف أو لأن الحكمة في التولد استحفاظ النوع عند فناء الآباء تعالى الله عما لا يليق. فإن قلت قوله «اتخذ الله» تكذيب أيضاً لأنه تعالى أخبر أن لا ولد له وقوله «لن يعيدني» شتم أيضاً لأنه نسبة له إلى العجز فلم خص أحدهما بالشتم والآخر بالتكذيب. قلت: نفي الإعادة نفي صفة كمال واتخاذ الولد إثبات صفة نقصان له والشتم افحش من التكذيب ولذلك نفاه الله عنه بأبلغ الوجوه فقال: «وانا الأحد» أي: المتفرد بصفات الكمال من البقاء والتنزه وغيرهما الواو فيه للحال «الصمد» بمعنى المصمود يعني المقصود إليه في كل الحوائج «الذي لم يلد» هذا نفي للتشبيه والمجانسة «ولم يولد» هذا وصف بالقدم والأولية «ولم يكن له كفواً أحد» هذا تقرير لما فعله. فإن قلت لا يلزم من نفي الكفو في الماضي نفيه في الحال والاستقبال. قلت يلزم لأنه إذا لم يكن في الماضي فوجد يكون حادثاً والحادث لا يكون كفواً للقديم كذا في «شرح المشارق» لابن ملك فإذا ثبت أن الألوهية والربوبية لله تعالى وأنه لا يجانسه ولا يشاركه شيء من المخلوقات ثبتت العبودية والمربوبية للعبد وأن من شأنه أن لا يعبد شيئاً من الأجسام والأرواح ولا يتقيد بشيء من العلويات والسفليات بل يخص عبادته بالله تعالى ويجرد توحيده عن هواه. قال علي رضي الله عنه قيل للنبي عليه السلام: هل عبدت وثنا قط قال: لا قيل: هل شربت خمراً قط قال: لا وما زلت أعرف أن الذي هم أي: الكفار عليه كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان فهذا من آثار حسن الاستعداد حيث استغنى عن البرهان بقاطع العقل فليتبع العاقل أثر متبوعه المصطفى عليه

السلام وقد لاح المنار واستبان النور من النار فالنور هو التوحيد والإقرار والنار هو الشرك والإنكار والتوحيد إذا تجلى بحقائقه ظهر التجريد وهو إذا حصل بمعانيه ثبت التفريد فالفردانية صفة السر الأعلى وهي حاصلة للعارفين في هذه الدار ولغيرهم يوم القيامة وما في هذه الدار اختياري مقبول وما في الآخرة اضطراري مردود فيا أرباب الشرك أين التوحيد ويا أهل التوحيد أين التجريد ويا أصحاب التجريد أين التفريد ﴿**وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً**﴾ وقد قيل: قيامة العارفين دائمة، قال الصائب:

ترك هستى كن كه آسودست از تاراج سيل

هركه پيش ازسيل رخت خودبرون از خانه ريخت

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾

﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ جمعوا بين عمل القلب وعمل الجوارح ﴿**سيجعل لهم الرحمن وداً**﴾ أي: سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لأسبابها من قرابة أو صداقة أو اصطناع معروف أو غير ذلك سوى ما لهم من الإيمان والعمل الصالح والسين إما لأن السورة مكية وكان المؤمنون حينئذٍ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك إذا قوي الإسلام وإما أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الله إلى خلقه بما يظهر من حسناته.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن بذر الإيمان إذا وقع في أرض القلب وتربى بماء الأعمال الصالحات ينمو ويتربى إلى أن يثمر فتكون ثمرته محبة الله ومحبة الأنبياء والملائكة والمؤمنين جميعاً كما قال تعالى: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥] انتهى.

واعلم أن المحبة الموافقة ثم الميل ثم الود ثم الهوى ثم الوله فالموافقة للطبع والميل للنفس والود للقلب والمحبة للفؤاد وهو باطن القلب والهوى غلبة المحبة والوله زيادة الهوى يقال نور المحبة ثم نار العشق ثم حرارة الشهوة ثم البخار اللطيف ثم النفس الرقيق ثم الهواء الدقيق. قال رجل لعبد الله بن جعفر: إن فلاناً يقول أنا أحبك فبم أعلم صدقه فقال استخبر قلبك فإن توده فإنه يودك قيل:

وعلى القلوب من القلوب دلائل بالود قبل تشاهد الأشباح

وفي الحديث: «أكثروا من الاخوان فإن ربكم حي كريم يستحيي أن يعذب عبده بين اخوانه يوم القيامة» وعنه عليه السلام: «من نظر إلى أخيه نظر مودة ولم يكن في قلبه إحن لم يطرف حتى يغفر الله له ما تقدم من ذنبه» يقال طرف بصره إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر.

قال عمر رضي الله عنه ثلاث يثبتن الود في صدر أخيك أن تبدأه بالسلام وأن توسع له في المجلس وأن تدعوه بأحب أسمائه إليه. وقال سقراط اثن على ذي المودة خيراً عند من لقيت فإن رأس المودة حسن الثناء كما أن رأس العداوة سوء الذكر. ومن بلاغات الزمخشري محك المودة الإخاء حال الشدة دون حال الرخاء. وقال أبو علي الدقاق قدس سره لما سعى غلام الخليل بالصوفية إلى الخليفة أمر بضرب أعناقهم فأما الجنيد فإنه تستر بالفقه وكان يفتي على مذهب أبي ثور وأما الشحام والرقام والنوري وجماعة فقبض عليهم فبسط النطع لضرب أعناقهم فتقدم النوري فقال السياف تدري لماذا تبادر فقال: نعم فقال: وما يعجلك فقال: أوثر أصحابي

بحياة ساعة فتحير السياف فانتهى الخبر إلى الخليفة فردهم إلى القاضي ليتعرف حالهم فألقى القاضي على أبي الحسن النوري مسائل فقهية فأجاب عن الكل ثم أخذ يقول وبعد فإن لله عباداً إذا قاموا قاموا بالله وإذا نطقوا نطقوا بالله وسرد ألفاظاً أبكى القاضي فأرسل القاضي إلى الخليفة وقال إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم فانظر واعتبر من معاملة النوري مع إخوانه فإنه آثرهم حال الشدة على نفسه بخلوص جنانه:

حديث عشق ازان بطال منيوش — كه درسختي كند ياري فراموش

﴿فإنما يسرناه﴾ أي: سهلنا القرآن. وبالفارسية [پس جزاين نيست كه آسان كردانيده قرآنرا] ﴿بلسانك﴾ بأن أنزلناه على لغتك والباء بمعنى على والفاء لتعليل أمر ينساق إليه النظم الكريم كأنه قيل بعد إيحاء السورة الكريمة بلغ هذا المنزل وبشر به وأنذر فإنما يسرناه بلسانك العربي المبين ﴿لتبشر به﴾ [تامژده دهى بدو] ﴿المتقين﴾ أي: الصائرين إلى التقوى بامتثال ما فيه من الأمر والنهي ﴿وتنذر به﴾ يقال انذره بالأمر إنذاراً أعلمه وحذره وخوفه في إبلاغه كما في «القاموس» ﴿قوماً لداً﴾ لا يؤمنون به لجاجاً وعناداً. واللد جمع الألد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند. قال في «القاموس» الألد الخصم الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق وفي الحديث «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم».

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن حقيقة القرآن التي هي صفة الله تعالى القديمة القائمة بذاته لا تسعها ظروف الحروف المحدثة المعدودة المتشابهة لأنها قديمة غير معدودة ولا متناهية وإنما يسر الله درايته بقلب النبي عليه السلام وقراءته باللسان العربي المبين ليبشر به المتقين لأنهم أهل البشارة وهم أصناف ثلاثة فصنف منهم يتقون الشرك بالتوحيد وصنف يتقون المعاصي بالطاعة وصنف يتقون عما سوى الله تعالى بالله وينذر به قوماً لداً شداداً في الخصومة لأنهم أهل الإنذار وهم ثلاث فرق ففرقة منهم الكفار الذين يقاتلون على الباطل وفرقة منهم أهل الكتاب الذين يخاصمون على أديانهم المنسوخة وفرقة منهم أهل الأهواء والبدع والفلاسفة الذين يجادلون أهل الحق بالباطل.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾

﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ سبق معنى القرن أي: قروناً كثيرة أهلكنا قبل هؤلاء المعاندين بعد أن أنذرهم أنبياؤهم بآيات الله وحذروهم عذابه وتدميره ﴿هل تحس منهم من أحد﴾. قال في «تهذيب المصادر»: الإحساس [دانستن وديدن] قال الله تعالى: ﴿هل تحس منهم من أحد﴾ الخ أي: هل تشعر بأحد منهم وترى أي: لا وبالفارسية [هيچ مى بايد ومى بينى ازان هلاك شد كان يكى را] ﴿أو تسمع لهم﴾ [يامى شنوى مرا يشانرا] ﴿ركزاً﴾ أي: صوتاً خفياً وأصل الركز هو الخفاء ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض والركاز المال المدفون المخفي والمعنى أهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا يرى منهم أحد ولا يسمع منهم صوت خفي. وبالفارسية يعني: [چون عذاب ما بديشان فرود آمد مستأصل شدند نه ازايشان شخصى باقى ماندكه كسى بيند ونه آواز برجاى كه كسى بشنود بلكه مؤكل قهر الهي باهيچكس درنساخت وهمه را بدست فنا دردام خمول ونسيان انداخت]:

كأن لم يخلقوا ولم يكونوا

كواثر از سروران تاج بخش كونشان از خسروان تاجدار
سوخت ديهيم شهان كامجوى خاك شد تحت ملوك كامكار

وفي الآية وعد لرسول الله ﷺ عليه في ضمن وعيد الكفرة بالإهلاك وحث له على الإنذار قال الشيخ سعدي قدس سره:

بكوى آنچه دانى سخن سودمند وكر هيچكس را نيايد پسند
كه فردا پشيمان بر آرد خروش كه آوخ چرا حق نكردم بكوش
بكمراه كفتن نكو ميروى كناه بزركست وجور قوى
مكو شهد شيرين شكر فايقست كسى راكه سقمونيا لايقست
چه خوش كفت يكروز دار وفروش شفا بايدت داروى تلخ نوش

وفي «المثنوي»:

هركسى كو ازصف دين سركشست ميرود سوى صفي كان واپست
تو زكفتار تعالوا كم مكن كيميائى پس شكر فست اين سخن
كرمسى كردد زكفتارت نفير كيميارا هيچ ازوى وامكير
اين زمان كريست نفس ساحرش كفت تو سودش كند دد آخرش
قل تعالوا قل تعالوا اى غلام هين كه ان الله يدعو بالسلام

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لإجابة الدعوة إنه قريب مجيب.
تمت سورة مريم وقت الضحى من يوم الاثنين التاسع عشر
من ذي القعدة من سنة خمس ومائة وألف

٢٠ ـ سورة طه

مائة وخمس وثلاثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾

﴿طه﴾ اختلفوا فيه أكثر مما في غيره من المقطعات. فقال بعضهم هو اسم القرآن أو اسم السورة أو اسم الله أو مفتاح الاسم الطاهر والهادي. وقال بعضهم هو اسم من أسماء رسول الله ﷺ مثل أحمد ويس وغير ذلك كما قال عليه السلام: «أنا محمد وأنا أحمد والفاتح والقاسم والحاشر والعاقب والماحي وطه ويس» ويؤيده الخطاب في عليك فيكون حرف النداء محذوفاً أي: يا طه والطاء والهاء إشارة إلى أنه عليه السلام طالب الشفاعة للناس وهادي البشر أو أنه طاهر من الذنوب وهاد إلى معرفة علام الغيوب. قال الكاشفي: [ياطا طهارت دل اوست از غير حق تعالى وها هدايت او بقرب حق]. قال الإمام جعفر الصادق ـ رضي الله عنه ـ طه قسم بطهارة أهل البيت وهدايتهم كما قال تعالى: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] أو بطوبى والهاوية أي: الجنة والنار. وفي «زاد المسير» الطاء طيبة والهاء مكة والله تعالى أقسم بهذين الحرمين أو الطاء طلب الغزاة والهاء هرب الكفار أو طلب أهل الجنان وهوان أرباب النيران.

وفي «التأويلات النجمية»: يا من طوى به بساط النبوة وأيضاً يا من طوى به المكونات إلى هويتنا انتهى. وقال بعضهم: إنه ليس من الحروف المقطعة بل هو موضوع بإزاء يا رجل بلغة عك أو بلسان الحبشة أو النبطية أو السريانية والمراد به حضرة الرسالة [ودر بعضى تفاسير آمده كه طا بحساب جمل نه است وهاپنج ومجموع چهارده باشد وغالب آنست كه ماه را مرتبه بدريت در چهاردهم حاصل شود پس در ضمن اين خطاب مندر جست كه اى ماه شب چهارده ومنادى حضرت رسالتست وبدريت اشارت بكمال مرتبة جامعيت آن حضرت] كما لا يخفى على العرفاء:

ماه چون كامل شود انور بود ... وانكه او مرآت نور خور بود
كاه ماه بدرى وكه شاه بدر ... صدرتو مشروح وكارت شرح صدر
درشب تاريكى وكفر وضلال ... ازمهت روشن شود نور جلال

جوز الحسن طه بوزن هب على أنه أمر للرسول عليه السلام بأن يطأ الأرض بقدميه معاً فإنه لما نزل عليه الوحي اجتهد في العبادة وكان يصلي الليل كله ويقوم على إحدى رجليه تخفيفاً على الأخرى لطول القيام ويتعب نفسه كل الإتعاب فيكون أصله طأ من وطىء يطأ قلبت

همزته هاء. وفي الحديث «إن الله تعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت: طوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لأمة محمد ينزل هذا عليهم وطوبى لألسن تتكلم بهذا» رواه الطبراني وصاحب الفردوس. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «أعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الأول وأعطيت طه وطواسين من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي ذكرت فيها البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصل نافلة» كذا في «بحر العلوم».

﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ الشقاء شائع بمعنى التعب ومن أشقى من رائض المهر أي: أتعب ممن يجعل المهر وهو ولد الفرس صالحاً للركوب بأن تزول عنه الصعوبة وينقاد لصاحبه وفي ذلك العمل مشقة وتعب للرائض ولذلك يضرب به المثل والمعنى لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش إذ ما عليك إلا البلاغ وقد فعلت فلا عليك أن يؤمنوا به بعد ذلك أو بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق إذ ما بعثت إلا بالحنيفية السمحة. وبالفارسية [نفر ستاديم ما برتوقر آنرا تادررنج افتى وشب خواب نكنى وبواسطه قيام درنماز الم ورم بپاى مباركت رسد].

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ في الدنيا أو العقبى بل أنزلناه على قلبك لتسعد بتخلقك بخلقه لتكون على خلق عظيم وليسعد بك أهل السموات وأهل الأرضين فتكون الشقاوة ضد السعادة ويجوز أن يكون رداً للمشركين وتكذيباً لهم فإن أبا جهل والنضر بن الحارث قالا له: إنك شقي لأنك تركت دين آبائك وأن القرآن أنزل عليك لتشقى به فأريد رد ذلك بأن دين الإسلام وهذا القرآن هو السلم إلى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها.

﴿إلا تذكرة لمن يخشى﴾ نصب على أنه مفعول له لأنزلنا معطوف على تشقى بحسب المعنى بعد نفيه بطريق الاستدراك المستفاد من الاستثناء المنقطع فإن الفعل الواحد لا يتعدى إلى علتين إلا من حيث البدلية أو العطف كأنه قيل ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه ولكن تذكيراً وموعظة لمن يعلم الله منه أن يخشى بالتذكرة والتخويف وقد جرد التذكرة عن اللام لكونها فعلاً لفاعل الفعل المعلل وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] لأنهم المنتفعون بها. قال في «الكبير» ويدخل تحت قوله: ﴿لمن يخشى﴾ الرسول لأنه في الخشية والتذكرة فوق الكل.

﴿تنزيلاً﴾ أي: نزل القرآن تنزيلاً ﴿ممن﴾ متعلقة بتنزيلاً ﴿خلق﴾ أخرج من العدم إلى الوجود ﴿الأرض والسموات العلى﴾ تخصيص خلقهما لأنهما قوام العالم وأصوله وتقديم الأرض لكونها أقرب إلى الحس وأظهر عنده من السموات ووصف السموات بالعلى وهو جمع العليا تأنيث الأعلى للدلالة على عظم قدرة خالقها بعلوها وعطف السموات على الأرض من عطف الجنس على الجنس لأن التعريف مصروف إلى الجنس لا من عطف الجمع على المفرد حتى يلزم ترك الأولى من رعاية التطابق بين المعطوف والمعطوف عليه.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾

﴿الرحمن﴾ رفع على المدح أي: هو الرحمٰن أو مبتدأ واللام فيه للعهد مشاراً به إلى من خلق خبره ما بعده ﴿على العرش﴾ الذي يحمله الملائكة متعلق بقوله: ﴿استوى﴾ اعلم أن العرش سرير الملك والاستواء الاستقرار والمراد به هٰهنا الاستيلاء ومعنى الاستيلاء عليه كناية عن الملك لأنه من توابع الملك فذكر اللازم وأريد الملزوم يقال استوى فلان على سرير الملك على قصد الاخبار عنه بأنه ملك وإن لم يقعد على السرير المعهود أصلاً فالمراد بيان تعلق إرادته الشريفة بإيجاد الكائنات وتدبير أمرها إذ الباري مقدس الانتقال والحلول وإنما خلق العرش العظيم ليعلم المتعبدون إلى أين يتوجهون بقلوبهم بالعبادة والدعاء في السماء كما خلق الكعبة ليعلموا إلى أين يتوجهون بأبدانهم في العبادة في الأرض [وشيخ أكبر قدس سره در فتوحات فرموده كه استواء خداوند بر عرش در قرآنست ومراد بدين ايمانست تأويل نجوييم كه تأويل درين باب طغيانست بظاهر قبول كنيم وبباطن تسليم كه اين اعتقاد سفيانست اما ميدانم كه نه محتاج مكانست ونه عرش بر دارنده اوست كه اوست بر دارنده مكان ونكه دارنده عرش]:

نى مكان ره يافت سويش نه زمان نى بيان دارد خبرزو نه عيان
اين همه مخلوق حكم داورست خالق عالم زعالم بر ترست

قال بعضهم ليس على الكون من أثر ولا على الأثر من كون. قال بعضهم: إنا نقطع بأن الله منزه عن المكان وإلا لزم قدم المكان وقد دل الدليل على أن لا قديم سوى الله تعالى وأنه تعالى لم يرد من الاستواء الاستقرار والجلوس بل مراده به شيء آخر إلا أنا لا نشتغل بتعيين ذلك المراد خوفاً من الخطأ ونفوض تأويل المتشابهات إلى الله تعالى كما هو رأي من يقف على ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] وعليه أكثر السلف كما روي عن مالك وأحمد الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والبحث عنها بدعة وما كان مقصود الإمامين الأجلين بذلك إلا المنع من الجدال وقد أحسنا حيث حسما بذلك باب الجدال وكذلك فعل الجمهور لأن في فتح باب الجدال ضرراً عظيماً على أكثر عباد الله تعالى. وقد روي أن رجلاً سأل عمر رضي الله عنه عن آيتين متشابهتين فعلاه بالدرة. وقال بعض كبار المحققين من أهل الله تعالى المراد بهذا الاستواء استواؤه سبحانه لكن لا باعتبار نفسه وذاته تعالى علواً كبيراً عما يقول الظالمون من المجسمة وغيرهم بل باعتبار أمره الإيجادي وتجليه الحسي الأحدي وإنما كان العرش محل هذا الاستواء لأن التجليات الذاتية التي هي شروط التجليات المتعينة والأحكام الظاهرة والأمور البارزة والشؤون المتحققة في السماء والأرض وفيما بينهما من عالم الكون والفساد بالأمر الإلهي والإيجاد الأولي إنما تمت باستيفاء لوازمها واستكمال جوانبها واستجماع أركانها الأربعة المستوية في ظهور العرش بروحه وصورته وحركته الدورية لأنه لا بد في استواء تجليات الحق سبحانه في هذه العوالم بتجليه الحسي وأمره الإيجادي من الأمور الأربعة التي هي من هذه التجليات الحسية والإيجادية بمنزلة الشكل المستوي المشتمل على الحد الأصغر والأكبر والأوسط المكرر الكائن به السورة ذات الأركان الأربعة من النتيجة وتلك الأمور أربعة هي الحركة المعنوية الاسمائية والحركة النورية الروحانية والحركة الطبيعية المثالية والحركة الصورية الحسية وتلك الحركة الصورية الحسية هي حركة العرش وهي بمنزلة الحد الأكبر ولما استوى أمر تمام حصول الأركان الأربعة الموقوف عليها بتوقيف الله تعالى التجليات الإيجادية الأمرية

المتنزلة بين السموات السبع والأرضين السبع بحسب مقتضيات استعدادات أهل العصر وموجب قابليات أصحاب الزمان في كل يوم بل في كل آن كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] وقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمان: ٢٩] في العرش كان العرش مستوي الحق سبحانه بالاعتبار المذكور الثاني لا بالاعتبار المزبور الأول وفي الحقيقة بالنظر إلى هذا الاعتبار هو مستوي أمره الإيجادي لا مستوى نفسه وذاته فلا اضطراب ولا خلجان في الكلام والمقال والحال. ثم إن استواء الأمر الإرادي الإيجادي على العرش بمنزلة استواء الأمر التكليفي الإرشادي على الشرع فكما أن كل واحد من الأمرين قلب الآخر وعكسه المستوي السوي فكذلك كل واحد من العرش والشرع قلب الآخر وعكسه السوي المستوي. يقول الفقير قواه الله القدير لا شك أن بين زيد والعالم فرقاً من حيث إن الأول يدل على الذات المجردة والثاني على المتصفة بصفة العلم فإسناد الاستواء إلى عنوان الاسم الرحمٰن الذي يراد به صفة الرحمة العامة وإن كان مشتملاً على الذات دون الاسم الله الذي يراد به الذات وإن كان مستجمعاً لجميع الصفات ينادي بتنزه ذاته تعالى عن الاستواء وأن الذي استوى على العرش المحيط بجميع الأجسام هو الرحمة المحيطة بالكل ومن لم يفرق بين استواء الذات واستواء الصفة فقد أخطأ وذلك أن الله تعالى غني بذاته عن العالمين جميعاً متجل بصفاته وأسمائه في الأرواح والأجسام بحيث لا يرى في مرائي الأكوان إلا صور التجليات الأسمائية والصفاتية ولا يلزم من هذا التجلي أن تحل ذاته في كون من الأكوان إذ هو الآن على ما كان عليه قبل من التوحد والتجرد والتفرد والتقدس ولذا كان أعلى المراتب الوصول إلى عالم الحقيقة المطلقة إطلاقاً ذاتياً كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة: ٧٩] وفي الحديث «إن الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم» ذكره في «الروضة» فهذا يدل على أن الله تعالى ليس في السماء ولا في الأرض ولو كان لانقطع الطلب وأما قوله عليه السلام: «يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض فما علامة غضبك من رضاك قال إذا استعملت عليكم خياركم فهو علامة رضاي عنكم وإذا استعملت عليكم شراركم فهو علامة سخطي عليكم» على ما ذكره الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في «كتاب المسامرة». وقوله عليه السلام لجارية معاوية بن الحكم السلمي: «أين الله» فقالت: في السماء فقال: «من أنا» فقالت: أنت رسول الله فقال: «أعتقها فإنها مؤمنة» ونحو ذلك من الأخبار الدالة على ثبوت المكان له تعالى فمصروفة عن ظواهرها محمولة على محل ظهور آثار صفاته العليا ولذا خص السماء بالذكر لأنها مهبط الأنوار ومحل النوازل والأحكام ومن هذا ظهر أن من قال: إن الله في السماء عالم أراد به المكان كفر وإن أراد به الحكاية عما جاء في ظاهر الأخبار لا يكفر لأنها مؤولة والأذهان السليمة والعقول المستقيمة لا تفهم بحسب السليقة من مثل هذه التشبيهات إلا عين التنزيه.

ـ يروى ـ أن إمام الحرمين رفع الله درجته في الدارين نزل ببعض الأكابر ضيفاً فاجتمع عنده العلماء والأكابر فقام واحد من أهل المجلس فقال: ما الدليل على تنزيهه تعالى عن المكان وهو قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] فقال: الدليل عليه قول يونس عليه السلام في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فتعجب منه الناظرون فالتمس صاحب الضيافة بيانه فقال الإمام: إن هٰهنا فقيراً مديوناً بألف

درهم أد عنه دينه حتى أبينه فقبل صاحب الضيافة دينه فقال: إن رسول الله ﷺ لما ذهب في المعراج إلى ما شاء الله من العلى قال هناك: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» ولما ابتلي يونس عليه السلام بالظلمات في قعر البحر ببطن الحوت قال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فكل منهما خاطب بقوله أنت وهو خطاب الحضور فلو كان هو في مكان لما صح ذلك فدل ذلك على أنه ليس في مكان. فإن قلت فليكن في كل مكان. قلت: قد أشرت إلى أنه في كل مكان بآثار صفاته وأنوار ذاته لا بذاته كما أن الشمس في كل مكان بنورها وظهورها لا بوجودها وعينها ولو كان في كل مكان بالمعنى الذي أراده جهالة المتصوفة فيقال فأين كان هو قبل خلق هذه العوالم ألم يكن له وجود متحقق فإن قالوا لا فقد كفروا وإن قالوا بالحلول والانتقال فكذلك لأن الواجب لا يقارن الحادث إلا بالتأثير والفيض وظهور كمالاته فيه لكن لا من حيث إنه حادث مطلقاً بل من حيث إن وجوده مستفاض منه فافهم. فإن قلت فإذا كان تعالى منزهاً عن الجهة والمكان فما معنى رفع الأيدي إلى السماء وقت الدعاء؟ قلت: معناه الاستعطاء من الخزانة لأن خزائنه تعالى في السماء كما قال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾ [الذاريات: ٢٢] وقال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾ [الحجر: ٢١] فثبت أن العرش مظهر استواء الصفة الرحمانية وإن من يثبت له تعالى مكاناً فهو من المجسمة ومنهم جهلة المتصوفة القائلون بأنه تعالى في كل مكان ومن يليهم من العلماء الزائغين عن الحق الخارجين عن طريق العقل والنقل والكشف فمثل مذهبهم وقذره كمثل مذهبهم وقذره فنعوذ بالله تعالى من التلوث بلوث الجهل والزيغ والضلال ونعتصم به عما يعصم من الوهم والخيال والحق حق والأشياء أشياء ولا ينظر إلى الحق بعين الأشياء إلا من ليس في وجهه حياء.

﴿له ما في السوات وما في الأرض﴾ سواء كان ذلك بالجزئية منهما أو بالحلول فيهما ﴿وما بينهما﴾ من الموجودات الكائنة في الجو دائماً كالهواء والسحاب أو أكثرياً كالطير أي: له تعالى وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالاً كل ما ذكر ملكاً وتصرفاً وإحياء وإماتة وإيجاداً وإعداماً ﴿وما تحت الثرى﴾ الثرى التراب الندي أي: الرطب والأرض كما في «القاموس» ويجوز الحمل على كليهما في هذا المقام فإن ظاهر الأرض تراب جاف وما هو أسفل منه تراب مبتل. فإن قلت الثرى إذا كان محمولاً على السطح الأخير من العالم فما الذي تحته حتى يكون الله تعالى مالكاً له. قلت: هو إما الثور أو الحوت أو الصخرة أو البحر أو الهواء على اختلاف الروايات وقال بعضهم أراد الثرى الذي تحت الصخرة التي عليها الثور الذي تحت الأرض ولا يعلم ما تحت الثرى إلا الله تعالى كما لا يعلم أحد ما فوق السدرة إلا هو أي: الذي هو التراب الرطب مقدار خمسمائة عام تحت الأرض ولولا ذلك لأحرقت النار الدنيا وما فيها كما في «إنسان العيون». قال الكاشفي: [زمين بردوش فرشته ايست وقدمين فرشته بر صخره ايست وصخره برشاخ كاوى وقوائم كاو بربشت ما هي ازحوض كوثر وما هي ثابت است بر بحر وبحر بر جهنم مبنى بر ريح وريح بر حجابى از ظلمت وآن حجاب بر ثرى وعلم أهل آسمان وزمين تاثرى بيش نرسد وما تحت الثرى جز حق سبحانه نداند] وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الأرضين على ظهر النون والنون على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهي الصخرة المذكورة في سورة لقمان في قوله:

﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ [لقمان: ١٦] والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى وما تحت الثرى لا يعلمه إلا الله تعالى وذلك الثور فاتح فاه فإذا جعل الله البحار بحراً واحداً سالت في جوفه فإذا وقعت في جوفه يبست ذكره البغوي.

﴿وإن تجهر بالقول﴾ أي: إن تعلن بذكره تعالى ودعائه. فاعلم أنه تعالى غني عن جهرك وإعلانك ﴿فإنه﴾ تعالى ﴿يعلم السر وأخفى﴾ يقال فلان يحسن إلى الفقراء لا يراد حال ولا استقبال وإنما يراد جود الإحسان منه في جميع الأزمنة والأوقات ومنه قوله ﴿يعلم السر وأخفى﴾ علمهما منه مستمر دائم وذلك أن علمه تعالى منزه عن الزمان كما هو منزه عن المكان بأسره فالتغيير على المعلوم لا على العلم عندنا والسر واحد الأسرار وهو ما يكتم ومنه أسرّ الحديث إذا أخفاه وتنكير أخفى للمبالغة في الخفاء أي: يعلم ما أسررته إلى غيرك وشيئاً أخفى من ذلك وهو ما أخطرته ببالك من غير أن تتفوّه به أصلاً وما أسررته في نفسك وأخفى منه وهو ما ستسره فيما سيأتي أي: ما يلقيه الله في قلبك من بعد ولا تعلم أنك ستحدث به نفسك وهذا إما نهي عن الجهر كقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] وإما إرشاد للعباد إلى أن الجهر ليس لاسماعه بل لغرض آخر من تصور النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة عنها وهضمها بالتضرع والجؤار وإيقاظ الغير ونشر البركات إلى مدى صوته وتكثير إشهاد ونحو ذلك وجاء أنه عليه السلام لما توجه إلى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر لا إله إلا الله فقال عليه السلام: «أربعوا على أنفسكم» أي: ارفقوا بأنفسكم لا تبالغوا في رفع أصواتكم «إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم» ويحتاج إلى الجمع بين هذا وبين أمره عليه السلام برفع الأصوات بالتلبية وقد يقال المنهي عنه هنا الرفع الخارج عن العادة الذي ربما آذى بدليل قوله عليه السلام أربعوا على أنفسكم أي: أرفقوا بها كذا في «إنسان العيون».

يقول الفقير: إنما نهى النبي عليه السلام أصحابه عن رفع الصوت إخفاء لأمره عن العدو ولأن أكثر أصحابه كانوا أرباب أحوال فشأنهم الاعتدال بل الإخفاء إلا لضرورة قوية كما في إزاء العدو أو اللصوص تهييباً لهم ولا شك أن أعدى العدو النفس وأشد اللصوص الشيطان ولذا اعتاد الصوفية بجهر الذكر تهييباً لهما وطرداً للوسوسة وقد اختار الحكماء للسلطان جهارة الصوت في كلامه ليكون أهيب لسامعيه وأوقع في قلوبهم كما في «العقد الفريد».

وفي «التأويلات النجمية»: السر باصطلاح أهل التحقيق لطيفة بين القلب والروح وهو معدن أسرار الروحانية والخفي لطيفة بين الروح والحضرة الإلهية وهو مهبط أنوار الربوبية وأسرارها ولهذا قال عقيب قوله: ﴿يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو﴾ الآية إشارة إلى أن مظهر ألوهية صفاته العليا إنما هو الخفي الذي هو أخفى من السر أي: ألطف وأعز وأعلى وأشرف وأقرب إلى الحضرة ألا وهو سر وعلم آدم الأسماء كلها وهو حقيقة قوله عليه السلام: «إن الله خلق آدم فتجلى فيه».

ثم اعلم أن لطيفة السر التي بين القلب والروح تكون موجودة في كل إنسان عند نشأته الأولى والخفي ينتشىء عند نشأته الأخرى فلذا يمكن أن يكون كل إنسان مؤمن أو كافر معدن أسرار الروحانية وجملتها المعقولات ولا يمكن إلا لمؤمن موحد أن يكون مهبط أنوار الربانية وأسرارها وجملتها المشاهدات والمكاشفات وحقائق العلوم اللدنية.

﴿الله﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة الله ﴿لا إله إلا هو﴾ لا معبود في الأرض ولا في السماء إلا هو دل على الهوية بهذا القول فإن هو كناية عن غائب موجود والغائب عن الحواس الموجود في الأزل هو الله تعالى وفيه معنى حسن وهو التعالي عن درك الحواس حتى استحق اسم الكناية عن الغائب من غير غيبة كما في «بحر العلوم». يقول الفقير على هذا المعنى بنى الصوفية ذكرهم بالاسم هو إخفاء وجهراً اجتماعاً وانفراداً مع أن مرجعه هو الله فيكون في حكم الاسم المظهر ولا ينازع فيه إلا مكابر وفي الحديث «إن الله خلق ملكاً من الملائكة قبل أن خلق السموات والأرض وهو يقول أشهد أن لا إله إلا الله ماداً بها صوته لا يقطعها ولا يتنفس فيها ولا يتمها فإذا أتمها أمر إسرافيل بالنفخ في الصور وقامت القيامة» كما في «التفسير الكبير» فعلم منه أن الركن الأعظم للعالم ودوام وجوده إنما هو الذكر فإذا انقطع الذكر انهدم العالم وكل فوت إنما هو من أجل ترك الذكر.

ـ ذكر ـ أن صياداً كان يصيد السمكة وكانت ابنته تطرحها في الماء وتقول إنها ما وقعت في الشبكة إلا لغفلتها. وفي الحديث «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله» أكده بالتكرار ولا شك أن لا يذكر الله ذكراً حقيقياً وخصوصاً بهذا الاسم الجامع الأعظم المنعوت بجميع الأسماء إلا الذي يعرف الحق المعرفة التامة وأتم الخلق معرفة بالله في كل عصر خليفة الله وهو كامل ذلك العصر فكأنه يقول عليه السلام: لا تقوم الساعة وفي الأرض إنسان كامل وهو المشار إليه بأنه العماد المعنوي الماسك فإن شئت قلت الممسك لأجله فإذا انتقل انشقت السماء وكورت الشمس وانكدرت النجوم وانتثرت وسيرت الجبال وزلزلت الأرض وجاءت القيامة كذا في «الفكوك» لحضرة الشيخ صدر الدين قدس سره ﴿له الأسماء الحسنى﴾ بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية والعالمية أسماءه وصفاته من غير تعدد في ذاته تعالى فإنه روى أن المشركين حين سمعوا النبي عليه السلام يقول يا الله يا رحمٰن قالوا: ينهانا أن نعبد إلهين وقد يدعو إلهاً آخر. والحسنى تأنيث الأحسن يوصف به الواحدة المؤنثة والجمع من المذكر والمؤنث كمآرب أخرى وآياتنا الكبرى وفضل أسماء الله في الحسن على سائر الأسماء لدلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والأفعال التي هي في النهاية في الفضل والحسن. قال في «تفسير الكبير»: يقال إن لله أربعة آلاف اسم ثلاثة آلاف منها لا يعلمها إلا الله والأنبياء أما الألف الرابعة فإن المؤمنين يعلمونها فثلاثمائة في التوراة وثلاثمائة في الإنجيل وثلاثمائة في الزبور ومائة في القرآن تسعة وتسعون ظاهرة وواحد مكنون من أحصاها دخل الجنة وليس حسن الأسماء لذواتها لأنها ألفاظ وأصوات بل حسنها لحسن معانيها ثم ليس حسن المسمى حسناً ينطلق بالصورة والخلقة فإن ذلك محال على من ليس بجسم بل حسن يرجع إلى معنى الإحسان مثلاً اسم الستار والغفار والرحيم إنما كانت حسنى لأنها دالة على معنى الإحسان.

ـ روي ـ أن حكيماً ذهب إليه قبيح وحسن والتمسا الوصية فقال للحسن: أنت حسن ولا يليق بك الفعل القبيح وللقبيح أنت قبيح إذا فعلت القبيح عظم قبحك الهنا أسماؤك حسنة وصفاتك حسنة فلا تظهر لنا من تلك الأسماء الحسنة والصفات الحسنة إلا الإحسان ويكفينا قبح أفعالنا وسيرتنا فلا تضم إليه قبح العقاب ووحشة العذاب. وفي الحديث: «اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه» وذلك لأنهم إذا قضوا الحاجات قضوا بوجه طلق وإن ردوا ردوا بوجه طلق:

كشته از لطف حق بعرصه خاك   حسن صورت دليل سيرت پاك

وقال بعضهم:

يدل على معروفه حسن وجهه ... وما زال حسن الوجه إحدى الشواهد

وفي الحديث «إذا بعثتم إليّ رجلاً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم» إلٰهنا حسن وجوهنا قبيح بعصياننا فمن هذا الوجه نستحي طلب الحوائج وحسن الأسماء والصفات يدلنا عليك فلا تردنا عن إحسانك خائبين خاسرين. قال موسى: إلهي أي خلق أكرم عليك قال الذي لا يزال لسانه رطباً من ذكري قال: فأي خلقك أعلم؟ قال: الذي يلتمس إني أعلم علم غيره قال فأي خلقك أعدل؟ قال: الذي يقضي على نفسه كما يقضي على الناس قال فأي خلقك أعظم جرماً قال الذي يتهمني وهو الذي يسألني ثم لا يرضى بما قضيته له إلهنا لانتهمك فإنا نعلم أن كل ما أحسنت فهو فضل وكل ما لا تفعله فهو عدل فلا تؤاخذنا بسوء أعمالنا، قال الحافظ:

در دائره قسمت ما نقطه تسليميم ... لطف آنچه تواندیشی حکم انجه توفر مایی

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾

﴿**وهل آتاك حديث موسى**﴾ يحتمل أن يكون أول ما أخبر الله به من أمر موسى فإن السورة من أوائل ما نزل فيكون الاستفهام للإنكار أي: لم يأتك إلى الآن خبر موسى وقصته وقد أتاك الآن بطريق الوحي فتنبه له واذكر لقومك ما فيه من أمر التوحيد ونحوه ويحتمل أنه قد أتاه ذلك سابقاً فيكون استفهام تقرير فكأنه قال قد أتاك.

﴿**إذ رأى ناراً**﴾ ظرف للحديث.

ـ روي ـ أن موسى عليه السلام تزوج صفوراء وقال السهيلي صفورياء بنت شعيب عليه السلام فاستأذن منه في الخروج من مدين لزيارة أمه وأخيه هارون في مصر فخرج بأهله وأخذ على غير الطريق خوفاً من ملوك الشام فلما أتى وادي طوى وهو بالجانب الغربي من الطور ولد له ولد في ليلة مظلمة ذات برد وشتاء وثلج وكانت ليلة الجمعة فقدح زنده فصلد أي: صوّت ولم يخرج ناراً وقيل كان موسى رجلاً غيوراً يصحب الناس بالليل ويفارقهم بالنهار غيرة منه لئلا يروا امرأته فلذا أخطأ الرفقة والطريق فبينما هو في ذلك إذ رأى ناراً من بعيد على يسار الطريق من جانب الطور فظن أنها من نيران الرعاة ﴿**فقال لأهله**﴾ لامرأته وولده وخادمه فإن الأهل يفسر بالأزواج والأولاد والعبيد والإماء وبالأقارب وبالأصحاب وبالمجموع كما في «شرح المشارق» لابن ملك ﴿**امكثوا**﴾ أقيموا مكانكم ولا تتبعوني ﴿**إني آنست ناراً**﴾ الإيناس الإبصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه إنسان العين لأنه يبين به الشيء والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم أي: أبصرتها إبصاراً بيناً لا شبهة فيه فأذهب إليها ﴿**لعلي آتيكم منها**﴾ راجياً أن أجيئكم من النار ﴿**بقبس**﴾ بشعلة من النار أي: بشيء فيه لهب مقتبس من معظم النار وهي المرادة بالجذوة في سورة القصص وبالشهاب القبس في سورة النمل يقال قبست منه نارا في رأس عود أو فتيلة أو غيرهما لم يقطع بأن يقول إني آتيكم لئلا يعد ما لم يتيقن الوفاء به انظر كيف احترز موسى عن شائبة الكذب قبل نبوته فإنه حينئذٍ لم يكن مبعوثاً. قال أكثر المفسرين: إن الذي رآه موسى لم يكن ناراً بل كان نور الرب تعالى ذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه ناراً. وقال الإمام الصحيح أنه رأى ناراً ليكون صادقاً في خبره إذ الكذب لا يجوز على الأنبياء

انتهى. قال بعض الكبار لما كانت النار بغية موسى تجلى الله له في صورة مطلوبة المجازي ليقبل عليه ولا يعرض عنه فإنه لو تجلى له في غير صورة مطلوبة أعرض عنه لاجتماع ما تجلى فيه:

كنار موسى يراها عين حاجته ... وهو الاله ولكن ليس يدريه

أي: ليس يعرف الاله المتجلي في صورة النور والمتكلم فيها ﴿**أو أجد على النار هدى**﴾ هادياً يدلني على الطريق لأن النار قلما تخلو من أهل لها وناس عندها على أنه مصدر سمي به الفاعل مبالغة أو حذف منه المضاف أي: ذا هداية كقوله في سورة القصص ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [القصص: ٢٨] وكلمة أو في الموضعين لمنع الخلو دون منع الجمع ومعنى الاستعلاء في على أن أهل النار يكتنفونها عند الاصطلاء قياماً وقعوداً فيشرفون عليها.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢﴾

﴿**فلما أتاها**﴾ أي: انتهى إلى النار التي آنسها قال ابن عباس رضي الله عنه: رأى شجرة خضراء أحاطت بها من أسفلها إلى أعلاها نار بيضاء تتقد كأضوء ما يكون ولم ير هناك أحداً فوقف متعجباً من شدة ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوء النار فسمع تسبيح الملائكة ورأى نوراً عظيماً تكل الأبصار عنه فوضع يديه على عينيه وخاف وبهت فألقيت عليه السكينة والطمأنينة ثم نودي وكانت الشجرة سمرة خضراء أو عوسجة أو عليقاً أو شجرة العناب وهي شجرة لا نار فيها بخلاف غيرها من الأشجار. قالوا: النار أربعة أصناف: صنف يأكل ولا يشرب وهي نار الدنيا، وصنف يشرب ولا يأكل وهي نار الشجر الأخضر، وصنف يأكل ويشرب وهي نار جنهم، وصنف لا يأكل ولا يشرب وهي نار موسى. وقالوا أيضاً هي أربعة أنواع: نوع له إحراق بلا نور وهي نار الجحيم، ونوع له نور بلا إحراق وهي نار موسى، ونوع له إحراق ونور وهي نار الدنيا، ونوع ليس له إحراق ولا نور وهي نار الأشجار. يقول الفقير: النور للمحبة والنار للعشق وعندما كمل وامتلأ نور محبة موسى وتم واشتعل نار عشقه وشوقه تجلى الله له بصورة ما في بطنه وذلك لأنه لما ولد له ولد القلب الذي هو طفل خليفة الله في أرض الوجود في ليلة شاتية هي ليلة الجلال ظهر له نور ذاتي في صورة نار صفاتية لأن الصورة إنما هي للصفات واحترق جميع أنانيته وحصل له التوجه الوحداني فعند ذلك ﴿**نودي**﴾ فقيل: ﴿**يا موسى**﴾ ﴿**إني أنا**﴾ للتوكيد والتحقق يعني [شك مكن ومتيقن شوكه من] ﴿**ربك**﴾ [برورد كار توام] ﴿**فاخلع**﴾ [پس بيرون كن وبيكفن ازپاى خود] ﴿**نعليك**﴾ أمر بذلك لأن الحفوة أدخل في التواضع وحسن الأدب ولذلك كان بشر الحافي ونحوه يسيرون حفاة وكان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين:

كنجى كه زمين وآسمان طالب اوست ... چون درنكرى برهنه پايان دارند

أو ليتشرف مشهد الوادي بقدوم قدميه وتتصل بركة الأرض إليه. وقيل للحبيب تقدم على بساط العرش بنعليك ليتشرف العرش بغبار نعال قدميك ويصل نور العرش يا سيد الكونين إليك أو لأنه لا ينبغي لبس النعل بين يدي الملوك إذا دخلوا عليهم وهذا بالنسبة إلى المرتبة الموسوية دون الجاه المحمدي كما مر آنفاً. وذكر في فضائل أبي حنيفة أنه كان إذا قدم على الخليفة

للزيارة استدعى منه الخليفة أن لا ينزل عن بغلته بل يطأ بها بساطه. أو لأنهما كانا غير مدبوغين من جلد الحمار فالخطاب خطاب التأديب كما في «حل الرموز». قال الكاشفي: [أصح آنست كه نعلين از جلد بقربود وطاهر] أو لأن النعل في النوم يعبر بالزوجة فأراد تعالى أن لا يلتفت بخاطره إلى الزوجة والولد. قال في «الأسرار المحمدية» جاء في غرائب التفسير في قوله سبحانه ﴿فاخلع نعليك﴾ يعني همك بامرأتك وغنمك. وقال حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره يعني الطبيعة والنفس. يقول الفقير: لا شك أن المرأة صورة الطبيعة والولد صورة النفس لأن حبه من هواها غالباً وأيضاً أن المرأة في حكم الرجل نفسه لأنها جزء منه في الأصل والغنم ونجوه إنما هو من المعاش التابع للوجود فكأنه قيل فاخلع فكر النفس وما يتبعها أياً كان وتعال. وقال بعضهم: «المراد بالنعلين الدنيا والآخرة كأنه أمره بالاستغراق في معرفة الله ومشاهدته والوادي المقدس قدس جلال الله وطهارة عزته». وقال بعضهم إن إثبات الصانع يكون بمقدمتين فشبهتا بالنعلين إذ بهما يتوصل إلى المقصود وينتقل إلى معرفة الخالق فبعد الوصول يجب أن لا يلتفت إليهما ليبقى القلب مستغرقاً في نور القدس فكأنه قيل فاخلع فكر الدليل والبرهان فإنه لا فائدة فيه بعد المشاهدة والعيان:

ساكنان حرم از قبله نما آزادند

وفي «المثنوي»:

چون شدى پربامهاى آسمان ... سرد باشد جست وجوى نردبان
آينه روشن كه شد صاف وجلى ... جهل باشد برنهادن صيقلى
پيش سلطان خوش نشسته در قبول ... زشت باشد جستن نامه رسول

ولهذا غسل حضرة الشيخ الشبلي قدس سره جميع كتبه بعد الوصول إلى الله تعالى فتدبر ﴿إنك بالواد المقدس﴾ المطهر والمتبعد من السوء ﴿طوى﴾ اسم الوادي عطف بيان له. قال في «القاموس» الوادي مفرج بين جبال أو تلال أو آكام وطوى واد بالشام وهو بالتنوين منصرف بتأويل المكان وبتركه غير منصرف بتأويل البقعة المعروفة.

ـ روي ـ أن موسى عليه السلام خلعهما وألقاهما وراء الوادي.

﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾﴾

﴿وأنا اخترتك﴾ أي: اصطفيتك للنبوة والرسالة وقرأ حمزة «وأنا اخترناك» ﴿فاستمع﴾ [پس كوش فرا دار] ﴿لما يوحى﴾ للذي يوحى إليك مني من الأمر والنهي اللام متعلقة بالسمع مزيدة في المفعول كما في ردف لكم.

﴿إنني أنا الله﴾ [بدرستى كه منم خداى تعالى] وهو بدل من يوحى دال على تقدم علم الأصول على الفروع فإن التوحيد من مسائل الأصول والعبادة الآتية من الفروع ﴿لا إله إلا أنا﴾ [نيست خداى بغير من] فإذا كان كذلك ﴿فاعبدني﴾ فخصني بالعبادة والتوحيد ولا تشرك بعبادتي أحداً ﴿وأقم الصلاة﴾ من عطف الخاص على العام لفضله ﴿لذكري﴾ من إضافة المصدر إلى مفعوله أي: لتذكرني وتكون ذاكراً لي فإن ذكر الله كما ينبغي عبارة عن الاشتغال بعبادته باللسان والجنان والأركان والصلاة جامعة لها أو من إضافته إلى فاعله أي لأذكرك بالإثابة.

وفي «التأويلات النجمية»: وأدم المناجاة والمحاضرة معي ببذل الوجود لنيل ذكري إياك بالتجلي على الدوام لإفناء وجودك المتجدد.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾﴾

﴿إن الساعة آتية﴾ تعليل لوجوب العبادة وإقامة الصلاة. والساعة اسم لوقت تقوم فيه القيامة سمي بها لأنها ساعة حقيقة يحدث فيها أمر عظيم أي: القيامة كائنة لا محالة وإنما عبر عن ذلك بالإتيان تحقيقاً لحصولها بإبرازها في معرض أمر محقق متوجه نحو المخاطبين ﴿أكاد أخفيها﴾. قال في «تفسير الجلالين»: استرها للتهويل والتعظيم وأكاد صلة انتهى. وقال بعضهم: كاد وإن كان موضوعاً للمقاربة إلا أنه من الله للتحقق والوجوب فالمعنى أريد إخفاء وقتها عن الخلق ليكونوا على الحذر منها كل وقت كما أن عسى في قوله تعالى: ﴿قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾ [الإسراء: ٥١] للقطع بقربه أي: هو قريب. وفي «الإرشاد» لا أظهرها بأن أقول هي آتية ولولا ما في الاخبار بذلك من اللطف وقطع الاعذار لما فعلت.

وفي «التأويلات النجمية»: أكاد أخفي الساعة وإتيانها وأخفي أحوال الجنة ونعيمها وأهوال النار وعذاب جحيمها لئلا تكون عبادتي مشوبة بطمع الجنة وخوف النار بل تكون خالصة لوجهي كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] وفي ذلك تهديد عظيم للعباد وإظهار عزة وعظمة لنفسه إلا أنه سبقت رحمتي غضبي فما أخفيت الساعة وإتيانها ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ متعلقة بآتية وما بينهما اعتراض وما مصدرية أي: بسعيها وعملها خيراً كان أو شراً لتمييز المطيع من العاصي وتخصيص السعي بالذكر للإيذان بأن المراد بالذات من إتيانها هو الإثابة بالعبادة وأما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة.

﴿فلا يصدّنك عنها﴾ أي: لا يمنعنك عن ذكر الساعة ومراقبتها ﴿من لا يؤمن بها﴾ أي: بالساعة هذا وإن كان بحسب الظاهر نهياً للكافر عن صد موسى عن الساعة لكنه في الحقيقة نهي له عن الانصداد عنها على أبلغ وجه وآكده فإن النهي عن أسباب الشيء ومباديه المؤدية إليه نهي عنه بالطريق البرهاني وإبطال للسببية من أصلها ﴿واتبع هواه﴾ مراده المبني على ميل النفس لا يعضده برهان سماوي ولا دليل عقلي. وفي «الإرشاد» ما تهواه نفسه من اللذات الحسية الفانية ﴿فتردى﴾ من الردى وهو الموت والهلاك أي: فتهلك فإن الإغفال عنها وعن تحصيل ما ينجي من أحوالها مستتبع للهلاك لا محالة والمراد بهذا النهي الأمر بالاستقامة في الدين وهو خطاب له والمراد غيره.

واعلم أن هذه الآيات والآتية بعدها دلت على أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام وأنه سمع كلام الله تعالى. فإن قيل بأي شيء علم موسى أنه كلام الله. قيل: لم ينقطع كلامه بالنفس مع الحق كما ينقطع به مع المخلوق بل كلمه تعالى بمدد وحداني غير منقطع وبأنه سمع الكلام من الجوانب الستة وبجميع الأجزاء فصار الوجود كله سمعاً وكذا المؤمن في الآخرة وجه محض وعين محض وسمع محض ينظر من كل جهة وبكل جهة وعلى كل جهة وكذا يسمع بكل عضو من كل جهة وإذا شاهد الحق يشهده بكل وجه ليس في جهة من الجهات لا يحتجب سمعه وبصره بالجهات ويجوز أن يخلق الله تعالى علماً ضرورياً بذلك كما خلق لنبينا عليه السلام عند ظهور جبريل بغار حراء.

ثم اعلم أن للكلام مراتب فكلام هو عين المتكلم وكلام هو معنى قائم به كالكلام النفسي وكلام مركب من الحروف ومتعين بها وهو في عالمي المثال والحس بحسبهما فموسى عليه السلام قد تنزل له الكلام في مرتبة الأمر إلى مرتبة الروح ثم إلى مرتبة الحس ومن مشى على المراتب لم يعثر ألا ترى أن نبينا عليه السلام إذا نزل عليه الوحي كان يسمع في بعض الأحيان مثل صلصلة الجرس فإن التجلي الباطني لا يمنع مثل هذا. فإن قلت لماذا كلم الله موسى حتى صار كليم الله دون سائر الأنبياء؟ قلت: لأن الجزاء إنما هو من جنس العمل وكان قد احترق لسانه عليه السلام عند الامتحان الفرعوني فجازاه الله بمناجاته اسماع كلامه:

هر محنتى مقدمه راحتى بود شد همزبان حق چوزبان كليم سوخت

رؤي بعضهم في النوم فقيل: ما فعل الله بك؟ فقال رضي الله عني ورحمني وقال لي كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب فجوزي من حيث عمل حيث لم يقل له كل يا من قطع الليل تلاوة واشرب يا من ثبت يوم الزحف. وقيل لبعضهم وقد رؤي يمشي في الهواء بم نلت هذه الكرامة؟ فقال: تركت هواي لهواه فسخر لي هواه فالعلم والحكمة إنما هي في معرفة المناسبات قضاء عقلياً وقضاء إلهياً حكمياً ومن قال إن الله تعالى يفعل خلاف هذا فليس عنده معرفة بمواقع الحكم.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وما تلك﴾ السؤال بما تلك عن ماهية المسمى أي: حقيقته التي هو بها هو كقولك ما زيد تعني ما حقيقة مسمى هذا اللفظ فيجاب بأنه إنسان لا غير. قال الكاشفي: [چون موسى نعلين بيرون كرد در وادي مقدس خطاب رسيدكه] وما تلك أي أي شيء هذه حال كونها مأخوذة **﴿بيمينك يا موسى﴾** فما استفهامية في حيز الرفع بالخبرية لتلك المشار إليها أي: العصا وهو أوفق بالجواب من عكسه والعامل في الحال معنى الإشارة ولم يقل بيدك لاحتمال أن يكون في يساره شيء مثل الخاتم ونحوه فلو أجمل إليه لتحير في الجواب للاشتباه وسيأتي سر الاستفهام إن شاء الله تعالى.

﴿قال﴾ موسى **﴿هي عصاي﴾** نسبها إلى نفسه تحقيقاً لوجه كونها بيمينه وتمهيداً لما يعقبه من الأفاعيل المنسوبة إليه عليه السلام **﴿أتوكأ عليها﴾** أي: اعتمد عليها عند الإعياء في الطريق وحال المشي وحين الوقوف على رأس القطيع في المرعى **﴿وأهش بها على غنمي﴾** الهش [بيفشاندن برك ازدرخت] يقال هش الورق يهشه ويهشه خبطه بعصا ليتحات أي: ضربه ضرباً شديداً ليسقط. والمعنى أخبط بها الورق وأسقطه على رؤوس غنمي لتأكله. وبالفارسية [وفروميريزم برك ازدر ختها] **﴿ولي فيها مآرب﴾** جمع مأربة بفتح الراء وضمها وهي الحاجة **﴿أخرى﴾** لم يقل آخر لرعاية الفاصلة أي: حاجات أخر غير التوكي والهش وهي أنه إذا سار ألقاها على عاتقه وعلق بها قوسه وكنانته وحلابه ومطهرته وحمل عليها زاده وتحدثه. يعني [درراه باموسى سخن كفتى] وكان لها شعبتان ومحجن فإذا طال الغصن حناه بالمحجن وإذا حاول كسره لواه بالشعبتين وفي أسفلها سنان ويركزها فيخرج الماء وتحمل أي: ثمرة أحب وربما يدليها في البئر وتصير شعبتاها كالدلو فيخرج الماء وإذا قصر الرشاء وصله بها وتضيء

بالليل كالشمع وتحارب عنه. يعني: [بادشمن وى حرب كردى] وإذا تعرضت لغنمه السباع قاتل بها وتطرد الهوام في النوم واليقظة ويستظل بها إذا كان قعد يعني إذا كان في البرية ركزها وألقى كساءه عليها فكان ظلاً وكانت اثني عشر ذراعاً بذراعه عليه السلام من عود آس من شجر الجنة استودعها عند شعيب ملك من الملائكة في صورة إنسان. وقال الكاشفي: [آن عصا ازچوب مرد بهشت بود طول اوده كز وسراو دوشاخه ودر زيراو سناني نشانده نامش عليق بود يانيعه از آدم ميراث بشعيب رسيده بود وازو بموسى رسيد] وفي العصا إشارة إلى أن الأنبياء عليهم السلام رعاة الخلق والخلق مثل البهائم محتاجون إلى الرعي والكلاءة من ذئاب الشياطين وأسد النفس فلا بد من العمل بإرشادهم والوقوف بالخدمة عند باب دارهم، قال الحافظ:

شبان وادى ايمن كهى رسد بمراد كه چند سال بجان خدمت شعيب كند

قال بعض أهل المعرفة لما كانت العصا صورة النفس المطمئنة المفنية للموهومات والمتخيلات لأن صورة الحية تستعد للإيمان كما ظهر بعض الجن بالمدينة في صورة الحية ونهوا عن قتلها كما ذكر في «الصحاح» لذلك قال موسى عليه السلام: ﴿**هي عصاي أتوكأ عليها**﴾ أي: أستعين بها على مطالبي في السر ﴿**وأهش بها على غنمي**﴾ أي: على رعايا أعضائي وحواسي وعلى ما تحت يدي من القوى الطبيعية والبدنية ﴿**ولي فيها مآرب أخرى**﴾ أي: مقاصد لا تحصل إلا بها من الكمالات المكتسبة بالمجاهدات البدنية والرياضات النفسية فإذا جاهدت وارتاضت وأنابت إلى ربها انقلبت المعصية التي هي السيئة طاعة أي: حسنة كما قال تعالى في صفة التائبين ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍۗ﴾ [الفرقان: ٧٠]. فإن قيل السؤال للاستعلام وهو محال على العلام فما الفائدة فيه قلنا فائدته أن من أراد أن يظهر من الحقير شيئاً نفيساً يعرضه أولاً على الحاضرين ويقول ما هذا فيقال فلان ثم إنه يظهر صنعه الفائق فيه فيقول لهم: خذوا منه كذا وكذا كما يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد أيام لبوساً مسرداً فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها إلى ما ترى من عجيب الصنع وأنيق السرد فالله تعالى لما أراد أن يظهر من العصا تلك الآيات الشريفة عرضها أولاً عليه فقال: هل حقيقة ما في يدك إلا خشبة لا تضر ولا تنفع ثم قلبها ثعباناً عظيماً فنبه به على كمال قدرته ونهاية حكمته. قال الكاشفي: [استفهام متضمن تنبيه است يعني حاضر شو تا عجايب بيني].

وقال في «التأويلات النجمية»: إنما امتحن موسى بهذا السؤال تنبيهاً له ليعلم أن للعصا عند الله اسماً آخر وحقيقة أخرى غير ما علمه منها فيحيل علمها إلى تعالى فيقول: أنت أعلم بها يا رب فلما اتكل على علم نفسه وقال هي عصاي فكأنه قيل له أخطأت في هذا الجواب خطأين أحدهما في التسمية بالعصا والثاني في إضافتها إلى نفسك وهو ثعباني لا عصاك. فإن قيل هذا سؤال من الله مع موسى ولم يحصل لمحمد عليه السلام. قلنا خاطبه أيضاً في قوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠] إلا أنه ما أفشاه وكان سراً لم يؤهل له أحداً من الخلق وأيضاً فإن دار الكلام بينه وبين موسى فأمة محمد يخاطبونه في كل يوم مرات على ما قاله عليه السلام: «المصلي يناجي ربه» وقال بعضهم: فهم موسى أن هذا السؤال ليس للاستعلام لأنه تعالى منزه عن ذلك بل للتذكر واستحضار حقيقتها وما يعلم من منافعها ولذا زاد في الجواب. وقال الكاشفي: [جواب داد وجهت تعداد نعم رباني برآن افزود] وقال بعضهم:

سأل الله عما في يده للتقرير على أنها عصا حتى لا يخاف إذا صارت ثعباناً ويعلم أنها معجزة عظيمة لإزالة الوحشة عن موسى ولذا كرر يا موسى يعني: ليحصل زيادة الانبساط والاستئناس وإزالة تلك الهيبة والدهشة الحاصرة من استماع ذلك الكلام الذي لم يشبه كلام الخلق مع مشاهدة تلك النار وتلك الشجرة وسمع تسبيح الملائكة ومن ثمة لما زالت بذلك اطنب في الجواب قال نبينا عليه السلام: قلت أي: ليلة المعراج: اللهم إنه لما لحقني استيحاش سمعت منادياً ينادي بلغة تشبه لغة أبي بكر رضي الله عنه فقال لي: قف فإن ربك يصلي فعجبت من هاتين هل سبقني أبو بكر إلى هذا المقام وإن ربي لغني عن أن يصلي فقال تعالى: أنا الغني عن أن أصلي لأحد وإنما أقول سبحاني سبحاني سبقت رحمتي على غضبي اقرأ يا محمد هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً فصلاتي رحمة لك ولأمتك وأما أمر صاحبك يا محمد فإن أخاك موسى كان أنسه بالعصا فلما أردنا كلامه قلنا وما تلك بيمينك يا موسى قال: هي عصاي وشغل بذكر العصا على عظيم الهيبة وكذلك أنت يا محمد لما كان أنسك بصاحبك أبي بكر خلقنا ملكاً على صورته ينادي بلغته ليزول عنك الاستيحاش لما يلحقك من عظيم الهيبة كذا في «إنسان العيون». وذكر الراغب الأصفهاني في «المحاضرات» أنه قال الإمام الشاذلي قدس سره صاحب الحزب البحر اضطجعت في المسجد الأقصى فرأيت في المنام قد نصب تحت خارج الأقصى في وسط الحرم فدخل خلق كثير أفواجاً أفواجاً فقلت: ما هذا الجمع فقالوا: جمع الأنبياء والرسل عليهم السلام قد حضروا ليشفعوا في حسين الحلاج عند محمد عليه السلام في إساءة أدب وقعت منه فنظرت إلى التخت فإذا نبينا ﷺ جالس عليه بانفراده وجميع الأنبياء على الأرض جالسون مثل إبراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم السلام فوقفت أنظر وأسمع كلامهم فخاطب موسى نبينا عليه السلام وقال له: إنك قد قلت: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» فأرنا منهم واحداً فقال: هذا وأشار إلى الإمام الغزالي قدس سره فسأله موسى سؤالاً فأجابه بعشرة أجوبة فاعترض عليه موسى بأن الجواب ينبغي أن يطابق السؤال والسؤال واحد والجواب عشرة فقال الإمام: هذا الاعتراض وارد عليك أيضاً حين سئلت ﴿**وما تلك بيمينك**﴾ وكان الجواب عصاي فأوردت صفات كثيرة فقال: فبينما أنا متفكر في جلالة قدر محمد عليه السلام وكونه جالساً على التخت بانفراده والخليل والكليم والروح جالسون على الأرض إذ رفسني شخص برجله رفسة مزعجة أي: ضربني فانتبهت فإذا بقيم يشعل قناديل الأقصى قال: لا تعجب فإن الكل خلقوا من نوره فخررت مغشياً فلما أقاموا الصلاة أفقت وطلبت القيم فلم أجده إلى يومي هذا ومن هذا قال في قصيدة البردة:

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف   وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

وقال آخر:

سر خيل انبيا وسپهدار اتقيا   سلطان باركاه دنا قائد امم

﴿**قال**﴾ الله تعالى استئناف بياني ﴿**ألقها يا موسى**﴾ اطرحها لترى من شأنها ما لم يخطر ببالك والالقاء والنبذ والطرح بمعنى واحد.

﴿**فألقاها**﴾ على الأرض. قال الكاشفي: [موسى كمان بردكه اورانيزچون نعلين مى بايد افكند پس بيفكند آنرا ازقفاى خود في الحال آوازى عظيم بكوش وى رسيد بازنكريست] ﴿**فإذا**

هي﴾ [پس ازآنجا آن عصا] ﴿حية﴾ [ماری بود] ﴿تسعى﴾ [مى شتافد بهر جانب] والسعي المشي بسرعة وخفة حركة والجملة صفة لحية.

ـ روي ـ أنه حين ألقاها انقلبت حية صفراء في غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجان تارة وهو الخفيف كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ١٠] أي: باعتبار ابتداء حالها وسميت ثعباناً أخرى وهو أعظمها كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧] أي: باعتبار انتهاء حالها وعبر عنها هٰهنا بالاسم العام للحالين أي: الصغير والكبير والظاهر أنها انقلبت من أول الأمر ثعباناً وهو الأليق بالمقام كما يفصح عنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ وإنما شبهت بالجان في الجلادة وسرعة الحركة. قال بعض أهل المعرفة أما انقلاب العصا حيواناً فإيماء إلى انقلاب المعصية طاعة وحسنة فإن العصا من المعصية والمعصية إذا انقلبت صارت طاعة كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] وهذا التبديل من مقام المغفرة وأما المحو في قوله عليه السلام: «اتبع السيئة الحسنة تمحها» فعبارة عن حقيقة العفو. قال المولى الجامي في قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ يعني في الحكم فإن الأعيان أنفسها لا تتبدل ولكن تنقلب أحكامها انتهى. يقول الفقير على هذا يدور انقلاب العصا حية حين الإلقاء ويحول النحاس فضة عند طرح الأكسير وتمثل جبريل في الصورة البشرية فاعرفه فإنه باب عظيم من دخله بالعرفان التام أمن من الأوهام، قال الحافظ:

دست ازمس وجود چو مردان ره بشوى تا كيمياى عشق بيابى وزر شوى

وقال المولى الجامي:

چو كسب علم كردى در عمل كوش كه علم بى عمل زهريست بى نوش
چه حاصل زآنكه دانى كيميارا مس خودرا نكرده زرسارا

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾

﴿قال﴾ استئناف بياني ﴿خذها ولا تخف﴾ روي أنها انقلبت ثعباناً ذكراً يبتلع كل شيء يمر به من صخر وحجر وعيناه تتقدان كالنار ويسمع لأنيابه صريف شديد وكان بين لحييه أربعون ذراعاً أو ثمانون فلما رآه كذلك خاف ونفر لأن الخوف والهرب من الحيات ونحوها من طباع البشر. فإن قيل لم خاف موسى من العصا ولم يخف إبراهيم من النار؟ قلنا: لأن الخليل كان أشد تمكيناً إذ فرق بين بداية الحال ونهايتها وقد أزال الله هذا الخوف من موسى بقوله: ولا تخف ولذا تمكن من أخذ العصا كما يأتي فصار أهل تمكين كالخليل عليهما السلام ألا ترى أن نبينا عليه السلام أول ما جاءه جبريل خافه فرجع من الجبل مرتعداً ثم كان من أمره ما كان حتى استعد لرؤيته على صورته الأصلية ليلة المعراج كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النجم: ١٣ـ١٤].

وفي «التأويلات النجمية» ﴿خذها ولا تخف﴾ يعني كنت تحسب أن لك فيها المنافع والمآرب في البداية ثم رأيتها وأنت خائف من مضارها فخذها ولا تخف لتعلم أن الله تعالى هو الضار والنافع فيكون خوفك ورجاؤك منه إليه لا من غيره، وفي «المثنوي»:

هركه ترسيد از حق وتقوى كزيد ترسد ازوى جن وإنس وهركه ديد

﴿سنعيدها﴾ [زود باشدكه كردانيم ويرا] ﴿سيرتها الأولى﴾ السيرة فعلة من السير أي: نوع منه تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الجار أي: سنعيدها بعد الأخذ إلى هيئتها الأولى التي هي الهيئة العصوية فوضع يده في فم الحية فصارت عصا كما كانت ويده في شعبتيها في الموضع الذي يضعها فيه إذا توكأ وأراه هذه الآية كيلا يخاف عند فرعون إذا انقلبت حية وفي الحديث «يجاء لصاحب المال الذي لم يؤد زكاته بذلك المال على صورة ثعبان» يقول الفقير: لا شك عند أهل المعرفة أن لكل جسد روحاً ولو كان معنوياً ولكل عمل وخلق ووصف صورة معتدلة في الدنيا تتحول صورة محسوسة في الآخرة كما قال تعالى: ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨] أي: يظهر لهم صور أعمالهم كما مر في سورة الأنعام ولما كان حب المال من أشد صفات النفس الأمارة التي هي في صورة ثعبان ضار لا جرم يظهر يوم تبلى السرائر على هذه الصورة المزعجة ويصير طوقاً لعنق صاحبه فإذا تزكى موسى القلب من حب المال وأحب بذله في سبيل الله جاء في صورة حسنة يهواها مناسبة لما عمل به من الخيرات وقس حال البواقي عليه. ثم أراه آية أخرى فقال:

﴿واضمم﴾ [ضم كن وببر] ﴿يدك﴾ اليمنى ﴿إلى جناحك﴾ [بسوى بهلوى خود درزير بغل] وجناح الإنسان جنبه وعضده إلى أصل إبطه كما أن جناحي العسكر ناحيتاه مستعار من جناحي الطائر وقد سميا جناحين لأنه يجنحهما أي: يميلها عند الطيران. والمعنى اضمم يدك إلى جنبك تحت العضد ﴿تخرج﴾ [تابيرون آيد جواب] ﴿بيضاء﴾ [در حالتى كه سفيد وروشن] حال من الضمير فيه ﴿من غير سوء﴾ حال من الضمير في بيضاء أي: كائنة من غير عيب وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوءة عن العورة لما أن الطباع تعافه وتنفر عنه.

ـ روي ـ أن موسى عليه السلام كان أسمر اللون فإذا أدخل يده اليمنى تحت إبطه الأيسر وأخرجها كان عليها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر ويسد الأفق ثم إذا ردها إلى جنبه صارت إلى لونها الأول بلا نور وبريق ﴿آية أخرى﴾ أي: معجزة أخرى غير العصا وانتصابها على الحالية من الضمير في بيضاء.

﴿لنريك﴾ أي: فعلنا ما فعلنا من قلب العصا حية وجعل اليد بيضاء لنريك بهاتين الآيتين ﴿من آياتنا الكبرى﴾ أي: بعض آياتنا الكبرى فكل من العصا واليد من الآيات الكبرى وهي تسع كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١] وقد سبق بيانها ونظير الآية قوله تعالى في حق نبينا عليه السلام ﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ [النجم: ١٨] أي: محمد ليلة المعراج ﴿مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨] والفرق بين آيات موسى وآيات نبينا عليهما السلام أن آيات موسى عجائب الأرض فقط وآيات نبينا عجائب السموات والأرض كما لا يخفى هذا هو اللائح في هذا المقام فاعرفه.

واعلم أن موسى عليه السلام أدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء من غير سوء وهذا من كرامات اليد بعد التحقق بحقيقة الجود والكرم والسخاء والإيثار فالجود عطاؤك ابتداء قبل السؤال والكرم عطاؤك ما أنت محتاج إليه وبالعطاء صحت الخلة.

ـ روي ـ أن الله تعالى أرسل إلى إبراهيم جبريل عليهما السلام على صورة شخص فقال له: يا إبراهيم أراك تعطي الأوداء والأعداء فقال: تعلمت الكرم من ربي رأيته لا يضيعهم فأنا لا

أضيعهم فأوحى الله إليه أن يا إبراهيم أنت خليلي حقاً. ومن كرامات اليد ما روي أن نبينا عليه السلام نبع الماء من بين أصابعه في غزوة تبوك حتى شرب منه ورفعه خلق كثير ورمى التراب في وجوه الأعداء فانهزموا وسبح الحصى في يده، قال العطار قدس سره:

داعـــي ذرات بـــود آن پـــاك ذات ... در كفش تسبيح ازان كفتى حصات

وقبض من شاء من الأولياء في الهواء فيفتح يده عن فضة أو ذهب إلى أمثال هذا فإذا سمعت هذا عرفت أن كل كمال يظهر في النوع الإنسان فهو أثر عمل من الأعمال أو حال من الأحوال فبين كل شيئين إما مناسبة ظاهرة أو باطنة إذا طلبها الحكيم المراقب وجدها نسأل الله تعالى أن يوفقنا لصرف الأعضاء والقوى إلى ما خلقت هي لأجله ويفيض علينا فضله بسجله.

﴿اذهب﴾ يا موسى بطريق الدعوة والتحذير ﴿إلى فرعون﴾ وملئه بهاتين الآيتين العصا واليد لقوله تعالى في سورة القصص ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾ [القصص: ٣٢] وأما قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى﴾ [طه: ٤٢] فسيأتي معنى الجمع فيه إن شاء الله تعالى ﴿إنه طغى﴾ أي: جاوز حد العبودية بدعوى الربوبية استقلالاً لا اشتراكاً كما قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]. وفيه إشارة إلى معنيين:

أحدهما: أن السالك الصادق إذا بلغ مرتبة كماله يقيضه الله لدلالة عباده وتربيتهم.

والثاني: أن كمال البالغين في أن يرجعوا إلى الخلق ومخالطتهم والصبر على أذاهم ليختبروا بذلك حلمهم وعفوهم.

فإن قيل لم أرسله الله بالعصا؟ قلنا: لأن العصا من آلات الرعاة وموسى عليه السلام كان راعياً فأرسله الله مع آلته وأيضاً كان فرعون بمنزلة الحمار فاحتاج إلى العصا والضرب، وفي «المثنوي»:

كـرتـرا عـقـلـسـت كـردم لـطـفـهـا ... ورخـــرى آورده ام خـــررا عـــصـــا
آنـچـنـان زيـن آخـرت بـيـرون كـنـم ... كز عـصـا كـوش وسـرت پـرخـون كـنـم
انـدريـن آخـر خـران ومـردمـان ... مـى نـيـابـنـد از جـفـاى تـو امـان
يـك عـصـا آورده ام بـهـر ادب ... هـر خـرى را كـونـبـاشـد مـسـتـحـب
ازدهـائـى مـيـشـود در قـهـر تـو ... كـازدهـائـى كـشـتـه در فـعـل وخـو
ازدهـائـى كـوهـى تـو بـى امـان ... لـيـك بـنـكـر ازدهـاى آسـمـان
ايـن عـصـا ازدوزخ آمـد چـاشـنـى ... كـه هـلا بـكـريـز انـدر روشـنـى
ورنـه درمـانـى تـو دردنـدان مـن ... مـخـلـصـت نـبـود زدربـنـدان مـن
ايـن عـصـائـى بـود ايـن دم ازدهـاسـت ... تـانـكـوئـى دوزخ يـزدان كـجـاسـت
هـركـجـا خـواهـد خـدا دوزخ كـنـد ... اوج را بـرمـرغ دام وفـخ كـنـد
هـم زدنـدانـت بـرآيـد دردهـا ... تـابـكـوئـى دوز خـسـت واژدهـا
يـا كـنـد آب دهـانـت را عـسـل ... كـه بـكـوئـى كـه بـهـشـتـسـت وحـلـل
ازبـن دنـدان بـرو يـانـد شـكـر ... تـابـدانـى قـوت حـكـم قـدر
پـس بـدنـدان بـى كـنـهـانـرا مـكـز ... فـكـركـن ازضـربـت نـا مـحـتـرز

﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾

وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

﴿قال﴾ موسى مستعيناً بالله لما علم أنه حمل ثقيل وتكليف عظيم، يعني: [باخود انديشيدكه من تنها بافرعون ولشكر اوچكونه مقاومت توانم كرد پس ازخدا تقويت طلبيده آغاز ودعا كرد وازروى نياز كفت] ﴿رب﴾ [اى پروردكار من] ﴿اشرح لي صدري﴾ [كشاده كردان براى من سينه مرا] والمراد بالصدر هنا القلب لا العضو الذي فيه القلب أي: وسع قلبي حتى لا يضيق بسفاهة المعاندين ولجاجهم ولا يخاف من شوكتهم وكثرتهم.

واعلم أن شرح الصدر من نعم الله تعالى على الأنبياء وكمل الأولياء وقد أخذ منه نبينا عليه السلام الحظ الأوفى لأنه حصل له بصورته ومعناه إذ شق صدره في صباوته وألقى عنه العلقة التي هي حظ الشيطان ومغمزه وغسل في طست من الذهب وأيضاً في البلوغ إلى الأربعين لينشرح لتحمل أثقال الرسالة وفي المعراج ليتسع لأسرار الحق تعالى فجاء حاملاً للأوصاف الجليلة التي لا توصف من الحلم والعفو والصبر والكف واللطف والدعاء والنصيحة إلى غير ذلك.

﴿ويسر لي أمري﴾ سهل علي أمر التبليغ بإحداث الأسباب ورفع الموانع.

﴿واحلل﴾ وافتح، وبالفارسية [وبكشاى] ﴿عقدة﴾ لكنة، وبالفارسية [كرهى را] ﴿من لساني﴾ متعلق بالفعل وتنكير عقدة يدل على قلتها في نفسها قالوا ما الإنسان لولا اللسان الابهيمة مرسلة أو صورة ممثلة والمرء بأصغريه قلبه ولسانه.

﴿يفقهوا قولي﴾ أي: يفهم هو وقومه كلامي عند تبليغ الرسالة فإنما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة، وبالفارسية [بستكى زبان] من جمرة أدخلها فاه وذلك أن فرعون حمله يوماً فأخذ لحيته ونتفها لما كانت مرصعة بالجواهر فغضب وقال إن هذا عدوي المطلوب وأمر بقتله فقالت آسية زوجته: أيها الملك إنه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يدي موسى بأن جعل الجمر في طست والياقوت في آخر فقصد إلى أخذ الجوهر فأمال جبرائيل يده إلى الجمر فرفعه إلى فيه فاحترق لسانه فكانت منه لكنة وعجمة وإلى هذه القصة أشار العطار قدس سره بقوله:

همچو موسى اين زمان در طشت آتش مانده ايم

طفل فرعونيم ما كام ودهان پراخكرست

ولعل تبيض يده لما كانت آلة لأخذ الجمر واللحية والنتف. فإن قيل لم احترق لسان موسى ولم يحترق أصابعه حين قبض على الجمر عند امتحان فرعون؟ قلنا ليكون معجزة بعد رجوعه إلى فرعون بالدعوة لأنه شاهد احتراقه عنده فيكون دليلاً على إعجازه كأنه يقول الكليم أخرجني الله من عندك يا فرعون مغلولاً ذا عقدة ثم ردني إليك فصيحاً متكلماً وأورثني ذلك ابتلاء من ربي حال كوني صغيراً أن جعلني كليماً مع حضرته حال كوني كبيراً وأورث تناول يدي إلى النار آية نيرة بيضاء كشعلة النار في أعينكم فكل بلاء حسن. قال في «الأسئلة المقحمة»: لما دعا موسى بهذا الدعاء هل انحلت أي: كما يدل عليه قوله قال: قد أوتيت سؤلك فلماذا قال وأخي هارون هو أفصح مني لساناً وقال فرعون فيه ولا يكاد يبين؟ الجواب:

يجوز أن يكون هارون هو أفصح منه مع زوالها وقول فرعون تكلم به على وجه المعاندة والاستصغار كما يقول المعاند لخصمه: لا تقول شيئاً ولا تدري ما تقول وقالوا لشعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وقالوا لهود ما جئتنا ببينة ولنبينا عليه السلام قلوبنا في أكنة انتهى وإلى هذا التأويل جنح المولى أبو السعود في «الإرشاد».

﴿واجعل لي وزيراً﴾ الوزير حباء الملك أي: جليسه وخاصته الذي يحمل ثقله وبعينه برأيه كما في «القاموس» فاشتقاقه من الوزر بالكسر الذي هو الثقل لأنه يحمل الثقل عن أميره أو من الوزر محركة وهو الملجأ والمعتصم لأن الأمير يعتصم برأيه ويلجأ إليه في أموره والمعنى واجعل لي موازراً يعاونني في تحمل أعباء ما كلفته ﴿من أهلي﴾ من خواصي وأقربائي فإن الأهل خاصة الشيء ينسب إليه ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود: ٤٥] وأهل الله خاصته كما في الحديث «إن لله أهلين من الناس أهل القرآن وهم أهل الله» كما في «المقاصد الحسنة» وهو صفة لوزير أو صلة لأجعل.

﴿هارون﴾ مفعول أول لأجعل قدم عليه الثاني وهو وزيراً للعناية به لأن مقصوده الأهم طلب الوزير ﴿أخي﴾ بدل من هارون.

﴿اشدد به أزري﴾ الإزر القوة والظهر أي: احكم به قوتي أو قوّ به ظهري.

﴿وأشركه في أمري﴾ واجعله شريكي في أمر الرسالة حتى نتعاون على أدائها كما ينبغي. فإن قيل كيف سأل لأخيه النبوة؟ فإنما هي باختيار الله تعالى كما قال: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] قلت إن في إجابة الله دليلاً على أن سؤاله كان بإذن الله وإلهاماً منه ولما كان التعاون في الدين درجة عظيمة طلب أن لا يحصل إلا لأخيه. وفيه إشارة إلى أن صحبة الأخيار وموازرتهم مرغوب للأنبياء فضلاً عن غيرهم ولا ينبغي أن يكون المرء مستبداً برأيه مغروراً بقوته وشوكته وينبغي أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويجوز لنفسه الشريك في أمور المناصب ولا تقدح وزارة هارون في نبوته وقد كان أكثر أنبياء بني إسرائيل كذلك أي: كان أحدهم موازراً ومعيناً للآخر في تبليغ الرسالة وكان هارون بمصر حين بعث موسى نبياً بالشام.

﴿كي﴾ غاية للأدعية الثلاثة الأخيرة، والمعنى بالفارسية [تا] ﴿نسبحك﴾ تسبيحاً ﴿كثيراً﴾ أي: ننزهك عما لا يليق بك من الأفعال والصفات التي من جملتها ما يدعيه فرعون ﴿ونذكرك﴾ ذكراً ﴿كثيراً﴾ أي: على كل حال ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال فإن التعاون يهيج الرغبات ويؤدي إلى تكاثر الخير وتزايره.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن للجليس الصالح والصديق الصديق أثراً عظيماً في المعاونة على كثرة الطاعة والموافقة والمرافقة في اقتحام عقبات السلوك وقطع مفاوزه، قال الحافظ:

دريغ ودردكه تا اين زمان ندانستم كه كيمياى سعادت رفيق بود رفيق

﴿إنك كنت بنا بصيراً﴾ الباء متعلقة ببصيراً قدمت عليه لرعاية الفواصل أي: عالماً بأحوالنا وإن التعاون يصلحنا وإن هارون نعم الوزير والمعين لي فيما أمرتني به فإنه أكبر مني سناً وأفصح لساناً وكان أكبر من موسى بأربع سنين أو بسنة على اختلاف الروايات.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾

﴿قال﴾ الله تعالى ﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾ مسؤولك ومطلوبك فعل بمعنى مفعول

كالخبز بمعنى المخبوز والإيتاء عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له.
قال داود القيصري قدس سره: ومن جملة كمالات الأقطاب ومنن الله عليهم ألاّ يبتليهم بصحبة الجهلاء بل يرزقهم صحبة العلماء الأدباء الأمناء يحملون عنهم أثقالهم وينفذون أحكامهم وأقوالهم انتهى وذلك كما كان آصف بن برخيا وزيراً لسليمان عليه السلام الذي كان قطب وقته ومتصرفاً وخليفة على العالم فظهر عنه ما ظهر من إتيان عرش بلقيس كما حكاه الله تعالى في القرآن. وكان أنوشروان يقول لا يستغني أجود السيوف عن الصيقل ولا أكرم الدواب عن السوط، ولا أعلم الملوك عن الوزير وفي الحديث: «إذا أراد الله بملك خيراً قيض له وزيراً صالحاً إن نسي ذكره وإن نوى خيراً أعانه وإن نوى شراً كفه» وقد كان لرسول الله ﷺ وزراء كما قال: «إن لي وزيرين في الأرض أبا بكر وعمر ووزيرين في السماء جبريل وإسرافيل» فكان من في السماء يمده عليه السلام من جهة الروحانية ومن في الأرض من جهة الجسمانية قال الله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢] فنصر الله سماوي ونصر المؤمنين أرضي وبالكل يحصل الإمداد مطلقاً وفي الحديث: «إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا من أهل القبور» ذكره الكاشفي في «الرسالة العلية» وابن الكمال في «شرح الأربعين» حديثاً والمراد من أهل القبور الروحانيون سواء كانوا في الأجساد الكثيفة أو اللطيفة فافهم. ثم إن العادل يرث من النبي عليه السلام هذه الوزارة وأما الظالم فيجعل له وزير سوء وهو علامة غضب الله وانتقامه، قال الشيخ سعدي قدس سره:

بقومي كه نيكى پسندد خداى ... دهد خسرو عادل نيك راى
چو خواهد كه ويران كند عالمي ... كند ملك درپنچه ظالمي

وقال الحافظ:

زمانه كرنه سر قلب داشتى كارش ... بدست آصف صاحب عيار بايستى

ولما كان السلطان ظل الله في الأرض ظهر مظهر الحقيقة الجامعة الإلهية وهو القطب الذي هو مدار العالم فكما أن للقطب وزراء من العلماء الأمناء كذلك لمن هو ظله وزراء من العادلين الأدباء وهذه الوزراة ممتدة إلى زمن المهدي ووزراؤه سبعة هم أصحاب الكهف يحييهم الله في آخر الزمان يختم بهم رتبة الوزراء المهدية ومنهم الوزراء السبعة للملوك العثمانية وهم الذين يسمون بوزراء القبة.

واعلم أن موسى بطريق الإشارة سلطاننا في الآفاق وروحنا في الأنفس وهارون هو الوزير أياً من كان في الآفاق والعقل في الأنفس وفرعون هو رئيس أهل الحرب من النصارى وغيرهم والنفوس الأمارة بالسوء فإذا قارن الروح بالعقل الكامل المشير المدبر وهو عقل المعاند يغلب على النفس وقواها ويخلص حصن القلب من أيديها كما أن السلطان إذا اصطفى لوزارته رجلاً صالحاً عادلاً يغلب إن شاء الله تعالى على الأعداء ويتصرف في بلادهم وحصونهم، وفي «المثنوي»:

عقل تو دستور مغلوب هواست ... در وجودت رهزن راه خداست
واى آن شه كه وزيرش اين بود ... جاى هردو دوزخ بركين بود
شاد آن شاهى كه اورا دستكير ... باشد اندركار چون آصف وزير
شاه عادل چون قرين اوشود ... نام او نور على نور اين بود

چون سليمان شاه وچون آصف وزير نور بر نورست وعنبر بر عبير
شاه فرعون وچو هامانش وزير هر دورا نبود زبد بختى كزير
پس بود ظلمات بعضى فوق بعض نى خرد يارو نه دولت روز عرض
عقل جزؤى را وزير خودمكير عقل كل را ساز اى سلطان وزير
مر هوارا تو وزير خود مساز كه بر آرد جان پاكت از نماز
كين هوا پر حرص وحالى بين بود عقل را انديشه يوم الدين بود

وفي الحديث: «من قلد إنساناً عملاً وفي رعيته من هو أولى منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين»، قال الشيخ سعدي قدس سره:

كسى راكه باخواجه تست جنك بدستش چرامى دهى چوب وسنك
سك آخر كه باشدكه خوانش نهند بفرماى تا استخوانش نهند
مكافات موذى بمالش مكن كه بيخش بر آورد بايد زبن
سركرك بايد هم اول بريد نه چون كوسفندان مردم دريد

﴿ولقد مننا عليك﴾ من قولهم من عليه منا بمعنى أنعم عليه لا من قولهم عليه منة بمعنى امتن عليه لأن المنة تهدم الصنيعة. وفي «الكبير»: فإن قيل ذكر تلك النعم بلفظ المنة مؤذ والمقام مقام التلطف قلنا عرفه أنه لم يستحق شيئاً منها بذاته وإنما خصه بها بمحض التفضل والمعنى وبالله لقد أنعمنا عليك يا موسى أكرمناك بكرامات من غير أن تسألنا ﴿مرة أخرى﴾ في وقت ذي مر وذهاب أي: وقتاً غير هذا الوقت فإن أخرى تأنيث آخر بمعنى غير والمرة في الأصل اسم للمر الواحد الذي هو مصدر قولك مر يمر مراً ومروراً أي: ذهب ثم أطلق على فعلة واحدة من الفعلات متعدية كانت أو لازمة ثم شاع في كل فرد واحد من أفراد ماله أفراد متحدة فصار علماً في ذلك حتى جعل معياراً لما في معناه من سائر الأشياء فقيل هذا بناء المرة ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة المراد به هٰهنا الوقت الممتد الذي وقع فيه ما سيأتي ذكره من المنن العظيمة الكثيرة.

﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۝٣٨ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝٣٩﴾

﴿إذ أوحينا إلى أمك﴾ ظرف لمننا والمراد من هذا الوحي ليس الوحي الواصل إلى الأنبياء لأن أم موسى ما كانت من الأنبياء فإن المرأة لا تصلح للإمارة والقضاء فكيف تصلح للنبوة بل الإلهام كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] بأن أوقع الله في قلبها عزيمة جازمة على ما فعلته من اتخاذ التابوت والقذف. قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف يجوز لها أن تلقي ولدها في البحر وتخاطر بروحه بمجرد الإلهام؟ والجواب كانت مضطرة إلى ركوب أحد الخطرين فاختارت له خير الشرين انتهى والظاهر أن الله تعالى قدر أنها تكون صدف درة وجود موسى فكما أن الصدف يتنور بنور الدرة نور صدر أمه أيضاً بنور الوحي من تلألؤ أنوار نبوته ورسالته فهذا الإلهام من أحوال الخواص من أهل الحال ﴿ما يوحى﴾ المراد به ما سيأتي من الأمر بقذفه في التابوت والبحر أبهم أولاً تهويلاً له وتفخيماً لشأنه عليه السلام ثم فسر ليكون أقر عند النفس.

﴿أن اقذفيه في التابوت﴾ أن مفسرة بمعنى أي: لأن الوحي من باب القول أي: قلنا لها اقذفيه ومعنى القذف هٰهنا الوضع وفي قوله: ﴿فاقذفيه في اليم﴾ الإلقاء وليس المراد القذف بلا تابوت واليم نيل مصر في قول جميع المفسرين فإن اليم يقع على البحر والنهر العظيم. فإن قيل ما الحكمة بإلقاء موسى في اليم دون غيره فيه؟ قلنا: له جوابان بلسان الحكمة والمعرفة قيل: بلسان الحكمة إن المنجمين إذا ألقى شيء في الماء يخفى عليهم أمره فأراد الله أن يخفي حال موسى على النجمين حتى لا يخبروا به فرعون وقيل بلسان الحال ألقيه في التلف لأنجيه بالتلف من التلف قيل لها بلسان الحال سلميه إليّ صبياً أسلمه إليك نبياً وقيل أنجاه من البحر في الابتداء كذلك أنجاه من البحر في الانتهاء بإغراق فرعون بالماء. وقال بعض أرباب المعارف: التابوت إشارة إلى ناسوت موسى عليه السلام أي: صورته الإنسانية واليم إشارة إلى ما حصل له من العلم بواسطة هذا الجسم العنصري فلما حصلت النفس في هذا الجسم وأمرت بالتصرف فيه وتدبيره جعل الله لها هذا القوى آلات يتوصل بها إلى ما أراده الله منها في تدبير هذا التابوت فرمى في اليم ليحصل له بهذا القوى من فنون العلم تكميل استعداده بذلك الأمر من النفس الكلية التي هي أمه المعنوية وأبوه الروح الكلي فكل ولد منها يأخذ استعداده بحسب القابلية فكمل لموسى الاستعداد الأصلي بذلك الإلقاء من توجه النفس الكلية له، وقال المولى الجامي قدس سره:

ديدم رخت آفتاب عالم اينست در طور وجود نور اعظم اينست
افتاد دلم اسير تابوت بدن دربحر غمت القى في اليم اينست

﴿فليلقه اليم بالساحل﴾ لما كان إلقاء البحر إياه بالساحل أمراً واجب الوقوع لتعلق الإرادة الربانية به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع أمر بذلك وأخرج الجواب مخرج الأمر فصورته أمر ومعناه خبر والضمائر كلها لموسى والمقذوف في البحر والملقى بالساحل وإن كان التابوت أصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعاً له في ذلك. والساحل فاعل بمعنى مفعول من السحل لأنه يسحل الماء أي: يقشره ويسلخه وينزع عنه ما هو بمنزلة القشر على ظاهره يقال قشرت العود نزعت عنه قشره ﴿يأخذه عدو لي وعدو له﴾ الجزم جواب للأمر بالالقاء وتكرير عدو للمبالغة أي: دعيه حتى يأخذه العدو فإني قادر على تربية الولي في حجر العدو ووقايته من شره بإلقاء محبة منه عليه. فإن قيل كيف يجوز أن يكون مثل فرعون له رتبة معاداته تعالى حتى سمي عدو الله؟ قلنا معناه يأخذه مخالف لأمري كالعدو كذا في «الأسئلة المقحمة». قالوا: ليس المراد بالساحل نفس الشاطىء بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر بحيث يجري ماؤه إلى نهر فرعون لما روي أنها جعلت في التابوت قطناً ووضعته فيه ثم أحكمته بالقير وهو الزفت لئلا يدخل فيه الماء وألقته في اليم وكان يدخل منه إلى بستان فرعون نهر فدفعه الماء إليه فأتى به إلى بركة في البستان وكان فرعون جالساً ثمة مع آسية بنت مزاحم فأمر به فأخرج ففتح فإذا هو صبي أصبح الناس وجهاً ولما وجده في اليم عنده الشجر سماه موسى و«مو» هو الماء بالقبطية و«سا» هو الشجر وأحبه حباً شديداً لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى: ﴿وألقيت عليك محبة﴾ عظيمة كائنة ﴿مني﴾ قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذا أحبك عدو الله وآله.

ـ روي ـ أنه كان على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه.

ماه زيباست ولى روى تو زيباتر ازوست

چشم نركس چه كنم چشم تور عناتر ازوست

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وألقيت عليك محبة﴾ من محبتي ليحبك بمحبتي من أحبني بالتحقيق ويحبك عدوي وعدوك بالتقليد كما أن آسية أحبته بحب الله على التحقيق وفرعون أحبه لما ألقى الله عليه محبته بالتقليد ولما كانت محبة فرعون بالتقليد فسدت وبطلت بأدنى حركة رآها من موسى ولما كانت محبة آسية بالتحقيق ثبتت عليها ولم تتغير وهكذا يكون إرادة أهل التقليد تفسد بأدنى حركة لا تكون على وفق طبع المريد المقلد ولا تفسد إرادة المريد المحقق بأكبر حركة تخالف طبعه وهواه وهو مستسلم في جميع الأحوال:

نشان اهل خدا عاشقى وتسليمست كه درمريد شهر اين نشان نمى بينم

﴿ولتصنع على عيني﴾ عطف على علة مضمرة لألقيت أي: ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة ويحسن إليك وأنا راقبك ومراعيك وحافظك كما يراعي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به من قولهم صنع إليه معروفاً إذا أحسن إليه. وعيني حال من الضمير المستتر في لتصنع لا صلة له جعل العين مجازاً عن الرعاية والحراسة بطريق إطلاق اسم السبب على المسبب فإن الناظر إلى الشيء يحرسه مما لا يريد في حقه ويراعيه حسبما يريد فيه.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من أدركته العناية الأزلية يكون في جميع حالاته منظور نظر العناية لا يجري عليه أمر من أمور الدنيا والآخرة إلا وقد يكون له فيه صلاح وتربية إلى أن يبلغه درجة ومقاماً قد قدر له.

﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إذ تمشي أختك﴾ مريم ظرف لتصنع على أن المراد به وقت وقع فيه مشيها إلى بيت فرعون وما ترتب عليه من القول والرجع إلى أمها وتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق لقوله ﴿ولتصنع على عيني﴾ إذ لا شفقة أعظم من شفقة الام. قال ابن الشيخ تقييد التربية بزمان مشي أخته صحيح لأن التربية إنما وقعت زمان المشي ورده إلى أمه ﴿فتقول﴾ أي: لفرعون وآسية حين رأتهما يطلبان له مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدياً وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية أي: قالت: ﴿هل أدلكم﴾ [آيا دلالت كنم شمارا] أي: حاضران ﴿على من يكفله﴾ [بركسي كمه له تكفل أين طفل كند واوراشير دهد] أي يضمه إلى نفسه ويربيه وذلك إنما يكون بقبول ثديها.

ـ يروى ـ أنه فشا الخبر بمصر أن آل فرعون أخذوا غلاماً من النيل لا يرضع ثدي امرأة واضطروا إلى تتبع النساء فخرجت مريم لتعرف خبره فجاءتهم منكرة فقالت ما قالت وقالوا من هي: قالت: أمي قالوا: ألها لبن؟ قالت: نعم لبن أخي هارون فجاءت بها فقبل ثديها ﴿فرجعناك إلى أمك﴾ الفاء فصيحة معربة عن محذوف قبلها يعطف عليه ما بعدها أي: فقالوا: دلينا عليها فجاءت بأمك فرجعناك إليها أي: رددناك، وبالفارسية: [پس بازكر دانيديم ترابسوى ما درتو وبوعده وفا كرديم] وهو قوله: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص:

٧] وذلك لأن إلهامها كان من إلهام الخواص الذي بمنزلة الوحي فلا تستبعد عليها هذه المكالمة المعنوية ويجوز أن يكون ذلك من قبيل الإعلام بالمبشرة ﴿**كي تقر عينها**﴾ [تاشايدكه روشن شود چشم مادر بلقاء تو]. وقال بعضهم: تطيب نفسها بلقائك يقال قرت عينه إذا بردت نقيض سخنت هذا أصله ثم استعير للسرور وهو المراد هٰهنا كما في «بحر العلوم» ﴿**ولا تحزن**﴾ على فقدك، وبالفارسية: [واندو هناك نكردد بفراق تو]. قال في «الكبير» فإن قيل: ﴿**ولا تحزن**﴾ فضل لأن السرور يزيل الغم لا محالة قلنا تقر عينها بوصولك إليها ولا تحزن بوصول لبن غيرها إلى باطنك انتهى. وفي «الإرشاد» أي: لا يطرأ عليها الحزن بفراقك بعد ذلك وإلا فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فإن التخلية متقدمة على التحلية انتهى. يقول الفقير: الواو لمطلق الجمع وأيضاً أن الثاني لتأكيد الأول فلا يرد ما قالوا ﴿**وقتلت نفساً**﴾ هي نفس القبطي الذي استغاثه الإسرائيلي عليه كما يأتي في سورة القصص ﴿**فنجيناك من الغم**﴾ أي: غم قتله خوفاً من عقاب الله بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالإنجاء منه بالمهاجرة إلى مدين ﴿**وفتناك فتوناً**﴾ الفتنة والفتون المحنة وكل ما شق على الإنسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة ولا يطلق الفتان على الله لأنه صفة ذم عرفاً وأسماء الله توقيفية. فإن قيل: كيف يجوز ذكر الفتن عند ذكر النعم؟ قلنا: الفتنة تشديد المحنة ولما أوجب تشديد المحنة كثرة الثواب عده الله في النعم ألا ترى إلى قوله عليه السلام: «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت» وقد فسره البعض بقوله ما صفى نبي مثل ما صفيت والمعنى ابتليناك ابتلاء. وقال بعضهم: طحناك بالبلاء طحناً، وبالفارسية: [وبياز موديم ترا آزمودنى يعني ترادر بوته بلاها افكنديم وخالص بيرون آمدى] ومن ابتلائه قتله القبطيّ ومهاجرته من الوطن ومفارقة الأحباب والمشي راجلاً وفقد الزاد ونحو ذلك مما وقع قبل وصوله إلى مدين بقضية الفاء الآتية.

وفي «التأويلات النجمية»: منها فتنة صحبتك مع فرعون وتربيتك مع قومه فحفظناك من التدين بدينهم.

ومنها: فتنة قتل نفس بغير الحق وفرارك من فرعون بسبب قتل القبطي فنجوت منها.

ومنها: ابتليناك بابنتي شعيب واحتياجهما إليك في سقي غنمهما فلولا حفظناك لملت إليهما ميل البشر للنساء.

ومنها: ابتليناك بخدمة شعيب وصحبته واستئجاره فوفقناك للخروج من عهدة حقوقه وعهوده.

قال بعض الكبار: اختبره في مواطن كثيرة ليتحقق في نفسه صبره على ما ابتلاه به فأول ما ابتلاه الله به قتل القبطي بما ألهمه الله في سره وأن يعلم بذلك الإلهام ولكن كان فيه علامة ذلك وهو إن لم يجد في نفسه مبالاة بقتله فعدم مبالاته بقتله مع عدم انتظاره الوحي علامة كونه ملهماً به في السر وألا ينبغي أن يعتريه وحشة عظيمة من ذلك الفعل. وإنما قلنا إنه عليه السلام كان ملهماً في قتل القبطي لأن باطن النبي معصوم من أن يميل إلى أمر ولم يكن مأموراً به من عند ربه وإن كان في السر ولكون النبي معصوم الباطن من حيث لا يشعر حتى يخبر بأن ذلك الأمر مأمور به في السر أراه الخضر حين قصد تنبيهه على ما ذهل عنه من كونه ملهماً بقتل القبطي قتل الغلام فأنكر عليه قتله ولم يتذكر قتله القبطي فقال له الخضر: ما فعلته عن أمري ينبهه على مرتبته قبل أن ينبأ أنه كان معصوم الحركة في قتله في نفس الأمر وإن لم يشعر بذلك

وأراه أيضاً خرق السفينة الذي ظاهره هلاك وباطنه نجاة من يد الغاصب جعل له ذلك في مقابلة التابوت الذي كان في اليم مطبقاً عليه فإن ظاهره هلاك وباطنه نجاة وإنما فعلت به أمه ذلك خوفاً من يد الغاصب فرعون أن يذبحه مع الوحي الذي ألهمها الله من حيث لا تشعر فوجدت في نفسها أنها ترضعه فإذا خافت عليه ألقته في اليم وغلب على ظنها أن الله ربما رده إليها لحسن ظنها به وقالت حين ألهمت ذلك لعل هذا هو الرسول الذي يهلك فرعون والقبط على يده فعاشت وسرت بهذا التوهم والظن بالنظر إليها إذ لم يكن عندها دليل يفيد العلم بذلك وهذا التوهم والظن علم باعتبار أن متعلقه حق مطابق للواقع متحقق في نفس الأمر **﴿فلبثت سنين﴾** عشر سنين **﴿في أهل مدين﴾** أي: عند شعيب لرعي الأغنام لأن شعيباً أنكحه بنته صفوراء على أن يخدمه ثماني سنين فخدمه عشراً قضاء لأكثر الأجلين كما يأتي في سورة القصص ومدين على ثماني مراحل من مصر وذكر اللبث دون الوصول إليهم إشارة إلى مقاساة شدائد أخرى في تلك السنين كإيجار نفسه ونحوه مما كان من قبيل الفتون.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿فلبثت سنين في أهل مدين﴾** لتستحق بتربية شعيب وملازمته النبوة والرسالة، قال الحافظ:

شبان وادى ايمن كهى رسد بمراد   كه چند سال بجان خدمت شعيب كند

يقول الفقير: انظر كيف أن الله تعالى جعل في الأمر المكروه أمراً محبوباً فإن قتل القبطي ساق موسى إلى خدمته شعيباً إلى أن استعد للنبوة وقس على هذا ما عداه وإذا كانت النبوة مما يقدم لها الخدمة مع كونها اختصاصاً إلهياً فما ظنك بالولاية **﴿ثم جئت﴾** أي: الوادي المقدس بعد ضلال الطريق وتفرق الغنم في الليلة المظلمة ونحوها **﴿على قدر﴾** تقدير قدرته لأن أكلمك وأستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر أو على مقدار من السن يوحى فيه إلى الأنبياء وهو رأس أربعين سنة وفي الحديث: «ما بعث الله نبياً إلا على رأس أربعين سنة» كما في «بحر العلوم» وأورده البعض في الموضوعات لأن عيسى عليه السلام نبيء ورفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين ونبىء يوسف عليه السلام في البئر وهو ابن ثماني عشرة وكذا يحيى عليه السلام أوتي الحكم وهو صبي فاشتراط الأربعين في حق الأنبياء ليس بشيء كما في «المقاصد الحسنة» **﴿يا موسى﴾** كرره تشريفاً له عليه السلام وتنبيهاً على انتهاء الحكاية التي هي تفصيل المرة الأخرى التي وقعت قبل المرة المحكية.

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾﴾

﴿واصطنعتك لنفسي﴾ تذكير لقوله **﴿وأنا اخترتك﴾** أي: اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فهو تمثيل لما أعطاه تعالى من الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه لنفسه وترشيحه لبعض أموره الجليلة. وقال الكاشفي: [وترا بر كزيديم وخالص ساختيم براى محبت خود يعنى ترا دوست كرفتيم]. وفي «حواشي» ابن شيخ أي: اخترتك لتحبني وتتصرف على إرادتي ومحبتي وتشتغل بما أمرتك من إقامة حجتي وتبليغ رسالتي وأن تكون في حركاتك وسكناتك لوجهي لا لنفسك ولا لغيرك. والاصطناع افتعال من الصنع بالضم وهو مصدر قولك صنع إليه معروفاً واصطناع فلان اتخاذه صنيعاً محسناً إليه بتقريبه وتخصيصه بالتكريم والإجلال. عن القفال قال: اصطنعتك أصله من قولهم اصطنع فلان فلاناً

إذا أحسن إليه حتى يضاف إليه فيقال هذا صنيع فلان كما يقال هذا جريح فلان. وفي «القاموس» واصطنعتك لنفسي اخترتك لخاصة أمر استكفيكه انتهى وحقيقته جعله عليه السلام مرآة قابلة لأنوار صفات الجمال والجلال. وفيه إشارة إلى أن الخواص إنما خلقوا لأجل هذا المعنى الخاص وأما غيرهم فبعضهم للدنيا وبعضهم للآخرة فالخواص هم عباد الله حقاً وقد تخلصوا من شوب الميل إلى الباطل وهو ما سوى الله تعالى، قال لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وفي الحديث «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه وإن رضي اصطفاه» فالصبر تجرع المرارات عند نزول المصيبات والرضى سرور القلب بمر القضايا فالعبد الذي أراد الله اصطفاءه يجعله في بوتقة البلاء أولاً فيخلص جوهره مما سواه فطريق هذا المنزل صعب جداً، قال المولى الجامي:

مكوكه قطع بيابان عشق آسانست كه كوهها بلا ريك آن بيابانست

اللهم اجعلنا من الصابرين الشاكرين الراضين الواصلين.

﴿**اذهب أنت**﴾ يا موسى والذهاب المضي يقال ذهب بالشيء وأذهبه ويستعمل ذلك في الأعيان والمعاني قال تعالى: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩] وقال: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ [هود: ٧٤] ﴿**وأخوك**﴾ أي: وليذهب أخوك هارون حسبما استدعيت عطف عليه لأنه كان غائباً عن موسى وقتئذٍ. والأخوة المشاركة في الولادة من الطرفين أو من أحدهما أو من الرضاع ويستعار الأخ لكل مشارك لغيره في القبلة أو في الدين أو في صنعة أو في معاملة أو في مودة أو في غير ذلك من المناسبات ﴿**بآياتي**﴾ بمعجزاتي والباء للمصاحبة لا للتعدية إذ المراد ذهابهما إلى فرعون ملتبسين بالآيات متمسكين بها في إجراء أحكام الرسالة وإكمال أمر الدعوة لا مجرد إذهابهما وإيصالهما إليه. قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الآيات التسع التي أنزلت عليه وإن كان وقوع بعضها بالفعل مترقباً بعد. ويحتمل أن يكون الجمع للتعظيم والمراد العصا واليد. أو لما أن أقل الجمع عند الخليل اثنان يعني إن إطلاق الآيات على الآيتين وارد على الأدنى ﴿**ولا تنيا**﴾ لا تفترا، وبالفارسية: [وسستى ميكنيد] من ونى يني ونيا فهو وانٍ مثل وعد يعد وعداً فهو وأعد بمعنى فتر يفتر فتوراً ﴿**في ذكري**﴾ أي: في مداومته على كل حال لساناً وجناناً فإنه آلة لتحصيل كل المقاصد فإن أمراً من الأمور لا يتمشى لأحد إلا بذكري فالفتور في الأمور بسبب الفتور في ذكر الله وهو تذكير لقوله: ﴿**كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً**﴾. قال بعضهم: الحكمة في هذا التكليف أن من ذكر جلال الله تعالى وعظمته استخف غيره فلا يخاف أحداً غيره فيتقوى روحه بذلك الذكر فلا يضعف في مقصود. قال مرجع طريقتنا الجلوتية بالجيم حضرة الهدايي قدس سره التوحيد قبل الوعظ باعث لإصغاء السامعين وموجب للتأثير بعون الله الملك القدير. وفي «العرائس»: لا تغيبا عن مشاهدتي باشتغالكما بأمري حتى تكونا فاترين بي عني. وفي «الإرشاد»: في ذكري أي: بما يليق بي من الصفات الجليلة والأفعال الجميلة عند تبليغ رسالتي والدعاء إليّ انتهى. يقول الفقير: أهل الشهود ليسوا بغائبين عن المشهود. ففي الآية إشارة إلى إدامة الأوراد وتنبيه للطالبين في الجد والاجتهاد ونعم ما قيل:

يا خاطب الحوراء في حسنها شمر فتقوى الله في مهرها

وكـن مـجـداً لا تـكـن وانـيـا وجـاهـد الـنـفـس عـلـى صـبـرهـا

قال الخجندي:

بكوش تا بكف آرى كليد كنج وجود كه بى طلب نتوان يافت كوهر مقصود

وقال المولى الجامي:

بي طلب نتوان وصالت يافت آرى كى دهد دولت حج دست جز راه بيابان برده را

وقال الحافظ:

مقام عيش ميسر نميشود بى رنج بلى بحكم بلا بسته اند حكم ألست

ـ روي ـ أنه تعالى لما نادى موسى بالواد المقدس وأرسله إلى فرعون وأعطاه سؤله انطلق من ذلك الموضع إلى فرعون وشيعته الملائكة يصافحون وخلف أهله في الموضع الذي تركهم فيه [درتيسير آورده كه كسان موسى شب انتظار بردند ونيامد وروز نيز ازوى خبرى نيافتند دران صحرا متحير بماندند] فلم يزالوا مقيمين فيه حتى مر بهم راع من أهل مدين فعرفهم فحملهم إلى شعيب فمكثوا عنده حتى بلغهم خبر موسى بعدما جاوز ببني إسرائيل البحر وغرق فرعون قومه وبعث بهم شعيب إلى موسى بمصر. ففيه إشارة إلى أن المؤمن إذا عرض له الأمران أمر الدنيا وأمر الآخرة يختار أمر الآخرة فإنه أمر الله تعالى ألا ترى أن موسى عليه السلام لم ينظر وراءه حين أمر بالذهاب إلى فرعون ولم يلتفت إلى الأهل والعيال بل ولم يخطر بباله سوى الحكيم الفعال إذ يكفيه أن الله خليفته في كل أمر من أموره وقت غيبته وحضوره ومثله إبراهيم عليه السلام حين ترك إسماعيل وأمه هاجر بأرض مكة وهي يومئذٍ أرض قفر ولا ماء بها ولا نبات امتثالاً لأمر الله تعالى من غير اعتراض وانقباض وهكذا تكون المسارعة في هذا الباب. وسمعت من شيخي وسندي قدس سره أنه نام نومة الضحى يوماً في مدينة فلبه من البلاد الرومية فأمر بالهجرة إلى مدينة قسطنطينية فلما استيقظ توضأ وصلى فلم يلبث لحظة حتى خرج راجلاً وترك الأهل والعيال في تلك المدينة حتى كان ما كان على ما استوفيناه في كتابنا الموسوم «بتمام الفيض»، قال الحافظ:

خرم آن روزكه زين مرحله بربندم رخت وزسر كوى توپرسند رفيقان خبرم

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾

﴿اذهبا إلى فرعون﴾ هذا الخطاب إما بطريق التغليب أو بعد ملاقاة أحدهما الآخر وتكرير الأمر بالذهاب لترتيب ما بعده عليه. وفرعون اسم أعجمي لقب الوليد بن مصعب صاحب موسى وقد اعتبر غوايته فقيل تفرعن فلان إذا تعاطى فعل فرعون وتخلق بخلقه كما يقال أبلس وتبلس ومنه قيل للطغاة الفراعنة والأبالسة **﴿إنه طغى﴾** الطغيان مجاوزة الحد في العصيان أي: تجاوز حد العبودية بدعوى الربوبية. قال في «العرائس»: أمر الله موسى وهارون عليهما السلام بالذهاب إلى فرعون لقطع حجته وإظهار كذبه في دعواه وهذا تهديد لكل مدع لا يكون معه بينة من الله في دعواه والحكمة في إرسال الأنبياء إلى الأعداء ليعرفوا عجزهم عن هداية الخلق إلى الله ومن يعجز عن هداية غيره فأيضاً يعجز عن هداية نفسه كالطبيب العاجز عن معالجة الغير فإنه عاجز عن معالجة نفسه أيضاً وليعلموا أن الاختصاص لا يكون بالأسباب ويشكروا الله بما أنعم عليهم بلطفه وربما يصطادون من بين الكفرة من يكون له استعداد بنظر الغيب مثل حبيب

النجار والرجل من آل فرعون وامرأة فرعون والسحرة. قال ابن عطاء: الإشارة إلى فرعون وهو المبعوث بالحقيقة إلى السحرة فإن الله يرسل أنبياءه إلى أعدائه ولم يكن لأعدائه عنده من الخطر ما يرسل إليهم أنبياءه بسببه ولكن يبعث الأنبياء إليهم ليخرج أولياءه المؤمنين من أعدائه الكفرة:

حافظ ازبهر تو آمد سوى اقليم وجود قدمى نه بوداعش كه روان خواهد شد

وفي «التأويلات النجمية» اعلم أن فائدة إتيانهما ورسالتهما إلى فرعون وتبليغ الرسالة كانت عائدة إلى موسى وهارون لنفسهما لا إلى فرعون في علم الله تعالى فالحكمة في إرسالهما أن يكونا رسولين من ربهما مبلغين منذرين لتحقق رسالتهما وينكرها فرعون ويكفر بهما ليتحقق كفره كما قال ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ أي: كلماه باللين والرفق من غير خشونة ولا تعنيف ويسرا ولا تعسرا فإنه ما دخل الرفق في شيء إلا وقد زانه وما دخل الخرق في شيء إلا وقد شانه وكان في موسى حدة وصلابة وخشونة بحيث إذا غضب اشتعلت قلنسوته ناراً فعالج حدته وخشونته باللين ليكون حليماً وهو معنى قول من قال طبع الحبيب كان على اللين والرحمة فلذا أمر بالغلظة كما قال تعالى: ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] تحققاً بكمال الجلال وطبع الكليم على الشدة والحدة والصلابة فلذا أمر بالقول اللين تحققاً بكمال الجمال وقد قال عليه السلام: «تخلقوا بأخلاق الله» فالخطاب خطاب الأمر بالتخلق جمالاً وجلالاً فكل واحد منهما أوفق بمقامه وأيضاً إن فرعون كان من الملوك الجبابرة ومن عادتهم أن يزدادوا عتواً إذا خوشنوا في الوعظ فاللين عندهم أنفع وأسلم كما أن الغلظة على العامة أوفق حكمة وأشد دعوة فلو كان في قول موسى خشونة لم يحتمل طبع فرعون بل هاج غضبه فلعله يقصد موسى بضرب أو قتل ففائدة اللين عائدة إلى موسى. وفي «الأسئلة المقحمة» إنما أمرهما بذلك لأنه كان ابتداء حال الدعوة وفي ابتداء الحال يجب التمكين والإمهال لينظر المدعو فيما يدعى إليه كما قال لنبينا عليه السلام: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] قيل أمهلهم لينظروا ويستدلوا فبعد أن ظهر منهم التمرد والعناد فحينئذٍ يتوجه العنف والتشديد ويختلف ذلك باختلاف الأحوال انتهى فكل من اللين والخشونة يمدح به طوراً ويذم به طوراً بحسب اختلاف الواقع وعليه يحمل نحو قوله عليه السلام: «لا تكن مراً فتعقي ولا حلواً فتسترط» يقال أعقيت الشيء إذا أزلته من فيك لمرارته واستراطه ابتلاعه ومن أمثال العرب لا تكن رطباً فتعصر ولا يابساً فتكسر وذلك لأن خير الأمور أوسطها ورعاية مقتضى الحال قاعدة الحكيم، قال الشيخ سعدي قدس سره:

چو نرمى كنى خصم كردد دلير وكر خشم كيرى شوند ازتو سير

درشتى ونرمى بهم در بهست چورك زن كه جراح ومرهم نهست

وقيل: أمر الله موسى باللين مع الكافر مراعاة لحق التربية لأنه كان رباه فنبه به على نهاية تعظيم حق الأبوين. وفي الإحياء سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده فقال: يعظه ما لم يغضب فإذا غضب سكت فعلم منه أنه ليس للولد الحسبة على الوالد بالتعنيف والضرب وليس كذلك التلميذ مع الأستاذ إذ لا حرمة لعالم غير عامل. وقيل أمر موسى باللين ليكون حجة على فرعون لئلا يقول أغلظ علي القول في دعوته. وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ رحمه الله هذه الآية فبكى وقال إلٰهي هذا رفقك بمن يقول أنا الاله فكيف بمن يقول أنت الإله **﴿لعله يتذكر﴾** [شايد او پندكيرد] **﴿أو يخشى﴾** [يا بترسد از عذاب خداى] كما قال في «الإرشاد»

لعله يتذكر بما بلغتماه من ذكري ويرغب فيما رغبتماه فيه أو يخشى عقابي وكلمة أو لمنع الخلو انتهى. وقال بعضهم: الرجاء والطمع راجعان إلى مال موسى وهارون والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ولذلك خص العلماء بها في قوله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] أي: قولا له ذلك راجيين أن يترك الإصرار على إنكار الحق وتكذيبه إما بأن يتذكر ويتعظ ويقبل الحق قلباً وقالباً أو بأن يتوهم أنه حق فيخشى بذلك من أن يصر على الإنكار ويبقى متردداً ومتوقفاً بين الأمرين وذلك خير بالنسبة إلى الإنكار والإصرار عليه لأنه من أسباب القول ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم ينفعاه وذلك حين ألجمه الغرق ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

ـ روي ـ أن موسى وعده على قبول الإيمان شباباً لا يهرم وملكاً لا ينزع منه إلا بالموت ويبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته فإذا مات دخل الجنة فأعجبه ذلك وكان هامان غائباً وهو لا يقطع أمراً بدونه فلما قدم أخبره بما قال له موسى وقال: أردت أن أقبل منه يا هامان فقال له هامان: كنت أرى أن لك عقلاً ورأياً أنت الآن رب تريد أن تكون مربوباً فأبى عن الإيمان. وفائدة إرسالهما إليه مع علمه تعالى بأنه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة لأن عادة الله التبليغ ثم التعذيب. قال بعض أرباب الحقيقة: الأمر تكليفي وإرادي والإرادة كثيراً ما تكون مخالفة للأمر التكليفي فالرسل والورثة في خدمة الحق من حيث أمره التكليفي وليسوا في خدمته من حيث الأمر الإرادي ولو كانوا خادمين للإرادة مطلقاً لما ردوا على أحد في فعله القبيح بل يتركونه على ما هو عليه لأنه هو المراد ولما كان لعين العاصي الثابتة في الحضرة العلمية استعداد التكليف توجه إليه الأمر التكليفي وليس لتلك العين استعداد الإتيان بالمأمور به فلا يتحقق منه المأمور به ولهذا تقع المخالفة والمعصية. فإن قلت ما فائدة التكليف والأمر بما يعلم عدم وقوعه. قلت: فائدته تمييز من له استعداد القبول ممن ليس له استعداد ذلك لتظهر السعادة والشقاوة وأهلهما انتهى، قال الحافظ:

درين چمن مكنم سرزنش بخود رويى چنانكه پرورشم ميدهند مى رويم

قال في «بحر العلوم»: إن الله قد علم كل شيء على ما هو عليه والعلم تبع للمعلوم وعلمه بأن فرعون لا يؤمن باختياره لا يخرجه عن حيز الإمكان ولذلك أمرهما بدعوته والرفق فيها وفي قوله: **﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾** دلالة ظاهرة على أن لقدرة العبد تأثيراً على أفعاله وفي أفعال غيره وأنه ليس بمجبور فيها كما زعم الأشعري حيث قال لا تأثير لقدرة العبد في أفعاله بل هو مجبور وإلا لم يثبت له التذكر والخشية بقول موسى:

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾

﴿قالا ربنا﴾. قال في «الإرشاد» أسند القول إليهما مع أن القائل حقيقة هو موسى بطريق التغليب إيذاناً بأصالته في كل قول وفعل وتبعية هارون له في كل ما يأتي وما يذر.

ـ وروي ـ أن موسى انطلق من الطور إلى جانب مصر لا علم له بالطريق وليس له زاد ولا حمولة ولا صحبة ولا شيء إلا العصا يظل صادياً ويبيت طاوياً يصيب من ثمار الأرض ومن

الصيد شيئاً قليلاً حتى ورد أرض مصر. قال الكاشفي: [چون بمصر توجه فرمود وحى آمد بهارون كه باستقبال برادر براه مدين دوان شود پس در اثناى طريق ملاقات فرمودند وموسى شرح احوال بتمامى باز كفت هارون كفت اى برادر شوكت وعظمت ازانچه ديده زياده شد وبأدنى سببى حكم بقطع وقتل وصلب ميكند موسى انديشناك شد وهردو برادر باتفاق كفتند اى پروردكار ما] ﴿**إننا نخاف**﴾ الخوف توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة ويضاد الخوف الأمن ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧] والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد بل إنما يراد به الكف عن المعاصي واختيار الطاعات ﴿**أن يفرط علينا**﴾ من فرط إذا تقدم تقدماً بالقصد ومنه الفارط إلى الماء أي: المتقدم لإصلاح الدلو أي: يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر إلى إتمام الدعوة وإظهار المعجزة فيتعطل المطلوب من الإرسال إليه. وقرىء يفرط من الإفراط في الأذية. فإن قلت: كيف هذا الخوف وقد علما أنهما رسولا رب العزة إليه؟ قلت: جرياً على الخوف الذي هو مجبول في طينة بني آدم كما في «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الخوف مركوز في جبلة الإنسان حتى أنه لو بلغ مرتبة النبوة والرسالة فإنه لا يخرج الخوف من جبلته كما قالا: ﴿**ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا**﴾ يعني أن يقتلنا ولكن الخوف ليس بجهة القتل وإنما نخاف فوات عبوديتك بالقيام لأداء الرسالة والتبليغ كما أمرتنا أو يتمرد بجهله ولا ينقاد لأوامرك ويسبك انتهى ﴿**أو أن يطغى**﴾ أي: يزداد طغياناً إلى أن يقول في شأنك ما لا ينبغي لكمال جراءته وقساوته وإطلاقه حيث لم يقل عليك من حسن الأدب ولما كان طغيانه في حق الله أعظم من إفراطه في حقهما ختم الكلام به فإن المتمسك بالأعذار يؤخر الأقوى ونحوه ختم الهدهد بقوله: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾ [النمل: ٢٤].

يقول الفقير: يجوز أن يكون المراد يطغى علينا أي: يجاوز الحد في الإساءة إلينا إلا أنه حذف الجار والمجرور رعاية للفواصل كما حذف المفعول لذلك في قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ٣] وإظهار أن مع سداد المعنى بدونه للإشعار بتحقق الخوف من كل منهما.

﴿**قال**﴾ استئناف بياني كأنه قيل فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما إليه فقيل قال: ﴿**لا تخافا**﴾ ما توهمتما من الأمرين يشير إلى أن الخوف إنما يزول عن جبلة الإنسان بأمر التكوين كما قال ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٩] فكانت بتكوين الله إياها برداً وسلاماً، وفي «المثنوي»:

لا تخافوا هست نزل خائفان ... هست درخور از براى خائفان
هركه ترسد مرورا ايمن كنند ... مردل ترسندرا ساكن كنند
آنكه خوفش نيست چون كوئى مترس ... درس چه دهى نيست او محتاج درس

قال ابن الشيخ في «حواشيه»: ليس المراد منه النهي عن الخوف لأنه من حيث كونه أمراً طبيعياً لا مدخل للاختيار فيه لا يدخل تحت التكليف ثبوتاً وانتفاء بل المراد به التسلي بوعد الحفظ والنصرة كما يدل عليه قوله: ﴿**إنني معكما**﴾ بكمال الحفظ والنصرة فإن الله تعالى منزه عن المعية المكانية ﴿**أسمع وأرى**﴾ أي: ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل في كل حال ما يليق بها من دفع ضرر وشر وجلب نفع وخير فمن كان الله معه يحفظه من كل جبار عنيد.

ـ روي ـ أن شاباً كان يأمر وينهى فحبسه الرشيد في بيت وسد المنافذ ليهلك فبعد أيام رؤي في بستان يتفرج فأحضره الرشيد وقال: من أخرجك؟ قال: الذي أدخلني البستان فقال: من أدخلك؟ قال: الذي أخرجني من البيت فتعجب الرشيد وبكى وأمر له بالإحسان وبأن يركب وينادي بين يديه هذا رجل أعزه الله وأراد الرشيد إهانته فلم يقدر الله إلا إكرامه واحترامه، قال الحافظ:

هزار دشمن اكر ميكنند قصد هلاك كرم تو دوستى از دشمنان ندارم باك

وقال الشيخ سعدي قدس سره:

محالست چون دوست دارد ترا كه دردست دشمن كذارد ترا

واعلم أن الله تعالى حاضر مع عباده الحضور اللائق بشأنه ولا يعرف ذلك إلا من اكتحلت عين بصيرته بنور الشهود ولكن شهود الوحدة الذاتية أتم وأعلى من شهود المعية ولذلك لا يرضى الكمل الوقوف في مرتبة المعية بل يطلبون أن يصلوا بالفناء التام إلى مقام الوحدة.

ثم اعلم أن موسى وهارون عليهما السلام التجئا إلى حضرة الربوبية بكمال العبودية فتداركهما الله بالحفظ والعون. قال الفقيه أبو الحسن: وقع القحط ببغداد فاجتمع الناس فرفعوا قصتهم إلى علي بن عيسى الوزير فقرأها وكتب على ظهرها: لست بسماء فأسقيكم ولا بأرض فأكفيكم ارجعوا إلى بارئكم. قال أبو المعين: سألت بعض النصارى عن أحسن آية في الإنجيل فقال: خمس كلمات: «سلني أجبك، واشكر لي أزدك، وأقبل عليّ أقبل عليك، واقرب مني أقرب منك، وأطعني في الدنيا أطعك في الدنيا والآخرة»، وفي «المثنوي»:

كفت حق كر فاسق واهل صنم چون مراخوانى اجابتها كنم

تودعارا سخت كيرو مى شخول عاقبت برهاندت ازدست غول

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾

﴿فأتياه﴾ أُمِرَا بإتيانه الذي هو عبارة عن الوصول إليه بعدما أمرا بالذهاب إليه فلا تكرار والإتيان مجيء بسهولة والمجيء أعم والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول والمجيء اعتباراً بالحصول **﴿فقولا﴾** من أول الأمر **﴿إنا رسولا ربك﴾** ليعرف الطاغي سؤالكما ويبني جوابه عليه ورسولا تثنية رسول وهو فعول مبالغة مفعل بضم الميم وفتح العين بمعنى ذي رسالة اسم من الإرسال وفعول هذا لم يأت إلا نادراً وعرفاً من بعث لتبليغ الأحكام ملكاً كان أو إنساناً بخلاف النبي فإنه مختص بالإنسان **﴿فأرسل معنا بني إسرائيل﴾** [پس فرست باما فرزندان يعقوبرا بارض مقدسه بازرويم كه مسكن آباء ما بوده] كما قال في «بحر العلوم» فأطلقهم وخلهم يذهبوا معنا إلى فلسطين وكانت مسكنهما وفلسطين بكسر الفاء وفتح اللام وسكون السين المهملة هي البلاد التي بين الشام وأرض مصر منها الرملة وغزة وعسقلان وغيرها. وقال في «الإرشاد» بالإرسال إطلاقهم من الأسر والقسر وإخراجهم من تحت يد العادية لا تكليفه أن يذهبوا معهما إلى الشام كما ينبىء عنه قوله تعالى: **﴿ولا تعذبهم﴾** أي: بإبقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فإنهم كانوا تحت مملكة القبط يستخدمونهم في الأعمال

الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الأحجار وغيرهما من الأمور الشاقة ويقتلون ذكور أولادهم عاماً دون عام ويستخدمون نساءهم. وتوسيط حكم الإرسال بين رسالتهما وبين ذكر المجيء بآية دالة على صحتها لإظهار الاعتناء به لأن تخليص المؤمنين من أيدي الكفرة أهم من دعوتهم إلى الإيمان كما قيل. والعذاب هو الإيجاء الشديد وقد عذبه تعذيباً أي: أكثر حبسه في العذاب وأصله من قولهم عذب الرجل إذا ترك المأكل والنوم فهو عاذب وعذوب فالتعذيب في الأصل هو حمل الإنسان على أن يعذب أي: يجوع ويسهر وقيل أصله من العذب فعذبته أزلت عذب حياته على بناء مرّضته وفديته وقيل أصل التعذيب إكثار الضرب بعذبة السوط أي: طرفه ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ [بدرستى كه آورده ايم نشانى يعنى معجزه ازيرورد كارتو] وتوحيد الآية مع تعددها لأن المراد إثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد الحجة فكأنه قال: قد جئناك ببرهان على ما ادعيناه من الرسالة ﴿والسلام﴾ اللام لتعريف الماهية والسلامة التعري من الآفات الظاهرة والباطنة والمراد هنا إما التحية فالمعنى والتحية المستتبعة بسلامة الدارين من الله والملائكة أي: خزنة الجنة وغيرهم من المسلمين ﴿على من اتبع الهدى﴾ بتصديق آيات الله الهادية إلى الحق فاللام على أصلها كما في سلام عليكم يقال تبعه واتبعه قفا أثره وذلك تارة بالجسم وتارة بالارتسام والامتثال وعلى ذلك قوله: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٣٨] وأما السلامة فعلى بمعنى اللام كعكسه في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ [غافر: ٥٢] أي: عليهم اللعنة.

قال في «التأويلات»: سلم من استسلم واتبع هدى الله تعالى وهو ما جاء به أنبياؤه عليهم السلام.

﴿إنا قد أوحي إلينا﴾ من جهة ربنا وأصل الوحي الإشارة السريعة وذلك قد يكون بالكلام الخفي على لسان جبريل وقد يكون بالإلهام وبالمنام والوحي إلى موسى بوساطة جبريل وإلى هارون بوساطته ووساطة موسى ﴿أن العذاب﴾ أي: كل العذاب لأنه في مقابله السلام أي: كل السلام وهو العذاب الدنيوي والأخروي الدائم لأن العذاب المتناهي كلا عذاب فلا يرد أنه يلزم قصر العذاب على المكذبين مع أن غيرهم قد يعذبون ﴿على من كذب﴾ بآياته تعالى وكفر بما جاء به الأنبياء عليهم السلام والكذب يقال في المقال وفي الفعال ﴿وتولى﴾ إذا عدي بعن لفظاً أو تقديراً اقتضى معنى الإعراض وترك الولي أي: القرب فالمعنى أعرض عن قبولها بمتابعة الهوى وفيه من التلطيف في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب به ما لا مزيد عليه. يقول الفقير: إن كلاً من تكذيب الرسوم والحقائق سبب العذاب والهوان مطلقاً فكفار الشريعة كفار الرسوم والحقائق جميعاً فلهم عذاب جسماني وروحاني وكفار الحقيقة كفار الآيات الحقيقية فلهم هوان معنوي فالنعيم والعزة في الإطاعة والاتباع والاستسلام كما أن الجحيم والذل في خلافها.

ـ حكي ـ أن بعض السادات لما رأى عبد الله بن المبارك في عزة ورفعة مع جماعة قال: انظروا إلى حال آل محمد وعزة ابن المبارك فقال ابن المبارك: إن سيدنا لما لم يراع سنة جده ذل وابن المبارك لما أطاع النبي عليه السلام وسار سيرته أعطاه الله عزاً وشرفاً.

واعلم أن عزة فرعون وشرفه انقلبا ذلاً وهواناً بسبب تكذيب موسى وإعراضه عن قبول دعوته وهامان وإن كان سبباً صورياً في امتناعه عن القبول ونكوله عن الانقياد لكن لم يكن له

في أصل جبلته استعداد لقبول الحق فلا يغرنكم عزة الدنيا مع عدم الإطاعة لأنه ينقلب يوماً ذلاً وخسراناً وكثيراً ما وقع في الدنيا ورأيناه فاقبل النصيحة مع مداومة مجلس العلم وإلا فعند ظهور الحق ووجود الاستعداد والقابلة لا يبقى غير الاستسلام وإن منعه العالم بأسره عن ذلك ألا ترى أن النجاشي ملك الحبشة لما علم علماً جازماً أن الرسول حق اتبعه من غير خوف من أحد من العالمين ومبالاة لكلام أحد في ذلك فنجا من العذاب نجاة أبدية ثم اعلم أنه كما أن للأنبياء معجزات فكذا للأولياء كرامات والعلمية منها هي التي حق اعتبارها فإن الكونية مما يشترك فيه الملتان فالكرامات العلمية آيات الأولياء جاؤوا بها من الله من طريق الكشف الصحيح فمن اتبع هداهم بقبول آياتهم الهادية إلى عالم الحقيقة فقد سلم من الإنكار مطلقاً صورياً أو معنوياً ونجا من العذاب قطعاً صورياً أو معنوياً وهو عذاب القطيعة والبعد ودخل المكذب في النار مع الداخلين والعجب أن الأنبياء والأولياء مع كونهم رحمة من الله على عباده إذ لا نعمة فوق «الإرشاد» وإيصال المريدين إلى المراد لم يدر جاههم أكثر الناس ولم يوفق لاتباعهم إلا أقل من القليل وبقي البقية كالنسناس ولذا لم يمض قرن من القرون إلا والعذاب بالعصاة مقرون فانظر من أنت وما بغيتك فإن كنت تطلب النجاة فلا تجدها إلا في الإطاعة وخصوصاً في هذا الزمان المشوب بالجور والعدوان والفسق والعصيان والغالب على أهاليه الابتلاء بأنواع البلايا الموبقة وعلى تقدير الإطاعة والاتباع يلزم للمريد أن يخرج من البين ويجعل جل همه أن يصل إلى عالم العين ولا يطمع في شيء سوى الرضى الوافي والولاء الكافي. قال حمدون القصار: القائمون بالأوامر على ثلاثة مقامات. واحد يقوم إليه على العادة وقيامه قيام كسل. وآخر يقوم إليه على طلب الثواب وقيامه قيام طمع. وآخر يقوم إليه على المشاهدة فهو القائم بالله لا بنفسه لفنائه عن نفسه وغيره وهذا القسم من القيام بالأمر هو المؤدي إلى محبة الله الموصلة إلى العزة الباقية وسعادة الدارين فلا بد للعاقل من الاجتهاد، وفي «المثنوي»:

جهد كن تا نورتو رخشان شود — تا سلوك وخدمتت آسان شود
كود كانرا مى برى مكتب بزور — زانكه هستند از فوائد چشم كور
چون شود واقف بمكتب مى رود — جانش از رفتن شكفته مى شود

والله المعين في كل حين.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠)﴾

﴿قال﴾ قال الكاشفي: [پس موسى وهارون بحكم حضرت الهي بدركاه فرعون آمدند وبعد ازمدتى كه ملاقات او ميسر شد كفتند مارسولان پرور دكاريم وترا بعبادت او ميخوانيم وآن كلمات كه حق تعالى تلقين كرده بود اداكردند فرعون كفت] **﴿فمن﴾** استفهامية: والمعنى بالفارسية [پس كيست] **﴿ربكما﴾** وقال غيره الفاء لترتيب السؤال على ما سبق من كونهما رسولي ربهما أي: إذا كنتما رسولي ربكما فأخبرا من ربكما الذي أرسلكما إليّ ولم يقل فمن ربي مع قولهما **﴿إنا رسولا ربك﴾** لغاية عتوه ونهاية طغيانه. قال الإمام أثبت نفسه رباً في قوله: ﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا﴾ [الشعراء: ١٨] فذكر ذلك على سبيل التعجب كأنه قال: أنا ربك فلم تدعو ربا آخر **﴿يا موسى﴾** خاطبهما ثم أفرد موسى إذ كان يعلم أن موسى هو الأصل في الباب وهارون وزيره وتابع له.

﴿**قال**﴾ موسى مجيباً له ﴿**ربنا**﴾ مبتدأ خبره قوله ﴿**الذي**﴾ من محض رحمته ﴿**أعطى كل شيء**﴾ من أنواع المخلوقات ﴿**خلقه**﴾ أي: صورته وشكله اللائق به مشتملاً على خواصه ومنافعه فالمراد بالخلق المخلوق ومنه يفهم أن ضمير الجمع في ربنا عام لموسى وهارون وفرعون وغيرهم ولم يقل ربنا الله بل وصفه بأفعاله ليستدل بالفعل على الفاعل ﴿**ثم هدى**﴾ وجه كل واحد منها إلى ما يصدر عنه وينبغي له طبعاً كما في الجمادات واختياراً كما في الحيوانات وهيأه لما خلق له ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الأجزاء وتسوية الأجسام متقدماً على الهداية التي هي عبارة عن إيداع القوى المحركة والمدركة في تلك الأجسام وسط بينهما كلمة التراخي. قال بعض الكبار: إن للمخلوقات كلها حياة وروحاً إما صورية كما في الإنس والجن والملك ومن يتبعهم وإما معنوية كما في الجمادات والنباتات ولذا قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] فما من مخلوق إلا وقد هدى إلى معرفته تعالى بقدر عقله وروحه وحياته.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**أعطى كل شيء خلقه**﴾ استعداداً لما خلق له ﴿**ثم هدى**﴾ أي: يسره لما خلق له والذي يدل عليه قوله عليه السلام: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» معناه أن الله تعالى خلق المؤمن مستعداً لقبول فيض الإيمان ثم هداه إلى قبول دعوة الأنبياء ومتابعتهم وخلق الكافر مستعداً لقبول فيض القهر والخذلان والتمرد على الأنبياء ومخالفتهم، قال المغربي قدس سره:

يكى را بهر طاعت خلق كردند يكى را بهر عصيان آفريدند
يكى از بهر مالك كشت موجود يكى را بهر رضوان آفريدند

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾

﴿**قال**﴾ فرعون ﴿**فما بال القرون الأولى**﴾ ما استفهام. والبال الحال التي يكترث بها ولذا يقال ما باليت بكذا أي: ما اكترثت به ويعبر به عن الحال الذي ينطوي عليه الإنسان فيقال: ما خطر ببالي كذا. والقرن القوم المقترنون في زمن واحد. والأولى تأنيث الأول وواحد الأول كالكبرى والأكبر والكبر. والمعنى فما بال القرون الماضية وما خبر الأمم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة. قال في «الأسئلة المقحمة» فإن قلت هذا لا يليق بما تقدم قلنا: إن موسى كان قد قال له إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب أن يلحقكم ما قد لحقهم إن لم تؤمنوا بي فلهذا سأله فرعون عن حالهم انتهى. يقول الفقير: هذا وإن كان مطابقاً لمقتضى الفاء إلا أن الجواب لا يساعده مع أن القائل بالخوف ليس هو موسى بل الذي آمن وبعيد أن يحمل الذي آمن على موسى لعدم مساعدة السباق والسياق فارجع إلى سورة المؤمن. وقال بعضهم لما سمع البرهان خاف أن يزيد في إيضاحه فيتبين لقومه صدقه فيؤمنوا به فأراد أن يصرفه عنه ويشغله بالحكاية فلم يلتفت موسى إليه ولذا.

﴿**قال**﴾ أي: موسى ﴿**علمها عند ربي**﴾ أي: إن علم أحوال تلك القرون من الغيوب التي لا يعلمها إلا الله ولا ملابسة للعلم بأحوالهم بمنصب الرسالة فلا أعلم منها إلا ما علمنيه من الأمور المتعلقة بما ارسلت ﴿**في كتاب**﴾ أي: مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيله ﴿**لا يضل ربي ولا ينسى**﴾ الضلال أن تخطىء الشيء في مكانه فلم تهتد إليه والنسيان: أن تغفل عنه

بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات. والمعنى لا يخطىء ابتداء بل يعلم كل المعلومات ولا يغفل عنه بقاء بل هو ثابت أبداً وهو لبيان أن إثباته في اللوح المحفوظ ليس لحاجته تعالى إليه في العلم به ابتداء وبقاء وإنما كتب أحكام الكائنات في كتاب ليظهرها للملائكة فيزيد استدلالهم بها على تنزه علمه تعالى عن السهو والغفلة.

برو علم يك ذره پوشيده نيست كه پيدا وپنهان بنزدش يكيست

فبعد الجواب القاطع رجع إلى بيان شؤونه تعالى وقال:

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾

﴿الذي﴾ أي: هو الذي ﴿جعل لكم الأرض مهداً﴾ قال الإمام الراغب: المهد ما يهيأ للصبي والمهد والمهاد المكان الممهد الموطأ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [طه: ٥٣] انتهى. قال الكاشفي: [خوش كسترانيدكه برآن مى نشينيد ومسكن ميسازيد] ﴿وسلك لكم فيها سبلاً﴾ السلوك النفاذ في الطريق [يعني اندرراه شدن ورفتن] وسلك لازم ومتعد يقال سلكت الشيء في الشيء أدخلته والسبل جمع سبيل وهو من الطرق ما هو معتاد السلوك. والمعنى جعل لكم أي: لأجلكم لا لغيركم طرقاً كثيرة ووسطها بين الجبال والأودية والبراري تسلكونها من قطر إلى قطر لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها ﴿وأنزل﴾ النزول هو الانحطاط من علو يقال نزل عن دابته ونزل في مكان كذا حط رحله فيه وأنزل غيره ﴿من السماء﴾ أي: من الفلك أو من السحاب فإن كل ما علا سحاب ﴿ماء﴾ هو جسم سيان قد أحاط حول الأرض والمراد هنا المطر وهو الأجزاء المائية إذا التأم بعضها مع بعض ونكره قصداً إلى معنى البعضية أي: أنزل من السماء بعض الماء ﴿فأخرجنا به﴾ يقال خرج خروجاً برز من مقره أو حاله وأكثر ما يقال الإخراج في الأعيان أي: أنبتنا بسببه ذكر الماء وعدل عن لفظ الغيبة إلى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تنبيهاً على زيادة اختصاص الفعل بذاته وإن ذلك منه ولا يقدر عليه غيره تعالى ﴿أزواجاً﴾ أصنافاً سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض لأنه يقال لكل ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مضاداً زوج ولكل قرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة زوج ولكل قرينين فيها وفي غيرها زوج كالخف والنعل ﴿من نبات﴾ هو كل جسم يغتذي وينمو كما قال الراغب النبت والنبات ما يخرج من الأرض من الناميات سواء كان له ساق كالشجر أو لم يكن له ساق كالنجم لكن اختص في التعارف بما لا ساق له بل قد اختص عند العامة بما تأكله الحيوانات ومتى اعتبرت الحقائق فإنه يستعمل في كل نام نباتاً كان أو حيواناً أو إنساناً انتهى ومن بيانية فيكون قوله: ﴿شتى﴾ صفة للنبات لما أنه في الأصل مصدر يستوي فيه الواحد والجمع. وشتى جمع شتيت بمعنى المتفرق أي: نباتات مختلفة الأنواع والطعوم والروائح والأشكال والمنافع بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم والأظهر أن من نبات وشتى صفتان لأزواجاً واخر شتى رعاية للفواصل.

﴿كلوا﴾ حال من ضمير فأخرجنا على إرادة القول أي: أخرجنا منها أصناف النباتات قائلين كلوا منها أي: من الثمار والحبوب ونحوهما ﴿وارعوا﴾ الرعي في الأصل حفظ الحيوان

إما بغذائه الحافظ لحياته أو بذب العدو عنه أي: أسيموا وأسرحوا فيها، وبالفارسية: [وبچرانيد] ﴿أنعامكم﴾ وهي الإبل والبقر والضأن والمعز أي اقصدوا بها الانتفاع بالذات وبالواسطة آذنين في الانتفاع بها مبيحين بأن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن السماء والماء والنبات والأنعام كلها مخلوقة لكم ولولا احتياجكم للتعيش بهذه الأشياء بل بجميع المخلوقات ما خلقتها، قال المغربي قدس سره:

غرض توبى ز وجود همه جهان ورنه لما تكوّن في الكون كائن لولاك

﴿إن في ذلك﴾ المذكور من الشؤون والأفعال الإلهية من جعل الأرض مهداً وسلك السبل فيها وإنزال الماء وإخراج أصناف النبات ﴿لآيات﴾ كثيرة جليلة واضحة الدلالة على الصانع ووحدته وعظيم قدرته وباهر حكمته ﴿لأولي النهى﴾ جمع نهية سمي بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبيح كما سمي بالعقل والحجر لعقله وحجره عن ذلك لذوي العقول الناهية عن الأباطيل التي من جملتها ما تدعيه الطاغية وتقبله منهم الفئة الباغية وتخصيص أولي النهى مع أنها آيات للعالمين باعتبار أنهم المنتفعون بها.

﴿منها﴾ أي: من الأرض.

وفي «التأويلات النجمية»: من قبضة التراب التي أمر الله تعالى عزرائيل أن يأخذها من جميع الأرض ﴿خلقناكم﴾ بوساطة أصلكم آدم والا فمن عدا آدم وحواء مخلوق من النطفة وأصل الخلق التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء قال تعالى: ﴿فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١] ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء كما في هذا المقام ﴿وفيها نعيدكم﴾ عند الموت بالدفن في الموضع الذي أخذ ترابكم منه وإيثار كلمة في للدلالة على الاستقرار والعود الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه إما انصراف بالذات أو بالقول والعزيمة وإعادة الشيء كالحديث وغيره تكريره ﴿ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ أي: عند البعث بتأليف الأجزاء وتسوية الأجساد ورد الأرواح للحساب والجزاء وكون هذا الإخراج تارة أخرى باعتبار أن خلقهم من الأرض إخراج لهم منها وإن لم يكن على نهج التارة الثانية. والتارة في الأصل اسم للتور الواحد وهو الجريان ثم أطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات المتجددة كما مر في المرة، قال الحكيم فردوسي:

بخاكت در آرد خداوند پاك دكرره برون آرد از زير خاك
بدان حال كايى بخاك اندرون بدان كونه از خاك آيى برون
اكر پاك درخاك كيرى مقام برآيى از وپاك وپاكيزه نام

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن جبريل جاء إلى النبي عليه السلام فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام وهو يقول ما لي أراك مغموماً حزيناً؟ قال عليه السلام: «يا جبريل طال تفكيري في أمر أمتي يوم القيامة» قال: أفي أمر أهل الكفر أم في أمر أهل الإسلام؟ فقال: «يا جبريل في أمر أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله» فأخذ بيده حتى أقامه إلى مقبرة بني سلمة ثم ضرب بجناحه الأيمن على قبر ميت فقال: قم بإذن الله فقام رجل مبيض الوجه وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال جبريل: عد إلى مكانك فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه الأيسر فقال: قم بإذن الله فخرج رجل مسود الوجه أزرق العينين وهو يقول واحسرتاه واندامتاه

فقال له جبريل: عد إلى مكانك فعاد كما كان ثم قال: يا محمد على هذا يبعثون يوم القيامة وعند ذلك قال رسول الله ﷺ: «تموتون كما تعيشون وتبعثون كما تموتون». قيل ليحيى بن معاذ رضي الله عنه: ما بال الإنسان يحب الدنيا؟ قال: حق له أن يحبها منها خلق وهي أمه ومنها عيشه ورزقه فهي حياته وفيها يعاد فهي كفاته وفيها كسب الجنة فهي مبدأ سعادته وهي ممر الصالحين إلى الله تعالى كيف لا يحب طريقاً يأخذ بسالكه إلى جوار ربه.

واعلم أن من صفة الأرض الطمأنينة والسكون لفوزها بوجود مطلوبها فكانت أعلى مرتبة في عين السفل وقامت بالرضى فمقامها رضى وحالها تسليم ودينها إسلام وهكذا الإنسان الكامل في الدنيا فإن الله تعالى قد صاغه من قالب الأرض وهو وإن كان ترابي الأصل لكن طرح عليه اكسير الروح الأعظم فإذا طار الروح بقيت سبيكة الجسد على حالها كالذهب الخالص إذ لا تبلى نفوس الكمل. قال في «أسئلة الحكم»: الأكثرون على تفضيل الأرض على السماء لأن الأنبياء خلقوا من الأرض وعبدوا فيها ودفنوا فيها وأن الأرض دار الخلافة ومزرعة الآخرة وأما الأرض الأولى فقال بعضهم: إنها أفضل لكونها مهبط الوحي ومشاهد الأنبياء وللانتفاع بها ولاستقرار الخلفاء عليها وغيرها من الفضائل انتهى.

يقول الفقير: كان الظاهر أن تفضل السماء لكونها مقر الأرواح العالية ولذا يبقى الجسد هنا بعد الوفاة ويعرج الروح ولكن فضل الأرض لأن أسباب العروج إنما حصلت بالآلات الجسدانية وهي من الأرض ولذا جعل عليه السلام الصلاة من الدنيا في قوله: «حبب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وقرة عيني في الصلاة» وذلك لأن صورة الصلاة التي هي الأفعال والاذكار تحصل بالأعضاء والجوارح التي هي من الدنيا وعالم الملك وإن كان القلب والتوجه من عالم الملكوت نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتحققين بحقائق الأرض والمعرضين عن كل طول وعرض.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾

﴿ولقد أريناه آياتنا كلها﴾ إضافة الآيات عهدية وكلها تأكيد لشمول الأنواع أي: وبالله لقد بصرنا فرعون على يدي موسى آياتنا كلها من العصا واليد وغيرهما على مهل من الزمان أو عرفناه صحتها وأوضحنا وجه الدلالة فيها **﴿فكذب﴾** بالآيات كلها من فرط عناده من غير تردد وتأخير وزعم أنها سحر **﴿وأبى﴾** عن قبولها لعتوه والإباء شدة الامتناع فكل إباء امتناع وليس كل امتناع إباء.

﴿قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى﴾ استئناف مبين لكيفية تكذيبه وإبائه والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه وادعاء أنه أمر محال والمجيء إما على حقيقته أو بمعنى الإقبال على الأمر والتصدي والسحر خداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما تفعله المشعبذة من صرف الابصار عما تفعله بخفة يد وما يفعله النمّام بقول حرف عائق للاسماع. والمعنى أجئتنا من مكانك الذي كنت فيه بعدما غبت عنا أو أقبلت علينا لتخرجنا من أرض مصر بالغلبة والاستيلاء بما أظهرته من السحر فإن ذلك مما لا يصدر عن العاقل لكونه من باب محاولة المحال. قال الكاشفي: [يعني دانستيم كه تو ساحرى وميخواهى كه بسحر مارا از مصر بيرون

كنى وبنى اسرائيل را متمكن سازى وپادشاهى كنى بر ايشان] وقال بعضهم هذا تعلل وتحير ودليل على أنه علم كون موسى محقاً حتى خاف منه على ملكه فإن ساحراً لا يقدر أن يخرج ملكاً مثله من أرضه. وفي «الإرشاد» إنما قال لحمل قومه على غاية المقت بإبراز أن مراده ليس مجرد إنجاء بني إسرائيل من أيديهم بل إخراج القبط من وطنهم وحيازة أموالهم وأملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه إلى اتباعه أحد ويبالغوا في المدافعة والمخاصمة وسمي ما أظهره عليه من المعجزات الباهرة سحراً ليجسرهم على المقابلة.

وفي «التأويلات النجمية»: إنما قال هذا لأنه كان من أهل البصر لا من أهل البصيرة ولو كان من أهل البصيرة لرأى مجيئه لإخراجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ومن ظلمات البشرية إلى نور الروحانية ومن ظلمات الإنسانية إلى نور الربانية، وفي «المثنوي»:

هركه از ديدار برخوردار شد ... اين جهان در چشم او مردار شد

ملك برهم زن تو ادهم وار زود ... تا بيابى همچو او ملك خلود

فلما رأى ببصر الحس المعجزة سحراً ادعى أن يعارضه بمثل ما أتى به فقال:

﴿**فلنأتينك بسحر مثله**﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كأنه قيل إذا كان كذلك فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرك فلا تغلب علينا، وبالفارسية: [هر آينه بياريم براى تو جادويى مانند جادويى تو وبآن باتو معارضه كنيم تا مردمان بدانندكه تو پيغمبر نيستى جادو كرى] ﴿**فاجعل**﴾ صير ﴿**بيننا وبينك**﴾ لإظهار السحر ﴿**موعداً**﴾ أي: وعداً لقوله: ﴿**لا نخلفه**﴾ أي: ذلك الوعد ﴿**نحن ولا أنت**﴾ يقال اخلف وعده ولا يقال اخلف زمانه ولا مكانه. وقال بعضهم: أراد بالموعد هٰهنا موضعاً يتواعدون فيه الاجتماع هناك انتهى. والوعد عبارة عن الاخبار بإيصال المنفعة قبل وقوعها. والخلف المخالفة في الوعد يقال وعدني فأخلفني أي: خالف في الميعاد ﴿**مكاناً سوى**﴾ منصوب بفعل يدل عليه المصدر لا به فإنه موصوف وسوى بالضم والكسر بمعنى العدل والمساواة أي: عد مكاناً عدلاً بيننا وبينك وسطاً يستوي طرفاه من حيث المسافة علينا وعليكم لا يكون فيه أحد الطرفين أرجح من الآخر أو مكاناً مستوياً لا يحجب العين ارتفاعه ولا انخفاضه، وبالفارسية: [چون وعد برسد حاضر شويم درجايى كه مساوى باشد مسافت قوم ما وتوبآن يا مكان مستوى وهموار كه درويستى وبلندى نباشد تا مردم نظاره توانند كرد] ففوض اللعين أمر الوعد إلى موسى للاحتراز عن نسبته إلى ضعف القلب كأنه متمكن من تهيئة أسباب المعارضة طال الأمد أم قصر.

وفي «التأويلات النجمية»: إنما طلب الموعد لأن صاحب السحر يحتاج في تدبير السحر إلى طول الزمان وصاحب المعجزة لا يحتاج في إظهار المعجزة إلى الموعد.

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾

﴿**قال**﴾ موسى: ﴿**موعدكم**﴾ [زمان وعد شما] ﴿**يوم الزينة**﴾ [روز آرايش قبطيانست] يعني يوم عيدهم الذي يجتمع فيه الناس من كل مكان ليكون بمشهد خلق عظيم لعلهم يستحيون منهم فلا ينكرون المعجزة بعد إبطال السحر سألوا عن المكان فأجابهم بالزمان فإن يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم.

اعلم أن الأعياد خمسة: «أحدها»: عيد قوم إبراهيم عليه السلام وفيه جعل إبراهيم

الأصنام جذاذاً، والثاني عيد قوم فرعون وهو يوم الزينة، والثالث عيد قوم عيسى كما مر في أواخر المائدة، والرابع والخامس عيدا أهل المدينة في الجاهلية وذلك يومان في السنة فأبدلهما الله في الإسلام يومي الفطر والأضحى وهذان اليومان مستمران إلى يوم القيامة.

قال المولى الجامي:

قربان شدن بتيغ جفاى تو عيد ماست — جان ميدهيم بهر چنين عيد عمر هاست

﴿وأن يحشر الناس ضحى﴾ عطف على اليوم أو الزينة والحشر: إخراج الجماعة من مقارهم وازعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها ولا يقال إلا في الجماعة. وضحى نصب على الظرف أي: وأن يجمع الناس في وقت الضحى ليكون أبعد من الريبة. قال في «ضرام السقط»: أول اليوم الفجر ثم الصباح ثم الغداة ثم البكرة ثم الضحى ثم الضحوة ثم الهجيرة ثم الظهيرة ثم الرواح ثم المساء ثم العصر ثم الأصيل ثم العشاء الأولى ثم العشاء الأخيرة عند مغيب الشفق. وفي «بحر العلوم» الضحى صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها. وقال الإمام الراغب الضحى انبساط النهار وامتداده سمي الوقت به. وقال الكاشفي: [ضحى درجاشتكاه كه روشنترست از باقى روز].

﴿فتولى فرعون﴾ أي: ترك الولي والقرب وانصرف عن المجلس وأرسل إلى المدائن لجمع السحرة ﴿فجمع كيده﴾ أي: ما يكاد به من السحرة وأدواتهم والكيد ضرب من الاحتيال ﴿ثم أتى﴾ أي: الموعد ومعه ما جمعه من كيده وفي كلمة التراخي إيماء إلى أنه لم يسارع إليه بل أتاه بعد تأخير.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾

﴿قال لهم موسى﴾ كأنه قيل فماذا صنع موسى عند إتيان فرعون مع السحرة فقيل قال لهم بطريق النصيحة ﴿ويلكم﴾ أصله الدعاء بالهلاك بمعنى ألزمكم الله ويلا يعني عذاباً وهلاكاً والمراد هنا الزجر والردع والحث والتحريض على ترك الافتراء، وبالفارسية: [واى برشما] ﴿لا تفتروا على الله كذباً﴾ بأن تدعو أن الآيات التي ستظهر على يدي سحر أو لا تشركوا مع الله أحداً والافتراء التقول والكذب عن عمد.

وفي «التأويلات»: قال موسى للسحرة ﴿ويلكم لا تفتروا على الله كذباً﴾ بإتيان السحر في معرض المعجزة ادعاء بأن الله قد أعطانا مثل ما أعطى الأنبياء من المعجزة ﴿فيسحتكم﴾ فيهلككم ويستأصلكم بسببه، وبالفارسية: [ازبيخ بركند شمارا] يقال اسحت الشيء أعدمه واستأصله ﴿بعذاب﴾ هائل لا يقادر قدره ﴿وقد خاب﴾ الخيبة فوت المطلب أي: [بى بهره ونا اميدماند] ﴿من افترى﴾ أي: على الله تعالى كائناً من كان بأي وجه كان.

﴿فتنازعوا﴾ أي: السحرة حين سمعوا كلامه كأن ذلك غاظهم فتنازعوا ﴿أمرهم﴾ الذي أريد منهم من مغالبته عليه السلام وتشاوروا وتناظروا ﴿بينهم﴾ في كيفية المعارضة وتجاذبوا أهداب القول في ذلك. قال في «المفردات» نزع الشيء جذبه من مقره كنزع القوس عن كبده

والتنازع والمنازعة المجاذبة ويعبر بها عن المخاصمة والمجادلة ﴿**وأسروا النجوى**﴾ وبالغوا في إخفاء النجوى عن موسى لئلا يقف عليه فيدافعه، وبالفارسية: [وپنهان داشتند ازكفتن را] والنجوى السر وأصله المصدر وناجيته أي: ساررته وأصله ارتحلوا به في نجوة من الأرض أي: مكان مرتفع منفصل بارتفاعه عما حوله وقيل أصله من النجاة وهو أن تعاونه على ما فيه خلاصه أو أن تنجو بسرك من أن يطلع عليه وكان نجواهم ما نطق به قوله تعالى:

﴿**قالوا**﴾ أي: بطريق التناجي والإسرار ﴿**إن هذان لساحران**﴾ إن مخففة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمشار إليه موسى وهارون ﴿**يريدان أن يخرجاكم من أرضكم**﴾ أي: من أرض مصر بالغلبة والاستيلاء عليها وهو خبر بعد خبر ﴿**بسحرهما**﴾ الذي أظهراه من قبل ﴿**ويذهبا بطريقتكم المثلى**﴾ المثلى تأنيث الأمثل وهو الأشرف أي: بمذهبكم الذي هو أفضل المذاهب وأمثلها بإظهار مذهبهما وإعلاء دينهما يريدون ما كان عليه قوم فرعون لقوله: ﴿**إني أخاف أن يبدل دينكم**﴾ لا طريقة السحر فإنهم ما كانوا يعتقدون ديناً. قال في «بحر العلوم» سموا مذهبهم بها لزيادة سرورهم وكمال فرحهم بذلك وأنه الذي تطمئن به نفوسهم كما قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]. قال الإمام الراغب الطريق السبيل الذي يطرق بالأرجل ويضرب قال تعالى: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ [طه: ٧٧] ومنه استعير لكل مسلك يسلكه الإنسان في فعل محموداً كان أو مذموماً قال تعالى: ﴿**ويذهبا بطريقتكم المثلى**﴾ أي: الأشبه بالفضيلة.

﴿**فأجمعوا كيدكم**﴾ الفاء فصيحة وأجمعوا من الإجماع يقال أجمع الأمر إذا أحكمه وعزم عليه وحقيقته جمع رأيه عليه وأجمع المسلمون كذا اجتمعت آراؤهم عليه. قال الراغب: أكثر ما يقال فيما يكون جمعاً يتوصل إليه بالتدبير والفكرة. والمعنى إذا كان الأمر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الإخراج والإذهاب فأزمعوا مكركم وحيلكم في رفع هذا المزاحم واجعلوه مجمعاً عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وارموا عن قوس واحدة. وقرىء فأجمعوا من الجمع ويعضده قوله تعالى: ﴿**فجمع كيده**﴾ أي: فأجمعوا أداوات سحركم ورتبوها كما ينبغي ﴿**ثم ائتوا صفاً**﴾ أي: مصطفين في الموعد ومجتمعين ليكون أشد لهيبتكم وأنظم لأمركم فجاؤوا في سبعين صفاً كل صف ألف والصف أن يجعل الشيء على خط مستو كالناس والأشجار ونحو ذلك وقد يجعل بمعنى الصاف.

قال في «الإرشاد»: لعل الموعد كان مكاناً متسعاً خاطبهم موسى بما ذكر في قطر من أقطاره وتنازعوا أمرهم في قطر آخر منه ثم أمروا بأن يأتوا وسطه على الوجه المذكور ﴿**وقد أفلح اليوم من استعلى**﴾ الفلاح الظفر وإدراك البغية والاستعلاء قد يكون طلب العلو المذموم وقد يكون طلب العلاء أي: الرفعة. والآية تحتمل الأمرين جميعاً أي: وقد فاز بالمطلوب من غلب ونال علو المرتبة بين الناس.

قال في «الإرشاد»: يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الأجر والتقريب وبمن غلب أنفسهم جميعاً أو من غلب منهم حثاً لهم على بذل المجهود في المغالبة. يقول الفقير فيه إشارة إلى أن المنهي من العلوم والأسباب كالسحر ونحوه ما يتقرب به إلى الدنيا وجمع طامها لا إلى الآخرة والفوز بنعيمها ولا إلى الله تعالى ولذا قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] فكل من أراد أن يتوصل بما يفعله مما نهاه الشرع إلى درجة من الدرجات الأخروية أو

مرتبة من المراتب المعنوية فإنه يضيع سعيه ولا يفلح ولا يبقى له سوى التعب. ثم إن أرباب التقليد يقتفون آثار فرعون وسحرته ويقولون في حق أهل التحقيق إن هؤلاء يخرجونكم من مناصب شيخوختكم ومراتب قبولكم عند العوام ويصرفون وجوه الناس عنكم ويذهبون بأشراف قومكم من الملوك والأمراء وأرباب المعارف وأهل الدثور والأموال فيسلكون مسالك الحيل ويريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون أي: المشركون بالشرك الخفي، وفي «المثنوي»:

هركه برشمع خدا آرد پفو ... شمع كى ميرد بسوزد پوزاو

فالذي خلق علوياً كالشمس فإنه لا يكون سفلياً بوجه من وجوه الحيل وكذا التراب خلق سفلياً فإنه لا يكون سماوياً، قال المولى الجامي:

پستست قدر سفله اكر خود كلاه جاه ... براوج سلطنت زند از كردش زمان

سفليست خاك اكرچه نه بر مقتضاى طبع ... همراه كرد باد كشد سر بر آسمان

نسأل الله أن يجعلنا من أهل السعادة والفلاح.

﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾

﴿قالوا﴾ أي: السحرة بعد إجماعهم وإتيانهم الموعد واصطفافهم. قال الكاشفي: [سحره بقولى سيصد هزار خروار حبل وعصاها ميان تهى كرده وير اززيبق ساخته بميدان آوردند بطريق ادب وكفتند] **﴿يا موسى إما أن تلقي﴾** الإلقاء طرح الشيء حيث تلقاه أي: تراه ثم صار في التعارف اسماً لكل طرح أي: تطرح عصاك من يدك على الأرض **﴿وإما أن نكون أول من ألقى﴾** ما نلقيه من العصي والحبال وأن مع ما في حيزها منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بخبرية مبتدأ محذوف أي: اختر إلقاءك أولاً أو إلقاءنا أو الأمر إما إلقاؤك أو إلقاؤنا. وفيه إشارة إلى أن السحرة لما أعزوا موسى عليه السلام بالتقديم والتخيير في الإلقاء أعزهم الله بالإيمان الحقيقي حتى رأوا بنور الإيمان معجزة موسى فآمنوا به تحقيقاً لا تقليداً وهذا حقيقة قوله: «من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً» فلما تقربوا إلى الله بإعزاز من أعزه الله أعزهم بالإيمان تقرباً إليه فكذلك أعزهم موسى بالتقديم في الإلقاء كما حكى الله عنه بقوله:

﴿قال﴾ موسى: **﴿بل ألقوا﴾** أولاً ما أنتم ملقون.

يقول الفقير: الظاهر أن الله تعالى ألهم السحرة التخيير وعلم موسى اختيار إلقائهم أولاً ليظهر الحق من الباطل لأن الحق يدفع الباطل ويمحوه ولو كان موسى أول من ألقى لتفرق الناس من أول الأمر خيفة الثعبان كما تفرقوا بعد ابتلاع العصا عصيهم وحبالهم وذا مخل بالمقصود. قال الإمام فإن قيل كيف أمرهم به وهو سحر وكفر. قلنا لما تعين طريقاً إلى كشف الشبهة صار جائزاً. وفي «الأسئلة المقحمة»: هذا ليس بأمر وإنما هو للاستهانة بذلك وعدم الاكتراث به لما كان يعلم أن ذلك سبب لظهور الحق وزهوق الباطل **﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾** الفاء فصيحة وإذ المفاجأة ظرفية والحبال جمع حبل وهو الرسن والعصي جمع عصا والتخيل تصوير خيال الشيء في النفس والتخيل تصور ذلك والخيال أصله الصورة المجردة كالصورة المتصورة في المنام وفي المرآة وفي القلب بعيد غيبوبة المرئي

ثم تستعمل في صورة كل أمر متصور وفي كل شخص دقيق يجري مجرى الخيال وأنها تسعى نائب فاعل ليحيل والسعي المشي السريع وهو دون العدو. والمعنى فألقوا ففاجأ موسى وقت أن يخيل إليه سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم، وبالفارسية [پس رسنها وعصاهاي ايشان نموده شد بموسى از جادويى وكيد ايشان كه كويى بدرستى كه آن ميرود ومى شتابد] وذلك أنهم كانوا لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيل إليه أنها تتحرك.

﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾ الوجس الصوت الخفي والتوجس التسمع والإيجاس وجود ذلك في النفس والخيفة الحالة التي عليها الإنسان من الخوف وهي مفعول أوجس وموسى فاعله. والمعنى: أضمر موسى في نفسه بعض خوف من مفاجأته بمقتضى البشرية المجبولة على النفرة من الحيات والاحتراز من ضررها المعتاد من اللسع ونحوه كما دل عليه قوله في نفسه لأنه من خطرات النفس لا من القلب وفي الحقيقة أن الله تعالى ألبس السحر لباس القهر فخاف موسى من قهر الله لا من غيره لأنه لا يأمن من مكر الله إلا القوم الفاسقون، يقول الفقير:

چون خدا خواهد شودهر برك خار رشته باريك درچشم عين مار
برك لرزان آب ريزان از الم چون نمى ترسم زقهر كردكار

﴿قلنا لا تخف﴾ ما توهمت ﴿إنك﴾ أي: لأنك ﴿أنت الأعلى﴾ أي: الغالب القاهر لهم ونحن معك في جميع أحوالك فإنك القائم بالمسبب وهم القائمون المعتمدون على الأسباب وأيضاً معك آياتنا الكبرى وهو لباس حفظنا.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن خوف البشرية مركوز في جبلة الإنسان ولو كان نبياً إلى أن ينزع الله الخوف منه انتزاعاً ربانياً بقول صمداني كما قال تعالى: ﴿قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ أي: أعلى درجة من أن تخاف من المخلوقات دون الخالق وفيه معنى آخر أن خوف موسى ما كان من المكونات بل من المكون إذ رأى عصاه ثعباناً تلقف سحر السحرة وقد علم أنها صارت مظهر صفة قهارية الحق فخاف من الحق وقهره لا من العصا وثعبانها فلهذا قال تعالى: ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ أي: لأنك على درجة عندنا منها لأنها عصاك مصنوعة لنفسك وأنت رسولي وكليمي واصطنعتك لنفسي فإن كانت هي مظهر صفة قهري فأنت مظهر صفات لطفي وقهري كلها.

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وألق ما في يمينك﴾ أي: عصاك والإبهام لتفخيم شأنها والإيذان بأنها ليست من جنس العصى المعهودة لأنها مستتبعة لآثار غريبة ﴿تلقف ما صنعوا﴾ بالجزم جواب للأمر من لقفه كسمعه لقفا بسكون القاف وفتحها إذا ابتلعه التقمه بسرعة. قال في «المفردات»: لقفت الشيء القفه وتلقفته تناولته بالجذب سواء كان تناوله بالفم أو باليد انتهى والتأنيث لكون ما عبارة عن العصا والصنع إجادة الفعل فكل صنع فعل وليس كل فعل صنعا ولا تنسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل. والمعنى تبتلع وتلقم ما صنعوه من الحبال والعصي التي خيل إليك سعيها وخفتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والإيذان بالتمويه والتزوير أي زوروه

وافتعلوه ﴿إن ما صنعوا﴾ ما موصولة أو موصوفة أي: إن الذي صنعوه أو إن شيئاً صنعوه ﴿كيد ساحر﴾ بالرفع على أنه خبر لأن أي: كيد جنس الساحر ومكره وحيلته وتنكيره للتوسل به إلى تنكير ما أضيف إليه للتحقير والكيد ضرب من الاحتيال يكون محموداً أو مذموماً وإن كان يستعمل في المذموم أكثر وكذلك الاستدراج والمكر ﴿ولا يفلح الساحر﴾ أي: لا يدرك بغيته هذا الجنس ﴿حيث أتى﴾ من الأرض وعمل السحر فيها وهو من تمام التعليل.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن ما في يمينك هو مصنوعي وكيدي وما صنعه السحرة إنما هو مصنوعهم وكيدهم ولا يفلح الساحر ومصنوعه وكيده حيث أتى مصنوعي وكيدي لأن كيدي متين.

واعلم أن الفلاح دنيوي وهو الظفر بالسعادات التي تطيب بها حياة الدنيا وهو البقاء والغنى والعز وأخروي وهو أربعة أشياء: بقاء بلا فناء وغنى بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل ففلاح أهل الدنيا كلا فلاح لأن عاقبته خيبة وخسران ألا ترى أن من قال لأستاذه لم أي: اعترض عليه لن يفلح أبداً وقد رأينا بعض المعترضين قد أوتي مالاً وجاهاً ورياسة فهو في تقلبه خائب خاسر وقس عليه سائر المخالفين من أهل المنكرات. قال في «نصاب الاحتساب» الساحر إذا تاب قبل أن يؤخذ تقبل توبته وإن أخذ ثم تاب لم تقبل توبته. وفي «شرح المشارق»: للشيخ أكمل روى محمد بن شجاع عن الحسن بن زياد عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال في الساحر يقتل إذا علم أنه ساحر ولا يستتاب ولا يقبل قوله إني أترك السحر وأتوب منه فإذا أقر أنه ساحر فقد حل دمه وإن شهد عليه شاهدان بالسحر فوصفوا ذلك بصفة يعلم أنها سحر قتل ولا يستتاب انتهى. وفي «شرح رمضان» على «شرح العقائد» أن الساحر يقتل ذكراً أو أنثى إذا كان سعيه بالإفساد والإهلاك في الأرض وإذا كان سعيه بالكفر فيقتل الذكر دون الأنثى انتهى. وفي الفروع لا تقتل الساحرة المسلمة ولكن تضرب وتحبس لأنها ارتكبت جريمة عظيمة وإنما لا تقتل لأن النبي عليه السلام نهى عن قتل النساء مطلقاً. وفي الأشباه كل كافر تاب فتوبته مقبولة في الدنيا والآخرة إلا جماعة الكافر بسب النبي وبسب الشيخين أو أحدهما وبالسحر ولو امرأة وبالزندقة إذا أخذ قبل توبته انتهى. وفي «فتاوي قارىء الهداية» الزنديق من يقول ببقاء الدهر أي: لا يؤمن بالآخرة ولا الخالق ويعتقد أن الأموال والحرم مشتركة. وقال في موضع آخر: هو الذي لا يعتقد إلهاً ولا بعثاً ولا حرمة شيء من الأشياء وفي قبول توبته روايتان والذي ترجح عدم قبول توبته انتهى. قال في «شرح الطريقة» السحر في اللغة كل ما لطف ودق ومنه السحر للصبح الكاذب وقوله عليه السلام: «إن من البيان لسحراً» وبابه منع وفي العرف إراءة الباطل في صورة الحق وهو عندنا أمر ثابت لقوله عليه السلام: «السحر حق والعين حق». وفي «شرح الأمالي» السحر من سحر يسحر سحراً إذا خدع أحداً وجعله مدهوشاً متحيراً وهذا إنما يكون بأن يفعل الساحر شيئاً يعجز عن فعله وإدراكه المسحور عليه. وفي «كتاب اختلاف الأئمة» السحر رقي وعزائم وعقد تؤثر في الأبدان والقلوب فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه وله حقيقة عند الأئمة الثلاثة. وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله لا حقيقة له ولا تأثير له في الجسم وبه قال أبو جعفر الاستراباذي من الشافعية. وفي «شرح المقاصد»: السحر إظهار أمر خارق للعادة من نفس شريرة خبيثة بمباشرة أعمال مخصوصة يجري فيها التعلم والتعليم وبهذين الاعتبارين يفارق المعجز والكرامة وبأنه لا يكون بحسب اقتراح المقترحين

وبأنه يخص الأزمنة أو الأمكنة أو الشرائط وبأنه قد يتصدى لمعارضته ويبذل الجهد في الإتيان بمثله وبأن صاحبه ربما يعلن بالفسق ويتصف بالرجس في الظاهر والباطن والخزي في الدنيا والآخرة وهو أي: السحر عند أهل الحق جائز عقلاً ثابت سمعاً وكذا الإصابة بالعين. وقال المعتزلة بل هو مجرد إراءة ما لا حقيقة له بمنزلة الشعوذة التي سببها خفة حركات اليد أو إخفاء وجه الحيلة وفيه لنا وجهان الأول يدل على الجواز والثاني يدل على الوقوع، أما الأول فهو إمكان الأمر في نفسه وشمول قدرة الله تعالى فإنه هو الخالق وإنما الساحر فاعل وكاسب وأيضاً فيه إجماع الفقهاء وإنما اختلفوا في الحكم وأما الثاني فهو قوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ إلى قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢] وفيه إشعار بأنه ثابت حقيقة ليس مجرد إراءة وتمويه وبأن المؤثر والخالق هو الله تعالى وحده. فإن قيل قوله تعالى في قصة موسى ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] يدل على أنه لا حقيقة للسحر وإنما هو تمويه وتخييل. قلنا: يجوز أن يكون سحرهم هو إيقاع ذلك التخييل وقد تحقق ولو سلم فكون أثره في تلك الصورة هو التخييل لا يدل على أنه لا حقيقة له أصلاً. ثم إن السحر خمسة أنواع في المشهور:

منها: الطلسم قيل هو مقلوب المسلط وهو جمع الآثار السماوية مع عقاقير الأرض ليظهر منها أمر عجيب.

ومنها: النيرنج قيل هو معرب «نيرنك» وهو التمويه والتخييل قالوا ذلك تمزيج قوى جواهر الأرض ليحدث منها أمر عجيب.

ومنها: الرقية وهو الافسون معرب «آب سون» وهو النفث في الماء وسمي به لأنهم ينفثون في الماء ثم يشربونه أو يصبون عليه وإنما سميت رقية لأنها كلمات رقيت من صدر الراقي فبعضها فهلويه وبعضها قبطية وبعضها بلا معنى يزعمون أنها مسموعة من الجن أو في المنام.

ومنها: الخلقطيرات وهي خطوط عقدت عليها حروف وأشكال أي: حلق ودوائر يزعمون أن لها تأثيرات بالخاصية.

ومنها: الشعبذة ويقال لها الشعوذة معرب «شعباذة» اسم رجل ينسب إليه هذا العلم وهي خيالات مبنية على خفة اليد وأخذ البصر في تقليب الأشياء كالمشي على الإرسال واللعب بالمهارق والحقات وغير ذلك والمذهب أن التأثير الحاصل عقيب الكل هو فعل الله تعالى على وفق إجراء عادته ووجه الحكمة فيه لا يعلمه إلا هو سبحانه. قال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في «الفتوحات المكية»: إن التأثير الحاصل من الحروف وأسماء الله تعالى من جنس الكرامات أي: إظهار الخواص بالكرامة فإن كل أحد لا يقدر على الاستخراج خواص الأشياء.

﴿فألقي السحرة﴾ الفاء فصيحة أي: فإلقاه فوقع ما وقع من اللقف فألقى السحرة حال كونهم ﴿سجداً﴾ ساجدين كأنما ألقاهم ملقي لشدة خرورهم وبالفارسية [حضرت موسى عصا بيفكند في الحال ازدهايى شد ودهن خود كشاده تمام ادوات جادوانرا فروبرد ومردم ازترس روى بكريز آوردند وموسى اورا بكرفت همان عصا شد جادوان دانستندكه آن سحر نيست زيراكه سحر سحر ديكررا باطل نكند بلكه قدرت خدا ومعجزه موسى است پس درافكنده شدند

يعنى تأمل اين معنى ايشانرا درروى افكند درحالتى كه سجده كنندكان بودند مرخدايرا ازروى صدق] وإنما عبر عن الخرور بالالقاء ليشاكل تلك الالقآت.

ـ روي ـ أن رئيسهم قال: كنا نغلب الناس وكانت الآلات تبقى علينا فلو كان هذا سحراً فأين ما ألقيناه من الآلات فاستدل بتغير أحوال الأجسام على الصانع العالم القادر وبظهور ذلك على يد موسى على صحة رسالته فتابوا وأتوا بنهاية الخضوع وهو السجود قال جار الله: ما أعجب أمرهم القوا حبالهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤوسهم للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الإلقاءين ﴿**قالوا**﴾ في سجودهم وهو استئناف بياني ﴿**آمنا برب هارون وموسى**﴾ تأخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية الفواصل ولأن فرعون ربى موسى في صغره فلو اقتصر على موسى أو قدم ذكره فربما توهم أن المراد فرعون وذكر هارون على الاستتباع ومعنى إضافة الرب إليهما أنه هو الذي يدعوان إليه وأجري على يديهما ما أجري. قال بعض الكبار: من كان له استعداد النظر إلى عالم الغيب وباشر حظوظ النفس احتجب عنه فإنه انقطع إلى الله نظر الله إلى قلبه بنعت الإخلاص واليقين وكشف الله له أنوار حضرته وجذبه إلى قربه فالسحرة مجذوبون مهتدون بالله إلى الله مؤمنون بالبرهان لا بالتقليد وأن فرعون ما رأى برهان الربوبية فلم يؤمن.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾

﴿**قال**﴾ فرعون للسحرة بطريق التوبيخ ﴿**آمنتم له**﴾ أي: لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع واللام مع الإيمان في كتاب الله لغيره. وفي «بحر العلوم»: له أي: لربهما على أن اللام بمعنى الباء والدليل القاطع عليه قوله: ﴿**قال**﴾ أي: فرعون ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٣] في سورة الأعراف وآمنتم بالمد على الإخبار أي: فعلتم هذا الفعل توبيخاً لهم ﴿**قبل أن آذن لكم**﴾ أي: من غير أن آذن لكم في الإيمان له وأمركم به كما في قوله تعالى: ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩] لا أن الإذن لهم في ذلك واقع بعده أو متوقع والإذن في الشيء إعلام بإجازته واذنته بكذا وآذنته بمعنى ﴿**إنه**﴾ يعني موسى ﴿**لكبيركم**﴾ أي: في فنكم وأعلمكم به وأستاذكم ﴿**الذي علمكم السحر**﴾ فتواطأتم على ما فعلتم. قال الكاشفي: [يعني استاد ومعلم ومهتر جادوانست شماباهم خواهيدكه ملك برابر اندازند] وأراد التلبيس على قومه لئلا يتبعوا السحرة في الإيمان لأنه عالم أن موسى ما علمهم السحر يعني أن هذه شبهة زورها اللعين وألقاها على قومه وأراهم أن أمر الإيمان منوط بإذنه فلما كان إيمانهم بغير إذنه لم يكن معتداً به وأنهم من تلامذته عليه السلام فلا عبرة بما أظهره كا لا عبرة بما أظهروه وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الإيمان بالله ثم أقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال: ﴿**فلأقطعن**﴾ أي: فوالله لأقطعن وصيغة التفعيل للتكثير وكذا في الفعل الآتي والقطع فصل شيء مدركاً بالبصر كالأجسام أو مدركاً بالبصيرة كالأشياء المعقولة ﴿**أيديكم وأرجلكم من خلاف**﴾ الخلاف أعم من الضد لأن كل ضدين مختلفان دون العكس. والمعنى من كل شق طرفاً وهو أن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن فيه لابتداء الغاية أي: ابتداء القطع من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه إياه فإن المبتدىء

من المعروض مبتدىء من العارض أيضاً وهي مع مجرورها في حيز النصب على الحالية أي: لأقطعنها مختلفاً لأنها إذا خالف بعضها بعضاً بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك يسار فقد اتصفت بالاختلاف وتعيين القطع وكيفيته لكونه أفظع من غيره ﴿**ولأصلبنكم في جذوع النخل**﴾ الصلب الذي هو تعليق الإنسان للقتل قيل هو شد صلبه على خشب أي: على أصول النخل في شاطىء النيل، وبالفارسية: [وهر آيينه برآويزم شمارا درتن خرما بن كه دراز ترين درختانست تاهمه كس شمارابه بيند وعبرت كيرد] وإيثار كلمة في للدلالة على إبقائهم عليها زماناً طويلاً تشبيهاً لاستقرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتمل عليه. قالوا: فرعون موسى هو أول من استعمل الصلب. فإن قيل مع قرب عهده بانقلاب العصا حية وقصدها ابتلاع قصره واستغاثته بموسى من شرها كيف يعقل أن يهدّد السحرة إلى هذا الحد ويستهزىء بموسى. قلنا: يجوز أن يكون في أشد الخوف ويظهر الجلادة تمشية لناموسه وترويجاً لأمره والاستقراء يوقفك على أمثاله ﴿**ولتعلمن أينا**﴾ أي: أنا وموسى ﴿**أشد عذاباً وأبقى**﴾ أدوم وموسى لم يكن في شيء من التعذيب إلا أن فرعون ظن السحرة خافوا من قبل موسى على أنفسهم حين رأوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فقال ما قال وعلى ما سبق من «بحر العلوم» في ﴿**آمنتم له**﴾ يكون المراد بـ ﴿**أينا**﴾ نفسه ورب موسى.

وفي «التأويلات النجمية»: وإنما قال: ﴿**أشد عذاباً**﴾ لأنه كان بصيراً بعذاب الدنيا وشدته وقد كان أعمى بعذاب الآخرة وشدته.

﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن
يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾

﴿**قالوا**﴾ غير مكترثين بوعيده. قال الكاشفي: [ساحران چون ازجام جذبه حقانى مست شده بودند واز انوار تواتر ملاطفات ربانى كه بردل ايشان تافته بود ازدست شده:

خورده يكجرعه از كف ساقى هرچه فانيست كرده درباقى
دامن از فكر غير افشانده ليس في الدار غيره خوانده

لا جرم درجواب فرعون كفتند] ﴿**لن نؤثرك**﴾ لن نختارك بالإيمان والاتباع ﴿**على ما جاءنا**﴾ من الله على يد موسى ﴿**من البينات**﴾ من المعجزات الظاهرة التي لا شبهة في حقيتها وكان من استدلالهم أنهم قالوا: لو كان هذا سحراً فأين حبالنا وعصينا. وفيه إشارة إلى أن القوم شاهدوا في رؤية الآيات أنوار الذات والصفات فهان عليهم عظائم البليات ومن آثر الله على الأشياء هان عليه ما يلقى في ذات الله. وقد قال بعض الكبار ليخفف ألم البلاء عنك علمك أن الله هو المبلى ﴿**والذي فطرنا**﴾ أي: خلقنا وسائر المخلوقات عطف على ما جاءنا وتأخيره لأن ما في ضمنه آية عقلية نظرية وما شاهده آية حسية ظاهرة. وقال بعضهم هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه أي: وحق الذي فطرنا لا نؤثرك فإن القسم لايجاب بلن إلا على شذوذ. وفي «التفسير الفارسي»: [وسوكنده ميخوريم بخدايى كه مارا آفريد].

وفي «التأويلات»: أي: بالذي فطرنا على فطرة الإسلام والتعرض للفاطرية لإيجابها عدم

إيثارهم فرعون عليه تعالى ﴿**فاقض ما أنت قاض**﴾ جواب عن تهديده بقوله لأقطعن أي فاصنع ما أنت صانعه أو احكم فينا ما أنت فيه حاكم من القطع والصلب.

وفي «التأويلات»: أي: فاحكم وأجر علينا ما قضى الله لنا في الأزل من الشهادة ﴿**إنما تقضي هذه الحياة الدنيا**﴾ أي: إنما تصنع ما تهواه أو تحكم بما تراه في هذه الحياة الدنيا ومدة حياتنا فحسب فسيزول أمرك وسلطانك عن قريب وما لنا من رغبة في عذبها ولا رهبة من عذابها [امروز بجور هرچه خواهى ميكن فردا بتونيز هرچه خواهند كنند].

﴿**إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا**﴾ من الكفر والمعاصي ولا يؤاخذ بها في الدار الآخرة لا ليمتعنا بتلك الحياة الفانية حتى تتأثر بما أوعدتنا به من القطع والصلب والمغفرة صيانة العبد عما استحقه من العقاب للتجاوز عن ذنوبه من الغفر وهو إلباس الشيء ما يصونه عن الدنس. والخطايا جمع الخطية والفرق بينها وبين السيئة أن السيئة قد تقال فيما يقصد بالذات والخطية فيما يقصد بالعرض لأنها من الخطأ ﴿**وما أكرهتنا عليه من السحر**﴾ عطف على خطايانا أي: ويغفر لنا السحر الذي عملناه في معارضة موسى بإكراهك وحشرك إيانا من المدائن القاصية خصوه بالذكر مع اندراجه في خطاياهم إظهاراً لغاية نفرتهم منه ورغبتهم في مغفرته ﴿**والله خير**﴾ أي: في ذاته وهو ناظر إلى قولهم والذي فطرنا ﴿**وأبقى**﴾ أي: جزاء ثواباً كان أو عقاباً أو خير لنا منك ثواباً إن أطعناه وأدوم عذاباً منك إن عصيناه.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**والله خير**﴾ في إيصال الخير ودفع الشر منك ﴿**وأبقى**﴾ خيره من خيرك وعذابه من عذابك. قال الحسن: سبحان الله لقوم كفارهم أشد الكافرين كفراً ثبت في قلوبهم الإيمان طرفة عين فلم يتعاظم عندهم أن قالوا: ﴿**اقض ما أنت قاض**﴾ في ذات الله والله إن أحدهم اليوم ليصحب القرآن ستين عاماً ثم إنه ليبيع دينه بثمن حقير، قال الشيخ سعدي قدس سره:

زيان ميكند مرد تفسيردان   كه علم أدب ميفروشد بنان
كجا عقل باشرح فتوى دهد   كه اهل خرد دين بديني دهد
بدين اى فرومايه دنيى مخر   چوخرها بانجيل عيسى مخر

﴿**إنه**﴾ أي: الشأن وهو تعليل من جهتهم لكونه تعالى خيراً وأبقى ﴿**من**﴾ [كس كه] ﴿**يأت**﴾ [آيد در روز قيامت] ﴿**ربه**﴾ [نزديك پرور دكار او] ﴿**مجرماً**﴾ حال كونه متوغلاً في إجرامه منهمكاً فيه بأن يموت على الكفر والمعاصي ولأنه مذكور في مقابلة المؤمن ﴿**فإن له جهنم لا يموت فيها**﴾ فينتهي عذابه ويستريح وهذا تحقيق لكون عذابه أبقى ﴿**ولا يحيى**﴾ حياة ينتفع بها.

﴿**ومن يأته مؤمناً**﴾ به تعالى وبما جاء من عنده من المعجزات التي من جملتها ما شاهدناه ﴿**قد**﴾ أي: وقد ﴿**عمل الصالحات**﴾ الصالحة كالحسنة جارية مجرى الاسم ولذلك لا تذكر غالباً مع الموصوف وهي كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والنقل ﴿**فأولئك**﴾ إشارة إلى من والجمع باعتبار معناها أي: فأولئك المؤمنون العاملون للصالحات ﴿**لهم**﴾ بسبب إيمانهم وأعمالهم الصالحة ﴿**الدرجات العلى**﴾ جمع العليا تأنيث الأعلى أي: المنازل الرفيعة في الجنة. وفيه إشارة إلى الفرق بين أهل الإيمان المجرد وبين الجامع بين الإيمان والعمل حيث إن الدرجات العالية للثاني وغيرها لغيره.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾

﴿**جنات عدن**﴾ بدل من الدرجات العلى ﴿**تجري من تحتها الأنهار**﴾ [پيوسته ميرود از زير منازل آن يا أشجار آن جويها] حال من الجنات ﴿**خالدين فيها**﴾ حال من الضمير في لهم والعامل معنى الاستقرار أو الإشارة ﴿**وذلك**﴾ أي: المذكور من الثواب ﴿**جزاء من تزكى**﴾ الجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر يقال جزيته كذا وبكذا والفرق بين الأجر والجزاء أن الأجر يقال فيما كان عن عقد وما يجري مجرى العقد ولا يقال إلا في النفع دون الضر والجزاء يقال فيما كان عن عقد وعن غير عقد ويقال في النافع والضار والمعنى جزاء من تطهر من دنس الكفر والمعاصي بما ذكر من الإيمان والأعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثواب الله تعالى أبقى وفي الحديث: «إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدريّ في أفق السماء وإن أبا أبكر وعمر منهم وانعما» أي: هما أهل لهذا. قالوا ليس في القرآن أن فرعون فعل بأولئك المؤمنين ما أوعدهم به ولم يثبت في الأخبار كما في الأخبار. وقال في «التفسير الكبير»: نقلاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا أول النهار سحرة وآخره شهداء وفي «بحر العلوم» أصبحوا كفرة وأمسوا أبراراً شهداء، وفي «المثنوي»:

ساحران در عهد فرعون لعين ... چون مرى كردند با موسى بكين
ليك موسى را مقدم داشتند ... ساحران اورا مكرّم داشتند
زانكه كفتندش كه فرمان آن تست ... كو تومى خواهى عصا بفكن نخست
كفت نى اول شما أى ساحران ... افكنيد آن مكرهارا درميان
اين قدر تعظيم ايشانرا خريد ... وازمرى آن دست وپاهاشان بريد
ساحران چون قدر او نشناختند ... دست وپادر جرم آن در باختند

فدلت هذه الأخبار على كونهم شهداء وأن فرعون استعمل الصلب فيهم وإلا لم يكن أول من صلب. فعلى العاقل أن يختار الله تعالى ويتزكى عن الأخلاق الذميمة النفسانية والأوصاف الشنيعة الشيطانية ويتحلى بالأخلاق الروحانية الربانية ويبذل المال والروح لينال أعلى الفتوح جعلنا الله وإياكم من أهل الولاء وممن هان عليه البلاء.

﴿**ولقد أوحينا إلى موسى**﴾ وبالله لقد أوحينا إليه بعد إجراء الآيات التسع في نحو من عشرين سنة كما في «الإرشاد».

يقول الفقير: يخالفها ما في بعض الروايات المشهورة من أن موسى عليه السلام دعا ربه في حق فرعون وقومه فاستجيب له ولكن أثره بعد أربعين سنة على ما قالوا عند قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩] ﴿**أن**﴾ مفسرة بمعنى أي: أو مصدرية أي: بأن ﴿**أسر بعبادي**﴾ السرى والإسراء سير الليل أي: قال سر ببني إسرائيل من مصر ليلاً، وبالفارسية: [بشب ببربندكان مرا] أمر بذلك لئلا يعوقهم أعوان فرعون ﴿**فاضرب لهم**﴾ فاجعل من قولهم ضرب له في ماله سهماً أو فاتخذوا عمل من قولهم ضرب اللبن إذا عمله. وفي «الجلالين»: فاضرب لهم بعصاك ﴿**طريقاً**﴾ الطريق كل ما يطرقه طارق معتاداً كان أو غير معتاد. قال الراغب: الطريق السبيل الذي يطرق بالأرجل ويضرب ﴿**في البحر**﴾ البحر كل مكان واسع

جامع للماء الكثير والمراد هنا بحر القلزم. قال في «القاموس» هو بلد بين مصر ومكة قرب جبل الطور وإليه يضاف بحر القلزم لأنه على طرفه أو لأنه يبتلع من ركبه لأن القلزمة الابتلاع **﴿يبسا﴾** صفة لطريقا واليبس المكان الذي كان فيه ماء فذهب. قال في «الإرشاد» أي: يابساً على أنه مصدر وصف به الفاعل مبالغة، وبالفارسية: [خشك كه درواب ولاى تبود] **﴿لا تخاف دركا﴾** حال مقدرة من المأمور أي: موسى والدرك محركة اسم من الإدراك كالدرك بالسكون. والمعنى حال كونك آمنا من أن يدرككم العدو **﴿ولا تخشى﴾** الغرق.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾ الفاء فصيحة أي: ففعل ما أمر به من الإسراء بهم وضرب الطريق وسلوكه فتبعهم فرعون ومعه جنوده حتى لحقوهم وقت إشراق الشمس وهو إضاءتها يقال اتبعهم أي: تبعهم وذلك إذا كانوا سبقوك فلحقتهم فالفرق بين تبعه واتبعه أن يقال اتبعه اتباعاً إذ طلب الثاني اللحوق بالأول وتبعه تبعاً إذا مر به ومضى معه.

ـ روي ـ أن موسى خرج بهم أول الليل وكانوا ستمائة وسبعين ألفاً فأخبر فرعون بذلك فأتبعهم بعساكره وكانت مقدمته سبعمائة ألف فقص أثرهم فلحقهم بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر فانفلق على اثني عشر فرقاً كل فرق كالطود العظيم وبقي الماء قائماً بين الطرق فعبر موسى بمن معه من الأسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده **﴿فغشيهم﴾** سترهم وعلاهم **﴿من اليم﴾** أي: بحر القلزم **﴿ما غشيهم﴾** أي: الموج الهائل الذي لا يعلم كنهه إلا الله.

﴿وأضل فرعون قومه﴾ أي: سلك بهم مسلكاً أداهم إلى الخيبة والخسران في الدين والدنيا معاً حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوي المتصل بالعذاب الخالد الأخروي **﴿وما هدى﴾** أي: ما أرشدهم قط إلى طريق موصل إلى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية وهو تقرير لإضلاله وتأكيد له إذ رب مضل قد يرشد من يضله إلى بعض مطالبه. وفيه نوع تهكم في قوله: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩] فإن نفي الهداية من شخص مشعر بكونه ممن تتصور منه الهداية في الجملة وذلك إنما يتصور في حقه بطريق التهكم. يقول الفقير موسى مع قومه إشارة إلى الروح القدسي مع قواه وفرعون مع قومه إشارة إلى النفس الأمارة مع قواها والبحر هو بحر الدنيا فموسى الروح يعبره إما بسفينة الشريعة أو بنور الكشف الإلهي ويغرق فرعون النفس لأنها تابعة لهواها لا شريعة لها ولا كشف فعلم منه أن اتباع أهل الضلال أنفساً وآفاقاً يؤدي إلى الهلاك الصوري والمعنوي واقتداء أهل الهدى يفضي إلى النجاة الأبدية.

زينـهـا راز قـريـن بـد زنـهـار وقـنـا ربـنـا عـذاب الـنـار

وأحسن وجوه الاتباع الإيمان والتوحيد لأن جميع الأنبياء متفقون على ذلك والمؤمن في حصن حفظه الله تعالى من الأعداء الظاهرة والباطنة في الدنيا والآخرة.

ـ حكي ـ عن عبد الله بن الثقفي أن الحجاج أحضر أنس بن مالك وقال له: أريد أن أقتلك شر قتلة فقال أنس: لو علمت أن ذلك بيدك لعبدتك من دون الله تعالى قال الحجاج: ولم ذلك؟ قال: لأن رسول الله عليه السلام علمني دعاء وقال: «من دعا به في كل صباح لم يكن لأحد عليه سبيل» وقد دعوت به في صباحي فقال الحجاج: علمنيه قال: معاذ الله أن

أعلمه لأحد وأنت حي فقال: خلوا سبيله فقيل له في ذلك فقال: رأيت على عاتقيه أسدين عظيمين فاتحين أفواههما ولما حضرته الوفاة قال لخادمه إن لك علي حقاً أي: حق الخدمة فعلمه الدعاء المذكور وقال له قل: «بسم الله خير الأسماء بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء» ثم إن هذا في الدنيا وأما في الآخرة فيحفظه من النار والعذاب.

واعلم أن موسى نصح فرعون ولكن لم ينجعه الوعظ فلم يدر قدره ولم يقبل فوصل من طريق الرد والعناد إلى الغرق والهلاك نعوذ بالله رب العباد. فعلى العاقل أن يستمع إلى الناصح، قال الحافظ:

امروز قدر پند عزيزان شناختم يا رب روان ناصح ما از تو شاد باد

قوله: أمروز يريد به وقت الشيخوخة وفيه إشارة إلى أن وقت الشباب ليس كوقت الكهولة ولذا ترى أكثر الشباب منكبين على سماع الملاهي معرضين عن الناصح الإلهي فمن هداه الله تعالى رجع إلى نفسه ودعا لناصحه لأنه ينصح حروفه بالفارسية [ميدوزد دريدهاى او] ولا بد للسالك من مرشد ومجاهدة ورياضة فإن مجرد وجود المرشد لا ينفعه ما دام لم يسترشد ألا ترى أن فرعون عرف حقية موسى وما جاء به لكنه أبى عن سلوك طريقه فلم ينتفع به فالأول الاعتقاد ثم الإقرار ثم الاجتهاد وقد قال بعضهم: «إن السفينة لا تجري على اليبس» والنفس تجر إلى الدعة والبطالة وقد قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] فالعبادة لازمة إلى أن يأتي اليقين حال النشاط والكراهة والجهاد ماض إلى يوم القيامة، قال المولى الجامي قدس سره:

بى رنج كسى چون نبرده بسر كنج آن به كه بكوشم بتمنا ننشينم

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لطريق مرضاته ويوصلنا إلى جناب حضرته.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾﴾

﴿يا بني إسرائيل﴾ أي: قلنا لهم بعد إغراق فرعون وقومه وإنجائهم منهم **﴿قد أنجيناكم من عدوكم﴾** فرعون وقومه حيث كانوا يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ويستخدمونكم في الأعمال الشاقة والعدو يجيء في معنى الوحدة والجماعة **﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾** بالنصب على أنه صفة للمضاف أي: واعدناكم بوساطة نبيكم إتيان جانبه الأيمن نظراً إلى السالك من مصر إلى الشام وإلا فليس للجبل يمين ولا يسار أي: إتيان موسى للمناجاة وإنزال التوراة عليه ونسبة المواعدة إليهم مع كونها لموسى نظراً إلى ملابستها إياهم وسراية منفعتها إليهم **﴿ونزلنا عليكم المن﴾** هو شيء كالطل فيه حلاوة يسقط على الشجر يقال له الترنجبين معرب «كرنكبين» **﴿والسلوى﴾** طائر يقال له السماني كان ينزل عليهم المن وهم في التيه مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع لكل إنسان صاع ويبعث عليهم الجنوب السماني فيذبح الرجل ما يكفيه والتيه المفازة التي يتاه فيها وذلك حين أمروا بأن يدخلوا مدينة الجبارين فأبوا ذلك فعاقبهم الله بأن يتيهوا في الأرض أربعين سنة كما مر في سورة المائدة ومثل ذلك كمثل الوالد المشفق يضرب ولده العاصي ليتأدب وهو لا يقطع عنه إحسانه فقد ابتلوا بالتيه ورزقوا بما لا تعب فيه.

اى كريمى كه از خزانه غيب كبر وترسا وظيفه خوردارى
دوستانرا كجا كنى محروم توكه بادشمنان نظر دارى

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾

﴿**كلوا**﴾ أي: وقلنا لكم كلوا ﴿**من طيبات ما رزقناكم**﴾ أي: من لذائذه أو حلالاته. قال الراغب: أصل الطيب ما تستلذه الحواس والنفس والطعام الطيب في الشرع ما كان متناولاً من حيث ما يجوز وبقدر ما يجوز ومن المكان الذي يجوز فإنه متى كان كذلك كان طيباً عاجلاً وآجلاً لا يستوخم وإلا فإنه وإن كان طيباً عاجلاً لم يطب آجلاً ﴿**ولا تطغوا فيه**﴾ الطغيان تجاوز الحد في العصيان أي: ولا تتجاوزا الحد فيما رزقناكم بالإخلال بشكره وبالسرف والبطر والمنع من المستحق والادخار منه لأكثر من يوم وليلة ﴿**فيحل عليكم غضبي**﴾ جواب للنهي أي: فيلزمكم عقوبتي وتجب لكم من حل الدين يحل بالكسر إذا وجب أداؤه وأما يحل بالضم فهو بمعنى الحلول أي: النزول والغضب ثوران دم القلب عند إرادة الانتقام وإذا وصف الله تعالى به فالمراد الانتقام دون غيره، وفي «المثنوي»:

شكر منعم واجب امد درخرد ورنه بكشايد درخشم ابد

﴿**ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى**﴾ أي: تردى وهلك وأصله أن يسقط من جبل فيهلك ومن بلاغات الزمخشري من أرسل نفسه مع الهوى فقد هوى في أبعد الهوى.

وفي «التأويلات النجمية»: ونزلنا عليهم المن من صفاتنا والسلوى سلوى أخلاقنا كلوا من طيبات ما رزقناكم أي: اتصفوا بطيبات صفاتنا وتخلقوا بكرائم أخلاقنا التي شرفناكم بها أي: لو لم تكن العناية الربانية لما نجا الروح والقلب وصفاتهما من شر فرعون النفس وصفاتها ولولا التأييد الإلهي لما اتصفوا بصفات الله ولا تخلقوا بأخلاقه ثم قال ولا تطغوا فيه أي: إذا استغنيتم بصفاتي وأخلاقي عن صفاتكم وأخلاقكم فلا تطغوا بأن تدعوا العبودية وتدعوا الربوبية وتسموا باسمي بأن اتصفتم بصفاتي كما قال بعضهم أنا الحق وبعضهم سبحاني وما أشبه هذه الأحوال مما يتولد من طبيعة الإنسانية فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وإن طغيان هذه الطائفة بمثل هذه المقالات وإن كانت هي من أحوالهم لأن الحالات لا تصلح للمقامات وهي موجبة للغضب كما قال تعالى: ﴿**فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى**﴾ أي: نجعل كل معاملاته في العبودية هباء منثوراً ولهذا الوعيد أمر الله عباده في الاستهداء بقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٦-٧] أي: اهدنا هداية غير من أنعمت عليه بتوفيق الطاعة والعبودية ثم ابتليته بطغيان يحل عليه غضبك ﴿**وإني لغفار**﴾ لستور ﴿**لمن تاب**﴾ من الشرك والمعاصي التي من جملتها الطغيان فيما ذكر. قال في «المفاتيح شرح المصابيح» الفرق بين الغفور والغفار أن الغفور كثير المغفرة وهي صيانة العبد عما استحقه من العقاب للتجاوز عن ذنوبه من الغفر وهو إلباس الشيء ما يصونه عن الدنس ولعل الغفار أبلغ منه لزيادة بنائه وقيل الفرق بينه وبين الغفار أن المبالغة فيه من جهة الكيفية وفي الغفار باعتبار الكمية ﴿**وآمن**﴾ بما يجب الإيمان به ﴿**وعمل صالحاً**﴾ مستقيماً عند الشرع والعقل. وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث على

التوبة والإيمان ﴿ثم اهتدى﴾ أي: استقام على الهدى ولزمه حتى الموت وهو إشارة إلى أن من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران وثم للتراخي الرتبي. قال في «بحر العلوم» ثم لتراخي الاستقامة على الخير عن الخير نفسه وفضلها عليه لأنها أعلى منه وأجل لأن الشأن كله فيها وهي مزلة أقدام الرجال. قال ابن عطاء: ﴿وإني لغفار لمن تاب﴾ أي: رجع من طريق المخالفة إلى طريق الموافقة وصدق موعود الله فيه واتبع السنة ﴿ثم اهتدى﴾ أقام على ذلك لا يطلب سواه مسلكاً وطريقاً:

راه سنت رواكر خواهى طريق مستقيم   كزسنن راهى بود سوى رضاى ذو المنن
هر مزده درچشم وى همچون سنانى بادتيز   كرسنان زندكى خواهد زمانى بى سنن

وفي «التأويلات النجمية»: أي: رجع من الطغيان بعبادة الرحمٰن ﴿وعمل صالحاً﴾ بالعبودية للربوبية ﴿ثم اهتدى﴾ أي: تحقق له أن تلك الحضرة منزهة عن دنس الوهم والخيال وإن الربوبية قائمة والعبودية دائمة.

اعلم أن التوبة بمنزلة الصابون فكما أن الصابون يزيل الأوساخ الظاهرة فكذلك التوبة تزيل الأوساخ الباطنة أعني الذنوب.

ـ روي ـ أن رجلاً قال للدينوري: ما أصنع فكلما وقفت على باب المولى صرفتني البلوى فقال: كن كالصبي مع أمه كلما ضربته يجزع بين يديها فلا يزال كذلك حتى تضمه إليها والتوبة على أقسام: فتوبة العوام من السيئات، وتوبة الخواص من الزلات والغفلات، وتوبة الأكابر من رؤية الحسنات والالتفات إلى الطاعات.

وشرائط البلوى ثلاثة: الندم بالقلب، والاعتذار باللسان بأن يستغفر الله، والإقلاع بالجوارح وهو الكف عن الذنب وفي الحديث «المستغفر باللسان المصر على الذنوب كالمستهزىء بربه»، وقال المولى قدس سره:

دارم جهان جهان كنه اى شرم روى من   چون روى ازين جهان بجهان دكرنهم
ياران دواسبه عازم ملك يقين شدند   تاكى عنان عقل بدست كمان دهم
باخلق لاف توبه ودل بركنه مصر   كس پى نمى بردكه بدين كونه كمرهم

﴿۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾

﴿**وما أعجلك عن قومك يا موسى**﴾ مبتدأ وخبر أي: وقلنا لموسى عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة أي: شيء حملك على العجلة وأوجب سبقتك منفرداً عن قومك وهم النقباء السبعون المختارون للخروج معه إلى الطور وذلك أنه سبقهم شوقاً إلى ميعاد الله وأمرهم أن يتبعوه كما في «الجلالين». قال في «العرائس»: ضاق صدر موسى من معاشرة الخلق وتذكر أيام وصال الحق فعلة العجلة الشوق إلى لقاء الله تعالى. قال الكاشفي: [آورده اندكه بني إسرائيل بعد ازهلاك فرعون از موسى عليه السلام استدعا نمودندكه از براى ما قواعد شريعتي وأحكام آن مبين ساز موسى در آن باب باحضرت رب الأرباب مناجات كرد خطاب رسيدكه باجمعى از اشراف بني إسرائيل بكوه طور آى تا كتابى كه جامع احكام شرع باشد بتودهم موسى هارون رابجاى خود بكذاشت وباوجوه قوم كه هفتادتن بودند متوجه طور شدند

قوم را وعده كردكه چهل روز ديكرمى آيم وكتاب مى آورم وچون بنزديك طور رسيدند قوم را بكذاشت واز غايت اشتياق كه بكلام وبيام الهي داشت زود تربالاى كوه برآمد خطاب ربانى رسيدكه ﴿وما أعجلك﴾ الخ وجه چيز شتابان ساخت تراتا تعجيل كردى وپيش آمدى ازكروه خود اى موسى]. .

يقول الفقير: هذا سؤال انبساط كقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ [طه: ١٧] لا سؤال إنكار كما ظن أكثر المفسرين من الاجلاء وغيرهم.

﴿قال هم أولاء على أثري﴾ يجيئون بعدي، بالفارسية: [كفت موسى كه ايشان كروه مردان اينك مى آيند بربى من وساعت بساعت برسند] ﴿وعجلت﴾ بسبقي إياهم ﴿إليك﴾ [بسوى تو] ﴿رب﴾ [اي پروردكار من] ﴿لترضى﴾ عنى بمسارعتي إلى الامتثال بأمرك واعتنائي بالوفاء بعهدك.

وفي الآيتين إشارة إلى معاني مختلفة:

منها ليعلم أن السائر لا ينبغي أن يتوانى في السير إلى الله ويرى أن رضى الله في استعجاله في السير والعجلة ممدوحة في الدين قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣] والأصل الطلب، وفي «المثنوي»:

كركران وكر شتابنده بود آنكه جوينده است يابنده بود
در طلب زن دائماً توهر دودست كه طلب درراه نيكور هبراست

وقد ورد «إن الأمور مرهونة بأوقاتها» ولذا قال:

چو صبح وصل او خواهد دميدن عاقبت جامى
مخور غم كرشب هجران بپايان ديرمى آيد

ومنها: ينبغي أن السائر لا يتعوق بعائق في السير وإن كان في الله ولله كما كان حال موسى في السير إلى الله فما تعوق بقومه واستعجل في السير وبطلت العوائق وقد صح أن المجنون العامري ترك الناقة في طريق ليلى لكونها عائقة عن سرعة السير إلى جنابها فمشى على الوجه كما قال في «المثنوي»:

راه نزديك وبماندم سخت دير سير كشتم زين سوارى سير سير
سر نكون خود را زاشتر در فكند كفت سوزيدم زغم تاچند چند
تنك شد بروى بيابان فراخ خويشتن افكند اندر سنكلاخ
چون چنان افكند خودرا سوى پست از قضا آن لحظه پايش هم شكست
پاى را بربست وكفتا كوشوم درخم چو كان غلطان مى روم
عشق مولى كى كم ازليلى بود كوى كشتن بهر او اولى بود
كوى شو مى كرد بربهلوى صدق غلط غلطان درخم چوكان عشق

ومنها: أن قصد السائر إلى الله تعالى ونيته ينبغي أن يكون خالصاً لله وطلبه لا لغيره كما قال: ﴿وعجلت إليك رب﴾ كان قصده إلى الله، قال الكمال الخجندي:

سالك پاك رونخوا نندش آنكه از ما سوى منزه نيست

ومنها: أن يكون مطلوب السائر من الله رضاه لا رضى نفسه منه كما قال: ﴿لترضى﴾ كما في «التأويلات النجمية»:

﴿قال﴾ الله تعالى وهو استئناف بياني: ﴿فإنا قد فتنا قومك من بعدك﴾ القيناهم في فتنة من بعد خروجك من بينهم وابتليناهم في إيمانهم بخلق العجل وهم الذين خلفهم مع هارون على ساحل البحر وكانوا ستمائة ألف ما نجا منهم من عبادة العجل إلا اثنا عشر ألفاً قال الله تعالى لموسى: أتدري من أين أتيت: قال: لا يا رب قال: حين قلت لهارون اخلفني في قومي أين كنت أنا حين اعتمدت على هارون. وفيه إشارة إلى أن طريق الأنبياء ومتبعيهم محفوف بالفتنة والبلاء كما قال عليه السلام: «إن البلاء موكل بالأنبياء الأمثل فالأمثل» وقد قيل: إن البلاء للولاء كاللهب للذهب وإلى أن فتنة الأمة والمريد مقرونة بمفارقة الصحبة من النبي والشيخ كما قال تعالى: ﴿فإنا قد فتنا قومك من بعدك﴾ أي: بعد مفارقتك إياهم فإن المسافر إذا انقطع عن صحبة الرفقة افتتن بقطاع الطريق والغيلان، قال الحافظ:

قطع اين مرحله بى همر هى خضر مكن ظلماتست بترس از خطر كمراهى

ـ روي ـ أنهم أقاموا على ما وصى به موسى عشرين ليلة بعد ذهابه فحسبوها مع أيامها أربعين وقالوا: قد أكملنا العدة وليس من موسى عين ولا أثر ﴿وأضلهم السامري﴾ حيث كان هو المدبر في الفتنة والداعي إلى عبادة العجل. قال في «الأسئلة المقحمة»: أضاف الإضلال إلى السامري لأنه كان حصل بتقريره ودعوته وأضاف الفتنة إلى نفسه لحصولها بفعله وقدرته وإرادته وخلقه وعلى هذا ابدا إضافة الأشياء إلى أسبابها ومسبباتها انتهى. وإخباره تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه عليه السلام إما باعتبار تحققها في علمه ومشيئته تعالى وإما بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع أو لأن السامري قد عزم على إيقاع الفتنة على ذهاب موسى وتصدي لترتيب مباديها فكانت الفتنة واقعة عند الإخبار. والسامري رجل من عظماء بني إسرائيل منسوب إلى قبيلة السامرة منهم أو علج من أهل كرمان من قوم يعبدون البقر وحين دخل ديار بني إسرائيل أسلم معهم وفي قلبه حب عبادة البقر فابتلى الله بني إسرائيل فكشف له عن بصره فرأى أثر فرس الحياة لجبريل ويقال له حيزوم وأخذ من ترابه وألقاه بوحي الشيطان في الحلى المذابة كما يجيء. قال الكاشفي: [أصح آنست كه او از اسرائيليانست ودر وقتى كه فرعون ابناى ايشانرا مى كشت او متولد شده ومادر بعد ازتولد اورا بكنارنيل در جزيره بيفكند وحق سبحانه جبرائيل را امر فرمود تا اورا پرورش دهد ومأكول ومشروب وى مهيا كرداند محافظت نموده ازين وقت كه موسى بطور رفت سامري نزد هارون آمده كفت قدرى بيرايه كه از قبطيان عاريت كرفته ايم باماست ومارا در آن تصرف كردن روانيست ومى بينم كه بني إسرائيل آنرا مى خرند ومى فروشند حكم فرماى تاهمه جمع كنند وبسوزند هارون امر فرمودكه تمام پيرايه ها آوردند ودر حفره ريختند ودرآن آتش زنند وسامرى زركرى چالاك بودهمين كه ان زر بكداخت وى قالبى ساخته بود وآن زر كداخته دران ريخته وشكل كوساله بيرون آورد وقدرى ازخاك زيرسم جبريل كه فرس الحياة مى كفتند در درون وى ريخت في الحال زنده كشت وكوشت وبوست بروپيداشت وبآواز در آمد وكويند زنده نشد ليك بآن وضع ريخته بود بانكى كردكه چهاردانك قوم بني إسرائيل ويراسجده كردند حق تعالى موسى را خبر دادكه قوم توبعد از خروج توكوساله پرست شدند]

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾

﴿فرجع موسى إلى قومه﴾ أي: بعدما استوفى الأربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة وأخذ الألواح المكتوب فيها التوراة وكانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جملاً ﴿غضبان﴾ [خشمناك بريشان] ﴿أسفاً﴾ [اندوهكين از عمل ايشان] أي: شديد الحزن على ما فعلوا أو شديد الغضب ومنه قوله عليه السلام في موت الفجأة «رحمة للمؤمنين وأخذة أسيف للكافرين». قال الإمام الراغب الأسف الحزن والغضب معاً وقد يقال لكل منهما على الانفراد. قال الكاشفي: [چون بميان قوم رسيد بانك وخروش ايشان شنيدكه كردا كرد كوساله دف ميزدند ورقص ميكردند بعتاب آغاز كرد ازروى ملامت] ﴿قال يا قوم﴾ [اى كروه من] ﴿ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾ بأن يعطيكم التوراة فيها ما فيها من النور والهدى أي: وعدكم وعداً صادقاً بحيث لا سبيل لكم إلى إنكاره. قال في «بحر العلوم» ﴿وعداً حسناً﴾ أي: متناهياً في الحسن فإنه تعالى وعدهم أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد أحسن من ذلك وأجمل. وفيه إشارة إلى أن الله تعالى إذا وعد قوماً لا بد له من الوفاء بالوعد فيحتمل أن يكون ذلك الوفاء فتنة للقوم وبلاء لهم كما كان لقوم موسى إذ وعدهم الله بإيتاء التوراة ومكالمته موسى وقومه السبعين المختارين فلما وفى به تولدت لهم الفتنة والبلاء من وفائه وهي الضلال وعبادة العجل ولكن الوعد لما كان موصوفاً بالحسن كان البلاء الحاصل من الوعد الحسن بلاء حسناً وكان عاقبة أمرهم التوبة والنجاة ورفعة الدرجات ﴿أفطال عليكم العهد﴾ الفاء للعطف على مقدر والهمزة لإنكار المعطوف ونفيه فقط أي: أوعدكم ذلك فطال زمان الإنجاز فأخطأتم بسببه. وفي «الجلالين» مدة مفارقتي إياكم يقال طال عهدي بك أي: طال زماني بسبب مفارقتك ﴿أم أردتم أن يحل﴾ يجب كما سبق ﴿عليكم غضب﴾ عذاب عظيم وانتقام شديد كائن ﴿من ربكم﴾ من مالك أمركم على الإطلاق بسبب عبادة ما هو مثل في الغباوة والبلادة ﴿فأخلفتم موعدي﴾ أي: وعدكم إياي بالثبات على ما أمرتكم به إلى أن أرجع من الميقات على إضافة المصدر إلى مفعوله والفاء لترتيب ما بعدها على كل واحد من شقي الترديد على سبيل البدل كأنه قيل أنسيتم الوعد بطول العهد فأخلفتموه خطأ أم أردتم حلول الغضب عليكم فأخلفتموه عمداً.

﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾

﴿قالوا ما أخلفنا موعدك﴾ أي: وعدنا إياك الثبات على ما أمرتنا به ﴿بملكنا﴾ أي: بقدرتنا واختيارنا لكن غلبنا من كيد السامري وتسويله وذلك أن المرء إذا وقع في البلية والفتنة لم يملك نفسه ويكون مغلوباً والملك القدرة ﴿ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم﴾ جمع وزر بالكسر بمعنى الحمل الثقيل أي: أحمالاً من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس ﴿فقذفناها﴾ أي: طرحنا الحلي في النار رجاء للخلاص من ذنبها ﴿فكذلك﴾ أي: مثل ذلك القذف ﴿ألقى السامري﴾ أي: ما معه من الحلي وقد كان أراهم أنه أيضاً يلقى ما كان معه من الحلي فقالوا ما قالوا على زعمهم وإنما كان الذي ألقاه التربة التي أخذها من أثر فرس الحياة وكان لا يخالط شيئاً إلا غيره وهو من الكرامة التي خصها الله بروح القدس.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ
إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ
وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾

﴿فأخرج﴾ أي: السامري بسبب ذلك التراب ﴿لهم﴾ أي: للقائلين ﴿عجلا﴾ من تلك الحلي المذابة وهو ولد البقرة ﴿جسداً﴾ بدل منه أو جثة ذا دم ولحم أو جسداً من ذهب لا روح له ولا امتناع في ظهور الخارق على يد الضال ﴿له خوار﴾ نعت له يقال خار العجل خواراً إذا صاح أي: صوت عجله فسجدوا له ﴿فقالوا﴾ أي: السامري ومن افتتن به أول ما رأى ﴿هذا﴾ العجل ﴿إلٰهكم وإلٰه موسى فنسي﴾ أي: غفل عنه وذهب يطلبه في الطور وهذا حكاية نتيجة فتنة السامري فعلاً وقولاً من جهته تعالى قصداً إلى زيادة تقريرها ثم ترتيب الإنكار عليها لا من جهة القائلين وإلا لقيل فأخرج لنا ولا شك أن الله خلقه ابتلاء لعباده ليظهر الثابت من الزائغ وأعجب من خلق الله العجل خلقه إبليس محنة لهم ولغيرهم.

﴿أفلا يرون﴾ الفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي: ألا يتفكرون فلا يعلمون ﴿أن﴾ مخففة من الثقيلة أي: أنه ﴿لا يرجع﴾ [بازنمى كرداند كوساله] ﴿إليهم﴾ [بسوى ايشان] ﴿قولاً﴾ كلاماً ولا يرد عليهم جواباً، يعني: [هر چند اورا مى خوانند جواب نمى دهد] فكيف يتوهمون أنه آله فقوله يرجع من الرجع المتعدي بمعنى الإعادة لا من الرجوع اللازم بمعنى العود ﴿ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً﴾ أي: لا يقدر على أن يدفع عنهم ضراً أو يجلب لهم نفعاً.

قال في «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن الله تعالى إذا أراد أن يقضي قضاء سلب ذوي العقول عقولهم وأعمى أبصارهم بعد أن رأوا الآيات وشاهدوا المعجزات كأنهم لم يروا شيئاً فيها فلهذا قال: ﴿أفلا يرون﴾ يعني العجل وعجزه ﴿أن لا يرجع إليهم قولاً﴾ أي: شيئاً من القول ﴿ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً﴾ انتهى.

وفي الآيات إشارات:

منها: أن الغضب في الله من لوازم نشأة الإنسان الكامل لأنه مرآة الحضرة الإلهية وهي مشتملة على الغضب ورد عن النبي عليه السلام أنه كان لا يغضب لنفسه وإذا غضب لله لم يقم لغضبه شيء فمن العباد من يغضب الحق لغضبه ويرضى لرضاه بل من نفسي غضبه غضب الحق وعين رضاه هو رضى الحق فمطلق غضبهم في الحقيقة عبارة عن تعين غضب الحق فيهم من كونهم مجاليه ومجالي أسمائه وصفاته لا كغضب الجمهور. قال أبو عبد الله الرضي: إن الله لا يأسف كأسفنا ولكن له أولياء يأسفون ويرضون فجعل رضاهم رضاه وغضبهم غضبه قال: وعلى ذلك قال: «من أهان لي ولياً فقد بارزني في المحاربة». فعلى العاقل أن يتبع طريق الأنبياء والأولياء ويغضب للحق إذا رأى منكراً:

كرت نهى منكر بر آيد زدست نشايد چوبى دست وپايان نشست
چو دست وزبانرا نماند مجال بهمت نمايند مردى رجال

ومنها: أي من أسباب غضب الله تعالى الخلف بالوعد ونقض العهد فلا بد لطالب الرحمة من الاستقامة والثبات:

ازدم صبح ازل تا آخر شام آبد دوستى ومهر بريك عهد ويك ميثاق بود

[وفي «وصايا الفتوحات» حق تعالى بموسى عليه السلام وحى كرد هركه باميد توآيد اورا بى بهره مكذار وهركه زينهار خواست اورا زينهارده. موسى درسياحت بودنا كاه كبوترى بر كتف او نشست وبازى در عقب او مى آمد وقصد آن كبوتر داشت بر كتف ديكر فرو آمد آن كبوتر درآستين موسى در آمد وزينهار مى خواست وباز بزبان فصيح بموسى آواز دادكه اى پسر عمران مرا بى بهره مكذار وميان من ورزق من جدايى ميفكن موسى كفت چه زود مبتلا شدم ودست كردتا ازران خود پاره قطع كند براى طعمه بازتا حفظ عهد كرده باشد وبكار هر دو وفانموده كفتند يا ابن عمران تعجيل مكن كه مارسولانيم وغرض آن بودكه صحت عهد تو آزمايش كنيم]:

أيا سامعاً ليس السماع بنافع إذا أنت لم تفعل فما أنت سامع
إذا كنت في الدنيا من الخير عاجزاً فما أنت في يوم القيامة صانع

ومنها: أن متاع الدنيا سبب الغرور والفساد والهلاك ألا ترى أن فرعون اغتر بدنياه فهلك وأن السامري صاغ من الحلي عجلاً فأفسد ولو لم يستصحبوها حين خرجوا من مصر لنجوا من عبادته والابتلاء بتوبته نسأل الله تعالى أن يهدينا هداية كاملة إلى جنابه ولا يردنا عن بابه ولا يبتلينا بأسباب عذابه.

﴿**ولقد قال لهم هارون من قبل**﴾ أي: وبالله لقد نصح لهم هارون ونبههم على كنه الأمر من قبل رجوع موسى إليهم وخطابه إياهم بما ذكر من المقالات ﴿**يا قوم**﴾ [اى كروه من] ﴿**إنما فتنتم به**﴾ أي: أوقعتم في الفتنة بالعجل وأضللتم به على توجيه القصر المستفاد من كلمة إنما إلى نفس الفعل بالقياس إلى مقابله الذي يدعيه القوم لا إلى قيده المذكور بالقياس إلى قيد آخر على معنى إنما فعل بكم الفتنة لا «الإرشاد» إلى الحق لا على معنى إنما فتنتم بالعجل لا بغيره ﴿**وإن ربكم**﴾ المستحق للعبادة هو ﴿**الرحمن**﴾ المنعم بجميع النعم لا العجل وإنما ذكر الرحمٰن تنبيهاً على أنهم إن تابوا قبل توبتهم وإذا كان الأمر كذلك ﴿**فاتبعوني**﴾ في الثبات على الدين ﴿**وأطيعوا أمري**﴾ هذا واتركوا عبادة ما عرفتم شأنه وما أحسن هذا الوعظ فإنه زجرهم عن الباطل بقوله: ﴿**إنما فتنتم به**﴾ وأزال الشبهات أولاً وهو كإماطة الأذى عن الطريق ثم دعاهم إلى معرفة الله بقوله: ﴿**وإن ربكم الرحمن**﴾ فإنها الأصل ثم إلى معرفة النبوة بقوله: ﴿**فاتبعوني**﴾ ثم إلى الشرائع فقال: ﴿**وأطيعوا أمري**﴾ وفي هذا الوعظ شفقة على نفسه وعلى الخلق أما على نفسه فإنه كان مأموراً من عند الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن عند أخيه بقوله: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢] فلو لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر لخالف أمر الله وأمر موسى وأنه لا يجوز. أوحى الله إلى يوشع أني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ قال: إنهم لم يغضبوا لغضبي وفي الحديث: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، قال الشيخ سعدي قدس سره:

بني آدم أعضاى يكديكرند كه در آفر ينش ريك كوهرند
چو عضوى بدرد آورد روزكار دكر عضوها را نماند قرار

تو كز محنت ديكران بى غمى   نشايد كه نامت نهند آدمى

ثم إن هارون رأى المتهافتين على النار فلم يبال بكثرتهم ولا نفرتهم بل صرح بالحق:

بكوى آنچه دانى سخن سودمند   وكر هيج كس را نيايد پسند

كه فردا پشيمان بر آرد خروش   كه آوخ چرا حق نكردم بكوش

وههنا دقيقة وهي أن الرافضة تمسكوا بقوله عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» ثم إن هارون ما منعه التقية في مثل هذا الجمع العظيم بل صعد المنبر وصرح بالحق ودعا الناس إلى متابعة نفسه والمنع من متابعة غيره فلو كانت أمة محمد على الخطأ لكان يجب أن يفعل مثل ما فعل هارون وأن يصعد المنبر من غير تقية وخوف ويقول فاتبعوني وأطيعوا أمري فلما لم يقل كذلك علمنا أن الأمة كانوا على الصواب وقد ثبت أن علياً أحرق الزنادقة الذين قالوا بإلهيته لما كانوا على الباطل.

﴿قالوا﴾ في جواب هارون ﴿لن نبرح عليه﴾ لن نزال على العجل وعبادته ﴿عاكفين﴾ مقيمين. قال الراغب: العكوف الإقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظيم. قال في «الكبير» رحمته تعالى خلصتهم من آفات فرعون ثم إنهم لجهلهم قابلوه بالتقليد فقالوا: ﴿لن نبرح عليه عاكفين﴾ ﴿حتى يرجع إلينا موسى﴾ أي: لا نقبل حجتك وإنما نقبل قول موسى. وقال في «الإرشاد»: وجعلوا رجوعه عليه السلام إليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد بتركها عند رجوعه بل بطريق التعلل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك أنه عليه السلام لا يرجع بشيء مبين تعويلاً على مقابلة السامري.

ـ روي ـ أنهم لما قالوه اعتزلهم هارون في اثني عشر ألفاً وهم الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى وسمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا.

وفي «التأويلات النجمية»: لم يسمعوا قول هارون لأنهم عن السمع الحقيقي لمعزولون فلهذا ﴿قالوا لن نبرح﴾ الخ وفيه إشارة إلى أن المريد إذا استسعد بخدمة شيخ كامل واصل وصحبه بصدق الإرادة ممتثلاً لأوامره ونواهيه قابلاً لتصرفات الشيخ في إرشاده يصير بنور ولايته سميعاً بصيراً يسمع ويرى من الأسرار والمعاني بنور ولاية الشيخ ما لم يكن يسمع ويرى ثم إن ابتلي بمفارقة صحبة الشيخ قبل أوانه يزول عنه نور الولاية أو يحتجب بحجاب ما ويبقى أصم وأعمى كما كان حتى يرجع إلى صحبة الشيخ ويتنور بنور ولايته.

﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾﴾

﴿قال﴾ استئناف بياني كأنه قيل فما قال لهارون حين سمع جوابهم له وهل رضي بسكوته بعدما شاهد منهم ما شاهد فقيل: قال له وهو مغتاظ وقد أخذ بلحيته ورأسه وكان هارون طويل الشعر ﴿يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا﴾ أخطأوا طريق عبودية الله بعبادة العجل وبلغوا من المكابرة إلى أن شافهوك بالمقالة الشنعاء.

﴿أن لا تتبعن﴾ لا مزيدة وهو مفعول ثان لمنع وهو عامل في إذ أي: أي شيء منعك

حين رؤيتك لضلالهم من أن تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به وأن تأتي عقبي وتلحقني وتخبرني لأرجع إليهم لئلا يقعوا في هلاك هذه الفتنة أو غير مزيدة على أن منعك مجاز عن دعاك. والمعنى ما دعاك إلى ترك اتباعي وعدمه في شدة الغضب لله ولدينه ونظير لا هذه قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] في الوجهين.

قال في «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن موسى لما كان بالميقات مستغرقاً في بحر شواهد الحق ما كان يرى غير الحق ولم يكن محتجباً بحجب الوسائط حتى أن الله تعالى ابتلاه بالوسائط بقوله: ﴿إنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري﴾ أضاف الفتنة إلى نفسه وأحال الإضلال إلى السامري اختباراً ليعلم منه أنه هل يرى غير الله مع الله في أفعاله الخير والشر فما التفت إلى الوسائط وما رأى الفعل في مقام الحقيقة على بساط القربة إلا منه وقال في جوابه: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] أضاف الفتنة والإضلال إليه تعالى مراعياً حق الحقيقة على قدم الشريعة إلى نور الحقيقة قال: يا هارون ﴿أفعصيت أمري﴾ أي: بالصلابة في الدين والمحاماة عليه كما عصى هؤلاء القوم أمري وأمر الله فإن قوله عليه السلام: ﴿اخْلُفْنِي﴾ [الأعراف: ١٤٢] متضمن للأمر بهما حتماً فإن الخلافة لا تتحقق إلا بمباشرة الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو كان حاضراً والهمزة للإنكار التوبيخي والفاء عطف على مقدر يقتضيه المقام أي: أخالفتني فعصيت أمري.

﴿قال يا ابن أم﴾ الأم بإزاء الأب وهي الوالدة القريبة التي ولدته والبعيدة التي ولدت من ولدته ويقال لكل ما كان أصلاً لوجود شيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه أم وأصله يا ابن أمي أبدل الياء ألفاً فقيل: يا ابن أما ثم حذف الألف واكتفى بالفتحة لكثرة الاستعمال وطول اللفظ وثقل التضعيف وقرىء يا ابن أم بالكسر بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وخص الأم بالإضافة استعظاماً لحقها وترقيقاً لقلبه واعتداداً لنسبها وإشارة إلى أنهما من بطن واحد وإلا فالجمهور على أنهما لأب وأم. قال بعض الكبار كانت نبوة هارون من حضرة الرحمة كما قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ [مريم: ٥٣] ولذا ناداه بأمه إذ كانت الرحمة للام أوفر ولذا صيرت على مباشرة التربية.

وفي «التأويلات النجمية»: لما رأى هارون موسى رجع من تلك الحضرة سكران الشوق ملآن الذوق وفيه نخوة القربة والاصطفاء والمكالمة ما وسعه إلا التواضع والخشوع فقال: يا ابن أم ﴿لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾ أي: بشعر رأسي وخاطبه بيابن أم لمعنيين أحدهما ليأخذه رأفة صلة الرحم فيسكن غضبه والثاني ليذكره بذكر أمه الحالة التي وقعت له في الميقات حين سأل ربه الرؤية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً وجاء الملائكة في حال تلك الصعقة يجرون برأسه ويقولون يا ابن النساء الحيض ما للتراب ورب الأرباب، قال الحافظ:

بـرو ايـن دام بـر مـرغ دكـرنـه   كـه عـنـقـارا بـلـنـداسـت آشـيـانـه

وقال:

عـنـقـا شـكـاركـس نـبـود دام بـازچـيـن   كـآنـجـا هـمـيـشـه بـادبـد سـتـسـت دام را

ـ روي ـ أنه أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وغضبه لله وكان حديداً متصلباً في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل ففعل ما فعل بمرأى من قومه أي: بمكان يراه قومه ويرون ما يفعل بأخيه ﴿إني خشيت﴾ لو قاتلت بعضهم ببعض وتفرقوا ﴿أن تقول فرقت بين بني إسرائيل﴾ برأيك وأراد بالتفريق ما يستتبعه القتال من تفريق لا يرجى بعده

الاجتماع. وفي «الجلالين»: خشيت إن فارقتهم واتبعتك أن يصيروا حزبين يقتل بعضهم بعضاً فتقول: أوقعت الفرق فيما بينهم ﴿ولم ترقب قولي﴾ لم تحفظ وصيتي في حسن الخلافة عليهم يريد به قوله: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ﴾ [الأعراف: ١٤٢] فإن الإصلاح ضم النشر وحفظ جماعات الناس والمداراة بهم إلى أن ترجع إليهم وترى فيهم ما ترى فتكون أنت المتدارك للأمر بنفسك المتلافي برأيك لا سيما وقد كانوا في غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرف عنه قوله: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾ [الأعراف: ١٥٠]. وفي «العيون»: أي: لم تنظر في أمري أو لم تنتظر قدومي.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني منعني ترقب قولك وإطاعة أمرك عن اتباعك لا عصيان أمرك انتهى وهذا الكلام من هارون اعتذار والعذر تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه وذلك ثلاثة أضرب أن يقول لم أفعل أو يقول فعلت لأجل كذا فيذكر ما يخرجه عن كونه مذنباً أو يقول فعلت ولا أعود ونحو ذلك وهذا الثالث هو التوبة فكل توبة عذر دون العكس وكان هارون حليماً رفيقاً ولذا كان بنو إسرائيل أشد حباله. وعن علي رضي الله عنه أحسن الكنوز محبة القلوب. قال سقراط: من أحسن خلقه طابت عيشته ودامت سلامته وتأكدت في النفوس محبته ومن ساء خلقه تنكدت عيشته ودامت بغضته ونفرت النفوس منه. قال بزرجمهر ثمرة القناعة الراحة وثمرة التواضع المحبة:

أرى الحلم في بعض المواضع ذلة وفي بعضها عزاً يسود فاعله

قال أرسطو بإصابة المنطق يعظم القدر وبالتواضع تكثر المحبة وبالحلم تكثر الأنصار وبالرفق تستخدم القلوب وبالوفاء يدوم الإخاء وكان النبي عليه السلام لم يخرج عن حد اللين والرفق ولذا قال في وصفه بالمؤمنين ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧] وفي «المثنوي»:

بندكان حق رحيم وبردبار خوى حق دارند در اصلاح كار
مهربان بى رشوتان يارى كران در مقام سخت ودر روز كران
هين بجو اين قوم را اى مبتلا هين غنيمت دارشان پيش از بلا

﴿قال﴾ كأنه قيل فماذا صنع موسى بعد اعتذار القوم واعتذار هارون واستقرار أصل الفتنة على السامري فقيل قال موبخاً له هذا شأنهم ﴿فما خطبك يا سامري﴾ الخطب لغة الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب وهو من تقاليب الخبط. ففيه إشارة إلى عظيم خبطه والمعنى ما شأنك وما مطلوبك فيما فعلت وما الذي حملك عليه، وبالفارسية: [چيست اين كار عظيم ترا اى سامرى يعني اين چيست كه كردى] خاطبه بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالاً للمفتونين به ولمن خلفهم من الأمم. قال بعض الكبار ﴿فما خطبك يا سامري﴾ يعني فيما صنعت من عدولك إلى صورة العجل على الاختصاص وصنعك هذا الشبح من حلي القوم حتى أخذت بقلوبهم من أجل أموالهم فإن عيسى عبد الله يقول لبني إسرائيل يا بني إسرائيل قلب كل إنسان حيث ماله فاجعلوا أموالكم في السماء تكن قلوبكم هناك أي: تصدقوا وقدموا إلى الآخرة التي هي أبقى وأعلم وما سمي المال مالاً إلا لكونه بالذات تميل القلوب إليه في نيل المقاصد وتحصيل الحوائج، وفي «المثنوي»:

مال دنيا دام مرغان ضعيف ملك عقبى دام مرغان شريف
هين مشو كر عارفى مملوك ملك مالك الملك آنكه بجهيد اوز هلك

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾

﴿قال﴾ السامري مجيباً لموسى عليه السلام **﴿بصرت بما لم يبصروا به﴾**. قال في «القاموس» بصر به ككرم وفرح بصراً وبصارة وبكسر صار مبصراً. وفي المفردات قلما يقال بصرت في الحاسة إذا لم تضامه رؤية القلب. والمعنى رأيت ما لم يره القوم وقد كان رأى أن جبريل جاء راكب فرس وكان كلما وضع الفرس يديه أو رجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته النبات في الحال فعرف أن له شأناً فأخذ من موطئه حفنة. وفي الكبير رآه يوم فلق البحر حين تقدم خيل فرعون راكباً على رمكة ودخل البحر. وفي غيره حين ذهب به إلى الطور. وفي «الجلالين» قال موسى وما ذلك قال رأيت جبرائيل على فرس الحياة فألقى في نفسي أن أقبض من أثرها فما ألقيته على شيء إلا صار له روح ولحم ودم فحين رأيت قومك سألوك أن تجعل لهم إلهاً زينت لي نفسي ذلك فذلك قوله تعالى: **﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾** أي: من تربة موطىء فرس الملك الذي أرسل إليك والمراد فرس الحياة لجبريل ولم يقل جبريل أو روح القدس لأنه لم يعرف أنه جبريل والقبضة المرة من القبض وهو الأخذ بجميع الكف أطلقت على المقبوض مرة **﴿فنبذتها﴾** النبذ القاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به أي: طرحتها في الحلي المذابة أو في فم العجل فكان ما كان. وفي «العرائس»: قبض السامري من أثر فرسه قبضة لأنه سمع من موسى تأثير القدسيين في أشباح الأكوان فنثرها على العجل الذهبي فجعل الحق لها إكسيراً من نور فعله ولذا حيي.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿بصرت﴾** يعني خصص بكرامة فيما رأيت من أثر فرس جبريل والهمت بأن له شأناً ما خص به أحد منكم **﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها﴾** يشير بهذا المعنى إلى أن الكرامة لأهل الكرامة كرامة ولأهل الغرامة فتنة واستدراج. والفرق بين الفريقين أن أهل الكرامة يصرفونها في الحق والحقيقة وأهل الغرامة يصرفونها في الباطل والطبيعة كما أن الله تعالى أنطق السامري بنيته الفاسدة الباطلة بقوله: **﴿وكذلك سولت لي نفسي﴾** أي: بشقاوتي ومحنتي والتسويل تزيين النفس لما تحرص عليه وتصوير القبيح منها بصورته الحسن وأصل التركيب سولت لي نفسي تسويلاً كائناً مثل ذلك التسويل على أن يكون مثلي صفة مصدر محذوف وذلك إشارة إلى مصدر الفعل المذكور بعد فقدّم على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحة لإفادة تأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة فصار مصدراً مؤكداً لا صفة أي: ذلك التزيين البديع زينت لي نفسي ما فعلته من القبض والنبذ لا تزييناً أدنى ولذلك فعلته وحاصل جوابه أن ما فعله إنما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الأمارة بالسوء وغوائها لا بشيء آخر من البرهان العقلي والإلهام الإلهي. قال الكاشفي: [در لباب آورده كه موسى عليه السلام قصد قتل سامري كرد ازحق سبحانه وتعالى ندا آمد اورا مكش كه صفت سخاوت برو غالبست وچون ازسخاى او خلق را منفعت بود نفع حيات ازوباز نتوان داشت سرّ واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض اينجا ظاهر ميشود]:

هرنها لى كه برك دارد وبر باد زاب حيات تازه وتر
وانچه بى ميوه باشد وسايه به كه كردد تنوررا مايه

فعند ذلك.

﴿قال﴾ موسى مكافئاً له. قال الكاشفي: [كفت موسى مر سامري راكه چون مرا از قتل تومنع كردند] **﴿فاذهب﴾** أي: من بين الناس **﴿فإن لك في الحياة﴾** أي: ثابت لك مدة حياتك عقوبة ما فعلت **﴿أن تقول لا مساس﴾** قال في «المفردات» المس كاللمس لكن اللمس قد يقال لطلب الشيء وإن لم يوجد والمس يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس. وفي «القاموس» قوله تعالى: **﴿لا مساس﴾** بالكسر أي: لا أمس ولا أمسى وكذلك التماس ومنه من قبل أن يتماسا انتهى أي: لا يمسني أحد ولا أمس أحداً خوفاً من أن تأخذكما الحمى.

- روي - أنه كان إذا ماس أحداً ذكراً أو أنثى حم الماس والممسوس جميعاً حمى شديدة فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح بأقصى صوته لا مساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين الناس من المعاملات فصار وحيداً طريداً يهيم في البرية مع الوحش والسباع [ودر بعضى تفاسير هست كه جمعى از اولاد سامري درين زمان كوساله پرست اند همان حال دارند] يعني أن قومه باقية فيهم تلك الحالة إلى اليوم، يقول الفقير: التناسل موقوف على مخالطة الأزواج والأولاد فكيف تقوم هذه الدعوى. قال في «الإرشاد»: لعل السر في مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة التضاد فإنه لما أنشأ الفتنة بما كانت ملابسته سبباً لحياة الموات عوقب بما يضاده حيث جعلت ملابسته للحمى التي هي من أسباب موت الاحياء.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن قصدك ونيتك فيما سولت نفسك أن تكون مطاعاً متبوعاً آلفاً مألوفاً فجزاؤك في الدنيا أن تكون طريداً وحيداً ممقتاً ممقوتاً متشرداً متنفراً تقول لمن رآك لا تمسني ولا أمسك فنهلك:

چون عاقبت زصحبت ياران بريدنست پيوند باكسى نكند آنكه عاقلست

وذلك لأن في الانقطاع بعد الاتصال الماً شديداً بخلاف الانقطاع الأصلي ولذا قال من قال:

الفت مكير همچو الف هيچ باكسى تابسته الم نشوى وقت انقطاع

﴿وإن لك موعداً﴾ أي: وعداً في الآخرة بالعقاب على الشرك والإفساد **﴿لن تخلفه﴾** أي: لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه البتة بعدما عاقبك في الدنيا والخلف والإخلاف المخالفة في الوعد يقال وعدني فأخلفني أي: خالف في الميعاد **﴿وانظر إلى إلٰهك﴾** معبود بزعمك **﴿الذي ظلت عليه عاكفاً﴾** أصله ظللت فحذفت اللام الأولى تخفيفاً. قال في «المفردات»: ظلت بحذف إحدى اللامين يعبر به عما يفعل بالنهار ويجري مجرى صرت. والمعنى صرت مقيماً على عبادته. وأما بالفارسية: [بودى پيوسته بر پرستش او] **﴿لنحرقنه﴾** جواب قسم محذوف أي: بالنار ويؤيده قراءة **﴿لنحرقنه﴾** من الإحراق وهو إيقاع نار ذات لهب في الشيء بخلاف الحرق فإنه إيقاع حرارة في الشيء من غير لهب كحرق الثوب بالدق. قال الكاشفي: [واين قول كسيست كه كويد آن كاورا كوشت وپوست بود] او بالمبرد، بالفارسية: [سوهان] على أنه مبالغة في حرق إذا برد بالمبرد ويعضده قراءة **﴿لنحرقنه﴾** أي: لنبردنه يقال

بردت الحديد بالمبرد والبرادة ما سقط منه. قال الكاشفي: [واين بران قوليست كه او جسدى بودزرين بى حيات] ﴿ثم لننسفنه في اليم نسفاً﴾ أي: لنذرينه في البحر رماداً أو مبروداً بحيث لا يبقى منه عين ولا أثر من نسفت الريح التراب إذا أقلعته وأزالته وذرته. والنسف بالفارسية [بر كندن] للنبات من أصله [وبربودن] كما في «التهذيب». والذر [وبباد بر دادن وباد چيزى را بر داشتن]. قال الكاشفي: [پس پرا كنده سازيم خاكستر اورا در دريا تابدانند كه اورا كه توان سوخت صفت الوهيت بروعين جهل ومحض خلافست] ﴿إنما إلهكم﴾ أي: معبودكم المستحق للعبادة ﴿الله الذي لا إله﴾ في الوجود لشيء من الأشياء ﴿إلا هو﴾ وحده من غير أن يشاركه شيء من الأشياء بوجه من الوجوه التي من جملتها أحكام الألوهية. قال في «بحر العلوم» قوله: ﴿الذي لا إله إلا هو﴾ تقرير لاختصاص الإلهية ونحوه قولك القبلة الكعبة التي لا قبلة إلا هي ﴿وسع كل شيء علماً﴾ أي: وسع علمه بكل ما كان وما يكون أي: علم كل شيء وأحاط به بدل من الصلة كأنه قيل إنما الهكم الذي وسع كل شيء علماً لا غيره كائناً ما كان فيدخل فيه العجل دخولاً أولياً. قال الكاشفي: [نه قالب كوساله كه اكرچه زنده نيزباشد مثلست درغباوت ونادانى] روي أن موسى أخذ العجل فذبحه ثم حرقه بالنار ثم ذراه في البحر زيادة عقوبة حيث أبطل سعيه وأظهر غباوة المفتتنين به:

بادست موسوى چه زند سحر سامرى

قال الحافظ:

سحر با معجزه پهلو نزند ايمن باش سامرى كيست كه دست ازيد بيضا ببرد

قال في «التأويلات النجمية» في الآية إشارة إلى عبدة عجل النفس والهوى بأنهم وما يعبدون حصب جهنم منسوفون في بحر القهر نسفاً لا خلاص لهم منه إلى الأبد وفي قوله: ﴿إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو﴾ إشارة إلى أن من يعبد إلهاً دونه يحرقه بنار القطيعة وينسفه في بحر القهر إلى أبد الآباد ﴿وسع كل شيء علماً﴾ فعلم استحقاق كل عبد للطف أو للقهر. يقال لما وقع الازدواج بين آدم وحواء والازدواج بين إبليس والدنيا فتولد من الازدواج الأول نوع البشر ومن الثاني الهوى فجميع الأديان الباطلة والأخلاق المذمومة من تأثير ذلك الهوى يقال إن ضرر البدعة والهوى أكثر من ضرر المعصية فإن صاحب المعصية يعلم قبحها فيستغفر فيتوب بخلاف صاحب البدعة والهوى.

اعلم أنهم قالوا لكل فرعون موسى أي: لكل مبطل ومفسد محق ومصلح ألا ترى أن فرعون أفسد الأرض بالكفر والتكذيب والظلم والمعاصي فأصلحها موسى بالإيمان والتصديق والعدل والطاعات ثم إن السامري أراد أن يكدر وجه مرآة الدين بما صنعه بيده العادية فجاء موسى فأزاله وهكذا الحال إلى يوم القيامة والأصل إصلاح القلب وتطهيره عن لوث الأخلاق الرذيلة ومنعه عن العكوف على عبادة الهوى ثم تغيير المنكر عن وجه العالم إن قدر كما فعله الأنبياء وأولو الأمر ومن يليهم فإن الغيرة من الإيمان والله غيور وعبده في غيرته وفي الحديث «إن سعداً لغيور وأنا أغير من سعد والله أغير مني ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»، وفي «المثنوي»:

جمله عالم زان غيور آمدكه حق برددر غيرت برين عالم سبق
غيرت حق بر مثل كندم بودم كاه خر من غيرت مردم بود
أصل غيرتها بدانيد ازاله آن خلقان فرع حق بى اشتباه

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿**كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق**﴾ ذلك إشارة إلى اقتصاص حديث موسى والقص تتبع الأثر والقصص الأخبار المتتبعة. ومن مفعول نقص باعتبار مضمونه. والنبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة وحق الخبر الذي فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب كالتواتر وخبر الله تعالى وخبر النبي عليه السلام والمعنى مثل ذلك القص البديع الذي سمعت نقص عليك يا محمد بعض الحوادث الماضية الجارية على الأمم السالفة لا قصاً ناقصاً عنه تبصرة لك وتوفيراً لعلمك وتكثيراً لمعجزاتك وتذكيراً للمستبصرين من أمتك. وفيه وعد بتنزيل أمثال ما مر من أخبار القرون الخالية، وبالفارسية: [همچنانچه اين قصه موسى برتو خوانديم مى خوانيم برتو اى محمد از خبرها آنچه بتحقيق كذشته است يعني ازامور ماضيه وقرون سابقة ترا خبر ميدهيم تا معجزه نبوت توبود وتنبيه مستبصران امت تو] ﴿**وقد آتيناك من لدنا**﴾ متعلق بآتينا أي: من عندنا ﴿**ذكراً**﴾ أي: كتاباً شريفاً مطوياً على هذه الأقاصيص والأخبار حقيقاً بالتفكر والاعتبار. وفي «الكبير» في تسميته به وجوه: الأول أنه كتاب فيه ذكر ما يحتاج إليه في أمر دينهم ودنياهم، والثاني: أن يذكر أنواع آلاء الله ونعمائه وفيه التذكير والموعظة، والثالث فيه الذكر والشرف لك ولقومك وقد سمى الله كل كتبه ذكراً فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧]. قال بعض الكبار أي: موعظة تتعظ بها وتتأدب بملازمتها فلا يخفى عليك شيء من أسرارنا وما أودعناه أسرار الذين كانوا قبلك من الأنبياء فتكون الأنبياء مكشوفين لك وأنت في ستر الحق.

﴿**من أعرض عنه**﴾ عن ذلك الذكر العظيم الشأن الجامع لوجوه السعادة والنجاة فلم يعتبر ولم يعمل به لإنكاره إياه ومن شرطية أو موصولة وأياً ما كانت فالجملة صفة لذكر ﴿**فإنه**﴾ أي: المعرض عنه ﴿**يحمل يوم القيامة وزراً**﴾ عقوبة ثقيلة على كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزراً تشبيهاً في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره.

﴿**خالدين فيه**﴾ أي: ماكثين في الوزر حال من المستكن في يحمل والجمع بالنظر إلى معنى من لما أن الخلود في النار مما يتحقق حال اجتماع أهلها ﴿**وساء لهم يوم القيامة حملاً**﴾ أي: بئس لهم حملاً وزرهم واللام للبيان كأنه لما قيل ساء قيل لمن يقال هذا فأجيب لهم وإعادة يوم القيامة لزيادة التقرير وتهويل الأمر.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من أعرض عن الذكر الحقيقي الذي به قامت حقيقة الإيمان والإيقان والعرفان فإنه يحمل يوم القيامة حملاً ثقيلاً من الكفر والنفاق والشرك والجهل والعمى وقساوة القلب والرين والختم والأخلاق الذميمة والبعد والحسرة والندامة وخسر حقيقة العبودية ودوام الذكر ومراقبة القلب وصدق التوجه لقبول الفيض الإلهي الذي هو حقيقة الذكر الذي أوله إيمان وأوسطه إيقان وآخره عرفان فالذكر الإيماني يورث الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة بترك المعاصي والاشتغال بالطاعات والذكر الإيقاني يورث ترك الدنيا وزخارفها حلالها وحرامها وطلب الآخرة ودرجاتها منقطعاً إليها والذكر العرفاني يوجب قطع تعلقات الكونين والتبكير إلى سعادة الدارين في بذل الوجود على شواهد المشهود انتهى

فأعلى المراتب في الذكر فناء الذاكر في المذكور فلا يبقى للنفس هناك أثر.

ـ روي ـ أنه كثر الزنى في بغداد وكثر الفسق فقيل للشبلي لولا ذكرك لأحرقنا البلدة فلما سمعه بعض أهل النفس قال: أليس لنا ذكر فقال الشبلي ذكركم بوجود النفس وذكري بالله.

واعلم أن التوحيد أفضل العبادات وذكر الله أقرب القربات وقد وقت الله العبادات كلها كالصلاة والصيام والحج ونحوها بالمواقيت إلا الذكر فإنه أمر به على كل حال قياماً وقعوداً واضطجاعاً وحركة وسكوناً وفي كل زمان ليلاً ونهاراً صيفاً وشتاء ولما سئل النبي عليه السلام عن جلاء القلب قال: «ذكر الله وتلاوة القرآن والصلاة عليّ»، قال المغربي قدس سره:

اكرچه آينه داری از برای رخش ولی چه سود كه داری هميشه آينه تار
بيا بصيقل توحيد زآينه برداری غبار شرك كه تا پاك كردد از زنكار

ـ حكي ـ أن موسى عليه السلام قال: إلهي علمني شيئاً أذكرك به فقال الله تعالى قل: لا إله إلا الله فقال موسى يا رب كل عبادك يقول ذلك فقال الله تعالى يا موسى لو أن السموات والأرضين وضعت في كفة ميزان ولا إله إلا الله في أخرى لمالت به تلك الكلمة.

قال الفقير:

كرتو خواهی شوی زحق آكاه دم عـلـی لا الـه إلا الله
افضل ذكر باشد اين كلمه يكثر الذكر كل من يهواه

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿**يوم ينفخ في الصور**﴾ بدل من يوم القيامة أو منصوب بإضمار اذكر أي: اذكر لقومك يا محمد يوم ينفخ إسرافيل في القرن الذي التقمه للنفخ ﴿**ونحشر المجرمين يومئذٍ**﴾ أي: نخرج المتوغلين في الإجرام والآثام المنهمكين فيها وهم الكفرة والمشركون من مقابرهم ونجمعهم يوم إذ ينفخ في الصور وذكره صريحاً مع تعين أن الحشر لا يكون إلا يومئذٍ للتهويل ﴿**زرقاً**﴾ جمع ازرق والزرقة اسوء ألوان العين وأبغضها إلى العرب فإن الروم الذين كانوا أعدى عدوهم زرق. قال الكاشفي: [در خبراست كه زرقه عين وسواد وجه علامت دوز خيانست]. وقال الإمام في المفرادت قوله تعالى: ﴿**يومئذٍ زرقاً**﴾ أي: عمياً عيونهم لا نور لها لأن حدقة الأعمى تزرق يعني أن العين إذا زال نورها ازرقت.

﴿**يتخافتون بينهم**﴾ استئناف لبيان ما يأتون وما يذرون حينئذٍ والتخافت إسرار المنطق وإخفاؤه أي: يقول بعضهم لبعض خفية من غير رفع صوت بسبب امتلاء صدورهم من الخوف والهوان أو استيلاء الضعف ﴿**إن لبثتم**﴾ لبث بالمكان أقام به ملازماً له أي: أقمتم ومكثتم في الدنيا أو في القبر ﴿**إلا عشراً**﴾ عشر ليال أو عشر ساعات استقصاراً لمدة لبثهم فيها لزوالها لأن أيام الراحة قليلة والساعات تمر مر السحاب. وفي «الجلالين» يتسارون فيما بينهم ما لبثتم في قبوركم إلا عشر ليال يريدون ما بين النفختين وهو أربعون سنة يرفع العذاب في تلك المدة عن الكفار ويستقصرون تلك المدة إذا عاينوا أهوال القيامة انتهى وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وفي «بحر العلوم» هو ضعيف جداً.

﴿**نحن**﴾ [ماكه خداونديم] ﴿**أعلم بما يقولون**﴾ [دانا تريم بآنچه ايشان ميكويند] وهو مدة

لبثهم ﴿**إذ يقول**﴾ [جون كويد] ﴿**أمثلهم طريقة**﴾ اوفرهم رأياً وأوفاهم عقلاً، وبالفارسية: [تمامترين ايشان ازروى عقل]. قال في «المفردات» الأمثل يعبر به عن الأشبه بالأفاضل والأقرب إلى الخير وأماثل القوم كناية عن خيارهم وعلى هذا قوله تعالى: ﴿**إذ يقول أمثلهم طريقة**﴾ انتهى ﴿**إن**﴾ بمعنى النفي أي: ما ﴿**لبثتم إلا يوماً**﴾ ونسبة هذا القول إلى أمثلهم استرجاع منه تعالى له لكن لا لكونه أقرب إلى الصدق بل لكونه أدل على شدة الهول.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه إذا نفخ في الصور وحشر أهل البلاء وأصحاب الجفاء يوم الفزع الأكبر في النفخة الثانية ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧] ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وقد غضب ربنا ذلك اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله يرون من شدة أهوال ذلك اليوم ما يقلل في أعينهم شدة ما أصابهم من العذاب طول مكثهم في القبور فهم يحسبون أنهم ما لبثوا في القبور إلا عشرة أيام ثم قال تعالى: ﴿**نحن أعلم بما يقولون**﴾ من عظم البلاء وبما يقولون: ﴿**إذ يقول أمثلهم طريقة**﴾ أي: أصوبهم رأياً في نيل شدة البلاء ﴿**إن لبثتم إلا يوماً**﴾ وذلك لأنه وجد شدة بلاء ذلك اليوم عشرة أمثال ما وجده انتهى قيل:

ألا إنما الدنيا كظل سحابة ... أظلتك يوماً ثم عنك اضمحلت
فلا تك فرحاناً بها حين أقبلت ... ولا تك جزعاناً إذا هي ولت

قال المنصور لما حضرته الوفاة بعنا الآخرة بنومة، قال الشيخ سعدى:

نكه دار فرصت كه عالم دميست ... دمى پيش دانا به از عالميست
مكن عمر ضايع فبافسوس وحيف ... كه فرصت عزيزست والوقت سيف

قال السلطان ولد:

بكذار جها نرا كه جهان آن تونيست ... وين دم كه همى زنى بفرمان تو نيست
كر مال جهان جمع كنى شاد مشو ... ور تكيه بجان كنى جان آن تونيست

فعلى العاقل أن لا يضيع وقته بالصرف إلى الدنيا وما فيها من الشهوات فإن الوقت نقد نفيس وجوهر لطيف وبازى اشهب لا ينبغي أن يبذل لشيء حقير وأن يصاد به طير لا يسمن ولا يغني من جوع ومن المعلوم أن عيش الدنيا قصير وخطرها يسير وقدرها عند الله صغير إذا كانت لا تعدل عنده جناح بعوضة فمن عظم هذا الجناح كان أصغر منه.

بر مرد هشيار دنيا خسست ... كه هرمدتى جاى ديكر كسست

قال عيسى عليه السلام من ذا الذي يبني على موج البحر داراً تلكم الدنيا فلا تتخذوها قراراً وقد ثبت أن الدنيا ساعة فاجعلها طاعة وأهل الطاعة تكافىء ساعة من ساعاتهم في الآخرة بألف سنة في الراحة بخلاف أهل المعصية فإن ساعاتهم أيضاً تنبسط ولكن في المحنة وأفضل الطاعات وأحسن الحسنات التوحيد وتقوية اليقين بالعبادات ومتابعة سيد المرسلين وفي الحديث «لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى» قيل يا رسول الله من الذي أبى قال: «من لم يقل لا إله إلا الله فأكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فإنها كلمة التوحيد وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة» أي: جنة الصورة وجنة المعنى وهي جنة القلب والروح وفيها أزهار الأنوار وثمرات الأسرار وهي أعلى من جنة الصورة إذ كل كمال إنما هو من تأثير المعنى وتجلياته فمن أصلح باطنه صلح ظاهره البتة كالشجرة إذا كان لها عرق فإنها تورق نسأل الله

الاحتراق بنار العشق والمحبة والاستغراق في بحر التوحيد والفوز باللقاء الدائم كما قال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾

﴿ويسألونك عن الجبال﴾ السؤال استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة وجوابه على اللسان واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة أو استدعاء مال وما يؤدي إلى مال وجوابه على اليد واللسان خليفة لها إما بوعد أو برد والسؤال للمعرفة قد يكون تارة للاستعلام وتارة للتبكيت وتارة لتعريف المسؤول وتنبيهه لا ليخبر ويعلم فإذا كان للتعريف تعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه وتارة بالجار تقول سألته كذا وسألته عن كذا وبكذا وبعن أكثر كما في هذا المقام وإذا كان لاستدعاء مال فإنه يتعدى بنفسه أو بمن نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] والجبال جمع جبل وهو كل وتد للأرض عظم وطال فإن انفرد فاكمة أو قنة واعتبر معانيه فاستعير واشتق منه بحسبها فقيل فلان جبل لا يتزحزح تصوراً لمعنى الثبات فيه وجبله الله على كذا إشارة إلى ما ركب فيه من الطبع الذي يأبى على الناقل نقله وتصور منه العظم فقيل للجماعة العظيمة جبل كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ [يس: ٦٢] أي: جماعة تشبيهاً بالجبل في العظم والجبال في الدنيا ستة آلاف وستمائة وثلاثة وسبعون جبلاً سوى التلول. والمعنى يسألونك عن ما آل أمرها وقد سأل عنها رجل من ثقيف وقال يا رسول الله ما يصنع بالجبال يوم القيامة ﴿فقل﴾ الفاء للمسارعة إلى الزام السائلين. قال الكاشفي: [پس بكويى تأخير در جواب ايشان كه بقدرت] ﴿ينسفها ربي نسفاً﴾ يقال نسفت الريح الشيء اقلعته وإزالته ونسف البناء قلعه من أصله والجبال دكها وذراها كما في «القاموس» أي: يقلعها من أصلها ويجعلها كالهباء المنثور. وفي «الإرشاد» يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها وتذروها. وفي الكبير لعل قوماً قالوا إنك تدعي أن الدنيا تفنى فوجب أن تبتدىء بالنقصان حتى تنتهي إلى البطلان لكنا لا نرى فيها نقصاناً ونرى الجبال كما هي وهذه شبهة ذكرها جالينوس في أن السماوات لا تفنى وجواب هذه الشبهة أن بطلان الشيء قد يكون ذبولياً يتقدمه النقصان وقد يكون دفعة فتبين أنه تعالى يزيل تركيبات العالم الجسماني دفعة بقدرته ومشيئته انتهى ومثاله: أن الدنيا مع جبالها وشدادها كالشاب القوي البدن ومن الشبان من يموت فجأة من غير تقدم مرض وذبول:

ديدى آن قهقهه كبك خرامان حافظ كه زسر پنجه شاهين قضا غافل بود

قال في «الأسئلة المقحمة»: قال هنا ﴿ويسألونك عن الجبال فقل﴾ بالفاء وفي موضع آخر ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠] من غير الفاء والجواب لأنهم يسألونه هٰهنا بعد فتقريره إن سألوك عن الجبال فقل نظيره فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فإن كنت في شك فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به بخلاف قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ﴾ لأنه هناك كانوا قد سألوه فأمر بالجواب كقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وغيرها من المواضع انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: وإن سألوك عن أحوال الجبال في ذلك اليوم فقل ينسفها ربي نسفاً يقلعها بتجلي صفة القهارية كما جعل الطور دكاً.

﴿فيذرها﴾ يقال فلان يذر الشيء أي: يقذفه لقلة اعتداده به ولم يستعمل ماضيه أي: وذر والمعنى فيترك مقارها ومراكزها حال كونها ﴿قاعاً﴾ مكاناً خالياً وأصله قوع. قال في «القاموس» القاع أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام انتهى ﴿صفصفاً﴾ مستوياً كأن أجزاءها على صنف واحد من كل جهة.

﴿لا ترى فيها﴾ أي: في مقار الجبال لا بالبصر ولا بالبصيرة استئناف مبين لكيفية القاع الصفصف والخطاب لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية ﴿عوجاً﴾ بكسر العين أي: عوجاً ما كأنه لغاية خفائه من قبيل خافي المعاني وذلك لأن العوج بالكسر يخص المعاني. قال في «المفردات» العوج العطف عن حال الانتصاب والعوج يقال فيما يدرك بالبصر كالخشب المنتصب ونحوه والعوج يقال فيما يدرك بفكر وبصيرة كما يكون في أرض بسيطة وكالدين والمعاش ﴿ولا أمتاً﴾ ارتفاعاً يسيراً. قال الزمخشري الأمت النتوء اليسير. وفي «القاموس» الأمت المكان المرتفع والتلال الصغار والانخفاض والارتفاع. قال في «المناسبات» ﴿ولا أمتا﴾ أي: تفاوتاً بارتفاع وانخفاض. وفي «الجلالين» ﴿عوجاً ولا أمتا﴾ انخفاضاً وارتفاعاً ومثله ما في تفسير الفارسي حيث قال: [عوجا پستى دفرمناره ولا امتا ونه بلندى وپشته].

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾

﴿يومئذٍ﴾ أي: يوم اذ نسفت الجبال على إضافة اليوم إلى وقت النسف وهو ظرف لقوله: ﴿يتبعون﴾ أي: الناس ﴿الداعي﴾ الذي يدعوهم إلى الموقف والمحشر وهو إسرافيل عليه السلام يدعو الناس عند النفخة الثانية قائماً على صخرة بيت المقدس ويقول أيتها العظام البالية والأوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قوموا إلى عرض الرحمٰن فيقبلون من كل أوب إلى صوبه أي: من كل جانب إلى جهته ﴿لا عوج له﴾ لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه بل يستوي إليه من غير انحراف متبعاً لصوته لأنه ليس في الأرض ما يحوجهم إلى التعويج ولا يمنع الصوت من النفوذ على السواء ﴿وخشعت الأصوات للرحمٰن﴾ خفضت من شدة الفزع وخفتت لهيبته والخشوع الخضوع وهو التواضع والسكون أو هو في الصوت والبصر والخضوع في البدن. وفي «المفردات» الخشوع ضراعة وأكثر ما يستعمل فيما يوجد على الجوارح والضراعة أكثر ما يستعمل فيما يوجد في القلب ولذلك قيل فيما روي إذا ضرع القلب خشعت الجوارح والصوت هواء متموج بتصادم جسمين وهو عام والحرف مخصوص بالإنسان وضعاً ﴿فلا تسمع إلا همساً﴾ صوتاً خفياً ومنه الحروف المهموسة وهمس الأقدام أخفى ما يكون من صوتها. وقال الكاشفي: [پس نشنوى تودران روزمكر آوازى نرم يعنى صوت اقدام ايشان در رفتن محشر]. قال الإمام الغزالي في «الدرة الفاخرة» ينفخ في الصور أي: نفخة أولى فتتطاير الجبال وتتفجر الأنهار بعضها في بعض فيمتلىء عالم الهواء ماء وتنثر الكواكب وتتغير الأرض والسماء ويموت العالمون فتخلو الأرض والسماء ثم يكشف سبحانه عن بيت في سقر فيخرج لهب من النار فيشتعل في البحور فتنشف أي: تسرب ويدع الأرض حمأة سوداء والسموات كأنها عكر الزيت والنحاس المذاب ثم يفتح تعالى خزانة من خزائن العرش فيها بحر الحياة فيمطر به الأرض وهو كمنيّ الرجال فتنبت الأجسام على هيئتها الصبي صبي والشيخ شيخ وما بينهما ثم

يهب من تحت العرش ريح لطيفة فتبرز الأرض ليس فيها جبل ولا عوج ولا أمت ثم يحيي الله تعالى إسرافيل فينفخ من صخرة بيت المقدس فتخرج الأرواح من ثقب في الصور بعددها ويحل كل روح في جسده حتى الوحش والطير فإذا هم بالساهرة أي: بوجه الأرض بعد أن كانوا في بطنها وقيل الساهرة صحراء على شفير جهنم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أرض من فضة بيضاء لم يعص الله عليها منذ خلقها.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿**لا ترى فيها عوجاً**﴾ من نقاياها ﴿**ولا أمتاً**﴾ من زواياها ﴿**يومئذٍ يتبعون الداعي**﴾ أي: الذي دعاهم في الدنيا فأجابوا داعيهم ﴿**لا عوج له**﴾ في دعائهم يعني كل داع من الدعاة يكون مجيباً في جبلته الإنسانية لأنه تعالى هو الداعي والمجيب كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ السَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥] فالله تعالى هو الداعي وهو المجيب بالهداية يجيب بلسان المشيئة فافهم جداً ولهذا السر يوجد في كل زمان من متبعي كل داع خلق عظيم ولا يوجد في كل قرن من متبعي داعي الله إلا الشواذ من أهل الله ومن أهل داعي الهوى والدنيا والشيطان والملك والنبي والجنة والقربة يوجد في كل زمان خلق على تفاوت طبقاتهم وقدر مراتبهم وبقوله: ﴿**وخشعت الأصوات للرحمٰن**﴾ يشير إلى أن داعي الله إذا دعا عبداً بالرحمانية خشعت وانقادت وذلت أصوات جميع الدعاة وانقطعت ﴿**فلا تسمع إلا همساً**﴾ أي: إلا وطأ أقدام المدعو ونقلها إلى داعيه انتهى. فعلى العاقل أن يتبع داعي الله الحق فإن ما سواه باطل، وفي «المثنوي»:

ديد روى جز تو شد غل كلو ... كل شيء ما سوى الله باطل
باطلند وميـنـمـا ينـدم رشـد ... زانكه باطل باطلانرا مى كشد
اشتر كورى مهار تو متين ... توكشش مى بين مهارت را مبين
كرشدى محسوس جذاب ومهار ... پس نماندى اين جهان دار الفرار
كبر ديدى كوپى سپك مى رود ... سخره ديو ستنبه مى شود
درپى اوكى شدى مانند حيز ... پاى خودرا واكشيدى كبر تيز
كاو كر واقف زقصابان بدى ... كى پى ايشان بدان دكان شدى
يابخوردى از كف ايشان سپوس ... يابدادى شير شان از چاپلوس
وربخوردى كى علف هضمش شدى ... كر ز مقصود علف واقف بدى
توبجد كارى كه بكرفتى بدست ... عيش اين دم برتو پوشيده شدست
برتوكر پيدا شدى زان عيب وشين ... زان رميدى جانت بعد المشرقين
حال كاخر زان پشيمان مى شوى ... كربود اين حالت اول كى دوى

﴿**يومئذٍ**﴾ أي: يوم إذ يقع ما ذكر من الأمور الهائلة ﴿**لا تنفع الشفاعة**﴾ من الشفعاء أحداً. قال الإمام الراغب الشفاعة الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى ومنه الشفاعة في القيامة ﴿**إلا من أذن له الرحمن**﴾ في أن يشفع له والإذن في الشيء إعلام بإجازته والرخصة فيه ﴿**ورضي له قولاً**﴾ أي: ورضي لأجله قول الشافع في شأنه وأما من عداه فلا تكاد تنفعه وإن فرض صدورها عن الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس كقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ الشَّـٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨] فالاستثناء من أعم المفاعيل.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾

﴿**يعلم**﴾ الله تعالى ﴿**ما بين أيديهم**﴾ أي: ما تقدمهم من الأحوال ﴿**وما خلفهم**﴾ وما بعدهم مما يستقبلون والضمير عائد إلى الذين يتبعون الداعي. وقال الكاشفي: [ميداند خداى تعالى آنچه پيش آدميانست ازامور آخرت وآنچه پس ايشانست ازكار دنيا].

وفي «التأويلات النجمية»: يعلم اختلاف أحوالهم من بدء خلقهم واختلاف أحوالهم إلى الأبد ﴿**ولا يحيطون به**﴾ تعالى ﴿**علماً**﴾ [يعني: أحاط نمى توانند كرد جميع عالميان بذات خداى تعالى ازجهت دانش] لأنه تعالى قديم وعلم المخلوقين لا يحيط بالقديم. وفيه إشارة إلى العجز عن كنه معرفته.

كجا دريابد اورا عقل چالاك ... كه بيرونست از سرحد ادراك
تماشا ميكن اسما وصفاتش ... كه آكه نيست كس از كنه ذاتش

قال بعض الكبار ما علمه غيره ولا ذكره سواه فهو عالم والذاكر على الحقيقة وذلك أن الحادث فاني الوجود والقديم باقي الوجود والفاني لا يدرك الباقي إلا بالباقي وإذا أدركه به فلا يبلغ إلى ذرة من كمال الأزلية لأن الإحاطة بوجوده مستحيلة من كل الوجوه صفاتاً وذاتاً وسراً وحقيقة. قال الواسطي: كيف يطلب أن يأخذ طريق الإحاطة وهو لا يحيط بنفسه علماً ولا بالسماء وهو يرى جوهرها. قال الراغب الإحاطة بالشيء هي أن تعلم وجوده وجنسه وكيفيته وغرضه المقصود به إيجاده وما يكون به ومنه وذلك ليس إلا لله تعالى. قال في «أنوار المشارق»: يجوز في طريقة الصوفية أن يطلب ما يقصر العقل عنه ولا يطيقه أي: ما لا يدرك بمجرد العقل ولا يجوز أن يطلب ما يحكم العقل باستحالته فلا يرد ما يقال أنى يحصل للعقول البشرية أن يسلكوا في الذات الإلهية سبيل الطلب والتفتيش وأنى تطيق نور الشمس أبصار الخفافيش.

قال الشيخ محمد پارسافى «فصل الخطاب»: لا يجوز أن يظهر في طور الولاية ما يحكم العقل باستحالته ويجوز أن يظهر فيه ما يقصر العقل عنه ومن لم يفرق بين ما يستحيله العقل وما لا يناله العقل فليس له عقل انتهى.

قال الشيخ عز الدين كنه ذات الحق تعالى وصفاته محجوب عن نظر العقول ونهاية معرفة العارفين هو أن ينكشف لهم استحالة معرفة حقيقة ذات الله لغير الله وإنما اتساع معرفتهم بالله إنما يكون في معرفة أسمائه وصفاته تعالى فبقدر ما تنكشف لهم معلوماته تعالى وعجائب مقدوراته وبديع آياته في الدنيا والآخرة يكون تفاوتهم في معرفته سبحانه وبقدر التفاوت في المعرفة يكون تفاوتهم في الدرجات الأخروية العالية.

﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾

﴿**وعنت الوجوه للحي القيوم**﴾ يقال عنوت فيهم عنواً وعناه صرت أسيراً كعنيت وخضعت كما في «القاموس» وإنما قيل عنت دون تعنو إشعاراً بتحقق العنو وثبوته كما في «بحر العلوم». واللام في الوجوه للجنس إشارة إلى الوجوه كلها صالحة وعاصية أو للعهد والمراد بها وجوه العصاة كقوله تعالى: ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الملك: ٢٧] وعبر عن المكلفين

بالوجوه لأن الخضوع فيها يتبين كما في «الكبير». والمعنى ذلت الوجوه يوم الحشر وخضعت للحي القيوم خضوع العناة أي: الأسارى في يد ملك قهار.

وفي «التأويلات النجمية»: خضعت وتذللت وجوه المكونات لمكونها الحي الذي به حياة كل حي القيوم الذي به قيام كل شيء احتياجاً واضطراراً واستسلاماً. وفي «العرائس»: افهم يا صاحب العلم أنه سبحانه ذكر الوجوه وفي العرف صاحب الوجه من كان وجيهاً من كل ذي وجاهة فالأنبياء والمرسلون والأولياء والمقربون بالحقيقة هم أصحاب الوجوه وكيف أنت بوجوه الحور العين ووجه كل ذي حسن فوجوه الجمهور مع حسنها وجلالها المستفاد من حسن الله وإن كانوا جميعاً مثل يوسف تلاشت وخرت وخضعت عند كشف نقاب وجهه الكريم وظهور جماله وجلاله القديم، قال المولى جامي:

آهنك جمال جاودانى آرم حسنى كه نه جاودان ازان بيزارم

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ «اطلبوا اسم الله الأعظم في هذه السور الثلاث البقرة وآل عمران وطه» قال الراوي والمشترك بينها ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿وقد خاب من حمل﴾ منهم ﴿ظلماً﴾ خسر من أشرك بالله ولم يتب، يعني: [بى بهره ماند ونوميد كشت] قال الراغب الخيبة فوق المطلب.

﴿ومن يعمل من الصالحات﴾ أي: بعض الصالحات فمن مفعول يعمل باعتبار مضمونه ﴿وهو مؤمن﴾ فإن الإيمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات ﴿فلا يخاف ظلماً﴾ أي: منع ثواب مستحق بموجب الوعد ﴿ولا هضماً﴾ ولا كسراً منه ينقص ومنه هضم الطعام. قال الراغب الهضم شدخ ما فيه رخاوة يقال هضمته فانهضم وهضم الدواء الطعام نهكه والهاضوم كل دواء هضم طعاماً ونخل طلعها هضيم أي: داخل بعضها في بعض كأنما شدخ. وقال الكاشفي: [پس نترسد دران روز ازستم وبيدادكه زيادتى سيآتست ونه از كسر وشكست كه نقصان حسناتست يعني نه از حسنات مؤمن چيزى كم كنند ونه سيآت وى افزايند] فعليك بالحسنات والكف عن السيآت فإن كل أحد يجد ثمرة شجرة أعماله ويصل بأعماله إلى كل آماله وأفضل الأعمال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم. قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم: عظني وأوجز قال: نعم يا أمير المؤمنين نزه ربك وعَظِّمه من أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك. قال بعض الكبار من علامة اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بحقوق الواجبات وهذا حال غالب الخلق إلا من عصمه الله ترى الواحد منهم يقوم بالأوراد الكثيرة والنوافل العديدة الثقيلة ولا يقوم بفرض واحد على وجهه وإنما حرموا الوصول بتضييعهم الأصول.

ـ حكي ـ عن أبي محمد المرتعش رحمه الله أنه قال: حججت حجات على قدم التجريد فسألتني أمي ليلة أن أستقي لها جرة فثقل ذلك عليّ فعلمت أن مطاوعة نفسي في الحجات كانت بحظ مشوب للنفس إذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع. ثم إن المرء بمجرد العمل لا يكون إلا عابداً وأما المعارف الإلهية والوصول إلى الدرجات العاليات فيحتاج إلى مرشد كامل ولذا هاجر الكبار من دار إلى دار لتحصيل صحبة المقربين والأبرار، قال الحافظ:

من بسر منزل عنقا نه بخود بردم راه قطع اين مرحله بامرغ سليمان كردم

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾

﴿وكذلك﴾ إشارة إلى إنزال ما سبق من الآيات المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من أحوال القيامة وأهوالها أي: مثل ذلك الإنزال ﴿أنزلناه﴾ أي: القرآن كله وإضماره لكونه حاضراً في الأذهان قال في «بحر العلوم» ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى مصدر أنزلنا أي: مثل ذلك الإنزال البين أنزلناه حال كونه ﴿قرآناً عربياً﴾ يعني: بلغة العرب ليفهموه ويقفوا على إعجازه وخروجه عن حد كلام البشر.

وفي «التأويلات النجمية»: أي كما أنزلنا الصحائف والكتب إلى آدم وغيره من الأنبياء بألسنتهم ولغاتهم المختلفة كذلك أنزلنا إليك قرآناً عربياً بلغة العرب وحقيقة كلامه التي هي الصفة القائمة بذاته منزهة عن الحروف والأصوات المختلفة المخلوقة وإنما الأصوات والحروف تتعلق باللغات والألسنة المختلفة ﴿وصرفنا فيه من الوعيد﴾ الصرف رد الشيء من حالة إلى حالة أو إبداله بغيره ومثله التصريف إلا في التكثير وأكثر ما يقال في صرف الشيء من حالة إلى حالة ومن أمر إلى أمر وتصريف الرياح هو صرفها من حال إلى حال. والوعيد التهديد بالفارسية [بيم نمودن] والمعنى بينا وكررنا في القرآن بعض الوعيد. قال الكاشفي: [چون ذكر طوفان ورجفه وصيحه وخسف ومسخ] كما قال في «التأويلات النجمية» أي: أوعدنا فيه قومك بأصناف العقوبات التي عاقبنا بها الأمم الماضية وكررنا ذلك عليهم. قال في «الكبير» يدخل تحته بيان الفرائض والمحارم لأن الوعيد بهما يتعلق ﴿لعلهم يتقون﴾ أي: يتقون الكفر والمعاصي بالفعل ﴿أو يحدث لهم ذكراً﴾ أي: يجدد القرآن لهم إيقاظاً واعتباراً بهلاك من قبلهم مؤدياً بالآخرة إلى الاتقاء وإحداث الشيء إيجاده والحدوث كون الشيء بعد أن لم يكن عرضاً كان أو جوهراً ﴿فتعالى الله﴾ تفاعل من العلو وليست مرتبة شريفة إلا والحق تعالى في أعلى الدرجات منها وأرفعها وذلك لأنه مؤثر وواجب لذاته وكل ما سواه أثر وممكن ولا مناسبة بين الواجب والممكن. قال في «الإرشاد» وهو استعظام له تعالى ولشؤونه التي يصرف عليها عباده من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك أي: ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وأفعاله وأحواله ﴿الملك﴾ السلطان النافذ أمره ونهيه الحقيق بأن يرجى وعده ويخشى وعيده ﴿الحق﴾ في ملكوته وألوهيته الحقيقي بالملك لذاته ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك﴾ يؤدى ويتم ويفرغ قال تعالى: ﴿لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ١١] أي: فرغ أجلهم ومدتهم المضروبة ﴿وحيه﴾ إلقاؤه وقراءته كان عليه السلام إذا ألقى إليه جبريل الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقي والحفظ فنهى عن ذلك إذ ربما يشغله التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها. والمعنى لا تعجل بقراءة القرآن خوف النسيان والانفلات قبل أن يستتم جبريل قراءته ويفرغ من الإبلاغ والتلقين فإذا بلغ فاقرأه.

وفي «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى سكوته عند قراءة القرآن واستماعه والتدبر في معانيه وأسراره للتنور بأنواره وكشف حقائقه ولهذا قال: ﴿وقل﴾ أي: في نفسك ﴿رب﴾ [اى پروردكار من] ﴿زدني﴾ [بيفزاي مرا] ﴿علماً﴾ أي: فهماً لإدراك حقائقه فإنها غير متناهية وتنوراً

بأنواره وتخلقاً بخلقه. وقال بعضهم علماً بالقرآن فكان كلما نزل عليه شيء من القرآن ازداد به علماً. وقال محمد بن الفضل علماً بنفسي وما تضمره من الشرور والمكر والغدر لأقوم بمعونتك في مداواة كل شيء منها بدوائه. وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا قرأها قال: اللهم زدني إيماناً ويقيناً بك وهو أجل التفاسير وأدقها لأنه علق الإيمان واليقين به تعالى دون غيره وهو أصعب الأمور كذا سمعت من شيخي وسندي قدس الله سره. قيل: ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم. قال الكاشفي: [در لطائف قشيري رحمه الله مذكوراست كه حضرت موسى عليه السلام زيادة علم طلبيد اورا حواله بخضر كردند وبى طلب پيغمبر مارا ﷺ دعاى زيادتي علم بياموخت وحواله بغير خود نكرد تا معلوم شودكه آنكه درمكتب ادب. «أدبني ربي» سبق ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] خوانده باشد هر آيينه دردرسكاه «علمك ما لم تكن تعلم» نكته «فعلمت علم الأولين والآخرين» بكوش هوش مستفيدان حقائق اشيا تواند رسانيد.

علمهاى انبياء واولياء دردلش رخشنده چون شمس الضحى
عالمى كاموز كارش حق بود علم اوبس كامل مطلق بود]

قال إبراهيم الهروي كنت بمجلس أبي يزيد البسطامي قدس سره فقال بعضهم إن فلاناً أخذ العلم من فلان قال أبو يزيد المساكين أخذوا العلوم من الموتى ونحن أخذنا العلم من حي لا يموت. قال أبو بكر الكتاني قال لي الخضر عليه السلام كنت بمسجد صنعاء وكان الناس يستمعون الحديث من عبد الرزاق وفي زاوية المسجد شاب في المراقبة فقلت له لم لا تسمع كلام عبد الرزاق؟ قال: أنا أسمع كلام الرزاق وأنت تدعوني إلى عبد الرزاق فقلت له: إن كنت صادقاً فأخبرني من أنا فقال لي: أنت الخضر. وفي الآية بيان لشرف العلم. قال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر العلم نور من أنوار الله تعالى يقذفه في قلب من أراده من عباده وهو معنى قائم بنفس العبد يطلعه على حقائق الأشياء وهو للبصيرة كنور الشمس للبصر مثلاً بل أتم وفي الخبر: قيل يا رسول الله أي: الأعمال أفضل؟ قال: «العلم بالله» قيل الأعمال نريد قال: «العلم بالله» فقيل: نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال عليه السلام: «إن قليل العمل ينفع مع العلم وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل» والمعتبر هو العلم النافع ولذلك قال عليه السلام: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع» والعلم بالله لا يتيسر إلا بتصفية الباطن فتصفية القلب عما سوى الله تعالى من أعظم القربات وأفضل الطاعات ولذلك كان مطمح نظر الأكابر في إصلاح القلوب والسرائر، قال الحافظ:

پاك وصافى شو وازچاه طبيعت بدر آى كه صفايى ندهد آب تراب آلوده

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ۝١١٥﴾

﴿**ولقد عهدنا إلى آدم**﴾ يقال: عهد فلان إلى فلان بعهد أي: ألقى العهد إليه وأوصاه بحفظه والعهد حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال وسمي الموثق الذي يلزم مراعاته عهداً وعهد الله تارة يكون بما ركزه في عقولنا وتارة يكون بما أمرنا به بكتابه وبألسنة رسله وتارة بما نلتزمه وليس بلازم في أصل الشرع كالنذور وما يجري مجراها وآدم أبو البشر عليه السلام قيل سمي بذلك لكون جسده من أديم الأرض وقيل لسمرة في لونه يقال رجل آدم نحو أسمر وقيل

سمي بذلك لكونه من عناصر مختلفة وقوى مفترقة يقال جعلت فلاناً أدمة أهلي أي: خلطته بهم وقيل سمي بذلك لما طيب به من الروح المنفوخ فيه وجعل له من العقل والفهم والرؤية التي فضل بها على غيره وذلك من قولهم الإدام وهو ما يطيب به الطعام وقيل أعجمي وهو الأظهر والمعنى وبالله لقد أمرناه ووصيناه بأن لا يأكل من الشجرة وهي المعهودة ويأتي بيانه بعد هذه الآية **﴿من قبل﴾** من قبل هذا الزمان **﴿فنسي﴾** العهد ولم يهتم به حتى غفل عنه والنسيان بمعنى عدم الذكر أو تركه ترك المنسي عنه. قال الراغب النسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلبه وإما عن غفلة أو عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره وكل نسيان من الإنسان ذمه الله تعالى به فهو ما كان أصله عن تعمد وما عذر فيه نحو ما روي «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان» فهو ما لم يكن سببه منه **﴿ولم نجد له عزماً﴾** إن كان من الوجود العلمي فله وعزماً مفعولاه وقدم الثاني على الأول لكونه ظرفاً وإن كان من الوجود المقابل للعدم وهو الأنسب لأن مصب الفائدة هو المفعول وليس في الأخبار بكون العزم المعدوم له مزيد مزية فله متعلق به والعزم في اللغة توطين النفس على الفعل وعقد القلب على إمضاء الأمر. والمعنى لم نعلم أو لم نصادف له تصميم رأي وثبات قدم في الأمور ومحافظة على ما أمر به وعزيمة على القيام به إذ لو كان كذلك لما أزله الشيطان ولما استطاع تغريره وقد كان ذلك منه عليه السلام في بدء أمره من قبل أن يجرب الأمور ويتولى حارها وقارها ويذوق شريها وأريها لا من نقصان عقله فإنه أرجح الناس عقلاً كما قال عليه السلام: «لو وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه» وقد قال الله تعالى: **﴿ولم نجد له عزماً﴾** ومعنى هذا أن آدم مع ذلك أثر فيه وسوسته فكيف في غيره، قال الحافظ:

دام سختست مكر لطف خدا يا رشود ورنه آدم نبرد صرفه ز شيطان رجيم

قيل: لم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعاً عن الإنسان فكان مؤاخذاً به وإنما رفع عنا.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل﴾** أي: من قبل أن يكون أولاً وأن لا يتعلق بغيرنا ولا ينقاد لسوانا فلما دخل الجنة ونظر إلى نعيمها **﴿فنسي﴾** عهدنا وتعلق بالشجرة وانقاد للشيطان **﴿ولم نجد له عزماً﴾** يشير إلى أن الله تعالى لما خلق آدم وتجلى فيه بجميع صفاته صارت ظلمات صفات خليقته مغلوبة مستورة بسطوات تجلي أنوار صفات الربوبية ولم يبق فيه عزم التعلق بما سواه والانقياد لغيره فلما تحركت فيه دواعي البشرية الحيوانية وتداعت الشهوات النفسانية الإنسانية واشتغل باستيفاء الحظوظ نسي أداء الحقوق ولهذا سمي الناس ناساً لأنه ناس فنشأت له من تلك العاملات ظلمات بعضها فوق بعض وتراكمت حتى صارت غيوم شموس المعارف وأستار أقمار العوارف فنسي عهود الله ومواثيقه وتعلق بالشجرة المنهي عنها. قال العلامة: يا انيسان عادتك النسيان أذكر الناس ناسٍ وأرق القلوب قاسٍ. قال أبو الفتح البستي في الاعتذار من النسيان إلى بعض الرؤساء:

يا أكثر الناس إحساناً إلى الناس يا أحسن الخلق إعراضاً عن الباس
نسيت وعدك والنسيان مغتفر فاغفر فأول ناس أول الناس

قال علي رضي الله عنه: عشرة يورثن النسيان: كثرة الهم، والحجامة في النقرة، والبول في الماء الراكد، وأكل التفاح الحامض، وأكل الكزبرة، وأكل سؤر الفار، وقراءة ألواح القبور،

والنظر إلى المصلوب، والمشي بين الجملين المقطورين، وإلقاء القملة حية كما في «روضة الخطيب» لكن في قاضي خان لا بأس بطرح القملة حية والأدب أن يقتلها. وزاد في المقاصد الحسنة مضغ العلك أي: للرجال إذا لم يكن من علة كالبخر ولا يكره للمرأة إن لم تكن صائمة لقيامه مقام السواك في حقهن لأن سنها أضعف من سن الرجال كسائر أعضائها فيخاف من السواك سقوط سنها وهو ينقي الأسنان وتشد اللثة كالسواك.

واعلم أن من أشد أسباب النسيان العصيان فنسأل الله العصمة والحفظ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾

﴿وإذ قلنا﴾ أي: واذكر يا محمد وقت قولنا ﴿للملائكة﴾ أي: لمن في الأرض والسماء منهم عموماً كما سبق تحقيقه ﴿اسجدوا لآدم﴾ سجود تحية وتكريم. وقال البيضاوي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك أنه نسي ولم يكن من أولي العزيمة والثبات انتهى. وفيه إشارة إلى استحقاقه لسجودهم لمعان جمة: منها لأنه خلق لأمر عظيم هو الخلافة فاستحق لسجودهم، ومنها لأن الله تعالى جعله مجمع مجرى عالمي الخلق والأمر والملك والملكوت والدنيا والآخرة فما خلق شيئاً في عالم الخلق والدنيا إلا وقد جعل في قالبه أنموذجاً منه وما خلق شيئاً في عالم الأمر والآخرة إلا وقد أودع في روحه حقائقه وأما الملائكة فقد خلقت من عالم الأمر والملكوت دون عالم الخلق والملك فبهذه النسبة اختص آدم بالكمال وما دونه بالنقصان فاستحق السجود والكمال، ومنها لأنه خلق روحه في أحسن تقويم من بين سائر الأرواح من الأرواح الملكية وغيرها وخلقت صورته في أحسن صورة على صورة الرحمٰن والملائكة وإن خلقت في حسن ملكي روحاني لم يخلقوا في حسن صورته فله الأفضلية في كلا الحالين فاستحق لسجودهم بالأفضلية، ومنها لأنه شرف في تسوية قالبه بتشريف خمر طينة آدم بيده أربعين صباحاً وباختصاص لما خلقت بيدي وأكرم في تعلق روحه بالقالب بكرامة ونفخت فيه من روحي فألزمهم سجود الكرامة بقوله ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] وأثبت له استحقاق سجودهم بقوله: «يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي» ومنها لأنه اختص بعلم الأسماء كلها وأنهم قد احتاجوا في أنباء أسمائهم كما قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فوجب عليهم أداء حقوقه بالسجود، ومنها: لأنه لما خلقه الله تعالى تجلى فيه بجميع صفاته فأسجد الله تعالى ملائكته إياه تعظيماً وتكريماً وإعزازاً وإجلالاً فإنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فسجدوا إلا إبليس أبى أن يسجد وذلك لأن الله تعالى لما قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة إلي ونقدس لك كان هذا الكلام منهم نوع اعتراض على الله وجنس غيبة لآدم وإظهار فضيلة لأنفسهم عليه فأجابهم الله بقوله إني أعلم ما لا تعلمون أي: إني أودعت فيه من علم الأسماء واستعداد الخلافة ما لا تعرفون به فله الفضيلة عليكم فاسجدوا له كفارة لاعتراضكم واستغفاراً لغيبته وتواضعاً لأنفسكم فأقر الملائكة واعترفوا بما جرى عليهم من الخطأ وتابوا واستسلموا لأحكام الله تعالى فسجدوا لآدم وأما إبليس فقد أصر على ذنب الاعتراض والغيبة والعجب بنفسه ولم يستسلم لأحكام الله وزاد في الاعتراض والغيبة والعجب فقال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وأبى أن يسجد كذا في «التأويلات» ﴿فسجدوا﴾ تعظيماً لأمر ربهم

وامتثالاً له ﴿إلا إبليس﴾ فإنه لم يسجد ولم يطرح أردية الكبر ولم يخفض جناحه، وفي «المثنوي»:

آنكـه آدم را بـدن ديـد اورمـيـد وانكـه نـور مـؤتـمـن ديد او حـمـيـد

يقال: أبلس يئس وتحير ومنه إبليس أو هو أعجمي كما في «القاموس» كأنه قيل ما باله لم يسجد فقيل: ﴿أبى﴾ السجود وامتنع منه. قال في «المفردات»: الإباء شدة الامتناع فكل إباء امتناع وليس كل امتناع إباء.

﴿فقلنا﴾ عقيب ذلك اعتناء بنصحه ﴿يا آدم إن هذا﴾ الحقير الذي رأيت ما فعل ﴿عدو لك ولزوجك﴾ حواء والزوج اسم للفرد بشرط أن يكون معه آخر من جنسه ذكراً كان أو أنثى. ولعداوته وجوه:

الأول: أنه كان حسوداً فلما رأى نعم الله على آدم حسده فصار عدواً له. وفيه إشارة إلى أن كل من حسد أحداً يكون عدواً له ويريد هلاكه ويسعى في إفساد حاله.

والثاني أنه كان شاباً عالماً وإبليس شيخاً جاهلاً لأنه أثبت فضيلته بفضيلة أصله وأنه جهل والشيخ الجاهل يكون أبداً عدو الشاب العالم:

زد شيخ شهر طعنه بر اسرار اهل دل الـمـرء لا يـزال عـدواً لـمـا جـهـل

والثالث أنه مخلوق من النار وآدم من الماء والتراب وبين أصليهما عداوة فبقيت العداوة فيهما ﴿فلا يخرجنكما من الجنة﴾ أي: لا يكونن سبباً لإخراجكما منها فهو من قبيل إسناد الفعل إلى السبب وإلا فالمخرج حقيقة هو الله تعالى وظاهره وإن كان نهي إبليس عن الإخراج إلا أن المراد نهيهما من أن يكونا بحيث يتسبب الشيطان في إخراجهما منها بالطريق البرهاني ﴿فتشقى﴾ جواب للنهي وإسناد الشقاء إليه لرعاية الفواصل ولأصالته. قال في المفردات الشقاوة خلاف السعادة وكما أن السعادة ضربان سعادة دنيوية وسعادة أخروية ثم السعادة الدنيوية ثلاثة أضرب: سعادة نفسية، وبدنية، وخارجية، كذلك الشقاوة على هذه الأضرب وفي الشقاوة الأخروية قال تعالى: ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾ وفي الدنيوية ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ انتهى وقد يوضع الشقاء موضع التعب نحو شقيت في كذا كما قال في «القاموس» الشقا الشدة والعسر ويمد انتهى. فالمعنى لا تباشر أسباب الخروج فيحصل الشقاء وهو الكد والتعب الدنيوي مثل الحرث والزرع والحصد والطحن والعجن والخبز ونحو ذلك مما لا يخلو الناس عنه في أمر تعيشهم ويؤيده ما بعد الآية. قال الكاشفي: [فتشقى كه تودر رنج افتى يعنى چون از بهشت بيرون روى بكديمين وعرق جبين اسباب معاش مهيا بايدكرد]. عن سعيد بن جبير أهبط إلى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه فذلك شقاوة.

يقول الفقير: الظاهر أن الشيطان بسبب عداوته لا يخلو عن تحريض فعل يكون سبباً للخروج فالشقاوة في الحقيقة متفرعة على مباشرة أمر منهي عنه فافهم.

وفي «التأويلات النجمية»: هي شقاوة البعد عن الحضرة إن لم يرجع إلى مقام قربه من جوار الحق بالتوبة والاستغفار. وفيه إشارة إلى أن العصيان وامتثال الشيطان موجب للإخراج من جنة القلب والهبوط إلى أرض البشرية بعد الصعود عنها والعبور عليها.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿إن لك أن لا تجوع فيها﴾ لك خبر إنّ وأن لا تجوع في محلّ النصب على الاسمية أي: قلنا إن حالك ما دمت في الجنة عدم الجوع إذ النعم كلها حاضرة فيها **﴿ولا تعرى﴾** من الثياب لأن الملبوسات كلها موجودة في الجنة والعرى الجلد عما يستره.

﴿وأنك لا تظمأ فيها﴾ أي: لا تعطش لأن العيون والأنهار جارية على الدوام. قال الراغب: الظمء ما بين الشربتين والظمأ العطش الذي يعرض من ذلك **﴿ولا تضحى﴾** أي: لا يصيبك حر الشمس في الجنة إذ لا شمس فيها وأهلها في ظل ممدود يقال ضحى الرجل للشمس بكسر الحاء إذا برز وتعرض لها وأن بالفتح مع ما في حيزها عطف على أن لا تجوع وفصل الظمأ دفعاً لتوهم أن نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال في الجمع بين العري والضحو.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الجنة وإن كانت باقية وهي جوار الحق لكنها مرتعة من مراتع النفس البهيمية الحيوانية ولها فيها تمتع من المأكولات والمشروبات والملبوسات والمنكوحات كما كان لها في المراتع الدنيوية الفانية انتهى.

﴿فوسوس إليه الشيطان﴾ أي: أنهى إلى آدم وسوسته وأبلغ فتعديته بإلى باعتبار تضمينه معنى الإنهاء والإبلاغ وإذا قيل وسوس له فمعناه لأجله والوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي لأصواتها وهو فعل لازم. قال الكاشفي: [پس وسوسه كرد بسوى آدم شيطان پس آزانكه ببهشت درآمد وحوارا ديد وازمرك بترسانيد وحوا با آدم بازكفت وآدم ازمرك ترسان شده بابليس كه بصورت بيرى برايشان ظاهر شده بودبدو رجوع كرده بود بطريق تضرع ازوى علاج مرك طلبيد] **﴿قال﴾** إما بدل من وسوس أو استئناف كأنه قيل فماذا قال في وسوسته فقيل قال: **﴿يا آدم﴾** [علاج اين مرض خوردن ميوه شجره خلداست] **﴿هل أدلك﴾** [آيادلالت كنم ترا] **﴿على شجرة الخلد﴾** أي: شجرة من أكل منها خلد ولم يمت أصلاً سواء كان على حاله أو بأن يكون ملكاً فأضافها إلى الخلد وهو الخلود لأنها سببه بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحياة لأنها سببها. قال الراغب الخلود تبري الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي هو عليها والخلود في الجنة بقاء الأشياء على الحالة التي هي عليها من غير اعتراض الكون والفساد عليها **﴿وملك لا يبلى﴾** أي: لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه، وبالفارسية: [كهنه نشود آدم كفت دلالت كن مرابا آن ابليس راهنمون شد آدم وحوارا بشجره منهيه].

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾

﴿فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما﴾ يقال بدا الشيء بدواً وبدوّا ظهر ظهوراً بيناً وكنى عن الفرج بالسوءة لأنه يسوء الإنسان انكشافه أي: يغمه ويحزنه. قال الكاشفي: [يعني لباس جنت ازايشان بريخت وبرهنه شدند]. قال ابن عباس: إنهما عريا عن النور الذي كان الله البسهما إياه حتى بدت فروجهما. وقيل: كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في أطراف الأصابع. وقيل: كان لباسهما الخلة. وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «إن أباكم آدم كان رجلاً طويلاً كالنخلة السحوق كثير الشعر مواري العورة

فلما واقع الخطيئة بدت سوءته فانطلق في الجنة هارباً فمر بشجرة فأخذت بناصيته فأجلسته فناداه ربه أفراراً مني يا آدم؟ قال: لا يا رب ولكن حياء منك». قال الحصيري: بدت لهما ولم تبد لغيرهما لئلا يعلم الأغيار من مكافأة الجناية ما علما ولو بدت للأغيار لقال بدت منهما ﴿وطفقا﴾ شرعاً يقال طفق يفعل كذا أي: أخذ وشرع ويستعمل في الإيجاب دون النفي لا يقال ما طفق ﴿يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ في «القاموس» خصف النعل يخصفها خرزها والورق على بدنه ألزقها وأطبقها عليه ورقة ورقة أي: يلزقان الورق على سوءاتهما للتستر وهو ورق التين قيل كان مدوراً فصار على هذا الشكل من تحت أصابعهما ﴿وعصى آدم ربه﴾ بأكل الشجرة، يعني: [خلاف كرد آدم امر پروردكار خودرا درخوردن درخت] يقال عصى عصياناً إذا خرج عن الطاعة وأصله أن يتمنع بعصاه كما في المفردات ﴿فغوى﴾ ضل عن مطلوبه الذي هو الخلود أو عن المأمور به وهو التباعد عن الشجرة في ضمن ولا تقربا هذه الشجرة أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدو لأن الغي خلاف الرشد.

واعلم أن المعصية فعل محرم وقع عن قصد إليه والزلة ليست بمعصية ممن صدرت عنه لأنها اسم لفعل حرام غير مقصود في نفسه للفاعل ولكن وقع عن فعل مباح قصده فإطلاق اسم المعصية على الزلة في هذه الآية مجاز لأن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الكبائر والصغائر لا من الزلات عندنا وعند بعض الأشعرية لم يعصموا من الصغائر وذكر في «عصمة الأنبياء» ليس معنى الزلة أنهم زلوا عن الحق إلى الباطل ولكن معناها أنهم زلوا عن الأفضل إلى الفاضل وأنهم يعاتبون به لجلال قدرهم ومكانتهم من الله تعالى. قال ابن الشيخ في «حواشيه» العصيان ترك الأمر وارتكاب المنهي عنه وهو إن كان عمداً يسمى ذنباً وإن كان خطأ يسمى زلة والآية دالة على أنه عليه السلام صدرت عنه المعصية والمصنف سماها زلة حيث قال وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم الزلة وزجر بليغ لأولاده عنها انتهى بناء على أنه إنما ترك الانتهاء عن أكل الشجرة اجتهاداً لا بأن تعمد المعصية ووجه الاجتهاد أنه عليه السلام حمل النهي على التنزيه دون التحريم وحمل قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥، الأعراف: ١٩] على شجرة بعينها دون جنسها ومع ذلك الظاهر أن هذه الواقعة إنما كانت قبل نبوته. وفي «الأسئلة المقحمة»: فإن قيل فإذا كان هذا خطأ في الاجتهاد ومن اجتهد فأخطأ لا يؤخذ به فكيف آخذ آدم بذلك قلنا لم يكن هذا موضع الاجتهاد إذا كان الوحي يتواتر عليه نزوله فكان تفريطه لو اجتهد في غير الاجتهاد. فإن قيل فهل أوحي إليه ليعلم ذلك؟ قلنا: انقطع عنه الوحي ليقضي الله تعالى ما أراده كما انقطع عن الرسول عليه السلام ثمانية عشر يوماً وقت إفك عائشة رضي الله عنها ليقضي الله تعالى ما أراده. وفي «الكبير» فإن قيل دل هذا على الكبيرة لأن العاصي اسم ذم فلا يليق إلا بصاحب الكبيرة ولأن الغواية ترادف الضلالة وتضاد الرشد ومثله لا يتناول إلا المنهمك في الفسق وأجيب بأن المعصية خلاف الأمر والأمر قد يكون بالمندوب ويقال أمرته بشرب الدواء فعصاني فلم يبعد إطلاقه على آدم لا لأنه ترك الواجب بل لأنه ترك المندوب. وفيه أيضاً ليس لأحد أن يقول كان آدم عاصياً غاوياً لوجوه:

الأول قال العتبي: يقال للرجل قطع ثوباً وخاطه قد قطعه وخاطه ولا يقال خائط وخياط إلا إذا عاود الفعل فكان معروفاً به والزلة لم تصدر من آدم إلا مرة فلا تطلق عليه.

والثاني: أن الزلة إن وقعت قبل النبوة لم يجز بعد أن شرف الله تعالى بالرسالة إطلاقها

عليها وإن كانت بعد النبوة فكذلك بعد أن تاب كما لا يقال للمسلم التائب إنه كافر أو زان أو شارب خمر اعتباراً بما قبل إسلامه وتوبته.

والثالث: أن قولنا عاص وغاو يوهم عصيانه في الأكثر وغوايته عن معرفة الله والمراد في القصة ليس ذلك فلا يطلق دفعاً للوهم الفاسد.

والرابع: يجوز من الله ما لا يجوز من غيره كما يجوز للسيد في ولده وعبده عند المعصية قول ما لا يجوز لغيره. قال الحسن: والله ما عصى إلا بنسيان. قال جعفر طالع الجنان ونعيمها فنودي عليه إلى يوم القيامة وعصى آدم ولو طالعها بقلبه لنودي عليه بالهجران إلى أبد الآباد.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وعصى آدم ربه﴾ بصرف محبته في طلب شهوات نفسه ﴿فغوى﴾ بصرف الفناء في الله في طلب الخلود وملك البقاء في الجنة انتهى، وفي «المثنوي»:

جيست توحيد خدا آموختن خويشتن را پيش واحد سوختن
كرهمى خواهى كه بفروزى چوروز هستىء همچون شب خودرا بسوز
هستيت درهست آن هستى نواز همچومس دركيميا اندر كداز

سئل ابن عطاء عن قصة آدم أن الله تعالى نادى عليه بمعصية واحدة وستر على كثير من ذريته فقال: إن معصية آدم كانت على بساط القربة في جواره ومعصية ذريته في دار المحنة فزلته أكبر وأعظم من زلتهم.

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿ثم اجتباه ربه﴾ اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه أي: جمعه ﴿فتاب عليه﴾ أي: قبل توبته حين تاب هو وزوجته قائلين ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] ﴿وهدى﴾ أي: إلى الثبات على التوبة والتمسك بأسباب العصمة. وفيه إشارة إلى أنه لو وكل إلى نفسه وغريزته التي جبل عليها ما كانت التوبة من شأنه ولا الرجوع إلى الله من برهانه ولكنّ الله بفضله وكرمه اجتباه وبجذبة العناية رفاه وإلى حضرة الربوبية هداه وفي الحديث «لو جمع بكاء أهل الدنيا إلى بكاء داود لكان بكاؤه أكثر ولو جمع ذلك إلى بكاء نوح لكان أكثر» وإنما سمي نوحاً لنوحه على نفسه «ولو جمع ذلك كله إلى بكاء آدم على خطيئته لكان أكثر»، وفي «المثنوي»:

خاك غم را سرمه سازم بهر چشم تاز كوهر پرشود دوبحر چشم
اشك كان ازبهر او بارند خلق كوهرست واشك پندارند خلق
توكه يوسف نيستى يعقوب باش همچو اوبا كريه وآشوب باش
پيش يوسف نازش وخوبى مكن جزنياز وآه يعقوبى مكن
آخر هركريه آخر خنده ايست مرد آخر بين مبارك بنده ايست

قال وهب لما كثر بكاؤه أمره الله بأن يقول: «لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين» فقالها ثم قال: «قل سبحانك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني وأنت خير الراحمين» ثم قال: «قل سبحانك لا إله إلا

أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التواب» قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اعترف آدم بالخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد أن تغفر لي فقال الله: يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا اسم أحب الخلق إليك فقال الله تعالى: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ فغفرت لك ولولا محمد ما خلقتك» رواه البيهقي في «دلائله» قال بعض الكبار إنه من لطفه وكرمه عاقب آدم في الدنيا بالمجاهدات الكثيرة بما جرى عليه من المعصية ويعاقب الجمهور في الآخرة بما جرى عليهم من المعصية في الدنيا وفي هذا خاصية له لأن عقوبة الدنيا أهون وقال مثل الشيطان مثل حية تمشي على وجه الأرض إلى رأس كنز وخلفها إنسان ليقتلها فلما ضربها وجد تحت ضربه كنزاً فصار الكنز له وصارت الحية مقتولة وبلغ إلى الأمرين العظيمين البلوغ إلى المأمول والفلاح من العدو فكذا شأن آدم مع الملعون دله على كنز من كنوز الربوبية غرضه العداوة والضلالة فوصل آدم إلى الاجتبائية الأبدية بعد الاصطفائية الأزلية وبلغ الملعون إلى اللعنة الأزلية الأبدية. قال ابن عطاء: اسم العصيان مذموم إلا أن الاجتباء والاصطفاء منعا أن يلحق آدم اسم المذمة. قال الواسطي العصيان لا يؤثر في الاجتبائية وفي الحديث: «احتج آدم وموسى» احتجاجاً روحانياً أو جسمانياً بأن أحياهما واجتمعا كما ثبت في حديث الإسراء أنه عليه السلام اجتمع مع الأنبياء وصلى بهم «فقال موسى يا آدم أنت أبونا الذي خيبتنا» أي: كنت سبباً لخيبتنا عن سكون الجنة من أول الأمر «وأخرجتنا من الجنة بخطيئتك التي خرجت بها منها» قال الحافظ:

من ملك بودم وفردوس برين جايم بود   آدم آورد درين دير خراب آبادم

«فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه» أي: جعلك كليمه «وخط لك التوراة بيده أتلومني» همزة الاستفهام فيه للإنكار «على أمر قدره الله عليّ» أي: كتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقني بأربعين سنة المراد منه التكثير لا التحديد. فإن قيل العاصي منا لو قال هذه معصية قدرها الله عليّ لم يسقط عنه اللوم فكيف أنكر آدم بهذا القول على كونه ملوماً. قلنا: أنكر اللوم من العبد بعد عفو الله عن ذنبه ولهذا قال أتلومني ولم يقل أألام على بناء المجهول أو تقول اللوم على المعاصي في دار التكليف كان للزجر وفي غيرها لا يفيد فيسقط «فحج آدم موسى فحج آدم موسى» كرره للتأكيد يعني غلب بالحجة على موسى لأنه أحال ذلك على علم الله ونبه عليه بأنه غفل عن القدر السابق الذي هو الأصل وقصر النظر على السبب اللاحق الذي هو الفرع وزاد في بعض الروايات «قال آدم بكم وجدت الله كتب لك التوراة قبل أن أخلق قال موسى أربعين عاماً قال آدم فهل وجدت فيها وعصى رسول الله عليه السلام فحج آدم موسى» قال الحافظ:

عيب رندان مكن اى زاهدپا كيزه سرشت   كه كناه دكران بر تو نخواهند نوشت
من اكرنيكم وكر بدتو برو خودرا باش   هركسى آن درود عاقبت كار كه كشت

وقال:

درين چمن نكنم سرزنش بخود رويى   چنانكه پرورشم ميدهند ميرويم

وقال:

نقش مستوری ومستی نه بدست من وتست آنچه سلطان ازل كفت بكن آن كردم

وقال:

عيبم مكن زرندى وبدنامى اى حكيم كين بود سرنوشت زديوان قسمتم

وقال:

من ارچه عاشقم ورند ومست ونامه سياه هزار شكر كه ياران شهر بى كنهند

﴿**قال**﴾ الله تعالى لآدم وحواء بعد صدور الزلة ﴿**اهبطا منها جميعاً**﴾ أي: انزلا من الجنة إلى الأرض هذا خطاب العتاب واللوم في الصورة وخطاب التكميل والتشريف في المعنى يقال هبط هبوطاً إذا نزل. قال الراغب الهبوط الانحدار على سبيل القهر كهبوط الحجر قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] وإذا استعمل في الإنسان الهبوط فعلى سبيل الاستخفاف بخلاف الإنزال فإن الإنزال ذكره الله في الأشياء التي نبه على شرفها كإنزال القرآن والملائكة والمطر وغير ذلك والهبوط ذكره حيث نبه على البغض نحو ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦] وقال: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣] ﴿**بعضكم لبعض عدو**﴾ أي: بعض أولادكم عدو لبعض في أمر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب فيكون نظير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] أي: جعل أولادهما وجمع الخطاب باعتبار أنهما أصل الذرية ومآله بعضكم يا ذرية آدم عدو لبعض.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه جعل فيما بينهم العداوة لئلا يكون لهم حبيب إلا هو كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٧] ولما اختص آدم منهم بالاجتباء والاصطفاء وأهبطه إلى الأرض معهم للابتلاء وعده بالاهتداء فقال: ﴿**فإما يأتينكم**﴾ يا ذرية آدم وحواء ﴿**مني هدى**﴾ كتاب ورسول والأصل فإن يأتينكم وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط وما هذه مثل لام القسم في دخول النون المؤكدة معها وإنما جيء بكلمة الشك إيذاناً بأن إتيان الهدى بطريق الكتاب والرسول ليس بقطعي الوقوع وأنه تعالى إن شاء هدى وإن شاء ترك لا يجب عليه شيء ولك أن تقول إتيان الكتاب والرسول لما لم يكن لازم التحقق والوقوع أبرز في معرض الشك وأكد حرف الشرط والفعل بالنون دلالة على رجحان جهة الوقوع والتحقق ﴿**فمن اتبع هداي**﴾ أي: فمن آمن بالكتاب وصدق بالرسول ﴿**فلا يضل**﴾ في الدنيا عن طريق الدين القويم ما دام حياً ﴿**ولا يشقى**﴾ في الآخرة بالعقاب، يعني: [برنج نيفتد در آخرت وبعقوبت وعذاب مبتلا نشود].

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿**ومن أعرض عن ذكري**﴾ أي: الكتاب الذاكر لي والرسول الداعي إليّ والذكر يقع على القرآن وغيره من كتب الله كما سبق ﴿**فإن له**﴾ في الدنيا ﴿**معيشة ضنكا**﴾ ضيقاً مصدر وصف به مبالغة ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث. والمعنى معيشة ذات ضنك وذلك لأن نظره مقصور على أغراض الدنيا وهو يتهالك على ازديادها وخائف من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب الآخرة مع أنه قد يضيق الله عليه بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان.

واعلم أن من عقوبة المعصية ضيق المعيشة والرد إلى النفس والأجناس والأكوان من ضيق المعيشة.

وفي «التأويلات النجمية» الهدى في الحقيقة نور يقذفه الله في قلوب أنبيائه وأوليائه ليهتدوا به إليه وفي الصورة العلماء السادة والمشايخ القادة بعد الأنبياء والمرسلين ﴿**فمن اتبع هداي**﴾ بالتسليم والرضى والأسوة الحسنة ﴿**فلا يضل**﴾ عن طريق الحق ﴿**ولا يشقى**﴾ بالحرمان وحقيقة الهجران ﴿**ومن أعرض عن ذكري**﴾ أي: عن ملازمة ذكري في اتباع هداي أي: إذا جاءه ﴿**فإن له معيشة ضنكا**﴾ أي: يعذب قلبه بذل الحجاب وسد الباب فإن الذكر مفتاح القلوب والإعراض عنه سد بابها:

ذكر حق مفتاح باشد أى سعيد   تا نبكشايى در جان بى كليد

چون ملك ذكر خدارا كن غذا   اين بود دائم معاش اوليا

﴿**ونحشره**﴾ أي: المعرض. قال في «بحر العلوم»: الحشر يجيء بمعنى البعث والجمع والأول هو المراد هنا ﴿**يوم القيامة أعمى**﴾ فاقد البصر كما في قوله تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ [الإسراء: ٩٧]. وفي «عرائس البقلي»: يعني جاهلاً بوجود الحق كما كان جاهلاً في الدنيا كما قال علي رضي الله عنه: من لم يعرف الله في الدنيا لا يعرفه في الآخرة ﴿**قال**﴾ استئناف بياني ﴿**رب**﴾ [اى پروردكارمن] ﴿**لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً**﴾ أي: في الدنيا.

﴿**قال كذلك**﴾ أي: مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر بقوله: ﴿**أتتك آياتنا**﴾ أي: آيات الكتاب أو دلائل القدرة وعلامات الوحدة واضحة نيرة بحيث لا تخفى على أحد ﴿**فنسيتها**﴾ أي: عميت عنها وتركتها ترك المنسي الذي لا يذكر أصلاً ﴿**وكذلك**﴾ أي: ومثل ذلك النسيان الذي كنت فعلته في الدنيا ﴿**اليوم تنسى**﴾ تترك في العمى والعذاب جزاء وفاقاً لكن لا أبداً كما قيل بل إلى ما شاء الله ثم يزيله عنه ليرى أهوال القيامة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك له عذاباً فوق العذاب وكذلك البكم والصمم يزيلهما الله عنهم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾

﴿**وكذلك**﴾ أي: ومثل ذلك الجزاء الموافق للجناية ﴿**نجزي من أسرف**﴾ في عصيانه والإسراف مجاوزة الحد في كل فعل يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر ﴿**ولم يؤمن بآيات ربه**﴾ أي: بالقرآن وسائر المعجزات بل كذبها وأعرض عنها ﴿**ولعذاب الآخرة**﴾ على الإطلاق أو عذاب النار ﴿**أشد**﴾ مما نعذبهم به في الدنيا من ضنك العيش ونحوه ﴿**وأبقى**﴾ وأدوم لعدم انقطاعه فمن أراد أن ينجو من عذاب الله وينال ثوابه فعليه أن يصبر على شدائد الدنيا في طاعة الله ويجتنب المعاصي وشهوات الدنيا فإن الجنة قد حفت بالمكاره وحفت النار بالشهوات كما ورد دعا الله جبريل فأرسله إلى الجنة فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فرجع فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها فحفت بالمكاره فقال: ارجع إليها فانظر فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد ثم أرسله إلى النار فقال: انظر إليها وما أعددت لأهلها فرجع إليه فقال: وعزتك لا يدخلها أحد يسمع بها فحفت بالشهوات فقال: عد إليها فانظر فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها.

ـ روي ـ أن أهل النار إذا انتهوا إلى أبوابها استقبلتهم الزبانية بالأغلال والسلاسل وتسلك السلسلة في فيه وتخرج من دبره وتغل يده اليسرى إلى عنقه وتدخل يده اليمنى في فؤاده وتنزع من بين كتفيه ويشد بالسلاسل ويقرن كل آدمي مع شيطان في سلسلة ويسحب على وجهه تضربه الملائكة بمقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وفي الحديث «إن أدنى أهل النار عذاباً الذي يجعل له نعلان يغلي منهما دماغه في رأسه». فعلى العاقل أن يجتنب أسباب العذاب والعمى ويجتهد أن لا يحشر أعمى وأشد العذاب عذاب القطيعة من الله الوهاب.

بعد حق باشد عذاب مستهين　　از نعيم قرب عشرت سازهين
هركه نا بينا شود ازآى هو　　ماند در تاريك مردمهاى او

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾

﴿أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ الهمزة للإنكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر. والهداية بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها وضمير لهم للمشركين المعاصرين لرسول الله ﷺ. والقرون جمع قرن وهو القوم المقترنون في زمن واحد. والمعنى اغفلوا فلم يبين لهم مآل أمرهم كثرة إهلاكنا للقرون الأولى أو الفاعل الضمير العائد إلى الله. والمعنى أفلم يفعل الله لهم الهداية فقوله: أهلكنا بيان لتلك الهداية بطريق الالتفات. ومن القرون في محل النصب على أنه وصف لمميزكم أي: كم قرناً كائناً من القرون ﴿يمشون في مساكنهم﴾ حال من القرون أي: وهم في أمن وتقلب في ديارهم أو من الضمير في لهم مؤكداً للإنكار أي: أفلم يهد إهلاكنا للقرون السالفة من أصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم مارين بها إذا سافروا إلى الشام مشاهدين لآثار هلاكهم مع أن ذلك مما يوجب أن يهتدوا إلى الحق فيعتبروا لئلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك. قال الراغب: المشي الانتقال من مكان إلى مكان بإرادة والسكون ثبوت الشيء بعد تحرك ويستعمل في الاستيطان نحو سكن فلان مكان كذا أي: استوطنه واسم المكان مسكن والجمع مساكن ﴿إن في ذلك﴾ أي: في الإهلاك بالعذاب ﴿لآيات﴾ كثيرة واضحة الهداية ظاهرة الدلالة على الحق فإذن هو هاد وأي هاد ﴿لأولي النهى﴾ جمع نهية بمعنى العقل أي: لذوي العقول الناهية عن القبائح وفيه دلالة على أن مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول، وفي «المثنوي»:

پس سپاس اوراكه مار ادر جهان　　كرد پيدا از پس پيشينيان
تاشنيديم آن سياستهاى حق　　برقرون ماضيه اندر سبق
استخوان وپشم آن كركان عيان　　بنكريد وپند كيريد اى مهان
عاقل از سربنهد اين هستى وباد　　چون شنيد آنجام فرعونان وعاد
ورنه بنهد ديكران از حال او　　عبرتي كيرند از اضلال او

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ أي: ولولا الكلمة المتقدمة وهي العدة بتأخير عذاب هذه الأمة أي: أمة الدعوة إلى الآخرة لحكمة تقتضيه يعني أن الكلمة إخبار الله ملائكته وكتبه في

اللوح المحفوظ أن أمة محمد وإن كذبوا فسيؤخرون ولا يفعل بهم ما يفعل بغيرهم من الاستئصال لعلمه أن فيهم من يؤمن ولو نزل بهم العذاب لعمهم الهلاك ﴿لكان﴾ عقاب جناياتهم ﴿لزاماً﴾ أي: لزاماً لهؤلاء الكفرة بحيث لا تتأخر جناياتهم ساعة لزوم ما نزل بأولئك الغابرين عند التكذيب مصدر لازم وصف به للمبالغة ﴿وأجل مسمى﴾ عطف على كلمة والفصل للإشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآي أي: ولولا أجل مسمى لأعمارهم أو لعذابهم وهو يوم القيامة أو يوم بدر لما تأخر عذابهم أصلاً.

واعلم أن الله تعالى حرضهم على الإيمان من طريق العبرة والاستدلال رحمة منه تعالى ليعود نفعه إليهم لا له، كما قال «المثنوي»:

چون خلقت الخلق كي يربح على   لطف توفر مود أي: قيوم وحى
لا لأن أربح عليهم جودتست   كه شود زو جمله ناقصها درست

وقع في الكلمات القدسية «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً» فعلى العاقل التمسك بكلمة التوحيد حذراً من وقوع الوعيد وفي الحديث «لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى» قيل يا رسول الله من ذا الذي أبى؟ قال: «من لم يقل لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فإنها كلمة التوحيد وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة». ثم إن تأخير العقوبة يتضمن لحكم منها رجوع التائب وانقطاع حجة المصر فينبغي للعاقل المكلف أن يتعظ بمواعظ القرآن الكريم ويتقي القادر الحكيم ويجتهد في الطاعة والانقياد ولا يكون أسوأ من الجماد مع أن الإنسان أشرف المخلوقات وأبدع المصنوعات. عن جعفر الطيار رضي الله عنه قال: كنت مع النبي عليه السلام في طريق فاشتد علي العطش فعلمه النبي عليه السلام وكان حذاءنا جبل فقال عليه السلام: «بلّغ مني السلام إلى هذا الجبل وقل له يسقيك إن كان فيه ماء» قال: فذهبت إليه وقلت: السلام عليك أيها الجبل فقال: بنطق فصيح لبيك يا رسول رسول الله فعرضت القصة فقال: بلغ سلامي إلى رسول الله وقل له منذ سمعت قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] بكيت لخوف أن أكون من الحجارة التي هي وقود النار بحيث لم يبق فيّ ماء يقال من لم ينزجر بزواجر القرآن ولم يرغب في الطاعات فهذا أشد قسوة من الحجارة وأسوء حالاً من الجمادات نسأل الله تليين القلوب.

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿فاصبر على ما يقولون﴾ أي: إذا كان الأمر على ما ذكر من أن تأخير عذابهم ليس بإهمال بل إمهال وإنه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون فيك من كلمات الكفر والنسبة إلى السحر والجنون إلى أن يحكم فيهم فإن علمه عليه السلام بأنهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله على الصبر.

وفي «التأويلات النجمية» على ما يقول أهل الاعتراض والإنكار لأنك محتاج في التربية إلى ذلك لتبلغ إلى مقام الصبر انتهى. قال بعضهم: هذا منسوخ بآية السيف. وفي «الكبير» هذا

غير لازم لجواز أن يقاتل ويصبر على ما يسمع منهم من الأذى. قال الراغب: الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه فإن كان حبس النفس لمعصية يسمى صبراً لا غير ويضاده الجزع وإن كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن وإن كان في نائبة سمي رحب الصدر ويضاده الضجر وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً ويضاده البذل وقد سمى الله تعالى كل ذلك صبراً ونبه عليه بقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ [الحج: ٣٥] ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] ويسمى الصوم صبراً لكونه كالنوع له ﴿وسبح﴾ ملتبساً ﴿بحمد ربك﴾ أي: صل حامداً لربك على هدايته وتوفيقه بطريق إطلاق اسم الجزء على الكل لأن التسبيح وذكر الله تعالى يفيد السلوة والراحة وينسى جميع ما أصاب من الغموم والأحزان ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] ﴿قبل طلوع الشمس﴾ المراد صلاة الفجر وفي الخبر «إن الذكر والتسبيح إلى طلوع الشمس أفضل من إعتاق ثمانين رقبة من ولد إسماعيل» خص إسماعيل بالذكر لشرفه وكونه أبا العرب ﴿وقبل غروبها﴾ يعني صلاتي الظهر والعصر لأنهما قبل غروبها بعد زوالها ﴿ومن آناء الليل﴾ أي: بعض ساعاته جمع أنى بالكسر والقصر كمعى وأمعاء واناء بالفتح والمد ﴿فسبح﴾ فصل والمراد المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فإن القلب فيهما أجمع والنفس إلى الاستراحة أميل فتكون العبادة فيهما أشق ﴿وأطراف النهار﴾ أمر بالتطوع أجزاء النهار. وفي «العيون» هو بالنصب عطف على ما قبله من الظروف أي: سبح فيها وهي صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار لإرادة الاختصاص كما في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] صلاة العصر عند بعض المفسرين. وفي «الجلالين» قبل غروبها صلاة العصر وأطراف النهار صلاة الظهر في طرف النصف الثاني ويسمى الواحد باسم الجمع. وقال الطبري قبل غروبها وهي العصر ومن آناء الليل هي العشاء الآخرة وأطراف النهار الظهر والمغرب لأن الظهر في آخر الطرف الأول من النهار وفي أول الطرف الثاني فكأنها بين طرفين والمغرب في آخر الطرف الثاني فكانت أطرافاً انتهى. وبهذا احتج الشيخ أبو القاسم الفزاري في «الأسئلة المقحمة»: وقد مضى ما يناسب هذه الآية في أواخر سورة هود وسيأتي في سورة قۤ أيضاً ﴿لعلك ترضى﴾ متعلق بسبح أي: سبح في هذه الأوقات رجاء أن تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك ويسر به قلبك. وقال الكاشفي: [خوشنودى در اصح اقوال بكرامتى ماشدكه خداى تعالى اورا عطا دهد وآن شفاعت امتست ونكته ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥] تقويت اين قول ميكند]:

امت همه جسمند وتويى جان همه   ايشان همه آن تو وتو آن همه
خوشنودى توجست خدادر محشر   خوشنود نه مكر بغفران همه

واعلم أن الاشتغال بالتسبيح استنصار من المسبح للنصر على المكذبين وأن الصلاة أعظم ترياق لإزالة الألم ولذا كان النبي عليه السلام إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وكان آخر ما أوصى به الصلاة وما ملكت أيمانكم والآية جامعة لذكر الصلوات الخمس. عن جرير بن عبد الله كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فرأى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامّون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها

فافعلوا ثم قرأ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾» الآية قوله: «لا تضامون» بتشديد الميم من الضم أي: لا يضم بعضكم بعضاً ولا يقول أرنيه بل كل ينفرد برؤيته فالتاء مفتوحة والأصل تتضامون حذفت منه إحدى التاءين وروي بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم فالتاء مضمومة يعني لا ينالكم ضيم بأن يرى بعضكم دون بعض بل تستوون كلكم في رؤيته تعالى وفي الحديث: «إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً» يقال: من داوم على الصلوات الخمس في الجماعة يرفع الله عنه ضيق العيش وعذاب القبر ويعطي كتابه بيمينه ويمر على الصراط كالبرق ويدخل الجنة بغير حساب ومن تهون في الصلاة في الجماعة يرفع الله البركة من رزقه وكسبه وينزع سيما الصالحين من وجهه ولا يقبل منه سائر عمله ويكون بغيضاً في قلوب الناس ويقبض روحه عطشان جائعاً يشق نزعه ويبتلى في القبر بشدة مسألة منكر ونكير وظلمة القبر وضيقه وبشدة الحساب وغضب الرب وعقوبة الله في النار وفي الحديث: «أمتي أمة مرحومة» وإنما يدفع الله عنهم البلايا بإخلاصهم وصلواتهم ودعائهم وضعفائهم» وعن قتادة أن دانيال النبي عليه السلام نعت أمة محمد فقال: يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما أغرقوا ولو صلاها قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح ولو صلاها ثمود ما أخذتهم الصيحة فعلى المؤمن أن لا ينفك عن الصلاة والدعاء والالتجاء إلى الله تعالى:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾

﴿ولا تمدن عينيك﴾ أصل المد الجر ومنه المدة للوقت الممتد وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب والمد في المكروه نحو وأمددناهم بفاكهة ونمد له من العذاب مداً والعين الجارحة بخلاف البصر ولذا قال تعالى في الحديث القدسي «كنت له سمعاً وبصراً» دون أذناً وعيناً والمعنى لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل. وقال بعضهم مد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحساناً للمنظور إليه وإعجاباً به وتمنياً أن له مثله. وفيه دليل على أن النظر الغير الممدود معفو عنه لأنه لا يمكن الاحتراز منه وذلك أن يباده الشيء بالنظر ثم يغض الطرف ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطباع وأن من أبصر منها شيئاً أحب أن يمد إليه نظره ويملأ عينيه قيل له عليه السلام: ﴿لا تمدن عينيك﴾ أي: لا تفعل ما عليه جبلة البشر. قال الكاشفي أبو رافع رضي الله عنه: [نقل ميكندكه مهماني نزد پيغمبر آمد ودرخانه چيزى نبودكه بدان إصلاح شان مهمان توانستي نمود مرا بنزديك يكى ازيهود فرستاد وكفت اورا بكوكه محمد رسول الله ميكويدكه مهمانى بمنزل ما نزول نموده ونمى يابيم نزديك خود چيزى كه بدان إصلاح شان مهمان توانستى نمود ونمى يابيم نزديك خود چيزى كه بدان شرائط ضيافت بتقديم رسد اين مقدار آرد بما بفروش ومعامله كن تاهلال رجب چون وقت برسدبها بفرستم من پيغام به يهودى رسانيدم واوكفت نمى فروشم ومعامله نميكنم مكر آنكه چيزى دركرو من نهيد من باحضرت مراجعت نمودم وصورت حال بازكفتم حضرت فرمود والله إني لأمين في السماء وأمين في الأرض اكربا من معامله كردى البته حق اورا اداكردمى پس زره خود بمن داد تانزديك او كرو كردم اين آيت جهت تسليت دل مبارك وى نازل شد ﴿ولا تمدن عينيك﴾ وباز مكش نظر چشمهاى خودرا

يعنى منكر] ﴿إلى ما متعنا به﴾ نفعنا به من زخارف الدنيا ومنه متاع البيت لما ينتفع به وأصل المتوع الامتداد والارتفاع يقال متع النهار ومتع النبات ارتفع والمتاع انتفاع ممتد الوقت، والمعنى بالفارسية: [بسوى آن چيزى كه برخوردار كردانيديم بدان چيزى]. وفي «الكبير»: ألذذنا به والامتاع الإلذاذ بما يدرك من المناظر الحسنة ويسمع من الأصوات المطربة ويشم من الريح الطيبة وغير ذلك من الملابس والمناكح ﴿أزواجاً منهم﴾ أي: أصنافاً من الكفرة كالوثنى والكتابي من اليهود والنصارى وهو مفعول متعنا ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ منصوب بفعل يدل عليه متعنا أي: أعطينا زينة الدنيا وبهجتها ونضارتها وحسنها. قال الواسطي: هذه تسلية للفقراء وتعزية لهم حيث منع خير الخلق عن النظر إلى الدنيا على وجه الاستحسان ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي: لنعاملهم فيما أعطينا معاملة من نبتليهم حتى يستوجبوا العذاب بأن نزيد لهم النعمة فيزيدوا كفراً وطغياناً فمن هذه عاقبته فلا بد من التنفر عنه فإنه عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان. وقد شدد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن الظلمة وعدد الفسقة في ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن لا تنظروا إلى دقدقة هماليج الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرفات وهذا لأنهم اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة فالناظر إليها محصل لغرضهم ومغر لهم على اتخاذها وفي الحديث «إن الدنيا» أي: صورتها ومتاعها «حلوة» شيرين «خضرة حسنة في المنظر تعجب الناظر» وإنما وصفها بالخضرة لأن العرب تسمي الشيء الناعم خضراً ولتشبيهها بالخضروات في سرعة زوالها وفيه بيان كونها غرارة تفتن الناس بحسنها وطعمها، قال الخجندي:

جهان وجمله لذاتش بزنبور عسل ماند
كه شيرينيش بسيارست وزان افزون شر وشورش

وفي «المثنوي»:

هركه از ديدار بر خوردار شد ... اين جهان درچشم او مردار شد

وقال الحافظ:

ازره مرو بعشوه ديني كه اين عجوز ... مكاره مى نشيند ومحتاله مى رود

وقال:

خوش عروسيست جهان ازره صورت ليكن
هركه پيوست بدو عمر خودش كابين داد

«وإن الله مستخلفكم فيها» أي: جاعلكم خلفاء في الدنيا يعني أن أموالكم ليست هي في الحقيقة لكم وإنما هي لله تعالى جعلكم في التصرف فيها بمنزلة الوكلاء «فناظر كيف تعلمون» أي: تتصرفون. وعن عيسى ابن مريم عليه السلام لا تتخذوا الدنيا رباً فتتخذكم لها عبيداً.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بقوله ﴿ولا تمدن عينيك﴾ أي عيني البصر والبصيرة وهما عين الرأس وعين القلب واختص النبي عليه السلام بهذا الخطاب واعتز بهذا العتاب لمعنيين أحدهما لأنه مخصوص من جميع الأنبياء بالرؤية ورؤية الحق لا تقبل الشرك كما أن اللسان بالتوحيد لا يقبل الشرك والقلب بالذكر لا يقبل الشرك أو قال اذكر ربك إذا نسيت أي: بعد نسيان ما سواه فكذلك الرؤية لا تقبل الشرك وهو مد العينين ﴿إلى ما متعنا به أزواجاً منهم

زهرة الحياة الدنيا﴾ وهو الدنيا والآخرة لكن اكتفى بذكر الواحد عن الثاني والأزواج أهل الدنيا والآخرة أي: اغسل عيني ظاهرك وباطنك بماء العزة عن وصمة رؤية الدنيا والآخرة لاستحقاق اكتحالهما بنور جلالنا لرؤية جمالنا وإنما متعنا أهل الدارين بهما عزة لحضرة جلالنا ﴿لنفتنهم فيه﴾ باشتغالهم بتمتعات الدارين عن الوصول إلى كمال رؤية جمالنا. قيل: قرىء عند الشبلي قدس سره ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥] فشهق شهقة وقال مساكين لا يدرون عمن شغلوا حين شغلوا ﴿ورزق ربك﴾ أي: ما ادخر لك في الآخرة من الثواب أو ما أوتيته من يسير الكفاية مع الطاعة والرزق يقال للعطاء دنيوياً كان أو أخروياً وللنصيب تارة ولما يوصل إلى الجوف ويتغذى به تارة ﴿خير﴾ لك مما منحهم في الدنيا لأنه مع كونه في نفسه أجل ما يتنافس فيه المتنافسون مأمون الغائلة بخلاف ما منحوه ﴿وأبقى﴾ فإنه لا يكاد ينقطع أبداً. قال الكاشفي: [در كشف الاسرار آورده كه زهر درلغت شكوفه است حق سبحانه وتعالى دنيارا شكوفه خواند زيرا كه تروتا زكى اودوسه روزه بيش نباشد در اندك فرصتى پزمرده كردد ونيست شود]:

مال جهان بباغ تنعم شكوفه ايست ... كاول بجلوه دل بربايد زاهل حال
يكهفته نكذردكه فرو ريزد ازدرخت ... برخاك ره شود چوخس وخاك پايمال
اهل كمال در دل خود جا چرا دهند ... آنراكه دميدم زپى است آفت زوال

فعلى العاقل أن يختار الرزق الذي هو الباقي ولا يلتفت إلى النعيم الذي هو الفاني ويقنع بما في يده من القوت إلى أن يموت، قال الشيخ سعدي قدس سره:

كر آزاده برزمين خسب وبس ... مكن بهرفانى زمين بوس كس
نيرزد عسل جان من زخم نيش ... قناعت نكوتر بدوشاب خويش
خداوند زان بنده خرسند نيست ... كه راضى بقسم خداوند نيست
مپندار چون سركه خود خورم ... كه جور خداوند حلوا برم
قناعت كن اى نفس براندكى ... كه سلطان ودرويش بينى يكى
كند مردرا نفس اماره خوار ... اكر هو شمندى عزيزش مدار

ثم إن الرزق المعتبر غاية الاعتبار ما صار غذاء للروح القدسي من العلم والحكمة والفيض الأزلي والتجلي، وفي «المثنوي»:

فهم نان كردى نه حكمت اى رهى ... زانكه حق كفت كلوا من رزقه
رزق حق حكمت به بود در مرتبت ... كان كلو كيرت نباشت عاقبت
اين دهان بستى دهانى بازشد ... كه خورنده لقمهاى رازشد
كر زشير ديوتن را وابرى ... در فطام اوبسى نعمت خورى

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾﴾

﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ يعني: كما أمرناك بالصلاة فأمر أنت أهل بيتك فإن الفقير ينبغي أن يستعين بها على فقره ولا يهتم بأمره المعيشة ولا يلتفت إلى جانب أهل الغنى ﴿واصطبر عليها﴾ وداوم أنت وهم عليها غير مشتغل بأمر المعاش فكان النبي ﷺ يذهب إلى فاطمة وعلي

كل صباح ويقول: «الصلاة» كان يفعل ذلك أشهراً. قال في «عرائس البقلى»: الاصطبار مقام المجاهدة والصبر مقام المشاهدة. قال ابن عطاء أشد أنواع الصبر الاصطبار وهو السكون تحت موارد البلاء بالسر والقلب والصبر بالنفس لا غير ﴿لا نسألك رزقاً﴾ أي: لا نكلفك أن ترزق نفسك ولا أهلك إنما نسألك العبادة ﴿نحن نرزقك﴾ وإياهم ففرغ بالك لأمر الآخرة فإن من كان في عمل الله كان الله في عمله ﴿والعاقبة﴾ الحميدة وهي الجنة فإن إطلاقها يختص بالثواب وبالفارسية [وسر انجام پسنديده] ﴿للتقوى﴾أي لأهل التقوى يعني لك ولمن صدقك لا لأهل الدنيا إذ هي مع الآخرة لا تجتمعان فهو على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه تنبيهاً على أن ملاك الأمر هو التقوى وهو ذم النفس والجوارح عن جميع ما يقبحه العلم.

ـ روي ـ أنه عليه السلام كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية. قال وهب بن منبه: إن الحوائج لم تطلب من الله تعالى بمثل الصلاة وكانت الكرب العظام تكشف عن الأولين بالصلاة وقلما نزلت بأحد منهم كرب إلا وكان مفزعه إلى الصلاة وقال الله تعالى في قصة يونس: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الصافات: ١٤٣]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني من المصلين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون يعني لبقي في بطن الحوت إلى يوم القيامة. وعن الشافعي رحمه الله أخذاً من هذه الآية لم أرَ أنفع للوباء من التسبيح. قال يحيى بن معاذ رحمه الله للعابدين أردية يكسونها من عند الله سداها الصلاة ولحمتها الصوم وصلاة الجسد الفرائض والنوافل وصلاة النفس عروجها من حضيض البشرية إلى ذروة الروحانية وخروجها عن أوصافها لدخولها الجنة المشرفة بالإضافة إلى الحضرة بقوله: ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٩ـ٣٠] وصلاة القلب دوام المراقبة ولزوم المحاضرة كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ٢] وصلاة السر عدم الالتفات إلى ما سوى الله تعالى مستغرقاً في بحر المشاهدة كما قال عليه السلام: «اعبد الله كأنك تراه» وصلاة الروح فناؤه في الله وبقاؤه بالله كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] لأنه الفاني عن نفسه الباقي بربه فمن صلى هذه الصلاة أغناه الله عما عند الناس ورزقه مما عنده كما قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الضحى: ٨] ومن هنا كان يقول ﷺ: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني».

نيست غير نور آدم را خورش ... جانرا جزآن نباشد پرورش
چون خورى يكبار ازان ماكول نور ... خاك ريزى بر سرنان تنور

﴿وقالوا﴾ يعني كفار قريش: ﴿لولا﴾ هلا ﴿يأتينا﴾ [چرا نمى آرد محمد براى ما] ﴿بآية﴾ مما اقترحنا نحن ومن نعتد به ﴿من ربه﴾ كموسى وعيسى ليكون علامة لنبوته بلغوا من العناد إلى حيث لم يعدوا ما شاهدوا من المعجزات من قبيل الآيات حتى اجترأوا على التفوه بهذه الكلمة العظيمة ﴿أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى﴾ الهمزة لإنكار الوقوع والواو للعطف على مقدر والبينة الدلالة الواضحة عقلية كانت أو حسية والمراد هنا القرآن الذي فيه بيان للناس وما عبارة عن العقائد الحقية وأصول الأحكام التي اجتمعت عليها كافة الرسل. والصحف جمع صحيفة وهي التي يكتب فيها وحروف التهجي صحيفة على حدة مما أنزل على آدم والمراد بها التوراة والإنجيل والزبور وسائر الكتب السماوية. والمعنى ألم يأتهم سائر الآيات ولم تأتهم خاصة بينة ما في الصحف الأولى أي: قد أتاهم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب

الإعجاز وهو القرآن الذي فيه بيان ما في الكتب الإلهية وهو شاهد بحقية ما فيها وبصحة ما ينطق به من أنباء الأمم من حيث إنه غني بإعجازه عما يشهد بحقيته حقيق بإثبات حقية غيره فاشتماله على زبدة ما فيها مع أن الآتي به أمي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها إعجاز بين. ثم بين أنه لا عذر لهم في ترك الشرائع وسلوك طريق الضلالة بوجه ما فقال:

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿ولو أنا أهلكناهم﴾ في الدنيا ﴿بعذاب﴾ مستأصل ﴿من قبله﴾ متعلق بأهلكنا أي: من قبل إتيان البينة وأصله ولو أهلكناهم أهلكناهم لأن لو إنما تدخل على الفعل فحذف الفعل الأول احترازاً عن العبث لوجود المفسر ثم أبدل من الضمير المتصل وهو الفاعل ضمير منفصل وهو أنا لتعذر الاتصال لسقوط ما يتصل به فأنّا فاعل الفعل المحذوف لا مبتدأ ولا تأكيد إذ لم يعهد حذف المؤكد والعامل مع بقاء التأكيد ﴿لقالوا﴾ يوم القيامة احتجاجاً ﴿ربنا لولا أرسلت﴾ [چرا نفر ستادى] ﴿إلينا﴾ في الدنيا ﴿رسولاً﴾ مع كتاب ﴿فنتبع آياتك﴾ التي أنزلت معه ﴿من قبل أن نذل﴾ بذل الضلالة وعذاب القتل والسبي في الدنيا كما وقع يوم بدر والذل الهوان وضد الصعوبة. وقال الراغب الذل ما كان من قهر والذل ما كان بعد تصعب وشماس من غير قهر وقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤] أي: كن كالمقهور لهما ﴿ونخزى﴾ بعذاب الآخرة ودخول النار اليوم، وبالفارسية: [ورسوا كنيم در قيامت بدخول در آتش]. قال الراغب خزي الرجل لحقه انكسار إما من نفس وإما من غيره فالذي يلحقه من نفسه هو الحياء المفرط ومصدره الخزاية والذي يلحقه من غيره يقال هو ضرب من الاستخفاف ومصدره الخزي. والمعنى ولكنا لم نهلكهم قبل إتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك اعترفوا وقالوا: بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء. قال في «الأسئلة المقحمة»: هذا يدل على أنه يجب على الله أن يفعل ما هو الأصلح لعباده المكلفين إذ لو لم يفعل لقامت لهم عليه الحجة بأن قالوا هلا فعلت بنا ذلك حتى نؤمن والجواب لو كان يجب عليه ما هو الأصلح لهم لما خلقهم فليس في خلقه إياهم وإرسال الرسل إليهم رعاية الأصلح لهم مع علمه بأنهم لا يؤمنون به ولكنه أرسل الرسل وأكد الحجة وسلب التوفيق ولله تعالى ما يشاء بحق المالكية.

﴿قل﴾ لأولئك الكفرة المتمردين ﴿كل﴾ أي: كل واحد منا ومنكم ﴿متربص﴾ انتظار الأمر أو زواله منتظراً لما يؤول إليه أمرنا وأمركم. قال الكاشفي: [يعني شما نكبت ما راچشم ميداريد وما عقوبت شمارا]. قال في «الكبير»: كل منا ومنكم منتظر عاقبة أمره إما قبل الموت بسبب الجهاد وظهور الدولة والقوة أو بعد الموت بالثواب والعقاب وبما يظهر على المحق من أنواع كرامة الله وعلى المبطل من أنواع إهانته.

ـ وروي ـ أن المشركين قالوا: نتربص بمحمد حوادث الدهر فإذا مات تخلصنا فقال تعالى: ﴿فتربصوا﴾ أنتم ﴿فستعلمون﴾ عن قريب إذا جاء أمر الله ﴿من أصحاب الصراط السوي﴾ المستقيم. والأصحاب جمع صاحب بمعنى الملازم. والصراط من السبيل ما لا التواء فيه أي: لا اعوجاج بل يكون على سبيل القصد ﴿ومن اهتدى﴾ من الضلال أي: أنحن أم أنتم

كما قال بعضهم:

سوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار

وفيه تهديد شديد لهم. قال الكاشفي: [مراد حضرت پيغمبرست كه هم راه يافته وهم راه نماينده است]:

راه دان وراه بين وراه بر در حقيقت نيست جز خير البشر

وفي الآية إشارة إلى المهتدين بالوصول إليه بقطع المنازل والانفصال عما سواه والمنقطعين عنه باتصال غيره كما قال الخجندي:

وصل ميسر نشود جز بقطع قطع نخست از همه ببريدنست

واعلم أن الله تعالى قطع المعذرة بالإمهال و«الإرشاد» فللّه الحجة البالغة. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «يحتج على الله ثلاثة: الهالك في الفترة يقول لم يأتني رسول وتلا ﴿لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾ والمغلوب على عقله يقول لم تجعل لي عقلاً أنتفع به ويقول الصغير كنت صغيراً لا أعقل فترفع لهم نار ويقال ادخلوها فيدخلها من كان في علم الله أنه سعيد وينكل عنها من كان في علمه أنه شقي فيقول الله إياي عصيتم فكيف برسلي لو أتوكم» كما في «التفسير الكبير» وفي الحديث: «لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا سورة طه ويس» كما في «الكشاف».

تمت سورة طه في العشرين من شهر ربيع الأول

من سنة ست ومائة وألف من هجرة من له العز والشرف

٢١ ـ سورة الأنبياء

مائة واثنتا عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾

﴿اقترب للناس حسابهم﴾ يقال قرب الشيء واقترب إذا دنا وقربت منه ولذا قال في «العيون»: اللام بمعنى من وهي متعلقة بالفعل وتقديمها على الفاعل للمسارعة إلى إدخال الروعة فإن نسبة الاقتراب إليهم من أول الأمر مما يسوؤهم ويورثهم رهبة وانزعاجاً من المقترب والمراد بالناس المشركون المنكرون للبعث من أهل مكة كما يفصح عنه ما بعده من الغفلة والإعراض ونحوهما. والحساب بمعنى المحاسبة وهو إظهار ما للعبد وما عليه ليجازى على ذلك والمراد باقتراب حسابهم اقترابه في ضمن اقتراب الساعة وسمي يوم القيامة بيوم الحساب تسمية للزمان بأعظم ما وقع فيه وأشده وقعاً في القلوب فإن الحساب هو الكاشف عن حال المرء ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فإنه في كل ساعة من ساعات الزمان أقرب إليهم من الساعة السابقة مع أن ما مضى أكثر مما بقي وفي الحديث «أما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس» وإنما لم يعين الوقت لأن كتمانه أصلح كوقت الموت. والمعنى دنا من مشركي قريش وقت محاسبة الله إياهم على أعمالهم السيئة الموجبة للعقاب يعني القيامة. وقال الكاشفي نقلاً عن بعض [نزديك شد وقت مؤاخذت وياد داشت ايشان كه قتل وكر فتارىء روز بدرست]. يقول الفقير: هذا هو الأظهر عندي لأن زمان الموت متصل بزمان القيامة فاقتراب وقت مؤاخذتهم بالقتل ونحوه في حكم اقتراب وقت محاسبتهم بالقيامة ومثله من مات فقد قامت قيامته ﴿وهم في غفلة﴾ الغفلة سهو يعتري من قلة التحفظ والتيقظ أي: والحال أنهم في غفلة تامة من الحساب على النقير والقطمير والتأهب له ساهون عنه بالكلية لا أنهم غير مبالين مع اعترافهم بإتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم لأن الأعمال لا بد لها من الجزاء وإلا لزم التسوية بين المطيع والعاصي وهي بعيدة عن مقتضى الحكمة والعدالة ﴿معرضون﴾ عن الإيمان والآيات والنذر المنبهة لهم من سنة الغفلة يقال أعرض أي: ولى مبدياً عرضه أي: ناحيته وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة أمراً جبلياً لهم جعل الخبر الأول ظرفاً منبئاً عن الاستقرار بخلاف الإعراض والجملة حال من الناس.

وفي «التأويلات النجمية»: وإذا نصحهم ناصح واقف على أحوالهم فهم معرضون عن

استماع قوله ونصيحته كما قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩]، قال الشيخ سعدي:

كسى راكه پندار در سر بود ... مپندار هركز كه حق بشنود

زعلمش ملال آيداز وعظ ننك ... شقائق بباران نرويد زسنك

وفي «العرائس للبقلي»: أن الله تعالى حذر الجمهور من مناقشته في الحساب وزجرهم حتى ينتهوا عن رقاد الغفلات وقرب الحساب أقرب من كل شيء منهم لو يعلمون فإنه تعالى يحاسب العباد في كل لمحة ونفس وحسابه أدق من الشعر وأخفى من دبيب النمل على الصفا ولا يعرف ذلك إلا المراقبون الذين يحاسبون في كل نفس وخطوة وهم في غفلة وفي حجاب عن مشاهدة الله معرضون عن طاعته إذ لا حظ لهم في الطاعات ولا شرب لهم في المشاهدات.

﴿ما يأتيهم من ذكر﴾ من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم الحساب أكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة أتم تنبيه كأنها نفس الذكر ﴿من ربهم﴾ من لابتداء الغاية مجازاً متعلقة بيأتيهم وفيه دلالة على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به ﴿محدث﴾ بالجر صفة لذكر أي: محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة لتكرره على أسماعهم للتنبيه كي يتعظوا فالمحدث تنزيله في كل وقت على حسب المصالح وقدر الحاجة لا الكلام الذي هو صفة قديمة أزلية وأيضاً الموصوف بالإتيان وبأنه ذكر هو المركب من الحروف والأصوات وحدوثه مما لا نزاع فيه قالوا: القرآن اسم مشترك يطلق على الكلام الأزلي الذي هو صفة الله وهو الكلام النفسي القديم من قال بحدوثه كفر ويطلق أيضاً على ما يدل عليه وهو النظم المتلو الحادث من قال بقدمه سجل على كمال جهله ﴿إلا استمعوه﴾ استثناء مفرغ محله النصب على أنه حال من مفعول يأتيهم بإضمار قد ﴿وهم يلعبون﴾ حال من فاعل استمعوه يقال لعب إذا كان فعل غير قاصد به مقصداً صحيحاً.

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿لاهية قلوبهم﴾ حال أخرى يقال لها عنه إذا ذهل وغفل. قال الراغب اللهو ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه يقال لهوت بكذا ولهيت بكذا اشتغلت عنه بلهو وألهاه عن كذا شغله عما هو أهم. والمعنى ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث في حال من الأحوال إلا حال استماعهم إياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه متشاغلين عن التأمل فيه لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكر في العواقب قدم اللعب على اللهو تنبيهاً على أنهم إنما قدموا على اللعب لذهولهم عن الحق فاللعب الذي هو السخرية والاستهزاء نتيجة اللهو الذي هو الغفلة عن الحق والذهول عن التفكر. قال بعضهم: القلب اللاهي هو المشغول بأحوال الدنيا والغافل عن أحوال العقبى. قال الواسطي لاهية عن المصادر والموارد والمبدأ والمنتهى.

يا الهي بحود نامتناهي ... ازسوا دوركن دل لاهي

﴿وأسروا النجوى﴾ النجوى في الأصل مصدر، بالفارسية: [راز كفتن] ثم جعل اسماً من التناجي بمعنى القول الواقع بطريق المسارة أي: السر بين اثنين فصاعداً يقال تناجى القوم إذا تسارّوا وتكالموا سراً عن غيرهم. قال الراغب ناجيته ساررته وأصله ارتحلوا به في نجوه من

الأرض أي: المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله ومعنى إسرارها مع أنها لا تكون إلا سراً أنهم بالغوا في إخفائها ﴿الذين ظلموا﴾ على أنفسهم بالشرك والمعصية بدل من واو أسروا منبىء عن كونهم موصوفين بالظلم الفاحش فيما أسروا به كأنه قيل فماذا قالوا في نجواهم فقيل قالوا: ﴿هل هذا﴾ هل بمعنى النفي أي: ما محمد ﴿إلا بشر مثلكم﴾ لحم ودم مساو لكم في المأكل والمشرب وكل ما يحتاج إليه البشر والموت مقصور على البشرية ليس له وصف الرسالة التي يدعيها والبشر ظاهر الجلد والأدمة باطنه عبر عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلده من الشعر بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف والشعر والوبر واستوى في لفظ البشر الواحد والجمع وخص في القرآن كل موضع عبر عن الإنسان جثته وظاهره بلفظ البشر ﴿أفتأتون السحر﴾ الهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر ﴿وأنتم تبصرون﴾ حال من فاعل تأتون مقررة للإنكار ومؤكدة للاستبعاد أي: ما هذا إلا من جنسكم وما أتى به يعنون القرآن سحر أتعلمون ذلك فتأتونه وتحضرونه على وجه الإذعان والقبول وأنتم تعاينون أنه سحر قالوه لاعتقادهم أن الرسول لا يكون إلا ملكاً وأن كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر أي: الخداع والتخييلات التي لا حقيقة لها. قال الإمام طعنوا في نبوته بأنه بشر وما أتى به سحر وهو فاسد إذ صحة النبوة تعرف من المعجزة لا من الصورة ولو بعث الملك إليهم لم يعلموا نبوته بصورته بل بالمعجزة فإذا ظهر على يد بشر وجب قبوله:

لوح صورت بشوى ومعنى جو كه صور برك شد معاني بو

وإنما أسروا ذلك لما كان هذا الحديث منهم على طريق التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق إلى هدم أمر النبوة وإطفاء الدين وعادة المشاورين أن يجتهدوا في كتمان سرهم عن أعدائهم ما أمكن ومنه قول معاذ رفعه إلى رسول الله ﷺ «استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود».

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمِۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿قال﴾ الرسول عليه السلام بعدما أوحي إليه أقوالهم وأحوالهم بياناً لظهور أمرهم وانكشاف سرهم ﴿ربي يعلم القول﴾ سراً كان أو جهراً حال كون ذلك القول ﴿في السماء والأرض﴾ فضلاً عما أسروا به وإذا علم القول علم الفعل ﴿وهو السميع العليم﴾ أي: المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات التي من جملتها ما أسروه من النجوى فيجازيهم بأقوالهم وأفعالهم.

﴿بل قالوا أضغاث أحلام﴾ الضغث بالكسر قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس وأضغاث أحلام رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها كما في «القاموس». والحلم بضم الحاء وسكون اللام الرؤيا وضم اللام أيضاً لغة فيه فالأحلام بمعنى المنامات سواء كانت باطلة أو حقة وأضيفت الأضغاث بمعنى الأباطيل إليها على طريق إضافة الخاص إلى العام إضافة بمعنى من وقد تخص الرؤيا بالمنام الحق والحلم بالمنام الباطل كما في قوله عليه السلام: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان» ثم إن هذا إضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قول إلى آخر أي: لم يقتصروا على أن يقولوا في حقه عليه السلام ﴿هل هذا إلا بشر﴾ وفي حق ما ظهر

على يده من القرآن الكريم إنه سحر بل قالوا تخاليط أحلام أي: أخلاط أحلام كاذبة رآها في المنام ﴿بل افتراه﴾ من تلقاء نفسه من غير أن يكون له أصل أو شبهة أصل ثم قالوا: ﴿بل هو شاعر﴾ وما أتى به شعر يخيل إلى السامع معاني لا حقيقة لها وهذا شأن المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وأبطل فالإضراب الأول كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم. قال الراغب شعرت أصبت الشعر ومنه استعير شعرت كذا أي: علمت علماً في الدقة كإصابة الشعر قيل وسمي الشاعر لفطنته ودقة معرفته فالشعر في الأصل اسم للعلم الدقيق في قولهم ليت شعري وصار في التعارف اسماً للموزون المقفى من الكلام والشاعر للمختص بصناعته وقوله تعالى حكاية عن الكفار ﴿بل هو شاعر﴾ كثير من المفسرين حملوه على أنهم رموه بكونه آتياً بشعر منظوم مقفى حتى تأولوا عليه ما جاء في القرآن من كل لفظة تشبه الموزون من نحو قوله: «وجفان كالجواب وقدور راسيات» وقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١]. وقال بعض المحققين لم يقصدوا هذا المقصد فيما رموه به وذلك أنه ظاهر من هذا الكلام أنه ليس على أساليب الشعر ولا يخفى ذلك على الاغتام من العجم فضلاً عن بلغاء العرب وإنما رموه بالكذب فإن الشعر يعبر به عن الكذب والشاعر الكاذب حتى سموا الأدلة الكاذبة بالشعر ولكون الشعر مقر الكذب. قيل: أحسن الشعر أكذبه. وقال بعض الحكماء لم ير متدين صادق اللهجة مفلقاً في شعره:

در قيامت نرسد شعر بفرياد كسى كر سراسر سخنش حكمت يونان كردد

وأما قول صاحب «المثنوي»:

از كرامات بلند اوليا اولا شعرست وآخر كيميا

فالمراد به القدرة على إنشاء الكلام الموزون وليس من مقتضاها التكلم ﴿فليأتنا بآية﴾ جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كأنه قيل وإن لم يكن كما قلنا بل كان رسولاً من الله فليأتنا بآية جليلة ﴿كما أرسل الأولون﴾ أي: مثل الآية التي أرسل بها الأولون كاليد والعصا وإحياء الموتى والناقة ونظائرها حتى نؤمن به فما موصولة وعائدها محذوف ومحل الكاف الجر على أنها صفة الآية.

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾

﴿ما آمنت قبلهم﴾ قبل مشركي مكة ﴿من قرية﴾ اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس أي: من أهل قرية وهو في محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة لتأكيد العموم ﴿أهلكناها﴾ أي: بإهلاك أهلها لعدم إيمانهم بعد مجيء ما اقترحوه من الآيات صفة لقرية ﴿أفهم يؤمنون﴾ الهمزة لإنكار الوقوع والفاء للعطف على مقدر. والمعنى أنه لم تؤمن أمة من الأمم المهلكة عند إعطاء ما اقترحوه من الآيات أهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون لو أجيبوا إلى ما سئلوا وأعطوا ما اقترحوا مع كونهم أعتى منهم وأطغى كما قال تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ [القمر: ٤٣] يعني أن كفاركم مثل أولئك الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون فهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث عن حتفه بظلفه، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

ولا تك كالشاة التي كان حتفها بحفر ذراعيها فلم ترض محفرا

وأصله أن رجلاً وجد شاة وأراد ذبحها فلم يظفر بسكين وكانت مربوطة فلم تزل تبحث برجليها حتى أبرزت سكيناً كانت مدفونة فذبحها بها يضرب في مادة تؤدي صاحبها إلى التلف وما يورط الرجل فيه نفسه كهذا المستعمق وفيه تنبيه على أن عدم الإتيان بالمقترح للترحم بهم إذ لو أتى به لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم وقد سبق وعده تعالى في حق هذه الأمة أن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة.

قال في «التأويلات النجمية»: والآية وإن نزلت في منكري البعث من الكفار فهي تعم أكثر مدعي الإسلام في زماننا هذا فإنه لا يحدث الله في عالم رباني من أهل الذكر وهم أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته سراً من أسرار القرآن وحقيقة من حقائق العلوم اللدنية إلا أسمعه أهل العزة بالله وهم يستهزئون به وينكرونه عليه لاهية قلوبهم بمتابعة الهوى متعلقة بشهوات الدنيا ساهية عن ذكر الله غافلة عن طلبه وتناجوا في السر الذين ظلموا أنفسهم بالإنكار على أن الأسرار يقولون فيه ما يأتيكم به من الكلام المموه وأنتم تبصرون أنه مموه كالسحر قل أمرهم إلى الله فإنه يعلم قول أهل السماء سماء القلوب وقول أهل الأرض النفوس وهو السميع لأقوال أهل القلوب وأقوال أهل النفوس وإنكارهم العليم بما في ضمائرهم وبأفعالهم وأوصافهم وأوصاف سرائرهم بل قالوا كلام المحققين خيالات فاسدة وقال بعض المنكرين بل اختلقه من نفسه وادعى أنه من مواهب الحق وقال بعضهم بل هو شاعر أي: يقول ما يقول بحذاقة النفس وقوة الطبع والذكاء ثم قال بعضهم لبعض فليأتنا هذا المحق بكرامة ظاهرة كما أتى بها المشايخ المتقدمون ثم قال: ما آمنت قبلهم من أهل قرية من المنكرين لما رأوا كرامات أولياء الله فأهلكناهم بالخذلان والإبعاد أفهم يصدقون أرباب الحقائق إن رأوا كرامة منهم وهم طبعوا على الإنكار مثل المنكرين الهالكين وفي «المثنوي»:

مغزراً خالى كن ازانكار يار | تاكه ريحان يابد از كلزار يار
تا بيابى بوى خلد از يار من | چون محمد بوى رحمان ازيمن
يك مناره درثناى منكران | كو درين عالم كه تاباشد نشان
منبرى كوكه برآنجا مخبرى | ياد آرد روزكار منكرى
روى دينار ودرم از نامشان | تا قيامت ميدهد ازحق نشان
سكه شاهان همى كردد دكر | سكه احمد ببين تا مستقر
برزخ نقره وياروى زرى | وانما برسكه نام منكرى
هركه باشد همنشين دوستان | هست دركلخن ميان بوستان
هركه بادشمن نشيند درزمن | هست او در بوستان دركولخن

اللهم اجعلنا من المجالسين لأهل الودّ والولاء واحشرنا معهم بحق الملأ الأعلى.

﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً﴾ جواب لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم أي: وما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك إلى أمتك إلا رجالاً مخصوصين من أفراد الجنس مستأهلين ومثله في الفارسية [كلمه مرد] ﴿نوحي إليهم﴾ بواسطة الملك ما نوحي من الشرائع والأحكام وغيرهما من القصص والأخبار كما نوحي إليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله كما لا فرق بينك وبينهم في البشرية فما لهم لا يفهمون أنك لست بدعا من الرسل وأن ما أوحي إليك ليس مخالفاً لما أوحي إليهم فيقولون ما يقولون.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه تعالى يظهر في كل قرن رجالاً بالغين من متابعي الأنبياء ويخصهم بوحي الإلهام كما أظهر في زمان عيسى عليه السلام الحواريين من متابعيه وأوحى إليهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾ [المائدة: ١١١] ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ قد سبق أن الذكر يطلق على الكتب الإلهية أي: إن كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسألوا أيها الكفرة الجهلة أهل الكتاب الواقفين على أحوال الرسل السالفة لتزول شبهتكم أمروا بذلك لأن إخبار الجم الغفير يوجب العلم لا سيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته عليه السلام ويشاورونهم في أمره وكانوا لا ينكرون كون الرسل بشراً وإن أنكروا نبوته عليه السلام.

ـ روي ـ أنه قيل للإمام الغزالي رحمه الله بماذا حصل لكم الإحاطة بالأصول والفروع فتلا هذه الآية وأشار إلى أن السؤال من أسباب العلم وطرائقه.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿**وما جعلناهم**﴾ أي: الرسل ﴿**جسداً**﴾ الجسد جسم الإنسان والجن والملائكة. قال الراغب: الجسد كالجسم لكنه أخص فإن الجسد ما له لون والجسم يقال لما لا يبين له لون كالماء والهواء ونصبه على أنه مفعول ثان للجعل لا بمعنى جعله جسداً بعد أن لم يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التصيير بل بمعنى جعله كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل ﴿**لا يأكلون الطعام**﴾ صفة له والطعام البر وما يؤكل والطعم تناول الغذاء أي: وما جعلناهم جسداً مستغنياً عن الأكل والشرب بل محتاجاً إلى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه ﴿**وما كانوا خالدين**﴾ لأن مآل التحلل هو الفناء لا محالة والخلود تبرؤ الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي هو عليها والمراد إما المكث المديد كما هو شأن الملائكة أو الأبدي وهم معتقدون أنهم لا يموتون. والمعنى جعلناهم أجساداً متغذية صائرة إلى الموت بالآخرة على حسب آجالهم لا ملائكة ولا أجساداً مستغنية عن الأغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها خلود كخلودهم.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الأنبياء والأولياء خلقوا محتاجين إلى الطعام بخلاف الملائكة وذلك لا يقدح في النبوة والولاية بل هو من لوازم أحوالهم وتوابع كمالهم فإن لهم فيه فوائد جمة منها:

أن الطعام للروح الحيواني الذي هو مركب الروح الإنساني كالدهن للسراج وهو منبع جميع الصفات النفسانية الشهوانية وهو مركب الشوق والمحبة التي بها يقطع السالك الصادق مسالك البعاد ويعبر العاشق مهالك الفراق للوصول إلى كعبة الوصال.

ومنها: أن أكل الطعام من نتائج الهوى وهو يميل النفس إلى مشتهياتها والسير إلى الله بحسب نهي النفس عن الهوى كقوله تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠،٤١] ولذا قال المشايخ: لولا الهوى ما سلك أحد طريقاً إلى الله.

ومنها: أن كثيراً من علم الأسماء التي علم الله آدم منوط بأكل الطعام مثل علم ذوق المذوقات وعلم التلذذ بالمشتهيات وعلم لذة الشهوة وعلم الجوع وعلم العطش وعلم الشبع

والري وعلم هضم الطعام وثقله وعلم الصحة والمرض وعلم الداء والدواء وأمثاله والعلوم التي تتعلق به كعلوم الطب بأجمعها والعلوم التي هي توابعها كمعرفة الأدوية والحشائش وخواصها وطباعها وغيرها اقتصرنا على هذا القدر من الفوائد الجمة فافهم جداً.

ـ حكي ـ أن واحداً من الصوفية المتحققين بحقائق تجلي الصمدية لم يأكل طعاماً ستة أشهر فألح عليه شيخه بالأكل لما أن الكمال المحمدي في الإفطار والإمساك والسهر والمنام ونحو ذلك لا في الرهبانية المذمومة وفي «المثنوي»:

هين مكن خودرا خصى رهبان مشو	زانكه عفت هست شهوت را كرو
بى هوا نهى ازهوا ممكن نبود	هم غزا بر مردكان نتوان نمود
پس كلوا ازبهر دام شهوتست	بعد ازان لا تسرفوا آن عفتست
چونكه رنج صبر نبود مرترا	شرط نبود پس فرونايد جزا
حبذا آن شر وشادا آن جزا	آن جزاى دلنواز جانفزا

قال الشافعي رحمه الله: أربعة لا يعبأ الله بهم يوم القيامة: زهد خصي، وتقوى جندي، وأمانة امرأة، وعبادة صبي وهو محمول على الغالب كما في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي.

﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ عطل على مقدر وصدق يتعدى إلى الثاني بحرف الجر وهو هنا محذوف كما في قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥] كأنه قيل أوحينا إليهم ما أوحينا ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم في تضاعف الوحي بإهلاك أعدائهم ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ من المؤمنين وغيرهم ممن تستدعي الحكمة إبقاءه كمن سيؤمن هو أو بعض فروعه بالآخرة وهو السر في حماية العرب من عذاب الاستئصال.

يقول الفقير هكذا قال إذ الظاهر تخصيص من نشاء بالمؤمنين الآية في الرسل السالفة مع أممهم وعذابهم كان عذاب استئصال ولم ينج منهم غير المؤمنين فهي كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس: ١٠٣] ولما كانت العرب مصونة من عذاب الاستئصال لم يبعد أن يبقى منهم من سيؤمن هو أو بعض فروعه كما وقع يوم بدر فافهم ﴿وأهلكنا المسرفين﴾ أي: مجاورين للحد في الكفر والمعاصي. قال الراغب السرف تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿لقد أنزلنا إليكم﴾ أي: والله لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش ﴿كتاباً﴾ عظيم الشأن نير البرهان ﴿فيه ذكركم﴾ موعظتكم بالوعد لترغبوا وتحذروا وليس بسحر ولا شعر ولا أضغاث أحلام ولا مفترى كما تدعون ﴿أفلا تعقلون﴾ الفاء للعطف على مقدر أي: ألا تتفكرون فلا تعقلون أن الأمر كذلك. وقال بعضهم فيه ذكركم أي: شرفكم لأنه بلغة العرب. قال الكاشفي: [اين آيت أهل قرآنرا تشريفي تمام وتكريمي مالا كلامست وخبر «أشراف أمتي حملة القرآن» مؤيد ومؤكد اين اجلال واكرام] والمراد بحملة القرآن ملازمو قراءته كما في «تفسير الفاتحة» للفناري:

آهـل قـرآنـنـد أهـل الله وبـس — انـدر ايشـان كـى رسـى هـى بـوالـهـوس
اهـل بـاشـد جـنـس وجـنـس ايـن كـلام — نـيـسـت جـز مـرغـى كـه بـروازد زدام

وفي الحديث: «إن لله أهلين من الناس أهل القرآن وهم أهل الله» أي: خاصته. قال ابن مسعود رضي الله عنه: لما دنا فراق رسول الله ﷺ جمعنا في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها ثم نظر إلينا فدمعت عيناه وقال: «مرحباً بكم حياكم الله رحمكم الله تعالى أوصيكم بتقوى الله وطاعته قد دنا الفراق وحان المنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى يغسلني رجال أهل بيتي ويكفنونني في ثيابي هذه إن شاؤوا أو في حلة يمانية فإذا غسلوني وكفنوني ضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير لحدي ثم اخرجوا عني ساعة فأول من يصلي علي حبيبي جبرائيل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنودهم ثم ادخلوا عليّ فوجاً فوجاً وصلوا عليّ فلما سمعوا فراقه صاحوا وبكوا» وقالوا: يا رسول الله أنت نور ربنا وشمع جمعنا وسلطان أمرنا إذا ذهبت عنا إلى من نرجع في أمورنا قال: «تركتكم على المحجة البيضاء» أي: الطريق الواسع الواضح «ليلها كنهارها» في الوضوح «وتركت لكم واعظين ناطقاً وصامتاً» فالناطق القرآن والصامت الموت «فإذا أشكل عليكم أمر فارجعوا إلى القرآن والسنة وإذا قست قلوبكم فلينوها بالاعتبار في أحوال الأموات» وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «من تعلم القرآن في صغره اختلط القرآن بلحمه ودمه ومن تعلمه في كبره فهو يتفلت منه ولا يتزكه فله أجره مرتين» وجه الأول أنه في الصغر خال عن الشواغل وما صادف قلباً خالياً يتمكن فيه قال الشاعر:

اتـانـى هـواهـا قـبـل أن أعـرف الـهـوى — فـصـادف قـلـبـا خـالـيـا فـتـمـكـنـا

ويدخل في الثاني من له حصر أو عيّ لأن من قرأ القرآن وهو عليه شاق فله أجران أجر لقراءته وأجر لمشقته كذا في «شرح المصابيح».

﴿وكم قصمنا من قرية﴾ كم خبرية للتكثير محلها النصب على أنها مفعول لقصمنا ومن قرية تمييز وفي لفظ القصم الذي هو عبارة عن الكسر بإبانة إجراء المكسور وإزالة تأليفها بالكلية من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى ﴿كانت ظالمة﴾ صفة لقرية بتقدير المضاف أي: وكثيراً كسرنا وأهلكنا من أهل قرية كانوا ظالمين بآيات الله كافرين بها كدأبكم يا معشر قريش ﴿وأنشأنا بعدها﴾ أي: بعد إهلاكها والإنشاء والاختراع والتكوين والتخليق والإيجاد أسماء مترادفة يراد بها معنى واحد وهو إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود كما في «بحر العلوم». قال الراغب: الإنشاء إيجاد الشيء وتربيته وأكثر ما يقال ذلك في الحيوان كما في هذه الآية ﴿قوماً آخرين﴾ أي ليسوا منهم نسباً ولا ديناً.

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾

﴿فلما أحسوا بأسنا﴾ الضمير للأهل المحذوف والبأس الشدة والمكروه والنكاية أي: أدركوا عذابنا الشديد إدراكاً تاماً كأنه إدراك المشاهد المحسوس ﴿إذا هم منهم﴾ من القرية إذا للمفاجأة وهم مبتدأ خبره قوله: ﴿يركضون﴾ الركض ضرب الدابة بالرجل للعدو فمتى نسب

إلى الراكب فهو إعداء مركوبه نحو ركضت الفرس ومتى نسب إلى الماشي فوطىء الأرض والمعنى يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو مشبهين بهم في إفراط الإسراع.

﴿لا تركضوا﴾ أي: قيل لهم بلسان الحال أو بلسان المقال من الملك لا تركضوا ﴿وارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾ يقال أترفته النعمة أطغته وأترف فلان أصر على البغي أي: إلى ما أعطيتموه من العيش الواسع والحال الطيبة حتى بطرتم به فكفرتم وأعرضتم عن المعطي وشكره ﴿ومساكنكم﴾ التي تفتخرون بها وفي «المثنوي»:

افتخاراز رنك وبو واز مكان هست شادى وفريب كودكان

﴿لعلكم تسألون﴾ تقصدون من جهة الناس للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل كما هو عادة الناس مع عظمائهم في كل قرية لا يزالون يقطعون أمراً دونهم.

﴿قالوا﴾ لما يئسوا من الخلاص بالهرب وأيقنوا بنزول العذاب ﴿يا ويلنا﴾ يا ويل ويا هلاك تعال فهذا وقتك. وقال الكاشفي: [اى واى برما] ﴿إنا كنا ظالمين﴾ أي: مستوجبين للعذاب وهو اعتراف منهم بالظلم وباستتباعه للعذاب وندمهم عليه حين لم ينفعهم ذلك.

﴿فما زالت تلك﴾ أي: كلمة الويل وهي يا ويلنا إنا كنا ظالمين وهي اسم ما زالت وخبره قوله: ﴿دعواهم﴾ أي: دعاءهم ونداءهم أي: رددوها مرة بعد أخرى ﴿حتى جعلناهم حصيداً﴾ أي: مثل الحصيد وهو المحصود من الزرع والنبت ولذلك لم يجمع أي: لأن الفعيل بمعنى المفعول يستوي فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿خامدين﴾ حال من المنصوب في جعلناهم أي: ميتين من خمدت النار إذا أطفىء لهبها ومنه استعير خمدت الحمى أي: سكنت حرارتها وزالت شهوة الموت لخمود النار وانطفائها فأطلق عليه الخمود ثم اشتق منه خامدين. دلت الآية على أن في الظلم خراب العمران، قال الشيخ سعدي قدس سره:

بقومى كه نيكى پسندد خداى دهد خسرو عادل نيك راى
چو خواهدكه ويران كند عالمى كند ملك در پنچه ظالمى

وفي الحديث «الظلم ظلمات يوم القيامة» وإذا أظلم القلب عن المعرفة والإخلاص خرب وعلامة خراب القلب عصيان الجوارح وتعديها وميلها إلى ما فيه الهلاك. وقال بعض أهل التفسير والأخبار: إن أهل حضور من قرى اليمن وقيل كانت بأرض الحجاز من ناحية الشام بعث إليهم نبي اسمه موسى بن ميشان كما في «الكشف». وقال الإمام السهيلي في «التعريف والأعلام» اسمه شعيب بن ذي مهرم وقبر شعيب هذا في اليمن بجبل يقال له ضين. قال في «القاموس» ضين بالكسر جبل عظيم بصنعاء اهـ وليس شعيب صاحب مدين لأن قصة حضور قبل مدّة معدّ جده عليه السلام وبعد مئين من السنين من مدة سليمان عليه السلام وأنهم قتلوا نبيهم وقتل أصحاب الرس أيضاً في ذلك التاريخ نبياً لهم اسمه حنظلة بن صفوان فأوحى الله إلى أرمياء أن ائت بخت نصر وأعلمه أني قد سلطته عليهم وعلى أرض العرب وأني منتقم به منهم وأوحى الله إلى أرمياء أن احمل معد بن عدنان على البراق إلى أرض العراق كيلا يصيبه النقمة والبلاء معهم فإني مستخرج من صلبه نبياً في آخر الزمان اسمه محمد ﷺ فحمل معداً وهو ابن اثني عشر وكان مع بني إسرائيل إلى أن كبر وتزوج امرأة اسمها معانه. ثم إن بخت نصر نهض بالجيوش وكمن للعرب في مكان وهو أول من اتخذ المكامن في الحرب فيما زعموا ثم شن الغارات على حضور أي: صبها على أهلها من كل وجه فقتل وسبى وخرب

العامر ولم يترك بحضور أثراً قال الله تعالى: ﴿حتى جعلناهم حصيداً خامدين﴾ ثم وطىء أرض العرب يمنها وحجازها فأكثر القتل والسبي وخرب وحرق ثم انصرف راجعاً إلى السواد وإياهم عنى الله بقوله: ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة﴾ وهذه الرواية منقولة عن ابن عباس رضي الله عنهما وظاهر الآية على الكثرة لأن كم للتكثير ولعله رضي الله عنه ذكر حضور بأنها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية وفي الحديث «خمس في خمس ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا منع عنهم القطر».

هرچه بر توآيد از ظلمات وغم آن زبى شر مى وكستاخيست هم

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وما خلقنا السماء﴾ الخلق أصله التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء أي: وما أبدعنا السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة ﴿والأرض﴾ التي هي كالفراش والبساط ﴿وما بينهما﴾ من أنواع الخلائق وأصناف العجائب حال كوننا ﴿لاعبين﴾ يقول لعب فلان إذا كان فعله غير قاصد به مقصداً صحيحاً أي: عابثين بل لحكم ومصالح وهي أن تكون مبدأ لوجود الإنسان وسبباً لمعاشه ودليلاً يقوده إلى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى.

برك درختان سبز در نظر هوشيار هر ورقى دفتريست معرفت كردكان

وكل شيء فهو إما مظهر لطفه تعالى أو قهره وفي كل ذرة سر عجيب.

بنكر بچشم فكركه ازعرش تابفرش در هيچ ذره نيست كه سرى عجيب نيست

فإن قيل: دلت الآية على أن اللعب ليس من فعله وإنما هو من أفعال اللاعبين لأن اللاعب اسم لفاعل اللعب فنفي اسم الموضوع يقتضي نفي الفعل. أجيب بأن ذلك يبطل بمسألة خلق الداعي والقدرة.

﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً﴾ أي: ما يتلهى به ويلعب على أنه مصدر بمعنى المفعول يقال لهوت بالشيء لهواً إذا لعبت به. قال الكاشفي: [چيزى بآن بازى كنند وبرؤية آن مستأنس شوند چون زن وفرزند]. وقال الراغب اللهو ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه ويعبر عن كل ما به استمتاع باللهو قال تعالى: ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً﴾ وقول من قال أراد باللهو المرأة والولد فتخصيص ببعض ما هو من زينة الحياة الدنيا انتهى. يقول الفقير: فسره بالمرأة في تفسير «الجلالين» المقصور على رواية ابن عباس رضي الله عنهما وبهما في «التأويلات» الشيخ نجم الدين قدس سره وهو من أكابر من جمع بين الطرفين ويدل على هذا المعنى قوله تعالى فيما بعد: ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾. قال الإمام الواحدي يستروح بكل واحد منهما أي: من المرأة والولد ولهذا يقال لامرأة الرجل وولده ريحانتاه ﴿لاتخذناه من لدنا﴾ أي: من جهة قدرتنا عليه لتعلقها بكل شيء من المقدورات أو مما نصطفيه ونختاره مما نشاء من خلقنا من الحور العين أو من غيرها. قال الواحدي معنى من لدنا من عندنا بحيث لا يظهر لكم ولا تطلعون عليه ولا يجري

لأحد فيه تصرف لأن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره ﴿إن كنا فاعلين﴾ ذلك لكن تستحيل إرادتنا له لمنافاته الحكمة لا لعدم القدرة على اتخاذه ولا لغيره فيستحيل اتخاذنا له قطعاً.

قال في «التأويلات النجمية»: جل جلال قدس حضرتنا عن أمثال هذه التدنسات وعز جناب كبريائنا عن أنواع هذه الوصمات وقد تنزه عن أمثالها الملائكة المقربون وهم عبادنا المكرمون المخلوقون فالحضر الخالقية أولى بالتنزه عن أمثالها انتهى. وإن للشرط على سبيل الفرض والتقدير وجواب إن محذوف لدلالة الجواب المتقدم عليه أي: إن كنا فاعلين لاتخذناه.

﴿بل نقذف بالحق على الباطل﴾ إضراب عن اتخاذ الولد وإرادته كأنه قيل لكنا لا نريده بل شأننا أن نغلب الحق الذي من جملته الجد والإيمان والقرآن ونحوها على الباطل الذي من جملته اللهو والكفر والأباطيل الأخر. قال الراغب القذف الرمي البعيد ولاعتبار البعد فيه قيل منزل قذف وقذيف وبلدة قذوف طروح بعيدة والباطل نقيض الحق وهو الذي لا ثبات له عند الفحص عنه ﴿فيدمغه﴾ فيهلكه ويعدمه. قال أهل التفسير إنما استعار لذلك أي: للتغليب والتسليط وإيراد الحق على الباطل القذف وهو الرمي الشديد المستلزم لصلابة المرمي ولمحوه وإعدامه الباطل وهو كسر الشيء الرخو الأجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي إلى زهوق الروح تصويراً لإبطاله به فشبه الحق بجرم صلب كالماس أو الياقوت مثلاً قذف به على جرم رخو أجوف من قزاز أو تراب فمحقه وأعدمه. قال «صاحب المفتاح»: أصل استعمال القذف والدمغ في الأجسام ثم استعير القذف لإيراد الحق على الباطل والدمغ لإذهاب الباطل ومحوه فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي أي: ففيه تشبيه المعقول بالمحسوس عبر عن الصورة المقولة بما يدل على الهيئة المحسوسة لتتمكن تلك الهيئة المعقولة في ذهن السامع فضل تمكن ﴿فإذا هو﴾ [پس آنجا او] ﴿زاهق﴾ أي: ذاهب بالكلية والزهوق ذهاب الروح ويقال زهقت نفسه خرجت من الأسف وفي إذا المفاجأة والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكأنه زاهق من الأصل وذكره لترشيح المجاز فإن ذهاب الروح إنما يلائم المستعار منه أي: المعنى الأصلي للدمغ فإن الدماغ مجمع الحواس وإذا بلغت الشجة إليه يموت الحيوان.

وفي «التأويلات النجمية» للحق ثلاث مراتب وكذا للباطل مرتبة أفعال الحق ومرتبة صفات الحق ومرتبة ذات الحق تعالى فأما أفعال الحق فهي ما أمره الله به العباد فبها يدمغ باطل ما نهى الله عنه وأما صفات الحق فبتجليها يدمغ باطل صفات العبد وأما ذات الحق فإذا تجلى الله بذاته يدمغ باطل جميع الذوات كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] ويدل عليه ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] ولعل من قال أنا الحق إنما قال عند تجلي ذات الحق أو صفة حقيته لذاته الباطل إذ زهق باطل ذاته عند مجيء الحق فأخبر الحق عن ذاته بلسان اتصف بصفة الحق فقال أنا الحق، قال المغربي قدس سره:

ناصر ومنصور ميكويد انا الحق المبين ... بشنواز ناصركه آن كفتاراز منصور نيست

وقال الخجندي قدس سره:

هركه بدار فنا جبه هستى بسوخت ... رمز سوى الله بخواند سرانا الحق شنود

وقال:

أسرار أنا الحق سخن نيك بلندست ... معنى چنين جز بسردار نيابى

﴿ولكم الويل﴾ قال الأصمعي ويل قبوح وقد يستعمل في التحسر وويس استصغار وويح ترحم ومن قال ويل واد في جهنم فإنه لم يرد أن ويلاً في اللغة هو موضوع لهذا وإنما أراد أن من قال الله تعالى فيه ذلك فقد استحق مقراً من النار وثبت ذلك له. والمعنى استقر لكم الهلاك أيها المشركون ﴿مما تصفون﴾ من تعليلية متعلقة بالاستقرار أي: من أجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشأنه الجليل من المرأة والولد ووصف كلامه بأنه سحر وأضغاث أحلام ونحو ذلك من الأباطيل.

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وله﴾ خاصة ﴿من في السموات والأرض﴾ أي: جميع المخلوقات إيجاداً واستبعاداً ﴿ومن عنده﴾ من عطف الخاص على العام والمراد الملائكة المكرمون المنزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريقة التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على أكثر خلقه لا على الجميع كما زعم أبو بكر الباقلاني وجميع المعتزلة فالمراد بالعندية عندية الشرف لا عندية المكان والجهة وعند وإن كان من الظروف المكانية إلا أنه شبه قرب المكانة والمنزلة بقرب المكان والمسافة فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به. قال الكاشفي: [يعني فرشتكان كه مقربان دركاه الوهيت اند وشما ايشانرا مى پرستيد] ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ أي: لا يتعظمون عنها ولا يعدون أنفسهم كبيرة بل يتفاخرون بعبوديته فالبشر مع نهاية ضعفهم أولى أن يطيعوه والجملة حال من قوله من عنده. وجعل المولى أبو السعود رحمه الله من عنده مبتدأ ولا يستكبرون خبره ﴿ولا يستحسرون﴾ ولا يكلون ولا يعيون يقال حسر واستحسر إذا تعب وأعيى يعني أن استفعل بمعنى فعل نحو قر واستقر. قال في «المفردات»: الحسر كشف الملبس عما عليه يقال حسرت عن الذراع والحاسر من لا درع عليه ولا مغفر والناقة حسير حسر عنها اللحم والقوة والحاسر المعيي لانكشاف قواه ويقال للمعيي حاسر ومحسور أما الحاسر فتصور أنه قد حسر بنفسه قواه وأما المحسور فتصور أن التعب قد حسره والحسرة الغم على ما فاته والندم عليه كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه أو انحسر قواه من فرط غم أدركه وأعياه عن تدارك ما فرط منه.

﴿يسبحون الليل والنهار﴾ كأنه قيل كيف يعبدون فقيل يسبحون الليل والنهار أي: ينزهونه في جميع الأوقات عن وصمة الحدوث وعن الأنداد ويعظمونه ويمجدونه دائماً ﴿لا يفترون﴾ لا يتخلل تسبيحهم فترة طرفة عين بفراغ منه أو بشغل آخر لأنهم يعيشون كما يعيش الإنسان بالنفس والحوت بالماء. يعني أن التسبيح بالنسبة إلى الملائكة كالتنفس بالنسبة إلينا فكما أن قيامنا وقعودنا وتكلمنا وغير ذلك من أفعالنا لا يشغلنا عن التنفس فكذلك الملائكة لا يشغلهم عن التسبيح شيء من أفعالهم كما قال عبد الله بن الحارث لكعب أليس إنهم يؤدون الرسالة ويلعنون من لعنه الله كما قال: ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١] وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ١٦١] فقال: التسبيح لهم كالتنفس لنا فلا يمنعهم عن عمل. فإن قلت التسبيح واللعن من جنس الكلام فكيف لا يمنع أحدهما الآخر. قلنا لا يبعد أن يخلق الله لهم ألسنة كثيرة ببعضها يسبحون وببعضها يلعنون. أو المعنى لا يفترون عن العزم على أدائه في أوقاته

كما يقال فلان مواظب على الجماعة لا يفتر عنها فإنه لا يراد به دوام الاشتغال بها وإنما يراد العزم على أدائها في أوقاتها كما في «الكبير». وعن بعض أرباب الحقائق زالت مشقة التكاليف الشرعية عن أهل الله تعالى لفرط محبتهم إياه سبحانه ولتبدل مجاهدتهم بالحب الإلّهي لأنه ظهر شرف تلك التكاليف وبهر كونها تجليات الهية.

يقول الفقير: سمعت من حضرة شيخي وسندي قدس سره وهو يقول لا تتيسر حلاوة العبودية إلا بعد المعرفة التامة بالله تعالى والشهود الكامل له وذلك لأن لذة المناجاة مع السلطان لا يصل إليها السائس فعبادة أهل الحجاب لا تخلو عن فتور وكلفة بخلاف أهل الكشف الإلهي فإن العبادة صارت لهم كالعادة لغيرهم في سهولة المأخذ والقيام بها نسأل الله تعالى أن يخفف عنا الأوزار إنه الكريم الغفار. قال الراغب الفتور سكون بعد حدة ولين بعد شدة وضعف بعد قوة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩] أي: سكون خال عن مجيء رسول وقوله تعالى: ﴿لا يفترون﴾ أي: لا يسكنون عن نشاطهم في العبادة وفي الحديث: «لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن فتر إلى سنتي فقد نجا وإلا فقد هلك» فقوله: «لكل شرة فترة» إشارة إلى ما قيل للباطل صولة ثم تضمحل وللحق دولة لا تزل وقوله: «من فتر إلى سنتي أي: سكن إليها فالطرف الفاتر فيه ضعف مستحسن والفتر ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة يقال فترته بفتري وشبرته بشبري انتهى كلام الراغب الأصفهاني في «كتاب المفردات».

﴿أم اتخذوا آلهة﴾ أم منقطعة مقدرة ببل مع الهمزة ومعنى الهمزة إنكار الوقوع لا إنكار الواقع والضمير للمشركين والمراد بالآلهة الأصنام ﴿من الأرض﴾ متعلق باتخذوا بمعنى ابتدأوا اتخاذها من الأرض بأن صنعوها ونحتوها من بعض الحجارة أو من بعض جواهرها كالشبة والصفر ونحوهما والمراد به تحقير المتخذ لا التخصيص ﴿هم ينشرون﴾ يقال: أنشره الله أحياه أي: يبعثون الموتى والجملة صفة الآلهة وهو الذي يدور عليه الإنكار والتجهيل والتشنيع لا نفس الاتخاذ فإنه واقع لا محالة بل اتخذوا آلهة من الأرض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فإن ما اتخذوها آلهة بمعزل عن ذلك وهم وإن لم يقولوا بذلك صريحاً فإنهم لم يثبتوا الإنشار لله تعالى كما قالوا ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ [يس: ٨٧] فكيف يثبتونه للأصنام لكنهم حيث ادعوا لها الإلهية فكأنهم ادعوا لها الإنشار ضرورة أنه من الخصائص الإلّهية حتماً.

﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله﴾ تنزيه لنفسه عن الشريك بالنظر العقلي وإلا بمعنى غير على أنها صفة آلهة أي: لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل سواء كان الله معهم أو لم يكن. قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف قال لو كان فيهما فجعل السموات ظرفاً وهو تحديد والجواب لم يرد به معنى الظرف وإنما هو كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ [الزخرف: ٨٤] ﴿لفسدتا﴾ الفساد خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً كان الخروج عنه أم كثيراً ويضاده الصلاح ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة

أي: لخرجتا عن هذا النظام المشاهد لأن كل أمر بين الاثنين لا يجري على نظام واحد والرعية تفسد بتدبير الملكين وحيث انتفى التالي تعين انتفاء المقدم.

قال في «التأويلات النجمية»: إن هذه الآلهة لا تخلو إما أن يكون كلهم متساوياً في الألوهية وكمال القدرة أو بعضهم كامل وبعضهم ناقص وإما أن يكون كلهم ناقصاً يحتاج بعضهم إلى بعض في الإلٓهية وإما كمالية بعضهم وناقصية بعضهم فهو يقتضي استغناء الكامل عن الناقص فالناقص لا يصلح للإلٰهية. وأما الناقصون الذين يحتاجون إلى إعانة بعضهم لبعض فلا يصلحون للآلهية لأنهم محتاجون إلى مكمل واحد مستغن عما سواه وهو الله الواحد الأحد الصمد الغني عما سواه وما سواه محتاج إليه ولو كان فيهما آلهة غيره لفسدتا لعدم مدبر كامل في الإلٓهية ولعجز آلهة أخرى في المدبرية:

درد وجهان قادر ويكتا توي جمله ضعيفند وتوانا توي
چون قدمت بانك برابلق زند جزتوكه يارو كه انا الحق زند

﴿فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ أي: نزهوه تنزيهاً عما يصفونه به من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد لأن ذلك من صفات الأجسام ولو كان الله جسماً لم يقدر على خلق العالم وتدبير أمره ولم يكن مبدأ له على أن الجسم مركب ومتحيز وذلك من أمارات الحدوث وجواز الوجود وواجب الوجود متعال عن ذلك.

قال في «التأويلات النجمية»: نزه الله نفسه عن العجز والاحتياج لغيره في الإلٓهية وأثبت أنه خالق العرش الذي هو مصدر فيض الرحمانية إلى المكونات لنفي الإلٓهية عن غيره منزهاً عما يصفون باحتياجه إلى العرش أو بآلهة أخرى في الإلٓهية، وفي «المثنوي»:

واحد اندر ملك او را يار ني بندكانش را جزاو سالار ني
نيست خلقش را دكركس مالكي شر كتش دعوى كند جزها لكي

قال بعض الكبار افترى العادلون عن الله إلى غيره كالطبائعيين القائلين بأن جميع التأثيرات الواقعة إنما هي من مقتضيات الطبيعة كديمقراطيس وأتباعه والسوفسطائيين المنكرين لجميع الموجودات حتى أنفسهم وإنكارهم وأما الثنوية أعني القائلين بإلٰهين اثنين أحدهما مصدر للخيرات والآخر مصدر للشرور فإنهم قد لعنوا على لسان أهل الإشراف الكشفي والبرهاني ليس لجسد قلبان ولا لبدن نفسان ولا للسماء شمسان شهد الأخبار بواحد وهو منتهى الأعيان لو حصل شمسان لانطمست الأركان أبى النظام شمسا أخرى فكيف لا يأبى إلهاً آخر إن كان للقيوم شريك فأين شمسه لأنها أكمل النيرات فخالقها أكمل ممن لم يخلق مثلها ومن غيره أكمل منه لا يكون واجباً لذاته لأن الوجوب الذاتي من خصائص الكمال التام فحيث لم نجد شمساً أخرى عرفنا أنه ليس في الوجود إله آخر:

يشهد الله أينما يبدو أنه لا إله إلا هو

قال بعض أرباب الحقائق: لو كان في سماء الروحانية وأرض البشرية مدبرات مثل العقل في سماء الروحانية وفي الهوى أرض البشرية غير هداية الله تعالى بواسطة الأنبياء والشرائع لفسدتا كما فسدت بتدبير العقل والهوى سماء الروحانية الفلاسفة والطبائعية والدهرية والإباحية والملاحدة وأرض بشريتهم فأما فساد سماء أرواحهم فبأن زلت قدمهم عن جادة التوحيد وصراط الوحدانية حتى أثبتوا لله الواحد القديم شريكاً قديماً وهو العالم فلم يقبلوا دعوة الأنبياء

ولم يهتدوا بهداية الحق، وفي «المثنوي»:

اى بـبـرده عـقـل هـديـه تـا الـه عـقـل آنجـا كـمـترسـت ازخـاك راه

وأما فساد أرض بشريتهم فبأن زلت قدمهم عن جادة العبودية وصراط الشريعة والمتابعة حتى عبدوا طاغوت الهوى والشيطان وآل أمر فساد حالهم إلى أن قال تعالى فيهم: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]. قال الشيخ أبو عثمان المغربي قدس سره من أمر السنة على نفسه أخذاً وتركاً وحباً وبغضاً نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة فعلى السالك أن يأخذ بالطريق الوسط وهو طريق الكتاب والسنة الموصل إلى الجنة والقربة والوصلة ويجتهد في تحصيل كمال الصدق والإخلاص إذ هو الزاد لأهل الاختصاص نسأل الله الفياض الكريم أن يشرفنا بفيضه العميم ويثبتنا على صراطه المستقيم.

﴿لا يسأل﴾ الله تعالى ﴿عما يفعل﴾ ويحكم ﴿وهم﴾ أي: العباد ﴿يسألون﴾ عما يفعلون نقيراً وقطميراً والسؤال استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة وجوابه على اللسان واليد خليفة له بالكتابة والإشارة. فإن قيل ما معنى السؤال بالنسبة إلى الله تعالى؟ قلنا تعريف للقوم وتبكيتهم لا تعريف لله تعالى فإنه علام الغيوب فالسؤال كما يكون للاستعلام يكون للتبكيت وإنما لا يسأل سؤال إنكار ويجوز السؤال عنه على سبيل الاستكشاف والبيان كقوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾ [مريم: ٨] وعلى سبيل التضرع والحاجة كقوله تعالى حكاية عن الكافر ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [طه: ١٢٥]. قال في «بحر العلوم»: إنما لا يسأل عما يفعل لأنه رب مالك علام لا نهاية لعلمه وكل من سواه مربوب مملوك جاهل لا يعلم شيئاً إلا بتعليم فليس للمملوك الجاهل أن يتعرض على سيده العليم بكل شيء فيما يفعل ويقول لم فعلت وهلا فعلت مثلاً وهم يسألون لأنهم مملوكون مستعبدون خطاؤون فيقال لهم في كل شيء فعلوه لم فعلتم.

واعلم أن الاعتراض شؤم يسخط الرب ويوجب عقابه وسخطه، قال الحافظ:

مـزن زچـون وچـرادم كـه بـنـده مـقـبـل قبول كردبجان هرسخن كه جانان كفت

وبشؤم الاعتراض على الله في فعله لعن إبليس وكان من مردة الكافرين فإنه تعالى لما أمره بالسجود قال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١] وبشؤم الاعتراض في شأن بني آدم أصاب الملكين هاروت وماروت ما أصابهما فهذا بالاعتراض في شأن المخلوق فكيف بالاعتراض في شأن الخالق وبالاعتراض على الله والتعمق في الخوض في صفاته هلك الهالكون من أهل الأهواء وأرباب الآراء تعمقوا فيما لم يتعمق فيه أصحاب رسول الله والتابعون ومن تبعهم من أهل الحق وتكلفوا الخوض فيه فوقعوا في الشبهات فضلوا وأضلوا ولو لم يتعمقوا لسلموا وقد اتفقت كلمة أهل الحق على أن الاعتراض على الله الملك الحق في فعله وما يحدثه في خلقه كفر فلا يجترىء عليه إلا كافر وجاهل ضال. وكذا الاعتراض على النبي عليه السلام فإنه إنما يقول عن الحق لا عن الهوى فالاعتراض عليه اعتراض على الحق وفيه الهلاك. قال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله يقول: «يا أيها الناس كتب عليكم الحج» فقام عكاشة بن محصن فقال: أكل عام يا رسول الله فقال: «لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ثم تركتموها لضللتم اسكتوا عني كما سكت عنكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم» فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن

﴿تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ [المائدة: ١٠١] الآية. ومن أشد التشنيع وأقبح الاعتراض على رسول الله ﷺ ما روي عن بعض الكبار أنه قال: كنت في مجلس بعض الغافلين فتكلم إلى أن قال لا مخلص لأحد من الهوى ولو كان فلاناً عنى به النبي عليه السلام من حيث قال: «حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة» فقلت أما تستحيي من الله تعالى فإنه ما قال أحببت بل قال حبب فكيف يلام العبد من عند الله ثم حصل لي هم وغم فرأيت النبي عليه السلام في المنام فقال: لا تغتم فقد كفيناك أمره ثم سمعت أنه قتل. قال الفقهاء من عيره عليه السلام بالميل إلى نسائه قاصداً به النقص يقتل قاتله الله تعالى. يقول الفقير:

شب پره ميطلبد بدر تمامت نقصان اونداندكه ابدنور تو ظاهر باشد

هركه ازروى جدل برتو سخن ميراند بمثل شد اكرش بو على كافر باشد

وأما الاعتراض على الأولياء والمشايخ من العلماء فإنه يحرم الخير ويقطع بركة الصحبة وزيادة العلم يدل على ذلك شأنه موسى والخضر عليهما السلام نهاه عن الاعتراض عليه فيما يفعل بقوله: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِى عَن شَىۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرًا﴾ [الكهف: ٧٠] فاعترض عليه فناداه الخضر بالفراق فحرم بركة صحبته وانقطعت بركة الزيادة من علمه والخير الذي جعله الله معه. ومن شؤم الاعتراض ما كان من أمر الخوارج اعترضوا على علي رضي الله عنه وخرجوا عليه فخرجوا من الدين وصاروا كلاب النار وشر قتلى تحت أديم السماء. قال أبو يزيد البسطامي قدس سره في حق تلميذه لما خالفه دعوا من سقط من عين الله فروؤي بعد ذلك مع المخنثين وسرق فقطعت يده هذا حظ المعترض في الدنيا وأما حاله في الآخرة فلا يكلمه الله ولا ينظر إليه وله عذاب أليم في نار القطيعة والهجران، يقول الفقير:

هين مكن بامر شد كامل جدل تا نباشد كمرهى اورا بدل

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِىَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِىۗ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أم اتخذوا من دونه آلهة﴾ الهمزة لإنكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا. والمعنى بل اتخذوا متجاوزين إياه تعالى آلهة مع ظهور خلوهم عن خواص الألوهية بالكلية ﴿قل﴾ لهم بطريق الإلزام وإلقام الحجر ﴿هاتوا﴾ [بياريد]. قال في «بحر العلوم» هات من أسماء الأفعال يقال هات الشي أي: أعطنيه. والمعنى أعطوني ﴿برهانكم﴾ حجتكم على ما تدعون من جهة العقل والنقل فإنه لا صحة لقول لا دليل عليه في الأمور الدينية لا سيما في مثل هذا الشأن الخطير. قال الراغب البرهان فعلان مثل الرجحان والبنيان. وقال بعضهم هو مصدر بره يبره إذا ابيض انتهى وقد أشار صاحب «القاموس» إلى كليهما حيث قال في باب النون البرهان بالضم الحجة وبرهن عليه أقام البرهان وفي باب الهاء أبره أتى بالبرهان. قال في «المفردات»: البرهان أوكد الأدلة وهو الذي يقتضي الصدق أبداً ﴿هذا ذكر من معي وذكر من قبلي﴾ هذا إشارة إلى الموجود بينهم من الكتب الثلاثة القرآن والتوراة والإنجيل فالقرآن ذكر وعظة لمن اتبعه عليه السلام إلى يوم القيامة والتوراة والإنجيل ذكر وعظة للأمم المتقدمة يعني راجعوا هذه الكتب الثلاثة هل تجدون في واحد منها غير الأمر بالتوحيد فهذا برهاني قد أقمته فأقيموا أيضاً برهانكم.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن إثبات الوحدانية بالتحقيق وكشف العيان من خصوصية العلماء المحققين من أمتي الذين هم معي في سير المقامات وقطع المنازل إلى الخضرة كما هو من خصائص الأنبياء من قبلي ومن هنا قال ﷺ: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» أي: في صدق طلب الحق بالإعراض عن الكونين والتوجه إلى الله تعالى ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق﴾ إضراب من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن أي: لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل فلا تنجع فيهم المحاجة بإظهار حقية الحق وبطلان الباطل. وفي «بحر العلوم» كأنه قيل بل عندهم ما هو أصل الفساد كله وهو الجهل وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثمة جاء الإعراض ومن هناك ورد الإنكار ﴿فهم﴾ لأجل ذلك ﴿معرضون﴾ مستمرون على الإعراض عن التوحيد واتباع الرسول وأما أقلهم العالمون فلا يقبلونه عناداً.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه﴾ أي: الشأن ﴿لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ أي: وحدوني ولا تشركوا بي. وفيه إشارة إلى أن الحكمة في بعثة جميع الأنبياء والرسل مقصورة على هاتين المصلحتين وهما إثبات وحدانية الله تعالى وتعبده بالإخلاص لتكون فائدة تينك المصلحتين راجعة إلى العباد لا إلى الله تعالى كما قال: «خلقت الخلق ليربحوا عليّ لا لأربح عليهم»، وفي «المثنوي»:

چون خلقت الخلق كي يربح على   لطف توفر مود أي: قيوم وحي
لا لأن أربح عليهم جودتست   كه شود زو جمله ناقصها درست
عفو كن زين ناقصان تن پرست   عفو ازدرياى عفو او ليترست

وأكبر فائدتهما معرفة الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] أي: ليعرفون وهي مختصة بالإنسان دون سائر المخلوقات فإنها هي حقيقة الأمانة التي قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأحزاب: ٧٢] الآية.

يقول الفقير: العبادة طريق المعرفة وهي طريق الرؤية فالرؤية أعلى من المعرفة لأن العارفين مشتاقون إلى منازل أهل الوصال والواصلون لا يشتاقون إلى منازل أهل المعرفة والمعرفة يتولد منها التعب والعناء والرؤية يتولد منها السرور والرضى. قال بعض العارفين المعرفة ألطف والرؤية أشرف والمعرفة أشد والرؤية آكد فعلى السالك أن يجتهد في تحقيق المعرفة والتوحيد ويصل إلى رؤية الحميد المجيد. والتوحيد على ثلاث مراتب: توحيد أهل البداية وهو لا إله إلا هو وسير أهل هذا التوحيد في عالم الأجسام، وتوحيد أهل التوسط وهو لا إله إلا أنت وسير أهل هذا التوحيد في عالم الأرواح. وتوحيد أهل النهاية وهو لا إلٰه إلا أنا وسير أهل هذا التوحيد في عالم الحقيقة وإلى هذه المرتبة أشار الشيخ المغربي قدس سره بقوله:

نور هستى جمله ذرات عالم تا ابد   ميكنند از مغربى چون ماه ازمهر اقتباس

ومن لطائف الكمال الخجندي قوله:

طاس بازى بديدم از بغداد چون جنيد ازسلوكش آكاهى
رفت درجبه وقت بازى كفت ليس في جبتي سوى اللهى

ثم إن في الآية إشارة إلى أن أكثر الخلق من يدعون الإسلام والتوحيد ولا يميزون الحق من الباطل فيتبعون أهل الشرك والرياء والبدع والهوى والدنيا ولذا قلت عبادتهم بالإخلاص بل انتفى رعاية الشريعة بينهم ولو كان لهم استعداد وجدان الحق لوجدوا أهله أولاً ووصلوا بتسليكهم على قدمي الشريعة والطريقة إلى المعرفة والحقيقة فإنما حرموا الوصول بتضييعهم الأصول ومن الله الهداية والتوفيق ومنه الوصول إلى مقام الصدق والتحقيق.

﴿وقالوا﴾ أي: حي من خزاعة ﴿اتخذ الرحمٰن ولداً﴾ من الملائكة وادعوا أنهم بنات الله وأنه تعالى صاهر سروات الجن فولدت له الملائكة. قال الراغب الأخذ وضع الشيء وتحصيله وذلك تارة بالتناول نحو ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يوسف: ٧٩] وتارة بالقهر نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ويقال أخذته الحمى ويعبر عن الأسير بالمأخوذ والأخيذ والاتخاذ افتعال منه فيتعدى إلى مفعولين ويجري مجرى الجعل ﴿سبحانه﴾ أي: تنزه بالذات تنزهه اللائق به على أن السبحان مصدر من سبح أي: بعد أو أسبحه تسبيحه على أنه علم للتسبيح وهو مقول على ألسنة العباد أو سبحوه تسبيحه. قال في «بحر العلوم» ويجوز أن يكون تعجباً من كلمتهم الحمقاء أي: ما أبعد من ينعم بجلائل النعم ودقائقها وما أعلاه عما يضاف إليه من اتخاذ الولد والصاحبة والشريك انتهى. وقال في «الكشف» التنزيه لا ينافي التعجب ﴿بل﴾ ليست الملائكة كما قالوا بل هم ﴿عباد﴾ مخلوقون له تعالى ﴿مكرمون﴾ مقربون عنده مفضلون على كثير من العباد لا على كلهم والمخلوقية تنافي الولادة لأنها تقتضي المناسبة فليسوا بأولاد وإكرامهم لا يقتضي كونهم أولاداً كما زعموا.

﴿لا يسبقونه بالقول﴾ صفة أخرى لعباد وأصل السبق التقدم في السير ثم تجوز به في غيره من التقدم أي: لا يقولون شيئاً حتى يقوله تعالى ويأمرهم به لكمال انقيادهم وطاعتهم كالعبيد المؤدبين. قال الكاشفي: [يعني بى دستورىء وى سخن نكويند مراد ازين سخن قطع طمع كافرانست از شفاعت ملائكه يعني ايشان بى اذن خداشفاعت نتوانند كرد] ﴿وهم بأمره يعملون﴾ أي: كما أنهم يقولون بأمره كذلك يعملون بأمره لا بغير أمره أصلاً فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة إلى غير أمره لا إلى أمر غيره والأمر مصدر أمرته إذا كلفته أن يفعل شيئاً. وفي الآية إشارة إلى أن العباد المكرمين بالتقرب إلى الله تعالى والوصول إليه لا يقولون شيئاً من تلقاء نفوسهم ولا يفعلون شيئاً بإرادتهم بل إذا نطقوا نطقوا بالله وإذا سكتوا سكتوا بالله.

يقول الفقير:

چون وزد باد صبا وقت سحر ميشود دريا زجنبش موجكر
موج وتحريك از صبا باشد همين نى زدريا اين خروش آينده هين

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿يعلم﴾ الله تعالى أي: لا يخفى عليه ﴿ما بين أيديهم﴾ ما قدموا من الأقوال والأعمال ﴿وما خلفهم﴾ وما أخروا منهما وهو الذي ما قالوه وما عملوه بعد فيعلمهم بإحاطته تعالى

بذلك ولا يزالون يراقبون أحوالهم فلا يقدمون على قول أو عمل بغير أمره تعالى فهو تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده ﴿ولا يشفعون﴾ الشفع ضم الشيء إلى مثله. والشفاعة الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى ومنه الشفاعة في القيامة ﴿إلا لمن ارتضى﴾ أن يشفع له من أهل الإيمان مهابة منه تعالى وبالفارسية: [مكر كسى كه خداى بشفاعت به پسندد اورا] قال ابن عباس رضي الله عنهما إلا لمن قال لا إله إلا الله. فلا دليل فيه للمعتزلة في نفي الشفاعة عن أصحاب الكبائر. قال في الأسئلة المقحمة هذا دليل على أن لا شفاعة لأهل الكبائر لأنه لا يرضى لهم والجواب قد ارتضى العاصي لمعرفته وشهادته وإن كان لا يرتضيه لفعله لأنه أطاعه من وجوه وإن عصاه من وجوه أخر فهو مرتضاه من وجوه الطاعة له ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما الذي ارتضاهم هم أهل شهادة أن لا إله إلا الله، وفي «المثنوي»:

كفت پيغمبركه روز رستخيز ... كى كذارم مجرمانرا اشك ريز
من شفيع عاصيان باشم بجان ... تارهانم شان زاشكنجه كران
عاصيان واهل كبائررا بجهد ... وارهانم ازعتاب نقض عهد
صالحان امتم خود فارغند ... از شفاعتهاى من روز كزند
بلكه ايشانرا شفاعتها بود ... كفتشان چون حكم نافذمى رود

﴿وهم﴾ مع ذلك ﴿من خشيته﴾ أي: من خشيتهم منه تعالى فأضيف المصدر إلى مفعوله ﴿مشفقون﴾ مرتعدون [يا ازمهابت وعظمت اوترسان] والإشفاق عناية مختلطة بخوف لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه كما في «المفردات». قال ابن الشيخ الخشية والإشفاق متقاربان في المعنى والفرق بينهما أن المنظور في الخشية جانب المخشي منه وهو عظمته ومهابته وفي الإشفاق جانب المخشي عليه وهو الاعتناء بشأنه وعدم الأمن من أن يصيبه مكروه ثم إن الإشفاق يتعدى بكل واحد من كلمتي من وعلى يقال أشفق عليه فهو مشفق وأشفق منه أي: حذر فإن عدي بمن يكون معنى الخوف فيه أظهر من معنى الاعتناء وإن عدي بعلى يكون معنى الاعتناء أظهر من معنى الخوف. وعن رسول الله ﷺ أنه رأى جبريل ليلة المعراج ساقطاً كالحلس من خشية الله تعالى. وعنه أيضاً أن إسرافيل له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب والعرش على جناحه وإنه ليتضاءل الأحيان حتى يعود مثل الوصع وهو بالسكون ويحرك طائر أصغر من العصفور كما في «القاموس»:

خوف وخشيت حليه اهل دلست ... امن وبى پروايى شان غافلست

حينئذٍ.

﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿ومن يقل﴾ [وهركه كويد] ﴿منهم﴾ أي: من الملائكة ﴿إني إله من دونه﴾ أي: حال كونه متجاوزاً إياه تعالى ﴿فذلك﴾ الذي فرض قوله فرض محال فهذا لا يدل على أنهم قالوه. وقال بعضهم هو إبليس حيث ادعى الشركة في الألوهية ودعا إلى عبادة نفسه وفيه أنه يلزم أن

يكون من الملائكة ﴿نجزيه جهنم﴾ كسائر المجرمين ولا يغني عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وأفعالهم المرضية وهو تهديد للمشركين بتهديد مدّعي الربوبية ليمتنعوا عن شركهم ﴿كذلك نجزي الظالمين﴾ مصدر تشبيهي مؤكد لمضمون ما قبله أي: مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون الأشياء في غير مواضعها ويتعدون أطوارهم بالإشراك وادعاء الإلهية. والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة إلى النقصان دون الزيادة أي: لا جزاء أنقص منه والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر يقال جزيته كذا وبكذا.

وفي «التأويلات النجمية» يشير بقوله: ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ إلى أنهم خلقوا منزهين عن الاحتياج إلى مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح وما يدفع عنهم البرد والحر وما ابتلاهم الله بالأمراض والعلل والآفات ليسبقوا الله بالقول ويستدعوا منه رفعها وإزالتها والخلاص منها بالتضرع وكذلك ما ابتلاهم الله بطبيعة تخالف أوامر الله تعالى فيمكن منهم خلاف ما يؤمرون ﴿وهم بأمره يعملون﴾ نظيره ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] ولعمري إنهم وإن كانوا مكرمين بهذه الخصال فإن بني آدم في سر ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] آكد المكرمين منهم بكرامات أكبر منها درجة وأرفع منها منزلة وذلك لأنهم لما خلقوا محتاجين إلى ما لا تحتاج إليه الملائكة أكرموا بالكرامتين اللتين لم تكرم بهما الملائكة فإحداهما الرجوع إلى الله مضطرين فيما يحتاجون إليه فأكرموا بكرامة الدعاء ووعدهم عليه بالاستجابة بقوله: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] فلهم الشركة مع الملائكة في قوله: ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ الآية لأنهم بأمره دعوه عند رفع الحاجات ولذلك أثنى عليهم بقوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦] وقد أعظم أمر الدعاء بقوله: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧] وهم ممتازون عن الملائكة بكرامة الدعاء والاستجابة وهذه مرتبة الخواص من بني آدم في الدعاء. فأما مرتبة أخص الخواص فهي أنهم يدعون ربهم لا خوفاً ولا طمعاً بل محبة منهم وشوقاً إلى وجهه الكريم كما قال: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢] وهذه هي الكرامة الثانية التي من نتائج الاحتياج حتى لا يبقى شيء من المخلوقات إلا محتاجاً بخلاف مخلوق آخر فإن لكل مخلوق استعداداً في الاحتياج يناسب حال جبلته التي جبل عليها فكل مخلوق يفتقر إلى خالقه بنوع ما وتفتقر إليه بنو آدم من جميع الوجوه وهذا هو سر قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨] كما أن ذاته وصفاته استوعبت الغنى كذلك ذواتهم وصفاتهم استوعبت الفقر فأكرمهم الله بعلم أسماء ما كانوا محتاجين إليه كله ووفقهم للسؤال عنه وأنعم عليهم بالإجابة فقال: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وعد ذلك من النعم التي لا نهاية لها وكرامة لا كرامة فوقها بقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وبقوله: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ يشير إلى أنه يعلم ما بين أيدي الملائكة من خجالة قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] الآية فإن فيه شائبة نوع من الاعتراض ونوع من الغيبة ونوع من العجب حتى عيرهم الله فيما قالوا وقال: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] يعني أعلم منه استحقاق المسجودية وأعلم منكم استحقاق الساجدية له وما خلفهم أي: وما يأمرهم بالسجود له والاستغفار لمن في الأرض يعني المغتابين من أولاده ليكون كفارة لما صدر منهم في حقهم ﴿ولا يشفعون﴾ في الاستغفار ﴿إلا لمن ارتضى﴾ يعني الله تبارك وتعالى من أهل المغفرة وهم

من خشيته مشفقون أي: من خشية الله وسطوة جلاله خائفون أن لا يعفو عنهم ما قالوا أو يأخذهم به ومن يقل منهم إني إله من دونه يعني من الملائكة فذلك نجزيه جهنم يشير إلى أنه ليس للملك استعداد الاتصاف بصفات الألوهية ولو ادعى هذه المرتبة فجزاؤه جهنم البعد والطرد والتعذيب كما كان حال إبليس وبه يشير إلى أن الاتصاف بصفات الألوهية مرتبة بني آدم كما قال عليه السلام: «تخلقوا بأخلاق الله» وقال: «عنوان كتاب الله إلى أوليائه يوم القيامة من الملك الحي الذي لا يموت إلى الملك الحي الذي لا يموت» فافهم جداً كذلك نجزي الظالمين يعني الذين يضعون الأشياء في غير موضعها كأهل الرياء والسمعة والشرك الخفي انتهى ما في «التأويلات النجمية».

﴿أولم ير الذين كفروا﴾ الهمزة لإنكار نفي الرؤية وإنكار النفي نفي له ونفي النفي إثبات والواو للعطف على مقدر والرؤية قلبية لا بصرية حتى لا يناقض قوله تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٥١] والمعنى ألم يتفكروا أو ألم يستفسروا من العلماء أو ألم يطالعوا الكتب أو ألم يسمعوا الوحي ولم يعلموا ﴿أن السموات والأرض كانتا﴾ ثني الضمير الراجع إلى الجمع باعتبار أن المرجع إليه جماعتان ﴿رتقاً﴾ على حذف المضاف أي: ذواتي رتق بمعنى ملتزقتين ومنضمتين لا فضاء بينهما ولا فرج فإن الرتق هو الضم والالتحام خلقة كان أو صنعة ﴿ففتقناهما﴾ الفتق الفصل بين المتصلين وهو ضد الرتق أي: ففصلنا وفرقنا إحداهما عن الأخرى بالريح وفي الحديث المشهور «أول ما خلق الله جوهرة فنظر إليها بنظر الهيبة فذابت وارتعدت من خوف ربها فصارت ماء ثم نظر إليها نظر الرحمة فجمد نصفها فخلق منه العرش وارتعد العرش فكتب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن العرش فترى الماء يرتعد إلى يوم القيامة» وذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] أي: العذب «ثم حصل من تلاطم الماء أدخنة متراكمة بعضها على بعض وزبد فخلق منها السموات والأرض طباقاً وكانتا رتقاً وخلق الريح فيها ففتق بين طباق السموات وطباق الأرض» كما أخبر بقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] وإنما خلقها من دخان ولم يخلقها من بخار لأن الدخان خلق متماسك الأجزاء يستقر عند منتهاه والبخار يتراجع وذلك من كمال علمه وحكمته «ثم بعد ذلك مد الزبد على وجه الماء ودحاه فصار أرضاً بقدرته» وذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: ٣٠] [وكفته اند آسمان بسته بود ازوى باران نمى آمد وزمين بسته بود ازو كياه نمى رست ما آن را بباران واين را بكياه كشاديم] يعني فتق السماء وهي أشد الأشياء وأصلبها بألين الأشياء وهو الماء وكذلك فتق الأرض بألين الأشياء وهو النبات مع شدتها وصلابتها. فإن قيل المفتوقة بالمطر هي سماء الدنيا فما معنى الجمع؟ قلنا: جمع السموات لأن لها مدخلاً في الأمطار إذ التأثير إنما يحصل من جهة العلو.

واعلم أن الفتق صفة الله تعالى كالعلم والقدرة وغيرهما فهو أزلي والمفتوق حادث بحدوث التعلق كما في العلم وغيره من الصفات التي لا يلزم من قدمها قدم متعلقاتها فتكون تعلقاتها حادثة. فقول البيضاوي إن الفتق عارض خطأ كما في «بحر العلوم» ﴿وجعلنا﴾ خلقنا ﴿من الماء﴾ الماء جسم سيال قد أحاط حول الأرض ﴿كل شيء حي﴾ أي: كل حيوان عرف الماء باللام قصداً إلى الجنس أي: جعلنا مبدأ كل شيء حي من هذا الجنس أي: جنس الماء وهو النطفة كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥] أي: كل فرد من أفراد

الدواب من نطفة معينة هي نطفة أبيه المختصة به أو كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع المياه وهو نوع النطفة التي تختص بذلك النوع من الدواب. يقول الفقير: قد فرقوا بين الحي والحيوان بأن كل حيوان حي وليس كل حي حيواناً كالملك فالظاهر ما جاء في بعض الروايات من «أن الله تعالى خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء وآدم من تراب خلقه منه والجن من نار خلقها منه». وقال بعضهم: يدخل في الآية النبات والشجر لنمائهما بالماء والحياة قد تطلق على القوة النامية الموجودة في النبات والحيوان كما في «المفردات» ويدل على حياتهما قوله تعالى: ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ١٩] كما في «الكبير» ﴿أفلا يؤمنون﴾ [آيا نمى كردند مشركان باوجود اين آيات واضحة].

وفي «التأويلات النجمية» يشير بقوله ﴿أو لم ير﴾ - إلى - ﴿ففتقناهما﴾ إلى أن أرواح المؤمنين والكافرين خلقت قبل السموات والأرض كما قال عليه السلام: «إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي ألف عام» وفي رواية «بأربعة آلاف سنة وكان خلق السموات والأرض بمشهد من الأرواح وكانتا شيئاً واحداً» كما جاء في الحديث المشهور «أول ما خلق الله جوهرة» ويشير بقوله: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ إلى أنه تعالى خلق حياة كل ذي حياة من الحيوانات من الماء الذي عليه عرشه وذلك أن الجوهرة التي هي مبدأ الموجودات وهي الروح الأعظم خلقت أرواح الإنسان والملك من أعلاها وخلقت أرواح الحيوانات والدواب من أسفلها وهي الماء كما قال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥] وكان ذلك كله بمشهد الأرواح فلذلك قال: ﴿أفلا يؤمنون﴾ أي: أفلا يؤمنون بما خلقنا بمشهد من أرواحهم انتهى.

واعلم أن المراد من رؤية الآيات الانتقال منها إلى رؤية صانعها رؤية قلبية هي حقيقة الإيمان.

- روي - أن علياً رضي الله عنه صعد المنبر يوماً وقال: سلوني عما دون العرش فإن ما بين الجوانح علم جم هذا لعاب رسول الله في فمي هذا ما رزقني رسول الله رزقاً فوالذي نفسي بيده لو أذن للتوراة والإنجيل أن يتكلما فأخبرت بما فيهما لصدّقاني على ذلك وكان في المجلس رجل يماني فقال: ادعى هذا الرجل دعوى عريضة لأفضحنه فقام وقال: اسأل قال: سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً فقال: أنت حملتني على ذلك هل رأيت ربك يا عليّ قال: ما كنت أعبد رباً لم أره فقال: كيف رأيت؟ قال: لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقيقة الإيمان ربي أحد واحد لا شريك له أحد لا ثاني له فرد لا مثل له لا يحويه مكان ولا يداوله زمان ولا يدرك بالحواس ولا يقاس بالقياس فسقط اليماني مغشياً عليه فلما أفاق قال: عاهدت الله أن لا أسأل تعنتاً، قال الشيخ المغربي قدس سره:

نخست ديده طلب كن پس آنكهى ديدار ازانكه يار كند جلوه بر اولو الابصار

وقال الخجندي قدس سره:

بيدارشو آنكه طلب آن روى كه هركز در خواب چنين دولت بيدار نيابى

أزال الله عنا الغين والغفلة والحجاب وفتح بصائرنا إلى جناب جمال المهيمن الوهاب إنه رب الأرباب ومسبب الأسباب.

﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا

ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وجعلنا في الأرض﴾ الأرض جسم غليظ أغلظ ما يكون من الأجسام واقف على مركز العالم مبين لكيفية الجهات الست فالشرق حيث تطلع الشمس والقمر والغرب حيث تغيب والشمال حيث مدار الجدي والجنوب حيث مدار سهيل والفوق ما يلي المحيط والأسفل ما يلي مركز الأرض ﴿رواسي﴾ جبالاً ثوابت جمع راسي من رسا إذا ثبت ورسخ ﴿أن تميد بهم﴾ الميد اضطراب الشيء العظيم كاضطراب الأرض يقال ماد يميد ميداً إذا تحرك ومنه سميت المائدة وهي الطعام والخوان عليه الطعام كما قال الراغب: المائدة الطبق الذي عليه الطعام ويقال: لكل واحدة منهما مائدة. والمعنى كراهة أن تميل الأرض وتضطرب والظاهر أن الباء للتعدية كما يفهم من قول بعضهم بالفارسية [تا بجنباند زمين آدميانرا]. قال ابن عباس رضي الله عنهما إن الأرض بسطت على وجه الماء فكانت تميد بأهلها كما تميد السفينة على الماء فأرسلها الله بالجبال الثوابت كما ترسي السفينة بالمرساة وسئل عليّ رضي الله عنه: أي الخلق أشد؟ قال: أشد الخلق الجبال الرواسي والحديد أشد منها يبحث به الجبل والنار تغلب الحديد والماء يطفي النار والسحاب يحمل الماء والريح يحمل السحاب والإنسان يغلب الريح بالثبات والنوم يغلب الإنسان والهم يغلب النوم والموت يغلب كلها.

يقول الفقير:

نباشد درجهان چون مرك چيزى كه غالب شد ترا هرجند عزيزى

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى الأبدال الذين هم أوتاد الأرض وأطوادها فأهل الأرض بهم يرزقون وبهم يمطرون والأبدال قوم بهم يقيم الله الأرض وهم سبعون: أربعون بالشام، وثلاثون بغيرها، لا يموت أحدهم إلا يقام مكانه آخر من سائر الناس وفي الحديث: «لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمٰن فبهم تسقون وبهم تنصرون ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر» ﴿وجعلنا فيها﴾ في الأرض أو في الرواسي وعليه اقتصر في «الجلالين» لأنها المحتاجة إلى الطرق ﴿فجاجاً سبلاً﴾ أي: طرقاً مسلوكة لأن السبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك والفج الشق بين الجبلين ﴿لعلهم يهتدون﴾ إرادة أن يهتدوا إلى مصالحهم ومهماتهم التي جعلت لهم في البلاد البعيدة.

﴿وجعلنا السماء سقفاً﴾ سميت سقفاً لأنها للأرض كالسقف ﴿محفوظاً﴾ من الوقوع مع كونها بغير عمد أو من الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم أو من استراق السمع بالشهب. وفيه إشارة إلى أن سماء قلب العارف محفوظة من وساوس شيطان الإنس والجن وكان من دعاء النبي عليه السلام: «اللهم اعمر قلبي من وساوس ذكرك واطرد عني وساوس الشيطان» كما في «آكام المرجان»، وفي «المثنوي»:

ذكر حق كن بانك غولانرا بسوز چشم نركسرا ازين كركس بدوز

﴿وهم عن آياتها﴾ أي: أدلتها الواضحة التي خلقها الله تعالى فيها وجعلها علامات نيرة على وجوده ووحدته وكمال صنعه وعظيم قدرته وباهر حكمته مثل الشمس والقمر والنجوم وغيرها ﴿معرضون﴾ لا يتدبرون فيها فيقفون على ما هم عليه من الكفر والضلال. يقال:

أخلاق الأبدال عشرة أشياء: سلامة في الصدر، وسخاوة في المال، وصدق اللسان، وتواضع النفس، والصبر في الشدة، والبكاء في الخلوة، والنصيحة في الخلق، والرحمة للمؤمنين والتفكر في الأشياء، والعبرة في الأشياء فانظروا إلى آثار رحمته وتفكروا في عجائب صنعه وبدائع قدرته حتى تستخرجوا الدر من بحار معرفته.

ـ روي ـ أن داود عليه السلام دخل في محرابه فرأى دودة صغيرة فتفكر في خلقها وقال: ما يعبأ الله بخلق هذه فأنطقها الله تعالى فقالت: يا داود أتعجبك نفسك وأنا على ما أنا والله أذكر الله وأشكره أكثر مما آتاك الله فالمقصود برؤية الآيات بالحق ذكر الله تعالى عند كل شيء وهي من أوصاف المؤمنين الكاملين وأما التعامي والإعراض فحال الكفرة الجاهلين، وفي «المثنوي»:

پيش خر خر مهره وكوهر يكيست ... آن اشك را در درو دريا شكيست
منكر بحرست وكوهر هاى او ... كى بود حيوان درو پيرايه جو
در سر حيوان خدا ننهاده است ... كوبود دربند لعل ودر پرست
مر خرانرا هيج ديدى كوشوار ... كوش هوش خربود در سبزه زار

وفي الآية إشارة إلى آيات سماء قلب العارف وهي التجليات الحقية والكلمات الذوقية فأهل السلوك الحقيقي يؤمنون بالعلماء بالله وبأحوالهم ومقاماتهم وكلماتهم وأما غيرهم فينكرون ويعرضون لأنهم يمشون من طريق العقل وينظرون بنظر النقل. وقد صح أن العقل ليس له قدم إلا في طريق المعقولات وفوقها المكاشفات فالاهتداء إلى الله إنما هو بأهل الله إذ هم المرشدون إلى الفجاج الصحيحة والسبل المستقيمة وعلومهم محفوظة من النسخ والتبديل دنيا وآخرة وأما الرسوم فإنما تتمشى إلى الموت. فعلى العاقل أن يعقل نفسه عن هواها ويتفكر في هداها ويختار للإرشاد من هو أعرف بطريق العقل والنقل والكشف فإنه قال في «المثنوي»:

رهروراه طريقت اين بود ... كو باحكام شريعت ميرود

ويعرض عمن لا يعرف قدر الشريعة والحكمة فيها فإنه عقيم والمرتبط بالعقيم لا يكون إلا عقيماً نسأل الله تعالى أن يوفقنا للثبات في اتباع طريقة أهل المكاشفات والمشاهدات في جميع الحالات.

﴿وهو﴾ وحده ﴿الذي خلق الليل﴾ الذي هو ظل الأرض ﴿والنهار﴾ الذي هو ضوء الشمس ﴿والشمس﴾ الذي هو كوكب مضيء نهاري ﴿والقمر﴾ الذي هو كوكب مضيء ليلي أي: الله تعالى أوجد هذه الأشياء وأخرجها من العدم إلى الوجود دون غيره فله القدرة الكاملة والحكمة الباهرة ﴿كل﴾ أي: كل واحد من الشمس والقمر وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿في فلك﴾ على حدة كما يشهده الوجود وقوله: ﴿يسبحون﴾ حال أي: يجرون في سطح الفلك كالسبح في الماء فإن السبح المرّ السريع في الماء أو في الهواء واستعير لمر النجوم في الفلك كما في «المفردات» ويفهم منه أن الكواكب مرتكزة في الأفلاك ارتكاز فص الخاتم في الخاتم قال في «شرح التقويم»: كل واحد من الكواكب مركوز في فلك مغرق فيه كالكرة المنغمسة في الماء لا كالسمك فيه والأفلاك متحركة بالإرادة والكواكب بالعرض. وقال بعضهم أخذاً بظاهر الآية: إن الفلك موج مكفوف من السيلان دون السماء تجري فيه الشمس والقمر كما تسبح السمكة في الماء والفلك جسم شفاف محيط بالعالم.

قال الراغب الفلك مجرى الكواكب وتسميته بذلك لكونه كالفلك. وقال محيي السنة: الفلك في كلام العرب كل شيء مستدير جمعه أفلاك ومنه فلكة المغزل. قال ابن الشيخ: اختلف الناس في حركات الكواكب والوجوه الممكنة فيها ثلاثة فإنه إما أن يكون الفلك ساكناً والكواكب تتحرك فيه كحركة السابح في الماء الراكد وإما أن يكون الفلك متحركاً والكواكب تتحرك فيه أيضاً مخالفة لجهة حركته أو موافقة لها مساوية لحركته في السرعة والبطء أولاً وإما أن يكون الفلك متحركاً والكواكب ساكنة. قال الفلاسفة: الرأي الأول باطل لأنه يوجب خرق الفلك وهو محال وكذا الرأي الثاني فإنه أيضاً باطل لعين ما ذكر فلم يبق إلا الاحتمال الثالث وهو أن تكون الكواكب مغروزة في الفلك واقفة فيه والفلك يتحرك فتتحرك الكواكب تبعاً لحركة الفلك.

قال الإمام: واعلم أن مدار هذا الكلام على امتناع الخرق على الأفلاك وهو باطل بل الحق أن الاحتمالات الثلاثة كلها ممكنة والله تعالى قادر على كل الممكنات والذي يدل عليه لفظ القرآن أن تكون الأفلاك واقفة والكواكب تكون جارية فيها كما تسبيح السمكة في الماء.

واعلم أنه لو خلق السماء ولم يخلق الشمس والقمر ليظهر بهما الليل والنهار وسائر المنافع بتعاقب الحر والبرد لم تتكامل نعمه على عباده وإنما تتكامل بحركاتها في أفلاكها ولهذا قال: ﴿**كل في فلك يسبحون**﴾. واحتج أبو علي بن سينا على كون الكواكب أحياء ناطقة بقوله: ﴿**يسبحون**﴾ وبقوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] قال: الجمع بالواو والنون لا يكون إلا للأحياء العاقلين والجواب أنه لما أسند إليهن ما هو من أفعال العقلاء وهو السباحة والسجود نزلن منزلة العقلاء فعبر عنهن بضمير العقلاء ومثله ﴿ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ [النحل: ١٨]. قال بعض أهل الحقيقة: الأجرام الفلكية هي الأجسام فوق العناصر من الأفلاك والكواكب ومحركاتها أي: مبادي حركاتها بالحركة الإرادية على الاستدارة جواهر مجردة عن مواد الأفلاك في ذواتها وأنفسها متعلقة بالأفلاك في حركاتها لتكون تلك الجواهر مبادي تحريكاتها ويقال لتلك الجواهر المجردة النفوس الناطقة الفلكية. فإن قلت فعلى هذا لا يكون الناطق فصلاً للإنسان، قلت: المراد بالنطق ما يجري على اللسان وفيه نظر لأنه يرد النقض بالملك والجن والببغاء والجواب الحق هو ما يجري على الجنان لا ما يجري على اللسان وليس لهم جنان حتى يجري عليه الشيء. قال الكاشفي: [در كشف الاسرار آورده كه نزد اهل اشارت شب وروز نشان قبض وبسط عارفانست كاه يكى را بقبضه قبض كيرد تا سلطان جلال دمار ازنهاد اوبر آرد وكاه يكى را بر بساط بسط فشاند تاميزبان جمال اورا ازخوان نوال نواله اقبال دهد وآفتاب نشانه صاحب توحيداست بنعمت تمكين در حضرت شهود آراسته نه فزايد ونه كاهد لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً وقمر نشانه اهل تلوين است كه دركاهش بود وكاه در افزايش زمانى بظهور نور برق وحدت درمحاق نيستى افتد وساعتى ببروز رموز جامعيت بمرتبه بدريت رفسد كوييا در كلام حقائق انجام حضرت قاسم الانوار قدس سره اشارتى بدين معنى هست:

زبيم سوز هجرانت زمو باريكتر كردم

چوروزوصل ياد آرم شوم در حال ازان فربه

وحضرت پيررومى قدس سره ميفرمايد:

چون روى برتابى زمن كردم هلالى ممتهن
ورروىء سوىء من كنى چون بدربى نقصان شوم
تو آفتابى من چومه كرد توكردم روز وشب
كه درمحاق افتم زتوكه شمع نور افشان شوم

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ البشر والبشرة ظاهر الجلد وعبر عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلده بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر أو الوبر والخلد تبري الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي عليها نزلت حين قال المشركون نتربص به ريب المنون، يعني: [انتظار مى بريم كرد باد حوادث بر آمد وياران حضرت محمد عليه السلام متفرق ساخته اورا در ورطه هلاك اندازد] والريب ما يريبك من المكاره والمنون الموت أي ننتظر به أن تصيبه مكاره وحوادث تؤديه إلى الموت فريب المنون الحوادث المهلكة من حوادث الدهر. والمعنى وما جعلنا لفرد من أفراد الإنسان من قبلك يا محمد دوام البقاء في الدنيا أي: ليس من سنتنا أن نخلد آدمياً في الدنيا وإن كنا قادرين على تخليده فلا أحد إلا وهو عرضة للموت فإذا كان الأمر كذلك ﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾ في الدنيا بقدرتنا لا بل أنت وهم ميتون كما هو من سنتنا دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠] وبالفارسية: [پس ايشان يعنى منتظران مرك تو بابندكان خواهند بودى] والهمزة في المعنى داخلة على الخلود كأنه قيل فاذا مت انت أبيقى هؤلاء المشركون حتى يشمتون بموتك كما قال الشاعر:

فقل للشامتين بنا افيقوا سيلق الشامتون كما لقينا

وقال الشيخ سعدي قدس سره:

مكن شاد مانى بمرك كسى كه دوران پس ازوى نماند بسى

فالمراد بإنكار الخلود ونفيه إنكار الشماتة التي كان الخلود مداراً لها وجوداً وعدماً. قال في «بحر العلوم»: المراد بالخلود المكث الطويل سواء كان معه دوام أم لا وجيء بالشرطية التي لا تقتضي تحقق الطرفين فلم يوصف عليه السلام بالموت قبلهم بل فرض موته قبلهم كما يفرض المحال وذلك لما علم الله تعالى أنهم يموتون قبله وأنه يبقى بعدهم بمدة مديدة كما يشهده وقعة بدر. يقول الفقير: إن الوزير مصطفى الشهير بابن كوپريلى أقصى حضرة شيخي وسندي قدس سره إلى جزيرة قبرص لما عليه العوام من الأغراض الفاسدة فحين زيارتي له سمعته عند السحرة وهو يكرر هذه الآية فمات الوزير قبله. قال الإمام: ويحتمل أنه لما كان خاتم الأنبياء قدر أنه لا يموت إذ لو مات لتغير شرعه فنبه على أن حاله كحال غيره في الموت. واستدل بالآية من قال بأن الخضر مات وليس بحي في الدنيا مع أن المشايخ بأسرهم وكثيراً من العلماء قائلون بأنه حي حتى أخبر بعضهم برؤيته إياه ومكالمته معه والله أعلم وإن صح ذلك فيكون من العام المخصوص.

واعلم أن ما يدل على أن الخضر كان حياً في عهد النبي عليه السلام ما ذكر في صحيح المستدرك من أنه عليه السلام لما توفي عزتهم الملائكة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إن في الله عزاء في كل مصيبة وخلفا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإنما المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ودخل رجل أشهب اللحية جسيم صبيح فتخطى رقابهم فبكى ثم التفت إلى الصحابة فقال: إن في الله عزاء في كل مصيبة وعوضاً عن كل فائت وخلفاً من كل هالك فإلى الله فأنيبوا وإلى الله فارغبوا ونظره إليكم في البلاء فانظروا فإنما المصاب من لم يجبر وانصرف فقال أبو بكر وعلي رضي الله عنهما: هذا الخضر عليه السلام.

﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ برهان على ما أنكر من خلودهم والمراد النفس الناطقة التي هي الروح الإنساني وموتها عبارة عن مفارقتها جسدها أي: ذائقة مرارة المفارقة والذوق هذا لا يمكن إجراؤه على ظاهره لأن الموت ليس من المطعوم حتى يذاق بل الذوق إدراك خاص فيجوز جعله مجازاً عن أصل الإدراك والموت صفة وجودية خلقت ضداً للحياة وباصطلاح أهل الحق قمع هوى النفس فمن مات عن هواه فقد حيي. قال الراغب أنواع الموت بحسب أنواع الحياة الأول ما هو بإزاء القوة النامية الموجودة في الإنسان والحيوانات والنبات نحو ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ﴾ [الحديد: ١٧] والثاني زوال القوة الحساسة نحو ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾ [مريم: ٦٦] والثالث زوال القوة العاقلة وهي الجهالة نحو ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الروم: ٥٢] والرابع الحزن المكدر للحياة نحو ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍۖ﴾ [إبراهيم: ١٧] والخامس المنام فقيل النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل وعلى هذا النحو سماه الله تعالى توفياً فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] وقوله: ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾ عبارة عن زوال القوة الحيوانية وإبانة الروح عن الجسد انتهى بإجمال. وفي التعريفات النفس هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية وسماه الحكيم الروح الحيواني فهي جوهر مشرق للبدن فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه فالنوم والموت من جنس واحد لأن الموت هو الانقطاع الكلي والنوم هو الانقطاع الناقص. والحاصل أنه إن لم ينقطع ضوء جوهر النفس عن ظاهر البدن وباطنه فهو اليقظة وإن انقطع عن ظاهره دون باطنه فهو النوم أو بالكلية فهو الموت.

يقول الفقير: يفهم منه أن الموت انقطاع ضوء الروح الحيواني عن ظاهر البدن وباطنه وهذا الروح غير الروح الإنساني الذي يقال له النفس الناطقة إذ هو جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعلها ويؤيده ما في «إنسان العيون» من أن الروح عند أكثر أهل السنة جسم لطيف مغاير للأجسام ماهية وهيئة متصرف في البدن حال فيه حلول الدهن في الزيتون يعبر عنه بأنا وأنت وإذا فارق البدن مات. وقول بعض الروحانيين أيضاً: إن الله تعالى جمع في طينة الإنسان الروح الملكي النوراني العلوي الباقي ليصير مسبحاً ومقدساً كالملك باقياً بعد المفارقة والروح الحيواني الظلالي السفلي الفاني ليقبل الفناء الذي يعبر عنه بالموت. وقول بعضهم أيضاً ذكر النفوس لا القلوب والأرواح لأنها تتجلى حياة الحق لها فإذا انسلخت الأرواح من الأشباح انهدمت جنابذ الهياكل ورجعت الأرواح إلى معادن الغيب ومشاهدة الرب.

قال حضرة شيخي وسندي روح الله روحه في بعض تحريراته: اعلم أن الروح من حيث جوهريته وتجرده وكونه من عالم الأرواح المجردة مغاير للبدن متعلق به تعلق التدبير والتصرف

قائم بذاته غير محتاج إليه في بقائه ودوامه ومن حيث إن البدن صورته ومظهر كمالاته وقواه في عالم الشهادة محتاج إليه غير منفك عنه بل ساري فيه لا كسريان الحلول المشهور عند أهل النظر بل كسريان الوجود المطلق الحق في جميع الموجودات فليس بينهما مغايرة من كل الوجوه بهذا الاعتبار ومن علم كيفية ظهور الحق في الأشياء وأن الأشياء من أي: وجه عينه ومن أي: وجه غيره يعلم كيفية ظهور الروح في البدن وأنه من أي: وجه عينه ومن أي: وجه غيره لأن الروح رب بدنه ويتحقق له ما ذكرنا وهو الهادي إلى العلم والفهم. انتهى كلام الشيخ قدس سره وهو العمدة في الباب فظهر أن إطلاق النفس على الروح الإنساني إنما هو لتعينه بتعين الروح الحيواني فهو المفارق في الحقيقة فافهم جداً.

قال الجنيد قدس سره: من كان بين طرفي فناء فهو فان ومن كانت حياته بنفسه يكون مماته بذهاب روحه ومن كانت حياته بربه فإنه ينقل من حياة الطبع إلى حياة الأصل وهي الحياة في الحقيقة. قال بعضهم: ظهور الكرامة من الأولياء إنما هو بعد الموت الاختياري أي: بوجوده لا بفقده فالموت لا ينافي الكرامة فالأولياء يظهرونها بعد وفاتهم الصورية أيضاً كذا في «كشف النور»، قال الصائب:

مشو بمرك زامداد اهل دل نوميد   كه خواب مردم آكاه عين بيداريست

وفي «عمدة الاعتقاد»: للنسفي كل مؤمن بعد موته مؤمن حقيقة كما في حال نومه وكذا الرسل والأنبياء عليهم السلام بعد وفاتهم رسل والأنبياء حقيقة لأن المتصف بالنبوة والإيمان الروح وهو لا يتغير بالموت انتهى. وإذ قد عرفت أن المراد بالنفس هي الروح لا معنى الذات فلا يرد أن لله نفساً كما قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَۚ﴾ [المائدة: ١١٦] مع أن الموت لا يجوز عليه وكذا الجمادات لها نفس وهي لا تموت وفي الحديث: «آجال البهائم كلها والخشاش والدواب كلها في التسبيح فإذا انقضى تسبيحها أخذ الله أرواحها وليس إلى ملك الموت من ذلك شيء» وفي الحديث «لا تضربوا إماءكم على كسر إنائكم فإن لها آجالاً كآجالكم».

- روي - عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: استأذن أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله وقد مات وسجى عليه الثوب فكشف عن وجهه ووضع فمه بين عينيه ووضع يديه بين صدغيه وقال: وانبياه واخليلاه واصفياه صدق الله ورسوله ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝٣٤ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [الأنبياء: ٣٤-٣٥] ثم خرج إلى الناس فخطب وقال في خطبته: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد ربه فإن رب محمد حي لا يموت ثم قرأ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآية. قال الكاشفي: [هركه قدم از دروازه عدم بفضاى صحراى وجودنهاده بضرورت شربت فنا خواهد نوشيد ولباس ممات ووفات خواهد پوشيد]:

هركه آمد بجهان اهل فنا خواهد بود   وانكه پاينده وباقيست خدا خواهد بود

﴿ونبلوكم﴾ أي: نعاملكم أيها الناس معاملة من يبلوكم ويختبركم كما قال الإمام إنما سمي ابتلاء وهو عالم بما سيكون لأنه في صورة الاختبار ﴿بالشر والخير﴾ بالبلايا والنعم كالفقر والألم والشدة والغنى واللذة والسرور هل تبصرون وتشكرون أو لا. وقال بعضهم بالقهر واللطف والفراق والوصال والإقبال والإدبار والمحنة والعافية والجهل والعلم والنكرة والمعرفة.

قال سهل: نبلوكم بالشر وهو متابعة النفس والهوى بغير هدى والخير العصمة من المعصية والمعونة على الطاعة ﴿فتنة﴾ أي: بلاءً واختباراً فهو مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه وأصل الفتن إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته. وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال النبي عليه السلام: «إن الله يجرب أحدكم بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنه ما يخرج كالذهب فذاك الذي افتتن»، قال الحافظ:

خوش بود كرمحك تجربه آيد بميان تاسيه روى شود هركه دروغش باشد

وقال الخجندي:

نقد قلب وسره عالم را عشق ضراب ومحبت محكست

قال الراغب: يقال بلي الثوب بلى أي: خلق وبلوته اختبرته كأني أخلقته من كثرة اختباري له وسمي الغم بلاء من حيث أنه يبلي الجسم. ويسمى التكليف بلاء من أوجه:

الأول: أن التكاليف كلها مشاق على الأبدان فصارت من هذا الوجه بلاء.

والثاني: أنها اختبارات.

والثالث: أن اختبار الله تعالى تارة بالمسار ليشكروا وتارة بالمضار ليصبروا فصارت المحنة والمنحة جميعاً بلاء فالمحنة مقتضية للصبر والمنحة مقتضية للشكر والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر فصارت المنحة أعظم البلاءين وبهذا النظر قال عمر رضي الله عنه: «بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نشكر» ولهذا قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: «من وسع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله» وإذا قيل: ابتلي فلاناً بكذا وبلاه فذلك يتضمن أمرين: أحدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره، والثاني: ظهور جودته ورداءته دون التعرف لحاله والوقوف على ما يجهل من أمره إذ كان الله علام الغيوب ﴿وإلينا ترجعون﴾ لا إلى غيرنا لا استقلالاً ولا اشتراكاً فنجازيكم على ما وجد منكم من الخير والشر فهو وعد ووعيد وفيه إيماء إلى أن المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعرض للثواب والعقاب.

واعلم أن المجازاة لا تسعها دار التكليف فلا بد من دار أخرى لا يصار إليها إلا بالموت والنشور فلا بد لكل نفس من أن تموت ثم تبعث. قال بعضهم فائدة حالة المفارقة رفع الخبائث التي حصلت للروح بصحبة الأجسام وفائدة حالة الإعادة حصول التنعمات الأخروية التي أعدت لعباد الله الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وفي «التأويلات النجمية» يشير بقوله: ﴿ونبلوكم بالشر والخير﴾ إلى أنا نبلوكم بالمكروهات التي تسمونها شراً وهي الخوف والجوع والنقص من الأموال والأنفس والثمرات وإن فيها موت النفس وحياة القلب ونبلوكم بالمحبوبات التي تسمونها الخير وهي الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث وفيها حياة النفس وموت القلب وكلتا الحالتين ابتلاء فمن صبر على موت النفس عن صفاتها بالمكروهات وعن الشهوات فله البشارة بحياة القلب واطمئنان النفس وله استحقاق الرجوع إلى ربه بجذبة ارجعي إلى ربك باللطف كما قال: ﴿وإلينا ترجعون﴾ فيصير ما يحسبه شراً خيراً كما قال له تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٦] ومن لم يصبر على المكروهات وعن الشهوات المحبوبات ولم يشكر عليها بأداء حقوق الله فيها فله العذاب الشديد

من كفران النعمة ويصير ما يحسبه خيراً شراً له كما قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ﴾ [البقرة: ٢١٦] فيرجع إلى الله بالقهر في السلاسل والأغلال انتهى فعلى العاقل الصبر على الفقر ونحوه مما يعد مكروهاً عند النفس، قال الحافظ:

درين بازار كرسوديست بادرويش خر سندست
الهى منعمم كردان بدرويشى وخر سندى

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وإذا رآك الذين كفروا﴾ أي: المشركون نزلت حين مر النبي عليه السلام بأبي جهل فضحك وقال لمن معه من صناديد العرب هذا نبي عبد مناف كالمستهزىء به ﴿إن يتخذونك إلا هزواً﴾ الهزء: مزح في خفية أي: لا يفعلون بك إلا اتخاذك مهزواً به، يعني: [كسى كه با او استهزاء كنند مراد آنست كه ايشان ترا با استهزاء پيغمبر خوانند] على معنى قصر معاملتهم معه على اتخاذهم إياه هزؤاً لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزؤاً كما هو المتبادر ﴿أهذا الذي﴾ على إرادة القول، يعني: [بايكديكر كفتند اين كس است كه پيوسته] ﴿يذكر آلهتكم﴾ أصنامكم بسوء أي: يبطل كونها معبودة ويقبح عبادتها يقال فلان يذكر الناس أي: يغتابهم ويذكرهم بالعيوب كما قال في «بحر العلوم» وإنما أطلق الذكر لدلالة الحال فإن ذكر العدو لا يكون إلا بذم وسوء ﴿وهم بذكر الرحمن هم كافرون﴾ حال والضمير الأول خبره كافرون والثاني تأكيد لفظي له وبذكر متعلق بالخبر وهو من إضافة المصدر إلى مفعوله أي: يعيبون أن يذكر عليه السلام آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال أنهم كافرون بأن يذكروا الرحمٰن المنعم عليهم بما يجب أن يذكر به من الوحدانية فهم أحقاء بالعيب والإنكار. وفي الآية إشارة إلى أن كل من كان محجوباً عن الله بالكفر لا ينظر إلى خواص الحق إلا بعين الإنكار والاستهزاء لأن خواص الحق من الأنبياء والأولياء يقبحون في أعينهم إذ ما اتخذوا لهم آلهة من شهوات الدنيا من جاهها ومالها وغير ذلك مما اتخذوه آلهة كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] وكل محب يغار على محبوبه ولذا يذكرونهم بعيب ونقصان والحال أن العيب والنقصان فيهم لا في أضدادهم، وفي «المثنوي»:

آن دهان كژكرد واز تسخر بخواند ... مر محمدرا دهانش كژ بماند
باز آمد كاى محمد عفو كن ... اى ترا الطاف علم من لدن
من ترا افسوس ميكردم ز جهل ... من بدم افسوس را منسوب واهل
چون خدا خواهدكه پرده كس درد ... ميلش اندر طعنه پاكان برد
ورخدا خواهدكه پوشد عيب كس ... كم زند درعيب معيوبان نفس

فعلى العاقل أن يصون لسانه عن ذكر العيوب ويشتغل في جميع الأوقات بذكر علام الغيوب فإنه الذي أفاض سجال الرحمة والشكر لازم لولي النعمة وفي الحديث: «من ذكر الله مطيعاً ذكره الله بالرحمة ومن ذكر الله عاصياً ذكره الله باللعنة وأفضل الذكر لا إله إلا الله» لأنه إعراض عما سوى الله وإقبال بالكلية على الله. يقال النصف الأول إشارة إلى قوله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠] والثاني: إلى قوله ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]. ويقال

إن سائر العبادات والأذكار تصل إلى الله تعالى بواسطة الملك أما هذه الكلمة فتصل إلى الله بلا واسطة الملك من قالها مرة خالصاً غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر وإنه تعالى أمر جميع الأنبياء أن يدعو أممهم إلى هذا الذكر فما نزلت كلمة أجل من لا إله إلا الله بها قامت السموات والأرضون وهي كلمة الإسلام وكلمة النجاة وكلمة النور إذ بها يستنير الباطن بأنوار الخلوص والصدق والصفاء واليقين.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿خلق الإنسان﴾ أي: جنسه ﴿من عجل﴾ العجلة طلب الشيء وتحريه قبل أوانه وهو من مقتضى الشهوة فلذلك صارت مذمومة حتى قيل العجلة من الشيطان جعل الإنسان لفرط استعجاله وقلة صبره كأنه مخلوق منه كما يقال خلق زيد من الكرم تنزيلاً لما طبع عليه من الأخلاق منزلة ما طبع منه من الأركان إيذاناً بغاية لزومه وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته إلى الكفر واستعجاله بالوعيد قال النضر بن الحارث: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالإنسان آدم وأنه حين بلغ الروح صدره أراد أن يقوم أي: استعجل في القيام قبل أن يبلغ الروح أسفله ﴿سأريكم﴾ أيها المستعجلون ﴿آياتي﴾ [نشانهاى قدرت خود دردنيا بواسطه واقعه بدر ودر آخرت عذاب دوزخ] ﴿فلا تستعجلون﴾ بالإتيان بها، وبالفارسية: [پس شتاب مكنيد مر بخواستن آن] والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقمعوها عن مرادها فإن لهم الإرادة والاختيار فطبعهم على العجل لا ينافي النهي كما قال تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨] فخلق في الإنسان الشح وأمر بالانفاق وخلق فيه الضعف وأمر بالجهاد وخلق فيه الشهوة وأمر بمخالفتها فهذا ليس من قبيل تكاليف ما لا يطاق.

وفي «التأويلات النجمية» فيه إشارة إلى معان:

منها: أنتم تستعجلون في طلب العذاب من جهلكم وضلالكم وذلك لأنكم تؤذون حبيبي ونبيي بطريق الاستهزاء والعداوة ومن عادى لي ولياً فقد بارزني في الحرب فقد استعجل في طلب العذاب لأني أغضب لأوليائي كما يغضب الليث ذو الجرو لجروه فكيف بمن يعادي حبيبي ونبيي عليه السلام ويدل على صحة هذا التأويل قوله: ﴿سأريكم آياتي﴾ أي: عذابي ﴿فلا تستعجلون﴾ في طلبه بطريق إيذاء نبيي والاستهزاء به.

ومنها: أن الروح الإنساني خلق من عجل لأنه أول شيء تعلقت به القدرة.

ومنها: أن الله تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وخمر طينة آدم بيده أربعين صباحاً وقد روي أن كل يوم من أيام التخمير كان مقداره ألف سنة مما تعدون فتكون أربعين ألف سنة فالمعنى أن الإنسان مع هذا خلق من عجل بالنسبة إلى خلق السموات والأرض في ستة أيام لما خلق فيه عند تخمير طينته من أنموذجات ما في السموات والأرض وما بينهما واستعداده لقبول سر الخلافة المختصة به وقابليته تجلي ذواته وصفاته وللمرآتية التي تكون مظهرة للكنز الخفي الذي خلق الخلق لإظهاره ومعرفته لاستعداد حمل الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال وأهاليها فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها

الإنسان وتمام الآية يدل على هذا المعنى وهو قوله: ﴿سأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾ أي: سأريكم صفات كمالي في مظاهر الآفاق ومرآة أنفسكم بالتربية في كل قرن بواسطة نبي أو ولي فلا تستعجلون في طلب هذا المقام من أنفسكم فإنه قيل حد طلبه من المهد إلى اللحد بل أقول من الأزل إلى الأبد وهذا منطق الطير لا يعلمه إلا سليمان الوقت قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] انتهى، قيل:

لا تعجلن لأمر أنت طالبه فقلما يدرك المطلوب ذو العجل
فذو التأني مصيب في مقاصده وذو التعجل لا يخلو عن الزلل

قال أعرابي: إياكم والعجلة فإن العرب تكنيها أم الندامات قال آدم عليه السلام لأولاده: «كل عمل تريدون أن تعملوه فقفوا له ساعة فإني لو وقفت ساعة لم يكن أصابني ما أصابني» فلا بد من التأني في الأمور الدنيوية والمقاصد المعنوية:

چو صبح وصل او خواهد دميدن عاقبت جامى
مخور غم كر شب هجران بپايان دير مى آيد

﴿ويقولون﴾ بطريق الاستعجال والاستهزاء ﴿متى هذا الوعد﴾ أي: وعد العذاب والساعة فليأتنا بسرعة ﴿إن كنتم صادقين﴾ في وعدكم بأنه يأتينا والخطاب للنبي عليه السلام والمؤمنين الذين يتلون الآيات المنبئة عن مجيء الوعد فقال تعالى:

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون﴾ جواب لو محذوف وإيثار صيغة المضارع في الشرط وإن كان المعنى لإفادة استمرار عدم العلم وحين مفعول به ليعلم والكف الدفع يقال كففته أصبته بالكف ودفعته بها وتعورف الكف بالدفع على أي وجه كان بالكف أو غيرها والمعنى لو علموا الوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصراً يمنعها لما استعجلوا وتخصيص الوجوه والظهور يعني القدام والخلف لكونهما أشرف الجوانب واستلزام الإحاطة بهما للإحاطة بالكل.

﴿بل تأتيهم﴾ العدة ﴿بغتة﴾ البغتة مفاجأة الشيء من حيث لا يحتسب أي: فجأة، وبالفارسية: [ناكهان] وهو مصدر لأن البغتة نوع من الإتيان أو حال أي: باغتة ﴿فتبهتهم﴾ [پس مبهوت ومتحير كرداند ايشان] والبهت الحيرة. قال الإمام وإنما لم يعلم الله وقت الموت والساعة لأن المرء مع الكتمان أشد حذراً وأقرب إلى التدارك. قال بعض الكبار من بهته شيء من الكون فهو لمحله عنده وغفلته عن مكنونه ومن كان في قبضة الحق وحضرته لا يبهته شيء لأنه قد حصل في محل الهيبة من منازل القدس ﴿فلا يستطيعون ردها﴾ أي: العدة فإن المراد بها العذاب أو النار أو الساعة ﴿ولا هم ينظرون﴾ من الإنظار بمعنى الإمهال والتأخير أي: لا يمهلون ليستريحوا طرفة عين أو يتولوا أو يعتذروا أو من النظر أي: لا ينظر إليهم. ولا إلى تضرعهم وفيه إشارة إلى أنه لو علم أهل الإنكار قبل أن يكافئهم الله على إنكارهم نار القطيعة والحسرة والبعد والطرد لما أقاموا على إنكارهم ولتابوا ورجعوا إلى طلب الحق وعلم منه أن

أعظم المقاصد هو طلب الحق والوصول إليه فكما أن من أدب الظاهر أن يحفظ المرء بصره عن الالتفات إلى يمينه وشماله فكذا من أدب الباطن أن يصون بصيرته عن النظر إلى ما سوى الله تعالى ولا يحصل غالباً إلا بالسلوك والاسترشاد من أهل الله تعالى فلا بد من إفناء الوجود فإنه طريق المقصود.

ـ حكي ـ أن ليلى لما كسرت إناء قيس المجنون رقص ثلاثة أيام من الشوق فقيل: أيها المجنون كنت تظن أن ليلى تحبك وهي تعطي ما أعطته لغيرك فضلاً عن المحبة فقال: إنما المجنون من لم يتفطن لهذا السر أشار إلى أن كسر الوعاء عبارة عن الإفناء.

واعلم أن من المتفق عليه شرعاً وعقلاً وكشفاً أن كل كمال لم يحصل للإنسان في هذه النشأة وهذه الدار فإنه لا يحصل له بعد الموت في الدار الآخرة كما في «الفكوك» لحضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره فعلم منه أن زمان الفرصة غنيمة وأن وقت الموت إذا جاء بغتة لا يقدر المرء أن يستأخر ويتدارك حاله، قال الشيخ سعدي قدس سره:

خبر داری ای استخوانی قفس ... كه جان تو مرغيست نامش نفس
چو مرغ از قفس رفت بكسست قيد ... دكره نكردد بسعى توصيد
نكه دار فرصت كه عالم دميست ... دمى پيش دانا به از عالميست

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾ تسلية لرسول الله ﷺ عن استهزائهم به أي: بالله لقد استهزىء برسل أولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك كما استهزأ بك قومك فصبروا ففيه حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ﴿فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾ يقال حاق به يحيق حيقاً أحاط به وحاق بهم الأمر لزمهم ووجب عليهم وحاق نزل ولا يكاد يستعمل إلا في الشر والحيق ما يشمل الإنسان من مكروه فعل وبالذين متعلق بحاق وضمير منهم للرسل والموصول فاعل حاق. والمعنى فأحاط بهم عقيب ذلك العذاب الذي كانوا به يستعجلون ووضع يستهزئون موضع يستعجلون لأن استعجالهم كان على جهة الاستهزاء وهو وعد له بأن ما يفعلون به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا يعني جزاءه.

﴿قل﴾ يا محمد للمستهزئين بطريق التقريع والتبكيت ﴿من﴾ استفهام ﴿يكلؤكم﴾ الكلأ حفظ الشيء وتبقيته والكالىء الذي يحفظ أي: يحفظكم ﴿بالليل والنهار﴾ أي: فيهما ﴿من الرحمن﴾ أي: من بأسه الذي يستحقون نزوله ليلاً أو نهاراً إن أراد بكم أي: لا يمنعكم من عذابه إلا هو وفي ذكر الرحمن تنبيه على أنه لا كالىء غير رحمته العامة وأن اندفاعه بمهلته وتقديم الليل لما أن الدواهي أكثر فيه وقوعاً وأشد وقعاً ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم فضلاً عن أن يخافوا الله ويعدّوا ما كانوا عليه من الأمن والدعة حفظاً وكلاءة حتى يسألوا عن الكالىء أي: دعهم عن هذا السؤال لأنهم لا يصلحون له لإعراضهم عن ذكر الله تعالى.

وفي «التأويلات النجمية» المحجوبون بحجب البشرية أرجى صلاحاً من المحجوبين بحجب الروحانية لأنهم مقرون بجهالتهم وهؤلاء مغرورون بمقالتهم وأهل الحجب البشرية معرضون عن ذكر ربهم وطلبه لاشتغالهم بلوازم البشرية وأهل الحجب الروحانية معرضون عن ذكر ربهم ومعرفته بحسبانهم بمعارف المعقولات، قال الكمال الخجندي:

بشكن بت غروركه ردين عاشقان يك بت كه بشكنندبه از صد عبادتست

وقال الصائب:

بفكر نيستي هركز نمى افتند مغروران اكرچه صورت مقراض لا دارد كريبانها

﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا﴾ أم منقطعة أي: بل لهم آلهة تمنعهم من العذاب متجاوزة منعنا فهم معتمدون عليها أي: ليس لهم ﴿لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون﴾ استئناف مقرر لما قبله من الإنكار وموضح لبطلان اعتقادهم أي: هم لا يقدرون أن ينصروا أنفسهم، يعني: [اكركسى باايشان مكروهى خواهد از كسر وقلع وتلويث وامثال آن ازخود دفع نتوانند كرد] ولا يصحبون بالنصر من جهتنا. قال الراغب: لا يكون لهم من جهتنا ما يصحبهم من سكينة وروح وترفق ونحو ذلك مما يصحب أولياءنا فكيف يتوهم أن ينصروا غيرهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يصحبون يمنعون.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم﴾ المتاع انتفاع ممتد الوقت يقال متعه الله بكذا وأمتعه وتمتع به، يعني: [بلكه ما برخوردارى داديم آن كروه را بجهت سعت معيشت وايمنى وسلامتى وپدر ايشانرا] ﴿حتى طال عليهم العمر﴾ بضم الميم وسكونها اسم لمدة عمارة البدن بالحياة أي: طال عليهم الأجل في التمتع فاغتروا وحسبوا أنهم ما زالوا على ذلك لا يغلبون [وندانستندكه دست اجل برهم زندااين بناكه افراشته] ﴿أفلا يرون﴾ أي: ألا ينظرون فلا يرون ﴿أنا نأتي الأرض﴾ أرض الكفرة التي هي دار الحرب ﴿ننقصها من أطرافها﴾ بتسليط المؤمنين عليها فكيف يتوهمون أنهم ناجون من بأسنا والجملة خبر بعد خبر أو حال أو بدل والأطراف جمع طرف بالتحريك وهو ناحية من النواحي وطائفة من الشيء قالوا: هذا تمثيل وتصوير لما يخربه الله من ديارهم على أيدي المسلمين ويضيفه إلى دار الإسلام وذلك أن الله لا يأتي بل العساكر تغزو أرض الكفرة وتأتي غالبة عليها ناقصة من نواحيها. قال الكاشفي يعني: [ميكشاييم آنرا بر مسلمانان كه تاهر روز قلعه ميكيرند ومنزلى بحوزه تصرف درمى آرند] وقد سبق في آخر سورة الرعد ﴿أفهم الغالبون﴾ القاهرون على رسول الله والمؤمنين أي: أبعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم له يتوهم غلبتهم أي: الغالب هو الله وهم المغلوبون وفي الحديث: «فضلت على الناس بأربع بالسماحة والشجاعة وكثرة الجماع وشدة البطش» قيل للاسكندر في عسكر دارا ألف ألف مقاتل فقال: إن القصاب الحاذق لا يهوله كثرة الأغنام، وفي «المثنوي»:

تيشه را زانبوهى شاخ درخت كى هراس آيد ببرد لخت لخت

شعله را زانبوهى هيزم چه غم كى رمد قصاب زانبوه غنم

خر نشايد كشت از بهر صلاح چون شودو حشى شود خونش مباح
لا جرم كفار را شد خون مباح همچو وحشى پيش نشاب ورماح
جفت وفرزندان شان جمله سبيل زانكه بى عقلند ومردود وذليل

واعلم أن الغلبة والنصرة منصب شريف فهو بجند الله تعالى وهم الأنبياء والأولياء وصالحو المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧٣] أي: وإن رؤي أنهم مغلوبون لأن الغالبية له ألا ترى أن الله تعالى أظهر المؤمنين على العرب كلهم وافتتحوا بلاد الشرق والغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا وما وقع في بعض الأوقات من صورة الانهزام فهو من باب تشديد المحنة والبلاء الحسن. فعلى المؤمن أن يثق بوعد الله تعالى ولا يضعف عن الجهاد فإن بالهمة تنقلع الجبال عن أماكنها. وعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أني ما قلعت خيبر بقوة جسمانية ولا بحركة غذائية لكني أيدت بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضيئة عن جابر رضي الله عنه أن علياً رضي الله عنه لما انتهى إلى الحصن أخذ أحد أبوابه فألقاه في الأرض فاجتمع عليه بعد سبعون رجلاً فكان جهدهم أن أعادوا الباب قالوا: «كل طائر يطير بجناحيه والعاقل بهمته».

فللمزيد رجال وللحروب رجال

﴿**قل إنما أنذركم بالوحي**﴾ أي: إنما شأني أن أخوفكم مما تستعجلونه بما أوحي إلي من القرآن وأخبر بذلك لا الإتيان به فإنه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية إذ الإيمان برهاني لا عياني ﴿**ولا يسمع الصم الدعاء**﴾ إلى الإيمان جمع الأصم والصمم فقدان حاسة السمع ﴿**إذا ما ينذرون**﴾ شبهوا بالصم وهم صحاح الحواس لأنهم إذا سمعوا ما ينذرون به من آيات الله لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع فكانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الذين عدموا مصحح السماع وينعق بهم فلا يسمعون وتقييد نفي السماع به مع أن الصم لا يسمعون الكلام إنذاراً كان أو تبشيراً لبيان كمال شدة الصمم كما أن إيثار الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فإن الإنذار عادة يكون بأصوات عالية مكررة مقارنة لهيئة دالة عليه فإذا لم يسمعوها يكون صممهم في غاية وراءها وهذا من تتمة الكلام الملقن ويجوز أن يكون من جهته تعالى كأنه قيل قل لهم ذلك وأنت بمعزل من إسماعهم. وفيه إشارة إلى أنه ليس للأنبياء والأولياء إلا الإنذار والنصح وليس لهم إسماع الصم وهم الذين لعنهم الله في الأزل بالطرد عن جوار الحضرة إلى أسفل الدنيا وأصمهم وأعمى أبصارهم بحبها وطلب شهواتها فلا يسمعون ما ينذرون به وإنما الإسماع لله لا للخلق كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣].

﴿**ولئن مستهم**﴾ [واكر برسد بكفره] والمس اللمس ويقال في كل ما ينال الإنسان من أذى ﴿**نفحة من عذاب ربك**﴾ أي: وبالله لئن أصابهم أدنى شيء من عذابه تعالى الذي ينذر به والنفحة من الريح الدفعة من العذاب القطعة كما في «القاموس» وعلى الأولى حمل شارح الشهاب ما وقع في قوله عليه السلام: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها» قال في «بحر العلوم» من نفحته الدابة إذا ضربته أي: ضربة أو من نفحت الريح إذا هبت أي: هبة أو من نفح الطيب إذا فاح أي: فوحة كما يقال شمة. وقال ابن جريج: أي نصيب من نفحه فلان من ماله إذا أعطاه حظاً منه ﴿**ليقولن**﴾ من غاية الاضطراب والحيرة ﴿**يا ويلنا**﴾ [واى برما]

وقد سبق تحقيقه ﴿إنا كنا ظالمين﴾ أي: لدعوا على أنفسهم بالويل والهلاك واعترفوا عليها بالظلم حين تصاموا وأعرضوا وهو بيان لسرعة تأثرهم من مجيء نفس الوعد إثر بيان عدم تأثرهم من مجيء خبره. وفيه إشارة إلى أن أهل الغفلة والشقاوة لا تنتبهون بتنبيه الأنبياء ونصح الأولياء في الدنيا حتى يمسهم أثر من آثار عذاب الله بعد الموت فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فاعترفوا بذنوبهم ونادوا بالويل والثبور على أنفسهم بما كانوا ظالمين فالظلم يجلب النقم ويسلب النعم سواء كان ظلم الغير أو ظلم النفس فليجتنب المؤمن من أسباب العذاب والنقمة وليأت إلى باب النجاة والرحمة وذلك بالمجاهدة وقمع الهوى واختيار طريق الطاعة والتقوى.

ـ روي ـ أن بعض الصالحين قال لعجوز متعبدة أرفقي بنفسك فقالت: إن رفقي بنفسي يغيبني عن باب المولى ومن غاب عن باب المولى مشتغلاً بالدنيا فقد عرض للمحن والبلوى ثم بكت وقالت: واسوأتاه من حسرة السباق وفجيعة الفراق أما حسرة السباق فإذا قاموا من قبورهم وركب الأبرار نجائب الأبرار وقدمت بين يديهم نجائب المقربين بقي المسبوق في جملة المحرمين وأما فجيعة الفراق فإذا جمع الخلق في مقام واحد أمر الله تعالى ملكاً ينادي أيها الناس امتازوا فإن المتقين قد فازوا كما قال تعالى: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾ [يس: ٥٩] فيمتاز الولد من والديه والزوج من زوجته والحبيب من حبيبه فهذا يحمل مبجلاً إلى رياض الجنة وهذا يساق مسلسلاً إلى عذاب الجحيم فأين من يمسه العذاب ممن يصل إليه الثواب.

واعلم أن الإنذار أبلغ فإنه من باب التخلية فلا بد للعاصي من التخوف على المعاصي والإصغاء إلى الموعظة والنصيحة الموقظة فإنه سوف يقول المعرضون ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠] وهم الصم في الحقيقة، قال الشيخ سعدي:

بكوى آنچه دانى سخن سودمند وكرهيچ كس را نيايد پسند
كه فردا پشيمان برآرد خروش كه آوخ چرا حق نكردم بكوش

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾

﴿**ونضع الموازين القسط**﴾ الموازين جمع ميزان، بالفارسية: [ترازو] والقسط العدل أي: نقيم الموازين العادلة التي نوزن بها صحائف الأعمال ونحضرها أو الأعمال باعتبار التجوهر والتجسم وجمع الموازين باعتبار تعدد الأعمال أو لأن لكل شخص ميزاناً. قال الراغب الوزن معرفة قدر الشيء وذكر الميزان في مواضع بلفظ الواحد اعتباراً بالمحاسبة وفي مواضع بلفظ الجمع اعتباراً بالمحاسبين انتهى. وإفراد القسط لأنه مصدر وصف به مبالغة كرجل عدل. قال الإمام وصف الموازين بالقسط لأنها قد لا تكون مستقيمة ﴿**ليوم القيامة**﴾ أي: لأجل جزائه ﴿**فلا تظلم نفس**﴾ من النفوس ﴿**شيئاً**﴾ حقاً من حقوقها على أن يكون مفعولاً ثانياً لتظلم لأنه بمعنى تنقص وتنقص يتعدى إلى مفعولين يقال نقصه حقه من الظلم بل يوفى كل ذي حق حقه إن خيراً فخير وإن شراً فشر على أن يكون مفعولاً مطلقاً ﴿**وإن كان**﴾ أي: العمل المدلول عليه بوضع الموازين ﴿**مثقال حبة من خردل**﴾ المثقال ما يوزن به من الثقل أي: مقدار حبة كائنة من خردل، بالفارسية: [ازسپندان كه اصغر حباتست] أي: وإن كان في غاية القلة والحقارة فإن حبة الخردل مثل في الصغر ﴿**أتينا بها**﴾ بقصر الهمزة من الإتيان والباء للتعدية أي: أحضرنا

ذلك العمل المعبر عنه بمثقال حبة الخردل للوزن والتأنيث لإضافته إلى الحبة ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا الباء زائدة ونا فاعل كفى وحاسبين حال منه بمعنى عادّين من حسب المال إذا عده. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: عالمين حافظين لأن من حسب شيئاً علمه وحفظه وفيه تحذير فإن المحاسب العالم القادر الذي لا يفوته شيء يجب أن يخاف منه وروى الشبلي قدس سره في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال:

حـــاسـبـونـــا فـدقـقـوا ثـــم مـــنـــوا فـــأعـــتـــقـــوا

قال الإمام الغزالي رحمه الله: الميزان حق ووجهه أن الله تعالى يحدث في صحائف الأعمال وزناً بحسب درجات الأعمال عند الله فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب. يقول الفقير بهذا يندفع سؤال الإمام في تفسيره حيث قال أهل القيامة إن علموا كونه تعالى عادلاً فلا حاجة إلى وضع الميزان بل يكفي مجرد حكمه بترجيح جانب وإن لم يعلموا لم يفد وزن الصحائف لاحتمال أنه جعل إحدى الكفتين أثقل ظلماً انتهى وذلك لأنهم علموا ذلك ضرورياً لأن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا لكن الله تعالى أراد أن يحصل لهم العلم بمقادر أعمالهم ليظهر العدل والفضل ظهوراً لا غاية وراءه وفيه إلزام الحجة لهم. قيل للميزان لسان وكفتان وهو بيد جبريل يوزن فيه الحسنات والسيآت في أحسن صورة وأقبحها والحكم للغالب في الوزن وفي التساوي لفضل الله. يقول الفقير: لعل وجه كونه بيد جبريل أنه الواسطة في تنزيل الأمر والنهي فناسب أن يكون الميزان بيده ليزن صحائف الأوامر والنواهي.

ـ روي ـ أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فأراه كل كفة كما بين المشرق والمغرب فغشي عليه ثم أفاق فقال: إلهي من ذا الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات؟ فقال: يا داود إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة وفي الحديث «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمٰن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» إنما صارتا أحب لأن فيهما المدح بالصفات السلبية التي يدل عليها التنزيه وبالصفات الثبوتية التي يدل عليها الحمد وفي الحديث «التسبيح نصف الميزان والحمد لله يملؤه». قال المولى الفناري: توضع الموازين لوزن الأعمال فيجعل فيها الكتب بما عملوا وآخر ما يوضع في الميزان قول الإنسان الحمد لله ولهذا قال عليه السلام: «الحمد لله تملأ الميزان» فإنه يلقى في الميزان جميع أعمال العباد من الخير إلا كلمة لا إله إلا الله فيبقى على ملئه تحميدة فتجعل فيه فيمتلىء بها فإن كفة ميزان كل أحد بقدر عمله من غير زيادة ولا نقصان وكل ذكر وعمل يدخل الميزان إلا لا إله إلا الله كما قلنا وسبب ذلك أن كل عمل خير له مقابل من ضده فيجعل هذا الخير في موازنته ولا يقابل لا إله إلا الله إلا الشرك ولا يجتمع توحيد وشرك في ميزان أحد لأنه إن قال لا إله إلا الله معتقداً لها فما أشرك وإن أشرك فما اعتقد فلم يكن لها ما يعادلها في الكفة الأخرى ولا يرجحها شيء فلهذا لا تدخل في الميزان وأما المشركون فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً أي: لا يقدر لهم ولا يوزن لهم عمل ولا من هو من أمثالهم من المعطل والمتكبر على الله فإن أعمال خير المشرك محبوطة فلا يكون لشرهم ما يوازيه فلا وزن لهم وأما صاحب السجلات فإنه شخص لم يعمل خيراً قط إلا أنه تلفظ يوماً بكلمة لا إله إلا الله مخلصاً فيوضع له في مقابلة التسعة والتسعين سجلاً من أعمال الشر كل سجل منها كما بين المشرق والمغرب وذلك لأنه ما له عمل خير

غيرها فترجح كفتها بالجميع وتطيش السجلات. والتحقيق أن لا إله إلا الله كلمة التوحيد والتوحيد لا يماثله ولا يعادله شيء وإلا لما كان واحداً بل كان اثنين فصاعداً فإذا أريد بهذه الكلمة التوحيد الحقيقي لم تدخل في الميزان لأنه ليس له معادل ومماثل فكيف يدخل فيه وإليه أشار الخبر الصحيح عن الله تعالى قال الله تعالى: «لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع وعامرهن غيري في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله» فعلم من هذه الأشارة أن المانع من دخولها في ميزان الحقيقة هو عدم المماثل والمعادل كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وإذا أريد بها التوحيد الرسمي تدخل في الميزان لأنه يوجد لها ضد بل أضداد كما أشير إليه بحديث صاحب السجلات فما مالت الكفة إلا بالبطاقة التي كتبها الملك فيها فهي الكلمة المكتوبة المنطوقة المخلوقة فعلم من هذه الإشارة أن السبب لدخولها في ميزان الشريعة هو وجود الضد والمخالف وهو السيآت المكتوبة في السجلات وإنما وضعها في الميزان ليرى أهل الموقف في صاحب السجلات فضلها لكن إنما يكون ذلك بعد دخول من شاء الله من الموحدين النار ولم يبق في الموقف إلا من يدخل الجنة لأنها لا توضع في الميزان لمن قضى الله أن يدخل النار ثم يخرج بالشفاعة أو بالعناية الإلهية فإنها لو وضعت لهم أيضاً لما دخلوا النار أيضاً ولزم الخلاف للقضاء وهو محال ووضعها فيه لصاحب السجلات اختصاص إلهي يختص برحمته من يشاء هكذا حقق شيخي وسندي قدس سره هذا المقام ولا يدخل الموازين إلا أعمال الجوارح شرها وخيرها وهي السمع والبصر واليد والبطن والفرج والرجل وأما الأعمال الباطنة فلا تدخل الميزان المحسوس لكن يقام فيها العدل وهو الميزان الحكيمي فمحسوس لمحسوس ومعنى لمعنى يقابل كل شيء بمثله فلهذا توزن الأعمال من حيث هي مكتوبة وقد أصاب من قال الذكر الخفي هو الذي لم يطلع عليه الحفظة وهو توحيد الحقيقي الباطني الذي لا يدخل في الميزان الصوري لأنه ما كان مكتوباً فكيف يدخل فيه. فإن قيل أين الميزان؟ قلنا: على الصراط ومترتب على الحساب ولهذا لا ميزان لمن يدخل الجنة بغير حساب وإنما الميزان للمخلصين من المؤمنين. قال بعض الكبار: ميزان العدل في الدنيا ثلاثة: ميزان النفس والروح، وميزان القلب والعقل، وميزان المعرفة والسر. فميزان النفس والروح الأمر والنهي وكفتاه الوعد والوعيد، وميزان القلب والعقل الإيمان والتوحيد وكفتاه الثواب والعقاب، وميزان المعرفة والسر الرضى والسخط وكفتاه الهرب والطلب. وقال بعضهم: من يزن هٰهنا نفسه بميزان الرياضة والمجاهدات ويزن قلبه بميزان المراقبات ويزن عقله بميزان الاعتبارات ويزن روحه بميزان المقامات ويزن سره بميزان المحاضرات ومطالعة الغيبيات ويزن صورته بميزان المعاملات الذي كفتاه الحقيقة والطريقة ولسانه الشريعة وعموده العدل والإنصاف توزن نفسه يوم القيامة بميزان الشرف ويوزن قلبه بميزان اللطف ويوزن عقله بميزان النور ويوزن روحه بميزان السرور ويوزن سره بميزان الوصول ويوزن صورته بميزان القبول فإذا ثقلت موازينه مما ذكرنا فجزاء نفسه الأمن من الفراق فجزاء قلبه مشاهدة الشرف في الأسرار وجزاء عقله مطالعة الصفات وجزاء روحه شف أنوار الذات وجزاء سره إدراك الأسرار القدسيات وجزاء صورته الجلوس في مجالس وصال الأبديات وأيضاً توزن الأعمال بميزان الإخلاص.

عبادت باخلاص نيت نكوست ... وكرنه چه آيد زبى مغزپوست

والأحوال بميزان الصدق:

بصدق كوش كه خورشيد زآيد ازنفست — كه از دروغ سيه روى كشت صبح نخست

فمن كانت أعماله بالرياء مصحوبة لم تقبل أعماله:

منه آب زرجان من بر پشيز — كه صراف دانا نكيرد بچيز

ومن كانت أحواله بالعجب مشوبة لم ترفع أحواله:

حال خود از عجب دل تخليص كن — از عمل توفيق را تخصيص كن

كر بخواهى تا كران معنى شوى — وزن كن حالت بميزان شوى

چون ترازوى تو كج بود ودغا — راست چون جويى ترازوى جزا

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين﴾ أي: وبالله لقد آتيناهما كتاباً جامعاً بين كونه فرقاناً بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكراً يتعظ به الناس فالمراد بجميع هذه الصفات واحد هو التوراة وتخصيص المتقين بالذكر لأنهم المستضيئون بأنواره والمغتنمون بمغانم آثاره.

﴿الذين يخشون ربهم﴾ عذابه وهو مجرور المحل على أنه صفة مادحه للمتقين **﴿بالغيب﴾** حال من المفعول أي: يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون بالإنذار ما لم يشاهدوا ما أنذروه من العذاب **﴿وهم من الساعة﴾** اسم لوقت تقوم فيه القيامة سمي بها لأنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم وسميت الساعة ساعة لسعيها إلى جانب الوقوع ومسافته الأنفاس. وقال الراغب الساعة جزء من أجزاء الزمان ويعبر بها عن القيامة سميت بذلك لسرعة حسابه كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢] ولما نبه عليه بقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥] فالأولى هي القيامة والثانية الوقت القليل من الزمان **﴿مشفقون﴾** أي: خائفون منها وقد سبق الإشفاق في هذه السورة وتخصيص إشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية على الإطلاق للإيذان بكونها معظم المخوفات.

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وهذا﴾ أي: القرآن الكريم أشير إليه بهذا إيذاناً بغاية وضوح أمره **﴿ذكر﴾** يتذكر به من يتذكر **﴿مبارك﴾** كثير الخير والنفع يتبرك به **﴿أنزلناه﴾** على محمد صفة ثانية لذكر أو خبر آخر **﴿أفأنتم له منكرون﴾** إنكار لإنكارهم بعد ظهور كون إنزاله كإيتاء التوراة كأنه قيل أبعد أن علمتم أن شأنه كشأن التوراة في الإيتاء والإيحاء أنتم منكرون لكونه منزلاً من عندنا فإن ذلك بعد ملاحظة حال التوراة مما لا مساغ له أصلاً. قال بعض الكبار كلام الله سبحانه في نفسه مبارك وإن لم يسمعه الجاهل ولكن مبارك على من يسمعه باستماع المحبة والشوق إلى لقاء المتكلم

ويعمل بمضمونه ويعرف إشارته ويجد حلاوته في قلبه فإذا كان كذلك تبلغه بركته إلى مشاهدة معدنه وهو رؤية الذات القديم وفي الحديث «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب» وفي الحديث «لا تجعلوا بيوتكم مقابر» يعني: لا تتركوا بيوتكم خالية من تلاوة القرآن فإن كل بيت لا يقرأ القرآن فيه يشبه المقابر في عدم القراءة والذكر والطاعة وإلى الله المشتكى من إهمال أهالي هذا الزمان فإن ميل أكثرهم إلى الإشعار وكلام أهل الهوى لا إلى القرآن والهدى، قال الخجندي:

دل ازشنيدن قرآن بكيردت همه وقت   چو باطلان ز كلام حقت ملولى چيست

وفي «التأويلات النجمية» النور الذي هو يفرق بين الحق والباطل بل بين الخلق والخالق والحدوث والقدم نور يقذفه الله في قلوب عباده المخلصين من الأنبياء والمرسلين والأولياء الكاملين لا يحصل إلا بتكرار العلوم الشرعية لا بالأفكار العقلية وله ضياء وهو ذكر يتعظ به المتقون الذين يتقون عن الشرك بالتوحيد وعن الطمع بالشرع وعن الرياء بالإخلاص وعن الخلق بالخالق وعن الأنانية بالهوية ﴿وهذا ذكر مبارك﴾ لمن يتعظ به ويعلم أن الاتعاظ به إنما هو من نور ﴿أنزلناه﴾ في قلبه لا من نتائج عقله وتفكره أتنكرون على أنه نور من هدايتنا.

ـ حكي ـ أن عثمان الغازي جد السلاطين العثمانية إنما وصل إلى ما وصل برعاية كلام الله تعالى وذلك أنه كان من أسخياء زمانه ببذل النعم للمترددين فثقل ذلك على أهل قريته وأنكروا عليه فذهب ليشتكي من أهل القرية إلى الحاجي بكتاش أو غيره من الرجال فنزل ببيت رجل قد علق فيه مصحف فسأل عنه فقالوا: هو كلام الله تعالى فقال: ليس من الأدب أن نقعد عند كلام الله فقام وعقد يديه مستقبلاً إليه فلم يزل إلى الصبح فلما أصبح ذهب إلى طريقه فاستقبله رجل فقال: أنا مطلبك ثم قال له: إن الله تعالى عظمك وأعطاك وذريتك السلطنة بسبب تعظيمك لكلامه ثم أمر بقطع شجرة وربط رأسها بمنديل وقال: ليكن ذلك لواء ثم اجتمع عنده جماعة فجعل أول غزوته إلى بلجك وفتح بعناية الله تعالى ثم أذن له السلطان علاء الدين في الظاهر أيضاً فصار سلطاناً. ففي هذه الحكاية فوائد منها أن السلطنة اختصاص إلهي كالنبوة ومنها أن السخاء مفتاح باب المراد. ومنها أن المراجعة عند الحيرة إلى الله لها تأثير عظيم. ومنها أن رعاية كلام الله سبب السلطنة مطلقاً صورية كانت أو معنوية إذ هو ذكر مبارك. ومنها أن ترك الرعاية سبب لزوال قوتها بل لزوال نفسها كما وقع في هذه الأعصار فإن الترقي الواقع في زمان السلاطين المتقدمين آل إلى التنزل وقد عزل السلطان محمد الرابع في زماننا بسبب الترك المذكور فهذا هو زوال السلطنة نسأل الله تعالى أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا وجلاء أحزاننا.

﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده﴾ الرشد خلاف الغي وهو الابتداء لمصالح الدين والدنيا وكماله يكون بالنبوة أي: بالله لقد آتينا بجلالنا وعظم شأننا إبراهيم الخليل عليه السلام الرشد اللائق به وبأمثاله من الرسل الكبار على ما أفادته الإضافة ﴿من قبل﴾ من قبل إيتاء موسى وهارون التوراة وتقديم ذكر إيتائها لما بينه وبين إنزال القرآن من الشبه التام ﴿وكنا به عالمين﴾ أي: وكنا عالمين بأنه أهل لما آتيناه من الرشد والنبوة وتقديم الظرف لمجرد الاهتمام مع رعاية الفاصلة ونظير الآية قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. واعلم أن الأهلية أيضاً من الله تعالى:

قابلي كر شرط فعل حق بدى   همچو معدومى بهستى نامدى

وقد قالوا القابلية صفة حادثة من صفات المخلوق والعطاء صفة قديمة من صفات الخالق والقديم لا يتوقف على الحادث.

﴿إذ قال لأبيه وقومه﴾ ظرف لآتينا على أنه وقت متسع وقع فيه الإيتاء وما ترتب عليه من أفعاله وأقواله. يقول الفقير: والظاهر من عدم التعرض لأمه كونها مؤمنة كما يدل عليه تبريه وامتناعه من أبيه دونها والمراد من قومه أهل بابل بالعراق وهي بلاد معروفة من عبادان إلى الموصل طولاً ومن القادسية إلى حلوان عرضاً سميت بها لكونها على عراق دجلة والفرات أي: شاطئهما ﴿ما﴾ [چيست] ﴿هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون﴾ التماثيل جمع تمثال وهو الشيء المصور المصنوع مشبهاً بخلق من خلائق الله والممثل المصور على مثال غيره من مثلت الشيء بالشيء إذا شبهته به والعكوف الإقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظيم لغرض من الأغراض ضمن معنى العبادة كما يدل عليه الجواب الآتي ولذا جيء باللام دون على أي: ما هذه الأصنام التي أنتم عابدون لها مقيمون عليها وهذا السؤال تجاهل منه وإلا فهو يعرف أن حقيقتها حجر أو شجر اتخذوها معبوداً. قال الكاشفي: [آن هفتاد دو صورت بود. ودر تيسير كويد نودبت بود وبزر كترهمه را اززر ساخته بودند ودوكوهر شاهوار درچشمهاى او تركيب كرده. ودرتبيان آورده كه صورتها بودند برهيأت سباع وطيور وبهائم وإنسان. وبقول بعضي تماثيل بر مصور هياكل كواكب بود].

- روي - أن علياً رضي الله عنه مر بقوم يلعبون بالشطرنج، فقال: ما هذه التماثيل كما في تفسير أبي الليث وفيه تقبيح للعب بالشطرنج حيث عبر عن شخوصه بما عبر به إبراهيم عن الأصنام فأشار إلى أن العكوف على هذا اللعب كالعكوف على عبادة الأصنام. قال صاحب الهداية يكره اللعب بالنرد والشطرنج والأربعة عشر والكل لهو لأنه إن قامر بها فالميسر حرام بالنص وهو اسم لكل قمار وإن لم يقامر فهو عبث ولهو وقال عليه السلام: «لهو المؤمن باطل إلا لثلاث تأديبه لفرسه ومناضلته عن قوسه وملاعبته مع أهله» وحكي عن الشافعي رحمه الله إباحة اللعب بالشطرنج لما فيه من تسخية الخاطر. قال زين العرب في «شرح المصابيح» رجع الشافعي عن هذا القول قبل موته بأربعين يوماً وذكر الغزالي أيضاً في «خلاصته» إنه مكروه عند الشافعي أي: في قوله الأخير وكيف لا يكون مكروهاً وهو إحياء سنة المجوس وقد قال عليه السلام: «من لعب بالشطرنج والنردشير فكأنما غمس يده في دم الخنزير»، وأما قول ابن خيام:

زمانى بحث ودرس قيل وقالى ... كه انسانرا بود كسب كمالى

زمانى شعر وشطرنج وحكايات ... كه خاطررا شود دفع ملالى

فمن قبيل القول الباطل الناشىء عن هوى النفس الأمارة بالسوء أعاذنا الله وإياكم من مكرها وتسويلها. وفي الآية إشارة إلى أحوال أهل الدين فإنهم يرون أهل الدنيا بنور الرشد عاكفين لأصنام الهوى والشهوات يقولون لهم ما هذه التماثيل الخ ولو لم يكن نور الرشد والهداية من الله لكانوا معهم عاكفين لها وما رأوها بنظر التماثيل.

﴿قالوا﴾ كأنه قال إبراهيم عليه السلام أي شيء حملكم على عبادتها فقالوا: ﴿وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ أي: عابدين لها فنحن نعبدها اقتداء بهم وهو جواب العاجز عن الإتيان بالدليل.

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾ أي: وبالله لقد كنتم أنتم أيها المقلدون وآباؤكم الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة مستقرين في ضلال عظيم وخطأ ظاهر لكل أحد لعدم استناده إلى دليل ما والتقليد إنما يجوز فيما يحتمل الحقية في الجملة والباطل لا يصير حقاً بكثرة القائلين به وفيه إشارة إلى أن التقليد غالب على الخلق كافة في عبادة الهوى والدنيا إلا من آتاه الله رشده.

واعلم أن التقليد قبول قول الغير بلا دليل وهو جائز في الفروع والعمليات ولا يجوز في أصول الدين والاعتقاديات بل لا بد من النظر والاستدلال لكن إيمان المقلد صحيح عند الحنفية والظاهرية وهو الذي اعتقد جميع ما وجب عليه من حدوث العالم ووجود الصانع وصفاته وإرسال الرسل وما جاؤوا به حقاً من غير دليل لأن النبي عليه السلام قبل إيمان الأعراب والصبيان والنسوان والعبيد والإماء من غير تعليم الدليل ولكنه يأثم بترك النظر والاستدلال لوجوبه عليه. وفي «فصل الخطاب» من نشأ في بلاد المسلمين وسبح الله عند رؤية صنائعه فهو خارج عن حد التقليد أي: فإن تسبيحه عند رؤية المصنوعات عين الاستدلال فكأنه يقول الله خالق هذا على هذا النمط البديع ولا يقدر أحد غيره على خلق مثل هذا فهو استدلال بالأثر وإثبات للقدرة والإرادة إلى غير ذلك فالمقصود من الاستدلال هو الانتقال من الأثر إلى المؤثر ومن المصنوع إلى الصانع بأي وجه كان لا ملاحظة الصغرى والكبرى وترتيب المقدمات للإنتاج على قاعدة المعقول.

يقول الفقير: أدى جهل هذا الزمان إلى حيث إن من سبح عند كل أعجوبة لم يلزم أن يكون مستدلاً مطلقاً لأنه سمع الناس يقولون سبحان الله عند رؤية سيل عظيم أو شجر كبير أو حريق هائل أو نحوها مما خرج عن حد جنسه فيقلدهم في ذلك من غير أن يخطر بباله أنه صنع الله تعالى وقد رأيت ملاحاً ذمياً يحث خدام السفينة على بعض الأعمال ويقول لهم اجتهدوا وكونوا من أهل الغيرة فإن الغيرة من الإيمان وهو لا يعرف ما الغيرة وما الإيمان وكذا الخدام والألم يذكرهما فهو قول مجرد جار على طريق العرف فعلى المؤمن ترك التقليد والوصول إلى مقام التحقيق ومن الله التوفيق، قال المولى الجامي:

خواهى بصوب كعبة تحقيق ره برى ... پى برپى مقلد كم كرده ره مرو

وقال:

مقلدان چه شناسند داغ هجرانرا ... خبر ز شعله آتش ندارد افسرده

ففيه فرق بين المقلد والمحقق فمن رام التحقيق طلبه ولا يتشبث في هذا البحر بغريقه كما لا يخفى.

﴿قالوا أجئتنا بالحق﴾ أي: بالجد وبالفارسية [آيا آورى بما اين سخن براستى وجه] ﴿أم أنت من اللاعبين﴾ بنا فتقول ما تقول على وجه المزاح واللعب حسبوا أنهم إنما أنكر عليهم دينهم القديم مع كثرتهم وشوكتهم على وجه المزاح واللعب. وفيه إشارة لطيفة وهي كما أن

أهل الصدق والطلب يرون أهل الدنيا لاعبين والدنيا لعباً ولهواً كقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١] كذلك أهل الدنيا يرون أهل الدين لاعبين والدين لعباً ولهواً ﴿قال بل﴾ [نيستم بازى كننده] ﴿ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن﴾ أي: خلقن ابتداء من غير مثال سابق فهو الخالق كما أنه المربي فالضمير للسموات والأرض أو للتماثيل أي: فكيف تعبدون ما كان من جملة المخلوقات ﴿وأنا على ذلكم﴾ الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات والأرض فقط دون ما عداه كائناً ما كان ﴿من الشاهدين﴾ أي: العالمين به على الحقيقة المبرهنين وليس المراد حقيقة الشهادة لأنه لا شهادة من المدعي بل استعيرت الشهادة لتحقيق الدعوى بالحجة والبرهان أي: لست من اللاعبين في الدعاوى بل من المحتجين عليها بالبراهين القاطعة بمنزلة الشاهد الذي تقطع به الدعاوى. قال الكاشفي: [آورده اندكه نمروديان روزى عيدداشتند كه در آن روز بصحرا رفتندى وتا آخر روزتماشا كردندى ودرباز كشتن به بتخانه در آمده بتانرا بياراسته بزبانها بنو اختندى آنكه سربر زمين نهاده رسم پرستش بجاى آوردندى وبخانها بازكشتندى چون ابراهيم عليه السلام باجمعى درباب تماثيل مناظره فرمود كفتند فردا عيدست بيرون آى تابينى كه دين وآيين ماچه زيباست ابراهيم نعم جواب ايشان بكفت روز ديكركه مى رفتند ميخواستند كه اورا ببرند ببهانه بيمارى پيش آورد] ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٩] يعني: عن عبادة الأصنام كما في «القصص» [ايشان دست از وبازداشته برفتند ابراهيم پنهان از ايشان بفرمودكه].

﴿وتالله﴾ [بخدا سوكند كه من] ﴿لأكيدن أصنامكم﴾ [هر آينه تدبيرى كنم وجهد نمايم تابشكنم بتان شمارا] كما قال في «الإرشاد» لأجتهدن في كسرها. وفيه ايذان بصعوبة الأمر وتوقفه على استعمال الحيل. وقال ابن الشيخ أخذاً من تفسير الإمام فإن قيل لم قال: ﴿لأكيدن أصنامكم﴾ والكيد هو الاحتيال على الغير في ضرر لا يشعر به والأصنام جمادات لا تتضرر بالكسر ونحوه وأيضاً ليست هي مما يحتال في إيقاع الكسر عليها لأن الاحتيال إنما يكون في حق من له شعور أجيب بأن ذلك من قبيل التوسع في الكلام فإن القوم كانوا يزعمون أن الأصنام لهن شعور ويجوز عليهن الضرر فقال ذلك بناء على زعمهم. وقيل المراد لأكيدنكم في أصنامكم لأنه بذلك الفعل قد أنزل بهم الغم. والأصنام جمع صنم وهي جثة متخذة من فضة أو نحاس أو خشب كانوا يعبدونها متقربين بها إلى الله تعالى كما في المفردات ﴿بعد أن تولوا﴾ ترجعوا مضارع ولى مشدداً ﴿مدبرين﴾ ذاهبين من عبادتها إلى عيدكم وهو حال مؤكدة لأن التولية والادبار بمعنى والادبار نقيض الإقبال وهو الذهاب إلى خلف. قال الكاشفي: ﴿بعد أن تولوا﴾ [بعد ازانكه روى بكردانيد ازايشان يعنى برويد بعيد كاه وباشيد مدبرين پشت برايشان كنندكان وقتى كه بتانرا بكذا ريد وبتماشا كاه خودرويد].

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿فجعلهم﴾ الفاء فصيحة أي: فولوا فجعلهم ﴿جذاذاً﴾ قطاعاً فعال بمعنى المفعول من الجذ الذي هو القطع كالحطام من الحطم الذي هو الكسر. قال في «القاموس» الجذ القطع

المستأصل والكسر والاسم الجذاذ مثلثة انتهى ﴿إلا كبيراً لهم﴾ استثناء من مفعول قوله فجعلهم ولهم صفة لكبيراً والضمير للأصنام أي: لم يكسر «الكبير» وتركه على حاله وعلق الفأس في عنقه وكبره في التعظيم أو في الجثة أو فيهما ﴿لعلهم إليه﴾ إلى «الكبير» وتقديم الظرف للاختصاص أو لمجرد الاهتمام مع رعاية الفاصلة ﴿يرجعون﴾ فيسألون عن كاسرها لأن من شأن المعبود أن يرجع إليه في حل المشكل فيستجهلهم ويبكتهم بذلك كذا في «بحر العلوم» أو إلى إبراهيم يرجعون لاشتهاره بإنكار دينهم وسب آلهتهم وعداوتهم فيحاججهم بقوله ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ فيحجهم ويبكتهم كما في «الإرشاد» وغيره.

ـ روي ـ أن آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدأوا ببيت الأصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاماً وخبزاً جاؤوا به معهم وقالوا: الآن ترجع بركة الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي إبراهيم فنظر إلى الأصنام فقال مستهزئاً بهم ما لكم لا تنطقون ما لكم لا تأكلون ثم التفت فإذا بفأس معلق فتناوله فكسر الكل ولم يبق إلا «الكبير» وعلق الفأس في عنقه وأراق تلك الأطعمة ورجع إلى منزله. قال الإمام فإن قيل إن كان القوم عقلاء فقد علموا بالضرورة أنها لا تسمع ولا تضر ولا تنفع فما الحاجة إلى كسرها غايته أنهم كانوا يعظمونها كما نعظم نحن المصحف والمحراب والكسر لا يقدح فيه وإن لم يكونوا عقلاء لم تحسن المناظرة معهم ولا بعث الرسل إليهم والجواب أنهم كانوا عقلاء عالمين أنها لا تضر ولا تنفع لكنهم ربما اعتقدوا أنها تماثيل الكواكب وطلسمات من عبدها ينتفع بها ومن استخف بها ناله ضرر ثم إن إبراهيم كسرها ولم ينله ضرر فدل على فساد مذهبهم. وفي الآية إشارة إلى أن الإنسان إذا وكل إلى نفسه وطبعه ينحت من هوى نفسه أصناماً كما كان أبو إبراهيم آزر ينحت الأصنام وإذا أدركته العناية الأزلية وأيد بالتأييدات الإلهية بكسر أصنام الهوى ويجعلها جذاذاً فضلاً عن نحتها كما كان حال إبراهيم كان يكسر من الأصنام ما ينحت أبوه وإذا كان المرء من أهل الخذلان يرى الحق باطلاً والباطل حقاً كما كان قوم نمرود، وقال الخجندي:

بشكن بت غروركه دردين عاشقان يك بت كه بشكنند به ازصد عبادتست

﴿قالوا﴾ حين رجعوا من عيدهم ورأوا ﴿من فعل هذا بآلهتنا﴾ [كه كرده است اين عمل باخدايان ما وايشانرا درهم شكسته] والاستفهام للإنكار والتوبيخ ولم يقولوا بهؤلاء مع أنها كانت بين أيديهم مبالغة في التشنيع ﴿إنه لمن الظالمين﴾ بالكسر حيث عرض نفسه للهلاك [يعنى از ظالمانست برنفس خودكه بدين عمل خودرا درورطه هلاك انداخته].

﴿قالوا﴾ أي: بعض منهم مجيبين للسائلين فالآية تدل على أن القائلين جماعة ﴿سمعنا﴾ من الناس ﴿فتى﴾ وهو الطري من الشبان ﴿يذكرهم﴾ بسوء أي: بعيب الأصنام فلعله فعل ذلك بها وأطلق الذكر ولم يقيد لدلالة الحال فإن ذكر من يكره إبراهيم ويبغضه إنما يكون بذم ونظيره قولك سمعت فلاناً يذكرك فإن كان الذاكر صديقاً فهو ثناء وإن كان عدواً فذم ﴿يقال له إبراهيم﴾ أي: يطلق عليه هذا الاسم.

﴿قالوا﴾ أي: السائلون. قال ابن الشيخ: بلغ ذلك النمرود الجبار وأشراف قومه فقالوا فيما بينهم ﴿فأتوا به﴾ [پس بياريد اورا] ﴿على أعين الناس﴾ حال من ضمير به أي: ظاهراً مكشوفاً بمرأى منهم ومنظر بحيث تتمكن صورته في أعينهم تمكن الراكب على المركوب ﴿لعلهم﴾ أي: بعضاً منهم ﴿يشهدون﴾ بفعله أو بقوله ذلك لئلا نأخذه بلا بينة. وفيه إشارة إلى أن بعض الكفار من

لا يحكم على أهل الجنايات إلا بمشهد من العدول فكل حاكم يحكم على متهم بالجناية من غير بينة فهو أسوأ حالاً منهم ومن قوم نمرود كما في «التأويلات النجمية».

﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿قالوا﴾ في الكلام حذف أي: فأتوا به فلما شهدوه قالوا منكرين عليه فعله موبخين له ﴿أأنت فعلت هذا﴾ الكسر ﴿بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا﴾ مشيراً إلى الذي لم يكسره وهذا صفة لكبير أسند الفعل إليه باعتبار أنه الحامل عليه لأنه لما رأى الأصنام مصطفة مزينة يعظمها المشركون ورأى على «الكبير» ما يدل على زيادة تعظيمهم له وتخصيصهم إياه بمزيد التواضع والخضوع غاظه وكان غيظ كبيرها أكبر وأشد. وقال بعضهم فعله كبيرهم هذا غضب من أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها، يعني: [كفت من آن نكرده ام بلكه كرده است اين را بزرك ايشان ازروى خشم برايشان كه باوجود من چرا ايشانرا پرستند] ﴿فاسألوهم﴾ عن حالهم ﴿إن كانوا ينطقون﴾ أي: إن كانوا ممن ينطقون حتى يخبروا من فعل ذلك بهم وفي الحديث: «لم يكذب إبراهيم النبي قط إلا ثلاث كذبات» سميت المعاريض كذباً لما شابهت صورتها صورته وإلا فالكذب الصريح كبيرة فالأنبياء معصومون منها. فإن قلت إذا كانت هذه معاريض لم جعلها سبباً في تقاعده عن الشفاعة حين يأتي الناس إليه يوم القيامة. قلت: الذي يليق بمرتبة النبوة والخلة أن يصدع بالحق ويصرح بالأمر ولكنه قد تنزل إلى الرخصة فإن حسنات الأبرار سيآت المقربين والتعريض تورية الكلام عن الشيء بالشيء وهو أن تشير بالكلام إلى شيء والغرض منه شيء آخر فالغرض من قوله بل فعله كبيرهم الإعلام بأن من لم يستطع دفع المضرة عن نفسه كيف يستطيع دفع المضرة عن غيره فكيف يصلح إلهاً؟ قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعاً فالكذب فيه حرام فإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المطلوب مباحاً وواجب إن كان المقصود واجباً فهذا ضابطه ثنتين في ذات الله أي: في طلب رضاه والثالثة كانت لدفع الفساد عن سارة وفيها رضى الله أيضاً لكن لما كان له نفع طبيعي فيها خصص الثنتين بذات الله دونها قوله إني سقيم أي: إحدى تلك الكذبتين قوله إني سقيم وذلك أنه لما قال له أبوه: لو خرجت معنا إلى عيدنا لأعجبك ديننا فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال: إني سقيم تأويله إن قلبي سقيم بكفركم أو مراده الاستقبال كما قال الكلبي كان إبراهيم من أهل بيت ينظرون في النجوم وكانوا إذا خرجوا للعيد لم يتركوا إلا مريضاً فلما همّ إبراهيم بكسر الأصنام نظر قبل العيد إلى السماء وقال: أراني أشتكي غداً فأصبح معصوباً رأسه فخرج القوم ولم يتخلف غيره وقوله: بل فعله كبيرهم مر شرحه وواحدة في شأن سارة وذلك أنه قدم الأردنّ وبها ملك جبار يقال له صادوق ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك فأخبريه أنك أختي أي: في الإسلام فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيرك وغيري فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فقال له: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي أن تكون إلا لك فأرسل إليها فأتي بها وقام إبراهيم إلى الصلاة والدعاء فلما دخلت عليه أعجبته فمد يده إليها فأيبس الله

تعالى يده فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك فدعت فعاد ثم وثم حتى دعا الذي جاء بها وقال: اخرجها من أرضي وأعطاها هاجر وكانت جارية في غاية الحسن والجمال وهبتها سارة لإبراهيم فولدت له إسماعيل عليهما السلام.

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿فرجعوا إلى أنفسهم﴾ أي: راجعوا عقولهم وتذكروا أن ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الإضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل أن يقدر على دفع مضرة غيره أو جلب منفعة له فكيف يستحق أن يكون معبوداً **﴿فقالوا﴾** أي: قال بعضهم لبعض فيما بينهم. **﴿إنكم أنتم الظالمون﴾** بعبادتها لا من كسرها.

﴿ثم نكسوا على رؤوسهم﴾ أي: انقلبوا إلى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء أعلاه من قولهم نكس المريض إذا عاد إلى مرضه الأول بعد العافية والنكس قلب الشيء ورد آخره على أوله. وقال الكاشفي: [پس نكونسار كرده شدند برسرهاى خود يعنى سردرپيش افكندنداز حجالت وغيرت].

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن لكل إنسان عقلاً لو رجع إلى عقله وتفكر في حاله لعلم صلاحه وفساد حاله، وفي «المثنوي»:

كشتىء بى لنكر آمدمردنر   كه زبادكژ نداردا و حذر
لنكر عقلست عاقل را امان   لنكرى دريوزه كن ازعاقلان

وفيه إشارة أخرى وهي أن العقل وإن كان يعرف الصلاح من الفساد ويميز بين الحق والباطل ما لم يكن له تأييد من نور الله وتوفيق منه لا يقدر على اختيار الصلاح واحتراز الفساد فيبقى مبهوتاً كما كان حال قوم نمرود حيث نكسوا على رؤوسهم إذ لم يكونوا موفقين فما نفعهم ما عرفوا من الحق، وفي «المثنوي»:

جز عنايت كه كشايد چشم را   جزمحبت كه نشاند خشم را
جهدبى توفيق خود كس رامباد   درجهان والله أعلم بالرشاد

﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ على إرادة القول أي: قائلين لقد علمت يا إبراهيم أن ليس من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم فأقروا بهذا للحيرة التي لحقتهم.

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿قال﴾ مبكتاً لهم **﴿أفتعبدون﴾** أي: أتعلمون ذلك فتعبدون **﴿من دون الله﴾** أي: حال كونكم متجاوزين عبادته تعالى **﴿ما لا ينفعكم شيئاً﴾** من النفع إن عبدتموهم **﴿ولا يضركم﴾** إن لم تعبدوهم فإن العلم بالحالة المنافية للألوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعاً.

﴿أف لكم ولما تعبدون من دون الله﴾ تضجر منه من إصرارهم على الباطل البين وأف صوت التضجر إذا صوت بها الإنسان علم أنه متضجر ومعناه قبحاً ونتناً، وبالفارسية: [زشتى وناخوشى شمارا ومران چيزرا كه مى پرستيد بجز خداى تعالى] واللام لبيان المتأفف له أي: لكم ولآلهتكم هذا التأفف لا لغيركم وفي كتب النحو من أسماء الأفعال أف بمعنى أتضجر

﴿أفلا تعقلون﴾ أي: أجننتم فلا تعقلون قبح صنيعكم. قال ابن عطاء دعا الله تعالى عباده إليه وقطعهم عما دونه بقوله: ﴿أفتعبدون﴾ الخ كيف تعتمده وهو عاجز مثلك ولا تعتمد من إليه المرجع وبيده الضر والنفع. قال حمدون القصار: استغاثة الخلق بالخلق كاستغاثة المسجون بالمسجون. وقال بعض الكبار طلبك من غيره لوجود بعدك عنه إذ لو كنت حاضراً بقلبك معه ما صح منك توجه لغيره وكل ما دون الله خوض ولعب فالتعلق به زور وكذب فدع الكل جانباً وتعلق بمولاك حتماً تجده في كل مهم وغيره مغنياً وعند كل شيء حقاً يقيناً جعلنا الله ممن تعلق به بلا علة وعافانا من الذلة والزلة والقلة.

ـ حكي ـ أن امرأة حبيب العجمي ألحّت عليه أن يعمل بالأجرة طلباً للسعة في الرزق فخرج من بيته وعبد الله إلى الليل فعاد إلى بيته وليس معه شيء فلما سألته امرأته قال: عملت لعظيم كريم واستحييت أن اطلب الأجرة فلما مضى عليه ثلاثة أيام قالت: أطلب الأجرة أو اعمل لغيره أو طلقني فخرج إلى الليل فلما عاد إلى منزله وجد رائحة الطعام وامرأته مستبشرة فقالت: إن الذي عملت له أرسل إلينا أشياء عظيمة وكيساً مملوأً ذهباً فبكى حبيب وقال: إنه من عند الله الكريم فلما سمعت المرأة تابت وحلفت أن لا تعود إلى مثله أبداً. ففي هذه الحكاية فوائد: منها أن العمل بالأجرة وإن كان أمراً مشروعاً لكن الحبيب اختار طاعة الحبيب وعد ذلك العمل من قبيل الاستناد إلى الغير مع أنه تعالى قال: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين».

ومنها: أن الصبر مؤد إلى الفتح ولو كان بعد حين فلا بد من الصبر وترك الجزع، ومنها أن تلك المرأة عرفت الحال فتابت إلى الله المتعال واختارت القوت والقناعة ولازمت العبادة والطاعة فإن من أعرض عن الحق بعد ظهور البرهان فقد خان نفسه وأهان ألا ترى أن قوم إبراهيم بعدما استبان لهم الحق رجعوا إلى الكفر والإصرار وعبادة الأصنام من الخشب والأحجار فأهلكهم الله تعالى بالبعوض الصغار، وفي «المثنوي»:

هست دنيا قهر خانه كردكار　　قهر بين چون قهر كردى اختيار
استخوان وموى مقهوران نكر　　تيغ قهر افكنده اندر بحر وبر

﴿قالوا حرقوه﴾ أي: قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وهكذا ديدن المبطل المحجوج إذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح لا يبقى له مفزع إلا المناصبة واتفقت كلمتهم على إحراقه لأنه أشد العقوبات. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إن الذي أشار بإحراقه رجل من أعراب العجم يعني من الأكراد ولعمري إنهم لفي فسادهم وجفائهم وغلوهم في تعذيب الناس بعد يقدمون ولا ينفكون عن ذلك ما ترى للإسلام الذي هو دين إبراهيم الخليل عليهم أثراً في خلق ولا عمل خلقهم نهب أموال المسلمين وعلمهم ظلم وسرقة وقتل وقطع الطريق والله ما هؤلاء بأهل الملة الغراء لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء إياك والمصاحبة بأصلحهم والمرور ببلادهم ﴿وانصروا آلهتكم﴾ بالانتقام لها ﴿إن كنتم فاعلين﴾ أمراً في إهلاكه يعني أن الإحراق هو المعتد به في هذا الباب. وقصته أنه لما اجتمع نمرود وقومه لإحراقه عليه السلام حبسوه في بيت بنوا له حائطاً كالحظيرة ارتفاعه ستون ذراعاً وذلك في جنب جبل كوثى وهي بالضم قرية بالعراق ثم جمعوا له الحطب الكثير حتى أن الرجل المريض كان يوصي بشراء الحطب وإلقائه فيها وكانت المرأة لو مرضت قالت: إن عافاني الله لأجمعن حطباً

لإبراهيم وكانت تنذر في بعض ما تطلب لئن أصابته لتحتطبن في نار إبراهيم وتغزل وتشتري الحطب بغزلها فتلقيه في ذلك البنيان احتساباً في دينها. وكانت امرأة عجوز نذرت أن تحمل الحطب إلى نار إبراهيم فحملت حزمة حطب وذهبت بها إلى موضع النار فاعترضها ملك في الطريق وقال: أين تذهبين يا عجوز فقالت: أريد نار إبراهيم فقال: طول الله طريقك وقصر خطاك فأقامت تسير والحطب فوق رأسها وهي جيعانة عطشانة حتى ماتت لعنها الله تعالى قيل: جمعوا له أصناف الحطب من أنواع الخشب على ظهر الدواب أربعين يوماً. قال الكاشفي: [وروغن فراوان برهيمه ريختند] يقال: إن جميع الدواب امتنعت من حمل الحطب إلا البغال فعاقبها الله أن أعقمها كما في «القصص». وذكر في فضائل القدس عن سعيد بن عبد العزيز أنه قال في زمن بني إسرائيل في بيت المقدس عند عين سلوان وعين سلوان في القدس الشريف كزمزم في مكة وكانت المرأة إذا قذفت أتوا بها فسقوها من ماء هذه العين فإن كانت بريئة لم يضرها وإن كانت سقيمة ماتت فلما حملت مريم أم عيسى عليه السلام أتوا بها وحملوها على بغلة فعثرت بها فدعت الله تعالى أن يعقم رحمها فعقمت من ذلك اليوم فلما أتتها شربت منها فلم تزد إلا خيراً فدعت الله تعالى أن لا يفضح امرأة مؤمنة فغارت انتهى. ثم أوقدوا الحطب سبعة أيام فلما اشتعلت النار صار الهواء بحيث لو مر الطير في أقصى الجو لاحترق من شدة وهجها أي: شدة حرها.

ـ روي ـ أنهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها لعدم تأتي القرب منها فجاء إبليس في صورة شيخ وعلمهم عمل المنجنيق. قال في «إنسان العيون» أول من وضع المنجنيق إبليس فإنه لما جعلوا في الحطب النار ووصلت النار إلى رأس الجدار المرتفع المبني جنب الجبل لم يدروا كيف يلقون إبراهيم فتمثل لهم إبليس في صورة نجار فصنع لهم المنجنيق ونصبوه على رأس الجبل ووضعوه فيه وألقوه في تلك النار وأول من رمى به في الجاهلية جذيمة الأبرش وهو أول من أوقد الشمع انتهى. وقيل: صنعه لهم رجل من الأكراد وكان أول من صنع المنجنيق فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ثم عمدوا إلى إبراهيم فوضعوه في كفة المنجنيق مقيداً مغلولاً فصاحت السماء والأرض ومن فيها من الملائكة إلا الثقلين صيحة واحدة أي: ربنا ما في أرضك أحد يعبدك غير إبراهيم وإنه يحرق فيك فائذن لنا في نصرته فقال تعالى: إن استغاث بأحد منكم لينصره فقد أذنت له في ذلك فإن لم يدع غيري فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فإنه خليلي ليس لي خليل غيره وأنا إلهه ليس له إله غيري فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن الرياح فقال: إن شئت طيرت النار في الهواء وأتاه خازن المياه فقال: إن أردت أخمدت النار فقال إبراهيم لا حاجة لي إليكم ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض من يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل وأقبلت الملائكة فلزموا كفة المنجنيق فرفعه أعوان النمرود فلم يرتفع فقال لهم إبليس: أتحبون أن يرتفع؟ قالوا: نعم قال: ائتوني بعشر نسوة فأتوه بهن فأمرهن بكشف رؤوسهن ونشر شعورهن ففعلوا ذلك فمدت الأعوان المنجنيق وذهبت الملائكة فارتفع إبراهيم في الهواء كما في «القصص» وذلك أن الملك لا يرى الرأس المكشوف من المرأة بخلاف الجني ولذا لما رأى نبينا عليه السلام الملك في بدء الوحي فزع منه فأجلسته خديجة رضي الله عنها في حجرها وألقت خماراً وهو ما يعطي به الرأس ثم قالت: هل تراه قال: لا قالت: يا

ابن عم اثبت وأبشر فوالله إنه لملك ما هذا بشيطان وحين ألقي في النار قال: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك.

قال في «التأويلات النجمية» إذا أراد الله تعالى أن يكمل عبداً من عباده المخلصين يفديه بخلق عظيم كما أنه تعالى إذا أراد استكمال حوت في البحر يفديه بكثير من الحيتان الصغار فلما أراد تخليص ابريز الخلة من غش البشرية جعل النمرود وقومه فداء لإبراهيم حتى أجمعوا على تحريقه بعد أن علموا أنهم ظالمون فوضعوه في المنجنيق ورموه إلى النار فانقطع رجاؤه عن الخلق بالكلية متوجهاً إلى الله تعالى مستسلماً نفسه إليه حتى أن جبريل عليه السلام أدركه في الهواء فامتحنه بقوله هل لك من حاجة؟ وما كان فيه من الوجود ما تتعلق به الحاجة فقال: أما إليك فلا قال له جبريل: سل ربك امتحاناً له فأخفى سره عن جبريل غيرة على حاله فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي وما أظهر عليه حاله فأدركته العناية الأزلية بقوله:

﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ البرد خلاف الحر والسلام التعري من الآفات أي: كوني ذات برد من حرك وسلامة من بردك فزال ما فيها من الحرارة والإحراق وبقي ما فيها من الإضاءة والإشراق واختاره المحققون لدلالة الظاهر عليه وهذا كما ترى من أبدع المعجزات فإن انقلاب النار هواء طيباً وإن لم يكن بدعاً من قدرة الله لكن وقوع ذلك على هذه الهيئة مما يخرق العادات وقيل: كانت النار بحالها إلا أنه تعالى خلق في جسم إبراهيم كيفية مانعة من وصول أذى النار إليه كخزنة جهنم في الآخرة وكما أنه ركب بنية النعامة بحيث لا يضرها ابتلاع الحديدة المحماة وبدن السمندل بحيث لا يضره المكث في النار كما يشعر به ظاهر قوله على إبراهيم قيل فبردت نار الدنيا يومئذٍ ولم ينتفع بها أحد من أهلها ولو لم يقل على إبراهيم لبقيت ذات برد أبداً على كافة الخلق بل على جميع الأنبياء ولو لم يقل سلاماً بعد قوله برداً لمات إبراهيم من بردها. قال في «الكبير» أما كونها سلاماً عليه فلأن البرد المفرط مهلك كالحر بل لا بد من الاعتدال وهو إما بأن يقدر الله بردها بمقدار لا يؤثر أو بأن يصير بعض النار برداً ويبقى بعضها على حرارته أو بأن يزيد في حرارة جسمه حتى لا يتأثر ببردها. قيل: جعل كل شيء يطفىء عنه النار إلا الوزغة فإنها كانت تنفخ النار ولذا أمر النبي عليه السلام بقتلها. قيل: لما ألقي في النار كان فيها أربعين يوماً أو خمسين وقال: ما كنت أطيب عيشاً زماناً من الأيام التي كنت فيها في النار كما قال بعض العارفين في جبل لبنان وكان يأكل أصول النبات وأوراق الشجر ظننت أن حالي أطيب من حال أهل الجنة، قال الحافظ:

عاشقاً نرا كردر آتش مينشا ندمهر دوست تنك چشمم كر نظر در چشمه كوثر كونم

قيل لما رموه في النار: أخذت الملائكة بضبعي إبراهيم وأقعدوه في الأرض فإذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس. قال الكاشفي: [چون ابراهيم بميدان آتش فرود آمد في الحال غل وبند او بسوخت] فبعث الله تعالى ملك الظل في صورة إبراهيم فجاء فقعد إلى جنب إبراهيم يؤنسه وأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص وأجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال: يا إبراهيم إن ربك يقول: أما علمت أن النار لا تضر أحبابي ثم نظر النمرود

من صرح له وأشرف على إبراهيم فرآه جالساً في روضة مؤنقة ومعه جليس على أحسن ما يكون من الهيئة والنار محيطة به فناداه: يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال: نعم قال: قم فاخرج، فقام يمشي حتى خرج فاستقبله النمرود وعظمه وقال: من الرجل الذي رأيته معك في صورتك؟ قال: ذلك ملك الظل أرسله ربي ليؤنسني فيها فقال له النمرود: إني مقرب إلى إلٓهك قرباناً لما رأيته من قدرته وعزته فيما صنع بك وإني ذابح له أربعة آلاف بقرة فقال إبراهيم لا يقبل الله منك ما كنت على دينك هذا قال النمرود: لا أستطيع ترك ملكي وملتي لكن سوف أذبحها له ثم ذبحها وكف عن إبراهيم. وفي «القصص» قال له النمرود: أي: بعد الخروج: ما أعجب سحرك يا إبراهيم قال: ليس هذا سحر ولكن الله جعل النار عليّ برداً وسلاماً وألبسني ثوب العز والبهاء فقال له النمرود: فمن ذلك الرجل الذي كان جالساً عن يمينك والرجال الذين كانوا حولك فقال له إبراهيم: فمن ملائكة ربي بعثهم إلي يؤنسونني ويبشرونني بأن الله قد اتخذني خليلاً فتحير النمرود ولم يدر ما يصنع بإبراهيم فحدثته نفسه بالجنون وقال: لأصعدن إلى السماء وأقتل إلٓهك فأمر أن يصنع له تابوت وثيق كما سبق في أواخر سورة إبراهيم.

ـ وروي ـ أنهم لما رأوه سالماً لم يحترق منه سوى وثاقه قال هاران أبو لوط عليه السلام: إن النار لا تحرقه لأنه سحر النار لكن اجعلوه على شيء وأوقدوا تحته فإن الدخان يقتله ففعلوا فطارت شرارة إلى لحية أبي لوط فأحرقتها.

ـ روي ـ أن إبراهيم ألقي في النار وهو ابن ست عشرة سنة. فإن قلت: هل وجد القول من الله تعالى حيث قال: ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً﴾ أو هو تمثيل؟ قلت: جعل الله النار باردة من غير أن يكون هناك قول وخطاب لقوله تعالى: ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. وذهب بعضهم إلى أن ذلك القول قد وجد والقائل هو الله أو جبريل قال بأوامر الله. قال ابن عطاء سلام إبراهيم من النار بسلامة صدره لما حكى الله عنه ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات: ٨٤] أي: خالٍ من جميع الأسباب والعوارض وبردت عليه النار لصحة توكله ويقينه مع أن نار العشق غالبة على كل شيء، وفي «المثنوي»:

عشق آن شعله است كو چون بر فروخت — هرچه جز معشوق باقى جمله سوخت
در پناه لطف حق بايد كريخت — كو هزاران لطف بر ارواح ريخت
تا پناهى يابى آنكه چون پناه — آب وآتش مر ترا كردد سپاه
نوح وموسى را نه دريا يار شد — نى بر اعدا شان بكين قهارشد
آتش ابراهيم را نى قلعه بود — تا برآورد از دل نمرود دود
كوه يحيى را نه سوى خويش خواند — قاصدانش را بزخم سنك راند
كفت اى يحيى بيا در من كريز — تا پناهت باشم از شمشير تيز

فإن قلت لم ابتلاه الله بالنار في نفسه؟ قلت: كل رسول أتى بمعجزة تناسب أهل زمانه فكان أهل ذلك الزمان يعبدون النار والشمس والنجوم معتقدين أنها من حيث أرواحها تربي الهياكل والأجسام بخاصية طبائع هن عليها فأراهم الله تعالى الحق أن العنصر الأعظم عندهم هو حقيقة الشمس وروح كرة الأثير والنجوم ولا تضر تلك الآلهة إلا بإذن الله بسريان القدرة القاهرة في حقائق العناصر. وقيل: ابتلاه الله بالنار لأن كل إنسان يخاف بالطبع من صفة القهر كما قيل لموسى: ﴿وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٢١] فأراه تعالى أن النار لا تضر

شيئاً إلا بإذن الله تعالى وإن ظهرت بصفة القهر ولذلك أظهر الجمع بين التضاد بجعلها برداً وسلاماً ومعجزة قاهرة لأعدائه المعتقدين بوصف الربوبية للعنصر الأعظم فكان ابتلاؤه بالنار معجزة ساطعة لعبدة النيران والنجوم كذا في «أسئلة الحكم» **﴿وأرادوا به كيداً﴾** مكراً عظيماً في الاضرار به **﴿فجعلناهم الأخسرين﴾** أي: أخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم في إطفاء نور الحق برهاناً قاطعاً على أنه على الحق وهم على الباطل وموجباً لارتفاع درجته واستحقاقهم لأشد العذاب، وفي «المثنوي»:

هركه بر شمع خدا آرد پفو شمع كى ميرد بسوزد پوز او
چون توخفاشان بسى بينند خواب كين جهان ماند يتيم از آفتاب
اى بريده آن لب وحلق ودهان كه كند تف سوى مه با آسمان
تف برويش باز كردد بى شكى تف سوى كردون نيابد مسلكى
تا قيامت تف برو بارد زرب همچو تبت برروان بو لهب

وقيل: **﴿فجعلناهم الأخسرين﴾** أي: من الهالكين بتسليط البعوض عليهم وقتله إياهم وهو أضعف خلق الله تعالى وما برح النمرود حتى رأى أصحابه قد أكلت البعوض لحومهم وشربت دماءهم ووقعت واحدة في منخره فلم تزل تأكل إلى أن وصلت إلى دماغه وكان أكرم الناس عليه الذي يضرب رأسه بمرزبة من حديد فأقام بهذا نحواً من أربعمائة سنة وقد سبق في سورة النحل **﴿ونجيناه﴾** أي: إبراهيم من الإحراق ومن شر النمرود.

﴿ولوطاً﴾ هو ابن أخي إبراهيم اسمه هاران مهاجراً **﴿إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾** أي: من العراق إلى الشام. قيل: كانت واقعة إبراهيم مع النمرود بكوثى في حدود بابل من أرض العراق فنجاه الله من تلك البقعة إلى الأرض المباركة الشامية. وعن سفيان أنه خرج إلى الشام فقيل له: إلى أين؟ فقال: إلى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقد كان الله تعالى بارك في الأرض المقدسة ببعث أكثر الأنبياء فيها ونشر شرائعهم هي البركات الحقيقية الموصلة للعالمين إلى الكمالات والسعادة الدينية والدنيوية وبكثرة الماء والشجر والثمر والحطب وطيب عيش الغني والفقير. وقال أبي بن كعب: سماها مباركة لأن ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وقد كان لوط النبي آمن بإبراهيم بن تارخ وهو لوط بن هاران بن تارخ بن تاخور وآزر لقب تارخ وكان هاران وإبراهيم أخوين وآمنت به أيضاً سارة بنت عم إبراهيم وسارة بنت هاران الأكبر عم إبراهيم فخرج من كوثى مهاجراً إلى ربه ومعه لوط وسارة يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ثم ارتحل منها! ونزل بفلسطين ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر ثم خرج من مصر وعاد إلى أرض الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وبعثه الله نبياً إلى أهلها.

ـ روي ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الأرض ألزمهم إلى مهاجر إبراهيم» أراد عليه السلام بالهجرة الثانية الهجرة إلى الشام والمقصود ترغيب الناس في المقام بها وفي الحديث «بيت المقدس أرض الحشر والنشر والشام صفوة الله من بلاده يجيء إليها صفوته من خلقه» وفي المرفوع «عليكم بالشام».

سعد يا حب وطن كرچه حديث است صحيح
نتوان مرد بسختى كه من اينجا زادم

وفي «المثنوي»:

مسكن يارست وشهر شاه من پيش عاشق اين بود حب الوطن

﴿ووهبنا له﴾ أي: لإبراهيم بعد نزوله في الأرض المباركة وطلب الولد منها ﴿إسحاق﴾ ولداً لصلبه من سارة معناه بالعبرانية الضحاك كما أن معنى إسماعيل بها مطيع لله ﴿ويعقوب﴾ أي: ووهبنا له يعقوب أيضاً حال كونه ﴿نافلة﴾ أي: ولد ولد فهو حال من المعطوف عليه فقط لعدم اللبس وسمي يعقوب لأنه خرج عقيب أخيه عيص أو متمسكاً بعقبه. قال في «القاموس»: النافلة الغنيمة والعطية وما تفعله مما لم يجب كالنفل وولد الولد ﴿وكلا﴾ أي: كل واحد من هؤلاء الأربعة بعضهم دون بعض ﴿جعلنا صالحين﴾ بأن وفقناهم للصلاح في الدين والدنيا فصاروا كاملين.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وجعلناهم أئمة﴾ يقتدى بهم في أمور الدين ﴿يهدون﴾ أي: الأمة إلى الحق ﴿بأمرنا﴾ لهم بذلك وإرسالنا إياهم حتى صاروا مكملين ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل إلى العلم.

يقول الفقير: جعلوا المصدر من المبني للمفعول بمعنى أن يفعل الخيرات بناء على أن التكاليف يشترك فيها الأنبياء والأمم ولكن قوله تعالى في أواخر هذه السورة ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات﴾ وقوله تعالى في سورة مريم حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١] ينادي على أنه من المبني للفاعل ولا يضر ذلك في الاشتراك إذ الأنبياء أصل في الذي أوحي إليهم من الأوامر ﴿وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ عطف الخاص على العام دلالة على فضله وحذفت تاء الإقامة المعوضة من إحدى الألفين لقيام المضاف إليه مقامه ﴿وكانوا لنا﴾ خاصة دون غيرنا ﴿عابدين﴾ لا يخطر ببالهم غير عبادتنا والعبادة غاية التذلل.

قال في «التأويلات النجمية» قوله: ﴿ووهبنا﴾ يشير إلى أن الأولاد من مواهب الحق لا من مكاسب العبد وقوله: ﴿وكلاً جعلنا صالحين﴾ يشير إلى أن الصلاحية من المواهب أيضاً وحقيقة الصلاحية حسن الاستعداد الفطري لقبول الفيض الإلهي وقوله: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ يشير إلى أن الإمامة أيضاً من المواهب وأنه ينبغي أن الإمام يكون هادياً بأمر الله لا بالطبع والهوى وإن كان له أصل البداية وقوله: ﴿وأوحينا﴾ الخ يشير إلى أن هذه المعاملات لا تصدر من الإنسان إلا بالوحي للأنبياء وبالإلهام للأولياء وأن طبيعة النفس الإنسانية أن تكون أمارة بالسوء انتهى.

واعلم أن آخر الآيات نبه على أهل الإخلاص بالعبارة وعلى غيره بالإشارة فالأول هو العبد المطلق والثاني هو عبد هواه ودنياه وفي الحديث «تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار» خصصهما بالذكر لأنهما معظم ما يعبد من دون الله تعالى. وعن يحيى بن معاذ أنه قال: الناس ثلاثة أصناف: رجل شغله معاده عن معاشه، ورجل شغله معاشه عن معاده، ورجل مشتغل بهما جميعاً فالأول درجة العابدين والثاني درجة الهالكين والثالث درجة المخاطرين، وفي «المثنوي»:

آدمـی راهـسـت دركـار دسـت ‏ ليك ازو مقصود اين خدمت بدست
تـاجـلا بـاشـد مـريـن آيـيـنـه را ‏ كـه صـفـا آيـد ز طـاعـت سـيـنـه را
جـهـد كـن تـانـور تـورخـشـان شـود ‏ تـاسـلـوك وخـدمـتـت آسـان شـود
بـنـد بـكـسـل بـاش آزاد اى پـسـر ‏ چـنـد بـاشـى بـنـد سـيـم وبـنـد زر
هـركـه از ديـدار بـر خـوردار شـد ‏ ايـن جـهـان درچـشـم اومـردار شـد
بـاز اكـر بـاشـد سـپـيـد وبـى نـظـيـر ‏ چونكه صيدش موش باشد شد حقير

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿ولوطاً﴾ منصوب بمضمر يفسره قوله: ﴿آتيناه﴾ أي: وآتينا لوطاً آتيناه ﴿حكماً﴾

قال في «التأويلات النجمية» حكمة حقيقة، وفي «بحر العلوم» هو ما يجب فعله، وفي «الجلالين» فصلاً بين الخصوم بالحق. يقول الفقير: الحكم وإن كان أعم من الحكمة لكنه في حق الأنبياء بمعناها غالباً كما يدل عليه قوله تعالى في حق يحيى عليه السلام: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢] وهو الفهم عن الله تعالى وقوله تعالى في حق داود عليه السلام: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١] فرق بين الملك والحكمة والعلم فيكون معنى قوله: ﴿وعلماً﴾ أي: علماً نافعاً يتعلق بأمور الدين وقواعد الشرع والملة ﴿ونجيناه من القرية﴾ قرية سدوم أعظم القرى المؤتفكة أي: المنقلبة المجعول عاليها سافلها وهي سبع كما سبق ﴿التي كانت تعمل الخبائث﴾ جمع خبيثة والخبيثة ما يكره رداءة وخساسة يتناول الباطل في الاعتقاد والكذب في المقال والقبيح في الفعال وأعوذ بك من الخبث والخبائث أي: من ذكور الشياطين وإناثها والمراد هٰهنا اللواطة وصفت القرية بصفة أهلها وأسندت إليها على حذف المضاف وإقامتها مقامه كما يوزن به قوله: ﴿إنهم كانوا قوم سوء﴾ [كروهى بد]. قال الراغب: السوء كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ومن الأحوال النفسية والبدنية والخارجية من فوات مال وفقد حميم ويعبر به عن كل ما يقبح وهو مقابل الحسن ﴿فاسقين﴾ أي: منهمكين في الكفر والمعاصي متوغلين في ذلك، وبالفارسية [بيرون رفتكان ازدائره فرمان]. وفي الآية إشارة إلى أن النجاة من الجليس السوء من المواهب والاقتران معه من الخذلان.

زيـنـهـار ازقـريـن بـد زنـهـار ‏ وقـنـا ربـنـا عـذاب الـنـار

وفي «المثنوي»:

هـر حـويـجـى بـاشـدش كـردى دكـر ‏ درمـيـان بـاغ ازسـيـر وكـبـر
هـريـكـى بـاجـنـس خـود دركـرد خـود ‏ از بـراى پـخـتـكـى نـم مـيـخـورد
تـوكـه كـرد زعـفـرانـى زعـفـران ‏ بـاش آمـيـزش مـكـن بـاضـمـيـران
آب مـيـخـور زعـفـرانـا تـارسـى ‏ زعـفـرانـى انـدران حـلـوا رسـى
تـومـكـن دركـرد شـلـغـم پـوز خـويـش ‏ تـانـكـردد بـاتـواو هـمـطـبـع وكـيـش
تـوبـكـردى او بـكـردى مـودعـه ‏ زانـكـه ارض الله آمـد واسـعـه

﴿وأدخلناه في رحمتنا﴾ في أهل رحمتنا الخاصة ﴿إنه من الصالحين﴾ الذين سبقت لهم منا الحسنى.

قال في «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الرحمة على نوعين: خاص وعام، فالعام منها يصل إلى كل بر وفاجر كقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] والخاص لا يكون إلا للخواص وهو الدخول في الرحمة وذلك متعلق بالمشيئة وحسن الاستعداد ولهذا قال: ﴿إنه من الصالحين﴾ المستعدين لقبول فيض رحمتنا والدخول فيها وهو إشارة إلى مقام الوصول فافهم جداً كقوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ [الشورى: ٨].

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿ونوحاً إذ نادى﴾ ظرف للمضاف المقدر أي: اذكر نبأه الواقع حين دعائه على قومه بالهلاك ﴿من قبل﴾ أي: من قبل هؤلاء المذكورين ﴿فاستجبنا له﴾ أي: دعاءه الذي هو قوله: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠]. قال في «بحر العلوم»: الاستجابة الإجابة لكن الاستجابة تتعدى إلى الدعاء بنفسها وإلى الداعي باللام ويحذف الدعاء إذا عدي إلى الداعي في الغالب فيقال: استجاب الله دعاءه أو استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه وهو الدليل على أن النداء المذكور بمعنى الدعاء لأن الاستجابة تقتضي دعاء ﴿فنجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ من الغم العظيم الذي كانوا فيه من أذية قومه. قال الراغب الكرب الغم الشديد من كرب الأرض قلبها بالحفر فالغم يثير النفس إثارة ذلك.

﴿ونصرناه﴾ نصراً مستتبعاً للانتقام والانتصار ولذلك عدي بمن حيث قيل: ﴿من القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ أولاً وآخراً ﴿إنهم كانوا قوم سوء﴾ [كروهى بديعنى كافر بودند چه كفر سر جمله همه بديهاست] ﴿فأغرقناهم أجمعين﴾ فإنه لم يجتمع الإصرار على التكذيب والانهماك في الشر والفساد في قوم إلا أهلكهم الله تعالى.

اعلم أن الدعاء إذا كان بإذن الله تعالى وخلوص القلب كما للأنبياء وكمل الأولياء يكون مقروناً بالإجابة.

ـ روي ـ أن زيد بن ثابت رضي الله عنه خرج مع رجل من مكة إلى الطائف ولم يعلم أنه منافق فدخلا خربة وناما فأوثق المنافق يد زيد وأراد قتله فقال زيد: يا رحمٰن أعني فسمع المنافق قائلاً يقول: ويحك لا تقتله فخرج المنافق ولم ير أحداً ثم وثم ففي الثالثة قتله فارس ثم حل وثاقه وقال: أنا جبريل كنت في السماء السابعة حين دعوت الله فقال الله تعالى: أدرك عبدي. ففي الحكاية أمور: منها لا بد لأهل الطريق من الرفيق لكن يلزم تفتيش حاله ليكون على أمان من المخلوق وقد كثر العدو في صورة الصديق في هذا الزمان، وفي «المثنوي»:

آدمى رادشمن پنهان بسيست آدمىء باحذر عاقل كسيست

وقد قيل في كل شيء عبرة والعبرة في الغراب شدة حذره. ومنها أن الدعاء من أسباب النجاة فرعها الله عليه حيث قال: ﴿فنجيناه﴾ بعد قوله: ﴿فاستجبنا له﴾ قال الحافظ:

مرا درين ظلمات آنكه رهنمائى كرد دعاى نيم شبى بود وكريه سحرى

وفي «المثنوي»:

آن نياز مريمى بودست ودرد كه چنان طفلى سخن آغازكرد
هركجا دردى دوا آنجا رود هركجا پستيست آب آنجا رود

ومنها أن الله تعالى يعين عبده المضطر من حيث لا يحتسب إذ كل شيء جند من جنوده كما حكي أن سفينة مولى رسول الله عليه السلام أخطأ الجيش بأرض الروم فأسر فانطلق هارباً يلتمس فإذا هو بالأسد فقال: يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله وكان من أمري كيت وكيت فأقبل الأسد يبصبص حتى قام إلى جانبه كلما سمع صوتاً أهوى إليه فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش ثم رجع الأسد، قال الشيخ سعدي قدس سره:

يكى ديدم از عرصه رودبار ... كه پيش آمدم برپلنكى سوار
چنان هول ازان حال بر من نشست ... كه ترسيدنم پاى رفتن به بست
تبسم كنان دست برلب كرفت ... كه سعدى مدار آنچه آيد شكفت
توهم كردن از حكم داور مپيچ ... كه كردن نپيچد زحكم توهيچ
محالست چون دوست دارد ترا ... كه دردوست دشمن كذارد ترا

ومنها: أن الملك يتمثل لخواص البشر. قال الغزالي رحمه الله في «المنقذ من الضلال» إن الصوفية يشاهدون الملائكة في يقظتهم أي: لحصول طهارة نفوسهم وتزكية قلوبهم وقطعهم العلائق وحسمهم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال وإقبالهم على الله تعالى بالكلية علماً دائماً وعملاً مستمراً:

شد فرشته ديدن ازشان فرشته خصلتى

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث﴾ أي: اذكر خبرهما وقت حكمهما في وقت الحرث وهو بالفارسية [كشت] **﴿إذ نفشت﴾** تفرقت وانتشرت ظرف للحكم **﴿فيه غنم القوم﴾** ليلاً بلا راع فرعته وأفسدته فإن النفش أن ينتشر الغنم ليلاً بلا راع والغنم محركة الشاة لا واحد لها من لفظها الواحدة شاة وهو اسم مؤنث للجنس يقع على الذكور والإناث وعليهما جميعاً كما في «القاموس» **﴿وكنا لحكمهم﴾** أي: لحكم الحاكمين والمتحاكمين إليهما. فإن قيل: كيف يجوز أن يجعل الضمير لمجموع الحاكمين والمتحاكمين وهو يستلزم إضافة المصدر إلى فاعله ومفعوله دفعة واحدة وهو إنما يضاف إلى أحدهما فقط لأن إضافته إلى الفاعل على سبيل القيام به وإضافته إلى المفعول على سبيل الوقوع عليه فهما معمولان مختلفان فلا يكون اللفظ الواحد مستعملاً فيهما معاً وأيضاً أنه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لأن إضافته إلى الفاعل حقيقة وإلى المفعول مجاز فالجواب أن هذه الإضافة لمجرد الاختصاص مع كون القطع عن كون المضاف إليه فاعلاً أو مفعولاً على طريق عموم المجاز كأنه قيل وكنا للحكم المتعلق بهم **﴿شاهدين﴾** حاضرين علماً وهو مقيد لمزيد الاعتناء بشأن الحكم.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أنا كنا حاضرين في حكمهما معهما وإنما حكما بإرشادنا لهما ولم يخطىء أحد منهما في حكمه إلا أنا أردنا تشييد بناء الاجتهاد بحكمهما عزة وكرامة للمجتهدين ليقتدوا بهما مستظهرين بمساعيهم المشكورة في الاجتهاد.

﴿ففهمناها﴾ أي: الحكومة **﴿سليمان﴾** وهو ابن إحدى عشرة سنة. وقال الكاشفي: [درسن سيزده سالكى].

قال في «التأويلات النجمية» يشير إلى رفعة درجة بعض المجتهدين على بعض وأن الاعتبار في الكبر والفضيلة بالعلم وفهم الأحكام والمعاني والأسرار لا بالسن فإنه فهم بالأحق والأصوب وهو ابن صغير وداود نبي مرسل كبير. وحكماً [كفته اند تو انكرى بهنرست نه بمال وبزركى بعقلست نه بسال]. وفي «القصص» إن بني إسرائيل حسدوا سليمان على ما أوتي من العلم في صغر سنه فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود إن الحكمة تسعون جزءاً سبعون منها في سليمان وعشرون في بقية الناس ﴿وكلا﴾ [هريك را زپدر وپسر] ﴿آتينا حكماً وعلماً﴾ كثيراً لا سليمان وحده فحكم كليهما حكم شرعي.

قال في «التأويلات النجمية» أي: حكمة وعلماً ليحكم كل واحد منهما موافقاً للعلم والحكمة بتأييدنا وإن كان مخالفاً في الحكم بحكمتنا ليتحقق صحة أمر الاجتهاد وأن كل مجتهد مصيب كما قال في «الإرشاد» وهذا يدل على أن خطأ المجتهد لا يقدح في كونه مجتهداً.

ـ روي ـ أنه دخل على داود عليه السلام رجلان فقال أحدهما إن غنم هذا دخلت في حرثي ليلاً فأفسدته فقضى له بالغنم إذ لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام فأخبراه بذلك فقال غير هذا أرفق بالفريقين فسمعه داود فدعاه فقال له بحق النبوة والأبوة إلا أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين؟ فقال: أرى أن تدفع الغنم إلى صاحب الأرض لينتفع بدرها ونسلها وصوفها والحرث إلى أرباب الغنم ليقوموا عليه أي: بالحرث والزرع حتى يعود إلى ما كان ويبلغ الحصاد ثم يترادّا فقال القضاء: ما قضيت وأمضى الحكم بذلك. قال في «الإرشاد» الذي عندي أن حكمهما كان بالاجتهاد فإن قول سليمان غير هذا أرفق بالفريقين ثم قوله أرى أن تدفع الخ صريح في أنه ليس بطريق الوحي وإلا لبت القول بذلك ولما ناشده داود لإظهار ما عنده بل وجب عليه أن يظهره ابتداء وحرم عليه كتمه ومن ضرورته أن يكون القضاء السابق أيضاً كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد انتهى والاجتهاد بذل الفقيه الوسع ليحصل له ظن بحكم شرعي وهو جائز للأنبياء عند أهل السنة ليدركوا ثواب المجتهدين وليقتدي بهم غيرهم ولذا قال عليه السلام: «العلماء ورثة الأنبياء» فإنه يستلزم أن تكون درجة الاجتهاد ثابتة للأنبياء ليرث العلماء عنهم ذلك إلا أن الأنبياء لا يقرون على خطأ وفي الحديث «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم واجتهد وأخطأ فله أجر» وفي كل حادثة حكم معين عند الله وعليه دليل قطعي أو ظني فمن وجده أصاب ومن فقده أخطأ ولم يأثم. فإن قيل لو تعين الحكم فالمخالف له لم يحكم بما أنزل الله فيفسق أو يكفر. قلنا إنه أمر بالحكم بما ظنه وإن أخطأ فقد حكم بما أنزل الله. قال في «بحر العلوم»: واعلم أن في هذه الآية دليلاً على أن المجتهد يخطىء أو يصيب وأن الحق واحد في المسائل الاجتهادية إذ لو كان كل من الاجتهادين صواباً وحقاً لكان كل منهما قد أصاب الحق وفهمه ولم يكن لتخصيص سليمان خلافه بالذكر جهة فإنه في هذا المقام يدل على نفي الحكم عما عداه وعلى أن للأنبياء اجتهاداً كما للعلماء على أنه لو كان كل مجتهد مصيباً لزم اتصاف الفعل الواحد بالنقيضين من الصحة والفساد والوجوب والحظر والإباحة وهو ممتنع، وفي «المثنوي»:

وهم افتد در خطا ودر غلط عقل باشد در اصابتها فقط
مجتهد هركه كه باشد نص شناس اندران صوت نينديشد قياس
چون نيايد نص اندر صورتى از قياس آنجا نمايد عبرتى

﴿وسخرنا﴾ [ورام ساختيم] ﴿مع داود الجبال﴾ مع متعلقة بالتسخير وهو تذليل الشيء وجعله طائعاً منقاداً. وسفن مواخر إذا أطاعت وطابت لها الريح ﴿يسبحن﴾ حال من الجبال أي: يقدسن الله تعالى بحيث يسمع الحاضرون تسبيحهن فإنه هو الذي يليق بمقام الامتنان لا انعكاس الصدى فإنه عام وكذا ما كان بلسان الحال فاعرف ﴿والطير﴾ عطف على الجبال وقدمت الجبال على الطير لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدر وأدخل في الإعجاز لأنها جماد والطير حيوان ﴿وكنا فاعلين﴾ قادرين على أن نفعل هذا وإن كان عجباً عندكم.

ـ روي ـ أن داود كان إذا مر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق إليه. قال الكاشفي: [مؤمن موقن بايدكه اعتقاد كند برين وجه كه كوهها ومرغان بموافقت داود بروجهى تسبيح مى كفته اندكه همه سامعانرا تركيب حروف وكلمات آن مفهوم ميشده واين معنى ازقدرت الهي غريب نيست]:

هر كجا قدرتش علم افراخت ازغرائب هر آنچه خواست بساخت
قدرتى را كه نيست نقصانش كارها جمله هست آسانش

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الذاكر لله إذا استولى عليه سلطان الذكر تتنور أجزاء وجوده بنور الذكر فيتجوهر قلبه وروحه بجوهر الذكر فربما ينعكس نور الذكر من مرآة القلب إلى ما يحاذيها من الجمادات والحيوانات فتنطقه بالذكر فتارة يذكر معه أجزاء وجوده وتارة يذكر معه بعض الجمادات والحيوانات كما كانت الحصاة تسبح في يد رسول الله ﷺ والضب يتكلم معه.

ـ وروي ـ عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال: كنا نأكل الطعام ونسمع تسبيحه انتهى. وفي «عرائس البقلي» رحمه الله كان يطلب كل وقت مكاناً خالياً لذكره وأنسه فيدخل الجبال لأنها ملتبسة بأنوار قدرته خالية عن صنع أهل الحدثان باقية على ما أخرجت من العدم بكسوة نور القدم فإذا كان مسبحاً سبحت الجبال معه والطير بلسان نور الفعل الحق كأنه تعالى ينزه نفسه بتنزيه داود حيث غلب على داود سطوات عظمته ونور كبريائه. قال محمد بن علي رحمه الله: جعل الله الجبال تسلية للمجذوبين وأنساً للمكروبين والانس الذي في الجبال هو أنها خالية عن صنع الخلائق فيها بحال باقية على صنع الخالق لا أثر فيها لمخلوق فتوحش والآثار التي فيها آثار الصنع الحقيقي عن غير تبديل ولا تحويل انتهى. قال ابن عباس رضي الله عنهما إن بني إسرائيل كانوا قد تفرقوا قبل مبعث داود وأقبلوا على ملاهي الشيطان وهي العيدان والطنابير والمزامير والصنوج وما أشبهها فبعث الله داود وأعطاه من حسن الصوت ونغمة الألحان حتى كان يتلو التوراة بترجيع وخفض ورفع فأذهل عقول بني إسرائيل وشغلهم عن تلك الملاهي وصاروا يجتمعون إلى داود يستمعون ألحانه وكان إذا سبح تسبح معه الجبال والطير والوحش كما في «قصص الأنبياء»، قال الشيخ سعدي قدس سره:

به از روى زيباست آواز خوش كه اين حظ نفس است وآن قوت روح

وقال:

اشتر بشعر عرب در حالتست وطرب كرذوق نيست تراكژ طبع جانورى

وقال:

وعند هبوب الناشرات على الحمى تميل غصون البان لا الحجر الصلد

وكما أن الأصوات الحسنة والنغمات الموزونة تؤثر في النفوس فتجذبها من الشر إلى الخير بالنسبة إلى المستعد الكامل فكذا الأصوات القبيحة والنغمات الغير الموزونة تؤثر في النفوس فتفعل خلاف ما يفعل خلافها، وفي «المثنوي»:

يك مؤذن داشت بس آواز بد درميان كافرستان بانك زد
چند كفتندش مكو بانك نماز كه شود چنك وعداوتها دراز
او ستيزه كرد وبس بى احتراز كفت دركافرستان بانك نماز
خلق خائف شد زفتنه عامه خود بيامد كافرى باجامه
شمع وحلوا باچنان جامه لطيف هديه آورد وبيامد چون اليف
پرس پرسان كين مؤذن كوكجاست كه صلاى بانك اوراحت فزاست
دخترى درام لطيف وبس سنى آرزو مى بود اورا مؤمنى
هيچ اين سودا نمى رفت از سرش پندها ميداد چندى كافرش
هيچ چاره مى ندانستم دران تافرو خواند اين مؤذن آن اذان
كفت دختر چيست اين مكروه بانك كه بكوشم آمد اين دوچار دانك
من همه عمر اين چنين آواززشت هيچ نشنيدم درين ديرو كنشت
خواهرش كفتاكه اين بانك اذان هست اعلام وشعار مؤمنان
باورش نامد بپرسيد از دكر آن دكرهم كفت آرى اى قمر
چون يقين كشتش رخ او زردشد از مسلمانى دل اوسرد شد
بازرستم من زتشويش وعذاب دوش خوش خفتم داران بى خوف خواب
راحتم اين بود از آوازاو هديه آوردم بشكرآن مردكو
چون بديدش كفت اين هديه پذير چون مراكشتى مجيرو دستكير
كربمال وملك وثروت فردمى من دهانت را پرازرز كردمى

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿**وعلمناه صنعة لبوس**﴾ أي: عمل الدروع، وبالفارسية: [ساختن زره] والصنع إجادة الفعل فكل صنع فعل وليس كل فعل صنعاً والصناعة ككتابة حرفة الصانع وعمل الصنعة واللبوس في الأصل اللباس درعاً كان أو غيرها ولبس الثوب استتر به وكانت الدروع قبل داود صفائح أي: قطع حديد عراضاً فحلقها وسردها ﴿**لكم**﴾ أي: لنفعكم متعلق بعلمنا أو بمحذوف هو صفة لبوس. والمعجزة فيه أن فعل ذلك من غير استعانة بأداة وآلة من نحو الكير والنار والسندان والمطرقة. وكان لقمان يجلس مع داود ويرى ما يصنع ويهمّ أن يسأل عنها لأنه لم يرها قبل ذلك فيسكت فلما فرغ داود من الدرع قام وأفرغه على نفسه وقال: نعم الرداء هذا للحرب فقال لقمان عندها إن من الصمت لحكمة. قالت الحكماء وإن كان الكلام فضة فالصمت من ذهب.

اكر بسيار دانى اندكى كوى يكى راصد مكو صدرا يكى كوى

﴿**لتحصنكم**﴾ لتحرزكم أي: اللبوس بتأويل الدرع ودرع حصينة لكونها حصناً للبدن فتجوّز به في كل تحرز وهو بدل اشتمال من لكم بإعادة الجار لأن لتحصنكم في تأويل

لإحصانكم وبين الإحصان وضمير لكم ملابسة الاشتمال مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة المستفادة من لكم ﴿من بأسكم﴾ البأس هنا الحرب وإن وقع على السوء كله أي: من حرب عدوكم، وبالفارسية: [ازكارزار شما يعنى از قتل وجراحت دركار زار بمانندند تيغ وتيرو نيزه]. وفي الآية دلالة على أن جميع الصنائع بخلق الله وتعليمه وفي الحديث «إن الله خلق كل صانع وصنعه» وفي «المثنوي»:

قابل تعليم وفهمست اين خرد ليك صاحب وحى تعليمش دهد
جمله حرفتها يقين ازوحى بود اول اوليك عقل آنرا فزود

﴿فهل أنتم شاكرون﴾ ذلك يعني قد ثبت عليكم النعم الموجبة للشكر حيث سهل عليكم المخرج من الشدائد فاشكروا له. قال الكاشفي يعني: [شكر كوييد خدايرا برچنين لباس] فهو أمر وارد على صورة الاستفهام والخطاب لهذه الأمة من أهل مكة ومن بعدهم إلى يوم القيامة أخبر الله تعالى أن أول من عمل الدرع داود ثم تعلم الناس فعمت النعمة بها كل محارب من الخلق إلى آخر الدهر فلزمهم شكر الله على هذه النعمة. وقال بعضهم: الخطاب لداود وأهل بيته بتقدير القول أي: فقلنا لهم بعدما أنعمنا عليهم بهذه النعم بل أنتم شاكرون وما أعطى لكم من النعم التي ذكرت من تسخير الجبال له والطير وإلانة الحديد وعلم صنعة اللبوس. قيل: إن داود خرج يوماً متفكراً طالباً من يسأله عن سيرته في مملكته فاستقبل جبريل على صورة آدمي ولم يعرفه داود فقال له: كيف ترى سيرة داود في مملكته فقال له جبريل: نعم الرجل هو لولا أن فيه خصلة واحدة قال: وما هي قال: بلغني أنه يأكل من بيت المال وليس شيء أفضل من أن يأكل الرجل من كدّ يده فرجع داود وسأل الله أن يجعل رزقه من كدّ يده فألان له الحديد وكان يتخذ الدرع من الحديد ويبيعها ويأكل من ذلك. يقول الفقير: قد ثبت في الفقه أن في بيت المال حق العلماء وحق السادات ونحوهم فالأكل منه ليس بحرام عند أهل الشريعة والحقيقة لكن الترك أفضل لأهل التقوى كما دل عليه قصة داود وقس عليه الأوقاف ونحوها من الجهات المعينة وذلك لأنه لا يخلو عن شبهة في هذا الزمان مع أن الاستناد إلى الرزق المعلوم ينافي التوكل التام ولذا لم يأكل كثير من أهل الحق ربح المال الموقوف بل أكلوا مما فتح الله عليهم من الصدقات الطيبة من غير حركة ذهنية منهم فضلاً عن الحركة الحسية نعم أكل بعضهم من كسب يده قال الحافظ:

فقيه مدرسه دى مست بود وفتوى داد كه مى حرام ولى به زمال اوقافست

غلط الشراح في شرح هذا البيت وأقول تحقيقه أن قوله «ولى به» من كلام الحافظ لا من كلام المفتي. يعني أن الفقيه كان سكران من شراب الغفلة وحب الدنيا والاعتماد على مال المدرسة ولذا أنكر أهل حال العشق وجعل شرابهم الذي هو العشق حراماً ولكن ليس الأمر كما قال فإنه أولى من مال الوقف. يعني أن العشق والتوكل التام اللذين عليهما محققو الصوفية أفضل من الزهد والأكل من مال الوقف اللذين عليهما فقهاء العصر وعلماؤه فالإنكار يتعلق بالفقيه المعتمد لا بالعاشق المتوكل. قال العلماء: كان الأنبياء عليهم السلام يحترفون بالحرف ويتكسبون بالمكاسب. فقد كان إدريس خياطاً. وقد كان أكثر عمل نبينا عليه السلام في بيته الخياطة وفي الحديث «عمل الأبرار من الرجال الخياطة وعمل الأبرار من النساء الغزل» كما في «روضة الأخبار» وفي الحديث «علموا بنيكم السباحة والرمي ولنعم لهو المؤمنة مغزلها وإذا دعا

أبوك وأمك فأجب أمك» كما في «المقاصد الحسنة» للسخاوي وفي الحديث «صرير مغزل المرأة يعدل التكبير في سبيل الله والتكبير في سبيل الله أثقل في الميزان من سبع سموات وسبع أرضين» وفي الحديث «المغزل في يد المرأة الصالحة كالرمح في يد الغازي المريد به وجه الله تعالى»[٣] كما في «مجمع الفضائل». وكان نوح نجارا. وإبراهيم بزازاً وفي الحديث «لو اتجر أهل الجنة لاتجروا في البز ولو اتجر أهل النار لاتجروا في الصرف» كذا في «الأحياء». وداود زراداً. وآدم زراعاً وكان أول من حاك ونسج أبونا آدم. قال كعب: مرت مريم في طلب عيسى بحاكة فسألت عن الطريق فأرشدوها إلى غير الطريق فقالت: اللهم انزع البركة من كسبهم وأمتهم فقراء وحقرهم في أعين الناس فاستجيب دعاؤها ولذا قيل لا تستشيروا الحاكة فإن الله سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم. وكان سليمان يعمل الزنبيل في سلطته ويأكل من ثمنه ولا يأكل من بيت المال. وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة فإنه عليه السلام آجر نفسه قبل النبوة في رعي الغنم وقال: «وما من نبي إلا وقد رعاها» ومن حكمة الله في ذلك أن الرجل إذا استرعى الغنم التي هي أضعف البهائم سكن قلبه الرأفة واللطف تعطفاً فإذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق كان قد هرب أولاً من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي فيكون في أعدل الأحوال وحينئذٍ لا ينبغي لأحد عير برعاية الغنم أن يقول كان النبي عليه السلام يرعى الغنم فإن قال ذلك أدّب لأن ذلك كما علمت كمال في حق الأنبياء دون غيرهم فلا ينبغي الاحتجاج به ويجري ذلك في كل ما يكون كمالاً في حقه عليه السلام دون غيره كالأمية فمن قيل له أنت أمي فقال: كان عليه السلام أمياً يؤدب كما في «إنسان العيون».

يقول الفقير فقول السلطان سليم الأول من الخواقين العثمانية:

يك كدا بود سليمان بعصا وزنبيل — يافت از لطف توآن حشمت ملك آرايى
مصطفى بود يتيمى زعرب پست درت — دادش انعام توتاج شرف بالايى

ترك أدب لأنه يوهم التحقير في شأنهما العظيم. وكان صالح ينسج الأكسية جمع كساء بالفارسية [كليم]. وعيسى يخصف النعل ويرقعها. وأفضل الكسب الجهاد وهو حرفة رسول الله ﷺ بعد النبوة والهجرة. ثم التجارة بشرط الأمانة بحيث لا يخون على مقدار حبة أصلاً. ثم الحراثة. ثم الصناعة كما في «المختار والتحفة». ويجتنب المكاسب الخبيثة أي: الحرام والرديء أيضاً نحو أجرة الزانية والكاهن وهو الذي يخبر عن الكوائن المستقبلة أو عما مضى وعن نحوسة طالع أو سعد أو دولة أو محنة أو نحو ذلك. ويجتنب عن صنعة الملاهي ونحوها. وكره للرجل أن يكون بائع الأكفان لأنه يوجب انتظار موت الناس أو حناطاً يحتكر أو جزاراً وهو القصاب الذي يذبح الدواب لما فيه قساوة القلب. أو صائغاً بالفارسية [زركر] لما فيه من تزيين الدنيا وقد كرهوا كل ما هو بمعناه كصناعة النقش وتشييد البنيان بالجص ونحو ذلك. أو نخاساً وهو الذي يبيع الناس من الذكور والإناث. يقال: ثلاثة لا يفلحون: بائع البشر، وقاطع الشجر، وذابح البقر. وكره أن يكون حجاماً أو كناساً أو دباغاً وما في معناه لما فيه من مخالطة النجاسة. وكره ابن سيرين وقتادة أجرة الدلال لقلة اجتنابه عن الكذب وإفراطه في الثناء على السلعة لترويجها.

ـ روي ـ أن أول من دل إبليس حيث قال: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠] كما في «روضة الأخبار».

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿**ولسليمان الريح**﴾ أي: وسخرنا له الريح وتخصيص داود بلفظ مع وسليمان باللام للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت فإن تسخير ما سخر له عليه السلام من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلي له والامتثال بأمره ونهيه والمقهورية تحت ملكوته فجيء بلام التمليك وأما تسخير الجبال والطير لداود عليه السلام فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق التبعية له والاقتداء في عبادة الله تعالى ﴿**عاصفة**﴾ حال من الريح أي: حال كونها شديدة الهبوب من حيث إنها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة من الزمان وكانت لينة في نفسها طيبة كالنسيم فكان جمعها بين الرخاوة في نفسها وعصفها في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها حسبما يريد ويحتكم معجزة مع معجزة ﴿**تجري**﴾ [ميرفت] حال ثانية ﴿**بأمره**﴾ بمشيئته ﴿**إلى الأرض التي باركنا فيها**﴾ وهي الشام التي تذهب به غدوة من الشام إلى ناحية من نواحي الأرض وبينها وبين الشام مسيرة شهر إلى وقت الزوال ثم ترجع به منها بعد الزوال إلى الشام عند الغروب كما قال تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢]. قال مقاتل: عملت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ من ذهب في إبريسم وكان يوضع له منبر من ذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله كراسي من ذهب وفضة يقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تطلع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومن الرواح إلى المغرب وكان عليه السلام امرأ قلما يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الأرض ملكاً إلا أتاه ودعاه إلى الحق. قال الكاشفي: [در تلخيص آورده كه در شام شهرى بود تدمر نام كه ديوان براى سليمان بنياد ساخته بودند صباح از آنجا بيرون آمدى وياز نماز شام دير آيد آنجا آوردى. ودر مختار القصص آورده كه بامداد از تدمر بيرون آمدى وقيلوله در اصطخر فارس كردى وشبانكاه بكابل رفتى وروزى ديكر از كابل بيرون آمدى وچاشت در اصطخر بودى وشام بتدمر باز آمدى] وكانت تجري إلى حيث شاء سليمان ثم يعود إلى منزله بالشام.

ـ وروي ـ أن سليمان سار من العراق غادياً فقابل نمرود وصلى العصر ببلخ ثم سار من بلخ متخللاً بلاد الترك وأرض الصين ثم عطف منها على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى قندهار وخرج منها إلى مكران وكرمان حتى أتى فارس فنزلها أياماً وغدا منها بكسكر ثم راح إلى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر كما في «بحر العلوم»، قال الشيخ سعدي قدس سره:

نه برباد رفتى سحركاه وشام ... سرير سليمان عليه السلام

باخر نه ديدى كه برباد رفست ... خنك آنكه بادانش وداد رفست

﴿**وكنا بكل شيء عالمين**﴾ فنجريه على ما يقتضي علمنا وحكمتنا ﴿**ومن الشياطين**﴾ أي: وسخرنا له من الشياطين ﴿**من يغوصون له**﴾ أي: يدخلون تحت البحر ويستخرجون له من نفائسه. قال الراغب الغوص الدخول تحت الماء وإخراج شيء منه ويقال لكل من هجم على غامض فأخرجه غائص عيناً كان أو علماً والغواص الذي يكثر منه ذلك ﴿**ويعملون عملاً دون ذلك**﴾ أي: غير ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة وهؤلاء أما الفرقة

الأولى أو غيرها لعموم كلمة من كأنه قيل ومن يعملون.

- روي - أن المسخر له كفارهم لا مؤمنوهم لقوله تعالى: ﴿**ومن الشياطين**﴾ ﴿**وكنا لهم حافظين**﴾ أي: من أن يزيغوا عن أمره ويعصوا ويتمردوا عليه أو يفسدوا ما عملوا على ما هو مقتضى جبلتهم والشياطين وإن كانوا أجساماً لطيفة لكنهم يتشكلون بأشكال مختلفة ويقدرون على أعمال الشاقة ألا ترى أن لطافة الريح لا تمنع عصوفها لا سيما أنهم تكثفوا في زمن سليمان فكانوا بحيث يراهم الناس ويستعملونهم في الأعمال قال في «الأسئلة المقحمة»: فلماذا لم تخرج الشياطين عن طاعة سليمان مع استعمالهم في تلك الأمور الشديدة فالجواب أن الله تعالى أوقع لسليمان في قلوبهم من الخوف والهيبة حتى خافوا أن يخرجوا عن طاعته وهذا من معجزاته.

قال في «التأويلات النجمية»: من كمالية الإنسان أنه إذا بلغ مبلغ الرجال البالغين من الأنبياء والأولياء سخر الله له بحسب مقامه السفليات والعلويات من الملك والملكوت فسخر لسليمان عليه السلام من السفليات الريح والجن والشياطين والطير والحيوانات والمعادن والنبات ومن العلويات الشمس حين ردت لأجل صلاته كما سخر لداود عليه السلام الجبال والطير والحديد والأحجار التي قتل بها جالوت وهزم عسكره فسخر لكل نبي شيئاً آخر من أجناس العلويات والسفليات وسخر لنبينا عليه الصلاة والسلام من جميع أجناسها فمن السفليات ما قال عليه السلام: «زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها» وقال: «جعلت لي الأرض مسجداً وتربها طهوراً» وقال: «أتيت بمفاتيح خزائن الأرض» وكان الماء ينبع من بين أصابعه وقال: «نصرت بالصبا» وكانت الأشجار تسلم عليه وتسجد وتنقلع بإشارته عن مكانها وترجع والحيوانات كانت تتكلم معه وتشهد بنبوته وقال: «أسلم شيطاني على يدي» وغيره من السفليات وأما العلويات فقد انشق له القمر بإشارة أصبعه:

پس قمركه امر بشنيد وشتافت   پس دونيمه كشت برچرح وشكافت

وسخر له البراق وجبريل والرفرف وعبر السموات السبع والجنة والنار والعرش والكرسي إلى مقام قاب قوسين أو أدنى فما بقي شيء من الموجودات إلا وقد سخر له:

نه كسى دركرد توهركز رسيد   نه كسى رانيز چندين عز رسيد

وبقوله: ﴿**ومن الشياطين من يغوصون**﴾ الآية يشير إلى أنا كما سخرنا الشياطين له يعملون له الأعمال سخرنا للشياطين الأعمال والغوص والصنائع يصنعون بحفظ الله ما لا يقدرون عليه الآن.

﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿**وأيوب**﴾ أي: واذكر خبر أيوب. واختلفوا في أسماء نسبه بعد الاتفاق على الانتهاء إلى روم بن عيص بن ابراهيم عليه السلام.

- روي - أن الله تعالى استنبأ أيوب وأرسله إلى أهل حران وهي قرية بغوطة دمشق وكثر أهله وماله وكان له سبعة بنين وسبع بنات ومن أصناف البهائم ما لا يحصى فحسده ابليس وقال: [الهى بنده تودر عافيت وسعت عيش است مال بسيار وفرزندان بزركوار دارد اكر اورا

بانتزاع مال واولاد مبتلا سازى زود ازتو بكردد وطريق كفران نعمت پيش كيرد حق سبحانه وتعالى فرمودكه چنين نيست كه توميكويى اومارا بنده ايست پسنديده اكر هزار باردر بوته ابتلا بكداختم بى غش وخالص العيار آيد:

چنان در عشق يكرويم كه كر تيغم زنى برسر

برو ز امتحان باشم چو شمع استاده پابرجا

پس حق سبحانه وتعالى اقسام محن بروى كما شت شترانش بصاعقه هلاك شدند وكوسفندان بسبب سيل در كرداب فنا افتادند وزراعت بريح متلاشى شد واولاد در زير ديوار ماندند وقروح در جسد مباركش ظاهر شدوديدان پيدا كشتند وخلق ازوى كريخت بجززن او] فكان نظير إبراهيم عليه السلام في الابتلاء بالمال والولد والبدن. وقد قال بعض الكبار إن بلاء أيوب اختاره قبله سبعون نبياً فما اختاره الله إلا له وبقي في مرضه ثماني عشرة سنة أو سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات قالت له يوماً امرأته رحمة بنت افراييم بن يوسف: لو دعوت الله فقال لها: كم كانت مدة الرخاء؟ فقالت: ثمانين سنة فقال: أنا أستحيي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي [وهرسحر اين خطاب مستطاب بايوب مكروب رسيدى كه اى ايوب چكونه وايوب بذوق وشوق اين پرسش كوه بلا بجان مى كشيد وبآن بيمارى خوش بود]:

كربر سر بيمار خود آيى بعيادت صد ساله باميد توبيمار توان بود

وقد سلط الله على جسده اثني عشر ألف دودة لأنها عدد الجند الكامل كما قال عليه السلام «اثنا عشر ألفاً لن يغلب عن قلة أبداً» ولله عساكر كالدود والبعوض للنمرود والأبابيل لأصحاب الفيل والهدهد لعوج والعنكبوت والحمامة لرسول الله عليه السلام وأكل الدود جميع جسده حتى بقي العظام والقلب واللسان والأذنان والعينان ولما قصد قلبه الذي هو منبع المعرفة ومعدن النبوة والولاية ولسانه الذي هو مصدر الذكر ومورد التوحيد غار عليه وخاف أن ينقطع عن طاعة الله وتسبيحه بالكلية فإنه كان من ضعف الحال بحيث لا يستطيع القيام للصلاة فلما انتهى وقت الابتلاء وحصل الفناء التام في مقام البلاء وألهمه الله الدعاء ليوصله إلى مرتبة البقاء ويتجلى له بالجمال واللقاء بعد الجلال والأذى كما أخبر عنه بقوله: **﴿إذ نادى ربه﴾** أي: دعاه **﴿أني﴾** أي: بأني **﴿مسني﴾** أصابني **﴿الضر﴾** [رنج وسختى] قالوا: الضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من مرض وهزال ونحوهما **﴿وأنت أرحم الراحمين﴾** بين افتقاره إليه تعالى ولم يقل ارحمني لطفاً في السؤال وحفظاً للأدب في الخطاب فإن أكثر أسئلة الأنبياء في كشف البلاء عنهم إنما هي على سبيل التعريض.

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب

وقال الحافظ:

أرباب حاجتيم وزبان سؤال نيست در حضرت كريم تمناچه حاجتست

فإن قيل أليس صرح زكريا في الدعاء قال: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]. قلنا: هذا سؤال العطاء لا يجمل به التعريض ودلك كشف البلاء فيجمل به التعريض لئلا يشتبه بالشكاية.

ـ ويحكى ـ أن عجوزاً تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت: يا أمير المؤمنين مشت

جرذان بيتي على العصى فقال لها: الطفت في السؤال لا جرم لاردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حباً. فهذا القول من أيوب دعاء وتضرع وافتقار لا جزع وشكاية كما هو حال الاضطرار ولذا جاء جوابه بلفظ الاستجابة وقال تعالى في حقه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [ص: ٤٤] وعلى تقدير تضمنه الشكاية فقد اشتكى من البلوى إليه تعالى لا إلى غيره وهو لا ينافي الصبر الجميل كما قال يعقوب إنما أشكو بثي وحزني إلى الله فصبر جميل والعارف الصادق إذا كان متحققاً في معرفته فشكواه حقيقة الانبساط ومناداته تحقيق المناجاة وأساه في بلاء حبيبه حقيقة المباهاة ولسان العشق لسان التضرع والحكاية لا لسان الجزع والشكاية كما أشار العاشق:

بشنوازنى چون حكايت ميكند   از جداييها شكايت ميكند

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن كل ما كان لأيوب من الشكر والشكاية في تلك الحالة كان مع الله لا مع غيره وإلى أن بشرية أيوب كانت تتألم بالضر وهو يخبر عنها ولكن روحانيته المؤيدة بالتأييد الإلهي تنظر بنور الله وترى في البلاء كمال عناية المبتلي وعين مرحمته في تلك الصورة تربية لنفسه ليبلغها مقام الصبر ورتبة نعمة العبدية وهو يخبر عنها ويقول: **﴿مسني الضر﴾** من حيث البشرية بنور فضلك **﴿وأنت أرحم الراحمين﴾** عليّ بأنك تترحم عليّ بهذا البلاء ومس الضر وقوة الصبر عليه لتفني نفسي عن صفاتها وفي العجلة وتبقى بصفاتك: منها الصبر والصبر من صفات الله لا من صفات العبد كقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] والصبور هو الله تعالى.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿فاستجبنا له﴾ [پس اجابت كرديم دعاى وبرا] **﴿فكشفنا﴾** [بس ببرديم] **﴿ما به من ضر﴾** [آنچه ويرابود ازرنج يعنى اور اشفاداديم].

ـ روي ـ أنه قيل له يوم الجمعة عند السحر أو وقت زوال الشمس ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك أي: اضرب بها الأرض فركض فنبعت من تحتها عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دودة إلا سقطت ولا جراحة إلا برئت ثم ركض مرة أخرى فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج وعاد صحيحاً ورجع إلى شبابه وجماله ثم كسي حلة. قال بعض الكبار: السر في ابتلائه تصفية وجوده بالرياضات الشاقة وأنواع المجاهدات البدنية لتكميل المقامات العلية فأمر بضرب أرض النفس ليظهر له ماء الحياة الحقيقية متجسداً في عالم المثال فيغتسل به فتزول من بدنه الأسقام الجسمانية ومن قلبه الأمراض الروحانية فلما جاهد وصفا استعداده وصار قابلاً للفيض الإلهي ظهر له من الحضرة الروحانية ماء الحياء فاغتسل به فزال من ظاهره وباطنه ما كان سبب الحجاب والبعد عن ذلك الجناب الإلهي انتهى. وأراد الله تعالى أن يجعل الدود عزيزاً بسبب صحبة أيوب فإن الدود أذل شيء وصحبة الشريف تعزه كما أعز حوت يونس فلما تناثرت منه صعدت إلى الشجرة وخرج من لعابها الإبريسم ليصير لباساً ببركة أيوب، قال الشيخ سعدي قدس سره:

كلي خوشبوى درحمام روزى   رسيد ازدست محبوبى بدستم
بدو كفتم كه مشكى يا عبيرى   كه ازبوى دلاويز تومستم

بكفتا من كل ناچيز بودم ولیکن مدتی باكل نشستم
كمال همنشين برمن اثر كرد وكرنه من همان خاكم كه هستم

قالوا: من كان مجاوراً للعزيز والشريف صار عزيزاً شريفاً ومن كان مجاوراً للذليل والوضيع كان ذليلاً ووضيعاً ألا ترى أن الصبا إذا مرت بالأزهار والأوراد تحمل الرائحة الطيبة وإذا عبرت على المستقذرات تحمل الرائحة الخبيثة وقس على هذا من كان مصاحباً لأوصاف النفس ومن كان مجاوراً لأخلاق الروح ﴿**وآتيناه أهله ومثلهم معهم**﴾ بأن ولد له ضعف ما كان.

ـ روي ـ أن الله تعالى رد إلى امرأته شبابها فولدت له ستة وعشرين ولداً كما هو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ورد أمواله وكان رحيماً بالمساكين يكفل الأيتام والأرامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وفي الحديث «بينما أيوب يغتسل عرياناً خر عليه رجل جراد من ذهب فجعل أيوب يحثو في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال: بلى وعزتك ولكن لا غنى لي عن بركتك» وفيه دلالة على إباحة تكثير المال الحلال ﴿**رحمة من عندنا**﴾ أي: آتيناه ما ذكر لرحمتنا إياه بالرحمة الخاصة ﴿**وذكرى للعابدين**﴾ وتذكرة وعبرة لغيره من العابدين ليعلموا بذلك كمال قدرتنا ويصبروا كما صبر أيوب فيثابوا كما أثيب:

هركه اودرراه حق صابر بود بر مراد خويشتن قادر بود
صبر بايد تاشود يكسو حرج زانكه كفت الصبر مفتاح الفرج

واعلم أن بلاء أيوب من قبيل الامتحان ليبرز ما في ضميره فيظهر لخلقه درجته أين هو من ربه وبلاء يوسف من قبيل تعجيل العقوبة أي: على قوله: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]. وبلاء يحيى حيث ذبح من قبيل الكرامة إذ لم يهم بخطيئة قط.

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿**وإسماعيل**﴾ بمعنى مطيع الله ﴿**وإدريس**﴾ هو اخنوخ بن برد بن مهلاييل قال بعضهم سمي به لكثرة دراسته وقد سبق تحقيقه ﴿**وذا الكفل**﴾ بمعنى الكفالة والضمان لأن نبياً من أنبياء بني إسرائيل أوحى الله إليه أني أريد قبض روحك فأعرض ملكك على بني إسرائيل فمن تكفل لك أنه يصلي بالليل لا يفتر ويصوم بالنهار لا يفطر ويقضي بين الناس ولا يغضب فسلم ملكك إليه ففعل ذلك فقال شاب: أنا أتكفل لك بهذا فتكفل ووفى به فشكره الله ونبأه فسمي ذا الكفل والمعنى واذكرهم ﴿**كل**﴾ أي: كل واحد من هؤلاء ﴿**من الصابرين**﴾ أي: الكاملين في الصبر على مشاق الطاعات واحتمال البليات فإن إسماعيل قد صبر عند ذبحه وقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ [الصافات: ١٠٢] الآية وصبر على المقام ببلد لا زرع فيه ولا ضرع ولا بناء فلا جرم أكرمه الله وأخرج من صلبه خاتم النبيين عليه وعليهم السلام وإدريس قد صبر على دراسته وذو الكفل قد صبر على صيام النهار وقيام الليل وأذى الناس في الحكومة بينهم ولا يغضب. وفيه إشارة إلى أن كل من صبر على طاعة الله وعن معصيته أو على ما أصابه من مصيبة في المال والأهل والنفس فإنه بقدر صبره يستوجب نعمة رتبة نعم العبدية ويصلح لإدخاله في رحمته المخصوصة به كما قال.

﴿وأدخلناهم في رحمتنا﴾ الخاصة من النبوة وغيرها ﴿إنهم من الصالحين﴾ أي: الكاملين في الصلاح وهم الأنبياء فإن صلاحهم معصوم من الفساد [وبعض كبار ميفرما يدكه مؤمنان كناه كنند وباز توبه كنند وچون توبه بشرط باشد خداوند قبول كند واوليا كناه نكنند اما امكان داردكه بكنند ازجهت آنكه جائز الخطااند]. قيل لأبي يزيد قدس سره أيعصي العارف؟ فقال وكان أمر الله قدراً مقدوراً ثم يرد إلى مقامه بعد ذلك إن كان من أهل العناية والوصول فتكون توبته من ذلك على قدر مقامه فيرجى أن يكون في قوة تلك التوبة وعلو منصبها أن يجبر وقت الغفلة حتى يكون كأنه ما خسر شيئاً وما انتقل كتوبة ماعز الذي قال فيها رسول الله ﷺ: «لو قسمت على أهل السموات والأرض لوسعتهم» [وانبيا كناه نكردند وامكان نداشت كه بكنندازجهت آنكه معصوم بودند].

واعلم أن للصلاح بداية وهي الأخذ بالشرائع والأحكام ورفض المنهي والحرام ونهاية وهي التوجه إلى رب العباد وعدم الالتفات إلى عالم الكون والفساد وهي في الحقيقة مقام الصديقية وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحاً وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده فإن من العباد من اختار الله له في الأزل البلوغ بلا كسب ولا تعمل فوقع مفطوراً على النظر إليه بلا اجتهاد بدفع غيره عن مقتضى قصده ومنهم من شغلته الأغيار عن الله زماناً فلم يزل في علاج وجودها بتوفيق الله حتى أفناها ولم يبق له سواه سبحانه. ثم الصبر من مراتب الصلاح. وعن يزيد الرقاشي رحمه الله قال: إذا دخل الرجل القبر قامت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره والبر يظله والصبر يحاجه يقول: دونكم صاحبكم فإن حججتم وإلا فأنا من ورائه يعني إن استطعتم أن تدفعوا عنه العذاب وإلا فأنا أكفيكم ذلك وأدفع عنه العذاب فهذا الخبر دليل على أن الصبر أفضل الأعمال والرضى أجل الصفات ولا يكون الصبر إلا على بلاء ومشقة فالترقي إنما هو بالصبر لا بنفس البلاء ولو كان البلاء بما هو بلاء يرفع درجات من قام به عند الله وينال به السعادة الأبدية لنالها أهل البلاء من المشركين والكفار بل هو في حقهم تعجيل لعذابهم وفي حق المؤمنين الصابرين تكميل لدرجاتهم وحط من خطيآتهم وإكسير لنحاس وجودهم، وفي «المثنوي»:

صد هزاران كيميا حق آفريد ... كيميايى همچو صبر آدم نديد
چون بمانى بسته دربند حرج ... صبر كن الصبر مفتاح الفرج
شكر كويم دوست را درخير وشر ... زانكه هست اندر قضا ازبدبتر
چونكه قسام اوست كفر آمد كله ... صبر بايد صبر مفتاح الصله
غير حق جمله عدو انداوست دوست ... باعدو ازدوست شكوت كى نكوست
تادهد دوغم نخواهم انكبين ... زانكه هر نعمت غمى دارد قرين

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾

﴿وذا النون﴾ أي: واذكر صاحب النون أي: الحوت والمراد يونس بن متى بفتح الميم وتشديد التاء المثناة فوق مفتوحة. قيل: هو اسم أم يونس كذا في «جامع الأصول». قال عطاء: سألت كعباً عن متى أهو اسم أبيه أم أمه فقال: اسم أبيه وأمه بدورة وهي من ولد

هارون وسمي يونس بذي النون لأنه ابتلعه الحوت. قال الإمام السهيلي أضافه هنا إلى النون وقد قال في سورة القلم: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨] وذلك أنه حين ذكره في موضع الثناء عليه قال ذو النون فإن الإضافة بذو أشرف من الإضافة بصاحب لأن قولك ذو يضاف إلى التابع وصاحب إلى المتبوع تقول أبو هريرة رضي الله عنه صاحب النبي عليه السلام ولا تقول النبي صاحب أبي هريرة إلا على جهة وأما ذو فإنك تقول ذو المال وذو العرش فتجد الاسم للاسم متبوعاً غير تابع ولفظ النون أشرف من الحوت لوجوده في حروف التهجي وفي أوائل بعض السور نحو ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ [القلم: ١] ﴿إذ ذهب﴾ أي: اذكر خبره وقت ذهابه حال كونه ﴿مغاضباً﴾ مراغماً لقومه أهل نينوى وهي قرية بالموصل لما مر من طول دعوته إياهم وشدة شكيمتهم وتمادي إصرارهم مهاجراً عنهم قبل أن يؤمر وبناء المفاعلة للدلالة على كمال غضبه والمبالغة فيه وقيل وعدهم بنزول العذاب لأجل معلوم وفارقهم ثم بلغه بعد مضي الأجل أنه تعالى لم يعذبهم ولم يعلم سببه وهو أنهم حين رأوا أمارات العذاب تابوا وأخلصوا في الدعاء فظن أنه كذبهم وغضب من اندفاع العذاب عنهم وذهب غضبان وهذا القول أنسب بتقرير الشيخ نجم الدين في «تأويلاته» وهو من كبار المحققين فكلامه راجح عند أهل اليقين ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ أي: لن نضيق عليه الأمر يقال قدر على عياله قدراً ضيق وقدرت عليه الشيء ضيقته كأنما جعلته بقدر خلاف ما وصف بغير حساب نزل حاله منزلة من يظن ذلك.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الإنسان إذا استولى عليه الغضب يلتبس عليه عقله ويحتجب عنه نور إيمانه حتى يظن بالله ما لا يليق بجلاله وعظمته ولو كان نبياً وإن من كمال قوة نبينا عليه السلام أنه كان يغضب ولا يقول في الرضى والغضب إلا الحق. وفيه إشارة أخرى وهي أن الله تعالى من كمال فضله وكرمه على عباده وإن كانوا عصاة مستوجبين للعذاب أن يعاتب أنبياءه لهم ولا يرضى عنهم اشتهاء نزول عذاب الله بقومهم وكراهية دفع العذاب عنهم بل يرضى لهم أن يستغفروا لهم ويستعفوه لدفع العذاب عنهم كما قال لنبينا عليه السلام: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقال في حق الكفار وكان النبي عليه السلام يلعن بعضهم ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٨] انتهى.

ـ روي ـ أنه حين خرج مغاضباً أتى بحر الروم فوجد قوماً هيأوا السفينة فركب معهم فلما توسطت السفينة البحر وقفت ولم تجر بحال فقال الملاحون هنا رجل عاص أو عبد آبق لأن السفينة لا تفعل هذا إلا وفيها عاص أو آبق ومن عادتنا إذا ابتلينا بهذا البلاء أن نقترع فمن وقعت عليه القرعة ألقيناه في البحر فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة فيها كلها على يونس فقال: أنا الرجل العاصي والعبد الآبق فألقى نفسه في البحر فجاء حوت فابتلعه فأوحى الله تعالى إلى الحوت أن لا تؤذي منه شعرة فإني جعلت بطنك سجناً له ولم أجعله طعاماً ﴿فنادى﴾ الفاء فصيحة أي: فكان ما كان من القرعة والتقام الحوت فنادى ﴿في الظلمات﴾ أي: في الظلمة الشديدة المتكاثفة أو في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل. وقال الشيخ السمرقندي في تفسيره وعندي والله أعلم أن تلك الظلمات كانت من الجهات الست كما قال عليه السلام: «ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير في الظلمات» ﴿أن﴾ أي: بأنه ﴿لا إله إلا أنت﴾.

قال في «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الروح الشريف إذا ألقي في بحر الدنيا والتقمه حوت النفس الأمارة بالسوء وابتلع حوت النفس حوت القالب يكون من النوادر سلامة الروح من آفات النفس بحيث لا تتصرف فيه ولا تغيره عن صفاته بوحي الحق إليها بأن لا تؤذيه فإني لم أجعله طعمه لك وإنما جعلتك حرزاً وسجناً له كما كان حال يونس وسلامته في بطن الحوت من النوادر ومن سلامة الروح أن يناديه في ظلمة النفس وظلمة القالب وظلمة الدنيا أن لا إله إلا أنت أي: لا إله يحفظني من هذه الظلمات ويسلمني من آفاتها وفتنتها ويلهمني أن أذكره في هذا الموطن على هذه الحالة إلا أنت ﴿**سبحانك**﴾ أنزهك تنزيهاً لائقاً بك من أن يعجزك شيء وأن يكون ابتلائي هذا بغير سبب من جهتي كما قال في «المثنوي»:

هرچه برتو آيد ازظلمات غم   آن زبى باكى وكستاخيست هم

وفي «التأويلات النجمية»: نزهه عن الظلم عليه وإن كان فعله بخلق فيه كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦] ونسب الظلم إلى نفسه اعترافاً واستحقاقاً ورعاية للأدب فقال: ﴿**إني كنت من الظالمين**﴾ لأنفسهم بتعريضها للهلاك حيث بادرت إلى المهاجرة، وفي «المثنوي»:

چون بكويى جاهلم تعليم ده   اينچنين انصاف از ناموس به
از پدر آموز اى روشن جبين   ربنا كفت وظلمنا پيش ازين
نى بهانه كردونى تزوير ساخت   نى لو اى مكر وحيلت برفراخت

وفي «عرائس البقلي» قدس سره أن الله أراد ليونس معراجاً ومشاهدة في بطن الحوت فتعلل بالأمر والنهي والمقصود منه القربة والمشاهدة فأراه الحق في طباق الثرى في ظلمات بطن الحوت ما رأى محمد عليه السلام فوق العرش فلما رأى الحق تحير في حاله فقال: ﴿**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾ نزهتك عما ظننت فيك فأنت بخلاف الظنون وأوهام الحدثان ﴿**إني كنت من الظالمين**﴾ في وصف جلالك إذ وصفي لا يليق بعزة وحدانيتك فوقع هذا القول منه موقع قول سيد المرسلين حيث قال: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» ولذلك قال عليه السلام: «لا تفضلوني على أخي يونس» فلما رأى ما رأى استطاب الموضع فظن أن لا يدرك ما أدرك في الدنيا بعد فغاب الحق عنه فاهتم ودعا بالنجاة فنجاه الله من وحشة بطن الحوت بقوله:

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٨﴾

﴿**فاستجبنا له**﴾ أي: دعاءه الذي في ضمن الاعتراف بالذنب على ألطف وجه وآكده. وفيه إشارة إلى أنه تعالى كما أجاب يونس ونجاه من ظلمات عالم الأجسام كذلك ينجي روح المؤمن المؤيد منه من حجب ظلمات النفس والقالب والدنيا ليذكره بالوحدانية في ظلمات عالم الأجساد كما كان يذكره في أنوار عالم الأرواح ويكون متصرفاً في عالم الغيب والشهادة بإذنه خلافة عنه كما في «التأويلات النجمية» وفي الحديث «ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له». وعن الحسن ما نجاه والله إلا إقراره على نفسه بالظلم. وفي «صحيح المستدرك» قال عليه السلام: «اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى لا إله إلا أنت» الخ ﴿**ونجيناه من الغم**﴾ من غم الالتقام والبحر بأن قذفه الحوت إلى الساحل بعد أربع ساعات

أو ثلاثة أيام أو سبعة أو أربعين والذهاب به إلى البحار القاصية وتخوم الأرض السابعة. وقال بعضهم: كان رأس الحوت فوق الماء وفمه مفتوحاً. وعن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه أوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحماً ولا تكسر له عظماً فأخذه ثم هوى به إلى مسكنه في البحر فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حساً فقال في نفسه: ما هذا فأوحى الله إليه أن هذا تسبيح دواب البحر فسبح هو في بطنه فسمع الملائكة تسبيحه وقالوا: يا رب نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة. وفي رواية صوتاً معروفاً من مكان مجهول فقال: ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت فقالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال: نعم فشفعوا عند ذلك فأمر الحوت فقذفه في الساحل ﴿**وكذلك**﴾ أي: مثل ذلك الإنجاء لا إنجاء أدنى منه ﴿**ننجي المؤمنين**﴾ من غموم دعوا الله فيها بالإخلاص. وعن جعفر بن محمد قال: عجبت ممن يبتلى بأربع كيف يغفل عن أربع عجبت لمن يبتلى بالهم كيف لا يقول: ﴿**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾ لأن الله تعالى يقول: ﴿**فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين**﴾ وعجبت لمن يخاف شيئاً من السوء كيف لا يقول: «حسبي الله ونعم الوكيل» لأن الله تعالى يقول: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤] وعجبت لمن يخاف مكر الناس كيف لا يقول ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى اللَّهِۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌۢ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤] لأن الله تعالى يقول: ﴿فَوَقَىٰهُ اللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ [غافر: ٤٥] وعجبت لمن يرغب في الجنة كيف لا يقول: ﴿مَا شَآءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِۚ﴾ [الكهف: ٣٩] لأن الله تعالى يقول: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: ٤٠]. قال قتادة: ذكر لنا رجل على عهد رسول الله عليه السلام قال: اللهم ما كنت تعاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فمرض الرجل مرضاً شديداً فأضنى حتى صار كأنه هامة فأخبر به رسول الله فأتاه فرفع رأسه وليس به حراك فقيل: يا رسول الله إنه كان يدعو بكذا وكذا فقال عليه السلام: «يا ابن آدم إنك لن تستطيع أن تقوم بعقوبة الله تعالى ولكن قل: اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» فدعا بها فبرىء. وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أروّع في منامي قال: قل «أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين أن يحضروني»، وفي «المثنوي»:

تا فرود آيد بلابى دافعى ... چون نباشد از تضرع شافعى
جز خضوع وبندكى واضطرار ... اندرين حضرت ندارد اعتبار
رور را بكذار وزارى را بكير ... رحم سوى زارى آيد اى فقير
زارىء مضطركه تشنه معنويست ... زارىء سردى دروغ آن غويست
كريه اخوان يوسف حيلتست ... كه درونشان برزرشك وعلتست

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي الْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿**وزكريا**﴾ واذكر خبر زكريا بن اذن بن مانان من أنبياء بني إسرائيل ﴿**إذ نادى ربه**﴾ وقال: ﴿**رب**﴾ [اى پرورد كار من] ﴿**لا تذرني فردا**﴾ مثل هذه العبارة من العبد للسيد تضرع

ودعاء لا نهي أي: هب لي ولداً ولا تدعني وحيداً بلا ولد يرثني لما بلغ عمر زكريا عليه السلام مائة سنة وبلغ عمر زوجته تسعاً وتسعين ولم يرزق لهما ولد أحب أن يرزقه الله من يؤنسه ويقويه على أمر دينه ودنياه ويكون قائماً مقامه بعد موته فدعا ثم رد الأمر إلى مولاه مستسلماً ومنقاداً لمشيئته فقال: **﴿وأنت خير الوارثين﴾** خير من يبقى بعد من يموت فحسبي أنت إن لم ترزقني وارثاً فهو ثناء على الله تعالى بأنه الباقي بعد فناء الخلق وله ميراث السموات والأرض.

﴿فاستجبنا له﴾ أي: دعاءه في حق الولد كما قال: **﴿ووهبنا له يحيى﴾** لا في حق الوراثة إذ المشهور أن يحيى قتل قبل موت أبيه وهذا لا يقدح في شأن زكريا كما لا يقدح عدم استجابة دعاء إبراهيم في حق أبيه في شأنه فإن الأنبياء عليهم السلام وإن كانوا مستجابي الدعوة لكن أثر بعض الدعوات لا يظهر في هذا الموطن للحكمة الإلّهية **﴿وأصلحنا له زوجه﴾** ايشاع بنت عمران او بنت فاقود أي: جعلناها ولوداً بعد أن كانت عقيماً فإنها لم تلد قط بعد أن بلغت تسعاً وتسعين سنة **﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات﴾** الضمير عائد إلى زكريا وزوجه ويحيى أو الأنبياء المذكورين فيكون تعليلاً لما فصل من فنون إحسانه تعالى المتعلقة بهم مثل إيتاء موسى وهارون الفرقان وتبريد النار وإطفائها لإبراهيم وإنجاء لوط مما نزل بقومه وإنجاء نوح ومن كان معه في السفينة من أذى القوم وكرب الطوفان وغير ذلك مما تفضل به على الأنبياء السابقين أي: أنهم كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في أصل الخيرات وهو السر في إيثار كلمة في على كلمة إلى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن أصل الخيرات متوجهين إليها كما في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣] الآية. قال الراغب الخير ما يرغب فيه الكل بكل حال وهو الخير المطلق والشر ضده **﴿ويدعوننا﴾** حال كونهم **﴿رغباً﴾** راغبين في اللطف والجمال **﴿ورهباً﴾** خائفين من القهر والجلال أو راغبين فينا وراهبين مما سوانا والرغبة السعة في الإرادة يقال رغب الشيء اتسع فإذا قيل رغب فيه وإليه يقتضي الحرص عليه فإذا قيل: رغب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه والرغبة العطاء الكثير لكونه مرغوباً فيه فيكون مشتقاً من الأصل فإن أصل الرغبة السعة في الشيء ومنه ليلة الرغائب أي: العطايا الجزيلة قال: يعطي الرغائب من يشاء ويمنع والرهبة مخافة مع تحرك واضطراب **﴿وكانوا لنا خاشعين﴾** عابدين في تواضع وضراعة وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح ولكن شأن الأنبياء أعلى من أن يكون حالهم منحصراً في الظاهر فلهم خشوع كامل في القلب والقالب جميعاً وأكل العبد خشناً واللبس خشناً وطأطأة الرأس ونحوها من غير أن يكون في قلبه الإخلاص والخوف من الله تعالى صفة المرائي والمتصنع.

ورآوازه خواهى در اقليم فاش ... برون حله كن كردرون حشو باش

بنزديك من شب روراه زن ... به از فاسق پارسا پيرهن

چه قدر آورد بنده خورديش ... كه زير قبا دارد اندام پيش

والمعنى أنهم نالوا من الله ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة فليفعل من أراد الإجابة إلى مطلوبه مثل ما فعلوا وليتخلق بتلك الأخلاق.

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٩١﴾

﴿**والتي أحصنت فرجها**﴾ المراد بها مريم بنت عمران. والحصن في الأصل كل موضع حصين أي: محكم لا يوصل إلى جوفه وأحصنه جعله في حصن وحرز ثم تجوز في كل تحرز وامرأة حصان كسحاب عفيفة أو متزوجة والفرج والفرجة الشق بين الشيئين كفرجة الحائط والفرج ما بين الرجلين وكنى به عن السوء وكثر حتى صار كالصريح فيه والفرج انكشاف الغم وفراريج الدجاج لانفراج البيض عنها. أي: اذكر خبر مريم التي حفظت سوأتها حفظاً كلياً من الحلال والحرام [يعني خودرا پاكيزه داشت ودست هيچكس بدا من عفت او نرسيد]. وقال الإمام السهيلي رحمه الله يريد فرج القميص أي: لم يعلق بثوبها ريبة أي: أنها طاهرة الأثواب وفروج القميص أربعة: الكمان، والأعلى، والأسفل، فلا يذهب وهمك إلى غير هذا فإنه من لطيف الكناية انتهى ﴿**فنفخنا فيها**﴾ أي: أحيينا عيسى كائناً في جوفها فقوله فيها حال من المفعول المحذوف ﴿**من روحنا**﴾ من الروح الذي هو من أمرنا ففيه تشبيه لايراد الروح في البدن بنفخة النافخ في الشيء فيكون نفخنا استعارة تبعية. وقال السهيلي: النفخ من روح القدس بأمر القدوس فأضف القدس إلى القدوس ونزه المقدسة عن الظن الكاذب والحدس انتهى وقد سبقت قصة النفخ في سورة مريم ﴿**وجعلناها وابنها**﴾ أي: حالهما ﴿**آية**﴾ عظيمة ﴿**للعالمين**﴾ وعلامة دالة على القدرة الكاملة لأهل زمانهما ولمن بعدهما فإن من تأمل في ظهور ولد من بتول عذراء من غير فحل تحقق كمال قدرته تعالى ولم يقل آيتين لأنها قصة واحدة وهي ولادتها له من غير ذكر ولكل واحد منهما آيات مستقلة متكاثرة كما أشير إلى بعض منها في القرآن وإلى بعض آخر في التفاسير وكتب القصص، وفي «المثنوي»:

صومعه عيسيست خوان اهل دل ... هان هان اى مبتلا اين درمهل
جمع كشتندى زهر اطراف خلق ... از ضرير وشل ولنك واهل دلق
بر درآن صومعه عيسى صباح ... تابدم اوشان رهاند ازجناح
او چو كشتى فارغ از اوراد خويش ... چاشتكه بيرون شدى آن خوب كيش
جوق جوقى مبتلا ديدى نزار ... شسته بردر براميد وانتظار
كفتى اى أصحاب آفت ازخدا ... حاجت ومقصود جمله شد روا
بى توقف جمله شادان درامان ... ازدعاى او شدندى پادوان
ازدر دل واهل دل آب حيات ... چند نوشيدى وواشد چشمهات
آزمودى توبسى آفات خويش ... يافتى صحت ازين شاهان كيش
باز اين دررا رها كردى زحرص ... كرد هردكان همى كردى زحرص
بردر آن منعمان چرب ديك ... ميدوى بهر ثريد مرده ريك
چربش اينجا دانكه جان فربه شود ... كار نا اميد اينجا به شود

ومن عجائب عيسى عليه السلام أن أمه ذهبت به إلى صباغ وقالت له: خذ هذا الغلام وعلمه شيئاً من صنعتك فأخذه منها وقال: ما اسمك يا غلام فقال: عيسى ابن مريم فقال له: يا عيسى خذ هذه الجرة واملأ هذه النقائر من هذا النهر ففعل فأعطاه الصباغ الثياب وقال له: ضع كل لون مع ثيابه في نقير ثم تركه وانصرف إلى منزله فأخذ عيسى الثياب جميعاً ووضعها

في نقير واحد ووضع عليها الأصباغ جملة واحدة وانصرف إلى أمه ثم عاد من الغد وجاء الصباغ فرأى الثياب والأصباغ كلها في نقير واحد فغضب وقال: أتلفتني وأتلفت ثياب الناس فقال له عيسى ما دينك؟ قال: يهودي فقال له: قل لا إله إلا الله وأني عيسى روح الله ثم أدخل يدك في هذا النقير وأخرج كل ثوب على اللون الذي يريده صاحبه فهداه الله تعالى ففعل فكان الأمر كما قال عيسى:

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿إن هذه﴾ أي: ملة التوحيد والإسلام أشير إليها بهذه تنبيهاً على كمال ظهور أمرها في الصحة والسداد ﴿أمتكم﴾ أيها الناس أي: ملتكم التي يجب أن تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلو بشيء منها ﴿أمة واحدة﴾ نصب على الحالية من أمتكم أي: غير مختلفة فيما بين الأنبياء فإنهم متفقون في الأصول وإن كانوا مختلفين في الفروع بحسب الأمم والأعصار. قال في «القاموس»: الأمة جماعة أرسل إليهم رسول انتهى فأصلها القوم الذي يجتمعون على دين واحد ثم اتسع فيها فأطلقت على ما اجتمعوا عليه من الدين والملة واشتقاقها من أم بمعنى قصد فالقوم هم الجماعة القاصدة وما اجتمعوا عليه هو الملة المقصودة ﴿وأنا ربكم﴾ لا إله لكم غيري ﴿فاعبدون﴾. خاصة لا غير ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ التفات من الخطاب إلى الغيبة. القطع فصل الشيء مدركاً بالبصر كالأجسام أو بالبصيرة كالأشياء المعقولة والتفعل هنا للتعدية نحو علمته الفقه فتعلم الفقه والمعنى جعل الناس أمر الدين قطعاً واختلفوا فيه فصاروا فرقاً كأنه قيل ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله الذي أجمعت عليه كافة الأنبياء حيث جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً فأصاب كل جماعة قطعة من الدين فصاروا بتقطيع دينهم كأنهم قطع شتى يلعن بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض كما قال الكاشفي: [وببريدند امم ماضيه كاردين خودرا درميان خود يعنى فرقه فرقه شدند چون يهود ونصارى وهريك تكفير ديكرى كرند] وقد ثبت أن أمة إبراهيم عليه السلام صاروا بعده سبعين فرقة وأمة موسى عليه السلام إحدى وسبعين وأمة عيسى عليه السلام ثنتين وسبعين وأمة محمد ﷺ ثلاثاً وسبعين كلهم في النار إلا واحدة وهي التي لا يشوبون ما عين الله ورسوله بشيء من الهوى ﴿كل﴾ أي: كل واحدة من الفرق المتقطعة ﴿إلينا﴾ لا إلى غيرنا ﴿راجعون﴾ بالبعث فنجازيهم حينئذٍ بحسب أعمالهم.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الخلق تفرقوا في أمرهم فمنهم من طلب الدنيا، ومنهم من طلب الآخرة، ومنهم من طلب الله تعالى ثم قال: ﴿كل إلينا راجعون﴾ فأما طالب الدنيا فراجع إلى صورة قهرنا وهي جهنم وأما طالب الآخرة فراجع إلى صورة لطفنا وهي الجنة وأما طالبنا فراجع إلى وحدانيتنا ثم فصل الجزاء بقوله:

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿فمن﴾ [پس هركه] ﴿يعمل من الصالحات﴾ أي: بعض الصالحات ﴿وهو﴾ أي: والحال أنه ﴿مؤمن﴾ بالله ورسله ﴿فلا كفران لسعيه﴾ أي: لا حرمان لثواب عمله استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لإعطائه يعني شبه رد العمل ومنع الثواب بالكفران الذي هو ستر النعمة وإنكارها وشبه قبول العمل وإعطاء الثواب بمقابلته بشكر المنعم عليه للنعم فأطلق عليه الشكر كما قال: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤] والسعي في الأصل المشي السريع وهو دون العدو ويستعمل للجد في الأمر خيراً كان أو شراً وأكثر ما يستعمل في الأفعال المحمودة ﴿وإنا له﴾ أي: لسعيه ﴿كاتبون﴾ أي: مثبتون في صحائف أعمالهم لا نغادر من ذلك شيئاً [مزدكار نيكوان ضائع نباشد نزد حق] لا يضيع الله في الدارين أجر المحسنين.

﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ حرام خبر لقوله ﴿أنهم لا يرجعون﴾ والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله كل إلينا راجعون والحرمان مستعار لممتنع الوجود بجامع أن كل واحد منهما غير مرجو الحصول. والقرية اسم للمصر الجامع كما في «القاموس» واسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس كما في «المفردات» فعلى هذا تطلق على ما يعبر عنه بالفارسية [سبهر وكوى] ومعنى التحقيق في أنّ معتبر في النفي المستفاد من حرام على أن المعنى وممتنع البتة على أهل القرية المهلكة عدم رجوعهم إلينا للجزاء لا في المنفي على معنى أن عدم رجوعهم المحقق ممتنع وتخصيص امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق به قوله كل إلينا راجعون لأنهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى قلوب أهل الأهواء والبدع المهلكة باعتقاد السوء ومخالفات الشرع أنهم لا يتوبون إلى الله ولا يرجعون إلى الحق يدل على هذا التأويل قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣].

﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج﴾ حتى هنا ليس بحرف جر ولا حرف عطف بل حرف يبتدأ بعدها الكلام غاية لما يدل عليه ما قبلها كأنه قيل يستمرون على ما هم عليه من الهلاك حتى إذا قامت القيامة يرجعون إلينا ويقولون ﴿يا ويلنا﴾ الخ وإذا شرطية ويأجوج ومأجوج قبيلتان من الإنس يقال الناس عشرة أجزاء: تسعة منها يأجوج ومأجوج والمراد بفتحها فتح سدها على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وقد سبق قصة يأجوج ومأجوج وبناء السد عليهم وفتحه في آخر الزمان في سورة الكهف ﴿وهم﴾ أي: والحال أن يأجوج ومأجوج ﴿من كل حدب﴾ مرتفع من الأرض وتل. قال الراغب: يجوز أن يكون الأصل في الحدب حدب الظهر وهو خروجه ودخول الصدر والبطن ثم شبه به ما ارتفع من الأرض فسمى حدباً ومنه محدب الفلك ﴿ينسلون﴾ ينزلون مسرعين وأصله مقاربة الخطو مع الإسراع. وفي «بحر العلوم» من نسل الذئب إذا أسرع في مشيه.

ـ روي ـ أنهم يسيرون في الأرض ويقبلون على الناس من كل موضع مرتفع. قال الكاشفي: [همه عالم را فرا كيرند وآبهاى درياها تمامى بياشامند وازخشك وتر هرچه يابند بخورند] ﴿واقترب الوعد الحق﴾ عطف على فتحت والمراد ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء ﴿فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ جواب الشرط وإذا للمفاجأة والضمير للقصة وشاخصة خبر مقدم لأبصار والجملة خبر ضمير القصة مفسرة له يقال شخص بصره فهو شاخص إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف وبصره رفعه وشخص شخوصاً ارتفع والمعنى

بالفارسية [پس آنجا قصه آنست كه خيره وبازمانده است ازهول رستخيز ديدهاى كفار] وفي الآية دلالة على أن قيام الساعة لا يتأخر عن خروج يأجوج ومأجوج كما روي عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: لو أن رجلاً اقتنى فلواً بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة والفلو المهر أي: ولد الفرس. فإن قيل فتح السد واقتراب الوعد الحق يحصل في آخر أيام الدنيا والجزاء وشخوص الأبصار إنما يحصل يوم القيامة والشرط والجزاء لا بد وأن يكونا متقاربين. فالجواب أن التفاوت القليل يجري مجرى العدم **﴿يا ويلنا﴾** [واى برما] وهو على تقدير قول وقع حالاً من الموصول أي: يقولون يا ويلنا تعال فهذا أوان حضورك **﴿قد كنا في غفلة﴾** تامة في الدنيا والغفلة سهو يعتري من قلة التحفظ والتيقظ **﴿من هذا﴾** أي: من البعث والرجوع إليه للجزاء ولم نعلم أنه حق **﴿بل كنا ظالمين﴾** إضراب عما قبله من وصف أنفسهم بالغفلة أي: لم نكن غافلين عنه حيث نبهنا عليه بالآيات والنذر بل كنا ظالمين بتلك الآيات والنذر مكذبين بها أو ظالمين لأنفسنا بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب فليتفكر العاقل في هذا البيان والتذكار فقد نبه الله وقطع الأعذار وفي الحديث: «يقول الله يا معشر الجن والإنس إني قد نصحت لكم فإنما هي أعمالكم في صحفكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه». وعن بعض الحكماء أنه نظر إلى أناس يترحمون على ميت خلف جنازته فقال: لو تترحمون على أنفسكم لكان خيراً لكم أما إنه قد مات ونجا من ثلاثة أهوال: أولها رؤية ملك الموت، والثاني مرارة الموت، والثالث خوف الخاتمة، قال الشيخ سعدي:

خبر دارى أي: استخواني قفس ... كه جان تو مرغيست نامش نفس
چو مرغ از قفس رفت بكسست قيد ... دكرره نكردد بسعى توصيد
سر ازجيب غفلت بر آور كنون ... كه فردا نماند بخجلت نكون
اكر مرد مسكين زنان داشتى ... بفرياد وزارى فغان داشتى
كه اى زنده چون هست امكان كفت ... لب از ذكر چون مرده برهم مخفت
جو مارا بغفلت بشد روزكار ... توبارى دمى چند فرصت شمار

﴿إنكم﴾ يا أهل مكة **﴿وما تعبدون من دون الله﴾** أي: والأصنام التي تعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى وذلك بشهادة ما فإنها لما لا يعقل فخرج عزير وعيسى والملائكة **﴿حصب جهنم﴾** بفتح المهملتين اسم لما يحصب أي: يرمي في النار فتهيج به من حصبه إذا رماه بالحصباء ولا يقال له حصب إلا وهو في النار وأما قبل ذلك فيقال له حطب وشجر وخشب ونحو ذلك والمعنى تحصبون في جهنم وترمون فتكونون وقودها. وهو بالفارسية [آتش انكيز] **﴿أنتم لها واردون﴾** داخلون على طريق الخلود والخطاب لهم ولما يعبدون تغليباً [درتبيان كفته كه حكمت ايراد بتان بدوزخ زيادت تعذيب بت پرستانست چه بدانها آتش افروخته كردد واحتراق ايشان بيفزايد].

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿لو كان هؤلاء﴾ الأصنام **﴿آلهة﴾** على الحقيقة كما يزعمون **﴿ما وردوها﴾** ما دخلوها وحيث تبين ورودهم إياها تعين امتناع كونهم آلهة بالضرورة **﴿وكل﴾** من العابدين والمعبودين

﴿فيها خالدون﴾ لا خلاص لهم منها ﴿لهم فيها زفير﴾ الزفير ترديد النفس حتى تنتفخ الضلوع منه أي: أنين وتنفس شديد وهو مع كونه من أفعال العبدة أضيف إلى الكل للتغليب ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾ أي: لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب. وعن ابن مسعود رضي الله عنه يجعلون في توابيت من نار ثم تجعل تلك التوابيت في توابيت أخرى ثم تلك في أخرى عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب غيره ثم بين أحوال أضداد هؤلاء فقال:

﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ الخصلة الحسنى التي هي أحسن الخصال وهي السعادة وهو كافة المؤمنين الموصوفين بالإيمان والأعمال الصالحة أو سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة ﴿أولئك﴾ المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل ﴿عنها﴾ أي: عن جهنم ﴿مبعدون﴾ [دور كرده شد كانند] لأنهم في الجنة وشتان بينها وبين النار لأن الجنة في أعلى عليين والنار في أسفل السافلين [صاحب بحر فرموده كه سبق عنايت ازليه دربدايت موجب ظهور ولايت است درنهايت هرتخم كه درازل بكشتند نهان درمزرعه ابد برويد بعيان]. قال بعض الكبار ظاهر حسن العناية السابقة لأهل الاصطفاء أربعة أشياء: الانفراد من الكونين، والرضى بلقاء الله عن الدارين، وإمضاء العيش مع الله بالحرمة والأدب، وظهور أنوار قدرة الله منهم بالفراسات الصادقة والكرامات الظاهرة. وباطن حسن العناية السابقة من الله في الأزل لهم أربعة أيضاً: المواجيد الساطعة، وانفتاح العلوم الغيبية، والمكاشفات القائمة، والمعارف الكاملة وفي كل موضع ظهرت هذه الأشياء بالظاهر والباطن صار صاحبها مشهوراً في الآفاق بسمات الصديقين وعلامات المقربين وخلافة سيد المرسلين. وقال بعضهم الحسنى العناية والاختيار والهداية والعطاء والتوفيق فبالعناية وقعت الكفاية وبالاختيار وقعت الرعاية وبالهداية وقعت الولاية وبالعطاء وقعت الحكمة وبالتوفيق وقعت الاستقامة، قال الشيخ سعدي قدس سره:

نحست او ارادت بدل بر نهاد ... پسين بنده بر آستان سرنهاد
چه اندريشى ازخودكه فعلم نكوست ... ازان درنكه كن كه توفيق اوست
برد بوستان بان بايوان شاه ... بتحفه ثمر هم زبستان شاه

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿لا يسمعون حسيسها﴾ الحسيس صوت يحس به أي: لا يسمعون صوتها سمعاً ضعيفاً كما هو المعهود عند كون المصوت بعيداً وإن كان صوته في غاية الشدة لا أنهم لا يسمعون صوتها الخفي في نفسه فقط. قال الصادق: كيف يسمعون حسيسها والنار تخمد لمطالعتهم وتتلاشى برؤيتهم وفي الحديث «تقول النار للمؤمن يوم القيامة جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي»، وفي المثنوي:

ز آتش مؤمن ازين رو اى صفى ... ميشود دوزخ ضعيف ومنطفى
كويدش بكذر سبك اى محتشم ... ورنه ز آتشهاى تومرد آتشم

وفي «التأويلات النجمية» ومن آثار سبق العناية الأزلية أن لا يسمعون حسيس جهنم القهر

وحسيسها مقالات أهل الأهواء والبدع وأدلة الفلاسفة وبراهينهم بالعقول المشوبة بالوهم والخيال وظلمة الطبيعة ﴿وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون﴾ دائمون في غاية التنعم والاشتهاء والشهوة طلب النفس اللذة وتقديم الظرف للقصر والاهتمام وهو بيان لفوزهم بالمطالب إثر بيان خلاصهم من المهالك. قال ابن عطاء للقلوب شهوة وللأرواح شهوة وللنفوس شهوة وقد يجمع الله لهم في الجنة جميع ذلك فشهوة الأرواح القرب وشهوة القلوب المشاهدة والرؤية وشهوة النفوس الالتذاذ بالراحة والأكل والشرب والزينة.

﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ بيان لنجاتهم من الافزاع بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار لأنهم إذا لم يحزنهم أكبر الافزاع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة والفزع انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف وهو من جنس الجزع ولا يقال فزعت من الله كما يقال خفت منه. قال الراغب الفزع الأكبر هو الفزع من دخول النار. وقال بعضهم ذبح الموت بمرأى من الفريقين وإطباق جهنم على أهلها أي: وضع الطبق عليها بعدما أخرج منها من أخرج فيفزع أهلها حينئذٍ فزعاً شديداً لم يفزعوا فزعاً أشد منه. وقال بعض أرباب الحقيقة هو قوله تعالى في الأزل «هؤلاء في الجنة ولا أبالي» وذلك لأن نفوسهم المطمئنة في الجنة المضافة إلى الحضرة كما قال تعالى: ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾ [الفجر: ٣٠] فافهم جداً ﴿وتتلقاهم الملائكة﴾ أي: تستقبلهم ملائكة الرحمة مهنئين لهم ﴿هذا يومكم﴾ على إرادة القول أي: قائلين هذا اليوم يومكم ﴿الذي كنتم توعدون﴾ في الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الإيمان والطاعة. قال الكاشفي: [عابدانرا كويند اين روز جزاى شماست عارفانرا خطاب رسدكه اين روز تماشاى شماست]:

نيك مردانرا نعيم اندر نعيم ... عشق بازانرا لقا اندر لقاء
حصه آنها وصال حور عين ... بهره اينها جمال كبريا

فليجتهد العاقل في الطاعات حتى يصل إلى القربات وليبعد نفسه عن المخالفات ليأمن من العقوبات.

واعلم أن الدار الآخرة وثوابها إنما ينال إليها بترك الدنيا وزخارفها كما أن وصلة المولى لا تحصل إلا بترك الكونين فمن كان مشتهاه الجنة ونعيمها فليترك اللذة في الدنيا ومن كان مشتهاه المشاهدات فليقطع نظره عن غير الله تعالى. قال في الفتوحات الملكية: اجمع أهل كل ملة على أن الزهد في الدنيا مطلوب وقالوا إن الفراغ من الدنيا أحب لكل عاقل خوفاً على نفسه من الفتنة التي حذرها الله منها بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ [التغابن: ١٥] انتهى كلامه. قال الشيخ عبد الوهاب الشعراوي رحمه الله: ومن فوائد الرهبان أنهم لا يدخرون قوتاً لغد لا يكنزون فضة ولا ذهباً قال ورأيت شخصاً قال لراهب انظر لي هذا الدينار هو من ضرب أي الملوك فلم يرض وقال النظر إلى الدنيا منهي عنه عندنا قال ورأيت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصاً ويخرجونه من الكنيسة ويقولون له أتلفت علينا الرهبان فسألت عن ذلك فقالوا: رأوا على عمامته نصفاً مربوطاً فقلت لهم: ربط الدرهم مذموم فقالوا: نعم عندنا وعند نبيكم ﷺ. قال بعض الحكماء إن في الجنة راحة لا يجدها إلا من لم يكن له في الدنيا راحة وفيها غنى لا يجده إلا من ترك الفضول في الدنيا واقتصر على اليسير منها وفيها أمن لا يجده إلا أهل الخوف والفزع في الدنيا:

لا تخافوا هست نزل خائفان ... هست درخو رازبر اى خائف آن

وفيها ما تشتهي الأنفس لا يجده إلا أهل الزهد. وعن بعض الزهاد أنه كان يأكل بقلاً وملحاً من غير خبز فقال له رجل: اقتصرت على هذا قال: نعم لأني إنما جعلت الدنيا للجنة وأنت جعلت الدنيا للمزبلة يعني تأكل الطيبات فتصير إلى المزبلة وإني آكل لإقامة الطاعات لعلي أصير إلى الجنة نسأل الله الفيض والجود والتوفيق بطريق الشهود.

﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿**يوم نطوي السماء**﴾ منصوب باذكر والطي ضد النشر ﴿**كطي السجل**﴾ وهي الصحيفة أي: طياً كطي الطومار ﴿**للكتب**﴾ متعلقة بمحذوف هو حال من السجل أي: كائناً للكتب عبارة عن الصحائف وما كنت فيها فسجلها بعض أجزائها وبه يتعلق الطي حقيقة. وقال الإمام السهيلي ذكر محمد بن حسن المقري عن جماعة من المفسرين أن السجل ملك في السماء الثالثة ترفع إليه أعمال العباد ترفعها إليه الحفظة الموكلون بالخلق في كل خميس واثنين وكان من أعوانه فيما ذكروا هاروت وماروت. وفي السنن لأبي داود: السجل كاتب كان للنبي عليه السلام وهذا لا يعرف في كتاب النبي ولا في أصحابه من اسمه السجل ولا وجد إلا في هذا الخبر انتهى كلام السهيلي رحمه الله. قال في «إنسان العيون»: لم يذكر في القرآن من الصحابة رضي الله عنهم أحد باسمه إلا زيد بن حارثة رضي الله عنه الذي تبناه رسول الله ﷺ كما لم يذكر امرأة باسمها إلا مريم. قال ابن الجوزي إلا ما يروى في بعض التفاسير أن السجل الذي في قوله تعالى: ﴿**يوم نطوي السماء**﴾ إلى آخره اسم رجل كان يكتب لرسول الله عليه السلام انتهى. وفي «القاموس» السجل اسم كاتب للنبي عليه السلام واسم ملك ﴿**كما بدأنا أول خلق نعيده**﴾ ما كافة تكف الكاف عن العمل وأول مفعول لبدأنا أي: نعبد ما خلقناه مبتدأ إعادة مثل بدئنا إياه في كونها إيجاداً بعد العدم وهو لا ينافي الإعادة من عجب الذنب. قال في «البحر» أي: نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيهاً للإعادة بالإبداء في تناول القدرة القديمة لهما على السواء ﴿**وعداً**﴾ أي: وعدنا الإعادة وعداً ﴿**علينا**﴾ أي: علينا إنجازه وبالفارسية [برماست وفاكردن بدان] ﴿**إنا كنا فاعلين**﴾ ذلك لا محالة.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى طي سماء الوجود الإنساني بتجلي صفة الجلال في إفناء مراتب الوجود من الانتهاء إلى الابتداء كما بدأنا أول خلق من ابتداء النطفة بالتدريج من خلق النطفة علقة ومن خلق العلقة مضغة ومن خلق المضغة عظاماً إلى انتهاء خلق الإنسان ومن وصف النباتية إلى وصف المركبية ومن وصف المركبية إلى وصف مفردات العنصرية ومن وصف المفردية إلى وصف الملكوتية ومن وصف الملكوتية إلى وصف الروحانية ومن وصف الروحانية إلى وصف الربوبية بجذوة ارجعي إلى ربك وعداً علينا في الأزل إنا كنا فاعلين إلى الأبد.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَـٰذَا لَبَلَـٰغًا لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿**ولقد كتبنا في الزبور**﴾ وهو كتاب داود عليه السلام كما قال: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣] ﴿**من بعد الذكر**﴾ أي: بعدما كتبنا في التوراة لأن كل كتاب سماوي ذكر كما

سبق. قال الراغب زبرت الكتاب كتبته كتابة غليظة وكل كتاب غليظ الكتابة يقال له الزبور وخص بالكتاب المنزل على داود. قيل: بل الزبور كل كتاب يصعب الوقوف عليه من الكتب الإلهية. وقال بعضهم اسم للكتاب المقصور على الحكمة العقلية دون الأحكام الشرعية والكتاب لما يتضمن الأحكام والحكم ويدل على ذلك أن زبور داود لا يتضمن شيئاً من الأحكام. قال في «القاموس» الزبور الكتاب بمعنى المزبور والجمع زبر وكتاب داود عليه السلام انتهى ﴿**أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**﴾ أي: عامة المؤمنين بعد إجلاء الكفار كما قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥] وهذا وعد منه بإظهار الدين وإعزاز أهله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن المراد أرض الجنة كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤]. قال في «عرائس البقلي»: كان في علم الأزلية أن أرض الجنان ميراث عباده الصالحين من الزهاد والعباد والأبرار والأخيار لأنهم أهل الأعواض والثواب والدرجات وأن مشاهدة جلال أزليته ميراث أهل معرفته ومحبته وشوقه وعشقه لأنهم في مشاهدة الربوبية وأهل الجنة في مشاهدة العبودية. قال سهل أضافهم إلى نفسه وحلاهم بحلية الصلاح معناه لا يصلح لي إلا ما كان لي خالصاً لا يكون لغيري فيه أثر وهم الذين أصلحوا سريرتهم مع الله وانقطعوا بالكلية عن جميع ما دونه. وقال الشيخ المغربي قدس سره:

مجوى دردل ما غير دوست زآنكه نيابى ازانكه دردل محمود جزاياز نباشد

﴿**إن في هذا**﴾ أي: فيما ذكر في السورة الكريمة من الأخبار والمواعظ البالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة على التوحيد وصحة النبوة ﴿**لبلاغاً**﴾ أي: كفاية ﴿**لقوم عابدين**﴾ أي: لقوم همهم العبادة دون العادة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿**وما أرسلناك**﴾ يا محمد بما ذكر وأمثاله من الشرائع والأحكام وغير ذلك من الأمور التي هي مناط السعادة في الدارين في حال من الأحوال ﴿**إلا**﴾ حال كونك ﴿**رحمة للعالمين**﴾ فإن ما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام مصالحهم في النشأتين ومن أعرض عنه واستكبر فإنما وقع في المحنة من قبل نفسه فلا يرحم وكيف كان رحمة للعالمين وقد جاء بالسيف واستباحة الأموال. قال بعضهم: جاء رحمة للكفار أيضاً من حيث إن عقوبتهم أخرت بسببه وأمنوا به عذاب الاستئصال والخسف والمسخ ورد في الخبر أنه عليه السلام قال لجبريل: «إن الله يقول وما أرسلناك إلى آخره فهل أصابك من هذه الرحمة» قال: نعم إني كنت أخشى عاقبة الأمر فأمنت بك لثناء أثنى الله علي بقوله: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: ٢٠-٢١]. قال الكاشفي: [در كشف الأسرار آورده كه از رحمت وى بودكه امت را در هيچ مقام فراموش نكرد اكر درمكه معظمه بود واكر در مدينة زاهره اكر در مسجد مكرم بود واكر در حجره طاهره همچنين در ذروه عرش اعلى ومقام قاب قوسين او ادنى ياد فرمودكه «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» فردا در مقام محمود بساط شفاعت كسترده كويد امتى امتى]:

عاصيان پركنه در دامن آخر زمان دست درد امان تودارندو جان در آستين
نا اميد از حضرت بانصرتت نتوان شدن چون تويى درهر دو عالم رحمة للعالمين

قال بعض الكبار: وما أرسلناك إلا رحمة مطلقة تامة كاملة عامة شاملة جامعة محيطة بجميع المقيدات من الرحمة الغيبية والشهادة العلمية والعينية والوجودية والشهودية والسابقة واللاحقة وغير ذلك للعالمين جمع عوالم ذوي العقول وغيرهم من عالم الأرواح والأجسام ومن كان رحمة للعالمين لزم أن يكون أفضل من كل العالمين وعبارة ضمير الخطاب في قوله: ﴿**وما أرسلناك**﴾ خطاب للنبي عليه السلام فقط وإشارته خطاب لكل واحد من ورثته الذين هم على مشربه إلى يوم القيامة بحسب كونه مظهراً لارثه. وقال بعض الكبار: إنما كان رحمة للعالمين بسبب اتصافه بالخلق العظيم ورعايته المراتب كلها في محالها كالملك والملكوت والطبيعة والنفس والروح والسر.

وفي «التأويلات النجمية» في سورة مريم بين قوله: ﴿**ورحمة منا**﴾ في حق عيسى وبين قوله في حق نبينا عليه السلام ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ فرق عظيم وهو أنه في حق عيسى ذكر الرحمة مقيدة بحرف من ومن للتبعيض فلهذا كان رحمة لمن آمن به واتبع ما جاء به إلى أن بعث نبينا عليه السلام ثم انقطعت الرحمة من أمته بنسخ دينه وفي حق نبينا عليه السلام ذكر الرحمة للعالمين مطلقاً فلهذا لا تنقطع الرحمة عن العالمين أبداً أما في الدنيا فبأن لا ينسخ دينه وأما في الآخرة فبأن يكون الخلق محتاجين إلى شفاعته حتى إبراهيم عليه السلام فافهم جداً. قال في «عرائس البقلي»: أيها الفهيم إن الله أخبرنا أن نور محمد عليه السلام أول ما خلقه ثم خلق جميع الخلائق من العرش إلى الثرى من بعض نوره فإرساله إلى الوجود والشهود رحمة لكل موجود إذ الجميع صدر منه فكونه كون الخلق وكونه سبب وجود الخلق وسبب رحمة الله على جميع الخلائق فهو رحمة كافية وافهم أن جميع الخلائق صورة مخلوقة مطروحة في فضاء القدرة بلا روح حقيقة منتظرة لقدوم محمد عليه السلام فإذا قدم إلى العالم صار العالم حياً بوجوده لأنه روح جميع الخلائق. ويا عاقل إن من العرش إلى الثرى لم يخرج من العدم إلا ناقصاً من حيث الوقوف على أسرار قدمه بنعت كمال المعرفة والعلم فصاروا عاجزين عن البلوغ إلى شط بحار الألوهية وسواحل قاموس الكبريائية فجاء محمد عليه السلام اكسير أجساد العالم وروح أشباحه بحقائق علوم الأزلية وأوضح سبيل الحق للخلق بحيث جعل سفر الآزال والآباد للجميع خطوة واحدة فإذا قدم من الحضرة إلى سفر القربة بلغهم جميعاً بخطوة من خطوات صحاري ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] حتى وصل إلى مقام أو أدنى فغفر الحق لجميع الخلائق بمقدمه المبارك. قال بعض العلماء: إن كل نبي كان مقدمة للعقوبة لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] ونبينا عليه السلام كان مقدمة للرحمة لقوله: ﴿**وما أرسلناك**﴾ إلى آخره وأراد الله تعالى أن يكون خاتمة على الرحمة لا على العقوبة لقوله تعالى: «سبقت رحمتي على غضبي» ولهذا جعلنا آخر الأمم فابتداء الوجود رحمة وآخره وخاتمته رحمة.

واعلم أنه لما تعلقت إرادة الحق بإيجاد الخلق أبرز الحقيقة الأحمدية من كمون الحضرة الأحدية فميزه بميم الامكان وجعله رحمة للعالمين وشرف به نوع الإنسان ثم انبجست منه عيون الأرواح ثم بدا ما بدا في عالم الأجساد والأشباح كما قال عليه السلام: «أنا من الله

والمؤمنون من فيض نوري» فهو الغاية الجليلة من ترتيب مبادي الكائنات كما قال تعالى: «لولاك لما خلقت الأفلاك»:

علت غائيه هر عالم اوست ... سرور اولاد بني آدم اوست
واسطه فيض وجودي همه ... رابطه بود ونبودى همه

قال العرفي الشيرازي في قصيدته النعتية:

ازبس شرف كوهر تومنشىء تقدير ... آن روزكه بكذا شتى اقليم عدم را
تاحكم نزول تودرين دار نوشته است ... صدره بعبث باز تراشيده قلم را

المراد من العبث مقلوبه وهو البعث يعني يكفيك شرفاً وفضلاً أن الله سبحانه إنما خلق الخلق وبعث الأنبياء والرسل ليكونوا مقدمة لظهورك في عالم الملك والشهادة فأرواحهم وأجسادهم تابعة لروحك الشريف وجسمك اللطيف.

ثم اعلم أن حياته عليه السلام رحمة ومماته رحمة كما قال: «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم» قالوا هذا خيرنا في حياتك فما خيرنا في مماتك؟ فقال: «تعرض عليّ أعمالكم كل عشية الاثنين والخميس فما كان من خير حمدت الله تعالى وما كان من شر أستغفر الله لكم»، قال المولى الجامي:

زمهجورى برآمد جان عالم ... ترحم يا نبي الله ترحم
نه آخر رحمة للعالميني ... زمحرومان چرا فارغ نشيني
زخاك اى لاله سيراب برخيز ... چونركس چند خواب از خواب برخيز
اكرچه غرق دريای كناهم ... فناده خشك لب برخاك راهم
تو ابر رحمتي آن به كه كاهى ... كنى درحال لب خشكان نكاهى

﴿قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد﴾ أي: ما يوحى إليّ إلا أنه لا إله لكم إلا إله واحد وحاصله ما يوحى إليّ شيء غير التوحيد ومعنى القصر مع أنه قد أوحي إليه التوحيد وغيره من الأحكام كون التوحيد مقصوداً أصلياً من البعثة فإن ما عداه متفرع عليه وإنما الأولى لقصر الحكم على الشيء كقولك إنما يقوم زيد أي: ما يقوم إلا زيد والثانية لقصر الشيء على الحكم نحو إنما زيد قائم أي: ليس له إلا صفة القيام. قال ابن الشيخ فإن قلت هذا الحصر يستلزم أن لا يكون الله تعالى موصوفاً بغير الوحدانية مع أن له تعالى من صفات الجلال والجمال ما لا يحصى فالجواب أن القصر ليس حقيقياً إذ المقصود نفي ما يصفه المشركون ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ أي: مخلصون العبادة لله تعالى مخصصونها به سبحانه وتعالى. وبالفارسية [پس آيا هستيد شما كردن نهاد كان مقتضاى وحى را] والفاء للدلالة على أن ما قبلها موجب لما بعدها يعني أن العاقل إذا خلى ونفسه بعدما قرىء عليه ما قبله ينبغي بل يجب أن لا يتوقف في التوحيد وإذعانه وقبوله.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾

﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن الإسلام ولم يلتفتوا إلى ما يوجبه من الوحي ﴿فقل﴾ لهم ﴿آذنتكم﴾ أعلمتكم ما أمرت به من وجوب التوحيد والتنزيه وبالفارسية [آكاه كردم شمارا]

﴿على سواء﴾ كائنين على سواء في الإعلام به لم أطوه عن أحد منكم وما فرقت بينكم في النصح وتبليغ الرسالة فهو حال من مفعول آذنتكم ﴿وإن أدري﴾ أي: ما أعلم ﴿أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ من غلبة المسلمين وظهور الدين أو الحشر مع كونه آتياً لا محالة ولا جرم أن العذاب والذلة يلحفكم. وفي «الأسئلة المقحمة» كيف قال هذا وقد قال ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٧] فذلك يوم القيامة وهو قريب كما قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١].

﴿إنه﴾ تعالى ﴿يعلم الجهر من القول﴾ أي: ما تجاهرون به من الطعن في الإسلام وتكذيب الآيات ﴿ويعلم ما تكتمون﴾ من الحسد والعداوة للرسول وللمسلمين فيجازيكم عليه نقيراً وقطميراً وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد. قال بعض الكبار: كيف يخفى على الحق من الخلق خافية وهو الذي أودع الهياكل أوصافها من الخير والشر والنفع والضر فما يكتمونه أظهر مما يبدونه وما يبدونه مثل ما يكتمونه جل الحق أن يخفى عليه خافية وهو الذي قال:

يرو علم يك ذره پوشيده نيست   كه پيدا وپنهان بنزدش يكيست

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿يعلم ما تجهرون﴾ من دعاوي الإسلام والإيمان والزهد والصلاح والمعارف ﴿ويعلم ما تكتمون﴾ من الصدق والإخلاص أو الرياء والسمعة والنفاق.

﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿وإن﴾ ما ﴿أدري لعله﴾ لعل تأخير جزائكم ﴿فتنة لكم﴾ استدراج لكم وزيادة في افتتانكم لما كان الاستدراج سبباً للفتنة والعذاب أطلق عليه لفظ الفتنة مجازاً مرسلاً أو امتحان لكم كيف تعملون أي: معاملة تشبيهية بالامتحان على طريق الاستعارة التمثيلية ﴿ومتاع إلى حين﴾ وتمتيع لكم إلى أجل مقدر يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الجزاء في وقت هو فيه حكمة.

﴿قال﴾ الرسول فهو حكاية لدعائه عليه السلام ﴿رب﴾ [اى پروردكارمن] ﴿احكم بالحق﴾ أي: اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضي لتعجيل العذاب والتشديد عليهم ﴿وربنا﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿الرحمن﴾ كثير الرحمة على عباده وهي إن كانت بمعنى الانعام فمن صفات الفعل وإن أريد بها إرادة إيصال الخير فمن صفات الذات ﴿المستعان﴾ خبر آخر أي: المطلوب منه المعونة، يعني: [يارى آور خواهنده] ﴿على ما تصفون﴾ من الحال فإنهم كانوا يقولون إن الشوكة تكون لهم [ورايت اسلام ودين دم بدم نكونسار خواهد شد] وإن المتوعد لو كان حقاً لنزل بهم إلى غير ذلك مما لا خير فيه، يعني: [شما سخن ناسزا ميكوييد وما ازخداى بران يارى خواهيم واميدوارى ازدركاه حضرت او داريم]:

مراد خويش زدركاه پادشاهى خواه   كه هيچكس نشود نا اميد ازان دركاه

فاستجاب الله تعالى دعاء رسوله فخيب آمالهم وغير أحوالهم ونصر أولياءه عليهم فأصابهم يوم بدر ما أصابهم. وفي الآية إشارة إلى أنه لا يطلب من الله تعالى ولا يطمع في حق المطيع والعاصي إلا ما هو مستحقه وقد جرى حكم الله فيها في الأزل وأن رحمته غير متناهية وإن كانت أنواعها مائة على ما قال عليه السلام: «إن لله مائة رحمة» فعلى العاقل أن لا يغتر

بطول العمر وكثرة الأموال والأولاد فإن الاغترار بذلك من صفات الكفرة. ومن كلمات أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: من وسع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد يمكر به فهو مخدوع عن عقله. قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله لرجل أدرهم في المنام أحب إليك أم دينار في اليقظة؟ فقال: دينار في اليقظة فقال: كذبت لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في المنام والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في اليقظة نسأل الله العصمة والتوفيق.

تمت سورة الأنبياء في الخامس من شهر الله رجب
من سنة ست ومائة وألف من الهجرة

تم المجلد الخامس من تفسير روح البيان
ويتلوه المجلد السادس بعناية الرب المنان

٢٢ ـ سورة الحج

مكية إلا ست آيات من ﴿هذان خصمان﴾ إلى آخر ﴿الحميد﴾
وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾.

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾ أي: احذروا من عقوبة مالك أموركم ومربيكم بطاعته **﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾** الزلزلة التحريك الشديد بطريق التكرير كما يدل عليه تكرير الحروف لأن زلزل مضاعف زل والساعة عبارة عن القيامة سميت بذلك لسرعة حسابها كما في المفردات.

اختلف العلماء في وقت هذه الزلزلة.

فقال بعضهم: تكون في الدنيا قبيل طلوع الشمس من مغربها فيكون الذهول والوضع الإتيان على حقيقتهما.

وقال بعضهم: تكون يوم القيامة فيحملان على التمثيل والأظهر ما قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن زلزلة الساعة قيامها فيكون معناها أن الزلزلة الواقعة عند قيام الساعة شيء عظيم لا يحيط به الوصف فلا بد من التقوى لتخليص النفس من العذاب.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾.

﴿يوم ترونها﴾ منتصب بما بعده أي: وقت رؤيتكم تلك الزلزلة **﴿تذهل كل مرضعة عما أرضعت﴾** الذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة والمرضعة المرأة المباشرة للإرضاع بالفعل وبغير التاء هي التي من شأنها الإرضاع لكن لم تلابس الفعل ومثلها حائض وحائضة والتعبير عن الطفل بما دون من لتأكيد الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها أنه ماذا أي تغفل مع حيرة عما هي بصدد إرضاعه من طفلها الذي ألقمته ثديها اشتغالاً بنفسها وخوفاً: وبالفارسية [غافل شود وفراموش كندازهيبت آن هر شير دهنده ازان فرزندى كه ويرا شيرميدهدبا وجود مهربانىء مرضعه بررضيع] أي لو كان مثلها في الدنيا لذهلت المرضعة عما أرضعته لغير فطام وكذا قوله تعالى: **﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾** أي تلقي وتسقط جنينها لغير تمام من شدة ما غشيها والحمل بالفتح ما كان في البطن أو على رأس الشجر وبالكسر ما كان على الظهر.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى مواد الأشياء فإن لكل شيء مادة هي ملكوته ترضع

رضيعها من الملك وذهولها عنه بهلاك استعدادها للإرضاع وذات حمل هي ما تسمى هيولى فإنها حامل بالصور أي تسقط حمل الصور الشهادية إملاك الهيولى. ﴿وترى الناس﴾ أهل الموقف ﴿سكارى﴾ جمع سكران، أي كأنهم سكارى وأفراد الخطاب هنا بعد جمعه في ترونها لأن الزلزلة يراها الجميع لكونها أمراً مغايراً للناس بخلاف الحالة القائمة بهم من أثر السكر فإن كل أحد لا يرى إلا ما قام بغيره والسكر حالة تعرض بين المرء وعقله وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب وقد يعتري من الغضب والعشق ولذا قال الشاعر:

سكران سكر هوى وسكر مدامة

ومنه سكرات الموت.

قال جعفر رضي الله عنه: أسكرهم ما شاهدوا من بساط العز والجبروت وسرادق الكبرياء حتى ألجأ النبيين إلى أن قالوا نفسي نفسي.

دران روز كزفعل پرسند وقول أولو العزم راتن بلرزد زهول
بجابي كه دهشت خورد انبيا توعذر كنه راچه داري بيا

﴿وما هم بسكارى﴾ حقيقة. قال الكاشفي: [زيرا زوال عقل ازخوف وحيرت سكر نباشد واكر رأي العين مانند سكر نمايد] وفيه إشارة إلى أن الصور الأخروية وإن كانت مثل الصور الدنيوية في ظاهر النظر لكن بين الحقيقتين تخالف ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يشبه شيء مما في الجنة شيئاً مما في الدنيا إلا بالاسم.

واعلم أن السكر من أنواع شتى. فمن شراب الغفلة والعصيان. ومن حب الدنيا وشهواتها. ومن التنعم. ومن لذة العلم ومن الشوق. ومن المحبة. ومن الوصال. ومن المعرفة. ومن المحبية والمحبوبية كما قال بعضهم:

لي سكرتان وللندمان واحدة شيء خصصت به من بينهم وحدي

﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ فغشيهم هوله وطير عقولهم وسلب تمييزهم وللعذاب نيران نار جهنم ونار القطيعة والفراق ونار الاشتياق ونار الفناء في النار والبقاء بالنار كقوله تعالى: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ [النمل: ٨] وكانت استغاثة النبي عليه السلام بقوله: «كلميني يا حميراء» من فوران هذه النار وهيجانها والله اعلم.

قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: لو أمرني الله أن أقسم العذاب بين الخلق ما قسمت للعاشقين عذاباً. قال الحافظ:

هرچند غرق بحر كناهم زصد جهت كرآشناي عشق شوم زاهل رحمتم

قال بعضهم: نزلت هاتان الآيتان في غزوة بني المصطلق ليلاً فقرأهما رسول الله على أصحابه فلم ير أكثر باكياً من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدراً وكانوا بين حزين وباك ومفكر فقال عليه السلام: «أتدرون أي يوم ذلك» فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذلك يوم يقول الله لآدم يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول اخرج بعث النار فيقول من كل كم قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين» قال عليه السلام: «فذلك» أي التقاول «حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى» أي: من الخوف ﴿وما هم بسكارى﴾ أي من الخمر ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ فكبر ذلك على المسلمين فبكوا وقالوا يا رسول الله أينا ذلك فقال:

«أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً ومنكم رجل» ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة» فكبروا وحمدوا الله ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا وحمدوا الله ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة وإن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً ثمانون منها أمتي وما المسلمون إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الحمار بل كالشعرة السوداء في الثور الأبيض وكالشعرة البيضاء في الثور الأسود»، ثم قال: «ويدخل من أمتي سبعون ألفاً الجنة بغير حساب» فقال عمر رضي الله عنه سبعون ألفاً قال: «نعم ومع كل ألف سبعون ألفاً» فقام عكاشة بن محصن رضي الله عنه فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال ﷺ: «أنت منهم فقام رجل من الأنصار فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال عليه السلام: «سبقك بها عكاشة».

قال: بعض أرباب الحقائق وجه كون هذه الأمة ثمانين صفاً أن الله تعالى قال في حقهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠﴾ [المؤمنون: ١٠] ولما كانت الجنة دار أبيهم آدم فالأقرب إليه من أولاده يحجب الأبعد وأقرب بنيه إليه وأفضلهم على الإطلاق هو محمد ﷺ وأمته فكان ثلثا الجنة للأصل الأقرب وبقي الثلث للفرد الأبعد وذلك أن الأمة المحمدية أقرب إلى الكمال من سائر الأمم كالذكر أقرب إلى الكمال من الأنثى وللذكر مثل حظ الأنثيين ولهذا السر يكنى آدم في الجنة بأبي محمد ولا شك أنه عليه السلام أبو الأرواح كما أن آدم أبو البشر فالأب الحقيقي يحجب أولاد أولاده فأمته هم الأولاد الأقربون وسائر الأولاد هم الأبعدون.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤﴾.

﴿ومن الناس﴾ مبتدأ، أي وبعض الناس وهو النضر بن الحارث وكان جدلاً يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين ولا بعث بعد الموت ﴿من يجادل﴾ الجدال المفاوضة على سبيل المنازعة والمقاتلة وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله كأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه ﴿في الله﴾ أي في شأنه ويقول فيه ما لا خير فيه من الأباطيل حال كون ذلك المجادل ملابساً ﴿بغير علم﴾ [بي دانشي وبي معرفتي وبي برهاني وحجتي].

والآية عامة في كل ذات كافر يجادل الله وصفاته بالجهل وعدم اتباع البرهان.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من يجادل في الله ما له علم بالله ولا معرفة به وإلا لم يجادل فيه ولم يستسئل وإنما يجادل لاتباعه الشيطان كما قال: ﴿ويتبع﴾ في جداله وعامة أحواله ﴿كل شيطان مريد﴾ متجرد للفساد متعر من الخيرات وهم رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم إلى الكفر أو إبليس وجنوده يقال: مرد الشيء إذا جاوز حد مثله وأصله العري يقال: غلام أمرد وغصن أمرد إذا عري من الشعر والورق.

وروي (أهل الجنة مرد) فقد حمل على ظاهره وقيل إن معناه معرّون عن المقابح والشوائب ﴿كتب عليه﴾ أي قضى على كل شيطان من الجن والإنس كما في «التأويلات النجمية».

قال الكاشفي [نوشته شده است بان ديو درلوح محفوظ] ﴿أنه﴾ أي الشأن ﴿من﴾ [هركس كه] ﴿تولاه﴾ اتخذه ولياً وتبعه ﴿فأنه يضله﴾ بالفتح على أنه خبر مبتدأ محذوف أي

فشأن الشيطان أن يضل من تولاه عن طريق الحق ﴿ويهديه﴾ يدله ﴿إلى عذاب السعير﴾بحمله على مباشرة ما يؤدي إليه من السيئات وإضافة العذاب إلى السعير وهي النار الشديدة الاشتغال بيانية كشجر الاراك.

وعن الحسن أنه اسم من أسماء جهنم.

قال في «التأويلات النجمية»: أما الشيطان الجني فيضله بالوساوس والتسويلات والقاء الشبه وأما الشيطان الإنسي فبإيقاعه في مذاهب أهل الأهواء والبدع والفلاسفة والزنادقة المنكرين للبعث والمستدلين بالبراهين المعقولة بالعقول المشوبة بشوائب الوهم والخيال وظلمة الطبيعة فيستدل بشبههم ويتمسك بعقائدهم حتى يصير من جملتهم ويعد في زمرتهم كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] ويهديه بهذه الاستدلالات والشبهات إلى عذاب السعير سعير القطيعة والحرمان انتهى.

واعلم أن الكمال الآدمي في العلوم الحقيقية وهي أربعة:

الأول: معرفة النفس وما يتعلق بها.

والثاني: معرفة الله تعالى وما يتعلق به.

والثالث: معرفة الدنيا وما يتعلق بها.

والرابع: معرفة الآخرة وما يتعلق بها وأهل التقليد دون أهل الاستدلال وهم دون أهل الإيقان وهم أهل العيان ولا بد للسالك أن يجهد في الوصول إلى مرتبة العيان وذلك بتسليك مرشد كامل فإن الاتباع بغيره لا يوصل إلى المنزل. قال المولى الجامي:

خواهي بصوب كعبة تحقيق ره بري   بي برپي مقلدكم كرده ره مرو

وعند الوصول إلى مرتبة العيان يلزم غسل الكتب فإنه لا يحتاج إلى الدليل بعد الوصول إلى المدلول وفي «المثنوي»:

چون شدي برباماهاي آسمان   سرد باشد جست وجوي نردبان
آينه روشن كه شد صاف وجلي   جهل باشد برنهادن صيقلي
پيش سلطان خوش نشسته در قبول   زشت باشد جستن نامه ورسول

وعند هذا المقام ينقطع الجدل من الأنام إذ لا جدال بعد العلم الحقيقي ولا اتباع للشيطان الأسود والأبيض بعد حط الرحل في عالم الذات الذي لا يدخله الشيطان وهو مقام آمن من شر الوسواس الخناس.

فعلى العاقل الاجتهاد في الليل والنهار لتزكية النفس وقمع الإنكار فإنه جهاد أكبر إذ النفس من الأعداء الباطنة التي يستصعب الاحتراز عنها.

نفس ازدرون وديو زبيرون زندرهم   ازمكراين دورهزن پرحيله چون كنم

نسأل الله سبحانه أن يحفظنا من شر الأعداء ويجعلنا تابعين للحق الصريح الذي لا محيد عنه إنه أعظم ما يرجى منه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ

لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾.

﴿يا أيها الناس﴾ يا أهل مكة المنكرين للبعث **﴿إن كنتم في ريب من البعث﴾** البعث الإخراج من الأرض والتسيير إلى الموقف وجيء بأن مع كثرة المرتابين لاشتمال المقام على ما يقلع الريب من أصله وتصوير أن المقام لا تصلح إلا لمجرد الفرض له كما يفرض المحال إن كنتم في شك من إمكان الإعادة وكونها مقدورة له تعالى أو من وقوعها. **﴿فإنا خلقناكم﴾** ليس جزاء للشرط لأن خلقهم مقدم على كونهم مرتابين بل هو علة للجزاء المحذوف أي فانظروا إلى مبدأ خلقكم ليزول ريبكم أي خلقنا كل فرد منكم خلقاً إجمالياً **﴿من تراب﴾** في ضمن خلق آدم منه وفي الحديث: «إن الله جعل الأرض ذلولاً تمشون في مناكبها وخلق بني آدم من تراب ليذلهم بذلك فأبوا إلا نخوة واستكباراً ولن يدخل الجنة من كان في قلبه حبة من خردل من كبر» **﴿ثم﴾** خلقناكم خلقاً تفصيلياً **﴿من نطفة﴾** هي الماء الصافي قلّ أو كثر ويعبر بها عن ماء الرجل من نطف الماء إذا سال أو من النطف وهو الصب **﴿ثم من علقة﴾** قطعة من الدم جامدة مكونة من المني **﴿ثم من مضغة﴾** أي قطعة من اللحم مكونة من العلق وهي في الأصل مقدار ما يمضغ **﴿مخلقة﴾** بالجر صفة مضغة أي مستبينة الخلق مصورة. **﴿وغير مخلقة﴾** أي: لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها أولاً قطعة لم يظهر فيها شيء من الأعضاء ثم ظهر بعد ذلك شيء لكنه آخر غير المخلقة لكونها عدم الملكة كذا في «الإرشاد».

ويؤيده قول حضرة النجم في «التأويلات»: **﴿مخلقة﴾** أي منفوخة فيها الروح **﴿وغير مخلقة﴾** أي صورة لا روح فيها وفي الحديث: «إن أحدكم يجمع خلقه» أي: يحرز ويقر مادة خلقه «في بطن أمه» أي: في رحمها من قبيل ذكر الكل وإرادة الجزء «أربعين يوماً». ـ روي ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النطفة إذا وقعت في الرحم فأراد الله أن يخلق منها تنشر في بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعرة فتمكث أربعين ليلة ثم تنزل دماً في الرحم فذاك جمعها «ثم تكون علقة مثل ذلك ثم تكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح» وهذا يدل على أن التصوير يكون في الأربعين الثاني لكن المراد تقدير تصويرها لأن التصوير قبل المضغة لا يتحقق عادة «ويؤمر بأربع كلمات» يعني يؤمر الملك بكتابة أربع من القضايا وكل قضية سميت كلمة «بكتب رزقه وأجله» أي: مدة حياته «وعمله وشقي» وهو من وجبت له النار «أو سعيد» وهو من وجبت له الجنة قدم ذكر شقي لأن أكثر الناس كذا **﴿لنبين لكم﴾** أي خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك أمر البعث والنشور فإن من قدر على خلق البشر أولاً من تراب لم يشم رائحة الحياة قط فهو قادر على إعادته.

بعث إنسان كرنشد عيان ... أول خلقش نكر هذا بيان
هر كه برايجاد أو قادر بود ... قدرتش بربعث أو ظاهر شود
أوست خلاقي كه از بعد خزان ... ميكند پيدا بهار بوستان

﴿ونقر في الأرحام ما نشاء﴾ استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم أي ونحن نقر في الأرحام بعد ذلك ما نشاء أن نقره فيها **﴿إلى أجل مسمى﴾** وقت معين هو وقت الوضع

وأدناه ستة أشهر عند الكل وأقصاه سنتان عند أبي حنيفة رحمه الله وأربع سنين عند الشافعي وخمس سنين عند مالك. روي: أن الضحاك بن مزاحم التابعي مكث في بطن أمه سنتين ومالكاً ثلاث سنين كما ذكره السيوطي وأخبر الإمام رحمه الله أن جارة له ولدت ثلاثة أولاد في اثنتي عشرة سنة تحمل أربع سنين وفيه إشارة إلى أن بعض ما في الأرحام لا يشاء الله تعالى إقراره فيها بعد تكامل خلقه فيسقط. **﴿ثم نخرجكم﴾** أي من بطون أمهاتكم بعد إقراركم فيها عند تمام الأجل المسمى حال كونكم. **﴿طفلاً﴾** أطفالاً بحيث لا تقومون لأموركم من غاية الضعف والأفراد باعتبار كل واحد منهم أو بإرادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد والطفل الولد ما دام ناعماً كما في «المفردات».

وقال المولى الفناري في تفسير الفاتحة حد الطفل من أول ما يولد إلى أن يستهل صارخاً إلى انقضاء ستة أعوام **﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾** علة لنخرجكم معطوفة على علة أخرى مناسبة لها كأنه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئاً فشيئاً ثم لتبلغوا كما لكم في القوة والعقل والتمييز وهو فيما بين الثلاثين والأربعين.

وفي «القاموس»: ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين واحد جاء على بناء الجمع كآنك ولا نظير لهما انتهى.

﴿ومنكم من يتوفى﴾ أي: يقبض روحه ويموت بعد بلوغ الأشد أو قبله والتوفي عبارة عن الموت وتوفاه الله قبض روحه **﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾** وهو الهرم والخرف والرذل والرذال المرغوب عنه لرداءته والعمر مدة عمارة البدن بالحياة. **﴿لكيلا يعلم من بعد علم﴾** كثير **﴿شيئاً﴾** أي شيئاً من الأشياء أو شيئاً من العلم وهو مبالغة في انتقاض علمه وانتكاس حاله وإلا فهو يعلم بعض الأشياء كالطفل أي ليعود إلى ما كان عليه آوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما عمله وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وقد سبق بعض ما يتعلق بهذه الآية في سورة النحل عند قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ [النحل: ٧٠] الآية. قال الشيخ سعدي قدس سره.

طرب نوجوان زپير مجوى ... كه دكر نايد آب رفته بجوى
زرع راچون رسيد وقت درو ... نخرامد چنانكه سبزهٔ نو

وقال:

چو دوران عمر ازجهل دركذشت ... مزن دست وپاكاب از سركذشت
بسبزي كجا تازه كردد دلم ... كه سبزى نخواهد دميد از كلم
تفرج كنان در هوا وهوس ... كذشتيم بر خاك بسيار كس
كساني كه ديكر بغيت اندرند ... بيايند وبر خاك مابكذرند
دريغاكه فصل جواني كذشت ... بلهو ولعب زندكاني كذشت
چه خوش كفت باكودك آموزكار ... كه كاري نكرديم وشد روزكار

قال النسفي في «كشف الحقائق»: [أي درويش جهل پيش ازعمل دوزخست وجهل بعد ازعلم بهشت است ازجهت آنكه جهل پيش از علم سبب حرص وطمعست وجهل بعد ازعلم سبب رضا وقناعت است].

وفي «عرائس البقلي»: ارذل العمر أيام المجاهدة بعذ المشاهدة وأيام الفترة بعد المواصلة

لكيلا يعلم بعد علم بما جرى عليه من الأحوال الشريفة والمقامات الرفيعة وهذا غيرة الحق على المحققين حين أفشوا أسراره بالدعاوى الكثيرة أستعيذ بالله وأستزيد منه فضله وكرمه ليخلصنا به من فتنة النفس وشرها.

وفي «التأويلات النجمية»: في الآية إشارة إلى أن أطفال المكونات كانوا في أرحام أمهات العدم متقررين بتقرير الحق إياهم فيها ولكل خارج منها أجل مسمى بالإرادة القديمة والحكمة الأزلية فلا يخرج طفل مكون من رحم العدم إلا بمشيئة الله تعالى وأوان أجله وهذا رد على الفلاسفة يقولون بقدم العالم ويستدلون في ذلك بأنه هل كان لله تعالى في الأزل أسباب الإلٰهية في إيجاد العالم بالكمال أو لا فإن قلنا لم تكن أثبتنا له نقصاناً فالناقص لا يصلح للإلٰهية وإن قلنا قد كان له أسباب الإلٰهية بالكمال بلا مانع يلزم إيجاد العالم في الأزل بلا تقدم زماني للصانع على المصنوع بل بتقدم رتبي فنقول في جوابهم إن الآية تدل على أن الله تعالى كان في الأزل ولم يكن معه شيء شاء وكان قادراً على إيجاد ما يشاء كيف شاء ولكن الإرادة الأزلية اقتضت بالحكمة الأزلية أجلاً مسمى بإخراج طفل العالم من رحم العدم أوان أجله وإن لم يكن قبل وجود العالم أوان وإنما كان مقدار الأوان في أيام الله التي لم يكن لها صباح ولا مساء كما قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥] وبقوله: **﴿نخرجكم﴾** الخ يشير إلى أن كل طفل من أطفال المكونات يخرج من رحم العدم مستعداً للتربية وله كمال يبلغه بالتدريج ومن المكونات ما ينعدم قبل بلوغ كماله ومنها ما يبلغ كماله ثم يتجاوز عن حد الكمال فيؤول إلى ضد الكمال لكيلا يبقى فيه من أوصاف الكمال شيء وذلك معنى قوله: **﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾**.

دفتر دانش من جملة بشوييد بمى   تاشودازنم فيض ازلي جانم حي

﴿وترى الأرض﴾ يا من شأنه الرؤية وهو حجة أخرى على البعث **﴿هامدة﴾** ميتة يابسة همدت النار إذا صارت رماداً **﴿فإذا﴾** [بس جون] **﴿أنزلنا عليها الماء﴾** أي المطر **﴿اهتزت﴾** تحركت بالنبات والاهتزاز الحركة الواقعة على البهجة والسرور فلا يكاد يقال اهتز فلان لكيت وكيت إلا إذا كان الأمر من المحاسن والمنافع. **﴿وربت﴾** انتفخت وازدادت من ربا يربو ربا زاد ونما والفرس ربوا انتفخ من عدو وفزع كما في «القاموس» **﴿وأنبتت من كل زوج﴾** صنف **﴿بهيج﴾** البهجة حسن اللون وظهور السرور فيه وابتهج بكذا سروراً بان أثره في وجهه. والمعنى حسن رائق يسر ناظره: وبالفارسية [تازه وترونيكو وبهجت افزاي بس قادري كه زمين مرده را بابي زنده سازد تواناست برآنكه اجزاي موتي را جمع ساخته بهمان حال كه بوده اندباز كرداند.].

آنكه پى دانهٔ نهال افراخت   دانهٔ هم شجر تواند ساخت

كرد نابوده را بقدرت بود   چه عجب كردهد ببوده وجود

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾.

﴿ذلك بأن الله﴾ أي ذلك الصنع البديع وهو خلق الإنسان على أطوار مختلفة وتصريفه في أطوار متباينة وإحياء الأرض بعد موتها حاصل بسبب أنه تعالى: **﴿هو الحق وأنه يحيي الموتى﴾** أي شأنه وعادته إحياؤها وحاصله أنه تعالى قادر على إحيائها بدءاً وإعادة وإلا لما أحيا

النطفة والأرض الميتة مراراً بعد مرار. ﴿**وأنه على كل شيء قدير**﴾ مبالغ في القدرة وإلا لما أوجد هذه الموجودات. ﴿**وأن الساعة**﴾ أي: القيامة ﴿**آتية**﴾ فيما سيأتي لمجازاة المحسن والمسيء ﴿**لا ريب فيها**﴾ إذ قد وضح دليلها وظهر أمرها وهو خبر ثانٍ ﴿**وأن الله يبعث**﴾ [برمي انكيزد] أي بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف. ﴿**من في القبور**﴾ جمع قبر وهو مقر الميت والبعث هو أن ينشر الله الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها وأنكره الفلاسفة بناء على امتناع إعادة المعدوم قلنا إن الله يجمع الأجزاء الأصلية للإنسان وهي الباقية من أول عمره إلى آخره ويعيد روحه إليه سواء سمي ذلك إعادة المعدوم بعينه أم لا، وأما الأجزاء المأكولة فإنما هي فضل في الأكل فليست بأصلية. روي: أن السماء تمطر مطراً يشبه المني فمنه النشأة الآخرة كما أن النشأة الدنيا من نطفة تنزل من بحر الحياة إلى أصلاب الآباء ومنها إلى أرحام الأمهات فيتكون من قطرة الحياة تلك النطفة جسداً في الرحم وقد علمنا أن النشأة الأولى أوجدها الله على غير مثال سبق وركبها في أي صورة شاء وهكذا النشأة الآخرة يوجدها الحق على غير مثال سبق مع كونها محسوسة بلا شك فينشىء الله النشأة الأخرى على عجب الذنب الذي يبقى من هذا النشأة الدنيا وهو أصلها فعليه تركب النشأة الآخرة ثم إن الله تعالى كما يحيي الأرض والموتى بالماء الصوري كذلك القلوب القاسية بالماء المعنوي وهو الاذكار وأنوار الهداية.

فالعاقل يجتهد في تنوير القلب وإحيائه بأنوار الطاعات والاذكار كي يتخلص من ظلمات الشكوك والشرك جلياً كان أو خفياً ولا شك أن الجسد من الروح كالقبر من الميت ينتفع في قبره بدعوات الأحياء كذلك الروح يترقى إلى مقامه العلوي بما حصل من إمداد القوى والأعضاء نسأل الله الحياة الأبدية بفضله وكرمه.

اكر هوشمندي بمعنى كراي كه معنى بماندنه صورت بجاي

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩﴾.

﴿**ومن الناس من**﴾ هو أبو جهل ﴿**يجادل في الله**﴾ حال كون ذلك المجادل ﴿**بغير علم**﴾ ضروري أو بديهي فطري ﴿**ولا هدى**﴾ استدلال ونظر صحيح هاد إلى المعرفة.

قال الكاشفي: [وبادليلي كه راه نمايد بمقصد] ﴿**ولا كتاب منير**﴾ وحي مظهر للحق.

قال الكاشفي: [وبي كتابي روشن كه بدان صواب از خطا ظاهر كردد] أي يجادل في شأنه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعي بل بمحض التقليد والجدال بغير هذه الأمور الثلاثة شهادة على المجادل بإفراطه في الجهل في الله ويستحيل عليه بانهماكه في الغي والضلال. ﴿**ثاني عطفه**﴾ حال أخرى من فاعل يجادل من ثنى العود إذا حناه وعطفه لأنه ضم أحد طرفيه إلى الآخر وعطف الإنسان بكسر العين جانبه من رأسه إلى وركه أو قدمه.

قال ابن الشيخ العطف بكسر العين الجانب الذي يعطفه الإنسان ويلويه ويميله عند الإعراض عن الشيء وبفتح العين التعطف والبر وثنى العطف وكناية عن التكبر كلي الجيد والشدق.

ففي الجلالين لاوي عنقه تكبرا

وفي «التفسير الفارسي»: [پيچيده دامن خوداست واين كنايه باشد ازتكبرچه متكبر دامن ازهر چيز درمي چيند].

وفي «الإرشاد»: عاطفاً بجانبه وطاوياً كشحه معرضاً متكبراً **﴿ليضل عن سبيل الله﴾** متعلق بيجادل فإن غرضه الإضلال عنه وإن لم يعترف بأنه إضلال أي ليخرج المؤمنين من الهدى إلى الضلال أو ليثبت الكفرة عليه. **﴿له في الدنيا خزي﴾** الخزي الهوان والفضيحة أي ليثبت في الدنيا بسبب ما فعله خزي وهو ما أصابه يوم بدر من القتل والصغار. **﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾** الحريق بمعنى المحرق فيجوز أن يكون من إضافة المسبب إلى سببه على أن يكون الحريق عبارة عن النار وأن يكون من إضافة الموصوف إلى صفته والأصل العذاب الحريق.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾.

﴿ذلك﴾ أي يقال له يوم القيامة ذلك الخزي في الدنيا وعذاب الآخرة كائن. **﴿بما قدمت يداك﴾** بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي وإسناده إلى يديه لما أن الاكتساب عادة بالأيدي ويجوز أن يكون الكلام من باب الالتفات لتأكيد الوعيد وتشديد التهديد. **﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾** محله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم.

فإن قلت: الظاهر أن يقال ليس بظالم للعبيد ليفيد نفي أصل الظلم ونفي كونه مبالغاً مفرطاً في الظلم لا يفيد نفي أصله.

قلت: المراد نفي أصل الظلم وذكر لفظ المبالغة مبني على كثرة العبيد فالظالم لهم يكون كثير الظلم لإصابة كل منهم ظلماً لأن العبيد دال على الاستغراق فيكون ليس بظالم لهذا ولا ذلك إلى ما لا يحصي وأيضاً أن من عدله تعالى أن يعذب المسيء من العبيد ويحسن إلى المحسن ولا يزيد في العقاب ولا ينقص من الأجر لكن بناء على وعده المحتوم فلو عذب من لا يستحق العذاب لكان قليل الظلم منه كثيراً لاستغنائه عن فعله وتنزيهه عن قبحه وهذا كما يقال زلة العالم كبيرة وفي المرفوع: «يقول الله تعالى: إني حرمت الظلم على نفسي وحرمته على عبادي فلا يظلمون» يقال: من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه وشر الناس من ينصر الظلوم ويخذل المظلوم.

وفي الآية إشارة إلى أن العبيد ظلامون لأنفسهم كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨] بأن يضعوا العبادة والطلب في غير موضعه: قال المولى الجامي:

قصد ما ابروي تست ازسجده در محرابها   كرنباشد نيت خالص چه حاصل ازعمل

واعلم أن جدال المنافق والمرائي وأهل الأهواء والبدع مذموم وأما من يجادل في معرفة الله ودفع الشبه وبيان الطريق إلى الله تعالى بالعلم بالله وهدي نبيه عليه السلام وشاهد نص كتاب منير يظهر بنوره الحق من الباطل فجداله محمود.

قال بعضهم: البحث والتفتيش عما جاءت به السنة بعد ما وضح سنده يجر الباحث إلى التعمق والتوغل في الدين فإنه مفتاح الضلال لكثير من الأمة يعني الذين لم يرزقوا بأذهان وقادة

وقرائح نقادة وما هلكت الأمم الماضية إلا بطول الجدال وكثرة القيل والقال فالواجب أن يعض بأضراسه على ما ثبت من السنة ويعمل بها ويدعو إليها ويحكم بها ولا يصغي إلى كلام أهل البدعة ولا يميل إليهم ولا إلى سماع كلامهم فإن كل ذلك منهي شرعاً وقد ورد فيه وعيد شديد وقد قالوا الطبع جذاب والمقارنة مؤثرة والأمراض سارية: قال المولى الجامي قدس سره.

بهوش باش كه راه بسي مجرد زد عروس دهر كه مكاره است ومحتاله
بلاف ناخلفان زمانه غره مشو ومروجو سامري ازره ببانك كوساله

في كلام أهل البدعة والأهواء كخوار العجل فكما أن السامري ضل بذلك الخوار وأضل كثيراً من بني إسرائيل فكذا كل من كان في حكمه فإنه يغتر بأوهامه وخيالاته ظناً أنها علوم صحيحة فيدعو أهل الأوهام إليها فيضلهم بخلاف من له علم صحيح وكشف صريح فإنه لا يلتفت إلى كلمات الجهال ولا يميل إلى خارق العادة ألا ترى أن من ثبت على دين موسى لم يصغ إلى الخوار وعرف أنه ابتلاء من الله تعالى فويل للمجادل المبطل وويل للسامع إلى كلامه وقد ذم الله تعالى هذا المجادل بالكبر وهو من الصفات العائقة عن قبول الحق ولا شيء فوقه من الذمائم.

وعن أرسطو من تكبر على الناس أحب الناس ذلته.

وعنه: بإصابة المنطق يعظم القدر.

وبالتواضع تكثر المحبة.

وبالحلم تكثر الأنصار.

وبالرفق يستخدم القلوب.

وبالوفاء يدوم الإخاء.

وبالصدق يتم الفضل. نسأل الله التخلي عن الصفات القبيحة الرذيلة والتحلي بالملكات الحسنة الجميلة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾

﴿ومن الناس﴾. روي: أن الآية نزلت في أعاريب قدموا المدينة وكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرياً سرياً وولدت امرأته ولداً وكثر ماله وماشيته قال: ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيراً واطمأن وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شراً وانقلب فقال تعالى وبعض الناس: **﴿من يعبد الله﴾** حال كونه **﴿على حرف﴾** أي على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه فلا ثبات له فيه كالذي ينحرف على طرف الجيش فإن أحس بظفر قر وإلا فرّ فالحرف الطرف والناحية وصف الدين بما هو من صفات الأجسام على سبيل الاستعارة التمثيلية.

قال الراغب: حروف الهجاء أطراف الكلمة الرابطة بعضها ببعض **﴿فإن أصابه﴾** [پس اكر برسد اورا] **﴿خير﴾** أي دنيوي من الصحة والسعة **﴿اطمأن﴾** في الدين **﴿به﴾** بذلك الخير والاطمئنان السكون بعد الانزعاج.

قال الكاشفي [آرام كير بدين وثابت شود برآن بسبب آن چيز] انتهى أي ثبت على ما كان عليه ظاهراً لا باطناً إذ ليس له اطمئنان المؤمنين الراسخين **﴿وإن أصابته فتنة﴾** أي: شيء يفتن

به من مكروه يعتريه في نفسه أو أهله أو ماله فالمراد بالفتنة ما يستكرهه الطبع ويثقل على النفس وإلا لما صح أن يجعل مقابلاً للخير لأنه أيضاً فتنة وامتحان وإن أصابه شر مع أنه المقابل للخير لأن ما ينفر عنه الطبع ليس شراً في نفسه، بل هو سبب القربة ورفع الدرجة بشرط التسليم والرضى بالقضاء. **﴿انقلب على وجهه﴾** الانقلاب الانصراف والرجوع والوجه بمعنى الجهة والطريقة أي ارتد ورجع إلى الكفر.

قال الكاشفي: [بركردد برروي خود يعني ازجهتي كه آمده بدان جهت عودكند مراد آنست كه مرتد كردد واز دين إسلام دست بردارد].

يقول الفقير: قوله في «بحر العلوم»: تحول عن وجهه فانكب فرجع إلى ما كان عليه من الكفر يشير إلى أن على بمعنى عن كما ذهب إليه بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] حيث فسره بالجهة التي أقبل إليها وهي الإسلام **﴿خسر الدنيا والآخرة﴾** فقدهما وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد والأظهر أن خسران الدنيا ذهاب أهله حيث أصابته فتنة وخسران الآخرة الحرمان من الثواب حيث ذهب الدين، ودخل النار مع الداخلين كما قال الكاشفي: [زيان كرددر دنيا كه بمراد نرسد وزيان دارد در آخرت كه عملهاي أونابود شد] **﴿ذلك﴾** [زيان هردو سراي] **﴿هو الخسران المبين﴾** [آنست زيان هويدا چه برهمه عقلاً ظاهر اسن زيان ازان عظيم ترنيست].

نه مال ونه أعمال نه دنيا ونه دين لامعهٔ صدق ونه أنوار يقين
درهر دوجهان منفعل وخوار وحزين البته زياني نبود بدتر ازين

قال بعضهم: الخسران في الدنيا ترك الطاعات ولزوم المخالفات والخسران في الآخرة كثرة الخصوم والتبعات.

﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾.

﴿يدعو من دون الله﴾ استئناف مبين لعظم الخسران فيكون الضمير راجعاً إلى المرتد المشرك أي يعبد متجاوزاً عبادة الله تعالى: **﴿ما لا يضره﴾** إذا لم يعبده **﴿وما لا ينفعه﴾** إن عبده أي جماداً ليس من شأنه الضر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما **﴿ذلك﴾** الدعاء **﴿هو الضلال البعيد﴾** عن الحق والهدى مستعاراً من ضلال من أبعد في التيه ضالاً عن الطريق فطالت وبعدت مسافة ضلاله فإن القرب والبعد من عوارض المسافة الحسية.

﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير﴾ الدعاء بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولاً له ومن مبتدأ وخبره مبتدأ ثان خبره أقرب والجملة صلة للمبتدأ الأول وقوله لبئس الخ جواب لقسم مقدر وهو وجوابه خبر للمبتدأ الأول وإيثار من على ما مع كون معبوده جماداً وإيراد صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالكلية للمبالغة في تقبيح حاله والإمعان في ذمه، أي: يقول ذلك الكافر يوم القيامة بدعاء وصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه أثر النفع أصلاً لمن ضره أقرب من نفعه والله لبئس الناصر ولبئس الصاحب والمعاشر والخليط هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية، فالآية استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه ضالاً بعيداً والظاهر أن

اللام، زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة بغير اللام أي يعبد من ضره بكونه معبوداً لأنه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة أقرب من نفعه الذي يتوقع بعبادته في زعمهم وهو الشفاعة والتوسل إلى الله فإيراد كلمة من وصيغة التفضيل تهكم به والجملة القسمية مستأنفة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾.

﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾بيان لكمال حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى أثر بيان سوء حال الكفرة. والجنة الأرض المشتملة على الأشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها والنهر مجرى الماء الفائض فإسناد الجري إلى الأنهار من الإسناد الحكمي كقولهم سال الميزاب إذ الجريان من أوصاف الماء لا من أوصاف النهر ووصف الجنات به دلالة على أنها من جنس ما هو أبهى الأماكن التي يعرفونها لتميل إليها طباعهم كما قال الكاشفي [غايت نزهت باغ وبستان بآب روانست] **﴿إن الله يفعل ما يريد﴾**أي يفعل البتة كل ما يريده من إثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع.

وفي الآيات إشارات، منها: أن من يعبد الله على طبع وهوى ورؤية عوض وطمع كرامات ومحمدة الخلق ونيل الدنيا فإذا أصابته أمانيه سكن في العبادة وإذا لم يجد شيئاً منها ترك التحلي بتحلية الأولياء فخسرانه في الدنيا فقدان القبول والجاء عند الخلق وافتضاحه عندهم وسقوطه من طريق السنة والعبادة إلى الضلالة والبدعة وخسرانه في الآخرة بقاؤه في الحجاب عن مشاهدة الحق واحتراقه بنيران البعد، وأيضاً أن بعض الطالبين ممن لا صدق له ولا ثبات في الطلب يكون من أهل التمني فيطلب الله في شك فإن أصابه شيء مما يلائم نفسه وهواه، أو فتوح من الغيب أقام على الطلب في الصحبة وإن أصابه بلاء أو شدة وضيق في المجاهدات والرياضات وترك الشهوات ومخالفة النفس وملازمة الخدمة ورعاية حق الصحبة والتأدب بآداب الصحبة والتحمل من الإخوان انقلب على وجه يتبدل الإقرار بالإنكار والاعتراض والتسليم بالآباء والاستكبار والإرادة بالارتداد والصحبة بالهجران خسر ما كان عليه من الدنيا وبتركه وخسر الآخرة بارتداده عن الطلب والصحبة.

ومن هنا قال الشيخ مرتد الطريقة شر من مرتد الشريعة ذلك هو الخسران المبين فإن من رده صاحب قلب يكون مردود القلوب كلها كما أن من قبله يكون مقبول الكل. قال الحافظ:

كليد كنج سعادت قبول أهل دلست — مباد كس كه درين نكته شك وريب كند

شبان وادىء أيمن كهي رسد بمراد — كه چندان سال بجان خدمت شعيب كند

يقول الفقير: المسلمون صنفان صنف مشتغل بالجهاد الأصغر وصنف مشتغل بالجهاد الأكبر فضعفاء الصنف الأول يكونون على طرف الجيش والثاني على طرف الدين فإن كان الأمر على مرادهم أقبلوا وإلا أدبروا وفي ذلك خسارة لهم من جهة الدنيا والآخرة لأنهم يغلبهم الكفار والنفس الأمارة في الدنيا ويفوت عنهم درجات السعداء في الآخرة فلا يظفرون بغنيمة مطلقاً فلا بد من الصبر على المشاق.

وقال الشيخ سعدي في وصف الأولياء.

خوشا وقت شوريد كان غمش اكر زخم بينند اكر مرهمش
دماً دم شراب ألم در كشند وكر تلخ بينند دم در كشند
نه تلخست صبري كه برياد أوست كه تلخي شكر باشد ازدست دوست

ومنها: أن من يعبد الله يعبد الضار والنافع الذي يصدر منه كل نفع وضر إما بواسطة الملائكة والإنس والجمادات أو بغير الواسطة وأما من يعبد ما سواه تعالى فيعبد ما لا يضر وما لا ينفع وذلك لأن الملك أو الإنسان أو الشيطان أو شيئاً من المخلوقات من فلك أو كوكب أو غيرها لا يقدر على خير أو شر بنفسه أو نفع أو ضر بل كل ذلك أسباب مسخرة لا يصدر منها إلا ما سخرت له وجملة ذلك بالإضافة إلى القدرة الأزلية كالقلم بالإضافة إلى الكاتب فلبئس المولى ما عبده وطلبه من دون الله تعالى ولبئس العشير أي ما عاشره وشهواتها.

ومنها: أن من يدخل الجنة من المؤمنين لا يدخل الجنة بمجرد الإيمان التقليدي والأعمال الظاهرية بل يدخله الله بالإيمان الحقيقي الذي كتبه بقلم العناية في قلبه الذي من نتائجه الأعمال الصالحة لوجه الله تعالى.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾

﴿من﴾ شرطية. والمعنى بالفارسية [هركه ازظانين بالله ظن السوء]**﴿كان يظن﴾** يتوهم **﴿أن لن ينصره الله﴾** أي محمداً ﷺ**﴿في الدنيا﴾** بإعلاء دينه وقهر أعدائه**﴿والآخرة﴾** بإعلاء درجته والانتقام من مكذبيه يعني أنه تعالى ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من أعاديه وحساده خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه. **﴿فليمدد بسبب إلى السماء﴾** السبب الذي تصعد به النخل أي ليربط بحبل إلى سقف بيته لأن كل ما علاك فهو سماء**﴿ثم ليقطع﴾**.

قال في «القاموس»: قطع فلان الحبل اختنق، ومنه قوله تعالى: **﴿ثم ليقطع﴾** أي: ليختنق انتهى وسمي الاختناق قطعاً لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه.

قال الكاشفي: [پس ببرد آن رسن را تابزمين افتد وبميرد]**﴿فلينظر﴾** المراد تقدير النظر وتصوره لأن الأمر بالنظر بعد الاختناق غير معقول أي فليتصور في نفسه وليقدر النظر إن فعل **﴿هل يذهبن كيده﴾** فعل ذلك بنفسه وسماه كيداً لأنه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره أو على وجه الاستهزاء لأنه لم يكد به محسوده إنما كاد به نفسه. **﴿ما يغيظ﴾** الغيظ أشد غضب وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه أي ما يغيظه من النصرة كلا يعني أنه لا يقدر على دفع النصرة وإن مات غيظاً كما قال الحافظ:

كرجان بدهد سنك سيه لعل نكردد باطينت أصلي گه كند بد كهر افتاد

وفي الآية إشارة إلى نفي العجز عن الله تعالى وأنه فوق عباده وأنه ينصر أولياءه. روي: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أقبل يهودي بعد وفاة رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد قال أين وصي محمد فأشار القوم إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي فقال أبو بكر سل عما بدا لك فقال اليهودي: أخبرني عما لا يعلم الله وعما ليس لله وعما ليس عند الله فقال أبو بكر هذا كلام الزنادقة وهمّ هو والمسلمون به فقال ابن عباس رضي الله عنهما ما أنصفتم الرجل إن كان عندكم جوابه وإلا فاذهبوا به إلى من يجيبه

فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي رضي الله عنه: «اللهم أيد قلبه وثبت لسانه» فقام أبو بكر ومن حضره حتى أتوا علياً فأفادوا له ذلك فقال أما ما لا يعلمه الله فذلكم يا معشر اليهود قولكم إن عزيراً ابن الله والله لا يعلم أن له ولداً وأما ما ليس لله فليس له شريك وأما ما ليس عند الله فليس عند الله ظلم وعجز فقال اليهودي أشهد أن لا إله إلا الله وإنك وصي رسول الله ففرح المسلمون بذلك.

واعلم أن الكفار أرادوا أن يطفئوا نور الله فأطفأهم الله حيث نصر حبيبه وأنجز وعده وهزم الأحزاب وحده وأما تشديد المحنة في بعض الأحيان وتأخير النصرة فلحكم ومصالح فعلى العبد الصالح الراضي بالله تعالى رباً أن يصبر على أذى الأعداء وحسدهم فإن الحق يعلو ولا يعلى وسيرجع الأمر من المحنة إلى الراحة فيكون أهل الإيمان والإخلاص مستريحين ومن الراحة إلى المحنة فيكون أهل الشرك والنفاق مستراحاً منهم والله تعالى يفعل ما يريد.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾.

﴿وكذلك﴾ أي مثل ذلك الانزال البديع المنطوي على الحكم البالغة. **﴿أنزلناه﴾** أي القرآن الكريم كله حال كونه **﴿آيات بينات﴾** واضحات الدلالة على معانيها اللطيفة. **﴿وأن الله يهدي من يريد﴾** محل الجملة الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي والأمر أن الله تعالى يهدي بالقرآن ابتداء أو يثبت على الهدى أو يزيد فيه من يريد هدايته أو تثبيته أو زيادته وفي الحديث: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين»: أي يرفع بالقرآن درجة أقوام وهم من آمن به وعمل بمقتضاه ويحط به أقواماً آخرين وهم من أعرض عنه ولم يحفظ وصاياه وكان نظر الصحابة رضي الله عنهم وشغلهم في الأحوال والأعمال ولذا كانوا يتعلمون عشر آيات لا يجاوزونها إلى غيرها حتى يعملوا بما فيها.

قال في «الأحياء»: مات النبي عليه السلام عن عشرين ألفاً من الصحابة ولم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف منهم في اثنين فكان أكثرهم يحفظ السورة أو السورتين وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم فالاشتغال بعلم القرآن والعمل بمقتضاه من علامات الهداية ولا بد من الاجتهاد آناء الليل وأطراف النهار إلى أن يحصل المقصود فإن من أراد أن يصل إلى ماء الحياة يقطع الظلمات بلا فتور وجمود والملال من العلم واستماعه سبب الانقطاع عن طريق التحقيق وأثر الحرمان من العناية والتوفيق.

دل ازشنيدن قرآن بكيردت همه وقت   چو باطلان زكلام حقت ملولي چيست

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستتر ببعض من العري وقارىء يقرأ علينا إذ جاء رسول الله ﷺ فقام علينا فلما قام رسول الله سكت القارىء فسلم ثم قال: «ما كنتم تصنعون»؟ قلنا كنا نستمع إلى كتاب الله فقال: «الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم» قال: فجلس وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده: هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم له فقال: «أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم» وذلك

خمسمائة سنة وذلك لأن الأغنياء يوقفون في العرصات ويسألون من أين جمعوا المال وفيم صرفوه ولم يكن للفقراء مال حتى يوقفوا ويسألوا عنه ويعني رسول الله بالفقراء الفقراء الصابرين الصالحين وبالأغنياء الأغنياء الشاكرين المؤدين حقوق أموالهم هذا ثم إن كون القرآن مشتملاً على متشابهات وغوامض لا ينافي كون آياته بينات لأنه ليس فيه ما لا يعلم معناه لكن العلماء يتفاوتون في طبقات المعرفة هدانا الله وإياكم إلى ما هدى العلماء الراسخين إليه وشرفنا في كل غامض بالاطلاع عليه. ﴿**إن الذين آمنوا**﴾ بكل ما يجب أن يؤمن به ﴿**والذين هادوا**﴾ دخلوا في اليهودية.

قال الراغب: الهود الرجوع برفق وصار في التعارف التوبة قال تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أي: تبنا إليك.

قال بعضهم: اليهود في الأصل هو من قولهم هدنا إليك وكان اسم مدح ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازماً لهم وإن لم يكن فيه معنى المدح كما أن النصارى في الأصل من قوله: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: ٥٢] ثم صار لازماً لهم بعد نسخ شريعتهم. ﴿**والصابئين**﴾ أي: الذين صبؤوا عن الأديان كلها أي خرجوا واختاروا عبادة الملائكة والكواكب من صبأ الرجل عن دينه إذا خرج عنه إلى دين آخر، قال الراغب: الصابئون قوم كانوا على دين نوح وقيل لكل خارج من الدين إلى دين آخر صابىء من قولهم: صبأ ناب البعير إذا طلع. ﴿**والنصارى**﴾ جمع نصران ونصرانة مثل الندامى جمع ندمان وندمانة ويستعمل بغير الياء فيقال: رجل نصران وامرأة نصرانة ﴿**والمجوس**﴾.

قال في «القاموس»: مجوس كصبور رجل صغير الأذنين وضع ديناً ودعا إليه معرب «منج كوش» ورجل مجوسي جمعه مجوس كيهودي ويهود وهم عبدة النار وليسوا من أهل الكتاب ولذا لا تنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم وإنما أخذت الجزية منهم لأنهم من العجم لا لأنهم من أهل الكتاب. ﴿**والذين أشركوا**﴾ يعني: عبدة الأوثان ﴿**إن الله يفصل بينهم يوم القيامة**﴾ في حيز الرفع على أنه خبر لأن السابقة أي يقضي بين المؤمنين وبين الفرق الخمس المتفقة على ملة الكفر بإظهار المحق من المبطل بإثابة الأول وعقاب الثاني بحسب الاستحقاق يعني أن الله تعالى يعامل كل صنف منهم يوم القيامة على حسب استحقاقه إما بالنعيم وإما بالجحيم وبالوصال أو بالفراق وعلم من الآية أن الأديان ستة واحد للرحمٰن وهو دين المؤمنين هو الإسلام كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩] وخمسة للشيطان وهي ما عدا الإسلام لأنها مما دعا إليها الشيطان وزينها في أعين الكفرة. ﴿**إن الله على كل شيء شهيد**﴾ [كواه وازهمه حال آكاه].

قال الإمام الغزالي رحمه الله: الشهيد يرجع معناه إلى العلم مع خصوص إضافة فإنه تعالى عالم الغيب والشهادة والغيب عبارة عما بطن والشهادة عما ظهر وهو الذي يشاهد فإذا اعتبر العلم المطلق فهو العليم مطلقاً وإذا أضيف إلى الغيب والأمور الباطنية فهو الخبير وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد وقد يعتبر مع هذا أن يشهد على الخلق يوم القيامة بما علم وشاهد منهم.

وفي الآية وعيد وتهديد فعلى العاقل أن يذكر يوم الفصل والقضا ويجتهد في الأعمال التي يحصل بها الرضى. قال الشيخ سعدي قدس سره:

قيامت كه نيكان باعلى رسند زقعر ثرا باثريا رسند
تراخود بماند سرازننك پيش كه كردت بر آيد عملهاي خويش
برادر زكار بدان شرم دار كه درروي نيكان شوي شرمار
بناز وطرب نفس پرورده كير باايام دشمن قوي كرده كير
يكى بچة كرك مي بروريد چوپر ورده شد خواجه رابردريد
بهشت أوستاند كه طاعت برد كرا نقد باشد بضاعت برد
پي نيك مردان ببايد شتافت كه هركو سعادت طلب كردیافت
وليكن تودنبال ديو خسي ندانم كه در صالحان كي رسي
پميبر كسي را شفاعتكرست كه بر جادهٔ شرع پيغمبرست
ره راست بايد نه بالاي راست كه كافرهم ازروي صورت جوماست

واعلم أن الإيمان والكفر أوصاف القلب وللقلب بابان علوي وسفلي فالعلوي يتصل إلى الروح والسفلي إلى النفس فإذا انسد الباب السفلي بالمخالفة إلى النفس ينفتح الباب العلوي فتنصب المعارف الإلٰهية من الروح إلى القلب فيكون القلب منوراً بأنوار المعرفة ويتخلص من الحجب النفسانية، وإذا انسد الباب العلوي بسبب الاتباع إلى النفس ينفتح الباب السفلي فتظهر في القلب الوساوس الشيطانية وكل بدعة وهوى والدين الباطل إنما يحصل من النفس والشيطان فمن اتبع هوى النفس ووساوس الشيطان ضل عن طريق الحق والدين المبين واتخذ إلٰهه هواه فإن الله تعالى يفصل بينه وبين المهتدي، فإنه كما أن الإيمان والكفر لا يجتمعان في قلب فكذا أهلهما لا يجتمعون في دار والبرزخ الفاصل بينهم وإن كان موجوداً الآن على ما عرفه أهل المعرفة لكنه معنوي فإذا كان يوم القيامة يصير صورياً حسياً.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾.

﴿ألم تر﴾ ألم تعلم يا من من شأنه العلم. **﴿أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض﴾** أي: ينقاد لتدبيره ومشيئته الملائكة والجن والإنس مطيعاً أو عاصياً وذلك لأن السجود إما سجود باختيار وهو للإنسان وبه يستحق الثواب وإما سجود تسخير وهو للإنسان والحيوان والنبات شبه الانقياد بأكمل أفعال المكلف في باب الطاعة وهو السجود إيذاناً بكمال التسخير والتذلل وإنما حمل على المعنى المجازي إذ ليس في كفرة الإنس ومردة الجن والشياطين وسائر الحيوانات والجمادات سجود طاعة وعبادة وهو وضع الجبهة على الأرض خصوصاً لله تعالى. **﴿والشمس والقمر والنجوم﴾** بالسير والطلوع والغروب لمنافع العباد **﴿والجبال﴾** بإجراء الينابيع وإنبات المعادن. **﴿والشجر﴾** بالظل وحمل الثمار ونحوها **﴿والدواب﴾** [چهار پايان] أي: بعجائب التركيب ونحوها فكل شيء ينقاد له سبحانه على ما خلقه وعلى ما رزقه وعلى ما أصحه وعلى ما أسقمه فالبر والفاجر والمؤمن والكافر في هذا سواء **﴿وكثير من الناس﴾** أي: ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة فهو مرتفع بمحذوف لا بالمذكور وإلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز.

قال في «التأويلات»: أهل العرفان يسجدون سجود عبادة بالإرادة والجماد وما لا يعقل ومن لا يدين يسجدون سجود خضوع للحاجة.

قال الكاشفي: [همه ذرات عالم مرخدايرا خاضع وخاشعند بدلالت حال كه افصح است ازدلالت مقال].

درنكر تابيني ازعين شهود جملة ذرات جهانرادر سجود

﴿وكثير﴾ من الناس ﴿حق﴾ ثبت ﴿عليه العذاب﴾ بسبب كفره وإبائه عن الطاعة.

قال الكاشفي: [اين سجدة ششم است باتفاق علما ازسجدات قرآن. درفتوحات اين را سجدة مشاهد واعتبار كفته اندكه ازهمه اشياغير آدميانرا تبعيض نكرد پس بنده بايدكه مبادرت نمايد بسجدة تا از كثير أول باشد كه ازاهل سجده واقترابندنه از كثير ثاني مستحق عذاب وعقابند].

ذوق سجده وطاعتي پيش خدا خوشتر باشد زصد دولت ترا

يقول الفقير: الكثير الأول كثير في نفسه قليل بالنسبة إلى الكثير الثاني إذ أهل الجمال أقل من أهل الجلال هو الواحد من الألف وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن الواحد على الحق هو السواد الأعظم وعن بعضهم: قليل إذا عدوا كثير إذا شدوا أي أظهروا الشدة. ﴿ومن﴾ [وهر كرا] ﴿يهن الله﴾ يهنه الله: بالفارسية[خوار كرداند] بأن كتب عليه الشقاوة في الأزل حسبما علمه من صرف اختياره إلى الشر ﴿فما له من مكرم﴾ يكرمه بالسعادة إلى الأبد ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾ من الإكرام والإهانة من الأزل إلى الأبد.

قال الإمام النيسابوري رحمه الله في «كشف الأسرار»: جعل الله الكفار أكثر من المؤمنين ليريهم أنه مستغن عن طاعتهم كما قال: (خلقت الخلق ليربحوا عليّ لا لأربح عليهم) وقيل ليظهر عز المؤمنين فيما بين ذلك لأن الأشياء تعرف بأضدادها والشيء إذا قل وجوده عز ألا ترى أن المعدن لعزته صار مظهراً للاسم العزيز وقيل: ليرى الحبيب قدرته بحفظه بين أعدائه الكثيرة كما حفظ رسول الله ﷺ وهو واحد وأهل الأرض أعداد كله ليتبين أن النصر من عند الله والقليل يغلب الكثير يعونه وعنايته ومن أكرمه بالغلبة لا يهان بالخذلان البتة.

فإن قيل: إن رحمته سبقت وغلبت غضبه فيقتضي الأمر أن يكون أهل الرحمة أكثر من أهل الغضب وأهل الغضب تسع وتسعون من كل ألف واحد يؤخذ للجنة كما ورد في الصحيح، وورد: (أهل الرحمة كشعرة بيضاء في جلد الثور الأسود).

قلنا هذه الكثرة بالنسبة إلى بني آدم وأما أهل الرحمة بالنسبة إليهم وإلى الملائكة والحور والغلمان فأكثر من أهل الغضب والتحقيق أن المقصود من النشآت كلها ظهور الإنسان الكامل وهو واحد كالألف فالناس عشرة أجزاء فتسعة الأعشار كفار والواحد مؤمنون ثم المؤمنون عشرة فتسعة عصاة وواحد مطيعون ثم المطيعون عشرة فتسعة أهل الزهد وواحد أهل العشق ثم أهل العشق عشرة فتسعة أهل البرزخ والفرقة وواحد أهل المنزل والوصلة فهو أعز من الكبريت الأحمر والمسك الأذفر وهو الذي أكرمه الله بكرامة لم يكرم بها أحداً من العالمين فلو أن أهل العالم اجتمعوا على إهانته ما قدروا إذ له العز الحقيقي لأنه أذل نفسه بالفناء في الله وهو مقام السجود الحقيقي فأعزّه الله ورفعه ألا ترى إلى قوله: «من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة» أي من أغضب وآذى وأهان واحداً من أوليائي فقد ظهر وخرج بالمحاربة لي والله ينصر أولياءه

فيكون المبارز مقهوراً مهاناً بحيث لا يوجد له ناصر ومكرم.

أهل حق هركز نمى باشد مهان أهل باطل خوار باشد درجهان

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾

﴿هذان﴾ أي: فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم إلى الفرق الخمس **﴿خصمان﴾** أي: فريقان مختصمان. **﴿اختصموا﴾** [جنك كردند وجدل نمودند] **﴿في ربهم﴾** في شأنه أو في دينه أو في ذاته وصفاته والكل من شؤونه فإن اعتقاد كل من الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء أقواله وأفعاله عليه خصوصة للفريق الآخر وإن لم يجر بينهما التحاور والخصام.

أهل دين حق وأنواع ملل مختصم شد بي زبان اندر علل

﴿فالذين كفروا﴾ تفصيل لما أجمل في قوله يفصل بينهم يوم القيامة **﴿قطعت لهم﴾** التقطيع [پاره پاره كردن] والمراد هنا قدرت على مقادير جثتهم **﴿ثياب من نار﴾** أي نيران هائلة تحيط بهم إحاطة الثياب بلابسها **﴿يصب﴾** [ريخته ميشود] صب الماء إراقته من أعلى **﴿من فوق رؤوسهم الحميم﴾** أي الماء الحار الذي انتهت حرارته لو قطرت قطرة منه على جبال الدنيا لأذابتها.

قال الراغب: الحميم الماء الشديد الحرارة وسمي العرق حميماً على التشبيه واستحم الفرس عرق وسمي الحمام إما لأنه يعرق وإما لما فيه من الماء الحار والحمى سميت بذلك إما لما فيها من الحرارة المفرطة وإما لما يعرض فيها من الحميم أي العرق وإما لكونها من إمارات الحمام أي: الموت.

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿يصهر به﴾ [كداخته شود] أي يذاب بذلك الحميم من فرط الحرارة يقال صهرت الشيء فانصهر أي أذبته فذاب فهو صهير والصهر إذابة الشيء والصهارة ما ذاب منه. **﴿ما في بطونهم﴾** من الأمعاء والأحشاء. **﴿والجلود﴾** تشوى جلودهم فتتساقط عطف على ما وتأخيره عنه لمراعاة الفواصل أي إذا صب الحميم على رؤوسهم يؤثر من فرط حرارته في باطنهم نحو تأثيره في ظاهرهم فيذاب به أحشاؤهم كما يذاب به جلودهم ثم يعاد كما كان. **﴿ولهم﴾** للكفرة أي لتعذيبهم وجلدهم **﴿مقامع من حديد﴾** [كرزها باشد دردست زبانية ازآهن] جمع مقمعة وهي آلة القمع.

قال في «بحر العلوم»: سياط منه يجلدون بها وحقيقتها ما يقمع به أي يكف بعنف وفي الحديث (لو وضعت مقمعة منها في الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها منها) أي رفعوها **﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها﴾** أي أشرفوا على الخروج من النار ودنوا منه حسبما يروى أنها تضربهم بلهبها فترفعهم حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً وهو من ذكر البعض وإرادة الكل إذ الخريف آخر الفصول الأربعة. **﴿من غم﴾** أي: غم شديد من غمومها يصيبهم وهو بدل اشتمال من الهاء. **﴿أعيدوا فيها﴾** أي في قعرها بأن ردوا من أعلاها

إلى أسفلها من غير أن يخرجوا منها.

قال الكاشفي: [بازكردانيده شوندبدان كرزها دردوزخ يعني چون بكنارة دوزخ رسيده بخروج نزديك شوندزبانيه كرزبرسر ايشان ميزند وبازمي كرداند لدركات]. ﴿و﴾ قيل لهم: ﴿ذوقوا﴾ [بچشيد] ﴿عذاب الحريق﴾ [عذاب آتش سوزنده] أو العذاب المحرق كما سبق والعدول إلى صيغة الفعيل للمبالغة.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿فالذين كفروا﴾ من أرباب النفس بانقطاعهم عن الله ودينه وباتباعهم الهوى وطلب الشهوات الدنيوية ومن أصحاب الروح بإعراضهم عن الله ورد دعوة الأنبياء. ﴿قطعت لهم ثياب من نار﴾ بتقطيع خياط القضاء على قدّ هم وهي ثياب نسجت من سدى مخالفات الشرع ولحمة موافقات الطبع. ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ حميم الشهوات النفسانية يذاب ويخرج ما في قلوبهم من الأخلاق الحميدة الروحانية. ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ أي الأخلاق الذميمة واستيلاء الحرص والأمل وقيل لهم ذوقوا عذاب ما أحرقت منكم نار الشهوات من الاستعدادات الحسنة انتهى.

إن قيل: نار جهنم خير أم شر.

قلنا: ليست هي بخير ولا بشر، بل عذاب وحكمة.

وقيل: خير من وجه كنار نمرود شر في أعينهم وبرد وسلام على إبراهيم وكالسوط في يد الحاكم خير للطاغي وشر للمطيع فالنار خير ورحمة على مالك وجنوده وشر على من دخل فيها من الكفار.

وأيضاً خير لعصاة المؤمنين حيث تخلص جواهر نفوسهم من ألواث المعاصي وشر لغيرهم كالطاعون رحمة للمؤمنين ورجز للكافرين والوجود خير محض عند العارفين والعدم شر محض عند المحققين لأن الوجود أثر صنع الحكيم كما قال: ﴿مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾[آل عمران: ١٩١] فالشرور بالنسبة إلى الأعيان الكونية لا بالنسبة إلى أفعال الله ولله في ملكه أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فالنار مظهر الجلال فمن جهة مظهريتها خير محض، ومن جهة تعلقها ببعض الأعيان شر محض وقد خلق الله النار ليعلم الخلق قدر جلال الله وكبريائه ويكونوا على هيبة وخوف منه ويؤدب بها من لم يتأدب بتأديب الرسل ولهذا الشر علق النبي ﷺ السوط حيث يراه أهل البيت لئلا يتركوا الأدب. وروي: أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: ما خلقت النار بخلاً مني ولكن اكره أن أجمع أعدائي وأوليائي في دار واحدة.

وقيل: خلق النار لغلبة الشفقة كرجل يضيف الناس ويقول من جاء إلى ضيافتي أكرمته ومن لم يجىء ليس عليه شيء ويقول مضيف آخر: من جاء إليّ أكرمته ومن لم يجىء ضربته وحبسته ليتبين غاية كرمه وهو أكمل وأتم من الكرم الأول والله تعالى دعا الخلق إلى دعوته بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥] ثم دفع السيف إلى رسوله فقال: من لم يحب ضيافتي فاقتله فعلى العاقل أن يجيب إلى دعوة الله ويمتثل لأمره حتى يأمن من قهره، قال الشيخ سعدي قدس سره:

هنوزت اجل دست هوشت نبست ... بر آور بدركاه داور دودست

تويپش از عقوبت درعفو كوب ... كه سودى ندارد فغان زيرچوب

چنان شرم دار از خداوند خويش ... كه شرمت زهمسايكانست وخويش

بترس ازكناهان خويش اين نفس كه روز قيامت نترسي زكس
بران خورد سعدي كه بيخي نشاند كسي برد خرمن كه تخمي فشاند

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[وكردند عملهاي شايسته] **﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾** الأربعة **﴿يحلون فيها﴾** من حليت المرأة إذا ألبست الحلي وهو ما يتحلى به من ذهب أو فضة، أي تحليهم الملائكة بأمره وتزينهم. بالفارسية [آراسته كردانند وپيرايه بندند ايشانرا دربهشت] **﴿من أساور﴾** أي بعض أساور وهي جمع أسورة جمع سوار. بالفارسية [دستوانه]. **﴿من ذهب﴾** بيان للأساور. **﴿ولؤلؤاً﴾** عطف على محل من أساور وقرىء بالجر عطفاً على ذهب على أن الأساور مرصعة بالذهب واللؤلؤ أو على أنهم يسورون بالجنسين إما على المعاقبة وإما على الجمع كما تجمع نساء الدنيا بين أنواع الحلي، وما أحسن المعصم إذا كان فيه سواران سوار من ذهب أحمر قان وسوار من لؤلؤ أبيض يقق وقيل: عطف على أساور لا على ذهب لأن السوار لا يكون من اللؤلؤ في العادة وهو غلط لما فيه من قياس عالم الملك بعالم الملكوت وهو خطأ لقوله: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» وينصره قول سعيد بن جبير يحلى كل واحد منهم ثلاثة أساور واحد من ذهب وواحد من فضة وواحد من اللؤلؤ واليواقيت.

قال ابن الشيخ وظاهر أن السوار قد تتخذ من اللؤلؤ وحده بنظم بعضه إلى بعض غاية ما في الباب أن لا يكون معهوداً في الزمان الأول أي فيكون تشويقاً لهم بما لم يعرفوه في الدنيا **﴿ولباسهم فيها حرير﴾** يعني أنهم يلبسون في الجنة ثياب الإبريسم وهو الذي حرم لبسه في الدنيا على الرجال على ما روى أبو سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» فإن دخل الجنة لبس أهل الجنة ولم يلبسه هو ولذلك قال أبو حنيفة رحمه الله: لا يحل لرجل أن يلبس حريراً إلا قدر أربع أصابع لما روي أنه عليه السلام لبس جبة مكفوفة بالحرير ولم يفرق بين حالة الحرب وغيره وقال أبو يوسف ومحمد: يحل في الحرب ضرورة.

قلنا الضرورة تندفع بما لحمته إبريسم وسداه غيره وعكسه في الحرب فقط كما في «بحر العلوم».

قال الإمام الدميري في «حياة الحيوان»: ويجوز لبس الثوب الحرير لدفع القمل لأنه لا يقمل بالخاصية والأصح أن الرخصة لا تختص بالسفر كما في «أنوار المشارق».

﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾[راه نموده شده اند مؤمنان به پاكيزه ازقول يعني بسخنهاي پاك راه نمايند ايشانرا درآخرت وآن چنان باشدكه چون نظرايشان بربهشت افتدكويند «الحمد لله الذي هدانا لهذا» وچون ببهشت درآيندبرزبان رانندكه «الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن» وچون درمنارل خود قرار كيرند كويند «الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض» الآية وأكثر مفسران برانندكه ايشان راه يافته اند بقول طيب دردنياكه كلمة طيبة «لا إله إلا الله ومحمد رسول الله» است] كما قال في «التأويلات النجمية» هو الإخلاص في قول لا إله إلا الله والعمل به.

وقال في «حقائق البقلي»: هو الذكر أو الأمر بالمعروف أو نصيحة المسلمين أو دعاء المؤمنين وارشاد السالكين.

قال الكاشفي: [حضرت الهي دركشف الاسرار فرموده كه كلام پاكيزه آنست كه ازدعوى پاك باشد وازعجب دوروبنياز نزديك. سهل تستري رحمه الله فرموده كه درين كلام نظر كردم هيچ راه بحق نزديكتر ازنياز نديدم وهيچ عجائب صعبتر ازدعوى نيافتم.

ايمن آبادست اين راه نياز ترك نازش كيروبا اين ره بساز
روبترك دعوئ دعوت بكو راه حق ازكبرو از نخوت مجو

﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ أي المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة آخر بيان الهداية لرعاية الفواصل.

وقال الكاشفي [وراه يافته شده اند أهل إيمان براه خداوند ستوده كه دين اسلامست] أي فيكون المعنى دين الله المحمود في أفعاله.

وفي «التأويلات النجمية»: هو الطريق إلى الله فإن الحميد هو الله تعالى.

واعلم أن علامة الاهتداء إلى الطريق القويم السلوك بقدم العمل الصالح وهو ما كان خالصاً لله تعالى ومجرد الإيمان وإن كان يمنع المؤمن من الخلود في النار ويدخله الجنة لكن العمل يزيد نور الإيمان وبه يتنور قلب المؤمن.

قال موسى عليه السلام يا رب أي عبادك أعجز؟ قال: الذي يطلب الجنة بلا عمل والرزق بلا دعاء قال: وأي عبادك أبخل؟ قال: الذي سأله سائل وهو يقدر على إطعامه ولم يطعمه وكان رجل بيثرب جمع قوماً من ندمائه ودفع إلى غلام له أربعة دراهم وأمره أن يشتري شيئاً من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مسجد منصور بن عمار وهو يسأل لفقير شيئاً ويقول من دفع إليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات فدفع الغلام الدراهم فقال منصور ما الذي تريد أن أدعو لك فقال: لي سيد أريد أن أتخلص منه فدعاه منصور ثم قال: والآخر، أن يخلف الله عليّ دراهمي فدعاه ثم قال: والآخر، فقال: أن يتوب الله على سيدي فدعاه ثم قال: والآخر، فقال: أن يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعاه منصوراً فرجع الغلام إلى سيده فقال لم أبطأت فقص عليه القصة فقال وبم دعا فقال: سألت لنفسي العتق فقال: اذهب فأنت حر ثم قال: وأي شيء الثاني فقال: أن يخلف الله عليّ الدراهم فقال: لك أربعة آلاف درهم ثم قال: وأي شيء الثالث فقال: أن يتوب الله عليك فقال: تبت إلى الله ثم قال وأي شيء الرابع فقال: أن يغفر الله لي ولك وللمذكور وللقوم فقال هذا الواحد ليس إليّ فلما بات رأى في المنام كأن قائلاً يقول له أنت فعلت ما كان إليك أترى أني لا أفعل ما إليّ فقد غفرت لك وللغلام ولمنصور وللقوم الحاضرين ففي الحكاية فوائد لا تخفى نسأل الله المغفرة والعاقبة المحمودة.

توچا كر درسلطان عشق شوچواياز كه هست عاقبت كار عاشقان محمود

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله﴾ أي يمنعون الناس عن طاعة الله والدخول في دينه والمراد بصيغة المضارع الاستمرار لا الحال والاستقبال كأنه قيل: إن الذين كفروا ومن

شأنهم الصد عن سبيل الله ومثله قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨] **﴿والمسجد الحرام﴾** عطف على سبيل الله والمراد به مكة أو يمنعون المؤمنين عن طواف المسجد الحرام أي المحترم من كل وجه فلا يصاد صيده ولا يقطع شوكه ولا يسفك فيه الدماء.

قال الكاشفي: [بقول اشهر روز حديبيه است كه حضرت پيغمبر عليه السلام وأصحاب بورا ازطواف خانه ومسجد بازداشتند] **﴿الذي جعلناه﴾** صيرناه حال كونه معبداً **﴿للناس﴾** كائناً من كان من غير فرق بين مكي وآفاقي **﴿سواء العاكف فيه والباد﴾** مفعول ثان لجعلنا والعاكف مرتفع به على الفاعلية يقال: للمقيم بالبادية: باد والبادية كل مكان يبدو ما يعنّ فيه وبالعكس في شيء من ساعات الليل والنهار. وبالفارسية (يكسانست مقيم درو وآينده يعني غريب وشهري درقضاي مناسك وإداي مراسم تعظيم خانه مساوي اند].

وفائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادين عنه وخبر إنّ محذوف أي معذبون كما يدل عليه آخر الآية **﴿ومن﴾** [وهركه] **﴿يرد﴾** مراداً ما **﴿فيه﴾** [درحرم] **﴿بإلحاد بظلم﴾** حالان مترادفان أي حال كونه مائلاً عن القصد ظالماً وحقيقته ملتبساً بظلم فالباء للملابسة والإلحاد الميل.

قال الراغب: ألحد فلان مال عن الحق والإلحاد ضربان إلحاد إلى الشرك بالله وإلحاد إلى الشرك بالأسباب فالأول ينافي الإيمان ويبطله والثاني يوهن عراه ولا يبطله ومن هذا النحو الآية **﴿نذقه من عذاب أليم﴾** جواب من يعني يجب على من كان فيه أن يعدل في جميع ما يريده والمراد بالإلحاد والظلم صيد حمامه وقطع شجره ودخوله غير محرم وجميع المعاصي حتى قيل: شتم الخادم لأن السيئات تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات: يعني [چون مكة محترمة مخصوصيت بتضاعف حسنات چونمازي درو باچندين نماز در غير او برابراست پس جزاي مساوي نيزدروكلي ترست ازسائر مواضع].

ولحرمة المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الأقصى قال الفقهاء: لو نذر أن يصلي في أحد هذه الثلاثة تعين بخلاف سائر المساجد فإن من نذر أن يصلي في أحدها له أن يصلي في آخر.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر اعلم أن الله تعالى قد عفا عن جميع الخواطر التي لا تستقر عندنا إلا بمكة لأن الشرع قد ورد أن الله يؤاخذ فيه من يريد فيه بإلحاد وبظلم وهذا كان سبب سكنى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بالطائف احتياطاً لنفيه لأنه ليس في قدرة الإنسان أن يدفع عن قلبه الخواطر انتهى.

وفي الآية إشارات منه: أن من حال النفوس المتمردة والأرواح المرتدة مع إنكارهم وإعراضهم عن الحق يصدون الطالبين عن طريق الله بالإنكار والاعتراضات الفاسدة على المشايخ ويقطعون الطريق على أهل الطلب ليردوهم عن طلب الحق وعن دخول مسجد حرم القلب فإنه حرم الله تعالى، قال الحافظ:

در راه عشق وسوسة اهرمن بسيست هش دارو كوش دل به پيام سروش كن

وفي «المثنوي»:

پس عدو جان صرافست قلب دشمن درويش كه بود غير كلب
مغزراً خالي كن از انكار يار تاكه ريحان يابد ازكلزار يار

ومنها: أنه يستوي في الوصول إلى مقام القلب الذي سبق إليه بمدة طويلة والذي يصل إليه في الحال ليس لأحد فضل على الآخر إلا بالسبق إلى مقامات القلب.

قال في «الحقائق»: المقيم بقلبه هناك من أول عمره إلى آخره والطارىء لحظة من المكاشفين والمشاهدين ينكشف له ما انكشف للمقيمين لأنه وهاب كريم يعطي للنائب من المعاصي ما يعطي المطيع المقيم في طاعته طول عمره. قال الحافظ:

فيض روح القدس ار باز مدد فرمايد دكران هم بكنند آنجه مسيحا ميكرد

وقد قال بعضهم أمسيت كردياً وأصبحت عربياً.

ومنها: أن من أراد في القلب ميلاناً إلى غير الحق يذيقه الله عذاب أليم البعد والقطيعة عن الحضرة فالقلب معدن محبة الله ووضع محبة غيره فيه ظلم. قال الشيخ سعدي قدس سره:

دلم خانة مهريارست وبس ازان مي نكنجد دروكين كس

قال الخجندي:

بادوست كزين كمال يا جان يك خانه دوميهمان نكنجد

فلا يسع القلب غير محبة الله تعالى وعشقه وتوجهه.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ يقال: بوأه منزلاً أي أنزله فيه.

والمعنى اذكر وقت جعلنا مكان البيت، أي الكعبة مباءة له عليه السلام أي مرجعاً يرجع إليه للعمارة والعبادة.

وفي «الجلالين»: بينا له أن يبني. روي أن الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات.

إحداها: بناء الملائكة إياها قبل آدم وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت الى السماء أيام الطوفان.

والثانية: بناء إبراهيم روي أن الله تعالى لما أمر إبراهيم ببناء البيت لم يدر أين يبني فأعلمه الله مكانه بريح أرسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على القديم.

وقال الكلبي بعث الله سحابة على قدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم يا إبراهيم بن علي قدري فبنى عليه.

والمرة الثالثة: بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله ﷺ هذا البناء وكان يومئذٍ رجلاً شاباً فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فأراد كل قبيلة أن تتولى رفعه ثم توافقوا على أن يحكم بينهم أول رجل يخرج من هذه السكة فكان عليه السلام أول من خرج فقضى بينهم أن يجعلوه في مرط ثم يرفعه جميع القبائل كلهم فرفعوه ثم ارتقى هو عليه السلام فرفعوه إليه فوضعه في مكانه وكانوا يدعونه الأمين قيل: كان بناء الكعبة قبل المبعث بخمس عشرة سنة.

والمرة الرابعة: بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

والخامسة: بناء الحجاج وهو البناء الموجود اليوم وكان البيت في الوضع القديم مثلث الشكل إشارة إلى قلوب الأنبياء عليهم السلام إذ ليس لنبي إلا خاطر إلهي وملكي ونفسي ثم

كان في الوضع الحادث على أربعة أركان إشارة إلى قلوب المؤمنين بزيادة الخاطر الشيطاني ـ ذكر المحدث الكازوروني في «مناسكه» ـ أن هذا البيت خامس خمسة عشر سبعة منها في السماء إلى العرش وسبعة منها إلى تخوم الأرض السفلى لكل بيت منها حرم هذا البيت لو سقط منها بيت لسقط بعضها على بعض إلى تخوم الأرض السابعة ولكل بيت من أهل السماء والأرض من يعمره كما يعمر هذا البيت وأفضل الكل الكعبة المكرمة.

روبحرم نه كه دران خوش حريم هست سيه يوش نكاري مقيم
صحن حرم روضة خلد برين أويچنان صحن مربع نشين
قبلة خوبان عرب روى أو سجدة شوخان عجم سوى أو
كعبة بودنو كل مشكين من تازه ازو باغ دل ودين من

﴿أن لا تشرك بي شيئاً﴾ مفسرة لبوأنا من حيث إنه متضمن لمعنى تعبدنا إذ التبوئة لا تقصد إلا من أجل العبادة فكأنه قيل: وإذ تعبدنا إبراهيم قلنا له لا تشرك بي شيئاً [آنكه شرك ميار وانباز مكير بمن چيزي راكه من ازشرك منزه ومقدسم] ﴿وطهر بيتي﴾ من الأوثان والأقذار أن تطرح حوله أضافه إلى نفسه لأنه منور بأنوار آياته ﴿للطائفين﴾ لمن يطوف به. ﴿والقائمين والركع السجود﴾ جمع راكع وساجد أي ويصلي فيه ولعل التعبير عن الصلاة بأركانها وهي القيام والركوع والسجود للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالقائمين المقيمون بالبيت فيكون المراد بالطائفين من يطوف به وآفاقي غير مقيم هناك.

قال الكاشفي: [اين بزبان أهل علمست وأما بلسان إشارات ميفر ما يدكه دل خودراكه دار الملك كبرياي منست ازهمه چيزپاك كن وغيري را برووراه مده كه أو پيمانة اشراب محبت ماست «القلوب أواني الله في الأرض فأحب أواني إليّ أصفاها» وحي آمد بداود عليه السلام كه براي من خانة پاك سازكه نظر عظمت من بوي فرود آيد داود عليه السلام كفت «وأي بيت يسعك» كدام خانه است كه عظمت وجلال تراشايد فرمودكه آن دل بندة مؤمن است داود عليه السلام فرمودكه اوراچه كونه پاك دارم كفت آتش عشق دروي زن تاهرچه غير ماست همه رابسوزد].

خوش آن آتش كه دردل برفروزد بجز حق هرچه پيش آيد بسوزد

قال سهل رحمه الله كما يطهر البيت من الأصنام والأوثان يطهر القلب من الشرك والريب والغل والغش والقسوة والحسد. قال الشيخ المغربي رحمه الله:

كل توحيد نرويد ززميني كه درو خار شرك وحسد وكبر وريا وكينست
مسكن دوست زجان ميطلبيدم كفتا مسكن دوست اكرهست دل مسكين است

وفي «التأويلات النجمية»: كن حارساً للقلب لئلا يسكن فيه غيري وفرغ القلب من الأشياء سواي ويقال: ﴿وطهر بيتي﴾ أي بإخراج كل نصيب لك في الدنيا والآخرة من تطلع إكرام وتطلب إنعام أو إرادة مقام ويقال: طهر قلبك. ﴿للطائفين﴾ فيه من واردات الحق وموارد الأحوال على ما يختاره الحق ﴿والقائمين﴾ وهي الأشياء المقيمة من مستوطنات العرفان والأمور المغنية عن البرهان وتطلعه بما هي حقيقة البيان ﴿والركع السجود﴾ وهي أركان

الأحوال المتوالية من الرغبة والرهبة والرجاء والمخافة والقبض والبسط والأنس والهيبة وفي معناها أنشدوا:

لست من جملة المحبين إن لم أجعل القلب بيته والمقاما
وطوافي إجالة السر فيه وهو ركني اذا أردت استلاما

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿**وأذن في الناس**﴾ التأذين النداء إلى الصلاة كما في القاموس والمؤذن كل من يعلم بشيء نداء كما في «المفردات» والمعنى ناد فيهم يا إبراهيم ﴿**بالحج**﴾ بدعوة الحج والأمر به. وبالفارسية [وندا درده أي إبراهيم درميان مردمان وبخوان ايشانرا بحج خانة خداي].

روي أن إبراهيم عليه السلام «لما فرغ من بناء البيت قال الله تعالى له أذن في الناس بالحج قال: يا رب وما يبلغ صوتي؟ قال تعالى: عليك الأذان وعليّ البلاغ فصعد إبراهيم الصفا وفي رواية أبا قبيس، وفي أخرى على المقام فارتفع المقام حتى صار كطول الجبال فأدخل أصبعيه في أذنيه وأقبل بوجهه يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً وقال: أيها الناس ألا إن ربكم قد بنى بيتاً وكتب عليكم الحج إلى بيت العتيق فأجيبوا ربكم وحجوا بيته الحرام ليثيبكم به الجنة ويجيركم من النار فسمعه أهل ما بين السماء والأرض فما بقي شيء سمع صوته إلا أقبل يقول لبيك اللهم لبيك فأول من أجاب أهل اليمن فهم أكثر الناس حجاً» ومن ثمة جاء في الحديث: «الإيمان يمان» ويكفي شرفاً لليمن ظهور أويس القرني منه وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «أني لأجد نفس الرحمٰن من قبل اليمن».

قال مجاهد: من أجاب مرة حج مرة ومن أجاب مرتين أو أكثر يحج مرتين أو أكثر بذلك المقدار.

قال في «أسئلة الحكم»: فأجابوه من ظهور وبطون الأمهات في عالم الأرواح.

أذن في الناس ندايست عام توكه بخواب آمده بين الآنام
دعوئ خاصي كني وامتياز خاص نباشد همه كس جون إياز
بهر همين شد دل خاصان دونيم حالت لبيك زاميد وبيم

وفي «الخصائص الصغرى»: وافترض على هذه الأمة ما افترض على الأنبياء والرسل وهو الوضوء والغسل من الجنابة والحج والجهاد وما وجب في حق نبي وجب في حق أمته إلا أن يقوم الدليل الصحيح على الخصوصية ﴿**يأتوك**﴾ جواب للأمر والخطاب لإبراهيم فإن من أتى الكعبة فكأنه قد أتى إبراهيم لأنه مجيب نداءه ﴿**رجالاً**﴾ حال، أي مشاة على أرجلهم جمع راجل كقيام جمع قائم.

قال الراغب: اشتق من الرجل رجل وراجل للماشي بالرجل ﴿**وعلى كل ضامر**﴾ عطف على رجالاً أي وركباناً على كل بعير ضامر أي مهزول أتعبه بعد السفر فهزل.

قال الراغب: الضامر من الفرس الخفيف اللحم من الأصل لا من الهزال ﴿**يأتين**﴾ صفة لضامر لأن المعنى على ضوامر من جماعة الإبل. ﴿**من كل فج**﴾ طريق واسع.

قال الراغب: الفج طريق يكتنفها جبلان. ﴿عميق﴾ بعيد واصل العمق البعد سفلاً يقال: بئر عميق إذا كانت بعيدة القعر. روي: عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حجة وللحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم» قال: قيل، وما حسنات الحرم قال: «الحسنة بمائة ألف».

قال مجاهد: حج إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ماشيين وكانا إذا قربا من الحرم خلعا نعالهما هذا إذا لم يتغير خلقه بالمشي وإلا فالركوب أفضل ولما انفرد الرهبانيون في الملل السالفة بالسياحة والسفر إلى البلاد والبواد، سئل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «أبدل الله بها الحج» فأنعم بالحج على أمته بأن جعل الحج وسفره رهبانية لهم وسياحة، وفي الخبر: «إن الله ينظر إلى الكعبة كل سنة في نصف شعبان فعند ذلك تحن إليها القلوب» فلا يحن عند التجلي إلا القلب المسارع لإجابة إبراهيم فما حن قلب لتلك الإجابة إلا القلب المسارع لدعوة الحق في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: أخبرني بعض العارفين عن رجل من أهل الثروة في الدنيا لم يحدث نفسه بالحج قط فجرى له أمر كان سبباً لأن قيد بالحديد وجيء به إلى الأمير صاحب مكة ليقتله لأمر بلغه عنه والذي وشى به عند الأمير حاضر فاتفق أن كان وصوله يوم عرفة والأمير بعرفة فأحضره بين يديه وهو مغلول العنق بالحديد فاستدعى الأمير الواشي وقال له: هذا صاحبنا فنظر إلى الرجل فقال: لا أيها الأمير فاعتذر إليه الأمير وأزيل عنه الحديد واغتسل وأهلّ بالحج ولبى من عرفة ورجع معفواً مغفوراً بالظاهر والباطن فانظر العناية الإلهية ما تفعل بالعبد فمن الناس من يقاد إلى الجنة بالسلاسل وهو من أسرار الإجابة الإبراهيمية، وفي «فتوح الحرمين»:

هركه رسيده بوجود ازعدم ... در ره اوساخته أز سرقدم
هيج نبي هيج ولى هم نبود ... كونبرد در ره اميدسود
جمله خلائق زعرب تاعجم ... باديه پيما بهواي حرم

﴿ليشهدوا﴾ متعلق بيأتوك أي ليحضروا﴿منافع﴾ كائنة﴿لهم﴾ من المنافع الدينية والدنيوية وهي العفو والمغفرة والتجارة في أيام الحج فتنكيرها لأن المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة لا يوجد في غيرها من العبادات.

وعن أبي حنيفة رحمه الله: أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص. ﴿ويذكروا اسم الله﴾ عند إعداد الهدايا والضحايا وذبحها.

قال الكاشفي: [مراد قربانيست كه بنام خداي كنند كفار بنام بت ميكردند] وفي جعله غاية للإتيان إيذان بأنه الغاية القصوى دون غيره. ﴿في أيام معلومات﴾ هي أيام النحر كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ فإن المراد بالذكر ما وقع عند الذبح علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضاً على التقرب وتنبيهاً على مقتضى الذكر والبهيمة هو اسم لكل ذات أربع في البحر والبر فبينت بالأنعام وهي الإبل والبقر والضأن والمعز لأن الهدي والذبيحة لا يكونان من غيرها.

قال الراغب: البهيمة ما لا نطق له وذلك لما في صوته من الإبهام لكن خص في التعارف بما عدا السباع والطير. والأنعام جمع نعم وهو مختص بالإبل وتسميته بذلك لكون الإبل عندهم أعظم نعمة لكن الأنعام يقال للإبل والبقر والغنم ولا يقال لها: أنعام حتى يكون في جملتها الإبل. ﴿فكلوا منها﴾ التفات إلى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر أي فاذكروا اسم الله على ضحاياكم فكلوا من لحومها والأمر للإباحة وكان أهل الجاهلية لا يأكلون من نسائكهم فاعلم الله أن ذلك جائز إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل، ﴿وأطعموا البائس﴾ هذا الأمر للوجوب والبائس الذي أصابه بؤس وشدة وبالفارسية: [در مانده ومحنت كشيده] ﴿الفقير﴾ المحتاج.

قال الكاشفي: [محتاج تنكدست را] فالبائس الشديد الفقر والفقير المحتاج الذي أضعفه الإعسار ليس له غنى أو البائس الذي ظهر بؤسه في ثيابه وفي وجهه والفقير الذي لا يكون كذلك بأن تكون ثيابه نقية ووجهه وجه غني.

وفي «مختصر الكرخي» أوصى بثلث ماله للبائس، الفقير والمسكين قال: فهو يقسم إلى ثلاثة أجزاء جزء للبائس وهو الذي به الزمانة إذا كان محتاجاً، والفقير المحتاج الذي لا يطوف بالأبواب والمسكين الذي يسأل ويطوف وعن أبي يوسف إلى جزأين الفقير والمسكين واحد واتفق العلماء على أن الهدي إن كان تطوعاً كان للمهدي أن يأكل منه وكذا أضحية التطوع لما روي أنه عليه السلام ساق في حجة الوداع مائة بدنة فنحر منها ثلاثاً وستين بدنة بنفسه إشارة إلى مدة عمره ونحر علي رضي الله عنه ما بقي ثم أمر عليه السلام أن يؤخذ بضعة من كل بدنة فتجعل في قدر ففعل ذلك فطبخ فأكلا من لحمها وحسيا مرقها وكان هدي تطوع.

واختلفوا في الهدي الواجب هل يجوز للمهدي أن يأكل منه شيئاً مثل دم التمتع والقران والنذور والكفارات والدماء الواقعة جبراً للنقصان والتي وجبت باصياد الحج وفواته وجزاء الصيد فذهب قوم إلى أنه لا يجوز للمهدي أن يأكل شيئاً منها ومنهم الشافعي رحمه الله وذهب الأئمة الحنفية إلى أنه يأكل من دم التمتع والقران لكونهما دم الشكر لا دم الجنابة ولا يأكل من واجب سواها وكذا لا يأكل أولاده وأهله وعبيده وإماؤه وكذا الأغنياء إذ الصدقة الواجبة حق للفقراء.

وفي الآية إشارة إلى أنه يلزم على الأغنياء أن يشاركوا الفقراء في المآكل والمشارب فلا يطعموهم إلا ما يأكلون ولا يجعلوا لله ما يكرهون.

قال ابن عطاء: البائس الذي تأنف من مجالسته ومواكلته والفقير من تعلم حاجته إلى طعامك ولم يسأل.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ عطف على يذكروا أي ليزيلوا وسخهم بخلق الرأس وقص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد عند الإحلال أي الخروج من الإحرام فالتفث الوسخ يقال: للرجل ما أتفثك وما ادرنك أي وما أوسخك وكل ما يستقذر من الشعث وطول الظفر ونحوهما تفث.

قال الراغب: أصل التفث وسخ الظفر وغير ذلك مما شأنه أن يزال عن البدن والقضاء

فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً وكل منها على وجهين إلهي وبشري والآية من قبيل البشرى كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١] أي افرغوا من أمركم وقول الشاعر:

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها

يحتمل القضاء بالقول والفعل جميعاً كما في «المفردات» ﴿وليوفوا نذورهم﴾ يقال: وفى بعهده وأوفى إذا تمم العهد ولم ينقض حفظه كما دل عليه الغدر وهو الترك والنذر أن توجب على نفسك ما ليس بواجب والمراد بالنذور ما نذروه من أعمال البر في أيام الحج فإن الرجل إذا حج واعتمر فقد يوجب على نفسه من الهدي وغيره ما لولا إيجابه لم يكن الحج يقتضيه وإن كان على الرجل نذور مطلقة فالأفضل أن يتصدق بها على أهل مكة. ﴿وليطوفوا﴾ طواف الركن الذي به يتم التحلل فإنه قرينة قضاء التفث. ﴿بالبيت العتيق﴾ أي القديم فإنه أول بيت وضع للناس أو المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار إليه ليهدمه فعصمه الله وأما الحجاج الثقفي فإنما قصد إخراج ابن الزبير رضي الله عنه لا التسلط عليه ولما قصد التسلط عليه أبرهة فعل به ما فعل.

اعلم أن طواف الحجاج ثلاثة.

الأول: طواف القدوم وهو أن من قدم مكة يطوف بالبيت سبعاً يرمل ثلاثاً من الحجر الأسود إلى أن ينتهي إليه ويمشي أربعاً وهذا الطواف سنة لا شيء بتركه.

والثاني: طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق ويسمى أيضاً طواف الزيارة وهو ركن لا يحصل التحلل من الإحرام ما لم يأت به.

والثالث: طواف الوداع لا رخصة لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر في أن يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعاً فمن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائضة يجوز لها ترك طواف الوداع ثم أن الرمل يختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الإفاضة والوداع:

اي كه درين كوى قدم مي نهى ... روى توجه بحرم مي نهى
پاي بانداره درين كوى نه ... پاي اكر سوده شود روى نه
چرخ زنان طوف كنان برحضور ... توشده بروانه واوشمع نور
عادت بروانه ندانى مكر ... چرخ زند أول وسوزد دكر

قال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: في «الفتوحات المكية»: لما نسب الله العرش في السماء إلى نفسه وجعله محل استواء للرحمٰن فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وجعل الملائكة حافين به بمنزلة الحراس الذين يدورون بدار الملك والملازمين له لتنفيذ أمره كذلك جعل الله بيته في الأرض ونصبه للطائفين به على ذلك الأسلوب وتميز البيت على العرش بأمر جلي وسر إلهي ما هو في العرش وهي يمين الله في الأرض لتبايعه في كل شوط مبايعة رضوان فالحجر يمين الله يبايع به عباده بلا شك ولكن على الوجه الذي يعلمه سبحانه من ذلك فصح النسب بالتقديس ومن هنا يعرف أن ما في الوجود إلا الله سبحانه وتقدس.

كعبه كزو درهمه دلها ره است ... جزوى از اعضاي يمين الله است

قال بعض الكبار: وضع الله بيته في الأرض قبل آدم وذريته وآجال الطائفين حوله ابتلاءً وامتحاناً ليحتجبوا بالبيت عن صاحب البيت يعني حجبهم بالوسائط عن مشاهدة جماله غيرة

على نفسه من أن يرى أحد إليه سبيلاً حكي: أن عارفاً من أولياء الله تعالى قصد الحج وكان له ابن فقال ابنه: إلى أين تقصد فقال: إلى بيت الله فظن الغلام أن من يرى البيت يرى رب البيت فقال: يا أبي لم لا تحملني معك فقال: أنت لا تصلح لذلك فبكى الغلام فحمله معه فلما بلغا إلى الميقات أحرما ولبيا ودخلا الحرم فلما شوهد البيت تحير الغلام عند رؤيته فخر ميتاً فدهش والده وقال أين ولدي وقطعة كبدي فنودي من زاوية البيت، أنت طلبت البيت فوجدته وهو طلب رب البيت فوجد رب البيت فرفع الغلام من بينهم فهتف هاتف إنه ليس في القبر، ولا في الأرض، ولا في الجنة، بل هو في مقعد صدق عند مليك مقتدر. وفي «المثنوي».

خوش بكش اين كاروانرا تابحج   أي أمير الصبر مفتاح الفرج
حج زيارت كردن خانه بود   حج رب البيت مردانه بود

فمن أعرض عن الجهة وتوجه إلى الوجه الأحدي صار الحق قبلة له، فيكون هو قبلة الجميع كآدم عليه السلام كان قبلة الملائكة لأنه وسيلة الحق بينه وبين ملائكته لما عليه من كسوة جماله وجلاله كما قال عليه السلام: «خلق الله آدم على صورته» يعني ألقى عليه حسن صفاته ونور مشاهدته.

قال بعض العارفين: لما كانت البيت المحرم سر لباس شمس الذات الأحدية وحد الحق سبحانه القصد إليه فقال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] فجاء بلفظ البيت لما فيه من اشتقاق المبيت والمبيت لا يكون إلا في الليل، والليل محل التجلي للعباد فإنه فيه نزول الحق كما يليق وهو مظهر الغيب وهو محل التجلي ولباس الشمس كذلك البيت الحرام مظهر حضرة الغيب الإلهي وسر التجلي الوجداني وسر منبع رحمة الرحمانية لأن الحق إذا تجلى لأهل الأرض بصفة الرحمة ينزل الرحمة أولاً على البيت ثم تقسم منه فالبيت سر وحدانية الحق فجعل الحق حجة واحدة لا يتكرر وجوبه، كتكرر سائر العبادات لأجل مضاهاته بحضرة الأحدية وفضل البيت على سائر البيوت كفضله سبحانه على خلقه والفضل كله لله تعالى فأنوار جميع البيوت وفضائلها مقتبسة من نوره كما وردت الإشارة أن الأرض مدت من البيت وهو حقيقة الحقائق الكونية الشهادية فلذلك سميت مكة بأم القرى شرفها الله تعالى وتقدس.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً﴾** أي: ونادِ في الناسين من النفس وصفاتها والقالب وجوارحه بزيارة القلب للاتصاف بصفاته وللدخول في مقاماته يأتوك مشاة وهي النفس وصفاتها. **﴿وعلى كل ضامر﴾** وهو القالب وجوارحه يعني يقصدون القلب بالأعمال الشرعية البدنية فإنهم كالركبان لأن الأعمال البدنية مركبة بحركات الجوارح ونيات الضمير كما أن أعمال النفس مفردة لأنها نيات الضمير فحسب. **﴿يأتين من كل فج عميق﴾** وهو سفل الدنيا لأن القالب من الدنيا وأكثر استعماله في مصالح الدنيا بالجوارح والأعضاء فردها إلى استعمالها في مصالح القلب إتيانها من كل فج عميق. **﴿ليشهدوا منافع لهم﴾** أي: ليحضروا وينتفعوا بالمنافع التي هي مستكنة في القلب فأما النفس وصفاتها فمنافعها بتبديل الأخلاق وأما القالب وجوارحه فمنافعهم قبول طاعاتهم وظهور آثارها على سيماهم ويذكروا اسم الله أي القلب والنفس والقالب شكراً على ما رزقهم من بهيمة الأنعام بأن جعل الصفات البهيمية الحيوانية مبدلة بالصفات القلبية الروحانية الربانية وبقوله: **﴿فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير﴾** يشير إلى أن انتفعوا من هذه المقامات والكرامات وأطعموا بمنافعها

الطالب المحتاج والقاصد إلى الله بالخدمة والهداية والإرشاد ثم ليقضوا الطلاب تفثهم وهو ما يجب عليهم من شرائط الإرادة وصدق الطلب. ﴿وليوفوا نذورهم﴾ فيما عاهدوا الله على التوجه إليه وصدق الطلب والإرادة. ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ أي: يطوفوا حول الله بقلبهم وسرهم ولا يطوفوا حول ما سواه وأراد بالعتيق القديم وهو من صفات الله تعالى.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿ذلك﴾ أي الأمر والشأن ذلك الذي ذكر من قوله: ﴿وإذ بوأنا﴾ إلى قوله: ﴿بالبيت العتيق﴾ فإن هذه الآية مشتملة على الأحكام المأمور بها والمنهي عنها وهذا وأمثاله يطلق للفصل بين الكلامين أو بين وجهي كلام واحد ﴿ومن﴾ [وهركه] ﴿يعظم حرمات الله﴾ جمع حرمة وهي ما لا يحل هتكه وهو خرق الستر عما وراءه أي أحكامه وفرائضه وسننه وسائر ما لا يحل هتكه كالكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه ﴿فهو خير له﴾ أي: فالتعظيم خير له ثواباً ﴿عند ربه﴾ أي في الآخرة.

قال ابن الشيخ: عند ربه يدل على الثواب المدخر لأنه بطاعة ربه فيما حصل من الخيرات.

وفي الآية إشارة إلى أن تعظيم حرمات الله هو تعظيم في ترك ما حرمه الله عليه وتعظيم ترك ما أمره الله به يقال بالطاعة يصل العبد إلى الجنة وبالحرمة يصل إلى الله ولهذا قال: ﴿فهو خير له عند ربه﴾ يعني: تعظيم الحرمة خير للعبد في التقرب إلى الله من تقربه بالطاعة ويقال: ترك الخدمة يوجب العقوبة وترك الحرمة يوجب الفرقة ويقال: كل شيء من المخالفات فللعفو فيه مساغ وللأمل فيه طريق وترك الحرمة على خطر أن لا يغفر ذلك بأن يؤدي شؤمه لصاحبه إلى أن يختل دينه وتوحيده. ﴿وأحلت﴾ جعلت حلالاً وهو من حل العقدة. ﴿لكم﴾ لمنافعكم ﴿الأنعام﴾ وهي الأزواج الثمانية على الإطلاق من الضأن اثنين أي الذكر والأنثى ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين فالخيل والبغال والحمير خارجة من الأنعام. ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ آية تحريمه كما قال في سورة المائدة ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المائدة: ٣] الآية، وهو استثناء متصل بناء على أن ما عبارة عما حرم منها لعارض كالميتة وما أهل به لغير الله والجملة اعتراض جيء به تقريراً لما قبله من الأمر بالأكل والإطعام، ودفعاً لما عسى يتوهم أن الإحرام يحرمها كما يحرم الصيد والمعنى أن الله تعالى، قد أحل لكم أن تأكلوا الأنعام كلها إلا ما استثناه كتابه فحافظوا على حدوده، وإياكم أن تحرموا مما أحل الله شيئاً، كتحريم عبدة الأوثان البحيرة والسائبة ونحوهما وأن تحلوا مما حرم حلالهم شيئاً، كأكل الموقوذة والميتة ونحوهما. ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ أي: الرجس الذي هو الأوثان يعني عبادتها كما يجتنب الأنجاس والرجس الشيء القذر يقال: رجل رجس ورجال أرجاس والرجس يكون على أربعة أوجه إما من حيث الطبع وإما من جهة العقل وإما من جهة الشريعة وإما من كل ذلك كالميتة فإنها تعاف طبعاً وعقلاً وشرعاً والرجس من جهة الشرع الخمر والميسر والأوثان وهي جمع وثن وهو حجارة كانت تعبد كما في «المفردات».

وقال بعضهم: الفرق بينه وبين الصنم أن الصنم هو الذي يؤلف من شجر أو ذهب أو فضة في صورة الإنسان والوثن هو الذي ليس كذلك.

قال في «الإرشاد» وقوله: ﴿فاجتنبوا﴾ الخ مرتب على ما يفيده قوله تعالى: ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان حل أنعام من دواعي التعاطي لا من مبادىء الاجتناب عقبه بما يجب الاجتناب عنه من الحرمات، ثم أمر بالاجتناب عما هو أقصى الحرمات كأنه قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والأنعام ليست من الحرمات فإنها محللة لكم إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه فإنه مما يجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم الأمور التي يجب الاجتناب عنها. ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ تعميم بعد تخصيص فإن عبادة الأوثان رأس الزور والمشرك يزعم أن الوثن يحق له العبادة كأنه قيل فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله ولا تقربوا شيئاً منه وكأنه لما حث على تعظيم الحرمات اتبع ذلك رداً لما كانت الكفرة عليه من تحريم السوائب والبحائر ونحوهما والافتراء على الله تعالى بأنه حكم بذلك. وبالفارسية: [واجتناب كنيد ازسخن دروغ مطلقاً] وقيل: المراد به شهادة الزور لما روي أنه عليه السلام قال: «عدلت شهادة الزور الإشراك بالله تعالى ثلاثاً» وتلا هذه الآية وكان عمر رضي الله عنه يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسود وجهه بالفحم ويطوف به في الأسواق والزور من الزور وهو الانحراف كالإفك المأخوذ من الإفك الذي هو القلب والصرف فإن الكذب منحرف مصروف عن الواقع.

وفي «التأويلات النجمية»: قول الزور كل قول باللسان مما لا يساعده قول القلب ومن عاهد الله بقلبه في صدق الطلب ثم لا يفي بذلك فهو من جملة قول الزور.

طريق صدق بياموز ازآب صافي دل براستي طلب ازادكي جو سروچمن
وفاكنيم وملامت كشيم وخوش باشيم كه در طريقت ما كافريست رنجيدم

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿حنفاء لله﴾ حال من واو فاجتنبوا أي حال كونكم مائلين عن كل دين زائغ إلى الدين الحق مخلصين له والحنف هو الميل عن الضلال إلى الاستقامة والحنيف هو المائل إلى ذلك وتحنف فلان أي تحرى طريق الاستقامة. ﴿غير مشركين به﴾ أي: شيئاً من الأشياء فيدخل في ذلك الأوثان دخولاً أولياً وهو حال أخرى من الواو. ﴿ومن﴾ [هركه] ﴿يشرك بالله فكأنما خر من السماء﴾.

قال الراغب: معنى (خر) سقط سقوطاً يسمع منه خرير وهو صوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو. ﴿فتخطفه الطير﴾ الخطف الاختلاس بالسرعة وصيغة المضارع لتصوير هذه الحالة الهائلة التي اجترأ عليها المشرك للسامعين.

قال الكاشفي: [وهركه شرك آرد بخداي تعالى پس همچنا نست كه كويا درافتاد ازآسمان برروى زمين وهلاك شد پس مي ربايند اورا مرغان مردار خوار ازروى زمين واجزا واعضاي اورا متفرق ومتمزق ميسازند]. ﴿أو تهوي به الريح﴾ أي: تسقطه وتقذفه يقال: هوى يهوي من باب ضرب هوياً سقط من علو إلى سفل وأما هوى يهوي من باب علم هوى فمعناه أحب.

﴿في مكان سحيق﴾ أي: بعيد فإن السحق البعد وليس إسحاق العلم منه فإنه عبراني معناه الضحاك واو للتخيير كما في قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩].

قال الكاشفي: [يابزير افكند اورا باد ازموضعي مرتفع درجانبي دوراز فرياد رس ودستكير اين كلمات ازتشبيهات مركبه است يعني هركه أزاوج إيمان بحضيض كفر افتد هواي نفس اورابريشان سازد ياباد وسوسة شيطان اورا در وادي ضلالت افكند ونابود شود ملخص سخن آنكه هلاك مشركانست] فالهلاك في الشرك كما أن النجاة في الإيمان.

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه عليه السلام قال له: «هل تدري ما حق الله» قال: قلت: الله ورسوله أعلم قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً يا معاذ هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك» قلت: الله ورسوله أعلم قال: «أن لا يعذبهم» فلا بد من تخصيص العبادة بالله والتخليص من شوب الشرك ليكون العبد على الملة الحنيفية وهي واحدة من لدن آدم إلى يومنا هذا وهي ملازمة التوحيد واليقين.

وسئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل قال: «الإيمان بالله ورسوله» قيل ثم ماذا قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل ثم ماذا قال: «حج مبرور»، وفي الحديث: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال: «الرياء».

مُرائي هركسي معبود سازد   مُرائي را ازان كفتند مشرك

قال الحافظ:

كويا باورونمي دارند روز داوري   كين همه قلب ودغل دركار داورميكنند

فالشرك أقبح الرذائل كما أن التوحيد أحسن الحسنات وفي الحديث: «إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فإنها بعشرة أمثالها» فقال المخاطب: يا رسول الله قول لا إله إلا الله من الحسنات قال: «أحسن الحسنات».

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿ذلك﴾ أي: الأمر والشأن ذلك الذي ذكر من أن تعظيم حرمات الله خير وأن الاجتناب عن الإشراك وقول الزور أمر لازم أو امتثلوا ذلك. ﴿ومن يعظم شعائر الله﴾ أي الهدايا فإنها من معالم الحج وشعائره كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣٦] وهو الأوفق لما بعده. والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة من الأشعار وهو الأعلام والشعور العلم وسميت البدنة شعيرة من حيث أنها تشعر بأن تطعن في سنامها من الجانب الأيمن والأيسر حتى يسيل الدم فيعلم أنها هدي فلا يتعرض لها فهي من جملة معالم الحج بل من أظهرها وأشهرها علامة وتعظيمها اعتقاد أن التقرب بها من أجل القربات وأن يختارها حساناً سماناً غالية الأثمان روي: أنه عليه السلام أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب وأن عمر أهدى نجيبة أي ناقة كريمة طلبت منه بثلاثمائة دينار.

هركسي ازهمت والاي خويش   سود بردارد خوركالاي خويش

قال الجنيد: من تعظيم شعائر الله التوكل والتفويض والتسليم فإنها من شعائر الحق في أسرار أوليائه فإذا عظمه وعظم حرمته زين الله ظاهره بفنون الآداب. ﴿فإنها﴾ أي: فإن تعظيمها ناشىء ﴿من تقوى القلوب﴾ وتخصيصها بالإضافة لأنها مركز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء.

﴿لكم فيها﴾ أي: في الهدايا المشعرة ليعرف أنها هدي. ﴿منافع﴾ هي درها ونسلها وصوفها وظهرها فإن للمهدي أن ينتفع بهديه إلى وقت النحر إذا احتاج إليه ﴿إلى أجل مسمى﴾ هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والأكل منه. ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ المحل اسم زمان بتقدير المضاف من حل الدين إذا وجب أداؤه معطوف على قوله منافع وإلى البيت حال من ضمير فيها والعامل في الحال الاستقرار الذي تعلق به كلمة في. والمعنى ثم بعد تلك المنافع هذه المنفعة العظمى وهي وقت حلول نحرها ووجوبه حال كونها متهيئة إلى البيت العتيق أي إلى الحرم الذي هو في حكم البيت فإن المراد به الحرم كله كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨] أي: الحرم كله فإن البيت وما حوله نزهت عن إراقة دماء الهدايا وجعل مني منحراً ولا شك أن الفائدة التي هي أعظم المنافع الدينية في الشعائر هي نحرها خالصة لله تعالى وجعل وقت وجوب نحرها فائدة عظيمة مبالغة في ذلك فإن وقت الفعل إذا كان فائدة جليلة فما ظنك بنفس الفعل والعتيق المتقدم في الزمان والمكان والرتبة.

قال الكاشفي: [پس جان ذبح باوجوب نحران منتهى شود بخانة كه آزادست ازغرق شدن بوقت طوفان يا خانة بزركوار]. روي: أن إبراهيم عليه السلام وجد حجراً مكتوباً عليه أربعة أسطر الأول: «إني أنا الله لا إلٰه إلا أنا فاعبدني». والثاني: «إني أنا الله لا إلٰه إلا أنا محمد رسولي طوبى لمن آمن به واتبع». والثالث: «إني أنا الله لا إلٰه إلا أنا من اعتصم بي نجا». والرابع: «إني أنا الله لا إلٰه إلا أنا الحرم لي والكعبة بيتي من دخل بيتي أمن من عذابي» وفي الحديث: «إن الله تعالى ليدخل ثلاثة نفر بالحجة الواحدة الجنة الموصي بها والمنفذ لها والحاج عنه».

وفي «الاشباه»: ليس للمأمور الأمر بالحج ولو لمرض إلا إذا قال له الآمر اصنع ما شئت فله ذلك مطلقاً والمأمور بالحج له أن يؤخره عن السنة الأولى ثم يحج ولا يضمن كما في «التاتارخانية» ولو عين له هذه السنة لأن ذكرها للاستعجال لا للتقييد وإذا أمر غيره بأن يحج عنه ينبغي أن يفوض الأمر إلى المأمور فيقول حج عني بهذا المال كيف شئت مفرداً بالحج أو العمرة أو متمتعاً أو قارناً والباقي من المال لك وصية كيلا ضيق الأمر على الحاج ولا يجب عليه ردماً فضل إلى الورثة ولو أحج من لم يحج عن نفسه جاز والأفضل أن يحج من قد حج عن نفسه كما في «الفتاوى المؤيدية» ولا يسقط به الفرض عن المأمور وهو الحاج كما في «حواشي أخي چلبي» ولو أحج امرأة أو أمة بإذن السيد جاز لكنه أساء ولو زال عجز الآمر صار ما أدى المأمور تطوعاً للآمر وعليه الحج كما في «الكاشفي».

وعن أبي يوسف إن زال العجز بعد فراغ المأمور عن الحج يقع عن الفرض وإن زال قبله فعن النفل كما في «المحيط» والحج النفل يصح بلا شرط ويكون ثواب النفقة للآمر بالاتفاق وأما ثواب النفل فالمأمور يجعله للآمر وقد صح ذلك عند أهل السنة كالصلاة والصوم والصدقة كما في «الهداية» وإن مات الحاج المأمور في طريق الحج يحج غيره وجوباً من منزل آمره الموصي أو الوارث قياساً إذا اتحد مكانهما والمال واف فيه أن السفر هل يبطل بالموت أو لا وهذا إذا لم يبين مكاناً يحج منه بالإجماع كما في «المحيط».

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ولكل أمة﴾ من الأمم لا لبعض منهم دون بعض فالتقديم للتخصيص. **﴿جعلنا منسكاً﴾** متعبداً وقرباناً يتقربون به إلى الله تعالى والمراد به إراقة الدماء لوجه الله تعالى. والمعنى شرعنا لكل أمة مؤمنة أن ينسكوا له تعالى يقال نسك ينسك نسكاً ونسوكاً ومنسكاً بفتح السين إذا ذبح القربان. **﴿ليذكروا اسم الله﴾** خاصة دون غيره ويجعلوا نسكهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيهاً على أن المقصود الأصلي من المناسك تذكر المعبود. **﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾** عند ذبحها وفي تبيين البهيمة بإضافتها إلى الأنعام تنبيه على أن القربان يجب أن يكون من الأنعام وأما البهائم التي ليست من الأنعام كالخيل والبغال والحمير فلا يجوز ذبحها في القرابين.

وفي «التأويلات النجمية»: ولكل سالك جعلنا طريقة ومقاماً وقربة على اختلاف طبقاتهم فمنهم من يطلب الله من طريق المعاملات ومنهم من يطلبه من باب المجاهدات ومنهم من يطلبه به ليتمسك كل طائفة منهم في الطلب بذكر الله على ما رزقهم من قهر النفس وكسر صفاتها البهيمية والإنعامية فإنهم لا يظفرون على اختلاف طبقاتهم بمنازلهم ومقاماتهم إلا بقهر النفس وكسر صفاتها فيذكرون الله بالحمد والثناء على ما رزقهم من قهر النفس من العبور على المقامات والوصول إلى الكمالات. **﴿فإلهكم إله واحد﴾** الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الجعل المذكور والخطاب للكل تغليباً أي فإلٰهكم إله منفرد يمتنع أن يشاركه شيء في ذاته وصفاته وإلا لاختل النظام المشاهد في العالم. **﴿فله أسلموا﴾** أي فإذا كان إلٰهكم إله واحد فاجعلوا التقرب أو الذكر سالماً له أي خالصاً لوجهه ولا تشوبوه بالإشراك. وبالفارسية [پس مرورا كردن نهيد وقربانرا بشرك آميخته مسازيد].

وفي «التأويلات النجمية»: والإسلام يكون بمعنى الإخلاص والإخلاص تصفية الأعمال من الآفات ثم تصفية الأخلاق من الكدورات ثم تصفية الأحوال من الالتفاتات ثم تصفية الأنفاس من الأغيار. **﴿وبشر المخبتين﴾** المتواضعين أو المخلصين فإن الخبت هو المطمئن من الأرض وحقيقة المخبت من صار في خبت الأرض ولما كان الإخبات من لوازم التواضع والإخلاص صح أن يجعل كناية عنهما.

قال الكاشفي: [وبشارت ده أي محمد فروتنانرا بيزركي آن سرايا سكارانرا برحمت بي منتهى، سلمي قدس سره فرمودهكه مزده ده مشتاقانرا بسعادت لقاكه هيچ مژده ازين فرح آفزاي ترنيست پس در صفت مخبتين ميفرمايد]. **﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾** الوجل استشعار الخوف كما في «المفردات» أي: خافت منه تعالى لإشراق أشعة جلاله عليها وطلوع أنوار عظمته والوجل عند الذكر على حسب تجلي الحق للقلب.

هركرانور تجلي شد فزون خشيت وخوفش بوداز حد برون

﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من المصائب والكلف.

قال في «بحر العلوم»: الذين صبروا على البلايا والمصائب من مفارقة أوطانهم

وعشائرهم ومن تجرع الغصص والأحزان واحتمال المشاق والشدائد في نصر الله وطاعته وازدياد الخير ومعنى الصبر الحبس يقال صبرت نفسي على كذا أي حبستها.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ أي: خامدين تحت جريان الحكم من غير استكراه ولا تمنى خروجه ولا روم فرجه يستسلمون طوعاً. قال الحافظ:

اكر بلطف بخواني مزيد الطافست وكر بقهر براني درون ما صافست

وقال:

بدرد وصاف تراحكم نيست دم دركش كه هرچه ساقي ما كرد عين الطافست

وقال:

عاشقانرا كر درآتش مينشاند قهر دوست تنك چشمم كرد نظر زچشمة كوثر كنم

وقال:

آشنايان ره عشق اكرم خون بخورند نا كسم كر بشكايت سوى بيكانه روم

وقال:

حافظ از جور توحاشا كه بنالد روزي كه ازان روز كه دربند تؤام دلشادم

وأيضاً الحافظين مع الله أسرارهم لا يطلبون السلوة باطلاع الخلق على أحوالهم ﴿والمقيمي الصلاة﴾ في أوقاتها أصله مقيمين والإضافة لفظية.

وفي «التأويلات النجمية»: والمديمي النجوى مع الله كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ٢٣] قال شاعرهم:

إذا ما تمنى الناس روحاً وراحة تمنيت أن أشكو إليك وتسمع

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ في وجوه الخيرات قدم المفعول إشعاراً بكونه أهم كأنه قيل: ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به والمراد به إما الزكاة المفروضة لاقترانها بالصلاة المفروضة أو مطلق ما ينفق في سبيل الله لوروده مطلق اللفظ من غير قرينة الخصوص وفي الحديث: «بدلاء أمتي لا يدخلون الجنة بصيامهم وقيامهم ولكن دخلوها بسلامة الصدر وسخاء النفس والنصح للمسلمين».

واعلم أن خدمة المولى بالمال وبالوجود سبب لسعادة الدنيا والعقبى.

قال بعض الكبار: إن الله لما أظهر الصنائع وعرضها عل الخلق في الأزل اختار كل منهم صنيعة وقال طائفة ما أعجبنا شيء فأظهر الله لهم العبادة ومقامات الأولياء فقالوا: قد اخترنا خدمتك فقال: لأسخرنهم لكم ولأجعلنهم خداماً لكم واشفعنكم فيمن خدمكم وعرفكم.

قال الشيخ أبو الحسن: سمعت وصف ولي في جبل فبت عند باب صومعته ليلة فسمعته يقول: إلهي إن بعض عبادك طلب منك تسخير الخلق فأعطيته مراده وأنا أريد منك أن لا يحسنوا معاملتهم معي حتى لا ألتجيء إلا إلى حضرتك قال: فلما أصبحت سألت عن ذلك فقال: يا ولدي قل اللهم كن لي مكان قولك اللهم سخر لي فإذا كان الله لك فلا تحتاج إلى شيء أبداً فلا بد من الاجتهاد في طريق الطلب والجد في الدعاء إلى حصول المطلب. قال المولى الجامي:

بي طلب نتوان وصالت يافت آري كي دهد دولت حج دست جزراه بيابان برده را

﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿والبدن﴾ منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقوله تعالى: **﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾** [يس: ٣٩] جمع بدنة وهي الإبل والبقر مما يجوز في الهدي والأضاحي سميت بها لعظم بدنها.

قال في «بحر العلوم»: البدنة في اللغة من الإبل خاصة وتقع على الذكر والأنثى وأما في الشريعة فللإبل والبقر لاشتراكهما في البدانة ولذا ألحق عليه السلام البقر بالإبل في الإجزاء عن السبعة.

وفي «القاموس»: البدنة محركة من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تهدى إلى مكة للذكر والأنثى.

قال الكاشفي: [وشتران وكاوان كه براي هدى رانده آيد] **﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾** أي: من أعلام دينه التي شرعها الله مفعول ثان للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وأضيف الشعائر إلى اسم الله تعظيماً لها كبيت الله فإن المضاف إلى العظيم عظيم وقد سبق معنى الشعائر. وبالفارسية [ساختيم آنها يعني كشتن آنها شمارا از نشانهاي دين خدايرا تعالى] **﴿لكم فيها﴾** في البدن **﴿خير﴾** نفع كثير في الدنيا وأجر عظيم في العقبى.

وفيه إشارة إلى قربان بهيمة النفس عند كعبة القلب وأنه من أعلام الدين وشعار أهل الصدق في الطلب وأن الخير في قربانها وذبحها بسكين الصدق.

ظاهرش مرك وبباطن زنده كي ظاهرش ابترنهان پاينده كي

﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ بأن تقولوا عند ذبحها «الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك» أي: هي عطاء منك ونتقرب بها إليك **﴿صواف﴾** كناية عن كونها قائمات لأن قيام الإبل يستلزم أن تصف أيديها وأرجلها جمع صافة. والمعنى حال كونها قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن معقولة الأيدي اليسرى.

والآية دلت على أن الإبل تنحر قائمة كما قال الكاشفي: [صواف درحالتي كه برپاي ايستاده باشند وشتررا ايستاده ذبح كردن سنت است]. **﴿فإذا وجبت جنوبها﴾** يقال: وجب الحائط يجب وجبة إذا سقط.

قال في «التهذيب»: الوجب [بيفتادن ديوار] وغيره والمعنى سقطت على الأرض وهو كناية عن الموت.

قال الكاشفي: [پس چون بيفتد برزمين پهلو هاي مذبوحان وروح ازايشان بيرون رود] **﴿فكلوا منها﴾** أي من لحومها إن لم يكن دم الجناية والكفارة والنذر كما سبق والأمر للإباحة **﴿وأطعموا﴾** الأمر للوجوب **﴿القانع﴾** أي الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة **﴿والمعتر﴾** الاعترار التعرض للسؤال من غير أن يسأل كما قال في «القاموس»: المعتر الفقير المعترض للمعروف من غير أن يسأل انتهى يقال: اعتره وعررت بك حاجتي والعر الجرب الذي يعر البدن أي يعترضه.

قال الكاشفي: [درزاد المسير آورده كه قانع فقير مكة است ومعتر درويش آفاقي] ﴿كذلك﴾مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله صواف. ﴿سخرناها لكم﴾ذللناها لمنافعكم: وبالفارسية [رام كردانيم] مع كمال عظمها ونهاية قوتها فلا تستعصي عليكم حتى تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحسبونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها أي مناحرها من الصدور ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن أعجز من بعض الوحوش التي هي أصغر منها جرماً وأقل قوة. ﴿لعلكم تشكرون﴾لتشكروا إنعامنا عليكم بالتقرب والإخلاص ولما كان أهل الجاهلية ينضحون البيت أي الكعبة بدماء قرابينهم ويشرحون اللحم ويضعونه حوله زاعمين أن ذلك قربة قال تعالى نهياً للمسلمين ﴿لن ينال الله﴾لن يصيب ويبلغ ويدرك رضاه ولا يكون مقبولاً عنده. ﴿لحومها﴾المأكولة والمتصدق بها ﴿ولا دماؤها﴾المهراقة بالنحر من حيث أنها لحوم ودماء ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾وهو قصد الائتمار وطلب الرضى والاحتراز عن الحرام والشبهة.

وفيه دليل على أنه لا يفيد العمل بلا نية وإخلاص: وبالفارسية: [وليكن ميرسد بمحل قبول وي پرهيز كاري ازشماكه آن تعظيم امر خداوندست وتقرب بدو بقربان پسنديده]. ﴿كذلك سخرها لكم﴾تكرير للتذكير والتعليل بقوله: ﴿لتكبروا الله﴾أي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء. ﴿على ما هداكم﴾على متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وما مصدرية أي على هدايته إياكم أو موصولة أي على ما هداكم إليه وأرشدكم وهو طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها. ﴿وبشر المحسنين﴾أي المخلصين في كل ما يأتون وما يذرون في أمور دينهم بالجنة أو بقبول الطاعات.

قال ابن الشيخ: هم الذين يعبدون الله كأنهم يرونه يبتغون فضله ورضوانه لا يحملهم على ما يأتونه ويذرون إلا هذا الابتغاء وأمارة ذلك أن لا يستثقل ولا يتبرم بشيء مما فعله أو تركه والمقصود منه الحث والتحريض على استصحاب معنى الإحسان في جميع أفعال الحج.

واعلم أن كل مال لا يصلح لخزانة الرب ولا كل قلب يصلح لخدمة الرب فعجل أيها العبد في تدارك حالك وكن سخياً محسناً بمالك فإن لم يكن فبالنفس والبدن وإن كان لك قدرة على بذلهما فيهما معاً ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام كيف أعطى ماله الضيافة وبدنه النيران وولده للقربان وقلبه للرحمٰن حتى تعجب الملائكة من سخاوته فأكرمه الله بالخلة.

قالوا للحجاج يوم عيد للقربان مناسك. الأول: الذهاب من منى إلى المسجد الحرام فلغيرهم الذهاب إلى المصلى موافقة لهم. والثاني: الطواف فلغيرهم صلاة العيد لقوله عليه السلام: «الطواف بالبيت صلاة». والثالث: إقامة السنن من الحلق وقص الأظفار ونحوهما فلغيرهم إزالة البدعة وإقامة السنة. والرابع: القربان فلغيرهم أيضاً ذلك إلى غير ذلك من العبادات وأفضل القربان بذل المجهود وتطهير كعبة القلب لتجليات الرب المعبود وذبح النفس بسكين المجاهدة والفناء عن الوجود.

قال مالك بن دينار رحمه الله: خرجت إلى مكة فرأيت في الطريق شاباً إذا جن عليه الليل رفع وجهه نحو السماء وقال: يا من تسره الطاعات ولا تضره المعاصي هب لي ما يسرك واغفر لي ما لا يضرك فلما أحرم الناس ولبوا قلت له لم لا تلبي فقال يا شيخ وما تغني التلبية عن الذنوب المتقدمة والجرائم المكتوبة أخشى أن أقول لبيك فيقال لي لا لبيك ولا سعديك لا

أسمع كلامك ولا أنظر إليك ثم مضى فما رأيته إلا بمنى وهو يقول؛ اللهم اغفر لي إن الناس قد ذبحوا وتقربوا إليك وليس لي شيء أتقرب به إليك سوى نفسي فتقبلها مني ثم شهق شهقة وخر ميتاً.

جان كه نه قرباني جانان بود — جيفة تن بهتر ازآن جان بود
هركه نشد كشته بشمشير دوست — لا شة مردار به ازجان أوست

وفي «المثنوي»:

معنىء تكبير أينست أي أميم — كاي خدا پيش توما قربان شديم
وقت ذبح الله أكبر ميكنى — همچنان در ذبح نفس كشتني
تن چو إسماعيل وجان شد چون خليل — كرد جان تكبير برجسم نبيل
كشته كشته تن زشهوتها وآز — شد ببسم الله بسمل در نماز

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾.

﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾، قال الراغب: الدفع إذا عدي بإلى اقتضى معنى الإنالة نحو قوله تعالى: ﴿فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ [النساء: ٦] وإذا عدي بعن اقتضى معنى الحماية نحو: ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ أي: يبالغ في دفع ضرر المشركين عن المؤمنين ويحميهم أشد الحماية من أذاهم ﴿إن الله لا يحب كل خوان﴾ بليغ الخيانة في أمانة الله أمراً كانت أو نهياً أو غيرهما من الأمانات ﴿كفور﴾ بليغ الكفران لنعمته فلا يرضى فعلهم ولا ينصرهم.

والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً والكفر في الدين أكثر والكفور فيهما جميعاً وصيغة المبالغة فيهما لبيان أنهم كانوا كذلك لا لتقييد البعض بغاية الخيانة والكفر فإن نفي الحب كناية عن البغض والبغض نفار النفس من الشيء الذي ترغب عنه وهو ضد الحب فإن الحب انجذاب النفس إلى الشيء الذي ترغب فيه قال عليه السلام: «إن الله يبغض المتفحش» فذكر بغضه له تنبيه على بعد فيضه وتوفيق إحسانه منه.

وفي الآية: تنبيه على أنه بارتكاب الخيانة والكفران يصير بحيث لا يتوب لتماديه في ذلك وإذا لم يتب لم يحبه الله المحبة التي وعد بها التائبين والمتطهرين وهي إصابتهم والإنعام عليهم فإن محبة الله للعبد إنعامه عليه ومحبة العبد له طلب الزلفى لديه.

واعلم أن الخيانة والنفاق واحد لأن الخيانة تقال اعتباراً بالعهد والأمانة والنفاق يقال اعتباراً بالدين ثم يتداخلان فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر ونقيض الخيانة الأمانة ومن الخيانة الكفر فإنه إهلاك للنفس التي هي أمانة الله عند الإنسان وتجري في الأعضاء كلها قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦] ويجري في الصلاة والصوم ونحوهما إما بتركها أو بترك شرط من شرائطها الظاهرة والباطنة فأكل السحور مع غلبة الظن بطلوع الفجر أو الإفطار مع الشك بالغروب خيانة للصوم ومن أكل السحور فنام عن صلاة الصبح حتى طلع الشمس فقد كفر بنعمة الله التي هي السحور وخانه بالصلاة أيضاً فترك الفرض من أجل السنة تجارة خاسرة. روي: أن واحداً ضاع له تسعة دراهم فقال من وجدهم وبشرني فله عشرة دراهم فقيل له في ذلك فقال: إن في الوجدان لذة لا تعرفونها أنتم فأهل الغفلة

وجدوا في المنام لذة هي أفضل عندهم من ألف صلاة نعوذ بالله تعالى.

ومن الخيانة النقص في المكيال والميزان. حكي: أنه احتضر رجل فإذا هو يقول جبلين من نار جبلين من نار فسئل أهله عن عمله فقالوا كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخرة.

ومن الخيانة التسبب إلى الخيانة.

وكتب رجل إلى الصاحب بن عباد أن فلاناً مات وترك عشرة آلاف دينار ولم يخلف إلا بنتاً واحدة فكتب على ظهر المكتوب النصف للبنت والباقي يرد عليها وعلى الساعي ألف ألف لعنة.

ثم إن المؤمن الكامل منصور على كل حال فلا يضره كيد الخائنين فإن الله لا يحب الخائنين فإذا لم يحبهم لم ينصرهم ويحب المؤمن فينصره.

وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى يدافع خيانة النفس وهواها عن المؤمنين وأن مدافعة النفس وهواها عن أهل الإيمان إنما كان لإزالة الخيانة وكفران النعمة لأنه لا يحب المتصفين بها وأنه يحب المؤمنين المخلصين عنها فالآية تنبيه على إصلاح النفس الأمارة وتخليصها عن الأوصاف الرذيلة.

وجود تو شهريست پرنيك وبد ... تو سلطان ودستور دانا خرد
همانا كه دونان كردن فراز ... درين شهر كبرست وسود او آز
چو سلطان عنايت كند بابدان ... كجا ماند آسايش بخردان

قال الله تعالى:

﴿أذن﴾ الاذن في الشيء إعلام بإجازته والرخصة فيه والمأذون فيه محذوف، أي رخص في القتال. ﴿للذين﴾ للمؤمنين الذين ﴿يقاتلون﴾ بفتح التاء على صيغة المجهول، أي يقاتلهم المشركون. ﴿بأنهم ظلموا﴾ أي: بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب النبي عليه السلام كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه عليه السلام بين مضروب ومشجوج ويتظلمون إليه فيقول عليه السلام لهم: «اصبروا فإني لم أومر بالقتال» حتى هاجروا فنزلت وهي أول آية نزلت في القتال بعدما نهى عنه في نيف وسبعين آية ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾ وعد للمؤمنين بالنصر والتغليب على المشركين بعدما وعد بدفع أذاهم وتخليصهم من أيديهم.

قال الراغب: القدرة إذا وصف بها الإنسان فاسم لهيئة له بها يتمكن من فعل ما وإذا وصف الله بها فنفي للعجز عنه ومحال أن يوصف غير الله بالقدرة المطلقة معنى وإن أطلقت عليه لفظاً بل حقه أن يقال قادر على كذا ومتى قيل: هو قادر فعلى سبيل معنى التقييد ولهذا لا أحد غير الله يوصف بالقدرة من وجه إلا ويصح أن يوصف بالعجز من وجه والله تعالى هو الذي ينتفي عنه العجز من كل وجه والقدير هو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضي الحكمة لا زائداً عليه ولا ناقصاً عنه ولذلك لا يصح أن يوصف به غير الله تعالى.

تعالى الله زهى قيوم ودانا ... توانايي ده هر ناتوانا

وفي الآية إشارة إلى أن قتال الكفار بغير إذن الله لا يجوز ولهذا لما وكز موسى عليه السلام القبطي الكافر وقتله قال هذا من عمل الشيطان لأنه ما كان مأذوناً من الله في ذلك وبهذا المعنى يشير إلى أن الصلاح في قتال كافر النفس وجهاده أن يكون بإذن الله على وفق الشرع

وأوانه وهو بعد البلوغ فإن قبل البلوغ تحلى المجاهدة باستكمال الشخص الإنساني الذي هو حامل أعباء الشريعة ولهذا لم يكن مكلفاً قبل البلوغ وينبغي أن تكون المجاهدة محفوظة عن طرفي التفريط والإفراط بل يكون على حسب ظلم النفس على القلب باستيلائها عليه فيما يضره من اشتغالها بمخالفة الشريعة وموافقة الطبيعة في استيفاء حظوظها وشهواتها من ملاذ الدنيا فإن منها يتولد رين مرآة القلب وقسوته واسوداده وإن ارتاضت النفس ونزلت عن ذميم صفاتها وانقادت للشريعة وتركت طبعها واطمأنت إلى ذكر الله واستعدت لقبول جذبة ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر: ٢٨] تصان من فرط المجاهدة ولكن لا يؤمن مكر الله المودع في مكر النفس وآخر الآية يشير إلى أن الإنسان لا يقدر على النفس وتزكيتها بالجهاد المعتدل إلا بنصر الله تعالى.

چورويي بخدكت نهى بر زمين خدارا ثنا كوى وخودرا مبين
كراز حق نه توفيق خيري رسد كي ازبنده خيري بغيري رسد

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿الذين أخرجوا من ديارهم﴾ في حيز الجر على أنه صفة للموصول.

قال ابن الشيخ: لما بين أنهم إنما أذنوا في القتال لأجل أنهم ظلموا فسر ذلك الظلم بقوله: الذين إلى آخره والمراد بديارهم مكة وتسمى البلاد الديار لأنه يدار فيها للتصرف يقال: ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالى مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد.

قال الراغب: الدار المنزل اعتباراً بدورانها الذي لها بالحائط وقيل: وجمعها ديار ثم تسمى البلدة داراً **﴿بغير حق﴾** أي خرجوا بغير موجب استحقوا الخروج فالحق مصدر قولك حق الشيء يحق بالكسر أي وجب **﴿إلا أن يقولوا ربنا الله﴾** بدل من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجباً للإقرار والتمكين دون الإخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين في كل عصر وزمان **﴿لهدمت﴾** الهدم إسقاط البناء والتهديم للتكثير أي لخربت باستيلاء المشركين **﴿صوامع﴾** للرهبانية **﴿وبيع﴾** للنصارى وذلك في زمان عيسى عليه السلام الصوامع جمع صومعة وهي موضع يتعبد فيه الرهبان وينفردون فيه لأجل العبادة.

قال الراغب: الصومعة كل بناء منصمع الرأس متلاصقة والأصمع اللاصق أذنه برأسه والبيع جمع بيعة وهي كنائس النصارى التي يبنونها في البلدان ليجتمعوا فيها لأجل العبادة والصوامع لهم أيضاً إلا أنهم يبنونها في المواضع الخالية كالجبال والصحارى.

قال الراغب: البيعة مصلى النصارى فإن يكن ذلك عربياً في الأصل فتسميته بذلك لما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١] الآية **﴿وصلوات﴾** كنائس لليهود في أيام موسى عليه السلام.

قال الكاشفي: [صومعهاي راهبان وكليساهاي ترسايان وكنشتهاي جهودان] سميت بالصلوات لأنها تصلى فيها.

قال الراغب: يسمى موضع العبادة بالصلاة ولذلك سميت الكنائس صلوات.

وقال بعضهم: هي كلمة معربة وهي بالعبرية «صلوثا» بالثاء المثلثة وهي في لغتهم بمعنى المصلى ﴿ومساجد﴾ للمسلمين في أيام شريعة محمد ﷺ وقدم ما سوى المساجد عليها في الذكر لكونه أقدم في الوجود بالنسبة إليها. وفي «الأسئلة المقحمة»: تقديم الشيء بالذكر لا يدل على شرفه كقوله تعالى: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] ﴿يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ أي ذكراً كثيراً أو وقتاً كثيراً صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل أهلها ويجوز أن يكون صفة للأربع لأن الذكر في الصوامع والبيع والصلوات كان معتبراً قبل انتساخ شرائع أهلها.

وفي الآية إشارة إلى أنه تعالى لو لم ينصر القلوب على النفوس ويدافع عن القلوب استيلاء النفوس لهدمت صوامع أركان الشريعة وبيع آداب الطريقة وصلوات مقامات الحقيقة ومساجد القلوب التي يذكر فيها اسم الله كثيراً فإن الذكر الكثير لا يتسع إلا في القلوب الواسعة المنورة بنور الله. ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ أي: بالله لينصرن الله من ينصر أولياءه أو من ينصر دينه ولقد أنجز الله وعده حيث سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرة الروم وأورثهم أرضهم وديارهم. ﴿إن الله لقوي﴾ على كل ما يريده. ﴿عزيز﴾ لا يمانعه شيء ولا يدافعه، وفي «بحر العلوم»: يغني بقدرته وعزته في إهلاك أعداء دينه عنهم وإنما كلفهم النصر باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة الأعداء وبذل الأرواح والأموال لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الأمر فيها إلى منافع دينية ودنيوية.

فإن قلت فإذا كان الله قوياً عزيزاً غالباً غلبة لا يجد معها المغلوب نوع مدافعة وانفلات فما وجه انهزام المسلمين في بعض وقد وعدهم النصرة.

قلت: إن النصرة والغلبة منصب شريف فلا يليق بحال الكافر لكن الله تعالى تارة يشدد المحنة على الكفار وأخرى على المؤمنين لأنه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الأوقات وأزالها عن المؤمنين في جميع الأوقات لحصل العلم الاضطراري بأن الإيمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا المعنى تارة يسلط الله المحنة على أهل الإيمان وأخرى على أهل الكفر لتكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل الدالة على صحة الإسلام فيعظم ثوابه عند الله ولأن المؤمن قد يقدم على بعض المعاصي فيكون تشديد المحنة عليه في الدنيا كفارة له في الدنيا وأما تشديد المحنة على الكافر فإنه يكون غضباً من الله كالطاعون مثلاً فإنه رحمة للمؤمنين ورجز أي عذاب وغضب للكافرين.

مرّ عامر برجل قد صلبه الحجاج قال: يا رب إن حلمك على الظالمين أضر بالمظلومين، فرأى في منامه أن القيامة قد قامت وكأنه دخل الجنة فرأى المصلوب فيها في أعلى عليين فإذا منادٍ ينادي حلمي على الظالمين أحل المظلومين في أعلى عليين.

واعلم أن الله تعالى يدفع في كل عصر مدبراً بمقبل ومبطلاً بمحق وفرعوناً بموسى ودجالاً بعيسى فلا تستبطىء ولا تنضجر. قال الحافظ:

اسم أعظم بكند كارخود أي دل خوش باش　　　كه بتلبيس وحيل ديو سليمان نشود

قال بعض الكبار: الأمراء يقاتلون في الظاهر وأولياء الله في الباطن فإذا كان الأمير في قتاله محقاً والطرف المقابل مستحقاً للعقوبة أعانه رجال الغيب من الباطن وإلا فلا.

وفي التوراة في حق هذه الأمة: أناجيلهم في صدورهم أي يحفظون كتابهم لا يحضرون قتالاً إلا وجبريل عليه السلام معهم وهو يدل على أن كل قتال حق يحضره جبريل ونحوه إلى قيام الساعة بل القتال إذا كان حقاً فالواحد يغلب الألف. قال الحافظ:

تيغي كه آسمانش ازفيض خود دهد آب تنها جهان بكيرد بي منت سپاهي

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾

﴿الذين إن مكناهم في الأرض﴾ وصف من الله للذين أخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى إياهم في الأرض وإعطائه إياهم زمام الأحكام **﴿أقاموا الصلاة﴾** لتعظيمي.

قال الراغب: كل موضع مدح الله بفعل الصلاة أو حث عليه ذكر بلفظ الإقامة ولم يقل المصلين إلا في المنافقين نحو: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾﴾ [الماعون: ٤] وإنما خص لفظ الإقامة تنبيهاً على أن المقصود من فعلها توفية حقوقها وشرائطها لا الإتيان بهيئتها فقط ولهذا روي أن المصلين كثير والمقيمين لها قليل **﴿وآتوا الزكاة﴾** لمساعدة عبادي **﴿وأمروا بالمعروف﴾** وكل ما عرف حسنه شرعاً وعرفاً. **﴿ونهوا عن المنكر﴾** هو ما يستقبحه أهل العلم والعقل السليم.

قال الراغب: المعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ما ينكر بهما.

وفي الآية إشارة إلى أن وصف القلوب المنصورة أنهم إن مكنهم الله في أرض البشرية استداموا المواصلات وآتوا زكاة الأحوال وهي أن يكون من مائتي نفس من أنفاسهم مائة وتسعة وتسعون ونصف جزء منها لهم والباقي إيثار على خلق الله في الله مهما كان زكاة أموال الأغنياء من مائتي درهم خمسة للفقراء والباقي لهم وأمروا بالمعروف حفظ الحواس عن مخالفة أمره ومراعاة الأنفاس معه إجلالاً لقدره ونهوا عن المنكر ومن وجوه المنكرات الرياء والإعجاب والمساكنة والملاحظة **﴿ولله﴾** خاصة **﴿عاقبة الأمور﴾** فإن مرجعها إلى حكمه وتقديره فقط: يعني [انجام امور آن كه اوميخواهد].

اين دولت فقر وها وهو ميخواهد وأن كلشن وحوض وآب جوميخواهد

از حق همه كس حال نكو ميخواهد آنست سرانجام كه أوميخواهد

وعن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه إلى النبي عليه السلام: «أن من أشراط الساعة إماتة الصلوات واتباع الشهوات والميل إلى الهوى ويكون أمراء خونة ووزراء فسقة» فوثب سلمان فقال: بأبي وأمي إن هذا لكائن قال: «نعم يا سلمان عندها يذوب قلب المؤمن كما يذوب الملح في الماء ولا يستطيع أن يغير» قال: أو يكون ذلك؟ قال: «نعم يا سلمان إن أذل الناس يومئذٍ المؤمن يمشي بين أظهرهم بالمخالفة إن تكلم أكلوه وإن سكت مات بغيظه». قال عمر رضي الله عنه للنبي عليه السلام: أخبرني عن هذا السلطان الذي ذلت له الرقاب وخضعت له الأجساد ما هو فقال: «ظل الله في الأرض فإذا أحسن فله الأجر وعليكم الشكر وإذا أساء فعليه الاصر وعليكم الصبر» وفي الحديث: «عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة»، قال الحافظ:

شاه رابه بود از طاعت صد ساله وزهد قدر يكساعت عمري كه درودادكند

قال الشيخ سعدي قدس سره:

بقومي كه نيكي پسندد خداي دهد خسرو عادل نيك رأي
چوخواهدكه ويران كند عالمي كند ملك درنپچة ظالمي
نخواهي كه نفرين كنند ازپست نكو باش تابد نكويد كست
نخفتست مظلوم ازآهش بترس زدود دل صبحكا هش بترس
نترسي كه پاك اندروني شبي بر آرد ز سوز جكر يا ربي
نمى ترسي أي كرك ناقص خرد كه روزي پلنكيت برهم درد
ألا تابغفلت نخسبي كه نوم حرامست برچشم سالار قوم
غم زير دستان بخور زينهار بترس از زبر دستىء روزكار

وعن ازدشير لا سلطان إلا برجال ولا رجال إلا بمال ولا مال إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسية قيل السياسة أساس الرياسة.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿وإن يكذبوك﴾ يا محمد وصيغة المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب لما أن المقصود تسليته عليه السلام عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع أي وإن تحزن على تكذيب قومك إياك فاعلم أنك لست بأوحدي في ذلك. **﴿فقد كذبت قبلهم﴾** قبل تكذيبهم. **﴿قوم نوح﴾** أي: نوحاً **﴿وعاد﴾** أي: هوداً **﴿وثمود﴾** أي: صالحاً **﴿وقوم إبراهيم﴾** أي: إبراهيم **﴿وقوم لوط﴾** أي: لوطاً.

﴿وأصحاب مدين﴾ أي: شعيباً ومدين كان ابناً لإبراهيم عليه السلام ثم صار علماً لقرية شعيب **﴿وكذب موسى﴾** كذبه القبط واصروا إلى وقت الهلاك وأما بنو إسرائيل فإنهم وإن قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحوه فما استمروا على العناد بل كلما تجدد لهم المعجزة جددوا الإيمان هكذا ينبغي أن يفهم هذا المقال وغير النظم بذكر المفعول وبناء الفعل له للإيذان بأن تكذيبهم له كان في غاية الشناعة لكون آياته في كمال الوضوح. **﴿فأمليت للكافرين﴾** أمهلتهم إلى أجلهم المسمى **﴿ثم أخذتهم﴾** أي: أخذت كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء مدة إملائه وامهاله بعذاب الطوفان والريح الصرصر والصيحة وجند البعوض والخسف والحجارة وعذاب يوم الظلة والغرق في بحر القلزم.

قال الراغب: الأخذ وضع الشيء وتحصيله وذلك تارة بالتناول نحو معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده وتارة بالقهر ومنه الآية. **﴿فكيف كان نكير﴾** أي: انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكاً والعمارة خراباً أي فكان ذلك في غاية الهول والفظاعة، فمعنى الاستفهام التقرير ومحصول الآية قد أعطيت هؤلاء الأنبياء ما وعدتهم من النصرة فاستراحوا فاصبر أنت إلى هلاك من يعاديك فتستريح ففي هذا تسلية للنبي عليه السلام.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾

﴿فكأين من قرية﴾.

قال المولى الجامي في «شرح الكافية»: من الكناية كأين وإنما بني لأن كاف التشبيه دخلت على أي وأي كان في الأصل معربا لكنه انمحى عن الجزأين معناهما الإفرادي فصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية فصار كأنه اسم مبني على السكون آخره نون ساكنة كما في من لا تنوين تمكن ولهذا يكتب بعد الياء نون مع أن التنوين لا صورة له في الخط انتهى.

والمعنى فكثير من القرى: وبالفارسية: [پس بسيارديه وشهر] وهو مبتدأ وقوله: ﴿أهلكناها﴾ خبره ﴿وهي ظالمة﴾ جملة حالية من قوله اهلكناها والمراد ظلم أهلها بالكفر والمعاصي وهو بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث أخبر بأنه لم يهلكهم إلا إذا استحقوا الإهلاك بظلمهم. ﴿فهي خاوية﴾ عطف على أهلكناها والمراد بضمير القرية حيطانها والخواء بمعنى السقوط من خوى النجم إذا سقط أي ساقطة حيطان تلك القرية. ﴿على عروشها﴾ أي سقوفها بأن تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف فالعروش السقوف لأن كل مرتفع أظلك فهو عرش سقفاً كان أو كرماً أو ظلة أو نحوها.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى خراب قلوب أهل الظلم فإن الظلم يوجب خراب أوطان الظالم فيخرب أولاً أوطان راحة الظالم وهو قلبه فالوحشة التي هي غالبة على الظلمة من ضيق صدورهم وسوء أخلاقهم وفرط غيظهم على من يظلمون عليهم كل ذلك من خراب أوطان راحاتهم وهي في الحقيقة من جملة العقوبات التي تلحقهم على ظلمهم ويقال: خراب منازل الظلمة ربما يستأخر وربما يستعجل وخراب نفوسهم في تعطلها عن العبادات بشؤم ظلمها كما قال: ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ وخراب قلوبهم باستيلاء الغفلة عليهم خصوصاً في أوقات صلواتهم وأوان خلواتهم غير مستأخر. ﴿وبئر معطلة﴾ البئر في الأصل، حفيرة يستر رأسها لئلا يقع فيها من مر عليها وعطلت المرأة وتعطلت إذا لم يكن عليها حلي فهي عاطل والتعطيل التفريغ، يقال لمن جعل العالم بزعمه فارغاً من صانع أتقنه وزينه معطل وهو عطف على قرية أي وكم بئر عامرة في البوادي، أي فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلا أنها تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها. ﴿وقصر﴾ يقال: قصرت كذا ضممت بعضه بعضه إلى بعض ومنه سمي القصر.

قال في «القاموس»: القصر خلاف الطول وخلاف المد والمنزل وكل بيت من حجر وعلم لسبعة وخمسين موضعاً ما بين مدينة وقرية وحصن ودار أعجبها قصر بهرام جور من حجر واحد قرب همذان. ﴿مشيد﴾ مبني بالشيد أخليناه عن ساكنيه، وأهل المدينة يسمون الجص شيداً وقيل: مشيد أي مطول مرفوع البنيان وهو يرجع إلى الأول كما في «المفردات» ويقال: شيد قواعده أحكمها كأنه بناها بالشيد. وفي «القاموس»: شاد الحائط يشيده طلاه بالشيد وهو ما طلي به حائط من جص ونحوه والمشيد المعمول به وكمؤيد المطول روي أن هذه بئر نزل عليها صالح النبي عليه السلام مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت وإنما سمي بذلك لأن صالحاً حين حضرها، مات وثمة بلدة عند البئر اسمها حاضوراء، بناها قوم صالح وأمروا عليهم جليس بن جلاس وأقاموا بها زماناً ثم كفروا وعبدوا صنماً فأرسل الله عليهم حنظلة بن صفوان، نبياً وكان حمالاً فيهم فقتلوه في السوق فأهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم.

قال الإمام السهيلي: قيل: إن البئر الرس وكانت بعدن لأمة من بقايا ثمود وكان لهم ملك عدل حسن السيرة يقال له العلس وكانت البئر تسقي المدينة كلها وباديتها وجميع ما فيها من الدواب والغنم والبقر وغير ذلك لأنها كانت لها بكرات كثيرة منصوبة عليها ورجال كثيرون موكلون بها وإبازن بالنون من رخام وهي تشبه الحياض كثيرة تملأ للناس وآخر للدواب، وآخر للغنم والبقر والهوام، يستقون عليها بالليل والنهار يتداولون ولم يكن لهم ماء غيره فطال عمر الملك، فلما جاءه الموت طلي بدهن لتبقى صورته ولا يتغير وكذلك يفعلون إذا مات منهم الميت وكان ممن يكرم عليهم فلما مات شق ذلك عليهم ورأوا أن أمرهم قد فسد وضجوا جميعاً بالبكاء واغتنمها الشيطان منهم، فدخل في جثة الملك بعد موته بأيام كثيرة فكلمهم فقال: إني لم أمت ولكني قد تغيبت عنكم حتى أرى صنيعكم بعدي، ففرحوا أشد الفرح وأمر خاصته أن يضربوا له حجاباً بينه وبينهم يكلمهم من ورائه كيلا يعرف الموت في صورته ووجهه فنصبوه صنماً من وراء حجاب لا يأكل ولا يشرب وأخبرهم أنه لا يموت أبداً وأنه إله لهم وذلك كله يتكلم به الشيطان على لسانه فصدق كثير منهم وارتاب بعضهم وكان المؤمن المكذب منهم أقل من المصدق فكلما تكلم ناصح منهم زجر وقهر فاتفقوا على عبادته فبعث الله تعالى لهم نبياً كان الوحي ينزل عليه في النوم دون اليقظة وكان اسمه حنظلة بن صفوان فأعلمهم أن الصورة صنم لا روح له وأن الشيطان فيه وقد أضلهم وأن الله تعالى لا يتمثل بالحلق وأن الملك لا يجوز أن يكون شريكاً لله وأوعدهم ونصحهم وحذرهم سطوة ربهم ونقمته فآذوه وعادوه حتى قتلوه وطرحوه في بئر فعند ذلك حلت عليهم النقمة فباتوا شباعاً رواء من الماء وأصبحوا والبئر قد غار ماؤها وتعطل رشاؤها فصاحوا بأجمعهم وضج النساء والولدان وضجت البهائم عطشاً حتى عمهم الموت، وشملهم الهلاك، وخلفهم في أرضهم السباع وفي منازلهم الثعالب والضباع، وتبدلت بهم جناتهم وأموالهم بالسدر والشوك، شوك العضاة والقتاد فلا تسمع فيها إلا عزيف الجن وزئير الأسد نعوذ بالله من سطوته ومن الإصرار على ما يوجب نقماته.

وأما القصر المشيد: فقصر بناه شداد بن عاد بن إرم لم يبن في الأرض مثله فيما ذكر وحاله كحال هذه البئر المذكورة في إيحاشه بعد الإنس وإقفاره بعد العمران، وإن أحداً لا يستطيع أن يدنو منه على أميال لما يسمع فيه من عزيف الجن والأصوات المنكرة بعد النعيم والعيش الرغيد، وبها الملك وانتظام الأهل كالسلك فبادوا وما عادوا فذكرهم الله تعالى في هذه الآية موعظة وذكراً وتحذيراً من سوء عاقبة المخالفة والمعصية.

قال الكاشفي: [در تيسير آورده كه پادشاهي كافر بر وزير مسلمان غضب كرد وخواست اورا بكشد وزير بكريخت باچهار هزاركس ازاهل إيمان ودرپايان كوه حضرموت كه هواي خوش داشت منزل ساخت هرچند چاه كنندند آب تلخ بيرون آمديكي ازرجال الغيب بديشان رسيده موضعي جهت چاه نشان كرد چون بكنندند آبي درغايت صفا لطافت ونهايت رقت وعذوبت بيرون آمد.

درمزه چون شيرة شاخ نبات   در خوشي همشيرة آب حيات

ايشان آن چاه راكشاده ساختند وازپايان تابالابخشتهاي زر ونقره برآوردند وپرستش پرور دكار خود مشغول كشتند بعد ازمدتي متمادي شيطان بصورت عجوز صالحه برآمد زنانرا دلالت

كرد برآنكه بوقت غيبت شوهران سحاقي اشتغال كند وديكر باره بشكل مردي زاهد برايشان ظاهر شدمردانرا بوقت دوري ازواج ازايشان باتيان بهائم ثم فرمود وچون اين عمل قبيح درميان ايشان بديد آمد حق سبحانه حنظلة يا قحافة بن صفوان رابه پيغمبري بديشان فرستاد وبدو نكرديدند آب ايشان غائب شد وبعد ازوعدة إيمان پيغمبر دعا فرموده آب بازآمد وهم فرمان نبردند حق تعالى فرمودكه بعد ازهفت سال وهفت ماه وهفت روز عذاب بديشان ميفرستم ايشان قصر مشيدرا بناكردند بخشتهاي زر ونقره ويواقيت وجواهر مرصع ساختند وبعد ازانقضاي زمانه مهلت رجوع بآن قصر كرده درها فروبستند وجبرائيل فرود آمد وايشانرا بكوشك برزمين فرو برد وچاه ايشان مانده است ودود سياه منتن ازانجا برمي آمد ودران نواحي نالة هلاك شد كان ميشنوند].

نه هركز شنيدم درين عمر خويش كه بدمردرا نيكي آمد به پيش
رطب ناورد چوب خرزهره بار چه تخم افكني برهمان چشم دار
غم وشاد ماني نماند وليك جزاي عمل ماند ونام نيك

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿أفلم يسيروا﴾ أي: كفار مكة، أي أغفلوا فلم يسافروا ﴿في الأرض﴾ في اليمن والشام ليروا مصارع المهلكين. ﴿فتكون لهم﴾ بسبب ما يشاهدونه من مواد الاعتبار وهو منصوب على جواب الاستفهام وهو في التحقيق منفي. ﴿قلوب يعقلون بها﴾ ما يجب أن يعقل من التوحيد ﴿أو آذان يسمعون بها﴾ ما يجب أن يسمع من أخبار الأمم المهلكة ممن يجاورهم من الناس فإنهم أعرف منهم بحالهم وهم وإن كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين فحثوا على ذلك فالاستفهام للإنكار. ﴿فإنها﴾ أي القصة وبالفارسية [پس قصه اينست] ﴿لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ أي: ليس الخلل في مشاعرهم وإنما هو في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة، وبالفارسية [نابينا نشود ديدهاي حس يعني در مشاعر ايشان خلل نيست همه چيز مي بينند ولكن نابينا شود از مشاهدة اعتبار آن دلها كه هست درسينها يعني جشم دل إيشان پوشيده است ازمشاهدة أحوال كذشتكان لا جرم بدان عبرتي نمى كيرند] أولا يعتد بعمى الأبصار فكأنه ليس بعمى بالإضافة إلى عمى القلوب والعمى يقال في افتقاد البصر وافتقاد البصيرة وذكر الصدور للتأكيد ونفي التجوز قصداً للتنبيه على أن العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يختص بالبصر، وفي الحديث: «ما من عبد إلا وله أربع أعين عينان في رأسه يبصر بهما أمر دنياه، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر دينه»، وأكثر الناس عميان بصر القلب لا يبصرون به أمر دينهم.

چشم دل بكشابببين بي انتظار هر طرف آيات قدرت آشكار
چشم سر جزپوست خود چيزي نديد چشم سردر مغز هرچيزي رسيد

قال في «حقائق البقلي»: قدس سره: الجهال يرون الأشياء بأبصار الظاهر وقلوبهم محجوبة عن رؤية حقائق الأشياء التي هي تابعة أنوار الذات والصفات أعماهم الله بغشاوة الغفلة وغطاء الشهوة.

قال سهل: اليسير من نور بصر القلب يغلب الهوى والشهوة فإذا عمي بصر القلب عما فيه غلبت الشهوة وتواترت الغفلة فعند ذلك يصير البدن متخبطاً في المعاصي غير منقاد للحق بحال.

وفي «التأويلات النجمية»: في الآية إشارة إلى أن العقل الحقيقي إنما يكون من نتائج صفاء القلب بعد تصفية حواسه عن العمى والصمم فإذا صح وصف القلوب بالسمع والبصر صح وصفها بسائر صفات الحي من وجوه الإدراكات فكما تبصر القلوب بنور اليقين تدرك نسيم الإقبال بمشام السر وفي الخبر: «إني لأجد نفس الرحمٰن من قبل اليمن» وقال تعالى خبراً عن يعقوب عليه السلام: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٩٤] وما كان ذلك إلا بإدراك السرائر دون اشتمام ريح في الظاهر فعلى العاقل أن يجتهد في تصفية الباطن وتجلية القلب وكشف الغطاء عنه بكثرة ذكر الله تعالى وعن مالك بن أنس رضي الله عنه بلغني أن عيسى ابن مريم عليهما السلام قال: «لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله فتقسو قلوبكم والقلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون».

وقال مالك بن دينار من لم يأنس بحديث الله عن حديث المخلوقين فقد قل عمله وعمي قلبه وضاع عمره، وفي الحديث: «لكل شيء صقالة وصقالة القلب ذكر الله».

وقال أبو عبد الله الأنطاكي: دواء القلب خمسة أشياء: مجالسة الصالحين وقراءة القرآن وإخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند الصبح كذا في «تنبيه الغافلين».

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ كانوا يقولون له عليه السلام ائتنا بما وعدتنا إن كنت من الصادقين: والمعنى بالفارسية [وبشتاب ميخواهند ازتوكافران مكة چون نضر بن حارث وإضراب أو يعني تعجيل مينمايند بطريق استهزاء وتعجيز بنزول عذاب موعود].

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى عدم تصديقهم كما قال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الشورى: ١٨] ولو آمنوا لصدقوا ولو صدقوا لسكتوا عن الاستعجال وهو طلب الشيء وتحريه قبل أوانه. ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ أبداً وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتماً وقد أنجز الله ذلك يوم بدر.

قال في «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن الخلف في وعيد الكفار لا يجوز كما أن الخلف في الوعد للمؤمنين لا يجوز الخلف في وعيد المؤمنين لأنه سبقت رحمة الله غضبه في حق المؤمنين ووعدهم بالمغفرة بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وبقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] انتهى وأحسن يحيى بن معاذ في هذا المعنى حيث قال الوعد والوعيد حق فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم إذا فعلوا ذلك أن يعطيهم كذا ومن أولى بالوفاء من الله والوعيد حقه على العباد قال لا تفعلوا كذا فأعذبكم ففعلوا فإن شاء عفا وإن شاء أخذ لأنه حقه وأولاهما العفو والكرم لأنه غفور رحيم.

قال السري الموصلي:

إذا وعد السرّاء أنجز وعده وإن أوعد الضراء فالعفو مانعه

كذا في «شرح العضد» للجلال الدواني: ثم ذكر أن لهم مع عذاب الدنيا في الآخرة عذاباً

طويلاً وهو قوله: **﴿وإن يوماً عند ربك﴾** أي: من أيام عذابهم **﴿كألف سنة مما تعدون﴾** وذلك أن لليوم مراتب فيوم كالآن وهو أدنى ما يطلق عليه الزمان فمنه يمتد الكل وهو مشار إليه بقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] فالشأن الإلٰهي بمنزلة الروح يسري في أدوار الزمان ومراتبه سريان الروح في الأعضاء ويوم كخمسين ألف سنة وهو يوم القيامة ويوم كألف سنة وهو يوم الآخرة والخطاب للرسول ومن معه من المؤمنين كأنه قيل: كيف يستعجلون بعذاب ويوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سنيكم إما من حيث طول أيام عذابه حقيقة أو من حيث أن أيام الشدائد مستطالة كما يقال: ليل الفراق طويل وأيام الوصل قصار ويقال: سنة الوصل سنة وسنة الهجر سنة.

ويـوم لا أراك كـألـف شـهـر وشـهـر لا أراك كـألـف عـام

قال الحافظ:

آندم كه باتو باشم يكساله هست روزي واندم كه بي تو باشم يك لحظه هست سالي

ويجوز أن يكون قوله: وإن يوماً الخ، متعلقاً بقوله: ولن يخلف الخ والمعنى ما وعده تعالى ليصيبنهم ولو بعد حين لكنه تعالى حليم صبور لا يعجل بالعذاب وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون لكمال حلمه ووقاره وتأنيه، حتى استقصر المدد الطوال شبه المدة القصيرة عنده بالمدة الطويلة عند المخاطبين إشارة إلى أن الأيام تتساوى عنده إذ لا استعجال له في الأمور فسواء عنده يوم واحد وألف سنة، ومن لا يجري عليه الزمان فسواء عليه وجود الزمان وعدم الزمان وقلة الزمان وكثرة الزمان إذ ليس عنده صباح ولا مساء، وبالفارسية: [نزديك خداي تعالى يكروز برابر هزار سالست زيراكه حكم زمان بروجاري نيست پس وجود وعدم وقلت وكثرت آن نزديك خداي يكسانست هركاه كه خواهد عذاب فرستد وبر استعجال زمان عقوبت هيچ اثري مترتب نشود.

تـادر نـرسـد وعـدة هـركـاركـه هـسـت هـرچـنـد كـنـي جـهـد بـجـانـي نـرسـد

فعلى العاقل أن يلاحظ أن كل آت قريب ولا يغتر بالإمهال فإن بطش الله شديد وعذابه لا يطاق ويسارع إلى رضى الله تعالى بامتثال أوامره والاجتناب عن نواهيه وترك الاستهزاء بالدين وأهله بأحكام الله ووعده ووعيده فإن الله صادق في قوله حكيم في فعله وليس للعبد إلا تعظيمه وتعظيم أمره.

﴿وكأين من قرية﴾ وكثير من أهل قرية **﴿أمليت لها﴾** أمهلتها بتأخير العذاب كما أمهلت لهؤلاء. **﴿وهي ظالمة﴾** أي والحال أنها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كدأب هؤلاء. **﴿ثم أخذتها﴾** بالعذاب بعد طول الإمهال: يعني [پس كرفتيم ايشانرا چون توبه نكردند بعذابي سحت دردنيا]. **﴿وإليّ المصير﴾** أي: إلى حكمي مرجع الكل لا إلى أحد غيري لا استقلالاً ولا شركة فأفعل بهم ما أفعل مما يليق بأعمالهم وفيه إشارة إلى أن الإمهال يكون من الله تعالى والإهمال لا يكون فإنه يمهل ولا يهمل ويدع الظالم في ظلمه ويوسع له الحبل ويطيل به المهل فيتوهم أنه يفلت من قبضة التقدير وذلك ظنه الذي أراد ويأخذه من حيث لا يرتقب فيعلوه ندامة ولات حينه، وكيف يستبقي بالحيلة ما حق في التقدير عدمه وإلى الله مرجعه فالظلم من العبد سبب للأخذ من الله فلا يلومن إلا نفسه، قال الحافظ:

تـوبتقصير خـود افـتـادى ازيـن مـحـروم ازكـه مـي نـالـي وفـريـاد جـرا مـيـداري

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿**قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين**﴾ أنذركم إنذاراً بيناً بما أوحي إليّ من أخبار الأمم المهلكة من غير أن يكون لي دخل في إتيان ما توعدونه من العذاب حتى يستعجلوني والاقتصار على الإنذار مع بيان حال الفريقين بعده؛ لأن صدر الكلام ومساقه للمشركين وعقابهم وإنما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى إنذار أهل النسيان أي قل لهم يا محمد إني أشابهكم من حيث الصورة لكن أباينكم من حيث السيرة فأنا لمحسنكم بشير ولمسيئكم نذير وقد أيدت بإقامة البراهين ما جئتكم به من وجوه الأمر بالطاعة والإحسان والنهي عن الفجور والعصيان. ﴿**فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة**﴾ تجاوز لذنوبهم﴿**ورزق كريم**﴾ نعيم الجنة: يعني [رزق بي رنج ومنت] والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾.

﴿**والذين سعوا**﴾ أسرعوا واجتهدوا ﴿**في آياتنا**﴾ في رد آياتنا وإبطالها بالطعن فيها ونسبتها إلى السحر والشعر وغير ذلك من الافتراء. ﴿**معاجزين**﴾ حال كونهم يعاجزون الأنبياء وأولياءهم، أي يقابلونهم ويمانعونهم ليصيروهم إلى العجز عن أمر الله أو ظانين أنهم يعجزوننا فلا نقدر عليهم أو معاندين مسابقين من عاجز فلان فلاناً سابقه فعجزه سبقه كما قال الكاشفي: [درحالتي پيشي كيرند كانند برما بكمال خود يعني خواهندكه ازما دركذرند وعذاب ما ازيشان فوت] ﴿**أولئك**﴾ الموصوفون بالسعي والمعاجزة ﴿**أصحاب الجحيم**﴾ أي: ملازمون النار الموقدة وقيل: هو اسم دركة من دركاتها. وفي «المثنوي»:

هركه برشمع خدا آرد تفو شمع كي ميرد بسوزد پوزاو
كي شود دريا زپوزسك نجس كي شود خورشيد ازپف منطمس

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من عاند أهل آياته من خواص أوليائه أولئك أصحاب جحيم الحقد والعداوة ورد الولاية والسقوط عن نظر الله وجحيم نار جهنم في الآخرة وإذا أراد الله تعالى بعبد خيراً يحوله عن الإنكار ويوفقه للتوبة والاستغفار. روي: أن رجلاً قال كنت أبغض الصوفية فرأيت بشراً الحافي يوماً قد خرج من صلاة الجمعة فاشترى خبزاً ولحماً مشوياً وفالوذجاً وخرج من بغداد فقلت إنه زاهد البلد فتبعته لأنظر ماذا يصنع وظننت أنه يريد التنعم في الصحراء فمشى إلى العصر فدخل مسجداً في قرية وفيه مريض فجعل يطعمه فذهبت إلى القرية لأنظر ثم جئت فلم أجد بشراً فسألت المريض فقال: ذهب إلى بغداد، فقلت: كم بيني وبين بغداد، قال: أربعون فرسخاً، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون ولم يكن عندي ما أكتري به وأنا عاجز عن المشي فبقيت إلى جمعة أخرى فجاء بشر ومعه طعام للمريض فقال المريض: يا أبا نصر رد هذا الرجل إلى منزله فنظر إليّ مغضباً وقال: لم صحبتني فقلت: أخطأت فأوصلني إلى محلتي فقال: اذهب ولا تعد فتبت إلى الله وأنفقت الأموال وصحبتهم، وفي الحكاية إشارت منها أن كرامات الأولياء حق ومنها أن إنكار ما ليس للعقل فيه مجال خطأ ومنها أن الرجوع إلى باب وارث الرسول ينظم العبد في سلك القبول. قال الحافظ:

كليد كنج سعادت قبول أهل دلست مبادكس كه درين نكته شك وريب كند

قال بعض الكبار: الاستمداد من أهل الرشاد وإن كان صالحاً عظيماً في نيل المراد إلا أن حسن الاعتقاد مع مباشرة الأسباب يسهل الأمور الصعاب ويوصل إلى رب الأرباب والله مفتح الأبواب والهادي إلى سبيل الصواب.

وقال بعضهم: المنكر على العلماء بالله إنما أنكر لقصور فهمه وقلة معرفته، فإن علومهم مبنية على الكشف والعيان وعلوم غيرهم من الخواطر الفكرية والأذهان وبداية طريقهم التقوى والعمل الصالح وبداية طريق غيرهم مطالعة الكتب والاستمداد من المخلوقين في حصول المصالح ونهاية علومهم الوصول إلى شهود حضرة الحي القيوم ونهاية علوم غيرهم تحصيل الوظائف والمناصب والخصام الذي لا يدوم فلا طريق إلا طريق السادة الأئمة الهداة القادة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ هذا دليل بين على تغاير الرسول والنبي والرسول إنسان أرسله الله إلى الخلق لتبليغ رسالته وتبيين ما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدارين وقد يشترط فيه الكتاب بخلاف النبي فإنه أعم ويعضده ما روي أنه عليه السلام سأل عن الأنبياء فقال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً» قيل: فكم الرسل منهم قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً» وفي رواية «مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفاً».

وقال القهستاني: الرسول من بعث لتبليغ الأحكام ملكاً كان أو إنساناً بخلاف النبي فإنه مختص بالإنسان.

قال الكاشفي في «تفسيره»: [در بعض تفاسير قصة إلقاء الشيطان درامنيت پيغمبر وبر وجهي آورده اندكه مرضى أهل تحقيق نيست وما از تأويلات علم الهدى وتيسير وديكر كتب معتبره چون معتمد في المعتقد وذروة الأحباب مدت أنوار جمال مؤلفه إلى يوم الحساب آنرا انيجا ايراد كرديم بطريقي كه موافق أهل سنت است آورده اندكه چون والنجم نازل شد سيد عالم عليه السلام آنرادر مسجد الحرام در مجمع قريش ميخواند ودرميان آيتها توقف مي نمود تامردم تلقي نموده ياد كيرند پس طريق مذكور بعد ازتلاوت آيت. ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ١٩ـ٢٠] متوقف شد وشيطان دران ميان مجال يافت بكوش مشركان رسانيدكه تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجي حاصل معنى آنكه ايشان بزركان يامرغان بلند پروازند واميد بشفاعت ايشان ميتوان داشت كفار باستماع أين كلمات خوش دل شده پنداشتندكه حضرت پيغمبر خواند وبتان ايشانرا ستايش كرد لا جرم در آخر سوره كه آن حضرت بامؤمنان سجده كردند أهل شرك اتفاق كردند جبرائيل فرود آمد وصورت حال بعرض رسانيد ودل مبارك حضرت بسيار اندوهناك شد وحق تعالى جهت تسليت خاطر عاطر سيد عالم آيت فرستاد وفرمود وما أرسلنا الخ] **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى﴾** أي قرأ.

قال في «القاموس»: تمنى الكتاب قرأه.

قال الراغب: التمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها والأمنية الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ [البقرة: ٧٨]

معناه إلا تلاوة مجردة عن المعرفة من حيث أن التلاوة بلا معرفة المعنى تجري عند صاحبها مجرى أمنية تمناها على التخمين ﴿ألقى الشيطان في أمنيته﴾ أي: قراءته كما فسره الراغب وغيره.

قال الكاشفي: [بيفكند شيطان نزديك تلاوت ازآنچه خواست جنانكه بوقت تلاوت حضرت پيغمبر ما عليه السلام شيطاني كه اورا أبيض كويند بهنجار آواز حضرت آن كلمات برخواند وكمان بردند آن تلاوت پيغمبراست]. ﴿فينسخ الله﴾ يزيل ويبطل فالمراد بالنسخ هو النسخ اللغوي لا النسخ الشرعي المستعمل في الأحكام. ﴿ما يلقي الشيطان﴾ من كلمات الكفر ﴿ثم يحكم الله﴾ يثبت. ﴿آياته﴾ التي تلاها الأنبياء عليهم السلام، حتى لا يجد أحد سبيلاً إلى إبطالها ﴿والله عليم﴾ بما أوحي وبما ألقى الشيطان. ﴿حكيم﴾ ذو الحكيمة في تمكينه من ذلك يفعل ما يشاء ليميز به الثابت على الإيمان من المتزلزل فيه وقولهم: لو جوّز مثل هذا لأدى إلى اشتباه أحوال الأنبياء من حيث أن ما يسمع عند تلاوتهم من قولهم أو من إلقاء الشيطان فيتعذر الاقتداء مدفوع بأن ما ألقى الشيطان أمر ظاهر بطلانه عند المؤمنين المخلصين ألا ترى أن القرآن ورد بإبطال الأصنام فكيف يجوز كون قوله: تلك الغرانيق الخ من القرآن ولو سلم فالنسخ والأحكام والإيقاف على حقيقة الأمر ولو بعد حين يجلي كل مشتبه فيكون إلقاء الشيطان من باب الامتحان والتعليل الآتي يرفع النقاب ويهدي المتردد إلى طريق الصواب وهو قوله:

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿ليجعل﴾ أي: مكنه الله من الإلقاء في قراءة النبي عليه السلام خاصة ليجعل أن تمكينه تعالى إياه من الإلقاء في حق سائر الأنبياء لا يمكن تعليله بما سيأتي فأول الآية عام وآخرها خاص. ﴿ما يلقي الشيطان فتنة﴾ [ازمايشي وابتلايي]. ﴿للذين في قلوبهم مرض﴾ أي: شك ونفاق لأنه مرض قلبي مؤد إلى الهلاك الروحاني كما أن المرض القلبي مؤد إلى الهلاك الجسماني. ﴿والقاسية قلوبهم﴾ أي المشركين والقسوة غلظ القلب وأصله من حجر قاس والمقاساة معالجة ذلك.

قال الكاشفي: [مرد آنست منافق ومشرك از ألقاي شيطان درشك وخلاف افتند] ﴿وإن الظالمين﴾ أي: المنافقين والمشركين وضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظلم. ﴿لفي شقاق﴾ خلاف ﴿بعيد﴾ عن الحق، أي لفي عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع أن الموصوف به حقيقة هو معروضة للمبالغة. ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه﴾ أي: القرآن.

وفي «التفسير الجلالين»: أن الذي أحكم الله من آيات القرآن. ﴿الحق من ربك﴾ أي هو الحق النازل من عنده ليس للشيطان مجال تصرف فيه من حق الأمر إذا ثبت ووجب. ﴿فيؤمنوا به﴾ القرآن أي يثبتوا على الإيمان به أو يزدادوا إيماناً برد ما يلقي الشيطان وهو عطف على قوله ليعلم ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ تخشع وتتواضع وقد مر بيان الإخبات في هذه السورة.

قال الكاشفي: [پس نرم شود براي قرآن دلهاي ايشان وأحكام آنرا قبول كنند] **﴿وإن الله لهادي الذي آمنوا﴾** أي في الأمور الدينية خصوصاً في المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر **﴿إلى صراط مستقيم﴾** هو النظر الصحيح الموصل إلى الحق الصريح.

وفي «التأويلات النجمية»: إن الله ليبتلي المؤمن المخلص بفتنة وبلاء ويرزقه حسن بصيرة يميز بها بين الحق والباطل فلا يظله غمام الريب وينجلي عنه غطاء الغفلة فلا يؤثر فيه دخان الفتنة والبلاء كما لا تأثير للضباب الغداة في شعاع الشمس عند متوع النهار أي ارتفاعه وأن الهداية من الله ومن تأييده لا من الإنسان وطبعه وأن من وكله الله إلى نفسه وخذله بطبعه لا يزول عنه الشك والكفر والضلالة إلى الأبد ولو عالجه الصالحون. قال المولى الجامي:

آنراكه زمين كشد درون چون قارون ... نى موسيش آورد برون نى هارون
فاسد شده راز روزكار وارون ... لا يمكن أن يصلحه العطارون

وقال الشيخ:

توان پاك كردن زژنك آينه ... وليكن نيايد زسنك آينه

فعلى العاقل أن يستسلم لأمر القرآن المبين ويجتهد في إصلاح النفس الأمارة إلى أن يأتي اليقين فإن النفس سحارة ومكارة ومحتالة وغدارة. قال الشيخ المغربي:

ملك بودكه افتاد درچه بابل ... چه سحرها ست درين قعر جاه بابل ما

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه﴾ أي: في شك وجدال من القرآن.

قال الراغب: المرية التردد في الأمر وهي أخص من الشك. **﴿حتى تأتيهم الساعة﴾** القيامة وقد سبق وجه تسميتها بها مراراً. **﴿بغتة﴾** فجاءت على غفلة منهم. وبالفارسية [ناكهان] **﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾** أصل العقم اليبس المانع من قبول الأثر والعقيم من النساء التي لا تقبل ماء الفحل والمعنى عذاب يوم لا يوم بعده كأن كل يوم يلد ما بعده من الأيام فما لا يوم بعده يكون عقيماً والمراد به الساعة أيضاً بشهادة ما بعد الآية من تخصيص الملك فيه بالله والحكم بين الفريقين كأنه قيل أو يأتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل كذا في «الإرشاد».

يقول الفقير: إن الساعة شفعت في القرآن بالعذاب الدنيوي في مواضع كثيرة كما في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [يوسف: ١٠٧] وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ [مريم: ٧٥] ونحوها فالظاهر أن اليوم العقيم يوم لا يلد خيراً وليس لهم فيه فرج ولا فرح أصلاً كيوم بدر ونحوه ولما كان زمان الموت آخر زمان من أزمنة الدنيا وأول زمان من أزمنة الآخرة أثبت فيه تخصيص التصرف بالله والحكم بين الفريقين في الآية الآتية من حيث اتصال زمان الموت بزمان القيامة.

﴿الملك﴾ أي: السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الإطلاق. وبالفارسية [پادشاهي وفرمان دهي]. **﴿يومئذٍ﴾** يوم إذ تأتيهم الساعة أو العذاب **﴿لله﴾** وحده بلا شريك

أصلاً لا مجازاً ولا حقيقة. يعني [امروز ملوك وسلاطين دعوى سلطنت وملك داري ميكنند دران روز كمر تكبر أزميان متجبران بكشايند وتاج ازسر خسروان بربايند ودعويها منقطع وكمالها مرتفع كردد ومالك ملك رخت تخيلات وتصورات ملوك را در قعر درياي عدم أفكند ورسوم توهمات وتفكرات سلاطين را بصدمت لمن الملك اليوم درهم شكندهمه را جزا ظهار عبوديت واقرار بعجز وبيچاركي چاره نباشد:

آن سركه صيت افسرش ازچرخ دركذشت   روزي بـرآسـتـانـة أو خـاك در شـود

قال الشيخ سعدي قدس سره:

همـه تـخـت ومـلـكـي پـذيـرد زوال   بـجـز مـلـك فـرمـان ده لا يـزال

قال ابن عطاء الملك على دوام الأوقات وجميع الأحوال له تعالى ولكن يكشف للعوام الملك يومئذٍ لإبراز القهارية والجبارية فلا يقدر أحد أن يجحد ما عاين. ﴿**يحكم بينهم**﴾ كأنه قيل: فماذا يصنع بهم حينئذٍ فقيل: يحكم بين فريقي المؤمنين بالقرآن والمجادلين فيه بالمجازاة ثم فسر هذا الحكم وفصله بقوله: ﴿**فالذين آمنوا**﴾ بالقرآن ولم يجادلوا فيه ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ امتثالاً بما أمر في تضاعيفه ﴿**في جنات النعيم**﴾ مستقرون فيها.

قال الكاشفي: [در بوستانهاي ناز ونعمت أند بي رنج ومحنت].

قال الراغب: النعيم النعمة الكثيرة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾

﴿**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا**﴾ أي أصروا على ذلك واستمروا ﴿**فأولئك**﴾ مبتدأ خبره جملة قوله: ﴿**لهم عذاب مهين**﴾، [خوار كننده ورسوا سازنده].

قال السمرقندي: مهين يذهب بعزهم وكبرهم رأساً وبالكلية ويلحقهم من الخزي والصغار ما لا يحيط به الوصف.

قال في «الإرشاد»: ومهين صفة لعذاب مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة وإدخال الفاء في خبر الثاني دون الأول تنبيه على أن إثابة المؤمنين بطريق التفضل لا لإيجاب الأعمال الصالحة إياها وأن عقاب الكافرين بسبب أعمالهم السيئة.

واعلم أن الفصل والحكومة العادلة كائن لا محالة وإن كان الكفار في شك من القرآن وما نطق به من البعث والمجازاة روي أن لقمان وعظ ابنه وقال يا بنيّ إن كنت في شك من الموت فادفع عن نفسك النوم ولن تستطيع ذلك وإن كنت في شك من البعث فإذا نمت فادفع عن نفسك الانتباه ولن تستطيع ذلك فإنك إذ فكرت في هذا علمت أن نفسك بيد غيرك فإن النوم بمنزلة الموت واليقظة بعد النوم بمنزلة البعث بعد الموت فإذا عرف العبد مولاه قبل أمره ونال به عزة لا تنقطع أبداً وهي عزة الآخرة التي تستصغر عندها عزة الدنيا. روي أن عابداً رأى سليمان عليه السلام في عزة الملك فقال: يا ابن داود لقد آتاك الله ملكاً عظيماً فقال سليمان لتسبيحة واحدة خير مما فيه سليمان فإنها تبقى وملك سليمان يفنى فإذا كانت التسبيحة الواحدة أفضل من ملك سليمان فما ظنك بتلاوة القرآن الذي هو أفضل الكتب الإلهية.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في «الفتوحات المكية»: يستحب لقارىء القرآن في المصحف أن يجهر بقراءته ويضع يده على الآية يتبعها فيأخذ اللسان حظه من الرفع

ويأخذ البصر حظه من النظر وتأخذ اليد حقها من المس قال: وهكذا كان يتلو ثلاثة من أشياخنا منهم عبد الله بن مجاهد فعلى العاقل أن يجتهد في الوصول إلى أعالي درجات الجنان بالإذكار وتلاوة القرآن.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿والذين هاجروا﴾ فارقوا أوطانهم ﴿في سبيل الله﴾ في الجهاد الموصل إلى جنته ورضاه حسبما يلوح به قوله تعالى: ﴿ثم قتلوا﴾، [پس كشته شدند درجهاد بادشمنان دين] والقتل إزالة الروح عن الجسد لكن إذا اعتبر بفعل المتولي لذلك يقال: قتل وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال: موت. ﴿أو ماتوا﴾ أي: في تضاعيف المهاجرة. وبالفارسية [يا بمردن شربت شهادت ناچشيده] ﴿ليرزقنهم الله رزقاً حسناً﴾ مرزوقاً حسناً والمراد نعيم الجنة الغير المنقطع أبداً.

قال الكاشفي: [هر آينه روزي دهد خداي تعالى ايشانرا روزي نيكركه نعيم بهشت است نه تعبي رسد در تحصيل آن ونه علتي بود درتناول آن ونه دغدغة انقطاع باشد دران روزي]. ﴿وإن الله لهو خير الرازقين﴾ فإنه يرزق بغير حساب مع أن ما يرزقه لا يقدر عليه أحد غيره والرزق العطاء الجاري دنيوياً كان أو أخروياً ثم بين مسكنهم بقوله:

﴿ليدخلنهم مدخلاً﴾ اسم مكان أريد به الجنة ﴿يرضونه﴾ لما أنهم يرون فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿وإن الله لعليم﴾ بأحوال كل ﴿حليم﴾ لا يعاجل بعقوبة الأعداء مع غاية الاقتدار روي: أن إبراهيم عليه السلام رأى عاصياً في معصيته فدعا عليه وقال: اللهم أهلكه ثم رأى ثانياً وثالثاً ورابعاً فدعا عليه فقال الله تعالى: يا إبراهيم لو أهلكنا كل عبد عصى ما بقي إلا القليل ولكن إذا عصى أمهلناه فإن تاب قبلناه وإن استغفر أخرنا العذاب عنه لعلمنا أنه لا يخرج عن ملكنا.

قال الكاشفي: [آورده اندكه بعضي ازصحابه كفتند يا رسول الله باجمع برادران ديني بجهاد ميرويم ايشان شهيد ميشوند وبعطيات إلهي اختصاص ميكردند اكر ما بميريم وشهيد نميشويم حال ما چون باشد اين آيت فرود آمد] يعني: سوى في الآية بين المقتول والمتوفى على حاله في الوعد لاستوائهما في العقد وهو التقرب إلى الله ونصرة الدين. ونظيره ما قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في «الفتوحات المكية»: إنما قال المؤذن قد قامت الصلاة بلفظ الماضي مع أن الصلاة مستقبلة بشرى من الله لعباده لمن جاء إلى المسجد ينتظر الصلاة، أو كان في الطريق آتياً أو كان في حال الوضوء بسببها، أو كان في حال القصد إلى الوضوء قبل الشروع فيه ليصلي بذلك الوضوء فيموت في بعض هذه المواطن قبل وقوع الصلاة منه فبشره الله بأن الصلاة قد قامت له في هذه المواطن كلها فله أجر من صلاها وإن كانت ما وقعت منه فلذلك جاء بلفظ الماضي لتحقق الحصول فإذا حصلت بالفعل أيضاً فله أجر الحصول كذلك وقد ورد أن أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة انتهى روي: أن جنازتين أصيب أحدهما بمنجنيق والآخر توفي فجلس فضالة بن عبيد عند قبر المتوفى فقيل له: تركت الشهيد فلم تجلس عنده فقال: ما أبالي من أي حفريتهما بعثت إن الله تعالى يقول: ﴿والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا﴾ الآية، وفي الحديث: «من خرج حاجاً فمات كتب له أجر

الحاج إلى يوم القيامة ومن خرج معتمراً فمات كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة ومن خرج غازياً فمات كتب له أجر الغازي إلى يوم القيامة» روي: أن أبا طلحة رضي الله عنه لما غزا في البحر فمات طلبوا جزيرة يدفنونه فيها فلم يقدروا عليها إلا بعد سبعة أيام وما تغير جسده وهذا من صفة الشهداء.

وقال بعضهم: مراتب حسن الأرزاق متفاونة تفاوت حسن حال المرزوقين فلا تقتضي الآية تساوي المقتول والمتوفى على كل حال، فللمقتول في سبيل الله مزية على الميت بما أصابه في ذات الله تعالى فهو أفضل منه ويدل عليه دلائل كثيرة منها قوله عليه السلام لما سئل أي الجهاد أفضل: «أن يعقر جوادك ويهراق دمك»، وأيضاً المقتول في سبيل الله يجيء وريح دمه ريح المسك والميت لم ينل ذلك وأيضاً المقتول يتمنى الرجعة إلى الدنيا ليقتل في سبيل الله مرة ثانية لما يرى من فضل الشهادة وليس كذلك الميت وأيضاً القتل في سبيل الله يكفر كل ذنب ولم يرد ذلك في الموت وأيضاً الميت في سبيل الله يغسل والمقتول لا يغسل وأيضاً الشهيد المقتول يشفع ولم يرد ذلك في الميت وأيضاً الشهيد يرى الحور العين قبل أن يجف دمه وليس كذلك الميت.

وفي الآية إشارة إلى المهاجرة عن أوطان الطبيعة في طلب الحقيقة وقتل النفس بسيف الصدق أو الموت عن الأوصاف البشرية وأجر هذا هو الرزق المعنوي في الدنيا فرزق القلوب حلاوة العرفان ورزق الأسرار مشاهدات الجمال ورزق الأوراح مكاشفات الجلال. وفي «المثنوي»:

أي بسا نفس شهيد معتمد مرده دردنيا وزنده مي رود
أي بساخامي كه ظاهر خويش ريخت ليك نفس زنده آن جانب كريخت
آلتش بشكست وره زن زنده ماند نفس زنده است ارچه مركب خون فشاند

﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿ذلك﴾ خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك الذي قصصنا عليكم وبينا لكم والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على أن ما بعده كلام مستأنف. **﴿ومن﴾** [وهركه] **﴿عاقب بمثل ما عوقب به﴾** أي: من جازى الظالم بمثل ما ظلم ولم يزد في الاقتصاص والعقوبة اسم لما يعقب الجرم من الجزاء وإنما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية، أي مع أنه ليس بجزاء يعقب الجريمة للمشاكلة أو على سبيل المجاز المرسل فإنه ما وقع ابتداء سبب لما وقع جزاء وعقوبة فسمي السبب باسم المسبب. **﴿ثم بغى عليه﴾** ظلم عليه بالمعاودة إلى العقوبة يقال: بغى عليه بغياً علا وظلم.

قال الراغب: البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى تجاوزه أو لم يتجاوزه فتارة يعتبر في القدرة التي هي الكمية وتارة يعتبر في الوصف الذي هو الكيفية يقال: بغيت الشيء إذا طلبت أكثر ما يجب. **﴿لينصرنه الله﴾** على من بغى عليه لا محالة وهو خبر من **﴿إن الله لعفو غفور﴾** مبالغ في العفو والغفران فيعفو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام

على العفو والصبر المندوب إليهما بقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣] فالعفو وإن اقتضى سابقية الجناية من المعفو عنه لكن الجناية لا تلزم أن تكون بارتكاب المحرم بل قد يعد ترك ما ندم إليه جناية على سبيل الزجر والتغليظ وفي «بحر العلوم»: العفو محاء للذنوب بإزالة آثارها من ديوان الحفظة والقلوب بالكلية كي لا يطالبهم بها يوم القيامة ولا يخجلوا عند تذكرها وبأن يثبت مكان كل ذنب عملاً صالحاً كما قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ [الفرقان: ٧٠] غفور، أي مريد لإزالة العقوبة عن مستحقها من الغفر وهو الستر أي ستور عليهم وقدم العفو لأنه أبلغ يشعر بالمحو الذي هو أبلغ من الستر وفيه إشارة إلى أن الأليق بالمنتصر والأقرب بحاله أن يعفو ويغفر عن كل من ظلمه ويقابله بالإحسان.

بدي را بدي سهل باشد جزا اكر مردي أحسن إلى من أساء

ولا يذكر ما صدر منه من أنواع الجفاء والأذى فإنه متى فعل ذلك فإن الله أكرم الأكرمين أولى أن يفعل ذلك على أن الانتصار لا يؤمن فيه تجاوز التسوية والاعتداء خصوصاً في حال الغضب والحرب والتهاب الحمية فربما كان المنتصر من الظالمين وهو لا يشعر انتهى كلام «البحر».

يقول الفقير سمعت من في حضرة شيخي وسندي قدس سره وهو يقول الإنسان الكامل كالبحر فمن آذاه واغتابه أو قصد إليه بسوء فإنه لا يتكدر به بل يعفو عنه ألا يرى أن البول إذا وقع في البحر فالبحر يطهره وكذا من أجنب إذا دخل البحر واغتسل فإنه يتطهر ولا يتغير البحر لا بالبول ولا بدخول الجنب وقال روح الله روحه من قال في حقنا قولاً فاحشاً أو فعل فعلاً مكروهاً فهو في حل فإنه إرادة الانتقام له أو وقوعه في أمر مكروه من باب الشرك في طريقنا فنحن لا نلتفت إليه أصلاً بل إلى ما وتر الله لنا من الأمور وكل فعله حسن وقد أخفى جماله في جلاله وأطال في ذلك وهو مذكور في كتابنا المسمى «بتمام الفيض».

قال في «الخلاصة»: في كتاب الحدود رجل قال لآخر يا خبيث هل يقول له بل أنت الأحسن أن يكف عنه ولا يجيب ولو رفع الأمر إلى القاضي ليؤدب يجوز ومع هذا لو أجاب لا بأس به، وفي «مجمع الفتاوى» في كتاب الجنايات لو قال لغيره: يا خبيث، فجازاه بمثله جاز لأنه انتصار بعد الظلم، وذلك مأذون فيه قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الشورى: ٤١] والعفو أفضل قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] وإن كانت تلك الكلمة موجبة للحد لا ينبغي له أن يجيبه بمثلها تحرزاً عن إيجاب الحد على نفسه انتهى. كما قال في «التنوير»: لو قال لآخر: يا زاني، فقال الآخر: لا بل أنت الزاني حد بخلاف ما لو قال له مثلاً: يا خبيث فقال: أنت تكافئا.

وفي «التنوير»: أيضاً ضرب غيره بغير حق وضربه المضروب يعزران ويبدأ في إقامة التعزير بالبادي:

﴿**ذلك**﴾ النصر هو مبتدأ خبره قوله: ﴿**بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل**﴾ أي بسبب أن القادر على ما يشاء من التغليب وغيره من آيات قدرته البالغة الدالة على التغليب أنه يحصل ظلمة الليل في مكان ضياء النهار بتغييب الشمس وضياء النهار في مكان ظلمة الليل باطلاعها وجعلها طالعة أو يزيد في أحد الملوين ما ينقص من الآخر من الساعات.

قال الراغب: الولوج الدخول في مضيق قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِۚ﴾ [الأعراف: ٤٠] وقوله: ﴿**يولج الليل**﴾ الخ تنبيه على ركب الله عليه العالم من زيادة الليل في

النهار في الليل وذلك بحسب مطالع الشمس ومغاربها ﴿**وأن الله سميع**﴾ يسمع قول المعاقب والمعاقب: ﴿**بصير**﴾ يرى أفعالهما فلا يهملهما.

﴿**ذلك**﴾ الوصف بكمال العلم والقدرة ﴿**بأن الله هو الحق**﴾ في الألوهية ﴿**وأن ما يدعون**﴾ يعبدون، ﴿**من دونه هو الباطل**﴾ إلهية ﴿**وأن الله هو العلي**﴾ على جميع الأشياء، ﴿**الكبير**﴾ عن أن يكون به شريك لا شيء أعلى منه شأناً وأكبر سلطاناً.

وفي «التأويلات النجمية»: أعلى من ما يجده الطالبون بداية والعظيم الذي لا يدرك الواصلون نهايته.

وفي «بحر العلوم»: هو العلي شأنه أي أمره وجلاله في ذاته وأفعاله لا شيء أعلى منه شأناً لأنه فوق الكل بالإضافة وبحسب الوجوب وهو فعيل من العلو في مقابلة السفل وهما في الأمور المحسوسة كالعرش والكرسي مثلاً، وفي الأمور المعقولة كما بين النبي ﷺ وأمته وبين الخليفة والسلطان والعالم والمتعلم من التفاوت في الفضل والشرف والكمال والرفعة ولما تقدس الحق سبحانه عن الجسمية تقدس علوه عن أن يكون بالمعنى الأول وهو الأمور المحسوسة فتعين واختص بالثاني.

قال الإمام الغزالي رحمه الله العبد لا يتصور أن يكون علياً مطلقاً إذ لا ينال درجة إلا ويكون في الوجود ما هو فوقها وهي درجات الأنبياء والملائكة نعم يتصور أن ينال درجة لا يكون في جنس الإنس من يفوقه وهي درجة نبينا عليه الصلاة والسلام ولكنه قاصر بالإضافة إلى العلو المطلق لأنه علو بالإضافة إلى بعض الموجودات والآخر أنه علو بالإضافة إلى الوجود لا بطريق الوجوب بل يقارنه إمكان وجود إنسان فوقه فالعلي المطلق هو الذي له الفوقية لا بالإضافة وبحسب الوجوب لا بحسب الوجود الذي يقارنه إمكان نقيضه والكبير هو ذو الكبرياء عبارة عن كمال الذات المعنى به كمال الوجود وكمال الوجود بشيئين أحدهما: أن يصدر عنه كل موجود والثاني أن يدوم إذ كل وجود مقطوع بعدم سابق أو لاحق فهو ناقص ولذلك يقال للإنسان: إذا طالت مدة وجوده أنه كبير السن طويل مدة البقاء ولا يقال: عظيم السن، فالكبير يستعمل فيما لا يستعمل فيه العظيم والكبير من العباد هو الكامل الذي لا تقتصر عليه صفات كماله بل تسري إلى غيره ولا يجالسه أحد إلا ويفيض عليه من كماله شيء وكمال العبد في عقله وورعه وعلمه فالكبير هو العالم التقي المرشد للخلق الصالح لأن يكون قدوة يقتبس من أنواره وعلومه ولهذا قال عيسى عليه السلام: «من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء» وقيل لعيسى عليه السلام: يا روح الله من نجالس فقال: من يزيد في علمكم منطقه ويذكركم الله رؤيته ويرغبكم في الآخرة عمله.

وفي الآية إشارة إلى أن ما سوى الله باطل أي غير موجود بوجود ذاتي، وفي «المثنوي»:

كل شيء ما خلا الله باطل   أن فضل الله غيم هاطل

ملك ملك أوست أو خود ما لكست   غير ذاتش كل شيء هالكست

قال الشيخ أبو الحسن الكبرى: استغفر الله مما سوى الله، أي لأن الباطل يستغفر من إثبات وجوده لذاته فعلى العاقل أن يجتهد في تحصيل الشهود واليقين ويصل في التوحيد إلى مقام التمكين.

تادم وحدت زدي حافظ شوريده حال   خامة توحيد كش بروق اين وآن

نسأل الله التوفيق لدرك الحقيقة على التحقيق.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة﴾ [سبز كشته يكباربعد ازپژمردكي وخشكي].

قال الراغب: الخضرة أحد الألوان بين البياض والسواد وهو إلى السواد أقرب ولهذا يسمى الأسود أخضر والأخضر أسود وقيل: سواد العراق للموضع الذي تكثر فيه الخضرة قوله: ألم تر استفهام تقرير ولذلك رفع فتصبح عطفاً على أنزل إذ لو نصب جواباً للاستفهام لدل على نفي الاخضرار والمقصود إثباته كما يدل النصب على نفي النظر في قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟﴾ [محمد: ١٠] وأورد تصبح بصيغة المضارع ليدل على بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان **﴿إن الله لطيف﴾** يصل لطفه إلى الكل من حيث لا يعلم ولا يحتسب.

وقال الكاشفي: [لطف كننده است بربندكان باروييدن كياه تا ايشانرا ازان روزي دهد] **﴿خبير﴾** بما يليق من التدابير الحسنة ظاهراً وباطناً.

وقال الكاشفي: [داناست بحال رزقاً ومرزوقاً].

﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ خلقاً وملكاً وتصرفاً، **﴿وإن الله لهو الغني﴾** في ذاته عن كل شيء. وبالفارسية: [هرآينه أوست بي نياز درذات خود ازهمه أشياء].

وفي «التأويلات النجمية» لا ينقص غناه من مواهبه **﴿الحميد﴾** المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله.

وفي «التأويلات النجمية»: في ذاته مستغن عن الحامدين.

قال الإمام الغزالي رحمه الله الحميد هو المحمود المثنى عليه والله تعالى هو الحميد لحمده لنفسه أزلاً ولحمد عباده له أبداً ويرجع هذا إلى صفات الجلال والعلو والكمال منسوباً إلى ذكر الذاكرين له فإن الحمد هو ذكر أوصاف الكمال من حيث هو كمال.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض﴾ أي جعل ما فيها من الأشياء مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيه كيف شئتم فلا أصلب من الحجر، ولا أشد من الحديد ولا أهيب من النار وهي مسخرة منقادة لكم **﴿والفلك﴾** عطف على ما أو على اسم أن **﴿تجري في البحر بأمره﴾**، حال من الفلك والمراد، بالأمر التيسير والمشيئة **﴿ويمسك السماء﴾** من **﴿أن تقع على الأرض﴾** بأن خلقها على صورة متداعية إلى الاستمساك يقال أمسك الشيء إذا أخذه والوقوع السقوط **﴿إلا بإذنه﴾** أي بمشيئة.

قال الراغب: في الشيء الإعلام بإجازته والرخصة فيه انتهى.

وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فإنها مساوية لسائر الأجسام في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط كقبول غيرها.

يقول الفقير: من الغرائب ما رأيت في بعض الكتب أن طائراً كان يتدلى من الشجرة برجله كل ليلة إلى الصباح ويصبح خوفاً من وقوع السماء عليه ونظيره ما ذكره الحافظ أن الكركي لا يطأ الأرض بقدميه بل بأحدهما فإذا وطئها لم يعتمد عليها خوفاً أن تخسف الأرض وفي هذين عبرة لأولي الأبصار. ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ [مهربان وبخشاينده است] حيث هيأ لهم أسباب معاشهم وفتح لهم أبواب المنافع ودفع عنهم أنواع المضار وأوضح لهم مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية والرؤوف بمعنى الرحيم أو الرأفة أشد الرحمة أو أرقها كما في «القاموس».

قال في «بحر العلوم»: لرؤوف لمريد للتخفيف على عباده رحيم مريد للإنعام عليهم.

﴿وهو الذي أحياكم﴾ بعد أن كنتم جماداً عناصر ونطفاً حسبما فصل في مطلع السورة الكريمة. ﴿ثم يميتكم﴾ عند مجيء آجالكم. ﴿ثم يحييكم﴾ عند البعث ﴿إن الإنسان لكفور﴾ أي: لجحود للنعم مع ظهورها فلا يعبد المنعم الحقيقي وهذا وصف للجنس بوصف بعض أفراده.

قال الجنيد قدس سره أحياكم بمعرفته ثم يميتكم بأوقات الغفلة والفترة ثم يحييكم بالجذب بعد الفترة ثم يقطعكم عن الجملة فيوصلكم إليه حقيقة أن الإنسان لكفور يذكر ما له وينسى ما عليه.

اعلم أن الله تعالى كرم الإنسان وعظم شأنه فنقله من عالم الجماد إلى عالم النبات ثم منه إلى عالم الحيوان ثم جعله ناطقاً وأفاض عليه نعمة الصورية والمعنوية وجعل الموجودات خادمة له فلا بد من الشكر لألطافه والشكر إظهار النعمة والكشف عنها ونقيضه الكفران وهو سترها وإخفاؤها وكل نعمة فهي سبيل إلى معرفة المنعم لأنها أثره فيلزم الاستدلال بالأثر على المؤثر وهو الإيمان اليقيني وفي الحديث: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتحببت إليهم بالنعم حتى عرفوني» فعلى العاقل أن لا يغتر بالنعم والغنى ويلاحظ التوفيق في كل حال وفي الخبر أن الله تعالى قال للنبي ﷺ: «قل للقوي لا تعجبنك قوتك فإن أعجبتك قوتك فادفع الموت عن نفسك، وقل للعالم لا يعجبنك علمك فإن أعجبك علمك فأخبرني متى أجلك، وقل للغني لا يعجبنك مالك وغناؤك فإن أعجبك فأطعم خلقي غداء واحداً» فالإنسان عاجز والله على كل شيء قدير ومنه النعمة إلى الصغير والكبير قال الشيخ سعدي قدس سره:

اديم زمين سفرة عام أوست برين خوان يغماچه دشمن چه دوست

ولكل عضو من أعضاء الإنسان طاعة تخصه فإذا لم يصرفه إلى مصارفه ولم يستخدمه فيما يناسب فقد تعرض لسخط الله تعالى وفي «البستان»:

يكي كوش كودك بماليد سخت كه أي بو العجب رأى وبركشته بخت
تراتيشه دادم كه هيزم شكن نكفتم كه ديوار مسجد بكن
زبان آمد بهر شكر وسپاس بغيبت نكرداندش حق شناس
كذركاه قرآن وپندست كوش به بهتان وباطل شنيدن مكوش
دوچشم از پي صنع باري نكوست زعيب برادر فروكير ودوست

يقال: علامة المنيب أي المقبل إلى الله تعالى في ثلاث خصال:

أولاها: أن يجعل قلبه للتفكر في صفات الله والأمور الأخروية.
والثانية: أن يجعل لسانه للذكر والشكر.
والثالثة: أن يجعل بدنه للخدمة في سبيل الله تعالى بلا فتور إلى أن يأتي الموت نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لطاعته وخدمته ويشرفنا بجنته ووصلته.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿لكل أمة﴾ معينة من الأمم الماضية والباقية والأمة جماعة أرسل إليهم رسول. **﴿جعلنا﴾** [معين ساختيم] **﴿منسكاً﴾** مصدر مأخوذ من النسك وهو العبادة أي شريعة خاصة لا لأمة منهم على معنى عيّنا كل شريعة لأمة معينة من الأمم بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها إلى شريعة أخرى لا استقلالاً ولا اشتراكاً. **﴿هم ناسكوه﴾** صفة لمنسكاً مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل أمة باعتبار خصوصها أي تلك الأمة المعينة ناسكوه والعاملون به لأمة أخرى فالأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى عليهما السلام، منسكهم التوراة هم ناسكوها والعاملون بها لا غيرهم والأمة التي من مبعث عيسى إلى مبعث النبي عليه السلام، منسكهم الإنجيل هم ناسكوه والعاملون به لا غيرهم وأما الأمة الموجودة عند بعث النبي عليه السلام ومن بعدهم من الموجودين إلى يوم القيامة فهم أمة واحدة منسكهم الفرقان ليس إلا. **﴿فلا ينازعنك﴾** أي: من يعاصرك من أهل الملل يقال: نزع الشيء جذبه من مقره كنزع القوس عن كبده المخاصمة **﴿في الأمر﴾** أي: في أمر الدين زعماً منهم أن شريعتهم ما عين لآبائهم الأولين من التوراة والإنجيل فإنهما شريعتان لمن مضى من الأمم قبل انتساخهما وهؤلاء أمة مستقلة منسكهم القرآن المجيد فحسب. وبالفارسية [پس بايدكه نزاع نكنند سائر أرباب اديان باتو دركار دين چه امردين توازان ظاهر ترست كه تصور نزاع دران توان درنور آفتاب چه جاي تأمل است]. **﴿وادع﴾** الناس كافة ولا تخص أمة دون أمة بالدعوة فإن كل الناس أمتك **﴿إلى ربك﴾** إلى توحيده وعبادته حسبما بين لهم في منسكهم وشريعتهم **﴿إنك لعلى هدى مستقيم﴾** أي: طريق موصل إلى الحق سويّ وهو الدين.

﴿وإن جادلوك﴾ وخاصموك بعد ظهور الحق ولزوم الحجة وأصله من جدلت الحبل أي حكمت فتله فكأن المجادلين يفتل كل واحد منهما الآخر عن رأيه. **﴿فقل﴾** لهم على سبيل الوعيد **﴿الله أعلم بما تعملون﴾** من الأباطيل التي من جملتها المجادلة فيجازيكم عليها.

﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿الله يحكم بينكم﴾ يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين **﴿يوم القيامة﴾** بالثواب والعقاب كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات **﴿فيما كنتم فيه تختلفون﴾** من أمر الدين.

﴿ألم تعلم﴾ الاستفهام للتقرير أي قد علمت **﴿أن الله يعلم ما في السماء والأرض﴾** فلا يخفى عليه شيء من الأشياء التي من جملتها ما يقول الكفرة وما يعملونه. **﴿إن ذلك﴾** أي: ما في السماء والأرض **﴿في كتاب﴾** هو اللوح قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك أمرهم مع

علمنا به وحفظنا له. ﴿إن ذلك﴾ أي ما ذكر من العلم والإحاطة به وإثباته في اللوح ﴿على الله يسير﴾ سهل: وبالفارسية: [آسانست] فإن علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شيء ولا يعسر عليه مقدور.

وفي الآيات إشارات: منها أن لكل فريق من الطلاب شرعة هم واردوها ولكل قوم طريقة هم سالكوها ومقاماً هم سكانه ومحلاً هم قطانه ربط كل جماعة بما أهلهم وأوصل كل ذوي رتبة إلى ما جعله محلهم فبساط التعبد موطوء بأقدام العابدين ومشاهد الاجتهاد معمورة بأصحاب الكلف من المجتهدين ومجالس أصحاب المعارف مأنوسة بلوازم العارفين ومنازل المحبين مأهولة بحضور الواجدين ولتفاوت مقامات السلوك والموصول تفاوتت الدعوة إلى الله تعالى فمنهم من يدعو الخلق من باب الفناء في حقيقة العبودية وهو قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩] ومنهم من يدعوهم من باب ملاحظة العبودية وهو الذلة والافتقار وما يقتضيه مقام العبودية ومنهم من يدعوهم من باب ملاحظة الأخلاق الرحمانية ومنهم من يدعوهم من باب ملاحظة الأخلاق بالقهرية ومنهم من يدعوهم من باب الأخلاق الإلهية وهو أرفع باب وأجله وقد قالوا الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق وبعدد الأنفاس الإلهية فإن الشؤون المتجددة من الله تعالى في كل مظهر أنفاس الإلهية.

ومنها: أن أهل المجادلة هم أهل التأبي والإنكار والاعتراض والله أعلم بأحوالهم ويحكم يوم القيامة بين كل فريق بما يناسب حاله أما الأجانب فيقول لهم: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] وأما الأولياء فقوم منهم يحاسبهم حساباً يسيراً وصنف منهم يؤتون أجورهم بغير حساب وأما الأحباب فيقعدون في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ومنها: أن السماء سماء القلب وفية نور اليقين والصدق والإخلاص والمحبة والأرض أرض البشرية والنفس الأمارة وفيها ظلمة الشك والكذب والشرك وحرص الدنيا فيزيل الله عن أرباب القلوب البلوى ويجمل لهم النعمى وتنزل بأرباب النفوس البلوى ولا يسمع منهم الشكوى إن ذلك في كتاب مكتوب بقلم التقدير في القدم كما قال الشيخ سعدي.

كرت صورت حال بد يانكوست نكاريدة دست تقدير أوست

إن ذلك على الله يسير مجازاتهم على وفق التقدير سهلة على الله تعالى ولكن ليعرف المؤمن أن كلاً ميسر أو مهيأ لما خلق له فمن وفق للعلم والعمل كان ذلك علامة للسعادة العظمى ومن ابتلي بالجهل والكسل كان ذلك أمارة للشقاوة الكبرى فلم يبق إلا التسليم للأحكام الإلهية والاجتهاد في طريق الحق بالشريعة والطريقة إلى أن يحصل الوصول إلى المعرفة والحقيقة وأما قوله:

قضا كشتي آنجا كه خواهد برد وكر ناخدا جامه برتن درد

فناظر إلى عالم القضاء والعبد أعمى وليس له التفحص عن ذلك والله تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾.

﴿ويعبدون﴾ أي: أهل الشرك ﴿من دون الله﴾ أي: متجاوزين عبادة الله تعالى ﴿ما لم ينزل به﴾ أي بجواز عبادته وما عبارة عن الأصنام. ﴿سلطاناً﴾ أي حجة وبرهاناً ﴿وما ليس لهم به﴾ أي بجواز عبادته ﴿علم﴾ حصل لهم من ضرورة العقل أو استدلاله فهم إنما يعبدون الأصنام بمجرد الجهل ومحض التقليد ﴿وما للظالمين﴾ أي: المشركين الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم ﴿من نصير﴾ يدفع عنهم العذاب الذي يعتريهم بسبب ظلمهم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى من كان من جملة خواصة أفرده ببرهان وأيده ببيان وأعزه بسلطان وما لأهل الخذلان سلطان فيما عبدوه من أصناف الأوثان ولا برهان على ما طلبوه وما لهم نصرة من الله بل خذلان.

﴿وإذا تتلى عليهم﴾ أي على المشركين ﴿آياتنا﴾ من القرآن حال كونها ﴿بينات﴾ واضحات الدلالة على العقائد الخفية والأحكام الإلهية. ﴿تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر﴾ أي الإنكار بالعبوس والكراهة كالمكرم بمعنى الإكرام. وبالفارسية: [يعني چون قرآن بركافران خواني انر كراهت ونفرت درروي إيشان به بيني ازفرط عناد ولجاج كه باحق دارند].

واعلم أن الوجوه كالمرائي فكل صورة من الإقرار والإنكار تظهر فيها فهي أثر أحوال الباطن وكل إناء يترشح بما فيه كتلون وجوه قوم صالح فما ظهر عليهم في ظاهرهم إلا حكم ما استقر في باطنهم.

قال الفقير:

هركرا صورت بياض الوجوه بود ... صورت حال درونش رونمود
كرسياه ويا كبودي بود رنك ... رنك أو ظاهر شد ازدل بي دل نك

﴿يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾ أي يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لأباطيل أخذوها تقليداً من السطوة وهي البطش برفع اليد يقال سطا به ﴿قل﴾ رداً عليهم وإقناطاً مما يقصدونه من الإضرار بالمسلمين. ﴿أفأنبئكم﴾ أي: أخاطبكم فأخبركم ﴿بشر من ذلكم﴾ الذي فيكم من غيضكم على التالين وسطوتكم بهم. ﴿النار﴾ أي: هو النار على أنه جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ما هو. ﴿وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير﴾ أي: النار والمصير المرجع.

وفيه إشارة إلى أن نار القطيعة والطرد والإبعاد شر من الإنكار الذي في قلوب المنكرين فعلى العاقل أن يجتنب عن كل ما يؤدي إلى الشرك والإنكار ويصحب أهل التوحيد والإقرار ويقبل الحقائق والأسرار ويحب أرباب الولاية ويبغض أصحاب الضلالة.

وفي بعض الأخبار يقول الله تعالى غداً: يا ابن آدم أما زهدك من الدنيا فإنما طلبت الراحة لنفسك وأما انقطاعك إلي فإنما طلبت العزة لنفسك ولكن هل عاديت لي عدواً أو واليت لي ولياً.

واعلم أن الكفر والإنكار يؤديان إلى النار كما أن التوحيد والإقرار يفضيان إلى الجنة وهما من أفضل النعم فإن العبد يصل بسبب التوحيد إلى السعادة الأبدية ولذلك كل عمل يوزن إلا شهادة أن لا إله إلا الله وإذا رسخ التوحيد في قلب المؤمن لم يجد بداً من الإقرار والذكر كلما وجد مجالاً صالحاً له حكي: أن بعض الصالحين رأى زبيدة امرأة هارون الرشيد في المنام بعد الموت وسأل عن حالها فقالت: غفر لي ربي فقال: أبالحياض التي حفرتها بين

الحرمين الشريفين فقالت: لا فإنها كانت أموالاً مغصوبة فجعل ثوابها لأربابها فقال: فيم قالت: كنت في مجلس شرب الخمر فأمسكت عن ذلك حين أذن المؤذن وشهدت ما شهد المؤذن فقال الله تعالى لملائكته أمسكوا عن عذابها لو لم يكن التوحيد راسخاً في قلبها لما ذكرتني عند السكر فغفر لي وأحسن حالي وأما أهل النار والمؤاخذة فالأدنى منهم عذاباً يتنعل من نار يغلى منه دماغه ولذلك قال الله تعالى: ﴿وبئس المصير﴾ فإنه لا راحة فيها لأحد عصمنا الله وإياكم من نار البعد وعذاب السعير إنه خير عاصم ومجير.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿يا أيها الناس ضرب مثل﴾ أي: بين لكم حالة مستغربة أو قصة بديعة حقيقة بأن تسمى مثلاً وتسير في الأمصار والأعصار. ﴿فاستمعوا له﴾ أي: للمثل استماع تدبر وتفكر: وبالفارسية: [پس بشنويد آن مثل را بكوش هوش ودران تأمل كنيد].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بقوله: ﴿يا أيها الناس﴾ إلى أهل النسيان عن حقيقة الأمر بالعيان فلا بد لهم من ضرب مثل لعلهم ينبهون من نوم الغفلة فالخطاب لناسي عهد الميثاق عامة وللمستعين المستعدين لإدراك فهم الخطاب بقوله: ﴿فاستمعوا له﴾ خاصة وهذا الأمر أمر التكوين بسمعهم الخطاب ويتعظون به ثم بين المعنى فقال: ﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ يعني الأصنام التي تعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى وهو بيان للمثل وتفسير له.

قال الكاشفي: [وآن سيصد وشصت بت بودند برحوالي خانه نهاده حق سبحانه وتعالى فرمودكه اين همه بت كه مي پرستيد بجز خداي تعالى].

وفي «التأويلات»: من أنواع الأصنام الظاهرة والباطنة ﴿لن يخلقوا ذباباً﴾ أي لن يقدروا على خلقه أبداً مع صغره وحقارته فإن لن بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب أي يمنع ويدفع.

قال في «المفردات»: الذباب يقع على المعروف من الحشرات الطائرة وعلى النحل والزنابير وفي قوله: ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئاً﴾ فهو المعروف.

وفي «حياة الحيوان»: في الحديث: «الذباب في النار لا النحل» وهو يتولد من العفونة لم يخلق لها أجفان لصغر أحداقها ومن شأن الأجفان أن تصقل مرآة الحدقة من الغبار فجعل الله لها يدين تصقل بهما مرآة حدقتها فلهذا ترى الذباب أبداً يمسح بيديه عينيه وإذا بخر البيت بورق القرع ذهب منه الذباب. ﴿ولو اجتمعوا له﴾ أي لخلقه وهو مع الجواب المقدر في موضع حال جيء بها للمبالغة أي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف إذا كانوا منفردين ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئاً﴾ أي: أن يأخذ الذباب منهم شيئاً ويخطفه ﴿لا يستنقذوه منه﴾ أي: لا يستردوه من الذباب مع غاية ضعفه لعجزهم، وبالفارسية: [نميتوانند رهانيد يعني باز نميتوانند ستانند آن چيزرا] قيل: كانوا يطيبون الأصنام بالطيب والعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله.

قال الكاشفي: [رسم ايشان آن بودكه بتان را بعسل وخلوق مي اندودند ودرهاي تنجانه

برايشان مي بستند مكسان ازروزن در آمده آنها ميخوردند وبعد ازچند روز أثر طيب وعسل برايشان نبود شادي مينمودندكه آنهاراً خورده اند حق سبحانه وتعالى ازعجز وضعف بتان خبر ميد هدكه نه برآفريدن مكس قادرند ونه بردفع ايشان ازخود]. ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾ أي: عابد الصنم ومعبوده أو الذباب الطالب لما يسلبه عن الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ أي: ما عرفوه حق معرفته أو ما عظموه حق تعظيمه حيث أشركوا ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصر منه وسموا باسم ما هو أبعد الأشياء منه مناسبة. ﴿إن الله لقوي﴾ على خلق الممكنات بأسرها وإفناء الموجودات عن آخرها. ﴿عزيز﴾ غالب على جميع الأشياء لا يغلبه شيء وآلهتهم التي يدعونها عجزة عن أقلها مقهورة من أذلها.

قال ابن عطاء دلهم بقوله: ﴿وإن يسلبهم﴾ الخ على مقادر الخليقة فمن كان أشد هيبة وأعظم ملكاً لا يمكنه الاحتراز من أهون الخلق وأضعفه ليعلم بذلك عجزه وضعفه وعبوديته وذلته ولئلا يفتخر على أبناء جنسه من بني آدم بما يملكه من الدنيا:

عاجز انكه عاجزاً نرا بنده اند گون فتدكاري زهم شرمنده اند
عجزو إمكان لازم يكديكرند پس همه خلقي زهم عاجز ترند
قوت أزحق است وقوت حق أوست آن أو مغزاست وآن خلق پوست

قال الواسطي: في الآية الأخيرة لا يعرف قدر الحق إلا الحق وكيف يقدر قدره أحد وقد عجز عن معرفة قدر الوسائط والرسل والأولياء والصديقين ومعرفة قدره أن لا يلتفت منه إلى غيره ولا يغفل عن ذكره ولا يفتره عن طاعته إذ ذاك عرفت ظاهر قدره وأما حقيقة قدره فلا يقدر قدرها إلا هو.

قال الكاشفي: [محققان برآنندكه چنانچه أهل شرك بحق المعرفة اورا تشناخته اند أهل علم نيز بحقيقت معرفت اوراه نبرده اند زيراكه دورباشي ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] كسي را در حوالي باركاه كبريا نميكذارد وبعيب هويت خود هيچ رهبر ورهنمارا راه نميدهد ميان اووماسوى بهيچ نوع نسبتي نيست تادر طريق معرفتش شروع تواند كرد ومعرفت بي مناسبت ازقبيل محالات است ماللطين ورب العالمين.

چه نسبت خاك را با عالم پاك

قال بعض الكبار ما عرفناك حق معرفتك أي بحسبك ولكن عرفناك حق معرفتك أي بحسبنا.

وفي «شرح مفتاح الغيب» لحضرة شيخي وسندي قدس الله سره العلم الإلهي الشرعي المسمى في مشرب أهل الله علم الحقائق هو العلم بالحق سبحانه من حيث الارتباط بينه وبين الخلق وانتشاء العالم منه بقدر الطاقة البشرية وهو ما وقع فيه الكمل في ورطة الحيرة وأقروا بالعجز عن حق المعرفة انتهى.

قال الشيخ أبو العباس رحمه الله: معرفة الولي أصعب من معرفة الله فإن الله معروف بكماله وجماله متى يعرف مخلوقاً مثله يأكل كما يأكل ويشرب كما يشرب انتهى.

وهذا الكلام موافق لما في «شرح المفتاح» ولما قبله كما لا يخفى على من له أدنى ذوق في هذا الباب.

﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦﴾.

﴿الله يصطفي﴾ [بركزيند] ﴿من الملائكة رسلاً﴾ يتوسطون بينه وبين الأنبياء بالوحي مثل جبرائيل وميكائيل وإسرافيل.

قال في «المفردات»: أصل الصفاء خلوص الشيء من الشوب والاصطفاء تناول صفو الشيء كما أن الاختيار تناول خيره والاجتباء تناول جبايته واصطفاء الله بعض عباده قد يكون بإيجاد تعالى إياها صافياً عن الثوب الموجود في غيره وقد يكون باختياره وبحكمه وإن لم يتعر ذلك من الأول.

وفي «التأويلات»: يصطفي من الملائكة رسلاً بينه وبين العباد ولتربيتهم بأداء الرسالة إذا لم يكونوا بعد مستأهلين لاستماع الخطاب بلا واسطة فيربيهم بواسطة رسالة الملائكة. ﴿ومن الناس﴾ [ومي كزيند ازآدميان پيغمبران تاخلق را دعوت كند بوي] وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلام العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون إلى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل إلى جانب الحق فيدعونهم إليه تعالى بما أنزل عليهم ويعلمونهم شرائعه وأحكامه ﴿إن الله سميع﴾ بجميع المسموعات.

وقال الكاشفي [شنواست مقالة پيغمبر رادر وقت تبليغ] ﴿بصير﴾ مدرك لجميع المبصرات فلا يخفى عليه شيء من الأقوال والأفعال.

وقال الكاشفي [بينا بحال امت اودر رد وقبول دعوت].

وفي «التأويلات النجمية»: سميع يسمع ضراعتهم في احتياج الوجود وهم في العدم بصير، من يستحق للرسالة وهو معدوم ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ عالم بواقع الأشياء ومترقبها.

وقال الكاشفي: [ميداند آنچه در پيش آدميانست يعني عملها كه كرده اند وآنچه ازپس ايشانست يعني كارهاً خواهندكرد] ﴿وإلى الله﴾ لا إلى أحد غيره لا اشتراكاً ولا استقلالاً ﴿ترجع﴾ ترد من الرجع القهقرى ﴿الأمور﴾ كلها لأنه مالكها بالذات لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون روي: أنه تكلم رجل في زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وافترى عليه فقال له زين العابدين: إن كنت كما قلت فأستغفر الله وإن لم أكن كما قلت فغفر الله لك فقام إليه الرجل وقبل رأسه وقال جعلت فداءك لست كما قلت فاغفر لي قال غفر الله لك فقال الرجل الله اعلم حيث يجعل رسالته.

وخرج يوماً من المسجد فلقيه رجل فسبه فثارت إليه العبيد والموالي فقال لهم زين العابدين: مهلاً على الرجل ثم أقبل على الرجل، وقال ما ستر عنك من أمرنا أكثر ألك حاجة نعنيك عليها فاستحيى الرجل فألقى إليه خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول ولا يتوهم أنهم كانوا أهل دنيا ينفقون منها الأموال إنما كانوا أهل سخاء وفتوة ومروءة وجود ومكارم كانت تأتيهم الدنيا فيخرجونها في العاجل وفيهم يصدق قول القائل:

تعود بسط الكف حتى لو أنه ثناها لقبض لم تطعه أنامله
فلو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ أي في صلاتكم أمرهم بها لما أنهم ما كانوا يفعلونها أول إسلام.

قال أبو الليث: كانوا يسجدون بغير ركوع فأمرهم الله بأن يركعوا ويسجدوا وقال بعضهم كانوا يركعون بلا سجود ويسجدون بلا ركوع.

قال الكاشفي: [در أول إسلام همين قعود وقيام بدين آيت ركوع وسجود داخل شد] أو المعنى صلوا عبر عن الصلاة بهما لأنهما أعظم أركانها. ﴿واعبدوا ربكم﴾ بسائر ما تعبدكم به ﴿وافعلوا الخير﴾ وتحروا ما هو خير وأصلح في كل ما تأتون وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة الأرحام ومكارم الأخلاق وفي الحديث: «حسنوا نوافلكم فبها تكمل فرائضكم» وفي المرفوع: «النافلة هدية المؤمن إلى ربه فليحسن أحدكم هديته وليطيبها».

قال في «المفردات»: الخير ما يرغب فيه الكل كالعقل مثلاً والعدل والفضل والشيء النافع والشر ضده وقيل: الخير ضربان خير مطلق وهو أن يكون مرغوباً فيه بكل حال وعند كل أحد وصف عليه السلام الجنة فقال: «لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة» وخير مقيد وهو أن يكون خير الواحد شر الآخر كالمال الذي ربما كان خيراً لزيد وشراً لعمرو ﴿لعلكم تفلحون﴾ أي افعلوا هذه كلها وأنتم راجون بها الإفلاح غير متيقنين له واثقين بأعمالكم. قال الشيخ سعدي قدس سره:

بضاعت نياوردم إلا أميد خدايا زعفوم مكن نا أميد

والفلاح الظفر وإدراك البغية وذلك ضربان دنيوي وآخروي، فالدنيوي الظفر بالسعادات التي يطيب بها حياة الدنيا وهو البقاء والغني والعز والعلم والأخروي أربعة أشياء بقاء بلا فناء وغني بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل ولذلك قيل لا عيش إلا عيش الآخرة.

زنهار دل مبند براسباب دنيوي

قالوا: الآية آية سجدة عند الشافعي وأحمد لظاهر ما فيها من الأمر بالسجود.

قال الكاشفي: [اين سجد، مختلف فيه است وبمذهب إمام شافعي سجدة هفتم باشد از سجدات قرآن وحضرت شيخ اين راسجدة الفلاح كفته] وقال الإمام الأعظم والإمام مالك: دل مقارنة السجود بالركوع في الآية على أن المراد سجود الصلاة.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الآية إلى الرجوع من تكبر قيام الإنسانية إلى تواضع خشوع الحيوانية فإن الحيوانات على أربع في الركوع لقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ [النور: ٤٥] والرجوع من الركوع إلى الانكسار والذلة والنباتية في السجود فإن النبات في السجود لقوله: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾ [الرحمن: ٦] لأن الروح بهذه المنازل كان مجيئه من عالم الأوراح عبر على المنزل النباتي ثم على المنزل الحيواني إلى أن بلغ المنزل الإنساني فعند رجوعه إلى الحضرة يكون عبوره على هذه المنازل وهذا سر

قوله ﷺ «الصلاة معراج المؤمنين» ثم قال: ﴿واعبدوا ربكم﴾ يعني: بهذا الرجوع إليه خالصاً لوجه تعالى: ﴿وافعلوا الخير﴾ بالتوجه إلى الله في جميع أحوالكم وأعمال الخير كلها ﴿لعلكم تفلحون﴾ بالعبور على هذا المنازل من حجب الظلمات النفسانية والأنوار الروحانية.

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وجاهدوا﴾ الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو ﴿في الله﴾ أي في سبيل الله كما في «تفسير الجلالين».

وقال في غيره: أي لله ولأجله أعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس ﴿حق جهاده﴾ [چنانكه سزاوار جهاد أو باشد يعني بدل صافي ونيت خالص] أي جهاداً فيه حقاً خالصاً لوجهه فعكس وأضيف الحق إلى الجهاد مبالغة وأضيف الجهاد إلى الضمير الراجع إلى الله اتساعاً.

قال الإمام الراغب: الجهاد ثلاثة أضرب مجاهدة العدو الظاهر ومجاهدة الشيطان ومجاهدة النفس وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ وفي الحديث: «جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم»، وفي الحديث: «جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم» وعنه ﷺ أنه رجع من غزوة تبوك فقال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» فجهاد النفس أشد من جهاد الأعداء والشياطين وهو حملها على اتباع الأوامر والاجتناب عن النواهي. وفي «المثنوي»:

أي شهان كشتيم ما خصم برون ... ماند ازو خصمي بتر در اندرون
كشتن اين كار عقل وهوش نيست ... شير باطن سخرة خركوش نيست

﴿هو اجتباكم﴾ أي: هو اختاركم لدينه ونصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضي الجهاد ويدعو إليه.

قال ابن عطاء الاجتبائية أورثت المجاهدة لا المجاهدة أورثت الاجتبائية.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ بأن تجاهدوا النفوس في تزكيتها بأداء الحقوق وترك الحظوظ وتجاهدوا القلوب في تصفيتها بقطع تعلقات الكونين ولزوم المراقبات عن الملاحظات وتجاهدوا الأرواح في تحليتها بإفناء الوجود في وجوده ليبقى بوجوده وجوده ﴿هو اجتباكم﴾ لهذه الكرامات من بين سائر البريات ولولا أن اجتباكم واستعداد هذا الجهاد أعطاكم وإليه هداكم لما جهدتم في الله كما قيل:

فلولا كمو ما عرفنا الهوى ... ولولا الهوى ما عرفنا كمو

ومن مبادىء الحق الجهاد وهو أن لا يفتر مجاهدة النفس لحظة كما قال قائلهم:

يا رب أن جهادي غير منقطع ... فكل أرضك لي ثغر وطرطوس

﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ أصل الحرج والحراج مجتمع الشيء وتصور منه ضيق ما بينهما فقيل للضيق حرج أي ما جعل فيه من ضيق بتكليف ما يشق عليه إقامته ولذلك أزال الحرج في الجهاد عن الأعمى والأعرج وعادم النفقة والراحلة والذي لا يأذن له أبواه.

قال الكاشفي: [يعني برشماتنك فرانكرفت ودر أحكام دين تكليف ما لا يطاق نكرد بوقت ضرورت رخصتها دادچون قصر تميم وإفطار در مرض وسفر].

وفي «التأويلات النجمية»: أي ضيق في السير إلى الله والوصول إليه لأنك تسير إلى الله بسيره لا بسيرك وتصل إليه بتقربه إليك لا بتقربك إليه وإن كنت ترى أن تقربك إليه منك ولا ترى أن تقربك إليه من نتائج تقربه إليك وتقربه إليك سابق على تقربك إليه كما قال: «من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً» فالذراع إشارة إلى الشبرين شبر سابق على تقربك إليه وشبر لاحق يتقربك إليه حتى لو مشيت إليه فإنه يسارعك من قبل مهرولاً انتهى. ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ نصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبله بحذف المضاف أي وسع عليكم دينكم توسعة ملة أبيكم إبراهيم أو اتبعوا ملة أبيكم كما في «الجلالين».

قال الراغب: الملة كالدين وهو اسم لما شرع الله لعباده على لسان الأنبياء ليتوصلوا به إلى جوار الله تعالى والفرق بينها وبين الدين أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي الذي تسند إليه نحو اتبعوا ملة إبراهيم واتبعت ملة آبائي ولا يكاد يوجد مضافاً إلى الله تعالى ولا إلى آحاد أمة النبي ولا يستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها ولا يقال ملة الله ولا ملتي وملة زيد كما يقال دين الله، وأصل الملة من مللت الكتاب ويقال: الملة اعتباراً بالنبي الذي شرعها والدين يقال اعتباراً بمن يقيمه إذا كان معناه الطاعة هذا كله في «مفردات الراغب» وإنما جعله آباهم لأنه أبو رسول الله وهو كالأب لأمته من حيث أنه سبب لحياتهم الأبدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة أو لأن أكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم.

قال ابن عطية ملة إبراهيم هو السخاء والبذل وحسن الأخلاق والخروج عن النفس والأهل والمال والولد.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن السير والذهاب إلى الله من سنة إبراهيم عليه السلام لقوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩] وإنما سماه بأبيكم لأنه كان أباكم في طريقة السير إلى الله كما قال النبي ﷺ: «أنا لكم كالوالد لولده» ﴿هو﴾ أي: الله تعالى ﴿سماكم المسلمين من قبل﴾ أي في الكتب المتقدمة ﴿وفي هذا﴾ أي في القرآن ﴿ليكون الرسول﴾ يعني حضرة محمد يوم القيامة متعلق بسمّاكم واللام لام العاقبة ﴿شهيداً عليكم﴾ بأنه بلغكم فيدل على شهادته لنفسه اعتماداً على عصمته أو بطاعة من أطاع وعصيان من عصى. ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ بتبليغ الرسل إليهم ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ أي: فتقربوا إلى الله بأنواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف وتخصيصهما بالذكر لفضلها فإن الأول دال على تعظيم أمر الله والثاني على الشفقة على الخلق. ﴿واعتصموا بالله﴾ أي ثقوا به في مجامع أموركم ولا تطلبوا الإعانة والنصرة إلا منه. وبالفارسية: [وچنك در زنيد بفضل خداى يعني در مجامع أمور خود اعتماد بدو كنيد يابكتاب وسنت متمسك شويد سلمى فرموده كه اعتصام بحبل الله أمر عوام است وبالله كار خواص أما اعتصام بحبل الله تمسك بأوامر وتنفر ازنواهي واعتصام بالله خلوت دلست ازماسواي حضرت الهي]. ﴿هو مولاكم﴾ ناصركم ومتولي أموركم. ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾ إذ لا مثل له في الولاية والنصرة، بل لا ولي ونصير في الحقيقة سواه تعالى. قال الكاشفي: [پس نيك ياريست أو ونيكو مدد كاري بياري عيبها ببوشد وبمدد كاري كناهان ببخشدياري ازو جوي كه ازبادي درنما ند مدد كاري ازوي

طلب كه از مدد كاري عاجز نشود].

از يـاري خـلـق بـكـذراي مـرد خـدا   يـاري طـلـب آنـچـنـان كـه ازروي وفـا
كـارتـوتـوانـدكـه بـسـازد هـمـه وقـت   دست تـو تـوانـد كـه بـكـيـرد هـمـه جـا

قال فيثاغورث: متى التمست فعلاً من الأفعال فابدأ إلى ربك بالابتهال في النحج فيه.

وشكا رجل إلى أخيه الحاجة والضيق فقال له: يا أخي أغير تدبير ربك تريد لا تسأل الناس وسل من أنت له.

ودخل سليمان بن عبد الملك الكعبة فقال لسالم بن عبد الله: ارفع حوائجك فقال: والله لا أسأل في بيت الله غير الله فينبغي للعبد الطالب لعصمة الله تعالى أن يعتصم به في كل الأمور ويجتهد في رضاه في الخفاء والظهور ولا يقول إن هذا الأمر عسير فإن ذلك على الله يسير فإنه هو المولى فنعم المولى ونعم النصير قال تعالى ذلك أي النصر بأن الله مولى ﴿الذين آمنوا﴾ الآية.

تمت سورة الحج في أواخر جمادى الأولى
من سنة ألف ومائة وسبع.

٢٣ ـ تفسير سورة المؤمنين

مكية وهي مائة وعشر آيات عند البصريين ومائة وثماني عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾.

﴿قد أفلح المؤمنون﴾ سعد المصدقون ونالوا البقاء في الجنة ويدل عليه «أن الله تعالى لما خلق جنة عدن بيده قال: تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون فقال: طوبى لك، منزل الملوك أي ملوك الجنة وهم الفقراء الصابرون».

فصيغة الماضي للدلالة على تحقق الدخول في الفلاح وكلمة قد لإفادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لأن المؤمنين كانوا متوقعين ذلك الفلاح من فضل الله والفلاح البقاء والفوز بالمراد والنجاة من المكروه والإفلاح الدخول في ذلك كالإبشار الذي هو الدخول في البشارة وقد يجيء متعدياً بمعنى الإدخال فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للمفعول ولما كان الفلاح الحقيقي لا يحصل بمطلق الإيمان وهو التصديق بما علم ضرورة أنه من دين نبينا عليه السلام، من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها بل يحصل بالإيمان الحقيقي المقيد بجميع الشرائط قال بطريق الإيضاح أو المدح.

﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ الخشوع الخوف والتذلل.

وفي «المفردات»: الخشوع: الضراعة وأكثر ما يستعمل فيما يوجد على الجوارح والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد على القلب ولذلك قيل فيما ورد: «إذا ضرع القلب خشعت الجوارح» أي خائفون من الله متذللون له ملزمون أبصارهم مساجدهم.

قال الكاشفي: [گشم برسجده كاه نهاده وبدل بردركاه مناجات حاضر شده] روي: أنه عليه السلام كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وأنه رأى مصلياً يعبث بلحيته فقال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه».

وفي «النتف»: يكره تقليب الوجه إلى نحو السماء عند التكبيرة الأولى، وجه النهي أن النظر إلى السماء من قبيل الالتفات المنهي عنه في الصلاة، وأما في غيرها فلا يكره لأن السماء قبلة الدعاء ومحل نزول البركات.

قال الكاشفي: [درلباب فرموده كه درحالت قيام ديده برسجده كاه بايد نهاد مكر بمكة معظمه كه درخانة مكرمه بايد نكريست]، وفي الحديث: «إن العبد إذا قام إلى الصلاة فإنما هو بين يدي الرحمٰن فإذا التفت يقول الله تعالى: إلى من تلتفت إلى خير مني أقبل يا ابن آدم إليّ فأنا خير ممن تلتفت إليه».

وفي «التأويلات النجمية»: خاشعون أي بالظاهر والباطن. أما الظاهر فخشوع الرأس

بانتكاسه وخشوع العين بانغماضها عن الالتفات وخشوع الأذن بالتذلل للاستماع وخشوع اللسان القراءة والحضور والتأني وخشوع اليدين وضع اليمين على الشمال بالتعظيم كالعبيد وخشوع الظهر انحناؤه في الركوع مستوياً وخشوع الفرج ينفي الخواطر الشهوانية وخشوع القدمين بثباتهما على الموضع وسكونهما عن الحركة.

وأما الباطن: فخشوع النفس سكونها عن الخواطر والهواجس وخشوع القلب بملازمة الذكر ودوام الحضور وخشوع السر بالمراقبة في ترك اللحظات إلى المكونات وخشوع الروح استغراقه في بحر المحبة وذوبانه عند تجلي صفة الجمال والجلال [محققي فرموده كه در نماز أول ازخود بيزار بايد شد پس طالب وصول بقرب يار بايد كذشت].

يار بيزاراست ازتو تاتويي — أول ازخود خويش رابيزاركن
كر زتويكذره باقي مانداه است — خرقه وتسبيح با زنار كن
ترك خويش وهردوعالم كيرورو — ذرة منديش وچون عطاركن

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾

﴿والذين هم عن اللغو﴾ أي: عما لا يعنيهم من الأقوال والأفعال.

وفي «المفردات»: اللغو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذي يورد لا عن روية وفكر ويجري مجرى اللغا وهو صوت العصافر ونحوها من الطيور.

وفي «التأويلات النجمية»: اللغو كل فعل لا لله وكل قول لا من الله ورؤية غير الله وكل ما يشغلك عن الله فهو لغو.

قال الكاشفي: [أمام قشيري فرمودكه هرچه براي خدانيست حشواست وآنچه ازخدا بازدارد سهواست وآنچه بنده رادران حظي باشد لهواست وآنچه ازخدا نبود لغواست وحقيقت آنست كه لغو چيزى راكويندراز اقوال وأفعال بهيج كارنيايد]، ﴿معرضون﴾ يقال: أعرض أظهر عرضه أي ناحيته فإذا قيل عرض لي كذا أي بدا عرضه فأمكن تناوله وإذا قيل أعرض فمعناه ولى مبدياً عرضه، أي معرضون في عامة أوقاتهم كما ينبىء عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل في ذلك إعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلاة دخولاً أولياً ومدار إعراضهم عنه، ما فيه من الحالة الداعية إلى الإعراض عنه لا مجرد الاشتغال بالجد في أمور الدين فإن ذلك ربما يوهم أن لا يكون في اللغو نفسه ما يزجرهم عن تعاطيه.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾.

﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ للصدقة مؤدون والتعبير عن الأداء بالفعل مذكور في كلام العرب قال أمية بن أبي الصّلت: المطعمون الطعام في السنة الأزمة والفاعلون للزكوات.

وتوسيط حديث الإعراض بين الطاعة البدنية والمالية لكمال ملابسته بالخشوع في الصلاة والزكاة مصدر لأنه الأمر الصادر عن الفاعل لا المحل الذي هو موقعه.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الزكاة إنما وجبت لتزكية النفس عن الصفات الذميمة النجسة من حب الدنيا أو غيره كقوله: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] فإن الفلاح في تزكية النفس كقوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ [الأعلى: ١٤]، وقوله:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝﴾ [الشمس: ٩ـ١٠]، ولم يكن المراد مجرد إعطاء المال وحبه في القلب وإنما كان لمصلحة إزالة حب الدنيا عن القلب ومثل حب الدنيا جميع الصفات الذميمة إلى أن تتم إزالتها:

﴿والذين هم لفروجهم﴾ الفرج والفرجة الشق بين الشيئين كفرجة الحائط والفرج ما بين الرجلين وكني به عن السوءة وكثر حتى صار كالصريح فيه. ﴿حافظون﴾ ممسكون لها من الحرام ولا يرسلونها ولا يبذلونها.

﴿إلا على أزواجهم﴾ زوجاتهم فإن الزوج يقع على الذكر والأنثى. ﴿أو ما ملكت أيمانهم﴾ يعني: [كنيز كان كه مليكة يمين اند] فما ملكت أيمانهم وإن كان عاماً للرجال أيضاً لكنه مختص بالنساء إجماعاً وإنما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء إذ الملك أصل شائع فيه.

قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف يجوز أن يسمى الرقيق ملك يمين ولا يسمى به سائر الأملاك الجواب ملك الجارية والعبد أخص لأنه يختص بجواز التصرف فيه ولا يعم كسائر الأملاك فإن مالك الدار مثلاً، يجوز له نقض الدار ولا يجوز لمالك العبد نقض بنيته انتهى. وإفراد ذلك بعد تعميم قوله ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ لأن المباشرة أشهى الملاهي إلى النفس وأعظمها خطراً. ﴿فإنهم﴾ [پس بدرستي كه نكاه دار ندكان فروج] ﴿غير ملومين﴾ على عدم حفظها منهن [بشرط آنكه در حيض ونفاس وروزه واحرام نباشد]، واللوم عذل إنسان بنسبته إلى ما فيه لوم.

وفي «التهذيب»: اللوم: [ملامت كردن].

قال في «الأسئلة المقحمة»: أي فرق بين الذم واللوم الجواب أن الذم يختص بالصفات يقال الكفر مذموم واللوم يختص بالأشخاص يقال فلان ملوم.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني يحفظون عن التلذذ بالشهوات أي لا يكون أزواجهم وإمائهم عدواً لهم بأن يشغلهم عن الله وطلبه فحينئذٍ يلزم الحذر منه، كقوله: ﴿عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] وإنما ذكر بلفظ على لاستيلائهم على أزواجهم لا لاستيلائهن عليهم وكانوا عليهن لا مملوكين لهن فإنهمْ غير ملومين إذا كانت المناكحة لابتغاء النسل ورعاية السنة وفي أوانها.

﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝﴾

﴿فمن ابتغى﴾ طلب: وبالفارسية [پس هركه جويد براي مباشرت]، ﴿وراء ذلك﴾ الذي ذكر من الحد المتسع وهو أربع من الحرائر وما شاء من الإماء. وبالفارسية؛ [غير زنان وكنيزان خود]، ﴿فأولئك هم العادون﴾ الكاملون في العدوان المتناهون فيه أو المتعدون من الحلال إلى الحرام والعدوان الإخلال بالعدالة والاعتداء مجاوزة الحق: وبالفارسية، [كاملند درست مكاري با ايشان ودركذرندكانند از حلال بحرام وانكه استمنا بيدكندهم ازين قبل است] كما في «تفسير الفارسي».

قال في «أنوار المشارق في الحديث»: «ومن لم يستطع» أي التزوج «فعليه بالصوم»

استدل به بعض المالكية على تحريم الاستمناء لأنه أرشد عند العجز عن التزوج إلى أن الصوم الذي يقطع الشهوة جائز وفي رواية «الخلاصة»: الصائم إذا عالج ذكره حتى أمنى يجب عليه القضاء ولا كفارة عليه ولا يحل هذا الفعل خارج رمضان إن قصد تسكين شهوته وأرجو أن لا يكون عليه ويل.

وفي بعض «حواشي البخاري»: والاستمناء باليد حرام بالكتاب والسنة قال الله تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ إلى قوله: ﴿فأولئك هم العادون﴾ أي: الظالمون المتجاوزون الحلال إلى الحرام.

قال البغوي: في الآية دليل على أن الاستمناء باليد حرام.

قال ابن جريج: سألت عطاء عنه فقال: سمعت أن قوماً يحشرون وأيديهم حبالى وأظنهم هؤلاء.

وعن سعيد بن جبير عذب الله أمة كانوا يبعثون بمذاكرهم والواجب على فاعله التعزير كما قال ابن الملقن وغيره، نعم يباح عند أبي حنيفة وأحمد إذا خاف على نفسه الفتنة وكذلك يباح الاستمناء بيد زوجته أو جاريته لكن قال القاضي حسين مع الكراهة لأنه في معنى العزل.

وفي «التاتارخانية» قال أبو حنيفة: حسبه أن ينجو رأساً برأس.

﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم﴾ لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق. وبالفارسية يعني: [ايشانرا بران امين ساخته باشند ازامانات وودايع خلق يا انچه أمانت حق است چون نماز وروزه وغسل جنابت وبرعهد پاك باحق وخلق بندند] والأمانة اسم لما يؤتمن عليه الإنسان والعهد حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال ويسمى الموثق الذي يلزم مراعاته عهداً ﴿راعون﴾ أي قائمون عليها وحافظون لها على وجه الإصلاح.

وفي «التأويلات النجمية»: الأمانة التي حملها الإنسان وهي الفيض الإلهي بلا واسطة في القبول وذلك الذي يختص الإنسان بكرامة حمله وعهدهم أي الذي عاهدهم عليه يوم الميثاق على أن لا يعبدوا إلا إياه كقوله: ﴿وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ۝٦١﴾ [يونس: ٦١] راعون بأن لا يخونوا في الأمانات الظاهرة والباطنة ولا يعبدوا غير الله فإن أبغض ما عبد غير الله الهوى لأنه بالهوى عبد ما عبد من دون الله انتهى.

قال محمد بن الفضل: جوارحك كلها أمانات عندك أمرت في كل واحدة منها بأمر فأمانة العين الغض عن المحارم والنظر بالاعتبار وأمانة السمع صيانتها عن اللغو والرفث وإحضارها مجالس الذكر وأمانة اللسان اجتناب الغيبة والبهتان ومداومة الذكر وأمانة الرجل المشي إلى الطاعات والتباعد عن المعاصي وأمانة الفم أن لا يتناول به إلا حلالاً وأمانة اليد أن لا يمدها إلى حرام ولا يمسكها عن المعروف وأمانة القلب مراعاة الحق على دوام الأوقات حتى لا يطالع سواه ولا يشهد غيره ولا يسكن إلا إليه.

﴿والذين هم على صلاتهم﴾ المفروضة عليهم ﴿يحافظون﴾ يواظبون عليها بشرائطها وآدابها ويؤدونها في أوقاتها.

قال في «التأويلات النجمية»: يحافظون لئلا يقع خلل في صورتها ومعناها ولا يضيع منهم الحضور في الصف الأول صورة ومعنى.

وفي الحديث: «يكتب للذي خلف الإمام بحذائه في الصف الأول ثواب مائة صلاة،

وللذي في الأيمن خمس وسبعون، وللذي في الأيسر خمسون، وللذي في سائر الصفوف خمس وعشرون» كما في «شرح المجمع» والصف الأول أعلم بحال الإمام فتكون متابعته أكثر وثوابه أتم وأوفر كما في «شرح المشارق» لابن الملك، وفي الحديث: «أول زمرة تدخل المسجد هم أهل الصف وإن صلوا في نواحي المسجد» كما في «خالصة الحقائق» ولفظ يحافظون لما في الصلاة من التجدد والتكرر وهو السر في جمعها وليس فيه تكرير الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة.

قال الكاشفي: [ذكر صلاة در مبدأ ومنتهاي اين اوصاف كه موجب فلاح مؤمنانست اشارتست بتعظيم شان نماز].

﴿**أولئك**﴾ المؤمنون المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة. وبالفارسية: [آن كروه مؤمنان كه جامع اين شش صفت اند ﴿**هم الوارثون**﴾ أي: الأحقاء بأن يسموا وارثاً دون من عداهم ممن ورث رغائب الأموال والذخائر وكرائمها. والوراثة انتقال مال إليك من غيرك من غير عقد ولا ما يجري مجرى العقد وسمي بذلك المنتقل عن الميت فيقال للمال المورث ميراث.

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾.

﴿**الذين يرثون الفردوس**﴾ بيان لما يرثونه وتقييد للموارثة بعد إطلاقها وتفسير لها بعد إبهامها تفخيماً لشأنها ورفعاً لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس بأعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه؛ لأن الوراثة أقوى سبب يقع في ملك الشيء ولا يتعقبه رد ولا فسخ ولا إقالة ولا نقض. ﴿**هم فيها**﴾ أي: الفردوس والتأنيث لأنه اسم للجنة أو لطبقتها العليا وهو البستان الجامع لأصناف الثمر روي: «أنه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الأذفر وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان» ﴿**خالدون**﴾ يخرجون منها ولا يموتون. والخلود تبرىء الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي هو عليها والخلود في الجنة بقاء الأشياء على الحالة التي هي عليها من غير اعتراض الكون والفساد عليها.

وفي «التأويلات النجمية»: الفردوس أعلى مراتب القرب قد بقي ميراثاً عن الأموات قلوبهم فيرثه الذين كانوا أحياء القلوب انتهى.

وفي «تفسير الفاتحة» للمولى الفناري رحمه الله: اعلم أن الجنان ثلاث: الأولى جنة الاختصاص الإلهي وهي التي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا حد العمل وحدهم من أول ما يولد ويستهل صارخاً إلى انقضاء ستة أعوام ويعطي الله من شاء من عباده من جنات الاختصاص ما شاء ومن أهلها المجانين الذين ما عقلوا ومن أهلها أهل التوحيد العلمي ومن أهلها أهل الفترات ومن لم يصل إليهم دعوة رسول.

والجنة الثانية: ميراث ينالها كل من دخل الجنة ممن ذكرنا ومن المؤمنين وهي الأماكن التي كانت معينة لأهل النار لو دخلوها.

والجنة الثالثة: جنة الأعمال وهي التي ينزل الناس فيها بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر سواء كان الفاضل بهذه الحالة دون المفضول أو لم

يكن فما من عمل إلا وله جنة يقع التفاضل فيها بين أصحابها ورد في الحديث الصحيح عن النبي عليه السلام أنه قال لبلال: «يا بلال بم سبقتني إلى الجنة فما وطئت فيها موضعاً إلا سمعت خشخشتك أمامي» فقال: يا رسول الله ما أحدثت قط إلا توضأت وما توضأت إلا صليت ركعتين فقال عليه السلام «بهما» فعلمنا أنها كانت جنة مخصوصة بهذا العمل فما من فريضة لا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرم ومكروه إلا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص بمن دخلها ثم فصل مراتب التفاضل فمن أراد ذلك فليطلب هناك فما ذكره موافق لما قيل في الآية أنهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم لأنه تعالى خلق لكل إنسان منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار كما قال الكاشفي: [منزل مؤمنان ازدوزخ اضافة منازل كفار كنند ومنزلهاي ايشان ازبهشت برمنزل مؤمنان افزايند ودرزاد المسير آورده بهشت بنظر كفار در آرند ومقامهاي ايشانرا اكر ايمان آوردندي بريشان نمايند تاحسرت ايشان زياده كردد:

نظر ازدور درجانان بدان ما ندكه كافررا   بهشت ازدور بنمايند وآن سوز دكرباشد

اللهم اجعلنا من الذين يرثون الفردوس ويتنعمون بنعيمها ويصلون إلى نسيمها واحفظنا عن الأسباب المؤدية إلى النار وجحيمها.

﴿**ولقد خلقنا الإنسان**﴾ اللام جواب قسم أي وبالله لقد خلقنا جنس الإنسان في ضمن خلق آدم خلقاً إجمالياً﴿**من سلالة**﴾ يقال: سل الشيء من الشيء نزع كسل السيف من الغمد وسل الشيء من البيت على سبيل السرقة وسل الولد من الأب ومنه للولد سليل، والسلالة اسم ما سل من الشيء واستخرج منه فإن فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة يكون مقصوداً منه كالخلاصة وأخرى غير مقصود منه كالقلامة والكناسة والسلالة من القبيل الأول فإنها مقصودة ما يسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق، أي من خلاصة سلت من بين الكدر كما في «الجلالين»، ﴿**من طين**﴾ من بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة أي خلقنا من سلالة كائنة من طين: وبالفارسية: [خلاصة وازنقاوه كه بيرون كشيده شده ازكل] والطين التراب والماء المختلط به.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى سلالة سلت من جميع طيبها وسبخها وسهلها وجبلها باختلاف ألوانها وطبائعها المتفاوتة ولهذا اختلفت ألوانهم وأخلاقهم لأنه مودع في طبيعتهم ما هو من خواص الطين الذي اختص بخاصية منها نوع من الحيوان من جنس البهائم والسباع والجوارح والحشرات المؤذيات الغالبة على كل أحد منها صفة من الصفات الذميمة والحميدة. فأما الذميمة فكالحرص في الفأرة والنملة وكالشهوة في العصفور وكالغضب في الفهد والأسد وكالكبر في النمر وكالبخل في الكلب وكالشره في الخنزير وكالحقد في الحية وغير ذلك من الصفات الذميمة وأما الحميدة فكالشجاعة في الأسد والسخاوة في الديك والقناعة في البوم وكالحلم في الجمل وكالتواضع في الهرة وكالوفاء في الكلب وكالبكور في الغراب وكالهمة في البازي والسلحفاة وغير ذلك من الصفات الحميدة فقد جمعها كلها مع خواصها وطبائعها ثم أودعها في طينة الإنسان وهو آدم عليه السلام. ﴿**ثم جعلناه**﴾ أي: الجنس باعتبار أفراده المغايرة لآدم وقال بعضهم: ثم جعلناه أي نسله فحذف المضاف فيكون المراد بالإنسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين. ﴿**نطفة**﴾ بأن خلقناه منها والنطفة الماء الصافي ويعبر بها عن ماء الرجل. ﴿**في قرار**﴾ أي مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذي هو مصدر مبالغة. ﴿**مكين**﴾ أي حصين وهو وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر. وبالفارسية:

[درقرار كاهي كه استوار يعني رحم وجهل روز اورا نكاه داشتيم سفيد].

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ بأن أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء.

قال الراغب: العلق الدم الجامد ومنه العلقة التي يكون منها الولد ﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ المضغة قطعة لحم تمضغ أي فصيرناها قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها. وبالفارسية: [پس ساختيم آن خون را آن مقدار كوشت كه بخايند يكبار كوشتي بي استخوان بسته جهل روز ديكر] ﴿فخلقنا المضغة﴾ أي: غالبها ومعظمها ﴿عظاماً﴾ بأن صلبناها بعد ثلاث وأربعين وجعلناها عموداً للبدن على هيئات وأوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة. ﴿فكسونا﴾ [پس بپوشانيديم] ﴿العظام﴾ المعهودة ﴿لحماً﴾ من بقية المضغة أي كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به وهيئات مناسبة له: وبالفارسية: [برو برويانيديم كوشت بعد از رستن عروق وأعصاب وأوتار وعضلات برو] واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات وجمع العظام لاختلافها. ﴿ثم أنشأناه﴾ الإنشاء إيجاد الشيء وتربيته وأكثر ما يقال ذلك في الحيوان وبالفارسية [پس بيافريديم أورا]. ﴿خلقاً آخر﴾ بنفخ الروح فيه. وبالفارسية: [روح درو دميده تازنده شد بعد ازآنكه مرده بود يا بعد ازخروج اورادندان وموي داديم وراه پستان برو كشاديم وازمقام رضاع بفطام رسانيديم وبغذاهاي كونا كون تربيت فرموديم وچون قدم در حد بلوغ نهاد وقلم تكليف برو جاري كرديم وبر مراتب شباب وكهولت وشيخوخت بكذارانيديم] وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به أبو حنيفة رحمه الله على أن من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ فإنه خلق آخر.

قال في «الأسئلة المقحمة»: خلق الله الآدمي أطواراً ولو خلقه دفعة واحدة كان أظهر في كمال القدرة وأبعد عن نسبة الأسباب فما معناه فالجواب لا بل الخلق بتقليب الأعيان واختراع الأشخاص أظهر في القدرة فإنه تعالى خلق الآدمي من نطفة متماثلة الأجزاء ومن أشياء كثيرة مختلفة المراتب متفاوتة الدرجات من لحم وعظم ودم وجلد وشعر وغيرها ثم خص كل جزء منها بتركيب عجيب وباختصاص غريب من السمع والبصر واللمس والمشي والذوق والشم وغيرها وهي أبلغ في إظهار كمال الإلهية والقدرة. ﴿فتبارك الله﴾ فتعالى شأنه من علمه الشامل وقدرته الباهرة ﴿أحسن الخالقين﴾ بدل من الجلالة أي أحسن الخالقين خلقاً أي المقدرين تقديراً حذف المميز لدلالة الخالقين عليه فالحسن للخلق.

وفي «الأسئلة المقحمة»: هذا يدل على أن العبد خالق أفعاله ويكون الرب أحسن منه في الخالقية فالجواب معناه أحسن المصورين لأن المصور يصور الصورة ويشكلها على صورة المخلوق أخبر به لأنه لا يبلغ في تصويريه إلى حد الخالق لأنه لن يقدر على أن ينفخ فيها الروح وقد ورد الخلق في القرآن بمعنى التصوير قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ [المائدة: ١١٠] أي وإذ تصور كذلك ههنا انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ يعني خلقاً غير المخلوقات التي خلقها من قبل وهو أحسنهم تقويماً وأكملهم استعداداً وأجلهم كرامة وأعلاهم رتبة وأخصهم فضيلة فلهذا

أثنى على نفسه عند خليقته بقوله: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ لأنه خلق أحسن المخلوقين حيث جعله معدن العرفان وموضع المحبة ومتعلق العناية [أي عزيز حق سبحانه وتعالى عرش وكرسي ولوح وقلم وملائكة ونجوم وسموات وأرضين بيافريد وذات مقدس را بدين نوع ثناءكه بعد ازآفرينش إنسان فرموده نفر موده واين دليل تفضيل وتكريم ايشانست.

بـــر ورق روى لـــطـــف إلٰـــه　　آيـيـنـة حـسـن كـه تـحـريـر كـرد

وفي «المثنوي»:

أي رخ چزن زهره است شمس الضحى　　أي كـداي رنـك تـوكـلـكـونـهـا
تـاج كـرمـنـاسـت بـر فـرق سـرت　　طـوق فـضـلـنـاسـت آويـزبـرت
هـيـچ كـرمـنـا شـنـيـد أيـن آسـمـان　　كـه شـنـيـد آن آدمـي پـرغـمـان
أحسـن الـتـقـويـم در والـتـيـن بخـوانـد　　كه كـرامي كـوهـرسـت أي دوست جـان
كـر بـكـويـم قـيـمـت آن مـمـتـنـع　　مـن بـسـوزم هـم بـسـوزد مـسـتـمـع

[بعضي ازاهل وجدان كويندكه چون درين آيت أحوال بني آدم وترقي ازمقامي بمقامي بيان فرموده وآنست كه اورا زباني باداء مراسم حمد وثنايي كه مستحق باركاه قدم باشد نخواهد بود درستايش ذات مقدس ازجناب أو نيابت نموده كفت] ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ روي: أن عبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله الوحي فلما انتهى عليه السلام إلى قوله ﴿خلقاً آخر﴾ سارع عبد الله إلى النطق به قبل إملائه عليه السلام فقال عليه السلام: اكتب هكذا أنزلت فشك عبد الله فقال: إن كان محمد يوحي إليه فأنا كذلك فلحق بمكة كافراً ثم أسلم يوم الفتح وقيل: مات على كفره ولما نزلت هذه الآية قال عمر رضي الله عنه ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ فقال عليه السلام: «هكذا نزلت يا عمر» وكان يفتخر بتلك الموافقة انظر كيف وقعت هذه الواقعة سبباً لسعادة عمر رضي الله عنه وشقاوة ابن أبي سرح حسبما قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦] لا يقال قد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القرآن وذلك فادح في إعجازه لما أن الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار أقصر سورة.

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿ثم إنكم بعد ذلك﴾ أي بعدما ذكر من الأمور العجيبة ﴿لميتون﴾ لصائرون إلى الموت لا محالة كما تؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث الذي يفيده صيغة الفاعل. وبالفارسية: [يعني مآل حال شما بمرك خواهد كشيد وساغر فنا از دست ساقي أجل خواهيد چشيد].

قال بعضهم: من مات من الدنيا خرج إلى حياة الآخرة ومن مات من الآخرة خرج منها إلى الحياة الأصلية وهو البقاء مع الله تعالى.

﴿ثم إنكم يوم القيامة﴾ أي عند النفخة الثانية ﴿تبعثون﴾ تخرجون من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب.

وفي الآية إشارة إلى أن الإنسان بعد بلوغه إلى رتبة الإنسانية يكون قابلاً للموت مثل موت القلب وموت النفس وقابلاً لحشرهما وفي موت القلب حياة النفس وحشرها مودع وفي

موت النفس حياة القلب وحشره مودع وحياة النفس بالهوى وظلمته وحياة القلب بالله ونوره كما قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا﴾ [الأنعام: ١٢٢] الآية وهذا معنى حقيقة قوله: ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ كذا في «التأويلات النجمية».

قال في «الأسئلة المقحمة»: عد سائر أطوار الآدمي من خلقه إلى أن يبعث ولم يذكر فيها شيئاً من سؤال القبر فدل على أنه ليس بشيء فالجواب لأنه تعالى ذكر الحياة الأولى التي هي سبب العمل والحياة الثانية التي هي سبب الجزاء وهما المقصودان من الآية ولا يوجب ذلك نفي ما يذكر انتهى.

اعلم أن الموت يتعلق بصعقة سطوات العزة وظهور أنوار العظمة والحياة تتعلق بكشف الجمال الأزلي هناك تعيش الأرواح والأشباح بحياة وصالية لا يجري بعدها موت الفراق والموت والحياة الصوريان من باب التربية الإلهية لأن في الفناء تربية أخرى في التراب وفي الحياة إظهار زيادة قدرة فينا بإدخال حياة ثانية في أشباحنا وتربية ثانية في أرواحنا فافهم جداً ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ جمع طريقة كما أن الطرق جمع طريق والمراد طباق السمٰوات السبع كما قال في «المفردات»: طرائق السماء طباقها. يعني [هفت آسمان طبقي بالاي طبقه] سميت بها لأنها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فإن كل شيء فوق مثله فهو طريقه. ﴿وما كنا عن الخلق﴾ عن ذلك المخلوق الذي هو السمٰوات. ﴿غافلين﴾ مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر أمرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة،

وقال الكاشفي: [يا از جميع آفريد كان غافل نيستيم برخير وشر ونفع وضرر وكفر وشرك ايشان مطلعيم].

قال أبو يزيد قدس سره في هذه الآي: إن لم تعرفه فقد عرفك وإن لم تصل إليه فقد وصل إليك وإن غبت أو غفلت عنه فليس عنك بغائب ولا غافل.

قال بعضهم: فوقنا حجب ظاهرة وباطنة ففي ظاهر السمٰوات حجب تحول بيننا وبين المنازل العالية من العرش والكرسي وعلى القلوب أغطية كالمني والشهوات والإرادات الشاغلة والغفلات المتراكمة والله تعالى ليس بغافل عن سكنات الغافلين وحركات المريدين ورغبات الزاهدين ولحظات العارفين.

﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿وأنزلنا من السماء﴾ من ابتدائية متعلقة بأنزلنا ﴿ماء﴾ هو المطر ﴿بقدر﴾ [باندازه كه صلاح بند كان در آن دانستيم].

وفي «بحر العلوم»: بتقدير يسلمون معه من الضرر ويصلون إلى النفع. ﴿فأسكناه في الأرض﴾ أي جعلنا ذلك الماء ثابتاً قاراً فيها. ﴿وإنا على ذهاب به﴾ أي إزالته بالإفساد أو التصعيد أو التغوير بحيث يتعذر استنباطه حتى تهلكوا أنتم ومواشيكم عطشاً. ﴿لقادرون﴾ كما كنا قادرين على إنزاله. وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي عليه السلام: «إن الله تعالى أنزل من الجنة خمسة أنهار جيحون وسيحون ودجلة والفرات والنيل فأنزلها الله تعالى

من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس»، فذلك قوله: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض﴾ وإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر الأسود من البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة إلى السماء فذلك قوله: ﴿وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها خيري الدين والدنيا هذا حديث حسن كما في «بحر العلوم».

﴿فأنشأنا لكم﴾ [پس بيافريديم براي شما] ﴿به﴾ بسبب ذلك الماء ﴿جنات﴾ [بستانها] ﴿من نخيل﴾ [زخرما بنان].

قال في «المفردات»: النخل: معروف ويستعمل في الواحد والجمع وجمعه نخيل ﴿وأعناب﴾ [وازتاك بنان].

قال في «المفردات»: العنب يقال لثمرة الكرم والكرم نفسه الواحدة عنبة انتهى.

قال الكاشفي: [تخصيص اين دو درخت جهت اختصاص أهل مدينة بخرما وأهل طائف بانكوراست ونخل وعنب در زمين حجاز ازهمه ديار عرب بيشتر مي باشد] ﴿لكم فيها﴾ أي في تلك الجنات ﴿فواكه كثيرة﴾ تتفكهون بها.

قال في «المفردات»: الفاكهة قيل هي الثمار كلها وقيل: بل هي الثمار ما عدا العنب والرمان وقائل هذا كأنه نظر إلى اختصاصهما بالذكر وعطفهما على الفاكهة انتهى.

قال أبو حنيفة رحمه الله إذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل رطباً أو عنباً أو رماناً لم يحنث لأن كلاً منها وإن كان فاكهة لغة وعرفاً إلا أن فيه معنى زائداً على التفكه، أي التلذذ والتنعم وهو الغذائية وقوام البدن فيه فبهذه الزيادة يخص من مطلق الفاكهة وخالفه صاحباه ﴿ومنها﴾ أي من الجنات ثمارها وزروعها ﴿تأكلون﴾ تغذياً أو ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته كما قال الكاشفي [وما ما لا بد معيشت ازان حاصل ميكنيد].

وفي الآية إشارة إلى أنه كما أنزل من السماء ماء المطر الذي هو سبب حياة الأرضين كذلك أنزل من سماء العناية ماء الرحمة فيحيي القلوب ويزيل به دون العصاة وآثار زلتهم وينبت في رياض قلوبهم فنون أزهار البسط وصنوف أنوار الروح وإلى أنه كما يحيي الغياض بماء السماء ويثمر الأشجار ويجري به الأنهار فكذلك ماء سماء العناية ينشىء شجرة العرفان ويؤتي أكلها من الكشف والعيان وما تتقاصر العبارات عن شرحه ولا تطمع الإشارات في حصره ثم إن الله تعالى عد نعمه على العباد وأحسن الإرشاد فمن تجاوز من النعم إلى المنعم فقد فاز بالمطلوب الحقيقي.

فإن قلت: لم أمر الله بالزهد في الدنيا مع أنه خلقها له؟.

قلت السكر إذا نثر على رأس الختن فإنه لا يلتقطه لعلو همته ولو التقطه لكان عيباً والأولياء زهدوا فيها ومنعوا أنفسهم عن طيباتها وقنعوا بالقليل رجاء رفع الدرجات، وفي الحديث: «جوعوا أنفسكم لوليمة الفردوس» والضيف إذا كان حكيماً لا يشبع من الطعام رجاء الحلوى حكي: أن واحداً من أهل الرياضة مرّ من تحت شجرة فإذا ثمرها قد أدرك فحملته عليه نفسه للأكل منه فقال لها إن صمت سنة وإلا فلا فصامت حتى إذا كان وقت الثمر من السنة الآتية ذهب ليأكل منه فتناول من الساقط تحتها فقالت النفس إن على الشجرة أعلى الثمر فكل

منه فقال لها: إن شرطي معك أن آكل منه مطلقاً لا من جيده الذي على الشجرة. قال الشيخ سعدي قدس سره:

مــرو در هــرچــه دل خــواهــدت كه تمكين تن نور جان كاهدت
كـنـد مـردرا نـفـس إمـاره خـوار اكـر هـوشـمـنـدي عـزيـزش مـدار
اكـر هـرچـه بـاشـد مـرادت خـوري زدوران بـسـي نـامـرادي بـرى

قال بعضهم الجوز واللوز والفستق والبندق والشاه بلوط الصنوبر والرمان والنارنج والموز والخشخاش والرطب والزيتون والمشمش والخوخ والإجاص والعناب والغبيراء والدراق والزعرور والنبق والتفاح والكمثري والسفرجل والتين والعنب والأترج والخرنوب والقثاء والخيار والبطيخ كلها من فواكه الجنة فالعشرة الأولى لها قشر والثانية لا قشر لها والعشرة الثالثة ليس لها قشر ولا نوى كما لا يخفى.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وشجرة﴾ بالنصب عطف على جنات وتخصيصها بالذكر من بين سائر الأشجار لاستقلالها بمنافع معروفة قيل: هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان وهي شجرة الزيتون.

قال في «إنسان العيون»: شجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة.

وفي «المفردات»: الشجر من النبت ما له ساق يقال شجرة وشجر نحو ثمرة وثمر.

﴿تخرج من طور سيناء﴾ هو جبل بين مصر وآيلة نودي منه موسى عليه السلام. وبالفارسية: [وديكر بيافريديم براي شما درختي كه بيرون مي آيدازكوه زيباكه جبل موسى است درميان مصر وايله] ويقال له: طور سنين ومعناه الحسن أو المبارك.

قال أهل التفسير: فإما أن يكون الطور اسم الجبل وسيناء اسم البقعة أضيف إليها أو المركب منهما علم له كامرىء القيس وهو بالفتح فعلاء كصحراء فمنع صرفه للتأنيث وبالكسر فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور فمنع صرفه للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للألف وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع أيضاً لتعظيمها ولأنه المنشأ الأعلى لها.

قال في «الجلالين»: أول ما نبت الزيتون نبت هناك. ﴿تنبت بالدهن﴾ [مي رويد باروغن] صفة أخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالاً منها أي تنبت ملتبسة به ومستصحبة له كما قال الراغب معناه تنبت والدهن موجود فيها بالقوة ويجوز كونها صلة معدية لتنبت كما في قولك: ذهبت بزيد أي تنبته بمعنى تتضمنه وتحصله فإن النبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن. ﴿وصبغ﴾ [نان خورش] ﴿للآكلين﴾ أي إدام لهم وذلك من قولهم اصطبغت بالحل وهو معطوف على الدهن جار على إعرابه عطف أحد وصفي الشيء على الآخر أي تنبت الجامع بين كونه دهناً يدهن به ويسرج به وكونه أدماً يصبغ فيه الخبز أي: يغمس للائتدام ويلون به كالدبس والخل مثلاً.

وفي «التأويلات النجمية»: هي شجرة الخفي الذي يخرج من طور سيناء الروح بتأثير تجلي أنوار الصفات تنبت بالدهن وهو حسن الاستعداد لقبول الفيض الإلهي بلا واسطة ومقر هذا الدهن هو الخفي الذي فوق الروح وهو سر بين الله وبين الروح لا تطلع عليه الملائكة المقربون وهو إدام لا آكلي الكونين بقوة الهمة.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿وإن لكم في الأنعام﴾ [درچهار پايان يعني إبل وبقر وغنم] ﴿لعبرة﴾ لآية تعتبرون بحالها وتستدلون على عظيم قدرة خالقها ولطيف حكمته. وبالفارسية: [چيزى كه بدان اعتبار كريد وبرقدرت إلهي استدلال نمايند] فكأنه قيل: كيف العبرة؟ فقيل: ﴿نسقيكم﴾ [مي اشامانيم شمارا]. ﴿مما في بطونها﴾ ما عبارة إما عن الألبان فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف أو عن العلف الذي يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه كما يخرج من بطون الأنعام من بين الفرث والدم لبناً خالصاً وفيه عبرة لأولي الأبصار فكذلك يخرج من بين فرث الصفات النفسانية وبين دم الصفات الشيطانية لبناً خالصاً من التوحيد والمحبة يسقي به أرواح الصديقين كما قال بعضهم:

سقاني شربة أحيى فؤادي ... بكأس الحب من بحر الوداد

﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ غير ما ذكر من أصوافها وأوبارها وأشعارها.

قال الكاشفي: [ومرشماراست درايشان سودهاي بسياركه بعضي راسوار ميشويد وبرخي رابارميكنيد واز بعضي نتاج مسيتانيد وازيشم وموي ايشان بهره ميكيريد] ﴿ومنها تأكلون﴾ فتنتفعون بأعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها وفي الحديث: «عليكم بألبان البقر فإنها تؤم من كل الشجر» أي تجمع وفي الحديث: «عليكم بألبان البقر وسمنانها وإياكم ولحومها فإن ألبانها وسمنانها دواء وشفاء ولحومها داء» وقد صح أن النبي عليه السلام ضحى عن نسائه بالبقر.

قال الحليمي: هذا ليبس الحجاز ويبوسة لحم البقر ورطوبة لبنها وسمنها فكأنه يرى اختصاص ذلك به وهذا التأويلات مستحسن وإلا فالنبي عليه السلام لا يتقرب إلى الله تعالى بالداء فهو إنما قال ذلك في البقر لتلك اليبوسة. وجواب آخر أنه عليه السلام ضحى بالبقر لبيان الجواز ولعدم تيسر غيره كذا في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي.

﴿وعليها﴾ أي على الأنعام فإن الحمل عليها لا يقتضي الحمل على جميع أنواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالإبل ونحوها وقيل: المراد هي الإبل خاصة لأنها المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فإنها سفائن البر ﴿وعلى الفلك﴾ أي السفينة.

قال الراغب: ويستعمل ذلك للواحد والجمع وتقديراهما مختلفان فإن الفلك إذا كان واحداً كان كبناء قفل وإذا كان جمعاً فكبناء حمر ﴿تحملون﴾ يعني [برشتران درخشك وبركشتيها برترى برداشته مي شويد يعني شتر وكشتي شمارا برميدارند وازهر موضعي بموضعي ميبرند] وإنما لم يقل وفي الفلك كقوله: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ [هود: ٤٠] لأن معنى الإيعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لأن الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وأيضاً هو يطابق قوله عليها ويزاوجه كذا في «بحر العلوم».

ودلت الآية على جواز ركوب البحر للرجال والنساء على ما قاله الجمهور وكره ركوبه للنساء لأن التستر فيه لا يمكنهن غالباً ولا غض البصر من المتصرفين فيه ولا يمكن عدم انكشاف عوراتهن في تصرفهن لا سيما فيما صغر من السفن مع ضرورتهن إلى قضاء الحاجة بحضرة الرجال كما في «أنوار المشارق».

قال في «الذخيرة»: إذا أراد أن يركب السفينة في البحر للتجارة أو لغيرها فإن كان بحال لو غرقت السفينة أمكنه دفع الغرق عن نفسه بكل سبب يدفع الغرق به حل له الركوب في السفينة وإن كان لا يمكنه دفع الغرق لا يحل له الركوب انتهى فالمفهوم من هذه المسألة حرمة الركوب في السفينة لمن لا يقدر على دفع الغرق عن نفسه مطلقاً سواء كان لطلب العلم أو التجارة أو الحج أو زيارة الأقارب أو صلة الرحم أو نحو ذلك وسواء كانت السلامة غالبة أو لا لكن المفهوم من بعض المسائل جوازه عند غلبة السلامة وإلا فلا.

قال في «شرح حزب البحر»: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمرو بن العاص صف لي البحر فقال: يا أمير المؤمنين مخلوق عظيم يركبه خلق ضعيف دود على عود فقال عمر لا جرم لولا الحج والجهاد لضربت من يركبه بالدرة ثم منع ركوبه ورجع عن ذلك بعد مدة وكذلك وقع لعثمان رضي الله عنه ومعاوية ثم استقر الإجماع على جوازه بشرائطه انتهى.

والسباحة في الماء من سنن النبي، قال في «إنسان العيون»: كانت وفاة أبيه عليه السلام عبد الله بالمدينة ودفن في دار المتابعة بالتاء المثناة فوق وبالباء الموحدة والعين المهملة وهو رجل من بني عدي بن النجار أخوال أبيه عبد المطلب والنجار هذا اسمه تميم وقيل له: النجار لأنه اختتن بقدوم وهو آلة النجار ولما هاجر عليه السلام إلى المدينة ونظر إلى تلك الدار عرفها وقال: ههنا نزلت بي أمي وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله وأحسنت القوم السباحة في بئر بني عدي بن النجار ومن هذا ومما جاء عن عكرمة عن ابن عباس أنه عليه السلام كان هو وأصحابه يسبحون في غدير في الجحفة فقال عليه السلام لأصحابه: «ليسبح كل رجل منكم إلى صاحبه» وبقي النبي عليه السلام وأبو بكر فسبح النبي إلى أبي بكر حتى اعتنقه وقال: «أنا وصاحبي أنا وصاحبي» وفي رواية: «أنا إلى صاحبي أنا إلى صاحبي» يعلم رد قول بعضهم: وقد سئل هل عام عليه السلام الظاهر لا لأنه لم يثبت أنه عليه السلام سافر في بحر ولا بالحرمين بحر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿**ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه**﴾ اللام جواب قسم وتصدير القصة به لإظهار كمال الاعتناء بمضمونها أي وبالله لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه وجاء في قصيدة جمال الدين:

مـن كـثـيـر الـذنـب نـوحـوا   نـوح نـوح فـي الـرسـل
إنـه عـمـرا طـويـلا   مـن قـلـيـل الـنـطـق نـاح

وهو أنه عليه السلام مر على كلب به جرب فقال: بئس الكلب هذا ثم ندم فناح من أول عمره إلى آخر ﴿**فقال**﴾ داعياً لهم إلى التوحيد ﴿**يا قوم**﴾ [أي كروه من] وأصله يا قومي ﴿**اعبدوا الله**﴾ وحده كما دل عليه التعليل وهو ﴿**ما لكم من إله غيره**﴾ أي: ما لكم في الوجود أو في العالم غير الله فغير بالرفع صفة لآلة باعتبار محله الذي هو الرفع على أنه فاعل ومن زائدة أو مبتدأ خبره لكم. ﴿**أفلا تتقون**﴾ الهمزة لإنكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام، أي ألا تعرفون ذلك أي مضمون قوله ما لكم من إله غيره فلا تتقون عذابه بسبب إشراككم به في العبادة ما لا يستحق الوجود لولا إيجاد الله فضلاً عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه.

قال الكاشفي: يعني [ترسيداز عذاب وي وبعبادت غير أو ميل مكنيد].

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً﴾ نوح الروح إلى قومه من القلب والسر والنفس والقالب وجوارحه: ﴿فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ من الهوى والشيطان فعبادة القلب بقطع التعلقات والمحبة وعبادة السر بالتفرد بالتوحيد وعبادة النفس بتبديل الأخلاق وعبادة القالب بالتجريد وعبادة الجوارح بإقامة أركان الشريعة. ﴿أفلا تتقون﴾ بهذه العبادات عن الحرمان والخذلان وعذاب النيران.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿فقال الملأ﴾ أي: الأشراف والسادة ﴿الذين كفروا من قومه﴾ أي: قالوا لعوامهم مبالغة في وضع الرتبة العالية وحطها عن منصب النبوة.

قال الكاشفي: [چون اكابر قوم اصاغر را بدين ودعوت نوح مائل ديدند ايشانرا تنفير نموده كفتند] ﴿ما هذا﴾ [نيست أين كس كه مي خواند بتوحيد] ﴿إلا بشر مثلكم﴾ أي في الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه.

قال الكاشفي: [مانند شما درخوردن وآشاميدن وغير آن] ﴿يريد أن يتفضل عليكم﴾ أي يريد أن يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم بإدعاء الرسالة مع كونه مثلكم.

قال في «الجلالين»: يتشرف عليكم فيكون أفضل بأن يكون متبوعاً وتكونوا له تبعاً كقوله وتكون لكما الكبرياء في الأرض وصفوه بذلك إغضاباً للمخاطبين عليه وإغراء على معاداته ﴿ولو شاء الله لأنزل ملائكة﴾ أي: لو شاء الله إرسال الرسول لأرسل رسلاً من الملائكة [تامر سل ازمرسل إليهم متميز بودي] وإنما قيل: لأنزل لأن إرسال الملائكة لا يكون إلا بطريق الإنزال فمفعول المشيئة مطلق الإرسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما في قوله ولو شاء لهداكم ونظائره.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بهذا إلى مقالات بعض البطلة من الطلبة فإن بعضهم يتكاسلون في الطلب فيقولون لو شاء الله سعينا في الطلب لأيدنا بالصفات الملكية والتوفيق الرباني ﴿ما سمعنا بهذا﴾ أي بمثل هذا الكلام الذي هو الأمر بعبادة الله خاصة ﴿في آبائنا الأولين﴾ أي: الماضين قبل بعثته.

وفي «بحر العلوم»: بهذا أي بإرسال البشر وإن جاء ذكر من الله على رجل منهم كما قال الكاشفي: [مانشنوده ايم أين راكه آدمي رسول خدا تواند بود بخلقان] قالوه إما لفرط غلوهم في التكذيب والعناد وإما لكونهم وآبائهم في فترة متطاولة يعني [ميان ادريس وميان ايشان مدتي مديد كذشته بود وشنوده بودندكه ازاولاد آدم پيغمبري بوده].

﴿إن هو﴾ ما هو ﴿إلا رجل به جنة﴾ أي: جنون ولذلك يقول ما يقول [اكر جنون نداشتي كه بشر قابليت رسالت ندارد] والجنون اختلال حائل بين النفس والعقل.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن أحوال أهل الحقيقة عند أرباب الطبيعة جنون كما أن أحوال أرباب الطبيعة عند أهل الحقيقة جنون انتهى والجنون المعتبر هو ترك العقل واختيار العشق: قال الحافظ:

دره منزل ليلى كه خطر هاست درو   شرط أول قدم آنست كه مجنون باشي

وقال الصائب:

روزن عالم غيبست دل أهل جنون من وآن شهركه ديوانه فراوان باشد

﴿فتربصوا به﴾ اصبروا عليه وانتظروا. وبالفارسية [پس انتظار بريد ويرا وچشم داريد].

قال الراغب: التربص الانتظار بالشيء ساعة يقصد بها غلاء أو رخصاً أو أمراً ينتظر زواله أو حصوله ﴿حتى حين﴾ إلى وقت يفيق من الجنون.

قال الكاشفي: [تاهنكامي از زمان يعني صبر كنيدكه اندك وقتي بميرد وازوى بازرهيم يا از جنون باهوش آيد وترك كفتن اين سخنان نموده بي كار خود كيرد].

﴿قال﴾ نوح بعدما أيس من إيمانهم ﴿رب﴾ [أي پروردكار من]. ﴿انصرني﴾ بإهلاكهم بالكلية ﴿بما كذبون﴾ أي بسبب تكذيبهم إياي أو بدل تكذيبهم.

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿فأوحينا إليه﴾ عند ذلك، أي فأعلمناه في خفاء فإن الإيحاء والوحي إعلام في خفاء ﴿أن اصنع الفلك﴾ أن مفسرة لما في الوحي من معنى القول والصنع إجادة الفعل ﴿بأعيننا﴾ ملتبساً بحفظنا نحفظه من أن تخطىء في صنعته أو يفسده عليك مفسد يقال: فلان بعيني أي أحفظه وأراعيه كقولك: هو مني بمرأى ومسمع.

قال الجنيد قدس سره: من عمل على مشاهدة أورثه الله عليها الرضى قال الله تعالى: ﴿أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾ وأمرنا وتعليمنا لكيفية صنعها روي: أنه أوحي إليه أن يصنعها على مثال الجؤجؤ.

وفي «التأويلات النجمية»: ألهمنا إلى نوح الروح أن اصنع فلك الشريعة باستصواب نظرنا وأمرنا لا بنظر العقل وأمر الهوى كما يعمل الفلاسفة والبراهمة. ﴿فإذا جاء أمرنا﴾ أي: إذا اقترب أمرنا بالعذاب ﴿وفار التنور﴾ [وبجوشد تنور يعني بوقتي كه زن تونان بزد ازميان آتش آب برآيد] كما في «تفسير الفارسي». والفور شدة الغليان ويقال ذلك في النار نفسها إذا هاجت وفي القدر وفي الغضب وفوارة الماء سميت تشبيهاً بغليان القدر ويقال الفور الساعة والتنور تنور الخبز ابتداء منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة موضع مسجدها كما روي إنه قيل له عليه السلام: إذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك وكان تنور آدم فصار إلى نوح فلما نبع منه الماء أخبرته امرأته فركبوا. ﴿فاسلك فيها﴾ أي أدخل في الفلك يقال: سلك فيه أي دخل وسلكه فيه أي أدخله ومنه قوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ [المدثر: ٤٢] ﴿من كل﴾ من كل أمة ونوع ﴿زوجين﴾ فردين مزدوجين ﴿اثنين﴾ تأكيد والمراد الذكر والأنثى [ودر تيسير كويد دركشتي نياورد مكر آنهاراكه مي زايندا بابيضه مي نهند]. ﴿وأهلك﴾ منصوب بفعل معطوف على فاسلك أهلك والمراد به امرأته وبنوه وتأخير الأهل لما فيه من ضرب تفصيل بذكر الاستثناء وغيره ﴿إلا من سبق عليه القول منهم﴾ أي القول بإهلاك الكفرة ومنهم ابنه كنعان وأمه واغلة وإنما جيء بعلى لكونه السابق ضاراً كما جيء باللام في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١] لكونه نافعاً ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ بالدعاء وإنجائهم ﴿إنهم مغرقون﴾ مقضي عليهم بالإغراق لا محالة لظلمهم بالإشراك وسائر المعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف لا وقد أمر بالحمد على النجاة منهم بإهلاكهم بقوله تعالى:

﴿فإذا استويت أنت ومن معك﴾ أي من أهلك وأشياعك أي اعتدلت في السفينة راكباً.

قال الراغب: استوى يقال على وجهين أحدهما أن يسند إليه فاعلان فصاعداً نحو استوى زيد وعمرو كذا أي تساويا قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩] والثاني أن يقال لاعتدال الشيء في ذاته نحو فإذا استويت ومتى عدي بعلى اقتضى معنى الاستعلاء نحو ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] ﴿على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين﴾ أفرد بالذكر مع شركة الكل في الاستواء والنجاة لإظهار فضله والإشعار بأن في دعائه وثنائه مندوحة عما عداه ﴿وقل ربي أنزلني﴾ أي: في السفينة أو منها.

قال الكاشفي [قولي آنست كه امر بدين دعا دروقت خروج ازكشتي بوده واشهر آنست كه دروقت دخول وخروج أين دعا فرموده] ﴿منزلاً مباركاً﴾ أي: إنزالاً أو موضع إنزال يستتبع خيراً كثيراً وقرىء منزلاً بفتح الميم أي موضع نزول والنزول في الأصل هو الانحطاط من علو يقال: نزل عن دابته ونزل في مكان كذا حطا رحله فيه وأنزله غيره ﴿وأنت خير المنزلين﴾، وفي «الجلالين»: استجاب الله دعاءه حيث قال: ﴿ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ﴾ [هود: ٤٨] فبارك فيهم بعد إنزالهم من السفينة حتى كان جميع الخلق من نسل نوح ومن كان معه في السفينة.

قال الكاشفي: [سلمى از ابن عطا نقل ميفرمايدكه منزل مبارك آن منزلست كه دراو ازهواجس نفساني ووساوس شيطاني أيمن باشند وآثار قرب ازجمال قدس نازل باشد:

هركجا پرتو أنوار جمال بيشتر ... بركت آن منزل ازهمه منازل افزونتر

در منزلي كه ياري روزي رسيده باشد ... باذره هاي خاكش داريم مرحبائي

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ۝٣٠﴾

﴿إن في ذلك﴾ الذي ذكر مما فعل به وبقومه. ﴿لآيات﴾ جليلة يستدل بها أولو الأبصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار ﴿وإن كنا لمبتلين﴾ إن مخففة من إن واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشأن محذوف أي وإن الشأن كنا مصيبي قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر.

قال الراغب: إذا قيل: ابتلى فلان بكذا وأبلاه فذلك يتضمن أمرين أحدهما: تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره والثاني: ظهور جودته ورداءته دون التعرف بحاله والوقوف على ما يجهل من أمره إذا كان الله علام الغيوب انتهى.

واعلم أن البلاء كالملح وإن أكابر الأنبياء والأولياء إنما كانوا من أولي العزم ببلايا ابتلاهم الله بها فصبروا ألا ترى إلى حال نوح عليه السلام كيف ابتلى ألف سنة إلاّ خمسين عاماً فصبر حتى قيل له: ﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨] قال الحافظ:

كرت چو نوح نبي صبر هست برغم طوفان ... بلا بكردد وكام هزار ساله برآيد

ثم إن نوحاً عليه السلام دعا بهلاك قومه مأذوناً من الله تعالى فجاء القهر الإلهي إذ لم يؤثر فيهم اللطف الرحماني والمقصود من الدعاء إظهار الضراعة وهو نافع عند الله تعالى.

يحيى بن معاذ رحمه الله: [كفت عبادت قفلست كليدش دعا ودندانة كليد لقمة حلال واز جملة دعاء أو أين بودي بار خدايا اكر آن نكنى كه خواهم صبر برآنچه توخواهي] وفي الآية إشارة إلى أن المؤمن ينبغي له أن يطلب منزلاً مباركاً يبارك له فيه حيث دينه ودنياه:

سعد يا حب وطن كرچه يشست صحيح   نتوان مرد بسختي كه من ايجا زادم

ولو تفكرت في أحوال الأنبياء وكمل الأولياء لوجدت أكثرهم مهاجرين إذ لا يمن في الإقامة بين قوم ظالمين.

يقول الفقير: أحمد الله تعالى على نعمه المتوافرة لا سيما على المهاجرة التي وقعت مراراً وعلى المنزل وهي بلدة بروسه حيث جاء الفال بلدة طيبة ورب غفور وعلى الإنجاء من القوم الظالمين حيث أن كل من عاداني ورد موعظتي هلك مع الهالكين فجاءت عاقبة الابتلاء نجاة والقهر لطفاً والجلال جمالاً.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿ثم أنشأنا من بعدهم﴾ أي: أوجدنا وأحدثنا من بعد إهلاك قوم نوح ﴿قرناً آخرين﴾ هم عاد لقوله تعالى حكاية عن هود. ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: ٦٩] والقرن القوم المقترنون من زمن واحد أي أهل زمان واحد.

﴿فأرسلنا فيهم﴾ [پس فرستاديم درميان إيشان] ﴿رسولاً منهم﴾ أي: من جملتهم نسباً وهو هود لا هود وصالح على أن يكون المراد بالقرن عاداً وثمود لأن الرسول بمعنى المرسل لا بد وأن يثنى ويجمع بحسب المقام كقوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧] وجعل القرن موضعاً للارسال كما في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ﴾ [الرعد: ٣٠] ونحوه لا غاية له كما في مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [العنكبوت: ١٤] للإيذان من أول الأمر بأن من أرسل إليهم لم يأتهم من غير مكانهم بل إنما نشأ فيما بين أظهرهم ﴿أن اعبدوا الله﴾ أن مفسرة لأرسلنا لما في الإرسال من معنى القول أي قلنا لهم على لسان الرسول أن اعبدوا الله تعالى وحده لأنه ﴿ما لكم من إله غيره﴾ مر إعرابه ﴿أفلا تتقون﴾.

قال في «بحر العلوم»: أتشركون بالله فلا تخافون عذابه على الاشراك انتهى فالشرك وعدم الاتقاء كلاهما منكران.

﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا﴾. قال الراغب: الملأ الجماعة يجتمعون على رأي فيملؤون العيون روعاء والنفوس دلالة وبهاء أي أشراف قومه الكافرين وصفوا بالكفر ذماً لهم وذكره بالواو دون الفاء كما في قصة نوح لأن كلامهم لم يتصل بكلام الرسول ومعناه أنه اجتمع في الحصول ذلك القول الحق وهذا القول الباطل وشتان ما بينهما.

قال في «برهان القرآن»: قدم من قومه في هذه الآية وأخر فيما قبلها لأن صلة الذين فيما قبل اقتصرت على فعل وضمير الفاعلين ثم ذكر بعده الجار والمجرور ثم الفاعل ثم المفعول

وهو المقول وليس كذلك هذه فإن صلة الموصول طالت بذكر الفاعل والمفعول والعطف عليه مرة أخرى فقدم الجار والمجرور لأن تأخيره ملبس وتوسطه ركيك فخص بالتقديم. ﴿وكذبوا بلقاء الآخرة﴾ أي: بالمصير إلى الآخرة بالبعث والحشر أو بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب ﴿وأترفناهم﴾ أي: نعمناهم ووسعنا عليهم. وبالفارسية: [ونعمت داده بودم ايشانرا] يقال: ترف فلان أي توسع في النعمة وأترفنه النعمة أطغته. ﴿في الحياة الدنيا﴾ بكثرة الأموال والأولاد أي قالوا لأعقابهم مضلين لهم. ﴿ما هذا﴾ أي: هود ﴿إلا بشر مثلكم﴾ في الصفات والأقوال البشرية ﴿يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾ أي تشربون منه وهو تقرير للمماثلة. يعني [بغداء محتاجست مانندشما اكر نبي بودي بايستي كه متصف بصفات ملائكة بودي نخوردي ونياشاميدي].

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم﴾ أي فيما ذكر من الأحوال والصفات أي وبالله إن امتثلتم أوامره ﴿إنكم إذاً﴾ أي: على تقدير الإطاعة: وبالفارسية [آنكاه]. ﴿لخاسرون﴾ عقولكم ومغبونون في آرائكم حيث اذللتم أنفسكم.

وقال الكاشفي: [زيان زد كانيدكه خودرا مأمور ومتبوع مثل خود سازيد] انظر كيف جعلوا أتباع الرسول الحق الذي يوصلهم إلى سعادة الدارين خسراناً دون عبادة الأصنام التي لا خسران وراءها قاتلهم الله وإذن وقع بين اسم إن وخبرها لتأكيد مضمون الشرط والجملة جواب لقسم محذوف.

قال بعض الفضلاء: إذن ظرف حذف منه ما أضيف إليه ونون عوضاً. وفي «العيون»: إذن جواب شرط محذوف أي إنكم إن أطعتموه إذن لخاسرون.

﴿أيعدكم﴾ [ايا وعده ميدهد شمارا اين پيغمبر]. ﴿أنكم إذا متم﴾ بكسر الميم من مات يمات وقرىء بضمها من مات يموت ﴿وكنتم﴾ وصرتم. ﴿تراباً وعظاماً﴾ نخرة مجردة عن اللحوم والأعصاب أي كان بعض أجزائكم من اللحم ونظائره تراباً وبعضها عظاماً وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الأجزاء البادية أو كان متقدموكم تراباً صرفاً ومتأخروكم عظاماً. يقول الفقير: الظاهر أن مرادهم بيان صيرورتهم عظاماً ثم تراباً لأن الواو لمطلق الجمع. ﴿أنكم﴾ تأكيد للأول لطول الفصل بينه وبين خبره الذي هو قوله: ﴿مخرجون﴾ أي من القبور أحياء كما كنتم.

﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿هيهات هيهات﴾ اسم فعل وهو بعد وتكريره لتأكيد البعد، أي: بعد الوقوع. ﴿لما توعدون﴾ يعني: [آنچه وعده داده ميشويد ازبعث وجزا هركز نباشد] أو بعدما توعدون واللام لبيان المستبعد كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل: لماذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون.

﴿إن هي﴾ إن بمعنى ما، أي ما الحياة ﴿إلا حياتنا الدنيا﴾ الدانية الفانية ﴿نموت ونحيا﴾

مفسرة للجملة المتقدمة أي يموت بعضنا ويولد بعض إلى انقراض العصر أو يصيبنا الأمران الموت والحياة يعنون الحياة المتقدمة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة. ﴿وما نحن بمبعوثين﴾ بمنشرين بعد الموت كما تزعم يا هود انظر كيف عميت قلوبهم حتى لم يروا أن الإعادة أهون من الابتداء وأن الذي هو قادر على إيجاد شيء من العدم وإعدامه من الوجود يكون قادراً على إعادته ثانياً. ﴿إن هو﴾ أي: ما هود ﴿إلا رجل افترى على الله كذباً﴾ أي: اخترع الكذب على الله فيما يدعيه من الإرسال والبعث.

قال الراغب: الفري قطع الجلد للخرز والإصلاح والإفراء للإفساد والافتراء فيهما وفي الإفساد أكثر ولذلك استعمل في القرآن في الكذب والشرك والظلم ﴿وما نحن له بمؤمنين﴾ بمصدقين فيما يقول.

﴿قال﴾ هود بعد ما يئس من إيمانهم ﴿رب انصرني﴾ عليهم وانتقم لي منهم: وبالفارسية [أي پروردكار من ياري كن مرا بغالبيت وايشانرا مغلوب كردان] ﴿بما كذبون﴾ أي بسبب تكذيبهم إياي وإصرارهم عليه. ﴿قال﴾ تعالى إجابة لدعائه وعدة بالقبول ﴿عما قليل﴾ أي عن زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتأكيد معنى القلة ﴿ليصبحن﴾ أي ليصيرن أي الكفار المكذبون. ﴿نادمين﴾ على الكفر والتكذيب وذلك عند معاينتهم العذاب. والندامة بالفارسية: [پشيماني].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿فأخذتهم الصيحة﴾ صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا والصيحة رفع الصوت.

فإن قلت: هذا يدل على أن المراد بالقرن المذكور في صدر القصة ثمود قوم صالح فإن عاداً أهلكوا بالريح العقيم.

قلت: لعلهم حين أصابتهم الريح العقيم أصيبوا في تضاعفها بصيحة هائلة أيضاً كما كان عذاب قوم لوط بالقلب والصيحة كما مر وقد روي أن شداد بن عاد حين أتم بناء إرم سار إليها بأهله فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل: الصيحة نفس العذاب والموت.

وفي «الجلالين»: فأخذتهم صيحة العذاب ﴿بالحق﴾ متعلق بالأخذ أي بالوجه الثابت الذي لا دافع له.

وفي «الجلالين»: بالأمر من الله. ﴿فجعلناهم﴾ فصيرناهم ﴿غثاء﴾ أي كغثاء السيل لا ينتفع به وهو ما يحمله السيل على وجهه من الزبد والورق والعيدان كقولك: سال به الوادي لمن هلك.

قال الكاشفي: [غثاء: چون خاشاك آب آورده يعني هلاك كرديم ونابود ساختيم چون خس وخاشاك كه سيل آنرا بأطراف افكند وسياه كهنه كردد]. ﴿فبعداً للقوم الظالمين﴾ يحتمل الإخبار والدعاء.

قال الكاشفي: [پس دوري باد ازرحمت خداي مركروه ستمكارانرا] وبعداً مصدر بعد إذا

هلك وهو من المصادر التي لا يكاد يستعمل ناصبها، والمعنى بعدوا بعداً أي هلكوا واللام لبيان من قيل له بعداً. وفي الآية إشارة إلى أن أهل الدنيا حين بغوا في الأرض وطغوا على الرسل.

چومنعم كند سفله را روزكار نهد بردل تنك درويش بار

چو بام بندش بود خود پرست كند بول وخاشاك بربام پست

وقالوا لرسلهم ما قالوا لا يعلمون أن الرسل وأهل الله وإن كانوا يأكلون مما يأكل أهل الدنيا ولكن لا يأكلون كما يأكل هؤلاء فإنهم يأكلون بالإسراف وأهل الله يأكلون ولا يسرفون كما قال النبي عليه السلام: «المؤمن يأكل في معى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء».

لا جرم كافر خورد درهفت بطن دين ودل باريك ولا غرزفت بطن

بل أهل الله يأكلون ويشربون بأفواه القلوب مما يطعمهم ربهم ويسقيهم حيث يبيتون عند ربهم. قال حضرة الشيخ الشهير بأفتاده أفندي قدس سره: كان عليه السلام يبيت عند ربه فيطعمه ويسقيه من تجلياته المتنوعة وإنما أكله في الظاهر لأجل أمته الضعيفة وإلا فلا احتياج له إلى الأكل والشرب وما روي من أنه كان يشد الحجر فهو ليس من الجوع بل من كمال لطافته لئلا يصعد إلى الملكوت بل يستقر في الملك للإرشاد وقد وصف الله الكفار بشر الصفات وهي الكفر بالخالق وبيوم القيامة والانغماس في حب الدنيا ثم سجل عليهم بالظلم وأشار إلى أن هلاكهم إنما كان بسبب ظلمهم.

نماند ستمكار بدروزكار بماند برو لعنت پايدار

فالظلم من شيم أهل الشقاوة والبعد وأنهم كالغثاء في عدم المبالاة بهم كما قال: «هؤلاء في النار ولا أبالي».

﴿ثم أنشأنا﴾ خلقنا ﴿من بعدهم﴾ أي بعد هلاك القرون المذكورة وهم عاد على الأشهر. ﴿قروناً آخرين﴾ هم قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم عليهم السلام إظهاراً للقدرة وليعلم كل أمة استغناءنا عنهم وأنهم إن قبلوا دعوة الأنبياء وتابعوا الرسل تعود فائدة استسلامهم وانقيادهم وقيامهم بالطاعات إليهم.

﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾ من مزيدة للاستغراق أي ما تتقدم أمة من الأمم المهلكة الوقت الذي عين لهلاكهم. ﴿وما يستأخرون﴾ ذلك الأجل بساعة وطرفة عين بل تموت وتهلك عندما حد لها من الزمان.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ثم أرسلنا رسلنا﴾ عطف على أنشأنا لكن لا على معنى أن إرسالهم متأخر ومتراخ عن إنشاء القرون المذكورة جميعاً بل على معنى أن إرسال كل رسول متأخر عن إنشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كأنه قيل: ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين قد أرسلنا إلى كل قرن منهم رسولاً خاصاً به. ﴿تترى﴾ مصدر من المواترة وهي التعاقب في موضع الحال أي

متواترين واحداً بعد واحد. وبالفارسية: [يي دريي يعني يكي درعقب ديكري].

قال في «الإرشاد»: وغيره من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو والألف للتأنيث لأن الرسل جماعة ﴿كلما جاء أمة رسولها﴾ المخصوص أي جاء بالبينات وللتبليغ ﴿كذبوه﴾ نسبوا إليه الكذب يعني أكثرهم بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ۝﴾ [الصافات: ٧١] كما في «بحر العلوم».

قال الكاشفي: [تكذيب كردنداورا وآنچه كفت ازتوحيد ونبوت وبعث وحشر دروغ پنداشتند وبتقليد پدران ولزوم عادات ناپسنديده ازدولت تصديق محروم ماندند] ﴿فأتبعنا بعضهم﴾ أي بعض القرون ﴿بعضاً﴾ في الإهلاك أي أهلكنا بعضهم في أثر بعض حسبما تبع بعضهم بعضاً في مباشرة الأسباب التي هي الكفر والتكذيب وسائر المعاصي.

قال الكاشفي: [يعني هيچ كدام را مهلت نداديم وآخرين را چون أولين معاقب كردانيم] ﴿وجعلناهم﴾ بعد إهلاكهم ﴿أحاديث﴾ لمن بعدهم، أي لم يبق عين ولا أثر إلا حكايات يسمر بها ويتعجب منها ويعتبر بها المعتبرون من أهل السعادة وهو اسم جمع للحديث أو جمع أحدوثة وهي ما يتحدث به تلهياً وتعجباً وهو المراد ههنا كأعاجيب جمع أعجوبة وهي ما يتعجب منها.

قال الكاشفي: [وساختيم آنراسخنان يعني عقوبت خلق كردانيديم كه دائم عذاب ايشانرا ياد كنند وبدان مثل زنند خلاصة شخن آنكه ازايشان غير حكايتي باقي نماندكه مردم إفسانه وار ميكويند واكر سخن نيكوى آيشان بماندى به بودي بزركي كفته است].

تفنى وتبقى عنك أحدوثة فاجهد بأن تحسن أحدوثتك

[ودر ترجمة آن فرموده اند].

پس ازتو اين همه افسانها كه مي خوانند دران بكوش كه نيكو بماند افسانه

يقول الفقير: في البيت العربي دلالة على أن الأحدوثة تقال على الخير والشر وهو خلاف، ما قال الأخفش من أنه لا يقال في الخير: جعلتهم أحاديث وأحدوثة وإنما يقال: جعلت فلاناً حديثاً انتهى.

ويمكن أن يقال في البيت الأحدوثة الثانية وقعت بطريق المشاكلة ﴿فبعداً لقوم لا يؤمنون﴾ [پس دوري باد از رحمت حق مر كروهي راكه نمى كروند بأنبياء وتصديق ايشان نمى كنند] وفي أكثر التفاسير بعدوا بعداً أي هلكوا واللام لبيان من قيل له: بعداً وخصهم بالنكرة لأن القرون المذكورة منكرة بخلاف ما تقدم من قوله: فبعداً للقوم الظالمين حيث عرف بالألف واللام لأنه في حق قوم معنيين كما سبق.

وفي الآية دلالة على أن عدم الإيمان سبب للهلاك والعذاب في النيران كما أن التصديق مدار للنجاة والتنعم في الجنان.

قال يعقوب عليه السلام للبشير: على أي دين تركت يوسف؟ قال: على الإسلام قال: الآن تمت النعمة على يعقوب وعلى آل يعقوب إذ لا نعمة فوق الإسلام وحيث لا يوجد فجميع النعم عدم وحيث يوجد فجميع النقم عدم.

وسأل رجل علياً رضي الله عنه هل رأيت ربك؟ فقال: أفأعبد ما لا أرى فقال: كيف تراه قال: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلب بحقائق الإيمان.

وعنه: من عرف ربه جل ومن عرف نفسه ذل، يعني: عرفان الرب يعطي جلالة في المعنى وعرفان النفس يعطي ذلة في الصورة فالكفار وسائر أهل الظلم عدوا أنفسهم أعزة فذلوا صورة ومعنى حيث بعدوا من الله تعالى في الباطن وهلكوا مع الهالكين في الظاهر والمؤمنون وسائر العدول عدوا أنفسهم أذلة فعزوا صورة ومعنى حيث تقربوا إلى الله تعالى في الباطن ونجوا من الهلاك في الظاهر فجميع التنزل إنما يأتي من جهة الجهل بالرب والنفس.

رونق كار خسان كاسد شود همچو ميوة تازة زوفاسد شود

فعلى العاقل الانقياد لأهل الحق فإن جمع الفيض إنما يحصل من مشرب الانقياد وبالانقياد يحصل العرفان التام وشهود رب العباد.

كى رسانند آن امانت را بتو تانباشى پيشسان راكع دوتو

اللهم اعصمنا من العناد أثبتنا على الانقياد.

﴿**ثم أرسلنا موسى وآخاه هارون بآياتنا**﴾ هي الآيات التسع من اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطاعون ولا مساغ لعد فلق البحر منها؛ إذ المراد الآيات التي كذبوها. ﴿**وسلطان مبين**﴾ حجة واضحة ملزمة للخصم وهي العصا وخصصها لفضلها على سائر الآيات أو نفس الآيات عبر عنها بذلك على طريق العطف تنبيهاً على جمعها لعنوانين جليلين وتنزيلاً لتغايرها منزلة التغاير الذاتي. ﴿**إلى فرعون وملئه**﴾ أي: أشراف قومه من القبط خصوا بالذكر لأن إرسال بني إسرائيل منوط بآرائهم لا بآراء أعقابهم. ﴿**فاستكبروا**﴾ عن الإيمان والمتابعة وعظم الكبر أن يتهاون العبيد بآيات ربهم وبرسالاته بعد وضوحها وانتفاء الشك عنها ويتعظموا عن امتثالها وتقبلها. ﴿**وكانوا قوماً عالين**﴾ متكبرين مجاوزين للحد في الكبر والطغيان أي كانوا قوماً عادتهم الاستكبار والتمرد ﴿**فقالوا**﴾ عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار أي قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة ﴿**أنؤمن**﴾ الهمزة للإنكار بمعنى لا نؤمن وما ينبغي أن يصدر منا الإيمان. ﴿**لبشرين مثلنا**﴾ وصف بالمثل الاثنان لأنه في حكم المصدر العام للإفراد والتثنية والجمع المذكر والمؤنث. ﴿**وقومهما**﴾ يعنون بني إسرائيل ﴿**لنا**﴾ متعلقة بقوله: ﴿**عابدون**﴾ والجملة حال من فاعل نؤمن، أي: خادمون منقادون لنا كالعبيد وكأنهم قصدوا بذلك التعرض لشأنهما وحط رتبتهما العلية عن منصب الرسالة من وجه آخر غير البشر.

قال الكاشفي: [در بعضى تفاسير آورده انده كه بني إسرائيل فرعون رامي پرستيدند نعوذ بالله واوبت مي پرستيد ياكوساله] أي فتكون طاعتهم لهم عبادة على الحقيقة.

﴿**فكذبوهما**﴾ أي فاصروا على تكذيب موسى وهارون حتى يئسا من تصديقهم ﴿**فكانوا**﴾ فصاروا ﴿**من المهلكين**﴾ بالغرق في بحر القلزم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٤٩) وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠) يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ (٥٢)﴾.

﴿**ولقد آتينا موسى**﴾ أي: بعد إهلاكهم وإنجاء بني إسرائيل من أيديهم ﴿**الكتاب**﴾ التوراة ﴿**لعلهم**﴾ لعل بني إسرائيل ﴿**يهتدون**﴾ إلى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع والأحكام.

﴿وجعلنا ابن مريم﴾ أي: عيسى ﴿وأمه آية﴾ دالة على عظم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر فالآية أمر واحد مضاف إليهما أو جعلنا ابن مريم آية بأن تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمة وأمه آية بأنها ولدته من غير مسيس فحذف الأولى لدلالة الثانية عليها.

قال في «العيون»: آية أي عبرة لبني إسرائيل بعد موسى لأن عيسى تكلم في المهد وأحيا الموتى ومريم ولدته من غير مسيس وهما آيتان قطعاً فيكون هذا من قبيل الاكتفاء بذكر إحداهما انتهى.

وتقديمه عليه السلام لأصالته فيما ذكر من كونه آية كما أن تقديم أمه في قوله: ﴿وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١] لأصالتها فيما نسب إليها من الإحصان والنفخ ـ وروي ـ أن رسول الله عليه السلام صلى الصبح بمكة فقرأ سورة المؤمنين فلما أتى على ذكر عيسى وأمه أخذته شرقة فركع أي شرق بدمعه فعي بالقراءة ﴿وآويناهما إلى ربوة﴾ [وجاي داديم مادر وپسررا وقتي كه ازيهود فرار كردند وباز آورديم بسوى ربوة از زمين بيت المقدس] أي أنزلناهما إلى مكان مرتفع من الأرض وجعلناه مأواهما ومنزلهما وهي إيليا أرض بيت المقدس فإنها مرتفعة وإنها كبد الأرض وأقربها إلى السماء بثمانية عشر ميلاً على ما يروى عن كعب.

وقال الإمام السهيلي: أوت مريم بعيسى طفلاً إلى قرية من دمشق يقال لها ناصرة وبناصرة تسمى النصارى واشتق اسمهم منها.

قال الكاشفي: [آوردانده مريم باپسر وپسر عم خود يوسف بن ماتان دوازده سال دران موضع بسر بردند وطعام عيسى ازبهاي ريسمان بودكه كه مادرش مي رشت وميفروخت]. يقول الفقير فيه إشارة إلى أن غزل القطن والكتان ونحوهما لكونه من أعمال خيار النساء، أحب من غزل القز ونحوه على ما أكب عليه أهل بروسة والديار التي يحصل فيها دود القز مع أن القز من زين أهل الدنيا وبه غالباً شهرة أربابها وافتخارهم. ﴿ذات قرار﴾ [خداوند قرار يعني مقري منبسط وسهل كه برو آرام توان كرفت] وقيل: ذات ثمار وزروع فإن ساكنيها يستقرون فيها لأجلها.

قال الراغب قرّ في المكان يقر قراراً إذا ثبت ثبوتاً خامداً وأصله من القر وهو البرد لأجل أن البرد يقتضي السكون والحر يقتضي الحركة ﴿ومعين﴾ وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء إذا جرى وقيل: من العين والميم زائدة ويسمى الماء الجاري معيناً لظهوره وكونه مدركاً بالعيون وصف ماء تلك الربوة بذلك للإيذان بكونه جامعاً لفنون المنافع من الشرب وسقي ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره الحسن المعجب ولولا أن يكون الماء الجاري لكان السرور الأوفر فائتاً وطيب المكان مفقوداً ولأمر ما جاء الله بذكر الجنات مشفوعاً بذكر الماء الجاري من تحتها مسوقين على قران واحد ومن أحاديث «المقاصد الحسنة»: «ثلاث يجلون البصر النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجاري وإلى الوجه الحسن» أي مما يحل النظر إليه فإن النظر إلى الأمرد الصبيح ممنوع. قال الشيخ سعدي في حق من يديم النظر إلى النقاش عند نظر إلى النقش.

چراطفل يكروزه هوشش نبرد كه درصنع ديدن چه بالغ چه خرد
محقق همي بيند اندر إبل كه در خوب رويان چين وچكل

وهما علمان لبلدتين من بلاد الترك يكثر فيهما المحابيب.

وفي «التأويلات النجمية»: قوله: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ يشير به إلى عيسى الروح الذي تولد من أمركن بلا أب من عالم الأسباب وهو أعظم آية من آيات الله المخلوقة التي تدل على ذات الله ومعرفته لأنه خليفة الله وروح منه. ﴿وآويناهما إلى ربوة﴾ أي: ربوة القالب فإنه مأوى الروح ومأوى الأمر بالأوامر والنواهي. ﴿ذات قرار ومعين﴾ هو منزلهما ودار قرارهما يعني ما دام القالب يكون مأوى الروح ومقره، يكون مأوى الأمر ومقره بأن لا تسقط عنه التكاليف وأما المعين فهو عين الحكمة الجارية من القلب على اللسان انتهى.

اللهم يا معين اجعلنا من أهل المعين.

﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ خطاب لجميع الرسل لا على أنهم خوطبوا بذلك دفعة لأنهم أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة بل على معنى أن كل رسول منهم خوطب به في زمانه ونودي ووصى ليعلم السامع أن إباحة الطيبات للرسل شرع قديم وأن أمراً نودي له جميع الأنبياء ووصوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه أي وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحاً فعبر عن تلك الأوامر المتعدد المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية إجمالاً للإيجاز.

وقال بعضهم إنه خطاب لرسول الله وحده على دأب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجمع للتعظيم وفيه إبانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاتهم.

وقد جمع الرحمٰن فيك لمعاجزا
آنكه خوبان همه دارند تو تنها داري

والطيبات ما يستطاب ويستلذ من مباحات المآكل والفواكه. ﴿واعملوا صالحاً﴾ أي عملاً صالحاً فإنه المقصود منكم والنافع عند ربكم وهذا الأمر للوجوب بخلاف الأول وفيه رد وهدم لما قال بعض المبيحين من أن العبد إذا بلغ غاية المحبة وصفا قلبه واختار الإيمان على الكفر من غير نفاق سقط عنه الأعمال الصالحة من العبادات الظاهرة وتكون عبادته التفكر، وهذا كفر وضلال فإن أكمل الناس في المحبة والإيمان هم الرسل خصوصاً حبيب الله مع أن التكاليف بالأعمال الصالحة والعبادات في حقهم أتم وأكمل. ﴿إني بما تعملون﴾ من الأعمال الظاهرة والباطنة ﴿عليم﴾ فأجازيكم عليه.

وفي الآية دلالة على بطلان ما عليه الرهابنة من رفض الطيبات يعني على تقدير اعتقادهم بأن ليس في دينهم أكل الطيبات.

واعلم أن تأخير ذكر العمل الصالح يدل على أن تكون نتيجته أكل الحلال. وفي «المثنوي».

علم وحكمت زايد ازلقمه حلال — عشق ورقت آيد ازلقمه حلال
چون زلقمه توحسد بيني ودام — جهل وغفلت زايد آنرا دان حرام
هيچ كندم كاري وجو بردهد — ديدة اسبي كه كرة خر دهد
لقمه تخمست وبرش انديشها — لقمه بحر وكوهرش انديشها
زايد ازلقمة حلال اندر دهان — ميل خدمت عزم رفتن آن جهان

قال الراغب: أصل الطيب ما تستلذه الحواس والنفس والطعام الطيب في الشرع ما كان متناولاً من حيث ما يجوز وبقدر ما يجوز من المكان الذي يجوز فإنه متى كان كذلك كان طيباً

عاجلاً وآجلاً لا يستوخم وإلا فإنه وإن كان طيباً عاجلاً لم يطب آجلاً، وفي الحديث: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً»: قال صاحب «روضة الأخبار».

فرموده لقمه كه دراصل نباشد حلال زونقتد مرد مكر درضلال
قطرة باران توچون صاف نيست كوهر درياي توشفاف نيست

وكان عيسى عليه السلام يأكل من غزل أمه وكان رزق نبينا عليه السلام من الغنائم وهو أطيب الطيبات روي: عن أخت شداد أنها بعثت إلى رسول الله بقدح من لبن في شدة الحر عند حظره وهو صائم فرده إليها وقال: من أين لك هذا فقالت: من شاة لي ثم رده وقال من أين هذه الشاة فقالت اشتريتها بمالي فأخذه ثم إنها جاءته وقالت يا رسول الله لم رددته فقال: بذلك أمرت الرسل أن لا يأكلوا إلا طيباً ولا يعملوا إلا صالحاً».

قال الإمام الغزالي رحمه الله: إذا كان ظاهر الإنسان الصلاح والستر فلا حرج عليك في قبول صلاته وصدقته ولا يلزمك البحث بأن تقول قد فسد الزمان فإن هذا سوء ظن بذلك الرجل المسلم بل حسن الظن بالمسلمين مأمور به.

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: لأن أصوم النهار وأفطر الليل على لقمة حلال أحب إلى من قيام الليل وصوم النهار وحرام على شمس التوحيد أن تحل قلب عبد في جوفه لقمة حرام ثم إن أكل الطيبات وإن رخص فيه لكنه قد يترك قطعاً للطبيعة عن الشهوات.

قال أبو الفرج بن الجوزي ذكر القلب في المباحات يحدث له ظلمة فكيف تدبير الحرام إذا غير المسك الماء منع الوضوء به فكيف ولوغ الكلب ولذا قال بعض الكبار من اعتاد بالمباحات حرم لذة المناجاة اللهم اجعلنا من أهل التوجه والمناجاة.

﴿**وإن هذه**﴾ أي: ملة الإسلام والتوحيد وأشير إليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور أمرها في الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة ﴿**أمتكم**﴾ أي: ملتكم وشريعتكم أيها الرسل.

قال القرطبي الأمة هنا الدين ومنه إنا وجدنا آباءنا على أمة أي على دين مجتمع. ﴿**أمة واحدة**﴾ حال من هذه أي ملة وشريعة متحدة في أصول الشرائع التي لا تتبدل بتبدل الأعصار وأما الاختلاف في الفروع فلا يسمى اختلافاً في الدين فالحائض والطاهر من النساء دينهما واحد وإن افترق تكليفهما.

وقيل: هذه إشارة إلى الأمم المؤمنة للرسل والمعنى أن هذه جماعتكم واحدة متفقة على الإيمان والتوحيد في العبادة ولا يلائمه قوله تعالى: ﴿**وأنا ربكم**﴾ من غير أن يكون لي شريك في الربوبية ﴿**فاتقون**﴾ أي: في شق العصا ومخالفة الكلمة والضمير للرسل والأمم جميعاً على أن الأمر في حق الرسل للتهييج والإلهاب وفي حق الأمم للتحذير والإيجاب.

وفي «التفسير الكبير»: فيه تنبيه على أن دين الجميع واحد فيما يتصل بمعرفة الله تعالى واتقاء معاصيه.

﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿**فتقطعوا أمرهم بينهم**﴾ أي جعلوا أمر دينهم مع اتحاده قطعاً متفرقة وأدياناً مختلفة

﴿زبراً﴾ حال من أمرهم، أي قطعاً جمع زبور بمعنى الفرقة. وبالفارسية: [پارها يعني كروه كروه شدتد واختلاف كردند]. ﴿كل حزب﴾ أي جماعة من أولئك المتحزبين ﴿بما لديهم﴾ من الدين الذي اختاروه ﴿فرحون﴾ معجبون معتقدون أنه الحق.

قال بعض الكبار: كيف يفرح العبد بما لديه وليس يعلم ما سبق له في محتوم العلم ولا ينبغي للعارفين أن يفرحوا بما دون الله من العرش إلى الثرى بل العارف الصادق إذا استغرق في بحار المعرفة فهمومه أكثر من فرحه لما يشاهد من القصور في الإدراك.

قال الشيخ سعدي: [عاكفان كعبة جلالش بتقصير عبادت معتر فندكه ما عبدناك حق عبادتك وواصفان حلية جمالش بتحير منسوب كه ما عرفناك حق معرفتك:

كـركـسـي وصـف اوز مـن پـرسـد بـي دل ازبـي نـشـان چـه كـويـد بـاز
عـاشـقـان كـشـتـكـان مـعـشـوقـنـد بـرنـيـايـد زكـشـتـكـان آواز

﴿فذرهم في غمرتهم﴾ شبه ما هم فيه من الجهالة بالماء الذي يغمر القامة ويسترها لأنهم مغمورون فيها لاعبون بها.

قال الراغب: أصل الغمر إزالة أثر الشيء ومنه قيل للماء الكثير الذي يزيل أثر مسيله غمر وغامر والغمرة معظم الماء الساترة لمقرها وجعل مثلاً للجهالة التي تغمر صاحبها والخطاب لرسول الله ﷺ أي اتركهم يعني الكفار المتفرقة على حالهم ولا تشغل قلبك بهم وبتفرقهم. ﴿حتى حين﴾ هو حين قتلهم أو موتهم على الكفر أو عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والآخرة وتسلية لرسول الله ونهى له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره. ﴿أيحسبون أنما نمدهم به﴾ الهمزة لإنكار الواقع واستقباحه وما موصولة، أي أيظن الكفرة أن الذي نعطيهم إياه ونجعله مدداً لهم ﴿من مال وبنين﴾ بيان للموصول وتخصيص البنين لشدة افتخارهم بهم. ﴿نسارع﴾ به ﴿لهم في الخيرات﴾ فيما فيه خيرهم وإكرامهم.

قال الكاشفي: [يعني كمان ميبرندكه إمداد ما ايشانرا بمال وفرزند مسارعتست ازما براى، ايشان درنيكوبي وأعمال ايشانرا استحقاق آن هست كه ما پاداش آن با ايشان نيكوبي كنيم] ﴿بل﴾ [نه چنين است كه مي پندارند بلكه] ﴿لا يشعرون﴾ [نميدانندكه اين امداد استدراجست، نه مسارعت در خير] فهو عطف على مقدر أي كلاً لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشيء أصلاً كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا ويعرفوا أن ذلك الإمداد استدراج واستجرار إلى زيادة الإثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات ـ روي ـ في الخبر: إن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء أيفرح عبدي أن أبسط له في الدنيا فهو أبعد له مني أيجزع عبدي المؤمن أن أقبض عنه الدنيا وهو أقرب له مني ثم قال أيحسبون أن ما نمدهم» الخ.

قال بعض الكبار: إن الله تعالى امتحن الممتحنين بزينة الدنيا ولذتها وجاهها ومالها وخيراتها فاستلذوها واحتجبوا بها عن مشاهدة الرحمٰن وظنوا أنهم نالوا جميع الدرجات وأنهم مقبولون حين أعطوا هذه الفانيات ولم يعلموا أنها استدراج لا منهاج.

قال عبد العزيز المكي: من تزين بزينة فانية فتلك الزينة تكون وبالاً عليه إلا من تزين بما يبقى من الطاعات والموافقات والمجاهدات، فإن الأنفس فانية والأموال عواري والأولاد فتنة فمن تسارع في جمعها وحظها وتعلق قلبه بها قطع عن الخيرات أجمع وما عبد الله بطاعة أفضل من مخالفة النفس والتقلل من الدنيا وقطع القلب عنها لأن المسارعة في الخيرات هو اجتناب

الشرور وأول الشرور حب الدنيا لأنها مزرعة الشيطان فمن طلبها وعمرها فهو حزبه وعبده وشر من الشيطان من يعين الشيطان على عمارة داره. ومن كلمات سلطان ولد:

بكذار جهان راكه جهان آن تونيست … وين دم كه همي زنى بفرمان تونيست
كرمال جهان جمع كنى شاد مشو … ورتكيه بجان كنى جان آن تونيست

قال الشيخ سعدي قدس سره:

بر مرد هشيار دنيا خسست … كه هر مدتي جاي ديكر كسست
برفتند هركس درود آنچه كشت … نماند بجزنام نيكو وزشت

﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ أي من خوف عذابه حذرون والخشية خوف يشوبه تعظيم والإشفاق عناية مختلطة بخوف لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه وقد سبق تحقيقه في سورة الأنبياء وعن الحسن أن المؤمن جمع إحساناً وخشية والكافر جمع إساءة وأمنا.

هركه ترسد مرورا أيمن كنند

﴿والذين هم بآيات ربهم﴾ المنصوبة في الآفاق والمنزلة على الإطلاق. ﴿يؤمنون﴾ يصدقون مدلولها ولا يكذبونها بقول وفعل.

﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ غيره شركاً جلياً ولا خفياً ولذلك عبر عن الإيمان بالآيات.

قال الجنيد قدس سره من فتش سره فرأى فيه شيئاً أعظم من ربه أو أجل منه فقد أشرك به أو جعل له مثلاً.

وفي «التأويلات النجمية»: ومن أعظم الشرك ملاحظة الخلق في الرد والقبول، وهي الاستبشار بمدحهم والانكسار بذمهم وأيضاً ملاحظة الأسباب فلا ينبغي أن يتوهم أن حصول الشفاء من شرب الدواء والشبع من أكل الطعام فإذا جاء اليقين بحيث ارتفع التوهم أي توهم أن الشيء من الحدثان لا من التقدير فحينئذ يتقي أمن الشرك: قال الجامي قدس سره:

جيب خاص است كه كنج كهر اخلاص است
نيست ابن در ثمين در بغل هر دغلي

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿والذين يؤتون ما آتوا﴾ أي: يعطون ما أعطوه من الزكوات والصدقات وتوسلوا به إلى الله تعالى من الخيرات والمبرات وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار والماضي على التحقق ﴿وقلوبهم وجلة﴾ حال من فاعل يؤتون أي والحال أن قلوبهم خائفة أشد الخوف.

قال الراغب: الوجل استشعار الخوف ﴿أنهم إلى ربهم راجعون﴾ أي: من أن رجوعهم إليه تعالى على أن مناط الوجل أن لا يقبل منهم ذلك وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ لا مجرد رجوعهم إليه تعالى والموصولات الأربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر في حيز صلاتها من الأوصاف الأربعة لا عن طوائف كل واحدة منها متصفة بواحد من

الأوصاف المذكورة كأنه قيل: إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون وبآيات ربهم يؤمنون الخ وإنما كرر الموصول إيذاناً باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها.

قال بعض الكبار: وجل العارف من طاعته أكثر من وجله من مخالفته لأن المخالفة تمحى بالتوبة والطاعة تطلب بتصحيحها والإخلاص والصدق فيها فإذا كان فاعل الطاعات خائفاً مضطرباً فكيف لا يخاف غيره قال الشيخ سعدي قدس سره:

دران روزكز فعل پرسند وقول أولو العزم راتن بلرزد زهول
بجايي كه دهشت خورد أنبياء توعذر كنه راچه داري بيا

﴿أولئك﴾ المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم. ﴿يسارعون﴾ [مي شتابند]﴿في الخيرات﴾ أي: في نيل الخيرات التي من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الأعمال الصالحة كما قال تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨] ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٧] لأنهم إذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها فيكون أثبت لهم ما نفى عن الكفار.

قال في «الإرشاد»: إيثار كلمة في على كلمة إلى للإيذان بأنهم متقلبون في فنون الخيرات لا أنهم خارجون عنها متوجهون إليها بطريق المسارعة كما في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣] الخ﴿وهم لها سابقون﴾ أي: إياها سابقون متقدمون واللام لتقوية عمل اسم الفاعل أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا.

قال بعض الكبار: بالمسارعات إلى الخيرات تبتغي درجة السابقين ويطلب مكارم الواصلين لا بالدواعي والإهمال وتضييع الأوقات من أراد الوصول إلى المقامات من غير آداب ورياضات ومجاهدات فقد خاب وخسر وحرم الوصول إليها.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿أولئك يسارعون في الخيرات﴾ الخ، أي: هم المتوجهون إلى الله المعرضون عما سواه المسارعون بقدم الصدق والسعي الجميل على حسب ما سبقت لهم من الله الحسنى﴿وهم لها سابقون﴾ على قدر سبق العناية انتهى.

يعني بقدر سبق العناية يسبق العبد على طريق الهداية فلكل سالك حظوة ولذا قال بعض الكبار: جنة النعيم لأصحاب العلوم وجنة الفردوس لأصحاب الفهوم وجنة المأوى لأصحاب التقوى وجنة عدن للقائمين بالوزن وجنة الخلد للمقيمين على الودّ وجنة المقامة لأهل الكرامة وليس في مقدور البشر مراقبة الله تعالى في السر والعلن مع الأنفاس فإن ذلك من خصائص الملأ الأعلى وأما رسول الله ﷺ فكانت له هذه الرتبة لكونه مسرعاً في جميع أحواله فلا يوجد إلا في واجب أو مندوب أو مباح فهذا هو السبق الأعلى والمسارعة العليا حيث لا قدم فوقه نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المسارعين إلى الخيرات ومراقبي الأنفاس مع الله في جميع الحالات كما قال ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ٢٣].

﴿ولا نكلف نفساً﴾ من النفوس﴿إلا وسعها﴾ قدر طاقتها فقول لا إله إلا الله والعمل بما يترتب عليه من الأحكام من قبيل ما هو الوسع،

قال مقاتل: من لم يستطع القيام فليصل قاعداً ومن لم يستطع القعود فليومىء إيماء.

قال الحريري: لم يكلف الله العباد معرفته على قدره وإنما كلفهم على أقدارهم ولو

كلفهم على قدره لما عرفوه لأنه لا يعرفه على الحقيقة أحد سواه. قال الجامي:

عمري خرد چوچشمه هاچشمها كشاد تابر كمال كنه إله افكند نكاه

ليكن كشيد عاقبتش در دو ديده نيل شكل ألف كه حرف نخست است إزاله

﴿ولدينا﴾ عندنا ﴿كتاب﴾ صحائف أعمال قد أثبت فيها أعمال كل أحد على ما هي عليه ﴿ينطق بالحق﴾ بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع، أي يظهر الحق ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهر للسامع فينظر هناك أعمالهم ويترتب عليها أجزيتها إن خيراً فخير وإن شراً فشر. وبالفارسية: [ونزد ما هست نامة أعمال هركس كه سخن كويد براستي وكواهي دهد بركردار هركس]. ﴿وهم لا يظلمون﴾ في الجزاء بنقص ثواب أو بزيادة عذاب بل يجزون بقدر أعمالهم التي كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق.

﴿بل قلوبهم في غمرة من هذا﴾ أي بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة أي ساترة لها من هذا الذي بين في القرآن من أن لديه كتاباً ينطق بالحق ويظهر لهم أعمالهم السيئة على رؤوس الأشهاد فيجزون بها. ﴿ولهم أعمال﴾ خبيثة كثيرة ﴿من دون ذلك﴾ الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما سيأتي من طعنهم في القرآن. ﴿هم لها عاملون﴾ معتادون فعلها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم﴾ غاية لأعمالهم المذكورة ومبتدأ لما بعدها من مضمون الشرطية أي لا يزالون يعملون أعمالهم إلى حيث إذا أخذنا متنعميهم ورؤساءهم ﴿بالعذاب﴾ الأخروي إذ هو الذي يفاجئون عنده الجؤار فيجابون بالرد والإقناط وأما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جوار فالضمير في قوله: ﴿إذا هم يجأرون﴾ راجع إلى المترفين أي فاجؤوا الصراخ بالاستغاثة أي يرفعون أصواتهم بها ويتضرعون في طلب النجاة فإن أصل الجؤار دفع الصوت بالتضرع وجأر الرجل إلى الله تضرع بالدعاء.

قال الراغب: جأر إذا أفرط في الدعاء والتضرع تشبيهاً بجؤار الوحشيات كالظباء ونحوها وتخصيص المترفين بأخذ العذاب ومفاجأة الجؤار مع عمومه لغيرهم أيضاً لغاية ظهور انعكاس حالهم وأيضاً إذا كان لقاؤهم هذه الحالة الفظيعة ثابتاً واقعاً فما ظنك بحال الأصاغر والخدم.

وقال بعضهم: المراد بالمترفين المعذبين أبو جهل وأصحابه الذين قتلوا ببدر والذين هم يجأرون أهل مكة فيكون الضمير راجعاً إلى ما رجع إليه ضمير مترفيهم وهم الكفرة مطلقاً.

﴿لا تجأروا اليوم﴾ على إضمار القول أي فيقال لهم وتخصيص اليوم بالذكر وهو يوم القيامة لتهويله والإيذان بتفويتهم وقت الجؤار. ﴿إنكم منا لا تنصرون﴾ أي لا يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما دهمكم.

﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم﴾ في الدنيا لتنتفعوا بها ﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ الأعقاب جمع عقب وهو مؤخر الرجل ورجع على عقبه إذا انثنى راجعاً والنكوص الرجوع القهقرى أي معرضون عن سماعها أشد الإعراض فضلاً عن تصديقها والعمل بها.

﴿مستكبرين به﴾ أي حال كونكم مكذبين بكتابي الذي عبر عنه بآياتي على تضمين

الاستكبار معنى التكذيب ﴿سامراً﴾ حال بعد حال وهو اسم جمع كالحاضر.

قال الراغب: قيل: معناه سماراً فوضع الواحد موضع الجمع وقيل بل السامر الليل المظلم والسمر سواد الليل ومنه قيل: للحديث بالليل سمر وسمر فلان إذا تحدث ليلاً وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل ويسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحراً وشعراً. ﴿تهجرون﴾ حال أخرى من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان أو الترك أي تهذون في شأن القرآن وتتركونه وفيه ذم لمن يسمر في غير طاعة الله تعالى وكان عليه السلام يؤخر العشاء إلى ثلث الليل ويكره النوم قبلها والحديث بعدها.

قال القرطبي: اتفق على كراهية الحديث بعدها لأن الصلوات حد كفرت خطايا الإنسان فينام على سلامة وقد ختم الحفظة صحيفته بالعبادة فإن سمر بعد ذلك فقد لغا وجعل خاتمتها اللغو والباطل.

وكان عمر رضي الله عنه لا يدع سامراً بعد العشاء ويقول: ارجعوا فعل الله يرزقكم صلاة أو تهجداً.

قال الفقيه أبو الليث رحمه الله السمر على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون في مذاكرة العلم فهو أفضل من النوم ويلحق به كل ما فيه خير وصلاح للناس فإنه كان سمر رسول الله ﷺ بعد العشاء في بيت أبي بكر رضي الله عنه ليلاً في الأمر الذي يكون من أمر المسلمين.

والثاني: أن يكون في أساطير الأولين والأحاديث الكذب والسخرية والضحك فهو مكروه.

والثالث: أن يتكلموا للمؤانسة ويجتنبوا الكذب وقول الباطل فلا بأس به والكف عنه أفضل للنهي الوارد فيه وإذا فعلوا ذلك ينبغي أن يكون رجوعهم إلى ذكر الله والتسبيح والاستغفار حتى يكون رجوعهم بالخير وكان عليه السلام إذا أراد القيام عن مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك ثم يقول علمنيهن جبريل.

قال في «روضة الأخبار»: من قال ذلك قبل أن يقوم من مجلسه كفر الله ما كان في مجلسه ذلك كذا في الحديث انتهى.

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لا سمر إلا لمسافر أو لمصل» ومعنى ذلك أن المسافر يحتاج إلى ما يدفع عنه النوم للمشي فأبيح له ذلك وإن لم يكن فيه قربة وطاعة والمصلي إذا سمر ثم صلى يكون نومه على الصلاة وختم سمره بالطاعة.

فعلى العاقل أن يجتنب عن الفضول وعن كل ما يفضي إلى البعد عن حريم القبول ويبقي عمره من تضيع الأوقات في اكتساب ما هو من الآفات. قال الحافظ:

ما قصة سكندر ودارا بخوانده ايم　　　از ما بجز حكايت مهر ووفا مپرس

وقال بعضهم:

جزياد دوست هرچه كنم جمله ضايعست　　　جز سر شوق هرچه بكويم بطالتست

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ

مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ
أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم
مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾.

﴿أفلم يدبروا القول﴾ الهمزة لإنكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر أي أفعل الكفار ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من إعجاز النظم وصحة المدلول والإخبار عن الغيب أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلاً عما فعلوا في شأنه من القبائح والتدبر إحضار القلب للفهم.

قال الراغب: التدبر التفكر في دبر الأمور ﴿أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ أم منقطعة مقدرة ببل والهمزة قيل: للإضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بآخر والهمزة لإنكار الواقع أي بل أجاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الأولين حتى استبعدوه فوقعوا في الكفر والضلال يعني أن مجيء الكتب من جهته تعالى إلى الرسل سنة قديمة له تعالى لا يكاد يتسنى إنكارها وأن مجيء القرآن على طريقته فمن أين ينكرونه؟

﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾ إضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بوجه آخر والهمزة لإنكار الوقوع أيضاً أي بل ألم يعرفوه عليه السلام بالأمانة والصدق وحسن الأخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من أحد إلى غير ذلك من صفة الأنبياء. ﴿فهم له منكرون﴾ أي: جاهدون بنبوته فحيث انتفى عدم معرفتهم بشأنه عليه السلام ظهر بطلان إنكارهم لأنه مترتب عليه.

﴿أم يقولون به جنة﴾ انتقال إلى توبيخ آخر والهمزة لإنكار الواقع أي بل أيقولون به جنون. وبالفارسية [ياميكويند درو ديوكيست] مع أنه أرجح الناس عقلاً وأثقبهم ذهناً وأتقنهم رأياً وأوفرهم رزانة. ﴿بل جاءهم بالحق﴾ أي ليس الأمر كما زعموا في حق القرآن والرسول بل جاءهم الرسول بالصدق الثابت الذي لا ميل عنه ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه.

قال الكاشفي: [يعني إسلام يا سخن راست كه قرآنست]. ﴿وأكثرهم للحق﴾ من حيث هو حق أي حق كان لا لهذا الحق فقط كما ينبىء عنه الإظهار في موقع الإضمار. ﴿كارهون﴾ لما في جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الأبلج وزاغوا عن الطريق الأنهج وتخصيص أكثرهم بهذا الوصف لا يقتضي إلا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا الحق المبين.

يقول الفقير: لعل وجه التخصيص أن أكثر القوم وهم الباقون على الكفر كارهون للحق ولذا أصروا وأقلهم وهم المختارون للإيمان غير كارهين ولذا أقروا فإن الحكمة الإلهية جارية على أن قوم كل نبي أكثرهم معاند كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الصافات: ٧١] قال الحافظ:

كوهر پاك ببايدكه شود قابل فيض ورنه هرسنك وكلي لؤلؤ ومرجان نشوذ

فالأقل وهم المستعدون كالجواهر النفيسة والأزهار الطيبة والأكثر وهم غير المستعدين كالأحجار الخسيسة والنباتات اليابسة.

واعلم أن الكفار كرهوا الحق المحبوب المرغوب طبعاً وعقلاً ولو تركوا الطبع والعقل

واتبعوا الشرع وأحبوه لكان خيراً لهم في الدنيا والآخرة.

إن قلت هل يعتد في الآخرة بما يفعل الإنسان في الدنيا من الطاعة كرهاً؟.

قلت: لا فإن الله تعالى ينظر إلى السرائر ولا يرضى إلا الإخلاص ولهذا قال عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات» وقال: «أخلص يكفك القليل من العمل».

عبادت باخلاص نيت نكوست وكرنه چه آيد زبى مغز پوست
اكرجز بحق ميرود جاده ات در آتش فشانند سجاده ات

ومن لطائف المولى الجامي:

تهيست سبحة زاهد زكوهر اخلاص هزار بار من آنرا شمرده ام يك يك

ودلت الآية على أن ما هو مكروه عند الإنسان لا يلزم أن يكون مكروهاً عند الرحمٰن والله تعالى لا يحمل العباد إلا على نعيم الأبد وقد علم الحق تعالى قلة نهوض العباد إلى معاملته التي لا مصلحة لهم في الدارين إلا بها فأوجب عليهم وجود طاعته ورتب عليها وجود ثوابه وعقوبته فساقهم إليها بسلاسل الإيجاب إذ ليس عندهم من المروءة ما يردهم إليه بلا علة هذا حال أكثر الخلق بخلاف أهل المروءة والصفا وذوي المحبة والوفا الذين لم يزدهم التكليف إلا شرفاً في أفعالهم وزيادة في نوالهم ولو لم يكن وجوب لقاموا للحق بحق العبودية ورعوا ما يجب أن يراعى من حرمة الربوبية حتى أن منهم من يطلب لدخول الجنة فيأبى ذلك طلباً للقيام بالخدمة فتوضع في أعناقهم السلاسل من الذهب فيدخلون بها الجنة قيل: ولهذا يشير عليه السلام بقوله: «عجب ربكم من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل» وفي الحديث إشارة أيضاً إلى أن بعض الكراهة قد يؤول إلى المحبة ألا ترى إلى أحوال بعض الأسارى فإنهم يدخلون دار الإسلام كرهاً ثم يهديهم الله تعالى فيؤمنون طوعاً فيساقون إلى الجنة بالسلاسل فالعبرة في كل شيء للخاتمة.

قال بعضهم: من طالع الثواب والعقاب فأسلم رغبة ورهبة فهو إنما أسلم كرهاً ومن طالع المثيب والمعاقب لا الثواب والعقاب فأسلم معرفة ومحبة فهو إنما أسلم طوعاً وهو الذي يعتد به عند أهل الله تعالى.

فعلى العاقل أن يتدبر القرآن فيخلص الإيمان ويصل إلى العرفان والإيقان بل إلى المشاهدة والعيان والله تعالى أرسل رسوله بالحق فماذا بعد الحق إلا الضلال.

﴿ولو اتبع الحق﴾ الذي كرهوه ومن جملته ما جاء به عليه السلام من القرآن ﴿أهواءهم﴾ مشتهيات الكفرة بأن جاء القرآن موافقاً لمراداتهم فجعل موافقته اتباعاً على التوسع والمجاز. ﴿لفسدت السمٰوات والأرض ومن فيهن﴾ من الملائكة والإنس والجن وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لأن مناط النظام قوام العالم ليس إلا الحق الذي من جملته الإسلام والتوحيد والعدل ونحو ذلك.

قال بعضهم: لولا أن الله أمر بمخالفة النفوس ومباينتها لاتبع الخلق أهواءهم وشهواتهم ولو فعلوا ذلك لضلوا عن طريق العبودية وتركوا أوامر الله تعالى وأعرضوا عن طاعته ولزموا مخالفته والهوى يهوي بمتابعيه إلى الهاوية. ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق الذي يقوم به العالم إلى تشنيعهم بالأعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذي فيه فخرهم وشرفهم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى:

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي شرف لك ولقومك والمعنى بل آتيناهم بفخرهم وشرفهم الذي يجب عليهم أن يقبلوا عليه أكمل إقبال.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿بل أتيناهم﴾ بما فيه لهم صلاح في الحال وذكر في المال ﴿فهم﴾ بسوء اختيارهم ﴿عن ذكرهم﴾ عن صلاح حالهم وشرف مآلهم.

وفي «الإرشاد»: أي فخرهم وشرفهم خاصة ﴿معرضون﴾ لا عن غير ذلك مما لا يوجب الإقبال عليه والاعتناء به.

﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿أم تسألهم﴾ انتقال من توبيخهم بما ذكر من قولهم أو يقولون به جنة إلى التوبيخ بوجه آخر كأنه قيل: أم يزعمون أنك تسألهم على أداء الرسالة. ﴿خرجاً﴾ أي: جعلاً وأجر فلأجل ذلك لا يؤمنون بك. ﴿فخراج ربك خير﴾ تعليل لنفي السؤال المستفاد من الإنكار أي لا تسألهم ذلك فإن رزق ربك في الدنيا وثوابه في العقبى خير لك من ذلك لسعته ودوامه ففيه استغناء لك عن عطائهم والخرج بإزاء الدخل يقال لكل ما تخرجه إلى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الأرض ففيه إشعار بالكثرة واللزوم فيكون أبلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله إياه.

قال في «تفسير المناسبات»: وكأنه سماه خراجاً إشارة إلى أنه أوجب رزق كل أحد على نفسه بوعد لا خلف فيه ﴿وهو خير الرازقين﴾ أي خير من أعطى عوضاً على عمل لأن ما يعطيه لا ينقطع ولا يتكدر وهو تقدير لخيرية خراجه تعالى.

وفي «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن العلماء بالله الراسخين في العلم لا يدنسون وجوه قلوبهم الناضرة بدنس الأطماع الفاسدة والصالحة الدنيوية والأخروية فيما يعاملون الله في دعوة الخلق إلى الله بالله لله.

زيان ميكند مرد تفسير دان كه علم وهنر ميفر وشدبنان

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في «الفتوحات المكية»: مذهبنا أن للواعظ أخذ الأجرة على وعظه الناس وهو من أحل ما يأكله وإن كان ترك ذلك أفضل وإيضاح ذلك أن مقام الدعوة إلى الله يقتضي الإجارة فإنه ما من نبي دعا إلى الله إلا قال: إن أجري إلا على الله فأثبت الأجر على الدعاء ولكن اختار أن يأخذه من الله لا من المخلوق انتهى. ﴿وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾ تشهد العقول السلمية باستقامة لا عوج فيه يوجب اتهامهم لك ﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ وصفوا بذلك تشنيعاً لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم أن لا حياة إلا الحياة الدنيا. ﴿عن الصراط﴾ المستقيم الذي تدعوهم إليه. ﴿لناكبون﴾ مائلون عادلون عنه فإن الإيمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهي من أقوى الدواعي إلى طلب الحق وسلوك سبيله وليس لهم إيمان وخوف حتى يطلبوا الحق ويسلكوا سبيله ففي الوصف بعدم الإيمان بالآخرة إشعار بعلة الحكم أيضاً كالتشنيع المذكور.

قال أبو بكر الوراق: من لم يهتم لأمر معاده ومنقلبه وما يظهر عليه في الملأ الأعلى والمسند الأعظم فهو ضال عن طريقته غير متبع لرشده وأحسن منه حالاً من لم يهتم لما جرى له في السابقة.

ثم في الآيات إخبار أن الكفار متعنتون محجوجون من كل وجه في ترك الاتباع والاستماع إلى رسول الله عليه السلام. قال الشيخ سعدي قدس سره.

كسى راكه پندار درسر بود مپندار هركز كه حق بشنود
زعلمش ملال آيد ازوعظ ننك شقايق بباران نرويد زسنك

قيل: لما انصرف هارون الرشيد من الحج أقام بالكوفة أياماً فلما خرج وقف بهلول المجنون على طريقة وناداه بأعلى صوته يا هارون ثلاثاً فقال هارون تعجباً: من الذي يناديني فقيل له: بهلول المجنون فوقف هارون وأمر برفع الستر وكان يكلم الناس وراء الستر فقال له: أتعرفني قال: نعم أعرفك فقال: من أنا، قال: أنت الذي لو ظلم أحد في المشرق وأنت في المغرب سألك الله تعالى عن ذلك يوم القيامة فبكى هارون من تأثير كلامه وقال: كيف ترى حالي قال: أعرضه على كتاب الله ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤﴾ [الانفطار: ١٣-١٤] قال: أين أعمالنا قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] قال: وأين قرابتنا من رسول الله قال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١﴾ [المؤمنون: ١٠١] قال: وأين شفاعة رسول الله ﷺ إيانا قال: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ۝١٠٩﴾ [طه: ١٠٩] قال هارون: هل لك حاجة قال: نعم أن تغفر لي ذنوبي وتدخلني الجنة قال: ليس هذا بيدي ولكن بلغنا أن عليك ديناً فنقضيه عنك قال: الدين لا يقضى بدين أدِّ أموال الناس إليهم قال هارون: أنأمر لك برزق يردّ عليك إلى أن تموت قال: نحن عبد الله تعالى أترى يذكرك وينساني فقبل نصحه ومضى إلى طريقه وأشار بهلول في قوله الأخير إلى مضمون قوله تعالى: ﴿فخراج ربك خير﴾ لأن ما ورد من حيث لا يحتسب خير مما ورد من جهة معينة. قال الحافظ قدس سره:

كنج زر كرنبود كنج قناعت باقيست آنكه آن داد بشاهان بكدايان ابن داد

قال الشيخ سعدي قدس سره:

نيرزد عسل جان من زخم نيش قناعت نكوتر بدوشاب خويش
اكر پادشاهت اكر پينه دوز چو خفتند كردد شب هردو روز

﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٥ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝٧٦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٧ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٧٨ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٧٩﴾.

﴿ولو رحمناهم﴾ روي أنه لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة عن أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز وهو شيء يتخذونه من الوبر والدم.

قال الكاشفي: [وأهل مكة بحوردن مرده ومردار مبتلاً شدند] جاء أبو سفيان إلى رسول الله في المدينة فقال: أنشدك الله والرحم أي أسألك بالله وبحرمة الرحم والقرابة ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ فقال بلى: فقال: قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فادع أن يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فأنزل الله هذه الآية ﴿وكشفنا﴾ أزلنا عنهم ﴿ما بهم﴾ [آنچه برايشان واقع است] ﴿من ضر﴾ من سوء الحال يعني القحط والجدب الذي غلب

عليهم وأصابهم ﴿للجوا﴾ اللجاج التمادي في الخصومة والعناد في تعاطي الفعل المزجور عنه وتمادى تناهى من المدى وهو الغاية والمعنى لتمادوا ﴿في طغيانهم﴾ الطغيان مجاوزة الحد في الشيء وكل مجاوز حده في العصيان طاغ أي في إفراطهم في الكفر والاستكبار، وعداوة الرسول والمؤمنين يعني لارتدوا إلى ما كانوا عليه ولذهب عنهم هذا التملق وقد كان ذلك.

ستيزندكى كار ديوو ددست ستيزندكى دشمني باخوداست

﴿يعمهون﴾ العمه التردد في الأمر من التحير أي عامهين عن الهدى مترددين في الضلالة لا يدرون أين يتوجهون كمن يضل عن الطريق في الفلاة لا رأي له ولا دراية بالطريق.

قال ابن عطاء الرحمة من الله على الأرواح المشاهدة ورحمته على الأسرار المراقبة ورحمته على القلوب المعرفة ورحمته على الأبدان آثار الجذبة عليها على سبيل السنة.

وقال أبو بكر بن طاهر كشف الضر هو الخلاص من أماني النفس وطول الأمل وطلب الرياسة والعلو وحب الدنيا وهذا كله مما يضر بالمؤمن.

وقال الواسطي: للعلم طغيان وهو التفاخر به وللمال طغيان وهو البخل وللعمل والعبادة طغيان وهو الرياء والسمعة وللنفس طغيان وهو اتباع شهواتها.

﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ اللام جواب قسم محذوف أي وبالله لقد أخذناهم أي أهل مكة بالعذاب الدنيوي وهو ما أصابهم يوم بدر من القتل والأسر.

وفي «التأويلات النجمية»: أذقناهم مقدمات العذاب دون شدائده تنبيهاً لهم ﴿فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾ فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع لربهم ومضوا على العتو والاستكبار والاستكانة الخضوع والذلة والتضرع إظهار الضراعة أي الضعف والذلة ووزن استكان استفعل من الكون لأن الخاضع ينتقل من كون إلى كون كما قيل: استحال إذا انتقل من حال إلى حال أو افتعل من السكون أشبعت فتحة عينه وصيغة المضارع في وما يتضرعون لرعاية الفواصل.

وفي «الإرشاد»: هو اعتراض مقرر لمضمون ما قبله: أي وليس من عادتهم التضرع إليه تعالى: ﴿حتى إذا﴾ [تاچون] ﴿فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد﴾ هو عذاب الآخرة. ﴿إذا هم﴾ [ناكاه ايشان]. ﴿فيه﴾ [دران عذاب] ﴿مبلسون﴾ متحيرون آيسون من كل خير أي محناهم بكل محنة من القتل والأسر والجوع وغير ذلك فما رؤي منهم انقياد للحق وتوجه إلى الإسلام وأما ما أظهره أبو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع إليه في شيء وإنما هو نوع قنوع إلى أن يتم غرضه فحاله كما قيل: إذا جاع ضغا وإذا شبع طغا وأكثرهم مستمرون على ذلك إلى أن يروا عذاب الآخرة فحينئذٍ يبلسون كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الروم: ١٢] وقوله تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥].

قال عكرمة: هو باب من أبواب جهنم عليه من الخزنة أربعمائة ألف سود وجوههم كالحة أنيابهم قد قلعت الرحمة من قلوبهم إذا بلغوه فتحه الله عليهم نسأل الله العافية من ذلك.

قال وهب بن منبه: كان يسرج في بيت المقدس ألف قنديل فكان يخرج من طور سيناء زيت مثل عنق البعير صاف يجري حتى ينصب في القناديل من غير أن تمسه الأيدي وكانت تنحدر نار من السماء بيضاء تسرج بها القناديل وكان القربان والسرج من ابني هارون شبر وشبير فأمر أن لا يسرجا بنار الدنيا فاستعجلا يوماً، فأسرجا بنار الدنيا فوقعت النار فأكلت ابني هارون

فصرخ الصارخ إلى موسى عليه السلام فجاء يدعو ويقول: يا رب إن ابني هارون قد عملت مكانهما مني فأوحى الله إليه يا ابن عمران هكذا افعل بأوليائي إذا عصوني فكيف بأعدائي.

وخرج على سهل الصعلوكي من مستوقد حمام يهودي في طمر أسود من دخانه فقال: ألستم ترون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فقال سهل على البداهة إذا صرت إلى عذاب الله كانت هذه جنتك وإذا صرت إلى نعيم الله كانت هذه سجني فتعجبوا من كلامه فعلم منه أن عذاب الآخرة ليس كعذاب الدنيا ومن عرف حقيقة الحال يقع في خوف المآل قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط» قال: «ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار».

واعلم أن المجاهدات والرياضات عذاب للنفس والطبيعة لإذابة جوهرهما من حيث الهوى والشهوات وإرجاعهما إلى الفطرة الأصلية لكن لا بد مع ذلك من التضرع والبكاء وتعفير الوجوه بالتراب لأنه بالاعتماد على الكسب يصعب طريق الوصول وبالافتقار والذلة ينفتح باب القبول.

جز خضوع وبندكي واضطرار اندرين حضرت ندارد اعتبار

وعن أبي يزيد البسطامي قدس سره كابدت العبادة ثلاثين سنة فرأيت قائلاً يقول لي: يا أبا يزيد خزائنه مملوءة من العبادة إن أردت الوصول إليه فعليك بالذلة والافتقار فعلم منه أن العذاب لا ينقطع إلا بإفراد العبودية لله تعالى والتواضع على وجه ليس فيه شائبة أنانية أصلاً نسأل الله سبحانه أن يكشف عنا ظلمة النفس وينورنا بنور الإنس والقدس إنه المسؤول في كل أمل والمأمول من كل عمل.

﴿وهو الذي أنشأ﴾ خلق ﴿لكم﴾ لمنافعكم ﴿السمع﴾ وهي قوة في الأذن بها تدرك الأصوات والفعل يقال له السمع أيضاً ويعبر تارة بالسمع عن الأذن وبالفارسية. [كوش].

﴿والأبصار﴾ جمع بصر يقال للجارحة الناظرة وللقوة فيها. وبالفارسية: [ديده] ﴿والأفئدة﴾ جمع فؤاد: وبالفارسية [دل].

قال الراغب: هو كالقلب لكن يقال: فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤد، أي التوقد يقال: فأدت اللحم شويته ولحم فئيد مشوي وخص هذه الثلاثة بالذكر لأن أكثر المنافع الدينية والدنيوية متعلق بها ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ ما صلة لتأكيد القلة أي شكراً قليلاً تشكرون هذه النعم الجليلة لأن العمدة في الشكر استعمالها فيما خلقت لأجله وأنتم تخلون بها إخلالاً عظيماً.

وفي «العيون»: لم تشكروه لا قليلاً ولا كثيراً.

يقول الفقير: وهذا لأن القلة ربما تستعمل في العدم وهو موافق لحال الكفار.

ثم في الآية إشارة إلى معاني ثلاثة.

إحداها: إظهار إنعامه العظيم وأفضاله الجسيم بهذه النعم الجليلة من السمع والأبصار والأفئدة.

وثانيها: مطالبة العباد بالشكر على هذه النعم.

وثالثها: الشكاية من العباد إذ الشاكر منهم قليل كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] وشكر هذه النعم استعمالها في طاعة المنعم وعبوديته فشكر السمع حفظه عن استماع المنهيات وأن لا يسمع إلا لله وبالله وعن الله.

كذركاه قرآن وپندست كوش به بهتان وباطل شنيدن مكوش

وشكر البصر حفظه عن النظر إلى المحرمات وأن ينظر بنظر العبرة لله وبالله وإلى الله.

دوچشم ازپي صنع باري نكوست زعيب برادر فروكيرو دوست

وشكر القلب تصفيته عن رين الأخلاق الذميمة وقطع تعلقه عن الكونين فلا يشهد غير الله ولا يحب إلا الله.

ترابكوهر دل كرده اند اما نتدار زدزدا مانت حق رانكاه دارو ومخسب

﴿وهو الذي ذرأكم في الأرض﴾ خلقكم وبثكم فيها بالتناسل يقال: ذرأ الله الخلق أي أوجد أشخاصهم ﴿وإليه﴾ تعالى لا إلى غيره ﴿تحشرون﴾ تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم فما لكم لا تؤمنون ولا تشكرون.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وهو الذي يحيي ويميت﴾ من غير أن يشاركه في ذلك شيء من الأشياء أي يعطي الحياة النطف والتراب والبيض والموتى يوم القيامة ويأخذ الحياة من الأحياء ولم يقل أحيا وأمات كما قال: أنشأكم وذرأكم ولكن جاء على لفظ المضارع ليدل على أن الإحياء والإماتة عادته. ﴿وله﴾ خاصة ﴿اختلاف الليل والنهار﴾ أي هو المؤثر في تعاقبهما لا الشمس أو في اختلافهما ازدياداً وانتقاصاً ﴿أفلا تعقلون﴾ أي: أتغفلون عن تلك الآيات فلا تعقلون بالنظر والتأمل أن الكل منا وأن قدرتنا تعم الممكنات وأن البعث من جملتها. ﴿بل قالوا﴾ عطف على مضمر يقتضيه المقام، أي لم يعقلوا بل قالوا أي: كفار مكة. ﴿مثل ما قال الأولون﴾ أي: كما قال من قبلهم من الكفار ثم فسر هذا القبول المبهم بقوله:

﴿قالوا أئذا متنا﴾ [اياچون بميريم] ﴿وكنا تراباً﴾ [وباشيم خاك] ﴿وعظاماً﴾ [واستخواني خاكي كهنة] ﴿أئنا لمبعوثون﴾ [أياما برانكيخته شدكان شويم استفهام برسبيل انكاراست يعني چون كرديم حشر وبعث چكونه بماراه يابد] استبعدوا ولم يتأملوا أنهم كانوا قبل ذلك أيضاً تراباً فخلقوا والعامل في إذا ما دل عليه لمبعوثون وهو نبعث لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها.

﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا﴾ أي البعث وهو مفعول ثان لوعدنا ﴿من قبل﴾ متعلق بالفعل من حيث اسناده إلى آبائهم لا إليهم أي وعد آباؤنا من قبل محمد فلم يروا له حقيقة. يعني [مارا ويدران مارا بوعدة حشر ونشر تخويف كردهاند وأين وعده راست نشد] ﴿إن هذا﴾ ما هذا ﴿إلا أساطير الأولين﴾ أكاذيبهم التي سطروها من غير أن يكون لها حقيقة جمع أسطورة لأنه يستعمل فيما يتلهى به كالأعاجيب والأضاحيك.

وفيه إشارة إلى أن الناس كلهم أهل تقليد من المتقدمين والمتأخرين إلا من هداه الله بنور الإيمان إلى التصديق بالتحقيق فإن المتأخرين هٰهنا قلدوا آباءهم المتقدمين في تكذيب الأنبياء والجحود وإنكار البعث قال الجامي قدس سره:

خواهي بصوت كعبة تحقيق ره بري بي بربي مقلد كم كرده ره مرو

﴿قل لمن الأرض ومن فيها﴾ من المخلوقات تغليباً للعقلاء على غيرهم ﴿إن كنتم تعلمون﴾ شيئاً ما فأخبروني به فإن ذلك كاف في الجواب وفيه من المبالغة في وضوح الأمر في تجهيلهم ما لا يخفى.

﴿سيقولون لله﴾ لأن بديهة العقل تضطرهم إلى الاعتراف بأنه تعالى خالقها ﴿قل﴾ عند اعترافهم بذلك تبكيتاً لهم. ﴿أفلا تذكرون﴾ أي تقولون ذلك فلا تتذكرون أن من فطر الأرض وما فيها ابتداء قادر على إعادتها ثانياً فإن البدء ليس بأهون من الإعادة بل الأمر بالعكس في قياس العقول.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾ ترقى في الأمر بالسؤال من الأدنى والأصغر إلى الأعلى والأكبر، فإن السموات والعرش أعظم من الأرض ولا يلزم منه أن يكون من في السموات أجل ممن في الأرض حتى تكون الملائكة أفضل من جنس البشر كما لا يخفى ﴿سيقولون لله﴾ باللام نظراً إلى معنى السؤال، فإن قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد يعني إذا قلت من رب هذا فمعناه لمن هذا فالجواب لفلان. ﴿قل﴾ توبيخاً لهم ﴿أفلا تتقون﴾ أي أتعملون ذلك فلا تتقون عذابه بعد العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شريكاً في الربوبية قدم التذكر على التقوى لأنهم بالتذكر يصلون إلى المعرفة وبعد أن عرفوه علموا أنه يجب عليهم اتقاء مخالفته.

﴿قل من بيده﴾ اليد في الأصل اسم موضوع للجارحة من المنكب إلى أطراف الأصابع وهو العضو المركب من لحم وعظم وعصب وكل من هذه الثلاثة جسم مخصوص بصفة مخصوصة والله تعالى متعال عن الأجسام وعن مشابهتها فلما تعذرت وجب الحمل على التجوز عن معنى معقول هو القدرة وبه نفسر قوله عليه السلام: «أن الله خمر طينة آدم بيده» أي: بقدرته الباهرة فإن العضو المركب منها محال على الله ليس كمثله شيء لأنه يلزم تركبه وتحيزه وذلك أمارة الحدوث المنافي للأزلية والقدم وكذلك الأصبعان في قوله عليه السلام: «إن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمٰن» فإن أهل الحق على أن الأصبعين وكذا اليدان في قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥] مجازان عن القدرة فإنه شائع أي خلقت بقدرة كاملة ولم يرد بقدرتين ﴿ملكوت كل شيء﴾ مما ذكر ومما يذكر أي ملكه التام فإن الملكوت الملك والتاء للمبالغة.

قال الراغب: الملكوت مختص بملك الله تعالى.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن لكل شيء ملكوتاً وهو روحه من عالم الملكوت الذي هو قائم به يسبح الله تعالى به كقوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] وروح ذلك بيد الله انتهى.

يقول الفقير: وهو الموافق لما قبل الآية فإنه تعالى لما بين أنه يهب كل جسم وجرم بين أن بيده روح ذلك الجسم والجرم. ﴿وهو يجير﴾ أي: يغيث غيره إذا شاء. ﴿ولا يجار عليه﴾

أي: ولا يغاث أحد عليه أي لا يمنع أحد منه بالنصر عليه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة.

وفي «التأويلات النجمية»: وهو يجير الأشياء من الهلاك بالقيومية ولا يجار عليه أي لا مانع له ممن أراد هلاكه. ﴿إن كنتم تعلمون﴾ ذلك فأجيبوني.

﴿سيقولون لله﴾ أي: لله ملكوت كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه ﴿قل فأنى تسحرون﴾ أي: فمن أين تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به ما أنتم عليه من الغي فإن من لا يكون مسحوراً مختلاً عقله لا يكون كذلك والخادع هو الشيطان والهوى.

أي كه پي نفس وهوى ميروى — ره اينست خطا ميروى
راه روان زان ره ديكر روند — پس توبدين راه چرا ميروى
منزل مقصود ازان جانبست — پس توازين سو بكجاميروى

﴿بل أتيناهم بالحق﴾ من التوحيد والوعد بالبعث. ﴿وإنهم لكاذبون﴾ فيما قالوا من الشرك وإنكار البعث بين أنهم أصروا على جحودهم وأقاموا على عتوهم ونبوهم بعد أن أزيحت العلل فلات حين عذر وليس المساهلة موجب بقاء وقد انتقم الله منهم فإنه يمهل ولا يهمل.

قال سقراط: أهل الدنيا كسطور في صحيفة كلما نشر بعضها طوى بعضها.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة فقد مضى ستة آلاف سنة وليأتين عليها مئون من سنين ليس عليها موحدين يعني عند آخر الزمان فكل من السعيد والشقي لا يبقى على وجه الدهر فيموت ثم يبعث فيجازى وفي «المثنوي»:

خاك را ونطفه را ومضغه را — پيش چشم ما همي دارد خدا
كز كجا آوردمت أي بدنيت — كه ازان آيد همي خفريقيت
تو بدان عاشق بدي در دورآن — منكر أين فضل بودي آن زمان
أين كرم چون دفع آن انكارتست — كه ميان خاك ميكردي نخست
حجت انكار شد انشار تو — از دوا بهتر شد أين بيمار تو
خاك را تصوير اين كار از كجا — نطفه را خصمي وإنكار از كجا
چون دران دم بي دل وبي سربدي — فكرت وإنكار را منكر بدي
از جمادى چونكه إنكارت برست — هم أزين إنكار حشرت شد درست
پس مثال تو چو آن حلقه زنيست — كزدرونش خواجه كويد خواجه نيست
حلقه زن زين نيست دريابدكه هست — پس زحلقه برندارد هيچ دست
پس هم انكارت مبين ميكند — كزجماداو حشر صد فن ميكند
چند صنعت رفت از انكارتا — آب وكل إنكار زاد از هل أتى
آب وكل ميكفت خود انكارنيست — بانك ميزد بيخبر كاخبار نيست

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿ما اتخذ الله من ولد﴾ كما يقول النصارى والقائلون أن الملائكة بنات الله لأنه لم

يجانس أحداً ولم يماثله حتى يكون من جنسه وشبهه صاحبة فيتوالدا. ﴿وما كان معه من إله﴾ يشاركه في الألوهية كما يقول عبدة الأصنام وغيرهم والآية حجة على من يقول: خالق النور غير خالق الظلمة. ﴿إذاً﴾ [آن هنكام] وهو يدخل على جواب وجزاء وهو ﴿لذهب كل إله بما خلق﴾ ولم يتقدمه شرط لكن قوله: ﴿وما كان معه من إله﴾ يدل على شرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة لانفرد كل إله بما خلقه واستبدّ به دون الإله الآخر وامتاز ملكه عن ملك الآخر. وبالفارسية: [ببرد خداي آنراكه آفريده بود ودرآن مستقل ومستبد باشد پس مخلوقات أين خداي از مخلوق ديكر ومشاهده ميرودكه ميان هيچ مخلوقات علامت تميز نيست پس ثابت شدكه باوهيچ خداي نيست وحده لا شريك له.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن اتخاذ الولد لا يصح كاتخاذ الشريك والأمران جميعاً داخلان في حد الاستحالة لأن الولد والشريك يوجب المساواة في القدر والصمدية تتقدس عن جواز أن يكون له مثل أو جنس ولو تصورنا جوازه إذاً لذهب كل إله بما خلق فكل أمر نيط باثنين فقد انتفى عن النظام وصحة الترتيب.

بروحدتش صحيفة لا ريب حجتست ... اينك نوشته ازشهد الله بران كواه

﴿ولعلا﴾ لغلب ﴿بعضهم على بعض﴾ كما هو الجاري فيما بين ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء وهو باطل لا يقول به عاقل قط.

قال الكاشفي: [اكر باوخدايي بودي وچنانچه شد مخلوق خودرا خداكردي وملك آواز ملك أين ممتاز شدى هر آيينه طرح نزاع وحرب ميان ايشان بديد آمدي چنانچه ازحال ملوك دنيا معلومست وبإجماع واستقرا معلوم شدكه اين تجارب وتنازع واقع نيست پس اورا شريك نبود].

قال في «الأسئلة المقحمة»: ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ أي لغلب منهما القوى على الضعيف وهو دليل على أنه لو كان إلهان لوقع التمانع بالعلم والقدرة فإنه إذا أراد أحدهما إحياء زيد والآخر إفناءه استوت قدرتهما بمنع كل واحد منهما فعل صاحبه ومهما ارتفع مراد أحدهما غلب صاحبه بالقدرة ونظيره حبل يتجاذبه اثنان فإذا استويا في القدرة بقيا متجاذبين فإن غلب أحدهما بالجذب لم يبق لفعل الآخر أثر فهو معنى الآية ﴿سبحان الله﴾ نزهوه تنزيهاً.

وقال الكاشفي: [پاكست خداي تعالى].

وفي «بحر العلوم»: تنزيه أو تعجيب ﴿عما يصفون﴾ أي يصفونه ويضيفونه إليه من الأولاد والشركاء.

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ بالجر على أنه بدل من الجلالة أي عالم السر والعلانية. وبالفارسية: [پوشيده وآشكار].

وفي «التأويلات النجمية»: عالم الملك والملكوت والأرواح والأجساد انتهى.

ثم إن الغيب بالنسبة إلينا لا بالنسبة إليه تعالى فهو عالم به وبالشهادة على سواء وهو دليل آخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم في تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى: ﴿فتعالى﴾ الله وتنزه ﴿عما يشركون﴾ به مما لا يعلم شيئاً من الغيب ولا يتكامل عليه بالشهادة فإن تفرده بذلك موجب لتعاليه عن أن يكون له شريك.

قال الراغب: شرك الإنسان في الدين ضربان أحدهما الشرك العظيم وهو إثبات شريك لله تعالى يقال: أشرك فلان بالله وذلك أعظم كفر، والثاني الشرك الصغير وهو مراعاة غير الله معه

في بعض الأمور وذلك كالرياء والنفاق، وفي الحديث: «والشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا».

مرايي هركسي معبود سازد مرايي را ازان كفتند مشرك

قال الشيخ سعدي قدس سره:

منه آب زرجان من بر پشيز كه صراف دانا نكيرد بچيز

قال يحيى بن معاذ: إن للتوحيد نوراً وللشرك ناراً وإن نور التوحيد أحرق سيئات الموحدين كما أن نار الشرك أحرقت حسنات المشركين روي: أن قائلاً قال: يا رسول الله فبم النجاة غداً قال: «أن لا تخادع الله» قال: وكيف نخادع الله؟ قال: «أن لا تعمل بما أمرك الله وتريد به غير وجه الله».

زعمرو أي پسر چشم أجرت مدار چو درخانة زيد باشي بكار

والعمدة في هذا الباب التوحيد فإنه كما يتخلص من الشرك الأكبر الجلي بالتوحيد كذلك يتخلص من الشرك الأصغر به فينبغي أن يشتغل به ويجتهد قدر الاستطاعة لينال على درجات أهل الإيمان والتوحيد من الصديقين ولكن برعاية الشريعة النبوية والاجتناب عن الصفات الذميمة للنفس حتى يتخلق بأخلاق الله نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المنقطعين عما سواه والعاملين بالله لله في الله.

﴿قل رب﴾ [أي پروردكار من] **﴿إما﴾** أصله إن ما وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط كالنون في قوله: **﴿تريني﴾** أي: إن كان لا بد من أن تريني وبالفارسية. [اكر نمايي مرا] **﴿ما يوعدون﴾** أي: المشركون من العذاب الدنيوي المستأصل والوعد يكون في الخير والشر يقال: وعدته بنفع وضر.

﴿رب﴾ يا رب **﴿فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾** أي قريناً لهم في العذاب وأخرجني من بين أيديهم سالماً والمراد بالظلم الشرك وفيه إيذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب أن يستعيذ منه من لا يكاد يمكن أن يحيق به ورد لإنكارهم إياه واستعجالهم به على طريقة الاستهزاء وهذا يدل على أن البلاء ربما يعم أهل الولاء وأن للحق أن يفعل ولو عذب البر لم يكن ذلك منه ظلماً ولا قبيحاً **﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم﴾** من العذاب. **﴿لقادرون﴾** ولكنا نؤجره لعلمنا بأن بعضهم أو بعض أعقابهم سيؤمنون أو لأنا لانعذبهم وأنت فيهم.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

﴿ادفع بالتي﴾ بالطريقة التي **﴿هي أحسن﴾** أي أحسن طرق الدفع من الحلم والصفح **﴿السيئة﴾** التي تأتيك منهم من الأذى والمكروه وهو مفعول ادفع والسيئة الفعلة القبيحة وهو ضد الحسنة.

قال بعضهم: استعمل معهم ما جعلناك عليه من الأخلاق والشفقة والرحمة فإنك أعظم

خطراً من أن يؤثر فيك ما يظهرونه من أنواع المخالفات.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني مكافأة السيئة جائزة لكن العفو عنها أحسن ويقال ادفع بالوفاء الجفاء ويقال: الأحسن ما أشار إليه القلب بالمعافاة والسيئة ما تدعو إليه النفس للمكافأة.

ويقال: [دفع كن ظلمت خلائق را بنور حقائق يا خظوظ خودرا بحقوق خداطي كن تيه حوادث را بقدم سلوك در طريق معرفت.

چوطي كشت تيه حوادث ازآنجا بملك قدم ران بيك حمله محمل
دران قلزم نور شو غوطة زن فروشوي ازخويشتن ظلمت ظل
بكى خوان يكي دان يكي كويكي جو سوى الله والله زوراست وباطل

﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ بما يصفونك به على خلاف ما أنت عليه كالسحر والشعر والجنون والوصف ذكر الشيء بحليته ونعته قد يكون حقاً وقد يكون باطلاً وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله وإرشاد له إلى تفويض أمره إليه تعالى.

﴿وقل رب﴾ يا رب ﴿أعوذ بك﴾ العوذ الالتجاء إلى الغير والتعلق به. ﴿من همزات الشياطين﴾ أي وساوسهم المغوية على خلاف ما أمرت به من المحاسن التي من حملتها دفع السيئة بالحسنة وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض أي معلم الدواب ونحو الهمز الأز في قوله ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: ٨٣].

قال الراغب: الهمز كالعصر يقال: همزت الشيء في كفي ومنه الهمز في الحروف انتهى شبه حثهم للناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على الإسراع أو الوثب والجمع للمرات أو لتنوع الوساوس أو لتعدد المضاف إليه.

﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ أصله يحضرونني فحذفت إحدى النونين ثم حذفت ياء المتكلم اكتفاء بالكسرة، أي من أن يحضروني ويحوموا حولي في حال من الأحوال صلاة أو تلاوة أو عند الموت أو غير ذلك.

قال الحسن: كان عليه السلام يقول عند استفتاح الصلاة: «لا إله إلا الله ثلاثاً الله أكبر ثلاثاً اللهم إني أعوذ بك من همزات الشياطين من همزها ونفثها ونفخها وأعوذ بك رب أن يحضرون» يعني بالهمز الجنون وبالنفث الشعر وبالنفخ الكبر روي: إنه اشتكى بعضهم أرقا فقال عليه السلام: «إذا أردت النوم فقل: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون» وكلمات الله كتبه المنزلة على أنبيائه أو صفات الله كالعزة والقدرة وصفها بالتمام لعرائها عن النقص والانقصام.

قال بعضهم هذا مقام من بقي له التفات إلى غير الله فأما من توغل في بحر التوحيد بحيث لا يرى في الوجود إلا الله لم يستعذ إلا بالله ولم يلتجىء إلا إلى الله والنبي عليه السلام لما ترقى عن هذا المقام قال: «أعوذ بك منك» وكان عليه السلام إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث» أي: من ذكور الجن وإناثهم مما اتصف بالخباثة وأجمعت الأمة على عصمة النبي عليه السلام فإن قرينه من الجن قد أسلم أو أنه قد نزع منه مغمز الشيطان فالمراد من الاستعاذة تحذير غيره من شر الشيطان ثم إن الشيطان يوسوس في صدور الناس فيغوي كل أحد من الرجال والنساء ويوقع الأشرار في البدع والأهواء، وفي الحديث:

«صنفان من أهل النار لم أرهما» يعني: في عصره عليه السلام لطهارة ذلك العصر بل حدثا بعده «قوم معهم سياط» يعني: أحدهما في أيديهم سياط جمع سوط تسمى تلك السياط في ديار العرب بالمقارع جمع مقرعة وهي جلدة طرفها مشدود عرضها كعرض الأصبع الوسطى يضربون بها السارقين عراة قيل: هم الطوافون على أبواب الظلمة كالكلاب يطردون الناس عنها بالضرب والسباب «كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء» يعني ثانيهما: نساء «كاسيات» يعني: في الحقيقة «عاريات» يعني: في المعنى لأنهن يلبسن ثياباً رقاقاً تصف ما تحتها أو معناه عاريات من لباس التقوى وهن اللاتي يلقين ملاحفهن من ورائهن فتنكشف صدورهن كنساء زماننا أو معناه كاسيات بنعم الله عاريات عن الشكر يعني أن نعيم الدنيا لا ينفع في الآخرة إذا خلا عن العمل الصالح وهذا غير مختص بالنساء «مميلات» أي قلوب الرجال إلى الفساد بهن أو مميلات أكتافهن وأكفالهن كما تفعل الراقصات أو مميلات مقانعهن عن رؤوسهن لتظهر وجوههن «مائلات» إلى الرجال أو معناه متبخترات في مشيهن «رؤوسهن كأسنمة البخت» يعني: يعظمن رؤوسهن بالخمر والقلنسوة حتى تشبه أسنمة البخت أو معناه ينظرن إلى الرجال برفع رؤوسهن «المائلة» لأن أعلى السنام يميل لكثرة شحمه «لا يدخلن ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا» أي: من مسيرة أربعين عاماً.

﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت﴾ حتى التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الاسمية وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون أي يستمرون على سوء الذكر حتى إذا جاء أحدهم كافراً، أي أحد كان الموت الذي لا مرد له وظهرت له أحوال الآخرة ﴿قال﴾ تحسراً على ما فرط فيه من الإيمان والعمل. ﴿رب﴾ يا رب ﴿ارجعون﴾ ردني إلى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب لأن العرب تخاطب الواحد الجليل الشأن بلفظ الجماعة وفيه رد على من يقول الجمع للتعظيم في غير المتكلم إنما ورد في كلام المولدين ثم إنه يقول له إلى أي شيء تذهب إلى جمع المال أو غرس الغراس أو بناء البنيان أو شق الأنهار فيقول: ﴿لعلي أعمل صالحاً فيما تركت﴾ أي: في الإيمان الذي تركته أي لعلي أعمل في الإيمان الذي آتي به البتة عملاً صالحاً فلم ينظم الإيمان في سلك الرجاء كسائر الأعمال الصالحة بأن يقول لعلي أو من فأعمل الخ للإشعار بأنه أمر مقرر الوقوع غني عن الإخبار بوقوعه فضلاً عن كونه مرجو الوقوع.

وقال في «الجلالين»: ﴿لعلي أعمل صالحاً﴾ أي أشهد بالتوحيد ﴿فيما تركت﴾ حين كنت في الدنيا انتهى.

قال بعضهم: الخطاب في ارجعون لملك الموت وأعوانه وذكر الرب للقسم كما في «الكبير» واستعان بالله أولاً ثم بهم كما في «الأسئلة المقحمة» وكما قال الكاشفي: [أمام ثعلبي بأجمعي مفسران برانندكه خطاب با ملك الموت وأعوان أوست أول بكلمة رب استعانة مي نمايند بخداي وبكلمة ارجعون رجوع مي نمايند بملائكة].

ويدل عليه قوله عليه السلام: «إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا: أنرجعك إلى الدنيا فيقول: إلى دار الهموم والأحزان بل قدوماً إلى الله تعالى وأما الكافر فيقول: ارجعون» وقيل: أريد بقوله: فيما تركت فيما قصرت فتدخل فيه العبادات البدنية والمالية والحقوق.

قال في «الكبير»: وهو أقرب كأنهم تمنوا الرجعة ليصلحوا ما أفسدوه.

يقول الفقير فالمراد بالعمل الصالح هو العمل المبني على الإيمان لأنه وإن كان عمل

عملاً في صورة الصالح لكنه كان فاسداً في الحقيقة حيث أحبطه الكفر فلما شاهد بطلانه رجا أن يرجع إلى الدنيا فيؤمن ويعمل عملاً صالحاً صورة وحقيقة.

وقال القرطبي: سؤال الرجعة غير مختص بالكافر أي بل يعم المؤمن المقصر.

قال في «حقائق البقلي»: بين الله سبحانه أن من كان ساقطاً عن مراتب الطاعات لم يصل إلى الدرجات ومن كان محروماً من المراقبات في البدايات كان محجوباً عن المشاهدات والمعاينات في النهايات وأن أهل الدعاوى المزخرفات والترهات تمنوا في وقت النزع أن لم تمض عليهم أوقاتهم بالغفلة عن الطاعات ولم يشتغلوا بالدعاوى المخالفات والمحالات فأقبل على طاعة مولاك واجتنب الدعاوى واطلاق القول في الأحوال فإن ذلك فتنة عظيمة هلك في ذلك طائفة من المريدين وما فزع أحد إلى تصحيح المعاملات إلا أداه بركة ذلك إلى قرب الرب ومقام الأمن ولا ترك أحد هذه الطريقة إلا تعطل وفسد ووقع في الخوف العظيم وتمنى حين لا ينفع التمني. قال الحافظ:

كاري كنيم ورنه خجالت بر آمرد روزي كه رخت جان بجهان دكر كشيم

وقال الخجندي:

علم وتقوى سر بسر دعويست ومعنى ديكرست

مرد معنى ديكر وميدان دعوى ديكرست

﴿كلا﴾ ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها أي لا يرد إلى الدنيا أبداً. ﴿إنها﴾ أي قوله رب ارجعون. ﴿كلمة﴾ الكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضه مع بعض ﴿هو﴾ أي ذلك الأحد ﴿قائلها﴾ عند الموت لا محالة لتسلط الحزن عليه ولا يجاب لها. ﴿ومن ورائهم﴾ فعال ولامه همزة عند سيبويه وأبي علي الفارسي وياء عند العامة وهو من ظروف المكان بمعنى خلف وأمام أي من الأضداد. والمعنى أمام ذلك الأحد والجمع باعتبار المعنى لأنه في حكم كلهم كما أن الأفراد في قال وما يليه باعتبار اللفظ. ﴿برزخ﴾ حائل بينهم وبين الرجعة وهو القبر.

وفي «التأويلات النجمية»: وهو ما بين الموت إلى البعث، أي بين الدنيا والآخرة وهو غير البرزخ الذي بين عالم الأرواح المثالي وبين هذه النشأة العنصرية. ﴿إلى يوم يبعثون﴾ يوم القيامة وهو إقناط كلي من الرجعة إلى الدنيا لما علم أن لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا وأما الرجعة حينئذٍ فإلى الحياة الأخروية.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿فإذا نفخ في الصور﴾ لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي عندها البعث والنشور والنفخ نفخ الريح في الشيء والصور مثل قرن ينفخ فيه فيجعل الله ذلك سبباً لعود الأرواح إلى أجسادها. ﴿فلا أنساب بينهم﴾ تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من فرط واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه أو لا أنساب يفتخرون بها والنسب القرابة بين اثنين فصاعداً أي اشتراك من جهة أحد الأبوين وذلك ضربان نسب بالطول كالاشتراك بين

الآباء والأبناء ونسب بالعرض كالنسب بين الإخوة وبني الأعمام ﴿يومئذٍ﴾ كما بينهم اليوم ﴿ولا يتساءلون﴾ أي لا يسأل بعضهم بعضاً فلا يقول له من أنت ومن أي قبيلة ونسب أنت ونحو ذلك لاشتغال كل منهم بنفسه لشدة الهول فلا يتعارفون ولا يتساءلون كما أنه إذا عظم الأمر في الدنيا لم يتعرف الوالد لولده ولا يناقضه قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الصافات: ٥٠] لأن عدم التساؤل عند ابتداء النفخة الثانية قبل المحاسبة والتساؤل بعد ذلك وأيضاً يوم القيامة يوم طويل فيه خمسون موطناً كل موطن ألف سنة ففي موطن يشتد عليهم الهول والفزع بحيث يشغلهم عن التساؤل والتعارف فلا يفطنون لذلك وفي موطن يفيقون إفاقة فيتساءلون ويتعارفون.

وعن الشعبي: قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله أما نتعارف يوم القيامة أسمع الله يقول: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون﴾ فقال عليه السلام: «ثلاثة مواطن تذهل فيها كل نفس حين يرمي إلى كل إنسان كتابه عند الموازين وعلى جسر جهنم» قال ابن مسعود رضي الله عنه: يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فينصب على رؤوس الأولين والآخرين ثم ينادي منادٍ ألا إن هذا فلان ابن فلان فمن كان له عليه حق فليأت إلى حقه فيفرح العبد يومئذٍ أن يثبت له حق على والده وولده أو زوجته وأخيه فلا أنساب بينهم يومئذٍ.

وعن قتادة لا شيء أبغض إلى الإنسان يوم القيامة من أن يرى من يعرفه أن يثبت له عليه شيء ثم تلا ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾ الآية [عبس: ٣٤].

قال محمد بن علي الترمذي قدس سره: الأنساب كلها منقطعة إلا من كانت نسبته صحيحة في عبودية ربه فإن تلك نسبة لا تنقطع أبداً وتلك النسبة المفتخر بها لا نسبة الأجناس من الآباء والأمهات والأولاد.

قال الأصمعي: كنت أطوف بالكعبة في ليلة مقمرة فسمعت صوتاً حزيناً فتبعت الصوت فإذا أنا بشاب حسن ظريف تعلق بأستار الكعبة وهو يقول: نامت العيون وغارت النجوم وأنت الملك الحي القيوم وقد غلقت الملوك أبوابها وأقامت عليها حرسها وحجابها وبابك مفتوح للسائلين فها أنا سائلك ببابك مذنباً فقيراً مسكيناً أسيراً جئت أنتظر رحمتك يا أرحم الراحمين ثم أنشأ يقول:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع القسم
قد نام وفدي حول البيت وانتبهوا ... وأنت يا حي يا قيوم لم تنم
أدعوك ربي ومولاي ومستندي ... فارحم بكائي بحق البيت والحرم
أنت الغفور فجد لي منك مغفرة ... أو اعف عني يا ذا الجود والنعم
إن كان عفوك لا يرجوه ذو جرم ... فمن يجود على العاصين بالكرم

ثم رفع رأسه نحو السماء وهو ينادي: يا إلهي وسيدي مولاي إن أطعتك فلك المنة علي وإن عصيتك فبجهلي فلك الحجة علي اللهم فبإظهار منتك علي وإثبات حجتك لديّ ارحمني وأغفر ذنوبي ولا تحرمني رؤية جدي قرة عيني وحبيبك وصفيك ونبيك محمد ﷺ ثم أنشأ يقول:

ألا أيها المأمول في كل شدة ... إليك شكوت الضر فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت كاشف كربتي ... فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي

فزادي قليل ما أراه مبلغي   على الزاد أبكي أم لبعد مسافتي
أتيت بأعمال قباح رديئة   وما في الورى خلق جني كجنايتي

فكان يكرر هذه الأبيات حتى سقط على الأرض مغشياً عليه فدنوت منه فإذا هو زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فوضعت رأسه في حجري وبكيت لبكائه بكاءً شديداً شفقة عليه فقطر من دموعي على وجهه فأفاق من غشيته وفتح عينه وقال: من الذي شغلني عن ذكر مولاي فقلت أنا الأصمعي يا سيدي ما هذا البكاء وما هذا الجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال: فاستوى جالساً وقال يا أصمعي هيهات إن الله تعالى خلق الجنة لمن أطاعه وإن كان عبداً حبشياً وخلق النار لمن عصاه وإن كان ملكاً قرشياً أما سمعت قوله تعالى: ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون﴾.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن نفخة العناية الربوبية إذا نفخت في صور القلب قامت القيامة وانقطعت الأسباب فلا يلتفت أحد إلى أحد من أنسابه لا إلى أهل ولا إلى ولد لاشتغاله بطلب الحق تعالى واستغراقه في بحر المحبة فلا يسأل بعضهم بعضاً عما تركوا من أسباب الدنيا ولا عن أحوال أهاليهم وأخدانهم وأوطانهم وإذا فارقوها كان لكل امرىء منهم يومئذٍ شأن في طلب الحق يغنيه عن مطالبة الغير.

﴿فمن ثقلت موازينه﴾ موزونات حسناته من العقائد والأعمال أي فمن كان له عقائد صحيحة وأعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله فهو جمع موزون بمعنى العمل الذي لا وزن وخطر عند الله وباقي الكلام في هذا المقام سبق في تفسير سورة الأعراف. ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مهروب ولما كان حرف من يصلح للواحد والجمع وحد على اللفظ وجمع على المعنى.

﴿ومن خفت موازينه﴾ أي ومن لم يكن له من العقائد والأعمال ما له وزن وقدر عند الله تعالى وهم الكفار لقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] ﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها. والخسر والخسران انتقاص رأس المال كما في «المفردات».

قال الكاشفي [پس كروه آنندكه زيان كرده اند ازنفسهاي يعني سرماية عمر بباد غفلت برداند واستعدادات حصول كمال را بطلب آرزوهاي نفس ومتابعت شهوات ضايع ساختند] ﴿في جهنم خالدون﴾ بدل من صلة أو خبر ثان لأولئك.

قال في «التأويلات النجمية»: الإنسان كالبيضة المستعدة لقبول تصرف ولاية الدجاجة وخروج الفروخ منها فما لم تتصرف فيها الدجاجة يكون استعدادها باقياً فإذا تصرف الدجاجة فيها فتغيرت عن حالها إلى حال الفروخية ثم انقطع تصرف الدجاجة عنها تفسد البيضة فلا ينفعها التصرف بعد ذلك لفساد الاستعداد ولهذا قالوا مرتد الطريقة شر من مرتد الشريعة وهذا معنى قوله: ﴿في جهنم خالدون﴾ أي في جهنم أنفسهم فلا يخرجون بالفروخية وليس من سنة الله إصلاح الاستعداد بعد إفساده. قال الجامي:

آنراكه زمين كشد درون چون قارون   ني موسيش آورد برون هارون
فاسد شده راز روز كار وارون   لا يمكن أن يصلحه العطارون

﴿تلفح وجوههم النار﴾ تحرقها يقال: لفحته النار بحرها أحرقته كما في «القاموس» واللفح كالنفح إلا أنه أشد تأثيراً كما في «الإرشاد» وغيره وتخصيص الوجوه بذلك لأنها أشرف الأعضاء وأعظم ما يصان منها فبيان حالها أزجر عن المعاصي المؤدية إلى النار وهو السر في تقديمها على الفاعل. ﴿وهم فيها كالحون﴾ من شدة الاحتراق. والكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان كما ترى الرؤوس المشوية.

وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام أنه مر في السوق برأس أخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة أيام ولياليهن، وفي الحديث: «تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته» انتهى.

فيقال لهم تعنيفاً وتوبيخاً وتذكيراً لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب.

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾.

﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ في الدنيا ﴿فكنتم بها تكذبون﴾ حينئذٍ.

﴿قالوا﴾ يا ﴿ربنا غلبت علينا﴾ أي ملكتنا ﴿شقوتنا﴾ التي اقترفناها بسوء اختيارنا فصارت أحوالنا مؤدية إلى سوء العاقبة.

قال القرطبي: وأحسن ما قيل في معناه غلبت علينا لذاتنا وأهواؤنا فسمى اللذات والأهواء شقوة لأنهما تؤديان إليها.

قال أبو تراب: الشقوة حسن الظن بالنفس وسوء الظن بالخلق. ﴿وكنا﴾ بسبب ذلك ﴿قوماً ضالين﴾ عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وسائر المعاصي.

﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ متجاوزون الحد في الظلم لأنفسنا. ﴿قال﴾ تعالى بطريق القهر: ﴿اخسؤوا فيها﴾ اسكتوا في النار سكوت هوان فإنها ليست مقام سؤال وانزجروا انزجار الكلاب إذا زجرت من خسأت الكلب إذا زجرته مستهيناً به فخسأ، أي انزجر. ﴿ولا تكلمون﴾ أي: باستدعاء الإخراج من النار والرجع إلى الدنيا فإنه لا يكون أبداً.

﴿إنه﴾ تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء أي إن الشأن. ﴿كان فريق من عبادي﴾ وهم المؤمنون. ﴿يقولون﴾ في الدنيا ﴿ربنا آمنا﴾ صدقنا بك وبجميع ما جاء من عندك. ﴿فاغفر لنا﴾ ﴿وارحمنا﴾ وأنعم علينا بنعمك التي من جملتها الفوز بالجنة والنجاة من النار. ﴿وأنت خير الراحمين﴾ لأن رحمتك منبع كل رحمة.

﴿فاتخذتموهم سخرياً﴾ مهزواً بهم أي اسكتوا عن الدعاء بقولكم: ربنا الخ لأنكم كنتم تستهزئون بالداعين بقولهم: ربنا آمنا الخ وتتشاغلون ﴿حتى أنسوكم﴾ أي: الاستهزاء بهم فإن أنفسهم ليست سبب الإنساء. ﴿ذكري﴾ أي ذكركم إياي والخوف مني والعمل بطاعتي من فرط أشتغالكم باستهزائهم. ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ وذلك غاية الاستهزاء.

وقال مقاتل: نزلت في بلال وعمار وسلمان وصهيب وأمثالهم من فقراء الصحابة كان كفار قريش كأبي جهل وعتبة وأبي بن خلف وأضرابهم يستهزئون بهم وبأسلامهم ويؤذونهم.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ بسبب صبرهم على أذيتهم والصبر حبس النفس عن الشهوات. ﴿أنهم هم الفائزون﴾ ثاني مفعولي الجزاء أي جزيتهم فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به.

وفي «التأويلات النجمية»: وفيه من اللطائف أن أهل السعادة كما ينتفعون بمعاملاتهم الصالحة مع الله من الله ينتفعون بإنكار منكريهم واستخفاف مستهزئيهم وأن أهل الشقاوة كما يخسرون بمعاملاتهم الفاسدة مع أنفسهم يخسرون باستهزائهم وإنكارهم على الناصحين المرشدين ﴿قال﴾ الله تعالى تذكيراً لما لبثوا فيما سألوا الرجوع إليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله ﴿اخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾ .

﴿كم لبثتم في الأرض﴾ التي تدعون أن ترجعوا إليها يقال لبث بالمكان أقام به ملازماً له. ﴿عدد سنين﴾ تمييز لكم ﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ استقصاراً لمدة لبثهم فيها بالنسبة إلى دخولهم في النار أو لأنها كانت أيام السرور قصار أو لأنها منقضية والمنقضي كالمعدوم.

هردم ازعمر كرامي هست كنج بي بدل ميرود كنجي چنين هر لحظه برباد آه آه

﴿فاسأل العادين﴾ أي الذين يعلمون عد أيامها إن أردت تحقيقها فإنا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها وإحصائها.

وفي «التأويلات النجمية»: فاسأل العادين يعني الذين يعدّون أنفاسنا وأيامنا وليالينا من الملائكة الموكلين علينا. ﴿قال﴾ الله تعالى.

﴿إن﴾ ما ﴿لبثتم إلا قليلاً﴾ تصديقاً لهم في تقليلهم لسني لبثهم في الدنيا وقليلاً صفة مصدر محذوف أي لبثاً قليلاً أو زمان محذوف أي زماناً قليلاً ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ لعلمتم يومئذٍ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم.

وفي «بحر العلوم»: أي لو كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لما أجبتم بهذه المدة فعلى العاقل أن يتدارك حاله ويصلح أعماله قبل أن تنفد الأنفاس وينهدم الأساس قيل:

ألا إنما الدنيا كظل سحابة أظلتك يوماً ثم عنك اضمحلت
فلا تك فرحاناً بها حين أقبلت ولا تك جزعاناً بها حين ولت

قال أردشير بن بابك بن ساسان وهو أول ملك من آل ساسان: لا تركنن إلى الدنيا فإنها لا تبقى على أحد ولا تتركها فإن الآخرة لا تنال إلا بها.

قال العلامة الزمخشري استغنم تنفس الأجل وإمكان العمل واقطع ذكر المعاذير والعلل فإنك في أجل محدود وعمر غير ممدود قال الشيخ سعدي قدس سره:

كنون وقت تخمست اكر پروري كر اميد وار أي كه خرمن بري
بشهر قيامت مرو تنكدست كه وجهي ندارد بغفلت نشست
غنيمت شمر أين كرامي نفس كه پي مرغ قيمت ندارد قفس
مكن عمر ضايع بافسوس وحيف كه فرصت عزيز بزست والوقت سيف

قال بعض الكبار: لو علمت أن ما فات من عمرك لا عوض له لم يصح منك غفلة ولا

إهمال ولكنت تأخذ بالعزم والحزم بحيث تبادر الأوقات وتراقب الحالات خوف الفوات عاملاً على قول القائل:

السباق السباق قولاً وفعلاً حذر النفس حسرة المسبوق

وما حصل من عمرك إذا علمت أن لا قيمة له كنت تستغرق أوقاتك في شكر الحاصل وتحصيل الواصل فقد قال علي رضي الله عنه بقية عمر المرء ما لها ثمن يدرك به منها ما فات ويحيي ما مات، وفي الحديث: «ما من ساعة تأتي على العبد لا يذكر الله فيها إلا كانت عليه حسرة يوم القيامة».

واعلم أن العباد على قسمين في أعمارهم فرب عمر اتسعت آماده وقلّت أمداده كأعمار بعض بني إسرائيل إذ كان الواحد منهم يعيش الألف ونحوها ولم يحصل على شيء مما يحصل لهذا الأمة مع قصر أعمارها ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده كعمر من فتح عليه من هذه الأمة فوصل إلى عناية الله بلمحة فمن بورك له في عمره أدرك في يسير من الزمان ما لا يدخل تحت العبارة فالخذلان كل الخذلان أن تتفرع من الشواغل ثم لا تتوجه إليه بصدق النية حتى يفتح عليك بما لا تصل الهمم إليه وأن تقل عوائقك ثم لا ترحل إليه عن عوالم نفسك والاستئناس بيومك وأمسك فقد جاء خصلتان مغبون فيهما كثير من الناس والفراع ومعناه أن الصحيح ينبغي أن يكون مشغولاً بدين أو دنياً فهو مغبون فيهما.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء للعطف على مقدر. والحسبان بالكسر الظن وعبثاً حال من نون العظمة بمعنى عابثين وهو ما ليس لفاعله غرض صحيح أو ارتكاب أمر غير معلوم الفائدة.

والمعنى أغفلتم وظننتم من فرط غفلتكم أنا خلقناكم بغير حكمة. **﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾** عطف على أنما خلقناكم أي وحسبتم عدم رجوعكم إلينا يعني أن المصلحة من خلقكم الأمر بالعمل ثم البعث للجزاء ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلى حيث لا مالك ولا حاكم سواه.

قال الترمذي: إن الله خلق الخلق ليعبدوه فيثيبهم على العبادة ويعاقبهم على تركها فإن عبدوه فإنهم عبيد أحرار كرام من رق الدنيا ملوك في دار السلام وإن رفضوا العبودية فهم اليوم عبيد أباق سقاط لئام وغداً أعداء في السجون بين أطباق النيران.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾** بلا معنى ينفعكم أو يضركم حتى عشتم كما يعيش البهائم فما تقربتم إلينا بالأعمال الصالحات للتقرب وحسبتم **﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾** باللطف والقهر.

فالرجوع باللطف بأن يموت بالموت الاختياري قبل الموت الاضطراري وهو بأن ترجعوا من أسفل سافلين الطبيعة على قدمي الشريعة والطريقة إلى أعلى عليين عالم الحقيقة.

والرجوع بالقهر بأن ترجعوا بعد الموت الاضطراري فتقادون إلى النار بسلاسل تعلقاتكم بشهوات الدنيا وزينتها وأغلال صفاتكم الذميمة.

وعن بهلول قال: كنت يوماً في بعض شوارع البصرة فإذا بصبيان يلعبون بالجوز واللوز وإذا أنا بصبي ينظر إليهم ويبكي فقلت: هذا صبي يتحسر على ما في أيدي الصبيان ولا شيء

معه فيلعب به فقلت أي بني ما يبكيك أشتري لك من الجوز واللوز ما تلعب به مع الصبيان فرفع بصره إليّ وقال: يا قليل العقل ما للعب خلقنا فقلت: أي بني فلماذا خلقنا فقال: للعلم والعبادة فقلت من أين لك ذلك بارك الله فيك قال: من قول الله تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ قلت له: بني أراك حكيماً فعظني وأوجز فأنشأ يقول:

أرى الدنيا تجهز بانطلاق مشمرة على قدم وساق
فلا الدنيا بباقية لحي ولا حي على الدنيا بباق
كأن الموت والحدثان فيها إلى نفس الفتى فرسا سباق
فيا مغرور بالدنيا رويداً ومنها خذ لنفسك بالوثاق

ثم رمق السماء بعينيه وأشار إليها بكفيه ودموعه تنحدر على خديه وهو يقول:

يا من إليه المبتهل يا من عليه المتكل
يا من إذا ما آمل يرجوه لم يخط الأمل

قال: فلما أتم كلامه خر مغشياً عليه فرفعت رأسه إلى حجري ونفضت التراب عن وجهه بكمي فلما أفاق قلت: له أي بني ما نزل بك وأنت صبي صغير لم يكتب عليك ذنب قال إليك عني يا بهلول أني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا تقد إلا بالصغار وإني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم قال: فسألت عنه فقالوا ذاك من أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قلت قد عجبت من أن تكون هذه الثمرة إلا من تلك الشجرة نفعنا الله به وبآبائه.

قال الشيخ أبو بكر الواسطي: [روزي أين آيت مي خواند فرمودكه ني ني خلق بعبث نيا فريد بلكه خواست كه هستيء وى آشكارا شود واز مصنوعات وي بصفات كمالية أوراه برند. وكفته اند شمارا ببازي نيافريده ايم بلكه براي ظهور نور محمد عليه السلام آفريده ايم جودر ازل مقر رشده بودكه آن كوهر تابان از صدق جنس أنس بيرون آيد پس أواصلست وشما همه فرع أوييد:

هفت ونه وچاركه پرداختند خاص بي موكب أو ساختند
أوست شه وآدميان جمله خيل أصل وي وجملة عالم طفيل

در بحر الحقائق كفته كه شمارا براي آن آفريدم تابر من سود كنيدنه بجهت آنكه من برشما سودكنم كما قال تعالى: «خلقت الخلق ليربحوا علي لا لأربح عليهم» وكويند ملائكة را آفريد تامنظر قدرت باشند وآدميانرا خلق كرد تامخزن جوهر محبت باشنده. در بعضي كتب سماوي هست كه أي فرزند آدم همه اشيا براي شما آفريدم وشمارا براي خودسر «كنت كنزاً مخفياً» اينجا ظهور تمام دارد] كما أشار إليه المولوي قدس الله سره في «المثنوي»:

أي ظهور تو بكلى نور نور كنج مخفي ازتو آمد در ظهور
كنج مخفي بود زپر چاك كرد خاك را تابان تر از أفلاك كرد
كنج مخفي بدزپري چوش كرد خاك را سلطان باطلس پوش كرد
خويش را تشناخت مسكين آدمي از فزوني آمد وشد دركمي
خويشتن آدمي ارزان فروخت بود اطلس خويش را بردلق دوخت
أي غلامت عقل تدبيرات هوش چون چنيني خويش را ارزان فروش

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ

لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾.

﴿فتعالى الله﴾ ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وأفعاله وعن خلو أفعاله عن الحكم والمصالح والغايات الجليلة ﴿الملك الحق﴾ الذي يحق له الملك على الإطلاق إيجاداً وإعداماً بدأ وإعادة وإحياء وإماتة وعقاباً وإثابة وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكه العظيم.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: الملك هو الذي يستغني في ذاته وصفاته وأفعاله عن كل موجود ويحتاج إليه كل موجود. وفي «المفردات»: الحق موجد الشيء بسبب ما يقتضيه الحكمة.

وفي «التأويلات النجمية»: ذاته وصفاته حق وقوله صدق ولا يتوجه لمخلوق عليه حق وما يفعل من إحسانه بعباده فليس شيء منها بمستحق. ﴿لا إله إلا هو﴾ فإن كل ما عداه عبيده ﴿رب العرش الكريم﴾ فكيف بما هو تحته ومحاط به من الموجودات كائناً ما كان وإنما وصف العرش بالكريم لأنه مقسم فيض كرم الحق ورحمته منه تنقسم آثار رحمته وكرمه إلى ذرات المخلوقات ﴿ومن﴾ [هركه] ﴿يدع﴾ يعبد ﴿مع الله إلهاً آخر﴾ إفراداً أو اشتراكاً ﴿لا برهان له به﴾ أي بدعائه معه ذلك. وبالفارسية: [هيچ حجتي نيست بر پرستنده رابيرستش آن اله] وهو صفة لازمة لها كقوله ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] إذ لا يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان إذ الباطل ليس له برهان جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليها تنبيهاً على أن الدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بداهة العقول بخلافه ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ فهو مجازي له على قدر ما يستحقه جواب يدع ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ أي: الشأن لا ينجو من كفر من سوء الحساب والعذاب. ﴿وقل رب اغفر وارحم﴾ أمر رسول الله ﷺ بالاستغفار والاسترحام إيذاناً بأنهما من أهم الأمور الدينية حيث أمر به من غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عداه كما قال في «التأويلات النجمية»: الخطاب مع محمد عليه السلام يشير إلى أنه مع كمال محبوبيته وغاية خصوصيته ورتبة نبوته ورسالته محتاج إلى مغفرته ورحمته فكيف بمن دونه وبمن يدعو مع الله إلهاً آخر أي فلا بد لأمته من الاقتداء به في هذا الدعاء ﴿وأنت خير الراحمين﴾ يشير إلى أنه يحتمل تغير كل راحم بأن يسخط على مرحومه فيعذبه بعد أن يرحمه وإن الله جل ثناؤه إذا رحم عبده لم يسخط عليه إبداً لأن رحمته أزلية لا تحتمل التغير.

وفي «حقائق البقلي»: اغفر تقصيري في معرفتك وارحمني بكشف زيادة المقام في مشاهدتك وأنت خير الراحمين إذ كل الرحمة في الكونين قطرة مستفادة من بحار رحمتك القديمة.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه مرّ بمصاب مبتلى فقرأ في أذنه ﴿أفحسبتم﴾ حتى ختم السورة فبرىء بإذن الله فقال عليه السلام: «ما قرأت في أذنه» فأخبره فقال: «والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال» روي أن أول هذه السورة وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع آيات من آخرها فقد نجا وأفلح.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان عليه السلام إذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يده وقال: «اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا» ثم قال: «لقد أنزل عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة» ثم قرأ ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ حتى ختم العشر.

٢٤ ــ تفسير سورة النور

وهي مدنية اثنتان أو أربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال القرطبي: مقصود هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر كتب عمر رضي الله عنه إلى الكوفة علموا نساءكم سورة النور وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ لا «تنزلوهن» أي: النساء «في الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن سورة النور والغزل».

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾.

﴿سورة﴾ سورة القرآن طائفة منه محيطة بما فيها من الآيات والكلمات والعلوم والمعارف مأخوذة من سورة المدينة وهو حائطها المشتمل عليها وهي خبر مبتدأ محذوف، أي هذه سورة وإنما أشير إليها مع عدم سبق ذكرها لأنها باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر المشاهد والتنكير مفيد للفخامة من حيث الذات كما أن قوله تعالى: ﴿أنزلناها﴾ مفيد لها من حيث الصفة أي أنزلناها من عالم القدس بواسطة جبريل. ﴿وفرضناها﴾ أي: أوجبنا ما فيها من الأحكام إيجاباً قطعياً فإن أصل الفرض قطع الشيء الصلب والتأثير فيه كقطع الحديد والفرض كالإيجاب لكن الإيجاب يقال اعتباراً بوقوعه وثباته والفرض بقطع الحكم فيه كما في «المفردات». ﴿وأنزلنا فيها﴾ أي: في تضاعيف السورة. ﴿آيات﴾ هي الآيات التي نيطت بها الأحكام المفروضة كما هو الظاهر لا مجموع الآيات. ﴿بينات﴾ واضحات دلالاتها على أحكامها وتكرير أنزلنا مع استلزام إنزال السورة لإنزالها لإبراز كمال العناية بشأنها. ﴿لعلكم تذكرون﴾ [شايدكه شماپند پذيريد واز محارم پرهيزيد] وهو بحذف إحدى التاءين أي تتذكرونها فتعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية إلى إجراء أحكامها وفيه إيذان بأن حقها أن تكون على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة إليها استحضروها.

قال بعضهم لو لم يكن من آيات هذه السورة إلا براءة الصديقة بنت الصديق حبيبة الله لكان كثيراً فكيف وقد جمعت من الأحكام والبراهين ما لم يجمعها غيرها.

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾.

﴿الزانية والزاني﴾ شروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان أحكامها والزنى وطء المرأة من غير عقد شرعي وقد يقصر وإذا مد يصح أن يكون مصدر المفاعلة والنسبة إليه زنوي كذا في «المفردات» والزانية هي المرأة المطاوعة للزنى الممكنة منه كما ينبىء عنه الصيغة لا المزينة كرهاً وتقديمها على الزاني لما أن زنى النساء من إماء العرب كان فاشياً في ذلك

الزمان أو لأنها الأصل في الفعل لكون الداعية فيها أوفر والشهوة أكثر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعها على الابتداء والخبر قوله: ﴿فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط إذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التي زنت والذي زنى. والجلد ضرب الجلد بالكسر وهو قشر البدن يقال: جلده نحو بطنه وظهره إذا ضرب وظهره أو معنى جلده ضربه بالجلد نحو عصاه إذا ضربه بالعصا ومائة نصب على المصدر. والمعنى بالفارسية: [پس بزنيد أي أهل بلد وأحكام هربكي را ازان هردو صد تازيانه] وكان هذا عاماً في المحصن وغيره وقد نسخ في حق المحصن قطعاً ويكفينا في حق الناسخ القطع بأنه عليه السلام قد رجم ماعزاً وغيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة فحد المحصن هو الرجم وحد غير المحصن هو الجلد.

وشرائط الإحصان في باب الرجم ست عند أبي حنيفة: الإسلام والحرية والعقل والبلوغ والنكاح الصحيح والدخول فلا إحصان عند فقد واحدة منها وفي باب القذف الأربع الأول والعفة فمعنى قولهم رجم محصن أي مسلم حر عاقل بالغ متزوج وذو دخول ومعنى قولهم قذف محصناً أي مسلماً حراً عاقلاً بالغاً عفيفاً وإذا فقدت واحدة منها فلا إحصان. ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾ رحمة ورقة. وفي «البحر»: الرأفة أرق الرحمة. وبالفارسية: [مهرباني كردن] وتنكيرها للتقليل أي لا يأخذكم بهما شيء من الرأفة قليل من هذه الحقيقة. وبالفارسية: [وفرانكير شمارا باين روزنا كننده مهرباني]. ﴿في دين الله﴾ في طاعته وإقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه بعدم الإيجاع ضرباً والتكميل حداً وذلك أن المضروب يفعل أثناء الضرب أفعالاً غريبة ويتضرع ويستغيث ويسترحم وربما يغشى عليه فيرأف به الإمام أو الضارب أو بعض الحاضرين لا سيما إذا كان أحب الناس إليه كالولد والأخ مثلاً فلا يستوفي حد الله وحقه ولا يكمل جلد مائة بل ينقصه بترك شيء أو يخفف الضرب فنهاهم الله عن ذلك.

وفيه تنبيه على أن الله تعالى إذا أوجب أمراً قبح استعمال الرحمة فيه وفي الحديث: «يؤتى بوالٍ نقص من حد سوطاً فيقال: لم نقصت فيقول: رحمة لعبادك فيقال له: أنت أرحم مني انطلقوا به إلى النار ويؤتى بمن زاد سوطاً فيقال لم زدت فيقول: لينهوا عن معاصيك فيقال له أنت أحكم مني فيؤمر به إلى النار».

قال في «الأسئلة المقحمة» إن الله نهى عن الرأفة والرحمة وعلى هذا إن وجدنا واحداً بقلبه إشفاق على أخيه المسلم حيث وقع في المعصية يؤاخذ بها، والجواب أنه لم يرد الرأفة الجبلية والرحمة الغريزية فإنها لا تدخل تحت التكليف وإنما أراد بذلك الرأفة التي تمنع عن إقامة حدود الله وتفضي إلى تعطيل أحكام الشرع فهي منهي عنها.

قال في «بحر العلوم»: وفيه دلالة على أن المخاطبين يجب عليهم أن يجتهدوا في حد الزنى ولا يخففوا الضرب بل يوجعوها ضرباً وكذلك حد القذف عند الزهري لا حد الشرب وعن قتادة يخفف في حد الشرب والقذف ويجتهد في حد الزنى. ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ من باب التهييج والتهاب الغضب لله ولدينه فإن الإيمان بهما يقتضي الجد في طاعته والاجتهاد في إجراء الأحكام.

قال الجنيد رحمه الله: الشفقة على المخالفين كالإعراض عن الموافقين وذكر اليوم الآخر لتذكر ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل وإنما سمي يوم القيامة اليوم الآخر لأنه

لا يكون بعده ليل فيصير كله بمنزلة يوم واحد وقد قيل إنه تجتمع الأنوار كلها وتصير في الجنة يوماً واحداً وتجتمع الظلمات كلها وتصير في النار ليلة واحدة. ﴿**وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين**﴾ الشهود الحضور والعذاب الإيجاع الشديد.

قال بعضهم: التعذيب إكثار الضرب بعذبة السوط أي طرفه وقيل غير ذلك وفي تسميته عذاباً دليل على أنه عقوبة ويجوز أن يسمي عذاباً لأنه ألم مانع من المعاودة كما سمي نكالاً أي عقاباً يردع عن المعاودة والطائفة فرقة يمكن أن تكون حافة حول الشيء وحلقة من الطوف والمراد به جمع يحصل به التشهير والزجر وقوله: من المؤمنين لأن الفاسقين من صلحاء قومه أخجل وظاهر الأمر الوجوب لكن الفقهاء قالوا بالاستحباب، والمعنى لتحضره زيادة في التنكيل فإن التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب. وبالفارسية: [وبايد كه حاضر شوندرر وقت عذاب آن دوتن يعني درزمان أقامت برايشان كروهي ازمؤمنان تاتشهير ايشان حاصل وآن تفضيح مانع كردد ازمعاودت بأمثال آن عمل] فحد غير المحصن جلد مائة وسطاً بسوط لا ثمرة له ويجلد الرجل قائماً وينزع عنه ثيابه إلا إزاره ويفرق على بدنه إلا رأسه ووجهه وفرجه وتجلد المرأة قاعدة لا ينزع من ثيابها إلا الحشو والفرو وجاز الحفر لها لا له ولا يجمع بين جلد ورجم ولا بين جلد ونفي إلا سياسة ويرجم مريض زنى ولا يجلد حتى يبرأ وحامل زنت ترجم حين وضعت وتجلد بعد النفاس وللعبد نصفها ولا يحده سيده إلا بإذن الإمام خلافاً للشافعي وفي الحديث: «إقامة حد بأرض خير لأهلها من مطر أربعين ليلة».

واعلم أن الزنى حرام وكبيرة روى حذيفة رضي الله عنه، عنه عليه السلام: «يا معشر الناس اتقوا الزنى فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة. أما التي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر. وأما التي في الآخرة فسخط الله وسوء الحساب وعذاب النار» ومن الزنى زنى النظر والنظرة سهم مسموم من سهام إبليس: وفي «المثنوي»:

أين نظر ازدور چون تيراست وسم   عشقت افزون ميكند صبر توكم

وفي «التأويلات النجمية»: قوله: ﴿**الزانية والزاني**﴾ يشير إلى النفس إذا زنت وزناها بأن استسلمت لتصرفات الشيطان والدنيا فيها بما نهاها الله عنه وإلى الروح إذا زنى وزناه تصرفه في الدنيا وشهواتها مما نهاه الله عنه. ﴿**فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**﴾ من الجوع وترك الشهوات والمرادات تزكية لهما. وتأديباً ﴿**ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله**﴾ يعني: إذا ادعيتم محبة الله فابغضوا مخالفي أمره ولا ترجموا أنفسكم وأرواحكم على مخالفة الله فإنهم يظلمون أنفسهم بجهلهم بحالهم وأن رحمتكم عليهم في ترك تزكيتهم وتأديبهم كترك الولد علاج ولده المريض شفقة عليه لينهكه المرض فأدبوهما ﴿**إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين**﴾ يشير إلى شهود أهل الصحبة وأن يزكي النفس ويؤدب الروح بمشهد شيخ وأصل كامل ليحفظه من طرفي الإفراط والتفريط ويهديه إلى صراط مستقيم هو صراط يسلكه فيه.

قطع أين مرحله بئ همر هيء خضر مكن   ظلماً تست بترس از خطر كمراهي

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾

﴿**الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك**﴾ النكاح إنما ورد في القرآن بمعنى العقد أي التزوج لا الوطء.

قال الراغب أصل النكاح للعقد ثم استعير للجماع ومحال أن يكون في الأصل للجماع ثم استعير للعقد لأن أسماء الجماع كلها كنايات لاستقباحهم ذكره كاستقباح تعاطيه ومحال أن يستعير من لا يقصد فحشاً ما يستفظعونه لما يستحسنونه انتهى.

وهذا حكم مؤسس على الغالب المعتاد جيء به لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنى بهن يعني الغالب أن المائل إلى الزنى والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء وإنما يرغب في نكاح فاسقة من شكله أو مشركة والمسافحة لا يرغب في نكاحها الصلحاء وينفرون عنها وإنما يرغب فيها فاسق مثلها أو مشرك فإن المشاكلة سبب الائتلاف والاجتماع كما أن المخالفة سبب الوحشة والافتراق.

وقدم الزاني في هذه الآية لأن الرجل أصل في النكاح من حيث أنه هو الطالب ومنه تبدأ الخطبة ولأن الآية نزلت في فقراء المهاجرين الذين رغبوا في نكاح موسرات كانت بالمدينة من بقايا المشركين لينفقن عليهن من أكسابهن على عادة الجاهلية كما قال الكاشفي: [بقايا از يهود بامشر كان مدينة در بيوت نواخير نشسته هريك برد رخانة خود رايتي نصب كردندي ومردم رايخود دعوت نموده أجرت كرفتندي ضعفة مهاجرين كه مسكني وعشرتي نداشتند وازتنك پريشان مي كذرانيدند داعية كردندكه ايشانرا بنكاح درآ ورده كه وكراين نفس ازايشان كرفته برعادت أهل جاهليت معاش كذرانند] فاستأذنوا رسول الله ﷺ في ذلك فنفروا عنه ببيان أنه أفعال من الزناة وخصائص المشركين كأنه قيل: الزاني لا يرغب إلا في نكاح إحداهما والزانية لا يرغب في نكاحها إلا أحدهما فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا في سلكهما أو تتسموا بسمتهما فإيراد الجملة الأولى مع أن مناط التنفير هي الثانية لتأكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر والتنفير لا مجرد الإشراك وإنما تعرّض لها في الأولى إشباعاً في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة. ﴿وحرم ذلك﴾ أي نكاح الزاني: ﴿على المؤمنين﴾ لما فيه من التشبيه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب بسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد لا يكاد يليق بأحد من الأداني والأرازل فضلاً عن المؤمنين ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة في الزجر والحكم إما مخصوص بسبب النزول أو منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢] فإنه متناول للمسافحات ويؤيده ما روي أنه عليه السلام سئل عن ذلك فقال: «أو له سفاح وآخره نكاح» والحرام لا يحرم الحال.

وفي الآية إشارة إلى الحذر عن أخدان السوء والحث عن مخالطة أهل الصحبة والأخدان في الله تعالى فإن الطبع من الطبع يسرق والمقارنة مؤثرة والأمراض سارية وفي الحديث: «لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فهو منهم وليس منا» أي: لا تسكنوا مع المشركين في المسكن الواحد ولا تجتمعوا معهم في المجلس الواحد حتى لا يسري إليكم أخلاقهم وسيرهم القبيحة بحكم المقارنة وللناس أشكال يطير بشكله.

همه مرغان كند باجنس پرواز كبوتر با كبوتر باز با باز

وكل مساكن مثله كما قال قائلهم:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فإن القرين بالمقارن يقتدي

فأما أهل الفساد فالفساد يجمعهم وإن تناءت ديارهم وأما أهل السداد فالسداد يجمعهم وإن تباعد مزارهم.

قال الكاشفي: [جنسيت علت ضمست ومشاكله سبب الفت:

هركس مناسب كهر خود كرفت يار بلبل بباغ رفت وزغن سوى خارزار

وحرم محافظة أخدان السوء على المؤمنين لئلا يؤثر فيهم فساد حالهم وسوء أخلاقهم.

ومن بلاغات الزمخشري: لا ترضى لمجالستك إلا أهل مجانستك أي لا ترض أن تكون جليس أحد من غير جنسك فإنه العذاب الشديد ليس إلا. فقال بعضهم: الممينة موجودة في المؤمنات أيضاً ولكن علة الضم الجنسية فعلى العاقل أن يصون نفسه بقدر الإمكان فإن الله غيور ينبغي أن يخاف منه كل آن.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾.

﴿والذين يرمون المحصنات﴾ الرمي يقال في الأعيان كالسهم والحجر ويقال في المقال كناية عن الشتم كالقذف فإنه في الأصل الرمي بالحجارة ونحوها مطلقاً.

قال في «الإرشاد» في التعبير عن التفوه بما قالوا في حقهن بالرمي المنبىء عن صلابة الآلة وإيلام المرمى وبعده إيذان بشدة تأثيره فيهن والمحصنات العفائف وهو بالفتح يقال إذا تصور حصنها من نفسها وبالكسر يقال إذا تصور حصنها من غيرها والحصن في الأصل معروف ثم تجوز به في كل تحرز ومنه درع حصينة لكونها حصناً للبدن وفرس حصان لكونه حصناً لراكبه وامرأة حصان للعفيفة والمعنى والذين يقذفون العفائف بالزنى بدليل ذكر المحصنات عقيب الزواني وتخصيص المحصنات لشيوع الرمي فيهن وإلا فقذف الذكر والأنثى سواء في الحكم الآتي والمراد المحصنات الأجنبيات لأن رمي الأزواج أي النساء الداخلات تحت نكاح الرامين حكمه سيأتي.

وأجمعوا على أن شروط إحصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والإسلام والعفة من الزنى حتى أن من زنى مرة في أول بلوغه ثم تاب وحسنت حاله فقذفه شخص لا حد عليه والقذف بالزنى أن يقول العاقل لمحصنة: يا زانية يا ابن الزاني يا ابن الزانية يا ولد الزنى أو لست لأبيك يا ابن فلان في غضب والقذف بغيره أن يقول: يا فاسق يا شارب الخمر يا آكل الربا ويا خبيث يا نصراني يا يهودي يا مجوسي فيوجب التعزير كقذف غير المحصن وأكثر التعزير تسعة وثلاثون سوطاً وأقله ثلاثة لأن التعزير ينبغي أن لا يبلغ أقل الحد أربعين وهي حد العبيد في القذف بالزنى والشرب وأما أبو يوسف فاعتبر حد الأحرار وهو ثمانون سوطاً ونقص منها سوطاً في رواية وخمسة في رواية وقال الإمام أن يعزر إلى المائة والفرق بين التعزير والحد أن الحد مقدر والتعزير مفوض إلى رأي الإمام وأن الحد يندرىء بالشبهات دونه وأن الحد لا يجب على الصبي والتعزير شرع والحد يطلق على الذمي إن كان مقدراً والتعزير لا يطلق عليه لأن التعزير شرع للتطهير والكافر ليس من أهل التطهير وإنما سمي في حق أهل الذمة إذا كان غير مقدر عقوبة وأن التقادم يسقط الحد دون التعزير وأن التعزير حق العبد كسائر حقوقه ويجوز فيه الإبراء والعفو والشهادة على الشهادة ويجري فيه اليمين ولا يجوز شيء منها في الحد ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ يشهدون عليهن بما رموهن به ولا يقبل فيه شهادة النساء كما في سائر الحدود وفي كلمة ثم إشعار بجواز تأخيره الإتيان بالشهود وفي كلمة لم إشارة إلى العجز عن

الإتيان بهم ولا بد من اجتماع الشهود عند الأداء عند أبي حنيفة رحمه الله أي الواجب أن يحضروا في مجلس واحد وإن جاؤوا متفرقين كانوا قذفة وفي قوله: بأربعة شهداء دلالة على أنهم إن شهدوا ثلاثة يجب حدهم لعدم النصاب وكذا إن شهدوا عمياناً أو محدودين في قذف أو أحدهم محدود أو عبد لعدم أهلية الشهادة. ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ انتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز أي اضربوا كل واحد من الرامين ثمانين ضربة إن كان القاذف حراً وأربعين إن كان عبداً لظهور كذبهم وافترائهم بعجزهم عن الإتيان بالشهداء. وبالفارسية: [پس بزنيد ايشانرا هشتاد تازيانه] وإن كان المقذوف زانياً عزر القاذف ولم يحد إلا أن يكون المقذوف مشهوراً بما قذف به فلا حد ولا تعزير حينئذ ويجلد القاذف كما يجلد الزاني إلا أنه لا ينزع عنه من الثياب إلا ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو والقاذفة أيضاً في كيفية الجلد مثل الزانية وضرب التعزير أشد ثم للزنى ثم للشرب ثم للقذف لأن سبب حده محتمل للصدق والكذب وإنما عوقب صيانة للأعراض. وبالفارسية: [حد قذف ازحد زنى وحد شرب اخص است زيراكه حد زنى بقرآن ثابت شده وثبوت حد شرب يقول صحابه أست وسبب حد قذف محتمل است مر صدق رائي] وإن كان نفس الحد ثابتاً بالنص وإنما يحد بطلب المقذوف المحصن لأن فيه حقه من حيث دفع العار عنه ولا بد أن يكون الطلب بالقول حتى لو قذف الأخرس وطلبه بالإشارة لا يجب الحد وكون المقذوف غائباً عن مجلس القاذف حال القذف أو حاضراً سواء فاحفظه ويجوز للمقذوف أن يعفو عن حد القذف قبل أن يشهد ويثبت الحد والإمام أيضاً ويحسن منه أن يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له أعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبوت الحد فإذا ثبت لم يكن لواحد منهما أن يعفو لأنه خالص حق الله ولهذا لم يصح أن يصالح عنه بمال وإذا تاب القاذف قبل أن يثبت الحد سقط وإذا قذف الصبي أو المجنون امرأته أو أجنبياً فلا حد عليهما ولا لعان لا في الحال ولا إذا بلغ أو أفاق ولكن يعذران تأديباً ولو قذف شخصاً مراراً فإن أراد زنية واحدة وجب حد واحد وإن أراد زنيات مختلفة كقوله: زنيت بزيد وبعمرو لتعدد اللفظ كما في «الكبير» ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة﴾ عطف على اجلدوا داخل في حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لأنه مؤلم للقلب كما أن الجلد مؤلم للبدن وقد أذى المقذوف بلسانه فعوقب بإهدار منافعه جزاء وفاقاً واللام في لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت عليها لكونها نكرة وفائدتها تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن أهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والإسلام لأنها ليست ناشئة عن أهليته السابقة بل أهليته حدثت له بعد إسلامه فلا يتناول الرد والمعنى لا تقبلوا من القاذفين شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند القذف. ﴿أبداً﴾ أي مدة حياتهم وإن تابوا وأصلحوا. ﴿وأولئك هم﴾ لا غيرهم ﴿الفاسقون﴾ الكاملون في الفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود كأنهم هم المستحقون لإطلاق اسم الفاسق عليهم من الفسقة.

قال في «الكبير»: يفيد أن القذف من الكبائر لأن الفسق لا يقع إلا على صاحبها.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

﴿إلا الذين تابوا﴾ استثناء من الفاسقين ﴿من بعد ذلك﴾ أي من بعد ما اقترفوا ذلك

الذنب العظيم ﴿وأصلحوا﴾ أعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف. ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن المؤاخذة بموجب الفسق كأنه قيل: فحينئذٍ لا يؤاخذهم الله بما فرط منهم ولا ينظمهم في سلك الفاسقين لأنه مبالغ في المغفرة والرحمة.

وفي الآية إشارة إلى غاية كرم الله ورحمته على عباده بأن يستر عليهم ما أراد بعضهم إظهاره على بعض ولم يظهر صدق أحدهما أو كذبه ولتأديبهم أوجب عليهم الحد ورد قبول شهادتهم أبداً وسماهم الفاسقين وليتصفوا بصفاته الستارية والكريمية والرحيمية فيما يسترون عيوب إخوانهم المؤمنين ولا يتبعوا عوراتهم وقد شدد النبي على من يتبع عورات المسلمين ويفشي أسرارهم: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن من قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فإنه من يتبع عوراتهم يفضحه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد» وقال عليه السلام: «من ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة»، قال الشيخ سعدي:

منه عيب خلق فرومايه پيش ... كه چشمت فرودوزدازعيب خويش
كرت زشت خوبي بود درسرشت ... نه پيني زطاوس جزپاي زشت
طريق طلب كزعقوبت رهى ... نه حرفي كه انكشت بروي نهي

وفي الآية إشارة أيضاً إلى كمال عنايته تعالى في حق عباده بأنه يقبل توبتهم بعد ارتكاب الذنوب العظام ولكن بمجرد التوبة لا يكون العبد مقبولاً إلا بشرط إزالة فساد حاله وإصلاح أعماله.

قال بعضهم: علامة تصحيح التوبة وقبولها ما يعقبها من الصلاح والتوبة هي الرجوع عن كل ما يذمه العلم واستصلاح ما تعدى في سالف الأزمنة مداومتها باتباع العلم ومن لم يعقب توبته الصلاح كانت توبة بعيدة عن القبول:

فراشو چوبيني در صلح باز ... كه ناكه درتوبه كردد فراز
مروزير بار كناه أي پشر ... كه حمال عاجز بود درسفر
بهشت اوستاندكه طاعت برد ... كرا نقد بايد بضاعت برد
اكر مرغ دولت زقيدت بجست ... هنوزش سررشته داري بدست

أي فاسع إلى إصلاح عملك قبل حلول أجلك.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾﴾.

﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ بيان لحكم الرامين لزوجاتهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهن أي والذين يقذفون نساءهم بالزنى بأن يقول لها يا زانية أو زنيت أو رأيتك تزني.

قال في «بحر العلوم»: إذا قال يا زانية وهما محصنان فردت بلا بل أنت حدت لأنها قذفت الزوج وقذفه إياها لا يوجب الحد بل اللعان وما لم ترفع القاذف إلى الإمام لم يجب اللعان.

قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزل قوله تعالى: ﴿**والذين يرمون المحصنات ثم لم**

يأتوا بأربعة شهداء﴾ قال عاصم بن عدي الأنصاري: أن دخل رجل منا بيته فرأى رجلاً على بطن امرأته فإن جاء بأربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج وإن قتله قتل به وإن قال: وجدت فلاناً مع تلك المرأة ضرب وإن سكت سكت على غيظ اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويم وكان له امرأة يقال لها خولة بنت قيس فأتى عويم عاصماً فقال: لقد رأيت شريكاً ابن السحماء على بطن امرأتي خولة فاسترجع عاصم وأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما أسرع ما ابتليت بهذا السؤال في أهل بيتي فقال عليه السلام: «وما ذاك» قال أخبرني عويم ابن عمي أنه رأى شريكاً على بطن امرأته خولة فدعا رسول الله إياهم جميعاً فقال لعويم: «اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها» فقال: يا رسول الله تالله لقد رأيت شريكاً على بطنها وإني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإنها حبلى من غيري فقال لها رسول الله ﷺ: «اتقي الله ولا تخبري إلا بما صنعت» فقالت: يا رسول الله إن عويماً رجل غيور وإنه رأى شريكاً يطيل النظر إليّ ويحدثني فحملته الغيرة على ما قال: فأنزل الله تعالى قوله: **﴿والذين يرمون أزواجهم﴾** وبين به أن حكم قذف الزوجة اللعان فأمر رسول الله بأن يؤذن الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويم: قم وقل: «أشهد بالله أن خولة لزانية وإني لمن الصادقين» فقال: ثم قال في الثانية: «أشهد أني رأيت شريكاً على بطنها وإني لمن الصادقين» ثم قال في الثالثة: «أشهد بالله أنها لحبلى من غيري وإني لمن الصادقين» ثم قال في الرابعة: «أشهد بالله أنها زانية وإني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإني لمن الصادقين» ثم قال في الخامسة: «لعنة الله على عويم» يعني نفسه: «إن كان من الكاذبين» ثم قال له: أقعد وقال لخولة: قومي فقامت وقالت: «أشهد بالله ما أنا بزانية وإن زوجي لمن الكاذبين» وقالت في الثانية: «أشهد بالله ما رأى شريكاً على بطني وإنه لمن الكاذبين» وقالت في الثالثة: «أشهد بالله ما أنا حبلى إلا منه وإنه لمن الكاذبين» وقالت في الرابعة: «أشهد بالله ما رآني على فاحشة قط وإنه لمن الكاذبين» وقالت في الخامسة: «غضب الله على خولة إن كان عويم من الصادقين في قوله» ففرق النبي عليه السلام بينهما وقضى أن الولد لها ولا يدعى لأب وذلك قوله تعالى: **﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء﴾** يشهدون بما رموهن من الزنى **﴿إلا أنفسهم﴾** بدل من شهداء جعلوا من جملة الشهداء إيذاناً من أول الأمر بعدم إلقاء قولهم بالمرة ونظمها في سلك الشهادة في الجملة **﴿فشهادة أحدهم﴾** أي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ خبره قوله: **﴿أربع شهادات﴾** أي: فشهادتهم المشروعة أربع شهادات **﴿بالله﴾** متعلق بشهادات **﴿إنه لمن الصادقين﴾** أي: فيما رماها به من الزنى وأصله على أنه إلخ فحذف الجار وكسرت إن وعلق العامل عنها للتأكيد.

﴿والخامسة﴾ أي الشهادة الخامسة للأربع المتقدمة أي الجاعلة لها خمساً بانضمامها إليهن وهي مبتدأ خبره قوله: **﴿أن لعنة الله عليه﴾** اللعن طرد وإبعاد على سبيل السخط وذلك من الله في الآخرة عقوبة وفي الدنيا انقطاع من قبول فيضه وتوفيقه ومن الإنسان دعاء على غيره.

قال بعضهم: لعنة الكفار دائمة متصلة إلى يوم القيامة ولعنة المسلمين معناها البعد من الخير والذي يعمل معصية فهو في ذلك الوقت بعيد من الخير فإذا خرج من المعصية إلى الطاعة يكون مشغولاً بالخير. **﴿إن كان من الكاذبين﴾** فيما رماها به من الزنى فإذا لاعن الرجل حبست الزوجة حتى تعترف فترجم أو تلاعن. **﴿ويدرأ عنها العذاب﴾** أي: يدفع عن المرأة

المرمية العذاب الدنيوي وهو الحبس المغيا على أحد الوجهين بالرجم الذي هو أشد العذاب يقال: درأ دفع، وفي الحديث: «ادرأوا الحدود بالشبهات» تنبيهاً على تطلب حيلة يدفع بها الحد ﴿**أن تشهد أربع شهادات بالله إنه**﴾ أي الزوج ﴿**لمن الكاذبين**﴾ فيما رماني به من الزنى.

﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿**والخامسة**﴾ بالنصب عطفاً على أربع شهادات. ﴿**أن غضب الله عليها**﴾ الغضب ثوران دم القلب إرادة الانتقام ولذلك قال عليه السلام: «اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد في قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه» فإذا وصف الله به فالمراد الانتقام دون غيره ﴿**إن كان**﴾ أي: الزوج ﴿**من الصادقين**﴾ أي: فيما رماني به من الزنى وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما أنها مادة الفجور ولأن النساء كثيراً ما يستعمل اللعن فربما يجترىء على التفوه به لسقوط وقعه على قلوبهن بخلاف غضبه تعالى. والفرقة الواقعة باللعان في حكم التطليقة البائنة عند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله ولا يتأبد حكمها حتى إذا كذب الرجل نفسه بعد ذلك فحدّ جاز له أن يتزوّجها وعند أبي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة بغير طلاق توجب تحريماً مؤبداً أليس لهما اجتماع بعد ذلك أبداً وإذا لم يكن الزوج من أهل الشهادة بأن كان عبداً أو كافراً بأن أسلمت امرأته فقذفها قبل أن يعرض عليه الإسلام أو محدوداً في قذف وهي من أهلها حد الزوج ولا لعان لعدم أهلية اللعان وبيان اللعان مشبعاً موضعه الفقه فليطلب هناك وكذا القذف. ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم**﴾ جواب لولا محذوف لتهويله والإشعار بضيق العبارة عن حصره كأنه قيل: ولا تفضله عليكم ورحمته أيها الرامون والمرميات وأنه تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع أفعاله وأحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته أنه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع أن الظاهر صدقه لأنه أعرف بحال زوجته وأنه لا يفترى عليها لاشتراكهما في الفضاحة وبعد ما شرع لهم ذلك لو جعل شهاداته موجبة لحدّ القذف عليه لفات النظر له ولا ريب في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب أحدهما حتما دارئة لما توجه إليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلى الكاذب منها في تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو أتم مما درأه عنه واطم وفي ذلك من أحكام الحكم البالغة وآثار التفضل والرحمة ما لا يخفى أما على الصادق فظاهر وأما على الكاذب فهو أمهال له والستر عليه في الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبىء عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما أعظم شأنه وأوسع رحمته وأدق حكمته.

قال الكاشفي: [واكرنه فضل خداي تعالى بودي برشما وبخشايش أو وآنكه خداي قبول كنندة توبة است حكم كننده در حدود أحكام هر آيينه شمارا فضيحت كردى ودروغ كواهي را بعذاب عظيم مبتلاً ساختي وكويند اكرنه فضل خدا بودي بتأخير عقوبت شما هلاك شديد يا اكرنه فضل فرمودي بأقامت زواجر ونهي ازفواحش هر آينه نسل منقطع شدي ومردم يك ديكررا هلاك كردندي يا اكرنه خداي تعالى بخشيدي برشما بقبول توبة درتيه نا اميدي سر كردان

ميشديد پس شما بمدد وتوفيق توبة بسر منزل رجا رسانيد:

كر توبه مددكار كنهكار نبودي اوراكه بسر حد كرم راه نمودي
ورتوبه نبودي كه درفيض كشودي زنك غم از آينة عاصي كه زدودي

قال بعض الكبار: قال الله: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ ولم يقل ولولا فضل عبادتكم وصلاتكم وجهادكم وحسن قيامكم بأمر الله ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] لنعلم أن العبادات وإن كثرت فإنها من نتائج الفضل.

چورويي بخدمت نهي برزمين خدارا ثنا كوي وخودرا مبين

اللهم اجعلنا من أهل الفضل والعطاء والمحبة والولاء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

﴿إن الذين جاؤوا بالإفك﴾ أي ما بلغ مما يكون من الكذب والافتراء: وبالفارسية [بدرستي آنانكه آورده اند دروغ بررك درشان عائشة] وأصله الإفك وهو القلب، أي: الصرف لأنه مأفوك عن وجهه وسننه والمراد به ما أفك على عائشة رضي الله عنها وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الأمانة والعفة والشرف فمن رماها بالسوء قلب الأمر من وجهه. روي: أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيهن خرجت قرعتها استصحبها» والقرعة بالضم طينة أو عجينة مدورة مثلاً يدرج فيها رقعة يكتب فيها السفر والحضر ثم تسلم إلى الصبي يعطي كل امرأة واحدة منهن كذا في القهستاني في القسم فلما كان غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة من الهجرة وهي غزوة المريسيع كما في «إنسان العيون» خرج سهمها وبنو المصطلق بطن من خزاعة وهم غزوة بنو خزيمة والمصطلق من الصلق وهو رفع الصوت والمريسيع اسم ماء من مياه خزاعة مأخوذ من قولهم وسعت عين الرجل إذا دمعت من فساد وذلك الماء في ناحية قديد.

قال في «القاموس»: المريسيع بئر أو ماء وإليه تضاف غزوة بني المصطلق انتهى فخرجت عائشة معه عليه السلام وكان بعد نزول آية الحجاب وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآية لأنه كان ذلك سنة ثلاث من الهجرة قالت: فحملت في هودج فسرنا فلما دنونا من المدينة قافلين أي راجعين نزلنا منزلاً ثم نزلت من الرحل فقمت ومشيت لقضاء الحاجة حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار كقطام وهي بلد باليمن قرب صنعاء إليه نسبة الجزع وهو بالفتح وسكون الزاي المعجمة الخرز اليماني فيه سواد وبياض يشبه به الأعين كما في «القاموس» كان يساوي اثني عشر درهماً قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي بتخفيف الحاء أي يجعلون هودجها على الرحل وهو أبو مويهة مولى رسول الله وكان رجلاً صالحاً مع جماعة معه فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون أني فيه بخفتي وكان النساء إذ ذاك خفافاً لقلة أكلهن أي لأن السمن وكثرة اللحم غالباً تنشأ عن كثرة الأكل كما في «إنسان العيون» فلم يستنكروا خفة الهودج حين رفعوه وذهبوا بالبعير فوجدت عقدي فجئت منازلهم وليس فيها أحد وأقمت بمنزلي الذي كنت فيه وظننت

أنهم سيفقدونني فيرجعون في طلبي، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي خلف الجيش.

قال القرطبي: وكان صاحب ساقة رسول الله ﷺ لشجاعته وكان من خيار الصحابة انتهى كان يسوق الجيش ويلتقط ما يسقط من المتاع كما في الإنسان فأصبح عند منزلي فرأى سواداً أي شخص إنسان فأتاني فعرفني فاستيقظت باسترجاعه أي بقوله إنا لله وإنا إليه راجعون أي لأن تخلف أم المؤمنين عن الرفقة في مضيقة مصيبة أي مصيبة فخمرت وجهي في جلبابي وهو ثوب أقصر من الخمار ويقال له المقنعة تغطي به المرأة رأسها والله ما تكلمت بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه أي لأنه استعمل الصمت أدباً وهوى حتى أناخ راحلته فقمت إليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش في بحر الظهيرة أي وسطها وهو بلوغ الشمس منتهاهامن الارتفاع وهم نازلون.

وبهذه الواقعة استدل بعض الفقهاء على أنه يجوز الخلوة بالمرأة الأجنبية إذا وجدها منقطعة ببرية أو نحوها بل يجب استصحابها إذا خاف عليها لو تركها.

وفي «معاني الآثار» للطحاوي: قال أبو حنيفة وكان الناس لعائشة محرماً فمع أيهم سافرت فقد سافرت مع محرم وليس غيرها من النساء كذلك انتهى.

يقول الفقير: لعل مراد الإمام رحمه الله تعالى أن أزواج النبي ﷺ وإن كان كلهن محارم للأمة لأنه تعالى قال: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] وحرم عليهم نكاحهن كما قال: ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] إلا أن عائشة كانت أفضل نسائه بعد خديجة وأقربهن منه من حيث خلافتها عنه في باب الدين ولذا قال: «خذوا ثلثي دينكم عن عائشة» فتأكدت الحرمة من هذه الجهة إذ لا بد لأخذ الدين من الاستصحاب للسفر والحضر والله أعلم، قالت: فلما نزلنا هلك في من هلك بقول البهتان والأفتراء وكان أول من أشاعه في المعسكر عبد الله بن أبي ابن سلول رئيس المنافقين فإنه كان ينزل مع جماعة المنافقين متبعدين من الناس فمرت عليهم فقال: من هذه؟ قالوا: عائشة وصفوان فقال: فجربها ورب الكعبة فأفشوه وخاض أهل المعسكر فيه فجعل يرويه بعضهم عن بعض ويحدث به بعضهم بعضاً قالت: فقدمنا المدينة فاشتكيت أي مرضت حين قدمت شهراً ووصل الخبر إلى رسول الله وإلى أبويّ ولا أشعر بشيء من ذلك غير أنه يريبني أن لا أعرف من رسول الله العطف الذي كنت أرى منه حين اشتكيت فلما رأيت ذلك قلت: يا رسول الله لو أذنت لي فأنقلب إلى أبويّ يمرضاني والتمريض القيام على المريض في مرضه قال: لا بأس فانقلبت إلى بيت أبويّ وكنت فيه إلى أن برئت من مرضي بعد بضع وعشرين ليلة فخرجت في بعض الليالي ومعي أم مسطح كمنبر وهي بنت خالة أبي بكر رضي الله عنه قبل المناصع وهي مواضع يتخلى فيها لبول أو حاجة ولا يخرج إليها إلا ليلاً وكان عادة أهل المدينة حينئذٍ أنهم كانوا لا يتخذون الكنيف في بيوتهم كالأعاجم بل يذهبون إلى محل متسع قالت فلما فرغنا من شأننا وأقبلنا إلى البيت عثرت أم مسطح في مرطها وهو كساء من صوف أو خز كان يؤتزر به فقالت: تعس مسطح بفتح العين وكسرها أي هلك تعني ولدها والمسطح في الأصل عمود الخيمة واسمه عوف فقلت لها: أتسبين رجلاً قد شهد بدراً فقالت: أو لم تسمعي ما قال قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضاً على مرض أي عاودني المرض وازددت عليه وبكيت تلك الليلة حتى

أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي.

چشـم ذكريه برسر آبست روز شب جانـم زنالـه درتـب وتـابسـت روز شـب

فاستشار رسول الله في حقي فأشار بعضهم بالفرقة وبعضهم بالصبر وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء فقام وأقبل حتى دخل عليّ وعندي أبواي ثم جلس فتشهد ثم قال: «أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا فإن كنت بريئة فيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب الله تاب إلى الله عليه» فلما قضى رسول الله كلامه قلص دمعي أي ارتفع حتى ما أحس منه بقطرة فقلت لأبي: أجب عني رسول الله فيما قال، قال: والله لا أدري ما أقول لرسول الله فقلت لأمي أجيبي عني رسول الله قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله فقلت: لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة منه لتصدقوني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا ما قال أبو يوسف أي يعقوب: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

صـبـري كـنـيـم تـاكـرم أوچـه مـيـكـنـد

قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا والله حينئذٍ أعلم أني بريئة والله مبرئي ببراءة ولكني والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم في بأمر يتلى ولكني كنت أرجو أن يرى النبي عليه السلام رؤيا يبرئني الله بها قالت: فوالله ما قام رسول الله عن مجلسه ولا خرج من البيت حتى أخذه ما كان يأخذه عند نزول الوحي أي من شدة الكرب فسجي أي غطي بثوب ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه وكان ينحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الثاني من ثقل القول الذي أنزل عليه والجمان حبوب مدحرجة تجعل من الفضة أمثال اللؤلؤ فلما سرى عنه وهو يضحك ويمسح العرق من وجهه الكريم كان أول كلمة تكلم بها «أبشري يا عائشة أما إن الله قد برأك». فقالت أمي: قومي إليه فقلت: والله لا أحمد إلا الله فأنزل الله تعالى: ﴿**إن الذين جاؤوا بالإفك**﴾ الآيات.

قال السهيلي: كان نزول براءة عائشة بعد قدومهم المدينة من الغزوة المذكورة لسبع وثلاثين ليلة في قول المفسرين فمن نسبها إلى الزنى كغلاة الرافضة كان كافراً لأن في ذلك تكذيباً للنصوص القرآنية ومكذبها كافر.

وفي «حياة الحيوان»: عن عائشة رضي الله عنها لما تكلم الناس بالإفك رأيت في منامي فتى فقال لي: ما لك؟ قلت: حزينة مما ذكر الناس فقال: ادعى بكلمات يفرج الله عنك قلت: وما هي؟ قال: قولي: يا سابغ النعم ويا دافع النقم ويا فارج الغم ويا كاشف الظلم ويا اعدل من حكم ويا حسيب من ظلم ويا أول بلا بداية ويا آخر بلا نهاية اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً قالت: فانتبهت وقلت ذلك وقد أنزل الله فرجي.

قال بعضهم: برأ الله أربعة بأربعة يوسف بشاهد من أهل زليخا وموسى من قول اليهود فيه أن له أدرة بالحجر الذي فر بثوبه ومريم بإنطاق ولدها وعائشة بهذه الآيات وبعد نزولها خرج عليه السلام إلى الناس وخطبهم وتلاها عليهم وأمر بجلد أصحاب الإفك ثمانين جلدة.

وعن عائشة أن عبد الله بن أبي جلد مائة وستين أي حدين قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهكذا يفعل لكل من قذف زوجة نبيّ أي يجوز أن يفعل به ذلك.

وفي «الخصائص الصغرى»: من قذف أزواجه عليه السلام فلا توبة له البتة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ويقتل كما نقله القاضي وغيره وقيل: يختص القتل بمن قذف عائشة ويحدّ في غيرها حدّين كذا في «إنسان العيون».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم تبغ امرأة نبي قط وأما قوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠] فالمراد آذتاهما قالت امرأة نوح في حقه أنه لمجنون وامرأة لوط دلت على أضيافه وإنما جاز أن تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون زانية لأن النبي مبعوث إلى الكفار ليدعوهم إلى الدين وإلى قبول ما قاله من الأحكام والثواب والعقاب وهذا المقصود لا يحصل إذا كان في الأنبياء ما ينفر الكفرة عنهم والكفر ليس مما ينفر عندهم بخلاف الفجور فإنه من أعظم المنفرات.

وعن «كتاب الإشارات»: للفخر الرازي رحمه الله أنه عليه السلام في تلك الأيام التي تكلم فيها بالإفك كان أكثر أوقاته في البيت فدخل عليه عمر فاستشاره في تلك الواقعة فقال: يا رسول الله أنا أقطع بكذب المنافقين وأخذت براءة عائشة من أن الذباب لا يقرب بدنك فإذا كان الله صان بدنك أن يخالطه الذباب لمخالطته القاذورات فكيف بأهلك ودخل عليه عثمان فاستشاره فقال: يا رسول الله أخذت براءة عائشة من ظلك لأني رأيت الله صان ظلك أن يقع على الأرض أي لأن ظل شخصه الشريف كان لا يظهر في شمس ولا قمر لئلا يوطأ بالأقدام فإذا صان الله ظلك فكيف بأهلك ودخل عليّ فاستشاره فقال: يا رسول الله أخذت براءة عائشة من شيء هو أنّا صلينا خلفك وأنت تصلي بنعليك ثم أنك خلعت إحدى نعليك فقلنا: ليكون ذلك سنة لنا فقلت: «لا إن جبريل قال: إن في تلك النعل نجاسة» فإذا كان لا تكون النجاسة بنعليك فكيف بأهلك فسرّ عليه السلام بذلك فصدقهم الله فيما قالوا وفضح أصحاب الإفك بقوله: ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم﴾ خبر إن والعصبة والعصابة جماعة من العشرة إلى الأربعين والمراد هنا عبد الله بن أبي وزيد بن رفاعة ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم واختلفوا في حسان بن ثابت والذي يدل على براءته ما نسب إليه في أبيات مدح بها عائشة رضي الله عنها منها:

مهذبة قد طيب اللّه خيمها ... وطهرها من كل سوء وباطل
فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتمو ... فلا رفعت سوطي إليّ أناملي
وكيف وودّي ما حييت ونصرتي ... لآل رسول الله زين المحافل

كما في «إنسان العيون».

قال الإمام السهيلي في «كتاب التعريف والإعلام»: قد قيل إن حسان لم يكن فيهم أي في الذين جاؤوا بالإفك فمن قال إنه كان فيهم أنشد البيت المروي حين جلدوا الحدّ.

لقد ذاق حسان الذي كان أهله ... وحمنة إذ قالا لهجر ومسطح

ومن برأه الإفك قال إنما الرواية في البيت.

لقد ذاق عبد اللّه ما كان أهله

انتهى: ومعنى الآية أن الذين آتوا الكتاب في أمر عائشة جماعة كائنة منكم في كونهم موصوفين بالإيمان وعبد الله أيضاً كان من جملة من حكم له بالإيمان ظاهراً وإن كان رئيس المنافقين خفية ﴿لا تحسبوه شراً لكم﴾ الخطاب لرسول الله وأبي بكر وعائشة وصفوان ولمن

ساءه ذلك من المؤمنين تسلية لهم من أول الأمر والضمير للإفك ﴿بل هو خير لكم﴾ لاكتسابكم الثواب العظيم لأنه بلاء مبين ومحنة ظاهرة وظهور كرامتكم على الله بإنزال ثماني عشرة آية في نزاهة ساحتكم وتعظيم شأنكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظنّ بكم خيراً ﴿لكل امرىء منهم﴾ أي: من أولئك العصبة والامرؤ الإنسان والرجل كالمرء والألف للوصل. ﴿ما اكتسب من الإثم﴾ بقدر ما خاض فيه لأن بعضهم تكلم بالإفك وبعضهم ضحك وبعضهم سكت ولم ينههم.

قال في «التأويلات»: على حسب سعايتهم وفساد ظنهم وهتك حرمة حرم نبيهم انتهى والإثم الذنب. ﴿والذي تولى كبره﴾ أي: تحمل معظم الإفك.

قال في «المفردات»: فيه تنبيه على أن كل من سنّ سنة قبيحة يصير مقتدى به فذنبه أكبر ﴿منهم﴾ من العصبة وهو ابن أبي فإنه بدأ به وأذاعه بين الناس عداوة لرسول الله كما سبق. ﴿له عذاب عظيم﴾ أي لعبد الله نوع من العذاب العظيم المه لأن معظم الشر كان منه فلما كان مبتدئاً بذلك القول لا جرم حصل له من العقاب مثل ما حصل لكل من قال ذلك لقوله عليه السلام «من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿له عذاب عظيم﴾ يؤاخذ بجرمه وهو خسارة الدنيا والآخرة ثم أورد الحديث المذكور.

هركه بنهد سنتي بداي فتى ... تادر افتد بعد أو خلق ازعمى
جمع كردد بروى آن جمله بزه ... كو سرى بودست وايشان دم غزه

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿لولا﴾ تحضيضية بمعنى هلا. وبالفارسية [چرا] ومعناها إذا دخلت على الماضي التوبيخ واللوم على ترك الفعل إذ لا يتصور الطلب في الماضي وإذا دخلت على المضارع فمعناها الحض على الفعل والطلب له فهي في المضارع بمعنى الأمر. ﴿إذ سمعتموه﴾ أيها الخائضون، أي: الشارعون في القول الباطل ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً﴾ عدول إلى الغيبة لتأكيد التوبيخ فإن مقتضى الإيمان الظن بالمؤمن خيراً وذب الطاعنين فيه فمن ترك هذا الظن والذب فقد ترك العمل بمقتضى الإيمان والمراد بأنفسهم أبناء جنسهم النازلون منزلة أنفسهم كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] فإن المراد لا يعيب بعضكم بعضاً فإن المؤمنين كنفس واحدة إذ كان الواجب أن يظن المؤمنون والمؤمنات أول ما سمعوه ممن اخترع بالذات أو بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيراً. ﴿وقالوا﴾ في ذلك الآن ﴿هذا﴾ [اين سخن] ﴿إفك مبين﴾ أي: ظاهر مكشوف كونه إفكاً فكيف بالصديقة بنت الصديق أم المؤمنين حرم رسول الله. يعني: حق سبحانه [أزواج پيغمبر نكاه ميدارد از مثل اين حالها بتعظيم وتكريم ايشان].

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿لولا جاؤوا﴾ [چرا نياوردند]. ﴿عليه﴾ [برين سخن را] ﴿بأربعة شهداء﴾ أي: هلا جاء الخائضون بأربعة شهداء يشهدون على ما قالوا وهو إما من تمام القول أو ابتداء كلام

من الله. ﴿فإذ لم يأتوا بالشهداء﴾ الأربعة ﴿فأولئك﴾ المفسدون ﴿عند الله﴾ في حكمه وشرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقنة. ﴿هم الكاذبون﴾ الكاملون في الكذب المشهود عليه بذلك المستحقون لإطلاق الاسم عليه دون غيرهم.

قال الكاشفي: [ايشانند دروغ كويان در ظاهر وباطن چه اكر كواه آوردندى در ظاهر حكم كاذب نبودندي اما در باطن كاذب بودندى زيراكه اين صورت برازدواج انبيا ممتنع است وچون كواه نياوردند در ظاهر اين كار نيز كاذبند].

قال القرطبي وقد يعجز الرجل عن إقامة البينة وهو صادق في قذفه ولكنه في حكم الشرع وظاهر الأمر كاذب لا في علم الله وهو سبحانه إنما رتب الحدود على حكمه الذي شرعه في الدنيا لا على مقتضى علمه الذي تعلق بالإنسان على ما هو عليه وأجمع العلماء على أن أحكام الدنيا على الظاهر وأن السرائر إلى الله. ﴿ولولا﴾ امتناعية، أي لامتناع الشيء لوجود غيره. ﴿فضل الله عليكم ورحمته﴾ خطاب للسامعين والمسلمين جميعاً ﴿في الدنيا﴾ من فنون النعم التي من جملتها الإمهال بالتوبة ﴿والآخرة﴾ من ضروب الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة المقدران لكم ﴿لمسكم﴾ عاجلاً. يعني [هر آينه بر سيدي شمارا] ﴿فيما أفضتم فيه﴾ أي: بسبب ما خضتم فيه من حديث الإفك. ﴿عذاب عظيم﴾ يستحقر دونه التوبيخ والجلد.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾.

﴿إذ تلقونه﴾ بحذف إحدى التاءين للمس أي لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم إياه من المخترعين. ﴿بألسنتكم﴾ يأخذه بعضكم من بعض وذلك أن الرجل منهم يلقى الرجل فيقول له: ما وراءك فيحدثه بحديث الإفك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا دار الإطار فيه يقال تلقى الكلام من فلان وتلقنه وتلقفه ولقفه إذا أخذه من لفظه وفهمه.

وفي «الإرشاد»: التلقي والتلقف والتلقن معان متقاربة خلا أن في الأول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف والأخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذق والمهارة. ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾ معنى بأفواهكم مع أن القول لا يكون إلا بالفم هو أن الإخبار بالشيء يجب أن تستقر صورته في القلب أولاً ثم يجري على اللسان وهذا الإفك ليس إلا قول لا يجري على الألسنة من غير علم به في القلب وهو حرام لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] والمعنى وتقولون قولاً مختصاً بالأفواه من غير أن يكون له مصداق ومنشأ في القلوب لأنه ليس بتعبير عن علم به في قلوبكم. ﴿وتحسبونه هيناً﴾ سهلاً لا تبعة له، وهي بالفارسية [عاقبة به].

أو ليس له كثير عقوبة. ﴿وهو عند الله﴾ والحال أنه عنده تعالى ﴿عظيم﴾ في الوزر واستجرار العذاب وعن بعضهم أنه جزع عند الموت فقيل له فقال: أخاف ذنباً لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك نقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير، وقال عبد الله بن المبارك: ما أرى هذه الآية نزلت إلا فيمن اعتاد الدعاوى العظيمة ويجترىء على ربه في الإخبار عن أحوال الأنبياء والأكابر ولا يمنعه عن ذلك هيبة ربه ولا حياؤه.

وقال الترمذي: من تهاون بما يجري عليه من الدعاوى فقد صغر ما عظمه الله إن الله تعالى يقول: ﴿وتحسبونه﴾ الخ.

اكر مردى از مردىء خود مكوى نه هر شهوارى بدر برد كوى

﴿ولولا﴾ [چرا] ﴿إذ سمعتموه﴾ من المخترعين والتابعين لهم ﴿قلتم﴾ تكذيباً لهم وتهويلاً لما ارتكبوه. ﴿ما يكون لنا﴾ ما يمكننا. ﴿أن نتكلم بهذا﴾ القول وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي وجود التكلم به لا نفي وجوده على وجه الصحة والاستقامة. ﴿سبحانك﴾ تعجب ممن تفوه به وأصله أن يذكر عند معاينة العجب من صنائعه تنزيهاً له سبحانه من أن يعصب عليه أمثاله ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو تنزيه له تعالى من أن يكون حرم نبيه فاجرة فإن فجورها تنفير للناس عنه ومخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها كما سبق. وبالفارسية: [پاكست خداى تعالى ازآنكه در حرم محترم پيغمبر قدح تواند كرد] ﴿هذا﴾ الإفك الذي لا يصح لأحد أن يتكلم به. ﴿بهتان عظيم﴾ مصدر بهته، أي قال عليه ما لم يفعل أي كذب عظيم عند الله التقاول به كما في «التأويلات النجمية» أو يبهت ويتحير من عظمته لعظمة المبهوت عليه أي الشخص الذي يبهت عليه أي يقال عليه ما لم يفعل فإن حقارة الذنوب وعظمها كما تكون باعتبار مصادرها كما قال أبو سعيد الخراز قدس سره «حسنات الأبرار سيئات المقربين» كذا تكون باعتبار متعلقاتها.

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿يعظكم الله﴾ الوعظ النصح والتذكير بالعواقب أي ينصحكم أيها الخائضون في أمر عائشة. ﴿أن تعودوا لمثله﴾ كراهة أن تعودوا لمثل هذا الخوض والقول. ﴿أبداً﴾ أي مدة حياتكم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بالله وبرسوله وباليوم الآخر فإن الإيمان يمنع عنه.

وفيه إشارة إلى أن العود إلى مثل هذا يخرجهم من الإيمان.

قال في «الكبير»: يدخل في هذا من قال ومن سمع ولم ينكر لاستوائهما في فعل ما لا يجوز وإن كان المقدم أعظم ذنباً.

﴿ويبين الله لكم الآيات﴾ الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب دلالة واضحة لتتعظوا وتتأدبوا بها أي ينزلها مبينة ظاهرة الدلالة على معانيها لا أنه يبينها بعد أن لم تكن كذلك. ﴿والله عليم﴾ بأحوال جميع مخلوقاته جلائلها ودقائقها. ﴿حكيم﴾ في جميع تدابيره وأفعاله فأنى يمكن صدق ما قيل في حق حرمة من اصطفاه لرسالته وبعثه إلى كافة الخلق ليرشدهم إلى الحق ويزكيهم ويطهرهم تطهيراً.

وقال الكاشفي: [وخداى تعالى داناست بطهارت ذيل عائشة حكم كننده ببرائت ذمت أو ازعيب وعار].

تاكريبان دامنش پاكست ازلوث خطا وزمذمت عيب جو آلوده ازسر تاىپا

وچه زيبا كفته است.

كرا رسد كه كند عيب دامن پاكت كه همچو قطره كه بر برك كل چكدپاكي

وفي «التأويلات النجمية»: إن الله تعالى لا يجري على خواص عباده إلا ما يكون سبباً

لحقيقة اللطف وإن كان في صورة القهر تأديباً وتهذيباً وموجباً لرفعة درجاتهم وزيادة في قرابتهم وأن قصة الإفك وإن كانت في صورة القهر كانت في حق النبي عليه السلام وفي حق عائشة وأبويها وجميع الصحابة ابتلاء وامتحاناً لهم وتربية فإن البلاء للولاء كاللهب للذهب كما قال عليه السلام «إن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل»، وقال عليه السلام: «يبتلى الرجل على قدر دينه» فإن الله غيور على قلوب خواص عباده المحبوبين فإذا حصلت مساكنة بعضهم إلى بعض يجري الله تعالى ما يرد كل واحد منهم عن صاحبه ويرده إلى حضرته وأن النبي عليه السلام لما قيل له: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة فساكنها» وقال: «يا عائشة حبك في قلبي كالعقدة» وفي بعض الأخبار أن عائشة قالت: يا رسول الله إني أحبك واحب قربك فأجرى الله تعالى حديث الإفك حتى رد رسول الله قلبه عنها إلى الله بانحلال عقدة حبها عن قلبه وردت عائشة قلبها عنه إلى الله حيث قالت لما ظهرت براءة ساحتها: نحمد الله لا نحمدك فكشف الله غيابة تلك المحبة وأزال الشك وأظهر براءة ساحتها حين أدبهم وهذبهم وقربهم وزاد في رفعة درجاتهم وقرباتهم.

قال في «الحكم العطائية وشرحها»: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة عنها لما نزلت براءتها من الإفك على لسان رسول الله عليه السلام: يا عائشة اشكري رسول الله نصراً منه لوجه الكمال لها فقالت: «لا والله لا أشكر» إلا الله رجوعاً منها إلى أصل التوحيد إذ لم يسع غيره في تلك الحال قلبها دلها أبو بكر في ذلك على المقال الأكمل عند الصحو وهو مقام البقاء بالله المقتضى لإثبات الآثار وعمارة الدارين التزاماً لحق الحكم والحكمة وقد قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] فقرن شكرهما بشكره إذ هما أصل وجودك المجازي كما أن أصل وجودك الحقيقي فضله وكرمه فله حقيقة الشكر كما له حقيقة النعمة ولغيره مجازه كما لغيره مجازها وقال عليه السلام: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» فجعل شكر الناس شرطاً في صحة شكره تعالى أو جعل ثواب الله على الشكر لا يتوجه إلا لمن شكر عباده وكانت هي يعني عائشة في ذلك الوقت لا في عموم أوقاتها مصطلمة أي مأخوذة عن شاهدها فلم يكن لها شعور بغير ربها غائبة عن الآثار لما استولى عليها من سلطان الفرح لمنة المولى عليها فلم تشهد إلا الواحد القهار من غير اعتبار لغيره وهذا هو أكمل المقامات في حالها وهو مقام أبينا إبراهيم عليه السلام إذ قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي والله المسؤول في إتمام النعمة وحفظ الحرمة والثبات لمرادات الحق بالآداب اللائقة بها وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ثم قال في «التأويلات النجمية»: الطريق إلى الله طريقان طريق أهل السلامة وطريق أهل الملامة فطريق أهل السلامة ينتهي إلى الجنة ودرجاتها لأنهم محبوسون في حبس وجودهم وطريق أهل الملامة ينتهي إلى الله تعالى لأن الملامة مفتاح باب حبس الوجود وبها يذوب الوجود ذوبان الثلج بالشمس فعلى قدر ذوبان الوجود يكون الوصول إلى الله تعالى فأكرم الله تعالى عائشة بكرامة الملامة ليخرجها بها من حبس الوجود بالسلامة وهذا يدل على ولايتها لأن الله تعالى إذا تولى عبداً يخرجه من ظلمات وجوده المخلوقة إلى نور القدم كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] انتهى. قال الحافظ قدس سره:

وفاكنيم وملامت كشيم وخوش باشيم — كه در طريقت ما كافر يست رنجيدن

وقال الجامي قدس سره:

عشق درهر دل كه سازد بهر وردت خانة أول أز سنك ملامت افكند بنياد أو

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿**إن الذين**﴾ هم ابن أبيّ ومن تبعه في حديث الإفك ﴿**يحبون**﴾ يريدون ﴿**أن تشيع الفاحشة**﴾ تنشر وتظهر والفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال والمراد هنا الزنى أي خبره ﴿**في الذين آمنوا**﴾ أخلصوا الإيمان ﴿**لهم**﴾ بسبب ذلك ﴿**عذاب أليم**﴾ نوع من العذاب متفاقم ألمه ﴿**في الدنيا**﴾ كالحد ونحوه ﴿**والآخرة**﴾ كالنار وما يلحق بها.

قال ابن الشيخ ليس معناه مجرد وصفهم بأنهم يحبون شيوعها في حق الذين آمنوا من غير أن يشيعوا ويظهروا فإن ذلك القدر لا يوجب الحد في الدنيا بل المعنى أن الذين يشيعون الفاحشة والزنى في الذين آمنوا كصفوان وعائشة عن قصد ومحبة لإشاعتها.

وفي «الإرشاد»: يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك لإشاعتها وإنما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فإنها مستتبعة له لا محالة وفي الذين آمنوا متعلق بتشيع أي تشيع فيما بين الناس وذكر المؤمنين لأنهم العمدة فيهم أو بمضمر هو حال من الفاحشة فالموصول عبارة عن المؤمنين خاصة أي يحبون أن تشيع الفاحشة كائنة في حق المؤمنين وفي شأنهم ﴿**والله يعلم**﴾ جميع الأمور وخصوصاً ما في ضمائر من حب الإشاعة. ﴿**وأنتم لا تعلمون**﴾ فابنوا الأمر في الحد ونحوه على الظواهر والله يتولى السرائر.

﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم**﴾ جواب لولا محذوف أي لولا فضله وإنعامه عليكم وأنه بليغ الرأفة والرحمة بكم بالعقاب على ما صدر منكم

وفي الآيتين إشارات:

منها: أن أهل الإفك كما يعاقبون على الإظهار يعاقبون بأسرار محبة الإشاعة فدل على وجوب سلامة القلب للمؤمنين كوجوب كف الجوارح والقول عما يضرهم وفي الحديث: «إني لأعرف قوماً يضربون صدورهم ضرباً يسمعه أهل النار وهم الهمازون الذين يلتمسون عورات المسلمين ويهتكون ستورهم ويشيعون لهم الفواحش»، وفي الحديث: «أيما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها بريء يرى أن يشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله أن يرميه بها في النار» كما في «الكبير» فالصنيع الذي ذكر من أهل الإفك ليس من صنيع أهل الإيمان فإن من صنيع أهل الإيمان ما قال عليه السلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وقال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كنفس واحدة إذا اشتكى منها عضو تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر».

بني آدم اعضاى يكديكرند كه در آفرينش زيك كوهرند
چو عضوى بدر دآوردر وزكار دكر عضوها را نماند قرار
توكز محنت ديكران بي غمى نشايد كه نامت نهند آدمى

فمن أركان الدين مظاهرة المسلمين وإعانة أهل الدين وإرادة الخير بكافة المؤمنين والذي يود الفتنة وافتضاح الناس فهو شر الخلق كالخناس.

ومنها أن ترك المعاجلة بالعذاب تعريض للتوبة فدل على أن عذاب الآخرة إنما هو على تقدير الإصرار وعليه يحمل قوله عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة حد الله الذين شتموا عائشة ثمانين على رؤوس الخلائق فيستوهب لي المهاجرين منهم وأستأمرك يا عائشة».

قال الراوي فلما سمعت عائشة وكانت في البيت بكت وقالت: «والذي بعثك بالحق نبياً لسرورك أحب إليّ من سروري» فتبسم رسول الله ضاحكاً وقال: «ابنة صديق».

ومنها غاية كرم الله ورحمته وفضله على عباده حيث يتفضل عليهم ويرحمهم ويزكيهم عن أوصافهم الذميمة مع استحقاقهم العذاب الأليم في الدنيا والآخرة فإنه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب ولو كان العذاب لكان من جهتهم بسوء اختيارهم عصمنا الله وإياكم من الأوصاف الذميمة الموجبة للعذاب الأليم وشرفنا بالأخلاق الحميدة الباعثة على الدرجات والتنعمات في دار النعيم.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ جمع خطوة بضم الخاء وهي ما بين القدمين أي ما بين رجلي الخاطي وبالفتح المرة الواحدة من الخطو ثم استعمل اتباع الخطوات في الاقتداء وإن لم يكن ثمة خطو يقال: اتبع خطوات فلان ومشى على عقبه إذا استنّ بسنته والمراد ههنا سيرة الشيطان وطريقته.

والمعنى لا تسلكوا الطرق التي يدعوكم إليها الشيطان ويوسوس بها في قلوبكم ويزينها لأعينكم ومن جملتها إشاعة الفاحشة وحبها **﴿ومن يتبع خطوات الشيطان﴾** فقد ارتكب الفحشاء والمنكر فقوله: **﴿فإنه﴾** أي: الشيطان **﴿يأمر بالفحشاء والمنكر﴾** علة للجزاء وضعت موضعه والفحشاء والفاحشة ما عظم قبحه عرفاً وعقلاً سواء كان فعلاً أو قولاً والمنكر ما ينكره الشرع.

وقال أبو الليث: المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة.

وفي «المفردات»: المنكر كل شيء تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو تتوقف في استقباحه العقول وتحكم بقبحه الشريعة واستعير الأمر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تحقيراً لشأنهم **﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾** بهذه البيانات والتوفيق للتوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها **﴿ما زكى﴾** ما طهر من دنس الذنوب. **﴿منكم من أحد﴾** من الأولى بيانية والثانية زائدة واحد في حيز الرفع على الفاعلية. **﴿أبداً﴾** آخر الدهر لا إلى نهاية. **﴿ولكن الله يزكي﴾** يطهر **﴿من يشاء﴾** من عباده بإفاضة آثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم.

وفيه حجة على القدرية فإنهم زعموا أن طهارة النفوس بالطاعات والعبادات من غير توفيق من الله. **﴿والله سميع﴾** مبالغ في سمع الأقوال التي من جملتها ما قالوه من حديث الإفك وما أظهروه من التوبة منه **﴿عليم﴾** بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الإخلاص في التوبة.

كر نباشد نيت خالص چه حاصل از عمل

وفي الآية أمور:

منها: أن خطوات الشيطان كثيرة وهي جملة ما يطلق عليه الفحشاء والمنكر ومن جملته القذف والشتم والكذب وتفتيش عيوب الناس وفي الحديث: «كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو ذكر الله تعالى» وفي الحديث: «كثرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له كاذب» وفي الحديث: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس» وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة وجانب أهل الجهل والمعصية.

وعن بعضهم خطوات الشيطان النذور في معصية الله كما في «تفسير أبي الليث» فيخرج منها النذور في طاعة الله كالصلاة والصوم ونحوهما مما ينهي عن الفحشاء والمنكر فضلاً عن كونه فحشاء أو منكراً.

ومنها: أن أمر التزكية إنما هو إلى الله فإنه بفضله ورحمته وفق العبد للطاعات والأسباب ولكن لا بد للعبد من أستاذ يتعلم منه كيفية التزكية على مراد الله تعالى وأعظم الوسائل هو النبي عليه السلام ثم من أرشده إلى الله تعالى.

قال شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري قدس سره: مشايخي في علم الحديث وعلم الشريعة كثيرة وأما شيخي في الطريقة فالشيخ أبو الحسن الخرقاني فلولا رأيته ما عرفت الحقيقة فأهل الإرشاد هداة طريق الدين ومفاتيح أبواب اليقين فوجود الإنسان الكامل غنيمة ومجالسته نعمة عظيمة.

زمن أي دوست أين يك پند بپذير ... بروفتراك صاحب دولتي كير
كه قطره تا صدف را درنيابد ... نكردد كوهر روشن نتابند

ثم إن التزكية الحقيقية تطهر القلب عن تعلقات الأغيار بعد تطهيره عن الميل إلى المعاصي والأوزار وقوله: ﴿**من يشاء**﴾ إنما هو لأن كل أحد ليس بأهل للتزكية كالمنافقين وأهل الرين والرعونة.

ومنها: الإشارة إلى مغفرة من خاض في حديث الإفك من أهل بدر كمسطح ويدل عليها الاعتناء بشأنه في الآية الآتية وقد ثبت أن الله اطلع على أهل بدر يعني نظر إليهم بنظر الرحمة والمغفرة فقال: (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) والمراد به اظهار العناية بهم واعلاء رتبتهم لا الترخيص لهم في كل فعل كما يقال للمحبوب اصنع ما شئت.

وفي «المقاصد الحسنة»: كأنك من أهل بدر هو كلام يقال لمن يتسامح أو يتساهل والله المسؤول في قبول التوبة عن كل حوبة.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾

﴿**ولا يأتل**﴾ من الائتلاء وهو القسم. وبالفارسية: [سوكند خوردن] كما في «تاج المصادر» من الألية بمعنى اليمين أي لا يحلف نزل في شأن الصديق رضي الله عنه حين حلف أن يقطع نفقته عن مسطح ابن خالته لخوضه في عائشة رضي الله عنها وكان فقيراً بدرياً مهاجراً ينفق عليه أبو بكر رضي الله عنه. ﴿**أولو الفضل منكم**﴾ ذوو الفضل في الدين والفضل الزيادة.

﴿والسعة﴾ في المال ﴿أن يؤتوا﴾ أي على أن لا يؤتوا شيئاً ولا يحسنوا بإسقاط الخافض وهو كثير شائع. ﴿أولي القربى﴾ ذوي القرابة ﴿والمساكين والمهاجرين في سبيل الله﴾ صفات لموصوف واحد أي ناساً جامعين لها لأن الكلام فيمن كان كذلك لأن مسطحاً قريب ومسكين ومهاجر جيء بها بطريق العطف تنبيهاً على أن كلاً منها علة مستقلة لاستحقاق الإيتاء ﴿وليعفوا﴾ عن ذنبهم ﴿وليصفحوا﴾ أي ليعرضوا عن لومهم.

قال الراغب الصفح ترك التثريب وهو أبلغ من العفو وقد يعفو الإنسان ولا يصفح ﴿ألا تحبون﴾ [آيا دوست نمى داريد] ﴿أن يغفر الله لكم﴾ أي: بمقابلة عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم ﴿والله غفور رحيم﴾ مبالغ في المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية إليها.

وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته كأنه قيل: ألا تحبون أن يغفر الله لكم فهذا من موجباته. روي: أنه عليه السلام قرأ هذه الآية على أبي بكر رضي الله عنه فقال: بلى أحب أن يغفر الله لي فرد إلى مسطح نفقته وكفر عن يمينه وقال: والله لا أنزعها أبداً.

وفي «معجم الطبراني الكبير» أنه أضعف له النفقة التي كان يعطيه إياها قبل القذف أي أعطاه ضعف ما كان يعطيه قبل ذلك.

وفي الآية دليل على أن من حلف على أمر فرأى الحنث أفضل منه فله أن يحنث ويكفر عن يمينه ويكون له ثلاثة أجور أحدها ائتماره بأمر الله تعالى والثاني أجر بره وذلك في صلة قرابته والثالث أجر التكفير.

ثم في الآية فوائد:

منها: أن العلماء استدلوا بها على فضل الصديق رضي الله عنه وشرفه من حيث نهاه مغايبة ونص على فضله وذكره بلفظ الجمع للتعظيم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم لا يفعلوا كيت وكيت والمنكرون يحملون الفضل على فضل المال لكن لا يخفى أن يستفاد من قوله: ﴿والسعة﴾ فيلزم التكرير فثبت كونه أفضل الخلق بعد رسول الله عليه السلام.

قال في «إنسان العيون»: وصف الله تعالى الصديق بأولي الفضل موافق لوصفه عليه السلام بذلك فقد جاء أن علياً كرم الله وجهه دخل على النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه جالس عن يمين رسول الله فتنحى أبو بكر عن مكانه وأجلس علياً بينه وبين النبي عليه السلام فتهلل وجه النبي فرحاً وسروراً وقال: «لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أولو الفضل»: قال الحكيم سنابي:

بود چندان كرامت وفضلش | كه أولو الفضل خواند ذو الفضلش
صورت وسيرتش همه جان بود | زان زچشم عوان پنهان بود
روزوشب سال وماه درهمه كار | ثاني اثنين اذ هما في الغار

ومنها: أنها كفت داعيه إلى المجاملة والإعراض عن مكافاة المسيء وترك الاشتغال بها وعن أنس رضي الله عنه: بينما رسول الله ﷺ جالس إذ ضحك حتى بدت نواجذه فقال عمر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي ما الذي أضحكك؟ قال: «رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما: خذ لي مظلمتي من هذا فقال الله تعالى: رد على أخيك مظلمته فقال: يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال: يا رب فليحمل عني من أوزاري» ثم فاضت عينا رسول الله

بالبكاء فقال: «إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم أوزارهم» فقال: «فيقول الله تعالى للمتكلم: ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يا رب أرى مدائن من فضة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صديق أو لأي شهيد قال الله تعالى: لمن أعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ذلك قال الله تعالى: أنت تملكه قال: بماذا يا رب؟ قال الله تعالى: بعفوك عن أخيك قال: يا رب قد عفوت عنه قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة».

من كان يرجو عفو من فوقه فليعف عن ذنب الذي دونه

در عفو لذتيست كه در انتقام نيست

ومنها: بيان تأديب الله للشيوخ والأكابر أن لا يهجروا صاحب الزلات وأهل العثرات من المريدين ويتخلقوا بخلق الله حيث يغفر الذنوب ولا يبالي وأعلمهم أن لا يكفوا إعطاءهم عنهم ويخبروهم ما وقع لهم من أحكام الغيب فإن من له استعداد لا يحتجب بالعوارض البشرية عن أحكام الطريقة أبداً والله المعين على كل حال وبيده العفو عن سيئات الأعمال.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إن الذين يرمون﴾ قد سبق معنى الرمي في أوائل السورة. **﴿المحصنات﴾** العفائف مما رمين من الفاحشة والزنى **﴿الغافلات﴾** [بيخبران] عنها على الإطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شيء منها ولا من مقدماتها أصلاً ففيها من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس في المحصنات.

قال في «التعريفات»: الغفلة عن الشيء هي أن لا يخطر ذلك بباله **﴿المؤمنات﴾** أي: المتصفات بالإيمان بكل ما يجب أن يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها إيماناً حقيقياً تفصيلياً كما ينبىء عنه تأخير المؤمنات عما قبلها مع أصالة وصف الإيمان والمراد بها عائشة الصديقة رضي الله عنها والجمع باعتبار أن رميها رمي لسائر أمهات المؤمنين لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة والانتساب إلى رسول الله عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥] ونظائره **﴿لعنوا﴾** بما قالوا في حقهن وهتكوا حرمتهن **﴿في الدنيا والآخرة﴾** حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين والملائكة أبداً. وبالفارسية [دور كرده شدند در دنيا از نام نيكو در آخرت از رحمت يعني درين عالم مردود وملعونند ودران سراى مبغوض ومطرود] وأصل اللعنة الطرد والإبعاد على سبيل السخط وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة وفي الدنيا انقطاع عن قبول فيضه وتوفيقه ومن الإنسان دعاء على غيره. **﴿ولهم﴾** مع ما ذكر من اللعن الأبدي **﴿عذاب عظيم﴾** لعظم ذنوبهم.

قال مقاتل: هذا خاص في عبد الله بن أبيّ المنافق وإليه الإشارة بقول حضرة الشيخ نجم الدين في «تأويلاته» **﴿إن الذين﴾** الخ أي إن الذين لم يكونوا من أهل بدر من أصحاب الإفك اهـ. ليخرج مسطح ونحوه كما سبقت الإشارة إلى مغفرته.

وقال بعضهم: الصحيح أنه حكم كل قاذف ما لم يتب لقوله عليه السلام: «اجتنبوا الموبقات السبع الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المؤمنات الغافلات» وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من قذف أزواج النبي عليه السلام فلا توبة له ومن قذف مؤمنة سواهن قد جعل الله له توبة ثم قرأ: **﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾** إلى قوله: **﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا﴾** الآية.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿يوم﴾ ظرف لما في الجار والمجرور والمتقدم من معنى الاستقرار ﴿تشهد﴾ الشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصر أو بصيرة. ﴿عليهم﴾ تقديمه على الفاعل للمسارعة إلى بيان كون الشهادة ضارة لهم. ﴿ألسنتهم﴾ بغير اختيار منهم وهذا قبل أن يختم على أفواههم فلا تعارض بينه وبين قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [يس: ٦٥] ﴿وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ فتخبر كل جارحة بما صدر من أفاعيل صاحبها لا أن كلا منها تخبر بجناياتها المعهودة فقط فالموصول عبارة عن جميع أعمالهم السيئة.

﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ التوفية بذل الشيء وافياً والوافي الذي بلغ التمام والدين الجزاء والحق منصوب على أن يكون صفة للدين أي يوم إذ تشهد جوارحهم بأعمالهم القبيحة يعطيهم الله جزاءهم الثابت الواجب الذي هم أهله وافياً كاملاً ﴿ويعلمون﴾ عند معاينتهم الأهوال والخطوب ﴿أن الله هو الحق المبين﴾ أي الظاهر حقيته لما أنه أبان لهم حقية ما كان يعدهم به في الدنيا من الجزاء. ويقال: إن ما قال الله هو الحق.

وفي الآية أمور:

منها بيان جواز اللعنة على من كان من أهلها.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: الصفات المقتضية للعن ثلاث الكفر والبدعة والفسق وله في كل واحدة ثلاث مراتب الأولى اللعن بالوصف الأعم كقولك لعنة الله على الكافرين أو المبتدعة أو الفسقة والثانية اللعن بأوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى أو على القدرية والخوارج والروافض أو على الزناة والظلمة وأكلي الربا وكل ذلك جائز ولكن في لعن بعض أصناف المبتدعة خطر لأن معرفة البدعة غامضة فما لم يرد فيه لفظ مأثور ينبغي أن يمنع منه العوام لأن ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعاً وفساداً بين الناس والثالثة اللعن على الشخص فينظر فيه أن كان ممن ثبت كفره شرعاً فيجوز لعنه إن لم يكن فيه أذى على مسلم كقولك لعنة الله على النمرود وفرعون وأبي جهل لأنه ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعاً وأن كان ممن لم يثبت حال خاتمته بعد كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي أو فاسق فهذا فيه خطر لأنه ربما يسلم أو يتوب فيموت مقرباً عند الله تعالى فكيف يحكم بكونه ملعوناً.

ومنها شهارة الأعضاء وذلك بانطاق الله تعالى فكما تشهد على المذنبين تشهد للمطيعين بطاعتهم فاللسان يشهد على الإقرار وقراءة القرآن واليد تشهد بأخذ المصحف والرجل تشهد بالمشي إلى المسجد والعين تشهد بالبكاء والأذن تشهد باستماع كلام الله. ويقال شهادة الأعضاء في القيامة مؤجلة وشهادتها في المحبة اليوم معجلة من صفرة الوجه وتغير اللون ونحافة الجسم وانسكاب الدموع وخفقان القلب وغير ذلك: قال الحافظ:

باضعف وناتواني همچون نسيم خوش باش   پيماری اندرين ره بهتر زتن درستي

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

ومنها أن المجازاة بقدر الاستحقاق فللفاسقين بالقطيعة والنيران وللصالحين بالدرجات وللعارفين بالوصلة والقربة ورؤية الرحمٰن ﴿الخبيثات﴾ من النساء أي الزواني: وبالفارسية [زنان ناپاك] ﴿للخبيثين﴾ من الرجال أي الزناة كابن أبيّ المنافق تكون له امرأة زانية أي مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم إلى غيرهم لأن لله ملكاً يسوق الأهل إلى الأهل ويجمع الأشكال بعضاً إلى بعض على أن اللام للاختصاص ﴿والخبيثون﴾ أيضاً: وبالفارسية [مردان ناپاك] ﴿للخبيثات﴾ لأن المجانسة من دواعي الانضمام ﴿والطيبات﴾ منهن أي العفائف ﴿للطيبين﴾ منهم أي العفيفين ﴿والطيبون﴾ أيضاً ﴿للطيبات﴾ منهن بحيث لا يكادون يجاوزونهن إلى من عداهن وحيث كان رسول الله عليه السلام اطيب الاطيبين وخيرة الأولين والآخرين تبين كون الصديقة من أطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل في حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿أولئك﴾ الموصوفون بعلو الشان يعني أهل البيت.

وقال في «الأسئلة المقحمة»: آية الإفك نزلت في عائشة وصفوان فكيف ذكرها بلفظ الجمع والجواب: لأن الشين وعار الزنى والمعرة بسببه تتعدى إلى الرسول لأنه زوجها وإلى أبي بكر الصديق لأنه أبوها وإلى عامة المسلمين لأنها أمهم فذكر الكل بلفظ الجمع ﴿مبرؤون﴾ [بيزار كرده شد كان يعني منزه ومعرا اند]. ﴿مما يقولون﴾ أي مما يقوله أهل الإفك في حقهم من الأكاذيب الباطلة في جميع الأعصار والأطوار إلى يوم القيامة ﴿لهم مغفرة﴾ عظيمة لما يخلو عنه البشر من الذنب ﴿ورزق كريم﴾ في الجنة أي كثير ويقال حسن.

قال الكاشفي: [يعني ريح وبسيار وپايدار مراد نعيم بهشت است].

قال الراغب: كل شيء يشرف في بابه فإنه يوصف بالكرم وقال بعضهم: الرزق الكريم هو الكفاف الذي لا منة فيه لأحد في الدنيا ولا تبعة له في الآخرة.

يقول الفقير: الظاهر من سوق الآيات ولا سيما من قوله: ﴿مما يقولون﴾ أن المعنى أن الخبيثات من القول: يعني [سخنان ناشا يسته ونا پاك] للخبيثين من الرجال والنساء أي مختصة ولائقة بهم لا ينبغي أن تقاتل في حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين أحقاء بأن يقال في حقهم خبائث القول والطيبات من الكلم للطيبين من الفريقين أي مختصة وحقيقة بهم وكذا الطيبون من الفريقين احقاء بأن يقال في شأنهم طيبات الكلم أولئك الطيبون مبرؤون مما يقول الخبيثون في حقهم فمآله تنزيه الصديقة أيضاً.

وقال بعضهم: خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريقي الرجال والنساء لا تصدر عن غيرهم والخبيثون من الفريقين مختصون بخبائث القول متعرضون لها كابن أبي المنافق ومن تابعه في حديث الإفك من المنافقين إذ كل إناء يترشح بما فيه والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين أي مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام لا يصدر عنهم غيرها أولئك الطيبون مبرؤون مما يقول الخبيثون من الخبائث أي لا يصدر عنهم مثل ذلك فمآله تنزيه القائلين سبحانك هذا بهتان عظيم.

وقد وقع أن الحسن بن زياد بن يزيد الساعي من أهل طبرستان وكان من العظماء وكان يلبس الصوف ويأمر بالمعروف وكان يرسل في كل سنة إلى بغداد عشرين ألف دينار تفرق على أولاد الصحابة فحصل عنده رجل من أشياع العلويين فذكر عائشة رضي الله عنها بالقبيح فقال الحسن لغلامه: يا غلام اضرب عنق هذا فنهض إليه العلويون وقالوا هذا رجل من شيعتنا

فقال: معاذ الله هذا طعن على رسول الله فإن كانت عائشة خبيثة كان زوجها أيضاً كذلك وحاشاه ﷺ من ذلك بل هو الطيب الطاهر وهي الطيبة الطاهرة المبرأة من السماء يا غلام اضرب عنق هذا الكافر فضرب عنقه. وفي «المثنوي»:

ذرة كاندر همه أرض وسماست جنس خودرا همچو كاه وكهر باست
ناريان مر ناريانرا جاذبند نوريان مر نوريانرا طالبند
أهل باطل باطلا نرا مى كشند أهل حق ازاهل حق هم سر خوشتنند
طيبات آمد زبهر طيبين الخبيثات للخبيثين است بين

وقال الراغب: الخبيث ما يكره رداءة وخساسة محسوساً كان أو معقولاً وذلك يتناول الباطل في الاعتقاد والكذب في المقال والقبيح في الفعل وقوله: ﴿**الخبيثات للخبيثين**﴾ أي الأعمال الرديئة والاختيارات النبهرجة لأمثالها وأصل الطيب ما يستلذه الحواس وقوله: ﴿**والطيبات للطيبين**﴾ تنبيه على أن الأعمال الطيبة تكون من الطيبين كما روي: «المؤمن اطيب من عمله والكافر اخبث من عمله».

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى خباثة الدنيا وشهواتها أنها للخبيثين من أرباب النفوس المتمردة والخبيثون من أهل الدنيا المطمئنين بها للخبيثات من مستلذات النفس ومشتهيات هواها معناه أنها لا تصلح إلا لهم وأنهم لا يصلحون إلا لها.

وأيضاً الخبيثات من الأخلاق الذميمة والأوصاف الرديئة للخبيثين من الموصوفين بها والطيبات من الأعمال الصالحة والأخلاق الكريمة للطيبين من الصالحين وأرباب القلوب يعني خلقت الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات كقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٩] وقال عليه السلام: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» وقال عليه الصلاة والسلام: «خلقت الجنة وخلق لها أهل وخلقت النار وخلق لها أهل» وفي «حقائق البقلي» خبيثات هواجس النفس ووساوس الشيطان للباطلين من المرائين والمغالطين وهم لها وطيبات الهام الله بوساطة الملائكة لأصحاب القلوب والأرواح والعقول من العارفين.

وأيضاً الترهات والطامات للمرتابين والحقائق والدقائق من المعارف وشرح الكواشف للعارفين والمحبين انتهى.

وكان مسروق إذا روى عن عائشة رضي الله عنها يقول: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله المبرأة من السماء، وجاء أن ابن عباس رضي الله عنهما دخل على عائشة في موتها فوجدها وجلة من القدوم على الله فقال لها: لا تخافي فإنك لا تقدمين إلا على مغفرة ورزق كريم فغشي عليها من الفرح بذلك لأنها كانت تقول متحدثة بنعمة الله عليها لقد أعطيت خصالاً ما أعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حتى أمر رسول الله أن يتزوجني ولقد تزوجني بكراً وما تزوج بكراً غيري ولقد توفي وأن رأسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي وأن الوحي ينزل عليه في أهله فيتفرقون منه وأنه كان لينزل عليه وأنا معه في لحاف واحد وأبي رضي الله عنه خليفته وصديقه ولقد نزلت براءتي من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب لقد وعدت مغفرة ورزقاً كريماً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ روي: عن عدي بن ثابت عن رجل من الأنصار قال: جاءت امرأة إلى رسول الله عليه السلام فقالت: يا رسول الله إني أكون في بيتي على الحالة التي لا أحب أن يراني عليها أحد فيأتي الآتي فيدخل فكيف أصنع؟ قال: «ارجعي» فنزلت هذه الآية ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم﴾ [يعني بهيچ خانة بيكانه درميابيد] وصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التي هي سكنى كل أحد في ملكه وإلا فالآجر والمعير أيضاً منهيان عن الدخول بغير إذن يقال آجره أكراه والأجرة الكراء وأعاره دفعه عارية. ﴿حتى تستأنسوا﴾ أي تستأذنوا ممن يملك الإذن من أصحابها. وبالفارسية [تا وقتي كه خبر كيريد ودستوري طلبيد].

من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء إذا ابصره مكشوفاً فعلم به فإن المستأذن مستعلم للحال مستكشف أنه هل يؤذن له أو لا ومن الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش لما أن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فإذا أذن له استأنس ولهذا يقال في جواب القادم المستأذن مرحباً أهلاً وسهلاً أي وجدت مكاناً واسعاً وأتيت أهلاً لا أجانب ونزلت مكاناً سهلاً لا حزناً ليزول به استيحاشه وتطيب نفسه فيؤول المعنى إلى أن يؤذن لكم وهو من باب الكناية حيث ذكر الاستئناس اللازم وأريد الإذن الملزوم.

وعن النبي عليه السلام في معنى الاستئناس حين سئل عنه فقال: «هو أن يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة ويتنحنح يؤذن أهل البيت».

قال في «نصاب الاحتساب»: امرأة دخلت في بيت غير بغير إذن صاحبه هل يحتسب عليها؟ فالجواب: إذا كانت المرأة ذات محرم منه حل لامرأته الدخول في منازل محارم زوجها بغير إذنهم وهذا غريب يجتهد في حفظه ذكره في سرقة «المحيط» ولهذا لو سرقت من بيت محارم زوجها لا قطع عليها عند أبي حنيفة رحمه الله وما في غير ذلك يحتسب عليها كما يحتسب على الرجل لقوله تعالى: ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾ أي تستأذنوا انتهى.

فالدخول بالإذن من الآداب الجميلة والأفعال المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ﴿وتسلموا على أهلها﴾ عند الاستئذان بأن يقول: السلام عليكم أدخل ثلاث مرات فإن أذن له دخل وسلم ثانياً وإلا رجع. ﴿ذلكم﴾ الاستئذان مع التسليم ﴿خير لكم﴾ من أن تدخلوا بغتة ولو على الأم فإنها تحتمل أن تكون عريانة.

وفيه إرشاد إلى ترك تحية أهل الجاهلية حين الدخول فإن الرجل منهم كان إذا دخل بيتاً غريباً صباحاً. قال: «حييتم صباحاً» وإذا دخل مساء. قال: «حييتم مساء» قال الكاشفي: [وكفته اند كسي كه برعيال خود درمي آيد بايدكه بكلمة يا بآ وازيا بتنحنحى اعلام كند تا أهل آن خانه بستر عورات ودفع مكروهات اقدام نمايند] ﴿لعلكم تذكرون﴾ متعلق بمضمر أي أمرتم به كي تذكروا وتتعظوا وتعلموا بموجبه.

اعلم أن السلام من سنة المسلمين وهو تحية أهل الجنة ومجلبة للمودة وناف للحقد والضغينة روي عنه عليه السلام قال: «لما خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال: الحمد لله فقال الله تعالى يرحمك ربك يا آدم اذهب إلى هؤلاء الملائكة وملأ منهم جلوس فقل: السلام عليكم فلما فعل ذلك رجع إلى ربّه قال: هذه تحيتك وتحية ذريتك» وروي عنه عليه السلام قال: «حق المسلم على المسلم ست يسلم عليه إذا لقيه ويجيبه إذا دعاه وينصح له

بالغيب ويشمته إذا عطس ويعوده إذا مرض ويشهد جنازته إذا مات» ثم إنه إذا عرض أمر في دار من حريق أو هجوم سارق أو قتل نفس بغير حق أو ظهور منكر يجب إزالته فحينئذ لا يجب الاستئذان والتسليم فإن كل ذلك مستثنى بالدليل وهو ما قاله الفقهاء من أن مواقع الضرورات مستثناة من قواعد الشرع لأن الضرورات تبيح المحظورات.

قال صاحب «الكشاف»: وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل بها وباب الاستئذان من ذلك انتهى.

وفي الآية الكريمة إشارة إلى ترك الدخول والسكون في البيوت المجازية الفانية من الأجساد وترك الاطمئنان بها بل لا بد من سلام الوداع للخلاص فإذا ترك العبد الركون إلى الدنيا الفانية وشهواتها وأعرض عن البيوت التي ليست بدار قرار فقد رجع إلى الوطن الحقيقي الذي حبه من الإيمان.

اكـر خـواهـي وطـن بـيـرون قـدوم نـه

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿**فإن لم تجدوا فيها**﴾ أي في تلك البيوت ﴿**أحداً**﴾ أي ممن يملك الإذن على أن من لا يملكه من النساء والولدان وجدانه كفقدانه أو لم تجدوا أحداً أصلاً ﴿**فلا تدخلوها**﴾ فاصبروا ﴿**حتى يؤذن لكم**﴾ أي من جهة من يملك الإذن عند إتيانه فإن في دخول بيت فيه النساء والولدان اطلاعاً على العورات وفي دخول البيوت الخالية اطلاعاً على ما يعتاد الناس إخفاءه مع أن التصرف في ملك الغير محظور مطلقاً. يعني [دخول درخانة خالي بي إذن كسى محل تهمت سرقه است].

يقول الفقير: قد ابتليت بهذا مرة غفلة عن حكم الآية الكريمة فأطال عليّ وعلى رفقائي بعض من خارج البيت لكوننا مجهولين عندهم فوجدت الأمر حقاً ﴿**وإن قيل لكم ارجعوا**﴾ انصرفوا. ﴿**فارجعوا**﴾ ولا تقفوا على أبواب الناس، أي أمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع سواء كان الأمر ممن يملك الإذن أم لا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستئذان كما في الوجه الأول أو لا تلحوا بالإصرار على الانتظار على الأبواب إلى أن يأتي الإذن كما في الثاني فإن ذلك مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدح في المروءة أي قدح. ﴿**هو**﴾ أي: الرجوع ﴿**أزكى لكم**﴾ أي: أطهر مما لا يخلو عنه اللج والعناد والوقوف على الأبواب من دنس الدناءة والرزالة. ﴿**والله بما تعملون عليم**﴾ فيعلم ما تأتون وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**فإن لم تجدوا فيها أحداً**﴾ يشير إلى فناء صاحب البيت وهو وجود الإنسانية ﴿**فلا تدخلوها**﴾ بتصرف الطبيعة الموجبة للوجود ﴿**حتى يؤذن لكم**﴾ بأمر من الله بالتصرف فيها للاستقامة كما أمر. ﴿**وإن قيل لكم ارجعوا**﴾ أي إلى ربكم ﴿**فارجعوا**﴾ ولا تتصرفوا فيها تصرف المطمئنين بها. ﴿**هو أزكى لكم**﴾ لئلا تقعوا في فتنة من الفتن الإنسانية وتكونوا مع الله بالله بلا أنتم. ﴿**والله بما تعملون**﴾ من الرجوع إلى الله وترك تعلقات البيوت الجسدانية ﴿**عليم**﴾ خير لكم.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿ليس عليكم جناح﴾.

قال في «المفردات» جنحت السفينة أي مالت إلى أحد جانبيها سمي الإثم المائل بالإنسان عن الحق جناحاً ثم سمي كل إثم جناحاً. ﴿أن تدخلوا﴾ أي: بغير استئذان ﴿بيوتاً غير مسكونة﴾ أي غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل لينتفع بها من يضطر إليها كائناً من كان من غير أن يتخذها سكناً كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فإنها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿فيها متاع لكم﴾ فإنه صفة للبيوت أي حق تمتع لكم وانتفاع كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الأمتعة والرحال والشراء والبيع والاغتسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت وداخلها فلا بأس بدخولها بغير استئذان من قوام الرباطات والخانات وأصحاب الحوانيت ومتصرفي الحمامات ونحوهم. ﴿والله يعلم ما تبدون﴾ تظهرون ﴿وما تكتمون﴾ تستترون وعيد لمن يدخل مدخلاً من هذه المداخل لفساد أو اطلاع على عورات.

قال في «نصاب الاحتساب»: رجل له شجرة فرصاد قد باع أغصانها فإذا ارتقاها المشتري يطلع على عورات الجار قال: يرفع الجار إلى القاضي حتى يمنعه من ذلك.

قال الصدر الشهيد في «واقعات المختار» أن المشتري يخبرهم وقت الارتقاء مرة أو مرتين حتى يستروا أنفسهم لأن هذا جمع بين الحقين وإن لم يفعل إلى أن يرفع الجار إلى القاضي فإن رأى القاضي المنع كان له ذلك. ولو فتح كوّة في جداره حتى وقع نظره فيها إلى نساء جاره يمنع من ذلك.

وفي «البستان»: لا يجوز لأحد أن ينظر في بيت غيره بغير إذنه فإن فعل فقد أساء وأثم في فعله فإن نظر ففقأ صاحب البيت عينه اختلفوا فيه قيل: لا شيء عليه وقيل: عليه الضمان وبه نأخذ.

وكان عمر رضي الله عنه يعس ليلة مع ابن مسعود رضي الله عنه فاطلع من خلل باب فإذا شيخ بين يديه شراب وقينة تغنيه فتسورا فقال عمر رضي الله عنه: ما صح لشيخ مثلك أن يكون على مثل هذه الحالة فقام إليه الرجل فقال: يا أمير المؤمنين أنشدك بالله إلا ما أنصفتني حتى أتكلم قال: قل قال: إن كنت عصيت الله في واحدة فقد عصيت أنت في ثلاث قال: ما هن؟ قال: تجسست وقد نهاك الله فقال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحجرات: ١٢] وتسورت وقد قال الله: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ إلى ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] ودخلت بغير إذن وقد قال الله: ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ فقال عمر: صدقت فهل أنت غافر لي فقال: غفر الله لك فخرج عمر يبكي ويقول: ويل لعمر إن لم يغفر الله له.

فإن قلت: دل هذا على أن المحتسب لا يدخل بيتاً بلا إذن وقد صح أنه يجوز له الدخول في بيت من يظهر البدع بلا إذن.

قلت: هذا فيما أظهر وذلك فيما أخفى.

وفي «التأويلات النجمية»: في الآية إشارة إلى جواز تصرف السالك الواصل في بيت الجسد الذي هو غير مسكون لصاحبه وهو الإنسانية لفنائها عن وجودها بإفناء الحق تعالى فيها متاع لكم أي الآلات والأدوات التي تحتاجون إليها عند السير في عالم الله ولتحصيلها بعثت

الأرواح إلى أسفل سافلين الأجساد والله يعلم ما تبدون من تصرفاتكم بالآلات الإنسانية وما تكتمون من نياتكم أنها لطلب رضى الله تعالى أو لهوى نفوسكم انتهى. قال الجامي قدس سره:

جيت خاص أست كه كنج كهر اخلاص است

نيست اين درثمين دربغل هردغلي

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قل﴾ يا محمد **﴿للمؤمنين﴾** حذف مفعول الأمر تعويلاً على دلالة جوابه عليه أي قل لهم: غضوا **﴿يغضوا من أبصارهم﴾** عما يحرم. وبالفارسية [بپوشند ديدهاى خودرا ازديدن نا محرم كه نظر سبب فتنه است].

والغض إطباق الجفن بحيث يمنع الرؤية ولما كان ما حرم النظر إليه بعضاً من جملة المبصرات تبعض البصر باعتبار تبعض متعلقه فجعل ما تعلق بالمحرم بعضاً من البصر وأمر بغضه **﴿ويحفظوا فروجهم﴾** عمن لا يحل أو يستروها حتى لا تظهر والفرج الشق بين الشيئين كفرجة الحائط والفرج ما بين الرجلين وكني به عن السوءة وكثر حتى صار كالصريح فيه أتى بمن التبعيضية في جانب الأبصار دون الفروج مع أن المأمور به حفظ كل واحد منهما عن بعض ما تعلقا به فإن المستثنى من البصر كثير فإن الرجل يحل له النظر إلى جميع أعضاء أزواجه وأعضاء ما ملكت يمينه وكذا لا بأس عليه في النظر إلى شعور محارمه وصدورهن وثديهن وأعضائهن وسوقهن وأرجلهن وكذا من أمة الغير حال عرضها للبيع ومن الحرة الأجنبية إلى وجهها وكفيها وقدميها في رواية في القدم بخلاف المستثنى من الفرج فإنه شيء نادر قليل وهو فرج زوجته وأمته فلذلك أطلق لفظ الفرج ولم يقيد بما استثنى منه لقلته وقيد غض البصر بحرف التبعض **﴿ذلك﴾** أي ما ذكر من الغض والحفظ. **﴿أزكى لهم﴾** أي أطهر لهم من دنس الريبة **﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾** لا يخفى عليه شيء فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون روي: عن عيسى ابن مريم عليهما السلام أنه قال: إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب شهوة.

قال الكاشفي [در ذخيرة الملوك آورده كه تيزرو ترين پيكى شيطانرا درو جود إنسان چشم است زيرا حواس ديكر درمسما كن خود اند وتا چيري بديشان نميررسد باستدراج آن مشغول نميتوانند شد اماديده حاسه ايست كه ازدور ونزديك ابتلا وانام راصيد ميكند]:

اين همه آفت كه بتن ميرسد از نظر توبه شكن ميرسد

ديده فروپوش چودر در صدف تانشوى تير بلارا هدف

وفي «النصاب»: النظرة الأولى عفو والذي يليها عمد وفي الأثر: «يا ابن آدم لك النظرة الأولى فما بال الثانية» وفي الحديث: «اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا وعدتم وأدوا ما ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضّوا أبصاركم وكفوا أيديكم»، وفي الحديث: «بينما رجل يصلي إذ مرت به امرأة فنظر إليها واتبعها بصره فذهبت عيناه».

قال الشيخ نجم الدين في «تأويلاته»: يشير إلى غض أبصار الظواهر من المحرمات وأبصار النفوس عن شهوات الدنيا ومألوفات الطبع ومستحسنات الهوى وأبصار القلوب عن رؤية الأعمال ونعيم الآخرة وأبصار الأسرار عن الدرجات والقربات وأبصار الأرواح عن الالتفات لما سوى الله وأبصار الهمم عن العلل بأن لا يروا أنفسهم أهلاً للشهود من الحق سبحانه غيرة عليه تعظيماً وإجلالاً ويشير أيضاً إلى حفظ فروج الظواهر عن المحرمات وفروج البواطن عن التصرفات في الكونين لعله دنيوية أو أخروية. ﴿ذلك أزكى لهم﴾ صيانة عن تلوث الحدوث ورعاية للحقوق عن شوب الحظوظ. ﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾ يعملون للحقوق والحظوظ اللهم اجعلنا من الذين يراعون الحقوق في كل عمل.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهن النظر إليه من الرجل وهي العورة عند أبي حنيفة وأحمد. وعند مالك ما عدا الوجه والأطراف والأصح من مذهب الشافعي أنها لا تنظر إليه كما لا ينظر هو إليها ﴿ويحفظن فروجهن﴾ بالتصون عن الزنى أو بالتستر ولا خلاف بين الأئمة في وجوب ستر العورة عن اعين الناس.

واختلفوا في العورة ما هي فقال أبو حنيفة عورة الرجل ما تحت سرته إلى تحت ركبته والركبة عورة.

وفي «نصاب الاحتساب»: من لم يستر الركبة ينكر عليه برفق لأن في كونها عورة اختلافاً مشهوراً ومن لم يستر الفخذ يعنف عليه ولا يضرب لأن في كونها عورة خلاف بعض أهل الحديث. ومن لم يستر السوءة يؤدب إذ لا خلاف في كونها عورة عن كراهية الهداية انتهى. ومثل الرجل الأمة وبالأولى بطنها وظهرها لأنه موضع مشتهى والمكاتبة وأم الولد والمدبرة كالأمة وجميع الحرة عورة إلا وجهها وكفيها والصحيح عنده أن قدميها عورة خارج الصلاة لا في الصلاة وقال مالك عورة الرجل فرجاه وفخذاه والأمة مثله وكذا المدبرة والمعتقة إلى أجل والحرة كلها عورة إلا وجهها ويديها ويستحب عنده لأم الولد أن تستر من جسدها ما يجب على الحرة ستره والمكاتبة مثلها وقال الشافعي وأحمد: عورة الرجل ما بين السرة والركبة وليست الركبة من العورة وكذا الأمة والمكاتبة وأم الولد والمدبرة والمعتق بعضها والحرة كلها عورة سوى الوجه والكفين عند الشافعي وعند أحمد سوى الوجه فقط على الصحيح وأما سرة الرجل فليست من العورة بالاتفاق كذا في «فتح الرحمٰن» وتقديم الغض لأن النظر يريد الزنى ورائد الفساد يعني أن الله تعالى قرن النهي عن النظر إلى المحارم بذكر حفظ الفرج تنبيهاً على عظم خطر النظر فإنه يدعو إلى الإقدام على الفعل وفي الحديث: «النظر سهم من سهام إبليس» قيل: من أرسل طرفه اقتنص حتفه: وفي «المثنوي»:

كرزناى چشم حظى مي برى نى كباب ازپهلوى خود مي خورى
اين نظر ازدور چون تيرست وسم عشقت افزون مي شود صبرتوكم

﴿ولا يبدين زينتهن﴾ فضلاً عن إبداء مواقعها يقال بدا الشيء بدواً وبدوّاً أي ظهر ظهوراً بيناً وأبدى أظهر. ﴿إلا ما ظهر منها﴾ [مكر آنچه ظاهر شود ازان زينت بوقت ساختن كارها چون خاتم وأطراف ثياب وكحل درعين وخضاب دركف] فإن في سترها حرجاً بيناً.

قال ابن الشيخ: الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو ثوب أو صبغ فما كان منها ظاهراً كالخاتم والفتخة وهي ما لا فص فيه من الخاتم والكحل والصبغ فلا بأس بابدائه للأجانب بشرط الأمن من الشهوة وما خفي منها كالسوار والدملج وهي خلقة تحملها المرأة على عضدها والوشاح والقرط فلا يحل لها إبداؤها إلا للمذكورات فيما بعد بقوله: ﴿إلا لبعولتهن﴾.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى كتمان ما زين الله به سرائرهم من صفاء الأحوال وزكاء الأعمال فإنه بالإظهار ينقلب الزين شيناً إلا ما ظهر منها وارد حق أو يظهر على أحد منهم نوع كرامة بلا تعمله وتكلفه فذلك مستثنى لأنه غير مؤاخذ بما لم يكن بتصرفه وتكلفه انتهى.

قال في «حقائق البقلي»: فيه استشهاد على أنه لا يجوز للعارفين أن يبدوا زينة حقائق معرفتهم وما يكشف الله لهم من عالم الملكوت وأنوار الذات والصفات ولا المواجيد إلا ما ظهر منها بالغلبات من الشهقات والزعقات والاصفرار والاحمرار وما يجري على ألسنتهم بغير اختيارهم من كلمات السطح والإشارات المشاكلة وهذه الأحوال أشرف زينة للعارفين.

قال بعضهم: أزين ما تزين به العبد الطاعة فإذا أظهرها فقد ذهبت زينتها.

وقال بعضهم: الحكمة في هذه الآية لأهل المعرفة أنه من أظهر شيئاً من أفعاله إلا ما ظهر عليه من غير قصد له فيه سقط به عن رؤية الحق لأن من وقع عليه رؤية الخلق ساقط عن رؤية الحق. قال الشيخ سعدي قدس سره:

همان به كر آبستن كوهرى كه همچون صدف سر بخود دربرى

وفي «المثنوي»:

دانـد وبوشد بأمر ذي الجلال كه نباشد كشف را ازحق حلال
سر غيب آنرا سنرد آموختن كه زكفتن لب تواند دوختن

﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ ضمن الضرب معنى الإلقاء ولذا عدي بعلى. والخمر جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها وتسترها وما ليس بهذه الصفة فليس بخمار.

قال في «المفردات»: أصل الخمر ستر الشيء ويقال لما يستر به خمار لكن الخمار صار في التعارف اسماً لما تغطي به المرأة رأسها. والجيوب جمع جيب وهو ما جيب من القميص أي قطع لإدخال الرأس. والمعنى وليلقين مقانعهن على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وقروطهن وأعناقهن عن الأجانب. وبالفارسية: [وبايدكه فرو كذا رند مقنعهاى خودرا بر كريبا نهاي خويش يعني كردن خودرا بمقنعه بپوشند تاشوى وبنا كوش وكردن وسينة ايشان پوشيده ماند].

وفيه دليل على أن صدر المرأة ونحرها عورة لا يجوز للأجنبي النظر إليها ﴿ولا يبدين

زينتهن﴾ أي: الزينة الخفية كالسوار والدملج والوشاح والقرط ونحوها فضلاً عن إبداء مواقعها كرره لبيان من يحل له الإبداء ومن لا يحل له.

وقال أبو الليث: لا يظهر مواضع زينتهن وهو الصدر والساق والساعد والرأس لأن الصدر موضع الوشاح والساق موضع الخلخال والساعد موضع السوار والرأس موضع الإكليل فقد ذكر الزينة وأراد بها موضع الزينة انتهى. ﴿إلا لبعولتهن﴾.

قال في «المفردات»: البعل هو الذكر من الزوجين وجمعه بعولة كفحل وفحولة انتهى أي إلا لأزواجهن فإنهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود خصوصاً إذا كان النظر لتقوية الشهوة إلا أنه يكره له النظر إلى الفرج بالاتفاق حتى إلى فرج نفسه لأنه يروي أنه يورث الطمس والعمى وفي كلام عائشة رضي الله عنها ما رأى مني ولا رأيت منه أي عورة.

قال في «النصاب»: أي الزينة الباطنة يجوز إبداؤها لزوجها وذلك لاستدعائه إليها ورغبة فيها ولذلك لعن رسول الله عليه السلام السلقاء والمرهاء فالسلقاء التي لا تختضب والمرهاء التي لا تكتحل. ﴿أو آبائهن﴾ والجد في حكم الأب. ﴿أو آباء بعولتهن﴾ [ياپدران شوهران خويش كه ايشان حكم آباء دارند] ﴿أو أبنائهن﴾ [ياپسران خويش وپسرپسر هرچندباشد درين داخلست] ﴿أو أبناء بعولتهن﴾ [يا پسران شوهران خودچه ايشان در حكم پسر انند مر زنرا] ﴿أو إخوانهن﴾ [ياپسران برادران خودكه حكم برادران دارند]. ﴿أو بني إخوانهن﴾ [يا پسران برادران خود] ﴿أو بني أخواتهن﴾ [ياپسران خواهران خود واينها جماعتى اندكه نكاح زن با ايشان روا نيست كه] والعلة كثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم أن ينظروا منهن إلى ما يبدو عند الخدمة.

قال في «فتح الرحمٰن»: فيجوز لجميع المذكورين عند الشافعي النظر إلى الزينة الباطنة سوى ما بين السرة والركبة إلا الزوج فيباح له ما بينهما.

وعند مالك ينظرون إلى الوجه والأطراف.

وعند أبي حنيفة: ينظرون إلى الوجه والرأس والصدر والساقين والعضدين ولا ينظرون إلى ظهرها وبطنها وفخذها.

وعند أحمد: ينظرون إلى ما يظهر غالباً كوجه ورقبة ويد وقدم ورأس وساق.

قال أبو الليث: النظر إلى النساء على أربع مراتب في وجه يجوز النظر إلى جميع أعضائهن وهو النظر إلى زوجته وأمته، وفي وجه يجوز النظر إلى الوجه والكفين وهو النظر إلى المرأة التي لا تكون محرماً له ويأمن كل واحد منهما على نفسه فلا بأس بالنظر عند الحاجة، وفي وجه يجوز النظر إلى الصدر والرأس والساق والساعد وهو النظر إلى امرأة ذي رحم أو ذات رحم محرم مثل الأم والأخت والعمة والخالة وامرأة الأب وامرأة الابن وأم المرأة سواء كان من قبل الرضاع أو من قبل النسب وفي وجه لا يجوز النظر إلى شيء وهو أن يخاف أن يقع في الإثم إذا نظر انتهى وعدم ذكر الأعمام والأخوال لما أن الأحوط أن يتسترن عنهم حذراً من أن يصفوهن لأبنائهم فإن تصور الأبناء لها بالوصف كنظرهم إليها. ﴿أو نسائهن﴾ المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فإن الكوافر لا يتأثمن عن وصفهن

للرجال فيكون تصور الأجانب إياها بمنزلة نظرهم إليها فإن وصف مواقع زين المؤمنات للرجال الأجانب معدود من جملة الآثام عند المؤمنات فالمراد بنسائهن نساء أهل دينهن وهذا قول أكثر السلف.

قال الإمام: قول السلف محمول على الاستحباب والمذهب أن المراد بقوله: **﴿أو نسائهن﴾** جميع النساء».

يقول الفقير: أكثر التفاسير المعتبرة مشحون بقول السلف فإنهم جعلوا المرأة اليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنية في حكم الرجل الأجنبي فمنعوا المسلمة من كشف بدنها عندهن إلا أن تكون أمة لها كما منعوها من التجرد عند الأجانب والظاهر أن العلة في المنع شيئان عدم المجانسة ديناً فإن الإيمان والكفر فرق بينهما وعدم الأمن من الوصف المذكور فلزم اجتناب العفائف عن الفواسق وصحبتها والتجرد عندها. ولذا منع المناكحة بين أهل السنة وبين أهل الاعتزال كما في «مجمع الفتاوى»: وذلك لأن اختلاف العقائد والأوصاف كالتباين في الدين والذات وأصلح الله نساء الزمان فإن غالب أخلاقهن كأخلاق الكوافر فكيف تجتمع بهن وبالكوافر في الحمام ونحوه من كانت بصدد العفة والتقوى. وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي عبيدة أن يمنع الكتابيات من دخول الحمامات مع المسلمات: **﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾** أي: من الإماء فإن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها خصياً كان أو فحلاً وهو قول أبي حنيفة رحمه الله وعليه عامة العلماء فلا يجوز لها الحج ولا السفر معه وإن جاز رؤيته إياها إذا وجد الأمن من الشهوة.

وقال ابن الشيخ: فإن قيل: ما الفائدة في تخصيص الإماء بالذكر بعد قوله **﴿أو نسائهن﴾** فالجواب والله أعلم أنه تعالى لما قال: أو نسائهن دل ذلك على أن المرأة لا يحل لها أن تبدي زينتها للكافرات سواء كن حرائر أو إماء لغيرها أو لنفسها فلما قال: **﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾** مطلقاً أي مؤمنات كنّ أو مشركات علم أنه يحل للأمة أن تنظر إلى زينة سيدتها مسلمة كانت الأمة أو كافرة لما في كشف مواضع الزينة الباطنة لأمتها الكافرة في أحوال استخدامها إياها من الضرورة التي لا تخفى ففارقت الحرة الكافرة بذلك. **﴿أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال﴾** الإربة الحاجة، أي الرجال الذين هم أتباع أهل البيت لا حاجة لهم في النساء وهم الشيوخ الاهمام والممسوخون بالخاء المعجمة وهم الذين حولت قوتهم وأعضاؤهم عن سلامتها الأصلية إلى الحالة المنافية لها المانعة من أن تكون لهم حاجة في النساء وأن يكون لهن حاجة فيهم ويقال للممسوخ المخنث وهو الذي في أعضائه لين وفي لسانه تكسر بأصل الخلقة فلا يشتهي النساء وفي المجبوب والخصي خلاف والمجبوب من قطع ذكره وخصيتاه معاً من الجب وهو القطع والخصي من قطع خصيتاه والمختار أن الخصي والمجبوب والعنين في حرمة النظر كغيرهم من الفحولة لأنهم يشتهون ويشتهون وإن لم تساعد لهم الآلة. يعني [ايشانرا آرزوى مباشرت هست غايتش آنكه أنابي بران نيست].

قال بعضهم: قوله تعالى: **﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾** محكم وقوله **﴿والتابعين﴾** مجمل والعمل بالمحكم أولى فلا رخصة للمذكورين من الخصي ونحوه في النظر إلى محاسن النساء وإن لم يكن هناك احتمال الفتنة.

وفي «الكشاف»: لا يحل إمساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن

أحد من السلف إمساكهم انتهى.

وفي «النصاب»: قرأت في بعض الكتب أن معاوية دخل على النساء ومعه خصي مجبوب فنفرت منه امرأة فقال معاوية: إنما هو بمنزلة امرأة فقالت: أترى أن المثلة به قد أحلت ما حرم الله من النظر فتعجب من فطنتها وفقهها انتهى.

وفي «البستان»: أنه لا يجوز خصاء بني آدم لأنه لا منفعة فيه لأنه لا يجوز للخصي أن ينظر إلى النساء كما لا يجوز للفحل بخلاف خصاء سائر الحيوانات ألا ترى أن خصي الغنم أطيب لحماً وأكثر شحماً وقس عليه غيره. ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والقدرة. وبالفارسية [تمييز ندارند وازحال مباشرت بي خبرند با آنكه قادر نيستند براتيان زنان يعني بالغ نشده وبحد شهوت نرسيده] والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف كالعدو في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ [الشعراء: ٧٧].

قال في «المفردات»: الطفل الولد ما دام ناعماً والطفيلي رجل معروف بحضور الدعوات.

وفي «تفسير الفاتحة»: للمولى الفناري حد الطفل من أول ما يولد إلى أن يستهل صارخاً إلى انقضاء ستة أعوام انتهى. والعورة سوءة الإنسان وذلك كناية وأصلها من العار وذلك لما يلحق في ظهورها من العار أي المذمة ولذلك سمى النساء عورة ومن ذلك العوراء أي الكلمة القبيحة كما في «المفردات».

قال في «فتح القريب»: العورة كل ما يستحيي منه إذا ظهر وفي الحديث: «المرأة عورة جعلها نفسها عورة لأنها إذا ظهرت يستحيي منها كما يستحيي من العورة إذا ظهرت».

قال أهل اللغة: سميت العورة عورة لقبح ظهورها ولغض الأبصار عنها مأخوذة من العور وهو النقص والعيب والقبح ومنه عور العين.

يقول الفقير: يفهم من عبارة الطفل أن التقوى منع الصبيان حضرة النساء بعد سبع سنين فإن ابن السبع وإن لم يكن في حد الشهوة لكنه في حد التمييز مع أن بعض من لم يبلغ حد الحلم مشتهى فلا خير في مخالطة النساء.

وفي «ملتقط الناصري»: الغلام إذا بلغ مبلغ الرجال ولم يكن صبيحاً فحكمه حكم الرجال وإن كان صبيحاً فحكمه حكم النساء وهو عورة من قرنه إلى قدمه يعني لا يحل النظر إليه عن شهوة. فأما السلام والنظر لا عن شهوة فلا بأس به ولهذا لم يؤمر بالنقاب حكي: أن واحداً من العلماء مات فرؤي في المنام وقد اسود وجهه فسئل عن ذلك فقال رأيت غلاماً في موضع كذا فنظرت إليه فاحترق وجهي في النار.

قال القاضي: سمعت الإمام يقول: إن مع كل امرأة شيطانين ومع كل غلام ثمانية عشر شيطاناً. ويكره مجالسة الأحداث والصبيان والسفهاء لأنه يذهب بالمهابة كما في «البستان».

قال في «أنوار المشارق»: يحرم على الرجل النظر إلى وجه الأمرد إذا كان حسن الصورة سواء نظر بشهوة أم لا وسواء أمن من الفتنة أم خافها ويجب على من في الحمام أن يصون نظره ويده وغيرهما عن عورة غيره وأن يصون عورته عن نظر غيره ويجب الإنكار على كاشف العورة ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين﴾ أي: يخفينه من الرؤية ﴿من زينتهن﴾ أي لا

يضربن بأرجلهن الأرض ليتقعقع خلخالهن فيعلم أنهن ذوات خلخال فإن ذلك مما يورث الرجال ميلاً إليهن ويوهم أن لهن ميلاً إليهم وإذا كان إسماع صوت خلخالها للأجانب حراماً كان رفع صوتها بحيث يسمع الأجانب كلامها حراماً بطريق الأولى لأن صوت نفسها أقرب إلى الفتنة من صوت خلخالها ولذلك كرهوا أذان النساء لأنه يحتاج فيه إلى رفع الصوت.

يقول الفقير: وبهذا القياس الخفي ينجلي أمر النساء في باب الذكر الجهري في بعض البلاد فإن الجمعية والجهر في حقهن مما يمنع عنه جداً وهن مرتكبات للإثم العظيم بذلك إذ لو استحب الجمعية والجهر في حقهن لاستحب في حق الصلاة والأذان والتلبية.

قال في «نصاب الاحتساب»: ومما يحتسب على النساء اتخاذ الجلاجل في أرجلهن لأن اتخاذ الجلاجل في رجل الصغير مكروه ففي المرأة البالغة أشد كراهة لأنه مبنى حالهن على التستر ﴿**وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون**﴾ إذ لا يكاد يخلو أحدكم من تفريط في أمره ونهيه سيما في الكف عن الشهوات. وجميعاً حال من فاعل توبوا أي حال كونكم مجتمعين. وبالفارسية [همه شما] وأيها المؤمنون تأكيد للإيجاب وإيذان بأن وصف الإيمان موجب للامتثال حتماً.

وفي هذه الآية دليل على أن الذنب لا يخرج العبد من الإيمان لأنه قال: ﴿**أيها المؤمنون**﴾ بعدما أمر بالتوبة التي تتعلق بالذنب ﴿**لعلكم تفلحون**﴾ تفوزون بسعادة الدارين وصى الله تعالى جميع المؤمنين بالتوبة والاستغفار لأن العبد الضعيف لا ينفك عن تقصير يقع منه وإن اجتهد في رعاية تكاليف الله تعالى.

إمام قشيري رحمه الله تعالى: [فرموده كه محتاجتر بتوبه آنكس است كه خودرا محتاج توبه نداند].

در كشف الأسرار آورده كه همه را از مطيع وعاصي بتوبه أمر فرمود تا عاصي خجل زده نشود چه اكر فرمودى كه أي كنهكاران شما توبه كنيد موجب رسوايى ايشان شدى چون دردنيا ايشانرا رسوا نمى خواهند اميدهست درعقبى هم رسوا نكند].

چو رسوا نكردى بچندين خطا ... درين عالم پيش شاه وكدا
دران عالم هم برخاص وعام ... بيامرز ورسوا مكن والسلام

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن التوبة كما هي واجبة على المبتدىء من ذنوب مثله كذلك لازمة للمتوسط والمنتهي فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين وكان رسول الله ﷺ يقول: «توبوا إلى الله جميعاً فإني أتوب إليه في كل يوم مائة مرة» فتوبة المبتدىء من المحرمات وتوبة المتوسط من زوائد المحللات وتوبة المنتهي بالإعراض عما سوى الله بكليته والإقبال على الله بكليته ﴿**لعلكم تفلحون**﴾ ففلاح المبتدىء من النار إلى الجنة والمتوسط من أرض الجنة إلى أعلى عليين مقامات القرب ودرجاتها والمنتهي من حبس الوجود المجازي إلى الوجود الحقيقي ومن ظلمة الخلقية إلى نور الربوبية: وفي «المثنوي»:

چون تجلى كرد أوصاف قديم ... پس بسوزد وصف حادث را كليم
قرب نى بالاوپستي رفتن است ... قرب حق ازحبس هستي رستن است

قال بعض الكبار: إن الله تعالى طالب المؤمنين جميعاً بالتوبة ومن آمن بالله وترك الشرك فقد تاب وصحت توبته ورجوعه إلى الله وإن خطر عليه خاطر أو جرى عليه معصية في حين

التوبة فإن المؤمن إذا جرى عليه معصية ضاق صدره واهتم قلبه وندم روحه ورجع سره هذا للعموم والإشارة في الخصوص أن الجميع محجوبون بأصل النكرة وما وجدوا منه من القربة وسكنوا بمقاماتهم ومشاهداتهم ومعرفتهم وتوحيدهم أي أنتم في حجب هذا المقام توبوا منها إليّ فإن رؤيتها أعظم الشرك في المعرفة لأن من ظن أنه واصل فليس له حاصل من معرفة وجوده وكنه جلال عزته فمن هذا أوجب التوبة عليهم في جميع الأنفاس لذلك هجم حبيب الله في بحر الفناء وقال: «إنه ليغان على قلبي وأني لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة» ففهم أن عقيب كل توبة توبة حتى تتوب من التوبة وتقع في بحر الفناء من غلبة رؤية القدم والبقاء اللهم اجعلنا فانين باقين.

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾ مقلوب أيايم جمع أيم كيتامى مقلوب يتايم جميع يتيم فقلب قلب مكان ثم أبدلت الكسرة فتحة والياء ألفاً فصار أيامى ويتامى والأيم من لا زوج له من الرجال والنساء بكراً كان أو ثيباً.

تال في «المفردات»: الأيم المرأة التي لا بعل لها وقد قيل للرجل الذي لا زوج له وذلك على طريق التشبيه بالمرأة لا على التحقيق. والمعنى زوجوا أيها الأولياء والسادات من لا زوج له من أحرار قومكم وحرائر عشيرتكم فإن النكاح سبب لبقاء النوع وحافظ من السفاح. **﴿والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾**.

قال في «الكواشي»: أي الخيرين أو المؤمنين. وقال في «الوسيط»: معنى الصلاح ههنا الإيمان. وفي «المفردات»: الصلاح ضد الفساد وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال وتخصيص الصالحين فإن من لا صلاح له من الأرقاء بمعزل من أن يكون خليقاً بأن يعتني مولاه بشأنه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعاً وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه أن لا يستبقيه عنده وأما عدم اعتبار الصلاح في الأحرار والحرائر فلأن الغالب فيهم الصلاح.

يقول الفقير: قد أطلق في هذه الآية الكريمة العبد والأمة على الغلام والجارية وقد قال عليه السلام: «لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي» والجواب أن ذلك إنما يكره إذا قاله على طريق التطاول على الرقيق والتحقير لشأنه والتعظيم لنفسه فسقط التعارض والحمد لله تعالى: **﴿إن يكونوا﴾** [اكرباشند ايامى وصلحاً ازعباد وأما] **﴿فقراء﴾** [درويشان وتنكدستان] **﴿يغنهم الله من فضله﴾** أي لا يمنعن فقر الخاطب والمخطوبة من المناكحة فإن في فضل الله غنية عن المال فإنه غاد ورائح [كه كاه آيدوكه رود مال وجاه] والله يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب.

قال بعضهم: من صح افتقاره إلى الله صح استغناؤه بالله ﴿والله واسع﴾ غني ذو سعة لا تنفد نعمته إذ لا تنتهي قدرته ﴿عليم﴾ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر على ما تقتضيه حكمته.

اتفق الأئمة على أن النكاح سنة لقوله عليه السلام: «من أحب فطرتي فليستنّ بسنتي ومن سنتي النكاح» وقوله عليه السلام: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» فإن كان تائقاً، أي: شديد الاشتياق إلى الوطء يخاف العنت وهو الزنى وجب عليه عند أبي حنيفة وأحمد وقال مالك والشافعي هو مستحب لمحتاج إليه يجد أهبة ومن لم يجد التوقان فقال أبو حنيفة: النكاح له أفضل من نفل العبادة وقال مالك والشافعي بعكسه وعند الشافعي إن لم يتعبد فالنكاح أفضل.

واختلفوا في تزويج المرأة نفسها فأجازه أبو حنيفة لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢] نهى الرجال عن منع النساء عن النكاح فدل على أنهن يملكن النكاح ومنعه الثلاثة وقالوا: إنما يزوجها وليها بدليل هذه الآية لأن الله تعالى خاطب الأولياء به كما أن تزويج العبيد والإماء إلى السادات واختلفوا هل يجبر السيد على تزويج رقيقه إذا طلب ذلك فقال أحمد: يلزمه ذلك إلا أمة يستمتع بها فإن امتنع من الواجب عليه فطلب العبد البيع لزمه بيعه وخالفه الثلاثة.

قال في «الكواشي»: وهذا أمر ندب أي ما وقع في الآية. قال في «ترجمة الفتوحات»: [واكرم عزم نكاح كنى جهد كن كه ازقريشيات بدست كنى واكر ازاهل بيت باشد بهتر ونيكوتر رسول الله ﷺ فرموده كه بهترين زنانى كه برشتر سوار شدند زنان قريش اند] قال الزجاج: حث الله على النكاح وأعلم أنه سبب لنفي الفقر ولكن الغنى على وجهين: غنى بالمال وهو أضعف الحالين وغنى بالقناعة وهو أقوى الحالين وإنما كان النكاح سبب الغنى لأن العقد الديني يجلب العقد الدنيوي إما من حيث لا يحتسبه الفقر أو من حيث أن النكاح سبب للجد في الكسب والكسب ينفي الفقر.

رزق اكر چند بيكمان برسد   شرط عقلست جستن ازدرها

واختلف الأئمة في الزوج إذا أعسر بالصداق والنفقة والكسوة والمسكن هل تملك المرأة فسخ نكاحها فقال أبو حنيفة رحمه الله: لا تملك الفسخ بشيء من ذلك وتؤمر بالاستدانة للنفقة لتحيل عليه فإذا فرضها القاضي وأمرها بالاستدانة صارت ديناً عليه فتتمكن من الإحالة عليه والرجوع في تركته لو مات. روي عن جعفر بن محمد أن رجلاً شكا إليه الفقر فأمره أن يتزوج فتزوج الرجل ثم جاء فشكا إليه الفقر فأمره أن يطلقها فسئل عن ذلك فقال: قلت لعله من أهل هذه الآية ﴿إن يكونوا فقراء﴾ الخ فلما لم يكن من أهلها قلت لعله من أهل آية أخرى ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠].

قال بعضهم: ربما كان النكاح واجب الترك إذا أدى إلى معصية أو مفسدة وفي الحديث: «يأتي على الناس زمان لا ينال فيه المعيشة إلا بالمعصية فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة» وفي الحديث: «إذا أتى على أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزوبة والترهب على رؤوس الجبال» كما في «تفسير الكواشي».

قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: إذا نفد عدد حروف بسم الله الرحمٰن الرحيم فإنه يكون أوان خروج المهدي من بطن أمه، وقد نظم حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر هذا المعنى في بيتين بقوله:

إذا نفد الزمان على حروف ببسم الله فالمهدي قاما
ودورات الخروج عقيب صوم ألا بلغه من عندي سلاما

ولولا الحسد لظهر سر العدد انتهى.

يقول الفقير: إن اعتبر كل راء مكرراً لأن من صفتها التكرار يبلغ حساب الحروف إلى ألف ومائة وستة وثمانين فالظاهر من حديث الكواشي أن المراد مائة وثمانون بعد الألف وعليه قوله عليه السلام: «خيركم بعد المائتين خفيف الحاذ» قالوا: ما خفيف الحاذ يا رسول الله قال: «الذي لا أهل له ولا ولد».

وفي «التأويلات النجمية» ﴿**وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم**﴾ يشير إلى المريدين الطالبين وهم محرومون من خدمة شيخ يتصرف فيهم ليودع في أرحام قلوبهم النطفة من صلب الولاية فندبهم إلى طلب شيخ من الرجال البالغين الواصلين الذين بهم تحصل الولادة الثانية في عالم الغيب بالمعنى وهو طفل الولاية كما أن ولادتهم أولى حصلت في عالم الشهادة بالصورة ليكون ولوجهم في الملكوت كما أن عيسى عليه السلام قال لم يلج ملكوت السموات والأرض من لم يولد مرتين والنشأة الأخرى عبارة عن الولادة الثانية والعبد في هذا المقام أمن من رجوعه إلى الكفر والموت أما أمنه من الكفر فبقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ [البقرة: ٢٨] يعني: إذ كنتم نطفة. ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] بالولادة الأولى ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] بموت الإرادة ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] بالولادة الثانية ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨] بجذبة ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر: ٢٨] وأما أمنة من الموت فبقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ [الأنعام: ١٢٢] يعني: بالإرادة من الصفات النفسانية الحيوانية ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] بنور الربوبية. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أي بنور الله فهو حي بحياة الله لا يموت أبداً بل ينقل من دار إلى دار ﴿**إن يكونوا فقراء**﴾ معدومي استعداد قبول الفيض الإلهي ﴿**يغنهم الله من فضله**﴾ بأن يجعلهم مستعدي قبول الفيض فإن الطريق من العبد إلى الله مسدود وإنما الطريق من الله إلى العبد مفتوح بأنه تعالى هو الفتاح وبيده المفتاح ﴿**والله واسع**﴾ الأرحام القلوب لتستعد لقبول فيضه ﴿**عليم**﴾ بإيصاله الفيض إليها انتهى. ﴿**وليستعفف**﴾ إرشاد للعاجزين عن مبادي النكاح وأسبابه إلى ما هو أولى لهم وأحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء والعفة حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة والمتعفف المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر والاستعفاف طلب العفة. والمعنى ليجتهد في العفة وقمع الشهوة. ﴿**الذين لا يجدون نكاحاً**﴾ أي: أسباب نكاح من مهر ونفقة فإنه لا معنى لوجدان نفس العقد والتزوج وذلك بالصوم كما قال عليه السلام: «ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» معناه أن الصوم يضعف شهوته ويقهرها عن طلب الجماع فيحصل بذلك صيانة الفرج وعفته فالأمر في ﴿**وليستعفف**﴾ محمول على الوجوب في صورة التوقان ﴿**حتى يغنيهم الله من فضله**﴾ فيجدوا ما يتزوجون به.

قال في «ترجمة الفتوحات»: [بعض از صالحاً نرا چيزى نبود وزن خواست فرزند آمد وما يحتاج آن نداشت پس فرزندرا كرفت وبيرون آمدن وندا كردكه اين جزاى آنكس است كه فرمان حق نبرد كفتند زنا كردة كفت في ولكن حق تعالى فرمود ﴿**وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله**﴾ من فرمان نبردم وتزوج كردم وفضيحت شد مردمان بروى

شفقت كردند وباخير تمام بمنزل خود بازكشت] أي فكان التزوج سبباً للغنى كما في الآية الأولى.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿**وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً**﴾ أي: ليحفظ الذين لا يجدون شيخاً في الحال أرحام قلوبهم عن تصرفات الدنيا والهوى والشيطان. ﴿**حتى يغنيهم الله من فضله**﴾ بأن يدلهم على شيخ كامل كما دل موسى على الخضر عليهما السلام، أو يقيض لهم شيخاً كما كان يبعث إلى كل قوم نبياً أو يختص بجذبة عناية من يشاء من عباده كما قال تعالى: ﴿يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣] فلا يخلو حال المستعفف عن هذه الوجوه. ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [النور: ٣٣] الابتغاء الاجتهاد في الطلب والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة. أي الذين يطلبون المكاتبة ﴿**مما ملكت أيمانكم**﴾ عبداً كان أو أمة وهي أن يقول المولى لمملوكه: كاتبتك على كذا كذا درهماً تؤديه إليّ وتعتق ويقول المملوك قبلته أو نحو ذلك فإن أداه إليه عتق يقال كاتب عبده كتاباً إذا عاقده على مال منجم يؤديه على نجوم معلومة، فيعتق إذا أدى الجميع فإن المكاتب عبد ما بقي عليه درهم ومعنى المفاعلة في هذا العقد أن المولى يكتب أي يفرض ويوجب على نفسه أن يعتق المكاتب إذا أدى البدل ويكتب العبد على نفسه أن يؤدي البدل من غير إخلال وأيضاً بدل هذا العقد مؤجل منجم على المكاتب والمال المؤجل يكتب فيه كتاب على من عليه المال غالباً.

وفي «المفردات»: كتابة العبد ابتياع نفسه من سيده بما يؤديه من كسبه واشتقاقها يصح أن يكون من الكتابة التي هي الإيجاب وأن يكون من الكتب الذي هو النظم باللفظ والإنسان يفعل ذلك روي: أن صبيحاً مولى حويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه فنزلت الآية كما في التكملة ﴿**فكاتبوهم**﴾ خبر الموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط أي فاعطوهم ما يطلبون من الكتابة والأمر فيه للندب لأن الكتابة عقد يتضمن الإرفاق فلا تجب كغيرها ويجوز حالاً ومنجماً وغير منجم عند أبي حنيفة رضي الله عنه. ﴿**إن علمتم فيهم خيراً**﴾ أي: أمانة ورشداً وقدرة على أداء البدل لتحصيله من وجه الحلال وصلاحاً بحيث لا يؤذي الناس بعد العتق وإطلاق العنان.

قال الجنيد: إن علمتم فيهم علماً بالحق وعملاً به وهو شرط الأمر أي الاستحباب للعقد المستفاد من قوله فكاتبوهم فاللازم من انتفائه انتفاء الاستحباب لا انتفاء الجواز ﴿**وآتوهم من مال الله الذي آتاكم**﴾ أمر للموالي أمر ندب بأن يدفعوا إلى المكاتبين شيئاً مما أخذوا منهم وفي معناه حط شيء من مال الكتابة وقد قال عليه السلام: «كفى بالمرء من الشح أن يقول آخذ حقي لا اترك منه شيئاً» وفي حديث الأصمعي: «أتى أعرابي قوماً فقال لهم هذا في الحق أو فيما هو خير منه قالوا وما خير من الحق قال التفضل والتفضل أفضل من أخذ الحق كله» كذا في «المقاصد الحسنة» للسخاوي.

قال الكاشفي: [حويطب صبيح را بصد دينار مكاتب ساخته بود بعد از استماع اين آيت بيست دينار بدو بخشيد] يعني: وهب له منها عشرين ديناراً فأداها وقتل يوم حنين في الحرب وإضافة المال إليه تعالى ووصفه بإتيانه إياهم للحث على الامتثال بالأمر بتحقيق المأمور به فإن ملاحظة وصول المال إليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي له من أقوى الدواعي إلى صرفه إلى الجهة المأمور بها.

قال بعضهم هو أمر لعامة المسلمين بإعانة المكاتبين بالتصدق عليهم. يعني [خطاب ﴿وآتوهم﴾ راجع بعامه مسلماً نانست كه اعانت كنند أورا زكات بدهند تامال كتابت ادا كند وكردن خودرا از طوق بندكى مخلوق بپرون آرد وبدين سبب أين خير رافك رقبه مي كويند واز عقبة عقوبت بدان ميتوان كذشت].

بشنو از من نكتة أي زنده دل وز پس مركم به نيكى يا دكن

كه بلطف آزاده را بنده ساز كه بإحسان بندة آزاد كن

وفي الحديث: «ثلاثة حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الأداء، والناكح يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله» واختلفوا فيما إذا مات المكاتب قبل أداء النجوم فقال أبو حنيفة رحمه الله ومالك: إن ترك وفاء بما بقي عليه من الكتابة كان حراً وإن كان فيه فضل فالزيادة لأولاده الأحرار وقال الشافعي وأحمد: يموت رقيقاً وترتفع الكتابة سواء ترك مالاً أو لم يترك كما لو تلف المبيع قبل القبض يرتفع البيع. ﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ أي: إماءكم فإن كلاً من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والأمة وباعتبار المفهوم الأصلي وهو أن الفتى الطري من الشباب ظهر مزيد مناسبة الفتيات لقوله تعالى: ﴿على البغاء﴾ وهو الزنى من حيث صدوره عن الشواب لأنهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالباً دون من عداهن من العجائز والصغائر يقال: بغت المرأة بغاء إذا فجرت وذلك لتجاوزها إلى ما ليس لها ثم الإكراه إنما يحصل متى حصل التخويف بما يقتضي تلف النفس أو تلف العضو وأما باليسير من التخويف فلا تصير مكرهة. ﴿إن أردن تحصناً﴾ تعففاً أي جعلن أنفسهن في عفة كالحصن وهذا ليس لتخصيص النهي بصورة إرادتهن التعفف عن الزنى وإخراج ما عداها من حكمه بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه وكان لعبد الله بن أبي ست جوار جميلة يكرههن على الزنى وضرب عليهن ضرائب جمع ضريبة وهي الغلة المضروبة على العبد والجزية فشكت اثنتان إلى رسول الله وهما معاذة ومسيكة فنزلت وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا يفعلونه من القبائح ما لا يخفى فإن من له أدنى مروءة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه من إمائه فضلاً عن أمرهن أو إكراههن عليه لا سيما عند ارادتهن التعفف وإيثار كلمة إن على إذا مع تحقق الإرادة في مورد النص حتماً للإيذان بوجوب الانتهاء عن الإكراه عند كون إرادة التحصن في حيز التردد والشك فكيف إذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع. ﴿لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ قيد للإكراه والعرض ما لا يكون له ثبوت ومنه استعار المتكلمون العرض لما لا ثبات له قائماً بالجوهر كاللون والطعم وقيل الدنيا عرض حاضر تنبيهاً على أن لا ثبات لها والمعنى لا تفعلوا ما أنتم عليه من إكراههن على البغاء لطلب المتاع السريع الزوال من كسبهن وبيع أولادهن.

قال الكاشفي: [در تبيان آورده كه زاني بودى كه صد شتر ازبراى فرزندى كه ازمزنى بها داشت بدادي]. ﴿ومن﴾ [هركه] ﴿يكرههن﴾ على ما ذكر من البغاء ﴿فإن الله من بعد إكراههن﴾ أي كونهن مكرهات على أن الإكراه مصدر من المبني للمفعول. ﴿غفور رحيم﴾ أي: لهن وتوسيط الإكراه بين اسم أن وخبرها للإيذان بأن ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة.

وفيه دلالة على أن المكرهين محرومون منهما بالكلية وحاجتهن إلى المغفرة المنبئة عن سابقة الإثم باعتبار أنهن وإن كن مكرهات لا يخلون في تضاعيف الزنى عن شائبة مطاوعة بحكم الجبلة البشرية.

وفي «الكواشي»: المغفرة ههنا عدم الإثم لأنها لا إثم عليها إذا أكرهت على الزنى بقتل أو ضرب مفض إلى التلف أو تلف العضو، وأما الرجل فلا يحل له الزنى وإن أكره عليه لأن الفعل من جهته ولا يتأتى إلا بعزيمة منه فيه فكان كالقتل بغير حق لا يبيحه الإكراه بحال انتهى.

وفي الآيتين الكريمتين إشارتان:

الأولى: أن بعض الصلحاء الذين لم يبلغوا مراتب ذوي الهمم العالية في طلب الله ولكن ملكت إيمانهم نفوسهم الأمارة بالسوء فيريدون كتابتها من عذاب الله وعتقها من النار بالتوبة والأعمال الصالحة فكاتبوهم أي توّبوهم إن تفرستم فيهم آثار الصدق وصحة الوفاء على ما عاهدوا الله عليه فإنه لا يلزم التلقين لكل من يطلبه وإنما يلزم لأهل الوفاء وهم إنما يعرفون بالفراسة القوية التي أعطاها الله لأهل اليقين وآتوهم من قوة الولاية والنصح في الدين الذي أعطاكم الله فإن لكل شيء زكاة وزكاة الولاية العلم والمعرفة والنصيحة للمستنصحين والإرشاد للطالبين والتعاون على البر والتقوى والرفق بالمتقين وكما أن المال ينتقض بل يزول ويفنى بمنع الزكاة فكذا الحال يغيب عن صاحبه بمنع الفقراء المسترشدين عن الباب ألا ترى أن السلطنة الظاهرة إنما هي لإقامة المصالح وإعانة المسلمين فكذا السلطنة الباطنة:

ولـلأرض مـن كـأس الـكـرام نـصـيـب

والثانية: أن النفوس المتمردة إذا أردن المتحصن بالتوبة بتوفيق الله وكرمه فلا ينبغي إكراهها على الفساد طلباً للشهوات النفسانية.

واعلم أن من لم يتصل نسبه المعنوي بواحد من أهل النفس الرحماني وادعى لنفسه الكمال والتكميل فهو زان في الحقيقة ومن هو تحت تربيته هالك لأنه ولد الزنى وربما رأيت من يكره بعض أهل الطلب على التردد لباب أهل الدعوى ويصرفه عن باب أهل الحق عناداً وغرضاً ومرضاً واتباعاً لهواه فهو إنما يكرهه على الزنى لأنه بملازمة باب أهل الباطل يصير المرء هالكاً كولد الزنى إذ يفسد استعداده فساد البيضة نسأل الله تعالى أن يحفظنا من كيد الكافرين ومكر الماكرين. **﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾** أي: وبالله لقد أنزلنا إليكم في هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل ما بكم حاجة إلى بيانه من الحدود وسائر الأحكام والآداب والتبيين في الحقيقة لله تعالى وإسناده إلى الآيات مجازي. **﴿ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم﴾** أي: وأنزلنا مثلاً كائناً من قبيل أمثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والأمثال المضروبة لهم في الكتب السابقة والكلمات الجارية على ألسنة الأنبياء فتنتظم قصة عائشة الحاكية لقصة يوسف وقصة مريم في الغرابة وسائر الأمثال الواردة انتظاماً واضحاً فإن في قصتهما ذكر تهمة من هو بريء مما اتهم به فيوسف اتهمته زليخا ومريم اتهمها اليهود مع براءتهما **﴿وموعظة﴾** تتعظون بها وتنزجرون عما لا ينبغي من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب ومدار العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة التغاير الذاتي **﴿للمتقين﴾** وتخصيصهم مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الإنزال لأنهم المنتفعون بها.

وفي «التأويلات النجمية»: أي ليتعظ من يريد الاتقاء عما أصاب المتقدمين فإن السعيد من وعظ بغيره. قال الشيخ سعدي قدس سره:

نـرود مـرغ سـوى دانـه فـراز   چـون دكـر مـرغ بـيـنـد انـدر بـنـد
پـنـدكـيـر از مـصـائـب دكـران   تـا نـكـيـرنـد ديـكـران ز تـو پـنـد

روي: عن الشعبي أنه قال: خرج أسد وذئب وثعلب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وغزالاً وأرنباً فقال الأسد للذئب: اقسم فقال: الحمار الوحشي للملك والغزال لي والأرنب للثعلب قال: فرفع الأسد يده وضرب رأس الذئب ضربة فإذا هو متجندل بين يدي الأسد ثم قال للثعلب: اقسم هذه بيننا فقال الحمار يتغدى به الملك والغزال يتعشى به والأرنب بين ذلك فقال الأسد: ويحك ما أقضاك من علمك هذا القضاء فقال القضاء الذي نزل برأس الذئب ويقال الموعظة هي التي تلين القلوب وتسيل العيون اليابسة وهي من صفات القرآن عند من يلقي السمع وهو شهيد وفي الحديث: «أن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد» قيل: وما جلاؤها قال: «تلاوة القرآن وذكر الله تعالى» فعلى العاقل أن يستمع إلى القرآن ويتعظ بمواعظه ويقبل إلى قبول ما فيه من الأوامر وإلى العمل بما يحويه من البواطن والظواهر.

مهتري در قبول فرمانست ترك فرمان دليل حرمانست

﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿الله نور السماوات والأرض﴾. قال الإمام الغزالي قدس سره في شرح الاسم: النور هو الظاهر الذي به كل ظهور فإن الظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمى نوراً ومهما قوبل الوجود بالعدم كان الظهور لا محالة للوجود ولا ظلام أظلم من العدم فالبريء من ظلمة العدم إلى ظهور الوجود جدير بأن يسمى نوراً والوجود نور فائض على الأشياء كلها من نور ذاته فهو نور السموات والأرض فكما أنه لا ذرة من نور الشمس إلا وهي دالة على وجود الشمس النيرة فلا ذرة من وجود السموات والأرض وما بينهما إلا وهي بجواز وجودها دالة على وجوب وجود موجدها انتهى ويوافقه النجم في «التأويلات» حيث قال: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ أي: مظهرهما من العدم إلى الوجود فإن معنى النور في اللغة الضياء وهو الذي يبين الأشياء ويظهرها للأبصار انتهى، فقوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ من باب التشبيه البليغ أي كالنور بالنسبة إليهما من حيث كونه مظهراً لهما أي موجداً فإن أصل الظهور هي الظهور من العدم إلى الوجود فإن الأعيان الثابتة في علم الله تعالى خفية في ظلم العدم وإنما تظهر بتأثير قدرة الله تعالى كما في «حواشي ابن الشيخ».

يقول الفقير: لا حاجة إلى اعتبار التشبيه البليغ فإن النور من الأسماء الحسنى وإطلاقه على الله حقيقي لا مجازي فهو بمعنى المنور ههنا فإنه تعالى نور الماهيات المعدومة بأنوار الوجود وأظهرها من كتم العدم بفيض الجود كما قال عليه السلام: «إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره» فخلق ههنا بمعنى التقدير فإن التقدير سابق على الإيجاد ورش النور كناية عن إفاضة الوجود على الممكنات والممكن يوصف بالظلمة فإنه يتنور بالوجود فتنويره إظهاره.

واعلم أن النور على أربعة أوجه: **أولها**: نور يظهر الأشياء للأبصار وهو لا يراها كنور الشمس وأمثالها فهو يظهر الأشياء المخفية في الظلمة ولا يراها. **وثانيها**: نور البصر وهو يظهر

الأشياء للأبصار ولكنه يراها وهذا النور أشرف من الأول. **وثالثها**: نور العقل وهو يظهر الأشياء المعقولة المخفية في ظلمة الجهر للبصائر وهو يدركها ويراها. **ورابعها**: نور الحق تعالى وهو يظهر الأشياء المعدومة المخفية في العدم للأبصار والبصائر من الملك والملكوت وهو يراها في الوجود كما كان يراها في العدم لأنها كانت موجودة في علم الله وإن كانت معدومة في ذواتها فما تغير علم الله ورؤيته بإظهارها في الوجود بل كان التغير راجعاً إلى ذوات الأشياء وصفاتها عند الإيجاد والتكوين فتحقيق قوله تعالى: ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ مظهرهما ومبديهما وموجدهما من العدم بكمال القدرة الأزلية.

در ظلمت عدم همه بوديم بي خبر نور وجود سر شهود از تو يافتيم

قال بعض الكبار [در زمان ظلمت هيچكس ساكن ازمتحرك نشناسد وعلو از سفل تميز نكنند وقبيح را ازصبيح باز نداند وچون رايت نور ظهور نمود خيل ظلام روى بانهزام آرند ووجودات وكيفيات ظاهر كردد وصفو از كدر وعرض از جوهر متميز شود مدركة انسانية داندكه استفادة اين دانش وتميز بنور كرده أما در أدراك نور متحير باشدچه داندكه عالم ازنور مملواست واو مخفي ظاهر بدلالات وباطن بالذات پس حق سبحانه وتعالى ما بدو دولت ادراك يافته ايم وبمرتبة تميز أشيا رسيده سزاوار آن باشد كه آنرا نور كويند

همه عالم بنور أوست پيدا كجا أو كرد از عالم هويدا
زهى نادانكه أو خورشيد تابان بنور شمع جويد در بيابان

در تبيان آورده كه مدلول السموات والأرض چه هر دليلى از دلائل قدرت وبدائع حكمت كه دردوا نر سپهر برين ومراكز زمين واقعست دلالتي واضح دارد بروجود قدرت وبدائع حكمت او].

ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
وجود جملة اشيا دليل قدرت او

وقال سلطان المفسرين ابن عباس رضي الله عنهما: أي هادي أهل السموات والأرض فهم بنوره تعالى يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون. يعني [بهدايت أو بهستيء خود راه بردند وبارشاد أو مصالح دين ودنيا بشناسند] ولما وصلوا إلى نور الهداية بتوفيقه تعالى سمى نفسه باسم النور جرياً على مذهب العرب فإن العرب قد تسمي الشيء الذي من الشيء باسمه كما يسمى المطر سحاباً لأنه يخرج منه ويحصل به فلما حصل نور الإيمان والهداية بتوفيقه سماه بذلك الاسم ويجوز أن يعبر عن النور بالهداية وعن الهداية بالنور لما يحصل أحدهما من الآخر قال الله تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] لما اهتدوا بنور النجم جعل النجم كالهادي لهم وجعلهم من المهتدين بنوره وعلى هذا سمي القرآن نوراً والتوراة نوراً بمعنى الاهتداء بهما كما في «الأسئلة المقحمة» فعلى هذا شبهت الهداية بالنور في كونها سبباً للوصول إلى المطلوب فأطلق اسم النور عليها على سبيل الاستعارة ثم أطلق النور بمعنى الهداية عليه تعالى على طريق رجل عدل.

وقال حضرة الشيخ الشهير بأفتاده قدس سره: خطر ببالي على وجه الكشف أن النور في قوله تعالى: ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ بمعنى العلم وهو بمعنى العالم من باب رجل عدل ووجه المناسبة بينهما أنه تنكشف بالنور المحسوسات وبالعلم تنكشف المعقولات بل جميع

الأمور كذا في «الواقعات المحمودية» ويقال: إنه منور السموات بالشمس والقمر والكواكب والأرض بالأنبياء والعلماء والعباد.

وقال في «عرائس البيان»: أراد بالسموات والأرض صورة المؤمن رأسه السموات وبدنه الأرض وهو تعالى بجلالة قدره نور هذه السموات والأرض إذ زين الرأس بنور السمع والبصر والشم والذوق والبيان في اللسان فنور العين كنور الشمس والقمر، ونور الأذن كنور الزهرة والمشتري، ونور الأنف كنور المريخ وزحل ونور اللسان كنور عطارد وهذه السيارات النيرات تسرى في بروج الرأس، ونور أرض البدن الجوارح والأعضاء والعضلات واللحم والدم والشعرات وعظامها الجبال. [إمام زاهد فرموده كه خدايرا نورتوان كفت ولي روشنى نتوان كفت چه روشنى ضد تاريكست وخداي تعالى آفريد كار هر دو ضداست] فالنور الذي بمقابلة الظلمة حادث لأن ما كان بمقابلة الحادث حادث فمعنى كونه تعالى نوراً هو أنه مبدأ هذا النور المقابل بالظلمة ثم إن إضافة النور إلى السموات والأرض مع أن كونه تعالى نوراً ليس بالإضافة إليها فقط للدلالة على سعة إشراقه فإنهما مثلان في السعة قال تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ويجوز أن يقال: قد يراد بالسموات والأرض العالم بأسره كما يراد بالمهاجرين والأنصار جميع الصحابة كما في «حواشي سعدي» المفتي ونظيره قوله تعالى في الحديث القدسي خطابا للنبي عليه السلام: «لولاك لما خلقت الأفلاك» أي: العوالم بأسرها لكنه خصص الأفلاك بالذكر لعظمها وكونها بحيث يراها كل من هو من أهل النظر وهو اللائح بالبال والله الهادي إلى حقيقة الحال. **﴿مثل نوره﴾** أي: نوره الفائض منه تعالى على الأشياء المستنيرة وهو القرآن المبين كما في «الإرشاد» فهو تمثيل له في جلاء مدلوله وظهور ما تضمنه من الهدى بالمشكاة المنعوتة والمراد بالمثل الصفة العجيبة أي صفة نوره العجيب وإضافته إلى ضميره تعالى دليل على أن إطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كما في «أنوار التنزيل» **﴿كمشكاة﴾** أي صفة كوة غير نافذة في الجدار في الانارة وهي بلغة الحبشة. وبالفارسية [ما نندروزنه ايست درديوارى كه أو بخارج راه ندارد چون طاقى] **﴿فيها مصباح﴾** سراج ضخم ثابت. وبالفارسية [چراغ فروخته ونيك روشن] **﴿المصباح في زجاجة﴾** أي: قنديل من الزجاج الصافي الأزهر وفائدة جعل المصباح في زجاجة والزجاجة في كوة غير نافذة شدة الإضاءة لأن المكان كلما تضائق كان أجمع للضوء بخلاف الواسع فالضوء ينتشر فيه وخص الزجاج لأنه أحكى الجواهر لما فيه. **﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾** متلألىء وقاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته كالمشتري والزهرة والمريخ ودراري الكواكب عظامها المشهورة ومحل الجملة الأولى الرفع على أنها صفة لزجاجة أو للام مغنية عن الرابض كأنه قيل: فيها مصباح هو في زجاجة هي كأنها كوكب دريّ وفي إعادة المصباح والزجاجة معرفين أثر سبقهما منكرين والإخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بأن يقال كمشكاة فيها مصباح في زجاجة كأنها كوكب دريّ من تفخيم شأنها بالتفسير بعد الإبهام ما لا يخفى. **﴿يوقد من شجرة﴾** أي يبتدأ إيقاد المصباح من زيت شجرة. **﴿مباركة﴾** أي كثيرة المنافع لأن الزيت يسرج به وهو إدام ودهان ودباغ ويوقد بحطب الزيتون وبثقله ورماده يغسل به الإبريسم ولا يحتاج في استخراج دهنه إلى عصار وفيه زيادة الإشراق وقلة الدخان وهو مصحة من الباسور. **﴿زيتونة﴾** بدل من شجرة: وبالفارسية [كه آن زيتونست كه هفتاد پيغمبر بدو دعا كرده ببركت وازجملة إبراهيم خليل عليه السلام] وخصها من بين سائر الأشجار لأن دهنها أضوء وأصفى.

قال في «إنسان العيون»: شجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة. ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ أي: لا شرقية تطلع عليها الشمس في وقت شروقها فقط ولا غربية تقع عليها حين غروبها فقط بل بحيث تقع عليها طول النهار فلا يسترها عن الشمس في وقت من النهار شيء كالتي على قلة أو صحراء فتكون ثمرتها أنضج وزيتها أصفى أو لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائماً فتحرقها ولا في مفيأة تغيب عنها دائماً فتتركها نيئاً أو لا نابتة في شرق المعمورة نحو كنكدز وديار الصين وخطا ولا في غربها نحو طنجة وطرابلس وديار قيروان بل في وسطها وهو الشام فإن زيتونه أجود الزيتون أو في خط الاستواء بين المشرق والمغرب وهي قبة الأرض فلا توصف بأحد منهما فلا يصل إليها حر وبرد مضرين وقبة الأرض وسط الأرض عامرها وخرابها وهو مكان تعتدل فيه الأزمان في الحر والبرد ويستوي الليل والنهار فيه أبداً لا يزيد أحدهما على الآخر أي يكون كل منهما اثنتي عشرة ساعة [حسن بصري رحمة الله فرموده كه أصل أين شجره ازبهشت بدنيا آورده اند پس از أشجار اين عالم نيست كه وصف شرقي وغربي برو تواند كرد] ﴿يكاد زيتها يضيء﴾ [روشنى دهد] ﴿ولو لم تمسسه نار﴾ [واكرچه نرسيده باشد بوى آتشى يعني درخشندكي بمثابة ايست بي آتش روشنايي بخشد] أي هو في الصفاء والإنارة بحيث يكاد يضيء المكان بنفسه من غير مساس نار أصلاً وتقدير الآية يكاد زيتها يضيء لو مسته نار ولو لم تمسسه نار أي يضيء كائناً على كل حال من وجود الشرط وعدمه فالجملة حالية جيء بها لاستقصاء الأحوال حتى في هذه الحال. ﴿نور﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي ذلك النور الذي عبر به عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشأن بما فصل من صفة المشكاة نور كائن. ﴿على نور﴾ كذلك، أي: نور متضاعف فإن نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لأشعته فليس عبارة عن مجموع نورين اثنين فقط بل المراد به التكثير كما يقال: فلان يضع درهماً على درهم لا يراد به درهمان. ﴿يهدي الله لنوره﴾ أي: يهدي هداية خاصة موصلة إلى المطلوب حتماً لذلك النور المتضاعف العظيم الشأن. ﴿من يشاء﴾ هدايته من عباده بأن يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيته وكونه من عند الله من الإعجاز والإخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الإيمان وهذا من قبيل الهداية الخاصة ولذا قال: من يشاء ففيه إيذان بأن مناط هذه الهداية وملاكها ليس إلا مشيئته وأن تظاهر الأسباب بدونها بمعزل من الإفضاء إلى المطالب.

قرب تو باسباب وعلل نتوان يافت بي سابقة فضل ازل نتوان يافت

﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ أي: يبينها تقريباً إلى الإفهام وتسهيلاً لسبل الإدراك. يعني [معقولات را در صورت محسوسات بيان ميكند براى مردم تازود در يابند ومقصود سخن برايشان كردد] وهذا من قبيل الهداية العامة ولذا قال للناس: ﴿والله بكل شيء عليم﴾ من ضرب الأمثال وغيره من دقائق المعقولات والمحسوسات وحقائق الجليات والخفيات.

قالوا: إذا كان مثلاً للقرآن فالمصباح القرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة الوحي وهي لا مخلوقة ولا مختلقة [نزد يكست كه هنوز قرآن نا خوانده دلائل وحجج او برهمكنان واضح شود پس چودبر آن قراءت كند﴿نور على نور﴾ باشد].

فإن قيل لم شبهه بذلك وقد علمنا أن ضوء الشمس أبلغ من ذلك بكثير؟.

أجيب بأنه سبحانه أراد أن يصف الضوء الكامل الذي يلوح في وسط الظلمة لأن الغالب

على أوهام الخلق وخيالاتهم إنما هي الشبهات التي هي كالظلمات وهداية الله تعالى فيما بينهما كالضوء الكامل الذي يظهر فيما بين الظلمات وهذا المقصود لا يحصل من تشبيهه بضوء الشمس لأن ضوءها إذا ظهر امتلأ العالم من النور الخالص وإذا غاب امتلأ العالم من الظلمة الخالصة فلا جرم كان ذلك المثل ههنا أليق.

وقال بعضهم: [مراد نور إيمانست حق سبحانه وتعالى تشبيه كرد سينة مؤمن را بمشكاة ودل را درسينه بقنديل زجاجه در مشكاة وايمانرا بچراغى افروخته در قنديل وقنديل بكوكبي درخشنده وكلمة اخلاص بشجرة مباركة ازتاب آفتاب خوف وخلال نوال رجا بهرة دارد ونزديكست كه فيض كلمه بي آنكه بزبان مؤمن كذرد عالم را منود كند چون اقرار بآن برزبان جارى شده وتصديق جنان بآن ياركشته، ﴿نور على نور﴾ بظهور رسيد] وشبه بالزجاج دون سائر الجواهر لاختصاص الزجاج بالصفاء يتعدى النور من ظاهره إلى باطنه وبالعكس وكذلك نور الإيمان يتعدى من قلب المؤمن إلى سائر الجوارح والأعضاء وأيضاً إن الزجاج سريع الانكسار بأدنى آفة تصيبه فكذا القلب سريع الفساد بأدنى آفة تدخل فيه [وكفته اند آن نور معرفت اسرار الهيست يعني چراغ معرفت دو زجاجة دل عارف ومشكاة سيئة أو افروخته است از بركت زيت تلقين شجرة مبارك حضرت محمدي عليه السلام نه شرقيست ونه غربي بلكه مكيست ومكة سرة عالم وازفرا كرفتن عارف آن اسرار را از تعليم آن سيد ابرار ﴿نور على نور﴾ معلوم توان كرد] وإنما شبه المعرفة بالمصباح وهو سريع الانطفاء وقلب المؤمن بالزجاج وهو سريع الانكسار ولم يشبهها بالشمس التي لا تطفأ ولا قلب المؤمن بالأشياء الصلبة التي لا تنكسر تنبيهاً على أنه على خطر وجدير بحذر كما في «التيسير» [در روح الأرواح آورده كه آن نور حضرت محمد يست عليه السلام مكشاة آدم باشد وزجاجه نوح وزيتون إبراهيم كه نه يهوديه مائل است چون يهود غرب را قبله ساختند ونه نصرانيه چون نصارى روى بشرق آورده اند ومصباح حضرت رسالتست عليه السلام يا مشكاة إبراهيم است وزجاجه دل صافي مطهر او ومصباح علم كامل أو شجرة خلق شامل او كه نه در جانب خلود افراط است ونه در طرف تقصير وتفريط بلكه طريق اعتدال كه «خير الأمور أوسطها» واقع شده وصراط سوى عبارت از آنست. ودر عين المعاني فرموده كه نور محبت حبيب بانور خلت خليل نور على نوراست].

پدر نور پسر نوريست مشهور ازينجافهم كن نور على نور

قال القشيري: ﴿نور على نور﴾ نور اكتسبوه بجهدهم ونظرهم واستدلالهم ونور وجدوه بفضل الله بأفعالهم وأقوالهم قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وفي «التأويلات النجمية»: هذا مثل ضربه الله تعالى للخلق تعريفاً لذاته وصفاته فلكل طائفة من عوام الخلق وخواصهم اختصاص بالمعرفة من فهم الخطاب على حسب مقاماتهم وحسن استعدادهم فأما العوام فاختصاصهم بالمعرفة في رؤية شواهد الحق وآياته بإراءته إياهم في الآفاق وأما الخواص فاختصاصهم بالمعرفة في مشاهدة أنوار صفات الله تعالى وذاته تبارك وتعالى باراءته في أنفسهم عند التجلي لهم بذاته وصفاته كما قال تعالى في الطائفتين ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ﴾ [فصلت: ٥٣] أي لعوامهم ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [فصلت: ٥٣] أي لخواصهم ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ [فصلت: ٥٣] فكل طائفة بحسب مقامهم تحظى من المعرفة فأما حظ العوام من رؤية شواهد الحق وآياته في الآفاق بإراءة الحق فبأن يرزقهم فهماً ونظراً في معنى الخطاب ليتفكروا

في خلق السموات والأرض أن صورتها وهي عالم الأجسام هي المشكاة والزجاجة فيها هي العرش والمصباح الذي هو عمود القنديل الذي يجعل فيه الفتيلة فهي بمثابة الكرسي من العرش وزجاجة العرش. ﴿كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة﴾ وهي شجرة الملكوت وهو باطن السموات والأرض ومعناهما. ﴿لا شرقية﴾ أي ليست من شرق الأزل والقدم كذات الله وصفاته. ﴿ولا غربية﴾ أي: ليست من غرب الفناء والعدم كعالم الأجسام وصورة العالم بل هي مخلوقة أبدية لا يعتريها الفناء. ﴿يكاد زيتها﴾ وهو عالم الأرواح ﴿يضيء﴾ أي يظهر من العدم في عالم الصور المتولدات بازدواج الغيب والشهادة طبعاً وخاصية كما توهمه الدهرية والطبائعية عليهم لعنات الله تترى. ﴿ولو لم تمسسه نار﴾ نار القدرة الإلهية ﴿نور على نور﴾ أي نور الصفة الرحمانية على نور أي باستوائه على نور العرش فينقسم نور الصفة الرحمانية من العرش إلى السموات والأرض فيتولد منه متولدات ما في السموات والأرض بالقدرة الإلهية على وفق الحكمة والإرادة القديمة فلهذا قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣] فافهم جداً.

وأما حظ الخواص في مشاهدة أنوار صفات الله تعالى وذاته بإراءة الحق في أنفسهم فإنما يتعلق بالسير فيها لأن الله تعالى خلق نفس الإنسان مرآة قابلة لشهود ذاته وجميع صفاته إذا كانت صافية عن صدأ الصفات الذميمة والأخلاق الرديئة مصقولة بمصقلة كلمة لا إله إلا الله لينتفي بنفي لا إلٰه تعلقها عما سوى الله ويثبت بإثبات إلا الله فيها نور جمال الله وجلاله فيرى بنور الله الجسد كالمشكاة والقلب كالزجاجة والسر كالمصباح. ﴿والزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة﴾ وهي شجرة الروحانية. ﴿لا شرقية﴾ أي: لا قديمة أزلية ﴿ولا غربية﴾ أي: لا فانية تغرب في سماء الوجود في عين العدم ﴿يكاد زيتها﴾ وهو الروح الإنسانية ﴿يضيء﴾ بنور العقل الذي هو ضوء الروح وصفاؤه أي يكاد زيت الروح أن يعرف الله تعالى بنور العقل ﴿ولو لم تمسسه نار﴾ أي: نار نور الإلٰهية فأبت عظمة جلال الله وعزة كبريائه أن تدرك بالعقول الموسومة بوصمة الحدوث إلا أن يتجلى نور القدم لنور العقل الخارج من العدم كما قال تعالى: ﴿نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء﴾ أي: ينور مصباح سر من يشاء بنور القدم فتتنور زجاجة القلب ومشكاة الجسد ويخرج أشعتها من روزنة الحواس فاستضاءت أرض البشرية ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] وتحقق حينئذ مقام «كنت له سمعاً وبصراً» الحديث.

وفيه إشارة أن إلى نور العقل مخصوص بالإنسان مطلقاً ولا سبيل له بالوصول إلى نور الله فهو مخصوص بهداية الله إليه فضلاً وكرماً لا يتطرق إليه كسب العباد وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ أي: للناسين عهود أيام الوصال بلاهم في أزل الآزال. ﴿والله بكل شيء عليم﴾ في حالات وجود الأشياء وعدمها بغير التغير في ذاته وصفاته انتهى كلام «التأويلات».

قال حضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره:

اعلم أن النور الحقيقي يدرك به وهو لا يدرك لأنه عين ذات الحق من حيث تجردها عن النسب والإضافات ولهذا سئل النبي عليه السلام هل رأيت ربك قال: «نور أنىٰ أراه» أي النور المجرد لا يمكن رؤيته وكذا أشار الحق في كتابه لما ذكر ظهور نوره في مراتب المظاهر قال:

﴿الله نور السموات والأرض﴾ فلما فرغ من ذكر مراتب التمثيل قال: ﴿نور على نور﴾ فأحد النورين هو الضياء والآخر هو النور المطلق الأصلي ولهذا تمم فقال: ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ أي: يهدي الله بنوره المتعين في المظاهر والساري فيها إلى نوره المطلق الأحدي انتهى كلامه في «الفكوك».

قال في «تفسير الفاتحة»: فالعالم بمجموع صوره المحسوسة وحقائقه الغيبية المعقولة أشعة نور الحق وقد أخبر الحق أنه نور السموات والأرض ثم ذكر الأمثلة والتفاصيل المتعينة بالمظاهر على نحو ما تقتضيه مرآتها ثم قال في آخر الآية: ﴿نور على نور يهدي اللّه لنوره من يشاء﴾ فأضاف النور إلى نفسه مع أنه عين النور وجعل نوره المضاف إلى العالم الأعلى والأسفل هادياً إلى معرفة نوره المطلق ودالاً عليه كما جعل المصباح والمشكاة والشجرة وغيرها من الأمثال هادياً إلى نوره المقيد وتجلياته المتعينة في مراتب مظاهره وعرّف أيضاً على لسان نبيه عليه السلام أنه النور وأن حجابه النور انتهى بإجمال.

قال حضرة شيخي وسندي روح الله روحه قوله: ﴿نور على نور﴾ النور الأول هو النور الإضافي المنبسط على سمٰوات الأسماء وأرض الأشياء والنور الثاني هو النور الحقيقي المستغني عن سمٰوات الأسماء وأرض الأشياء والنور الإضافي دليل دال على النور الحقيقي والدليل ظاهر. النور المطلق والمدلول باطنه وفي التحقيق الأتم هو دليل على نفسه لا يعرف الله إلا الله سبحانه ﴿في بيوت﴾ متعلق بالفعل المذكور بعده وهو يسبح.

قال في «المفردات»: أصل البيت مأوى الإنسان بالليل ثم قد يقال من غير اعتبار الليل فيه وجمعه أبيات وبيوت لكن البيوت بالمسكن أخص والأبيات بالشعر ويقع ذلك على المتخذ من حجر ومدر ومن صوف ووبر وبه شبه بيت الشعر وعبر عن مكان الشيء بأنه بيته والمراد بالبيوت المساجد كلها لقول ابن عباس رضي الله عنهما المساجد بيوت الله في الأرض تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم في الأرض ﴿أذن الله﴾ الإذن في الشيء إعلام بإجازته والرخصة فيه ﴿أن ترفع﴾ بالبناء أو التعظيم ورفع القدر. يعني [آنرا رفيع قدر وبزرك مرتبه دانند].

قال الإمام الراغب: الرفع يقال تارة في الأجسام الموضوعة إذا أعليتها عن مقرها نحو قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣] وتارة في البناء إذا طولته نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧] وتارة في الذكر إذا نوهته نحو قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: ٤] وتارة في المنزلة إذا شرفتها نحو قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥] ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ اسم الله تعالى ما يصح أن يطلق عليه بالنظر إلى ذاته أو باعتبار صفة من صفاته السلبية كالقدوس أو الثبوتية كالعليم أو باعتبار فعل من أفعاله كالخالق لكنها توقيفية عند بعض العلماء وهو عام في كل ذكر توحيداً كان أو تلاوة قرآن أو مذاكرة علوم شرعية أو أذاناً أو إقامة أو نحوها. يعني [در آنجا بذكر ونماز اشتغال بايد نمود وازسخن دنيا وكلام ما لا يعنى براحتراز بايد بود] وفي الأثر: «الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش» ﴿يسبح له فيها﴾ فيها تكرير لقوله في بيوت للتأكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة وللإيذان بأن التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط والتسبيح تنزيه الله وأصله المرّ السريع في عبادة الله فإن السبح المرّ السريع في الماء

أو في الهواء يستعمل باللام وبدونها أيضاً وجعل عاماً في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نية أريد به ههنا الصلوات المفروضة كما ينبىء عنه تعيين الأوقات بقوله تعالى: ﴿**بالغدو والآصال**﴾ أي: بالغدوات والعشيات فالمراد بالغدو وقت صلاة الفجر المؤداة بالغداة وبالآصال ما عداه من أوقات صلوات الظهر والعصر والعشاءين لأن الأصيل يجمعها ويشملها كما في «الكواشي» وغيره. والغدو مصدر يقال: غدا يغدو غدواً أي دخل في وقت الغدوة وهي ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس والمصدر لا يقع فيه الفعل فأطلق على الوقت حسبما يشعر اقترانه بالآصال جمع أصيل وهو العشي أي من زوال الشمس إلى طلوع الفجر.

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿**رجال**﴾ فاعل يسبح ﴿**لا تلهيهم**﴾ لا تشغلهم من غاية الاستغراق في مقام الشهود يقال: ألهاه عن كذا إذا شغله عما هو أهم. ﴿**تجارة**﴾ التجارة صفة التاجر من بيع وشراء والتاجر الذي يبيع ويشتري.

قال في «المفردات»: التجارة التصرف في رأس المال طالباً للربح وليس في كلامهم تاء بعدها جيم غير هذه اللفظة وتخصيص التجارة لكونها أقوى الصوارف عندهم وأشهرها أي لا يشغلهم نوع من أنواع التجارة. ﴿**ولا بيع**﴾ البيع إعطاء المثمن وأخذ الثمن والشراء إعطاء الثمن وأخذ المثمن أي ولا فرد من أفراد البياعات وإن كان في غاية الربح وإفراده بالذكر مع اندراجه تحت التجارة لكونه أهم من قسمي التجارة فإن الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشراء أي ربح الشراء، متوقع في ثاني الحال عند البيع فلم يكن ناجزاً كربح البيع فإذا لم يلههم المقطوع فالمظنون أولى ﴿**عن ذكر الله**﴾ بالتسبيح والتمجيد. ﴿**وإقام الصلاة**﴾ أي إقامتها بمواقيتها من غير تأخير وقد سقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالإعلال وعوض عنها الإضافة.

قال ابن الشيخ: إقامة الصلاة اتمامها برعاية جميع ما اعتبره الشرع من الأركان والشرائط والسنن والآداب فمن تساهل في شيء منها لا يكون مقيماً لها. ﴿**وإيتاء الزكاة**﴾ أي: المال الذي فرض إخراجه للمستحقين وإيراده ههنا وإن لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرين إقامة الصلاة لا يفارقها في عامة المواضع. ﴿**يخافون**﴾ صفة ثانية للرجال والخوف توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن إمارة مظنونة أو معلومة ويضاد الخوف الأمن. والمعنى بالفارسية [مي ترسند اين مردمان باوجود چنين توجه واستغراق] ﴿**يوماً**﴾ مفعول ليخافون لا ظرف والمراد يوم القيامة، أي من اليوم الذي ﴿**تتقلب فيه القلوب والأبصار**﴾ صفة ليوماً والتقلب التصرف والتغير من حال إلى حال وقلب الإنسان سمي به لكثرة تقلبه من وجه إلى وجه والبصر يقال للجارحة الناظرة وللقوة التي فيها. والمعنى: تضطرب وتتغير في أنفسها وتنتقل عن إماكنها من الهول والفزع فتنقلب القلوب في الجوف وترتفع إلى الحنجرة ولا تنزل ولا تخرج كما قال تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠] وتقلب الأبصار شخوصها كما قال تعالى: ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢] وإذ زاغت الأبصار أو تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والأبصار من أي ناحية يؤخذ بهم ومن أي جهة يأتي كتابهم.

﴿ليجزيهم الله﴾ متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكي من أعمالهم المرضية أي يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر والأجر خاص بالمثوبة الحسنى كما في «المفردات». ﴿أحسن ما عملوا﴾ أي: أحسن جزاء أعمالهم حسبما وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. ﴿ويزيدهم من فضله﴾ أشياء لم يعدهم بها على أعمالهم ولم تخطر ببالهم وهو العطاء الخاص لا لعمل. ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الإحسان. والرزق العطاء الجاري والحساب استعمال العدد، أي يفيض ويعطي من يشاء ثواباً لا يدخل تحت حساب الخلق.

قال كثير من الصحابة رضي الله عنهم: نزلت هذه الآية في أهل الأسواق الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا إليها أي لا في أصحاب الصفة وأمثالهم الذين تركوا التجارة ولزموا المسجد فإنه تعالى قال: ﴿وإيتاء الزكاة﴾ وأصحاب الصفة وأمثالهم لم يكن عليهم الزكاة قال الإمام الراغب: قوله تعالى: ﴿لا تلهيهم﴾ الآية ليس ذلك نهياً عن التجارة وكراهية لها بل نهي عن التهافت والاشتغال عن الصلوات والعبادة بها انتهى. [آورده اندكه ملك حسين كه وإلى هرات بود از حضرت قطب الأقطاب خواجه بهاء الحق والدين محمد نقشبند قدس سره پرسيدكه در طريقة شما ذكر جهر وخلوت وسماع مي باشد فرمودندكه باشد پس كفت بناى طريقت شما برچيست فرمودندكه «خلوت دارانجمي بظاهر باخلق وبباطن باحق»].

ازدرون شوآشنا واز برون بيكانه وش اينچين زيبا روش كم مي بود اندر جهان

آنچه حق سبحانه وتعالى فرما يدكه. ﴿رجال لا تلهيهم تجارة﴾ الآية اشارت بدين مقامست.

سر رشتة دولت أي برادر بكف آرا وين عمر كرامي بخسارت مكذار
دائم همه جا باهمه كس درهمه كار ميدار نهفت چشم دل جانب يار

قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف خص الرجال بالمدح والثناء دون النساء؟ فالجواب لأنه لا جمعة على النساء ولا جماعة في المساجد.

قال بعضهم: من أسقط عن سره ذكر ما لم يكن فكان يسمى رجلاً حقيقة ومن شغله عن ربه من ذلك شيء فليس من الرجال المتحققين.

وفي «التأويلات النجمية»: وإنما سماهم رجالاً لأنه لا تتصرف فيهم تجارة وهي كناية عن النجاة من دركات النيران كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ [الصف: ١٠] ولا بيع كناية عن الفوز بدرجات الجنان كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ﴾ [التوبة: ١١١] وهو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] ولو تصرف فيهم شيء من الدارين بالتفاتهم إليه وتعلقهم به حتى شغلهم عن ذكر الله أي عن طلبه والشوق إلى لقائه لكانوا بمثابة النساء فإنهن محال التصرف فيهن وما استحقوا اسم الرجال وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال: «يا داود فرغ لي بيتاً أسكن فيه قال يا رب أنت منزه عن البيوت قال: فرغ لي قلبك» وتفريغها أي القلوب التي أشارت إليها البيوت تصفيتها عن نقوش المكونات وتصقيلها عن صدأ تعلقات الكونين وإنما هو بذكر الله

والمداومة عليه كما قال عليه السلام: «إن لكل شيء صقالة وإن صقالة القلوب بذكر الله» فإذا صقلت تحلى الله فيها بنور الجمال وهو الزيادة في قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ والرزق بغير حساب في أرزاق الأرواح والمواهب الإلهية فأما أرزاق الأشباح فمحصورة معدودة.

فعلى العاقل الاجتهاد بأعمال الشريعة وآداب الطريقة فإنه سبب الوصول إلى أنوار الحقيقة ومن تنور باطنه في الدنيا تنور ظاهره وباطنه في العقبى وكل جزاء فإنما هو من جنس العمل. روي: أنه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدري فتقول لهم الملائكة: ما أعمالكم فيقولون: كنا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم يحشر طائفة وجوههم كالأقمار فيقولون بعد السؤال: كنا نتوضأ قبل الوقت، ثم يحشر طائفة وجوههم كالشموس فيقولون: كنا نسمع الأذان في المسجد» وفي الحديث: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول» أي: ثواب من يأتي في الوقت الأول والثاني، «فإذا جلس الإمام» يعني صعد المنبر «طووا الصحف وجاؤا يسمعون الذكر» أي: الخطبة فلا يكتبون ثواب من يأتي في ذلك الوقت والمراد منه أجر مجرد مجيئه قيل لا يكتبون أصلاً وقيل يكتبونه بعد الاستماع والمراد بالملائكة كتبة ثواب من يحضر الجمعة وهم غير الحفظة اللهم اجعلنا من المسارعين المسابقين واحشرنا في زمرة أهل الصدق والحق واليقين.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾

﴿**والذين كفروا أعمالهم**﴾ أي: أعمالهم التي هي من أبواب البرّ كصلة الأرحام وعتق الرقاب وعمارة البيت وسقاية الحاج وإغاثة الملهوفين وقرى الأضياف وإراقة الدماء ونحو ذلك مما لو قارنه الإيمان لاستتبع الثواب. ﴿**كسراب**﴾ هو ما يرى في المفازة من لمعان الشمس عليها نصف النهار فيظن أنه ماء يسرب أي يذهب ويجري وكان السراب فيما لا حقيقة له كالشراب فيما له حقيقة. ﴿**بقيعة**﴾ متعلق بمحذوف هو صفة السراب، أي كائن في قاع وهي الأرض المنبسطة المستوية قد انفرجت عنها الجبال.

قال في «المختار»: القيعة مثل القاع، وبعضهم يقول هو جمع. ﴿**يحسبه الظمآن ماء**﴾ صفة أخرى لسراب، أي يظنه الشديد العطش ماء حقيقة من ظمىء بالكسر يظمأ والظمىء بالكسر ما بين الشربتين والورودين والظمأ العطش الذي يحدث من ذلك وتخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائناً من كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه في وجه الشبه وهو الابتداء المطمع والانتهاء الموئس. ﴿**حتى إذا**﴾ [تاچون] ﴿**جاءه**﴾ أي: جاء ما توهمه ماء وعلق به رجاءه ليشرب منه. ﴿**لم يجده**﴾ أي ما حسبه ماء ﴿**شيئاً**﴾ أصلاً لا متحققاً ولا متوهماً كما كان يراه من قبل فضلاً عن وجدان ماء فيزداد عطشاً. ﴿**ووجد الله**﴾ أي: حكمه وقضاءه ﴿**عنده**﴾ عند المجيء كما قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ١٤] يعني: مصير الخلق إليه ﴿**فوفاه حسابه**﴾ أي أعطاه وافياً كاملاً حساب عمله يعني ظهر له بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة والقنوط أصلاً كمن يجيء إلى باب السلطان للصلة

فيضرب ضرباً وجيعاً. ﴿والله سريع الحساب﴾ لا يشغله حساب عن حساب.

قال الكاشفي: [زود حسابست حساب يكى اورا از حساب ديكرى بازندارد تمثيل كرد اعمال كافر را بسراب واورا بتشنة سوخته پس همچنانكه تشنة ازسراب نا اميد شده باشد شدتش زياده مي شود كافر انرا ازاميد به پاداش اعمال خود چود نيابند حسرت افزون ميكردد].

وفي الآية إشارة إلى أهل كفران النعمة وهم الذين يصرفون نعمة الله في معاصيه ومخالفته ثم يعاملون على الغفلة بالرسم والعادة التي وجدوا عليها آباءهم صورة بلا معنى بل رياء وسمعة وهم يحسبون بجهلهم أنهم يحسنون صنعاً زين لهم الشيطان أعمالهم فمثل أعمالهم كسراب لا طائل تحته وصاحب الأعمال يحسب من غفلته وجهالته أن أعماله المشوبة هي ما يطفىء به نار غضب الله حتى إذا جاءه عند الموت لم يجده شيئاً مما توهمه ووجد الله عند أعماله للوزن والجزاء والحساب وهو غضبان عليه لسوء معاملته معه فجازاه حق جزائه والله سريع الحساب يشير إلى أن من سرعة حسابه أن يظهر على ذاته وصفاته آثار معاملته السيئة بالأخلاق الذميمة والأحوال الرديئة في حال حياته.

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿أو كظلمات﴾ عطف على كسراب وأو للتنويع فإن أعمالهم إن كانت حسنة فكالسراب وإن كانت قبيحة فكالظلمات ﴿في بحر لجي﴾ أي: عميق كثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر.

قال الكاشفي: [دردرياي عميق كه دم بدم]. ﴿يغشاه موج﴾ صفة أخرى للبحر أي يستره ويغطيه بالكلية. ﴿من فوقه موج﴾ مبتدأ وخبر والجملة صفة لموج، أي يغشاه أمواج متراكمة بعضها على بعض. ﴿من فوقه سحاب﴾ صفة لموج الثاني وأصل السحب الجر وسمي السحاب إما لجر الريح أو لجره الماء أي من فوق الموج الثاني الأعلى سحاب غطى النجوم وحجب أنوارها.

وفيه إيماء إلى غاية تراكم الأمواج وتضاعفها حتى كأنها بلغت السحاب. ﴿ظلمات﴾ أي: هذه ظلمات. ﴿بعضها فوق بعض﴾ أي متكاثفة متراكمة حتى ﴿إذا أخرج﴾ أي من ابتلي بهذه الظلمات وإضماره من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة. ﴿يده﴾ وهي أقرب اعضائه المرئية إليه وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر إليها ﴿لم يكد يراها﴾ لم يقرب أن يراها لشدة الظلمة فضلاً عن أن يراها ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً﴾ أي: ومن لم يشأ الله أن يهديه لنور القرآن ولم يوفقه للإيمان به. ﴿فما له من نور﴾ أي: فما له هداية ما من أحد أصلاً.

قال الكاشفي: [اين تمثيل ديكراست مر عملهاي كفاررا ظلمات اعمال تيرة اوست وبحر لجي دل أو وموج آنچه دل اورا مي پوشد از جهل وشرك وسحاب مهر خذلان برآن پس كردار وكفتارش ظلمت ومدخل ومخرجش ظلمت ورجوع اودر روز قيامت هم بظلمت عكس مؤمن كه اورانوراست واين را ﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾].

مؤمنان ازتير كي دور آمدند لا جرم نور على نور آمدند
كافر تاريك دل را فكرتست حال كارش ظلمت اندر ظلمتست

والإشارة بالظلمات إلى صورة الأعمال التي وقعت على الغفلة بلا حضور القلب وخلوص النية فهي. ﴿**كظلمات في بحر لجي**﴾ وهو حب الدنيا ﴿**يغشاه موج**﴾ من الرياء ﴿**من فوقه موج**﴾ من حب الجاه وطلب الرياسة. ﴿**من فوقه سحاب**﴾ من الشرك الخفي ﴿**ظلمات بعضها فوق بعض**﴾ يعني ظلمة غفلة الطبيعة وظلمة حب الدنيا وظلمة حب الجاه وظلمة الشرك ﴿**إذا أخرج يده**﴾ يعني العبد يد قصده واجتهاده وسعيه ليرى صلاح حاله ومآله في تخلصه من هذه الظلمات لم ير بنظر عقله طريق خلاصه من هذه الظلمات لأن من لم يصبه رشاس النور الإلهي عند قسمة الأنوار فما له من نور يخرجه من هذه الظلمات فإن نور العقل ليس له هذه القوة لأنها من خصوصية نور الله كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] والنكتة في قوله تعالى: ﴿**يخرجهم**﴾ الخ كأنه يقول أخرجت الماء من العين والمطر من السحاب والنار من الحجر والحديد من الجبال والدخان من النار والنبات من الأرض والثمار من الأشجار كما لا يقدر أحد أن يرد هذه الأشياء إلى مكانها كذلك لا يقدر إبليس وسائر الطواغيت أن يردك إلى ظلمة الكفر والشك والنفاق بعدما أخرجتك إلى نور الإيمان واليقين والإخلاص والله الهادي.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿**ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض**﴾ الهمزة للتقرير والمراد من الرؤية رؤية القلب فإن التسبيح الآتي لا يتعلق به نظر البصر، أي قد علمت يا محمد علماً يشبه المشاهدة في القوة واليقين بالوحي أو الاستدلال أن الله تعالى ينزهه على الدوام في ذاته وصفاته وأفعاله عن كل ما لا يليق بشأنه من نقص وآفة أهل السموات والأرض من العقلاء وغيرهم ومن لتغليب العقلاء. ﴿**والطير**﴾ بالرفع عطف على من جمع طائر كركب وراكب والطائر كل ذي جناح يسبح في الهواء وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في جملة ما في الأرض لعدم استقرارها قرار ما فيها لأنها تكون بين السماء والأرض غالباً ﴿**صافات**﴾ أصل الصف البسط ولهذا سمي اللحم القديد صفيفاً لأنه يبسط أي تسبحه تعالى حال كونها صافات أي باسطات أجنحتها في الهواء تصفقن ﴿**كل**﴾ من أهل السموات و الأرض. ﴿**قد علم**﴾ بإلهام الله تعالى ويوضحه ما قرىء علم مشدداً أي: عرف ﴿**صلاته**﴾ أي دعاء نفسه ﴿**وتسبيحه**﴾ تنزيهه ﴿**والله عليم بما يفعلون**﴾ أي يفعلونه من الطاعة والصلاة والتسبيح فيجازيهم على ذلك وفيه وعيد لكفرة الثقلين حيث لا تسبيح لهم طوعاً واختياراً.

﴿**ولله**﴾ لا لغيره ﴿**ملك السموات والأرض**﴾ لأنه الخالق لما فيها من الذوات والصفات وهو المتصرف في جميعها إيجاداً وإعداماً إبداء وإعادة. ﴿**وإلى الله**﴾ خاصة ﴿**المصير**﴾ أي رجوع الكل بالفناء والبعث فعلى العاقل أن يعبد هذا المالك القوي ويسبحه باللسان الصوري والمعنوي وهذا التسبيح محمول عند البعض على ما كان بلسان المقال فإنه يجوز أن يكون لغير العقلاء أيضاً تسبيح حقيقة لا يعلمه إلا الله ومن شاء من عباده كما في «الكواشي» وقد سبق

تفصيل بديع عند قوله تعالى في سورة الإسراء ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] فارجع تغنم.

وعن أبي ثابت قال: كنت جالساً عند أبي جعفر الباقر فقال لي أتدري ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها؟ قلت: لا قال فإنهن يقدسن ربهن ويسألن قوت يومهن [آورده اندكه أبو الجناب نجم الكبرى قدس سره در رسالة فواتح الجمال ميفر ما يندكه ذكرى كه جارى بر نفوس حيوانات انفاس ضرورية ايشانست زيرا كه در برآمدن وفرو رفتن نفس حرف هاكه اشارت بغيب هويت حكق است كفته ميشودا كر خواهند واكر نخواهند ورن حرف هاست كه دراسم مبارك الله است وألف ولام از براى تعريفست وتشديد لام از براى مبالغه درآن تعريف پس مى بايدكه طالب هو شمندر در وقت تلفظ باين حرف شريف هويت حق سبحانه وتعالى ملحوظ وى باشد ودر خروج ودخول نفس واقف بودكه در نسبت حضور مع الله فتورى واقع نشود] ويقال لهذا عند النقشبندية [هوش دردم].

هاغيب هويت آمد أي حرف شناس انفاس ترابود بآن حرف اساس
باش آكه ازان حرف دراميد وهراس حرفي كفتم شكرف اكردارى پاس

يقول الفقير أيقظه القدير: رأيت في بعض المبشرات حضرة شيخي وسندي قدس سره وهو يخاطبني ويقول: هل تعرف سر قولهم: الله بالرفع دون الله بالنصب والجر فقلت: لا فقال: إنه في الأصل الله هو فبضم الشفتين في تحصل الإشارة إلى نور الذات الأحدية في الممكنات وسر الكمال الساري في المظاهر ولا تحصل هذه الإشارة في النصب والجر الحمد لله تعالى.

وقال بعض العلماء: تسبيح الحيوان والجماد محمول على ما كان بلسان الحال فإن كل شيء يدل بوجوده وأحواله على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشأنه.

وقال في «التأويلات»: اعلم أن التسبيح على ثلاثة أوجه تسبيح العقلاء وتسبيح الحيوانات وتسبيح الجمادات. فتسبيح العقلاء بالنطق والمعاملات. وتسبيح الحيوانات بلسان الحاجات وصورة الدلالات على صانعها. وتسبيح الجمادات بالخلق وهو عام في جميعها فإنها مظهر الآيات فأما تسبيح العقلاء فمخصوص بالملك والإنسان فتسبيح الملك غذاؤه يعيش به ولو قطع عنه لهلك وليس موجباً لترقيه لأنه مسبح بالطبع وتسبيح الإنسان تنزيه الحق بالأمر لا بالطبع فموجب لترقيه بأن يفنى فيه أوصاف إنسانيته ويبقيه بوصف سبوحيته فإنه به ينطق عند فناء وجوده. ﴿**كل قد علم صلاته وتسبيحه**﴾ يشير إلى أن لكل شيء علماً وشعوراً مناسباً له على صلاته وهي القيام بالعبودية وعلى تسبيحه وهو ثناء الربوبية وذلك؛ لأن لكل شيء ملكوتاً هو قائم به وقيام الملكوت بيده تعالى كما قال: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يس: ٨٣] وعالم الملكوت هو الحياة المحض والعلم كما قال: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] والملكوت هو عالم الأرواح فلكل شيء روح منه بحسب استعداده لقابلية الروح فخلق الإنسان في أحسن تقويم لقابلية الروح الأعظم فلهذا صار كاملهم أفضل المخلوقات وأكرمها فهو يعلم خصوصية صلاته وتسبيحه على قدر حظه من عالم الملكوت بل على قدر حظه من عالم الربوبية وهو متفرد به عما دونه والملك يعلم صلاته وتسبيحه على قدر

حظه من عالم الملكوت والحيوانات والجمادات تعلم صلاتها وتسبيحها بملكوتها بلا شعور منها بالصورة. ﴿والله عليم بما يفعلون﴾ أي: بحقيقته بالكمال وهم يعلمون بحسب استعدادهم انتهى ما في «التأويلات» وهذا لا ينفي نطق الجمادات عند إنطاق الله تعالى وكذا نطق الحيوانات العجم بطريق خرق العادة أو بطريق لا يسمعه ولا يفهمه إلا أهل الكشف والعيان كما سبق أمثلته في سورة الإسراء نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن لا يمضي نفسه إلا بذكر شريف ولا يمر وقته إلا بحال لطيف أنه الفياض الوهاب الجواد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً﴾ الإزجاء سوق الشيء برفق وسهولة لينساق غلب في سوق شيء يسير أو غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة فإنها يزجيها كل أحد ويدفعها لقلة الاعتداد بها. ففيه إيماء إلى أن السحاب بالنسبة إلى قدرته تعالى مما لايعتد به ويسمى السحاب سحاباً لانسحابه في الهواء أي انجراره وهو اسم جنس يصح إطلاقه على سحابة واحدة وما فوقها والمراد ههنا قطع السحاب بقرينة إضافة بين إلى ضميره فإنه لا يضاف إلا إلى متعدد. والمعنى قد رأيت رؤية بصرية أن الله يسوق غيماً إلى حيث يريد. ﴿ثم يؤلف بينه﴾ أي: بين أجزائه بضم بعضها إلى بعض فيجعله شيئاً واحداً بعد أن كان قطعاً. ﴿ثم يجعله ركاماً﴾ أي: متراكماً بعضه فوق بعض فإنه إذا اجتمع شيء فوق شيء فهو ركوم مجتمع.

قال في «المفردات» يقال: سحاب مركوم أي متراكم والركام ما يلقي بعضه على بعض ﴿فترى الودق﴾ أي المطر أثر تكاثفه وتراكمه.

قال أبو الليث: الودق المطر كله شديده وهينه.

وفي «المفردات»: الودق قيل ما يكون خلال المطر كأنه غبار وقد يعبر به عن المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ حال من الودق لأن الرؤية بصرية والخلال جمع خلل كجبال وجبل وهو فرجة بين الشيئين والمراد ههنا مخارج القطر. والمعنى حال كون ذلك الودق يخرج من أثناء ذلك السحاب وفتوقه التي حدثت بالتراكم وانعصار بعضه من بعض.

قال كعب: السحاب غربال المطر ولولاه لأفسد المطر ما يقع عليه ﴿وينزل من السماء﴾ أي من الغمام فإن كل ما علاك سماء وسماء كل شيء أعلاه. ﴿من جبال﴾ أي: من قطع عظام تشبه الجبال في العظم كائنة. ﴿فيها﴾ أي: في السماء فإن السماء من المؤنثات السماعية. ﴿من برد﴾ مفعول ينزل على أن من تبعيضية والأوليان لابتداء الغاية على أن الثانية بدل اشتمال من الأولى بإعادة الجار والبرد محركة الماء المنعقد، أي ما يبرد من المطر في الهواء فيصلب كما في «المفردات». والمعنى ينزل الله مبتدئاً من السماء من جبال فيها بعض برد. قال بعضهم: إن الله تعالى خلق جبالاً كثيرة في السماء من البرد والثلج ووكل بها ملكاً من الملائكة فإذا أراد أن يرسل البرد والثلج على قطر من أقطار الأرض يأمره بذلك فثلج هناك ما شاء الله بوزن ومقدار في صحبة كل حبة منها ملك يضعها حيث أمر بوضعها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما لا عين تجري على الأرض إلا وأصلها من البرد والثلج

ويقال: إن الله تعالى خلق ملائكة نصف أبدانهم من الثلج ونصفها من النار فلا الثلج يطفىء النار ولا النار تذيب الثلج فإذا أراد الله إرسال الثلج في ناحية أمرهم حتى يترفرفوا بأجنحتهم من الثلج فما تساقط عن الترفرف فهو الثلج الذي يقع هناك يقال: رفرف الطائر إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه وقيل: المراد من الماء أي في الآية المظلة أي الفلك وفيها جبال من برد كما أن في الأرض جبالاً من حجر وليس في العقل ما ينفيه والمشهور أن الابخرة إذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد اجتمعت هناك وصارت سحاباً فإن لم يشتد البرد تقاطرت مطراً وإن اشتد فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل برداً وقد يبرد الهواء برداً مفرطاً فينقبض وينعقد سحاباً وينزل منه المطر أو الثلج وكل ذلك مستند إلى إرادة الله تعالى ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح.

وفي «إخوان الصفاء»: الأجزاء المائية والترابية إذا كثرت في الهواء وتراكمت فالغيم منها هو الرقيق والسحاب هو المتراكم والمطر هو تلك الأجزاء المائية إذا التأم بعضها مع بعض وبردت وثقلت رجعت نحو الأرض والبرد قطر تجمد في الهواء بعد خروجه من سمك السحاب والثلوج قطر صغار تجمد في خلال الغيم ثم تنزل برفق من السحاب انتهى والأجزاء اللطيفة الأرضية تسمى دخاناً والمائية بخاراً.

قال ابن التمجيد: إذا أشرقت الشمس على أرض يابسة تحللت منها أجزاء نارية ويخالطها أجزاء أرضية يسمى المركب منهما دخاناً.

وفي «شرح القانون»: الفرق بين الدخان والبخار هو أن تركيب الدخان من الأجزاء الأرضية والنارية وتركيب البخار من المائية والهوائية فيكون البخار ألطف من الدخان.

﴿فيصيب به﴾ أي: بما ينزل من البرد والباء للتعدية. وبالفارسية [پس ميرساند آن تكرك را]. **﴿من يشاء﴾** فيناله ما يناله من ضرر في نفسه وماله نحو الزرع والضرع والثمرة. **﴿ويصرفه عن من يشاء﴾** فيأمن غائلته **﴿يكاد سنا برقه﴾** أي: يقرب ضوء برق السحاب فإن السنا مقصوراً بمعنى الضوء الساطع وممدوداً بمعنى الرفعة والعلو والبرق لمعان السحاب.

وفي «القاموس»: البرق واحد بروق السحاب أو ضرب ملك السحاب وتحريكه إياه لينساق فترى النيران.

وفي «إخوان الصفاء»: البرق نار تنقدح من احتكاك تلك الأجزاء الدخانية في جوف السحاب **﴿يذهب بالأبصار﴾** أي: يخطفها من فرط الإضاءة وسرعة ورودها.

قال الكاشفي: [واين دليل است بر كمال قدرت كه شعلة آتش ازميان ابر آبدار بيرون مي آرد] فسبحان من يظهر الضد من الضد.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ بالمعاقبة بينهما أو بنقص أحدهما وزيادة الآخر أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور وغيرها مما يقع فيهما من الأمور التي من جملتها ما ذكر من إزجاء السحاب وما ترتب عليه وفي الحديث قال الله تعالى: «يؤذيني ابن آدم يَسب الدهر

وأنا الدهر بيدي الأمر اقلب الليل والنهار» كذا في «المعالم» «والوسيط». ﴿إن في ذلك﴾ الذي فصل من الازجاء إلى التقليب. ﴿لعبرة﴾ لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته وكمال قدرته وإحاطة علمه بجميع الأشياء ونفاذ مشيئته وتنزهه عما لا يليق بشأنه العلي وأصل العبر تجاوز من حال إلى حال والعبرة الحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد. ﴿لأولي الأبصار﴾ لكل من يبصر ويقال لقوة القلب المدركة: بصيرة وبصر ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة كما في «المفردات». يعني أن من له بصيرة يعبر من المذكور إلى معرفة المدبر ذلك من القدرة التامة والعلم الشامل الدال قطعاً على الوحدانية.

وسئل سعيد بن المسيب أي: العبادة أفضل؟ قال: التفكر في خلقه والتفقه في دينه.

ويقال: العبر بأوقار والمعتبر بمثقال فعلى العاقل الاعتبار آناء الليل وأطراف النهار.

قالت رابعة القيسية رحمها الله: ما سمعت الأذان إلا ذكرت منادي يوم القيامة وما رأيت الثلوج إلا ذكرت تطاير الكتب وما رأيت الجراد إلا ذكرت الحشر.

والإشارة في الآية الكريمة أن الله تعالى يسوق السحب المتفرقة التي تنشأ من المعاصي والأخلاق الذميمة ثم يؤلف بينها ثم يجعلها متراكماً بعضها على بعض فترى مطر التوبة يخرج من خلاله كما خرج من سحاب وعصى آدم ربه فغوى مطر ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فالإنسان من النسيان والشر جزء من البشر فإذا أذنب الإنسان فلتكن همته طلب العفو والرحمة من الله تعالى ولا يمتنع منه مستعظماً لذنبه ظاناً أن الله تعالى وصف ذاته الأزلية بالغفارية والتوابية حين لم يكن بشر ولا ذنب ولا حادث من الحوادث فاقتضى ذلك وجود الذنب من الإنسان البتة لأن المغفرة إنما هي بالنسبة إلى الذنب. ولذا قال الحافظ:

سهو وخطاى بنده كرش نيست اعتبار   معنى عفو ورحمت آمر زكار چيست

وينزل الله من سماء القلب من قساوة فيها جموده من قهر الحق وخذلانه فيصيب من برد القهر من يشاء من أهل الشقاوة ويصرفه عمن يشاء من أهل السعادة يكاد سنا برق القهر يذهب البصائر يقلب الله ليل معصية من يشاء نهار الطاعة كما قلب في حق آدم عليه السلام ويقلب نهار طاعة من يشاء ليل المعصية كما قلب في حق إبليس إن في ذلك التقليب لعبرة لأرباب البصائر بأن يشاهدوا آثار لطفه وقهره في مرآة التقليب كذا في «التأويلات النجمية».

﴿والله خلق كل دابة﴾ الدب والدبيب مشي خفيف ويستعمل ذلك في الحيوان وفي الحشرات أكثر كما في «المفردات» والدابة هنا ليست عبارة عن مطلق ما يمشي ويتحرك بل هي اسم للحيوان الذي يدب على الأرض ومسكنه هنالك فيخرج منها الملائكة والجن فإن الملائكة خلقوا من نور والجن من نار.

وقال في «فتح الرحمٰن»: خلق كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة والجن لأنا لا نشاهدهم انتهى. والمعنى خلق كل حيوان يدب على الأرض. ﴿من ماء﴾ هو جزء مادته أي أحد العناصر الأربعة على أن يكون التنوين للوحدة الجنسية فدخل فيه آدم المخلوق من تراب وعيسى المخلوق من روح أو من ماء مخصوص هو النطفة، أي ماء الذكر والأنثى على أن يكون التنوين للوحدة النوعية فيكون تنزيلاً للغالب منزلة الكل إذ من الحيوان ما يتولد لا عن نطفة [در تبيان از ابن عباس رضي الله عنهما نقل ميكند كه حق سبحانه جوهري آفريد ونظر هيبت برو افكند بكداخت وآب شد بعضى آنرا تغليب نمود باتش وازان جن بيافريد پس

بعض را تغليب كرد بباد وازان ملائكة فريد پس تغليب نمود مقداري را بخاك وازان آدمى وسائر حيوانات خلق كرد واصل آن همه آبست].

قال في «الكواشي»: تنكير ماء مؤذن أن كل دابة مخلوقة من ماء مختص بها وهو النطفة فجميع الحيوان سوى الملائكة والجن مخلوق من نطفة وتعريف الماء في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] نظر إلى الجنس الذي خلق منه جميع الحيوان لأن أصل جميع الخلق من الماء.

قالوا: خلق الله ماء فجعل بعضه ريحاً فخلق منها الملائكة وجعل بعضه ناراً فخلق منها الجن وبعضه طيناً فخلق منه آدم انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن كل ذي روح خلق من نور محمد عليه السلام لأن روحه أول شيء تعلقت به القدرة كما قال: «أول ما خلق الله روحي» ولما كان هو درة صدف الموجودات عبر عن روحه بدرة وجوهرة فقال: «لما أراد الله أن يخلق العالم خلق درة» وفي رواية جوهرة «ثم نظر إليها بنظر الهيبة فصارت ماء» الحديث فخلقت الأرواح من ذلك الماء اهـ.

فإن قيل: ما الحكمة في خلق كل شيء من الماء قيل لأن الخلق من الماء أعجب لأنه ليس شيء من الأشياء أشد طوعاً من الماء لأن الإنسان لو أراد أن يمسكه بيده أو أراد أن يبنى عليه أو يتخذ منه شيئاً لا يمكنه والناس يتخذون من سائر الأشياء أنواع الأشياء.

قيل: فالله تعالى أخبر أنه يخلق من الماء ألواناً من الخلق وهو قادر على كل شيء كذا في «تفسير أبي الليث» عليه الرحمة. **﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾** كالحية والحوت ونحوهما وإنما قال: يمشي على وجه المجاز وإن كان حقيقة المشي بالرجل لأنه جمعه مع الذي يمشي على وجه التبع. يعني أن تسمية حركة الحية مثلاً ومرورها مشياً مع كونها زحفاً للمشاكلة فإن المشي حقيقة هو قطع المسافة والمرور عليها مع قيد كون ذلك المرور على الأرجل. **﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾** كالإنس والجن والطير كما في «الجلالين» **﴿ومنهم من يمشي على أربع﴾** كالنعم والوحش وعدم التعرض لما يمشي على أكثر من أربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها كما في «الإرشاد».

وقال في «فتح الرحمٰن»: لأنها في الصورة كالتي تمشي على أربع وإنما تمشي على أربع منها كما في «الكواشي» وتذكير الضمير في منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الأصناف بمن ليوافق التفصيل الإجمال وهو هم في فمنهم والترتيب حيث قدم الزاحف على الماشي على رجلين وهو على الماشي على أربع لأن المشي بلا آلة أدخل في القدرة من المشي على الرجلين وهو أثبت لها بالنسبة إلى من مشى على أربع. **﴿يخلق الله ما يشاء﴾** مما ذكر ومما لم يذكر بسيطاً كان أو مركباً على ما يشاء من الصور والأعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والأفاعل مع اتحاد العنصر [صاحب حديقه فرموده

أوست قادر بهرچه خواهد وخواست ... كارها جمله نزد أو پيداست

وقال بعضهم:

نقشبند برون كلها أوست ... نقش دان درون دلها اوست

﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ فيفعل الله ما يشاء كما يشاء. **﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾**

أي لكل ما يليق بيانه من الأحكام الدينية والأسرار التكوينية. ﴿**والله يهدي من يشاء**﴾ بالتوفيق للنظر الصحيح فيها والإرشاد إلى التأمل في معانيها. ﴿**إلى صراط مستقيم**﴾ يعني الإسلام الذي هو دين الله وطريقه إلى رضاه وجنته.

وفي «التأويلات النجمية»: أخبر عن سيرة هذه الدواب التي خلقت من الماء فقال: ﴿**فمنهم من يمشي على بطنه**﴾ يعني سيرته في مشيه أن يضيع عمره في تحصيل شهوات بطنه. ﴿**ومنهم من يمشي على رجلين**﴾ أي: يضيع عمره في تحصيل شهوات فرجه فإن كل حيوان إذا قصد قضاء شهوته يمشي على رجلين عند المباشرة وإن كان له أربع قوائم. ﴿**ومنهم من يمشي على أربع**﴾ أي: يضيع عمره في طلب الجاه لأن أكثر طالبي الجاه يمشي راكباً على مركوب له أربع قوائم كالخيل والبغال والحمير كما قال تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل: ٨] من أنواع المخلوقات على مقتضى حكمته ومشيئته الأزلية لما يشاء كما يشاء إظهاراً للقدرة ليعلم أن الله على خلق كل نوع من أنواع المخلوقات والمقدورات قادر ـ ومن أخبار الرشيد ـ أنه خرج يوماً للصيد فأرسل بازياً أشهب فلم يزل يعلو حتى غاب في الهواء ثم رجع بعد اليأس منه ومعه سمكة فأحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل: يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضي الله عنهما أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق سكان فيه وفيه دواب تبيض وتفرخ فيه شيئاً على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذات ريش فأجاز مقاتلاً على ذلك وأكرمه. ﴿**لقد أنزلنا آيات مبينات**﴾ أي: أنزلنا القرآن مبينات آياته ما خلقنا من كل نوع من أنواع الإنسان المذكورة أوصافهم ولكنهم لو وكلوا إلى ما جبلوا عليه لما كانوا يهتدون إلا إلى هذه الأوصاف التي جبلوا عليها ولا يهتدون إلى صراط مستقيم هو صراط الله بإرادتهم ومشيئتهم. ﴿**والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾ يصل به إلى الحضرة بمشيئة الله وإرادته الأزلية نسأل الله الهداية إلى سواء الطريق والتوفيق لجادة التحقيق.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿**ويقولون آمنا بالله وبالرسول**﴾ نزلت في بشر المنافق خاصم يهودياً في أرض فدعاه إلى كعب بن الأشرف من أحبار اليهود ودعاه اليهود إلى النبي عليه الصلاة والسلام فصبغة الجمع للإيذان بأن للقائل طائفة يساعدونه ويتابعونه في تلك المقالة كما يقال: بنو فلان قتلوا فلاناً والقاتل منهم واحد. ﴿**وأطعنا**﴾ أي: أطعناهما في الأمر والنهي والإطاعة فعل يعمل بالأمر لا غير لأنها الانقياد وهو لا يتصور إلا بعد الأمر بخلاف العباد وغيرها. ﴿**ثم يتولى**﴾ يعرض عن قبول حكمه.

قال الإمام الراغب تولى إذا عدي بنفسه اقتضى معنى الولاية وحصوله في أقرب المواضع وإذا عدى بعن لفظاً أو تقديراً اقتضى معنى الإعراض وترك القرب فإن الولي القرب والتولي قد يكون بالجسم وقد يكون بترك الإصغاء والائتمار وثم يجوز أن يكون للتراخي الزماني وأن

يكون لاستبعاد أمر التولي عن قولهم آمنا وأطعنا. ﴿فريق منهم﴾ أي من القائلين.

قال في «المفردات»: الفرق القطعة المنفصلة ومنه الفرقة للجماعة المنفردة من الناس والفريق الجماعة المنفردة عن آخرين. ﴿من بعد ذلك﴾ القول المذكور. ﴿وما أولئك﴾ إشارة إلى القائلين فإن نفي الإيمان عنهم مقتض لنفيه عن الفريق المتولي بخلاف العكس أي وما أولئك الذين يدعون الإيمان والإطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم في الاعتقاد والعمل. ﴿بالمؤمنين﴾ حقيقة كما يعرب عنه اللام أي ليسوا بالمؤمنين المعهودين بالإخلاص في الإيمان والثبات عليه ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم﴾ أي: الرسول ﴿بينهم﴾ لأنه المباشر للحكم حقيقة وإن كان الحكم حكم الله حقيقة وذكر الله لتفخيمه عليه السلام والإيذان بجلالة محله عنده تعالى والحكم بالشيء أن تقضى بأنه كذا وليس بكذا سواء ألزمت بذلك غيرك أو لم تلزمه. ﴿إذا فريق منهم معرضون﴾ أي: فاجأ فريق منهم الإعراض عن المحاكمة إليه عليه السلام لكون الحق عليهم وعلمهم بأنه عليه السلام يحكم بالحق عليهم ولا يقبل الرشوة وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وأعرض أظهر عرضه، أي: ناحيته.

﴿وإن يكن لهم الحق﴾ أي: الحكم لا عليهم ﴿يأتوا إليه﴾ إلى صلة يأتوا فإن الإتيان والمجيء يعديان بإلى. ﴿مذعنين﴾ منقادين لجزمهم بأنه عليه السلام يحكم لهم.

﴿أفي قلوبهم مرض﴾ إنكار واستقباح لإعراضهم المذكور وبيان لمنشأه أي أذلك الإعراض لأنهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم. ﴿أم﴾ لأنهم ﴿ارتابوا﴾ أي: شكوا في أمر نبوته عليه السلام مع ظهور حقيقتها. ﴿أم﴾ لأنهم ﴿يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ في الحكومة. والحيف الجور والظلم الميل في الحكم إلى أحد الجانبين يقال حاف في قضيته أي جار فيما حكم ثم اضرب عن الكل وأبطل منشئيته وحكم بأن المنشأ شيء آخر من شنائعهم حيث قيل: ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ أي: ليس ذلك لشيء مما ذكر أما الأولان فلأنه لو كان لشيء منهما لاعرضوا عنه عليه السلام عند كون الحق لهم ولما اتوا إليه مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ أيضاً وأما الثالث فلانتفائه رأساً حيث كانوا لا يخافون الحيف أصلاً لمعرفتهم أمانته عليه السلام وثباته على الحق بل لأنهم هم الظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة إليه عليه السلام لعلهم بأنه يقضى عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الإضراب في الأولين هو وصف منشئيتهما في الإعراض فقط مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الوصف مع عدم تحققه في نفسه وفي الرابع هو الأصل والوصف جميعاً.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿إنما كان قول المؤمنين﴾ بالنصب على أنه خبر كان وإن مع ما في حيزها اسمها. ﴿إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم﴾ أي: الرسول ﴿بينهم﴾ وبين خصومهم سواء كانوا منهم أو من غيرهم. ﴿أن يقولوا سمعنا﴾ الدعاء ﴿وأطعنا﴾ بالإجابة والقبول والطاعة موافقة الأمر طوعاً وهي تجوز لله ولغيره كما في «فتح الرحمٰن» [بهرچه كنى درميان حكمى]. ﴿وأولئك﴾ المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل ﴿هم المفلحون﴾ الفائزون بكل مطلب والناجون من كل محذور.

قال في «المفردات»: الفلاح الظفر وإدراك البغية. ﴿ومن﴾ [وهركه] ﴿يطع الله ورسوله﴾ أي: من يطعمها كائناً من كان فيما أمرا به من الأحكام الشرعية اللازمة والمتعدية. ﴿ويخش الله﴾ على ما مضى من ذنوبه أن يكون مأخوذاً بها. ﴿ويتقه﴾ فيما بقي من عمره وأصله يتقيه فحذف الياء للجزم فصار يتقه بكسر القاف والهاء ثم سكن القاف تخفيفاً على خلاف القياس لأن ما هو على صيغة فعل إنما يسكن عينه إذا كانت كلمة واحدة نحو كتف في كتف ثم أجري ما أشبه ذلك من المنفصل مجرى المتصل فإن تقه في قولنا: يتقه بمنزلة كتف فسكن وسطه كما سكن وسط كتف ﴿فأولئك﴾ الموصوفون بالطاعة والخشية والاتقاء. ﴿هم الفائزون﴾ بالنعيم المقيم لا من عداهم. والفوز الظفر مع حصول السلامة كما في «المفردات» [در كشاف آورده كه ملكى از علما التماس آيتى كردكه بدان عمل كافى باشد ومحتاج بآيات ديكر نباشد علماى عصراو برين آيت اتفاق كردند چه حصول فوز وفلاح جز بفرمان بردارى وخشيت وتقوى ميسر نيست].

اينك ره اكر مقصد اقصى طلبي وينك عمل ار رضاى مولى طلبي

فلا بد من الإطاعة لله ولرسوله في أداء الفرائض واجتناب المحارم فقد دعا الله تعالى فلا بد من الإجابة.

قال ابن عطاء رحمه الله: الدعوة إلى الله بالحقيقة والدعوة إلى الرسول بالنصيحة فمن لم يجب داعي الله كفر ومن لم يجب داعي الرسول ضلّ وسبب عدم الإجابة المرض.

قال الإمام الراغب: المرض الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان وذلك ضربان: جسمي وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١] والثاني: عبارة عن الرذائل كالجهل والجبن والبخل والنفاق ونحوها من الرذائل الخلقية نحو قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠] ويشبه النفاق والكفر وغيرهما من الرذائل بالمرض إما لكونها مانعة عن إدراك الفضائل كالمرض المانع للبدن عن التصرف الكامل وإما لكونها مانعة عن تحصيل الحياة الأخروية المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] وأما لميل النفس بها إلى الاعتقادات الرديئة ميل البدن المريض إلى الأشياء المضرة انتهى، وفي الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» معناه لا يبلغ العبد كمال الإيمان ولا يستكمل درجاته حتى يكون ميل نفسه منقاداً لما جاء به النبي عليه السلام من الهدى والأحكام ثم إن حقيقة الإطاعة والإجابة إنما هي بترك ما سوى الله والإعراض عما دونه فمن أقبل على غيره فهو لآفات عرضت له وهي انحراف مزاج قلبه عن فطرة الله التي فطر الناس عليها من حب الله وحب الآخرة والشك في الدين بمقالات أهل الأهواء والبدع من المتفلسفين والطبائعيين والدهريين وغيرهم من الضلال وخوف الحيف بأن يأمره الله ورسوله بترك الدنيا ونهى النفس عن الهوى وأنواع المجاهدات والرياضات المؤدية إلى تزكية النفس وتصفية القلب لتحلية الروح بحلية أخلاق الحق والوصول إلى الحضرة ثم لا يوفيان بما وعدا بقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] ويظلمان عليه بعدم أداء حقوقه أما علم أن الله لا يظلم مثقال ذرة.

﴿۞ وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وأقسموا بالله﴾ أي حلف المنافقون بالله وأصله من القسامة وهي إيمان تقسم على المتهمين في الدم ثم صار اسماً لكل حلف. ﴿جهد أيمانهم﴾ الجهد بالفتح الطاقة واليمين في اللغة القوة وفي الشرع تقوي أحد طرفي الخبر بذكر الله.

قال الإمام الراغب: اليمين في الحلف مستعار من اليد اعتباراً بما يفعله المجاهد والمعاهد عنده.

قال في «الإرشاد»: جهد نصب على أنه مصدر مؤكد لفعله الذي هو في حيز النصب على أنه حال من فاعل اقسموا أي أقسموا به تعالى يجهدون أيمانهم جهداً ومعنى جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وطاقتها أي جاهدين بالغين أقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة فمن قال: أقسم بالله فقد جهد يمينه ومعنى الاستعارة أنه لما لم يكن لليمين وسع وطاقة حتى يبلغ المنافقون أقصى وسع اليمين وطاقتها كان أصله يجهدون إيمانهم جهداً ثم حذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافاً إلى المفعول نحو فضرب الرقاب وبالفارسية: [وسوكند كردند منافقان بخداى تعالى سخترين سوكنداں خود] ﴿لئن أمرتهم﴾ أي: بالخروج إلى الغزو فإنهم كانوا يقولون لرسول الله أينما كنت نكن معك ولئن خرجت خرجنا معك وإن أقمت أقمنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا. ﴿ليخرجن﴾ جواب لأقسموا لأن اللام الموطئة للقسم في قوله لئن أمرتهم جعلت ما يأتي بعد الشرط المذكور جواباً للقسم لاجزاء للشرط وكان جزاء الشرط مضمراً مدلولاً عليه بجواب القسم وجواب القسم وجزاء الشرط لما كانا متماثلين اقتصر على جواب القسم وحيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة أمر عليه السلام بردها حيث قيل ﴿قل لا تقسموا﴾ لا تحلفوا بالله على ما تدعون من الطاعة ﴿طاعة معروفة﴾ خبر مبتدأ محذوف والجملة تعليل للنهي أي لأن طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطأة من القلب وإنما عبر عنها بمعروفة للإيذان بأن كونها كذلك مشهور معروف لكل أحد كذا في «الإرشاد».

وقال بعضهم: طاعة معروفة بالإخلاص وصدق النية خير لكم وأمثل من قسمكم باللسان فالمطلوب منكم هي لا اليمين الكاذبة المنكرة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿قل لا تقسموا﴾ بالكذب قولاً بل أطيعوا فعلاً فإنه ﴿طاعة معروفة﴾ بالأفعال غير دعوى القيل والقال. ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ بالحال صدقاً وبالقال كذباً أو بطاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل فيجازيكم على ذلك.

﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ في الفرائض والسنن على رجاء الرحمة والقبول. ﴿فإن تولوا﴾ بحذف إحدى التاءين، أي تتولوا وتعرضوا عن هذه الطاعة أثر ما أمرتم بها. ﴿فإنما عليه﴾ أي فاعلموا إنما عليه ﷺ. ﴿ما حمل﴾ أي ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة.

﴿وعليكم ما حملتم﴾ ما أمرتم به من الإجابة والطاعة ولعل التعبير عنه بالتحمل للإشعار بثقله وكونه مؤونة باقية في عهدتهم بعد كأنه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل. ﴿وإن تطيعوه﴾ أي فيما أمركم به من الطاعة ﴿تهتدوا﴾ إلى الحق الذي هو المقصد الأقصى الموصل إلى كل خير والمنجي من كل شر وتأخيره عن بيان حكم التولي لما في تقديم الترهيب من تأكيد الترغيب. ﴿وما على الرسول﴾ محمد ويبعد أن يحمل على الجنس لأنه أعيد معرفاً. ﴿إلا البلاغ المبين﴾ التبليغ الموضح لكل ما يحتاج إلى الإيضاح وقد فعل وإنما بقي ما حملتم فإن أديتم فلكم وإن توليتم فعليكم.

قال أبو عثمان رحمه الله: من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة لأن الله تعالى قال: ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾.

يقال: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل واحدة منها بغير قرينتها: أولاها قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] فمن صلى ولم يؤد الزكاة لم تقبل منه الصلاة. والثانية قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩] فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه. والثالثة قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] فمن شكر الله في نعمائه ولم يشكر الوالدين لا يقبل منه ذلك فاطاعة الرسول مفتاح باب القبول ويرشدك على شرف الإطاعة أن كلب أصحاب الكهف لما تبعهم في طاعة الله وعدله دخول الجنة فإذا كان من تبع المطيعين كذلك فما ظنك بالمطيعين.

قال حاتم الأصم رحمه الله: من ادعى ثلاثاً بغير ثلاث فهو كذاب: من ادعى حبّ الجنة من غير إنفاق ماله فهو كذاب، ومن ادعى محبة الله من غير ترك محارم الله فهو كذاب، ومن ادعى محبة النبي عليه السلام من غير محبة الفقراء فهو كذاب.

محب درويشان كليد جنت است

واعلم أن أحمد بن حنبل رحمه الله لما راعى الشريعة بين جماعة كشفوا العورة في الحمام قيل له في المنام: إن الله تعالى جعلك إماماً للناس برعايتك الشريعة. وفي «المثنوي»:

رهرو راه طريقت اين بود كاو باحكام شريعت ميرود

نسأل الله التوفيق.

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات﴾ الخطاب لعامة الكفرة ومن تبعيضية أوله عليه السلام ولمن معه من المؤمنين ومن بيانية وتوسيط الظرف بين المعطوفين لإظهار أصالة الإيمان. ﴿ليستخلفنهم في الأرض﴾ جواب للقسم إما بإضمار على معنى وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو بتنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقق إنجازه لا محالة أي ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في ممالكهم.

قال الكاشفي: [في الأرض: درزمين كفار ازعرب وعجم] لقوله عليه السلام: «ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل».

قال الراغب الخلافة النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض. ﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾ أي: استخلافاً كائناً كاستخلاف الذين من قبلهم وهم بنو إسرائيل استخلفهم الله في مصر والشام بعد إهلاك فرعون والجبابرة. ﴿وليمكنن لهم دينهم﴾ التمكين جعل الشيء

مكاناً لآخر يقال: مكن له في الأرض أي جعلها مقراً له.

قال في «تاج المصادر»: التمكين [دست دادن وجاى دادن] يقال مكنتك ومكنت لك مثل نصحتك ونصحت لك.

وقال أبو علي: يجوز أن يكون على حد ردف لكم انتهى. والمعنى ليجعلن دينهم مقرراً ثابتاً بحيث يستمرون على العمل بأحكامه من غير منازع ﴿الذي ارتضى لهم﴾ الارتضاء [پسنديدن] كما في «التاج».

قال في «التأويلات النجمية»: يعني يمكن كل صنف من الخلفاء حمل أمانته التي ارتضى لهم من أنواع مراتب دينهم فإنهم أئمة أركان الإسلام ودعائم الملة الناصحون لعباده الهادون من يسترشد في الله حفاظ الدين وهم أصناف. قوم هم حفاظ أخبار الرسول عليه السلام وحفاظ القرآن وهم بمنزلة الخزنة. وقوم هم علماء الأصول من الرادين على أهل العناد وأصحاب البدع بواضح الأدلة غير مخلطين الأصول بعلوم الفلاسفة وشبههم، فإنها مهلكة عظيمة لا يسلم منها إلا العلماء الراسخون والأولياء القائمون بالحق وهم بطارقة الإسلام وشجعانه، وقوم هم الفقهاء الذين إليهم الرجوع في علوم الشريعة من العبادات وكيفية المعاملات وهم في الدين بمنزلة الوكلاء والمتصرفين في الملك، وآخرون هم أهل المعرفة وأصحاب الحقائق وأرباب السلوك الكاملون المكملون وهم خلفاء الله على التحقيق وأقطاب العالم وعمد السماء وأوتاد الأرض بهم تقوم السموات والأرض وهم في الدين كخواص الملك وأعيان مجلس السلطان فالدين معمور بهؤلاء على اختلاف طبقاتهم إلى يوم القيامة. ﴿وليبدلنهم﴾ التبديل جعل الشيء مكان آخر وهو أعم من العوض فإن العوض هو أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول والتبديل يقال للتغيير وإن لم تأت ببدله. والمعنى بالفارسية [وبدل دهد ايشانرا]. ﴿من بعد خوفهم﴾ من الأعداء ﴿أمناً﴾ منهم وأصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف وكان أصحاب النبي عليه السلام قبل الهجرة أكثر من عشر سنين خائفين ثم هاجروا إلى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى نجز الله وعده فأظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب.

دمبدم صيت كمال دولت خدام أو عرصة روى زمين راسر بسر خواهد كرفت

شاهباز همتش چون بر كشايد بال قدر از ثريا تا ثرى در زير پراخواهد كرفت

﴿يعبدونني﴾ حال من الذين آمنوا لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد. ﴿لا يشركون بي شيئاً﴾ حال من الواو أي يعبدونني غير مشركين بي في العباد شيئاً. ﴿ومن كفر﴾ ومن ارتد ﴿بعد ذلك﴾ الوعد أو اتصف بالكفر بأن ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مرّ من الترغيب والترهيب فإن الإصرار عليه بعد مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستأنف زائد على الأصل أو كفر هذه النعمة العظيمة. ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ الكاملون في الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان.

قال المفسرون: أول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه فلما قتلوه غير الله ما بهم من الأمن وأدخل عليهم الخوف الذي رفع عنهم حتى صاروا يقتلون بعد أن كانوا إخواناً متحابين والله تعالى لا يغير نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وفي الحديث: «إذا وضع السيف في أمتي لا يرفع عنها إلى يوم القيامة»: وفي «المثنوي»:

هرچه باتوا آيد از ظلمات غم آن زبى شرمى وكستاخيست هم

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: مشيت في زرع إنسان فناداني صاحبه: يا بقر فقلت: غير اسمي بزلة فلو كثرت لغير الله معرفتي.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَىٰهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾ عطف على مقدر يستدعيه المقام أي فآمنوا واعملوا صالحاً وأقيموا الخ. ﴿**وأطيعوا الرسول**﴾ في سائر ما أمركم به فهو من باب التكميل. ﴿**لعلكم ترحمون**﴾ أي افعلوا ما ذكر من الإقامة والإيتاء والإطاعة راجين أن ترحموا فهو متعلق بالأوامر الثلاثة.

﴿**لا تحسبن**﴾ يا محمد أو يا من يصلح للخطاب كائناً من كان ﴿**الذين كفروا**﴾ مفعول أول للحسبان. ﴿**معجزين في الأرض**﴾ العجز ضد القدرة وأعجزت فلاناً جعلته عاجزاً أي معجزين لله عن إدراكهم وإهلاكهم في قطر من الأقطار بما رحبت وإن هربوا منها كل مهرب.
﴿**ومأواهم النار**﴾ عطف على جملة النهي بتأويلها بجملة خبرية، أي لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض فإنهم مدركون ومأواهم النار. ﴿**ولبئس المصير**﴾ جواب لقسم مقدر والمخصوص بالمدح محذوف أي وبالله لبئس المصير والمرجع هي أي النار يقال صار إلى كذا أي انتهى إليه ومنه صير الباب لمصيره الذي ينتهي إليه في تنقله وتحركه.

وفي الآية إشارة إلى كفران النعمة فإن الذين أنفقوا النعمة في المعاصي وغيروا ما بهم من الطاعات مأواهم نار القطيعة.

قال علي رضي الله عنه: أقل ما يلزمكم لله أن تستعينوا بنعمه على معاصيه.

قال الحسن رحمه الله: إذا استوى يوماك فأنت ناقص قيل: كيف ذاك قال إن الله زادك في يومك هذا نعماً فعليك أن تزداد فيه شكراً وكل ما أوجد لفعل ما فشرفه لتمام وجود ذلك الفعل منه كالفرس للعدو في الكرّ والفرّ والسيف للعمل والأعضاء خصوصاً اللسان للشكر ومتى لم يوجد فيه المعنى الذي لأجله أوجد كان ناقصاً فالإنسان القاصر في عباداته كالإنسان الناقص في أعضائه وآلاته.

واعلم أن رسول الله ﷺ قد دعا جميع الناس إلى الله تعالى وإلى توحيده وطاعته فأجاب من أجاب وهم أهل السعادة وأولهم الصحابة رضي الله عنهم وأعرض من أعرض وهم أهل الشقاوة وأقدمهم الكفرة والمنافقون المعاصرون له عليه السلام ولما هربوا من باب الله تعالى بترك إطاعة رسوله وأصروا عليه عاقبهم الله تعالى عاجلاً أيضاً حيث قتلوا في الوقائع وأصيبوا بما لا يخطر ببالهم فانظر كيف أدركهم الله تعالى فلم يعجزوه كما أدرك الأمم السالفة العاصية نسأل الله تعالى أن يجعلنا في حصين عصمته ويتغمدنا برحمته ويحرسنا بعين عنايته.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ الْعِشَآءِ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْـَٔايَـٰتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾

﴿**يا أيها لذين آمنوا**﴾ روي: أن غلاماً لأسماء بنت أبي مرثد دخل عليها في وقت كراهته

فنزلت والخطاب للرجال المؤمنين والنساء المؤمنات جميعاً بطريق التغليب. ﴿ليستأذنكم﴾ هذه اللام لام الأمر والاستئذان طلب الإذن في الشيء إعلام بإجازته والرخصة فيه. والمعنى بالفارسية [بايدكه دستورى طلبند از شما]. ﴿الذين ملكت أيمانكم﴾ من العبيد والجواري. ﴿والذين لم يبلغوا الحلم﴾ أي: الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عن البلوغ بالاحتلام لكونه أظهر دلائله وبلوغ الغلام صيرورته بحال لو جامع أنزل.

قال في «القاموس»: الحلم بالضم والاحتلام الجماع في النوم والاسم الحلم كعنق انتهى.

وفي «المفردات»: ليس الحلم في الحقيقة هو العقل لكن فسروه بذلك لكونه من مسببات العقل وتسمى البلوغ بالحلم لكونه جديراً صاحبه بالحلم. ﴿منكم﴾ أي: من الأحرار ﴿ثلاث مرات﴾ ظرف زمان ليستأذن أي ليستأذنوا في ثلاثة أوقات في اليوم والليلة لأنها ساعات غرة وغفلة ثم فسر تلك الأوقات بقوله: ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ لظهور أنه وقت القيام عن المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب على أنه بدل من ثلاث مرات. ﴿وحين تضعون ثيابكم﴾ أي ثيابكم التي تلبسونها في النهار وتخلعونها لأجل القيلولة وهي النوم نصف النهار ﴿من الظهيرة﴾ بيان للحين وهي شدة الحر عند انتصاف النهار.

قال في «القاموس»: الظهيرة حد انتصاف النهار وإنما ذلك في القيظ والتصريح بمدار الأمر أعني وضع الثياب في هذا الحين دون الأول والآخر لما أن التجرد عن الثياب فيه لأجل القيلولة لقلة زمانها ووقوعها في النهار الذي هو مظنة لكثرة الورود والصدور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما في الوقتين فإن تحقق التجرد واطراده فيهما أمر معروف لا يحتاج إلى التصريح به. ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ الآخرة ضرورة أنه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف وهو كل ثوب تغطيت به ﴿ثلاث عورات﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هن ثلاثة أوقات كائنة ﴿لكم﴾ يختل فيها التستر عادة والعورة الخلل الذي يرى منه ما يراد ستره وسميت الأوقات المذكورة عورات مع أنها ليست نفس العورات بل هذه أوقات العورات على طريق تسمية الشيء باسم ما يقع فيه مبالغة في كونه محلاً له. ﴿ليس عليكم ولا عليهم﴾ أي: على المماليك والصبيان ﴿جناح﴾ إثم في الدخول بغير استئذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الأمر والإطلاع على العورات ﴿بعدهن﴾ أي: بعد كل واحدة من تلك العورات الثلاث وهي الأوقات المتخللة بين كل وقتين منهن فالاستئذان لهؤلاء مشروع فيها لا بعدها ولغيرهم في جميع الأوقات. ﴿طوافون﴾ أي: هم يعني المماليك والأطفال طوافون. ﴿عليكم﴾ للخدمة طوافاً كثيراً والطواف الدوران حول الشيء ومنه الطائف لمن يدور حول البيت حافاً ومنه استعير الطائف من الجن والخيال والحادثة وغيرها. ﴿بعضكم﴾ طائف ﴿على بعض﴾ أي: هم يطوفون عليكم للخدمة وأنتم تطوفون للاستخدام ولو كلفهم الاستئذان في كل طوفة أي في هذه الأوقات الثلاثة وغيرها لضاق الأمر عليهم فلذا رخص لكم في ترك الاستئذان فيما وراء هذه الأوقات. ﴿كذلك﴾ إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده والكاف مقحمة أي مثل ذلك التبيين. ﴿يبين الله لكم الآيات﴾ الدالة على الأحكام أي ينزلها مبينة واضحة الدلالات عليها لا أنه تعالى بينها بعد أن لم تكن كذلك ﴿والله عليم﴾ مبالغ في العلم بجميع المعلومات فيعلم أحوالكم. ﴿حكيم﴾ في جميع أفاعيله فيشرع لكم ما فيه صلاح أمركم معاشاً ومعاداً روي: عن

عكرمة أن رجلين من أهل العراق سألا ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية فقال: إن الله ستير يحب الستر وكان الناس لم يكن لهم ستور على أبوابهم ولا حجال في بيوتهم فربما فاجأ الرجل ولده أو خادمه أو يتيم في حجره ويرى منه ما لا يحبه فأمرهم الله تعالى أن يستأذنوا الثلاث ساعات التي سماها ثم جاء باليسر وبسط الرزق عليهم فاتخذوا الستور والحجال فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم عن الاستئذان الذي أمروا به.

ففيه دليل على أن الحكم إذا ثبت لمعنى فإذا زال المعنى زال الحكم فالتبسط في اللباس والمعاش والسكنى ونحوها مرخص فيه إذا لم يؤد إلى كبر واغترار.

قال عمر رضي الله عنه: إذا وسع الله عليكم فوسعوا على أنفسكم. ويقال: اليسار مفسدة للنساء لاستيلاء شهوتهن على عقولهن، وفي الحديث: «أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده» يعني إذا آتى الله عبده نعمة من نعم الدنيا فليظهرها من نفسه وليلبس لباساً نظيفاً يليق بحاله ولتكن نيته في لبسه إظهار نعمة الله عليه ليقصده المحتاجون لطلب الزكاة والصدقات وليس لبس الخلق مع اليسار من التواضع.

وفي الآية رخصة اتخاذ العبيد والإماء للخدمة لمن قام بحقهم وبيان أن حق الموالي عليهم الخدمة، وفي الحديث: «حسنة الحر بعشر وحسنة المملوك بعشرين» يضاعف له الحسنة وهذا لمن أحسن عبادة الله ونصح لسيده أي أراد له خيراً وأقام بمصالحه على وجه الخلوص كذا في «شرح المشارق».

قال في «نصاب الاحتساب»: وينبغي أن يتخذ الرجل جارية لخدمة داخل البيت دون العبد البالغ لأن خوف الفتنة في العبد أكثر من الأحرار الأجانب لأن الملك يقلل الحشمة والمحرمية منتفية والشهوة داعية فلا يأمن الفتنة. وقيل: من اتخذ عبداً لخدمة داخل البيت فهو كسحان بالسين المهملة أي أعرج أو مقعد. وابتاع بعض المشايخ غلاماً فقيل: بورك لك فيه فقال: البركة مع من قدر على خدمة نفسه واستغنى عن استخدام غيره فخفت مؤونته وهانت تكاليفه وكفى سياسة العبد والمرء في بيته بمنزلة القلب وقلما تنتفع خدمة الجوارح إلا بخدمة القلب.

ودلت الآية على أن من لم يبلغ وقد عقل يؤمر بفعل الشرائع وينهى عن ارتكاب القبائح فإنه تعالى أمرهم بالاستئذان في الأوقات المذكورة، وفي الحديث: «مروهم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم على تركها وهم أبناء عشر» وإنما يؤمر بذلك ليعتاده ويسهل عليه بعد البلوغ ولذا كره إلباسه ذهباً أو حريراً لئلا يعتاده والإثم على الملبس كما في «القهستاني»: قال الشيخ سعدي قدس سره:

بخردى درش زجر وتعليم كن ... به نيك وبدش وعده وبيم كن

قال ابن مسعود رضي الله عنه إذا بلغ الصبي عشر سنين كتبت له حسناته ولم تكتب سيئاته حتى يحتلم.

قال في «الأشباه»: وتصح عبادة الصبي وإن لم تجب عليه واختلفوا في ثوابها والمعتمد أنه له وللمعلم ثواب التعليم وكذا جميع حسناته وليس كالبالغ في النظر إلى الأجنبية والخلوة بها فيجوز له الدخول على النساء إلى خمس عشرة سنة كما في «الملتقط». وفي الشيخ سعدي:

پسر چون زده بر كذشته سنين | زنا محرمان كوفراتر نشين
بر پنبه آتش نشايد فروخت | كه تا چشم برهن زنى خانه سوخت

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿**وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم**﴾ أي: الأطفال الأحرار الأجانب فيخرج العبد البالغ فإنه لا يستأذن في الدخول على سيدته في غير الأوقات الثلاثة المذكورة كما قال في «التتمة» يدخل العبد على سيدته بلا إذنها بالإجماع. ﴿**فليستأذنوا**﴾ أي: إن أرادوا الدخول عليكم. ﴿**كما استأذن الذين**﴾ بلغوا الحلم. ﴿**من قبلهم**﴾ أو ذكروا من قبلهم كما قال تعالى فيما تقدم: ﴿**لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا**﴾ الآية فالمعنى فليستأذنوا استئذاناً كائناً مثل استئذان المذكورين قبلهم بأن يستأذنوا في جميع الأوقات ويرجعوا إن قيل لهم: ارجعوا. ﴿**كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم**﴾ كرره للتأكيد والمبالغة في الأمر بالاستئذان.

اعلم أن بلوغ الصغير بالإحبال والإنزال والاحتلام وبلوغ الصغيرة بهما وبالحبل والحيض فإن لم يوجد فيهما شيء من الأصل وهو الإنزال والعلامة وهو الباقي فيبلغان حين يتم لهما خمس عشرة سنة كما هو المشهور وبه يفتي لقصر أعمار أهل زماننا.

قال بعض الصحابة: كان الرجل فيمن قبلكم لا يحتلم حتى يأتي عليه ثمانون سنة.

قال وهب: إن أصغر من مات من ولد ابن آدم ولد مائتي سنة وأدنى مدة البلوغ للغلام اثنتا عشرة سنة ولذا تطرح هذه المدة من سن الميت الذكر ثم يحسب ما بقي من عمره فتعطى فدية صلاته على ذلك وأدنى مدته للجارية تسع سنين على المختار ولذا تطرح هذه المدة من الميت الأنثى فلا تحتاج إلى إسقاط صلاتها بالفدية ثم هذا بلوغ الظاهر وأما بلوغ الباطن فبالوصول إلى سر الحقيقة وكماليته في أربعين من أول كشف الحجاب وربما يحصل للبعض علامة ذلك في صباه.

قال أيوب عليه السلام: إن الله يزرع الحكمة في قلب الصغير والكبير فإذا جعل الله العبد حكيماً في الصبي لم تضع منزلته عند الحكماء حداثة سنه وهم يرون عليه من الله نور كرامته.

ودخل الحسين بن فضل على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم فأحب أن يتكلم فمنعه فقال أصبي يتكلم في هذا المقام؟ فقال: إن كنت صبياً فلست بأصغر من هدهد سليمان ولا أنت أكبر من سليمان حين قال ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل: ٢٢] [حكما كفته اند توانكرى بهنرست نه بمال وبزركى بعقلست نه بسال] فالاعتبار لفضل النفس لا للصغر والكبر وغيرهما.

قال هشام بن عبد الملك لزيد بن علي: بلغني أنك تطلب الخلافة ولست لها بأهل قال: لم؟ قال: لأنك ابن أمة فقال: فقد كان إسماعيل ابن أمة وإسحاق ابن حرة وقد اخرج الله من صلب إسماعيل خير ولد آدم صلوات الله عليه وعليهم أجمعين. قال المولى الجامي قدس سره:

چه غم زمنقصت صورت أهل معنى را | چوجان زروم بود كوتن از حبش مى باش

قال السعدي قدس سره.

چو كنعانرا طبيعت بي هنر بود پيمبر زاد كى قدرش نيفزود
هنر بنماى أكر دارى نه كوهر كل ازخارست وإبراهيم از آزر

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

﴿**والقواعد**﴾ مبتدأ جمع قاعد بلا هاء لاختصاصها بالمرأة وإذا أردت القعود بمعنى الجلوس قلت: قاعدة كحامل من حمل البطن وحاملة من حمل الظهر.

قال في «القاموس»: القاعد التي قعدت عن الولد وعن الحيض وعن الزوج. ﴿**من النساء**﴾ حال من المستكن في القواعد أي العجائز اللاتيُ قعدن عن الحيض والحمل. وبالفارسية [ونشستكان درخانها وباز ما ندكان]. ﴿**اللاتي لا يرجون نكاحاً**﴾ صفة للقواعد لا للنساء، أي لا يطمعن في النكاح لكبرهن فاعتبر فيهن القعود عن الحيض والحمل والكبر أيضاً لأنه ربما ينقطع الحيض والرغبة فيهن باقية. وبالفارسية: [آنانكه اميد ندارند نكاح خودرا يعني طمع نمى كنندكه كسى ايشانرا نكاح كند بجهت پيرى وعجز] ﴿**فليس عليهن جناح**﴾ الجملة خبر مبتدأ أي إثم ووبال في. ﴿**أن يضعن**﴾ عند الرجال ﴿**ثيابهن**﴾ أي الثياب الظاهرة كالجلباب والإزار فوق الثياب والقناع فوق الخمار ﴿**غير متبرجات بزينة**﴾ حال من فاعل يضعن. وأصل التبرج التكلف في إظهار ما يخفى خص بكشف عورة زينتها ومحاسنها للرجال. والمعنى حال كونهن غير مظهرات لزينة خفية كالسوار والخلخال والقلادة لكن لطلب التخفيف جاز الوضع لهن ﴿**وأن يستعففن**﴾ بترك الوضع أي يطلبن العفة وهي حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿**خير لهن**﴾ من الوضع لبعده من التهمة. ﴿**والله سميع**﴾ مبالغ في جميع ما يسمع فيسمع ما يجرى بينهن وبين الرجال من المقاولة. ﴿**عليم**﴾ فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى.

اعلم أن العجوز إذا كانت بحيث لا تشتهى جاز النظر إليها لأمن الشهوة. وفيه إشارة إلى أن الأمور إذا خرجت عن معرض الفتنة وسكنت نائرة الآفات سهل الأمر وارتفعت الصعوبة وأبيحت الرخص ولكن التقوى فوق أمر الفتوى كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿**وأن يستعففن خير لهن**﴾ وفي الحديث: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس».

قال ابن سيرين ما غشيت امرأة قط لا في يقظة ولا في نوم غير أم عبد الله وأني لأرى المرأة في المنام فأعلم أنها لا تحل لي فأصرف بصري.

قال بعضهم: ليت عقلي في اليقظة كعقل ابن سيرين في المنام.

وفي «الفتوحات المكية»: يجب على الورع أن يجتنب في خياله كما يجتنب في ظاهره لأن الخيال تابع للحس ولهذا كان المريد إذا وقع له احتلام فلشيخه معاقبته على ذلك لأن الاحتلام برؤيا في النوم أو بالتصور في اليقظة لا يكون إلا من بقية الشهوة في خياله فإذا احتلم صاحب كمال فإنما ذلك لضعف أعضائه الباطنة لمرض طرأ في مزاجه لا عن احتلام لا في حلال ولا في حرام انتهى. ثم إن العجوز في حكم الرجل في ترك الحجاب لا في مرتبته كما قال حكيم: إن خير نصفي الرجل آخره يذهب جهله ويتقرب حلمه ويجتمع رأيه وشر نصفي

المرأة آخرها يسوء خلقها ويحد لسانها ويعقم رحمها.

وعدم رجاء النكاح إنما هو من طرف الرجل لا من طرف العجوز غالباً فإنه حكي أن عجوزاً مرضت فأتى ابنها بطبيب فرآها متزينة بأثواب مصبوغة فعرف حالها فقال ما أحوجها إلى الزوج فقال الابن: ما للعجائز والأزواج فقالت: ويحك أنت أعلم من الطبيب وحكي: لما مات زوج رابعة العدوية استأذن عليها الحسن البصري وأصحابه فأذنت لهم بالدخول عليها وأرخت ستراً وجلست وراء الستر فقال لها الحسن وأصحابه: إنه قد مات بعلك ولا بد لك منه قالت نعم وكرامة لكن من أعلمكم حتى أزوجه نفسي؟ فقالوا: الحسن البصري فقالت: إن أجبتني في أربع مسائل فأنا لك فقال: سلي إن وفقني الله أجبتك قالت: ما تقول لو مت أنا وخرجت من الدنيا مت على الإيمان أم لا؟ قال: هذا غيب لا يعلمه إلا الله ثم قالت: ما تقول لو وضعت في القبر وسألني منكر ونكير أأقدر على جوابهما أم لا؟ قال: هذا غيب أيضاً قالت: إذا حشر الناس يوم القيامة وتطايرت الكتب أأعطى كتابي بيميني أم بشمالي؟ قال: هذا غيب أيضاً ثم قالت: إذا نودي في الخلق فريق في الجنة وفريق في السعير كنت أنا من أي الفريقين؟ قال: هذا غيب أيضاً قالت: من كان له علم هذه الأربعة كيف يشتغل بالتزوج ثم قالت: يا حسن أخبرني كم خلق الله العقل؟ قال: عشرة أجزاء تسعة للرجال وواحد للنساء ثم قالت: يا حسن كم خلق الله الشهوة؟ قال: عشرة أجزاء تسعة للنساء وواحد للرجال قالت يا حسن أنا أقدر على حفظ تسعة أجزاء من الشهوة بجزء من العقل وأنت لا تقدر على حفظ جزء من الشهوة بتسعة أجزاء من العقل فبكى الحسن وخرج من عندها.

وعن سليمان عليه السلام: الغالب على شهواته أشد من الذي يفتح المدينة وحده: قال الشيخ سعدي قدس سره:

مبر طاعت نفس شهوت پرست   كه هر ساعتش قبلة ديكرست

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

﴿**ليس على الأعمى**﴾ مفتقد البصر. وبالفارسية [نا بينا] ﴿**حرج**﴾ إثم ووبال ﴿**ولا على الأعرج حرج**﴾ العروج ذهاب في صعود وعرج مشى مشي العارج أي الذاهب في صعود فعرج كدخل إذا أصابه شيء في رجله فمشى مشية العرجان وعرج كطرب إذا صار ذلك خلقة له والأعرج بالفارسية [لنك] ﴿**ولا على المريض حرج**﴾ المريض بالفارسية [بيمار] والمرض الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان كانت هذه الطوائف يتحرجون من مواكلة الأصحاء حذراً من استقذارهم إياهم وخوفاً من تأذيهم بأفعالهم وأوضاعهم فإن الأعمى ربما سبقت إليه عين مواكله ولا يشعر به والأعرج يتفسح في مجلسه فيأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو عن حالة تؤذي قرينه أي برائحة كريهة أو جرح يبدو أو أنف يسيل أو نحو

ذلك فقال تعالى لا بأس لهم بأن يأكلوا مع الناس ولا مأثم عليهم. ﴿ولا على أنفسكم﴾ أي: عليكم وعلى من يماثلكم في الأحوال من المؤمنين حرج. ﴿أن تأكلوا﴾ الأكل تناول المطعم، أي أن تأكلوا أنتم ومن معكم ﴿من بيوتكم﴾ أصل البيت مأوى الإنسان بالليل ثم قد يقال من غير اعتبار الليل فيه لكن البيوت بالمسكن أخص والأبيات بالشعر وليس المعنى أن تأكلوا من البيوت التي تسكنون فيها بأنفسهم وفيها طعامكم وسائر أموالكم لأن الناس لا يتحرجون من أكل طعامهم في بيوت أنفسهم، فينبغي أن يكون المعنى من بيوت الذين كانوا في حكم أنفسكم لشدة الاتصال بينهم وبينكم كالأزواج والأولاد والمماليك ونحوهم فإن بيت المرأة كبيت الزوج وكذا بيت الأولاد فلذلك يضيف الزوج بيت زوجته إلى نفسه وكذا الأب يضيف بيت ولده إلى نفسه، وفي الحديث: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه» وفي حديث آخر: «أنت ومالك لأبيك» فإذا كان هذا حال الأب مع الولد فقس عليه حال المملوك مع المولى. ﴿أو بيوت آبائكم﴾ الأب الوالد أي حيوان يتولد من نطفته حيوان آخر. ﴿أو بيوت أمهاتكم﴾ جمع أم زيدت الهاء فيه كما زيدت في إهراق من أراق والأم بإزاء الأب أي الوالدة. ﴿أو بيوت إخوانكم﴾ الأخ المشارك لآخر في الولادة من الطرفين أو من أحدهما، أو من الرضاع ويستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة أو في الدين أو في صنعة، أو في معاملة أو في مودة أو في غير ذلك من المناسبات. ﴿أو بيوت أخواتكم﴾ الأخت تأنيث الأخ وجعل التاء فيها كالعوض عن المحذوف منه. ﴿أو بيوت أعمامكم﴾ العم أخ الأب والعمة أخته وأصل ذلك من العموم وهو الشمول ومنه العامة لكثرتهم وعمومهم في البلد والعمامة لشمولها. ﴿أو بيوت عماتكم﴾ [خواهران پدران خود] ﴿أو بيوت أخوالكم﴾ الخال أخ الأم والخالة أختها: وبالفارسية [برادران ما دران خود]. ﴿أو بيوت خالاتكم﴾ [خوهران مادران خود] ﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾ جمع مفتح والمفاتيح جمع مفتاح كلاهما آلة الفتح والفتح إزالة الإغلاق والأشكال. والمعنى: ﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾ أي: أو من البيوت التي تملكون التصرف فيها بإذن أربابها كما إذا خرج الصحيح إلى الغزو وخلف الضعيف في بيته ودفع إليه مفتاحه وأذن له أن يأكل مما فيه من غير مخافة أن يكون أذنهن لا عن طيب نفس منه.

وقال بعضهم: هو ما يكون تحت أيديهم وتصرفهم من ضيعة أو ماشية وكالة أو حفظاً فملك المفاتح حينئذ كناية عن كون المال في يد الرجل وحفظه. فالمعنى ليس عليكم جناح أن تأكلوا من أموال لكم يد عليها لكن لا من أعيانها بل من أتباعها وغلاتها كثمر البستان ولبن الماشية. ﴿أو صديقكم﴾ الصداقة صدق الاعتقاد في المودة وذلك مختص بالإنسان دون غيره فالصديق هو من صدقك في مودته. وبالفارسية [دوست حقيقي].

قال أبو عثمان رحمه الله الصديق من لا يخالف باطنه باطنك كما لا يخالف ظاهره ظاهرك إذ ذاك يكون الانبساط إليه مباحاً في كل شيء من أمور الدين والدنيا. ونعم ما قيل: صديقك من صدقك لا من صدّقك. والمعنى أو بيوت صديقك وإن لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية فإنهم أرضى بالتبسط وأسر به من كثير من الأقرباء روي: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الصديق أكبر من الوالدين وروي: أن الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأمهات وإنما قالوا: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم.

وعن الحسن أنه دخل يوماً بيته فرأى جماعة من أصدقائه قد أخذوا طعاماً من تحت

سريره وهم يأكلون فتهلل وجهه سروراً وقال هكذا وجدناهم يعني من لقي من البدريين.

قال الكاشفي: [فتح موصلي رحمه الله در خانة دوستي آمد واو حاضر نبودكيسة أورا زجاريه طلبيد زو درم برداشت وباقي بكنيزك بازداد وچون خواجه بخانه رسيد وصورت واقعة زجاريه بشنيد شكرانة آن انبساط كنيزك را آزاد كرد وبنوا خت: درنكارستان آورده]

شبى كفتم نهان فر سودة را كه بود آسوده در كنج رباطى

زلذ تهاچه خوشتر در جهان كفت ميان دوستداران انبساطى

[ودر عوارف المعارف فرموده كه چون كسى يا رخودرا كويد «اعطني من مالك» ودر جواب كويد كمترست دوستي را نمى شايد يعني بايدكه هرچه درميان دارد ميدهد واز استفسار چند وچون بكذردكه دوست جاني بهترست از مال فأني ودرين باب كفته اند أي دوست برو بهرچه دارى يارى بخر بهيچ مفروش]: ولله در من قال:

يا ران بجان مضايقه باهم نميكننند آخر كسى بحال جدايى چراكنند

بسيار جد وجهد ببايدكه تاكسى خودرا بآدمى صفتي آشنا كنند

قال المفسرون هذا كله إذا علم رضى صاحب البيت بصريح الإذن أو بقرينة دالة كالقرابة والصداقة ونحو ذلك ولذلك خص هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم يعني ليس عليكم جناح أن تأكلوا من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا ويعلموا من غير أن تتزودوا وتحملوا.

قال الإمام الواحدي في «الوسيط»: وهذه الرخصة في أكل مال القرابات وهم لا يعلمون ذلك كرخصته لمن دخل حائطاً وهو جائع أن يصيب من ثمره أو مرّ في سفر بغنم وهو عطشان أن يشرب من رسلها توسعة منه تعالى ولطفاً بعباده ورغبة بهم عن دناءة الأخلاق وضيق النظر.

واحتج أبو حنيفة بهذه الآية على من سرق من ذي محرم لا تقطع يده أي إذا كان ماله غير محرز كما في «فتح الرحمٰن»: لأنه تعالى أباح لهم الأكل من بيوتهم ودخولها بغير إذنهم فلا يكون ماله محرزا منهم أي إذا لم يكن مقفلاً ومخزوناً ومحفوظاً بوجه من الوجوه المعتادة ولا يلزم منه أن لا تقطع يده إذا سرق من صديقه لأن من أراد سرقة المال من صديقه لا يكون صديقاً له بل خائناً عدواً له في ماله بل في نفسه فإن من تجاسر على السرقة تجاسر على الإهلاك فرب سرقة مؤدية إلى ما فوقها من الذنوب فعلى العاقل أن لا يغفل عن الله وينظر إلى أحوال الأصحاب رضي الله عنهم كيف كانوا إخواناً في الله فوصلوا بسبب ذلك إلى ما وصلوا من الدرجات والقربات وامتازوا بالصدق الأتم والإخلاص الأكمل والنصح الأشمل عمن عداهم فرحمهم الله تعالى ورضي عنهم وألحقنا بهم في نياتهم وأعمالهم. ﴿ليس عليكم جناح﴾ في ﴿أن تأكلوا﴾ حال كونكم ﴿جميعاً﴾ أي: مجتمعين ﴿أو أشتاتاً﴾ جمع شت بمعنى متفرق على أنه صفة كالحق أو بمعنى تفرق على أنه مصدر وصف به مبالغة. وأما شتى فجمع شتيت كمرضى ومريض.

نزلت في بني ليث بن عمرو وهم حي من كنانة كانوا يتحرجون أن يأكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفاً يأكل معه فإن لم يجد من يواكله لم يأكل شيئاً وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح إلى الرواح وربما كان معه الإبل الحفل أي المملوءة الضرع لبناً فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فإذا

أمسى ولم يجد أحداً أكل فرخص في هذه الآية الأكل وحده لأن الإنسان لا يمكنه أن يطلب في كل مرة أحداً يأكل معه وأما إذا وجد أحداً فلم يشاركه فيما أكله فقد جاء الوعيد في حقه كما قال عليه السلام: «من أكل وذو عينين ينظر إليه ولم يواسه ابتلى بداء لا دواء له».

قال الإمام النسفي رحمه الله: دل قوله تعالى: ﴿جميعاً﴾ على جواز التناهد في الأسفار وهو إخراج كل واحد من الرفقة نفقة على قدر نفقة صاحبه أي على السوية.

وقال بعضهم في خلط المال ثم أكل الكل منه الأولى أن يستحل كل منهم غذاء كل أو يتبرعون لأمين ثم يتبرع لهم الأمين. ﴿فإذا دخلتم بيوتاً﴾ أي: من البيوت المذكورة بقرينة المقام، أي للأكل وغيره وهذا شروع في بيان أدب الدخول بعد الترخيص فيه. ﴿فسلموا على أنفسكم﴾ أي: فابدؤوا بالتسليم على أهلها الذين بمنزلة أنفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك ﴿تحية﴾ ثابتة ﴿من عند الله﴾ أي: بأمره مشروعة من لدنه ويجوز أن يكون صلة للتحية فإنها طلب الحياة التي من عنده تعالى. والتسليم طلب السلامة من الله للمسلم عليه وانتصابها على المصدرية لأنها بمعنى التسليم أي فسلموا تسليماً. ﴿مباركة﴾ مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامها ﴿طيبة﴾تطيب بها نفس المستمع ﴿كذلك﴾ إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده أي: مثل ذلك التبيين. ﴿يبين الله لكم الآيات﴾ الدالة على الأحكام أي ينزلها مبينة واضحة الدلالات عليها. ﴿لعلكم تعقلون﴾ أي لكي تفقهوا ما في تضاعيفها من الشرائع والأحكام والآداب وتعلمون بموجبها وتفوزون بذلك بسعادة الدارين.

وعن أنس رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء كسرته لم كسرته وكنت قائماً أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال: «ألا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها؟ فقلت: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال: متى لقيت أحداً من أمتي فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خيرك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأوابين».

يقول الفقير: لاحظ عليه السلام في التسليم الخارجي المعنى اللغوي للتحية فرتب عليه طول العمر لأنه ربما يستجيب الله تعالى دعاء المسلم عليه فيطول عمر المسلم بمعنى وجدان البركة فيه ولاحظ في التسليم الداخلي معنى البركة فرتب عليه كثرة الخير لأنها المطلوبة غالباً بالنسبة إلى البيت ولما كان الوقت وقت الوضوء لصلاة الضحى والله أعلم ألحقها بالتسليم وأوردها بعد الداخلي منه إشارة إلى أن الأفضل إخفاء النوافل بأدائها في البيت ونحوه.

قالوا: إن لم يكن في البيت أحد يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقد روي أن الملائكة ترد عليه وكذا حال المسجد، وفي الحديث: «إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها وإذا طعم أحدكم طعاماً فليذكر اسم الله عليه فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته معه، وإذا ذكر الله على طعامه قال لا مبيت لكم ولا عشاء وإن لم يسلم حين يدخل بيته ولم يذكر اسم الله على طعامه قال أدركتم العشاء والمبيت» والتسليم على الصبيان العقلاء أفضل من تركه كما في «البستان». ولا يسلم على جماعة النساء الشواب كيلا يحصل بينهما معرفة وانبساط فيحدث من تلك المعرفة فتنة. ولا يبتدىء اليهود والنصارى بالسلام فإنه حرام لأنه إعزاز الكافر وذا لا يجوز. وكذا السلام على أهل البدعة ولو سلم على من لا يعرفه فظهر ذمياً أو مبتدعاً يقول استرجعت سلامي تحقيراً له ولو احتاج إلى سلام أهل الكتاب يقول السلام على من اتبع

الهدى ولو رد يقول وعليكم فقط وقد مر ما يتعلق بالسلام مشبعاً في الجلد الأول عند قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ [النساء: ٨٦] الآية فارجع.

قال في «حقائق البقلي» قدس سره: إذا دخلتم بيوت أولياء الله بالحرمة والاعتقاد الصحيح فأنتم من أهل كرامة الله فسلموا على أنفسكم بتحية الله فإنها محل كرامة الله في تلك الساعة.

يقول الفقير: وكذا الحال في دخول المزارات والمشاهد المتبركة وإن كان العامة لا يعرفون ذلك ولا يعتقدون. قال الكمال الخجندي.

صوفيم ومعتقد صوفيان كيست چو من صوفىء نيك اعتقاد

قال الحافظ:

برسر تربت ما چون كذرى همت خواه كه زيارتكه رندان جهان خواهند بود

وقال الجامي:

نسيم الصبح زرعني ربي نجد وقبلها كه بوى دوست مى آيدازان پا كيزه منزلها

اللهم اجعلنا من الذين يجدون النفس الرحماني من قبل اليمن في كل حين وزمن.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿إنما المؤمنون﴾ نزلت حين جمع النبي عليه السلام المسلمين يوم الجمعة ليستشيرهم في أمر الغزو وكان يثقل المقام عنده على البعض فيخرج بغير إذنه أو في حفر الخندق، وكان المنافقون ينصرفون بغير أمر رسول الله وكان الحفر من أهم الأمور حتى حفر رسول الله بنفسه وشغل عن أربع صلوات حتى دخلت في حد القضاء فقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون﴾ أي: الكاملون في الإيمان وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿الذين آمنوا بالله ورسوله﴾ عن صميم قلوبهم وأطاعوهما في جميع الأحكام في السر والعلانية. ﴿وإذا كانوا معه﴾ مع النبي عليه السلام ﴿على أمر جامع﴾ إلى آخره معطوف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة أي على أمر مهم يجب اجتماعهم في شأنه كالجمعة والأعياد والحروب والمشاورة في الأمور وصلاة الاستسقاء وغيرها من الأمور الداعية إلى الاجتماع ووصف الأمر بالجمع للمبالغة في كونه سبباً لاجتماع الناس فإن الأمر لكونه مهماً عظيم الشأن صار كأنه قد جمع الناس فهو من قبيل إسناد الفعل إلى السبب. ﴿لم يذهبوا﴾ من المجمع ولم يفترقوا عنه عليه السلام ﴿حتى يستأذنوه﴾ عليه السلام في الذهاب فيأذن لهم واعتبر في كمال الإيمان عدم الذهاب قبل الاستئذان لأنه المميز للمخلص من المنافق ثم قال لمزيد التأكيد. ﴿إن الذين يستأذنونك﴾ يطلبون الإذن منك ﴿أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾ لا غير المستأذنين.

قال الكاشفي: [تعريض جمع منافقا نست كه در غزوة تبوك بتخلف از جهاد دستورى جستند ودر بارة ايشان نازل شدكه]. ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٤٥] الآية أي فبعض المستأذنين وكل غير المستأذنين دخلوا في الترهيب وذلك بحسب الأغراض الفاسدة ولأنه فرق بين الاستئذان في التخلف وبين الاستئذان في الانصراف ألا ترى إلى عمر رضي الله

عنه استأذنه عليه السلام في غزوة تبوك في الرجوع إلى أهله فأذن له فقال: «انطلق فوالله ما أنت بمنافق» هكذا لاح بالبال. ﴿فإذا استأذنوك﴾ أي: وبعد ما تحقق أن الكاملين في الإيمان هم المستأذنون فإذا استاذنوك في الانصراف ﴿لبعض شأنهم﴾ الشأن الحال والأمر ولا يقال إلا فيما يعظم من الأحوال والأمور كما في «المفردات» لبعض أمرهم المهم أو خطبهم الملم لم يقل لشؤونهم بل قيد بالبعض تغليظاً عليهم في أمر الذهاب عن مجلس رسول الله مع العذر المبسوط ومساس الحاجة ﴿فائذن لمن شئت منهم﴾ لما علمت في ذلك من حكمة ومصلحة فلا اعتراض عليك في ذلك ﴿واستغفر لهم الله﴾ بعد الإذن فإن الاستئذان وإن كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تفضيل أمر الدنيا على الآخرة.

ففيه إشارة إلى أن الأفضل أن لا يحدث المرء نفسه بالذهاب فضلاً عن الذهاب. ﴿إن الله غفور﴾ مبالغ في مغفرة فرطات العباد ﴿رحيم﴾ مبالغ في إفاضة أثر الرحمة عليهم.

وفي الآية بيان حفظ الأدب بأن الإمام إذا جمع الناس لتدبير أمر من أمور المسلمين ينبغي أن لا يرجعوا إلا بإذنه ولا يخالفوا أمير السرية ويرجعوا بالإذن إذا خرجوا للغزو ونحوه وللإمام أن يأذن وله أن لا يأذن إلا على ما يرى فمن تفرق بغير إذن صار من أهل الهوى والبدع وكان عليه السلام إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد رجل الخروج وقف حيث يراه فيأذن له إن شاء ولذا قال عظماء الطريقة قدس الله أسرارهم: إن المريد إذا أراد أن يخرج لحاجة ضرورية ولم يجد الشيخ مكانه فإنه يحضر الباب ويتوجه بقلبه فيستأذن من روحانية الشيخ حتى لا يستقل في خروجه بل يقع ذلك من طريق المتابعة فإن للمتابعة تأثيراً عظيماً.

قال في «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن المريد الصادق من يكون مستسلماً لتصرفات شيخه وأن لا يتنفس إلا بإذن شيخه ومن خالف شيخه في نفسه سراً أو جهراً لا يشم رائحة الصدق وسيره غير سريع وإن بدر منه شيء من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والإفصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه شيخه إلى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم في الغرامة بما يحكم به عليه وإذا رجع المريد إلى الله وإلى شيخه بالصدق وجب على شيخه جبران تقصيره بهمته فإن المريدين عيال على الشيوخ فرض عليهم أن ينفقوا عليهم من قوت أموالهم بما يكون جبراناً لتقصيرهم انتهى.

فعلى المريدين أن يوافقوا مشايخهم في جميع الأحوال وأن لا يستبدوا بآرائهم في أمور الشريعة والطريقة وأن لا يخالفوهم بالاستبعاد بالخروج من عندهم إلى السفر والحضر والمجاهدة والرياضة.

قال عبد الله الرازي: قال قوم من أصحاب أبي عثمان لأبي عثمان قدس سره: أوصنا قال: عليكم بالاجتماع على الدين وإياكم ومخالفة الأكابر والدخول في شيء من الطاعات إلا بإذنهم ومشورتهم وواسوا المحتاجين بما أمكنكم فأرجو أن لا يضيع الله لكم سعياً انتهى فمن وقع منه تقصير فلا يقنط فإن الله تعالى قبولاً ثم قبولاً. قال المولى الجامي:

بلى نبود درين ره نا اميدى ... سياهى را بود رو در سفيدى
ز صد در كر اميدت بر نيايد ... بنو ميدى جكر خوردن نشايد
در ديكر ببايد زد كه ناكاه ... ازان در سوى مقصود آورى راه

والله تعالى يقبل التوبة والاستغفار.

واعلم أن هذه الأبيات تشير إلى أبواب الشفاعة وكثرتها وإلا فمن رده باب من الأبواب الحقة فلا تقبله سائر الأبواب ألا ترى أن من رده الله تعالى لا يقبله النبي عليه السلام، ومن رده النبي عليه السلام لا يقبله الخلفاء الأربعة ولا غيرهم من أمته، فمن ترك الاستئذان من رسول الله لا يأذن له أحد ولو أذن لا يفيد وكذا حال من ترك الاستئذان من وارث رسول الله يعني أنه لا يفيد إذن غير الوارث وأما إذن وارث آخر فلا يتصور؛ لأن الوارثين كالحلقة المفرغة فإذا لم ينطبع في مرآة واحد منهم صورة صلاح أحد لم ينطبع في مرآة الآخر نسأل الله القبول بحرمة الرسول.

﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم﴾ المصدر مضاف إلى الفاعل أي لا تجعلوا دعوته وأمره إياكم في الاعتقاد والعمل بها. ﴿كدعاء بعضكم بعضاً﴾ أي: لا تقيسوا دعوته إياكم إلى شيء من الأمور على دعوة بعضكم بعضاً في جواز الأعراض والمساهلة في الإجابة والرجوع بغير إذن فإن المبادرة إلى إجابته واجبة والمراجعة بغير إذنه محرمة.

وقال بعضهم: المصدر مضاف إلى المفعول والمعنى لا تجعلوا نداءكم إياه وتسميتكم له كنداء بعضكم بعضاً باسمه مثل يا محمد ويا ابن عبد الله ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ [الأنفال: ٦٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١] قال الكاشفي: [حضرت عزت همه انبيارا بنداى علامت خطاب كرده وحبيب خودرا بنداى كرامت].

يا آدمست با پدرانبيا خطاب يا أيها النبي خطاب محمد است

قال أبو الليث في «تفسيره»: وفي الآية بيان توقير معلم الخير لأن رسول الله ﷺ كان معلم الخير فأمر الله بتوقيره وتعظيمه وفيه معرفة حق الأستاذ وفيه معرفة أهل الفضل.

قال في «حقائق البقلي»: احترام الرسول من احترام الله ومعرفته من معرفة الله والأدب في متابعته من الأدب مع الله.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى تعظيم المشايخ فإن الشيخ في قومه كالنبي في أمته أي عظموا حرمة الشيوخ في الخطاب واحفظوا في خدمتهم الأدب وعلقوا طاعتهم على مراعاة الهيبة والتوقير ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم﴾ قد للتحقيق بطريق الاستعارة لاقتضاء الوعيد إياه كما أن رب يجيء للتكثير. وفي «الكواشي»: قد هنا مؤذنة بقلة المتسللين لأنهم كانوا أقل من غيرهم.

والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية يقال: تسلل الرجل أي انسرق من الناس وفارقهم بحيث لا يعلمون والمعنى يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلاً قليلاً على خفية ﴿لواذاً﴾ هو أن يستتر بشيء مخافة من يراه كما في «الوسيط».

قال في «القاموس»: اللوذ بالشيء الاستتار والاحتصان به كاللواذ مثلثة انتهى. والمعنى ملاوذة بأن يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج أو بأن يلوذ بمن يخرج بالإذن، إراءة أنه من أتباعه وانتصابه على الحالية من ضمير يتسللون أي ملاوذين أو على أنه مصدر مؤكد بفعل مضمر هو

الحالة في الحقيقة أي يلاوذون لواذاً وهو عام للتسلل من صف القتال ومن المسجد يوم الجمعة وغيرهما من المجامع الحقة.

وقال بعضهم: كان يثقل على المنافقين خطبة النبي يوم الجمعة فيلوذون ببعض أصحابه أو بعضهم ببعض فيخرجون من المسجد في استتار من غير استئذان فأوعدهم الله تعالى بهذه الآية ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ يخالفون أمره بترك مقتضاه ويذهبون سمتاً بخلاف سمته وعن لتضمينه معنى الإعراض والميل والضمير لله لأنه الآمر حقيقة أو للرسول لأنه المقصود بالذكر. ﴿أن﴾ أي: من أن ﴿تصيبهم﴾ [برسدپريشان] ﴿فتنة﴾ محنة في الدنيا في البدن أو في المال أو في الولد كالمرض والقتل والهلاك وتسلط السلطان.

قال الكاشفي: [يا مهر غفلت بردل يا روى توبه. جنيد قدس سره فرموده كه فتنه سختىء دلست ومتأثر ناشدن أو ازمعرفت إلهي] ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ أي: في الآخرة.

وفي «الجلالين» ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ بلية تظهر نفاقهم ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ عاجل في الدنيا انتهى وكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع وإعادة الفعل صريحاً للاعتناء بالتحذير وفي ترتيب العذابين على المخالفة دلالة على أن الأمر للوجوب.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ أي: عن أمر شيخهم ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ من موجبات الفترة بكثرة المال أو قبول الخلق أو التزويج بلا وقته أو السفر بلا أمر الشيخ أو مخالفة الأحداث والنسوان والافتتان بهم أو صحبة الأغنياء أو التردد على أبواب الملوك أو طلب المناصب أو كثرة العيال فإن الاشتغال بما سوى الله فتنة. ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ بالانقطاع عن الله انتهى.

وفي «حقائق البقلي»: الفتنة ههنا والله أعلم فتنة صحبة الأضداد والمخالفين والمنكرين وذلك أن من صاحبهم يسوء ظنه بأولياء الله لأنهم أعداء الله وأعداء أوليائه يقعون كل وقت في الحق ويقبحون أحوالهم عند العامة لصرف وجوه الناس إليهم وهذه الفتنة أعظم الفتن.

قال أبو سعيد الحراز رحمه الله الفتنة هي إسباغ النعم مع الاستدراج من حيث لا يعلم العبد.

وقال رويم: الفتنة للعوام والبلاء للخواص.

وقال أبو بكر بن طاهر: الفتنة مأخوذ بها والبلاء معفو عنه ومثاب عليه.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿ألا﴾ [بدانيدو آكاه باشيد] ﴿إن لله ما في السموات والأرض﴾ من الموجودات بأسرها خلقاً وملكاً وتصريفاً إيجاداً وإعداماً بدأ وإعادة ﴿قد﴾ كما قبله. ﴿يعلم ما أنتم عليه﴾ أيها المكلفون من الأحوال والأوضاع التي من جملتها الموافقة والمخالفة والإخلاص والنفاق. ﴿ويوم يرجعون إليه﴾ عطف على ما أنتم عليه ويوم مفعول به لا ظرف أي يعلم تحقيقاً يوم يرد المنافقون المخالفون للأمر إليه تعالى للجزاء والعقاب فيرجعون من الرجع المتعدي لا من الرجوع اللازم والعلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على أبلغ وجه ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ من الأعمال السيئة أي يظهر لهم على رؤوس الاشهاد ويعلمهم أي شيء شنيع عملوا

في الدنيا ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وعبر عن اظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في أنهما سببان للعلم تنبيهاً على أنهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته لغلبة أحكام الكثرة الخلقية الإمكانية وآثار الأمزجة الطبيعية الحيوانية في نشأتهم. ﴿والله بكل شيء عليم﴾ لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وإن كان المنافقون يجتهدون في ستر أعمالهم عن العيون وأخفائها.

آنكس كه بيا فريد پيدا ونهان چون نشناسد نهان وپيدابجهان

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ألا إن لله ما في السموات والأرض﴾ من نعيم الدنيا والآخرة فمن تعلق بشيء منه يبعده الله عن الحضرة ويؤاخذه بقدر تعلقه بغيره. ﴿ويوم يرجعون إليه﴾ بسلاسل المتعلقات ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ عند مطالبتهم بمكافأة الخير خيراً ومجازاة الشر شراً ﴿والله بكل شيء عليم﴾ أي بكل شيء من مكافأة الخير ومجازاة الشر عليم بالنقير والقطمير مما عملوا من الصغير والكبير انتهى.

واعلم أن التعلق بكل من نعيم الدنيا ونعيم الآخرة حرام على أهل الله تعالى نعم إن أهل الله يحبون الآخرة بمعنى أن الآخرة في الحقيقة هو الآخر بالكسر وهو الله تعالى.

قال بعض أهل الحقيقة: ما ألهاك عن مولاك فهو دنياك. فعلى العاقل أن يقطع حبل العلاقات ويتصل بسر تجرد الذات والصفات ويتفكر في أمره ويحاسب نفسه قبل أن يجيء يوم الجزاء والمكافآت فإن عقب هذه الحياة ممات وهذا البقاء ليس على الدوام والثبات وفي الحديث: «ما قال الناس لقوم طوبى لكم إلا وقد خبأ لهم الدهر يوم سوء» قال الشاعر:

إن الليالي لم تحسن إلى أحد ألا اساءت إليه بعد إحسان

وقال آخر:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف شر ما يأتي به القدر

وقال آخر:

لا صحة المرء في الدنيا تؤخره ولا يقدم يوماً موته الوجع

﴿والله بكل شيء عليم﴾ من يوم الموت والرجوع اختياراً واضطراراً وغير ذلك من الأمور سراً وجهراً فطوبى لمن شاهد ولاحظ هذا الأمر وختم بالخوف والمراقبة الوقت والعمر.

تمت سورة النور يوم السبت الثالث من شهر الله رجب من سنة ثمان ومائة وألف.

٢٥ ـ تفسير سورة الفرقان

مكية آيها سبع وسبعون في قول الجمهور

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾.

﴿تبارك الذي نزل الفرقان﴾ أي تكاثر خير الذي الخ فالمضاف محذوف من البركة وهي كثرة الخير وترتيبه على تنزيل الفرقان لما فيه من كثرة الخير دينياً ودنيوياً أو معناه تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله فإن البركة تتضمن معنى الزيادة فترتيبه عليه لدلالته على تعاليه.

قال المولى الفناري في «تفسير الفاتحة»: يروى أن الصاحب بن عباد كان يتردد في معنى الرقيم وتبارك والمتاع ويدور على قبائل العرب فسمع امرأة تسأل أين المتاع؟ ويجيب ابنها الصغير بقوله جاء الرقيم وأخذ المتاع وتبارك الجبل فاستفسر عنهم وعرف أن الرقيم الكلب وأن المتاع هو ما يبل بالماء فيمسح به القصاع وأن تبارك بمعنى صعد.

وقال بعضهم: البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء وسمي محبس الماء بركة لدوام الماء فيها وثبوته. فمعنى تبارك دام دواماً ثابتاً لا انتقال له ولهذا لا يقال له يتبارك مضارعاً لأنه للانتقال.

قال في «برهان القرآن»: هذه لفظة لا تستعمل إلا لله ولا تستعمل إلا بلفظ الماضي وخص هذا الموضع بالذكر لأن ما بعده أمر عظيم وهو القرآن المشتمل على معاني جميع كتب الله. والفرقان مصدر فرق بين الشيئين أي فصل وسمي به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل والمؤمن والكافر **﴿على عبده﴾** الأخلص ونبيه الأخص وحبيبه الأعلى وصفيه الأولى محمد المصطفى ﷺ وفيه تشريف له بالعبدية المطلقة وتفضيل بها على جميع الأنبياء فإنه تعالى لم يسم أحداً منهم بالعبد مطلقاً كقوله تعالى: ﴿عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم: ٢] وتنبيه على أن الرسول لا يكون إلا عبداً للمرسل رداً على النصارى ولذا قدم في التشهد عبده على رسوله. **﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾** غاية للتنزيل أي ليكون العبد منذراً بالقرآن للإنس والجنّ فمن عاصره أو جاء بعده ومخوفاً من عذاب الله وموجبات سخطه. فالنذير بمعنى المنذر والإنذار إخبار فيه تخويف كما أن التبشير إخبار فيه سرور.

قال الإمام الراغب: العالم اسم للفلك وما يحويه من الجواهر والأعراض وهو في الأصل اسم لما يعلم به كالطابع والخاتم لما يطبع ويختم به وجعل بناؤه على هذه الصيغة لكونه كالآلة فالعالم آلة في الدلالة على صانعه وأما جمعه فلأن كل نوع قد يسمى عالماً فيقال:

عالم الإنسان وعالم الماء وعالم النار وأما جمعه السلامة السلامة فلكون الناس في جملتهم والإنسان إذا شارك غيره في اللفظ غلب حكمه انتهى.

قال ابن الشيخ: جمع بالواو والنون لأن المقصود استغراق أفراد العقلاء من جنس الجن والإنس فإن جنس الملائكة وإن كان من جملة أجناس العالم إلا أن النبي عليه السلام لم يكن رسولاً إلى الملائكة فلم يبق من العالمين المكلفين إلا الجن والإنس فهو رسول إليهما جميعاً انتهى أي فتكون الآية، وقوله عليه السلام: «أرسلت للخلق كافة» من العام المخصوص ولم يبعث نبي غيره عليه السلام إلا إلى قوم معين وأما نوح عليه السلام فإنه وإن كان له عموم بعثة لكن رسالته ليست بعامة لمن بعده وأما سليمان عليه السلام فإنه كان مبعوثاً إلى الجن فإنه من التسخير العام لا يلزم عموم الدعوة.

والآية حجة لأبي حنيفة رضي الله عنه في قوله: ليس للجن ثواب إذا أطاعوه سوى النجاة من العذاب ولهم عقاب إذا عصوا حيث اكتفى بقوله: ﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾ ولم يذكر البشارة.

قال في «الإرشاد»: عدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على أحوال الكفرة.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾

﴿الذي﴾ أي هو الذي ﴿له﴾ خاصة دون غيره استقلالاً أو اشتراكاً ﴿ملك السموات والأرض﴾ الملك هو التصرف بالأمر والنهي في الجمهور.

قال الكاشفي: [پادشاهىء آسما نهارا وزمينها چه وى منفر داست بآ فريد آنها پس اورا رسد تصرف دران] ثم قال رداً على اليهود والنصارى: ﴿ولم يتخذ ولداً﴾ ليرث ملكه لأنه حي لا يموت وهو عطف على ما قبله من الجملة الظرفية.

قال في «المفردات»: تخذ بمعنى أخذ واتخذ افتعل منه والولد المولود ويقال للواحد والجمع والصغير والكبير والذكر والأنثى ثم قال رداً على قريش: ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ أي: في ملك السموات والأرض لينازعه أو ليعاونه في الإيجاد. وفي «المثنوي»:

واحد اندر ملك اورا يارنى بندكانش را جز اوسالارنى
نيست خلقش رادكرکس مالكي شركتش دعوت كند جزهالكي

﴿وخلق كل شيء﴾ أحدث كل موجود من الموجودات من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى وخواص مختلفة الأحكام والآثار. ﴿فقدره تقديراً﴾ أي: فهيأه لما أراده منه من الخصائص والأفعال اللائقة به كهيئة الإنسان للإدراك والفهم والنظر والتدبر في أمور المعاش والمعاد واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الأعمال المختلفة وهكذا أحوال سائر الأنواع.

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾

﴿واتخذوا﴾ أي: المشركون لأنفسهم ﴿من دونه﴾ أي حال كونهم متجاوزين عبادة الذي خلق هذه الأشياء. ﴿آلهة﴾ من الأصنام ﴿لا يخلقون شيئاً﴾ أي: لا تقدر تلك الآلهة على خلق شيء من الأشياء أصلاً لا على ذهاب ولا على غيره وإنما ذكر الأصنام بلفظ العقلاء لأن الكفار

يجعلونهم بمنزلة العقلاء فخاطبهم بلغتهم كما في «تفسير أبي الليث». ﴿وهم يخلقون﴾ كسائر المخلوقات ﴿ولا يملكون لأنفسهم﴾ أي: لا يستطيعون ﴿ضراً﴾ أي دفع ضر قدم لكونه أهم من النفع ﴿ولا نفعاً﴾ ولا جلب نفع فكيف يملكون شيئاً منهما لغيرهم فهم أعجز من الحيوان فإنه ربما يملك دفع الضر وجلب النفع لنفسه في الجملة. ﴿ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً﴾ أي: لا يقدرون على إماتة الأحياء وإحيائهم أولاً وبعثهم ثانياً ومن كان كذلك فبمعزل عن الألوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها.

وفيه تنبيه على أن الإله يجب أن يكون قادراً على البعث والجزاء يعني أن الضار والنافع والمميت والمحيي والباعث هو الله تعالى فهو المعبود الحقيقي وما سواه فليس بمعبود بل عابد لله تعالى كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣].

وفي الآية إشارة إلى الأصنام المعنوية وهم المشايخ المدّعون والدجاجلة المضلون فإنهم ليسوا بقادرين على إحياء القلوب وإماتة النفوس فالتابعون لهم في حكم عابدي الأصنام فليحذر العاقل من اتخاذ أهل الهوى متبوعاً فإن الموت الأكبر الذي هو الجهل إنما يزول بالحياة الأشرف الذي هو العلم فإن كان للعبد مدخل في إفادة الخلق العلم النافع ودعائهم إلى الله على بصيرة فهو الذي رقى غيره من الجهل إلى المعرفة وأنشأه نشأة أخرى وأحياه حياة طيبة بإذن الله تعالى وهي رتبة الأنبياء ومن يرثهم من العلماء العاملين وأما من سقط عن هذه الرتبة فليس الاستماع إلى كلامه إلا كاستماع بني إسرائيل إلى صوت العجل. قال المولى الجامي قدس سره.

بلاف نا خلفان زمانه غره مشو   مروچو سامرى ازره ببانك كوساله

وقد قال تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] أي: كونوا في جملة الصادقين ومصاحبين لهم وبعضهم ولذا قالوا يلزم للمرء أن يختار من البقاء أحسنها ديناً حتى يتعاون بالإخوان الصادقين.

قيل لعيسى عليه السلام يا روح الله من نجالس؟ فقال: من يزيدكم في علمه منطقه ويذكركم الله رؤيته ويرغبكم في الآخرة عمله. قال الصائب قدسٓ سره.

نورى ازپيشانىء صاحب دلان دريوزه كن   شمع خودرا مى برى دل مرده زين محفل چرا
أي كه روى عالمي را جانب خود كردة   رونمى آرى بروى صائب بيدل چرا

اللهم بحق الفرقان اجعلنا مع الصادقين من الإخوان.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾

﴿وقال الذين كفروا﴾ كنضر بن الحارث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد ومن تابعهم. ﴿إن هذا﴾ أي: ما هذا القرآن ﴿إلا إفك﴾ كذب مصروف عن وجهه لأن الإفك كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه ومنه قيل للرياح العادلة عن المهاب المؤتفكات ورجل مأفوك مصروف عن الحق إلى الباطل. ﴿افتراه﴾ اختلقه محمد من عند نفسه. والفرق بين الافتراء والكذب أن الافتراء هو افتعال الكذب من قول نفسه والكذب قد يكون على وجه التقليد للغير فيه كما في «الأسئلة المقحمة» ﴿وأعانه عليه﴾ أي: على اختلاقه ﴿قوم آخرون﴾

أي اليهود فإنهم يلقون إليه أخبار الأمم وهو يعبر عنها بعبارته ﴿فقد جاؤوا﴾ فعلوا بما قالوا فإن جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته. ﴿ظلماً﴾ عظيماً بجعل الكلام المعجز إفكاً مختلقاً مفتعلاً من اليهود يعني وضعوا الإفك في غير موضعه ﴿وزوراً﴾ أي كذبا كبيراً حيث نسبوا إليه عليه السلام ما هو بريء منه.

قال الإمام الراغب: قيل للكذب زور لكونه مائلاً عن جهته لأن الزور ميل في الزور أي وسط الصدر والأزور المائل الزور.

﴿وقالوا﴾ في حق القرآن هذا ﴿أساطير الأولين﴾ ما سطره المتقدمون من الخرافات والأباطيل مثل حديث رستم واسفنديار. وبالفارسية [افسانهاى أو ليانست كه در كتابها نوشته اند] وهو جمع اسطار جمع سطر أو أسطورة كأحدوثة وأحاديث.

قال في «القاموس» السطر الصف من الشيء الكتاب والشجر وغيره والخط والكتابة والقطع بالسيف ومنه الساطر للقصاب وأسطره كتبه والأساطير الأحاديث التي لا نظام لها.
﴿اكتتبها﴾ أمر أن تكتب له لأنه عليه السلام لا يكتب وهو كاحتجم وافتصد إذا أمر بذلك.

قال في «المفردات» الاكتتاب متعارف في الاختلاق. ﴿فهي﴾ أي: الأساطير ﴿تملى عليه﴾ تلقى على محمد وتقرأ عليه بعد اكتتابها وانتساخها ليحفظها من أفواه من يمليها عليه لكونه أمياً لا يقدر على أن يتلقاها منه بالقراءة والإملاء في الأصل عبارة عن إلقاء الكلام على الغير ليكتبه ﴿بكرة وأصيلا﴾ أول النهار وآخره أي دائماً أو خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون إلى مساكنهم.

وفي «ضرام السقط»: أول اليوم الفجر ثم الصباح ثم الغداة ثم البكرة ثم الضحى ثم الهجيرة ثم الظهر ثم الرواح ثم المساء ثم العصر ثم الأصيل ثم العشاء الأولى ثم العشاء الأخيرة عند مغيب الشفق.

﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾.

﴿قل﴾ يا محمد رداً عليهم وتحقيقاً للحق ﴿أنزله الذي يعلم السر﴾ الغيب ﴿في السموات والأرض﴾ لأنه أعجزكم لفصاحته عن آخركم وتضمن إخباراً عن مغيبات مستقبلة أو أشياء مكنونة لا يعلمها إلا عالم الأسرار فكيف تجعلونه أساطير الأولين. ﴿إنه كان غفوراً رحيماً﴾ أي إنه تعالى أزلاً وأبداً مستمر على المغفرة والرحمة فلذلك لا يعجل على عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم أن يصب عليكم العذاب صباً.

وفيه إشارة إلى أن أهل الضلالة من الذين نسبوا القرآن إلى الإفك لو رجعوا عن قولهم وتابوا إلى الله يكون غفوراً لهم رحيماً بهم كما قال تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢].

در توبه بازست وحق دستكير

اعلم أن الله تعالى أنزل القرآن على وفق الحكمة الأزلية في رعاية مصالح الخلق ليهتدي به أهل السعادة إلى الحضرة وليضل به أهل الشقاوة عن الحضرة وينسبوه إلى الإفك كما قال

تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١] والقرآن لا يدرك إلا بنور الإيمان والكفر ظلمة وبالظلمة لا يرى إلا الظلمة فبظلمة الكفر رأى الكفار القرآن النوراني القديم كلاماً مخلوقاً ظلمانياً من جنس كلام الإنس فكذلك أهل البدعة لما رأوا القرآن بظلمة البدعة رأوا كلاماً مخلوقاً ظلمانياً بظلمة الحدوث وظلموا أنفسهم بوضع القرآن في غير موضعه من كلام الإنس وفي الحديث: «القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق فمن قال بكونه مخلوقاً فقد كفر بالذي أنزله» نسأل الله العصمة والحفظ من الإلحاد وسوء الاعتقاد.

ثم اعلم أن من الأمور اللازمة تعليم الجهلاء ورد الملاحدة والمبتدعة فإنه كوضع الدواء على جراحة المجروح أو كقتل الباغي المضر وردهم بالأجوبة القاطعة مما لا يخالف الشريعة والطريقة ألا ترى أن الله تعالى أمر حبيبه عليه السلام بالجواب للطاعنين في القرآن وقد أجاب السلف عمن أطال على القرآن وذهب على حدوثه ومخلوقيته وكتبوا رسائل وكذا علماء كل عصر جاهدوا المخالفين بما أمكن من المعارضة حتى ألقموهم الحجر وأفخموهم وخصلوا الناس من شبهاتهم وشكوكهم وفي الحديث: «من انتهر» أي: منع «بكلام غليظ صاحب بدعة سيئة مما هو عليه من سوء الاعتقاد والفحش من القول والعمل ملأ الله تعالى قلبه أمناً وإيماناً ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله تعالى يوم القيامة من الفزع الأكبر» أي: النفخة الأخيرة التي تفزع الخلائق عندها أو الانصراف إلى النار أو حين يطبق على النار أو يذبح الموت وأطلق الأمن في صورة الانتهار والمراد الأمن في الدنيا مما يخاف خصوصاً من مكر من انتهره ويدل عليه ما بعده وهو الإيمان فإنه من مكاسب الدنيا نسأل الله الأمن والأمان وكمال الإيمان والقيام بأوامره والاتعاظ بمواعظه وزواجره.

﴿وقالوا﴾ أي المشركون من أشراف قريش كأبي جهل وعتبة وأمية وعاص وأمثالهم وذلك حين اجتماعهم عند ظهر الكعبة ﴿ما﴾ استفهامية بمعنى إنكار الوقوع ونفيه مرفوعة على الابتداء خبرها قوله ﴿ل هذا الرسول﴾ وجدت اللام مفصولة عن الهاء في المصحف واتباعه سنة وفي هذا تصغير لشأنه عليه السلام وتسميته رسولاً بطريق الاستهزاء أي أي سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه. ﴿يأكل الطعام﴾ كما نأكل والطعام ما يتناول من الغذاء. ﴿ويمشي في الأسواق﴾ لطلب المعاش كما نمشي جمع سوق وهو الموضع الذي يجلب إليه المتاع للبيع ويساق أنكروا أن يكون الرسول بصفة البشر يعني إن صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا.

قال بعضهم: ليس بملك ولا ملك وذلك لأن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون والملوك لا يتسوقون ولا يبتذلون فعجبوا أن يكون مثلهم في الحال ولا يمتاز من بينهم بعلو المحل والجلال لعدم بصيرتهم وقصور نظرهم على المحسوسات فإن تمييز الرسل عمن عداهم ليس بأمور جسمانية وإنما هو بأحوال نفسانية فالبشرية مركب الصورة والصورة مركب القلب والقلب مركب العقل والعقل مركب الروح والروح مركب المعرفة والمعرفة قوة قدسية صدرت عن كشف عين الحق.

قال الكاشفي: [ند انستندكه نبوت منا في بشريت نيست بلكه مقتضى آنست تاتناسب وتجانس كه سبب افاده واستفاده است بحصول پيوندد].

جنس بايد تادر آميزد بهم

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الكفار صم بكم عمي فهم لا يعقلون لأنهم نظروا إلى الرسول بنظر الحواس الحيوانية وهم بمعزل من الحواس الروحانية والربانية فما رأوا منه إلا ما يرى من الحيوان وما رأوه بنظر يرى به النبوة والرسالة ليعرفوه أنه ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين فلهذا قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨] وذلك لأنه لهم قلوب لا يفقهون بها النبوة والرسالة ولهم أعين لا يبصرون بها الرسول والنبي ولهم آذان لا يسمعون بها القرآن ليعلموا أنه معجزة الرسول فيؤمنوا به. ﴿لولا﴾ حرف تحضيض بمعنى: هلا وبالفارسية [چرا]. ﴿أنزل إليه ملك﴾ أي على هيئته وصورته المباينة لصورة البشر والجن ﴿فيكون﴾ نصب لأنه جواب لولا ﴿معه﴾ مع الرسول ﴿نذيراً﴾ معيناً له في الإنذار معلوماً صدقه بتصديقه.

﴿أو يلقى إليه كنز﴾ من السماء يستظهر به ويستغنى عن تحصيل المعاش. والكنز المال المكنوز أي المجموع المحفوظ. وبالفارسية [كنج] ﴿أو تكون له جنة يأكل منها﴾ أي إن لم يلق إليه كنز فلا أقل من أن يكون له بستان يتعيش بفائدة كما لأهل الغنى والقرى ﴿وقال الظالمون﴾ وهم القائلون الأولون لكن وضع المظهر موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوا لكونه اضلالاً خارجاً عن حد الضلال أي قالوا للمؤمنين: ﴿إن تتبعون﴾ أي ما تتبعون ﴿إلا رجلاً مسحوراً﴾ قد سحر فغلب على عقله.

قال بعض أهل الحقائق: كانوا يرون قبح حالهم في مرآة النبوة وهم يحسبون أنه حال النبي عليه السلام. والسحر مشتق من السحر الذي هو اختلاط الضوء والظلمة من غير تخلص لأحد الجانبين والسحر له وجه إلى الحق ووجه إلى الباطل فإنه يخيل إلى المسحور أنه فعل ولم يفعل.

﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ۝١٠ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١﴾.

﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ أي: كيف قالوا في حقك تلك الأقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الأمثال واخترعوا لك تلك الأحوال الشاذة البعيدة من الوقوع وذلك من جهلهم بحالك وغفلتهم عن جمالك.

قال بعضهم: مثلوك بالمسحور والفقير الذي لا يصلح أن يكون رسولاً والناقص عن القيام بالأمور إذ طلبوا أن يكون معك مثلك. ﴿فضلوا﴾ عن الحق ضلالاً مبيناً ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ إلى الهدى ومخرجاً من ضلالتهم.

قال بعض الأكابر: وقد أبطلوا الاستعداد بالاعتراض والإنكار على النبوة فحرموا من الوصول إلى الله تعالى.

﴿تبارك الذي﴾ أي: تكاثر وتزايد خير الذي ﴿إن شاء جعل لك﴾ في الدنيا لأنه قد شاء أن يعطيه ذلك في الآخرة ﴿خيراً من ذلك﴾ مما قالوا من إلقاء الكنز وجعل الجنة ولكن آخره إلى الآخرة لأنه خير وأبقى وخص هذا الموضع بذكر تبارك لأن ما بعده من العظائم حيث ذكر النبي عليه السلام والله تعالى خاطبه بقوله: «لولاك يا محمد ما خلقت الكائنات» كذا في «برهان

القرآن». ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ بدل من خيراً ومحقق لخيريته مما قالوا لأن ذلك كان مطلقاً عن قيد التعدد وجريان الأنهار ﴿ويجعل لك قصوراً﴾ بيوتاً مشيدة في الدنيا كقصور الجنة. وبالفارسية [كوشكهاى عالي ومسكنهاى رفيع].

قال الراغب: يقال قصرت كذا ضممت بعضه إلى بعض ومنه سمي القصر انتهى والجملة عطف على محل الجزاء الذي هو جعل، وفي الحديث: «أن ربي عرض على أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً قلت: لا يا ربّ ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليه وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك».

قال الكاشفي: [دراسباب نزول مذكور راست كه چون ما لداران قريش حضرت رسالت را بفقر وفاقه سرزنش كردند رضوان كه آرايندة روضات جنانست با أين آيت نازل شد ودرجى از نور بيش حضرت نهاد وفر مودكه پروردكار تو ميفر ما يدكه مفاتح خزائن دنيا دراينجاست آنرا بدست تصرف توميد هيم بي آنكه از كرامت ونعمتي كه نامزد توكرده أيم در آخرت مقدار برپشه كم نكردد حضرت فرمود كه أي رضوان مرا بدينها حاجت نيست فقررا دوستر ميدارم وميخواهم كه بندة شكور وصبور باشم رضوان كفت «أصبت أصاب الله» يك نشانة علو همت آن حضرت همينست كه باوجود تنكدستي واحتياج كوشة چشم التفات بر خزائن روى زمين نيفكند آنرا ملاحظه بايد نمودكه درشب معراج مطلقاً نظر بما سوى الله نكشوده وبهيچ چيز از بدائع ملكوت وغرائب عرصة جبروت التفاوت نفرمود تا عبارات ازان اين آمدكه ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝﴾ [النجم: ١٧]].

زرنك آميزىء ريحان آن باغ نهاده چشم خودرا مهر ما زاغ
نظر چون بركوفت ازنقش كونين قدم زد در حريم قاب قوسين

وعن عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله ألا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع وشد الحجر على بطنه من السغب فقال: «يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقرها على غناها وحزن الدنيا على فرحها. يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد».

يقول الفقير عصمه الله القدير: كان عليه السلام من أهل الإكسير الأعظم والحجر المكرم فإن شأنه على من شأن سائر الأنبياء من كل وجه وقد أوتوا ذلك العلم الشريف وعمل به بعضهم كإدريس وموسى ونحوهما على ما في كتب الصناعة الحجرية لكنه عليه السلام لم يلتفت إليه ولم يعمل به ولو عمل به لجعل مثل الجبال ذهباً ولملك مثل ملك كسرى وقيصر لأنه ليس بمناف للحكمة بالكلية فإن بعض الأنبياء قد أوتوا في الدنيا مع النبوة ملكاً عظيماً.

وإنما اختار الفقر لنفسه لوجوه. أحدها أنه لو كان غنياً لقصده قوم طمعاً في الدنيا فاختار الله له الفقر حتى أن كل من قصده علم الخلائق أنه قصده طلباً للعقبى. والثاني ما قيل إن الله اختار الفقر له نظراً لقلوب الفقراء حتى يتسلى الفقير بفقره كما يتسلى الغني بماله. والثالث ما قيل إن فقره دليل على هوان الدنيا على الله تعالى كما قال عليه السلام: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء» فالله تعالى قادر على أن يعطيه ذلك الذي عيروه بفقده وما هو خير من ذلك بكثير ولكنه يعطي عباده على حسب المصالح وعلى وفق

المشيئة ولا اعتراض لأحد عليه في شيء من أفعاله فيفتح على واحد أبواب المعارف والعلوم ويستدّ عليه أبواب الدنيا وفي حق الآخر بالعكس من ذلك في القصيدة البردية:

وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيما شمم

الشم جمع الأشم والشمم الارتفاع أي أراها ترفعاً أي ترفع لا يكتنه كنهه.

وأكدت زهده فيها ضرورته أن الضرورة لا تعدو على العصم

جمع عصمة يعني أن شدة حاجته لم تعد ولم تغلب على العصمة الأزلية بل أكدت ضرورته زهده في الدنيا الدنية فما زاغ بصر همته في الدنيا وما طغى عين نهمته في العقبى.

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

يقال دعاه إليه أي طلبه إليه وحمله عليه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أوحى الله تعالى إلى عيسى أن صدق محمداً وائمر أمتك من أدركه منهم أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولاه ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن» فمن كانت الدنيا رشحة من فيض نعمه فكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة فاقته كذا في «شرح القصيدة» لابن الشيخ: وفي «المثنوي»:

راهزن هركز كدايي را نزد كرك كرك مرده را هركز كزد

خضر كشتى را براى آن شكست تا تواند كشتى از فجار رست

چون شكسته مى رهدا شكسته شو امن در فقرست اندر فقر رو

آنكهى كوداشت از كان نقد چند كشت پاره پاره از زخم كلند

تيغ بهراوست كورا كردنيست سايه فاكندست بروى رحم نيست

يعني فليلازم العبد التواضع والفقر.

﴿بل كذبوا بالساعة﴾ أي القيامة والحشر والنشر. والساعة جزء من أجزاء الزمان ويعبر بها عن القيامة تشبيهاً بذلك لسرعة حسابه كما قال: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢] أو لما نبه عليه قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً﴾ [الأحقاف: ٣٥] كما في «المفردات» وهو إضراب عن توبيخهم بحكاية جنايتهم السابقة وانتقال منه إلى توبيخهم بحكاية جنايتهم الأخرى للتخلص إلى بيان مالهم في الأخرة بسببها من فنون العذاب ﴿وأعتدنا﴾ هيأنا وأصله أعددنا ﴿لمن كذب بالساعة﴾ وضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التشنيع ﴿سعيراً﴾ ناراً عظيمة شديدة الاشتعال.

قال بعض أهل الحقائق سعير الآخرة إنما سعرت من سعير الدنيا وهي حرص العبد على الدنيا وملاذها.

﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾

﴿إذا رأتهم﴾ صفة للسعير أي إذا كانت تلك السعير بمرأى منهم وقابلتهم بحيث صاروا

بإزائها كقولهم: داري تنظر دارك أي تقابلها فأطلق الملزوم وهو الرؤية وأريد اللازم وهو كون الشيء بحيث يرى والانتقال من الملزوم إلى اللازم مجاز. ﴿من مكان بعيد﴾ هو أقصى ما يمكن أن يرى منه قيل: من المشرق إلى المغرب وهي خمسمائة عام.

وفيه إشارة بأن بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين رأتهم خارج عن حدود البعد المعتاد في المسافات المعهودة. ﴿سمعوا لها تغيظاً﴾ أي: صوت تغيظ على تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاظ أي الغضبان إذا غلى صدره من الغيظ فعند ذلك يهمهم والهمهمة ترديد الصوت في الصدر.

قال ابن الشيخ: يقال: أما رأيت غضب الملك إذا رأى ما يدل عليه فكذا هٰهنا ليس المسموع التغيظ الذي هو أشد الغضب بل ما يدل عليه من الصوت.

وفي «المفردات»: التغيظ إظهار الغيظ وهو أشد الغضب وقد يكون ذلك مع صوت مسموع والغضب هو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه. ﴿وزفيراً﴾ وهو صوت يسمع من جوفه وأصله ترديد النفس حتى ينتفخ الضلوع منه.

وقال عبيد بن عمير: إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا خرّ لوجهه ترعد فرائصهم حتى إن إبراهيم عليه السلام ليجثو على ركبتيه ويقول: يا رب لا أسألك إلا نفسي.

قال أهل السنة: البنية ليست شرطاً في الحياة فالنار على ما هي عليه يجوز أن يخلق الله فيها الحياة والعقل والرؤية والنطق.

يقول الفقير: وهو الحق كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ﴾ [العنكبوت: ٦٤] فلا احتياج إلى تأويل أمثال هذا المقام. ﴿وإذا ألقوا منها مكاناً﴾ أي في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالاً منه والضمير عائد إلى السعير. ﴿ضيقاً﴾ صفة لمكاناً مفيدة لزيادة شدة حال الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة وهو السر في وصف الجنة بأن عرضها السموات والأرض.

واعلم أنه تضيق جهنم عليهم كما تضيق حديدة الرمح على الرمح أو تكون لهم كحال الوتد في الحائط فيضم العذاب وهو الضيق الشديد إلى العذاب وذلك لتضيق قلوبهم في الدنيا حتى لم تسع فيها الإيمان. ﴿مقرنين﴾ أي حال كونهم قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم مشدودة إليها بسلسلة أو يقرنون مع شياطينهم سلسلة في سلسلة: يعني [هريك را بقرين أو ازجن بسببة آتشين بهم بازبسته] يقال: قرنت البعير جمعت بينهما وقرنته بالتشديد على التكثير. ﴿دعوا﴾ [بخوانند برخود] ﴿هنالك﴾ أي في ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة. ﴿ثبوراً﴾ هو الويل والهلاك [واين كلمه كسي كويدكه آرزومند هلاك باشد] أي يتمنون هلاكاً وينادون فيقولون: يا ثبوراه يا ويلاه يا هلاكاه تعال فهذا أوانك وفي الحديث: «أول من يكسى يوم القيامة إبليس حلة من النار بعضها على حاجبيه فيسحبها من خلفه وذريته خلفه وهو يقول واثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فينادي ياثبوراه وينادون يا ثبورهم» فيقول الله تعالى أو فيقال لهم على ألسنة الملائكة تنبيهاً على خلود عذابهم.

﴿لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً﴾ أي لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد ﴿وادعوا ثبوراً كثيراً﴾ أي بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته في نفسه فإن ما يدعون ثبوراً واحداً

في حد ذاته وتحقيقه لا تدعوه دعاء واحداً وادعوا أدعية كثيرة فإن ما أنتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء في كل آنٍ.

﴿قل أذلك﴾ العذاب ﴿خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون﴾ أي: وعدها المتقون أي المتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية أو الثالثة منها فقط فالمؤمن متق وإن كان عاصياً وجنة الخلد هي الدار التي لا ينقطع نعيمها ولا ينقل عنها أهلها فإن الخلود هو تبري الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي هو عليها وإضافة الجنة إلى الخلد للمدح وإلا فالجنة اسم للدار المخلدة ويجوز أن تكون الجنة اسماً لا يدل على البستان الجامع لوجوه البهجة ولا يدخل الخلود في مفهومها فاضيفت إليه للدلالة على خلودها.

فإن قيل: كيف يتصور الشك في أنه أيهما خير حتى يحسن الاستفهام والترديد وهل يجوز للعاقل أن يقول: السكر أحلى أم الصبر وهو دواء مرّ يقال ذلك في معرض التقريع والتهكم والتحسير على ما فات.

وفي «الوسيط» هذا التنبيه على تفاوت ما بين المنزلتين لا على أن في السعير خيراً.

وقال بعضهم: هذا على المجاز وإن لم يكن في النار خير والعرب تقول العافية خير من البلاء وإنما خاطبهم بما يتعارفون في كلامهم. ﴿كانت﴾ تلك الجنة ﴿لهم﴾ في علم الله تعالى ﴿جزاء﴾ على أعمالهم بمقتضى الكرم لا بالاستحقاق والجزاء الغنى والكفاية فالجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر. والجزية ما يؤخذ من أهل الذمة وتسميتها بذلك للاجتزاء بها في حقن دمهم. ﴿ومصيراً﴾ مرجعاً يرجعون إليه وينقلبون. والفرق بين المصير والمرجع أن المصير يجب أن يخالف الحالة الأولى ولا كذلك المرجع.

﴿لهم فيها ما يشاؤون﴾ أي ما يشاؤونه من أنواع النعيم واللذات مما يليق بمرتبتهم فإنهم بحسب نشأتهم لا يريدون درجات من فوقهم فلا يلزم تساوي مراتب أهل الجنان في كل شيء. ومن هذا يعلم فساد ما قيل في «شرح الأشباه» بجواز اللواطة في الجنة لجواز أن يريدها أهل الجنة ويشتهيها وذلك لأن اللواطة من الخبائث التي ما تعلقت الحكمة بتحليلها في عصر من الأعصار كالزنى فكيف يكون ما يخالف الحكمة مراداً ومشتهى في الجنة فالقول بجوازها ليس إلا من الخباثة. والحاصل أن عموم الآية إنما هو بالنسبة إلى المتعارف ولذا قال بعضهم: في الآية دليل على أن كل المرادات لا تحصل إلا في الجنة ولما لم تكن اللواطة مرادة في الدنيا للطيبين فكذا في الآخرة ﴿خالدين﴾ فيها حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ ﴿كان﴾ المذكور من الدخول والخلود وما يشاؤون. ﴿على ربك وعداً مسؤولاً﴾ أي موعوداً حقيقاً بأن يسأل ويطلب وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده.

واعلم أن أهم الأمور الفوز بالجنة والنجاة من النار كما قال النبي عليه السلام للأعرابي الذي قال له: إني أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار: «إني لا أعرف دندنتك ولا دندنة معاذ» قوله: «دندن» معناه إني لا أعرف ما تقول أنت ومعاذ يعني من الأذكار والدعوات المطولة ولكني اختصر على هذا المقدار فأسأل الله الجنة وأعوذ به من النار فقال له النبي عليه السلام حولها ندندن أي حول الجنة والنار أو حول مسألتهما والمسألة الأولى سؤال طلب والثانية سؤال استعاذة كما في «أبكار الأفكار» ومعنى الحديث أن المقصود بهذا الذكر الطويل الفوز بهذا الوافر الجزيل كما في «عقد الدرر واللآلى».

قال في «رياض الصالحين»: العبد في حق دينه إما سالم وهو المقتصر على أداء الفرائض وترك المعاصي أو رابح وهو المتبرع بالقربات والنوافل أو خاسر وهو المقصر في اللوازم فإن لم تقدر أن تكون رابحاً فاجتهد أن تكون سالماً وإياك أن تكون خاسراً وفي الحديث: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان في يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك» رواه البخاري وغيره.

قال بعض المشايخ: في هذا الحديث دليل على تفضيل الصوفية ويؤخذ ذلك من جعل هذا الأجر العظيم لمن هذا القول مائة مرة فكيف من يومه كله هكذا فإن طريقتهم مبنية على دوام الذكر والحضور وكان عليه السلام طويل الصمت كثير الذكر.

هرآن كو غافل ازحق يكز مانست دران دم كافرست أما نهانست

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾.

﴿ويوم يحشرهم﴾ أي: واذكر يا محمد لقومك يوم يحشر الله الذين اتخذا من دونه آلهة ويجمعهم. ﴿وما يعبدون من دون الله﴾ ما عام يعم العقلاء وغيرهم لكن المراد هنا بقرينة الجواب الآتي العقلاء من الملائكة وعيسى وعزير. ﴿فيقول﴾ أي الله تعالى للمعبودين ﴿أأنتم أضللتم﴾ [كمراه كرديد]. ﴿عبادي هؤلاء﴾ بأن دعوتموهم إلى عبادتكم وأمرتموهم بها ﴿أم هم ضلوا السبيل﴾ عن السبيل بأنفسهم لإخلالهم بالنظر الصحيح وإعراضهم عن المرشد النصيح فحذف الجار وأوصل الفعل إلى المفعول كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤] والأصل إلى السبيل أو للسبيل.

يقول الفقير: والظاهر أنه محمول على نظيره الذي هو أخطؤوا الطريق وهو شائع.

فإن قلت: إنه تعالى كان عالماً في الأزل بحال المسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال.

قلت: فائدته تقريع العبدة وإلزامهم كما قيل لعيسى عليه السلام: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] لأنهم إذا سئلوا بذلك وأجابوا بما هو الحق الواقع تزداد حسرة العبيد وحيرتهم ويبكتون بتكذيب المعبودين إياهم وتبريهم منهم ومن أمرهم بالشرك وعبادة غير الله.

﴿قالوا﴾ استئناف كأنه قيل: فماذا قالوا في الجواب؟ فقيل: قالوا: ﴿سبحانك﴾ هو تعجب مما قيل لهم أو تنزيه لله تعالى عن الأنداد ويجوز أن يحمل ما يعبدون على الأصنام وهي وإن كانت جمادات لا تقدر على شيء لكن الله تعالى يخلق فيها الحياة ويجعلها صالحة للخطاب والسؤال والجواب ﴿ما كان ينبغي لنا﴾ أي ما صح وما استقام لنا. ﴿أن نتخذ من دونك﴾ أي متجاوزين إياك ﴿من أولياء﴾ من مزيدة لتأكيد النفي وأولياء مفعول نتخذ وهو من الذي يتعدى إلى مفعول واحد كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ [الأنعام: ١٤] والمعنى معبودين نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية له وهي العصمة أو عدم القدرة فأنى يتصور أن تحمل

غيرنا على أن يتخذ ولياً غيرك فضلاً عن أن يتخذنا ولياً.

قال ابن الشيخ: جعل قولهم: ما كان ينبغي الخ كناية عن استبعاد أن يدعوا أحداً إلى اتخاذ ولي دونه لأن نفس قولهم بصريحه لا يفيد المقصود وهو نفي ما نسب إليهم من إضلال العباد وحملهم على اتخاذ الأولياء من دون الله.

وفي «التأويلات النجمية»: نزهوا الله عن أن يكون له شريك ونزهوا أنفسهم عن أن يتخذوا ولياً غير الله ويرضوا بأن يعبدوا من دون الله من الإنسان فلهذا قال تعالى فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦] ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ التمتع [برخورداري دادن] أي ما أضللناهم ولكن جعلتهم وآباءهم بالعمر الطويل وأنواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا فيها ﴿حتى نسوا الذكر﴾ أي: غفلوا عن ذكرك وتركوا ما وعظوا به أو عن التذكر لآلائك والتدبر في آياتك فجعلوا أسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة إلى الغواية وهو نسبة الضلال إليهم من حيث أنه يكسبهم وإسناد له إلى ما فعل الله بهم فحملهم عليه كأنه قيل: إنا لا نضلهم ولم نحملهم على الضلال ولكن أضللت أنت بأن فعلت لهم ما يؤثرون به الضلال فخلقت فيهم ذلك وهو مذهب أهل السنة وفيه نظر التوحيد وإظهار أن الله هو السبب للأسباب.

درين چمن مكنم سرزنش بخود رويي چنانكه پرورشم ميدهند ميرويم

﴿وكانوا﴾ في قضائك الأزلي ﴿قوماً بوراً﴾ هالكين جمع بائر كما في «المفردات» أو مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع يقال: رجل بائر وقوم بور وهو الفاسد الذي لا خير فيه.

قال الراغب: البوار فرط الكساد ولما كان فرط الكساد يؤدي إلى الفساد كما قيل: كسد حتى فسد عبر بالبوار عن الهلاك.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾.

﴿فقد كذبوكم﴾ أي: فيقول الله تعالى للعبد فقد كذبكم المعبودون أيها الكفرة. ﴿بما تقولون﴾ أي: في قولكم أنهم آلهة والباء بمعنى في ﴿فما تستطيعون﴾ أي ما تملكون أيها المتخذون الشركاء. ﴿صرفاً﴾ دفعاً للعذاب عنكم بوجه من الوجوه لا بالذات ولا بالواسطة. ﴿ولا نصراً﴾ أي: أفراداً من أفراد النصر لا من جهة أنفسكم ولا من جهة غيركم مما عبدتم وقد كنتم زعمتم أنهم يدفعون عنكم العذاب وينصرونكم. ﴿ومن﴾ [وهركه] ﴿يظلم منكم﴾ أيها المكلفون أي يشرك كما دل عليه قوله: ﴿نذقه﴾ [بچشانيم أورا در آخرت] ﴿عذاباً كبيراً﴾ هي النار والخلود فيها فإن ما ترتب عليه العذاب الكبير ليس إلا الظلم العظيم الذي هو الشرك وفيه وعيد أيضاً لفساق المؤمنين ثم أجاب عن قولهم: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق بقوله.

﴿وما أرسلنا قبلك﴾ أحداً ﴿من المرسلين إلا﴾ رسلاً ﴿إنهم﴾ كسرت الهمزة لوقوعها في صدر جملة وقعت صفة لموصوف محذوف أو إلا قيل: إنهم وإن تكسر بعد القول كما في

«الأسئلة المقحمة». ﴿ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ فلم يكن ذلك منافياً لرسالتهم فأنت لا تكون بدعاً منهم. ﴿وجعلنا بعضكم﴾ أيها الناس ﴿لبعض فتنة﴾ ابتلاء ومحنة الفقراء بالأغنياء والمرسلين بالمرسل إليهم ومناصبتهم لهم العداوة وأذاهم لهم والسقماء بالأصحاء والأسافل بالأعالي والرعايا بالسلاطين والموالي بذوي الأنساب والعميان بالبصراء والضعفاء بالأقوياء.

قال الواسطي رحمه الله ما وجد موجود إلا لفتنة وما فقد مفقود إلا لفتنة ﴿أتصبرون﴾ غاية للجعل أي لنعلم أنكم تصبرون وحث على الصبر على ما افتتنوا به.

قال أبو الليث اللفظ لفظ الاستفهام والمراد الأمر يعني اصبروا كقوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٧٤] أي: توبوا.

وفي «التأويلات النجمية»: وجعلنا بعضكم يا معشر الأنبياء لبعض فتنة من الأمم بأن يقول بعضهم لبعض الأنبياء: ائتنا بمعجزة النبي الفلاني أتصبرون يا معشر الأنبياء على ما يقولون ويا معشر الأمم عما تقولون انتهى وفيه تسلية لرسول الله ﷺ على ما قالوه كأنه قيل: لا تتأذ بقولهم فإنا جعلنا بعض الناس سبباً لامتحان البعض والذهب إنما يظهر خلوصه بالنار ومن النار الابتلاء. ﴿وكان ربك بصيراً﴾ بمن يصبر وبمن يجزع.

قال الإمام الغزالي: البصير هو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى وأبصاره أيضاً منزه عن أن يكون بحدقة وأجفان ومقدس أن يرجع إلى انطباع الصور والألوان في ذاته كما تنطبع في حدقة الإنسان فإن ذلك من التغير والتأثر المقتضي للحدوث وإذا نزه عن ذلك كان البصير في حقه عبارة عن الوصف الذي به ينكشف كمال نعوت المبصرات وذلك أوضح وأجلى مما يفهم من إدراك البصر من ظواهر المرئيات وحظ العبد من حيث الحس من وصف البصر ظاهر ولكنه ضعيف قاصر إذ لا يمتد إلى ما بعد ولا يتغلغل إلى باطن ما قرب بل يتناول الظواهر ويقصر عن البواطن والسرائر.

وإنما حظه الديني منه أمران أحدهما أن يعلم أنه خلق البصر لينظر إلى الآيات وعجائب الملكوت والسمٰوات فلا يكون نظره إلا عبرة.

قيل لعيسى عليه السلام: هل أحد من الخلق مثلك؟ فقال: من كان نظره عبرة وصمته فكرة وكلامه ذكراً فهو مثلي. والثاني أن يعلم أنه بمرأى من الله تعالى ومسمع فلا يستهين بنظره إليه واطلاعه عليه ومن أخفى عن غير الله ما لا يخفيه عن الله فقد استهان بنظر الله والمراقبة إحدى ثمرات الإيمان بهذه الصفة فمن قارب معصية فهو يعلم أن الله يراه فما أجسره فأخسره ومن ظن أنه لا يراه فما أكفره انتهى كلام الغزالي رحمه الله في «شرح الأسماء الحسنى».

ثم إن العبد لا بد له من السكون إلى قضاء الله تعالى في حال فقره وغناه ومن الصبر على كل أمر يرد عليه من مولاه فإنه تعالى بصير بحاله مطلع عليه في كل فعاله وربما يشدد المحنة عليه بحكمته ويمنع مراده عنه مع كمال قدرته. قال حضرة الشيخ العطار قدس سره:

مكر ديوانة شوريده ميخاست ... برهنه بد زحق كرباس ميخواست
كه إلهي پيرهن در تن ندارم ... وكر تو صبر داري من ندارم
خطابي آمد آن بي خويشتن را ... كه كرباست دهم أما كفن را
زبان بكشاد آن مجنون مضطر ... كه من دانم ترا أي بسده پرور

كه تا أول نميرد مرد عاجز تونده‌ي هيچ كرباسيش هركز
ببايد مرد أول مفلس وعور كه تا كر باس بايد ازتو دركور

وفي الحكاية إشارة إلى الفناء عن المرادات وأن النفس ما دامت مغضوبة باقية بعض أوصافها الذميمة وأخلاقها القبيحة فإن فيض رحمة الله وإن كان يجري عليها لكن لا كما يجري عليها إذا كانت مرحومة مطهرة عن الرذائل هذا حال أهل السلوك وأما من كان من أهل النفس الأمارة وقد جرى عليه مراده بالكلية فهو في يد الاستدراج ولله تعالى حكمة عظيمة في إغنائه وتنعيمه وإغراقه في بحر نعيمه فمثل هذا هو الفتنة الكبيرة لطلاب الحق الباعثة لهم على الصبر المطلق والله المعين وعليه التكلان.

﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ أصل الرجاء ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة واللقاء يقال في الإدراك بالحس بالبصر وبالبصيرة وملاقاة الله عبارة عن القيامة وعن المصير إليه أي الرجوع إلى حيث لا حاكم ولا مالك سواه. والمعنى وقال الذين لا يتوقعون الرجوع إلينا أي ينكرون البعث والحشر والحساب والجزاء وهم كفار أهل مكة.

وفي «تاج المصادر»: الرجاء [اميد داشتن وترسيدن] انتهى فالمعنى على الثاني بالفارسية [نمى ترسند ازديدن عذاب ما]. ﴿لولا﴾ حرف تحضيض بمعنى هلا ومعناها بالفارسية [چرا] ﴿أنزل علينا الملائكة﴾ [فروفر ستاده نمى شو دبر ما فرشتكان] أي بطريق الرسالة لكون البشرية منافية للرسالة بزعمهم. ﴿أو نرى ربنا﴾ جهرة وعياناً فيأمرنا بتصديق محمد واتباعه لأن هذا الطريق أحسن وأقوى في الإفضاء إلى الإيمان وتصديقه ولما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أراد تصديقه.

ومن لطائف الشيخ نجم الدين في تأويله أنه قال: يشير إلى أن الذين لا يؤمنون بالآخرة والحشر من الكفرة يتمنون رؤية ربهم بقولهم: ﴿أو نرى ربنا﴾ فالمؤمنون الذين يدعون أنهم يؤمنون بالآخرة والحشر كيف ينكرون رؤية ربهم وقد ورد بها النصوص فلمنكري الحشر عليهم فضيلة بأنهم طلبوا رؤية ربهم وجوزوها كما جوزوا إنزال الملائكة ولمنكري الرؤية ممن يدعي الإيمان شركة مع منكري الحشر في جحد ما ورد به الخبر والنقل لأن النقل كما ورد بكون الحشر ورد بكون الرؤية لأهل الإيمان. ﴿لقد استكبروا﴾ اللام جواب قسم محذوف أي والله استكبروا. والاستكبار أن يشبع فيظهر من نفسه ما ليس له أي أظهروا الكبر باطلاً. ﴿في أنفسهم﴾ أي في شأنها يعني وضعوا لأنفسهم قدراً ومنزلة حيث أرادوا لأنفسهم الرسل من الملائكة ورؤية الرب تعالى.

وقال الكاشفي: [بخداي كه بزركي كردند در نفسهاي خود يعني تعاظم ورزيدن وجراءت نمودن درين تحكم] ﴿وعتو﴾ أي تجاوزا الحد في الظلم والطغيان والعتو الغلو والنبو عن الطاعة. ﴿عتواً كبيراً﴾ بالغاً إلى أقصى غاياته من حيث عاينوا المعجزات القاهرة واعرضوا عنها واقترحوا لأنفسهم الخبيثة معاينة الملائكة الطيبة ورؤية الله تعالى التي لم ينلها أحد في الدنيا من

أفراد الأمم وآحاد الأنبياء غير نبينا عليه السلام وهو إنما رآه تعالى بعد العبور عن حد الدنيا وهو الأفلاك السبعة التي هي من عالم الكون والفساد.

وفي «الوسيط»: إنما وصفوا بالعتو عند طلب الرؤية لأنهم لبوها في الدنيا عناداً للحق وإباء على الله ورسوله في طاعتهما فغلوا في القول والكفر غلواً شديداً.

وفي «الأسئلة المقحمة»: فإذا كان رؤية الله جائزة فكيف وبخهم على سؤالهم لها؟ قلنا: التوبيخ بسبب أنهم طلبوا ما لم يكن لهم طلبه لأنهم بعد أن عاينوا الدليل قد طلبوا دليلاً آخر ومن طلب الدليل بعد الدليل فقد عتا عتواً ظاهراً ولأنهم كلفوا الإيمان بالغيب فطلبوا رؤية الله وذلك خروج عن موجب الأمر وعن مقتضاه فإن الإيمان عند المعاينة لا يكون إيماناً بالغيب فلهذا وصفهم بالعتو.

﴿يوم يرون الملائكة﴾أي ملائكة العذاب فيكون المراد يوم القيامة ولم يقل يوم تنزل الملائكة إيذاناً من أول الأمر بأن رؤيتهم ليست على طريق الإجابة إلى ما اقترحوه بل على وجه آخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى: ﴿لا بشرى يومئذٍ للمجرمين﴾ لأنه في معنى لا يبشر يومئذٍ المجرمون لا بنفس بشرى لأنه مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله وكذا لا يجوز أن يعمل ما بعد لا فيما قبلها وأصل الجرم قطع الثمرة من الشجر واستعير ذلك لكل اكتساب مكروه ووضع المجرمون موضع الضمير تسجيلاً عليهم بالإجرام مع ما هم عليه من الكفر ويومئذٍ تكرير للتأكيد بين الله تعالى أن الذي طلبوه سيوجد ولكن يلقون منه ما يكرهون حيث لا بشرى لهم بل إنذار وتخويف وتعذيب بخلاف المؤمنين فإن الملائكة تنزيل عليهم ويبشرونهم ويقولون لا تخافوا ولا تحزنوا. ومعنى الآية بالفارسية [هيچ مرده نيست آنروز مر كافران أهل مكة را]. ﴿ويقولون﴾ أي: الكفرة المجرمون عند مشاهدة الملائكة وهو معطوف على ما ذكر من الفعل المنفي. ﴿حجراً محجوراً﴾ الحجر مصدر حجره إذا منعه والمحجور الممنوع وهو صفة حجراً إرادة للتأكيد كيوم أيوم وليل أليل كانوا يقولون هذه الكلمة عند لقاء عدو وهجوم مكروه. والمعنى أنهم يطلبون نزول الملائكة عليهم ويقترحونه وهم إذا رأوهم يوم الحشر يكرهون لقاءهم أشد كراهة ويقولون هذه الكلمة وهي ما كانوا يقولون عند نزول بأس استعاذة وطلباً من الله أن يمنع لقاءهم منعاً ويحجر المكروه عنهم حجراً فلا يلحقهم [درزاد آورده كه چون كفار درشهر حرام كسي را ديدندي كه ازوتر سيدندي ميكفتندكه] حجراً محجوراً يريدون أن يذكروه أنه في الشهر الحرام [تا از شراو ايمن ميشدند اينجانيز خيال بستندكه مكر بدين كلمه ازشدت هول قيامت خلاص خواهندياقت] ويقال: إن قريشاً كانوا إذا استقبلهم أحد يقولون: حاجوراً حاجوراً حتى يعرف أنهم من الحرم فيكف عنهم فأخبر تعالى أنهم يقولون ذلك يوم القيامة فلا ينفعهم.

﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾ القدوم عبارة عن مجيء المسافر بعد مدة والهباء الغبار الذي يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهو الغبار ومنثوراً صفته بمعنى مفرقاً مثل تعالى حالهم وحال أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقري ضيف وفك أسير وإكرام يتيم ونحو ذلك من المحاسن التي لو عملوها مع الإيمان لنالوا ثوابها بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقصد إلى ما تحت أيديهم من الدار والعقار ونحوهما فمزقها وأبطلها بالكلية ولم يبق لها أثراً أي قصدنا إليها

وأظهرنا بطلانها بالكلية لعدم شرط قبولها وهو الإيمان فليس هناك قدوم على شيء ولا نحوه وهذا هو تشبيه الهيئة وفي مثله تكون المفردات مستعملة في معانيها الأصلية وشبه أعمالهم المحبطة بالغبار في الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتثار بحيث لا يمكن نظمه وفيه إشارة إلى أن أعمال أهل البدعة التي عملوها بالهوى ممزوجة بالرياء فلا يوجد لها أثر ولا يسمع منها خبر: قال الشيخ سعدي قدس سره:

شنيدم كه نابالغي روزه داشت بصد محنت آورد روزي بچاشت
بكفتا پس آن روز سائق نبرد بزرك آمدش طاعت ازطفل خرد
پدر ديده پوسيد ومادر سرش فشاندند بادام وزر بر سرش
چوبروى كذر كرد يك نيمه روز فتاداند رو آتش معده سوز
بدل كفت اكر لقمه چندي خورم چه داند پدر عيب يا مادرم
چوروى پسر در پدر بود وقوم نهان خورد وپيدا بسر برد صوم
كه داند چودر بند حق نيستي اكر بي وضو در نماز ايستي
پس اين پيرازان طفل نادان ترست كه از بهر مردم بطاعت درست
كليد در دوز خست آن نماز كه درچشم مردم كزاري دراز
اكر جز بحق ميرود جاده ات در آتش نشانند سجاده ات

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾.

﴿أصحاب الجنة﴾ أي: المؤمنون ﴿يومئذٍ﴾ أي: يوم إذ يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم: حجراً محجوراً وجعل أعمالهم هباء منثوراً. ﴿خير مستقراً﴾ المستقر المكان الذي يستقر فيه في أكثر الأوقات للتجالس والتحادث. والمعنى خير مستقراً من هؤلاء المشركين المتنعمين في الدنيا. وبالفارسية: [بهترند ازروى قراركاه يعني مساكن إيشان در آخرت به ازمنازل كافر انست كه دردنيا داشتند] ويجوز أن يكون التفضيل بالنسبة إلى ما للكفرة في الآخرة.

فإن قلت: كيف يكون أصحاب الجنة خير مستقراً من أهل النار ولا خير في النار ولا يقال العسل أحلى من الخل.

قلت: إنه من قبيل التقريع والتهكم كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾ [الفرقان: ١٥] كما سبق ويجوز أن يكون التفضيل لإرادة الزيادة المطلقة أي هم في أقصى ما يكون من خير وعلى هذا القياس قوله تعالى: ﴿وأحسن مقيلاً﴾ أي من الكفرة في دار الدنيا. وبالفارسية: [ونيكوترست اجهت مكان قيلولة] أو في الآخرة بطريق التهكم أو هم في أقصى ما يكون من حسن المقيل وهو موضع القيلولة والقيلولة الاستراحة نصف النهار في الحر يقال: قلت قيلولة نمت نصف النهار والمراد بالمقيل هٰهنا المكان الذي ينزل فيه للاستراحة بالأزواج والتمتع بمغازلتهن أي محادثتهن ومراودتهن وإلا فليس في الجنة حر ولا نوم بل استراحة مطلقة من غير غفلة ولا ذهاب حس من الحواس وكذا ليس في النار مكان استراحة ونوم للكفار بل عذاب دائم وألم باق.

وإنما سمي بالمقيل لما روي أن أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة إلا قدر النهار من أوله

إلى وقت القائلة حتى يسكنون مساكنهم في الجنة وأهل النار في النار وأما المحبوسون من العصاة فتطول عليهم المدة مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا والعياذ بالله تعالى.

ثم في أحسن رمز إلى أن مقيل أهل الجنة مزين بفنون الزين والزخارف كبيت العروس في الدنيا.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿أصحاب الجنة﴾ يعني المؤمنين بالحشر والموقنين بالرؤية ﴿يومئذٍ خير مستقراً﴾ لأن مستقر عوامهم الجنة ودرجاتها ومُستقر خواصهم حضرة الربوبية وقرباتها لقوله تعالى إلى ربك يومئذٍ المستقر ﴿وأحسن مقيلاً﴾ لأن النار مقيل منكري الحشر والجنة مقيل المؤمنين والحضرة مقيل الراجعين المجذوبين انتهى.

فعلى العاقل تحصيل المستقر الأخروي والمقيل العلوي.

وصار الشيخ الحجازي ليلة يردد قوله تعالى ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ويبكي فقيل له: لقد أبكتك آية ما يبكي عند مثلها أي لأنها بيان لسعة عرض الجنة فقال: وما ينفعني عرضها إذا لم يكن لي فيها موضع قدم وفي الحديث «من سعادة المرء المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء».

وسئل بعضهم عن الغني فقال: سعة البيوت ودوام القوت ثم إن سعادات الدنيا كلها مذكرة لسعادات الآخرة فالعاقل من لا تغرّه الدنيا الدنية. وفي «المثنوي»:

افتخار ازرنك وبوو ازمكان ... هست شادي وفريب كودكان
هر كجا باشدشه مارا بساط ... هست صحرا كربود سم الخياط
هركجا يوسف رحى باشد چوماه ... جنت است آن چه كه باشد قعرجاه

فجنة العارف هي القلب المطهر ومعرفة الله فيه كما قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق إلى الجنة قيل: وما هي قال: معرفة الله.

چودادت صورت خوب وصفت هم ... بيا تابدهدت اين معرفت هم
چو خوني مشك كردد ازدم پاك ... بود ممكن كه تن جاني شود پاك

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿ويوم تشقق السماء﴾ أي: واذكر يوم تنفتح. وبالفارسية: [بشكافد] كما قال في «تاج المصادر»: التشقق: [شكافته شدن] وأصله تتشقق فحذف إحدى التاءين كما في تلظى. ﴿بالغمام﴾ هو السحاب يسمى به لكونه ساتراً لضوء الشمس والغم ستر الشيء أي بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] قيل: هو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن إلا لبني إسرائيل. يعني [ظلة بني إسرائيل بود درتيه].

وقال أبو الليث: الغمام شيء مثل السحاب الأبيض فوق سبع سمٰوات كما روي في الخبر: «دعوة المظلوم ترفع فوق الغمام».

قال الإمام النسفي رحمه الله: الغمام فوق السمٰوات السبع وهو سحاب أبيض غليظ كغلظ السمٰوات السبع ويمسكه الله اليوم بقدرته وثقله أثقل من ثقل السمٰوات فإذا أراد الله أن

يشقق السمٰوات ألقى ثقله عليها فانشقت فذلك قوله تعالى: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ أي: بثقل الغمام فيظهر الغمام ويخرج منها وفيه الملائكة كما قال تعالى: ﴿ونزل الملائكة تنزيلاً﴾ أي تنزيلاً عجيباً غير معهود قيل: تشقق سماء سماء وتنزل الملائكة خلال ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد ـ وروي ـ في الخبر أنه تنشق السماء الدنيا فتنزل الملائكة الدنيا بمثل من في الأرض من الجن والأنس فيقول لهم الخلق: أفيكم ربنا يعنون هل جاء أمر ربنا بالحساب فيقولون لا وسوف يأتي ثم ينزل ملائكة السماء الثانية بمثلي من في الأرض من الملائكة والإنس والجن ثم ينزل ملائكة كل سماء على هذا التضعيف حتى ينزل ملائكة سبع سمٰوات فيظهر الغمام وهو كالسحاب الأبيض فوق سبع سمٰوات ثم ينزل الأمر بالحساب فذلك قوله تعالى: ﴿ويوم تشقق﴾ الآية إلا أنه قد ثبت أن الأرض بالقياس إلى سماء الدنيا كحلقة في فلاة فكيف بالقياس إلى سماء الدنيا فملائكة هذه المواضع بأسرها كيف تسعها الأرض كذا في «حواشي ابن الشيخ».

يقول الفقير: يمد الله الأرض يوم القيامة مد الأديم فتسع مع أن السمٰوات مقبية فكلما زالت واحدة منها ونزلت تتسع الأرض بقدرها فيكفي لملائكتها أطرافها وقد ثبت أن الملائكة أجسام لطيفة رقيقة فلا تتصور بينهم المزاحمة كمزاحمة الناس.

﴿الملك يومئذ الحق للرحمٰن﴾ الملك مبتدأ والحق صفته وللرحمٰن خبره ويومئذٍ ظرف لثبوت الخبر للمبتدأ. والمعنى أن السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلي العام صورة ومعنى بحيث لا زوال له أصلاً ثابت للرحمٰن يومئذٍ وفائدة التقييد أن ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يوم القيامة.

چـو مـدعـيـان زبـان دعـوى   از مـا لـكـيـت در بـسـتـه بـاشـنـد

وأما ما عداه من أيام الدنيا فيكون غيره أيضاً له تصرف صوري في الجملة ﴿وكان﴾ ذلك اليوم. ﴿يوماً على الكافرين عسيراً﴾ أي عسيراً عليهم شديداً لهم. وبالفارسية: [دشوار ازشدت أهوال] وهو نقيض اليسير وأما على المؤمنين فيكون يسيراً بفضل الله تعالى وقد جاء في الحديث: «إنه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا» والحاصل أن الكافرين يرون ذلك اليوم عسيراً عظيماً من دخول النار وحسرة فوات الجنان بعدما كانوا في اليسير من نعيم الدنيا وأهل الإيمان والطلب والجد والاجتهاد يرون فيه اليسر من نعيم الجنان ولقاء الرحمٰن بعد أن كانوا في الدنيا راضين بالعسر تاركين لليسر موقنين أن مع العسر يسراً.

وخرج على سهل الصعلوكي من سجن حمام يهودي في طمر أسود من دخانه فقال: ألستم ترون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فقال سهل على البداهة: إذا صرت إلى عذاب الله كانت هذه جنتك وإذا صرت إلى نعيم الله كانت هذه سجني فتعجبوا من كلامه.

وقيل للشبلي رحمه الله: في الدنيا أشغال وفي الآخرة أهوال فمتى النجاة؟ قال: دع أشغالها تأمن من أهوالها فللّه در قوم فرغوا عن طلب الدنيا وشهواتها ولم يغتروا بها ولم يلتفتوا إليها لأنه قيل:

اين جهان جيفه است ومردار ورخيص   برچنين مردار چوان باشم حريص

وقيل: [نوشبته اند بر ايوان جنة المأوى كه هركه عشوة دنيا خريد واي بوي].

بل وقلعوا من قلوبهم أصل حب ما سوى الله تعالى ونصبوا نفوسهم لمقاساة شدائد الجهاد إلى أن يصلوا إلى اليسر الذي هو المراد.

وفي الآية إشارة إلى أن أهل الإنكار يلقون يوم القيامة عسراً لأنهم وقعوا في أعراض الأولياء في الدنيا تنفيراً للناس عنهم وصرفاً لوجوه العامة إليهم إرادة اليسر من المال والمعاش والإعانة ونحو ذلك فيجدون في ذلك اليوم كل ملك لله فلا يملكون لأنفسهم صرفاً ولا نصراً فلا بد من الإقرار وتجديد الإيمان كما ورد «جددوا أيمانكم بقول لا إله إلا الله».

فإن قلت: يفهم منه أن الإيمان يخلق.

قلت: معنى خلاقة الإيمان أن لا يبقى للمؤمن شوق وانجذاب إلى المؤمن به فتكرار الكلمة الطيبة يورث تجديد الميل والانجذاب والمحبة الإلهية فعلى الطالب الصادق أن يكررها في جميع الأحوال حتى لا ينقطع عن الله الملك المتعال.

جدايي مبادا مرا از خدا دكر هرچه پيش آيدم شايدم

نسأل الله الوقوف عند الأمر إلى حلول الأجل وانتهاء العمر.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾.

﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾ يوم منصوب باذكر المقدر. والعض بالأسنان. وبالفارسية: [كزيدن بدندان] وعض اليدين عبارة عن الندم لما جرى به عادة الناس أن يفعلوه عند ذلك وكذا عض الأنامل وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفها.

قال في «الكواشي»: ويجوز أن تكون على زائدة فيكون المراد بالعض حقيقة العض والأكل كما روي أنه يأكل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم تنبتان ثم يأكلهما هكذا كلما نبتتا أكلهما تحسراً وندامة على التفريط والتقصير. والمعنى على الأول بالفارسية: [وياد كن روزي راكه ازفرط حسرت مي خايد ظالم بردستهاي خود يعني بدندان مي كزد دسترا چنانچه متحيران ميكنند] والمراد بالظالم الجنس فيدخل فيه عقبة بن أبي معيط وذلك أن عقبة كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً وكان يدعو إلى الطعام من أهل مكة من أراد وكان يكثر مجالسة النبي ﷺ ويعجبه حديثه فقدم ذات يوم من سفره وصنع طعاماً ودعا رسول الله ﷺ إلى طعامه.

قال الكاشفي: [وبسبب جوار سيد الأبرار را طلبيده بود] فأتاه رسول الله فلما قدم الطعام إليه أبى أن يأكل فقال: «ما أنا بالذي آكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني سول الله» وكان عندهم من العار أن يخرج من عندهم أحد قبل أن يأكل شيئاً فألح عليه بأن يأكل فلم يأكل فشهد بذلك عقبة فأكل رسول الله من طعامه وكان أبي بن خلف الجمحي غائباً وكان خليل عقبة وصديقه فلما قدم أخبر بما جرى بين عقبة وبين رسول الله ﷺ فأتاه فقال: صبوت يا عقبة أي ملت عن دين آبائك إلى دين حادث فقال: لا والله ما صبوت ولكن دخل علي رجل فأبى أن يأكل من طعامي إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي قبل أن يطعم فشهدت فقال: ما أنا بالذي أرضى منك أبداً حتى تأتيه فتبزق في وجهه وتشتمه وتكذبه نعوذ

بالله تعالى فأتاه فوجده ساجداً في دار الندوة ففعل ذلك: يعني [آب دهن حواله روى دلاراي رسول الله كرد] والعياذ بالله تعالى: [در ترجمة أسباب نزول آورده كه آب دهن أو شعلة آتش جانسوز كشت وبران حضرت نرسيد وبروى باز كشت وهردو كرانة روى وي بسوخت تازنده يود آن داغها مي نمود]: وفي «المثنوي»:

هـركـه بـرشـمـع خـدا آرد پـفـو شـمـع كـي مـيـرد بـسـوزد پـوز او
كـي شـود دريـا زپـو سـنـك نـجـس كي شـود خـور شـيـدازپـف مـنـطـمـس

فقال رسول الله ﷺ لعقبة: «لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف» فأسر يوم بدر فأمر عليه السلام علياً رضي الله عنه أو عاصم بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه فقتله وطعن عليه السلام بيده الطاهرة الكاسرة أبياً اللعين يوم أحد في المبارزة فرجع إلى مكة فمات في الطريق بسرف بفتح السين المهملة وكسر الراء وهو مناسب لوصفه لأنه مسرف وفي الحديث: «شر الناس رجل قتل نبياً أو قتله نبي» أما الأول فلأن الأنبياء لهم العلو التام فلا يقابلهم إلا من هو في إنزال الدرجات ولذا يعادي السافل العالي وإذا كملت المضادة وقع القتل لأن الضد يطلب إزالة ضده. وأما الثاني: فلأن الأنبياء مجبولون على الشفقة على الخلق فلا يقدمون على قتل أحد إلا بعد اليأس من فلاحه والتيقن بأن خيانته سبب لمزيد شقائه وتعدي ضرره فقتلهم من قتلوا من أحكام الرحمة. وفي «المثنوي».

چـونـكـه دنـدان تـو كـرمـش درفـتـاد نـيـسـت دنـدان بـركـنـش أي أوسـتـاد
تـاكـه بـاقـي تـن نـكـردد زار ازو كـرچـه بـود آن تـو شـو بـيـزار ازو

قال في «إنسان العيون»: ولم يقتل عليه السلام بيده الشريفة قط أحداً إلا أبي بن خلف لا قبل ولا بعد ﴿يقول﴾ الخ حال من فاعل يعض. ﴿يا﴾ هؤلاء ﴿ليتني﴾ [كاشكي من] فالمنادى محذوف ويجوز أن يكون يا لمجرد التنبيه من غير قصد إلى تعيين المنبه. ﴿اتخذت﴾ في الدنيا ﴿مع الرسول﴾ محمد ﷺ ﴿سبيلاً﴾ طريقاً إلى النجاة من هذه الورطات يعني اتبعته وكنت معه على الإسلام.

﴿يا ويلتا﴾ أي [واي برمن] والويل والويلة الهلكة ويا ويلتا كلمة جزع وتحسر وأصله يا ويلتي بكسر التاء فأبدلت الكسرة فتحة وياء المتكلم ألفاً فراراً من اجتماع الكسر مع الياء أي يا هلكتي تعالي واحضري فهذا أوان حضورك والنداء وإن كان أصله لمن يتأتى منه الإقبال وهم العقلاء إلا أن العرب تتجوز وتنادي ما لا يعقل إظهاراً للتحسر. ﴿ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾ الخليل الصديق من الخلة وهي المودة لأنها تتخلل النفس أي تتوسطها والمراد من أضله في الدنيا كائناً من كان من شياطين الجن والإنس فيدخل فيه أبيّ المذكور.

قال في «القاموس»: فلان وفلانة مضمومتين كناية عن أسمائهما أي فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم إناثهم و بال أي باللام يعني الفلان والفلانة كناية عن غيرنا أي عن غير العاقل واختلف في أن لام فلان واو أو ياء. ﴿لقد﴾ والله لقد﴿أضلني﴾ [كمراه كردم أو بازداشت]. ﴿عن الذكر﴾ أي: عن القرآن المذكر لكل مرغوب ومرهوب﴿بعد إذ جاءني﴾ وتمكنت من العمل به وعمرت ما يتذكر فيه من تذكر. ﴿وكان الشيطان﴾ أي: إبليس الحامل على مخالة المضلين ومخالفة الرسول وهجر القرآن. ﴿للإنسان﴾ المطيع له﴿خذولاً﴾ كثير الخذلان ومبالغاً في حبه يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه وكذا حال من حمله

على صداقته. والخذلان ترك النصرة ممن يظن به أن ينصر وفي وصفه بالخذلان إشعار بأنه كان يعده في الدنيا ويمنيه بأنه ينفعه في الآخرة وهذا اعتراض مقرر لمضمون ما قبله إما من جهته تعالى وإما من تمام كلام الظالم.

وهذه الآية عامة في كل متحابين اجتمعا على معصية الله تعالى والخلة الحقيقية هي أن لا تكون لطمع ولا لخوف بل في الدين ولذا ورد: «كونوا في الله إخواناً» أي: في طريق الرحمٰن لا في طريق الشيطان وفي الحديث: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» وفي الحديث: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي».

قال مالك بن دينار: إنك إن تنقل الحجارة مع الأبرار خير من أن تأكل الخبيص مع الفجار.

قال بعضهم: المراد بالشيطان قرين السوء سماه شيطاناً لأنه الضال المضل فمن لم يكن فيه طلب الله فهو الشيطان كالأنعام بل هو أضل لأن الأنعام ليست بمضلة والشيطان ضال مضل وأنشد أبو بكر محمد بن عبد الله الحامدي رحمه الله.

اصحب خيار الناس حين لقيتهم ... خير الصحابة من يكون عفيفا
والناس مثل دراهم ميزتها ... فوجدت فيهم فضة وزيوفا

وفي الحديث: «مثل الجليس الصالح مثل العطار إن لم ينلك من عطره يعبق بك من ريحه ومثل الجليس السوء مثل الكير إن لم يحرقك بناره يعبق بك ريحه» قدم ناس إلى مكة وقالوا: قدمنا إلى بلدكم فعرفنا خياركم من شراركم في يومين قيل: كيف؟ قالوا: ألحق خيارنا بخياركم وشرارنا بشراركم فألف كل شكله. وأخذ جماعة من اللصوص فقال أحدهم: أنا كنت مغنياً لهم وما كنت منهم فقيل له: غنّ فغنى بقول عدي:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

فقيل: صدقت وأمر بقتله. وفي «المثنوي»:

حق ذات پاك الله الصمد ... كه بودٔ به مار بد از يار بد
مار بد جاني ستاند از سليم ... يار بد آرد سوى نار جحيم
ازقرين بي قول وگفت وگوى أو ... خو بدزدد دل نهان ازخوى أو
أي خنك آن مرده كز خود رسته شد ... در وجود زندة پيوسته شد
واي آن زنده كه بامرده نشست ... مرده گشت وزندگي ازوي بجست
چون تو درقر آن حق بگريختي ... باروان انبيا آو يختي
هست قرآن حالهاي انبيا ... ماهيان بحر پاك كبريا
وربخواني ونة قرآن پذير ... انبيا وأوليارا ديده كير
وريذيرايي چو برخواني قصص ... مرغ جانت تنك آيد درقفص
مرغ كو اندر قفص زندانيست ... مي نجويد رستن از زندانيست
روحهايي كز قفصها رسته اند ... انبياو رهبر شايسته اند
از برون آواز شان آيد زدين ... كه ره رستن ترا اين است اين
ما بدين رستيم زين تنكين قفص ... جزكه اين ره نيست چاره اين قفص

نسأل الله الخلاص والالتحاق بأرباب الاختصاص والعمل بالقرآن في كل زمان وعلى كل حال.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾.

﴿وقال الرسول﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [يونس: ٧] وما بينهما اعتراض أي قالوا: كيت وكيت وقال الرسول محمد ﷺ أثر ما شاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث إلى ربه: ﴿يا رب﴾ [أي پرورد كارمن] ﴿إن قومي﴾ قريشاً ﴿اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ أي متروكاً بالكلية ولم يؤمنوا به وصدوا عنه.

وفيه تلويح بأن حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن أي التحفظ والقراءة كل يوم وليلة كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم وفي الحديث: «من تعلم القرآن وعلق مصحفاً لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول: يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجوراً اقض بيني وبينه» ومن أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل آية من القرآن أو سورة ثم ينساها والنسيان لا يمكنه القراءة من المصحف كما في «القنية» وفي الحديث: «أن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد» قيل: وما جلاؤها قال «تلاوة القرآن وذكر الله».

دل پــــر دردرا دوا قــــرآن   جــان مــجــروح را شــفــا قــرآن
هــرچــه جــويــي زنــص قــرآن جــوي   كــه بــود كــنــج عــلــمــهــا قــرآن

وفي «المثنوي»:

شــاهــنــامــه يــا كــلــيــلــه پــيــش تــو   هــمــچــنــان بــاشــدكــه قــرآن از عــتــو
فــرق آنــكــه بــاشــد از حــق ومــجــاز   كــه كــنــد كــحــل عــنــايــت چــشــم بــاز
ورنــه پــشــك ومــشــك پــيــش اخــشــمــي   هــرد ويــكــســانــســت چــون نــبــود شــمــي
خــويــشــتــن مــشــغــول كــردن ازمــلال   بــاشــدش قــصــد كــلام ذو الــجــلال
كــاتــش وســواس را وغــصــه را   زان ســخــن بــنــشــانــد وســازد دوا

﴿وكذلك﴾ أي كما جعلنا لك أعداء من مجرمي قومك كأبي جهل ونحوه ﴿جعلنا لكل نبي﴾ من الأنبياء المتقدمين ﴿عدواً﴾ أي أعداء فإنه يحتمل الواحد والجمع ﴿من المجرمين﴾ أي مجرمي قومهم كنمرود لإبراهيم وفرعون لموسى واليهود لعيسى فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا.

وفيه تسلية لرسول الله وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الأنبياء الذين هم أصحاب الشريعة والدعوة إليها ﴿وكفى بربك﴾ أي ربك والباء صلة للتأكيد ﴿هادياً﴾ تمييز أي من جهة هدايته لك إلى كافة مطالبك ومنها انتشار شريعتك وكثرة الآخذين بها ﴿ونصيراً﴾ ومن جهة نصرته لك على جميع أعدائك فلا تبال بمن يعاديك وسيبلغ حكمك إلى أقطار الأرض وأكناف الدنيا.

دلت الآية بالعبارة والإشارة على أن لكل نبي وولي عدواً يمتحنه الله به ويظهر شرف اصطفائه.

قال أبو بكر بن طاهر رحمه الله: رفعت درجات الأنبياء والأولياء بامتحانهم بالمخالفين والأعداء.

از براي حكمتي روح القدس از طشت زر   دست موسى را بسوى طشت آزر مي برد

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه تعالى يقيض لكل صديق صادق في الطلب عدواً معانداً من مطرودي الحضرة ليؤذيه وهو يصبر على أذاه في الله ويختبر به حلمه ويرضى بقضاء الله ويستسلم بالصبر على بلائه ويشكره على نعمة التوفيق للتسليم وتفويض الأمر إلى الله والتوكل عليه ليسير بهذه الأقدام إلى الله بل يطير بهذه الأجنحة في الله بالله كما هو سنة الله في تربية أنبيائه وأوليائه ولن تجد لسنة الله تبديلاً، وفي الخبر: «لو أن مؤمناً ارتقى على ذروة جبل لقيض الله إليه منافقاً يؤذيه فيؤجر عليه» ثم لم يغادر الله المجرم المعاند العدو لوليه حتى أذاقه وبال ما استوجبه على معاداته كما قال في حديث رباني: «من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب» وقال: «وأنا أنتقم لأوليائي كما ينتقم الليث الجريء لجروه» [دانشمندي بود درفن منطق منفرد ودرسائر علوم رياضي متبحر مولانا ميرجمال كه دركسوت قلندري مي زيست وكپنك مي پوشيد ونماز نمى كذاريد ودر ارتكاب محرمات بغايت دلير وبي حيابود ومنكر طريق مشايخ وطائفة أولياء ودائم الأوقات غيبت ومذمت حضرات ايشان ميكرد وسخنان بي إدبانه ميكفت روزي باسه طالب علم كه ايشان نيز درمقام هزل وظرافت وتعرض وسفاهت بودند بمجلس ملانا ناصر الدين اتراري در آمدند وپيش ازانكه بسخن آغاز كند مقداري بنك ازآستين كپنك بيرون آورد ودردهان نهاد وخواست كه فرو برد در كلوي وي محكم شد وراه نفس بروي بسته كشت آخر حضرت شيخ فرمودند تامشتي محكم بركلوي وي زدندو آن بنك أزكلوي وي درميان مجلس افتاد وهمه حاضران بروخنديدندواو باخجالت تام از مجلس بيرون آمد ورسوا شد فرار نمود وديكر كسي ازو نشان نداد]: وفي «المثنوي»:

چون خدا خواهدكه پردة كس درد ... ميلش اندر طعنة پاكان برد
آنكه مي دريد جامه خلق چست ... شد دريده آن أو ايشان درست
آن دهان كژ كزو تسخير بخواند ... مر محمدرا دهانش كژ بماند
باز آمد كاي محمد عفو كن ... أي ترا الطاف وعلم من لدن
من ترا افسوس ميكردم ز جهل ... من بدم افسوس را منسوب أهل

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن﴾ [وكفتند مشركان عرب چرا فرو فرستاده نشده بر محمد قرآن] فلولا تحضيضية بمعنى هلا والتنزيل ههنا مجرد عن معنى التدريج بمعنى أنزل كخبر بمعنى أخبر لئلا يناقض قوله: ﴿جملة واحدة﴾ دفعة واحدة كالكتب الثلاثة أي التوراة والإنجيل والزبور حال من القرآن إذ هي في معنى مجتمعاً وهذا اعتراض حيرة وبهت لا طائل تحته لأن الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو مفرقاً وقد تحدّوا بسورة واحدة فعجزوا عن ذلك حتى أخلدوا إلى بذل المهج والأموال دون الإتيان بها مع أن للتفريق فوائد منها ما أشار إليه بقوله: ﴿كذلك لنثبت به فؤادك﴾ محل الكاف النصب على أنها صفة لمصدر مؤكد معلل بما بعده وذلك إشارة إلى ما يفهم من كلامهم أي مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قدحوا فيه نزلناه لا تنزيلاً مغايراً له لنقوي بذلك التنزيل المفرق فؤادك أي قلبك فإن فيه تيسيراً لحفظ النظم وفهم المعنى وضبط الأحكام والعمل بها ألا ترى أن التوراة أنزلت دفعة فشق العمل على بني

إسرائيل ولأنه كلما نزل عليه وحي جديد في كل أمر وحادثة ازداد هو قوة قلب وبصيرة وبالجملة إنزال القرآن منجماً فضيلة خص بها نبينا عليه السلام من بين سائر النبيين فإن المقصود من إنزاله أن يتخلق قلبه المنير بخلق القرآن ويتقوى بنوره ويتغذى بحقائقه وعلومه وهذه الفوائد إنما تكمل بإنزاله مفرقاً ألا يرى أن الماء لو نزل من السماء جملة واحدة لما كانت تربية الزروع به مثلها إذا نزل مفرقاً إلى أن يستوي الزرع. ﴿ورتلناه ترتيلاً﴾ عطف على ذلك المضمر. والترتيل التفريق ومجيء الكلمة بعد الأخرى بسكوت يسير دون قطع النفس وأصله في الأسنان وهو تفريجها.

والمعنى كذلك نزلناه وقرأناه عليك شيئاً بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾.

﴿ولا يأتونك بمثل﴾ أي بسؤال عجيب وكلام غريب كأنه مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك وحق القرآن. والمعنى بالفارسية: [ونمى آرند مشركان عرب براي تو يا محمد مثلي يعني دربيان قدح نبوت وطعن كتاب توسخن نمى كويند] ﴿إلا جئناك﴾ في مقابلته: وبالفارسية [مكر آنكه ما مي آريم براي تو] فالباء في قوله: ﴿بالحق﴾ للتعدية أيضاً أي بالجواب الحق الثابت المبطل لما جاؤوا به القاطع لمادة القيل والقال. ﴿وأحسن تفسيراً﴾ عطف على الحق.

والتفسير تفعيل من الفسر وهو كشف ما غطي.

والمعنى: وبما هو أحسن بياناً وتفصيلاً لما هو الحق والصواب ومقتضى الحكمة بمعنى أنه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته لا أن ما يأتون به له حسن في الجملة وهذا أحسن منه لأن سؤالهم مثل في البطلان فكيف يصح له حسن اللهم إلا أن يكون بزعمهم يعني لما كان السؤال حسناً بزعمهم قيل: الجواب أحسن من السؤال والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية أي لا يأتونك بمثل في حال من الأحوال إلا حال إتياننا إياك الحق الذي لا محيد عنه.

وهذا بعبارته ناطق ببطلان جميع الأسئلة وبصحة جميع الأجوبة وبإشارته منبىء عن بطلان السؤال الأخير وصحة جوابه إذ لولا أن التنزيل على التدريج لما أمكن إبطال تلك الاقتراحات الشنيعة أو يقال: كل نبي إذا قال له قومه قولاً كان النبي هو الذي يرد عليهم وأما النبي عليه السلام إذا قالوا له شيئاً فالله يرد عليهم. ﴿الذين﴾ أي: هم الذين ﴿يحشرون على وجوههم إلى جهنم﴾ أي يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليه ويجرون إلى جهنم. يعني: [روى برزمين نهاده ميروند بسوي دوزخ] وفي الحديث: «يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب، وصنف على الأقدام، وصنف على الوجوه» فقيل: يا نبي الله كيف يحشرون على وجوههم؟ فقال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم فهو قادر على أن يمشيهم على وجوههم» ﴿أولئك﴾ [آن كروه] ﴿شر مكاناً﴾ [برتر ازوري مان يعني مكان ايشان برترست از منازل مؤمنان كه دردنيا داشتند وايشان طعنه مي زد ندكه] ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا

﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣] وقال تعالى: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [مريم: ٧٥] أي: من الفريقين بأن يشاهدوا الأمر على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون أنهم شر مكاناً لا خير مقاماً ﴿وأضل سبيلاً﴾ وأخطأ طريقاً من كل أحد. وبالفارسية [وكج تر وناصوا بترند از جهت راه چه ايشان مفضى بآتش دوزخست] والأظهر أن التفضيل للزيادة المطلقة.

والمعنى أكثر ضلالاً عن الطريق المستقيم وجعل مكانهم شراً ليكون أبلغ من شرارتهم وكذا وصف السبيل بالإضلال من باب الإسناد المجازي للمبالغة.

واعلم أنهم كانوا يضللون المؤمنين ولذا قال تعالى حكاية: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] فإذا أفضى طريق المؤمنين إلى الجنة وطريقهم إلى النار يتبين للكل حال الفريقين. قال الصائب:

واقف نميشوند كه كم كرده اند راه   تارهروان براهنمايي نمي رسند

والمميز يوم القيامة هو الله تعالى فإنه يقول: ﴿وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يس: ٥٩] ولما استكبر الكفار واستعلوا حتى لم يخروا لسجدة الله تعالى حشرهم الله تعالى على وجوههم ولما تواضع المؤمنون رفعهم الله على النجائب فمن هرب عن المخالفة وأقبل إلى الموافقة نجا ومن عكس هلك وأين يهرب العاصي والله تعالى مدركه.

قال أحمد بن أبي الجواري: كنت يوماً جالساً على غرفة فإذا جارية صغيرة تقرع الباب فقلت: من بالباب؟ فقالت: جارية تسترشد الطريق فقلت: طريق النجاة أم طريق الهرب فقالت: يا بطال اسكت فهل للهرب طريق وأينما يهرب العبد فهو في قبضة مولاه فعلى العاقل أن يهرب في الدنيا إلى خير مكان حتى يتخلص في الآخرة من شر مكان وخير مكان في الدنيا هو المساجد ومجالس العلوم النافعة فإن فيها النفحات الإلهية. قال المولى الجامي قدس سره:

مانداريم مشامى كه توانيم شنيد   ورنه هردم رسداز كلشن وصلت نفحات

نسأل الله نفحات روضات التوحيد وروائح حدائق التفريد.

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ اللام جواب لقسم محذوف أي وبالله لقد آتينا موسى التوراة أي أنزلناه عليه بعد إغراق فرعون وقومه. وفي «الإرشاد»: والتعرض في مطلع القصة لإيتاء الكتاب مع أنه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الآيات للإيذان من أول الأمر ببلوغه عليه السلام غاية الكمال ونيله نهاية الآمال التي هي إنجاء بني إسرائيل من ملك فرعون وإرشادهم إلى طريق الحق بما في التوراة من الأحكام ﴿وجعلنا معه﴾ الظرف متعلق بجعلنا. ﴿أخاه﴾ مفعول أول له ﴿هارون﴾ بدل من أخاه اسم أعجمي ولم يرد في شيء من كلام العرب. ﴿وزيراً﴾ مفعول ثان أي معيناً يوازره ويعاونه في الدعوة وإعلاء الكلمة فإن الموازرة المعاونة. وفي «القاموس»: الوزر بالكسر الثقل والحمل الثقيل والوزير حبأ الملك الذي يحمل ثقله ويعينه برأيه وحاله الوزارة بالكسر ويفتح والجمع وزراء والحبأ محركة جليس الملك وخاصته.

وقال بعضهم: الوزير الذي يرجع إليه ويتحصن برأيه من الوزر بالتحريك وهو ما يلتجأ إليه ويعتصم به من الجبل ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾﴾ [القيامة: ١١] أي: لا ملجأ يوم القيامة والوزر بالكسر الثقل تشبيهاً بوزر الجبل ويعبر بذلك عن الإثم كما يعبر عنه بالثقل لقوله: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ﴾ [النحل: ٢٥] وقوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] والوزير بالفارسية [يار ومدد كار وكار ساز].

فإن قلت: كون هارون وزيراً كالمنافي لكونه شريكاً في النبوة لأنه إذا صار شريكاً له خرج عن كونه وزيراً.

قلت: لا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لأن المتشاركين في الأمر متوازران عليه.

﴿فقلنا﴾ لهما حينئذٍ ﴿اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ هم فرعون وقومه أي القبط والآيات هي المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يد موسى عليه السلام ولم يوصف القوم عند إرسالهما إليهم بهذا الوصف ضرورة تأخر تكذيب الآيات عن إظهارها المتأخر عن الأمر به بل إنما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله ﷺ بياناً لعلة استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير ويقال: بآياتنا التكوينية أي بالعلامات التي خلق الله في الدنيا ويقال بالرسل وبكتب الأنبياء الذين قبل موسى كما في قوله: ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل﴾ فالباء على كل تقدير متعلقة بكذبوا لا باذهبا وإن كان الذهاب إليهم بالآيات كما في قوله في الشعراء: ﴿فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الشعراء: ١٥] وأما التكذيب فتارة يتعلق بالآيات كما في قوله في الأعراف: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٠٣] أي بالآيات وقوله في طه ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ [طه: ٥٦] وتارة بموسى وهارون كما في قوله في المؤمنين ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ [المؤمنون: ٤٨] ﴿فدمرناهم تدميراً﴾ التدمير إدخال الهلاك على الشيء والدمار الاستئصال بالهلاك والدمور الدخول بالمكروه وتقدير الكلام فذهبا إليهم فأرياهم آياتنا كلها فكذبوهما تكذيباً مستمراً فأهلكناهم أثر ذلك التكذيب المستمر إهلاكاً عجيباً هائلاً لا يدرك كنهه: وبالفارسية: [پس هلاك كرديم ايشانرا هلاك كردنى باغراق درياى قلزم] فاقتصر على حاشيتي القصة أي أولها وآخرها اكتفاء بما هو المقصود منها وهو إلزام الحجة ببعثة الرسل والتدمير بالتكذيب والفاء للتعقيب باعتبار نهاية التكذيب أي باعتبار استمراره وإلا فالتدمير متأخر عن التكذيب بأزمنة متطاولة.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾.

﴿وقوم نوح﴾ منصوب بمضمر يدل عليه فدمرناهم، أي ودمرنا قوم نوح. ﴿لما كذبوا الرسل﴾ أي نوحاً ومن قبله من الرسل كشيث وإدريس أو نوحاً وحده لأن تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والإسلام ويقال: إن نوحاً كان يدعو قومه إلى الإيمان به وبالرسل الذين بعده فلما كذبوه فقد كذبوا جميع الرسل كما ثبت أن كل نبي أخذ العهد من قومه أن يؤمنوا بخاتم النبيين إن أدركوا زمانه. ﴿أغرقناهم﴾ بالطوفان. والإغراق [غرقه كردن] والغرق الرسوب في الماء أي السفول وهو استئناف مبين لكيفية تدميرهم ﴿وجعلناهم﴾ أي: إغراقهم وقصتهم. ﴿للناس آية﴾ عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها أو سمعها. وبالفارسية [نشاني وداستاني] وهو مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغوله. ﴿وأعتدنا﴾ [وآماده كرديم] أي في الآخرة ﴿للظالمين﴾ أي: لهم أي للمغرقين والإظهار في موقع الإضمار للتسجيل بظلمهم والإيذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب ﴿عذاباً أليماً﴾ سوى ما حلّ بهم من عذاب الدنيا ومعنى أليماً وجيعاً. وبالفارسية: [دردناك].

﴿وعاداً﴾ عطف على قوم نوح. يعني: [هلاك كرديم قوم عادرا بتكذيب هود] ﴿وثمودا﴾ [وكروه ثمودرا بتكذيب صالح] ﴿وأصحاب الرس﴾ الرس البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة

والآجر فهو رس كما قال في «الكشاف»: الرس البئر الغير المطوية أي المبنية انتهى.

وفي «القاموس»: كالصحاح المطوية بإسقاط غير.

وأصحاب الرس قوم يعبدون الأصنام بعث الله إليهم شعيباً عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول الرس أي بئرهم الغير المبنية التي يشربون منها ويسقون مواشيهم إذ انهارت فخسف بهم وبديارهم ومواشيهم وأموالهم فهلكوا جميعاً.

وفي «القاموس»: الرس بئر كانت لبقية من ثمود كذبوا نبيهم ورسوه في بئر انتهى أي دسوه وأخفوه فيها فنسبوا إلى فعلهم بنبيهم فالرس مصدر ونبيهم هو حنظلة بن صفوان كان قبل موسى على ما ذكر ابن كثير وحين دسوه فيها غار ماؤها وعطشوا بعد ريهم ويبست أشجارهم وانقطعت ثمارهم بعد أن كان ماؤها يرويهم ويكفي أرضهم جميعاً وتبدلوا بعد الأنس الوحشة وبعد الاجتماع الفرقة لأنهم كانوا ممن يعبد الأصنام وقد كان ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم ذي عنق طويل كان فيه من كل لون فكان ينقض على صبيانهم يخطفهم إذا أعوزه الصيد وكان إذا خطف أحداً منهم أغرب به إلى جهة الغرب فقيل له لطول عنقه ولذهابه إلى جهة المغرب: عنقاء مغرب [فروبرنده ونابديد كننده] فيوماً خطف ابنة مراهقة فشكوا ذلك إلى حنظلة النبي عليه السلام وشرطوا إن كفوا شره أن يؤمنوا به فدعا على تلك العنقاء فأرسل الله عليها صاعقة فأحرقتها ولم تعقب أو ذهب الله بها إلى بعض جزائر البحر المحيط تحت خط الاستواء وهي جزيرة لا يصل إليها الناس وفيها حيوان كثير كالفيل والكركدن والسباع وجوارح الطير.

قال الكاشفي: [پيغمبر دعا فرمودكه خدايا اين مرغ را بكير ونسل بريده كردان دعاي پيغمبر بفراجابت رسيده وآن مرغ غائب شد وديكر ازوخبري واثري پيدا نشد وجزنام ازو نشان نماند ودرچيزهاينا يافت بدو مثل زنند كما قيل:

منسوخ شدمروت ومعدوم شد وفا وزهر دو نام ماند چو عنقا وكيميا

[وصاحب لمعات از بي نشانيء عشق برين وجه نشان ميدهد].

عشقم كه دردو كون مكانم بديدنيست عنقاي مغربم كه نشانم بديدنيست

فالعنقاء المغرب بالضم وعنقاء مغرب ومغربة ومغرب بالإضافة طائر معروف الاسم لا الجسم أو طائر عظيم يبعد في طيرانه أو من الألفاظ الدالة على غير معنى كما في «القاموس».

ثم كان جزاؤه منهم أن قتلوه وفعلوا به ما تقدم من الرس.

يقال: وجد حنظلة في بئر بعد دهر طويل يده على شجته فرفعت يده فسال دمه فتركت يده فعادت على الشجة.

وقيل: أصحاب الرس قوم نساؤهم مساحقات ذكر أن الدلهاث ابنة إبليس أتتهن فشهت إلى النساء ذلك وعلمتهن فسلط الله عليهم صاعقة من أول الليل وخسفاً في آخره وصيحة مع الشمس فلم يبق منهم أحد وفي الخبر: «أن من أشراط الساعة أن تستكفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء وذلك السحق» وفي الحديث المرفوع: «سحاق النساء زنى بينهن» وقيل: قوم كذبوا نبياً آتاهم فحبسوه في بئر ضيقة القعر ووضعوا على رأس البئر صخرة عظيمة لا يقدر على حملها إلا جماعة من الناس وقد كان آمن به من الجميع عبد أسود وكان العبد يأتي الجبل فيحتطب ويحمل على ظهره ويبيع الحزمة ويشتري بثمنها طعاماً ثم يأتي البئر فيلقي إليه الطعام من خروق الصخرة وكان على ذلك سنين ثم أن الله تعالى أهلك القوم وأرسل ملكاً فرفع

الحجر وأخرج النبي من البئر وقيل: بل الأسود عالج الصخرة فقواه الله لرفعها وألقى حبلاً إليه واستخرجه من البئر.

فأوحى الله إلى ذلك النبي أنه رفيقه في الجنة وفي الحديث: «إن أول الناس دخولاً الجنة لعبد أسود» يريد هذا العبد علي بن الحسين بن علي زين العابدين رضي الله عنهم.

[روايت كند از پدر خويش كفتا مردى آمد از بني تميم پيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كفت يا أمير المؤمنين خبر ده ماراً از أصحاب رس ازكدام قوم بودند ودركدام عصر وديار ومسكن ازايشان كجا بود پادشاه ايشان كه بود رب العزة پيغمبر بايشان فرستاد يا نفرستاد وايشانرا پچه هلاك كرد ما در قرآن ذكر ايشان ميخوانيم كه أصحاب الرس نه قصة بيان كرده نه أحوال ايشان كفته أمير المؤمنين على كفت يا أخا تميم سؤالي كردي كه پيش ازتو هيچ كس اين سؤال ازمن نكرد وبعد ازمن قصة ايشان ازهيچ كس نشود ايشان قومي بودند در عصر بني إسرائيل پيش از سليمان بن داود بدرخت صنوبر مي پرستيدند آن درخت كه يافث بن نوح كشته بود برشفير چشمة معروف وبيرون ازان چشمه نهري بود روان وايشانرا دوازده پاره شهر بود برشط آن نهر ونام آن نهررس بود ودر بلاد مشرق ودرروزكار هيچ نهر عظيم تر وبزركتر ازان نهر نبود ونه هيچ شهر آبادان تر ازان شهرهاي ايشان ومهينه از شهرهاي مدينة بود نام آن اسفند آباد وپادشاه ايشان از نژاد نمرود بن كنعان بود ودر آن مدينة مسكن داشت وآن درخت صنوبر درآن مدينة بود وايشان تخم آن درخت بردند بآن دوازده پاره شهرتادرشهري درختي صنوبر برآمد وبباليد وأهل آن شهر آنراً معبود خود ساختند وآن چشمه كه در زير صنوبر اصل بود هيچ كس را دستوري نبودكه ازآن آب بخورد يا بركرفتي كه ميكفتندكه «هي حياة آلهتنا فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتها» پس مردمان كه آب ميخوردند ازنهر رس ميخوردند ورسم وآيين ايشان بود درهر ما هي أهل آن شهرها كردآن درخت صنوبر خويش برآ مدن وآنرا بزيور وجامهاي الوان بياراستن وقربانها كردن وآتشي عظيم افروختن وآن قربانها برآن آتش نهادن تادخان وقتاران بالا كرفتي چندانكه در آن تاركي دود ديدهاي ايشان ازآسمان محجوب كشتي ايشان آن ساعت بسجود درافتادندي وتضرع وزاري فرادرخت مردندي تا ازميان آن درخت شيطان آواز دادي كه «إني قد رضيت عنكم فطيبوا نفساً وقروا عيناً» چون آواز شيطان بكوش ايشان رسيدي سر برداشتندي شادان وتازان ويك شبانروز درنشاط وطرب وخمر خوردن بسرآوردندي يعني كه معبودماً ازما راضي است بدين صفت روز كار درآن بسرآوردند تاكفر وشرك ايشان بغايت رسيد وتمرد وطغيان ايشان بالا كرفت رب العالمين بايشان پيغمبري فرستاد از بني إسرائيل از نژاد يهودا بن يعقوب روزكاري دراز ايشانرا دعوت كرد ايشان نكرديدند وشرك وكفراً بيفزودندتا پيغمبر در الله زاريد ودرايشان دعاي بدكرد كفت «يا رب إن عبادك أبوا إلا تكذيبي والكفر بك يعبدون شجرة لا تضر ولا تنفع فأرهم قدرتك وسلطانك» چون پيغمبر اين دعا كرد درختهاي ايشان همه خشك كشت كفتند ابن همه ازشومي ابن مرداست كه دعوي پيغبري ميكند وعيب خدايان ما ميجويد واورا بكرفتند ودرچاهي عظيم كردند آورده اند در قصه كه انبوبها ساختند فراخ وآنرا بعقر آب فرو بردند وآب ازان أنبوبها برميكشيدند تابخشك رسيدآنكه ازآنجا درچاهي دور فرو بردند واورا در آن چاه كردند وسنكي عظيم برسر آن چاه استوار نهادند وأنبوبها ازقعر آب برداشتند كفتند اكنون دانيم كه خدايان ما ازما خشنود

شوند كه عيب جوى ايشانرا هلاك كرديم پيغمبر درآن وحشتكاه بالله ناليد وكفت «سيدي ومولاي قد ترى ضيق وشدة كربي فارحم ضعف ركني وقلة حيلتي وعجل قبض روحي ولا تؤخر إجابة دعوتي حتى مات عليه السلام فقال الله لجبريل: إن عبادي هؤلاء غرهم حلمي وأمنوا مكري وعبدوا غيري وقتلوا رسولي فأنا المنتقم ممن عصاني ولم يخش عقابي وإني حلفت لأجعلنهم عبرة ونكالاً للعالمين» پس رب العالمين باد عاصف كرم بايشان فرو كشاد تاهمه بيكديكر شدند وفراهم پيوستندآنكه زمين درزير ايشان چون سنك كبريت كشت واز بالا ابري سياه برآمد وآتش فرو باريد وايشان چنانكه از زير در آتش فرو كد ازد فرو كدا ختند] نعوذ بالله من غضبه ودرك نقمته. كذا في «كشف الأسرار» للعالم الرباني الرشيد اليزدي ﴿وقروناً﴾ أي: ودمرنا أيضاً أهل أعصار جمع قرن وهم القوم المقترنون في زمن واحد.

وفي «القاموس»: الأصح أنه مائة سنة لقوله عليه السلام لغلام: «عش قرناً فعاش مائة سنة» ﴿بين ذلك﴾ المذكور من الطوائف والأمم. وبالفارسية: [ميان قوم نوح وعاد وميان عاد وثمود تا بأصحاب الرس] ﴿كثيراً﴾ لا يعلم مقدارها إلا الله كقول: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٩] ولذلك قالوا كذب النسابون أي الذين ادعوا العلم بالأنساب وهو صفة لقوله قروناً والإفراد باعتبار معنى الجمع أو العدد كما في قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١].

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿وكلا﴾ منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده أي ذكرنا وأنذرنا كل واحد من الأمم المذكورين المهلكين ﴿ضربنا له الأمثال﴾ بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل ﴿وكلا﴾ أي كل واحد منهم بعد التكذيب والإصرار. ﴿تبرنا تتبيراً﴾ أهلكنا إهلاكاً عجيباً هائلاً فإن التبر بالفتح والكسر الإهلاك والتبير التكسير والتقطيع.

قال الزجاج: كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته ومنه التبر لمكسر الزجاج وفتات الذهب والفضة قبل أن يصاغا فإذا صيغا فهما ذهب وفضة.

﴿ولقد أتوا﴾ أي وبالله لقد أتى قريش في متاجرهم إلى الشام، ومروا ﴿على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾ يعني: سدوم بالدال المهملة وقيل: بالذال المعجمة أعظم قرى لوط أمطرت عليها الحجارة وأهلكت فإن أهلها كانوا يعملون العمل الخبيث وكان كل حجر منها قدر إنسان.

واعلم أن قرى قوم لوط خمس ما نجا منها إلا واحدة لأن أهلها كانوا لا يعملون العمل الخبيث وسدوم من التي أهلكت وتخصيصها هنا لكونها في ممر تجار قريش وكانوا حين مرورهم بها يرونها مؤتفكة ولا يعتبرون. وانتصاب مطر على أنه مصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل في أنبته الله نباتاً حسناً أي أمطار السوء ومطر مجهولاً في الخير وأمطر في الشر وقيل: هما لغتان والسوء بفتح السين وضمها كل ما يسوء الإنسان ويغمه من البلاء والآفة. والمعنى بالفارسية: [وبركذشتند برآن شهركه باران بد باريد يعني بروسنك بارانيده شد] وفي الخبر أن رسول الله ﷺ: «رأى ليلة المعراج في السماء حجارة موضوعة فسأل عن ذلك جبريل فقال: هذه الحجارة فضلت من حجارة قوم لوط خبئت للظالمين من أمتك» أي: خفيت وأعدت

وذلك أن من أشراط الساعة أن يمطر السماء بعض الحبوب كالقمح والذرة ونحوهما وقد شاهدناه في عصرنا وسيأتي زمان تمطر الحجارة ونحوها على الظالمين نعوذ بالله تعالى: ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ [آيا نمى ديدند آنرا سرنكون] أي في مرار مرورهم فيخافوا ويعتبروا ويؤمنوا ﴿بل كانوا لا يرجون نشوراً﴾ حقيقة الرجاء انتظار الخير وظن حصول ما فيه مسرة وليس النشور أي إحياء الميت خيراً مؤدياً إلى المسرة في حق الكافر فهو مجاز عن التوقع والتوقع يستعمل في الخير والشر فأمكن أن يتصور النسبة بين الكافر وتوقع النشور. والمعنى بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشوراً، أي ينكرون النشور المستتبع للجزاء الأخروي ولا يرون لنفس من النفوس نشوراً أصلاً مع تحققه حتماً وشموله للناس عموماً واطراده وقوعاً فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك وإنما يحملونه على الاتفاقات.

واعلم أن النشور لا ينكره إلا الكفور وقد جعل الله الربيع في الدنيا شاهداً له ومشيراً لوقوعه وفي الخبر: «إذا رأيتم الربيع فاذكروا النشور» والربيع مثل يوم النشور لأن الربيع وقت إلقاء البذر ويكون الزارع قلبه معلقاً إلى ذلك الوقت أيخرج أم لا فكذلك المؤمن يجتهد في طاعته وقلبه يكون معلقاً بين الخوف والرجاء إلى يوم القيامة أيقبل الله تعالى منه أم لا ثم إذا خرج الزرع وأدرك يحصد ويداس ويذرى ثم يطحن ويعجن ويخبز وإذا خرج من التنور بلا احتراق يصلح للخوان ولو احترق ضاع عمله وبطل سعيه وكذلك العبد يصلي ويصوم ويزكي ويحج فإذا جاء ملك الموت وحصد روحه بمنجل الموت وجعلوه في القبر يكون فيه إلى يوم القيامة وإذا جاء يوم القيامة وخرج من قبره ووقع الحشر والنشور وأمر به إلى الصراط فإذا جاوز الصراط سالماً فقد صلح للرؤية وإلا فقد هلك فعلى العاقل أن يتفكر في المنشور ويتذكر عاقبة الأمور: وفي «المثنوي»:

فضل مردان برزن أي حالي پرست ... زان بودكه مرد پايان بين ترست
مردكاندر عاقبت بيني خمست ... أو زاهل عاقبت اززن كمست
ازجهان دو بانك مي آيد بضد ... تاكداميـن را تـو باشي مستعد
آن يكي بانكش نشور اتقيا ... وين دكر بانكش فريب اشقيا

آن يكي بانك اين كه اينك حاضرم ... بانك ديكر بنكر اندر آخرم
من شكوفه خارم أي فخر كبار ... كل بريزم من نمايم شاخ خار
بانك اشكوفه اش كه اينك كل فروش ... بانك خارش أوكه سوى ما مكوش
أي خنك آن كو زاول آن شنيد ... كش عقول ومستمع مردان شنيد

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.

﴿وإذا رأوك﴾ أي: أبصروك يا محمد يعني قريشاً. ﴿إن يتخذونك إلا هزواً﴾ إن نافية أي ما يتخذونك إلا موضع هزو أي يستهزئون بك قائلين بطريق الاستحقار والتهكم. ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾ أي: بعث الله إلينا رسولاً ليثبت الحجة علينا. وبالفارسية [ايا اين كس آنست كه اورا برانكيخت خدا وفرستاد پيغمبر] يعني لم يقتصروا على ترك الإيمان وإيراد الشبهات

الباطلة بل زادوا عليه الاستخفاف والاستهزاء إذا رأوه وهو قول أبي جهل لأبي سفيان وهذا نبي بني عبد مناف.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن أهل الحس لا يرون النبوة والرسالة بالحس الظاهر لأنها تدرك بنظر البصيرة بنور الله وهم عميان بهذا البصر فلما سمعوا منه ما لم يهتدوا به من كلام النبوة والرسالة ما اتخذوه إلا هزؤاً وقالوا مستهزئين: أهذا الذي بعث الله رسولاً وهو بشر مثلنا محتاج إلى الطعام والشراب وفي «المثنوي»:

كارپا كان را قياس ازخود مكير ... كرچه ماند درنبشتن شير شير
جمله عالم زين سبب كمراه شد ... كم كسى زابدال حق آكاه شد
همسري يا انبيا بر داشتند ... أوليا را همچو خود پنداشتند
كفته اينك ما بشر ايشان بشر ... ما وايشان بستة خوابيم وخور
اين ندانستند ايشان ازعمي ... هست فرق درميان بي منتهي
هردوكون زنبور خوردند ازمحل ... ليك شدزين نيش وزان ديكر عسل
هردوكون آهوكيا خوردندو آب ... زين يكي سركين شدوزان مشك ناب
هردوني خوردند ازيك آبخور ... اين يكي خالي وأن پراز شكر

﴿إن كاد﴾ إن مخففة من الثقيلة واللام. ﴿ليضلنا﴾ هي الفارقة بينهما وضمير الشأن محذوف أي إنه كاد أي قارب محمد ليضلنا. ﴿عن آلهتنا﴾ أي ليصرفنا عن عبادتها صرفاً كلياً بحيث يبعدنا عنها. وبالفارسية: [بدرستي نزديك بودكه أو بسخن دلفريب وبسياري جهد در دعوت واظهار دلائل برمد عاي خود كمراه كند وبازدارد مارا از پرستش خدايان ما ﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها قال الله تعالى في جوابهم: ﴿وسوف يعلمون﴾ البتة وإن تراخى ﴿حين يرون العذاب﴾ الذي يستوجبه كفرهم أي يرون في الآخرة عياناً ومن العذاب عذاب بدر أيضاً ﴿من أضل سبيلاً﴾ نسبوه عليه السلام إلى الضلال في ضمن الإضلال فإن أحداً لا يضل غيره إلا إذا كان ضالاً في نفسه فردهم الله.

واعلم أنه لا يهملهم وإن أمهلهم وصف السبيل بالضلال مجازاً والمراد سالكوها ومن أضل سبيلاً جملة استفهامية معلقة ليعلمون فهي سادة مسد مفعوليه.

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿أرأيت﴾ [آياديدي] ﴿من اتخذ إلهه هواه﴾ كلمة أرأيت تستعمل تارة للإعلام وتارة للسؤال وههنا للتعجيب من جهل من هذا وصفه وإلهه مفعولة ثان قدم على الأول للاعتناء به لأنه الذي يدور عليه أمر التعجب والهوى مصدر هويه إذا أحبه واشتهاه ثم سمي به المهوى المشتهى محموداً كان أو مذموماً ثم غلب على غير المحمود فقيل: فلان اتبع هواه إذا أريد ذمه فالهوى ما يميل إليه الطبع وتهواه النفس بمجرد الاشتهاء من غير سند منقول ودليل معقول. والمعنى أرأيت يا محمد من جعل هواه إلهاً لنفسه بأن أطاعه وبنى عليه أمر دينه معرضاً عن استماع الحجة والبرهان بالكلية كأنه قيل: ألا تعجب ممن جعل هواه بمنزلة الإله في الالتزام طاعته وعدم مخالفته فانظر إليه وتعجب منه وهذا الاستفهام للتقرير والتعجيب [وكفته أند قومي بودند ازعرب كه سنك مي پرستيدند هركاه كه ايشانرا سنكي نيكو بجشم آمدي ودل ايشان آن

خواستي آنراً سجود بردندي وآنچه داشتندي بيفكندندي حارث بن قيس ازايشان بود دركارواني ميرفتند وآن داشتند ازشتر بيفتاد آواز در قافلة افتادكه سنك معبود ازشتر بيفتاد توقف كنيد تابجوييم ساعتي جستند ونيافتند كوينده ازايشان آواز دادكه] وجدت حجراً أحسن منه فسيروا وفي الحديث: «ما عبد إله أبغض على الله من الهوى» فكل من يعيش على ما يكون له فيه شرب نفساني ولو كان استعمال الشريعة بهذه الطبيعة ومطلبه فيه الحظوظ النفسانية لا الحقوق الربانية فهو عابد هواه كما في «التأويلات النجمية».

قال الكاشفي صاحب تأويلات فرموده كه هركه بغير خداي چيزي دوست دارد وبروبازماند واورا پرسته درحقيقت هواي خودرا مي پرستد زيرا كه هواي اورا برمحبت غير خدا ميدارد سيد حسني رحمه الله در طرب المجالس أورده كه چون آدم صفي عليه السلام باحوا عقد بستند إبليس ودنيا بيكديكر پيوستند وهمچنانكه ازامتزاج آنان بايكديكر آدمي وجود كرفت ازوصلت اينان باهمه هوا مدد مي يابند رسوم وعادات مردوده ومذاهب واديان مختلفة همه ازتأثير او ظهور مي يابد:

غـبـاري كـه خـيـزد مـيـان ره اوسـت چه كـويـم كـه هـريـوسفي راچـه اوسـت

قوت غلبة أوتاحديست كه «الهوى أول إله عبد في الأرض» درشان أو واردشده وزبان قرآن درحق اوچنين فرموده كه ﴿أرأيت من اتخذ إلٰهه هواه﴾ كويي كه أصل هواست وآلهة باطلة همه فرع اويند وازينجا كه مخالفت هوى سبب وصول بحقيقت ايمانست].

سـر زهـوى نـافـتـن ازسـروريـسـت تـرك هـوى قـوت پـيـغـمـبـريـسـت

قال أبو سليمان رحمه الله: من أتبع نفسه هواها فقد سعى في قتلها لأن حياتها بالذكر وموتها وقتلها بالغفلة فإذا غفل اتبع الشهوات وإذا اتبع الشهوات صار في حكم الأموات. وفي «المثنوي»:

ايـن جـهـان شـهـوتـي بـتـخـانـة ايـسـت انـبـيـا وكـافـرانـرا لأنـه ايـسـت
لـيـك شـهـوت بـنـدة پـا كـان بـود زرنـسـوزد زانـكـه نـقـد كـان بـود
كـافـران قـلـبـنـد وپـاكـان هـمـچـوزر انـدريـن بـوتـه درنـد ايـن دونـفـر
قـلـب چـون آمـد سـيـه شـد درزمـان زردر آمـد شـد زري أوعـيـان

[يكي را ازا كابر سمرقند كفتندكه اكرس درخواب بيندكه حق سبحانه وتعالى مرده است تعبير آن چيست وي كفت كه أكابر كفته اندكه اكركسي درخواب بيندكه پيغمبر ﷺ مرده است تعبيرش آنست كه درشريعت اين صاحب واقعة قصوري وفتوري واقع شده است وآن مردن صورت شريعت است ابن نيز مثل آن زنكي دارده وبعضي كبار مي فرمودندكه مينوان بودكه كسي حضور مع الله بوده باشد ناكاه آن حضور نماند تعبير آن مردن آن باشد. ومولانا نور الدين عبد الرحمٰن جامي رحمه الله اين سخن را تأويل ديكر كرده بودند فرموده كه ميتواند بودكه بحكم آيت كريمة ﴿أرأيت من اتخذ إلٰهه هواه﴾ يكي ازهواها كه صاحب واقعة آنرا خداي خودكرفته بوده است. ازدل وي رخت بنندند ونابود شود آن مردن خداي عبارت ازنابودن اين هوابود پس اين خواب دليل باشد برآنكه حضور اوزياده شود كذا في رشحات على الصفي بن الحسين الكاشفي] ﴿أفأنت تكون﴾ [آيامي باشي تو] ﴿عليه﴾ [برآنكس كه هواي خودرا خدا ساخته] ﴿وكيلا﴾ حفيظاً تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا أي الاتخاذ

أي لست موكلاً على حفظه بل أنت منذر فهذا الاستفهام للإنكار وليس هذا نهياً عن دعائه إياهم بل الإعلام بأنه قد قضى ما عليه من الإنذار والأعذار.

وقال بعض المفسرين: هذه منسوخة بآية السيف.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾.

﴿أم تحسب﴾ بل أتظن. وبالفارسية: [بلكه كمان ميبري] ﴿أن أكثرهم يسمعون﴾ ما يتلى عليهم من الآيات حق سماع. ﴿أو يعقلون﴾ ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية إلى المحاسن فتهتم بشأنهم وتطمع في إيمانهم وتخصيص الأكثر لأنه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استدباراً وخوفاً على الرياسة.

قال ابن عطاء رحمه الله: لا تظن أنك تسمع نداءك إنما تسمعهم إن سمعوا نداء الأزل وإلا فإن نداءك لهم ودعوتك لا تغني عنهم شيئاً وإجابتهم دعوتك هو بركة جواب نداء الأزل ودعوته فمن غفل وأعرض فإنما هو لبعده عن محل الجواب في الأزل. ﴿إن هم﴾ ما هم في عدم انتفاعهم بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات ﴿إلا كالأنعام﴾ إلا كالبهائم التي هي مثل في الغفلة وعلم في الضلالة.

وفي «التأويلات النجمية»: ليس لهم نهمة إلا في الأكل والشرب واستجلاب حظوظ النفس كالبهائم التي نهمتها الأكل والشرب. ﴿بل هم أضل سبيلاً﴾ من الأنعام لأنها تنقاد لمن يقودها وتميز من يحسن إليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه من إساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار ولأنها لم تعتقد حقاً ولم تكتسب خيراً ولا شراً بخلاف هؤلاء ولأن جهالتها لا تضر بأحد وجهالة هؤلاء تؤدي إلى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولأنها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولاذم وهؤلاء مقصرون مستحقون أعظم العقاب على تقصيرهم.

واعلم أن الله تعالى خلق الملائكة وعلى العقل جبلهم وخلق البهائم وركب فيها الشهوة وخلق الإنسان وركب فيه الأمرين أي العقل والشهوة فمن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم ولذا قال تعالى: ﴿بل هم أضل سبيلاً﴾ لأن الإنسان بقدمي العقل المغلوب والهوى الغالب ينقل إلى أسفل دركة لا تبلغ البهائم إليها بقدم الشهوة فقط ومن غلب عقله هواه أي شهوته فهو بمنزلة الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ومن كان غالباً على أمره فهو خير من الملائكة كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧] كما قال في «المثنوي».

در حديث آمد كه يزدان مجيد ... خلق عالم را سه كونه آفريد
يك كروه را جمله عقل وعلم وجود ... آن فرشته است أو نداند جزسجود
نيست اندر عنصرش حرص وهوا ... نور مطلق زنده از عشق خدا
يك كروه ديكر از دانش تهي ... همچو حيوان ازعلف در فربهي
أو نبيند جزكه اصطبل وعلف ... از شقاوت غافلست واز شرف
اين سوم هست آدمي زاد وبشر ... از فرشته نميي ونميي ز خر

نيم خر خود مائل سفلي بود — نيم ديكر مائل علوي شود
آن دو وقسم آسوده ازجنك وخراب — وين بشر باد ومخالف در عذاب
واين بشرهم زامتحان قسمت شدند — آدمي شكلند وسه امت شدند
يك كروه مستغرق مطلق شدست — همچو عيسى باملك ملحق شدست
نقش آدم ليك معنى جبرائيل — رسته ازخشم وهوا وقال وقيل
قسم ديكر باخران ملحق شدند — خشم محض وشهوت مطلق شدند
وصف جبريلي درايشان بود رفت — تنك بود آن خانه وآن وصف رفت
نام «كالأنعام» كردآن قوم را — زانكه نسبت كو بيقظه نوم را
روح حيواني ندارد غير نوم — حسهاي منعكس دارند قوم
ماند يك قسمي دكر اندر جهاد — نيم حيوان نيم حي بارشاد
روزوشب درجنك واندر كشمكش — كرده جاليش آخرش با أولش

فعلى العاقل الاحتراز عن الأفعال الحيوانية فإنها سبب لزوال الجاه الصوري والمعنوي.

سئل بعض البرامكة عن سبب زوال دولتهم قال: نوم الغدوات وشرب العشيات.

وقيل لي وأنا مراقب بعد صلاة الفجر: من لم يترك النوم أي من لم يترك الراحة الظاهرة مطلقاً ومال كالحيوان إلى الدعة والحضور لم يتخلص من الغفلة فمدار الخلاص هو ترك الراحة والعمل بسبيل مخالفة النفس والطبيعة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿**ألم تر إلى ربك**﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والهمزة للتقرير والرؤية رؤية العين.

والمعنى: ألم تنظر إلى بديع صنعة تعالى فإن المنظور يجب أن يكون مما يصح أن يتعلق به رؤية العين ﴿**كيف**﴾ منصوبة بقوله: ﴿**مد الظل**﴾ أصل المد الجزء من المدة للوقت الممتد والظل ما يحصل بالذات كالشمس أو بالغير كالقمر.

قال في «المفردات»: الظل ضد الضح وهو بالكسر الشمس وضوءها كما في «القاموس» وهو أعم من الفيء فإنه يقال: ظل الليل وظل الجنة ويقال لكل موضع لا تصل إليه الشمس ظل ولا يقال الفيء إلا لما زال عنه الشمس يعني أن الشمس تنسخ وتزيله شيئاً فشيئاً إلى الزوال ثم ينسخ الظل ضوء الشمس ويزيله من وقت الزوال إلى الغروب فالظل الآخذ في التزايد الناسخ لضوء الشمس يسمى فيئاً لأنه فاء من جانب المشرق إلى جانب المغرب فهو من الزوال إلى الغروب والظل إلى الزوال.

والمعنى كيف أنشأ الظل أي ظل كان من جبل أو بناء أو شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتداً وهو بيان لكمال قدرته وحكمته بنسبة جميع الأمور الحادثة إليه بالذات وإسقاط الأسباب العادية عن رتبة السببية والتأثير بالكلية وقصرها على مجردة الدلالة على وجود المسببات.

﴿**ولو شاء**﴾ ربك سكون ذلك الظل. ﴿**لجعله ساكناً**﴾ أي ثابتاً على حاله من الطول والامتداد ومقيماً: وبالفارسية [ثابت وآرام يا فته بريك منوال] يقال: فلان يسكن بلد كذا إذا أقام به واستوطن والجملة اعتراضية بين المعطوفين للتنبيه من أول الأمر على أنه لا مدخل فيما ذكر من

المد للأسباب العادية وإنما المؤثر فيه المشيئة والقدرة. ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ عطف على مدّ داخل في حكمه ولم يقل دالة المراد ضوء الشمس والمعنى جعلناها علامة يستدل بأحوالها المتغيرة على أحواله من غير أن يكون بينهما سببية وتأثير قطعاً حسبما نطقت به الشرطية المعترضة والالتفات إلى نون العظمة لما في جعل المذكور العاري عن التأثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبىء عن السببية من مزيدة دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر في إيراد كلمة التراخي. ﴿ثم قبضناه﴾ عطف على مدّ داخل في حكمه وثم للتراخي الزماني أي أزلناه بعدما أنشأناه ممتداً ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيئتنا عند إيقاع شعاع الشمس موقعه من غير أن يكون له تأثير في ذلك أصلاً وإنما عبر عنه بالقبض المنبىء عن جميع المنبسط وطيه لما أنه قد عبر عن إحداثه بالمد الذي هو البسط طولاً ﴿إلينا﴾ تنصيص على كون مرجعه إلى الله تعالى كما أن حدوثه عنه عز وجل. ﴿قبضاً يسيراً﴾ أي على مهل قليلاً حسب ارتفاع دليله أي الشمس. يعني أنه كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل في جانب المغرب فلو قبضه الله تعالى دفعة لتعطلت منافع الظل والشمس قبضه يسيراً يسيراً لتبقى منافعهما والمصالح المتعلقة بهما هذا ما ارتضاه المولى أبو السعود في «تفسيره».

وقال غيره: ﴿كيف مد الظل﴾ أي: بسطه فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأنه لا شمس معه وهو أطيب الأزمنة لأن الظلمة الخالصة سبب لنفرة الطبع وانقباض نور البصر وشعاع الشمس مسخن للجو ومفرق لنور الباصرة وليس فيما بين طلوعيهما شيء من هذين ولذلك قال تعالى في وصف الجنة: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ [الواقعة: ٣٠] ويقال تلك الساعة تشبه ساعات الجنة إلا أن الجنة أنور فالظل هو الأمر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة ﴿ولو شاء لجعله ساكناً﴾ دائماً لا شمس معه أبداً من السكنى وهو الاستقرار ولا تنسخه الشمس بأن لا يتحرك حركة انقباض ولا انبساط بأن جعل الشمس مقيمة على موضع واحد فهو من السكون الذي هو عدم الحركة. ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ لأنه لولا الشمس لما عرف الظل كما أنه لولا النور لما عرف الظلمة والأشياء بأضدادها وهذا المعنى يؤيده تعميم الظل كما سبق من «المفردات» لكن لم يرض به أبو السعود رحمه الله لأن ما ذكر من معنى الظل في هذا الوجه وإن كان في الحقيقة ظلاً للأفق الشرقي لكنه غير معهود والمتعارف أنه حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف [درعين المعاني آورده كه مد ظل أشارت بزمان فترتست كه مردم درحيرت بودند وشمس بنور اسلام كه طلوع سيدانام عليه الصلاة والسلام ازافق اكرام طالع كشت واكر آن سايه دائم بودي خلق درتاريكيء غفلت مانده بروشني آكاهي نرسيدي.

كرنه خورشيد جمال ياركشتي رهمنون ازشب تاريك غفلت كس نبردي ره برون

[صاحب كشف الأسرار كويد اين آيت ازروي ظاهر معجزة مصطفى عليه السلام وبفهم أهل حقيقت اشارتست بقرب وكرامت وي أما بيان معجزة آنست كه حضرت رسالت عليه السلام درسفرى بوقت قيلوله درزير درختي فرودآمد ياران بسيار بودند وساية درخت اندك حق سبحانه وتعالى بقدرت كامله ساية آن درخت ممدود كردانيد چنانچه همه لشكر اسلام درآن ساية بياسودند واين آيت نازل شد ونشان خصوصيت قربت آنكه فرمود ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ موسى عليه السلام را بوقت طلب ﴿أَرِنِيٓ﴾ [الأعراف: ١٤٣] داغ ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] بردل نهاد واين

حضرت رابي طلب فرمودكه نه مرا بيني ودر من مي نكري ديكرچه خواهي]:

فرقست ميان آنكه يارش در بر ... با آنكه دوچشم انتظارش بر در

وفي «المثنوي»:

مرغ بربالا پران وسايه اش ... مي دود برخاك وپران مرغ وش
ابلهي صياد آن سايه شود ... مي دود چند آنكه بي مايه شود
بي خبر كان عكس آن مرغ هواست ... بي خبر كه أصل آن سايه كجاست
تير اندازد بسوى سايه أو ... تركشش خالي شود ازجست وجو
تركش عمرش تهي شد عمررفت ... از دويدن درشكار ساية تفت
ساية يزدان چو باشد دايه اش ... وارهاند از خيال وساية اش
ساية بيزدان بود بنده خدا ... نرده اين عالم وزنده خدا
دامن أو كير زو تر بي كمان ... تا رهي در دامن آخر زمان
«كيف مد الظل» نقش أولياست ... كاو دليل نور خورشيد خداست
اندراين وادي مرو بي اين دليل ... «لا أحب الآفلين» كوچون خليل
رو زساية آفتابي را بياب ... دامن شه شمس تبريزي بتاب

قال في «المصطلحات»: الظل هو الوجود الإضافي الظاهر بتعينات الأعيان الممكنة وأحكامها التي هي معدومات ظهرت باسمه النور الذي هو الوجود الخارجي المنسوب إليها فيستر ظلمة عدميتها النور الظاهر بصورها صار ظلاً لظهور الظل بالنور وعدميته في نفسه قال الله تعالى: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ أي: بسط الوجود الإضافي على الممكنات فالظمة بإزاء هذا النور هو العدم وكل ظلمة فهي عبارة عن عدم النور عما من شأنه أن يتنور به قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٧] والكامل المتحقق بالحضرة الواحدية والسلطان ظل الله أي ظل الحقيقة الإلهية الجامعة وهي سر الإنسان الكامل الذي صورته السلطان أعظم الظاهر أي في الجامعية والإحاطة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾.

﴿وهو﴾ أي الله تعالى وحده ﴿الذي جعل لكم الليل لباساً﴾ كاللباس يستركم بظلامه كما يستر اللباس فشبه ظلامه باللباس في الستر وأصل اللبس ستر الشيء وجعل اللباس وهو ما يلبس اسماً لكل ما يغطي الإنسان من قبيح وجعل الزوج لزوجها لباساً في قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] من حيث أنه يمنعها عن تعاطي قبيح وجعل التقوى لباساً في قوله: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الأعراف: ٢٦] على طريق التمثيل والتشبيه.

فإن قلت: إذا كان ظلمة الليل لباساً فلا حاجة إلى ستر العورة في صلاة الليل.

قلت: لا اعتبار لستر الظلمة فإن ستر العورة باللباس ونحوه لحق الصلاة وهو باق في الظلمة والضوء. ﴿والنوم سباتاً﴾ النوم استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد والسبت قطع العمل ويوم سبتهم يوم قطعهم للعمل وسمي يوم السبت لذلك، أو لانقطاع الأيام

عنده لأن الله تعالى ابتدأ بخلق السمٰوات والأرض يوم الأحد، فخلقها في ستة أيام فقطع عمله يوم السبت كما في «المفردات».

والمعنى وجعل النوم الذي يقع في الليل غالباً راحة للأبدان بقطع المشاغل والأعمال المختصة بحال اليقظة أو جعله موتاً فعبر عن القطع بالسبات الذي هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة في انقطاع الحياة وعليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] فالموت والنوم من جنس واحد خلا أن الموت هو الانقطاع الكلي أي انقطاع ضوء الروح عن ظاهر البدن وباطنه والنوم هو الانقطاع الناقص أي انقطاع ضوء الروح عن ظاهره دون باطنه والمسبوت الميت لانقطاع الحياة عنه والمريض المغشى عليه لزوال عقله وتمييزه وعليه قولهم: مثل المبطون والمفلوج والمسبوت ينبغي أن لا يبادر إلى دفنهم حتى يمضي يوم وليلة ليتحقق موتهم. ﴿**وجعل النهار نشوراً**﴾ النهار الوقت الذي ينتشر فيه الضوء وهو في الشرع ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس وفي الأصل ما بين طلوع الشمس إلى غروبها والنشور إما من الانتشار أي وجعل النهار ذا نشور أي انتشار ينتشر فيه الناس لطلب المعاش وابتغاء الرزق كما قال: ﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣] أو من نشر الميت إذا عاد حياً أي وجعل النهار زمام بعث من ذلك السبات والنوم كبعث الموتى على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي نفس البعث على الطريق المبالغة.

وفيه إشارة إلى أن النوم واليقظة انموذج للموت والنشور.

وعن لقمان عليه السلام: يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنتشر وفي «المثنوي».

نوم ما چون شد اخ الموت أي فلان زين برادر آن برادررا بدان

وفي الآية رخصة للمنام بقدر دفع الضرورة وهو فتور البدن.

قال بعض الكبار: النوم راحة للبدن والمجاهدات إتعاب البدن فيتضادان وحقيقة النوم سد حواس الظاهر لفتح حواس القلب والحكمة في النوم أن الروح القدسي أو اللطيفة الربانية أو النفس الناطقة غريبة جداً في هذا الجسم السفلي مشغولة بإصلاحه وجلب منافعه ودفع مضاره محبوسة فيه ما دام المرء يقظان فإذا نام ذهب إلى مكانه الأصلي ومعدنه الذاتي فيستريح بواسطة لقاء الأوراح ومعرفة المعاني والغيوب مما يتلقى في حين دهابه إلى عالم الملكوت من المعاني التي يراها بالأمثلة في عالم الشهادة وهو السر في تعبير الرؤيا فإذا هجر المجاهد النوم والاستراحة ذابت عليه أجزاء الأركان الأربعة من الترابية والمائية والنارية والهوائية فيعرى القلب حينئذٍ عن الحجب فينظر إلى عالم الملكوت بعين قلبه فيشتاق إلى ربه وربما يرى المقصود في نومه كما حكي عن شاه شجاع أنه لم ينم ثلاثين سنة فاتفق أنه نام ليلة فرأى الحق سبحانه في منامه ثم بعد ذلك كان يأخذ الوسادة معه ويضطجع حيث كان فسئل عن ذلك فأنشأ يقول:

رأيت سرور قلبي في منامي فأحببت التنعس والمناما

فهذا حال أهل النهاية فإنهم حيث كانت بصيرتهم يقظانة كان منامهم في حكم اليقظة ولذا قال بعضهم:

مشو بمرك زامداد أهل دل نوميد كه خواب مردم آكاه عين بيداريست

وأما حال غيرهم فكما قيل:

سر آنكه ببالين نهد هو شمند كه خوابش بقهر آورد در كمند

وعن ذي النون المصري رحمه الله: ثلاثة من أعلام العبادة حب الليل للسهر في الطاعة والخلوة بالصلاة وكراهة النهار لرؤية الناس والغفلة لرؤية الناس والغفلة عن الصلاة والمبادرة بالأعمال مخافة الفتنة.

قال بعضهم: جعل الليل وقتاً لسكون قوم ووقتاً لانزعاج آخرين فأرباب الغفلة يسكنون في ليلهم والمحبون يسهرون فإن كانوا في روح الوصال فلا يأخذهم النوم لكمال أنسهم وإن كانوا في ألم الفراق فلا يأخذهم النوم لكمال قلقهم فالسهر للأحباب صفة إما لكمال السرور أو لهجوم الغموم ثم الأدب عند الانتباه أن يذهب بباطنه إلى الله تعالى ويصرف فكره إلى أمر الله قبل أن يجول الفكر في شيء سوى الله ويشغل اللسان بالذكر فالصادق كالطفل الكلف بالشيء إذا نام ينام على محبة الشيء وإذا انتبه يطلب ذلك الذي كان كلفاً به وعلى هذا الكلف والشغل يكون الموت والقيام إلى الحشر فلينظر وليعتبر عند انتباهه من النوم ما همه فإنه يكون هكذا عند القيام من القبر إن كان همه الله وإلا فهمه غير الله.

وفي الخبر: «إذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد فإن قعد وذكر الله تعالى انحلت عقدة فإن توضأ انحلت أخرى وإن صلى ركعتين انحلت كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح كسلان خبيث النفس» وفي خبر آخر: «إن نام حتى يصبح بال الشيطان في أذنه» والعياذ بالله من شر النفس والشيطان.

﴿وهو﴾ تعالى وحده ﴿الذي أرسل الرياح﴾ [كشاد بادها درهوا قال في «كشف الأسرار» إرسال اينجا بمعنى كشادن است جنانكه كويي] أرسلت الطائر وأرسلت الكلب المعلم انتهى.

وفي «المفردات»: قد يكون الإرسال للتسخير كإرسال الريح والريح معروفة وهي فيما قيل الهواء المتحرك وقيل في الرحمة: رياح بلفظ الجمع لأنها تجمع الجنوب والشمال والصبا وقيل في العذاب: ريح لأنها واحدة وهي الدبور وهو عقيم لا يلقح ولذا ورد في الحديث: «اللهم اجعلها لنا رياحاً ولا تجعلها ريحاً» ﴿بشراً﴾ حال من الرياح تخفيف بشر بضمتين جمع بشوراً وبشير بمعنى مبشر لأن الرياح تبشر بالمطر كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: ٤٦] بالفارسية [بشارت دهندكان] ﴿بين يدي رحمته﴾ أي: قدام المطر على سبيل الاستعارة وذلك لأنه ريح ثم سحاب ثم مطر.

وبالفارسية [پيش ازنزول رحمت كه اوبارانست يعني وزيدن ايشان غالباً دلالت ميكند بروقوع مطر داراوان آن باران آسمانرا رحمن نام كرد ازانكه برحمت ميفرستد] ﴿وأنزلنا﴾ بعظمتنا والالتفات إلى نون العظمة لإبراز كمال العناية بالإنزال لأنه نتيجة إرسال الرياح ﴿من السماء﴾ من جهة الفوق وقد سبق تحقيقه مراراً ﴿ماء طهوراً﴾ بليغاً في الطهارة وهو الذي يكون طاهراً في نفسه ومطهراً لغيره من الحدث والنجاسة. وبالفارسية [آبي پاك وپاك كننده].

والطهور يجيء صفة كما في ماء طهوراً واسماً كما في قوله عليه السلام: «التراب طهور المؤمن» وبمعنى الطهارة كما في تطهرت طهوراً حسناً أي وضوءاً حسناً ومنه قوله عليه السلام: «لا صلاة إلا بالطهور».

قال في «فتح الرحمٰن»: الطهور هو الباقي على أصل خلقته من ماء المطر والبحر والعيون والآبار على أي صفة كان من عذوبة وملوحة وحرارة وبرودة وغيرها وما تغير بمكثه أو بطاهر لا يمكن صونه عنه كالتراب والطحلب وورق الشجر ونحوها فهو طاهر في نفسه مطهر

لغيره يرفع الأحداث ويزيل الأنجاس بالاتفاق قال: تغير عن أصل خلقته بطاهر يغلب على أجزائه ما يستغني عنه الماء غالباً لم يجز التطهير به عند الثلاثة وجوز أبو حنيفة رحمه الله الوضوء بالماء المتغير بالزعفران ونحوه من الطاهرات ما لم تزل رقته.

وقال أيضاً: يجوز إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة كالخل وماء الورد ونحوهما وخالفه الثلاثة ومحمد بن الحسن وزفر كما فصل في الفقه ثم في توصيف الماء بالطهور مع أن وصف الطهارة لا دخل له في ترتيب الأحياء والسقي على إنزال الماء إشعار بالنعمة فيه لأن وصف الطهارة نعمة زائدة على إنزال ذات الماء وتتميم للمنة المستفادة من قوله لنحيي به ونسقيه فإن الماء الطهور أهنأ وأنفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغي أن يطهروها كانت بواطنهم بذلك أولى لأن باطن الشيء أولى بالحفظ عن التلوث من ظاهره وذلك لأن منظر الحق هو باطن الإنسان لا ظاهره والتطهير مطلقاً سبب لتوسع الرزق كما قال عليه السلام: «دم الطهارة يوسع عليك الرزق» والماء الذي هو سبب الرزق الصوري طاهر مطهر فينبغي لطالبه أن يكون دائماً على الطهارة الظاهرة فإنها الجالبة له وأما الطهارة الباطنة فجالبة للرزق المعنوي وهو ما يكون غذاء للروح من العلو والفيوض.

﴿لنحيي به﴾ أي: بما أنزلنا من السماء من الماء الطهور وهو تعليل للإنزال ﴿بلدة ميتاً﴾ لا أشجار فيها ولا أثمار ولا مرعى وإحياؤها بإنبات النبات والمراد القطعة من الأرض عامرة كانت أو غيرها. وبالفارسية [شهرى مرده يعني موضعي كه درخشك سال بوده يا مكاني راكه در زمستان خشك وافسرده كشت].

والتذكير حيث لم يقل بلدة ميتة لأنه بمعنى البلد أو الموضع والمكان ولأنه غير جار على الفعل بأن يكون على صيغة اسم الفاعل أو المفعول فأجري مجرى الجامد. ﴿ونسقيه﴾ أي ذلك الماء الطهور عند جريانه في الأودية أي اجتماعه في الحياض أو المنابع والآبار. وبالفارسية: [وبياشامانيم أن اب] وسقى وأسقى لغتان بمعنى يقال: سقاه الله الغيث وأسقى والاسم السقيا.

قال الإمام الراغب: السقي والسقيا أن تعطيه ماء ليشربه والإسقاء أن تجعل له ذلك حتى يتناوله كيف يشاء والإسقاء أبلغ من السقي لأن الإسقاء هو أن تجعل له ماء يستقي منه ويشرب كقوله: أسقيته نهراً.

فالمعنى مكناهم من أن يشربوه ويسقوا منه أنعامهم ﴿مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً﴾ متعلق بقوله: نسقيه أي نسقي ذلك الماء بعض خلقنا من الأنعام والأناسي وانتصابها على البدل من محل الجار والمجرور في قوله مما خلقنا.

ويجوز أن يكون أنعاماً وأناسي مفعول نسقيه. ومما خلقنا متعلق بمحذوف على أنه حال من أنعاماً والأنعام جمع نعم وهي المال الراعية وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل.

وقال في «المغرب»: الأنعام الأزواج الثمانية في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣] وأناسي جمع إنسان عند سيبويه على أن أصله أناسين فأبدلت النون ياء وأدغم فيها الياء التي قبلها.

وقال الفراء والمبرد والزجاج: إنه جمع أنسي وفيه نظر لأن فعالى إنما يكون جمعاً لما فيه ياء مشددة لا تدل على نسب نحو كراسي في جمع كرسي فلو أريد بكرسي النسب لم يجز

جمعه على كراسيّ ويبعد أن يقال أن الياء في أنسي ليست للنسب وكان حقه أن يجمع على أناسية نحو مهالية في جمع المهلى كذا في «حواشي ابن الشيخ».

وقال الراغب: الإنسي منسوب إلى الإنس يقال ذلك لمن كثر أنسه ولكل ما يؤنس به وجمع الأنسيّ أناسي وقال في الكرسي أنه في الأصل منسوب إلى الكرس أي التلبد ومنه الكراسة للمتلبد من الأوراق انتهى.

قوله كثيراً صفة أناسي لأنه بمعنى بشر والمراد بهم أهل البوادي الذين يعيشون بالمطر ولذا نكر الأنعام والأناسي. يعني أن التنكير للأفراد النوعي وتخصيصهم بالذكر لأن أهل المدن والقرى يقيمون بقرب الأنهار والمنابع فلا يحتاجون إلى سقيا السماء وسائر الحيوانات من الوحوش والطيور تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالباً يقال: أعوزه الشيء إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه وخص الأنعام بالذكر لأنها قنية للإنسان أي يقتنيها ويتخذها لنفسه لا للتجارة وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها فلذا قدم سقيها على سقيهم كما قدم على الأنعام إحياء الأرض فإنه سبب لحياتها وتعيشها فانظر كيف رتب ذكر ما هو رزق الإنسان ورزق رزقه فإن الأنعام رزق الإنسان والنبات رزق الأنعام والمطر رزق النبات فقدم ذكر المطر ورتب عليه ذكر حياة الأرض بالنبات ورتب عليه ذكر الأنعام.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

﴿ولقد صرفناه﴾ أي: وبالله لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر لما مر من الغايات الجليلة في القرآن وغيره من الكتب السماوية **﴿بينهم﴾** أي: بين الناس من المتقدمين والمتأخرين. **﴿ليذكروا﴾** أي: ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره حق القيام وأصله يتذكروا والتذكر التفكر **﴿فأبى﴾** الإباء شدة الامتناع ورجل أبي ممتنع من تحمل الضيم وهو متأول بالنفي ولذا صح الاستثناء، أي لم يفعل أو لم يرد أو لم يرض. **﴿أكثر الناس﴾** ممن سلف وخلف **﴿إلا كفوراً﴾** إلا كفران النعمة وقلة المبالاة بشأنها فإن حقها أن يتفكر فيها ويستدل بها على وجود الصانع وقدرته وإحسانه وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك أداء شكرها وأعظم الكفر جحود الوحدانية أو النبوة أو الشريعة والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً والكفر في الدين أكثر والكفور فيهما جميعاً كما في «المفردات» وأكثر أهل التفسير على أن ضمير صرفناه راجع إلى نفس الماء الطهور الذي هو المطر. فالمعنى **﴿ولقد صرفناه﴾** أي فرقنا المطر بينهم بإنزاله في بعض البلاد والأمكنة دون غيرها أو في بعض الأوقات دون بعض أو على صفة دون أخرى بجعله تارة وابلاً وهو المطر الشديد وأخرى طلاً وهو المطر الضعيف ومرة ديمة وهو المطر الذي يدوم أياماً فأبى أكثر الناس إلا جحوداً للنعمة وكفراً بالله تعالى بأن يقولوا: مطرنا بنوء كذا أي بسقوط كوكب كذا كما يقول المنجمون فجعلهم الله بذلك كافرين حيث لم يذكروا صنع الله تعالى ورحمته بل أسندوا مثل هذه النعمة إلى الأفلاك والكواكب فمن لا يرى الأمطار إلا من الأنواء فهو كافر بالله بخلاف من يرى أن الكل بخلق الله تعالى والأنواء أمارات بجعل الله تعالى والأنواء النجوم التي يسقط واحد منها في جانب المغرب وقت طلوع الفجر ويطلع رقيبه في جانب المشرق من

ساعته والعرب كانت تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها وقيل إلى الطالع منها لأنه في سلطانه يقال: ناء به الحمل أثقله وأماله فالنوء نجم مال للغروب ويقال لمن طلب حاجة فلم ينجح أخطأ نوءك وفي الحديث: «ثلاث من أمر الجاهلية الطعن في الأنساب والنياحة والأنواء» وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى النبي ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «قال أصبح عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال: مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب» كذا في «كشف الأسرار». فعلى المؤمن أن يحترز من سوء الاعتقاد ويرى التأثير في كل شيء من رب العباد فالمطر بأمره نازل وفي إنزاله إلى بلد دون بلد وفي وقت دون وقت وعلى صفة دون صفة حكمة ومصلحة وغاية جليلة. روي: أن الملائكة يعرفون عدد القطر ومقداره في كل عام لأنه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد. روي: مرفوعاً: «ما من ساعة من ليل ولا نهار إلا السماء المطر فيها يصرفه الله حيث يشاء» وفي الحديث: «ما من سنة بأمطر من أخرى ولكن إذا عمل قوم بالمعاصي حوّل الله ذلك إلى غيرهم فإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار» وفي «المثنوي».

تو بزن يا ربنا آب طهور ... تا شود اين نار عالم جمله نور
آب دريا جمله در فرمان تست ... آب وآتش أي خداوندان تست
كرتوخواهى آتش آب خوش شود ... ورنخواهى آب آتش هم شود
اين طلب ازما هم ازايجادتست ... رستن از بيداد يا رب دادتست
بي طلب تو اين طلب مان دادة ... كنج احسان برهمه بكشادة

﴿ولو شئنا﴾ أردنا ﴿لبعثنا﴾ [برانكيختيم وفرستاديم].

قال الراغب: البعث إثارة الشيء وتوجيهه ﴿في كل قرية﴾ مصر ومدينة وبالفارسية: [درهر ديهى ومجتمعي] فإن القرية اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس ﴿نذيراً﴾ بمعنى المنذر والإنذار إخبار فيه تخويف أي نبياً ينذر أهلها فيخفف عليك أعباء النبوة ولكن بعثناك إلى القرى كلها رسولاً وقصرنا الأمر عليك إجلالاً لشأنك وإعظاماً لأجرك وتفضيلاً لك على سائر الرسل. وبالفارسية: [أما بجهت تعظيم وعلو مكان تو نبوت را برتو ختم كرديم وترا بر كافة مردمان تا بروز قيامت مبعوث ياختيم].

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى كمال القدرة والحكمة وعزة النبي عليه السلام وتأديب الخواص. أما القدرة فأظهر أنه قادر على ما يشاء وليس الأمر كما زعم الفلاسفة والطبايعية أن ظهور أرباب النبوة يتعلق بالقرانات والاتصالات فحسب بل يتعلق بالقدرة كيف يشاء وما يشاء. والذي يدل على بطلان أقاويلهم وصحة ما قلنا ما روي أن موسى عليه السلام تبرّم وقتاً بكثرة ما كان يسأل فأوحى الله في ليلة واحدة إلى ألف نبي من بني إسرائيل فأصبحوا رسلاً وتفرق الناس عن موسى عليه السلام فضاق قلب موسى وقال: يا رب إني لم أطق ذلك فقبض الله أرواحهم في ذلك اليوم. وأما الحكمة فقد اقتضت قلة الأنبياء في زمان واحد إظهاراً لعزتهم فإن في الكثرة نوعاً من الإزراء وأيضاً فيها احتمال غيرة البعض على البعض كما غار موسى على تلك الأنبياء فأماتهم الله تعالى عزة لموسى عليه السلام. وأما عزة النبي عليه السلام

فبانفراده في النبوة في زمانه واختصاصه بالفضيلة على الكافة وإرساله إلى الجملة ونسخ الشرائع بشريعته وختم النبوة به وحفظ كتابه عن النسخ والتغيير والتحريف وإقامة ملته إلى قيام الساعة. وأما تأديب الخواص فبقوله: ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً﴾ إذ نوع تأديب للنبي عليه السلام بأدق إشارة كما قال: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦] فالقصد أن يتأدب به خواص عباده وأن يكونوا معصومين من رؤية الأعمال والعجب بها انتهى. يعني [مقصود آنست كه رب العزة ميخواهد تادوستان وخواص بندكان خود پيوسته معصوم دارد از آنكه ايشانرا باخود التفاتي بود يا باروش خويش نظري كنند].

﴿فلا تطع الكافرين﴾ فيما ندبوك إليه من عبادة الآلهة واتباع دين الآباء وأغلظ عليهم ولا تداهنهم وأثبت على الدعوة وإظهار الحق ﴿وجاهدهم﴾ [وجهاد كن با ايشان وباز كوش] والجهاد والمجاهدة استغراق الوسع في مدافعة العدو ﴿به﴾ أي بالقرآن بتلاوة ما في تضاعيفه من المواعظ وتذكير أحوال الأمم المكذبة ﴿جهاداً كبيراً﴾ عظيماً تاماً شديداً لا يخالطه فتور فإن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف وإنما لم يحمل المجاهدة على القتال بالسيف لأنه إنما ورد الإذن بعد الهجرة بزمان والسورة مكية.

قال الإمام الراغب: المجاهدة تكون باللسان واليد وفي الحديث: «جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم» وفي حديث آخر: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» قوله: وألسنتكم أي أسمعوهم ما يكرهونه ويشق عليهم سماعه من هجو وكلام غليظ ونحو ذلك كما في «مشارع الأشواق».

يقول الفقير: ويجوز أن يكون الجهاد بالألسنة بترك المداهنة في حقهم وإغراء الناس على دفع فسادهم كما أن الجهاد بالأموال بالدفع إلى من يحاربهم ويستأصلهم.

ثم الإشارة بلفظ المشركين إلى أهل الرياء والبدع فإشارة الخطاب في جاهدوا أيضاً إلى أصحاب الإخلاص والسنة فإنه لا بد لأهل الحق من جهاد أهل البطلان في كل زمان خصوصاً عند غلبة الخوف فإنه أفضل الجهاد كما قال عليه السلام: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر» وإنما كان أفضل الجهاد لأن من جاهد العدو كان متردداً بين رجاء وخوف ولا يدري هل يغلب أو يغلب وصاحب السلطان مقهور في يده فهو إذا قال الحق وأمره بالمعروف فقد تعرض للتلف فصار ذلك أفضل أنواع الجهاد من أجل غلبة الخوف كذا في «أبكار الأفكار» للسمرقندي.

ثم الإشارة في الآية إلى النفس وصفاتها فلا تطعهم وجاهدهم بسيف الصدق على قانون القرآن في مخالفة الهوى وترك الشهوات وقطع التعلقات جهاداً كبيراً لا تواسيهم بالرخص وتعاندهم بالعزائم قائماً بحق الله من غير جنوح إلى غيره أو مبالاة بما سواه. وفي «المثنوي»:

أي شهان كشتيم ما خصم برون ... ماند خصمي زان بتر درانـدرون
كشتن اين كار عقل وهوش نيست ... شير باطن سخرة خركوش نيست
دوزخست اين نفس ودوزخ ازدهاست ... كوبدرياها نكردد كم وكاست
هفت دريارا درآشامد هنوز ... كم نكردد سوزش آن خلق سوز
قوت ازحق خواهم وتوفيق ولاف ... تابسوزن بركنم اين كوه قاف
سهل شيري دانكه صفها بشكند ... شير آنست آنكه خودرا بشكند

اللهم سلمنا من آفات العدو مطلقاً.

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾.

﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ من مرج الدابة خلاها وأرسلها ترعى ومرج أمرهم اختلط والبحر الماء الكثير عذباً كان أو ملحاً عند الأكثر وأصله المكان الواسع الجامع للماء الكثير كما في «المفردات». والمعنى خلاهما وأرسلهما في مجاريهما كما يرسل الخيل في المرج متلاصقين بحيث لا يتمازجان ولا يلتبس أحدهما بالآخر ويدل على بعد كل منهما عن الآخر مع شدة التقارب بينهما الإشارة إلى كل منهما بأداة القرب كما يجيء ويجوز أن يكون محمولاً على المقيد وهو قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ [الرحمٰن: ١٩] ﴿هذا عذب﴾ حال بتقدير القول أي مقولاً في حقهما هذا عذب أي طيب. وبالفارسية [اين يك اب شيرين] ﴿فرات﴾ قاطع للعطش لغاية عذوبته صفة عذب والتاء أصلية.

قال الطيبي: سمي بالفرات لأنه يرفت العطش أي يكسره على القلب يعني يكفي في اعتبار معنى الكسر اشتقاق الفرات منه بالاشتقاق الكبير كجبذ من الجذب ومنه سمي الفرات نهر الكوفة وهو نهر عظيم عذب طيب مخرجه من أرمينية وفي الملكوت أصله في قرية من قرى جابلقا ينحدر إلى الكوفة وآخر مصبه بعضاً في دجلة وبعضاً في بحر فارس ﴿وهذا ملح﴾ [وان ديكرشور].

قال الراغب: الملح الماء الذي تغير طعمه التغير المعروف وتجمد ويقال له ملح إذا تغير طعمه وإن لم يتجمد فيقال ماء ملح وقلما تقول العرب ماء مالح ﴿أجاج﴾ بليغ الملوحة صفة الملح قالوا: إن الله تعالى خلق ماء البحر مرّاً زعاقاً أي مرجاً غليظاً بحيث لا يطاق شربه أنزل من السماء ماء عذباً فكل ماء عذب من بئر أو نهر أو عين فمن ذلك المنزل من السماء وإذا اقتربت الساعة بعث الله ملكاً معه طست لا يعلم عظمه إلا الله فجمع تلك المياه فردها إلى الجنة. واختلفوا في ملوحة ماء البحر فزعم قوم أنه لما طال مكثه وأحرفته الشمس صار مراً ملحاً واجتذب الهواء ما لطف من أجزائه فهو بقية صفته الأرض من الرطوبة فغلظ لذلك. وزعم آخرون أن في البحر عروقاً تغير ماء البحر ولذلك صار مراً زعاقاً. ﴿وجعل بينهما﴾ أي بين البحرين. وبالفارسية [وبساخت ميان اين دودريا]. ﴿برزخاً﴾ حداً وحاجزاً من قدرته غير مرئي ﴿وحجراً محجوراً﴾ الحجر بمعنى المنع والمحجور الممنوع وهو صفة الحجر على التأكيد كليل أليل ويوم أيوم وهذه كلمة استعاذة كما سبق في هذه السورة. والمعنى ههنا على التشبيه أي تنافراً بليغاً كأن كلاً منهما يتعوذ من الآخر بتلك المقالة ويقول حراماً محرماً عليك أن تغلب علي وتزيل صفتي وكيفيتي.

اعلم أن أكثر أهل التفسير حمل البحرين على بحري فارس والروم فإنهما يلتقيان في البحر المحيط وموضع التقائهما هو مجمع البحرين المذكور في الكهف ولكن يلزم على هذا أن يكون البحر الأول عذباً والثاني ملحاً مع أنهم قالوا: لا وجود للبحر العذب وذلك لأنهما في الأصل خليجان من المحيط وهو مرّ وإن كان أصله عذباً كما قال في «فتح القريب» عند قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] أي العذب فحين خلق الله الأرض من زبده جزر المحيط عن الأرض فأحاط بالعالم إحاطة العين لسوادها فالوجه أن يحمل العذب على واحد

من الأنهار فإن كل نهر عظيم بحر كما في «مختار الصحاح» كدجلة نهر بغداد تنصب إلى بحر فارس وتدخل فيه وتشقه وتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها كما أن الماء الذي يجرى في نهر طبرية نصفه بارد ونصفه حار فلا يختلط أحدهما بالآخر و الأوجه أن يمثل بالنيل المبارك والبحر الأخضر وهو بحر فارس الذي هو شعبة من البحر الهندي الذي يتصل بالبحر المحيط وبحر فارس مرّ فإنه صرح في «خريدة العجائب» أنه يتكون فيه اللؤلؤ وإنما يتكون في الملح وذلك أن بحر النيل يدخل في البحر الأخضر قبل أن يصل إلى بحيرة الزنج ويختلط به وهو معنى المرج ولولا اختلاطه بملوحته لما قدر أحد على شربه لشدة حلاوته كما في «إنسان العيون».

وذكر بعضهم أن سيحون وجيحون والنيل والفرات تخرج من قبة من زبرجدة خضراء من جبل عال وتسلك على البحر المظلم وهي أحلى من العسل وأذكى رائحة من المسك ولكنها تتغير المجارى فالبحر الملح على هذا هو بحر الظلمة وهو البحر المحيط الغربي ويسمى المظلم لكثرة أهواله وارتفاع أمواجه وصعوبته ولا يعلم ما خلفه إلا الله تعالى وما قيل أن الماء العذب والماء الملح يجتمعان في البحر فيكون العذب أسفل والملح أعلى لا يغلب أحدهما على الآخر وهو معنى قوله وحجراً محجوراً يخالف ما قال بعضهم أن كل الأنهار تبتدىء من الجبال وتنصب في البحار وفي ضمن ممرها بطائح وبحيرات فإذا صبت في البحر المالح وأشرقت الشمس على البحر تصعد إلى الجو بخاراً وتنعقد غيوماً أي ولذا لا يزيد ماء البحار بانصباب الأنهار فيها فهو يقتضي أن يكون الماء العذب أعلى لا أسفل إذ العذب خفيف والملح ثقيل وميل الخفيف إلى الأعلى.

وقال وهب: إن الحوت والثور يبتلعان ما ينصب من مياه الأرض في البحار فلذا لا يزيد ماء البحار فإذا امتلأت أجوافهما من المياه قامت القيامة ولا نهاية لقدرة الله تعالى فقد ذكروا أن بحيرة تنيس تصير عذبة ستة أشهر وتصير ملحاً أجاجاً ستة أشهر كذا دأبها أبداً.

قال الكاشفي: [محققان بر آنندكه بحرين خوف ورجاست كه دردل مؤمن هيچ يك برديكرى غلبه نكندكه «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا» وبرزخ حمايت الهي وعنايت نا متناهي] وفي «كشف الأسرار»: البحر الملح لا عذوبة فيه والعذب لا ملوحة فيه وهما في الجوهرية واحدة ولكنه سبحانه بقدرته غاير بينهما في الصفة كذلك خلق القلوب بعضها معدن اليقين والعرفان وبعضها محل الشك والكفران.

وقال بعضهم: البحران بحر المعرفة وبحر النكرة فالأول بحر الصفات يفيض لطائفة على الأرواح والقلوب والعقول ويستعد به والعارفون والثاني بحر الذات فإنه ملح أجاج لا تتناوله العقول والقلوب والأرواح إذ لا تسير السيارات في بحار القدم فهي نكرة وبينهما برزخ المشيئة لا يدخل أهل بحر الصفات بحر الذات ولا يرجع أهل بحر الذات إلى بحر الصفات. وأيضاً قلوب أهل المعرفة منورة بأنوار الموافقات وقلوب أهل النكرة مظلمة بظلمة المخالفات وبينهما قلوب العامة ليس لها علم ما يرد عليها وما يصدر منها فليس معها خطاب ولا لها جواب. وفي «المثنوي»:

ما هيانرا بحر نكذارد برون ... خاكيانرا بحر نكذارد درون
أصل ما هي زاب وحيوان ازكلست ... حيله وتدبير اينجا باطلست

قفل زفتست وكشاينده خدا دست درتسليم زن اندر رضا
قطره باقلزم چه استيزه كند ابلهست اوريش خود برمى كند

نسأل الله الفياض الوهاب أن يدخلنا في بحر فيضه الكثير وعطائه الوفير وهو على ذلك قدير.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿**وهو الذي خلق**﴾ أوجد ﴿**من الماء**﴾ هو الماء الذي خمر به طينة آدم عليه السلام أو هو النطفة ﴿**بشراً**﴾ آدمياً والبشرة ظاهر الجلد كما أن الأدمة محركة باطنه الذي يلي اللحم وعبر عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلدة من الشعر بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر أو الوبر كالضأن والمعز والإبل رخص في القرآن كل موضع اعتبر من الإنسان جثته وظاهره بلفظ البشر واستوى فيه الواحد والجمع ﴿**فجعله**﴾ أي البشر أو الماء ﴿**نسباً وصهراً**﴾ أي قسمه قسمين ذوي نسب أي ذكوراً ينسب إليهم فيقال فلان ابن فلان وفلانة بنت فلان.

فإنما أمهات الناس أوعية مستودعات وللآباء ابنا

وذوات صهر أي إناثاً يصاهر بهن ويخالط كقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٩].

قال الإمام الراغب: النسب اشتراك من جهة الأبوين وذلك ضربان نسب بالطول كالاشتراك بين الآباء والأبناء ونسب بالعرض كالنسبة بين الإخوة وبني العم وقيل: فلان نسيب فلان أي قريبه انتهى. والصهر زوج بنت الرجل وزوج أخته كالختن على ما في «القاموس»: وقيل غير ذلك.

وفي «تاج المصادر»: [المصاهرة: با كسى بنكاح وصلت كردن] ﴿**وكان ربك قديراً**﴾ مبالغاً في القدرة حيث قدر أن يخلق من مادة واحدة بشراً ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من مادة واحدة توأمين ذكراً وأنثى.

قال في «كشف الأسرار»: [ابن سيرين كفت اين آيت در مصطفى عليه السلام وعلي كرم الله وجهه فرو آمدكه مصطفى دختر خويش را بزنى بعلي داد على پسر عمش بود وشوهر دخترش هم نسب بودهم صهر وقصة تزويج فاطمة رضي الله عنها آنست كه مصطفى عليه السلام روزي در مسجد آمد شاخي ريحان بدست كرفته سلمان را رضي الله عنه كفت يا سلمان رو على را خوان سلمان رفت وكفت يا علي أجب رسول الله على كفت يا سلمان رسول خدايرا اين زمان چون ديدى وچكونه اوراكذ شتى كفت يا علي سخت شادان وخندان چون ماه تابان وشمع رخشان على آمد بنزديك مصطفى عليه السلام ومصطفى آن شاخ ريحان فرادست على داد عظيم خوش بوى بود كفت يا رسول الله اين چه بوبست بدين خوشى كفت يا علي ازان نثارهاست كه حور بهشت كرده اند تزويج دخترم فاطمه كفت باكه يا رسول الله كفت باتوا يا علي من در مسجد نشسته بودم كه فرشته در آمد برصفتي كه هرمز چنان نديده بودم كفت نام من محمود ست ومقام من در آسمان دنيا در مقام معلوم خود بودم ثلثي زشب ندايى شنيدم از طبقات آسمان كه أي فرشتكان مقربان وروحانيان وكروبيان همه جمع شويد درآسمان چهارم

همه جمع شدند وهمچنين مكان مقعد صدق وأهل فراديس أعلى ودرجات عدن حاضر كشتند فرمان آمدكه أي مقربان دركاه وأي خاصكيان پادشاه سورة هل أتى على الإنسان برخوانيد ايشان همه بآواز دلربايى بالحان طرب افزايى سورة هل أتى خواندن كرفتند آنكه درخت طوبى را فرمان آمدتو نثاركن بربهشتها بر تزويج فاطمة زهرا باعلي مرتضى ودرخت طوبى دربهشت هيچ قصر وغرفه ودريچه نيست كه از درخت طوبى در آنجا شاخى نيست پس طوبى برخود بلر زيد ودر بهشت كوهر ومرو اريد وحلها باريدن كرفت پس فرمان آمد تامنبري ازيك دانه مرو اريد سپيد در زير درخت طوبى بنهادند فرشتة كه نام أورا حيل است ودر هفت طبقة آسمان فرشتة از وفصيحتر وكويا ترنيست بآن منبر بر آمد وخدايرا جل جلاله ثنا كفت وبر پيغمبران درود داد آنكه جبار كائنات خداوند ذو الجلال قادر بركمال بي واسطه ندا كرد كه أي جبرائيل وأي ميكائيل شما هر دوكواه معرفت فاطمة باشيد ومن كه خداوندم ولي فاطمة أم وأي كروبيان وأي روحانيان آسمان شما كواه باشيدكه من فاطمة زهرا بزنى بعلي مرتضى دادم آن ساعت كه رب العزة اين ندا كرد برى بر آمد زير جنات عدن ابرى روشن وخوش كه دررن تيركى وكرفتكى نه وبوى خوش وجواهر نثار كرد ورضوان وولدان وحور بهشت برين عقد نثار كردند پس رب العزة مرابدين بشارت بتوفير ستاد يا محمد كفت حبيب مرا بشارت ده وباوى بكوكه ما اين عقد در آسمان بستيم تونيز در زمين ببنديد پس مصطفى عليه السلام مهاجر وانصار را حاضر كرد آنكه روى باعلي كرد كفت يا علي حنين حكمي در آسمان رفت اكنون من فاطمة دخترم را بچهار صد درم كابين بزنى بتودادم على كفت يا رسول الله من پذيرفتم نكاه وى رسول كفت بارك الله فيكما].

قال في «إنسان العيون»: كان في السنة الثانية من الهجرة تزويج فاطمة لعلي رضي الله عنهما عقد عليها في رمضان وكان عمرها خمس عشرة سنة وكان سن علي يومئذ إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وأولم عليها بكبش من عند سعد وآصع من ذرة من عند جماعة من الأنصار رضي الله عنهم ولما خطبها علي قال عليه السلام: «أن علياً يخطبك فسكتت» وفي رواية قال لها: «أي بنية إن ابن عمك قد خطبك فماذا تقولين» فبكت ثم قالت: كأنك يا أبت إنما ادّخرتني لفقير قريش فقال عليه السلام: «والذي بعثني بالحق ما تكلمت في هذا حتى أذن الله فيه من السماء» فقالت فاطمة: رضيت بما رضي الله ورسوله وقد كان خطبها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال عليه السلام: «لكل أنتظر بها القضاء» فجاء أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إلى علي رضي الله عنه يأمرانه أن يخطبها قال علي: فنبهاني أي لأمر كنت عنه غافلاً فجئته عليه السلام فقلت: تزوجني فاطمة قال: «وعندك شيء» قال: فرسي وبدني أي درعي قال: «أما فرسك فلا بد لك منها وأما بدنك فبعها» فبعتها بأربعمائة وثمانين درهماً فجئته عليه السلام فوضعتها في حجره فقبض منها قبضة فقال: «أي بلال ابتع بها طيباً» ولما أراد أن يعقد خطب خطبة منها: «الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بوحدته الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بحكمته ثم إن الله تعالى جعل المصاهرة نسباً وصهراً وكان ربك قديراً ثم إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي على أربعمائة مثقال فضة أرضيت يا علي» قال: رضيت بعد أن خطب علي أيضاً خطبة منها: «الحمد لله شكراً لأنعمه وأياديه وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغه وترضيه» ولما تم العقد دعا عليه السلام بطبق بسر فوضعه بين يديه ثم قال

للحاضرين انتهبوا وليلة بنى بها قال عليه السلام لعلي: «لا تحدث شيئاً حتى تلقاني» فجاءت بها أم أيمن حتى قعدت في جانب البيت وعلي في جانب آخر وجاء رسول الله فقال لفاطمة: «ائتني بماء» فقامت تعثر في ثوبها من الحياء فأتته بقعب فيه ماء فاخذه رسول الله ومج فيه ثم قال لها: «تقدمي» وتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال: اللهم إني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» ثم قال: «ائتوني بماء» فقال علي رضي الله عنه: فعلمت الذي يريد فقمت وملأت القعب فأتيت به فأخذه فمج فيه وصنع بي كما صنع بفاطمة ودعا لي بما دعا لها به ثم قال: «اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في شملهما» أي الجماع وتلا قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] والمعوذتين ثم قال: «ادخل بأهلك باسم الله والبركة» وكان فراشها إهاب كبش أي جلده وكان لهما قطيفة إذا جعلاها بالطول انكشفت ظهورهما وإذا جعلاها بالعرض انكشفت رؤوسهما وقالت له في بعض الأيام: يا رسول الله ما لنا فراش إلا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار فقال لها عليه السلام: «يا بنية اصبري فإن موسى بن عمران عليه السلام أقام مع امرأته عشر سنين ليس لهما فراش إلا عباءة قطوانية» وهي نسبة إلى قطوان موضع بالكوفة.

وفاطمة ولدتها خديجة رضي الله عنها قبل النبوة بخمس سنين ماتت بالمدينة بعد موت النبي عليه السلام بستة أشهر ولها ثمان وعشرون سنة ومناقبها كثيرة معروفة رضي الله عنها وعن أولادها واستشهد علي رضي الله عنه بالكوفة وهو ابن ثلاث وستين سنة وصلى عليه الحسن ودفن ليلاً وغيب قبره بوصية منه وكان مخفياً في زمن بني أمية وصدراً من خلافة بني العباس حتى دل عليه الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه قال عليه السلام لعلي رضي الله عنه: «يهلك فيك رجلان محب مطر وكذاب مفتر» كما في «إنسان العيون».

وفي «التأويلات النجمية»: الإشارة في الآية إلى أن الإنسان خلق مركباً من جنسين مختلفين صورته من عالم الخلق وروحه من عالم الأمر فجعل له نسباً وصهراً فنسبه إلى روحه وانتساب الروح إلى الله وإلى رسوله وانتسابه إلى الله بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [ص: ٧٢] وإلى رسوله بقوله عليه السلام: «أنا من الله والمؤمنون مني» فجعل الله خواص عباده من أهل هذا النسب وصهره بشريته التي خلقت من الماء كما قال تعالى: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [ص: ٧١-٧٢] جمع بين الأمرين فجعل الله عوام خلقه من أهل هذا الصهر فالغالب عليهم خواص البشر وهي الحرص والشهوة والهوى والغضب فيها يرد إلى الوركات السفلية والغالب على أهل النسب خواص الروحانية وهي الشوق والمحبة والطلب والحلم والكرم وبها يجذب إلى الدرجات العلية وكان ربك قديراً على جعل الفريقين من أهل الطريقين انتهى. قال المولى الجامي قدس سره:

قرب تو باسباب وعلل نتوان يافت   به سابقة فضل أزل نتوان يافت

والله المرجو في كل مسؤول.

﴿ويعبدون﴾ أي المشركون حال كونهم ﴿من دون الله﴾ متجاوزين عبادة الله تعالى ﴿ما لا ينفعهم﴾ إن عبدوه مفعول يعبدون. والنفع ما يستعان به في الوصول إلى الخيرات وما يتوصل به إلى الخير فهو خير والنفع الخير وضده الضر ﴿ولا يضرهم﴾ إن لم يعبدوه وما ليس من شأنه النفع والضر أصلاً وهو الأصنام وما في حكمها من المخلوقات إذ ما من مخلوق يستقل بالنفع

والضر فلا فائدة في عبادته والاعتماد عليه واتباعه ﴿وكان الكافر﴾ بشركه وعداوته للحق ﴿على ربه﴾ الذي رباه بنعمته متعلق بقوله ﴿ظهيراً﴾ عوناً للشيطان فالظهير بمعنى المظاهر أي المعين و المراد بالكافر الجنس أو أبو جهل فإنه أعان الشيطان على الرحمٰن في إظهار المعاصي والإصرار على عداوة الرسول وتشجيع الناس على محاربته ونحوها.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾.

﴿وما أرسلناك﴾ في حال من الأحوال ﴿إلا﴾ حال كونك ﴿مبشراً﴾ للمؤمنين بالجنة والرحمة. والتبشير إخبار فيه سرور ﴿ونذيراً﴾ منذراً للكافرين بالنار والغضب. والإنذار إخبار فيه تخويف.

﴿قل﴾ لهم ﴿ما أسألكم عليه﴾ أي على تبليغ الرسالة التي ينبىء عنها الإرسال ﴿من أجر﴾ من جهتكم فتقولوا أنه يطلب أموالنا بما يدعونا إليه فلا نتبعه. والأجر ما يعود من ثواب العمل دنيوياً كان أو أخروياً ﴿إلا من شاء﴾ إلا من فعل من يريد. ﴿أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ أن يتقرب إليه ويطلب الزلفى عنده بالإيمان والطاعة حسبما أدعوكم إليه يعني إن أعطيتم إياي أجراً فأعطوني ذلك الفعل فإني لا أسأل غيره. وبالفارسية: [مزد من إيمان وطاعت مؤمناً نست زيراً كه مرا من عند الله أجرى مقر راست وثابت شده كه هرپيغمبرى را برا بر عباد وصلحاى امت أو ثواب خواهد بود] والظاهر أن الاستثناء منقطع. والمعنى لا أطلب من أموالكم جعلاً لنفسي لكن من شاء إنفاقه لوجه الله فليفعل فإني لا امنعه عنه.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿إلا من شاء أن يتخذ﴾ بما يتوسل به إلى من خدمة أو إنفاق أو تعظيم ﴿إلى ربه﴾ قربة منزلة ولهذا قال المشايخ يصل المريد بالطاعة إلى الجنة وبالتعظيم وإجلال الشيوخ إلى الله تعالى.

وفي «الفتوحات المكية»: مذهبنا أن للواعظ أخذ الأجرة على وعظ الناس وهو من أحل ما يأكل وإن كان ترك ذلك أفضل وإيضاح ذلك أن مقام الدعوة إلى الله يقتضي الإجارة فإن ما من نبي دعا إلى الله إلا قال: إن أجري إلا على الله فأثبت الأجر على الدعاء ولكن اختار أن يأخذه من الله لا من المخلوق انتهى.

وأفتى المتأخرون بصحة الأجرة للأذان والإقامة والتذكير والتدريس والحج والغزو وتعليم القرآن والفقه وقراءتهما لفتور الرغبات اليوم ولو كانت الأجرة على أمر واجب كما إذا كان المعلم والإمام والمفتي واحداً فإنها لم تصح إجماعاً كما في «الكرماني» وغيره وكذا إذا كان الغسال في القرية واحداً فإنه يتعين له غسل الميت ولا يجوز له طلب الأجرة.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾

﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾ في الاستكفاء عن شرورهم والإغناء عن أجورهم فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين شأنهم الموت فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وأصل التوكل أن يعلم العبد بأن الحادثات كلها صادرة من الله ولا يقدر أحد على الإيجاد غيره فيفوض أمره إلى الله فيما يحتاج إليه وهذا القدر فرض وهو من شرط الإيمان قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] وما زاد على هذا القدر من سكون

القلب وزوال الانزعاج والاضطراب فهي أحوال تلحق بالتوكل على وجه الكمال كذا في «التأويلات النجمية».

قال الواسطي: من توكل على الله لعلة غير الله فلم يتوكل على الله بل توكل على غير الله.

وسئل ابن سالم: أنحن مستنون بالكسب أو التوكل؟ فقال ابن سالم: التوكل حال رسول الله ﷺ وإنما استن الكسب لضعف حالهم حين أسقطوا عن درجة التوكل الذي هو حاله فلما سقطوا عنه لم يسقطهم عن درجة طلب المعاش بالمكاسب التي هي سنة ولولا ذلك لهلكوا.

يقال: عوام المتوكلين إذا أعطوا شكروا وإذا منعوا صبروا. وخواصهم إذا أعطوا آثروا وإذا منعوا شكروا.

ويقال: الحق يجود على الأولياء إذا توكلوا بتيسير السبب من حيث يحتسبون ولا يحتسبون. ويجود على الأصفياء بسقوط الأرب وإذا لم يكن أرب فمتى يكون طلب.

ويقال: التوكل أن يكون مثل الطفل لا يعرف شيئاً يأوي إليه إلا ثدي أمه كذلك المتوكل يجب أن لا يرى لنفسه مأوى إلا الله تعالى. وفي «المثنوي»:

نيست كسبي از توكل خوبتر | چيست از تسليم خود محبوبتر
طفل تاكيرا وتاپوديانبود | مر كبش جز كردن بابا نبود
چون فضولي كشت ودست وپانمود | درعنا افتاد ودر كور وكبود
ما عيال حضريتم وشير خواه | كفت «الخلق عيال للآله»
آنكه أو از آسمان باران دهد | هم تواند كو زرحمت نان دهد

﴿وسبح بحمده﴾ أي نزه تعالى عن صفات النقصان وعن كل ما يرد على الوهم والخيال حال كونك مثنياً عليه بنعوت الكمال طالباً لمزيد الإنعام بالشكر على سوابقه وفي الحديث: «من قال كل يوم: سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر» كما «فتح الرحمٰن» ﴿وكفى به﴾ الباء زائدة للتأكيد أي حسبك الحي الذي لا يموت وقوله ﴿بذنوب عباده﴾ ما ظهر منها وما بطن متعلق بقوله: ﴿خبيراً﴾ مطلقاً فيجزيهم جزاء وافياً فلا يحتاج معه إلى غيره.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا۩ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿الذي خلق السموات والأرض﴾ محل الموصول الجر على أنه صفة أخرى للحي ﴿وما بينهما﴾ من الأركان والمواليد ﴿في ستة أيام﴾ في مدتها من أيام الدنيا لأنه لم يكن ثمة شمس ولا قمر وذلك مع قدرته على خلقها في أسرع لمحة ليعلم العباد أن التأني مستحب في الأمور ﴿ثم استوى على العرش﴾ أصل الاستواء الاستقرار والتساوي واعتدال الشيء في ذاته ومتى عدي بعلى اقتضى معنى الاستيلاء والغلبة كما في «المفردات» وهو المراد هنا ومعنى الاستيلاء عليه كناية عن الملك والسلطان. والمراد بيان نفاذ تصرفه فيه وفيما دونه لكنه خص العرش بالذكر لكونه أعظم الأجسام. ﴿الرحمٰن﴾ خبر مبتدأ محذوف أي الذي خلق الأجرام العلوية والسفلية وما بينهما هو الرحمٰن وهو تمهيد لما يأتي من قوله: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمٰن﴾ وبيان أن المراد من الاستواء المذكور في الحقيقة تعيين مرتبة الرحمانية ﴿فاسأل

به﴾ متعلق بما بعده وهو ﴿خبيراً﴾ كما في قوله: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧] ونظائره أي فاسأل خبيراً بما ذكر من الخلق والاستواء يعني الذي خلق واستوى لأنه هو الخبير بأفعاله وصفاته كما قال: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤] وقال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] ومن جعل قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] عطفاً على إلا الله يكون الخبير المسؤول منه هو الراسخون في العلم وقد مر تحقيق الآية في سورة الأعراف وسورة يونس وسورة طه فارجع.

وفي «الفتوحات المكية»: لما كان الحق تعالى هو السلطان الأعظم ولا بد للسلطان من مكان يكون فيه حتى يقصد بالحاجات مع أنه تعالى لا يقبل المكان اقتضت المرتبة أن يخلق عرشاً ثم ذكر أنه استوى عليه حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج منه كل ذلك رحمة للعباد وتنزلاً لعقولهم ولولا ذلك لبقي العبد حائراً لا يدري أين يتوجه بقلبه وقد خلق الله تعالى القلب ذا جهة فلا يقبل إلا ما كان له جهة وقد نسب الحق تعالى لنفسه الفوقية من سماء وعرش وإحاطة بالجهات كلها بقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] وبقوله: ينزل ربنا إلى سماء الدنيا وبقوله عليه السلام: «إن الله في قبلة أحدكم» وحاصله أن الله تعالى خلق الأمور كلها للمراتب لا للأعيان انتهى ﴿وإذا قيل لهم﴾ أي لهؤلاء المشركين ﴿اسجدوا﴾ صلوا وعبر عن الصلاة بالسجدة لأنها من أعظم أركانها ﴿للرحمٰن﴾ الذي برحمته أوجد الموجودات ﴿قالوا وما الرحمٰن﴾ أي أي شيء هو أو من هو لأن وضع ما أعم وهو سؤال عن المسمى بهذا الاسم لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله ولا يعرفون كونه تعالى مسمى بهذا الاسم وإن كان مذكوراً في الكتب الأولى أنه من أسماء الله تعالى أو لأنهم كانوا يعرفون كونه تعالى مسمى بهذا الاسم إلا أنهم يزعمون أنه قد يراد به غيره وهو مسيلمة الكذاب باليمامة فإنه يقال رحمن اليمامة وكان المشركون يكذبونه ولذلك غالطوا بذلك وقالوا: إن محمداً يأمرنا بعبادة رحمن اليمامة ونظيره أن المنافقين صدرت منهم كلمات وحركات في حق النبي عليه السلام بالاستهزاء والاستسخار فقال تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥] فغالطوا في الجواب عن ذلك بهاتين اللفظتين الموهمتين صدق ما كانوا فيه حتى كذبهم الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥] والمغالطة هو أن المنشىء أو المتكلم يدل على معنى له مثل أو نقيض في شيء ويكون المثل أو النقيض أحسن موقعاً لإرادته الإبهام به كذا في «العقد الفريد» للعلامة ابن طلحة ﴿أنسجد لما تأمرنا﴾ بسجوده من غير أن نعرف أن المسجود له ماذا وهو استفهام إنكار أي لا نسجد للرحمن الذي تأمرنا بسجودنا له ﴿وزادهم﴾ أي الأمر بالسجود للرحمٰن. ﴿نفوراً﴾ عن الإيمان. والنفور الانزعاج عن الشيء والتباعد وهو نظير قوله: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ [نوح: ٦] فمن جهل وجود الرحمن أو علم وجوده وفعل فعلاً أو قال قولاً لا يصدر إلا من كافر فكافر بالاتفاق كما في «فتح الرحمٰن» وذلك كما إذا سجد للصنم أو ألقى المصحف في المزابل أو تكلم بالكفر يكفر بلا خلاف لكونه علامة التكذيب.

وكان سفيان الثوري رحمه الله إذا قرأ هذه الآية رفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي زادني خضوعاً ما زاد أعداءك نفوراً وقال رجل لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يرزقني مرافقتك في الجنة قال: «أعني بكثرة السجود».

قال في «فتح الرحمٰن»: وهذا محل سجود بالاتفاق.

قال الكاشفي: [اين سجدة هفتم است بقول إمام اعظم وبقول إمام شافعي سجدة هشتم واين را در فتوحات سجدة نفور وانكار ميكو يدو ميفر ما يدكه چون مؤمن در تلاوت اين سجده كند ممتاز كردد ازاهل انكار پس اين سجده را امتيازنيز توان كفت] وتكبير سجود تلاوة سنة كما في «النهاية» أو ندب كما في «الكافي» أو الثاني ركن كما في «الزاهدي» ولم يوجد أن كليهما ركن وإذا أخر عن وقت القراءة يكون قضاء كما قال أبو يوسف فهو على الفور عنده لكنه ليس على الفور عندنا فجميع العمر وقته سوى المكروه كما في كتب الأصول والفروع والتأخير ليس بمكروه. وذكر الطحاوي أنه مكروه وهو الأصح كما في «التجنيس» ذكره القهستاني في «شرحه» ثم إن قوله تعالى: ﴿اسجدوا للرحمن﴾ يدل على أن لا سجدة لغير الرحمٰن ولو كانت لأمرت المرأة بسجدة زوجها.

قال شمس الأئمة السرخسي: السجود لغير الله تعالى على وجه التعظيم كفر وما يفعلونه من تقبيل الأرض بين يدي العلماء فحرام. وذكر الصدر الشهيد: لا يكفر بهذا السجود لأنه يريد به التحية انتهى لكنه يلزم عليه أن لا يفعل لأنه شريعة منسوخة وهي شريعة يعقوب عليه السلام فإن السجود في ذلك الزمان كان يجري مجرى التحية كالتكرمة بالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الناشئة في التعظيم والتوقير ويدل عليه قوله تعالى في حق إخوة يوسف وأبيه ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ﴾ [يوسف: ١٠٠]. وأما الانحناء للسلطان أو لغيره فمكروه لأنه يشبه فعل اليهود كما أن تقبيل يد نفسه بعد المصافحة فعل المجوس. واختلفوا في سجود الشكر عند تجدد النعم واندفاع النقم فقال أبو حنيفة ومالك يكره فيقتصر على الحمد والشكر باللسان وخالف أبو يوسف ومحمد أبا حنيفة فقالا هي قربة يثاب عليها وقال الشافعي وأحمد يسن وحكمه عندهما كسجود التلاوة لكنه لا يفعل في الصلاة كذا في «فتح الرحمٰن».

وذكر الزاهدي في «شرح القدوري» أن السجدات خمس صلواتية وهي فرض وسجدة سهو وسجدة تلاوة وهما واجبتان وسجدة نذر وهي واجبة بأن قال: لله عليّ سجدة تلاوة وإن لم يقيدها بالتلاوة لا تجب عند أبي حنيفة خلافاً لأبي يوسف وسجدة شكر ذكر الطحاوي عن أبي حنيفة أنه قال: لا أراه شيئاً.

قال أبو بكر الرازي: معناه ليس بواجب ولا مسنون بل مباح لا بدعة وعن محمد أنه كرهها قال: ولكنا نستحبها إذا أتاه ما يسره من حصول نعمة أو دفع نقمة.

قال الشافعي: فيكبر مستقبل القبلة ويسجد فيحمد الله تعالى ويشكره ويسبح ثم يكبر فيرفع رأسه أما بغير سبب فليس بقربة ولا مكروه وأما ما يفعل عقيب الصلاة فمكروه لأن الجهال يعتقدونها سنة أو واجبة وكل مباح يؤدي إليه فمكروه انتهى والفتوى على أن سجدة الشكر جائزة بل مستحبة لا واجبة ولا مكروهة كما في «شرح المنية»:

بشكر عشق بنه جبهه دائماً برخاك   كه نعمتست نخوردست ساكن افلاك

اللهم اجعلنا من المتواضعين لك في اللمع والحلك.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾.

﴿تبارك الذي﴾ أي تكاثر خير الفياض الذي وقد ذكر في أول هذه السورة فارجع.

قال في «برهان القرآن» خص هذا الموضع بذكر تبارك لأن ما بعده من عظائم الأمور حيث ذكر البروج والسيارات والشمس والقمر والليل والنهار ولولاها ما وجد في الأرض حيوان ولا نبات ولا مثلهما ﴿جعل﴾ بقدرته الكاملة ﴿في السماء﴾ [درآسمان]﴿بروجاً﴾ هي البروج الاثنا عشر كل برج منزلان وثلث منزل للقمر وهي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي ثلاثون درجة للشمس وأسماء البروج الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت فالحمل والعقرب بيتا المريخ والثور والميزان بيتا الزهرة والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والأسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشتري والجدي والدلو بيتا زحل وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع فيكون لكل واحدة منها ثلاثة بروج مثلثات الحمل والأسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدي مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية وسميت المنازل بالبروج وهي القصور العالية لأنها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقها من التبرج لظهورها.

وقال الحسن ومجاهد وقتادة: البروج هي النجوم الكبار مثال الزهرة وسهيل والمشتري والسماك والعيوق وأشباهها سميت بروجاً لاستنارتها وحسنها وضوئها والأبرج الواسع ما بين الحاجبين ثم إن منازل القمر بأساميها ذكرت في أوائل سورة يونس فارجع. ﴿وجعل فيها﴾ أي في البروج لا في السماء لأن البروج أقرب فعود الضمير إليها أولى وإن جاز عوده إلى السماء أيضاً ﴿سراجاً﴾ [چراغى راكه آفتابست].

قال الراغب: السراج الزاهر بفتيلة ويعبر به عن كل شيء مضيء والمراد به ههنا الشمس لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦] شبهت الشمس والكواكب الكبار بالسراج والمصابيح كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: ٥] في الإنارة والإشراق ﴿وقمراً﴾ بالفارسية [ماه] والهلال بعد ثلاث قمر سمي قمراً لبياضه كما في «المختار» أو لابيضاض الأرض به والأقمر الأبيض كما في «كشف الأسرار»﴿منيراً﴾ مضيئاً بالليل.

قال في «كشف الأسرار»: [كفته اند مراد ازين آسمان آسمان قر آنست كه جملة أهل إيمان در ظل بيان وي اند هر سورتي ازان چون برجى آنجا در عالم صور سبع مباني است وانيجا در عالم سور سبع مثاني چنانكه درشب هركه چشم برستاره داردراه زمين وى كم نشود هركه اندرشب فتنه ازبيم شك وشبهه چشم دل برستارة آيت قرآن دارد راه دينش كم نشود].

قال في «نفائس المجالس»: في الآية دلالة على كمال قدرته فإن هذه الأجرام العظام والنيرات من آثار قدرته.

واعلم أن الله تعالى جعل في سماء نفسك بروج حواسك وجعل فيها سراج روحك وقمر قلبك منيراً بأنوار الروحانية فعليك بالاجتهاد في تنوير وجودك وتخليص قلبك من الظلمات النفسانية لتستعد لأنوار التجليات وتتخلص من ظلمة السوي فتصل إلى المطلب الأعلى فيحصل لك البقاء بعد الفناء فتجد بعد الفقر كمال الغنى فتشاهد كمال قدرة الملك القادر هنا.

وفي «عرائس القرآن» بروج السماء مجرى الشمس والقمر وهي الحمل والنور الخ. وفي القلب بروج وهي برج الإيمان وبرج المعرفة وبرج العقل وبرج اليقين وبرج الإسلام وبرج

الإحسان وبرج التوكل وبرج الخوف وبرج الرجاء وبرج المحبة وبرج الشوق وبرج الوله فهذه اثنا عشر برجاً بها دوام صلاح القلب كما أن الاثني عشر برجاً من الحمل الخ بها صلاح الدار الفانية وأهلها وفي السماء سراج الشمس ونور القمر وفي القلب سراج الإيمان والإقرار وقمر المعرفة يتلألأ نور إيمانه ومعرفته على لسانه بالذكر وعلى عينيه بالعبرة وعلى جوارحه بالطاعة والخدمة.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى سماء القلوب وبروج المنازل والمقامات وهي اثنا عشر منزلاً التوبة والزهد والخوف والرجاء والتوكل والصبر والشكر واليقين والإخلاص والتسليم والتفويض والرضى وهي منازل سيارات الأحوال فيها شمس التجلي وقمر المشاهدة وزهرة الشوق ومشتري المحبة وعطارد الكشوف ومريخ الفناء وزحل البقاء انتهى.

هركه خواهد بجان سير بروج ... آسمانرا كند چو عيسى عروج
آسما نرا طريق معراجست ... دل بمعراج فلك محتاجست
چون كذر ميكند زبرج فنا ... يا بد آخر تجليات بقا
اين تجلى زسوى عرشي نه ... اين تسلي زسمت فرشي نه
اين تجلىء خالق الأبراج ... بسراجش نديده چشم سراج

﴿وهو الذي جعل﴾ بحكمته التامة﴿الليل والنهار خلفة﴾ الخلفة مصدر للنوع فلا يصلح أن يكون مفعولاً ثانياً لجعل ولا حالاً من مفعوله فلا بد من تقدير المضاف ويستعمل بمعنى كان خليفته أو بمعنى جاه بعده فالمعنى على الأول جعلهما ذوي خلفة يخلف كل واحد منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه فمن فرط في عمل أحدهما قضاه في الآخر فيكون توسعة على العباد في نوافل العبادات والطاعات ويؤيده ما قال عليه السلام لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد فاتته قراءة القرآن بالليل: «يا ابن الخطاب لقد انزل الله تعالى فيك آية وهو الذي الخ ما فاتك من النوافل بالليل فاقضه في نهارك وما فاتك في النهار فاقضه في الليل» وعلى الثاني جعلهما ذوي اعتقاب يجيء الليل ويذهب النهار ويجيء النهار ويذهب الليل ولم يجعل نهاراً لا ليل له وليلاً لا نهار له ليعلم الناس عدد السنين والحساب وليكون للانتشار في المعاش وقت معلوم وللاستقرار والاستراحة وقت معلوم. ففي الآية تذكير لنعمته وتنبيه على كمال حكمته وقدرته. ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ أن يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم أن لا بد له من صانع حكيم واجب بالذات رحيم على العباد فالمراد بمن هو الكافر ثم أشار إلى المؤمن بقوله: ﴿أو أراد شكوراً﴾ بضم الشين مصدر بمعنى الشكر أي أن يشكر الله بطاعته على ما فيها من النعم فتكون أو على حالها ويجوز أن تكون بمعنى الواو فالمعنى جعلناهما خلفة ليكونا وقتين للذاكرين والشاكرين من فاته ورده في أحدهما تداركه في الآخر ووجه التعبير بأو التنبيه على استقلال كل واحد منهما بكونه مطلوباً من الجعل المذكور ولو عطف بالواو لتوهم أن المطلوب مجموع الأمرين.

قال الإمام الراغب: الشكر تصور النعمة وإظهارها قيل: هو مقلوب عن الكشر أي الكشف ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها وقيل: أصله من عين شكرى أي ممتلئة والشكر على هذا هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه والشكر على ثلاثة أضرب شكر بالقلب وهو تصور النعمة وشكر باللسان وهو الثناء على النعمة وشكر بسائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقها.

عـطـايـسـت هـرمـوى ازوبـرتـنـم چـه كـونـه بـهـر مـوى شـكـرى كـنـم

اعلم أن الآية الكريمة إشارة إلى أن ورد النفل لا يقضى إذا فات لكن على طريق الاستحباب لا على طريق الوجوب وذلك أن دوام الورد سبب لدوام الوارد ودوام الوارد سبب للوصلة ألا ترى أن النهر إنما يصل إلى البحر بسبب إمداد الأمطار والثلوج التي في الجبال فلو انقطع المدد فقد المرام كما قال الصائب:

از زاهدان خشك رسايي طمع مدار سيل ضعيف واصل دريا نميشود

ولذا أكب العباد والسلاك على الأوراد في الليل والنهار وجعلوها على أنفسهم بمنزلة الواجبات ولذا لو فات عنهم ورد الليل قضوه في النهار ولو فات عنهم ورد النهار قضوه في الليل يعني أتوا ببدله مما كان مثلاً له حتى لا ينقطعوا دون السبيل فمن عرف الطريق إلى الله لا يرجع أبداً ولو رجع عذب في الدارين بما لم يعذب به أحد من العالمين فعليك بالورد صباحاً ومساء فإنه من ديدن السلف الصالحين وإياك والغفلة عنه فإنها من دأب من بال على أذنه الشيطان من الفاسقين.

وعن الشيخ أبي بكر الضرير رضي الله عنه قال: كان في جواري شاب حسن الوجه يصوم بالنهار ولا يفطر ويقوم الليل ولا ينام فجاءني يوماً وقال: يا أستاذ إني نمت عن وردي الليل فرأيت كأن محرابي قد انشق وكأني بجوار قد خرجن من المحراب لم أر أحسن وجهاً منهن وإذا واحدة فيهن شوهاء أي قبيحة لم أر أقبح منها منظراً فقلت: لمن أنتن ولمن هذه؟ فقلن: نحن لياليك التي مضين وهذه ليلة نومك فلو مت في ليلتك هذه لكانت هذه حظك ثم أنشأت الشوهاء تقول:

اسـأل لـمـولاك واردنـي إلـى حـالـي فـأنـت قـبـحـتـنـي مـن بـيـن أشـكـالـي
لا تـرقـدّن الـلـيـالـي مـا حـيـيـت فـإن نـمـت الـلـيـالـي فـهـن الـدهـر أمـثـالـي

فأجابتها جارية من الحسان:

نحن الليالي اللواتي كنت تسهرها تـتـلـو الـقـرآن بـتـرجـيـع ورنـات
نحن الحسان اللواتي كنت تخطبنا جـوف الـظـلام بـأنـات وزفـرات

قال: ثم شهق شهقة خر ميتاً ذكره الإمام اليافعي في «روض الرياحين». وروي: أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال يحيى: يا إبليس ما هذه المعاليق التي أرى عليك قال هذه الشهوات التي أصيب بهن ابن آدم قال: فهل لي فيها من شيء قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة والذكر قال يحيى: هل غير ذلك قال: لا والله قال: الله عليّ أن لا املأ بطني من طعام أبداً قال إبليس: ولله على أن لا أنصح مسلماً أبداً كذا في «آكام المرجان».

واحتضر عابد فقال: ما تأسفي علي دار أحزان والخطايا والذنوب وإنما تأسفي على ليلة نمتها ويوم أفطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله فمن وجد الفرصة فليسارع وبقية العمر ليس لها ثمن.

أي كـه پـنـچـاه رفـت ودر خـوابـى مـكـر ايـن پـنـج روز دريـابـى
خـواب نـوشـين بـامـداد رحـيـل بـاز دارد پـيـاده را زسـبـيـل

[كفته اند ايزد تعالى فلك را آفريد ومدت دوروى دو قسم كردانيد يك قسم ازان شب

ديجور نهادكه اندران وقت روى زمين بسان قيرشود وقسم ديكر روز بانور نهادكه روى زمين بسان كافور شود ازروى اشارب ميكويد أي كساني اندر روشنايى روز دولت آرام داريد ايمن مباشيد كه شب محنت بر اثرست واى كساني كه اندر تاريكي شب محنت بي آرام بوده آيد نوميد مباشيدكه روشنايى روز دولت براثرست].

أي دل صبور باش ومخور غم كه عاقبت — اين شام صبح كرددواين شب سحر شود

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أهل اليقظة والشهود الواصلين إلى مطالعة الجمال في كل مشهود ونعوذ به من البقاء في ظلمة الوجود والحرمان من فيض الجود إنه رحيم ودود.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾

﴿وعباد الرحمٰن﴾ دون عباد الدنيا والشيطان والنفس والهوى فإنهم وإن كانوا عباداً بالإيجاد لكنهم ليسوا بأهل لإضافة التشريف والتفضيل من حيث عدم اتصافهم بالصفات الآتية التي هي آثار رحمته تعالى الخاصة المفاضة على خواص العباد. والمعنى عباده المقبولون وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿الذين يمشون﴾ المشي الانتقال من مكان إلى مكان بإرادة ﴿على الأرض﴾ التي هي غاية في الطمأنينة والسكون والتحمل حال كونهم ﴿هوناً﴾ هو السكينة والوقار كما في «القاموس» وتذلل الإنسان في نفسه بما لا يلحق به غضاضة كما في «المفردات» وهين لين وقد يخففان ساكن متئد ملائم رقيق أي هينين لينى الجانب من غير فظاظة أو يمشون مشياً هيناً مصدر وصف به. والمعنى أنهم يمشون بسكينة وتواضع لا بفخر وفرح ورياء وتجبر وذلك لما طالعوا من عظمة الحق وهيبته وشاهدوا من كبريائه وجلاله فخشعت لذلك ارواحهم وخضعت نفوسهم وأبدانهم وفي الحديث: «المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ» وفي «الصحاح» أنف البعير اشتكى أنفه من البرة فهو أنف ككتف، وفي الحديث: «المؤمن كالجمل إن قيد انقاد وإن استنيخ على صخرة استناخ» وذلك للوجع الذي به فهو ذلول منقاد. قوله قيد مجهول قاد والقود نقيض السوق فهو من إمام وذلك من خلف. والانقياد [كشيده شدن وكردن نهادن] يقال: أنخت الجمل فاستناخ أي أبركته فبرك.

قال الشيخ سعدي:

فروتن بود هو شمند كزين — نهد شاخ پرميوه سر بر زمين
چوسيل اندر آمد بهول ونهيب — فتاد ازبلندى بسر درنشيب
چوشبنم بيفتاد مسكين وخرد — بمهر آسمانش بعيوق برد

﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ الجهل خلو النفس من العلم واعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه وفعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً كما يترك الصلاة عمداً وعلى ذلك قوله: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] فجعل فعل الهزؤ جهلاً. والمعنى وإذا كلمهم السفهاء مواجهة بالكلام القبيح. ﴿قالوا سلاماً﴾ أي نطلب منكم السلامة فيكون منصوباً باضمار فعل كما في «المفردات» أو إنا سلمنا من إثمكم وأنتم سلمتم من شرنا كما في «إحياء العلوم».

وقال بعضهم: سلاماً مصدر فعل محذوف أقيم مقام التسلم أي قالوا: نتسلم منكم تسلماً

أي لا نجاهلكم. والمجاهلة [باكسى سفاهت كردن] ولا تخالط بشيء من أموركم وهو الجهل وما يبتنى على خفة العقل فلا خير بيننا وبينكم ولا شر بل متاركة. بالفارسية [جفاى يكديكر بكذاشتن] وأكثر المفسرين على أن السلام ليس عين عبارتهم بل صفة المصدر محذوف. والمعنى قالوا قولاً سلاماً أي سداداً يسلمون فيه من الأذى والإثم [مراد ترك تعرض سفهاست واعراض ازمكالمه ومجادلة ايشان] كما قال المحقق الرومي:

اكـر كـويـنـد زراقـي وسـالـوس ... بـكـوهـسـتـم دوصـد چـنـدان ومـيـرو

وكـر ازخـشـم دشـنـامـي دهـنـدت ... دعـا كـن خـوش دل وخـنـدان ومـيـرو

قال الشيخ سعدي قدس سره:

يـكـى بـربـطـى دربـغـل داشـت مـسـت ... بـشـب درسـر پـارسـايـى شـكـسـت

چـو روز آمـد آن نـيـك مـرد سـلـيـم ... بـر سـنـك دل بـر يـك مـشـت سـيـم

كـه دوشـيـنـه مـعـذور بـودى ومـسـت ... تـرا ومـرا بـربـط وسـر شـكـسـت

مـرا بـه شـد آن زخـم وبـرخـاسـت بـم ... تـرا بـه نـخـواهـد شـد الإبـسـيـم

اذان دوسـتـان خـدا بـر سـرنـد ... كـه از خـلـق بـسـيـار بـر خـرخـورنـد

ثم إن قوله: (وإذا) بيان لحالهم في المعاملة مع غيرهم أثر بيان حالهم في أنفسهم.

وهذه الآية محكمة عند أكثرهم لأن الحلم عن السفيه مندوب إليه والإغضاء عن الجاهل أمر مستحسن في الأدب والمروءة والشريعة وأسلم للعرض وأوفق للورع وفي الحديث: «إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى منادٍ أين أهل الفضل؟ فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعاً إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون: إنا نراكم سراعاً إلى الجنة فيقولون: نحن أهل الفضل فيقولون: ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا غفرنا وإذا جهل علينا حملنا فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين» وفي الحديث: «رأيت قوماً من أمتي ما خلقوا بعد وسيكونون فيما بعد اليوم أحبهم ويحبونني يتناصحون ويتباذلون ويمشون بنور الله في الناس رويداً في خفية وتقية يسلمون من الناس ويسلم الناس منهم بصبرهم وحلمهم قلوبهم بذكر الله تطمئن ومساجدهم بصلاتهم يعمرون يرحمون صغيرهم ويجلون كبيرهم ويتواسون بينهم يعود غنيهم على فقيرهم يعودون مرضاهم ويتبعون جنائزهم» فقال رجل من القوم: في ذلك يرفقون فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: «كلا إنه لا رفيق لهم هم خدام أنفسهم هم أكرم على الله من أن يوسع عليهم لهوان الدنيا عند ربهم ثم تلا عليه السلام وعباد الرحمٰن» الآية.

وقال بعضهم في صفة عباد الرحمٰن: العبادة حليتهم والفقر كرامتهم وطاعة الله حلاوتهم وحب الله لذتهم وإلى الله حاجتهم والتقوى زادهم والهدى مركبهم والقرآن حديثهم والذكر زينتهم والقناعة مالهم والعبادة كسبهم والشيطان عدوهم والحق حارسهم والنهار عبرتهم والليل فكرتهم والحياة مرحلتهم والموت منزلهم والقبر حصنهم والفردوس مسكنهم والنظر إلى رب العالمين منيتهم.

اعلم أن عباد الله كثير فمنهم عبد الرحمٰن ومنهم عبد الرزاق ومنهم عبد الوهاب إلى غير ذلك ولكن لا يكون المرء بمجرد الاسم عبداً حقيقة لا عبد الله ولا نحوه وذلك لأن عبد الله هو الذي تجلى بجميع أسمائه تعالى فلا يكون في عباده أرفع مقاماً وأعلى شأناً منه لتحققه بالاسم الأعظم واتصافه بجميع صفاته ولذا خص نبينا عليه السلام بهذا الاسم في قوله: ﴿وَأَنَّهُ

لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩] فلم يكن هذا الاسم بالحقيقة إلا له وللأقطاب من ورثته بتبعيته. وعبد الرحمٰن هو مظهر الاسم الرحمٰن فهو رحمة العالمين جميعها بحيث لا يخرج أحد من رحمته بحسب قابليته واستعداده. وعبد الرحيم هو مظهر الاسم الرحيم وهو يختص رحمته بمن اتقى وأصلح ورضي الله عنه وينتقم ممن غضب الله عليه. وعبد الرزاق هو الذي وسع الله له رزقه فيؤثر به على العباد. وعبد الوهاب هو الذي تجلى له الحق باسم الجود فيهب ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي بلا عوض ولا غرض ويمد أهل عنايته تعالى بالإمداد جعلنا الله وإياكم من المتحققين بأسمائه الحسنى إنه المطلب الأعلى والمقصد الأسنى.

﴿والذين يبيتون﴾ عطف على الموصوف الأول والبيتوتة خلاف الظلول وهي أن يدركك الليل نمت أو لم تنم ولذلك يقال: بات فلان قلقاً أي مضطرباً. والمعنى [بالفارسية عباد الرحمٰن آنا نندكه شب بروزمى آرند]. ﴿لربهم﴾ لالحظ أنفسهم وهو متعلق بما بعده والتقديم للتخصيص مع مراعاة الفاصلة. ﴿سجداً﴾جمع ساجد أي حال كونهم ساجدين على وجوههم. ﴿وقياماً﴾ جمع قائم مثل نيام ونائم أو مصدر أجري مجراه أي قائمين على أقدامهم وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل وليعلم أن القيام في الصلاة مقدم مع أن السجدة أحق بالتقديم لما ورد: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» والكفرة عنها يستكبرون حتى قال بعضهم منهم لا أفعلها لأني لا أحب أن تعلو رأسي استي. والمعنى يكونون ساجدين لربهم وقائمين أي يحبون الليل كلاً أو بعضاً بالصلاة كما قال تعالى في حق المتقين ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الذاريات: ١٧] وتخصيص البيتوتة لأن العبادة بالليل أشق وأبعد من الرياء وهو بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم ووصف ليلهم بعد وصف نهارهم.

وقد اشتهر بقيام الليل كله وصلاة الغداة بوضوء العشاء الأخيرة سعيد بن المسيب وفضيل بن عياض وأبو سليمان الداراني وحبيب العجمي ومالك بن دينار ورابعة العدوية وغيرهم.

قال في «التأويلات النجمية»: يبيتون لربهم ساجدين ويصبحون واجدين فوجود صباحهم ثمرات سجود رواحهم كما في الخبر: «من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» أي: عظم ماء وجهه عند الله وأحسن الأشياء ظاهر بالسجود محسن وباطن بالوجود مزين.

وكانت حفصة بنت سيرين أخت محمد بن سيرين تقرأ كل ليلة نصف القرآن تقوم به في الصلاة وكانت تقوم في مصلاها بالليل فربما طفىء المصباح فيضيء لها البيت حتى تصبح وكانت من عابدات أهل البصرة وكان أخوها ابن سيرين إذا أشكل عليه شيء من القرآن قال: اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ وكانت تقول يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب.

وكانت رابعة العدوية تصلي الليل كله فإذا قرب الفجر نامت نومة خفيفة ثم تقوم وتقول: يا نفس كم تنامين وكم تقومين يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا صبيحة يوم النشور فكان هذا دأبها حتى ماتت، وفي الخبر: «قم من الليل ولو قدر حلب شاة» ومن حرم قيام الليل كسلاً وفتوراً في العزيمة أو تهاوناً بقلة الاعتداد بذلك أو اغتراراً بحاله فليبك عليه فقد قطع عليه طريق كثير من الخير. والذي يخل بقيام الليل كثرة الاهتمام بأمور الدنيا وكثرة أشغال الدنيا وإتعاب الجوارح والامتلاء من الطعام وكثرة الحديث واللهو واللغط وإهمال القيلولة

والموفق من يغتنم وقته ويعرف داءه ودواءه ولا يهمل فيهمل.

يقول الفقير قواه الله القدير على فعل الخير الكثير.

إن قلت: ما تقول في قوله عليه السلام: «من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة» الخ فإنه يرفع مؤونة قيام الليل.

قلت: هذا ترغيب في الجماعة وبيان للرخصة وتأثير النية فإن من نوى وقت العشاء أن يقيم الفجر بجماعة كان كمن انتظرها في المسجد فرب همة عالية تسبق الأقدام ولكن العمل مع النية أفضل من النية المجردة والعزيمة فوق الرخصة.

قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: يحتاج العبد إلى السنن الرواتب لتكميل الفرائض ويحتاج إلى النوافل لتكميل السنن ويحتاج إلى الآداب لتكميل النوافل ومن الأدب ترك الدنيا.

وقد اختلفوا في أن طول القيام أفضل أو كثرة السجود والركوع.

قال في «الدرر»: طول القيام أولى من كثرة السجود لقوله عليه السلام: «أفضل الصلوات طول القنوت» أي القيام ولأن القراءة تكثر بطول القيام وبكثرة الركوع والسجود يكثر التسبيح والقراءة أفضل منه انتهى.

وقال بعضهم بأفضلية الثاني [ابن عمر يكى را ديدكه در نماز قيام دراز داشت كفت اكر من اورا شنا ختمى بكثرة روع وسجود فرمودمى كه از رسول خدا شنيدم عليه السلام كه كفت] «أن العبد إذا قام يصلي أتى بذنوبه فجعلت على رأسه وعاتقيه كلما ركع أو سجد تساقطت عنه».

وقال معدان بن طلحة: لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني بعمل يدخلني الله به الجنة فقال: سألت عن ذلك رسول الله فقال: «عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها حطيئة».

واعلم أن الأصل في كل عمل هو تحقيق النية وتصحيح الإخلاص.

مشايخ همه شب دعا خوانده اند سحركه مصلى برافشانده اند
كسى كوبتابد زمحراب روى بككفرش كواهى دهند أهل كوى
توهم پشت بر قبلة در نماز كرت در خدانيست روى نياز

وجهنا الله وإياكم إلى وجهه.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾.

﴿والذين يقولون﴾ أي في أعقاب صلواتهم أو في عامة أوقاتهم ﴿ربنا﴾ [أي پروردكار ما] ﴿اصرف عنا﴾ صرفه رده ﴿عذاب جهنم﴾ العذاب الإيجاع الشديد. ﴿إن عذابها كان غراماً﴾ أي: شراً دائماً وهلاكاً لازماً غير مفارق لمن عذب به من الكفار.

قال الراغب: مأخوذ من قولهم: هو مغرم بالنساء أي يلازمهن ملازمة الغريم أي ملازمة من له الدين لغريمه أي من عليه الدين فكلاهما غريم.

قال محمد بن كعب: إن الله تعالى سأل الكفار ثمن نعمته فلم يؤدوها إليه فأغرقهم

فأدخلهم النار. ﴿إنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾ تعليل لاستدعائهم المذكور بسوء حالها في أنفسها أثر تعليله بسوء حال عذابها فهو من تمام كلامهم والضمير في ساءت لا يعود إلى اسم إن وهو جهنم ولا إلى شيء آخر بعينه بل هو ضمير مبهم يفسره ما بعده من التمييز وهو مستقراً ومقاماً وذلك لأن فاعل أفعال الذم يجب أن يكون معرفاً باللام أو مضافاً إلى المعرف به أو مضمراً مميزاً بنكرة منصوبة. والمعنى بئست موضع قرار وإقامة هي أي جهنم. وبالفارسية [بتحقيق دوزخ بد آرامكاهست وبد جاى بودنى].

وفي الآية إيذان بأنهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق خائفون من العذاب متضرعون إلى الله في صرفه عنهم. يعني يجتهدون غاية الجهد ويستفرغون نهاية الوسع ثم عند السؤال ينزلون منزلة العصاة ويقفون موقف أهل الاعتذار ويخاطبون بلسان التذلل كما قيل:

وما رمت الدخول عليه حتى ... حللت محلة العبد الذليل

وذلك لعدم اعتدادهم بأعمالهم ووثوقهم على استمرار أحوالهم كقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]: قال الشيخ سعدي قدس سره.

طريقت همينست كاهل يقين ... نكوكار بودند وتقصير بين

وقال:

بنده همان به كه ز تقصير خويش ... عذر بدركاه خداى آورد

ورنه سزاوار خدا وند يش ... كس نتواند كه بجاى آورد

قال ابن نجيد: لا يصف لأحد قدم في العبودية حتى يكون أفعاله عنده كلها رياء وأحواله كلها دعاوى.

وقال النهرجوري: من علامة من تولاه الله في أعماله أن يشهد التقصير في إخلاصه والغفلة في أذكاره والنقصان في صدقه والفتور في مجاهدته وقلة المراعاة في فقره فيكون جميع أحواله عنده غير مرضية ويزداد فقراً إلى الله تعالى في فقره وسيره حتى يفنى عن كل ما دونه.

ودلت الآية على الدعاء مطلقاً خصوصاً في أعقاب الصلوات وهو مخ العبادة فليدع المصلي مفرداً وفي الجماعة إماماً كان أو مأموماً وليقل: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي وأقل عثراتي اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفد وقرة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد اللهم ألبس وجوهنا منك الحياء واملأ قلوبنا بك فرحاً وأسكن في نفوسنا عظمتك وذلك جوارض لخدمتك واجعلك أحبّ إلينا مما سواك، اللهم افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله اللهم اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيراً واغفر لأعمامنا وعماتنا وأخوالنا وخالاتنا وأزواجنا وذرياتنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات يا أرحم الراحمين ويا خير الغافرين» وغير ذلك مما هو مذكور في «عوارف المعارف» نقلاً عن «قوت القلوب» للإمام المكي.

﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾

﴿والذين إذا أنفقوا﴾ نفق الشيء إذا مضى ونفد إما بالبيع نحو نفق المبيع نفاقاً وإما

بالموت نحو نفقت الدابة نفوقاً وإما بالفناء نحو نفقت الدراهم وأنفقتها. ﴿لم يسرفوا﴾ لم يجاوزوا حد الكرم ﴿ولم يقتروا﴾ ولم يضيّقوا تضييق الشحيح فإن القتر والإقتار والتقتير هو التضييق الذي هو ضد الإسراف والإسراف مجاوزة الحد في النفقة. ﴿وكان﴾ الإنفاق المدلول عليه بقوله أنفقوا ﴿بين ذلك﴾ أي بين ما ذكر من الإسراف والتقتير وهو خبر كان، وقوله: ﴿قواماً﴾ خبر بعد خبر أو هو الخبر وبين ذلك ظرف لغو لكان على رأي من يرى أعمالها في الظرف. والمعنى وسطاً عدلاً سمي به لاستقامة الطرفين واعتدالهما بحيث لا ترجح لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه لكونه وسطاً بينهما كمركز الدائرة فإنه يكون نسبة جميع الدائرة إليه على السواء ونظير القوام السواء فإنه سمي به لاستواء الطرفين فالآية نظير قوله تعالى في سورة الإسراء ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩].

وسط را مكن هركز از كف رها كه خير الأمور ست أوساطها

وتحقيق المقام الإنفاق ضّربان محمود ومذموم.

فالمحمود منه ما يكسب صاحبه العدالة وهو بذل ما أوجبت الشريعة بذله كالصدقة المفروضة والإنفاق على العيال ولذا قال الحسن: ما أنفق الرجل على أهله في غير إسراف ولا فساد ولا إقتار فهو في سبيل الله ومنه ما يكسب صاحبه أجراً وهو الإنفاق على من ألزمت الشريعة إنفاقه عليه ومنه ما يكسب له الحرية وهو بذل ما ندبت الشريعة إلى بذله فهذا يكتسب من الناس شكراً ومن ولي النعمة أجراً.

والمذموم ضربان إفراط وهو التبذير والإسراف وتفريط وهو الإمساك والتقتير وكلاهما يراعى فيه الكمية والكيفية فالتبذير من جهة الكمية أن يعطي أكثر ما يحتمله حاله ومن حيث الكيفية أن يضعه في غير موضعه والاعتبار فيه بالكيفية أكثر من الكمية فرب منفق درهماً من ألوف وهو في إنفاقه مسرف وببذله ظالم مفسد كمن أعطى فاجرة درهماً أو اشترى خمراً ورب منفق ألوفاً لا يملك غيرها هو فيه مقتصد وبذله محمود كما روي في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث أنفق جميع ماله في غزوة تبوك ولما قال له رسول الله ﷺ: «ماذا أبقيت لأهلك يا أبا بكر» قال: الله ورسوله.

وقد قيل لحكيم: متى يكون بذلك القليل إسرافاً والكثير اقتصاداً؟ قال: إذا كان بذل القليل في باطل وبذل الكثير في حق ومن هذا الباب ما قال مجاهد في الآية: لو كان لرجل مثل أبي قبيس ذهباً فأنفقه في طاعة الله لم يكن مسرفاً ولو أنفق درهماً في معصية الله كان مسرفاً والتقتير من جهة الكمية أن ينفق دون ما يحتمله حاله ومن جهة الكيفية أن يمنع من حيث يجب وينفق حيث لا يجب والتبذير عند الناس أحمد لأنه جود لكنه أكثر مما يجب والتقتير بخل والجود على كل حال أحمد من البخل لأن رجوع المبذر إلى السخاء سهل وارتقاء البخيل إليه صعب وأن المبذر قد ينفع غيره وإن أضر بنفسه والمقتر لا ينفع نفسه ولا غيره على أن التبذير في الحقيقة هو من وجه اقبح إذ لا إسراف إلا وفي جنبه حق يضيع ولأن التبذير يؤدي صاحبه إلى أن يظلم غيره ولذا قيل: الشحيح أعذر من الظالم ولأنه جهل بقدر المال الذي هو سبب استبقاء النفس والجهل رأس كل شر والمتلاف ظالم من وجهين لأخذه من غير موضعه ووضعه في غير موضعه.

قال يزيد بن حبيب في هذه الآية أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا لا يأكلون طعاماً للتنعم واللذة ولا يلبسون ثياباً للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسدّ عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم ومن الثياب ما يستر عوراتهم ويكنهم عن الحر والقرّ وفي الحديث: «ليس لابن آدم حق فيما سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يواري عورته وجلف الخبز والماء» يعني: كسر الخبز واحدتها جرفة بالكسر.

وقال عمر رضي الله عنه: كفى سرفاً أن لا يشتهي الرجل شيئاً إلا اشتراه فأكله.

اكرچه باشد مرادف خورى زدوران بسى نامرادى برى
دريغ آدمي زادة پر محل كه باشد چو انعام بل هم أضل

قال الحافظ:

خواب وخورت زمرتبة خويش دور كرد
آنكه رسى بخويش كه بي خواب وخورشوى

ثم إن الإسراف ليس متعلقاً بالمال بل بكل شيء وضع في غير موضعه اللائق به ألا ترى أن الله تعالى وصف قوم لوط بالإسراف لوضعهم البذر في غير المحرث فقال: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝٨١﴾ [الأعراف: ٨١] ووصف فرعون بقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣١] فالتكبر لغير المتكبر اسراف مذموم وللمتكبر اقتصاد محمود وعلى هذا فقس.

وفي الآية إشارة إلى أهل الله الباذلين عليه الوجود. ﴿إذا أنفقوا﴾ وجودهم في ذات الله وصفاته ﴿لم يسرفوا﴾ أي لم يبالغوا في المجاهدة والرياضة حتى يهلكوا أنفسهم بالكلية كما قال: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] ﴿ولم يقتروا﴾ في بذل الوجود بأن لا يجاهدوا أنفسهم في ترك هواها وشهواتها كما أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال: «أنذر قومك من أكل الشهوات فإن القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عني» ﴿وكان بين ذلك قواماً﴾ بحيث لا يهلك نفسه بفرط المجاهدة ولا يفسد قلبه بتركها وتتبع الشهوات كما في «التأويلات النجمية».

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠﴾.

﴿والذين لا يدعون﴾ لا يعبدون ﴿مع الله إلٰهاً آخر﴾ كالصنم أي لا يجعلونه شريكاً له تعالى.

يقال: الشرك ثلاثة: أولها أن يعبد غيره تعالى، والثاني: أن يطيع مخلوقاً بما يأمره من المعصية، والثالث: أن يعمل لغير وجه الله فالأول كفر والآخران معصية.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني لا يرفعون حوائجهم إلى الأغيار ولا يتوهمون منهم المسار والمضار وأيضاً لا يشربون أعمالهم بالرياء والسمعة ولا يطلبون مع الله مطلوباً ولا يحبون معه محبوباً بل يطلبون الله من الله ويحبونه به. قال الصائب.

غير حق را مى دهى ره در حريم دل چرا ميكشى بر صفحة هستى خط باطل چرا

﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله﴾ أي حرمها بمعنى حرم قتلها فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه مبالغة في التحريم والمراد نفس المؤمن والمعاهد ﴿إلا بالحق﴾ المبيح لقتلها أي لا يقتلونها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها كما إذا قتل أحداً فيقتص به أو زنى وهو محصن فيرجم أو ارتد أو سعى في الأرض بالفساد فيقتل ﴿ولا يزنون﴾ الزنى وطء المرأة من غير عقد شرعي.

واعلم أن الله تعالى نفى عن خواص العباد أمهات المعاصي من عبادة الغير وقتل النفس المحرمة والزنى بعدما أثبت لهم أصول الطاعات من التواضع ومقابلة القبيح بالجميل وإحياء الليل والدعاء والإنفاق العدل وذلك إظهار لكمال إيمانهم فإنه إنما يكمل بالتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل وإشعاراً بأن الأجر المذكور فيما بعد موعود للجامع بين ذلك وتعريضاً للكفرة بأضداده أي وعباد الرحمن الذين لا يفعلون شيئاً من هذه الكبائر التي جمعتهن الكفرة حيث كانوا مع إشراكهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جملتها الموؤدة مكبين على الزنى إذ كان عندهم مباحاً.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قال: قلت: ثم أي قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك» قال: ثم أي «قال أن تزني بحليلة جارك».

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولا يزنون﴾ أي لا يتصرفون في عجوز الدنيا بشهوة نفسانية حيوانية بل يكون تصرفهم فيها لله وفي الله وبالله أي بخلاف حال العامة ﴿ومن﴾ [هركه] ﴿يفعل ذلك﴾ شيئاً مما ذكر من الأفعال كما هو دأب الكفرة ﴿يلق أثاماً﴾ هو جزاء الإثم والعقوبة كالوبال والنكال وزناً ومعنى. وبالفارسية [به بيند جزاى بزه كارىء خود] تقول أثم الرجل بالكسر أذنب وأثمه جازاه.

قال في «القاموس»: هو كسحاب واد في جهنم والعقوبة وفي الحديث: «الغي والأثام بئران يسيل فيهما صديد أهل النار».

﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة﴾ [المضاعفة: افزون كردن يعني يك دو كردن] كما قال الراغب: الضعف تركب قدرين متساويين يقال: أضعفت الشيء وضعفته وضاعفته ضممت إليه مثله فصاعداً والجملة بدل من يلق لاتحادهما في المعنى أي يتزايد عذابه وقتاً بعد وقت وذلك لانضمام المعاصي إلى الكفر.

وفي «التأويلات النجمية»: أي يكون معذباً بعذابين عذاب دركات النيران وعذاب فرجات درجات الجنان وقربات الرحمن ﴿ويخلد﴾ [وجاويد ماند] ﴿فيه﴾ أي: في ذلك العذاب حال كونه ﴿مهاناً﴾ ذليلاً محتقراً جامعاً للعذاب الجسماني والروحاني لا يغاث. وبالفارسية [خوار وبى اعتبار] قرأ ابن كثير وحفص فيهي مهاناً بإشباع كسرة الهاء وجعلها بالياء في الوصل وذلك للتنبيه على العذاب المضاعف ليحصل التيقظ والامتناع عن سببه.

﴿إلا من تاب﴾ من الشرك والقتل والزنى ﴿وآمن﴾ وصدق بوحدانية الله تعالى. ﴿وعمل عملاً صالحاً﴾ [وبكند كردارشايسته براى تكميل إيمان] ذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرته للأعمال السابقة والاستثناء لأنه من الجنس لأن المقصود الإخبار بأن من فعل ذلك فإنه يحل به ما ذكر إلا أن يتوب. وأما

إصابة أصل العذاب وعدمها فلا تعرض لها في الآية. ﴿فأولئك﴾ الموصوفون بالتوبة والإيمان والعمل الصالح. وبالفارسية [پس آن كروه] ﴿يبدل الله سيئاتهم﴾ التي عملوها في الدنيا في الإسلام ﴿حسنات﴾ يوم القيامة وذلك بأن يثبت له بدل كل سيئة حسنة وبدل كل عقاب ثواباً.

قال الراغب: التبديل جعل الشيء مكان آخر وهو أعم من العوض فإن العوض هو أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول والتبديل يقال للتغيير وإن لم تأت ببدله.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال عليه السلام: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها فيقال: عملت يوم كذا كذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من الكبائر فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول: إن لي ذنوباً ما أراها ههنا، قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه» ثم تلا ﴿فأولئك﴾ الخ.

قال الزجاج: ليس أن السيئة بعينها تصير حسنة ولكن التأويل أن السيئة تمحى بالتوبة وتكتب الحسنة مع التوبة انتهى.

قال المولى الجامي ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ يعني في الحكم فإن الأعيان نفسها لا تتبدل ولكن تنقلب أحكامها انتهى كلامه في «شرح الفصوص».

وقال حضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره في «شرح الأربعين حديثاً» «الطاعات كلها مطهرات» فتارة بطريق المحو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] وبقوله عليه السلام: «أتبع الحسنة تمحها» وتارة بطريق التبديل المشار إليه بقوله: ﴿إلا من تاب وآمن﴾ الخ فالمحو المذكور عبارة عن حقيقة العفو والتبديل من مقام المغفرة وإن تنبهت لما أشرت إليه عرفت الفرق بين العفو والمغفرة انتهى كلامه.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿إلا من تاب﴾ عن عبادة الدنيا وهوى النفس ﴿وآمن﴾ بكرامات وكمالات اعدها الله لعباده الصالحين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿وعمل عملاً صالحاً﴾ لتبليغه إلى تلك الكمالات وهو الإعراض عما سوى الله بجملته والإقبال على الله بكليته رجاء عواطف إحسانه كما قيل لبعضهم: كلي بكلك مشغول فقال: كلي لكلك مبذول ولعمري هذا هو الإكسير الأعظم الذي إن طرح ذرة منه على قدر الأرض من نحاس السيئات تبدلها إبريز الحسنات الخالصة كما قال تعالى إخباراً عن أهل هذا الإكسير. ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ كما يبدل الإكسير النحاس ذهباً انتهى.

يقول الفقير: لا شك عند أهل الله تعالى في انقلاب الأعيان واستحالتها ألا ترى إلى انحلال مزاج المادة الأصلية إلى غيرها في العالم الصناعي فإذا انحل المزاج واستحالت المادة إلى الصورة الهيولانية صلحت لأن يولد الحكيم منها إنسان الفلاسفة.

قال الإمام الجلدكي: الأرض تستحيل ماء والماء يستحيل هواء والهواء يستحيل ناراً وبالعكس النار تستحيل هواء والهواء ماء والماء يستحيل أرضاً والعناصر يستحيل بعضها إلى بعض مع أن كل عنصر من العناصر ممتزج من طبيعتين فاعلة ومنفعلة فهذا برهان واضح على انحلال المزاج إلى غيره في الأصول.

وأما في «الفصول» فإن الأرض تستحيل نباتاً والنبات يستحيل حيواناً فوقف الفاضل ابن سينا وقال: إن الحيوان لا يستحيل اللهم إلا أن يفسد إلى عناصره ويرجع إلى طبائعه فنقول: إن الأرض والماء إذا لم يفسدا في الصورة عن كيانهما لما استحالا نباتاً والنبات إذا لم يفسد

عن كيانه لما استحال حيواناً فكيف خفي عليه أن النبات والحيوان يفسدان بالطبخ ويصيران للإنسان غذاء وينحل مزاجهما إلى الكيموس الغذائي ويصيران في جوف الإنسان دماً ويستحيل الدم بالحركة الشوقية بين الذكر والأنثى فيصير منياً ثم جنيناً ثم إنساناً وكذلك جسد الإنسان بعد فساده يمكن أن يصير نباتاً ويستحيل إلى حيوانات شتى مثل الديدان وغيرها ويستحيل الجميع حتى العظام الرفات إلى أن تقبل التكوين إذا شربت ماء الحياة وإنما الأجزاء الجسدانية للإنسان محفوظة معلومة عند الله وإن استحالت من صفة إلى صفة وتبدلت من حالة إلى حالة وانحل مزاج كل منها إلى غيره إلا أن روحه وعقله ونفسه وذاته الباطنة باقية في برزخها. قال الحافظ:

دست ازمس وجود چرمردان ره بشوى تا كيمياى عشق بيابى وزر شوى

﴿وكان الله غفوراً﴾ ولذلك بدل السيئات حسنات ﴿رحيماً﴾ ولذلك أثاب على الحسنات.

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾.

﴿ومن تاب﴾ أي رجع عن المعاصي مطلقاً بتركها بالكلية والندم عليها ﴿وعمل صالحاً﴾ يتدارك به ما فرط منه أو خرج عن المعاصي ودخل في الطاعات ﴿فإنه﴾ بما فعل ﴿يتوب إلى الله﴾ يرجع إليه تعالى بعد الموت.

قال الراغب: ذكر إلى يقتضى الإنابة. ﴿متاباً﴾ أي: متاباً عظيم الشأن مرضياً عنده ماحياً للعقاب محصلاً للثواب فلا يتحد الشرط والجزاء لأن في الجزاء معنى زائداً على ما في الشرط فإن الشرط هو التوبة بمعنى الرجوع عن المعاصي والجزاء هو الرجوع إلى الله رجوعاً مرضياً.

قال الراغب: متاباً أي التوبة التامة وهو الجمع بين ترك القبيح وتحري الجميل اهـ وهذا تعميم بعد التخصيص لأن متعلق التوبة في الآية الأولى الشرك والقتل والزنى فقط وههنا مطلق المعاصي.

والتوبة في الشرع ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الإعادة فمتى اجتمع هذه الأربع فقد كمل شرائط التوبة. قال المولى الجامي:

باخلق لاف توبه ودل بركنه مصر كس پى نمى بردكه بدين كونه كمرهم

قال ابن عطاء: التوبة الرجوع من كل خلق مذموم والدخول في كل خلق محمود أي وهي توبة الخواص.

وقال بعضهم: التوبة أن يتوب من كل شيء سوى الله تعالى أي وهي توبة الأخص فعليك بالتوبة والاستغفار فإنها صابون الأوزار وفي الحديث القدسي: «أنين المذنبين أحب إليّ من زجل المسبحين» أي: من أصواتهم بالتسبيح والإصرار يؤدي إلى الشرك والموت على غير الملة الإسلامية.

قال أبو إسحاق: رأيت رجلاً نصف وجهه مغطى فسألته فقال: كنت نباشاً فنبشت ليلة قبر امرأة فلطمتني وعلى وجهه أثر الأصابع فكتبت ذلك إلى الأوزاعي فكتب إليّ أن أسأله كيف وجد أهل القبور فسألته فقال: وجدت أكثرهم متحولاً عن القبلة فقال الأوزاعي: هو الذي مات

على غير الملة الإسلامية أي بسب الإصرار المؤدي إلى الكفر والعياذ بالله تعالى. وذكر في أصول الفقه أن ارتكاب المنهي أشد ذنباً من ترك المأمور ومع ذلك صار إبليس مردوداً. وفي «المثنوي»:

توبه را از جانب مغرب درى | بازباشد تاقيامت بردرى
تا ز مغرب برزند سر آفتاب | باز باشد آن درازوى رومتاب
هشت جنت را زرحمت هشت در | كه در توبه است زان هشت أي پسر
آن همه كه باز باشد كه فراز | وإن درتوبه نباشد جزكه باز
هين غنيمت دار دربازست زود | رخت آنجا كش بكورىء حسود

نسأل الله تعالى توبة نصوحاً ومن آثار رحمته فيضاً ونوالاً وفتوحاً.

﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ من الشهادة وهي الإخبار بصحة الشيء عن مشاهدة وعيان. والزور الكذب وأصله تمويه الباطل بما يوهم أنه حق.

وقال الراغب: الأزور المائل الزور أي الصدر وقيل للكذب زور لكونه مائلاً عن جهته وانتصابه على المصدرية والأصل لا يشهدون شهادة الزور بإضافة العام إلى الخاص فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. والمعنى لا يقيمون الشهادة الكاذبة. وبالفارسية [كواهى دروغ ندهند].

واختلف الأئمة في عقوبة شاهد الزور.

فقال أبو حنيفة رحمه الله: لا يعزر بل يوقف في قومه ويقال لهم: إنه شاهد زور.

وقال الثلاثة: يعزر ويوقف في قومه ويعرفون أنه شاهد زور.

وقال مالك: يشهر في الجوامع والأسواق والمجامع.

وقال أحمد: يطاف به في المواضع التي يشتهر فيها فيقال: إنا وجدنا هذا شاهد زور فاجتنبوه.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف في الأسواق كما في «كشف الأسرار».

قال ابن عطاء رحمه الله: هي شهادة اللسان من غير مشاهدة القلب ويجوز أن يكون يشهدون من الشهود وهو الحضور وانتصاب الزور على المفعول به والأصل لا يشهدون مجالس الزور فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. والمعنى لا يحضرون محاضر الكذب ومجالس الفحش فإن مشاهدة الباطل مشاركة فيه من حيث أنها دليل الرضى به كما إذا جالس شارب الخمر بغير ضرورة فإنه شريك في الإثم.

وأما الملامية وهم الذين لا يظهرون خيراً ولا يضمرون شراً لانفراد قلوبهم مع الله يمشون في الأسواق ويتكلمون مع الناس بكلام العامة ويحضرون بعض مواضع الشرور لمشاهدة القضاء والقدر حتى يوافقوا الناس في الشر فهم في الحقيقة عباد الرحمن وهم المرادون بقوله عليه السلام: «أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري»: قال الحافظ:

مكن بنامه سياهى ملامت من مست | كه آكهست كه تقدير برسرش چه نوشت

وقال الخجندي:

برخيز كمال از سرنا موس كه رندان | كردند اقامت بسر كوى ملامت

وقال بعضهم: المراد بالزور أعياد المشركين واليهود والنصارى [يا بازيكاه ايشان] كما في «تفسير الكاشفي».

قال في «ترجمة الفتوحات»: [نبايد كه أهل ذمت ترابشرك خود فريب دهندكه نزد حق تعالى هلاك تو در آنست شيخ أكبر قدس سره الاطهر ميفر ما يدكه در دمشق اين معنى مشاهده كردم كه زنان ومردان بانصارى مسامحت ميكنند وصغار واطفال خودرا بكنايس مى برند وازآب معموديه برسبيل تبرك برايشان مى افشا نند واينها قرين كفراست يا خود نفس كفراست وآنرا هيج مسلماني نپسندد] وفي «قاضي خان»: رجل اشترى يوم النيروز شيئاً لم يشتره في غير ذلك اليوم إن أراد به تعظيم ذلك اليوم كما عظمه الكفرة يكون كفراً وإن فعل ذلك لأجل الشرب والتنعم يوم النيروز لا يكون كفراً انتهى والمراد نيروز النصارى لا نيروز العجم كما هو الظاهر من كلامه.

وقال بعضهم: يدخل في مجلس الزور اللعب واللهو والكذب والنوح والغناء بالباطل. روي: عن محمد بن المنكدر قال: بلغني أن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم عن اللهو ومزامير الشيطان؟ أدخلوهم رياض المسك ثم يقول للملائكة: أسمعوا عبادي تحميدي وثنائي وتمجيدي وأخبروهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون كذا في «كشف الأسرار».

ومن سنن الصوم أن يصوم الصائم لسانه عن الكذب والغيبة وفضول الكلام والسب والنميمة والمزاح والمدح والغناء والشعر والمراد بالغناء التغني بالباطل وهو الذي يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة ومحبة المخلوقين وأما ما يحرك الشوق إلى الله فمن التغني بالحق كما في «الإحياء».

واختلف في القراءة بالألحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والتفهم ولذا قال في «قاضي خان»: لا ينبغي أن يقدم في التروايح «الخوشخوان» بل يقدم «الدرستخوان» فإن الإمام إذا كان حسن الصوت يشغل عن الخشوع والتدبير والتفكر انتهى.

وأباحها أبو حنيفة وجماعة من السلف للأحاديث لأن ذلك سبب للرقة وإثارة الخشية كما في «فتح القريب».

قال في «أصول الحديث»: إذا جلس الشيخ من أهل الحديث مجلس التحديث يفتتح بعد قراءة قارىء حسن الصوت شيئاً من القرآن انتهى وإنما استحب تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فإن أفرط زاد حرفاً أو أخفى حرفاً فهو حرام كما في «أبكار الأفكار». قال الشيخ سعدي.

بـه ازروى زيـبـاسـت أواز خـوش   كه اين حظ نـفـسـت وآن قـوت روح

ورأى عليه السلام ليلة المعراج ملكاً لم ير قبله مثله وكان إذا سبح اهتز العرش لحسن صوته وكان بين يديه صندوقان عظيمان من نور فيهما براءة الصائمين من عذاب النار وتفصيله في «مجالس النفائس» لحضرة الهدائي قدس سره.

وقال سهل قدس سره: المراد بالزور مجالس المبتدعين.

قال أبو عثمان قدس سره: مجالس المدعين وكذا كل مشهد ليس لك فيه زيادة في دينك

بل تنزل وفساد ﴿وإذا مروا﴾ على طريق الاتفاق ﴿باللغو﴾ أي ما يجب أن يلغى ويطرح مما لا خير فيه. وبالفارسية [بچيزى ناپسنديده] وقال في «فتح الرحمن»: يشمل المعاصي كلها وكل سقط من فعل أو قول.

وقال الراغب: اللغو من الكلام ما لا يعتد به هو يعد ذلاقة روية وفكر فيجري مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور. ﴿مروا﴾ حال كونهم ﴿كراماً﴾ جمع كريم يقال: تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه وأكرم نفسه عنه.

قال الراغب: الكرم إذا وصف الله به فهو اسم لإحسانه وإنعامه المتظاهر وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه ولا يقال: هو كريم حتى يظهر ذلك منه.

والمعنى معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الإغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن الصريح به.

قال في «كشف الأسرار»: قيل: إذا أرادوا ذكر النكاح وذكر الفروج كنوا عنه فالكرم ههنا هو الكناية والتعريض وقوله عز وجل: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] كناية عن البول والخلاء وقد كنى الله عز وجل في القرآن عن الجماع بلفظ الغشيان والنكاح والسر والإتيان والإفضاء واللمس والمس والدخول والمباشرة والمقاربة في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٢] والطمث في قوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ [الرحمٰن: ٥٦] وهذا باب واسع في العربية.

قال الإمام الغزالي: أما حد الفحش وحقيقته فهو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به وأهل الصلاح يتحاشون من التعرض لها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز ويذكر ما يقاربها ويتعلق بها مثلاً يكنون عن الجماع بالمس والدخول والصحبة وعن التبول بقضاء الحاجة وأيضاً لا يقولون: قالت زوجتك كذا بل يقال: قيل في الحجرة أو قيل من وراء السترة أو قالت أم الأولاد كذا وأيضاً يقال لمن به عيب يستحيي منة كالبرحة والقرع والبواسير العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه وبالجملة كل ما يخفى ويستحى منه فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فإنه فحش والفاحش يحشر يوم القيامة في صورة الكلب.

قال الشيخ سعدي: [ريشي اندرون جامة داشتم حضرت شيح قدس سره هرروز پرسيدي كه ريشت چونست ونپرسيدي كه كجاست دانستم كه أزان احتراز ميكند كه ذكر هر عضوى روانباشد وخرد منداں كفته اند هركه سخن نسنجد ازجوابش برنجد].

تانيك نداني كه سخن عين صوابست ... بايدكه بكفتن دهن ازهم نكشايي

كرارست سخن كوبي ودربند بماني ... به زانكه دروغت دهد ازبند رهابي

والمراد أن الصدق أولى وإن لزم الضرر على نفس القائل وأما جواز الكذب فإنما هو لتخليص الغير ودفع الفتنة بين الناس وهو المراد من قوله: [دروغ مصلحت آميزبه ازراست فتنه انكيز] نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الصادقين المخلصين بل من الصديقين المخلصين ويحشرنا مع الكرماء الحلماء والعلماء الأدباء إنه الموفق للأقوال الحسنة والأفعال المستحسنة.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾

﴿والذين إذا ذكروا﴾ وعصوا. وبالفارسية [پندداده شوند] **﴿بآيات ربهم﴾** المشتملة على المواعظ والأحكام **﴿لم يخروا عليها﴾** خرّ سقط سقوطاً يسمع منه خرير والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو **﴿صماً﴾** جمع أصم وهو فاقد حاسة السمع وبه يشبه من لا يصغي إلى الحق ولا يقبله. **﴿وعمياناً﴾** جمع أعمى وهو فاقد حاسة البصر.

والمعنى لم يقفوا على الآيات حال كونهم صماً لم يسمعوا لها وعمياً لم يبصروها بل أكبوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية وانتفعوا بها.

قال الكاشفي: [بكوش هوش شنيدند وبديدة بصريت جلوات جمال آنرا ديدند حاصلي آنكه از آيات إلهي تغافل نورزيدند] انتهى وإنما عبر عن المعنى المذكور بنفي الضد تعريضاً لما يفعله الكفرة والمنافقون فالمراد من النفي نفي الصمم والعمى دون الخرور وإن دخلت الأداة عليه **﴿والذين يقولون ربنا﴾** [أي پروررود كارما] **﴿هب لنا﴾** [ببخش مارا] وهو أمر من وهب يهب وهباً وهبة. والهبة أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض ويوصف الله بالواهب والوهاب بمعنى أنه يعطي كلاً على قدر استحقاقه. **﴿من أزواجنا﴾** [از زنان ما] وهو جمع زوج يقال لكل ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مضاداً زوج وأما زوجة فلغة رديئة كما في «المفردات». **﴿وذرياتنا﴾** [وفرزندان ما] وهو جمع ذرية أصلها صغار الأولاد ثم صار عرفاً في الكبار أيضاً.

قال في «القاموس»: ذرأ الشيء كثره ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين. **﴿قرة أعين﴾** [كسى كه روشنىء ديدها بود] أي بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فإن المؤمن إذا ساعده أهله في طاعة الله يسر بهم قلبه وتقربهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة حسبما وعد بقوله: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] فالمراد بالقرور المسؤول تفضيلهم بالفضائل الدينية لا بالمال والجاه والجمال ونحوها. وقرة منصوب على أنه مفعول هب وهي إما من القرار ومعناه أن يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه عن النظر إلى غيره ولا تطمح إلى ما فوقه وإما من القر بالضم وهو البرد والعرب تتأذى من الحر وتستريح إلى البرد فقرور العين على هذا يكون كناية عن الفرح والسرور فإن دمع العين عند السرور بارد وعند الحزن حار. ومن إما ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقرّ به عيوننا من طاعة وصلاح، أو بيانية على أنها حال كأنه قيل: هب لنا قرة أعين ثم فسرت القرة وبينت بقوله: **﴿من أزواجنا وذرياتنا﴾** ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسداً أي أنت أسد قال بعضهم:

نعم الإله على العباد كثيرة وأجلهن نجابة الأولاد

قال الشيخ سعدي قدس سره:

زن خوب فرمان بر پارسا كند مرد درويش را پادشا
جومستور باشد زن خوب روى بديدا روى دربهشت است شوى

﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ الإمام المؤتم به إنساناً كان يقتدى بقوله وفعله أو كتاباً أو غير ذلك محقاً كان أو مبطلاً كما في «المفردات» أي: اجعلنا بحيث يقتدي بنا أهل التقوى في إقامة مراسم الدين بإفاضة العلم والتوفيق للعمل.

وفي «الإرشاد»: والظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وإن عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلني للمتقين إماماً ما خلا أنه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد إلى الإيجاز على طريقة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥١] وأبقى إماماً على حاله ولم يقل أئمة وإعادة الموصول في المواضع السبعة مع كفاية ذكر الصلاة بطريق العطف على صلة الموصول الأول للإيذان بأن كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حدته له شأن خطير حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء من ذلك تتمة لذلك وتوسط العاطف بين الصفة والموصوف لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي.

قال القفال وجماعة من المفسرين: هذه الآية دليل على أن طلب الرياسة في الدين واجب.

وعن عروة: أنه كان يدعو بأن يجعله الله ممن يحمل عنه العلم فاستجيب دعاؤه.

وأما الرياسة في الدنيا: فالسنة أن لا يتقلد الرجل شيئاً من القضاء والإمارة والفتوى والعرافة بانقياد قلب وارتضائه إلا أن يكره عليه بالوعيد الشديد وقد كان لم يقبلها الأوائل فكيف الأواخر.

بو حنيفة قضا نكرد وبمرد تو بميري اكر قضا نكنى

يقول الفقير: إن قلت: قول الشيخ أبي مدين قدس سره آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الجاه قد يفسر فيه الخروج بالظهور فما معناه؟ قلت: إن الصديقين لما استكملوا مرتبة الاسم الباطن أحبوا أن يظهروا بمرتبة الاسم الظاهر ليكون لهم حصة من كمالات الأسماء الإلهية كلها وهذا المعنى لا يقتضي التقلد المعروف كأبناء الدنيا بل يكفي أن تنتظم بهم مصالح الدنيا بأي وجه كان، ولقد شاهدت من هذا أن شيخي الأجل الأكمل قدس سره رأى في بعض مكاشفاته أنه سيصير سلطاناً فلم يمض إلا قليل حتى استولى البغاة على القسطنطينية وحاصروا السلطان ومن يليه فلم تندفع الفتنة العامة إلا بتدبير حضرة الشيخ حيث دبر تدبيراً بليغاً كوشف عنه فاستأصل الله البغاة وأعتق السلطان والمؤمنين جميعاً فمثل هذا هو الظهور بالاسم الظاهر وتمامه في كتابنا المسمى بتام الفيض هذا.

قال في «كشف الأسرار»: [جابر بن عبد الله كفت پيش أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حاضر بودم كه مردى بنزودوى آمد وپرسيدكه يا أمير المؤمنين. **﴿وعباد الرحمن﴾** الخ نزول اين آيت درشان كيست وإيشان چه قوم اندكه رب العالمين ايشانرا نامزد كرد جابر كفت علي رضي الله عنه آن ساعت روى بامن كرد وكفت يا جابر تدري من هؤلاء هيچ داني كه إيشان كه اند واين آيت كجافر وآمد كفتم يا أمير المؤمنين نزلت بالمدينة بمدينة فرو آمد اين آيت كفت نه يا جابركه أين آيت بمكه فرو آمد يا جابر. **﴿الذين يمشون على الأرض هوناً﴾** أبو بكر بن أبي قحافة أست اورا حليم قريش مكيفتند بدوكاركه رب العزة أورا بعز إسلام كرامي كرد أورا ديدم در مسجد مكه ازهوش برفته ازپس كه كفار بني مخزوم وبني أمية أورا زده بودند وبنو تيم أزبهر أو خصومت كردند بابني مخزوم أورا بخانه بردند همجنان ازهوش برفته چون باهوش آمد مادر خودرا ديد بربالين وي نشسته كفت يا أمه أين محمد محمد كجاست وكاروي بچه رسيد پدرش بوقحافة كفت] وما سؤالك عنه ولقد أصابك من

أجله ما لا يصيب أحداً لأجل أحد [أي پسرچه جاي آنست كه توزحال محمد پرسي ودل بوي چنين مشغول داري نمى بيني كه برتوچه ميرود ازبهروي أي پسر نمى بيني بنو تيم كه بتعصب توبر خاستند وميكويند اكر توازدين محمد باز كردي وبدين پدران خويش بازآيي ماثارتواز بني مخزوم طلب داريم وايشانرا بيپچانيم ودمار آريم تاتشفيء توبديد كنيم أبو بكر سخت حليم بودروبر دبار ومتواضع سربر داشت وكفت «اللهم اهد بني مخزوم فإنهم لا يعلمون يأمرونني بالرجوع عن الحق إلى الباطل» رب العزة أورا بستود در آن حلم ووقار وسخنان آزاد واوردر حق وي كفت ﴿الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ يا جابر ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ سالم أست مولى أبو حذيفة كه همه شب درقيام بودي متعبد ومتهجد ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم﴾ أبو ذر غفاريست كه پيوسته بابكاو حزن بودي أزبيم دوزخ واز آتش قطيعت تا رسول خدا أورا كفت «يا أبا ذر هذا جبريل يخبرني أن الله تعالى أجارك من النار» ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا﴾ الخ أبو عبيدة است أنفق ماله على نفسه وعلى أقربائه فرضي الله فعله ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ الخ علي بن أبي طالب است كه هر كزبت نپرستيد وهركز زنانكرد وقتل بي حق نكرد ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل درعى بفروخت پس پشيمان شد سعيدرا كفت تو دعوى كن كه آن درع جد مرابود عمرو بن نفيل وخطاب را دران حقي نه تاترا رشوتي دهم سعيد كفت مرا برشوت تو حاجتي نيست ودروغ كفتن كار من نيست فرضى الله فعله ﴿والذين إذا ذكروا﴾ الخ سعيد بن أبي وقاص است. ﴿والذين يقولون ربنا﴾ الخ عمر بن الخطاب است إيشانرا جملة بدين صفات ستوده وأخلاق پسنديده كه نتايج أخلاق مصطفا ست يا دكرد آنكه فت].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾﴾.

﴿أولئك﴾ المتصفون بما فصل في حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به والمستجمون لهذه الخصال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى: ﴿يجزون الغرفة﴾ الجزاء الغناء والكفاية والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر. والغرف رفع الشيء أو تناوله يقال غرفت الماء والمرق والغرفة الدرجة العالية من المنازل لكل بناء مرتفع عال أي يثابون أعلى منازل الجنة وهي اسم جنس أريد به الجمع كقوله تعالى: ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبا: ٣٧] ودر فصول عبد الوهاب [كوشكهاست بريچهار قائمة نهاده از سيم وزر ولؤلؤ ومرجان] ﴿بما صبروا﴾ ما مصدرية ولم يقيد الصبر بالمتعلق بل أطلق ليشيع في كل مصبور عليه. والمعنى بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ومن ذلك الوصم قال عليه السلام: «الصوم نصف الصبر والصبر نصف الإيمان» أي: فيكون الصوم ربع الإيمان وهو أي الصوم قهر لعدو الله فإن وسيلة الشيطان الشهوات وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب ولذلك قال عليه السلام: «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع».

جوع باشد غداي أهل صفا — محنت وابتلاي أهل هوا
جوع تنوير خانهٔ دل تست — أكل تعمير خانهٔ كل تست
خانهٔ دل كذا شتى بي نور — خانهٔ كل چه ميكني معمور

وفي الحديث: «إن في الجنة لغرفاً مبنية في الهواء لا علاقة من فوقها ولا عماد لها من تحتها لا يأتيها أهلها إلا شبه الطير لا ينالها إلا أهل البلاء» أي: الصابرون منهم.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿أولئك يجزون الغرفة﴾ من مقام العندية في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴿بما صبروا﴾.

في البداية على أداء الأوامر وترك النواهي وفي الوسط على تبديل الأخلاق الذميمة بالأخلاق الحميدة وفي النهاية على إفناء الوجود الإنساني في الوجود الرباني انتهى.

والصبر ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله.

قال بعض الكبار: من أدب العارف بالله تعالى إذا أصابه ألم أن يرجع إلى الله تعالى بالشكوى رجوع أيوب عليه السلام أدباً مع الله وإظهاراً للعجز حتى لا يقاوم القهر الإلهي كما يفعله أهل الجهل بالله ويظنون أنهم أهل تسليم وتفويض وعدم اعتراف فجمعوا بين جهالتين ﴿ويلقون فيها﴾ أي في الغرفة من جهة الملائكة ﴿تحية﴾ [التلقية: چيزى پيش كسى را آوردن] يعدى إلى المفعول الثاني بالباء وبنفسه كما في «تاج المصادر» يقال: لقيته كذا وبكذا إذا استقبلته به كما في «المفردات». والمعنى يستقبلون فيها بالتحية ﴿وسلاماً﴾ أي: وبالسلام تحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات فإن التحية هي الدعاء بالتعمير والسلام هو الدعاء بالسلامة.

قال في «المفردات»: التحية أن يقال: حياك الله أي جعل لك حياة وذلك إخبار ثم يجعل دعاء ويقال حيّا فلان فلاناً تحية إذا قال له ذلك وأصل التحية من الحياة ثم جعل كل دعاء تحية لكون جميعه غير خارج عن حصول حياة أو سبب حياة إما لدنيا وإما لآخرة ومنه التحيات لله والسلام والسلامة التعري عن الآفات الظاهرة والباطنة وليست السلامة الحقيقية إلا في الجنة لأن فيها بقاء بلا فناء وغنى بلا فقر وعزا بلا ذل وصحة بلا سقم.

قال بعضهم: الفرق أن السلام سلامة العارفين في الوصال عن الفرقة والتحية روح تجلي حياة الحق الأزلي على أرواحهم وأشباحهم فيحيون حياة أبدية.

وقال بعضهم: ويلقون فيها تحية يحيون بها بحياة الله وسلاماً يسلمون به من الاستهلاك الكلي كما استحفظ إبراهيم عليه السلام من آفة البرد بالسلام بقوله تعالى: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

سلامت من دلخسته درسلام توباشد زهى سعادت أكردولت سلام تويابم

﴿خالدين فيها﴾ حال من فاعل يجزون أي حال كونهم لا يموتون ولا يخرجون من الغرفة. ﴿حسنت﴾ الغرفة ﴿مستقراً ومقاماً﴾ من جهة كونها موضع قرار وإقامة وهو مقابل ساءت مستقراً معنى ومثله إعراباً.

فعلى العاقل أن يتهيأ لمثل هذه الغرفة العالية الحسنة بما سبق من الأعمال الفاضلة المستحسنة ولا يقع في مجرد الأماني والآمال فإن الأمنية كالموت بلا أشكال.

وبقدر الكدّ والتعب تكتسب المعالي ومن طلب العلى جد في الأيام والليالي

قال بعض الكبار: من أراد أن يعرف بعض محبة الحق أو محبته له فلينظر إلى حاله الذي هو عليه من اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والأئمة المجتهدين بعده فإن وجد نفسه على هداهم وأخلاقهم من الزهد والورع وقيام الليل على الدوام وفعل جميع المأمورات الشرعية وترك

جميع المنهيات حتى صار يفرح بالبلايا والمحن وضيق العيش وينشرح لتحويل الدنيا ومناصبها وشهواتها عنه فليعلم أن الله يحبه وإلا فليحكم بأن الله يبغضه والإنسان على نفسه بصيرة. وفي الإكثار من النوافل توطئة لمحبة الله تعالى قال عليه السلام حاكياً عن الله تعالى: «ما تقرب المتقربون إليّ بمثل أداء ما فرضت عليهم ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه» ومن آثار محبته تعالى لعبده المطيع له إعطاء الغرفة العالية له في الجنة لعلو قدره ومنزلته عنده وإذا وقع التجلي الإلهي يكونون جلوساً على مراتبهم فالأنبياء على المنابر والأولياء على الأسرة والعلماء بالله على الكراسي والمؤمنون المقلدون في توحيدهم على مراتب وذلك الجلوس كله يكون في جنة عدن عند الكثيب الأبيض وأما من كان موحداً من طريق النظر في الأدلة فيكون جالساً على الأرض وإنما نزل هذا عن الرتبة التي للمقلد في التوحيد لأنه تطرقه الشبه من تعارض الأدلة والمقالات في الله وصفاته فمن كان تقليده للشارع جزماً فهو أوثق إيماناً ممن يأخذ توحيده من النظر في الأدلة ويؤولها.

واعلم أن الله تعالى إنما ذكر الغرفة في الحقيقة لأجل الطامعين الراغبين فيها وأما خواص عباده فليس لهم طمع في شيء سوى الله تعالى فلهم فوق الغرفة ونعيمها نعيم آخر تشير إليه التحية والسلام على تقدير أن يكونا من الله تعالى إذ لا يلتذ العاشق بشيء فوق ما يلتذ بمطالعة جمال معشوقه وسماع كلامه وخطابه ـ حكي أنه كان لبعضهم جار نصراني فقال له: أسلم على أن أضمن لك الجنة فقال النصراني: الجنة مخلوقة لا خطر لها ثم ذكر له الحور والقصور فقال: أريد أفضل من هذا.

صحبت حور نخواهم كه بود عين قصور

فقال: أسلم على أن أضمن لك رؤية الله تعالى فقال: الآن وجدت ليس شيء أفضل من رؤية الله فأسلم ثم مات فرآه في المنام على مركب في الجنة فقال له: أنت فلان قال: نعم قال: ما فعل الله بك قال: لما خرج روحي ذهب به إلى العرش فقال الله تعالى: آمنت بي شوقاً إلى لقائي فلك الرضى والبقاء.

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾﴾

﴿**قل**﴾ يا محمد للناس كافة ﴿**ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم**﴾ هذا بيان لحال المؤمنين منهم وما استفهامية محلها النصب على المصدر أو نافية وما يعبأ ما يبالي ولا يعتد كما في «القاموس» ما أعبأ بفلان ما أبالي وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه ودعاؤكم مبتدأ خبره موجود أو واقع وهو مصدر مضاف إلى الفاعل بمعنى العبادة كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] ونظائره والمعنى على الاستفهامية أي عبء واعتبار يعتبركم ربي ويبالي ويعتني بشأنكم لولا عبادتكم وطاعتكم له تعالى فإن شرف الإنسان وكرامته بالمعرفة والطاعة وإلا فهو وسائر الحيوانات سواء.

وقال الزجاج: أي وزن ومقدار يكون لكم عند الله تعالى لولا عبادتكم له تعالى وذلك أن أصل العبء بالكسر والفتح بمعنى الثقل والحمل من أي شيء كان فمعنى ما أعبأ به في الحقيقة ما أرى له وزناً وقدراً وإليه جنح الإمام الراغب في الآية هذا وفي الآية معانٍ أخر والأظهر عند المحققين ما ذكرناه. ﴿**فقد كذبتم**﴾ بيان لحال الكفرة من الناس أي فقد كذبتم أيها الكفرة بما

أخبرتكم به حيث خالفتموه وخرجتم عن أن يكون لكم عن الله اعتناء بشأنكم واعتبار أو وزن ومقدار ﴿فسوف يكون لزاماً﴾ مصدر كالقتال أقيم مقام الفاعل كما يقام العدل في مقام العادل أي يكون جزاء التكذيب أو أثره وهو الأفعال المتفرعة عليه لازماً يحيق بكم لا محالة حتى يكبكم في النار أي يصرعكم على وجوهكم كما يعرب عنه الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها وإنما أضمر من غير ذكر للإيذان بغاية ظهوره وتهويل أمره للتنبيه على أنه مما لا يكتنهه الوصف والبيان.

وعن بعضهم أن المراد بالجزاء جزاء الدنيا وهو ما وقع يوم بدر قتل منهم وأسر سبعون ثم اتصل به عذاب الآخرة لازماً لهم. قال الشيخ سعدي قدس سره.

رطب ناورد چوب خر زهره بار چه تخم افكنى برهمان چشم دار

واعلم أن الكفار أبطلوا الاستعداد الفطري وأفسدوا القوى بالإهمال فكان حالهم كحال النوى فإنه محال أن ينبت منه الإنسان تفاحاً فأصل الخلق والقوة لا يتغير ألبتة ولكن كما أن في النوى إمكان أن يخرج ما في قوته إلى الوجود وهو النخل بالتفقد والتربية وأن يفسد بالإهمال والترك، فكذا في الإنسان إمكان إصلاح القوة وإفسادها ولولا ذلك لبطل فائدة المواعظ والوصايا والوعد والوعيد والأمر والنهي ولا يجوز العقل أن يقال للعبد لم فعلت ولم تركت وكيف يكون هذا في الإنسان ممتنعاً وقد وجدناه في بعض البهائم ممكناً فالوحشي قد ينتقل بالعادة إلى التأنس والجامح إلى السلاسة فالتوحيد والتصديق والطاعة أمر ممكن من الإنسان بإزالة الشرك والتكذيب والعصيان وقد خلق لأجلها كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية: قل ما يعبأ بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم إياه. يعني أنه خلقكم لعبادته كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] فالحكمة الإلهية والمصلحة الربانية من الخلق هي الطاعة وأفعال الله تعالى وإن لم تكن معللة بالأغراض عند الأشاعرة لكنها مستتبعة لغايات جليلة.

قال الإمام الراغب: الإنسان في هذه الدار الدنيا كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: الناس سفر والدار دار ممرّ لا دار مقر وبطن أمه مبدأ سفره والآخرة مقصده وزمان حياته مقدار مسافته وسنوه منازله وشهوره فراسخه وأيامه أمياله وأنفاسه خطاه ويسار به سير السفينة براكبها كما قال الشاعر.

رأيت أخا الدنيا وإن كان ثاوياً أخا سفر يسري به وهو لا يدري

وقد دعى إلى دار السلام لكن لما كان الطريق إليها مشكلة مظلمة جعل الله لنا من العقل الذي ركبه فينا وكتبه التي أنزلها علينا نوراً هادياً ومن عبادته التي كتبها علينا وأمرنا بها حصناً واقياً فمن قال هذه الطاعات جعلها الله عذاباً علينا من غير تأويل كفر فإن أوّل مراده بالتعب لا يكفر ولو قال: لو لم يفرض الله تعالى كان خيراً لنا بلا تأويل كفر لأن الخير فيما اختاره الله إلا أن يؤول ويريد بالخير الأهون والأسهل نسأل الله أن يسهلها علينا في الباطن والظاهر والأول والآخر.

تمت سورة الفرقان في سادس شهر رمضان المبارك

يوم السبت من سنة ثمان ومائة وألف

٢٦ ـ تفسير سورة الشعراء

مكية وهي مائتان وسبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾.

﴿طسم﴾ الحروف المقطعة في أوائل السور يجمعها قولك: (سرّ حصين قطع كلامه) وأولى ما قال أهل التفسير في حق هذه الحروف الله أعلم بمراده لأنها من الأسرار الغامضة كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «إن لكل كتاب سراً وسر القرآن في المقطعات» كما في «رياض الأذكار» والمعاني المتعلقة بالأسرار والحقائق لا يعلمها إلا الله ومن أطلعه الله عليها من الراسخين في العلم وهم العلماء بالله فلا معنى للبحث عن مرتبة ليس للسان حظ منها ولا للقلم نصيب وأما اللوازم التي تشير إلى الحقائق فلبيانها مساغ فإنها دون الحقائق وفي مرتبة الفهم وإلى الأول يشير قول ابن عباس رضي الله عنهما في ﴿طسم﴾ عجزت العلماء عن تفسيرها كما في «فتح الرحمن» وإلى الثاني يشير ما في «كشف الأسرار» حيث قال بالفارسية: [روايت كنند از علي رضي الله عنه كه كفته آنكه كه. ﴿طسم﴾ از آسمان فرود آمد رسول خدا عليه السلام كفت «طاء» طور سيناست و«سين» سكندريه «وميم» مكة معنى آنست والله أعلم كه رب العزة سوكند يا دكرد باين بقاع شريف چنانكه] لا أقسم بهذا البلد. أما جبل طور سينا الذي بين الشام ومدين فهو محل مناجاة موسى عليه السلام وكلامه مع الله تعالى ومقام التجلي كما قال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وهذا الجبل إذا كسرت حجارته يخرج من وسطها صورة شجر العوسج على الدوام وتعظيم اليهود لشجرة العوسج لهذا المعنى ويقال لشجرة العوسج شجرة اليهود. وأما الإسكندرية فهي آخر مدن المغرب ليس في معمور الأرض مثلها ولا في أقاصي الدنيا كشكلها وعدت مساجدها فكانت عشرين ألف مسجد نقل أن المدينة كانت سبع قصبات متوالية وإنما أكلها البحر ولم يبق منها إلا قصبة واحدة وهي المدينة الآن وصار منار المرآة الإسكندرية في البحر لغلبة الماء على قصبة المنار.

وقصة المرآة أنه كان في أعلى المنار الذي ارتفاعه ثلاثمائة ذراع إلى القبة مرآة غريبة قد عملها الحكماء للإسكندر يرى فيها المراكب من مسيرة شهر وكان بالمرآة أعمال وحركات تحرق المراكب في البحر إذا كان فيها عدو بقوة شعاعها فأرسل صاحب الروم يخدع صاحب مصر ويقول: إن الإسكندر قد كنز على المنار كنزاً عظيماً من الجواهر النفيسة فإن صدقت فبادر إلى إخراجها ولك أيضاً من الكنز ما تشاء فانخدع لذلك وظنه حقاً فهدم القبة فلم يجد

شيئاً وفسد طلسم المرآة. وأما مكة المشرفة المكرمة فهي مدينة قديمة غنية عن البيان وفيها كعبة الإسلام وقبلة المؤمنين والحج إليها أحد أركان الدين.

ويقال: الطاء طوله أي قدرته. والسين سناؤه أي رفعته. والميم ملكه ومجده فأقسم الله بهذه.

ويقال: يشير إلى طاء طيران الطائرين بالله وإلى سين السائرين إلى الله. وإلى ميم مشي الماشين لله فالأول مرتبة أهل النهاية والثاني مرتبة أهل التوسط والثالث مرتبة أهل البداية ولكل سالك خطوة ولكل طائر جناح.

ويقال: الطاء إشارة إلى طهارة أسرار أهل التوحيد. والسين إشارة إلى سلامة قلوبهم عن مساكنة كل مخلوق. والميم إشارة إلى منة الخالق عليهم بذلك.

وقال سيد الطائفة الجنيد قدس سره: الطاء طرق التائبين في ميدان الرحمن. والسين سرور العارفين في ميدان الوصلة. والميم مقام المحبين في ميدان القربة.

وقال نجم الدين قدس سره: يشير إلى طاء طهارة قلب نبيه عن تعلقات الكونين. وإلى سين سيادته على الأنبياء والمرسلين. وإلى ميم مشاهدة جمال رب العالمين.

وقال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: أقسم الله بشجرة طوبى وسدرة المنتهى ومحمد المصطفى بالقرآن بقوله: ﴿طسم﴾ فالطاء شجرة طوبى والسين سدرة المنتهى والميم محمد المصطفى عليه الصلاة والسلام. أما سر اصطفاء طوبى فإن الله تعالى خلق جنة عدن بيده من غير واسطة وجعلها له كالقلعة للملك وجعل فيها الكثيب مقام تجلي الحق سبحانه وفيه مقام الوسيلة لخير البرية وغرس شجرة طوبى بيده في جنة عدن وأطالها حتى علت فروعها سور جنة عدن ونزلت مظلة على سائر الجنان كلها وليس في أكمامها ثمر إلا الحلي والحلل لباس أهل الجنة وزينتهم ولها اختصاص فضل لكونها خلقها الله بيده ولذلك كانت أجمع الحقائق الجنانية نعمة وأعمها بركة فإنها لجميع أشجار الجنة كآدم عليه السلام لما ظهر من البنين وما في الجنة نهر إلا وهو يجري من أصل تلك الشجرة وهي محمدية المقام. وأما سر اجتباء سدرة المنتهى فهي شجرة بين الكرسي والسماء السابعة لأفنانها حنين بأنواع التسبيحات والتحميدات والترجيعات عجيبة الألحان تطرب بها الأرواح والقلوب وتزيد في الأحوال وهي الحد البرزخي بين الدارين سماها المنتهى لأن الأرواح إليها تنتهي وتصعد أعمال أهل الأرض من السعداء وإليها تنزل الأحكام الشرعية وأم فيها رسول الله ﷺ ملائكة السموات في الوتر فكان إمام الأنبياء في بيت المقدس وإمام الملائكة عند سدرة المنتهى فظهر بذلك فضله على أهل الأرض والسماء كما في تفسير «التيسير» وهي مقام جبريل يسكن في ذروتها كما أن مقر العقل وسط الدماغ وذلك لأن جبريل سدرة العقل ومقامه إشارة إلى مقام العقل وهو الدماغ ولذلك من رأى جبريل فإنما رأى صورة عقله لأن جبريل لا يرى من مقام تعينه لغير الأنبياء عليهم السلام. وآخر الميم المشاربه إلى محمد المصطفى ﷺ لسر الختمية وكما أن ختم الأنبياء بسيد المرسلين كذلك ختم حروف الهجاء بالياء المشتمل عليها لفظ الميم فقد جمع الله في القسم بقوله: ﴿طسم﴾ ثلاث حقائق وهي أصول الحقائق كلها. الأولى حقيقة جنانية نعمية جامعة وهي شجرة طوبى ولذا أودعها الله في المقام المحمدي لكونها جامعة للنعم الجنانية ومقسماً لها كما أن النبي عليه السلام مقسم العلوم والمعارف وأنواع الكمالات. والثانية حقيقة برزخية

جامعة لحقائق الدارين وهي شجرة سدرة المنتهى فأغصانها نعيم لأهل الجنة وأصولها زقوم لأهل النار لأنها في مقعر فلك البروج وهو الفلك الأعظم ويسمى فلك الأفلاك لأنه يجمع الأفلاك وأيضاً الفلك الأطلس لأنه غير مكوكب كالثوب الأطلس الخالي عن النقش ومقعر سطحيه أي الفلك الأعظم يماس محدب الفلك الواثب ومحدبه لا يماس شيئاً إذ ليس وراءه شيء لإخلاء ولإملاء بل عنده ينقطع امتدادات العالم كلها.

وقيل: في ورائه أفلاك من أنوار غير متناهية ولا قائل بالخلاء فيما تحت الفلك الأعظم بل هو الملأ كذا في كتب الهيئة وعند الصوفية المقام الذي يقال له لإخلاء ولإملاء فوق عالم الأرواح لا فوق العرش.

قال في «شرح التقويم» ولما كان المذكور في الكتب الإلهية السمٰوات السبع زعم قوم من حكماء الملة أن الثامن هو الكرسي والتاسع هو العرش وهذا يناسب قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] والثالثة حقيقة الحقائق الكلية وهي الحقيقة المحمدية لقد أقسم الله في ﴿طسم﴾ بأجمع الحقائق كلها لفضلها على جميع الحقائق لأن الحقيقة المحمدية حقيقة الحقائق وروحها دنياً وبرزخاً وآخرة ولهذا ختم به الحقائق.

هر دو عالم بستهٔ فتراك أو عرش وكرسي كرده قبله خاك أو
بيشواي اين جهان وآن جهان مقتداي آشكارا ونهان

وقال بعض كبار المكاشفين: لا يعرف حقائق الحروف المقطعة في أوائل السور إلا أهل الكشف والوجود فإنها ملائكة وأسماؤهم أسماء الحروف وهم أربعة عشر ملكاً لأن مجموع المقطعات من غير تكرار أربعة عشر آخرهم. ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ [القلم: ١] وقد ظهروا في منازل القرآن على وجوه مختلفة فمنازل ظهر فيها ملك واحد مثل «ن وص» ومنازل ظهر فيها اثنان مثل ﴿طس ويس وحم﴾ ومنازل ظهر فيها ثلاثة مثل ﴿الم وطسم﴾ ومنازل ظهر فيها أربعة مثل ﴿المص والمر﴾ منازل ظهر فيها خمسة مثل ﴿كهيعص وحمعسق﴾ وصورها مع التكرار تسعة وسبعون ملكاً بيد كل ملك شعبة من الإيمان فإن الإيمان بضع وسبعون شعبة والبضع من واحد إلى تسعة فقد استعمل في غاية البضع.

فإذا نطق القارىء بهذه الحروف كان منادياً لهم فيجيبونه يقول القارىء: ﴿الم﴾ فيقول هؤلاء الثلاثة من الملائكة ما تقول؟ فيقول القارىء: ما بعد هذه الحروف فيقال بهذا الباب الذي فتحت ترى عجائب وتكون هذه الأرواح الملكية التي هي الحروف أجسامها تحت تسخيره وبما بيدها من شعب الإيمان تمده وتحفظ عليه إيمانه.

قال في ترجمة وصايا «الفتوحات» [ازجمله شعب إيمان شهادتست بتوحيد ونماز كزاريدن وزكاة دادن وروزه داشتن وحج كزاريدن ووضوء ساختن واز جنابت غسل كردن وغسل روز جمعه وصبر وشكر وورع وحيا وأمان ونصيحت وطاعت أولو الأمر وذكر حق كرفتن ورنج خود از خلق برداشتن وأمانت إدا كردن ومظلوم را ياري دادن وترك ظلمة كردن وكسى را خوار ناداشتن وترك غيبت وترك نميمت وترك بخس كردن وجون درخانهٔ كسى خواهي در آمدن دستوري خواستن وخشم را خوابانيدن واعتبار كرفتن وقول نيكورا سماع كردن وبر آنجه نيكوترست دفع كردن وقول بدرا بجهر ناكفتن وبكلمهٔ طيب اتيان كردن وحفظ فرج وحفظ زبان وتوبه وتوكل وخشوع وترك لغو يعني سخن بيهوده وترك ما لا يعني وحفظ عهد

وميثاق ووفا نمودن وبرتقوى ياري دادن وبراثم وعدوان ياري نادادن وتقوى را ملازم بودن ونيكويي كردن وصدق ورزيدن وأمر معروف كردن ونهى منكر وميان دومسلمان إصلاح كردن وازبهر خلق دعا كردن ورحمت خواستن وبزرك را مكرم داشتن وبحدود الله قيام نمودن وترك دعوىء جاهليت كردن واز پس يكديكر بدنا كفتن وباهم ديكر دشمني ناكردن وكواهي دروغ وقول دروغ ناكفتن وترك همز ولمز وغمز يعني درپيش وپس بدنا كفتن وبچشم نازدن وغمازي ناكردن وبجماعات حاضر شدن وسلام راخاص كردن وبيكديكر هديه فرستادن وحسن خلق وحسن خلق وحسن عهدي وسر نكاه داشتن ونكاح دادن وبنكاح كرفتن وحب أهل بيت وحب زنان وبوي خوش دوست داشتن وحب أنصار وتعظيم شعائر وترك عيش وبر مؤمن سلاح نداشتن وتجهيز مرده كردن وبرجنازه نماز كزاردن وبيمار پرسيدن وآنچه درراه مسلمانان زحمت باشد دور كردن وهرچه براي نفس خود دوست ميداري براي هريك از مؤمنان دوست داشتن وحق تعالى ورسول أورا ازهمه دوستر داشتن وبكفر بازنا كشتن وبملائكة وكتب ورسل وهرچه إيشان ازحف آورده اند إيما داشتن] وغير ذلك مما اشتمل عليه الكتاب والسنة وهي كثيرة جداً وفي الحديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» انتهى وهي خصال أهل الإيمان ولم يرد تعديدها بأعيانها في حديث واحد وأهل العلم عدوا ذلك على وجوه وأقصى ما يتناوله لفظ هذا الحديث تسعة وسبعون.

قال الإمام النسفي في تفسير «التيسير» وأنا أعدها على ترتيب أختاره وعلى الاجتهاد فأقول: بدأ فيه بالتهليل والذي يليه التكبير والتسبيح والتحميد والتمجيد والتجريد والتفريد والتوبة والإنابة والنظافة والطهارة والصلاة والزكاة والصيام والقيام والاعتكاف والحج والعمرة والقربان والصدقة والغزو والعتق وقراءة القرآن وملازمة الإحسان ومجانبة العصيان وترك الطغيان وهجر العدوان وتقوى الجنان وحفظ اللسان والثناء والدعاء والخوف والرجاء والحياء والصدق والصفاء والنصح والوفاء والندم والبكاء والإخلاص والذكاء والحلم والسخاء والشكر في العطية والصبر في البلية والرضى بالقضية والاستعداد للمنية واتباع السنة وموافقة الصحابة وتعظيم أهل الشيبة والعطف على صغار البرية والاقتداء بعلماء الأمة والشفقة على العامة واحترام الخاصة وتعظيم أهل السنة وأداء الأمانة وإظهار الصيانة والإطعام والإنعام وبر الأيتام وصلة الأرحام وإفشاء السلام وصدق الاستسلام وتحقيق الاستعصام والزهد في الدنيا والرغبة في العقبى والموافقة للمولى ومخالفة الهوى والحذر من لظى وطلب جنة المأوى وبث الكرم وحفظ الحرم والإحسان إلى الخدم وطلب التوفيق وحفظ التحقيق ومراعاة الجار والرفيق وحسن الملكة في الرقيق وأدناها إماطة الأذى عن الطريق فمن استكمل الوفاء بشعب الإيمان نال بوعد الله كمال الأمان وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢] ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ تلك مبتدأ خبره ما بعده أي هذه السورة آيات القرآن الظاهر إعجازه وصحة أنه كلام الله ولو لم يكن كذلك لقدروا على الإتيان بمثله ولما عجزوا عن المعارضة فهو من أبان بمعنى بان أو ظهر أو المبين للأحكام الشرعية وما يتعلق بها.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن هذه الحروف المقطعة ههنا وفي أوائل السور

ليست من قبيل الحروف المخلوقة بل من قبيل آيات الكتاب المبين القديمة إذ كل حرف منها دال على معان كثيرة كالآيات ﴿لعلك باخع نفسك﴾ لعل للإشفاق أي الخوف والله تعالى منزه عنه فهو بالنسبة إلى النبي عليه السلام يقال: بخع نفسه قتلها غماً وفي الحديث: «أتاهم أهل اليمن هم أرق قلوباً وأبخع طاعة» فكأنهم في قهرهم نفوسهم بالطاعة كالباخعين إياها وأصل البخع أن يبلغ بالذبح البخاع وذلك أقصى حد الذبح وهو بالكسر عرق في الصلب غير النخاع بالنون مثلثة فإنه الخيط الذي في جوف الفقار ينحدر من الدماغ ويتشعب منه شعب في الجسم والمعنى أشفق على نفسك وخف أن تقتلها بالحزن بلا فائدة وهو حث على ترك التأسف وتصبير وتسل له عليه السلام.

قال الكاشفي: [چو قريش قرآنرا إيمان نياوردند وحضرت رسالت عليه السلام برايمان ايشان بغايت حريص بود اين صورت بر خاطر مبارك أو شاق آمد حق سبحانه وتعالى بجهت تسلى دل مقدس وي فرمودكه مكرتو يا محمد هلاك كننده وكشندهٔ نفس خودرا] ﴿ألا يكونوا مؤمنين﴾ مفعول له بحذف المضاف أي خيفة أن لا يؤمن قريش بذلك الكتاب المبين فإن الخوف والحزن لا ينفع في إيمان من سبق حكم الله بعدم إيمانه كما أن الكتاب المبين لم ينفع في إيمانه فلا تهتم فقد بلغت.

قال في «كشف الأسرار»: [أي سيد اين مشتي بيكانكان كه مقهور سطوت وسياست ما اند ومطرودد ركاه عزت ما تودل خويش بايشان چرا مشغول داري وازنكار ايشان برخود چرا رنج نهى ايشانرا بحكم ما تسليم كن وباشغل من آرام كير].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى تأديب النبي عليه السلام لئلا يكون مفرطاً في الرحمة والشفقة على الأمة فإنه يؤدي إلى الركون إليهم وأن التفريط في ذلك يؤدي إلى الفظاعة وغلظ القلب بل يكون مع الله مع المقبل والمدبر.

ترا مهر حق بس زجمله جهان   برو ازنقوش سوى ساده باش
بهار وخزانرا همه در كذر   چوسرو سهى دائم آزاده باش

ثم بين أن إيمانهم ليس مما تعلقت به مشيئة الله تعالى فقال:

﴿إن نشأ﴾ [اكرما خواهيم] ﴿ننزل عليهم من السماء آية﴾ دالة ملجئة إلى الإيمان كإنزال الملائكة أو بلية قاسرة عليه كآية من آيات القيامة ﴿فظلت﴾ فصارت ومالت أي فتظن ﴿أعناقهم﴾ أي: رقابهم. وبالفارسية [پس كردد كردنهاي ايشان]. ﴿لها﴾ أي: لتلك الآية ﴿خاضعين﴾ منقادين فلا يكون أحد منهم يميل عنقه إلى معصية الله ولكن لم نفعل لأنه لا عبرة بالإيمان المبني على القسر والإلجاء كالإيمان يوم القيامة وأصله فظلوا لها خاضعين فإن الخضوع صفة أصحاب الأعناق حقيقة فأقحمت الأعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله.

وفيه بيان أن الإيمان والمعرفة موهبة خاصة خارجة عن اكتساب الخلق في الحقيقة فإذا حصلت الموهبة نفع الإنذار والتبشير وإلا فلا فليبك على نفسه من جبل على الشقاوة. قال الحافظ:

چون حسن عاقبت نه برندي وزاهديست   آن به كه كار خود بعنايت رها كنند

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿**وما يأتيهم من ذكر**﴾ من موعظة من المواعظ القرآنية أو من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم كل تذكير وتنبههم أتم تنبيه كأنها نفس الذكر. ﴿**من الرحمن**﴾ بوحيه إلى نبيه دل هذا الاسم الجليل على أن إتيان الذكر من آثار رحمة الله تعالى على عباده. ﴿**محدث**﴾ مجدد إنزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير فلا يلزم حدوث القرآن. ﴿**إلا كانوا عنه معرضين**﴾ إلا جددوا إعراضاً عن ذلك الذكر وعن الإيمان به وإصراراً على ما كانوا عليه والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال محله النصب على الحالية من مفعول يأتيهم بإضمار قد وبدونه على الخلاف المشهور أي ما يأتيهم من ذكر في حال من الأحوال إلا حال كونهم معرضين عنه.

﴿**فقد كذبوا**﴾ بالذكر عقيب الإعراض فالفاء للتعقيب أي جعلوه تارة سحراً وأخرى شعراً ومرة أساطير. ﴿**فسيأتيهم**﴾ البتة من غير تخلف أصلاً والفاء للسببية، أي لسبب إعراضهم المؤدي إلى التكذيب المؤدي إلى الاستهزاء. ﴿**أنباء ما كانوا به يستهزئون**﴾ أي: أخبار الذكر الذي كانوا يستهزؤون به من العقوبات العاجلة والآجلة التي بمشاهدتها يقفون على حقيقة حال القرآن بأنه كان حقاً أو باطلاً وكان حقيقاً بأن يصدق ويعظم قدره أو يكذب فيستخف أمره كما يقفون على الأحوال الخافية عنهم باستماع الأنباء وفيه تهويل له لأن النبأ لا يطلق إلا على خبر خطير له وقع عظيم.

قال الكاشفي: [وبعد از ظهور نتايج تكذيب پشيماني نفع ندهد امروز بدان مصلحت خويش كه فردا داني وپشيمان شوى وسودندارد].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾.

﴿**أولم يروا**﴾ الهمزة للإنكار التوبيخي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أفعل المكذبون من قريش ما فعلوا من الإعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا. ﴿**إلى الأرض**﴾ أي إلى عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية إلى الإقبال إلى ما أعرضوا. ﴿**كم أنبتنا فيها**﴾ [چند برويانيديم در زمين بعد ازمردكى وافسردكى] ﴿**من كل زوج كريم**﴾ كريك [ازهر صنفي كپاه نيكو وبسنديده چون رياحين وكل نسرين وبنفشه وياسمين وشكوفهاى رنكارنك وبركهاي كوناكون] وسائر نباتات نافعة مما يأكل الناس والأنعام.

قال أهل التفسير: كم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لأن كل للإحاطة بجميع أزواج النبات وكم لكثرة المحاط به من الأزواج ومن كل زوج أي صنف تمييز والكريم من كل شيء مرضيه ومحموده يقال وجه كريم أي مرضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وفارس كريم مرضي في شجاعته وبأسه. والمعنى كثير من كل صنف مرضي كثير المنافع أنبتنا فيها وتخصيص النبات النافع بالذكر دون ما عداه من أصناف الضار وإن كان كل نبت متضمناً لفائدة وحكمة لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معاً.

واعلم أنه سبحانه كما أنبت من أرض الظاهر كل صنف ونوع من النبات الحسن الكريم

كذلك أنبت في أرض قلوب العارفين كل نبت من الإيمان والتوكل واليقين والإخلاص والأخلاق الكريمة كما قال عليه السلام: «لا إله إلا الله ينبت الإيمان كما ينبت البقل».

قال أبو بكر بن طاهر: أكرم زوج من نبات الأرض آدم وحواء فإنهما كانا سبباً في إظهار الرسل والأنبياء والأولياء والعارفين.

قال الشعبي: الناس من نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم ﴿إن في ذلك﴾ أي: في الإنبات المذكور أو في كل واحد من تلك الأصناف. ﴿لآية﴾ عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه ونهاية سعة رحمته موجبة للإيمان زاجرة عن الكفر. ﴿وما كان أكثرهم﴾ أي أكثر قومه عليه السلام. ﴿مؤمنين﴾ مع ذلك لغاية تماديهم في الكفر والضلالة وانهماكهم في الغي والجهالة وكان صلة عند سيبويه لأنه لو حمل على معنى ما كان أكثرهم في علم الله وقضائه لتوهم كونهم معذورين في الكفر بحسب الظاهر وبيان موجبات الإيمان من جهته تعالى يخالف ذلك.

يقول الفقير: قوله تعالى: ﴿إن نشأ ننزل﴾ الآية ونظائره يدل على المعنى الثاني ولا يلزم من ذلك المعذورية لأنهم صرفوا اختياراً إلى جانب الكفر والمعصية وكانوا في العلم الأزلي غير مؤمنين بحسب اختيارهم ونسبة عدم الإيمان إلى أكثرهم لأن منهم من سيؤمن.

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ الغالب القادر على الانتقام من الكفرة. ﴿الرحيم﴾ المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يأخذهم بغتة.

وقال في «كشف الأسرار»: يرحم المؤمن الذين هم الأقل بعد الأكثر.

وفي «التأويلات النجمية»: بعزته قهر الأعداء العتاة وبرحمته ولطفه أدرك أولياء بجذبات العناية. وعن السري السقطي قدس سره قال: كنت يوماً أتكلم بجامع المدينة فوقف عليّ شاب حسن الشباب فاخر الثياب ومعه أصحابه فسمعني أقول في وعظي: عجباً لضعيف يعصي قوياً فتغير لونه فانصرف فلما كان الغد جلست في مجلسي وإذا به قد أقبل فسلم وصلى ركعتين وقال: يا سري سمعتك بالأمس تقول: عجباً لضعيف كيف يعصي قوياً فما معناه؟ فقلت: لا أقوى من الله ولا أضعف من العبد وهو يعصيه فنهض فخرج ثم أقبل من الغد وعليه ثوبان أبيضان وليس معه أحد فقال: يا سري كيف الطريق إلى الله تعالى؟ فقلت: إن أردت العبادة فعليك بصيام النهار وقيام الليل وإن أردت الله فاترك كل شيء سواه تصل إليه وليس إلا المساجد والمحراب والمقابر فقام وهو يقول: والله لا سلكت إلا أصعب الطرق وولى خارجاً فلما كان بعد أيام أقبل إليّ غلمان كثير فقالوا: ما فعل أحمد بن يزيد الكاتب فقلت: لا أعرف إلا رجلاً جاءني من صفته كذا وكذا وجرى لي معه كذا وكذا ولا أعلم حاله فقالوا: بالله عليك متى عرفت حاله فعرفنا ودلنا على داره فبقيت سنة لا أعرف له خبراً فبينا أنا ذات ليلة بعد العشاء الآخرة جالس في بيتي إذ بطارق يطرق الباب فأذنت له في الدخول فإذا بالفتى عليه قطعة من كساء في وسطه وأخرى على عاتقه ومعه زنبيل فيه نوى فقبل بين عيني وقال: يا سري أعتقك الله من النار كما أعتقتني من رق الدنيا فأومأت إلى صاحبي أن امض إلى أهله فأخبرهم فمضى فإذا زوجته قد جاءت ومعها ولده وغلمانه فدخلت وألقت الولد في حجره وعليه حلي وحلل وقالت: يا سيدي أرملتني وأنت حيّ وأيتمت ولدك وأنت حيّ قال السري: فنظر إليّ وقال: يا سري ما هذا وفاء ثم أقبل عليها وقال: والله إنك لثمرة فؤادي وحبيبة قلبي وإن هذا

ولدي لأعز الخلق عليّ غير أن هذا السري أخبرني أن من أراد الله قطع كل ما سواه ثم نزع ما على الصبي وقال: ضعي هذا في الأكباد الجائعة والأجساد العارية وقطع قطعة من كسائه فلف فيها الصبي فقالت المرأة: لا أرى ولدي في هذه الحالة وانتزعته منه فحين رآها قد اشتغلت به نهض وقال: ضيعتم عليّ ليلتي بيني وبينكم الله وولى خارجاً وضجت المرأة بالبكاء فقالت: إن عدت يا سري سمعت له خبراً فأعملني فقلت: إن شاء الله فلما كان بعد أيام أتتني عجوز فقال: يا سري بالشونيزية غلام يسألك الحضور فمضيت فإذا به مطروح تحت رأسه لبنة فسلمت عليه ففتح عينيه وقال: ترى يغفر تلك الجنايات؟ فقلت: نعم قال: يغفر لمثلي قلت: نعم قال: أنا غريق قلت: هو منجي الغرقى فقال: علي مظالم فقلت: في الخبر أن يؤتى بالتائب يوم القيامة ومعه خصومه فيقال لهم: خلوا عنه فإن الله تعالى يعوضكم فقال: يا سري معي دراهم من لقط النوى إذا أنا مت فاشتر ما أحتاج إليه وكفني ولا تعلم أهلي لئلا يغيروا كفني بحرام فجلست عنده قليلاً ففتح عليه وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ثم مات فأخذت الدراهم فاشتريت ما يحتاج إليه ثم سرت نحوه فإذا الناس يهرعون إليه فقلت ما الخبر فقيل: مات وليّ من أولياء الله نريد أن نصلي عليه فجئت فغسلته ودفناه فلما كان بعد مدة وفد أهله يستعلمون خبره فأخبرتهم بموته فأقبلت امرأته باكية فأخبرتها بحاله فسألتني أن أريها قبره فقلت: أخاف أن تغيروا أكفانه قالت: لا والله فأريتها القبر فبكت وأمرت بإحضار شاهدين فأحضرا فاعتقت جواريها ووقفت عقارها وتصدقت بمالها ولزمت قبره حتى ماتت رحمة الله تعالى عليهما.

چون كند كحل عنايت ديده باز   انيچين باشد بدنيا أهل راز

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿**وإذ نادى ربك موسى**﴾ إذ منصوب باذكر المقدر والمناداة والنداء رفع الصوت وأصله من الندى وهو الرطوبة واستعارته للصوت من حيث أن من تكثر رطوبة فمه حسن كلامه ولهذا يوصف الفصيح بكثرة الريق. والمعنى اذكر يا محمد لقومك وقت نداءه تعالى وكلامه موسى أي ليلة رأى الشجرة والنار حين رجع من مدين وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم إياه وحذرهم أن يصيبهم مثل ما أصابهم. ﴿**أن ائت**﴾ تفسير نادى فإن مفسرة بمعنى أي والإتيان مجيء بسهولة. والمعنى قال له: يا موسى ائت. ﴿**القوم الظالمين**﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي واستعباد بني إسرائيل وذبح أبنائهم.

﴿**قوم فرعون**﴾ بدل من القوم والاقتصار على القوم للإيذان بشهرة أن فرعون أول داخل في الحكم. ﴿**ألا يتقون**﴾ استئناف لا محل له من الإعراب وألا تحضيض على الفعل أتبعه إرساله إليهم لإنذار وتعجيباً من غلوهم في الظلم وإفراطهم في العدوان أي ألا يخافون الله يصرون عن أنفسهم عقابه بالإيمان والطاعة. وبالفارسية [آيا نمي ترسند يعني بايدكه بترسند از عذاب حضرت إلهي ودست از كفر بدارند وبني إسرائيل را بكذا رند].

﴿**قال**﴾ استئناف كأنه قيل: فماذا قال موسى؟ فقيل: قال متضرعاً إلى الله تعالى: ﴿**رب**﴾ [أي پروردكار من]. ﴿**إني أخاف**﴾ الخوف توقع مكروه عن إمارة مظنونة أو معلومة كما أن

الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة. ﴿أن يكذبون﴾ ينكروا نبوتي وما أقول من أول الأمر.

قال بعض الكبار: خوفه كان شفقة عليهم وأصله يكذبوني فحذفت الياء استغناء بالكسر. ﴿ويضيق صدري﴾ [وتنك شود دل من ازا انفعال تكذيب] وكان في موسى حدة وهو معطوف على أخاف وكذا قوله: ﴿ولا ينطلق لساني﴾ [ونكشايد زبان من وعقده كه دارد زيادة كردد] فإن الانطلاق بالفارسية [كشاده شدن وبشدن] والمراد هنا هو الأول واللسان الجارحة وقوتها قال الله تعالى: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾﴾ [طه: ٢٧] يعني من قوة لساني فإن العقدة لم تكن في الجارحة وإنما كانت في قوتها التي هي النطق بها كما في «المفردات» ﴿فأرسل﴾ جبريل عليه السلام ﴿إلى هارون﴾ ليكون معيناً لي في التبليغ فإنه أفصح لساناً وهو أخوه الكبير. وبالفارسية [أورا شريك من كردان برسالت تا با عانت أو نزد فرعونيان روم].

واعلم أن التكذيب سبب لضيق القلب وضيق القلب سبب لتعسر الكلام على من يكون في لسانه حبسة لأنه عند ضيق القلب ينقبض الروح والحرارة الغريزية إلى باطن القلب وإذا انقبضا إلى الداخل ازدادت الحبسة في اللسان فلهذا بدأ عليه السلام بخوف التكذيب ثم ثنى بضيق الصدر ثم ثلث بعدم انطلاق اللسان وسأل تشريك أخيه هارون فإنه لو لم يشرك به في الأمر لاختلفت المصلحة المطلوبة من بعثة موسى وسبب عقدة لسانه عليه السلام احتراقه من الجمرة عند امتحان فرعون كما قال العطار:

همچو موسى اين زمان درطشت آتش ما نداه ايم

طل فرعونيم ما كان ودهان پراخكرست

ولم تحترق أصابعه حين قبض على الجمرة لتكون فصاحته بعد رجوعه إلى فرعون بالدعوة معجزة ولذا قال بعضهم: من قال كان أثر ذلك الاحتراق على لسانه بعد الدعوة فقد أخطأ.

قال بعض الكبار: ينبغي للواعظ أن يراقب الله في وعظه ويجتنب عن تكلم ما يشين بجمال الأنبياء ويهتك حرماتهم ويطلق ألسنة العامة في حقهم ويسيء الظن بهم وإلا مقته الله وملائكته.

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿ولهم﴾ أي لقوم فرعون ﴿عليّ﴾ أي بذمتي ﴿ذنب﴾ أي جزاء ذنب وموجبه فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والمراد به قتل القبطي دفعاً عن السبطي وإنما سماه ذنباً على زعمهم.

وقال الكاشفي: [وايشانرا برمن دعوى كناهست مراد قتل قبطيست وبزعم ايشان كناه ميكويد]. ﴿فأخاف﴾ إن أتيتهم وحدي. ﴿أن يقتلون﴾ بمقابلته قبل أداء الرسالة كما ينبعي. وأما هارون فليس له هذا الذنب.

قال بعض الكبار: ليس بعجب طريان خوف الطبيعة وصفات البشرية على الأنبياء فالقلب ثابت على المعرفة.

واعلم أن هذا وما قبله ليس تعللاً وتوقفاً من جانب موسى وتركاً للمسارعة إلى الامتثال بل هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها واستظهار في أمر الدعوة وحقيقته أن موسى عليه السلام أظهر التلوين من نفسه ليجد التمكين من ربه وقد آمنه الله وأزال عنه كل كلفة حيث.

﴿قال﴾ تعالى ﴿كلا﴾ أي: ارتدع عما تظن فإنهم لا يقدرون على قتلك به لأني لا أسلطهم عليك بل أسلطك عليهم ﴿فاذهبا﴾ أي أنت والذي طلبت وهو هارون فالخطاب إليهما على تغليب الحاضر ﴿بآياتنا﴾ أي حال كونكما ملتبسين بآياتنا التسع التي هي دلائل القدرة وحجة النبوة وهو رمز إلى دفع ما يخافه. ﴿إنا معكم﴾ تعليل للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة والمراد موسى وهارون وفرعون فمع موسى وهارون بالعون والنصر ومع فرعون بالقهر والكسر وهو مبتدأ وخبر وقوله: ﴿مستمعون﴾ خبر ثان أو الخبر وحده ومعكم ظرف لغو وحقيقة الاستماع طلب السمع بالإصغاء وهو بالفارسية [كوش فراداشتن] والله تعالى منزه عن ذلك فاستعير للسمع الذي هو مطلق إدراك الحروف والأصوات من غير إصغاء. والمعنى سامعون لما يجري بينكما وبينه فأظهر كما عليه مثل حاله تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يسمع ما يجري بينهم ليمد الأولياء منهم ويظهرهم على الأعداء مبالغة في الوعد بالإعانة وجعل الكلام استعارة تمثيلية لكون وجه الشبه هيئة منتزعة من عدة أمور.

﴿فائتيا فرعون﴾ [پس بياييد فرعون] وهو الوليد بن مصعب وكنيته أبو العباس وقيل: اسمه مغيب وكنيته أبو مرة وعاش أربعمائة وستين سنة ﴿فقولا إنا﴾ أي: كل معنا ﴿رسول رب العالمين﴾ [فرستادهء پرورد كار عالميا نيم] وقال بعضهم: لم يقل رسولاً لأن موسى كان الرسول المستقل بنفسه وهارون كان ردأ يصدقه تبعاً له في الرسالة ﴿أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ أن مفسرة لتضمن الإرسال المفهوم من الرسول معنى القول والإرسال ههنا التخلية والإطلاق كما تقول: أرسلت الكلب إلى الصيد أي خلهم وشأنهم ليذهبوا إلى أرض الشأم وكانت مسكن آبائهم: وبالفارسية [وسخن اينست كله إيشان بوده].

وكان فرعون استعبدهم أربعمائة سنة وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفاً فانطلق موسى إلى مصر وهارون كان بها فلما تلاقيا ذهبا إلى باب فرعون ليلاً ودق موسى الباب بعصاه ففزع البوابون وقالوا: من بالباب؟ فقال موسى: أنا رسول رب العالمين فذهب البواب إلى فرعون فقال: إن مجنوناً بالباب يزعم أنه رسول رب العالمين فأذن له في الدخول من ساعته كما قاله السدي أو ترك حتى أصبح ثم دعاهما فدخلا عليه وأديا رسالة الله فعرف فرعون موسى لأنه نشأ في بيته فشتمه.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿قال﴾ فرعون لموسى.

وقال قتادة: إنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب: ههنا إنسان يزعم أنه رسول رب العالمين فقال: ائذن له حتى نضحك منه فأديا إليه الرسالة فعرف موسى فقال عند ذلك على سبيل الامتنان: ﴿ألم نربك فيناً وليداً﴾ في حجرنا ومنازلنا.

وقال الكاشفي: [نه ترا پروردیم درمیان خویش ﴿وليداً﴾ در حالتي كه طفل بودي نزديك بولادت] عبر عن الطفل بذلك لقرب عهده من الولادة.

﴿ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ [ودرنك كردي در منزلهاي ما سالها از عمر خود] قوله: من عمرك حال من سنين. والعمر بضمتين مصدر عمر أي عاش وحيي.

قال الراغب: العمر اسم لمدة عمارة البدن بالحياة قليلة أو كثيرة.

قيل: لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج إلى مدين وأقام بها عشر سنين ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله تعالى ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين فيكون عمر موسى مائة وعشرين سنة ﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ الفعلة بالفتح المرة الواحدة يعني قتل القبطي الذي كان خباز فرعون واسمه فاتون وبعد ما عدد نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال نبهه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظمه.

قال ابن الشيخ: تعظيم تلك الفعلة يستفاد من عدم التصريح باسمها الخاص فإن تنكير الشيء وإبهامه قد يقصد به التعظيم ﴿وأنت من الكافرين﴾ حال من إحدى التاءين أي من المنكرين لنعمتي والجاحدين لحق تربيتي حيث عمدت إلى رجل من خواصي.

﴿قال﴾ موسى ﴿فعلتها﴾ أي تلك الفعلة. ﴿إذاً﴾ أي حين فعلت أي قتلت النفس وهو حرف جواب فقط لأن ملاحظة المجازاة ههنا بعيدة. ﴿وأنا من الضالين﴾ يقال: ضل فلان الطريق أخطأه أي ضللت طريق الصواب وأخطأته من غير تعمد كمن رمى سهماً إلى طائر وأصاب آدمياً وذلك لأن مراد موسى كان تأديبه لا قتله. وبالفارسية [آكاه نبودم كه بمشت زدن من آنكس كشته شود].

﴿ففررت منكم﴾ ذهبت من بينكم إلى مدين حذراً على نفسي. ﴿لما خفتكم﴾ أن تصيبوني بمضرة وتؤاخذوني بما لا أستحقه بجنايتي من العقاب. ﴿فوهب لي ربي﴾ حين رجعت من مدين. ﴿حكماً﴾ أي علماً وحكمة ﴿وجعلني من المرسلين﴾ إليكم.

وفي «فتح الرحمن»: حكماً أي نبوة وجعلني من المرسلين درجة ثانية للنبوة فرب نبي ليس برسول.

قال بعض الكبار: إن الله تعالى إذا أراد أن يبلغ أحداً من خلقه إلى مقام من المقامات العالية يلقي عليه رعباً حتى يفر إليه من خلقه فيكشف له خصائص أسراره كما فعل بموسى عليه السلام ومعاصي الخواص ليست كمعاصي غيرهم فإنهم لا يقعون فيها بحكم الشهوة الطبيعية بل بحسب الخطا وذلك مرفوع.

﴿وتلك﴾ أي التربية المدلول عليها بقوله: ﴿ألم نربك﴾ ﴿نعمة تمنها عليّ﴾ أي تمن بها عليّ ظاهراً وهي في الحقيقة. ﴿أن عبدت بني إسرائيل﴾ أي تعبيدك بني إسرائيل وقصدك إياهم بذبح أبنائهم فإن السبب في وقوعي عندك وحصولي في تربيتك يعني لو لم يفعل فرعون ذلك أي قهر بني إسرائيل وذبح أبنائهم لتكفلت أم موسى بتربيته ولما قذفته في اليم حتى يصل إلى فرعون ويربي بتربيته فكيف يمتن عليه بما كان بلاؤه سبباً له.

قوله تلك مبتدأ ونعمة خبرها وتمنها عليّ صفة وإن عبدت خبر مبتدأ محذوف أي وهي في الحقيقة تعبيد قومي. والتعبيد: بالفارسية [دام كردن وببند كي كرفتن] يقال عبدته إذا أخذته عبداً وقهرته وذللته.

رد موسى عليه السلام أولاً ما وبخه فرعون قدحاً في نبوته ثم رجع إلى ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقاً غير قادح في دعواه بل نبه على أن ذلك كان في الحقيقة نعمة لكونه مسبباً عنها.

قال بعضهم: بدأ فرعون بكلام السفلة ومنّ على نبي الله بما أطعمه والمنة النعمة الثقيلة.

ويقال ذلك على وجهين:

أحدهما: أن يكون ذلك بالفعل فيقال: منّ فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وذلك في الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى.

والثاني: أن يكون ذلك بالقول وذلك مستقبح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة ولقبح ذلك قيل: المنة تهدم الصنيعة ولحسن ذكرها عند الكفران قيل: إذا كفرت النعمة حسنت المنة أي عد النعمة.

قال محمد بن علي الترمذي قدس سره: ليس من الفتوة تذكار الصنائع وتعدادها على من اصطنعت إليه ألا ترى إلى فرعون لما لم يكن له فتوة كيف ذكر صنيعه وامتن به على موسى:

از نا كسان دهر ثبوت طمع مدار ... از طبع دير خاصيت آدمي مجوى

اعلم أن الله تعالى جعل موسى عليه السلام مظهر صفة لطفه بأن جعله نبياً مرسلاً وله في هذا المعنى كمالية لا يبلغها إلا بالتربية ومقاساة شدائد الرسالة مع فرعون وجعل فرعون مظهر صفة قهره بأن جعله مكذباً لموسى ومعانداً له وكان لفرعون كمالية في التمرد والإباء والاستكبار لم يبلغها إبليس، ليعلم أن للإنسان استعداداً في إظهار صفة اللطف لم يكن للملك ولذلك صار الإنسان مسجوداً للملك والملك ساجده، ولو لم يكن موسى عليه السلام داعياً لفرعون إلى الله تعالى وهو مكذبه لم يبلغ فرعون إلى كماليته في التمرد ليكون مظهر الصفة القهر بالتربية في التمرد كذا في «التأويلات النجمية» وقس عليهما كل موسى وكل فرعون في كل عصر إلى قيام الساعة فإن الأشياء تتبين بالأضداد وتبلغ إلى كمالها.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ ما استفهامية معناها أي شيء والرب المربي والمتكفل لمصلحة الموجودات والعالم اسم لما سوى الله تعالى من الجواهر والأعراض، والمعنى أي شيء رب العالمين الذي ادعيت أنك رسوله وما حقيقته الخاصة ومن أي جنس هو منكراً لأن يكون للعالمين رب سواه.

قال الكاشفي: [چون فرعون شنيده بودكه موسى كفت أنا رسول رب العالمين أسلوب سخن بكر دانيد وازروي امتحان كفت چيست پروردكار عالميان وچه چيزاست سؤال از ماهيت كرد] ولما لم يمكن تعريفه تعالى إلا بلوازمه الخارجية لاستحالة التركيب في ذاته من جنس وفصل **﴿قال﴾** موسى مجيباً له بما يصح في وصفه تعالى. **﴿رب السمٰوات والأرض وما بينهما﴾** عين ما أراده بالعالمين لئلا يحمله اللعين على ما تحت مملكته **﴿إن كنتم موقنين﴾** بالأشياء المحققين لها بالنظر الصحيح الذي يؤدي إلى الإتيان وهو بالفارسية: [بي كمان شدن]

علمتم أن العالم عبارة عن كل ما يعلم به الصانع من السمٰوات والأرض وما بينهما وأن ربها هو الذي خلقها ورزق من فيها ودبر أمورها فهذا تعريفه وجواب سؤالكم لا غير والخطاب في كنتم لفرعون وأشراف قومه الحاضرين.

قال الكاشفي: [هيج كس را از حقيقة حق آكاهي ممكن نيست هرچه در عقل وفهم ووهم وحواس وقياس كنجد ذات خدا وند تعالى ازان منزه ومقدس است چه آن همه محدثاً تند ومحدث جزا إدراك محدث نتوان كد].

آنكه او از حدث بر آرد دم چه شناسد كه چيست سرقدم
علم راسوي حضر تش ره نيست عقل نيزاز كمالش آكه نيست

فمعنى العلم بالله العلم به من حيث الارتباط بينه وبين الخلق وانتشار العالم منه بقدر الطاقة البشرية إذ منه ما لا توفيه الطاقة البشرية وهو ما وقع فيه الكمل في ورط الحيرة وأقروا بالعجز عن حق المعرفة.

﴿قال﴾ فرعون عند سماع جوابه خوفاً من تأثيره في قلوب قومه وانقيادهم له. ﴿لمن حوله﴾ من أشراف قومه وهم القبط [وايشان بانصد تن بود زيورها بسته وبركر سيهاي زرين نشسته] وحول الشيء جانبه الذي يمكنه أن يحول إليه وينقلب. ﴿ألا تستمعون﴾ ما يقول فاستمعوه وتعجبوا منه في مقاله وفيه يريد ربوبية نفسه.

﴿قال﴾ موسى زيادة في البيان وحطاً له عن مرتبة الربوبية إلى مرتبة المربوبية.

قال الكاشفي: [عدول كرد از ظهر آيات باقرب آيات بناظر وواضح آن بر متأمل] ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ وقيل: إن فرعون كان يدعي الربوبية على أهل عصره وزمانه فلم يدع ذلك على من كان قبله فبين بهذه الآية أن المستحق للربوبية هو رب كل عصر وزمان.

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿قال﴾ فرعون من سفاهته وصرفاً لقومه عن قبول الحق. ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ لا يصدر ما قاله عن العقلاء وسماه رسولاً على السخرية وإضافة إلى مخاطبيه ترفعاً من أن يكون مرسلاً إلى نفسه. والجنون حائل بين النفس والعقل كما في «المفردات».

﴿قال﴾ موسى زيادة في تعريف الحق ولم يشتغل بمجاوبته في السفاهة. ﴿رب المشرق والمغرب وما بينهما﴾ بيان ربوبيته للسمٰوات والأرض وما بينهما وإن كان متضمناً لبيان الخافقين وما بينهما لكن أراد التصريح بذكر الشروق والغروب للتغيرات الحادثة في العالم من النور مرة والظلمة أخرى المفتقرة إلى محدث عليم حكيم.

قال ابن عطاء: منور قلوب أوليائه بالإيمان ومشرق ظواهرهم ومظلم قلوب أعدائه بالكفر ومظهر آثار الظلمة على هياكلهم. ﴿إن كنتم تعقلون﴾ شيئاً من الأشياء أو من جملة من له عقل وتمييز علمتم أن الأمر كما قلته واستدللتم بالأثر على المؤثر.

وفيه تلويح بأنهم بمعزل من دائرة العقل متصفون بما رموه عليه السلام به من الجنون فمن كمال ضدية موسى وفرعون وكذا القلب والنفس يعد كل منهما ما يصدر من الآخر من الجنون وقس عليهما العاشق والزاهد فإن جنون العشق من واد وجنون الزهد من واد آخر.

زدشيخ نارسيده بعشق توطعنه أم ديوانه را زسرزنش كودكان چه باك

﴿قال﴾ فرعون من غاية تمرده وميلاً إلى العقوبة كما يفعله الجبابرة وعدولاً إلى التهديد من المحاجة بعدالانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوب وغيظاً على نسبة الربوبية إلى غيره ولعله كان دهرياً اعتقد أن من ملك قطراً وتولى أمره بقوة طالعة استحق العبادة من أهله.

وقال بعضهم: كان الملعون مشبهاً ولذلك قال وما رب العالمين أي أي شيء هو فنوقعه في الخيال. ﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ اللام للعهد أي لأجعلنك من الذين عرفت أحوالهم في سجوني فإنه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لأسجنك.

قال الكشافي: [هر آينه كردانيدم ترا از زندانيان آورده اندكه سجن فرعون از قتل بدتربود زايراكه زندانيانرا در حفرة عميق مي اندا ختندكه در آنجاهيچ نمي ديدند ونمى شنيدند وبيرون نمي آوردند إلا مردة].

وفيه إشارة إلى سجن حب الدنيا فإن القلب إذا كان متوجهاً إلى الله وطلبه معرضاً عن النفس وشهواتها فلا استيلاء للنفس عليه إلا بشبكة حب الجاه والرياسة فإنه آخر ما يخرج عن رؤوس الصديقين.

باشد أهل آخرت را حب جاه همچو يوسف را دران شهراه جاه

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿قال﴾ موسى: ﴿أولو جئتك﴾ [اكربيايم ترا] ﴿بشيء مبين﴾ يعني أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء موضح لصدق دعواي يعني المعجزة فإنها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته فالواو للحال دخلت عليها همزة الاستفهام للإنكار بعد حذف الفعل أي جائياً بشيء مبين وجعلها بعضهم للعطف أي أتفعل بي ذلك لو لم أجيء بشيء مبين ولو جئتك به أي على كل حال من عدم المجيء والمجيء.

﴿قال﴾ فرعون ﴿فائت به﴾ [پس بيار آن چيزرا]. ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في أن لك بينة موضحة لصدق دعواك وكان في يد موسى عصا من شجر الآس من الجنة وكان آدم جاء بها من الجنة فلما مات قبضها جبريل ودفعها إلى موسى وقت رسالته فقال موسى لفرعون: ما هذه التي بيدي قال فرعون: هذه عصا.

﴿فألقى﴾ من يده ﴿عصاه﴾ والإلقاء طرح الشيء حيث تلقاه وتراه ثم صار في التعارف اسماً لكل طرح. ﴿فإذا هي﴾ [پس آنجا عصا پس ازافكندن]﴿ثعبان مبين﴾ أي ظاهر الثعبانية وإنها شيء يشبه الثعبان صورة بالسحرة أو بغيره والثعبان أعظم الحيات بالفارسية [اژدها] واشتقاقه من ثعبت الماء فانثعب أي فجرته فانفجر.

قال الكاشفي: [وفرعون از مشاهدهٔ او بترسيد ومردمان كه حاضر بودند هزيمت كردند چنانچه دروقت فراربيست وپنج هزاركس كشته شد].

قال فرعون من شدة الرعب: يا موسى أسألك بالذي أرسلك أن تأخذها فأخذها فعادت

عصا ولا تناقض بينه وبين قوله ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [القصص: ٣١] وهو الصغير من الحيات لأن خلقها خلق الثعبان العظيم وحركتها وخفتها كالجان كما في «كشف الأسرار».

وفيه إشارة إلى إلقاء القلب عصا الذكر وهو كلمة لا إله إلا الله فإذا هي ثعبان مبين يلتقم بفم النفي ما سوى الله.

﴿ونزع يده﴾ من جيبه. وبالفارسية [ودست راست خويش ازز ير بازوي چب خويش بيرون كشيد] ﴿فإذا هي﴾ [پس آنجا دست أو ﴿بيضاء﴾ ذات نور وبياض من غير برص. وبالفارسية [سپيد در خشنده بود بعد ازانكه كندم كونه بود] ﴿للناظرين﴾ [مر نظر كنند كانرا كفته اند شعاع دست مبارك موسى بمثابه نور آفتاب ديده را خيره ساختي] ـ روي ـ أن فرعون لما رأى الآية الأولى قال: فهل غيرها؟ فاخرج يده فقال: ما هذه؟ قال فرعون: يدك فما فيها؟ فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع كاد يغشي الأبصار ويسد الأفق.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ونزع يده﴾ أي يد قدرته ﴿فإذا هي بيضاء﴾ مؤيدة بالتأييد الإلهي منورة بنور ربي يبطش ﴿للناظرين﴾ أي: لأهل النظر الذين ينظرون بنور الله فإن النور يرى.

﴿قال﴾ فرعون ﴿للملأ﴾ أي لأشراف قومه حال كونهم مستقرين ﴿حوله﴾ فهو ظرف وضع موضع الحال وقد سبق معناه. والملأ جماعة يجتمعون على رأي فيملؤون العيون رواء والنفوس جلالة وبهاء ﴿إن هذا﴾ [بدرستي كه اين مرد] يعني موسى. ﴿لساحر عليم﴾ فائق في علم السحر. وبالفارسية [جادوييست دانا واستاد فرعون ترسيدكه كسان وي بموسى إيمان آرند حيله انكيخت وكفت اين جاد وييست كه درفن سحر مهارتي تمام دارد] «يريد» الخ والسحر تخيلات لا حقيقة لها فالساحر المحتال المخيل بما لا حقيقة له وجه الجمع بين هذا وبين قوله في الأعراف: قال الملأ من قوم فرعون حيث أسند القول بالساحرية إليهم أن فرعون قاله لحاضرين والحاضرون قالوه للغائبين كما في «كشف الأسرار».

﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم﴾ من أرض مصر ويتغلب عليكم ﴿بسحره﴾ [بجادوييء خود] ﴿فماذا تأمرون﴾ [پس چه فرماييد مراشما دركار أو واشارت كنيد].

قال في «كشف الأسرار»: هي من المؤامرة لا من الأمر وهي المشاورة وقيل للتشاور ائتمار لقبول بعضهم أمر بعض فيما أشار به أي ماذا تشيرون به عليّ في دفعه ومنعه قهره سلطان المعجزة وحيره حتى حطه عن دعوى الربوبية إلى مقام مشاورة عبيده بعد ما كان مستقلاً بالرأي والتدبير وأظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الإخراج والأرض إليهم لأجل تنفيرهم عن موسى.

﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿قالوا﴾ أي الملأ ﴿أرجه وأخاه﴾ يقال: أرجه أخر الأمر عن وقته كما في «القاموس» أي أخر أمر موسى وأخيه هارون حتى تنظر ولا تعجل بقتلهما قبل أن يظهر كذبهما حتى لا يسيء عبيدك الظن بك وتصير معذوراً في القتل. ﴿وابعث﴾ [وبرانكيز وبفرست] ﴿في المدائن﴾ في الأمصار والبلدان وأقطار مملكتك. وبالفارسية [درشهرها مملكت خود].

وفي «فتح الرحمن»: هي مدائن الصعيد من نواحي مصر. ﴿حاشرين﴾ أي: شرطاً يحشرون الناس ويجمعونهم فحاشرين صفة لموصوف محذوف هو مفعول ابعث والشرط جمع شرطة بالضم وسكون الراء وفتحها وهي طائفة من أعوان الولاة معروفة كما في «القاموس» والشرط بالفتح العلامة ومنه سمي الشرط لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها.

﴿يأتوك﴾ [تابيارتندترا] أي: الحاشرون. ﴿بكل سحار﴾ [هرجانيك جادوييست] ﴿عليم﴾ [دانا وبرسر آمد درفن سحر] أي فيعارضوا موسى بمثل سحره بل يفضلوا عليه ويتضح للعامة كذبه فتقتله حينئذ. وهذا تدبير النفس وإلقاء الشيطان في دفع الحق الصريح وكل تدبير هكذا في كل عصر فصاحبه مدبر البتة وإنما يجيء خبث القول والفعل من خبث النفس إذ كل إناء يترشح بما فيه ولو ترك فرعون وقومه التدبير في أمر موسى وقابلوه بالقبول لسلموا من كل آفة لكن منعهم حب الجاه عن الانتباه وحبك الشيء يعمي ويصم وإنما أخلدوا إلى الأرض غفلة الباقية الحاصلة بالإيمان والإطاعة والاتباع: وفي «المثنوي»:

تخت بندست آنكه تختش خواندهٔ صدر پنداري وبردر ماندهٔ
پادشاهان جنهان از بدركي بونبردند از شراب بندكي
ورنه ادهم وار سركردان ودنك ملك را برهم زدندي بي درنك
ليك حق بهر ثبات اين جهان مهرشان بنهاد برچشم ودهان
تاشود شيرين بريشان تخت وتاج كه ستانيم ازجهانداران خراج
از خراج ارجمع آرى زرچوريك آخر آن ازتو بماند مرده ريك
همره جانب نكردد ملك وزر زربده سرمه ستان بهر نظر
تاببيني كين جهان چاهيست تنك يوسفانه آن رسن آرى بچنك
هست درجاه انعكاسات نظر كمترين آنكه نمايد سنك زر
وقت بازي كودكانرا زاختلال مي نمايد اين خزفها زرّ ومال

﴿فجمع السحرة﴾ أي: بعث فرعون الشرط في المدائن لجمع السحرة فجمعوا وهم اثنان وسبعون أو سبعون ألفاً كما يدل عليه كثرة الحبال والعصي التي خيلوها وكان اجتماعهم بالإسكندرية على ما رواه الطبري. ﴿لميقات يوم معلوم﴾ الميقات الوقت المضروب للشيء أي لما وقت به وعين من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة وهو يوم عيد لهم كانوا يتزينون ويجتمعون فيه كل سنة ـ روي ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه وافق يوم السبت في أول يوم من السنة وهو يوم النيروز وهو أول يوم من فرودين ماه ومعنى نيروز بلغة القبط طلع الماء أي علا ماء النيل وبلغة العجم نوروز أي اليوم الجديد وهو أول السنة المستأنفة عندهم وإنما وقت لهم موسى وقت الضحى من يوم الزينة في قوله: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ۝٥٩﴾ [طه: ٥٩] ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك في الأقطار واختاره فرعون أيضاً ليظهر كذب موسى بمحضر الجمع العظيم فكان ما كان.

﴿وقيل﴾ من طرف فرعون ﴿للناس﴾ لأهل مصر وغيرهم ممن يمكن حضوره. ﴿هل أنتم مجتمعون﴾ [أيا هستيد شما فراهم آنيدكان يعني فراهم آييد وجمع شويد].

ففيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم إليه فليس المراد بهل حقيقة الاستفهام بقرينة عدم الجواب.

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿لعلنا﴾[شايد ما همه باتفاق]. ﴿نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين﴾ لا موسى وليس مرادهم أن يتبعوا دينهم حقيقة وإنما هو أن لا يتبعوا موسى لكنهم ساقوا كلامهم مساق الكناية حملاً لهم على الاهتمام والجد في المغالبة فالترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع لا باعتبار الاتباع.

﴿فلما جاء السحرة﴾[پس آن هنكام كه آمدند جادوان بنزديك فرعون آيشانرا بارداد ودلنوازي بسيار كرد إيشان كستاخ شده]. ﴿قالوا لفرعون أئن لنا﴾[آيا مارا باشد] ﴿لأجراً﴾ جعلاً عظيماً. ﴿إن كنا نحن الغالبين﴾ لا موسى.

﴿قال نعم﴾ لكم ذلك. يعني [آرى مزد باشد شمارا] ﴿وإنكم﴾ مع ذلك ﴿إذاً﴾ إن وقت يعني إذا غلبتم ﴿لمن المقربين﴾ عندي تكونون أول من يدخل عليّ وآخر من يخرج من عندي وكان ذلك من أعظم المراتب عندهم وهكذا حال أرباب الدنيا في حب قربة السلطان ونحوه وهو من أعظم المصائب عند العقلاء [چون برين وعده مستظهر كشته جادو بيهاي خودرا بميدان معين آوردند وبوقت ملعوم دربرابر حضرت موسى صف بركشيده كفتنداي موسى تواول افكني جادويىء خودرا يا ما بيفكنيم].

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿قال لهم موسى ألقوا﴾ اطرحوا ﴿ما أنتم ملقون﴾ لم يرد به أمرهم بالسحر والتمويه لأن ذلك غير جائز بل الإذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلاً به إلى إظهار الحق وإبطال الباطل.

قال في «كشف الأسرار»: ظاهر الكلام أمر ومعناه التهاون في الأمر وترك المبالاة بهم وبأفعالهم. ﴿فألقوا حبالهم﴾ جمع حبل ﴿وعصيهم﴾ جمع عصا. يعني [پس بيفكندند رسنها وعصاهاي مجوف پرسيماب ساختهء خودرا كه هفتاد هزار رسن وهفتاد هزار عصا بود] ﴿وقالوا﴾[وكفتند بعدا زآنكه عصا ورسنها بحرارت آفتاب در حركت آمد وازمردمان غريو برخاست] أي قالوا عند الإلقاء حالفين ﴿بعزة فرعون﴾[بحق بزركي وقوت وغالبيت فرعون] ﴿إنا لنحن الغالبون﴾ على موسى وهارون أقسموا بعزته على أن الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في أنفسهم وإتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى من السحر. والقسم بغير الله من أقسام الجاهلية وفي الحديث: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون».

قال بعض الكبار: رأوا كثرة تمويهاتهم وقلة العصا فنظروا إليها بنظر الحقارة وظنوا غلبة الكثير على القليل وما علموا أن القليل من الحق يبطل كثيراً من الباطل كما أن قليلاً من النور يمحو كثيراً من الظلمة. قال الحافظ:

تيغي كه آسمانش ازفيض خود دهدآب تنها جهان بكيرد بي منت سپاهي

﴿فألقى موسى عصاه﴾ بالأمر الإلّهي ﴿فإذا هي﴾ [پس آن عصا اژدها شده] ﴿تلقف﴾ تبتلع بسرعة من لقفه كسمعه تناوله بسرعة كما في «القاموس». ﴿ما يأفكون﴾ [انچه تزوير مي ساختند وبصورت مار بخلق مي نمودند] أي ما يقبلونه والمأخوذ عند بعض أكابر المكاشفين صور الحيات من حبال السحرة وعصيهم حتى بدت للناس حبالاً وعصياً كما هي في نفس الأمر كما يبطل الخصم بالحق حجة خصمه فيظهر بطلانها لا نفس الحبال والعصي كما عند الجمهور وإلا لدخل على السحرة الشبهة في عصا موسى والتبس عليهم الأمر فكانوا لم يؤمنوا وكان الذي جاء به موسى حينئذ من قبيل ما جاءت به السحرة إلا أنه أقوى منهم سحراً وأنه يدل على ما قلنا قوله تعالى: ﴿تلقف ما يأفكون﴾ وتلقف ما صنعوا وما أفكوا الحبال وما صنعوا العصي بسحرهم وإنما أفكوا وصنعوا في أعين الناظرين صور الحيات وهي التي تلقفته عصا موسى ذكره الإمام الشعراني في «الكبريت الأحمر».

﴿فألقي السحرة﴾ على وجوههم ﴿ساجدين﴾ لله تعالى [چنه دانستندكه انقلاب عصا بثعبان وفروبردن أو آنچه تزوير مي ساختند نه ازقبيل سحرا ست] أي ألقوا أثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد غير متمالكين كأن ملقياً ألقاهم لعلمهم بأن مثل ذلك خارج عن حدود السحر وأنه أمر إلهي قد ظهر على يده لتصديقه.

وفيه دليل على أن التبحر في كل فن نافع فإن السحرة ما تيقنوا بأن ما فعل موسى معجزهم إلا بمهارتهم في فن السحر، وعلى أن منتهى السحر تمويه وتزوير وتخييل شيء لا حقيقة له، وجه الدلالة أن حقيقة الشيء لو انقلبت إلى حقيقة شيء آخر بالسحر لما عدوا انقلاب العصا حية من قبيل المعجزة الخارجة عن حد السحر ولما خروا ساجدين عند مشاهدته وقد سبق تفصيل السحر في سورة طه.

قال بعض الكبار: السحر مأخوذ من السحر وهو ما بين الفجر الأول والفجر الثاني وحقيقته اختلاط الضوء والظلمة فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح ولا هو بنهار لعدم طلوع الشمس للأبصار كذلك ما فعله السحرة ما هو باطل محقق فيكون عدماً فإن العين أدركت أمراً لاتشك فيه وما هو حق محض فيكون له وجود في عينه فإنه ليس هو في نفسه كما تشهد العين ويظنه الرائي.

قال الشعراني بعد ما نقله: هو كلام نفيس ما سمعنا مثله قط.

﴿قالوا﴾ [ازروى صدق]. ﴿آمنا برب العالمين﴾ بدل اشتمال من ألقى فلذلك لم يتخلل بينهما عاطف انظر كيف أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء مسلمين مؤمنين فالمغرور من اعتمد على شيء من أعماله وأقواله وأحواله. قال الحافظ.

بر عمل تكيه مكن زانكه دران روزازل   توچه داني قلم صنع بنامت چه نوشت

وقال:

مكن بنامه سياهي ملامت من مست   كه آكهست كه تقدير بر سرش چه نوشت

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿رب موسى وهارون﴾ بدل من رب العالمين لدفع توهم إرادة فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك ولو وقفوا على رب العالمين لقال فرعون: أنا رب العالمين إياي عنوا فزادوا رب موسى وهارون فارتفع الإشكال.

﴿قال﴾ فرعون للسحرة ﴿آمنتم﴾ على صيغة الخبر ويجوز تقدير همزة استفهام في الأعراف. ﴿له﴾ أي لموسى ﴿قبل أن آذن لكم﴾ [پيش ازانكه اجازت ودستوري دهم شمارا درايمان بوي] أي بغير إذن لكم من جانبي كما في قوله تعالى: ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩] لا أن أذن الإيمان منه ممكن أو متوقع. ﴿إنه﴾ موسى ﴿لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ فواضعكم على ما فعلتم وتواطأتم عليه يعني [بايكديكر اتفاق كرديد درهلاك من وفساد ملك من] كما قال في الأعراف: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الأعراف: ١٢٣] أي قبل أن تخرجوا إلى هذا الموضع أو علمكم شيئاً دون شيء فلذلك غلبكم أراد بذلك التلبيس على قومه كي لا يعتقدوا أنهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق. ﴿فلسوف تعلمون﴾ أي: وبال ما فعلتم واللام للتأكيد لا للحال فلذا اجتمعت بحرف الاستقبال ثم بين ما أودعهم به فقال: ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم﴾ لفظ التفعيل وهو التقطيع لكثرة الأيدي والأرجل كما تقول: فتحت الباب وفتحت الأبواب. ﴿من خلاف﴾ من كل شق طرفاً وهو أن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى وذلك زمانه من جانب البدن كما في «كشف الأسرار» وهو أول من قطع من خلاف وصلب كما في «فتح الرحمن».

وقال بعضهم: من للتعليل. يعني [برأي خلا في كه بامن كرديد] وذلك لأن القطع المذكور لكونه تخفيفاً للعقوبة واحترازاً عن تفويت منفعة البطش على الجاني لا يناسب حال فرعون ولما هو بصدده إلا أن يحمل على حمقه حيث أوعد لهم في موضع التغليظ بما وضع للتخفيف انتهى وذلك وهم محض لأنه يدفعه قوله: ﴿ولأصلبنكم أجمعين﴾ [وهر آينه بردار كنم همهٔ شمارا أي على شاطىء البحر تا بميريد وهمه مخالفان عبرت كيرند].

قال في «الكشف»: أي أجمع عليكم التقطيع والصلب ـ روي ـ أنه علقهم على جذوع النخل حتى ماتوا وفي الأعراف: ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٤] فأوقع المهلة ليكون هذا التصليب لعذابهم أشد ﴿قالوا﴾ أي: السحرة المؤمنون ﴿لا ضير﴾ مصدر ضاره يضيره ضيراً إذا ضره أي لا ضرر فيه علينا. وبالفارسية [هيج ضرري نيست برما ازتهديد تو وما ازمرك نمي ترسيم] ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ راجعون فيثيبنا بالصبر على ما فعلت ويجازينا على الثبات على التوحيد.

وفي الآية دلالة على أن للإنسان أن يظهر الحق وإن خاف القتل.

قال ابن عطاء: من اتصلت مشاهدته بالحقيقة احتمل معها كل وارد يرد عليه من محبوب ومكروه ألا نرى أن السحرة لما صحت مشاهدتهم كيف قالوا: لا ضير؟ قال السعدي في حق أهل الله:

دما دم شراب ألم در كشند — وكر تلخ بينند دم دركشند
نه تلخست صبري كه برياداوست — كه تلخي شكر باشدازدست دوست

قال الحافظ:

عاشقا نراكردر آتش مي پسندد لطف يار — تنك چشمم كرنظر چشمهٔ كوثر كنم

وقال:

اكر بلطف بخواني مزيد الطافست وكر بقهر براني درون ما صافست

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾

﴿إنا نطمع﴾ نرجو.

قال في «المفردات»: الطمع نزوع النفس إلى شيء شهوة له﴿أن يغفر لنا ربنا خطايانا﴾ السالفة من الشرك وغيره﴿أن كنا﴾ أي لأن كنا﴿أول المؤمنين﴾ أي من أتباع فرعون أو من أهل المشهد.

قال الكاشفي: [آورده اندكه فرعون بفرمود تادست راست وپاي چب آن مؤمنان ببريدند وايشانرا ازدارهاي بلند آويختند وموسى عليه السلام برايشان مي كريست حضرت عزت حجابها برداشته منازل قرب ومقامات أنس إيشانرا پنظروى در آورده تاتسلي يافت].

جادوان كان دست وپا در باختند در فضاي قرب مولى تاختند
كر برفت آن دست وپا برجاي آن رست از حق بالهاي جاودان
تابدان برها بپر واز آمدند درهواي عشق شهباز آمدند

وذلك لأن ما نقص عن الوجود زاد في الروح والشهود والله تعالى يأخذ الفاني من العبد ويأخذ بدله الباقي.

وكان جعفر ابن عم النبي ﷺ أخذ اللواء في بعض الغزوات بيمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فأنابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء ولذلك قيل له جعفر الطيار وهكذا شأن من هو صادق في دعواه فليخفف ألم البلاء عنك علمك بأن الله تعالى هو المبتلي لكن هذا العلم إذا لم يكن من مرتبة المشاهدات لا يحصل التخفيف التام فحال السحرة كانت حال الشهود والجذبة ومثلها يقع نادراً إذ الانجذاب تدريجي لأكثر السالكين لا دفعي.

وكان حال عمر رضي الله عنه حين الإيمان كحال السحرة وبالجملة إن الإيمان وسيلة الإحسان فمن سعى في إصلاح حاله في باب الأعمال أوصله الله إلى ما أوصل إليه أرباب الأحوال كما قال عليه السلام: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم».

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر كما تعبد لله تعالى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بشريعة إبراهيم عليه السلام قبل نبوته عناية من الله له حتى فجأته الرواية وجاءته الرسالة فكذلك الوليّ الكامل يجب عليه معانقة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله له في قلبه عين الفهم عنه فيلهم معاني القرآن ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يرده الله تعالى إلى إرشاد الخلق كما كان رسول الله ﷺ حين أرسل انتهى. فإذا عرفت الطريق فعليك بالسلوك فإن أهل السلوك هم الملوك ولن يتم السلوك إلا بالانقلاب التام عن الأهل والأولاد والأموال إلى الله تعالى كما قالوا: إنا إلى ربنا منقلبون ألا ترى أن السالك الصوري يترك كل ماله في داره فإن العبد ضعيف والضعيف لا يتحمل الحمل الثقيل نسأل الله التيسير والتسهيل.

﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي﴾ الإيحاء إعلام في خفاء وسرى يسري بالكسر سرى بالضم وسرى بالفتح وأسرى أيضاً أي سار ليلاً. والمعنى: وقلنا لموسى بطريق الوحي: يا موسى اذهب ببني إسرائيل بالليل وسيرهم حتى تنتهي إلى بحر القلزم فيأتيك هناك أمري فتعمل به وذلك بعد سنين أقام بين أظهرهم يدعوهم إلى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا إلا عتواً وفساداً. وبالفارسية [وپيغام كرديم بسوي موسى آنكه ببر بسبب بندكان من يعني بني إسرائيل بجانب درياي قلزم كه نجات شما وهلاك كفره در آنست] وعلم الانتهاء إلى البحر من الوحي؛ إذ من البعيد أن يؤمر بالمسير ليلاً وهو لا يعرف جهة الطريق ومن قول جبريل حين خرجوا من مصر موعد ما بيني وبينك يا موسى البحر، أي شط بحر القلزم. ﴿إنكم متبعون﴾ يتبعكم فرعون وجنوده وهو تعليل للأمر بالإسراء أي أسر بهم حتى إذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم إلى البحر بل يكونون على أثركم حين تدخلون البحر فيدخلون مداخلكم فاطبقه عليهم فأغرقهم.

﴿فأرسل فرعون﴾ حين أخبر بمسيرهم في الليل. ﴿في المدائن﴾ [درشهرها كه بپاي تحت نزديك بود] ﴿حاشرين﴾ أي قوماً جامعين للعساكر ليتبعوهم.

قال الكاشفي: [آخر روز خبر خروج إيشان بقبطيان رسيد چه مي پنداشتندكه بني إسرائيل تهنيهٔ أسباب عبد در خانهاي خود أقامت نموده اند روز دوم خواستندكه از عقب ايشان دوند درخانهٔ هر قبطي يكي از اعزهٔ قوم بمرد بتعزيهٔ شدند ودرين روز فرعون بجمع كردن لشكر أمر كرد. قال في كشف الأسرار بأمداد روز يكشنبه قبطيان بدفن آن كافر مشغول وفرعون آن روز فرمود تاخيل وحشم وي همه جمع آمدند وديكر روز روز دوشنبه فراپي بني إسرائيل نشستند].

﴿إن هؤلاء﴾ أي: قال حين جمع عساكر المدائن: إن هؤلاء يريد بني إسرائيل. ﴿لشرذمة قليلون﴾ [كروه اندك اند] استقلهم وهم ستمائة ألف وسبعون ألفاً بالنسبة إلى جنوده إذ كان عدد آل فرعون لا يحصى.

قال في «التكملة»: اتبعهم في ألف ألف حصان سوى الإناث وكانت مقدمته سبعمائة ألف والشرذمة الطائفة القليلة وقليلون دون قليلة باعتبار أنهم أسباط كل سبط منهم سبط قليل.

﴿وإنهم لنا لغائظون﴾ [بخشم آرندكان] والغيظ أشد الغضب وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه. والمعنى لفاعلون ما يغيظنا ويغضبنا بمخالفتهم ديننا وذهابهم بأموالنا التي استعاروها بسبب أن لهم عيداً في هذه الليلة وخروجهم من أرضنا بغير إذن منا وهم منخرطون في سلك عبادنا. ﴿وإنا لجميع حاذرون﴾ يقال للمجموع جمع وجميع وجماعة، والحذر: احتراز عن مخيف يريد أن بني إسرائيل لقلتهم وحقارتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع علوهم وغلبتهم ولكنهم يفعلون أفعالاً تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن جمع وقوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور فإذا خرج علينا خارج سار عنا إلى إطفاء نائرة فساده قاله فرعون لأهل المدائن لئلا يظن به أنه خاف من بني إسرائيل.

وقال بعضهم: ﴿حاذرون﴾ يعني: [سلاح وارانيم ودانندكان مراسم حرب تعريض است با رنكه قوم موسى نه سلاح تمام دارند ونه بعلم حرب داناند] فإن الحاذر يجيء بمعنى المتهيىء والمستعد كما في «الصحاح».

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿فأخرجناهم﴾ أي فرعون وقومه بأن خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه يعني أنهم وإن خرجوا باختيارهم إلا أنه أسند الإخراج إليه تعالى إسناداً مجازياً من حيث الخلق المذكور. ﴿من جنات﴾ بساتين كانت ممتدة على حافتي النيل. ﴿وعيون﴾ من الماء.

قال الراغب: يقال لمنبع الماء عين تشبيهاً بالعين الجارحة لما فيها من الماء.

قال في «كشف الأسرار»: وعيون أي أنهار جارية.

وقال الكاشفي: [وازچشمه سارها].

﴿وكنوز﴾ [وازكنجها] يعني: الأموال الظاهرة من الذهب والفضة ونحوهما سماها كنزاً لأن ما لايؤدي منه حق الله فهو كنز وإن كان ظاهراً على وجه الأرض وما أدى منه فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين والكنز المال المجموع المحفوظ.

والفرق بينه وبين الركاز والمعدن أن الركاز المال المركوز في الأرض مخلوقاً كان أو موضوعاً والمعدن ما كان مخلوقاً والكنز ما كان موضوعاً.

قال في «خريدة العجائب»: وفي أرض مصر كنوز كثيرة ويقال: إن غالب أرضها ذهب مدفون حتى قيل: إنه ما فيها موضع إلا وهو مشغول من الدفائن. ﴿ومقام كريم﴾ يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية.

وقال السهيلي في كتاب «التعريف والأعلام»: في الفيوم من أرض مصر في قول طائفة من المفسرين ومعنى الفيوم ألف يوم كما في «التكملة» وهي مدينة عظيمة بناها يوسف الصديق عليه السلام ولها نهر يشقها ونهرها من عجائب الدنيا وذلك أنه متصل بالنيل وينقطع أيام الشتاء وهو يجري في سائر الزمان على العادة ولهذه المدينة ثلاثمائة وستون قرية عامرة كلها مزارع وغلال.

ويقال: إن الماء في هذا الوقت قد أخذ أكثرها وكان يوسف جعلها على عدد أيام السنة فإذا أجدبت الديار المصرية كانت كل قرية منها تقوم بأهل مصر يوماً وبأرض الفيوم بساتين وأشجار وفواكه كثيرة رخيصة وأسماك زائدة الوصف وبها من قصب السكر كثير.

﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك الإخراج العجيب أخرجناهم فهو مصدر تشبيهي لأخرجنا.

وقال أبو الليث: كذلك أي هكذا أفعل بمن عصاني. ﴿وأورثناها بني إسرائيل﴾ أي: مكنا تلك الجنات والعيون والكنوز والمقام إياهم على طريقة مال المورث للوارث كأنهم ملكوها من حين خروج أربابها منها قبل أن يقبضوها ويتسلموها. وبالفارسية [وميراث داديم باغ وبستان وكنج وجاريهاي إيشان فرزندان يعقوب راچه قول آنست كه بني إسرائيل بعد از هلاك فرعونيان بمصر آمده همه أموال قبطية را بحيطهٔ تصرف آوردند وأصح آنست كه درزمان دولت داود عليه السلام بر ملك استيلا يافته متصرف جهان مصريان شدند] كما قال الطبري: إنما ملكوا ديار آل فرعون ولم يدخلوها لكنهم سكنوا الشام ـ القصة ـ [فرعون ششصد هزار سوار بر مقدمهٔ لشكر روان كرد وششصد هزار بر ميمنه تعيين كردوششصد هزار بر ميسره نامزد فرمود وششصد هزار درساقهٔ لشكر مقرر كرد وخود باخلق بيشمار در قلب قرار كرفت يكي لشكر

سرابا غرق جوشن شده درموج چون درياي آهن چوچشم دلبران پركين وخونريز بقصد خون دم تيغها تيز]. ﴿فأتبعوهم﴾ بقطع الهمزة يقال: أتبعه إتباعاً إذا طلب الثاني اللحوق بالأول وتبعه تبعاً إذا مر به ومضى معه. والمعنى فأردنا إخراجهم وإيراث بني إسرائيل ديارهم فخرجوا فلحقوا موسى وأصحابه. ﴿مشرقين﴾ يقال: أشرق وأصبح وأمسى وأظهر إذا دخل في الشروق والصباح والمساء والظهيرة. والمعنى حال كونهم داخلين في وقت شروق الشمس أي طلوعها على أنه حال إما من الفاعل أو من المفعول أو منهما جميعاً لأن الدخول المذكور قائم بهم جميعاً.

قال الكاشفي: [يعني بهنكام طلوع آفتاب ببني إسرائيل رسيدند ودران زمان لشكر موسى بكناره درياي قلزم رسيدند تدبير عبور ميكردندكه ناكاه أثر فرعونيان بديد آمد].

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿فلما تراءى الجمعان﴾ تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما الآخر والمراد جمع موسى وجمع فرعون. وتراءى من التفاعل والترائي [يكديكررا ديدن ودر برابر يكديكر افتادن] كما في «التاج» **﴿قال أصحاب موسى إنا لمدركون﴾** لملحقون من ورائنا ولا طاقة لنا بقوم فرعون وهذا البحر أمامنا لا منفذ لنا فيه.

﴿قال﴾ موسى **﴿كلا﴾** [نه چنين است] أي: ارتدعوا وانزجروا عن ذلك المقال فإنهم لا يدركونكم فإن الله تعالى وعدكم الخلاص منهم. **﴿إن معي ربي﴾** بالحفظ والنصر والرعاية والعناية.

قال الجنيد حين سئل العناية أولاً أم الرعاية قال: العناية قبل الماء والطين. **﴿سيهدين﴾** البتة إلى طريق النجاة منهم بالكلية [محققان كفته اند موسى عليه السلام در كلام خود معيت را مقدم داشت كه **﴿إن معي ربي﴾** وحضرت پيغمبر ما عليه السلام در قول خودكه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] معيت را تأخير فرمود تابر ضمائر عرفا روشن كردد كه كليم از خود بحق نكريست واين مقام مريدست وحبيب از حق بخود نظر كرد واين مقام مرادست مريدرا هرچه كويند آن كند ومراد هرچه كويد چنان كنند].

اين يكي را روى أو در روى دوست — وآن دكررا روى او خود روى اوس

وفي «كشف الأسرار»: [موسى خودرا درين حكم فرموده كه كفت **﴿معي ربي﴾** ونكفت «معنا ربنا» زيرا كه در سابقهٔ حكم رفته بودكه قومي از بني إسرائيل بعد از هلاك فرعون وقبطيان كوساله پرست خواهند شدباز مصطفى عليه السلام چون درغاربودبا صديق أكبر ازا حوال صديق آن حقائق معاني ساخته كه اورا بانفس خود قرين كرد ودر حكم معيت آورد كفت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] وكفته اند موسى خودرا كفت **﴿إن معي ربي سيهدين﴾** ورب العزة امت محمد راكفت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾ [النحل: ١٢٨] موسى آنجه خودرا كفت الله اورا بكرد واورا راه نجات نمود وكيد دشمن ازپيش برداشت چكوبي آنكه تعالى بخودئ خود امت احمد راكفت ووعدهٔ كه داد اولى كه وفاكند ازغم كناه برهاند وبرحمت ومغفرت خود رساند]. روي: أن مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال: أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون؟ قال: أمرت بالبحر ولعلي أؤمر بما أصنع. روي عن عبد الله بن سلام أن موسى لما انتهى إلى البحر قال

عند ذلك: يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء اجعل لنا مخرجاً.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قل اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وبك المستغاث وأنت المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله» قال ابن مسعود: فما تركتهن منذ سمعتهن من النبي عليه السلام.

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿فأوحينا إلى موسى أن﴾ يا موسى ﴿اضرب بعصاك البحر﴾ هو بحر القلزم وسمي البحر بحراً لاستبحاره أي اتساعه وانبساطه. وبحر القلزم طرف من بحر فارس والقلزم بضم القاف وسكون اللام وضم الزاي بليدة كانت على ساحل البحر من جهة مصر وبينها وبين مصر نحو ثلاثة أيام وقد خربت ويعرف اليوم موضعها بالسويس تجاه عجرود منزل ينزله الحاج المتوجه من مصر إلى مكة وبالقرب منها غرق فرعون وبحر القلزم بحر مظلم وحش لا خير فيه ظاهراً وباطناً وعلى ساحل هذا البحر مدينة مدين وهي خراب وبها البئر التي سقى موسى عليه السلام منها غنم شعيب وهي معطلة الآن.

قال الكاشفي: [موسى عليه السلام برلب دريا آمد وعصا بروى زد وكفت يا أبا خاله مارا راه ده] ﴿فانفلق﴾ الفاء فصيحة أي فضرب فانفلق ماء البحر أي انشق فرقاً بعدد الأسباط بينهن مسالك ﴿فكان كل فرق﴾ أي كل جزء تفرق منه وتقطع.

قال في «المفردات»: الفرق يقارب الفلق لكن القلق يقال: اعتباراً بالانشقاق والفرق يقال: اعتباراً بالانفصال والفرق القطعة المنفصلة وكل فرق بالتفخيم والترقيق لكل القراء والتفخيم أولى ﴿كالطود العظيم﴾ كالجبل المرتفع في السماء الثابت في مقره.

قال الراغب: الطود الجبل العظيم ووصفه بالعظم لكونه فيما بين الأطواد عظيماً لا لكونه عظيماً فيما بين سائر الجبال فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب منها.

قال الكاشفي: [وفي الحال بادي درتك دريا وزيد وكل خشك شده وهر سبطى ازراهي بدريا در آمدند] كما قال تعالى: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ [طه: ٧٧].

﴿وأزلفنا﴾ أي قربنا من بني إسرائيل.

قال في «تاج المصادر»: الإزلاف [نزديك كردانيدن وجمع كردن] وفسر بهما قوله تعالى: ﴿وأزلفنا﴾ إلا أن الحمل على المعنى الأول أحسن انتهى. ﴿ثم﴾ حيث انفلق البحر وهو إشارة إلى المستبعد من المكان. ﴿الآخرين﴾ أي: فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم.

﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾ من الغرق بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا إلى البر. ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ بإطباقه عليهم يعني: [چون بني إسرائيل همه ازدريا بيرون آمدند موسى ميخواست كه دريا بحال خود بازشود ازبيم آنكه فرعون وقبطيان بآن راهها

در آيند وبايشان درر سندفر مان آمدكه] يا موسى اترك البحر رهواً أي صفوفاً ساكنة فإن فرعون وقومه جند مغرقون فتركه على حاله حتى أغرقهم الله تعالى كما مر في غير موضع آورده اندكه آن روزكه موسى نجات يافت ودشمن وي غرق كشت روز دوشنبه بود دهم ماه محرم وموسى آن روز روزه داشت شكر آن نعمت را].

﴿إن في ذلك﴾ أي في جميع ما فصل خصوصاً في الإنجاء والغرق ﴿لآية﴾ لعبرة عظيمة للمعتبرين. ﴿وما كان أكثرهم﴾ أي: أكثر المصريين وهم آل فرعون. ﴿مؤمنين﴾ قالوا: لم يكن فيه مؤمن إلا آسية امرأة فرعون وخربيل المؤمن ومريم بنت ناموشا التي دلت على عظام يوسف عليه السلام حين الخروج من مصر.

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ الغالب المنتقم من أعدائه كفرعون وقومه. ﴿الرحيم﴾ بأوليائه كموسى وبني إسرائيل.

يقول الفقير: هذا هو الذي يقتضيه ظاهر السوق فإن قوله تعالى: ﴿إن في ذلك﴾ الخ ذكر في هذه السورة في ثمانية مواضع. أولها في ذكر النبي عليه السلام وقومه كما سبق وذكر النبي عليه السلام وإن لم يتقدم صريحاً فقد تقدم كناية. والثاني في قصة موسى ثم إبراهيم ثم نوح ثم هود ثم صالح ثم لوط ثم شعيب عليهم السلام فتعقيب القول المذكور بكل قصة من هذه القصص يدل على أن المراد بالأكثر هو من لم يؤمن من قوم كل نبي من الأنبياء المذكورين وقد ثبت في غير هذه المواضع أيضاً أن أكثر الناس من كل أمة هم الكافرون فكون كل قصة آية وعبرة إنما يعتبر بالنسبة إلى من شاهد الوقعة ومن جاء بعدهم إلى قيام الساعة فيدخل فيهم قريش لأنهم سمعوا قصة موسى وفرعون مثلاً من لسان النبي عليه السلام فكانت آية لهم مع أن بيانها من غير أن يسمعها من أحد آية أخرى موجبة للإيمان حيث دل على أن ما كان إلا بطريق الوحي الصادق نعم إن قوله تعالى: ﴿إن في ذلك﴾ إذا كان إشارة إلى جميع ما جرى بين موسى وفرعون مثلاً كان غير الإنجاء والغرق آية للمغرقين أيضاً وبذلك يحصل التلاؤم الأتم بما بعده فافهم جداً.

وقد رجح بعضهم رجوع ضمير أكثرهم إلى قوم نبينا عليه السلام فيكون المعنى إن في ذلك المذكور لآية لأهل الاعتبار كما كان في المذكور في أول السورة آية أيضاً وما كان أكثر هؤلاء الذين يسمعون قصة موسى وفرعون وهم أهل مكة مؤمنين لعدم تدبرهم واعتبارهم فليحذروا عن أن يصيبهم مثل ما أصاب آل فرعون وإن ربك لهو العزيز الغالب على ما أراد من انتقام المكذبين الرحيم البالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعدم إيمانهم بعد مشاهدة هذه الآيات العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك.

وفي الآية تسلية للنبي عليه السلام لأنه كان قد يغتم قلبه المنير بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات على يديه فذكر له أمثال هذه القصص ليقتدي بمن قبله من الأنبياء في الصبر على عناد قومه والانتظار مجيء الفرج كما قيل: اصبروا تظفروا كما ظفروا. قال الحافظ:

سروش عالم غيبم بشارتي خوش داد   كه كس هميشه بكيتي دژم نخواهد ماند

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا

كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿واتل عليهم﴾ من التلاوة وهي القراءة على سبيل التتابع والقراءة أعم أي اقرأ على مشركي العرب وأخبر أهل مكة. ﴿نبأ إبراهيم﴾ خبره العظيم الشان.

قال الكاشفي: [خبر إبراهيم كه إيشان بدو نسبت درست ميكنند وبفرزندي أو مفخترند ومستظهر]. ﴿إذ قال﴾ ظرف لنبأ ﴿لأبيه﴾ آزر وهو تاريخ كما سبق ﴿وقومه﴾ أهل بابل وهو كصاحب موضع بالعراق وإليه ينسب السحر. والقوم جماعة الرجال في الأصل دون النساء كما نبه عليه قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤] وفي عامة القرآن أريدوا به والنساء جميعاً كما في «المفردات» ﴿ما تعبدون﴾ أي شيء تعبدونه، وبالفارسية. [چيست آنچه پرستيد] سألهم وقد علم أنهم عبدة الأوثان لينبههم على ضلالهم ويريهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة.

﴿قالوا نعبد أصناماً﴾ وهي اثنان وسبعون صنماً من ذهب وفضة وحديد ونحاس وخشب كما في «كشف الأسرار». والصنم ما كان على صورة ابن آدم من حجر أو غيره كما في «فتح الرحمن».

قال في «المفردات»: الصنم جثة متخذة من فضة أو نحاس والوثن حجارة كانت تعبد.

قال الكاشفي: [مراد تمثالها ست كه ساخته بودند از انواع فلزات بر صور مختلفة وبرعبات آن مداومت ميكردند] كما قال: ﴿فنظل لها عاكفين﴾ لم يقتصروا على قوله أصناماً بل أطنبوا في الجواب بإظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على أصنامهم ابتهاجاً وافتخاراً بذلك يقال: ظللت أعمل كذا بالكسر ظلولاً إذا عملت بالنهار دون الليل والظاهر أن عبادتهم الأصنام لا تختص بالنهار فالمراد بالظلول ههنا الدوام، والمعنى بالفارسية: [پس هميشه مي باشيم مرانرا مجاور وملازم ومداوم بر عبادت].

والعكوف اللزوم ومنه المعتكف لملازمته المسجد على سبيل القربة وصلة العكوف كلمة على وايراد اللام لإفادة معنى زائد كأنهم قالوا: فنظل لأجلها مقبلين على عبادتها ومستديرين حولها.

وقال أبو الليث: إن إبراهيم عليه السلام ولدته أمه في الغار فلما خرج وكبر دخل المصر وأراد أن يعلم على أي مذهب هم وهكذا ينبغي للعاقل إذا دخل بلدة أن يسألهم عن مذهبهم فإن وجدهم على الاستقامة دخل معهم وإن وجدهم على غير الاستقامة أنكر عليهم فلما قال إبراهيم ما تعبدون وقالوا: نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين وأراد أن يبين عيب فعلهم.

﴿قال﴾ استئناف بياني. ﴿هل يسمعونكم﴾ أي: يسمعون دعاءكم على حذف المضاف فإن كم ليس من قبيل المسموعات والواو بحسب زعمهم فإنهم كانوا يجرون الأصنام مجرى العقلاء. ﴿إذ تدعون﴾ وقت دعائكم لحوائجكم فيستجيبون لكم. ﴿أو ينفعونكم﴾ على عبادتكم لها. وبالفارسية [يا سود ميرسانند شمارا] ﴿أو يضرون﴾ أو يضرونكم بترك العبادة إذ لا بد للعبادة من جلب نفع أو دفع ضر. وبالفارسية: [يا زيان ميرسانند بشما قوم إبراهيم نتوا نستندكه أو راجواب دهند بهانهٔ تقليد پيش آورده].

﴿قالوا﴾ما رأينا منهم ذلك السمع أو النفع أو الضر ﴿بل وجدنا آباءنا كذلك﴾منصوب بقوله: ﴿يفعلون﴾وهو مفعول ثانٍ لوجدنا، أي وجدناهم يعبدون مثل عبادتنا فاقتدينا بهم اعترفوا بأنها بمعزل من السمع والمنفعة والمضرة بالكلية واضطروا إلى إظهار أن لا سند لهم سوى التقليد.

خواهي بسوى كعبهٔ تحقيق ره برى　　پي برپي مقلدكم كرده ره مرو

﴿قال﴾إبراهيم متبرئاً من الأصنام ﴿أفرأيتم﴾أي: أنظرتم فأبصرتم أو تأملتم فعلمتم ﴿ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون﴾الأولون حق الإبصار أو بحق العلم فإن الباطل لا ينقلب حقاً بكثرة فاعلية وكونه دأباً قديماً وما موصولة عبارة عن الأصنام.

﴿فإنهم عدو لي﴾بيان لحال ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك أي لم تنظروا ولم تقفوا على حاله فاعلموا أن الأصنام أعداء لعابديهم لما أنهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من عدوه. فسمى الأصنام أعداء وهي جمادات على سبيل الاستعارة وصور الأمر في نفسه حيث قال: عدو لي. لا لكم تعريضاً لهم فإنه أنفع في النصح من التصريح وإشعاراً بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى إلى القبول.

وقال الفراء: هو من المقلوب ومعناه فإني عدو لهم فإن من عاديته عاداك وإفراد العدو لأنه في الأصل مصدر أو بمعنى النسب أي ذو عداوة كتامر لذي تمر. ﴿إلا رب العالمين﴾ استثناء منقطع أي لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو وليي في الدنيا والآخرة لا يزال يتفضل عليّ بمنافعهما.

قال بعض الكبار: رأى الخليل عليه السلام نفسه بمثابة في الخلة لم يكن له في زمانه نظير يسمع كلامه من حيث حاله فوقعت العداوة بينه وبين الخلق جميعاً. وأيضاً هذا إخبار عن كمال محبته إذ لا يليق بصحبته ومحبته أحد غيرالحق.

قال سمنون: لا تصح المحبة لمن لم ينظر إلى الأكوان وما فيها بعين العداوة حتى يصح له بذلك محبة محبو به والرجوع إليه بالانقطاع عما سواه ألا ترى الله كيف قال حاكياً عن الخليل: ﴿فإنهم عدو لي إلا رب العالمين﴾.

هجرت الكل فيك حتى صح　　لي الاتصال
بهجر ما سوي بايد　　طلب كردن وصال او
كن من الخلق جانباً　　وارض بالله صاحبا
قلب الخلق كيف شئـ　　ت تجدهم عقاربا

يقول الفقير: اعلم أن العدو لا ينظر إلى العدو إلا بطرف العين بل لا ينظر أصلاً لفقدان الميل القلبي قطعاً فإذا كان ما سوى الله تعالى عدواً للسائق فاللائق له أن لا ينظر إليه إلا بنظر الاعتبار. وقد ركب الله في الإنسان عينين إشارة باليمنى إلى الملكوت وباليسرى إلى الملك فما دامت اليسرى مفتوحة إلى الملك فاليمنى محجوبة عن الملكوت وما دامت اليمنى ناظرة إلى الملكوت فالعبد محجوب عن الجبروت واللاهوت فلا بد من قطع النظر عن الملك والملكوت وإيصاله إلى عام الجبروت واللاهوت وهو العمى المقبول والنظر المرضي. وفي الدعاء: اللهم اشغلنا بك عمن سواك.

فإن قلت: ما يطلق عليه ما سوى الله كله من آثار تجلياته تعالى فكيف يكون عدواً وغيراً؟.

قلت: هو في نفسه كذلك لكنه إشارة إلى المراتب ولا بد من العبور عن جميع المراتب مع أن كونه عدواً إنما هو من حيث كونه صنماً ومبدأ علاقة فمن شاهد الله في كل شيء فقد انقطع عن الأغيار فكل عدو له صديق والحمد لله تعالى:

جهان مر آت حسن شاهد ماست فشاهد وجهه في كل ذرات

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾﴾.

﴿الذي خلقني﴾[از عدم بوجود آورد] صفة رب العالمين ﴿فهو﴾وحده ﴿يهدين﴾ يرشدني إلى صلاح الدارين بهدايته المتصلة من الخلق ونفخ الروح متجدد على الاستمرار كما ينبىء عنه فاء العطف التعقيبي وصيغة المضارع وذلك أن مبدأ الهداية بالنسبة إلى الإنسان هداية الجنين إلى امتصاص دم الحيض من الرحم ومنتهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعم بلذائذها، وأشار قوله: ﴿فهو يهدين﴾إلى قطع الأسباب والاكتساب في النبوة والولاية والخلة بل أشار إلى الاصطفاء الأزلي وذلك أن جميع المقامات اختصاصية عطائية غير نسبية حاصلة للعين الثابتة من الفيض الأقدس وظهوره بالتدريج بحصول شرائطه وأسبابه يوهم المحجوب فيظن أنه كسبي بالتعمل وليس كذلك في الحقيقة. قال الحافظ:

قومي بجهد وجد نهادند وصل دوست قومي دكر حواله بتقدير مكينند

﴿والذي﴾الخ معطوف على الصفة الأولى وتكرير الموصول في المواقع الثلاثة للدلالة على أن كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم ﴿هو﴾وحده ﴿يطعمني﴾أيَّ طعام شاء. وبالفارسية: [ميخوارانند مرا غدايي كه قوام أجزاء بدن منست] ﴿ويسقين﴾أيَّ شراب شاء. وبالفارسية: [ومي آشاماند مرا شرابي كه موجب تسكين عطش وسبب تربيت أعضاء] أي هو رازقي فمن عنده طعامي وشرابي وليس الإطعام والسقي عبارتين عن مجرد خلق الطعام والشراب له وتمليكهما إياه بل يدخل فيهما إعطاء جميع ما يتوقف الانتفاع بالطعام والشراب عليه كالشهوة وقت المضغ والابتلاع والهضم والدفع ونحو ذلك. ومن دعاء أبي هريرة رضي الله عنه: «اللهم اجعل لي ضرساً طحوناً ومعدة هضوماً ودبراً بثوراً».

وأشارت الآية إلى مقام التوكل والرضى والتسليم والتفويض وقطع الأسباب والإقبال إليه بالكلية والإعراض عما سواه.

صاحب «بحر الحقائق»: [فرمودكه مراد طعام عبوديستت كه دلها بآن زنده شود وشراب طهور تجلى صفت ربوبيت كه أرواح بآن تازه باشد. وذو النون مصري قدس سره فرمودكه اين طعام طعام معرفتست واين شراب شراب محبت واين بيت خوانده].

شراب المحبة خير الشراب وكل شراب سواه سراب

واز فحواي كلام شمهء از أسرار كلام حقائق نظام (أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني) بي تواندبرد.

ترا نوال دمادم زخانه يطعمني ترا پياله مدام از شراب يسقيني

مراتو قبلهٔ ديني ازان سب كفتم بمردمان كه «لكم دينكم ولي ديني»

وقد اختلف الناس في الطعام والشراب المذكورين في الحديث على قولين: أحدهما:

أنه طعام وشراب حسي للفم قالوا: وهذه حقيقة اللفظ ولا يوجب العدول عنه ما قال بعضهم: كان يؤتى بطعام من الجنة. والثاني: أن المراد به ما يغذيه الله به من معارفه وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه بقربه ونعيم محبته وتوابع ذلك من الأحوال التي هي غذاء القلوب ونعيم الأرواح وقرة الأعين وبهجة النفوس.

قال الشيخ الشهير بأفتاده افندي قدس سره: إنما أكل نبينا عليه السلام في الظاهر لأجل أمته الضعيفة وإلا فلا احتياج له إلى الأكل والشرب وما روي من أنه كان يشد الحجر على بطنه فهو ليس من الجوع بل من كمال لطافته لئلا يصعد إلى الملكوت بل يبقى في عالم الملك ويحصل له الاستقرار في عالم الإرشاد وقد حكى له بعض أمته أنه لم يأكل ولم يشرب سنين وهو أولى وأقوى في هذا الباب من أمته لقوة انجذابه إلى عالم القدس وتجرده عن غواشي البشرية وكان في عهد رسول الله ﷺ سقاء تبع النبي ﷺ ثلاثة أيام يقرأ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] فرمى بقربته فأتاه آت في منامه بقدح من شراب الجنة فسقاه قال أنس رضي الله عنه: فعاش بعد ذلك نيفاً وعشرين سنة لم يأكل ولم يشرب على شهوة كما في «كشف الأسرار».

﴿وإذا مرضت﴾ [وچون بيمار شوم] ﴿فهو﴾ وحده ﴿يشفين﴾ يبرئني من المرض ويعطي الشفاء لا الأطباء وذلك أنهم كانوا يقولون: المرض من الزمان ومن الأغذية والشفاء من الأطباء والأدوية فأعلم إبراهيم أن الذي أمرض هو الذي يشفي وهو الله تعالى لكن نسب المرض إلى نفسه حيث لم يقل: وإذا أمرضني والشفاء إلى الله تعالى مع أنهما من الله تعالى لرعاية حسن الأدب في العبارة كما قال الخضر عليه السلام في العيب: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] وفي الخير ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] وكذا الجن راقبوا هذا الأدب بعينه حيث قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] قوله: ﴿وإذا مرضت﴾ الخ عطف على يطعمني ويسقيني نظمهما في سلك صلة واحدة لما أن الصحة والمرض من متفرعات الأكل والشرب غالباً فإن البطنة تورث الأسقام والأوجاع والحمية أصل الراحة والسلامة.

قالت الحكماء: لو قيل لأكثر الموتى. ما سبب آجالكم؟ لقالوا: التخم. وفي الحكمة ليس للبطن خير من خمصة تتبعها.

قال الكاشفي: [از امام جعفر صادق رضي الله عنه منقولست كه چون بيمار شوم بكناه مرا شفادهد بتوبه. سلمى رحمه الله فرمودكه مرض برؤيت اغياراست وشفا بمشاهدۀ أنوار واحد قهار ودربحر آورده كه بيماري بتعلقات كونين است وشفا بقطع تعلق وآن وابسته بجذبۀ عنا يتست كه چون دررسد سالك را از همه منقطع ساخته بيكي بيوند دهد يعني بشربت تجري از مرض تعلقش باز رهاند.

چكويمت كه چه خوش آمدي مسيح صفت بيكنفس همه درد مرا دوا كردد

وقال بعضهم: وإذا مرضت بداء محبته وسقمت بسقم الشوق إلى لقائه ووصلته فهو يشفين بحسن وصاله وكشف جماله:

بمقدمك المبارك زال دائي وفي لُقْياك عجل لي شفائي

وفي الآية إشارة إلى رفع الرجوع إلى غيره والسكون إلى التداوي والمعالجة بشيء فهو كمال التسليم.

قال في «كشف الأسرار»: [وأين نه مرضى معلوم بود در آن وقت بلكه نوعي بود از تمارض] كما يتمارض الأحبار طمعاً في العيادة:

يود بأن يمسي سقيما لعلها إذا سمعت عنه سليمى تراسله
إن كان يمنعك الوشاة زيارتي فادخل إليّ بعلة العوّاد

[آن شفاي ذدل خليل كه بوي أشارت ميكند آنست كه جبريل كاه كاه آمدي بفرمان حق وكفتي «يقول مولاك: كيف أنت البارحة؟» وزبان حال خليل بجواب ميكويد.

خرسند شدم بدانكه كويي يكبار كاي خستهٔ روز كار دوشت چون بود

وحكي عن بعضهم أنه مرض وضعف اصفر لونه فقيل له ألا ندعو لك طبيباً يداويك من هذا المرض؟ فقال: الطبيب أمرضني ثم أنشد:

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي والذي بي أصابني من طبيبي

﴿والذي يميتني﴾ في الدنيا عند انقضاء الأجل ﴿ثم يحيين﴾ في الآخرة لمجازاة العمل أدخل ثم ههنا لأن بين الإماتة الواقعة في الدنيا وبين الإحياء الحاصل في الآخرة تراخياً ونسبة الإماتة إلى الله تعالى لأنها من النعم الإلهية في الحقيقة حيث أن الموت وصلة لأهل الكمال إلى الحياة الأبدية والخلاص من أنواع المحن والبلية.

پس رجال ازنقل عالم شادمان وزبقا اش شادمان اين كودكان
چونكه آب خوش نديد آن مرغ كور پيش او كوثر نمايد آب شور

أمام ثعلبي [كفته بميراند بعدل وزنده كند بفضل وكفته اندكه أماتت بمعصيت است واحيا بطاعت يا أماتت بجهل است واحيا بعقل يا أماتت يطمع است واحيا بورع يا أماتت بفراقست واحيا بتلاق.

در حقايق سلمى آورده كه بميراند از سمات روحانيت وزنده كرداند بصفا ربانيت وحقيقت رنست كه بميراند مرا از آنانيت من وزنده سازد بهدايت خودكه حيات حقيقي عبارت ازانست.

نجويم عمر فإني را تويي عمر عزيز من نخواهم جان پرغم راتويي جانم بجان تو

وقال بعضهم:

غم كي خورد رنكه شادمانيش تويي باكي برد آنكه زندكانيش تويي
درنسيهٔ آن جهان كجا دل بندد آنكس كه بنقد اين جهانيش تويي

﴿وَالَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِالصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ الضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿والذين أطمع﴾ [طمع ورجا ميدارم] ﴿أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ أي: يوم الجزاء والحساب دعا بلفظ الطمع ولم يعزم في سؤاله كما عزم فيما قبل من الأمور المذكورة تأدباً أو ليعلم أن العبد ليس له أن يحكم لنفسه بالإيمان وعليه أن يكون بين الخوف والرجاء وليدل على كرم الله فإن الكريم إذا أطمع أنجز وأسند الخطيئة إلى نفسه وهي في الغالب ما يقصد بالعرض لأنه من الخطأ هضماً لنفسه وتعليماً للأمة أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لأن

يغفر لهم ما فرط منهم وتلافياً لما عسى يقع منه من الصغائر مع أن حسنات الأبرار سيئات المقربين كما أن درجاتهم دركات المقربين. [در تلخيص آورده كه مراد خطاياي است محمد است عليه السلام كه حضرت خليل از ملك جليل دعاي غفران نموده] وتعليق المغفرة بيوم الدين مع أن الخطيئة إنما تغفر في الدنيا لأن أثرها يتبين وفائدته ثمة تظهر وفي ذلك تهويل له وإشارة إلى وقوع الجزاء فيه إن لم تغفر ومثله رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم فهل ذلك نافعه قال: «لا إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين» يعني أنه كان كافراً ولم يكن مقراً بيوم القيامة لأن المقر به طالب لمغفرة خطيئته فيه فلا ينفعه عمله وعبد الله بن جدعان هو ابن عم عائشة رضي الله عنها وكان في ابتداء أمره فقيراً ثم ظفر بكنز اسنغى به فكان ينفق من ذلك الكنز ويفعل المعروف ثم هدا كله احتجاج من إبراهيم على قومه وإخبار أنه لا يصلح للإلهية من لا يفعل هذه الأفعال وبعد ما ذكر فنون الألطاف الفائضة عليه من الله تعالى من مبدأ خلقه إلى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد فقال: ﴿رب﴾ [أي پرورد كار من]. ﴿هب لي حكماً﴾ أي: كمالاً في العلم والعمل استعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق فإن من يعلم شيئاً ولا يأتي من العمل بما يناسب علمه لا يقال له حكيم ولا لعلمه حكم وحكمة. ﴿وألحقني بالصالحين﴾ ووفقني من العلوم والأعمال والأخلاق لما ينظمني في زمرة الكاملين الراسخين في الصلات المتنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها أو اجمع بيني وبينهم في الجنة فقد أجابه تعالى حيث قال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠] وباقي الكلام هنا سبق في أواخر سورة الكهف.

﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ جاهاً وحسن صيت في الدنيا يبقى أثره إلى يوم الدين ولذلك ما من أمة إلا وهم محبون له مثنون عليه فحصل بالأول الجاه وبالثاني حسن الذكر. وبالفارسية [وكردان براي من زبان راست يعني ثناي نيكو درميان پس آيند كان يعني جاري كن ثنا ونيكنامي وآوازهٔ من برزبان كساني كه پس از من آنيد] فقوله: ﴿في الآخرين﴾ أي: في الأمم بعدي وعبر عن الثناء الحسن والقبول العام باللسان لكون اللسان سبباً في ظهوره وانتشاره وبقاء الذكر الجميل على ألسنة العباد إلى آخر الدهر دولة عظيمة من حيث كونه دليلاً على رضى الله عنه ومحبته والله تعالى إذا أحب عبداً يلقي محبته إلى أهل السموات والأرض فيحبه الخلائق كافة حتى الحيتان في البحر والطيور في الهواء.

قال ابن عطاء: أي أطلق لسان أمة محمد بالثناء والشهادة لي فإنك قد جعلتهم شداء مقبولين.

قال سهل: اللهم ارزقني الثناء في جميع الأمم والملل وإنما يحصل في الحقيقة بالفعل الجميل والخلق الحسن واللسان اللين فهي أسباب اللسان الصدق وبها اقتداء الآخرين به فيكون له أجره ومثل أجر من اقتدى به.

﴿واجعلني﴾ في الآخرة وارثاً ﴿من ورثة جنة النعيم﴾ شبه الجنة التي استحقها العامل بعد فناء عمله بالميراث الذي استحقه الوارث بعد فناء مورثه فأطلق عليها اسم الميراث وعلى استحقاقها اسم الوراثة وعلى العامل اسم الوارث. فالمعنى واجعلني من المستحقين لجنة النعيم

والمتمتعين بها كما يستحق الوارث مال مورثه ويتمتع به. ومعنى جنة النعيم [بستان پرنعمت].

وفيه إشارة إلى أن طلب الجنة لا ينافي طلب الحق وترك الطلب مكابرة للربوبية.

قال بعض الكبار: إن الله تعالى هو المحبوب لذاته لا لعطائه وعطاؤه محبوب لكونه محبوباً لا لنفسه ونحبه ونحب عطاءه لحبه ولنا حبان حبه وحب عطائه وهما لذاته فقط لا لغيره فيكون الحب في أصله واحداً وفي فرعه متعدداً عى ما هو مقتضى الجمع والوحدة وموجب الفرق والكثرة فحبنا له إنما هو في مقام جمع الجمع لأنه مقام الاعتدال لا في مرتبة الجمع أو الفرق فقط.

﴿واغفر لأبي﴾ المغفرة مشروطة بالإيمان وطلب المشروط يتضمن طلب شرطه فيكون الاستغفار لأحياء المشركين عبارة عن طلب توفيقهم وهدايتهم للإيمان. ﴿إنه كان من الضالين﴾ طريق الحق. وبالفارسية [ازكمراهان] وهذا الدعاء قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما تقدم في سورة التوبة روي عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل توضأ فأسبغ الوضوء ثم خرج من بيته يريد المسجد فقال حين خرج: بسم الله الذي خلقني فهو يهدين إلا هداه الله لصواب الأعمال، والذي هو يطعمني ويسقين إلا أطعمه الله من طعام الجنة وسقاه من شرابها، وإذا مرضت فهو يشفين إلا شفاه الله تعالى والذي يميتني ثم يحيين إلا أحياه الله حياة الشهداء وأماته ميتة الشهداء والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين إلا غفر الله خطاياه ولو كانت أكثر من زبد البحر رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين إلاوهب له حكماً وألحقه بصالح من مضى وصالح من بقي واجعل لي لسان صدق في الآخرين إلا كتب عند الله صديقاً واجعلني من ورثة جنة النعيم إلا جعل الله له القصور والمنازل في الجنة» وكان الحسن يزيد فيه واغفر لوالدي كما ربياني صغيراً كذا في «كشف الأسرار».

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

﴿ولا تخزني﴾ من الخزي بمعنى الهوان والذل أي ولا تفضحني ولا تهتك ستري. وبالفارسية [رسوا مساز] بمعاتبتي على ما فرطت من ترك الأولى وإنما قال ذلك مع علمه بأنه لا يخزيه إظهاراً للعبودية وحثاً لغيره على الاقتداء به كما قال الكاشفي: [اين دعا نيز براي تعليم امتانست وإلا انبيارا خزي ورسوايي نباشد] وذلك لأنهم آمنون من خوف الخاتمة ونحوها ولما كانت مغفرة الخطيئة في قوله: ﴿والذي أطمع﴾ الخ لا تستلزم ترك المعاتبة أفرد الدعاء بتركها بعد ذكر مغفرة الخطيئة. ﴿يوم يبعثون﴾ من القبور أي الناس كافة وإضماره لأن البعث عام فيدل عليه وقيد عدم الإخزاء بيوم البعث لأن الدنيا مظهر اسم الستار.

قال أبو الليث: إلى هنا كلام إبراهيم وقد انقطع كلامه ثم إن الله تعالى وصف ذلك اليوم فقال:

﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ بدل من يوم يبعثون ومفعول الفعل محذوف والتقدير لا ينفع مال أحداً وإن كان مصروفاً في الدنيا إلى وجوه البر والخيرات ولا ينفع بنون فرداً وإن كانوا صلحاء مستأهلين للشفاعة جداً.

﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ بدل من مفعوله المحذوف أي إلا مخلصاً سليم القلب من

مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالإيمان.

قال في «كشف الأسرار»: بنفس سليمة من الكفر والمعاصي وإنما أضافه إلى القلب لأن الجوارح تابعة للقلب فتسلم بسلامته وتفسد بفساده وفي الخبر: «إن في جسد ابن آدم لمضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب» قال الليث: كان الكفار يقولون: نحن أكثر أموالاً وأولاداً فأخبر الله أنه لا ينفعهم ذلك اليوم المال والبنون لعدم سلامة قلوبهم في الدنيا وأما المسلمون فينفعهم خيراتهم وينفعهم البنون أيضاً لأن المسلم إذا مات ابنه قبله يكون له ذخراً وأجراً وإن تخلف بعده فإنه يذكره بصالح دعائه ويتوقع منه الشفاعة من حيث صلاحه.

وسئل أبو القاسم الحكيم عن القلب السليم فقال: له ثلاث علامات أولاها: أن لا يؤذي أحداً. والثانية: أن لا يتأذى من أحد. والثالثة: إذا اصطنع مع أحد معروفاً لم يتوقع منه المكافأة فإذا هو لم يؤذ أحداً فقد جاء بالورع وإذا لم يتأذ من أحد فقد جاء بالوفاء وإذا لم يتوقع المكافأة بالاصطناع فقد جاء بالإخلاص.

قال الكاشفي: [كفته اند سلامت قلب إخلاص است درشهادت أن لا إله إلا الله محمد رسول الله قولي آنست كه دل سليم از حب دنيا وكويند از حسد وخيانت.

ودرتيسير كويد از بغض أهل بيت وازواج وأصحاب حضرت پيغمبر عليه السلام.

إمام قشيري رحمه الله فرمودكه قلب سليم آنست كه خالي باشد ازغير خداي ازطمع دنيا ورجاء عقبى يا خالي باشد از بدعت ومطمئن بسنت. واز سيد طائفة جنيد قدس سره منقولست كه سليم ماركزيده بود وماركزيده پيوسته درقلق واضطرابست پس بيان ميكند كه دل سليم مدام در مقام جزع وتضرع وزاري از خوف قطيعت يا از شوق وصلت].

زشوق وصل مي نا لم وكردستم دهدروزي زبيم هجر ميكريم كه ناكه دركمين باشد
همام از كريهٔ خونين وسوزدل مكن چندين ندانستي كه حال عشقبازان انيجنين باشد

قال المولى الجامي:

محنت قرب ز بعد افزونست جكر از محنت مرهم خونست
هست درقرب همه بيم زوال نيست دربعد جز اميد وصال

وفي «البحر»: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ للوصول إلى الحضرة لقبول الفيض الإلهي. ﴿إلا من أتى الله﴾ عند المراقبة. ﴿بقلب سليم﴾ وهو قلب قد سلم من انحراف المزاج الأصلي الذي هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فإنه خلق مرآة قابلة لتجلي صفات جمال الله وجلاله كما كان لآدم عليه السلام أول فطرته فتجلى فيه قبل أن يصدأ بتعلقات الكونين أشار بقوله: ﴿إلا من﴾ إلى التخلق بخلق الله والاتصاف بصفته إذ لم يكن القلب سليماً بلا عيب إلا إذا كان متصفاً بطهارة قدس الحق عن النظر إلى الخلق.

قال ابن عطاء: السليم الذي لا يشوشه شيء من آفات الكون.

وسئل بعضهم: بم تنال سلامة الصدر؟ قال: بالوقوف على حد اليقين وترك الإرادة في التلوين والتمكين.

قال أبو يزيد رحمه الله: فقطعت المفاوز حتى بلغت البوادي وقطعت البوادي حتى وصلت إلى الملكوت وقطعت الملكوت حتى بلغت إلى الملك ـ بفتح الميم وكسر اللام ـ

فقلت: الجائزة قال: قد وهبت لك جميع ما رأيت قلت: إنك تعلم أني لم أر شيئاً من ذلك قال: فما تريد؟ قلت: أريد أن لا أريد قال: قد أعطيناك.

﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ عطف على لا ينفع وصيغة الماضي لتحقق وقوعه كما أن صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرارانتفاع النفع ودوامه أي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيفرحون بأنهم المحشورون إليها.

وفي «البحر»: أي قربت لأنهم تبعدوا عنها لتقربهم إلى الله تعالى.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

﴿وبرزت الجحيم للغاوين﴾ الضالين عن طريق الحق الذي هو الإيمان والتقوى أي جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع الأهوال ويوقنون بأنهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفاً فيزدادون غماً يقال: يؤتى بها في سبعين ألف زمام وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد فإن التبريز لا يستلزم التقريب ثم في تقديم إزلاف الجنة إيماء إلى سبق رحمته عى غضبه.

وفي «البحر»: ﴿وبرزت﴾ الخ إذ توجههم كان إليها لطلب الشهوات وقد حفت بالشهوات. وفي «المثنوي»:

حفت الجنة بمكروهاتنا حفت النيران من شهواتنا

يعني جعلت الجنة محفوفة بالأشياء التي كانت مكروهة لنا وجعلت النار محاطة بالأمور التي كانت محبوبة لنا.

﴿وقيل لهم﴾ أي: للغاوين يوم القيامة على سبيل التوبيخ والقائلون الملائكة من جهة الحق تعالى، وحكمه: ﴿أين ما كنتم﴾ في الدنيا ﴿تعبدون﴾.

﴿من دون الله﴾ أي: أين آلهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شفعاؤكم في هذا الموقف وتقربكم إلى الله زلفى ﴿هل ينصرونكم﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أو ينتصرون﴾ بدفعه عن أنفسهم. وبالفارسية [يا نكاه ميدارند خودرا از حلول عقوبت بديشان] وباب افتعل ههنا مطاوع فعل.

قال في «كشف الأسرار»: النصر المعونة على دفع الشر والسوء عن غيره والانتصار أن يدفع عن نفسه وإنما قال: أو ينتصرون بعد قوله: هل ينصرونكم لأن رتبة النصر بعد رتبة الانتصار لأن من نصر غيره فلا شك في الانتصار وقد ينتصر من لا يقدر على نصر غيره ثم هذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل.

﴿فكبكبوا فيها﴾ الكبكبة [نكو نسار كردن] أي تدهور الشيء في هوة وهو تكرير الكب وهو الطرح والإلقاء منكوساً وجعل تكرير اللفظ دليلاً على تكرير المعنى كرر عين الكب بنقله

إلى باب التفعيل فأصل كبكبوا كببوا فاستثقل اجتماع الباءات فأبدلت الثانية كافاً كما في زحزح فإن أصله زحح من زحه يزحه أي نحاه عن موضعه ثم نقل إلى باب التفعيل فقيل: زححه فأبدلت الحاء الثانية زاياً فقيل: زحزحه أي باعده فمعنى الآية ألقوا في الجحيم مرة بعد أخرى منكوسين على رؤوسهم إلى أن يتسقروا في قعرها. ﴿هم﴾ أي: آلهتهم ﴿والغاوون﴾ الذين كانوا يعبدونهم.

﴿وجنود إبليس﴾ شياطينه، أي ذريته الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون إليهم ويسوّلون لهم ما هم عليه من عبادة الأصنام وسائر فنون الكفر والمعاصي ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه. ﴿أجمعون﴾ تأكيد لضميرهم وما عطف عليه.

﴿قالوا﴾ استئناف بياني أي قال العبدة حين فعل بهم ما فعل معترفين بخطاياهم. ﴿وهم فيها يختصمون﴾ أي: والحال أنهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوداتهم على أن الله تعالى يجعل الأصنام صالحة للاختصام بأن يعطيها القدرة على النطق والفهم.

قال أبو الليث: ومعناه قالوا وهم يختصمون فيها على معنى التقديم.

﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين﴾ إن مخففة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية أي إن الشأن كنا في ضلال واضح لا خفاء فيه.

﴿إذ نسويكم برب العالمين﴾ ظرف لكونهم في ضلال مبين وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية أي تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتها إياكم أيها الأصنام في استحقاق العبادة برب العالمين الذي أنتم أدنى مخلوقاته وأذلهم وأعجزهم.

﴿وما أضلنا﴾ وما دعانا إلى الضلال عن الهدي. ﴿إلا المجرمون﴾ أي الرؤساء والكبراء كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ [الأحزاب: ٦٧]: وبالفارسية: [مكر بدان وبدكاران از مهتران] وأصل الجرم قطع الثمرة عن الشجرة والجرامة رديء التمر وأجرم صار ذا جرم نحو أتمر وألبن واستعبر ذلك لكل اكتساب مكروه ولا يكاد يقال في عامة كلامهم للكسب المحمود.

﴿فما لنا﴾ [پس نيست مارا اكنون] ﴿من شافعين﴾ [هيچ كس از شفاعت كنندكان] كما للمؤمنين من الملائكة والأنبياء عليهم السلام. ﴿ولا صديق حميم﴾ [ونه دوستي مهربان وباشفقت] كما يرى لهم أصدقاء والصديق من صدقك في مودته وحميم قريب خاص وحامة الرجل خاصته كما في «فتح الرحمن».

قال الراغب هو القريب المشفق فكأنه الذي يحتد حماية لذويه وقيل: لخاصة الرجل: حامته قيل الحامة العامة وذلك لما قلنا واحتم فلان لفلان أي احتد وذلك أبلغ من اهتم لما فيه من معنى الاهتمام.

وقال الكاشفي: [در قوت القلوب آورده كه حميم دراصل هميم بوده كه هارا بحا بدل كرده اند جهت قرب مخرج وهميم مأخوذاست از اهتمام لما فيه من معنى الاهتمام اهتمام كند درمهم كافران وشرط دوستي بجاي آرد] وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة ألا ترى أن السلطان إذا غضب على أحد ربما شفع فيه جماعة كما أن أفراد الصديق لقلته ولو قيل بعدمه لم يبعد قال الصائب:

دريـن قـحـط هـو إداري عـجـب دارم كـه خـاكـسـتـر

كـه در هـنـكـام مـردن چـشـم مـي پـوشـانـد آتـش را

روي في بعض الأخبار أنه يجيء يوم القيامة عبد يحاسب فتستوي حسناته وسيئاته ويحتاج إلى حسنة واحدة ترضي عنه خصومه فيقول الله: عبدي بقيت لك حسنة إن كانت أدخلتك الجنة انظر واطلب من الناس لعل واحداً يهب منك حسنة واحدة فيأتي ويدخل في الصفين ويطلب من أبيه وأمه ثم من أصحابه فيقول لكل واحد في باب فلا يجيبه أحد وكل يقول: أنا اليوم فقير إلى حسنة من حسناته فيقول الله: عبدي ألم يكن لك صديق وفيّ فيذكر العبد صديقاً له فيأتيه ويسأله فيعطيه ويجيء إلى موضعه ويخبر بذلك ربه فيقول الله: قد قبلتها منه ولم أنقص من حقه شيئاً فقد غفرت لك وله. ففي هذا المعنى إشارة إلى أن للصداقة في الله اعتباراً عظيماً وفوائد كثيرة وفي الحديث: «أن الرجل ليقول في الجنة ما فعل بصديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله: أخرجوا له صديقه إلى الجنة» يعني: وهبته له.

قال الحسن: استكثروا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة يوم القيامة.

وقال الحسن: ما اجتمع ملأ على ذكر الله فيهم عبد من أهل الجنة إلا شفعه فيهم وإن أهل الإيمان شفعاء بعضهم لبعض وهم عند الله شافعون مشفعون وفي الحديث: «إن الناس يمرون يوم القيامة على الصراط والصراط وخص مزلة يتكفأ بأهله والنار تأخذ منهم وإن جهنم لتنطف عليهم» أي تمطر عليهم مثل الثلج إذا وقع لها زفير وشهيق «فبينا هم كذلك إذ جاءهم نداء من الرحمن: عبادي من كنتم تعبدون؟ فيقولون: ربنا أنت تعلم أنا إياك كنا نعبد فيجيبهم بصوت لم يسمع الخلائق مثله قط: عبادي حق علي أن لا أكلكم اليوم إلى أحد غيري فقد غفرت لكم ورضيت عنكم فيقوم الملائكة عند ذلك بالشفاعة فينجون من ذلك المكان فيقول الذين تحتهم في النار: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم».

﴿فلو أن لنا كرة﴾ لو للتمني وأقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيها في معنى التقدير أي تقدير المعدوم وفرضه كأنه قيل: فليت لنا كرة أي رجعة إلى الدنيا ﴿فنكون من المؤمنين﴾ بالنصب جواب التمني وهذا كلام التأسف والتحسر ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فإن من يضلل الله فما له من هاد ولو رجع إلى الدنيا مراراً ألا ترى إلى الأمم في الدنيا فإن الله تعالى أخذهم بالبأساء والضراء كراراً ثم كشفه عنهم فلم يزيدوا إلا إصراراً جعلنا الله وإياكم من المستمعين المعتبرين لا من المعرضين الغافلين.

﴿إن في ذلك﴾ أي فيما ذكر من قصة إبراهيم مع قومه. ﴿لآية﴾ لعبرة لمن يعبد غير الله تعالى ليعلم أنه يتبرأ منه في الآخرة ولا ينفعه أحد ولا سيما لأهل مكة الذين يدعون أنهم على ملة إبراهيم. ﴿وما كان أكثرهم﴾ أكثر قوم إبراهيم ﴿مؤمنين﴾ كحال أكثر قريش. وقد روي أنه ما آمن لإبراهيم من أهل بابل إلا لوط وابنه نمرود. ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ [أوست غلبه كننده برمشركان كه سطوت أو مردود نكردد]. ﴿الرحيم﴾ [وبخشاينده كه توبهء بند كان ردنكند وبي احتجاج بديشان عذاب نفرستد] ويمهل كما أمهل قريشاً بحكم رحمة الواسعة لكل يؤمنوا هم أو واحد من ذريتهم ولكنه لا يهمل فإنه لا بد لكل عامل من المكافأة على عمله إن خيراً فيخير وإن شراً فشر هذا وقد جوز أن يعود ضمير أكثرهم إلى قوم نبينا عليه السلام فإنهم الذين تتلى

عليهم الآية ليعتبروا ويؤمنوا وقد بين في المجلس السابق فارجع.

وفي «البحر»: النفس جبلت على الأمارية بالسوء وهو الكفر ولئن آمنت وصارت مأمورة فهو خرق عادتها يدل على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٥٣] يعني برحمة الحق تعالى تصير مأمورة مؤمنة على خلاف طبعها ولهذا قال: ﴿**وما كان أكثرهم مؤمنين**﴾ يعني أصحاب النفوس.

﴿**وإن ربك لهو العزيز**﴾ ما هدى أكثر الخلق إلى الإيمان فضلاً عن الحضرة ﴿**الرحيم**﴾ فلرحمته هدى الذين جاهدوا فيه إلى سبيل الرشاد بل هدى الطالبين الصادقين إلى حضرة جلاله انتهى. فالهداية وإن كانت من العناية لكن لا بد من التمسك بالأسباب إلى أن تفتح الأبواب وملامة النفس عند مخالفتها الأوامر والآداب مما ينفع في هذا اليوم دون يوم القيامة ألا ترى أن الكفار لاموا أنفسهم على ترك الإيمان وتمنوا أن لو كان لهم رجوع إلى الدنيا لقبلوا الإيمان والتكليف فما نفعهم ذلك.

امروز قدر پند عزيزان شناختيم ... يا رب روان ناصح ما ازتوشاد باد

عصمنا الله وإياكم من سطوته وغشينا برحمته وجعلنا من أهل القبور في الدنيا والآخرة إنه الموفق لخير الأمور الباطنة والظاهرة.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾

﴿**كذبت**﴾ تكذيباً مستمراً من حين الدعوة إلى انتهائها. ﴿**قوم نوح**﴾ القوم الجماعة من الرجال والنساء معاً أو الرجال خاصة وتدخل النساء على التبعية ويؤنث بدليل مجيء تصغيره على قويمة. ﴿**المرسلين**﴾ أي: نوحاً وحده والجمع باعتبار أن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب الجميع لاجتماع الكل على التوحيد وأصول الشرائع أو لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل.

﴿**إذ قال لهم**﴾ ظرف للتكذيب على أنه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين إلى تمام الأمر. ﴿**أخوهم**﴾ في النسب لئلا يجهل أمره في الصدق والديانة ولتعرف لغته فيؤدي ذلك إلى القبول. ﴿**نوح**﴾ عطف بيان لأخوهم. ﴿**ألا تتقون**﴾ الله حيث تعبدون غيره. وبالفارسية [أيا نمي ترسيد از خداي تعالى كه ترك عبادت أو ميكنيد].

﴿**إني لكم رسول**﴾ من جهته تعالى. ﴿**أمين**﴾ مشهور بالأمانة فيما بينكم ومن كان أميناً على أمور الدنيا كان أميناً على الوحي والرسالة.

﴿**فاتقوا الله**﴾ خافوا الله ﴿**وأطيعون**﴾ فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله فإني لا أخونكم ولا أريدكم بسوء والفاء لترتيب ما بعدها على الأمانة.

﴿**وما أسألكم عليه**﴾ على أداء الرسالة ﴿**من أجر**﴾ جعل أصلاً وذلك لأن الرسل إذا لم يسألوا أجراً كان أقرب إلى التصديق وأبعد عن التهمة. ﴿**إن أجري**﴾ ما ثوابي فيما أتولاه. ﴿**إلا على رب العالمين**﴾ لأن من عمل لله فلا يطلب الأجر من غير الله وبه يشير إلى أن العلماء الذين هم ورثة الأنبياء يتأدبون بآداب أنبيائهم فلا يطلبون من الناس شيئاً في بث علومهم ولا

يرتفقون منهم بتعليمهم ولا بالتذكير لهم فإن من ارتفق من المسلمين المستمعين في بث ما يذكره من الدين ويعظ به لهم فلا يبارك الله للناس فيما يسمعون ولا للعلماء أيضاً بركة فيما يأخذون منهم يبيعون دينهم بعرض يسير ثم لا بركة لهم فيه:

زيان ميكنند مرد تفسير دان كه علم وأدب ميفروشد بنان

﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على تنزهه عن الطمع والتكرير للتأكيد والتنبيه على أن كلاً من الأمانة وقطع الطمع مستقل في إيجاب التقوى والطاعة فكيف إذا اجتمعا.

﴿۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾.

﴿قالوا﴾ أي: قوم نوح ﴿أنؤمن لك﴾ الاستفهام للإنكار، أي لا نؤمن لك. ﴿واتبعك الأرذلون﴾ أي والحال قد أتبعك الأقلون جاهاً ومالاً أي وهذه حالك كما تقول لا نصحبك وصحبك السفلة. والأرذلون جمع الأرذل والرذالة الخسة والدناءة والرذال المرغوب عنه لرداءته يعنون أن لا عبرة لاتباعهم لك إذ ليس لهم رزانة عقل وإصابة رأي قد كان ذلك منهم في بادىء الرأي وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم أنظارهم على الدنيا وكون الأشرف عندهم من هو أكثر منها حظاً والأرذل من حرمها وجهلهم أنها لا تزن عند الله جناح بعوضة، وأن النعيم هو نعيم الآخرة والأشرف من فاز به والأرذل من حرمه وهكذا كانت قريش تقول في أصحاب رسول الله، وما زالت الأتباع الأنبياء ضعفاء الناس وقس أتباع الأولياء على أتباعهم من حيث وراثتهم لدعوتهم وعلومهم وأذواقهم ومحنهم وابتلائهم وذلك لأن الحقيقة من أرباب الجاه والثروة لم تأت إلا نادراً:

دران سرست بزركي كه نيست فكربزركي

﴿قال﴾ نوح جواباً عما يشير إليه من قولهم أنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة. ﴿وما علمي بما كانوا يعملون﴾ إنهم علموه إخلاصاً أو نفاقاً وما وظيفتي إلا اعتبار الظواهر وبناء الأحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم، والظاهر أن ما فيه استفهامية بمعنى أي شيء في محل الرفع على الابتداء وعلمي خبرها ويجوز أن تكون نافية والباء متعلقة بعلمي على التقدير الأول وعلى الثاني لا بد من إضمار الخبر ليتم الكلام، كما قال الكاشفي: [ونيست دانش من رسنده بآنچه هستندكه ميكنند].

﴿إن حسابهم﴾ ما محاسبتهم على بواطنهم ﴿إلا على ربي﴾ فإنه المطلع على الضمائر.

وفي الخبر المعروف: «فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله». قال سفيان الثوري رحمه الله: لا نحاسب الأحياء ولا نحكم عى الأموات ﴿لو تشعرون﴾ لو كنتم من أهل الشعور والإدراك لعملتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون وهو من الباب الأول وأما الشعر بمعنى النظم فمن الخامس.

﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ الطرد الإزعاج والإبعاد على سبيل الاستخلاف. والمعنى

بالفارسية: [ونيستم من رانندهٔ مؤمنان] وهو جواب عما أوهمه كلامهم أنؤمن لك من استدعاء طردهم وتعليق إيمانهم بذلك حيث جعلوا أتباعهم مانعاً عنه.

قال ابن عطاء رحمه الله: وما أنا بمعرض عمن أقبل على ربه.

﴿إن أنا إلا نذير مبين﴾ أي ما أنا إلا رسول مبعوث لإنذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواء كانوا من الأعزاء أو الأذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء.

﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح﴾ عما تقول يعني عن الدعوة والإنذار. والانتهاء [بازاستيدن]. ﴿لتكونن من المرجومين﴾.

قال الراغب في «المفردات»: الرجام الحجارة والرجم الرمي بالرجام يقال: رجم فهو مرجوم قال تعالى: ﴿لتكونن من المرجومين﴾ أي: المقتولين أقبح قتلة انتهى قالوه قاتلهم الله في أواخر الأمر.

﴿قال رب إن قومي كذبون﴾ أصروا على التكذيب بعدما دعوتهم هذه الأزمنة المتطاولة ولم يزدهم دعائي إلا فراراً.

﴿فافتح بيني وبينهم فتحاً﴾ أي: احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا.

قال في «التأويلات»: افتح باباً من أبواب فضلك على مستحقيه وباباً من أبواب عدلك على مستحقيه انتهى من الفتاحة وهي الحكومة والفتاح الحاكم سمي لفتح المغلق من الأمر كما سمي فيصلاً لفصله بين الخصومات.

قال ابن الشيخ أراد به الحكم بإنزال العقوبة عليهم لقوله عقبه: ﴿ونجني﴾ خلصني ﴿ومن معي من المؤمنين﴾ أي: من العذاب ومن أذى الكفار.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿فأنجيناه ومن معه﴾ حسب دعائه ﴿في الفلك المشحون﴾ أي المملوء بهم وبكل صنف من الحيوان وبما لا بد لهم منه من الأمتعة والمأكولات ومنه الشحناء وهي عداوة امتلأت منها النفوس.

﴿ثم أغرقنا بعد﴾ أي: بعد إنجائهم ﴿الباقين﴾ من قومه ممن لم يركب السفينة.

وفيه تنبيه على أن نوحاً كان مبعوثاً إلى من على وجه الأرض ولذا قال في قصته الباقين وفي قصة موسى ثم أغرقنا الآخرين.

﴿إن في ذلك﴾ الذي فعل بقوم نوح لاستكبارهم عن قبول الحق واستخفافهم بفقراء المسلمين. ﴿لآية﴾ لعبرة لمن بعدهم. ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ أي: أكثر قوم نوح فلم يؤمن من قومه إلا ثمانون من الرجال والنساء.

وقال الكاشفي: [هفتادونه تن] وأكثر قومك يا محمد وهم قريش فاصبر على أذاهم كما صبر نوح على أذى قومه تظفر كما ظفر.

كارتو از صبر نكوتر شود هركه شكيباست مظفر شود

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ الغالب على ما أراد من عقوبة الكفار ﴿الرحيم﴾ لمن تاب أو بتأخير العذاب.

وفي «التأويلات النجمية»: كرر في كل قصة قوله: ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ دلالة على أن عز الله وعظمته اقتضت أن يكون أكرم الخلق مؤمناً به مقبولاً له كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ولا ريب أن أكثر الخلق لئام وكرام قليلون كما قال الشاعر:

تعيرنا أنا قليل عدادنا فقلت لها إن الكرام قليل

ولذلك ذكر في عقبه. ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ أي: لا يهتدي إليه الأذلاء من أرباب النفوس لخستهم ولعزته. ﴿الرحيم﴾ أي: يجتبي إليه برحمته من يشاء من أعزة أرباب القلوب لعلو مهمته وفرط رحمته.

آفرين برجان درويشي كه صاحب همت است

والإشارة بنوح إلى نوح القلب وبقومه إلى النفس وصفاتها وبالمؤمنين إلى الجسد وأعضائه فإنهما آمنا بالعمل بالأركان على وفق الشرع وإلى بعض صفات النفس وذلك بتبدلها. وبالفلك إلى فلك الشريعة المملوء بالأوامر والنواهي والحكم والمواعظ والأسرار والحقائق والمعاني فمن ركب هذه السفينة نجا ومن لم يركب غرق بطوفان استيلاء الأخلاق الذميمة وابتلاء آفات الدنيا الدنيئة من المال والجاه والزينة والشهوات ولا بد للسفينة من الملاح وهومعلم الخير فإنه بصحبته تحصل النجاة كما قال الحافظ:

يا رمردان خدا باش كه دركشتي نوح هست خاكي كه بآبي نخرد طوفا نرا

يشير إلى أن الأمر سهل بإشارة المرشد وأن العسير عند الغافل يسير عند الواصل.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾﴾.

﴿كذبت عاد المرسلين﴾ أنث عاد باعتبار القبيلة وهو اسم أبيهم الأقصى [مقاتل: كفت عاد وثمود ابن عم يكديكر بودند عاد قوم هود بودند وثمود قوم صالح وميان مهلك عاد ومهلك ثمود پانصد سال بود قومي كفتند از أهل تاريخ كه عاد وثمود دو برادر بودند از فرزندان أرم بن سام بن نوح وسام بن نوح را پنج پسر بود ارم وارفحشه وعالم واليفر والأسود وارم مهينهٔ فرزندان بود واورا هفت پسر بود عاد وثمود وصحار وطنم وجديس وجاسم ووبار مسكن عاد وفرزندان وي يمن بود ومسكن ثمود وفرزندان وي ميان حجاز وشام بود ومسكن طنم عمان وبحران ومسكن جديس زمين تهامه ومسكن صحار ما بين الطائف إلى جبال طي ومسكن جاسم ما بين الحرم إلى سفوان ومسكن بار زميني است كه آنرا وبار كويند بنام وي باز خوانند اينان همه زبان ولغت عربي داشتند] وقد انقرضوا عن آخرهم فلم يبق لهم نسل.

﴿إذ قال لهم أخوهم﴾ في النسب ظرف للتكذيب. ﴿هود﴾ بن شالخ بن أرفحشد بن سام بن نوح.

قال بعضهم: كان اسم هود عابراً وسمي هوداً لوقاره وسكونه عاش مائة وخمسين سنة أرسل إلى أولاد عاد حين بلغ الأربعين ﴿ألا تتقون﴾ الله تعالى فتفعلون ما تفعلون: وبالفارسية [آيا پرهيز نميكنيد از شرك واز عقاب إلهي خائف نمي شويد].

﴿إني لكم رسول﴾ من جهته تعالى ﴿أمين﴾ مشهور بالأمانة فيما بينكم.

﴿فاتقوا الله﴾ خافوا من عقابه ﴿وأطيعون﴾ فيما آمركم به من الحق.

﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾﴾

﴿وما أسألكم عليه﴾ أي: على أداء الرسالة ﴿من أجر﴾ كما يسأل بعض نقلة القصص ﴿إن أجري إلا على رب العالمين﴾ لأنه هو الذي أرسلني فكان أجري عليه وهو بيان لتنزهه عن المطامع الدنية والأعراض الدنيوية. قال الحافظ:

تو بنكدي چوكد إيان بشرط مزد مكن كه دوست خودروش بنده پروري دانند

﴿أتبنون﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري. والمعنى بالفارسية [آيا بنا ميكنيد]. ﴿بكل ريع﴾ [بهر موضعي بكند] والريع بكسر الراء وفتحها جمع ريعة وهو المكان المرتفع ومنه استعير ريع الأرض للزيادة والارتفاع الحاصل منها. ﴿آية﴾ بناء عالياً متميزاً عن سائر الأبنية حال كونكم ﴿تعبثون﴾ ببنائه فإن بناء ما لا ضرورة فيه وما كان فوق الحاجة عبث. روي: أن رسول الله ﷺ خرج فرأى قبة مشرفة فقال: «ما هذه»؟ قال له أصحابه: هذه لرجل من الأنصار فمكث وحملها في نفسه حتى إذا جاء صاحبها رسول الله فسلم في الناس أعرض عنه وصنع به ذلك مراراً حتى عرف الرجل الغضب فيه والإعراض عنه فشكا ذلك إلى أصحابه فقال: والله إني لأنكر نظر رسول الله ما أدري ما حدث فيّ وما صنعت قالوا: خرج رسول الله فرأى قبتك فقال لمن هذه فأخبرناه فرجع إلى قبته فسواها بالأرض فخرج النبي عليه السلام ذات يوم فلم ير القبة فقال: «ما فعلت القبة التي كانت ههنا؟» قالوا: شكا إلينا صاحبها إعراضك عنه فأخبرناه فهدمها فقال: «إن كل بناء يبنى وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما لا بد منه» هذا ما عليه الإمام الراغب وصاحب «كشف الأسرار» وغيرهما.

وقال في «الجلالين» ونحوه ﴿آية﴾ يعني أبنية الحمام وبروجها. وبالفارسية [كبوتر خانها] أنكر هود عليهم اتخاذهم بروج الحمام عبثاً ولعبهم بها كالصبيان.

قال في «نصاب الاحتساب»: من اللعب الذي يحتسب بسببه اللعب بالحمام.

قال محمد: السفلة من يلعب بالحمام ويقامر.

وفي «شرح القهستاني»: ولا بأس بحبس الطيور والدجاج في بيته ولكن يعلفها وهو خير من إرسالها في السكك. وأما إمساك الحمامات في برجها فمكروه إذا أضر بالناس.

وقال ابن مقاتل يجب على صاحبها أن يحفظها ويعلفها انتهى.

وفي «التتارخانية»: ولا يجوز حبس البلبل والطوطي والقمري ونحوها في القفص أي إذا كان الحبس لأجل اللهو واللعب. وأما إذا كان لأجل الانتفاع كحبس الدجاج والبط والأوز ونحوها لتسمن أو لئلا تضر بالجيران فهو جائز وكذا حبس سباع الطيور لأجل الاصطياد.

وفي فتاوى قارىء «الهداية»: هل يجوز حبس الطيور المغردة وهل يجوز إعتقاها وهل في ذلك ثواب وهل يجوز قتل الوطاويط لتلويثها حصير المسجد بخرئها الفاحش؟ أجاب يجوز حبسها للاستئناس بها. وأما إعتقها فليس فيه ثواب وقتل المؤذي من الدواب يجوز انتهى وفي الحديث: «لا تحضر الملائكة شيئاً من الملاهي سوى النضال والرهان» أي: المسابقة بالرمي والفرس والإبل والأرجل.

وقال بعضهم: في الآية تعبثون بمن مرّ بكم لأنهم كانوا يبنون الغرف في الأماكن العالية ليشرفوا على المارة فيسخرون منهم ويعبثون بهم. وذهب بعض من عدّ من أجلاء المفسرين إلى أن المعنى (آية) أي علامة للمارة تعبثون ببنائها فإنهم كانوا يبنون أعلاماً طوالاً لاهتداء المارة فعد ذلك عبثاً لاستغنائهم عنها بالنجوم.

قال سعدي المفتي: فيه بحث إذ لا نجوم بالنهار وقد يحدث في الليل ما يستر النجوم من الغيوم انتهى.

يقول الفقير: وأيضاً إن تلك الأعلام إذا كانت لزيادة الانتفاع بها كالأميال بين بغداد ومكة مثلاً كيف تكون عبثاً فالاهتداء بالنهار إما بالأعلام وإما بشم التراب كما سبق في الجلد الأول. ﴿وتتخذون مصانع﴾ أمكنة شريفة كما في «المفردات» أو مآخذ الماء تحت الأرض كما في «الصحاح» و«القاموس». المصنعة بفتح الميم وضم النون وفتحها كالحوض يجمع فيها ماء المطر وجمعها المصانع أي: الحياض العظيمة. ﴿لعلكم تخلدون﴾ راجين أن تخلدوا في الدنيا أي عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون بناءها فلعل للتشبيه أي كأنكم تخلدون. وبالفارسية [كوييا جاويد خواهد بود دران] ذمهم أولاً بإضاعتهم المال عبثاً بلا فائدة. وثانياً بإحكامهم البناء على وجه يدل على طول الأمل والغفلة. قال الصائب:

در سراين غافلان طول أمل داني كه چيست آشيان كردست ماري در كبوتر خانهٔ

﴿وإذا بطشتم﴾ بسوط أو سيف والبطش تناول الشيء بصولة أو قهر وغلبة. ﴿بطشتم﴾ حال كونكم ﴿جبارين﴾ متسلطين ظالمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ولا نظر في العاقبة فأما بالحق والعدل فالبطش جائز والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب.

﴿فاتقوا الله﴾ واتركوا هذه الأفعال من بناء الأبنية العالية واتخاذ الأمكنة الشريفة وإسراف المال في الحياض والرياض والبطش بغير حق. ﴿وأطيعون﴾ فيما أدعوكم إليه من التوحيد والعدل والإنصاف وترك الأمل ونحوها فإنه أنفع لكم.

﴿وَاتَّقُوا۟ الَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَـٰهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾.

﴿واتقوا الذي أمدكم﴾ [مدد كاري كرد شمارا] والإمداد إتباع الثاني بما قبله شيئاً بعد شيء على انتظام وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب والمد في المكروه. وأما قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٢٧] فهو من مددت الدواة أمدها لا من القبيل المذكور. ﴿بما تعلمون﴾ به من أنواع النعماء وأصناف الآلاء وأجملها أولاً ثم فصلها بقوله:

﴿أمدكم بأنعام﴾ [مدد كرد شمارا بچهار پايان چون شتر وكاو وكوسفندان تا ازايشان أخذ فوائد ميكنيد] ﴿وبنين﴾ [پسران درهمه حال يار ومدد كار شماانذ]. ﴿وجنات﴾ [وبستانها كه ازميوهٔ آن منتفع ميشويد] ﴿وعيون﴾ [وبچشمهاي روان كه مهم سقيا ونشو ونماي زرع بدان باتمام رسد].

﴿إني أخاف عليكم﴾ إن لم تقوموا بشكر هذه النعم. ﴿عذاب يوم عظيم﴾ في الدنيا

والآخرة فإن كفران النعمة مستتبع للعذاب كما أن شكرها مستلزم لزيادتها وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو هبوب الريح الصرصر ههنا.

﴿قالوا﴾ [كفتند عاديان در جواب هود]. ﴿سواء علينا﴾ [يكسانست برما] ﴿أوعظت﴾ [يا پندد هي مارا]. ﴿أم لم تكن من الواعظين﴾ فإنا لن نرجع عما نحن عليه. والوعظ زجر يقترن بتخويف وكلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد.

وقال الخليل: هو التذكير بالخبر فيما يرق له القلب والعظة والموعظة الاسم.

﴿إن هذا﴾ أي ما هذا الذي جئتنا به وبالفارسية: [نيست اين كه تو آوردي]. ﴿إلا خلق الأولين﴾ [مكرخوي وعادت أولين كه ميكفتند كه ما پيغمبر انيم ودروغ ميكفتند] كانوا يلفقون مثل هذا الكذب ويسطرونه والتلفيق [واهم آوردن] أو ما هذا الذي نحن فيه إلا عادة الأولين من قبلنا من تشييد البناء والبطش على وجه التكبر فلا نترك هذه العادة بقولك أو عادتهم وأمرهم أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب.

﴿وما نحن بمعذبين﴾ على ما نحن عليه من الأعمال والعادات.

﴿فكذبوه﴾ أي هوداً وأصروا على ذلك ﴿فأهلكناهم﴾ أي: عاداً بسبب التكذيب بريح صرصر. تلخيصه أن هوداً أنذر قومه ووعظهم فلم يتعظوا فأهلكوا. ﴿إن في ذلك﴾ [بدرستي كه در هلاك قوم عاد]. ﴿لآية﴾ [نشانه ايست دلالت كند بر آنكه عاقبت أهل تكذيب بعقوبت كشد] ﴿وما كان أكثرهم﴾ أي: أكثر قوم عاد. ﴿مؤمنين﴾ [چه اندك ازان قبيله باهود بودند].

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ الغالب المنتقم ممن يعمل عمل الجبارين ولا يقبل الموعظة. ﴿الرحيم﴾ [مهربانست كه مؤمناً نرا ازان مهلكهٔ عقوبت بيرون آرد ونجات دهد] وهو تخويف لهذه الأمة كيلا يسلكوا مسالكهم.

قيل: خير ما أعطي الإنسان عقل يردعه فإن لم يكن فحياء يمنعه فإن لم يكن فخوف يقمعه فإن لم يكن فمال يستره فإن لم يكن فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد كالأرض إذا استولى عليها الشوك فلا بد من نسفها وإحراقها بتسليط النار عليها حتى تعود بيضاء. فعلى العاقل أن يعتبر ويخاف من عقوبة الله تعالى ويترك العادات والشهوات ولا يصر على المخالفات والمنهيات.

مكر كه عادت شوم از جنود إبليس است   كه سد راه عبادت شده است عادت ما

وكل ما وقع في العالم من آثار اللطف والقهر فهو علة لأولي الألباب مدة الدهر.

عاقلا نراكوش بر آواز طبل رحلتست   هرطبيدن قاصدي باشد دل آكاه را

وقد أهلك الله تعالى قوم عاد مع شدة قوتهم وشوكتهم بأضعف الأشياء وهو الريح فإنه إذا أراد يجعل الأضعف أقوى كالبعوضة ففي الريح ضعف للأولياء وقوة على الأعداء ولأن للكمل معرفة تامة بشؤون الله تعالى لم يزالوا مراقبين خائفين كما أن الجهلاء ما زالوا غافلين آمنين ولذا قامت عليهم الطامة في كل زمان قوّانا الله وإياكم بحقائق اليقين وجعلنا من أهل المراقبة في كل حين.

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ

ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾﴾

﴿كذبت ثمود﴾ أنث باعتبار القبيلة وهو اسم جدهم الأعلى وهو ثمود بن عبيد بن عوص بن عاد بن أرم بن سام بن نوح وقد ذكر غير هذا في أول المجلس السابق فارجع. ﴿المرسلين﴾ يعني: صالحاً ومن قبله من المرسلين أو إياه وحده والجمع باعتبار أن تكذيب واحد من الرسل في حكم تكذيب الجميع لاتفاقهم على التوحيد وأصول الشرائع ثم بين الوقت الممتد للتكذيب المستمر فقال:

﴿إذ قال لهم أخوهم﴾ النسبي لا الديني فإن الأنبياء محفوظون قبل النبوة معصومون بعدها وفائدة كونه منهم أن تعرف أمانته ولغته فيؤدي ذلك إلى فهم ما جاء به وتصديقه. ﴿صالح﴾ ابن عبيد بن آسف بن كاشح بن حاذر بن ثمود. ﴿ألا تتقون﴾ [أيا نمي ترسيد از عذاب خداي كه بدو شرك مي آريد].

﴿إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون﴾ فإن شهرتي فيما بينكم بالأمانة موجبة لتقوى الله وإطاعتي فيما أدعوكم إليه.

﴿وما أسألكم عليه﴾ أي: على النصح والدعاء. ﴿من أجر﴾ فإن ذلك تهمة لأهل العفة. ﴿إن أجري﴾ [نيست مكافات من]. ﴿إلا على رب العالمين﴾ فإنه الذي أرسلني فالأجر عليه بل هو الآجر لعباده الخلص لقوله في الحديث القدسي: «من قتله فأنا ديته»: وفي «المثنوي»:

عاشقانرا شادماني وغم أوست دست مزد وأجرت خدمت هم أوست

﴿أتتركون﴾ الاستفهام للإنكار والتوبيخ أي أتظنون أنكم تتركون. ﴿فيما ههنا﴾ أي: في النعيم الذي هو ثابت في هذا المكان أي الدنيا وأن لا دار للمجازاة. ﴿آمنين﴾ حال من فاعل تتركون: يعني [در حالتي كه أيمن زآفات وسالم ازفوات] وفسر النعيم بقوله:

﴿في جنات﴾ بساتين ﴿وعيون﴾ أنهار.

وقال بعضهم: لم يكن لقوم صالح أنهار جارية فالمراد بالعيون الآبار ويقال: كانت لهم في الشتاء آبار وفي الصيف أنهار لأنهم كانوا يخرجون في الصيف إلى القصور والكروم والأنهار ﴿وزروع﴾ [كشتزارها] ﴿ونخل﴾ [خرمابنان] وأفرد النخل مع دخولها في أشجار الجنات لفضلها على سائر الأشجار وقد خلقت من فضلة طينة آدم عليه السلام. ﴿طلعها﴾ طلع النخل ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو تشبيهاً بالطلوع قبل طلع النخل كما في «المفردات». والشماريخ جمع شمراخ بالكسر وهو العثكال أي العذق وكل غصن من أغصانه شمراخ وهو الذي عليه البسر والقنو والعذق والكباسة بالكسر في الكل من التمر بمنزلة العنقود من الكرم ﴿هضيم﴾ لطيف لين في جسمه. وبالفارسية [خوشهء آن خرما بنان وشكوفهء أو نازل ونرم آي] للطف الثمر فيكون الطلع مجازاً عن الثمر. والهضم بفتحتين الرقة والهزال ومنه هضيم الكشح والحشى أي ضامر لطيف ومنه هضم الطعام إذا لطف واستحال إلى مشاكلة البدن كما في «كشف الأسرار» أو لطيف لأن النخل أنثى ويؤيده تأنيث الضمير وطلع إناث النخل لطيف وذكوره غليظ صلب.

قال ابن الشيخ: طلع البرني ألطف من طلع اللون والبرني أجود التمر وهو معرف أصله

برنيك أي الحمل الجيد واللون الدقل وهو أردىء التمر وأهل المدينة يسمون ما عدا البرني والعجوة ألواناً ويوصف بهضيم ما دام في كفراه لدخول بعضه في بعض ولصوقه فإذا خرج منها فليس بهضيم والكفري بضم الكاف والفاء وتشديد الراء كم النخل لأنه يستر في جوفه.

وقال الإمام الراغب: الهضم شدخ ما فيه رخاوة ونخل طلعها هضيم أي داخل بعضه في بعض كأنما شدخ انتهى أو هضيم متدل متكسر من كثرة الحمل فالهضم بمعنى الكسر والتدلي التسفل والنزول من موضعه.

قال في «المختار»: الهاضوم الذي يقال له: الجوارش لأنه يهضم الطعام أي يكسره وطعام سريع الانهضام وبطيء الانهضام.

﴿وتنحتون﴾ [ومي تراشيد براي مساكن خود] ﴿من الجبال بيوتاً﴾ [كفته اندكه دروادي حجر دوهزار بارهزار وهفصد سراي تراشيدند از سنك سخت درميان كوهها رب العالمين إيشانرا دران كارباستادي وتيزكاري وصف كرد وكفت] ﴿فارهين﴾ [در حالتي كه ما هريد در تراشيدن سنسكها] كما قال الراغب: أي حاذقين من الفراهة وهي النشاط فإن الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب ومن قرأ فرهين جعله بمعنى مرحين أشرين بطرين فهو على الأول من فره بالضم وعلى الثاني من فره بالكسر.

واعلم أن ظاهر هذه الآيات يدل على أن الغالب على قوم هود هو اللذات الخيالية وهو طلب الاستعلاء والبقاء والتفرد والتجبر. والغالب على قوم صالح هو اللذات الحسية وهي طلب المأكول والمشروب والمساكن الطيبة وكل هذه اللذات من لذات أهل الدنيا الغافلين وفوقها لذات أهل العقبى المتيقظين وهي اللذات القلبية من المعارف والعلوم وما يوصل إليها من التواضع والوقار والتجرد والاصطبار.

﴿فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ كان مقتضى الظاهر ولا تطيعوا المسرفين بلا إقحام أمر فإن الطاعة إنما تكون للأمر على صيغة الفاعل كما أن الامتثال إنما يكون للأمر على صيغة المصدر فشبه الامتثال بالطاعة من حيث أن كل واحد منهما يفضي إلى الوجود والمأمور به فأطلق اسم المشبه به وهو الطاعة وأريد الامتثال أي لا تمتثلوا أمرهم.

﴿ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾﴾.

﴿الذين يفسدون في الأرض﴾ أي: في أرض الحجر بالكفر والظلم وهو وصف موضح لإسرافهم ﴿ولا يصلحون﴾ بالإيمان والعدل عطف على يفسدون لبيان خلو إفسادهم عن مخالطة الإصلاح [مرادتني چندندكه قصد هلاك صالح كردند وقصهٔ إيشان درسورهٔ نمل مذكور خواهد شد].

﴿قالوا﴾ [كفتند ثمود در جواب صالح] ﴿إنما أنت من المسحرين﴾ أي: من المسحورين مرة بعد أخرى حتى اختل عقله واضطرب رأيه فبناء التفعيل لتكثير الفعل.

﴿ما أنت إلا بشر مثلنا﴾ تأكل وتشرب ولست بملك.

قال الكاشفي: [بصورت بشريت صالح عليه السلام از حقيقت حال وي محجوب شديد

وندانستندكه إنسان وراي صورت چيزي ديكرست].

چند صورت بيي أي صورت پرست جان بي معنيست كز صورت ترست

در كذر از صورت ومعنى نكر زانكه مقصود از صدف باشد كهر

[وچون قوم ثمود وابستهٔ صورت بودند وصالح را بصورت خود ديدند بهانه جويان كفتند تومثل ما بشري دعوى رسالت چراميكني وچونكه ترك نميكيري ودرين دعوى مصري] ﴿فائت بآية﴾ [پس بيار نشانهٔ از خوارق عادات]. ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في دعواك [صالح؛ فرمودكه شماچه مي طلبيد يشان اقتراح كردندكه ازين سنك معين ناقهٔ بدين هيأت بيرون آر وچون بدعاي صالح مدعاي إيشان حاصل شد] كما سبق تفصيله في سورة الأعراف وسورة هود.

﴿قال هذه ناقة﴾ [اين ناقه إيست كه شما طلبيد يه]. ﴿لها شرب﴾ أي: نصيب من الماء كالسقي للحظ من السقي ﴿ولكم شرب يوم معلوم﴾. يعني [يكروز رب ازان أوست ودوروز أزان شماست] فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها على شربها.

وفيه دليل على جواز قسمة المنافع بالمهايأة لأن قوله: لها شرب ولكم شرب يوم معلوم من المهايأة وهي لغة مفاعلة من الهيئة وهي الحالة الظاهرة للمتهيىء للشيء. والتهايؤ تفاعل منها وهي أن يتواضعوا على أمر فيتراضوا به وحقيقته أن كلاً منهم رضي بهيئة واحدة واختارها وشرعاً قسمة المنافع على التعاقب والتناوب فلو قسم الشريكان منفعة دار مشتركة ووقعت المواضعة بينهما على أن يسكن أحدهما في بعضها والآخر في بعضها هذا في علوها وهذا في سفلها أو على أن يسكن فيها هذا يوماً أو شهراً ويسكن هذا يوماً أو شهراً وتهايأ توافقا في دارين على أن يسكن هذا في هذه وهذا في هذه أو في خدمة عبد واحد على أن يخدم هذا يوماً ويخدم هذا يوماً أو خدمة عبدين على أن يخدم هذا هذا وهذا هذا صح التهايؤ في الصور المذكورة بالإجماع استحساناً للحاجة إليه إذ يتعذر الاجتماع على الانتفاع فأشبه القسمة والقياس أن لا يصح لأنها مبادلة المنفعة بجنسها ولكن ترك بالكتاب وهو الآية المذكورة والسنة وهو ما روي أنه عليه السلام قسم بغزوة بدر كل بعير بين ثلاثة نفر وكانوا يتناوبون وعلى جوازها إجماع الأمة.

قال في «فتح الرحمن»: واختلفوا في حكم المهايأة فقال أبو حنيفة رحمه الله: يجبر عليها الممتنع إذا لم يكن الطالب متعنتاً وقال الثلاثة هي جائزة بالتراضي ولا إجبار فيها.

﴿ولا تمسوها بسوء﴾ [ومس ميكند ويرا بيدي يعني قصد زدن وكشتن وي ميكنيدكه اكرچنان كنيد] ﴿فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾ عظم اليوم بالنسبة إلى عظم ما حل فيه وهو ههنا صيحة جبريل.

﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿فعقروها﴾ عقرت البعير نحرته وأصل العقر ضرب الساق بالسيف كما في «كشف الأسرار» [پس پي كردند ناقه راوبكشتند] أي يوم الأربعاء فماتت وأسند العقر إلى كلهم لأن عاقرها إنما عقر برضاهم ولذلك أخذوا جميعاً. روي أن مسطعاً ألجأها إلى مضيق في شعب

فرماها بسهم فسقطت ثم ضربها قدار في عرقوبها. وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: رأيت مبركها فإذا هو ستون ذراعاً في ستين ذراعاً فقتلوا مثل هذه الآية العظيمة.

﴿فأصبحوا﴾ صاروا ﴿نادمين﴾ على عقرها خوفاً من حلول العذاب لا توبة أو عند معاينتهم العذاب ولذلك لم ينفعهم الندم وإن كان بطريق التوبة كفرعون حين ألجمه الغرق والندم والندامة التحسر من تغير رأي في أمر فائت.

﴿فأخذهم العذاب﴾ الموعود وهو صيحة جبريل وذلك يوم السبت فهلكوا جميعاً. ﴿إن في ذلك﴾ أي: في العذاب النازل بثمود. ﴿لآية﴾ دالة على أن الكفر بعد ظهور الآيات المفتوحة موجب لنزول العذاب فليعتبر العقلاء لا سيما قريش. ﴿وما كان أكثرهم﴾ أكثر قوم ثمود أو قريش. ﴿مؤمنين﴾ [آورده اندكه از قبائل ثمود چهار هزار كس إيمان آوردند وبس] وكان صالح عليه السلام نزل عليه الوحي بعد بلوغه وأرسل بعد هود بمائة سنة وعاش مائتين وعشرين سنة.

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ الغالب على ما أراد من الانتقام من قوم ثمود بسبب تكذبهم فاستأصلهم فليحذر المخالفون لأمره حتى لا يقعوا فيما وقع فيه الأمم السالفة المكذبة.

﴿الرحيم﴾ [مهربان كه بي استحقاق عذاب نكند] وكانت الناقة علامة لنبوة صالح عليه السلام فلما أهلكوها ولم يعظموها صاروا نادمين حين لم ينفعهم الندم، والقرآن علامة لنبوة نبينا عليه السلام فمن رفضه ولم يعمل بما فيه ولم يعظمه يصير نادماً غداً ويصيبه العذاب ومن جملة ما فيه الأمر بالاعتبار فعليك بالامتثال ما ساعدت العقول والأبصار وإياك ومجرد القال فالفعل شاهد على حقيقة الحال. وفي «المثنوي».

حفظ لفظ اندر كواه قولي است ... حفظ عهد اندر كواه فعلى است
كركواه قول كژ كويد ردست ... وركواه فعل كژ پويد بدست
قول وفعل بي تناقص بايدت ... تا قبول اندر زمان پيش آيدت
چون ترازوي تو كژبود ودغا ... راست چون جويي ترازوي جزا
چونكه پاي چپ بدي درغدر وكاست ... نامه چون آيدترا دردست راست
چون جزا سايه است أي قد توخم ... سايهٔ تو كژفتد درپيش هم
كافرانرا بيم كرد ايزد زنار ... كافران كفتند نار أولى زعار
لا جرم افتند در نار ابد ... الأمان يا رب از كردار بد

فلا تكن من أهل العار حتى لا تكون من أهل النار ومن له آذان سامعة وقلوب واعية يصيخ إلى آيات الله الداعية فيخاف من الله القهار ويصير مراقباً آناء الليل وأطراف النهار ويكثر ذكر الله في السر والجهار. حكي: أن الشبلي قدس سره رأى في سياحته فتى يكثر ذكر الله ويقول: الله فقال الشبلي: لا ينفعك قولك الله بدون العلم لأن اليهود والنصارى معك سواء لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] فقال الفتى: الله عشر مرات حتى خر مغشياً عليه فمات على تلك الحالة فجاء الشبلي فرأى صدره قد انشق فإذا على كبده مكتوب الله فنادى منادٍ وقال: يا شبلي هذا من المحبين وهم قليل والله تعالى خلق قلوب العارفين وزينها بالمعرفة واليقين وأدخلهم من طريق الذكر الحقاني في نعيم روحاني كما أوقع للغافلين من طريق النسيان والإصرار في عذاب روحاني وجسماني فالأول من آثار رحمته

والثاني من علامات عزته فلا يهتدي إليه إلا المستأهلون لقربته ووصلته ولا يتأخر في الطريق إلا المستعدون لقهره ونقمته فنسأله وهو الكريم الرحيم أن يحفظنا من عذاب يوم عظيم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾.

﴿**كذبت قوم لوط**﴾ يعني أهل سدوم وما يتبعها. ﴿**المرسلين**﴾ يعني لوطاً وإبراهيم ومن تقدمهما ﴿**إذ قال لهم أخوهم لوط**﴾. قال الكاشفي: [إينجا مراد أخوت شفقت است] انتهى وذلك لأن لوطاً ليس من نسبهم وكان أجنبياً منهم إذ روي أنه هاجر مع عمه إبراهيم عليهما السلام إلى أرض الشام فأنزله إبراهيم الأردن فأرسله الله إلى أهل سدوم وهو لوط بن هاران وهاران أخو تارخ أبي إبراهيم ﴿**ألا تتقون**﴾ ألا تخافون من عقاب الله تعالى على الشرك والمعاصي.

﴿**إني لكم رسول**﴾ مرسل من جانب الحق ﴿**أمين**﴾ مشهور بالأمانة ثقة عند كل أحد. ﴿**فاتقوا الله وأطيعون**﴾ فإن قول المؤتمن معتمد.

﴿**وما أسألكم عليه**﴾ أي: على التبليغ والتعليم ﴿**من أجر**﴾ جعل ومكافأة دنيوية فإن ذلك تهمة لمن يبلغ عن الله. ﴿**إن أجري**﴾ ما ثوابي ﴿**إلا على رب العالمين**﴾ بل ليس متعلق الطلب إلا إياه تعالى:

خلاف طريقت بود كاوليا تمنا كنند از خدا جز خدا

﴿**أتأتون الذكران من العالمين**﴾ الاستفهام للإنكار وعبر عن الفاحشة بالإتيان كما عبر عن الحلال في قوله: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] والذكران والذكور جمع الذكر ضد الأنثى وجعل الذكر كناية عن العضو المخصوص كما في «المفردات». ومن العالمين حال من فاعل تأتون والمراد به النكاحون من الحيوان فالمعنى أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران وتجامعونهم وتعملون ما لا يشارككم فيه غيركم. وبالفارسية: [آيا مي آييد بمردان] يعني أنه منكر منكم ولا عذر لكم فيه ويجوز أن يكون من العالمين حالاً من الذكران والمراد به الناس. فالمعنى أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرة الإناث فيهم كأنهن قد أعوزنكم أي أفقرنكم وأعدمنكم. روي: أن هذا العمل الخبيث علمهم إياه إبليس.

﴿**وتذرون**﴾ تتركون يقال: فلان يذر الشيء أي يقذفه لقلة إعداده به ولم يستعمل ماضيه. ﴿**ما خلق لكم ربكم**﴾ لأجل استمتاعكم ﴿**من أزواجكم**﴾ [ازرنان شما] ومن لبيان أن ما أريد به جنس الإناث وللتبعيض إن أريد به العضو المباح منهن وهو القبل تعريضاً بأنهم كانوا يفعلون بنسائهم أيضاً فتكون الآية دليلاً على حرمة أدبار الزوجات والمملوكات وفي الحديث: «من أتى امرأة في دبرها فهو بريء مما أنزل على محمد ولا ينظر الله إليه».

وقال بعض الصحابة: قد كفر ﴿**بل أنتم قوم عادون**﴾ متجاوزون الحد في جميع المعاصي وهذا من جملتها.

واختلفوا في اللوطي فقال أبو حنيفة: يعزر ولا حد عليه خلافاً لصاحبيه وقد سبق شرحه

في سورة هود وقال مالك: يجب على الفاعل والمفعول به الرجم أحصنا أو لم يحصنا وعند الشافعي وأحمد حكمه حكم الزنى.

﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾.

﴿قالوا﴾ مهددين ﴿لئن لم تنته يا لوط﴾ أي: عن تقبيح أمرنا وإنكارك علينا ﴿لتكونن من المخرجين﴾ من المعهودين بالنفي والإخراج من القرية على عنف وسوء حال.

﴿قال إني لعملكم﴾ يعني إتيان الرجال. ﴿من القالين﴾ من المبغضين أشد البغض كأنه يقلي الفؤاد والكبد لشدته أي ينضج لا أقف عن الإنكار عليه بالإيعاد وهو اسم فاعل من القلي وهو البغض الشديد متعلق بمحذوف، أي لقال من القالين ومبغض من المبغضين وذلك المحذوف وهو قالٍ خبر إن ومن القالين صفته وقوله لعملكم متعلق بالخبر المحذوف ولو جعل من القالين خبر إن لعمل القالين في لعملكم فيفضي إلى تقديم الصلة على الموصول ولعله عليه السلام أراد إظهارالكراهة في مساكنتهم والرغبة في الخلاص من سوء جوارهم ولذلك أعرض عن محاورتهم وتوجه إلى الله قائلاً.

﴿رب﴾ [أي پرورد كار من] ﴿نجني﴾ خلصني ﴿وأهلي مما يعملون﴾ أي: من شؤم عملهم الخبيث وعذابه.

﴿فنجيناه وأهله أجمعين﴾ أي أهل بيته ومن اتبعهم في الدنيا بإخراجهم من بينهم وقت مشارقة حلول العذاب بهم.

﴿إلا عجوزاً﴾ هي امرأة لوط اسمها والهة استثنيت من أهله فلا يضره كونها كافرة لأن لها شركة في الأهلية بحق الزوج.

قال الراغب: العجوز سميت لعجزها عن كثير من الأمور ﴿في الغابرين﴾ أي: مقدراً كونها من الباقين في العذاب لأنها كانت مائلة إلى القوم راضية بفعلهم وقد أصابها الحجر في الطريق فأهلكها ـ وذكر ـ أن امرأة لوط حين سمعت الرجفة التفتت وحدها فمسخت حجراً وذلك الحجر في رأس كل شهر يحيض كذا في كتاب «التعريف» للإمام السهيلي.

قال في «المفردات»: الغابر الماكث بعد مضي من معه قال تعالى: ﴿إلا عجوزاً في لغابرين﴾ يعني: فيمن طال أعمارهم وقيل فيمن بقي ولم يسر مع لوط وقيل فيمن بقي في العذاب. ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ أهلكناهم أشد الإهلاك وأفظعه بقلب بلدتهم والتدمير إدخال الهلاك على الشيء والدمار الهلاك على وجه عجيب هائل.

﴿وأمطرنا عليهم﴾ أي على الخارجين من بلادهم والكائنين مسافرين وقت الاتفاك والقلب. ﴿مطراً﴾ أي: مطراً غير معهود وهو الحجارة. ﴿فساء مطر المنذرين﴾ بئس مطر من أنذر فلم يؤمن لم يرد بالمنذرين قوماً بأعيانهم فإن شرط أفعال المدح والذم أن يكون فاعلهما معرفاً بلام الجنس أو يكون مضافاً إلى المعرف به أو مضمراً مميزاً بنكرة والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم.

﴿إن في ذلك﴾ الذي فعل بقوم لوط. ﴿لآية﴾ لعبرة لمن بعدهم فليجتنبوا عن قبيح فعلهم كي لا ينزل بهم ما نزل بقوم لوط من العذاب. ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ [كه جزدو دختر لوط ودو داماد وي نكرديده بودند].

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ بقهر الأعداء. ﴿الرحيم﴾ بنصرة الأولياء أو لا يعذب قبل التنبيه والإرشاد وتعذيبه أهل العذاب من كمال رحمته على أهل الثواب ألا ترى أن قطع اليد المتآكلة سبب لسلامة البدن كله فالعالم بمنزلة الجسد وأهل الفساد بمنزلة اليد المتآكلة وراحة أهل الصلاح في إزالة أهل الفساد. وفي «المثنوي»:

چونكه دندان توكرمش درفتاد نيست دندان بركنش أي اوستاد
باقىء تن تا نكردد زار ازو كرچه بود آن توشو بيزار ازو

ولو لم يكن في العزة والقهر فائدة لما وضعت الحدود. وقد قيل: إقامة الحدود خير من خصب الزمان.

قال إدريس عليه السلام من سكن موضعاً ليس فيه سلطان قاهر وقاض عادل وطبيب عالم وسوق قائمة ونهر جار فقد ضيع نفسه وأهله وماله وولده فعلى العاقل أن يحترز عن الشهوات ويهاجر العادات ويجاهد نفسه من طريق اللطف والقهر في جميع الحالات.

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾

﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾ أي: شعيباً ومن قبله عليهم السلام. والأيكة الغيضة التي تنبت ناعم الشجر كالسدر والإدراك وهي غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة فبعث الله إليهم شعيباً بعد بعثه إلى مدين ولكن لما كان أخا مدين في النسب قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [هود: ٨٤] ولما كان أجنبياً من أصحاب الأيكة قال:

﴿إذ قال لهم شعيب﴾ ولم يقل أخوهم شعيب وهو شعيب بن تويب بن مدين بن إبراهيم أو ابن ميكيك بن يشجر بن مدين بن إبراهيم وأم ميكيك بنت لوط ﴿ألا تتقون﴾ [آيا نمي ترسيد از عذاب حضرت پروردكار خودكه بدو شرك مي آريد].

﴿إني لكم رسول أمين﴾ بينكم وعلى الرسالة أيضاً لا أطلب إلا صلاح حالكم.

﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فيما آمركم به فإن أمري أمر عن الله وإطاعتي إطاعة الله في الحقيقة.

﴿وما أسألكم﴾ [ونمي خواهيم ازشما] ﴿عليه﴾ أي على أداء الرسالة والتبليغ والتعليم المدلول عليه بقوله رسوله: ﴿من أجر﴾ ومكافأة ﴿إن﴾ ما ﴿أجري﴾ ثواب عملي وأجرة خدمتي. ﴿إلا على رب العالمين﴾ فإن الفيض وحسن التربية منه تعالى على الكل خصوصاً على من كان مأموراً بأمر من جانبه.

﴿۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾.

﴿أوفوا الكيل﴾ أتموه. وبالفارسية [تمام بيماييد بيمانه را]. ﴿ولا تكونوا من المخسرين﴾ حقوق الناس بالتطفيف. وبالفارسية [ومباشيد از كاهندكان وزيان رسانندكان بحقوق مردمان] يقال: خسرته وأخسرته نقصته.

﴿وزنوا﴾ الموزونات. وبالفارسية [وي سنجيد] وهو أي زنوا أمر من وزن يزن وزناً وزنة والوزن معرفة قدر الشيء. ﴿بالقسطاس المستقيم﴾ أي: بالميزان السوي العدل.

قال في «القاموس»: القسطاس بالضم والكسر الميزان أو أقوم الموازين أو هو ميزان العدل أي ميزان كان كالقسطاس أو رومي معرب.

﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ يقال: بخس حقه إذا نقصه إياه وهو تعميم بعد تخصيص.

قال في «كشف الأسرار»: ذكر بأعم الألفاظ يخاطب به القافلة والوزان والنحاس والمحصي والصيرفي انتهى أي ولا تنقصوا شيئاً من حقوقهم، أي حق كان كنقص العد والزرع ودفع الزيف مكان الجيد والغصب والسرقة والتصرف بغير إذن صاحبه ونحو ذلك. ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ بالقتل والغارة وقطع الطريق. والعثي أشد الفساد فيما لا يدرك حساً وقوله: مفسدين حال مقيدة أي لا تعتدوا حال إفسادكم وإنما قيده وإن غلب العثي في الفساد لأنه قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحاً راجحاً كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة.

﴿واتقوا﴾ الله ﴿الذي خلقكم والجبلة الأولين﴾ الجبلة الخلقة يقال: جبل أي خلق ولا يتعلق بها الخلق فلا بد من تقدير المضاف أي وخلق ذوي الجبلة الأولية يعني من تقدمهم من الخلائق.

﴿قالوا إنما أنت من المسحرين﴾ من المسحورين مرة بعد أخرى [تاحدي كه أثر عقل ازايشان محوشد].

﴿وما أنت إلا بشر مثلنا﴾ [ونيست تومكر آدمي ما نند مادر صفات بشريت پس بچه چيز برما تفضل ميكني ودعوى رسالت از كجا آورده] إدخال الواو بين الجملتين للدلالة على أن كلاً من التسحير والبشرية مناف للرسالة مبالغة في التكذيب بخلاف قصة ثمود فإنه ترك الواو هناك لأنه لم يقصد إلا معنى واحد هو التسحير. ﴿وإن﴾ أي: وإن الشأن ﴿نظنك لمن الكاذبين﴾ في دعوى النبوة.

﴿فأسقط علينا﴾ [پس فرود آر برما وبيفكن يعني خداي خودرا بكو تابيفكند]. ﴿كسفاً من السماء﴾ [پاره از آسمان كه درو عذابي باشد] جمع كسفة بالكسر بمعنى القطعة. والسماء بمعنى السحاب أو المظلة ولعله جواب لما أشعر به الأمر بالتقوى من التهديد. ﴿إن كنت من الصادقين﴾ [از راست كويان كه برما عذاب فروخواهد آمد اين سخن برسبيل استهزا كفتند وتكذيب].

﴿قال﴾ شعيب: ﴿ربي أعلم بما تعملون﴾ من الكفر والمعاصي وبما تستحقون بسببه من العذاب فينزله في وقته المقدر له لا محالة:

مهلت ده روزهٔ ظالم ببين ... فتنه ببين دم بدمش دركمين
أول حالش همه عيش است وناز ... آخر كارش همه سوز وكداز

[آورده اندكه چون قوم شعيب درانكار واستكبار ازحد تجاوز كردند حق سبحانه وتعالى هفت شبانروز حرارتي سخت برايشان كماشت بمثابتي كه آب چاه وحشمهء إيشان همه بجوش آدم ونفسهاي إيشان فروكرفت بدرون خانه در آمدند حرارت زيادت شد روى به بيشه نهادند وهريك درپاي درختي افتاده از كرما كريخته مي شدنده كه ناكه إبرسياه درهوا بديد آمد ونسيم خنك ازو وزيدن كرفت أصحاب أيكه خوش دل شده يكديكررا آوازدادند بياييدكه درزير سايبان ابر آسايش كنيم همين كه مجموع إيشان درزير إبر مجتمع شدند آتشي ازوي بيرون آمد وهمه را بسوخت چنانچه حق سبحانه وتعالى مي فرمايد].

﴿فكذبوه﴾ أي: أصروا على تكذيبه بعد وضوح الحجة وانتفاء الشبهة. ﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ حسبما اقترحوا إما إن أرادوا بالسماء السحاب فظاهر وإما إن أرادوا الظلة فلأن نزول العذاب من جهتها والظلة سحابة تظل.

قال الكاشفي: [ظل درلغت سايبانست وآن إبرسياه بشكل سايبان برزبرسرايشان بوده] وفي إضافة العذاب إلى يوم الظلة دون نفسها إيذان بأن لهم يوماً آخر غير هذا اليوم كالأيام السبعة مع لياليها التي سلط الله فيها عليهم الحرارة الشديدة وكان ذلك من علامة أنهم يؤخذون بجنس النار ﴿إنه﴾ أي: عذاب يوم الظلة. ﴿كان عذاب يوم عظيم﴾ وعظمه لعظم العذاب الواقع فيه. روي: أن شعيباً أرسل إلى أمتين أصحاب مدين ثم أصحاب الأيكة فأهلكت مدين بالصيحة والرجفة وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما من حدث ما عذاب يوم الظلة فكذبه لعله أراد أنه لم ينج منهم أحد يخبر به كذا في «كشف الأسرار».

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾.

﴿إن في ذلك﴾ المذكور من قصة قوم شعيب ﴿لآية﴾ لعبرة للعقلاء. ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ أي: أكثر أصحاب الأيكة بل كلهم إذ لم ينقل إيمان أحد منهم بخلاف أصحاب مدين فإن جميعاً منهم آمنوا.

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ الغالب القادر على كل شيء ومن عزته نصر أنبيائه على أعدائه ﴿الرحيم﴾ بالإمهال.

وهذا آخر القصص السبع المذكورة تسلية لرسول الله ﷺ وتهديداً للمكذبين به من قريش [تا معلوم كنندكه هرامتي كه تكذيب پيغمبر كردند معذب شدند وإيشانرا نيز برتكذيب حضرت پيغمبر عذابي خواهد رسيد].

فإن قلت: لم لا يجوز أن يقال: إن العذاب النازل بعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم لم يكن لكفرهم وعنادهم بل كان كذلك بسبب اقترانات الكواكب واتصالاتها على ما اتفق عليه أهل النجوم ومع قيام هذا الاحتمال لم يحصل الاعتبار بهذه القصص. وأيضاً إن الله تعالى قد ينزل العذاب محنة للمكلفين وابتلاءً لهم وقد ابتلي المؤمنون بأنواع البليات فلا يكون نزول العذاب على هؤلاء الأقوام دليلاً على كونهم مبطلين مؤاخذين بذلك.

قلت: اطراد نزول العذاب على تكذيب الأمم بعد إنذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء

وعدم مبالاة به يدفع أن يقال أنه كان بسبب اتصالات فلكية أو كان ابتلاءً لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم لأن الابتلاء لا يطرد.

واعلم أن هذا المذكور هو العذاب الماضي ومن إشارته العذاب المستقبل، وأما العذاب الحاضر فتعلق الخاطر بغير الله الناظر فكما لا بد من تخلية القلب عن الإنكار والعزم على العصيان وتحليته بالتصديق والإيمان فكذا لا بد من قطع العلائق وشهود شؤون رب الخلائق فإن ذلك سبب للخلاص من عذاب الفراق ومدار للنجاة من قهر الخلاق وإنما يحصل ذلك من طريقه وهو العمل بالشريعة وأحكامها وقبول نصحها والتأدب بالطريقة وآدابها، فمن وجد نفسه على هدى رسول الله وأصحابه والأئمة المجتهدين بعده وأخلاقهم من الزهد والورع وقيام الليل على الدوام وفعل جميع المأمورات الشرعية، وترك جميع المنهيات كذلك حتى صار يفرح بالبلايا والمحن وضيق العيش وينشرح لتحويل الدنيا ومناصبها وشهواتها عنه، فليعلم أن الله تعالى يحبه ومن محبته ورحمته صب على قلبه تعظيم أمره وربط جوارحه بالعمل مدة عمره وإلا فليحكم بأن الله تعالى يبغضه والمبغض في يد الاسم العزيز جعلنا الله تعالى وإياكم من أهل رحمته وعصمنا وإياكم من نقمته بدفع العلة ورفع الذلة ونعم ما قيل:

محيط ازچهرهٔ سيلاب كرد راه ميشويد   چه أند يشد كسى باعفو حق ازكرد ذلتها

والله العفو الغفور ومنه فيض الأجر الموفور.

﴿وإنه﴾ راجع إلى القرآن وإن لم يجر له ذكر للعلم به. ﴿لتنزيل رب العالمين﴾ صيغة التكثير تدل على أن نزوله كان بالدفعات في مدة ثلاث وعشرين سنة وهو مصدر بمعنى المفعول سمي به مبالغة وفي وصفه تعالى بربوبية العالمين إيذان بأن تنزيله من أحكام تربيته تعالى ورأفته للكل. والمعنى أن القرآن الذي من جملته ما ذكر من القصص السبع لمنزل من جهته تعالى وإلا لما قدرت على الإخبار وثبت به صدقك في دعوى الرسالة لأن الإخبار من مثله لا يكون إلا بطريق الوحي.

﴿نزل به﴾ الباء للتعدية، أي أنزله أو للملابسة. يعني [فرو آمده باقرآن]. ﴿الروح الأمين﴾ أي جبريل فإنه أمين على وحيه وموصله إلى أنبيائه وسمي روحاً لكونه سبباً لحياة قلوب المكلفين بنور المعرفة والطاعة حيث أن الوحي الذي فيه الحياة من موت الجهالة يجري على يده ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ١٥].

وفي «كشف الأسرار»: سمي جبريل روحاً لأن جسمه روح لطيف روحاني وكذا الملائكة روحانيون خلقوا من الروح وهو الهواء.

يقول الفقير: لا شك أن للملائكة أجساماً لطيفة وللطافة نشأتهم غلب عليهم حكم الروح فسموا أرواحاً ولجبريل مزيد اختصاص بهذا المعنى إذ هو من سائر الملائكة كالرسول عليه السلام من أفراد أمته.

واعلم أن القرآن كلام الله وصفته القائمة به فكساه الألفاظ بالحروف العربية ونزله على جبريل وجعله أميناً عليه لئلا يتصرف في حقائقه ثم نزل به جبريل كما هو على قلب محمد عليه السلام كما قال:

﴿على قلبك﴾ أي: تلاه عليك يا محمد حتى وعيته بقلبك فخص القلب بالذكر لأنه محل الوعي والتثبيت ومعدن الوحي والإلهام وليس شيء في وجود الإنسان يليق بالخطاب والفيض غيره

وهو عليه السلام مختص بهذه الرتبة العلية والكرامة السنية من بين سائر الأنبياء فإن كتبهم منزلة في الألواح والصحائف جملة واحدة على صورتهم لا على قلوبهم كما في «التأويلات النجمية».

قال في «كشف الأسرار»: الوحي إذا نزل بالمصطفى عليه السلام نزل بقلبه أولاً لشدة تعطشه إلى الوحي ولاستغراقه به ثم انصرف من قلبه إلى فهمه وسمعه وهذا تنزل من العلو إلى السفل وهو رتبة الخواص فأما العوام فإنهم يسمعون أولاً فيتنزل الوحي على سمعهم أولاً ثم على فهمهم ثم على قلبهم وهذا ترق من السفل إلى العلو وهو شأن المريدين وأهل السلوك فشتان ما بينهما [جبرائيل چو پيغام كزاردي كاه كاه بصورت ملك بودي وكاه كاه بصورت بشرا كروحي وپيغام بيان أحكام شرع بودي وذكر حلال وحرام بودي بصورت بشر آمدي كه. ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ٧] وذكر قلب درميان نبودي باز چون وحي پاك حديث عشق ومحبت بودي وأسرار ورموز عارفان جبريل بصورت ملك آمدي روحاني ولطيف تابدل رسول پيوستي واطلاع أغيار بر آن نبودي حق تعالى چنين فرمود]. ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾ ثم إذا انقطع ذاك كان يقول فينفصم عني وقد وعيته.

وفي «الفتاوى الزينية»: سئل عن السيد جبريل كم نزل على النبي عليه السلام أجاب نزل عليه أربعة وعشرين ألف مرة على المشهور انتهى.

وفي «مشكاة الأنوار»: نزل عليه سبعة وعشرين ألف مرة وعلى سائر الأنبياء لم ينزل أكثر من ثلاثة آلاف مرة. ﴿لتكون من المنذرين﴾ المخوفين مما يؤدي إلى عذاب من فعل أو ترك وهو متعلق بنزل به مبين لحكمة الإنزال والمصلحة منه وهذا من جنس ما يذكر فيه أحد طرفي الشيء ويحذف الطرف الآخر لدلالة المذكور على المحذوف وذلك أنه أنزله ليكون من المبشرين والمنذرين.

يقول الفقير: الإنذار أصل وقدم لأنه من باب التخلية بالخاء المعجمة فاكتفى بذكره في بعض المواضع من القرآن.

﴿بلسان عربي مبين﴾ متعلق أيضاً بنزل وتأخيره للاغتناء بأمر الإنذار واللسان بمعنى اللغة لأنه آلة التلفظ بها أي نزل به بلسان عربي ظاهر المعنى واضح المدلول لئلا يبقى لهم عذر ما أي لا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فالآية صريحة في أن القرآن إنما أنزل عليه عربياً لا كما زعمت الباطنية من أنه تعالى أنزله على قلبه غير موصوف بلغة ولسان ثم أنه عليه السلام أداه بلسانه العربي المبين من غير أن أنزل كذلك وهذا فاسد مخالف للنص والإجماع ولو كان الأمر كما قالوا لم يبق الفرق بين القرآن وبين الحديث القدسي.

وفي الآية تشريف للغة العرب على غيرها، حيث أنزل القرآن بها لا بغيرها وقد سماها مبيناً ولذلك اختار هذه اللغة لأهل الجنة واختار لغة العجم لأهل النار.

قال سفيان: بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنة بالسريانية فإذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية.

فإن قلت: كيف يكون القرآن عربياً مبيناً مع ما فيه من سائر اللغات أيضاً على ما قالوا كالفارسية. وهو السجيل بمعنى سنك وكل. والرومية وهو قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠] أي: اقطعهن. والأرمنية وهو ﴿فِى جِيدِهَا﴾ [المسد: ٥] والسريانية وهو ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣] بمعنى ليس حين فرار. والحبشية وهو ﴿كِفْلَيْنِ﴾ [الحديد: ٢٨] بمعنى ضعفين.

قلت: لما كانت العرب يستعملون هذه اللغات ويعرفونها فيما بينهم صارت بمنزلة العربية.

قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: اعلم بأن العربية لها فضل على سائر الألسنة فمن تعلمها أو علم غيره فهو مأجور لأن الله تعالى أنزل القرآن بلغة العرب.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من تعلم الفارسية خب، ومن خب ذهبت عنه مروءته يعني لو اقتصر على لسان الفارسية ولم يتعلم العربية فإنه يكون أعجمياً عند من يتكلم بالعربية فذهبت مروءته ولو تكلم بغير العربية فإنه يجوز ولا إثم عليه في ذلك.

وقد روي «عن رسول الله ﷺ أنه تكلم بالفارسية» انتهى بإجمال.

يقول الفقير: الفارسية شعبة من لسان العجم المقابل للسان العرب ولها فضل على سائر لغات العجم وكذا ورد في الحديث الصحيح: «لسان أهل الجنة العربية والفارسية الدرية» بتشديد الراء كما في «الكرماني» وغيره ذكره صاحب «الكافي» والقهستاني وابن الكمال وغيرهم وصححوه وأما قوله عليه السلام: «أحب العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة في الجنة عربي» فالتخصيص فيه لا ينافي ما عداه وكذا لا ينافي كون لسان العجم مطلقاً لسان أهل النار كون الفارسية منه لسان أهل الجنة وقد تكلم بها في الدنيا كثير من العارفين. وفي «المثنوي»:

فارسي كوكرچه تازي خوشترست عشق را خود صد زبان ديكرست

وهو ترغيب في تحصيل الفارسية بعد تحصيل العربية ولهذا المقام مزيد تفصيل ذكرناه في كتابنا الموسوم «بتمام الفيض».

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

﴿وإنه﴾ أي: وإن ذكر القرآن لا عينه. **﴿لفي زبر الأولين﴾** واحدها زبور بمعنى الكتاب مثل رسل ورسول، أي لفي الكتب المتقدمة. يعني أن الله تعالى أخبر في كتبهم عن القرآن وإنزاله على النبي المبعوث في آخر الزمان.

﴿أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ الهمزة لإنكار النفي والواو للعطف على مقدر ولهم حال من آية والضمير راجع إلى مشركي قريش وآية خبر للكون قدم على اسمه الذي هو قوله أن يعلمه إلخ للاعتناء بالمقدم والتنويه بالمؤخر أي أغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم آية دالة على أنه تنزيل رب العالمين وأنه في زبر الأولين أن يعلمه علماء بني إسرائيل كعبد الله بن سلام ونحوه بنعوته المذكورة في كتبهم ويعلموا من أنزل عليه أي قد كان علمهم بذلك آية على صحة القرآن وحقية الرسول [وشهادت مردم دانا برچيزي موجب تحقيق آنست]. روي: أن أهل مكة بعثوا إلى يهود المدينة يسألونهم عن محمد وبعثته فقالوا: إن هذا لزمانه وإنا نجد في التوراة نعته وصفته.

﴿ولو نزلناه﴾ أي: القرآن كما هو بنظمه المعجب المعجز. **﴿على بعض الأعجمين﴾** الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية جمع أعجم عجماء وأفعل فعلاء لا يجمع جمع السلامة.

﴿فقرأه عليهم﴾ قراءة صحيحة خارقة للعادات **﴿ما كانوا به مؤمنين﴾** مع انضمام إعجاز القراءة إلى إعجاز المقروء لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم في المكابرة.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى كمال قدرته وحكمته بأنه لو أنزل هذا الكتاب بهذه اللغة على أعجمي لم يعرف هذه اللغة لكان قادراً على أن يعلمه لغة العرب ويفهمه معاني القرآن وحكمه في لفظه كما علم آدم الأسماء كلها وكما علم العربية لمن قال: «أمسيت كردياً وأصبحت عربياً» ومع هذا لما كان أهل الإنكار مؤمنين به بعد ظهور هذه المعجزة إظهاراً لكمال الحكمة.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾.

﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك السلك البديع وهو إشارة إلى مصدر قوله: ﴿سلكناه﴾ أي: أدخلنا القرآن ﴿في قلوب المجرمين﴾ أي: في قلوب مشركي قريش فعرفوا معانيه وإعجازه فقوله:

﴿لا يؤمنون به﴾ استئناف لبيان عنادهم. ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ الملجىء إلى الإيمان حين لا ينفعهم الإيمان.

﴿فيأتيهم﴾ العذاب ﴿بغتة﴾ أي فجأة في الدنيا والآخرة معطوف على قوله: ﴿يروا﴾. ﴿وهم لا يشعرون﴾ بإتيانه: وبالفارسية [وإيشان ندانند وقت آمدن آنرا].

﴿فيقولوا﴾ تحسراً على ما فات من الإيمان وتمنياً للإمهال لتلافي ما فرطوه وهو عطف على يأتيهم ﴿هل نحن منظرون﴾ الإنظار التأخير والإمهال أي مؤخرون لنؤمن ونصدق. وبالفارسية: [آياهستيم ما درنك داده شد كان يعني آيا مهلت دهند تابكرديم وتصديق كنيم] ولما أوعدهم النبي عليه السلام بالعذاب قالوا: إلى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب نزل قوله تعالى:

﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ [آيا بعذاب ما شتاب ميكنند] فيقولون تارة: أمطر علينا حجارة من السماء وأخرى فائتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب النظرة والمهلة والفاء للعطف على مقدر أي يكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الأليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافي ما لا يخفى على أحد.

وفي «التأويلات النجمية»: أي استعجالهم في طلب العذاب من نتائج عذابنا ولو لم يكونوا معذبين لما استعجلوا في طلب العذاب.

﴿أفرأيت﴾ مرتب على قولهم: هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ والخطاب لكل من يصلح له كائناً من كان ولما كانت الرؤية من أقوى أسباب الإخبار بالشيء وأشهرها شاع استعمال أرأيت في معنى أخبرني فالمعنى أخبرني يا من يصلح للخطاب. ﴿إن متعناهم﴾ جعلنا مشركي قريش متمتعين منتفعين. ﴿سنين﴾ كثيرة في الدنيا مع طيب المعاش ولم نهلكهم.

وقال الكلبي: يعني مدة إعمارهم.

وقال عطاء: يريد مذ خلق الله الدنيا إلى أن تنقضي.

﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ من العذاب والإيعاد. والتخويف بالفارسية [بيم كردن].

﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ أي: لم يغن عنهم شيئاً تمتعهم المتطاول في رفع العذاب وتخفيفه فما في ما أغنى نافية ومفعول أغنى محذوف وفاعله ما كانوا يمتعون، أو أي شيء أغنى عنهم كونهم ممتعين ذلك التمتيع المؤبد على أن ما في ما كانوا مصدرية أو ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا على أنها موصولة حذف عائدها فما في ما أغنى مفعول مقدم لأغنى والاستفهام للنفي وما كانوا هو الفاعل وهذا المعنى أولى من الأول لكونه أوفق بصورة الاستخبار وأدل على انتفاء الإغناء على أبلغ وجه وآكده كأن كل من شأنه الخطاب قد كلف بأن يخبر بأن تمتيعهم ما أفادهم وأي شيء أغنى عنهم فلم يقدر أحد أن يخبر بشيء من ذلك أصلاً. روي: أن ميمون بن مهران لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له: أعظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون: لقد وعظت فأبلغت.

وروي أن عمر بن عبد العزيز كان يقرأ هذه الآية كل صباح إذا جلس على سريره تذكراً بها واتعاظاً.

جهان بي وفاييست مردم فريب ... كه از دل ربايد قد او شكيب
نكرتا بجاهش نكردي أسير ... نكردي پي ما لش اندر زحير
كه آندم كه مردك اندر آيد زراه ... نه مالت كند دستكيري نهجاه

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: أشد الناس غفلة من اغتر بحياته الفانية والتذ بموداته الواهية وسكن إلى مألوفاته.

كان الرشيد حبس رجلاً فقال الرجل للموكل عليه: قل لأمير المؤمنين: كل يوم مضى من نعمك ينقص من محنتي والأمر قريب والموعد الصراط والحاكم الله فخر الرشيد مغشياً عليه ثم أفاق وأمر بإطلاقه.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾

﴿وما أهلكنا من قرية﴾ من القرى المهلكة ﴿إلا لها منذرون﴾ قد أنذروا أهلها.

قال في «كشف الأسرار»: جمع منذرين لأن المراد بهم النبي وأتباعه المظاهرون له ﴿ذكرى﴾ أي لأجل التذكير والموعظة وإلزام الحجة فمحلها النصب على العلة ﴿وما كنا ظالمين﴾ فنهلك غير الظالمين والتعبير عن ذلك بنفي الظالمية مع أن إهلاكهم قبل الإنذار ليس بظلم أصلاً على ما تقرر من قاعدة أهل السنة لبيان كمال نزاهته عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من الظلم.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وما أهلكنا من قرية﴾ أي من أهل قرية فالقرية الجسد الإنساني وأهلها النفس والقلب والروح وإهلاكهم بإفساد استعدادهم الفطري بترك المأمورات وإتيان المنهيات. ﴿إلا لها منذرون﴾ بالإلهامات الربانية. ﴿ذكرى﴾ أي تذكرة من ربهم كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٧-٨] ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٩] بأن نضع العذاب في غير موضعه أو نضع الرحمة في غير موضعها انتهى.

﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ يقال: تنزل نزل في مهلة والباء للتعدية. والمعنى بالفارسية: [وهركز ديوان اين قرآن فرونيا وردند] أو للملابسة. والمعنى [وفرونيايند بقرآن ديوان. مقاتل

كفت مشركان قريش كفتند محمد كاهن است وباوي كسي است از جن كه اين قرآن كه دعوى ميكندكه كلام خداست آن كسى برزبان وي مي افكند همچنانكه بزربان كاهن افكند واين از آنجا كفتندكه در جاهلية پيش از معبث رسول الله ﷺ باهر كاهني رئي بوز از جن كه استراق سمع كردند بدر آسمان وخبر هاي دوزخ وراست برزبان كاهن افكندند مشركان پنداشتندكه وحي قرآن هم ازان جنس است تارب المعالمين ايشانرا دروغ زن كرد كفت] **﴿وما تنزلت به الشياطين﴾** بل نزل به الروح الأمين.

﴿وما ينبغي لهم﴾ أي: وما يصح وما يستقيم لهم أن ينزلوا بالقرآن من السماء. **﴿وما يستطيعون﴾** وما يقدرون على ذلك أصلاً.

﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾

﴿إنهم﴾ بعد مبعث الرسول **﴿عن السمع﴾** لكلام الملائكة **﴿لمعزولون﴾** ممنوعون بعد أن كانوا يمكنون لأنهم يرجمون بالشهب.

قال بعض أهل التفسير: إنهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانتفاء المشاركة بينهم وبين الملائكة في صفات الذات والاستعداد لقبول فيضان أنوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة إلا لقبول ما لا خير فيه أصلاً من فنون الشر والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها إلا من الملائكة.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن ليس للشياطين استعدادات تنزيل القرآن ولا قوة حمله ولا وسع فهمه لأنهم خلقوا من النار والقرآن نور قديم فلا يكون للنار المخلوقة حمل النور القديم ألا ترى أن نار الجحيم كيف تستغيث عند ورود المؤمن عليها وتقول: «جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي» فإذا لم يكن لهم استطاعة لحمل القرآن وقوة سمعه كيف يمكن لهم تنزيله وإن وجدوا السمع الذي هو الإدراك ولكن حرموا الفهم المؤدي للاستجابة لما دعوا إليه فلهذا استوجبوا العذاب انتهى.

قال بعض الكبار: وصف الله تعالى أهل الحرمان أن أسماعهم وأبصارهم وعقولهم وقلوبهم في غشاوة الغفلة عن سماع القرآن والسامع بالحقيقة هو الذي له سمع قلبي عقلي غيبي روحي يسمع كل لمحة من جميع الأصوات والحركات في الأكون خطاب الحق سبحانه بحيث يهيج سره بنعت الشوق إليه فطوبى لمن فهم عن الله واستعد لحمل أمانة الله شريعة وحقيقة فهو الموفق ومن سواه المعزول فيا أيها السامعون افهموا ويا أيها المدركون تحققوا فالعلم في الصدر لا عند باب الحواس ولا بالتخمين والقياس.

﴿فلا تدع مع الله إلهاً آخر﴾ إذا عرفت يا محمد حال الكفار فلا تعبد معه تعالى إلهاً آخر. **﴿فتكون﴾** [پس باشي اكر پرستش ميكني] **﴿من المعذبين﴾** خوطب به النبي عليه السلام مع ظهور استحالة وقوع المنهي عنه لأنه معصوم تهيجاً لعزيمته وحثاً على ازدياد الإخلاص ولطفاً بسائر المكلفين ببيان أن الإشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره منه فكيف بمن عداه وأن من كان أكرم الخلق عليه إذا عذب على تقدير اتخاذ إلٰه آخر فغيره أولى.

وفي الخبر: أن الله تعالى أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له: أرميا بأن يخبر قومه بأن يرجعوا عن المعصية، فإنهم إن لم يرجعوا أهلكتهم فقال أرميا: يا رب إنهم أولاد أنبيائك أولاد إبراهيم وإسحاق ويعقوب أفتهلكهم بذنوبهم؟ قال الله تعالى: إني إنما أكرمت أنبيائي لأنهم أطاعوني ولو أنهم عصوني لعذبتهم وإن كان إبراهيم خليلي.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن عبادة غير الله من الدنيا والآخرة وطلبه بتوجه القلب إليه عمارة عذاب الله وهو البعد من الله ومن يطلب يكن عذابه أشد فكل طالب شيء يكون قريباً إليه بعيداً عما سواه فطالب الدنيا قريب من الدنيا بعيد عن الآخرة وطالب الآخرة قريب من الآخرة بعيد عن الله ولذا قال أبو سعيد الخراز قدس سره: حسنات الأبرار سيئات المقربين، فالأبرار أهل الجنة وحسناتهم طلب الجنة والمقربون أهل الله وحسناتهم طلب الله وحده لا شريك له.

﴿وأنذر﴾ العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي. ﴿عشيرتك الأقربين﴾ العشيرة أهل الرجال الذي يتكثر بهم أي يصيرون له بمنزلة العدد الكامل وذلك أن العشرة هو العدد الكامل فصارت العشيرة اسماً لكل جماعة من أقارب الرجل يتكثر بهم والعشير المعاشر قريباً كان أو مقاراناً كذا في «المفردات». والمراد بهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وإنما أمر بإنذار الأقربين لأن الاهتمام بشأنهم أهم فالبداية بهم في الإنذار أولى كما أن البداية بهم في البر والصلة وغيرهما أولى وهو نظير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ [التوبة: ١٢٣] وكانوا مأمورين بقتال جميع الكفار ولكنهم لما كانوا أقرب إليهم أمروا بالبداية بهم في القتال كذلك ههنا وأيضاً إذا أنذر الأقارب فالأجانب أولى بذلك. روي: أنه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذاً فخذاً حتى اجتمعوا إليه فقال: لو أخبرتكم أن يسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقي قالوا: نعم قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. روي: أنه قال: «يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم شيئاً. ثم قال: يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر. ويا فاطمة بنت محمد. ويا صفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فإني لا أغني عنكن شيئاً» [در خبرست كه عائشه صديقه رضي الله عنها بكريست وكفت يا رسول الله رووز قيامت روزيست كه تومارا بكار نيابي كفت بلى] عائشة في ثلاثة مواطن يقول الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فعند ذلك لا أملك لكم من الله شيئاً وعند النور من شاء الله أتم له نوره ومن شاء الله كبه في الظلمات فلا أملك لكم من الله شيئاً وعند الصراط من شاء الله سلمه وأجاره ومن شاء كبه في النار فينبغي للمؤمن أن لا يغتر بشرف الأنساب فإن النسب لا ينفع بدون الإيمان برب الأرباب فانظر إلى حال كنعان بن نوح وإلى حال آزر والد إبراهيم عليهما السلام فإن فيها كفاية. قال الشيخ سعدي قدس سره:

چو كنعانرا طبيعت بي هنربود ... پيمراد كي قدرش نيفزود
هنر بنماي اكر داري نه كوهن ... كل از خارست وإبراهيم از آزر

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى حقيقة قوله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾ [المؤمنون: ١٠١] وقال عليه السلام: «كل حسب ونسب ينقطع إلا حسبي ونسبي» فحسبه الإيمان والتقوى كما قال عليه السلام: «آلي كل مؤمن تقي» ويشير إلى أن من كان مصباح قلبه منوراً

بنور الإيمان لا ينور مصباح عشيرته ولو كان والداً له حتى يكون مقتبساً هو لمصباحه من نور مصباحه المنور وهذا سر متابعة النبي عليه السلام والاقتداء بالولي وقوله عليه السلام لفاطمة رضي الله عنها: «يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني لا أغني عنك من الله شيئاً» كان لهذا المعنى كما أن أكل المرء يشبعه ولا يشبع ولده حتى يأكل الطعام كما أكل والده وليعلم أنه لا ينفعهم قرابته ولا تقبل فيهم شفاعته إذا لم يكن لهم أصل الإيمان فإن الإيمان هو الأصل وما سواه تبع له ولهذا السر قال تعالى عقيب قوله: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ قوله:

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

﴿**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾ أي ألن جانبك لهم وقاربهم في الصحبة واسحب ذيل التجاوز على ما يبدو منهم من التقصير واحتمل منهم سوء الأحوال وعاشرهم بجميل الأخلاق وتحمل عنهم كلهم فإن حرموك فأعطهم وإن ظلموك فتجاوز عنهم وإن قصروا في حقي فاعف عنهم واستغفر لهم. وبالفارسية: [وبر خويش فرورد آر بفروتني ومهرباني يعني مهرباني وروز إكرام كن] والخفض ضد الرفع والدعة والسير اللين. يعني: [نرم رفتن شتر] وهو حث على تليين الجانب والانقياد كما في «المفردات» وجناح العسكر جانباه وهو مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحط فشبه التواضع ولين الأطراف والجوانب عند مصاحبة الأقارب والأجانب بخفض الطائر جناحه، أي كسره عند إرادة الانحطاط وأما الفاسق والمنافق فلا يخفض له الجناح إلا في بعض الأحوال إذ لكل من اللين والغلظة وقت دل عليه القرآن، فلا بد من رعاية كل منهما في وقته ومن للتبيين لأن من اتبع أعم ممن اتبع لدين أو لغيره أو للتبعيض على أن المراد بالمؤمنين المشارفون للإيمان والمصدقون باللسان.

وفي «التأويلات النجمية»: والنكتة فيه أنه قال: ﴿**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾ لأن كل متابع مؤمن ولم يكن كل مؤمن متابعاً لئلا يغتر المؤمن بدعوى الإيمان وهو بمعزل عن حقيقته التي لا تحصل إلا بالمتابعة انتهى فعلى العاقل أن يختار صحبة الأخيار ويتابعهم في أعمالهم ويسعى في تحصيل أخلاقهم وأحوالهم وبشرف القرين يدخل عشرة من الحيوانات الجنة منها كلب أصحاب أهل الكهف ولله در من قال:

سك أصحاب كهف روزي چند پي نيكان كرفت مردم شد

حيث دخل الجنة معهم في صورة الكبش.

﴿**فإن عصوك**﴾ قال في «كشف الأسرار». [خويشان وقرابت رسول الله عليه السلام چون بعداوت رسول دربستند وزبان طعن دراز كردند آيت فرود آمدكه]. ﴿**فإن عصوك**﴾ أي: فإن خرجت عشيرتك عن الطاعة وخالفوك ولم يتبعوك ﴿**فقل إني بريء مما تعملون**﴾ أي: من عبادتكم لغير الله تعالى ولا تبرأ منهم وقل لهم قولاً معروفاً بالنصح والعظة لعلهم يرجعون إلى طاعتك وقبول الدعوة منك.

يقول الفقير: سمعت من حضرة شيخي وسندي روّح الله روحه يقول: قطعت الوصلة بيني وبين خلفائي إلا من الوصية فإن الله تعالى يقول: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] فالوصية بالحق والصبر لا بد لي منها في حق الكل خصوصاً في حقهم.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾

﴿وتوكل﴾ في جميع حالاتك ﴿على العزيز﴾ الذي لا يذل من والاه ولا يعز من عاداه فهو يقدر على قهر أعدائه. ﴿الرحيم﴾ الذي يرحم من توكل عليه وفوض أمره إليه بالظفر والنصرة فهو ينصر أولياءه ولا تتوكل على الغير فإن الله تعالى هو الكافي لشر الأعداء لا الغير والتوكل على الله تعالى في جميع الأمور والإعراض عما سواه ليس إلا من خواص الكمل جعلنا الله وإياكم من الملحقين بهم ثم أتبع به قوله:

﴿الذي يراك﴾ الخ لأنه كالسبب لتلك الرحمة أي توكل على من يراك. ﴿حين تقوم﴾ أي إلى التهجد في جوف الليل فإن المعروف من القيام في العرف الشرعي إحياء الليل بالصلاة فيه.

وفي الحديث: «أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل».

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي عليه السلام «كان لا يدع قيام الليل وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعداً».

ومنها «إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة» رواه «مسلم».

يقول الفقير: هذا أي ما صلى عليه السلام في النهار بدل ما فات منه في الليل من ورد التهجد يدل على أن التهجد ليس كسائر النوافل بل له فضيلة على غيره ولذا يوصي بإتيان بدله إذا فات مع أن النوافل لا تقضي.

﴿وتقلبك في الساجدين﴾ التقلب [بركشتن] أي ويرى ترددك في تصفح أحوال المتهجدين لتطلع على حقيقة أمرهم كما روي أنه لما نسخ فرض قيام الليل عليه وعلى أصحابه بناء على أنه كان واجباً عليه وعلى أمته وهو الأصح.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان واجباً على الأنبياء قبله طاف عليه السلام تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون أي هل تركوا قيام الليل لكونه نسخ وجوبه بالصلوات الخمس ليلة المعراج حرصاً على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله وتلاوة القرآن ﴿إنه هو السميع﴾ لما تقوله ولدعوات عباده ومناجاة الأسرار ﴿العليم﴾ بما تنويه وبوجود مصالحهم وارادات الضمائر.

وقال بعضهم: ﴿تقلبك في الساجدين﴾ أي تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود إذا اممتهم فقوله في الساجدين معناه مع المصلين في الجماعة فكأن أصل المعنى يراك حين تقوم وحدك للصلاة ويراك إذا صليت مع المصلين جماعة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ أي يرى قصدك ونيتك وعزيمتك عند قيامك للأمور كلها وقد اقتطعه بهذه الآية عن شهود الخلق فإن من علم أنه بمشهد الحق راعى دقائق حالاته وخفايا أحواله مع الحق وبقوله: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ هون عليه معاناة مشاق العبادات لإخباره برؤيته له ولا مشقة لمن يعلم أنه بمرأى من مولاه ومحبوبه وأن حمل الجبال الرواسي يهون لمن حملها على شعرة من جفن عينه على مشاهدة ربه.

ويقال كنت بمرأى منا حين تقلبك في عالم الأرواح في الساجدين بأن خلقنا روح كل ساجد من روحك أنه هو السميع في الأزل مقالتك أنا سيد ولد آدم ولا فخر لأن أرواحهم خلقت من روحك العليم باستحقاقك لهذه الكرامة انتهى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبياً، أي فمعنى في الساجدين في أصلاب الأنبياء والمرسلين من آدم إلى نوح وإلى إبراهيم وإلى من بعده إلى أن ولدته أمه وهذا لا ينافي وقوع من ليس نبياً في آبائه فالمراد وقوع الأنبياء في نسبه. واستدل الرافضة على أن آباء النبي عليه السلام كانوا مؤمنين أي لأن الساجد لا يكون إلا مؤمناً فقد عبر عن الإيمان بالسجود وهو استدلال ظاهري وقوله عليه السلام: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» لا يدل على الإيمان بل على صحة أنكحة الجاهلية كما قال عليه السلام في حديث آخر: «حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط» وقد سبق نبذ من الكلام مما يتعلق بالمرام في أواخر سورة إبراهيم وحق المسلم أن يمسك لسانه عما يخل بشرف نسب نبينا عليه السلام ويصونه عما يتبادر منه النقصان خصوصاً إلى وهم العامة. فإن قلت: كيف نعتقد في حق آباء النبي عليه السلام؟.

قلت: هذه المسألة ليست من الاعتقاديات فلا حظ للقلب منها وأما حظ اللسان فقد ذكرنا وذكر الحافظ السيوطي رحمه الله أن الذي للخلص أن أجداده عليه السلام من آدم إلى مرة بن كعب مصرح بإيمانهم أي في الأحاديث وأقوال السلف وبقي بين مرة وعبد المطلب أربعة أجداد ولم أظفر فيهم بنقل وعبد المطلب الأشبه أنه لم تبلغه الدعوة لأنه مات وسنه عليه السلام ثمان سنين والأشهر أنه كان على ملة إبراهيم عليه السلام أي لم يعبد الأصنام كما سبق في سورة براءة.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾

﴿هل أنبئكم﴾ خطاب لكفار مكة وكانوا يقولون: إن الشياطين تتنزل على محمد فرد الله عليهم ببيان استحالة تنزلهم عليه بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن. والمعنى هل أخبركم أيها المشركون. وبالفارسية: [آيا خبردهم شمارا]. ﴿على من تنزل الشياطين﴾ أي: تتنزل بحذف إحدى التاءين وكلمة من تضمنت الاستفهام ودخل عليها حرف الجر وحق الاستفهام أن يصدر في الكلام فيقال: أعلى زيد مررت ولا يقال: على أزيد مررت ولكن تضمنه ليس بمعنى أنه اسم فيه معنى الحرف بل معناه أن الأصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستعمل على بعد حذفه كما يقال في هل أصله أهل ومعناه أقد فإذا أدخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كأنك تقول أعلى من تنزل.

﴿تنزل على كل أفاك﴾ كثير الإفك والكذب.

قال الراغب: الإفك كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه. ﴿أثيم﴾ كثير الإثم وهو اسم للأفعال المبطئة عن الثواب، أي تتنزل على المتصفين بالإفك والإثم الكثير من الكهنة والمتنبئة كمسيلمة وطليحة لأنهم من جنسهم وبينهم مناسبة بالكذب والافتراء والإضلال وحيث كانت ساحة رسول الله منزهة عن هذه الأوصاف استحال تنزلهم عليه.

﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾

﴿يلقون السمع﴾ الجملة في محل الجر على أنها صفة كل أفاك أثيم لكونه في معنى الجمع، أي يلقي الأفاكون الأذن إلى الشياطين فيتلقون منهم أوهاماً وأمارات لنقصان علمهم فيضمون إليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق أكثرها الواقع. وبالفارسية:

[فروميدارند كوش را بسخن شياطين وفرا ميكيرند ازايشان أخبار دروغ وديكر دروغها بآن أضافت ميكنند]. ﴿وأكثرهم﴾ أي: الأفاكين ﴿كاذبون﴾ فيما قالوه من الأقاويل وليس محمد كذلك فإنه صادق في جميع ما أخبر من المغيبات والأكثر بمعنى الكل. يعني [همه إيشان بصفت كذب موصوفند] كلفظ البعض في قوله: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠] أي كله وذلك كما استعملت القلة في معنى العدم في كثير من المواضع.

وقال بعضهم: إن الأكثرية باعتبار الأقوال لا باعتبار الذوات حتى يلزم من نسبة الكذب إلى أكثرهم كون أقلهم صادقين وليس معنى الأفاك من لا ينطق إلا بالإفك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الإفك فلا ينافيه أن يصدق نادراً في بعض الأحيان.

وقال في «كشف الأسرار»: استثنى منهم بذكر الأكثر سطحياً وشقاً وسواد بن قارب الذين كانوا يلهجون بذكر رسول الله وتصديقه ويشهدون له بالنبوة ويدعون الناس إليه انتهى.

قال في «حياة الحيوان»: وأما شق وسطيح الكاهنان فكان شق شق إنسان له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وكان سطيح ليس له عظم ولا بنان إنما كان يطوى كالحصير لم يدرك أيام بعثة رسول الله عليه السلام وكان في زمن الملك كسرى وهو ساسان.

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾.

﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ يعني: ليس القرآن بشعر ولا محمد بشاعر لأن الشعراء يتبعهم الضالون والسفهاء وأتباع محمد ليسوا كذلك بل هم الراشدون المراجيح الرزان وكان شعراء الكفار يهجون رسول الله وأصحابه ويعيبون الإسلام فيتبعهم سفهاء العرب حيث كانوا يحفظون هجاءهم وينشدون في المجالس ويضحكون. ومن لواحق هذا المعنى ما قال ابن الخطيب في «روضته»: ذهب جماعة من الشعراء إلى خليفة وتبعهم طفيلي فلما دخلوا على الخليفة قرأوا قصائدهم واحداً بعد واحد وأخذوا العطاء فبقي الطفيلي متحيراً فقيل له: اقرأ شعرك قال: لست أنا بشاعر وإنما أنا رجل ضال كما قال الله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ فضحك الخليفة كثيراً فأمر له بأنعام.

وقال بعضهم: معنى الآية أن الشعراء تسلك مسلكهم وتكون من جملتهم الضالون عن سنن الحق لا غيرهم من أهل الرشد.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الشعراء بحسب مقاماتهم ومطرح نظرهم ومنشأ قصدهم ونياتهم إذا سلكوا على أقدام التفكر مفاوز التذكر في طلب المعاني ونظمها وترتيب عروضها وقوافيها وتدبير تجنيسها وأساليبها تتبعهم الشياطين بالإغواء والإضلال ويوقعونهم في الأباطيل والأكاذيب.

قال في «المفردات»: شعرت أصبت الشعر ومنه استعير شعرت كذا أي علمته في الدقة كإصابة الشعر. قيل: وسمي الشاعر شاعراً لفطنته ودقة معرفته فالشعر في الأصل اسم للعلم الدقيق في قولهم: ليت شعري وصار في التعارف اسماً للموزون المقفى من الكلام والشاعر المختص بصناعته وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥] حمله كثير من المفسرين على أنهم رموه بكونه آتياً بشعر منظوم مقفى حتى تأولوا ما جاء في القرآن من كل لفظ يشبه

الموزون من نحو وجفان كالجوابي وقدور راسيات.

وقال بعض المحصلين: لم يقصدوا هذا المقصد فيما رموه به وذلك أنه ظاهر من هذا الكلام أنه ليس على أساليب الشعر ولا يخفى ذلك على الأغتام من العجم فضلاً عن بلغاء العرب وإنما رموه بالكذب فإن الشعر يعبر به عن الكذب والشاعر الكاذب حتى سمى قوم الأدلة الكاذبة شعراً ولهذا قال تعالى في وصف عامة الشعراء: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ إلى آخر السورة انتهى.

قال الإمام المرزوقي «شرح الحماسة»: تأخر الشعراء عن البلغاء لتأخر المنظوم عند العرب لأن ملوكهم قبل الإسلام وبعده يتبجحون بالخطابة ويعدونها أكمل أسباب الرياسة ويعدون الشعر دناءة لأن الشعر كان مكسبة وتجارة وفيه وصف اللئيم عند الطمع بصفة الكريم والكريم عند تأخر صلته بوصف اللئيم ومما يدل على شرف النثر أن الإعجاز وقع في النثر دون النظم لأن زمن النبي عليه السلام زمن الفصاحة.

﴿ألم تر﴾ يا من شأنه الرؤية أي قد رأيت وعلمت ﴿أنهم﴾ أي الشعراء ﴿في كل واد﴾ من المدح والذم والهجاء والكذب والفحش والشتم واللعن والافتراء والدعاوى والتكبر والمفاخر والتحاسد والعجب والإراءة وإظهار الفضل والدناءة والخسة والطمع والتكدي والذلة والمهانة وأصناف الأخلاق الرذيلة والطعن في الأنساب والأعراض وغير ذلك من الآفات التي هي من توابع الشعر ﴿يهيمون﴾ يقال هام على وجهه من باب باع هيماناً بفتحتين ذهب من العشق أو غيره كما في «المختار» أي يذهبون على وجوههم لا يهتدون إلى سبيل معين بل يتحيرون في أودية القيل والقال والوهم والخيال والغي والضلال.

قال الراغب: أصل الوادي الموضع الذي يسيل فيه الماء ومنه سمي المنفرج بين الجبلين وادياً ويستعار للطريقة كالمذهب والأسلوب فيقال: فلان في واد غير واديك وقوله: ﴿ألم تر أنهم في كل واد يهيمون﴾ فإنه يعني أساليب الكلام من المدح والهجاء والجدل والغزل وغير ذلك من الأنواع أي في كل نوع من الكلام يغلون.

قال في «الوسيط»: فالوادي مثل لفنون الكلام وهيمانهم فيه قولهم على الجهل بما يقولون من لغو وباطل وغلو في مدح أو ذم.

﴿وأنهم يقولون﴾ في أشعارهم عند التصلف والدعاوى ﴿ما لا يفعلون﴾ من الأفاعيل: يعني [بفسق ناكرده برخود كواهي ميدهند وپيغا مهاي ناداده بكسى درسلك نظم ميكشند] ويرغبون في الجود ويرغبون عنه وينفرون عن البخل ويصرون عليه ويقدحون في الناس بأدنى شيء صدر عنهم، ثم إنهم لا يرتكبون إلا الفواحش وذلك تمام الغواية والنبي عليه السلام منزه عن ذلك متصف بمحاسن الأوصاف ومكارم الأخلاق مستقر على المنهاج القويم مستمر على الصراط المستقيم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين. ﴿وذكروا الله﴾ ذكراً ﴿كثيراً﴾ بأن كان أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته والحكمة

والموعظة والزهد في الدنيا والترغيب في الآخرة أو بأن لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ولم يجعلوه همهم وعادتهم.

قال أبو يزيد قدس سره: الذكر الكثير ليس بالعدد لكنه بالحضور. ﴿وانتصروا﴾ [انتقام كشيدند از مشركان].

قال في «تاج المصادر» والانتصار [داد بستدن]. ﴿من بعد ما ظلموا﴾ بالهجو لأن الكفار بدؤوهم بالهجاء يعني لو وقع منهم في بعض الأوقات هجو وقع بطريق الانتصار ممن هجاهم من المشركين كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وغيرهم فإنهم كانوا يذبون عن عرض النبي عليه السلام، وكان عليه السلام يضع لحسان منبراً في المسجد فيقوم عليه يهجو من كان يهجو رسول الله. قال الكمال الأصفهاني:

هجا كفتن ارجه پسنديده نيست مباداكسي كالت آن ندارد
چو آن شاعري كوهجا كونباشد چوشيري كه چنكال ودندان ندارد

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه أنه عليه السلام قال: «اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل» وفي الحديث: «جاهدوا المشركون بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» أي أسمعوهم ما يكرهونه ويشق عليهم سماعه من هجو وكلام غليظ ونحو ذلك.

قال الإمام السهيلي رحمه الله: فهم سبب الاستثناء فلو سماهم بأسمائهم الأعلام كان الاستثناء مقصوراً عليهم والمدح مخصوصاً بهم ولكن ذكرهم بهذه الصفة ليدخل معهم في هذا الاستثناء كل من اقتدى بهم شاعراً كان أو خطيباً أو غير ذلك انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: لأرباب القلوب في الشعر سلوك على إقدام التفكر بنور الإيمان وقوة العمل الصالح وتأييد الذكر الكثير ليصلوا إلى أعلى درجات القرب وتؤيدهم الملائكة بدقائق المعاني بل يوفقهم الله لاستجلاب الحقائق ويلهمهم بألفاظ الدقائق فبالإلهام يهيمون في كل وادٍ من المواعظ الحسنة والحكم البالغة وذم الدنيا وتركها وتزيين الآخرة وطلبها وتشويق العباد وتحبيبهم إلى الله وتحبيب الله إليهم وشرح المعارف وبيان الموصل والحث على السير والتحذير عن الألفاظ القاطعة للسير وذكر الله وثنائه ومدح النبي عليه السلام والصحابة وهجاء الكفار انتصاراً كما قال عليه السلام لحسان: «اهج المشركين فإن جبريل معك» انتهى.

والجمهور على إباحة الشعر ثم المذموم منه ما فيه كذب وقبح وما لم يكن كذلك فإن غلب على صاحبه بحيث يشغله عن الذكر وتلاوة القرآن فمذموم ولذا قال من قال:

درقيامت نرسد شعر بفرياد كسى كه سراسر سخنش حكمت يونان كردد

وإن لم يغلب كذلك فلا ذم فيه وفي الحديث: «إن من الشعر لحكمة» أي: كلاماً نافعاً يمنع عهن الجهل والسفه وكان علي رضى الله عنه أشعر الخلفاء وكانت عائشة رضي الله عنها أبلغ من الكل.

قال الكاشفي: [حضرت حقائق پناهي در ديباجهٔ ديوان أول آورده اندكه هرچند قادر حكيم جل ذكره درآيت كريمةً. ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ شعرا راكه سياحان بحر شعرند جميع ساخته وكمند دام استغراق دركردن انداخته كاه درغرقابه بي حد وغايت غوايت مي اندازد وكاه تشنه لب درواديء حيرت وضلالت سر كردان ميسازد وأما بسيارى ازايشان بواسطهٔ إصلاح عمل وصدق إيمان درزورق أمان. ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ تشنه

اندبوسيله بادبان ﴿وذكروا الله كثيراً﴾ بساحل خلاص وناحيت نجات پيوسته ويكي ازافاضل كفته است]:

شاعرانراكرچه غاوى كفت درقرآن خداى هست ازيشان هم بقرآن ظاهر استثناي ما

ولما كان الشعر مما لا ينبغي للأنبياء عليهم السلام لم يصدر من النبي عليه السلام بطريق الإنشاء دون الإنشاد إلا ما كان بغير قصد منه وكان كل كمال بشرى تحت علمه الجامع فكان يجيب كل فصيح وبليغ وشاعر وأشعر وكل قبيلة بلغاتهم وعباراتهم وكان يعلم الكتاب علم الخط وأهل الحرف حرفتهم ولذا كان رحمة للعالمين. ﴿وسيعلم الذين ظلموا﴾ على أنفسهم بالشعر المنهي عنه وغيره فهو عام لكل ظالم والسين للتأكيد ﴿أي منقلب ينقلبون﴾ أي: منصوب ينقلبون على المصدر لا بقوله سيعلم لأن أياً وسائر أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها وقدم على عامله لتضمنه معنى الاستفهام وهو متعلق بسيعلم ساداً مسد مفعوليه. والمنقلب بمعنى الانقلاب أي الرجوع. والمعنى ينقلبون أي الانقلاب ويرجعون إليه بعد مماتهم أي الرجوع أي ينقلبون انقلاباً سوءاً ويرجعون رجوعاً شراً لأن مصيرهم إلى النار.

وقال الكاشفي: [بكدام مكان خواهند كشت واو آنست كه منقلب إيشان آتش خواهدبود]. روي: أنه لما أيس أبو بكر رضي الله عنه من حياته استكتب عثمان رضي الله عنه كتاب العهد وهو هذا ما عهد ابن أبي قحافة إلى المؤمنين في الحال التي يؤمن فيها الكافر ثم قال بعد ما غشى عليه وأفاق: إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه عدل فذلك ظني فيه وإن لم يعدل ﴿سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾. والظلم هو الانحراف عن العدالة والعدول عن الحق الجاري مجرى النقطة من الدائرة. والظلمة ثلاثة. الظالم الأعظم وهو الذي لا يدخل تحت شريعة الله وإياه قصد تعالى بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] والأوسط هو الذي لا يلزم حكم السلطان. والأصغر هو الذي يتعطل عن المكاسب والأعمال فيأخذ منافع الناس ولا يعطيهم منفعته ومن فضيلة العدالة أن الجور الذي هو ضدها لا يستتب إلا بها فلو أن لصوصاً تشارطوا فيما بينهم شرطاً فلم يراعوا العدالة فيه لم ينتظم أمرهم. فعلى العاقل أن يصيخ إلى الوعيد والتهديد الأكيد فيرجع عن الظلم والجور وإن كان عادلاً فنعوذ بالله من الجور بعد الكور والله المعين لكل سالك والمنجي في المسالك من المهالك.

تمت سورة الشعراء يوم الخميس

وهو التاسع من ذي القعدة من سنة ثمان ومائة وألف.

٢٧ ـ تفسير سورة النمل

وهي مكية ثلاث أو أربع وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾.

﴿طس﴾ هذه طس أي هذه السورة مسماة به.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير بطائه إلى طاء طيب قلوب محبيه وبالسين إلى سر بينه وبين قلوب محبيه لا يسعهم فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل. وأيضاً يقسم بطاء طلب طالبيه وسين سلامة قلوبهم عن طلب ما سواه.

وفي «كشف الأسرار»: الطاء إشارة إلى طهارة قدسه والسين إشارة إلى سناء عزه يقول تعالى: بطهارة قدسي وسناء عزي لا أخيب أمل من أملّ لطفي انتهى.

وقال بعضهم: الطاء طوله أي فضله والسين سناؤه أي علوه وقد سبق في طسم ما يتعلق بهذا المقام فارجع إليه.

وقال عين القضاء الهمذاني قدس سره في مقالاته: لولا ما كان في القرآن من الحروف المقطعات لما آمنت به.

يقول الفقير: قد كفره في قوله هذا كثير من علماء زمانه والأمر سهل على أهل الفهم ومراده بيان اطلاعه على بطون معاني الحروف التي هي دليل لأرباب الحقائق وسبب لمزيد إيمانهم العياني. ﴿تلك﴾ أي هذه السورة العظيمة الشأن أو آياتها، ﴿آيات القرآن﴾ المعروف بعلو الشأن أي بعض منه لمترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القرآن أو عن جميع المنزل عند نزول السورة إذ هو المتسارع إلى الفهم حينئذ عند الإطلاق. ﴿وكتاب﴾ عظيم الشأن﴿مبين﴾ مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والأحكام وأحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب أو ظاهر إعجازه وصحته على أنه من أبان، يعني بان أي ظهر وعطفه على القرآن كعطف إحدى الصفتين على الأخرى مثل غافر الذنب وقابل التوب أي آيات الكلام الجامع بين القرآنية والكتابية وكونه قرآناً بجهة أنه يقرأ وكتاباً بسبب أنه يكتب وقدم الوصف الأول لتقدم القرآنية على حال الكتابية وآخره في سورة الحج لما أن الإشارة إلى امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب أدخل في المدح فإن وصفه بالكتابية مفصح عن اشتماله على صفة كمال الكتب الإلهية فكأنه كلها.

وفي «كشف الأسرار»: القرآن والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد ووصفان لأنه

يقرأ ويكتب فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ النكرة فهو الوصف.

﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾ أي: حال كون تلك الآيات هادية لهم ومبشرة فأقيم المصدر مقام الفاعل للمبالغة كأنها نفس الهدى. والبشارة ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون أنها تزيدهم هدى قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤] الآية وأما معنى تبشيرها إياهم فظاهر لأنها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وخصهم بالذكر لانتفاعهم به.

﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة﴾ صفة مادحة للمؤمنين وتخصيصهما بالذكر لأنهما قرينتا الإيمان وقطرا العبادات البدنية والمالية مستتبعان لسائر الأعمال الصالحة. والمعنى يؤدون الصلاة بأركانها وشرائطها في مواقيتها ويؤتون الصدقة المفروضة للمستحقين. ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ من تتمة الصلة والواو للحال أي والحال أنهم يصدقون بأنها كائنة ويعلمونها علماً يقيناً. وبالفارسية: [وحال آنكه إيشان بسراي ديكر بي كمان ميشوند تكرير ضمير إشارت باختصاص إيشانست در تصديق آخرت] أو جملة اعتراضية كأنه قيل: وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الإيمان لا من عداهم فإن تحمل مشاق العبادات إنما يكون لخوف العاقبة والوقوف على المحاسبة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾

﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ لا يصدقون بالبعث بعد الموت. ﴿زينا لهم﴾ [آراسته كرديم براي إيشان] ﴿أعمالهم﴾ القبيحة حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبىء عنه قوله عليه السلام: «حفت النار بالشهوات» أي: جعلت محفوفة ومحاطة بالأمور المحبوبة المشتهاة.

واعلم أن كل مشيئة وتزيين وإضلال ونحو ذلك منسوبة إلى الله تعالى بالأصالة وإلى غيره بالتبعية. ففي الآية حجة قاطعة على المعتزلة والقدرية. ﴿فهم يعمهون﴾ يتحيرون ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من الضرر والعقوبة والفاء لترتيب المسبب على السبب. وبالفارسية [پس إيشان سركردان ميشوند در ضلالت خود] والعمه التردد في الأمر من التحير.

﴿أولئك﴾ الموصوفون بالكفر والعمه ﴿الذين لهم سوء العذاب﴾ أي في الدنيا كالقتل والأسر يوم بدر. والسوء كل ما يسوء الإنسان ويغمه ﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ أشد الناس خسراناً لاشترائهم الضلالة بالهدى فخسروا الجنة ونعيمها وحرموا النجاة من النار.

واعلم أن أهل الدنيا في خسارة الآخرة وأهل الآخرة في خسارة المولى فمن لم يلتفت إلى الكونين ريح المولى ولما وجد أبو يزيد البسطامي قدس سره في البادية قحف رأس مكتوب عليه خسر الدنيا والآخرة بكى وقبله وقال هذا رأس صوفي فمن وجد المولى وجد الكل ومن وجد الكل بدون وجدان المولى لم يجد شيئاً مفيداً وضاع وقته. وقال الحافظ:

أوقات خوش آن بودكه بادوست بسر رفت   باقي همه بي حاصل وبيخبري بود

قال بعض العارفين: كوشفت بأربعين حوراء رأيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من فضة وذهب وجوهر فنظرت إليهن نظرة فعوقبت أربعين يوماً ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين

حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي: انظر إليهن فسجدت وغضضت عيني في السجود وقلت: أعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا ولم أزل أتضرع حتى صرفهن عني فهذا حال العارفين حيث لا يلتفتون إلى ما سوى الله تعالى ويكونون عمياً عن عالم الملك والملكوت. وأما الغافلون الجاهلون فبحبهم ما سواه تعالى عميت عيون قلوبهم وصمت آذانها فإنه لا يكون في عالم المعنى إلا ويكون أصم وأبكم وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «حبك الشيء يعمي ويصم» بخلاف أعمى الصورة فإن سمعه بحاله في سماع الدعوة وقبولها. فعى العاقل أن يجتنب عن الأعمال القبيحة المؤدية للرين والردى والأخلاق الرذيلة الموجبة للعمه والعمى بل يتسارع إلى العمل بالقرآن الهادي إلى وصول المولى والناهي عن الخسران مطلقاً وعن الأعمال الصالحة والصلاة. وإنما شرعت لمناجاة الحق بكلامه حال القيام دون غيره من أحوال الصلاة للاشتراك في القيومية ولهذا كان من أدب الملوك إذا كلمهم أحد من رعيتهم أن يقوم بين أيديهم ويكلمهم ولا يكلمهم جالساً فتبع الشرع في ذلك العرف. ومن آداب العارف إذا قرأ في صلاته المطلقة أن لا يقصد قراءة سورة معينة أو آية معينة وذلك لأنه لا يدري أين يسلك به ربه من طريق مناجاته فالعارف بحسب ما يناجيه به من كلامه وبحسب ما يلقي الله الحق في خاطره وكل صلاة لا يحصل منها حضور قلب فهي ميتة لا روح فيها وإذا لم يكن فيها روح فلا تأخذ بيد صاحبها يوم القيامة. ومن الأعمال الصالحة المذكورة الزكاة والصدقة وأفضلها ما يعطى حال الصحة دون مرض الموت وينبغي لمن قرب أجله وأراد أن يعطي شيئاً أن يحضر في نفسه أنه مؤد أمانة لصاحبها فيحشر مع الأمناء المؤدين أماناتهم لا مع المتصدقين لفوات محل الأفضل فهذه حيلة في ربح التجارة في باب الصدقة وفي الإنفاق زيادة للمال وتكثير له وإطالة لفروعه كالحبوب إذا زرعت.

﴿**وإنك**﴾ يا محمد ﴿**لتلقى القرآن**﴾ لتعطاه بطريق التلقية والتلقين يقال: تلقى الكلام من فلان ولقنه إذا أخذه من لفظه وفهمه.

قال في «تاج المصادر»: التلقية [چيزي پيش كسى وآوردن] وقد سبق الفرق بين التلقي والتلقف والتلقن في سورة النور. ﴿**من لدن حكيم عليم**﴾ بواسطة جبريل لا من لدن نفسك ولا من تلقاء غيرك كما يزعم الكفار. ولدن بمعنى عند إلا أنه أبلغ منه وأخص وتنوين الاسمين للتعظيم أي حكيم أي حكيم وعليم أي عليم وفي تفخيمهما تفخيم لشأن القرآن وتنصيص على طبقته عليه السلام في معرفته والإحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق فإن تلقي الحكم والعلوم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علماً في رصانة العلم والحكمة.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنك جاوزت حد كمال كل رسول فإنهم كانوا يلقون الكتب بأيديهم من يد جبريل والرسالات من لفظه وحياً وإنك وإن كنت تلقى القرآن بتنزيل جبريل على قلبك ولكنك تلقى حقائق القرآن من لدن حكيم تجلى لقلبك بحكمة القرآن وهي صفة القائمة بذاته فعلمك حقائق القرآن وجعلك بحكمته مستعداً لقبول فيض القرآن بلا واسطة وهو العلم اللدني وهو أعلم حيث يجعل رسالته. وفي الجمع بين الحكيم والعليم إشعار بأن علوم القرآن منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والأخبار الغيبية. ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم فقال:

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾.

﴿إذ قال موسى لأهله﴾ أهل الإنسان من يختص به أي أي اذكر لقومك يا محمد وقت قول موسى لزوجته ومن معها في وادي الطور وذلك أنه مكث بمدين عند شعيب عشر سنين ثم سار بأهله بنت شعيب إلى مصر. يعني [بقصد آنكه تا مادر خويش ودو خواهر خويش يكي زن قارونَ وَيكي زَن يوشع بود ازا نجابيارد] فضل الطريق في ليلة مظلمة شديدة البرد وقد أخذ امرأته الطلق فقدح فأصلد زنده فبدا له من جانب الطور نار فقال لأهله: اثبتوا مكانكم، ﴿إني آنست ناراً﴾ أبصرت.

قال في «التاج»: [الإيناس: ديدن] والباب يدل على ظهور الشيء وكل شيء خالف طريقة التوحش.

قال مقاتل: النار هو النور وهو نور رب العزة رآه ليلة الجمعة عن يمين الجبل بالأرض المقدسة وقد سبق سر تجلي النور في صورة النار في سورة طه. ﴿سآتيكم منها بخبر﴾ أي: عن حال الطريق أين هو والسين للدلالة على بعد المسافة أو لتحقيق الوعد بالإتيان وإن أبطأ فيكون للتأكيد. وبالفارسية [زور باشدكه بيارم از نزديك آن آتش خبري يعني از كسى كه برسر آن آتش باشد خبر راه پرسم. ﴿أو آتيكم﴾ [يا بيارم] ﴿بشهاب قبس﴾ أي بشعلة نار مقبوسة أي مأخوذة من معظم النار ومن أصلها إن لم أجد عندها من يدلني على الطريق فإن عادة الله أن لا يجمع حرمانين على عبده يقال: اقتبست منه ناراً وعلماً استفدته منه.

وفي «المفردات»: الشهاب الشعلة الساطعة من النار المتوقدة والقبس المتناول من الشعلة والاقتباس طلب ذلك ثم استعير لطلب العلم والهداية انتهى.

فإن قلت: قال في طه: ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم﴾ [طه: ١٠] ترجياً وهنا ﴿سآتيكم﴾ إخباراً وتيقناً وبينهما تدافع.

قلت: لا تدافع لأن الراجي إذا قوي رجاؤه يقول: سأفعل كذا مع تجويزه خلاف ذلك ﴿لعلكم تصطلون﴾ رجاء أن تدفعوا البرد بحرها. والصلاء النار العظيمة والاصطلاء [كرم شدن بآتش].

قال بعضهم: الاصطلاء بالنار يقسي القلب ولم يرو أنه عليه السلام اصطلى بالنار.

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾

﴿فلما جاءها﴾ [پس آن هنكام كه آمد موسى نزديك آن آتش نوراني ديد بي إحراق از درختي بسزد كويند آتشي بود محرق چون سائر آتشها] وكانت الشجرة سمرة ﴿نودي﴾ جاءه النداء وهو الكلام المسموع من جانب الطور.

قال في «عرائس البيان»: كان موسى عليه السلام في بداية حاله في مقام العشق والمحبة وكان أكثر أحوال مكاشفته في مقام الالتباس فلما كان بدو كشفه جعل تعالى الشجرة والنار مرآة فعلية فتجلى بجلاله وجماله من ذاته لموسى وأوقعه في رسوم الإنسانية حتى لا يفزع ويدنو من النار والشجرة ثم ناداه فيها بعد أن كاشف له مشاهدة جلاله ولولا ذلك لفني موسى في أول سطوات عظمته وعزته ﴿أن﴾ مفسرة لما في النداء من معنى القول، أي: ﴿بورك﴾ أو بأن بورك

على أنها مصدرية حذف منها الجار جرياً على القاعدة المستمرة وبورك مجهول بارك وهوخبر لادعاء أي جعل مباركاً وهو ما فيه الخير والبركة والقائم مقام الفاعل قوله: ﴿من في النار﴾ أي من في مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَاطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ [القصص: ٣٠] ﴿ومن حولها﴾ أي ومن حول مكانها والظاهر أن المبارك فيه عام في كل من في تلك البقعة وحواليها من أرض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الأنبياء وكفاتهم أحياء وأمواتاً وخصوصاً تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وفي ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه بشارة بأنه قد قضى له أمر عظيم ديني تنتشر بركاته في أقطار الأرض المقدسة وهو تكليمه تعالى إياه واستنباؤه له وإظهار المعجزات على يده وكل موضع يظهر فيه مشاهدة الحق ومكالمته يكون ذا بركه ألا ترى إلى قوله القائل:

إذا نزلت سلمى بواد فماؤه زلال وسلسال وجشجاثه ورد

ولم يزل يخضر مواطىء أقدام رجال الله في الصحارى والجبال من بركات حالاتهم مع الله الملك المتعال. ثم إن بعض المفسرين حمل بورك على التحية كما قال الكاشفي: [بركت داده باد] وبعضهم حمل من في النار على الملائكة وذلك أن النور الذي بان قد بارك فيه وفي الملائكة الذين كانوا في ذلك النور.

وقال بعض العارفين: إن الله أراد بمن في النار ذاته المقدسة وهو الذي أفاض بركة مشاهدته على موسى وله تعالى أن يتجلى بوصف النار والنور والشجرة والطور وغيرها مما يليق بحال العاشق مع تنزه ذاته وصفاته عن الجهة في الحقيقة وفي الحديث: «إن الله يرى هيئة ذاته كيف يشاء» ﴿وسبحان الله رب العالمين﴾ من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيهاً وللتعجيب من عظمة ذلك الأمر. وبالفارسية [پاكست خداي تعالى پرورد كار عالميان زتشبيه آورده اندكه چون موسى اين نداشنيد كفت ندا كننده كيست بازندا آمدكه].

﴿يا موسى إنه﴾ أي: الشأن ﴿أنا الله﴾ جملة مفسرة للشأن ﴿العزيز الحكيم﴾ أي: القوي القادر على ما يبعد من الأوهام الفاعل كل ما يفعله بحكمة وتدبير تام.

قال في «الأسئلة المقحمة»: قوله: «إنه أنا الله» سمعه من الشجرة فدل ذلك على حدوثه لأن المسموع من الجهات علامة الحدوث والجواب نحن ننزه كلام الله تعالى عن الجهة والمكان كما نحن ننزه ذاته عن الجهة والمكان فكذلك ننزه كلامه عن الأصوات والحروف وإنما كان سماع كلام الله لموسى حصل من جا نب الشجرة فالشجرة ترجع إلى سماع موسى لا إلى الله تعالى.

فإن قلت: كيف سمع موسى كلام الله من غير صوت وحرف وجهة؟.

قلت: إن كان هذا سؤالاً عن كيفية الكلام فهذا لا يجوز فإن سؤال الكيفية محال في ذات الله وصفاته إذ لا يقال: كيف ذاته من غير جسم وجوهر وعرض وكيف علمه من غير كسب وضرورة وكيف قدرته من غير صلابة وكيف إرادته من غير شهوة وأمنية وكيف تكلمه من غير صوت وحرف وإن كان سؤال الكيفية عن سماع موسى قلنا: خلق الله لموسى علماً ضرورياً علم به أن الذي سمعه هو كلام الله القديم الأزلي من غير حرف ولا صوت ولا جهة وقد سمعه من الجوانب الستة فصار جميع جوارحه كسمعه أي صار الوجود كله سمعاً ثم يصير في الآخرة كذلك والكامل الواصل له حكم الآخرة في الدنيا.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿وألق عصاك﴾ عطف على بورك أي نودي أن بورك من في النار وأن ألق عصاك.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من سمع نداء الحق وشاهد أنوار جماله يلقى من يد همته كل ما كان متوكأه غير الله فلا يتوكأ إلا على فضل الله وكرمه.

تكيه برغير خدا كفريست از كفر طريق   جز بفضل حق مكن تكيه درين ره اي رفيق

﴿فلما رأها تهتز﴾ الفاء فصيحة تفصح عن جملة محذوفة كأنه قيل: فألقاها فانقلبت حية تسعى فلما أبصرها تتحرك بحركة شديدة وتذهب إلى كل جانب حال كونها. ﴿كأنها جان﴾ حية خفيفة سريعة فشبه الحية العظيمة المسماة بالفارسية [اژدها] بالجان في سرعة الحركة والالتواء والجان ضرب من الحيات أي حية كحلاء العين لا تؤذي كثيرة في الدور كما في «القاموس».

وقال أبو الليث: الصحيح أن الثعبان كان عند فرعون والجان عند الطور وفيه إشارة إلى أن كل متوكأ غير الله في الصورة ثعبان له في المعنى ولهذا جاء في «المثنوي»:

هـر خـيـالـي كـوكـنـد دردل وطـن   روز مـحـشـر صـورتـي خـواهـد شـدن

﴿ولى﴾ رجع وأعرض موسى. وبالفارسية [روى بكردانيد]. ﴿مدبراً﴾ [در حالتي كه كريزان بود از خوف].

قال في «كشف الأسرار»: أدبر عنها وجعلها تلي ظهره. ﴿ولم يعقب﴾ ولم يرجع على عقبه من عقب المقاتل إذا كرّ بعد الفرّ وإنما اعتراه الرعب لظنه أن ذلك الأمر أريد به هلاك نفسه ويدل عليه قوله: ﴿يا موسى﴾ أي قيل له: يا موسى ﴿لا تخف﴾ أي: من غيري ثقة بي أو مطلقاً لقوله: ﴿إني لا يخاف لدي﴾ عندي ﴿المرسلون﴾ فإنه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقاً لكن لا في جميع الأوقات بل حين يوحى إليهم بوقت الخطاب فإنهم حينئذ مستغرقون في مطالعة شؤون الله لا يخطر ببالهم خوف من أحد أصلاً وأما سائر الأحيان فهم أخوف الناس منه سبحانه أو لا يكون لهم عند سوء عاقبة فيخافون منه.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني من فر إلى الله عما سواه يؤمنه الله مما سواه ويقول له: لا تخف فإنك لدي ولا يخاف لدي من غيري القلوب المنورة الملهمة المرسلة إليها الهدايا والتحف من الطافي.

وفي «عرائس البيان»: لا تخف من الثعبان فإن ما ترى ظهور تجلي عظمتي ولا يخاف من مشاهدة عظمتي وجلالي في مقام الالتباس المرسلون فإنهم يعلمون أسرار ربوبيتي ولما علم أن موسى كان مستشعراً حقيقة من قتله القبطي قال تعريضاً به:

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾

﴿إلا من ظلم﴾ استثناء منقطع أي لكن من ظلم نفسه من المرسلين بذنب صدر منه كآدم ويونس وداود وموسى وتعبير الظلم لقول آدم ربنا ظلمنا أنفسنا وموسى رب إني ظلمت نفسي. ﴿ثم بدل حسناً بعد سوء﴾ [پس بدل كند وبجاي آرد نيكويي بعد ازبدي يعني توبه كند بعد ازكناه]. ﴿فإني غفور﴾ للتائبين ﴿رحيم﴾ مشفق عليهم.

اختلفوا في جواز الذنب على الأنبياء وعدمه قال الإمام والمختار: عندنا أنه لم يصدر عنهم ذنب حال النبوة لا الصغير ولا الكبير وترك الأولى منهم كالصغيرة منا لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وفي «الفتوحات» اعلم أن معاصي الخواص ليست كمعاصي غيرهم بحكم الشهوة الطبيعية وإنما تكون معاصيهم بالخطأ في التأويل وإيضاح ذلك أن الحق تعالى إذا أراد إيقاع المخالفة من العارف بالله زين له الوقوع في ذلك العمل بتأويل؛ لأن معرفة العارف تمنعه من الوقوع في المخالفة دون تأويل يشهد فيه وجه الحق فإن العارف لا يقع في انتهاك الحرمة أبداً ثم إذا وقع في ذلك المقدور بالتزيين، أو التأويل يظهر له تعالى فساد ذلك التأويل الذي أداه إلى ذلك الفعل كما وقع لآدم عليه السلام فإنه عصى بالتأويل فعند ذلك يحكم العارف على نفسه بالعصيان كما حكم عليه بذلك لسان الشريعة وكان قبل الوقوع غير عاص لأجل شبهة التأويل كما أن المجتهد في زمان فتواه بأمر ما اعتقاداً منه أن ذلك عين الحكم المشروع في المسألة لا يوصف بخطأ ثم في ثاني الحال إذا ظهر له بالدليل أنه أخطأ حكم عليه لسان الظاهر أنه أخطأ في زمان ظهور الدليل لا قبل ذلك فعلم أنه يمكن لعبد أن يعصي ربه على الكشف من غير تأويل أو تزيين أو غفلة أونسيان أبداً وأما قول أبي يزيد قدس سره لما قيل له أيعصي العارف الذي هو من أهل الكشف؟ فقال: نعم وكان أمر الله قدراً مقدوراً فلا ينافي ذلك أي لأن من أدب العارفين أن لا يحكموا عليه بتقييد كأنه يقول: إن كان الحق تعالى قدر عليهم في سابق علمه بشيء فلا بد من وقوعه وإذا وقع فلا بد له من حجاب أدناه التأويل أو التزيين فاعلم ذلك.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾.

﴿**وأدخل يدك في جيبك**﴾[در آردست خودرا دركريبان پيرهن خود] ولم يقل في كمك لأنه كان عليه مدرعة من صوف لا كم لها ولا أزرار فكانت يده الكريمة مكشوفة فأمر بإدخال يده في مدرعته وهي جبة صغيرة يتدرع بها أي تلبس بدل الدرع وهو القميص ﴿**تخرج**﴾ حال كونها ﴿**بيضاء**﴾ براقة لها شعاع كشعاع الشمس أي إن أدخلتها تخرج على هذه الصفة ﴿**من غير سوء**﴾ أي آفة كبرص ونحوه. ﴿**في تسع آيات**﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هما داخلتان في جملتها فتكون الآيات تسعاً بالعصا واليد وهنّ العصا واليد البيضاء والجدب في البوادي ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم. ﴿**إلى فرعون**﴾ أي: حال كونك مبعوثاً إليه ﴿**وقومه**﴾ القبط ﴿**إنهم كانوا قوماً فاسقين**﴾ تعليل للبعث، أي خارجين عن الحدود في الكفران والعدوان.

﴿**فلما جاءتهم آياتنا**﴾ التسع بأن جاءهم موسى بها وظهرت على يده حال كونها. ﴿**مبصرة**﴾ مستنيرة واضحة اسم فاعل أطلق على المفعول إشعاراً بأنها لفرط إنارتها ووضوحها للأبصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر. ﴿**قالوا هذا سحر مبين**﴾ واضح سحريته. يعني [همه كس داندكه اين سحر است].

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿**وجحدوا بها**﴾ كذبوا بألسنتهم كونها آيات إلٰهية. والجحود إنكار الشيء بعد المعرفة

والإيقان تعنتاً وأريد هنا التكذيب لئلا يلزم استدراك قوله: ﴿واستيقنتها أنفسهم﴾ الواو للحال. والاستيقان: [بي كمان شدن] أي وقد علمتها أنفسهم أي قلوبهم وضمائرهم علماً يقيناً أنها من عند الله وليست بسحر.

قال أبو الليث: وإنما استيقنتها قلوبهم لأن كل آية رأوها استغاثوا بموسى وسألوا منه بأن يكشف عنهم فكشف عنهم فظهر لهم بذلك أنها من الله تعالى. ﴿ظلماً﴾ نفسانياً علة لجحدوا ﴿وعلوّاً﴾ إباء واستكباراً شيطانياً. ﴿فانظر كيف كان﴾ [پس بنكر يا محمد كه چكونه بود] ﴿عاقبة المفسدين﴾ وهو الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة. وبالفارسية: [عاقبت كار تباه كاران كه در دنيا بآب غرقه شدند ودر عقبى بآتش خواهند سوخت].

هم حالت مفسدان خوش است سر انجام أهل فساد آتش است

وفي هذا تمثيل لكفار قريش إذ كانوا مفسدين مستعلين فمن قدر على إهلاك فرعون كان قادراً على إهلاك من هو على صفته وذلك إلى يوم القيامة فإن جلال الله تعالى دائم للأعداء كما أن جماله باق للأولياء مستمر في كل عصر وزمان.

فعلى العاقل أن يتعظ بحال غيره ويترك الأسباب المؤدية إلى الهلاك مثل الظلم والعلو الذي هو من صفات النفس الأمارة ويصلح حاله بالعدل والتواضع وغير ذلك مما هو من ملكات القلب.

والإشارة في الآية إلى أن الذين أفسدوا استعداد الإنسانية لقبول الفيض الإلّهي بلا واسطة كان عاقبتهم أنهم نزلوا منازل الحيوانات من الأنعام والسباع وقرنوا مع الشياطين في الدرك الأسفل من النار، فانظر إلى أن الارتقاء إلى السؤدد صعب والانحطاط إلى الدناءة سهل إذ النفس والطبيعة كالحجر المرمي إلى الهواء تهوي إلى الهاوية فإذا اجتهد المرء في تلطيفها بالمجاهدات والرياضات تشرف بالارتقاء في الدرجات وتخلص من الانحطاط إلى الدركات. قال الحافظ:

بال بكشا وصفير از شجر طوبى زن حيف باشد چو تومرغي كه أسير قفسي

فما أقبح المرء أن يكون حسن جسمه باعتبار قبح نفسه كجنة يعمرها يوم وصرمة يحرسها ذئب وأن يكون اعتباره بكثرة ماله وحسن أثاثه كثور عليه حلي ففضل الإنسان بالهمم العالية والاتباع بالحق والأدب والعقل الذي يعقله عن الوقوع في الورطات بارتكاب المنهيات نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من القابلين لإرشاده والعاملين بكتابه المحفوظين عن عذابه المغبوطين بثوابه.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿ولقد﴾ أي وبالله قد ﴿آتينا﴾ أعطينا ﴿داود وسليمان﴾ أي: كل واحد منهما.

قال في «مشكاة الأنوار»: قالت نملة لسليمان عليه السلام: يا نبي الله أتدري لم صار اسم أبيك داود واسمك سليمان؟ قال: لا قالت: لأن أباك داوى قلبه عن جراحة الالتفات إلى غير الله فوّد وأنت سليم تصغير سليم آن لك أي حان لك أن تلحق بأبيك. ﴿علماً﴾ أي: طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والأحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس

وتسبيح الجبال ومنطق الطير والدواب فإن الله تعالى علم سبعة نفر سبعة أشياء: علم آدم أسماء الأشياء فكان سبباً في حصول السجود والتحية، وعلم الخضر علم الفراسة فكان سبباً لأن وجد تلميذاً مثل موسى ويوشع. وعلم يوسف التعبير فكان سبباً لوجدان الأهل والمملكة، وعلم داود صنعة الدروع فكان سبباً لوجدان الرياسة والدرجة، وعلم سليمان منطق الطير فكان سبباً لوجدان بلقيس. وعلم عيسى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل فكان سبباً لزوال التهمة عن الشر، وعلم محمداً ﷺ الشرع والتوحيد فكان سبباً لوجود الشفاعة.

وقال الماوردي: المراد بقوله: ﴿علماً﴾ علم الكيمياء وذلك لأنه من علوم الأنبياء والمرسلين والأولياء العارفين كما قال حضرة مولانا قدس سره الأعلى:

از كرامات بلند أوليا أولا شعرست وآخر كيميا

والكيمياء في الحقيقة القناعة بالموجود وترك التشوف إلى المفقود:

كيميايى ترا كنم تعليم كه دراكسير ودر صناعت نيست
رو قناعت كزين كه در عالم كيميايي به از قناعت نيست

قال في «كشف الأسرار»: [داود أز أنبياء بني إسرائيل بيود از فرزندان يهوذا بن يعقوب وروز كاروي بعد از روز كار موسى بود بصد هفتاد ونه سال وملك وي بعد از ملك طالوت بود وبني إسرائيل همه يتبع وي شدند وملك بروي مستقيم كشت إينست رب العالمين كفت. ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ [ص: ٢٠] هرشب سي وهزار مرد از بزركان بني إسرائيلي اورا حارس بودند وباوي ملك علم بود ونبوت چنانكه كفت جل جلاله ﴿آتينا داود وسليمان علماً﴾ وحكم كه راندند وعمل كه كردند از احكام توراة كردنكه كتاب وي زبور همه موعظت بود دران أحكام أمر ونهى نبود].

قال ابن عطاء قدس سره: ﴿علماً﴾ أي علماً بربه وعلماً بنفسه وأثبت لهما علمهما بالله علم أنفسهما وأثبت لهما علمهما بأنفسهما حقيقة العلم بالله لذلك.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

بروجود خداي عز وجل هست نفس توحجت قاطع
چون بداني تونفس را داني كوست مصنوع وايزدش صانع

واعلم أن العلم علمان علم البيان وهو ما يكون بالوسائط الشرعية وعلم العيان وهو ما يستفاد من الكشوفات الغيبية فالمراد بقوله عليه السلام: «سائل العلماء وخالط الحكماء وجالس الكبراء» أي: سائل العلماء بعلم البيان فقط عند الاحتياج إلى الاستفتاء منهم وخالط العلماء بعلم العيان فقط وجالس الكبراء بعلم البيان والأحكام وعلم المكاشفة والأسرار فأمر بمجالستهم لأن في تلك المجالسة منافع الدنيا والآخرة.

توخود بهتري جوي وفرصت شمار كه باچون خودي كم كنى روزكار

﴿وقالا﴾ أي: كل واحد منهما شكراً لما أوتيه من العلم ﴿الحمد لله الذي فضلنا﴾ بما آتانا من العلم. ﴿على كثير من عباده المؤمنين﴾ على أن عبارة كل منهما فضلني إلا أنه عبر عنهما عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير إيجازاً وبهذا ظهر حسن موقع العطف بالواو إذ المتبادر من العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على إيتاء ما أوتي كل منهما لا على إيتاء ما أوتي نفسه فقط.

وقال البيضاوي: عطفه بالواو إشعاراً بأن ما قالاه بعض ما أتيا به في مقابلة هذه النعمة كأنه قال: ففعلا شكراً له ما فعلا وقالا الحمد لله الخ انتهى والكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما لا من لم يؤت علماً أصلاً فإنه قد بين الكثير بالمؤمنين وخلوهم من العلم بالكلية مما لا يمكن وفي تخصيصهما الكثير بالذكر رمز إلى أن البعض متفضلون عليهما.

وفيه أوضح دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما أوتيا من الملك الذي لم يؤته غيرهما وتحريض للعلماء على أن يحمدوا الله تعالى على ما آتاهم من فضله ويتواضعوا ويعتقدوا أنهم وإن فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذي علم عليم ونعم ما قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه كل الناس أفقه من عمر.

وفي الآية إشارة إلى داود الروح وسليمان القلب وعلمهما الإلهام الرباني وعلم الأسماء الذي علم الله آدم عليه السلام وحمدهما على ما فضلهما على الأعضاء والجوارح المستعملة في العبودية فإن شأن الأعضاء العبودية والعمل وشأن الروح والقلب العلم والمعرفة وهو أصل. وسأل رجل رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال فقال: «العلم بالله والفقه في دينه» وكررهما عليه فقال: يا رسول الله أسألك عن العمل فتخبرني عن العلم فقال: «إن العلم ينفعك معه قليل العمل وإن الجهل لا ينفعك معه كثير العمل» والمتعبد بغير علم كحمار الطاحونة يدور ولا يقطع المسافة.

قال فتح الموصلي قدس سره: أليس المريض إذا منع عنه الطعام والشراب والدواء يموت فكذا القلب إذا منع عنه العلم والفكر والحكمة يموت ثم إن الامتلاء من الأغذية الظاهرة يمنع التغذي بالأغذية الباطنة كما قال الشيخ سعدي رحمه الله: [عابدي حكايت كنندكه هرشب ده من طعام بخوردي وتابسحر ختمي درنماز بكردي صاحب دلي بشنيد وكفت اكر نيم نان بخوردي وبختفي بسياء ازين فاضلتر بودي].

اندرون از طعام خالي دار تادرو نور ومعرفت بيني
نهى از حكمتي بعلت آن كه پرى از طعام تابيني

وكذا العجب والكبر يمنع النور والصفاء كما قال في «البستان»:

تراكي بود چون چراغ التهاب كه از خود پرى همچو قنديل از آب

فإذا أصلح المرء ظاهره بالشريعة وباطنه بالطريقة كان مستعداً لفيض العلم الذي أوتوه الأنبياء والأولياء وفضلوا بذلك على مؤمني زمانهم وهذا التفضيل سبب لمزيد الحمد والشكر لله تعالى فإن الثناء بقدر الموهبة والعطية، نحمد الله تعالى على آلائه ونعمائه ونستزيد العلم وقطراته من دأمائه ونسأله التوفيق في طريق التحقيق والثبات على العمل الصالح بالعلم النافع الذي هو للهوى قامع وللشهوات دافع إنه المفضل المنعم الكبير والوهاب الفياض الرحيم.

﴿وورث سليمان داود﴾ أي: صار إليه العلم والنبوة والملك بعد موت أبيه دون سائر أولاده فسمي ميراثاً تجوزاً لأن حقيقة الميراث في المال والأنبياء إنما يرثون الكمالات النفسانية ولا قدر للمال عندهم قال عليه السلام لعلي رضي الله عنه: «أنت أخي ووارثي» قال: وما أرثك؟ قال: «ما ورث الأنبياء قبلي كتاب الله وسنتي».

وسأل بعض الأقطاب ربه أن يعطي مقامه لولده فقال له الحق في سره: مقام الخلافة لا

يكون بالوراثة إنما ذلك في العلوم أو الأموال والمريد الصادق يرث من شيخه علوم الحقائق بعد كونه مستعداً لها فتصير تلك الحقائق مقاماته لذلك قال عليه السلام: «العلماء ورثة الأنبياء».

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن سليمان القلب يرث داود الروح فإن كل وارد وإلهام وإشارة ووحي وفيض رباني يصدر من الحضرة الإلهية يكون عبوره على الروح ومن كمال لطافته يعبر عنه فيصل إلى القلب لأن القلب بصفاته يقبله وبكثافته وصلابته يحفظه فلهذا شرف القلب على الروح ولذلك قال سليمان: أقضي من داود وقال عليه السلام: «يا وابصة استفت قلبك» ولم يقل: استفت روحك.

قال الكاشفي: [كويند داودرا نوزده پسر بودند هريك داعيهٔ ملك داشتند حق سبحانه وتعالى نامهٔ مهر كرده از آسمان فرستاد ودرو چند مسئله يا دكرد وفر مودكه هركه ازاولادتو اين مسائل را جواب دهد بعد از تووارث ملك باشد داود فرزندانرا جمع كرد وأحبار وأشراف را حاضر كردانيده ومسئلها برفرزندان عرض كردكه بكوييدكه. نزديكترين چيزها كدامست. ودورترين اشياچيست. وآنكه انس بدو بيشترست كدامست. وآنكه وحشت افزايد چيست. وكدامند دوقائم. ودو مختلف. ودو دشمن. وكدام كارست كه آخر آن ستوده است. وكدام أمر ست كه عاقبت آن نكوهيده است أولاد حضرت داود از جواب آن عاجز آمدند سليمان فرمودكه اكراجازت باشد من جواب دهم داود ويراد ستوري داد سليمان كفت. اقرب اشيا بآدمي موتست. وابعد اشيا آنجه ميكذردازدنيا. وآنكه اسن بدو بيشرست جسد انسانست باروح. واوحش اشيا بدن خالي ازروح. أما قائمان ارض وسما اند. ومختلفان ليل ونهار. ومتباغضان موت وحيات. وكاريكه آخرش محمود است حلم در وقت خشم. وكاري كه عاقبتش مذموم است حدت دروقت غضب وچون جواب مسائل موافف كتاب منزل بود أكابر بني إسرائيل بفضل وكمال سليمان معترف شدند وداو ملك را بدو تسليم كرد وديكر روزوفات كرد وسليمان برتخت نشست] ﴿وقال﴾ تشهيراً لنعمة الله تعالى ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزات الباهرة التي أوتيها أي لا فخراً وتكبراً.

قال البقلي: إن سليمان عليه السلام أخبر الخلق بما وهبه الله لأن المتمكن إذا بلغ درجة التمكين يجوز له أن يخبر الخلق بما عنده من موهبة الله لزيادة إيمان المؤمنين وللحجة على المنكرين قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١] ﴿يا أيها الناس علمنا منطق الطير﴾ النون نون الواحد المطاع على عادة الملوك فإنهم متكلمون مثل ذلك رعاية لقاعدة السياسة لا تكبراً وتجبراً وكذا في أوتينا.

وقال بعضهم: علمنا أي أنا وأبي وهذا ينافي اختصاص سليمان بفهم منطق الطير على ماهو المشهور والمنطق والنطق في التعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفرداً أو مركباً وقد يطلق على كل ما يصوّت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال: نطقت الحمامة إذا صوتت.

قال الإمام الراغب: النطق في التعارف الأصوات المقطعة التي يظهرها اللسان وتعيها الآذان ولا يكاد يقال إلا للإنسان ولا يقال لغيره إلا على سبيل التبع نحو الناطق والصامت فيراد بالناطق ماله صوت وبالصامت ما لا صوت له ولا يقال للحيوانات ناطق إلا مقيداً أو على طريق

التشبيه وسميت أصوات الطير منطقاً اعتباراً بسليمان الذي كان يفهمه فمن فهم من شيء معنى فذلك الشيء بالإضافة إليه ناطق وإن كان صامتاً وبالإضافة إلى من لا يفهم عنه صامت وإن كان ناطقاً والطير جمع طائر كركب وراكب وهو كل ذي جناح يسبح في الهواء ويجري وكان سليمان يعرف نطق الحيوان غير الطير أيضاً كما يجيء من قصة النمل لكنه أدرج هذا في قوله: ﴿وأوتينا من كل شيء﴾ وخص منطق الطير لشرف الطير على سائر الحيوان. ومعنى الآية علمنا فهم ما يقوله كل طائر إذا صوت. وبالفارسية: [أي مردمان آموخته شديم ما كفتار مرغانراكه ايشان چه ميكويند] وكل صنف من أصناف الطير يتفاهم أصواته. يعني [هرجماعتي را از طيور آو ازيست كه جزنوع إنسان ازان فهم معاني وأغراض نكند] والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهمه بعضه من بعض من أغراضه.

قال في «إنسان العيون»: وهذا في طائر لم يفصح العبارة وإلا فقد سمع من بعض الطيور الإفصاح بالعبارة فنوع من الغربان يفصح بقوله الله حق.

وعن بعضهم قال: شاهدت غراباً يقرأ سورة السجدة وإذا وصل محل السجود سجد وقال: سجد لك سوادي وآمن بك فؤادي. والدرة تنطق بالعبارة الفصيحة وقد وقع لي أني دخلت منزلاً لبعض أصحابنا وفيه درة لم أرها فإذا هي تقول: مرحباً بالشيخ البكري وتكرر ذلك وعجبت من فصاحة عبارتها انتهى. حكي: أن رجلاً خرج من بغداد ومعه أربعمائة درهم لا يملك غيرها فوجد في طريقه أفراخ زريات وهو أبو زريق فاشتراها بالمبلغ الذي كان معه ثم رجع إلى بغداد فلما أصبح فتح دكانه وعلق الأفراخ عليها فهبت ريح باردة فماتت كلها إلا فرخاً واحداً كان أضعفها وأصغرها فأيقن الرجل بالفقر فلم يزل يبتهل إلى الله تعالى بالدعاء ليله كله يا غياث المستغيثين أغثني فلما أصبح زال البرد وجعل ذلك الفرخ ينفش ريشه ويصيح بصوت فصيح يا غياث المستغيثين أغثني فاجتمع الناس عليه يسمعون صوته فاجتازت أمة لأمير المؤمنين فشرته منه بألف درهم كذا في «حياة الحيوان».

قال الإمام الدميري: أبو زريق هو القنق وهو طائر على قدر اليمامة وأهل الشام يسمونه زريق وهو ألوف للناس فيه قبول للتعليم وسرعة إدراك لما تعلم ـ ويحكى ـ أن سليمان عليه السلام مر على بلبل في شجرة يتصوت ويترقص أي يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول؟ فقالوا: الله أعلم ونبيه قال: يقول: إذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء أي التراب والدروس، وبالفارسية: [خاك برسر دنيا] ولعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال. وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول: ليت ذا الخلق لم يخلقوا ولعله كان صياحها عن مقاساة شدة وتألم قلب. وصاح طاوس فقال: يقول: كما تدين تدان. وصاح هدهد فقال: يقول: استغفروا الله يا مذنبون. وهكذا صاح الصرد فمن ثمة نهى رسول الله عن قتله وهو طائر فوق العصفور يصيد العصافير وغيرها لأن له صفيراً مختلفاً يصفر لكل طائر يريد صيده بلغته فيدعوه إلى القرب منه فإذا قرب منه قصمه من ساعته وأكله. وفي بعض الروايات يقول الهدهد: من لا يرحم لا يرحم وقد يجمع بينه وبين ما تقدم بأنه يجوز أن يقول تارة هذا وأخرى ما تقدم. وصاح طيطوي فقال: يقول: كل حي ميت وكل جديد بال ونسبه في «كشف الأسرار» إلى الطوطي. وصاح خطاف فقال: يقول: قدموا خيراً تجدوه وفي «الكشف»: إذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين ويمد الضالين كما يمدها القارىء وهو بضم الخاء المعجمة كرمان

جمعه خطاطيف وسمى زوار الهند وهو من الطيور القواطع إلى الناس يقطع البلاد البعيدة إليهم رغبة في القرب منهم وهذا الطائر يعرف عند الناس بعصفور الجنة لأنه زهد عما في أيديهم من الأقوات فأحبوه لأنه إنما يتقوّت من البعوض والذباب. وصاح القمريّ فقال: يقول: سبحان ربي الأعلى. وصاح رخمة أو حمامة فأخبر أنها تقول: سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه والرخمة طائر أصم أبكم لا يسمع ولا يتكلم ولذلك قالوا: إن أطول الطير أعماراً الرخم فالسلامة والبركة في العمر في حفظ اللسان. وقال: الحدأة تقول: كل شيء هالك إلا الله وهو بالفارسية [زغن وغليواج] قال: خسرو دهلوي.

بهراين مردار چندت كاه زاري كاه زو
چون غليواجي كه شش مه ماده وشش مه نرست

والقطاة تقول: من سكت سلم وهي طائر معروف قدر اليمام ويشبهه سميت بحكاية صوتها لأنها تقول: قطاقطا قال ابن ظفر: القطا طائر يترك فراخه ثم يطلب الماء من مسيرة عشرة أيام وأكثر فيرده فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ثم يرجع فلا يخطىء لا صادراً ولا وارداً أي ذهاباً وإياباً ولذا يضرب به المثل فيقال: «أهدى من قطاة». والببغا يقول: ويل لمن كانت الدنيا همه والمراد به الطوطي وهو طائر أخضر.

قال الكاشفي: [وباز ميكويد سبحان ربي العظيم وبحمده].

قال في «حياة الحيوان»: البازي لا تكون إلا أنثى وذكرها من نوع آخر الحدأة والشاهين ولهذا اختلف أشكالها وهو من أشد الحيوان تكبراً وأضيقها خلقها [وهزار دستان ميكويد] سبحان الخالق الدائم والديك يقول: اذكروا الله يا غافلون.

دلا برخيز وطاعت كن كه طاعت به زهر كارست
سعادت آن كسي داردكه وقت صبح بيدارست
خروسان در سحر كويند قم يا أيها الغافل
توازمستي نمي داني كسي داندكه هشيارست

وكان له عليه السلام ديك أبيض وفي الحديث: «الديك الأبيض صديقي وصديق صديقي وعدو عدوي» كما «الوسيط» وهو يصيح عند رؤية الملك كما أن الحمار ينهق عند رؤية الشيطان. والنسر يقول: يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت وفي هذا مناسبة لما خص النسر به من طول العمر يقال إنه يعمر ألف سنة وهو أشد الطير طيراناً وأقواها جناحاً حتى أنه يطير ما بين المشرق والمغرب في يوم واحد وليس في سباع الطير أكبر جثة منه وهو عريف الطير كما في «حياة الحيوان». والعقاب يقول: في البعد عن الناس أنس. والضفدع يقول: سبحان ربي القدوس أو سبحان المعبود في لجج البحار. وحكي: أن نبي الله داود عليه السلام ظن في نفسه أن أحداً لم يمدح خالقه بأفضل مما مدحه فأنزل الله عليه ملكاً وهو قاعد في محرابه والبركة إلى جنبه فقال: يا داود افهم ما تصوت به الضفادع فأنصت إليها فإذا هي تقول: سبحانك وبحمدك منتهى علمك فقال له الملك: كيف ترى؟ قال: والذي جعلني نبياً إني لم أمدحه بهذا.

وعن أنس رضي الله عنه: لا تقتلوا الضفادع فإنها مرت بنار إبراهيم عليه السلام فحملت

في أفواهها الماء وكانت ترشه على النار. ونهى النبي عليه السلام عن قتل خمسة «النملة والنحلة والضفدع والصرد والهدهد». ويقول الورشان: لدوا للموت وابنوا للخراب وهذه لام العاقبة قيل: الورشان طائر يتولد بين الفاختة والحمامة ويوصف بالحنو على أولاده حتى أنه ربما قتل نفسه إذا وجدها في يد القابض. ويقول الدراج: الرحمن على العرش استوى. ويقول القنبر: اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد. ويقول الحمار: اللهم العن العشار وأسند هذا إلى الغراب في بعض الروايات. ويقول الفرس إذا التقى الصفان: سبوح قدوس رب الملائكة والروح. ويقول الزرزور: اللهم إني أسألك قوت يوم بيوم يا رزاق وهو بضم الزاي طائر صغير من نوع العصفور سمي بذلك لزرزرته أي لصوته. وقال مولانا قدس سره في بعض كلماته:

شيخه مرغانست لك لك لك لكش داني كه چيست

الحمد لك والأمر لك والملك لك يا مستعان

قال سليمان عليه السلام: ليس من الطيور أنصح لبني آدم وأشفق عليهم من البومة تقول إذا وقعت عند حربة: أين الذين كانوا يتنعمون في الدنيا ويسعون فيها ويل لبني آدم كيف ينامون وأمامهم الشدائد تزودوا يا غافلون وتأهبوا لسفركم. قال الحافظ:

دع التكاسل تغنم فقد جرى مثل ... كه زاد راهروان چستيست وچالاكي

قال مقاتل: كان سليمان عليه السلام جالساً إذ مر به طير يصوت فقال لجلسائه: هل تدرون ما يقول هذا الطائر الذي مر بنا؟ قالوا: أنت أعلم قال سليمان: إنه قال لي السلام عليك أيها الملك المسلط على بني إسرائيل أعطاك الله الكرامة وأظهرك على عدوك إني منطلق إلى فروخي ثم أمرّ بك الثانية وإنه سيرجع إلينا الثانية فانظروا إلى رجوعه قال: فنظر القوم إذ مرّ بهم فقال: السلام عليك أيها الملك إن شئت ايذن لي كما اكتسب على فروخي حتى أشبعها ثم آتيك فتفعل بي ما شئت فأخبرهم سليمان بما قال فأذن له.

وفي «عرائس البيان»: اعلم أن أصوات الطيور والوحوش وحركات الأكوان جميعاً هي خطاب من الله للأنبياء والمرسلين والأولياء العارفين يفهمونها من حيث أحوالهم ومقاماتهم فالأنبياء والمرسلون يعرفون لغاتها ومعانيها بعينها وأما الأولياء فإنما يعرفونها بغير لغاتها يعني يفهمون من أصواتها ما يتعلق بحالهم بما يقع في قلوبهم من إلهام الله تعالى لا بأنهم يعرفون لغاتها بعينها.

والإشارة أن طيور الأرواح الناطقة في الأشباح تنطق بالحق من الحق ونطقها تلفظ الرموز والأسرار بلغة الأنوار ولا يسمعها إلا ذو فراسة صادقة قلبه وعقله شاهدان وألطف الإشارة علمنا منطق أطيار الصفات التي تعبر عن علوم الذات ومنطق أطيار أفعاله التي تخبر عن بطون حكم الأزليات.

قال أبو عثمان المغربي قدس سره: من صدق مع الله في جميع أحواله فهم عنه كل شيء أو فهم هو عن كل شيء وكما أن صوت الطبل مثلاً دليل يعرفون بسماعه وقت الرحيل والنزول فالحق سبحانه يخص أهل الحضور بفنون التعريفات من سماع الأصوات وشهود أحوال المرئيات مع اختلافها كما قيل:

إذا المرء كان له فكرة ... ففي كل شيء له عبرة

﴿وأوتينا من كل شيء﴾ أراد كثرة ما أوتي به كما يقال: فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء ويراد به كثرة قصاده وغزارة علمه.

وقال الكاشفي: [وداده شديم يعني مارا عطا كردند هر چيزي كه بدان محتاج بوديم].

وفي «كشف الأسرار»: يعني الملك والنبوة والكتاب والرياح وتسخير الجن والشياطين ومنطق الطير والدواب ومحاريب وتماثيل وجفان كالجواب وعين القطر وعين الصفر وأنواع الخير ﴿إن هذا﴾ المذكور من التعليم والإيتاء ﴿لهو الفضل﴾ والإحسان من الله تعالى ﴿المبين﴾ الواضح الذي لا يخفى على أحد.

وفي «الوسيط»: لهو الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا قاله على سبيل الشكر والحمد كما قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أي أقول هذا القول شكراً لا فخراً.

قيل: أعطي سليمان ما أعطي داود وزيد له تسخير الجن والريح وفهم نطق الطير وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة التي يتمتع بها الناس وملك سبعمائة سنة وستة أشهر.

ولما تولى الملك جاءه جميع الحيوانات يهنؤونه إلا نملة واحدة فجاءت تعزيه فعاتبها النمل في ذلك فقالت: كيف أهنيه وقد علمت أن الله إذا أحب عبداً زوى عنه الدنيا وحبب إليه الآخرة وقد شغل سليمان بأمر لا يدري ما عاقبته فهو بالتعزية أولى من التهنئة ذكره السيوطي في «فتاواه».

قال عمر رضي الله عنه للنبي عليه السلام: أخبرني عن هذا السلطان الذي ذلت له الرقاب وخضعت له الأجساد ما هو؟ فقال: «ظل الله في الأرض فإذا أحسن فله الأجر وعليكم الشكر وإذا أساء فعليه الإصر وعليكم الصبر».

وسأل يزدجرد حكيماً: ما صلاح الملك؟ قال: الرفق بالرعية وأخذ الحق منها بغير عنف والتودد إليها بالعدل وأمن السبل وإنصاف المظلوم. قال الشيخ سعدي:

رعيت نشايد ببيداد كشت ... كه مر سلطنت را پناهند وپشت

مراعاة دهقان كن از بهر خويش ... كه مزدور خوشدل كند كاربش

﴿وحشر لسليمان جنوده﴾ الحشر إخراج الجماعة من مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب وغيرها فلا يقال: الحشر إلا في الجماعة كما في «المفردات». والحشر [كردكردن] كما في «التاج» والجنود جمع الجند يقال للعسكر الجند اعتباراً بالغلظ من الجند للأرض الغليظة التي فيها حجارة ثم يقال لكل مجتمع جند نحو الأرواح جنود مجندة.

قال في «كشف الأسرار»: الجند لا يجمع وإنما قال: جنوده لاختلاف أجناس عساكره.

﴿من الجن والإنس والطير﴾ فكل جنس من الخلق جند على حدة قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] فالبعوض لنمرود جند والأبابيل لأصحاب الفيل جند والهدهد لعسكر عوج جند؟ والعنكبوت والحمامة لرسول الله عليه السلام جند وعلى هذا والمعنى أخرج لسليمان وجمع له عساكره في مسير وسفر كان له من الشام إلى طرف اليمن.

وفي «فتح الرحمن»: من اصطخر إلى اليمن واصطخر بكسر الهمزة وفتح الطاء بلدة من بلاد فارس كانت دار السلطنة لسليمان عليه السلام من الجن والإنس والطير بمباشرة الرؤساء من كل جنس لأنه كان إذا أراد سفراً أمر فجمع له طوائف من هؤلاء الجنود وتقديم الجن للمسارعة إلى الإيذان بكمال قوة ملكه من أول أمر لما أن الجن طائفة طاغية بعيدة من الحشر

والتسخير. ﴿فهم يوزعون﴾ الوزع بمعنى الكف والمنع عن التفرق والانتشار والوازع الذي يكف الجيش عن التفرق والانتشار ويكف الرعية عن التظالم والفساد وجمعه وزعة. والمعنى يحبس أوائلهم على أواخرهم ليتلاحقوا ويجتمعوا ولا ينتشروا كماهو حال الجيش الكثير وكان لكل صنف من جنوده وزعة ومنعة ترد أولاهم على أخراهم صيانة من التفرق. [ودرين أشارت هست كه إيشان باوجود كثرت عدد مهمل وپبريشان نبودند بلكه ضبط وربط إيشان بمرتبهٔ بودكه هيچكس ازلشكريان از مقر مقرر خود پيش وپس نتوانستي رفت] ويجوز أن يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد كما قال في «المختار»: الوازع الذي يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر وتخصيص حبس أوائلهم بالذكر دون سوق أواخرهم مع أن التلاحق يحصل بذلك أيضاً لما أن أواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه أوائلهم من السير السريع وهو إذا لم يسيرهم بتسيير الريح في الجو.

وفي «كشف الأسرار»: ﴿فهم يوزعون﴾ أي يكفون عن الخروج والطاعة ويحبسون عليها وهو قوله تعالى: ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢] انتهى. روي: أن معسكره عليه السلام كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من القوارير مصنوعة على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة سبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطاً من ذهب وإبريسم فرسخاً في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فتقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ـ ويروى ـ أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله تعالى إليه وهو يسير بين السماء والأرض إني قد زدت في ملكك أن لا يتكلم بشيء إلا ألقته الريح في سمعك فيحكى أنه مرّ بحراث فقال: لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً فألقته الريح في أذنه فنزل ومشى إلى الحراث وقال: إنما مشيت إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عيه ثم قال: لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتي آل داود ومرج سليمان بمدينة الرسول ﷺ فقال: هذه دار هجرة نبي في آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه وطوبى لمن اقتدى به.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿حتى﴾ ابتدائية وغاية للسير المنبىء عنه قوله: ﴿فهم يوزعون﴾ كأنه قيل فساروا حتى ﴿إذا أتوا﴾ أشرفوا ﴿على واد النمل﴾ وأتوه من فوق.

وقال بعضهم: تعدية الفعل بكلمة على لما أن المراد بالإتيان عليه قطعه من قولهم أتى على الشيء إذا أنفده وبلغ آخره ولعلهم أرادوا أن ينزلوا عند منتهى الوادي إذ حينئذ يخافهم ما في الأرض لا عند مسيرهم في الهواء كما في «الإرشاد» وسيجيء غير هذا. والوادي الموضع الذي يسيل في الماء. والنمل معروف الواحدة نملة. بالفارسية [مور] سميت نملة لتنملها وهي كثرة حركتها وقلة قوائمها ومعنى وادي النمل وادٍ يكثر فيه النمل كما يقال: بلاد الثلج يكثر فيه

الثلج والمراد هنا واد بالشام أو بالطائف كثير النمل والمشهور أنه النمل الصغير وقيل: كان نمل ذلك المكان كالذئاب والبخاتي ولذا قال بعضهم: في وادي النمل هو واد يسكنه الجن والنمل مراكبهم. ﴿قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ جواب إذا كأنها لما رأتهم متوجهين إلى الوادي فرت منهم فصاحت صيحة نبهت بها سائر النمال الحاضرة فتبعتها في الفرار فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك أجروا مجراهم حيث جعلت هي قائلة وما عداها من النمل مقولاً لهم مع أنه لا يمتنع أن يخلق الله فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم. وكانت نملة عرجاء لها جناحان في عظم الديك أو النعجة أو الذئب وكانت ملكة النمل. يعني: [مهتر مور چكان آن وادي بود] واسمها منذرة أو طاخية أو جرمى سميت بهذا الاسم في التوراة أو في الإنجيل أو في بعض الصحف الإلهية سماها الله تعالى بهذا الاسم وعرفها به الأنبياء قبل سليمان وخصت بالتسمية لنطقها وإلا فكيف يتصور أن يكون للنملة اسم علم والنمل لا يسمي بعضهم بعضاً ولا يتميز للآدميين صورة بعضهم من بعض حتى يسمونهم ولا هم واقعون تحت ملك بني آدم كالخيل والكلاب ونحوهما كما في كتاب «التعريف والأعلام» للسهيلي رحمه الله. ونملة مؤنث حقيقي بدليل لحوق علامة التأنيث فعلها لأن نملة تطلق على الذكر والأنثى فإذا أريد تمييزها احتيج إلى مميز خارجي نحو نملة ذكر ونملة أنثى وكذلك لفظة حمامة ويمامة من المؤنثات اللفظية.

ذكر الإمام أن قتادة دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال: سلوا عما شئتم وكان أبو حنيفة حاضراً وهو غلام حدث فقال: سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكراً أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة: كانت أنثى فقيل له: من أين عرفت؟ فقال: من كتاب الله وهو قوله: ﴿قالت نملة﴾ ولو كان ذكراً لقال: قال نملة وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهي ولا يجوز أن يقال: قامت طلحة ولا حمزة. ﴿لا يحطمنكم﴾ لا يكسرنكم فإن الحطم هو الكسر وسمي حجر الكعبة الحطيم لأنه كسر منها ﴿سليمان وجنوده﴾ الجملة استئناف أو بدل من الأمر لا جواب له فإن النون لا تدخله في السعة وهو نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف والتأخر في دخول مساكنهم بحيث يحطمونها: يعني: [بحيثيتي كه عرضهء تلف شوند].

فإن قلت: بم عرفت النملة سليمان؟.

قلنا: كانت مأمورة بطاعته فلا بد أن تعرف من أمرت بطاعته ولها من الفهم فوق هذا فإن النمل تعرف كثيراً من منافعها من ذلك أنها تكسر الحبة قطعتين لئلا تنبت إلا الكزبرة فإنها تكسرها أربع قطع لأنها تنبت إذا كسرت قطعتين وإذا وصلت النداوة إلى الحبة تخرجها إلى الشمس من حجرها حتى تجف.

قال في «حياة الحيوان»: النمل لا يتلاحق ولا يتزاوج إنما يسقط مه شيء حقير في الأرض فينمو حتى يصير بيظاً ثم يتكون منه والبيض كله بالضاد إلا بيظ النمل فإنه بالظاء.

﴿وهم لا يشعرون﴾ حال من فاعل يحطمنكم أي والحال أنهم لا يشعرون أنهم يحطمونكم إذ لو شعروا لم يفعلوا أي أن من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده أنهم لا يحطمون نملة فما فوقها إلا أن لا يشعروا كأنها شعرت عصمة الأنبياء من الظلم والأذى الأعلى سبيل السهو نظير قول النملة في جند سليمان وهم لا يشعرون قول الله تعالى في جند محمد عليه السلام.

﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الفتح: ٢٥] التفاتاً إلى أنهم لا يقصدون ضرر مؤمن إلا أن المثنى على جند سليمان هو النملة بإذن الله والمثنى على جند محمد هو الله بنفسه لما لجند محمد من الفضل على جند غيره من الأنبياء كما كان لمحمد الفضل على جميع النبيين عليهم السلام [آورده اندكه باد اين سخن را ازسه ميل راه بسمع سليمان رسانيد].

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿فتبسم﴾ التبسم أول الضحك، وهو ما لا صوت له أي تبسم حال كونه ﴿ضاحكاً من قولها﴾ شارعاً في الضحك من قولها وآخذاً فيه أراد أنه بالغ في تبسمه حتى بلغ نهايته التي هي أول مراتب الضحك فهو حال مقدرة أو مؤكدة على معنى تبسم متعجباً من حذرها وتحيرها واهتدائها إلى مصالحها ومصالح بني نوعها، فإن ضحك الأنبياء التبسم والإنسان إذا رأى أو سمع ما لا عهد له به يتعجب ويبتسم.

قال بعضهم: ضحك سليمان كان ظاهره تعجباً من قول النملة وباطنه فرحاً بما أعطاه الله من فهم كلام النملة وسروراً بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين أصناف المخلوقات فإنه لا يسر نبي بأمر دنيا وإنما كان يسر بما كان من أمر الدين. روي: أنها أحست بصوت الجنود ولم تعلم أنهم في الهواء أو على الأرض ولذا خافت من الحطم فأمر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن.

وقال في «الوسيط»: هذا أي قوله: وهم لا يشعرون يدل على أن سليمان وجنوده كانوا ركباناً ومشاة على الأرض ولم تحملهم الريح لأن الريح لو حملتهم بين السماء والأرض ما خافت النمل أن يطأوها بأرجلهم ولعل هذه القصة كانت قبل تسخير الله الريح لسليمان انتهى وروى أن سليمان لما سمع قول النملة قال: ائتوني بها فأتوا بها [كفت أي مورچه ندانستي كه لشكر من ستم نكنند كفت دانستم أما مهتراين قومم مرا ازنصيحت ايشان چاره نيست كفت لشكر من برهوا بودنچه كونه قوم ترا پايمال كردندي جواب دادكه غرض من آن نبودكه برزمين شكسته شوندمراد من آن بودكه ناكاه نظر بركبكبه ودبدبهٔ توكنند وبنظارهٔ لكشر مشغول شده از دكر خداي تعالى بازمانند ودرميدان غفلت پايمال خذلان كردند مملكت توبينند وآرزوي دردنيا دردل ايشان بديد آيد ودنيا مبغوضهٔ حق است] فقال لها سليمان: عظيني فقالت: أعلمت لم سمي أبوك داود قال: لا قالت: لأنه داوى جراحة قلبه وهل تدري لم سميت سليمان؟ قال: لا قالت: لأنك سليم الصدر والقلب [در كشفت الأسرار آورده كه سليمان ازوى پرسيدكه لشكر توچند است كفت من چهار هزار سرهنك دارم زير دست هريكي چهل هزار نقيب است وزيردست هرنقيبي چهل هزارمور كفت چرا لشكر خودرا بيرون نياري جواب دادكه يا نبي الله مارا روى زمين ميدادند اختيار نكرديم ودر زير زمين جاي كرفتيم تابجز خداي تعالى حال مارا ندادند آنكه كفت أي پيغمبر خدا ازعاطاها كه خداي تعالى تراداده يكي بكو كفت بادرا مركب من ساخته اند. ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبا: ١٢] كفت داني كه اين چه معنى دارد يعني هرچه ترادادام از مملكت دنيا همه چون بادست در آيد ونيايد «فمن اعتمد على الدنيا فكأنما اعتمد على الريح» ودرين معنى شيخ سعدي كفته:

نه برباد رفتى سحر كاه وشام سرير سليمان عليه السلام
بآخر نديدي كه برباد رفت خنك آنكه بادانش ودادرفت

سليمان عليه السلام بعد از استماع اين كلام روى بمناجات ملك علام كرد وكفت] ﴿وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك﴾ همزة أوزع للتعدية. والوزع بمعنى الكف والمنع من التفرق والانتشار كما سبق. والمعنى اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه واربطه لا ينفلت عني بحيث لا أنفك عن شكرك أصلاً. سأل عليه السلام أن يجعله الله وازعاً لجيش شكره فتشبيه الشكر بالجماعة النافرة استعارة مكنية وإثبات الوزع والربط تخييل وقرينة لذلك التشبيه وفي الحديث: «النعمة وحشية قيدوها بالشكر» فإنها إذا شكرت قرت وإذا كفرت فرت. ومن كلمات أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر، أي من لم يشكر النعم الحاصلة لديه حرم النعم البعيدة عنه.

چون بيابي تونعمتي ورچند خردباشد چو نقطهٔ موهوم
شكر آن يافته فرو مكذار كه زنايافته شوى محروم

﴿التي أنعمت عليّ﴾ من العلم والنبوة والملك والعدل وفهم كلام الطير ونحوها. ﴿وعلى والديّ﴾ أي على والدي داود بن إيشا بالنبوة وتسبيح الجبال والطير معه وصنعة اللبوس وإلانة الحديد وغيرها وعلى والدتي بتشايع بنت اليائن كانت امرأة أوريا التي امتحن بها داود وهي امرأة مسلمة زاكية طاهرة وهي التي قالت له: يا بني لا تكثرن النوم بالليل فإنه يدع الرجل فقيراً يوم القيامة كذا في «كشف الأسرار» وأدرج ذكر والديه فإن الإنعام عليهما إنعام عليه مستوجب للشكر ضرورة أن انتساب الابن إلى أب شريف نعمة من الله تعالى على ابن فيشكر بتلك النعمة.

والإشارة قال سليمان القلب: أنعمت علي وعلى والدي الروح بإفاضة الفيض الرباني وعلى والدتي الجسد باستعماله في أركان الشريعة وبهذين الأمرين تكمل النعمة اللهم اجعلنا منعمين شاكرين. ﴿وأن أعمل صالحاً ترضاه﴾ تماماً للشكر واستدامة للنعمة. ومعنى ترضاه بالفارسية: [پسندي آنرا].

قال أبو الليث: يعني تقبله مني ﴿وأدخلني﴾ الجنة ﴿برحمتك﴾ فإنه لا يدخل الجنة أحد إلا بالرحمة والفضل لا بالعمل ﴿في عبادك الصالحين﴾ في جملتهم وهم الأنبياء ومن تبعهم في الصلاح مطلقاً. قال ابن الشيخ: الصلاح الكامل هو أن لا يعصي الله تعالى ولا يهم بمعصية وهو درجة عالية يطلبها كل نبي وولي وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحاً وتارة بإزالة ما فيه من الفساد والأول أعز وأندر ولذلك جاءت أوائل الأحوال لأكثر الرجال متكدرة مشوبة وبالحجب الكثيرة مصحوبة. [دربحر الحقائق آورده كه تشبيه كند وادي نمل را بهواي نفس حريص بردنيا ونملهٔ منذره رابنفس لوامه وسليمان را بقلب ومساكن را بحواس خمسه] فعلى العاقل أن يكون عالي الهمة على مشرب سليمان كما يدل عليه سيره في جو الهواء فإنه بعد عن الأرض وما تحويه قرب من السماء ومعاليه وإنما التفت إلى النملة تواضعاً كما قال الحافظ:

نظر كردن بدرويشان منافىٔ بزركى نيست سليمان باچنين حشمت نظرها بودبامورش

ومن يكن من أطيار هواء العشق فإنه يفهم ألسنة الطير ومن لم ير سليمان الوقت كيف أدرك معنى الصوت:

چون نديدي دمي سليمانرا توچه داني زبان مرغانرا

والمراد بسليمان هو المرشد الكامل الذي بيده خاتم الحقيقة وبه يحفظ أقاليم القلوب ويطلع على أسرار الغيوب فالكل ينقاد له إما طوعاً أو كرهاً والذي ينقاد كرهاً هو كالشياطين فلا بد من معرفة إمام الوقت والانقياد له طوعاً كما قال عليه السلام: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

ثم إن سليمان عليه السلام دعا بالثبات على الشكر والصلاح وختمه بسؤال الجنة كما فعل آباؤه الأنبياء الكرام وهو لا ينافي عصمته وكونه مأمون الغائلة بالنسبة إلى الخاتمة.

وفيه إرشاد للأمة أن يكونوا على حالة حسنة من الشريعة ومرتبة مرضية من الطريقة ومنصب شريف من المعرفة ومقام عال من الحقيقة فإن من لم ينضم إلى معرفته الشريعة ومعاملة العبودية فهو مع الهالكين الفاسقين في الدنيا والآخرة لا مع الأحياء الصالحين في الأمور الباطنة والظاهرة نسأل الله سبحانه أن يوفقنا للأعمال المرضية والأحوال الحسنة ويحلينا بخلع الزهد والتقوى وغيرها من الأمور المستحسنة إنه بالإجابة جدير وهو على كل شيء قدير.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وتفقد الطير﴾.

قال في «القاموس»: تفقده طلبه عن غيبة.

وفي «كشف الأسرار»: التفقد طلب المفقود وإنما قيل له التفقد لأن طالب الشيء يدرك بعضه ويفقد بعضه.

وفي «المفردات»: التفقد التعهد لكن حقيقة التفقد تعرف فقدان الشيء والتعهد تعرف العهد المقدم. والطير اسم جامع للجنس كما في «الوسيط» والمعنى وتعرف سليمان أحوال الطير ولم ير الهدهد فيما بينها وكان رئيس الهداهد واسمه يعفور ﴿فقال ما لي﴾ أي أي شيء حصل لي حال كوني ﴿لا أرى الهدهد﴾ لساتر ستره أو لشيء آخر ثم بدا له أن كان غائباً فأضرب عنه فأخذ يقول: ﴿أم كان من الغائبين﴾ بل أهو غائب فأم منقطعة مقدرة ببل والهمزة. وبالفارسية [چيست مراكه درخيل طير نمى بينم هدهد را يا چشم من يروي نمى افتد ياهست ازغائب شد كان زين جمع].

وفي «الوسيط» ما لي لا أرى الهدهد أي ما للهدهد لا أراه تقول العرب: ما لي أراك كئيباً معناه مالك ولكنه من القلب الذي يوضحه المعنى.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الواجب على الملوك التيقظ في مملكتهم وحسن قيامهم وتكفلهم بأمور رعاياهم وتفقد أصغر رعيتهم كما يتفقدون أكبرها بحيث لم يخف عليهم غيبة الأصاغر والأكابر منهم كما أن سليمان عليه السلام تفقد حال أصغر طير من الطيور ولم يخف عليه غيبته ساعة ثم غاية شفقته على الرعية أحال النقص والتقصير إلى نفسه فقال: ﴿ما لي لا أرى الهدهد﴾ وما قال: ما للهدهد لم أره لرعاية مصالح الرعية وتأديبهم قال: ﴿أم كان من الغائبين﴾ يعني من الذين غابوا عني بلا إذني.

وفي «حياة الحيوان»: الهدهد منتن الريح طبعاً لأنه يبني أفحوصه في الزبل وهذا عام في جنسه وإن بخر المجنون بعرف الهدهد أبرأه ولحمه إذا بخر به معقود عن المرأة أو مسحور أبرأه.

وفي «الفتاوى الزينية»: سئل عن أكل الهدهد أيجوز أم لا أجاب نعم يجوز انتهى. ثم هدده إن لم يكن عذر لغيبته فقال:

﴿لأعذبنه عذاباً شديداً﴾ العذاب الإيجاع الشديد وعذبه تعذيباً أكثر حبسه في العذاب أي لأعذبنه تعذيباً شديداً كنتف ريشه وإلقائه في الشمس أو حيث النمل تأكله أو جعله مع ضده في قفص وقد قيل: أضيق الشجون معاشرة الأضداد أو بالتفريق بينه وبين إلفه بالفارسية [جفت].

وقيل: لأزوجنه بعجوز كما في «إنسان العيون» أو لألزمنه خدمة أقران [يا ازخدمت خودش برآنم] كما قال في «التأويلات»: لأعذبنه بالطرد عن الحضرة والإسقاط عن عيني الرضى والقبول.

وفي «الأسئلة المقحمة»: ما معنى هذا الوعيد لمن لم يكن مكلفاً بشيء؟ والجواب هذا الوعيد بعذاب تأديب وغير المكلف يؤدب كالدابة والصبي وكان يلزمه طاعته فاستحق التأديب على تركها.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الطير في زمانه كانت في جملة التكليف ولها وللمسخرين لسليمان من الحيوان والجن والشياطين تكاليف تناسب أحوالهم ولهم فهم وإدراك وأحوال كأحوال الإنسان في قبول الأوامر والنواهي معجزة لسليمان عليه السلام. ﴿أو لأذبحنه﴾ لتعتبر به أبناء جنسه أو حتى لا يكون له نسل.

وفي «التأويلات»: أو لأذبحنه في شدة العذاب وأصل الذبح شق حلق الإنسان. ﴿أو ليأتيني﴾ أصله ليأتينني بثلاث نونات حذفت النون التي قبل ياء المتكلم ﴿بسلطان مبين﴾ بحجة تبين عذره: وبالفارسية. [ياپايد بمن بحجتي روشن كه سبب غيبت أو كردد] يشير إلى أن حفظ المملكة يكون بمال السياسة وكمال العدل فلا يتجاوز عن جرم المجرمين ويقبل منهم العذر الواضح بعد البحث عنه والحلف في الحقيقة على أحد الأولين على عدم الثالث فكلمة أو بين الأولين للتخيير وفي الثالث للترديد بينه وبينهما. حكي: أنه لما أتم بناء بيت المقدس خرج للحج وأقام بالحرم ما شاء وكان يتقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على المسير إلى اليمن فخرج من مكة صباحاً يؤم سهيلاً فوافى صنعاء اليمن وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضاً حسناء أعجبته خضرتها فنزل يصل فلم يجد الماء وكان الهدهد دليل الماء حيث يراه تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجة ويعرف قربه وبعده فيدل على موضعه بأن ينقره بمنقاره فيجيء الشياطين فيسلخون الأرض كما يسلخ الإهاب عن المذبوح ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وأما أنه يوضع الفخ ويغطى بالتراب فلا يراه حتى يقع فيه فلأن القدر إذا جاء يحول دون البصر وقد كان حين نزل سليمان ارتفع الهدهد إلى الهواء لينظر إلى عرصة الدنيا فرأى هدهداً آخر اسمه عنفير واقفاً فانحط إليه أي في الهواء فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء ووصف له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف فذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العصر وذلك قوله تعالى:

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿فمكث﴾ المكث ثبات مع انتظار. ﴿غير بعيد﴾ أي: زماناً غير مديد يشير إلى أن الغيبة

وإن كانت موجبة للعذاب الشديد وهو الحرمان من سعادة الحضور ومنافعه ولكنه من أمارات السعادة سرعة الرجوع وتدارك الفائت وذكر أنه أصابه من موضع الهدهد شمس فنظر فإذا موضعه خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد علمه عنده ثم قال لسيد الطير وهو العقاب عليّ به فارتفعت فنظرت فإذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله تعالى وقال: بحق الذي قواك وأقدرك إلا رحمتني فتركته وقالت: ثكلتك أمك إن نبي الله حلف ليعذبنك قال: أو ما استثنى قالت: بلى قال: أو ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً له فلما دنا منه أخذ عليه السلام برأسه فمده إليه فقال: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان [وكفته اندكه باهدهد كفت چه كويي كه پروبالت بكنم وتراباً فتاب كرم افكنم هدهد كفت دانم كه نكنى كه اين كار صياد انست نه كار پيغمبر آن سليمان كفت كلوت ببرم كفت دانم كه نكنى كه اين كار قصا بانست نه كار پيغمبران كفت ترا باناجنس در قفص كنم كفت اين هم نكنى كه اين كار نا جوانمردانست وپيغمبران ناجوا نمرد نباشند سليمان كفت أكنون توبكوي كه باتوچه كنم كفت عفو كنى ودر كذاركه عفو كار پيغمبران وكريما نست] فعفا عنه ثم سأله ﴿فقال أحطت﴾ الإحاطة العلم بالشيء من جميع جهاته ﴿بما لم تحط به﴾ أي علماً ومعرفة وحفظته من جميع جهاته وذلك لأنه كان مما لم يشاهده سليمان ولم يسمع خبره من الجن والإنس يشير إلى سعة كرم الله ورحمته بأن يختص طائراً بعلم لم يعلمه نبي مرسل وهذا لا يقدح في حال النبي والرسول بأن لا يعلم علماً غير نافع في النبوة فإن النبي عليه السلام كان يستعيذ بالله منه فيقول: «أعوذ بك من علم لا ينفع» والحاصل أن الذي أحاط به الهدهد كان من الأمور المحسوسة التي لا تعد الإحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف إدراكها إلا على مجرد إحساس يستوي فيه العقلاء وغيرهم.

وفي «الأسئلة المقحمة»: هذا سوء أدب في المخاطبة فكيف واجهه بمثله وقد احتمله والجواب لأنه عقبه بفائدة والخشونة المصاحبة لفائدة قد يحتملها الأكابر انتهى. ثم أشار إلى أنه بصدد إقامة خدمة مهمة له كما قال: ﴿وجئتك من سبإ﴾ [وآمدم بتو از شهر سباكه مآرب كويند] ﴿بنبإ يقين﴾ بخبر خطير محقق لا شك فيه يشير إلى أن من شرط المخبر أن لا يخبر عن شيء إلا أن يكون متيقناً فيه سيما عند الملوك. وسبأ منصرف على أنه اسم لحي باليمن سموا باسم أبيهم الأكبر وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا: اسمه عبد الشمس لقب به لكونه أول من سبى ثم سمى مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام وقيل: إن سبأ أول من تتوج من ملوك اليمن وكان له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة. يعني [چهار ازايشان درشام مسكن داشتند لخم وجذام وعامله وغسان وشش دريمن كنده واشعر وازد ومذحج وإنمار] قالوا: يا رسول الله وما أنمار؟ قال: «والد خثعم وبجيلة» وقال في «المفردات»: سبأ اسم مكان تفرق أهله ولهذا يقال: ذهبوا أيادي سبأ أي تفرقوا تفرق أهل ذلك المكان من كل جانب انتهى.

قال بعضهم: إنما خفي نبأ بلقيس على سليمان مع قربه منها لأنه كان نازلاً بصنعاء وهي بمأرب وبينهما مسيرة ثلاثة أيام كما سبق آنفاً أو ثلاثة فراسخ أو ثلاثة أميال لمصلحة رآها الله تعالى كما خفي على يعقوب مكان يوسف.

كهى بر طارم أعلى نشينم   كهى برپشت پاي خود نبينم

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿**إني وجدت امرأة تملكهم**﴾ استئناف لبيان ما جاء به من النبأ وإيثار وجدت على رأيت لأنه أراه عليه السلام كونه عند غيبته بصدد خدمته بإبراز نفسه في معرف من يتفقد أحوال تلك المرأة كأنها ضالة ليعرضها على سليمان والضمير في تملكهم لسبأ على أنه اسم للحي أو لأهل المدلول عليهم بذكر مدينتهم على أنه اسم لها. يعني أنها تملك الولاية والتصرف عليهم ولم يرد به ملك الرقبة والمراد بها بلقيس بنت شرحبيل بن مالك بن ريان من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها وورث الملك من أربعين أباً ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده على الملك ودانت لها الأمة وكانت هي وقومها يعبدون النار وكان يقول أبوها لملوك الأطراف: ليس أحد منكم كفؤاً وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه امرأة من الجن يقال لها: قارعة أو ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس وتسمى بلقة وبلقيس بالكسر كما في «القاموس»: وهذا يدل على إمكان العلوق بين الإنسي والجني وذلك فإن الجن وإن كانوا من النار لكنهم ليسوا بباقين على عنصرهم الناري كالإنس ليسوا بباقين على عنصرهم الترابي فيمكن أن يحصل الازدواج بينهما على ما حقق في «آكام المرجان» روي: أن مروان الحمار أمر بتخريب تدمر كتنصر بلد بالشام فوجدوا فيها بيتاً فيه امرأة قائمة ميتة أمسكوها بالصبر أحسن من الشمس قامتها سبعة أذرع وعنقها ذراع عندها لوح فيه أنا بلقيس صاحبة سليمان بن داود خرب الله ملك من يخرب بيتي. ﴿**وأوتيت من كل شيء**﴾ أي من الأشياء التي يحتاج إليها الملوك من الخيل والحشم والعدد والسياسة والهيبة والحشمة والمال والنعيم.

قال بعض العارفين: ما ذكر وصف جمالها وحسنها بالتصريح لأنه علم أن ذلك من سوء الأدب وفي الحديث: «إن أحسن الحسن الوجه الحسن والصوت الحسن والخلق الحسن».

قال ذو النون: من استأنس بالله استأنس بكل شيء مليح وذلك لأن حسن كل مستحسن صدر من معدن حسن الأزل وأما من لم يستأنس بالله فاستئناسه بالمليح على وجه مجازي. ﴿**ولها عرش عظيم**﴾ أي: بالنسبة إلى حالها أو إلى عروش أمثالها من الملوك والعرش في الأصل شيء مسقف ويراد به سرير كبير وكان عرش بلقيس ثمانين ذراعاً في ثمانين ذراعاً وطوله في الهواء ثمانين ذراعاً مقدمة من ذهب مفصص بالياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر ومؤخره من فضة مكلل بأنواع الجواهر له أربع قوائم قائمة من ياقوت أحمر وقائمة من ياقوت أخضر وقائمة من زبرجد وقائمة من در وصفائح السرير من ذهب وعليه سبعة أبيات لكل بيت باب مغلق وكان عليه من الفرش ما يليق به.

﴿**وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله**﴾ أي يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى: ﴿**وزين لهم الشيطان أعمالهم**﴾ أي: حسن لهم أعمالهم القبيحة التي هي عبادة الشمس ونظائرها من أصناف الكفر والمعاصي. ﴿**فصدهم**﴾ منعهم بسبب ذلك. ﴿**عن السبيل**﴾ أي سبيل الحق والصواب والسبيل من الطريق ما هو معتاد السلوك. ﴿**فهم**﴾ بسبب ذلك ﴿**لا يهتدون**﴾ إليه.

﴿أن لا يسجدوا﴾ مفعول له للصد على حذف اللام منه أي فسدهم لئلا يسجدوا وهو ذم لهم على ترك السجود فلذا وجب السجود عند تمام هذه الآيات. ﴿لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض﴾ الخبأ يقال للمدخر المستور أي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيها كائناً ما كان كالثلج والمطر والنبات والماء ونحوها. ﴿ويعلم ما تخفون﴾ في القلوب ﴿وما تعلنون﴾ بالألسنة والجوارح وذكر ما تعلنون لتوسيع دائرة العلم للتنبيه على تساويهما بالنسبة إلى العالم الإلهي.

برو علم يك ذره پوشيده نيست كه پنهان وپيدا بنزدش يكيست

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿الله﴾ مبتدأ ﴿لا إله إلا هو﴾ الجملة خبره ﴿رب العرش العظيم﴾ خبر بعد خبر وسمي العرش عظيماً لأنه أعظم ما خلق الله من الإجرام فعظم عرش بلقيس بالنسبة إلى عروش أمثالها من الملوك وعظم عرش الله بالنسبة إلى السماء والأرض فبين العظمين تفاوت عظيم [چه نسبت است سهارا بآفتاب درخشان].

قال في «المفردات»: عرش الله تعالى مما لا يعلمه البشر إلا بالاسم على الحقيقة.

واعلم أن ما حكى الله عن الهدهد من قوله: ﴿الذي يخرج الخبء﴾ إلى ههنا ليس داخلاً تحت قوله: ﴿أحطت بما لم تحط به﴾ وإنما هو من العلوم والمعارف التي اقتبسها من سليمان أورده بياناً لما هو عليه وإظهاراً لتصلبه في الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه السلام نحو قبول كلامه وصرف عنان عزيمته إلى غزوها وسخير ولايتها، وفي الحديث: «أنهاكم عن قتل الهدهد فإنه كان دليل سليمان على قرب الماء وبعده وأحب أن يعبد الله في الأرض حيث يقول: وجئتك من سبأ بنبأ يقين إني وجدت امرأة تملكهم» الآيات قيل: إن أبا قلابة الحافظ الإمام العالم عبد الملك بن محمد الرقاش رأت أمه وهي حامل به كأنها ولدت هدهداً فقيل لها: إن صدقت رؤياك تلدين ولداً كثير الصلاة فولدت فلما كبر كان يصلي كل يوم أربعمائة ركعة وحدث من حفظه بستين ألف حديث مات سنة ست وسبعين ومائتين وهذا أي قوله: ﴿رب العرش العظيم﴾ محل سجود بالاتفاق كما في «فتح الرحمن».

وقال الكاشفي: [اين سجده هشتم است بقول إمام أعظم رحمه الله ونهم بقول إمام شافعي رحمه الله ودر فتوحات اين سجده را سجدهٔ خفى ميكويد وموضع سجود مختلف فيه است بعضي از قرائت وما تعلنون سجده ميكنند وبعضي پس از تلاوت رب العرش العظيم.

سرت بسجده در آرار هو اي حق داري كه سجده شد سبب قرب حضرت باري

﴿قال﴾ استئناف بياني كأنه قيل: فما فعل سليمان بعد فراغ الهدهد من كلامه؟ فقيل: قال: ﴿سننظر﴾ فيما أخبرتنا من النظر بمعنى التأمل والسين للتأكيد أي لنعرف بالتجربة البتة.

وقال الكاشفي: [زود باشدكه درنكريم وتأمل كنيم درين كه] ﴿أصدقت﴾ فيما قلت ﴿أم كنت من الكاذبين﴾ وفي هذا دلالة على أن خبر الواحد وهو الحديث الذي يرويه الواحد والاثنان فصاعداً ما لم يبلغ حد الشهرة والتواتر لا يوجب العلم فيجب التوقف فيه على حد التجويز.

وفيه دليل على أن لا يطرح بل يجب أن يتعرف هل هو صدق أو كذب فإن ظهرت أمارات صدقه قبل وإلا لم يقبل.

قال بعضهم: سليمان عليه السلام [ملك ومال وجمال بلقيس بشنيد ودروي اثرنكرد وطمع در آن نيست بازچون حديث دين كردكه **﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾** متغير كشت وازمهر دين إسلام درخشم شد كفت كاغذ ودوات بياريد تانامهء نويسم واورا بدين إسلام دعوت كنم].

فكتب أي في المجلس أو بعده كتاباً إلى بلقيس فقال فيه: «من عبد الله سليمان بن داود إلى ملكة سبأ بلقيس بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا عليّ وائتوني مسلمين» ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه المنقوش على فصه اسم الله الأعظم ودفعه إلى الهدهد فأخذه بمنقاره أو علقه بخيط وجعل الخيط في عنقه وقال:

﴿اذهب بكتابي هذا﴾ [ببراين نوشتهء مرا] فتكون الباء للتعدية وتخصيصه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من أبناء الجن الأقوياء على التصرف والتعرف لما عاين فيه من علامات العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبقى لها عذر.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه لما صدق فيما أخبر وبذل النصح لملكه وراعى جانب الحق عوض عليه حتى أهل لرسالة رسول الحق على ضعف صورته ومعناه. **﴿فألقه إليهم﴾** أي: اطرحه على بلقيس وقومها لأنه ذكرهم معها في قوله: وجدتها وقومها.

وفي «الإرشاد»: وجمع الضمير لما أن مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل إلى الإسلام. قوله: ألقه بسكون الهاء تخفيفاً لغة صحيحة أو على نية الوقف، يعني أن أصله ألقه بكسر القاف والهاء على أنه ضمير مفعول راجع إلى الكتاب فجزم لما ذكر. **﴿ثم تول عنهم﴾** أي أعرض عنهم بترك وليهم وقربهم وتبعد إلى مكان تتوارى فيه وتسمع ما يجيبونه **﴿فانظر﴾** تأمل وتعرف **﴿ماذا يرجعون﴾** أي ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول: [وسخن را برچه قرار ميدهند].

قال ابن الشيخ: ماذا اسم واحد استفهام منصوب بيرجعون أو مبتدأ وذا بمعنى الذي ويرجعون صلتها والعائد محذوف أي أي شيء الذي يرجعونه. روي: أن الهدهد أخذ الكتاب وأتى بلقيس فوجدها راقدة في قصرها بمأرب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وألقى الكتاب على نحرها وهي مستلقية وتأخر يسيراً فانتبهت فزعة وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكاً منها لطاعة الطير إياه وهيئة الخاتم فعند ذلك.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿قالت﴾ لأشراف قومها وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أو اثنا عشر ألفاً **﴿يا أيها الملأ﴾** [أي كروه اشراف].

والملأ عظماء القوم الذين يملؤون العيون مهابة والقلوب جلالة جمعه أملاء كنبأ وأنباء **﴿إني ألقي إليّ كتاب كريم﴾** مكرم على معظم لدي لكونه مختوماً بخاتم عجيب وأصلاً على

نهج غير معتاد كما قال في «الأسئلة المقحمة»: معجزة سليمان كانت في خاتمه فختم الكتاب بالخاتم الذي فيه ملكه فأوقع الرعب في قلبها حتى شهدت بكرم كتابه إظهاراً لمعجزته انتهى.

ويدل على أن الكريم هنا بمعنى المختوم قوله عليه السلام: «كرم الكتاب ختمه» وعن ابن عباس بزيادة وهو قوله تعالى: ﴿إني ألقي إلي كتاب كريم﴾ كما في «المقاصد الحسنة» للسخاوي. وكان عليه السلام «يكتب إلى العجم فقيل: إنهم لا يقبلون إلا كتاباً عليه خاتم فاتخذ لنفسه خاتماً من فضة ونقش فيه محمد رسول الله وجعله في خنصر يده اليسرى» على ما رواه أنس رضي الله عنه. ويقال: كل كتاب لا يكون مختوماً فهو مغلوب.

وفي «تفسير الجلالين»: كريم أي حسن ما فيه انتهى كما قال ابن الشيخ في أوائل سورة الشعراء: كتاب كريم أي مرضي في لفظه ومعانيه أو كريم شريف لأنه صدر بالبسملة كما قال بعضهم: [چون مضمون نامه نام خداوند بوده پس آن نامه بزر كترين وشريفترين همه نامها باشد].

أي نام توبهترين سر آغاز بي نام تونامه چون كنم باز

آرايش نامها ست نامت آسايش سينها كلامت

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الكتاب لما كان سبباً لهدايتها وحصول إيمانها سمته كريماً لأنها بكرامته اهتدت إلى حضرة الكريم.

قال بعضهم: لاحترامها الكتاب رزقت الهداية حتى آمنت كالسحرة لما قدموا في قولهم: يا موسى إما أن تلقي وراعوا الأدب رزقوا الإيمان ولما مزق كسرى كتاب رسول الله ﷺ مزق الله ملكه وجازاه على كفره وعناده.

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ۝٣١﴾

﴿إنه من سليمان﴾ كأنه قيل: ممن هو وماذا مضمونه؟ فقالت: إنه من سليمان ﴿وإنه﴾ أي مضمونه أو المكتوب فيه﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الباء بقاؤه والسين سناؤه والميم ملكه والألف أحديته واللامان جماله وجلاله والهاء هويته والرحمان إشارة إلى رحمته لأهل العموم في الدنيا والآخرة والرحيم إشارة إلى رحمته لأهل الخصوص في الآخرة.

قال بعض الكبار: إنها بسملة براءة في الحقيقة ولكن لما وقع التبري من أهلها أعطيت للبهائم التي آمنت بسليمان واكتفى في أول السورة بالباء إذ كل شيء في الوجود الكوني لا يخلو من رحمة الله عامة أو خاصة وهذه البسملة ليست بآية تامة مثل: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١] بخلاف ما وقع في أوائل السور فإنها آية منفردة نزلت مائة وأربع عشرة مرة عدد السور [هرحر في ازين آيت ظرفى است شراب رحيق را وهر كلمتي صدفي است درهٔ تحقيق را هر نقطهٔ زوكوكبي است آسمان هدايترا ونجم رجمي است مر أصحاب غوايت را]:

قال المولى الجامي في حق البسملة:

نوزده حرفست كه هژده هزار عالم ازو يافته فيض عميم

﴿أن﴾ مفسرة أي: ﴿لا تعلوا عليّ﴾ لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك. وبالفارسية: [بر من بزركى مكنيد] ﴿وائتوني مسلمين﴾ حال كونكم مؤمنين فإن الإيمان لا يستلزم الإسلام والانقياد دون العكس.

قال قتادة: وكذلك كانت الأنبياء عليهم السلام تكتب جملاً لا تطيل يعني أن هذا القدر الذي ذكره الله تعالى كان كتاب سليمان وليس الأمر فيه بالإسلام قبل إقامة الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاء للتقليد فإن إلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة معجزة باهرة دالة على رسالة مرسلها دلالة بينة.

يقول الفقير: يكفي في هذا الباب حصول العلم الضروري بصدق الرسول وإلا فهي لا تستبعد كون الإلقاء المذكور بتصرف من الجن وقد كان الجن يظهرون لها بعض الخوارق ومنها صنعة العرش العظيم لها لأن أمها كانت جنية فاعرف.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿قالت﴾ كررت حكاية قولها للإيذان بغاية اعتنائها بما في حيزه من قولها: **﴿يا أيها الملأ أفتوني في أمري﴾** أجيبوني في الذي ذكرت لكم واذكروا ما تستصوبون فيه. وبالفارسي: [فتوى دهيد مرا دركار من وآنچه صلاح وصواب باشد با من بكوييده] وعبرت عن الجواب بالفتوى الذي هو الجواب في الحوادث المشكلة غالباً إشعاراً بأنهم قادرون على حل المشكلات النازلة.

قال بعضهم: الفتوى من الفتى وهو الشاب القوي وسميت الفتوى لأن المفتي أي المجيب الحاكم بما هو صواب يقوي السائل في جواب الحادثة. **﴿ما كنت قاطعة أمراً﴾** فاصلة ومنفذة أمراً من الأمور. **﴿حتى تشهدون﴾** تحضروني، أي لا أقطع أمراً إلا بمحضركم وبموجب آرائكم. وبالفارسية: [تا شما نزد من حاضر كرديد يعني بي حضور ومشورت شما كاري نميكنيم] وهو استمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها في الرأي والتدبير.

وفيه إشارة إلى أن المرء لا ينبغي أن يكون مستبداً برأيه ويكون مشاوراً في جميع ما سنح له من الأمور لا سيما الملوك يجب أن يكون لهم قوم من أهل الرأي والبصيرة فلا يقطعون أمراً إلا بمشاورتهم:

مشورت رهبر صواب آمد درهمه كار مشورت بايد
كار آنكس كه مشورت نكند غايتش غالباً خطا آيد

﴿قالوا﴾ كأنه قيل: فماذا قالوا في جوابها؟ فقيل: قالوا: **﴿نحن أولو قوة﴾** ذوو قوة في الآلات والأجساد والعدد. **﴿وأولو بأس شديد﴾** أي نجدة وشجاعة في الحرب وهذا تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك. **﴿والأمر﴾** مفوض **﴿إليك فانظري﴾** [پس درنكر وببين] **﴿ماذا تأمرين﴾** تشيرين علينا.

قال الكاشفي: [تاچه ميفرمايي از مقاتله ومصالحه].

اكر جنك خواهي بنزد آوريم دل دشمنانرا بدرد آوريم
وكر صلح جويي ترا بنده ايم بتسليم حكمت سرافكنده ايم

وفيه إشارة إلى أن شرط أهلي المشاورة أن لا يحكموا على الرئيس المستشير بشيء بل يخبرونه فيما أراد من الرأي الصائب فلعله أعلم بصلاح حاله منهم:

خلاف رأي سلطان رأي جستن بخون خويش باشد دست شستن

فلما أحست بلقيس منهم الميل إلى الحرب والعدول عن سنن الصواب بادعائهم القوي الذاتية والعرضية شرعت في تزييف مقالتهم المنبئة عن الغفلة عن شأن سليمان.

قال الكاشفي: [بلقيس كفت مارا مصلحت جنك نيست چه كارحرب در روى دارد اكر إيشان غالب آيند ديار وأموال ما عرضهء تلف شود] كما قال تعالى:

﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية﴾ من القرى ومدينة من المدن على منهاج المقاتلة والحرب. ﴿أفسدوها﴾ بتخريب عمارتها وإتلاف ما فيها من الأموال ﴿وجعلوا أعزة أهلها﴾ جمع عزيز بمعنى القاهر الغالب والشريف العظيم من العزة وهي حالة مانعة للإنسان من أن يغلب. ﴿أذلة﴾ جمع ذليل. وبالفارسية [خوار وبيمقدار] أي بالقتل والأسر والإجلاء وغير ذلك من فنون الإهانة والإذلال. ﴿وكذلك يفعلون﴾ [وهمچنين ميكنند] وهو تأكيد لما قبله وتقرير بأن ذلك من عادتهم المستمرة فيكون من تمام كلام بلقيس ويجوز أن يكون تصديقاً لها من جهة الله تعالى أي وكما قالت هي تفعل الملوك.

وفيه إشارة إلى أن العاقل مهما تيسر له دفع الخصوم بطريق صالح لا يوقع نفسه في خطر الهلاك بالمحاربة والمقاتلة بالاختيار إلا أن يكون مضطراً.

قال بعضهم: من السؤدد الصلح وترك الإفراط في الغيرة.

وفيه إشارة أخرى وهي أن ملوك الصفات الربانية إذا دخلوا قرية الشخص الإنساني بالتجلي أفسدوها بإفساد الطبيعة الإنسانية الحيوانية. ﴿وجعلوا أعزة أهلها﴾ وهم النفس الأمارة وصفاتها. ﴿أذلة﴾ لذلوليتهم بسطوات التجلي. ﴿وكذلك يفعلون﴾ مع الأنبياء والأولياء لأنهم خلقوا لمرآتية هذه الصفات إظهاراً للكنز المخفي فيكون قوله: إن الملوك الخ نعت العارف كما قال أبو يزيد البسطامي قدس سره.

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: أشار إلى قلوب المؤمنين فإن المعرفة إذا دخلت القلوب زال عنها الأماني والمرادات أجمع فلا يكون القلب محل غير الله.

وقال ابن عطاء رحمه الله: إذا ظهر سلطان الحق وتعظيمه في القلب تلاشى الغفلات واستولت عليه الهيبة والإجلال ولا يبقى فيه تعظيم شيء سوى الحق فلا تشتغل جوارحه إلا بطاعته ولسانه إلا بذكره وقلبه إلا بالإقبال عليه.

قال بعضهم: من قوبل باسمه الملك رأى نفسه في قبضته فسلم له في مملكته وقام بحق حرمته على بساط خدمته.

وفي «الفتوحات المكية»: للملك أن يعفو عن كل شيء إلا عن ثلاثة أشياء وهي التعرض للحرم وإفشاء سره والقدح في الملك نسأل الله حسن الأدب في طريق الطلب.

﴿وإني مرسلة إليهم﴾ إلى سليمان وقومه رسلاً ﴿بهدية﴾ عظيمة وهي اسم للشيء المهدي بملاطفة ورفق.

قال في «المفردات»: الهدية مختصة باللطف الذي يهدى بعضنا إلى بعض ﴿فناظرة﴾.

قال في «كشف الأسرار»: الناظر ههنا بمعنى المنتظر.

وقال الكاشفي: [پس نكرنده أم كه از آنجا] ﴿بم﴾ أصله بما على أنه استفهام أي بأي شيء ﴿يرجع المرسلون﴾ بالجواب من عنده حتى أعمل بما يقتضيه الحال. روي: إنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن كالأساور والأطواق والقرطة مخضبي الأيدي راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زيّ الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وفي «المثنوي»:

هديهٔ بلقيس چهل اشتر بدست بار آنها جمله خشت زر بدست

وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت المرتفع قيمة والمسك والعنبر وحقة فيها درة ثمينة عذراء أي غير مثقوبة وخرزة جزعية معوجة الثقب وكتبت كتاباً فيه نسخة الهدايا وبعثت بالهدية رجلاً بالأشراف قومها يقال له: المنذر بن عمرو وضمت إليه رجالاً من قومها ذوي رأي وعقل وقالت: إن كان نبياً ميز بين الغلمان والجواري وأخبر بما في الحقة قبل فتحها وثقب الدرة ثقباً مستوياً وسلك في الخرزة خيطاً ثم قالت للمنذر: إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك منظره وإن رأيته هشاً لطيفاً فهو نبي فأقبل الهدهد نحو سليمان مسرعاً فأخبره الخبر فأمر سليمان الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوها في ميدان بين يديه طوله ستة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطاً شرفاته من الذهب والفضة [يعني كرد ميدان ديوار بر آوردند وبر سر ديوار شرف زرين وسيمين بستند] وأمر بأحسن الدواب التي في البر والبحر.

قال في «كشف الأسرار»: [چهار پايان بحري بنقش پلنك از رنكهاي مختلف آوردند] فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه. يعني [چهار هزار كرسيء زر ازراست وي وچهارهزار ازچب وي نهاده] واصطفت الشياطين صفوفاً فراسخ والإنس صفوفاً والوحش والسباع والهوام كذلك [ومرغان در روى هوا پرده بافتند باصد هزار ديده فلك درهزار قرن مجلس بدان تكلف وخوبى نديده بود] فلما دنا رسل بلقيس نظروا وبهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن. وفي «المثنوي»:

چون بصحراي سليماني رسيد فرش آنرا جمله زر بچته ديد
بارها كفتند زررا وابريم سوى مخزن ما بچه كار اندريم
عرصهٔ كش خاك زر ده دهيست زر بهديه بردن آنجا ابلهيست

فكان حالهم كحال أعرابي أهدى إلى خليفة ببغداد جرة ماء فلما رأى دجلة خجل وصبه:

باز كفتند اركساد وارروا چيست برما بندهٔ فرمانيم ما
كر زر وكرخاك مارا بردنيست أمر فرمانده بجا آوردنيست
كر بفرمايندكه كين واپس بريد هم بفرمان تحفه را باز آوريد

وجعلوا يمرون بكراديس الجن والشياطين فيفزعون وكانت الشياطين يقولون: جوزوا ولا تخافوا فلما وقفوا بين يدي سليمان نظر إليهم بوجه حسن طلق وقال: ما وراءكم: يعني [چه داريد وبچه آمديد] فأخبر المنذر الخبر وأعطى كتاب بلقيس فنظر فيه فقال أين الحقة؟ فجيء بها فقال: إن فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزعية معوجة الثقب وذلك بإخبار جبريل عليه السلام ويحتمل أن يكون بإخبار الهدهد على ما يدل عليه سوق القصة [سليمان جن وإنس را حاضر كرد وعلم ثقب وسلك نزديك إيشان نبود شياطين را حاضر كرد واز إيشان پرسيد كفتند]

ترسل إلى الأرضة فجاءت الأرضة فأخذت شعرة في فيها فدخلت في الدرة وثقبتها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال سليمان: ما حاجتك؟ فقالت: تصير رزقي في الشجر قال: لك ذلك ثم قال: من لهذه الخرزة يسلكها الخيط؟ فقالت دودة بيضاء: أنا لها يا أمين الله فأخذت الخيط في فيها ونفذت في الخرزة حتى خرجت من الجانب الآخر فقال سليمان: ما حاجتك؟ قالت: تجعل رزقي في الفواكه قال: لك ذلك أي جعل رزقها فيها فجمع سليمان بين طرفي الخيط وختمه ودفعها إليهم.

قال الكاشفي: [سليمان آب طلبيد غلمان وجواري را فرمودكه از غبارراه روى بشوييد] يعني ميز بين الجواري والغلمان بأن أمرهم بغسل وجوههم وأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء بإحدى يديها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كان يأخذه من الآنية ويضرب به وجهه ثم رد الهدية وقد كانت بلقيس قالت: إن كان ملكاً أخذ الهدية وانصرف وإن كان نبياً لم يأخذها ولم نأمنه على بلادنا وذلك قوله تعالى.

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فلما جاء﴾ أي: الرسول المبعوث من قبل بلقيس ﴿سليمان﴾ بالهدية ﴿قال﴾ أي مخاطباً للرسول والمرسل تغليباً للحاضر على الغائب أي قال بعد ما جرى بينه وبينهم من قصة الحقة وغيرها لا أنه خاطبهم به أول ما جاؤوه كما يفهم من ظاهر العبارة ﴿أتمدونن﴾ أصله أتمودنني فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة الدالة عليها والهمزة الاستفهامية للإنكار. والإمداد [مدد كردن] ويعدى إلى المفعول الثاني بالباء. والمعنى بالفارسية [آيا مدد ميدهيد مرا وزيادتي] ﴿بمال﴾ حقير وسمي مالاً لكونه مائلاً أبداً ونائلاً ولذلك يسمى عرضاً وعلى هذا دل من قال: المال قحبة يكون يوماً في بيت عطار ويوماً يكون في بيت بيطار كما في «المفردات»: ثم علل هذا الإنكار بقوله: ﴿فما﴾ موصولة ﴿آتاني الله﴾ مما رأيتم آثاره من النبوة والملك الذي لا غاية وراءه ﴿خير مما آتاكم﴾ من المال ومتاع الدنيا فلا حاجة إلى هديتكم ولا وقع لها عندي.

آنكه پرواز كندجانب علوي چوهماي ... دنيي اندر نظر همت أو مردارست

وفي «المثنوي»:

من سليمان مي نخواهم ملكتان ... بلكه من برهانم ازهر هلكتان
از شماكي كديهٔ زر ميكنيم ... ماشمارا كيميا كر ميكنيم
ترك اين كيريد كر ملك سباست ... كه برون از آب وكل بس ملكهاست
تخته بنداست آنكه تختش خواندهٔ ... صدر پنداري وبر درماندهٔ

قال جعفر الصادق: الدنيا أصغر قدراً عند الله وعند أنبيائه وأوليائه من أن يفرحوا بشيء منها أو يحزنوا عليه فلا ينبغي لعالم ولا لعاقل أن يفرح بعرض الدنيا.

مال دنيا دام مرغان ضعيف ... ملك عقبى دام مرغان شريف

﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ المضاف إليه المهدى إليه. والمعنى بل أنتم بما يهدى إليكم تفرحون حباً لزيادة المال لما إنكم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا هذا هو المعنى المناسب لما سرد من القصة.

وفي «الإرشاد»: إضراب عما ذكر من إنكار الإمداد بالمال إلى التوبيخ بفرحهم بهديتهم

التي أهدوها إليه افتخاراً وامتناناً واعتداداً بها كما ينبىء عنه ما ذكر من حديث الحقة والجزعة وتغيير زي الغلمان والجواري وغير ذلك انتهى.

يقول الفقير: فيه إنهم لما رأوا ما أنعم الله به على سليمان من الملك الكبير استقلوا بما عندهم حتى هموا بطرح اللبنات إلا أنه منعتهم الأمانة من ذلك فكيف امتنوا على سليمان بهديتهم وافتخروا على أن حديث الحقة ونحوه إنما كان على وجه الامتحان لا بطريق الهدية كما عرف.

وفي «التأويلات»: يشير إلى أن الهدية موجبة لاستمالة القلوب ولكن أهل الدين لما عارضهم أمر ديني في مقابلة منافع كثيرة دنيوية رجحوا طرف الدين على طرف المنافع الكثيرة الدنيوية واستقلوا كثرتها لأنها فانية واستكثروا قليلاً من أمور الدين لأنها باقية كما فعل سليمان لما جاءه الرسول بالهدية استقل كثرتها وقال: فما آتاني الله من كمالات الدين والقربات والدرجات الأخروية خير مما آتاكم من الدنيا وزخارفها بل أنتم أي أمثالكم من أهل الدنيا بمثل هديتكم الدنيوية الفانية تفرحون لخسة نفوسكم وجهلكم عن السعادات الأخروية الباقية.

﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿ارجع﴾ أيها الرسول أفرد الضمير ههنا بعد جمع الضمائر الخمسة فيما سبق لأن الرجوع مختص بالرسول والأمداد ونحوه عام. ﴿إليهم﴾ إلى بلقيس وقومها بهديتهم ليعلموا أن أهل الدين لا ينخدعون بحطام الدنيا وإنما يريدون الإسلام فليأتوا مسلمين مؤمنين وإلا ﴿فلنأتينهم بجنود﴾ من الجن والإنس والتأييد الإلهي. ﴿لا قبل لهم بها﴾ لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها.

قال في «المختار»: رآه قبلاً بفتحتين وقبلاً بضمتين وقبلاً بكسر بعده فتح أي مقابلة وعياناً قال تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف: ٥٥] ولي قبل فلان حق أي عنده ومالي به قبل أي طاقة انتهى والذي يفهم من «المفردات» أنه في الأصل بمعنى عند ثم يستعار للقوة والقدرة على المقابلة أي المجازاة فيقال: لا قبل لي بكذا، أي لا يمكنني أن أقابله ولا قبل لهم بها لا طاقة لهم على دفاعها. ﴿ولنخرجنهم﴾ عطف على جواب القسم. ﴿منها﴾ من سبأ ومن أرضها حال كونهم ﴿أذلة﴾ [درحالتي كه بي حرمت وبي عزت باشند] بعد ما كانوا من أهل العز والتمكين وفي جمع القلة تأكيد لذلتهم والذل ذهاب العز والملك. ﴿وهم صاغرون﴾ أي: أسارى مهانون حال أخرى مفيدة لكون إخراجهم بطريق الإجلاء يقال: صغر صغراً بالكسر في ضد الكبر وصغاراً بالفتح في الذلة والصاغر الراضي بالمنزلة الدنيئة وكل من هذه الذلة والصغار مبني على الإنكار والإصرار كما أن كلاً من العز والشرف مبني على التصديق والإقرار ولما كان الإعلام مقدماً على الجزاء أمر سليمان برجوع الرسول لأجل الأداء. وفي «المثنوي».

باز كرديد أي رسولان خجل زر شمارا دل بمن آريد دل
كه نظركاه خداوندست آن كز نظر انداز خورشيدست كان
كو نظركاه شعاع آفتاب كو نظركاه خداوند لباب
أي رسولان ميفرستمتان رسول رد من بهتر شمارا از قبول
پيش بلقيس آنچه ديديد از عجب باز كوييد از بيابان ذهب

تابدانند كه بزر طامع نه ايم مازر از زر آفرين آورده ايم
هين بيا بلقيس ورنه بد شود لشكرت خصمت شود مرتد شود
پرده دارت پرده ات را بركند جان توباتو بجان خصمي كند
ملك برهم زن تو ادهم وارزود تابيابي همچو أو ملك خلود
هين بياكه من رسولم دعوتي چون أجل شهوت كشم من شهوتي
وربود شهوت أمير شهوتم ني أسير شهوت وروى بتم
بت شكن بودست أصل أصل ما چون خليل حق وجمله انبيا
خيز بلقيسا بيا وملك بين برلب درياي يزدان در بچين
خواهر انت ساكن چرخ سني توبمرداري چه سلطاني كني
خواهر انت راز بخششهاي داد هيچ ميداني كه آن سلطان چه داد
توز شادي چون كرنتي طبل زن كه منم شاه ورئيس كولخن
آن سك دركوكدايي كور ديد حمله مي آورد ودلقش ميدريد
كور كفتش آخرآن ياران تو بركه اند اين دم شكاري صيدجو
قوم تو در كوه ميكيرند كور درميان كوى ميكيري توكور
ترك اين تزوير كو شيخ نفور آب شوري جمع كرده چند كور
كاين مريدان من ومن آب شور مي خورند از من همي كردند كور
آب خود شيرين كن از بحر لدن آب بدرا دام اين كوران مكن
خيز شيران خدا بين كور كير توچوسك چوني بزرقى كوركير

فعلى العاقل أن لا يقنع بيسير من القال والحال بل يتضرع إلى الله الملك المتعال في أن يوصله إلى المقامات العالية والدرجات العلى إنه الكريم المولى يروي لما رجع رسلها إليها بخبر سليمان قالت: والله قد علمت أنه ليس بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت إلى سليمان: إني قادمة إليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك [وتخت خودرا درخانهٔ مضبوط ساخت ونكهبانان بروكماشت درخانهٔ قفل كرد ومفتاح را برداشت وبالشكر متوجه بايهٔ سرير سليمان شد] وكان لها اثنا عشر ألف ملك كبير يقال له: القيل ـ بفتح القاف ـ تحت كل ملك ألوف كثيرة وكان سليمان رجلاً مهيباً لا يبدأ بشيء حتى يسأل عنه فجلس يوماً على سريره فرأى جمعاً جماً على فرسخ عنه فقال: ما هذا؟ فقالوا: بلقيس بملوكها وجنودها فأقبل سليمان حينئذ على أشراف قومه وقال أو لما علم بمسيرها إليه.

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿قال يا أيها الملأ﴾ [أي اشراف قوم من] ﴿أيكم يأتيني بعرشها﴾ [كدام شما مي آرد تخت بلقيس را] ﴿قبل أن يأتوني﴾ حال كونهم ﴿مسلمين﴾ لأنه قد أوحي إلى سليمان أنها تسلم لكن أراد أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به من العجائب الدالة على عظم القدرة وصدقه في دعوى النبوة فاستدعى إتيان سريرها الموصى بالحفظ قبل قدومها. وفي «المثنوي»:

چونكه بلقيس ازدل وجان عزم كرم بر زمان رفته هم افسوس خورد
ترك مال وملك كرد أو آنچنان كه بترك نام وننك آن عاشقان

هيج مال وهيج مخزن هيج رخت ميدريغش نامه الاجزكه تحت
پس سليمان ازدلش آكاه شد كز دل أو تادل أو راه شد
ديد از دورش كه آن تسليم كيش تلخش آمد فرقت آن تخت خويش
از بزركي تخت كز حد مي فزود نقل كردن تخت را إمكان نبود
خرده كاري بود وتفريقش خطر همچو أوصال بدن بايكديكر
پس سليمان كفت كرچه في الأخير سرد خواهد شد برو تاج وسرير
ليك خود يا اين همه بر نقد حال چست بايد تخت أورا انتقال
تانكردد خسته هنكام لقا كودكانه حاجتش كردد روا

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى سليمان عليه السلام كان واقفاً على أن في أمته من هو أهل الكرامة فأراد أن يظهر كرامته ليعلم أن في أمم الأنبياء من يكون أهل الكرامات فلا ينكر مؤمن كرامات الأولياء كما أنكرت المعتزلة فإن أدنى مفسدة الإنكار حرمان المنكر من درجة الكرامة كحرمان أهل البدع والأهواء منها ولا يظنن جاهل أن سليمان لم يكن قادراً على الإتيان بعرشها ولم يكن له ولاية هذه الكرامات فإنه أمرهم بذلك لإظهار أهل الكرامات من أمته ولأن كرامات الأولياء من جملة معجزات الأنبياء فإنها دالة على صدق نبوتهم وحقيقة دينهم أيضاً انتهى.

قال الشيخ داود القيصري رحمه الله: خوارق العادات قلما تصدر من الأقطاب والخلفاء بل من وزرائهم وخلفائهم لقيامهم بالعبودية التامة واتصافهم بالفقر الكلي فلا يتصرفون لأنفسهم في شيء ومن جملة كمالات الأقطاب ومنن الله عليهم أن لا يبتليهم بصحبة الجلاء بل يرزقهم صحبة العلماء والأمناء يحملون عنهم أثقالهم وينفذون أحكامهم وأقوالهم كآصف وسليمان.

وقال بعض العارفين لا يلزم لمن كان كامل زمانه أن يكون له التقدم في كل شيء وفي كل مرتبة كما أشار إليه عليه السلام بقوله في قصة تأبير النخل «أنتم أعلم بأمور دنياكم» فذلك لا يقدح في مقام الكامل لأن التفرد بكل كمال لحضرة الألوهية والربوبية وما سواه وسيم بالعجز والنقص ولكل أحد اختصاص من وجه في الكمال الخاص كموسى والخضر عليهما السلام وإن كان الكليم أفضل زمانه كسليمان عليه السلام فانظر سر الاختصاص في قوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] مع الخليفة أبيه داود حين اختلف رجل وامرأة في ولد لهما أسود فقالت المرأة: هو ابن هذا الرجل وأنكر الرجل فقال سليمان: هل جامعتها في حال الحيض؟ فقال: نعم قال: هو لك وإنما سود الله وجهه عقوبة لكما فهذا من باب الاختصاص.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠)﴾

﴿قال عفريت﴾ مارد خبيث **﴿من الجن﴾** بيان له إذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر وأقرانه: عفريت.

وفي «المفردات»: العفريت من الجن هو الفاره الخبيث ويستعار ذلك للإنسان استعارة الشيطان له انتهى مأخوذ من العفر محركة ويسكن وهو ظاهر التراب فكأنه يصرع قرنه عليه

ويمرغه فيه وأصله عفر زيدت فيه التاء مبالغة كما في «الكواشي» وكان اسم ذلك العفريت ذكوان.

وفي «فتح الرحمن»: كوذي أو اصطخر سيد الجن وكان قبل ذلك متمرداً على سليمان واصطخر فارس تنسب إليه وكان الجني كالجبل العظيم يضع قدمه عند منتهى طرفه ﴿أنا آتيك به﴾ أي بعرشها ﴿قبل أن تقوم من مقامك﴾ أي من مجلسك للحكومة وكان يجلس إلى نصف النهار وآتيك إما صيغة مضارع. فالمعنى بالفارسية [من بيارم آنرا بتو] أو فاعل. والمعنى [من آرنده أم آنرا بتو] وهو الأنسب لمقام إدعاء الإتيان لا محالة وأوفق بما عطف عليه من الجملة الاسمية أي أنا آت به في تلك المدة ألبتة. ﴿وإني عليه﴾ أي: على الإتيان. ﴿لقوي﴾ لا يثقل عليّ حمله ﴿أمين﴾ على ما فيه من الجواهر والنفائس ولا أبدله بغيره.

﴿قال﴾ حين قال سليمان: أريد أسرع من هذا يعني [زودترا زين خواهم] ﴿الذي عنده علم من الكتاب﴾ وهو آصف بن برخيا بن خالة سليمان وزيره وكاتبه ومؤدبه في حال صغيره وكان رجلاً صديقاً يقرأ الكتب الإلهية ويعلم الاسم الأعظم الذي إذا دعا الله به أجاب وقد خلقه الله لنصرة سليمان ونفاذ أمره فالمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة على موسى وإبراهيم وغيرهما أو اللوح وأسراره المكتومة.

وقال المعتزلة: المراد به جبرائيل وذلك لأنهم لا يرون كرامة الأولياء. ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ الارتداد الرجوع والطرف تحريك الأجفان وفتحها للنظر إلى شيء والارتاد انضمامها ولكونه أمراً طبيعياً غير منوط بالتحريك أوثر الارتداد على الرد ويعبر بالطرف عن النظر إذا كان تحريك الجفن يلازمه النظر وهذا غاية في الإسراع ومثل فيه لأنه ليس بين تحريك الأجفان مدة ما.

قال الكاشفي: [سليمان دستوري داود او بسجده درافتاد وكفت يا حي يا قيوم كه بعيري آهيا شراهيا باشد وبقول بعضي يا ذا الجلال والإكرام وبرهر تقدير چون دعا كرد تخت بلقيس در موضع خود بزمين فرورفته وطرفة العيني را پيش تخت سليمان از زمين برآمد].

وقال أهل المعاني: لا ينكر من قدرة الله أن يعدمه من حيث كان ثم يوجده حيث كان سليمان بلا نقل بدعاء الذي عنده علم من الكتاب ويكون ذلك كرامة للولي ومعجزة للنبي انتهى.

يقول الفقير: هذه مسألة الإيجاز والإعدام وإليها الإشارة بقوله عليه السلام: «الدنيا ساعة وقل من يفهمها» لأنها خارجة عن طور العقل وفي «المثنوي»:

پس ترا هر لحظة موت ورجعتيست ... مصطفى فرمود دنيا ساعتيست
هرنفس نومي شود دنيا وما ... بي خبر از نوشدن اندر بقا
عمر همچون جوي نونو مي رسد ... مستمري مي نمايد در جسد
آن زتيزي مستمر شكل آمدست ... چون شرركش تيزجنباني بدست
شاخ آتش را بجنباني بساز ... در نظر آتش نمايد پس دراز
اين درازي مدت از تيزئ صنع ... مي نمايد سرعت انكيزئ صنع

﴿فلما رآه﴾ أي: فأتاه بالعرش فرأه فلما رأه. ﴿مستقراً عنده﴾ حاضراً لديه ثابتاً بين يديه في قدر ارتداد الطرف من غير خلل فيه ناشىء من النقل. ﴿قال﴾ سليمان تلقياً للنعمة بالشكر.

﴿هذا﴾ أي حصول مرادي وهو حضور العرش في هذه المدة القصيرة. ﴿من فضل ربي﴾ عليّ وإحسانه من غير استحقاق مني. ﴿ليبلوني﴾ ليختبرني. وبالفارسية [بيازمايد مرابابين].

وفي «المفردات»: يقال: بلي الثوب بلى خلق وبلوته اختبرته كأني أخلقته من كثرة اختباري له وإذا قيل: ابتلي فلان بكذا وبلاه يتضمن أمرين أحدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره والثاني ظهور جودته ورداءته وربما قصد به الأمران وربما يقصد به أحدهما فإذا قيل: بلا الله كذا وابتلاه فليس المراد إلا ظهور جودته ورداءته دون التعرف لحاله والوقوف على ما يجهل منه إذا كان تعالى علام الغيوب. ﴿أأشكر﴾ بأن أراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتي ولا قوة وأقوم بحقه. ﴿أم أكفر﴾ بأن أجد لنفسي مدخلاً في البيت وأقصر في إقامة مواجبه.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الجن وإن كان له مع لطافة جسمه قوى ملكوتية يقدر على ذلك بمقدار زمان مجلس سليمان فإن للإنس ممن عنده علم من الكتاب مع كثافة جسمه وثقله وضعف إنسانيته قوة ربانية قد حصلها من علم الكتاب بالعمل به وهو أقدر بها على ما يقدر عليه الجن من الجن ولما كان كرامة هذا الولي في الإتيان بالعرش من معجزة سليمان. ﴿قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر﴾ هذه النعمة التي تفضل بها عليّ برؤية العجز عن الشكر. ﴿أم أكفر﴾ انتهى.

قال قتادة: فلما رفع رأسه قال: الحمد لله الذي جعل في أهلي من يدعوه فيستجب له.

كفت حمد الله برين صدچنين كه بدي ودستم زرب العالمين

﴿ومن﴾ [وهركه] ﴿شكر فإنما يشكر لنفسه﴾ لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ﴿ومن كفر﴾ أي: لم يشكر بأن لم يعرف قدر النعمة ولم يؤد حقها فإن مضرة كفره عليه. ﴿فإن ربي غني﴾ عن شكره ﴿كريم﴾ بإظهار الكرم عليه مع عدم الشكر أيضاً وبترك تعجيل العقوبة.

قال في «المفردات»: المنحة والمحنة جميعاً بلاء فالمحنة مقتضية للصبر والمنحة مقتضية للشكر والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر فصارت المنحة أعظم البلاءين وبهذا النظر قال عمر رضي الله عنه: بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر، ولهذا قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: من وسع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله.

قال الواسطي رحمه الله: في الشكر إبطال رؤية الفضل كيف يوازي شكر الشاكرين فضله وفضله قديم وشكرهم محدث ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه﴾ لأنه غني عنه وعن شكره.

وقال الشبلي رحمه الله: الشكر هو الخمود تحت رؤية المنة.

قال في «الأسئلة المقحمة»: في الآية دليل إثبات الكرامات من وجهين: أحدهما: أن العفريت من الجن لما ادعى إحضاره قبل أن يقوم سليمان من مقامه وسليمان لم ينكر عليه بل قال: أريد أعجل من هذا فلما جاز أن يكون مقدوراً لعفريت من الجن كيف لا يكون مقدوراً لبعض أولياء الله تعالى، والثاني: أن الذي عنده علم من الكتاب وهو آصف وزير سليمان لم يكن نبياً وقد أحضره قبل أن يرتد طرفه إليه كما نطق به القرآن دل على جواز إثبات الكرامات الخارقة للعادات للأولياء خلافاً للقدرية حيث أنكروا ذلك انتهى. والكرامة ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح

يكون استدراجاً وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة.

قال بعضهم: لا ريب عند أول التحقيق أن كل كرامة نتيجة فضيلة من علم أو عمل أو خلق حسن فلا يعول على خرق العادة بغير علم صحيح أو عمل صالح فطي الأرض إنما هو نتيجة عن طي العبد أرض جسمه بالمجاهدات وأصناف العبادات وإقامته على طول الليالي بالمناجاة والمشي على الماء إنما هو لمن أطعم الطعام وكسا العراة إما من ماله أو بالسعي عليهم أو علم جاهلاً أو أرشد ضالاً لأن هاتين الصفتين سر الحياتين الحسية والعلمية وبينهما وبين الماء مناسبة بينة فمن أحكمها فقد حصل الماء تحت حكمه إن شاء مشى عليه وإن شاء زهد فيه على حسب الوقت وترك الظهور بالكرامات الحسية والعلمية أليق للعارف لأنه محل الآفات وللعارف استخدام الجن أو الملك في غذائه من طعامه وشرابه وفي لباسه.

قال في «كشف الأسرار»: فقد تحصل الكرامة باختيار الولي ودعائه وقد تكون بغير اختياره وفي الحديث: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره» [در آثار بيارندكه مصطفى عليه السلام از دنيا بيرون شد زمين بالله ناليدكه «بقيت لا يمشي على نبي إلى يوم القيامة» الله كفت جل جلاله من ازين امت محمد مر داني بديد آرم كه دلهاي إيشان بدلهاي پيغمبران يكي باشد وإيشان نيستند مكر أصحاب كرامات] وكرامات الأولياء ملحقة بمعجزات الأنبياء إذ لو لم يكن النبي صادقاً في معجزته ونبوته لم تكن الكرامة تظهر على من يصدقه ويكون من جملة أمته ولم ينكر كرامات الأولياء إلا أهل الحرمان سواء أنكروها مطلقاً أو أنكروا كرامات أولياء زمانهم وصدقوا بكرامات الأولياء الذين ليسوا في زمانهم كمعروف وسهل وجنيد وأشباههم كمن صدق بموسى وكذب بمحمد عليهما السلام وما هي إلا خصلة إسرائيلية نسأل الله التوفيق وحسن الخاتمة في عافية لنا وللمسلمين أجمعين ونبتهل إليه في أنه يحشرنا مع أهل الكرامات آمين.

﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿قال﴾ سليمان كرر الحكاية تنبيهاً على ما بين السابق واللاحق من المخالفة لما أن الأول من باب الشكر والثاني أمر لخدمه. ﴿نكروا لها عرشها﴾ تنكير الشيء جعله بحيث لا يعرف كما أن تعريفه جعله بحيث يعرف كما قال في «تاج المصادر»: التنكير [ناشأ ساكردن] والمعنى غيروا هيئته وشكله بوجه من الوجوه بحيث ينكر فجعل الشياطين أسفله أعلاه وبنوا فوقه قباباً أخرى هي أعجب من تلك القباب وجعلوا موضع الجوهر الأحمر الأخضر وبالعكس ﴿ننظر﴾ بالجزم على أنه جواب الأمر [تابنكريم] ما له بعد از سؤال ازو﴿أتهتدي﴾ إلى معرفته فتظهر رجاحة عقلها. ﴿أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ فتظهر سخافة عقلها وذلك أن الشياطين خافوا أن تفشي بلقيس أسرارهم إلى سليمان لأن أمها كانت جنية وإن يتزوجها سليمان ويكون بينهما ولد جامع للجن والإنس فيرث الملك ويخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد وأفظع ولا ينفكون من التسخير ويبقون في التعب والعمل أبداً فأرادوا أن يبغضوها إلى سليمان فقالوا: إن في عقلها خللاً وقصوراً، وإنها شعراء الساقين وإن رجليها كحافر الحمار فأراد سليمان أن يختبرها في عقلها فأمر بتنكير العرش واتخذ الصرح كما يأتي ليتعرف ساقيها ورجليها.

﴿فلما جاءت﴾ بلقيس سليمان والعرش بين يديه. ﴿قيل﴾ من جهة سليمان بالذات وبالواسطة امتحاناً لعقلها. ﴿أهكذا عرشك﴾ [أيا اينچنين است تخت تو] لم يقل هذا عرشك لئلا يكون تلقيناً لها فيفوت ما هو المقصود من الأمر بالتنكير وهو اختبار عقلها. ﴿قالت﴾ يعني: لم تقل: لا ولا قالت: نعم بل شبهوا عليها فشبهت عليهم مع علمها بحقيقة الحال. ﴿كأنه هو﴾ [كوياكه اين آنست] فلوّحت لما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات فاستدل بذلك على كمال عقلها وكأنها ظنت أن سليمان أراد بذلك اختبار عقلها وإظهار معجزة لها فقالت: ﴿وأوتينا العلم من قبلها﴾ من قبل الآيات الدالة على ذلك. ﴿وكنا مسلمين﴾ من ذلك الوقت.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وصدها ما كانت تعبد من دون الله﴾ بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من إظهار ما ادعته من الإسلام إلى الآن أي صدها ومنعها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس متجاوزة عبادة الله تعالى. ﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾ تعليل لسببية عبادتها المذكور للصد أي أنها كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على إسلامها وهي بين ظهرانيهم إلى أن دخلت تحت ملك سليمان أي فصارت من قوم مؤمنين. وفي «المثنوي»:

چون سليمان سوى مرغان سبا   يك صفيري كردبست آن جمله را
جز مكر مرغى كه بد بيجان وپير   يا چون ما هي كنك بد از اصل وكر

وفي الآية دلالة على أن اشتغال المرء بالشيء يصده عن فعل ضده وكانت بلقيس تعبد الشمس فكانت عبادتها إياها تصرفها عن عبادة الله فلا ينبغي الإغراق في شيء إلا أن يكون عبادة الله تعالى ومحبته فإن الرجل إذا غلب حب ما سوى الله على قلبه ولم يكن له رادع من عقل أو دين أصمه حبه وأعماه كما قال عليه السلام: «حبك الشيء يعمي ويصم». روي: أن سليمان أمر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر صحنه من زجاج أبيض وأجري من تحته الماء وألقى فيه السمك ونحوه من دواب البحر [چنانكه صحن أن خانه همه آب مينمود] ووضع سريره في وسطه فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس [چون بلقيس بدر كوشك رسيد].

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾ الصرح القصر وكل بناء عال سمي بذلك اعتباراً بكونه صرحاً من الشوب أي خالصاً فإن الصرح بالتحريك الخالص من كل شيء. ﴿فلما رأته﴾ [پس چون بديد قصر را در حالتي كه آفتاب برآن تافته بود وآب صافي مينمود وماهيانرا ديد]. ﴿حسبته لجة﴾ اللجة معظم الماء.

وفي «المفردات»: لجة البحر تردد أمواجه.

وفي «كشف الأسرار»: اللجة الضحضاح من الماء وهو الماء اليسير أو إلى الكعبين وأنصاف السوق أو ما لا غرق فيه كما في «القاموس». والمعنى: ظنت أنه ماء كثير بين يدي سرير سلميان. وبالفارسية: [پنداشت كه آب ژرف است ندانست كه آب درزير ابكينه است]

فأرادت أن تدخل في الماء. ﴿وكشفت عن ساقيها﴾ تثنية ساق وهي ما بين الكعبين كعب الركبة وكعب القدم أي تشمرت لئلا تبتل أذيالها فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً خلا أنها شعراء. ﴿قال﴾ لها سليمان: لا تكشفي عن ساقيك. ﴿إنه﴾ أي: ما توهمته ماء ﴿صرح ممرد﴾ مملس مسوى. بالفارسية [همواره چون روى آبكينه وشمشير] ومنه الأمرد لتجرده عن الشعر وكونه أملس الخدين وشجرة مرداء إذا لم يكن عليها ورق. ﴿من قوارير﴾ أي مصنوع من الزجاج الصافي وليس بماء جمع قارورة. وبالفارسية [آكينه].

وفي «القاموس»: القارورة ما قر فيه الشراب ونحوه أو يخص بالزجاج. ﴿قالت﴾ حين عاينت تلك المعجزة أيضاً ﴿رب﴾ [أي پروردكار من]. ﴿إني ظلمت نفسي﴾ بعبادة الشمس. ﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ فيه التفات إلى الاسم الجليل والوصف بالربوبية لإظهار معرفتها بألوهيته تعالى وتفرده باستحقاق العبودية وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس. والمعنى: أخلصت له التوحيد تابعة لسليمان مقتدية به.

وقال القيصري: أسلمت إسلام سليمان أي كما أسلم سليمان ومع في هذا الموضع كمع في قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: ٨] إذ لا شك أن زمان إيمان المؤمنين ما كان مقارناً لزمان إيمان الرسل وكذا إسلام بلقيس ما كان عند إسلام سليمان فالمراد كما أنه آمن بالله آمنت بالله وكما أنه أسلم أسلمت لله انتهى. ويجوز أن يكون مع ههنا واقعاً موقع بعد كما في قوله: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٦].

واختلف في نكاح بلقيس فقيل: أنكحها سليمان فتى من أبناء ملوك اليمن وهو ذو تبع ملك همدان وتبع بلغة اليمن الملك المتبوع وذلك أن سلميان لما عرض عليها النكاح أبته وقالت: مثلي لا ينكح الرجال فأعلمها سليمان أن النكاح من شريعة الإسلام فقالت: إن كان ذلك فزوجني من ذي تبع فزوجه إياها ثم ردها إلى اليمن وسلط زوجها إذا تبع على اليمن ردعا زوبعة أمير جن اليمن فأمره أن يكون في خدمة ذي تبع ويعمل له ما استعمله فيه فصنع له صنائع باليمن وبنى له حصوناً مثل صرواح ومرواح وهندة وهنيدة وفلتوم [اين نام قلعها ست درزمين يمن كه شياطين آنرا بناكرده اندازبهر ذي تبع وامروز ازان هيچ برپاي نيست همه خراب كشته ونيست شده] وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان ولما مات سليمان نادى زوبعة يا معشر الجن قد مات سليمان فارفعوا رؤوسكم فرفعوها وتفرقوا. والجمهور على أن سليمان نكحها لنفسه.

قال في «التأويلات النجمية»: في الآية دليل على أن سليمان أراد أن ينكحها وإنما صنع الصرح لتكشف عن ساقيها فرآها ليعلم ما قالت الشياطين في حقها أصدق أم كذب ولو لم يستنكحها لما جوز من نفسه النظر إلى ساقيها انتهى.

قال في «فتح الرحمن»: أراد سليمان تزوجها فكره شعر ساقيها فسأل الإنس ما يذهب هذه قالوا: الموسى فقال: الموسى يخدش ساقها فسأل الجن فقالوا: لا ندري ثم سأل الشياطين فقالوا: نحتال لك حتى تصير كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمام من يومئذ. ويقال: إن الحمام الذي ببيت المقدس بباب الأسباط إنما بني لها وأنه أول حمام بني على وجه الأرض.

وفي «روضة الأخبار»: قال جني لسليمان: أبني لك داراً تكون في بيوته الأربعة الفصول الأربعة من السنة فبنى الحمام فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً وهي ملحين وغمدان وبينون [امروز ازان بناها وقصرها جز اسم وطلل آن برجاي نيست بلكه همه خرابند] كما قال تعالى في سورة هود وحصيد ثم كان يزروها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له داود بن سليمان بن داود [وآن پسر درحيات پدر ازدنيا برفت]. روي: أن سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فمدة ملكه أربعون سنة ووفاته في أواخر سنة خمس وسبعين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام وبين وفاته والهجرة الشريفة الإسلامية ألف وسبعمائة وثلاث وسبعون سنة ونقل أن قبره ببيت المقدس عند الجيسمانية وهو وأبوه داود في قبر واحد. وبلقيس بعد [از سليمان بيك ماه ازدنيا برفت] ولما كسروا جدار تدمر وجدوها قائمة عليها اثنتان وسبعون حلة قد أمسكها الصبر والمصطكى ذلك وأن جمالها شيء عظيم إذا حركت تحركت مكتوب عندها: أنا بلقيس صاحبة سليمان بن داود خرب الله من يخرب بيتي وكان ذلك في ملك مروان الحمار.

همه تخت وملكي پذيرد زوال ... بجز ملك فرمانده لا يزال
جهان اي پسر ملك جاويد نيست ... ز دنيا وفاداري اميد نيست
مكن تكيه برملك وجاه وحشم ... كه پيش ازتو بودست وبعدازتوهم
نه لايق بود عشق بادلبري ... كه هر بامدادش بود شوهري
دريغا كه بي ما بسي روز كار ... برويد كل وبشكفد نوبهار
مكن عمر ضايع بافسوس وحيف ... كه فرصت عزيز ست والوقت سيف
عروسي بود نوبت ما تمت ... كرت نيك روزي بود خاتمت

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود﴾ وهي قبيلة من العرب كانوا يعبدون الأصنام. ﴿أخاهم﴾ النسبي المعروف عندهم بالصدق والأمانة. ﴿صالحاً﴾ قد سبق ترجمته. ﴿أن﴾ مصدرية، أي بأن ﴿اعبدوا الله﴾ الذي لا شريك له ﴿فإذا هم فريقان يختصمون﴾ الاختصام [بايكديكر خصومت وجدل كردن] وأصله أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر بالضم أي جانبه. والمعنى فاجؤوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق. وبالفارسية: [پس آنكاه ايشان دوفريق شدند مؤمن وكافر وبجنك وخصومت در آمدند بايكديكر].

قال الكاشفي: [ومخاصمهء إيشان درسورهء إعراف رقم ذكر يافته] وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ [الأعراف: ٧٥] الآية.

﴿قال﴾ صالح للفريق الكافر منهم ﴿يا قوم﴾ [أي كروه من] ﴿لم تستعجلون بالسيئة﴾ بالعقوبة فتقولون: ائتنا بما تعدنا. والاستعجال طلب الشيء قبل وقته وأصل لم لما على أنه استفهام. ﴿قبل الحسنة﴾ قبل التوبة فتؤخرونها إلى حين نزول العقاب فإنهم كانوا من جهلهم وغوايتهم يقولون: إن وقع إيعاده تبنا حينئذ وإلا فنحن على ما كنا عليه.

قال في «كشف الأسرار»: [معنى قبل انيجا نه تقدم زمانست بلكه تقدم رتبت واختبارست همجنانكه كسى كويد] صحة البدن قبل كثرة المال. ﴿لولا﴾ حرف تحضيض بمعنى هلا ﴿تستغفرون الله﴾ [چرا استغفار نمي كنيد پيش از نزول عذاب وبايمان وتوبه از خدا آمرزش نميطلبيد] ﴿لعلكم ترحمون﴾ بقبولها فلا تعذبون إذ لا إمكان للقبول عند النزول.

تـوپيـش از عـقـوبـت درعـفـو كـوب   كـه سـودي نـدارد فـغـان زيـرچـوب

﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿قالوا اطيرنا﴾ [فال بد كرفتيم] وأصله تطيرنا والتطير التشاؤم، وهو بالفارسية: [شوم داشتن] عبر عنه بذلك لأنهم كانوا إذا خرجوا مسافرين فمروا بطائر يزجرونه فإن مر سانحاً تيمنوا وإن مر بارحاً تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر إلى الطير استعير لما كان سبباً لهما من قدر الله تعالى وقسمته أو من عمل العبد.

قال في «فتح الرحمن» و«الكواشي»: السانح هو الذي ولاه ميامنه فيتمكن من رميه فيتيمن به والبارح هو الذي ولاه مياسره فلا يتمكن من رميه فيتشاءم به ثم استعمل في كل ما يتشاءم به.

وفي «القاموس»: البارح من الصيد ما مر من ميامنك إلى مياسرك وبرح الظبي بروحاً ولاك مياسره ومرج وسنح سنوحاً ضد برح ومن لي بالسانح بعد البارح أي بالمبارك بعد المشؤوم.

قال في «كشف الأسرار»: هذا كان اعتقاد العرب في بعض الوحوش والطيور أنها إذا صاحت في جانب دون جانب دل على حدوث آفات وبلايا ونهى رسول الله ﷺ عنها وقال: «أقروا الطير على مكناتها» لأنها أوهام لا حقيقة معها والمكنات بيض الضبة واحدتها مكنة.

قال عكرمة رضي الله عنه: كنا عند ابن عباس رضي الله عنهما فمر طائر يصيح فقال رجل من القوم: خير فقال ابن عباس رضي الله عنهما لا خير ولا شر.

لا تـنـطـقـن بـمـا كـرهـت فـربـمـا   نـطـق الـلـسـان بـحـادث فـيـكـون

وفي الحديث: «إن الله يحب الفأل ويكره الطيرة» قال ابن الملك كان أهل الجاهلية إذا قصد واحد إلى حاجة وأتى من جانبه إلا يسر طير أو غيره يتشاءم به فيرجع هذا هو الطيرة ومعنى الآية تشاءمنا. ﴿بك وبمن معك﴾ في دينك حيث تتابعت علينا الشدائد [اين دعوت توشوم آمد برما] وكانوا قحطوا فقالوا: أصابنا هذا الشر من شؤمك وشؤم أصحابك وكذا قال قوم موسى لموسى وأهل أنطاكية لرسلهم ﴿قال طائركم﴾ سببكم الذي جاء منه شركم ﴿عند الله﴾ وهو قدره أو عملكم المكتوب عنده. وسمي القدر طائراً لسرعة نزوله ولا شيء أسرع من قضاء محتوم كما في «فتح الرحمن»: وبالفارسية: [قال شما أزخير وشر نزديك خداست يعني سبب محنت شما مكتوبست نزديك خدا بحكم أزلي وبجهت من متبدل نكردد].

قلم به نيك وبد خلق درازل رفتست   بكوفت وكوي خلائق كر نخواهدشد

﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ تختبرون بتعاقب السراء والضراء أي الخير والشر والدولة والنكبة والسهولة والصعوبة أو تعذبون والإضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه يقال: فتنت الذهب بالنار أي اختبرته لأنظر إلى جودته واختبار الله تعالى إنما

هو لإظهار الجودة والرداءة ففي الأنبياء والأولياء والصلحاء تظهر الجودة ألا ترى أن أيوب عليه السلام امتحن فصبر، فظهر للخلق درجته وقربه من الله تعالى وفي الكفار والمنافقين والفاسقين تظهر الرداءة. حكي: أن امرأة مرضت مرضاً شديداً طويلاً فأطالت على الله تعالى في ذلك وكفرت ولذا قيل: عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان.

خوش بود كرمحك تجربه آيد بميان تاسيه روى شود هركه دروغش باشد

والابتلاء مطلقاً أي سواء كان في صورة المحبوب أو في صورة المكروه رحمة من الله تعالى في الحقيقة لأن مراده جذب عبده إليه فإن لم ينجذب حكم عليه الغضب في الدنيا والآخرة كما ترى في الأمم السالفة ومن يليهم في كل عصر إلى آخر الزمان. ثم إن أهل الله تعالى يستوي عندهم المنحة والمحنة إذ يرون كلاً منهما من الله تعالى فيصفون وقتهم فيتوكلون ولايتطيرون ويحمدون ولا يجزعون ثم إن مصيبة المعصية أعظم من مصيبة غيرها وبلاء الباطن أشد من بلاء الظاهر.

قال ابن الفارسي رحمه الله:

وكل بلا أيوب بعض بليتي

مراده أن مرضي في الروح ومرض أيوب عليه السلام في الجسد مع أنه مؤيد بقوة النبوة فبلائي أشد من بلائه نسأل الله التوفيق والعافية.

﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿وكان في المدينة﴾ أي الحجر بكسر الحاء المهملة وهي ديار ثمود وبلادهم فيما بين الحجاز والشام. ﴿تسعة رهط﴾ أشخاص وبهذا الاعتبار وقع تمييزاً للتسعة لا باعتبار لفظه فإن مميز الثلاثة إلى العشرة مخفوض مجموع. والفرق بينه وبين النفر أنه من الثلاثة أو من التسعة إلى العشرة ليس فيهم امرأة والنفر من الثلاثة إلى السعة وأسماؤهم حسبما نقل عن وهب هذيل بن عبد الرب وغنم بن غنم وياب بن مهرج ومصدع بن مهرج وعمير بن كردية وعاصم بن مخزمة وسبيط بن صدقة وسمعان بن صفي وقدار بن سالف.

وفي «كشف الأسرار»: أسماؤهم قدار بن سالف ومصدع بن دهر وأسلم ورهمي ورهيم ودعمي ودعيم وقبال وصداف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء أشرافهم ثم وصف التسعة بقوله: ﴿يفسدون في الأرض﴾ في أرض الحجر بالمعاصي.

وفي «الإرشاد»: في الأرض لا في المدينة فقط وهو بعيد لأن العرض في نظائر هذه القصة إنما حملت على أرض معهودة هي أرض كل قبيلة وقوم لا على الأرض مطلقاً. ﴿ولا يصلحون﴾ أي: لا يفعلون شيئاً من الإصلاح، ففائدة العطف بيان أن إفسادهم لا يخالطه شيء ما من الإصلاح ﴿قالوا﴾ استئناف لبيان بعض ما فعلوا من الفساد، أي قال بعضهم لبعض في أثناء المشاورة في أمر صالح وكان ذلك فيما أنذرهم بالعذاب على قتلهم الناقة وبين لهم العلامة بتغيير ألوانهم كما قال: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥] ﴿تقاسموا بالله﴾ تحالفوا يقال: أقسم أي حلف وأصله من القسامة وهي أيمان تقسم على المتهمين في الدم ثم صار

اسماً لكل حلف وهو أمر مقول لقالوا أو ماض وقع حالاً من الواو بإضمار قد أي والحال أنهم تقاسموا بالله. ﴿لنبيتنه وأهله﴾ لنأتين صالحاً ليلاً بغتة فلنقتلنه وأهله. وبالفارسية [هر آيينه شبيخون ميكنيم بر صالح وبركسان] أو قال في «التاج»: [التبييت: شبيخون كردن] يعني مباغتة العدو وقصده ليلاً. ﴿ثم لنقولن لوليه﴾ أي: لولي دم صالح ـ يعني [أكرم پرسندكه صالح راكه كشته است كوييم]. ﴿ما شهدنا مهلك أهله﴾ أي: ما حضرنا هلاكهم فضلاً عن أن نتولى إهلاكهم فيكون مصدراً أو وقت هلاكهم فيكون زماناً أو مكان هلاكهم فيكون اسم مكان. وبالفارسية: [حاضر نبوديم كشتن صالح وكسان أورا]. ﴿وإنا لصادقون﴾ فيما نقول فهو من تمام القول. وبالفارسية: [وبدرستي كه ما راست كويانيم] وهذا كقولهم ليعقوب في حق يوسف: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧].

﴿ومكروا مكراً﴾ بهذه المواضعة. والمكر صرف الغير عما يقصده بحيلة. ﴿ومكرنا مكراً﴾ أي: جعلنا هذه المواضعة سبباً لإهلاكهم. ﴿وهم لا يشعرون﴾ بذلك:

هر آنكه تخم بدي كشت وچشم نيكي داشت دماغ بيهده پخت وخيال الباطل بست

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿فانظر﴾ تفكر يا محمد في أنه ﴿كيف كان عاقبة مكرهم﴾ أي: على أي حال وقع وحدث عاقبة مكرهم وهي: ﴿أنا دمرناهم﴾ التدمير استئصال الشيء بالهلاك ﴿وقومهم﴾ الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التبييت. ﴿أجمعين﴾ بحيث لم يشذ منهم شاذ. روي: إنه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه ولما قال لهم بعد عقرهم الناقة: إنكم تهلكون إلى ثلاثة أيام قالوا: زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاثة فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا إلى الشعب وقالوا: إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة خيالهم فبادروا فطبقت عليهم في الشعب فهلكوا ثمة. وبالفارسية: [ناكاه سنكي برايشان فرود آمد وهمه راد رزير كرفت ودرغار پوشيده وإيشان در آنجا هلاك شدند] فلم يدر قومهم أين هم وهلك الباقون في أماكنهم بالصيحة.

يقول الفقير: الوجه في هلاكهم بالتطبيق أنهم أرادوا أن يباغتوا صالحاً فباغتهم الله وفي هلاك قومهم بالصيحة إنهم كانوا يصيحون إليهم فيما يتعلق بالإفساد فجاء الجزاء لكل منهم من جنس العمل.

﴿فتلك بيوتهم﴾ حال كونها ﴿خاوية﴾ خالية عن الأهل والسكان من خوى البطن إذا خلا أو ساقطة منهدمة من خوى النجم إذا سقط. وبالفارسية: [پس آنست خانهاي إيشان در زمين حجر بنكريد آنرادر حالتي كه خالي وخرابست]. ﴿بما ظلموا﴾ أي: بسبب ظلمهم المذكور وغيره كالشرك.

قال سهل رحمه الله: الإشارة في البيوت إلى القلوب فمنها عامرة بالذكر ومنها خراب بالغفلة ومن ألهمه الله الذكر فقد خلص لله من الظلم. ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من التدمير العجيب بظلمهم. ﴿لآية﴾ لعبرة عظيمة ﴿لقوم يعلمون﴾ يتصفون فيتعظون. يعني: اعلم يا

محمد أني فاعل ذلك العذاب بكفار قومك في الوقت الموقت لهم فليسوا خيراً منهم كما في «كشف الأسرار». ﴿وأنجينا الذين آمنوا﴾ صالحاً ومن معه من المؤمنين ﴿وكانوا يتقون﴾ أي الكفر والمعاصي اتقاء مستمراً فلذلك خصوا بالنجاة وكانوا أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضرموت وهي مدينة من مدن اليمن وسميت حضرموت لأن صالحاً لما دخلها مات.

وفيه إشارة إلى أن الهجرة من أرض الظلم إلى أرض العدل لازمة خصوصاً من أرض الظالمين المؤاخذين بأنواع العقوبات إذ مكان الظلم ظلمة فلا نور للعبادة فيه وإن الإنسان إذا ظلم في أرض ثم تاب فالأفضل له أن يهاجر منها إلى مكان لم يعص الله تعالى فيه، ثم إن الظالم المفسد في مدينة القالب الإنساني هي العناصر الأربعة والحواس الخمس وهي تسعة رهط يجتهدون في غلبة صالح القلب لمخالفته لهم فإن القلب يدعوهم إلى العبودية وترك الشهوات وهم يدعونه إلى النظر إلى الدنيا والأعراض عن العقبى والتعطل عن خدمة المولى فإذا كان القلب مؤيداً بالإلهام الرباني لا يميل إلى الحظوظ الظاهرة والباطنة ويغلب على القوى جميعاً فيحصل له النجاة وتهلك الخواص التسع وآفاتها فيبقى القالب والأعضاء التي هي مساكن الخواص خالية عن الخواص والآفات الغالبة ثم لا يحيا ما مات أبداً ونعم ما قيل: «الفاني لا يرد إلى أوصافه» [پس أوليارا خوف ظهور طبيعت نيست زيراكه طبيعت ونفس عدواست وعدو خالي نميشود ازغدر ومكر پس چون عداوت بمحبت منقلب ميشود مكر زائل كردد وخوف نماند] نسأل الله سبحانه أن ينجينا من مكر النفس والشيطان ويخلصنا من مكاره الأعداء مطلقاً في كل زمان.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿ولوطاً﴾ أي: وأرسلنا لوطاً بن هاران ﴿إذ قال لقومه﴾ ظرف للإرسال على أن المراد به أمر ممتد وقع فيه الإرسال وما جرى بينه وبين قومه من الأفعال والأقوال.

وقال بعضهم: انتصاب لوطاً بإضمار اذكر وإذ بدل منه أي واذكر إذ قال لوط لقومه على وجه الإنكار عليهم. ﴿أتأتون الفاحشة﴾ الفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال والمراد به ههنا اللواطة والإتيان في الأدبار. والمعنى أتفعلون الفعلة المتناهية في القبح وبالفارسية: [آيامي آييد بعمل زشت]. ﴿وأنتم تبصرون﴾ من بصر القلب وهو العلم فإنه يقال لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة، ويقال للضرير بصير على سبيل العكس أو لما له قوة بصيرة القلب أي والحال أنكم تعلمون فحشها علماً يقينياً وتعاطي القبيح من العالم بقبحه أقبح من غيره ولذا قيل: فساد كبير جاهل متنسك وعالم متهتك، أو من نظر العين أي وأنتم تبصرونها بعضكم من بعض لما أنهم كانوا يعلنون بها ولا يستترون فيكون أفحش.

﴿أئنكم﴾ [آيا شما] ﴿لتأتون الرجال﴾ بيان لإتيانهم الفاحشة وعلل الإتيان بقوله: ﴿شهوة﴾ للدلالة على قبحه والتنبيه على أن الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر وأصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده ﴿من دون النساء﴾ أي حال كونكم مجاوزين النساء اللاتي هن محال الشهوة. ﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ حيث لا تعملون بموجب علمكم فإن من لا يجري على مقتضى بصارته وعلمه ويفعل فعل الجاهل فهو والجاهل سواء وتجهلون صفة لقوم

والتاء فيه لكون الموصوف في معنى المخاطب.

﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

﴿فما كان جواب قومه﴾ نصب الجواب لأنه خبر كان واسمه قوله: ﴿إلا أن قالوا﴾ أي: قول بعضهم لبعض ﴿أخرجوا آل لوط﴾ ومن تبعه ﴿من قريتكم﴾ وهي سدوم ﴿إنهم أناس﴾ جمع إنس والناس مخفف منه، والمعنى بالفارسية: [بدرستي كه إيشان مردمانندكه] ﴿يتطهرون﴾ يتنزهون عن أفعالنا أو عن الأقذار ويعدون أفعالنا قذراً.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه على طريق الاستهزاء وهذا الجواب هو الذي صدر عنهم في المرة الأخيرة من مرات المواعظ بالأمر والنهي لا أنه لم يصدر عنهم كلام آخر غيره. ﴿فأنجيناه﴾ أي: لوطاً ﴿وأهله﴾ أي: بنيته ريشاء ورعواء بأن أمرناهم بالخروج من القرية. ﴿إلا امرأته﴾ الكافرة المسماة بواهلة لم ننجها. ﴿قدرناها من الغابرين﴾ أي: قدرنا وقضينا كونها من الباقين في العذاب فلذا لم يخرج من القرية مع لوط أو خرجت ومسخت حجراً كما سبق يقال: غبر غبوراً إذا بقي وتمامه في أواخر سورة الشعراء.

﴿وأمطرنا عليهم﴾. بعد قلب قريتهم وجعل عاليها سافلها أو على شذاذهم ومن كان منهم في الأسفار. ﴿مطراً﴾ غير معهود وهو حجارة السجيل ﴿فساء مطر المنذرين﴾ أي: بئس مطر من أنذر فلم يخف والمخصوص بالذم هو الحجارة.

قال ابن عطية: وهذه الآية أصل لمن جعل من الفقهاء الرجم في اللواط لأن الله تعالى عذبهم على معصيتهم به ومذهب مالك رجم الفاعل والمفعول به أحصنا أو لم يحصنا ومذهب الشافعي وأحمد حكمه كالزنى فيه الرجم مع الإحصان والجلد مع عدمه ومذهب أبي حنيفة أنه يعزر ولا حد عليه خلافاً لصاحبيه فإنهما ألحقاه بالزنى.

وفي «شرح الأكمل»: أن ما ذهب إليه أبو حنيفة إنما هو استعظام لذلك الفعل فإنه ليس في القبح بحيث أنه يجازى بما يجازى به القتل والزنى وإنما التعزير لتسكين الفتنة الناجزة كما أنه يقول في اليمين الغموس أنه لا يجب فيه الكفارة لأنه لعظمه لا يستتر بالكفارة.

يقول الفقير: عذبوا بالرجم لأنه أفظع العذاب كما أن اللواطة أفحش المنهيات وبقلب المدينة لأنهم قلبوا الأبدان عند الإتيان فافهم فجوزوا بما يناسب أعمالهم الخبيثة.

نه هركز شنيديم در عمر خويش ... كه بد مردرا نيك آمد به پيش

والإشارة في الفاحشة إلى كل ما زلت به الأقدام عن الصراط المستقيم وأمارتها في الظاهر إتيان منهيات الشرع على وفق الطبع وهو النفس وعلاماتها في الباطن حب الدنيا وشهواتها والاحتظاظ بها وفي الحديث: «أنتم على بينة من ربكم ما لم تظهر منكم سكرتان سكرة الجهل وسكر حب الدنيا».

قال بعض الكبار: ثلاثة من علامات الصدق والوصول إلى محل الأنبياء: الأول إسقاط قدر الدنيا والمال من قلبك حتى يصير الذهب والفضة عندك كالتراب، والثاني: إسقاط رؤية الخلق عن قلبك بحيث لا تلتفت إلى مدحهم وذمهم فكأنهم أموات وأنت وحيد على الأرض،

والثالث: إحكام سياسة النفس حتى يكون فرحك من الجوع وترك الشهوات كفرح أبناء الدنيا بالشبع ونيل الشهوات.

ثم إن المرأة الصالحة الجميلة ليست من قبيل الشهوات بل من أسباب التصفية وموافقتها من سعادات الدنيا كما قال علي رضي الله عنه: من سعادة الرجل خمسة أن تكون زوجته موافقة وأولاده أبراراً وإخوانه أتقياء وجيرانه صالحين ورزقه في بلده.

وأما الغلام الأمرد فمن أعظم فتن الدنيا إذ لا إمكان لنكاحه كالمرأة. فعلى العاقل أن يجتنب عن زنى النظر ولواطته فضلاً عن الوقوع فيهما فإن الله تعالى إذا رأى عبده حيث ما نهى غار وقهر فالعياذ به من سطوته والالتجاء إليه من سخطه ونقمته.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿قل الحمد لله﴾ قل يا محمد: الحمد لله على جميع نعمه التي من جملتها إهلاك أعداء الأنبياء والمرسلين وأتباعهم الصديقين فإنهم لما كانوا إخوانه عليه السلام كان النعمة عليهم نعمة عليه. ﴿وسلام﴾ وسلامة ونجاة ﴿على عباده الذين اصطفى﴾ أي: اصطفاهم الله وجعلهم صفوة خليقته في الأزل وهداهم واجتباهم للنبوة والرسالة والولاية في الأبد فهم الأنبياء والمرسلون وخواصهم المقربون الذين سلموا من الآفات ونجوا من العقوبات مطلقاً.

وفيه رمز إلى هلاك أعدائه عليه السلام ولو بعد حين وإشعار له ولأصحابه بحصول السلامة والنجاة من أيديهم وهكذا عادة الله تعالى مع الورثة الكمل وأعدائهم في كل زمان هذا هو اللائح للبال في هذا المقام وهو المناسب لسوابق الآيات العظام [وكفته اند أهل إسلام آنا نندكه دل آيشان سالم است از لوث علائق وسر إيشان خاليست از فكر خلائق امروز سلام بواسطه شنوند فردا سلام بي واسطه خواهند شنيد] ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

هر بنده كه أوكشت مشرف بسلامت البته شود خاص بتشريف سلامت
لطفي كن وبنواز دلم را بسلامت زيراكه سلامت همه لطفست وكرامت

﴿ءآلله﴾ بالمد الأولى تخفيفاً. والمعنى الله الذي ذكرت شؤونه العظيمة. وبالفارسية [آيا خداي بحق]. ﴿خير﴾ أنفع لعابديه.

وفي «كشف الأسرار»: [بهست خدايي را] ﴿أما﴾ أم الذين فأم متصلة وما موصولة ﴿يشركون﴾ به من الأصنام أي أم الأصنام أنفع لعابديها يعني الله خير وكان عليه السلام إذا قرأ هذه الآية قال: «بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم».

فإن قيل: لفظ الخير يستعمل في شيئين فيهما خير ولأحدهما مزية ولا خير في الأصنام أصلاً.

قلنا: المراد إلزام المشركين وتشديد لهم وتهكم بهم أو هو على زعم أن في الأصنام خيراً ثم هذا الاستفهام والاستفهامات الآتية تقرير وتوبيخ لا استرشاد ثم أضرب وانتقل من التثبيت تعريضاً إلى التصريح به خطاباً لمزيد التشديد فقال:

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿أم﴾ منقطعة مقدرة ببل والهمزة ﴿من﴾ موصولة مبتدأ خبره محذوف وكذا في نظائرها

الآتية. والمعنى بل أم من ﴿خلق السموات والأرض﴾ التي هي أصول الكائنات ومبادىء المنافع خير أم ما يشركون. يعني أن الخالق للأجرام العلوية والسفلية خير لعابديه أو للمعبودية كما هو الظاهر. ﴿وأنزل لكم﴾ أي لأجل منفعتكم. ﴿من السماء ماء﴾ نوعاً منه هو المطر ثم عدل عن الغيبة إلى التكلم لتأكيد الاختصاص بذاته فقال: ﴿فأنبتنا به﴾ أي: بسبب ذلك الماء. ﴿حدائق﴾ بساتين محدقة ومحاطة بالحوائط. وبالفارسية: [بوستانها ديوار بست] من الأحداق وهو الإحاطة.

وقال في «المفردات»: الحدائق جمع حديقة وهي قطعة من الأرض ذات ماء سميت بها تشبيهاً بحدقة العين في الهيئة وحصول الماء فيها وحدقوا به وأحدقوا أحاطوا به تشبيهاً بإدارة الحدقة انتهى. ﴿ذات بهجة﴾ البهجة حسن اللون وظهور السرور فيه أي صاحبة حسن ورونق يبتهج به النظار وكل موضع ذي أشجار مثمرة محاط عليه فهو حديقة وكل ما يسر منظره فهو بهجة. ﴿ما كان لكم﴾ أي: ما صح لكم وما أمكن ﴿أن تنبتوا شجرها﴾ شجر الحدائق فضلاً عن ثمرها ﴿أإله﴾ آخر كائن ﴿مع الله﴾ الذي ذكر بعض أفعاله التي لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكاً له في العبادة. وبالفارسية: [آيا هست خداي يعني نيست معبودي باخداي بحق]. ﴿بل هم﴾ بلكه مشركان ﴿قوم يعدلون﴾ قوم عادتهم العدول والميل عن الحق الذي هو التوحيد والعكوف على الباطل الذي هو الإشراك أو يعدلون يجعلون له عديلاً ويثبتون له نظيراً.

قال في «المفردات»: قوله: بل هم قوم يعدلون يصح أن يكون من قولهم عدل عن الحق إذا جار عدولاً انتهى فهم جاروا وظلموا بوضع الكفر موضع الإيمان والشرك محل التوحيد وهو إضرا وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب إلى بيان سوء حالهم وحكاية لغيرهم ثم أضرب وانتقل إلى التبكيت بوجه آخر أدخل في الإلزام فقال:

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿أم﴾ منقطعة ﴿من﴾ موصولة كما سبق ﴿جعل الأرض قراراً﴾ يقال: قر في مكانه يقر قراراً إذا ثبت ثبوتاً جامداً وأصله القر وهو البرد لأجل أن البرد يقتضي السكون والحر يقتضي الحركة والمراد بالقرار هنا المستقر. والمعنى بل أم من جعلها بحيث يستقر عليها الإنسان والدواب بإظهار بعضها من الماء بالارتفاع وتسويتها حسبما يدور عليه منافعهم خير من الذي يشركون به من الأصنام وذكر بعض الآيات بلفظ الماضي لأن بعض أفعاله تقدم وحصل مفروغاً منه وبعضها يفعلها حالاً بعد حال. ﴿وجعل خلالها﴾ جمع خلل وهي الفرجة بين الشيئين نحو خلل الدار وخلل السحاب ونحوهما أوساطها. وبالفارسية [وبيدا كرد درميا نهاي زمين]. ﴿أنهاراً﴾ جارية ينتفعون بها هو المفعول الأول للجعل قدم عليه الثاني لكونه ظرفاً وعلى هذا المفاعيل للفعلين الآتيين ﴿وجعل لها رواسي﴾ يقال: رسا الشيء يرسو ثبت.

قال في «كشف الأسرار»: الرواسي جمع الجمع يقال: جبل راس وجبال راسية ثم تجمع الراسية على الرواسي أي جبالاً ثوابت تمنعها أن تميل بأهلها وتضطرب ويتكون فيها المعادن

وينبع في حضيضها الينابيع ويتعلق بها من المصالح ما لا يخفى.

قال بعضهم: جعل نفوس العابدين قرار طاعتهم وقلوب العارفين قرار معرفتهم وأرواح الواجدين قرار محبتهم وأسرار الموحدين قرار مشاهدتهم وفي أسرارهم أنهار الوصلة وعيون القربة بها يسن ظمأ اشتياقهم وهيجان احتراقهم وجعل لها رواسي من الخوف والرجاء والرغبة والرهبة وأيضاً جعل للأرض رواسي من الأبدال والأولياء والأوتاد بهم يديم إمساك الأرض وببركاتهم يدفع البلاء عن الخلق وكما لا تختص الرواسي الظاهرة بديار الإسلام كذلك الرواسي الباطنة لا تختص بها بل تعمها وديار الكفرة فإن الوجود مطلقاً لا بد له من سبب البقاء فسبحان المفيض على الأولياء والأعداء. ﴿وجعل بين البحرين﴾ أي: العذب والمالح أو خليجي فارس والروم. ﴿حاجزاً﴾ برزخاً مانعاً من الممازجة والمخالطة كما مر في سورة الفرقان.

قال في «المفردات»: الحجز المنع بين الشيئين بفاصل بينهما وسمي الحجاز بذلك لكونه حاجزاً بين الشام والبادية. ﴿أإله﴾ آخر كائن ﴿مع الله﴾ في الوجود أو في إبداع هذه البدائع: يعني ليس معه غيره. ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أي: شيئاً من الأشياء ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشكر مع كمال ظهوره.

﴿أم من يجيب المضطر إذا دعاه﴾ الضمير المنصوب راجع إلى المبتدأ وهو من الموصولة التي أريد بها الله تعالى والمعنى أم من يستجيب الملجأ إلى ضيق من الأمر إذا تضرع بالدعاء إليه. ﴿ويكشف السوء﴾ ويدفع عن الإنسان ما يسوءه ويحزنه خير أم الذي يشركون به من الأصنام والاضطرار افتعال من الضرورة وهي الحالة المحوجة إلى اللجأ والمضطر الذي أحوجته شدة من الشدائد إلى اللجأ والضراعة إلى الله تعالى كالمرض والفقر والدين والغرق والحبس والجور والظلم وغيرها من نوازل الدهر فكشفها بالشفاء والإغناء والإنجاء والإطلاق والتلخيص [شيخ داود اليماني قدس سره بعيادت بيماري رفته بود بيمار كفت اي شيخ دعاكن براي شفاي من شيخ كفت تودعاكن كه مضطري وأجابت بدعاء مضطر بازبسته زيراكه نياز أو بيشتر باشد وحق سبحانه نياز بيچار كان دوست يمدارد].

اين نياز مريمي بودست ودرد	كان چنان طفلي سخن آغاز كرد
هر كجا دردي دوا آنجا بود	هر كجا فقري نوا آنجارود
هر كجا مشكل جواب آنجارود	هر كجا پستيست آب آنجارود
پيش حق يك ناله ازروي نياز	به كه عمري درسجود ودر نماز
زوررا بكذار زاري را بكير	رحم سوى زاري آيد أي فقير

قال بعضهم: فصل بين الإجابة وكشف السوء فالإجابة بالقول والكشف بالطول والإجابة بالكلام والكشف بالإنعام ودعاء المضطر لا حجاب به ودعاء المظلوم لا مرد له ولكل أجل كتاب.

قال أهل التفسير: اللام في المضطر للجنس لا للاستغراق حتى يلزم إجابة كل مضطر فإن الله تعالى يجيب إجابة المضطرين لكن يجيب لبعضهم بالقول ولبعضهم بالفعل على حسب الحكمة والمصلحة.

قال في «نفائس المجالس»: جاء في الحديث: «حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب

والنساء وقرة عيني في الصلاة» فلما سمعه أبو بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله حبب إليّ من دنياكم ثلاث النظر إليك وإنفاق مالي عليك والجلوس بين يديك» وقال عمر رضي الله عنه: «حبب إليّ من دنياكم ثلاث النظر إلى أولياء الله والقهر لأعداء الله والحفظ لحدود الله» وقال عثمان رضي الله عنه: «يا سيدي حبب إليّ من دنياكم ثلاث إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام» وقال علي رضي الله عنه: «يا سيدي حبب إليّ من دنياكم ثلاث الضرب بالسيف والصوم بالصيف وإكرام الضيف» فجاء جبريل عليه السلام وقال: «يا سيدي حبب إليّ من دنياكم ثلاث إرشاد الضالين وإعانة المساكين ومؤانسة كلام رب العالمين» ثم غاب وجاء بعد ساعة فقال: إن الله يقرئك السلام ويقول: «أحب من دنياكم ثلاثاً دمع العاصين وعذاب المذنبين الغير التائبين وإجابة دعوة المضطرين».

قال بعضهم: العارف لا يزال مضطراً معناه أن العامة اضطرارهم بمنيرات الأسباب فإذا زالت زال اضطرارهم وذلك لغلبة الحس على شهودهم فلو شهدوا قبضة الله الشاملة المحيطة لعلموا أن اضطرارهم إلى الله دائم ولدوام شرط الاضطرار ووصفه لا يزال دعاء العارفين مستجاباً والأهم في الدعاء تخليص النيات وتطهير الاعتقاد عن شوائب الشكوك والتوسل إلى الله تعالى وبالتوبة النصوح ثم تطهير الجوارح والأعضاء ليكون محلاً للإمداد من السماء ومنه الاستياك والتطيب ثم الوضوء واستقبال القبلة وتقديم الذكر والثناء والصلاة قبل الشروع في عرض الحاجات والدعوات وكذا بسط يديه بالضراعة والابتهال ورفعها حذو منكبيه.

قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: دعوت الله ليلة فأخرجت إحدى يدي من كمي دون الأخرى لشدة البرد فنعست فرأيت في منامي أن يدي الظاهرة مملوءة نوراً والأخرى فارغة فقلت: ولم ذاك يا رب فنوديت اليد التي خرجت للطلب امتلأت والتي توارت حرمت.

قال بعضهم: إن كان وقت برد أو عذر فأشار بالمسبحة قام مقام كفيه كما في «القنية» ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ خلفاء فيها بأن ورثكم سكناهم والتصرف فيها ممن كان قبلكم من الأمم يخلف كل قرن منكم القرن الذي قبله. ﴿أإله﴾ آخر كائن ﴿مع الله﴾ الذي يفيض على كافة الأنام هذه النعم الجسام. ﴿قليلاً ما تذكرون﴾ أي تتذكرون آلاءه تذكراً قليلاً وزماناً قليلاً وما مزيدة لتأكيد معنى القلة التي أريد بها العدم أو ما جرى مجراه في الحقارة وقلة الجدوى. وفيه إشارة إلى أن مضمون الكلام مركوز في ذهن كل ذكي وغبي وأنه من الوضوح بحيث لا يتوقف إلا على التوجه إليه وتذكره.

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿أم﴾ بل ﴿من﴾ الذي ﴿يهديكم﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿في ظلمات البر والبحر﴾ أي في ظلمات الليالي فيها بالنجوم وعلامات الأرض على أن الإضافة للملابسة أو في مشتبهات الطريق يقال طريقة ظلماء أو عمياء للتي لا منار بها أي هو خير أم الأصنام ﴿ومن﴾ موصولة كما سبق ﴿يرسل الرياح﴾ حال كونها ﴿بشراً﴾ مبشرة ﴿بين يدي رحمته﴾ يعني المطر. وبالفارسية [وكسى كه مي فرستد بادهارا مژده دهند كان پيش ازرحمت كه بارانست]

﴿أإله مع الله﴾ يقدر على مثل ذلك ﴿تعالى الله عما يشركون﴾ تعالى الخالق القادر عن مشاركة العاجز المخلوق ﴿أم من يبدأ الخلق﴾ أي يوجده أول مرة ﴿ثم يعيده﴾ بعد الموت بالبعث أي يوجده بعد إماتته وأم ومن إعرابه كما تقدم.

وفي «الكواشي»: وسألوا عن بدء خلقهم وإعادتهم مع إنكارهم البعث لتقدم البراهين الدالة على ذلك من إنزال الماء وإنبات النبات وجفافه ثم عوده مرة ثانية والعقل يحكم بإمكان الإعادة بعد الإبلاء وهم يعلمون أنهم وجدوا بعد أن لم يكونوا فإيجادهم بعد أن كانوا أيسر ﴿ومن يرزقكم من السماء والأرض﴾ أي بأسباب سماوية وأرضية ﴿أإله مع الله﴾ يفعل ذلك ﴿قل هاتوا﴾.

قال الحريري: تقول العرب للواحد المذكر: هات بكسر التاء وللجمع هاتوا وللمؤنث هاتي ولجماعة الإناث هاتين وللاثنين من المذكر والمؤنث هاتيا دون هاتا من غير أن فرقوا في الأمر لهما كما لم يفرقوا بينهما في ضمير المثنى في مثل قولك: غلامهما وضربهما ولا في علامة التثنية التي في قولك الزيدان والهندان وكان الأصل في هات آت المأخوذ من آتى أي أعطى فقلبت الهمزة هاء كما قلبت في أرقت الماء وفي إياك فقيل هرقت وهياك.

وفي «ملح العرب» أن رجلاً قال لأعرابي هات فقال: والله ما أهاتيك أي ما أعطيك، ومعنى هاتوا بالفارسية [بياريد] ﴿برهانكم﴾ عقلياً أو نقلياً يدل على أن معه تعالى إلهاً آخر والبرهان أوكد الأدلة وهو الذي يقتضي الصدق أبداً ﴿إن كنتم صادقين﴾ أي في تلك الدعوى ثم بين تعالى تفرده بعلم الغيب تكميلاً لما قبله من اختصاصه بالقدرة التامة وتمهيداً لما بعده من أمر البعث فقال.

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿قل لا يعلم من في السموات﴾ من الملائكة ﴿والأرض﴾ من الإنس والجن ﴿والغيب﴾ وهو ما غاب عن العباد كالساعة ونحوها وسيجيء بيانه ﴿إلا الله﴾ أي لكن الله وحده يعلمه فالاستثناء منقطع والمستثنى مرفوع على أنه بدل من كلمة من على اللغة التميمية وأما الحجازيون فينصبونه ﴿وما يشعرون﴾ يعني البشر أي لا يعلمون ﴿أيان يبعثون﴾ متى ينشرون من القبور فأيان مركبة من أي وآن فأي للاستفهام وآن بمعنى الزمان فلما ركبا وجعلا اسماً واحداً بنيا على الفتح كبعلبك.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن للغيب مراتب غيب هو غيب أهل الأرض في الأرض وفي السماء وللإنسان إمكان تحصيل علمه وهو على نوعين. أحدهما ما غاب عنك في أرض الصورة وسمائها مثل غيبة شخص عنك أو غيبة أمر من الأمور ولك إمكان إحضار الشخص والاطلاع على الأمر الغائب وفي السماء مثل علم النجوم والهيئة ولك إمكان تحصيله بالتعلم وإن كان غائباً عنك. وثانيهما ما غاب عنك في أرض المعنى وهو أرض النفس فإن فيها مخبئات من الأوصاف والأخلاق مما هو غائب عنك كيفية وكمية ولك إمكان الوقوف عليها بطريق المجاهدة والرياضة والذكر والفكر وسماء المعنى وهو سماء القلب فإن فيها مخبئات من العلوم والحكم والمعاني مما هو غائب عنك ولك إمكان الوصول إليه بالسير عن مقامات النفس والسلوك في مقامات القلب وغيب هو غيب أهل الأرض في الأرض والسماء أيضاً

وليس للإنسان إمكان الوصول إليه إلا بإرادة الحق تعالى كما قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] وغيب وهو غيب أهل السماء في السماء والأرض ليس لهم إمكان الوصول إليه إلا بتعليم الحق تعالى مثل الأسماء كما: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣١-٣٢] ومن هنا تبين لك أن الله تعالى قد كرم آدم بكرامة لم يكرم بها الملائكة وهو اطلاعه على مغيبات لم يطلع عليها الملائكة وذلك بتعلمه علم الأسماء كلها وغيب هو مخصوص بالحضرة ولا سبيل لأهل السموات والأرض إلى علمه إلا لمن ارتضى له كما قال: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] وبهذا استدل على فضيلة الرسل على الملائكة لأن الله استخصهم بإظهارهم على غيبه دون الملائكة ولهذا أسجدهم لآدم لأنه كان مخصوصاً بإظهار الله إياه على غيبه ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم فتجلى فيه» وغيب استأثر الله بعلمه وهو علم قيام الساعة فلا يعلمه إلا الله كما قال: ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ انتهى قالت عائشة رضي الله عنها من زعم أن محمداً يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية.

يقول الفقير: وأما ما قيل من أن من قال إن نبي الله لا يعلم الغيب فقد أخطأ فيما أصاب فهو بالنسبة إلى الاستثناء الوارد في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] فإن بعض الغيب قد أظهره الله على رسوله كما سبق من «التأويلات».

قال في «كشف الأسرار»: [منجمي درپيش حجاج رفت حجاج سنك ريزه دردست كرد وخود برشمرد آنكه منجم راكفت بكوتا دردست من سنك ريزه چندست منجم حسابي كه دانست بركوفت وبكفت وصواب آمد حجاج آن بكذاشت ولختي ديكر سنك ريزه ناشمرده دردست كرفت كفت اين چندست منجم هرچند حساب ميكرد جواب همه خطا مي آمد منجم كفت «أيها الأمير أظنك لا تعرف ما في يدك» چنان ظني مي برم كه توعد آن نميداني حجاج كفت چنين است نميدانم عدد آن وچه فرقست ميان اين وآن منجم كفت أول بارتو برشمر دي واز حد غيب بدر آمد واكنون تونميداني وغيب است «ولا يعلم الغيب إلا الله» وفي كتاب كلستان منجمي بخانهء خود در آمد مرد بيكانه را ديد بازن أو بهم نشسته دشنام داد وسقط كفت وفتنه وآشوب برخاست صاحب دلي برين حال واقف شد وكفت].

تو براوج فلك چه داني چيست چونداني كه در سراي توكيست

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿بل ادراك علمهم في الآخرة﴾ أصله تدارك فأبدلت التاء دالاً وأسكنت للادغام واجتلبت همزة الوصل للابتداء ومعناه تلاحق وتدارك.

قال في «القاموس»: جهلوا علمها ولا علم عندهم من أمرها انتهى وهو قول الحسن وحقيقته انتهى علمهم في لحوق الآخرة فجهلوها كما في «المفردات».

وقال بعضهم: تدارك وتتابع حتى انقطع من قولهم تدارك بنو فلان إذا تتابعوا في الهلاك فهو بيان لجهلهم بوقت البعث مع تعاضد أسباب المعرفة. والمعنى تتابع علمهم في شأن الآخرة حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعاً لكن لا على أنه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئاً فشيئاً بل على طريقة المجاز بتنزيل أسباب العلم ومباديه من

الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه وإجراء ساقطها عن اعتبارهم كلما لاحظوها مجرى تتابعها إلى الانقطاع وتنزيل أسباب العلم بمنزلة العلم سنن مسلوك ثم أضرب وانتقل من بيان علمهم بها إلى بيان ماهو أسوأ منه وهو حيرتهم في ذلك حيث قيل: ﴿بل هم في شك منها﴾ من نفس الآخرة وتحققها كمن تحير في أمر لا يجد عليه دليلاً فضلاً عن الأمور التي ستقع فيها ثم أضرب عن ذلك إلى بيان أن ما هم فيه أشد وأفظع من الشك حيث قيل: ﴿بل هم منها عمون﴾ جاهلون بحيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية جمع عم وهو أعمى القلب.

قال في «المفردات»: العمى يقال في افتقاد البصر وافتقاد البصيرة ويقال في الأول أعمى والثاني عمي وعم وعمي القلب أشد ولا اعتبار لافتقاد البصر في جنب افتقاد البصيرة إذ رب أعمى في الظاهر بصير في الباطن ورب بصير في الصورة أعمى في الحقيقة كحال الكفار والمنافقين والغافلين وعلاج هذا العمى إنما يكون بضده وهو العلم الذي به يدرك الآخرة وما تحويه من الأمور.

قال سهل بن عبد الله التستري قدس سره: ما عصى الله أحد بمعصية أشد من الجهل قيل: يا أبا محمد هل تعرف شيئاً أشد من الجهل؟ قال: نعم الجهل بالجهل فالجهل جهلان جهل بسيط هو سلب العلم وجهل مركب هو خلافه والأول ضعيف والثاني قوي لا يزول إلا أن يتداركه الله تعالى. قيل:

سقام الحرص ليس له شفاء ... وداء الجهل ليس له طبيب

وقيل:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... وأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرأ لم يحيي بالعلم ميت ... وليس له حين النشور نشور
أي كه داري هنر نداري مال ... مكن از كردكار خود كلهٔ
نعمت جهل را مخواه كه هست ... روضهٔ درميان مزبلهٔ

اللهم اجعلنا من العلماء ورثة الأنبياء.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿وقال الذين كفروا﴾ أي: مشركو مكة ﴿أئذا كنا تراباً﴾ [آيا چون كرديم ما خاك] ﴿وآباؤنا﴾ [وپدران ما نيزخاك شوند] وهو عطف على ضمير كنا بلا تأكيد لفصل تراباً بينهما. ﴿أئنا لمخرجون﴾ [آيا ما بيرون آورندكانيم از كورها زنده شده] والضمير في أئنا لهم ولآبائهم لأن كونهم تراباً يتناولهم وآباءهم والعامل في إذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لأن كلاً من الهمزة وإن واللام مانعة من عمله فيما قبلها. والمعنى أنخرج من القبور إذا كنا تراباً أي هذا لا يكون وتكرير الهمزة للمبالغة في الإنكار وتقييد الإنكار بوقت كونهم تراباً لتقويته بتوجيهه إلى الإخراج في حالة منافية له وإلا فهم منكرون للإحياء بعد الموت مطلقاً أي سواء كانوا تراباً أو لا.

﴿لقد وعدنا هذا﴾ أي الإخراج. وبالفارسية [بدرستي وعده داده شده ايم اين حشر

ونشررا]. ﴿ونحن﴾ وتقديم الموعود على نحن لأنه المقصود بالذكر وحيث أخر كما في سورة المؤمنين قصد به المبعوث. ﴿وآباؤنا من قبل﴾ أي من قبل وعد محمد يعني أن آباءنا وعدوا به في الأزمنة المتقدمة ثم لم يبعثوا ولن يبعثوا ﴿إن هذا﴾ أي ما هذا الوعد. ﴿إلا أساطير الأولين﴾ أحاديثهم التي سطروها وكتبوها كذاباً مثل حديث رستم واسفنديار. وبالفارسية [مكر افسانها پيشينيان يعني ما نند افسانها كه مجرد سخنيست بي حقيقت] والأساطير الأحاديث التي ليس لها حقيقة ولا نظام جمع أسطار وإسطير بالكسر وأسطور بالضم وبالهاى في الكل جمع سطر.

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿قل﴾ يا محمد ﴿سيروا﴾ أيها المنكرون المكذبون من السير وهو المضي ﴿في الأرض﴾ في أرض أهل التكذيب مثل الحجر والأحقاف والمؤتفكات ونحوها ﴿فانظروا﴾ تفكروا واعتبروا. ﴿كيف كان عاقبة المجرمين﴾ آخر أمر المكذبين بسبب التكذيب حيث أهلكوا بأنواع العذاب وفيه تهديد لهم على التكذيب وتخويف بأن ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم وأصل الجرم قطع الثمر عن الشجر والجرامة رديء الثمر المجروم واستعير لكل اكتساب مكروه.

﴿ولا تحزن عليهم﴾ على تكذيبهم وإصرارهم لأنهم خلقوا لهذا وهو ليس بنهي عن تحصيل الحزن لأن الحزن ليس يدخل تحت اختيار الإنسان ولكن النهي في الحقيقة إنما هو عن تعاطي ما يورث الحزن واكتسابه. والحزن والحزن خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيها من النعم ويضاده الفرح. ﴿ولا تكن في ضيق﴾ [در تنكدلي] وهو ضد السعة ويستعمل في الفقر والغم ونحوهما. ﴿مما يمكرون﴾ من مكرهم وكيدهم تدبيرهم الحيل في إهلاكك ومنع الناس عن دينك فإنه لا يحيق المكر السيىء إلا بأهله والله يعصمك من الناس ويظهر دينك.

غم مخورزان روكه غمخوارت منم وزهمه بدها نكهدارت منم
ازتوكر اغيار برتابندرو اين جهان وآن جهان يارت منم

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿ويقولون﴾ [وميكويندكافران] ﴿متى﴾ [كجاست وكي خواهد بود] ﴿هذا الوعد﴾ أي: العذاب العاجل الموعود ﴿إن كنتم صادقين﴾ في إخباركم بإتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين في الإخبار بذلك.

﴿قل عسى أن يكون ردف لكم﴾ أي: تبعكم ولحقكم وقرب منكم قرب الرديف من مردفه واللام زائدة للتأكيد. وبالفارسية [بكوشايد رنكه باشدكه بحكم الهي پيوندد بشما وازپي در آيد شمارا] ﴿بعض الذي تستعجلون﴾ من العذاب فحل بهم عذاب يوم بدر وسائر العذاب لهم مدخر ليوم البعث.

وقيل: الموت بعض من القيامة وجزء منها وفي الخبر: «من مات فقد قامت قيامته» وذلك لأن زمان الموت آخر زمان من أزمنة الدنيا وأول زمان من أزمنة الآخرة فمن مات قبل القيامة فقد قامت قيامته من حيث اتصال زمان الموت بزمان القيامة كما أن أزمنة الدنيا يتصل بعضها ببعض. وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وإنما يطلقونها إظهاراً للوقار وإشعاراً بأن الرمز من أمثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده.

﴿**وإن ربك لذو فضل**﴾ إفضال وإنعام. ﴿**على الناس**﴾ على كافة الناس ومن جملة إنعاماته تأخير عقوبة هؤلاء على ما يرتكبونه من المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب. ﴿**ولكن أكثرهم لا يشكرون**﴾ لا يعرفون حق النعمة فلا يشكرون بل يستعجلون بجهلهم وقوع العذاب كدأب هؤلاء. وفيه إشارة إلى أن استعجال منكري البعث في طلب العذاب الموعود لهم من غاية جهلهم بحقائق الأمور وإلا فقد ردفهم أنموذج من العذاب الأكبر وهو العذاب الأدنى من البليات والمحن.

﴿**وإن ربك لذو فضل على الناس**﴾ فيما يذيقهم العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون إلى الحضرة بالخوف والخشية تاركين الدنيا وزينتها راغبين في الآخرة ودرجاتها. ﴿**ولكن أكثرهم لا يشركون**﴾ لأنهم لا يميزون بين محنهم ومنحهم وعزيز من يعرف الفرق بين ما هو نعمة من الله وفضله أو محنة ونقمة وإذا تقاصر علم العبد عما فيه صلاحه فعسى أن يحب شيئاً ويظنه خيراً وبلاؤه فيه وعسى أن يكون شيء آخر بالضد ورب شيء يظنه العبد نعمة يشكره بها ويستديمه وهي محنة له يجب صبره عنها ويجب شكره لله تعالى على صرفه عنه وبعكس هذا كم من شيء يظنه الإنسان بخلاف ما هو كذا في «التأويلات النجمية».

﴿**وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم**﴾ أي: ما تخفيه من أكن إذا أخفى والإكنان جعل الشيء في الكن وهو ما يحفظ فيه الشيء.

قال في «تاج المصادر»: [الأكنان: در دل نهان داشتن والكن پنهان داشتن] في الكن والنفس كننت الشيء وأكننته في الكن وفي النفس بمعنى وفرق قوم بينهما فقالوا: كننت في الكن وإن لم يكن مستوراً وأكننت في النفس والباب يدل على ستر أو جنون انتهى ﴿**وما يعلنون**﴾ من الأقوال والأفعال التي من جملتها ما حكي عنهم من استعجال العذاب وفيه إيذان بأن لهم قبائح غير ما يظهرونه وأنه تعالى يجازيهم على الكل [والاعلان: آشكارا كردن].

قال الجنيد قدس سره: ما تكن صدورهم من محبته وما يعلنون من خدمته.

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾

﴿**وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين**﴾ [وهيچ نيست پوشيده در آسمان وزمين مكر نوشته در كتابي روشن يعني لوح محفوظ وباوعلم حق محيط] والغائبة من الصفات التي تدل على الشدة والغلبة والتاء للمبالغة كأنه قال: وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا وقد علمه الله تعالى وأحاط به فالغيب والشهادة بالنسبة إلى علمه تعالى وشهوده على السواء كما قال في بحر الحقائق هذا يدل على أنه ما غاب عن علمه شيء من المغيبات الموجود منها والمعدوم واستوى في علمه وجودها وعدمها على ما هي به من بعد إيجادها فلا تغير في علمه تعالى عند تغيرها بالإيجاد فيتغير المعلوم ولا يتغير العلم بجميع حالاته على ما هو به انتهى

فعلى الإنسان ترك النسيان والعصيان فإن الله تعالى مطلع عليه وعلى أفعاله وإن اجتهد في الإخفاء. قال الشيخ سعدي في «البستان».

يكى متفق بود برمنكري ... كذر كرد بروي نكو محضري
نشست از خجالت عرق كرده روى ... كه إيا خجيل كشتم از شيخ كوى
شنيد اين سخن شيخ روشن روان ... بروبر بشوريد وكفت أي جوان
نيايد همي شرمت از خويشتن ... كه حق حاضر وشرم داري زمن
چنان شرم دار از خداوند خويش ... كه شرمت زبيكانكانست وخويش
نياسايى از جانب هيچ كس ... برو جانب حق نك دار وبس
بترس ازكناهان خويش اين نفس ... كه روز قيامت نه ترسي ز كس
تر يزد خدا آب روى كسى ... كه ريزد كناه آب چشمش بسى

ثم إنه ينبغي للمؤمن أن يكون سليم الصدر ولا يكن في نفسه حقداً وحسداً وعداوة لأحد وفي الحديث: «إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة» فدخل عبد الله بن سلام رضي الله عنه فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله فأخبروه بذلك وقالوا: لو أخبرتنا بأوثق عملك نرجو به فقال: إني ضعيف وإن أوثق ما أرجو به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني ففي هذا الخبر شيئان أحدهما إخباره عليه السلام عن الغيب ولكن بواسطة الوحي وتعليم الله تعالى فإن علم الغيب بالذات مختص بالله تعالى والثاني إن سلامة الصدر من أسباب الجنة وفي الحديث: «لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» وذلك أن المرء ما دام لم يسمع عن أخيه إلا مناقبه يكون سليم الصدر في حقه فإذا سمع شيئاً من مساويه واقعاً أو غير واقع يتغير له خاطره.

بدى در قفا عيب من كرد وخفت ... بترزو قريني كه آورد وكفت
يكي تيرى افكند ودرره فتاد ... وجودم نيازرد ورنجم نداد
تو برداشتى وآمدى سوى من ... همى درسپوزى به پهلوى من

والنصيحة في هذا للعقلاء أن لا يصيخوا إلى الواشي والنمام والغياب والعياب فإن عرض المؤمن كدمه ولا ينبغي إساءة الظن في حق المؤمن بأدنى سبب وقد ورد «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها».

ازان همنشين تاتواني كريز ... كه مرفتنهٔ خفته را كفت خيز
كسى را كه نام آمد اندر ميان ... به نيكو ترين نام ونعتش بخوان
چو همواره كويي كه مردم خرند ... مبر ظن كه نامد چو مردم برند
كسى پيش من درجهان عاقلست ... كه مشغول خوددرجهان غافلست
كساني كه پيغام دشمن برند ... زد شمن همانا كه دشمن ترند
كسى قول دشمن نيارد بدوست ... مكر آنكهى دشمن يار أوست
مريز آب روى برادر بكوى ... كه درهت نريزد بشهر آب روى
ببد كفتن خلق چون دم زدي ... أكر راست كويي سخن هم بدي

نسأل الله العصمة.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾.

﴿إن هذا القرآن﴾ المنزل على محمد ﴿يقص﴾ يبين ﴿على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه﴾ لجهالتهم ﴿يختلفون﴾ مثل اختلافهم في شأن المسيح وعزير وأحوال المعاد الجسماني والروحاني وصفات الجنة والنار واختلافهم في التشبيه والتنزيه وتناكرهم في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضاً فلو أنصفوا وأخذوا بالقرآن وأسلموا لسلموا.

﴿وإنه﴾ أي: القرآن ﴿لهدى﴾ [ره نمونيست] ﴿ورحمة﴾ [وبخشايشي] ﴿للمؤمنين﴾ مطلقاً من بني إسرائيل أو من غيرهم وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون به.

﴿إن ربك يقضي بينهم﴾ يفصل بين بني إسرائيل المختلفين وذلك يوم القيامة ﴿بحكمه﴾ بما يحكم به وهو الحق والعدل سمي المحكوم به حكماً على سبيل التجوز ﴿وهو العزيز﴾ الغالب القاهر فلا يرد حكمه وقضاؤه ﴿العليم﴾ بجميع الأشياء التي من جملتها ما يقضى فيه فإذا كان موصوفاً بهذه الشؤون الجليلة.

﴿فتوكل على الله﴾ ولا تبال بمعاداتهم والتوكل التبتل إلى الله وتفويض الأمر إليه والإعراض عن التشبث بما سواه وأيضاً هو سكون القلب إلى الله وطمأنينة الجوارح عند ظهور الهائل وعلل التوكل أولاً بقوله: ﴿إنك على الحق المبين﴾ [يعني راه توراست وكار تودرست] وصاحب الحق حقيق بالوثوب بحفظ الله ونصره وثانياً بقوله:

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ فإن كونهم كالموتى موجب لقطع الطمع في مشايعتهم ومعاضدتهم رأساً وداعٍ إلى تخصيص الاعتقاد به تعالى وهو المعني بالتوكل عليه وإطلاق الأسماع على المعقول لبيان عدم سماعهم لشيء من المسموعات وإنما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم بما يتلى عليه من الآيات والمراد المطبوعون على قلوبهم فلا يخرج ما فيها من الكفر ولا يدخل ما لم يكن فيها من الإيمان.

فإن قلت بعد تشبيه أنفسهم بالموتى لا يظهر لتشبيههم بالعمي والصم كما يأتي مزيد فائدة.

قلت: المراد كما أشير إليه بقوله على قلوبهم تشبيه القلوب لا تشبيه النفوس فإن الإنسان إنما يكون في حكم الموتى بممات قلبه بالكفر والنفاق وحب الدنيا ونحوها. فحاصل المعنى بالفارسية: [مرده دلان كفر فهم سخن تو نمي توانند كرد].

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: العارفون بالله أحياء وما سواهم موتى وذلك لأن حياة الروح إنما هي بالمعرفة الحقيقية.

قال في «كشف الأسرار»: [زندكاني بحقيقت سه چيزست وهردل كه ازان سه چيز خالي بود درشمار موتى است. زندكاني بيم باعلم. وزندكاني اميد باعلم. وزندكاني دوستي باعلم. زندكاني بيم دامن مرد پاك دار دوچشم وي بيدار وراه وي راست. زندكاني اميد مركب وي

تيزدارد وزاد تمام وراه نزديك. زندكاني دوستي قدر مردم بزرك دارد وسروى آزاد ودل شاد. بيم بي علم بيم خارجيا نست. اميد بي علم اميد مرجيانست. دوستي بيعلم أبا حيانست هركرا أين سه خصلت باعلم درهم پيوست بزندكي پاك رسيد وازمردكي بازرست] ﴿ولا تسمع الصم الدعاء﴾أي: الدعوة إلى أمر من الأمور جمع أصم والصمم فقدان حاسة السمع وبه شبه من لا يصغي إلى الحق ولا يقبله كما شبه ههنا.

وفي «التأويلات النجمية»: ولا تسمع الصم الذين أصمهم الله بحب الشهوات فإن حبك الشيء يعمي ويصم أي يعمي عن طريق الرشد ويصم عن استماع الحق. ﴿إذا ولوا﴾ ولى أعرض وترك قربه ﴿مدبرين﴾أي إذا انصرفوا حال كونهم معرضين عن الحق تاركين ذلك وراء ظهرهم يقال: أدبر أعرض وولى دبره وتقييد النفي بإذا لتكميل التشبيه وتأكيد النفي فإن أسماعهم في هذه الحالة أبعد أي أن الأصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعي بمقابلة صماخه قريباً منه فكيف إذا كان خلفه بعيداً منه ثم شبههم بالعمي بقوله:

﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم﴾هداية موصلة إلى المطلوب فإن الاهتداء لا يحصل إلا بالبصر فشبه من افتقد البصيرة بمن افتقد البصر في عدم الهداية.

قال في «المفردات»: لم يعد تعالى افتقاد البصر في جانب افتقاد البصيرة عمي حتى قال: فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴿إن تسمع﴾أي ما تسمع سماعاً نافعاً للسامع ﴿إلا من يؤمن بآياتنا﴾من هو في علم الله كذلك، أي من شأنه الإيمان بها ولما كان طريق الهداية هو إسماع الآيات التنزيلية قال: إن تسمع دون أن تهدي مع قرب ذكر الهداية ﴿فهم مسلمون﴾تعليل لإيمانهم بها كأنه قيل منقادون للحق. وبالفارسية [پس إيشان كردن نهند كانند فرمانرا ومخلصان ومتخصصان عالم إيقانند].

كوش باطن نهاده بر قرآن ديدهٔ دل كشاده برعرفان
زنده ازنفحهاي كلشن قدس معتكف در قضاي عالم انس
برده اند از مضائق لاشيء به «قل الله ثم ذرهم» پي

فالأصل هو العناية الأزلية وما سبق في علم الله من السعادة الأبدية. روي: أن النبي عليه السلام قام على منبره فقبض كفه اليمنى فقال: «كتاب كتب الله فيه أهل الجنة بأسمائهم وأنسابهم مجمل عليهم لا يزاد فيه ولا ينقص منه وليعملن أهل السعادة بعمل أهل الشقاء حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة» وهو بضم الفاء وتخفيف الواو آخره قاف.

قال الجوهري وغيره هو ما بين الحلبتين من الوقت لأن الناقة تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب انتهى «وليعملن أهل الشقاء بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم ليخرجنهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله والأعمال بالخواتيم» [آورده اندكه رسول خدا ﷺ حكايت كردكه دربني إسرائيل زاهدي بود دويست سال عبادت كرده در آرزوي آن بودكه وقتي إبليس را به بيند تاباوي كويد الحمد لله كه درين دويست سال ترا برمن راه نبود ونتوا نستي مرا ازراه حق بكردانيدن آخر روزي إبليس از محراب خويشتن را باونمود واورا بشناخت وكفت اكنون بچه آمدي يا إبليس كفت دويست سالست تاميكوشم كه ترا ازراه ببرم وبكام خويش در آرم

وازدستم برنخاست ومرادبر نيامد واكنون تودر خواستي كه مرا بيني ديدار من ترابچه كار آيد از عمر تودويست سال ديكر مانده است اين سخن بكفت ونابديد كشت زاهد دروسواس افتاد وكفت از عمر من دويست سال مانده ومن چنين خويشتن را درزندان كرده أم از لذات وشهوات بازمانده ودويست سال ديكرهم برين صفت دشخوار بود تدبير من آنست كه صد سال دردنيا خوش زندكاني كنم لذات وشهوات بكار دارم آنكه توبه كنم وصد سال ديكر بعبادات بسر آرم كه الله غفور رحيم است آن روز از صومعه بيرون آمد سوى خرابات شد وبشراب ولذات باطل مشغول كشت وبصحبت مؤنسان تن درداد چون در آمد عمرش باخر رسيده بود ملك الموت در آمد وبرسر آن فسق وفجور جان وي برداشت آن طاعات وعبادات دويست ساله بباد برداده حكم أزلي دروي رسيده وشقاوت دامن أو كرفته] نعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء. قال الحافظ:

در عمل تكيه مكن زانكه دران روز ازل — توچه داني قلم صنع بنامت چه نوشت

وقال:

زاهد ايمن مشو ازبازيء غيرت زنهار — كه ره از صومعه تادير مغان اين همه تيست

وقال:

حكم مستورى ومستى همه برخاتمتست — كس ندانست كه آخربچه حالت برود

وقال الشيخ سعدي:

كرت صورت حال بد يانكوست — نكاريدهٔ دست تقدير أوست

بكوشش نرويد كل ازشاخ بيد — نه زنكي بكرما به كردد سفيد

اللهم اجعلنا من السعداء.

﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ المراد بالوقوع الدنو والاقتراب كما في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١] وبالقول ما ينطق عن الساعة وما فيها من فنون الأهوال التي كان المشركون يستعجلونها. والمعنى إذا دنا واقترب وقوع القول وحصول ما تضمنه وأكثر ما جاء في القرآن من لفظ وقع جاء في العذاب والشدائد أي إذا ظهر أمارات القيامة التي تقدم القول فيها انتهى. **﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض﴾** واسمها الجساسة لتحسسها الأخبار للدجال لأن الدجال كان موثقاً في دير في جزيرة بحر الشام وكانت الجساسة في تلك الجزيرة كما في حديث المشارق في الباب الثامن. **﴿تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾** أي: تكلم تلك الدابة الكفرة باللسان العربي الفصيح أو للعرب بالعربي وللعجم بالعجمي بأنهم كانوا لا يؤمنون بآيات الله الناطقة بمجيء الساعة [يعني: چون زوال دنيا نزديك باشد حق تعالى دابة الأرض بيرون آرد چنانچه ناقهء صالح ازسنك بيرون آورد] قيل: إنها جمعت خلق كل حيوان ولها وجه كوجه الآدميين مضيئة يبلغ رأسها السحاب فيراها أهل المشرق والمغرب وفي الحديث: «طول الدابة ستون ذراعاً لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب» وفي الخبر: «بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الأرض تحتهم وتتحرك تحرك القنديل وينشق جبل الصفا

مما يلي المسعى فتخرج الدابة منه ولا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام فقوم يقفون نظاراً وقوم يفزعون إلى الصلاة فتقول للمصلي: طول ما طولت فوالله لأحطمنك فتخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليه السلام فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا فيظهر أثره كالنقطة ينبسط نوره على وجهه ويكتب على جبهته هو مؤمن وتختم الكافر في أنفه بالخاتم فتظهر نكتة فتفشو حتى يسودّ لها وجهه ويكتب بين عينيه هو كافر ثم تقول لهم: أنت يا فلان من أهل الجنة وأنت يا فلان من أهل النار» [وكسى نماند دردنيا مكر سفيد روى ومردم يكدكررا بنام ولقب نخوانند بلكه سفيد روى رامي كويند اي بهشتي وسياه روى كه دوزخي وبر روى زمين همي رود وهركجا نفس وي رسد همه نبات ودرختان خشك ميشود تادر زمين هيچ نبات ودرخت سبز نماند مكر درخت سبيدكه آن خشك نكردد از بهر آنكه بركت هفتاد پيغمبر باويست ودر حديث آمده كه خروج دابه وطلوع افتاب از مغرب متقارب باشد هركدام پيش بودآن ديكر برعقبش ظاهر كردد واز كتب بعض أئمة چنان معلوم ميشود از أشراط ساعت أول آيات سماوي كه طلوع شود شمس از مغرب وأول وآيات أرضي دابة الأرض].

قال في «حياة الحيوان»: ظاهر الأحاديث أن طلوع الشمس آخر الأشراط انتهى كما ورد أن الدجال يخرج على رأس مائة وينزل على عيسى عليه السلام فيقتله ثم مكث في الأرض أربعين سنة وأن الناس يمكثون بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة.

والحاصل أن بني الأصفر وهم الإفرنج على ما ذهب إليه المحدثون إذا خرجوا وظهروا إلى الأعماق في ست سنين يظهر المهدي في السنة السابعة ثم يظهر الدجال ثم ينزل عيسى ثم تخرج الدابة ثم تطلع الشمس من المغرب ويدل عليه أنهم قالوا: إذا أخرجت الدابة حبست الحفظة ورفعت الأقلام وشهدت الأجساد على الأعمال وذلك لكمال تقارب الخروج والطلوع فإنه لا يغلق باب التوبة إلا بعد الطلوع والعلم عند الله تعالى.

قال بعض العارفين: السر في صورة الدابة وظهور جمعية الكون فيها أنها صورت الاستعداد الكوني الشهادي الحيواني ومثال الطبع الكلي الحيواني وحامل جمعية الحقائق الدنيوية وهي أيضاً سر البرزخ الكلي العنصري يظهر منها أسرار الحقائق المتضادة كالكفر والإيمان والطاعة والعصيان والإنسانية والحيوانية وهي آية جامعة فيها معان وأسرار لذوي الأبصار كذا في «كشف الكنوز» فعلى العاقل أن يصيخ إلى آيات الله ويتعظ بوعدها ووعيدها ويؤمن بقدر الله تعالى ويتهيأ للبعث والموت قبل أن ينتهي العمر وينقطع الخير ويختل نظام الدنيا بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد تقارب الزمان.

يا رب از ابر هدايت برسان باراني ... پيشتر زانكه چوكردي زميان برخيزم

نسأل الله أن يوفقنا للخير وصالحات الأعمال قبل نفاد العمر ومجيء الآجال.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ يوم منصوب بالذكر. والحشر الجمع والمراد به هنا هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق والأمة جماعة أرسل إليهم رسول كما في «القاموس» والفوج الجماعة من الناس كالزمرة كما في «الوسيط» والجماعة المارة المسرعة كما

في «المفردات». والمعنى واذكر يا محمد لقومك وقت حشرنا أي جمعنا من كل أمة من أمم الأنبياء أو من أهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعيضية لأن كل أمة منقسمة إلى مصدق ومكذب ﴿ممن يكذب بآياتنا﴾ بيان للفوج أي فوجاً مكذبين بها لأن كل أمة وكل عصر لم يخل من كفرة بالله من لدن تفريق بني آدم والمراد بالآيات بالنسبة إلى هذه الأمة الآيات القرآنية، ﴿فهم يوزعون﴾ فسر في هذه السورة في قصة سليمان أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا في موقع التوبيخ والمناقشة وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد أطرافهم أو المراد بالفوج رؤساء الأمم المتبوعون في الكفر والتكذيب فهم يحبسون حتى يلتحق بهم أسافلهم التابعون كما قال ابن عباس رضي الله عنهما أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وهكذا يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار وفي الحديث: «امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار».

﴿حتى إذا جاؤوا﴾ إلى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب: وبالفارسية: [تاچون بيايند بحشر كاه]. ﴿قال﴾ الله تعالى موبخاً على التكذيب والالتفات لتربية المهابة. ﴿أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً﴾ الواو للحال ونصب علماً على التمييز أي أكذبتم بآياتي الناطقة بلقاء يومكم هذا بادىء الرأي غير ناظرين فيها نظراً يؤدي إلى العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق حتماً. ﴿أم ماذا كنتم تعملون﴾ أي شيء تعملونه بعد ذلك. وبالفارسية [چه كار كرديد بعد از آنكه بخدا ورسول إيمان نياورديد] يعني لم يكن لهم عمل غير الجهل والتكذيب والكفر والمعاصي كأنهم لم يخلقوا إلا لها مع أنهم ما خلقوا إلا للعلم والتصديق والإيمان والطاعة يخاطبون بذلك تبكيتاً فلا يقدرون أن يقولوا فعلنا غير ذلك ثم يكبون في النار وذلك قوله تعالى:

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

﴿ووقع القول عليهم﴾ أي: حل بهم العذاب الذي هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله ﴿بما ظلموا﴾ بسبب ظلمهم الذي هو التكذيب بآيات الله ﴿فهم لا ينطقون﴾ باعتذار لشغلهم العذاب أو لختم أفواههم ثم وعظ كفار مكة واحتج عليهم فقال:

﴿ألم يروا﴾ من رؤية القلب هو العلم. والمعنى بالفارسية: [آيانديدند ونداستند منكران حشر] ﴿أنا جعلنا الليل﴾ بما فيه من الإظلام ﴿ليسكنوا فيه﴾ ليستريحوا فيه بالنوم والقرار ﴿والنهار مبصراً﴾ أي ليبصروا بما فيه من الإضاءة طرق التقلب في أمور المعاش فبولغ فيه حيث جعل الإبصار الذي هو حال الناس حالاً له ووصفاً من أوصافه التي جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك في الليل هذا المسلك لما أن تأثير ظلام الليل في السكون ليس بمثابة تأثير ضوء النهار في الأبصار. ﴿إن في ذلك﴾ أي في جعلهما كما وصفا. ﴿لآيات﴾ عظيمة كثيرة ﴿لقوم يؤمنون﴾ دالة على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وإن من تأمل في تعاقب الليل والنهار وشاهد في الآفاق تبدل ظلمة الليل الحاكية الموت بضياء النهار المضاهي الحياة وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو أخو الموت بالانتباه الذي هو مثل الحياة قضى بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور قضاء متقناً وجزم بأنه قد

جعل هذا أنموذجاً له ودليلاً يستدل به على تحققه وإن الآيات الناطقة بكون حال الليل والنهار برهاناً عليه وسائر الآيات كلها حق نازل من عند الله تعالى.

قال حكيم: الدهر مقسوم بين حياة ووفاة فالحياة اليقظة والوفاة النوم، وقد أفلح من أدخل في حياته من وفاته. وفيه إشارة إلى أن النهار وامتداده أفضل من الليل وامتداده إلا لمن جعل الليل للمناجاة. حكي: أن محمد بن النضر الحارثي ترك النوم قبل موته بسنين إلا القيلولة ثم ترك القيلولة.

قال الشيخ سعدي: [طريق درويشان ذكر است وشكر وخدمت وطاعت وإيثار وقناعت وتوحيد وتوكل وتسليم وتحمل هركه بدين صفتها موصوفست بحقيقت درويش است أكرچه درقباست نه در خرقه أما هرزه كوى وبي نماز وهوا پرست وهوس بازكه روزها بشب آرد دربند شهوت وشبها بروز كند درخواب غفلت بخورد هرچه درميان آمد وبكويد هرچنه بزبان آيد رندست أكرچه درعباست]:

أي درونـت بـرهـنـه ازتـقـوى ‏ وزبـرون جـامـهٔ ريـا داري

پـردهٔ هـفـت رنـك در بـكـذار ‏ تـوكـه درخـانـه بـوريـا داري

قال الإمام القشيري: كان رجل له تلميذان اختلفا فيما بينهما فقال أحدهما: النوم خير لأن الإنسان لا يعصي في تلك الحالة وقال الآخر: اليقظة خير لأنه يعرف الله في تلك الحالة فتحاكما إلى ذلك الشيخ فقال: أما أنت الذي قلت بتفضيل النوم فالموت خير لك من الحياة وأما أنت الذي قلت يتفضيل اليقظة فالحياة خير لك. وفيه إشارة إلى أن طول الحياة واليقظة محبوبان لتحصيل معرفة الله تعالى وحسن القيام لطاعته فإنه لا ثواب بعد الموت ولا ترقي إلا لأهل الخير ولمن كان في الطير. فعلى العاقل أن يجد في طريق الوصول ليكون من أهل الوصال والحصول ويتخلص من العذاب مطلقاً فإن غاية العمر الموت ونهاية الموت الحشر ونتيجة الحشر إما السوق إلى الجنة وإما السوق إلى النار والمسوق إلى النار إما مؤمن عاص فعذابه التأديب والتطهير وإما كافر مكذب فعذابه عذاب القطيعة والتحقير والمؤمنون يتفاوتون في الدنيا في عقوباتهم على مقادير جرائمهم فمنهم من يعذب ويطلق ومنهم من يعذب ويحبس مدة على قدر ذنبه ومنهم من يحد والحدود مختلفة فمنهم من يقتل وليس بعجب أن لا يسوى بين أهل النار إلا من لا خير فيه وهم الكفار الذين ليسوا بموضع الرحمة لأن الله تعالى رحمهم في الدنيا بإرسال الرسل وإنزال الكتب فاختاروا الغضب بسلوك طريق التكذيب والعناد فهم على السوية في عذاب الفرقة إذ ليس لهم وصلة أصلاً لا في الدنيا ولا في العقبى لأن من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى نسأل الله أن يفتح عيون بصائرنا عن منام الغفلات ويجعلنا من المكاشفين المشاهدين المعاينين في جميع الحالات إنه قاضي الحاجات ومعطي المرادات.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿ويوم ينفخ في الصور﴾ النفخ نفخ الريح في الشيء ونفخ بفمه أخرج منه الريح. والصور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام للموت وللحشر فكأن أصحاب الجيوش من ذلك أخذوا البوقات لحشر الجند وفي الحديث: «لما فرغ الله من خلق السموات والأرض

خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره إلى العرش متى يؤمر» قال الراوي أبو هريرة رضي الله عنه قلت: يا رسول الله ما الصور؟ قال: «القرن» قلت: كيف هو؟ قال: «عظيم والذي نفسي بيده إن أعظم دارة فيه كعرض السماء والأرض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عندها في الحياة أحد إلا من شاء الله وذلك قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] ثم يؤخر بأخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت إلا بعث وقام وذلك قوله تعالى ﴿نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: ٦٨] الآية وقد سبق بعض ما يتعلق بالمقام في سورة الكهف والمراد بالنفخ ههنا هي النفخة الثانية. والمعنى واذكر يا محمد لقومك يوم ينفخ في الصور نفخة ثانية يعني ينفخها إسرافيل يوم القيامة لرد الأرواح إلى أجسادها. ﴿ففزع من في السموات ومن في الأرض﴾ أي: فيفزع ويخاف والتعبير بالماضي للدلالة على وقوعه لأن المستقبل من فعل الله تعالى متيقن الوقوع كتيقن الماضي من غيره لأن إخباره تعالى حق. والفزع انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخوف ولا يقال: فزعت من الله كما يقال: خفت منه والمراد بالفزع هنا ما يعتري الكل مؤمناً وكافراً عند البعث والنشور بمشاهدة الأمور الهائلة الخارقة للعادات في الأنفس والآفاق من الرعب والتهيب الضروريين الجبليين ﴿إلا من شاء الله﴾ أي: أن لا يفزع بأن يثبت قلبه وهم الأنبياء والأولياء والشهداء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والملائكة الأربعة وحملة العرش والخزنة والحور ونحوهم وإن أريد صعقة الفزع يسقط الكل إلا من استثنى نحو إدريس عليه السلام كما في «التيسير» وموسى عليه السلام لأنه صعق في الطور فلا يصعق مرة أخرى. ﴿وكل﴾ أي: جميع الخلائق ﴿أتوه﴾ تعالى أي حضروا الموقف بين يدي رب العزة للسؤال والجواب والمناقشة والحساب. ﴿داخرين﴾ أذلاء. وبالفارسية: [خوارد شدكان] يقال: ادخرته فدخر أي أزللته فذل.

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

﴿وترى الجبال﴾ عطف على ينفخ داخل معه في حكم التذكير أي تراها يومئذ حال كونك ﴿تحسبها جامدة﴾ تظنها ثابتة في أماكنها من جمد الماء وكل سائل قام وثبت ضد ذاب. ﴿وهي﴾ والحال أن تلك الجبال. ﴿تمر﴾ وتمضي ﴿مر السحاب﴾ أي تراها رأي العين ساكنة والحال أنها تمر مثل مر السحاب التي تسيرها الرياح سيراً سريعاً وذلك لأن كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر ولا يحيط به لكثرته وعظمته فهو في حسبان الناظر واقف وهو يسير وهذا أيضاً مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق فإن الله تعالى يبدل الأرض غير الأرض ويغير هيئتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهي وإن اندكت وتصدعت عند النفخة الأولى فتسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ [الكهف: ٤٧] فإن صيغة الماضي في المعطوف مع كون المعطوف عليه مستقبلاً للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية كأنه قيل وحشرنا قبل ذلك.

قال جعفر الخلدي: حضر الجنيد مجلس سماع مع أصحابه وإخوانه فانبسطوا وتحركوا

وبقي الجنيد على حاله لم يؤثر فيه فقال له أصحابه: ألا تنبسط كما انبسط إخوانك فقال الجنيد: وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب قال بعضهم: وكثير من الناس اليوم من أصحاب التمكين ساكنون بنفوسهم سائحون في الملكوت بأسرارهم [محققي فرموده كه أوليا نيز درميان خلق برحد رسوم واقفند وخلق آن حركات بواطن إيشان كه بيكدم هزار عالم طي ميكنند خبر ندارند].

تومبين اين پايهارا بر زمين زآنكه بردل ميرود عاشق يقين
ازره ومنزل زكوتاه ودراز دل چه داند كوست مست دلنواز
آن دراز وكوته أوصاف تنست رفتن أرواح ديكر رفتن است
دست ني وپاي ني سرتا قدم آنچنانكه تاخت جانها از قدم

قال ابن عطاء: الإيمان ثابت في قلب العبد كالجبال الرواسي وأنواره تخرق الحجاب الأعلى.

وقال جعفر الصادق: ترى الأنفس جامدة عند خروج الروح والروح تسري في القدس لتأوي إلى مكانها من تحت العرش.

﴿صنع الله﴾ الصنع إجادة العقل فكل صنع فعل وليس كل فعل صنعاً ولا ينسب إلى الحيوانات كما ينسب إليها الفعل كما في «المفردات» وهو مصدر مؤكد لمضمون ما قبله أي صنع الله ذلك صنعاً وفعله على أنه عبارة عما ذكر من النفخ في الصور وما ترتب عليه جميعاً ﴿الذي أتقن كل شيء﴾.

قال في «المختار» في تقن صنع الله الذي أتقن إتقان الشيء إحكامه. والمعنى أحكم خلقه وسواه على ما ينبغي. وبالفارسية [استوار كرد همه چيزهارا وبيارست بروجهي كه شايد].

قال في الإرشاد: قصد به التنبيه على عظم شأن تلك الأفاعل وتهويل أمرها والإيذان بأنها ليست بطريق إخلال نظام العالم وإفساد أحوال الكائنات بالكلية من غير أن تدعو إليها داعية ويكون لها عاقبة بل هي من قبيل بدائع صنع الله المبنية على أساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التي لأجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادىء الإبداع على الوجه المتين والمنهج الرصين. ﴿إنه خبير بما تفعلون﴾ عالم بظواهر أفعالكم وبواطنها أيها المكلفون ولذا فعل ما فعل من النفخ والبعث ليجازيكم على أعمالكم كما قال:

﴿من﴾ [هركه ازشما] ﴿جاء﴾ [بيايد] ﴿بالحسنة﴾ بكلمة الشهادة والإخلاص فإنها الحسنة المطلقة وأحسن الحسنات ﴿فله خير منها﴾ نفع وثواب حاصل من جهتها ولأجلها وهو الجنة فخير اسم من غير تفضيل إذ ليس شيء خيراً من قول: لا إله إلا الله ويجوز أن يكون صيغة تفضيل إن أريد بالحسنة غير هذه الكلمة من الطاعات فالمعنى إذا فعله من الجزاء ما هو خير منها إذا ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وعشرة بل سبعمائة بواحد. ﴿وهم﴾ أي: الذين جاؤوا بالحسنات ﴿من فزع﴾ أي عظيم هائل لا يقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات وهو الذي في قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وعن الحسن حين يؤمر بالعبد إلى النار.

وقال ابن جريج: حين يذبح الموت وينادي: يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت. ﴿يومئذ﴾ أي: يوم ينفخ في الصور. ﴿آمنون﴾ لا يعتريهم ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره أصلاً وأما الفزع الذي يعتري كل من في السموات ومن في الأرض غير من استثناه الله فإنما هو التهيب والرعب الحاصل في ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهي والأهوال ولا يكاد يخلو منه أحد بحكم الجبلة وإن كان آمناً من لحوق الضرر.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿ومن جاء بالسيئة﴾ أي: الشرك الذي وهو أسوأ المساوىء ﴿فكبت وجوههم في النار﴾ الكب إسقاط الشيء على وجهه أي ألقوا وطرحوا فيها على وجوههم منكوسين ويجوز أن يراد بالوجوه أنفسهم كما أريدت بالأيدي في قوله: و ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] فإن الوجه والرأس والرقبة واليد يعبر بها عن جميع البدن ﴿هل تجزون﴾ على الالتفات أو على إضمار القول أي مقولاً لهم ما تجزون. ﴿إلا ما كنتم تعملون﴾ من الشرك وفي الحديث: «إذا كان يوم القيامة جاء الإيمان والشرك يجثوان بين يدي الرب تعالى فيقول الله تعالى للإيمان: انطلق أنت وأهلك إلى الجنة ويقول للشرك: انطلق أنت وأهلك إلى النار» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿من جاء بالحسنة﴾ إلى قوله: ﴿في النار﴾.

ويقال: لا إله إلا الله مفتاح الجنة ولا بد للمفتاح من أسنان حتى يفتح الباب ومن أسنانه لسان ذاكر طاهر من الكذب والغيبة، وقلب خاشع طاهر من الحسد والخيانة، وبطن طائر من الحرام والشهية، وجوارح مشغولة بالخدمة طاهرة من المعاصي.

وعن أبي عبد الله الجدلي قال: دخلت على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أبا عبد الله ألا أنبئك بالحسنة التي من جاء بها أدخله الله الجنة والسيئة التي من جاء بها كبه الله في النار ولم يقبل معها عملاً؟ قلت: بلى قال: الحسنة حبنا والسيئة بعضنا اعلم أن الله تعالى هدى الخلق إلى طلب الحسنات بقوله: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١] وهي استعمالهم في أحكام الشريعة على وفق آداب الطريقة بتربية أرباب الحقيقة وفي الآخرة حسنة وهي انتفاع من عالم الحقيقة انتفاعاً أبدياً سرمدياً وهم لا يحزنهم الفزع الأكبر أصيبوا بفزع المحبة في الدنيا فحوسبوا في فزع العقبى به ومن جاء بحب الدنيا فكبت وجوههم في نار القطيعة وقيل لهم: ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ يعني بطلب الدنيا فإنها مبنية على وجه جهنم ودركاتها فمن ركب في طلبها وقع في النار:

اكر خواهي خلاص ازنار فرقت مده دلرا بجز عشق ومحبت

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾.

﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها﴾ العبادة غاية التذلل والبلد المكان المحدود المتأثر باجتماع قطانه وإقامته فيه ولاعتبار الأثر قيل بجلده بلدة أي أثر والمراد بالبلدة هنا مكة المعظمة وتخصيصها بالإضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها مثل ناقة الله وبيت الله ورجب شهر الله.

قال في «التكملة»: خص البلدة بالذكر وهي مكة وإن كان رب البلاد كلها ليعرف

المشركون نعمته عليهم أن الذي ينبغي لهم أن يعبدوه هو الذي حرم بلدتهم انتهى قوله: الذي نعت لرب والتحريم جعل الشيء حراماً أي ممنوعاً منه والتعرض لتحريمه تعالى إياها إجلال لها بعد إجلال ومعناه يحرمها من انتهاك حرمتها بقطع شوكها وشجرها ونباتها وتنفير صيدها وإرادة الإلحاد فيها بوجه من الوجوه وفي الحديث: «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس» أي كان تحريمها من الله بأمر سماوي لا من الناس باجتهاد شرعي وأما قوله عليه السلام: «إن إبراهيم حرم مكة» فمعناه أظهر الحرمة الثابتة أو دعا فحرمها الله حرمة دائمة. ومعنى الآية: قل لقومك يا محمد: أمرت من قبل الله أن أخصه وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكاً فاعبدوه أنتم ففيه عزكم وشرفكم ولا تتخذوا له شريكاً وقد ثبتت عليكم نعمته بتحريم بلدتكم.

قال بعضهم: العبودية لباس الأنبياء والأولياء. ﴿وله﴾ أي: ولرب هذه البلدة خاصة. ﴿كل شيء﴾ خلقاً وملكاً وتصرفاً لا يشاركه في شيء من ذلك أحد. وفيه تنبيه على أن إفراد مكة بالإضافة للتفخيم مع عموم الربوبية لجميع الموجودات.

صنعش كه همه جهان بياراست

﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ من الثابتين على ملة الإسلام والتوحيد أو من الذين أسلموا وجوههم لله خاصة.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن المسلم الحقيقي من يكون إسلامه في استعمال الشريعة مثل استعمال النبي عليه السلام الشريعة في الظاهر وهذا كمال العناية في حق المسلمين لأنه لو قال: وأمرت أن أكون من المؤمنين لما كان أحد يقدر على أن يكون إيمانه كإيمان النبي عليه السلام نظيره قوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣] ولهذا قال عليه السلام: «صلوا كما رأيتموني أصلي» يعني: في الظاهر ولو قال: صلوا كما أنا أصلي لما كان أحد يقدر على ذلك لأنه كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء وكان في صلاته يرى من خلفه كما يرى من أمامه.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وأن أتلو القرآن﴾ التلاوة قراءة القرآن متتابعة كالدراسة والأوراد الموظفة والقراءة أعم يقال: تلاه تبعه متابعة ليس بينهما ما ليس منهما أي وأمرت بأن أواظب على تلاوته لتكشف لي حقائقه في تلاوته شيئاً فشيئاً فإنه كلما تفكر التالي العالم تجلت له معان جديدة كانت في حجب مخفية، ولذا لا يشبع العلماء الحكماء من تلاوة القرآن وهو السر في أنه كان آخر وردهم لأن المنكشف أولاً للعارفين حقائق الآفاق، ثم حقائق الأنفس ثم حقائق القرآن فعليك بتلاوة القرآن كل يوم ولا تهجره كما يفعل ذلك طلبة العلم وبعض المتصوفة زاعمين بأنهم قد اشتغلوا بما هو أهم من ذلك وهو كذب فإن القرآن مادة كل علم في الدنيا ويستحب لقارىء القرآن في المصحف أن يجهر بقراءته ويضع يده على الآية يتبعها فيأخذ اللسان حظه من الرفع ويأخذ البصر حظه من النظر واليد حظها من المس وسماع القرآن أشرف أرزاق الملائكة السياحين وأعلاها ومن لم تتيسر له تلاوة القرآن فليجلس لبث العلم لأجل الأرواح الذين غذاؤهم العلم لكن لا يتعدى علوم القرآن والطهارة الباطنة للأذنين تكون باستماع القول الحسن فإنه ثم حسن

وأحسن فأعلاه حسناً ذكر الله بالقرآن فيجمع بين الحسنين فليس أعلى من سماع ذكر الله بالقرآن مثل كل آية لا يكون مدلولها إلا ذكر الله فإنه ما كل آية تتضمن ذكر الله فإن فيه حكاية الأحكام المشروعة وفيه قصص الفراعنة وحكايات أقوالهم وكفرهم وإن كان في ذلك الأجر العظيم من حيث هو قرآن بالإصغاء إلى القارىء إذا قرأ من نفسه أو غيره فعلم أن ذكر الله إذا سمع في القرآن أتم من سماع قول الكافرين في الله ما لا ينبغي كذا في «الفتوحات».

واعلم أن خلق النبي عليه السلام كان القرآن فانظر في تلاوتك إلى كل صفة مدح الله بها عباده فافعلها أو اعزم على فعلها وكل صفة ذم الله بها عباده على فعلها فاتركها أو اعزم على تركها فإن الله تعالى ما ذكر لك ذلك وأنزله في كتابه إلا لتعمل به فإذا حفظت القرآن عن تضييع العمل به كما حفظته تلاوة فأنت الرجل الكامل. ﴿فمن اهتدى﴾ باتباعه إياي فيما ذكر من العبادة والإسلام وتلاوة القرآن. ﴿فإنما يهتدي لنفسه﴾ فإن منافع اهتدائه عائدة إليه لا إلى غيره. ﴿ومن ضل﴾ بمخالفتي فيما ذكر ﴿فقل﴾ في حقه ﴿إنما أنا من المنذرين﴾ فقد خرجت من عهدة الإنذار والتخويف من عذاب الله وسخطه فليس عليّ من وباله شيء وإنما هو عليه فقط ويجوز أن يكون معنى وأن أتلو القرآن وأن أواظب على تلاوته للناس بطريق تكرير الدعوة فمعنى قوله: فمن اهتدى حينئذ فمن اهتدى بالإيمان والعمل بما فيه من الشرائع والأحكام ومن ضل بالكفر به والإعراض عن العمل بما فيه. وهذه الآية منسوخة بآية السيف.

وفي «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن نور القرآن يربي جوهر الهداية والضلالة في معدن قلب الإنسان السعيد والشقي كما يربي ضوء الشمس الذهب والحديد في المعادن يدل عليه قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦] وقال عليه السلام: «الناس كمعادن الذهب والفضة» ﴿وقل الحمد لله﴾ أي على ما أفاض عليّ من نعمائه التي أجلها نعمة النبوة والقرآن ﴿سيريكم آياته فتعرفونها﴾ أي فتعرفون أنها آيات الله حين لا تنفعكم المعرفة.

وقال مقاتل: سيريكم آياته عن قريب الأيام فطوبى لمن رجع قبل وفاته والويل على من رجع بعد ذهاب الوقت. قال الشيخ سعدي قدس سره:

كنون بايد أي خفته بيدار بود   چومرك اندر آرد زخوابت چه سود
توغافل در انديشهٔ سود ومال   كه سرمايهٔ عمر شد پايمال
كرت چشم عقلست وتدبير كور   كنون كن كه چشمت نخوردست مور
كنون كوش كاب ازكمردر كذشت   نه وقتي كه سيلاب از سر كذشت
سكندر كه برعالمي حكم داشت   دران دم كه بكذشت عالم كذاشت
ميسر نبودش كزو عالمي   ستانند ومهلت دهندش دمي

﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ كلام مسوق من جهته تعالى مقرر لما قبله من الوعد والوعيد كما ينبىء عنه إضافة الرب إلى ضمير النبي عليه السلام وتخصيص الخطاب أولاً به وتعميمه ثانياً للكفرة تغليباً أي وما ربك بغافل عما تعمل أنت من الحسنات وما تعملون أنتم أيها الكفرة من السيئات لأن الغفلة التي هي سهو يعتري من قلة التحفظ والتيقظ لا يجوز عليه تعالى فيجازي كلاً منكم بعمله وكيف يغفل عن أعمالكم وقد خلقكم وما تعملون كما خلق الشجرة وخلق فيها ثمرتها فلا يخفى عليه حال أهل السعادة والشقاوة وإنما يمهل لحكمة لا

لغفلة وإنما الغفلة لمن لا يتنبه لهذا فيعصي الله بالشرك وسيئات الأعمال وأعظم الأمراض القلبية نسيان الله ولا ريب أن علاج أمر إنما هو بضده وهو ذكر الله. حكي: أن إبراهيم بن أدهم سر يوماً بمملكته ونعمته ثم نام فرأى رجلاً أعطاه كتاباً فإذا فيه مكتوب لا تؤثر الفاني على الباقي ولا تغتر بملكك فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم فسارع إلى أمر الله فإنه يقول: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فانتبه فزعاً وقال: هذا تنبيه من الله وموعظة فتاب إلى الله ورسوله بالقبول والعمل والمجانبة عن التأخر في طريق الحق والأخذ بالبطالة والكسل.

براحتي نرسيد آنكه زحمتي نكشيد

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المجدّين في الدين إلى أن يأتي اليقين والساعين في طريقه للوصول إلى خاص توفيقه.

تمت سورة النمل يوم الثلاثاء الرابع من شهر الله المحرم المنتظم
في سلك شهور سنة تسع ومائة وألف من الهجرة

٢٨ ـ تفسير سورة القصص

وهي مكية وآياتها ثمان وثمانون
على ما في التفاسير المعولة من المختصرة والمطولة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾﴾.

﴿طسم﴾ يشير إلى القسم بطاء طوله تعالى وطاء طهارة قلب حبيبه عليه السلام عن محبة غيره وطاء طهارة أسرار موحديه عن شهود سواه وبسين سره مع محبيه وبميم مننه على كافة مخلوقاته بالقيام بكفاياتهم على قدر حاجاتهم كذا في «التأويلات النجمية» [إمام قشيري آورده كه طا أشارت است بطهارت نفوس عابدان از عبادت اغيار وطهارت قلوب عارفان از تعظيم غير جبار وطهارت أرواح محبان از محبت ما سوى وطهارت أسرار موحدان از شهود غير خداي.

سلمى رحمه الله كويد سين رمز بست از أسرار الهي باعاصيان بنجات ويا مطيعان بدرجات ومحبان بدوام مناجات ومرامات.

إمام يافعي رحمه الله فرموده كه حق سبحانه وتعالى اين حروف را سبب محافظت قرآن كردانيده از تطرق سمات زياده ونقصان وسر مشار إليه در آيت وإنا لحافظون اين حروفست] كما في «تفسير الكاشفي» وقد سبق غير هذا من الإشارات الخفية والمعاني اللطيفة في أول سورة الشعراء فارجع إليه تغنم بما لا مزيد عليه.

﴿تلك﴾ أي هذا السورة ﴿آيات الكتاب المبين﴾ آيات مخصوصة من القرآن الظاهر إعجازه.

﴿نتلو عليك﴾ التلاوة الإتيان بالثاني بعد الأول في القراءة أي نقرأ قراءة متتابعة بواسطة جبريل يعني يقرأ عليك جبريل بأمرنا. ﴿من نبإ موسى وفرعون﴾ مفعول نتلو أي بعض خبرهما الذي له شأن. ﴿بالحق﴾ حال من فاعل نتلو أي محققين وملتبسين بالحق والصدق الذي لا يجوز فيه الكذب.

﴿لقوم يؤمنون﴾ متعلق بنتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لأنهم المنتفعون به كأن قائلاً قال: وكيف نبأهما؟ فقال:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾.

﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ فهو استئناف مبين لذلك البعض وتصديره بحرف التأكيد

للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده والعلو الارتفاع. وبالفارسية [بلند شدن وكردن كشي كردن] أي تجبر وطغى في أرض مصر وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان.

قال في «كشف الأسرار»: [از اندازه خويش شد].

وقال الجنيد قدس سره: ادعى ما ليس له ﴿وجعل أهلها﴾ [وكردانيد أهل مصر را ازقبطيان وسبطيان] ﴿شيعاً﴾ جمع شيعة بالكسر وهو من يتقوى بهم الإنسان وينتشرون عنه لأن الشياع الانتشار والتقوية يقال: شاع الحديث أي كثر وقوي شاع القوم انتشروا وكثروا. والمعنى فرقاً يشيعونه ويتبعونه في كل ما يريد من الشر والفساد أو أصنافاً في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الأعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية.

قالب في «كشف الأسرار»: كان القبط إحدى الشيع وهم شيعة الكرامة ﴿يستضعف﴾ الاستضعاف [ضعيف وزبون يافتن وشمردن يعني زبون كرفت ومقهور ساخت] ﴿طائفة منهم﴾ [كروهي ازايشان].

والجملة حال من فاعل جعل أو استئناف كأنه قيل: كيف جعلهم شيعاً؟ فقال: يستضعف طائفة منهم أي من أهل مصر وتلك الطائفة بنو إسرائيل ومعنى الاستضعاف أنهم عجزوا وضعفوا عن دفع ما ابتلوا به عن أنفسهم. ﴿يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم﴾ بدل من الجملة المذكورة وأصل الذبح شق حلق الحيوان والتشديد للتكثير والاستحياء الاستبقاء. والمعنى يقتل بعضهم أثر بعض حتى قتل تسعين ألفاً من أبناء بني إسرائيل صغاراً ويترك البنات أحياء لأجل الخدمة وذلك لأن كاهناً قال له: يولد في بني إسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه إذ لو صدق فما فائدة القتل وإن كذب فما وجهه كما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فمررنا بصبيان فيهم ابن صياد وقد قارب البلوغ فقال له رسول الله: «أتشهد أني رسول الله» فقال: لا بل أتشهد أني رسول الله؟ فقلت: ذرني يا رسول الله أقتله عن ظن أنه الدجال فقال عليه السلام: «إن يكنه فلن تسلط عليه» يعني إن يكن ابن الصياد هو الدجال فلن تسلط على قتله لأنه لا يقتله إلا عيسى ابن مريم «وإن لا يكنه فلا خير لك في قتله» ﴿إنه كان من المفسدين﴾ أي: الراسخين في الإفساد ولذلك اجترأ على قتل خلق كثير من المعصومين.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض﴾ أن نتفضل عليهم بإنجائهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على أن فرعون علا لتناسبهما في الوقوع تفسيراً للنبأ يقال: منّ عليه مناً إذا أعطاه شيئاً والمنان في وصفه تعالى المعطي ابتداء من غير أن يطلب عوضاً. ﴿ونجعلهم أئمة﴾ جمع إمام وهو المؤتم به أي قدوة يقتدى بهم في أمور الدين بعد أن كانوا أتباعاً مسخرين لآخرين.

وفي «كشف الأسرار»: أنبياء وكان بين موسى وعيسى عليهما السلام ألف نبي من بني إسرائيل. ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ كل ما كان في ملك فرعون وقومه آخر الوراثة عن الإمامة مع

تقدمها عليها زماناً لانحطاط رتبتها عنها.

﴿ونمكن لهم في الأرض﴾ أصل التمكين أن تجعل لشيء مكاناً يتمكن فيه ثم استعير للتسليط أي نسلطهم على أرض مصر والشام يتصرفون فيها كيفما يشاؤون. ﴿ونري فرعون وهامان﴾ وهو وزير فرعون ﴿وجنودهما﴾ وعساكرهما ﴿منهم﴾ أي: من أولئك المستضعفين ﴿ما كانوا يحذرون﴾ ويجتهدون في دفعه من ذهاب ملكهم وهلكهم على يد مولود منهم والحذر احتراز عن مخيف كما في «المفردات».

قال الكاشفي: [وديدن اين صورت را دروقتي كه در دريا علامت غرقه شدن مشاهده كردند وبني إسرائيل تفرج كنان برساحل دريا بنظر در آوردند ودانستندكه بسبب ظلم وتعدي مغلوب ومقهور شده مظلومان وبيچاركان بمراد رسيد غالب وسر إفراز شدند.

وسر «يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم» آشكار أشد].

أي ستمكار براندیش ازان روزسياه   كه ترا شومئ ظلم أفكند ازچاه بچاه
آنكه اكنون بحقارت نكري جانب وي   بشماتت كند آنروز بسوى تونكا

قال الشيخ سعدي قدس سره:

خبر يافت كردن كشي در عراق   كه ميكفت مسكيني از زير طاق
توهم بردري هستي اميد وار   پس اميد بردرنشينان برآر
نخواهى كه باشد دلت دردمند   دل دردمندان برآور زبند
پريشاني خاطر داد خواه   براندازد از مملكت پادشاه
تحمل كن أي ناتوان از قوى   روزي توانا ترازوي شوى
لب خشك مظلوم را كو بخند   كه دندان ظالم بخواهند كند

يقال: الظلم يجلب النقم ويسلب النعم.

قال بعض السلف: دعوتان أرجو إحداهما كما أخشى الأخرى دعوة مظلوم أعنته ودعوة ضعيف ظلمته.

نخفته است مظلوم از آهش بترس   زدود دل صبحكاهش بترس
نترسي كه پاك اندروني شبى   برآرد زسوز جكر يا ربي

وفي الحديث: «أسرع الخير ثواباً صلة الرحم وأعجل الشر عقوبة البغي» ومن البغي استيلاء صفات النفس على صفات الروح فمن أعان النفس صار مقهوراً ولو بعد حين ومن أعان الروح صار منه أهل التمكين ومن الأئمة في الدين.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾.

﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ اسمها يارخا وقيل: أيارخت كما في «التعريف» للسهيلي ونوحايذ بالنون ويوحانذ بالياء المثناة تحت في الأولى كما في «عين المعاني» وكانت من أولاد لاوي بن يعقوب عليه السلام. وأصل الوحي الإشارة السريعة ويقع على كل تنبيه خفي والإيحاء إعلام في خفاء.

قال الإمام الراغب: يقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه: وحي وذلك إما برسول

مشاهد يرى ذاته ويسمع كلامه كتبليغ جبريل للنبي عليه السلام في صورة معينة. وإما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى عليه السلام كلام الله تعالى. وإما بإلقاء في الروع كما ذكر عليه السلام: «إن روح القدس نفث في روعي» وإما بإلهام نحو قوله: ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾. وإما بتسخير نحو قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] أو بمنام كقوله عليه السلام: «انقطع الوحي وبقيت المبشرات رؤيا المؤمن» انتهى بإجمال فالمراد وحي الإلهام كما ذكره الراغب. فالمعنى قذفنا في قلبها وعلمناها.

وقال بعضهم: كان وحي الرؤيا.

وعلم الهدى [فرموده كه شايدرسول فرستاده باشد از ملائكه] يعني أتاها ملك كما أتى مريم من غير وحي نبوة حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ﴾ [آل عمران: ٤٢] وذلك أن أم موسى حبلت بموسى فلم يظهر بها أثر الحبل من نتوء البطن وتغير اللون وظهور اللبن وذلك شيء ستره الله بما أراد أن يمنّ به على بني إسرائيل حتى ولدت موسى ليلة لا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد من القوابل الموكلة من طرف فرعون بحبالى بني إسرائيل ولا من غيرهن إلا أخته مريم فأوحى الله إليها ﴿أن﴾ مفسرة بمعنى أي ﴿أرضعيه﴾ [شيرده موسى را وپرور داورا] ما أمكنك إخفاؤه.

وفي «كشف الأسرار»: ما لم تخافي عليه الطلب ﴿فإذا خفت عليه﴾ بأن يحس به الجيران عند بكائه. وبالفارسية: [پس چون ترسي برووفهم كنى كه مردم دانسته وقصد أو خواهند كرد] ﴿فألقيه في اليم﴾ في البحر وهو النيل.

قال بعض الكبار: فإذا خفت حفظه وعجزت عن تدبيره فسلميه إلينا ليكون في حفظنا وتدبيرنا. ﴿ولا تخافي﴾ عليه ضيقة ولا شدة ﴿ولا تحزني﴾ بفراقه ﴿إنا رادوه إليك﴾ عن قريب بوجه لطيف بحيث تأمنين عليه. ﴿وجاعلوه من المرسلين﴾ [يعني: أورا شرف نبوت ارزاني خواهيم داشت] فأرضعته ثلاثة أشهر أو أكثر ثم ألح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فجعلته في تابوت مطلي بالقار فقذفته في النيل ليلاً.

قال الكاشفي: [نجارى راكه آشناي عمران بود فرمودكه صندوقي پنج شبر بتراشد وآن نجار خربيل ابن صبور بود اين عم فرعون چون صندوق تمام كرد وبمادر موسى داد ودر خاطرش كذشت كه كودكي دارد مي خواهد درصندوق كرده از مؤكلان بكريزاند نزد كماشتهٔ فرعون آمد وخواست كه صورت حال باز نمايد زبانش بسته شد بخانهٔ خود آمد خواست كه نزد فرعون رود ونمامي كند چشمش نابينا شد دانست كه آن مولود كه كاهنان نشان داده انيست في الحال ناديده بدوايمان آورد ومؤمن ال فرعون أوست وما در موسى صندوق را بقير اندوده موسى را دروى خوابانيد وسر صندوق هم بقير محكم بست ودر رودنيل افكند] وكان الله تعالى قادراً على حفظه بدون إلقائه في البحر لكن أراد أن يربيه بيد عدوه ليعلم أن قضاء الله غالب وفرعون في دعواه كاذب.

جهد فرعون چوبى توفيق بود هرچه أوميدوخت آن تفتيق بود

وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكان من أكرم الناس عليه وكان بها علة البصر وعجزت الأطباء عن علاجها. [اهل كهانت كفته بودندكه فلان روز در رودنيل إنساني خرد سال يافته شود واين علت بآب دهن أو زائل كردد دران روز معين فرعون وزن ودختر

ومحرمان وي همه دركنار رودنيل انتظار إنسان موعود مي بودندكه نا كاه صندوق برروي آب نمودارشد فرعون بملازمان أمر كرد كه آنرا بكيريد وبياريد].

﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾

﴿فالتقطه آل فرعون﴾ الفاء فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة محذوفة والالتقاط إصابة الشيء من غير طلب ومنه اللقطة وهو مال بلا حافظ ثم يعرف مالكه واللقيط هو طفل لم يعرف نسبه يطرح في الطريق أو غيره خوفاً من الفقر أو الزنى ويجب رفعه إن خيف هلاكه بأن وجده في الماء أو بين يدي سبع وتفصيله في الفقه وآل الرجل خاصته الذين يؤول إليه أمرهم للقراءة أو الصحبة أو الموافقة في الدين. والمعنى فألقته في اليم بعد ما جعلته في التابوت حسبما أمرت به فالتقطه آل فرعون أي أخذوه أخذ اعتناء به وصيانة له عن الضياع. ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ اللام لام العاقبة والصيرورة لا لام العلة والإرادة لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدواً وحزناً ولكن صار عاقبة أمرهم إلى ذلك أبرز مدخولها في معرض العلة لالتقاطهم تشبيهاً له في الترتب عليه بالغرض الحامل عليه وهو المحبة والتبني وتمامه في فن البيان وجعل موسى نفس الحزن إيذاناً لقوة سببيته لحزنهم.

قال الكاشفي: ﴿عدواً﴾ [دشمني مر مردانرا كه بسبب فرعون غرق شوند ﴿وحزناً﴾ واندوهي بزرك مرزنانراكه برده كيرند] ﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ في كل ما يأتون وما يذرون فليس ببدع منهم أن قتلوا ألوفاً لأجله ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون. والخطأ مقصوراً العدول عن الجهة والخاطىء من يأتي بالخطأ وهو يعلم أنه خطأ وهو الخطأ التام المأخوذ به الإنسان يقال: خطىء الرجل إذا ضل في دينه وفعله والمخطىء من يأتي به وهو لا يعلم أي يريد ما يحسن فعله ولكن يقع منه بخلاف ما يريد يقال: أخطأ الرجل في لامه وأمره إذا زل وهفا. حكي: أنهم فتحوا التابوت ورأوا موسى ألقى الله محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون إلى ريقه فلطخت به برصها فبرئت من ساعتها.

آمد طبيب درد بكلى علاج يافت

﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وقالت امرأة فرعون﴾ هي آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق عليه السلام وقيل: كانت من بني إسرائيل من سبط موسى وقيل: كانت عمته حكاه الشبلي وكانت من خيار النساء أي قالت لفرعون حين أخرج من التابوت: ﴿قرة عين لي ولك﴾ أي هو قرة عين لنا لأنهما لما رأياه أحباه.

وقال الكاشفي: [اين كودك روشني چشم است مراوتراكه بسبب أو دختر ماشفا يافت] وقد سبق معنى القرة مراراً وفي الحديث: «أنه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها» ﴿لا تقتلوه﴾ خاطبته بلفظ الجمع تعظيماً ليساعدها فيما تريده. ﴿عسى أن ينفعنا﴾ [شايدكه سود برساند ماراكه أمارت يمن وعلامت بركت درجبين أو لايح أست] وذلك لما رأت

من برء البرصاء بريقه وارتضاعه إبهامه لبناً ونور بين عينيه ولم يره غيرها.

قال بعض الكبار: وجوه الأنبياء والأولياء مرائي أنوار الذات والصفات ينتفع بتلك الأنوار المؤمن والكافر لأن معها لذة حالية نقدية وإن لم يعرفوا حقائقها فينبغي للعاشق أن يرى بعين اليقين والإيمان أنوار الحق في وجوه أصفيائه كما رأت آسية وقد قيل في حقهم: «من رآهم ذكر الله» ﴿أو نتخذه ولداً﴾ أي نتبناه فإنه أهل له ولم يكن له ولد ذكر ﴿وهم لا يشعرون﴾ حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً وقالت امرأته كيت وكيت وهم لا يشعرون بأنهم على خطأ عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع منه والتبني له وقوله: ﴿إن فرعون﴾ الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتأكيد خطئهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية: عسى أن ينفعنا لنفعه الله ولكنه أبى للشقاء الذي كتبه الله عليه. روي: أنه قالت الغواة من قوم فرعون: إن نظن إلا أن هذا هو الذي يحذر منه رمي في البحر خوفاً منك فاقتله فهمّ فرعون بقتله فقالت آسية: إنه ليس من أولاد بني إسرائيل فقيل لها: وما يدريك؟ فقالت: إن نساء بني إسرائيل يشفقن على أولادهن ويكتمنهم مخافة أن تقتلهم فكيف يظن بالوالدة أنها تلقي الولد بيدها في البحر أو قالت: إن هذا كبير ومولود قبل هذه المدة التي أخبرت لك فاستوهبته لما رأت عليه من دلائل النجاة فتركه وسمته آسية موسى لأن تابوته وجد بينا لماء والشجر والماء في لغتهم «مو» والشجر «شا».

قال في «بحر الحقائق» لما كان القرآن هادياً يهدي إلى الرشد والرشد في تصفية القلب وتوجهه إلى الله تعالى وتزكية النفس ونهيها عن هواها وكانت قصة موسى عليه السلام وفرعون تلائم أحوال القلب والنفس فإن موسى القلب بعصا الذكر غلب على فرعون النفس وجنوده مع كثرتهم وانفراده كرر الحق تعالى في القرآن قصتهما تفخيماً للشأن وزيادة في البيان لبلاغة القرآن ثم إفادة لزوائد من المذكور قبله في موضع يكرره منه انتهى.

قال في «كشف الأسرار»: [تكرار قصهء موسى وذكر فراوان درقرآن دليل است بر تعظيم كار أو وبزرك داشتن قدراو وموسى يا اين مرتبت ومنقبت جز بقدم تبعيت محمد عربي ﷺ نرسيد] كما قال عليه السلام: «لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي» [مصطفاي عربي از صدر دولت ومنزل كرامت اين كرامت كه عبارت إزان «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» است قصد صف نعال كرد تا ميكفت ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ﴾ [الكهف: ١١٠] وموسى كليم از مقام خود تجاوز نمود وقصد صدر دولت كردكه ميكفت ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] لا جرم موسارا جواب اين آمد «لن تراني» مصطفارا اين كفتندكه ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الفرقان: ٤٥] لولاك لما خلقت الأفلاك عادت ميان مرام چنان رفت كه چون بزركي درجايي رود ومتواضع وار درصف النعال بنشيند أورا كويند اين نه جاي تست خيز ببالا ترنشين] فعلى العاقل أن يكون على تواضع تام ليستعد بذلك لرؤية جمال رب الأنام:

فروتن بود هوشمند كزين نهد شاخ پرميوه سربرزمين

﴿وأصبح فؤاد أم موسى﴾ أصبح بمعنى صار والفؤاد القلب لكن يقال له: فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤد أي التحرق والتوقد كما في «المفردات» و«القاموس» فالفؤاد من القلب كالقلب من الصدر يعني الفؤاد وسط القلب وباطنه الذي يحترق بسبب المحبة ونحوها.

قال بعضهم: الصدر معدن نور الإسلام والقلب معدن نور الإيقان والفؤاد معدن نور البرهان والنفس معدن القهر والامتحان والروح معدن الكشف والعيان والسر معدن لطائف البيان ﴿فارغاً﴾ الفراغ خلاف الشغل أي صفراً من العقل وخالياً من الفهم لما غشيها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوع موسى في يد فرعون دل عليه الربط الآتي فإنه تعالى قال في وقعة بدر ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ [الأنفال: ١١] إشارة إلى نحو قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤] فإنه لم تكن أفئدتهم هواء أي خالية فارغة عن العقل والفهم لفرط الحيرة ﴿إن﴾ أي إنها ﴿كادت﴾ قاربت من ضعف البشرية وفرط الاضطراب ﴿لتبدي به﴾ لتظهر بموسى وأنه ابنها وتفشي سرها وأنها ألقته في النيل يقال: بدا الشيء بدواً وبدوّاً ظهر ظهوراً بيناً وأبداه أظهره إظهاراً بيناً.

قال في «كشف الأسرار»: الباء زائدة أي تبديه أو المفعول مقدر أي تبدي القول به أي بسبب موسى.

قال في «عرائس البيان»: وقع على أم موسى ما وقع على آسية من أنها رأت أنوار الحق من وجه موسى فشفقت عليه ولم يبق في فؤادها صبر من الشوق إلى وجه موسى وذلك الشوق من شوق لقاء الله تعالى فغلب عليها شوقه وكادت تبدي سرها ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ شددنا عليه بالصبر والثبات بتذكير ما سبق من الوعد وهو رده إليها وجعله من المرسلين والربط الشد وهو العقد القوي ﴿لتكون من المؤمنين﴾ [واين لطف كريم تاباشد آن زن ازباوردادرن كان مروعدهٔ مارا] أي من المصدقين بما وعدها الله بقوله: ﴿إنا رادوه إليك﴾ ولم يقل من المؤمنات تغليباً للذكور. وفيه إشارة إلى أن الإيمان من مواهب الحق إذ المبني على الموهبة وهو الوحي أولاً ثم الربط بالتذكير ثانياً موهبة.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَـٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾.

﴿وقالت﴾ أم موسى ﴿لأخته﴾ أي: لأخت موسى لم يقل لبنتها للتصريح بمدار المحبة وهو الأخوة إذ به يحصل امتثال الأمر واسم أخته مريم بنت عمران وافق اسم مريم أم عيسى واسم زوجها غالب بن يوشا.

قال بعضهم: والأصح أن اسمها كلثوم لا مريم لما روى الزبير بن بكار أن رسول الله ﷺ دخل على خديجة رضي الله عنها وهي مريضة فقال لها يا خديجة: «أشعرت أن الله زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثوم أخت موسى وهي التي علمت ابن عمها قارون الكيمياء وآسية امرأة فرعون» فقالت: آلله أخبرك بهذا يا رسول الله فقال: «نعم» فقالت: بالرفاء والبنين وأطعم رسول الله خديجة من عنب الجنة وقولها بالرفاء والبنين أي أعرست أي اتخذت العروس حال كونك ملتبساً بالالتئام والاتفاق وهو دعاء يدعى به في الجاهلية عند التزويج والمراد منه الموافقة والملاءمة مأخود من قولهم: رفأت الثوب ضممت بعضه إلى بعض ولعل هذا إنما كان قبل ورود النهي عن ذلك كذا في «إنسان العيون». وفيه أيضاً قد حمى الله هؤلاء النسوة عن أن يطأهن أحد فقد ذكر أن آسية لما ذكرت لفرعون أحب أن يتزوجها فتزوجها على كره منها ومن أبيها مع بذله لها الأموال الجليلة فلما زفت له وهم بها أخذه الله عنها وكان ذلك

حاله معها وكان قد رضي منها بالنظر إليها وأما مريم فقيل: إنها تزوجت بابن عمها يوسف النجار ولم يقربها وإنما تزوجها لمرافقتها إلى مصر لما أرادت الذهاب إلى مصر بولدها عيسى عليهما السلام وأقاموا بها اثنتي عشرة سنة ثم عادت مريم وولدها إلى الشأم ونزلا الناصرة وأخت موسى لم يذكر أنها تزوجت انتهى. ﴿قصيه﴾ أمر من قص أثره قصاً وقصصاً تتبعه أي اتبعي أثره وتتبعي خبره. وبالفارسية [بر پي برادر خود برووار وخبر كبر] أي فاتبعته يعني كلثوم [بدركاه فرعون آمد] ﴿فبصرت به﴾ أي أبصرته. يعني [پس برادر خودرا بديد]. ﴿عن جنب﴾ عن بعد تبصره ولا توهم أنها تراه يقال: جنبته وأجنبته ذهبت عن ناحيته وجنبه ومنه الجنب لبعده من الصلاة ومس المصحف ونحوهما والجار الجنب أي البعيد ويقال: الجار الجنب أيضاً للقريب اللازق بك إلى جنبك. ﴿وهم لا يشعرون﴾ أنها تقصه وتتعرف حاله أو أنها أخته.

﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾ التحريم بمعنى المنع كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢] لأنه لا معنى للتحريم على صبي غير مكلف أي منعنا موسى أن يرضع من المرضعات ويشرب لبن غير أمه بأن أحدثنا فيه كراهة ثدي النساء والنفار عنها من قبل قص أخته أثره أو من قبل أن نرده على أمه كما قال في «الجلالين»، أو من قبل مجيء أمه كما قاله أبو الليث أو في القضاء السابق لأنا أجرينا القضاء بأن نرده إلى أمه كما في «كشف الأسرار» والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع أي من شأنها الإرضاع وإن لم تكن تباشر الإرضاع في حال وصفها به فهي بدون التاء لأنها من الصفات الثابتة والمرضعة هي التي في حالة إرضاع الولد بنفسها ففي الحديث: «ليس للصبي خير من لبن أمه» أو ترضعه امرأة صالحة كريمة الأصل فإن لبن المرأة الحمقاء يسري وأثر حمقها يظهر يوماً وفي الحديث: «الرضاع يغير الطباع» ومن ثمة لما دخل الشيخ أبو محمد الجويني بيته ووجد ابنه الإمام أبا المعالي يرتضع ثدي غير أمه اختطفه منها ثم نكس رأسه ومسح بطنه وأدخل أصبعه في فيه ولم يزل يفعل ذلك حتى خرج ذلك اللبن فقال: يسهل علي موته ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير أمه ثم لما كبر الإمام كان إذا حصلت له كبوة في المناظرة يقول: هذه من بقايا تلك الرضعة قالوا: العادة جارية أن من ارتضع امرأة فالغالب عليه أخلاقها من خير وشر كما في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي. ﴿فقالت﴾ أي أخته عند رؤيتها لعدم قبوله الثدي واعتناء فرعون بأمره وطلبهم من يقبل ثديها. ﴿هل أدلكم﴾ [آيا دلالت كنم شمارا] ﴿على أهل بيت﴾ [بر أهل خانه٠] ﴿يكفلونه لكم﴾ الكفالة الضمان والعيالة يقال كفل به كفالة وهو كفيل إذا تقبل به وضمنه وكفله فهو كافل إذا عاله أي يربونه ويقومون بإرضاعه لأجلكم. ﴿وهم له ناصحون﴾ يبذلون النصح في أمره ولا يقصرون في إرضاعه وتربيته. والنصح ضد الغش وهو تصفية العمل من شوائب الفساد. وفي «المفردات»: النصح تحري فعل أو قول فيه صلاح صاحبه انتهى. روي: أنهم قالوا لها: من يكفل؟ قالت: أمي قالوا: ألامك لبن؟ قالت: نعم لبن هارون وكان هارون ولد في سنة لا يقتل فيها صبي فقالوا: صدقت.

وفي «فتح الرحمن»: قالت: هي امرأة قد قتل ولدها فأحب شيء إليها أن تجد صغيراً ترضعه انتهى.

يقول الفقير: إن الأول أقرب إلى الصواب إلا أن يتأول القتل بما في حكمه من إلقائه في النيل وغيبوبته عنها. وروي: أن هامان لما سمعها قال: إنها لتعرفه وأهله خذوها حتى تخبر

من له فقالت: إنما أردت وهم للملك ناصحون يعني أرجعت الضمير إلى الملك لا إلى موسى تخلصاً من يده فقال هامان: دعوها لقد صدقت فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله فأتت بأمه وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله أو في يد آسية فدفعه إليها فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها.

بوي خوش توهركه زباد صبا شنيد   از يار آشنا سخن آشنا شنيد

فقال: من أنت فقد أبى كل ثدي إلا ثديك؟ فقالت: إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا قبلني فدفعه إليها وأجرى عليها أجرتها [وكفت در هفته يكروز پيش ما آور] فرجعت به إلى بيتها من يومها مسرورة فكانوا يعطون الأجرة كل يوم ديناراً وأخذتها لأنها مال حربي لا أنها أجرة حقيقة على إرضاعها ولدها كما في «فتح الرحمن».

يقول الفقير: الإرضاع غير مستحق عليها من حيث أن موسى بن فرعون ويجوز لها أخذ الأجرة نعم إن أم موسى تعينت للإرضاع بأن لم يأخذ موسى من لبنها غيرها فكيف يجوز أخذ الأجرة اللهم إلا أن تحمل على الصلة لا على الأجرة إذ لم تمتنع إلا أن تعطى الأجرة ويحتمل أن يكون ذلك مما يختلف باختلاف الشرائع كما لا يخفى.

قال في «كشف الأسرار»: لم يكن بين إلقائها إياه في البحر وبين رده إليها إلا مقدار ما يصبر الولد فيه عن الوالدة انتهى وأبعد من قال مكث ثماني ليال لا يقبل ثدياً.

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿فرددناه إلى أمه﴾ أي: صرفنا موسى إلى والدته. ﴿كي تقر عينها﴾ بوصول ولدها إليها. وبالفارسية [تاروشن شود چشم أو]. ﴿ولا تحزن﴾ بفراقه ﴿ولتعلم أن وعد الله﴾ أي جميع ما وعده من رده وجعله من المرسلين ﴿حق﴾ لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه ﴿ولكن أكثرهم﴾ آل فرعون ﴿لا يعلمون﴾ أن وعد الله حق فمكث موسى عند أمه إلى أن فطمته وردته إلى فرعون وآسية فنشأ موسى في حجر فرعون وامرأته يربيانه بأيديهما واتخذاه ولداً فبينا هو يلعب يوماً بين يدي فرعون وبيده قضيب له يلعب به إذ رفع القضيب فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير من ضربه حتى همّ بقتله فقالت آسية: أيها الملك لا تغضب ولا يشقنّ عليك فإنه صبي صغير لا يعقل ضربه إن شئت اجعل في هذا الطست جمراً وذهباً فانظر على أيهما يقبض فأمر فرعون بذلك فلما مد موسى يده ليقبض على الذهب قبض الملك الموكل به على يده فردها إلى الجمرة فقبض عليها موسى فألقاها في فيه ثم قذفها حين وجد حرارتها فقالت آسية لفرعون: ألم أقل لك أنه لا يعقل شيئاً فكفّ عنه وصدقها وكان أمر بقتله ويقال إن العقدة التي كانت في لسان موسى أي قبل النبوة أثر تلك الجمرة التي التقمها ثم زالت بعدها لأنه عليه السلام دعا بقوله: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾ [طه: ٢٧، ٢٨] وقد سبق في طه. قال الشيخ العطار قدس سره:

همچو موسى اين زمان در طشت آتش مانده أيم

طفل فرعونيم ما كام ودهان پراحكرست

وهو شكاية من زمانه وأهاليه فإن لكل زمان فرعون يمتحن به من هو بمشرب موسى

واستعداده ولكن كل محنة فهي مقدمة لراحة كما قال الصائب:

هـر مـحـنـتـي مـقـدمـهٔ راحـتـي بـود شد همزبان حق چوزبان كليم سوخت

فلا بد من الصبر فإنه يصير الحامض حلواً.

اعلم أن موسى كان ضالة أمه فرده الله إليها بحسن اعتمادها على الله تعالى وكذا القلب ضالة السالك فلا بد من طلبه وقص أثره فإنه الموعود الشريف الباقي وهو الطفل الذي هو خليفة الله في الأرض ومن عرفه وأحسن بفراقه وألمه هان عليه بذل النقد الخسيس الفاني نسأل الله الاستعداد لقبول الفيض.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿ولما بلغ﴾ موسى ﴿أشده﴾ أي: قوته وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين وأشد على بناء الجمع كما سبق في سورة يوسف. ﴿واستوى﴾ والاستواء اعتدال الشيء في ذاته أي اعتدل عقله وكمل بأن بلغ أربعين سنة كقوله: ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥] بعد قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأحقاف: ١٥] وفي يوسف ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ [يوسف: ٢٢] فحسب لأنه أوحى إليه في صباه حين كونه في البئر وموسى عليه السلام أوحى إليه بعد أربعين سنة كما قال: ﴿آتيناه حكماً﴾ أي: نبوة ﴿وعلماً﴾ بالدين.

قال الكاشفي: [ذكر انباي نبوت دراثناي اين قضيه] أي مع أنه تعالى استنبأه بعد الهجرة في المراجعة من مدين إلى مصر [بيان صدق هرد ووعده است كه چنانچه أورا بمادر رسانيديم ونبوت هم داديم] والجمهور على أن نبينا عليه السلام بعث على رأس الأربعين وكذا كل نبي عند البعض.

وقال بعضهم: اشتراط الأربعين في حق الأنبياء ليس بشيء لأن عيسى عليه السلام نبىء ورفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين ونبىء يوسف عليه السلام وهو ابن ثماني عشرة ويحيى عليه السلام نبىء وهو غير بالغ قيل كان ابن سنتين أو ثلاث وكان ذبحه قبل عيسى بسنة ونصف وهكذا أحوال بعض الأولياء فإن سهل بن عبد الله التستري سلك وكوشف له وهو غير بالغ.

وفي الآية تنبيه على أن العطية الإلهية تصل إلى العبد وإن طال العهد إذا جاء أوانها فلطالب الحق أن ينتظر إحسان الله تعالى ولا ييأس منه فإن المحسن لا بد وأن يجازى بالإحسان كما قال تعالى: ﴿وكذلك﴾ أي: كما جزينا موسى وأمه ﴿نجزي المحسنين﴾ على إحسانهم وفيه تنبيه على أنهما كانا محسنين في عملهما متقيين في عنفوان عمرهما فمن أدخل نفسه في زمرة أهل الإحسان جازاه الله بأحسن الجزاء. حكي: أن امرأة كانت تتعشى فسألها سائل فقامت ووضعت في فمه لقمة ثم وضعت ولدها في موضع فاختلسه الذئب فقالت: يا رب ولدي فأخذ آخذ عنق الذئب واستخرج الولد من فيه بغير أذى وقال لها: هذه اللقمة بتلك اللقمة التي وضعتها في فم السائل. والإحسان على مراتب فهو في مرتبة الطبيعة بالشريعة وفي مرتبة النفس بالطريقة وإصلاح النفس وذلك بترك حظ النفس فإنه حجاب عظيم وفي مرتبة الروح بالمعرفة وفي مرتبة السر بالحقيقة. فغاية الإحسان من العبد الفناء في الله ومن المولى إعطاء الوجود الحقاني إياه ولا يتيسر ذلك الفناء إلا لمن أيده الله بهدايته ونور قلبه بأنوار التوحيد إذ التوحيد مفتاح السعادات فينبغي لطالب الحق أن يكون بين الخوف والرجاء في مقام

النفس ليزكيها بالوعد والوعيد ويصفي وينور الباطن في مقام القلب بنور التوحيد ليتهيأ لتجليات الصفات ويطلب الهداية في مقام الروح ليشاهد تجلي الذات ولا يكون في اليأس والقنوط ألا ترى أن أم موسى كانت راجية واثقة بوعد الله حتى نالت ولدها موسى وتشرفت أيضاً بنبوته فإن من كانت صدف درة النبوة تشرفت بشرفها.

واعلم أنه لا بد من الشكر على الإحسان فشكر الإله بطول الثناء وشكر الولاة بصدق الولاء وشكر النظير بحسن الجزاء وشكر من دونك ببذل العطاء.

يكي كوش كودك بماليد سخت — كه اي بوالعجب رأي بركشته بخت
تراتيشه دادم كه هيزم شكن — نكفتم كه ديوار مسجد بكن
زبان آمد ازبهر شكر وسپاس — بغيبت نكر داندش حق شناس
كذركاه قرآن وپندست كوش — به بهتان وباطل شنيدن مكوش
دوچشم ازپى صنع باري نكوست — زعيب برادر فروكير ودوست
بروشكر كن چون بنعمت درى — كه محرومي آيد زمستكبرى
كرا زحق نه توفيق خيري رسد — كي ازبنده خيري بغيري رسد
ببخش أي بسر كادمي زاده صيد — بإحسان توان كرد ووحشى بقيد
مكن بدكه بدبيني ازيارنيك — نيايد زتخم بدي بارنيك

أي: لا تجيء ثمرة الخير إلا من شجرة الخير كما لا يحصل الحنظل إلا من العلقمة فمن أراد الرطب فليبذر النخل. حكي: أن امرأة كانت لها شاة تتعيش بها وأولادها فجاءها يوماً ضيف فلم تجد شيئاً للأكل فذبحت الشاة ثم إن الله تعالى أعطاها بدلها شاة أخرى وكانت تحلب من ضرعها لبناً وعسلاً حتى اشتهر ذلك بين الناس فجاء يوماً زائرون لها فسألوا عن السبب في ذلك فقالت: إنها كانت ترعى في قلوب المريدين يعني أن الله تعالى جازاها على إحسانها إلى الضيف بالشاة الأخرى ثم لما كان بذله عن طيب الخاطر وصفاء البال أظهر الله ثمرته في ضرع الشاة بإجراء اللبن والعسل فليس جزاء الإحسان إلا الإحسان الخاص من قبل الرحمن وليس للإمساك والبخل ثمرة سوى الحرمان نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الذين يحسنون لأنفسهم في الطلب والإرادة وتحصيل السعادة واستجلاب الزيادة والسيارة.

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿ودخل المدينة﴾ ودخل موسى مصراً آتياً من قصر فرعون. وبالفارسية [موسى از قصر فرعون برون آمد ودرميان شهرشد] وذلك لأن قصر فرعون كان على طرف من مصر كما سيأتي عند قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ [القصص: ٢٠] قيل المراد مدينة منف من أرض مصر وهي مدينة فرعون موسى التي كان ينزلها وفيها كانت الأنهار تجري تحت سريره وكانت في غربي النيل على مسافة اثني عشر ميلاً من مدينة فسطاط مصر المعروفة يومئذ بمصر القديمة ومنف أول مدينة عمرت بأرض مصر بعد الطوفان وكانت دار الملك بمصر في قديم الزمان.

﴿على حين غفلة من أهلها﴾ أي حال كونه في وقت لا يعتاد دخولها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: دخلها في الظهيرة عند المقيل وقد خلت الطرق. ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان﴾ الجملة صفة لرجلين. والاقتتال [كارزار كردن بايكديكر] ﴿هذا﴾ [آن يكي] ﴿من شيعته﴾ أي ممن شايعه وتابعه على دينه وهم بنو إسرائيل روي أنه السامري كما في «فتح الرحمن» والإشارة على الحكاية وإلا فهو والذي من عدوه ما كانا حاضرين حال الحكاية لرسول الله ولكنهما لما كانا حاضرين يشار إليهما وقت وجدان موسى إياهما حكى حالهما وقتئذ. ﴿وهذا﴾ [وآن يكي ديكر]. ﴿من عدوه﴾ العدو يطلق على الواحد والجمع أي من مخالفيه ديناً وهم القبط واسمه فاتون كما في «كشف الأسرار» وكان خباز فرعون أراد أن يسخر الإسرائيلي ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون. ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾ أي سأله أن يغيثه بالإعانة عليه ولذلك عدي بعلى يقال: استغثت طلبت الغوث أي النصرة. وبالفارسية [پس فرياد خواست بموسى آنكسى كه از كروه اوبود برآنكسي كه از دشمنان أو بود يعني ياري طلبيد سبطي ازموسى بردفع قبطي] وكان موسى قد أعطي شدة وقوة [قبطي راكفت دست ازو بدار قبطي سخن موسى ردكرد]. ﴿فوكزه موسى﴾ الوكز كالوعد الدفع والطعن والضرب بجمع الكف وهو بالضم والكسر حين يقبضها أي فضرب القبطي بجمع كفه. وبالفارسية [پس مشت زد اورا موسى] ﴿فقضى عليه﴾ أي: فقتله فندم فدفنه في الرمل وكل شيء فرغت وأتممته فقد قضيت عليه.

في «المفردات»: يعبر عن الموت بالقضاء فيقضي نحبه لأنه فصل أمره بالمختص به من دنياه والقضاء فصل الأمر. ﴿قال هذا﴾ القتل ﴿من عمل الشيطان﴾ [از عمل كسى است كه شيطان اورا اغوا كند نه عمل أمثال من] فأضيف العمل إلى الشيطان لأنه كان بإغوائه ووسوسته وإنما كان من عمله لأنه لم يؤمر بقتل الكفار أو لأنه كان مأموناً فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأً وإنما عده من عمل الشيطان وسماه ظلماً واستغفر منه جرياً على سنن المقربين في استعظام ما فرط منهم ولو كان من محقرات الصغائر وكان هذا قبل النبوة. ﴿إنه﴾ أي: الشيطان. ﴿عدو﴾ لابن آدم ﴿مضل مبين﴾ ظاهر العداوة والإضلال.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿قال﴾ توسيط قال بين كلاميه لإبانة ما بينهما من المخالفة من حيث أنه مناجاة ودعاء بخلاف الأول ﴿رب﴾ [أي پروردكار من] ﴿إني ظلمت نفسي﴾ بقتل القبطي بغير أمر ﴿فاغفر لي﴾ ذنبي ﴿فغفر له﴾ ربه ذلك لاستغفاره ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ أي: المبالغ في مغفرة ذنوب العباد ورحمتهم.

﴿قال رب بما أنعمت علي﴾ إما قسم محذوف الجواب أي أقسم عليك بإنعامك عليّ بالمغفرة لأتوبن ﴿فلن أكون﴾ بعد هذا أبداً ﴿ظهيراً للمجرمين﴾ معيناً لهم يقال ظاهرته أي قويت ظهره بكوني معه وإما استعطاف أي بحق إحسانك عليّ اعصمني فلن أكون معيناً لمن تؤدي معاونته إلى الجرم وهو فعل يوجب قطيعة فاعله وأصله القطع.

قال ابن عطاء: العارف بنعم الله من لا يوافق من خالف ولي نعمته والعارف بالمنعم من لا يخالفه في حال من الأحوال انتهى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لم يستثن فابتلي به أي بالعون للمجرمين مرة أخرى كما سيأتي.

يقول الفقير: المراد بالمجرم ههنا الجاني الكاسب فعلاً مذموماً فلا يلزم أن يكون الإسرائيلي كافراً كما دل عليه هذا من شيعته وقوله: بالذي هو عدو لهما على أن بني إسرائيل كانوا على دين يعقوب قبل موسى ولذا استذلهم فرعون بالعبودية ونحوها وأما قول ابن عباس رضي الله عنهما عند قوله: ظهيراً للمجرمين، أي عوناً للكافرين فيدل على أن إطلاق المجرم المطلق على المؤمن الفاسق من قبل التغليظ والتشديد ثم إن هذا الدعاء وهو قوله: رب بما أنعمت عليّ إلخ حسن إذا وقع بين الناس اختلاف وفرقة في دين أو ملك أو غيرهما وإنما قال موسى هذا عند اقتتال الرجلين ودعا به ابن عمر رضي الله عنهما عند قتال علي ومعاوية كذا في «كشف الأسرار».

ثم إن في الآية إشارة إلى أن المجرمين هم الذين أجرموا بأن جاهدوا كفار صفات النفس بالطبع والهوى لا بالشرع والمتابعة كالفلاسفة والبراهمة والرهابين وغيرهم فجهادهم يكون من عمل الشيطان.

﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿فأصبح﴾ دخل موسى في الصباح. ﴿في المدينة﴾ وفيه إشارة إلى أن دخول المدينة والقتل كانا بين العشاءين حين اشتغل الناس بأنفسهم كما ذهب إليه البعض. ﴿خائفاً﴾ أي: حال كونه خائفاً على نفسه من آل فرعون. ﴿يترقب﴾ يترصد طلب القود أو الأخبار وما يقال في حقه وهل عرف قاتله. والترقب انتظار المكروه.

وفي «المفردات» ترقب احترز راقباً أي حافظ وذلك إما لمراعاة رقبة المحفوظ وأما لرفعه رقبته ﴿فإذا﴾ للمفاجأة [پس ناكاه]. ﴿الذي استنصره بالأمس﴾ أي الإسرائيلي الذي طلب من موسى النصرة قبل هذا اليوم على دفع القبطي المقتول. ﴿يستصرخه﴾ الاستصراخ [فرياد رسيدن ميخواستن] أي يستغيث موسى برفع الصوت من الصراخ وهو الصوت أو شديده كما في «القاموس»: وبالفارسية [باز فرياد ميكند وياري ميطلبد برقبطىء ديكر]. ﴿قال له موسى﴾ أي: للإسرائيلي المستنصر بالأمس المستغيث على الفرعون الآخر ﴿إنك لغوي﴾ [مرد كمراهي] وهو فعيل بمعنى الغاوي. ﴿مبين﴾ بين الغواية والضلالة لأنك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر يعني إني وقعت بالأمس فيما وقعت فيه بسببك فالآن تريد أن توقعني في ورطة أخرى.

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿فلما أن أراد﴾ موسى ﴿أن يبطش﴾ البطش تناول الشيء بشدة ﴿بالذي هو عدو لهما﴾ أي يأخذ بيد القبطي الذي هو عدو لموسى والإسرائيلي إذ لم يكن على دينهما ولأن القبط

كانوا أعداء بني إسرائيل على الإطلاق. ﴿قال﴾ ذلك الإسرائيلي ظاناً أن موسى يريد أن يبطش به بناءً على أنه خاطبه بقوله: إنك لغوي مبين ورأى غضبه عليه أو قال القبطي، وكأنه توهم من قولهم أنه الذي قتل القبطي بالأمس لهذا الإسرائيلي. ﴿يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس﴾ يعني: القبطي المقتول ﴿إن تريد﴾ أي: ما تريد ﴿إلا أن تكون جباراً في الأرض﴾ وهو الذي يفعل ما يريده من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب ﴿وما تريد أن تكون من المصلحين﴾ بين الناس بالقول والفعل فتدفع التخاصم ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى إلى فرعون وملئه وظهر أن القتل الواقع أمس صدر من موسى حيث لم يطلع على ذلك إلا ذلك الإسرائيلي فهموا بقتل موسى فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبر موسى كما قال ﴿وجاء رجل﴾ وهو خربيل ﴿من أقصى المدينة﴾ من آخرها أو جاء من آخرها. وبالفارسية [از دور ترجايي ازشهر يعني ازباركاه فرعون كه بريك كنارهٔ شهر بود] يقال: قصوت عنه وأقصيت أبعدت والقصي البعيد. ﴿يسعى﴾ صفة رجل أي يسرع في مشيه حتى وصل إلى موسى﴿قال يا موسى إن الملأ﴾ أشراف قوم فرعون ﴿يأتمرون بك﴾ يتشاورون بسببك وإنما سمي التشاور ائتماراً لأن كلاً من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر ﴿ليقتلوك فاخرج﴾ من المدينة ﴿إني لك من الناصحين﴾ في أمري إياك بالخروج. وبالفارسية [از نيك خواهان ومهربانم] واللام للبيان كأنه قيل: لك أقول هذه النصيحة وليس صلة للناصحين لأن معمول الصلة لا يتقدم الموصول وهو اللام في الناصح.

﴿فخرج منها﴾ [پس بيرون رفت درهمان دم ازان شهر بي زاد وراحله ورفيق] ﴿خائفاً﴾ حال كونه خائفاً على نفسه ﴿يترقب﴾ لحوق الطالبين والتعرض له في الطريق. وبالفارسية: [انتظار ميبردكه كسى ازپى أو درآيد]. ﴿قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ خلصني منهم واحفظني من لحوقهم. وبالفارسية [كفت أي پروردكار من نجات ده مرا وبازرهان از كروه ستمكاران يعني فرعون وكسان أو] فاستجاب الله دعاءه ونجاه كما سيأتي.

قال بعض العارفين: إن الله تعالى إذا أراد بعبده أن يكون له فرداً أوقعه في واقعة شنيعة ليفر من دون الله إلى الله فلما فر إليه خائفاً من الامتحان وجد جمال الرحمن وعلم أن جميع ما جرى عليه واسطة الوصول إلى المراد. وفي «المثنوي».

يك جواني برزني مجنون بدست ... روزشب بي خواب وبي خور آمدست
بيدل وشوريده ومجنو ومست ... مي ندادش روزكار وصل دست
پس شكنجه كرد عشقش برزمين ... خودچرا داردز أول عشق كين
عشق از أول چراخوني بود ... تاكريزد هركه بيروني بود
چون فرستادي رسولي پيش زن ... آن رسول ازرشك كردي راه زن
ورصبارا پيك كردي در وفا ... ازغباري تيره كشتي آن صبا
راههاي چاره را غيرت ببست ... لشكر انديشه را رايت شكست
خوشهاي فكرتش بي كاه شد ... شب روانرا رهنما چون ماه شد
جست از بيم عسس وشب بباغ ... يارخودرا يافت چون شمع وچراغ
بود اندرباغ آن صاحب جمال ... كز غمش اين درعنا بدهشت سال
سايهٔ أورا نبود أمكان ديد ... همچو عنقا وصف أورامي شنيد

جزيكي لقيه كه أول ازقضا بروي افتاد وشداورا دلربا
چون در آمد خوش دران باغ آن جوان خود فروشد يابكنجش ناكهان
مرعسس را ساخته يزدان سبب تازبيم أودود درباغ شب
كفت سازنده سبب را آن نفس أي خدا تورحمتي كن برعسس
بهراين كردي سبب اين كاررا تاندارم خار من يك خاررا
پس يد مطلق نباشد درجهان بدبنسبت باشد اين راهم بدان
زهر ماران ماررا باشد حيات نسبتش باآدمي باشد ممات
خلق آبي را بود دريا چوباغ خلق خاكي رابود آن مرك وداغ
هرچه مكررهست چون شدا ودليل سوى محبوبت حبيب أست وخليل
در حقيقت هرعدو داروي تست كيمياي نافع ودلجوي تست
كه ازو اندر كريزي درخلا استعانت جويي از لطف خدا
درحقيقيت دوست دانت دشمن اند كه ز حضرت دور ومشغولت كنند

فإذا أقبل العاشق من طريق الامتحان إلى الحق خاف وترقب أن يلحقه أحد من أهل الضلال فيمنعه من الوصول إليه فإنه لا ينفك عن الخوف ما دام في الطريق نسأل الله الوصول وهو خير مسؤول.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿**ولما توجه تلقاء مدين**﴾ التوجه [روى باخيري كردن] والتلقاء تفعال من لقيت وهو مصدر اتسع فيه فاستعمل ظرفاً يقال: جلس تلقاءه أي حذاءه ومقابلته. ومدين قرية شعيب عليه السلام على بحر القلزم سميت باسم مدين بن إبراهيم عليه السلام من امرأته قنطورا كان اتخذها لنفسه مسكناً فنسبت إليه ولم يكن في سلطان فرعون وكان بينهما وبين مصر مسيرة ثمانية أيام كما بين الكوفة والبصرة. والمعنى لما جعل موسى وجهه نحو مدين وصار متوجهاً إلى جانبها. ﴿**قال**﴾ [باخود كفت] توكلاً على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق. ﴿**عسى ربي**﴾ [شايدكه پروردكار من]. ﴿**أن يهديني**﴾ [راه نمايد مرا] ﴿**سواء السبيل**﴾ وسطه ومستقيمه والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك فظهر له ثلاث طرق فأخذ الوسطى وجاء الطلاب عقبيه فقالوا: إن الفار لا يأخذ الطريق الوسط خوفاً على نفسه بل الطرفين فشرعوا في الآخرين فلم يجده [پس موسى هشت شبانورز ميرفت وبي زاد وبي طعام پاي برهنه وشكم كرسنه ودران هشت روز نمي خورد مكر برك درختان تارسيد بمدين سلمى. فرموده كه روى مبارك بناحيهٔ مدين داشت أمادلش متوجه بحضرت ذو المدين بود ومسالك بداي مدين را بهمراهي غم شوق لقا مي پيمود].

غمت تايار من شد روى در راه عدم كردم
خوشست آوركي آنراكه همرا هي چنين باشد

قال بعضهم: مدين إشارة إلى عالم الأزل والأبد فوجد موسى نسيم الحقيقة من جانبها لأنه كان بها شعيب عليه السلام فتوجه إليها للمشاهدة واللقاء كما قال عليه السلام: «إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن» مخبراً عن وجدان نسيم الحق من روضة قلب أويس القرني

رضي الله عنه ففي أرض الأولياء نفحات وفي لقائهم بركات.

وقال بعضهم: [چون خواستندكه موسى كليم را لباس نبوت پوشند وبحضرت رسالت ومكالمت برندنخست أورا درخم چوكان بيت نهادند تادران بارها وفتنها بچته كشت چنانكه رب العزة كفت]. ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًاۚ﴾ [طه: ٤٠] أي طبخناك بالبلاء طبخاً حتى صرت صافياً نقياً [از مصر بدر آمد ترسان در الله زاريد رب العالمين دعاي وي أجابت كرد واورا ازبيم دشمن ايمن كرد سكينه بدل وي فرو آمد وساكن كشت باسروي كفتند مترس خداوندكه ترا در طفوليت حجر فرعون كه لطمه برروي وي ميزدي درحفظ وحمايت خود بداشت ودشمن ندد امروز همچنان در حفظ خود بدارد وبدشمن ندهد آنكه روى نهاب بربيابان برفتوح نه بقصد مدين أما رب العزة أورا بمدين افكند سريء را دران بقيه بود شعيب پيغمبر خداي بود ومسكين بمدين داشت سائق تقدير موسى را بخدمت شعيب راند تايافت بخدمت وصحبت أو آنچه افت خليل عليه السلام چون همه راهها بسته بديد دانست كه حضرت يكيست آواز برآ وردكه. ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩] الآية مرد مردانه نه آنست كه برشاهراه سواري كندكه راه كشاده بود مرد آنست كه درشب تاريك برراه بي دليلي بسر كوي دوست شود] كما وقع لأكثر الأنبياء والأولياء المهاجرين الذاهبين إلى الله تعالى. قال الحافظ:

شب تاريك وبيم موج وكردابي چنين هائل

كجا دانند حال ما سبكباران ساحلها

يقول الفقير: المراد بقوله: «شب تاريك» جلال الذات لأن الليل إشارة إلى عالم الذات وظلمة جلاله الغالب وبقوله: «بيم موج» خوف صفات القهر والجلال وبقوله: «كردابي چنين هائل» الامتحانات التي كدور البحر الإهلاك فهذا المصراع صفة أهل البداية والتوسط من أرباب الأحوال فإنهم بسبب ما وقعوا في بحر العشق لا يزالون بمتحنوا بالبلايا الهائلة إلى أن يخرجوا إلى ساحل البقاء والمراد بقوله: «سبكباران ساحلها» الذين لم يحملوا الإماتة الكبرى وهي العشق فبقوا في بر البشرية وهم العباد والزهاد فهم لكونهم أهل البر والبشرية والحجاب لا يعرفون أحوال أهل البحر والملكية والمشاهدة فإن بين الظاهر والباطن طريقاً بعيداً وبين الباب والصدر فرقاً كثيراً وبين المبتدأ والمنزل سيراً طويلاً نسأل الله العشق وحالاته والوصول إلى معانيه وحقائقه من ألفاظه ومقالاته.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿**ولما ورد**﴾ الورود إتيان الماء وضده الصدور وهو الرجوع عنه.

وفي «المفردات»: الورود أصله قصد الماء ثم يستعمل في غيره. والمعنى ولما وصل موسى وجاء ﴿**ماء مدين**﴾ وهو بئر على طرف المدينة على ثلاثة أميال منها أو أقل كانوا يسقون منها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ورده وإنه ليتراءى خضرة البقل في بطنه من الهزال ﴿**وجد عليه**﴾ أي جانب البئر وفوق شفيرها ﴿**أمة من الناس**﴾ جماعة كثيرة منهم. ﴿**يسقون**﴾

مواشيهم ﴿ووجد من دونهم﴾ في مكان أسفل منهم ﴿امرأتين﴾ صفورياء وليا ابنتا يثرون ويثرون هو شعيب قاله السهيلي في كتاب «التعريف» ﴿تذودان﴾ الذود والكف والطرد والدفع أي تمنعان أغنامهما عن التقدم إلى البئر.

قال الكاشفي: [از آنجاكه شفقت ذاتي انبيا مي باشد فرا پيش رفت وبطريق تلطف] ﴿قال﴾ عليه السلام: ﴿ما خطبكما﴾ الخطب الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب أي ما شأنكما فيما أنتما عليه من التأخر والذود ولم لا تباشران السقي كدأب هؤلاء.

قال بعضهم: كيف استجاز موسى أن يكلم امرأتين أجنبيتين والجواب كان آمناً على نفسه معصوماً من الفتنة فلأجل علمه بالعصمة كلمهما كما يقال: كان للرسول التزوج بامرأة من غير الشهود لأن الشهود لصيانة العقد عن التجاحد وقد عصم الرسول من أن يجحد نكاحاً أو يجحد نكاحه دون غيره من أفراد أمته ﴿قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء﴾ لإصدار [بازكردانيدن] والرعاء بالكسر جمع راع كقيام جمع قائم ما يرعاء والمرعى موضع الرعي ويسمى كل سائس لنفسه أو لغيره راعياً وفي الحديث: «كلكم مسؤول عن رعيته» قيل: الرعاء هم الذين يرعون المواشي والرعاة هم الذين يرعون الناس وهم الولاة. والمعنى عادتنا أن لا نسقي مواشينا حتى يصرف الرعاء: وبالفارسية: [بازكردانند شبانان] مواشيهم بعد ريها ويرجعوا عجزاً عن مساجلتهم وحذراً من مخالطة الرجال فإذا انصرفوا سقينا من فضل مواشيهم وحذف مفعول السقي والذود والإصدار لما أن الغرض هو بيان تلك الأفعال أنفسها إذ هي التي دعت موسى إلى ما صنع في حقهما من المعروف فإنه عليه السلام إنما رحمهما لكونهما على الذياد والعجز والعفة وكونهم على السقي غير مبالين بهما وما رحمهما لكون مذودهما غنماً ومستقيهم إبلاً مثلاً ﴿وأبونا﴾ وهو شعيب ﴿شيخ﴾ [پيري است] ﴿كبير﴾ كبير السن أو القدر والشرف لا يستطيع أن يخرج فيرسلنا للرعي والسقي اضطراراً ومن قال من المعاصرين فيه عبرة أن مواشي النبي لم يلتفت إليها فقد أتى بالعبرة لأن الراعي لا يعرف ما النبي كما أن القروي في زماننا لا يعرف ما شريعة النبي وقد جرت العادة على أن أهل الإيمان من كل أمة أقل.

﴿فسقى لهما﴾ ماشيتهما رحمة عليهما وطلباً لوجه الله تعالى. روي: أن الرجال كانوا يضعون على رأس البئر حجراً لا يرفعه إلا سبعة رجال أو عشرة أو أربعون فرفعه وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم [ازنيجا كفته اندكه هر پيغمبري را بچهل مردنيروي بود پيغمبر امارا بچهل پيغمبر نيروبود] ولعله زاحمهم في السقي لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عن ذلك وهو الذي يقتضيه سوق النظم الكريم ﴿ثم﴾ بعد فراغه ﴿تولى﴾ جعل ظهره يلي ما كان يليه وجهه أي أعرض وانصرف ﴿إلى الظل﴾ هو ما لم يقع عليه شعاع الشمس وكان ظل سمرة هنالك فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع. ﴿فقال﴾ يا ﴿رب إني لما أنزلت إلي﴾ أي: أي شيء أنزلته إلي ﴿من خير﴾ قليل أو كثير وحمله الأكثرون على الطعام بمعونة المقام ﴿فقير﴾ محتاج سائل ولذلك عدي باللام.

وفيه إشارة إلى أن السالك إذا بلغ عالم الروحانية لا ينبغي أن يقنع بما وجد من معارف ذلك العالم بل يكون طالباً للفيض الإلهي بلا واسطة.

قال بعضهم: هذا موسى كليم الله لما كان طفلاً في حجر تربية الحق ما تجاوز حده بل قال: رب الخ فلما بلغ مبلغ الرجال ما رضي بطعام الأطفال بل قال: أرني أنظر إليك فكان

غاية طلبه في بدايته الطعام والشراب وفي نهايته رفع الحجاب ومشاهدة الأحباب.

قال ابن عطاء: نظر من العبودية إلى الربوبية فخشع وخضع وتكلم بلسان الافتقار لما ورد على سره من أنواع الربوبية فافتقاره افتقار العبد إلى مولاه في جميع أحواله لا افتقار سؤال وطلب انتهى.

وسئل سهل عن الفقير الصادق فقال: لا يسأل ولا يرد ولا يحبس.

قال فارس: قلت لبعض الفقراء مرة ورأيت عليه أثر الجوع والضر: لم لا تسأل فيطعموك؟ فقال: أخاف أن أسألهم فيمنعوني فلا يفلحون.

ولما كان موسى عليه السلام جائعاً سأل من الله ما يأكل ولم يسأل من الناس ففطنت الجاريتان فلما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما قفلت قال لهما: ما أعجلكما؟ قالتا: وجدنا رجلاً صالحاً رحمنا فسقي لنا ثم تولى إلى الظل فقال: رب الخ فقال أبوهما: هذا رجل جائع فقال لإحداهما: اذهبي فادعيه لنا.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾

﴿فجاءته إحداهما﴾ عقيب ما رجعتا إلى أبيهما وهي الكبرى واسمها صفورياء.

فإن قلت: كيف جاز لشعيب إرسال ابنته لطلب أجنبي؟.

قلت: لأنه لم يكن له من الرجال من يقوم بأمره ولأنه ثبت عنده صلاح موسى وعفته بقرينة الحال وبنور الوحي. ﴿تمشي﴾ حال من فاعَل جاءته ﴿على استحياء﴾ ما هو عادة الأبكار. والاستحياء [شرم داشتن].

قال أبو بكر بن طاهر: لتمام إيمانها وشرف عنصرها وكريم نسبها أتته على استحياء وفي الحديث: «الحياء من الإيمان» أي: شعبة منه.

قال أعرابي: لا يزال الوجه كريماً ما غلب حياؤه ولا يزال الغصن نضيراً ما بقي لحاؤه ﴿قالت﴾ استئناف بياني ﴿إن أبي يدعوك ليجزيك﴾ ليكافئك ﴿أجر ما سقيت لنا﴾ جزاء سقيك لنا [موسى بجهت زيارت شعيب وتقريب آشنايي باوي أجابت كردندنه براي طمع] ولأنه كان بين الجبال خائفاً مستوحشاً فأجابها فانطلقا وهي أمامه فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته أو كشفته عن ساقيها فقال لها: امشي خلف وانعتي إليّ الطريق فتأخرت وكانت تقول عن يمينك وشمالك وقدامك حتى أتيا دار شعيب فبادرت المرأة إلى أبيها وأخبرته فأذن له في الدخول وشعيب يومئذ شيخ كبير وقد كف بصره فسلم موسى افرد عليه السلام وعانقه ثم أجلسه بين يديه وقدم إليه طعاماً فامتنع منه وقال: أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيته وأنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا لأنه كان من بيت النبوة من أولاد يعقوب فقال شعيب: لا والله يا شاب ولكن هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فتناول هذا وإن من فعل معروفاً فأهدي إليه شيء لم يحرم أخذه. ﴿فلما جاءه﴾ [پس آن هنكام آمد موسى زنديك شعيب]. ﴿وقص عليه القصص﴾ أخبره بما جرى عليه من الخبر المقصوص فإنه مصدر سمي به المفعول كالعلل. ﴿قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ أي فرعون وقومه فإنه لا سلطان له بأرضنا ولسنا في مملكته.

وفيه إشارة إلى أن القلب مهما يكون في مقامه يخاف عليه أن يصيبه آفات النفس وظلم صفاتها فإذا وصل بالسر إلى مقام الروح فقد نجا من ظلمات النفس وظلم صفاتها ألا ترى أن السلطان ما دام في دار الحرب فهو على خوف من الأعداء فإذا دخل حد الإسلام زال ذلك. وفيه إشارة إلى أن من وقع في الخوف يقال له لا تخف كما أن من وقع في الأمن يقال له: خف وفي «المثنوي»:

لا تخافوا هست نزل خائفان هشت درخور ازبراي خائف آن
هركه ترسد مرورا ايمن كنند مردل ترسنده را ساكن كنند
آنكه خوفش نيست چون كويي مترس درس چه دهي نيست أو محتاج درس

قال أويس القرني رضي الله عنه كن في أمر الله كأنك قتلت الناس كلهم يعني خائفاً مغموماً.

قال شعيب بن حرب: كنت إذا نظرت إلى الثوري فكأنه رجل في أرض مسبعة خائف الدهر كله وإذا نظرت إلى عبد العزيز بن أبي داود فكأنه يطلع إلى القيامة من الكوة. ثم إن موسى قد تربى عند فرعون بالنعمة الظاهرة ولما هاجر إلى الله وقاسى مشاق السفر والغربة عوضه الله عند شعيب النعمة الظاهرة والباطنة. قيل:

سافر تجد عوضاً عمن تفارقه وانصب فإن اكتساب المجد في النصب
فالأسد لولا فراق الخيس ما افترست والسهم لولا فراق القوس لم يصب

وقيل:

بلاد الله واسعة فضاء ورزق الله في الدنيا فسيح
فقل للقاعدين على هوان إذا ضاقت بكم أرض فسيحوا

قال الشيخ سعدي قدس سره:

سعد يا حب وطن كرچه حديث است صحيح
نتوان مرد بسختي كه من اينجا زادم

ألا ترى أن موسى عليه السلام ولد بمصر ولما ضاقت به هاجر إلى أرض مدين فوجد السعة مطلقاً فالكامل لا يكون زمانياً ولا مكانياً بل يسيح إلى حيث أمر الله تعالى من غير ليّ العنق إلى ورائه ولو كان وطنه فإن الله تعالى إذا كان مع المرء فالغربة له وطن والمضيق له وسيع. وفي «المثنوي»:

هركجا باشد شه مارا بساط هست صحرا كربود سم الخياط
هركجا يوسف رضي باشد چوماه جنت است آن كرچه باشد قعرجاه

﴿قالت إحداهما﴾ وهي الكبرى التي استدعته إلى أبيها وهي التي زوجها موسى. **﴿يا أبت﴾** [اي پدر من] **﴿استأجره﴾** أي اتخذ موسى أجيراً لرعي الغنم والقيام بأمرها. **﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾** اللام للجنس لا للعهد فيكون موسى مندرجاً تحته. والقوي بالفارسية [توانا]. والأمين: [استوار تعريض است بآنكه موسى را قوت وأمانت هست].

روي: أن شعيباً قال لها: وما أعلمك بقوته وأمانته؟ فذكرت له ما شاهدت منه من إقلال الحجر عن رأس البئر ونزع الدلو الكبير وأنه خفض رأسه عند الدعوة ولم ينظر إلى وجهها

تورعاً حتى بلغته رسالته وأنه أمرها بالمشي خلفه فخصت هاتين الخصلتين بالذكر لأنها كانت تحتاج إليهما من ذلك الوقت أما القوة فلسقي الماء وأما الأمانة فلحفظ البصر وصيانة النفس عنها كما قال يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] لأن الحفظ والعلم كان محتاجاً إليهما أما الحفظ فلأجل ما في خزانة الملك وأما العلم فلمعرفة ضبط الدخل والخرج.

وكان شريح لا يفسر شيئاً من القرآن إلا ثلاث آيات. الأولى ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧] قال الزوج. والثانية: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠] البينة والإيمان. والثالثة: ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ كما فسرت برفع الحجر وغض البصر.

﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿قال﴾ شعيب لموسى عليه السلام بعد الاطلاع على قوته وأمانته ﴿إني أريد﴾ [من ميخواهم] ﴿أن أنكحك﴾ [آنكه زني بتودهم] ﴿إحدى ابنتي هاتين﴾ [يكي را ازين دو دختران] وهي صفورياء التي قال فيها: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ [طه: ١٠] ﴿على أن تأجرني﴾ حال من المفعول في أنكحك يقال: أجرته إذا كنت له أجيراً كقولك: أبوته إذا كنت له أباً كما في «الكشاف». والمعنى حال كونك مشروطاً عليك أو واجباً أن تكون لي أجيراً ﴿ثماني حجج﴾ في هذه المدة فهو ظرف جمع حجة بالكسر بمعنى السنة وهذا شرط للأب وليس بصداق لقوله: تأجرني دون تأجرها ويجوز أن يكون النكاح جائزاً في تلك الشريعة بشرط أن يكون منعقد العمل في المدة المعلومة لولي المرأة كما يجوز في شريعتنا بشرط رعي غنمها في مدة معلومة [ودر عين المعاني آورده كه در شرائع متقدمه مهر اختران مر پدررا بوده وايشان مي كرفته اند ودر شريعت ما منسوخ شده بدين حكم ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤] وآنكه جر منافع مهر تواندبود ممنوع است نزد إمام أعظم بخلاف إمام شافعي].

واعلم أن المهر لا بد وأن يكون مالاً متقوماً أي في شريعتنا لقوله تعالى: ﴿أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم﴾ [النساء: ٢٤] وأن يكون مسلماً إلى المرأة لقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ﴾ [النساء: ٤] فلو تزوجها على تعليم القرآن أو خدمته لها سنة يصح النكاح ولكن يصار إلى مهر المثل لعدم تقوم التعليم والخدمة هذا إن كان الزوج حراً وإن كان عبداً فلها الخدمة فإن خدمة العبد ابتغاء بالمال لتضمنها تسليم رقبته ولا كذلك الحر فالآية سواء حملت على الصداق أو على الشرط فناظرة إلى شريعة شعيب فإن الصداق في شريعتنا للمرأة لا للأب والشرط وإن جاز عند الشافعي لكنه لكونه جراً لمنفعة المهر ممنوع عند إمامنا الأعظم رحمه الله.

وقال بعضهم: ما حكي عنهما بيان لما عزما عليه واتفقا على إيقاعه من غير تعرض لبيان موجب العقدين في تلك الشريعة تفضيلاً. ﴿فإن أتممت عشراً﴾ أي عشر سنين في الخدمة والعمل ﴿فمن عندك﴾ أي: فإتمامها من عندك تفضلاً لا من عندي إلزاماً عليك. ﴿وما أريد أن أشق عليك﴾ [ونمى خواهم آنكه رنج نهم برتن تو بالزام تمام ده سال يابمناقشه درمراعات أوقات واستيفاي أعمال يعني ترا كاري فرمايم بروجهي كه آسان باشد ودر رنج نيفتي] واشتقاق المشقة من الشق فإن ما يصعب عليك بشق اعتقادك في إطاقته ويوزع رأيك في مزاولته.

قال بعض العرفاء: رأى شعيب بنور النبوة أنه يبلغ إلى درجة الكمال في ثماني حجج ولا

يحتاج إلى التربية بعد ذلك ورأى أن كمال الكمال في عشر حجج لأنه رأى أن بعد العشر لا يبقى مقام الإرادة ويكون بعد ذلك مقام الاستقلال والاستقامة ولا يحتمل مؤنة الإرادة بعد ذلك لذلك قال: إني أريد الخ وما أريد الخ.

يقول الفقير: اقتضى هذا التأويل أن عمر موسى وقتئذ كان ثلاثين لأنه لما أتم العشر عاد إلى مصر فاستنبىء في الطريق وقد سبق أن استنباءه كان في بلوغ الأربعين وهذه سنة لأهل الفناء في كل عصر وعندما يمضي ثمان وثلاثون أو أربعون من سن السلوك يكمل الفناء والبقاء وينفد الرزق فافهم. ﴿ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده بالاستثناء التبرك به وتفويض الأمر إلى توفيقه لا تعليق صلاحه بمشيئته تعالى وفي الحديث: «بكى شعيب النبي عليه السلام من حب الله حتى عمي فرد الله عليه بصره وأوحى الله إليه يا شعيب ما هذا البكاء أشوقاً إلى الجنة أم خوفاً من النار؟ فقال: إلهي وسيدي أنت تعلم أني ما أبكي شوقاً إلى جنتك ولا خوفاً من النار ولكن اعتقدت حبك بقلبي فإذا نظرت إليك فما أبالي ما الذي تصنع بي فأوحى الله إليه يا شعيب إن يكن ذلك حقاً فهنيئاً لك لقائي يا شعيب لذلك أخدمتك موسى بن عمران كليمي».

اعلم أن في فرار موسى من فرعون إلى شعيب إشارة إلى أنه ينبغي لطالب الحق أن يسافر من مقام النفس الأمارة إلى عالم القلب ويفر من سوء قرين كفرعون إلى خير قرين كشعيب ويخدم المرشد بالصدق والثبات. روي: أن إبراهيم بن أدهم كان يحمل الحطب سبع عشرة سنة.

وفي قوله: ﴿على أن تأجرني ثماني حجج﴾ إشارة إلى طريق الصوفية وأن استخدامهم للمريدين من سنن الأنبياء عليهم السلام. قال الحافظ:

شبان وادي أيمن كهي رسد بمراد كه چند سال بجان خدمت شعيب كند

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿قال﴾ موسى ﴿ذلك﴾ الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم وثابت ﴿بيني وبينك﴾ جميعاً لا أنا أخرج عما شرطت علي ولا أنت تخرج عما شرطت على نفسك ﴿أيما الأجلين قضيت﴾ أي شرطية منصوبة بقضيت وما زائدة مؤكدة لإبهام أي في شياعها والأجل مدة الشيء. والمعنى أكثرهما أو أقصرهما وفيتك بأداء الخدمة فيه. وبالفارسية: [هر كدام ازين دو مدت كه هشت ساله وده سالست بكذارم وبيابان رسانم] وجواب الشرطية قوله: ﴿فلا عدوان عليّ﴾ لا تعدي ولا تجاوز بطلب الزيادة فكما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثماني أو أيما الأجلين قضيت فلا إثم عليّ يعني كما لا إثم عليّ في قضاء الأكثر كذا لا أثم عليّ في قضاء الأقصر. ﴿والله على ما نقول﴾ من الشروط الجارية بيننا ﴿وكيل﴾ شاهد وحفيظ فلا سبيل لأحد منا إلى الخروج عنه أصلاً. فجمع شعيب المؤمنين من أهل مدين وزوجه ابنته صفوريا ودخل موسى البيت وأقام يرعى غنم شعيب عشر سنين كما في «فتح الرحمن». روي: أنه لما أتم العقد قال شعيب لموسى: أدخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصيّ وكانت عنده عصي الأنبياء فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وصلت إلى شعيب فمسها وكان مكفوفاً فلم يرضها له خوفاً من أن لا يكون أهلاً لها وقال

غيرها: فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن لموسى شأناً وحين خرج للرعي قال له شعيب: إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ عن يمينك فإن الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنيناً أخشى منه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ومشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا بالتنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولاً سر ولما رجع إلى شعيب أخبره بالشأن ففرح شعيب وعلم أن لموسى والعصا شأناً وقال: إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء والدرع بياض في صدور الشاء ونحورها وسواد في الفخذ وهي درعاء كما في «القاموس». فأوحى الله إليه في المنام أن اضرب بعصاك الماء الذي هو في مستقى الأغنام ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت أدرع ودرعاء فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله تعالى إلى موسى وامرأته فوفى له بالشرط وسلم إليه الأغنام.

قال أبو الليث: مثل هذا الشرط في شريعتنا غير واجب إلا أن الوعد من الأنبياء واجب فوفاه بوعده انتهى. وفي «المثنوي».

جرعه برخاك وفاآنكس كه ريخت　　كي تواند صيد دولت زوكريخت
پس پيمبر كفت بهر اين طريق　　باوفاتر از عمل نبود رفيق
كربود نيكو ابديارت شود　　وربود بد در لحد بارت شود

﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿فلما قضى موسى الأجل﴾ الفاء فصيحة أي فعقد العقدين وباشر ما التزمه فلما أتم الأجل المشروط بينهما وفرغ منه روي أنه قضى أبعد الأجلين وهي عشر سنين. يعني [ده سال شباني كردپس أورا آرزوي وطن خاست] فبكى شعيب وقال: يا موسى كيف تخرج عني وقد ضعفت وكبرت؟ فقال له: قد طالت غيبتي عن أمي وخالتي وهارون أخي وأختي في مملكة فرعون فقام شعيب وبسط يديه وقال: يا رب بحرمة إبراهيم الخليل وإسماعيل الصفي وإسحاق الذبيح ويعقوب الكظيم ويوسف الصديق رد قوتي وبصري فأمن موسى على دعائه فرد الله عليه بصره وقوته ثم أوصاه بابنته ﴿وسار﴾ موسى بإذن شعيب نحو مصر والسير المضي في الأرض ﴿بأهله﴾ بامرأته صفوريا وولده فإنها ولدت منه قبل السير كما في «كشف الأسرار».

وقال الكاشفي: [وببرد كسان خودرا] فالباء على هذا للتعدية.

قال ابن عطاء: لما تم له أجل المحبة ودنت أيام القربة والزلفة وإظهار أنوار النبوة عليه سار بأهله ليشترك معه في لطائف الصنع.

قال في «كشف الأسرار»: [نماز پيشين فراره بود همي رفت تاشب در آمد] وكان في البرية والليلة مظلمة باردة فضرب خيمته على الوادي وأدخل أهله فيها وهطلت السماء بالمطر والثلج [وأغنام ازبرف وباد ودمه متفرق شده يعني أغنام كه أورا شعيب داده بود] وقد كان ساقها معه وكانت امرأته حاملاً فأخذها الطلق فأراد أن يقدح فلم يظهر له نار فاغتم لذلك فحينئذ ﴿آنس من جانب الطور ناراً﴾ أي: أبصر من الجهة التي تلي الطور ناراً يقال جانب الحائط للجهة التي تلي الجنب والطور اسم جبل مخصوص والنار يقال للهب الذي يبدو

للحاسة وللحرارة المجردة ولنار جهنم.

قال بعضهم: أبصر ناراً دالة على الأنوار لأنه رأى النور على هيئة النار لكون مطلبه النار والإنسان يميل إلى الأشياء المعهودة المأنوسة ولا تخلو النار من الاستئناس خاصة في الشتاء وكان شتاء تجلى الحق بالنور في لباس النار على حسب إرادة موسى وهذه سنته تعالى ألا ترى إلى جبريل أنه علم أن النبي عليه السلام أحب دحية فكان أكثر مجيئه إليه في سورة دحية **﴿قال﴾** موسى. **﴿لأهله امكثوا﴾** المكث ثبات مع انتظار أي قفوا مكانكم واثبتوا. **﴿إني آنست ناراً لعلي﴾** [شايد كه من] **﴿آتيكم﴾** [بيارم از براي شما]. **﴿منها﴾** [آزان آتش] **﴿بخبر﴾** [بيامي يعني از نزد كساني كه برسر آن آتش اند بيارم خبر طريق كه راه مصر از كدام طرفست] وقد كانوا ضلوه **﴿أو جذوة﴾** عود غليظ سواء كانت في رأسه نار أو لا ولذلك بين بقوله: **﴿من النار﴾** وفي «المفردات»: الجذوة التي يبقى من الحطب بعد الالتهاب.

وفي «التأويلات النجمية»: تشير الآية إلى التجريد في الظاهر وإلى التفريد في الباطن فإن السالك لا بد له في السلوك من تجريد الظاهر عن الأهل والمال وخروجه عن الدنيا بالكلية فقد قيل: المكاتب عبد ما بقي عليه درهم ثم من تفريد الباطن عن تعلقات الكونين فبقدر تفرده عن التعلقات يشاهد شواهد التوحيد فأول ما يبدو له في صورة شعلة النار كما كان لموسى والكوكب كما كان لإبراهيم عليهما السلام ومن جملتها اللوامع والطوالع والسواطع والشموس والأقمار إلى أن يتجلى نور الربوبية عن مطلع الألوهية. **﴿لعلكم تصطلون﴾** الاصطلاء [كرم شدن بآتش].

قال في «كشف الأسرار»: الاصطلاء التدفؤ بالصلاء وهو النار بفتح الصاد وكسرها فالفتح بالقصر والكسر بالمد.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن أوصاف الإنسانية جامدة من برودة الطبيعة لا تتسخن إلا بجذوة نار المحبة بل نار الجذبة الإلهية. قال الكمال الخجدي:

بچشم أهل نظركم بود زپروانه   دلي كه سوختهٔ آتش محبت نيست

فترك موسى أهله في البرية وذهب.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿فلما أتاها﴾ أي: النار التي آنسها **﴿نودي من شاطىء الوادي الأيمن﴾** أي: أتاه النداء من الشاطىء الأيمن بالنسبة إلى موسى فالأيمن مجرور صفة يسيل فيه الماء ومنه سمي المفرج بين الجبلين وادياً. **﴿في البقعة المباركة﴾** متصل بالشاطىء أو صلة لنودي والبقعة قطعة من الأرض لا شجر فيها وصفت بكونها مباركة لأنه حصل فيها ابتداء الرسالة وتكليم الله إياه وهكذا محال تجليات الأولياء قدس الله أسرارهم. **﴿من الشجرة﴾** بدل اشتمال من شاطىء لأنها كانت ثابتة على الشاطىء وبقيت إلى عهد هذه الأمة كما في «كشف الأسرار» وكانت عناباً أو سمرة أو سدرة أو زيتوناً أو عوسجاً والعوسج إذا عظم يقال له: الغرقد بالغين المعجمة وفي الحديث: «إنها شجرة اليهود ولا تنطق» يعني إذا نزل عيسى وقتل اليهود فلا يختفي منهم أحد تحت شجرة إلا نطقت وقالت: يا مسلم هذا يهودي فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجرهم فلا ينطق

كما في «التعريف والأعلام» للإمام السهيلي. ﴿أن﴾ مفسرة أي أي ﴿يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾ أي أنا الله الذي ناديتك ودعوتك باسمك وأنا رب الخلائق أجمعين وهذا أول كلامه لموسى وهو وإن خالف لفظاً لما في طه والنمل لكنه موافق له في المعنى المقصود.

قال الكاشفي: [موسى در درخت نكاه كرد آتشي سفيد بي دود يديد وبدل فرونكريست شعلهٔ شوق لقاي حضرة معبود مشاهدة نمود از شهود اين در آتش نزديك بودكه شمع وجودش بتمام سوخته كردد:

هست در من آتش روشن نميدانم كه چيست

اين قدر دانم كه همچون شمع مي كاهم دكر

موسى عليه السلام از نداي. ﴿أن يا موسى﴾ سوختهٔ عشق وكداختهٔ شوق شده در بيش درخت بايستاد وآن ندا در مضمون داشت كه. ﴿إني أنا الله رب العالمين﴾.

قال في «كشف الأسرار»: موسى زير آن درخت متلاشى صفات وفإني ذات كشت وهمكي وي سمع شده وندا آمد پس خلعت قربت بوشيد شراب الفت نوشيد صدر وصلت ديد ريحان رحمت بوييد].

أي عـاشـق دلـسـوخـتـه انـدوه مـدار روزي بـمـراد عـاشـقـان كـرددكـار

قال بعضهم: لما وصل موسى إلى الشجرة ذهبت النار وبقي النور ونام موسى عن موسى فنودي من شجرة الذات بأصوات الصفات وصار الجبل من تأثير التجلي والكلام عقيقاً وغشي عليه فأرسل الله إليه الملائكة حتى روحوه بمراوح الأنس وقالوا له: يا موسى تعبت فاسترح يا موسى قد باخت فلا تبرح جئت على قدر يا موسى. يعني: [مقدر بودكه حق سبحانه باتوسخن كند] وكان هذا في ابتداء الأمر والمبتدأ مرفوق به. وفي المرة الأخرى خرّ موسى صعقاً فكان يصعق والملائكة تقول له: يا ابن النساء الحيض مثلك من يسأل الرؤية يا ليت لو تعلم الملائكة أين موسى هناك لم يعيروه فإن موسى كان في أول الحال مريداً طالباً وفي الآخر مراداً مطلوباً طلبه الحق واصطفاه لنفسه قيل: شتان بين شجرة موسى وبين شجرة آدم عندها طهرت محنة وفتنة وعند شجرة موسى افتتحت نبوة ورسالة يا صاحبي لو يعلم قائل هذا القول حقيقة شجرة آدم لم يقل مثل هذا في حق آدم فإن شجرة آدم إشارة إلى شجرة الربوبية ولذا قال: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥] فإن آدم إذ كان متصفاً بصفات الحق أراد العيشة بحقيقتها فنهاه الحق عنها وقال: هذا شيء لم يكن لك فإن حقيقة الأزلية ممتنعة من الاتحاد بالمحدثية هكذا قال: ولكن أظهر أزليته من الشجرة وسكر آدم ولم يصبر عن تناولها فأكل منها حبة الربوبية فكبر حاله في الحضرة ولم يطق في الجنة حملها فأهبط منها إلى معدن العشاق ومقر المشتاق فشجرة آدم شجرة الأسرار وشجرة موسى شجرة الأنوار فالأنوار للأبرار والأسرار للأخيار.

قال بعض الكبار: إذا جاز ظهور التجلي من الشجرة وكذا الكلام من غير كيف ولا جهة فأولى أن يجوز ذلك من الشجرة الإنسانية ولذا قسموا التوحيد إلى ثلاث مراتب. مرتبة لا إله إلا هو. ومرتبة لا إله إلا أنت. ومرتبة لا إله إلا أنا والمتكلم في الحقيقة هو الحق تعالى بكلام قديم أزلي فإن شئت الذوق فارجع إلى الوجدان إن كنت من أهله وإلا فعليك بالإيمان فإن الكلام إما مع الوجدان أو مع أهل الإيمان فسلام على المصطفين الأخيار والمؤمنين الأبرار اللهم أرنا

الأشياء كما هي وإنما الكون خيال وهو الحق في الحقيقة فلا موجود إلا هو كما لا مشهود إلا هو فاعرف يا مسكين تغنم. قال الشيخ سعدي عن لسان العاشق:

مرا باوجود توهستي نماند بياد توام خود پرستي نماند
كرم جرم بيني مكن عيب من توبي سربسر آورده از جيب من

وقال:

سمندرنهٔ كرد آتش مكرد كه مردانكي بايد آنكه نبرد

وهو إشارة إلى من ليس حاله كحال موسى نسأل الله الوقوع في نار العشق والوصول إلى سر الفناء الكلي.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿وأن ألق عصاك﴾ عطف على أن يا موسى وكلاهما مفسر لنودي أي ونودي أن ألق واطرح من يدك عصاك فألقاها فصارت حية فاهتزت. ﴿فلما رآها تهتز﴾ أي تتحرك تحركاً شديداً ﴿كأنها جان﴾ في سرعة الحركة أو في الهيئة والجثة فإنها إنما كانت ثعباناً عند فرعون والجان حية كحلاء العين لا تؤذي كثيرة في الدور. ﴿ولى مدبراً﴾ أعرض حال كونه منهزماً من الخوف ﴿ولم يعقب﴾ أي لم يرجع.

قال الخليل: عقب أي رجع على عقبه وهو مؤخر القدم فنودي ﴿يا موسى أقبل﴾ [پيش آي] ﴿ولا تخف﴾ [ومترس ازين مار] ﴿إنك من الآمنين﴾ من المخاوف فإنه لا يخاف لدي المرسلون كما سبق في النمل.

فإن قلت: ما الفائدة في إلقائها؟.

قلت: أن يألفها ولا يخافها عند فرعون إذا ناظره بقلب العصا وغيره من المعجزات كما في «الأسئلة المقحمة».

وفيه إشارة إلى إلقاء كل متوكأ غير الله فمن اتكأ على الله أمن ومن اتكأ على غيره وقع في الخوف.

قال في «كشف الأسرار»: [جاي ديكر كفت خذها ولا تخف يا موسى عصا مي دار ومهر عصا دردل مدار وآنرا پناه خود مكير از روى أشارت بدنيا دار ميكويد دنيا ميدار ومهر دنيا در دل مدار وآنرا پناه خود مساز] «حب الدنيا رأس كل خطيئة» ويقال: شتان بين نبينا ﷺ وبين موسى عليه السلام رجع من سماع الخطاب وأتى بثعبان سلطه على عدوه ونبينا عليه السلام أسرى به إلى محل الدنو فأوحى إليه ما أوحى ورجع أتى لأمته بالصلاة التي هي المناجاة فقيل له: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فقال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿اسلك يدك في جيبك﴾ أدخلها في مدرعتك وهي ثوب من صوف يلبس بدل القميص ولا يكون له كم بل ينتهي كمه عند المرفقين. وبالفارسية: [در آردست خودرادر كريبان جامهٔ

خود] ﴿تخرج بيضاء﴾ أي: حال كونها مشرقة مضيئة لها شعاع كشعاع الشمس. ﴿من غير سوء﴾ عيب كالبصر. يعني: [سفيدىء أو مكروه منفر نباشد چون بياض برص]. ﴿واضمم إليك جناحك﴾ جناح الإنسان عضده ويقال: اليد كلها جناح أي يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بإدخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس أو بإدخالهما في الجيب فيكون تكريراً لاسلك يدك لغرض آخر وهو أن يكون ذلك في وجه العدو إظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز أن يكون المراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فإنه إذا خاف نشر جناحيه وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه فعلى هذا يكون تتميماً لمعنى أنك من الآمنين لا تكريراً لاسلك يدك. ﴿من الرهب﴾ الرهب مخافة مع تحزن واضطراب أي من أجل الرهب أي إذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلداً أو ضبطاً لنفسك. ﴿فذانك﴾ إشارة إلى العصا واليد ﴿برهانان﴾ حجتان نيرتان ومعجزتان باهرتان وبرهان فعلان من قولهم: أبره الرجل إذا جاء بالبرهان أو من قولهم: بره الرجل إذا ابيض ويقال: برهاء وبرهة للمرأة البيضاء ونظيره تسمية الحجة سلطاناً من السليط وهو الزيت لإنارتها وقيل: هو فعلال لقولهم: برهن. ﴿من ربك﴾ صفة لبرهانان أي كائنان منه تعالى وأصلان. ﴿إلى فرعون وملئه﴾ ومنتهيان إليهم. ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ خارجين عن حدود الظلم والعدوان فكانوا أحقاء بأن نرسلك إليهم بهاتين المعجزتين.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿قال﴾ موسى ﴿رب﴾ [أي پروردكار من] ﴿إني قتلت منهم﴾ أي: من القوم وهم القبط ﴿نفساً﴾ وهو فاتون خباز فرعون. ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ بمقابلتها.

﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾ أطلق لساناً بالبيان وكان في لسان موسى عقدة من قبل الجمرة التي تناولها وأدخلها فاه تمنعه عن إعطاء البيان حقه ولذلك قال فرعون: ولا يكاد يبين.

قال بعض العارفين: مقام الفصاحة هو مقام الصحو والتمكين الذي يقدر صاحبه أن يخبر عن الحق وأسراره بعبارة لا تكون ثقيلة في موازين العلم وهذا حال نبينا ﷺ حيث قال: «أنا أفصح العرب»: «وبعثت بجوامع الكلم» وهذه قدرة قادرية اتصف بها العارف المتمكن الذي بلغ مشاهدة الخاص ومخاطبة الخواص وكان موسى عليه السلام في محل السكر في ذلك الوقت ولم يطق أن يعبر عن حاله كما كان لأن كلامه لو خرج على وزان حاله يكون على نعوت الشطح عظيماً في آذان الخلق وكلام السكران ربما يفتتن به الخلق ولذلك سأل مقام الصحو والتمكين بقوله: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه: ٢٧-٢٨] لأن كلامه من بحر المكافحة في المواجهة الخاصة التي كان مخصوصاً بها دونه بخلاف هارون إذ لم يكن كليماً فحاله مع الناس أسهل من حال موسى ﴿فأرسله﴾ إلى فرعون وقومه ﴿معي﴾ حال كونه ﴿ردءاً﴾ أي معيناً وهو في أصل اسم ما يعان به كالدفء واستعمل هنا صفة بدليل كونه حالاً ﴿يصدقني﴾ بالرفع صفة ردءاً أي مصدقاً لي بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتوضيحها وتزييف الشبهة وإبطالها لا بأن يقول له: صدقت أو للجماعة صدقوه يؤيد ذلك قوله: ﴿هو أفصح مني

لساناً﴾ لأن ذلك يقدر عليه الفصيح وغيره كما في «فتح الرحمن» ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾ أي يردوا كلامي ولا يقبلوا مني دعوتي ولساني لا يطاوعني عند المحاجة.

وفيه إشارة إلى أن من خاصية نمرود وفرعون النفس تكذيب الناطق بالحق ومن خصوصية هارون العقل تصديق الناطق بالحق.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿قال﴾ الله تعالى ﴿سنشد عضدك بأخيك﴾ العضد ما بين المرفق والكتف: وبالفارسية [بتازو] أي سنقويك به لأن الإنساني يقوى بأخيه كقوة اليد بعضدها. وبالفارسية [زود باشدكه سخت كنم بازوي ترا يعني بيزايم نيروي ترابرادرتو] وكان هارون يومئذ بمصر ﴿ونجعل لكما سلطاناً﴾ أي تسلطاً وغلبة.

قال جعفر: هيبة في قلوب الأعداء ومحبة في قلوب الأولياء.

وقال ابن عطاء: سياسية الخلافة مع أخلاق النبوة ﴿فلا يصلون إليكما﴾ باستيلاء أو محاجة ﴿بآياتنا﴾ متعلق بمحذوف صرح به في مواضع أخرى أي اذهب بآياتنا أو بنجعل أي نسلطكما بآياتنا وهي المعجزات أو بمعنى لا يصلون أي تمتنعان منهم بآياتنا فلا يصلون إليكما بقتل ولا سوء كما في «فتح الرحمن»: ﴿أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ أي لكما ولأتباعكما الغلبة على فرعون وقومه [زيراكه رايات آيات ما عالي است وامداد أعانت مراوليارا] متواتر ومتوالي والله الغالب والمتعالي.

قال في «كشف الأسرار»: [چون اين مناجات تمام شد رب العالمين اورا بازكردانيد. خلافست ميان علما كه موسى آنكه پيش عيال بازشدياهم از آنجا بمصر رفت سوى فرعون. قومي كفتندهم از آنجا سوى مصر شد وأهل وعيال را دران بيابان بكذاشت سي روز دران بيابان ميان مدين ومصر بماندندتنها دختر شعيب بود وفرزند موسى وآن كوسفندان آخر بعد از سي روز شباني بايشان بكذشت دختر شعيب را ديد وأورا بشناخت دل تنك واندوهكين نشسته ومي كريد آن شبان إيشانرا درپيش كاد وبامدين برد پيش شعيب. وقومي كفتند موسى چون از مناجات فارغ شد همان شب بنزديك أهل وعيال باز رفت عيال وي أورا كفت آتش آوردي موسى أورا كفت من بطلب آتش شدم نور آوردم وپيغمبر وكرامت خداوند جل جلاله آنكه برخاستند وروى بمصر نهادند چون بدر شهر مصر رسيدند وقت شبانكاه بود برادر وخواهر أما پدرش رفته بود ازدنيا موسى بدر سراي رسيد نماز شام بود وإيشان طعام درپيش نهاده بودند وميخوردند موسى آواز دادكه من يكي غريبم مرا امشب سپنج دهيد بقربت اندر ما دركفت مر هارونراكه اين غريب را سپنج بايدداد تامكر كسي بغربت اندر پسررا سپنج دهد موسى را بخانه اندر آوردند وطعام پيش وي نهادند واورا نمي شناختند چون موسى فراسخن آمد مادر أورا بشناخت واورا دركنار كرفت وبسيار بكريست پس موسى كفت مر هارونراكه خداي عز وجل مارا پيغمبري داد وهر دورا فرمود كه پيش فرعون رويم واورا بالله جل جلاله دعوت كنيم هارون كفت سمعاً وطاعة لله عز وجل مادر كفت من ترسم كه اوشمارا هردو بكشدكه أو جباري طاغيست إيشان كفتند الله تعالى مارا فرموده وأومارا خود نكه دارد وايمن كردد پست

موسى وهارون ديكر روز رفتند بدر سراي فرعون كرو هي كويند همان ساعت باز رفتند وپيغام كذاردند وكروهي كفتند تايكسال بازنيافتند] يعني لم يأذن لهما فرعون بالدخول سنة وفيه إن صح لطف لهما حيث يتقويان في تلك المدة بما ورد عليهما من جنود إمداد الله تعالى فتسهل الدعوة حينئذ وأياً ما كان فالدعوة حاصلة كما قال تعالى:

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُواْ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿فلما جاءهم موسى﴾ حال كونه ملتبساً ﴿بآياتنا﴾ حال كونها ﴿بينات﴾ واضحات الدلالة على صحة رسالته منه تعالى والمراد المعجزات حاضرة كانت كالعصا واليد أو مترقبة كغيرها من الآيات التسع فإن زمان المجيء وقت ممتد يسع الجميع ﴿قالوا ما هذا﴾ أي الذي جئت به يا موسى ﴿إلا سحر مفترى﴾ أي سحر مختلق لم يفعل قبل هذا مثله وذلك لأن النفس خلقت من أسفل عالم الملكوت متنكسة والقلب خلق من وسط عالم الملكوت متوجهاً إلى الحضرة فما كذب الفؤاد ما رأى وما صدقت النفس ما رأت فيرى القلب إذا كان سليماً من الأمراض والعلل الحق حقاً والباطل باطلاً والنفس ترى الحق باطلاً والباطل حقاً ولهذا كان من دعائه عليه السلام: «اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه» وكان عليه السلام مقصوده في ذلك سلامة القلب من الأمراض والعلل وهلاك النفس وقمع هواها وكسر سلطانها كذا في «التأويلات النجمية» ﴿وما سمعنا بهذا﴾ السحر ﴿في آبائنا الأولين﴾ واقعاً في أيامهم.

﴿وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ يريد به نفسه: يعني [أو مرا فرستاده وميداندكه من محقهم وشما مبطليد] ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ أي عاقبة دار الدنيا وهي الجنة لأنها خلقت ممراً إلى الآخرة ومزرعة لها والمقصود منها بالذات هو الثواب وأما العقاب فمن نتائج أعمال العصاة وسيئاتهم فالعاقبة المطلقة الأصلية للدنيا هي العاقبة المحمودة دون المذمومة. ﴿إنه﴾ أي: الشان ﴿لا يفلح الظالمون﴾ لأنفسهم بإهلاكها في الكفر والتكذيب أي: لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون من محذور ومن المحذور العذاب الدنيوي ففيه إشارة إلى نجاة المؤمن وهلاك الكافر وإلى أن الواجب على كل نفس السعي في نجاتها ولو هلك غيرها لا يضرها.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿وقال فرعون﴾ حين جمع السحرة وتصدى للمعارضة. ﴿يا أيها الملأ﴾ [أي كروه بزركان] ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ قيل: كان بين هذه الكلمة وبين قوله: أنا ربكم الأعلى أربعون سنة أي ليس لكم إله غيري في الأرض [وموسى ميكويد خداي ديكر هست كه آفريدكار آسمانهاست] كما قال: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٦] ﴿فأوقد لي﴾ الإيقاد [آتش افروختن] ﴿يا هامان﴾ هو وزير فرعون. ﴿على الطين﴾ هو التراب والماء المختلط أي اصنع لي آجراً: وبالفارسية: [پس برافروز آتشي ازبراي من أي هامان بركل تايخنه شود ودربنا أو استحكامي

بود] وأول من اتخذ الآجرّ فرعون ولذلك أمر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة حيث لم يقل اطبخ لي الآجر. ﴿فاجعل لي﴾ منه ﴿صرحاً﴾ قصراً رفيعاً مشرفاً كالميل والمنارة. وبالفارسية [كوشكي بلندكه مرورا پايها باشد چون نردبان تابر سطح آن روم]. ﴿لعلي أطلع إلى إله موسى﴾ أنظر إليه وأقف عليه. يعني: [شايدكه برو مطلع كردم وبينم كه چنان هست كه موسى كويد] ﴿وإني لأظنه﴾ أي موسى ﴿من الكاذبين﴾ في ادعائه أن له إلهاً غيري وأنه رسوله قاله تلبيساً وتمويهاً على قومه لا تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤].

قال في «الأسئلة المقحمة»: ولا يظن بأن فرعون كان شاكاً في عدم استحقاقه لدعوى الإلهية في نفسه إذ كان يعلم حال نفسه من كونها أهل الحاجات ومحل الآفات ولكن كان معانداً في دعواه مجاحداً من غير اعتقاد له في نفسه بالإلهية.

وقال الكاشفي: [فرعون تصور كرده بودكه حق سبحانه وتعالى جسم وجسمانيست برآسمان مكاني دارد وترقى بسوى وي ممكن است وبدين معنى دانا نشده بود].

كه مكان آفرين مكان چه كند آسمان كر بر آسمان چه كند
نه مكان ره برد برو نه زمان نه بيان زوخبر دهد نه عيان

صاحب كشاف: [آورده كه هامان ملعون نچاه هزار استاد جمع كرد وراي مزدوران آن بطبخ آجر وبختن كج واهك وتراشيدن چون ورفع بنا امرنمود] واشتد ذلك على موسى وهارون لأن بني إسرائيل كانوا معذبين في بنائه.

قال أبو الليث: كان ملاط القصر خبث القوارير وكان الرجل لا يستطيع القيام عليه من طوله مخافة أن ينسفه الريح وكان طوله خمسة آلاف ذراع وعرضه ثلاثة آلاف ذراع [وآن بنايي شد رفيع ومحكم كه هيچكس پيش ازان بدان طريق صرحى نساخته بود ودرهمه دنيا مانند آن هركز كس نديد ونشنيد]:

چنان بلند بنايي كه عقل نتوانست كمند فكر فكندن بكوشهٔ بامش

وكتب بهلول على حائط من حيطان قصر عظيم بناه الخليفة هارون الرشيد: يا هارون رفعت الطين ووضعت الدين رفعت الجص ووضعت النص إن كان من مالك فقد أسرفت إن الله لا يحب المسرفين وإن كان من مال غيرك فقد ظلمت إن الله لا يحب الظالمين.

ودر زاده المسير [فرموده چون بنا باتمام رسيد فرعون لعين ببالا بر آمد وخيال أو آن بودكه بفلك نزديك رسيده باشد چون درنكريست آسمانرا از بالاي صرح چنان ديدكه در روى زمين ميديد منفعل كشته تير اندازيرا بكفت تابرهوا تير انداخت وآن تيرباز آمد خون آلود فرعون كفت قد قتلت إله موسى بكشتم نعوذ بالله خداي موسى را حق سبحانه وتعالى جبرائيل را فرستاد تاپرخويش بدان صرح زد سه پاره ساخت يك قطعه بلشكر كاه فرعون فرود آمد وهزاران هزار قبطي كشته شدند وقطعهٔ ديكر دردريا افتاد وديكر بجانب مغرب وهيچكس زاستادان ومزدوران زنده نماندند].

وفي «فتح الرحمن»: ولم يبق أحد ممن عمل فيه إلا هلك ممن كان على دين فرعون انتهى. وفرعون [باوجود اين حال متنبه نكشت وغروراو زيادت كشت].

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿واستكبر هو وجنوده﴾ تعظموا عن الإيمان ولم ينقادوا للحق والاستكبار إظهار الكبر باطلاً بخلاف التكبر فإنه أعم والكبر ظن الإنسان أنه أكبر من غيره ﴿في الأرض﴾ أي أرض مصر وما يليها ﴿بغير الحق﴾ بغير استحقاق ﴿وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾ لا يردون بالبعث للجزاء من رجع رجعاً أي رد وصرف.

﴿فأخذناه وجنوده﴾ عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو أقصى الغايات ﴿فنبذناهم﴾ طرحناهم.

قال الراغب: النبذ إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به ﴿في اليم﴾ بحر القلزم أي عاقبناهم بالإغراق وفيه تعظيم شأن الآخذ وتحقير شأن المأخوذ حيث أنهم مع كثرتهم كحصيات تؤخذ بالكف وتطرح في البحر ﴿فانظر﴾ يا محمد بعين قلبك ﴿كيف كان عاقبة الظالمين﴾ وحذر قومك من مثلها.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿وجعلناهم﴾ أي صيرنا فرعون وقومه في عهدهم ﴿أئمة يدعون إلى النار﴾ أي ما يؤدي إليها من الكفر والمعاصي أي قدوة يقتدي بهم أهل الضلال فيكون عليهم وزرهم ووزر من تبعهم ﴿ويوم القيامة لا ينصرون﴾ بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه.

﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ طرداً وإبعاداً من الرحمة أو لعناً من اللاعنين لا تزال تلعنهم الملائكة والمؤمنون خلفاً عن سلف. وبالفارسية [وبر پي ايشان پيوستيم درين جهان لعنت ونفرين] ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ يوم متعلق بالمقبوحين على أن اللام للتعريف لا بمعنى الذي أي من المطرودين المبعدين يقال: قبح الله فلاناً قبحاً وقبحوحاً أي أبعده من كل خير فهو مقبوح كما في «القاموس» وغيره.

قال في «تاج المصادر»: القبح والقابحة والقباحة [زشت شدن] انتهى وعليه بنى الراغب حيث قال في «المفردات»: من المقبوحين أي من الموسومين بحالة منكرة كسواد الوجوه وزرقة العيون وسحبهم بالأغلال والسلاسل وغيرها انتهى باختصار.

قال في «الوسيط»: فيكون بمعنى المقبحين انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: لأن قبحهم معاملاتهم القبيحة كما أن حسن وجوه المحسنين معاملاتهم الحسنة هل جزاء الإحسان إلا الإحسان وجزاء سيئة سيئة مثلها انتهى.

ودلت الآية على أن الاستكبار من قبائحهم المؤدية إلى هذه القباحة والطرد قال عليه السلام: حكاية عن الله تعالى: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار» وصف الحق سبحانه نفسه بالرداء والإزار دون القميص والسراويل لكونهما غير محيطين فبعداً عن التركيب الذي هو من أوصاف الجسمانيات.

واعلم أن الكبر يتولد من الإعجاب والإعجاب من الجهل بحقيقة المحاسن والجهل رأس الانسلاخ من الإنسانية ومن الكبر الامتناع من قبول الحق ولذا عظم الله أمره فقال: ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ

عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحقاف: ٢٠] وأقبح كبر بين الناس ما كان معه بخل ولذلك قال عليه السلام: «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل والكبر» ومن تكبر لرياسة نالها دل على دناءة عنصره ومن تفكر في تركيب ذاته فعرف مبدأه ومنتهاه وأوسطه عرف نقصه ورفض كبره ومن كان تكبره لفنية فليعلم أن ذلك ظل زائل وعارية مستردة وإنما قال: بغير الحق إشارة إلى أن التكبر ربما يكون محموداً وهو التكبر والتبختر بين الصفين ولذا نظر رسول الله عليه السلام إلى أبي دجانة يتبختر بين الصفين فقال: «إن هذه مشية يبغضها الله إلا في هذا المكان» وكذا التكبر على الأغنياء فإنه في الحقيقة عز النفس وهو غير مذموم قال عليه السلام: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه» فعلى العاقل أن يعز نفسه بقبول الحق والتواضع لأهله ويرفع قدره بالانقياد لما وضعه الله تعالى من الأحكام ويكون من المنصورين في الدنيا والآخرة ومن الذين يثني عليهم بالثناء الحسن لحسن معاملاتهم الباطنة والظاهرة نسأل الله ذلك من نعمة المتوافرة. قال الشيخ سعدي قدس سره:

بزركان نكردند درخود نكاه ... خدا بيني ازخويشتن بين مخواه
بزركي بناموس وكفتار نيست ... بلندي بدعوى وپندار نيست
بلنديت بايد تواضع كزين ... كه آن بام را نيست سلم جزاين
برين آستان عجز ومسكينيت ... به از طاعات وخويشتن بينيت

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ أي التوراة **﴿من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾** جمع قرن وهو القوم المقترنون في زمان واحد أي من بعد ما أهلكنا في الدنيا بالعذاب أقوام نوح وهود وصالح ولوط أي على حين حاجة إليها.

قال الراغب: الهلاك بمعنى الموت لم يذكره الله حيث يفقد الذم إلا في قوله: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ﴾ [النساء: ١٧٦] وقوله: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ [غافر: ٣٤] **﴿بصائر للناس﴾** حال من الكتاب على أنه نفس البصائر وكذا ما بعده. والبصائر جمع بصيرة وهي نور القلب الذي به يستبصر كما أن البصر نور العين الذي به تبصر. والمعنى حال كون ذلك الكتاب أنوار القلوب بني إسرائيل تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عمياء عن الفهم والإدراك بالكلية **﴿وهدى﴾** أي هداية إلى الشرائع والأحكام التي هي سبيل الله.

قال في «إنسان العيون»: التوراة أول كتاب اشتمل على الأحكام والشرائع بخلاف ما قبله من الكتب فإنها لم تشتمل على ذلك وإنما كانت مشتملة على الإيمان بالله وحده وتوحيده ومن ثمة قيل لها صحف وإطلاق الكتب عليها مجاز **﴿ورحمة﴾** حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى **﴿لعلهم يتذكرون﴾** ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر بما فيه من المواعظ. وبالفارسية [شايدكه إيشان پند پذيرند] وفي الحديث: «ما أهلك الله قرناً ولا أمة ولا أهل قرية بعذاب من السماء منذ أنزل التوراة على وجه الأرض غير أهل القرية الذين مسخوا قردة» ألم تر أن الله تعالى قال **﴿ولقد آتينا﴾** الآية.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وما كنت﴾ يا محمد ﴿بجانب الغربي﴾ أي: جانب الجبل أو المكان الغربي الذي وقع فيه الميقات وناجى موسى ربه على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه أو الجانب الغربي على إضافة الموصوف كمسجد الجامع وعلى كلا التقديرين فجبل الطور غربي. ﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾ أي: عهدنا إليه وأحكمنا أمر نبوته بالوحي وإيتاء التوراة. ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ أي: من جملة الشاهدين للوحي وهم السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى من أمر موسى في ميقاته وكتب التوراة له في الألواح فتخبره للناس والمراد الدلالة على أن إخباره عن ذلك من قبل الإخبار عن المغيبات التي لا تعرف إلا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله:

﴿ولكنا أنشأنا قروناً﴾ خلقنا بين زمانك وزمان موسى قروناً كثيرة. وبالفارسية [وليكن بيافريديم پس از موسى كروهي بعد از كروهي]. ﴿فتطاول عليهم العمر﴾ تطاول بمعنى طال. وبالفارسية [دراز شد] والعمر بالفتح والضم وبضمتين الحياة.

قال الراغب: اسم لمدة عمارة البدن بالحياة أي طال عليهم الحياة وتمادى الأمد والمهلة فتغيرت الشرائع والأحكام وعميت عليهم الأنبياء لا سيما على آخرهم فاقتضى الحال التشريع الجديد فأوحينا إليك فحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجبه. ﴿وما كنت ثاوياً في أهل مدين﴾ نفي لاحتمال كون معرفته للقصة بالسماع ممن شاهد. والثواء هو الإقامة والاستقرار أي وما كنت مقيماً في أهل مدين إقامة موسى وشعيب حال كونك. ﴿تتلو عليهم﴾ أي: تقرأ على أهل مدين بطريق التعلم منهم [چنانچه شاكردان براستاذان خوانند] وهو حال من المستكن في ثاوياً أو خبر ثانٍ لكنت. ﴿آياتنا﴾ الناطقة بالقصة ﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ إياك وموحين إليك تلك الآيات ونظائرها.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا﴾ أي: وقت ندائنا موسى إني أنا الله رب العالمين واستنبائنا إياه وأرسلنا له إلى فرعون والمراد جانب الطور الأيمن كما قال: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢] ولم يذكر هنا احترازاً عن إيهام الذم فإنه عليه السلام لم يزل بالجانب الأيمن من الأزل إلى الأبد ففيه إكرام له وأدب في العبارة معه. ﴿ولكن رحمة من ربك﴾ أي: ولكن أرسلناك بالقرآن الناطق بما ذكر رحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس. ﴿لتنذر قوماً﴾ متعلق بالفعل المعلل بالرحمة ﴿ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ صفة قوماً أي لم يأتهم نذير لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين إسماعيل على أن دعوة موسى وعيسى مختصة ببني إسرائيل. ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون بإنذارك وتغيير الترتيب الوقوعي بين قضاء الأمر والثواء في أهل مدين والنداء للتنبيه على أن كلاً من ذلك برهان مستقل على أن حكايته عليه السلام للقصة بطريق الوحي الإلهي ولو ذكر أولاً نفي ثوائه عليه السلام

في أهل مدين ثم نفى حضوره عليه السلام عند قضاء الأمر كما هو الموافق للترتيب الوقوعي لربما توهم أن الكل دليل واحد كما في «الإرشاد» ثم من التذكير تجديد العهد الأزلي وذلك بكلمة الشهادة وهي سبب النجاة في الدارين.

وفي الحديث: «كتب الله كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورقة آس ثم وضعها على العرش ثم نادى: يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني من لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدي ورسولي أدخلته الجنة وقد أخذ الله الميثاق من موسى أن يؤمن بأني رسول الله في غيبتي» وفي الحديث: «إن موسى كان يمشي ذات يوم بالطريق فناداه الجبار: يا موسى فالتفت يميناً وشمالاً ولم ير أحداً ثم نودي الثانية يا موسى فالتفت يميناً وشمالاً ولم ير أحداً فارتعدت فرائصه ثم نودي الثالثة: يا موسى بن عمران إني أنا الله لا إله إلا أنا فقال: لبيك فخر لله ساجداً فقال: ارفع رأسك يا موسى بن عمران فرفع رأسه فقال: يا موسى إن أحببت أن تسكن في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي فكن لليتيم كالأب الرحيم وكن للأرملة كالزوج العطوف يا موسى ارحم ترحم يا موسى كما تدين تدان يا موسى إنه من لقيني وهو جاحد بمحمد أدخلته النار ولو كان إبراهيم خليلي وموسى كليمي فقال: إلهي ومن محمد؟ قال: يا موسى وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منه كتبت اسمه مع اسمي في العرش قبل أن أخلق السموات والأرض والشمس والقمر بألفي سنة وعزتي وجلالي إن الجنة محرمة على الناس حتى يدخلها محمد وأمته قال موسى: ومن أمة محمد؟ قال: أمته الحمادون يحمدون صعوداً وهبوطاً وعلى كل حال يشدون أوساطهم ويطهرون أبدانهم صائمون بالنهار ورهبان بالليل أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة لا إله إلا الله قال: إلهي اجعلني نبي تلك الأمة قال نبيها منها قال: اجعلني من أمة ذلك النبي قال: استقدمت واستأخروا يا موسى ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال».

وعن وهب بن منبه قال: لما قرب الله موسى نجياً قال: رب إني أجد في التوراة أمة هي خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم من أمتي قال: يا موسى تلك أمة أحمد قال: يا رب إني أجد في التوراة أنهم يأكلون صدقاتهم وتقبل ذلك منهم ويستجاب دعاؤهم فاجعلهم من أمتي قال: تلك أمة أحمد فاشتاق إلى لقائهم فقال تعالى: إنه ليس اليوم وقت ظهورهم فإن شئت أسمعتك كلامهم قال: بلى يا رب فقال الله تعالى: يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب آبائهم ملبين أي قائلين لبيك اللهم لبيك [موسى سخن ايشان بشنيد آنكه خداي تعالى روا نداشت كه ايشانرا بي تحف بازكرداند كفت] أجبتكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني ورحمتكم قبل أن تسترحموني [زهي رتبت اين أمت عالي همت كه باوجود اختصاص ايشان بحضرت رسالت وقرآن برين وجه يافته ان]

حــق لـــطـــف كـــرده داد بـمـا هـرچـه بـهـتـرسـت

﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾ الضمير لأهل مكة والمصيبة العقوبة.

قال الراغب: أصلها في الرمية ثم اختص بالمعاقبة. والمعنى بالفارسية: [واكرنه آن بودي كه بديشان رسيدي عقوبتىٔ رسنده]. ﴿بما قدمت أيديهم﴾ أي: بما اقترفوا من الكفر والمعاصي وأسند التقديم إلى الأيدي لأنها أقوى ما يزال به الأعمال وأكثر ما يستعان به في الأفعال ﴿فيقولوا﴾ عطف على تصيبهم داخل في حيز لولا الامتناعية على أن مدار امتناع ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وإنما ذكر في حيزها للإيذان بأنه السبب الملجىء لهم إلى قولهم: ﴿ربنا﴾ [أي پروردكارما] ﴿لولا أرسلت إلينا﴾ [چرا نفرستادي بسوي ما] فلولا تحضيضية بمعنى هلا. ﴿رسولاً﴾ مؤيداً من عندك بالآيات ﴿فنتبع آياتك﴾ الظاهرة على يده وهو جواب لولا الثانية ﴿ونكون من المؤمنين﴾ بها وجواب لولا الأولى محذوف ثقة بدلالة الحال عليه. والمعنى لولا قولهم هذا عند إصابة عقوبة جناياتهم التي قدموها ما أرسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققاً لا محيد عنه أرسلناك قطعاً لمعاذيرهم بالكلية وإلزاماً للحجة عليهم.

﴿فلما جاءهم﴾ أي: أهل مكة وكفار العرب. ﴿الحق﴾ أي: القرآن لقوله في سورة الرحمن: ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: ٢٩] ﴿من عندنا﴾ أي: بأمرنا ووحينا كما في «كشف الأسرار».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما جاءهم محمد.

وفيه إشارة إلى أنه عليه السلام إنما بعث بعد وصوله إلى مقام العندية واستحقاقه أن يسميه الله الحق وهو اسمه تعالى وتقدس.

وفيه إشارة إلى كمال فنائه عن أنانيته وبقائه بهوية الحق تعالى وله مسلم أن يقول أنا الحق وإن صدرت هذه الكلمة عن بعض متابعيه فلا غرو أن يكون من كمال صفاء مرآة قلبه في قبول انعكاس أنوار ولاية النبوة إذا كانت محاذية لمرآة قلبه عليه السلام وكان منبع ماء هذه الحقيقة قلب محمد عليه السلام ومظهره لسان هذا القائل بتبعيته لقد كان لكلم في رسول الله أسوة حسنة كذا في «التأويلات النجمية» ﴿قالوا﴾ تعنتاً واقتراحاً قال بعضهم: قاله قريش بتعليم اليهود ﴿لولا﴾ هلا ﴿أوتي﴾ محمد ﴿مثل ما أوتي موسى﴾ من الكتاب جملة لا مفرقاً.

قال بعض الكبار: احتجبوا بكفرهم عن رؤية كماليته عليه السلام وإلا لقالوا لولا أوتي موسى مثل ما أوتي محمد من الكمالات. ﴿أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل﴾ أي: أو لم يكفروا من قبل هذا بما أوتي موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق ثم بين كيفية كفرهم فقال: ﴿قالوا﴾ هما، أي ما أوتي محمد وما أوتي موسى عليهما السلام ﴿سحران تظاهرا﴾ أي تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر وذلك أن قريشاً بعثوا رهطاً منهم إلى رؤساء اليهود في عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه السلام فقالوا: إنا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ذلك ﴿وقالوا إنا بكل﴾ أي: بكل واحد من الكتابين ﴿كافرون﴾ وقال بعضهم: المعنى أو لم يكفر أبناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم القبط بما أوتي موسى من قبل القرآن قالوا: إن موسى وهارون سحران أي ساحران تظاهرا وقالوا: إنا بكل كافرون.

يقول الفقير: إنه وإن صح إسناد الكفر إلى أبناء الجنس من حيث أن ملل الكفر واحدة في الحقيقة فكفر ملة واحدة بشيء في حكم كفر الملل الآخر به كما أسند أفعال الآباء إلى الأبناء من حيث رضاهم بما فعلوا لكن يلزم على هذا أن يخص ما أوتي موسى بما عدا الكتاب

من الخوارق فإن إيتاء الكتاب إنما كان بعد إهلاك القبط على أن مقابلة القرآن بما عدا التوراة مع أن ما أوتي إنما يدل بإطلاقه على الكتاب مما لا وجه له فالمعنى الأول هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم ويدل عليه صريحاً قوله تعالى:

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار الذين يقولون هذا القول. ﴿فائتوا﴾ [پس بياريد] ﴿بكتاب من عند الله هو أهدى﴾ بطريق الحق. وبالفارسية [رياست ترراه نماينده تر]. ﴿منهما﴾ أي مما أوتياه من التوراة والقرآن وسميتموهما بسحرين ﴿أتبعه﴾ جواب للأمر أي إن تأتوا به أتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتي به من يدل وضوح حجته وسنوح محجته لأن الإتيان بما هو أهدى من الكتابين أمر بين الاستحالة فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والإفحام ﴿إن كنتم صادقين﴾ أي: في أنهما سحران مختلقان وفي إيراد كلمة إن مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم.

﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ دعاءك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى ولن يستجيبوا كقوله: فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا وحذف المفعول وهو دعائك للعلم به ولأن فعل الاستجابة يتعدى بنفسه إلى الدعاء وباللام إلى الداعي فإذا عدي إليه حذف الدعاء غالباً. ﴿فاعلم أنما يتبعون أهواءهم﴾ الزائغة من غير أن يكون لهم متمسك أصلاً إذ لو كان لهم ذلك لأتوا به. ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه﴾ استفهام إنكاري بمعنى النفي أي لا أضل منه أي هو أضل من كل ضال. ومعنى أضل بالفارسية: [كراه تر] ﴿بغير هدى من الله﴾ أي بيان وحجة وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله لزيادة التقرير والإشباع في التشنيع والتضليل وإلا فمقارنته لهدايته تعالى بينة الاستحالة.

وقال بعضهم: هوى النفس قد يوافق الحق فلذا قيد الهوى به فيكون في موضع الحال منه ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ لا يرشد إلى دينه الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك في اتباع الهوى والإعراض عن الآيات الهادية إلى الحق المبين.

وههنا إشارات:

منها أن الطريق طريقان طريق القراءة والدراسة والسماع والمطالعة وطريق الرياضة والمجاهدة والتزكية والتحلية وهي أهدى إلى الحضرة الأحدية من الطريق الأولى كما قال تعالى: «من تقرب إليّ شبراً» أي بحسب الانجذاب الروحاني «تقربت إليه ذراعاً» أي بالفيض والفتح والإلهام والكشف فما لا يحصل بطريق الدراسة من الكتب يحصل بطريق السلوك والسماع في طريق الدراسة من المخلوق في طريق الوراثة من الخالق وشتان بين السماعين:

فيضي كه جامي ازدوسه پيمانهٔ كه يافت مشكل كه شيخ شهر بيابد بصد چله

ومنها أنه لو كان للطالب الصادق والمريد الحاذق شيخ يقتدي به وله شأن مع الله ثم استعد لخدمة شيخ كامل هو أهدى إلى الله منه وجب عليه اتباعه والتمسك بذيل إرادته حتى يتم أمره ولو تجدد له في أثناء السلوك هذا الاستعداد لشيخ آخر أكمل من الأول والثاني وهلم جراً يجب عليه اتباعه إلى أن يظفر بالمقصود الحقيقي وهو الوصول إلى الحضرة بلا اتصال ولا انفصال.

ومنها أن أهل الحسبان والعزة يحسبون أنهم لو جاهدوا أنفسهم على ما دلهم بالعقل بغير هدى من الله أي بغير متابعة الأنبياء أنهم يهتدون إلى الله ولا يعلمون أن من يجاهد نفسه في عبودية الله بدلالة العقل دون متابعة الأنبياء هو متابع هواه ولا يتخلص أحد من أسر الهوى بمجرد العقل فلا تكون عبادته مقبولة إذ هي مشوبة بالهوى ولا يهتدي أحد إلى الله بغير هدي من الله كما أن نبينا عليه السلام مع كمال قدره في النبوة والرسالة احتاج في الاهتداء إلى متابعة الأنبياء كما قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠] ولهذا السر بعثت الأنبياء واحتاج المريد للشيخ المهتدي إلى الله بهدي من الله وهو المتابعة.

ومنها أن الظالمين هم الذين وضعوا متابعة الهوى في موضع متابعة الأنبياء وطلبوا الهداية من غير موضعها فأهل الهوى ظالمون.

قال بعضهم: للإنسان مع هواه ثلاث أحوال: الأولى أن يغلبه الهوى فيتملكه كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]. والثانية: أن يغالبه فيقهر هواه مرة ويقهره هواه أخرى وإياه قصد بمدح المجاهدين وعناه النبي عليه السلام بقوله عليه السلام: «جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم» والثالثة: أن يغلب هواه كالأنبياء عليهم السلام وصفوة الأولياء قدس الله أسرارهم وهذا المعنى قصده تعالى بقوله: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠﴾ [النازعات: ٤٠] وقصده النبي عليه السلام بقوله: «ما من أحد إلا وله شيطان وإن الله قد أعانني على شيطاني حتى ملكته» فإن الشيطان يتسلط على الإنسان بحسب وجود الهوى فيه.

وينبغي للعاقل أن يكون من أهل الهدى لا من أهل الهوى وإذا عرض له أمران فلم يدر أيهما أصوب فعليه بما يكرهه لا بما يهواه ففي حمل النفس على ما تكرهه مجاهدة وأكثر الخير في الكراهية والعمل بما أشار إليه العقل السليم واللب الخالص. قال الشيخ سعدي قدس سره:

هوا وهوس را نماند ستيز چون بيند سر نپچهٔ عقل تيز

﴿۞ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥١ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ۝٥٣ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٥٤﴾.

﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ التوصيل مبالغة الوصل وحقيقة الوصل رفع الحائل بين الشيئين أي أكثرنا لقريش القول موصولاً بعضه ببعض بأن أنزلنا عليهم القرآن آية بعد آية وسورة بعد سورة حسبما تقتضيه الحكمة أي ليتصل التذكير ويكون أدعى لهم **﴿لعلهم يتذكرون﴾** فيؤمنون ويطيعون أو تابعنا لهم المواعظ والزواجر وبينا لهم ما أهلكنا من القرون قرناً بعد قرن فأخبرناهم أنا أهلكنا قوم نوح بكذا وقوم هود بكذا وقوم صالح بكذا لعلهم يتعظون فيخافون أن ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى توصيل القول في الظاهر بتفهيم المعنى في الباطن أي فهمناهم معنى القرآن لعلهم يتذكرون عهد الميثاق إذ آمنوا بجواب قولهم: بلى وأقروا بالتوحيد ويجددون الإيمان عند سماع القرآن.

﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ مبتدأ وهم مؤمنو أهل الكتاب **﴿من قبله﴾** أي من قبل إيتاء

القرآن ﴿هم به يؤمنون﴾ أي بالقرآن والجملة خبر المبتدأ ثم بين ما أوجب إيمانهم به بقوله.

﴿وإذا يتلى﴾ أي القرآن ﴿عليهم قالوا آمنا به﴾ أي: بأنه كلام الله تعالى ﴿إنه الحق من ربنا﴾ أي الحق الذي كنا نعرف حقيقته. وبالفارسية [راست ودرست است فرود آمدن بنزديك آفريدكارما] ﴿إنا كنا من قبله﴾ أي: من قبل نزوله ﴿مسلمين﴾ بيان لكون إيمانهم به ليس مما أحدثوه حينئذ وإنما هو أمر متقادم العهد لما شاهدوا ذكره في الكتب المتقدمة وأنهم على دين الإسلام قبل نزول القرآن.

﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من النعوت. ﴿يؤتون أجرهم﴾ ثوابهم في الآخرة. ﴿مرتين﴾ مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن وقد سبق معنى المرة في سورة طه عند قوله تعالى: و ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [طه: ٣٧] ﴿بما صبروا﴾ أي بصبرهم وثباتهم على الإيمانين والعمل بالشريعتين.

وفي «التأويلات النجمية»: على مخالفة هواهم وموافقة أوامر الشرع ونواهيه وفي الحديث: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له جارية فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ثم تزوجها فله أجره مرتين وعبد أدى حق الله وحق مواليه ورجل آمن بالكتاب الأول ثم آمن بالقرآن فله أجره مرتين» كما في «كشف الأسرار» ﴿ويدرؤون بالحسنة السيئة﴾ أي يدفعون بالطاعة المعصية وبالقول الحسن القول القبيح.

وفي «التأويلات النجمية»: أي بأداء الحسنة من الأعمال الصالحة يدفعون ظلمة السيئة وهي مخالفات الشريعة كما قال عليه السلام: «اتبع السيئة الحسنة تمحها» وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] وهذا لعوام المؤمنين ولخواصهم أن يدفعوا بحسنة ذكر لا إله إلا الله عن مرآة القلوب سيئة صدأ حب الدنيا وشهواتها ولأخص خواصهم أن يدفعوا بحسنة نفي لا إله سيئة شرك وجود الموجودات بقطع تعلق القلب عنها وغض بصر البصيرة عن رؤية ما سوى الله بإثبات وجود إلا الله كما كان الله ولم يكن معه شيء ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ في سبيل الخير وفيه إشارة إلى إنفاق الوجود المجازي في طلب الوجود الحقيقي.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وإذا سمعوا اللغو﴾ من اللاغين وهو الساقط من الكلام. وبالفارسية [سخن بيهوده]. ﴿أعرضوا عنه﴾ أي: عن اللغو وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل الكتاب ويقولون: تباً لكم تركتم دينكم القديم فيعرضون عنهم ولا يشتغلون بالمقابلة ﴿وقالوا﴾ للاغين ﴿لنا أعمالنا﴾ من الحلم والصفح ونحوهما ﴿ولكم أعمالكم﴾ من اللغو والسفاهة وغيرهما فكل مطالب بعمله ﴿سلام عليكم﴾ هذا السلام ليس بتسليم مواصل وتحية موافق بل هو براءة وسلام مودع مفارق. يعني [ترك شما كرديم] ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾ الابتغاء الطلب والجهل معرفة الشيء على خلاف ما هو عليه أي لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم ومخاطبتهم والتخلق بأخلاقهم [چه مصاحبت بااشرار موجب بدنامي دنيا است وسبب بد فرجامي عقبى است]:

از بدان بكريز وبانيكان نشين يا ربد زهري بود بي انكبين

وحكم الآية وإن كان منسوخاً بآية السيف إلا أن فيه حثاً على مكارم الأخلاق وفي

الحديث: «ثلاث من لم يكن فيه فلا يعتد بعلمه حلم يرد به جهل جاهل وورع يحجز عن معاصي الله وحسن خلق يعيش به في الناس».

قال الشيخ سعدي: [جالينوس ابلهي را ديدكه دست بكريبان دانشمندي زده وبي حرمتي كرده كفت اكراين دانشمند دانا بودي كاراوبناداان بدين جايكه نرسيدي]:

دو عاقل را نباشد كين وپيكار نه دانايي ستيزد باسبكار
اكر نادان بوحشت سخت كويد خردمندش برحمت دل بجويد
دو صاحب دل نكه دارند مويي هميدون سركشي وازرم جويي
اكر برهر دو جانب جاهلانند اكر زنجير باشد بكسلانند
يكي را زشت خويي داد دشنام تحمل كردو كفت أي نيك فرجام
بترزانم كه خواهي كفتن آني كه دانم عيب من چون من نداني

[يكي برسرراهي مست خفته بود وزمام اختيار ازدست رفته عابدي بر سر أو كذر كرد ودر حالت مستقبح أو نظر جوان مست سربر آورد وكفت] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]:

إذا رأيت أثيماً كن ساتراً وحليما
يا من يقبح لغوي لم لا تمر كريما
متاب أي پارسا روي از كنهكار ببخشايندكي دروي نظركن
أكر من ناجوانمردم بكردار توبر من چون جوانمردان كذركن

واعلم أن اللغو عند أرباب الحقيقة ما يشغلك عن العبادة وذكر الحق وكل كلام بغير خطاب الحال والواقعة وطلب ما سوى الله. ﴿وإذا سمعوا﴾ مثل هذا ﴿اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا﴾ في بذل الوجود المجازي لنيل الوجود الحقيقي ﴿ولكم أعمالكم﴾ في اكتساب مرادات الوجود المجازي واستجلاب مضرات الشهوات وترك الوجود الحقيقي والحرمان من سعادة الانتفاع بمنافعه ﴿سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ الغافلين عن الله وطلب المحجوبين عن الله بما سواه فعلم من هذا أن طالب ما سوى الله تعالى جاهل عن الحقيقية ولو كان عارفاً بمحاسنها لكان طالباً لها لا لغيرها فينبغي لطالبها من السلاك أن لا يبتغي صحبة الجهلاء فإنه ليس بينهم وبينه مجانسة والمعاشرة بالأضداد أضيق السجون مع أنه لا يأمن الضعيف أن تؤثر فيه صحبتهم ويتحول حاله ويتغير طبعه ويتوجه عليه المكر وينقلب من الإقبال إلى الإدبار فيكون من المرتدين نعوذ بالله من الحور بعد الكور ونسأله الثبات والتوفيق والموت في طريق التحقيق.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿إنك﴾ يا محمد ﴿لا تهدي﴾ هداية موصلة إلى المقصود لا محالة. ﴿من أحببت﴾ من الناس ولا تقدر أن تدخله في الإسلام وإن بذلت فيه غاية الطاقة وسعيت كل السعي. ﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ فيدخله في الإسلام ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ بالمستعدين للهداية فلا يهدي إلا المستعد لها.

هدايت هركرا داد از بدايت بدو همراه باشد تانهايت

والجمهور على أن الآية نزلت في أبي طالب بن عبد المطلب عم رسول الله عليه السلام فيكون هو المراد بمن أحببت. روي: أنه لما احتضر جاءه رسول الله وكان حريصاً على إيمانه وقال: «أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله» قال: يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق ولكن أكره أن يقال: خرع عند الموت وهو بالخاء المعجمة والراء المهملة كعلم بمعنى ضعف وجبن ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة بعدي أي ذلة ومنقصة لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف أموت على ملة أشياخي عبد المطلب وهاشم وعبد مناف. روي: أن أبا طالب لما أبى عن كلمة التوحيد قال له النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣].

وقد جاء في بعض الروايات أن النبي ﷺ لما عاد من حجة الوداع أحيا الله له أبويه وعمه فآمنوا به كما سبق في سورة التوبة.

وفي «التأويلات النجمية»: الهداية في الحقيقة فتح باب العبودية إلى عالم الربوبية وذلك من خصائص قدرة الحق سبحانه لأن لقلب العبد بابين باب إلى النفس والجسد وهو مفتوح أبداً وباب إلى الروح والحضرة وهو مغلوق لا يفتحه إلا الفتاح الذي بيده المفتاح كما قال لحبيبه عليه السلام ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ١ ـ ٢] إلى الحضرة كما هداه ليلة المعراج إلى قرب قاب قوسين أو أدنى وقال في حق المغلوقين أي أبواب قلوبهم: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] وقال عليه السلام: «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء» فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغه فالنبي عليه السلام مع جلالة قدره لم يكن آمناً على قلبه وكان يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلب عبدك على دينك وطاعتك» والهداية عبارة عن تقليب القلب من الباطل وهو ما سوى الله إلى الحق وهو الحضرة فليس هذا من شأن غير الله انتهى.

وفي «عرائس البيان»: الهداية مقرونة بإرادة الأزل ولو كانت إرادة نبينا عليه السلام في حق أبي طالب مقرونة بإرادة الأزل لكان مهتدياً ولكن كان محبته وإرادته في حقه من جهة القرابة ألا ترى أنه إذ قال: «اللهم أعز الإسلام بعمر» كيف أجابه انتهى.

وفي «كشف الأسرار»: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت**﴾ [ما آنراكه خواهيم درمفازهٔ تحير همي رانيم وآنراكه خواهيم بسلسلهٔ قهر همي كشيم. ما در ازل ازال تاج سعادت برسر أهل دولت نهاديم واين موكب فروكفتيم كه «هؤلاء في الجنة ولا أبالي» ورقم شقاوت برناصيهٔ كروهى كشيديم واين مقرعه برزديم كه: «هؤلاء في النار ولا أبالي» أي جوانمرد هيج صفت در صفات خداي تعالى از صفت لا أبالي دردناك ترنيست آنچه صديق أكبر كفت «ليتني كنت شجرة تعضد» ازدرد اين حديث بود نيكي سخن كه آن پير طريقت كفت كار نه آن دادكه كسى كسل آيد وازكسى عمل كار آن داردكه تاشايسته كه آمد درازل آن مهتر مهجوران كه أورا إبليس كوينه چندين سياه دركاه عمل بود مقراضي ودبيا همي ديدند وازكاركاه ازل أورا خود كليم سياه آمدكه] ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]: قال الحافظ:

باب زمزم وكوثر سفيد نتوان كرد   كليم بخت كسى راكه بافتند سياه

قال الشيخ سعدي قدس سره:

كرت صورت حال بد يانكوست نكاريدهٔ دست تقدير أوست
قضا كشتى آنچاكه خواهد برد وكر ناخدا جامه برتن درد

وقال الصائب:

بااختيار حق نبود اختيارما بانور آفتاب چه باشد شرار ما

﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾ معنى اتباع الهدى معه الاقتداء به عليه السلام في الدين والسلوك إلى طريق الرشاد. وبالفارسية [وكفتند أكرما قبول كنيم أين پيغام كه آوردي وباين راه نموني توپي بريم ودر دين تو آييم باتو] أو التخطف الاختلاس بسرعة نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف حيث أتى النبي عليه السلام فقال: نحن نعلم أنك على الحق:

قول توحق وسخن راستست وانچه ميفرمايي سبب دولت ماست

[درحيات ووسيلهٔ سعادت ما بعد از وفات] وما كذبت كذبة قط فنتهمك اليوم ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب أن يتخطفونا أي يأخذونا ويسلبونا ويقتلونا ويخرجونا من مكة والحرم لإجماعهم على خلافنا وهم كثيرون ونحن أكلة رأس أي قليلون لا نستطيع مقاومتهم فرد الله عليهم بقوله: **﴿أولم نمكن لهم حرماً آمناً﴾** أي ألم نعصمهم ونجعل مكانهم حرماً ذا أمن لحرمة البيت الذي فيه يتقاتل العرب حوله ويضير بعضهم بعضاً وهم آمنون. يعني: [امن آن حرم درهمه طباع سرشته مرغ بامردم آشنا وازيشان ايمن وآهواز شبك ايمن وهر ترسنده كه درحرم باشد أيمن كشت چون عرب حرمت حرم دانند كجا درو قتل وغارت روا دارند] **﴿يجبى إليه﴾** يحمل إلى ذلك الحرم ويجمع فيه من قولك: جبيت الماء في الحوض أي جمعته والحوض الجامع له جابية **﴿ثمرات كل شيء﴾** أي ألوان الثمرات من جانب كمصر والشام واليمن والعراق لا ترى شرقي الفواكه ولا غربيها مجتمعة إلا في مكة لدعاء إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وقال الكاشفي: يعني: [منافع از هر نوعي وغرايب از هر ناحيتي بانجا آورند] ومعنى الكلية الكثرة والجملة صفة أخرى لحرماً دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة وهو الطعام المجلوب من بلد إلى بلد **﴿رزقاً من لدنا﴾** من عندنا لا من عند المخلوقات فإذا كان حالهم هذا وهم عبدة الأصنام فكيف يخافون التخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد. يقول الفقير:

حرم خاص الهست توحيد جمله را جاي پناهست توحيد
باعث امن وأمانست إيمان كان دلراشه راهست توحيد

وانتصاب رزقاً عل أنه مصدر مؤكد لمعنى يجبى لأن فيه معنى يرزق أي يرزقون رزقاً من لدنا.

وقال الكاشفي: [وروزي داديم إيشانرا درين وادي غير ذي زرع وروزي دادني از نزديك

ما بي منت غيري] ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أي أكثر أهل مكة جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا ذلك.

قال في «عرائس البيان»: حرمهم في الحقيقة قلب محمد عليه السلام وهو كعبة القدس وحرم الإنس يجبى إليه ثمرات جميع أشجار الذات والصفات من دخل ذلك الحرم بشرط المحبة والموافقة كان آمناً من آفات الكونين وكان منظور الحق في العالمين وهكذا كل من دخل في قلب ولي من أولياء الله. قال الحافظ:

كليد كنج سعادت قبول أهل دلست مبادكس كه درين نكته شك وريب كند

وفي الآية إشارة إلى خوف النفس من التخطف بجذبات الألوهية من أرض الأنانية ولو كانت تابعة لحمد القلب لوجد في حرم الهوية حقائق كل ثمرة روحانية وجسمانية ولذائذ كل شهوة ولكنها لا تعلم كمالية ذوق الرزق اللدني كما لا يعلم أكثر العلماء لأنهم لم يذوقوه ومن لم يذق لا يدري. قال الكمال الخجندي:

زاهد نه عجب كركند از عشق تو پرهيز كين لذت اين باده چه داندكه نخوردست

ثم بين أن الأمر بالعكس يعني أنهم خافوا الناس وآمنوا من الله واللائق أن يخافوا من بأس الله على ما هم عليه ويأمنوا الناس فقال:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ البطر الطغيان في النعمة.

قال بعضهم: البطر والأشر واحد وهو دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها وصرفها إلى غير وجهها ويقاربه الطرب وهو خفة أكثر ما يعتري من الفرح وانتصاب معيشتها بنزع الحافظ، أي في معيشتها كما في «الوسيط». والمعنى وكم من أهل قرية كانت حالهم كحال أهل مكة في الأمن وسعة العيش حتى أطغتهم النعمة وعاشوا في الكفران فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم ﴿فتلك﴾ [پس آنست] ﴿مساكنهم﴾ خاوية بما ظلموا ترونها في مجيئكم وذهابكم ﴿لم تسكن﴾ يعني: [ننشستند دران] ﴿من بعدهم﴾ من بعد تدميرهم ﴿إلا قليلاً﴾ إلا زماناً قليلاً إذ لا يسكنها إلا المارة يوماً أو بعض يوم [وبازخالي بكذارند درخانهٔ دنياچه نسبتي برحيز كين خانه بدان خوش است كه آيند وروند] ويحتمل أن شؤم معاصي المهلكين بقي أثره في ديارهم فلم يبق من يسكنها من أعقابهم إلا قليلاً إذ لا بركة في سكنى الأرض الشؤوم.

وقال بعضهم: سكنها الهام والبوم ولذا كان من تسبيحها سبحان الحي الذي لا يموت.

پرده داري ميكند در طاق كسرى عنكبوت يوم نوبت ميزند در قلعهٔ افراسياب

﴿وكنا نحن الوارثين﴾ منهم لتلك المساكن إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم:

يعني ما بيم باقي ازفناء همه

وهذا وعيد للمخاطبين

﴿وما كان ربك﴾ وما كانت عادته في زمان ﴿مهلك القرى﴾ قبل الإنذار ﴿حتى يبعث في أمها﴾ أي في أصلها وأعظمها التي تلك القرى سوادها وأتباعها وخص الأصل والأعظم لكون أهلها أفطن وأشرف والرسل إنما بعثت غالباً إلى الأشراف وهم غالباً يسكنون المدن والقصبات ﴿رسولاً يتلو عليهم آياتنا﴾ الناطقة بالحق ويدعوهم إليه بالترغيب والترهيب وذلك لإلزام الحجة وقطع المعذرة بأن يقولوا: لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك.

وفي «التكملة»: الأم هي مكة، والرسول محمد ﷺ وذلك لأن الأرض دحيت من تحتها فيكون المعنى وما كان ربك يا محمد مهلك البلدان التي هي حوالي مكة في عصرك وزمانك حتى يبعث في أمها أي أم القرى التي هي مكة رسولاً هو أنت. ﴿وما كنا مهلكي القرى﴾ بالعقوبة بعد بعثنا في أمها رسولاً يدعوهم إلى الحق ويرشدهم إليه في حال من الأحوال. ﴿إلا وأهلها ظالمون﴾ أي حال كون أهلها ظالمين بتكذيب رسولنا والكفر بآياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الإهلاك بموجب السنة الإلهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الإهلاك عقيب البعث.

دلت الآية على أن الظلم سبب الهلاك ولذا قيل: الظلم قاطع الحياة ومانع النبات وكذا الكفران يقال: النعم محتاجة إلى الأكفاء كما تحتاج إليها الكرائم من النساء وأهل البطر ليسوا من أكفاء النعم كما أن الأرذال ليسوا أكفاء عقائل الحرم جمع عقيلة وعقيلة كل شيء أكرمه وحرم الرجل أهله فكما أن الكريمة من النساء ليست بكفؤ للرذيل من الرجال فيفرق بينهما للحوق العار فكذا النعمة تسلب من أهل البطر والكبر والغرور والكفران وأما أهل الشرك فلا يضيع سعيهم بل يزداد حسن حالهم ولله تعالى رزق واسع في البلاد ولا فرق فيه بين الشاكر والكفور من العباد كما قال الشيخ سعدي:

أديـم زمـيـن سـفـرهٔ عـام أوسـت   برين خوان يغماچه دشمن چه دوست

قال الشيخ عبد الواحد: وجدنا في جزيرة شخصاً يعبد الأصنام فقلنا له: إنها لا تضر ولا تنفع فاعبد الله فقال: وما الله؟ قلنا: الذي في السماء عرشه وفي الأرض بطشه قال: ومن أين هذا الأمر العظيم؟ قلنا: أرسل إلينا رسولاً كريماً فلما أدى الرسالة قبضه الله إليه وترك عندنا كتاب الملك ثم تلونا سورة فلم يزل يبكي حتى أسلم فعلمناه شيئاً من القرآن فلما صار الليل أخذنا مضاجعنا فكان لا ينام فلما قدمنا عبادان جمعنا له شيئاً لينفقه فقال: هو لم يضيعني حين كنت أعبد الصنم فكيف يضيعني وأنا الآن قد عرفته أي والعارف محبوب لله فهو إذا لا يترك المحبوب في يد العدو ومن العدو الفقر الغالب والألم الحاصل منه.

مـحـالـسـت چـون دوسـت دارد تـرا   كـه دردسـت دشـمـن كـذارد تـرا

فعلى العاقل أن يعرف الله تعالى ويعرف قدر النعمة فيقيدها بالشكر ولا يضع الكفر موضع الشكر فإنه ظلم صريح يحصل منه الهلاك مطلقاً إما للقلب فبالإعراض عن الله ونسيان أن العطاء منه وإما للقالب فبالبطش الشديد وكم رأينا في الدهر من أمثاله من خرب قلبه ثم خرب داره ووجد آخر الأمر بواره ولكن الإنسان من النسيان لا يتذكر ولا يعتبر بل يمضي على حاله من الغفلة أيقظنا الله وإياكم من نوم الغفلة في كل لحظة وشرفنا في جميع الساعات باليقظة الكاملة المحضة.

﴿وما﴾ مبتدأ متضمنة لمعنى الشرط لدخول الفاء في خبرها بخلاف الثانية. وبالفارسية [وهرچه]. ﴿أوتيتم﴾ أعطيتم والخطاب لكفار مكة كما في «الوسيط» ﴿من شيء﴾ من أسباب

الدنيا ﴿فمتاع الحياة الدنيا وزينتها﴾ أي: فهو شيء شأنه أن يتمتع ويتزين به أياماً قلائل ثم أنتم وهو إلى فناء وزوال سمى منافع الدنيا متاعاً لأنها تفنى ولا تبقى كمتاع البيت. ﴿وما﴾ موصولة أي الذي حصل. ﴿عند الله﴾ وهو الثواب ﴿خير﴾ لكم في نفسه من ذلك لأنه لذة خالصة من شوائب الألم وبهجة كاملة عارية من مسة الهمم. ﴿وأبقى﴾ لأنه أبديّ ﴿أفلا تعقلون﴾ أي: ألا تتفكرون فلا تعقلون هذا الأمر الواضح فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير وتؤثرون الشقاوة الحاصلة من الكفر والمعاصي على السعادة المتولدة من الإيمان والطاعات. وبالفارسية [آيادر نمي يابيد وفهم نمي كنيدكه بدل ميكنيد باقي را بفاني ومرغوب را بميعوب].

حيف باشد لعل وزررددادن زچنك   پس كرفتن در برابر خاك وسنك

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾.

﴿أفمن﴾ موصولة مبتدأ ﴿وعدناه﴾ على إيمانه وطاعته ﴿وعداً حسناً﴾ هو الجنة وثوابها فإن حسن الوعد بحسن الموعود.

وقال الكاشفي: [آيا كسى كه وعده كرده ايم أوراجنت در آخرت ونصرت دردنيا] ﴿فهو﴾ أي ذلك الموعود له ﴿لاقيه﴾ أي مصيبه ذلك الوعد الحسن ومدركه لا محالة لاستحالة الخلف في وعده تعالى: ﴿كمن﴾ موصولة خبر للأولى ﴿متعناه﴾ [برخور داري داديم أورا] ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ [أو متاع زندكاني دنياكه محبتش آميختهٔ محنت أست ودولتش مؤدىٔ نكبت ومالش در صدد زوال وجاهش بر شرف انتقال وطعوم وعسلش معقب بسموم حنظل] ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ للحساب أو النار والعذاب. وثم للتراخي في الزمان أي لتراخي حال الإحضار عن حال التمتيع أو في الرتبة ومعنى الفاء في أفمن ترتيب إنكار التشابه بين أهل الدنيا وأهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وبين ما عند الله أي أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوي بين الفريقين أي لا يسوي فليس من أكرم بالوعد الأعلى ووجدان المولى وهو المؤمن كمن أهين بالوعيد والوقوع في الجحيم في العقبى وهو الكافر وذلك بإزاء شهوة ساعة وجدها في الدنيا. ويقال: رب شهوة ساعة أورثت صاحبها حزناً طويلاً [وقتي زنبوري موري را ديدكه بهزار حيله دانه بخانه ميكشيد ودران رنج بسيارمي ديد أورا كفت أي مور اين چه رنجست كه برخود نهادهٔ واين چه بارست كه اختيار كردهٔ بيا مطعم ومشرب من بين كه هر طعام كه لطيف ولذيذ ترست تا از من زيادة نيايد پادشاهانرا نرسد هر آنجاكه خواهم نشينم وآنچه خواهم كزينم خورد ودرين سخن بودكه برپريد وبدكان قصابي برمسلوخي نشست قصاب كاردكه دردست داشت بران زنبورهٔ مغرور زدودوپاره كرد وبر زمين انداخت ومور بيامد وپاي كشان أورا ميبرد ومي كفت] رب شهوة الخ وفي الحديث: «ومن كانت الدنيا همته جعل الله فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له، ومن كانت الآخرة همته جعل الله الغنى في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة». يحكى: أن بعض أهل الله كان يرى عنده في طريق الحج كل يوم خبز طري فقيل له في ذلك فقال: تأتيني به عجوز أراد بها الدنيا ومن كان له في هذه الدنيا شدة وغم مع دين الله فهو خير ممن كان له سعة وسرور مع الشرك وفي الحديث: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال:

يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط هل مرّ بك نعيم قط فيقول: لا والله يا رب» يعني شدة العذاب أنسته ما مضى عليه من نعم الدنيا «ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط هل مر بك شدة قط فيقول: لا والله ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط» وفي الحديث: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً» وهو ما يكون بقدر الحاجة ومنهم من قال: هو شبع يوم وجوع يوم «وقنعه الله بما آتاه» بمد الهمزة أي أعطاه من الكفاف يعني: من اتصف بالصفات المذكورة فاز بمطلوب الدنيا والآخرة ثم الوعد لعوام المؤمنين بالجنة ولخواصهم بالرؤية ولأخص خواصهم بالوصول والوجدان كما قال تعالى: «ألا من طلبني وجدني» وأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام تجوّع ترني تجرد تصل إليّ:

جوع تنوير خانهٔ دل تست　　أكل تعمير خانهٔ كل تست

فلا بد للسالك من إصلاح الطبيعة والنفس بالرياضة والمجاهدة وكان يستمع من حجرة الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره الجوع الجوع وحقيقته الزموا الجوع لا أن نفسه الزكية كانت تشكو من الجوع نسأل الله الوصول إلى النعمة والتشرف بالرؤية.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿ويوم يناديهم﴾ يوم منصوب باذكر المقدر والمراد يوم القيامة والضمير للكفار أي واذكر يا محمد لقومك يوم يناديهم ربهم وهو عليهم غضبان ﴿فيقول﴾ تفسير للنداء ﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ أي الذين كنتم تزعمونهم شركائي وكنتم تعبدونهم كما تعبدونني فحذف المفعولان معاً ثقة بدلالة الكلام عليهما.

قال في «كشف الأسرار»: وسؤالهم عن ذلك ضرب من ضروب العذاب لأنه لا جواب لهم إلا ما فيه فضيحتهم واعترافهم بجهل أنفسهم.

﴿قال﴾ استئناف مبني على حكاية السؤال كأنه قيل: فماذا صدر عنهم حينئذ؟ فقيل: قال: ﴿الذين حق عليهم القول﴾ في الأزل بأن يكونوا من أهل النار المردودين يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة: ١٣] الآية كما في «التأويلات النجمية».

وقال بعض أهل التفسير: معنى حق عليهم القول ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩] وغيره من آيات الوعيد والمراد بهم شركاؤهم من الشياطين أو رؤساؤهم الذين اتخذوهم أرباباً من دون الله بأن أطاعوهم في كل ما أمر وهم به ونهوهم عنه وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع أيضاً لأصالتهم في الكفر واستحقاق العذاب ومسارعتهم إلى الجواب مع كون السؤال للعبدة لتفطنهم أن السؤال عنهم لاستحقارهم وتوبيخهم بالإضلال وجزمهم بأن العبدة سيقولون: هؤلاء أضلونا ﴿ربنا﴾ [أي پرورد كارما] ﴿هؤلاء﴾ أي كفار بني آدم أو الأتباع هم ﴿الذين أغوينا﴾ فحذف الراجع إلى الموصول ومرادهم بالإشارة بيان أنهم يقولون ما يقولون بمحضر منهم وأنهم غير قادرين على

إنكاره ورده. ﴿أغويناهم كما غوينا﴾ هو الجواب في الحقيقة وما قبله تمهيد له أي ما أكرهنا على الغي وإنما أغوينا بما قضيت لنا ولهم الغواية والضلالة مساكين بنو آدم أنهم من خصوصية ولقد كرمنا بني آدم يحفظون الأدب مع الله في أقصى البعد كما يتأدب الأولياء على بساط أقصى القرب ولا يقولون: أغويناهم كما أغويتنا كما قال إبليس صريحاً ولم يحفظ الأدب رب بما أغويتني لأقعدن لهم ﴿تبرأنا إليك﴾ منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصي هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذا لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى: ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾ إيانا مفعول يعبدون أي ما كانوا يعبدوننا وإنما كانوا يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم.

﴿وقيل﴾ لمن عبد غير الله توبيخاً وتهديداً والقائلون الخزنة ﴿ادعوا شركاءكم﴾ أي: الأصنام ونحوها ليخلصوكم من العذاب أضافها إليهم لادعائهم أنها شركاء الله. ﴿فدعوهم﴾ من فرط الحيرة. ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة ﴿ورأوا العذاب﴾ الموعود قد غشيهم ﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب أو إلى الحق في الدنيا لما لقوا ما لقوا من العذاب.

وقال بعضهم: لو للتمني هنا أي تمنوا لو أنهم كانوا مهتدين لا ضالين.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿ويوم يناديهم﴾ أي واذكر يوم ينادي الله الكفار نداء تقريع وتوبيخ. ﴿فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ [چه جواب داديد] المرسلين الذين أرسلتهم إليكم حين دعوكم إلى توحيدي وعبادتي ونهوكم عن الشرك.

﴿فعميت عليهم الأنباء يومئذ﴾ [پس پوشيده باشدبر إيشان خبرها يعني آنچه باپيغمبران كفته باشند وندانند كه چه كويند].

قال أهل التفسير: أي صارت كالعمى عنهم لا تهتدي إليهم وأصله فعموا عن الأنباء أي الأخبار وقد عكس بأن أثبت العمى الذي هو حالهم للأنباء مبالغة وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه وإذا كانت الرسل يفوضون العلم في ذلك المقام الهائل إلى علام الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة السؤال فما ظنك بأهل الضلال من الأمم:

بجايي كه دهشت برد انبيا — تو عذر كنه راچه داري بيا

﴿فهم لا يتساءلون﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضاً عن الجواب لفرط الدهشة واستيلاء الحيرة أو للعلم بأن الكل سواء في الجهل. ﴿فأما من تاب﴾ من الشرك ﴿وآمن وعمل صالحاً﴾ أي: جمع بين الإيمان والعمل الصالح ﴿فعسى أن يكون من المفلحين﴾ أي الفائزين بالمطلوب عند الله تعالى الناجين من المهروب. وبالفارسية: [پس شايد آنكه باشد ازر ستكاران ورستكاري باجابت حضرت رسالت عليه السلام باز بسته است]:

مزن بي رضاىٔ محمد نفس — ره رستكاري همين است وبس

خلاف پيغمبر كسى ره كزيد — كه هركز بمنزل نخواهد رسيد

وعسى للتحقيق على عادة الكرام أو للترجي من قبل التائب بمعنى فليتوقع الإفلاح.

قال في «كشف الأسرار»: إنما قال: فعسى يعني إن دام على التوبة والعمل الصالح فإن

المنقطع لا يجد الفلاح ونعوذ بالله من الحور بعد الكور فينبغي لأهل الآخرة أن يباشروا الأعمال الصالحة ويديموا على أورادهم وللأعمال تأثير عظيم في تحصيل الدرجات وجلب المنافع والبركات ولها نفع لأهل السعادة في الدنيا والآخرة ولأهل الشقاوة لكن في الدنيا فقط فإنهم يجلبون بها المقاصد الدنيوية من المناصب والأموال والنعم وقد عوض عن عبادة الشيطان قبل كفره طول عمره ورأى أثرها في الدنيا فلا بد من السعي بالإيمان والعمل الصالح. حكي: أن إبراهيم بن أدهم قدس سره لما منع من دخول الحمام بلا أجرة تأوه وقال: إذا منع الإنسان من دخول بيت الشيطان بلا شيء فأنى يدخل بيت الرحمن بلا شيء؟ وأفضل الأعمال التوحيد وذكر رب العرش المجيد ولو أن رجلاً أقبل من المغرب إلى المشرق ينفق الأموال والآخر من المشرق إلى المغرب يضرب بالسيف في سبيل الله كان الذاكر لله أعظم وفي الحديث: «ذكر الله علم الإيمان» أي لأن المشرك إذا قال لا إله إلا الله يحكم بإسلامه وبراءة من النفاق أي لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً «وحرز من الشيطان وحصن من النار» كما جاء في الكلمات القدسية «لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي».

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿فأما من تاب﴾ أي رجع إلى الحضرة على قدمي المحبة وصدق الطلب ﴿وآمن﴾ بما جاء به النبي عليه السلام من الدعوة إلى الله ﴿وعمل صالحاً﴾ بالتمسك بذيل متابعة دليل كامل وأصل صاحب قوة وقدره توصله إلى الله تعالى: ﴿فعسى أن يكون من المفلحين﴾ الفائزين من أسر النفس المخلصين من حبس الأنانية إلى قضاء وسعة الهوية انتهى.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

﴿وربك﴾ [آورده اندكه صناديد عرب طعنه مي زدندكه خداي تعالى چرا محمد را براي نبوت اختيار كرد بايستي كه چنين منصب عالي بوليد بن مغيرة وسيدي كه بزرك مكه است بابعروة بن مسعود ثقفي كه عظيم طائف] كما قالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فرد الله عليهم بقوله: ﴿وربك﴾ [وبروردكار تويا محمد] ﴿يخلق ما يشاء﴾ أن يخلقه ﴿ويختار﴾ مما يخلق ما يشاء اختياره واصطفاءه فكما أن الخلق إليه فكذا الاختيار في جميع الأشياء ﴿ما﴾ نافية ﴿كان لهم﴾ أي المشركين ﴿الخيرة﴾ أي: الاختيار عليه تعالى وهو نفي لاختيارهم الوليد وعروة وأنشدوا:

العبد ذو ضجر والرب ذو قدر والدهر ذو دول والرزق مقسوم
والخير أجمع فيما اختيار خالقنا وفي اختيار سواه اللوم والشوم

قال الجنيد قدس سره: كيف يكون للعبد اختيار والله المختار له؟ وقال بعض العارفين: إذا نظر أهل المعرفة إلى الأحكام الجارية بجميل نظر الله لهم فيها وحسن اختياره فيما أجراه عليهم لم يكن عندهم شيء أفضل من الرضى والسكون. قال الحافظ:

در دائرهٔ قسمت ما نقطهٔ تسليم لطف آنچه تو انديشي حكم آنكه توفر مايي

والخيرة بمعنى التخير بالفارسية [كزيدن] كالطيرة بمعنى التطير.

وفي «المفردات»: الخيرة الحالة التي تحصل للمستخير والمختار نحو القعدة والجلسة لحال القاعد والجالس انتهى.

وفي «الوسيط»: اسم من الاختيار يقام مقام المصدر وهو اسم للمختار أيضاً يقال محمد خيرة الله من خلقه ﴿**سبحان الله**﴾ أي تنزه بذاته تنزهاً خاصاً به من أن ينازعه أحد ويزاحم اختياره ﴿**وتعالى عما يشركون**﴾ عن إشراكهم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى مشيئته الأزلية في الخلق والاختيار وأنه فاعل مختار يخلق ما يشاء كيف يشاء ممن يشاء ولما يشاء متى يشاء وله اختيار في خلق الأشياء فيختار وجود بعض الأشياء في العدم فيبقيه فانياً في العدم ولا يوجده وله الخيرة في أنه يخلق بعض الأشياء جماداً وبعض الأشياء نباتاً وبعض الأشياء حيواناً وبعض الأشياء إنساناً وأن يخلق بعض الإنسان كافراً وبعض الإنسان مؤمناً وبعضهم ولياً وبعضهم نبياً وبعضهم رسولاً وأن يخلق بعض الأشياء شيطاناً وبعضها جناً وبعضها ملكاً وبعض الملك كروبيا وبعضهم روحانياً وله أن يختار بعض الخلق مقبولاً وبعضهم مردوداً انتهى وفي الحديث: «إن الله خلق السموات سبعاً فاختار العليا منها فسكنها وأسكن سائر سماواته من شاء من خلقه ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم واختار بمن بني آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشاً واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم فأنا خيار من خيار إلى خيار فمن أحب العرف فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم». وفي الحديث: «إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من أصحاب أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً فجعلهم خير أصحابي وفي كل أصحابي خير واختار أمتي على سائر الأمم واختار لي من أمتي أربعة قرون بعد أصحابي القرن الأول والثاني والثالث تترى والرابع فرداً» [بدانكه آدمي را اختيار نيست اختيار كسي تواندكه أورا ملك بود وآدمي بنده است وبنده را ملك نيست آن ملك كه شرع أورا إثبات كرد آن ملك مجاز ينست عاريتي عن قريب ازوزائل كردد وملك حقيقي آنست كه آنرا زوال نيست وآن ملك الله است كه مالك پركمال است ودر ملك ايمن اززوال ودر ذات ونعت متعال]:

همه تختن وملكي پذيرد زوال بجز ملك فرمانده لا يزال

[عالم بيافريد وآنچه خواست ازان بركزيد. فرشتكانرا بيافريد ازيشان جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل را بركزيد. آدم وآدميا نرا بيافريد از يشان پيغمبران بركزيد. از پيغمبران خليل وكليم وعيسى ومحمد بركزيد عليهم السلام. صحابهٔ رسول را بيافريد أبو بكر تيمي وعرم غدوي وعثمان أموي وعلي هاشمي بركزيد. بسيط زمين را بيافريد ازان مكه بركزيد موضع ودلات ومدينة بركزيد هجر تكاه رسول وبيت المقدس بركزيد موضع مسراي رسول. روزها بيافريد ازان روز آذينه بركزيد «وهو يوم إجابة الدعوة». روز عرفه بركزيد «وهو يوم المباهات». روز عيد بركزيد «وهو يوم الجائزة» روز عاشوراء «بركزيد وهو يوم الخلعة». شبها بيافريد وازان شب برات بركزيد كه حق تعالى بخوديء خود نزول كندو بنده راهمه شب نداي كرامت خواند. ونوازد شب قدر بركزيد كه فرشتكان آسمان بعدد سنك ريزه بزمين فرستد ونثار رحمت كنند بربندكان. شب عيد بركزيد كه دررحمت ومغفرت كشايد وكناهكارا نرا آمرزد. كوهها بيافريد وازان طور كزيد كه موسى بران بمناجات حق رسيد. جودي بركزيد كه نوح دران نجات يافت. حرابر كزيدكه مصطفى عربي دران بعثت يافت. نفس آدمي بيافريدوازان دل بركزيد وزبان دل محل نور معرفت وزبان موضع كلمهٔ شهادت. كتابها از آسمان فرو فرستاد

وازان چهار بركزيد توراة وإنجيل وزبور وقرآن واز كلمتها چهار «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» وفي الحديث: «أحب الكلام إلى الله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهم بدأت» الكل في «كشف الأسرار».

قال في «زهرة الرياض»: ﴿**ما كان لهم الخيرة**﴾ أي ليس للكفار الاختيار بلا الاختيار للواحد القهار كأنه قال: الاختيار لي ليس لجبرائيل ولا لميكائيل ولا لإسرافيل ولا لعزرائيل ولا لآدم ولا لنوح ولا لإبراهيم ولا ليعقوب ولا لموسى ولا لعيسى ولا لمحمد عليهم الصلاة والسلام. ولو كان لجبرائيل وميكائيل لاختارت الملائكة مثل هاروت وماروت. ولو كان لإسرافيل لاختار إبليس. ولو كان لعزرائيل لاختار شداد. ولو كان لآدم لاختار قابيل. ولو كان لنوح لاختار كنعان. ولو كان لإبراهيم لاختار آزر. ولو كان ليعقوب لاختار العماليق. ولو كان لموسى لاختار فرعون. ولو كان لعيسى لاختار الحواريين. ولو كان لمحمد لاختار عمه أبا طالب ولكن الاختيار لي اخترتك فاشكر لي لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته ونبوته وولايته.

قال يحيى الرازي رحمه الله: إلهي علمك بعيوبي لم يمنعك عن اختياري فكيف يمنعك عن غفراني.

ويقال: إن يوسف عليه السلام اختار السجن فأورثه الوبال والله تعالى اختار للفتية الكهف فأورثهم الجمال ألا ترى أن رجلاً لو تزوج امرأة فإنه يستر عيوبها مخافة أن يقال له: أنت اخترتها فالله تعالى اختارك في الأزل فالرجاء أن يستر عيوبك.

ويقال: اختار من ثمانية عشر ألف عالم أربعة الماء والتراب والنار والريح فجعل الماء طهورك والتراب مسجدك والنار طباخك والريح نسيمك. واختار من الملائكة أربعة جبرائيل صاحب وحيك وميكائيل خازن نعمتك وإسرافيل صاحب لوحك وعزرائيل قابض روحك. واختار من الشرائع أربعة الصلاة عملك والوضوء أمانتك والصوم جنتك والزكاة طهارتك. ومن القبلة أربعة العرش موضع دعوتك والكرسي موضع رحمتك والبيت المعمور مصعد عملك والكعبة قبلتك. ومن الأوقات أربعة فوقت المغرب لطعامك ووقت العشاء لمنامك ووقت السحر لمناجاتك ووقت الصبح لقراءتك. ومن المياه الماء الذي تفجر من أصابع رسول الله ﷺ فإنه أفضل من زمزم والكوثر وغيرهما من أنهار الدنيا والآخرة. ومن البقاع البقعة التي ضمت جسمه اللطيف عليه السلام فإنها أفضل البقاع الأرضية والسماوية. ومن الأزمنة الزمان الذي ولد فيه عليه السلام ولذا كان شهر ربيع الأول من أفضل الشهور كشعبان فإنه مضاف إلى نبينا عليه السلام أيضاً. ومن الملوك الخواقين العثمانية لأن دولتهم آخر الدول وتتصل بزمان المهدي المنتظر على ما ثبت وصح عن أكابر علماء هذه الأمة. واختار من العلماء من تشرف بعلم الظاهر والباطن وكان ذا جناحين نسأل الله الثبات في طريق التحقيق إنه ولي التوفيق.

﴿**وربك يعلم ما تكن صدورهم**﴾ أي تضمر قلوبهم وتخفي كعداوة الرسول وحقد المؤمنين يقال: أكننت الشيء إذا أخفيته في نفسك وكننته إذا سترته في بيت أو ثوب أو غير ذلك من الأجسام ﴿**وما يعلنون**﴾ بألسنتهم وجوارحهم كالطعن في النبوة وتكذيب القرآن. والإعلان [آشكارا كردن].

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وهو الله﴾ أي المستحق للعبادة. وبالفارسية [أوست خداي مستحق پرستش] ﴿لا إله إلا هو﴾ لا أحد يستحقها إلا هو وهو المتوحد بعز إلهيته المتفرد بجلال ربوبيته لا شبيه يساويه ولا نظر يضاهيه ﴿له الحمد﴾ استحقاقاً على عظمته والشكر استيجاباً على نعمته ﴿في الأولى﴾ أي الدنيا ﴿والآخرة﴾ لأنه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق كافة يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤] ابتهاجاً بفضله والتذاذاً بحمده أي بلا كلفة ﴿وله الحكم﴾ فيما يخلق ويختار ويعز ويذل ويحيي ويميت أي القضاء النافذ في كل شيء من غير مشاركة فيه لغيره. وبالفارسية [أو راست كار بركزاردن].

قال في «كشف الأسرار»: وله الحكم النافذ في الدنيا والآخرة ومصير الخلق كلهم في عواقب أمورهم إلى حكمه في الآخرة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: حكم لأهل طاعته بالمغفرة ولأهل معصيته بالشقاء والويل ﴿وإليه ترجعون﴾ بالبعث لا إلى غيره.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وإليه ترجعون﴾ بالاختيار أو بالاضطرار فأما بالاختيار فهو الرجوع إلى الحضرة بطريق السير والسلوك والمتابعة والوصول وهذا مخصوص بالإنسان دون غيره وأما بالاضطرار فبقبض الروح وهو الحشر والنشر والحساب والجزاء بالثواب والعقاب.

يقال: ثمانية أشياء تعم الخلق كلهم الموت والحشر وقراءة الكتاب والميزان والحساب والصراط والسؤال والجزاء.

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: «يا موسى لا تسأل مني الغنى فإنك لا تجده وكل خلق مفتقر إليّ وأنا الغني. ولا تسأل علم الغيب فإنه لا يعلم الغيب غيري. ولا تسألني أن أكف لسان الخلق عنك فإني خلقتهم ورزقتهم وأميتهم وأحييهم وهم يذكرونني بالسوء ولم أكف لسانهم عني ولا أكف لسانهم عنك. ولا تسأل البقاء فإنك لا تجده وأنا الدائم الباقي».

وأوحى الله إلى محمد عليه السلام فقال: «يا محمد أحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك ملاقيه غداً وعش ما شئت فإنك ميت» فظهر أن الحكم النافذ بيد الله تعالى ولو كان شيء منه في يد الخلق لمنعوا عن أنفسهم الموت ودفعوا ملاقاة الأعمال في الحشر وطريق النجاة التسليم والرضى والرجوع إلى الله تعالى بالاختيار فإنه إذا رجع العبد إلى الله بالاختيار لم يلق عنده شدة بخلاف ما إذا رجع بالاضطرار:

توپيش از عقوبت در عفو كوب كه سودي ندارد فغان زيرچوب

ومن علامات الرجوع إلى الله إصلاح السر والعلانية والحمد له على كل حال فإن الجزع والاضطراب من الجهل بمبدأ الأمر ومبديه وليخفف ألم البلاء عنك علمك بأن الله هو المبلي وقل في الضراء والسراء: لا إله إلا هو والتوحيد أفضل الطاعات وخير الأذكار والحسنات وصورته منجية فكيف بمعناه.

وعن حذيفة رضي الله عنه سمعت رسول الله يقول: «مات رجل من بني إسرائيل من قوم موسى فإذا كان يوم القيامة يقول الله لملائكته. انظروا هل تجدون لعبدي من حسنة يفوز بها اليوم؟ فيقولون: إنا لا نجد سوى أن نقش خاتمه لا إله إلا الله فيقول الله تعالى: أدخلوا عبدي الجنة قد غفرت له»: قال المغربي:

اكرچه آينهٔ داري ازبراي حسن ولي چه سودكه داري هميشه آينه تار
بيا بصيقل توحيد زآينه بزد اي غبار شرك كه پاك كردد از زنكار

نسأل الله سبحانه أن يوصلنا إلى حقيقة التوحيد ويخلصنا من ورطة التقليد ويجعلنا من المكاشفين لأنوار صفاته وأسرار ذاته.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

﴿قل﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿أرأيتم﴾ أي أخبروني فإن الرؤية سبب للإخبار ﴿إن جعل الله عليكم الليل سرمداً﴾ دائماً لا نهار معه من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة وقدم ذكر الليل على ذكر النهار لأن ذهاب الليل بطلوع الشمس أكثر فائدة من ذهاب النهار بدخول الليل كذا في «برهان القرآن» ﴿إلى يوم القيامة﴾ بإسكان الشمس تحت الأرض أو تحريكها حول الأفق الغائر﴿من إله غير الله﴾ صفة لإله. يعني [كيست خداي بجز خداي بحق كه از روى كمال قدرت] ﴿يأتيكم بضياء﴾ صفة له أخرى عليها يدور أمر التبكيت والإلزام قصد انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل: هل إله لا يراد الإلزام على زعمهم أن غيره آله والباء للتعدية: والمعنى بالفارسية [بيارد براي شما روشني يعني روز روشن كه در آن بطلب معاش اشتغال كنيد]. ﴿أفلا تسمعون﴾ هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار حتى تنقادوا له وتعملوا بموجبه فتوحدوا الله تعالى وختم الآية به بناءً على الليل لا على الضياء.

وقال بعضهم: قرن بالضياء السمع لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر يعني استفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر. ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً﴾ متصلاً لا ليل له. ﴿إلى يوم القيامة﴾ بإسكانها في وسط السماء أو تحريكها فوق الأرض ﴿من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه﴾ استراحة من متابعة الأسفار ولعل تجريد الضياء عن ذكر منافعه مثل تتصرفون فيه ونحوه لكونه مقصوداً بذاته ظاهر الاستتباع لما نيط به من المنافع ولا كذلك الليل. ﴿أفلا تبصرون﴾ هذه المنفعة الظاهرة التي لا تخفى على من له بصر وختم الآية به بناءً على النهار فإنه مبصر لا على الليل.

وقال بعضهم: وقرن بسكون الليل البصر لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما لا تبصر أنت من السكون. اعلم أن فلك الشمس يدور في بعض المواضع رحوياً لا غروب للشمس فيه فنهاره سرمدي فلا يعيش الحيوان فيه ولا ينبت النبات فيه من قوة حرارة الشمس فيه وكذلك يدور فلك الشمس في بعض المواضع بعكس هذا تحت الأرض ليس للشمس فيه طلوع فليله سرمدي فلا يعيش الحيوان أيضاً فيه ولا ينبت النبات ثمة فلهذا المعنى قال تعالى:

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار﴾ [واز بخشايش خودبيا فريد براي شماشب وروزرا] ﴿لتسكنوا فيه﴾ أي: في الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ أي في النهار بأنواع المكاسب ﴿ولعلكم تشكرون﴾ ولكي تشكروا نعمته تعالى على ما فعل:

چرخ را دور شبانروزي دهده شب برو روز آورد روزي دهده

خلوت شب بهر آن تاجان ريش رازدل كويد برجانان خويش
روزها ازبهر غوغاي عوام تابدايشان كارتن كيرد نظام

قال إمام الحرمين وغيره من الفضلاء: لا خلاف أن الشمس تغرب عند قوم وتطلع عند قوم آخرين والليل يطول عند قوم ويقصر عند آخرين وعند خط الاستواء يكون الليل والنهار مستوياً أبداً.

وسئل الشيخ أبو حامد عن بلاد بلغار كيف يصلون لأن الشمس لا تغرب عندهم إلا مقدار ما بين المغرب والعشاء ثم تطلع فقال: يعتبر صومهم وصلاتهم بأقرب البلاد إليهم والأصح عند أكثر الفقهاء أنهم يقدرون الليل والنهار ويعتبرون بحسب الساعات كما قال عليه الصلاة والسلام: «يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة» فيقدر الصيام والصلاة في زمنه كذا ورد عن سيد البشر.

قال في «القاموس»: بلغر كقرطق والعامة تقول: بلغار مدينة الصقالبة ضاربة في الشمال شديدة البرد انتهى والفجر يطلع في تلك الديار قبل غيبوبة الشفق في أقصر ليالي السنة فلا يجب على أهاليها العشاء والوتر لعدم سبب الوجوب وهو الوقت لأنه كما أنه شرط لأداء الصلاة فهو سبب لوجوبها فلا تجب بدونه على ما تقرر في الأصول وكذلك لا تجبان على أهالي بلدة يطلع فيها الفجر لما تغرب الشمس فيسقط عنهم ما لا يجدون وقته كما أن رجلاً إذا قطع يداه مع المرفقين أو رجلاه مع الكعبين ففرائض وضوئه ثلاث لفوات محل الرابع كذا في الفقه.

والإشارة في الآية إلى نهار التجلي وليل ستر البشرية فلو دام نهار التجلي لم يقدر المتجلى له على تحمل سطواته فستره الله تعالى بظل البشرية ليستريح من تعب السطوات وإليه الإشارة بقوله عليه السلام لعائشة رضي الله عنها: «كلميني يا حميراء» وليس هذا الستر من قبيل الحجاب فإن الستر يكون عقيب التجلي وهو حجاب الرحمة والمنحة لا حجاب الزحمة والمحنة وذلك من جملة ما كان النبي عليه السلام محمياً به إذ كان يقول: «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله كل يوم سبعين مرة» وذلك غاية اللطف والرحمة والحجاب ما يكون محجوباً به عن الحق تعالى وذلك من غاية القهر والعز كما قال في المقهورين: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] والجبل لم يستقر مكانه عند سطوة تجلي صفة الربوبية وجعله دكاً وخر موسى مع قوة نبوته صعقاً وذلك التجلي في أقل مقدار طرفة عين فلو دام كيف يعيش الإنسان الضغيف.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿**ويوم يناديهم**﴾ منصوب باذكر أي واذكر يا محمد يوم ينادي الله المشركين ﴿**فيقول**﴾ توبيخاً لهم ﴿**أين**﴾ [كجاآند] ﴿**شركائي الذين كنتم تزعمون**﴾ أنهم لي شركاء وهو تقريع بعد تقريع للإشعار بأنه لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك كما لا شيء أدخل في مرضاة الله من توحيده.

﴿**ونزعنا من كل أمة**﴾ نزع الشيء جذبه من مقره كنزع القوس من كبده وعطف على يناديهم وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق ولا التفات لإبراز كمال الاعتناء بشأن النزع أي

أخرجنا من كل أمة من الأمم ﴿شهيداً﴾ بالفارسية: [كواه] وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه من الخير والشر.

وقال بعضهم: يشهد عليهم وعلى من بعدهم كما جاء في الحديث أن أعمال الأمة تعرض على النبي عليه السلام ليلة الاثنين والخميس.

وقال بعضهم: عنى بالشهيد العدول من كل أمة وذلك أنه سبحانه لم يخل عصراً من الأعصار عن عدول يرجع إليهم في أمر الدين ويكونون حجة على الناس يدعونهم إلى الدين فيشهدون على الناس بما عملوا من العصيان ﴿فقلنا﴾ لكل من الأمم ﴿هاتوا﴾ [بياريد] وأصله آتوا وقد سبق. ﴿برهانكم﴾ على صحة ما كنتم تدعون من الشريك ﴿فعلموا﴾ يومئذ ﴿أن الحق لله﴾ في الإلهية لا يشاركه فيها أحد. ﴿وضل عنهم﴾ أي: غاب غيبة الضائع ﴿ما كانوا يفترون﴾ في الدنيا من الباطل وهو ألوهية الأصنام.

واعلم أن الشريك لا ينحصر في عبادة الأصنام الظاهرة بل الأنداد ظاهرة وباطنة. فمنهم: من صنمه نفسه. ومنهم: من صنمه زوجته حيث يحبها محبة الله ويطيعها إطاعة الله ومنهم: من صنمه تجارته فيتكل عليها ويترك طاعة الله لأجلها فهذه كلها لا تنفع يوم القيامة. حكي: أن مالك بن دينار رحمه الله كان إذا قرأ في الصلاة إياك نعبد وإياك نستعين غشي عليه فسئل فقال: نقول: إياك نعبد ونعبد أنفسنا أي نطيعها في أمرها ونقول: إياك نستعين ونرجع إلى أبواب غيره. روي: أن زكريا عليه السلام لما هرب من اليهود بعد أن قتل يحيى عليه السلام وتوابعه تمثل له الشيطان في صورة الراعي وأشار إليه بدخول الشجرة فقال زكريا للشجرة: اكتميني فانشقت فدخل فيها وأخرج الشيطان هدب ردائه ثم أخبر به اليهود فشقوا الشجرة بالمنشار فهذا الشق إنما وقع له لالتجائه إلى الشجرة والشرك أقبح جميع السيئات كما أن التوحيد أحسن الحسنات وقد ورد أن الملائكة المقربين تنزل لشرف الذكر كما روى أن يوسف عليه السلام لما ألقي في الجب ذكر الله تعالى بأسمائه الحسنى فسمعه جبريل فقال: يا رب أسمع صوتاً حسناً في الجب فأمهلني ساعة فقال الله تعالى: ألستم قلتم أتجعل فيها من يفسد فيها وكذلك إذا اجتمع المؤمنون على ذكر الله مراعين لآدابه الظاهرة والباطنة تقول الملائكة: إلهنا أمهلنا نستأنس بهم فيقول الله تعالى: ألستم قلتم أتجعل فيها من يفسد فيها فالآن تتمنون الاستئناس بهم وفي الحديث: «لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى» قيل يا رسول الله من الذي أبى قال: «من لم يقل لا إله إلا الله» فينبغي الاشتغال بكلمة التوحيد قبل الموت وهي عروة الوثقى وهي ثمن الجنة وهي التي يشهد بها جميع الأشياء:

هست هرذرة بوحدت خويش ... بيش عارف كواه وحدت او
ياك كن جامه ازغبار دويي ... لوح خاطر كه حق يكيست نه دو

والوصول إلى هذا الشهود والتوحيد الحقيقي إنما هو بخير الأذكار أي بالاشتغال به آناء الليل وأطراف النهار. قال الشيخ المغربي:

نخست ديده طلب كن پس آنكهي ديدار ... ازانكه ياركند جلوه براولوا الأبصار

﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿إن قارون﴾ اسم أعجمي كهارون فلذلك لم ينصرف ﴿كان من قوم موسى﴾ كان ابن عمه يصهر بن قاهش بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهش وكان ممن آمن به واقرأ بني إسرائيل للتوراة وكان يسمى المنور لحسن صورته ثم تغير حاله بسبب الغنى فنافق كما نافق السامري. ﴿فبغى عليهم﴾ قال الراغب: البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى تجاوزه أو لم يتجاوزه وبغى تكبر وذلك لتجاوزه منزلته إلى ما ليس له. والمعنى فطلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره وليس ببعيد فإن كثرة المال المشار إليها بقوله: ﴿وآتيناه من الكنوز﴾ الآية سبب للبغي وأمارة بغيه الإباء والاستكبار والعجب والتمرد عن قبول النصيحة وكان يجر ثوبه كبراً وخيلاء وفي الحديث: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء» وكان يستخف بالفقراء ويمنع عنهم الحقوق وفي الحديث: «اتخذوا الأيادي عند الفقراء قبل أن تجيء دولتهم» أي: فإن لهم دولة عظيمة يوم القيامة يصل أثرها إلى من أطعمهم لقمة أو سقاهم شربة أو كساهم خرقة أو نحو ذلك فيأخذون بأيديهم ويدخلون الجنة بأمر الله تعالى.

قال أهل العلم بالأخبار: كان أول طغيانه وعصيانه أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أنه يأمر بني إسرائيل أن يعلقوا في أرديتهم خيوطاً أربعة خضراً في كل طرف خيط على لون السماء قال موسى: يا رب ما الحكمة فيه؟ قال: يذكرون إذا رأوها أن كلامي نزل من السماء ولا يغفلون عني وعن كلامي والعمل به قال موسى: أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضراً فإنهم يحقرون هذه الخيوط؟ فقال: يا موسى إن الصغير من أمري ليس بصغير فإنهم إن لم يطيعوني في الصغير لم يطيعوني في الكبير فأمرهم ففعلوا وامتنع قارون وقال: إنما يفعل هذا الأرباب بعبيدهم لكي يتميزوا من غيرهم فكان هذا ابتداء بغيه ولما عبروا البحر جعلت حبورة القربان وهي رياسة المذبح في هارون.

قال في «كشف الأسرار»: [در رياست مذبح آن بودكه بني إسرائيل قربان كه مي كردند بر طريق تعبد پيش هارون مي بردند وهارون بر مذبح مي نهاد تا آتش از اسمان فرود آمدي وبركر فتى] فحسده قارون وقال: يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة ولست في شيء وأنا أقرأ بني إسرائيل للتوراة ليس لي على هذا صبر فقال موسى: ما أنا جعلتها في هارون بل الله جعلها من فضله قال قارون: والله لا أصدقك في ذلك حتى تريني آية تدل عليه فأمر موسى رؤساء بني إسرائيل بوضع عصيهم في القبة التي الله فيها وينزل الوحي عليه ففعلوا وباتوا يحرسونها وأصبحوا فإذا بعصا هارون مورقة خضراء أي صارت بحيث لها ورق أخضر وكانت من شجرة اللوز فلما رأها قارون على تلك الحالة العجيبة قال: والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر واعتزل موسى وتبعه طائفة من بني إسرائيل وجعل موسى يداريه لما بينهما من القرابة وهو لا يلتفت إليه بل يؤذيه ولا يزيد إلا تجبراً وبغياً ﴿وآتيناه﴾ أي قارون ﴿من الكنوز﴾ أي الأموال المدخرة.

قال الراغب: الكنز جمع المال بعضه فوق بعض وحفظه من كنزت التمر في الوعاء انتهى. والفرق بين الركاز والمعدن والكنز أن الركاز هو المال المركوز في الأرض مخلوقاً كان أو موضوعاً والمعدن ما كان مخلوقاً والكنز ما كان موضوعاً ﴿ما﴾ موصولة أي الذي ﴿إن مفاتحه﴾ جمع مفتح بالكسر ما يفتح به أي مفاتح صناديقه ﴿لتنوء بالعصبة أولي القوة﴾ خبر أن والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتينا. وناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله فالباء للتعدية والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة.

وفي «المفردات»: جماعة معصبة أي متعاضدة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: العصبة في هذا الموضع أربعون رجلاً وخزائنه كانت أربعمائة ألف يحمل كل رجل منهم عشرة آلاف مفتاح. والمعنى لتثقلهم وتميل بهم إذا حملوها لثقلها. وبالفارسية [برداشتن آن مفاتح كران ميكند مردمان بانيروي را يعني مردمان از كران باري بجانبي ميل ميكنند] وقال بعضهم: وجدت في الإنجيل أن مفاتح خزائن قارون وقرستين بغلاً ما يزيد منها مفتح على أصبع لكل مفتح كنز ويقال كان قارون أينما ذهب يحمل معه مفاتح كنوزه وكانت من حديد فلما ثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر على طول الأصابع ﴿إذ قال له قومه﴾ منصوب بتنوء يعني موسى وبني إسرائيل وقيل: قاله موسى وحده بطريق النصيحة ﴿لا تفرح﴾ [شادي مكن بمال دنيا] والفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة وأكثر ما يكون ذلك في اللذات البدنية الدنيوية والفرح في الدنيا مذموم مطلقاً لأنه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فإن العلم بأن ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح حتماً ولذا قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] ولم يرخص في الفرح إلا في قوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨] وقوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٤-٥] وعلل النهي ههنا بكونه مانعاً منه محبة الله تعالى كما قال: ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ أي بزخارف الدنيا فإن الدنيا مبغوضة عند الله تعالى:

دنياي دني چيشت سراي ستمي ... افكنده هزار كشته درهر قدمي
كردست دهد كداي شادي نكند ... ورفوت شود نيز نيرزد بغمي

وإنما يحب من يفرح بإقامة العبودية وطلب السعادة الأخروية.

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۝٧٧﴾

﴿وابتغ﴾ أي: طلب ﴿فيما آتاك الله﴾ من الغنى لم يقل بما آتاك الله لأنه لم يرد بمالك وإنما أراد وابتغ في حال تملكك وفي حال قدرتك بالمال والبدن كما في «كشف الأسرار» ﴿الدار الآخرة﴾ أي ثواب الله فيها بصرفه إلى ما يكون وسيلة إليه من مواساة الفقراء وصلة الرحم وفك الأسير ونحوها من أبواب الخير. . . .

بدنيا تواني كه عقبى خرى ... بخرجان من ورثه حسرت خورى

﴿ولا تنس﴾ أي لا تترك ترك المنسي.

قال في «المفردات»: النسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلبه وإما عن غفلة أو عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره ﴿نصيبك من الدنيا﴾ وهو أن تحصل بها آخرتك أو تأخذ منها ما يكفيك وتخرج الباقي. وعن علي رضي الله عنه: لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك وفي ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ قال لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك».

وقال الكاشفي: [وفراموش مكن بهرهٔ خودرا ازمال دنيا بعني نصيب تو دروقت رحلت

ازين جهان كفني خواهد بود وپس ازان حال برانديش وبمال ومنال غره مشو].

كرملك توشام تايمن خواهد بود وزسرحد روم تاختن خواهد بود
آنروز كزين جهان كني عزم سفر همراه توچند كزكفن خواهد بود

قال الشيخ سعدي قدس سره:

اكرا پهلواني اكر تيغ زن نخواهي بدر بردن الأكفن

وقال بعض العارفين: نصيب العارف من الدنيا ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «حبب إليّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة» ففي الطيب الرائحة الطيبة وفي النساء الوجه الحسن وفي الصلاة فرح القلب وقد سبق غير هذا **﴿وأحسن﴾** إلى عباد الله **﴿كما أحسن الله إليك﴾** فيما أنعم به عليك. قال الشيخ سعدي قدس سره:

توانكري چودل دوست كامرانت هست بخور ببخش كه دنيا وآخرت بردى

وقال:

اكر كنج قارون بچنك آورى نماند مكر آنكه بخشى برى

﴿ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ نهي له عما كان عليك من الظلم والبغي.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿ولا تبغ الفساد في الأرض﴾** في أرض الروحانية بما آتاك الله من الاستعداد الإنساني باستعماله في مخالفات الشريعة وموافقات الطبيعة فإنه يفسد الاستعداد الروحاني والإنساني **﴿إن الله لا يحب المفسدين﴾** لسوء أفعالهم بل يحب المصلحين لحسن أعمالهم وقد اختار من عباده الأبدال فإنهم يجعلون بدل الجهل العلم وبدل الشح الجود وبدل الشره العفة وبدل الظلم العدالة وبدل الطيش التؤدة وبدل الفساد الصلاح فالإنسان إذا صار من لأبدال فقد ارتقى إلى درجة الأحباب.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًاۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

﴿قال﴾ قارون مجيباً للناصحين **﴿إنما أوتيته﴾** أي: هذا المال. **﴿على علم عندي﴾** حال من مرفوع أوتيته أو متعلق بأوتيته وعندي صفة له. والمعنى أوتيته حال كوني مستحقاً لما فيّ من علم التوراة وكان أعلمهم بها ادعى استحقاق التفضيل على الناس واستيجاب التفوق بالمال والجاه بسبب العلم ولم ينظر إلى منة الله تعالى وفضله ولذا هلك وهكذا كل من كان على طريقه في الادعاء والافتخار والكفران فإنه يهلك يوماً بشؤم معصيته وصنيعه. قال الحافظ:

مباش غره بعلم وعمل فقيه مدام كه هيچكس زقضاي خداي جان نبرد

وقال الصائب:

بفكر نيستي هركز نمي فتند مغروران اكرچه صورت مقراض لادارد كريبانها

وقال بعضهم: المراد بعلم علم الكيمياء وكان موسى يعلمه تعلماً من الله تعالى فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه أو تعلم قارون صنعة الكيمياء من كلثوم أخت موسى وكانت تعرف ذلك فرزق مالاً عظيماً يضرب به المثل على طول الدهر وكان يأخذ الرصاص فيجعله فضة والنحاس فيجعله ذهباً.

قال الزجاج: علم الكيمياء لا حقيقة له.

وفي «الكواشي»: ومتعاطي هذا العلم الكثير كذبه فلا يلتفت إليه.

يقول الفقير: وهو أولى من قول الزجاج فإن فيه إقراراً بأصله في الجملة وكذا بوجوده والكيمياء له حقيقة صحيحة وقد عمل به بعض الأنبياء وكمل الأولياء فإنه لا شك في الاستحالة والانقلاب بعد تصفية الأجساد وتظهرها من الكدورات وقد بين في موضعه ورأيت من وصل إليه بلا نكير والله العليم الخبير:

زكرامات بلند أوليا أولا شعرست وآخر كيميا

وقال بعضهم: المراد بالعلم علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب [كفته اند قارون چهل سال بركوه متعبد بود ودر عبادت وهد برهمه بني إسرائيل غلبه كرد وإبليس شياطين را مي فرستاد تااورا وسوسه كنند وبدنيا دركشند شياطين براو دست نمي يافتند إبليس خود برخاست وبصورت پيري زاهد متعبد برابروي نشست وخدايرا عبادت همي كرد تا عبادت إبليس بر عبادت وي بيفزود وقارون بتواضع وخدمت وي در آمد وهرچه ميكفت بإشارت وي ميرفت ورضاي وي مي جست إبليس. روزي كفت ما از جمعه وجماعت بازمانده ايم واز زيارت نيك مردان وتشييع جنازهاي مؤمنان محروم اكر درميان مردم باشيم وآن خصلتهاي نيكو بردست كيريم مكر صوابرتر باشد قارون را بدين سخن از كوه بزير آورد ودربيعه شدند وتعبد كاه إيشان معين ساختند مردم چون از حال ايشان باخبر شدند رفقا ازهر جانب روى بايشان نهاد وبا إيشان نيكو ميكردند وطعامها مي بردند. ورزي إبليس كفت اكرما بهفتهء يكروز بكسب مشغول باشيم واين بار وثقل از مردم فرونهيم مكر بهتر باشد قارون همان صواب ديد وروز آذينه بكسب شدند وباقي هفته عبادت همي كردند روزي جند برآمد إبليس كفت يكروز كسب كنيك ديكر روز عبادت تاآز معاش وبغت چيزي بسر آيد وبصدقه ميدهيم ومردمانرا از ما منفعت بود همان كردند وبكسب مشغول شدند تادوستيء كسب ودوستيء مال درسر قارون شد إبليس آنكاه ازوي جدايي كرفت وكفت من از كار خود كردم واورا دردام دنيا آوردم پس قارون بكسب مشغول كشت ودنيا بوي روي نهاد وطغيان بالا كرفت وادعاي استحقاق كرد بسبب علم مكاسب وطريق او] فقال تعالى: **﴿أولم يعلم﴾** [آيا نداست قارون يعني دانست] **﴿أن الله قد أهلك من قبله من القرون﴾** الكافرة. يعني [از أهل روز كارها] والقرن القوم المقترنون في زمن واحد **﴿من هو أشد منه قوة﴾** بالعدد والعدد **﴿وأكثر جمعاً﴾** للمال كنمرود وغيره.

وقال بعضهم: وأكثر جمعاً للعلم والطاعة مثل إبليس.

قال المفسرون: هذا تعجيب منه وتوبيخ له من جهته تعالى على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك الإهلاك قراءة في التوراة وتلقيناً من موسى وسماعاً من حفاظ التواريخ فالمعنى ألم يقرأ التوراة ويعلم ما فعل الله بأضرابه من أهل القرون السابقة حتى لا يغتر بما اغتر به:

مكن تكيه بر ملك وچاه وحشم كه پيش ازتو بودست وبعد از توهم
بكير عبرت از ماسواي قرون خورد ضرب هراسب كه باشد حرون

﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ عند إهلاكهم لئلا يشتغلوا بالاعتذار كما قال تعالى ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٦] كما في «التأويلات النجمية».

وقال الحسن: لا يسألون يوم القيامة سؤال استعلام فإنه تعالى مطلع عليها بل يسألون سؤال تقريع وتوبيخ.

وقال بعضهم: لا يسألون بل يعاقبون بلا توقف ولا حساب أو لا يسألون لأنهم تعرفهم الملائكة بسيماهم.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فخرج على قومه﴾ عطف على قال وما بينهما اعتراض وقوله: ﴿في زينته﴾ إما متعلق بخرج أو بمحذوف هو حال من فاعله أي كائناً في زينته والمراد الزينة الدنيوية فمن المال والأثاث والجاه يقال: زانه كذا وزينه إذا أظهر حسنه إما بالفعل أو بالقول. قيل: خرج قارون يوم السبت وكان آخر يوم من عمره على بغلة شهباء عليه الأرجوان يعني قطيفة أرغواني وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه. وقال بعضهم: ومعه تسعون ألفاً عليهم المعصفرات وهو أول يوم رؤي فيه اللباس المعصفر وهو المصبوغ بالعصفر وهو صبغ أحمر معروف وقد نهي الرجال عن لبس المعصفر لأنه من لباس الزينة وأسباب الكبر ولأن له رائحة لا تليق بالرجال وأصل الزينة عند العارفين وجوه مسفرة عليها آثار دموع الشوق والمحبة ساجدة على باب الربوبية.

قال ابن عطاء: أزين ما تزين به العبيد المعرفة ومن نزلت درجاته عن درجات العارفين فازين ما تزين به طاعة ربه ومن تزين بالدنيا فهو مغرور في زينته. قال الحافظ:

قلندران حقيقت به نيم چون نخرند قباي اطلس آنكس كه ازهنر عاريست

وفي «المثنوي»:

افتخار از رنك وبو واز مكان هست شادي وفريب كودكان

وقال الشيخ العطار رحمه الله:

همچو طفلان منكر اندرسرخ وزرد چون زنان مغرور رنك وبومكرد

وقال الشيخ السعدي:

كراجامه پاكست وسيرت پليد در دوزخشن را نبايد كليد

وقال المولى الجامي:

وصلش مجودر اطلس شاهي كه دوخت عشق

اين جامه برتني كه نهان زير زنده بود

﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا﴾ من بني إسرائيل جرياً على سنن الجبلة البشرية من الرغبة في السعة واليسار ﴿يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون﴾ [يا قوم كاشكي بودي مارا ازمال همچنانكه قارونرا دادند].

وقيل: يا ليت يا متمناي تعالى فهذا أوانك تمنوا مثله لا عينه حذراً من الحسد فدل على أنهم كانوا مؤمنين ﴿إنه لذو حظ عظيم﴾ لذو نصيب وافر من الدنيا.

قال الراغب: الحظ النصيب المقدر وهو تمنيهم وتأكيد له.

قال في «كشف الأسرار»: [فائده اين آيت آنست كه رب العالمين خبر ميدهد ماراكه مؤمن نبايدكه تمنى كند انچه طغيان در آنست از كثرت مال وذلك قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق: ٦-٧] بلكه ازخداي عز وجل كفاف خواهد دردنيا وبلغه

عيش جنانكه درخبرست] «اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً» وفي الحديث: «اللهم من أحبني فارزقه العفاف والكفاف ومن أبغضني فارزقه مالاً وولداً» وفي الحديث: «طوبى لمن هدي إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به»: قال الحافظ:

كنج زر كرنبود كنج قناعت باقيست   آنكه آن داد بشاهان كبدايان اين داد

وقال:

همايي چون توعاليقدر حرص استخوان حيفست
دريغا سايهٔ همت كه برنا أهل افكندي
درين بازار اكر سوديست بادرويش خرسندست
الهي منعمم كردان بدرويشي وخرسندي

وقال المولى الجامي:

هرسفله پي بكنج قناعت كجابرد   اين نقد در خزينهٔ ارباب همتست

وقال الشيخ السعدي:

نيرزد عسل جان من زخم نيش   قناعت نكوتر بدو شاب خويش

وفي «التأويلات النجمية»: إنما وقع نظرهم على عظمة الدنيا وزينتها لا على دناءتها وخساستها وهوانها وقلة متاعها لأنهم اغتذوا بغداء شبل حب الدنيا وزينتها المتولد من أسود ظلمات صفات النفس بعضها فوق بعض فهم ينظرون بنظر ظلمات صفات النفس بعد أن كانوا ينظرون بنظر نور صفات القلب يبصرون عزة الآخرة وعظمتها وخسة الدنيا وهوانها فإن الرضاع يغير الطباع.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾.

﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ بأحوال الآخرة وزهدوا في الدنيا أي قالوا للمتمنين ﴿ويلكم﴾ [واي برشما اي طالبان دنيا] وهو دعاء بالإهلاك. بمعنى ألزمكم الله ويلاً أي عذاباً وهلاكاً ساغ استعماله في الزجر عما لا يرتضى وقد سبق في طه. ﴿ثواب الله﴾ في الآخرة ﴿خير﴾ مما تتمنون ﴿لمن آمن وعمل صالحاً﴾ فلا يليق بكم أن تتمنوه غير مكتفين بثوابه ونعيمه ﴿ولا يلقاها﴾ أي ولا يوفق لهذه الكرامة كما في «الجلالين» والمراد بالكرامة الثواب والجنة ولا يعطى هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء وهي ثواب الله خير قال الله تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١] أي أعطاهم ولقيته كذا إذا استقبلته به. وبالفارسية وتلقيه وتلقين [نخواهد كرد اين كلمه كه علماً كفته اند يعني دردل وزبان نخواهند دار] ﴿إلا الصابرون﴾ على الطاعات وعن زينة الدنيا وشهواتها:

أهل صبر از جمله عالم برترند   صابران أزواج كردون بكذرند
هركه كاردتخم صبر اندر جهان   يدرود محصول عيش صابران

﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ يقال: خسف المكان يخسف خسوفاً ذهب في الأرض كما في «القاموس» وخسف القمر زال ضوءه وعين خاسفة إذا غابت حدتها والباء للتعدية. والمعنى

بالفارسية: [پس فرو برديم قارون وسراي اورا بزمين].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت الزكاة على موسى صالحه على أن يعطيه عن كل ألف دينار ديناراً وعن كل ألف درهم درهماً وعن كل ألف شاة شاة وذلك بالأمر الإلهي وكان الواجب عشر المال لا ربعه فحسب قارون ماله فوجد الزكاة مبلغاً عظيماً فمنعه البخل والحرص عن دفعها فجمع جمعاً من بني إسرائيل فقال لهم: إنكم قد أطعتم موسى في كل ما أمركم به وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم قالوا: أنت كبيرنا مرنا بما شئت قال: أريد أن أفضحه بين بني إسرائيل حتى لا يسمع بعد كلامه أحد فأمري أن تجلبوا فلانة البغي فنجعل لها جعلاً حتى تقذف موسى بنفسها فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه فدعوها فجعل لها قارون ألف دينار وطشتاً من ذهب على أن تفعل ما أمر به من القذف إذا حضر بنو إسرائيل من الغد وكان يوم عيد فلما كان الغد قام موسى خطيباً فقال: من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصناً رجمناه فقال قارون: وإن كنت أنت قال: وإن كنت أنا فقال: إن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق فتداركها الله بالتوفيق ووجدت في نفسها هيبة إلهية من تأثير الكلام فقالت: يا كليم الله جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي وأفتري عليك [ومن ناوجود كنهكاريها وبدكرداريهاي خود چه كنه پسندم كه برتو تهمت كويم] فخر موسى ساجداً لله تعالى يبكي ويشكو من قارون ويقول: اللهم إن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى الله إليه إني أمرت الأرض أن تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى: يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا ولم يبق مع قارون إلا رجلان ثم قال لقارون: يا عدو الله تبعث إليّ امرأة تريد فضيحتي على رؤوس بني إسرائيل يا أرض خذيهم فأخذتهم الأرض إلى الكعبين فأخذوا في التضرع وطلب الأمان ولم يلتفت موسى إليهم ثم قال: خذيهم فأخذتهم إلى الركب ثم إلى الأوساط ثم إلى الأعناق فلم يبق على وجه الأرض منهم شيء إلا رؤوسهم وناشده قارون الله والرحم فلم يلتفت موسى لشدة غضبه ثم قال: يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم الأرض:

آنراكه زمين كشد چون قارون نى موسيش آورد برون نى هارون
فاسد شده را زروز كار وارون لا يمكن أن يصلحه العطارون

قال الله تعالى: يا موسى استغاث بك فلم تغثه فوعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته قال: يا رب غضباً لك فعلت.

قال قتادة: خسف به فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة.

صاحب لباب [فوموده هرروز قارون بمقدار قامت خود بزمين ميرود] وعند نفخ الصور بأرض سفلى [خواهد رسيد].

وفي «كشف الأسرار»: [در قصه آورده اندكه هرروز يك قامت خويش بزمين فروميشدتا آنروز كه يونس در شكم ما هي در قعر بحر بدورسيد قارون از حال موسى پرسيد چنانكه خويشانرا پرسند] فأوحى الله تعالى إلى الأرض لا تزيدي في خسفه بحرمة أنه سأل عن ابن عمه ووصل به رحمه. ولما خسف به قال سفهاء بني إسرائيل إن موسى إنما دعا على قارون ليستقل

بداره وكنوزه وأمتعته ويتصرف فيها فدعا موسى فخسف بجميع أمواله وداره. قال الحافظ:

كنج قارون كه فرو ميرود از قهر هنوز
خوانده باشي كه هم از غيرت درويشانست

وقال:

أحوال كنج قارون كأيام داد برباد باغنچه باز كوييد تا زرنهان ندارد

وقال:

توانكرا دل درويش خود بدست آور كه مخزون زر وكنج درم نخواهد ماند

قال بعضهم: إن قارون نسي الفضل وادعى لنفسه فضلاً فخسف الله به الأرض ظاهراً وكم خسف بالأسرار وصاحبها لا يشعر بذلك وخسف الأسرار هو منع العصمة والرد على الحول والقوة وإطلاق اللسان بالدعاوى الفرضية والعمى عن رؤية الفضل والقعود عن القيام بالشكر على ما أولى وأعطى وحينئذ يكون وقت الزوال. وخرج قارون على قومه بالزينة. فهلك وهكذا حال من يخرج على أولياء الله بالدعاوى الباطلة والكبر والرياسة لا محالة يسقطون من عيونهم وقلوبهم بعد سقوطهم من نظر الحق وتنخسف أنوار إيمانهم في قلوبهم فلا يرى آثارها بعد ذلك نعوذ بالله سبحانه. ﴿فما كان له﴾ أي: لقارون ﴿من فئة﴾ جماعة.

قال الراغب: الفئة الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التعاضد انتهى من فاء، أي رجع. ﴿ينصرونه﴾ بدفع العذاب عنه وهو الخسف. ﴿من دون الله﴾ أي: حال كونهم متجاوزين نصرة الله تعالى ﴿وما كان من المنتصرين﴾ أي من الممتنعين عنه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر أي منعه فامتنع.

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿وأصبح﴾ أي: صار ﴿الذين تمنوا﴾ التمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها وأكثره تصور ما لا حقيقة له والأمنية الصورة الحاصلة في النفس من تمنى الشيء. ﴿مكانه﴾ أي: منزلته وجاهه ﴿بالأمس﴾ أي: بالوقت القريب منه فإنه يذكر الأمس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة. ﴿يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ أي: يضيق يقال: قدر على عياله بالتخفيف مثل قتر ضيق عليهم بالنفقة أي يفعل كل واحد من البسط والقدر أي التضييق بمحض مشيئته وحكمته لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يوجب القبض. وويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب [چنانست كه كسى از روى ترحم وتعجب باديكري كويد «وي لم فعلت ذلك» وي اين چيست كه توكردي] كما قال الراغب: وي كلمة تذكر للتحسر والتندم والتعجب تقول: وي لعبد الله انتهى وكأن للتشبيه. والمعنى ما أشبه الأمر إن الله يبسط الخ وعند الكوفين من ويك بمعنى ويلك وإن واعلم مضمر وتقديره ويك اعلم أن الله الخ. وبالفارسية [واي برتوبداي خداي تعالى الخ] وإنما استعمل عند التنبيه على الخطأ والتندم. والمعنى أنهم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وتندموا على ذلك. ﴿لولا أن من الله﴾ أنعم ﴿علينا﴾ فلم يعطنا ما تمنينا. وبالفارسية [اكر آن نبودي كه خداي تعالى منت نهادي برما ونداديما آنچه تمناي ما بودازدنيا] ﴿لخسف بنا﴾ [مارا

بزمين فروبرديد] كما خسف به لتوليد الاستغناء فينا مثل ما ولده فيه من الكبر والبغي ونحوهما من أسباب العذاب والهلاك ﴿ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ لنعمة الله أي لا ينجون من عذابه أو المكذبون برسله وبما وعدوا به من ثواب الآخرة.

قال في «كشف الأسرار»: حب الدنيا حمل قارون على جمعها وجمعها حمله على البغي عليهم وصارت كثرة ماله سبب هلاكه وفي الخبر: «حب الدنيا رأس كل خطيئة» [دوستي دنيا سر همه كناهها هست ومايهٔ هر فتنه وبيخ هرفساد. وهركه ازخداي بازماند بمهر ودوستي دنيا بازماند دنيا پلي كذشتني وبساطي در نوشتني ومرتع لافكاه مدعيان ومجمع باركاه بي خطران سرمايهٔ بي دولتان ومصطبهٔ بدبختان معشوقهٔ ناكسان وقبلهٔ خسيسان دوست بي وفا ودايهٔ بي مهر جمالي بانقاب دارد ورفتاري ناصواب وچون تودوست زير خاك صدهزاران هزار دارد برطارم طرازي نشسته واز شبكه بيرون مي نكرد وباتو ميكويد من چون توهزار عاشق از غم كسستم نالود بخون هيچكس انكشتم مصطفى عليه السلام كفت] «ما من أحد يصيب في الدنيا إلا وهو بمنزلة الضيف وماله في يده عارية فالضيف منطلق والعارية مردودة» وفي رواية أخرى «إن مثلكم في الدنيا كمثل الضيف وإن ما في أيديكم عارية» [ميكويد مثل شمادرين دنياي غدار مثل مهماني است كه بمهمان خانه فرو آيدهر آينه مهمان رفتني بود نه بودني هم چومرد كارواني كه بمنزل فرو آيد لا بد از آنجارخت بردارد درتمنا كندكه آنجابيستد سخت نادان وبي سامان بودكه آن نه بمقصود رسد ونه بخانه باز آيد جهد آن كن اي جوانمردكه پل بلوى بسلامت باز كذاري وآنرا دار القرار خود نساني ودل دروبندي تا برتو شيطان ظفر نيابد صد شير كرسنه دركلهٔ كوسفند چندان زيان بكندكه شيطان باتوكند] ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ [فاطر: ٦] وصد شيطان آن نكندكه نفس أمارة باتوكند «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك» [يكي تأمل كن دركار قارون بدبخت نفس وشيطان هردودست درهم دادند تا اورا زدين بر آوردند ازانكه آبش از سر چشمهٔ خود تاريك بود بكچند اورا باعمل عاريتي دادند لؤلؤ شاهوار همي نمود چون حكم ازلي وسابقهٔ أصلي در رسيد خود شبه قير رنك بود زبان حالش همي كويد].

من پندارم كه هستم اندر كاري اي برسر بندار چون من بسياري
اكنون كه نماند باقوم بازاري در ديدهٔ پنداشت زدم مسماري

واعلم أن تمني الدنيا مذموم إلا ما كان لغرض صحيح وهو صرفها إلى وجوه البر كالصدقة ونحوها.

وعن كبشة الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه. فأما التي أقسم عليهن فإنه ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله به عزاً ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله باب فقر. وأما الذي أحدثكم فاحفظوه» فقال: «إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله علماً ومالاً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعمل لله فيه بحقه فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته وأجرهما سواء وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعمل لله فيه بحقه وعبد لم يرزقه الله علماً ولا مالاً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته ووزرهما سواء» كما في «المصابيح».

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿تلك الدار الآخرة﴾ إشارة تعظيم كأنه قيل: تلك الجنة التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر قوله: ﴿نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض﴾ أي ارتفاعاً وغلبة وتسلطاً كما أراد فرعون حيث قال تعالى في أول السورة: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٨٣] ﴿ولا فساداً﴾ أي ظلماً وعدواناً على الناس كما أراد قارون حيث قال تعالى في حقه على لسان الناصح. ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٧٧] وفي تعليق الوعد بترك إرادتهما لا بترك أنفسهما مزيد تحذير منهما. ﴿والعاقبة﴾ الحميدة. وبالفارسية [سر انجام نيكو] ﴿للمتقين﴾ أي: للذين يتقون العلو والفساد وما لا يرضاه الله من الأقوال والأفعال. وعن علي رضي الله عنه أن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها يعني أن من تكبر بلباس يعجبه فهو ممن يريد علواً في الأرض.

وعن علي رضي الله عنه أنه كان يمشي في الأسواق وحده وهو والٍ يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ: ﴿تلك الدار﴾ الخ ويقول: نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل المقدرة من سائر الناس.

وعن عمر بن عبد العزيز كان يردد هذه الآية حتى قبض وكان عليه السلام يحلب الشاة ويركب الحمار ويجيب دعوة المملوك ويجالس الفقراء والمساكين.

قال بعض الكبار: احذر أن تريد في الأرض علواً أو فساداً والزم الذل والانكسار والخمول فإن أعلى الله كلمتك فما أعلاها إلا الحق وذلك أن يرزقك الرفعة في قلوب الخلق وإيضاح ذلك أن الله ما أنشأك إلا من الأرض فلا ينبغي لك أن تعلو على أمك واحذر أن تتزهد أو تتعبد أو تتكرم وفي نفسك استجلاب ذلك لكونه يرفعك على أقرانك فإن ذلك من إرادة العلو في الأرض وما استكبر مخلوق على آخر إلا لحجابه عن معية مع الحق ذلك المخلوق الآخر ولو شهدها لذلك وخضع.

قال في «كشف الأسرار»: [فردا درسراي عزت ساكنان مقعد صدق ومقربان حضرت جبروت قومي باشندكه در دنيا برتري ومهتري نجويند وخودرا ازهمه كس كهتر وكمتردانند وبچشم پسند هركز درخود ننكرد چنانكه آن جوانمرد طريقت كفت كه از موقف عرفات بازكشته بود أورا كفتند] كيف رأيت أهل الموقف قال: رأيت قوماً لولا أني كنت فيهم لرجوت أن يغفر الله لهم. قال الشيخ سعدي:

بزركي كه خودرا ز خرادن شمرد بدنيي وعقبى پزركي ببرد
تو آنكه شوي پيش مردم عزيز كه مر خويشتن را نكيري بچيز

[يكي از بزركان دين إبليس را ديد كفت مارا پندي ده كفت مكو من تانشوي چون من شيخ حيف كفت مني بيفكندن درشريعت زندقه است ومنى اثبات كردن درحقيقت شرك است جون در مقام شريعت باشي همي كوي كه اوخود همه از وشريعت تعاليست وحقيقت أحوال أقوام أفعال بتو ونظام أحوال باإو].

قال بعضهم: العلو النظر إلى النفس والفساد النظر إلى الدنيا والدنيا خمر إبليس من شرب منها شربة لا يفيق إلا يوم القيامة ويقال: العلو الخطرات في القلب والفساد في الأعضاء

فمن كان في قلبه حب الرياسة والجاه وحظوظ النفس وفي أعماله الرياء والسمعة فهو لا يصل إلى مقام القرب وكذا من كان في قلبه سوء العقيدة وفي جوارحه عبادة غير الله والدعوة إليها وأخذ الأموال وكسر الأعراض واستحلال المعاصي فهو لا يصل إلى الجنة أيضاً وهو قرين الشيطان والشياطين في النار مع قرنائهم.

واعلم أن العلو في أرض البشرية علو الفراعنة والجبابرة والأكاسرة والعلو في أرض الروحانية علو الأبالسة وبعض الأرواح الملكية مثل هاروت وماروت وكلاهما مذموم وكذا الفساد النظر إلى غير الله فالله تعالى لا يجعل مملكة عالم الغيب والملكوت إلا في تصرف من خلص من طلب العلو والنظر إلى الغير بنظر المحبة وسلم التصرف كله إلى المالك الحقيقي وخرج من البين.

هرچه خواخي بكن كه ملك تراست

جعلنا الله وإياكم من الآخذين بذيل حقيقة التقوى وعصمنا من الاعتراض والانقباض والدعوى.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

﴿**من جاء بالحسنة**﴾ [هركجا بيارد خصلت نيكو در روز قيامت] ﴿**فله**﴾ بمقابلتها ﴿**خير منها**﴾ ذاتاً ووصفاً وقدراً أما الخيرية ذاتاً فظاهرة في أجزية الأعمال البدنية لأنها أعراض وأجزيتها جواهر وكذا في المالية إذ لا مناسبة بين زخارف الدنيا ونفائس الآخرة في الحقيقة وأما وصفاً فلأنها أبقى وأنقى من الآلام والأكدار وأما قدراً فللمقابلة بعشر أمثالها لا أقل يعني أنه يجازي بالحسنة الواحدة عشراً فيكون الواحد ثواباً مستحقاً والتسعة تفضلاً وجوداً والتسعة خير من الواحد من ذلك الجنس.

وقال بعضهم: الحسنة المعرفة وما هو خير منها هو الرؤية. أو الإعراض عما سوى الله وما هو خير منه هو مواهب الحق تعالى لأن الإعراض مضاف إلى الفاني ومتعلق بالمخلوق والمواهب مضافة إلى الباقي ومتعلقة بالقديم. ﴿**ومن جاء بالسيئة**﴾ كالشرك والرياء والجهل ونحوها ﴿**فلا يجزى الذين عملوا السيئات**﴾ وضع فيه الظاهر موضع الضمير لتهجين حالهم بتكرير إسناد السيئة إليهم وفائدة هذه الصورة انزجار العقلاء عن ارتكاب السيئات.

هرچه در شرع وعقل بد باشد نكند هركه باخرد باشد

﴿**إلا ما كانوا يعملون**﴾ إلا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل وأقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة أخبر تعالى أن السيئة لا يضاعف جزاؤها فضلاً منه ورحمة ولكن يجزي عليها عدلاً فليجتنب العبد عما نهت عنه الفتوى والتقوى إذ لكل نوع من السيئة نوع من الجزاء عاجلاً وآجلاً. وفي «المثنوي»:

هرچه برتو آيد از ظلمات وغم آن زبى شرمى وكستاخيست هم

حكي: عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله: أنه كان بمكة فاشترى من رجل تمراً فإذا هو بتمرتين في الأرض بين رجليه ظن أنهما من الذي اشتراه فرفعهما وأكلهما وخرج إلى بيت المقدس وفيه قبة تسمى الصخرة فدخلها وسكن فيها يوماً وكان الرسم أن يخرج منها من كان

فيها لتخلو للملائكة فأخرج بعد العصر من كان فيها فانحجب إبراهيم ولم يروه فبقي الليلة فيها ودخل الملائكة فقالوا: ههنا حس آدمي وريحه قال واحد منهم: هو إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان وقال آخر: الذي يصعد منه كل يوم إلى السماء عمل متقبل قال: نعم غير أن طاعتة موقوفة منذ سنة ولم تستجب دعوته منذ سنة لمكان التمرتين عليه قال: ثم نزلت الملائكة واشتغلوا بالعبادة حتى طلع الفجر ورجع الخادم وفتح القبة وخرج إبراهيم وتوجه إلى مكة وجاء إلى باب ذلك الحانوت فإذا هو بفتى يبيع التمر فسلم عليه وقال: كان ههنا شيخ في العام الأول فأخبره أنه كان والدي فارق الدنيا فقص إبراهيم قصة التمرتين فقال الفتى: جعلتك في حل من نصيبي وأنت أعلم في نصيب أختي ووالدتي؟ قال: فأين أختك ووالدتك قال: هما في الدار فجاء إبراهيم إلى الباب وقرعه فخرجت عجوز متكئة على عصاها فسلم إبراهيم عليها وأخبرها القصة قالت: جعلتك في حل من نصيبي وكذا ابنتها فخرج إبراهيم وتوجه إلى بيت المقدس ودخل القبة فدخلت الملائكة وقالوا: هو إبراهيم وكان لا تستجاب دعوته منذ سنة غير أنه أسقط ما عليه من التمرتين فقبل الله ما كان موقوفاً من طاعته واستجاب دعوته وأعاده إلى درجته فبكى إبراهيم فرحاً وكان بعد ذلك لا يفطر إلا في كل سبعة أيام بطعام يعلم أنه حلال.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن جزاء السيئات على حسب ما يعملون من السيئات فإن كانت السيئة الشرك بالله فجزاؤه النار إلى الأبد وإن كانت المعاصي فجزاؤها العذاب بقدر المعاصي صغيرها وكبيرها وإن كانت حب الدنيا وشهواتها فجزاؤه الحرمان من نعيم الآخرة بحسبها وإن كانت طلب الجاه والرياسة والسلطنة الدنيوية فجزاؤه الذلة والصغار ونيل الدركات وإن كانت طلب نعيم الآخرة ورفعة الدرجات فجزاؤه الحرمان من الكمالات وكشف شواهد الحق تعالى وإن كانت التلذذ بفوائد العلوم واستحلاء المعاني المعقولة فجزاؤه الحرمان من كشوف العلوم والمعارف الربانية وإن كانت ببقاء الوجود فجزاؤه الحرمان من الفناء في الله والبقاء بالله بتجلي صفات الجمال والجلال انتهى كلامه قدس سره.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾

﴿إن الذي﴾ أي: إن الله الذي ﴿فرض عليك القرآن﴾ أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به. ﴿لرادك﴾ أي: بعد الموت والرد الصرف والإرجاع ﴿إلى معاد﴾ أي: مرجع عظيم يغبطك به الأولون والآخرون وهو المقام المحمود الموعود ثواباً على إحسانك في العمل وتحمل هذه المشقات التي لا تحملها الجبال.

وقال الإمام الراغب في «المفردات»: الصحيح ما أشار به أمير المؤمنين وذكره ابن عباس رضي الله عنهما: أن ذلك الجنة التي خلقه الله تعالى فيها بالقوة في ظهر آدم وأظهره منه يقال: عاد فلان إلى كذا وإن لم يكن فيه سابقاً.

وأكثر أهل التفسير على أن المراد بالمعاد مكة تقول العرب رد فلان إلى معاده يعني إلى بلده لأنه يتصرف في الأرض ثم يعود إلى بلده والآية نزلت بالجحفة بتقديم الجيم المضمومة على الحاء الساكنة موضع بين مكة والمدينة وهو ميقات أهل الشام وعليه المولى الفناري في «تفسير الفاتحة». والمعنى لراجعك إلى مكان هو لعظمته أهل لأن يقصد العود إليه كل من

خرج منه وهو مكة المشرفة وطنك الدنيوي. وروي: أنه لما خرج رسول الله ﷺ من الغار مهاجراً إلى المدينة ومعه أبو بكر رضي الله عنه عدل عن الطريق مخافة الطلب فلما أمن رجع إلى الطريق ونزل الجحفة وكانت قرية جامعة على اثنين وثمانين ميلاً من مكة وكانت تسمى مهيعة فنزلها بنو عبيد وهم إخوة عاد وكان أخرجهم العماليق من يثرب فجاءهم سيل فأجحفهم، أي ذهب بهم فسميت جحفة فلما نزل اشتاق إلى مكة لأنها مولده وموطنه ومولد آبائه وبها عشيرته وحرم إبراهيم عليه السلام.

مشتاب ساريان كه مرا پاي دركلست بيروت شدن زمنزل أصحاب مشكلست
چون عاقبت زصحبت ياران بريدنست پيوند باكسي نكند هركه عاقلست

وقال:

فتنها دارانجمن پيداشود از شورمن چون مرادر خاطر آيد مسكن ومأواي دوست

فنزل جبريل عليه السلام فقال له: أتشتاق إلى مكة قال: نعم.

ممكن نشد شرح دهم اشتياق را

فأوحاها أي الآية إليه وبشره بالغلبة والظهور أي لرادك إلى مكة ظاهراً من غير خوف فلا تظن أنه يسلك به سبيل أبويك إبراهيم في هجرته من حران بلد الكفر إلى الأرض المقدسة فلم يعد إليها وإسماعيل من الأرض المقدسة إلى أقدس منها فلم يعد إليها. قال الحافظ:

سروش عالم غيبم بشارتي خوش داد كه كس هميشه بكيتي دژم نخواهد ماند

قال ابن عطاء رحمه الله: إن الذي يسر عليك القرآن قادر على أن يردك إلى وطنك الذي ظهرت منه حتى تشاهد سرك على دوام أوقاتك كما قال في «تأويلات الكاشفي»: [معاد فنا في الله است دراحديت ذات وبقا بالله درمقام تحقق بجميع صفات وبرسالك متبصر انيجا سر منه بدا وإليه يعود روشن ميكردد.

چون اوزبد اين وآنرا ابتدا هم بدو بايدكه باشد انتها
نورها يي راكه كرداز حق طلوع جمله راهم سوى أو باشدر جوع

ثم قرر الوعد السابق فقال: ﴿قل ربي أعلم﴾ يعلم ﴿من جاء بالهدى﴾ وما يستحقه من الثواب في المعاد والنصرة في الدنيا ﴿ومن هو في ضلال مبين﴾ يريد به المشركين.

ودلت الآية على أن الله تعالى يفتح على المهتدي ويقهر الضال ولكل عسر يسر فسوف يراه من يصبر فلا ينبغي للعاقل أن ييأس من روح الله. روي: أن رجلاً ركب البحر فانكسرت السفينة فوقع في جزيرة فمكث ثلاثة أيام لا يرى أحداً ولم يذق شيئاً فتمثل بقوله:

إذا شاب الغراب أتيت أهلي وصار القير كاللبن الحليب
وصار البر مسكن كل حوت وصار البحر مرتع كل ذيب

فسمع هاتفاً يهتف:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويفك عان ويأتي أهله الرجل الغريب

قال: فما لبث ساعة إلا فرج الله عنه.

وفي تفسير الآية إشارة إلى أن حب الوطن من الإيمان وكان عليه السلام يقول كثيراً الوطن الوطن فحقق الله سؤله يقال: الإبل تحن إلى أوطانها وإن كان عهدها بعيداً والطير إلى

وكره وإن كان موضعه مجدباً والإنسان إلى وطنه وإن كان غيره أكثر له نفعاً وقدم أصيل الغفاري على رسول الله ﷺ قبل أن يضرب الحجاب فقالت له عائشة رضي الله عنها: كيف تركت مكة؟ قال: اخضر نباتها ابيض بطحاؤها وأغدق إذخرها واث سملها فقال عليه السلام: «حسبك يا أصيل لا تحزني» قال عمر رضي الله عنه: لولا حب الوطن لخرب بلد السوء فبحب الأوطان عمرت البلدان.

واعلم أن الميل إلى الأوطان وإن كان لا ينقطع عن الجنان لكن يلزم للمرء أن يختار من البقاع أحسنها ديناً حتى يتعاون بالإخوان.

قيل لعيسى عليه السلام من نجالس يا روح الله قال: من يزيد في علمكم منطقه ويذكركم الله رؤيته ويرغبكم في الآخرة عمله. قال الشيخ سعدي قدس سره:

سعد يا حب وطن كرچه حديث است صحيح نتوان مرد بسختي كه من اينجا زادم

وقال الحافظ:

ديار يار مرد مرا مقيد ميكند ورنه

چه جاي فارس كين محنت جهان بكسر نمي

ازرد

والعاقل يختار الفراق عن الأحباب والأوطاق ولا يجترىء على الفراق عن الملك الديان:

لكل شيء إذا فارقته عوض وليس لله إن فارقت من عوض

فاقطع الألفة عما سوى الله اختياراً قبل الانقطاع اضطراراً:

الفت مكير همچو ألف هيچ باكسى تابستهٔ الم نشوى وقت انقطاع

ذو النون مصري قدس سره: [ميكويد روزي دراثناي سفركه شهري رسيدم خواستم كه داراندرون شهر روم بردران شهر كوشكي ديدم وجوبي روان بنزيدك جوى رفتم وطهارت كردم چون چشم بربام كوشك افتاد كنيزكي را ديدم ايستاده درغايت حسن وجمال چون نظر أو بمن افتاد كفت أي ذو النون من ترا ازدور ديدم پنداشتم كه مجنوني وچون طهارت كردي تصور كردم عالمي وچون از طهارت فارغ شدي وپيش آمدي پنداشتم عارفي أكنون محقق شدم نه مجنوني نه عالمي ونه عارفي كفتم چرا كفت أكر ديوانه بودي طهارت نكردي واكر عالم بودي نظر بخانهٔ بيكانه ونا محرم نكردي واكر عارف بودي دل تو بما سوى الله مايل نبودي] كذا في جليس الخلوة وأنيس الوحدة.

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

﴿**وما كنت**﴾ يا محمد ﴿**ترجو أن يلقى إليك الكتاب**﴾ أي يرسل وينزل كما تقول العجم خبر [بمن افكند] كما في «كشف الأسرار» والمعنى سيردّك أي معادك كما ألقى إليك القرآن وما كنت ترجوه فهو تقرير للوعد السابق أيضاً ﴿**إلا رحمة من ربك**﴾ ولكن ألقاه إليك رحمة منه فاعمل به فالاستثناء منقطع.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب**﴾ القرآن إلقاء الإكسير

على النحاس لتعديل جوهر نحاس أنانيتك بإبرز هويته ما كان ذلك ﴿إلا رحمة من ربك﴾ اختصك بهذه الرحمة عن جميع الأنبياء لأن كتبهم أنزلت في الألواح والصحف على صورتهم وكتابك نزل به الروح الأمين على قلبك إلقاء كإلقاء الإكسير ﴿فلا تكونن ظهيراً﴾ [پشت ويار] ﴿للكافرين﴾ على ما كانوا عليه بل كن ظهيراً ومعيناً للمؤمنين.

﴿ولا يصدنك﴾ أي لا يصرفنك ويمنعنك الكافرون ﴿عن آيات الله﴾ أي عن قراءتها والعمل بها ﴿بعد إذ أنزلت﴾ تلك الآيات القرآنية ﴿إليك﴾ وقرئت عليك وذلك حين دعوه عليه السلام إلى دين آبائهم وتعظيم أوثانهم والموافقة إلى أباطيلهم. ﴿وادع﴾ الناس ﴿إلى ربك﴾ إلى عبادته وتوحيده ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ بمساعدتهم في الأمور.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ في الدعوة بأن تدعو طلاب الحق وعشاقه إلى الجنة والنعيم فادعهم إلى ربهم خالصاً عن شرك الجنة.

وفي «فتح الرحمن» وجميع الآية يتضمن المهادنة والموادعة وهذا كله منسوخ بآية السيف انتهى.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿ولا تدع مع الله إلٰهاً آخر﴾: قال الكاشفي: [مخاطب درين آيات حضرت پيغمبراست ومرادامت اند وفائدهء خاب بآن حضرت قطع طمع مشركانست از موافقت وي باايشان] وفيه إظهار أن المنهي عنه في القبح بحيث ينهي عنه من لا يمكن صدوره عنه أصلاً. ﴿لا إله إلا هو﴾ وحده. ﴿كل شيء﴾ من الإنسان والحيوان والجن والشيطان والملك والحور عين والجنة والنار والعرش والكرسي ونحوها. ﴿هالك﴾ الهلاك هنا بطلان الشيء من العالم وعدمه رأساً أي فانٍ وباطل ومعدوم ولو لحظة. ﴿إلا وجهه﴾ إلا ذاته تعالى فإنه واجب الوجود وكل ما عداه ممكن في حد ذاته عرضة للهلاك والعدم والوجه يعبر به عن الذات.

وقال أبو العالية: كل شيء فانٍ إلا ما أريد به وجهه من الأعمال وفي الأثر: «يجاء بالدنيا يوم القيامة فيقال: ميزوا ما كان منها لله فيميز ما كان منها لله ثم يؤمر بسائرها فيلقى في النار».

وقال بعض أكابر العارفين: الضمير راجع إلى الشيء والمعنى كل شيء فانٍ في حد ذاته إلا وجهه الذي يلي جهته تعالى وذلك لأن الممكن له وجود ماهية عارضة على وجوده فماهيته أمر اعتباري معدوم في الخارج لا يقبل الوجود فيه من حيث هو هو ووجوده موجود لا يقبل العدم من حيث هو هو كما قال بعضهم: الأعيان من حيث تعيناتها العدمية وهي الإمكان والحدوث راجعة إلى العدم وإن كانت باعتبار الحقيقة والتعينات الوجودية عين الوجود فإذا قرع سمعك من كلام العارفين أن عين المخلوق عدم والوجود كله لله فتلق بالقبول فإنه يقول ذلك من هذه الجهة قال المغربي:

غير تونيست أماهستي همي نمايد چون پيش چشم تشنه درباديه سرابي

وقال المولى الجامي:

شهود ياردر اغيار مشرب جاميست كدام غيركه لا شيء في الوجود سواه

﴿له الحكم﴾ أي: القضاء النافذ في الخلق ﴿وإليه﴾ لا إلى غيره تعالى ﴿ترجعون﴾

تردون عند البعث للجزاء بالحق والعدل فمن كان رجوعه بالاضطرار وجد الجبار القهار فوفاه حسابه ومن كان رجوعه بالاختيار وجد العفو الغفار فأفرغ عليه ثوابه وذلك بالفناء قبل الفناء بإزالة حجاب التعين وإذابة أنانيات الوجود.

قال الشيخ سعدي:

اي بـرادر چـو عـاقـبـت خـاكـسـت   خـاك شـوپـيـش ازانـكـه خـاك شـوى

[در شرح عوارف مذكور است كه نكفت نهلك تامعلوم شودكه وجود همه اشيادر وجود أو امروز هالك است وحواله مشاهده اين حال بفردا درحق محجوبانست] ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: ٦ـ٧]:

بـاوجـودتـو زمـن راسـت نـيـايـدكـه مـنـم

قال الشيخ أبو الحسن البكري قدس سره: استغفر الله مما سوى الله أي لأن الباطل يستغفر من إثبات وجوده لذاته والعارف لا ينظر إلى الوجود الموهوم فيفنيه بحقائق التوحيد ويتحقق بسر الوحدة الذاتية والهوية الإلٰهية.

قال في «كشف الأسرار»: [هو يك حرفست فرد إشارت فرا خداوند فردنه مست ونه صفت أما إشارتست فراخداوندي كه اورا نامست وصفت وآن يك حرف هاست واوقرار كاه نفس است نه بيني كه چون تثنيه كني هما كويي نه هو ما تابداني كه آن خوديك حرفست تنها دليل برخداوند يكتا همه أسامى وصفات كه كويي از سرزبان كويي مكر هوكه آن ازميان جان برآيد از صميم سينه وقعر دل رود زبان ولب را باوي كاري نيست مردان راه دين وخداوندان عين اليقين كه دلهاء صافي دارند وهمتهاء عالي وسينهاء خالي چون از قعر سينه نبود خود حقيقت هويت بروي مكشوف إيشان اين كلمه سربرزند مقصودومفهوم ايشان جز حق جل جلاله نبود تاچنين جوانمردي نكدد آن عزيزي كه درراهي ميرفت درويشي پيش وي باز آمد وكفت از كجا مي آيي كفت هو كفت كجاميروي كفت هو كفت مقصودت چيست كفت هو از هرچه سؤال ميكردي مي كفت هو اين چنانست كه كفته اند].

از بـس كـه دويـده درخـيـالـت دارم   درهـرچـه نـكـه كـنـم تـويـي پـنـدارم

فلا معبود إلا هو كما للعابدين ولا مقصود إلا هو كما للعاشقين ولا موجود إلا هو كما للمكاشفين الواجدين.

تمت سورة القصص بعون الله تعالى

في أواخر شهر ربيع الأول من سنة تسع ومائة وألف.

٢٩ ـ تفسير سورة العنكبوت

تسع وستون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾.

﴿الم﴾ قال الكاشفي: [حروف مقطعة جهت تعجيز خلق است تادانندكه كسى را بحقائق اين كتاب راه نيست وعقل هيچ كامل از كنه معرفت اين كلام آكاه ني.

خــرد عــاجــز وفــهــم دروي كــم اســت

در حروف أول اين سورة كفته اند ألف اشارتست باسم الله ولام بلطيف وميم بمجيد ميفرمايدكه الله منم روى بطاعت من آر لطيف منم إخلاص در عبادت فرومكذار مجيد منم بزركي ديكران مسلم مدار].

يقول الفقير: من لطفه الابتلاء لأنه لتخليص الجوهر من الكدورات الكونية وتصفية الباطن من العلائق الإمكانية. ومن مجده وعظمته خضع له كل شيء فلا يقدر أن يخرج عن دائرة التسخير ويمتنع عن قبول الابتلاء. وفي الألف إشارة أخرى وهي استغناؤه عن كل شيء واحتياج كل شيء إليه كاستغناء الألف عن الاتصال بالحروف واحتياج الحروف إلى الاتصال به.

﴿أحسب الناس﴾ الحسبان بالكسر الظن كما في «القاموس».

وقال في «المفردات»: الحسبان هو أن يحكم لأحد النقيضين أحدهما على الآخر.

نزلت في قوم من المؤمنين كانوا بمكة وكان الكفار من قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام فكانت صدورهم تضيق لذلك ويجزعون فتداركهم الله بالتسلية بهذه الآية.

قال ابن عطية: وهذه الآية وإن كانت نزلت بهذا السبب في هذه الجماعة فهي في معناها باقية في أمة محمد موجود حكمها بقية الدهر والمعنى بالفارسية: [آيا پنداشتند مردمان يعني اين ظن منكر ومستبعداست] ﴿أن يتركوا﴾ أي يهملوا سادّ مسدّ مفعولي حسب لاشتماله على مسند ومسند إليه ﴿أن﴾ أي لأن ﴿يقولوا آمنا وهم﴾ أي والحال أنهم ﴿لا يفتنون﴾ لا يمتحنون في دعواهم بما يظهرها ويثبتها أي أظنوا أنفسهم متروكين بلا فتنة وامتحان بمجرد أن يقولوا آمنا بالله يعني أن الله يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وأنواع المصائب في الأنفس والأموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليه عوالي الدرجات فإن مجرد الإيمان وإن كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب.

عاشقانرا درد دل بسيارمي بايدكشيد　　جوريان وطعنهٔ أغيار مي بايدكشيد

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿أحسب الناس﴾ يعني: الناسين من أهل الغفلة والبطالة ﴿أن يتركوا أن يقولوا آمنا﴾ بالتقليد والجهالة بمجرد الدعوى دون المطالبة بالبلوى. ﴿وهم لا يفتنون﴾ بأنواع البلاء لتخليص إبريز الولاء فإن البلاء للولاء كاللهب للذهب وإن المحبة والمحنة توأمان فلا مميز بينهما إلا نقطة الباء وبه يشير إلى أن أهل المحبة إذا أوقعوا أنفسهم كنقة الباء تحتها تواضعاً لله رفعهم الله كالنقطة فوق النون ومن تكبر وطلب الرفعة والعلو في الدنيا كالنقطة فوق النون وضعه الله بالذلة كالنقطة تحت الباء. وقيل: عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان فمن زاد قدر معناه زاد قدر بلواه كما قال عليه السلام: «يبتلى الرجل على حسب دينه» وقال: «البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل» فالعافية لمن لا يعرف قدرها كالداء والبلاء لمن يعرف قدره كالدواء فالبلاء على النفوس لإخراجها من أوطان الكسل وتصريفها في أحسن العمل والبلاء على القلوب لتصفيتها من شين الرين لقبول نقوش الغيوب والبلاء على الأرواح لتجردها بالبوائق عن العلائق والبلاء على الأسرار في اعتكافها في شاهد الكشف بالصبر على آثار التجلي إلى أن يصير مستهلكاً فيه باقياً به وإن أشد الفتن حفظ وجود التوحيد لئلا يجري عليه مكر في أوقات غلبات شواهد الحق فيظن أنه هو الحق ولا يدري أنه من الحق ولا يقال إنه الحق وعزيز من يهتدي إلى ذلك انتهى.

قال ابن عطاء: ظن الخلق أنهم يتركون مع دعاوى المحبة ولا يطالبون بحقائقها وحقائق المحبة هي صب البلاء على المحب وتلذذه بالبلاء فبلاء يلحق جسده وبلاء يلحق قلبه وبلاء يلحق سره وبلاء يلحق روحه وبلاء النفس في الظاهر الأمراض والمحن وفي الحقيقة منعها عن القيام بخدمة القوي العزيز بعد مخاطبته إياها بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وبلاء القلب تراكم الشوق ومراعاة ما يرد عليه في الوقت بعد الوقت من ربه والمحافظة على أقواله مع الحرمة والهيبة وبلاء السر هو المقام مع من لا مقام للخلق معه والرجوع إلى من لا وصول للخلق إليه وبلاء الروح الحصول في القبضة والابتلاء بالمشاهدة وهذا ما لا طاقة لأحد فيه. وفي «البستان» في حق العشق:

دمادم شراب ألم دركشند ... وكر تلخ بينند دم دركشند
بلاي خماراست در عيش مل ... سلحدار خارست باشاه كل
نه تلخست صبري كه برياداوست ... كه تلخى شكر باشد از دست دوست
اسيرش نخواهد رهايي زبند ... شكارش نجويد خلاص ازكمند

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾

﴿ولقد فتنا﴾ [وبدرستي كه ما امتحان كرديم ودر فتنه انداختيم]. ﴿الذين من قبلهم﴾ أي: من قبل الناس وهم هذه الأمة ومن قبلهم هم الأنبياء وأممهم الصالحون يعني أن ذلك سنة قديمة إلهية مبنية على الحكم والمصالح جارية في الأمم كلها فلا ينبغي أن يتوقع خلافها وقد أصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو أشد مما أصاب هؤلاء فصبروا كما يعرب عنه قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ [آل عمران: ١٤٦] يعني: [أين صورت درهمه أمم واقع بود ونقد دعوى هريك را برمحك بلا آزموده اند].

وفي الحديث: «كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فينفرق فرقتين ما يصرفه

ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظم ولحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه» **﴿فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾** معنى علمه تعالى وهو عالم بذلك فيما لم يزل أن يعلمه موجوداً عند وجوده كما علمه قبل وجوده أنه يوجد. والمعنى فوالله ليتعلقن علمه تعالى بالامتحان تعلقاً حالياً يتميز به الذين صدقوا في الإيمان بالله والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب ويرتب عليه أجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل: المعنى ليميزن أو ليجازين يعني أن بعضهم فسر العلم بالتمييز والمجازاة على طريق إطلاق السبب وإرادة المسبب فإن المراد بالعلم تعلقه الحالي الذي هو سبب لهما.

قال ابن عطاء: تبين صدق العبد من كذبه في أوقات الرخاء والبلاء فمن شكر في أيام الرخاء وصبر في أيام البلاء فهو من الصادقين ومن بطر في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين.

در محبت هركه أو دعوى كند صدهزاران امتحان بروى زنند
كربود صادق كد بارجفا وبور كاذب كريزد از بلا

قيل:

آن بود دل كه وقت بيچاپيچ اندر وجز خدا نيابي هيچ

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن صدق الصادقين وكذب الكاذبين الذي عجن في تخمير طينتهم لا يظهر إلا إذا طرح في نار البلاء فإذا طرح فيها تصاعدت منها روائح الصبر وفوائح الشكر عن عود جوهر الصادقين أو بضده يصعد من الضجر وكفران النعمة وشق جوهر الكاذبين وأنهم في البلاء على ضروب منهم من يصبر في حال البلاء ويشكر في حال النعماء وهذه صفة الصادقين ومنهم من ضجر ولا يصبر في البلاء ولا يشكر في النعماء فهو من الكاذبين ومنهم من يؤثر في حال الرخاء ولا يستمتع بالعطاء ويستروح إلى البلاء فيستعذب مقاساة الضر والعناء وهذا أحد الكبراء انتهى.

واعلم أن البلاء كالملح يصلح وجود الإنسان بإذن الله تعالى كما أن الملح يصلح الطعام وإذا أحب الله عبداً جعله للبلاء غرضاً أي هدفاً وكل محنة مقدمة لراحة ولكل شدة نتيجة شريفة [آورده اندكه أمير نصر أحمد ساماني را معلمي بودكه در أيام كودكي أورا بسيار رنجانيدي وأمير نصر باخود عهد كرده بودكه چون بزرك شود وبپادشاهي رسد ازو انتقام خواهد چون بزرك شد وبپادشاهي رسيد روزي در اثناي فكر آن معلم را ياد آورد وخادمي راكفت برو أورا حاضر كردان واز باغ چوبى چندان باخودبيار خادم برفت وبإحضار أو فرمان برد ومعلم را دريافت وتاهر دوروانه شدند حاضر در راه چوب بود ببرداشت أو تحريك داد وروى بمعلم نهاد وكفت جاي خود چون بيني معلم دست در آستين كرد وبهي بيرون آورد وكفت عمر أمير درازباد اين ميوه باين لطيفي وآبداري ازان چوبست وچندين أخلاق حميدة واستعداد پادشاهي كه حاصل فرموده است ازخوردن آن چوب بوده است باقي فرمان أمير راست أمير نصر را اين سخن خوش آمد وتشريف ونواخت بسيار ارزاني فرمود].

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَـَٔاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾.

﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾ أي: الكفر والمعاصي فإن العمل يعم أفعال القلوب والجوارح. ﴿أن يسبقونا﴾ أصل السبق التقدم في السير ثم تجور به في غيره من التقدم أي يفوتونا ويعجزونا فلا نقدر على مجازاتهم على مساويهم وهو سادّ مسدّ مفعولي حسب لاشتماله على مسند ومسند إليه وأم منقطعة بمعنى بل والهمزة وبل ليس لإبطال السابق لأن إنكار الحسبان الأول ليس بباطل بل للانتقال من التوبيخ بإنكار حسبانهم متروكين غير مفتونين إلى التوبيخ بإنكار ما هو أبطل من الحسبان الأول وهو حسبانهم أن يجاوزوا بسيئاتهم وهم وإن لم يحسبوا أنهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا نفوسهم بذلك لكنهم حيث أصروا على المعاصي ولم يتفكروا في العاقبة نزلوا منزلة من يحسب ذلك كما في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ [الهمزة: ٣] ﴿ساء ما يحكمون﴾ أي: بئس الحكم الذي يحكمونه حكمهم ذلك فحذف المخصوص بالذم.

قال الكاشفي: [درفتوحات مذكوراست كه آيامي پندارند كنهكاران ماكه به سيئات خود بر مغفرت وشمول رحمت من سبقت كيرند اين حكم ناپسنديده است زيراكه رحمت من سبقت كرفته است برذنوب ايشان كه موجب غضب باشد].

كركناه تو از عدد پيش است سقت رحمتم ازان پيش است

﴿من﴾ [هركه] ﴿كان يرجو لقاء الله﴾ الرجاء ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة وتفسيره بالخوف لأن الرجاء والخوف متلازمان ولقاء الله عبارة عن القيامة وعن المصير إليه والمعنى يتوقع ملاقاة جزائه ثواباً أو عقاباً فليستعد لأجل الله باختياره من الأعمال ما يؤدي إلى حسن الثواب واجتنابه عما يسوقه إلى سوء العذاب. ﴿فإن أجل الله﴾ الأجل عبارة عن غاية زمان ممتد عينت لأمر من الأمور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والأول هو الأشهر في الاستعمال أي فإن الوقت الذي عينه تعالى لذلك. ﴿لآت﴾ لا محالة وكائن البتة لأن أجزاء الزمان على الانقضاء والانصرام دائماً فلا بد من إتيان الوقت المعين وإتيانه موجب لإتيان اللقاء والجزاء. ﴿وهو السميع﴾ لأقوال العباد ﴿العليم﴾ بأحوالهم من الأعمال الظاهرة والباطنة فلا يفوته شيء ما فبادروا العمل قبل الفوت.

وفي «التأويلات النجمية»: من أمّل الثواب يفرّ من أعمال تورث العذاب ويعانق المجاهدات فإنها تورث المشاهدات من مضي عمره في رجاء لقائنا فسوف نبيح النظر إلى جمالنا.

عظمت همة عين طمعت في أن تراكا
أو ما يكفي لعين أن ترى من قد رآكا

﴿وهو السميع﴾ لأنين المشتاقين ﴿العليم﴾ بحنين الوامقين الصادقين.

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾

﴿ومن﴾ [ورهكه] ﴿جاهد﴾ نفسه بالصبر على طاعة الله وجاهد الكفار بالسيف وجاهد الشيطان بدفع وساوسه. والمجاهدة استفراغ الجهد بالضم أي الطاقة في مدافعة العدو ﴿فإنما يجاهد لنفسه﴾ لأن منفعتها عائدة إليها ﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ فلا حاجة به إلى طاعتهم ومجاهدتهم وإنما أمرهم بها رحمة عليهم لينالوا الثواب الجزيل كما قال: «خلقت الخلق

ليربحوا عليّ لا لأربح عليهم» فالعاملون هم الفقراء إلى الله والمحتاجون إليه في الدارين وهو مستغن عنهم.

بري ذاتش از تهمت ضد وجنس غني ملكش از طاعت جن وأنس
مر أورا سزد كبريا ومني كه ملكش قد يمست وذاتش غني
نه مستغني از طاعتش بشت كس نه بر حرف أو جاي انكشت كس

قال أبو العباس المشتهر بزروق في «شرح الأسماء الحسنى»: الغني هو الذي لا يحتاج إلى شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله إذ لا يلحقه نقص ولا يعتريه عارض ومن عرف أنه الغني استغنى به عن كل شيء ورجع إليه بكل شيء وكان له بالافتقار في كل شيء وللتقرب بهذا الاسم تعلق بإظهار الفاقة والفقر إليه أبداً.

قيل لأبي حفص: بماذا يلقى الفقير مولاه؟ فقال: فهل يلقى الغني إلا بالفقر قلت: يلقاه بفقره حتى من فقره وإلا فهو مستعد بفقره ولذلك قال ابن مشيش رحمه الله للشيخ أبي الحسن: لئن لقيته بفقرك لتلقينه بالاسم الأعظم وبتمام فقره له يصح غناه عن غيره فيكون متخلقاً بالغنى. وخاصية هذا الاسم وجود العافية في كل شيء فمن ذكره على مرض أو بلاء أذهبه الله عنه وفيه سر للغني ومعنى الاسم الأعظم لمن استأهل به انتهى.

وفي «الأحياء» يستحب أن يقول بعد صلاة الجمعة: «اللهم يا غني يا حميد يا مبدىء يا معيد يا رحيم يا ودود أغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك» فيقال: من داوم على هذا الدعاء أغناه الله تعالى عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾.

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن﴾ [هر آينه محو كنيم] ﴿عنهم سيئاتهم﴾ الكفر بالإيمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات وتكفير الاسم ستره وتغطيته حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل.

قال بعضهم: التكفير إذهاب السيئة وإبطالها بالحسنة وسترها وترك العقوبة عليها ﴿ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون﴾ أي أحسن جزاء أعمالهم بأن نعطي بواحد عشراً أو أكثر لا جزاء أحسن أعمالهم فقط.

والعمل الصالح عندنا كل ما أمره الله فإنه صار صالحاً بأمره ولو نهى عنه لما كان صالحاً فليس الصلاح والفساد من لوازم الفعل في نفسه.

وقالت المعتزلة: ذلك من صفات الفعل ويترتب عليه الأمر والنهي فالصدق عمل صالح في نفسه يأمر الله تعالى به لذلك فعندنا الصلاح والفساد والحسن والقبح يترتب على الأمر والنهي وعندهم الأمر والنهي يترتب على الحسن والقبح.

واعلم أن كل ما يفعله الإنسان من الخير فالله يجازيه عليه ويجده عند الله حين يلقاء فمنفعة خيره تعود إلى نفسه وإن كان نفعه إلى الغير بحسب الظاهر.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه: «يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما

علمت لوعدته لوجدتني عنده. يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال: كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال: أما علمت أنه استطعمك فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي. يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي».

قال بعضهم: كنت في طريق الحج فاعترض ثعبان أسود أمام القافلة فاتحاً فاه ومنع القوم من المرور فأخذت قربة ماء وسللت سيفي وتقدمت ووضعت فم القربة في فيه فشرب ثم غاب فلما حججت ورجعت إلى هذا المكان مع القافلة أخذني النوم وذهبت القافلة وبقيت متحيراً فإذا بناقة مع ناقتي وقفت بين يدي فقالت لي: قم واركب فركبت وأخذت ناقتي وقت السحر ولحقنا القافلة فأشارت إلي بالنزول فقلت: بالله الذي خلقك من أنت قالت: أنا الأسود المعترض أمام القافلة فأنت دفعت ضرورتي وأنا دفعت ضرورتك الآن هل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

بإحساني آسوده كردن دلي ... به از ألف ركعت بهر منزلي
كر ازحق نه توفيق خيري رسد ... كي از بنده خيري بغيري رسد
غم وشادماني نماند وليك ... جزاي عمل ماند ونام نيك

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾ أي بإيتاء والديه وإيلائهما فعلاً ذا حسن أي أمرناه بأن يفعل بهما ما يحسن من المعاملات فإن وصى يجري مجرى أمر معنى وتصرفاً غير أنه يستعمل فيما كان في المأمور به نفع عائد إلى المأمور وغيره يقال: وصيت زيداً بعمرو أمرته بتعهده ومراعاته. والتوصية [وصيت كردن].

قال الراغب: الوصية التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترناً بوعظ. ﴿وإن جاهداك﴾ أي وقلنا له إن جاهداك. يعني: [اكر كوشش نمايد والدين وجنك وجدل كنند بتو] وإن كان معنى وصينا وقلنا له افعل بهما حسناً فلا يضمر القول هنا. ﴿لتشرك بي﴾ [تاشرك آوري بمن وانباز كيري] ﴿ما ليس لك به﴾ أي بإلهيته على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ﴿علم﴾ عبر عن نفي الإلهية بنفي العلم بها للإيذان بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وإن لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه. ﴿فلا تطعهما﴾ في ذلك فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق كما ورد في الحديث ويدخل فيه الأستاذ والأمير إذا أمرا بغير معروف وهو ما أنكره الشارع عليه ﴿إليّ مرجعكم﴾ مرجع من آمن منكم ومن أشرك ومن بر بوالديه ومن عق. ﴿فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ عبر عن إظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة فإنهما سببان للعلم أي أظهر لكم على رؤوس الأشهاد وأعلمكم أي شيء كنتم تفعلون في الدنيا على الاستمرار وأرتب عليه جزاءه اللائق به ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين﴾ أي في زمرة الراسخين في الصلاح ولنحشرنهم معهم وهم الأنبياء والأولياء وكل من صلحت سريرته مع الله والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين وغاية مأمول الأنبياء والمرسلين. روي: أن سعد بن مالك وهو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من السابقين الأولين لما أسلم أو حين

هاجر كما في «التكملة» قالت له أمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية: يا سعد ما هذا الذي قد أحدثت لتدعن دينك أو لا انتقل من الضح إلى الظل ولا آكل ولا أشرب حتى أموت فعير بي فيقال: يا قاتل أمه فلبثت ثلاثة أيام كذلك حتى جهدت أي وقعت في الجهد والمشقة بسبب الجوع فقال سعد: والله لو كان لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما كفرت فكلي وإن شئت فلا تأكلي فلما رأت ذلك أكلت فأمره الله تعالى أن يحسن إليها ويقوم بأمرها ويسترضيها فيما ليس بشرك ومعصية ويعرض عنها ويخالف قولها فيما أنكره الشارع. قال الشيخ سعدي قدس سره:

چون نبود خويش را ديانت وتقوى قطع رحم بهتر از مودت قربى

وفي «هدية المهديين»: يجب على المرء نفقة الأبوين الكافرين وخدمتهما وزيارتهما وإن خاف من أن يجلباه إلى الكفر ترك زيارتهما ويقود بهما زوجته لو كان كل منهما فاقد البصر من البيعة إلى البيعة لا العكس لأن الذهاب إليها معصية وإلى البيت لا ومنه يعلم أن الذمي إذا سأل مسلماً عن طريق البيعة لا يدله عليه.

سئل إبراهيم بن أدهم رحمه الله عن طريق بيت السلطان فأرشده إلى المقابر فضربه الجندي وشجه ثم عرفه واستعفاه فقال: كنت عفوت عنك في أول ضربة وقلت: اضرب رأساً ظالماً عصى الله كذا في «البزازية».

قال الإمام الغزالي رحمه الله: أكثر العلماء على أن طاعة الوالدين واجبة في الشبهات ولم تجب في الحرم المحض لأن ترك الشبهة ورع ورضى الوالدين حتم أي واجب. ويجيب إذا كان في صلاة النافلة دعاء أمه دون دعوة أبيه أي يقطع صلاته ويقول لبيك مثلاً.

وقال الطحاوي: مصلي النافلة إذا ناداه أحد أبويه إن علم أنه في الصلاة وناداه لا بأس بأن لا يجيبه وإن لم يعلم يجيبه وأما مصلى الفريضة إذا دعاه أحد أبويه لا يجيبه ما لم يفرغ من صلاته إلا إن يستغيثه لشيء لأن قطع الصلاة لا يجوز إلا لضرورة وكذلك الأجنبي إذا خاف أن يسقط من سطح أو تحرقه النار أو غرق في الماء وجب عليه أن يقطع الصلاة وإن كان في الفريضة وكذا لو قال له كافر: أعرض عليّ الإسلام أو سرق منه الدراهم أو فارت قدرها أو خافت على ولدها الفرض والنفل فيه سواء كما في «البزازية».

قال في «شرح التحفة»: لا يفطر في النافلة بعد الزوال إلا إذا كان في ترك الإفطار عقوق الوالدين ولا يتركهما لغزو أو حج أو طلب علم نفل فإن خدمتهما أفضل من ذلك وفي الخبر: «يسأل الولد عن الصلاة ثم عن حق الوالدين وتسأل المرأة عن الصلاة ثم عن حق الزوج ويسأل العبد عن الصلاة ثم عن حق المولى فإن أجاب تجاوز عن موقفه إلى موقف آخر من المواقف الخمسين وإلا عذّب في كل موقف ألف سنة ودعاء الوالدين على الولد لا يردّ» وقوله عليه السلام: «دعاء المرء على محبوبه خير بالنسبة إلى غيرهما» كما في «المقاصد الحسنة».

سأل الزمخشري بعض العلماء عن سبب قطع رجله قال: أمسكت عصفوراً في صباي وربطته بخيط في رجله وأفلت من يدي ودخل في خرق فجذبته فانقطعت رجله فتأملت والدتي وقالت: قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله فلما رحلت إلى بخارى لطلب العلم سقطت من الدابة فانكسرت رجلي وقيل: أصابه البرد في الطريق فسقطت رجله وكان يمشي بخشب كذا في «روضة الأخبار».

ويجب على الأبوين أن لا يحملا الولد على العقوق بسبب الجفاء وسوء المعاملة ويعيناه

على البر. فمن البر وهما حيان أن ينفق عليهما ويمتثل أمرهما في الأمور المشروعة ويجامل في معاملتهما. ومن البر بعد موتهما التصدق لهما وزيارة قبرهما في كل جمعة والدعاء لهما في أدبار الصلاة وتنفيذ عهودهما ووصاياهما ونحو ذلك.

وفي «التأويلات»: **﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾** يشير إلى تعظيم الحق تعالى وعظم شأنه وعزة الأنبياء وإعزازهم وعرفان قدر المشايخ وإكرامهم لأن الأمر برعاية حق الوالدين لمعنيين أحدهما أنهما كانا سبب وجود الولد والثاني أن لهما حق التربية فكلا المعنيين في إنعام الحق تعالى على العباد حاصل بأعظم وجه وأجل حق منهما لأن حقهما كان مشوباً بحظ نفسهما وحق الحق تعالى منزه عن الشوب وإنهما وإن كانا سبب وجود الولد لم يكونا مستقلين بالسببية بغير الحق تعالى وإرادته لأنهما كانا في السببية محتاجين إلى مشيئته وإرادته بأن يجعلهما سبباً لوجود الولد فإن الولد لا يحصل بمجرد تسببهما بالنكاح بل يحصل بموهبة الله تعالى كما قال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩] الآية فالسبب الحقيقي في إيجاد الولد هو الله تعالى فإن شاء يوجده بواسطة تسبب الوالدين وإن شاء بغير تسببهما كإيجاد آدم عليه السلام وأما التربية فنسبتها إلى الله تعالى حقيقة فإنه رب كل شيء ومربيه وإلى الوالدين مجازيه لأن صورة التربية إليهما وحقيقة التربية إلى الله تعالى كما ربى نطف الولد في الرحم حتى جعله علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم كساه اللحم ثم أنشأه خلقاً آخر فالله تبارك وتعالى أعظم قدراً في رعاية حقوقه بالعبودية من رعاية حق الوالدين لإحسان وإن الواجب على العبد أن يخرج من عهدة حق العبودية بالإخلاص أولاً ثم يحسن بالوالدين كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] وأما النبي والشيخ فكانا سبب الولادة الثانية بإلقاء نطفة النبوة والولاية في رحم قلب الأمة والمريد وتربيتها إلى أن يولد الولد عن رحم القلب في عالم الملكوت كما أخبر النبي عليه السلام رواية عن عيسى عليه السلام أنه قال: «لن يلج ملكوت السموات والأرض إلا من يولد مرتين» وكانا سبب ولادته في عالم الأرواح وأعلى عليين القرب والولدان كانا سبب ولادته في عالم الأشباح وأسفل سافلين البعد ولهذا السر كان يقول النبي ﷺ: «إنما أنا لكم كالوالد لولده» وقد كانت أزواجه أمهات للأمة وقد قال عليه السلام: «الشيخ في قومه كالنبي في أمته» ولما كان الله تعالى في الإحسان العميم بالعبد والامتنان القديم الذي خصه به قبل وبعد أحق وأولى برعاية حقوقه عن والديه قال تعالى: **﴿وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾** وفيه إشارة إلى أن المريد الصادق والطالب العاشق إذا تمسك بذيل إرادة شيخ كامل ودليل واصل بصدق الإرادة وعشق الطلب بعد خروجه عن الدنيا بتركها بالكلية عن جاهها ومالها وقد سعى بقدر الوسع في قطع تعلقات تمنعه عن السير إلى الله متجهاً إلى الحضرة بعزيمة كعزيمة الرجال فإن كان له الولدان وهما بمعزل عما يهيجه من الصدق والمحبة فهما بجهلهما عن حال الولد يمنعان عن صحبة الشيخ وطلب الحق بالإعراض ويقبلان به إلى الدنيا ويرغبانه في طلب جاهها ومالها ويحثان على التزويج في غير أوانه فالواجب على المريد أن لا يطيعهما في شيء من ذلك فإن ذلك بالكلية طاغوت وقته وعليه أن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ليستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها وهما يجاهدانه على أن يشرك بالله لجهلهما بحاله وحال أنفسهما وأنه يريد أن يخرج عن عهدة العبودية الخالصة لربه كما قضى ربه أن لا يعبد إلا إياه ولا يعبد ما دونه من الدنيا

والآخرة وما فيهما وما يعلمان أنهما من عبدة الهوى وأنهما يدعوانه إلى عبادة غير الله فالواجب عليه أن لا يطيعهما في ذلك ولكن عليه أن يردهما باللطف ولا يزجرهما بالعنف إلى أن يخرج عن عهدة ما قضى ربه من العبودية بالإخلاص ثم الواجب عليه أن يحسن إليهما ويسمع كلامهما ويطيعهما فيما لا يقطعه عن الله على وفق أمره ثم أوعد الجميع بالمرجع إليه فقال: ﴿**إليّ مرجعكم فأنبئكم**﴾ أيها الولد والولدان ﴿**بما كنتم تعملون**﴾ من العبادة الخالصة لله ومن عبادة الهوى على لسان جزائكم ليقول لكم: إن مرجع عبدة الهوى الهاوية.

﴿**والذين آمنوا**﴾ بمحبة الحق ﴿**و**﴾ طلبوه بأن ﴿**عملوا الصالحات**﴾ أي أعمالاً تصلح للسير إلى الله والوصول إلى حضرة جلاله ﴿**لندخلنهم في الصالحين**﴾ أي نجعل مدخلهم مقام الأنبياء والأولياء بجذبات العناية تفهم إن شاء الله تعالى وتؤمن به.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿**ومن الناس**﴾ مبتدأ باعتبار مضمونه أي وبعض الناس والخبر قوله: ﴿**من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله**﴾ أي في شأنه تعالى بأن عذبهم الكفرة على الإيمان وهو مجهول آذى يؤذي أذى وأذية ولا تقل إيذاء كما في «القاموس» والأذى ما يصل إلى الإنسان من ضرر إما في نفسه أو في جسمه أو في قنياته دنيوياً كان أو أخروياً ﴿**جعل فتنة الناس**﴾ أي ما يصيبه من أذيتهم والفتنة الامتحان والاختبار تقول: فتنت الذهب إذا أدخلته النار لتظهر جودته من رداءته وأطلقت على المحنة لأنها سبب نقادة القلب ﴿**كعذاب الله**﴾ في الآخرة في الشدة والهوى ويستولي عليه خوف البشرية إذ من لم يكن في حماية خوف الله وخشيته يفترسه خوف الحق فيساوي بين العذابين فيخاف العاجل الذي هو ساعة ويهمل الآجل الذي هو باق لا ينقطع فيرتد عن الدين ولو علم شدة عذاب الله وأن لا قدر لعذاب الناس عند عذابه تعالى لما ارتد ولو قطع إرباً إرباً ولما خاف من الناس ومن عذابهم وفي الحديث: «من خاف الله خوّف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله يخوفّه من كل شيء».

وقال بعضهم: جعل فتنة الناس في الصرف عن الإيمان كعذاب الله في الصرف عن الكفر. يعني: [ترك إيمان كند از خوف عذاب خلق چنانكه ترك كفرى بايدكرد از خوف خداي تعالى]. ﴿**ولئن جاء نصر من ربك**﴾ أي فتح وغنيمة للمؤمنين فالآية مدنية. ﴿**ليقولن**﴾ بضم اللام نظراً إلى معنى من كما أن الإفراد فيما سبق بالنظر إلى لفظها. ﴿**إنا كنا معكم**﴾ أي: متابعين لكم في الدين فأشركونا في المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا إذا مسهم أذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله: ﴿**أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين**﴾ أي بأعلم منهم بما في صدورهم من الإخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والإخفاء وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة. وبالفارسية [آيانيست خداي تعالى داناتر از همه دانايان بآنچه در سينهء عالميانست از صفاي إخلاص وكدورت نفاق].

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿**وليعلمن الله الذين آمنوا**﴾ بالإخلاص ﴿**وليعلمن المنافقين**﴾ سواء كان نفاقهم بأذية الكفرة أو لا أي ليجزينهم على الإيمان والنفاق فإن المراد تعلق علمه تعالى بالامتحان تعلقاً

حالياً يبتنى عليه الجزاء كما سبق فجوهر الإيمان والنفاق المودع في القلب إنما يظهر بالصبر أو بالتزلزل عند البلاء والمحنة كما أن عيار النقدين يظهر بالنار.

بشكل وهيآت إنسان زره مروزنهار توان بصبر وتحمل شناخت جوهر مرد
اكرنه پاك بود ازبلانخواهد جست وكردر أصل بود پاك صبر خواهد كرد

وفي الآية تنبيه لكل مسلم أن يصبر على الأذى في الله.

وحقيقة الإيمان نور إذا دخل قلب المؤمن لا تخرجه أذية الخلق بل يزيد بالصبر على أذاهم والتوكل على الله فإنه نور حقيقي أصلي ذاته لا يتكدر بالعوارض كنور الشمس والقمر فإنهما إذا طلعا يزداد نورهما بالارتفاع ولا يقدر أحد أن يطفيء نورهما وكنور الحجر الشفاف المضيء بالليل فإنه لا يقبل الانطفاء مثل الشمعة لأن نوره أصلي ونور الشمعة عارضي ثم إن في المحن والأذى تفاوتاً فمن كانت محنته بموت قريب من الناس أو فقد حبيب من الخلق أو نحوه فحقير قدره وكثير من الناس مثله ومن كان محنته لله وفي الله فعزيز قدره وقليل مثله وقد كانت كفار مكة يؤذون النبي عليه الصلاة والسلام بأنواع الأذى فيصبر وقد قال: «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت» أي ما صفى نبي مثل ما صفيت لأن الأذى سبب لصفوة الباطن وبقدر الوقوف في البلاء تظهر جواهر الرجال وتصفو من الكدر مرآئي قلوبهم ألا ترى إلى أيوب عليه السلام حيث خلص له جوهر نعم العبدية عن معدن الإنسانية مدة أيام البلاء والصبر عليه وكذا كانوا يؤذون الأصحاب رضي الله عنهم تؤذي كل قبيلة من أسلم منها وتعذبه وتفتنه عن دينه وذلك بالحبس والضرب والجوع والعطش وغير ذلك حتى إن الواحد منهم ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضرب الذي به وكان أبو جهل ومن يتابعه يحرض على الأذى وكان إذا سمع بأن رجلاً أسلم له شرف ومنعة جاء إليه ووبخه وقال له: ليغلبن رأيك وليضعفن شرفك وإن كان تاجراً قال: والله لتكسدن تجارتك ويهلك مالك وإن كان ضعيفاً حرّض على أذاه حتى إن بعض الضعفاء فتن عن دينه ورجع إلى الشرك نعوذ بالله تعالى وكان بلال رضي الله عنه ممن يعذب في الله ولا يقول إلا: أحد أحد أي الله لا شريك له وهكذا الأقوياء من أهل السعادة ثبتوا على دينهم واختاروا عذاب الدنيا وفضوحها على عذاب الآخرة وفضوحها فإن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا أضعافاً كثيرة ويدل عليه النار فإنها جزء من الأجزاء السبعين لنار الآخرة وهي بهذه الحرارة في الدنيا مع ما غسلت في بعض أنهار الجنة.

قال الواسطي رحمه الله: لا يؤذي فيها إلا الأنبياء وخواص الأولياء وأكابر العباد فالصبر لازم في موطن الأذى والملام. قال المولى الجامي:

عاشق ثابت قدم آنكس بودكز كوي دوست. رونكرداند اكر شمشير بارد بر شرس.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ اللام للتبليغ، أي قال كفار مكة مخاطبين للمؤمنين استمالة ليرتدوا: **﴿اتبعوا سبيلنا﴾** أي: اسلكوا طريقتنا التي نسلكها في الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذي هو المشي خلف ماش آخر تنزيلاً للمسلك منزلة السالك فيه. **﴿ولنحمل**

خطاياكم﴾ أي إن كان لكم خطيئة تؤاخذون عليها وإن كان بعث ومؤاخذة كما تقولون أي لا بعث ولا مؤاخذة وإن وقع فرضاً نحمل آثامكم عنكم وهي جمع خطيئة من الخطأ وهو العدول عن الجهة فرد الله عليهم بقوله: **﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء﴾** أي والحال أنهم ليسوا بحاملين شيئاً من خطاياهم التي التزموا أن يحملوها كلها على أن من الأولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق.

﴿إنهم لكاذبون﴾ في دعوى الحمل بأنهم قادرون على إنجاز ما وعدوا.

﴿وليحملن﴾ أي: هؤلاء القائلون **﴿أثقالهم﴾** أي ذنوبهم التي عملوها وذلك يوم القيامة جمع ثقل بالكسر وسكون القاف كحمل وأحمال والثقل والخفة متقابلان وكل ما يترجح على ما يوزن به أو يقدر به يقال: هو ثقيل وأصله في الأجسام ثم يقال في المعاني: أثقله الغرم والوزر.

قال الراغب أثقالهم أي آثامهم التي تثقلهم وتثبطهم عن الثواب. **﴿وأثقالاً﴾** آخر **﴿مع أثقالهم﴾** وهي أثقال الإضلال فيعذبون بضلال أنفسهم وإضلال غيرهم من أن ينقص من أثقال من أضلوه شيء ما أصلاً فتكون أثقال المضلين زائدة على أثقال الضالين لأن من دعا إلى ضلالة فاتبع فعليه حمل أوزار الذين اتبعوه وكذا من سنّ سنة سيئة كما ورد في الحديث: وفي «المثنوي»:

هركه بنهد سنت بد أي فتى تا در افتد بعد أو خلق ازعمى
جمع كردد بروى آن جمله بزه كوسرى بودست وايشان دم غزه

﴿وليسألن يوم القيامة﴾ سؤال تقريع وتبكيت لم فعلوه ولأي حجة ارتكبوه **﴿عما كانوا يفترون﴾** أي يختلقونه في الدنيا من الأكاذيب والأباطيل التي أضلوا بها ومن جملتها كذبهم هذا ويدخل في هذا بعض الجهلة حيث يقول لمثله: افعل هذا وإثمه في عنقي ثم التعبير عن الخطايا بالأثقال للإيذان بغاية ثقلها. قال الشيخ سعدي قدس يره:

مرو زير باركناه أي پسر كه حمال عاجز بود در سفر

يعني أن الحمال يعجز عن حمل الثقيل خصوصاً إذا كان المنزل بعيداً وفي الطريق عقبات. ثم إن الخطايا على تفاوت في الثقل وفي الخبر: «التهمة على البريء أثقل من سبع سماوات وسبع أرضين وأثقل من جميع الموجودات» جبل الوجود والأنانيات كما ورد: «وجودك ذنب لا يقاس عليه ذنب آخر».

جمعست خيرها همه در خانهٔ ونيست آن خانه را كليد بغير از فروتني
شرها بدين قياس بيكخانه داست جمع وانرا كليد نيست بجزمائي ومني

وكما أن عذاب الإضلال والحمل على الكفر والمعاصي أشد فكذا عذاب إفساد استعداد الغير وحمله على الإنكار ومنعه عن سلوك طريق الحق ومثل هذا الإفساد أشد من الزنى لأن في الزنى يهلك الولد الصوري لبقائه بلا والد وفي الإفساد يهلك الولد المعنوي لبقائه بلا فيض وفساد المعنى أشد من فساد الصورة.

ففي الآية إشارة إلى حال أرباب الإلحاد والدعوى مع من يتبعهم ممن لا يفرق بين الفساد والصلاح والبقاء والهلاك اللهم اجعلنا من الثابتين على الطريق القويم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿ولقد أرسلنا﴾ للدعوة إلى التوحيد وطريق الحق من قبل إرسالنا إياك يا محمد **﴿نوحاً﴾** واسمه عبد الغفار كما ذكره السهيلي رحمه الله في كتاب «التعريف» والشاكر كما ذكره أبو الليث في «البستان». وسمي نوحاً لكثرة نوحه وبكائه من خوف الله ولد بعد مضي ألف وستمائة واثنتين وأربعين سنة من هبوط آدم عليه السلام وبعث عند الأربعين. **﴿إلى قومه﴾** وهم أهل الدنيا كلها. والفرق بين عموم رسالته وبين عموم رسالة نبينا عليه السلام أن نبينا عليه السلام مبعوث إلى من في زمانه وإلى من بعده إلى يوم القيامة بخلاف نوح فإنه مرسل إلى جميع أهل الأرض في زمانه لا بعده كما في «إنسان العيون» وهو أول نبي بعث إلى عبدة الأصنام لأن عبادة الأصنام أول ما حدثت في قومه فأرسله الله إليهم ينهاهم عن ذلك وأيضاً أول نبي بعث إلى الأقارب والأجانب وأما آدم فأول رسول الله إلى أولاده بالإيمان به وتعليم شرائعه وهو أي نوح عليه السلام أبونا الأصغر وقبره بكرك بالفتح من أرض الشام كما في «فتح الرحمن».

﴿فلبث فيهم﴾ بعد الإرسال ولبث بالمكان أقام به ملازماً له **﴿ألف سنة﴾** الألف العدد المخصوص سمي بذلك لكون الأعداد فيه مؤلفة فإن الأعداد أربعة آحاد وعشرات ومئون وألوف فإذا بلغ الألف فقد ائتلف وما بعده ويكون مكرراً قال بعضهم: الألف من ذلك لأنه مبدأ النظام والسنة أصلها سنهة لقولهم سانهت فلاناً أي عاملته سنة فسنة وقيل: أصلها من الواو لقولهم سنوات والهاء للوقف. **﴿إلا خمسين عاماً﴾** العام كالسنة لكن كثيراً ما تستعمل السنة في الحول الذي فيه الشدة والجدب ولهذا يعبر عن الجدب بالسنة والعام فيما فيه الرخاء وفي كون المستثنى منه بالسنة والمستثنى بالعام لطيفة، وهي أن نوحاً عاش بعد إغراق قومه ستين سنة في طيب زمان وصفاء عيش وراحة بال وقيل: سمى السنة عاماً لعوم الشمس في جميع بروجها والعوم السباحة ويدل على معنى العوم قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]. ومعنى الآية فبث بين أظهرهم تسعمائة وخمسين عاماً يخوفهم من عذاب الله ولا يلتفتون إليه وإنما ذكر الألف تخييلاً لطول المدة إلى السامع أي ليكون أفخم في أذنه ثم أخرج منها الخمسون إيضاحاً لمجموع العدد فإن المقصود من القصة تسلية رسول الله ﷺ وتثبيته على ما يكابد من الكفرة. يعني: [إيراد قصهء نوح بجهت تسليهء سيد أنام است وتثبيت بركشيدن اذى از قوم وتهديد يكزبان بذكر طوفان يعني نوح نهصد وپنچاه سال جفاي قوم كشيد وهمچنان دعوت ميفرمود وكسى نمي كرويد] إلا القليل الذين ذكرهم في قوله: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠] فأذن له في الدعاء فدعا عليهم بالهلاك. **﴿فأخذهم الطوفان﴾**. أي: عقيب تمام المدة المذكورة فغرق من في الدنيا كلها من الكفار. والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشيء ويحيط به على كثرة وشدة وغلبة من السيل والريح والظلام والقتل والموت والطاعون والجدري والحصبة والمجاعة وقد غلب على طوفان الماء وقد طاف الماء ذلك اليوم بجميع الأرض. **﴿وهم ظالمون﴾** أي: والحال أنهم مستمرون على الظلم والكفر لم يستمعوا إلى داعي الحق هذه المدة المتمادية.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾

﴿فأنجيناه﴾ أي نوحاً من الغرق والابتلاء بمشاق الكفرة **﴿وأصحاب السفينة﴾** أي: ومن

ركب معه فيها من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين ذكوراً وإناثاً.

قال الكاشفي: يعني: [هركه باوي بود از مؤمنان وهرچه در سفينه بود از أنواع جانوران] والسفينة من سفنه يسفنه قشره ونحته كأنها تسفن الماء أي تقشره فهي فعيلة بمعنى فاعلة ﴿وجعلناها﴾ أي: السفينة أو القصة. ﴿آية للعالمين﴾ أي: عبرة لمن بعدهم من الأهالي يتعظون بها أو دلالة يستدلون بها على قدرة الله.

قال أبو الليث في «تفسيره»: وقد بقيت السفينة على الجودي إلى قريب من وقت خروج النبي عليه السلام وبين الطوفان والهجرة الشريفة ثلاثة آلاف وتسعمائة وأربع وسبعون سنة على ما في «فتح الرحمن» وكان ذلك علامة وعبرة لمن رآها ولمن لم يرها لأن الخبر قد بلغه.

وقال بعضهم: سفينة نوح أول سفينة في الدنيا فأبقيت السفن آية وعبرة للخلائق وعلامة من سفينة نوح وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ [القمر: ١٥]. روي: أن نوحاً بعث على رأس الأربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين عاماً وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وذلك من أولاده حام وسام ويافث لأنهم لما خرجوا من السفينة ماتوا كلهم إلا أولاد نوح كما في «البستان» فيكون عمره ألفاً وخمسين عاماً وهو أول الأنبياء عمراً ومن ذلك قيل له: كبير الأنبياء وشيخ المرسلين وهو أول من تنشق عنه الأرض بعد نبينا عليه السلام.

قال الكاشفي: [ملك الموت بوقت قبض روح أزوى پرسيدكه اي دراز ترين پيغمبران از جهت عمر دنيارا چون يافتي فرمودكه يا فتم ما نند خانةً كه دودر داشته باشد از يكي در آيند واز ديكري بيرون روند].

كر عمر تو عمر نوح ولقمان باشد ... آخر بروى چنانكه فرمان باشد
در بودن دنيا وبرون رفتن ازو ... يكروز وهزار سال يكسان باشد

قيل:

ألا إنما الدنيا كظل سحابة ... أظلتك يوماً ثم عنك اضمحلت
فلا تك فرحاناً بها حين أقبلت ... ولا تك جزعاناً بها حين ولت

قال الحسن: أفضل الناس ثواباً يوم القيامة المؤمن المعمر.

وعن عبيد بن خالد رضي الله عنه أن النبي عليه السلام آخى بين الرجلين فقتل أحدهما في سبيل الله ثم مات الآخر بعده بجمعة أو نحوها فصلوا عليه فقال عليه السلام: «ما قلتم» قالوا: دعونا الله أن يغفر له ويرحمه ويلحقه بصاحبه فقال عليه السلام: «فأين صلاته بعد صلاته وعمله بعد عمله» أو قال: «صيامه بعد صيامه لما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض» فطوبى لمن طال عمره وحسن عمله» والفيض الحاصل للأمة المتقدمة في المدة المتطاولة حاصل لهذه الأمة في المدة القصيرة لكمال الاستعداد الفطري فلا ينبغي للمرء أن يتمنى أعمال القرون الأولى فإن السبعين عمر طويل والمائة أطول بل يتمنى كثرة المدد والخلاص من يد النفس الأمارة فإنه إذا لم تصلح النفس فلا يغنى طول العمر عن قهر الله شيئاً وصلاحها باستعمال أحكام الشريعة التي أشارت إليها السفينة فكما أن السفينة تنجي راكبها فكذا الشريعة تنجي عاملها وهي دلالة للناس إلى يوم القيامة تدل بظاهرها إلى طريق الجنة وبباطنها إلى طرق القربة والوصلة فبعبارتها نور وإشارتها سرور وأهل الإشارة مقربون والمتقربون إليهم متخلصون. قال الحافظ:

يار مردان خدا باش كه دركشتئ نوح ... هست خاكى كه بآبى نخرد طوفانرا

فليجدّ من وقع في طوفان نفسه حتى يجد الخلاص وإليه الملجأ والمناص.

﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿وإبراهيم﴾ نصب بالعطف على نوحاً أي ولقد أرسلنا إبراهيم أيضاً من قبل إرسالنا إياك يا محمد ﴿إذ قال﴾ نصب باذكر المقدر هكذا ألهمت أي اذكر لقومك وقت قوله: ﴿لقومه﴾ وهم أهل بابل ومنهم نمرود. ﴿اعبدوا الله﴾ وحده ﴿واتقوه﴾ أن تشركوا به شيئاً ﴿ذلكم﴾ أي ما ذكر من العبادة والتقوى ﴿خير لكم﴾ مما أنتم عليه من الكفر ومعنى التفضيل مع أنه لا خير فيه قطعاً باعتبار زعمهم الباطل. ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أي: الخير والشر وتميزون أحدهما عن الآخر ﴿إنما تعبدون من دون الله أوثاناً﴾ هي في نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك جمع وثن.

قال بعضهم: الصنم هو الذي يؤلف من شجر أو ذهب أو فضة في صورة إنسان والوثن هو الذي ليس كذلك بل كان تأليفه من حجارة وفي غير صورة الإنسان. ﴿وتخلقون إفكاً﴾.

قال الراغب: الخلق لا يستعمل في كافة الناس إلا على وجهين أحدهما في معنى التقدير والثاني في الكذب انتهى يقال: خلق واختلق أي افترى لساناً أو يداً كنحت الأصنام كما في «كشف الأسرار». والإفك أسوأ الكذب وسمي الإفك كذباً لأنه مأفوك أي مصروف عن وجهه. والمعنى وتكذبون كذباً حيث تسمونها آلهة وتدعون أنها شفعاؤكم عند الله وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث أنه زور وباطل ثم استدل على شرارة ذلك من حيث أنه لا يجدي بطائل فقال: ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً﴾ يقال: ملكت الشيء إذا قدرت عليه ومنه قول موسى: لا أملك إلا نفسي وأخي، أي لا أقدر إلا على نفسي وأخي ورزقاً مصدر وتنكيره للتقليل. والمعنى لا يقدرون على أن يرزقوكم شيئاً من الرزق. ﴿فابتغوا﴾ فاطلبوا ﴿عند الله الرزق﴾ كله فإنه القادر على إيصال الرزق. ﴿واعبدوه﴾ وحده ﴿واشكروا له﴾ على نعمائه متوسلين إلى مطالبكم بعبادته مقيدين للنعمة بالشكر ومستجلبين للمزيد.

قال ابن عطاء: اطلبوا الرزق بالطاعة والإقبال على العبادة.

وقال سهل: اطلبوا الرزق في التوكل لا في الكسب وهذا سبيل العوام ﴿إليه﴾ لا إلى غيره ﴿ترجعون﴾ تردون بالموت ثم البعث فافعلوا ما أمرتكم به.

﴿وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾

﴿وإن تكذبوا﴾ أي: وإن تكذبوني فيما أخبرتكم به من أنكم إليه ترجعون. ﴿فقد كذب أمم من قبلكم﴾ تعليل للجواب أي فلا تضرونني بتكذيبكم فإن من قبلكم من الأمم قد كذبوا من قبلي من الرسل وهم شيث وإدريس ونوح فما ضرهم تكذيبهم شيئاً وإنما ضر أنفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم. ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ أي: التبليغ الذي لا يبقى معه شك وما عليه أن يصدق ولا يكذب البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرني تكذيبكم بعد ذلك أصلاً وكل أحد بعد ذلك مأخوذ بعمله.

قال في «الأسئلة المقحمة» معنى البلاغ هو إلقاء المعنى إلى النفس على سبيل الإفهام

وإن لم يفهم السامع فقد حصل مني ذلك الإبلاغ والإسماع والإفهام من الله تعالى.

پيش وحي حق أكر كرسرنهد كبريا از فضل خود سمعش دهد
جزمكر جاني كه شدبى نور وفر همچون ماهى كنك بد از أصل كر

وفي الآية تسلية للرسول عليه السلام ودعاء له إلى الصبر وزجر لمخالفيه فيما فعلوا من التكذيب والجحود فعلى المؤمن الطاعة والتقوى وقبول وصية الملك الأقوى فإن التقوى خير الزاد يوم التلاق وسبب النجاة وجالبة الأرزاق وأعظم أسباب التقوى التوحيد وهو أساس الإيمان ومفتاح الجنان ومغلاق النيران. روي: أن عمر رضي الله عنه مر بعثمان رضي الله عنه وسلم عليه فلم يرد سلامه فشكا إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال: لعله لعذر ثم أرسل إلى عثمان وسأل عن ذلك فقال: لم أسمع كلامه فإني كنت في أمر وهو أنا صاحبنا النبي زماناً فلم نسأل عما تتفتح به الجنان وتغلق أبواب النيران فقال أبو بكر رضي الله عنه: سألت عن ذلك من النبي ﷺ فقال: هي الكلمة التي عرضتها على عمي أبي طالب فأبى لا إله إلا الله محمد رسول الله» وذكر الله أكثر الأشياء تأثيراً فاذكروا الله ذكراً كثيراً.

قال السري رحمه الله: صحبت زنجياً في البرية فرأيته كلما ذكر الله تغير لونه وابيض فقلت: يا هذا أرى عجباً فقال: يا أخي أما إنك لو ذكرت الله تغيرت صفتك.

قال الحكيم الترمذي رحمه الله: ذكر الله يرطب اللسان فإذا خلا عن الذكر أصابته حرارة النفس ونار الشهوة فتعس ويبس وامتنعت الأعضاء عن الطاعة كالشجرة اليابسة لا تصلح إلا للقطع وتصير وقود النار وبالتوحيد تحصل الطهارة التامة عن لوث الشرك والسوى فالنفس تدعو مع الشيطان إلى أسفل السافلين والله تعالى يدعو بلسان نبيه إلى أعلى عليين وقد دعا الأنبياء كلهم فقبحوا الأوثان والشرك والدنيا وحسنوا عبادة الله والتوحيد والأخرى ورغبوا إلى الشكر والطاعة في الدنيا التي هي الساعة بل كلمح البصر لا يرى لها أثر ولا يسمع لها خبر فالعاقل يستمع إلى الداعي الحق ولا يكذب الخبر الصدق فيل بالتصديق والقبول والرضى إلى الدرجات العلى والراحة العظمى.

مده براحت فاني حيات باقي را بمحنت دوسه روز از غم ابد بكريز

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق﴾ اعتراض بين طرفي قصة إبراهيم عليه السلام لتذكير أهل مكة وإنكار تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله والهمزة لإنكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها والواو للعطف على مقدر وإبداء الخلق إظهارهم من العدم إلى الوجود ثم من الوجود الغيبي إلى الوجود العيني.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: الإيجاد إذا لم يكن مسبوقاً بمثله يسمى إبداء وإن كان مسبوقاً بمثله يسمى إعادة والله تعالى بدأ خلق الإنسان ثم هو يعيدهم أي يرجعهم ويردهم بعد العدم إلى الوجود ويحشرهم والأشياء كلها منه بدبت وإليه تعود. ومعنى الآية ألم ينظروا أي أهل مكة وكفار قريش ولم يعلموا علماً جارياً مجرى الرؤية في الجلاء والظهور كيفية خلق الله

ابتداء من مادة ومن غير مادة أي قد علموا. ﴿ثم يعيده﴾ أي: يرده إلى الوجود عطف على أو لم يروا لا على يبدأ لعدم وقوع الرؤية عليه فهو إخبار بأنه تعالى يعيد الخلق قياساً على الإبداء وقد جوز العطف على يبدأ بتأويل الإعادة بإنشائه تعالى كل سنة ما أنشأه في السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فإن ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب. قال الشيخ سعدي قدس سره:

بامرش وجود از عدم نقش بست   كه داند جزا وكردن از نيست هست
دكرره بكتم عدم در برد   واز آنجا بصحراي محشر برد

﴿إن ذلك﴾ أي: ما ذكر من الإعادة ﴿على الله يسير﴾ سهل لا نصب فيه. وبالفارسية [آسانست] إذ لا يفتقر في فعله إلى شيء من الأسباب.

﴿قل﴾ يا محمد لمنكري البعث. ﴿سيروا في الأرض﴾ سافروا في أقطارها. ﴿فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ خلقهم ابتداء على كثرتهم مع اختلاف الأشكال والأفعال والأحوال ﴿ثم الله ينشىء النشأة الآخرة﴾ يقال: نشأ نشأة حيي وربا وشب.

قال الراغب: الإنشاء إيجاد الشيء وتربيته وأكثر ما يقال ذلك في الحيوان انتهى والنشأة مصدر مؤكد لينشىء بحذف الزوائد والأصل الإنشاءة أو بحذف العامل أي ينشىء فينشؤون النشأة الآخرة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧] أي فنبتت نباتاً حسناً والنشأة الآخرة هي النشأة الثانية وهي نشأة القيام من القبور والجملة معطوفة على جملة سيروا في الأرض داخلة معها في حيز القول وعطف الأخبار على الإنشاء جائز فيما له محل من الإعراب وإنما لم تعطف على قوله بدأ الخلق لأن النظر غير واقع على إنشاء النشأة الأخرى فإن الفكر يكون في الدليل لا في النتيجة. والمعنى ثم الله يوجد الإيجاد الآخر ويحيي الحياة الثانية أي بعد النشأة الأولى التي شاهدتموها وهي الإبداء فإنه والإعادة نشأتان من حيث أن كلاً اختراع وإخراج من العدم إلى الوجود ـ وبالفارسية [پس الله باز فردا بآفرينش پسين خلق را زنده كند وظاهر كرداند آفريدن ديكررا ملخص سخن آنست كه چون بديديد وبدا نستيد كه خالق همه در ابتدا الله است حجت لازم شود برشما دراعات وبضرورت دانيد آنكه مبدىء خلائق است ميتواند آنكه معيد ايشان باشد]. ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ لأن قدرته لذاته ونسبة ذاته إلى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الأخرى كما قدر على النشأة الأولى.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿يعذب﴾ أي: بعد النشأة الآخرة ﴿من يشاء﴾ أن يعذبه وهم المنكرون لها ﴿ويرحم من يشاء﴾ أن يرحمه وهم المصدقون بها وتقديم التعذيب لما أن الترهيب أنسب بالمقام من الترغيب. ﴿وإليه﴾ تعالى لا إلى غيره. ﴿تقلبون﴾ تردون بالبعث فيفعل بكم ما يشاء من التعطيب والرحمة مجازاة على أعمالكم.

قال الكاشفي: [در كشف الأسرار آورده كه عذابش ازروى عدلست ورحمتش ازراه فضل پس هركزا خواهد باوى عدل كند از پيش براند وآنراكه خواهد باوى فضل نمايد بلطف خويش بخواند].

اكر رانـي زراه عـدل رانـي وكر خـوانـي زروي فـضـل خـوانـي
مرا بـارانـدن وخـوانـدن چه كـارست اكـر خـوانـي وكـررانـي تـودانـي

[درزان المسير آورده كه عذاب بزشت خوييست ورحمت بخوش خلقي. ونزد بعضي عذاب ورحمت بميل دنياست وترك آن يابحرص وقناعت يابمتابعت بدعت وملازمت سنت يابتفرقهٔ خاطر وجمعيت دل. إمام قشيري فرموده كه عذاب با آنست كه بنده را باوكذارد ورحمت آنكه بخود متولىٔ كار أوشود].

تـاتـونـبـاشـي يـارمـارونـق نـيـابـد كـارمـا

﴿وما أنتم بمعجزين﴾ [ونيستيد شما اي مردمان عاجز كنند كان پروردكار خودرا] أي عن إجراء حكمه وقضائه عليكم وإن هربتم. ﴿في الأرض﴾ الواسعة بالتواري فيها. يعني [درزير زمين] ﴿ولا في السماء﴾ ولا بالتحصن في السماء التي هي أوسع منها لو استطعتم الترقي فيها. يعني في الأرض كنتم أو في السماء لا تقدرون أن تهربوا منه فهو يدرككم لا محالة ويجري عليكم أحكام تقديره ﴿وما لكم من دون الله من ولي﴾ [دوست كار ساز]. ﴿ولا نصير﴾ يارى ومعين. يعني: ليس غيره تعالى يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء ويدفعه عنكم إن أراد بكم ذلك.

قال بعضهم: الولي الذي يدفع المكروه عن الإنسان والنصير الذي يأمر بدفعه عنه والولي أخص من النصير إذ قد ينصر من ليس بولي.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ أي بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وأفعاله فيدخل فيه النشأة الأولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به دخولاً أولياً.

قال في «كشف الأسرار»: الكفر بآيات الله أن لا يستدل بها عليه وتنسب إلى غيره ويجحد موضع النعمة فيها. ﴿ولقائه﴾ الذي تنطق به تلك الآيات ومعنى الكفر بلقاء الله جحود الورود عليه وإنكار البعث وقيام الساعة والحساب والجنة والنار. ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الكفر بآياته تعالى ولقائه ﴿يئسوا من رحمتي﴾ اليأس انتفاء الطمع كما في «المفردات»: وبالفارسية [نوميدشدن] كما في «تاج المصادر» أي: ييأسون منها يوم القيامة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه أو يئسوا منها في الدنيا لإنكارهم البعث والجزاء ﴿وأولئك﴾ الموصوفون بالكفر بالآيات واللقاء وباليأس من الرحمة الممتازون بذلك عن سائر الكفرة ﴿لهم﴾ بسبب تلك الأوصاف القبيحة ﴿عذاب أليم﴾ لا يقادر قدره في الشدة والإيلام.

قال في «كشف الأسرار»: [بدانكه تأثير رحمت الله درحق بندكان پيش از تأثير غضب است ودرقر آن ذكر صفات رحمت پيش اذ ذكر صفات غضب است ودر خبر ست كه «سبقت رحمتي غضبي» أين رحمت وغضب هردوصفت حق است وروا نباشدكه كويي يكي پيش است ويكي پس يايكي پيش است ويكي كم زيرا كه اكريكي پيش كويي ديكررا نقصان لازم آيد واكر يكي را پيش كويي يكررا حدوث لازم آيد پس مراد ازين تأثير ورحمت است يعني پيش كرد تأثير رحمت من بر تأثير غضب من تأثير غضب أوست نومدي كافران از رحمت أو تا مي كويد

جل جلاله ﴿أولئك يئسوا من رحمتي﴾ وتأثير رحمت اوست اميدمؤمنان بمغفرت أو دل نهادن بر رحمت أو تاميكويد] عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨] فينبغي للمؤمن أن لا ييأس من رحمته وأن لا يأمن من عذابه فإن كلاً من اليأس وإلا من كفر بل يكون راجياً خائفاً وأما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف، وإذا ترقى العبد عن حالة الخوف والرجاء يعرض له حالتا القبض والبسط فالقبض للعارف كالخوف للمستأنف والبسط له كالرجاء له. والفرق بينهما أن الخوف والرجاء يتعلقان بأمر مستقبل مكروه أو محبوب فالقبض والبسط بأمر حاضر في الوقت يغلب على قلب العارف من وارد غيبي فتارة يغلب القبض فيقول ذلي كذل اذل اليهو- وإليه الإشارة بالإبداء في الآية وأخرى يغلب البسط فيقول أين السموات والأرضون حتى أحملهما على شعرة جفن عيني وإليه الإشارة بالإعادة في الآية ومن هذا القبيل ما قال عليه السلام: «ليت رب محمد لم يخلق محمداً» وما قال: «أنا سيد ولد آدم» وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ [الأحقاف: ٣٣] الخ إشارة إلى أنه تعالى كما بدأ خلق الخلق بإخراجهم من العدم إلى الوجود إلى عالم الأرواح ثم أهبطهم من عالم الأرواح إلى عالم الأشباح عابرين على الملكوت والنفوس السماوية والأفلاك والأنجم وفلك الأثير والهواء والبحار وكرة الأرض ثم على المركبات والمعادن والنبات والحيوان إلى أن بلغ أسفل سافلين الموجودات وهو القلب الإنساني كما قال: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ [التين: ٥] أي بتدبير النفخة الخاصة كما قال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ﴾ [الحجر: ٢٩] فكذلك يعيده بجذبات العناية إلى الحضرة راجعاً من حيث هبط عابراً على المنازل والمقامات التي كانت على ممره بقطع تعلق نظره إلى خواص هذه المنازل وترك الانتفاع بها فإنه حالة العبور على هذه المنازل استعار خواصها وبعض أجزائها منها لاستكمال الوجود الإنساني روحانياً وجسمانياً فصار محجوباً معبداً عن الحضرة فعند رجوعه إلى الحضرة بجذبة ارجعي يرد في كل منزل ما استعار منه فإن العارية مردودة إلى أن يعاد إلى العدم بلا أنانية بتصرف جذبة العناية وهو معنى الفناء في الله. قال المولى الجامي:

طي كن بساط كون كه اين كعبهٔ مراد ... باشد وراى كون ومكان چند مرحله

وقال الشيخ المغربي:

زتنكناي جسد چون برون نهى قدمي ... بجز حظيرهٔ قدسئ بادشاه مپرش

وفي «المثنوي»:

از جمادى مردم نامى شدم ... وزنما مردم بحيوان بر زدم
مردم از حيوانيي وآدم شدم ... پس چه ترسم كي زمردن كم شدم
جملهٔ ديكر بميرم از بشر ... تا بر آرم از ملائك پاوسر
وزملك هم بايدم جستن زجو ... كل شيء هالك إلا وجهه
باردیكر از ملك قربان شوم ... آنچه اندر وهم نايد آن شوم
پس عدم كردم عدم چون ارغنون ... كويدم كانا إليه راجعون

وفي قوله: ﴿والذين كفروا﴾ الخ إشارة إلى الطائفة من أرباب الطلب وأصحاب السلوك العابرين على بعض المقامات المشاهدين آثار شواهد الحق الذين كوشفوا ببعض الأسرار ثم أدركتهم العزة بحجاب الغيرة فابتلاهم الله للغيرة بالالتفات إلى الغير فحجبوا بعد أن كوشفوا وستروا بعد أن تجردوا واستدرجوا بعد أن رفعوا وبعدوا بعد أن قربوا وردوا بعد أن دعوا

فحاروا بعد أن كاروا نعوذ بالله من الحور بعد الكور كذا في «التأويلات النجمية».

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فما كان جواب قومه﴾ أي قال إبراهيم عليه السلام: اعبدوا الله واتقوه فما كان جواب قومه آخر الأمر وهو بالنصب على أنه خبر كان واسمها قوله: **﴿إلا أن قالوا﴾** إلا قول بعضهم لبعض **﴿اقتلوه﴾** أصل القتل إزالة الروح عن الجسد كالموت لكن إذا اعتبر بفعل المتولي لذلك يقال: قتل وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال: موت. **﴿أو حرقوه﴾** التحريق [نيك سوزانيدن] والفرق بين التحريق والإحراق وبين الحرق أن الأول إيقاع ذات لهب في الشيء ومنه استعير أحرقني بلومه إذا بالغ في أذيته بلوم والثاني إيقاع حرارة في الشيء من غير لهيب كحرق الثوب بالدق كما في «المفردات» وفيه تسفيه لهم حيث أجابوا من احتج عليهم بأن يقتل أو يحرق وهكذا ديدن كل محجوج مغلوب. **﴿فأنجاه الله من النار﴾** الفاء فصيحة أي فألقوه في النار فأنجاه الله من أذاها بأن جعلها عليه برداً وسلاماً روي أنه لم ينتفع يومئذ بالنار في موضع أصلاً وذلك لذهاب حرها **﴿إن في ذلك﴾** أي: في إنجائه منها **﴿لآيات﴾** بينة عجيبة هي حفظه تعالى إياه من حرها وإخمادها مع عظمها في زمان يسير يعني عقيب احتراق الحبل الذي أوثقوه به لأنه ما أحرقت منه النار إلا وثاقه وأنشىء روض في مكانها يعني كل وريحان. **﴿لقوم يؤمنون﴾** لأنهم المنتفعون بالتفحص عنها والتأمل فيها وأما الكافرون فمحرومون من الفوز بمغانم آثارها.

وفيه إشارة إلى دعوة إبراهيم الروح نمرود النفس وصفاتها إلى الله تعالى ونهيهم عن عبادة الهوى والدنيا وما سوى الله وإلى إجابتهم إياه من لؤم طبعهم وغاية سفههم قولهم: اقتلوه بسيف الكفر والشرك أو أوقدوا عليه نار الشهوات والأخلاق الذميمة وحرقوه بها فخلص الله جوهر الروحية من حرقة النار الشهوات والأخلاق الذميمة ومتعه بالخصائص المودعة فيها مما لم يكن في جبلة الروح مركوزاً وكان به محتاجاً في سيره إلى الله ولهذه الاستفادة بعث إلى أسفل سافلين القالب.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿وقال﴾ إبراهيم مخاطباً لقومه **﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً﴾** أي: اتخذتموها آلهة لا لحجة قامت بذلك بل **﴿مودة بينكم﴾** أي: لتتوادوا بينكم وتتلاطفوا لاجتماعكم على عبادتها. **﴿في الحياة الدنيا﴾** يعني مدة بقائكم في الدنيا. وبالفارسية [ميخاهيد تاشمارا درعبادت آن ابتان اجتماعي باشد ودوستي بايكديكر تايكديكررا اتباع ميكنيد وبر آن اتباع دوست يكديكر ميشويد همچنانكه مؤمنان در عبادت الله بايكديكر مهر دارند ودوستي وتادر دنيا باشيد آن دوستي باقيست]. **﴿ثم يوم القيامة﴾** بعد الخروج من الدنيا تنقلب الأمور ويتبدل التواد تباغضاً والتلاطف تلاعناً حيث و**﴿يكفر بعضكم﴾** وهم العبدة **﴿ببعض﴾** وهم الأوثان **﴿ويلعن بعضكم بعضاً﴾** أي: يلعن ويشتم كل فريق منكم ومن الأوثان حيث ينطقها الله الفريق الآخر واللعن طرد وإبعاد على سبيل السخط وهو من الإنسان دعاء على غيره.

وفي «التأويلات النجمية»: تكفر النفس بشهوات الدنيا إذا شاهدت وبال استعمالها

وخسران حرمانها من شهوات الجنة وتلعن على الدنيا لأنها كانت سبباً لشقاوتها وتلعن الدنيا عليها كما قال عليه السلام: «إن أحدكم إذا لعن الدنيا: قالت الدنيا لعن الله أعصانا لله» ﴿ومأواكم﴾ جميعاً العابدون والمعبودون والتابعون والمتبعون ﴿النار﴾ أي هي منزلكم الذي تأوون إليه ولا ترجعون منه أبداً ﴿وما لكم من ناصرين﴾ يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار التي ألقيتموني فيها وجمع الناصر لوقوعه في مقابلة الجمع، أي وما لأحد منكم من ناصر أصلاً:

چون بت سنكين شمارا قبله شد لعنت وكورى شمارا ظاهر شد
نيست هركز ازخدا نفرت شما شد محرم جنت ورحمت شما

﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿فآمن له لوط﴾ آمن له وآمن به متقارب في المعنى ولوط ابن أخته. يعني: [خواهر زاده‌ء إبراهيم بود وبقولي برادر زاده‌ء أو] والمعنى صدقه في جميع مقالاته لا في نبوته وما دعا إليه من التوحيد فقط فإنه كان منزهاً عن الكفر وما قيل أنه آمن له حين رأى النار لم تحرقه ينبغي أن يحمل على ما ذكرنا أو على أنه يراد بالإيمان الرتبة العالية منه وهي التي لا يرتقي إليها إلا همم الأفراد وهو أول من آمن به ﴿وقال﴾ أي إبراهيم للوط وسارة وهي ابنة عمه وكانت آمنت به وكانت تحت نكاحه ﴿إني مهاجر﴾ أي تارك لقومي وذاهب ﴿إلى ربي﴾ أي حيث أمرني والمهاجرة [از زميني شدن واز كسى ببريدن] ومنه الحديث: «لا يذكر الله إلا مهاجراً» أي: قلبه مهاجر للسانه غير مطابق له.

قال في «المفردات»: الهجر والهجران مفارقة الإنسان غيره إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب.

قال بعض العارفين: إني راجع من نفسي ومن الكون إليه فالرجوع إليه بالانفصال عما دونه ولا يصح لأحد الرجوع إليه وهو متعلق بشيء من الكون حتى ينفصل عن الأكوان أجمع ولا يتصل بها. قال الكمال الخجندي:

وصل ميسر نشود جز بقطع قطع نخست ازهمه ببريدنست

﴿إنه هو العزيز﴾ الغالب على أمره فيمنعني من أعدائي. ﴿الحكيم﴾ الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة ومصلحة فلا يأمرني إلا بما فيه صلاحي ومن لم يقدر في بلدة على طاعة الله فليخرج إلى بلدة أخرى.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿إنه هو العزيز﴾ أي إن الله أعز من أن يصل إليه أحد إلا بعد مفارقته لغيره ﴿الحكيم﴾ الذي لايقبل بمقتضى حكمته إلا طيباً من لوث أنانيته كما قال عليه السلام: «إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب» انتهى. روي: أن إبراهيم عليه السلام أول من هاجر ولكل نبي هجرة ولإبراهيم هجرتان فإنه هاجر من كوثى وهي قرية من سواد الكوفة مع لوط وسارة وهاجر إلى حران ثم منها إلى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم [صاحب كشاف آورده كه إبراهيم دروقت هجرت هفتاد وپنج ساله بود ودرهمين سال خدا إسماعيل را بوي

دادازها جركه كنيزك ساره خاتون بود وچون سن مبارك آن حضرت بصد وبيست رسيد حق تعالى ويرا ازساره فرزندي بخشيد چنانچه ميفرمايد].

﴿ووهبنا له﴾من عجوز عاقر وهي سارة ﴿إسحاق﴾ولداً لصلبه أي من بعد إسماعيل من هاجر ﴿ويعقوب﴾نافلة وهي ولد الولد حين أيس من الولادة.

قال القاضي: ولذلك لم يذكر إسماعيل يعني أن المقام مقام الامتنان والامتنان لهما أكثر لما ذكر. روي: أن الله تعالى وهب له أربعة أولاد إسحاق من سارة وإسماعيل من هاجر ومدين ومداين من غيرهما. ﴿وجعلنا في ذريته﴾في نسله يعني في بني إسماعيل وبني إسرائيل. ﴿النبوة﴾فكثر منهم الأنبياء يقال: أخرج من ذريته ألف نبي وكان شجرة الأنبياء.

﴿والكتاب﴾أي: جنس الكتاب المتناول الكتب الأربعة يعني التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ﴿وآتيناه أجره﴾بمقابلة هجرته إلينا. ﴿في الدنيا﴾بإعطاء الولد في غير أوانه والمال والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء أهل الملل إليه والثناء والصلاة عليه إلى آخر الدهر [ما وردي كويد مزداو دردنيا بقاء ضيافت اوست يعني همچنانكه درحال حياة در مهما نخانهٔ وي بساط دعوت انداخته حالا نيزهست وخاص وعام ازان مائدهٔ پرفائده بهره مندند]:

سفره اش مبسوط بر أهل جهان نعمتش مبذول شد بي امتنان

﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾لفي عداد الكاملين في الصلاح وهم الأنبياء وأتباعهم عليهم السلام.

قال ابن عطاء: أعطيناه في الدنيا المعرفة والتوكل وإنه في الآخرة لمن الراجعين إلى مقام العارفين فالدنيا والآخرة حظ العارفين وذلك بمقاساتهم الشدائد ظاهراً وباطناً كالهجرة ونحوها.

اعلم أن الهجرة على قسمين صورية وقد انقطع حكمها بفتح مكة كما قال عليه السلام: «لا هجرة بعد الفتح» ومعنوية وهي السير من موطن النفس إلى الله تعالى بفتح كعبة القلب وتخليصها من أصنام الشرك والهوى فيجري حكمها إلى يوم القيامة وإذا سار الإنسان من موطن النفس إلى مقام القلب فكل ما أراده يعطيه الله وهو الأجر الدنيوي كما قال أبو سعيد الخراز رحمه الله: أقمنا بمكة ثلاثة أيام لم نأكل شيئاً وكان بحذائنا فقير معه ركوة مغطاة بحشيش وربما أراه يأكل خبزاً حوّاري فقلت له: نحن ضيفك فقال: نعم فلما كان وقت العشاء مسح يده على سارية فناولني درهمين فاشترينا خبزاً فقلت: بم وصلت إلى ذلك فقال: يا أبا سعيد بحرف واحد تخرج قدر الخلق من قلبك تصل إلى حاجتك.

ثم اعلم بأن الله تعالى منّ على إبراهيم عليه السلام بهبة الولد والولد الصالح الذي يدعو لوالديه من الأجور الباقية الغير المنقطعة كالأوقاف الجارية والمصاحف المتلوة والأشجار المنتفع بها ونحوها وكذلك منّ عليه بأن جعل في ذريته النبوة.

والإشارة فيه أن من السعادات أن يكون في ذرية الرجل أهل الولاية الذين هم ورثة الأنبياء فإن بهم تقوم الدنيا والدين وتظهر الترقيات الصورية والمعنوية للمسلمين وتسطع الأنوار إلى جانب الأرواح المقربين وأعلى عليين فيحصل الفخر التام والشرف الشامل والانتفاع العام وهؤلاء إن كانا من النسب الطيني فذاك وإن كانوا من النسب الديني فالأولاد الطيبون والأحفاد الطاهرون مطلقاً من نعم الله الجليلة.

نعم الإله على العباد كثيرة وأجلهن نجابة الأولاد

ربنا هب لنا من أزواجنا الخ.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿ولوطاً﴾ أي ولقد أرسلنا لوطاً من قبلك يا محمد اذكر لقومك **﴿إذ قال لقومه﴾** من أهل المؤتفكات **﴿إنكم﴾** [بدرستي كه شما] **﴿لتأتون الفاحشة﴾** أي: الخصلة المتناهية في القبح. وبالفارسية [بفاحشة مي آييد يعني ميكنيد كاري كه بغايت زشت است] كأن قائلاً قال: لم كانت تلك الخصلة فاحشة؟ فقيل: **﴿ما سبقكم بها﴾** أي بتلك الفاحشة **﴿من أحد من العالمين﴾** [هيچكس ازجهانيان] أي لم يقدم أحد قبلكم عليها لإفراط قبحها وكونها مما تنفر عنها النفوس والطباع وأنتم أقدمتم عليها لخباثة طبيعتكم.

قالوا: لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط أي مع طول الزمان وكثرة القرون.

﴿أئنكم لتأتون الرجال﴾ [آياشما مي آييد ومي كراييد بمردان بطريق مباشرت وآن كار زشت ميكنيد] **﴿وتقطعون السبيل﴾** السبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك وفيه سهولة وقطع الطريق يقال على وجهين أحدهما يراد به السير والسلوك والثاني يراد به الغصب من المارة والسالكين للطريق لأنه يؤدي إلى انقطاع الناس عن الطريق فجعل قطعاً للطريق. والمعنى تتعرضون لأبناء السبيل بالفاحشة حتى انقطع الناس عن طريقكم. روي: أنهم كانوا كثيراً ما يفعلونها بالغرباء ويجبرونهم عليها أو تقطعونها بالقتل وأخذ المال وكانوا يفعلون ذلك لكيلا يدخلوا في بلدهم ولا يتناولوا من ثمارهم أو تقطعون سبيل النسل بالإعراض عن الحرث وإتيان ما ليس بحارث **﴿وتأتون﴾** تفعلون وتتعاطون من غير مبالاة **﴿في ناديكم﴾** في مجلسكم ومتحدثكم الجامع لأصحابكم فإنه لا يقال النادي والندى إلا لما فيه أهله فإذا قاموا عنه لم يبق نادياً.

قال في «كشف الأسرار»: النادي مجمع القوم للسمر والإنس وجمعه أندية **﴿المنكر﴾**.

قال الراغب: المنكر كل شيء تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو تتوقف في استقباحه العقول وتحكم بقبحه الشريعة انتهى.

وهو ههنا أمور: منها الجماع واللواطة في المجالس بالعلانية والضراط وهو بالفارسية [بادرا رهايي كردن] زعمت الهند أن حبس الضراط داء وإرساله دواء ولا يحبسون في مجالسهم ضرطة ولا يرون ذلك عيباً وأفلتت من معاوية ريح على المنبر فقال: أيها الناس إن الله خلق أبداناً وجعل فيها أرياحاً فمتى يتمالك الناس أن لا تخرج منهم فقام صعصعة بن صوحان فقال: أما بعد فإن خروج الأرياح في المتوضأة سنة وعلى المنابر بدعة واستغفر الله لي ولكم. ومنها حل أزرار القباء وضرب الأوتار والمزامير والسخرية بمن يمر بهم وفي هذا إعلام أنه لا ينبغي أن يتعاشر الناس على المناكير وأن لا يجتمعوا على الهزؤ والمناهي ـ سئل ـ الجنيد رحمه الله عن هذه الآية فقال: كل شيء يجتمع الناس عليه إلا الذكر فهو منكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو ـ أي المنكر ـ الحذف بالحصى: يعني: [بسر انكشت سبابه وناخن انكشت سترك

سنك بمردم انداختن] وكانوا يجلسون على الطريق وعند كل واحد قصعة فيها حصى فمن مر بهم حذفوه فمن أصابه منهم فهو أحق به فيأخذ ما معه وينكحه ويغرّمه ثلاثة دراهم ولهم قاض يقضي بينهم بذلك. ومنه «هو أجور من قاضي سدوم» وفي الحديث: «إياكم والحذف فإنه لا ينكي عدواً ولا يقتل صيداً ولكن يفقأ العين ويكسر السنّ» وكان من أخلاق قوم لوط الرمي بالبنادق والجلاهق والصفير وتطريف الأصابع بالحناء والفرقعة أي مد الأصابع حتى تصوت ولذا كرهت في الصلاة وخارجها لئلا يلزم التشبه بهم. ومن أخلاقهم مضغ العلك ولا يكره للمرأة إن لم تكن صائمة لقيامه مقام السواك في حقهن لأن سنّها أضعف من سنّ الرجال كسائر أعضائها فيخاف من السواك سقوط سنها وهو ينقي الأسنان ويشد اللثة كالسواك ويكره للرجل إذا لم يكن من علة كالبخر لما فيه من تشبه النساء. ومن أخلاقهم السباب والفحش في المزاح يقال المزاح يجلب صغيرة الشرك وكبيرة الحرب. ومن أخلاقهم اللعب بالحمام.

عن سفيان الثوري أنه قال: كان اللعب بالحمام من عمل قوم لوط وإن من لعب بالحمام الطيارة لم يمت حتى يذوق ألم الفقر كما في «حياة الحيوان» **﴿فما كان جواب قومه﴾** لما أنكر عليهم قبائحهم **﴿إلا أن قالوا﴾** له استهزاء [ما ترك أين عملها نخواهيم كرد] **﴿ائتنا بعذاب الله﴾** [بيار عذاب خدايرا بما] **﴿إن كنت من الصادقين﴾** فيما تعدنا من نزول العذاب. وبالفارسية [از راست كويان در آنكه اين فعلها قبيح است وبسبب آن عذاب بشما نازل خواهد شد].

قال في «الإرشاد»: فما كان جواب من جهتهم بشيء من الأشياء إلا هذه الكلمة الشنيعة أي لم يصدر عنهم في هذه المرة من مرات مواعظ لوط وقد كان أوعدهم فيها العذاب وأما ما في سورة الأعراف من قوله: ﴿فَمَا كَانَ﴾ [الأعراف: ٣٩] الخ وما في سورة النمل من قوله: ﴿فَمَا كَانَ﴾ [النمل: ٥٦] الخ فهو الذي صدر عنهم بعد هذه المرة وهي المرة الأخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عليه السلام.

﴿قال﴾ لوط بطريق المناجاة لما أيس منهم **﴿رب﴾** [أي پروردكار من] **﴿انصرني﴾** أي: بإنزال العذاب الموعود **﴿على القوم المفسدين﴾** بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم والإصرار عليها فاستجاب الله دعاءه [وفرشتكان فرستاد تاقوم أورا عذاب كنند وايشانرا فرموده كه نخست بإبراهيم بكذريد وأورا بشارت دهيد] كما سيأتي وإنما وصفهم بالإفساد ولم يقل عليهم أو على قومي مبالغة في استنزال العذاب عليهم وإشعاراً بأنهم أحقاء بأن يعجل لهم العذاب.

قال الطيبي: الكافر إذا وصف بالفسق أو الإفساد كان محمولاً على غلوه في الكفر.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿ولما جاءت﴾ [آن هنكام كه آمدند] **﴿رسلنا﴾** يعني الملائكة وهم جبريل ومن معه **﴿إبراهيم بالبشرى﴾** أي بالبشارة والولد النافلة **﴿قالوا﴾** لإبراهيم في تضاعيف الكلام **﴿إنا مهلكوا أهل هذه القرية﴾** أي قرية سدوم والإضافة لفظية لأن المعنى على الاستقبال **﴿إن أهلها**

كانوا ظالمين﴾ بالكفر والتكذيب وأنواع المنكرات.

﴿قال﴾ إبراهيم للرسل إشفاقاً على المؤمنين ومجادلة عنهم **﴿إن فيها لوطاً﴾** [لوط دران شهرست] أي فكيف تهلكونها سمي بلوط لأن حبه ليط بقلب عمه إبراهيم أي تعلق ولصق وكان إبراهيم يحبه حباً شديداً **﴿قالوا﴾** أي: الملائكة **﴿نحن أعلم﴾** منك **﴿بمن فيها﴾** ولسنا بغافلين عن حال لوط فلا تخف أن يقع حيف على مؤمن. **﴿لننجينه﴾** أي: لوطاً **﴿وأهله﴾** أتباعه المؤمنين وهم بناته **﴿إلا امرأته كانت من الغابرين﴾** أي الباقين في العذاب أو القرية. يعني: [خواهيم كفت تالوط ازميان قوم بيرون آيد باهل خود وهمه كسان وي بيرون روند مكر زن أوكه درميان قوم بماند وباايشان هلاك شود].

﴿ولما أن﴾ صلة لتأكيد الفعلين وما فيهما من الاتصال **﴿جاءت رسلنا﴾** المذكورون بعد مفارقة إبراهيم. **﴿لوطاً سيء بهم﴾** أي: اعتراه المساءة بسببهم مخافة أن يتعرض لهم قومه بسوء أي الفاحشة لأنهم كانوا يتعرضون للغرباء ولم يعرف لوط أنهم ملائكة وإنما رأى شباناً مرداً حساناً بثياب حسان وريح طيبة فظن أنهم من الإنس **﴿وضاق بهم ذرعاً﴾** أي ضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته فلم يدر أيأمرهم بالخروج أم بالنزول كقولهم: ضاقت يده وبإزائه رحب ذرعه بكذا إذا كان مطيقاً به قادراً عليه وذلك أن طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع. **﴿وقالوا﴾** لما رأو فيه أثر الضجرة. يعني: [فرشتكان أثر ملال برحبين مبارك لوط مشاهده كرده أورا تسلى دادند وكفتند]. **﴿لا تخف﴾** من قومك علينا. **﴿ولا تحزن﴾** على شيء **﴿إنا منجوك وأهلك﴾** مما يصيب القوم من العذاب **﴿إلا امرأتك كانت من الغابرين إنا منزلون على أهل هذه القرية﴾** يعني سدوم وكانت مشتملة على سبعمائة ألف رجل كما في «كشف الأسرار». **﴿رجزاً من السماء﴾** عذاب منها يعني الخسف والحصب والرجز العذاب الذي يقلق المعذب أي يزعجه من قولهم: ارتجز إذا ارتعش واضطرب **﴿بما كانوا يفسقون﴾** بسبب فسقهم المستمر فانتسف جبريل المدينة وما فيها بأحد جناحيه فجعل عاليها سافلها وانصبت الحجارة على من كان غائباً أي بعد خروج لوط مع بناته منها [پس بحكم خداي لوط بااهالىء خود خلاص يافت وكفار موتفكهء هلاك شدند وشهرخراب شده إيشان عبرت عالميان كشت چنانچه ميفرمايد].

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿ولقد تركنا منها﴾ أي: من القرية ومن للتبيين لا للتبعيض لأن المتروك الباقي ليس بعض القرية بل كلها. **﴿آية بينة﴾** [نشانهء روشن] وهي قصتها العجيبة وحكايتها السابقة أو آثار ديارها الخربة أو الحجارة الممطورة التي على كل واحد منها اسم صاحبها فإنها كانت باقية بعدها وأدركها أوائل هذه الأمة وقيل: ظهور الماء الأسود على وجه الأرض حين خسف بهم وكان منتناً يتأذى الناس برائحته من مسافة بعيدة. **﴿لقوم يعقلون﴾** يستعملون عقولهم في الاعتبار وهو متعلق إما بتركنا أو ببينة وفيه إشارة إلى شرف العقل فإنه هو الذي يعتبر ويردع الإنسان عن الذنب والوقوع في الخطر. وفي «المثنوي»:

عقل إيماني چو شحنه عادلست ... پاسبان وحاكم شهر دلست

همچو كربه باشد أو بيدار هوش ... دزد درسوارخ ماند همچو موش

درهر آنجاكه بر آرد موش دست نيست كربه ياكه نقش كربه است
كربهٔ چون شير شير افكن بود عقل ايماني كه اندرتن بود
غرهٔ أو حاكم درندكان نعرهٔ أو مانع چرندكان
شهر بردزدست وبرجامه كنى خواه شحنه باش كوو خواه ني

وعن أنس رضي الله عنه: أثنى قوم على رجل عند رسول الله حتى بالغوا في الثناء بخصال الخير فقال رسول الله: «كيف عقل الرجل» فقالوا: يا رسول الله نخبرك عنه باجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال نبي الله عليه السلام: «إن الأحمق بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم» قيل: كل شيء إذا كثر رخص غير العقل فإنه إذا كثر غلا.

قال أعرابي: لو صور العقل ظلمت معه الشمس ولو صور الحمق لأضاء معه الليل أي لكان الليل مضيئاً بالنسبة إليه مع أنه لا ضوء فيه من حيث أنه ليل. وفي «المثنوي»:

كفت پيغمبر كه أحمق هركه هست أو عدو ماست غول ورهزن است
هركه أو عاقل بود ازجان ماست روح أو وريح اوريحان ماست
مائدهٔ عقلست ني نا وشوى نو عقلست أي پسر جان را غدي
نيست غير نور آدم را خورش ازجز آن جان نبايد پرورش
زين خورشها اندك اندك بازبر زين غداي خربود ني آن حر
تاغداي أصل را قابل شوى لقمهاي نوررا آكل شوى

ثم إن الآية تدل على كمال قدرته على الإنجاء والانتقام من الأعداء والله غالب على أمره ألا أن حزب الله هم المفلحون وهم الأنبياء والأولياء ومن يليهم وعلى أن المعتبر في باب النجاة والحشر أهل الفلاح والرشاد وهو حبهم وحسن اتباعهم لأن الاتصال المعنوي بذلك الاختلاط الصوري فقط ألا يرى إلى امرأة لوط وامرأة نوح حيث قيل لهما: ادخلا النار مع الداخلين لخيانتهما وعدم إطاعتهما وقد نجت بنتا لوط لإيمانهما فسبحان من يخرج الحي من الميت ﴿**وإلى مدين**﴾ أي وأرسلنا إلى أهل مدين ﴿**أخاهم شعيباً**﴾ لأنه من نسبهم وقد سبق تفسير الآية على التفصيل مراراً ﴿**فقال**﴾ شعيب بطريق الدعوة: ﴿**يا قوم**﴾ [أي كروه من] ﴿**اعبدوا الله**﴾ وحده ﴿**وارجوا اليوم الآخر**﴾ المراد يوم القيامة لأنه آخر الأيام أي توقعوه وما سيقع فيه من فنون الأحوال وافعلوا اليوم من الأعمال ما تنتفعون به في العاقبة وتأمنون من عذاب الله ويقال: وارجوا يوم الموت لأنه آخر عمرهم ﴿**ولا تعثوا**﴾ عثا أفسد من الباب الأولى ﴿**في الأرض**﴾ في أرض مدين حال كونكم ﴿**مفسدين**﴾ بنقص الكيل والوزن أي لا تعتدوا حال إفسادكم وإنما قيده وإن غلب في الفساد لأنه قد يكون فيه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه يتضمن صلاحاً راجحاً كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿فكذبوه﴾ أي: شعيباً ولم يمتنعوا من الفساد ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ أي الزلزلة الشديدة حتى تهدمت عليهم دورهم وفي سورة هود: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٩٤] أي صيحة جبريل فإنها الموجبة للرجفة بسبب تمويجها للهواء وما يجاوره من الأرض ﴿فأصبحوا﴾ أي صاروا ﴿في دارهم﴾ أي بلدهم أومنازلهم ولم يجمع بأن يقال في ديارهم لأمن اللبس ﴿جاثمين﴾ باركين على الركب ميتين مستقبلين بوجوههم الأرض وذلك بسبب عدم استماعهم إلى داعي الحق وتزلزل باطنهم فالجزاء من جنس العمل.

﴿وعاداً﴾ منصوب بإضمار فعل دل عليه ما قبله أي وأهلكنا عاداً قوم هود ﴿وثمود﴾ قوم صالح وهو غير مصروف على تأويل القبيلة ﴿وقد تبين لكم من مساكنهم﴾ أي: وقد ظهر لكم يا أهل مكة إهلاكنا إياهم من جهة بقية منازلهم باليمن ديار عاد والحجر ديار ثمود بالنظر إليها عند مروركم بها في أسفاركم ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ من فنون الكفر والمعاصي وحسنها في أعينهم ﴿فصدهم عن السبيل﴾ صرفهم عن السبيل الذي وجب عليهم سلوكه وهو السبيل السوي الموصل إلى الحق على التوحيد ﴿وكانوا مستبصرين﴾ يقال: استبصر في أمره إذا كان ذا بصيرة أي والحال أنهم أي عاداً وثمود قد كانوا ذوي بصيرة عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك لمتابعتهم الشيطان فلم ينتفعوا بعقولهم في تمييز الحق من الباطل فكانوا كالحيوان. وفي «المثنوي»:

مهر حق برچشم وبركوش خرد كر فلاطونست حيوانش كنكد

﴿وقارون وفرعون وهامان﴾ معطوف على عاداً وتقديم قارون لشرف نسبه كما سبق ففيه تنبيه لكفار قريش أن شرف نسبهم لا يخلصهم من العذاب كما لم يخلص قارون ﴿ولقد جاءهم موسى بالبينات﴾ بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة. ﴿فاستكبروا﴾ وتعظموا عن قبول الحق ﴿في الأرض﴾ [در زمين مصر] ﴿وما كانوا سابقين﴾ مفلتين فائتين بل أدركهم أمر الله فهلكوا من قولهم سبق طالبه إذا فاته ولم يدركه.

قال الراغب: أصل السبق التقدم في السير ثم تجوز به في غيره من التقدم كما قال بعضهم: إن الله تعالى طالب كل مكلف بجزاء عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿فكلا﴾ تفسير لما ينبىء عنه عدم سبقهم بطريق الإبهام أي كل واحد من المذكورين ﴿أخذنا بذنبه﴾ أي عاقبناه بجنايته لا بعضهم دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول.

قال بعضهم: الأخذ أصله باليد ثم يستعار في مواضع فيكون بمعنى القبول كما في قوله: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران: ٨١] أي: قبلتم عهدي وبمعنى التعذيب في هذا المقام.

قال في «المفردات»: الأخذ حوز الشيء وتحصيله وذلك تارة بالتناول نحو ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يوسف: ٧٩] وتارة بالقهر نحو ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ويقال: أخذته الحمى ويعبر عن الأسير بالمأخوذ والأخيذ.

قال في «الأسئلة المقحمة»: قوله: ﴿فكلاً أخذنا بذنبه﴾ دليل على أنه تعالى لا يعاقب

أحداً إلا بذنبه وأنهم يقولون: إنه تعالى لو عاقب ابتداء جاز والجواب نحن لا ننكر أنه تعالى يعاقب الكفار على كفرهم والمذنبين بذنبهم وإنما الكلام في أنه لو عاقب ابتداء لا يكون ظالماً لأنه يفعل ما يشاء بحكم الملك المطلق ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً﴾ تفصيل للأخذ أي ريحاً عاصفاً فيه حصباء وهي الحصى الصغار وهم عاد أو ملكاً رماهم بها وهم قوم لوط ﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ كمدين وثمود صاح بهم جبريل صيحة فانشقت قلوبهم وزهت أرواحهم. وبالفارسية [بانك كرفت ايشانرا تا زهرهٔ إشان ترقيد] ﴿ومنهم من﴾ [وازايشان كسى بودكه] ﴿خسفنا به الأرض﴾ [فرو برديم أورا بزمين چون قارون واتباع أو] فالباء للتعدية وهو الجزاء الوفاق لعمله لأن المال الكثير يوضع غالباً تحت الأرض ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ كقوم نوح وفرعون وقومه والإغراق: [غرقه كردن] كما في «التاج» والغرق الرسوب في الماء أي السفول والنزول فيه ﴿وما كان الله ليظلمهم﴾ بما فعل بهم بأن يضع العقوبة في غير موضعها فإن ذلك محال من جهته تعالى لأنه قد تبين بإرسال الرسل ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بالاستمرار على ما يوجب العذاب من أنواع الكفر والمعاصي:

أي كه حكم شرع را رد ميكني ... راه باطل ميروى بدميكني
چون توبد كردي بدي يا بي جزا ... پس بديها جمله باخود ميكنى

وفي «المثنوي»:

پس تراهر غم كه پيش آيد زدرد ... بركسى تهمت منه برخويش كرد

قال وهب بن منبه: قرأت في بعض الكتب: حلاوة الدنيا مرارة الآخرة ومرارة الدنيا حلاوة الآخرة وظمأ الدنيا ريّ الآخرة وريّ الدنيا ظمأ الآخرة فرح الدنيا حزن الآخرة وحزن الدنيا وفرح الآخرة ومن قدم شيئاً من خير أو شر وجده والأمر بآخره ألا ترى أن هؤلاء المذكورين لما صار آخر أمرهم التذكيب أوخذوا عليه ولو صار التصديق لسومحوا فيما صدر عنهم أولاً. والحاصل أنهم لما عاشوا على الإصرار هلكوا على العذاب ويحشرون على ما ماتوا عليه ولذا يقولون عند القيام من قبورهم: واويلاه فقط وعظ الله بهذه الآيات أهل مكة ومن جاء بعدهم إلى يوم القيام ليعتبروا وينتفعوا بعقولهم ويجتنبوا عن الظلم والأذى والاستكبار والإفساد فإن فيه الصلاح والنجاة والفوز بالمراد لكن التربية والإرشاد إنما تؤثر في المستعد من العباد. قال الشيخ سعدي قدس سره:

چون بود أصل جوهري قابل ... تربيت را درو اثر باشد
هيچ صيقل نكو نداند كرد ... آهني راكه بدكهر باشد

والقرآن كالبحر وإنما يتطهر به من كان من شأنه ذلك كالإنسان وأما الكلب فلا.

سك بدرياي هفت كانه مشوى ... كه چون ترشد پليدتر باشد
خر عيسى اكر بمكه برند ... چون بيايد هنوز خرباشد

حكي: أن بعض المتشيخين ادعى الفضل بسبب أنه خدم فلاناً العزيز أربعين سنة فقال واحد من العرفاء: كان لذلك العزيز بغل قد ركبه أربعين سنة فلم يزل من أن يكون بغلاً حتى هلك على حاله أي لم يؤثر فيه ركوب الإنسان الكامل لعدم استعداده لكونه إنساناً فأفحم المدعي ولله دره نسأل الله الخروج من موطن النفس والإقامة في حظيرة القدس.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾ مثل الشيء بفتحتين صفته كما في «المختار» والاتخاذ افتعال من الأخذ والمراد بالأولياء الآلهة أي الأصنام. والمعنى: صفتهم العجيبة فيما اتخذوه معتمداً. **﴿كمثل العنكبوت﴾** يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والغالب في الاستعمال التأنيث وتاؤه كتاب طاغوت أي زائدة لا للتأنيث. **﴿اتخذت﴾** لنفسها **﴿بيتاً﴾** أي: كمثلها فيما نسجته في الوهن بل ذلك أوهن من هذا لأن له حقيقة وانتفاعاً في الجملة فالآية من قبيل تشبيه الهيئة بالهيئة لتشبيه حال من اتخذ الأصنام أولياء وعبدها واعتمد عليها راجياً نفعها وشفاعتها بحال العنكبوت التي اتخذت بيتاً فكما أن بيتها لا يدفع عنها حراً ولا برداً ولا مطراً ولا أذى وينتقض بأدنى ريح فكذلك الأصنام لا تملك لعابديها نفعاً ولا ضراً ولا خيراً ولا شراً

پيش چوب وپيش سنك نقش كند   كه بساكولان سرها مي نهند

ومن تخيل السراب شراباً لم يلبث إلا قليلاً حتى يعلم أنه كان تخييلاً ومن اعتمد شيئاً سوى الله فهو هباءٌ لا حاصل له وهلاكه في نفس ما اعتمد ومن اتخذ سواه ظهيراً قطع من نفسه سبيل العصمة ورد إلى حوله وقوته.

وفي الآية إشارة إلى أن الذين اتخذوا الله ولياً وعبدوه واعتمدوا عليه وهم المؤمنون فمثلهم كمثل من بنى بيتاً من حجر وجص له حائط يحول عن تطرق الشرور إلى من فيه وسقف مظل يدفع عنه البرد والحر.

دوستيهاي همه عالم بروب از دل كمال   پاك بايد داشتن خلوت سراي دوست را

﴿وإن أوهن البيوت﴾ أي: أضعفها. وبالفارسية [سست ترين خانها] **﴿لبيت العنكبوت﴾** لا بيت أوهن منه فيما تتخذه الهوام لأنه بلا أساس ولا جدار ولا سقف لا يدفع الحر والبرد ولذا كان سريع الزوال.

وفيه إشارة إلى أنه لا أصل لموالاة ما سوى الله فإنه لا أس لبنيانها يقول الفقير:

تكيه كم كن صوفي برد يوار غير   غير أو ديار نـي خلاق دير

﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي: شيئاً من الأشياء لجزموا أن هذا مثلهم وأبعدوا عن اعتقاد ما هذا مثله.

قال الكاشفي: [صاحب بحر الحقائق آورده كه عنكبوت هرچند برخود مي تند ژندان براي نفس خود ميسازد وقيدي بدست وپاي خود مي نهد پس خانهء أو محبس أوست آنها نيزكه بدون خداي تعالى أوليا كيرند يعني پرستش هوا وپيروي دنيا ومتابعت شيطان ميكنند بسلاسل وأغلال ووزر وبال مقيد كشته روى خلاصي ندارند وعاقبت در مهلكهء نيران ودركهء بعد وحرمان افتاده معاقب ومعذب كردند وبعضي هواي نفس را در بي اعتباري بتار عنكبوت تشبيه كرده اند] كما قيل:

از هوا بكذر كه پس بي اعتبار افتاده است   رشتهء دام هوا چون تار بيت عنكبوت

اللهم ارزقنا دنيا بلا هوى وخلصنا مما يطلق عليه السوي.

قال بعض العارفين: [عاشقان در دمي عيد كنند عنكبوتان مكس قديدكنند. دو عيد عبارتست از نيستي هستي كه هر لحظه در نظر عارف واقع است چه عيد در إصلاح ما يعود على القلباست. وجماعتي كه بدام تعينات كرفتارندكه عنكبوتان عبارت ازان جماعت است مكس قديد كنند يعني وجودات موهومهء عالم را متحقق مي شمارند واز حقيقت حال غافلندكه اشيارا وجود حقيقي نيست وموجوديت اشيا عبارت از نسبت وجود حقست باايشان وچون آن نسبت قطع كرده ميشود اشيا معدوما نندكه] التوحيد: إسقاط الإضافات.

جهانرانيست هستي جز مجازى سراسر حال أو لهواست وبازى

كذا قال بعض أهل التأويل. يقول الفقير: لعل العيدين إشارة إلى النفس الداخل والخارج وللعارفين في كل منهما عيد أكبر باعتبار كونهم مع الحق وشهوده والعناكيب إشارة إلى العباد الذين يتقيدون بالعبادات الظاهرة من غير شهود الحق فأين من يأكل القديد ممن يأكل الحلاوى **﴿إن الله﴾** على إضمار القول أي قل للكفرة تهديداً إن الله **﴿يعلم ما يدعون﴾** يعبدون وما استفهامية منصوبة بيدعون ويعلم معلق عنها. **﴿من دونه﴾** أي: من دون الله **﴿من شيء﴾** من للتبين أي سواء كان ما يدعون صنماً أو نجماً أو ملكاً أو جنياً أو غيره لا يخفى عليه ذلك فهو يجازيهم على كفرهم **﴿وهو العزيز﴾** الغالب القادر على انتقام أعدائه **﴿الحكيم﴾** ذو الحكمة في ترك المعاجلة بالعقوبة.

ولما كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون: إن رب محمد لا يستحيي أن يضرب مثلاً بالذباب والبعوضة والعنكبوت ويضحكون من ذلك قال تعالى:

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿وتلك الأمثال﴾ أي هذا المثل وأمثاله والمثل كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالأول أي تشبيه حال الثاني بالأول **﴿نضربها للناس﴾** نذكرها ونبينها لأهل مكة وغيرهم تقريباً لما بعد عن أفهامهم.

قال في «المفردات»: ضرب المثل هو من ضرب الدرهم اعتباراً بضربه بالمطرقة وهو ذكر شيء أثره يظهر في غيره **﴿وما يعقلها﴾** أي وما يفهم حسن تلك الأمثال وفائدتها **﴿إلا العالمون﴾** أي الراسخون في العلم المتدبرون في الأشياء على ما ينبغي وهم الذين عقلوا عن الله أي ما صدر عنه فعملوا بطاعته واجتنبوا سخطه والعالم على الحقيقة من حجزه علمه عن المعاصي فالعاصي جاهل وإن كان عالماً صورة.

فإن قيل لم لم يقل وما يعلمها إلا العاقلون والعقل يسبق العلم؟.

قلنا: لأن العقل آلة تدرك بها معاني الأشياء بالتأمل فيها ولا يمكن التأمل فيها والوصول إليها بطريقها إلا بالعلم.

ودلت الآية على فضل العلم على العقل ولا عالم منا إلا وهو عاقل فأما العاقل فقد يكون غير عالم.

قال الإمام الراغب في «المفردات»: العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل ولهذا قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أقول:

العقل عقلان فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مطبوع إذا لم يك مسموع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

وإلى الأول أشار عليه السلام بقوله: «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل» وإلى الثاني أشار بقوله: «ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى ويرده عن ردى» وهذا العقل هو المعني بقوله: ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ وكل موضع ذم فيه الكفار بعدم العقل فإشارة إلى الثاني دون الأول وكل موضع رفع فيه التكليف عن العبد لعدم العقل فإشارة إلى الأول انتهى: وفي «المثنوي».

عقل دو عقلست أول مكسبي كه در آموزى چودر مكتب صبى
از كتاب واوستاد وفكر وذكر از علوم وازمعانى خوب وبكر
عقل تو افزون شود برديكران ليك توباشي ز حفظ آن كران
لوح حافظ باشي اندر دور وكشت لوح محفوظ اسوت كوزين دركذشت
عقل ديكر بخشش يزدان بود چشمهٔ آن درميان جان بود
چون زسينه آب دانش جوش كرد ني شود كنده ني ديرينه ني زرد
ورره نبعش بود بسته چه غم كو همي جوشد زخانه مبدم
عقل تحصيلي مثال جويها كان رود درخانهٔ از كويها
راه آبش بسته شد شد بي نوا از درون خويشتن چون چشمه را
جهد كن تابير عقل ودين شوى تاچو عقل كل توباطن بين شوى

﴿خلق الله السماوات والأرض بالحق﴾ أي حال كونهما حقاً مراعياً للحكم والمصالح على أنه حال من فاعل خلق أو ملتبسة بالحق الذي لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية على أنه حال من مفعوله فإنها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على وحدانيته وعظم قدرته وسائر صفاته كما أشار إليه بقوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي: في خلقهما ﴿لآية﴾ دالة على شؤونه ﴿للمؤمنين﴾ تخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والإرشاد في خلقهما للكل لأنهم المنتفعون بذلك.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿خلق الله السماوات والأرض بالحق﴾ لمرآتية صفات الحق تعالى ليكون مظهرها ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي في السموات والأرض آية حق مودعة ولكن ﴿للمؤمنين﴾ الذين ينظرون بنور الله فإن النور لا يرى إلا بالنور ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

جهان مرآت حسن شاهد ماست فشاهد وجهه في كل ذرات

فعلى العاقل النظر إلى آثار رحمة الله والتفكر في عجائب صنعه وبدائع قدرته حتى يستخرج الدر من بحار معرفته. روي: أن داود عليه السلام دخل في محرابه فرأى دودة صغيرة فتفكر في خلقها وقال: ما يعبأ الله بخلق هذه فانطقها الله تعالى فقالت: يا داود أتعجبك نفسك وأنا على ما أنا والله أذكر الله وأشكره أكثر منك على ما آتاك الله. وحكي: أن رجلاً رأى خنفساء فقال: ماذا يريد الله تعالى من خلقه هذه أحسن شكلها أم طيب ريحها؟ فابتلاه الله بقرحة عجز عنها الأطباء حتى ترك علاجها فسمع يوماً صوت طبيب من الطرقيين ينادي في

الدرب فقال: هاتوه حتى ينظر في أمري فقالوا: ما تصنع بطرقي وقد عجز عنك حذاق الأطباء؟ فقال: لا بد لي منه فلما أحضروه ورأى القرحة استدعى الخنفساء فضحك الحاضرون فتذكر العليل القول الذي سبق منه فقال: أحضروا ما طلب فإن الرجل على بصيرة فأحرقها ووضع رمادها على قرحته فبرئت بإذن الله تعالى فقال للحاضرين: إن الله تعالى أراد أن يعرفني أن أخس المخلوقات أعز الأدوية كذا في «حياة الحيوان» فظهر أن الله تعالى ما خلق شيئاً باطلاً بل خلق الكل حقاً مشتملاً على المصلحة سواء عرفها الإنسان أو لم يعرفها واللائق بشأن المؤمن أن يسلك طريق التفكر ثم يترقى منه حتى يرى الأشياء على ما هي عليه كما هو شأن أرباب البصيرة. وقد قالوا: المشاهدة ثمرة المجاهدة فلا بد من استعمال العقل وسائر القوى وكذا الأعضاء فبالخدمة تزداد الحرمة ويحصل الانكشاف وتزول الحيرة ويجيء الاطمئنان. قال المولى الجامي:

بي طلب نتوان وصالت يافت آرى كي دهد دولت حج دست جزراه بيابان برده را

ومعنى الطلب ليس القصد القلبي والذكر اللساني فقط بل الاجتهاد بجميع الظاهر والباطن بقدر الإمكان وهو وظيفة الإنسان ثم الفتح بيد الله إن شاء أراه ملكوت السموات والأرض وجعله مكاشفاً ومعايناً ومحققاً واحداً وإن شاء أوقفه في مقامه وأقل الأمر حصول التفكر بالعقل المودع ويلزم شكره فإن الله تعالى أخرجه بذلك عن دائرة الغافلين المعرضين اللهم اجعلنا من المتفكرين المتيقظين والمدركين لحقائق الأمور في كل شيء من خلق السماوات والأرض.

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب﴾ التلاوة القراءة على سبيل التوالي والإيحاء إعلام في الخفاء ويقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى الأنبياء والأولياء وحي. والمعنى: اقرأ يا محمد ما أنزل إليك من القرآن تقرباً إلى الله بقراءته وتحفظاً لنظمه وتذكراً لمعانيه وحقائقه فإن القارىء المتأمل ينكشف له في كل مرة ما لم ينكشف قبل وتذكيراً للناس وحملهم على العمل بما فيه من الأحكام ومحاسن الآداب ومكارم الأخلاق كما روي أن عمر رضي الله عنه أتى بسارق فأمر بقطع يده فقال لم تقطع يدي؟ وكان جاهلاً بالأحكام فقال له عمر: بما أمر الله في كتابه فقال: اتل عليَّ فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨] فقال السارق: والله ما سمعتها ولو سمعتها ما سرقت فأمر بقطع يده ولم يعذره. فسنّ التراويح بالجماعة ليسمع الناس القرآن.

وعن علي رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ وهو في غير الصلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات.

وعن الحسن البصري رحمه الله: قراءة القرآن في غير الصلاة أفضل من صلاة لا يكون فيها كثير القراءة كما قال الفقهاء: طول القيام أفضل من كثرة السجود لقوله عليه السلام: «أفضل الصلاة طول القنوت» أي: القيام وبكثرة الركوع والسجود يكثر التسبيح والقراءة أفضل منه. قالوا: أفضل التلاوة على الوضوء والجلوس نحو القبلة وأن يكون غير مربع ولا متكىء

ولا جالس جلسة متكبر ولكن نحو ما يجلس بين يدي من يهابه ويحتشم منه وقد سبق في آخر سورة النمل بعض ما يتعلق بالتلاوة من الآداب والأسرار فارجع. ﴿**وأقم الصلاة**﴾ أي: داوم على إقامتها وحيث كانت الصلاة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان أمره عليه السلام بإقامتها متضمناً لأمر الأمة بها علل بقوله تعالى: ﴿**إن الصلاة**﴾ المعروفة وهي المقرونة بشرائطها الظاهرة والباطنة ﴿**تنهى**﴾ أي من شأنها وخاصيتها أن تنهاهم وتمنعهم ﴿**عن الفحشاء**﴾ [از كارى كه نزد عقل زشت بود] ﴿**والمنكر**﴾ [واز عملى كه بحكم شرع منهى باشد].

قال في «الوسيط»: المنكر لا يعرف في شريعة ولا سنة أي سواء كان قولاً أو فعلاً والمعروف ضده. يعني: [نماز سبب باز استادن مى باشد از معاصى جه مداومت بروموجب داوم ذكر ومورث كمال خشيت است وبخاصيت بنده را از كناه باز دارد] ـ كما روي ـ أن فتى من الأنصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس ثم لا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبه فوصف لرسول الله فقال: «إن صلاته ستنهاه» فلم يلبث أن تاب وحسن حاله وصار من زهاد الصحابة رضي الله عنه وعنهم.

يقول الفقير: لا شك أن لكل عمل خيراً أو شراً خاصية فخاصية الصلاة إثارة الخشية من الله والنهي عن المعاصي كما أن خاصية الكفر الذي قوبل به ترك الصلاة في قوله عليه السلام: «من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر» إثارة الخوف من الناس والإقبال على المناهي دل عليه قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾ [آل عمران: ١٥١] وفي الحديث «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً» يعني: تكون صلاته وبالاً عليه ويكون سبب القرب في حقه سبب البعد لعل ذلك لعدم خروجه عن عهدة حقيقة الصلاة كما قال بعضهم: حقيقة حضور القلب بنعت الذكر والمراقبة بنعت الفكر فالذكر في الصلاة يطرد الغفلة التي هي الفحشاء والفكر يطرد الخواطر المذمومة التي هي المنكر فهذه الصلاة كما تنهى صاحبها وهو في الصلاة عما ذكر كذلك تنهاه وهو في خارجها عن رؤية الأعمال وطلب الأعواض ومثل هذه الصلاة قرة عين العارفين لأنها مبنية على المعاينة لا على المغايبة والصلاة فريضة كانت أو نافلة أفضل الأعمال البدنية لأن لها تأثيراً عظيماً في إصلاح النفس التي هي مبدأ جميع الفحشاء والمنكر وفي الخبر: «قال عيسى عليه السلام يقول الله: بالفرائض نجا مني عبدي وبالنوافل يتقرب إلي».

واعلم أن الصلاة على مراتب فصلاة البدن بإقامة الأركان المعلومة. وصلاة النفس بالخشوع والطمأنينة بين الخوف والرجاء. وصلاة القلب بالحضور والمراقبة. وصلاة السر بالمناجاة والمكالمة. وصلاة الروح بالمشاهدة والمعاينة. وصلاة الخفي بالمناغاة والملاطفة ولا صلاة في المقام السابع لأنه مقام الفناء والمحبة الصرفة في عين الوحدة. فنهاية الصلاة الصورية بظهور الموت الذي هو صورة اليقين كما قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] أي الموت. ونهاية الصلاة الحقيقة بالفناء المطلق الذي هو اليقين فكل صلاة تنهي عن الفحشاء في مرتبتها. يعني: [نماز تن ناهيست از معاصي وملاهي. ونماز نفس مانعست از رذائل وعلائق واخلاق رديه وهيآت مظلمة. ونمازدل بازدارد از ظهور ووفور غفلت را. ونماز سرمنع نمايد از التفات بما سواى حضرت را را. ونماز استقرار بملاحظة اغيار. ونماز خفي بكذارند سالك را زا شهود اثنينت يعني بروظاهر كرددكه ازروى حقيقت]

جزيكي نيست نقد ابن عالم باز بين وبعالمش مفروش

قال بعض أرباب الحقيقة: رعاية الظاهر سبب للصحة مطلقاً وأرى أن فوت ما فات من ترك الصلوات.

يقول الفقير: هذا يحتمل معنيين. الأول أنه على سبيل الفرض والتقدير يعني لو فرض للمرء ما يكون سبباً لبقائه في الدنيا لكان ذلك إقامة الصلاة فكان وفاته إنما جاءت من قبل ترك الصلاة كما أن الصدقة والصلة تزيدان في الأعمار يعني: لو فرض للمرء ما يزيد به العمر لكان ذلك هو الصدقة وصلة الرحم ففيه بيان فضيلة رعاية الأحكام الظاهرة خصوصاً من بينها الصلاة والصدقة والصلة. والثاني أن لكل شيء حياً أو جماداً أجلاً علق ذلك بانقطاعه عن الذكر لأنه ما من شيء إلا يسبح بحمده فالشجر لا يقطع وكذا الحيوان لا يقتل ولا يموت إلا عند انقطاعه عن الذكر وفي الحديث: «إن لكل شيء أجلاً فلا تضربوا إماءكم على كسر إنائكم» فمعنى ترك الصلاة ترك التوجه إلى الله بالذكر والحضور معه لأن العمدة فيها هي اليقظة الكاملة فإذا وقعت النفس في الغفلة انقطع عرق حياتها وفاتت بسببها وهذا بالنسبة إلى الغافلين الذاكرين وأما الذين على صلاتهم دائمون فالموت يطرأ على ظاهرهم لا على باطنهم فإنهم لا يموتون بل ينقلون من دار إلى دار كما ورد في بعض الآثار هذا هو اللائح والله أعلم. ﴿ولذكر الله أكبر﴾ أي والصلاة أكبر من سائر الطاعات وإنما عبر عنها بالذكر كما في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] للإيذان بأن ما فيها من ذكره تعالى هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات أو ولذكر الله أفضل الطاعات لأن ثواب الذكر هو الذكر كما قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال عليه السلام: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ أكثر من الملأ الذي ذكرني فيهم» فالمراد بهذا الذكر هو الذكر الخالص وهو أصفى وأجلى من الذكر المشوب بالأعمال الظاهرة وهو خير من ضرب الأعناق وعتق الرقاب وإعطاء المال للأحباب وأول الذكر توحيد ثم تجريد ثم تفريد كما قال عليه السلام: «سبق المفردون» قالوا: يا رسول الله وما المفردون؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات». قال الشيخ العطار:

أصل تجريدت وداع شهوتست بلكه كلى انقطاع لذتست
كرتوببر يدي زموجودات أميد آنكه ازتفريد كردى مستفيد

والذكر طرد الغفلة ولذا قالوا: ليس في الجنة ذكر أي لأنه لا غفلة فيها بل حال أهل الجنة الحضور الدائم.

وفي «التأويلات النجمية»: ما حاصله أن الفحشاء والمنكر من أمارات مرض القلب ومرضه نسيان الله وذكر الله أكبر في إزالة هذا المرض من تلاوة القرآن وإقامة الصلاة لأن العلاج إنما هو بالضد.

فإن قلت: إذا كانت تلاوة القرآن وإقامة الصلاة والذكر صادرة من قلب مريض معلول بالنسيان الطبيعي للإنسان لا يكون كل منها سبباً لإزالة المرض المذكور.

قلت: الذكر مختصر بطرح إكسير ذكر الله للعبد كما قال: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢] فأبطل خاصية المعلولية وجعله إبريزاً خاصاً بخاصيته المذكورة فذكر العبد فني في ذكر الله فلذا كان أكبر.

وقال بعض الكبار: ذكر اللذات في مقام العناء المحض وصلاة الحق عند التمكين في مقام البقاء أكبر من جميع الأذكار وأعظم من جميع الصلوات.

قال ابن عطاء رحمه الله: ذكر الله أكبر من ذكركم لأن ذكره والكرم بلا علة وذكركم مشوب بالعلل والأماني والسؤال.

وقال بعضهم: إذا قلت: ذكر الله أكبر من ذكر العبد قابلت الحادث بالقديم وكيف يقال الله أحسن من الخلق ولا يوازي قدمه إلا قدمه ولا ذكره إلا ذكره ولا يبقى الكون في سطوات المكون.

وقال بعضهم: [ذكر خداي بزركتراست ازهمه جيزيراكه ذكر أو طاعتست وذكر غير او طاعت نيست] فويل لمن مرّ وقته بذكر الأغيار. قال الحافظ:

أوقــات خــوش آن بــودكــه بــادوســت

بسررفت باقى همه بيحاصل وبيخبرى بود

﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ من الذكر وسائط الطاعات لا يخفى عليه شيء فيجازيكم بها أحسن المجازة.

وقال بعض الكبار: والله يعلم ما تصنعون في جميع المقامات والأحوال فمن تيقن أن الله يعلم ما يصنعه تجنب عن المعاصي والسيئات وتوجه إلى عالم السر والخفيات بالطاعات والعبادات خصوصاً الصلوات ولا بد من تفريغ القلب عن الشواغل فصلاة بالحضور أفضل من ألف صلاة بدونه. حكي: أن واحداً كان يتضرع إلى الله أن يوفقه لصلاة مقبولة فصلى مع حبيب العجمي فلم يعجبه ظاهرها من أمر القراءة فاستأنف الصلاة فقيل له في الرؤيا قد وفقك الله لصلاة مقبولة فلم تعرف قدرها فإصلاح الباطن أهم فإن به يتفاضل الناس وتتفاوت الحسنات ويحصل الفلاح الحقيقي هو الخلاص من حبس الوجود بجود واجب الوجود ونظر العبد لا يدرك كمالية الجزاء المعدّ له بمباشرة أركان الشريعة وملازمة آداب الطريقة للوصول إلى العالم الحقيقي ولكن الله يعلم ما تصنعون باستعمال مفتاح الشريعة وصناعة الطريقة بفتح أبواب طلسم الوجود المجازي والوصول إلى الكنز المخفي من الوجود الحقيقي نسأل الله سبحانه أن يوفقنا للفعل الحسن والصنع الجميل ويسعدنا بالمقام الأرفع والأجر الجزيل.

﴿۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب﴾ المجادلة والجدل [بيكار سخت كردن بايكديكر] كما في «التاج».

قال: الجدال المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه. والمعنى ولا تخاصموا اليهود والنصارى. وبالفارسية: [وبيكار مكنيد وجدال منماييد بااهل كتاب] ﴿إلا بالتي هي أحسن﴾ أي بالخصلة التي هي أحسن كمعاملة الخشونة باللين والغضب بالحلم والمشاغبة أي تحريك الشر وإثارته بالنصح أي بتحريك الخير وإثارته والعجلة بالتأني والاحتياط على وجه لا يؤدي إلى الضعف ولا إلى إعظام الدنيا الدنية. ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ بالإفراط في الاعتداء والعناد

فإن الكافر إذا وصف بمثل الفسق والظلم حمل على المبالغة فيما هو فيه أو بإثبات الولد وهم أهل نجران أو بنبذ العهد ومنع الجزية ونحو ذلك فإنه يجب حينئذ الموافقة بما يليق بحالهم من الغلظة باللسان وبالسيف والسنان. ﴿**وقولوا آمنا**﴾ بالصدق والإخلاص. ﴿**بالذي أنزل إلينا**﴾ من القرآن ﴿**وأنزل إليكم**﴾ أي وبالذي أنزل إليكم من التوراة والإنجيل وسمع النبي عليه السلام أن أهل الكتاب يقرؤون التوراة ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولو: آمنا بالله وبكتبه وبرسله فإن قالوا باطلاً لم تصدقوهم وإن قالوا حقاً لم تكذبوهم» قال ابن الملك إنما نهى عن تصديقهم وتكذيبهم لأنهم حرفوا كتابهم وما قالوه إن كان من جملة ما غيروه فتصديقهم يكون تصديقاً بالباطل وإن لم يكن كذلك يكون تكذيبهم تكذيباً لما هو حق وهذا أصل في وجوب التوقف فيما يشكل من الأمور والعلوم فلا يقضى فيه بجواز ولا بطلان وعلى هذا كان السلف رحمهم الله. ﴿**وإلهنا وإلهكم واحد**﴾ لا شريك له في الألوهية. ﴿**ونحن له مسلمون**﴾ أي مطيعون له خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿**وكذلك**﴾ إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده أي ومثل ذلك الإنزال البديع الموافق لإنزال سائر الكتب ﴿**أنزلنا إليك الكتاب**﴾ أي القرآن. ﴿**فالذين آتيناهم الكتاب**﴾ من الطائفتين ﴿**يؤمنون به**﴾ أريد بهم عبد الله بن سلام وأضرابه من أهل الكتاب خاصة كأن لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه أو من تقدم عهد الرسول عليه السلام حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا في كتابيهما ومنهم قس بن ساعدة وبحيرا ونسطورا وورقة وغيرهم وتخصيصهم بإيتاء الكتاب للإيذان بأن من بعدهم من معاصري رسول الله قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن إيمانهم به مترتب على إنزاله على الوجه المذكور. ﴿**ومن هؤلاء**﴾ أي من العرب. ﴿**من يؤمن به**﴾ أي القرآن ﴿**وما يجحد**﴾ الجحد نفي ما في القلب إثباته أو إثبات ما في القلب نفيه أي بالكتاب المعظم بالإضافة إلينا عبر عنه بالآيات للتنبيه على ظهور دلالته على معانيه وعلى كونه من عند الله. ﴿**إلا الكافرون**﴾ المتوغلون في الكفر المصممون عليه فإن ذلك يصدهم عن التأمل فيما يؤديهم إلى معرفة حقيقتها.

وفي الآية إشارة إلى أن أرباب القلوب وأصحاب العلوم الباطنة الذين علومهم من مواهب الحق يجب أن يجادلوا أهل علم الظاهر الذين علومهم من طريق الكسب والدراسة بالرفق واللين والسكون ونحوها لئلا تهيج الفتنة الإمارية ويزدادوا إنكاراً فمن رحمه الله منهم صدق الدلائل الكشفية والبراهين الحقية في دلالتها إلى الحق واهتدى ومن حرمه الله استقبل بالإنكار وزاد بعدا من الوصول إلى الله الغفار. وفي «المثنوي»:

هركرا مشك نصيحت سود نيست — لا جرم بابوى بدخوكردنيست
مغزرا خالى كن از انكار يار — تاكه ريحان يابد ازكلزار يار
كاشكى جون طفل ازحيل باك آمدى — تاجو طفلان جنك درمادر زدى

يابعلم ونقل كم بودى ملى　　علم وحى دل ربودى ازولى
باجنين نورى جوپيش آرى كتاب　　جان وحى آساى توآرد عتاب
جون تميم باوجود آب دان　　علم نقلى بادم قطب زمان
خويش ابله كن تبيع مى روزيس　　رستكي زين ابلهى يابي وبس
أكثر أهل الجنة البله اى بدر　　بهراين كفتست سلطان البشر
زيركي جون كبرباد انكيز تست　　ابلهى شو تابماند دل درست
ابلهى نى كو بمسخر كى دوتوست　　ابلهى كوواله وحيران هو ست
ابلها نند آن زنان دست بر　　از كف ابله وزرخ يوسف نذر

واعلم أن المجادلة في الدين تبطل ثواب الأعمال إذا كانت تعنتاً وترويحاً للباطل وأما الجدال بالحق لإظهاره فمأمور به وقد جادل علي رضي الله عنه شخصاً قال: إني أملك حركاتي وسكناتي وطلاق زوجتي وأعتق أمتي فقال علي رضي الله عنه: أتملكها دون الله أو مع الله فإن قلت: أملكها دون الله أثبت الله مالكاً وإن قلت: أملكها مع الله فقد أثبت له شريكاً كذا في «شرح المواقف».

قال الشيخ سعدي: [يكى درصورت درويشان در محفلي ديدم نشسته ودفتر شكايت بازكرده وذم توانكاران آغاز كفتم أي يارتوانكران مقصد زائران وكهف مسافرانند عبادت اينان بمحل قبول نزديكترست كه جمعند وحاضرنه براكنده خاطر ودرخبراست: «الفقر سواد الوجه في الدارين» كفت آن تشنيدي كه بيغمبر عليه السلام فرموده است [الفقر فخري] كفتم خاموش كه اشارت سيد عالم بفقر طائفه ايست كه مردان ميدان رضااند وتسليم تيرقضا درويش بي معرفت نيارامید تافقرش بكفر آنجامید: «كاد الفقر أن يكون كفرا».

باكرسنكي قوت وبرهيزنماند　　افلاس عنان ازكف تقوى بستاند

[كفت توانكران مشتى طائفه اند مغرور نظر نكنند بغير الا بكراهت سخن نكويند الا بسفاهت علمارا بكداني منسوب كنند وفقرارا به بي سر وباني معيوب كردانند كفتم مذمت ايشان روامداركه خداوندان كرمند خطا كفتى بنده درمند جه فائدة اكرابر آذرند بركس نمي بارند كفتم بر بخل خداوندان وقوف نيافتهء الا بعلت كداني ورنه هركه طمع يكسونهد كريم وبخيلش يكسان نمايند كفتا بتجربه آن ميكويم كه متعلقان بردر بدارند تادست برسينة صاحب تمييزنهند وكويهد كه كسى اينجانيست وراست كفته باشند زيرا:

آنراكه عقل وهمت وتدبير وراى نيست　　خوش كفت برده داركه كس درسراى نيست

كفتم اين حركت ازايشان بعد ازانست كه از دست سائلان بجان آمده اندو محال عقلست كه اكرريك بيابان در شود جشم كدايان برنشود كفتا كه من برحال ايشان رحمت مى برم «أي لأن لهم مالاً ولا يشترون ثواباً» كفتم نه كه بر مال ايشان حسرت مى خورى «أي لحرصك» مادرين كفتار وهردوبهم كرفتار هربيد قى براندى بدفع آن بكوشيد مى تانفد كيسه همت همه درباخت عقبة الامر دليلش نماند ذليلش كردم دست تعدى درازكرد وسنت جاهلانند كه جون بدليل فرومانند سلسله خصومت بجنبانند دشنامم داد سقطش كفتم كريبانم دريد زنخدانش كرفتم مرافعة اين سخن ييش قاضى برديم قاضى جون هيئات ما ديد ومنطق ما شنيد بعد ازبأمل بسيار كفت اى آنكه توانكر انرانثنا كفتى بدانكه هرجا كلست خارهست وبرسر كنج مارهمجنان

درز مرة توانكران شاكرانند وكفور ودر حلقه درويشان صابرانند وضجور واى كه كفتى توانكران مشتغل تباهي ومست ملاهي اند قومى ازايشان برين صفتند وطائفة ديكر طالب نيك نامند ومغفرت وصاحب دنيا وآخرت قاضى جون اين سخن بكفت بمقتضاى حكم قضا رضاداديم وازمامضى دركذشتيم وبوسه برسروروى همد كرداديم وختم سخن بدين دوبت بود]

مكن زكردش كيتي شكايت اى درويش   كه تيره بختى اكرهم برين نسق مردى
توانكرا جودل ودست كامرانت هست   بخور ببخش كه دنيا وآخرت بردى

وهذه الحكاية طويلة قد اختصرناها.

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿وما كنت تتلو من قبله﴾ أي: وما كانت عادتك يا محمد قبل إنزالنا إليك القرآن أن تتلو شيئاً. ﴿من كتاب﴾ من الكتب المنزلة. ﴿ولا تخطه﴾ ولا أن تكتب كتاباً من الكتب والخط كالمد ويقال لما له طول ويعبر عن الكتابة بالخط ﴿بيمينك﴾ حسبما هو المعتاد يعني ذكر اليمين لكون الكتابة غالباً باليمين لا أنه لا يخط بيمينه ويخط بشماله فإن الخط بالشمال من أبعد النوادر.

قال الشيعة: إنه عليه السلام كان يحسن الخط قبل الوحي ثم نهي عنه بالوحي وقالوا إن قوله ولا تخطه نهي فليس ينفي الخطأ.

قال في «كشف الأسرار»: قرىء ولا تخطه بالفتح على النهي وهو شاذ والصحيح أنه لم يكن يكتب انتهى.

وفي «الأسئلة المقحمة»: قول الشيعة مردود لأن لا تخطه لو كان نهياً لكان ينصب الطاء أو قال: لا تخططه بطريق التضعيف ﴿إذاً﴾ [آن هنكام] أي لو كنت ممن يعتاد التلاوة والخط ﴿لارتاب المبطلون﴾.

قال في «المختار»: الريب الشك.

قال الراغب: الريب أن يتوهم بالشيء أمراً ينكشف عما يتوهمه ولهذا قال تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢، وغيرها] والإرابة أن يتوهم فيه أمراً لا ينكشف عما يتوهمه والارتياب يجري مجرى الإرابة ونفى عن المؤمنين الارتياب كما قال: ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المدثر: ٣١] والمبطل من يأتي بالباطل وهو نقيض المحق وهو من يأتي بالحق لما أن الباطل نقيض الحق.

قال في «المفردات»: الإبطال يقال في إفساد الشيء وإزالته حقاً كان الشيء أو باطلاً قال تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الأنفال: ٨] وقد يقال فيمن يقول شيئاً لا حقيقة له. والمعنى لارتابوا وقالوا: لعله تعلمه أو التقته من كتب الأوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق في شأنك منشأ ريب أصلاً.

قال الكاشفي: [درشك افتادندى تباه كاران وكجروان يعني مشركان عرب كفتندي كه جون مي خواند ومي نويسد بس قرآنرا از كتب بيشيمنيان التقاط كرده وبرما مي خواند ياجهودان درشك افتادندكه در كتب خود خوانديم كه ييغمير آخر زمان امى باشد واين كس قاري وكاتب است].

فإن قلت: لم سماهم المبطلين ولو لم يكن أمياً وقالوا: ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا محقين ولكان أهل مكة أيضاً على حق في قولهم لعله تعلمه أو كتبه فإنه رجل قارىء كاتب؟.

قلت: لأنهم كفروا به وهو أمي بعيد من الريب فكأنه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به: لو لو يكن أمياً لارتابوا أشد الريب فحيث أنه ليس بقارىء ولا كاتب فلا وجه لارتيابهم.

قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف منّ الله على نبيه بأنه أمي ولا يعرف الخط والكتابة وهما من قبيل الكمال لا من قبيل النقص والجواب إنما وصفه بعدم الخط والكتابة لأن أهل الكتاب كانوا يجدون من نعته في التوراة والإنجيل أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب فأراد تحقيق ما وعدهم به على نعته إياه ولأن الكتابة من قبيل الصناعات فلا توصف بالمدح ولا بالذم ولأن المقصود من الكتابة والخط هو الاحتراز عن الغفلة والنسيان وقد خصه الله تعالى بما فيه غنية عن ذلك كالعين بها العصا والقائد انتهى.

وقال في «أسئلة الحكم»: كان عليه السلام يعلم الخطوط ويخبر عنها فلماذا لم يكتب والجواب أنه لو كتب لقيل: قرأ القرآن من صحف الأولين.

وقال النيسابوري: إنما لم يكتب لأنه إذا كتب وعقد الخنصر يقع ظل قلمه وأصبعه على اسم الله تعالى وذكره فلما كان كذلك قال الله تعالى: لا جرم يا حبيبي لما لم ترد أن يكون قلمك فوق اسمي ولم ترد أن يكون ظل القلم على اسمي أمرت الناس أن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوتك تشريفاً لك وتعظيماً ولا أدع بسبب ذلك ظلك يقع على الأرض صيانة له أن يوطأ ظله بالأقدام.

قيل: إنه نور محض وليس للنور ظل.

وفيه إشارة إلى أنه أفنى الوجود الكوني الظلي وهو نور متجسد في صورة البشر وكذلك الملك إذا تجسد بصورة البشر لا يكون له ظل وبذلك علم بعض العارفين تجسد الأرواح القديسة وإذا تجسدت الأرواح الخبيثة وقعت كثافة ظلها وظلمته على الأرض أكثر من سائر الأظلال الكونية فليحفظ ذلك.

قال الكاشفي: [درتيسير آورده كه خط وقرائت فضيلة بوده است مر غير بيغمبر مارا وعدم آن فضل معجزة آن حضرت بوده وجون معجزة ظاهر شده ودراميت اوشك وشبه نماند حق سبحانه در آخر عمر اين فضيلت نيزبوى ارزاني داشته تامعجزه ديكر باشد وابن ابى شيبه درمصنف از طريق عون بن عبد الله نقل ميكند كه «مامات رسول الله حتى كتب وقرأ» واين صورت منافىء قرآن نيست زيرا كه نفي كتابت مقرر ساخته بزماني قبل از نزول قرآن ومذهب آنانكه ويرا امي دانند از اول عمرتا آخر بصواب اقربست

بـقـلـم كـرنـرسـيـد انـكـشـتـش بـود لـوح وقـلـم انـدر مـشـتـش
ازسـواد خـط اكـرديـده بـبـسـت بـكـمـالـش نـرسـد هـيـج شـكـسـت
بـود اونـور خـط تـيـره ظـلـم نـشـود نـور وظـلـم جـمـع بـهـم

ولذا قال بعضهم: من كان القلم الأعلى يخدمه واللوح المحفوظ مصحفه ومنظره لا يحتاج إلى تصوير الرسوم وتمثيل العلوم بالآلات الجسمانية لأن الخط صنعة ذهنية وقوة طبيعية صدرت بآلاتها الجسمانية.

قال رجل من الأنصار للنبي عليه السلام إني لأسمع الحديث ولا أحفظه فقال: «استعن بيمينك» أي: اكتبه.

قيل: من كتب الكتات العربي والفارسي والسرياني والعبراني وغيرهما من بقية الاثني عشر وهي الحميري واليوناني والرومي والقبطي والبربري والأندلسي والهندي والصيني آدم عليه السلام كتبها في طين وطبخه فلما أصاب الأرض وانفرق وجد كل قوم كتاباً فكتبوه فأصاب إسماعيل عليه السلام كتاب العربي وأما ما جاء: «أول من خط بالقلم إدريس عليه السلام» فالمراد به خط الرمل * وفي «التأويلات النجمية»: القلب إذا تجرد من المعلومات والسر تقدس عن المرقومات والروح تنزه عن الموهومات كانوا أقرب إلى الفطرة ولم يشتغلوا بقبول النفوس السفلية من الحسيات والخياليات والوهميات فكانوا لما صادفهم من المغيبات قابلين من غير طبع ومشاركة كسب وتكلف بشرية ولما كان قلب النبي عليه السلام في البداية مشروطاً بعمل جبريل إذا أخرج منه ما أخرج وقال: هذا حظ الشيطان منك.

وفي «النهاية»: لما كان محفوظاً من النقوش التعليمية بالقراءة والكتابة كان قابلاً للإنزال عليه مختصاً عن جميع الأنبياء كما قال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤] ثم أثبت هذه بتبعيته لمتابعيه فقال.

﴿بل هو﴾ أي القرآن **﴿آيات بينات﴾** واضحات ثابتات راسخات **﴿في صدور الذين أوتوا العلم﴾** من غير أن يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر أحد على تحريفه.

قال الكاشفي: [درسينه آنا نكه داده شده اند علم رايعني مؤمنان أهل كتاب يا صحابة كرام آنرا ياد ميكردند تاهيج كس تحريف نتوان كرد واما خواندن قرآن از ظهر القلب خاصة امت مرحومه است جه كتب مقدمه را از اوراق مى خوانده اند] يعني كونه محفوظاً في الصدور من خصائص القرآن لأن من تقدم كانوا لا يقرؤون كتبهم إلا نظراً فإذا أطبقوها لم يعرفوا منها شيئاً سوى الأنبياء وما نقل عن قارون من أنه كان يقرأ التوراة عن ظهر القلب فغير ثابت [وازينجاست كه موسى عليه السلام درمناجاة حضرت كفت] يارب إني أجد في التوراة أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤون ظاهراً لو لم يكن رسم الخطوط لكانوا يحفظون شرائعه عليه السلام بقلوبهم لكمال قوتهم وظهور استعداداتهم ولما اختل رسم التوراة اختلت شريعتهم.

وفي بعض الآثار: ما حسدتكم اليهود والنصارى على شيء كحفظ القرآن.

قال أبو أمامة: إن الله لا يعذب بالنار قلباً وعى القرآن وقال عليه السلام: «القلب الذي ليس فيه شيء من القرآن كالبيت الخراب» وفي الحديث: «تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل من عقلها» أي من الإبل المعقلة إذا أطلقها صاحبها والتعاهد والتعهد التحفظ أي المحافظة وتجديد الأمر به والمراد هنا الأمر بالمواظفة على تلاوته والمداومة على تكراره فمن سنة القارىء أن يقرأ القرآن كل يوم وليلة كيلا ينساه وعن النبي عليه السلام: «عرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أكبر من آية أو سورة أرتيها الرجل ثم نسيها» والنسيان أن لا يمكنه القراءة من المصحف كذا في «القنية».

وكان ابن عينة يذهب إلى أن النسيان الذي يستحق صاحبة اللوم ويضاف إليه الإثم ترك العمل به والنسيان في لسان العرب الترك قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ٤٤] أي تركوا وقال تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ٦٧] أي تركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] أي فترك رحمتهم.

قال شارح «الجزرية» وقراءة القرآن من الصحف أفضل من قرارة القرآن من حفظه هذا هو

المشهور عن السلف ولكن ليس هذا على إطلاقه بل إن كان القارىء من حفظه يحصل له التدبر والتفكر وجمع القلب والبصر أكثر مما يحصل له من المصحف فالقراءة من الحفظ أفضل وإن تساويا فمن المصحف أفضل لأن النظر في المصحف عبادة واستماع القرآن من الغير في بعض الأحيان من السنن

دل ازشنيدن قرآن بكيردت همه وقت   جو باطلان زكلام حقت ملول جيست

قال في «كشف الأسرار»: قلوب الخواص من العلماء بالله خزائن الغيب فيها براهين حقه وبينات سره ودلائل توحيده وشواهد ربوبيته فقانون الحقائق قلوبهم وكل شيء يطلب من موطنه ومحله [درشب افروز ازصدف جويند وآفتاب تابان از برج فلك وعسل مصفى ازنحل ونور معرفت ووصف ذات احديت ازدلهاى عارفان جويند كه دلهاى ايشان قانون معرفت است ومحل تجلىء صفات] بل يطلب حضرة جلاله عند حظائر قدس قلوب خواص عباده كما سأل الله موسى عليه السلام قال: «إلهي أين أطلبك قال أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي». وفي «المثنوي».

ازدرون وأهل دل آب حيات   چند نوشيدي وواشد جشمهات
بس غذاي سكر ووجد وبيخودى   ازدر أهل دلان برجان زدى

قال المولى الجامي:

نكته عرفان مجو از خاطر آلودكان   كوهر مقصود رادلهاي باك آمد صدف

﴿وما يجحد بآياتنا﴾ مع كونها كما ذكر ﴿إلا الظالمون﴾ أي المتجاوزون للحدود في الشر والمكابرة والفساد. روي: أن المسيح ابن مريم عليه السلام قال للحواريين: «أنا أذهب وسيأتيكم الفارّ قليط» يعني محمداً صلى الله عليه وسلم روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه ولكنه ما يسمع به يكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب وهو يشهد لي كما شهدت له فإني جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل ويفسر لكم كل شيء.

قوله: يخبركم بالحوادث. يعني ما يحدث في الأزمنة المستقبلة مثل خروج الدجال وظهور الدابة وطلوع الشمس من مغربها وأشباه ذلك ويعني بالغيوب أمر القيامة من الحساب والجنة والنار مما لم يذكر في التوراة والإنجيل والزبور وذكره نبينا صلى الله عليه وسلم كذا في «كشف الأسرار».

وفي الآية إشارة إلى أن الحرمان من رؤية الآيات من خصوصية رين الجحد والإنكار إذا غلب على القلوب فتصدأ كما تصدأ المرآة فلا تظهر فيها نقوش الغيوب وتعمي عن رؤية الآيات: قال الكمال الخجندي.

له في كل موجود علامات وآثار   دو عالم برز معشوقست كويك عاشق صادق

قال الشيخ المغربي قدس سره:

نخست ديده طلب كن بس آنكهى ديار   ازانكه يار كند جلوه بر اولو الابصار
تراكه جشم نباشد جه حاصل ازشاهد   تراكه كوش نباشد جه سود از كفتار
اكرجه آينه دارى از براى رخش   ولى سود كه دارى هميشه آينه تار
بيا بصيقل توحيد ز آينه بز داى   عبار شرك تاباك كردد از زنكار

قال إبراهيم الخواص رحمه الله: دواء القلب خمسة: قراءة القرآن بالتدبر. والخلاء.

وقيام الليل والتضرع إلى الله عند السحر. ومجالسة الصالحين جعلنا الله وإياكم من أهل الصلاح والفلاح إنه القادر الفتاح فالق الأصباح خالق المصباح.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وقالوا﴾ أي كفار قريش **﴿لولا﴾** تحضيضية بمعنى هلا. وبالفارسية [جرا]. **﴿أنزل﴾** [فرو فرستاه نمي شود] **﴿عليه﴾** على محمد **﴿آيات من ربه﴾** مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام **﴿قل إنما الآيات عند الله﴾** في قدرته وحكمته ينزلها كما يشاء وليس بيدي شيء فآتيكم بما تقترحونه. **﴿وإنما أنا نذير مبين﴾** ليس إلا الإنذار والتخويف من عذاب الله بما أعطيت من الآيات. يعني: [تخويف ميكنم بلغتى كه شمادر يابيد] وهو معنى الظهور.

قال في «كشف الأسرار»: والحكمة في ترك إجابة النبي عليه السلام إلى الآيات المقترحة أنه يؤدي إلى ما لا يتناهى وإن هؤلاء طلبوا آيات تضطرهم إلى الإيمان فلو أجابهم إليها لما استحقوا الثواب على ذلك انتهى ولو لم يؤمنوا لاستأصلوا وعذاب الاستئصال مرفوع عن هذه الأمة ببركة النبي عليه السلام ثم قال تعالى بياناً لبطلان اقتراحهم.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿أو لم يكفهم﴾ الهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام والكفاية ما فيه سد الخلة وبلوغ المراد في الأمر أي أقصر ولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه. **﴿أنا أنزلنا عليك الكتاب﴾** الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وأنت بمعزل من مدارستها وممارستها **﴿يتلى عليهم﴾** بلغتهم في كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان.

وفيه إشارة إلى عمى بصر قلوبهم حيث لم يروا الآية الواضحة التي هي القرآن حتى طلبوا الآيات وإلى أن تيسير قراءة مثل هذا القرآن في غير كاتب وقارىء وإنزاله عليه وحفظه لديه وإحالة بيانه إليه آية واضحة. **﴿إن في ذلك﴾** الكتاب العظيم الشان الباقي على ممر الدهور والأزمان. **﴿لرحمة﴾** أي: نعمة عظيمة **﴿وذكرى﴾** أي تذكرة. وبالفارسية[يندي ونصيحتي] **﴿لقوم يؤمنون﴾** أي لقوم همهم الإيمان لا التعنت كأولئك المقترحين. وفي «المثنوي»:

بند كفتن باجهول خابناك تخم افكندن بود درشوره خاك

﴿قل كفى بالله﴾ أي كفى الله والباء صلة **﴿بيني وبينكم شهيداً﴾** بما صدر عني وعنكم **﴿يعلم ما في السموات والأرض﴾** أي: من الأمور التي من جملتها شأني وشأنكم. **﴿والذين آمنوا بالباطل﴾** الذي لا يجوز الإيمان به كالصم والشيطان وغيرهما.

وفيه إشارة إلى أن من أبصر بعين النفس لا يرى إلا الباطل فيؤمن به. **﴿وكفروا بالله﴾** الذي يجب الإيمان به مع تعاضد موجات الإيمان. **﴿أولئك هم الخاسرون﴾** المغبونون في صفقتهم الأخروية حيث اشتروا الكفر بالإيمان وضيعوا الفطرة الأصلية والأدلة السمعية الموجبة للإيمان:

عمر تو كنج وهر نفس ازوى بكل كهر كنجى چنين لطيف مكن رايكان تلف

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ الاستعجال طلب الشيء قبل وقته. يعني [شتاب ميكنند كافران ترا بعذاب آوردن بايشان] أي يقول: نضر بن الحارث وأمثاله بطريق الاستهزاء متى هذا الوعد وأمطر علينا حجارة من السماء.

وفيه إشارة إلى أن من استعجل العذاب ولم يصبر على العافية لعجل خلق منه وهو مركوز في جبلته كيف على البلاء والضراء لو لم يصبره الله كما قال لنبيه عليه السلام: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] يسأل الله العافية من كل بلية ﴿ولولا أجل مسمى﴾ أي وقت معين لعذابهم وهو يوم القيامة كما قال ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [القمر: ٤٦] وذلك أن الله تعالى وعد النبي عليه السلام أنه لا يعذب قومه استئصالاً بل يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة وقد سمت الإرادة القديمة بالحكمة الأزلية لكل مقدور كائن آجلاً فلا تقدم له ولا تأخر عن المضروب المسمى. ﴿لجاءهم العذاب﴾ عاجلاً.

وفيه إشارة إلى أن الاستعجال في طلب العذاب في غير وقته المقدر لا ينفع وهو مذموم فكيف ينفع الاستعجال في طلب مرادات النفس وشهواتها في غير أوانها وكيف لم يكن مذموماً ﴿وليأتينهم﴾ العذاب الذي عين لهم عند حلول الأجل. وبالفارسية [وبي شك خواهد آمد عذاب بديشان] ﴿بغتة﴾ [ناكاه].

قال الراغب: البغت مفاجأة الشيء من حيث لا يحتسب ﴿وهم لا يشعرون﴾ بإتيانه. يعني [وحال آنكه ايشان ندانند كه عذاب آيد بايشان وايشان ناآكاه].

يقول الفقير: إن قلت عذاب الآخرة ليس من قبيل المفاجأة فكيف يأتي بغتة؟.

قلت: الموت يأتيهم بغتة أي في وقت لا يظنون أنهم يموتون فيه وزمانه متصل بزمان القيامة ولذا عد القبر أول منزل من منازل الآخرة ويدل عليه قوله عليه السلام: «من مات فقد قامت قيامته» وفي البرزخ عذاب ولو كان نصفاً من حيث أنه حظ الروح فقط.

وقال بعضهم: لعل المراد بإتيانه كذلك أن لا يأتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والإجابة إلى مسؤولهم فإن ذلك إتيان برأيهم وشعورهم.

وفي بعض الآثار: من مات مصححاً لأمره مستعداً لموته ما كان موته بغتة وإن قبض نائماً ومن لم يكن مصححاً لأمره ولا مستعداً لموته فموته موت فجأة وإن كان صاحب الفراش سنة.

قال في «لطائف المنن»: وقد تحاورت الكلام أنا وبعض من يشتغل بالعلم في أنه ينبغي إخلاص النية فيه وأن لا يشتغل به إلا لله فقلت: الذي يطلب العلم لله إذا قيل له غداً تموت لا يضع الكتاب من يده أي لكونه وفي الحقوق فلم ير أفضل مما هو فيه فيحب أن يأتيه الموت على ذلك

تو غافل در انديشه سود ومال ... كه سرمايه عمر شد بايمال
طريقي بدست آروصلحى بجوى ... شفيعي برانكيز وغدرى بكوى
كه يك لحظه صورت نبندد امان ... جو بيمانه برشد بدور زمان

﴿يستعجلونك بالعذاب﴾ [تعجيل ميكنند ترا بعذاب آوردن] ﴿وإن جهنم﴾ أي: والحال أن محل العذاب الذي لا عذاب فوقه. ﴿لمحيطة بالكافرين﴾ أي: ستحيط بهم عن قريب لأن ما هو آت قريب.

قال في «الإرشاد»: وإنما جيء بالاسمية دلالة على تحقق الإحاطة واستمرارها وتنزيلاً لحال السبب منزلة المسبب فإن الكفر والمعاصي الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم.

وقال بعضهم: إن الكفر والمعاصي هي النار في الحقيقة ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة.

﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿يوم يغشاهم العذاب﴾ ظرف لمضمر أي يوم يعلوهم ويسترهم العذاب الذي أشير إليه بإحاطة جهنم بهم يكون من الأحوال والأهوال ما لا يفي به المقال. ﴿من فوقهم﴾ [أي ازنبر سرهاي ايشان] ﴿ومن تحت أرجلهم﴾ [واز زير بايهاي ايشان] والمراد من جميع جهاتهم ﴿ويقول﴾ الله أو بعض الملائكة بأمره ﴿ذوقوا﴾ [بجشيد] والذوق وجود الطعم بالفم وأصله مما يقل تناوله فإذا أكثر يقال له الأكل واختير في القرآن لفظ الذوق في العذاب لأن ذلك وإن كان التعارف للقليل فهو مستصلح للكثير فخصه بالذكر ليعلم الأمرين كما في «المفردات» ﴿ما كنتم تعملون﴾ أي جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من السيئات التي من جملتها الاستعجال بالعذاب.

قال الكاشفي: [دنيا دار عمل بود وعقبي دار جزاست هرجه آنجا كاشته ايد انيجا مي درويد]:

تو خمى بيفشان كه جون بدروى زمحصول خود شاد وخرم شوى

وفي «التأويلات النجمية»: قوله: ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ يشير إلى أن استعجال العذاب لأهل العذاب وهو نفس الكفر لا حاجة إليه بالاستعداد ﴿وإن جهنم﴾ الحرص والشره والشهوة والكبر والحسد والغضب والحقد ﴿لمحيطة بالكافرين﴾ بالنفوس الكافرة الآن بنفاد الوقت ﴿يوم يغشاهم العذاب﴾ بإحاطة هذه الصفات ﴿من فوقهم﴾ الكبر والغضب والحسد والحقد ﴿ومن تحت أرجلهم﴾ الحرص والشره والشهوة ولكنهم بنوم الغفلة نائمون ليس لهم خبر عن ذوق العذاب كالنائم لا شعور له في النوم بما يجري على صورته لأنه نائم الصورة فإذا انتبه يجد ذوق ما يجري عليه من العذاب كما قال ﴿ويقول﴾ يعني يوم القيامة ﴿ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ أي عذاب ما كنتم تعاملون الخلق والخالق به والذي يؤكد هذا التأويل قوله تعالى ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤] يعني في الوقت ولا شعور لهم ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٥] الذي يكون فيه الصلى والدخول يوم القيامة ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٦] اليوم ولكن لا شعور لهم بها فمن تطلع له شمس الهداية والعناية من مشرق القلب فيخرج من ليل الدين إلى يوم الدين وأشرقت أرض بشريته بنور ربها يرى نفسه محاطة جهنم أخلاقها فيجد ذوق المهاد بقصد الخروج والخلاص منها فإن أرض الله واسعة كما يأتي نسأل الله الخلاص.

﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿يا عبادي الذين آمنوا﴾ خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من إقامة أمور الدين كما ينبغي لممانعة من جهة الكفر وإرشاد لهم إلى الطريق الأسلم.

قال الكاشفي: [آورده اندكه جمعي ازمؤمنان درمكه اقامت كرده ازجهت قلت زاد وكمى استعداد بابسبب محبت اوطان ياصحبت اخوان هجرت نميكر دند وبترس وهراس برستش خدانمودند] وربما يعذبون في الدين فأنزل الله هذه الآية وقال: يا عبادي المؤمنين إذا لم تسهل لكم العبادة في بلد ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا إلى حيث يتمشى لكم ذلك. ﴿إن أرضي﴾ الأرض الجرم المقابل للسماء أي بلاد المواضع التي خلقتها. ﴿واسعة﴾ لا مضايقة لكم فيها فإن لم تخلصوا العبادة لي في أرضي ﴿فإياي فاعبدون﴾ أي فأخلصوها في غيره فالفاء جواب شرط محذوف ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع إفادة تقديم معنى الاختصاص والإخلاص.

قال الكاشفي: [واكر از دوستى أهل وولد بابسته بلده شده ايد روزى مفارقت ضرورت خواهد بود زيراكه].

﴿كل نفس﴾ من النفوس سواء كان نفس الإنسان أو غيرها وهو مبتدأ وجاز الابتداء بالنكرة لما فيها من العموم ﴿ذائقة الموت﴾ أي واجدة مرارة الموت ومتجرعة غصص المفارقة كما يجد الذائق ذوق المذوق وهذا مبني على أن الذوق يصلح للقليل والكثير كما ذهب إليه الراغب.

وقال بعضهم: أصل الذوق بالفم فيما يقل تناوله فالمعنى إذاً إن النفوس تزهق بملابسة البدن جزءاً من الموت.

واعلم أن الإنسان روحاً وجسداً وبخاراً لطيفاً بينهما هو الروح الحيواني فمادام هذا البخار باقياً على الوجه الذي يصلح أن يكون علاقة بينها فالحياة قائمة وعند انطفائه وخروجه عن الصلاحية تزول الحياة ويفارق الروح البدن مفارقة اضطرارية وهو الموت الصوري ولا يعرف كيفية ظهور الروح في البدن ومفارقته له وقت الموت إلا أهل الانسلاخ التام ﴿ثم إلينا﴾ أي إلى حكمنا وجزائنا. ﴿ترجعون﴾ من الرجع وهو الرد أي تردون فمن كانت هذه عاقبته ينبغي أن يجتهد في التزود والاستعداد لها ويرى مهاجرة الوطن سهلة واحتمال الغربة هوناً هذا إذا كان الوطن دار الشرك وكذا إذا كان أرض المعاصي والبدع وهو لايقدر على تغييرها والمنع منها فيهاجر إلى أرض المطيعين من أرض الله الواسعة.

سفر كن جوجاي تو ناخوش بود كزين جاي رفتن بدان ننك نيست
وكرتنك كردد ترا جايكاه خداى جهانرا جهان تنك نيست

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ومن الصالحات الهجرة للدين ﴿لنبوئنهم﴾ لننزلهم. وبالفارسية: [هر آينه فرود اديم ايشانرا] قال في «التاج»: النبوء [كسى را جابي فرآوردن] ﴿من الجنة غرفاً﴾ مفعول ثان لنبوئنهم أي قصوراً عالية من الدر والزبرجد والياقوت وإنما قال ذلك لأن الجنة في جهة عالية والنار في سافلة ولأن النظر من الغرف إلى المياه والحضر أشهى وألذ

﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ صفة لغرفاً ﴿خالدين فيها﴾ أي: ماكثين في تلك الغرف إلى غاية ﴿نعم أجر العاملين﴾ الأعمال الصالحة. يعني: [نيك مزديست مزد عمل كنند كان خيررا كو شكهاى بهشت].

﴿الذين صبروا﴾ صفة للعاملين أو نصب على المدح أي صبروا على أذية المشركين وشدائد الهجرة للدين وغير ذلك من المحن والمشاق. ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ أي: لا يعتمدون في أمورهم إلا على الله تعالى وهذا التوكل من قوة الإيمان فإذا قوي الإيمان يخرج من الكفر ملاحظة الأوطان والأموال والأرزاق وغيرهما وتصير الغربة والوطن سواء ويكفي ثواب الله بدلاً من الكل وفي الحديث: «من فرّ بدينه من أرض إلى أرض ولو كان شبراً استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد» عليهما السلام أما استيجابه الجنة والغرف فلتركه المسكن المألوف لأجل الدين وامتثال أمر رب العالمين وأما رفاقته لهما فلمتابعتهما في باب الهجرة وإحياء سنتهما فإن إبراهيم عليه السلام هاجر إلى الأرض المقدسة ونبينا عليه السلام هاجر أرض المدينة.

وفيه إشارة إلى أن السالك ينبغي أن يهاجر من أرض الجاه وهو قبول الخلق إلى أرض الخمول ـ حكايت كنند از ابو سعيد خراز قدس سره ـ كفت در شهرى بودم ونام من در آنجا مشهور شده دركار من عظيم برفتند چنانكه پوست خربزه كه از دست من بيفتاد برداشتند واز يكديكر بصد دينار مى خريدند وبر آن مى افزودند باخود كفتم اين نه جاى منست ولائق روز كار من بس از آنجا هجرت كردم بجاى افتادم كه مرازنديق مى كفتند وهر روز دويار برمن سنك باران همى كردند همان جاى مقام ساختم وآن رنج وبلا همى كشيدم وخوش همى بودم ـ واز ابراهيم ادهم قدس سره حكايت كنند ـ كه كفت درهمه عمر خويش دردنيا سه شادى ديدم وباذن الله تعالى شادى نفس خويش راقهر كردم. در شهر انطاكيه شدم برهنه باي وبرهنه سرميرفتم هريكي طعنهٔ برمن همى زد يكى كفت «هذا عبد آبق من مولاه» مرا أين سخن خوش آمد بانفس خويش كفتم اكر كريخته ورميده كاه آن نيامدكه بطريق صلح باز آيي. دوم شادى آن بودكه دركشتى نشسته بودم مسخرهٔ درميان آن جمع بود وهيج كس را از من حقير تر وخوارتر نمي ديد هر ساعتي بيامدى ودست در قفاى من داشتى سوم. آن بودكه در شهر مطيه در مسجدى سر بزانوى حسرت نهاده بودم در وادى كم وكاست خود افتاده بي حرمتي بيامد وبند ميزر بكشاد وآب در من ريخت يعني تبول كرد وكفت «خذماء الورد» ونفس من آيات ساعت از آن حقارت خوش بكشت ودلم بدان شاد شد واين شادى از باركاه عزت در حق خود تحفهٔ سعادت يافتم. بير طريقت كفت بسا مغرور در سير الله ومستدرج در نعمت الله ومفتون بثناى خلق] فعلى العاقل أن يموت عن نفسه ويذوق ألم الفناء المعنوي قبل الفناء الصوري فإن الدنيا دار الفناء[هر نفسي چشندهٔ مر كست وهر كسى را راه كندبر مركست راهي رفتنى ويلي كذشتني وشرابي آشاميدني سيد صلوات الله عليه بيوسته امت را اين وصيت كردى «أكثروا ذكر هاذم اللذات» زينهار مرك را فراموش مكنيد واز آمدن أو غافل مباشيد.

از ابراهيم بي ادهم قدس سره سؤال كردندكه أي قدوه أهل طريقت واى مقدمهٔ زمرهٔ حقيقت آن جه معنى بودكه درسويداى دل وسينه تو يديد ار آمد تاتاج شاهي ازسر بنهادي ولباس سلطاني ازتن بر كشيدي ومرقع درويشي دريوشيدي ومحنت وبي نوايي اختيار كردي

ركفت آرى روزي برتخت مملكت نشسته بودم وبرجهار بالش حشمت تكيه زده كه ناكاه آينيه درييش روى من داشتند در آيينه نكه كردم منزل خود در خاك ديدم ومرامونس نه سفر دراز درييش ومرازادنه زنداني تافته ديدم ومرا طاقت نه قاضي عدل ديدم ومراحجت نه اى مردى كه اكر بساط امل توكوشه باز كشند ازقاف تاقاف بكيرد بارى بنكركه صاحب قاب قوسين جه ميكويد «والله ما رفعت قدماً وظننت أني وضعتها وما أكلت لقمة وظننت أني ابتلعتها» كفت بدان خداني كه مرا بخلق فرستادكه هيج قدمى از زمين برنداشتم كه كمان بردم كه ييش ازمرك من آنرا بزمين باز توانم نهاد وهيج لقمه دردهان ننهادم كه جنان بنداشتم كه من آن لقمه راييش ازمرك توانم فروبرد اوكه سيد اولين وآخرين ومقتداي أهل آسمان وزمين است جنين ميكويد وتومغرور وغافل امل دراز درييش نهاده وصد ساله كار وبار ساخته ودل بر آن نهاده خبر ندارى كه اين دنيا غدار سراي غرورست نه سرور وسراي فرارست نه سراي قرار]

تاكى ازدار الغرورى ساختن دار السرور　　تاكى ازدار الفراري ساختن دار القرار
اي خداوندان مال الاعتبار الاعتبار　　وي خداوندان قال الاعتذار الاعتذار
ييش ازان كين جان عذر آردفرو ماند زنطق　　بيش ازان كين جشم عبرت بين فرو ماندزكار

كذا في «كشف الأسرار».

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها﴾ كأين للتكثير بمعنى كم الخبرية ركب كاف التشبيه مع أي فجرد عنها معناها الإفرادي فصار المجموع كأنه اسم مبني على السكون آخره نون ساكنة كما في من لا تنوين تمكين ولهذا يكتب بعد الياء نون مع أن التنوين لا صورة له في الخط وهو مبتدأ. وجملة قوله الله يرزقها خبره. ولا تحمل صفة دابة. والدابة كل حيوان يدب ويتحرك على الأرض مما يعقل. والحمل بالفتح: [برداشتن بسروبه بشت] وبالكسر اسم للمحمول على الرأس وعلى الظهر. والرزق لغة ما ينتفع به واصطلاحاً اسم لما يسوقه الله إلى الحيوان فيأكله. روي: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة إلى المدينة قالوا: كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة؟ فنزلت والمعنى وكثير من دابة ذات حاجة إلى الغذاء لا تطيق حمل رزقها لضعفها أو تدخره وإنما تصبح ولا معيشة عندها [وذخيره كننده ازجانوران آدميست وموش ومور وكفته اند سياه كوش ذخيره نهد وفراموش كند. ودر كشاف از بعضى نقل ميكند كه بلبلى را ديدم خوردنى درزير بالهاي خودنهان ميكرد القصه جانوران بسيارند ازدواب وطيور ووحوش وسباع وهوام وحيوانات آبى كه ذخيره ننهند وحامل رزق خود نشوند] ﴿الله يرزقها﴾ يعطي رزقها يوماً فيوماً حيث توجهت ﴿و﴾ يرزق ﴿إياكم﴾ حيث كنتم أي ثم إنها مع ضعفها وتوكلها وإياكم واجتهادكم سواء في أنه لا يرزقها وإياكم إلا الله لأن رزق الكل بأسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة والخروج إلى دار الغربة

هست زفيض كرم ذو الجلال　　مشرب ارزاق بر آب ولال
شاه وكدا روزى ازان ميخورند　　مور وملخ قسمت ازاوميبرند

﴿وهو السميع العليم﴾ المبالغ في السمع فيسمع قولكم هذا في أمر الرزق المبالغ في العلم فيعلم ضمائركم.

وقال الكاشفي: [دانا بآنكه شمارا رزوى از كجادهد].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿**ولئن سألتهم**﴾ أي أهل مكة ﴿**من**﴾ استفهام ﴿**خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر**﴾ لمصالح العباد حيث يجريان على الدوام والتسخير جعل الشيء منقاداً للآخر وسوقه إلى الغرض المختص به قهراً. ﴿**ليقولن**﴾ خلقهن ﴿ **الله**﴾ إذ لا سبيل لهم إلى الإنكار لما تقرر في المعقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود ﴿**فأنى**﴾ [بس كجا] ﴿**يؤفكون**﴾ الإفك بالفتح الصرف والقلب وبالكسر كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه أي فكيف يصرفون عن الإقرار بتفرده في الإلهية مع إقرارهم بتفرده فيما ذكر من الخلق والتسخير فهو إنكار واستبعاد لتركهم العمل بموجب العلم وتوبيخ وتقريع عليه وتعجيب منه.

﴿ **الله يبسط الرزق لمن يشاء**﴾ أن يبسط له ﴿**من عباده**﴾ مؤمنين أو كافرين.

اديـم زمـيـن سـفـره عـام اوسـت بـرين خوان يغماجه دشمن جه دوست

﴿**ويقدر**﴾ [تنك ميسازد] ﴿**له**﴾ أي: لمن يشاء أن يقدر له منهم كائناً من كان على أن الضمير مبهم حسب إبهام مرجعه ويحتمل أن يكون الموسع له والمضيق عليه واحداً على أن البسط والقبض على التعاقب أي يقدر لمن يبسط له على التعاقب.

قال الحسن: يبسط الرزق لعدوه مكراً به ويقدر على وليه نظراً له فطوبى لمن نظر الله إليه ﴿**إن الله بكل شيء عليم**﴾ فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسط له ويعلم من يليق بقبضه فيقبض له أو يعلم أن كلاً من البسط والقبض في أي وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلاً منهما في وقته وفي الحديث القدسي: «إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغني ولو أفقرته لأفسده ذلك وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك».

﴿**ولئن سألتهم**﴾ أي مشركي العرب ﴿**من**﴾ [كه] ﴿**نزل من السماء ماءً فأحيا**﴾ [بس زنده كرد وتازه ساخت] ﴿**به**﴾ [بسبب آن آب] ﴿**الأرض**﴾ بإخراج الزرع والنبات والأشجار منها ﴿**من بعد موتها**﴾ يبسها وقحطها. وبالفارسية: [بس از مردكي وافسر دكي].

ويقال للأرض التي ليست بمنبتة: ميتة لأنه لا ينفع بها كما لا ينتفع بالميتة ﴿**ليقولن**﴾ نزل وأحيا ﴿ **الله**﴾ أي يعترفون بأنه الموجد للممكنات بأسرها أصولها وفروعها ثم إنهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يكاد يتوهم منه القدرة على شيء ما أصلاً.

﴿**قل الحمد لله**﴾ على أن جعل الحق بحيث لا يجترىء المبطول على جحوده وأن أظهر حجتك عليهم ﴿**بل أكثرهم**﴾ أي: أكثر الكفار. ﴿**لا يعقلون**﴾ أي شيئاً من الأشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم فيشركون به سبحانه أخس مخلوقاته وهو الصنم.

يقول الفقير أغناه الله القدير: قد ذكر الله تعالى آية الرزق ثم آية التوحيد ثم كررهما في صورتين أخريين تنبيهاً منه لعباده المؤمنين على أنه سبحانه لا يقطع أرزاق الكفار مع وجود الكفر والمعاصي فكيف يقطع أرزاق المؤمنين مع وجود الإيمان والطاعات

اى كريمى كه از خزانهٔ غيب كبر وترسا وظيفه خوردارى
دوستانرا كجا كنى محروم توكه بادشمنان نظر دارى

وإنه سبحانه لا يسأل من العباد إلا التوحيد والتقوى والتوكل فإنما الرزق على الله الكريم وقد قدر سبحانه مقادير الخلق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وما قدر في الخلق والرزق والأجل لا يتبدل بقصد القاصدين ألا ترى إلى الوحوش والطيور لا تدخر شيئاً إلى الغد تغدو خماصاً وتروح بطاناً أي ممتلئة البطون والحواصل لاتكالها على الله تعالى بما وصل إلى قلوبها من نور معرفة خالقها فكيف يهتم الإنسان لأجل رزقه وأجله ويدخر شيئاً لغده ولا يعرف حقيقة رزقه وأجله فربما يأكل ذخيرته غيره ولا يصل إلى غده ولذلك كان صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئاً لغد إذ الأرزاق مجددة كالأنفاس المجددة في كل لمحة والرزق يطلب الرجل كما يطلبه أجله [خواجه عالم صلى الله عليه وسلم فرموده كه اى مردم رزق قسمت كرده شده است تجاوز نمى كند ازمرد آنجه از براى وى نوشته شده است بس خوبى كنيد در طلب روزى يعني بطاعت جوييد نه بمعصيت اى مردم در قناعت فراخى است ودرميانه رفتن واندازه بكار داشتن بسندكي وكفايت است درزهد راحت است وخفت حساب وهر عملي را جزاييست وكل آت قريب]: قال المولى الجامي:

درين خرابه مكش بهر كنج غصه ورنج جونقد وقت توشد فقر خاك برسر كنج
بقصر عشرت وايوان عيش شاهان بين كه زاغ نغمه سرا كشت وجفدقا فيه سنج

وعن بعضهم قال: كنت أنا وصاحب لي نتعبد في بعض الجبال وكان صاحبي بعيداً مني فجاءني يوماً وقال: قد نزل بقربنا بدو فقم نمش إليهم لعله يحصل لنا منهم شيء من لبن غيره فامتنعت فلم يزل يلح علي حتى وافقته فذهبنا إليهم فأطعمونا من طعامهم ورجعنا وعاد كل واحد منا إلى مكانه الذي كان فيه ثم إني انتظرت الظبية في الوقت الذي كانت تأتيني فيه فلم تأتني ثم انتظرتها بعد ذلك فلم تأتني فانقطعت عني فعرفت أن ذلك بشؤم ذنبي الذي أحدثته بعد أن كنت مستغنياً بلبنها وهذا الذنب الذي ذكر ثلاثة أشياء أحدها خروجه من التوكل الذي كان دخل فيه والثاني طمعه وعدم قناعته بالرزق الذي كان مستغنياً به والثالث أكله طعاماً خبيثاً فحرم رزقاً حلالاً طيباً محضاً أخرجته القدرة الإلهية من باب العدم وأدخلته من باب الإيجاد بمحض الجود والكرم آتياً من طريق باب خرق العادة كرامة لولي من أوليائه أولى السعادة ذكره اليافعي في الرياض.

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿**وما هذه الحياة الدنيا**﴾ إشارة تحقير للدنيا وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة: والمعنى بالفارسية: [ونيست أين زنكانىء دنيا].

قال الإمام الراغب: الحياة باعتبار الدنيا والآخرة ضربان الحياة الدنيا والحياة الآخرة فهي إشارة إلى أن الحياة الدنيا بمعنى الحياة الأولى بقرينة المقابلة بالآخرة فإنه قد يعبر بالأدنى عن الأول المقابل للآخر والمراد بالحياة الأولى ما قبل الموت لدنوه أي قربه وبالآخرة ما بعد الموت لتأخره ﴿**إلا لهو**﴾ وهو ما يلهي الإنسان ويشغله عما يعنيه ويهمه والملاهي آلات اللهو

﴿ولعب﴾ يقال: لعب فلان إذا لم يقصد بفعله مقصداً صحيحاً.

قال الكاشفي: ﴿إلا لهو﴾ [مكر مشغولي وبيكاري ولعب وبازي يعني درسرعت انقضا وزوال ببازى كود كان مى ماندكه يكجا جمع آيند وساعتي بدان متهيج كردند واندك زمانى را ملول ومانده كشته متفرق شوند وجه زيبا كفته است]:

بازيجه ايست طفل قريب اين متاع دهر بى عقل مردمان كه بدين مبتلا سوند

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن هذه الحياة التي يعيش بها المرء في الدنيا بالنسبة إلى الحياة التي يعيش بها أهل الآخرة في الآخرة وجوار الحق تعالى لهو ولعب وإنما شبهها باللهو واللعب لمعنيين:

أحدهما: أن أمر اللهو واللعب سريع الانقضاء لا يداوم عليه فالمعنى: إن الدنيا وزينتها وشهواتها لظل زائل لا يكون له بقاء فلا تصلح لاطمئنان القلب بها والركون إليها.

والثاني: إن اللهو واللعب من شأن الصبيان والسفهاء دون العقلاء وذوي الأحلام ولهذا كان النبي عليه السلام يقول: «ما أنا من دد ولا الدد مني» والدد اللهو واللعب فالعاقل يصون نفسه منه انتهى.

قال في «كشف الأسرار»: فإن قيل: لم سماها لهواً ولعباً وقد خلقها لحكمة ومصلحة؟ قلنا: إنه بنى الخطاب على الأعم الأغلب وذلك أن غرض أكثر الناس من الدنيا اللهو واللعب انتهى ورد في الخبر النبوي حين سئل عن الدنيا فقال: «دنياك ما يشغلك عن ربك»: وفي المثنوي:

جيست دنيا از خدا غافل شدن نى قماش نقره فرزند وزن
مال را كر بهر دين باشي حمول نعم مال صالح خواندش رسول
آب در كشتى هلاك كشتى ايت آب اندر زيركشتى بشتى است
جونكه مال وملك را ازدل براند زان سليمان خويش جز مسكين نخواند
كوزهٔ سربسته اندر آب رفت از دل بسر باد فوق آب رفت
باد درويشى جو در باطن بود بر سر آب جهان ساكن بود
كرجه جمله اين جهان ملك ويست ملك درجشم دل اولا شى است

قيل: الشر كله في بيت واحد ومفتاحه حب الدنيا وما أحسن من شبهها بخيال الظل حيث قال:

رأيت خيال الظل أعظم عبرة لمن كان في علم الحقائق راقي
شخوص وأصوات يخالف بعضها لبعض وأشكال بغير وفاق
تمر وتقضي أوبة بعد أوبة وتفني جميعاً والمحرك باقي

ومن إشارات «المثنوي» ما قال:

اى دريده بوستين يوسفان كرك بر خيزي ازين خواب كران
كشته كركان يك بيك خواهاى تو مي درانند از غضب اعضاى تو
خون نخسبد بعد مركت در قصاص تومكوكه مردم ويابم خلاص
اين قصاص نقد حيلت سازيست پيش زخم آن قصاص اين بازيست
زين لعب خواندست دنيارا خدا كين جزا لعبست پيش آن جزا

اين جزا تسكين جنك وفتنه است　　آن جواخصا است واين جون ختنه است

﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ أي: وإن الجنة لهي دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت والفناء عليها أو هي في ذاتها حياة للمبالغة. والحيوان مصدر حيي سمي به ذو الحياة وأصله حييان فقلبت الياء الثانية واواً لئلا يحذف إحدى الألفات وهو أبلغ من الحياة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحياة في هذا المقام المقتضي للمبالغة. ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لما آثروا عليها الدنيا التي أصلها عدم الحياة ثم ما يحدث فيها من الحياة عارضة سريعة الزوال.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن دار الدنيا لهي الموتان لأنه تعالى سمى الكافر وإن كان حيا بالميت بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠] وقال: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠] فثبت أن الدنيا وما فيها من الموتان إلا من أحياه الله بنور الإيمان فهو الحي والآخرة عبارة عن عالم الأرواح والملكوت فهي حياة كلها وإنما سماها الحيوان والحيوان ما يكون حياً وله حياة فيكون جميع أجزائه حياً فالآخرة حيوان لأن جميع أجزائها حي فقد ورد في الحديث: «إن الجنة بما فيها من الأشجار والثمار والغرف والحيطان والأنهار حتى ترابها وحصاها كلها حي» فالحياة الحقيقية التي لا تشينها الغصص والمحن والأمراض والعلل ولا يدكها الموت والفوت لهي حياة أهل الجنات والقربات لو كانوا يعلمون قدرها وغاية كماليتها وحقيقة عزتها لكانوا أشد حرصاً في تحصيلها ههنا فمن فاتته لا يدركها في الآخرة ألا ترى أن من صفة أهل النار أن لا يموت فيها ولا يحيا يعني: ولا يحيا بحياة حقيقة يستريح بها وأنهم يتمنون الموت ولا يجدونه انتهى.

قال في «كشف الأسرار»: [غافل بي حاصل تاشند شربت مرادى آميزي وتاكي ارزوي پزي. كاه چون شير هرچت پيش آيدمى شكنى. كاه چون كرك هرچه بيني همى درى. كاه چون كبك در كوههاى مرادمى پرى كاه چون آهو در مرغزار ارزو همه جرى. خبرندارى كه اين دنياكه توبدان همى نازى وتراهمى فريبدو دردام غرورى كشد لهو ولعبست سراى بى سرمايكان وسرمايهٔ بي دولتان وبازيچهٔ بى كار ان وبند معشوقهٔ فتانست ورعناى بى سرو سامان دوستى بي وفا وايهٔ بى مهر دشمنى پركزند بوالعجبى پرفند هركرا بامداد بنوازد شبانكاه بكدازد وهركرا يك دو زدل بشادى بيفروزد وديكروزش بانش هلاك مى سوزد].

أحلام نوم أو كظل زائل　　إن اللبيب بمثلها لا يخدع

وفي «المثنوي»:

صوفئ در باغ از بهرى كشاد　　صوفيانه روى بر زانو نهاد
پس فرورفت او بخود اندر نفول　　شد ملول از صورت خوابش فضول
كه چه خسبى آخر اندر رزنكر　　اين درختان بين وآثار خضر
امر حق بشنوكه كفتست انظروا　　سوى اين آثار رحمت آر رو
كفت آثارش دلست اي بوالهوس　　آن بورن آثار آثارست وبس
باغها وسبزها بر عين جان　　بربرون عكسش چودر آب روان
آن خيال باغ باشد اندر آب　　كه كنند از لطف آب آن اضطراب
باغها وميوها اندر دِلست　　عكس لطف آن برين آب وكلست

كرنبودى عكس آن سر وسرور پس بخواندى ايزدش دار الغرور
اين غرور آنست يعنى اين خيال هست از عكس دل جان رجال
جمله مغروران برين عكس آمده بر كمانى كين بود جنت كده
مي كريزند از اصول باغها بر خيالى ميكنند آن لاغها
چونكه خواب غفلت آيد شان بسر راست بينند وچه سودست آن نظر
پس بكورستان غريو افتادواه تا قيامت زين غلط واحسرتاه
أي خنك آنراكه پيش ازمرك مرد جان او از أصل اين رز بوبي برد

[اين حيات لعب ولهو در چشم كسى آيدكه از حياة طيبه وزندكاني مهر خبر ندارد مراورا دوستانندكه زندكاني ايشان امروز بذكر است وبمهر وفردا زندكاني ايشان بمشاهدت بود ومعاينت زندكاني ذكررا ثمرهٔ انس است وزندكاني مهررا ثمرهٔ فنا ايشانندكه يك طرف ازو محجوب نيند وهيچ محجوب مانند زنده نمانند].

غم كى خورد آنكه شادمانيش تويي ياكى ميرد آنكه زندكانيش تويى

فالعاقل لا يضيع العمر العزيز في الهوى واشتغال الدنيا الدنية الرذيلة بل يسارع في تحصيل الباقي.

قال الفضيل رحمه الله: لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا أن نختار خزفاً يبقى على ذهب يفنى. كما روي أن سليمان عليه السلام قال: لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أوتي ابن داود فإنه يذهب والتسبيحة تبقى ولا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات صفاء القلب أي عن كدورات الدنيا وأنسه بذكر الله وحبه لله ولا يخفى أن صفاء القلب وطهارته عن أدناس الدنيا لا تكون إلا مع المعرفة والمعرفة لا تكون إلا بدوام الذكر والفكر وخير الأذكار التوحيد.

﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿**فإذا ركبوا في الفلك**﴾ متصل بما دل عليه شرح حالهم. والركوب هو الاستعلاء على الشيء المتحرك وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ [النحل: ٨] واستعماله ههنا وفي أمثاله بكلمة في للإيذان بأن المركوب في نفسه من قبيل الأمكنة وحركته قسرية غير إرادية. والمعنى أن الكفار على ما وصفوا من الإشراك فإذا ركبوا في السفينة لتجاراته وتصرفاتهم وهاجت الرياح واضطربت الأمواج وخافوا الغرق. وبالفارسية: [پس چون نشينند كافران دركشتى وبسبب موج در كرداب اضطراب افتند]. ﴿**دعوا الله**﴾ حال كونهم ﴿**مخلصين له الدين**﴾ أي: على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين حيث لا يدعون غير الله لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد عنهم إلا هو.

وقال في «الأسئلة المقحمة»: ما معنى الإخلاص في حق الكافر والإخلاص دون الإيمان لا يتصور وجوده؟ والجواب أن المراد به التضرع في الدعاء عند مسيس الضرورة والإخلاص في العزم على الإسلام عند النجاة من الغرق ثم العود والرجوع إلى الغفلة والإصرار على الكفر بعد كشف الضر ولا يرد الإخلاص الذي هو من ثمرات الإيمان انتهى ويدل عليه ما قال

عكرمة: كان أهل الجاهلية إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام فإذا اشتدت بهم الريح ألقوا تلك الأصنام في البحر وصاحوا «يا خداي يا خداي» كما في «الوسيط» و«يا رب يا رب» كما في «كشف الأسرار» ﴿**فلما نجاهم إلى البر**﴾ البر خلاف البحر وتصور منه التوسع فاشتق منه البر أي التوسع في فعل الخير كما في «المفردات»؛ والمعنى بالفارسية. [پس آنن هنكام كه نجات دهد خداي تعالى ايشانرا از بحر وغرق وبرون آرد بسلامت بسوى خشك ودشت] ﴿**إذا هم**﴾ [آنكاه يشان] ﴿**يشركون**﴾ أي فاجؤوا المعاودة إلى الشرك. يعني [بازكردند بعادت خويش].

﴿**ليكفروا بما آتيناهم**﴾ اللام فيه لام كي أي ليكونوا كافرين بشركهم بما آتيناهم من نعمة النجاة التي حقها أن يشكروها ﴿**وليتمتعوا**﴾ أي: ولينتفعوا باجتماعهم على عبادة الأصنام وتوادّهم عليها ويجوز أن يكون لام الأمر في كليهما ومعناه التهديد والوعيد كما في اعملوا ما شئتم. ﴿**فسوف يعلمون**﴾ أي عاقبة ذلك وغائلته حين يرون العذاب.

وفي «التأويلات»: وبقوله: ﴿**فإذا ركبوا في الفلك**﴾ يشير إلى أن الإخلاص تفريغ القلب من كل ما سوى الله والثقة بأن لا نفع ولا ضرر إلا منه وهذا لا يحصل إلا عند نزول البلاء والوقوع في معرض التلف وورطة الهلاك ولهذا وكل بالأنبياء والأولياء لتخليص الجوهر الإنساني القابل للفيض الإلهي من قيد التعلقات بالكونين والرجوع إلى حضرة المكوّن فإن الرجوع إليها مركوز في الجوهر الإنسان لو خلي وطبعه لقوله: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾ [العلق: ٨] فالفرق بين إخلاص المؤمن وإخلاص الكافر بأن يكون إخلاص المؤمن مؤيداً بالتأييد الإلهي وأنه قد عبد الله مخلصاً في الرخاء قبل نزول البلاء فنال درجة الإخلاص المؤيد من الله بالسر الذي قال تعالى: «الإخلاص سر بيني وبين عبدي لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل» فلا يتغير في الشدة والرخاء ولا في السخط والرضى وإخلاص الكافر إخلاص طبيعي قد حصل له عند نزول البلاء وخوف الهلاك بالرجوع الطبيعي غير مؤيد بالتأييد الإلهي عند خمود التعلقات كراكبي الفلك. ﴿**دعوا الله مخلصين له الدين**﴾ دعاء اضطرارياً فأجابهم من يجيب المضطر بالنجاة من ورطة الهلاك ﴿**فلما نجاهم إلى البر**﴾ وزال الخوف والاضطرار عاد الميشوم إلى طبعه. ﴿**إذا هم يشركون ليكفروا بما آيتناهم**﴾. أي ليكون حاصل أمرهم من شقاوتهم أن يكفروا بنعمة الله ليستوجبوا العذاب الشديد ﴿**وليتمتعوا**﴾ أياماً قلائل ﴿**فسوف يعلمون**﴾ أن عاقبة أمرهم دوام العقوبة إلى الأبد انتهى: قال الشيخ سعدي:

ره راست بايدنه بالاي راست ... كه كافرهم از روى صورت چوماست
ترا آنكه چشم ودهان داد وكوش ... اكر عاقلى در خلافش مكوش
مكن كردن از شكر منعم مپيچ ... كه روز پسين سر بر آرى بهيچ

قال الشيخ الشهير بزروق الفاسي في شرح حزب البحر: أما حكم ركوب البحر من حيث هو فلا خلاف اليوم في جوازه وإن اختلف فيه نظراً لمشقته فهو ممنوع في أحوال خمسة.

أولها: إذا أدى لترك الفرائض أو نقصها فقد قال مالك للذي يميد فلا يصلي الراكب حيث لا يصلي: ويل لمن ترك الصلاة. والثاني: إذا كان مخوفاً بارتجاجه من الغرق فيه فإنه لا يجوز ركوبه لأنه من الإلقاء إلى التهلكة قالوا: وذلك من دخول الشمس العقرب إلى آخر الشتاء. والثالث: إذا خيف فيه الأسر واستهلاك العدو في النفس والمال لا يجوز ركوبه بخلاف

ما إذا كان معه أمن والحكم للمسلمين لقوة يدهم وأخذ رهائنهم وما في معنى ذلك. والرابع: إذا أدى ركوبه إلى الدخول تحت أحكامهم والتذلل لهم ومشاهدة منكرهم مع الأمن على النفس والمال بالاستئمان منهم وهذه حالة المسلمين اليوم في الركوب مع أهل الطرائد ونحوهم وقد أجراها بعض الشيوخ على مسألة التجارة لأرض الحرب ومشهور المذهب فيها الكراهة وهي من قبيل الجائز وعليه يفهم ركوب أئمة العلماء والصلحاء معهم في ذلك وكأنهم استخفوا الكراهة في مقابلة تحصيل الواجب الذي هو الحج وما في معناه. والخامس: إذا خيف بركوبه عورة كركوب المرأة في مركب صغير لا يقع لها فيه سترها فقد منع مالك ذلك حتى في حجها إلا أن يختص بموضع ومركب كبير على المشهور. ومن أوراد البحر «الحي القيوم» ويقول عند ركوب السفينة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: ٤١]، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]، ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] فإنه أمان من الغرق.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿**أو لم يروا**﴾ أي ألم ينظر أهل مكة ولم يشاهدوا ﴿**أنا جعلنا**﴾ أي بلدهم ﴿**حرماً**﴾ محترماً ﴿**آمناً**﴾ مصوناً من النهب والتعدي سالماً أهله آمناً من كل سوء ﴿**ويتخطف الناس من حولهم**﴾ التخطف بالفارسية: [ربودن] وحول الشيء جانبه الذي يمكنه أن يتحول إليه أي والحال أن العرب يختلسون ويؤخذون من حولهم قتلاً وسبياً إذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب ﴿**أفبالباطل يؤمنون**﴾ أي أبعد ظهور الحق الذي لا ريب فيه بالباطل وهو الصنم أو الشيطان يؤمنون دون الحق وتقديم الصلة لإظهار شناعة ما فعلوه وكذا في قوله: ﴿**وبنعمة الله**﴾ المستوجبة للشكر ﴿**يكفرون**﴾ حيث يشركون به غيره.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**أفبالباطل**﴾ وهو ما سوى الله من مشارب النفس ﴿**يؤمنون**﴾ أي يصرفون صدقهم ﴿**وبنعمة الله**﴾ وهي مشاهدة الحق. ﴿**يكفرون**﴾ بأن لا يطلبوها انتهى إنما فسر الباطل بما سوى الله لأن ما خلا الله باطل مجازى أما بطلانه فلكونه عدماً في نفسه وأما مجازيته فلكونه مجلى ومرآة للوجود الإضافي.

واعلم أن الكفر بالله أشد من الكفر بنعمة الله لأن الأول لا يفارق الثاني بخلاف العكس والكفار جمعوا بينهما فكانوا أذم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿**ومن أظلم**﴾ [وكيست ستمكار تر] ﴿**ممن افترى**﴾ [بيد اكرد از نفس خويش] ﴿**على الله**﴾ الأحد الصمد ﴿**كذباً**﴾ بأن زعم أن له شريكاً، أي هو أظلم من كل ظالم، ﴿**أو كذب بالحق**﴾ بالرسول أو بالقرآن ﴿**لما جاءه**﴾ من غير توقف عناداً ففي لما تسفيه لهم بأن لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا إلى التكذيب أول ما سمعوه ﴿**أليس في جنهم مثوى للكافرين**﴾ تقريب لثوائهم فيها أي إقامتهم فإن همزة الاستفهام الإنكاري إذا دخلت على النفي صار إيجاباً أي لا يستوجبون الإقامة والخلود في جنهم وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء والتكذيب بالحق الصريح مثل هذا التكذيب الشنيع أو إنكار واستبعاد لاجترائهم على الافتراء

والتكذيب أي ألم يعلموا أن في جنهم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا هذه الجراءة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً**﴾ بأن يرى من نفسه بأن له مع الله حالاً أو وقتاً أو كشفاً أو مشاهدة ولم يكن له من ذلك شيء وقالوا إذا فعلوا فاحشة: وجدنا عليها آباءنا به يشير إلى أن الإباحية وأكثر مدعي زماننا هذا إذا صدر منهم شيء على خلاف السنة والشريعة يقولون: إنا وجدنا مشايخنا عليه والله أمرنا بهذا أي مسلم لنا من الله هذه الحركات لمكانة قربنا إلى الله وقوة ولايتنا فإنها لا تضر بل تنفعنا وتفيد. ﴿**أو كذب بالحق**﴾ أي: بالشريعة وطريقة المشايخ وسيرتهم لما جاء ﴿**أليس في جهنم**﴾ النفس ﴿**مثوى**﴾ محبس ﴿**للكافرين**﴾ أي: لكافري نعمة الدين والإسلام والشريعة والطريقة بما يفترون وبما يدعون بلا معنى القيام به كذابين في دعواهم انتهى. قال الحافظ:

مدعى خواست كه آيد بتماشا كه راز دست غيب آمد وبرسينهٔ نا محرم زد

فالمدعي أجنبي عن الدخول في حرم المعنى كما أن الأجنبي ممنوع عن الدخول في حرم السلطان وقال الكمال الخجندي:

مدعى نيست محروم دريار خادم كعبه بولهب نبود

فالواجب الاجتناب عن الدعوى والكذب وغيرهما من صفات النفس واكتساب المعنى والصدق ونحوهما من أوصاف القلب. قال الحافظ:

طريق صدق بياموز از آب صافى دل براستي طلب ازاد كي چوسرو چمن

حكي: عن إبراهيم الخواص رحمه الله أنه كان إذا أراد سفراً لم يعلم أحداً ولم يذكره وإنما يأخذ ركوته ويمشي قال حامد الأسوار: فبينما نحن معه في مسجده تناول ركوته ومشى فاتبعته فلما وافينا القادسية قال لي: يا حامد إلى أين؟ قلت: يا سيدي خرجت لخروجك قال: أنا أريد مكة إن شاء الله تعالى قلت: وأنا أريد إن شاء الله مكة فلما كان بعد أيام إذا بشاب قد انضم إلينا فمشى معنا يوماً وليلة لا يسجد لله تعالى سجدة فعرفت إبراهيم فقلت: إن هذا الغلام لا يصلي فجلس وقال: يا غلام ما لك لا تصلي والصلاة أوجب عليك من الحج فقال: يا شيخ ما عليّ صلاة قال: ألست مسلماً؟ قال: لا قال: فأي شيء أنت؟ قال: نصراني ولكن إشارتي في النصرانية إلى التوكل وادعت نفسي أنها قد أحكمت حال التوكل فلم أصدقها فيما ادعت حتى أخرجتها إلى هذه الفلاة التي ليس فيها موجود غير المعبود أثير ساكني وامتحن خاطري فقام إبراهيم ومشى وقال: دعه يكون معك فلم يزل يسايرنا حتى وافينا بطن مرو فقام إبراهيم ونزع خلقانه فطهرها بالماء ثم جلس وقال له: ما اسمك؟ قال: عبد المسيح فقال: يا عبد المسيح هذا دهليز مكة يعني الحرم وقد حرم الله على أمثالك الدخول إليه قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨] والذي أردت أن تستكشف من نفسك قد بان لك فاحذر أن تدخل مكة فإن رأيناك بمكة أنكرنا عليك قال حامد: فتركناه ودخلنا مكة وخرجنا إلى الموقف فبينما نحن جلوس بعرفات إذا به قد أقبل عليه ثوبان وهو محرم يتصفح الوجوه حتى وقف علينا فأكب على إبراهيم يقبل رأسه فقال له: ما الحال يا عبد المسيح؟ فقال له: هيهات أنا اليوم عبد من المسيح عبده فقال له إبراهيم: حدثني حديثك قال: جلست مكاني حتى أقبلت قافلة الحاج فقمت وتنكرت في زي المسلمين كأني محرم فساعة وقعت عيني عى الكعبة اضمحل عندي كل دين سوى دين الإسلام فأسلمت واغتسلت

وأحرمت فها أنا أطلبك يومي فالتفت إلى إبراهيم وقال: يا حامد انظر إلى بركة الصدق في النصرانية كيف هداه إلى الإسلام ثم صحبنا حتى مات بين الفقراء رحمه الله تعالى.

يقول الفقير: أصلحه الله القدير في هذه الحكاية إشارات. منها كما أن حرم الكعبة لا يدخله مشرك متلوث بلوث الشرك كذلك حرم القلب لا يدخله مدع متلوث بلوث الدعوى. ومنها أن النصراني المذكور صحب إبراهيم أياماً في طريق الصورة فلم يضيعه الله حيث هداه إلى الصحبة به في طريق المعنى. ومنها أن صدقه في طريقه أدّاه إلى أن آمن بالله وكفر بالباطل. ومنها أن من كان نظره صحيحاً فإذا شاهد شيئاً من شواهد الحق يستدل به على الحق ولا يكذب بآيات ربه كما وقع للنصراني المذكور حين رأى الكعبة التي هي صورة سر الذات وكما وقع لعبد الله بن سلام فإنه حين رأى النبي عليه السلام آمن وقال: عرفت أنه ليس بوجه كذاب نسأل الله حقيقة الصدق والإخلاص والتمتع بثمرات أهل الاختصاص.

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿**والذين جاهدوا فينا**﴾ الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو أي جدوا وبذلوا وسعهم في شأننا وحقنا ولوجهنا خالصاً. وأطلق المجاهدة ليعم جهاد الأعداء الظاهرة والباطنة أما الأول فكجهاد الكفار المحاربين وأما الثاني فكجهاد النفس والشيطان وفي الحديث: «جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم» ويكون الجهاد باليد واللسان كما قال عليه السلام: «جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم» أي بما يسوءهم من الكلام كالهجر ونحوه.

قال ابن عطاء: المجاهدة صدق الافتقار إلى الله بالانقطاع عن كل ما سواه وقال عبد الله بن المبارك المجاهدة علم أدب الخدمة فإن أدب الخدمة أعز من الخدمة.

وفي «الكواشي»: المجاهدة غض البصر وحفظ اللسان وخطرات القلب ويجمعها الخروج عن العادات البشرية انتهى فيدخل فيها الغرض والقصد ﴿**لنهدينهم سبلنا**﴾ الهداية الدلالة إلى ما يوصل إلى المطلوب. والسبل جمع سبيل وهو من الطرق ما هو معتاد السلوك ويلزمه السهولة ولهذا قال الإمام الراغب: السبيل الطريق الذي فيه سهولة انتهى. وإنما جمع لأن الطريق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق والمعنى سبل السير إلينا والوصول إلى جنابنا.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد المهاجرين والأنصار أي والذين جاهدوا المشركين وقاتلوهم في نصرة ديننا لنهدينهم سبل الشهادة والمغفرة والرضوان.

وقال بعضهم: معنى الهداية ههنا التثبيت عليها والزيادة فيها فإنه تعالى يزيد المجاهدين هداية ما يزيد الكافرين ضلالة فالمعنى لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقاً لسلوكها كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧] وفي الحديث: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» وفي الحديث: «من أخلص لله أربعين صباحاً انفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهدينهم سبيل الجنة ثم قيل: مثل السنة في الدنيا كمثل الجنة في العقبى من دخل الجنة في العقبى سلم كذا من لزم السنة في الدنيا سلم.

ويقال: والذين جاهدوا بالتوبة لنهدينهم إلى الإخلاص. والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم إلى طريق العمل به. والذين جاهدوا في رضانا لنهدينهم إلى الوصول إلى محل

الرضوان. والذين جاهدوا في خدمتنا لنفتحن عليهم سبل المناجاة معنا والإنس بنا والمشاهدة لنا. والذين أشغلوا ظواهرهم بالوظائف أوصلنا إلى أسرارهم اللطائف والعجب ممن يعجز عن ظاهره ويطمع في باطنه ومن لم يكن أوائل حاله المجاهدة كانت أوقاته موصولة بالأماني ويكون حظه البعد من حيث يأمل القرب.

والحاصل أنه بقدر الجد تكتسب المعالي فمن جاهد بالشريعة وصل إلى الجنة ومن جاهد بالطريقة وصل إلى الهدى ومن جاهد بالمعرفة والانفصال عما سوى الله وصل إلى العين واللقاء. ومن تقدمت مجاهدته على مشاهدته كما دلت الآية عليه صار مريداً مراداً وسالكاً مجذوباً وهو أعلى درجة ممن تقدمت مشاهدته على مجاهدته وصار مراداً مريداً ومجذوباً سالكاً لأن سلوكه على وفق العادة الإلهية ولأنه متمكن هاضم بخلاف الثاني فإنه متلون مغلوب وربما تكون مفاجأة الكشف من غير أن يكون المحل متهيئاً له سبباً للإلحاد والجنون والعياذ بالله تعالى.

وفي التأويلات: ﴿**لنهدينهم سبلنا**﴾ أي سبيل وجداننا كما قال: «ألا من طلبني وجدني ومن تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً».

قال الكاشفي: در ترجمهٔ بعضي از كلمات زبور آمده:

أنا المطلوب فاطلبني تجدني ... أنا المقصود فاطلبني تجدني
اكر در جست وجوى من شتابد ... مراد خود بزودى باز يابد

وفي «المثنوي»:

كركران وكر شتابنده بود ... آنكه جوينده است يابنده بود
در طلب زن دائما توهر دودست ... كه طلب درراه نيكو رهبرست

قالت المشايخ: المجاهدات تورث المشاهدات ولو قال قائل للبراهمة والفلاسفة أنهم يجاهدون النفس حق جهادها ولا تورث لهم المشاهدة قلنا: لأنهم قاموا بالمجاهدات فجاهدوا وتركوا الشرط الأعظم منها وهو قوله: فينا أي خالصاً لنا وهم جاهدوا في الهوى والدنيا والخلق والرياء والسمعة والشهرة وطلب الرياسة والعلو في الأرض والتكبر على خلق الله فأما من جاهد في الله جاهد أولاً بترك المحرمات ثم بترك الشبهات ثم بترك الفضلات ثم بقطع التعلقات تزكية للنفس ثم بالتنقي عن شواغل القلب على جميع الأوقات وتخليته عن الأوصاف المذمومات تصفية للقلب ثم بترك الالتفات إلى الكونين وقطع الطمع عن الدارين تحلية للروح فالذين جاهدوا في قطع النظر عن الأغيار بالانقطاع والانفصال لنهدينهم سبلنا بالوصول والوصال.

واعلم أن الهداية على نوعين هداية تتعلق بالمواهب وهداية تتعلق بالمكاسب فالتي تتعلق بالمواهب فمن هبة الله وهي سابقة والتي تتعلق بالمكاسب فمن كسب العبد وهي مسبوقة ففي قوله تعالى: ﴿**والذين جاهدوا فينا**﴾ إشارة إلى أن الهداية الموهبية سابقة على جهد العبد وجهده ثمرة ذلك البذر فلو لم يكن بذر الهداية الموهبية مزروعاً بنظر العناية في أرض طينة العبد لما نبتت فيها خضرة الجهد ولو لم يكن المزروع مربى جهد العبد لما أثمر بثمار الهداية المكتسبية. قال الحافظ:

قومي بجد وجهد نهادند وصل دوست ... قومى دكر حواله بتقدير ميكنند

قال بعض الكبار: النبوة والرسالة كالسلطنة اختصاص إلهي لا مدخل لكسب العبد فيها وأما الولاية كالوزارة فلكسب العبد مدخل فيها فكما تمكن الوزارة بالكسب كذلك تمكن الولاية

بالكسب ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ بمعية النصرة والإعانة والعصمة في الدنيا والثواب والمغفرة في العقبى. وفي «التأويلات النجمية»: لمع المحسنين الذين يعبدون الله كأنهم يرونه.

وفي «كشف الأسرار»: ﴿جاهدوا﴾ [درين موضع سه منزل است. يكى جهاد اندر باطن باهوا ونفس. ديكر جهاد بظاهر اعداى دين وفار زمين. ديكر اجتهاد بإقامت حجت وطلب حق وكشفت شبهت باشد مر آنرا اجتهاد كويند وهرچه اندر باطن بود اندر رعايت عهد الهي مر آنرا جهد ويند اين ﴿جاهدوا فينا﴾ بيان هرسه حالست اوكه بظاهر جهاد كند رحمت نصيب وى اوكه باجتهاد بود عصمت بهرهٔ وى اوكه اندر نعمت جهد بود كرامت وصل نصيب وى وشرط هرسه كس آنست كه آن جهد في الله بود تادر هدايت خلعت وى بود آنكه كفت. ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ چون هدايت دادم من باوى باشم روى بامن بود زبان حال بنده ميكويد الهى بعنايت هدايت دادى بمعونت زرع خدمت رويانيدى به پيغام آب قبول دادى بنظر خويش ميوهٔ محبت ووفا رسانيدى اكنون سزدكه سموم مكر ازان بازدارى وبنايى كه خود افراشتهٔ بجرم ما خراب نكنى الهى توضيعفانرا پناهى فاصدانرا برسر راهى واجد انرا كواهى چه بودكه افزايى ونكاهى]

روضهٔ روح مـن رضـاى تـوبـاد — قـبـلـه كـاهـم در سـراى تـوبـاد
سـرمـهٔ ديـده جـهـان بـيـنـم — تـابـود كـرد خـاكـپـاى تـوبـاد
كـرهـمـه راى تـوفـنـاى منـسـت — كـار مـن بـرمـراد راى تـوبـاد
شـد دلـم ذره وار در هـوسـت — دائـم ايـن ذره درهـواى تـوبـاد

انتهى ما في «كشف الأسرار» لحضرة الشيخ رشيد الدين اليزدي قدس سره.

هذا آخر ما أودعت في المجلد الثاني. من التفسير الموسم بـ«روح البيان» من جواهر المعاني.

ونظمت في سلكه من فوائد العبارة والإشارة والإلهام الرباني.

وسيحمده أولو الألباب.

إن شاء الله الوهاب.

ووقع الاتمام بعون الملك الصمد.

وقت الضحوة الكبرى من يوم الأحد.

وهو العشر السابع من الثلث الثاني من السدس الخامس من النصف الأول من العشر التاسع من العشر الأول من العقد الثاني من الألف الثاني من الهجرة النبوية.

على صاحبها ألف ألف تحية.

وقلت بالفارسية:

چو زهجرت كذشت بى كم وكاست — نـه وصـد سـال يـعـنـى بـعـد هـزار
آخـر فـصـل خـزان شـد مـوسـم — كـه نـمـانـد ورقـى از كـلـزار
در جـمـاداى نـخـسـتـن آخـر — بـلـبـل خـامـه دم كـرفـت از زار
بـه نـهـايـت رسـيـد جـلـد دوم — شـد بـتـاريـك روز ايـن بـازار
جـد وجـهـدى كـه اوفـتـاده دريـن — شـد بـنـوك قـلـم حـقـىٔ زار

تمّ المجلد السادس ويليه المجلد السابع إن شاء الله تعالى أوله سورة الروم

٣٠ ـ سورة الروم

مكية إلا قوله: ﴿فسبحان الله﴾ وآيها ستون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾﴾.

﴿الم﴾ [أبو الجوزاء از ابن عباس رضي الله عنهما نقل كرده كه حروف مقطعه آيت ربانيه اندهر حرفى اشارت است بصفتى كه حق را بدان ثنا كويند چنانكه الف ازين كلمه كنايتست از الوهيت ولام از لطف وميم از ملك وكفته اند الف اشارت باسم الله است ولام بلام جبريل وميم باسم محمد. يعني: الله جل جلاله بواسطة جبرائيل عليه السلام وحى فرستاد بحضرت محمد ﷺ].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بالألف إلى إلفة طبع المؤمنين بعضهم ببعض وباللام يشير إلى لؤم طبع الكافرين وبالميم إلى مغفرة رب العالمين فبالمجموع يشير إلى أن إلفة المؤمنين لما كانت من كرم الله وفضله بأن الله ألف بين قلوبهم انتهت إلى غاية حصلت إلفة ما بينهم وبين أهل الكتاب إذ كانوا يوماً ما من أهل الإيمان وإن كانوا اليوم خالين عن ذلك وإن لؤم الكافرين لما كان جبلياً لهم غلب عليهم حتى أنهم من لؤم طبعهم يعادي بعضهم بعضاً كمعاداة أهل الروم وأهل فارس مع جنسيتهم في الكفر وكانوا مختلفين في الإلفة متفقين على العداوة وقتل بعضهم بعضاً وإن مغفرة رب العالمين لما كانت من كرمه العميم وإحسانه القديم انتهت إلى غاية سلمت الفريقين ليتوب على العاتي من الحزبين ويعم للطائفتين خطاب إن الله يغفر الذنوب جميعاً انتهى. وفي «كشف الأسرار»: ألم ألف بلايانا من عرف كبريانا ولزم بابنا من شهد جمالنا ومكن من قربتنا من أقام على خدمتنا [اى جوانمرد دل باتوحيد او سپار وجان باعشق ومحبت او پردار وبغير او التفات مكن هركه بغير او باز نكرد تيغ غيرت دمار از جان اوبر آرد وهركه ازبلاى او بنالد دعوى دوستى درست نيايد. مردى بود در عهد پيشين مهترى از سلاطين دين اورا عامر بن قيس ميكفتند چنين مى آيدكه درنماز نافله پايهاى او خون سياه بكرفت كفتند پايها ببر تا اين فساد زيادت نشود كفت پسر عبد القيس كه باشدكه اورا بر اختيار حق اختيارى بود پس چون در فرائض ونوافل وى خلل آمد روى سوى آسمان كرد كفت پادشاها كرچه طاقت بلا دارم طاقت باز ماندن از خدمت نمى آرم پاى مى برم تا از خدمت باز نمانم آنكه كفت كسى را بخوانيد تا آيتى از قرآن برخواند چون بينيدكه در وجد وسماع حال بر ما بكردد شما بر كار خود مشغول باشيد پابها ازوى جدا كردند وداغ نهادند وآن مهتر دروجد وسماع آن چنان رفته بودكه ازان ألم خبر نداشت پس چون مقرى خاموش شد وشيخ بحال

خود باز آمد كفت اين پاى بريده بطلا بشوييد وبمشك وكافور معطر كنيدكه بردركاه خدمت هركز بربى وفايى كامى ننهاده است]. يقول الفقير: الألف من الم إشارة إلى عالم الأمر الذي هو المبدأ لجميع التعينات واللام إشارة إلى عالم الأرواح الذي هو الوسط بين الوجوديات والميم إشارة إلى عالم الملك الذي هو آخر التنزلات والاسترسالات. فكما أن فعل بالنسبة إلى أهل النحو مشتمل على حروف المخارج الثلاثة التي هي الحلق والوسط والفم. فكذا الم بالإضافة إلى أهل المحو محتو على حروف المراتب الثلاث التي هي الجبروت والملكوت والملك وفرق بين كلمتيها اللفظيتين كما بين كلمتيها المعنويتين إذ كلمة أهل المحو مستوية مرتبة وكلمة أهل النحو منحية غير مرتبة. ثم أسرار الحروف المقطعة والمتشابهات القرآنية مما ينكشف لأهل الله بعد الوصول إلى غاية المراتب وإن كان بعض لوازمها قد يحصل لأهل الوسط أيضاً فلا يطمع في حقائقها من توغل في الرسوم واشتغل بالعلوم عن المعلوم نسأل الله تعالى أن ينجينا من ورطات العلاقات الوجودية المانعة عن الأمور الشهودية.

﴿**غلبت الروم في أدنى الأرض**﴾ الغلبة القهر كما في «المفردات» والاستعلاء على القرن بما يبطل مقاومته في الحرب كما في «كشف الأسرار». والروم: تارة يقال للصنف المعروف وتارة لجمع رومي كفارسي وفرس وهم بنو روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام والروم الأول منهم بنو روم بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام. والفرس بسكون الراء قوم معروفون نسبوا إلى فارس بن سام بن نوح. وأدنى إلفه منقلبة عن واو لأنه من دنا يدنو وهو يتصرف على وجوه فتارة يعبر به عن الأقل والأصغر فيقابل بالأكثر والأكبر وتارة عن الأحقر والأذل فيقابل بالأعلى والأفضل وتارة عن الأول فيقابل بالآخر وتارة عن الأقرب فيقابل بالأبعد وهو المراد في هذا المقام أي: أقرب أرض العرب من الروم إذ هي الأرض المعهودة عندهم وهي أطراف الشام أو في أقرب أرض الروم من العرب على أن اللام عوض عن المضاف إليه وهي أرض جزيرة ما بين دجلة والفرات، والمعنى بالفارسية: [مغلوب شدند روميان يعني فارسيان برايشان غلب بردند درنزديكترين زمين كه عرب را باشد نسبت بزمين روم] وكان ملك الفرس يوم الغلبة ابرويز بن هرمز بن انوشروان بن قباذ صاحب شيرين وهو المعروف بخسرو وتفسير ابرويز بالعربية مظفر وتفسير انوشروان مجدد الملك وآخر ملوك الفرس الذي قتل في زمن عثمان رضي الله عنه هو يزدجر بن شهريار بن ابرويز المذكور وكان ملك الروم هرقل كسبحل وزبرج وهو أول من ضرب الدنانير وأول من أحدث البيعة. قيل: فارس والروم قريش العجم وفي الحديث: «لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لناله أصحاب فارس».

ـ روي ـ أن النبي عليه السلام كتب إلى قيصر ملك الروم يدعوه إلى الإسلام فقرأ كتابه ووضعه على عينيه ورأسه وختمه بخاتمه ثم أوثقه على صدره ثم كتب جواب كتابه إنا نشهد أنك نبي ولكنا لا نستطيع أن نترك الدين القديم الذي اصطفاه الله لعيسى عليه السلام فعجب النبي عليه السلام فقال: «لقد ثبت ملكهم إلى يوم القيامة أبداً» وقال لفارس: «نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها» والروم ذات قرون كلما ذهب قرن خلف قرن هيهات إلى آخر الأبد كما في «كشف الأسرار» وأما قوله: «إذا هلك قيصر لا قيصر بعده» فمعناه إذا زال ملكه عن الشام لا يخلفه فيه أحد وكان كذلك لم يبق إلا ببلاد الروم كما في «إنسان العيون» وكتب إلى كسرى ملك فارس وهو خسرو المذكور وكسرى معرب خسرو فمزق كتابه ورجع الرسول بعدما أراد

قتله فدعا عليه النبي عليه السلام أن يمزق كل ممزق فمزق الله ملكهم فلا ملك لهم أبداً ﴿وهم﴾ أي: الروم ﴿من بعد غلبهم﴾ أي: من بعد مغلوبيتهم على يد فارس فهو من إضافة المصدر إلى المفعول والفاعل متروك والأصل بعد غلبة فارس إياهم والغلب والغلبة كلاهما مصدر ﴿سيغلبون﴾ سيغلبون فارس.

﴿فِي بِضْعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ وَيَوْمَئِذٖ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾.

﴿في بضع سنين﴾ البضع بالفتح قطع اللحم وبالكسر المنقطع عن العشرة ويقال ذلك لما بين الثلاث إلى العشر وقيل بل هو فوق الخمس دون العشر. وفي «القاموس» ما بين الثلاث إلى التسع. وفي «كشف الأسرار» البضع اسم للثلاث والخمس والسبع والتسع. وفي «تفسير المناسبات»: وذلك من أدنى العدد لأنه في المرتبة الأولى وهو مرتبة الآحاد وعبر بالبضع ولم يعين إبقاء للعباد في ربقة نوع من الجهل تعجيزاً لهم انتهى [كفته اندكه ملك فارس يعني خسرو پرويز شهريار وفرخان را كه دو اميروى بودند ودوبرادر بالشكر كران فرستاد وملك روم يعني هرقل چون خبر يافت ازتوجه عسكر فارس خنس نام اميرش مهتر كرد بر لشكر خويش وفرستاد هردو لشكر بازرعات بهم رسيدند] وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم فغلب الفرس على الروم وأخذوا من أيديهم بعض بلادهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا: أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون لأن فارس كانوا مجوساً وقد ظهر إخواننا على إخوانكم فلنظهرن عليكم فشق ذلك على المسلمين واغتموا فأنزل الله الآية وأخبر أن الأمر يكون على غير ما زعموا فقال أبو بكر رضي الله عنه للمشركين: لا يقرّنّ الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال أبيّ بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا أجلاً أناحبك عليه والمناحبة المخاطرة فناحبه على عشرة ناقة شابة من كل واحد منهما يعني: [ضمان از يكديكر بستند هرآن يكى كه راست كوى بود آن ده شتربستاند ازان ديكر] وجعلا الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رضي الله عنه رسول الله ﷺ فقال: البضع ما بين الثلاث إلى التسع» فزايده في الخطر وماده في الأجل فجعلاهما مائة ناقة إلى تسع سنين فلما خشي أبي أن يخرج أبو بكر مهاجراً إلى المدينة أتاه فلزمه فكفل له عبد الرحمٰن بن أبي بكر رضي الله عنهما فلما أراد أبي أن يخرج إلى أحد أتاه محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما ولزمه فأعطاه كفيلاً ثم خرج إلى أحد ومات أبي من جرح برمح رسول الله بعد قفوله أي: رجوعه من أحد وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين [وآن چنان بودكه چون شهريار وفرخان بر بعضى بلاد روم مستولى كشتند پرويز بغمازىء ارباب غرض بردو برادر متغير كشت وخواستند كه يكى را بدست ديكر هلاك كند وهردو بر صورت حال واقف شده كيفيت بقيصر روم عرضه كردند ودين ترسايى اختيار نمودند سپهدار لشكر روم شدند وفار سيانرا مغلوب ساخته بعضى از بلاد ايشان بكر فتند وشهرستان روميه آنكه بنا كرند] ووقع ذلك يوم الحديبية. وفي الوسيط فجاءه جبريل بهزيمة فارس وظهور الروم عليهم ووافق ذلك يوم بدر انتهى وأخذ أبو بكر الخطر من ورثة أبي فجاء به رسول الله فقال: تصدق به [أبو بكر رضي الله عنه آن همه بصدقه بداد بفرمان رسول] وكان ذلك قبل تحريم القمار بقوله تعالى: ﴿ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ

وَالْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَٰنِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] والقمار أن يشترط أحد المتلاعبين في اللعب أخذ شيء من صاحبه إن غلب عليه والتفصيل في كراهية الفقه. والآية من دلائل النبوة لأنها إخبار عن الغيب. ثم إن القراءة المذكورة هي القراءة المشهورة. ويجوز أن يكون غلبت على البناء للفاعل على أن الضمير لفارس والروم مفعوله أي: غلبت فارس الروم وهم أي: فارس من بعد غلبهم للروم سيغلبون على البناء للمفعول أي: يكونون مغلوبين في أيدي الروم ويجوز أن يكون الروم فاعل غلبت على البناء للفاعل أي: غلبت الروم أهل فارس وهم أي: الروم بعد غلبهم سيغلبون على المجهول أي: يكونون مغلوبين في أيدي المسلمين فكان ذلك في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه غلبهم على بلاد الشام واستخرج بيت المقدس لما فتح على يد عمر رضي الله عنه في سنة خمس عشرة أو ست عشرة من الهجرة واستمر بأيدي المسلمين أربعمائة سنة وسبعاً وسبعين سنة ثم تغلب عليه الفرنج واستولوا عليه في شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة من الهجرة واستمر بأيديهم إحدى وتسعين سنة إلى أن فتحه الله على يد الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في يوم الجمعة سابع عشر رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فامتدحه القاضي محيي الدين بن البركة قاضي دمشق بقصيدة منها:

فتوحكم حلبا بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب

فكان كما قال وفتح القدس في رجب كما تقدم فقيل له: من أين لك هذا فقال: أخذته من تفسير ابن مرجان في قوله تعالى: ﴿**الم * غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين**﴾ وكان الإمام أبو الحكم بن مرجان الأندلسي قد صنف تفسيره المذكور في سنة عشرين وخمسمائة وبيت المقدس يومئذٍ بيد الإفرنج لعنهم الله تعالى واستخرج الشيخ سعد الدين الحموي من قوله تعالى: ﴿**في أدنى الأرض**﴾ مغلوبية الروم سنة ثمانمائة فغلب تيمور على الروم. يقول الفقير: لا يزال ظهور الغالبية أو المغلوبية في البضع سواء كان باعتبار المئات أو باعتبار الآحاد وقد غلب أهل الإسلام مرة في تسع وثمانين بعد الألف كما أشار إليه غالبون المفهوم من سيغلبون وغلبهم الكفار في السابعة والتسعين بعد الألف على ما أشار إليه أدنى الأرض يقال ما من حادثة إلا إليها إشارة في كتاب الله بطريق علم الحروف ولا تنكشف إلا لأهله قال علي كرم الله وجهه:

العلم بالحرف سر الله يدركه من كان بالكشف والتحقيق متصفا

﴿**لله**﴾ وحده ﴿**الأمر من قبل ومن بعد**﴾ أي: في أول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين. والمعنى أن كلاً من كونهم مغلوبين أولاً وغالبين آخراً ليس إلا بأمر الله وقضائه وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴿**ويومئذٍ**﴾ أي: يوم إذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم ﴿**يفرح المؤمنون**﴾ [شاد خواهند شدن مؤمنان]. قال الراغب: الفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة وأكثر ما يكون ذلك في اللذات البدنية الدنيوية ولم يرخص في الفرح إلا في قوله ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨] وقوله ﴿**ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله**﴾ أي: بتغليب من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وكون ذلك من دلائل غلبة المؤمنين على الكفرة فالنصرة في الحقيقة لكونها منصباً شريفاً ليست إلا للمؤمنين. وقال بعضهم يفرح المؤمنون بقتل الكفار بعضهم بعضاً لما فيه من كسر شوكتهم

وتقليل عددهم لا بظهور الكفار كما يفرح بقتل الظالمين بعضهم بعضاً. وفي «كشف الأسرار»: اليوم ترح وغداً فرح. اليوم عبرة وغداً خبرة. اليوم أسف وغداً لطف. اليوم بكاء وغداً لقاء [هرچندكه دوستانرا امروز درين سراى بلا وعنا همه دردست واندوه همه حسرت وسوز اما آن اندوه وسوزرا بجان ودل خريدار آيد وهرچه معلوم ايشانست فداى آن دردمى كنند. چنانكه آن جوانمرد كفته اكنون بارى بنقدى دردى دارم كه آن درد بصدهزار درمان ندهم داود پيغمبر عليه السلام چون آن زلت صغيره ازوى برفت واز حق بدو عتاب آمد تازنده بود سربر آسمان نداشت ويكساعت از تضرع نياسود با اين همه مكفت الهي خوش معجونى كه اينست وخوش دردى كه اينست الهى تخمى ازين كريه واندوه در سينهٔ من بنه تاهر كز ازين دردخالى نباشم. اي مسكين توهميشه بى درد بودهٔ از سوز درد زدكان خبر ندارى ازان كريه پرشادى وازان خنده پر اندوه نشانى نديدهٔ]:

من كريه بخنده درهمى پيوندم پنهان كريم وبآشكارا خندم
اى دوست كمان مبركه من خرسندم آكاه نهٔ كه من نياز مندم

﴿ينصر من يشاء﴾ أن ينصره من ضعيف وقوي من عباده استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ ﴿وهو العزيز﴾ المبالغ في العزة والغلبة فلا يعجزه من يشاء أن ينصر عليه كائناً من كان ﴿الرحيم﴾ المبالغ في الرحمة فينصر من يشاء أن ينصره أي: فريق كان أو لا يعز من عادى ولا يذل من والى كما في «المناسبات» وهو محمول على أن المراد بالنصر نصر المؤمنين على المشركين في غزوة بدر كما أشير إليه من الوسيط. وفي «الإرشاد» المراد من الرحمة هي الرحمة الدنيوية إما على القراءة المشهورة فظاهر لأن كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الدنيوية وإما على القراءة الأخيرة فلأن المسلمين وإن كانوا مستحقين لها لكن المراد بها نصرهم الذي هو من آثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾.

﴿وعد الله﴾ مصدر مؤكد لنفسه لأن ما قبله وهو ويومئذٍ الخ في معنى الوعد إذ الوعد هو الإخبار بإيقاع شيء نافع قبل وقوعه وقوله ويومئذٍ الخ من هذا القبيل ومثل هذا المصدر يجب حذف عامله والتقدير وعد الله وعداً يعني انظروا وعد الله ثم استأنف تقرير معنى المصدر فقال: ﴿لا يخلف الله وعده﴾ لا هذا الذي في أمر الروم ولا غيره مما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة الكذب عليه سبحانه ﴿ولكن أكثر الناس﴾ وهم المشركون وأهل الاضطراب ﴿لا يعلمون﴾ صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم في شؤون الله تعالى.

﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ وهو ما يشاهدونه من زخارفها وملاذها وسائر أحوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لأهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها وتنكير ظاهراً للتحقير والتخسيس أي: يعلمون ظاهراً حقيراً خسيساً من الدنيا. قال الحسن: كان الرجل منهم يأخذ درهماً ويقول وزنه كذا ولا يخطىء وكذا يعرف رداءته بالنقد. وقال الضحاك: يعلمون بنيان قصورها وتشقيق أنهارها وغرس أشجارها ولا فرق بين عدم العلم وبين العلم المقصور

على الدنيا. وفي «التيسير» قوله: ﴿لا يعلمون﴾ نفي للعلم بأمور الدين وقوله: ﴿يعلمون﴾ إثبات للعلم بأمور الدنيا فلا تناقض لأن الأول نفي الانتفاع بالعلم بما ينبغي والثاني صرف العلم إلى ما لا ينبغي ومن العلم القاصر أن يهيىء الإنسان أمور شتائه في صيفه وأمور صيفه في شتائه وهو لا يتيقن بوصوله إلى ذلك الوقت ويقصر في الدنيا في إصلاح أمور معاده ولا بد له منها ﴿وهم عن الآخرة﴾ التي هي الغاية القصوى والمطلب الأسنى ﴿هم غافلون﴾ لا يخطرونها بالبال ولا يدركون من الدنيا ما يؤدي إلى معرفتها من أحوالها ولا يتفكرون فيها. ﴿وهم﴾ الثانية تكرير للأولى للتأكيد يفيد أنهم معدن الغفلة عن الآخرة أو مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر للأولى.

وفي الآية تشبيه لأهل الغفلة بالبهائم المقصور إدراكاتها من الدنيا على الظواهر الحسية دون أحوالها التي هي من مبادىء العلم بأمور الآخرة وغفلة المؤمنين بترك الاستعداد لها وغفلة الكافرين بالجحود بها. قال بعضهم: من كان عن الآخرة غافلاً كان عن الله أغفل ومن كان عن الله غافلاً فقد سقط عن درجات المتعبدين [در خبراست كه فردا در انجمن رستاخيز وعرصهٔ عظمى دنيارا بيارند بصورت پيره زنى آراسته كويد بار خدايا امروز مر اجزاى كمتر بنده كن از بندكان خود از دركاه عزت وجناب جبروت فرمان آيدكه اى ناچيز خسيس من راضى نباشم كه كمترين بندهٔ از بندكان خودرا باچون تو جزاى وى دهم آنكه كويد «كوني ترابا» يعني خاك كرد ونيست شوچنان نيست شودكه هيچ جاى بديد نيايد. وكفته اند طالبان دنيا سه كروه اند. كروهى دردنيا از وجه حرام كردكنند چون دست رسد بغصب وقهر بخود مى كشند واز سر انجام وعاقبت آن نيند يشندكه ايشان اهل عقابند وسزاى عذاب مصطفى عليه السلام كفت كسى كه در دنيا حلال جمع كند از بهر تفاخر وتكاثر تاكردن كشد وبر مردم تطاول جوايد رب العزة ازوى اعراض كند ودر قيامت باوى بخشم بوداوكه دردنيا حلال جمع كرد برنيت تفاخر حالش اينست پس اوكه حرام طلب كند وحرام كيرد وخورد حالش خود چون بود. كروه دوم دنيا بدست آرند ازوجه مباح چون كسب وتجارات وچون معاملات ايشان اهل حسابند در مشيت حق در خبرست كه «من نوقش في الحساب عذب». كروه سوم از دنيا بسد جوعت وستر عورت قناعت كنند مصطفى عليه السلام «ليس لابن آدم حق فيما سوى هذه الخصال بيت يكنه وثوب يواري عورته وجرف الخبز والماء» يعني از كسر الخبز ايشانرا نه حسابست ونه عتاب ايشانندكه چون سر ازخاك بركنند رويهاى ايشان چون ماه چهارده بود]. قال بعضهم: الآية وصف المدعين الذين هم عارفون بالأمور الظاهرة والأحكام الدنيوية محجوبون عن معاملات الله غافلون عما فتح الله على قلوب أوليائه الذين غلب عليهم شوق الله وأذهلهم حب الله عن تدابير عيش الدنيا ونظام أمورها ولذلك قال عليه السلام: «أنتم أعلم بأمور دنياكم وأنا أعلم بأمور آخرتكم».

وفي «التأويلات النجمية»: قوله: ﴿غلبت الروم﴾ فيه إشارة إلى أن حال أهل الطلب يتغير بحسب الأوقات ففي بعض الأحوال يغلب فارس النفس على روم القلب للطالب الصادق فينبغي أن لا يزل هذا قدمه عن صراط الطلب ويكون له قدم صدق عند ربه بالثبات واثقاً ﴿وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ أي: سيغلب روم القلب على فارس النفس بتأييد الله ونصرته ﴿في بضع سنين﴾ من أيام الطلب ﴿لله الأمر من قبل﴾ يعني غلبة فارس النفس على روم القلب أولاً

كانت بحكم الله وتقديره وله في ذلك حكمة بالغة في صلاح الحال والمآل ألا يرى أن فارس نفس جميع الأنبياء والأولياء في البداية غلبت على روم قلبهم ثم غلبت روم قلبهم على فارس نفسهم ﴿ومن بعد﴾ يعني غلبة روم القلب على فارس النفس أيضاً بحكم الله فإنه يحكم لا معقب لحكمه ﴿ويومئذٍ﴾ يعني يوم غلبت الروم ﴿يفرح المؤمنون﴾ يعني الروح والسر والعقل ﴿بنصر الله﴾ القلب على النفس وبنصر الله المؤمنين على الكافرين ﴿وهو العزيز﴾ فبعزته يعز أولياءه ويذل أعداءه ﴿الرحيم﴾ برحمته ينصر أهل محبته وهم أرباب القلوب ﴿وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس﴾ من ناسي ألطافه ﴿لا يعلمون﴾ صدق وعده ووفاء عهده لأنهم ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ يجدون ذوق حلاوة عسل شهوات الدنيا بالحواس الظاهرة ﴿وهم عن الآخرة﴾ وكمالاتها ووجدان شوق شهواتها بالحواس الباطنة وأنها موجبة للبقاء الأبدي وإن عسل شهوات الدنيا مسموم مهلك ﴿هم غافلون﴾ لاستغراقهم في بحر البشرية وتراكم أمواج أوصافها الذميمة انتهى، قال الكمال الخجندي:

جهان وجمله لذاتش بزنبور عسل مانـد
كه شيرينيش بسيارست وزان افزون شر وشورش

عصمنا الله وإياكم من الانهماك في لذات الدنيا.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

﴿أولم يتفكروا في أنفسهم﴾ الواو للعطف على مقدر، والتفكر تصرف القلبُ في معاني الأشياء لدرك المطلوب وهو قبل أن يتصفى اللب والتذكر بعده ولذا لم يذكر في كتاب الله تعالى مع اللب إلا التذكر. قال بعض الأدباء: الفكر مقلوب الفرك لكن يستعمل الفكر في المعاني وهو فرك الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها قوله: ﴿في أنفسهم﴾ ظرف للتفكر وذكره في ظهور استحالة كونه في غيرها لتصوير حال المتفكر فهو من بسط القرآن نحو يقولون بأفواههم والمعنى أقصر كفار مكة نظرهم على ظاهر الحياة الدنيا ولم يحدثوا التفكر في قلوبهم فيعلموا أنه تعالى ﴿ما خلق الله السموات﴾ الأجرام العلوية وكذا سموات الأرواح ﴿والأرض﴾ الأجرام السفلية وكذا أرض الأجسام ﴿وما بينهما﴾ من المخلوقات والقوى ملتبسة بشيء من الأشياء ﴿إلا﴾ ملتبسة ﴿بالحق﴾ والحكمة والمصلحة ليعتبروا بها ويستدلوا على وجود الصانع ووحدته ويعرفوا أنها مجالي صفاته ومرائي قدرته وإنما جعل متعلق الفكر والعلم هو الخلق دون الخالق لأن الله تعالى منزه عن أن يوصف بصورة في القلب ولهذا روى «تفكروا في آلاء الله تعالى ولا تفكروا في ذات الله»، وفي «المثنوي»:

عالم خلقست باسوى جهات ... بى جهت دان عالم امر وصفات
بى تعلق نيست مخلوقى بدو ... آن تعلق هست بيچون اى عمو
اين تعلق را خرد چون پى برد ... بستهٔ فصلست ووصلست اين خرد
زين وصيت كرد مارا مصطفى ... بحث كم جوييد در ذات خدا

آنكه در ذاتش تفكر كردنيست | در حقيقت آن نظر درذات نيست
هست آن پندار اوزيرا براه | صد هزاران پرده آمد تا اله
هريكى در بردهٔ موصول جوست | وهم او آنست كه آن عين هوست
پس پيمبر دفع كرد اين وهم ازو | تانباشد در غلط سودا بزاو
در عجائبهاش فكر اندر رويد | از عظيمى وزمهابت كم شويد
چونكه صنعش ريش وسبلت كم كند | حد خود داند زصانع تن زند
جزكه لا احصى نكويد ازجان | كز شمار وحد برونست آن بيان

ثم إنه لما كان معنى الحق في أسماء الله تعالى هو الثابت الوجود على وجه لا يقبل الزوال والعدم والتغير كان الجاري على ألسنة أهل الفناء من الصوفية في أكثر الأحوال هو الاسم الحق لأنهم يلاحظون الذات الحقيقية دون ما هو هالك في نفسه وباطل في ذاته وهو ما سوى الله تعالى ﴿**وأجل مسمى**﴾ عطف على الحق أي: وبأجل معين قدره الله تعالى لبقائها لا بد لها من أن تنتهي إليه وهو وقت قيام الساعة ﴿**وإن كثيراً من الناس**﴾ مع غفلتهم عن الآخرة وإعراضهم عن التفكر فيما يرشدهم إلى معرفتها ﴿**بلقاء ربهم**﴾ أي: بلقاء حسابه وجزائه بالبعث والباء متعلق بقوله: ﴿**لكافرون**﴾ أي: منكرون جاحدون يحسبون أن الدنيا أبدية وأن الآخرة لا تكون بحلول الأجل المسمى.

﴿**أولم يسيروا**﴾ أهل مكة والسير المضي في الأرض ﴿**في الأرض فينظروا**﴾ أي: أقعدوا في أماكنهم ولم يسيروا فينظروا أي: قد ساروا وقت التجارات في أقطار الأرض وشاهدوا ﴿**كيف كان عاقبة الذين من قبلهم**﴾ من الأمم المهلكة كعاد وثمود والعاقبة إذا أطلقت تستعمل في الثواب كما في قوله تعالى: ﴿**والعاقبة للمتقين**﴾ وبالإضافة قد تستعمل في العقوبة كما في هذه الآية وهي آخر الأمر، وبالفارسية: [سرانجام] ثم بين مبدأ أحوال الأمم ومآلها فقال: ﴿**كانوا أشد منهم قوة**﴾ يعني: أنهم كانوا أقدر من أهل مكة على التمتع بالحياة الدنيا حيث كانوا أشد منهم قوة ﴿**وأثاروا الأرض**﴾ يقال ثار الغبار والسحاب انتشر ساطعاً وقد أثرته فالإثارة تحريك الشيء حتى يرتفع غباره، وبالفارسية: [برانكيختن كرد وشورانيدن زمين وميغ آوردن باد] كما في «تاج المصادر»، والثور اسم البقر الذي يثار به الأرض فكأنه في الأصل مصدر جعل في موضع الفاعل والبقر من بقر إذا شق لأنها تشق الأرض بالحراثة ومنه قيل لمحمد بن الحسين بن علي الباقر لأنه شق العلم ودخل فيه مدخلاً بليغاً. والمعنى وقلبوا الأرض للزراعة والحراثة واستنباط المياه واستخراج المعادن ﴿**وعمروها**﴾ العمارة نقيض الخراب أي: عمروا الأرض بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها مما يعد عمارة لها ﴿**أكثر مما عمروها**﴾ أي: عمارة أكثر كما وكيفا وزماناً من عمارة هؤلاء المشركين. يعني: أهل مكة إياها كيف لا وهم أهل واد غير ذي زرع لا تنشط لهم في غيره ﴿**وجاءتهم رسلهم بالبينات**﴾ بالمعجزات والآيات الواضحات فكذبوهم فأهلكهم الله تعالى ﴿**فما كان الله**﴾ بما فعل بهم من العذاب والإهلاك ﴿**ليظلمهم**﴾ من غير جرم يستدعيه من جانبهم ﴿**ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾ بما اجترأوا على اكتساب المعاصي الموجبة للهلاك.

﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠﴾

﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا﴾ أي: عملوا السيئات، وبالفارسية: [بدكردند يعنى كافر شدند] ﴿السوأى﴾ أي: العقوبة التي هي أسوء العقوبات وأفظعها وهي العقوبة بالنار فإنها تأنيث الأسوأ كالحسنى تأنيث الأحسن أو مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كأنها نفس السوأى. وقيل السوأى اسم لجهنم كما أن الحسنى اسم للجنة وإنما سميت سوأى لأنها تسوء صاحبها، قال الراغب: السوء كل ما يعم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ومن الأحوال النفسية والبدنية والخارجة من فوات مال وفقد حميم وعبر بالسوأى عن كل ما يقبح ولذلك قوبل بالحسنى قال: ﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى﴾ كما قال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: ٢٦] انتهى. والسوأى مرفوعة على أنها اسم كان وخبرها عاقبة وقرىء على العكس وهو أدخل في الجزالة كما في «الإرشاد» ﴿أن كذبوا بآيات الله﴾ علة لما أشير إليه من تعذيبهم الدنيوي والأخروي أي: لأن كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله ومعجزاته الظاهرة على أيديهم ﴿وكانوا بها يستهزئون﴾ عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلة وإيراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره وتجدده. وحاصل الآيات: أن الأمم السالفة المكذبة عذبوا في الدنيا والآخرة بسبب تكذيبهم واستهزائهم وسائر معاصيهم فلم ينفعهم قوتهم ولم يمنعهم أموالهم من العذاب والهلاك فما الظن بأهل مكة وهم دونهم في العدد والعدد وقوة الجسد.

واعلم أن طبع القلوب والموت على الكفر مجازاة على الإساءة كما قال ابن عيينة أن لهذه الذنوب عواقب سوء لا يزال الرجل يذنب فينكت على قلبه حتى يسوّد القلب كله فيصير كافراً والعياذ بالله، وفيه إشارة إلى طلبة العلم الذين يشرعون في علوم غير نافعة بل مضرة مثل الكلام والمنطق والمعقولات فيشوش عليهم عقيدتهم على مذهب أهل السنة والجماعة وإن وقعوا في أدنى شك وقعوا في الكفر:

علم بى دينان رهاكن جهل را حكمت مخوان

ازخيـــالات وظـــنـــون اهـــل يـــونـــان دم مـــزن

فمن كان له نور الإيمان الحقيقي بالسير والسلوك ينظر كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من حكماء الفلاسفة أنهم كانوا أشد منهم قوة في علم القال وأثاروا الأرض البشرية بالرياضة والمجاهدة وعمروها بتبديل الأخلاق والاستدلال بالدلائل العقلية والبراهين المنطقية أكثر مما عمروها المتأخرون لأنهم كانوا أطول أعماراً منهم فوسوس لهم الشيطان وغرهم بعلومهم العقلية واستبدت نفوسهم بها وظنوا أنهم غير محتاجين إلى الشرائع ومتابعة الأنبياء وجاءتهم رسلهم بالمعجزات الظاهرة فنسبوها إلى السحر والنيرنج واعتمدوا على مسولات أنفسهم من الشبهات بحسبان أنها من البراهين القاطعة فأهلكهم الله في أودية الشكوك والحسبان فما كان الله ليظلمهم بالابتلاء بهذه الآفات بأن يكلهم إلى وساوس الشيطان وهواجس نفوسهم ولا يرسل إليهم الرسل ولم ينزل معهم الكتب ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بتكذيب الأنبياء ومتابعة الشيطان وعبادة الهوى ثم كان عاقبة أمر الفلاسفة لما أساءوا بتكذيب الأنبياء السوأى بأن صاروا أئمة الكفر وصنفوا الكتب في الكفر وأوردوا فيها الشبهات على بطلان ما جاء به الأنبياء من الشرائع والتوحيد وسموها الحكمة وسموا أنفسهم الحكماء فالآن بعض المتعلمين من الفقهاء إما لوفور حرصهم على العلم والحكمة وإما لخباثة الجوهر ليتخلصوا من تكاليف الشرع

يطالعون تلك الكتب ويتعلمونها وبتلك الشبهات التي دونوا بها كتبهم يهلكون في أودية الشكوك ويقعون في الكفر وهذه الآفة وقعت في الإسلام من المتقدمين والمتأخرين منهم وكم من مؤمن عالم قد فسدت عقدتهم بهذه الآفة وأخرجوا ربقة الإسلام من عنقهم فصاروا من جملتهم ودخلوا في زمرتهم ولعل هذه الآفة تبقى في هذه الأمة إلى قيام الساعة فإن في كل يوم يزداد تقل طلبة علوم الدين من التفسير والحديث والمذهب وتكثر طلبة علوم الفلسفة والزندقة ويسمونها الأصول والكلام:

علم دين فقهست وتفسير وحديث هركه خواند غير ازين كردد خبيث

وقد قال الشافعي رحمه الله: من تكلم تزندق ثم وبال هذه جملة إلى قيام الساعة يكتب في ديوان من سن هذه السنة السيئة ومن أوزار من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء على أن كذبوا بالقرآن وسموا الأنبياء عليهم السلام أصحاب النواميس وسموا الشرائع الناموس الأكبر عليهم لعنات الله تترى كذا في «تأويلات» حضرة الشيخ نجم الدين قدس سره.

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿الله يبدأ الخلق﴾ يخلقهم أولاً في الدنيا وهو الإنسان المخلوق من النطفة **﴿ثم يعيده﴾** بعد الموت إحياء كما كانوا أي: يحييهم في الآخرة ويبعثهم وتذكير الضمير باعتبار لفظ الخلق **﴿ثم إليه﴾** أي: إلى موقف حسابه تعالى وجزائه **﴿ترجعون﴾** تردون لا إلى غيره والالتفات للمبالغة في الترهيب. وقرىء بياء الغيبة والجمع باعتبار معنى الخلق.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿ويوم تقوم الساعة﴾ التي هي وقت إعادة الخلق ورجعهم إليه للجزاء. والساعة جزء من أجزاء الزمان عبر بها عن القيامة تشبيهاً لها بذلك لسرعة حسابها كما قال: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢] أو لما نبه عليه قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ [الأحقاف: ٣٥] **﴿يبلس المجرمون﴾** يسكنون سكوت من انقطع عن الحجة متحيرين آيسين من الاهتداء إلى الحجة أو من كل خير. قال الراغب الإبلاس الحزن المعترض من شدة اليأس ومنه اشتق إبليس ولما كان المبلس كثيراً ما يلزم السكوت وينسى ما يعينه. قيل: أبلس فلان إذا سكت وانقطعت حجته **﴿ولم يكن لهم من شركائهم﴾** أوثانهم التي عبدوها رجاء الشفاعة **﴿شفعاء﴾** يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه في علم الله وصيغة الجمع لوقوعها في مقابلة الجمع أي: لم يكن لكل واحد منهم شفيع أصلاً وكتب في المصحف شفعواء بواو قبل الألف كما كتب علمواء بني إسرائيل في الشعراء والسوأى بالألف قبل الياء إثباتاً للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها **﴿وكانوا بشركائهم كافرين﴾** يكفرون بآلهتهم حيث يئسوا منهم. يعني: [چون ازمطلوب نا اميد كردند ازايشان بيزار شوند].

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿ويوم تقوم الساعة﴾ أعيد لتهويله وتفظيع ما يقع فيه **﴿يومئذٍ﴾** [آن هنكام] **﴿يتفرقون﴾**

تهويل له أثر تهويل. وفيه رمز إلى أن التفرق يقع في بعض منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم وإعادتهم ورجوعهم لا المجرمين خاصة. والمعنى: يتفرق المؤمنون والكافرون بعد الحساب إلى الجنة والنار فلا يجتمعون أبداً. قال الحسن رحمه الله: لئن كانوا اجتمعوا في الدنيا ليتفرقن يوم القيامة هؤلاء في أعلى عليين وهؤلاء في أسفل سافلين [يكى در درجهٔ وصلت يكى در دركه فرقت آن بر سرير محبت واين بر حصير محنت آنرا انواع ثواب واين را أصناف عقاب جمعى ازدولت تلاقى نازان وبرخى برآتش فراق كدازان]:

يكى خندان بصدر عشرت — يكى نالان بصد عسرت
يكى در راحت وصلت — يكى در شدت هجرت

قال أبو بكر بن طاهر قدس سره: يتفرق كل إلى ما قدر له من محل السعادة ومنزل الشقاوة ومن كان تفرقته إلى الجمع كان مجموع السر ثم لا يألف الخلق أبداً فينقلب إلى محل السعداء ومن كان تفرقته إلى الفرق كان متفرق السر ثم لا يألف الحق أبداً فيرجع إلى محل أهل الشقاوة، ثم فصل أحوال الفريقين وكيفية تفرقهم فقال:

﴿**فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة**﴾ عظيمة وهي كل أرض ذات نبات وماء ورونق ونضارة والمراد بها الجنة، قال الراغب: الروض مستنقع الماء والخضرة وفي روضة عبارة عن رياض الجنة وهي محاسنها وملاذها انتهى. وخص الروضة بالذكر لأنه لم يكن عند العرب شيء أحسن منظراً ولا أطيب نشراً من الرياض. ففيه تقريب المقصود من إفهامهم. والمعنى بالفارسية: [پس ايشان در مر غزارهاى مشتمل برازهار وانهار] ﴿**يحبرون**﴾ يسرون سروراً تهللت له وجوههم، يعني: [شادمان كردانيده باشند چنان شادمانى كه اثر آن بر صفحات وجنات ايشان ظاهر باشد] فالحبور السرور يقال حبره إذا سره سروراً تهلل له وجهه. وفي «المفردات» يفرحون حتى يظهر عليهم حبار نعيمهم أي: أثره يقال حبر فلان بقي بجلده أثر من قرح. والحبر العالم لما يبقى من أثر علومه في قلوب الناس ومن آثار أفعاله الحسنة المقتدى بها وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين رضي الله عنه بقوله: «العلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة» ويقال التحبير التحسين الذي يسربه يقال للعالم حبر لأنه يتخلق بالأخلاق الحسنة. وللمداد حبر لأنه يحسن به الأوراق فيكون الحبرة كل نعمة حسنة. قال في «الإرشاد»: واختلف فيه الأقاويل لاختلاف وجوه. فعن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد يكرمون. وعن قتادة ينعمون. وعن ابن كيسان يحلون. وعن أبي بكر بن عياش يتوّجون [متوج سازندشان]. وعن وكيع يسرون بالسماع، يعني: [آواز خوش شنوانند ايشانرا وهيچ لذت برابر سماع نيست. در خبراست كه ابكار بهشت تغنى كنند بأصواتي كه خلائق مثل آن نشنيده باشد واين افضل نعيم بهشت بود از ابى درداء رضي الله عنه را پرسيدندكه مغنيات بهشت بچه چيز تغنى كنند فرموده كه بالتسبيح. از يحيى بن معاذ رازى رضي الله عنه را پرسيدندكه از آوزها كدام دوستر دارى فرمود مزامير انس في مقاصير قدس بالحان تحميد في رياض تمجيد].

ـ وروي ـ أن في الجنة أشجاراً عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع يهب الله ريحاً من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طرباً وفي الحديث: «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين منها كما بين السماء

والأرض والفردوس أعلاها سمواً وأوسطها محلاً ومنها يتفجر أنهار الجنة وعليها يوضع العرش يوم القيامة» فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله إني رجل حبب إليّ الصوت فهل في الجنة صوت حسن؟ فقال: «أي نعم والذي نفسي بيده إن الله سبحانه ليوحي إلى شجرة في الجنة أن أسمعي عبادي الذين اشتغلوا بعبادتي وذكري عن عزف البرابط والمزامير فترفع صوتاً لم يسمع الخلائق مثله قط من تسبيح الرب وتقديسه» [فردا دوستان خدا در روضات بهشت ميان رياحين انس بشادى وطرب سماع كنند فرمان آيد بداود عليه السلام كه يا داود بآن نغمه؟ دلپذير وصوت شوق انكيز كه ترا داده ايم زبور بخوان. أي: موسى تلاوت تورات كن. أي: عيسى بتلاوت انجيل مشغول شو. اي درخت طوبى آواز دل آراى بتسبيح ما بكشاي. اي اسرافيل توقرآن آغازكن]. قال الأوزاعي: ليس أحد من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم [اى ماه رويان فردوس چه نشينيد خيزيد ودوستانرا اقبال كنيد. أي تلهاى مشك اذفر وكافور معنبر برسر مشتاقان ما نثار شويد. أي درويشان كه دردنيا غم خورديد اندوه بسر آمدودرخت شادى ببر آمد خيزيد وطرب كنيد در حظيره• قدس وخلوتكاه انس بنازيد. أي مستان مجلس مشاهده. أي مخمور خمر عشق. أي عاشقان سوخته كه سحر كاهان در ركوع وسجود چون خون ازديدها روان كرده ودلها باميد وصال ما تسكين داده كاه آن آمدكه در مشاهده ما بياساييد بارغم ازخود فرونهيد وبشادى دم زنيد. أي طالبان ساكن شويد كه نقد تزديكست. أي شب روان آرام كيريد كه صبح نزديكست. أي مشتاقان طرب كنيدكه ديدار نزديكست] فيكشف الحجاب ويتجلى لهم تبارك وتعالى في روضة من رياض الجنة ويقول: أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي فهذا محل كرامتي فسلوني:

روزى كه سرا پرده برون خواهى كرد دانم كه زمانه را زبون خواهى كرد
كر زيب وجمال ازين فزون خواهى كرد يا رب چه جكر هست كه خون خواهى كرد

[حاصل سخن آنكه شريفترين لذتي بعد ازمشاهده انوار تجلى دربهشت سماع خواهد بود وازينجا كفته آن عزيز در شرح مثنوى كه سماع منادى است كه درماندكان بيابان محنت افزاى دنيارا از عشرت آباد بهشت نورانى ياد ميدهد]:

مؤمنان كويند كاثار بهشت نغز كردانيد هر آواز زشت
ما همه اجزاء آدم بوده ايم دربهشت آن لحن را بشنوده ايم
كرچه برما ريخت آب وكل شكى ياد ما آيد ازانها اندكى
پس نى وچنك ورباب وسازها چيزكى ماند بدان آوزها
عاشقان كين نغمهارا بشنوند خزؤ بكذا رند وسوى كل روند

قال بعض العارفين: إن الله تعالى بجوده وجلاله يطيب أوقات عشاقه بكل لسان في الدنيا وكل صوت حسن في الآخرة ورب روضة في الدنيا للعارف العاشق الصادق يرى الحق فيها ويسمع منه بغير واسطة وربما كان بواسطة فيسمعه الحق من ألسنة كل ذرة من العرش إلى الثرى أصواتاً قدوسية وخطابات سبوحية. قال جعفر: فابدأ به في صباحك وبه فاختتم في مسائك فمن كان به ابتداؤه وإليه انتهاؤه لا يشقى فيما بينهما. قال البقلي رحمه الله: وصف الله أهل الحبور بالإيمان والعمل الصالح فأما إيمانهم فشهود أرواحهم مشاهد الأزل في أوائل

ظهورها من العدم. وأما أعمالهم الصالحة فالعشق والمحبة والشوق فآخر درجاتهم في منازل الوصال الفرح بمشاهدة الله والسرور بقربه وطيب العيش لسماع كلامه يطربهم الحق بنفسه أبد الآبدين في روح وصاله وكشف جماله.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ القرآنية التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل ﴿ولقاء الآخرة﴾ أي: البعث بعد الموت صرح بذلك مع اندراجه في تكذيب الآيات للاعتناء بأمره ﴿فأولئك﴾ الموصوفون بالكفر والتكذيب ﴿في العذاب محضرون﴾ مدخلون على الدوام لا يغيبون عنه أبداً. قال بعضهم: الإحضار إنما يكون على إكراه فيجاء به على كراهة أي: يحضرون العذاب في الوقت الذي يحبر فيه المؤمنون في روضات الجنان فيكونون على عذاب وويل وثبور كما يكون المؤمنون على ثواب وسماع وحبور. فعلى العاقل أن يجتنب عن القيل والقال ويكسب الوجد والحال من طريق صالحات الأعمال فإن لكل عمل صالح أثراً ولكل ورع وتقوى ثمرة فمن حبس نفسه في زاوية العبادة والطاعة وتخلى في خلوة الذكر والفكر تفرج في رياض الجنان بما قاسى بالأعضاء والجنان. ومن أغلق باب سمعه عن سماع الملاهي وصبر عنه فتح الله له باب سماع الأغاني في الجنة وإلا فقد حرم من أمثل اللذات.

به ازروى زيباست آواز خوش   كه آن حظ نفس است واين قوت روح

كما أن من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة وأشار بالإحضار إلى أن جهنم سجن الله تعالى فكما أن المجرم في الدنيا يساق إلى السجن وهو كاره له فكذا المجرم في العقبى يساق ويجرّ إلى النار بالسلاسل والأغلال فيذوق وبال كفره وتكذيبه وحضوره محاضر أهل الهوى من أهل الملاهي وربما يحضر في العذاب من ليس بمكذب الحاقاً له في بعض الأوصاف وإن كان غير مخلد فيه وربما تؤدي الجراءة على المعاصي والإصرار عليها إلى الكفر والعياذ بالله تعالى. فيا أهل الشريعة عليكم بترك المحرمات الموجبة للعقوبات. ويا أهل الطريقة عليكم بترك الفضلات المؤدية إلى التنزلات ولا يغرنكم أحوال أبناء الزمان فإن أكثرهم إباحيون غير مبالين ألا ترى إلى مجامعهم المشحونة بالأحداث ومجالسهم المملوءة بأهل الملاهي كأنهم المكذبون بلقاء الآخرة فلذا قصروا همتهم على الأمور الظاهرة يطلبون العشق والحال في الأمر الزائل كالمتغنى والمزمّر ويعرضون عن الذكر والتوحيد الباقي لذته وصفوته مدى الدهر ولعمري أن من عقل لا يستن بسنن الجهلاء وأهل الارتكاب ولا يرفع إلى مجالسهم قدماً ولو خطوة خوفاً من العذاب فإنه تعالى قال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣] وأي نار أعظم من نار البعد والفراق إذ هي دائمة الإحراق نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لسدّ خلل الدين والإعراض عن متسامحات الغافلين ويجعلنا ممن تعلق بحبل الشرع المبين وعروة الطريق القويم المتين ويحيينا بالحياة الطيبة إلى آخر الأعمار ويعيدنا من الأجداث والوجوه أقمار ولا يخيبنا في رجاء شفاعات الأعالي إنه الكريم المتعالي.

﴿فسبحان الله﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها. والسبح المر السريع في الماء أو في الهواء والتسبيح تنزيه الله وأصله المر السريع في عبادة الله جعل عاماً في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نية والسبوح والقدوس من أسماء الله تعالى وليس في كلامهم فعول سواهما. وسبحان

هنا مصدر كغفران موضوع موضع الأمر مثل فضرب الرقاب والتسبيح محمول على حقيقته وظاهره الذي هو تنزيه الله عن السوء والثناء عليه بالخير. والمعنى: إذا علمتم أيها العقلاء المميزون أن الثواب والنعيم للمؤمنين العاملين والعذاب والجحيم للكافرين المكذبين فسبحوا الله أي: نزهوه عن كل ما لا يليق بشأنه تعالى ﴿**حين تمسون وحين تصبحون**﴾ الحين بالكسر وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان طال أو قصر ويتخصص بالمضاف إليه كما في هذا المقام. والإمساء الدخول في المساء كما أن الإصباح الدخول في الصباح والمساء والصباح ضدان. قال بعضهم: أول اليوم الفجر ثم الصباح ثم الغداة ثم البكرة ثم الضحى ثم الضحوة ثم الهجير ثم الظهر ثم الرواح ثم المساء ثم العصر ثم الأصيل ثم العشاء الأولى ثم العشاء الأخيرة عند مغيب الشفق. والمعنى: سبحوه تعالى وقت دخولكم في المساء وساعة دخولكم في الصباح.

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿**وله الحمد في السموات والأرض**﴾ يحمده خاصة أهل السموات والأرض ويثنون عليه أي: احمدوه على نعمه العظام في الأوقات كلها فإن الإخبار بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على أهل التمييز من خلق السموات والأرض في معنى الأمر على أبلغ وجه. وتقديم التسبيح على التحميد لأن التخلية بالمعجمة متقدمة على التحلية بالمهملة كشرب المسهل متقدم على شرب المصلح وكالأساس متقدم على الحيطان وما يبنى عليها من النقوش ﴿**وعشياً**﴾ آخر النهار من عشى العين إذا نقص نورها ومنه الأعشى وهو معطوف على حين تمسون أي: سبحوه وقت العشي وتقديمه على قوله ﴿**وحين تظهرون**﴾ أي: تدخلون في الظهيرة التي هي وسط النهار لمراعاة الفواصل وتغيير الأسلوب لأنه لا يجيء منه الفعل بمعنى الدخول في العشي كالمساء والصباح والظهيرة وتوسيط الحمد بين أوقات التسبيح للإشعار بأن حقها أن يجمع بينها كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٩٨] وقوله عليه السلام: «من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» وقوله عليه السلام: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» وتخصيص التسبيح والتحميد بتلك الأوقات للدلالة على أن ما يحدث فيها من آيات قدرته وأحكام رحمته ونعمته شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه الحمد موجبة لتسبيحه وتحميده حتماً وفي الحديث «من سرّه أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل ﴿**فسبحان الله حين تمسون**﴾» الآية.

وحمل بعضهم التسبيح والتحميد في الآية على الصلاة لاشتمالها عليهما. والسبحة الصلاة ومنه سبحة الضحى وقد جاء في القرآن إطلاق التسبيح بمعنى الصلاة في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الصافات: ١٤٣]. قال القرطبي وهو من أجلاء المفسرين أي: من المصلين. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الآية جامعة للصلوات الخمس ومواقيتها. تمسون صلاة المغرب والعشاء. وتصبحون صلاة الفجر. وعشياً صلاة العصر. وتظهرون صلاة الظهر فالمعنى فصلوا لله في هذه الأوقات. واتفق الأئمة على أن الصلاة المفروضة في اليوم والليلة خمس وعلى أنها سبع عشرة ركعة، الظهر أربع، والعصر أربع، والمغرب ثلاث،

والعشاء أربع، والفجر ركعتان. قيل فرضت الصلوات الخمس في المعراج أربعاً إلا المغرب ففرضت ثلاثاً وإلا الصبح ففرضت ركعتين وإلا صلاة الجمعة ففرضت ركعتين ثم قصرت الأربع في السفر. وتجب الصلاة بأول الوقت لغير معذور وعليه بآخره بالاتفاق. وعند أبي حنيفة إذا طلعت الشمس وهو في صلاة الفجر بطلت صلاته وليس كذلك إذا خرج الوقت في بقية الصلاة والزائد على قدر واجب في الصلاة في قيام ونحوه نفل بالاتفاق كما في «فتح الرحمٰن» وفي الحديث «ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه من الصلاة لتعبد به ملائكته فمنهم راكع وساجد وقائم وقاعد» وفي الحديث «من حافظ على الصلوات الخمس بإكمال طهورها ومواقيتها كانت له نوراً وبرهاناً يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان». والجماعة سنة مؤكدة أي: قوية تشبه الواجب في القوة لقوله عليه السلام: «الجماعة من سنن الهدى لا يتخلف عنها إلا منافق» وأكثر المشايخ على أنها واجبة وتسميتها سنة لأنها ثابتة بالسنة لكن إن فاتته جماعة لا يجب عليه الطلب في مسجد آخر كذا في الفقه. قال أبو سليمان الداراني قدس سره: أقمت عشرين سنة لم أحتلم فدخلت مكة فأحدثت بها حدثاً فما أصبحت إلا احتلمت وكان الحدث فاتته صلاة العشاء بجماعة، وفي «المثنوي»:

هرچه آيد برتو از ظلمات غم ... آن زبى شرمى وكستاخيست هم

فلكل عمل أثر وجزاء وأجر:

دزانكه شاكررا زيادت وعده است ... آنچنانكه قرب مزد سجده است

كفت واسجد واقترب يزدان ما ... قرب جان شد سجدهٔ ابدان ما

﴿يخرج الحي من الميت﴾ كالإنسان من النطفة والطير من البيضة وأيضاً المؤمن من الكافر والمصلح من المفسد والعالم من الجاهل. وأيضاً القلب الحي بنور الله من النفس الميتة عن صفاتها وأخلاقها الذميمة إظهاراً للطفه ورحمته ﴿ويخرج الميت من الحي﴾ النطفة والبيضة من الحيوان. وأيضاً الكافر والمفسد والجاهل من المؤمن والمصلح والعالم. وأيضاً القلب الميت عن الأخلاق الحميدة الروحانية من النفس الحية بالصفات الحيوانية الشهوانية إظهاراً لقهره وعزته ﴿ويحيي الأرض﴾ بالمطر والنبات ﴿بعد موتها﴾ قحلها ويبسها ﴿وكذلك﴾ مثل ذلك الإخراج ﴿تخرجون﴾ من القبور أحياء إلى موقف الحساب فإنه أيضاً يعقب الحياة الموت. تلخيصه الإبداء والإعادة في قدرته سواء. قال مقاتل: يرسل الله يوم القيامة ماء الحياة من السماء السابعة من البحر المسجور بين النفختين فينشر عظام الموتى وذلك قوله تعالى: ﴿وكذلك تخرجون﴾ فكما ينبت النبات من الأرض بالمطر فكذا ينبت الناس من القبور بمطر البحر المسجور كالمني ويحيون به.

والإشارة: إن الله يحيي أرض القلوب بعد إماتته إياها وكذلك تخرجون من العدم إلى الوجود بالقدرة وفي الحديث «من قال حين يصبح ﴿فسبحان الله حين تمسون﴾ إلى قوله ﴿وكذلك تخرجون﴾ أدرك ما فات من ليلته ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في يومه». وفي «كشف الأسرار» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون» هذه الآيات الثلاث من سورة الروم وآخر سورة الصافات «دبر كل صلاة يصليها كتب له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر المطر وعدد ورق الشجر وعدد

تراب الأرض فإذا مات أجرى له بكل حسنة عشر حسنات في قبره وكان إبراهيم خليل الله عليه السلام يقولها في كل يوم وليلة ست مرات» يعني: مضمونها بلغة السريان إذ لم تكن العربية يومئذٍ.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿ومن آياته﴾ أي: ومن علامات الله الدالة على البعث. وقال الكاشفي: [واز نشانهاى قدرت خداى تعالى] ﴿أن خلقكم﴾ يا بني آدم في ضمن خلق آدم لأنه خلقه منطوياً على خلق ذرياته انطواء إجمالياً والخلق عبارة عن تركيب الأجزاء وتسوية الأجسام ﴿من تراب﴾ لم يشم رائحة الحياة قط ولا مناسبة بينه وبين ما أنتم عليه في ذاتكم وصفاتكم وإنما خلق الله الإنسان من التراب ليكون متواضعاً ذلولاً حمولاً مثله والأرض وحقائقها دائمة في الطمأنينة والإحسان بالوجود ولذلك لا تزال ساكنة وساكتة لفوزها بوجود مطلوبها فكانت أعلى مرتبة وتحققت في مرتبة العلو في عين السفل وقامت بالرضى ﴿ثم إذا أنتم﴾ [پس اكنون شما] ﴿بشر﴾ [مردمانيد آشكارا] أي: آدميون من لحم ودم عقلاء ناطقون. قال في «المفردات»: البشرة ظاهر الجلد وعبر عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلده من الشعر بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر أو الوبر. واستوى في لفظ البشر الواحد والجمع وخص في القرآن كل موضع اعتبر من الإنسان جثته وظاهره بلفظ البشر ﴿تنتشرون﴾ الانتشار [پراكنده شدن]. قال الراغب: انتشار الناس تصرفهم في الحاجات. والمعنى فاجأتم بعد ذلك وقت كونكم بشراً تنتشرون في الأرض فدل بدء خلقكم على إعادتكم وهذا مجمل ما فصل في قوله تعالى في أوائل سورة الحج: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ﴾ [الحج: ٥] أي: إن كنتم في شك من البعث بعد الموت فانظروا إلى ابتداء خلقكم وقد خلقناكم بالأطوار لتظهر لكم قدرتنا على البعث فتؤمنوا به وأنشد بعضهم:

خلقت من التراب فصرت شخصاً بصيراً بالسؤال وبالجواب
وعدت إلى التراب فصرت فيه كأني ما برحت من التراب

قال الشيخ سعدي قدس سره:

بامرش وجود ازعدم نقش بست كه داندجزا وكردن از نيست هست
دكرره بكتم عدم دربرد واز آنجا بصحراى محشر برد

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن التراب أبعد الموجودات إلى الحضرة لأنا إذا نظرنا إلى الحقيقة وجدنا أقرب الموجودات إلى الحضرة عالم الأرواح لأنه أول ما خلق الله الأرواح ثم العرش لأنه محل استواء الصفة الرحمانية ثم الكرسي ثم السماء السابعة ثم السموات كلها ثم فلك الأثير ثم فلك الزمهرير أعني الهواء ثم الماء ثم التراب وهو جماد لا حس فيه ولا حركة وليس له قدرة على تغيير ذاته وصفاته فلما وجدنا ذاته متغيرة عن وصف الترابية صورة ومعنى متبدلة كتغير صورته بصورة البشر وتبدل صفته بصفة البشرية علم أنه

محتاج إلى مغير ومبدل وهو الله سبحانه وأشار بقوله: **﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾** يعني كنتم تراباً جماداً ميتاً أبعد الموجودات عن الحضرة جعلتكم بشراً بنفخ الروح المشرف بإضافة من روحي وهو أقرب الموجودات إلى الحضرة فأي آية أظهر وأبين من الجمع بين أبعد الأبعدين وأقرب الأقربين بكمال القدرة والحكمة ثم جعلتكم مسجود الملائكة المقربين وجعلتكم مرآة مظهرة لجميع صفات جمالي وجلالي ولهذا السر جعلتكم خلائف الأرض انتهى. يقول الفقير: والخليفة لا بد له من الانتقال من موطن إلى موطن إعطاء لأحكام الإسلام فالموطن الدنيوي هو من آثار الاسم الظاهر والانتقال إلى الموطن البرزخي من أحكام الاسم الباطن فلما صار الغيب شهادة بالنسبة إلى الموطن الأول في ابتداء الظهور وأوله فكذلك تصير الشهادة غيباً بالنسبة إلى الموطن الثاني والموطن الحشري في انتهاء الظهور وثانيه. يعني أن الدنيا تصير غيباً راجعاً إلى حكم الاسم الباطن عند ظهور البعث والحشر كما كانت شهادة قبله راجعة إلى حكم الاسم الظاهر وأن الأخرى تصير شهادة بعده كما كانت غيباً قبله فهي كالقلب الآن وسينقلب الأمر فيكون القلب قالباً والقالب قلباً نسأل الله الانتقال بالكمال التام والظهور في النشأة الآخرة بالوجود المحيط العالم.

﴿ومن آياته﴾ الدالة على البعث وما بعده من الجزاء **﴿أن خلق لكم﴾** أي: لأجلكم **﴿من أنفسكم﴾** [ازتن شما] **﴿أزواجاً﴾** [زنان وجفتان] فإن خلق أصل أزواجكم حواء من ضلع آدم متضمن لخلقهن من أنفسكم والأزواج جمع زوج وهو الفرد المزاوج لصاحبه وكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى وزوجة لغة رديئة وجمعها زوجات كما في «المفردات» ويجوز أن يكون معنى من أنفسكم من جنسكم لا من جنس آخر وهو الأوفق بقوله: **﴿لتسكنوا إليها﴾** أي: لتميلوا إلى تلك الأزواج وتألفوا بها فإن المجانسة من دواعي التضام والتعارف كما أن المخالفة من أسباب التفرق والتنافر.

بجنس خود كند هرجنس آهنك ... ندارد هيچكس ازجنس خود ننك
بجنس خويش دارد ميل هرجنس ... فرشته بافرشته انس باانس

يقول الفقير: ذهب العلماء من الفقهاء وغيرهم إلى جواز المناكحة والعلوق بين الجن والإنس فقد جعل الله أزواجاً من غير الجنس والجواب أن ذلك من النوادر فلا يعتبر وليس السكون إلى الجنية كالسكون إلى الإنسية وإن كانت متمثلة في صورة الإنس **﴿وجعل بينكم﴾** وبين أزواجكم من غير أن يكون بينكم سابقة معرفة أو رابطة قرابة ورحم **﴿مودة﴾** محبة **﴿ورحمة﴾** شفقة. وعن الحسن البصري المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال تعالى: **﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾** [مريم: ٢١] أي: في حق عيسى عليه السلام. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: المودة للكبير والرحمة للصغير **﴿إن في ذلك﴾** أي: فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من أنفسهم وإلقاء المودة والرحمة بينهم **﴿لآيات﴾** عظيمة **﴿لقوم يتفكرون﴾** في صنعه وفعله فيعلمون ما في ذلك من الحكم والمصالح. قال في «برهان القرآن»: ختم الآية بقوله: **﴿يتفكرون﴾** لأن الفكر يؤدي إلى الوقوف على المعاني المذكورة. يقول الفقير: لعل الوجه في الختم به أن إدراك ما ذكر ليس مما يختص بخواص أهل التفكر وهم العلماء بل يدركه من له أدنى شيء من التفكر. والتفكر دون التذكر ولذا لم يذكر التذكر في القرآن إلا مع أولي الباب. وفي الآية إشارة إلى ازدواج الروح والنفس فإنه تعالى خلق النفس من الروح وجعلها زوجه كما

خلق حواء من آدم وجعلها زوجه لتسكن الأرواح إلى النفوس كما سكن آدم إلى حواء ولو لم تكن حواء لاستوحش آدم في الجنة كذلك الروح لو لم تكن النفس خلقت منه ليسكن إليها استوحش من القالب ولم يسكن فيه وجعل بين الروح والنفس إلفة واستئناساً ليسكنا في القالب ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ بالفكر السليم في الإنسان كيف أودع الله فيه سراً من المعرفة التي كل المخلوقات كانت في الخلقية تبعاً له كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿ومن آياته﴾ الدالة على ما ذكر ﴿خلق السموات والأرض﴾ على عظمتها وكثافتها وكثرة أجزائها بلا مادة فهو أظهر قدرة على إعادة ما كان حياً قبل ذلك فهذه من الآيات الآفاقية ثم أشار إلى شيء من الآيات الأنفسية فقال: ﴿واختلاف ألسنتكم﴾ أي: لغاتكم من العربية والفارسية والهندية والتركية وغيرها بأن جعل لكل صنف لغة. قال الراغب: اختلاف الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات واختلاف النغمات فإن لكل لسان نغمة يميزها السمع كما أن له صورة مخصوصة يميزها البصر انتهى. فلا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية من كل وجه، يعني: [دربست وبلند وفصاحت ولكنت وغير آن]. قال وهب: جميع الألسنة اثنان وسبعون لساناً منها في ولد سام تسعة عشر لساناً وفي ولد حام سبعة عشر لساناً وفي ولد يافث ستة وثلاثون لساناً ﴿وألوانكم﴾ بالبياض والسواد والأدمة والحمرة وغيرها. قال الراغب: في الآية إشارة إلى أن أنواع الألوان من اختلاف الصور التي يختص كل إنسان بهيئة غير هيئة صاحبه مع كثرة عددهم وذلك تنبيه على سعة قدرته يعني أن اختلاف الألوان إشارة إلى تخطيطات الأعضاء وهيئاتها وحلاها ألا ترى أن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما والأمور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة وإن كانا في غاية التشابه [اكربرين وجه نبودي امتياز بين الأشخاص مشكل بودي وبسيار از مهمات معطل ماندى]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان آدم مؤلفاً من أنواع تراب الأرض ولذلك كان بنوه مختلفين منهم الأحمر والأسود والأبيض كل ظهر على لون ترابه وقابليته وتصور صورة كل رجل على صورة من أجداده إلى آدم يحضر أشكالهم عند تصوير صورته في الرحم كما أشار إليه بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٨] ﴿إن في ذلك﴾ أي: فيما ذكر من خلق السموات والأرض واختلاف الألسنة والألوان ﴿لآيات﴾ عظيمة في نفسها كثيرة في عددها ﴿للعالمين﴾ بكسر اللام أي: المتصفين بالعلم كما في قوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] وخص العلماء لأنهم أهل النظر والاستدلال دون الجهال المشغولين بحطام الدنيا وزخارفها فلما كان الوصول إلى معرفة ما سبق ذكره إنما يمكن بالعلم ختم الآية بالعالمين. وقرىء بفتح اللام ففيه إشارة إلى كمال وضوح الآيات وعدم خفائها على أحد من الخلق من ملك وأنس وجن وغيرهم. وفي الآية إشارة إلى اختلاف ألسنة القلوب وألسنة النفوس فإن لسان القلوب يتحرك بالميل إلى العلويات وفي طلبها يتكلم ولسان النفوس يتحرك بالميل إلى السفليات وفي طلبها يتكلم كما يشاهد في مجالس أهل الدنيا ومحافل أهل الآخرة، ومن

كلمات مولانا قدس سره:

مارا چه ازين قصه كه كاو آمد وخر رفت   اين وقت عزيزست ازين عربده بازآى

وأيضاً إشارة إلى اختلاف الألوان أي: الطبائع منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ومنكم من يريد الله في أن ذلك لآيات للعارفين الذين عرفوا حقيقة أنفسهم وكماليتها فعرفوا الله ورأوا آياته بإراءته إياهم لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]. ثم إن الله تعالى خلق الآيات وأشار إليها مع وضوحها تنبيهاً للناظرين وتعليماً للجاهلين وتكميلاً للعالمين فمن له بصر رآها ومن له بصيرة عرفها. يقال الأمم على اختلاف الأزمان والأديان متفقة على مدح أخلاق أربعة: العلم، والزهد، والإحسان، والأمانة، والمتعبد بغير علم كحمار الطاحونة يدور ولا يقطع المسافة. ثم إن المعتبر هو العلم بالله الناظر إلى عالم الملكوت وهذا العلم من الآيات الكبرى وصاحبه يشاهد الشواهد العظمى بالبصيرة الأجلى بل يعلم الكائنات قبل وجودها ويخبر بها قبل حصول أعيانها وفي زماننا قوم لا يحصى عددهم غلب عليهم الجهل بمقام العلم ولعبت بهم الأهواء حتى قالوا إن العلم حجاب ولقد صدقوا في ذلك لو اعتقدوا أي: والله حجاب عظيم يحجب القلب عن الغفلة والجهل. قال سهل بن عبد الله التستري قدس سره: السماء رحمة للأرض وبطن الأرض رحمة لظهرها والآخرة رحمة للدنيا والعلماء رحمة للجهال والكبار رحمة للصغار والنبي عليه السلام رحمة للخلق والله تعالى رحيم بخلقه. وأجناس العلوم كثيرة منها: علم النظر، وعلم الخبر، وعلم النبات، وعلم الحيوان، وعلم الرصد، إلى غير ذلك من العلوم ولكل جنس من هذه العلوم وأمثالها فصول تقومها وفصول تقسمها فلننظر ما نحتاج إليه في أنفسنا مما تقترن به سعادتنا فنأخذه ونشتغل به ونترك ما لا نحتاج إليه احتياجاً ضرورياً مخافة فوت الوقت حتى تكون الأوقات لنا إن شاء الله تعالى. والذي يحتاج من فصول هذه الأجناس فصلان: فصل يدخل تحت جنس النظر وهو علم الكلام ونوع آخر يدخل تحت جنس الخبر وهو الشرع والعلوم الداخلة تحت هذين النوعين التي يحتاج إليها في تحصيل السعادة ثمانية وهي الواجب والجائز والمستحيل والذات والصفات والأفعال وعلم السعادة وعلم الشقاوة فهذه الثمانية واجب طلبها على كل طالب نجاة نفسه وعلم السعادة والشقاوة موقوف على معرفة الواجب والمحظور والمندوب والمكروه والمباح. وأصول هذه الأحكام الخمسة ثلاثة: الكتاب والسنة والمتواترة والإجماع كذا في مواقع النجوم للشيخ الأكبر قدس سره الأطهر وفقكم الله وإيانا لهذه العلوم النافعة وشرح صدورنا بالفيوض والأسرار وجعلنا مستضيئين بين شمس وقمر إلى نهاية الأعمار وفناء الدار.

﴿ومن آياته﴾ أي: ومن أعلام قدرته تعالى على مجازاة العباد في الآخرة **﴿منامكم﴾** مفعل من النوم أي: نومكم الذي هو راحة لأبدانكم وقطع لأشغالكم ليدوم لكم به البقاء إلى آجالكم **﴿بالليل﴾** كما هو المعتاد **﴿والنهار﴾** أيضاً على حسب الحاجة كالقيلولة **﴿وابتغاؤكم من فضله﴾** وطلب معاشكم فيهما فإن كلاً من المنام وطلب القوت يقع في الليل والنهار وإن كان الأغلب وقوع المنام في الليل والطلب في النهار. وفيه إشارة إلى الحياة بعد الممات فإنها نظير الانتباه من المنام والانتشار للمعاش، وفي «المثنوي»:

نوم ما چون شداخ الموت أي: فلان   زين برادر آن برادررا بدان

وقدم الليل على النهار لأن الليل لخدمة المولى والنهار لخدمة الخلق ومعارج الأنبياء عليهم السلام كانت بالليل ولذا قال الإمام النيسابوري: الليل أفضل من النهار. يقول الفقير: الليل محل السكون وهو الأصل والنهار محل الحركة وهو الفرع كما أشار إليه تعالى في قوله: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق» إذ الخلق يقتضي حركة معنوية وكان ما قبل الخلق سكوناً محضاً يعني عالم الذات البحت. قال بعض الكبار: لم يقل تعالى وبالنهار ليتحقق لنا أن يريد أننا في منام في حال يقظتنا المعتادة أي: أنتم في منام ما دمتم في هذه الدار يقظة ومناماً بالنسبة لما أمامكم فهذا سبب عدم ذكر الباء في قوله والنهار والاكتفاء بباء الليل انتهى يعني لو قيل بالنهار كان لا يتعين فيه ذلك لجواز أن يكون الجار والمجرور معمولاً لمحذوف معطوف على المبتدأ تقديره ويقظتكم بالنهار ثم حذف لدلالة معموله أو مقابله عليه كقوله:

علفتها تبناً وماءً بارداً

أي وسقيتها ماء بارداً ﴿إن في ذلك﴾ الأمر العظيم العلي المرتبة من إيجاد النوم بعد النشاط والنشاط بعد النوم الذي هو الموت الأصغر وإيجاد كل من الملوين بعد إعدامهما والجد في الابتغاء مع المفاوتة في التحصيل ﴿لآيات﴾ عديدة على القدرة والحكم لا سيما البعث ﴿لقوم يسمعون﴾ أي: شأنهم أن يسمعوا الكلام من الناصحين سماع من انتبه من نومه فجسمه مستريح نشيط وقلبه فارغ عن مكدر للنصح مانع قبوله. وفيه إشارة إلى أن من لم يتأمل في هذه الآيات فهو نائم لا مستيقظ فهو غير مستأهل لأن يسمع، قال الشيخ سعدي قدس سره:

كسى راكه پندار در سربود مپندار هركزكه حق بشنود
زعلمش ملال آيد ازوعظ ننك شقايق بباران نرويد بسنك
كرت در درياى فضلست خيز بتذكير درپاى درويش ريز
نه بينى كه درپاى افتاده خار برويد كل وبشكفد نوبهار

وقال الحافظ:

چه نسبت است برندى صلاح وتقوى را سماع وعظ كجا نغمهٔ رباب كجا

قال في «برهان القرآن»: ختم الآية بقوله: ﴿يسمعون﴾ فإن من سمع أن النوم من صنع الله الحكيم لا يقدر أحد على اجتلابه إذا امتنع ولا على دفعه إذا ورد تيقن أن له صانعاً مدبراً. قال الخطيب: معنى يسمعون هٰهنا يستجيبون لما يدعوهم إليه الكتاب.

واعلم أن النوم فضل من الله للعباد ولكن للعباد أن لا يناموا إلا عند الضرورة وبقدر دفع الفتور المانع عن العبادة.

سرآنكه ببالين نهد هوشمند كه خوابش بقهر آورد دركمند

وقد قيل في ذم أهل البطالة:

زسنت نه بينى درايشان اثر مكر خواب پيشين ونان سحر

ومن آداب النوم: أن ينام على الوضوء قال عليه السلام: «من بات طاهراً بات في شعاره ملك لا يستيقظ ساعة من الليل إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهراً» وإذا استطاع الإنسان أن يكون على الطهارة أبداً فليفعل لأن الموت على الوضوء شهادة ويستحب أن يضطجع على يمينه مستقبلاً للقبلة عند أول اضطجاعه فإن بدا له أن ينقلب إلى جانبه الآخر فعل ويقول حين يضطجع: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء

وهو السميع العليم» وكان عليه السلام يقول: «باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها» ويقول عندما قام من نومه: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا ورد إلينا أرواحنا وإليه البعث والنشور».

ثم اعلم أن حالة النوم وحالة الانتباه إشارة إلى الغفلة ويقظة البصيرة فوقت الانتباه كوقت انتباه القلب في أول الأمر. ثم الحركة إلى الوضوء إشارة إلى التوبة والإنابة. ثم التكبيرة الأولى إشارة إلى التوجه الإلهي فحاله من الانتباه إلى هنا إشارة إلى عبوره من عالم الملك وهو الناسوت ودخوله في عالم الملكوت. ثم الانتقال إلى الركوع إشارة إلى تجاوزه إلى الجبروت. ثم الانتقال إلى السجدة إشارة إلى وصوله إلى عالم اللاهوت وهو مقام الفناء الكلي وعند ذلك يحصل الصعود الكلي إلى وطنه الأصلي. ثم القيام من السجدة إشارة إلى حالة البقاء فإنه رجوع إلى الورى ففي صورة النزول عروج كما أن في صورة العروج نزولاً والركوع مقام قاب قوسين وهو مقام الذات الواحدية والسجدة مقام أو أدنى وهو مقام الذات الأحدية والحركات الست وهي الحركة من القيام إلى الركوع ثم منه إلى القومة ثم منها إلى السجدة الأولى ثم منها إلى الجلسة ثم منها إلى السجدة الثانية ثم منها إلى القيام إشارة إلى خلق الله السموات والأرضين في ستة أيام فالركعة الواحدة من الصلاة تحتوي على أول السلوك وآخره وغيره من الصور والحقائق الدنيوية والأخروية والعلمية والعينية والكونية والإلهية.

ثم اعلم أن توارد الليل والنهار إشارة إلى توارد السيئة والحسنة فكما أن الدنيا لا تبقى على الليل وحده أو النهار وحده بل هما على التعاقب دائماً فكذا العبد المؤمن لا يخلو من نور العمل الصالح وظلمة العمل الفاسد والفكر الكاسد فإذا كان يوم القيامة يلقي الله الليل في جهنم والنهار في الجنة فلا يكون في الجنة ليل كما لا يكون في النار نهار يعني أن النهار في الجنة هو نور إيمان المؤمن ونور عمله الصالح بحسب مرتبته والليل في النار هو ظلمة كفر الكافر وظلمة عمله الفاسد فكما أن الكفر لا يكون إيماناً فكذا الليل لا يكون نهاراً والنار لا تكون نوراً فيبقى كل من أهل النور والنار على صفته الغالبة عليه وأما القلب وحاله بحسب التجلي فهو على عكس حاله الغالب فإن نهاره المعنوي لا يتعاقب عليه ليل وإن كان يطرأ عليه استتار في بعض الأوقات فهو استتار رحمة لا استتار رحمة كحال المحجوبين وكذا سمع أهل القلب لا يقصر على أمر واحد بل يسمعون من شجرة الموجودات كما سمع موسى عليه السلام فهم القوم السامعون على الحقيقة.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿**ومن آياته يريكم البرق**﴾ أصله أن يريكم فلما حذف أن لدلالة الكلام عليه سكن الياء كما في «برهان القرآن». وقيل غير ذلك كما في التفاسير. والبرق لمعان السحاب وبالفارسية: [درخش]. وفي إخوان الصفاء البرق نار وهواء ﴿**خوفاً**﴾ مفعول له بمعنى الإخافة كقوله فعلته رغماً للشيطان أي: إرغاماً له. والمعنى يريكم ضوء السحاب إخافة من الصاعقة خصوصاً لمن كان في البرية من أبناء السبيل وغيرهم [وصاعقه آوازيست هائل كه با او آتشى باشد بى زبانه ودودكه بهرجا رسد بسوزد] ﴿**وطمعاً**﴾ أي: إطماعاً في الغيث لاسيما لمن كان مقيماً. فإن

قلت المقيم يطمع لضرورة سقي الزروع والكروم والبساتين ونحوها وأما المسافر فلا. قلت: يطمع المسافر أيضاً في الأرض القفر ﴿وينزل من السماء﴾ [از آسمان يا ازابر] ﴿ماء﴾ [آبى را]. قال في إخوان الصفاء: المطر هو الأجزاء المائية إذا التأم بعضها مع بعض وبردت وثقلت رجعت نحو الأرض ﴿فيحيي به﴾ أي: بسبب ذلك الماء وهو المطر ﴿الأرض﴾ بالنبات ﴿بعد موتها﴾ أي: يبسها. فإن قيل ما الأرض؟ يقال: جسم غليظ أغلظ ما يكون من الأجسام واقف في مركز العالم مبين لكيفية الجهات الست فالمشرق حيث تطلع الشمس والمغرب حيث تغيب والشمال حيث مدار الجدي والجنوب حيث مدار سهيل والفوق ما يلي المحيط والأسفل ما يلي مركز الأرض. فإن قيل ما النبات؟ يقال: ما الغالب عليه المائية ويقول الفرس: إذا زخرت الأودية أي: كثرت بالماء كثر الثمر وإذا اشتد الرياح كثر الحب.

واعلم أن الثمر والشجر من فيض المطر والكل آثار شؤونه تعالى في الأرض. وغرس معاوية نخلاً بمكة في آخر خلافته فقال: ما غرستها طمعاً في إدراكها ولكن ذكرت قول الأسدي:

ليس الفتي بفتى لا يستضاء به ... ولا تكون له في الأرض آثار

﴿إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآيات﴾ [علامتهاست برقدرت الهي] ﴿لقوم يعقلون﴾ يفهمون عن الله حججه وأدلته. قال الكاشفي: [مر كروهى راكه تعقل كنند در تكون حادثات حق تابر ايشان ظاهر كردد كمالات قدرت صانع در هر حادثه،] فكما أنه تعالى قادر على أن يحيي الأرض بعد موتها كذلك قادر على أن يحيي الموتى ويبعث من في القبور. قال في «برهان القرآن» ختم بقوله: ﴿يعقلون﴾ لأن العقل ملاك الأمر في هذه الأبواب وهو المؤدي إلى العلم انتهى. قال بعض العلماء: العاقل من يرى بأول رأيه آخر الأمور ويهتك عن مهماتها ظلم الستور ويستنبط دقائق القلوب ويستخرج ودائع الغيوب. قال حكيم: العقل والتجربة في التعاون بمنزلة الماء والأرض لا يطيق أحدهما بدون الآخر إنباتاً، وفي «المثنوي»:

بس نكوكفت آن رسول خوش جواز ... ذرهٔ عقلت به از صوم ونماز
زانكه عقلت جو هرست اين دو عرض ... اين دودر تكميل آن شد مفترض
تاجلا باشد مران آيينه را ... كه صفا آيد ز طاعت سينه را
ليك كر آيينه از بن فاسدست ... صيقل اورا دير باز آرد بدست
اين تفاوت عقلها را نيك دان ... در مراتب از زمين تا آسمان
هست عقلى همچو قرص آفتاب ... هست عقلى كمتر از زهره شهاب
هست عقلى چون چراغ سرخوشى ... هست عقلى چون ستاره آتشى
عقل جزوى عقل را بدنام كرد ... كام دنيا مرد را بى كام كرد

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً﴾ أي: برق شواهد الحق عند انحراق سحاب حجب البشرية وظهور تلألؤ أنوار الروحانية أولها البروق ثم اللوامع ثم الطوالع ثم الإشراق ثم التجلي فبنور البرق يرى شهوات الدنيا أنها نيران فيخاف منها ويتركها ويرى مكروهات تكاليف الشرع على النفس أنها جنان فيطمع فيها ويطلبها ﴿وينزل من السماء﴾ الروح ﴿ماء﴾ الرحمة ﴿فيحيي به الأرض﴾ القلوب ﴿بعد موتها﴾ بالمعاصي والذنوب واستغراقها في بحر الدنيا وتموج شهواتها برياح الخذلان ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ لا

يبيعون الآخرة بالأولى ولا قربات المولى بنعيم جنة المولى انتهى اللهم اجعلنا من المشتغلين بذكرك وحسن طاعتك واصرفنا عن الميل إلى ما سوى حضرتك إنك أنت محيي القلوب بفيوض الغيوب.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿**ومن آياته أن تقوم السماء والأرض**﴾ أي: قيامهما واستمرارهما على ما هما عليه من الهيئات إلى الأجل المقدر لقيامهما وهو يوم القيامة ﴿**بأمره**﴾ أي: بإرادته تعالى والتعبير عن الإرادة بالأمر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادي والأسباب. والأمر لفظ عام للأفعال والأقوال كلها كما في «المفردات». ﴿**ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض**﴾ متعلق بدعاكم إذ يكفي في ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من أسفل الوادي فطلع إليّ. والمعنى ثم إذا دعاكم بعد انقضاء الأجل وأنتم في قبوركم دعوة واحدة بأن قال: أيها الموتى اخرجوا [اى مرد كان بيرون آييد] والداعي في الحقيقة هو إسرافيل عليه السلام فإنه يدعو الخلق على صخرة بيت المقدس حين ينفخ في الصور النفخة الأخيرة ﴿**إذا أنتم**﴾ [آنكاه شما] ﴿**تخرجون**﴾ إذا للمفاجأة ولذلك ناب مناب الفاء في الجواب فإنهما يشتركان في إفادة التعقيب أي: فاجأتم الخروج منها بلا توقف ولا إباء ولذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ [طه: ١٠٨]. وفي الآية إشارة إلى سماء القلب وأرض النفس وقيامهما بالروح فإنه من عالم الأمر وإلى جذبة خطاب ارجعي فإنه تعالى إذا دعا النفس والقلب والروح بتلك الجذبة فتخرج من قبور أنانية الوجود إلى عرصة الهوية والشهود وهو حشر أخص الخواص فإن للحشر مراتب مرتبة العام وهي خروج الأجساد من القبور إلى المحشر يوم النشور ومرتبة الخاص وهي خروج الأرواح الأخروية من قبور الأجسام الدنيوية بالسير والسلوك في حال حياتهم إلى عالم الروحانية لأنهم ماتوا بالإرادة عن صفات الحيوانية النفسانية قبل أن يموتوا بالموت عن صورة الحيوانية ومرتبة الأخص وهي الخروج من قبور الأنانية الروحانية إلى الهوية الربانية وهي مقام الحبيب فيبقى مع الله بلا هو، وفي «المثنوي»:

هين كه اسرافيل وقتند اوليا ... مرده را زيشان حياتست ونما
جان هريك مرده اندر كورتن ... مى جهد زآواز شان اندر كفن
كويد اين آوازز آواز هاجداست ... زنده كردن كار آواز خداست
ما بمرد ديم وبكلى كاستيم ... بانك حق آمد همه بر خاستيم
بانك حق اندر حجاب وبى حجيب ... آن دهد كو داد مريم را زجيب
اى فناتان نيست كرده زير پوست ... باز كرديد از عدم ز آواز دوست
مطلق آن آواز خود از شه بود ... كرچه از حلقوم عبد الله بود
كفته اورا من زبان وچشم تو ... من حواسى ومن رضا وخشم تو

﴿**وله**﴾ أي: لله خاصة ﴿**من في السموات**﴾ من الملائكة ﴿**والأرض**﴾ من الإنس والجن خلقاً وملكاً وتصرفاً ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه ﴿**كل**﴾ أي: كل من فيها ﴿**له**﴾ تعالى وهو متعلق بقوله: ﴿**قانتون**﴾ القنوت الطاعة، يعني: [فرمان بردارى]. والمراد طاعة

الإرادة لا طاعة العبادة أي: منقادون لما يريده بهم من حياة وموت وبعث وصحة وسقم وعز وذل وغني وفقير وغيرها لا يمتنعون عليه تعالى في شأن من شؤونه، يعني: [تمرد نمى توانند كرد] أي: منقادون لما يريده بهم من حياة وموت وبعث وصحة وسقم فهم مسخرون تحت حكمه على كل حال. وفيه إشارة إلى أن من في سموات الروحانية من أرباب القلوب وأرض البشرية من أصحاب النفوس كل له مطيعون بأن تكون الطائفة الأولى مظهر صفات اللطف والفرقة الثانية مظهر صفات القهر ولذلك خلقهم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وهو الذي يبدأ الخلق﴾ بمعنى المخلوق أي: ينشئهم في الدنيا ابتداء فإنه أنشأ آدم وحواء وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ثم يميتهم عند انتهاء آجالهم ﴿ثم يعيده﴾ تذكير الضمير باعتبار لفظ الخلق أي: ثم يعيدهم في الآخرة بنفخ صور إسرافيل فيكونون أحياء كما كانوا ﴿وهو﴾ أي: الإعادة وتذكير الضمير لأنها في تأويل أن يعيدوا لقوله: ﴿أهون عليه﴾ أي: أسهل وأيسر عليه تعالى من البدء بالإضافة أي: قدركم أيها الإنسان والقياس إلى أصولكم وإلا فهما عليه تعالى سواء إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون سواء هناك مادة أم لا يعني أن ابتداء الشيء أشد عند الخلق من إعادته وإعادته أهون من ابتدائه فتكون الآية وإرادة على ما يزعمون فيما بينهم ويعتقدون عندهم وإلا فما شق على الله ابتداء الخلق ليكون إعادتهم أهون عليه. قال الكاشفي: [أعاده باعتقاد شما آسانترست از ابداء پس چون ابداء اقرار داريد اعاده را چرا منكريد وابداء واعاده نزد قدرت او يكسانست]:

چون قدرت او منزه از نقصانست آوردن خلق وبردنش يكسانست
نسبت بمن وتو هرچه دشوار بود در قدرت پر كمال او آسانست

قال بعضهم: افعل هٰهنا بمعنى فعيل أي: أهون بمعنى هين مثل الله أكبر بمعنى كبير قال الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

أي عزيزة طويلة.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني الإعادة أهون عليه من البداءة لأن في البداءة كان بنفسه مباشراً للخليقة وفي الإعادة كان المباشر إسرافيل بنفخته والمباشرة بنفس الغير في العمل أهون من المباشرة بنفسه عند نظر الخلق وعنده سواء لأن أفعال الأغيار أيضاً مخلوقة. وفيه إشارة أخرى في غاية الدقة واللطافة وهي أن الخلق أهون على الله عند الإعادة منهم عند البداءة لأن في البداءة لم يكونوا متلوثين بلوث الحدوث ولا متدنسين بدنس الشركة في الوجود بأن يكونوا شركاء في الوجود مع الله فلعزتهم في البداءة باشر بنفسه وخلقهم وفي الإعادة لهوانهم باشر بنفسي غيره انتهى. قال في «القاموس»: هان هوناً بالضم وهواناً ومهانة ذل وهوناً سهل فهو هين بالتشديد والتخفيف وأهون ﴿وله﴾ أي: لله تعالى ﴿المثل الأعلى﴾ المثل بمعنى الصفة كما في قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى﴾ [الرعد: ٣٥]، ﴿مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الفتح: ٢٩] أي: الوصف الأعلى العجيب الشان من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره ما يدانيها

فضلاً عما يساويها، وبالفارسية: [ومروراست صفت برترو صنعت بزركتر چون قدرت كامله وحكمت شامله ووحدت ذات وعظمت صفات] ومن فسره بقوله لا إله إلا الله أراد به الوصف بالوحدانية يعني له الصفة العليا وهو أنه لا إله إلا هو ولا رب غيره ﴿في السموات والأرض﴾ متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على معنى أنه تعالى قد وصف به وعرف فيهما على ألسنة الخلائق أي: نطقاً وألسنة الدلائل أي دلالة ﴿وهو العزيز﴾ أي: القادر الذي لا يعجز عن بدء ممكن وإعادته ﴿الحكيم﴾ الذي يجري الأفعال على سنن الحكمة والمصلحة. يقول الفقير: دلت الآية على أن السموات والأرض مشحونة بشواهد وحدته ودلائل قدرته تعالى:

زهر ذره بدورويى وراهيست ... بر اثبات وجود اوكواهيست

وذلك لأهل البصيرة فإنهم هم المطالعون جمال أنواره والمكاشفون عن حقيقة أسراره والعجب منك أنك إذا دخلت بيت غني فتراه مزيناً بأنواع الزين فلا ينقطع تعجبك عنه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وأنت تنظر أبداً إلى الآفاق والأنفس وهي بيوت الله المزينة بأسمائه وصفاته وآثاره المتجلية بقدرته وعجيب آياته ثم أنت فيما شاهدته أعمى عن حقيقته لعمى باطنك وعدم دخولك في بيت القلب الذي بالتفكر المودع فيه يستخرج الحقائق وبالتذكر الموضوع فيه يرجع الإنسان إلى ما هو بالرجوع لائق وبالشهود الذي فيه يرى الآيات ويدرك البينات ولولا هداية الملك المتعال لبقي الخلق في ظلمات الضلال وسرادقات الجلال. قال بعض الكبار في سبب توبته: كنت مستلقياً على ظهري فسمعت طيوراً يسبحن فأعرضت عن الدنيا وأقبلت إلى المولى وخرجت في طلب المرشد فلقيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقال لي: اذهب إلى الشيخ عبد القادر قدس سره فإني كنت في مجلسه فقال: إن الله تعالى جذب عبداً إلى جنابه فأرسله إلي إذا لقيته قال: فلما جئت إليه قال: مرحباً بمن جذبه الرب إليه بألسنة الطير وجمع له كثيراً من الخير فجميع ما في العالم حجج واضحة وأدلة ساطعة ترشد إلى المقصود فعليك بتوحيد الله تعالى في الليل والنهار فإنه خير أوراد وأذكار قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وذكر الله سبب الحضور وموصل إلى مشاهدة المذكور ولكن الكل بعناية الله الملك الغفور ومن لم يجعل له نوراً فما له من نور:

ياذا الذي أنس الفؤاد بذكره ... أنت الذي ما أن سواك أريد

تفنى الليالي والزمان بأسره ... وهواك غض في الفؤاد جديد

قال ذو النون المصري قدس سره: رأيت في جبل لكام فتى حسن الوجه حسن الصوت وقد احترق بالعشق والوله فسلمت عليه فرد عليّ السلام وبقي شاخصاً يقول:

أعميت عيني عن الدنيا وزينتها ... فأنت والروح شيء غير مفترق

إذا ذكرتك وافى مقلتي أرق ... من أول الليل حتى مطلع الفلق

وما تطابقت الأحداق عن سنة ... إلا رأيتك بين الجفن والحدق

قلت: أخبرني ما الذي حبب إليك الانفراد وقطعك عن المؤانسين وهيمك في الأودية والجبال فقال حبي له هيمني وشوقي إليه هيجني ووجدي به أفردني ثم قال: ياذا النون أعجبك كلام المجانين قلت: إي والله واشجاني ثم غاب عني فلم أدر أين ذهب رضي الله عنه وجعل من حاله نصيباً لأهل الاعتقاد ومن طريقه سلوكاً لأهل الرشاد إنه العزيز الحكيم الجواد والرؤوف بالعباد الرحيم يوم التناد الموصل في الدارين إلى المراد.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَـٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿**ضرب لكم**﴾ يا معشر من أشرك بالله ﴿**مثلا**﴾ بين به بطلان الشرك ﴿**من أنفسكم**﴾ من ابتدائية أي: منتزعاً من أحوالها التي هي أقرب الأمور إليكم وأعرفها عندكم يقال ضرب الدرهم اعتباراً بضربه بالمطرقة وقيل له: الطبع اعتباراً بتأثير السكة فيه وضرب المثل هو من ضرب الدرهم وهو ذكر شيء أثره يظهر في غيره والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة لتبيين أحدهما بالآخر وتصويره. قال أبو الليث: نزلت في كفار قريش كانوا يعبدون الآلهة ويقولون في إحرامهم: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ثم صور المثل فقال: ﴿**هل لكم**﴾ [آياشمارا هست أى ازاد كان] ﴿**من ما ملكت أيمانكم**﴾ من العبيد والإماء ومن تبعيضية ﴿**من شركاء**﴾ من مزيدة لتأكيد النفي المستفاد من الاستفهام ﴿**فيما رزقناكم**﴾ من الأموال والأسباب أي: هل ترضون لأنفسكم شركة في ذلك ثم حقق معنى الشركة فقال: ﴿**فأنتم**﴾ وهم أي: مماليككم ﴿**فيه**﴾ أي: فيما رزقناكم ﴿**سواء**﴾ متساوون يتصرفون فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم. قال في «الكواشي»: محل الجملة نصب جواب الاستفهام ﴿**تخافونهم**﴾ خبر آخر لأنتم داخل تحت الاستفهام الإنكاري كما في «الإرشاد» أي: تخافون مماليككم أن يستقلوا وينفردوا بالتصرف فيه ﴿**كخيفتكم أنفسكم**﴾ معنى أنفسكم هٰهنا أمثالكم من الأحرار كقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] أي: بعضكم بعضاً. والمعنى خيفة كائنة مثل خيفتكم من أمثالكم من الأحرار المشاركين لكم فيما ذكر والمراد نفي مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية أي: لا ترضون بأن يشارككم فيما بأيديكم من الأموال المستعارة مماليككم وهم عندكم أمثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية التي هي من خصائصه الذاتية مخلوقه بل مصنوع مخلوقه حيث تصنعونه بأيديكم ثم تعبدونه. وقال الكاشفي نقلاً عن بعض التفاسير: [چون حضرت مصطفى عليه السلام اين آيت بر صناديد قريش خواند كفتند «كلا والله لا يكون ذلك أبداً» آن حضرت فرمودكه شما بندكان خودرا درمال خود شركت نمى دهيد پس چكونه آفريد كانرا كه بند كان خدا اند در ملك او شريك مى سازيد]:

خلق چون بندكان سردرپيش ... مانده دربند حكم خالق خويش
جمله هم بنده اند وهم بندى ... نرسد بنده را خداوندى

وفي الآية دليل على أن العبد لا ملك له لأنه أخبر أن لا مشاركة للعبيد فيما رزقنا الله من الأموال وفيه إشارة إلى أن الإنسان إذا تجلى الله له بأنوار جماله وجلاله حيث اضمحل به آثار ظلمات أوصافه لا يكون شريكاً له تعالى في كمالية ذاته وصفاته بل الكمال في الحقيقة لله تعالى فلا يحسب أحد من أهل التجلي أن الله صار حالاً فيه أو صار هو بعضاً منه تعالى أو صار العبد حقاً أو الحق عبداً فمن كبريائه أن لا يكون جزءاً لأحد أو مثلاً ومن عظمته أن لا يكون أحد جزأه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] ﴿**كذلك**﴾ أي: مثل ذلك التفصيل الواضح ﴿**نفصل الآيات**﴾ أي: نبين ونوضح دلائل الوحدة لا تفصيلاً أدنى منه فإن التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس فيكون في غاية البيان والإيضاح ﴿**لقوم**

يعقلون﴾ يستعملون عقولهم في تدبر الأمور والأمثال [أما جاهلان وستمكاران از حقيقت اين سخنها بى خبرند]. ثم اعرض عن مخاطبتهم وبين استحالة تبعيتهم للحق فقال:

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾ أي: لم يعقلوا شيئاً بل اتبعوا **﴿أهواءهم﴾** [آرزوهاى خودرا]. والهوى ميل النفس إلى الشهوة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بأنهم في ذلك الاتباع ظالمون **﴿بغير علم﴾** أي: حال كونهم جاهلين ما أتوا لا يكفهم عنه شيء فإن العالم إذا اتبع هواه ربما ردعه علمه **﴿فمن يهدي من أضل الله﴾** أي: خلق فيه الضلالة بصرف اختياره إلى كسبها، وبالفارسية: [پس كيست كه راه نمايد بسوى توحيد كمكردهٔ الله را] أي: لا يقدر على هدايته أحد **﴿وما لهم﴾** أي: لمن أضله الله تعالى والجمع باعتبار المعنى والمراد المشركون **﴿من ناصرين﴾** يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من آفاته أي: ليس لأحد منهم ناصر واحد على ما هو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع. قال في «كشف الأسرار»: [درين آيت اثبات إضلال از خداونداست وبعض آيات اثبات ضلال ازبنده است وذلك في قوله تعالى: **﴿قد ضلوا من قبل﴾** قدريان منكراند مر اضلال را از خداوند جل جلاله وكويند همه ازبنده است وجبريان منكراند مر ضلال را ازبنده كه ايشان بنده را اختيار نكويند وكويند همه ازالله است واهل سنت هردو اثبات كنند اضلال ازخداوند تعالى واختيار ضلال ازبنده وهرچه در قرآن ذكر اضلال وضلالست هم برين قاعده است كه يادكرديم وفي «المثنوي»]:

درهر آن كارى كه ميلستت بدان ... قدرت خودرا همى بينى عيان
درهر آن كارى كه ميلت نيست خواست ... اندران جبرى شدى كين ازخداست
انبيا دركار دنيا جبريند ... كافران دركار عقبى جبريند
انبيارا كار عقبا اختيار ... جاهلانرا كار دنيا اختيار

وفي الآية إشارة إلى أن العمل بمقتضى العقل السليم هدى والميل إلى التقليد للجهلة هوى فكما أن أهل الهدى منصورون أبداً فكذا أهل الهوى مخذولون سرمدا والى أن الخذلان واتباع الهوى من عقوبات الله المعنوية في الدنيا فلا بد من قرع باب العفو بالتوبة والسلوك إلى طريق التحقيق والإعراض عن الهوى والبدعة فإنهما شر رفيق، قال الشيخ سعدي قدس سره:

غبار هوى چشم عقلت بدوخت ... سموم هوس كشت عمرت بسوخت
وجود توشهريست پرنيك وبد ... تو سلطان دستور دانا خرد
هوا وهوس را نماند ستيز ... چوبينند سرپنچهٔ عقل تيز

واعلم أن من الهوى ما هو مذموم وهو الميل إلى الدنيا وشهواتها وإلى ما سوى الله ومنه ما هو ممدوح وهو الميل إلى العقبى ودرجاتها بل إلى الله تعالى بتجريد القلب عما سواه. قال بعضهم ناولت بعض الشبان من أرباب الأحوال دريهمات فأبى أن يأخذ فألححت عليه فألقى كفاً من الرمل في ركوته فاستقى من ماء البحر وقال كل فنظرت فإذا هو سويق سكره كثير فقال: من كان حاله معه مثل هذا يحتاج إلى دراهمك ثم أنشأ يقول:

بحق الهوى يا أهل ودي تفهموا لسان وجود بالوجود غريب
حرام على قلب تعرض للهوى يكون لغير الحق فيه نصيب

فعلى السالك أن يسأل الله الهداية إلى طريق الهوى والعشق والوصول إلى منزل الذوق في مقعد صدق فإن كل ما سوى الله تعالى هو وبال وصورة وخيال فمن أراد المعنى فلينتقل إليه من المبنى.

﴿فأقم وجهك للدين﴾ الإقامة [برپاى كردن وراست كردن] كما في «تاج المصادر» والوجه الجارحة المخصوصة وقد يعبر به عن الذات كما في قوله: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ﴾ [لقمان: ٢٢] والدين في الأصل الطاعة والجزاء واستعير للشريعة. والفرق بينه وبين الملة اعتباري فإن الشريعة من حيث إنها يطاع لها وينقاد دين ومن حيث إنها تملي وتكتب ملة. والإملال بمعنى الإملاء وهو أن يقول فيكتب آخر عنه وإقامة الوجه للدين تمثيل لإقباله على الدين واستقامته واهتمامه بترتيب أسبابه فإن من اهتم بشيء محسوس بالبصر عقد عليه طرفه ومد إليه نظره وقوّم له وجهه مقبلاً عليه. والمعنى فإذا كان حال المشركين اتباع الهوى والإعراض عن الهدى فقوّم وجهك يا محمد للدين الحق الذي هو دين الإسلام وعد له غير ملتفت يميناً وشمالاً، وبالفارسية: [پس راست دار اى محمد روى خود دين را] ﴿حنيفاً﴾ أي: حال كونك مائلاً إليه عن سائر الأديان مستقيماً عليه لا ترجع له عنه إلى غيره ويجوز أن يكون حالاً من الدين. قال في «القاموس» الحنيف الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه. وفي «المفردات» الحنف ميل عن الضلال إلى الاستقامة وتحنف فلان تحرى طريق الاستقامة وسمت العرب كل من اختتن أو حج حنيفاً تنبيهاً على أنه على دين إبراهيم عليه السلام. ومن «بلاغات الزمخشري»: الجود والحلم حاتمي وأحنفي. والدين والعلم حنيفي وحنفي أي: الجود منسوب إلى حاتم الطائي والحلم إلى أحنف بن قيس كما أن الدين منسوب إلى إبراهيم الحنيف والعلم إلى أبي حنيفة رحمه الله. وقال بعضهم في الآية الوجه ما يتوجه إليه وعمل الإنسان ودينه مما يتوجه الإنسان إليه لتسديده وإقامته. فالمعنى أخلص دينك وسدد عملك مائلاً إليه عن جميع الأديان المحرفة المنسوخة ﴿فطرة الله﴾ الفطرة الخلقة وزناً ومعنى وقولهم صدقة الفطرة أي: صدقة إنسان مفطور أي: مخلوق فيؤول إلى قولهم زكاة الرأس والمراد بالفطرة هٰهنا القابلية للتوحيد ودين الإسلام من غير إباء عنه وإنكار له. قال الراغب: فطرة الله ما فطر أي: أبدع وركز في الناس من قوتهم على معرفة الإيمان وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] وانتصابها على الإغراء أي: الزموا فطرة الله والخطاب للكل كما يفصح عنه قوله منيبين إليه والإفراد في أقم لما أن الرسول إمام الأمة فأمره مستتبع لأمرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الإخلال به باتباع الهوى وتسويل الشيطان ﴿التي فطر الناس عليها﴾ صفة لفطرة مؤكدة لوجوب الامتثال بالأمر فإن خلق الله الناس على فطرته التي هي عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من إدراكه أو عن ملة الإسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعاً فإنهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها وما اختاروا عليها ديناً آخر ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الإنس والجن ومنه قوله عليه السلام حكاية عن رب العزة «كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بي غيري» والاجتيال بالجيم الجول أي: استخفتهم فجالوا معها يقال اجتال الرجل الشيء ذهب به

وساقه كذا في «تاج المصادر»، قال ابن الكمال في كتابه المسمى بنكارستان:

بـر سـلامـت زايـد ازمـادر پـسـر   آن سـقـامـت را يـذيـرد از پـدر
صدق محض است اين كه كفتم شاهدش   در خبـر وارد شـد از خـيـر الـبـشـر

وهو قوله عليه السلام: «ما من مولود إلا وقد يولد على فطرة الإسلام ثم أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة هل تحسون فيها من جدعاء» يعني: [ببيني بريده] «حتى تكونوا أنتم تجدعونها» أي: تقطعون أنفها معناه كل مولود إنما يولد في مبدأ الخلقة وأصل الجبلة على الفطرة السليمة والطبع المتهيىء لقبول الدين فلو ترك عليها استمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها لأن هذا الدين حسنه موجود في النفوس وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية والتقليد:

بـابـدان يـاركـشـت هـمـسـر لـوط   خـانـدان نـبـوتـش كـم شـد
سـك اصـحـاب كـهـف روزى چـنـد   پـى نـيـكـان كـرفـت ومـردم شـد

فإن قلت: ما معنى قوله عليه السلام: «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً» وقد قال: «كل مولود يولد على الفطرة»؟ قلت: المراد بالفطرة استعداده لقبول الإسلام كما مر وذلك لا ينافي كونه شقياً في جبليته أو يراد بالفطرة قولهم بلى حين قال الله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] قال النووي لما كان أبواه مؤمنين كان هو مؤمناً أيضاً فيجب تأويله بأن معناه والله أعلم أن ذلك الغلام لو بلغ لكان كافراً انتهى. ثم لا عبرة بالإيمان الفطري في أحكام الدنيا وإنما يعتبر الإيمان الشرعي المأمور به المكتسب بالإرادة والفعل ألا يرى أنه يقول فأبواه يهودانه فهو مع وجود الإيمان الفطري فيه محكوم له بحكم أبويه الكافرين كما في «كشف الأسرار»، قال بعض الكبار: [هرآدمى كه باشد اورا البته سه مذهب باشد. يكى مذهب پدر ومادر وعوام شهر بود اينست «ما من مولود» الخ. دوم مذهب پادشاه ولايت بودكه اكر پادشاه عادل باشد بيشتر اهل ولايت عادل شوند واكر ظالم باشد ظالم شوند واكر زاهد باشد زاهد شوند واكر حكيم باشد حكيم شوند واكر حنفي مذهب باشد حنفي شوند واكر شافعي مذهب باشد شافعي شوند ازجهت آنكه همه كس را قرب پادشاه مطلوب باشد وهمه كس طالب ارادت ومحبت پادشاه باشند اينست معنى «الناس على دين ملوكهم» سوم مذهب يا ربود باكه صحبت دوستى مى ورزد هرآينه مذهب او كيرد ومعنى شرط صحبت مشابهت بيرون وموافقت اندرون اينست معنى «المرء على دين خليله»]:

عـن الـمـرء لا تـسـأل وابـصـر قـريـنـه   فـكـل قـريـن بـالـمـقـارن يـقـتـدي

ونعم ما قيل:

نـفـس از هـمـنـفـس بـكـيـرد خـوى   بـر حـذر بـاش ازلـقـاى خـبـيـث
بـاد چـون بـر فـضـاى بـد كـذرد   بـوى بـدكـيـرد ازهـواى خـبـيـث

﴿لا تبديل لخلق الله﴾ تعليل للأمر بلزوم فطرته تعالى لوجوب الامتثال به أي: لا صحة ولا استقامة لتبديله بالإخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه بقبول الهوى واتباع وسوسة الشيطان.

وفي «التأويلات النجمية»: لا تحويل لما له خلقهم فطر الناس كلهم على التوحيد فأقام قلب من خلقه للتوحيد والسعادة وأزاغ قلب من خلقه للإلحاد والشقاوة انتهى. يقول الفقير:

عالم الشهادة مرآة اللوح المحفوظ فلصورها تغير وتبدل وأما رحم الأم فمرآة عالم الغيب ولا تبدل لصورها في الحقيقة ولذا «السعيد سعيد في بطن أمه والشقي شقي في بطن أمه»:

مشكل آيد خلق را تغيير خلق آنكه بالذات است كى زائل شود
اصل طبعست وهمه اخلاق فرع فرع لا بد اصل را مائل شود

جعلنا الله وإياكم من المداوين لمرض هذا القلب العليل لا ممن إذا صدمه الوعظ والتذكير قيل لا تبديل ﴿ذلك﴾ الدين المأمور بإقامة الوجه له أو لزوم فطرة الله المستفاد من الإغراء أو الفطرة إن فسرت بالملة والتذكير بتأويل المذكور أو باعتبار الخبر ﴿الدين القيم﴾ المستوي الذي لا عوج فيه وهو وصف بمعنى المستقيم المستوي ﴿ولكن أكثر الناس﴾ كفار مكة ﴿لا يعلمون﴾ استقامته فينحرفون عنه انحرافاً وذلك لعدم تدبرهم وتفكرهم.

﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿منيبين إليه﴾ حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله أو في أقم لعمومه للأمة وما بينهما اعتراض وهو من أناب إذا رجع مرة بعد أخرى. والمعنى الزموا على الفطرة أو فأقيموا وجوهكم للدين حال كونكم راجعين إليه تعالى وإلى كل ما أمر به مقبلين عليه بالطاعة [شيخ أبو سعيد خراز قدس سره فرموده كه انابت رجوع است از خلق بحق ومنيب اورا كويندكه جز حق سبحانه مرجعى نباشد].

تو مرجعى همه را من رجوع باكه كنم كرم تودرنپذيري كجا روم چه كنم

قال ابن عطاء قدس سره: راجعين إليه من الكل خصوصاً من ظلمات النفوس مقيمين معه على حد آداب العبودية لا يفارقون عرصته بحال ولا يخافون سواه. قال إبراهيم بن أدهم قدس سره: إذا صدق العبد في توبته صار منيباً لأن الإنابة ثاني درجة التوبة ﴿واتقوه﴾ أي: من مخالفة أمره وهو عطف على الزموا المقدر ﴿وأقيموا الصلاة﴾ أدوها في أوقاتها على شرائطها وحقوقها. قال الراغب إقامة الشيء توفية حقه ولم يأمر تعالى بالصلاة حيث أمر ولا مدح بها حيثما مدح إلا بلفظ الإقامة تنبيهاً على أن المقصود منها توفية شرائطها لا الإتيان بهيئاتها ﴿ولا تكونوا من المشركين﴾ المبدلين لفطرة الله تبديلاً. وقال الكاشفي: [ومباشيد از شرك آرندكان بترك نماز متعمداً خطاب با أمّت است. درتيسير ازشيخ محمد اسلم طوسى رحمه الله نقل ميكندكه حديثى بمن رسيده كه هرچه ازمن روايت كنند عرض كنيد بركتاب خداى تعالى اكر موافق بود قبول كنيد من اين حديث را كه «من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر» خواستم كه بآيتى از قرآن موافقت كنم سى سال تأمل كردم تا اين آيه يافتم كه] ﴿وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين﴾.

﴿من الذين فرقوا دينهم﴾ بدل من المشركين بإعادة الجار. والمعنى بالفارسية: [مباشيد از آنكه جدا كرده اند وپراكنده ساخته دين خودرا] وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدون على اختلاف أهوائهم وفائدة الإبدال التحذير عن الانتماء إلى ضرب من اضراب المشركين ببيان أن الكل على الضلال المبين ﴿وكانوا شيعاً﴾ أي: فرقاً مختلفة يشايع كل منها أي: يتابع إمامها الذي هو أصل دينها ﴿كل حزب﴾ [هر كروهى]. قال في «القاموس»: الحزب جماعة الناس

﴿بما لديهم﴾ بما عندهم من الدين المعوج المؤسس على الزيغ والزعم الباطل ﴿فرحون﴾ مسرورون ظناً منهم أنه حق وأنى لهم ذلك:

هركسى را درخور مقدار خويش   هست نوعى خوشدلى دركار خويش
ميكند اثبات خويش ونفى غير   چه امام صومعه چه پير دير

اعلم أن الدين عند الله الإسلام من لدن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا وإن اختلفت الشرائع والأحكام بالنسبة إلى الأمم والأعصار وأن الناس كانوا أمة واحدة ثم صاروا فرقاً مختلفة يهوداً ونصارى ومجوساً وعابدي وثن وملك ونجم ونحو ذلك. وقد روي أن أمة إبراهيم عليه السلام صارت بعده سبعين فرقة كلهم في النار إلا فرقة واحدة وهم الذين كانوا على ما كان عليه إبراهيم في الأصول والفروع. وأن أمة موسى عليه السلام صارت بعده إحدى وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة كانت على اعتقاد موسى وعمله. وأن أمة عيسى عليه السلام صارت بعده ثنتين وسبعين فرقة كلهم في النار إلا من وافقه في اعتقاده وعمله. وأن أمة محمد عليه السلام صارت بعده ثلاثاً وسبعين فرقة كلهم في النار إلا فرقة واحدة وهم الذين كانوا على ما كان عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه وهم الفرقة الناجية. وهذه الفرق الضالة كليات وإلا فجزئيات المذاهب الزائغة كثيرة لا تحصى كما قال بعضهم: [من درولايت پارس صد مذهب يافتم كه آن صد مذهب باين هفتاد وسه مذهب هيچ تعلق ندارد وبهيچ وجه باين نماند پس وقتى كه دريك ولايت صد مذهب باشد جز آن هفتاد وسه مذهب نظركن در عالم چند مذهب بود بدانكه اصل اين هفتاد ودو مذهب كه از اهل آتش اند شش مذهب است. تشبيه. وتعطيل. وجبر. وقدر. ورفض. ونصب اهل تشبيه خدايرا بصفات ناسزا وصف كردند وبمخلوقات ما نندكردند. واهل تعطيل خدايرا منكر شد ندو نفى صفات خدا كردند. واهل جبر اختيار وفعل بندكانرا منكر شدند وبندكىء خودرا بخداوند اضافت كردند. واهل قدر خدايى خدايرا بخود اضافت كردند وخودرا خالق افعال خود كفتند. واهل رفض دردوستىء علي رضي الله عنه غلو كردند ودر حق صديق وفاروق طعن كردند وكفتندكه هركه بعد از محمد عليه السلام بلا فصل بأعلى بيعت نكردند واورا خليفه وإمام ندانستند ازدائرهء ايمان بيرون رفتند. واهل نصب دردوستىء صديق وفاروق رضي الله عنهما غلو كردند ودرحق على طعن كردند وكفتند هركه بعد از محمد عليه السلام با صديق بيعت نكردند واورا خليفه وإمام ندانستند ازدائرهء ايمان بيرون رفتند وهريك ازين فرقهء شش كانه دوازده فرق شدند وهفتاد ودوفرقه آمدند. واين مذاهب حالا موجودست وجمله از قران واحاديث ميكويند وهريك اين چنين ميكويندكه از اوّل قرآن تا آخر قرآن بيان مذهب ماست اما مردم فهم نمى كنند. واصل خلاف از آنجا پيدا آمدكه مردمان شنيدند ازانبيا عليهم السلام كه اين موجوداترا خداوندى هست هركسى در خداوند وصفات خداوندى چيزى اعتقاد كردند وچنين كمان بردندكه اين جمله دلائل ايشان راست ودرست است وآن كمان ايشان خطابود زيرا جمله را اتفاق هست كه «طريق العقل واحد» چون طريق عقل دونمى شايد هفتاد وسه وبلكه زياده كى روا باشد واين سخن ترابيك حكايه معلوم سودچنانكه هيچ شبهت نماند ـ وحكايت ـ آوردندكه شهرى بودكه اهل آن شهر جمله نابينا بود وحكايت پيل شنيده بودند ميخواستندكه پيل را مشاهد كنند ودرين آرزو مى بودند ناكاه روزى كاروانى رسيد وبردر آن شهر فرو آمد ودرانكاروان پيلى

بود اهل آن شهر شنيدند پيل آورده اند آنچه عاقلترين ايشان بودند كفتندكه بيرون رويم وپيل را مشاهده كنيم. جماعتى ازان شهر بيرون آمدند وبنزديك پيل آمدند. يكى دست دراز كردكوش پيل بدست وى آمد چيزى ديد همچون سپرى اين كس اعتقاد كردكه پيل همچون سپرست. ويكى ديكردست دراز كرد وخرطوم پيل بدست او آمد چيزى ديدى همچون عمودى اين كس اعتقاد كردكه پيل همچون عموديست. ويكى ديكردست دراز كرد وپشت پيل بدست وى آمد چيزى ديد همچون تخت اين كس اعتقاد كردكه پيل همچون تختيست. ويكى ديكر دست دراز كرد وپاى پيل بدست او آمد چيزى ديد همچون عمادى اين كس اعتقاد كردكه پيل همچون عماديست. جمله شادمان شدند وباز كشتند وبشهر در آمدند هركسى محله خود رفتند. سؤال كردندكه پيل را ديديد كفتندكه ديديم كفتند چكونه ديديد وچه شكل بود. يكى در محله خود كفت پيل همچون سپر بود. وديكر در محلهٔ خود كفت پيل همچون عمود بود واهل هر محله چنانكه شنيدند اعتقاد كردند. چون جمله بيكديكر رسيدند همه خلاف يكديكر كفته بودند جمله يكديكررا منكر شدند ودليل كفتن آغاز كردند هريك باثبات اعتقاد خود ونفى اعتقاد ديكران كرد وآن دليل را دليل عقلى ونقلى نام نهادند. يكى كفت كه پيل را نقل كنندكه در روز جنك پيش لشكرى دارند بايدكه پيل همچون سپرى باشد. وديكر كفت كه نقل ميكنند كه پيل روز جنك خودرا برلشكر خصم مى زند ولشكر خصم بدين شكست ميشود پس بايدكه پيل همچون عمودى باشد. وديكر كفت كه نقل ميكنندكه پيل هزار من بار برميدارد وزحمتى بوى نمى رسد پس بايدكه پيل همچون عمادى باشد. وديكر كفت نقل ميكنندكه چندين كس برپيل مينشيند پس بايدكه پيل همچون تختى باشد. اكنون توباخود انديشه كن كه ايشان بدين دلائل هركز بمدلول كه پيل است كجا رسند وبترتيب اين مقدمات هركز نتيجه راست راكجا يابند جمله عاقلا نرا دانندكه هر چندين ازين نوع دليل بيشتر كويند از معرفت پيل دور افتند وهركز بمدلول كه پيل است نرسند واين اختلاف ازميان ايشان برنخيزد وبكله زياده شود. چون عنايت حق دررسد ويكى ازميان ايشان بيناشود وپيل را چنانكه پيل است ببيند وبداند وباايشان كويدكه اين كه شما ازپيل حكايت ميكنيد چيزى ازپيل دانستيد وباقى ديكر ندانستيد مرا خداى تعالى بينا كردانيد كويند ترا خيالست ودماغ توخلل يافته است وديوانكى ترا زحمت مى دهد واكر نه بينا ماييم كس سخن بينارا قبول نكند مكراندك باقى برهمان جهل مركب اصرار نمايند وازان رجوع نكنند. وآنكه درميان ايشان سخن بينارا شنود وقبول كند وموافقت كند اورا كافر نام نهند «وليس الخبر كالمعاينة» اكنون مذاهب مختلفه را همچون مى دان كه شنيدى اين موجوداترا خداوندى هست وهريك درذات وصفات خداوندى چيزى اعتقاد كردند چون بايكديكر حكايت كردند وقرآن واحاديث را آنچه موافق اعتقاد ايشان نبود تأويل كردند وباعتقاد خود راست كردند. پس هركه ازسر انصاف تأمل كند وتقليد وتعصب را بكذارد بيقين داندكه اين جملهٔ اعتقادات نه بدليل نقلى ونه بدليل عقلى درستست زيرا كه دلائل عقلى ونقلى مقتضى يك اعتقاد بيش نباشد بس اعتقاد جمله بلا دليل است وجمله مقلد انند واز مقلد كى روا باشدكه ديكريرا كويدكه اوكمراه وكافرست زيرا كه درنادانى باهمه برابرند. پس مذهب مستقيم آنست كه دروى تشبيه وتعطيل وجبر وقدر ورفض ونصب نباشد اسلامست ودرمذهب اهل سنت وجماعتست ازجهت آنكه معنى سنت وجماعة آنست سنت رسول وعقيدة الصحابة. واعتقاد

صحابه آنست كه خدايكيست. وموصوفست بصفات سزا. ومنزه است ازصفات ناسزا. وذات وصفات اوقديمست ولا غيره كالواحد من العشرة. واورا ضدّ وند ومثل وشريك وزن وفرزند وحيز ومكان نيست وامكان نداردكه باشد. واو ازچيزى نيست وبر چيزى نيست ودرچيزى نيست وبچيزى نيست بلكه همه چيزازوى است وقائم بوى است وباقى بوى است. واوديدنى نيست بچشم سر وديدار اودردنيا جائز نيست ودر آخرت اهل بهشت را هرآينه خواهد بود. وكلام اوقديمست. واو فاعل مختارست وخالق خير وشر وكفر وايمانست. وجزوى خالق ديكرنيست. خالق عباد وافعال عبادست. وعباد خالق افعال خود نيستند اما فاعل مختارند. وهيچ صفتى ز صفات مخلوقات بوى نماند. وهرچه در خاطر ووهم كسى آيد از خيال وامثال كه وى آنست وى آن نيست وى آفريدكارانست ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾ [الزخرف: ١١] وفعل او از علت وغرض پاك ومنزه. وهيچ چيزى بروى واجب نيست. وفرستادن انبيا ازوى فضل است. وانبيا معصومند وغير انبيا كسى معصوم نيست. ومحمد عليه السلام ختم انبياست وبهترين ودانا ترين آدميانست. وبعد از محمد عليه السلام أبو بكر خليفه وإمام بحق بود. وبعد از أبو بكر عمر خليفه وامام بحق بود. وبعد ازو عثمان وامامت بعلى تمام شد. واجماع صحابه واجماع علما بعد ازصحابه حجتست. واجتهاد وقياس از علما درست است. ودرين جمله كه كفته شد أبو حنيفه وشافعى را اتفاقست].

واعلم أن الشيخين الكاملين من طائفة أهل الحق اسم أحدهما الشيخ أبو الحسن الأشعري من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ومن ذهب إلى طريقه واعتقد موافقاً لمذهبه يسمونه الأشعرية واسم الآخر الشيخ أبو منصور الماتريدي رحمه الله وكل من اعتقد موافقاً لمذهب هذا الشيخ يسمونه الماتريدية. ومذهب أبي حنيفة موافق لمذهب الشيخ الثاني وإن جاء الشيخ الثاني بعد أبي حنيفة بمدة. ومذهب الشافعي موافق لمذهب الشيخ الأول في باب الاعتقاد وإن جاء بعد الشافعي بمدة والماتريديون حنفيون في باب الأعمال كما أن الأشاعرة شافعيون في باب الأعمال والتزام مذهب من المذاهب الحقة لازم لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩] والاحتراز عن المذاهب الباطلة واجب لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ [الحشر: ٧] وقد نهى عليه السلام عن مجالسة أهل الأهواء والبدع وتبرأ منهم. وفي الحديث «يجيء قوم يميتون السنة ويدغلون في الدين فعلى أولئك لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين». وقد تفرق أهل التصوف على ثنتي عشرة فرقة فواحدة منهم سنيون وهم الذين أثنى عليهم العلماء والبواقي بدعيون وهم الخلوتية والحالية والأوليائية والشمراخية والحبية والحورية والإباحية والمتكاسلة والمتجاهلة والواقفية والإلهامية. وكان الصحابة رضي الله عنهم من أهل الجذبة ببركة صحبة النبي عليه السلام ثم انتشرت تلك الجذبة في مشايخ الطريقة وتشعبت إلى سلاسل كثيرة حتى ضعفت وانقطعت عن كثير منهم فبقوا رسميين في صورة الشيوخ بلا معنى ثم انتسب بعضهم إلى قلندر وبعضهم إلى حيدر وبعضهم إلى أدهم إلى غير ذلك وفي زماننا هذا أهل «الإرشاد» أقل من القليل. ويعلم أهله بشاهدين أحدهما ظاهر والآخر باطن فالظاهر استحكام الشريعة والباطن السلوك على البصيرة فيرى من يقتدي به وهو النبي عليه السلام ويجعله واسطة بينه وبين الله حتى لا يكون سلوكه على العمى. قال بعض الكبار: [هركه درچنين وقت افتدكه

اعتقادات بسيار واختلافات بى شمار باشد يادران شهر يادر ولايت دانايى نباشد مذهب مستقيم آنست كه دوازده چيزرا حرفت خود سازدكه اين دوازده چيز حرفت دانا يانست وسبب نور وهدايت. اول آنكه بانيكان صحبت دارد. دوم آنكه فرمان برداریء ايشان كند. سوم آنكه ازخداى راضى شود. چهارم آنكه باخلق خداى صلح كند. پنجم آنكه آزارى بخلق نرساند. ششم آنكه اكرتواند راحت رساندااين شش چيزاست معنى «التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله» هفتم متقى وپر هيزكار وحلال خورباشد. هشتم ترك طمع وحرص كند. نهم آنكه باهيچكس بدنكويد مكر بضرورت وهركز بخود كمال دانايى نبرد. دهم آنكه اخلاق نيك حاصل كند. يازدهم آنكه پيوسته برياضات ومجاهدات مشغول باشد. دوازدهم آنكه بى دعوى باشد وهميشه نياز مندبودكه اصل جمله سعادات وتخم جمله درجات اين دوازده چيزست درهزكه اين دوازده چيزهست مردى ازمردان خدايست ورونده وسالك راه حق ودرهركه اين دوازده چيزنيست اكر صورت عوام دارد ودر لباس خواصست ديواست وكمراه كننده مردم است] الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولا تكونوا من المشركين﴾ الملتفتين إلى غير الله ﴿من الذين فرقوا دينهم﴾ الذي كانوا عليه في الفطرة التي فطر الناس عليها من التجريد والتفريد والتوحيد والمراقبة في مجلس الأنس والملازمة للمكالمة مع الحق ﴿وكانوا شيعاً﴾ أي: صاروا فرقاً فريقاً منهم مالوا إلى نعيم الجنان وفريقاً منهم رغبوا في نعيم الدنيا بالخذلان وفريقاً منهم وقعوا في شبكة الشيطان فساقهم بتزيين حب الشهوات إلى دركات النيران ﴿كل حزب﴾ من هؤلاء الفرق ﴿بما لديهم﴾ من مشتهى نفوسهم ومقتضى طبائعهم ﴿فرحون﴾ فجالوا في ميادين الغفلات واستغرقوا في بحار الشهوات وظنوا بالظنون الكاذبة أن جذبتهم إلى ما فيه السعادة الجاذبة فإذا انكشف ضباب وقتهم وانقشع سحاب جهدهم انقلب فرحهم ترحاً واستيقنوا أنهم كانوا في ضلالة ولم يعرجوا إلا إلى أوطان الجهالة كما قيل:

سوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿وإذا مس الناس﴾ [وچون برسد آدميان يعني مشركان مكه را] ﴿ضر﴾ سوء حال من الجوع والقحط واحتباس المطر والمرض والفقر وغير ذلك من أنواع البلاء. قال في «المفردات» المس يقال في كل ما ينال الإنسان من أذى ﴿دعوا ربهم﴾ حال كونهم ﴿منيبين إليه﴾ راجعين إليه من دعاء غيره لعلمهم أنه لا فرج عند الأصنام ولا يقدر على كشف ذلك عنهم غير الله ﴿ثم إذا أذاقهم﴾ [پس چون بچشاند ايشانرا] ﴿منه﴾ من عنده ﴿رحمة﴾ خلاصاً وعافية من الضر النازل بهم وذلك بالسعة والغنى والصحة ونحوها ﴿إذا فريق منهم بربهم يشركون﴾ أي: فاجأ فريق منهم بالعود إلى الإشراك بربهم الذي عافاهم، وبالفارسية [آنكاه كروهى ازيشان بپروردكار خود شرك آرند يعنى در مقابلهء نجات ازبلا چنين عمل كنند] وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما أن بعضهم ليسوا كذلك كما في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان: ٣٢] أي: مقيم على الطريق القصد أو متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ اللام فيه للعاقبة والمراد

بالموصول نعمة الخلاص والعافية ﴿فتمتعوا﴾ أي: بكفركم قليلاً إلى وقت آجالكم وهو التفات من الغيبة إلى الخطاب. وفي «كشف الأسرار» [كوى برخوريد وروزكار فراسر بريد] وقال الكاشفي، يعني: [أي كافران برخوريد دوسه روز از نعمتهاى دينوى] ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة تمتعكم في الآخرة وهي العقوبة.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى طبيعة الإنسان أنها ممزوجة من هداية الروح وإطاعته ومن ضلالة النفس وعصيانها وتمردها فالناس إذا أظلتهم المحنة ونالتهم الفتنة ومستهم البلية انكسرت نفوسهم وسكنت دواعيها وتخلصت أرواحهم من أسر ظلمة شهواتها ورجعت على وفق طبعها والمجبولة عليه إلى الحضرة ورجعت النفوس أيضاً بموافقة الأرواح على خلاف طباعها مضطرين في دفع البلية إلى الله مستغيثين بلطفه مستجيرين من محنهم مستكشفين للضر فإذا جاد عليهم بكشف ما نالهم ونظر إليهم باللطف فيما أصابهم ﴿إذا فريق منهم﴾ وهم النفوس المتمردة يعودون إلى عادتهم المذمومة وطبيعتهم الدنيئة وكفران النعمة ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ من النعمة والرحمة ثم هدّدهم بقوله: ﴿فتمتعوا فسوف تعلمون﴾ جزاء ما تعملون على وفق طباعكم اتباعاً لهواكم.

﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿أم أنزلنا﴾ [آيافرستاده ايم] ﴿عليهم سلطاناً﴾ أي: حجة واضحة كالكتاب ﴿فهو يتكلم﴾ تكلم دلالة كما في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ [الجاثية: ٢٩] ﴿بما كانوا به يشركون﴾ أي: بإشراكهم به تعالى وصحته فتكون ما مصدرية أو بالأمر الذي بسببه يشركون في ألوهيته فتكون موصولة والمراد بالاستفهام النفي والإنكار أي: لم ننزل عليهم ذلك. وفيه إشارة إلى أن أعمال العباد إذا كانت مقرونة بالحجة المنزلة تكون حجة لهم وإن كانت من نتائج طباع نفوسهم الخبيثة تكون حجة عليهم فالعمل بالطبع هوى وبالحجة هدى فقد دخل فيه أفعال العباد صالحاتها وفاسداتها وإن كانوا لا يشعرون ذلك فيظنون بعض أعمالهم الخبيثة طيبة من غير سلطان يتكلم لهم بطيبها ونعوذ بالله من الخوض في الباطل واعتقاد أنه أمر تحته طائل:

ترسم نرسى بكعبه اى اعرابى كين ره كه توميروى بتركستانست

﴿وإذا أذقنا الناس رحمة﴾ أي: نعمة وصحة وسعة ﴿فرحوا بها﴾ بطراً وأشراً لا حمداً وشكراً وغرتهم الحياة الدنيا وأعرضوا عن عبودية المولى ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ أي: شدة من بلاء وضيق ﴿بما قدمت أيديهم﴾ أي: بشؤم معاصيهم ﴿إذا هم يقنطون﴾ فاجأوا القنوط واليأس من رحمة الله تعالى، وبالفارسية: [آنكاه ايشان نوميد وجزع ميكنند يعنى نه شكر ميكذارند در نعمت ونه صبردارند برمحنت] وهذا وصف الغافلين المحجوبين وأما أهل المحبة والإرادة فسواء نالوا ما يلائم الطبع أو فات عنهم ذلك فإنهم لا يفرحون ولا يحزنون كما قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ﴾ [الحديد: ٢٣] فلما كان بهم من قوة الاعتماد على الله تعالى لا يقنطون من الرحمة الظاهرة والباطنة ويرون التنزلات من التلوينات فيرجعون إلى الله بتصحيح الحالات بأنواع الرياضات والمجاهدات ويصبرون إلى ظهور التمكينات والترقيات.

بصبر كوش دلاروز هجر فائده نيست طبيب سربت تلخ از براى فائده ساخت

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿أولم يروا﴾ أي: ألم ينظروا ولم يشاهدوا ﴿أن الله﴾ الرزاق ﴿يبسط الرزق لمن يشاء﴾ أي: يوسعه لمن يرى صلاحه في ذلك ويمتحنه بالشكر ﴿ويقدر﴾ أي: يضيقه لمن يرى نظام حاله في ذلك ويمتحنه بالصبر ليستخرج منهم بذلك معلومه من الشكر والكفران والصبر والجزع فما لهم لا يشكرون في السراء ولا يتوقعون الثواب بالصبر في الضراء كالمؤمنين. قال شقيق رحمه الله كما لا تستطيع أن تزيد في خلقك ولا في حياتك كذلك لا تستطيع أن تزيد في رزقك فلا تتعب نفسك في طلب الرزق.

رزق اكر بر آدمى عاشق نمى باشد چرا — اززمين كندم كريبان چاك مى آيد چرا

﴿إن في ذلك﴾ المذكور من القبض والبسط ﴿لآيات لقوم يؤمنون﴾ فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة، قال أبو بكر محمد بن سابق:

فكم قوي قوي في تقلبه — مهذب الرأي عنه الرزق ينحرف
وكم ضعيف ضعيف في تقلبه — كأنه من خليج البحر يغترف
هذا دليل على أن الاله له — في الخلق سر خفي ليس ينكشف

ـ وحكي ـ أنه سئل بعض العلماء ما الدليل على أن للعالم صانعاً واحداً؟ قال: ثلاثة أشياء: ذل اللبيب، وفقر الأديب، وسقم الطبيب.

قال في «التأويلات النجمية»: الإشارة فيه إلى أن لا يعلق العباد قلوبهم إلا بالله لأن ما يسوءهم ليس زواله إلا من الله وما يسرهم ليس وجوده إلا من الله فالبسط الذي يسرهم ويؤنسهم منه وجوده والقبض الذي يسوءهم ويوحشهم منه حصوله فالواجب لزوم بابه بالأسرار وقطع الأفكار عن الأغيار انتهى؛ إذ لا يفيد للعاجز طلب مراده من عاجز مثله فلا بد من الطلب من القادر المطلق الذي هو الحق. قال إبراهيم بن أدهم قدس سره: طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر. فعلى العاقل تحصيل سكون القلب والفناء عن الإرادات فإن الله تعالى يفعل ما يريد على وفق علمه وحكمته. وفي الحديث «إنما يخشى المؤمن الفقر مخافة الآفات على دينه» فالملحوظ في كل حال تحقيق دين الله المتعال وتحقيقه إنما يحصل بالامتثال إلى أمر صاحب الدين وقد أمر بالتوكل واليقين في باب الرزق فلا بد من الائتمار وإخراج الأفكار من القلب فإن من شك في رازقه فقد شك في خالقه.

ـ كما حكي ـ أن معروفاً الكرخي قدس سره اقتدى بإمام فسأله الإمام بعد الصلاة وقال له: من أين تأكل يا معروف؟ فقال معروف: اصبر يا إمام حتى أقضي ما صليت خلفك ثم أجيب فإن الشاك في الرازق شاك في الخالق ولا يجوز اقتداء المؤمن الموقن بالمتزلزل المتردد ولذا قال تعالى: ﴿لقوم يؤمنون﴾ فإن غير المؤمن لا يعرف الآيات ولا يقدر على الاستدلال بالدلالات فيبقى في الشك والتردد والظلمات. قال هرم لأويس رضي الله عنه: أين تأمرني أن أكون فأومأ إلى الشام فقال هرم: كيف المعيشة بها قال أويس: أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها العظة أي: لأن العظة كالصقر لا يصيد إلا الحي والقلب الذي خالطه الشك بمثابة الميت فلا يفيده التنبيه نسأل الله سبحانه أن يوقظنا من سنة الغفلة ولا يجعلنا من المعذبين

بعذاب الجهالة إنه الكريم الرؤوف الرحيم.

﴿فآت﴾ أعطِ يا من بسط له الرزق ﴿ذا القربى﴾ صاحب القرابة ﴿حقه﴾ من الصلة والصدقة وسائر المبرات يحتج أبو حنيفة رحمة الله بهذه الآية على وجوب النفقة لذوي الأرحام المحارم عند الاحتياج ويقيسهم الشافعي على ابن العم فلا يوجب النفقة إلا على الولد والوالدين لوجود الولاد ﴿والمسكين وابن السبيل﴾ ما يستحقانه من الصدقة والإعانة والضيافة فإن ابن السبيل هو الضيف كما في «كشف الأسرار».

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن القرابة على قسمين: قرابة النسب، وقرابة الدين، فقرابة الدين أمس والمراعاة أحق وهم الإخوان في الله والأولاد من صلب الولاية من أهل الإرادة الذين تمسكوا بأذيال الأكابر منقطعين إلى الله مشتغلين بطلب الله متجردين عن الدنيا غير مستفزعين بطلب المعيشة فالواجب على الأغنياء بالله القيام بأداء حقوقهم فيما يكون لهم عوناً على الاشتغال بمواجب الطلب بفراغ القلب والمسكين من يكون محروماً من صدق الطلب وهو من أهل الطاعة والعبادة أو طالب العلم فمعاونته بقدر الإمكان وحسب الحال واجب وابن السبيل وهو المسافر والضيف فحقه القيام بشأنه بحكم الوقت فمن يكون همته في الطلب أعلى فهو من أقارب ذوي القربى وبإيثار الوقت عليه أولى فحقه آكد وتفقده أوجب انتهى. قال في «كشف الأسرار»: [قرابت دين سزاوار ترست بمواساة ازقرابت نسب مجرد زيرا كه قرابت نسب بريده كردد وقرابت دين روانيست كه هركز بريده كردد اينست كه مصطفى عليه السلام كفت «كل نسب وسبب ينقطع إلا نسبي وسببي» قرابت دين است كه سيد عالم صلوات الله عليه وسلامه اضافت باخود كردد ودينداران‌را نزديكان وخويشان خود شمرد بحكم اين آيت وهركه روى بعبادة الله آرد وبر وظائف طاعات مواظبت نمايد ونعمت مراقب برسردارد ودروقت ذكر الله نشيند چنانكه باكسب وتجارت نپردازد وطلب معيشت نكند كما قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] اورا برمسلمانان حق مواسات واجب شود اورا مراعات كنند ودل وى از ضرورت قوت فارغ دارند چنانكه رسول خدا كرد باصحاب صفهٔ وايشان بودندكه در صفه پيغمبر وطن داشتند وصفهٔ پيغمبر جاييست بمدينه كه آنرا قبا خوانند از مدينه تا آنجا دوفرسنك است رسول الله خدا روزى ما حضرى درپيش داست وبعضى اهل بيت خويش را كفت «لا أعطيكم وادع اصحاب الصفة تطوى بطونهم من الجوع» اين أصحاب صفه چهل تن بودند ازدنيا بيكباركى اعراض كرده واز طلب معيشت بر خاسته وباعبادت وذكر الله پرداخته وبرفتوح وتجريد روز بسر آورده وبيشترين ايشان برهنه بودند خويشتن را درميان پنهان كرده چون وقت نماز بودى آنكروه كه جامه داشتند نماز كردندى آنكه جامه برديكران دادندى واصل مذهب تصوف ازايشان كرفته اندازدنيا اعراض كردن وازراه خصومت بر خاستن وبر توكل زيستن وبيافته قناعت كردن وآز وحرص وشره بكذاشتن] قال الشيخ سعدي قدس سره:

بر اوج فلك چون پرد چره باز ... كه بر شهپرش بسته سنك آز
ندارند تن پروران آكهى ... كه پر معده باشد ز حكمت تهى

﴿ذلك﴾ أي: إيتاء الحق وإخراجه من المال ﴿خير﴾ من الإمساك ﴿للذين يريدون وجه الله﴾ أي: يقصدون بمعروفهم إياه تعالى خالصاً فيكون الوجه بمعنى الذات أو جهة التقرب إليه

لا جهة أخرى من الأغراض والأعواض فيكون بمعنى الجهة. قال في «كشف الأسرار»: المريد هو الذي يؤثر حق الله على نفسه. جنيد قدس الله روحه [مريديرا وصيت ميكرد وكفت چنان كن كه خلق را بارحمت باشى وخودرا بلاكه مؤمنان ودوستان از الله بر خلق رحمت اند وچنان كن كه درسايهء صفات خود نه نشينى تاديكران درسايهء تو بياسايند. ذو النون مصرى را پرسيدندكه مريد كيست ومراد كيست كفت «المريد يطلب والمراد يهرب». مريد مى طلبد وازو صدر هزارنياز. ومراد مى كريزد واورا صد هزارناز مريد بادل سوزان. مرادبا مقصود بربساط خندان. مريد در خبر آويخته. مراد درعيان آميخته. پيررا پرسيدند مريد به يا مراد از حقيقت تفريد جواب دادكه «لا مريد ولا مراد ولا خبر ولا استخبار ولا حد ولا رسم وهو الكل بالكل» اين چنانست كه كويند]:

اين جاى نه عشقست نه شوق نه يار خود جمله تويى خصومت ازره بردار

﴿**وأولئك**﴾ [آن كروه منفقان] ﴿**هم المفلحون**﴾ الفائزون بالمطلوب في الآخرة حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم. والمعنى لهم في الدنيا خير وهو البركة في مالهم لأن إخراج الزكاة يزيد في المال:

زكات مال بدركن كه فضلهء رزرا چو باغبان ببرد بيشتر دهد انكور

وفي الآخرة يصير لطاعة ربه في إخراج الصدقة من الفائزين بالجنة:

توانكرا چودل ودست كامرانت هست بخور ببخش كه دنيا وآخرت بردى

وعن علي رضي الله عنه أن المال حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام. وكان لقمان إذا مر بالأغنياء يقول: يا أهل النعيم لا تنسوا النعيم الأكبر وإذا مر بالفقراء يقول: إياكم أن تغبنوا مرتين. وعن علي رضي الله عنه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء فما جاع فقير إلا بما منع غني والله يسألهم عن ذلك. قال بعضهم: أول ما فرض الصوم على الأغنياء لأجل الفقراء في زمن الملك طهمورث ثالث ملوك بني آدم وقع القحط في زمانه فأمر الأغنياء بطعام واحد بعد غروب الشمس وبإمساكهم بالنهار شفقة على الفقراء وإيثاراً عليهم بطعام النهار وتعبداً وتواضعاً لله تعالى:

توانكرانرا وقفست وبذل ومهماني زكاة وفطرة وإعتاق وهدى وقرباني
توكى بدولت ايشان رسى كه نتوانى جزاين دو ركعت وآن هم بصد پريشانى
شرف نفس بجودست وكرامت بسجود هركه اين هردوندارد عدمش به زوجود

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿**وما**﴾ [چيزى كه وآنچه] ﴿**آتيتم**﴾ [مى دهيد] ﴿**من ربا**﴾ كتب بالواو للتفخيم على لغة من يفخم في أمثاله من الصلاة والزكاة أو للتنبيه على أصله لأنه من ربا يربو زاد وزيدت الألف تشبيهاً بواو الجمع وهي الزيادة في المقدار بأن يباع أحد مطعوم أو نقد بنقد بأكثر منه من جنسه ويقال له ربا الفضل أو في الأجل بأن يباع أحدهما إلى أجل ويقال له ربا النساء وكلاهما محرّم. والمعنى من زيادة خالية من العوض عند المعاملة ﴿**ليربوا في أموال الناس**﴾ ليزيد

ويزكو في أموالهم، يعني: [تازيادتى درمال سود خوران بديد آيد] ﴿فلا يربوا عند الله﴾ لا يزيد عنده ولا يبارك له فيه كما قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا﴾ [البقرة: ٢٧٦] وقال بعضهم: المراد بالربا في الآية هو أن يعطي الرجل العطية أو يهدي الهدية ويثاب ما هو أفضل منها فهذا ربا حلال جائز ولكن لا يثاب عليه في القيامة لأنه لم يرد به وجه الله وهذا كان حراماً للنبي عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ [المدثر: ٦] أي: لا تعط ولا تطلب أكثر مما أعطيت كذا في «كشف الأسرار» يقول الفقير: قوله تعالى: ﴿من ربا﴾ يشير إلى أنه لو قال المعطي للآخذ أنا لا أعطي هذا المال إياك على أنه ربا وجعله في حل لا يكون حلالاً ولا يخرج عن كونه ربا لأن ما كان حراماً بتحريم الله تعالى لا يكون حلالاً بتحليل غيره وإلى أن المعطي والآخذ سواء في الوعيد إلا إذا كانت الضرورة قوية في جانب المعطي فلم يجد بدّاً من الأخذ بطريق الرباء بأن لا يقرضه أحد بغير معاوضة ﴿وما آتيتم من زكاة﴾ مفروضة أو صدقة سميت زكاة لأنها تزكو وتنمو ﴿تريدون وجه الله﴾ تبتغون به وجهه خالصاً أي: ثوابه ورضاه لا ثواب غيره ورضاه بأن يكون رياء وسمعة ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ أي: ذووا الأضعاف من الثواب كما قال تعالى: ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦] ونظير المضعف المقوي لذوي القوة والموسر لذوي اليسار أو الذين أضعفوا ثوابهم وأموالهم ببركة الزكاة وإنما قال: ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ فعدل عن الخطاب إلى الأخبار إيماء إلى أنه لم يخص به المخاطبون بل هو عام في جميع المكلفين إلى قيام الساعة.

قال سهل رحمه الله: وقع التضعيف لإرادة وجه الله به لا بإيتاء الزكاة وزكاة البدن في تطهيره من المعاصي وزكاة المال في تطهيره من الشبهات.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن في إنفاق المال في سبيل الله تزكية النفس عن لوث حب الدنيا كما كان حال أبي بكر رضي الله عنه حيث تجرد عن ماله تزكية لنفسه كما أخبر الله تعالى عن حاله بقوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠﴾ [الليل: ١٧-٢٠] أي: شوقاً إلى لقاء ربه ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ أي: يعطون أضعاف ما يرجون ويتمنون لأنهم بقدر هممهم وحسب نظرهم المحدث يرجون والله تعالى بحسب إحسانه وكرمه القديم يعطي عطاء غير منقطع انتهى.

واعلم أن المال عارية مستردة في يد الإنسان ولا أحد أجهل ممن لا ينقذ نفسه من العذاب الدائم بما لا يبقى في يده وقد تكفل الله بأعواض المنفق، وفي «المثنوي»:

كفت پيغمبركه دائم بهر پند ... دو فرشته خوش منادى ميكنند
كاى خدايا منفقارنرا سيردار ... هردر مشانرا عوض ده صد هزار
اى خدايا ممسكانرا درجهان ... تومده الا زيان اندر زيان
كرنماند ازجود دردست تومال ... كى كند فضل الهت پايمال
هركه كارد كردد انبارش تهى ... ليكش اندر مزرعه باشد بهى
وانكه درانبار ماند وصرفه كرد ... اشپش وموش وحوادثهاش خورد

وفي «البستان»:

پريشان كن امروز كنجينه چست ... كه فردا كليدش نه در دست تست
تو باخود ببر توشهٔ خويشتن ... كه شفقت نيايد زفرزند وزن

كنون بر كف ودست نه هرچه هست | كه فردا بدندان كزى پشت دست
بحال دل خستكان درنكر | كه روزى دلت خسته باشد مكر
فروماندكانرا درون شاد كن | زروز فروماند كى ياد كن
نه خواهندۀ بر در ديكران | بشكرانه خواهنده ازدر مران

﴿الله﴾ وحده ﴿الذي خلقكم﴾ أوجدكم من العدم ولم تكونوا شيئاً ﴿ثم رزقكم﴾ أطعمكم ما عشتم ودمتم في الدنيا. قال في «كشف الأسرار»: [يكى را روزى وجود ارزاقست ويكى را شهود رزاق عامهٔ خلق دربند روزىٔ وتهى معده اند طعام وشراب ميخواهند واهل خصوص روزى دل خواهند توفيق طاعات وإخلاص عبادات دون همت كسى باشدكه همت وى همه آن نان بود شربتى آب «من كانت همته ما يأكل فقيمته ما يخرج منه» نيكو سخنى كه آن خوانمرد كفت]:

اى توانكر بكنج خرسندى | زين بخيلان كناره كير وكنار
اين بخيلان عهدما همه بار | راح خوردند ومستراح انبار

﴿ثم يميتكم﴾ وقت انقضاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ في النفخة الأخيرة ليجازيكم بما عملتم في الدنيا من الخير والشر فهو المختص بهذه الأشياء ﴿هل من شركائكم﴾ اللاتي زعمتم أنها شركاء الله ﴿من يفعل من ذالكم﴾ أي: الخلق والرزق والإماتة والإحياء ﴿من شيء﴾ أي: لا يفعل أحد شيئاً قط من تلك الأفعال [چون ازهيچكدام آن كار نيايدش بتانرا شريك كرفتن نشايد] ومن الأولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والأفعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منهما مستعملة للتأكيد لتعجيز الشركاء ﴿سبحانه﴾ تنزه تنزيهاً بليغاً ﴿وتعالى﴾ تعالياً كبيراً ﴿عما يشركون﴾ عن إشراك المشركين.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿الله الذي خلقكم﴾ من العدم بإخراجكم إلى عالم الأرواح ﴿ثم رزقكم﴾ استماع كلامه بلا واسطة عند خطابه ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وهو رزق آذانكم ورزق أبصاركم مشاهدة شواهد ربوبيته ورزق قلوبكم فهم خطابه ودرك مراده من خطابه ورزق ألسنتكم إجابة سؤاله والشهادة بتوحيده ﴿ثم يميتكم﴾ بنور الإيمان والإيقان والعرفان ﴿هل من شركائكم﴾ من الأصنام والأنام ﴿من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى﴾ منزه بذاته وصفاته ﴿عما يشركون﴾ أعداؤه بطريق عبادة الأصنام وأولياؤه بطريق عبادة الهوى انتهى.

وفي الحديث القدسي «أنا أغنى الشركاء عن الشرك» يعني: أنا أكثر استغناء عن العمل الذي فيه شركة لغيري فافعل للزيادة المطلقة من غير أن يكون في المضاف إليه شيء مما يكون في المضاف ويجوز أن يكون للزيادة على من أضيف إليه يعني أنا أكثر الشركاء استغناء وذلك لأنهم قد يثبت لهم الاستغناء في بعض الأوقات والاحتياج في بعضها والله تعالى مستغن في جميع الأوقات «من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» بفتح الكاف أي: مع شريكه والضمير في تركته لمن يعني أن المرائي في طاعته آثم لا ثواب له فيها. قيل: الشرك على أقسام أعظمها اعتقاد شريك لله في الذات ويليه اعتقاد شريك لله في الفعل كقول من يقول العباد خالقون أفعالهم الاختيارية ويليه الشرك في العبادة وهو الرياء وهذا هو المراد في الحديث.

قال الشيخ أبو حامد رحمه الله: إذا كان مع الرياء قصد الثواب راجحاً فالذي نظنه والعلم

عند الله أن لا يحبط أصل الثواب ولكن ينقص منه فيكون الحديث محمولاً على ما إذا تساوى القصدان أو يكون قصد الرياء أرجح.

قال الشيخ الكلاباذي رحمه الله: العمل إذا صح في أوله لم يضره فساد بعد ولا يحبطه شيء دون الشرك لأن الرياء هو ما يفعل العبد من أوله ليرائي به الناس ويكون ذلك قصده ومراده عند أهل السنة والجماعة لقوله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢] ولو كان الأمر على ما زعم المعتزلة من إحباط الطاعات بالمعاصي لم يجز اختلاطها واجتماعها كذا في «شرح المشارق» لابن الملك. قال في «الأشباه» نقلاً عن «التاتارخانية»: لو افتتح الصلاة خالصاً لله تعالى ثم دخل في قلبه الرياء فهو على ما افتتح والرياء أنه لو خلا عن الناس لا يصلي ولو كان مع الناس يصلي فأما لو صلى مع الناس يحسنها ولو صلى وحده لا يحسن فله ثواب أصل الصلاة دون الإحسان ولا يدخل الرياء في الصوم انتهى. فعلى العاقل أن يجتهد في طريق الكشف والعيان حتى يلاحظ الله تعالى في كل فعل باشره من مأموراته ولا يلاحظ غيره من مخلوقاته ألا يرى أن الراعي إذا صلى عند الأغنام لا يلتفت إليها إذ وجودها وعدمها سواء فالرياء لها هواء والله تعالى خلق العبد وخلق القدرة على الحركة ورزقه القيام بأمره فما معنى الشركة.

اكر جز بحق ميرود جاده ات   در آتش فشانند سجاده ات

نسأل الله سبحانه وتعالى الخلاص من الأغيار وإخراج الملاحظات والأفكار من القلب الذي خلق للتوجه إليه والحضور لديه.

ترابكو هردل كرده اند امانتدار   زدزد امانت حق را نكاه دار مخسب

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿ظهر الفساد﴾ شاع ﴿في البر﴾ كالجدب وقلة النبات والربح في التجارات والريع في الزراعات والدر والنسل في الحيوانات ومحق البركات من كل شيء ووقوع الموتان بضم الميم كبطلان الموت الشائع في الماشية وظهور الوباء والطاعون في الناس وكثرة الحرق بفتحتين اسم من الإحراق وغلبة الأعداء ووجود الفتن والحرب ونحو ذلك من المضار ﴿والبحر﴾ كالغرق بفتحتين اسم من الإغراق وعمي دواب البحر بانقطاع المطر فإن المطر لها كالكحل للإنسان وإخفاق الغواصين أي: خيبتهم من اللؤلؤ فإنه يتكوّن من مطر نيسان فإذا انقطع لم ينعقد. وبيانه أنه إذا أتى الربيع يكثر هبوب الرياح وترتفع الأمواج ويضطرب البحر فإذا كان الثامن عشر من نيسان خرجت الأصداف من قعور بحر الهند وفارس ولها أصوات وقعقعة وبوسط كل صدفة دويبة صغيرة وصفحتا الصدفة لها كالجناحين وكالسور تتحصن به من عدو مسلط عليها وهو سرطان البحر فربما تفتتح أجنحتها تشم الهواء فيدخل السرطان مقصيه بينهما ويأكلها وربما يتحيل السرطان في أكلها بحيلة دقيقة وهو أن يحمل في مقصيه حجراً مدوراً كبندقة الطين ويراقب دابة الصدف حتى تشق عن جناحيها فيلقى السرطان الحجر بين صفحتي الصدفة فلا تنطبق فيأكلها ففي الثامن عشر من نيسان لا تبقى صدفة في قعور البحار المعروفة بالدر إلا

صارت على وجه الماء وتفتحت على وجه يصير وجه الماء أبيض كاللؤلؤ وتأتي سحابة بمطر عظيم ثم تتقشع السحابة وقد وقع في جوف كل صدفة ما قدر الله تعالى واختار من القطر إما قطرة واحدة وإما اثنتان وإما ثلاث وهلم جرا إلى المائة والمائتين وفوق ذلك ثم تنطبق الأصداف وتلحم وتموت الدابة التي كانت في جوف الصدفة في الحال وترسب الأصداف إلى قعر البحر حتى لا يحركها الماء فيفسد ما في بطنها وتلحم صفحتا الصدفة إلحاماً بالغاً حتى لا يدخل إلى الدرة ماء البحر فيصفرها وأفضل الدر المتكوّن في هذه الأصداف القطرة الواحدة ثم الاثنتان ثم الثلاث وكلما قل العدد كان أكبر جسماً وأعظم قيمة وكلما كثر العدد كان أصغر جسماً وأرخص قيمة والمتكون من قطرة واحدة هي الدرة اليتيمة التي لا قيمة لها والأخريان بعدها.

زبر افكند قطرهٔ سوى يم ز صلب او افكند نطفه درشكم
ازان قطره لؤلؤ لالا كند وزين صورتى سروبالا كند

فالصدفة تنقلب إلى ثلاثة أطوار في الأول طور الحيوانية فإذا وقع القطر فيها ماتت الدويبة وصارت في طور الحجرية ولذلك غاصت إلى القرار وهذا طبع الحجر وهو الطور الثاني وفي الطور الثالث وهو الطور النباتي تشرس في قرار البحر وتمد عروقها كالشجر ذلك تقدير العزيز العليم ولمدة حملها وانعقادها وقت معلوم وموسم يجتمع فيه الغواصون والتجار لاستخراج ذلك هذا في البحر. وأما في البر ففي الثامن عشر من نيسان تخرج فراخ الحيات التي ولدت في تلك السنة وتصير من بطن الأرض إلى وجهها كالأصداف في البحر وتفتح أفواهها نحو السماء كما فتحت الأصداف فما نزل من قطر السماء في فمها أطبقت فمها عليه ودخلت بطن الأرض فإذا تم حمل الصدف في البحر وصار لؤلؤاً شفافاً صار ما دخل في فم فراخ الحيات داء وسماً فالماء واحد والأوعية مختلفة والقدرة صالحة لكل شيء وقد قيل في هذا المعنى:

أرى الإحسان عند الحرّ دينا وعند النذل منقصة وذمّا
كقطر الماء في الأصداف درّا وفي جوف الأفاعي صار سما

كذا في خريدة العجائب وفريدة الغرائب للشيخ العلامة أبي حفص الوردي رحمه الله.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى بر النفس وبحر القلب وفساد النفس بأكل الحرام وارتكاب المحظورات وتتبع الشهوات وفساد القلب بالعقائد السوء ولزوم الشبهات والتمسك بالأهواء والبدع والاتصاف بالأوصاف الذميمة وحب الدنيا وزينتها وطلب شهواتها ومنافعها ومن أعظم فساد القلب عقد الإصرار على المخالفات كما أن من أعظم الخيرات صحة العزم على التوجه إلى الحق والإعراض عن الباطل انتهى. وأيضاً البر لسان علماء الظاهر وفساده بالتأويلات الفاسدة. والبحر لسان علماء الباطن وفساده بالدعاوى الباطلة:

ماه ناديده نشانها ميدهند

﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ أي: بسبب شؤم المعاصي التي كسبها الناس في البر والبحر بمزاولة الأيدي غالباً. ففيه إشارة إلى أن الكسب من العبد والتقدير والخلق من الله تعالى فالطاعة كالشمس المنيرة تنتشر أنوارها في الآفاق فكذا الطاعة تسري بركاتها إلى الأقطار فهي من تأثيرات لطفه تعالى والمعصية كالليلة المظلمة فكما أن الليلة تحيط ظلمتها بالجوانب فكذا المعصية تتفرق شآمتها إلى الأقارب والأجانب فهي من تأثيرات قهره تعالى. وأول فساد ظهر

في البر قتل قابيل أخاه هابيل. وفي «البحر» أخذ الجلندي الملك كل سفينة غصباً وفي المثل أظلم من ابن الجلندي بزيادة ابن كما في «إنسان العيون» وكان من أجداد الحجاج بينه وبينه سبعون جداً وكانت الأرض خضرة معجبة بنضارتها لا يأتي ابن آدم شجرة إلا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذباً وكان لا تقصد الأسود البقر فلما وقع قتل المذكور تغير ما على الأرض وشاكت الأشجار أي: صارت ذات شوك وصار ماء البحر ملحاً مرّاً جدّاً وقصد بعض الحيوان بعضاً. وتعلقت شوكة بنبي فلعنها فقالت: لا تلعنني فإني ظهرت من شؤم ذنب الآدميين.

يقول الفقير:

چون عمل نيكو بود كلها دمد چو نكه زشت آيد برويد خارزار

كر بد وكر نيك باشد كارتو هرچه كارى بدر روى آنجام كار

﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا﴾ اللام للعلة والذوق وجود الطعم بالفم وكثر استعماله في العذاب يعني أفسد الله أسباب دنياهم بسوء صنيعهم ليذيقهم بعض جزاء ما عملوا من الذنوب والإعراض عن الحق ويعذبهم بالبأساء والضراء والمصائب وإنما قال بعض لأن تمام الجزاء في الآخرة ويجوز أن يكون اللام للعاقبة أي: كان عاقبة ظهور الشرور منهم ذلك نعوذ بالله من سوء العاقبة ﴿لعلهم يرجعون﴾ عما كانوا عليه من الشرك والمعاصي والغفلات وتتبع الشهوات وتضييع الأوقات إلى التوحيد والطاعة وطلب الحق والجهد في عبوديته وتعظيم الشرع والتأسف على ما فات وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠)﴾ [الأعراف: ١٣٠] أي: يتعظون فلم يتعظوا ففيه تنبيه على أن الله تعالى إنما يقضي بالجدوبة ونقص الثمرات والنبات لطفاً من جنابه في رجوع الخلق عن المعصية.

بارها پوشد پى اظهار فضل باز كيرد ازپى اظهار عدل

تاپشيمان ميشوى ازكار بد تاحيا دارى زالله الصمد

اعلم أن الله تعالى غير بشؤم المعصية أشياء كثيرة. غير صورة إبليس واسمه وكان اسمه الحارث وعزازيل فسماه ابليس. وغير لون حام بن نوح بسبب أنه نظر إلى سوأة أبيه فضحك وكان أبوه نوح نائماً فأخبر بذلك. فدعا عليه فسوده الله تعالى فتولد منه الهند والحبشة. وغير الصورة على قوم موسى فصيرهم قردة وعلى قوم عيسى فصيرهم خنازير. وغير ماء القبط ومالهم فصيرهما دماً وحجراً. وغير العلم على أمية بن أبي الصلت وكان من بلغاء العرب حيث كان نائماً فأتاه طائر وأدخل منقاره في فيه فلما استيقظ نسي جميع علومه. وغير اللسان على رجل بسبب العقوق حيث نادته والدته فلم يجب فصار أخرس. وغير الإيمان على برصيصا بسبب شرب الخمر والزنى بعدما عبد الله تعالى مائتين وعشرين سنة إلى غير ذلك. وقد قال كعب الأحبار لما أهبط الله تعالى آدم عليه السلام جاءه ميكائيل بشيء من حب الحنطة وقال: هذا رزقك ورزق أولادك قم فاضرب الأرض وابذر البذر قال: ولم يزل الحب من عهد آدم إلى زمن إدريس عليهما السلام كبيضة النعام فلما كفر الناس نقص إلى بيضة الدجاجة ثم إلى بيضة الحمامة ثم إلى قدر البندقة وكان في زمن عزير عليه السلام على قدر الحمصة. وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن ظهور الفاحشة في قوم وإعلانها سبب لفشوّ الطاعون والأوجاع. ونقص الميزان والمكيال سبب للقحط وشدة المؤونة وجور السلطان. ومنع الزكاة سبب لانقطاع المطر ولولا البهائم لم يمطروا. ونقض عهد الله وعهد رسوله سبب لتسلط العدو. وأخذ الأموال من

أيدي الناس وعدم حكم الأئمة بكتاب الله سبب لوقوع السيف والقتال بين الناس. وأكل الربا سبب للزلزلة والخسف فضرر البعض يسري إلى الجميع ولذا يقال: من أذنب ذنباً فجميع الخلق من الإنس والدواب والوحوش والطيور والذر خصماؤه يوم القيامة فلا بد من الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة والطاعة والإصلاح فإن فيه الفوز والفلاح.

قال ذو النون المصري قدس سره: رأيت رجلاً إحدى رجليه خارجة من صومعته يسيل منها الصديد فسألته عن ذلك فقال: زارتني امرأة فنامت بجنب صومعتي فحملتني نفسي على أن أنزل عليها بالفجور فساعدتني إحدى رجلي دون الأخرى فحلفت أن لا تصحبني أبداً وهذا حقيقة التوبة والندامة نسأل الله العفو والعافية والسلامة.

توبۀ كردم حقيقت باخدا نشكنم تاجان شدن ازتن جدا

كذا في «المثنوي» نقلاً عن لسان نصوح.

﴿قل﴾ يا محمد ﴿سيروا﴾ أيها المشركون وسافروا ﴿في الأرض﴾ في أرض الأمم المعذبة ﴿فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ أي: آخر أمر من كان قبلكم والنظر على وجهين يقال نظر إليه إذا نظر بعينه ونظر فيه إذا تفكر بقلبه وهٰهنا قال: فانظروا ولم يقل إليه أو فيه ليدل على مشاهدة الآثار ومطالعة الأحوال ﴿كان أكثرهم مشركين﴾ أي: كان أكثر الذين من قبل مشركين فاهلكوا بشركهم وهو استئناف للدلالة على أن ما أصابهم لفشوّ الشرك فيما بينهم أو كان الشرك في أكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فإذا أصابهم العذاب بسبب شركهم ومعاصيهم فليحذر من كان على صفتهم من مشركي قريش وغيرهم إن أصروا على ذلك.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فأقم﴾ عدل يا محمد ﴿وجهك للدين القيم﴾ البليغ الاستقامة الذي ليس فيه عوج أصلاً وهو دين الإسلام وقد سبق معنى إقامة الوجه للدين في هذه السورة ﴿من قبل أن يأتي يوم﴾ يوم القيامة ﴿لا مرد له﴾ لا يقدر أحد على ردة ولا ينفع نفساً إيمانها حينئذٍ ﴿من الله﴾ متعلق بيأتي أو بمرد لأنه مصدر على معنى لا يرده الله تعالى لتعلق إرادته القديمة بمجيئه وقد وعد ولا خلف في وعده ﴿يومئذٍ﴾ أي: يوم القيامة بعد محاسبة الله أهل الموقف ﴿يصدعون﴾ أصله يتصدعون فأدغمت التاء في الصاد وشددت. والصدع الشق في الأجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما ومنه استعير صدع الأمر أي: فصله والصداع وهو الانشقاق في الرأس من الوجع ومنه الصديع للفجر لأنه ينشق من الليل والمعنى يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال:

﴿من﴾ [هركه] ﴿كفر﴾ بالله في الدنيا ﴿فعليه﴾ لا على غيره ﴿كفره﴾ وبال كفره وجزاؤه وهو النار المؤبدة ﴿ومن﴾ [وهركه] ﴿عمل صالحاً﴾ وحده وعمل بالطاعة الخالصة بعد التوحيد، وبالفارسية: [كارستوده كند] ﴿فلأنفسهم﴾ وحدها ﴿يمهدون﴾ أصل المهد إصلاح المضجع للصبي ثم استعير لغيره كما في «كشف الأسرار» يسوّون منزلاً في الجنة ويفرشون ويهيئون، وبالفارسية: [خويشتن را نشستكاه سازد در بهشت وبساط مى كسترانند] ومن التمهيد

تمهيد المضاجع في القبور فإن بالعمل الصالح يصلح منزل القبر ومأوى الجنة. يروى أن بعض أهل القبور في برزخ محمود مفروش فيه الريحان وموسد فيه السندس والاستبرق إلى يوم القيامة وفي الحديث «إن عمل الإنسان يدفن معه في قبره فإن كان العمل كريماً أكرم صاحبه وإن كان لئيماً أسلمه» أي: إن كان عملاً صالحاً آنس صاحبه وبشره ووسع عليه قبره ونوره وحماه من الشدائد والأهوال وإن كان عملاً سيئاً فزع صاحبه وروّعه وأظلم عليه قبره وضيقه وعذبه وخلى بينه وبين الشدائد والأهوال والعذاب والوبال:

برك عيشى بكور خويش فرست — كس نيارد زپس زپيش فرست

﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿**ليجزي الذين آمنوا**﴾ به في الدنيا ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ وهي ما أريد به وجه الله تعالى ورضاه ﴿**من فضله**﴾ [ازبخشش خود] متعلق بيجزي وهو متعلق بيصدعون أي: يتفرقون بتفريق الله تعالى فريقين ليجزي كلاً منهما بحسب أعمالهم وحيث كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات أبرز ذلك في معرض الغاية وعبر عنه بالفضل لما أن الإثابة عند أهل السنة بطريق التفضل لا الوجوب كما عند المعتزلة وأشير إلى جزاء الفريق الآخر بقوله: ﴿**إنه لا يحب الكافرين**﴾ فإن عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة. قال بعضهم: [دوست نميدارد كافرانرا تابا مؤمنان جمع كند بلكه ايشانرا جدا ساخته بدوزخ فرستد].

ـ روي ـ أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: ما خلقت النار بخلاً مني ولكن أكره أن أجمع أعدائي وأوليائي في دار واحدة نسأل الله تعالى دار أوليائه ونستعيذ به من دار أعدائه.

وفي الآيات إشارات:

منها: أن النظر بالعبرة من أسباب الترقي في طريق الحق وذلك أن بعض السلاك استحلوا بعض الأحوال فسكنوا إليها وبعضهم استحسنوا بعض المقامات فركنوا إليها فأشركوا بالالتفات إلى ما سوى الحق تعالى فمن نظر من أهل الاستعداد الكامل إلى هذه المساكنات والركون إلى الملائمات يسير على قدمي الشريعة والطريقة لكي يقطع المنازل والمقامات ويجتهد في أن لا يقع في ورطة الفترات والوقفات كما وقع بعض من كان قبله فحرم من الوصول إلى دائرة التوحيد الحقاني.

اى برادر بى نهايت در كهيست — هر كجا كه ميرسى بالله مأيست

ومنها: أنه لا بد للطالب من الاستقامة وصدق التوجه وذلك بالموافقة بالاتباع دون الاستبداد برأيه على وجه الابتداع ومن لم يتأدب بشيخ كامل ولم يتلقف كلمة التوحيد ممن هو لسان وقته كان خسرانه أتم ونقصانه أعم من نفعه.

زمن اى دوست اين يك پند بپذير — برو فتراك صاحب دولتى كير
كه قطره تا صدف را درنيابد — نكردد كوهر وروشن نتابد

ومنها: أن من أنكر على أهل الحق فعليه جزاء إنكاره وهو الحرمان من حقائق الإيمان والله تعالى لا يحب المنكرين إذ لو أحبهم لرزقهم الصدق والطلب ولما وقعوا بالخذلان في الإنكار والكفران.

مغزرا خالى كن ازانكار يار تاكه ريحان يابد ازكلزاريار

وفي الحديث: «الأصل لا يخطىء» وتأويله أن أهل الإقرار يرجع إلى صفات اللطف وأهل الإنكار إلى صفات القهر لأن أصل خلقة الأول من الأولى والثاني من الثانية.

شراب داد خدا مرمرا وسركه ترا چوقسمت است چه جنكست مرمر اوترا

نسأل الله العشق والاشتياق والسلوك إلى طريقة العشاق ونعوذ بالله من الزيغ والضلال على كل حال.

﴿ومن آياته﴾ علامات وحدته وقدرته **﴿أن يرسل الرياح﴾** [فروكشايد ازهوا بادها] أي الشمال والجنوب والصبا فإنها رياح الرحمة. وأما الدبور فإنها ريح العذاب ومنه قوله عليه السلام: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً». قال في «القاموس»: الشمال: بالفتح وبكسر ما مهبه بين مطلع الشمس وبنات نعش أو من مطلع الشمس إلى مسقط النسر الطائر ولا تكاد تهب ليلاً. والجنوب ريح تخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا. والصبا ريح تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار ومقابلتها الدبور والصبا موصوفة بالطيب والروح لانخفاضها عن برد الشمال وارتفاعها عن حر الجنوب وفي الحديث: «الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فلا تسبوها وسلوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها» وكان للمتوكل بيت يسميه بيت مال الشمال فكلما هبت الريح شمالاً تصدق بألف درهم.

ـ وذكر ـ في سبب مد النيل أن الله تعالى يبعث عليه الريح الشمالي فينقلب عليه من البحر فتصير كالسكر له فيزيد حتى يعم البلاد فإذا بلغ حد الريّ بعث الله عليه ريح الجنوب فأخرجته إلى البحر وليس في الدنيا نهر يضرب من الجنوب إلى الشمال ويمد في شدة الحر حين تنقص الأنهار كلها ويزيد بترتيب وينقص بترتيب غير النيل المبارك وهو أحلى من العسل وأزكى رائحة من المسك ولكنه يتغير بتغير المجاري. قال وكيع: لولا الريح والذباب لأنتنت الدنيا قيل: الريح تموج الهواء بتأثير الكواكب وسيلانه إلى إحدى الجهات. والصحيح عند أهل الشرع ما ذكر في الحديث من أنها من روح الله. والإشارة: أن الله تعالى يرسل رياح الرجاء على قلوب العوام فتكنس قلوبهم من غبار المعاصي وغثاء اليأس ويبشر بدخول نور الإيمان ثم يرسل رياح البسط على أرواح الخواص فيطهرها من وحشة القبض ودنس الملاحظات ويبشرها بدرك الوصال ويرسل رياح التوحيد فتهب على أسرار أخص الخواص ويطهرها من آثار الأغيار ويبشرها بدوام الوصال وذلك قوله تعالى: **﴿مبشرات﴾** أي: حال كون تلك الرياح مبشرات للخلق بالمطر ونحوه، وبالفارسية: [مژده دهند كان بباران تابفرياد شمارسد] **﴿وليذيقكم من رحمته﴾** وهي: المنافع التابعة لها والجملة معطوفة على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم بها وليذيقكم **﴿ولتجري الفلك﴾** في البحر بسوق الرياح **﴿بأمره﴾** فالسفن تجري بالرياح والرياح بأمر الله فهي في الحقيقة جارية بأمره. وفي «الأسرار المحمدية»: لا تعتمد على الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا شرك في توحيد الأفعال وجهل بحقائق الأمور ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح لا يتحرك بنفسه بل له محرك إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا محرك له ولا يتحرك هو في نفسه أيضاً بل هو منزه عن ذلك وعما يضاهيه سبحانه وتعالى **﴿ولتبتغوا من فضله﴾** يعني تجارة البحر. وفيه جواز ركوب البحر للتجارة وقد سبق شرائطه في آخر الجلد الثاني.

سود دريانيك بودى كرنبودى بيم موج
صحبت كل خوش بدى كرنيستى تشويش خار

ومن الأبيات المشهورة للعطار قدس سره:

بدريا در منافع بى شمارست اكر خواهى سلامت دركنارست

﴿ولعلكم تشكرون﴾ وتشكروا نعمة الله فيما ذكر من الغايات الجليلة فتوحدوه وتطيعوه:

مكن كردن از شكر منعم مپيچ كه روز پسين سربر آرى بهيچ

ثم حذر من أخل بموجب الشكر فقال:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم﴾ كما أرسلناك إلى قومك ﴿فجاؤوهم بالبينات﴾ الباء تصلح للتعدية والملابسة أي: جاء كل رسول قومه بما يخصه من الدلائل الواضحة على صدقه في دعوى الرسالة كما جئت قومك بالبراهين النيرة ﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ النقمة العقوبة ومنها الانتقام وهو بالفارسية: [كينه كشيدن] والفاء فصيحة أي: فكذبوهم فانتقمنا من الذين أجرموا من الجرم وهو تكذيب الأنبياء والإصرار عليه أي: عاقبناهم وأهلكناهم وإنما وضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه على مكان المحذوف وللاشعار بكونه علة للانتقام ﴿وكان حقاً﴾ [سراوار] ﴿علينا﴾ قال بعضهم: واجباً وجوب كرم لا وجوب إلزام. وفي «الوسيط»: واجباً وجوباً هو أوجبه على نفسه. وفي «كشف الأسرار»: هذا كما يقال عليّ قصد هذا الأمر أي: أنا أفعله وحقاً خبر كان واسمه قوله ﴿نصر المؤمنين﴾ وإنجاؤهم من شر أعدائهم وما أصابهم من العذاب نصر عزيز وإنجاء عظيم. وفيه إشعار بأن الانتقام للمؤمنين وإظهار لكرامتهم حيث جعلوا مستحقين على الله أن ينصرهم وفي الحديث: «ما من امرىء مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم» ثم تلا قوله تعالى: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾.

ـ حكي ـ عن الشيخ أبي علي الروذباري قدس سره: أنه ورد عليه جماعة من الفقراء فاعتل واحد منهم وبقي في علته أياماً فمل أصحابه من خدمته وشكوا ذلك إلى الشيخ أبي علي ذات يوم فخالف الشيخ نفسه وحلف أن لا يتولى خدمته غيره فتولى خدمته بنفسه أياماً ثم مات ذلك الفقير فغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه فلما أراد أن يفتح رأس كفنه عند إضجاعه في القبر رآه وعيناه مفتوحتان إليه وقال له: يا أبا علي لأنصرنك بجاهي يوم القيامة كما نصرتني في مخالفتك نفسك. ففي القصة أمور:

الأول: أن أحباب الله أحياء في الحقيقة وإن ماتوا وإنما ينقلون من دار إلى دار.

والثاني: ما أشار إليه النبي عليه السلام بقوله: «اتخذوا الأيادي عند الفقراء قبل أن تجيء دولتهم فإذا كان يوم القيامة يجمع الله الفقراء والمساكين فيقال تصفحوا الوجوه فكل من أطعمكم لقمة أو سقاكم شربة أو كساكم خرقة أو دفع عنكم غيبة فخذوا بيده وأدخلوه الجنة».

والثالث: أن الشفاعة من باب النصرة الإلهية. وفي الآية تبشير للنبي عليه السلام بالظفر

في العاقبة والنصر على ما كذبه وتنبيه للمؤمنين على أن العاقبة لهم لأنهم هم المتقون وقد قال تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

سروش عالم غيبم بشارتي خوش داد   كه كس هميشه بكيتى دژم نخواهد ماند

وفي «التأويلات النجمية» قوله: ﴿**ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم**﴾ يشير به إلى المتقدمين من المشايخ المنصوبين لتربية قومهم من المريدين ودلالتهم بالتسليك إلى حضرة رب العالمين ﴿**فجاؤوهم بالبينات**﴾ على لسان التحقيق في بيان الطريق لأهل التصديق فمن قابلهم بالتصديق وصل إلى خلاصة التحقيق ومن عارضهم بالإنكار والجحود ابتلاهم بعذاب الخلود في الأبعاد والجمود وذلك تحقيق قوله: ﴿**فانتقمنا من الذين أجرموا**﴾ أي: أنكروا ﴿**وكان حقاً علينا نصر المؤمنين**﴾ المتقربين إلينا بأن ننصرهم بتقربنا إليهم انتهى اللهم اجعلنا من المنصورين مطلقاً ووجهنا إلى نحو بابك صدقاً وحقاً إنك أنت الناصر المعين ومحول القلوب إلى جانب اليقين.

﴿**الله الذي يرسل الرياح**﴾ رياح الرحمة كالصبا ونحوها ﴿**فتثير سحاباً**﴾ يقال ثار الغبار والسحاب انتشر ساطعاً وقد أثرته. قال في «تاج المصادر»، الإنارة: [برانكيختن كرد وشورانيدن زمين وميغ آوردن باد]. والسحاب اسم جنس يصح إطلاقه على سحابة واحدة وما فوقها. قال في «المفردات»: أصل السحب الجر ومنه السحاب إما لجر الريح له أو لجره الماء. والمعنى فتنشره تلك الرياح وتزعجه وتخرجه من أماكنه، وبالفارسية: [برانكيز آن بادهان ابررا] وأضاف الإثارة إلى الرياح وإنما المثير هو الله تعالى لأنها سببها والفعل قد ينسب إلى سببه كما ينسب إلى فاعله ﴿**فيبسطه**﴾ [پس خداى تعالى بكستراند سحاب را] يعني يجعله متصلاً تارة ﴿**في السماء**﴾ في سمتها ﴿**كيف يشاء**﴾ سائراً وواقفاً مسيرة يوم أو يومين أو أقل أو أكثر من جانب الجنوب أو ناحية الشمال أو سمت الدبور أو جهة الصبا إلى غير ذلك ﴿**ويجعله كسفاً**﴾ تارة أخرى إلى قطعاً، بالفارسية: [پاره پاره هر قطعه در طرفي] جمع كسفة وهي قطعة من السحاب والقطن ونحو ذلك من الأجسام المتخلخلة كما في «المفردات» ﴿**فترى الودق**﴾ أي: المطر يا محمد ويا من من شأنه الرؤية. قيل: الودق في الأصل ما يكون خلال المطر كأنه غبار وقد يعبر به عن المطر ﴿**يخرج**﴾ بالأمر الإلهي ﴿**من خلاله**﴾ فرج السحاب وشقوقه في التارتين، يعني: [در وقتي كه متصل استه ودر وقتى كه متفرق]. قال الراغب: الخلل فرجة بين الشيئين وجمعه خلال نحو خلل الدار والسحاب وقيل: السحاب كالغربال ولولا ذلك لأفسد المطر الأرض.

- روي - عن وهب بن منبه أن الأرض شكت إلى الله عز وجل أيام الطوفان لأن الله تعالى أرسل الماء بغير وزن ولا كيل فخرج الماء غضباً لله تعالى فخدش الأرض وخددها، يعني: [خراشيدروى زمين را وسوراخ كردش] فقالت: يا رب إن الماء خددني وخدشني فقال الله تعالى فيما بلغني والله أعلم إني سأجعل للماء غربالاً لا يخدّدك ولا يخدشك فجعل السحاب غربال المطر ﴿**فإذا أصاب به من يشاء من عباده**﴾ الباء للتعدية والضمير للودق. والمعنى بالفارسية: [پس چون بر ساند خداى تعالى بارانرا در اراضي وبلاد هركه خواهد زبندكان خود ﴿**إذا هم**﴾ [آنكاه ايشان] ﴿**يستبشرون**﴾ [شادمان وخوشدل ميشوند] أي: فاجأوا الاستبشار والفرح بمجيء الخصب وزوال القحط.

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿**وإن**﴾ أي: وإن الشأن ﴿**كانوا**﴾ أي: أهل المطر ﴿**من قبل أن ينزل عليهم**﴾ المطر ﴿**من قبله**﴾ أي: قبل التنزيل تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم منه ﴿**لمبلسين**﴾ أي: آيسين من نزوله خبر كانوا واللام فارقه وقد سبق معنى الإبلاس في أوائل السورة ﴿**فانظر إلى آثار رحمة الله**﴾ الخطاب وإن توجه نحو النبي عليه السلام فالمراد به جميع المكلفين والمراد برحمة الله المطر لأنه أنزله برحمته على خلقه. والمعنى فانظروا إلى آثار المطر من النبات والأشجار وأنواع الثمار والأزهار والفاء للدلالة على سرعة ترتب هذه الأشياء على تنزيل المطر ﴿**كيف يحيي**﴾ أي: الله تعالى ﴿**الأرض**﴾ بالآثار ﴿**بعد موتها**﴾ أي: يبسها. قال في «الإرشاد»: كيف الخ في حيز النصب بنزع الخافض وكيف معلق لانظر أي: فانظروا إلى الإحياء البديع للأرض بعد موتها والمراد بالنظر التنبيه على عظيم قدرته وسعة رحمته مع ما فيه من تمهيد أمر البعث ﴿**إن ذلك**﴾ العظيم الشأن الذي قدر على إحياء الأرض بعد موتها ﴿**لمحيي الموتى**﴾ لقادر على إحيائهم في الآخرة فإنه إحداث لمثل ما كان في مواد أبدانهم من القوى الحيوانية كما أن إحياء الأرض إحياء لمثل ما كان فيها من القوى النباتية ﴿**وهو على كل شيء قدير**﴾ أي: مبالغ في القدرة على جميع الأشياء التي من جملتها إحياء قالب الإنسان بعد موته في الحشر ومن إحياء قلبه بعد موته في الدنيا لأن نسبة قدرته إلى جميع الممكنات على سواء رجع كل شيء إلى قدرته فلم يعظم عليه شيء فقدرة الله الكاملة بخلاف قدرة العبد فإنها مستفادة من قدرة الله تعالى.

تعالى الله زهى قيوم ودانا توانايى ده هر ناتوانا

وسيجيء أن الإنسان خلق من ضعف فالله تعالى أقدره وقواه.

اعلم أن الله سبحانه زين الأرض بآثار قدرته وأنوار فعله وحكمته فأنبت الخضرة وأضاء الزهر وتجلى في صورها لأعين العارفين الذين شاهدوا الله تعالى بنعت الحسن ولذا قال الشيخ المغربي:

مغربي زان ميكند ميلى بكلشن كاندر او
هرچه را رنكى وبويى هست رنك وبوى اوست

وسأل بنو إسرائيل موسى عليه السلام: هل يصبغ ربك؟ قال: نعم يصبغ ألوان الثمار والرياحين الأحمر والأصفر والأبيض والصباغ يقدر بأن يسود الأبيض ولا يقدر بأن يبيض الأسود والله تعالى يبيض الشعر الأسود والقلب الأسود ومن أحسن من الله صبغة. خرج أبو حفص قدس سره إلى البستان ائتماراً بقوله تعالى:

﴿**فانظر إلى آثار رحمة الله**﴾ فأضافه مجوسي في بستان له فلما علم أن قلوب أصحابه نظرت إلى بستان المجوسي قال: اقرأوا ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الدخان: ٢٥] الآية ولما أراد أن يخرج أبو حفص أسلم المجوسي وثمانية عشر من أولاده وأقربائه فقال أبو حفص: إذا خرجتم لأجل التفرج فاخرجوا هكذا أشار قدس سره إلى أن هذا الخروج ليس مع النفس والهوى وإلا لم يكن له أثر محمود. ثم إنه يلزم للإنسان أن ينظر بعين ظاهره إلى زهرة

الدنيا وبعين قلبه إلى فنائها ويعتبر أيام الربيع بأنواع الاعتبار وفي الحديث: «إذا رأيتم الربيع فاذكروا النشور» أي: فإن خروج الموتى من القبور كخروج النبات من الأرض فيلزم أن يذكره عند رؤية الربيع ويذكر شمس القيامة عند اشتداد الحر وفي الحديث «إذا كان اليوم حاراً فإذا قال الرجل: لا إله إلا الله ما أشد حر هذا اليوم اللهم أجرني من حر جهنم قال الله تعالى لجهنم إن عبداً من عبيدي استجار بي من حرك وأنا أشهدك أني قد أجرته وإذا كان اليوم شديد البرد فإذا قال العبد لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم اللهم أجرني من زمهرير جهنم قال الله تعالى: إن عبداً من عبيدي استجار بي من زمهريرك وإني أشهدك أني قد أجرته» قالوا: وما زمهرير جهنم؟ قال: «بيت يلقى فيه الكافر فيتميز من شدة برده» أي: يتفرق ويتفسخ. وينبغي أن يذكر بكاء العصاة على الصراط عند رؤية نزول المطر من السماء.

قالت رابعة القيسية: ما سمعت الأذان إلا ذكرت منادي يوم القيامة وما رأيت الثلوج إلا ذكرت تطاير الكتب وما رأيت الجراد إلا ذكرت الحشر. وأن يذكر حمرة وجوه المشتاقين عند رؤية الريحان الأحمر. وبياض وجه المؤمنين عند رؤية الأبيض. وصفرة وجوه العصاة عند رؤية الأصفر. وغبرة وجوه الشبان والنسوان الحسان في القبر بعد سبعة أيام عند رؤية الريحان الأكهب وهو ما له لون غبرة.

وفي «كشف الأسرار» [كل زرد طبيبي است براى شفاى عالم واوخود بيمار. كل سرخ كويى مست است ازديدار او همه هشيار كشته واودر خمار. كل سپيد كويى ستم رسيده ايست ازدست روزكار جواني بباد داده وعمر رسيده بكنار دروقت اعتدال سال دو آفتاب برآيد از مطلع غيب يكى خورشيد جمال فلكي ويكى خورشيد جمال ملكي آن يكى بركل تابد كل شكفته كردد اين يكى بردل تابد دل افروخته كردد چون كل شكفته شد بلبل بروعاشق شود دل كه افروخته شد نظر خالق در وحاضر بود. كل باخر بريزد بلبل در هجر او ماتم كيرد. دل كربماند حق تعالى اورا در كنف الطاف وكرم كيرد، قلب المؤمن لا يموت أبداً]:

چشمى كه ترا ديد شد ازدرد معاف   جانى كه ترا يافت شد ازمرك مسلم

وخرج ابن السماك قدس سره أيام الربيع فنظر إلى الأنوار فصاح وقال: يا منور الأشجار بأنواع الأنوار نوّر قلوبنا بذكرك وحسن طاعتك. وبعض الصالحين كانوا يبكون أيام الربيع شوقاً إلى الله تعالى ومنهم من يبكي خوفاً من الفراق.

ـ حكي ـ أن الشيخ الشبلي قدس سره خرج يوماً فوجده أصحابه تحت شجرة يبكي فقيل له في ذلك قال: مررت بهذه الشجرة فقطع منها غصن ووقع على الأرض وهو بعد أخضر لا خبر له بقطعه من أصله فقلت: يا نفس ماذا أنت صانعة أن لو قطعت من الحق ولا علم لك بذلك فجلس أصحابه يبكون. ويقال الربيع يدل على نعيم الجنة وراحتها والإنسان الكامل في الربيع يظهر تأسفاً وحسرة فلا يدري سبب ذلك وذلك أن الأرواح كلها كانت في صلب آدم عليه السلام حين كان في الجنة فلما تفرقت في أنفس أولاده فإذا رأت شبه الجنة أو زهرة أو طيباً ذكرت نعيم الجنة فأسفت على مفارقتها وجزعت على الخروج منها. ونظر بعض العلماء إلى الورد فبكى وقال: إن الميت يبكي في الأرض إلا بياض عينيه فإذا جاء الربيع وانفتح الورد انشق بياض عينيه وإذا تزوجت امرأته انشق قلبه بنصفين. ويقال في الآية: **﴿كيف يحيي الأرض﴾** يعني نفس المؤمن بعد يبوستها من الطاعات.

- روي - في الخبر «من أحيى أرضاً ميتة فهي له» فالله تعالى أحيى نفس المؤمن وقلبه فهو له لا للشيطان كذلك التائب إذا أحيى نفسه بالطاعة فهو للجنة لا للنار. ويقال يحيي النفوس بعد فترتها بصدق الإرادات ويحيي القلوب بعد غفلتها بأنوار المحاضرات ويحيي الأرواح بعد حجبتها بدوام المشاهدات.

أموت إذا ذكرتك ثم أحيى فكم أحيى عليكم وكم أموت

والقلب بستان العارف وجنته وحياته بمعرفة الله تعالى فمن نظر إلى أنواره استغنى عن العالم وأزهاره، وفي «المثنوي»:

صوفيئ در باغ از بهر كشاد صوفيانه روى بر زانو نهاد
پس فرو رفت او بخود اندر نغول شد ملول از صورت خوابش فضول
كه چه خسبى آخر اندر رز ذمكر اين درختان بين وآثار خضر
امر حق بشنوكه كفت است انظروا سوى اين آثار رحمت آر رو
كفت آثارش دلست اى بو الهوس آن برون آثار آثارست وپس
باغها وميوها اندر دلست عكس لطف آن برين آب وكلست
چون حيات ازحق بكيرى اى روى پس غنى كردى زكل دردل روى

نسأل الله تعالى أن يفتح بصائرنا لمشاهدة آثار رحمته ومطالعة أنوار صفاته ويأذن لنا في دخول بستان أسرار ذاته والانتقال إلى حرم هويته من حريم آياته وبيناته إنه مفيض الخير والمراد ومحيي الفؤاد.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿**ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه**﴾ اللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط والريح ريح العذاب كالدبور ونحوها والفاء فصيحة والضمير المنصوب راجع إلى أثر الرحمة المدلول عليه بالآثار دلالة الجمع على واحده أو النبات المعبر عنه بالآثار فإنه اسم جنس يعم القليل والكثير. والمعنى وبالله لئن أرسلنا ريحاً مضرة حارة أو باردة فأفسدت زرع الكفار فرأوه ﴿**مصفراً**﴾ من تأثير الريح أي: قد اصفر بعد خضرته وقرب من الجفاف والهلاك. والاصفرار بالفارسية: [زرد شدن] والصفرة لون من الألوان التي بين السواد والبياض وهو إلى البياض أقرب ﴿**لظلوا**﴾ اللام لام جواب القسم الساد مسد الجوابين ولذلك فسر الماضي بالاستقبال أي: يظلون وظل يظل بالفتح أصله العمل بالنهار ويستعمل في موضع صار كما في هذا المقام. والمعنى الفارسية: [هر آينه باشند] ﴿**من بعده**﴾ أي: بعد اصفرار الزرع والنبت ﴿**يكفرون**﴾ من غير توقف وتأخير يعني أن الكفار لا اعتماد لهم على ربهم فإن أصابهم خير وخصب لم يشكروا الله ولم يطيعوه وأفرطوا في الاستبشار وإن نالهم أدنى شيء يكرهونه جزعوا ولم يصبروا وكفروا سالف النعم ولم يلتجئوا إليه بالاستغفار وليس كذلك حال المؤمن فإنه يشكر عند النعمة ويصبر عند المحنة ولا ييأس من روح الله ويلتجيء إليه بالطاعة والاستغفار ليستجلب الرحمة في الليل والنهار، وفي «المثنوي»:

چون فرود آيد بلا بى دافعى چون نباشد از تضرع شافعي

جز خضوع وبندكى واضطرار اندرين حضرت ندارد اعتبار
چونكه غم بينى تو استغفار كن غم بامر خالق آمد كار كن

وفي الآية إشارة إلى أن ريح الشقاوة الأزلية إذا هبت من مهب القهر والعزة على زروع معاملات الأشقياء وإن كانت مخضرة أي: على وفق الشرع تجعلها مصفرة يابسة تذروها الرياح كأعمال المنافق فيصيرون من بعد الإيمان التقليدي بالنفاق يكفرون بالله وبنعمته وهذا الكفر أقبح من الكفر المتعلق بالنعمة فقط نعوذ بالله من درك الشقاء وسوء الحال وسيئات الأقوال والأفعال.

﴿**فإنك لا تسمع الموتى**﴾ أي: من كان من الكفار كما وصفنا فلا تطمع يا محمد في فهمهم مقالتك وقبولهم دعوتك فإنك لا تسمع الموتى. والكفار في التشبيه كالموتى لانسداد مشاعرهم عن الحق وهم الذين علم الله قبل خلقهم أنهم لا يؤمنون به ولا برسله. وفي الآية دليل على أن الأحياء قد يسمون أمواتاً إذا لم يكن لهم منفعة الحياة.

قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر أجسادهم مفقودة وآثارهم بين الورى موجودة.

واعلم أن الكفر موت القلب كما أن العصيان مرضه فمن مات قلبه بالكفر بطل سمعه بالكلية فلا ينفعه النصح أصلاً ومن مرض قلبه بالعصيان فيسمع سمعاً ضعيفاً كالمريض فيحتاج إلى المعالجة في إزالته حتى يعود سمعه إلى الحالة الأولى ثم أشار تعالى إلى تشبيه آخر بقوله: ﴿**ولا تسمع الصم**﴾ جمع أصم والصمم فقدان حاسة السمع وبه شبه من لا يصغي إلى الحق ولا يقبله كما في «المفردات» ﴿**الدعاء**﴾ أي: الدعاء، وبالفارسية: [خواندن] ﴿**إذا ولوا**﴾ أعرضوا عن الداعي حال كونهم ﴿**مدبرين**﴾ تاركين له وراء ظهورهم فارين منه وتقييد الحكم بإذا الخ لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على أنهم جامعون لخصلتي السوء ينبوّ أسماعهم عن الحق وإعراضهم عن الإصغاء إليه ولو كان فيهم إحداهما لكفتهم فكيف وقد جمعوهما فإن الأصم المقبل إلى التكلم ربما يتفطن منه بواسطة أوضاعه وحركات فمه وإشارات يده ورأسه شيئاً من كلامه وإن لم يسمعه أصلاً وأما إذا كان معرضاً عنه يعني: [كرى كه پشت بر متكلم دارد] فلا يكاد يفهم منه شيئاً ثم أشار إلى تشبيه آخر بقوله:

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿**وما أنت بهاد العمي**﴾ جمع أعمى وهو فاقد البصر ﴿**عن ضلالتهم**﴾ متعلق بالهداية باعتبار تضمنها معنى الصرف سماهم عمياً إما لفقدهم المقصود الحقيقي من الأبصار أو لعمي قلوبهم كما في «الإرشاد»، وبالفارسية: [ونيستى توراه نماينده كوردلان ازكمراهئ ايشان يعنى قادرنيستى بر آنكه توفيق ايمان دهى مشركانرا] فإنهم ميتون والميت لا يبصر شيئاً كما لا يسمع شيئاً فكيف يهتدي ﴿**إن**﴾ ما ﴿**تسمع**﴾ مواعظ القرآن ونصائحه ﴿**إلا من يؤمن بآياتنا**﴾ فإن إيمانهم يدعوهم إلى التدبر فيها وتلقيها بالقبول. يعني أن الإيمان حياة القلب فإذا كان القلب حياً يكون له السمع والبصر واللسان ويجوز أن يراد بالمؤمن المشارف للإيمان أي: إلا من

يشارف الإيمان بها ويقبل عليها إقبالاً حقيقياً ﴿فهم مسلمون﴾ تعليل لإيمانهم أي: منقادون لما تأمرهم به من الحق.

وفي «التأويلات النجمية»: مستسلمون لأحكام الشريعة وآداب الطريقة في التوجه إلى عالم الحقيقة انتهى فإن الأحكام والآداب كالجناحين للسالك الطائر إلى الله تعالى فالمؤمن مطلقاً سواء كان سالكاً إلى طريق الجنان أو إلى طريق قرب الرحمان يعرض عن النفس والشيطان ويقبل على داعي الحق بالوجه والجنان، قال حضرة الشيخ العطار قدس سره في الهي نامه:

يكى مر غيست اندر كوه پايه ... كه درسالى نهد چل روزخايه
بحد شام باشد جاى اورا ... بسوى بيضه نبود راى اورا
چوبنهد بيضه درچل روزبسيار ... شود از چشم مردم نابديدار
يكى بيكانه مرغى آيد از راه ... نشيند بر سرآن بيضه آنكاه
چنان آن بيضه درزير پر آرد ... كه تاروزى از وبچه بر آرد
چنانش برورد آن دايه پيوست ... كه ندهد هيچ كس را آنچنان دست
چوجوقى بچهٔ اوپر بر آرند ... بيكده روى دريكديكر آرند
در آيد زود مادر شان بپرواز ... نشيند بر سر كوهى سر افراز
كند بانكى عجب ازدور ناكاه ... كه آن خيل بچه كردند آكاه
چو بنيوشند بانك مادر خويش ... شوند از مرغ بيكانه برخويش
بسوى مادر خود بازكردند ... وزان مرغ دكر ممتاز كردند
اكر روزى دكر ابليس مغرور ... كرفته زير پرهستى تومعذور
كه چون كردد خطاب خودبديدار ... بسوى حق شود زابليس بيزار

فعلى العاقل أن يرجع إلى أصله من صحبة الفروع ويجتهد في أن يحصل له سمع الروع قبل أن تنسدّ الحواس وينهدم الأساس.

﴿الله﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿**الذي خلقكم**﴾ أوجدكم أيها الإنسان ﴿**من ضعف**﴾ أي: من أصل ضعيف هو النطفة أو التراب على تأويل المصدر باسم الفاعل. والضعف بالفتح والضم خلاف القوة وفرقوا بأن الفتح لغة تميم واختاره عاصم وحمزة في المواضع الثلاثة والضم لغة قريش واختاره الباقون ولذا لما قرأه ابن عمر رضي الله عنهما على رسول الله ﷺ بالفتح اقرأه بالضم ﴿**ثم**﴾ للتراخي في الزمان ﴿**جعل**﴾ خلق لأنه عدى لمفعول واحد ﴿**من بعد ضعف**﴾ آخر وهو الضعف الموجود في الجنين والطفل ﴿**قوة**﴾ هي القوة التي تجعل للطفل من التحرك واستدعائه اللبن ودفع الأذى عن نفسه بالبكاء. قال بعض العلماء أول ما يوجد في الباطن حول ثم ما يجربه في الأعضاء قوة ثم ظهور العمل بصورة البطش والتناول قدرة ﴿**ثم جعل من بعد قوة**﴾ أخرى هي التي بعد البلوغ وهي قوة الشباب ﴿**ضعفاً**﴾ آخر هو ضعف الشيخوخة والكبر ﴿**وشيبة**﴾ شيبة الهرم والشيب والمشيب بياض الشعر ويدل على أن كل واحد من قوله ضعف وقوة إشارة إلى حالة غير الحالة الأولى ذكره منكراً والمنكر متى أعيد ذكره معرفاً أريد به ما تقدم كقولك رأيت رجلاً فقال لي الرجل كذا ومتى أعيد منكراً أريد به غير الأول ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٥-٦]

لن يغلب عسر يسرين هكذا حققه الإمام الراغب وتبعه أجلاء المفسرين.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿**خلقكم من ضعف**﴾ في البداية وهو ضعف العقل ﴿**ثم جعل من بعد ضعف قوة**﴾ في العقل بالبراهين والحجج ﴿**ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة**﴾ في الإيمان لمن كان العقل عقيله فيعقله بعلاقة المعقولات فينظر فيها بداعية الهوى بنظر مشوب بآفة الوهم والخيال فيقع في ظلمات الشبهات فتزل قدمه عن الصراط والدين القويم فيهلك كما هلك كثير ممن شرع في تعلم المعقولات لإطفاء نور الشريعة وسعى في إبطال الشريعة بظلمة الطبيعة يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون. وأيضاً ﴿**خلقكم من ضعف**﴾ التردد والتحير في الطلب ﴿**ثم جعل من بعد ضعف قوة**﴾ في صدق الطلب ﴿**ثم جعل من بعد قوة**﴾ في الطلب ﴿**ضعفاً**﴾ في حمل القول الثقيل وهو حقيقة قول لا إله إلا الله فإنها توجب الفناء الحقيقي وتوجب الضعف الحقيقي في الصورة بحمل المعاتبات والمعاشقات التي تجري بين المحبين فإنها تورث الضعف والشيبة كما قال ﷺ: «شيبتني سورة هود وأخواتها» فإن فيها إشارة من المعاشقات بقوله: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢] ﴿**يخلق**﴾ الله تعالى ﴿**ما يشاء**﴾ من الأشياء التي من جملتها ما ركب من الضعف والقوة والشباب والشيبة. يعني هذا ليس طبعاً بل بمشيئة الله تعالى.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**يخلق ما يشاء**﴾ من القوة والضعف في السعيد والشقي فيخلق في السعيد قوة الإيمان وضعف البشرية وفي الشقي قوة البشرية لقبول الكفر وضعف الروحانية لقبول الإيمان ﴿**وهو العليم**﴾ بخلقه ﴿**القدير**﴾ بتحويله من حال إلى حال. وأيضاً العليم بأهل السعادة والشقاوة والتقدير بخلق أسباب السعادة والشقاء فيهم.

واعلم أن نفس الإنسان أقرب إلى الاعتبار من نفس غيرهم ولذا أخبر عن خلق أنفسهم في أطوار مختلفة ليتغيروا ويتقلبوا وينتقلوا من معرفة هذا التغير والتقلب إلى معرفة الصانع الكامل بالعلم والقدرة المنزه عن الحدوث والإمكان ويصرفوا القوى إلى طاعته. قال بعضهم رحم الله امرأ كان قوياً فأعمل قوته في طاعة الله أو كان ضعيفاً فكف لضعفه عن معصية الله. قيل إذا جاوز الرجل الستين وقع بين قوة العلل وعجز العمل وضعف الأمل ووثبة الأجل فلا بد للشبان من دفع الكسل وسد الخلل وقد أثنى عليهم رسول الله عليه السلام خيراً حيث قال: «أوصيكم بالشبان خيراً ثلاثاً فإنهم أرق أفئدة ألا وإن الله أرسلني شاهداً ومبشراً ونذيراً فخالصني الشبان وخالفني الشيوخ»، يعني: [وصيت ميكنم شمارا به جوانا نكه بهتراند سه بار زيرا كه ايشان رحيم دل ترند آكاه باشيد خداى تعالى مرا فرستاد شاهد ومبشر ونذير دوستى كردند بامن جوانان ومخالفت كردند پيران] وأثنى على الشيوخ أيضاً حيث قال: «من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة ما لم يخضبها أو ينتفها» والمراد الخضاب بالسواد فإنه حرام لغير الغزاة وحلال لهم ليكونوا أهيب في عين العدو وأما الخضاب بالحمرة والصفرة فمستحب ودل قوله: ﴿**يخلق ما يشاء**﴾ على أن الله تعالى لو لم يخلق الشيب في الإنسان ما شاب وأما قول الشاعر:

أشاب الصغير وأفنى الكبير ... ر كر الغداة ومر العشي

فمن قبيل الإسناد المجازي. ونظر أبو يزيد قدس سره إلى المرآة فقال: ظهر الشيب ولم يذهب العيب ولا أدري ما في الغيب.

يا عامر الدنيا على شيبه فيك أعاجيب لمن يعجب
ما عذر من يعمر بنيانه وجسمه مستهدم يخرب

قال الشيخ سعدي قدس سره:

كنون بايد اى خفته بيدار بود چو مرك اندر آردز خوابت چه سود
چوشيب اندر آمد بروى شباب شبت روز شد ديده بركن زخواب
من آن روز بر كندم از عمر اميد كه افتادم اندر سياهى سپيد
دريغاكه بكذشت عمر عزيز بخواهد كذشت اين دمى چند نيز
فرو رفت جم را يكى نازنين كفن كرد چون كرمش ابريشمين
بدخمه در آمد پس از چند روز كه بروى بكريد بزارى وسوز
چو پوسيده ديدش حرير كفن بفكرت چنين كفت باخويشتن
من ازكرم بركنده بودم بزور بكندند ازو باز كرمان كور

ـ روي ـ أن عثمان رضي الله عنه كان إذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحيته فقيل: تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه».

ـ روي ـ أن الحسن البصري رحمه الله رأى بنتاً على قبر تنوح وتقول: يا أبت كنت أفرش فراشك فمن فرشه الليلة يا أبت كنت أطعمك فمن أطعمك الليلة إلى غير ذلك فقال الحسن: لا تقولي كذلك بل قولي يا أبت وضعناك متوجهاً إلى القبلة فهل بقيت أو حولت عنها يا أبت هل كان القبر روضة لك من رياض الجنة أو حفرة من حفرة النيران يا أبت هل أجبت الملكين على الحق أو لا فقالت: ما أحسن قولك يا شيخ وقبلت نصيحته. فعلى العاقل أن يتذكر الموت ويتفكر في بعد السفر ويتأهب بالإيمان والأعمال مثل الصلاة والصيام والقيام ونحوها وأفضلها إصلاح النفس وكف الأذى عن الناس بترك الغيبة والكذب وتخليص العمل لله تعالى وذلك يحتاج إلى قوة التوحيد بتكريره وتكريره بصفاء القلب آناء الليل وأطراف النهار.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿**ويوم تقوم الساعة**﴾ أي: القيامة سميت بها لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لأنها تقع بغتة وبداهة وصارت علماً لها بالغلبة كالنجم للثريا والكوكب للزهرة. وفي «فتح الرحمٰن»: ويوم تقوم الساعة التي فيها القيامة ﴿**يقسم المجرمون**﴾ يحلف الكافرون يقال اقسم أي: حلف أصله من القسامة وهي إيمان تقسم على المتهمين في الدم ثم صار اسماً لكل حلف ﴿**ما لبثوا**﴾ في القبور وما نافية ولبث بالمكان أقام به ملازماً له ﴿**غير ساعة**﴾ أي: إلا ساعة واحدة هي جزؤ من أجزاء الزمان استقلوا مدة لبثهم نسياناً أو كذباً أو تخميناً ويقال ما لبثوا في الدنيا والأول هو الأظهر لأن لبثهم معني بيوم البعث كما سيأتي وليس لبثهم في الدنيا كذلك ﴿**كذلك**﴾ مثل ذلك الصرف، وبالفارسية: [مثل اين بركشتن ازراستى در آخرت] ﴿**كانوا**﴾ في الدنيا بإنكار البعث والحلف على بطلانه كما أخبر سبحانه في قوله: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ

أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨] ﴿يؤفكون﴾ يقال افك فلان إذا صرف عن الصدق والخير أي: يصرفون عن الحق والصدق فيأخذون في الباطل والإفك والكذب يعني كذبوا في الآخرة كما كانوا يكذبون في الدنيا، وبالفارسية: [كار ايشان دروغ كفتن است درين سرا ودران سرا].

واعلم أن الله تعالى خلق الصدق فظهر من ظله الإيمان والإخلاص وخلق الكذب فظهر من ظله الكفر والنفاق فأنتج الإيمان المتولد من الصدق أن يقول المؤمنون يوم القيامة الحمد لله الذي صدقنا وعده وهذا ما وعد الرحمٰن وصدق المرسلون ونحوه وأنتج الكفر المتولد من الكذب أن يقول الكافرون يومئذٍ والله ما كنا مشركين وما لبثوا غير ساعة ونحوه من الأكاذيب، قال الحافظ:

بصدق كوش كه خورشيد زايد ازنفست   كه از دروغ سيه روى كشت صبح نخست

يعني: أن آخر الصدق النور كما أن آخر الصبح الصادق الشمس وآخر الكذب الظلمة كما أن آخر الصبح الكاذب كذلك.

﴿**وقال الذين أوتوا العلم والإيمان**﴾ في الدنيا من الملائكة والانس رداً لهم وإنكاراً لكذبهم ﴿**لقد**﴾ والله قد ﴿**لبثتم في كتاب الله**﴾ وهو التقدير الأزلي في أم الكتاب أي: علمه وقضائه ﴿**إلى يوم البعث**﴾ [تاروز انكيختن] وهو مدة مديدة وغاية بعيدة لا ساعة حقيقة. وفي الحديث: «ما بين فناء الدنيا والبعث أربعون» وهو محتمل للساعات والأيام والأعوام والظاهر أربعون سنة أو أربعون ألف سنة ثم أخبروا بوقوع البعث تبكيتاً لهم لأنهم كانوا ينكرونه فقالوا: ﴿**فهذا**﴾ الفاء جواب شرط محذوف أي: إن كنتم منكرين البعث فهذا ﴿**يوم البعث**﴾ الذي أنكرتموه وكنتم توعدون في الدنيا أي: فقد تبين بطلان إنكاركم ﴿**ولكنكم**﴾ من فرط الجهل وتفريط النظر ﴿**كنتم**﴾ في الدنيا ﴿**لا تعلمون**﴾ أنه حق سيكون فتستعجلون به استهزاء.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿**فيومئذٍ**﴾ أي: يوم القيامة ﴿**لا ينفع الذين ظلموا**﴾ أي: أشركوا ﴿**معذرتهم**﴾ أي: عذرهم وهو فاعل لا ينفع. والعذر تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه بأن يقول لم أفعل أو فعلت لأجل كذا فيذكر ما يخرجه عن كونه مذنباً أو فعلت ولا أعود ونحو ذلك وهذا الثالث هو التوبة فكل توبة عذر وليس كل عذر توبة وأصل الكلمة من العذرة وهي الشيء النجس تقول عذرت الصبي إذا طهرته وأزلت عذرته وكذا عذرت فلاناً إذا أزلت نجاسة ذنبه بالعفو عنه كذا في «المفردات». وقال في «كشف الأسرار» أخذ من العذار وهو الستر ﴿**ولا هم يستعتبون**﴾ الاعتاب إزالة العتب أي: الغضب والغلظة، وبالفارسية: [خوشنود كردن] والاستعتاب طلب ذلك، يعني: [ازكسى خواستن كه ترا خوشنود كند] من قولهم استعتبني فلان فأعتبته أي: استرضاني فأرضيته. والمعنى لا يدعون إلى ما يقتضي أعتابهم أي: إزالة عتبهم وغضبهم من التوبة والطاعة كما دعوا إليه في الدنيا إذ لا يقبل حينئذٍ توبة ولا طاعة وكذا لا يصح رجوع إلى الدنيا لإدراك فائت من الإيمان والعمل، قال الشيخ سعدي قدس سره:

كنونت كه چشم است اشكى ببار   زبان دردهانست عذري بيار

كنون بايدت عذر تقصير كفت نه چون نفس ناطق ز كفتن بخفت
بشهر قيامت مرو تنكدست كه وجهى ندارد بحسرت نشست

وفي الآية: إشارة إلى أن القالب للإنسان كالقبر للميت فهم يستقصرون يوم البعث أيامهم الدنيوية الفانية المتناهية وإن طالت مدتهم بالنسبة إلى صباح الحشر فإنه يوم طويل. قال عليه السلام: «الدنيا ساعة فاجعلها طاعة». واحتضر عابد فقال: ما تأسفي على دار الأحزان والغموم والخطايا والذنوب وإنما تأسفي على ليلة نمتها ويوم أفطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة وقد مضى ستة آلاف وليأتينّ عليها مئون من سنين ليس عليها موحد يعني قرب القيامة فإنه حينئذٍ ينقرض أهل الإيمان لما أراد الله من فناء الدنيا ثم ينتهي دور السنبلة وينتقل الظهور إلى البطون ثم بعد تمام مدة البرزخ وينفخ في الصور فيبعث أهل الإيمان على ما ماتوا عليه من التوحيد ويبعث أهل الكفر على ما هلكوا عليه من الإشراك وتكون الدنيا ومدتها وما تحويه من الأمور والأحوال نسياً منسياً فيا طوبى لمن صام طول نهاره حتى يطعمه الله في ذلك اليوم الطويل من نعم جناته ولمن قام طول ليلته فيقيمه الله في ظل عرشه إراحة له من الكدر ولمن وقع في نار محبته فيخلصه من نار ذلك اليوم ويحيطه بالنور فإنه لا يجتمع شدة الدنيا وحدة الآخرة للمؤمن المتقي، قال الشيخ العطار في الهي نامه:

مكر يكروز دربازار بغداد بغايت آتشى سوزنده افتاد
فغان برخاست از مردم بيكبار وزان آتش قيامت شد بديدار
بزه برپيره زالى مبتلايى عصا دردست مى آمد زجايى
يكى كفتا مكر ديوانهٔ تو كه افتاد آتش اندر خانه تو
زنش كفتا تويى ديوانهٔ من كه حق هركز نسوزدخانهٔ من
بآخر چون بسوخت عالم جهانى نبود آن زال را زآتش زيانى
بد وكفتندهان اى زال دمساز بكو كزچه بدانستى تواين راز
چنين كفت آنكهى زال فروتن كه ياخانه بسوزد يادل من
چوسوخت ازغم دل ديوانهٔ را نخواهد سوخت آخر خانهٔ را

فعلى العاقل أن يكون على مراد الله في أحكامه وأوامره حتى يكون الله تعالى على مراده في إنجائه من ناره والاسترضاء لا يكون إلا في الدنيا فإنها دار تكليف فإذا جاء الموت يختم الفم والأعضاء وتنسد الحواس والقوى وطرق التدارك بالكلية فيبقى كل امرىء مرهوناً بعمله.

﴿**ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل**﴾ أي: وبالله لقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم كل صفة كأنها في غرابتها كالأمثال وذلك كالتوحيد والحشر وصدق الرسل وسائر ما يحتاجون إليه من أمر الدين والدنيا مما يهتدي به المتفكر ويعتبر به الناظر المتدبر ﴿**ولئن جئتهم**﴾ [اكر بيارى تو اى محمد عليه السلام بديشان يعني بمنكران متعاندان] ﴿**بآية**﴾ من آيات القرآن الناطقة بأمثال ذلك ﴿**ليقولن الذين كفروا**﴾ من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنهي عليه السلام والمؤمنين ﴿**إن**﴾ ما ﴿**أنتم إلا مبطلون**﴾ مزوّرون يقال أبطل الرجل إذا جاء بالباطل وأكذب إذا جاء بالكذب. وفي «المفردات» الإبطال يقال في إفساد الشيء وإزالته حقاً كان ذلك الشيء أو باطلاً قال تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الأنفال: ٨] وقد يقال فيمن

يقول شيئاً لا حقيقة له قال تعالى: ﴿إن أنتم إلا مبطلون﴾

﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٩ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠ ﴾.

﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك الطبع الفظيع ﴿يطبع الله﴾ يختم بسبب اختيارهم الكفر، وبالفارسية: [مهرمى نهد خداى تعالى] ﴿على قلوب الذين لا يعلمون﴾ لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها وترهات فإن الجهل المركب يمنع إدراك الحق ويوجب تكذيب المحق.

واعلم أن الطبع أن يصور الشيء بصورة ما كطبع السكة وطبع الدراهم وهو أعم من الختم وأخص من النقش والطابع والخاتم ما يطبع به ويختم والطابع فاعل ذلك وبه اعتبر الطبع والطبيعة التي هي السجية فإن ذلك هو نقش النفس بصورة ما أما من حيث الخلقة أو من حيث العادة وهو فيما ينقش به من جهة الخلقة أغلب وشبه إحداث الله تعالى في نفوس الكفار هيئة تمرنهم وتعودهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الإيمان والطاعات بسبب إعراضهم عن النظر الصحيح بالختم والطبع على الأواني ونحوها في أنهما مانعان فإن هذه الهيئة مانعة عن نفوذ الحق في قلوبهم كما أن الختم على الأواني ونحوها مانع عن التصرف فيها ثم استعير الطبع لتلك الهيئة ثم اشتق منه يطبع فيكون استعارة تبعية.

﴿فاصبر﴾ يا محمد على أذاهم قولاً وفعلاً ﴿إن وعد الله﴾ بنصرتك وإظهار دينك ﴿حق﴾ لا بد من إنجازه والوفاء به [نكه داريد وقت كارها را كه هركارى بوقتى بازيسته است] ﴿ولا يستخفنك﴾ أي: لا يحملنك على الخفة والقلق جزعاً. قال في «المفردات»: لا يزعجنك ولا يزيلنك عن اعتقادك بما يوقعون من الشبه ﴿الذين لا يوقنون﴾ الإيقان [بى كمان شدن] واليقين أخذ من اليقين وهو الماء الصافي كما في «كشف الأسرار» أي: لا يوقنون بالآيات بتكذيبهم إياها وأذاهم بأباطيلهم التي من جملتها قولهم ﴿إن أنتم إلا مبطلون﴾ فإنهم شاكون ضالون ولا يستبدع منهم أمثال ذلك فظاهر النظم الكريم وإن كان نهياً للكفرة عن استخفافه عليه السلام لكنه في الحقيقة نهى له عن التأثر من استخفافهم على طريق الكناية.

- روي - أنه لما مات أبو طالب عم النبي عليه السلام بالغ قريش في الأذى حتى أن بعض سفهائهم نثر على رأسه الشريفة التراب فدخل عليه السلام بيته والتراب على رأسه فقام إليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكي ورسول الله عليه السلام يقول لها: «لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك» وكذا أوذي الأصحاب كلهم فصبروا وظفروا بالمراد فكانت الدولة لهم ديناً ودنيا وآخرة، قال الحافظ:

دلادر عاشقى ثابت قدم باش كه دراين ره نباشد كار بى اجر

وفي «التأويلات النجمية»: قوله: ﴿فاصبر﴾ يشير إلى الطالب الصادق فاصبر على مقاساة شدائد فطام النفس عن مألوفاتها تزكية لها وعلى مراقبة القلب عن التدنس بصفات النفس تصفية له وعلى معاونة الروح على بذل الوجود لنيل الجود تحلية له ﴿إن وعد الله حق﴾ فيما قال: «ألا من طلبني وجدني».

﴿ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾ يشير به إلى استخفاف أهل البطالة واستجهالهم أهل

الحق وطلبه وهم ليسوا أهل الإيقان وإن كانوا أهل الإيمان التقليدي يعني لا يقطعون عليك الطريق بطريق الاستهزاء والإنكار كما هو عادة أهل الزمان يستخفون طالبي الحق وينظرون إليهم بنظر الحقارة ويزرونهم وينكرون عليهم فيما يفعلون من ترك الدنيا وتجردهم عن الأهالي والأولاد والأقارب وذلك لأنهم لا يوقنون بوجوب طلب الحق تعالى ويجب على طالبي الحق أولاً التجريد لقوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] وبعد تجريد الظاهر يجب عليهم التفريد وهو قطع تعلق القلب من سعادة الدارين وبهذين القدمين وصل من وصل إلى مقام التوحيد كما قال بعضهم خطوتان وقد وصلت قال الشيخ العطار قدس سره:

مكرسنك وكلوخي بود درراه بدريايي در افتادند ناكاه
بزاري سنك كفتا غرقه كشتم كنون باقعر كويم سر كذشتم
وليكن آن كلوخ ازخود فناشد ندانم تاكجا رفت وكجاشد
كلوخي بي زبان آواز برداشت شنود آن راز اوهركو خبر داشت
كه ازمن در دوعالم تن نماندست وجودم يك سرسوزن نماندست
زمن نه جان ونه تن مي توان ديد همه درياست روشن مي توان ديد
اكر همرنك دريا كردي امروز شوي دروي توهم درشب افروز
وليكن تاتوخواهي بود خودرا نخواهي يافت جانرا وخردرا

وفي «المثنوي»:

آن يكي نحوي بكشستي درنشست روبكشيتبان نهاد آن خود پرست
كفت هيچ ازنحو خواندي كفت لا كفت نيم عمر توشد درفنا
دل شكسته كشت كشتيبان زتاب ليك اندم كرد خاموش از جواب
باد كشتي را بكردابي فكند كفت كشتيبان بآن نحوي بلند
هيچ داني آشنا كردن بكو كفت ني از من توسباهي مجو
كفت كل عمرت اى نحوي فناست زانكه كشتي غرق اين كردابهاست
محومي بايد نه نحو انيجا بدان كر تومحوي بي خطر درآب ران
آب دريا مرده را برسرنهد وربود زنده زدر يا كي رهد
چون بمردي تو زاوصاف بشر بحر اسرارت نهد بر فرق سر

تم تفسير سورة الروم وما يتعلق بها من العلوم بعون الله ذي الإمداد على كافة العباد يوم السبت السادس من شهر الله رجب المنتظم في شهور سنة تسع ومائة وألف من الهجرة.

٣١ ـ سورة لقمان

أربع وثلاثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾.

﴿الم﴾ أي: هذه سورة ألم. قال بعضهم الحروف المقطعات مبادىء السور ومفاتيح كنوز العبر. والإشارة هٰهنا بهذه الحروف الثلاثة إلى قوله: أنا الله ولي جميع صفات الكمال ومني الغفران والإحسان. وقال بعضهم: الألف إشارة إلى إلفة العارفين واللام إلى لطف صنعه مع المحسنين والميم إلى معالم محبة قلوب المحبين. وقال بعضهم يشير بالألف إلى آلائه وباللام إلى لطفه وعطائه وبالميم إلى مجده وثنائه فبآلائه رفع الجحد من قلوب الأولياء وبلطف عطائه أثبت المحبة في أسرار أصفيائه وبمجده وثنائه مستغن عن جميع خلقه بوصف كبريائه:

مراورا رسد كبريا ومنى ... كه ملكش قد يمست وذاتش غنى

﴿تلك﴾ أي: هذه السورة وآياتها ﴿آيات الكتاب الحكيم﴾ أي: ذي الحكمة لاشتماله عليها أو المحكم المحروس من التغيير والتبديل والممنوع من الفساد والبطلان فهو فعيل بمعنى المفعل وإن كان قليلاً كما قالوا أعقدت اللبن فهو عقيد أي: معقد.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾.

﴿هدى﴾ من الضلالة وهو بالنصب على الحالية من الآيات والعامل معنى الإشارة ﴿ورحمة﴾ من العذاب. وقال بعضهم سماه هدى لما فيه من الدواعي إلى الفلاح والإلطاف المؤدية إلى الخيرات فهو هدى ورحمة للعابدين ودليل وحجة للعارفين.

وفي «التأويلات النجمية» هدى يهدي إلى الحق ورحمة لمن اعتصم به يوصله بالجذبات المودعة فيه إلى الله تعالى ﴿للمحسنين﴾ أي: العاملين للحسنات والمحسن لا يقع مطلقاً إلا مدحاً للمؤمنين. وفي تخصيص كتابه بالهدى والرحمة للمحسنين دليل على أنه ليس يهدي غيرهم.

وفي «التأويلات»: المحسن من يعتصم بحبل القرآن متوجهاً إلى الله ولذا فسر النبي عليه السلام الإحسان حين سأله جبريل ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه» فمن يكون بهذا الوصف بكون متوجهاً إليه حتى يراه ولا بد للمتوجه إليه أن يعتصم بحبله وإلا فهو منزه عن الجهات فلا يتوجه إليه لجهة من الجهات انتهى. ولذا قال موسى عليه السلام: أين أجدك يا رب؟ قال: يا موسى إذا قصدت إليّ فقد وصلت إليّ إشارة إلى أنه ليس هناك شيء من الأين حتى يتوجه إليه.

صوفي چه فغانست كه من اين إلى اين — اين نكته عيانست من العلم إلى العين
جامى مكن انديشه زنزديكى ودورى — لا قرب ولا بعد ولا وصل ولا بين

ثم إن أريد بالحسنات مشاهيرها المعهودة في الدين فقوله تعالى:

﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ الخ صفة كاشفة للمحسنين وبيان لما عملوه من الحسنات فاللام في للمحسنين لتعريف الجنس وإن أريد بها جميع الحسنات الاعتقادية والعملية على أن يكون اللام للاستغراق فهو تخصيص لهذه الثلاث بالذكر من بين سائر شعبها لإظهار فضلها على غيرها ومعنى إقامة الصلاة أداؤها وإنما عبر عن الأداء بالإقامة إشارة إلى أن الصلاة عماد الدين. وفي «المفردات» إقامة الشيء توفية حقه وإقامة الصلاة توفية شرائطها لا الإتيان بهيئتها، يعني: [شرائط نماز دوقسم است قسمى را شرائط جواز كويند يعني فرائض وحدود وأوقات آن وقسمي را شرائط قبول كويند يعني تقوي وخشوع وإخلاص وتعظيم وحرمت آن قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] وتاهردو قسم بجاى نيارد معنىء اقامت درست نشود ازينجاست كه رب العزه در قرآن هرجا كه بنده را نماز فرمايد ويابناى مدح كند ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأنعام: ٧٢]، ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣] كويد «صلوا ويصلون» نكويد].

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿يقيمون الصلاة﴾ أي: يديمونها بصدق التوجه وحضور القلب والإعراض عما سواه انتهى أشار إلى معنى آخر لأقام وهو إدام كما قاله الجوهري وفي الحديث «إن بين يدي الخلق خمس عقبات لا يقطعها كل ضامر ومهزول» فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما هي يا رسول الله قال عليه السلام: «أولاها الموت وغصته. وثانيتها القبر ووحشته وضيقه. وثالثتها سؤال منكر ونكير وهيبتهما. ورابعتها الميزان وخفته. وخامستها الصراط ودقته» فلما سمع أبو بكر رضي الله عنه هذه المقالة بكى بكاء كثيراً حتى بكت السموات السبع والملائكة كلها فنزل جبريل وقال: يا محمد قل لأبي بكر حتى لا يبكي أما سمع من العرب كل داء له دواء إلا الموت ثم قال: «من صلى صلاة الفجر هان عليه الموت وغصته ومن صلى صلاة العشاء هان عليه الصراط ودقته ومن صلى صلاة الظهر هان عليه القبر وضيقه ومن صلى صلاة العصر هان عليه سؤال منكر ونكير وهيبتهما ومن صلى صلاة المغرب هان عليه الميزان وخفته» ويقال: من تهاون في الصلاة منع الله منه عند الموت قول لا إله إلا الله ﴿ويؤتون الزكاة﴾ أي: يعطونها بشرائطها إلى مستحقيها من أهل السنة فإن المختار أنه لا يجوز دفع الزكاة إلى أهل البدع كما في الأشباه. يقال: من منع الزكاة منع الله منه حفظ المال ومن منع الصدقة منع الله منه العافية كما قال عليه السلام: «حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة ومن منع العشر منع الله منه بركة أرضه».

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ويؤتون الزكاة﴾ تزكية للنفس. فزكاة العوام من كل عشرين ديناراً نصف دينار لتزكية نفوسهم من نجاسة البخل كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] فبإيتاء الزكاة على وجه الشرع ورعاية حقوق الأركان الأخرى نجاة العوام من النار. وزكاة الخواص من المال كله لتصفية قلوبهم من صدأ محبة الدنيا. وزكاة أخص الخواص بذل الوجود ونيل المقصود من المعبود كما قال عليه السلام: «من كان لله كان الله له»، وفي «المثنوي»:

چون شدى من كان لله ازوله — من ترا باشم كه كان الله له

﴿وهم بالآخرة﴾ أي: بالدار الآخرة والجزاء على الأعمال سميت آخرة لتأخرها عن الدنيا ﴿هم يوقنون﴾ فلا يشكون في البعث والحساب [والإيقان بي كمان شدن]، وبالفارسية: [ايشان بسراى ديكر بى كمانانند يعنى بعث وجزارا تصديق ميكنند] وإعادة لفظة هم للتوكيد في اليقين بالبعث والحساب ولما حيل بينه وبين خبره بقوله بالآخرة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ لخروجهم من الدنيا وتوجههم إلى المولى. والآخرة هي المنزل الثاني لمن يسير إلى الله بقدم الخروج من منزل الدنيا فمن خرج من الدنيا لا بد له أن يكون في الآخرة فيكون موقناً بها بعد أن كان مؤمناً بها انتهى.

يقول الفقير: لا شك عند أهل الله أن الدنيا من الحجب الجسمانية الظلمانية وأن الآخرة من الحجب الروحانية النورانية ولا بد للسالك من خرقها بأن يتجاوز من سير الأكوان إلى سير الأرواح ومنه إلى سير عالم الحقيقة فإنه فوق الأولين فإذا وصل إلى الأرواح صار الإيمان إيقاناً والعلم عياناً وإذا وصل إلى عالم الحقيقة صار العيان عيناً والحمد لله تعالى.

﴿أولئك﴾ المحسنون المتصفون بتلك الصفات الجليلة ﴿على هدى﴾ كائن ﴿من ربهم﴾ أي: على بيان منه تعالى بين لهم طريقهم ووفقهم لذلك. قال في «كشف الأسرار»: [برراست راهى اند وراهنمونى خداوند خويش ﴿على هدى﴾ بيان عبوديت است و ﴿من ربهم﴾ بيان ربوبيت بعد ازكزار ومعاملت وتحصيل عبادت ايشانرا بستود هم باعتقاد سنت همه بكزارد عبوديت هم باقرار ربوبيت]. وفي الآية دليل على أن العبد لا يهتدي بنفسه إلا بهداية الله تعالى ألا ترى أنه قال: ﴿على هدى من ربهم﴾ وهو رد على المعتزلة فإنهم يقولون: العبد يهتدي بنفسه. قال شاه شجاع قدس سره: ثلاثة من علامات الهدى: الاسترجاع عند المصيبة، والاستكانة عند النعمة، ونفي الامتنان عند العطية ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل مهروب لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح. قال في «المفردات»: الفلاح الظفر وإدراك البغية وذلك ضربان دنيوي وأخروي. فالدنيوي الظفر بالسعادات التي تطيب بها حياة الدنيا، والأخروي أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل، ولذلك قيل: لا عيش إلا عيش الآخرة ألا ترى إلى قوله عليه السلام: «المؤمن لا يخلو عن قلة أو علة أو ذلة» يعني: ما دام في الدنيا فإنها دار البلايا المصائب والأوجاع ودل قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥] على أن الإنسان عند أرذل العمر يعود إلى حال الطفولية من الجهل والنسيان أي: إذا كان علمه حصولياً أما إذا كان حضورياً كالعلوم الوهبية لخواص المؤمنين فإنه لا يغيب ولا يزول عن قلبه أبداً لا في الدنيا ولا في برزخه ولا في آخرته فإن ذلك العلم الشريف الوهبي اللدني ليس بيد العقل الجزئي الذي من شأنه عروض النسيان له عند ضعف حال الشيخوخة ولذا لا يطرأ عليهم العته بالكبر بخلاف عوام المؤمنين والعلماء غالباً. فعلى العاقل أن يجتهد حتى يدخل في زمرة أهل الفلاح وذلك بتزكية النفس في الدنيا والترقي إلى مقامات المقربين في العقبى وهي المقامات الواقعة في جنات عدن والفردوس فالعاليات إنما هي لأهل الهمة العالية نسأل الله تعالى أن يلحقنا بالأبرار.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ

لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾

﴿ومن الناس﴾ أي: وبعض الناس فهذا مبتدأ خبره قوله ﴿من يشتري﴾ الاشتراء دفع الثمن وأخذ المثمن والبيع دفع المثمن وأخذ الثمن وقد يتجوز بالشراء والاشتراء في كل ما يحصل به شيء فالمعنى هٰهنا يستبدل ويختار ﴿لهو الحديث﴾ وهو ما يلهي عما يعني من المهمات كالأحاديث التي لا أصل لها. والأساطير التي لا اعتداد بها والأضاحيك وسائر ما لا خير فيه من الكلام. والحديث يستعمل في قليل الكلام وكثيره لأنه يحدث شيئاً فشيئاً.

قال أبو عثمان رحمه الله: كل كلام سوى كتاب الله أو سنة رسوله أو سيرة الصالحين فهو لهو. وفي «عرائس البيان»: الإشارة فيه إلى طلب علوم الفلسفة من علم الأكسير والسحر والنير نجات وأباطيل الزنادقة وترهاتهم لأن هذه كلها سبب ضلالة الخلق.

وفي «التأويلات النجمية»: ما يشغل عن الله ذكره ويحجب عن الله سماعه فهو لهو الحديث. والإضافة بمعنى من التبيينية إن أريد بالحديث المنكر لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره فأضيف العام إلى الخاص للبيان كأنه قيل: من يشتري اللهو الذي هو الحديث وبمعنى من التبعيضية إن أريد به الأعم من ذلك كأنه قيل: من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه. وأكثر أهل التفسير على أن الآية نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة [مردى كافر دل وكافر كيش بود سخت خصومت بارسول خدا كرد] قتله رسول الله صبراً حين فرغ من وقعة بدر.

ـ روي ـ أنه ذهب إلى فارس تاجراً فاشترى كليلة ودمنة وأخبار رستم واسفنديار وأحاديث الأكاسرة فجعل يحدث بها قريشاً في أنديتهم ولعلها كانت مترجمة بالعربية ويقول إن محمداً يحدثكم بعاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن فيكون الاشتراء على حقيقته بأن يشتري بماله كتباً فيها لهو الحديث وباطل الكلام ﴿ليضل﴾ الناس ويصرفهم ﴿عن سبيل الله﴾ أي: دينه الحق الموصل إليه أو ليضلهم ويمنعهم بتلك الكتب المزخرفة عن قراءة كتابه الهادي إليه وإذا أضل غيره فقد ضل هو أيضاً ﴿بغير علم﴾ أي: حال كونه جاهلاً بحال ما يشتريه ويختاره أو بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن ﴿ويتخذها﴾ بالنصب عطفاً على ليضل والضمير للسبيل فإنه مما يذكر ويؤنث أي: وليتخذها ﴿هزواً﴾ مهزوءاً بها ومستهزأة ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الاشتراء والإضلال ﴿لهم عذاب مهين﴾ لإهانتهم الحق بإيثار الباطل عليه وترغيب الناس فيه، وبالفارسية: [عذابي خوار كننده كه سبى وقتل است دردنيا وعذاب خزي در عقبى].

﴿وإذا تتلى عليه﴾ أي: على المشتري افرد الضمير فيه وفيما بعده كالضمائر الثلاثة الأول باعتبار لفظ من وجمع في أولئك باعتبار معناه. قال في «كشف الأسرار»: هذا دليل على أن الآية السابقة نزلت في النضر بن الحارث ﴿آياتنا﴾ أي: آيات كتابنا ﴿ولى﴾ أعرض غير معتد بها ﴿مستكبراً﴾ مبالغاً في التكبر ودفع النفس عن الطاعة والإصغاء ﴿كأن لم يسمعها﴾ حال من ضمير ولى أو من ضمير مستكبراً والأصل كأنه فحذف ضمير الشأن وخففت المثقلة أي:

مشابهاً حاله حال من لم يسمعها وهو سامع. وفيه رمز إلى أن من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيها من الأمور الموجبة للإقبال عليها والخضوع لها **﴿كأن في أذنيه وقراً﴾** حال من ضمير لم يسمعها أي: مشابهاً حاله حال من في أذنيه ثقل مانع من السماع. قال في «المفردات» الوقر الثقل في الأذن. وفي «فتح الرحمٰن» الوقر الثقل الذي يغير إدراك المسموعات. قال الشيخ سعدي: [ازانراكه كوش ارادت كران آفريده است چه كندكه بشنود وانرا كه بكند سعادت كشيده اند چون كندكه نرود]. قال في «كشف الأسرار»: [آدميان دوكر وهند آشنايات وبيكانكان آشنايانرا قرآن سبب هدايت است بيكانكانرا سبب ضلالت كما قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦] بيكانكان چون قرآن شنونند پشت بران كنند وكردن كشند كافر وارچنانكه رب العزة كفت] **﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولى﴾** الخ:

دل ازشنيدن قرآن بكيردت همه وقت چو باطلان ز كلام حقت ملولى چيست

[آشنايان چون قرآن شنوندبنده وار بسجود درافتند وبادل تازه وزنده دران زارند چنانكه الله تعالى كفت] ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧]:

ذوق سجده در دماغ آدمي ديورا تلخى دهد اواز غمى

﴿فبشره بعذاب أليم﴾ أي: فاعلمه بأن العذاب المفرط في الإيلام لا حق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم ثم ذكر أحوال أضدادهم بقوله:

﴿إن الذين آمنوا﴾ بآياتنا **﴿وعملوا الصالحات﴾** وعملوا بموجبها. قال في «كشف الأسرار»: الإيمان التصديق بالقلب وتحقيقه بالأعمال الصالحة ولذلك قرن الله بينهما وجعل الجنة مستحقة بهما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] **﴿لهم﴾** بمقابلة إيمانهم وأعمالهم **﴿جنات النعيم﴾** [بهشتهاى بانعمت ناز ويا نعمتهاى بهشت] كما قال البيضاوي أي: نعيم جنات فعكس للمبالغة. وقيل جنات النعيم إحدى الجنات الثمان وهي دار الجلال ودار السلام ودار القرار وجنة عدن وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة الفردوس وجنة النعيم كذا روى وهب بن منبه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿خالدين فيها﴾ حال من الضمير في لهم **﴿وعد الله﴾** أي: وعد الله جنات النعيم وعداً فهو مصدر مؤكد لنفسه لأن معنى لهم جنات النعيم وعدهم بها **﴿حقاً﴾** أي: حق ذلك الوعد حقاً فهو تأكيد لقوله لهم جنات النعيم أيضاً لكنه مصدر مؤكد لغيره لأن قوله **﴿لهم جنات النعيم﴾** وعد وليس كل وعد حقاً **﴿وهو العزيز﴾** الذي لا يغلبه شيء فيمنعه عن إنجاز وعده أو تحقيق وعيده. **﴿الحكيم﴾** الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة:

نه در وعده اوست نقض وخلاف نه در كار او هيچ لاف وكذاف

هذا، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بلهو الحديث في الآية المتقدمة الغناء، يعني: [تغنى وسرور فاسقانست در مجلس فسق وآيت درذم كسى فرود آمدكه بندكان مغنيان خرد يا كنيز كان مغنيات تافاسقانرا مطربى كند] فيكون المعنى من يشتري ذا لهو الحديث أو ذات لهو الحديث. قال الإمام مالك: إذا اشترى جارية فوجدها مغنية فله أن يردها بهذا العيب. قال في الفقه: ولا تقبل شهادة الرجل المغني للناس لاجتماع الناس في ارتكاب ذنب يسببه لنفسه ومثل هذا لا يحترز عن الكذب وأما من تغنى لنفسه لدفع الوحشة وإزالة الحزن فتقبل شهادته إذ به لا تسقط العدالة إذا لم يسمع غيره في الصحيح وكذا لا تقبل شهادة المغنية

سواء تغنت للناس أو لا إذ رفع صوتها حرام فبارتكابها محرماً حيث نهى النبي عليه السلام عن صوت المغنية سقطت عن درجة العدالة وفي الحديث «لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن ولا شراؤهن وثمنهن حرام» وقد نهى عليه السلام عن ثمن الكلب وكسب الزمارة، يعني: [ازكسب ناى زدن]. قالوا المال الذي يأخذه المغني والقوال والنائحة حكمه أخف من الرشوة لأن صاحب المال أعطاه عن اختيار بغير عقد. قال مكحول: من اشترى جارية ضرابة ليمسكها لغنائها وضربها مقيماً عليه حتى يموت لم أصل عليه إن الله يقول: ﴿ومن الناس﴾ الخ وفي الحديث «إن الله بعثني هدى ورحمة للعالمين وأمرني بمحو المعازف والمزامير والأوتار والصنج وأمر الجاهلية وحلف ربي بعزته لا يشرب عبد من عبيدي جرعة من خمر متعمداً إلا سقيته من الصديد مثلها يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً ولا يتركها من مخافتي إلا سقيته من حياض القدس يوم القيامة» وفي الحديث «بعثت لكسر المزامير وقتل الخنازير». قال ابن الكمال: المراد بالمزامير آلات الغناء كلها تغليباً أي: وإن كانت في الأصل أسماء لذوات النفخ كالبوق ونحوه مما ينفخ فيه والكسر ليس على حقيقته بدليل قرينه بل مبالغة في النهي وفي الحديث: «من ملأ مسامعه من غناء لم يؤذن له أن يسمع صوت الروحانيين يوم القيامة» قيل: وما الروحانيون يا رسول الله قال: «قراء أهل الجنة» أي: من الملائكة والحور العين ونحوهم.

قال أهل المعاني يدخل في الآية كل من اختار اللهو واللعب والمزامير والمعازف على القرآن وإن كان اللفظ يذكر في الاستبدال والاختيار كثيراً كما في «الوسيط». قال في «النصاب» ويمنع أهل الذمة عن إظهار بيع المزامير والطنابير وإظهار الغناء وغير ذلك. وأما الأحاديث الناطقة برخصة الغناء أيام العيد فمتروكة غير معمول بها اليوم ولذا يلزم على المحتسب إحراق المعازف يوم العيد.

واعلم أنه لما كان القرآن أصدق الأحاديث وأملحها وسماعه والإصغاء إليه مما يستجلب الرحمة من الله استحب التغني به وهو تحسين الصوت وتطييبه لأن ذلك سبب للرقة وإثارة للخشية على ما ذهب إليه الإمام الأعظم رحمه الله كما في «فتح القريب» ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فإن أفرط حتى زاد حرفاً أو أخفى حرفاً فهو حرام كما في «أبكار الأفكار». وعليه يحمل ما في «القنية» من أنه لو صلى خلف إمام للحسن في القراءة ينبغي أن يعيد وما في «البزازية» من أن من يقرأ بالألحان لا يستحق الأجر لأنه ليس بقارىء فسماع القرآن بشرطه مما لا خلاف فيه وكذا لا خلاف في حرمة سماع الأوتار والمزامير وسائر الآلات. لكن قال بعضهم حرمة الآلات المطربة ليست لعينها كحرمة الخمر والزنى بل لغيرها ولذا استثنى العلماء من ذلك الطبل في الجهاد وطريق الحج فإذا استعملت باللهو واللعب كانت حراماً وإذا خرجت عن اللهو زالت الحرمة. قال في «العوارف»: وأما الدف والشبابة وإن كان في مذهب الشافعي فيهما فسحة فالأولى تركهما والأخذ بالأحوط والخروج من الخلاف انتهى خصوصاً إذا كان في الدف الجلاجل ونحوها فإنه مكروه بالاتفاق كما في «البستان». وإنما الاختلاف في سماع الإشعار بالألحان والنغمات فإن كانت في ذكر النساء وأوصاف أعضاء الإنسان من الخدود والقدود فلكونه مما يهيج النفس وشهوتها لا يليق بأهل الديانات الاجتماع لمثل ذلك خصوصاً إذا كان على طريقة اللهو والتغني بما يعتاده أهل الموسيقى «من يلالا» و«تنادرتن» وخرافات يستعملونها في مجالس أهل الشرب ومحافل أهل الفساد كما في «حواشي العوارف» للشيخ زين

الدين الحافي قدس سره. وقد أدخل الموسيقى في «الأشباه» في العلوم المحرمة كالفلسفة والشعبذة والتنجيم والرمل وغيرها وإن كانت القصائد في ذكر الجنة والنار والتشويق إلى دار القرار ووصف نعم الملك الجبار وذكر العبادات والترغيب في الخيرات فلا سبيل إلى الإنكار. ومن ذلك قصائد الغزاة والحجاج ووصف الغزو والحج مما يثير العزم من الغازي وساكن الشوق من الحاج. وإذا كان القوال أمرد تنجذب النفوس بالنظر إليه وكان للنساء إشراف على الجمع يكون السماع عين الفسق المجمع على تحريمه. واللوطية على ثلاثة أصناف: صنف ينظرون، وصنف يصافحون، وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث. وكما يمنع الشاب الصائم من القبلة لحليلته حيث جعلت حريم حرام الوقاع. ويمنع الأجنبي من الخلوة بالأجنبية يمنع السامع من سماع صوت الأمرد والمرأة لخوف الفتنة وربما يتخذ للاجتماع طعام تطلب النفوس الاجتماع لذلك لا رغبة للقلوب في السماع فيصير السماع معلولاً تركن إليه النفوس طلباً للشهوات واستجلاء لمواطن اللهو والفضلات فينبغي أن يحذر السامع من ميل النفس لشيء من هواها. وسئل بعضهم عن التكلف في السماع فقال: هو على ضربين: تكلف في المستمع بطلب جاه أو منفعة دنيوية وذلك تلبيس وخيانة وتكلف فيه لطلب الحقيقة كمن يطلب الوجد بالتواجد وهو بمنزلة التباكي المندوب إليه فإذا فعل لغرض صحيح كان مما لا بأس به كالقيام للداخل لم يكن في زمن النبي عليه السلام فمن فعله لتطييب قلب الداخل والمداراة ودفع الوحشة إن كان في البلاد عادة يكون من قبيل العشرة وحسن الصحبة. قالوا: لو قعد واحد على ظهر بيته وقرىء عليه القرآن من أوله إلى آخره فإن رمى بنفسه فهو صادق وإلا فليحذر العاقل من دخول الشيطان في جوفه وحمله عند السماع على نعرة أو تصفيق أو تحريق أو رقص رياء وسمعة. وفي سماع أهل الرياء ذنوب.

منها: أنه يكذب على الله وأنه وهب له شيئاً وما وهب له والكذب على الله من أقبح اللذات.

ومنها: أن يغر بعض الحاضرين فيحسن به الظن والإغرار خيانة لقوله عليه السلام: «من غشنا فليس منا».

ومنها: أن يحوج الحاضرين إلى موافقته في قيامه وقعوده فيكون متكلفاً مكلفاً للناس بباطله فيجتنب الحركة ما أمكن إلا إذا صارت حركته كحركة المرتعش الذي لا يجد سبيلاً إلى الإمساك وكالعاطس الذي لا يقدر أن يرد العطسة. والحاصل أن الميل عند السماع على أنواع:

منها: ميل يتولد من مطالعة الطبيعة للصوت الحسن وهو شهوة وهو حرام لأنه شيطاني.

چه مردسماعست شهوت پرست   بآواز خوش خفته خيزد نه مست

ومنها: ميل يتولد من النفس ومطالعة النغمات والألحان وهو هوى وهو حرام أيضاً لكونه شيطانياً حاصلاً لذي القلب الميت والنفس الحية ومن علامات موت القلب نسيان الرب ونسيان الآخرة والانكباب على أشغال الدنيا واتباع الهوى فكل قلب ملوث بحب الدنيا فسماعه سماع طبع وتكلف.

اكر مردى بازى ولهوست ولاغ   قوى تر بود ديوش اندر دماغ

ومنها ميل يتولد من القلب بسبب مطالعة نور أفعال الحق وهو عشق وهو حلال لأنه رحماني حاصل لذي قلب حي ونفس ميتة.

ومنها ميل يتولد من الروح بسبب مطالعة نور صفاته وهو محبة وحضور وسكون وهو حلال أيضاً.

ومنها ما يتولد من السر بسبب مشاهدة نور ذاته تعالى وهو أنس وهو حلال أيضاً ولذا قال الشيخ سعدي قدس سره:

نكويم سماع اى برادر كه چيست مكر مستمع را بدانم كه كيست

كر از برج معنى پرد طير او فرشته فروماند از سير او

فهو حال العاشق الصادق وأصحاب الحال هم الذين أثرت فيهم أنوار الأعمال الصالحة فوهبهم الله تعالى على أعمالهم بالمجازاة حالاً والوجد والذوق ومآلا الكشف والمشاهدة والمعاينة والمعرفة بشرط الاستقامة. قال زين الدين الحافي قدس سره: فمن يجد في قلبه نوراً يسلك به طريق من أباحه وإلا فرجوعه إلى من كرهه من العلماء أسلم. ومعنى السماع استماع صوت طيب موزون محرك للقلب وقد يطلق على الحركة بطريق تسمية المسبب باسم السبب وجبلت النفوس حتى غير العاقل على الإصغاء إلى ما يحب من سماع الصوت الحسن فقد كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لسماع صوته.

بـه از روى خـوبـست آواز خـوش كه اين حظ نفس است وآن قوت روح

وكان الأستاذ الإمام أبو علي البغدادي رحمه الله أوتي حظاً عظيماً وأنه أسلم على يده جماعة من اليهود والنصارى من سماع قراءته وحسن صوته كما تغير حال بعضهم من سماع بعض الأصوات القبيحة. ونقل عن الإمام تقي الدين المصري أنه كان استاذاً في التجويد وأنه قرأ يوماً في صلاة الصبح: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ [النمل: ٢٠] وكرر هذه الآية فنزل طائر على رأس الشيخ يسمع قراءته حتى أكملها فنظروا إليه فإذا هو هدهد قالوا: الروح إذا استمع الصوت الحسن والتذ بذلك تذكر مخاطبة الحق إياه بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فحنّ إلى العود بالحضرة الربوبية وطار من الأوكار البشرية إلى الحضرة الصمدية:

چه كونه جان نپرد سوى حضرت متعال نداه لطف الهي رسدكه عبدي تعال

قال حضرة الشيخ أبو طالب المكي في «قوت القلوب»: إن أنكرنا السماع مجملاً مطلقاً غير مقيد مفصل يكون إنكارنا على سبعين صديقاً وإن كنا نعلم أن الإنكار أقرب إلى قلوب القراء والمتعبدين إلا أنا لا نفعل ذلك لأنا نعلم ما لا يعلمون وسمعنا عن السلف من الأصحاب والتابعين ما لا يسمعون انتهى. فقد جوز الشيخ قدس سره السماع أي: سماع الصوت الحسن واستدل عليه بأخبار وآثار في كتابه وقوله يعتبر كما في «العوارف» لوفور علمه وكمال حاله وعلمه بأحوال السلف ومكان ورعه وفتواه وتحريه الأصوب والأعلى لكن من أباحه لم ير إعلانه في المساجد والبقاع الشريفة فعليك بترك القيل والقال والأخذ بقوة الحال.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾.

﴿خلق﴾ تعالى وأوجد﴿السموات﴾ السبع وكذا الكرسي والعرش﴿بغير عمد﴾ بفتحتين

جمع عماد كأهب وأهاب وهو ما يعمد به أي: يسند يقال عمدت الحائط إذا أدعمته أي: خلقها بغير دعائم وسواري على أن الجمع لتعدد السموات، وبالفارسية: [بيافريد آسمانها را بى ستون] ﴿ترونها﴾ استئناف جيء به للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى إياها غير معمودة بمشاهدتهم لها كذلك أو صفة لعمد أي: خلقها بغير عمد مرئية على أن التقييد للرمز على أنه تعالى عمدها بعمد لا ترى هي عمد القدرة.

واعلم أن وقوف السموات وثبات الأرض على هذا النظام من غير اختلال إنما هو بقدرة الله الملك المتعال ولله تعالى رجال خواص مظاهر القدرة هم العمد المعنوية للسموات والسبب الموجب لنظام العالم مطلقاً وهم موجودون في كل عصر فإذا كان قرب القيامة يحصل لهم الانقراض والانتقال من هذه النشأة بلا خلف فيبقى العالم كشبح بلا روح فتنحل أجزاؤه انحلال أجزاء الميت ويرجع الظهور إلى البطون ولا ينكر هذه الحال إلا مغلوب القال نعوذ بالله من الإنكار والإصرار ﴿وألقى في الأرض رواسي﴾ الإلقاء طرح الشيء حيث تلقاه وتراه ثم صار في التعارف اسماً لكل طرح. والرواسي جمع راسية من رسا الشيء يرسو أي: ثبت والمراد الجبال الثوابت لأنها ثبتت في الأرض وثبتت بها الأرض شبه الجبال الرواسي استحقاراً لها واستقلالاً لعددها وإن كانت خلقاً عظيماً بحصيات قبضهن قابض بيده فنبذهن في الأرض وما هو إلا تصوير لعظمته وتمثيل لقدرته وأن كل فعل عظيم يتحير فيه الأذهان فهو هين عليه والمراد قال لها: كوني فكانت فأصبحت الأرض وقد أرسيت بالجبال بعد أن كانت تمور موراً أي: تضطرب فلم يدر أحد مم خلقت ﴿أن تميد بكم﴾ الميد اضطراب الشيء العظيم كاضطراب الأرض يقال ماد يميد ميداً وميداناً تحرك واضطراب، وبالفارسية: [الميد، جنبيدن وخراميدن] والباء للتعدية. والمعنى كراهة أن تميل بكم فإن بساطة أجزائها تقتضي تبدل أحيازها وأوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته أو لشيء من لوازمه بحيز معين ووضع مخصوص، وبالفارسية [تازمين شمارا نه جنباند يعنى حركت ندهد ومضرب نسازد چه زمين برروى آب متحرك بود چون كشتى وبجبال راسيات آرام يافت] كما قال الشيخ سعدي قدس سره:

چومى كسترانيد فرش تراب ... چو سجادهٔ نيك مردان برآب
زمين ازتب لرزه آمد ستوه ... فرو كفت بردامنش ميخ كوه

[درموضح از ضحاك نقل ميكنندكه حق سبحانه نوزده كوه را ميخ زمين كرد تابر چاى بايستاد از جمله كوه قاف وابو قبيس وجودى ولبنان وسينين وطورسينا وفيران].

واعلم أن الجبال تزيد في بعض الروايات على ما فيه الموضح كما سبق في تفسير سورة الحجر. قال بعضهم: إن الجبال عظام الأرض وعروقها وهذا كقول من قال من أهل السلوك: الشمس والقمر عينا هذا التعين والكواكب ليست مركوزة فيه وإنما هي بانعكاس الأنوار في بعض عروقه اللطيفة وهذا لا يطلع عليه الحكماء وإنما يعرف بالكشف ﴿وبث﴾ [وپرا كنده كرد] ﴿فيها﴾ [در زمين] ﴿من كل دابة﴾ من كل نوع من أنواعها مع كثرتها واختلاف أجناسها. أصل البث إثارة الشيء وتفريقه كبث الريح التراب وبث النفس ما انطوت عليه من الغم والشر فبث كل دابة في الأرض إشارة إلى إيجاده تعالى ما لم يكن موجوداً وإظهاره إياه والدب والدبيب مشي خفيف ويستعمل ذلك في الحيوان وفي الحشرات أكثر ﴿وأنزلنا من السماء﴾ من السحاب لأن السماء في اللغة ما علاك وأظلك ﴿ماء﴾ هو المطر ﴿فأنبتنا فيها﴾ في الأرض

بسبب ذلك الماء والالتفات إلى نون العظمة في الفعلين لإبراز مزيد الاعتناء بأمرهما **﴿من كل زوج كريم﴾** من كل صنف كثير المنفعة. قال في «المفردات»: وكل شيء يشرف في بابه فإنه يوصف بالكرم، وبالفارسية: [ازهر صنف كياهى نيكو وبسيار منفعت] وكل ما في العالم فإنه زوج من حيث إن له ضداً ما أو مثلاً ما أو تركبا ما من جوهر وعرض ومادة وصورة. وفيه تنبيه على أنه لا بد للمركب من مركب وهو الصانع الفرد.

واعلم وفقنا الله جميعاً للتفكر في عجائب صنعه وغرائب قدرته أن عقول العقلاء وأفهام الأذكياء قاصرة متحيرة في أمر النباتات والأشجار وعجائبها وخواصها وفوائدها ومضارها ومنافعها وكيف لا وأنت تشاهد اختلاف أشكالها وتباين ألوانها وعجائب صور أوراقها وروائح أزهارها وكل لون من ألوان ينقسم إلى أقسام كالحمرة مثلاً كورديّ وأرجواني وسوسني وشقائقي وخمري وعنابي وعقيقي ودموي ولكيّ وغير ذلك مع اشتراك الكل في الحمرة ثم عجائب روائحها ومخالفة بعضها بعضاً واشتراك الكل في طيب الرائحة وعجائب أشكال أثمارها وحبوبها وأوراقها ولكل لون وريح وطعم وورق وثمر وزهر وحب وخاصية لا تشبه الأخرى ولا يعلم حقيقة الحكمة فيها إلا الله والذي يعرف الإنسان من ذلك بالنسبة إلى ما لا يعرفه كقطرة من بحر وقد أخرج الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام من الجنة فبكيا على الفراق سنين كثيرة فنبت من دموعهما نباتات حارة كالزنجبيل ونحوه فلم يضيع دموعهما كما لم يضيع نطفته حيث خلق منها يأجوج ومأجوج إذ لا يلزم أن يكون نزول النطفة على وجه الشهوة حتى يرد أنه لم يحتلم نبي قط وقد سبق البحث فيه.

﴿هذا﴾ الذي ذكر من السموات والأرض والجبال والحيوان والنبات **﴿خلق الله﴾** مخلوقة كضرب الأمير أي: مضروبه فأقيم المصدر مقام المفعول توسعاً **﴿فأروني﴾** أيها المشركون، والإراءة بالفارسية: [نمودن] يقال أريته الشيء وأصله أرأيته **﴿ماذا خلق الذين من دونه﴾** أي: من دون الله تعالى مما اتخذتموهم شركاء له تعالى في العبادة حتى استحقوا مشاركته في العبودية وماذا بمنزلة اسم واحد بمعنى أي: شيء نصب بخلق أو ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا وصلته وأروني معلق عنه على التقديرين **﴿بل الظالمون في ضلال مبين﴾** إضراب عن تبكيتهم أي: كفار قريش إلى التسجيل عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر أي: في ذهاب عن الحق بين واضح وأبان بمعنى بان ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنهم ظالمون بإشراكهم. وفي «فتح الرحمٰن» بل هذا الذي قريش فيه ضلال مبين فذكرهم بالصفة التي تعم معهم أشباههم ممن فعل فعلهم من الأمم. قال الكاشفي: [بلكه مشركان در كمراهى آشكارانند كه عاجزرا باقادر ومخلوق را باخالق در پرستش شركت مى دهند]:

هركه هست آفريده اوبنده است   بنده دربند آفريننده است
پس كجا بندهٔ كه در بنده است   لائق شركت خداونداست

واعلم أن التوحيد أفضل الفضائل كما أن الشرك أكبر الكبائر وللتوحيد نور كما أن للشرك ناراً وأن نور التوحيد أحرق لسيآت الموحدين كما أن نار الشرك أحرق لحسنات المشركين ولكون التوحيد أفضل العبادات وذكر الله أقرب القربات لم يقيد بالزمان والأوقات بخلاف سائر الأعمال من الصيام والصلوات فالخلاص من الضلالة إنما هو بالهداية إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله الحميد وفي الحديث: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله

ودمه وحسابه على الله» أي: في الآخرة فيما يخفيه من الإخلاص وغيره، ثم علم المشرك بالشرك الجلي وكذا عمله وإن كانا في صورة الحسنة كلاهما مردود مبعود وكذا علم المشرك بالشرك الخفي وعمله فإن عمل الرياء والسمعة يدور بين السماء والأرض ثم يضرب به على وجه صاحبه وأما المخلص وعمله فكلاهما محبوب مقرب عند الله تعالى.

ـ روي ـ أن المنزل الأول من منازل الأعمال المتقبلة المشروعة هو سدرة المنتهى ويتعدى بعض الأعمال إلى الجنة وبعضها إلى العرش وكل عمل غلبت عليه الصفات الروحانية وقواها إذا اقترن به علم محقق له اعتقاد حاصل عن تصور صحيح مطابق للمتصور مع حضور وجمعية وصدق فإنه يتجاوز العرش إلى عالم المثال فيدخر فيه لصاحبه إلى يوم الجمع وقد يتعدى من عالم المثال إلى اللوح فيتعين صورته فيه ثم يرد إلى صاحبه يوم الجمع ثم من تتعدى أعماله إلى مقام القلم ثم إلى العماد فانظر إلى الأعمال الصالحة ومقاماتها العلوية واعرض عن الشرك والأعمال السفلية قال الشيخ سعدي قدس سره:

ره راست روتا بمنزل رسى تو بررہ نهٔ زين قبل واپسى
چوكاوى كه عصار چشمش به بست دوان تابشب شب هم آنجا كه هست
كسى كربتابد زمحراب روى بكفرش كواهى دهند اهل كوى
توهم پشت برقبله كن درنماز كرت در خدانيست روى نياز

فإذا كان ما سوى الله تعالى لا يقدر على خلق شيء وإعطاء ثواب فلا معنى للقصد إليه بالعبادة ففروا إلى الله أيها المؤمنون لعلكم تنزلون منازل أهلها آمنون.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾.

﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ [آورده اندكه قصهٔ لقمان حكيم ووصايا او نزد يهود شهرتى داشت عظيم وعرب در مهمى كه بديشان رجوع كردندى ازحكمتها ولقمان براى ايشان مثل زدندى حق سبحانه وتعالى ازحال وى خبر داد وفرمود، ولقد الخ] وهو على ما قال محمد بن إسحاق صاحب المغازي لقمان بن باغور بن باحور بن تارخ وهو آزر أبو إبراهيم الخليل عليه السلام وعاش ألف سنة حتى أدرك زمن داود عليه السلام وأخذ عنه العلم وكان يفتي قبل مبعثه فلما بعث ترك الفتيا فقيل له في ذلك فقال: ألا أكتفي إذا كفيت؟ وقال بعضهم: هو لقمان بن عنقا بن سرون كان عبداً نوبياً من أهل ايلة أسود اللون ولا ضير فإن الله تعالى لا يصطفي عباده اصطفاء نبوة أو ولاية وحكمة على الحسن والجمال وإنما يصطفيهم على ما يعلم من غائب أمرهم ونِعْمَ ما قال المولى الجامي:

چه غم زمنقصت صورت اهل معنى را چوجان زروم بود كوتن ازحبش مى باش

والجمهور على أنه كان حكيماً حكمة طب وحكمة حقيقة، يعني: [مردى حكيم بود ازنيك مردان بني إسرائيل خلق را پند دادى وسخن حكمت كفتى وليكن سبط أو معلوم نيست ولم يكن نبياً اما هزار پيغمبررا شاكردى كرده بود وهزار پيغمبر اورا شاكرد بودند درسخن حكمت]. وفي بعض الكتب قال لقمان: خدمت أربعة آلاف نبي واخترت من كلامهم ثماني

كلمات: إن كنت في الصلاة فاحفظ قلبك، وإن كنت في الطعام فاحفظ حلقك، وإن كنت في بيت الغير فاحفظ عينيك، وإن كنت بين الناس فاحفظ لسانك، واذكر اثنين، وانسى اثنين أما اللذان تذكرهما فالله والموت وأما اللذان تنساهما إحسانك في حق الغير وإساءة الغير في حقك. ويؤيد كونه حكيماً لا نبياً كونه أسود اللون لأن الله تعالى لم يبعث نبياً إلا حسن الشكل حسن الصوت. وما روي أنه قيل ما أقبح وجهك يا لقمان فقال: أتعيب بهذا على النقش أم على النقاش. وما قال عليه السلام حقاً.

أقول: لم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبداً كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فأحبه فمنّ عليه بالحكمة وهي إصابة الحق باللسان وإصابة الفكر بالجنان وإصابة الحركة بالأركان إن تكلم تكلم بحكمة وإن تفكر تفكر بحكمة وإن تحرك تحرك بحكمة كما قال الإمام الراغب: الحكمة إصابة الحق بالعلم والفعل. فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام. ومن الإنسان: معرفة الموجودات على ما هي عليه وفعل الخيرات وهذا هو الذي وصف به لقمان في هذه الآية.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: من عرف جميع الأشياء ولم يعرف الله لم يستحق أن يسمى حكيماً لأنه لم يعرف أجل الأشياء وأفضلها والحكمة أجل العلوم وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم ولا أجل من الله ومن عرف الله فهو حكيم وإن كان ضعيف المنة في سائر العلوم الرسمية كليل اللسان قاصر البيان فيها ومن عرف الله كان كلامه مخالفاً لكلام غيره فإنه قلما يتعرف للجزئيات بل يكون كلامه جملياً ولا يتعرض لمصالح العاجلة بل يتعرض لما ينفع في العاقبة ولما كانت الكلمات الكلية أظهر عند الناس من أحوال الحكيم من معرفته بالله ربما أطلق الناس اسم الحكمة على مثل تلك الكلمات الكلية ويقال للناطق بها حكيم وذلك مثل قول سيد الأنبياء عليه السلام: «رأس الحكمة مخافة الله»، «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى»، «كن ورعاً تكن أعبد الناس» «وكن تقياً تكن أشكر الناس»، «البلاء موكل بالمنطق»، «السعيد من وعظ بغيره»، «القناعة مال لا ينفد»، «اليقين الإيمان كله» فهذه الكلمات وأمثالها تسمى حكمة وصاحبها يسمى حكيماً.

وفي «التأويلات النجمية»: الحكمة عدل الوحي قال عليه السلام: «أوتيت القرآن وما يعدله» وهو الحكمة بدليل قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢٠] فالحكمة موهبة للأولياء كما أن الوحي موهبة للأنبياء وكما أن النبوة ليست كسبية بل هي فضل الله يؤتيه من يشاء فكذلك الحكمة ليست كسبية تحصل بمجرد كسب العبد دون تعليم الأنبياء إياه طريق تحصيلها بل بإيتاء الله تعالى كما علمنا النبي عليه السلام طريق تحصيلها بقوله: «من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» وكما أن القلب مهبط الوحي من إيحاء الحق تعالى كذلك مهبط الحكمة بإيتاء الحق تعالى كما قال تعالى: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ وقال: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] فثبت أن الحكمة من المواهب لا من المكاسب لأنها من الأقوال لا من المقامات والمعقولات التي سمتها الحكماء حكمة ليست بحكمة فإنها من نتائج الفكر السليم من شوب آفة الوهم والخيال وذلك يكون للمؤمن والكافر وقلما يسلم من الشوائب ولهذا وقع الاختلاف في أدلتهم وعقائدهم ومن يحفظ الحكمة التي أوتيت لبعض الحكماء الحقيقية لم تكن هي حكمة بالنسبة

إليه لأنه لم يؤت الحكمة ولم يكن هو حكيماً انتهى. قال في «عرائس البيان»: الحكمة ثلاث: حكمة القرآن وهي حقائقه، وحكمة الإيمان وهي المعرفة، وحكمة البرهان وهي إدراك لطائف صنع الحق في الأفعال وأصل الحكمة إدراك خطاب الحق بوصف الإلهام. قال شاه شجاع ثلاث من علامات الحكمة: إنزال النفس من الناس منزلتها، وإنزال الناس من النفس منزلتهم، ووعظهم على قدر عقولهم فيقوم بنفع حاضر. وقال الحسين بن منصور: الحكمة سهام وقلوب المؤمنين أهدافها والرامي الله والخطأ معدوم. وقيل: الحكمة هو النور الفارق بين الإلهام والوسواس ويتولد هذا النور في القلب من الفكر والعبرة وهما ميراث الحزن والجوع. قال حكيم: قوت الأجساد المشارب والمطاعم وقوت العقل الحكمة والعلم. وأفضل ما أوتي العبد في الدنيا الحكمة وفي الآخرة الرحمة والحكمة للأخلاق كالطب للأجساد. وعن علي رضي الله عنه: روّحوا هذه القلوب واطلبوا لها طرائف الحكمة فإنها تمل كما تمل الأبدان وفي الحديث: «ما زهد عبد في الدنيا إلا أنبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصّره عيوب الدنيا وعيوب نفسه وإذا رأيتم أخاكم قد زهد فاقربوا إليه فاستمعوا منه فإنه يلقى الحكمة».

والزهد في اللغة ترك الميل إلى الشيء وفي اصطلاح أهل الحقيقة هو بغض الدنيا والإعراض عنها وشرط الزاهد أن لا يحنّ إلى ما زهد فيه وأدبه أن لا يذم المزهود فيه لكونه من جملة أفعال الله تعالى وليشغل نفسه بمن زهد من أجله. قال عيسى عليه السلام: أين تنبت الحبة؟ قال: في الأرض فقال: كذلك الحكمة لا تنبت إلا في قلب مثل الأرض وهو موضع نبع الماء. والتواضع سر من أسرار الله المخزونة عنده لا يهبه على الكمال إلا لنبيّ أو صديق فليس كل تواضع تواضعاً وهو أعلى مقامات الطريق وآخر مقام ينتهي إليه رجال الله وحقيقة العلم بعبودية النفس ولا يصح من العبودية رياسة أصلاً لأنها ضد لها. ولهذا قال أبو مدين قدس سره: آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة ولا تظن أن هذا التواضع الظاهر على أكثر الناس وعلى بعض الصالحين تواضع وإنما هو تملق بسبب غاب عنك وكل يتملق على قدر مطلوبه والمطلوب منه فالتواضع شريف لا يقدر عليه كل أحد فإنه موقوف على صاحب التمكين في العالم والتحقق في التخلق كذا في «مواقع النجوم» لحضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر.

- روي - أن لقمان كان نائماً نصف النهار فنودي يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض وتحكم بين الناس بالحق؟ فأجاب الصوت فقال: إن خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وإن عزم عليّ أي: جزم فسمعاً وطاعة فإني أعلم إن فعل بي ذلك أعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان؟ قال: لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان إن أصاب فبالحري أن ينجو وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلاً خير من أن يكون شريفاً ومن يختر الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولا يصيب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه ثم نام نومة أخرى فأعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها.

قال الكاشفي: [حق سبحانه وتعالى اوراپسنديد وحكمت را برو افاضه كرد بمثابهء كه ده هزار كلمه حكمت ازو منقولست كه هر كلمهء بعالمى ارزد] فانظر إلى قابليته وحسن استعداده لحسن حاله مع الله. وأما أمية بن أبي الصلت الذي كان يأمل أن يكون نبي آخر الزمان وكان من بلغاء العرب فإنه نام يوماً فأتاه طائر وأدخل منقاره في فيه فلما استيقظ نسي جميع علومه

لسوء حاله مع الله تعالى. ثم نودي داود بعد لقمان فقبلها فلم يشترط ما اشترط لقمان فوقع منه بعض الزلات وكانت مغفورة له. وكان لقمان يوازره بحكمته، يعني: [وزيرىء وى ميكند بحكمت] فقال له داود: طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرفت عنك البلوى وأعطى داود الخلافة وابتلى بالبلية والفتنة.

درقصر عافيت چه نشينيم اى سليم مارا كه هست معركهاى بلا نصيب

وقال:

دائم كه شاد بودن من نيست مصلحت جزغم نصيب جان ودل ناتوان مباد

ولما كانت الحكمة من أنعام الله تعالى على لقمان ونعمة من نعمه طالبه بشكره بقوله: **﴿أن اشكر لله﴾** أي: قلنا له اشكر لله على نعمة الحكمة إذا آتاك الله إياها وأنت نائم غافل عنها جاهل بها **﴿ومن﴾** [وهركه] **﴿يشكر﴾** له تعالى على نعمه **﴿فإنما يشكر لنفسه﴾** لأن منفعته التي هي دوام النعمة واستحقاق مزيدها عائدة إليها مقصورة عليها ولأن الكفران من الوصف اللازم للإنسان فإنه ظلوم كفار والشكر من صفة الحق تعالى فإن الله شاكر عليم فمن شكر فإنما يشكر لنفسه بإزالة صفة الكفران عنها واتصافها بصفة شاكرية الحق تعالى. **﴿ومن كفر﴾** نعمة ربه فعليه وبال كفره **﴿فإن الله غني﴾** عنه وعن شكره **﴿حميد﴾** محمود في ذاته وصفاته وأفعاله سواء حمده العباد وشكروه أم كفروه ولا يحصى عليه أحد ثناء كما يثني هو على نفسه وعدم التعرض لكونه تعالى شكوراً لما أن الحمد متضمن للشكر وهو رأسه كما قال عليه السلام: «الحمد رأس الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده» فإثباته له تعالى إثبات للشكر قال في «كشف الأسرار»: رأس الحكمة الشكر لله ثم المخافة منه ثم القيام بطاعته ولا شك أن لقمان امتثل أمر الله في الشكر وقام بعبوديته [لقمان ادبى تمام داشت وعبادت فراوان وسينهء آبادان ودلى پرنور وحكمت روشن برمردمان مشفق ودرميان خلق مصلح وهمواره ناصح خودرا پوشيده داشتى وبرمرك فرزندان وهلاك مال غم نخوردى وازتعلم هيچ نياسودى حكيم بود وحليم ورحيم وكريم] فلقمان ذو الخير الكثير بشهادة الله له بذلك فإنه قال: **﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾** [البقرة: ٢٦٩]. وأول ما روي من حكمته الطبية أنه بينا هو مع مولاه إذ دخل المخرج فأطال الجلوس فناداه لقمان أن طول الجلوس على الحاجة يتجزع منه الكبد ويورث الناسور ويصعد الحرارة إلى الرأس فأجلس هوينا وقم هوينا فخرج فكتب حكمته على باب الحش. وأوّل ما ظهرت حكمته العقلية أنه كان راعياً لسيده فقال مولاه يوماً امتحاناً لعقله ومعرفته: اذبح شاة وائتني منها بأطيب مضغتين فأتاه باللسان والقلب. وفي «كشف الأسرار»: [آنچه ازجانور بدتراست وخبيث تربمن آر] فأتاه باللسان والقلب أيضاً فسأله عن ذلك فقال لقمان: ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا [خواجه آن حكمت ازوى بپسنديد واورا آزاد كرد].

وفي بعض الكتب: أن لقمان خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة فبينما هو يعظ الناس يوماً وهم مجتمعون عليه لاستماع كلمة الحكمة إذ مر به عظيم من عظماء بني إسرائيل فقال: ما هذه الجماعة؟ قيل له: هذه جماعة اجتمعت على لقمان الحكيم فأقبل إليه فقال له: ألست العبد الأسود الذي كنت ترعى بموضع كذا وكذا، وبالفارسية: [توآن بندهء سياه نيستى كه شبانىء رمهء فلان مى كردى] قال: نعم فقال: فما الذي بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث

وأداء الأمانة وترك ما لا يعني، يعني: [آنچه دردين بكار نيايد وازان بسر نشود بكذاشتن]. قال في «كشف الأسرار»: [لقمان سى سال باداود همى بود بيك جاى وازپس داود زنده بود تابعهد يونس بن متى]. وكان عند داود وهو يسرد دروعاً لأن الحديد صار له كالشمع بطريق المعجزة فجعل لقمان يتعجب مما يرى ويريد أن يسأله وتمنعه حكمته عن السؤال فلما أتمها لبسها وقال نعم درع الحرب هذه فقال لقمان: إن من الحكمة الصمت وقليل فاعله أي: من يستعمله كما قال الشيخ سعدي: [هرآنچه دانى كه هرآينه معلوم توخواهدشد بپرسيدن او تعجيل مكن كه حكمت را زيان كند].

چو لقمان ديد كاندر دست داود همى آهن بمعجز موم كردد
نپرسيدش چه مى سازى كه دانست كه بى پرسيدنش معلوم كردد

ومن حكمته أن داود عليه السلام قال له يوماً: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت بيد غيري فتفكر داود فيه صعق صعقة، يعني: [نعره زد وبيهوش شد ومراد ازيد غير قبضتين فضل وعدلست] كما في تفسير الكاشفي. قال لقمان: ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس. وقال ضرب الوالد كالسبار للزرع [درتفسير ثعلبي ازحكمت لقمان مى آردكه روزى خواجهٔ وى اورا باغلامان ديكر بباغ فرستاد تاميوهٔ بيارد «وكان من أهون مملوك على سيده»:

بود لقمان پيش خواجهٔ خويشتن درميان بندكانش خوارتن
بود لقمان در غلامان چون طفيل پرمعانى تيره صورت همچو ليل

غلامان ميوه را درراه بخورند وحوالهٔ خوردن آن بلقمان كردند خواجه بروخشم كرفت لقمان كفت ايشان ميوه خورده اند دروغ بمن بستند خواجه كفت حقيقت اين سخن بچه چيز معلوم توان كرد كفت آنكه مارا آب كرم بخورانى ودرصحرا پارهٔ بدوانى تاقى كنيم ازدرون هركه ميوه بيرون آيد خائن اوست]:

كشت ساقى خواجه از آب حميم مر غلامانرا وخوردند آن زبيم
بعد ازان مى راند شان دردشتها ميدويدند آن نفر تحت وعلا
قى در افتادند ايشان ازعنا آب مى آورد زيشان ميوها
چونكه لقمان را در آمد قى زناف مى برآمد از درونش آب صاف
حكمت لقمان چوداند اين نمود پس چه باشد حكمت رب ودود
يوم تبلى والسرائر كلها بان منكم كامن لا يشتهى
چون سقوا ماء حميماً قطعت جملة الاستار مما افضحت
هرچه پنهان باشد آن پيدا شود هركه او خائن بود رسوا شود

وعن عبد الله بن دينار أن لقمان قدم من سفر فلقي غلامه في الطريق فقال: ما فعل أبي؟ قال: مات قال: الحمد لله ملكت أمري قال: وما فعلت أمي؟ قال: قد ماتت قال: قد ذهب همي قال: ما فعلت امرأتي؟ قال: ماتت قال: جدد فراشي قال: ما فعلت أختي؟ قال: ماتت قال: سترت عورتي قال: ما فعل أخي؟ قال: مات قال: انقطع ظهري وانكسر جناحي ثم قال: ما فعل ابني؟ قال: مات قال: انصدع قلبي. قال في «فتح الرحمان»: وقبر لقمان بقرية صرفند ظاهر مدينة الرملة من أعمال فلسطين بكسر الفاء وفتح اللام وسكون السين هي البلاد التي بين الشام وأرض مصر منها الرملة وغزة وعسقلان وعلى قبره مشهد وهو مقصود بالزيارة.

وقال قتادة قبره بالرملة ما بين مسجدها وسوقها وهناك قبور سبعين نبياً ماتوا بعد لقمان جوعاً في يوم واحد أخرجهم بنو إسرائيل من القدس فألجأوهم إلى الرملة ثم أحاطوهم هناك فتلك قبورهم.

جهان جاى راحت نشد اى فتى   شدند انبيا اوليا مبتلا

﴿وإذ قال لقمان﴾ واذكر يا محمد لقومك وقت قول لقمان ﴿لابنه﴾ انعم فهو أبو أنعم أي: يكنى به كما قالوا ﴿وهو﴾ أي: والحال أن لقمان ﴿يعظه﴾ أي: الابن. والوعظ زجر يقترن بتخويف. وقال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب والاسم العظة والموعظة، وبالفارسية: [ولقمان پند مى داد اورا وميكفت] ﴿يا بنيّ﴾ بالتصغير والإضافة إلى ياء المتكلم بالفتح والكسر وهو تصغير رحمة وعطوفة ولهذا أوصاه بما فيه سعادته إذا عمل بذلك، وبالفارسية: [اى پسرك من] ﴿لا تشرك بالله﴾ لا تعدل بالله شيئاً في العبادة، وبالفارسية: [انباز مكير بخداى] ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ لأنه تسوية بين من لا نعمة إلا منه ومن لا نعمة منه. وفي «كشف الأسرار» [بيدادى است برخويشتن بزرك] وعظمه أنه لا يغفر أبداً قال الشاعر:

الحمد لله لا شريك له   ومن أباه فنفسه ظلما

وكان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما حتى أسلما بخلاف ابن نوح وامرأته فإنهما لم يسلما وبخلاف ابنتي لوط وامرأته فإن ابنتيه أسلمتا دون امرأته ولذا ما سلمت فكانت حجراً في بعض الروايات كما سبق. قيل: وعظ لقمان ابنه في ابتداء وعظه على مجانبة الشرك. والوعظ زجر النفس عن الاشتغال بما دون الله وهو التفريد للحق بالكل نفساً وقلباً وروحاً فلا تشتغل بالنفس إلا بخدمته ولا تلاحظ بالقلب سواه ولا تشاهد بالروح غيره وهو مقام التفريد في التوحيد:

هركه در درياى وحدت غرقه باشد جان او   جوهر فرد حقيقت يافت از جانان او

اللهم اجعلنا من المفرّدين.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ إلى آخره اعتراض في أثناء وصية لقمان تأكيداً لما فيها من النهي عن الشرك يقال وصيت زيداً بعمر وأمرته بتعهده ومراعاته، والمعنى: [وصيت كرديم مردم را به پدر ومادر ورعايت حقوق ايشان]. ثم رجح الأم ونبه على عظم حق والديه فقال: ﴿حملته أمه﴾ إلى قوله: ﴿عامين﴾ اعتراض بين المفسر والمفسر أي: التوصية والشكر. والمعنى بالفارسية: [برداشت مادر اورا درشكم] ﴿وهناً﴾ حال من أمه أي: ذات وهن والوهن الضعف من حيث الخلق والخلق ﴿على وهن﴾ أي: ضعفاً كائناً على ضعف فإنه كلما عظم ما في بطنها زادها ضعفاً إلى أن تضع ﴿وفصاله في عامين﴾ الفصال التفريق بين الصبي والرضاع ومنه الفصيل وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمه. والعام: بالتخفيف السنة لكن كثيراً ما تستعمل السنة في الحول الذي فيه الشدة والجدب ولذا يعبر عن الجدب بالسنة والعام فيما فيه الرخاء أي: فطام الإنسان من اللبن يقع في تمام عامين من وقت الولادة وهي مدة الرضاع عند

الشافعي فلا يثبت حرمة الرضاع بعدها فالإرضاع عنده واجب إلى الاستغناء ويستحب إلى الحولين وجائز إلى حولين ونصف وهذا الخلاف بينهما في حرمة الرضاع كما أشير إليه أما استحقاق الأجرة فمقدر بحولين فلا تجب نفقة الإرضاع على الأب بعد الحولين بالاتفاق وتمام الباب في كتاب الرضاع في الفقه. قال في الوسيط: المعنى ذكر مشقة الوالدة بإرضاع الولد بعد الوضع عامين **﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾** تفسير لوصيناه أي: قلنا له اشكر لي أو علة له أي: لأن يشكر لي وما بينهما اعتراض مؤكد للوصية في حقها خاصة ولذلك قال عليه السلام: لمن قال له من أبر «أمك ثم أمك ثم أمك» ثم قال بعد ذلك «ثم أباك» والمعنى اشكر لي حيث أوجدتك وهديتك بالإسلام واشكر لوالديك حيث ربياك صغيراً وشكر الحق بالتعظيم والتكبير وشكر الوالدين بالإشفاق والتوقير. وفي «شرح الحكم»: قرن شكرهما بشكره إذ هما أصل وجودك المجازي كما أن أصل وجودك الحقيقي فضله وكرمه فله حقيقة الشكر كما له حقيقة النعمة ولغيره مجازه كما لغيره مجازها وفي الحديث «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» فجعل شكر الناس شرطاً في صحة شكره تعالى أو جعل ثواب الله على الشكر لا يتوجه إلا لمن شكر عباده. ثم حق المعلم في الشكر فوق حق الوالدين. سئل الاسكندر وقيل ما بالك تعظم مؤدبك أشد من تعظيمك لأبيك فقال: أبي حطني من السماء إلى الأرض ومؤدبي رفعني من الأرض إلى السماء.

قال الحافظ:

من ملك بودم وفردوس برين جايم بود   آدم آورد دريـــن ديـــر خـــراب آبـــادم

وقيل: لبرزجمهر ما بالك تعظيمك لمعلمك أشد من تعظيمك لأبيك؟ قال: لأن أبي سبب حياتي الفانية ومعلمي سبب حياتي الباقية. **﴿إليّ المصير﴾** تعليل لوجوب الامتثال بالأمر أي: إلى الرجوع لا إلى غيري فأجازيك على شكرك وكفرك. ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلي حيث لا حاكم ولا مالك سواه. قال سفيان بن عيينة: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر والديه وفي الحديث: «من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه من بعده ومن مات والداه وهو لهما غير بار وهو حي فليستغفر لهما ويتصدق لهما حتى يكتب باراً لوالديه ومن زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة كان باراً» وفي الحديث: «من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمعوذتين خمساً خمساً فإذا فرغ من صلاته استغفر الله خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد أدى حق والديه عليه وإن كان عاقاً لهما وأعطاه الله تعالى ما يعطي الصديقين والشهداء» كذا في «الإحياء» و«قوت القلوب».

﴿وإن جاهداك﴾ المجاهدة استفراغ الجهد أي: الوسع في مدافعة العدو، وبالفارسية: [باكسى كار زاركردن در راه خداى] والمعنى وقلنا للإنسان إن اجتهد أبواك وحملاك، وبالفارسية: [واكر كشش وكوشش كنند پدو ومادر تو باتو] **﴿على أن تشرك بي ما ليس لك به﴾** أي: بشركته تعالى في استحقاق العبادة **﴿علم فلا تطعهما﴾** في الشرك يعني أن خدمة الوالدين وإن كانت عظيمة فلا يجوز للولد أن يطيعهما في المعصية.

ون نـبـود خـويـش را ديـانـت وتـقـوى   قـطـع رحـم بـهـتـر از مـودت قـربـى

﴿وصاحبهما﴾ [ومصاحبت كن باايشان ومعاشرت] ﴿في الدنيا﴾ صحاباً ﴿معروفاً﴾ ومعاشرة جميلة يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم من الإنفاق وغيره وفي الحديث: «حسن المصاحبة أن يطعمهما إذا جاعا وأن يكسوهما إذا عريا» فيجب على المسلم نفقة الوالدين ولو كانا كافرين وبرهما وخدمتهما وزيارتهما إلا أن يخاف أن يجلباه إلى الكفر وحينئذٍ يجوز أن لا يزورهما ولا يقودهما إلى البيعة لأنه معصية ويقودهما منها إلى المنزل. وقال بعضهم: المعروف هٰهنا أن يعرفهما مكان الخطأ والغلط في الدين عند جهالتهما بالله. قال في «المفردات»: المعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ما ينكر بهما ولهذا قيل للاقتصاد في الجود معروف لما كان ذلك مستحسناً في العقول بالشرع ﴿واتبع﴾ في الدين ﴿سبيل من أناب إليّ﴾ رجع بالتوحيد والإخلاص في الطاعة وهم المؤمنون الكاملون ﴿ثم إليّ مرجعكم﴾ مرجعك ومرجعهما ﴿فأنبئكم﴾ عند رجوعكم ﴿بما كنتم تعملون﴾ بأن أجازي كلاً منكم بما صدر عنه من الخير والشر، وبالفارسية: [پس آكاه كنم شمارا بياداش آن چيزكه مى كرديد] ونزلت الآية في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من العشرة المبشرة حين أسلم وحلفت أمه أن لا تأكل ولا تشرب حتى يرجع عن دينه [آورده اندكه مادر سعد سه روزنان وآب نخورد تادهن او بچوپى بشكافتند وآب دران ريختند وسعد ميكفت اكر اورا هفتاد روح باشد ويك بيك اكر قبض كنند يعني بفرض اكر هفتاد باربميرد من از دين اسلام بر نمى كردم] وقد سبقت قصته مع فوائد كثيرة في أوائل سورة العنكبوت.

واعلم أن أهم الواجبات بعد التوحيد بر الوالدين.

ـ روي ـ أن رجلاً قال: يا رسول الله إن أمي هرمت فأطعمها بيدي وأسقيها وأوضئها وأحملها على عاتقي فهل جازيتها حقها؟ قال عليه السلام: «لا ولا واحداً من مائة» قال: ولم يا رسول الله قال: «لأنها خدمتك في وقت ضعفك مريدة حياتك وأنت تخدمها مريداً مماتها ولكنك أحسنت والله يثيبك على القليل كثيراً»، قال الشيخ سعدي:

جوانى سرازراى مادر بتافت ... دل درد مندش بآزر بتافت
چو بيچاره شد پيشش آورد مهد ... كه اى سست مهر وفراموش عهد
نه كريان ودرمانده بودى وخرد ... كه شبها زدست تو خوابم نبرد
نه در مهد نيروى حالت نبود ... مكس راندن ازخود مجالت نبود
توانى كه از يك مكس رنجهٔ ... كه امروز سالار سر پنجهٔ
بحالى شوى باز در قعر كور ... كه نتوانى ازخويشتن دفع مور
دكرديده چون بر فروزد چراغ ... چو كرم لحد خورد پيه دماغ
چو پوشيده چشمى نه بينى كه راه ... نداند همى وقت رفتن زچاه
توكر شكر كردى كه باديدهٔ ... وكرنه توهم چشم پوشيدهٔ

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لولا أني أخاف عليكم تغير الأحوال عليكم بعدي لأمرتكم أن تشهدوا لأربعة أصناف بالجنة: أولهم امرأة وهبت صداقها لزوجها لأجل الله وزوجها راض، والثاني ذو عيال كثير يجتهد في المعيشة لأجلهم حتى يطعمهم الحلال، والثالث: التائب من الذنب على أن لا يعود إليه أبداً كاللبن لا يعود إلى الثدي، والرابع البار بوالديه» ثم قال عليه السلام: «طوبى لمن بر بوالديه وويل لمن

عقهما». وعن عطاء بن يسار أن قوماً سافروا فنزلوا برية فسمعوا نهيق حمار حتى أسهرهم فلما أصبحوا نظروا فرأوا بيتاً من شعر فيه عجوز فقالوا: سمعنا نهيق حمار وليس عندك حمار فقالت: ذاك ابني كان يقول لي يا حمارة فدعوت الله أن يصيره حماراً فذاك منذ مات ينهق كل ليلة حتى الصباح. وعن وهب لما خرج نوح عليه السلام من السفينة نام فانكشفت عورته وكان عنده حام ولده فضحك ولم يستره فسمع سام ويافث صنع حام فألقيا عليه ثوباً فلما سمعه نوح قال: غير الله لونك فجعل السودان من نسل حام فصار الذل لأولاده إلى يوم القيامة، قال الحافظ:

دخترانرا همه جنكست وجدل بامادر پسرانرا همه بدخواه پدر مى بينم

ثم إن الآية قد تضمنت النهي عن صحبة الكفار والفساق والترغيب في صحبة الصالحين فإن المقارنة مؤثرة والطبع جذاب والأمراض سارية. وفي الحديث: «لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فهو منهم وليس منا» أي: لا تسكنوا مع المشركين في المسكن الواحد ولا تجتمعوا معهم في المجلس الواحد حتى لا تسري إليكم أخلاقهم الخبيثة وسيرهم القبيحة بحكم المقارنة:

باد چون برفضاى بد كذرد بوى بدكيرد از هواى خبيث

قال إبراهيم الخواص قدس سره داوء القلب خمسة: قراءة القرآن بالتدبر، وإخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع إلى الله تعالى عند السحر، ومجالسة الصالحين:

پى نيك مردان ببايد شتافت كه هركه اين سعادت طلب كرد يافت
وليكن تو دنبال ديو خسى ندانم كه در صالحان كى رسى

كذا في «البستان».

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾.

﴿يا بني﴾ [كفت لقمان فرزند خودرا كه انعم نام بود] بضم العين [اى پسرك من]. قال في «الإرشاد»: شروع في حكاية بقية وصايا لقمان أثر تقرير ما في مطلعها من النهي عن الشرك وتأكيده بالاعتراض. ﴿إنها﴾ أي: الخصلة من الإساءة أو الإحسان. وقال مقاتل وذلك أن ابن لقمان قال لأبيه: يا أبتاه إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله فرد عليه لقمان فقال: ﴿يا بني إنها﴾ أي: الخطيئة. ﴿إن تك﴾ أصله تكون حذفت الواو لاجتماع الساكنين الحاصل من سقوط حركة النون بأن الشرطية وحذفت النون أيضاً تشبيهاً بحرف العلة في امتداد الصوت أو بالواو في الغنة أو بالتنوين. وقال بعضهم: حذفت تخفيفاً لكثرة الاستعمال فلا تحذف من مثل لم يصن ولم يخن فإن وصلت بساكن ردت النون وتحرك نحو لم يكن الذين الآية ﴿مثقال حبة من خردل﴾ المثقال ما يوزن به وهو من الثقل وذلك اسم لكل صنج. وفي «كشف الأسرار» يقال: مثقال الشيء ما يساويه في الوزن وكثر الكلام فصار عبارة عن مقدار الدنيا انتهى، والحبة بالفارسية: [دانه] والخردل من الحبوب معروف. والمعنى مقدار ما هو أصغر المقادير التي توزن بها الأشياء من جنس الخردل الذي هو أصغر الحبوب المقتاتة

﴿فتكن﴾ [پس باشد آن] أي: مع كونها في أقصى غايات الصغر ﴿في صخرة﴾ الصخر الحجر الصلب أي: في أخفى مكان وأحرزه كجوف صخرة ما. وقال المولى الجامي في صخرة هي أصلب المركبات وأشدها منعاً لاستخراج ما فيها انتهى والمراد بالصخرة أية صخرة كانت لأنه قال بلفظ النكرة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الأرض على الحوت والحوت في الماء والماء على صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة التي ذكر لقمان ليست في السموات ولا في الأرض كذا في «التكملة» ﴿أو في السموات﴾ مع ما بعدها. وفي بعض التفاسير في العالم العلوي كمحدب السموات ﴿أو في الأرض﴾ مع طولها وعرضها. وفي بعض التفاسير في العالم السفلي كمقعر الأرض ﴿يأت بها الله﴾ أي: يحضرها فيحاسب عليها لأنه من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، وبالفارسية: [بيارد خداى تعالى آثراً وحاضر كرداند وبرآن حساب كند] فالباء للتعدية. قال المولى الجامي في «شرح الفصوص»: إنها أي: القصة إن تك مثقال حبة بالرفع كما هو قراءة نافع وحينئذٍ كان تامة وتأنيثها لإضافة المثقال إلى الحبة وقوله: يأت بها الله أي: للاغتذاء بها ﴿إن الله﴾ من قول لقمان ﴿لطيف﴾ يصل علمه إلى كل خفي فإن أحد معاني اللطيف هو العالم بخفيات الأمور ومن عرف أنه العالم بالخفيات يحذر أن يطلع عليه فيما هو فيه ويثق به في علم ما يجهله.

برو علم يك ذره پوشيده نيست   كه پيدا وپنهان بنزدش يكيست

﴿خبير﴾ عالم بكنهه. قال في شرح حزب البحر الخبير هو العليم بدقائق الأمور التي لا يتوصل إليها غيره إلا بالاختيار والاحتيال ومن عرف أنه الخبير ترك الرياء والتصنع لغيره بالإخلاص له فالله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ويحيط بأسرار الضمائر وبطون الخواطر ويحاسب عليها سواء كانت في صخرة النفوس أو في سماء الأرواح أو في أرض القلوب. وفيه تنبيه لأهل المراقبة والتحذير من الملاحظات لاطلاع الحق على نوادر الخطرات وبطون الحركات.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿يا بني إنها﴾ يشير إلى المقسومات الأزلية من الأرزاق والإخلاصات الإنسانية والمواهب الإلهية ﴿إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة﴾ أي: صخرة العدم ﴿أو في السموات﴾ في الصورة والمعنى ﴿أو في الأرض﴾ في الصورة والمبني ﴿يأت بها الله﴾ لمن قدر له وقسم من أسباب السعادة والشقاوة إن شاء بطريق كسب العبد وإن شاء يجعل له مخرجاً في حصولها من حيث لا يحتسب ﴿إن الله لطيف﴾ بعباده ﴿خبير﴾ بإتيان ما قسم لهم بلطف ربوبيته فالواجب على العبد أن يثق بوعده ويتكل على كرمه فيما قدر له ويسعى إلى القيام بعبوديته انتهى. وفي بعض الكتب إن هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها فمات انتهى.

يقول الفقير: هذا الحضور في مقام الهيبة من صفات المقربين. وكان إبراهيم عليه السلام إذا صلى يسمع غليان صدره وذلك من استيلاء الهيبة عليه وهذا الغليان يقال له برهان الصدر وقع لنبينا عليه السلام في مرتبة الأكملية فواعجبا لأمثالنا كيف لا ينجع فينا الوعظ ولا يأخذ بنا معاني اللفظ وليس إلا من الغفلة والنسيان وكثرة العصيان.

تا نيابى رتبهٔ لقمانرا   آتش هيبت نسوزد جانرا

جان عاشق همچو پروانه بود   نزد شمع آيدا كر سوزان شود

ومن وصايا لقمان ما قال في «كشف الأسرار»: [لقمان پسر خويش را پندداد ووصيت كردكه اى پسر بسورها مروكة ترا رغبت دردنيا بديد آيد وأخرى بردل توفراموش كردد وكفت كه اى پسر كر سعادت آخرت ميخواهى وزهد دردنيا به تشييع جنازها بيرون شو ومرك راپيش چشم خويش دار ودر دنيا مباش كه عيال ووبال مردم شوى از دنيا قوت ضروري بردار وفضول بكذار وزاننك زنان تاتوانى بر حذر باش وبرزنان بد فرياد خواه بالله كه ايشان دام شيطانند وسبب فتنه] ﴿يا بنيّ أقم الصلاة﴾ التي هي أكمل العبادات تكميلاً لنفسك من حيث العمل بعد تكميلها من حيث العلم والاعتقادات لأن النهي عن الشرك فيما سبق قد تضمن الأمر بالتوحيد الذي هو أول ما يجب على الإنسان.

وفي «التأويلات النجمية» أدمها وإدامتها في أن تنتهي عن الفحشاء والمنكر فإن الله وصف الصلاة بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر فمن كان منتهياً عنهما فإنه في الصلاة وإن لم يكن على هيئتها ومن لم يكن منتهياً عنهما فليس في الصلاة وإن كان مؤدياً هيئتها انتهى. ومن وصايا لقمان ما قال في «كشف الأسرار»: [اى پسر روزه كه دارى چنان دار كه شهوت ببرد نه قوت ببرد وضعيف كند تا ازنماز بازمانى كه بنزديك خدانماز دوستر ازروزه] وذلك لأن الصوم والرياضات لإصلاح الطبيعة وتحسين الأخلاق وأما الصلاة فلإصلاح النفس التي هي مأوى كل شر ومعدن كل هوى وما عبد إله أبغض إلى الله من الهوى ﴿وأمر بالمعروف﴾ بالمستحسن شرعاً وعقلاً وحقيقته ما يوصل العبد إلى الله ﴿وانه عن المنكر﴾ أي: عن المستقبح شرعاً وعقلاً وتكميلاً لغيرك وحقيقته ما يشغل العبد عن الله ﴿واصبر﴾ الصبر حبس النفس عما يقتضي الشرع أو العقل الكف عنه ﴿على ما أصابك﴾ من الشدائد والمحن كالأمراض والفقر والهم والغم لا سيما عند التصدي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أذى الذين تأمرهم بالمعروف وتبعثهم على الخير وتنهاهم عن المنكر وتزجرهم عن الشر ﴿إن ذلك﴾ المذكور من الوصايا وهو الأمر والنهي والصبر ﴿من عزم الأمور﴾ العزم والعزيمة عقد القلب على إمضاء الأمر وعزم الأمور ما لا يشوبه شبهة ولا يدافعه ريبة. وفي الخبر «من صلى قبل العصر أربعاً غفر الله له مغفرة عزماً» أي: هذا الوعد صادق عزيم وثيق وفي دعائه عليه السلام: «أسألك عزائم مغفرتك» أي: أسألك أن توفقني لَلأعمال التي تغفر لصاحبها لا محالة وأطلق المصدر أي: العزم على المفعول أي: المعزوم. والمعنى من معزومات الأمور ومقطوعاتها ومفروضاتها بمعنى مما عزمه الله أي: قطعه قطع إيجاب وأمر به العباد أمراً حتماً ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل أي: من عازمات الأمور وواجباتها ولازماتها من قوله فإذا عزم الأمر أي: جد. وفي هذا دليل على قدم هذه الطاعات والحث عليها في شريعة من تقدمنا وبيان لهذه الأمة أن من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ينبغي أن يكون صابراً على ما يصيبه في ذلك إن كان أمره ونهيه لوجه الله لأنه قد أصابه ذلك في ذات الله وشأنه. وإشارة إلى أن البلاء والمحنة من لوازم المحبة فلا بد للمريد الصادق أن يصبر على ما أصابه في أثناء الطلب مما ابتلاه الله به من الخوف من الأعداء في الظاهر والباطن والجزع من الجوع الظاهر عند قلة الغذاء للنفس ومن الباطن عند قلة الكشوف والمشاهدات التي هي غذاء للقلب ونقص من الأموال والأنفس من مفارقة الأولاد والأهالي والإخوان والأخدان والثمرات. يعني: ثمرات المجاهدات وبشر الصابرين على هذه الأحوال بأن عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون إلى

الحضرة. ومن وصايا لقمان على ما في «كشف الأسرار» [اى پسر مبادا كه ترا كارى پيش آيد از محبوب ومكروه كه تونيز در ضمير خود چنان دانى كه خير وصلاح تو در آنست پسر كفت اى پدر من أين عهد نتوانم داد تا آنكه بدانم كه آنچه كفتى چنانست كه توكفتى پدر كفت الله تعالى پيغمبر مى فرستاداست وعلم وبيان آنچه من كفتم باوى است تاهردو نزديك وى شويم وازوى بپرسيم هردو بيرون آمدند وبر مركوب نشستند وآنچه دربايست بود ازتوشه وزاد سفر برداشتند بيابانى درپيش بود مركوب همى راندند تاروز بنماز پيشين رسيد وكرما عظيم بود آب وتوشه سپرى كشت وهيچ نماند هر دو ازمركوب فرود آمدند وپياده بشتاب همى رفتند نا كاه لقمان درپيش نكرست سياهى ديد ودود بادل خويش كفت آن سياهى درخت است وآن دودنشان آبادانى ومردمانكه آنجا وطن كرفته اند همچنان رفتند بشتاب ناكاه پسر لقمان پاى بر استخوانى نهاد آن استخوان بزير قدم وى برآمد وبپشت پاى بيرون آمد پسر بيهوش كشت وبر جاى بيفتاد لقمان دروي آويخت واستخوان بدندان ازپاى وى بيرون كرد وعمامهٔ وى پاره كرد وبرپاى وى بست لقمان آن ساعت بكريست ويك قطره آب چشم برروى پسر افتاد وپسرروى فرا پدركرد وكفت اى باباى من بكريى بچيزى كه ميكويى كه بهتر من وصلاح من در آنست اى پدرچه بهتريست مارا درين حال وتوشه سپرى شد وما هردو درين بيابان متحير مانده ايم اكر توبروى ومرا درين حال بجاى مانى باغم وانديشه روى واكر با من اينجا مقام كنى برين حال هردو بميريم درين چه بهترست وچه خبرست پدر كفت كريستن من اينجا آنست كه مرا دوست داشتيد كه بهر حظى كه مرا ازدنياست من فداى توكردمى كه من پدرم ومهربانى پدران پرفرزندان معلومست واما آنچه توميكويى كه درين چه خيرست توچه دانى مكرآن بلاكه از توصرف كرده اند خود بزركتر ازين بلاست كه بتو رسانيده اند وباشدكه اين بلاكه بتو رسانيده اند آسانتر ازآنست كه ازتو صرف كرده اند ايشان درين سخن بودندكه لقمان فرا پيش نكرست وهيچ چيز نديد ازان سواد ودخان دال خويش كفت من اينجا چيزى ميديدم واكنون نمى بينم ندانم تا آن چه بودنا كاه شخصى را ديدكه مى آمد براسبى نشسته وجامهٔ پوشيده آوازدادكه لقمان تويى كفت آرى كفت حكيم تويى كفت چنين ميكويند كفت آن پسربى خردچه كفت اكر آن نبودى كه اين بلا بوى رسيد شمارا هردو بزمين فرو بردندى چنانكه آن ديكرانرا فروبردند لقمان روى باپسر كرد وكفت دريافتى وبدانستى كه هر چه بربنده رسد از محبوب ومكروه خيرت وصلاحت در آنست پس هردو برخاستند ورفتند. عمر خطاب رضي الله عنه از آنجا كفت من باك ندارم كه بامداد بر خيزم بر هر حال باشم بر محبوب يابر مكروه زيرا كه من ندانم خيرت من اندر چيست. موسى عليه السلام كفت بار خدايا ازبندكان توكيست بزرك كناهتر كفت آنكس كه مرامتهم دارد كفت آن كيست كفت استخارت كند وازمن بهترىٔ خويش خواهد آنكه بحكم من رضا ندهد] قال الصائب:

چون سرو در مقام رضا ايستاده ام   آسوده خاطرم زبهار وخزان خويش

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾.

﴿ولا تصعر خدك للناس﴾ التصعر: التواء وميل في العنق من خلقة أو داء أو من كبر في

الإنسان وفي الإبل. والتصعير إمالته عن النظر كبراً كما قال في «تاج المصادر» [التصعير: روى بكردانيدن ازكبر]. وخد الإنسان ما اكتنف الأنف عن اليمين والشمال أو ما جاوز مؤخر العينين إلى منتهى الشدق أو من لدن المحجر إلى اللحى كما في «القاموس». والمعنى أقبل على الناس بجملة وجهك عند السلام والكلام واللقاء تواضعاً ولا تحول وجهك عنهم ولا تغط شق وجهك وصفحته كما يفعله المتكبرون استحقاراً للناس خصوصاً الفقراء وليكن الغني والفقير عندك على السوية في حسن المعاملة. والإشارة لا تمل خدك تكبراً أو تجبراً معجباً بما فتح الله عليك فتكون بهذا مفسداً في لحظة ما أصلحته في مدة، قال الحافظ:

ببال وپر مرو ازره كه تير پرتابى هوا كرفت زمانى ولى بخاك نشست

﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ المرح: أشد الفرح والخفة الحاصلة من النعمة كالأشر والبطر أي: حال كونك ذا فرح شديد ونشاط وعجب وخفة أي: مشياً كمشي المرح من الناس كما يرى من كثيرهم لا سيما إذا لم يتضمن مصلحة دينية أو دنيوية، وبالفارسية: [مخرام چون جاهلان ومانند دنيا پرستان] ﴿إن الله لا يحب كل مختال﴾ الاختيال والخيلاء التكبر عن تخيل فضيلة ومنه لفظ الخيل كما قيل إنه لا يركب أحد فرساً إلا وجد في نفسه نخوة أي: لا يرضى عن المتكبر المتبختر في مشيته بل يسخط عليه، وبالفارسية: [هرخرامندهٔ كه متكبر انه رود] وهو بمقابلة الماشي مرحاً ﴿فخور﴾ هو بمقابلة المصعر خده وتأخيره لرعاية الفواصل. والفخر المباهاة في الأشياء الخارجة عن الإنسان كالمال والجاه والفخور الذي يعدد مناقبه تطاولاً بها واحتقاراً لمن عدم مثلها. والمعنى بالفارسية: [نازش كنندهٔ كه باسباب تنعم بر مردمان تطاول نمايد]. وفي الحديث: «خرج رجل يتبختر في الجاهلية عليه حلة فأمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»:

چو صبيان مباز وچو صنوان منازل برو مرد حق شو زروى نياز

قال بعض الحكماء: إن افتخرت بفرسك فالحسن والفراهة له دونك. وإن افتخرت بثيابك وآلاتك فالجمال لها دونك. وإن افتخرت بآبائك فالفضل فيهم لا فيك ولو تكلمت هذه الأشياء لقالت هذه محاسننا فمالك من الحسن شيء. فإن افتخرت فافتخر بمعنى فيك غير خارج عنك. قال الحافظ:

قلندران حقيقت بنيم جو نخرند قباى اطلس آنكس كه از هنر عاريست

وإذا أعجبك من الدنيا شيء فاذكر فناءك وبقاءه أو بقاءك وزواله أو فناءكما جميعاً فإذا راقك ما هو لك فانظر إلى قرب خروجه من يدك وبعد رجوعه إليك وطول حسابه عليك إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر.

- حكي - أنه حُمِلَ إلى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجوهر لم ير له نظير ففرح به الملك فرحاً شديداً فقال لمن عنده من الحكماء: كيف ترى هذا؟ فقال: أراه فقراً حاضراً ومصيبة عاجلة قال: وكيف ذلك؟ قال: إن انكسر كانت مصيبة لا جبر لها وإن سرق صرت فقيراً إليه وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة والفقر فاتفق أنه انكسر القدح يوماً فعظمت المصيبة على الملك وقال: صدق الحكيم ليته لم يحمل إلينا.

إنما الدنيا كرؤيا فرّحت من رآها ساعة ثم انقضت

﴿واقصد في مشيك﴾ القصد ضد الإفراط والتفريط. والمعنى واعدل في المشي بعد

الاجتناب عن المرح فيه، وبالفارسية: [وميانه باش دررفتن خود] اى توسد بين الدبيب والإسراع فلا تمش كمشي الزهاد المظهرين الضعف في المشي من كثرة العبادات والرياضات فكأنهم أموات وهم المراؤون الذين ضل سعيهم ولا كمشي الشطار ووثوبهم وعليك بالسكينة والوقار وفي الحديث «سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن» وقول عائشة رضي الله عنها في عمر رضي الله عنه كان إذا مشى أسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت. قال بعضهم إن للشيطان من ابن آدم نزغتين بأيتهما ظفر قنع الإفراط والتفريط وذلك في كل شيء يتصور ذلك فيه ﴿واغضض من صوتك﴾ يقال غض صوته وغض بصره إذا خفض صوته وغمض بصره. قال في «المفردات»: الغض النقص من الطرف والصوت، وبالفارسية: [فرو خوابانيدن چشم وفروداشتن اواز] والصوت هو الهواء المنضغط عند قرع جسمين. قال بعضهم: الهواء الخارج من داخل الإنسان إن خرج بدفع الطبع يسمى نفساً بفتح الفاء وإن خرج بالإرادة وعرض له تموّج بتصادم جسمين يسمى صوتاً وإذا عرض للصوت كيفيات مخصوصة بأسباب معلومة يسمى حروفاً. والمعنى وانقص من صوتك واقصر واخفض في محل الخطاب والكلام خصوصاً عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعند الدعاء والمناجاة. وكذلك وصية الله في الإنجيل لعيسى ابن مريم مُر عبادي إذا دعوني يخفضوا أصواتهم فإني أسمع وأعلم ما في قلوبهم، وبالفارسية: [فرو آور وكم كن آوز خويش يعنى فرياد كننده ونعره زننده ودراز زبان وسخت كوى مباش] واستثنى منه الجهر لإرهاب العدو ونحوه. وقال محمد بن طلحة في «العقد الفريد»: قد اختار الحكماء للسلطان جهارة الصوت في كلامه ليكون أهيب لسامعيه وأوقع في قلوبهم انتهى. وفي «الخلاصة» لا يجهر الإمام فوق حاجة الناس وإلا فهو مسيء كما في «الكشف». والفرق بين الكراهة والإساءة هو أن الكراهة أفحش من الإساءة.

وفي «إنسان العيون»: لا بأس برفع المؤذنين أصواتهم لتبليغ التكبير لمن بعد عن الإمام من المقتدين لما فيه من النفع بخلاف ما إذا بلغهم صوت الإمام فإن التبليغ حينئذٍ بدعة منكرة باتفاق الأئمة الأربعة ومعنى منكرة مكروهة. وفي «أنوار المشارق» المختار عند الأخيار أن المبالغة والاستقصاء في رفع الصوت بالتكبير في الصلاة ونحوه مكروه والحالة الوسطى بين الجهر والإخفاء مع التضرع والتذلل والاستكانة الخالية عن الرياء جائز غير مكروه باتفاق العلماء. وقد جمع النووي بين الأحاديث الواردة في استحباب الجهر بالذكر والواردة في استحباب الإسرار به بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى المصلون أو النائمون والجهر أفضل في غير ذلك لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين ولأنه يوقظ قلب الذاكر ويجمع همة الفكر ويشنف سمعه ويطرد النوم ويزيد في النشاط وكان عليه السلام إذا سلم من صلاته قال بصوته الأعلى «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير».

ومن اللطائف أن الحَجَّاجَ سأل بعض جلسائه عن أرق الصوت عندهم فقال أحدهم: ما سمعت صوتاً أرق من صوت قارىء حسن الصوت يقرأ كتاب الله في جوف الليل قال إن ذلك لحسن. وقال آخر ما سمعت صوتاً أعجب من أن أترك امرأتي ماخضاً وأتوجه إلى المسجد بكيراً فيأتيني آتٍ فيبشرني بغلام فقال: واحسناه. فقال شعبة بن علقمة التميمي لا والله ما سمعت قط أحب إلي من أن أكون جائعاً فأسمع خفخفة الخوان فقال الحجاج أبيتم يا بني تميم

إلا حب الزاد ﴿إن أنكر الأصوات﴾ أوحشها وأقبحها الذي ينكره العقل الصحيح ويحكم بقبحه، وبالفارسية: [زشت ترين آوازها] ﴿لصوت الحمير﴾ جمع حمار. قال بعضهم: سمي حماراً لشدته من قولهم طعنة حمراء أي: شديدة وحمارة القيظ شدته وافراد الصوت مع إضافته إلى الجمع لما أن المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل بيان حال صوت هذا الجنس من بين أصوات سائر الأجناس. قال أبو الليث: صوت الحمار كان هو المعروف عند العرب وسائر الناس بالقبح وإن كان قد يكون ما سواه أقبح منه في بعض الحيوان وإنما ضرب الله المثل بما هو معروف عند الناس بالقبح لأن أوله زفير وآخره شهيق كصوت أهل النار يتوحش من يسمعه ويتنفر منه كل التنفر.

والمعنى إن أنكر أصوات الناس حين يصوتون ويتكلمون لصوت من يصوّت صوت الحمار أي: يرفع صوته عند التصويت كما يرفع الحمار صوته. ففيه تشبيه الرافعين أصواتهم فوق الحاجة بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق ثم إخلاء الكلام عن لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة وجعلهم حميراً وأصواتهم نهاقاً مبالغة شديدة في الذم والزجر عن رفع الصوت فوق الحاجة وتنبيه على أنه من المكاره عند الله لا من المحاب. قال الكاشفي: [يعني در ارتفاع صوت فضيلتي نيست چو صوت حمار باوجود رفعت مكروهست طباع را وموجب وحشت اسماع است. درعين المعاني آورده كه مشركان عرب برفع أصوات تفاخر ميكردندى بدين آيت رد كرد برايشان فخر ايشان].

يقول الفقير: إن الرد ليس بمنحصر في رفع الصوت بل كل ما في وصايا لقمان من نهي الشرك وما يليه رد لهم لأنهم كانوا متصفين بالشرك وسائر ما حكي من الأوصاف القبيحة آتين بالسيئات تاركين للصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جزعين عند المصيبات والحمار مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك كنى عنه فيقال طويل الأذنين. قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: صوت كل شيء تسبيح إلا صوت الحمير فإنها تصيح لرؤية الشيطان ولذلك سماه منكراً وفي الحديث: «إذا سمعتم نهاق الحمير» وهو بالضم صوتها «فتعوّذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطاناً وإذا سمعتم صياح الديكة» بفتح الياء جمع ديك «فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً» وفي الحديث دلالة على نزول الرحمة عند حضور أهل الصلاح فيستحب الدعاء في ذلك الوقت وعلى نزول الغضب عند أهل المصيبة فيستحب التعوذ كما في «شرح المشارق» لابن الملك.

يقول الفقير: ومن هنا قال عليه السلام: «يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب» أي: يقطع كمالها وينقصها مرور هذه الأشياء بين يدي المصلي. أما المرأة فلكونها أحب الشهوات إلى الناس وأشد فساداً للحال من الوسواس. وأما الكلب والمراد الكلب الأسود فلكونه شيطاناً كما قال عليه السلام: «الكلب الأسود شيطان» سمي شيطاناً لكونه أعقر الكلاب وأخبثها وأقلها نفعاً وأكثرها نعاساً ومن هذا قال أحمد بن حنبل: لا يحل الصيد به. وأما الحمار فلكون الشيطان قد تعلق بذنبه حين دخل سفينة نوح عليه السلام فهو غير مفارق عنه في أكثر الأوقات وهو السر في اختصاص الحمار برؤية الشيطان والله أعلم كما أن وجه اختصاص الديك برؤية الملك كون صياحه تابعاً لصياح ديك العرش كما ثبت في بعض الروايات الصحيحة فالملك غير مفارق عنه في غالب الحالات وفي الحديث «إن الله يبغض ثلاثة أصواتها نهقة الحمير

ونباح الكلب والداعية بالحرب». [ورد فيه ما فيه ازحضرت مولوى قدس سره وجه انكريت صوت حمار چنين نقل كرده اندكه درغالب او براى كاه وجوست. ويا بجهت اجراء شهوت. يا جنك بادرازكوش ديكر. وصدايى كه از غلبهٔ صفات بهيمى زايد زشت ترين صداها باشد وازينجا معلوم ميشودكه ندايى كه از صاحب اخلاق روحاني وملكي آيد خوبترين نداها خواهد بود نغمهاى عاشقانه پس دلكش است استماع نغمه ايشان خوش وحضرت رسالت عليه السلام آواز نرم را دوست داشتى وجهر صوت راكاره بودى] ودخل في الصوت المنكر العطسة المنكرة فلتدفع بقدر الاستطاعة وكذا الزفرات والشهقات الصادرة من أهل الطبيعة والنفس بدون غلبة الحال فإنها ممزوجة بالحظوظ مخلوطة بالرياء فلا تكون صيحة حقيقة بل صيحة طبيعة ونفس نعوذ بالله من شهوات الطبيعة وهوى النفس ومخالطة أهل الدعوى. قال بعضهم في الآية إشارة إلى الذي يتكلم في لسان المعرفة من غير إذن من الحق وقبل أوانه ومن تصدر قبل أوانه تصدى لهوانه. ثم من وصايا لقمان على ما في «كشف الأسرار» قوله: [أي پسر چون قدرت يابى برظلم بندكان قدرت خداى برغقوبت خود يادكن واز انتقام وى بينديش كه او جل جلاله منتقم است دادستان از كردن كشان وكين خواه از ستمكاران وبحقيقت دان كه ظلم تو ازان مظلوم فراكذرد وعقوبة الله بران ظلم برتو بماند وپاينده بود]، قال الشيخ سعدي قدس سره:

شنيدم كه لقمان سيه فام بود ... نه تن پرور ونازك اندام بود
يكى بندهٔ خويش پنداشتش ... ببغداد دركار كل داشتش
به سالى سرايى بپر داختش ... كس ازبندهٔ خواجه نشتاختش
چوپيش آمدش بندهٔ رفته باز ... زلقمانش آمد نهيبى فراز
به پابش درافتاد وپوزش نمود ... بخنديد لقمان كه پوزش چه سود
بسالى زجورت جكر خون كنم ... بيك ساعت ازدل بدر چون كنم
وليكن ببخشايم اى نيك مرد ... كه سود تومارا زيانى نكرد
تو آباد كردى شبستان خويش ... مراحكمت ومعرفت كشت بيش
غلاميست درخيم اى نيك بخت ... كه فرمايمش وقتها كار سخت
دكرره نيازارمش سخت دل ... چو ياد آيدم سختىٔ كار كل
هرآنكس كه جور بزركان نبرد ... نسوزد دلش بر ضعيفان خرد
كه از حاكمان سخت آيد سخن ... تو برزير دستان درشتى مكن
مهازور مندى مكن بركهان ... كه بريك نمط مى نماند جهان

[لقمانرا كفتند ادب از كه آموختى كفت ازبى ادبان كه هرچه از ايشان درنظرم ناپسند آمد ازان فعل پرهيز كردم]:

نكويند ازسر بازيچه حرفى ... كزان پندى نكيرد صاحب هوش
وكر صد باب حكمت پيش نادان ... بخوانند آيدش بازيچه در كوش

وعن علي رضي الله عنه: الحكمة ضالة المؤمن فالتقفها ولو من أفواه المشركين، يعني: [مرد مؤمن هميشه طالب حكمت بود چنانكه طالب كم كردهٔ خويش بود] قال عيسى عليه السلام: لا تقولوا العلم في السماء من يصعد يأتي به ولا في تخوم الأرض من ينزل يأتي به ولا من وراء البحر من يعبر يأتي به العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي الله بآداب

الروحانيين يظهر عليكم كما في «شرح منازل السائرين». ومن آداب الروحانيين ترك الأمور الطبيعية والقيام في مقام الصمدية [عابدى را حكايت كنند كه هرشب ده من طعام بخوردى وتابسحر ختمى درنماز بكردى صاحب دلى بشنيد وكفت اكر نيم من بخوردى وبخفتى بسيار ازين فاضلتر بودى:

اندرون از طعام خالى دار ... تادرو نور معرفت بينى
تهى از حكمتى بعلت آن ... كه پرى از طعام تابينى

واعلم أن الحكمة قد تكون متلفظاً بها كالأحكام الشرعية المتعلقة بظواهر القرآن وقد تكون مسكوتاً عنها كالأسرار الإلهية المستورة عن غير أهلها المتعلقة ببواطن القرآن فمن لج في الطلب من طريقه ولج في المعرفة بفضل الله تعالى وتوفيقه.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾.

﴿**ألم تروا**﴾ ألم تعلموا يا بني آدم ﴿**أن الله سخر لكم**﴾ التسخير سياقة الشيء إلى الغرض المختص به قهراً ﴿**ما في السموات**﴾ من الكواكب السيارة مثل الشمس والقمر وغيرهما والملائكة المقربين بأن جعلها أسباباً محصلة لمنافعكم ومراداتكم فتسخير الكواكب بأن الله تعالى سيرها في البروج على الأفلاك التي دبر لكل واحد منها فلكاً وقدر لها القرانات والاتصالات وجعلها مدبرات العالم السفلي من الزماني مثل الشتاء والصيف والخريف والربيع ومن المكاني مثل المعدن والنبات والحيوان والإنسان وظهور الأحوال المختلفة بحسب سير الكواكب على الدوام لمصالح الإنسان ومنافعهم منها. قال الكاشفي: [رام ساخت براى نفع شما آنچه در آسمانهاست از آفتاب وماه وستاره تا از روشنىء ايشان بهره مندشويد]:

ز مشرق بمغرب مه وآفتاب ... روان كرد وكسترد كيتى بر آب

[واز ستاركان تابدايشان راه بريد] كما قال تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] وتسخير الملائكة بأن الله تعالى من كمال قدرته وحكمته جعل كل صنف من الملائكة موكلين على نوع من المدبرات وعوناً لها كالملائكة الموكلين على الشمس والقمر والنجوم وأفلاكها والموكلين على السحاب والمطر. وقد جاء في الخبر «إن على كل قطرة من المطر موكلاً من الملائكة لينزلها حيث أمر» والموكلين على البحور والفلوات والرياح والملائكة الكتاب للناس الموكلين عليهم ومنهم المعقبات من بين أيديهم ومن خلفهم يحفظونهم من أمر الله حتى جعل على الأرحام ملائكة فإذا وقعت نطفة الرجل في الرحم يأخذها الملك بيده اليمنى وإذا وقعت نطفة المرأة يأخذها الملك بيده اليسرى فإذا أمر بمشجها يمشج النطفتين وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢] والملائكة الموكلين على الجنة والنار كلهم مسخرون لمنافع الإنسان ومصالحهم حتى الجنة والنار مسخرتان لهم تطميعاً وتخويفاً لأنهم يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وكذا سخر ما في سموات القلوب من الصدق والإخلاص والتوكل واليقين والصبر والشكر وسائر المقامات القلبية والروحانية والمواهب الربانية وتسخيرها بأن يسر لمن يسر له العبور عليها بالسير والسلوك المتداركة بالجذبة والانتفاع بمنافعها والاجتناب عن

مضارها ﴿وما في الأرض﴾ من الجبال والصحارى والبحار والأنهار والحيوانات والنباتات والمعادن بأن مكنكم من الانتفاع بها بوسط أو بغير وسط وكذا سخر ما في أرض النفوس من الأوصاف الذميمة مثل الكبر والحسد والحقد والبخل والحرص والشره والشهوة وغيرها وتسخيرها بتبديلها بالأخلاق الحميدة والعبور عليها والتمتع بخواصها محترزاً عن آفاتها ﴿وأسبغ عليكم﴾ أتم وأكمل ﴿نعمه﴾ جمع نعمة وهي في الأصل الحالة الطيبة التي يستلزها الإنسان فأطلقت للأمور اللذيذة الملائمة للطبع المؤدية إلى تلك الحالة الطيبة ﴿ظاهرة﴾ أي: حال كون تلك النعم محسوسة مشاهدة مثل حسن الصورة وامتداد القامة وكمال الأعضاء.

دهد نطفه را صورتى چون پرى   كه كر دست برآب صورتكرى

والحواس الظاهرة: من السمع والبصر والشم والذوق واللمس والنطق وذكر اللسان والرزق والمال والجاه والخدم والأولاد والصحة والعافية والأمن ووضع الوزر ورفع الذكر والأدب الحسن ونفس بلا ذلة وقدم بلا ذلة والإقرار والإسلام من نطق الشهادة والصلاة والصوم والزكاة والحج والقرآن وحفظه ومتابعة الرسول والتواضع لأولياء الله والإعراض عن الدنيا ويبين آياته للناس وأنتم الأعلون يعني النصرة والغلبة وغير ذلك مما يعرفه الإنسان. ﴿وباطنة﴾ ومعقولة غير مشاهدة بالحس كنفخ الروح في البدن وإشراقه بالعقل والفهم والفكر والمعرفة وتزكية النفس عن الرذائل وتحلية القلب بالفضائل ولذا قال عليه السلام: «اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي» ومحبة الرسول وزينه في قلوبكم والسعادة السابقة وأولئك المقربون وشرح الصدر وشهود المنعم وإمداد الملائكة في الجهاد ونحوه وصحة الدين والبصيرة وصفاء الأحوال والولاية فإنها باطنة بالنسبة إلى النبوة والفطرة السليمة وطلب الحقيقة والاستعداد لقبول الفيض واتصال الذكر على الدوام والرضى والغفران وقلب بلا غفلة وتوجه بلا علة وفيض بلا قلة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة قال: «أما الظاهرة: فالإسلام وما حَسُنَ من خلقك وما أفضل عليك من الرزق وأما الباطنة فما ستر من سوء عملك ولم يفضحك به».

پس پرده بيند عملهاى بد   هم او پرده پوشد بآلاى خود

«يا ابن عباس يقول الله تعالى: إني جعلت للمؤمن ثلث صلاة المؤمنين عليه بعد انقطاع عمله أكفر به عنه خطاياه وجعلت له ثلث ماله ليكفر به عنه خطاياه وسترت عليه سوء عمله الذي لو قد أريته للناس لنبذه أهله فمن سواهم» ﴿ومن الناس﴾ أي: وبعض الناس فهو مبتدأ خبره قوله ﴿من يجادل﴾ ويخاصم يقال جدلت الحبل إذا أحكمت فتله ومنه الجدال فكأن المتجادلين يفتل كل واحد منهما الآخر عن رأيه ﴿في الله﴾ في توحيده وصفاته ويميل إلى الشرك حيث يزعم أن الملائكة بنات الله. وقال الكاشفي: ﴿في الله﴾ [دركتاب خداى يعنى نضر بن الحارث كه ميكفت افسانهء پيشينيانست. ودر عين المعاني آورده كه يكى از يهود از حضرت رسالت پناه عليه السلام پرسيدكه خداى تو ازتو چيزست في الحال اورا صاعقه كرفت واين آيت آمدكه كسى بودكه مجادله كند در ذات حق] ﴿بغير علم﴾ مستفاد من دليل ﴿ولا هدى﴾ من جهة الرسول ﴿ولا كتاب﴾ أنزله الله تعالى ﴿منير﴾ مضيء له بالحجة بل يجادل بمجرد التقليد كما قال:

﴿وإذا قيل لهم﴾ أي: لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى ﴿اتبعوا ما أنزل الله﴾ على نبيه

من القرآن الواضح والنور البين فآمنوا به ﴿**قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا**﴾ الماضين يريدون به عبادة الأصنام يقول الله تعالى في جوابهم: ﴿**أولو كان الشيطان يدعوهم**﴾ الاستفهام للإنكار والتعجب من التعلق بشبهة هي في غاية البعد من مقتضى العقل والضمير عائد إلى الآباء والجملة في حيز النصب على الحالية. والمعنى أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم بما هم عليه من الشرك ﴿**إلى عذاب السعير**﴾ فهم مجيبون إليه حسبما يدعوهم والسعر التهاب النار وعذاب السعير أي: الحميم كما في «المفردات». وفي الآية منع صريح من التقليد في الأصول أي: التوحيد والصفات والتقليد لغة وضع الشيء في العنق محيطاً به ومنه القلادة ثم استعمل في تفويض الأمر إلى الغير كأنه ربطه بعنقه واصطلاحاً قبول قول الغير بلا حجة فيخرج الأخذ بقوله عليه السلام لأنه حجة في نفسه. وفي «التعريفات»: التقليد عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً للحقية فيه من غير نظير وتأمل في الدليل كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه انتهى. فالتقليد جائز في الفروع والعمليات ولا يجوز في أصول الدين والاعتقاديات بل لا بد من النظر والاستدلال لكن إيمان المقلد ظاهر عند الحنفية والظاهرية وهو الذي اعتقد جميع ما يجب عليه من حدوث العالم ووجود الصانع وصفاته وإرسال الرسل وما جاءوا به حقاً من غير دليل لأن النبي عليه السلام قبل إيمان الإعراب والصبيان والنسوان والعبيد والإماء من غير تعليم الدليل ولكنه يأثم بترك النظر والاستدلال لوجوبه عليه. قال في «فصل الخطاب»: من نشأ في بلاد المسلمين وسبح الله عند رؤية صنائعه فهو خارج عن حد التقليد يعني إن مثل هذا المقلد لو ترك الاستدلال لا يأثم كمن في شاهق جبل فإن تسبيحه عند رؤية المصنوعات عين الاستدلال فكأنه يقول الله خالق هذا النمط البديع ولا يقدر أحد غيره على خلق مثل هذا فهو استدلال بالأثر على المؤثر وإثبات للقدرة والإرادة وغير ذلك فالاستدلال هو الانتقال من المصنوع إلى الصانع لا ملاحظة الصغرى والكبرى وترتيب المقدمات للإنتاج على قاعدة المعقول وعلى هذا فالمقلد في هذا الزمان نادر. وفي الآية إشارة إلى أن من سلك طريق المعرفة بالعقل القاصر فهو مقلد لا يصح الاقتداء به.

خواهى بصوب كعبهٔ تحقيق ره برى   پى برپى مقلد كم كرده ره مرو

فلا بد من الاقتداء بصاحب ولاية عالم رباني واقف على أسرار الطريقة عارف بمنازل عالم الحقيقة مكاشف عن حقائق القرآن مطلع على معاني الفرقان فإنه يخرج بإذن الله تعالى من الظلمات الإنسانية إلى النور الرباني ويخلص من عذاب النفس الأمارة ويشرف بنعيم القلب فإن كان مطلبك أيها السالك هو المطلب الحقيقي فإن طريقه بعيد وبرازخ منازله كثيرة لا يقدر أهل الجدل وأرباب العقول المشوبة بالوهم والخيال والشبهات على دلالة تلك الطريق فأين الثريا من يد المتطاول فهم إنما يصيدون الريح لا العنقاء إذ العنقاء في قاف الوجود وحقائق الوجود لا يعرفها إلا أهل المعرفة والشهود نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم من العاملين بأحكام القرآن العظيم والمتأدبين بآداب الكلام القديم والواصلين إلى أنواره والمصاحبين بمن يتحقق بأسراره.

﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾﴾

﴿ومن يسلم وجهه إلى الله﴾ من شرطية معناها بالفارسية [هركه ما] واسلم إذا عدي بإلى يكون بمعنى سلم وإذا عدي باللام تضمن معنى الإخلاص والوجه بمعنى الذات. والمعنى ومن يسلم نفسه إلى الله تسليم المتاع للعامل بأن فوض أمره إليه وأقبله بكليته عليه ﴿وهو محسن﴾ والحال أنه محسن في عمله آت به على الوجه اللائق الذي هو حسنه الوصفي المستلزم لحسنه الذاتي ولا يحصل ذلك غالباً إلا عن مشاهدة ولذا فسر النبي عليه السلام «الإحسان»: بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾. قال في «المفردات»: إمساك الشيء التعلق به وحفظه واستمسكت بالشيء إذا تحريت بالإمساك انتهى. والاستمساك بالفارسية [چنك درزدن] كما في «تاج المصادر». والعروة بالضم ما يعلق به الشيء من عروته بالكسر أي: ناحيته والمراد مقبض نحو الدلو والكوز. والوثقى الموثقة المحكمة تأنيث الأوثق كالصغرى تأنيث الأصغر والشيء الوثيق ما يأمن صاحبه من السقوط. والمعنى فقد تعلق بأوثق ما يتعلق به من الأسباب وأقواه، وبالفارسية: [دست درزد استوارتر كوشهٔ وبدست آويز محكم] وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من أراد أن يترقى إلى شاهق جبل فتمسك بأوثق عرى الحبل المتدلى منه بحيث لا يخاف انقطاعه ﴿وإلى الله﴾ لا إلى أحد غيره ﴿عاقبة الأمور﴾ عاقبة أمر المتوكل وأمر غيره فيجازيه أحسن الجزاء، وبالفارسية [وبالله كردد سر انجام همه كار وچنان بود كه او خواهد].

﴿ومن كفر﴾ [وهركه نكردد چنك در عروهٔ وثقى نزند] ﴿فلا يحزنك كفره﴾ فإنه لا يضرك في الدنيا والآخرة يقال احزنه من المزيد ويحزنه من الثلاثي وأما حزن الثلاثي ويحزن المزيد فليس بشائع في الاستعمال ﴿إلينا﴾ لا إلى غيرنا ﴿مرجعهم﴾ رجوعهم ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلى حيث لا حاكم ولا مالك سواه ﴿فننبئهم بما عملوا﴾ في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعذاب والعقاب وجمع الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الموضعين باعتبار لفظه ﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾ أي: الضمائر والنيات المصاحبة بالصدر فيجازي عليها كما يجازي على الأعمال الظاهرة.

﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿نمتعهم﴾ أي: الكافرين بمنافع الدنيا ﴿قليلاً﴾ تمتيعاً قليلاً أو زماناً قليلاً، وبالفارسية: [برخور دارى دهم ايشانرا بنعمت وسرور زمانى اندك كه زود انقطاع يابد] فان ما يزول وإن كان بعد أمد طويل بالنسبة إلى ما يدوم قليل ﴿ثم نضطرهم﴾ الاضطرار حمل الإنسان على ما يضره وهو في التعارف حمل على أمر يكرهه أي: نلجئهم ونردهم في الآخرة قهراً، وبالفارسية: [پس بياريم ايشانرا به بيچاركى يعني ناچار بيايند] ﴿إلى عذاب غليظ﴾ يثقل عليهم ثقل الأجرام الغلاظ أو نضم إلى الإحراق الضغط والتضييق.

وفي «التأويلات النجمية»: غلظة العذاب عبارة عن دوامه إلى الأبد انتهى. والغليظ ضد الرقيق وأصله أن يستعمل في الأجسام لكن قد يستعار للمعاني كما في «المفردات».

﴿ولئن سألتهم﴾ أي: الكافرين ﴿من خلق السموات والأرض﴾ أي: الأجرام العلوية والسفلية ﴿ليقولن﴾ خلقهن ﴿الله﴾ لغاية وضوح الأمر بحيث اضطروا إلى الاعتراف به ﴿قل

الحمد لله﴾ على أن جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون أيضاً **﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾** شيئاً من الأشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى اعترافهم بأن يتركوا الشرك ويعبدوا الله وحده.

﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿لله ما في السموات والأرض﴾ فلا يستحق العبادة فيهما غيره **﴿إن الله هو الغني﴾** بذاته وصفاته قبل خلق السموات والأرض وبعده لا حاجة به في وجوده وكماله الذاتي إلى شيء أصلاً وكلمة هو للحصر أي: هو الغني وحده وليس معه غني آخر دليله قوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨] **﴿الحميد﴾** المحمود في ذاته وصفاته وإن لم يكن له حامد فهو الحامد لنفسه:

اى غنى درذات خود ازما سواى خويشتن
خود توميكويى بحمد خود ثناى خويشتن

وفي الأربعين الإدريسية: يا حميد الفعال ذا المنّ على جميع خلقه بلطفه. قال السهروردي رحمه الله من داوم على هذا الذكر يحصل له من الأموال ما لا يمكن ضبطه. وفي الآيات أمور:

منها أن التفويض والتوكل وإخلاص القصد والإعراض عما سوى الله والإقبال على الله بالتوحيد والطاعة من موجبات حسن العاقبة وهي الجنة والقربة والوصلة كما أن الكفر والشرك والرياء والسمعة من أسباب سوء العاقبة وهي النار والعذاب الغليظ والفرقة والقطيعة، قال الشيخ العطار قدس سره:

زر وسيم وقبول كار وبارت ... نيايد دردم آخر بكارت
اكر اخلاص باشد آن زمانت ... بكار آيد وكرنه واى جانت

وفي «البستان»:

شنيدم كه نا بالغى روزه داشت ... بصد محنت آورد روزى بچاشت
پدر ديده بوسيد وما درسرش ... فشاندند بادام وزر برسرش
چو بروى كذر كرديك نيم روز ... فتاد اندر روز آتش معده سوز
بدل كفت اكر لقمه چندى خورم ... چه داند پدر غيب يا مادرم
چو روى پسر درپدر بود وقوم ... نهان خورد وپيدا بسر برد صوم
پس اين پير ازان طفل نادانترست ... كه ازبهر مردم بطاعت درست.

فالتمسك بأحكام الدين هي العروة الوثقى لأهل اليقين فإنها لا تنفصم بخلاف سائر العرى.

ومنها: أن ليس لعمر الدنيا بقاء بل هي ساعة من الساعات. فعلى العاقل أن لا يغتر بالتمتع القليل بل يتأهب لليوم الطويل.

دريغا كه بكذشت عمر عزيز ... بخواهد كذشت اين دمى چندنيز
كنون وقت تخمست اكر پرورى ... كر اميد دارى كه خرمن برى

ومنها: أن الله تعالى قدر المقادير ودبر الأمور فالكل يجري في الأفعال والأحوال على قضائه وقدره وليس على الناصح إلا التبليغ دون الجبر والحزن على عدم القبول فإن الحجر لا يصير مرآة بالصيقل.

توان پاك كردن ز ژنك آينه ولیكن نيايد زسنك آينه

ومنها أن عدم الجريان بموجب العلم من الجهل في الحقيقة.

كرهمه علم عالمت باشد بى عمل مدعى وكذابى

ومنها: أن الله تعالى خلق الخلق ليربحوا عليه لا ليربح عليهم فمنفعة الطاعات والعبادات راجعة إلى العباد لا إلى الله تعالى إذ هو غني عن العالمين لا ينتفع بطاعاتهم ولا يتضرر بمعاصيهم فهو يمنّ عليهم أن هداهم للإيمان والطاعات وليس لهم أن يمنوا عليه بإسلامهم جعلنا الله وإياكم من عباده المخلصين وحفظنا في حصنه الحصين من عونه وتوفيقه الرصين.

﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام﴾ جواب لليهود حين سألوا رسول الله ﷺ أو أمروا وفد قريش أن يسألوه عن قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] وقد أنزل التوراة وفيها علم كل شيء يعني أن علم التوراة وسائر ما أوتي الإنسان من الحكمة والمعرفة وإن كان كثيراً بالنسبة إليهم لكنه قطرة من بحر علم الله. وقال قتادة: قال المشركون القرآن يوشك أن ينفد وينقطع فنزلت. وقوله: **﴿من شجرة﴾** حال من الموصول وهي ماله ساق وتوحيدها لما أن المراد تفصيل الآحاد يعني أن كل فرد من جنس الشجر بحيث لا يبقى منه شيء لو برى قلماً وأصل القلم القص من الشيء الصلب كالظفر وخص ذلك بما يكتب به. وفي «كشف الأسرار»: سمي قلماً لأنه قط رأسه والإقليم القطعة من الأرض وتقليم الأظفار قطعها. والفرق بين القط والقدّ أن القط القطع عرضاً والقدّ القطع طولاً والقطع فصل الجسم بنفوذ جسم آخر فيه. والمعنى: لو ثبت أن الأشجار أقلام **﴿والبحر﴾** أي: والحال أن البحر المحيط بسعته وهو البحر الأعظم الذي منه مادة جميع البحار المتصلة والمنقطعة وهو بحر لا يعرف له ساحل ولا يعلم عمقه إلا الله تعالى والبحار التي على وجه الأرض خلجان منه وفي هذا البحر عرش إبليس لعنه الله وفيه مدائن تطفو على وجه الماء وأهلها من الجن في مقابلة الربع الخراب من الأرض وفي هذا البحر ينبت شجر المرجان كسائر الأشجار في الأرض وفيه من الجزائر المسكونة والخالية ما لا يعلمه إلا الله تعالى وهو أي: البحر مبتدأ خبره قوله **﴿يمده﴾** أي: يزيده وينصب فيه من مد الدواة جعلها ذات مداد وزاده فيها فلذا أغنى عن ذكر المداد **﴿من بعده﴾** أي: من بعد نفاده وفنائه **﴿سبعة أبحر﴾** نحو بحر الصين وبحر تبت كسكر على ما في «القاموس» وبحر الهند وبحر السند وبحر فارس وبحر الشرق وبحر الغرب والله أعلم. قال في «أسئلة الحكم»: إن الله زين الدنيا بسبعة أبحر وسبعة أقاليم انتهى ولم يتعرضوا لتعداد الأبحر فيما رأينا وقد استخرجناها من موضعها بطريق التقريب وأجرينا القلم فيها ويحتمل أن يكون المراد الأنهار السبعة من الفرات ودجلة وسيحان وسيحون وجيحان وجيحون والنيل لأن البحر عند العرب هو الماء الكثير. وقال الكاشفي: **﴿سبعة أبحر﴾** [هفت دریای دیکر مانند او] انتهى فيكون ذكر العدد للتكثير كما لا يخفى. وفي «الإرشاد» إسناد المد إلى الأبحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه أعظم منها وأطم لأنها هي المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية وإليها تنصب الأنهار العظام أولاً ومنها تنصب إلى البحر المحيط ثانياً. والمعنى يمده الأبحر السبعة

مداً لا ينقطع أبداً وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله ﴿**ما نفدت كلمات الله**﴾ أي: ما فنيت متعلقات علمه وحكمته ونفدت تلك الأقلام والمداد وقد سبق تحقيقه في أواخر سورة الكهف عند قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾ [الكهف: ١٠٩] الآية وإيثار جمع القلة في الكلمات للإيذان بأن ما ذكر لا يفي بالقليل منها فكيف بالكثير.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: لو أن ما في الأرض من الأشجار أقلام والبحر يصير مداداً وبمقدار ما يقابله ينفق القرطاس ويتكلف الكتاب حتى تنكسر الأقلام وتفنى البحار وتستوفى القراطيس ويفنى عمر الكتاب ما نفدت معاني كلام الله تعالى لأن هذه الأشياء وإن كثرت فهي متناهية ومعاني كلامه لا تتناهى لأنها قديمة والمحصور لا يفي بما لا حصر له انتهى وقد قصر من جعل الأرض قرطاساً. وفي الآية إشارة ظاهرة إلى قدم القرآن فإن عدم التناهي من خاصية القديم. وجاء في حق القرآن «ولا تنقضي عجائبه» أي: لا ينتهي أحد إلى كنه معانيه العجيبة وفوائده الكثيرة. وفي الآية إشارة أيضاً إلى أن كلمات الحكماء الإلهية وعلومهم لا تنقطع أبداً لأنها من عيون الحكمة كما أن ماء العين لا ينقطع عن عينه وكيف ينقطع وحكمة الحكيم تلقين من رب العالمين وفيض من خزائنه وخزائنه لا تنفد كما دلت عليه الآية ولبعض العارفين تجلي برقيّ يعطي في مقدار طرفة عين من العلوم ما لا نهاية له وإذا كان حاله هذا في جزء يسير من الزمان فما ظنك بحاله في مدة عمره ﴿**إن الله عزيز**﴾ لا يعجزه شيء ﴿**حكيم**﴾ لا يخرج عن علمه وحكمته أمر فلا تنفد كلماته المؤسسة عليهما. وخاصية الاسم العزيز وجود الغنى والعز صورة ومعنى فمن ذكره أربعين يوماً في كل يوم أربعين مرة أغناه الله وأعزه فلم يحوجه إلى أحد من خلقه والتقرب بهذا الاسم في التمسك بمعناه وذلك برفع الهمة عن الخلائق وهو عزيز جداً. وخاصية الاسم الحكيم دفع الدواهي وفتح باب الحكمة من أكثر ذكره صرف عنه ما يخشاه من الدواهي وفتح له باب من الحكمة والتقرب بهذا الاسم تعلقاً أن تراعى حكمته في الأمور مقدماً ما جاء شرعاً ثم عادة فتسلم من معارض شرعي وتخلقاً أن تكون حكيماً والحكمة في حقنا الإصابة في القول والعمل وقد سبق في أول قصة لقمان.

واعلم أن في خلق البحار والأنهار والجزائر ونحوها حكماً ومصالح تدل على عظم ملكه تعالى وسعة سلطانه وليس من بر ولا بحر إلا وفيه خلق من الخلائق يعبد الله تعالى على أن الاسكندر وصل إلى جزيرة الحكماء وهي جزيرة عظيمة فرأى بها قوماً لباسهم ورق الشجر وبيوتهم كهوف في الصخر والحجر فسألهم مسائل في الحكمة فأجابوا بأحسن جواب وألطف خطاب لما أنهم من مظاهر الاسم الحكيم فقال لهم: سلوا حوائجكم لتقضى فقالوا له: نسألك الخلد في الدنيا فقال: وأنى به لنفسي ومن لا يقدر على نفس من أنفاسه كيف يبلغكم الخلد فقال كبيرهم: نسألك صحة في أبداننا ما بقينا فقال: وهذا أيضاً لا أقدر عليه قالوا فعرّفنا بقية أعمارنا فقال: لا أعرف ذلك لروحي فكيف بكم؟ فقالوا له: فدعنا نطلب ذلك ممن يقدر على ذلك وأعظم من ذلك وجعل الناس ينظرون إلى كثرة الجنود أي: جنود الاسكندر وعظمة موكبه وبينهم شيخ صعلوك لا يرفع رأسه فقال الإسكندر: مالك لا تنظر إلى ما ينظر إليه الناس؟ قال الشيخ: ما أعجبني الملك الذي رأيته قبلك حتى أنظر إليك وإلى ملكك فقال الاسكندر: وما ذاك؟ قال الشيخ: كان عندنا ملك وآخر صعلوك فماتا في يوم واحد فغبت عنهما مدة ثم جئت إليهما واجتهدت أن أعرف الملك من المسكين فلم أعرفه فتركهم وانصرف.

قال الشيخ العطار قدس سره:

چه ملكت اين وتوچه پادشاهى | كه باشير اجل بر مى نيايى
اكر تو في المثل بهرام زورى | بروزوا پسين بهرام كورى
حوملك اين جهان ملكى رونده است | بملك آن جهان شد هركه زنده است
اكر آن ملك خواهى اين فداكن | كه بابراهيم ادهم اقتداكن
رباط كهنه دنيا در انداخت | جهاندارى بدرويشى فروباخت
اكرچه ملك دنيا پادشاييست | ولى چون بنكرى اصلش كداييست

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿ما خلقكم﴾ قال مقاتل وقتادة: إن كفار قريش قالوا: إن الله خلقنا أطواراً نطفة علقة مضغة لحماً فكيف يبعثنا خلقاً جديداً في ساعة واحدة فأنزل الله هذه الآية وقال: ما خلقكم أيها الإنسان مع كثرتكم. وقال الكاشفي: [نيست آفريدن شما اى اهل مكة] **﴿ولا بعثكم﴾** إحياؤكم وإخراجكم من القبور، وبالفارسية: [ونه برانكيختن شما بعدا ازمرك] **﴿إلا كنفس واحدة﴾** إلا كخلقها وبعثها في سهولة الحصول إذ لا يشغله شأن عن شأن لأنه يكفي لوجود الكل تعلق إرادته وقدرته قلوا أو كثروا ويقول: كن فيكون. وقال الكاشفي: يعني [حق سبحانه وتعالى در خلق اشيا بآلات وادوات احتياج ندارد بلكه اسرافيل را كويد بكوبر خيز نداز كورها بيك دعوت او همه خلائق از كور بابيرون آيند] ومثاله في الدنيا أن السلطان يضرب النقارة عند الرحيل فيتهيأ الكل في ساعة واحدة **﴿إن الله سميع﴾** يسمع كل مسموع فيدخل فيه ما قالوا في أمر الخلق والبعث مما يتعلق بالإنكار والاستبعاد **﴿بصير﴾** يبصر كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن بعض فكذلك الخلق والبعث. وقال بعضهم: بصير بأحوال الأحياء والأموات.

پس بقدرت چنين كس عجز راراه نيست
قدرت بى عجز ندادى بكس
قدرت بى عجز توداری وبس

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿ألم تر﴾ ألم تعلم يا من يصلح للخطاب علماً قوياً جارياً مجرى الرؤية. **﴿أن الله﴾** بقدرته وحكمته **﴿يولج الليل في النهار﴾** الولوج الدخول في مضيق والإيلاج الإدخال أي: يدخل الليل في النهار ويضيفه إليه بأن يزيد من ساعات الليل في ساعات النهار صيفاً بحسب مطالع الشمس ومغاربها، يعني: [ازوقت نزول آفتاب بنقطه شتوى تازمان حلول أو بنقطه انقلاب صيفي از اجزاى شب مى كاهد ودر اجزاى روز مى افزايد تاروزى كه دراول جدى اقصر أيام سنه دراول سرطان اطول ايام سنه ميشود] يعني يصير النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات. قال عبد الله بن سلام: أخبرني يا محمد عن الليل لِمَ سمي ليلاً قال: «لأنه منال الرجال من النساء جعله الله الفة ومسكناً ولباساً» قال: صدقت يا محمد ولِمَ سمي النهار نهاراً قال: «لأنه محل طلب الخلق لمعايشهم ووقت سعيهم واكتسابهم» قال: صدقت

﴿**ويولج النهار في الليل**﴾ أي: يدخله فيه ويضم بعض أجزائه إليه بأن يزيد من ساعات النهار في ساعات الليل شتاء بحسب المطالع والمغارب، يعني: [درباقى سنه ازاجزاى روز كم مى كند واجزاى شب را بدان زياده مى زاد تاشبى كه در آخر جوزا اقصر ليالى بود در آخر قوس اطول ليالى ميشود]، يعني: يصير الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات ووجدت مملكة في خط الاستواء لها ربيعان وصيفان وخريفان وشتاآن في سنة واحدة وفي بعضها ستة أشهر ليل وستة أشهر نهار وبعضها حر وبعضها برد وممالك الأقاليم السبعة التي ضبط عددها في زمن المأمون ثلاثمائة وثلاث وأربعون مملكة منها ثلاثة أيام وهي أضيقها وثلاثة أشهر وهي أوسعها والمملكة سلطان الملك وبقاعه التي يتملكها ﴿**وسخر الشمس والقمر**﴾ [رام كرد رفتاب وماه راكه سبب منافع الخلق اند]. قال عبد الله بن سلام: أخبرني يا محمد عن الشمس والقمر أهما مؤمنان أم كافران؟ قال عليه السلام: «مؤمنان طائعان مسخران تحت قهر المشيئة» قال: صدقت قال فما بال الشمس والقمر لا يستويان في الضوء والنور قال: «لأن الله محا آية الليل وجعل آية النهار ومبصرة نعمة منه وفضلاً ولولا ذلك لما عرف الليل من النهار» والجملة عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما أن إيلاج أحد الملوين في الآخر أمر متجدد في كل حين وأما تسخير النيرين فأمر لا تعدد فيه ولا تجدد وإنما التعدد والتجدد في آثاره وقد أشير إلى ذلك حيث قيل: ﴿**كل**﴾ من الشمس والقمر ﴿**يجري**﴾ بحسب حركته الخاصة القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد الأيام جرياً مستمراً ﴿**إلى أجل مسمى**﴾ قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيامة كما روي عن الحسن فإنهما لا ينقطع جريهما إلا حينئذٍ وذلك لأنه تموت الملائكة الموكلون عليهما فيبقى كل منهما خالياً كبدن بلا روح ويطمس نورهما فيلقيان في جهنم ليظهر لعبدة الشمس والقمر والنار أنها ليست بآلهة ولو كانت آلهة لدفعت عن أنفسها فالجملة اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق الاستطراد هذا وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتها الخاصة بهما في فلكهما والأجل المسمى عن منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهراً فالجملة حينئذٍ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية إيلاج أحد الملوين في الآخر وكون ذلك بحسب انقلاب جريان الشمس والقمر على مداراتهما اليومية ﴿**وأن الله بما تعملون خبير**﴾ عالم بكنهه عطف على أن الله يولج الخ داخل معه في حيز الرؤية فإن من شاهد ذلك الصنع الرائق والتدبير اللائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه محيطاً بجلائل أعماله ودقائقها.

﴿**ذلك**﴾ المذكور من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري بها ﴿**بأن الله**﴾ أي: بسبب أن الله تعالى ﴿**هو الحق**﴾ الهيته فقط ﴿**وأن ما يدعون**﴾ يعبدون ﴿**من دونه**﴾ تعالى من الأصنام ﴿**الباطل**﴾ الهيته لا يقدر على شيء من ذلك فليس في عبادته نفع أصلاً والتصريح بذلك مع أن الدلالة على اختصاص حقية الهيته به تعالى مستتبعة للدلالة على بطلان الهية ما عداه لإبراز كمال الاعتناء بأمر التوحيد ﴿**وأن الله هو العلي**﴾ المرتفع عن كل شيء ﴿**الكبير**﴾ المتسلط عليه يحتقر كل في جنب كبريائه. قال في «شرح حزب البحر»: من علم أنه العلي الذي ارتفع فوق كل شيء علوه مكانة وجلالاً يرفع همته إليه ولا يختار سواه ويحب معالي الأمور ويكره سفسافها. وعن علي رضي الله عنه علو الهمة من الإيمان.

قال الحافظ:

همايى چون توعالى قدر حرص استخوان حيفست
دريغا سايهٔ همت كه برنا اهل افكندى

ومن عرف كبرياءه ونسي كبرياء نفسه تعلق بعروة التواضع والإنصاف ولزم حفظ الحرمة. وفي «الأربعين الإدريسية»: يا كبير أنت الذي لا تهتدي العقول لوصف عظمته. قال السهروردي: إذا أكثر منه المديان أدى دينه واتسع رزقه وأن ذكره معزول عن رتبة سبعة أيام كل يوم ألفاً وهو صائم فإنه يرجع إلى مرتبته ولو كان ملكاً ثم في قوله: ﴿وأن ما يدعون من دونه الباطل﴾ إشارة إلى أن كل ما يطلب من دونه تعالى هو الباطل فلا بد من تركه بالاختيار قبل الفوت بالاضطرار ومن المبادرة إلى طلب العلي الكبير قبل فوات الفرصة.

مكن عمر ضايع بافسوس وحيف   كه فرصت عزيزاست والوقت سيف
نكه دار فرصت كه عالم دميست   دمى پيش دانا به از عالميست

نسأل الله التدارك.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿ألم تر﴾ رؤية عيانية أيها الذي من شأنه الرؤية والمشاهدة ﴿أن الفلك﴾ بالفارسية [كشتى] ﴿تجري﴾ [مى رود]. قال في «المفردات» الجري المر السريع وأصله لمر الماء ولما يجري بجريه ﴿في البحر﴾ [دردريا] ﴿بنعمة الله﴾ الباء للصلة أي: متعلقة بتجري أو للحال أي: متعلقة بمقدر هو حال من فاعله أي: ملتبسة بنعمته تعالى وإحسانه في تهيئة أسبابه. وقال الكاشفي: [بمنت واحسان او آنرا بروورى آب نكه ميدارد بادرا براى رفتن او ميفرستد]. وفي «الأسئلة المفخمة» برحمة الله حيث جعل الماء مركباً لكم لتقريب المزار ﴿ليريكم﴾ [تابنمايد شمارا] ﴿من آياته﴾ أي: بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته وبعض عجائبه وهو في الظاهر سلامتهم في السفينة كما قيل لتاجر ما أعجب ما رأيته من عجائب البحر قال: سلامتي منه وفي الحقيقة سلامة السالكين في سفينة الشريعة بملاحية الطريقة في بحر الحقيقة ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من أمر الفلك والبحر ﴿لآيات﴾ عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها ﴿لكل صبار﴾ مبالغ في الصبر على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الأنفس والآفاق ﴿شكور﴾ مبالغ في الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قيل لكل مؤمن وأنه وصفه بهما لأن أحسن خصاله الصبر والشكر والإيمان نصفان نصف للصبر ونصف للشكر.

واعلم: أن الصبر تحمل المشاق بقدر القوة البدنية وذلك في الفعل كالمشي ورفع الحجر كما يحصل للجسوم الخشنة وفي الانفعال كالصبر على المرض واحتمال الضرب والقطع وكل ذلك ليس بفضيلة تامة بل الفضيلة في الصبر عن تناول مشتهى لإصلاح الطبيعة والصبر على الطاعات لإصلاح النفس فالصبر كالدواء المر وفيه نفع.

طبيب شربت تلخ ازبراى فائده ساخت

والشكر تصور النعمة بالقلب والثناء على المنعم باللسان والخدمة بالأركان وجعل الصبر مبدأ والشكر منتهى يدل على كون الشكر أفضل من الصبر فإن من صبر فقد ترك إظهار الجزع

ومن شكر فقد تجاوز إلى إظهار السرور بما جزع له الصابر فكم من فرق بين حبس النفس على مقاساة البلاء وهو الصبر وبين عدم الالتفات إلى البلاء بل يراه من النعماء وهو الشكر وفي وصف الأولياء:

خوشا وقت شوريد كان غمش اكر زخم بينند اكر مرهمش
دمادم شراب الم در كشند وكر تلخ بينند دم در كشند
نه تلخ است صبرى كه برياد اوست كه تلخى شكر باشد ازدست دوست

﴿وإذا غشيهم﴾ غشيه ستره وعلاه والضمير لمن ركب البحر مطلقاً أو لأهل الكفر أي: علاهم وأحاط بهم ﴿موج﴾ هو ما ارتفع من الماء ﴿كالظلل﴾ كما يظل من جبل أو سحاب أو غيرهما، وبالفارسية: [موج دريا كه دربزركى مانند سايبانها يا مثل كوهها يا ابراها] جمع ظلة بالضم، وبالفارسية: [سايبان] كما قال في «المفردات» الظلة شيء كهيئة الصفة وعليه حمل قوله تعالى: ﴿موج كالظلل﴾ وذلك موج كقطع السحاب انتهى. وفي «كشف الأسرار» كل ما أظلك من شيء فهو ظلة شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها وجعل الموج وهو واحد كالظلل وهو جمع لأن الموج يأتي منه شيء بعد شيء ﴿دعوا الله﴾ [خوانند خدايرا] حال كونهم ﴿مخلصين له الدين﴾ أي: الدعاء والطاعة لا يذكرون معه سواه ولا يستغيثون بغيره لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد والإخلاص أفراد الشيء من الشوائب ﴿فلما نجاهم﴾ الله تعالى ﴿إلى البر﴾ وجاد بتحقيق مناهم بسبب إخلاصهم في الدعاء، وبالفارسية: [پس آن هنكام كه برهاند ايشانرا وبرساندبسلامت بسوى صحرا وبيابان] ﴿فمنهم مقتصد﴾ أي: مقيم على الطريق القصد وهو التوحيد أو متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة. قال بعضهم لما كان يوم فتح مكة: أمّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وقال: «اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح» فأما عكرمة فهرب إلى البحر فأصابتهم ريح عاصف فقال أهل السفينة: اخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً هٰهنا فقال عكرمة لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص فما ينجيني في البر غيره اللهم إن لك علي عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلاجدن عفوّاً كريماً فسكنت الريح فرجع إلى مكة فأسلم وأحسن إسلامه.

قضا كشتى آنجا كه خواهد برد وكرنا خدا جامه برتن درد
كرت بيخ اخلاص در بوم نيست ازين در كسى چون تومحروم نيست
سلامت در اخلاص اعمال هست شود زورق زرق كاران شكست

﴿وما يجحد بآياتنا﴾ [وانكار نكنند نشانهاى قدرت مارا] ﴿إلا كل ختار﴾ غدار فإنه نقض للعهد الفطري أو رفض لما كان في البحر. والختر أسوء الغدر وأقبحه. قال في «المفردات» الختر غدر يختر فيه الإنسان أي: يضعف ويكسر لاجتهاده فيه ﴿كفور﴾ مبالغ في كفران نعم الله تعالى وإنما يذكر هذا اللفظ لمن صار عادة له كما يقال ظلوم وإنما وصف الكافر بهما لأنهما أقبح خصال فيه. وقد عدّ النبي عليه السلام الغدر من علامات المنافق لكن قال علي رضي الله عنه: الوفاء لأهل الغدر غدر والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله تعالى كما أن التكبر على المتكبر صدقة. فعلى العاقل الوفاء بالعهد، وهو الخروج عن عهدة ما قيل عند الإقرار

بالربوبية بقوله: ﴿بلى﴾ حيث قال الله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وهو للعامة العبادة رغبة في الوعد ورهبة من الوعيد وللخاصة الوقوف مع الأمر لا لغرض وقد يعرض للإنسان النسيان فينسى العهد فيصير مبتلى بحسب مقامه.

ـ حكي ـ أن الشيخ أبا الخير الأقطع سئل عن سبب قطع يده فقال: كنت أتعيش من سقط مائدة الناس فخطر لي الترك والتوكل فعهدت أن لا آكل من طعام الناس ولا من حبوب الأراضي فلم يفتح الله لي شيئاً من القوت قريباً من خمسين يوماً حتى غلب الضعف على القوى ثم فتح قرصتين مع شيء من الأدام ثم إني خرجت من بين الناس وسكنت في مغارة فيوماً من الأيام خرجت من المغارة فرأيت بعض الفواكه البرية فتناولت شيئاً منها حتى إذا جعلته في فمي تذكرت العهد وألقيته وعدت إلى المغارة ففي أثناء ذلك أخذ بعض اللصوص وقطاع الطريق فقطع أيديهم وأرجلهم في حضور أمير البلدة فأخذوني أيضاً وقالوا: أنت منهم حتى إذا كنت عند الأمير قطع يدي فلما أرادوا قطع رجلي تضرعت إلى الله تعالى وقلت يا رب إن يدي هذه جنت فقطعت فما جناية رجلي فعند ذلك جاء شخص إلى الأمير كان يعرفني فوصف له الحال حتى عفا بل اعتذر اعتذاراً بليغاً فهذه حال الرجال مع الله فالعبرة حفظ العهد ظاهراً وباطناً. قال الحافظ:

ازدم صبح ازل تاآخر شام ابد دوستى ومهر بريك عهد ويك ميثاق بود

وأما الكفران فسبب لزوال الإيمان ألا ترى أن بلعم بن باعوراء لم يشكر يوماً على توفيق الإيمان وهداية الرحمٰن حتى سلب عنه والعياذ بالله تعالى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿يا أيها الناس﴾ نداء عام لكافة المكلفين وأصله لكفار مكة ﴿اتقوا ربكم﴾ [بپرهيزيد ازعذاب وخشم خداوند خويش] وذلك بالاجتناب عن الكفر والمعاصي وما سوى الله تعالى. قال بعض العارفين مرة يخوّفهم بأفعاله فيقول: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً﴾ [الأنفال: ٢٥] ومرة بصفاته فيقول: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق: ١٤] ومرة بذاته فيقول: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] ﴿واخشوا﴾ الخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى عليه ﴿يوماً﴾. قال في «التيسير» يجوز أن يكون على ظاهره لأن يوم القيامة مخوف ﴿لا يجزي﴾ فيه ﴿والد عن ولده﴾ أي: لا يقضي عنه شيئاً من الحقوق ولا يحمل من سيآته ولا يعطيه من طاعاته يقال جزاه دينه إذا قضاه. وفي «المفردات» الجزاء الغناء والكفاية كقوله تعالى: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨] والفارسية [وبترسيد از روزى كه دفع نكند عذاب را وباز ندارد پدر از پسر خويش] والولد ولو كان يقع على القريب والبعيد أي: ولد الولد لكن الإضافة تشير إلى الصلبي القريب فإذا لم يدفع عما هو الصق به لم يقدر أن يدفع عن غيره بالطريق الأولى. ففيه قطع لأطماع أهل الغرور المفتخرين بالآباء والأجداد المعتمدين على شفاعتهم من غير أن يكون بينهم جهة جامعة من الإيمان والعمل الصالح ﴿ولا مولود﴾ [ونه فرزندى] عطف على والد وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿هو جاز﴾ قاد ومؤدّ ﴿عن والده شيئاً﴾ ما من الحقوق وخص الولد والوالد بالذكر تنبيهاً على غيرهما والمولود خاص بالصلبي الأقرب

فإذا لم يقبل شفاعته للأب الأول الذي ولد منه لم يقبل لمن فوقه من الأجداد وتغيير النظم للدلالة على أن المولود أولى بأن لا يجزي ولقطع طمع من توقع من المؤمنين أن ينفع أباه الكافر في الآخرة ولذا قالوا: إن هذا الخبر خاص بالكفار فإن أولاد المؤمنين وآباءهم ينفع بعضهم بعضاً قال تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] أي: بشرط الإيمان **﴿إن وعد الله﴾** بالحشر والجنة والنار والثواب والعقاب والوعد يكون في الخير والشر يقال وعدته بنفع وضر وعداً وميعاداً والوعيد في الشر خاصة **﴿حق﴾** كائن لا خلف فيه **﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾** يقال غره خدعه وأطعمه بالباطل فاغتر هو كما في «القاموس» والمراد بالحياة الدنيا زينتها وزخارفها وآمالها، يعني: [بمتاعهاى دلفريب او فريفته مشويد].

وفي «التأويلات النجمية»: أي: بسلامتكم في الحال وعن قريب ستندمون في المآل انتهى **﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾**. قال في «المفردات» الغرور كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشهوات وشيطان وقد فسر بالشيطان إذ هو أخبث الغارين أي: ولا يخدعنكم الشيطان المبالغ في الغرور والخدعة بأن يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي وينسيكم الرجوع إلى القبور ويحملكم على الغفلة عن أحوال القيامة وأهوالها.

وعذر فردارا عمر فردا بايد

كار امروز بفردا نكذارى زنهار روز چون يافتهٔ كاركن وعذر ميار

قال في «كشف الأسرار»: الغرة بالله حسن الظن به مع سوء العمل وفي الخبر: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله المغفرة» ونعم ما قيل:

إن السفينة لا تجري على اليبس

فلا بد من الأعمال الصالحة فإن بها النجاة وبها يلتحق الأواخر بالأوائل. ففي الآية حسم لمادة الطمع في الانتفاع بالغير مع إهمال الإسلام أو الطاعات اعتماداً على صلاح الغير فإن يوم القيامة يوم عظيم لا ينفع فيه من له اتصال الولادة فما ظنك بما سواها ويشتغل كل أحد بنفسه إلا من رحمه الله تعالى. وعن كعب الأحبار تقول امرأة من هذه الأمة لولدها يوم القيامة: يا ولدي أما كان لك بطني وعاء وحجري وطاء وثديي سقاء كما قال الشيخ سعدي قدس سره:

نه طفلى زبان بسته بودى زلاف همى روزى آمد بجوفت زناف

چونافت بريدند روزى كسست به پستان مادر در آويخت دست

كنار وبرمادر دلپذير بهشت است وپستان ازوجوى شير

فاحمل عني واحداً فقد أثقلني ذنوبي فيقول هيهات يا أماه كل نفس بما كسبت رهينة فإذا حملت عنك فمن يحمل عني.

من وتو دو محتاج يك مائده نه ازمن نه از تو بمن فائده

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه ليكون للوالدين على ولدهما دين فإذا كان يوم القيامة يتعلقان به فيقول: أنا ولدكما فيودّ أن لو كان أكثر من ذلك» فلا يليق للمؤمن الإهمال في العبادة والتوبة والندم اغتراراً واعتماداً على مجرد الكرم.

ـ ذكر في الإسرائيليات ـ أن الكليم عليه السلام مرض فذكر له دواء المرض فأبى وقال: يعافيني بغير دواء فطالت علته، فأوحى الله إليه وقال: وعزتي وجلالي لا أبرئك حتى تتداوى،

أتريد أن تبطل حكمتي. فاتضح بهذا أن الأعمال أسباب ووسائل للجنات والدرجات وإن لم تكن عللاً موجبة فكما أن أهل الدنيا يباشرون الأسباب في تحصيل مرامهم فكذلك ينبغي لأهل الآخرة أن يباشروا الأعمال الصالحة في تحصيل الدرجات العالية والمطالب الأخروية. ومن هذا المقام ما حكي عن إبراهيم بن أدهم قدس سره أنه لما منع من دخول الحمام بلا أجرة تأوّه وقال: إذا منع من دخول بيت الشيطان بلا شيء فأنى يدخل بيت الرحمٰن بلا شيء؟ قال بعض الكبار: لا ينبغي للمؤمن أن يتطير ويعد نفسه من الأشقياء فيتكاسل في العمل بل ينبغي أن يحسن الظن بالله تعالى ويجاهد في طريقه فإن للاعتقاد تأثيراً بليغاً وقد وعد الله ووعد الشيطان ووعد الله تعالى صدق محض لأنه هو الولي ووعد الشيطان كذب محض لأنه هو العدو فالإصغاء لكلام الولي خير من استماع كلام العدو فلا تغتر بتغرير الشيطان والنفس ولا بالحياة الدنيا فإن دولتها ذاهبة وزينتها زائلة وليس لها لأحد وفاء.

برمرد هشيار دنيا خس است | كه هر مدتى جاى ديكر كسست
منه برجهان دل كه بيكانه ايست | چو مطرب كه هرروز درخانه ايست
نه لائق بود عشق بادلبرى | كه هربا مدادش بود شوهرى
مكن تكيه برملك وجاه وحشم | كه پيش ازتو بودست وبعد ازتوهم
همه تخت وملكى پذيرد زوال | بجز ملك فرمانده لا يزال
وغم وشادمانى نماند وليك | جزاى عمل ماند ونام نيك
عروسى بود نوبت ماتمت | كرت نيك روزى بود خاتمت
خدايا بحق بني فاطمة | كه برقول ايمان كنم خاتمه

نسأل الله سبحانه أن يختمنا على أفضل الأعمال الذي هو التوحيد وذكر رب العرش المجيد ويجعلنا في جنات تجري من تحتها الأنهار ويشرفنا برؤية جماله المنير في الليل والنهار آمين بجاه النبي الأمين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ الساعة جزء من أجزاء الجديدين سميت بها القيامة لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أي: عنده علم وقت قيام القيامة وما يتبعه من الأحوال والأهوال وهو متفرد بعلمه فلا يدري أحد من الناس في أي: سنة وفي أي: شهر وفي أي: ساعة من ساعات الليل والنهار تقوم القيامة.

ـ روي ـ أن الحارث بن عمرو من أهل البادية أتى النبي عليه السلام فسأله عن الساعة ووقتها وقال: إن أرضنا أجدبت وإني ألقيت حباتي في الأرض فمتى ينزل المطر وتركت امرأتي حبلى فحملها ذكر أم أنثى وإني أعلم ما عملت أمس فما أعمل غداً وقد علمت أين ولدت فبأي أرض أموت فنزلت، يعني: [اين پنج علم در خزانهٔ مشيت حضرت آفريد كاراست وكليد اطلاع بدان بدست اجتهاد هيچ آدمى نداده اند] وإنما أخفى الله وقت الساعة ليكون الناس على حذر وأهبة كما روي أن أعرابياً قال للنبي عليه السلام: متى الساعة فقال عليه السلام: «وما أعددت لها» قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله فقال: «أنت مع من أحببت».

لـي حـبـيـب عـربـي مـدنـي قـرشـي كه بود دردو غمش مايه سودا وخوشى
ذره وارم بـهـوا دریء اورقـص كـنـان تاشد او شهرهٔ آفاق بخورشید وشی

﴿وينزل الغيث﴾ عطف على ما يقتضي الظرف من الفعل تقديره أن الله يثبت عنده علم الساعة وينزل الغيث كما في «المدارك». وسمي المطر غيثاً لأنه غياث الخلق به رزقهم وعليه بقاؤهم فالغيث مخصوص بالمطر النافع أي: وينزله في زمانه الذي قدره من غير تقديم وتأخير إلى محله الذي عينه في علمه من غير خطأ وتبديل فهو متفرد بعلم زمانه ومكانه وعدد قطراته.

ـ روي ـ مرفوعاً «ما من ساعة من ليل ولا نهار إلا السماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء» وفي الحديث: «ما سنة بأمطر من أخرى ولكن إذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم فإذا أعصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار» فمن أراد استجلاب الرحمة فعليه بالتوبة والندامة والتضرع إلى قاضي الحاجات بأخلص المناجاة.

تـو ازفشـانـدن تـخـم اميد دست مـدار كه در كرم نـكـنـد ابرنـوبـهـار امسـاك

﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ الرحم بيت منبت الولد ووعاؤه أي: يعلم ذاته أذكر أم أنثى حي أم ميت وصفاته أتام أم ناقص حسن أم قبيح سعيد أم شقي:

بـراحـوال نـابـوده عـلـمـش بـصـيـر بـراسـرار نـا كـفـتـه لـطـفـش خـبـيـر
قـديـمـى نـكـو كـار نـيـكـوپـسـنـد بـكـلـك قـضـا در رحـم نـقـش بـنـد
زبـر افـكـنـد قـطـره سـوى يـم زصـلـب آورد نـطـفـهٔ درشـكـم
ازان قـطـرهٔ لـؤلـؤى لالا كـنـد وزيـن صـورتـي سـرو بـالاكـنـد

﴿وما تدري نفس﴾ من النفوس، والدراية: المعرفة المدركة بضرب من الحيل ولذا لا يوصف الله بها ولا يقال الداري وأما قول الشاعر:

لا هـــم أدرى وأنـــت تـــدري

فمن تصرف أجلاف العرب أو بطريق المشاكلة كما في قوله تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المائدة: ١١٦] أي: ذاتك ﴿ماذا﴾ أي: أي شيء ﴿تكسب غداً﴾ الكسب ما يتحراه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع وتحصيل حظ مثل كسب المال وقد يستعمل فيما يظن الإنسان أن يجلب به منفعة به مضرة والغد اليوم الذي يلي يومك الذي أنت فيه كما أن أمس اليوم الذي قبل يومك بليلة أي: يفعل ويحصل من خير وشر ووفاق وشقاق وربما تعزم على خير فتفعل الشر وبالعكس وإذا لم يكن للإنسان طريق إلى معرفة ما هو أخص به من كسبه وإن أعمل حيله وأنفذ فيها وسعه كان من معرفة ما عداه مما لم ينصب له دليل عليه أبعد وكذا إذا لم يعلم ما في الغد مع قربه فما يكون بعده لا يعلمه بطريق الأولى.

نـدانـدكـسـى چـون شـود امـر او چـه حـاصـل كـنـد دربـس عـمـر او
بجز حق كه علـمش مـحيط كـلست بـرابـر بـاومـاضـى مـسـتـقـبـلـسـت

﴿وما تدري نفس﴾ وإن أعملت حيلها ﴿بأي أرض﴾ مكان ﴿تموت﴾ من بر وبحر وسهل وجبل كما لا تدري في أي: وقت تموت وإن كان يدري أنه يموت في الأرض في وقت من الأوقات.

ـ روي ـ أن ملك الموت مر على سليمان عليه السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه فقال الرجل: من هذا؟ قال: ملك الموت فقال: كأنه يريدني فمر الريح أن تحملني وتلقيني في

بلاد الهند ففعل فقال الملك: كان دوام نظري إليه تعجباً منه إذ أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك. قال في «المقاصد الحسنة»: كان رجل يقول: اللهم صلِ على ملك الشمس فيكثر ذلك فاستأذن ملك الشمس ربه أن ينزل إلى الأرض فيزوره فنزل ثم أتى الرجل فقال: إني سألت الله النزول من أجلك فما حاجتك؟ فقال: بلغني أن ملك الموت صديقك فسأله أن ينسيء في أجلي ويخفف عني الموت فحمله معه وأقعده مقعده من الشمس وأتى ملك الموت فأخبره فقال: من هو؟ فقال: فلان ابن فلان فنظر ملك الموت في اللوح معه فقال: إن هذا لا يموت حتى يقعد مقعدك من الشمس قال: فقد قعد مقعدي من الشمس فقال: فقد توفته رسلنا وهم لا يفرّطون فرجع ملك الشمس إلى الشمس فوجده قد مات. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يطوف ببعض نواحي المدينة فإذا بقبر يحفر فأقبل حتى وقف عليه فقال: لمن هذا؟ قيل: لرجل من الحبشة فقال: «لا إله إلا الله سيق من أرضه وسمائه حتى دفن في الأرض التي خلق منها تقول الأرض يوم القيامة يا رب هذا ما استودعتني» وأنشدوا:

إذا ما حمام المرء كان ببلدة دعته إليها حاجة فيطير

وفائدة هذا: تنبيه العبد على التيقظ للموت والاستعداد له بحسن الطاعة والخروج عن المظلمة وقضاء الدين وإثبات الوصية بما له وعليه في الحضر فضلاً عن أوان الخروج عن وطنه إلى سفر فإنه لا يدري أين كتبت منيته من بقاع الأرض وأنشد بعضهم:

مشينا في خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها
وأرزاق لنا متفرقات فمن لم تأته منا أتاها
ومن كتبت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

كما في «عقد الدرر» ﴿إن الله عليم﴾ يعلم الأشياء كلها ﴿خبير﴾ يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه السلام: «مفاتيح الغيب خمس وتلا هذه الآية فمن ادعى علم شيء من هذه المغيبات الخمس فهو كافر بالله تعالى» وإنما عد هذه الخمس وكل المغيبات لا يعلمها إلا الله لما أن السؤال ورد عنها كما سبق في سبب النزول. وكان أهل الجاهلية يسألون المنجمين عنها زاعمين أنهم يعلمونها وتصديق الكاهن بما يخبره عن الغيب كفر لقوله عليه السلام: «من أتي كاهناً فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل الله على محمد» والكاهن هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ويدّعي معرفة الأسرار وكان في العرب كهنة يدعون معرفة الأمور فمنهم من يزعم أنه له رئياً من الجن يلقي إليه الأخبار. قال أبو الحسن الآمدي في «مناقب الشافعي» التي ألفها: سمعت الشافعي يقول: من زعم من أهل العدالة أنه يرى الجن أبطلنا شهادته لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧] إلا أن يكون الزاعم نبياً كذا في «حياة الحيوان». والمنجم إذا ادعى العلم بالحوادث الآتية فهو مثل الكاهن وفي الحديث: «من سأل عرّافاً لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» والعرّاف من يخبر عن المسروق ومكان الضالة والمراد من سأله على وجه التصديق لخبره وتعظيم المسؤول يعني إذا اعتقد أنه ملهم من الله أو أن الجن يلقون إليه مما يسمعون من الملائكة فصدقه فهو حرام وإذا اعتقد أنه عالم بالغيب فهو كفر كما في حديث الكاهن. وأما إذا سأل ليمتحن حاله ويخبر باطن أمره وعنده ما يميز به صدقه من كذبه فهو جائز فعلم أن الغيب مختص بالله تعالى. وما روي عن الأنبياء والأولياء من

الأخبار عن الغيوب فبتعليم الله تعالى إما بطريق الوحي أو بطريق الإلهام والكشف فلا ينافي ذلك الاختصاص علم الغيب مما لا يطلع عليه إلا الأنبياء والأولياء والملائكة كما أشار إليه بقوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] ومنه ما استأثر لنفسه لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل كما أشار إليه بقوله: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] ومنه علم الساعة فقد أخفى الله علم الساعة لكن إماراتها بانت من لسان صاحب الشرع كخروج الدجال ونزول عيسى وطلوع الشمس من مغربها وغيرها مما يظهر في آخر الزمان من غلبة البدع والهوى وكذا أخبر بعض الأولياء عن نزول المطر وأخبر عما في الرحم من ذكر وأنثى فوقع كما أخبر لأنه من قبيل الإلهام الصحيح الذي لا يتخلف وكذا مرض أبو العزم الأصفهاني في شيراز فقال: إن مت في شيراز فلا تدفنوني إلا في مقابر اليهود فإني سألت الله أن أموت في طرطوس فبرىء ومضى إلى طرطوس ومات فيها يعني أخبر أنه لا يموت في شيراز فكان كذلك. يقول الفقير: أخبر شيخي وسندي قدس سره في بعض تحريراته عن وقت وفاته قبل عشرين سنة فوقع كما قال وذلك من إمارات وراثته الصحيحة. فإن قيل: إذا أمكن العلم بالغيب لخلص عباده تعالى بتعليمه إياهم فلم لم يعلم الله نبيه الغيوب المذكورة في الآية؟ فالجواب أن الله تعالى إنما فعل ذلك إشعاراً بأن المهم للعبد أن يشتغل بالطاعة ويستعد لسعادة الآخرة ولا يسأل عما لا يهم ولا يشتغل بما لا يعنيه فافهم جداً واعمل لتكون عاقبتك خيراً.

تمت سورة لقمان يوم الأربعاء ثامن شعبان المبارك من شهور تسع ومائة وألف

٣٢ ـ سورة السجدة

مكية وآيها ثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٣﴾.

﴿الم﴾ [مرتضى علي كرم الله وجهه فرمودكه هر كتاب خدايرا خلاصه بوده وخلاصه قرآن حروف مقطعه است. وكفته اند الف ازاقصاى حلق آيد وآن اول مخارج است. ولام ازطرف لسان كفته شود وآن اوسط مخارج است. وميم را ازشفه كويند وآن آخر مخارج است واين سخن اشارتست بآن كه بنده بايدكه درمبادى وأواسط وأواخر أقوال وأفعال خود بذكر حق سبحانه وتعالى مستأنس باشد]. وقال البقلي رحمه الله: الألف إشارة إلى الأعلام واللام إلى اللزوم والميم إلى الملك أعلم من نفسه أهل الكون لزوم العبودية عليهم وملكهم قهراً وجبراً حتى عبدوه طوعاً وكرهاً فمن علم وقع في الاسم ومن عبد وقع في الصفة ومن تسخر لمراده كما أراد وقع في نور الذات.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بالألف إلى أنه ألف المحبوب بقربتي فلا يصبرون عني وألف العارفون بتمجيدي فلا يستأنسون بغيري والإشارة في اللام لأني لأحبائي مدخر لقائي فلا أبالي أقاموا على صفائي أم قصروا في وفائي والإشارة في الميم ترك أوليائي مرادهم لمرادي فلذلك آثرتهم على جميع عبادي. وفي «كشف الأسرار» [كفته اندكه رب العزة جل جلاله چون نور فطرت مصطفى عليه السلام بيافريد انرا بحضرت عزت خود بداشت چنانكه خود خواست] فبقي بين يدي الله مائة ألف عام وقيل ألفي عام ينظر الله في كل يوم سبعين ألف نظرة يكسوه في كل نظرة نوراً جديداً وكرامة جديدة [ودران نظرها باسر فطرت او كفته بودندكه عزت قرآن مرتبت دار عصمت توخواهد بودآن خبردر نظرت اوراسخ كشته بود چون عين طينت او باسر فطرت او باين عالم آوردند واز دركاه عزت وحى منزل روى آورد اومى كفت ارجوك اين تحقيق آن وعد است كه مرا آن وقت دادند تسكين دل ويرا وتصديق انديشه او آيت فرستادكه ﴿الم﴾ الف اشارتست بالله لام بجبرائيل ميم بمحمد. ميكويد بالهيت من وتقدس جبريل ومجد تو يا محمد اين وحى وآن فرآن آنست كه ترا وعده داده بوديم كه مرتبت دار نبوت ومعجز دولت توخواهد بود] وقال أهل التفسير: ألم خبر لمبتدأ محذوف أي: هذه السورة مسماة بألم.

﴿تنزيل الكتاب﴾ في هذا المقام وجوه من الاعراب الأوجه الأنسب بما بعده أنه مبتدأ

ومعناه بالفارسية: [فرو فرستادن قرآن] ﴿لا ريب فيه﴾ حال من الكتاب أي: حال كونه لا شك فيه عند أهل الاعتبار ﴿من رب العالمين﴾ خبر المبتدأ فإن كونه من رب العالمين حكم مقصود الإفادة وإنما كان منه لكونه معجزاً فلما أنكر قريش كونه منزلاً من رب العالمين قال:

﴿أم﴾ منقطعة أي: بل أ ﴿يقولون افتراه﴾ اختلق محمد القرآن فهذا القول منهم منكر متعجب منه لغاية ظهور بطلانه.

وفي «التأويلات النجمية»: إذا تعذر لقاء الأحباب فأعز الأشياء على الأحباب كتاب الأحباب.

ذوقي رسد ازنامهٔ تو روز فراقم — كرنامهٔ طاعت نرسد روز قيامت

أنزل رب العالمين إلى العالمين كتاباً في الظاهر ليقرأ على أهل الظاهر فينذر به أهل الغفلة ويبشر به أهل الخدمة وكتاباً في الباطن على أهل الباطن ليتنور بأنواره بواطنهم ويتزين بأسراره سرائرهم فينذر به أهل القربة لئلا يلتفتوا إلى غيره ولا يستأنسوا بغيره فتسقطهم الغيرة عن القربة ويبشر به أهل المحبة بالوفاء بوعد الرؤية وباللقاء على بساط الوصلة وبالبقاء بعد الفناء في الوحدة فيتكلموا بالحق عن الحق للحق فإذا سمع أهل الباطن كلامهم في الحقائق من ربهم أنكر عليهم أهل الغفلة أنه من الله.

زدشيخ شهر طعنه بر اسرار اهل دل — المرء لا يزال عدواً لما جهل

ثم أضرب عنه إلى بيان حقيقة ما أنكروه فقال: ﴿بل﴾ [نه چنين است كافران ميكويند بلكه] ﴿هو﴾ أي: القرآن ﴿الحق﴾ [سخن درست وراست است فرآمده] ﴿من ربك﴾ [از پرورد كار تو] ثم بين غايته فقال: ﴿لتنذر﴾ [تابيم كنى از عذاب الهى] ﴿قوماً﴾ هم العرب ﴿ما﴾ نافية ﴿أتاهم من نذير﴾ مخوف ﴿من قبلك﴾ أي: من قبل إنذارك أو من قبل زمانك إذ كان قريش أهل الفطرة وأضل الناس وأحوجهم إلى الهداية لكونهم أمة أمية وفي الحديث: «ليس بيني وبينه نبي» أي: ليس بيني وبين عيسى نبي من العرب أما إسماعيل عليه السلام فكان نبياً قبل عيسى مبعوثاً إلى قومه خاصة وانقطعت نبوته بموته وأما خالد بن سنان فكان نبياً بعد عيسى ولكنه أضاعه قومه فلم يعش إلى أن يبلغ دعوته وقد سبقت قصته على التفصيل فعلم من هذا أن أهل الفطرة ألزمتهم الحجة العقلية لأنهم كانوا عقلاء قادرين على الاستدلال لكنهم لم تلزمهم الحجة الرسالية ﴿لعلهم يهتدون﴾ بإنذارك إياهم والترجي معتبر من جهته عليه السلام أي: لتنذرهم راجياً لاهتدائهم إلى التوحيد والإخلاص فعلم منه أن المقصود من البعثة تعريف طريق الحق وكل يهتدي بقدر استعداده إلا أن لا يكون له استعداد أصلاً كالمصرين فإنهم لم يقبلوا التربية والتعريف وكذا من كان على جبلتهم إلى يوم القيامة.

توان پاك كردن زژنك آينه — وليكن نيايد زسنك آينه

وأما قول «المثنوي»:

كرتوسنك صخره ومرمر شوى — چون بصاحب دل رسى كوهر شوى

فلذلك في حق المستعد في الحقيقة ألا ترى أن أبا جهل رأى النبي عليه السلام ووصل إليه لكن لما رآه بعين الاحتقار وأنه يتيم أبي طالب لا بعين التعظيم وأنه رسول الله ووصل إليه وصول عناد وإنكار لا وصول قبول وإقرار لم يصر جوهراً وهكذا حال ورثته مع المقرين والمنكرين ثم إن الاهتداء إما اهتداء إلى الجنة ودرجاتها وذلك بالإيمان والإخلاص وإما اهتداء

إلى القربة والوصلة وذلك بالمحبة والترك والفناء والأول حال أهل العموم والثاني حال أهل الخصوص وهو أكمل من الأول فعليك بقبول «الإرشاد» لتصل إلى المراد وإياك ومتابعة أهل الهوى فإنهم ليسوا من أهل الهدى والميت لا يقدر على تلقين الحي وإنما يقدر الحي تلقين الميت.

ـ روي ـ أن الشيخ نجم الدين الأصفهاني قدس سره خرج مع جنازة بعض الصالحين بمكة فلما دفنوه وجلس الملقن يلقنه ضحك الشيخ نجم الدين وكان من عادته لا يضحك فسأله بعض أصحابه عن ضحكه فزجره فلما كان بعد ذلك قال: ما ضحكت إلا أنه لما جلس على القبر يلقن سمعت صاحب القبر يقول: ألا تعجبون من ميت يلقن حياً.

قال الصائب:

زبى دران علاج درد خود جستن بدان ماند   كه خاراز پابرون آرد كسى بانيش عقربها

وقال المولى الجامي:

بلاف ناخلفان زمانه غره مشو   مرو چو سامرى ازره ببانك كوساله

وقال الحافظ:

درراه عشق وسوسه اهر من بسست   هش دار وكوش دل بپيام سروش كن

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المهتدين إلى جنابه اللائقين بحسن خطابه ويصوننا من الضلالة والصحبة بأربابها ويحفظنا من الغواية والاقتداء بأصحابها إنه الهادي والمرشد.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾.

﴿الله﴾ مبتدأ خبره قوله: **﴿الذي خلق السموات والأرض﴾** أي: الأجرام العلوية والسفلية **﴿وما بينهما﴾** من السحاب والرياح ونحوهما **﴿في ستة أيام﴾** [درمقدار شش از ايام دنيا]. وقال في «كشف الأسرار»: [درشش روز هرروزى ازان هزار سال] انتهى ولو شاء خلقها في ساعة واحدة لفعل ولكنه خلقها في ستة أيام ليدل على التأني في الأمور **﴿ثم استوى على العرش﴾** [پس مستولى شد حكم اوبر عرش كه اعظم مخلوقاتست] وقد سبق تحقيق الآية مراراً ويكفي لك إرشاداً ما في سورة الفرقان إن كنت من أهل الإيمان فارجع إلى تفسيرها وما فيها من الكلام الأكبري قدس سره الخطير **﴿ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع﴾** أي ما لكم حال كونكم متجاوزين رضى الله تعالى أحد ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من بأسه **﴿أفلا تتذكرون﴾** [آياپند پذير نمى شويد از مواعظ رباني ونصائح قرآني]. قال في «الإرشاد» أي: ألا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها فالإنكار متوجه إلى عدم الاستماع وعدم التذكر أو تسمعونها فلا تتذكرون بها فالإنكار متوجه إلى عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع. والفرق بين التذكر والتفكر أن التفكر عند فقدان المطلوب لاحتجاب القلب بالصفات النفسانية وأما التذكر فهو عند رفع الحجاب والرجوع إلى الفطرة الأولى فيتذكر ما انطبع في الأزل من التوحيد والمعارف.

﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ التدبير التفكر في دبر الأمور والنظر في عاقبتها، وبالفارسية: [انديشه كردن درعاقبت كار] وهو بالنسبة إليه تعالى التقدير وتهيئة الأسباب وله

تعالى مدبرات سماوية كما قال فالمدبرات أمراً فجبريل موكل بالرياح والجنود وميكائيل بالقطر والنبات وملك الموت بقبض الأنفس وإسرافيل ينزل عليهم بالأمور. والمعنى يدبر الله تعالى أمر الدنيا بأسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها إلى الأرض وأضاف التدبر إلى ذاته إشارة إلى أن تدبير العباد عند تدبيره لا أثر له ﴿**ثم يعرج إليه**﴾ العروج ذهاب في صعود من عرج بفتح الراء يعرج بضمها صعد أي: يصعد ذلك الأمر إليه تعالى ويثبت في علمه موجوداً بالفعل ﴿**في يوم كان مقداره**﴾ [اندازهء آن] ﴿**ألف سنة مما تعدون**﴾ أي: في برهة من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان. وقال بعضهم: ﴿**يدبر الأمر**﴾ [ميسازد كار دنيا يعني حكم ميكند بدان وميفرستد ملكي راكه موكلست بدان ﴿**من السماء**﴾] از آسمان ﴿**إلى الأرض**﴾ بسوى زمين پس ملك مى آيد وآن كار بجاى مى آرد پس عروج ميكند بسوى آسمان در روزى كه هست اندازه أو هزار سال از آنچه شما شماره ميكنيد سالى دوازده ماه وما هى سى روز يعنى فرشته فرو مى آيد از آسمان وبالا ميرود درمدتى كه اكر آدمى رود آيد جز هزار سال ميسر نشود زيرا كه از زمين تا آسمان پانصد سالى راهست پس مقدار نزول وعروج هزار سال بود وأما قوله في سورة المعارج: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] فأراد به مدة المسافة بين سدرة المنتهى والأرض ثم عوده إلى السدرة فالملك يسيره في قدر يوم واحد من أيام الدنيا فضمير إليه حينئذٍ راجع إلى مكان الملك يعني المكان الذي أمره الله تعالى أن يعرج إليه. وقال بعضهم يدبر الله أمر الدنيا مدة أيام الدنيا فينزل القضاء والقدر من السماء إلى الأرض ثم يعود الأمر والتدبير إليه حين ينقطع أمر الأمراء وحكم الحكام وينفرد الله بالأمر في يوم أي: يوم القيامة كان مقداره ألف سنة لأن يوماً من أيام الآخرة مثل ألف سنة من أيام الدنيا كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ [الحج: ٤٧] فمعنى خمسين ألف سنة على هذا أن يشتد على الكافرين حتى يكون كخمسين ألف سنة في الطول ويسهل على المؤمنين حتى يكون كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا فقيامة كل واحد على حسب ما يليق بمعاملته ففي الحشر مواقف ومواطن بحسب الأشخاص من جهة الأعمال والأحوال والمقامات.

يقول الفقير: قد اختلف العلماء في تفسير هذه الآية على وجوه شتى وسكت بعضهم تفويضاً لعلمها إلى الله تعالى حيث إن كل ما ذكر فيها يقبل نوعاً من الجرح ويشعر بشيء من القصور ولا شك عند العلماء بالله أن لليوم مراتب وأحكاماً في الزمان فيوم كالآن وهو الجزء الغير المنقسم المشار إليه بقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] ثم ينفصل منه اليوم الذي هو كألف سنة وهو يوم الآخرة ويوم الرب ثم ينفصل منه اليوم الذي هو كخمسين ألف سنة وهو يوم القيامة فالله تعالى يمتحن عباده بما شاء فيتقدر لهم اليوم بحسبه ومنهم من يكون حاله أسرع من لمح البصر كما قال: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٥٠] وهو سر اليوم الشأني المذكور. ثم إن للملائكة مقامات علوية معلومة في عالم ملكوت فربما ينزل بعضهم من المصعد المعلوم إلى مسقط الأمر في أقل من ساعة بل في لمحة كجبريل عليه السلام فإنه كان ينزل من سدرة المنتهى التي إليها ينزل الأحكام ويصعد الأعمال إلى النبي عليه السلام كذلك وربما ينزل في أكثر منها وإنما يتفاوت النزول والعروج باعتبار المبدأ فإذا اعتبر السماء الدنيا التي هي مهبط أحكام السدرة قدر مدتهما بألف سنة وإذا اعتبر سدرة المنتهى التي

هي مهبط أحكام العرش قدرت بأكثر منها ولما كان القرآن يفسر بعضه بعضاً دل قوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [المعارج: ٤] الآية على أن فاعل يعرج في آية سورة السجدة أيضاً الملك وإنما قال إليه أي: إلى الله مع كونه لم يكن للحق مكان ومنتهى يمكن العروج إليه إشارة إلى التقرب وشرف العندية المرتبية وحقيقته إلى المقام العلوي المعين له هذا ما سنح لي والعلم عند الله الملك العلي.

وفي «التأويلات النجمية»: هو الذي ﴿يدبر الأمر من السماء﴾ أي: أمركن طبق سماء الروح والقلب ﴿إلى الأرض﴾ أرض النفس والبدن بتدبير الأمر ﴿ثم يعرج إليه﴾ النفس المخاطبة بخطاب ارجعي إلى ربك ﴿في يوم﴾ طلعت فيه شمس القلب وأشرقت الأرض بنور جذبات الحق تعالى ﴿كان مقداره﴾ في العروج بالجذبة ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] من أيامكم في السير من غير جذبة كما قال عليه السلام: «جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين» انتهى. وفي «كشف الحقائق»: للشيخ النسفي قدس سره: [بدانكه نفس جزوى اوجى دارد حضيضي دارد اوج وى فلك نهم است كه فلك الأفلاك محيط عالمست وحضيض وى خاكست كه مركز عالمست ونزولى دارد وعروجى دارد ونزول وى آمدنست بخاك ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القدر: ٤] وعروج وى بازكشتن اسنت بفلك الأفلاك ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [المعارج: ٤] ومدت آمدن ورفتن از هزار سال كم نيست وازپنجاه هزار سال زياده نيست] تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة انتهى.

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦﴾

﴿ذلك﴾ الله العظيم الشأن المتصف بالخلق والاستواء وانحصار الولاية والنصرة فيه وتدبير أمر الكائنات ﴿عالم الغيب﴾ ما غاب عن الخلق ﴿والشهادة﴾ ما حضر لهم ويدبر أمرهما حسبما يقتضيه. وقال الكاشفي: [داند امور دنيا وآخرت يا عالم بآنچه بوده باشد وخواهد بود]. وقال بعض الكبار: الغيب الروح والشهادة النفس والبدن ﴿العزيز﴾ الغالب على أمره ﴿الرحيم﴾ على عباده في تدبيره. وفيه إيماء إلى أنه تعالى يراعي المصالح تفضلاً وإحساناً لا إيجاباً.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨﴾

﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ خبر آخر لذلك. قال الراغب: الإحسان يقال على وجهين: أحدهما: الإنعام على الغير يقال أحسن إلى فلان والثاني: إحسان من فعله وذلك إذا علم علماً حسناً أو عمل عملاً حسناً وعلى هذا قول أمير المؤمنين رضي الله عنه: الناس على ما يحسنون أي: منسوبون إلى ما يعلمون من الأفعال الحسنة انتهى أي: جعل كل شيء خلقه على وجه حسن في الصورة والمعنى على ما يقتضيه استعداده وتوجبه الحكمة والمصلحة، وبالفارسية: [نيكو كرد هرچيزى راكه بيافريد يعنى بياراست بروجه نيكو بمقتضاى حكمت]:

كردن آنچه درجهان شايد ... كرده آنچنانكه مى بايد
ازتو رونق كرفت كار همه ... كه تويى آفريدكار همه
نقش دنيا بلوح خاك ازتست ... دل دانا وجان پاك ازتست

طوّل رجل البهيمة والطائر وطوّل عنقهما لئلا يتعذر عليهما ما لا بد لهما منه من قوتهما ولو تفاوت ذلك لم يكن لهما معاش وكذلك كل شيء من أعضاء الإنسان مقدر لما يصلح به معاشه فجميع المخلوقات حسنة وإن اختلفت أشكالها وافترقت إلى حسن وأحسن كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين: ٤] قال ابن عباس رضي الله عنهما: الإنسان في خلقه حسن. قال البقلي: القبيح قبيح من جهة الامتحان وحسن من حيث صدر من أمر الرحمٰن. وقال الشيخ اليزدي: إن الله تعالى خلق الحسن والقبيح لكن القبيح كان في علمه أن يكون قبيحاً فلما كان ينبغي تقبيحه كان الأحسن والأصوب في خلقه تقبيحه على ما ينبغي في علم الله لأن المستحسنات إنما حسنت في مقابلة المستقبحات فلما احتاج الحسن إلى قبيح يقابله ليظهر حسنه كان تقبيحه حسناً انتهى.

يقول الفقير: لا شك أن الله تعالى خلق الحسن والقبح وإن كان كل صنعه وفعله جميلاً ومطلق الخلق قد مدح به ذاته كما قال: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧] لكنه لا يقال في مقام المدح أنه تعالى خالق القردة والخنازير والحيات والعقارب ونحوها من الأجسام القبيحة والضارة بل يقال خالق كل شيء فالقبيح ليس خلقه وإيجاده بل ما خلقه وإن كان قبح القبيح بالنسبة إلى مقابلة الحسن لا في ذاته وقد طلب عين الحمار بلسان الاستعداد صورته التي هو عليها وكذا الكلب ونحوه وصورتها مقتضى عينها الثابتة وكذا الحكم على الكلب بالنجاسة مقتضى ذاته وكل صورة وصفة في الدنيا فهي صورة كمال وصفة كمال في مرتبتها في الحقيقة ولو لم يظهر كل موجود في صورة التي هو عليها وفي صفته التي ألبسها الخلاق إليه بمقتضى استعداده لصار ناقصاً قبيحاً فأين القبح في الأشياء وقد خلقها الله بالأسماء الحسنى. **﴿وبدأ خلق الإنسان﴾** من بين جميع المخلوقات وهو آدم أبو البشر عليه السلام. **﴿من الطين﴾** الطين التراب والماء المختلط وقد سمي بذلك وإن زال عنه قوة الماء. قال الشيخ عبد العزيز النسفي رحمه الله: [خداوند تعالى قالب آدم را زخاك آفريد يعني از عناصر أربعه أما خاك ظاهر تربود خاكرا ذكر كردد وخاك آدم را ميان مكه وطائف مى پرورد وتربيت داد بروايتى چهل سال وبروايتى چهل هزار سال اينست معنى «خمرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً»]. وفي «كشف الأسرار»: [چه زيان دارد اين جوهر راكه نهادوى از كل بوده چون كمال وى دردل نهاده قيمت اوكه هست از روى تربت آن سركه با آدميان بود نه باعرش ونه باكرسى نه فافلك نه باملك زيرا كه همه بندكان مجرد بودند وآدميان همه بندكان بودند وهم دوستان] **﴿ثم جعل نسله﴾** ذريته سميت به لأنها تنسل من الإنسان أي: تنفصل كما قال في «المفردات» النسل الانفصال من الشيء والنسل الولد لكونه ناسلاً عن أبيه انتهى **﴿من سلالة﴾** أي: من نطفة مسلولة أي: منزوعة من صلب الإنسان. وقال الكاشفي: [از خلاصهٔ بيرون آورده از صلب] ثم أبدل منها قوله: **﴿من ماء مهين﴾** حقير وضعيف كما في «القاموس»، وبالفارسية: [از آب ضعيف وخوار] وهو المني.

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩
وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَـٰفِرُونَ ۝١٠﴾

﴿ثم سواه﴾ أي: قوم النسل بتكميل أعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي. وقال

الكاشفي: [پس راست كرد قالب آدم را]. قال النسفي: [مراد: از تسويهء آدم برابرىء اركانست يعني اجزاى هر چهار برابر باشد وستويه قالب بمثابت نارست كه آهن را بتدبير بجايى رسانندكه شفاف وعكس پطير شود وقابل صورت كردد] ﴿ونفخ فيه من روحه﴾ أضافه إلى نفسه تشريفاً وإظهاراً بأنه خلق عجيب ومخلوق شريف وأن له شأناً له مناسبة إلى حضرة الربوبية ولأجله من عرف نفسه فقد عرف ربه.

وفي «الكواشي» جعل فيه الشيء الذي اختص تعالى به ولذلك أضافه إليه فصار بذلك حياً حساساً بعد أن كان جماداً لا أن ثمة حقيقة نفخ. قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: الروح ليس بجسم يحل في البدن حلول الماء في الإناء ولا هو عرض يحل القلب أو الدماغ حلول السواد في الأسود والعلم في العالم بل هو جوهر لا يتجزأ باتفاق أهل البصائر فالتسوية عبارة عن فعل في المحل القابل وهو الطين في حق آدم عليه السلام والنطفة في حق أولاده بالتصفية وتعديل المزاج حتى ينتهي في الصفاء ومناسبة الأجزاء إلى الغاية فيستعد لقبول الروح وإمساكها والنفخ عبارة عما اشتعل به نور الروح في المحل القابل فالنفخ سبب الاشتعال وصورة النفخ في حق الله محال والمسبب غير محال فعبر عن نتيجة النفخ بالنفخ وهو الاشتعال والسبب الذي اشتعل به نور الروح هو صفة في الفاعل وصفة في المحل القابل أما صفة الفاعل فالجود الذي هو ينبوع الوجود وهو فياض بذاته على كل موجود حقيقة وجوده ويعبر عن تلك الصفة بالقدرة ومثالها فيضان نور الشمس على كل قابل بالاستنارة عند ارتفاع الحجاب بينهما والقابل هو الملونات دون الهواء الذي لا تلون له وأما صفة المحل القابل فالاستواء والاعتدال الحاصل في التسوية ومثال صفة القابل صقالة المرآة والروح منزهة عن الجهة والمكان وفي قوتها العلم بجميع الأشياء والاطلاع عليها وهذه مناسبة ومضاهاة ليست لغيرها من الجسمانية فلذلك اختصت بالإضافة إلى الله تعالى انتهى كلامه باختصار. قال الشيخ النسفي: [انسانرا چند روح است انسان روح طبيعي دارد ومحل وى خكرست دربهلوى راست است وروح حيواني دارد ومحل وى دلست دربهلوى چپ است وروح نفساني دارد ومحل وى دماغست وروح انساني دارد ومحل آن روح نفسانيست وروح قدسي دارد ومحل وى روح انسانيست روح قدسي بمثابهء نارست وروح انساني بمثابهء روغنست وروح نفساني بمثابهء فتيله است وروح حيواني بمثابهء زجاجه است وروح طبيعي بمثابهء مشكاتست اينست] معنى ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥] الآية والمنفوخ هو الروح الإنساني والإنسان يشارك الحيوان في الروح الطبيعي والروح الحيواني والروح النفساني ويمتاز عنه بالروح الإنساني الذي هو من عالم الأمر وخواص الإنسان يشاركون عوامهم في الأرواح الأربعة المذكورة ويمتازون عنهم بالروح القدسي الذي ينفخه الله عند الفناء التام جعلنا الله وإياكم ممن حيي بهذا الروح وأوصلنا إلى أنواع الفتوح ﴿وجعل﴾ وخلق ﴿لكم﴾ لمنافعكم يا بني آدم ﴿السمع﴾ لتسمعوا الآيات التنزيلية الناطقة بالبعث وبالتوحيد ﴿والأبصار﴾ لتبصروا الآيات التكوينية المشاهدة فيهما ﴿والأفئدة﴾ لتعقلوا وتستدلوا بها على حقيقة الآيتين جمع فؤاد بمعنى القلب لكن إنما يقال فؤاد إذا اعتبر في القلب معنى التفؤد أي: التوقد ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ أي: تشكرون رب هذه النعم شكراً قليلاً على أن القلة بمعنى النفي والعدم فهو بيان لكفرهم بتلك النعم وربها. وفيه إشارة إلى أن قليلاً من الإنسان يعرف نفسه بالمرآتية ليعرف ربه بالمحسنية المتجلي فيها وقد خلقه الله تعالى لمعرفة

ذاته وصفاته كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] أي: ليعرفون وإنما يصل الإنسان إلى مرتبة المعرفة الحقيقية بدلالة الرسول ووراثته [حق سبحانه وتعالى همه عالم بيافريد فلك وملك وعرش وكرسي ولوح وقلم وبهشت ودوزخ وآسمان وزمين وباين آفريدها هيچ نظر مهر ومحبت نكرد رسول بايشان نفرستاد وپيغام بايشان نداد چون نوبت بخاكيان رسيدكه بركشيدكان لطف بودند ونواختكان فضل ومعادن انوار وأسرار بلطف وكرم خويشتن ايشانرا محل نظر خودكرد پيغمبر بايشان فرستاد تا مهتدى شوند وفرشتكانرا رقيب ونكهبان ايشان كرد سوز مهر درسينهاى ايشان نهاد وآتش عشق در دلها افكند وخطوط ايمان بر صفحهء دلهاى شان بنوشت ورقم محبت برضمير شان كشيد ونعيم دنيا وطيبات رزق كه افريد از بهر مؤمنان آفريد چنانكه كفت ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ٣٢] كافركه دردنيا روزى ميخورد وبطفيل مؤمن ميخورد آنكه كفت ﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢] روز قيامت خالص مر مؤمن را بود وكافررا يك شربت آب نبود] فعلى العاقل أن يعرف النعم والمنعم ويجتهد في خدمة الشكر حتى لا يكون من أهل البطالة وإذا كان من أهل الشكر للنعم الداخلة والخارجة من القوى والأعضاء وغيرهما فالله تعالى يشكر له أي: يقبل طاعته ويثني عليه عند الملأ الأعلى ويجازيه بأحسن الجزاء وهو الجنان ودرجاتها ونعيمها الأبدي لأهل العموم وقرباته ومواصلاته وتجليه السرمدي لأهل الخصوص نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الذين مدحهم بالشكر والطاعة في كل ساعة لا ممن ذمهم بتضييع الحقوق وإفساد الاستعداد والسعي في الأرض بالفساد.

﴿وقالوا﴾ أي: كفار قريش كأبي بن خلف ونحوه من المنكرين للبعث بعد الموت ﴿أئذا﴾ [آياچون] ﴿ضللنا في الأرض﴾. قال في «القاموس» ضل صار تراباً وعظاماً وخفي وغاب انتهى وأصله ضل الماء في اللبن إذا غاب وهلك. والمعنى هلكنا وصرنا تراباً مخلوطاً بتراب الأرض بحيث لا نتميز منه، يعني: [خاك أعضاى ما ازخاك زمين متميز نباشد چنانكه آب درشير متميز نباشد] أو غبناً فيها بالدفن ذهبنا عن أعين الناس والعامل فيه نبعث أو يجدد خلقنا كما دل عليه قوله: ﴿أئنا﴾ [آياما] والهمزة لتأكيد الإنكار السابق وتذكيره ﴿لفي خلق جديد﴾ أي: أنبعث بعد موتنا وانعدامنا ونصير أحياءً كما كنا قبل موتنا يعني هذا منكر عجب فإنهم كانوا يقرون بالموت ويشاهدونه وإنما ينكرون البعث فالاستفهام الإنكاري متوجه إلى البعث دون الموت، وبالفارسية: [در آفرينش نو خواهم بود يعنى چون خاك شويم آفريدن نو بما تعلق نخواهد كرفت] ثم أضرب وانتقل من بيان كفرهم بالبعث إلى بيان ما هو أبلغ وأشنع منه وهو كفرهم بالوصول إلى العاقبة وما يلقونه فيها من الأهوال فقال: ﴿بل﴾ [نه چنانست كه ميكويند بلكه] ﴿هم﴾ [ايشان] ﴿بلقاء ربهم﴾ لقاء الله عبارة عن القيامة وعن المصير إليه، يعني: [بآخرت كه سراى بقاست] ﴿كافرون﴾ جاحدون فمن أنكره لقي الله وهو عليه غضبان ومن أقره لقي الله وهو عليه رحمان.

﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿قل﴾ بياناً للحق ورداً على زعمهم الباطل ﴿يتوفاكم ملك الموت﴾ التوفي أخذ الشيء تاماً وافياً واستيفاء العدد. قال في «الصحاح» توفاه الله قبض روحه والوفاة الموت. والملك

جسم لطيف نوراني يتشكل بأشكال مختلفة. قال بعض المحققين: المتولي من الملائكة شيئاً من السياسة يقال له ملك بالفتح ومن البشر يقال له ملك بالكسر فكل ملك ملائكة وليس كل ملائكة ملكاً بل الملك هم المشار إليهم بقوله: فالمدبرات فالمقسمات والنازعات ونحو ذلك ومنه ملك الموت انتهى. والموت صفة وجودية خلقت ضداً للحياة. والمعنى يقبض عزرائيل أرواحكم بحيث لا يترك منها شيئاً بل يستوفيها ويأخذها تماماً على أشد ما يكون من الوجوه وأفظعها من ضرب وجوهكم وأدباركم أو يقبض أرواحكم بحيث لا يترك منكم أحداً ولا يبقى شخصاً من العدد الذي كتب عليهم الموت وأما ملك الموت نفسه فيتوفاه الله تعالى.

ـ كما روي ـ أنه إذا أمات الله الخلائق لم يبق شيء له روح يقول الله لملك الموت من بقي من خلقي وهو أعلم فيقول: يا رب أنت أعلم بمن بقي لم يبقَ إلا عبدك الضعيف ملك الموت فيقول الله: يا ملك الموت قد أذقت أنبيائي ورسلي وأوليائي وعبادي الموت وقد سبق في علمي القديم وأنا علام الغيوب أن كل شيء هالك إلا وجهي وهذه نوبتك فيقول إلهي ارحم عبدك ملك الموت والطف به فإنه ضعيف فيقول سبحانه وتعالى: ضع يمينك تحت خدك الأيمن واضطجع بين الجنة والنار ومت فيموت بأمر الله تعالى. وفي الآية رد للكافرين حيث زعموا أن الموت من الأحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة ﴿الذي وكل﴾ التوكيل أن تعتمد على غيرك وتجعله نائباً عنك، وبالفارسية: [وكيل كردن كسى را بر چيزى كماشتن وكاربا كسى كذاشتن] ﴿بكم﴾ أي: بقبض أرواحكم وإحصاء آجالكم ﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾ تردون بالبعث للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله.

واعلم أن الله تعالى أخبر هٰهنا ملك الموت هو المتوفى والقابض في موضع أنه الرسل أي: الملائكة وفي موضع أنه هو تعالى فوجه الجمع بين الآي أن ملك الموت يقبض الأرواح والملائكة أعوان له يعالجون ويعملون بأمره والله تعالى يزهق الروح فالفاعل لكل فعل حقيقة والقابض لأرواح جميع الخلائق هو الله تعالى وأن ملك الموت وأعوانه وسائط. قال ابن عطية: إن البهائم كلها يتوفى الله أرواحها دون ملك الموت كأنه يعدم حياتها وكذلك الأمر في بني آدم إلا أن لهم نوع شرف بتصرف ملك الموت والملائكة معه في قبض أرواحهم. قالوا إن عزرائيل يقبض الأرواح من بني آدم وهي في مواضع مختلفة وهو في مكان واحد فهو حالة مختصة به كما أن لوسوسة الشيطان في قلوب جميع أهل الدنيا حالة مختصة به. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: لقي جبريل ملك الموت بنهر بفارس فقال: يا ملك الموت كيف تستطيع قبض الأنفس عند الوباء هٰهنا عشرة آلاف وهٰهنا كذا وكذا فقال له ملك الموت تزوى لي الأرض حتى كأنها بين فخذيّ فالتقطهم بيديّ.

ـ وروي ـ أن الدنيا لملك الموت كراحة اليد أو كطست لديه يتناول منه ما يشاء من غير تعب. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب. وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتصفحهم في اليوم مرتين فإذا رأى إنساناً قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة وقال: الآن يزاد بك عسكر الموتى.

ـ وروي ـ أن ملك الموت على معراج بين السماء والأرض وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فينزع أعوانه روح الإنسان ويخرجونها من جسده فإذا بلغت ثغرة النحر نزعها هو.

- وروي - في الخبر أن له وجوهاً أربعة فوجه من نار يقبض به أرواح الكافرين ووجه من ظلمة يقبض به أرواح المنافقين ووجه من رحمة يقبض به أرواح المؤمنين ووجه من نور يقبض به أرواح الأنبياء والصديقين فإذا قبض روح المؤمن دفعها إلى ملائكة الرحمة وإذا قبض روح الكافر دفعها إلى ملائكة العذاب. وكان ملك الموت يقبض الأرواح بغير وجع فأقبل الناس يسبونه ويلعنونه فشكا إلى ربه فوضع الله الأمراض والأوجاع فقالوا: مات فلان من وجع كذا وكذا. وفي الحديث «الأمراض والأوجاع كلها بريد الموت ورسل الموت فإذا جاء الأجل أتى ملك الموت بنفسه فقال: أيها العبد كم خبر بعد خبر وكم رسول بعد رسول وكم بريد بعد بريد أنا المخبر ليس بعدي خبر وأنا الرسول ليس بعدي رسول أجب ربك طائعاً أو مكرهاً فإذا قبض روحه وتصارخوا عليه قال على من تصرخون وعلى من تبكون فوالله ما ظلمت له أجلاً ولا أكلت له رزقاً بل دعاه ربه فليبك الباكي على نفسه فإن لي فيكم عودات وعودات حتى لا أبقي منكم أحداً» قال عليه السلام: «لو رأوا مكانه وسمعوا كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم». قال الكاشفي: [عجب إذ آدمي كه با وجود چنين حريفي دركمين چكونه لاف آسايش تواند زد]:

آسودكى مجوى كه از صدمت اجل   كس را نداده اند برات مسلمي

وفي «البستان»:

بيا اى كه عمرت بهفتاد رفت   مكر خفته بودى كه برباد رفت
كه يك لحظه صورت نبندد امان   چو پيمانه پرشد بدور زمان

قال بعضهم لولا غفلة قلوب الناس ما أحال قبض أرواحهم على ملك الموت [خير نساج قدس سره بيمار بود ملك الموت خواست كه جان اوبر آرد مؤذن كفت وقت نماز شام كه الله أكبر الله أكبر خير نساج كفت يا ملك الموت باش تافريضهٔ نمازبكزارم كه اين فرمان برمن فوت ميشود وفرمان توفوت نمى شود چون نماز بكزارد سربسجود نهاد كفت الهي آن روز كه اين وديعت مى نهادى زحمت ملك الموت درميان نبود چه باشدكه امروز بى زحمت او بردارى اين بكفت وجان بداد]:

يا رب ارفانى كنى مارا بتيغ دوستى
مر فرشته مرك را باما نباشد هيچ كار
هركه ازجام تورو‌زى شربت شوق توخورد
چون نماند آن شراب اودانـد آن رنج خمار

قال بعض الكبار: ملك الموت هو المحبة الآلهية فإنها تقبض الأرواح عن الصفات الإنسانية وتميتها عن محبوباتها لقطع تعلق الروح الإنساني عما سوى الحق تعالى فلترجع إلى الله بجذبة ارجعي إلى ربك والموت باصطلاح أهل الحقيقة قمع هوى النفس فمن مات عن هواه حيي حياة حقيقة. قال الإمام جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه: الموت هو التوبة قال تعالى: ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] فمن تاب فقد قتل نفسه.

مكن دامن ازكرد زلت بشوى   كه ناكه زبالا به بندند چوى

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا

مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿ولو ترى﴾ [واكر بينى اى بيننده] **﴿إذ المجرمون﴾** هم القائلون **﴿أئذا ضللنا﴾** الخ. قال في «الكواشي»: لو وإذ للماضي ودخلتا على المستقبل هنا لأن المستقبل من فعله كالماضي لتحقق وقوعه **﴿ناكسوا رؤوسهم عند ربهم﴾** النكس قلب الشيء على رأسه، وبالفارسية: [سرفرو افكندن ونكونسار كردن] أي: مطرقوا رؤوسهم ومطأطئوها في موقف العرض على الله من الحياء والحزن والغم يقولون **﴿ربنا﴾** [اى پروردكار ما] **﴿أبصرنا وسمعنا﴾** أي: صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لإدراك الآيات المبصرة والمسموعة وكنا من قبل عمياً لا ندرك شيئاً **﴿فارجعنا﴾** فأرددنا إلى الدنيا من رجعه رجعاً أي: رده وصرفه **﴿نعمل﴾** عملاً **﴿صالحاً﴾** حسبما تقضيه تلك الآيات **﴿إنا موقنون﴾** الآن، يعني: [بى كمانيم]. قال في «الإرشاد»: ادعاء منهم لصحة الأفئدة والاقتدار على فهم معاني الآيات والعمل بموجبها كما أن ما قبله ادعاء لصحة مشعري البصر والسمع كأنهم قالوا أيقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئاً أصلاً وجواب لو محذوف أي: لرأيت أمراً فظيعاً فهذا الأمر مستقبل في التحقيق ماض بحسب التأويل كأنه قيل قد انقضى الأمر ومضى لكنك ما رأيته ولو رأيته لرأيت أمراً فظيعاً.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أهل الدنيا من المجرمين وكان جرمهم أنهم نكسوا رؤوسهم في أسفل الدنيا وشهواتها بعد أن خلقوا رافعي رؤوسهم عند ربهم يوم الميثاق عند استماع خطاب ألست بربكم حيث رفعوا رؤوسهم وقالوا: بلى فلما ابتلوا بالدنيا وشهواتها وتزيينها من الشيطان نكسوا رؤوسهم بالطبع فيها فصاروا كالبهائم والأنعام في طلب شهوات الدنيا كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰئِكَ كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩] لأن للأنعام ضلالة طبيعية جبلية في طلب شهوات الدنيا وما كانوا مأمورين بعبودية الله ولا منهيين عن الشهوات حتى يحصل لهم ضلالة مخالفة للأمر والنهي وللإنسان شركة مع الأنعام في الضلالة الطبيعية بميل النفس إلى الدنيا وشهواتها وله اختصاص بضلالة المخالفة فلهذا صار أضل من الأنعام فكما عاشوا ناكسي رؤوسهم إلى شهوات الدنيا ماتوا فيما عاشوا فيه ثم حشروا على ما ماتوا عليه ناكسي رؤوسهم عند ربهم وقد ملكتهم الدهشة وغلبتهم الخجلة فاعتذروا حين لا عذر واعترفوا حين لا اعتراف.

سر ازجيب غفلت بر آور كنون ... كه فردا نماند بخجلت نكون
كنونت كه چشمست اشكى ببار ... زبان دردهانست عذرى بيار
نه پيوسته باشد روان در بدن ... نه همواره كردد زبان در دهن

﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل قوله **﴿ربنا أبصرنا﴾** أي: ونقول لو شئنا أي: لو تعلقت مشيئتنا تعلقاً فعلياً بأن نعطي كل نفس من النفوس البرّة والفاجرة ما تهتدي به إلى الإيمان والعمل الصالح بالتوفيق لهما لأعطيناها إياه في الدنيا التي هي دار الكسب وما أخرناه إلى دار الجزاء **﴿ولكن حق القول مني﴾** ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو **﴿لأملأن﴾** [ناچار پركنيم] **﴿جهنم من الجنة﴾** بالكسر جماعة الجن والمراد الشياطين وكفار الجن **﴿والناس﴾** الذين اتبعوا إبليس في الكفر والمعاصي **﴿أجمعين﴾** يستعمل

لتأكيد الاجتماع على الأمر. وقال بعضهم: ﴿ولكن حق القول مني﴾ أي: سبقت كلمتي حيث قلت لإبليس عند قوله: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [ص: ٨٢] الآية ﴿لأملأن﴾ الخ.

وفي «التأويلات»: ﴿ولو شئنا﴾ في الأزل هدايتكم وهداية أهل الضلالة ﴿لآتينا كل نفس هداها﴾ بإصابة رشاش النور على الأرواح ﴿ولكن حق القول مني﴾ قبل وجود آدم وإبليس ﴿لأملأن﴾ الخ ولكن تعلقت المشيئة بإغواء قوم كما تعلقت بإهداء قوم وأردنا أن يكون للنار قطان كما أردنا أن يكون للجنة سكان إظهاراً لصفات لطفنا وصفات قهرنا لأن الجنة وأهلها مظهر لصفات لطفي والنار وأهلها مظهر لصفات قهري وإني فعال لما أريد.

وفي «عرائس البيان» إن جهنم فم قهره انفتح ليأخذ نصيبه ممن له استعداد مباشرة القهر كما أن الجنة فم لطفه انفتح فيأخذ نصيبه ممن له استعداد مباشرة لطفه فاللطيف يرجع إلى اللطيف والكثيف يرجع إلى الكثيف ولو شاء لجعل الناس كلهم عارفين به ولكن جرى القلم في الأزل بالوعد والوعيد كما قال ابن عطاء قدس سره: لو شئنا لوفقنا كل عبد لرضانا ولكن حق القول بالوعد والوعيد ليتم الاختيار. وسئل الشبلي قدس سره عن هذه الآية فقال: يا رب املأ نارك من الشبلي واعف عن عبيدك ليتروح الشبلي بتعذيبك كما يتروح جميع العباد بالعوافي وذلك أن من استوى عنده اللطف والقهر بالوصول إلى الأصل رأى مقصوده في كل واحد منهما كما رأى أيوب عليه السلام المبتلي في بلائه فطاب وقته وحاله وصفاً باله في عين الكدر.

ما بلا خواهيم وزاهد عافيت هر متاعى را خريدارى فتاد

وعن الحسن قال: خطبنا أبو هريرة رضي الله عنه على منبر رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله يقول: «ليعتذرن الله إلى آدم ثلاث معاذير يقول الله يا آدم لولا أني لعنت الكذابين وأبغضت الكذب والخلف وأعذب عليه لرحمت اليوم ولدك أجمعين من شدة ما أعددت لهم من العذاب ولكن حق القول مني لئن كذب رسلي وعصى أمري لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين. ويقول الله يا آدم: اعلم أني لا أدخل من ذريتك النار أحداً ولا أعذب منهم بالنار أحداً إلا من قد علمت بعلمي أني لو رددته إلى الدنيا لعاد إلى أشر مما كان فيه ولم يرجع ولم يتب ويقول الله قد جعلتك حكماً بيني وبين ذريتك قم عند الميزان فانظر ما يرفع إليك من أعمالهم فمن رجح منهم خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة حتى تعلم أني لا أدخل منهم إلا ظالماً».

واعلم أن الله تعالى يملأ جهنم من الأقوياء كما يملأ الجنة من الضعفاء بدليل قوله عليه السلام: «إذا ملئت جهنم تقول الجنة ملأت جهنم من الجبابرة والملوك والفراعنة ولم تملأني من ضعفاء خلقك فينشىء الله خلقاً عند ذلك فيدخلهم الجنة فطوبى لهم من خلق لم يذوقوا موتاً ولم يروا سوءاً بأعينهم» رواه أنس رضي الله عنه. وقوله عليه السلام: «تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت» أي: فضلت «بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة إني لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطعهم فقال الله للنار أنت عذابي أعذبك من أشاء من عبادك ولكل واحدة منكما ملؤها» رواه أبو هريرة رضي الله عنه كذا في «بحر العلوم».

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾.

﴿فذوقوا﴾ الفاء لترتيب الأمر بالذوق على ما يعرب عنه ما قبله من نفي الرجع إلى الدنيا ﴿بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ النسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلب وإما عن غفلة أو قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره وكل نسيان من الإنسان ذمه الله به فهو ما كان أصله من تعمد كما في هذه الآية وأشار بالباء إلى أنه وإن سبق القول في حق التعذيب لكنه كان بسبب موجب من جانبهم أيضاً فإن الله قد علم منهم سوء الاختيار وذلك السبب هو نسيانهم لقاء هذا اليوم الهائل وتركهم التفكر فيه والاستعداد له بالكلية بالاشتغال باللذات الدنيوية وشهواتها فإن التوغل فيها يذهل الجن والإنس عن تذكر الآخرة وما فيها من لقاء الله ولقاء جزائه ويسلط عليهم نسيانها وإضافة اللقاء إلى اليوم كإضافة المكر في قوله: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] أي: لقاء الله في يومكم هذا.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنكم كنتم في الغفلة والنائم لا يذوق ألم ما عليه من العذاب ما دام نائماً ولكنه إذا انتبه من نومه يذوق ألم ما به من العذاب فالناس نيام ليس لهم ذوق ما عليهم من العذاب فإذا ماتوا انتبهوا فقيل لهم: ذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴿إنا نسيناكم﴾ تركناكم في العذاب ترك المنسي بالكلية استهانة بكم ومجازاة لما تركتم.

وفي «التأويلات»: ﴿إنا نسيناكم﴾ من الرحمة كما نسيتمونا من الخدمة ﴿وذوقوا عذاب الخلد﴾ أي: العذاب المخلد في جهنم فهو من إضافة الموصوف إلى صفته مثل عذاب الحريق ﴿بما كنتم تعملون﴾ أي: بالذي كنتم تعملونه من الكفر والمعاصي وهو تكرير للأمر للتأكيد وإظهار الغضب عليهم وتعيين المفعول المطوي للذوق والإشعار بأن سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان بل له أسباب أخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا وعن كعب الأحبار قال: إذا كان يوم القيامة تقوم الملائكة فيشفعون ثم تقوم الشهداء فيشفعون ثم تقوم المؤمنون فيشفعون حتى إذا انصرمت الشفاعة كلها خرجت الرحمة فتشفع حتى لا يبقى في النار أحد يعبأ الله به ثم يعظم بكاء أهلها فيها ويؤمر بالباب فيقبض عليهم فلا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم أبداً.

الهى زدوزخ دو چشمم بدوز بنورت كه فردا بنارت مسوز

﴿إنما يؤمن بآياتنا﴾ أي: إنكم أيها المجرمون لا تؤمنون بآياتنا ولا تعملون بموجبها عملاً صالحاً ولو رجعناكم إلى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] وإنما يؤمن بها ﴿الذين إذا ذكروا بها﴾ وعظوا، بالفارسية: [پندداده شوند] ﴿خروا سجداً﴾. قال في «المفردات»: خر سقط سقوطاً سمع منه خرير والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من العلو فاستعمال الخرور في الآية تنبيه على اجتماع أمرين: السقوط وحصول الصوت منهم بالتسبيح. وقوله بعد ﴿وسبحوا بحمد ربهم﴾ تنبيه على أن ذلك الخرير كان تسبيحاً بحمد الله لا شيئاً آخر انتهى أي: سقطوا على وجوههم حال كونهم ساجدين خوفاً من عذاب الله ﴿وسبحوا﴾ نزهوه عن كل ما لا يليق به من الشرك والشبه والعجز عن البعث وغير ذلك ﴿بحمد ربهم﴾ في موضع الحال أي: ملتبسين بحمده

تعالى على نعمائه كتوفيق الإيمان والعمل وغيرهما ﴿وهم لا يستكبرون﴾ الظاهر أنه عطف على صفة الذين أي: لا يتعظمون عن الإيمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبراً كأن لم يسمعها وهذا محل سجود بالاتفاق. قال الكاشفي: [اين سجدهٔ نهم است بقول إمام اعظم رحمه الله وبقول إمام شافعي دهم حضرت شيخ اكبر قدس سره الأطهر اين را سجده تذكر كفته وساجد بايدكه متذكر كردد آن جيزى راكه ازان غافل شده وتصديق كند دلالات وجود واحد را كه آن دلالتها درهمه اشيا موجودست]:

همه ذرات ازمه تابماهى بوحدانينش داد كواهى
همه اجزاى كون از مغزتا پوست چووا بينى دليل وحدت اوست

وينبغي أن يدعو الساجد في سجدته بما يليق بآيتها ففي هذه الآية يقول: اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك من أن أكون من المستكبرين عن أمرك وكره مالك رحمه الله قراءة السجدة في قراءة صلاة الفجر جهراً وسراً فإن قرأ هل يسجد فيه قولان كذا في فتح الرحمٰن. قال في «خلاصة الفتاوى»: رجل قرأ آية السجدة في الصلاة إن كانت السجدة في آخر السورة أو قريباً من آخرها من بعدها آية أو آيتان إلى آخر السورة فهو بالخيار إن شاء ركع بها ينوي التلاوة وإن شاء سجد ثم يعود إلى القيام فيختم السورة وإن وصل بها سورة أخرى كان أفضل وإن لم يسجد للتلاوة على الفور حتى ختم السورة ثم ركع وسجد لصلاته سقط عنه سجدة التلاوة.

وفي «التأويلات»: ﴿وهم لا يستكبرون﴾ عن سجودك كما استكبر إبليس أن يسجد لك إلى قبلة آدم ولو سجد لآدم بأمرك لكان سجوده في الحقيقة لك وكان آدم قبلة للسجود كما أن الكعبة قبلة لنا في سجودنا لك انتهى.

قال بعض الكبار: وليس الإنسان بمعصوم من إبليس في صلاته إلا في سجوده لأنه حينئذٍ يتذكر الشيطان معصيته فيحزن ويشتغل بنفسه ويعتزل عن المصلي فالعبد في سجوده معصوم من الشيطان غير معصوم من النفس. فخواطر السجود كلها إما ربانية أو ملكية أو نفسية وليس للشيطان عليه من سبيل فإذا قام من سجوده غابت تلك الصفة عن إبليس فزال حزنه واشتغل بك. فعلى العاقل أن يسارع إلى الصلاة فريضة كانت أو نافلة حتى يحصل الرغم للشيطان والرضى للرحمان ويتقرب الروح إلى حضرة الملك المتعال ويجد لذة المناجاة وطعم الوصال.

ذوق سجده زائداست از ذوق سكر نزدجان هركرا اين ذوق نى بى مغز باشد درجهان

اللهم اجعلنا من أهل سجدة الفناء إنك سميع الدعاء.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿تتجافى جنوبهم﴾ استئناف لبيان بقية محاسن المؤمنين. والتجافي النبوّ والبعد أخذ من الجفاء فإن من لم يوافقك فقد جافاك وتجنب وتنحى عنك والجنوب جمع جنب وهو شق الإنسان وغيره. والمعنى ترتفع وتتنحى أضلاعهم ﴿عن المضاجع﴾ أي: الفرش ومواضع النوم جمع مضجع كمقعد بمعنى موضع الضجوع أي: وضع الجنب على الأرض، وبالفارسية:

[دور ميشود پهلوهاى ايشان از خوابكهها] وفي إسناد التجافي إلى الجنوب دون أن يقال يجافون جنوبهم إشارة إلى أن حال أهل اليقظة والكشف ليس كحال أهل الغفلة والحجاب فإنهم لكمال حرصهم على المناجاة ترتفع جنوبهم عن المضاجع حين ناموا بغير اختيارهم كأن الأرض ألقتهم من نفسها وأما أهل الغفلة فيتلاصقون بالأرض لا يحركهم محرك ﴿**يدعون ربهم**﴾ حال من ضمير جنوبهم أي: داعين له تعالى على الاستمرار ﴿**خوفاً**﴾ من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته ﴿**وطمعاً**﴾ في رحمته قال عليه السلام في تفسير الآية: قيام العبد من الليل يعني أنها نزلت في شأن المتهجدين فإن أفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل. قال الكاشفي: [چون پردهٔ شب فرو كذارند وجهانيان سربر بالين غفلت بنهند ايشان پهلو از بستر كرم وفراش نرم تهى كرده برقدم نياز بايستند ودر شب در از باحضرت خداوند رازكويند. از سهيل يمنى يعنى اويس قرنى رضي الله عنه منقولست كه درشبى ميكفت «هذه ليلة الركوع» وبيك ركوع بسر مى برد ودرشى ديكر ميفرمودكه «هذه ليلة السجود» وبيك سجده بصبح ميرسانيد كفتند اى اويس چون طاقت طاعت دارى سبب چيست كه شبها بدين درازى بريك حال مى كدرانى كفت كجاست شب درازى كاشكى ازل وابديكشب بودى تابيك سجده بآخر بردمى دران سجده نالهاى زار وكريهاى بيشمار كردمى]:

به نيم شب كه همه مست خواب خوش باشند
من وخيال تو ونالهاى درد آلود

وفي الحديث: «عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أحبته وأهله إلى صلاته فيقول الله تعالى لملائكته: انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين أحبته وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وإشفاقاً مما عندي ورجل غزا في سبيل الله فانهزم مع أصحابه فعلم ما عليه من الانهزام وما له في الرجوع فرجع حتى أهريق دمه فيقول الله لملائكته انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وإشفاقاً مما عندي حتى اهريق دمه» وفي الحديث «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام» قال ابن رواحة رضي الله عنه يمدح النبي عليه السلام:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات إن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

وفي الحديث «إذا جمع الله الأولين والآخرين جاء مناد بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فيقول ليقم الذين يحمدون الله في السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرّحون جميعاً إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس».

واعلم أن قيام الليل من علو الهمة وهو وهب من الله تعالى فمن وهب له هذا فليقم ولا يترك ورد الليل بوجه من الوجوه. قال أبو سليمان الداراني قدس سره: نمت عن وردي فإذا أنا بحوراء تقول يا أبا سليمان تنام وأنا أربي لك في الخيام منذ خمسمائة عام. وعن الشيخ أبي

بكر الضرير رضي الله عنه قال: كان في جواري شاب حسن الوجه يصوم النهار ولا يفطر ويقوم الليل ولا ينام فجاءني يوماً وقال لي: يا أستاذ إني نمت عن وردي الليلة فرأيت كأن محرابي قد انشق وكأني بجوار قد خرجن من المحراب لم أر أحسن أوجهاً منهن وإذا فيهن واحدة شوهاء لم أر أقبح منها منظراً فقلت: لمن أنتن ولمن هذه فقلن نحن لياليك التي مضين وهذه ليلة نومك فلو مت في ليلتك هذه لكانت هذه حظك ثم أنشأت الشوهاء تقول:

اسأل لمولاك واردني إلى حالي ... فأنت قبحتني من بين أشكالي
لا ترقدنّ الليالي ما حييت فإن ... نمت الليالي فهنّ الدهر أمثالي

فأجابتها جارية من الحسان تقول:

أبشر بخير فقد نلت الغنى أبداً ... في جنة الخلد في روضات جنات
نحن الليالي اللواتي كنت تسهرها ... تتلو القرآن بترجيع ورنات
أبشر وقد نلت ما ترجوه من ملك ... بر يجود بأفضال وفرحات
غداً تراه تجلى غير محتجب ... تدني إليه وتحظى بالتحيات

قال: ثم شهق شهقة خر ميتاً رحمه الله تعالى. وفي «آكام المرجان»: ظهر إبليس ليحيى عليه السلام فقال له يحيى: هل قدرت مني على شيء؟ قال: لا إلا مرة واحدة فإنك قدّمت طعاماً لتأكله فلم أزل أشهيه إليك حتى أكلت منه أكثر مما تريد فنمت تلك الليلة فلم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها فقال له يحيى: لا جرم لا شبعت من طعام أبداً قال له الخبيث: لا جرم لا نصحت آدمياً بعدك:

باندازه خور زاد اكر مردمى ... چنين پرشكم آدمي يا خمي
ندارند تن پروران آكهى ... كه بر معده باشد زحكمت تهى

﴿ومما رزقناهم﴾ أعطيناهم من المال ﴿ينفقون﴾ في وجوه الخير والحسنات. قال بعضهم: هذا عام من الواجب والتطوع وذلك على ثلاثة أضرب: زكاة من نصاب، ومواساة من فضل، وإيثار من قوت.

بدونيك را بذل كن سيم وزر ... كه آن كسب خيراست وآن دفع شر
از آن كس كه خيرى بماند روان ... دمادم رسد رحمتش بر روان

﴿فلا تعلم نفس﴾ من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عمن عداهم ﴿ما أخفي لهم﴾ أي: لأولئك الذين عددت نعوتهم الجليلة من التجافي والدعاء والإنفاق ومحل الجملة نصب بلا تعلم سدت مسد المفعولين ﴿من قرة أعين﴾ مما تقربه أعينهم إذا رأوه وتسكن به أنفسهم. وقال الكاشفي: [از روشنىء چشمها يعني چيزى كه بدان چشمها روشن كردد] وفي الحديث «يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بل ما اطلعتم عليه اقرأوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين» ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ أي: جزواً جزاء بسبب ما كانوا يعملون في الدنيا من إخلاص النية وصدق الطوية في الأعمال الصالحة [بزركى فرموده كه چون عمل پنهان ميكردند جزا نيز پنهانست تاچنانچه كس را برطاعت ايشان اطلاع نبود كسى را نيز بمكافاة ايشان اطلاع نباشد].

روزى كه روم همره جانان بچمن ... نه لاله وكل بينم ونه سرو وسمن
زيرا كه ميان من واو كفته شود ... من دانم واو داند واو داند ومن

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿تتجافى جنوب﴾ هممـ ﴿هم عن المضاجع﴾ عن مضاجع الدارين وتتباعد قلوبهم عن مضاجعات الأحوال فلا يساكنون أعمالهم ولا يلاحظون أحوالهم ويفارقون مألفهم ويهجرون في الله معارفهم يدعون ربهم بربهم لربهم خوفاً من القطيعة والإبعاد ﴿وطمعاً﴾ في القربات والمواصلات ﴿ومما رزقناهم﴾ من نعمة الوجود ﴿ينفقون﴾ ببذل المجهود في طلب المفقود وليردّ إليهم بالجود ما أخفي لهم من النقود كما قال تعالى: ﴿فلا تعلم﴾ الخ. وفي الحقيقة إن ما أخفي لهم إنما هو جمالهم فقد أخفي عنهم لعينهم فإن العين حق.

فاعلم أنه ما دام أن تكون عينكم الفانية باقية يكون جمالكم الباقي مخفياً عنكم لئلا تصيبه عينكم فلو طلع صبح سعادة التلاقي وذهب بظلمة البين من البين وتبدلت العين بالعين فذهب الجفاء وظهر الخفاء ودام اللقاء كما أقول:

مذ جاء هواكم ذاهباً بالبين لم يبق سوى وصالكم في البين

ما جاء بغير عينكم في عيني والآن محت عينكمولي عيني

وبقوله: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ يشير إلى أن عدم علم كل نفس بما أخفي لهم وحصول جهلهم به إنما كان جزاء بما كانوا يعملون بالإعراض عن الحق لإقبالهم على طلب غير الله وعبادة ما سواه انتهى.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿أفمن﴾ [آيا آنكس كه] ﴿كان﴾ في الدنيا ﴿مؤمناً كمن كان فاسقاً﴾ خارجاً عن الإيمان لأنه قابل به المؤمن وأيضاً أخبر أنه يخلد في النار ولا يستحق التخليد فيها إلا الكافر ﴿لا يستوون﴾ في الشرف والجزاء في الآخرة والتصريح به مع إفادة الإنكار نفي المشابهة للتأكيد وبناء التفصيل الآتي عليه والجمع للحمل على معنى من، قال الكاشفي: [آورده اندكه وليد بن عقبه باشير بيشهٔ مردى در مقام مفاخرت آمده كفت اى على سنان من از سنان توسخترست وزبان من از زبان توتيز تر على كفت خاموش باش أي: فاسق تراباً من چه زهرهٔ مساواة وچه ياراي مجادلاتست حق سبحانه وتعالى براى تصديق علي رضي الله عنه آيت فرستاد] فالمؤمن هو عليّ رضي الله عنه ودخل فيه من مثل حاله والكافر هو الوليد ودخل فيه من هو على صفته ولذلك أورد الجمع في لا يستوون. قال ابن عطاء: من كان في أنوار الطاعة والإيمان لا يستوي مع من هو في ظلمات الفسق والطغيان. وفي «كشف الأسرار» أفمن كان في حلة الوصال يجرّ أذياله كمن هو في مذلة الفراق يقاسي وباله أفمن كان في روح القربة ونسيم الزلفة كمن هو في هول العقوبة يعاني مشقة الكلفة أفمن أيد بنور البرهان وطلعت عليه شموس العرفان كمن ربط بالخذلان ووسم بالحرمان لا يستويان ولا يلتقيان:

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يماني

﴿أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم﴾ استحقاقاً ﴿جنات المأوى﴾ قال الراغب: المأوى مصدر أوى إلى كذا انضم إليه وجنة المأوى كقوله دار الخلود في كون الدار مضافاً إلى

المصدر. وفي «الإرشاد»: أضيفت الجنة إلى المأوى الحقيقي وإنما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة ولذلك سميت قنطرة لأنها معبر للآخرة لا مقر، وبالفارسية: [ايشانراست بوستانها وبهشتهاكه مأواى حقيقي است]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما جنة المأوى كلها من الذهب وهي إحدى الجنان الثمان التي هي دار الجلال ودار القرار ودار السلام وجنة عدن وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة الفردوس وجنة النعيم ﴿**نزلاً**﴾ أي: حال كون تلك الجنات ثواباً وأجراً، وبالفارسية: [در حالتى كه پيشكش باشد يعنى ما حضرى كه براى مهمانان آرند] وهو في الأصل ما يعد للنازل والضيف من طعام وشراب وصلة ثم صار عاماً في العطاء ﴿**بما كانوا يعملون**﴾ بسبب أعمالهم الحسنة التي عملوها في الدنيا.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**أفمن كان مؤمناً**﴾ بطلب الحق تعالى ﴿**كمن كان فاسقاً**﴾ بطلب ما سوى الحق ﴿**لا يستوون**﴾ أي: الطالبون لله والطالبون لغير الله فـ ﴿**أما الذين آمنوا**﴾ بطلب الحق ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ بالإقبال على الله والإعراض عما سواه ﴿**فلهم جنات المأوى نزلاً**﴾ يعني أن جنات مأوى الأبرار ومنزلهم يكون نزلاً للمقربين السائرين إلى الله وأما مأواهم ومنزلهم ففي مقعد صدق عند مليك مقتدر.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿**وأما الذين فسقوا**﴾ خرجوا عن الإيمان والطاعة بإيثار الكفر والمعصية عليهما ﴿**فمأواهم**﴾ اسم مكان أي: ملجأهم ومنزلهم ﴿**النار**﴾ مكان جنات المأوى للمؤمنين ﴿**كلما**﴾ [هركاه كه] ﴿**أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها**﴾ عبارة عن الخلود فيها فإنه لا خروج ولا إعادة في الحقيقة كقوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] ونار جهنم لا تخبو يعني كلما قال قائلهم قد خبت زيد فيها ويروى أنه يضربهم لهيب النار فيرتفعون إلى طبقاتها حتى إذا قربوا من بابها وأرادوا أن يخرجوا منها يضربهم لهيب النار أو تتلقاهم الخزنة بمقامع، يعني: [بكرزهاى آتشين] فتضربهم فيهوون إلى قعرها سبعين خريفاً وهكذا يفعل بهم أبداً وكلمة في للدلالة على أنهم مستقرون فيها وإنما الإعادة من بعض طبقاتها إلى بعض ﴿**وقيل لهم**﴾ إهانة وتشديداً عليهم وزيادة في غيظهم ﴿**ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به**﴾ أي: بعذاب النار ﴿**تكذبون**﴾ على الاستمرار في الدنيا وتقولون لا جنة ولا نار. قال في «برهان القرآن» وفي سبأ. ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠] لأن النار في هذه السورة وقعت موقع الكناية لتقدم ذكرها والكنايات لا توصف بوصف العذاب وفي سبأ لم يتقدم ذكر النار فحسن وصف النار وهذه لطيفة فاحفظها انتهى.

وفي «التأويلات»: ﴿**وأما الذين فسقوا**﴾ خرجوا عن سبيل الرشاد ووقعوا في بئر البعد والإبعاد ﴿**فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها**﴾ لأنهم في هذه الصفة عاشوا وفيها ماتوا فعليها حشروا وذلك أن دعاة الحق لما كانوا في الدنيا ينصحون لهم أن يخرجوا من أسفل الطبيعة بحبل الشريعة برعاية آداب الطريقة حملهم الشوق الروحاني على التوجه إلى الوطن الأصلي العلوي فلما عزموا على الخروج من الدركات الشهوانية أدركتهم الطبيعة

النفسانية الحيوانية السفلية وإعادتهم إلى أسفل الطبيعة ﴿وقيل لهم﴾ يوم القيامة ﴿ذوقوا﴾ الخ لأنكم وإن كنتم معذبين في الدنيا ولكن ما كان لكم شعور بالعذاب الذي يجلل حواسكم الأخروية ولو كنتم تجدون ذوق العذاب لانتهيتم عن الأعمال الموجبة لعذاب النار كما أنكم لما ذقتم ألم عذاب النار في الدنيا احترزتم عنها غاية الاحتراز انتهى. فالاحتراق وصف الكافر والفاسق وأما المؤمن والمطيع فقد قال عليه السلام في حقه: «تقول جهنم للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي» كما قال في «المثنوي»:

كويدش بكذر سبك اى محتشم ورنه زاتشهاى تومرد آتشم

وذلك النور هو نور التوحيد وله تأثير جداً في عدم الاحتراق.

ـ كما حكي ـ أن مجذوباً كان يصاحب الشيخ الحاجي بيرام قدس سره وكان يحبه فلما توفي الشيخ جاء المجذوب إلى الشيخ الشهير بآق شمس الدين لكونه خليفة الشيخ الحاجي بيرام فقال له شمس الدين يوماً: يا أخي ما لبست كسوة الشيخ الحاجي بيرام في حياته فكيف لو لبستها من يدنا فقبل ففرح شمس الدين مع مريديه فعملوا ضيافة وألبسوه كسوة فلما لبسها ألقى نفسه في نار كانت في ذلك المجلس فلبث فيها حتى احترقت الكسوة ولم يحترق المجذوب ثم خرج منها وقال: يا أيها الشيخ لا خير في كسوة تحرقها النار. قال بعض العارفين: لو كان المشتاقون دون جماله في الجنة واويلاه ولو كانوا في الجحيم معه واشوقاه فمن كان مع المحبوب فهو لا يحترق ألا ترى أن النبي عليه الصلاة والسلام نظر إلى جهنم وما فيها ليلة المعراج ولم يحترق منه شعرة وكما أن النار تقول للمؤمن ذلك القول كذلك الجنة تقول كذلك الجنة تقول له حين يذهب إلى مقامه جز يا مؤمن إلى مقامك فإن نورك يذهب بزينتي ولطافتي كما قال في «المثنوي»:

كويدش جنت كذركن همچو باد ورنه كردد هرچه من دارم كساد

وذلك لأن نور المؤمن نور التجلي والتجلي إما يكون للمؤمن لا للجنة فيغلب نوره على الجنة التي ليس لها نور التجلي ألا ترى أن من جلس للوعظ وفي المجلس من هو أعلى حالاً منه في العلم يحصل له الانقباض والكساد فلا يطلب إلا قيام ذلك من المجلس فإذا كان هذا حال العالم مع من هو أعلم منه في الظاهر فقس عليه حال العالم مع من هو أعلم منه في الباطن فمن عرف مراتب أهل الله تعالى يسكت عند حضورهم لأن لهم الغلبة في كل شأن ولهم المعرفة بكل مقام قدس الله أسرارهم.

﴿ولنذيقنهم﴾ أي: أهل مكة. والإذاقة بالفارسية: [چشانيدن] ﴿من العذاب الأدنى﴾ أي: الأقرب وهو عذاب الدنيا وهو ما محنوا به من القحط سبع سنين بدعاء النبي عليه السلام حين بالغوا في الأذية حتى أكلوا الجيف والجلود والعظام المحترقة والعلهز وهو الوبر والدم بأن يخلط الدم بأوبار الإبل وشوي على النار وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان وكذا ابتلوا بمصائب الدنيا وبلاياها مما فيه تعذيبهم حتى آل أمرهم إلى القتل والأسر يوم بدر ﴿دون العذاب الأكبر﴾ أي: قبل العذاب الأكبر الذي هو عذاب الآخرة فدون هنا بمعنى قبل. وفي «كشف الأسرار» وتبعه الكاشفي في تفسيره [فروتر از عذاب بزركتركه خلودست در آتش] وذلك لأنه في الأصل أدنى مكان من الشيء فيقال هذا دون ذلك إذا كان أحط منه قليلاً ثم استعير منه للتفاوت في الأموال، [والرتب درلباب ازتفسير نقاش نقل كرده كه ادنى غلاى

اسعارست واكبر خروج مهدي بشمشير آبدار وكفته اندخوارىء دنيا ونكو نسارىء عقبا يا افتادن دركناه ودور افتادن ازدركاه قرب الله]:

دور مـانـدن از وصـال او عـذاب اكبـر اسـت
آتـش سـوز فـراق ازهـر عـذابـى بـدتـرسـت

وفي «حقائق البقلي»: العذاب الأدنى حرمان المعرفة والعذاب الأكبر الاحتجاب عن مشاهدة المعروف. وقال أبو الحسن الوراق: الأدنى الحرص على الدنيا والأكبر العذاب عليه ﴿لعلهم﴾ أي: لعل من بقي منهم وشاهده ولعل من مثله بمعنى كي ﴿يرجعون﴾ ويتوبون عن الكفر والمعاصي.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أرباب الطلب وأصحاب السلوك إذا وقعت لأحدهم في أثناء السلوك وقفة لعجب تداخله أو لملالة وسآمة نفس أو لحسبان وغرور قبول أو وقعت له فترة بالتفاته إلى شيء من الدنيا وزينتها وشهواتها فابتلاه الله إما ببلاء في نفسه أو ماله أو بيته من أهاليه وأقربائه وأحبائه لعلهم بإذاقة عذاب البلاء والمحن انتبهوا من نوم الغفلة وتداركوا أيام العطلة قبل أن يذيقهم العذاب الأكبر بالخذلان والهجران وقسوة القلب كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠] الآية لعلهم يرجعون إلى صدق طلبهم وعلو محبتهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿ومن أظلم﴾ [وكيست ستمكارتر] ﴿ممن ذكر بآيات ربه﴾ أي: وعظ بالقرآن ﴿ثم أعرض عنها﴾ فلم يتفكر فيها ولم يقبلها ولم يعمل بموجبها وثم لاستبعاد الإعراض عنها مع غاية وضوحها وإرشادها إلى سعادة الدارين كقولك لصاحبك: دخلت المسجد ثم لم تصل فيه استبعاداً لتركه الصلاة فيه. والمعنى هو أظلم من كل ظالم وإن كان سبك التركيب على نفي الأعظم من غير تعرض لنفي المساوي ﴿إنا من المجرمين﴾ أي: من كل من اتصف بإجرام وإن هانت جريمته. ﴿منتقمون﴾ فكيف من كان أظلم من كل ظالم وأشد جرماً من كل مجرم، وبالفارسية: [انتقام كشيد كانيم هلاك وعذاب] يقال نقمت من الشيء ونقمته إذا أنكرته إما باللسان وإما بالعقوبة والنقمة العقوبة والانتقام [كينه كشيدن] فإذا نبه العبد بأنواع الزجر وحرك في تركه حدود الوفاق بصنوف من التأديب ثم لم يرتدع عن فعله واغتر بطول سلامته وأمن هواجم مكر الله وخفايا أمره أخذه بغتة بحيث لا يجد فرجة من أخذته كما قال: ﴿إنا من المجرمين﴾ أي: المصرين على جرمهم ﴿منتقمون﴾ بخسارة الدارين، قال الحافظ:

كمين كهست وتوخوش تيزميروى هش دار مـكـن كـه كـرد بـر آيـد زشـهـره عـدمـت

وفي الحديث: «ثلاثة من فعلهن فقد أجرم من عقد لواء في غير حق ومن عق لوالديه ومن نصر ظالماً».

واعلم أن الظلم أقبح الأمور ولذلك حرمه الله على نفسه فينبغي للعاقل أن يتعظ بمواعظ الله ويتخلق بأخلاقه ويجتنب عن أذية الروح بموافقة النفس والطبيعة وأذية عباد الله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه استند إلى جدار الكعبة وقال: يا كعبة ما أعظم حرمتك على الله لكني لو هدمتك سبع مرات كان أحب إلي من أن أوذي مسلماً مرة واحدة. وعن وهب بن منبه

أنه قال: جمع عالم من علماء بني إسرائيل سبعين صندوقاً من كتب العلم كل صندوق سبعون ذراعاً فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان أن قل لهذا العالم لا تنفعك هذه العلوم وإن جمعت أضعافاً مضاعفة ما دام معك ثلاث خصال حب الدنيا ومرافقة الشيطان وأذى مسلم فهذه الأسباب توقع الإنسان في ورطة الانتقام وانتقام الله لا يشبه انتقام غيره ألا ترى أنه وصف العذاب بالأكبر. وفي الحديث «إن في أهون باب منها سبعين ألف جبل من نار وفي كل جبل سبعون ألف واد من نار وفي كل واد سبعون ألف شعب من نار وفي كل شعب سبعون ألف مدينة من نار وفي كل مدينة سبعون ألف دار من نار وفي كل دار سبعون ألف قصر من نار وفي كل قصر سبعون ألف صندوق من نار وفي كل صندوق سبعون ألف نوع من العذاب ليس فيها عذاب يشاكل عذاباً» فسمع عمر رضي الله عنه فقال: يا ليتني كنت كبشاً فذبحوني وأكلوني ولم أسمع ذكر جهنم. وقال أبو بكر رضي الله عنه يا ليتني كنت طيراً في المفازة ولم أسمع ذكر النار. وقال علي رضي الله عنه يا ليت أمي لم تلدني ولم أسمع ذكر جهنم نسأل الله تعالى أن يحفظنا من الوقوع في أسباب العذاب والوقوف في مواقف المناقشة وسوء الحساب وهو الذي خلق فهدى إلى طريق رضاه ومنه الثبات على دينه الموصل إلى جنته وقربته ووصلته ولقاه.

﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب**﴾ أي: التوراة ﴿**فلا تكن في مرية**﴾ أي: شك. وفي «المفردات» المرية التردد في الأمر وهو أخص من الشك ﴿**من لقائه**﴾ اللقاء [ديدن] يقال لقيه كرضيه رآه. قال الراغب يقال ذلك في الإدراك بالحس بالبصر وبالبصيرة وهو مضاف إلى مفعوله. والمعنى من لقاء موسى الكتاب فإنا ألقينا عليه التوراة.

يقول الفقير: هذا هو الذي يستدعيه ترتيب الفاء على ما قبلها. فإن قلت: ما معنى النهي وليس له عليه السلام في ذلك شك أصلاً. قلت فيه تعريض للكفار بأنهم في شك من لقائه إذ لو لم يكن لهم فيه شك لآمنوا بالقرآن إذ في التوراة وسائر الكتب الإلهية ما يصدق القرآن من الشواهد والآيات فإيتاء الكتاب ليس ببدع حتى يرتابوا فيه فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن موسى عليه السلام لما أوتي الكتاب وهو حظ سمعه فلا تشك يا محمد أن يحظى غداً حظ بصره بالرؤية ولكن بشفاعتك وبركة متابعتك واختصاصه في دعائه بقوله: اللهم اجعلني من أمة أحمد فإن الرؤية مخصوصة بك وبأمتك بتبعيتك ﴿**وجعلناه**﴾ أي: الكتاب الذي آتيناه موسى ﴿**هدى**﴾ من الضلالة، وبالفارسية: [راه نماينده] ﴿**لبني إسرائيل**﴾ لأنه أنزل إليهم وهم متعبدون به دون بني إسماعيل وعليهم يحمل الناس في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١]

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿**وجعلنا منهم**﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿**أئمة**﴾ جمع إمام بمعنى المؤتم والمقتدى به قولاً وفعلاً، وبالفارسية: [پيشوا] ﴿**يهدون**﴾ يرشدون الخلق إلى الحق بما في التوراة من الشرائع والأحكام والحكم ﴿**بأمرنا**﴾ إياهم بذلك أو بتوفيقنا لهم ﴿**لما صبروا**﴾ على الحق في جميع الأمور والأحوال وهي شرط لما فيها من معنى الجزاء نحو أحسنت إليك لما جئتني

والتقدير لما صبر الأئمة أي: العلماء من بني إسرائيل على المشاق وطريق الحق جعلناهم أئمة أو هي ظرف بمعنى الحين أي: جعلناهم أئمة حين صبروا ﴿وكانوا بآياتنا﴾ التي في تضاعيف الكتاب ﴿يوقنون﴾ لإمعانهم فيها النظر والإيقان [بى كمان شدن] ولا تشك أنها من عندنا كما يشك الكفار من قومك في حق القرآن. وفيه إشارة إلى أنه كما أن الله تعالى جعل التوراة هدى لبني إسرائيل فاهتدوا بها إلى مصالح الدين والدنيا كذلك جعل القرآن هدى لهذه الأمة المرحومة يهتدون به إلى الشرائع والحقائق وكما أنه جعل من بني إسرائيل قادة أدلاء كذلك جعل من هذه الأمة سادة أجلاء بل رجحهم على الكل بكل كمال فإن الأفضل أولى بإحراز الفضائل كلها.

قال الشيخ العارف أبو الحسن الشاذلي قدس سره: رأيت النبي ﷺ في النوم باهى موسى وعيسى عليهما السلام بالإمام الغزالي قدس سره وقال: أفي أمتكما حبر كذا قالا: لا ورضي الله عن جميع الأولياء والعلماء ونفعنا بهم فانظر ما أشرف علم هذه الأمة وما أعز معرفتهم ولذا يشرفون يوم القيامة بكل حلية.

ـ كما قال بعض الأخيار ـ رأيت الشيخ أبا إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي رحمه الله في النوم بعد وفاته وعليه ثياب بيض وعلى رأسه تاج فقلت له: ما هذا البياض؟ فقال: شرف الطاعة قلت: والتاج قال: عز العلم. قال بعض الكبار: من عدم الإنصاف عدم إيمان الناس بما جاء به الأنبياء المعصومون وعدم الإيمان بما أتى به الأولياء المحفوظون فإن البحر واحد فمن آمن بما جاء به الأصل من الوحي يجب أن يؤمن بما جاء به الفرع من الإلهام بجامع الموافقة وقد ثبت أن العلماء ورثة الأنبياء فعلومهم علومهم ففي الاتباع لهم في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم أجر كثير وثواب عظيم ونجاة من المهالك كما قال الحافظ:

يا رمردان خدا باش كه دركشتى نوح   هست خاكى كه بآبى نخرد طوفانرا

﴿إن ربك هو يفصل﴾ يقضي ﴿بينهم﴾ بين الأنبياء وأممهم المكذبين أو بين المؤمنين والمشركين ﴿يوم القيامة﴾ فيميز بين المحق والمبطل [وهريك را مناسب اوجزا دهد] وكلمة هو للتخصيص والتأكيد وإن ذلك الفصل يوم القيامة ليس إلا إليه وحده لا يقدر عليه أحد سواه ولا يفوّض إلى من عداه ﴿فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من أمور الدين هنا أي: في الدنيا. قال بعض الكبار: إن الله تعالى تبارك وتعالى يحكم بين عباده لوجوه:

أولها: لعزتهم لأنهم عنده أعز من أن يجعل حكمهم إلى أحد من المخلوقين بل هو بفضله وكرمه يكون حاكماً عليهم.

وثانيها: غيرة عليهم لئلا يطلع على أحوالهم أحد غيره.

وثالثها: رحمة وكرماً فإنه ستار لا يفشي عيوبهم ويستر عن الأغيار ذنوبهم.

ورابعها: لأنه كريم ومن سنة الكرام أنهم إذا مروا باللغو مروا كراماً.

وخامسها: فضلاً وعدلاً لأنه الخالق الحكيم الذي خلقهم وما يعملون على مقتضى حكمته ووفق مشيئته فإن رأى منهم حسناً فذلك من نتائج إحسانه وفضله وإن رأى منهم قبيحاً فذلك من موجبات حكمته وعدله وأنه ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] الآية.

وسادسها: عناية وشفقة فإنه تعالى خلقهم ليربحوا عليه لا ليربح عليهم فلا يجوز من كرمه أن يخسروا عليه.

وسابعها: رحمة ومحبة فإنه تعالى بالمحبة خلقهم لقوله: «فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف» وللمحبة خلقهم لقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المائدة: ٥٤] فينظر في شأنهم بنظر المحبة والرضى:

وعين الرضى عن كل عيب كليلة

وثامنها: لطفاً وتكريماً فإنه نادى عليهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] فلا يهين من كرّمه.

وتاسعها: عفواً وجوداً فإنه تعالى عفو يحب العفو فإن رأى جريمة في جريدة العبد يحب عفوها وأنه جواد يحب أن يجود عليه بالمغفرة والرضوان.

وعاشرها: أنه تعالى جعلهم خزائن أسراره فهو أعلم بحالهم وأعرف بقدرهم فإنه خمر طينتهم بيده أربعين صباحاً وجعلهم مرآة يظهر بها جميع صفاته عليهم لا على غيرهم ولو كان الملائكة المقربين ألا ترى أنه تعالى لما قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠] فما عرفوهم حق معرفتهم حتى قال تعالى فيهم عزة وكرامة ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] أي: من فضائلهم وشمائلهم فإنهم خزائن أسراري ومرآة جمالي وجلالي فأنتم تنظرون إليهم بنظر الغيرة وأنا أنظر إليهم بنظر المحبة والرحمة فلا ترون منهم إلا كل قبيح ولا أرى منهم إلا كل جميل فلا أرضى أن أجعلكم حاكماً بينهم بل بفضلي وكرمي أنا أفصل بينهم فيما كانوا فيها يختلفون فأحسن إلى محسنهم وأتجاوز عن مسيئهم فلا يكبر عليّ اختلافهم لعلمي بحالهم أنهم لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم.

فعلى العاقل أن يرفع الاختلاف من البين ولا يقع في البين فإن الله تعالى قد هدى بهداية القرآن إلى طريق القربات ولكن ضل عن الاتفاق الأعضاء والقوى في قطع العقبات اللهم ارحم إنك أنت الجواد الأكرم.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍۚ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْۚ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿أو لم يهد لهم﴾ تخويف لكفار مكة أي: اغفلوا ولم يبين لهم مآل أمرهم والفاعل ما دل عليه قوله: **﴿كم أهلكنا﴾** أي: كثرة إهلاكنا لأن كم لا يقع فاعلاً فلا يقال جاءني كم رجل **﴿من قبلهم من القرون﴾** مثل عاد وثمود وقوم لوط. والقرن اسم لسكان الأرض عصراً والقرون سكانها على الأعاصير **﴿يمشون في مساكنهم﴾** الجملة حال من ضميرهم يعني أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديار الهالكين وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم وخراب منازلهم **﴿إن في ذلك﴾** الإهلاك وما يتعلق به من الآثار **﴿لآيات﴾** حججاً ومواعظ لكل مستبصر ومعتبر، وبالفارسية [عبرتهاست مر امم آتيه را] **﴿أفلا يسمعون﴾** آيات الله ومواعظه سماع تدبر واتعاظ فينتهوا عما هم عليه من الكفر والتكذيب.

كسى راكه پندار درسر بود ... مپندار هركز كه حق بشنود
زعلمش ملال آيد ازوعظ ننك ... شقايق بباران نرويد زسنك

﴿أولم يروا أنا نسوق الماء﴾ السوق [راندن] والمراد سوق السحاب الحامل للماء لأنه هو الذي ينسب إلى الله تعالى وأما السقي بالأنهار فمنسوب إلى العبد وإن كان الإنبات من الله تعالى ولما كان هذا السوق وما بعده من الإخراج محسوساً حمل بعضهم الرؤية على البصرية ويدل عليه أيضاً آخر الآية وهو ﴿أفلا يبصرون﴾. وقال في «بحر العلوم» حملاً على المقصود من النظر أي: قد علموا أنا نسوق الماء، وبالفارسية: [آيا نمى بينند ونميدانندكه ما آب را در ابر ميرانيم] ﴿إلى الأرض الجرز﴾ أي: التي جرز نباتها أي: قطع وأزيل بالكلية لعدم المطر أو لغيره كالرعي لا التي لا تنبت لقوله: ﴿فنخرج﴾ من تلك الأرض ﴿به﴾ أي: بسبب ذلك الماء المسوق ﴿زرعاً﴾ [كشت زارها وغلات وأشجار] وهو في الأصل مصدر عبر به عن المزروع ﴿تأكل منه﴾ أي: من ذلك الزرع ﴿أنعامهم﴾ [چهار پايان ايشان] كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها ﴿وأنفسهم﴾ كالحبوب التي يقتاتها الإنسان والثمار ﴿أفلا يبصرون﴾ أي: لا ينظرون فلا يبصرون ذلك فيستدلون به على وحدته وكمال قدرته وفضله تعالى وأنه الحقيق بالعبادة وأن لا يشرك به بعض خلقه من ملك وإنسان فضلاً عن جماد لا يضر ولا ينفع وأيضاً فيعلمون أنا نقدر على إعادتهم وإحيائهم.

قال ابن عطاء في الآية نوصل بركات المواعظ إلى القلوب القاسية المعرضة عن الحق فتتعظ بتلك المواعظ. قال بعضهم: يسوق مياه معرفته من بحار تجلي جلاله إلى أرض القلوب الميتة فينبت نرجس الوصلة وياسمين المودة وريحان المؤانسة وبنفسج الحكمة وزهر الفطنة وورد المكاشفة وشقائق الحقيقة. وقال بعضهم: نسوق ماء الهداية إلى القلوب الميتة فنسقي حدائق وصلهم بعد جفاف عودها وزوال المأنوس من معهودها فيعود عودها مورقاً بعد ذبوله حاكياً لحالة حال حصوله فنخرج به زرعاً من الواردات التي تصلح لزينة النفوس ومن المشاهدات التي تصلح لتغذية القلوب ولا يخفى أن الهداية على أنواع فهداية الكافر إلى الإيمان وهداية المؤمن الفاسق إلى الطاعات وهداية المؤمن المطيع إلى الزهد والورع وهداية الزاهد المتورع إلى المعرفة وهداية العارف إلى الوصول وهداية الواصل إلى الحصول فعند الحصول تنبت حبة القلب بفيض الإلهام الصريح نباتاً لا جفاف لها بعده فمن هٰهنا يأخذ الإنسان الكامل في الحياة الباقية وينبغي لطالب الحق أن يجتهد في طريق العبودية فإن الفيض والنماء إنما يحصل من طريق العبادات ولذا جعل الله الطاعات رحمة على العباد ألا ترى أن الإنسان إذا صلى صلاة الفجر يقع في بحر المناجاة مع الله ولكن تنقطع هذه الحالة إلى صلاة الظهر بالنسبة إلى الإنسان الناقص إذ ربما يشتغل في البين بما ينقطع به المدد فصلاة الظهر إذا تجدد له حالته وهكذا فتكرر الصلوات في الليل والنهار كتكرر سقي الأرض والزرع صباحاً ومساءً وكذا الصوم فإن شهر رمضان يفتح فيه باب القلب ويغلق باب الطبيعة فيحصل للصائم صفة الصمدية فيكون كالملائكة في المحل ففي تكرر رمضان عليه إمداد له لتكميل تلك الصفة الإلهية وإنما لا يظهر أثر الطاعات في حق العوام لأنهم لا يؤدونها من طريقها وبشرائطها فالله تعالى قادر على أن ينقذهم من شهواتهم ويخرجهم من دائرة غفلاتهم ومن استعجز القدرة الإلهية فقد كفر. قال في «شرح الحكم» وإن أردت الاستعانة على تقوية رجائك فانظر لحال من كان مثلك ثم أنقذه الله وخصه بعنايته كإبراهيم بن أدهم وفضيل بن عياض وابن المبارك وذي النون ومالك بن دينار وغيرهم من محرومي البداية ومرزوقي النهاية، وفي «المثنوي»:

سايهٔ حق برسر بنده بود عاقبت جوينده يابنده بود
كفت پيغمبر كه چون كوبى درى عاقبت زان در برون آيد سرى
چون نشينى برسر كوى كسى عاقبت بيني توهم روى كسى
چون زچاهى ميكنى هر روز خاك عاقبت اندر رسى درآب پاك
جمله دانند اين اكر تو نكروى هرچه ميكاريش روزى بد روى

وقال في موضع آخر:

چون صلاى وصل بشنيدن كرفت اندك اندك مرده چنبيدن كرفت
نى كم ازخاكست كز عشوهٔ صبا سبز پوشد سر برآرد ازفنا
كم زآب نطفه نبود كز خطاب يوسفان زايند رخ چون آفتاب
كم زبادى نيست شد از امركن در رحم طاوس ومرغ خوش سخن
كم زكوه وسنك نبود كز ولاد ناقهٔ كان ناقه ناقه زاد زاد

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿ويقولون﴾ وذلك أن المؤمنين كانوا يقولون لكفار مكة إن لنا يوماً يفتح الله فيه بيننا أي: يحكم ويقضي يريدون يوم القيامة أو إن الله سيفتح لنا على المشركين ويفصل بيننا وبينهم وكان أهل مكة إذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيباً واستهزاء ﴿متى هذا الفتح﴾ أي: في أي: وقت يكون الحكم والفصل أو النصر والظفر ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أنه كائن.

﴿قل﴾ تبكيتاً لهم وتحقيقاً للحق لا تستعجلوا ولا تستهزئوا فإن ﴿يوم الفتح﴾ يوم إزالة الشبهة بإقامة القيامة فإن أصله إزالة الإغلاق والإشكال أو يوم الغلبة على الأعداء ﴿لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ فاعل لا ينفع والموصول مفعوله ﴿ولا هم ينظرون﴾ يمهلون ويؤخرون فإن الأنظار بالفارسية [زمان دادن] أما إذا كان المراد يوم القيامة فإن الإيمان يومئذٍ لا ينفع الكافر لفوات الوقت ولا يمهل أيضاً في إدراك العذاب ولا في بيان العذر فإنه لا عذر له وأما إذا كان المراد يوم النصرة كيوم بدر فإنه لا ينفع إيمانه حال القتل إذ هو إيمان يأس كإيمان فرعون حين ألجمه الغرق ولا يتوقف في قتله أصلاً والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على أنه ليس مما ينبغي أن يسأل عنه لكونه أمراً بيناً غنياً عن الأخبار وكذا إيمانهم واستنظارهم يومئذٍ وإنما المحتاج إلى البيان عدم نفع ذلك الإيمان وعدم الإنظار ﴿فأعرض عنهم﴾ أي: لا تبال بتكذيبهم، وبالفارسية: [پس روى بكردان بطريق اهانت از ايشان تامدن معلوم يعني تانزول آية السيف] ﴿وانتظر﴾ النصرة عليهم وهلاكهم لصدق وعدي ﴿إنهم منتظرون﴾ الغلبة عليك وحوادث الزمان من موت أو قتل فيستريحوا منك أو إهلاكهم كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠] الآية ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا فإنهم منتظرون فإن استعجالهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي في حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لا محالة وقد أنجز الله وعده فنصر عبده وفتح للمؤمنين وحصل أمانيهم أجمعين.

شكر خداكه هرچه طلب كردم ازخدا برمنتهاى همت خود كامران شدم

قال بعضهم:

هركرا اقبال باشد رهنمون دشمنش كردد بزودى سر نكون

وفي الآية حث على الانتظار والصبر.

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

وإشارة إلى أن أهل الأهواء ينكرون على الأولياء ويستدعون منهم إظهار الكرامات وعرض الفتوحات ولكن إذا فتح الله على قلوب أوليائه لا ينفع الإيمان بفتوحهم زمرة أعدائه إذ لم يقتدوا بهم ولم يهتدوا بهدايتهم فما لهم إلا الحسرات والزفرات فانتظار المقر المقبل لفتوحات الألطاف وانتظار المنكر المدبر لهواجم المقت وخفايا المكر والقهر نعوذ بالله تعالى. وفي الحديث: «من قرأ ﴿الم * تنزيل﴾ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] أعطى من الأجر كأنما أحيى ليلة القدر» وفي الحديث: «من قرأ ألم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام» كما في «الإرشاد» وفي الحديث: «تجيء ألم تنزيل السجدة يوم القيامة لها جناحان تطاير صاحبها وتقول لا سبيل عليك» كما في «بحر العلوم».

ـ وروي ـ عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ألم السجدة وتبارك الذي بيده الملك ويقول: «هما تفضلان كل سورة في القرآن بسبعين حسنة فمن قرأهما كتب له سبعون حسنة ومحى عنه سبعون سيئة ورفع له سبعون درجة» وعن أبي هريرة رضي الله عنه كان النبي عليه السلام يقرأ في الفجر يوم الجمعة ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ [السجدة: ١ ـ ٢] ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١] كما في «كشف الأسرار».

ويسن عند الشافعي وأحمد أن يقرأ في فجر يوم الجمعة في الركعة الأولى ألم السجدة وفي الثانية ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١] وكره أحمد المداومة عليها لئلا يظن أنها مفضلة بسجدة وعند أبي حنيفة ومالك لا يسن بل كره أبو حنيفة تعيين سورة غير الفاتحة لشيء من الصلوات لما فيه من هجران الباقي كما في «فتح الرحمٰن». قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر إن من أدب العارف إذا قرأ في صلاته المطلقة أن لا يقصد قراءة سورة معينة أو آية معينة وذلك لأنه لا يدري أين يسلك به ربه من طريق مناجاته فالعارف يقرأ بحسب ما يناجيه به من كلامه وبحسب ما يلقي إليه الحق في خاطره كما في «الكبريت الأحمر» نسأل الله سبحانه أن يجعلنا ممن يقوم بكلامه آناء الليل وأطراف النهار ويتحقق بمعانيه ومناجاته في السر والجهار.

تمت سورة السجدة بعون الله تعالى يوم الأحد الرابع من شهر رمضان المنتظم
في شهور سنة ألف ومائة وتسع

٣٣ ـ سورة الأحزاب

مدنية وهي ثلاث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾.

﴿يا أيها النبي﴾ من النبأ وهو خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن وسمي نبياً لأنه منبىء أي: مخبر عن الله بما تسكن إليه العقول الزكية أو من النبوة أي: الرفعة لرفعة محل النبي عن سائر الناس المدلول عليه بقوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم: ٥٧] ناداه تعالى بالنبي لا باسمه أي: لم يقل يا محمد كما قال يا آدم ويا نوح ويا موسى ويا عيسى ويا زكريا ويا يحيى تشريفاً فهو من الألقاب المشرفة الدالة على علو جنابه عليه السلام. وله أسماء وألقاب غير هذا وكثرة الأسماء والألقاب تدل على شرف المسمى وأما تصريحه باسمه في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] فلتعليم الناس أنه رسول الله وليعتقدوه كذلك ويجعلوه من عقائدهم الحقة [در أسباب نزول مذكور است كه أبو سفيان وعكرمة وأبو الأعور بعد از واقعة أحد از مكة بمدينه آمده در مركز نفاق يعني وثاق ابن أبي نزول كردند وروزى ديكر از رسول خدا در خواستند تا ايشانرا امان دهد وباوى سخن كويند رسول خدا ايشانرا امان داد باجمعى از منافقان برخاستند بحضرت مصطفى عليه السلام آمدند وكفتند «ارفض ذكر آلهتنا وقل إنها تشفع يوم القيامة وتنفع لمن عبدها ونحن ندعك وربك» اين سخن بدان حضرت شاق آمد روى مبارك درهم كشيد عبد الله بن أبيّ ومقت بن قشير وجد بن قيس از منافقان كفتند يا رسول الله سخن اشراف عرب را باوركن كه صلاح كلى درضمن آنست فاروق رضي الله عنه حميت اسلام وصلابت دين دريافته قصد قتل كفره فرمود حضرت عليه السلام كفت أي عمر من ايشانرا بجان امان داده ام تونقض عهد مكن] فأخرجهم عمر رضي الله عنه من المسجد بل من المدينة وقال: اخرجوا في لعنة الله وغضبه فنزلت هذه الآية ﴿اتق الله﴾ في نقض العهد ونبذ الأمان وأثبت على التقوى وزد منها فإنه ليس لدرجات التقوى نهاية وإنما حملت على الدوام لأن المشتغل بالشيء لا يؤمر به فلا يقال للجالس مثلاً اجلس أمره الله بالتقوى تعظيماً لشأن التقوى فإن تعظيم المنادى ذريعة إلى تعظيم شأن المنادى له. قال في «كشف الأسرار» يأتي في القرآن الأمر بالتقوى كثيراً لتعظيم ما بعده من أمر أو نهي كقول ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ [الحديد: ٢٨] وقول لوط ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ [هود: ٧٨]. قال في الكبير: لا يجوز حمله على غفلة النبي عليه السلام لأن قوله النبي ينافي الغفلة لأن النبي خبير فلا يكون غافلاً. قال ابن عطاء: أيها المخبر عني خبر صدق والعارف بي معرفة حقيقية اتق الله في أن يكون لك الالتفات إلى شيء سواي.

واعلم أن التقوى في اللغة بمعنى الاتقاء وهو اتخاذ الوقاية وعند أهل الحقيقة هو الاحتراز بطاعة الله من عقوبته وصيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك. قال بعض الكبار المتقي إما أن يتقي بنفسه عن الحق تعالى وإما بالحق عن نفسه والأول هو الاتقاء بإسناد النقائص إلى نفسه عن إسنادها إلى الحق سبحانه فيجعل نفسه وقاية له تعالى والثاني هو الاتقاء بإسناد الكمالات إلى الحق سبحانه عن إسنادها إلى نفسه فيجعل الحق وقاية لنفسه والعدم نقصان فهو مضاف إلى العبد والوجود كمال فهو مضاف إلى الله تعالى. وفي «كشف الأسرار» [آشنا باتقوى كسانند كه بپناه طاعت شوند ازهرچه معصيتست واز حرام بپرهيزند خادمان تقوى ايشانندكه بپناه احتياط شوند واز هرچه شبهتست بپرهيزند عاشقان تقوى ايشانند كه از حسنات وطاعات خويش از روى ناديدن چنان پرهيز كنند كه ديكران از معاصى]:

ما سواي حق مثال كلخنست تقوى ازوى چون حمام روشنست
هركه درحمام شد سيماى او هست پيدا بررخ زيباى او

﴿ولا تطع الكافرين﴾ أي: المجاهرين بالكفر ﴿والمنافقين﴾ أي: المضمرين له أي: دم على ما أنت عليه من انتفاء الطاعة لهم فيما يخالف شريعتك ويعود بوهن في الدين وذلك أن رسول الله لم يكن مطيعاً لهم حتى ينهى عن إطاعتهم لكنه أكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه والإطاعة الانقياد وهو لا يتصور إلا بعد الأمر. فالفرق بين الطاعة والعبادة أن الطاعة فعل يعمل بالأمر لا غير بخلاف العبادة ﴿إن الله كان﴾ على الاستمرار والدوام لا في جانب الماضي فقط ﴿عليماً﴾ بالمصالح والمفاسد فلا يأمرك إلا بما فيه مصلحة ولا ينهاك إلا عما فيه مفسدة ﴿حكيماً﴾ لا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة البالغة.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾.

﴿واتبع﴾ في كل ما تأتي وما تذر من أمور الدين ﴿ما يوحى إليك من ربك﴾ في التقوى وترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك أي: فاعمل بالقرآن لا برأي الكافرين. قال سهل: قطعه بذلك عن اتباع أعدائه وأمره بالاتباع في كل أحواله ليعلم أن أصح الطريق شريعة الاتباع والاقتداء لا طريقة الابتداع والاستبداد:

من بسر منزل عنقا نه بخود بردم راه قطع اين مرحله بامرغ سليمان كردم

﴿إن الله كان بما تعملون﴾ من الامتثال وتركه وهو خطاب للنبي عليه السلام والمؤمنين ﴿خبيراً﴾ [آكاه وخبردار] فيرتب على كل منهما جزاءه ثواباً أو عقاباً فهو ترغيب وترهيب.

﴿وتوكل على الله﴾ أي: فوض جميع أمورك إليه ﴿وكفى بالله﴾ أي: الله تعالى ﴿وكيلاً﴾ حافظاً موكولاً إليه كل الأمور، وبالفارسية: [كار ساز ونكهبان وكفايت كنندهٔ مهمات]:

چون ره لطف عنايت كند جمله مهمات كفايت كند

قال الشيخ الزورقي في «شرح الأسماء الحسنى»: الوكيل هو المتكفل بمصالح عباده والكافي لهم في كل أمر ومن عرف أنه الوكيل اكتفى به في كل أمره فلم يدبر معه ولم يعتمد إلا عليه. وخاصيته نفي الحوائج والمصائب فمن خاف ريحاً أو صاعقة أو نحوهما فليكثر منه فإنه يصرف ويفتح له أبواب الخير والرزق. قال في «كشف الأسرار» أبو يزيد بسطامي قدس

سره [باكروه مريدان برتوكل نشسته بودند مدتى بكذشت كه ايشانرا فتوحى برنيامد وازهيچ كس رفقي نيافتند بى طاقت شدند كفتند أي شيخ اكر دستورى باشد بطلب رزقي رويم شيخ كفت اكر دانيد كه روزىء شما كجاست رويد وطب كنيد كفتند تا الله را خوانيم ودعا كنيم].

اربـاب حـاجـتـيـم وزبـان سـؤال نـيـسـت   در حضـرت كـريـم تـمـنـا چـه حـاجـتـسـت

[كفتند أي شيخ پس برتوكل مى نشينيم وخاموش مى باشيم كفتا خدايرا آزمايش ميكنيد كفتند أي شيخ پس چاره وحيلت چيست شيخ كفت «الحيلة ترك الحيلة» يعني حيلت آنست كه اختيار ومراد خود در باقي كنيد تا آنچه قضاست خود ميرود أي جو انمرد حقيقت توكل آنست كه مرد از راه اختيار خود بر خيزد ديدهء تصرف را ميل در كشد خيمهء رضا وتسليم برسر كوى قضا وقدر بزندديدهء مطالعت بر مطالع مجارىء احكام كذارد تا از پردهء عزت چه آشكاراشود وبهر چه پيش آيد در نظارهء محول باشد نه در نظارهء حال چون مرد بدين مقام رسد كليد كنج مملكت دركنار وى نهند توانكر دل كردد]. فعلى العاقل أن يجتهد في ترك الالتفات إلى غير الله ويركب المشاق في طريق من يهواه فإن الأخذ بالعزائم نعت الرجل الحازم وأولو العزم من الرسل هم الذين لقوا الشدائد في تمهيد السبل. ما جنح إلى الرخص إلا من يقع في الغصص. من سلك هٰهنا ما توعر تيسر له في آخرته ما تعسر. فما أثقل ظهرك سوى وزرك. فهنا تحط الأثقال أثقال الأعمال والأقوال. فاحذر من الابتداع في حال الاتباع.

واعلم أن النعم لا يمكن العبد تحصيلها بالأصالة فالله يحصلها له بالوكالة والعاقبة للتقوى.

وقال بعض الكبار: من الأدب أن تسأل لأنه تعالى ما أوجدك إلا لتسأل فإنك الفقير الأول فاسأل من كريم لا يبخل فإنه ذو فضل عميم ومن اتبع هواه لم يبلغ مناه ومن قام بالخدمة مع طرح الحرمة والحشمة فقد خاب وما نجح وخسر وما ربح الخادم في مقام الإذلال فما له وللدلال إذا دخل الخادم على مخدومه واعترض ففي قلبه مرض فبالحرمة والتسليم والتوكل تنال الرغائب في جميع المناصب والله تعالى هو الخبير أي: العليم بدقائق الأمور وخفاياها ومن عرف أنه الخبير اكتفى بعلمه ورجع عن غيره ونسي ذكر غيره بذكره ويترك الدعوى والرياء والتصنع ويكون على إخلاص في العمل فإن الناقد بصير.

بـروى ريـا حـرقـه سـهـلـسـت دوخـت   كـرش بـاغـدا در تـوانـى فـروخـت

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أهل التقوى والإخلاص ويلحقنا بأرباب الاختصاص ويفتح لنا باب الخيرات والفتوح ما مكث في هذا البدن الروح.

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾.

﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ جعل بمعنى خلق والرجل مخصوص بالذكر من الإنسان والتنكير ومن الاستغراقية لإفادة التعميم والقلب مضغة صغيرة في هيئة الصنوبرة خلقها الله في الجانب الأيسر من صدر الإنسان معلقة بعرق الوتين وجعلها محلاً للعلم وجوف الإنسان بطنه كما في اللغات وذكره لزيادة التقرير كما في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، والمعنى بالفارسية: [الله تعالى هيچ مردرا دو دل نيافريد در اندرون

وى زيرا كه قلب معدن روح حيواني ومنبع قوتهاست پس يكى بيش نشايد زيراكه روح حيواني يكيست] وفيه طعن على المنافقين كما قاله القرطبي يعني أن الله تعالى لم يخلق للإنسان قلبين حتى يسع أحدهما الكفر والضلال والإصرار والانزعاج والآخر الإيمان والهدى والإنابة والطمأنينة فما بال هؤلاء المنافقين يظهرون ما لم يضمروه وبالعكس. وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان المنافقون يقولون إن لمحمد قلبين قلباً معنا وقلباً مع أصحابه فأكذبهم الله. وقال بعضهم: هذا رد ما كانت العرب تزعم من أن للعاقل المجرب للأمور قلبين ولذلك قيل لأبي معمر ذي القلبين وكان من أحفظ العرب وأدراهم وأهدى الناس إلى طريق البلدان وكان مبغضاً للنبي عليه السلام وكان هو أو جميل بن أسد يقول: في صدري قلبان أعقل بهما أفضل مما يعقل محمد بقلبه [كفت در سينه من دودل نهاده اند تادانش ودر يافت من بيش از در يافت محمد باشد] وكان الناس يظنون أنه صادق في دعواه فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم فيهم وهو يعدو في الرمضاء وإحدى نعليه في يده والأخرى في رجله فلقيه أبو سفيان وهو يقول: أين نعلي أين نعلي ولا يعقل أنها في يده فقال له إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك فعلموا يومئذٍ أنه لو كان له قلبان ما نسي نعله في يده.

ويقول الفقير: أمّا ما يقال بين الناس لفلان قلبان فليس على حقيقته وإنما يريدون بذلك وصفه بكمال القوة وتمام الشجاعة كأنه رجلان وله قلبان. وفي الآية إشارة إلى أن القلب خلق للمحبة فقط فالقلب واحد والمحبة واحدة فلا تصلح إلا لمحبوب واحد لا شريك له كما أشار إليه من قال:

دلم خانهٔ مهريارست وبس   ازان مى نگنجد دروكين كس

فمن اشتغل بالدنيا قالباً وقلباً ثم ادعى حب الآخرة بل حب الله فهو كاذب في دعواه.

چمشيد جز حكايت جام از جهان نبرد   زنهار دل مبند بر اسباب دنيوي

﴿وما جعل أزواجكم﴾ نساءكم جمع زوج كما أن الزوجات جمع زوجة والزوج أفصح وإن كان الثاني أشهر، وبالفارسية: [ونساخته زنان شمارا] ﴿اللائي﴾ جمع التي ﴿تظاهرون منهن﴾ أي: تقولون لهن أنتن علينا كظهور أمهاتنا أي: في التحريم فإن معنى ظاهر من امرأته قال لها: أنت عليّ كظهر أمي فهو مأخوذ من الظهر بحسب اللفظ كما يقال لبى المحرم إذا قال لبيك واقف الرجل إذا قال: أف وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب وكان طلاقاً في الجاهلية وكانوا يجتنبون المطلقة، يعني: [طلاق جاهليت اين بود كه بازن خويش ميكفتند] أنت عليّ كظهر أمي أي: أنت عليّ حرام كبطن أمي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وإنما جعلوا الكناية بالظهر عن البطن لأنه عمود البطن وقوام البنية ﴿أمهاتكم﴾ أي: كأمهاتكم جمع أم زيدت الهاء فيه كما زيدت في إهراق من أراق وشدت زيادتها في الواحدة بأن يقال أمه. والمعنى ما جمع الله الزوجية والأمومة في امرأة لأن الأم مخدومة لا يتصرف فيها والزوجة خادمة يتصرف فيها والمراد بذلك نفي ما كانت العرب تزعمه من أن الزوجة المظاهر منها كالأم. قال في «كشف الأسرار»: [چون اسلام آمد وشريعت راست رب العالمين براى اين كفارت وتحلت بديد كرد وشرع آنرا اظهار نام نهاد] وهو في الإسلام يقتضي الطلاق والحرمة إلى أداء الكفارة وهي عتق رقبة فإن عجز صام شهرين متتابعين ليس فيهما رمضان ولا شيء من الأيام المنهية وهي يوما العيد وأيام التشريق فإن عجز أطعم

ستين مسكيناً كل مسكين كالفطرة أو قيمة ذلك. وقوله: أنت عليّ كظهر أمي لا يحتمل غير الظهار سواء نوى أو لم ينو ولا يكون طلاقاً أو إيلاء لأنه صريح في الظهار. ولو قال: أنت عليّ مثل أمي فإن نوى الكرامة أي: إن قال: أردت أنها مكرمة عليّ كأمي صدق أو الظهار فظهار أو الطلاق فبائن وإن لم ينو شيئاً فليس شيء. ولو قال: أنت عليّ حرام كأمي ونوى ظهاراً أو طلاقاً فكما نوى. ولو قال: أنت عليّ حرام كظهر أمي ونوى طلاقاً وإيلاء فهو ظهار وعندهما ما نوى ولا ظهار إلا من الزوجة فلا ظهار من أمته لأن الظهار منقول عن الطلاق لأنه كان طلاقاً في الجاهلية ولا طلاق في المملوك. ولو قال لنسائه أنتن عليّ كظهر أمي كان مظاهراً منهن وعليه لكل واحدة كفارة وإن ظاهر من واحدة مراراً في مجلس أو مجالس فعليه لكل ظهار كفارة كما في تكرار اليمين فكفارة الظهار واليمين لا تتداخل بخلاف كفارة شهر رمضان وسجدة التلاوة أي: إذا تكررت التلاوة في موضع لا يلزم إلا سجدة واحدة ﴿**وما جعل أدعياءكم**﴾ جمع دعى فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعي ولداً ويتخذ ابناً أي: المتبني بتقديم الباء الموحدة على النون، وبالفارسية: [كسى را به پسرى كرفتن] وقياسه أن يجمع على فعلى كجرحى بأن يقال دعيا فإن أفعلاء مختص بفعيل بمعنى فاعل مثل تقي وأتقياء كأنه شبه فعيل بمعنى مفعول في اللفظ بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ﴿**أبناءكم**﴾ حقيقة في حكم الميراث والحرمة والنسب أي: ما جعل الله الدعوة والبنوة في رجل لأن الدعوة عرض والبنوة أصل في النسب ولا يجتمعان في الشيء الواحد وهذا أيضاً رد ما كانوا يزعمون من أن دعى الرجل ابنه فيجعلون له من الميراث مثل نصيب الذكر من أولادهم ويحرمون نكاح زوجته إذا طلقها ومات عنها ويجوز أن يكون نفي القلبين لتمهيد أصل يحمل عليه نفي الأمومة عن المظاهر منها والبنوة عن المتبني.

والمعنى: كما لم يجعل الله قلبين في جوف واحد لأدائه إلى التناقض وهو أن يكون كل منهما أصلاً لكل القوى وغير أصل كذلك لم يجعل الزوجة أمّاً والدعيّ ابنا لأحد يعني كون المظاهر منها أمّاً وكون الدعيّ ابناً أي: بمنزلة الأم والابن في الآثار والأحكام المعهودة بينهم في الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين في جوف واحد. وفيه إشارة إلى أن في القرابة النسبية خواص لا توجد في القرابة السببية فلا سبيل لأحد أن يضع في الأزواج بالظهار ما وضع الله في الأمهات ولا أن يضع في الأجانب بالتبني ما وضع الله في الأبناء فإن الولد سر أبيه فما لم يجعل الله فليس في مقدور أحد أن يجعله ﴿**ذلكم**﴾ [اين مظاهره را مطلقه ودعى را ابن خواندن] أو هو إشارة إلى الأخير فقط لأنه المقصود من سياق الكلام أي: دعاؤكم الدعي بقولكم هذا ابني. ﴿**قولكم بأفواهكم**﴾ فقط لا حقيقة له في الأعيان كقول الهازل فإذا هو بمعزل عن أحكام البنوة كما زعمتم والأفواه جمع فم واصل فم فوه بالفتح مثل ثوب وأثواب وهو مذهب سيبويه والبصريين وفوه بالضم مثل سوق وأسواق وهو مذهب الفراء حذفت الهاء حذفاً غير قياسي لخفائها ثم الواو لاعتلالها ثم أبدلت الواو المحذوفة ميماً لتجانسهما لأنهما من حروف الشفة فصار فم. قال الراغب وكل موضع علق الله فيه حكم القول بالفم فإشارة إلى الكذب وتنبيه على أن الاعتقاد لا يطابقه ﴿**والله يقول الحق**﴾ أي: الكلام المطابق للواقع لأن الحق لا يصدر إلا من الحق وهو أن غير الابن لا يكون ابناً ﴿**وهو يهدي السبيل**﴾ أي: سبيل الحق لا غيره فدعوا أقوالكم وخذوا بقوله هذا. والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك وما فيه سهولة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿والله يقول الحق﴾ فيما سمي كل شيء بازاء معناه ﴿وهو يهدي السبيل﴾ إلى اسم كل شيء مناسب لمعناه كما هدى آدم عليه السلام بتعليم الأسماء كلها وخصصه بهذا العلم دون الملائكة المقربين. قال بعض الكبار: اعلم أن آداب الشريعة كلها ترجع إلى ما نذكره وهو أن لا يتعدى العبد في الحكم موضعه في جوهر كان أو في عرض أو في زمان أو مكان أو في وضع أو في إضافة أو في حال أو في مقدار أو عدد أو في مؤثر أو في مؤثر فيه. فأما أولاها في الجوهر فهو أن يعلم العبد حكم الشرع في ذلك فيجربه فيه بحسنه. وأما أدب العبد في الأعراض فهو ما يتعلق بأفعال المكلفين من وجوب وحظر وإباحة ومكروه وندب. وأما أدبه في الزمان فلا يتعلق إلا بأوقات العبادات المرتبطة بالأوقات فكل وقت له حكم في المكلف ومنه ما يضيق وقته ومنه ما يتسع. وأما أدبه في المكان كمواضع العبادات مثل بيوت الله فيرفعها عن البيوت المنسوبة إلى الخلق ويذكر فيها اسمه. وأما أدبه في الوضع فلا يسمي الشيء بغير اسمه ليغير عليه حكم الشرع بتغيير اسمه فيحلل ما كان محرماً ويحرم ما كان محللاً كما في حديث «سيأتي على أمتي زمان يظهر فيه أقوام يسمون الخمر بغير اسمها» أي: فتحاً لباب استحلالها بالاسم وقد تفطن لما ذكره الإمام مالك رحمه الله فسئل عن خنزير البحر فقال: هو حرام فقيل له إنه من جملة سمك البحر فقال: أنتم سميتوه خنزيراً فانسحب عليه حكم التحريم لأجل الاسم كما سموا الخمر نبيذاً أو ابريزاً فاستحلوها بالاسم وقالوا إنما حرم علينا ما كان اسمه خمراً. وأما أدب الإضافة فهو مثل قول الخضر عليه السلام: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] وقوله: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [الكهف: ٨١] وذلك للاشتراك بين ما يحمد ويذم وقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ [الكهف: ٨٢] لتخليص المحمدة فيه فإن الشيء الواحد يكتسب ذماً بالنسبة إلى جهة ويكتسب حمداً بالإضافة إلى جهة أخرى وهو هو بعينه وإنما يغير الحكم بالنسبة. وأما أدب الأحوال كحال السفر في الطاعة وحال السفر في المعصية فيختلف الحكم بالحال. وأما الأدب في الأعداد فهو أن لا يزيد في أفعال الطهارة على أعضاء الوضوء ولا ينقص وكذلك القول في أعداد الصلوات والزكوات ونحوها وكذلك لا يزيد في الغسل عن صاع والوضوء عن مد. وأما أدبه في المؤثر فهو أن يضيف القتل أو الغصب مثلاً إلى فاعله ويقيم عليه الحدود. وأما أدبه في المؤثر فيه كالمقتول قوداً فينظر هل قتل بصفة ما قتل به أو بأمر آخر وكالمغصوب إذا وجد بغير يد الذي باشر الغصب فهذه أقسام آداب الشريعة كلها فمن عرفها وأجراها كان من المهتدين إلى السبيل الحق والمحفوظين عن الضلال المطلق فاعرف.

﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾.

﴿ادعوهم لآبائهم﴾ يقال فلان يدعى لفلان أي: ينسب إليه ووقوع اللام هٰهنا للاستحقاق. قال بعضهم: [اين آيت براى زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي بود] سبي صغيراً وكانت العرب في جاهليتها يغير بعضهم على بعض ويسبي فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له وطلبه أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله ﷺ فأعتقه ورباه كالأولاد وتبناه قبل الوحي وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب وكان يدعى زيد بن محمد وكذا يدعى المقداد بن عمرو البهراني المقداد بن الأسود

وسالم مولى أبي حذيفة سالم بن أبي حذيفة وغير هؤلاء ممن تبنى وانتسب لغير أبيه [ودر صحيح بخاري از ابن عمر منقولست كه نمى كفتيم إلا زيد بن محمد تا اين آيت آمد وما اورا زيد بن حارثة كفتيم] فالمعنى انسبوا الأدعياء إلى الذين ولدوهم فقولوا: زيد بن حارثة وكذا غيره، وبالفارسية: [مردانرا به پدران باز خوانيد] ﴿هو﴾ أي: الدعاء لآبائهم فالضمير لمصدر ادعوا كما في قوله: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] ﴿أقسط عند الله﴾ القسط بالكسر العدل وبالفتح هو أن يأخذ قسط غيره وذلك غير إنصاف ولذلك قيل قسط الرجل إذا جار وأقسط إذا عدل.

ـ حكي ـ أن امرأة قالت للحَجَّاج: أنت القاسط فضربها وقال: إنما أردت القسط بالفتح وأقسط أفعل تفضيل قصد به الزيادة المطلقة والمعنى بالغ في العدل والصدق، وبالفارسية: [راسترست ودادتر]. وفي «كشف الأسرار»: هو أعدل وأصدق من دعائهم إياهم لغير آبائهم ﴿فإن لم تعلموا﴾ [پس اكر ندانيد ونشناسيد] ﴿آباءهم﴾ [پدران ايشانرا تانسبت دهيد بآنها]. قال بعضهم متى عرض ما يحيل معنى الشرط جعلت أن بمعنى إذ وإذ يكون للماضي فلا منافاة هٰهنا بين حرفي الماضي والاستقبال. قال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٤] إن تفعلوا جزم بلم فإنها لما صيرته أي: المضارع ماضياً صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكأنه قال فإن تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما أي: حرف الشرط ولم ﴿فإخوانكم في الدين﴾ أي: فهم إخوانكم في الدين يعني من أسلم منهم ﴿ومواليكم﴾ وأولياؤكم فيه أي: فادعوهم بالإخوة الدينية والمولوية وقولوا: هذا أخي وهذا مولاي بمعنى الأخوة والولاية في الدين فهو من الموالاة والمحبة. قال بعضهم: [ايشانرا برادر مى خوانيد واكر شمارا مولاست يعنى آزاد كرده مولى ميخوانيد] ويدل عليه أن أبا حذيفة أعتق عبداً يقال له سالم وتبناه وكانوا يسمونه سالم بن أبي حذيفة كما سبق فلما نزلت هذه الآية سموه مولى أبي حذيفة ﴿وليس عليكم جناح﴾ أي: إثم يقال جنحت السفينة أي: مالت إلى أحد جانبيها وسمي الإثم المائل بالإنسان على الحق جناحاً ثم سمي كل إثم جناحاً. وقال بعضهم: إنه معرب كناه على ما هو عادة العرب في الإبدال ومثله الجوهر معرّب كوهر ﴿فيما أخطأتم به﴾ بقطع الهمزة لأن همزة باب الأفعال مقطوعة أي: فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي أو بعده على سبق اللسان أو النسيان. وقال ابن عطية: لا تتصف التسمية بالخطأ إلا بعد النهي والخطأ العدول عن الجهة. وفرق بين الخاطىء والمخطىء فإن من يأتي بالخطأ وهو يعلم أنه خطأ فهو خاطىء فإذا لم يعلم فهو مخطىء يقال: أخطأ الرجل في كلامه وأمره إذا زل وهفا وخطأ الرجل إذا ضل في دينه وفعله ومنه ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: ٣٧] والمعنى بالفارسية: [دران چيزى كه خطا كرديد بآن] ﴿ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾ أي: ولكن الجناح فيما قصدت قلوبكم بعد النهي على أن ما في محل الجر عطفاً على ما أخطأتم أو ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح على أن محل ما الرفع على الابتداء محذوف الخبر وفي الحديث: «من دعي إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام» ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ بليغ المغفرة والرحمة يغفر لخطيئتي ويرحم. وسمع عمر رضي الله عنه رجلاً يقول: اللهم اغفر خطاياي فقال: يا ابن آدم استغفر العمد وأما الخطأ فقد تجاوز لك عنه.

يقول الفقير: هذا لا يخالف الآية لأن المخطىء إذا قصر ووقع في أسباب أدّته إلى الخطأ

كأن مظنة المغفرة ومحل الرحمة ثم المتبني بقوله هو ابني إذا كان مجهول النسب وأصغر سناً من المتبني ثبت نسبه منه وإن كان عبداً له عتق مع ثبوت النسب وإن كان لا يولد لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند أبي حنيفة خلافاً لصاحبيه فإنه لا يعتق عندهما لأن كلامه محال فيلغو وأما معروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وإن كان عبداً عتق.

واعلم أن من نفى نسب الدعي عنه لا يلزمه شيء إذ هو ليس بابن له حقيقة وأما إذا نفى نسب ولده الثابت ولادته منه فيلزمه اللعان لأنه قذف منكوحته بالزنى وإن كذب نفسه يحد واللعان باب من الفقه فليطلب هناك.

ثم اعلم أن النسب الحقيقي ما ينسب إلى النبي ﷺ فإنه النسب الباقي كما قال: «كل حسب ونسب ينقطع إلا حسبي ونسبي» فحسبه الفقر ونسبه النبوة فينبغي أن لا يقطع الرحم عن النبوة بترك سننه وسيرته فإن قطع الرحم الحقيقي فوق قطع الرحم المجازي في الإثم إذ ربما يقطع الرحم المجازي إذا كان الوصل مؤدياً إلى الكفر أو المعصية كما قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى﴾ [لقمان: ١٥] الخ.

چون نبود خويش را ديانت وتقوى قطع رحم بهتر ازمودت قربى

وأما قطع الرحم الحقيقي فلا مساغ له أصلاً والأب الحقيقي هو الذي يقدر على التوليد من رحم القلب بالنشأة الثانية يعني في عالم الملكوت وهم الأنبياء والورثة من كمل الأنبياء فاعرف هذا وانتسب نسبة لا تنقطع في الدنيا والآخرة قال عليه السلام: «كل تقي نقي آلى» جعلنا الله وإياكم من هذا الآل.

﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٦﴾

﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ يقال: فلان أولى بكذا أي: أحرى وأليق، وبالفارسية: [سراوارتر].

ـ روي ـ أنه عليه السلام أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال ناس نشاور آباءنا وأمهاتنا فنزلت، والمعنى النبي عليه السلام أحرى وأجدر بالمؤمنين من أنفسهم في كل أمر من أمور الدين والدنيا كما يشهد به الإطلاق على معنى أنه لو دعاهم إلى شيء ودعتهم نفوسهم إلى شيء آخر كان النبي أولى بالإجابة إلى ما يدعوهم إليه من إجابة ما تدعوهم إليه نفوسهم لأن النبي لا يدعوهم إلا إلى ما فيه نجاتهم وفوزهم وأما نفوسهم فربما تدعوهم إلى ما فيه هلاكهم وبوارهم كما قال تعالى حكاية عن يوسف الصديق عليه السلام ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] فيجب أن يكون عليه السلام أحب إليهم من أنفسهم وأمره أنفذ عليهم من أمرها وآثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها وأن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه في الخطوب والحروب ويتبعوه في كل ما دعاهم إليه، يعني: [بايدكه فرمان اورا ازهمه فرمانها لاز مترشناسند] وفي الحديث: «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الفراش والجنادب» جمع جندب بضم الجيم وفتح الدال وضمها نوع من الجراد. والفراش جمع فراشة بفتح الفاء وهي دويبة تطير وتقع في النار، وبالفارسية: [پروانه] «يقعن فيها وهو يذب عنها»

أي: يدفع عن النار من الوقوع فيها «وأنا آخذ بحجزكم» بضم الحاء وفتح الجيم جمع حجزة وهي معقد الإزار وحجزة السراويل موضع التكة «عن النار» أي: ادفع عن نار جهنم «وأنتم تفلتون» بتشديد اللام أي: تخلصون «من يدي» وتطلبون الوقوع في النار بترك ما أمرته وارتكاب ما نهيته وفي الحديث: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة» أي: في الشفقة «من أنفسهم ومن آبائهم» وفي الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده وماله والناس أجمعين». قال سهل قدس سره: من لم ير نفسه في ملك الرسول ولم ير ولايته عليه في جميع أحواله لم يذق حلاوة سننه بحال.

دردو عالم غيب وظاهر اوست دوست دوستئ ديكران بربوى اوست
دوستئ اصل بايد كرد وبس فرع را بهر چه دارد دوست كس
اصل دارى فرع كوهر كزمباش تن بمان وجان بكيراى خواجه تاش

قال في «الأسئلة المقحمة»: والآية تشير إلى أن اتباع الكتاب والسنة أولى من متابعة الآراء والأقيسة حسبما ذهب إليه أهل السنة والجماعة ﴿وأزواجه﴾ [وزنان او] ﴿أمهاتهم﴾ أي: منزلات منازلهن في وجوب التعظيم والاحترام وتحريم النكاح كما قال تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] وأما فيما عدا ذلك من النظر إليهن والخلوة بهن والمسافرة معهن والميراث فهن كالأجنبيات فلا يحل رؤيتهن كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ولا الخلوة والمسافرة ولا يرثن المؤمنين ولا يرثونهن. وعن أبي حنيفة رحمه الله كان الناس لعائشة رضي الله عنها محرماً فمع أيهم سافرت فقد سافرت مع محرم وليس غيرها من النساء كذلك انتهى وقد سبق وجهه في سورة النور في قصة الإفك فبان أن معنى هذه الأمومة تحريم نكاحهن فقط ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: لسنا أمهات النساء أي: بل أمهات الرجال وضعف ما قال بعض المفسرين من أنهن أمهات المؤمنين والمؤمنات جميعاً ولما ثبت التحريم خصوصاً لم يتعد عشيرتهن فلا يقال لبناتهن أخوات المؤمنين ولا لإخوانهن وأخواتهن أخوال المؤمنين وخالاته ولهذا قال الشافعي: تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر وهي أخت أم المؤمنين ولم يقل هي خالة المؤمنين ثم إن حرمة نكاحهن من احترام النبي عليه السلام واحترامه واجب وكذا احترام ورثته الكمل وكذا قال بعض الكبار: لا ينكح المريد امرأة شيخه إن طلقها أو مات عنها وقس عليه حال كل معلم مع تلميذه وهذا لأنه ليس في هذا النكاح يمن أصلاً لا في الدنيا ولا في الآخرة وإن كان رخصة في الفتوى ولكن التقوى فوق أمر الفتوى فاعرف هذا. ورد مصحف أبيّ وقراءة ابن مسعود رضي الله عنهما [چنين بوده «وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم» مراد شفقت تمام ورحمت لا كلام است]. وقال بعضهم أي: النبي عليه السلام أب لهم في الدين لأن كل نبي أب لأمته من حيث إنه أصل فيما به الحياة الأبدية ولذلك صار المؤمنون إخوة. قال الإمام الراغب: الأب الوالد ويسمى كل من كان سبباً إلى إيجاد شيء أو إصلاحه أو ظهوره أبا ولذلك سمي النبي عليه السلام أباً للمؤمنين قال الله تعالى: ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم**﴾ وفي بعض القراآت وهو «أب لهم».

ـ وروي ـ أنه قال عليه السلام لعلي رضي الله عنه: «أنا وأنت أبو هذه الأمة» وإلى هذا أشار بقوله: «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي» ﴿**وأولو الأرحام**﴾ أي: ذووا

القرابات ﴿بعضهم أولى ببعض﴾ في التوارث كان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون بالموالاة في الدين والمؤاخاة وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تؤلف قلوب قوم بإسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما قوي الإسلام وعز أهله وجعل التوارث بالقرابة ﴿في كتاب الله﴾ أي: في اللوح المحفوظ أو في القرآن المنزل وهو هذه الآية أو آية المواريث أو فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم وهو متعلق بأولو وأفعل يعمل في الجار والمجرور ﴿من المؤمنين﴾ يعني الأنصار ﴿والمهاجرين﴾ [وازمهاجران كه حضرت پيغمبر ايشانرا بايكديكر برادرى داد] وهو بيان لأولي الأرحام أي: الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى ببعض بأن يرث بعضهم بعضاً من الأجانب أو صلة أولى أي: أولو الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ أي: أحق بهم في توليدهم من صلبه فالنبي بمنزلة أبيهم ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ يشير إلى أن أمهاتهم قلوبهم وهن أزواجه يتصرف في قلوبهم تصرف الذكور في الإناث بشرط كمال التسليم ليأخذوا من صلب النبوة نطفة الولاية في أرحام القلوب وإذا حملوا النطفة صانوها من الآفات لئلا تسقط بأدنى رائحة من روائح حب الدنيا وشهواتها فإنها تسقط الجنين فيرتدوا على أعقابهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ثم قال: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ يعني بعد أولوية النبي عليه السلام بالمؤمنين أولو الأرحام في الدين بعضهم أولى ببعض للتربية أو بعد النبي عليه السلام أكابرهم من المؤمنين الكاملين أولى بأصاغرهم من الطالبين ﴿في كتاب الله﴾ أي: في سنة الله وتقديره للتوالد في النشأة الثانية نيابة عن النبي عليه السلام ﴿من المؤمنين﴾ بالنشأة الأخرى ﴿والمهاجرين﴾ عما سوى الله انتهى ﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً﴾ استثناء من أعم ما تقدر الأولوية فيه من النفع كقولك القريب أولى من الأجنبي إلا في الوصية تريد أحق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك إلا في الوصية فالمراد بالأولياء من يوالونهم ويواخونهم وبفعل المعروف التوصية بثلث المال أو أقل منه لا بما زاد عليه أي: أنهم أحقاء في كل نفع منهم إلا في الوصية لأنه لا وصية لوارث ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً أي: الأقارب أحق بالميراث من الأجانب لكن فعل التوصية أولى للأجانب من الأقارب لأنه لا وصية لوارث ﴿كان ذلك﴾ أي: ما ذكر في الآيتين من أولوية النبي عليه السلام وتوارث ذوي الأرحام ﴿في الكتاب﴾ متعلق بقوله: ﴿مسطوراً﴾ يقال سطر فلان كذا أي: كتب سطراً سطراً وهو الصف من الكتابة أي: مثبتاً محفوظاً في اللوح أو مكتوباً في القرآن.

اعلم أنه لا توارث بين المسلم والكافر ولكن صحت الوصية بشيء من مال المسلم للذمي لأنه كالمسلم في المعاملات وصحت بعكسه أي: من الذمي للمسلم ولذا ذهب بعضهم إلى أن المراد بالأولياء هم الأقارب من غير المسلمين أي: إلا أن توصوا لذوي قرابتكم بشيء وإن كانوا من غير أهل الإيمان وذلك فإن القريب الغير المسلم يكون كالأجنبي فتصح الوصية له مثله وندبت الوصية عند الجمهور في وجوه الخير لتدارك التقاصير. وفي الزاهدي أنها مباحة كالوصية للأغنياء من الأجانب ومكروهة كالوصية لأهل المعصية ومستحبة كالوصية بالكفارات وفدية الصيامات والصلوات. وفي الآية إشارة إلى أن النفس إذا تزكت عن الأخلاق الذميمة وتبدلت عداوتها وصارت من الأولياء بعد أن كانت من الأعداء فيواسيها ويعمل معها معروفاً

برفق من الأرفاق كان ذلك المعروف في حق النفس مسطوراً في أم الكتاب وأما قبل التزكي فلا يرفق بها لأنها عدوة الله ولا بد للعدو من الغلظة وترك المواساة ولهذا لم تصح الوصية للحربي لأنه ليس من أهل البر فالوصية لمثله كتربية الحية الضارة لتلدغه، وفي «المثنوي»:

دست ظالم را ببر چه جاى آن ... كه بدست او نهى حكم وعنان
توبدان بزمانى اى مجهل داد ... كه نژاد كرك را او شيرداد
نقش بى عهدست كان رو كشتنيست ... او دنى وقبله كاه او دنيست

ومن الأمثال: «كمجير أم عامر» وكان من حديثه أن قوماً خرجوا إلى الصيد في يوم حار فبينما هم كذلك إذ عرضت لهم أم عامر وهي الضبع فطردوها حتى ألجأوها إلى خباء أعرابي فاقتحمت فخرج إليهم الأعرابي فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صيدنا وطريدتنا قال: كلا والذي نفسي بيده لا تصلون إليها ما ثبت قائم سيفي بيدي فرجعوا وتركوه فقام إلى لقحة فحلبها وقربَّ منها ذلك وقرب إليها ماء فأقبلت مرة تلغ من هذا ومرة من هذا حتى عاشت واستراحت فبينما الأعرابي قائم في جوف بيته إذ وثبت عليه فبقرت بطنه وشربت دمه وتركته فجاء ابن عم له وإذا به على تلك الصورة فالتفت إلى موضع الضبع فلم يرها فقام أثرها فقال صاحبتي والله وأخذ سيفه وكنانته واتبعها فلم يزل حتى أدركها فقتلها وأنشأ يقول:

ومن يصنع المعروف مع غير أهله ... يلاق كما لاقى مجير أم عامر
أدام لها حين استجارت بقربه ... قراها بالبان اللقاح الغزائر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من ... غداً يصنع المعروف مع غير شاكر

كذا في «حياة الحيوان» نسأل الله العناية والتوفيق.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾.

﴿وإذ أخذنا من النبيين﴾ أي: واذكر يا محمد لقومك أو ليكن ذكر منك يعني لا تنس وقت أخذنا من الأنبياء كافة عند تحميلهم الرسالة **﴿ميثاقهم﴾** الميثاق عقد يؤكد بيمين أي: عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين الحق **﴿ومنك﴾** أي: وأخذنا منك يا حبيبي خاصة وقدم تعظيماً وإشعاراً بأنه أفضل الأنبياء وأولهم في الخلق وإن كان آخرهم في البعث وفي الحديث «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أي: لا قول هذا بطريق الفخر **﴿ومن نوح﴾** شيخ الأنبياء وأول الرسل بعد الطوفان **﴿وإبراهيم﴾** الخليل **﴿وموسى﴾** الكليم **﴿وعيسى ابن مريم﴾** روح الله خصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين للإيذان بمزيد فضلهم وكونهم من مشاهير أرباب الشرائع وأساطين أولي العزم من الرسل **﴿وأخذنا منهم﴾** أي: من النبيين **﴿ميثاقاً غليظاً﴾** أي: عهداً وثيقاً شديداً على الوفاء بما التزموا من تبليغ الرسالات وأداء الأمانات وهذا هو الميثاق الأول بعينه والتكرير لبيان هذا الوصف.

﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ متعلق بمضمر مستأنف مسوق لبيان ما هو داع إلى ما ذكر من أخذ الميثاق وغاية له لا بأخذنا فإن المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بياناً قصدياً كما ينبىء عنه تغيير الأسلوب بالالتفات إلى الغيبة. والمعنى: فعل الله ذلك ليسأل يوم القيامة الأنبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوا لقومهم يعني: [از راستىء ايشان درسخن كه باقوم كفته اند].

ـ روي ـ في الخبر أنه يسأل القلم يوم القيامة فيقول: ما فعلت بأمانتي؟ فيقول: يا رب سلمتها إلى اللوح ثم يصير القلم يرتعد مخافة أن لا يصدقه اللوح فيسأل اللوح فيقر بأن القلم قد أدى الأمانة وأنه قد سلمها إلى إسرافيل فيقول لإسرافيل: ما فعلت بأمانتي التي سلمها إليك اللوح؟ فيقول: سلمتها إلى جبريل فيقول لجبريل: ما فعلت بأمانتي؟ فيقول: سلمتها إلى أنبيائك فيسأل الأنبياء فيقولون: سلمناها إلى خلقك فذلك قوله: ﴿**ليسأل الصادقين عن صدقهم**﴾ قال القرطبي: إذا كان الأنبياء يسألون فكيف من سواهم.

دران روز كز فعل پرسند وقول ... اولو العزم راتن بلرزد زهول
بجايى كه دهشت خورد انبيا ... توعذر كنه را چه دادى بيا

وفي مسألة الرسل والله يعلم أنهم لصادقون التبكيت للذين كفروا بهم وإثبات الحجة عليهم ويجوز أن يكون المعنى ليسأل المصدقين للأنبياء عن تصديقهم لأن مصدق الصادق صادق. وفي «الأسئلة المقحمة»: ما معنى السؤال عن الصدق فإن حكم الصدق أن يثاب عليه لا أن يسأل عنه والجواب أن الصدق هٰهنا هو كلمة الشهادتين وكل من تلفظ بهما وارتسم شعائرهما يسأل عن تحقيق أحكامهما والإخلاص في العمل والاعتقاد بهما كما قال الراغب: ليسأل من صدق بلسانه عن صدق فعله ففيه تنبيه على أنه لا يكفي الاعتراف بالحق دون تحريه بالفعل.

ازعشق دم مزن چونكشتى شهيد عشق ... دعوئ اين مقام درست ازشهادتست

وفي «المثنوي»:

وقت ذكر غز وشمشيرش دراز ... وقت كروفر تيغش چون پياز

قال الجنيد قدس سره في الآية: ليسأل الصادقين عن صدقهم أي: عنده لا عندهم انتهى وهذا الذي فسره معنى لطيف فإن الصدق والإسلام عند الخلق سهل ولكن عند الحق صلب فنسأل الله أن يجعل صدقنا وإسلامنا حقيقياً ﴿**وأعد**﴾ [واماده كرد وساخت] ﴿**للكافرين**﴾ المكذبين للرسل ﴿**عذاباً أليماً**﴾ [عذابي دردناك ودردنماى] وهو عطف على ما ذكر من المضمر وعلى ما دل عليه ليسأل الخ كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين عذاباً أليماً.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم**﴾ في الأزل وهم في كتم العدم مختفون ﴿**ومنك**﴾ يا محمد أولا بالحبيبية ﴿**ومن نوح**﴾ بالدعوة ﴿**و**﴾ من ﴿**إبراهيم**﴾ بالخلة ﴿**و**﴾ من ﴿**موسى**﴾ بالمكالمة ﴿**و**﴾ من ﴿**عيسى ابن مريم**﴾ بالعبدية ﴿**وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً**﴾ بالوفاء وبغلظة الميثاق يشير إلى أنا غلظنا ميثاقهم بالتأييد والتوفيق للوفاء به ﴿**ليسأل الصادقين**﴾ في العهد والوفاء به ﴿**عن صدقهم**﴾ لما صدقوا إظهاراً لصدقهم كما أثنى عليهم بقوله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] فكان سؤال تشريف لا سؤال تعنيف وسؤال إيجاب لا سؤال عتاب. والصدق أن لا يكون في أحوالك شوب ولا في أعمالك عيب ولا في اعتقادك ريب. ومن إمارات الصدق في المعاملة وجود الإخلاص من غير ملاحظة مخلوق. وفي الأحوال تصفيتها من غير مداخلة إعجاب. وفي القول السلامة من المعاريض. وفيما بينك وبين الناس التباعد من التلبيس والتدليس. وفيما بينك وبين الله إدامة التبري من الحول والقوة بل الخروج عن الوجود المجازي شوقاً إلى الوجود الحقيقي وأعد للكافرين المنكرين على هذه المقامات المعرضين عن هذه الكرامات عذاباً أليماً من الحسرات والغرامات انتهى.

قال البقلي: إن الله تعالى أراد بذلك السؤال أن يعرّف الخلق شرف منازل الصادقين فرب قلب يذوب من الحسرة حيث ما عرفهم وما عرف قدرهم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ [التغابن: ٩] وصدقهم استقامة أسرارهم مع الحق في مقام المحبة والإخلاص. قال سهل: يقول الله لهم: لمن عملتم وماذا أردتم فيقولون: لك عملنا وإياك أردنا فيقول صدقتم فوعزته لقوله لهم في المشاهدة صدقتم ألذ عندهم من نعيم الجنة:

لذت شيرينىء كفتار جانان لذتيست كز دماغ جان كى بيرون شود پرحالتست

قال في «كشف الأسرار»: [مصطفى را عليه السلام پرسيدند كه كمال درچيست جواب داد كه كفتار بحق وكردار بصدق. وكفته اند صدق را دو درجه است يكى ظاهر ويكى باطن أما ظاهرسه چيزاست دردين صلابت ودرخدمت سنت ودرمعاملت خشيت. وآنچه باطنست سه چيزاست إنچه كويى كنى وبآنچه نمايى دارى وآنچه كه دارى دهى وپاشى]. قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: اسوداد الوجوه من الحق المكروه كالغيبة والنميمة وإفشاء السر فهو مذموم وإن كان صدقاً فلذلك قال تعالى: ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ أي: هل أذن لهم في إفشائه أولا فما كل صدق حق انتهى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ . ـ روي ـ أن النبي عليه السلام لما قدم المدينة صالح بني قريظة وبني النضير على أن لا يكونوا عليه بل معه فنقض بنو النضير وهم حي من يهود خيبر عهودهم وذلك أنهم كانوا يسكنون قرية يقال لها زهرة فذهب رسول الله ﷺ لحاجة ومعه الخلفاء فجلس إلى جانب جدار من بيوتهم فطمعوا فيه حتى صعد بعضهم على البيت ليلقي عليه صخرة فيقتله فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم فقام مسرعاً إلى المدينة ولما نقضوا العهد أرسل إليهم رسول الله محمد بن مسلمة رضي الله عنه أن اخرجوا من بلدي يعني: المدينة لأن قريتهم كانت من أعمالها فامتنعوا من الخروج بسبب عناد سيدهم حيي بن أخطب وكان حيي في اليهود يشبه بأبي جهل في قريش فخرج عليه السلام مع أصحابه لمحاربتهم فحاصرهم ست ليال وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله أن يجليهم ويكف عن دمائهم فمنهم من سار إلى خيبر ومنهم من سار إلى أذرعات من بلاد الشام ولما وقع إجلاؤهم من أماكنهم سار سيدهم حيي وجمع من كبرائهم إلى قريش في مكة يحرّضونهم على حرب رسول الله ويقولون: إنا سنكون معكم جملة واحدة ونستأصله فوافقهم قريش لشدة عداوتهم لرسول الله ثم جاءوا إلى غطفان وهو محركة حي من قيس وحرضوهم أيضاً على الحرب وأعلموهم أن قريشاً قد تابعوهم في ذلك فتجهزت قريش ومن اتبعهم من قبائل شتى وعقد اللواء في دار الندوة وكان مجموع الأحزاب من قريش وغطفان وبني مرة وبني أشجع وبني سليم وبني أسد ويهود قريظة والنضير قدر اثني عشر ألفاً وقائد الكل أبو سفيان ولما تهيأت قريش للخروج أتى ركب من خزاعة في أربع ليال حتى أخبروا رسول الله فجمع عليه السلام الناس وشاورهم في أمر العدو هل يبرزون من المدينة أو يقيمون فيها؟ فقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: يا رسول الله إنا كنا إذا تخوفنا الخيل بأرض فارس خندقنا علينا وكان الخندق من مكايد الفرس وأول من فعله من ملوك

الفرس ملك كان في زمن موسى عليه السلام فاستحسن عليه السلام رأي سلمان فركب فرساً ومعه المهاجرون والأنصار وهم ثلاثة آلاف وأمر الذراري والنساء فرفعوا في الأطام وسبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فصارت كالحصن وطلب موضعاً ينزله فجعل سلعاً وهو جبل فوق المدينة خلف ظهره يعني ضرب معسكره بالفارسية: [لشكركاه] في أسفل ذلك الجبل على أن يكون الجبل خلف ظهره والخندق بينه وبين العدو وأمرهم بالجد في عمل الخندق على أن يكون عرضه أربعين ذراعاً وعمقه عشراً ووعدهم النصر إن صبروا فعمل فيه بنفسه مع المسلمين وحمل التراب على ظهره الشريف وكان في زمن عسرة وعام مجاعة في شوال من السنة الخامسة من الهجرة ولما رأى رسول الله ما بأصحابه من التعب قال:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجره

[أنس رضي الله عنه كفت مهاجر وأنصار بدست خويش تير ميزدند وكار ميكردندكه مزدوران وچاكران نداشتند وسرما سخت بود وبخوش دلى آن رنج دشوارى ميكشيدند رسول خداكه ايشانرا چنان ديد وكفت]:

لا هم إن العيش عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجره

[ايشان جواب دادند كه]:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبدا

وإذ اشتد على الصحابة في حفر الخندق كدية أي: محل صعب شكوا ذلك إلى رسول الله فأخذ المعول وضرب فصار كثيباً مهيلاً قال سلمان وضربت في ناحية من الخندق فغلظت علي وكان رجلاً قوياً يعمل عمل عشرة رجال حتى تنافس فيه المهاجرون والأنصار فقال المهاجرون سلمان منا وقال الأنصار سلمان منا فقال عليه السلام: «سلمان منا أهل البيت» ولذلك يشير بعضهم بقوله:

لقد رقى سلمان بعد رقه منزلة شامخة البنيان
وكيف لا والمصطفى قد عده من أهل بيته العظيم الشأن

قال سلمان فأخذ عليه السلام المعول من يدي وقال: «بسم الله» وضرب ضربة فكسر ثلث الحجارة وبرق منها برقة فخرج نور من قبل اليمن كالمصباح في جوف الليل المظلم فكبر رسول الله وقال: «أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة كأنها أنياب الكلاب» ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر وبرق منها برقة فخرج نور من قبل الروم فكبر رسول الله وقال: «أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها» ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر وبرق منها برقة فخرج نور من قبل فارس فكبر رسول الله وقال: «أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب» وجعل يصف لسلمان أماكن فارس ويقول سلمان صدقت يا رسول الله هذه صفتها ثم قال رسول الله: «هذه فتوح يفتحها الله بعدي يا سلمان» وعند ذلك قال جمع من المنافقين منهم معتب بن قشير: ألا تعجبون من محمد يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا أي: تجاوزوا الرحل وتخرجوا إلى الصحراء وتذهبوا إلى البراري ما هذا إلا وعد غرور ولما فرغ رسول الله من حفر الخندق على المدينة، قال الكاشفي: [بعد ازشش روز كه مهم خندق سمت اتمام يافت] أقبلت

قريش ومن معهم [خندق را ديدنكه كفتند اين عرب را نبودست] فنزلوا بمجمع الأسيال ونقض بنو قريظة العهد بينه عليه السلام وبينهم بإغواء حيي وأرادوا الإغارة على المدينة بمعاونة طائفة من قريش ولما جاء خبر النقض عظم البلاء وصار الخوف على الذراري أشد الخوف على أهل الخندق فبعث عليه السلام ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون النكير تخوفاً على الذراري من العدو أي: بني قريظة وكانوا من يهود المدينة ومكث عليه السلام في الخندق قريباً من شهر وهو أثبت الأقاويل وكان أكثر الحال بينهم وبين العدو الرمي بالنبال والحصى وأقبل نوفل بن عبد الله فضرب فرسه ليدخل الخندق فوقع فيه مع فرسه فنزل إليه علي رضي الله عنه فضربه بالسيف فقطعه نصفين وكذا أقبل طائفة من مشاهير الشجعان وأكرهوا خيولهم على اقتحام الخندق من مضيق به وفيهم عمرو بن ودّ وكان عمره إذ ذاك تسعين سنة فقال: من يبارز فقام إليه علي رضي الله عنه بعد الاستئذان من رسول الله فقال: يا ابن أخي لا أحب أن أقتلك فقال علي رضي الله عنه: أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك أي: أخذته الحمية وكان غيوراً مشهوراً بالشجاعة ونزل عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار وأقبل على علي رضي الله عنه فاستقبله علي بدرقته فضربه عمرو فيها فقدّها ونفذ منها السيف وأصاب رأسه فشجه فضربه علي ضربة على موضع الرداء من العنق فسقط فكبر المسلمون فلما سمع رسول الله التكبير عرف أن علياً قتل عمراً لعنه الله وقال حينئذٍ «لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار» فلما قتل انهزم من معه. قال في «كشف الأسرار» [سه تن از كافران كشته شدند واز صحابهٔ رسول هيچ كس كشته نشد عبد الرحمٰن بن أبي بكر رضي الله عنه هنوز در اسلام نيامده بود بيرون آمد ومبارزت خواست أبو بكر فراپيش آمد عبد الرحمٰن چون روى پدر ديد بركشت پس يا أبو بكر كفتند اكر پسرت حرب كردى باتوچه خواستى كردن باوى ابو بكر كفت بآن خدايى كه يكانه ويكتاست كه بازنكشتمى تاويرا بكشتمى يا اومرا بكشتى] وفات منه عليه السلام ومن أصحابه في بعض أيام الخندق صلاة العصر ولذلك قال عليه السلام: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً» وهذا دعاء عليهم بعذاب الدارين من خراب بيوتهم في الدنيا فتكون النار استعارة للفتنة ومن اشتعال النار في قبورهم وقام عليه السلام في الناس فقال: «أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإن لقيتم العدو فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» أي: السبب الموصل إلى الجنة عند الضرب بالسيف في سبيل الله ثم دعا عليه السلام على الأحزاب فقال: «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم» ودعا أيضاً بقوله: «اللهم يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فإنك ترى ما نزل بي وبأصحابي» وقال له المسلمون: هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال: «نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا» فاستجاب الله دعاءه يوم الأربعاء بين الظهر والعصر فأتاه جبريل فبشره أن الله يرسل عليهم ريحاً وجنوداً وأعلم عليه السلام أصحابه بذلك وصار يرفع يديه قائلاً شكراً شكراً وذلك قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم**﴾ ذكر النعمة شكرها أي: اشكروا أنعام الله عليكم بالنصرة ﴿**إذ**﴾ ظرف للنعمة. والمعنى بالفارسية [آنكاه كه] ﴿**جاءتكم**﴾ [آمد بشما] ﴿**جنود**﴾ لشكرها والمراد الأحزاب المذكورة من قريش وغطفان ونحوهما يقال للعسكر الجند اعتباراً بالغلظ من الجند وهي الأرض الغليظة التي فيها حجارة ثم يقال لكل مجتمع جند نحو الأرواح

جنود مجندة ﴿فأرسلنا عليهم﴾ من جانب الاسم القهار ليلاً عطف على جاءتكم ﴿ريحاً﴾ أي: ريح الصبا وهي تهب من جانب المشرق والدبور من قبل المغرب. قال ابن عباس رضي الله عنهما قالت الصبا للدبور أي: الريح الغربية اذهبي بنا ننصر رسول الله فقالت: إن الحرائر لا تهيب بالليل فغضب الله عليها فجعلها عقيماً وفي الحديث: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور» ﴿وجنوداً لم تروها﴾ وهم الملائكة وكانوا ألفاً.

ـ روي ـ أن الله تعالى بعث على المشركين ريحاً صبا باردة في ليلة ذات شتاء ولم تجاوز عسكرهم فأحصرتهم وسفت التراب في وجوههم وأمرت الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت الأطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور ونفثت في روعهم الرعب وكبرت في جوانب معسكرهم حتى سمعوا التكبير وقعقعة السلاح واضطربت الخيول ونفرت فصار سيد كل حي يقول لقومه يا بني فلان هلموا إليّ فإذا اجتمعوا قال النجاء النجاء أي: الإسراع الإسراع وحملوا ما وقع على السحر فانهزموا من غير قتال وارتحلوا ليلاً وتركوا ما استثقلوه من متاعهم ﴿وكان الله بما تعملون﴾ من حفر الخندق وترتيب الأسباب ﴿بصيراً﴾ رائياً ولذلك فعل ما فعل من نصركم عليهم وعصمتكم من شرهم فلا بدَّ لكم من الشكر على هذه النعمة الجليلة باللسان والجنان والأركان [شكر زبان آنست كه پيوسته خدايرا يادميكند وزبان خود بذكرتر ميدارد وچون نعمتى تازه شود الحمد لله ميكويد. شكردل آنست كه همه خلق را خير خواهد ودرنعمت هيچ كس حسد نبرد. وشكرتن آنست كه اعضاى خود در ما خلق له استعمال كند وهمه اعضارا حق تعالى براى آخرت آفريد].

عطايست هر موى ازو برتنم چكونه بهرموى شكرى كنم

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى نعمه الظاهرة والباطنة:

أولها: نعمة الإيجاد من كتم العدم.

وثانيها: إذا أخرجكم من العدم جعلكم ارواحاً مطهرة إنسانية في أحسن تقويم لا حيواناً أو نباتاً أو جماداً.

وثالثها: يوم الميثاق شرفكم بخطاب ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ثم وفقكم لاستماع خطابه ثم دلكم على إصابة جوابه.

ورابعها: أنعم عليكم بالنفخة الخاصة عند بعثكم إلى القالب الإنساني لئلا تتنزلوا بمنزل من المنازل السماوية والكوكبية والجنية والشيطانية والنارية والهوائية والمائية والأرضية والنباتية والحيوانية وغيرها إلى أن أنزلكم في مقام الإنسانية.

وخامسها: عجن طينة قالبكم بيده أربعين صباحاً ثم صوركم في الأرحاكم وسواكم ثم نفخ فيكم من روحه.

وسادسها: شرف روحكم بتشريف إضافته إلى نفسه بقوله «من روحي» وما أعطى هذا التشريف لروح من أرواح الملائكة المقربين.

وسابعها: أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً فبالهامات الربانية علمكم ما تحتاجون إليه من أسباب المعاش.

وثامنها: الهمكم فجوركم وتقواكم لتهتدوا إلى سبيل الرشاد للرجوع إلى الميعاد.

وتاسعها: أرسل إليكم الأنبياء والرسل ليخرجوكم من الظلمات الخلقية إلى نور الخالقية.

وعاشرها: أنعم عليكم بالإيمان ثم بالإيقان ثم بالإحسان ثم بالعرفان ثم بالعيان ثم بالعين ثم آتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها وذكر نعمته استعمالها في عبوديته أداء شكر نعمته وشكر النعمة رؤية النعمة ورؤية النعمة أن تكون ترى نعم توفيقه لأداء شكره إلى أن تعجز عن أداء شكره فإن نعمته غير متناهية وشكرك متناه فرؤية العجز عن أداء الشكر حقيقة الشكر ومن الشكر أن تذكر ما سلف من الذي دفع عنك وأنت بصدده من أنواع البلاء والمحن والمصائب والمكائد فمن جملة ذلك قوله: ﴿إذ جاءتكم﴾ الخ يشير إلى جنود الشياطين وجنود صفات النفس وجنود الدنيا وزينتها فأرسلنا عليهم ريحاً من نكباء قهرنا وجنوداً لم تروها من حفظنا وعصمتنا وكان الله بما تعملون من الميل إلى الدنيا وشهواتها بصيراً بدفعها وعلاجها كم من بلاء صرفه عن العبد ولم يشعر وكم شغل كان بصدده فصده عنه ولم يعلم وكم أمر عوّقه والعبد يضج وهو يعلم أن في تيسيره هلاكه فيمنعه منه رحمة عليه والعبد يهتم ويضيق به صدره.

هرچه آمد ز آسمان قضا ... بقضا مى نكر بعين رضا

خوش دل شوز ما جر اي قلم ... زانكه حق از توبحالت اعلم

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾.

﴿اذ جاؤوكم﴾ بدل من إذ جاءتكم ﴿من فوقكم﴾ من أعلى الوادي من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصين الفزاري وعامر بن الطفيل ومعهم اليهود ﴿ومن أسفل منكم﴾ أي: من أسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش ومن تابعهم من الجماعات المتفرقة وقائدهم أبو سفيان والفوق إشارة إلى الآفات السماوية والأسفل إلى المتولدات البشرية والكل بلاء وقضاء ﴿وإذ زاغت الأبصار﴾ عطف على ما قبله داخل في حكم التذكير. والزيغ الميل عن الاستقامة. قال الراغب: يصح أن يكون إشارة إلى ما تداخلهم من الخوف حتى أظلمت أبصارهم ويصح أن يكون إشارة إلى ما قال: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل عمران: ١٣] انتهى والبصر الجارحة الناظرة والمعنى وحين مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصاً لكثرة ما رأت من العدد والعدد فإنه كان مع قريش ثلاثمائة فرس وألف وخمسمائة بعير، وبالفارسية: [وآنكه كه بكشت چشمها در چشم خانها ازبيم او خيره شد]. وقال بعضهم: المراد أبصار المنافقين لأنهم أشد خوفاً ولا حاجة إليه لأن من شأن ضعف الإنسانية التغير عند تراكم البلاء وترادف النكبات وهو لا ينافي قوة اليقين وكمال الاعتماد على الرب المعين كما دل عليه ما بعد الآية ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤] كما سبق في سورة البقرة ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ جمع حنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب أي: بلغت رأس الغلصمة من خارج رعباً وغماً لأن الرئة بالفارسية [شش] تنتفخ من شدة الفزع والغم فيرتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة وهو مشاهد في مرض الخفقان من غلبة السوداء. قال قتادة: شخصت عن أماكنها فلولا أنه ضاق الحلقوم بها عن أن تخرج لخرجت. وقال بعضهم: كادت تبلغ فإن القلب إذا بلغ الحنجرة مات الإنسان فعلى هذا يكون الكلام تمثيلاً لاضطراب القلوب من شدة الخوف وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة.

واعلم أنهم وقعوا في الخوف من وجهين: الأول خافوا على أنفسهم من الأحزاب لأن الأحزاب كانوا أضعافهم، والثاني: خافوا على ذراريهم في المدينة بسبب أن نقض بنو قريظة العهد كما سبق وقد قاسوا شدائد البرد والجوع كما قال بعض الصحابة لبثنا ثلاثة أيام لا نذوق زاداً وربط عليه السلام الحجر على بطنه من الجوع وهو لا ينافي قوله: «إني لست مثلكم إني أبيت عند ربي يطعمني ربي ويسقيني» فإنه قد يحصل الابتلاء في بعض الأحيان تعظيماً للثواب. وأول بعض العارفين حديث ربط الحجر بأن لم يكن من الجوع في الحقيقة بل من كمال لطافته لئلا يصعد إلى الملكوت ويستقر في عالم الإرشاد فمن كانت الدنيا رشحة من فيض ديمه وقطرة من زواخر بحار نعمه لا يحتاج إليها ولكن الصبر عند الحاجة مع الوجدان من خواص من عصم بعصمة الرحمٰن.

در بزم احتشام توسياره هفت جام — بر مطبخ نوال توا افلاك نه طبق

﴿وتظنون بالله﴾ يا من يظهر الإيمان على الإطلاق ﴿الظنونا﴾ أنواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون المثبتوا القلوب والأقدام أن الله تعالى ينجز وعده في إعلاء دينه أو يمتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال كما في وقعة أحد وظن الضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون ما حكى عنهم مما لا خير فيه. والجملة معطوفة على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار. وأثبت حفص في الظنونا والسبيلا والرسولا هذه الألفات اتباعاً لمصحف عثمان رضي الله عنه فإنها وجدت فيه كذلك فبقيت على حكمها اليوم فهي بغير الألف في الوصل وبالألف في الوقف. وقرىء الظنون بحذف الألف على ترك الإشباع في الوصل والوقف وهو الأصل والقياس وجه الأول أن الألف مزيدة في أمثالها لمراعاة الفواصل تشبيهاً لها بالقوافي فإن البلغاء من الشعراء يزيدونها في القوافي إشباعاً للفتحة.

﴿هنالك﴾ هو في الأصل للمكان البعيد لكن العرب تكنى بالمكان عن الزمان وبالزمان عن المكان فهو إما ظرف زمان أو ظرف مكان لما بعده أي: في ذلك الزمان الهائل أو في ذلك المكان الدحض الذي تدحض فيه الأقدام ﴿ابتلي المؤمنون﴾ بالحصر والرعب أي: عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل ﴿وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾ الزلة في الأصل استرسال الرجل من غير قصد يقال زلت رجله تزل والمزلة المكان الزلق وقيل للذنب من غير قصد زلة تشبيهاً بزلة الرجل والتزلزل الاضطراب وكذا الزلزلة شدة الحركة وتكرير حروف لفظه تنبيه على تكرر معنى الزلل. والمعنى حركوا تحريكاً شديداً وأزعجوا إزعاجاً قوياً وذلك أن الخائف يكون قلقاً مضطرباً لا يستقر على مكان. قال في «كشف الأسرار»: [اين جايست كه عجم كويند فلان كس را از جاى ببردند از خشم يا ازبيم يا ازخجل. قال الكاشفي يعني ازجاى برفتند بمثابة كه بددلان عزم سفر اين المفرّ نمودند وناشكيبان اوراق الفرار مما لا يطلق من سنن المرسلين تكرار مى فرمودند]:

آرام زدل شد ودل از جاى — هوش از سررفت وقوت ازپاى

وقد صح أن من في قلبه مرض فر إلى المدينة وبقي مع رسول الله ﷺ أهل اليقين من المؤمنين وهذا وإن كان بياناً للاضطرار في الابتداء لكن الله تعالى هون عليهم الشدائد في الانتهاء حتى تفرقت عن قلوبهم الغموم وتفجرت ينابيع السكينة وهذا عادة الله مع المخلصين

[مصطفى عليه السلام كفت در فراديس اعلى بسى درجات ومنازلست كه بنده هركز بجهت خودبدان نتواند رسيد رب العزه بنده را بآن بلاهاكه دردنيا برسروى كما رد بدان رساند وكفته اندكه حق تعالى ذريت آدم را هزار قسم كردانيد وايشانرا بر بساط محبت اشراف داد همه را ازروى محبت خاست آنكه دنيارا بياراست وبرايشان عرضه كرد ايشان چون زخارف وزهرات ديدند مست وشيفتهٔ دنيا كشتند وبا دنيا بماندند مكريك طائفه كه همچنان بربساط محبت ايستاده وسر بكريبان دعوى فروبرده پس اين طائفه را هزار قسم كردانيد وعقبى برايشان عرض كرد وچون ايشان آن ناز ونعيم ابدى ديدند ظل ممدود وماء مسكوب وحور وقصور شيفتهٔ آن شدند وبآن بماندند مكريك طائفهٔ كه همچنان ايستاده بودند بربساط محبت طالب كنوز معرفت خطاب آمد از جانب جبروت ودركاه عزت كه شماچه ميجوييد ودرچه مانده ايد ايشان كفتند «وانك تعلم ما نريد» خداوندا زبان بى زبانان تويى عالم الأسرار والخفيات تويى خود دانى كه مقصودما چيست]:

مارا زجهانيان شمارى دكرست   در سربجز ازباداه خمارى دكرست

[رب العالمين ايشانرا بسركوى بلا آورد ومفاوز ومهالك بلا بايشان نمود آن قسم هزار قسم كشتند همه روى از قبلهٔ بلا بكردانيدند اين نه كار ماست ومارا طاقت اين بار بلا كشيدن نيست مكريك طائفه كه روى نكردانيدند كفتند مارا خود آن دولت پس كه محمل اندوه توكشيم وغم وبلاى توخوريم]:

من كه باشم كه به تن رخت وفاى توكشم   ديده حمال كنم بار جفاى تو كشم
كرتوبر من به تن وجان ودلى حكم كنى   هرسه رارقص كنان پيش هواى توكشم

قال الله تعالى في حقهم: «اولئك عبادي حقاً» [قدر درد اوكسى داندكه اورا شناسد اوكه ويرانشناسد قدر درد اوچه داند]:

جاميا دل بغم ودردنه اندرره عشق   كه نشد مردره آنكس كه نه اين دردكشيد

ـ روي ـ أنه أرسل أبو سفيان بعد الفرار كتاباً لرسول الله فيه باسمك اللهم فإني أحلف باللات والعزى وأساف ونائلة وهبل لقد سرت إليك في جميع وأنا أريد أن لا أعود أبداً حتى أستأصلكم فرأيتك قد كرهت لقاءنا واعتصمت بالخندق وفي لفظ قد اعتصمت بمكيدة ما كانت العرب تعرفها وإنما تعرف ظل رماحها وسيوفها وما فعلت هذا إلا فراراً من سيوفنا ولقائنا ولك مني يوم كيوم أحد فأرسل له عليه السلام جواباً فيه «أما بعد» أي: بعد بسم الله الرحمٰن الرحيم «من محمد رسول الله إلى صخر بن حرب فقد أتاني كتابك وقديماً غرّك بالله الغرور أما ما ذكرت أنك سرت إلينا وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر يحول الله بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم أكثر فيه اللات والعزى وأساف ونائلة وهبل حتى أذكرك يا سفيه بني غالب» انتهى فاجتهدوا وقاسوا الشدائد في طريق الحق إلى أن فتح الله مكة واتسع الإسلام وبلاده وأهاليه.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾

﴿وإذ يقول المنافقون﴾ [وآنكه كه دورويان كفتندن] وهو عطف على إذ زاغت وصيغته للدلالة على استحضار القول واستحضار صورته ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ ضعف اعتقاد. فإن قلت ما الفرق بين المنافق والمريض؟ قلت: المنافق من كذب الشيء تكذيباً لا يعتريه فيه شك والمريض من قال الله تعالى في حقه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ [الحج: ١١] كذا في «الأسئلة المقحمة». قال الراغب: المرض الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان وهو ضربان جسمي ونفسي كالجهل والجبن والنفاق ونحوها من الرذائل الخلقية وشبه النفاق والكفر ونحوهما من الرذائل بالمرض إما لكونها مانعة عن إدراك الفضائل كالمرض المانع عن التصرف الكامل وإما لكونها مانعة عن تحصيل الحياة الأخروية المذكورة في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ [العنكبوت: ٦٤] وإما لميل النفس بها إلى الاعتقادات الرديئة ميل بدن المريض إلى الأشياء المضرة ﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾ من الظفر وإعلاء الدين وهم لم يقولوا رسول الله وإنما قالوه باسمه ولكن الله ذكره بهذا اللفظ ﴿إلا غروراً﴾ أي: وعد غرور وهو بالضم [فريفتن] والقائل لذلك معتب بن قشير ومن تبعه وقد سبق.

﴿وإذ قالت طائفة منهم﴾ هم أوس بن قيظي ومن تبعه في رأيه، وبالفارسية: [وانرا نيز ياد كنيدكه كفتند كروهى ازمنافقان] ﴿يا أهل يثرب﴾ [اى مردان مدينه] هو اسم للمدينة المنورة لا ينصرف للتعريف وزنة الفعل وفيه التأنيث وقد نهى النبي عليه السلام أن تسمى المدينة بيثرب وقال هي طيبة أو طابة والمدينة كأنه كره هذا اللفظ لأن يثرب يفعل من التثريب وهو اللوم الذي لا يستعمل إلا فيما يكره غالباً ولذلك نفاه يوسف الصديق عليه السلام حيث قال لإخوته: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [يوسف: ٩٢] وكأن المنافقين ذكروها بهذا الاسم مخالفة له عليه السلام فحكى الله عنهم كما قالوا. وقال الإمام السهيلي: سميت يثرب لأن الذي نزلها من العماليق اسمه يثرب بن عبيل بن مهلاييل بن عوص بن عملاق بن لاود بن ارم وعبيل هم الذين سكنوا الجحفة وهي ميقات الشاميين فأجحفت بهم السيول فيها أي: ذهبت بهم فسميت الجحفة. وقال بعضهم: هي من الثرب بالتحريك وهو الفساد وكان في المدينة الفساد واللؤم بسبب عفونة الهواء وكثرة الحمى فلما هاجر رسول الله كره ذلك فسماها طيبة على وزن بصرة من الطيب وقد أفتى الإمام مالك رحمه الله فيمن قال تربة المدينة رديئة بضربه ثلاثين درة وبحبسه وقال: ما أحوجه إلى ضرب عنقه تربة دفن فيها رسول الله يزعم أنها غير طيبة وفي الحديث: «من سمى المدينة بيثرب فليستغفر الله هي طيبة هي طيبة» وقوله عليه السلام حين أشار إلى دار الهجرة: «لا أراها إلا يثرب» ونحو ذلك من كل ما وقع في كلامه عليه السلام من تسميتها بذلك كان قبل النهي عن ذلك. وإنما سميت طيبة لطيب رائحة من مكث بها وتزايد روائح الطيب بها ولا يدخلها طاعون ولا دجال ولا يكون بها مجذوم لأن ترابها يشفي الجذام وهو كغراب علة تحدث من انتشار السوداء في البدن كله فيفسد مزاج الأعضاء وهيئاتها وربما انتهى إلى تأكل الأعضاء وسقوطها عن تقرّح ﴿لا مقام لكم﴾ لا موضع إقامة لكم هٰهنا لكثرة العدو وغلبة الأحزاب يريدون المعسكر بالفارسية [لشكركاه] فهو مصدر من أقام ﴿فارجعوا﴾ أي: إلى منازلكم بالمدينة ومرادهم الأمر بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع وترويجاً لمقالهم وإيذاناً بأنه ليس من قبيل الفرار المذموم وقد ثبطوا الناس عن الجهاد والرباط لنفاقهم ومرضهم

ولم يوافقهم إلا أمثالهم فإن المؤمن المخلص لا يختار إلا الله ورسوله. وفي إشارة إلى حال أهل الفساد والإفساد في هذه الأمة إلى يوم القيامة نسأل الله تعالى أن يقيمنا على نهج الصواب ويجعلنا من أهل التواصي بالحق والصبر دون التزلزل والاضطراب ﴿**ويستأذن فريق منهم النبي**﴾ [ودستورىء رجوع ميطلبند از پيغمبر كروهى از منافقان] يعني: بني حارثة وبني سلمة ﴿**يقولون**﴾ بدل من يستأذن ﴿**إن بيوتنا**﴾ في المدينة ﴿**عورة**﴾ بجزم الواو في الأصل أطلقت على المختل مبالغة يقال عور المكان عوراً إذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق وفلان يحفظ عورته أي: خلله والعورة أيضاً سوأة الإنسان وذلك كناية وأصلها من العار وذلك لما يلحق في ظهورها من العار أي: المذمة ولذلك سمى النساء عورة ومن ذلك العوراء للكلمة القبيحة. والمعنى: أنها غير حصينة متخرّقة ممكنة لمن أرادها فأذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع إلى العسكر وكان عليه السلام يأذن لهم ﴿**وما هي بعورة**﴾ أي: والحال أنها ليست كذلك بل هي حصينة محرزة ﴿**إن يريدون**﴾ ما يريدون بالاستئذان ﴿**إلا فراراً**﴾ من القتال.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾.

﴿**ولو دخلت عليهم**﴾ أسند الدخول إلى بيوتهم وأوقع عليهم لما أن المراد فرض دخولها وهم فيها لا فرض دخولها مطلقاً كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور ﴿**من أقطارها**﴾ جمع قطر بالضم بمعنى الجانب أي: من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من أراد الخبث والفساد ﴿**ثم سئلوا**﴾ من جهة طائفة أخرى عند تلك النازلة ﴿**الفتنة**﴾ أي: الردة والرجعة إلى الكفر مكان ما سئلوا من الإيمان والطاعة ﴿**لآتوها**﴾ لأعطوها السائلين أي: أعطوهم مرادهم غير مبالين بما دهاهم من الداهية والغارة ﴿**وما تلبثوا بها**﴾ [التلبث، درنك كردن كالتمكث يعني درنك نكند باجابت فتنة] ﴿**إلا يسيراً**﴾ قدر ما يسمع السؤال والجواب من الزمان فضلاً عن التعلل باختلال البيوت عند سلامتها كما فعلوا الآن وما ذلك إلا لمقتهم الإسلام وشدة بغضهم لأهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه. قال الإمام الراغب: اليسير السهل ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٣٠] ويقال في الشيء القليل ومنه ﴿**وما تلبثوا بها إلا يسيراً**﴾. وفي الآية إشارة إلى مرض القلوب وصحة النفوس. وخاصيتهما إذا وكلتا إلى حالتهما من فساد الاعتقاد وسوء الظن بالله ورسوله ونقض العهود والاغترار بتسويلات الشياطين والفرار من معادن الصدق والتمسك بالحيل والمكائد والكذب والتعلل بالأعذار الواهية وغلبات خوف البشرية والجبانة وقلة اليقين والصبر وكثرة الريب والجزع من احتمال خطر الأذية لو سئلوا الارتداد عن الإسلام والإشراك بعد الإقرار بالتوحيد لأجابوهم وجاءوا به وما تلبثوا بها يعني في الاحتراز عن الوقوع في الفتنة إلا يسيراً بل أسرعوا في إجابتها لاستيلاء أوصاف النفوس وغلباتها وتصدىء القلوب وهجوم غفلاتها ومن عرف طريقاً إلى الله فسلكه ثم رجع عنه عذبه الله بعذاب لم يعذب به أحداً من العالمين.

واعلم أن الله تعالى ذم المنافقين في أقوالهم وأفعالهم فإن للإنسان اختياراً في كل طريق سلكه فمن وجد شراً فلا يذم إلا نفسه ولم تجب الهداية على النبي عليه السلام في حق الكفار

والمنافقين فكيف على غيره من الورثة في حق العاصين كما قال عليه السلام: «إنما أنا رسول وليس إليّ من الهداية شيء ولو كانت الهداية إليّ لآمن كل من في الأرض وإنما إبليس مزين وليس إليه من الضلالة شيء ولو كانت الضلالة إليه لأضل كل من في الأرض ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء».

مؤمن وكافر درين دير فنا ... صورتي دارد زنقش كبريا
نقش كرچه آمدازدست قضا ... ليك ميدان نقش را از مقتضا

فافهم جداً.

﴿ولقد كانوا﴾ أي: الفريق الذين استأذنوك للرجوع إلى منازلهم في المدينة وهم بنو حارثة وبنو سلمة ﴿عاهدوا الله﴾ العهد حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال وسمي الموثق الذي يلزم مراعاته عهداً والمعاهدة المعاقدة كما في «تاج المصادر». والمعنى بالفارسية [عهد كردند باخداى تعالى] ﴿من قبل﴾ أي: من قبل واقعة الخندق يعني يوم أحد حين هموا بالانهزام ثم تابوا لما نزل فيهم ما نزل كما سبق في آل عمران ﴿لا يولون الأدبار﴾ جواب قسم لأن عاهدوا بمعنى حلفوا كما في «الكواشي» [والتولية: بشت بكردانيدن] ودبر الشيء خلاف القبل وولاه دبره انهزم. والمعنى لا يتركون العدو خلف ظهورهم ولا يفرون من القتال ولا ينهزمون ولا يعودون لمثل ما في يوم أحد ثم وقع منهم هذا الاستئذان نقضاً للعهد، وبالفارسية: [پشتها برنكردانند دركار زارها] ﴿وكان عهد الله مسؤولاً﴾ مطلوباً مقتضى حتى يوفى يقال سألت فلاناً حقي أي: طالبته به أو مسؤولاً يوم القيامة يسأل عنه هل وفى المعهود به أو نقضه فيجازى عليه وهذا وعيد، قال الحافظ.

وفا وعهد نكو باشد اربياموزى ... وكرنه هركه توبينى ستمكرى داند

وقال في حق وفاء العشاق:

از دم صبح ازل تا آخر شام ابد ... دوستى ومهر بريك عهدويك ميثاق بود

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

﴿قل﴾ يا محمد لهم: ﴿لن ينفعكم الفرار﴾ [سود نميدارد شمارا كريختن] ﴿إن فررتم من الموت﴾ [از مرك] ﴿أو القتل﴾ [يا ازكشتن] فإنه لا بد لكل شخص من الفناء والهلاك سواء كان بحتف أنف أو بقتل سيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم ولا يتغير جداً والقتل فعل يحصل به زهوق الروح. قال الراغب أصل القتل إزالة الروح عن الجسد كالموت لكن إذا اعتبر بفعل المتولي لذلك يقال قتل وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال موت انتهى. والحتف الهلاك قال علي كرم الله وجهه ما سمعت كلمة عربية من العرب إلا وقد سمعتها من رسول الله ﷺ وسمعته يقول: «مات حتف أنفه» وما سمعتها من عربي قبله وهو أن يموت الإنسان على فراشه لأنه سقط لأنفه فمات وكانوا يتخيلون أن روح المريض تخرج من أنفه فإن جرح خرجت من جراحته. ﴿وإذاً لا تمتعون إلا قليلاً﴾ [التمتيع: برخوردارى دادن] أي: وإن نفعكم الفرار مثلاً فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلا تمتيعاً أو زماناً قليلاً، وبالفارسية: [وانكاه كه

كريزد زنده نكذارند شمارا مكر زمانى اندك چه آخر شربت فنا نوشيد نيست وخرقهٔ فوات پوشيدنى:

كه مينهد قدم اندر سراى كون وفساد   كه بازروى براه عدم نمى آرد]

الموت كأس وكل الناس شاربه   والقبر باب وكل الناس داخله

وعمر الدنيا كله قليل فكيف مدة آجال أهلها وقد قال من عرف الحال: مقدار عمرك في جنب عيش الآخرة كنفس واحد. وعن بعض المروانية أنه مر بحائط مائل فأسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل أطلب.

﴿قل من ذا الذي يعصمكم﴾ مذهب سيبويه على أن من الاستفهامية مبتدأ وذا خبره والذي صفة أو بدل منه، والمعنى بالفارسية: [آن كيست كه نكاه دارد شمارا] وذهب بعض النحاة إلى كون من خبراً مقدماً فالمعنى: [كيست آنكه] والعصمة الإمساك والحفظ ﴿من الله﴾ أي: من قضائه ﴿إن أراد بكم سوءاً﴾ بالفارسية: [بدى] وهو كل ما يسوء الإنسان ويغمه والمراد هنا القتل والهزيمة ونحوهما ﴿أو أراد بكم رحمة﴾ من عافية ونصرة وغيرهما مما هو من آثار الرحمة قرينة السوء من العصمة ولا عصمة إلا من السوء لأن معناه أو يصيبكم بسوء إن أراده بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله متقلداً سيفاً ورمحاً أي: ومعتقلاً رمحاً والاعتقال أخذ الرمح بين الركب والسرج. وفي التاج: [الاعتقال: نيز بميان ساق وركاب برداشتن] ﴿ولا يجدون لهم﴾ أي: لأنفسهم ﴿من دون الله﴾ متجاوزين الله تعالى ﴿ولياً﴾ [دوستى كه نفع رساند] ﴿ولا نصيراً﴾ يدفع الضرر عنهم، وبالفارسية: [ونه يارى كه ضرر باز دارد].

واعلم أن الآية دلت على أمور:

الأول أن الموت لا بد منه. قال بعضهم: [عمر اكرچه دراز بود چون مرك روى نمود آزان درازى چه سود نوح عليه السلام هزار سال درجهان بسر برده است امروز پنج هزار سالست كه مرده است]:

دريغاكه بكذشت عمر عزيز   بخواهد كذشت اين دمى چندنيز

قال بعضهم: إذا بلغ الرجل أربعين سنة ناداه مناد من السماء دنا الرحيل فأعدّ زاداً. قال الثوري: ينبغي لمن كان له عقل إذا أتى عليه عمر النبي عليه السلام أن يهيىء كفنه. قال حاتم الأصم: ما من صباح إلا ويقول الشيطان لي: ما تأكل وما تلبس وأين تسكن فأقول له: آكل الموت وألبس الكفن وأسكن القبر.

والثاني: أن الفرار لا يزيد في الآجال ومن أسوأ حالاً ممن سعى لتبديل الأجال والأرزاق ورجا دفع ما قدر له أنه لاق وأنه لا يقيه منه واقٍ، قال علي كرم الله وجهه: إن أكرم الموت القتل والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش فلو لم يكن في القتل الذي يفر منه الإنسان إلا الراحة من سكرات الموت لكان في ذلك ما يوهب الثبات وإن لم ينظر إلى ما بعده وهو الفوز العظيم وذلك أن شهيد البحر لا ألم له أصلاً وأما شهيد البر فلا يجد من ألم الموت إلا كمس قرصة. قال بعضهم: الفار مسلم لنفسه والمقاتل مدافع عنها وإذا انقضت مدة الأجل فالمنية لا بد منها.

بروز أجل نيزه جوشن درد   زپيراهنى بى اجل نكذرد

كرت زند كانى نبشتست دير   نه مارت كز آيدنه شمشير وتير

أما تخشى أيها الفار، أن تدركك المنية فتكون من أصحاب النار؟ أما تخاف أن يأتيك سهم وأنت مول فيسكنك دار البوار؟ أما تخشى أن تؤسر فتفتن عن دينك أو ينوّع عذابك ولا شك عند كل ذي لب أن استقبال الموت إذا كان وقته خير من استدباره وقد اشتاق أهل الله إلى لقاء الله. قال المولى العارف في «المثنوي»:

پس رجال از نقل عالم شادمان ... وزبقا اش شادمان اين كودكان

چونكه آب خوش نديد آن مرغ كور ... پيش او كوثر نمايد آب شور

والثالث: أن من اتخذ الله ولياً ونصيراً نال ما يتمناه قليلاً وكثيراً ونصر أميراً وفقيراً وطاب له وقته مطلقاً وأسيراً فثبت ثبات الجبال وعامل معاملة الرجال. قال بعض العارفين في الآية إشارة إلى مدعي الطلب فإنهم يعاهدون الله من قبل الشروع في الطلب أنهم لا يولون أدبارهم عند المحاربة مع الشيطان وعند الجهاد مع النفس فلما شرعوا في الحرب والجهاد مع أحزاب النفس والشيطان وقد حمل كل حزب منهم أسلحتهم وأخذوا خدعات الحرب ومكايدها وهم الشجعان الأقوياء والأبطال المجربون وعساكر الطلاب المرضى القلوب وهم بعد أغمار غير مجربي القتال والحروب وإن كان لهم الأسلحة ولكنهم بمعزل عن استعمالها لضعفهم وعدم العلم بكيفية الاستعمال فإذا قام الحرب ودام الضرب غلب الأقوياء على الضعفاء وانهزم المرضى على الأصحاء.

چالش است وخمره خوردن نيست اين

فلم يساعدهم الصدق ولم يعاونهم العشق ولم يذكروا حقيقة قوله: **﴿وكان عهد الله مسؤولا﴾** ولم يتفكروا في أن الفرار النافع إنما هو إلى الله لا من الله فمن فر من موت النفس وقتلها بالمجاهدة فلا يتمتع كالبهائم والأنعام في رياض الدنيا إلا قليلاً، ولا يجد بركة عمره بل يكون الفرار سبب قصر العمر نسأل الله سبحانه أن يعصمنا من الفرار من نحو بابه والإقبال على الأدبار عن جنابه أنه الولي النصير ذو الفضل الكثير.

﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾.

﴿قد يعلم الله المعوقين منكم﴾ قد لتأكيد العلم بالتعويق ومرجع العلم إلى توكيد الوعيد. والتعويق التثبيط بالفارسية [باز داشتن] يقال عاقه وعوقه إذا صرفه عن الوجه الذي يريده والعائق الصارف عما يراد منه خير ومنه عوائق الدهر والخطاب لمن أظهر الإيمان مطلقاً. والمعنى قد علم الله المثبطين للناس عن نصرة رسول الله ﷺ الصارفين عن طريق الخير وهم المنافقون أياً من كان منهم **﴿والقائلين لإخوانهم﴾** من منافقي المدينة فالمراد الإخوة في الكفر والنفاق **﴿هلم إلينا﴾** هلم صوت سمي به فعل متعد نحو احضر أو اقرب ويستوي فيه الواحد والجمع على لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وكلمة إلى صلة التقريب الذي تضمنه هلم. والمعنى: قربوا أنفسكم إلينا وهذا يدل على أنهم عند هذا القول خارجون عن العسكر متوجهون نحو المدينة فراراً من العدو **﴿ولا يأتون البأس﴾** أي: الحرب والقتال وهو في الأصل الشدة **﴿إلا﴾** إتياناً **﴿قليلا﴾** فإنهم يعتذرون ويتأخرون ما أمكن لهم أو يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم معهم لا تراهم يبارزون ويقاتلون إلا شيئاً قليلاً إذا اضطروا إليه وهذا على تقدير عدم الفرار.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

﴿أشحة عليكم﴾ حال من فاعل يأتون جمع شحيح وهو البخيل. قال الراغب: الشح بخل مع حرص وذلك فيما كان عادة يقال رجل شحيح وقوم أشحة أي: حال كونهم بخلاء عليكم بالمعاونة أو الإنفاق في سبيل الله على فقراء المسلمين [يا نمى خواهدكه ظفر وغنيمت شمارا باشد] **﴿فإذا جاء الخوف﴾** خوف العدو **﴿رأيتهم ينظرون إليك﴾** في تلك الحالة **﴿تدور أعينهم﴾** في أحداقهم يميناً وشمالاً **﴿كالذي يغشى عليه من الموت﴾** أي: دوراناً كائناً كدوران عين المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذراً وخوفاً والتجاء بك يقال غشي على فلان إذا نابه ما غشي فهمه أي: ستره **﴿فإذا ذهب الخوف﴾** وجمعت الغنائم **﴿سلقوكم﴾** يقال سلقه بالكلام آذاه كما في «القاموس». قال في «تاج المصادر»: [السلق: بزبان آزردن] ومنه سلقوكم **﴿بألسنة حداد﴾** أي: جهروا فيكم بالسوء من القول وآذوكم. والحداد جمع حديد يقال لسان حديد نحو لسان صارم وماض وذلك إذا كان يؤثر تأثير الحديد، يعني: [برنجانند شمارا وسخنهاى سخت كويند بزبانهاى تيز يعنى تيز زبانى كنند] وقالوا وفروا قسمنا فإنا قد ساعدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم ربنا نصرتم عليه **﴿أشحة على الخير﴾** نصب على الحال من فاعل سلقوكم، يعني: [درحالتى كه سخت حريصند برغنيمت مشاحنه ومجادله ميكنند دروقت قسمت او بخيلند برمال اين جهان نمى خواهندكه رساند بشما كرم وفضل خدا] فهم عند الغنيمة أشح الناس وأجبنهم عند البأس. **﴿أولئك﴾** الموصوفون بما ذكر من صفات السوء **﴿لم يؤمنوا﴾** بالإخلاص حيث أبطنوا خلاف ما أظهروا فصار أخبث الكفرة وأبغضهم إلى الله **﴿فأحبط الله أعمالهم﴾** أي: أظهر بطلانها إذ لم يثبت لهم أعمال فتبطل لأنهم منافقون وفي هذا دلالة على أن المعتبر عند الله هو العمل المبني على التصديق وإلا فهو كبناء على غير أساس **﴿وكان ذلك﴾** الإحباط **﴿على الله يسيراً﴾** هيناً، بالفارسية: [آسان] لتعلق الإرادة به وعدمها بمنعه عنه.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى مدعي الطلب إذا ارتدوا عن الطلب فإنهم لم يؤمنوا إيماناً حقيقياً في صدق الطلب وإلا لم يرتدوا عن الطلب فإن المشايخ قد قالوا: إن مرتد الطريقة شر من مرتد الشريعة ولهذا قال تعالى: **﴿فأحبط الله أعمالهم﴾** لأنها لم تكن بإيمان حقيقي بل كانت بالتقليد والرياء والسمعة وكان ذلك الرد والإبطال على الله يسيراً. وقد قال بعض الكبار: إني لست بقطب الوجود ولكن مؤمن به فقيل له ونحن مؤمنون به أيضاً فقال بين إيمان وإيمان فرق فمن إيمان لا يزول كأصل الشجرة الراسخة ومن إيمان يزول كأصل النباتات الواهية وذلك لأن المحسن الموقن مأمون من الارتداد والريب بخلاف أهل الغفلة والمتعبد على حرف.

لا يزيل الماء نقشاً في الحجر بل يزيل النقش في وجه الورق
باش بر عشق خدا ثابت قدم رونمى كردان زوجه پاك حق

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ

عَنْ أَنبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾.

﴿**يحسبون الأحزاب لم يذهبوا**﴾ أي: هؤلاء المنافقون لجبنهم المفرط يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا ففروا إلى المدينة والأحزاب هم الذين تحزبوا على النبي عليه السلام يوم الخندق وهم قريش وغطفان وبنو قريظة والنضير من اليهود [والتحزب، كروه كروه شدن] كما في «التاج» ﴿**وإن يأت الأحزاب**﴾ كرة ثانية إلى المدينة، وبالفارسية: [اكربيايند اين لشكرها نوبتى ديكرا] ﴿**يودوا لو أنهم بادون في الأعراب**﴾ تمنوا أنهم خارجون من المدينة إلى البدو وحاصلون بين الأعراب لئلا يقاتلوا. والود محبة الشيء وتمني كونه وبدا يبدو بداوة إذا خرج إلى البادية وهي مكان يبدو ما يعن فيه أي: يعرض ويقال للمقيم بالبادية بادٍ فالبادون خلاف الحاضرين والبدو خلاف الحضر ﴿**يسألون**﴾ كل قادم من جانب المدينة ﴿**عن أنبائكم**﴾ عن أخباركم وعما جرى عليكم، يعني: [از آنچه كذشته باشد ميان شما ودشمنان] وهو داخل تحت الود أي يودون أنهم غائبون عنكم يسمعون أخباركم بسؤالهم عنها من غير مشاهدة ﴿**ولو كانوا فيكم**﴾ في الخندق هذه الكرة الثانية ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال، وبالفارسية: [واكر باشند درميان يعنى در مدينة ومقاتله با اعدادست دهد] ﴿**ما قاتلوا إلا قليلاً**﴾ رياء وخوفاً من التعيير من غير حسبة.

﴿**لقد كان لكم**﴾ أيها المؤمنون كما في «تفسير الجلالين» وهو الظاهر من قوله فيما بعد ﴿**لمن كان يرجو الله**﴾ الخ ﴿**في رسول الله أسوة حسنة**﴾. قال الراغب: الإسوة والأسوة كالقدوة والقدوة الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسناً أو قبيحاً وإن ساراً وإن ضاراً ويقال: تأسيت به أي: اقتديت. والمعنى: لقد كان لكم في محمد ﷺ خصلة حسنة وسنة صالحة حقها أن يؤتسى بها أي: يقتدى كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد فإنه قد شج فوق حاجبه وكسرت رباعيته وقتل عمه حمزة يوم أحد وأوذي بضروب الأذى فوقف ولم ينهزم وصبر فلم يجزع فاستسنوا بسنته وانصروه ولا تتخلفوا عنه. وقال بعضهم: كلمة في تجريدية جرد من نفسه الزكية شيء وسمي قدوة وهي هو يعني أن رسول الله في نفسه أسوة وقدوة يحسن التأسي والاقتداء به كقولك في البيضة عشرون مناً حديداً أي: هي نفسها هذا القدر من الحديد ﴿**لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**﴾ أي: يأمل ثواب الله ونعيم الآخرة أو يخاف الله واليوم الآخر. فالرجاء يحتمل الأمل والخوف ولمن كان صلة الحسنة أو صفة لها لا بدل من لكم فإن الأكثر على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه ﴿**وذكر الله كثيراً**﴾ أي: ذكراً كثيراً في جميع أوقاته وأحواله أي: وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية إلى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الائتساء برسول الله. قال الحكيم الترمذي: الأسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول وفعل. قال الشيخ سعدي:

درين بحر جز مرد ساعى نرفت ... كم آن شد كه دنبال راعى نرفت
كساني كزين راه بركشته اند ... بر فتند بسيار وسر كشته اند
خلاف پيمبر كسى ره كزيد ... كه هركز بمنزل نخواهد رسيد
محالست سعدى كه راه صفا ... توان رفت جز بر پى مصطفى

فمتابعة الرسول تجب على كل مؤمن حتى يتحقق رجاؤه ويثمر عمله لكونه الواسطة والوسيلة وذكر الرجاء اللازم للإيمان بالغيب في مقام النفس وقرن به الذكر الكثير الذي هو عمل ذلك المقام ليعلم أن من كان في البداية يلزم متابعته في الأعمال والأخلاق والمجاهدات بالنفس والمال إذ لو لم يستحكم البداية لم يفلح بالنهاية ثم إذا تجرد وتزكى عن صفات نفسه فليتابعه في موارد قلبه كالصدق والإخلاص والتسليم ليحتظى ببركة المتابعة بالمواهب والأحوال وتجليات الصفات في مقام القلب كما احتظى بالمكاسب والمقامات وتجليات الأفعال في مقام النفس وهكذا في مقام الروح حتى الفناء.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى ما سبقت به العناية لهذه الأمة في متابعة الرسول ﷺ كما أخبر بلفظ ﴿**لقد كان**﴾ أي: كان ﴿**لكم**﴾ مقدراً في الأزل أن يكون لكم عند الخروج من العدم إلى الوجود ﴿**في رسول الله أسوة حسنة**﴾ أي: اقتداء حسن وذلك فإن أول كل شيء تعلقت به القدرة للإيجاد كان روح رسول الله ﷺ لقوله: «**أول ما خلق الله روحي**» فالأسوة الحسنة عبارة عن تعلق القدرة بأرواح هذه الأمة لإخراجهم من العدم إلى الوجود عقيب إخراج روح رسول الله ﷺ من العدم إلى الوجود فمن أكرم بهذه الكرامة يكون له أثر في عالم الأرواح قبل تعلقه بعالم الأشباح وبعد تعلقه بعالم الأشخاص فأما أثره في عالم الأرواح فبتقدمه على الأرواح بالخروج إلى عالم الأرواح وبرتبته في الصف الأول بقرب روح رسول الله ﷺ أو في الصف الذي يليه وبتقدمه في قبول الفيض الإلهي وبتقدمه عند استخراج ذرات الذريات من صلب آدم في استخراج ذراته وبإحضارها في الحضرة وبتقدمه في استماع خطاب ألست بربكم وبتقدمه في إجابة الرب تعالى بقوله قالوا: بلى وبتقدمه في المعاهدة مع الله وبتأخره في الرجوع إلى صلب آدم وبتأخره في الخروج عن أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات وفي الخروج عن الرحم وبتأخر تعلق روحه بجسمه فإن الله الذي هو المقدم والمؤخر في هذه التقدمات والتأخرات حكمة بالغة ولها تأثيرات عجيبة يطول شرحها وأما أثره في عالم الأشباح فاعلم أنه بحسب هذه المراتب في ظهور أثر الأسوة يظهر أثرها في عالم الأشباح عند تعلق نظر الروح بالنطفة في الرحم أولاً إلى أن تتربى النطفة بنظره في الأطوار المختلفة ويصير قالباً مسوياً مستعداً لقبول تعلق الروح به فمثل القالب المسوي مع الروح كمثل الشمعة مع نقش الخاتم إذا وضع عليها يقبل جميع نقوش الخاتم فالروح المكرم إذا تعلق بالقالب المسويّ يودع فيه جميع خواصه التي استفادها من تلك التقدمات والتأخرات الأسوتية فكل ما يجري على الإنسان من بداية ولادته إلى نهاية عمره من الأفعال والأقوال والأخلاق والأحوال كلها من آثار خواص أودعها الله في الروح فبحسب قرب كل روح إلى روح الرسول ﷺ وبعده عنه له أعمال ونيات تناسب حاله في الأسوة فأما حال أهل القرب منهم فبأن يكون عملهم على وفق السنة خالصاً لوجه الله تعالى كما قال: ﴿**لمن كان يرجو الله**﴾ وأما من هو دونهم في القرب والإخلاص فبأن يكون عملهم لليوم الآخر أي: للفوز بنعيم الجنان كما قال تعالى: ﴿**واليوم الآخر**﴾ أي: لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ثم جعل نيل هذه المقامات مشروطاً بقوله تعالى: ﴿**وذكر الله**﴾ كثيراً لأن في الذكر وهو كلمة لا إله إلا الله نفياً وإثباتاً وهماً قدمان للسائرين لله تعالى وجناحان للطائرين بالله بهما يخرجون من ظلمات الوجود المجازي إلى نور الوجود الحقيقي انتهى كلام «التأويلات».

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾.

﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ أي: الجنود المجتمعة لمحاربة النبي عليه السلام وأصحابه يوم الخندق. والحزب جماعة فيها غلظ كما في «المفردات» **﴿قالوا هذا﴾** البلاء العظيم **﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾** بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ [البقرة: ٢١٤] الآية وقوله عليه السلام: «سيشتدّ الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم» وقوله عليه السلام: «إن الأحزاب سائرون إليكم بعد تسع ليال أو عشر» **﴿وصدق الله ورسوله﴾** أي: ظهر صدق خبر الله ورسوله **﴿وما زادهم﴾** ما رأوه، وبالفارسية: [ونيفزود ديدن احزاب مؤمنانرا] **﴿إلا إيماناً﴾** بالله ومواعيده **﴿وتسليماً﴾** لأوامره ومقاديره. وقال الكاشفي: [وكردن نهادن احكام امر حضرت رسالت پناهى راكه سعادت دوسراى دران تسليم مندرجست]:

هركه دارد چون قلم سربر خط فرمان او ... مى نويسد بخت طغراى شرف برنام او

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾.

﴿من المؤمنين﴾ بالإخلاص **﴿رجال صدقوا﴾** اتوا الصدق في **﴿ما عاهدوا الله عليه﴾** من الثبات مع الرسول والمقاتلة لإعلاء الدين أي: حققوا العهد بما أظهروه من أفعالهم وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر وغيرهم رضي الله عنهم نذروا أنهم إذا لقوا حزباً مع رسول الله ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا. قال الحكيم: الترمذي رحمه الله خص الله الإنس من بين الحيوان ثم خص المؤمنين من بين الإنس ثم خص الرجال من المؤمنين فقال: **﴿رجال صدقوا﴾** فحقيقة الرجولية الصدق ومن لم يدخل في ميادين الصدق فقد خرج من حد الرجولية.

واعلم أن النذر قربة مشروعة وقد أجمعوا على لزومه إذا لم يكن المنذور معصية وأما قوله عليه السلام: «لا تنذروا فإن النذر لا يغني من القدر شيئاً» فإنما يدل على أن النذر المنهي لا يقصد به تحصيل غرض أو دفع مكروه على ظن أن النذر يرد من القدر شيئاً فليس مطلق النذر منهياً إذ لو كان كذلك لما لزم الوفاء به وآخر الحديث: «وإنما يستخرج به من البخيل» وهو إشارة إلى لزومه لأن غير البخيل يعطي باختياره بلا واسطة النذر والبخيل إنما يعطي بواسطة النذر الموجب عليه وأما لو كان النذر وعدمه سواء عنده وإنما نذر لتحقيق عزيمته وتوكيدها فلا كلام في حسن مثل هذا النذر وأكثر نذور الخواص ما خطر ببالهم وعقده جنانهم فإن العقد اللساني ليس إلا لتتميم العقد الجناني فكما يلزم الوفاء في المعاقدة اللسانية فكذا في المعاقدة الجنانية فليحافظ فإنه من باب التقوى المحافظ عليها من أهل الله تعالى.

طريق صدق بياموز از رب صافي دل ... براستى طلب ازاد كى چوسرو چمن
وفاكنيم وملامت كشيم وخوش باشيم ... كه در طريقت ما كافريست رنجيدن

﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم إلى قسمين: والنحب النذر

المحكوم بوجوبه وهو أن يلتزم الإنسان شيئاً من أعماله ويوجبه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به يقال قضى فلان نحبه أي: وفى بنذره يعبر بذلك عمن مات كقولهم قضى أجله واستوفى أكله وقضى من الدنيا حاجته وذلك لأن الموت كنذر لازم في عنق كل حيوان ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء أي: فبعضهم من خرج عن عهدة النذر بأن قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر الخزرجي الأنصاري عم أنس بن مالك رضي الله عنه.

ـ روي ـ أن أنساً رضي الله عنه غاب عن بدر فشهد أحداً فلما نادى إبليس إلا أن محمداً قد قتل مر بعمر رضي الله عنه ومعه نفر فقال: ما يقعدكم؟ قالوا: قتل رسول الله قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم جال بسيفه فوجد قتيلاً وبه بضع وثمانون جراحة.

بى زخم تيغ عشق زعالم نمى روم بيرون شدن زمعركه بى زخم عارماست

﴿ومنهم﴾ أي: وبعضهم ﴿من ينتظر﴾ قضاء نذره لكونه موقتاً كعثمان وطلحة وغيرهما فإنهم مستمرون على نذورهم وقد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله والقتال إلى حين نزول الآية الكريمة ومنتظرون قضاء بعضها الباقي وهو القتال إلى الموت شهيداً وفي وصفهم بالانتظار إشارة إلى كمال اشتياقهم إلى الشهادة.

غافلان از مرك مهلت خواستند عاشقان كفتند نى نى زود باد

وفي «المثنوي»:

دانهٔ مردن مرا شيرين شدست بل هم أحياء پى من آمدست

صدق جان دادن بودهين سابقوا ازنبى برخوان رجال صدقوا

اى بسا نفس شهيد معتمد مرده در دنيا وزنده مى رود

﴿وما بدلوا﴾ عطف على صدقوا وفاعله فاعله أي: وما بدلوا عهدهم وما غيروه ﴿تبديلاً﴾ ما لا أصلاً ولا وصفاً بل ثبتوا راغبين فيه مراعين لحقوقه على أحسن ما يكون أما الذين قضوا فظاهر وأما الباقون فيشهد به انتظارهم أصدق الشهادة.

ـ روي ـ أن طلحة رضي الله عنه ثبت مع رسول الله يوم أحد يحميه حتى أصيبت يده وجرح أربعاً وعشرين جراحة فقال عليه السلام: «أوجب طلحة الجنة» «وسماه النبي عليه السلام يومئذٍ طلحة الخير ويوم حنين طلحة الجود ويوم غزوة ذات العشيرة طلحة الفياض» وقتل يوم الجمل. وفي الآية تعريض بأرباب النفاق وأصحاب مرض القلب فإنهم ينقضون العهود ويبدّلون العقود.

فداى دوست نكرديم عمرو مال دريغ كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد

﴿ليجزي الصادقين بصدقهم﴾ أي: وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولاً وفعلاً. قال في «كشف الأسرار»: في الدنيا بالتمكين والنصرة على العدو وإعلاء الراية وفي الآخرة بجميل الثواب وجزيل المآب والخلود في النعيم المقيم والتقديم على الأمثال بالتكريم والتعظيم ﴿ويعذب المنافقين﴾ بما صدر عنهم من الأقوال والأعمال المحكية ﴿إن شاء﴾ تعذيبهم أي: إن لم يتوبوا فإن الشرك لا يغفر البتة ﴿أو يتوب عليهم﴾ أي: يقبل توبتهم إن تابوا ﴿إن الله كان غفوراً﴾ ستوراً على من تاب محاء لما صدر

منه ﴿رحيماً﴾ منعماً عليه بالجنة والثواب. قال بعضهم إمارة الرجولية الصدق في العهد وهو أن لا يعبد غيره تعالى من الدنيا والعقبى والدرجات العليا إلى أن يصل إلى حضرة العلي الأعلى. فمن الصادقين من بلغ مقصده ونال مقصوده وهذا حال المنتهين. ومنهم من ينتظر البلوغ والوصول وهو في السير وهذا حال المتوسطين وما بدلوا تبديلاً بالإعراض عن الطلب والإقبال على طلب غير الله ليجزي الله الصادقين بصدقهم في الطلب وبقدم الصدق ينزلون عند ربهم ويعذب المنافقين إن شاء وهم مدعوا الطلب بغير قدم صدق بل بقدم كذب وتلبيس ورياء فهم في زي أهل الرقة ولباس القوم وفي سيرة أهل الرياء والنفاق كما قال بعضهم:

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائه

فلا بد من التوبة والصدق والثبات حتى تظهر الآثار من المغفرة والرحمة والهداية [اى جوانمرد عنايت ازلى كوهر صادقانرا رنكى دهدكه هركه در ايشان نكرد اكر بيكانه بود آشنا كردد ورعاصى بود عارف كردد ور درويش بود توانكر كردد. إبراهيم أدهم قدس سره كفت وقتى كشش روم درباطن من سر برزد كفتم آياچه حالتست اين وازكجا افتاد اين كشش درباطن من همى سر درنهادم ورفتم تابدار الملك روم در سرايى شدم جمعى انبوه آنجا كرد آمده زنارهاى ايشان بديدم غيرت دين در من كار كرد پيراهن از سرتاپاى فرو دريدم ونعرهٔ چند كشيدم آن روميان فراز آمدند وهمى پرسيدندكه تراچه بود ودر توچه صفرا افتاد كفتم من اين زنارهاى شما نميتوانم ديد كفتند همانا تو از محمد يانى كفتم آرى من از محمد يانم كفتند كارى سهل است بماچنين رسيدكه سنك وخاك بنبوّت محمد كواهى ميداد واز روى جماديت اين زنارهاى ما حالت آن سنك وخاك دارد اكر باتو صدقى هست از خدا بخواه تا اين زنارهاى بنبوت محمد كواهى دهند تاما در دائرهٔ اسلام آييم ابراهيم سربر سجده نهاد ودر الله زاريد وكفت خداوندابر من ببخشاى وحبيب خويش را نصرت كن ودين اسلام را قوى كن هنوز آن مناجات تمام ناكرده كه هر زنارى بزبان فصيح ميكفت لا اله الا الله محمد رسول الله].

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾.

﴿ورد الله الذين كفروا﴾ يعني الأحزاب وهو رجوع إلى حكاية بقية القصة أي: وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الذين كفروا حال كونهم ملتبسين ﴿بغيظهم﴾ وحسرتهم يعني: [خشمناك برفتند] والغيظ أشد الغضب وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه ﴿لم ينالوا خيراً﴾ حال بعد حال أي: حال كونهم لم يصيبوا ما أرادوا من الغلبة وسماها خيراً لأن ذلك كان عندهم خيراً فجاء على استعمالهم وزعمهم ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بما ذكر من إرسال الريح الشديدة والملائكة.

باد صبا ببست ميان نصرت ترا ... ديدى چراغ راكه كند باد ياورى

﴿وكان الله قوياً﴾ على إحداث كل ما يريده ﴿عزيزاً﴾ غالباً على كل شيء ثم أخبر بالكفاية الأخرى فقال:

﴿وأنزل الذين ظاهروهم﴾ أي: عاونوا الأحزاب المردودة على رسول الله والمسلمين حين نقضوا العهد ﴿من أهل الكتاب﴾ وهم بنو قريظة قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الأوس وسيد الأوس حينئذٍ سعد بن معاذ رضي الله عنه ﴿من صياصيهم﴾ من حصونهم جمع صيصة بالكسر وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك وهي في مخلبته التي في ساقه لأنه يتحصن بها ويقاتل ﴿وقذف﴾ رمى وألقى ﴿في قلوبهم الرعب﴾ أي: الخوف والفزع بحيث سلموا أنفسهم للقتل وأهليهم وأولادهم للأسر حسبما ينطق به قوله تعالى: ﴿فريقاً تقتلون﴾ يعني: رجالهم ﴿وتأسرون فريقاً﴾ يعني نساءهم وصبيانهم من غير أن يكون من جهتهم حركة فضلاً عن المخالفة والأسر الشد بالقيد وسمي الأسير بذلك ثم قيل لكل مأخوذ مقيد وإن لم يكن مشدوداً ذلك.

﴿وأورثكم﴾ [وميراث داد شمارا] ﴿أرضهم﴾ مزارعهم وحدائقهم ﴿وديارهم﴾ حصونهم وبيوتهم ﴿وأموالهم﴾ نقودهم وأثاثهم ومواشيهم شبهت في بقائها على المسلمين بالميراث الباقي على الوارثين إذ ليسوا في الشيء منهم من قرابة ولا دين ولا ولاء فأهلكهم الله على أيديهم وجعل أملاكهم وأموالهم غنائم لهم باقية عليهم كالمال الباقي على الوارث ﴿وأرضاً﴾ [وشمارا داد زمينى راكه] يعني في علمه وتقديره ﴿لم تطؤوها﴾ بأقدامكم بعد كفارس والروم وما ستفتح إلى يوم القيامة من الأراضي والمماليك من وطىء يطأ وطئاً، بالفارسية: [بپاى سپردن]. ﴿وكان الله على كل شيء قديراً﴾ فقد شاهدتم بعض مقدوراته من إيراث الأرض التي تسلمتموها فقيسوا عليها ما بعدها. قال الكاشفي: [پس قادر باشد برفتح بلاد وتسخير آن براى ملازمان سيد عباد:

لشكر عزم ترا فتح وظفر همراهست لا جرم هر نفس اقليم دكر مى كيرى]

- روي - أنه لما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وكان وقت الظهيرة وصلى الظهر ودخل بيت زينب وقد غسلت شق رأسه الشريف أتى جبريل عليه السلام على فرسه حيزوم معتجراً بعمامة سوداء فقال: أوقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم قال جبريل: ما وضعت ملائكة الله السلاح منذ نزل بك العدو إن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم بمن معي من الملائكة فمزلزل بهم الحصون وداقهم دق البيض على الصفا فأدبر بمن معه وسار حتى سطع الغبار، فأمر عليه السلام بلالاً رضي الله عنه فأذن في الناس من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلينّ العصر إلا في بني قريظة وقد لبس عليه السلام الدرع والمغفر وأخذ قناة بيده الشريفة وتقلد السيف وركب فرسه اللحيف بالضم والناس حوله قد لبسوا السلاح وهم ثلاثة آلاف واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه ودفع اللواء إلى علي رضي الله عنه وكان اللواء على حاله لم يحل من مرجعه من الخندق وأرسله متقدماً مع بعض الأصحاب ومر عليه السلام بنفر من بني النجار قد لبسوا السلاح فقال: هل مرّ بكم أحد؟ قالوا: نعم دحية الكلبي رضي الله عنه وأمرنا بحمل السلاح وقال لنا رسول الله يطلع عليكم الآن فقال ذلك جبريل فلما دنا علي رضي الله عنه من الحصون وغرز اللواء عند أصل الحصون سمع من بني قريظة مقالة قبيحة في حقه عليه السلام وحق أزواجه فسكت المسلمون وقالوا: السيف بيننا وبينكم فلما رأى علي رضي الله عنه رسول الله مقبلاً أمر قتادة الأنصاري أن يلزم اللواء ورجع إليه عليه السلام فقال: يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث قال: لعلك

سمعت منهم لي أذى قال: نعم قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً فلما دنا من حصونهم قال: يا إخوان القردة والخنازير لأن اليهود مسخ شبانهم قردة وشيوخهم خنازير في زمن داود عليه السلام عند اعتدائهم يوم السبت بصيد السمك أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته أتشتمونني فجعلوا يحلفون ويقولون ما قلنا يا أبا القاسم ما كنت فحاشاً، يعني: [توفحاش نبودى وهركز ناسزا نكفتى چونست كه امروزمارا ميكويى] ثم إن جماعة من الصحابة شغلهم ما لم يكن منه بد عن المسير لبني قريظة ليصلوا بها العصر فأخروا صلاة العصر إلى أن جاءوا بعد العشاء الأخيرة فصلوها هناك امتثالاً لقوله عليه السلام: «لا يصلينّ العصر إلا في بني قريظة» وقال بعضهم: نصلي ما يريد رسول الله منا أن ندع الصلاة ونخرجها عن وقتها وإنما أراد الحث على الإسراع فصلوها في أماكنهم ثم ساروا فما عابهم الله في كتابه ولا عنفهم رسول الله لقيام عذرهم في التمسك بظاهر الأمر فكل من الفريقين متأول ومأجور بقصده وهو دليل على أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب.

ومن هنا أخذ الصوفية ما ذكروا في آداب الطريقة إن الشيخ المرشد إذا أرسل المريد لحاجة فمر في الطريق بمسجد وقد حضرت الصلاة فإنه يقدم السعي للحاجة اهتماماً لا تهاوناً بالصلاة. وحاصر رسول الله ﷺ بني قريظة خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الخوف الشديد وكان حيي بن أخطب سيد بني النضير دخل مع بني قريظة حصنهم حين رجعت الأحزاب فلما أيقنوا أن رسول الله غير منصرف حتى يقاتلهم قال كبيرهم كعب بن أسد: يا معشر اليهود نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه النبي الذي تجدونه في كتابكم وأن المدينة دار هجرته وما منعني من الدخول معه إلا الحسد للعرب حيث لم يكن من بني إسرائيل ولقد كنت كارهاً لنقض العهد ولم يكن البلاء والشؤم إلا من هذا الجالس يعني حيي بن أخطب فقالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره أي: القرآن فقال: إن أبيتم عليّ هذه الخصلة فهلموا فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف حتى لا نترك وراءنا نسلاً يخشى عليه إن هلكنا فقالوا: نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم إن لم نهلك فقال: فإن أبيتم فإن الليلة ليلة السبت وإن محمداً وأصحابه قد آمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب منهم غفلة فقالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا فقال لهم عمرو بن سعدي فإن أبيتم فأثبتوا على اليهودية وأعطوا الجزية فقالوا: نحن لا نقر للعرب بخراج في رقابنا يأخذونه القتل خير من ذلك ثم قال لهم رسول الله: تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس فرضوا به وعاهدوا على أن لا يخرجوا من حكمه فأرسل عليه السلام في طلبه وكان جريحاً في وقعة الخندق فجاء راكب حمار وكان رجلاً جسيماً فقال عليه السلام: «قوموا إلى سيدكم» فقام الأنصار فأنزلوه وبه ثبت الاستقبال للقادم فحكم بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي عليه السلام وقال: «لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة» أي: السموات السبع والمراد أن شأن هذا الحكم العلو والرفعة ثم استنزلهم وأمر بأن يجمع ما وجد في حصونهم فوجدوا فيها ألفاً وخمسائة سيف وثلاثمائة درع وألفي رمح وخمسمائة ترس وأثاثاً وأواني كثيرة وجمالاً ومواشي وشياهاً وغيرها وخمس ذلك وجعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار لأنه كان لهم منازل فرضي الكل بما صنع الله ورسوله وأمر بالمتاع أن يحمل وترك المواشي هناك ترعى

الشجر ثم غدا إلى المدينة فأمر بالأسارى وكانوا ستمائة مقاتل أو أكثر أن يكونوا في دار أسامة بن زيد رضي الله عنه والنساء والذرية وكانت سبعمائة في دار ابنة الحارث النجارية لأن تلك الدار كانت معدودة لنزول الوفود من العرب ثم خرج إلى سوق المدينة فأمر بالخندق فحفروا فيه حفائر فضرب أعناق الرجال وألقوا في تلك الخنادق وردوا عليهم التراب وكان المتولي لقتلهم علياً والزبير ولم يقتل من نسائهم إلا بنانة كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد رضي الله عنه تحت الحصن فقتلته ولم يستشهد في هذه الغزوة إلا خلاد قال عليه السلام: «له أجر شهيدين» ثم بعث رسول الله سعد بن زيد الأنصاري بسبايا بني قريظة إلى نجد فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً قسمها رسول الله على المسلمين ونهى عليه السلام أن يفرق بين أم وولدها حتى يبلغ أي: تحيض الجارية ويحتلم الغلام وقال: «من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة» واصطفى عليه السلام لنفسه منهم ريحانة بنت شمعون وكانت جميلة وأسلمت فأعتقها رسول الله وتزوجها ولم تزل عنده حتى ماتت مرجعه من حجة الوداع سنة عشر فدفنها بالبقيع وكانت هذه الوقعة في آخر ذي القعدة سنة خمس من الهجرة. وفي الآية إشارة إلى أنه كما أن بني قريظة أعانوا المشركين على المسلمين فهلكوا فكذلك العلماء المداهنون أعانوا النفس والشيطان والدنيا على القلوب وأفتوا بالرخص لأرباب الطلب وفتروهم عن التجريد والمجاهدة وترك الدنيا والعزلة والانقطاع وقالوا: هذه رهبانية وليست من ديننا وتمسكوا بآيات وأخبار لها ظاهر وباطن فأخذوها بظاهرها وضيعوا باطنها فآمنوا ببعض هو على وفق طباعهم وكفروا ببعض هو على خلاف طباعهم أولئك أعوان النفوس والشياطين والدنيا فمن قاربهم هلك كما هلكوا في وادي المساعدات ونعوذ بالله من المخالفات وترك الرياضات والمجاهدات، وفي «المثنوي»:

اندرين ره مى تراش ومى خراش تادمى آخر دمى فارغ مباش

فإن البطالة لا تثمر إلا الحرمان والجد يفتح أبواب المراد من أي نوع كان.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾.

﴿يا أيها النبي﴾ الرفيع الشأن المخبر عن الله الرحمٰن. قال الكاشفي: [ارباب سير برانندكه سال تاسع ازهجرت سيد عالم عليه السلام از ازواج طاهرات عزلت نمود وسوكند خوردكه يك ماه باايشان مخالطت نكند وسبب آن بودكه ازان حضرت ثياب زينت وزيادت نفقه ميطلبيدند واورا رنجه داشتند بسبب غيرت چنانكه عادت زنان ضرائر بود فخر عالم ملول وغمناك كشته بغرفهٔ درمسجدكه خزانهٔ وى بود تشريف فرمود بعد ازبيست ونه روزكه آن ماه بدان عدد تمام شده بود جبرائيل عليه السلام آيت تخيير فرود آوردكه].

﴿يا أيها النبي قل﴾ أمر وجوب في تخييرهن وهو من خصائصه عليه السلام **﴿لأزواجك﴾** نسائك وهن يومئذٍ تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان وأم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية المخزومية وسودة بنت زمعة العامرية وأربع من غير قريش زينب بنت جحش الأسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية الهارونية وجويرية بنت الحارث الخزاعية

المصطلقية وكانت هذه بعد وفاة خديجة رضي الله عنها ﴿إن كنتن تردن الحياة الدنيا﴾ أي: السعة والتنعم فيها ﴿وزينتها﴾ [وآرايش چون ثياب فاخره وپيرايها بتكلف] ﴿فتعالين﴾ أصل تعالى أن يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المنخفض ثم كثر حتى استوت في استعماله الأمكنة ولم يرد حقيقة الإقبال والمجيء بل أراد أجبن على ما أعرض عليكن وأقبلن بإرادتكن واختياركن لإحدى الخصلتين كما يقال أقبل يكلمني وذهب يخاصمني وقام يهددني ﴿أمتعكن﴾ بالجزم جواباً للأمر، والتمتيع بالفارسية: [برخوردارى دادن] أي: أعطكن المتعة، وبالفارسية: [پس بياييدكه بدهم شمارا متعهٔ طلاق چنانچه مطلقه را دهند] سوى المهر وأصل المتعة والمتاع ما ينتفع به انتفاعاً قليلاً غير باق بل ينقضي عن قريب ويسمى التلذذ تمتعاً لذلك وهي درع وهو ما يستر البدن وملحفة وهي ما يستر المرأة عند خروجها من البيت وخمار وهو ما يستر الرأس وهي واجبة عند أبي حنيفة رضي الله عنه في المطلقة التي لم يدخل بها ولم يسم لها مهر عند العقد ومستحبة فيما عداها والحكمة في إيجاب المتعة جبر لما أوحشها الزوج بالطلاق فيعطيها لتنتفع بها مدة عدتها ويعتبر ذلك بحسب السعة والإقتار إلا أن يكون نصف مهرها أقل من ذلك فحينئذٍ يجب لها الأقل منه ولا ينقص عن خمسة دراهم لأن أقل المهر عشرة فلا ينقص عن نصفها ﴿وأسرحكن﴾ السرح شجر له ثمرة وأصله سرحت الإبل أن ترعيها السرح ثم جعل لكل إرسال في الرعي والتسريح في الطلاق مستعار من تسريح الإبل كالطلاق في كونه مستعاراً من طلاق الإبل وصريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية هو لفظ الطلاق عند أبي حنيفة وأحمد والطلاق والفراق والسراح عند الشافعي ومالك والمعنى أطلقكن ﴿سراحاً جميلاً﴾ طلاقاً من غير ضرار وبدعة. واتفق الأئمة على أن السنة في الطلاق أن يطلقها واحدة في طهر لم يصبها فيه ثم يدعها حتى تنقضي عدتها وإن طلق المدخول بها في حيضها أو طهر أصابها فيه وهي ممن تحبل فهو طلاق بدعة محرم ويقع بالاتفاق وجمع الثلاثة بدعة عند أبي حنيفة ومالك وقال أحمد هو محرم خلافاً للشافعي ويقع بلا خلاف بينهم.

واعلم أن الشارع إنما كره الطلاق ندباً إلى الإلفة وانتظام الشمل ولما علم الله أن الافتراق لا بد منه لكل مجموع مؤلف لحقيقة خفيت عن أكثر الناس شرع الطلاق رحمة لعباده ليكونوا مأجورين في أفعالهم محمودين غير مذمومين إرغاماً للشيطان فإنهم في ذلك تحت إذن إلهي وإنما كان الطلاق أبغض الحلال إلى الله تعالى لأنه رجوع إلى العدم إذ بائتلاف الطبائع ظهر وجود التركيب وبعد الائتلاف كان العدم فمن أجل هذه الرائحة كرهت الفرقة بين الزوجين لعدم عين الاجتماع كذا في «الفتوحات». وتقديم التمتيع على التسريح من باب الكرم وفيه قطع لمعاذيرهن من أول الأمر.

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾
يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى
ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.

﴿وإن كنتن تردن الله ورسوله﴾ أي: تردن رسوله وصحبته ورضاه وذكر الله للإيذان بجلالته عليه السلام عنده تعالى. ﴿والدار الآخرة﴾ أي: نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعاً ﴿فإن الله أعد للمحسنات﴾ [مرزنان نيكوكارانرا] ﴿منكن﴾ بمقابلة إحسانهن ومن

للتبيين لأن كلهن محسنات أصلح نساء العالمين ولم يقل لكن إعلاماً بأن كل الإحسان في إيثار مرضاة الله ورسوله على مرضاة أنفسهن. ﴿أجراً عظيماً﴾ لا يعرف كنهه وغايته وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتيع على التسريح وفي وصف التسريح بالجميل ولما نزلت هذه الآية بدأ عليه السلام بعائشة رضي الله عنها وكانت أحب أزواجه إليه وقرأها عليها وخيرها فاختارت الله ورسوله.

ـ وروي ـ أنه قال لعائشة رضي الله عنها: إني ذاكر لك أمراً أحب أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك أي: تشاوري لما علم أن أبويها لا يأمرانها بفراقه عليه السلام قالت: وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية فقالت: أفي هذا استأمر أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة» [رسول را اين سخن ازو عجب آمد وبدان شاد شد واثر شادى بربشره٭ مبارك وى پيدا آمد].
ثم اختارت الباقيات اختيارها فلما آثرنه عليه السلام والنعيم الباقي على الفاني شكر الله لهن ذلك وحرم على النبي التزوج بغيرهن فقال: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ [الأحزاب: ٥٢] الآية كما سيأتي. واختلف في أن هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق إليهن حتى يقع الطلاق باختيارهن أو كان تخييراً لهن بين الإرادتين على أنهن إن أردن الدنيا فارقهن عليه السلام كما ينبىء عنه قوله: ﴿فتعالين﴾ الخ فذهب البعض إلى الأول وقالوا: لو اخترن أنفسهن كان ذلك طلاقاً ولذا اختلف في حكم التخيير فإنه إذا خير رجل امرأته فاختارت نفسها في ذلك المجلس قبل القيام والاشتغال بما يدل على الإعراض بأن تقول اخترت نفسي وقعت طلقة بائنة عند أبي حنيفة ورجعية عند الشافعي وثلاث تطليقات عند مالك ولو اختارت زوجها لا يقع شيء أصلاً وكذا إذا قامت من مجلسها قبل أن تختار نفسها انقطع التخيير باتفاقهم. واختلفوا فيما إذا قال أمرك بيدك فقال أبو حنيفة إذا قال أمرك بيدك في تطليقة فاختارت نفسها يقع طلقة رجعية وإن نوى الثلاث صح فلو قالت: اخترت واحدة فهي ثلاث وهو كالتخيير يتوقف على المجلس.

وفي الآية إشارتان:

الأولى: أن حب الدنيا وزينتها موجب للمفارقة عند صحبة النبي عليه السلام لأزواجه مع أنهن محال النطفة الإنسانية في عالم الصورة ليعلم أن حب الدنيا وزينتها آكد في إيجاب المفارقة عن صحبة النبي عليه السلام لأمته؛ لأن أرحام قلوبهم محل النطفة الروحانية الربانية فينبغي أن يكون أطيب وأزكى لاستحقاق تلك النطفة الشريفة فإن الطيبات للطيبين:

خاطرت كى رقم فيض پذيرد هيهات مكراين نقش پرا كنده ورق ساده كنى

والثانية: أن محبة الله ورسوله والدار الآخرة موجبة للاتصال بالنبي عليه السلام والوصلة إلى الله إن كانت خالصة لوجه الله فإن كانت مشوبة بنعيم الجنة فله نعيم الجنة بقدر شوب محبة الله محبة نعيم وله من الأجر العظيم بحسب محبة الله. فإن قال قائل: قد تحقق أن محبة الله إذا كانت مشوبة بمحبة غير الله توجب النقص من الأجر العظيم بقدر شوب محبة غير الله فكذلك هل يوجب النقص شوب محبة النبي عليه السلام من الأجر العظيم. قلنا لا توجب النقص من الأجر العظيم بل تزيد فيه لأن من أحب النبي عليه السلام فقد أحب الله كما أن من يطع الرسول فقد أطاع الله والفرق بين محبة النبي ومحبة الجنة أن محبته بالحق دون الحظ ومحبة الجنة بالحظ دون الحق فإن الجنة حظ النفس كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ

﴿أَنفُسَكُمْ﴾ [فصلت: ٣١] ومحبة النبي ومتابعته مؤدية إلى محبة الله للعبد كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، قال المولى الجامي:

لي حبيب عربي مدني قرشي | كه بود در دوغمش مايهٔ شادى وخوشى
فهم رازش نكنم او عربي من عجمي | لاف مهرش چه زنم او قرشي من حبشي
ذره وارم بهوا دارئ اورقص كنان | تاشد او شهرهٔ آفاق بخورشيد وشى
كرچه صد مرحله دورست زپيش نظرم | وجهه في نظري كل غداة وعشي

﴿يا نساء النبي﴾ توجيه الخطاب إليهن لإظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن هٰهنا وفيما بعده بالإضافة إليه عليه السلام لأنها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الأحكام ﴿من يأت منكن بفاحشة﴾ بسيئة بليغة في القبح وهي الكبيرة، وبالفارسية: [هركه بيايد ازشما بكارى نا پسنديده] ﴿مبينة﴾ ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين قيل هذا كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] لا إن منهن من أتت بفاحشة أي: معصية ظاهرة. قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني النشوز وسوء الخلق. قال الراغب: الفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال انتهى.

يقول الفقير: لعل وجه قول ابن عباس رضي الله عنهما أن الزلة منهن كسوء الخلق مما يعد فاحشة بالنسبة إليهن لشرفهن وعلو مقامهن خصوصاً إذا حصل بها أذية النبي ﷺ ولذا قال: ﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ أي: يعذبن ضعفي عذاب غيرهن أي: مثليه ﴿وكان ذلك﴾ أي: تضعيف العذاب ﴿على الله يسيراً﴾ لا يمنعه عنه كونهن نساء النبي بل يدعوه إليه لمراعاة حقه. قال في «الأسئلة المقحمة»: ما وجه تضعيف العذاب لزوجات النبي عليه السلام؟ الجواب لما كان فنون نعم الله عليهن أكثر وعيون فوائده لديهن أظهر من الاكتحال بميمون غرّة النبي عليه السلام وترداد الوحي إلى حجراتهن بإنزال الملائكة فلا جرم كانت عقوبتهن عند مخالفة الأمر من أعظم الأمور وأفخمها ولهذا قيل إن عقوبة من عصى الله تعالى عن العلم أكثر من عقوبة من يعصيه عن الجهل وعلى هذا أبداً. وحد الحر أعظم من حد العبد وحد المحصن أعظم من حد غير المحصن لهذه الحقيقة انتهى. وعوتب الأنبياء بما لا يعاتب به الأمم. والحاصل أن الذنب يعظم بعظم جانيه وزيادة قبحه تابعة لزيادة شرف المذنب والنعمة فلما كانت الأزواج المطهرة أمهات المؤمنين وأشراف نساء العالمين كان الذنب منهن أقبح على تقدير صدوره وعقوبة الأقبح أشد وأضعف. وفي «المثنوي»:

آنچه عين لطف باشد برعوام | قهر شد برعشق كيشان كرام

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الثواب والعقاب بقدر نفاسة النفس وخستها يزيد وينقص وأن زيادة العقوبة على الجرم من إمارات الفضيلة كحد الحر والعبد وتقليل ذلك من إمارات النقص. وذلك لأن أهل السعادة على صنفين: صنف منهم السعيد والآخر الأسعد فالسعيد من أهل الجنة والأسعد من أهل الله فإذا صدر من السعيد طاعة فأعطي بها أجراً واحداً من الجنة وإن صدر منه معصية فأعطي بها عذاباً واحداً من الجحيم وإذا صدر من الأسعد طاعة فأعطي أجره مرتين وذلك بأن يزيد له بها درجة في الجنة ومرتبة في القربة وإن صدر منه معصية يضاعف له العذاب ضعفين بنقص في درجة من الجنة ونقص في مرتبته من القربة أو عذاب من ألم مس النار وعذاب من ألم مس البعد وذل الحجاب ومن هنا دعاء السريّ السقطي قدس سره اللهم إن كنت تعذبني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب، وكان ذلك على الله يسيراً أن يضاعف

لهم العذاب ضعفين بخلاف الخلق لأن تضعيف العذاب في حقهم ليس بيسير لأنهم يتبعون به ويعسر عليهم ذلك انتهى عصمنا الله وإياكم من العذاب وشرفنا بجزيل الثواب.

ومن أسباب العذاب والتنزل عدم التوكل وترك القناعة بالواصل والسعي بلا حاصل. قال عبد الواحد بن زيد: سألت الله تعالى ثلاث ليال أن يريني رفيقي في الجنة فقيل لي: يا عبد الواحد رفيقك في الجنة ميمونة السوداء فقلت: وأين هي؟ فقيل لي: في بني فلان بالكوفة فخرجت فإذا هي قائمة تصلي وإذا بين يديها عكاز وعليها جبة صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشتري وإذا الغنم مع الذئاب ترعى فلا الذئاب تأكل الغنم ولا الغنم تخاف الذئاب فلما رأتني أوجزت في صلاتها ثم قالت: ارجع يا ابن زيد ليس الموعد هٰهنا إنما الموعد ثمة فقلت: رحمك الله من أعلمك أني ابن زيد فقالت: إن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها اختلف فقلت لها: عظيني فقالت: واعجباً يوعظ لواعظ بلغني أنه ما من عبد أعطي من الدنيا شيئاً فابتغى إليه ثانياً إلا سلبه الله حب الخلوة معه وبدله بعد القرب بعداً وبعد الأنس وحشة ولهذا السر وعظ الله الأرواح المطهرة في القرآن وذلك من فضله، قال الصائب:

تازخاك پاى درويشى توانى سرمه كرد　　خاك در چشمت اكر درپادشاهى بنكرى

يعني أن جلاء البصر في الفقر والقناعة وترك زينة الدنيا لا في الدولة والسلطنة والنعيم الفاني فإن الدنيا كدر بما فيها. فعلى العاقل تخفيف الأثقال والأوزار وتكميل التجرد إلى آخر جزء من عمره السيار:

﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾.

﴿ومن يقنت منكن﴾ ومن تدم على الطاعة، وبالفارسية: [وهركه مداومت كندبر طاعت از شماكه ازواج پيغمبريد]. قال الراغب: القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع **﴿لله ورسوله﴾** [مرخدا ورسول اورا] **﴿وتعمل صالحاً﴾** [وبكندكارى بسنديده] **﴿نؤتها أجرها﴾** [بدهيم اورا مزداو] **﴿مرتين﴾** مرة على الطاعة والتقوى وأخرى على طلبها رضى رسول الله بالقناعة وحسن المعاشرة. قال مقاتل: بحسنة عشرين **﴿وأعتدنا لها﴾** في الجنة زيادة على أجرها المضاعف. والإعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة. قال الراغب: الإعتاد ادّخار الشيء قبل الحاجة إليه كالإعداد وقيل أصله أعددنا فأبدلت تاء **﴿رزقاً كريماً﴾** أي: حسناً مرضياً. قال في «المفردات»: كل شيء يشرف في بابه فإنه كريم وفيه إشارة إلى أن الرزق الكريم في الحقيقة هو نعيم الجنة فمن أراده يترك التنعيم في الدنيا قال عليه السلام لمعاذ رضي الله عنه: «إياك والتنعيم فإن عباد الله ليسوا بمتنعمين» يعني: أن عباد الله الخلص لا يرضون نعيم الدنيا بدل نعيم الآخرة فإن نعيم الدنيا فانٍ.

شنيدم كه جمشيد فرخ شرشت　　بسر چشمهٔ بربسنكى نبشت

برين چشمه چون ما بسى دم زدند　　برفتند چون چشم برهم زدند

وفي الآية إشارة إلى أن الطاعة والعمل الخالص من غير شوب بطمع الجنة ونحوها يوجب أجراً بمزيد في القربة وبتبعيتها يوجب أجراً آخر في درجات الجنة والعمل بالنفس يزيد

في وجودها وأما العمل وفق إشارة المرشد ودلالة الأنبياء والأولياء فيخلصها من الوجود وعلامة الخلاص من الوجود العمل بالحضور والتوجه التام لا بالانقلاب والاضطراب ألا ترى أن بعض المريدين دخل التنور اتباعاً لأمر شيخه أبي سليمان الداراني رحمه الله فلم يحترق منه شيء وكيف يحترق ولم يبق منه سوى الاسم من الوجود وهذا هو الشهود وهو الرزق الكريم فإن الكريم هو الله فيرزق المخلص من المشاهدات الربانية والمكاشفات والمكالمات مزيداً على القربة وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] ألا ترى أن إبراهيم الخليل عليه السلام لم يحترق في نار النمرود بل وجد الرزق الكريم من الله الودود لأن كل نعيم ظاهري لأهل الله فإنما ينعكس من نعيم باطني لهم وحقيقة الأجر إنما تعطي في النشأة الآخرة لأن هذه النشأة لا تسعها لضيقها نسأل الله القنوت والعمل ونستعيذ به من الفتور والكسل فإن الكسل يورث الغفلة والحجاب كما أن العمل يورث الشهود وارتفاع النقاب فإن التجليات الوجودية مظاهر التجليات الشهودية ومنه يعرف سر قوله عليه السلام: «دم على الطهارة يوسع عليك الرزق» فكما أن الطهارة الصورية تجلب بخاصيتها الرزق الصوري فكذا الطهارة المعنوية تجذب بمقتضاها الرزق المعنوي فيحصل لكل من الجسم والروح غذاؤه ويظهر سر الحياة الباقية فإن أذواق الروح لا نهاية لها لا في الدنيا ولا في الآخرة، وفي «المثنوي»:

اين زمين وسختيان پردست وبس — اصل روزى از خدا دان هرنفس
رزق ازوى جو مجو از زيد وعمرو — مستى ازوى جو مجو از بنك وخمر
منعمى زوخواه نى از كنج ومال — نصرت ازوى خواه نى ازعم وخال

اللهم اجعلنا من خلص العباد وثبت أقدامنا في طريق الرشاد بحق النون والصاد.

﴿يا نساء النبي﴾ [اى زنان پيغمبر] **﴿لستن كأحد من النساء﴾** [نيستيد شماچون هيچ كس اززنان ديكر]. وأصل أحد وحد بمعنى الواحد قلبت واوه همزة على خلاف القياس ثم وضع في النفي العام مستوياً فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير. والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف بسبب صحبة النبي عليه السلام فإن المضاف إلى الشريف شريف **﴿إن اتقيتن﴾** مخالفة حكم الله ورضى رسوله وهو استئناف والكلام تام على أحد من النساء ويحتمل أن يكون شرطاً لخيريتهن وبياناً أن فضيلتهن إنما تكون بالتقوى لا باتصالهن بالنبي عليه السلام:

زهد وتقوى فضل را محراب شد

﴿فلا تخضعن بالقول﴾ عند مخاطبة الناس أي: لا تجبن بقولكن خاضعاً ليناً مثل قول المطمعات، وبالفارسية: [پس نرمى وفروتنى مكنيد درسخن كفتن ونياز مكوييد بامردان بيكانه]. والخضوع التطامن والتواضع والسكون والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقالة إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع فإذا أتى الرجل باب إنسان وهو غائب فلا يجوز للمرأة أن تلين بالقول معه وترفق الكلام له فإنه يهيج الشهوة ويورث الطمع كما قال: **﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾** أي: محبة فجور **﴿وقلن قولاً معروفاً﴾** بعيداً من التهمة والأطماع بجد وخشونة لا بتكسر وتغنج كما يفعله المخنث فالزنى من أسباب الهلاك المعنوي كالمرض من أسباب الهلاك الصوري وسببه الملاينة والمطاوعة.

هست نرمى آفت جان سمور — وزدرشتى ميبردجان خارپشت

وفي الآية إشارة إلى أن أحوال أرباب القلوب الذين أسلموا أرحام قلوبهم لتصرفات ولاية المشايخ ليست كأحوال غيرهم من الخلق فالمتقي بالله من غيره لا يخضع لشيء من الدارين فإن الخضوع بالقول يجذب إلى الخضوع بالقلب والعمل وكثير من الصادقين يخضعون بالقول لأرباب الدنيا والأعمال الدنيوية لصلاح الآخرة ومصالح الدين بزعمهم فبالتدريج يقعون في ورطة الهلاك ويرجعون القهقرى إلى الدنيا ويستغرقون في بحر الفضلات لضعف الخالات فلا بد من ترك المساعدات وترك الشروع في شيء من أحوال الدنيا وأعمالها إلا بالمعروف وإلا فيكون مغلوباً بالمنكرات فنعوذ بالله من المخالفات.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾.

﴿وقرن﴾ [وآرام كيريد] ﴿في بيوتكن﴾ [درخانهاى خويش]. قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر بفتح القاف في المضارع من باب علم وأصله اقررن نقلت حركة الراء الأولى إلى القاف وحذفت لالتقاء الساكنين ثم حذفت همزة الوصل استغناء عنها فصار قرن ووزنه الحالي فلن والأصل أفعلن والباقون بكسرها لما أنه أمر من وقر يقر وقاراً إذا ثبت وسكن واصله أو قرن فحذفت الواو تخفيفاً ثم الهمزة فاستغناء عنها فصار قرن ووزنه الحالي علن أو من قريقر بكسر القاف في المضارع فأصله اقررن نقلت كسرة الراء إلى القاف ثم حذفت فاستغني عن همزة الوصل فصار قرن ووزنه الحالي فلن. والمعنى: الزمن يا نساء النبي بيوتكن واثبتن في مساكنكن. والخطاب وإن كان لنساء النبي فقد دخل فيه غيرهن.

ـ روي ـ أن سودة بنت زمعة رضي الله عنها من الأزواج المطهرة ما خطت باب حجرتها لصلاة ولا لحج ولا لعمرة حتى أخرجت جنازتها من بيتها في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل لها لم لا تحجين ولا تعتمرين؟ فقالت: قيل لنا ﴿وقرن في بيوتكن﴾

زيبكانكان چشم زن كور باد چو بيرون شد ازخانه در كورباد

وفي الخبر: «خير مساجد النساء قعر بيوتهن» ﴿ولا تبرجن﴾ قال الراغب يقال ثوب متبرج صور عليه بروج واعتبر حسنه فقيل: تبرجت المرأة أي: تشبهت به في إظهار الزينة والمحاسن للرجال أي: مواضعها الحسنة فيكون المعنى [إظهار پيرايها مكنيد] ويدل عليه قوله في «تهذيب المصادر» [التبرج: بزن خويشتن را بيارأستن] قال تعالى: ﴿ولا تبرجن﴾ وأصل التبرج صعود البرج وذلك أن من صعد البرج ظهر لمن نظر إليه قاله أبو علي انتهى. وقيل: تبرجت المرأة ظهرت من برجها أي: قصرها ويدل على ذلك قوله ولا تبرجن كما في «المفردات». وقال بعضهم: ولا تتبخترن في مشيكن ﴿تبرج الجاهلية الأولى﴾ أي: تبرجاً مثل تبرج النساء في أيام الجاهلية القديمة وهي ما بين آدم ونوح وكان بين موت آدم وطوفان نوح ألف ومائتا سنة واثنتان وسبعون سنة كما في «التكملة». والجاهلية الأخرى ما بين محمد وعيسى عليهما السلام. قال ابن الملك الجاهلية الزمان الذي كان قبل بعثته عليه السلام قريباً منها سمي به لكثرة الجهالة انتهى.

ـ روي ـ أن بطنين من ولد آدم سكن أحدهما السهل والآخر الجبل وكان رجال الجبل صباحاً وفي نسائهم دمامة والسهل بالعكس فجاء إبليس وآجر نفسه من رجل سهلي وكان

يخدمه فاتخذ شيئاً مثل ما يزمر الرعاء فجاء بصوت لم يسمع الناس بمثله فبلغ ذلك من في السهل فجاءوا يستمعون إليه واتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة فتبرج النساء للرجال وتزينوا لهن فهجم رجل من أهل الجبل عليهم في عيدهم فرأى النساء وصباحتهن فأخبر أصحابه فتحولوا إليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله: ﴿ولا تبرجن﴾ الخ وذلك بعد زمان ادريس. قال الكاشفي: [اصح آنست كه جاهليت اولى درزمان حضرت ابراهيم عليه السلام بودكه زنان لباسها بمرواريد بافته پوشيده خودرا درميان طريق بمردان عرض كردندى].

وقيل: الجاهلية الأخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان. وفي الحديث: «صنفان من أهل النار لم أرهما بعد» يعني في عصره عليه السلام لطهارة ذلك العصر بل حدثا بعده «قوم معهم سياط» يعني أحدهما قوم في أيديهم سياط «كأذناب البقر يضربون بها الناس» جمع سوط تسمى تلك السياط في ديار العرب بالمقارع جمع مقرعة وهي جلد طرفها مشدود عرضه كعرض الأصبع الوسطى يضربون بها السارقين عراة وقيل هم الطوافون على أبواب الظلمة كالكلاب يطردون الناس عنها بالضرب والسباب «ونساء» يعني ثانيهما نساء «كاسيات» يعني: في الحقيقة «عاريات» يعني في المعنى لأنهن يلبسن ثياباً رقاقاً تصف ما تحتها أو معناه عاريات من لباس التقوى وهن اللاتي يلقين ملاحفهن من ورائهن فتنكشف صدورهن كنساء زماننا. أو معناه كاسيات بنعم الله عاريات عن الشكر يعني نعيم الدنيا لا ينفع في الآخرة إذا خلا عن العمل الصالح وهذا المعنى غير مختص بالنساء «مميلات» أي: قلوب الرجال إلى الفساد بهن أو مميلات أكنافهن وأكفالهن كما تفعل الرقاصات أو مميلات مقانعهن من رؤوسهن لتظهر وجوههن «مائلات» أي: إلى الرجال أو معناه متبخترات في مشيهن «رؤوسهن كأسنمة البخت» يعني يعظمن رؤوسهن بالخمر والقلنسوة حتى تشبه أسنمة البخت أو معناه ينظرن إلى الرجال برفع رؤوسهن «المائلة» لأن أعلى السنام يميل لكثرة شحمه «لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وأن ريحها ليوجد مسيرة أربعين عاماً» ﴿وأقمن الصلاة﴾ التي هي أصل الطاعات البدنية ﴿وآتين الزكاة﴾ التي هي أشرف العبادات المالية أي: إن كان لكن مال كما في «تفسير أبي الليث» ﴿وأطعن الله ورسوله﴾ في سائر الأوامر والنواهي. وقال بعضهن: أطعن الله في الفرائض ورسوله في السنن ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾ الرجس الشيء القذر أي: الذنب المدنس لعرضكم وعرض الرجل جانبه الذي يصونه وهو تعليل لأمرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث قيل: ﴿أهل البيت﴾ أي: يا أهل البيت والمراد به من حواه بيت النبوة رجالاً ونساء قال الراغب: أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراهما من صناعة وبيت وبلد وضيعة فأهل الرجل في الأصل من يجمعه وإياهم مسكن واحد ثم تجوّز به فقيل: أهل بيت الرجل لمن يجمعه وإياهم نسب وتعورف في أسرة النبي عليه السلام مطلقاً إذا قيل أهل البيت يعني أهل البيت متعارف في آل النبي عليه السلام من بني هاشم ونبه عليه السلام بقوله: «سلمان منا أهل البيت» على أن مولى القوم يصح نسبته إليهم. والبيت في الأصل مأوى الإنسان بالليل ثم قد يقال من غير اعتبار الليل فيه وجمعه أبيات وبيوت لكن البيوت بالمسكن أخص والأبيات بالشعر ويقع ذلك على المتخذ من حجر ومدر وصوف ووبر وبه شبه بيت الشعر وعبر عن مكان الشيء بأنه بيته الكل في «المفردات». ﴿ويطهركم﴾ من أدناس المعاصي ﴿تطهيراً﴾ بليغاً واستعارة الرجس

للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما ترى آية بينة وحجة نيرة على كون نساء النبي عليه السلام من أهل بيته قاضية ببطلان مذهب الشيعة في تخصيصهم أهل البيت بفاطمة وعلي وابنيه أي: الحسن والحسين رضي الله عنهم وأما ما تمسكوا به من أن النبي عليه السلام خرج ذات يوم غدوة وعليه مرط مرجل من شعر أسود، يعني: [بروى ميزر معلم بود از موى سياه] فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فأدخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه ثم قال: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت فإنه يدل على كونهم من أهل البيت لا أن من عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها في مقابلة النص. قال الكاشفي: [وازين جهت است كه آل عبا برپنج تن اطلاق ميكنند]:

آل العباء رسول الله وابنته والمرتضى ثم سبطاه إذا اجتمعوا

قال في «كشف الأسرار»: [رجس در افعال خبيثه است واخلاق دنيه افعال خبيثه فواحش است ما ظهر منها وما بطن وأخلاق دنيه هوا وبدعت وبخل وحرص وقطع رحم وامتثال آن رب العالمين ايشانرا بجاى بدعت سنت نهاد وبجاى بخل سخاوت وبجاى حرص قناعت وبجاى قطع رحم وصلت وشفقت آنكه كفت ﴿**ويطهركم تطهيرا**﴾ وشمارا پاك ميدارد ازآنكه بخود معجب باشيد يا خودرا بر الله دلالى دانيد يا بطاعات واعمال اخود نظري كنيد. پير طريقت كفت نظر دواست نظر انساني ونظر وحماني. نظر انساني آنست كه توبخودنكرى. ونظر رحماني آنست كه حق بتونكرد وتا نظر انسانى ازنهاد تورخت برنيارد نظر رحمانى بدلت نزول نكند أي مسكين چه نكرى توباين طاعت آلوده خويش وآنرا بدركاه بى نيازى چه وزن نهى خبر ندارى كه اعمال همه صديقان زمين وطاعات همه قدوسيان آسمان جمع كنى درميزان جلال ذي الجلال پرپيشه، نسنجند ليكن او جل جلاله بابى نيازى خود بنده را به بندكى مى پسند دوراه بندكى بوى مى نمايد] قال المولى الجامي:

كاهى كه تكيه بر عمل خود كنند خلق اورا مباد جز كرمت هيج تكيه كاه
با او بفضل كاركن اى مفضل كريم كز عدل تو بفضل تو مى آورد پناه

وفي «التأويلات» ﴿**وقرن في بيوتكن**﴾ يخاطب به القلوب أن يقروا في وكناتهم من عالم الملكوت والأرواح متوجهين إلى الحضرة ﴿**ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**﴾ لا تخرجوا إلى عالم الحواس راغبين في زينة الدنيا وشهواتها كما هو من عادات الجهلة ﴿**وأقمن الصلاة**﴾بدوام الحضور والمراقبة والعروج إلى الله بالسير فإن الصلاة معراج المؤمن بأن يرفع يديه من الدنيا ويكبر عليها ويقبل على الله بالإعراض عما سواه ويرجع عن مقام التكبر الإنساني إلى خضوع الركوع الحيواني ومنه إلى خشوع السجود النباتي ثم إلى القعود الجمادي فإنه بهذا الطريق أهبط إلى أسفل القالب فيكون رجوعه بهذا الطريق إلى أن يصل إلى مقام الشهود الذي كان فيه في البداية الروحانية ثم يتشهد بالتحية والثناء على الحضرة ثم يسلم عن يمينه على الآخرة وما فيها ويسلم عن شماله على الدنيا وما فيها مستغرق في بحر الألوهية بإقامة الصلاة وإدامتها ﴿**وآتين الزكاة**﴾ فالزكاة هي ما زاد على الوجود الحقيقي من الوجود المجازي فإيتاؤها صرفها وإفناؤها في الوجود الحقيقي بطريق ﴿**وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس**﴾ وهو لوث الحدوث ﴿**أهل البيت**﴾ بيت الوصول ومجلس الوحدة ويطهركم عن لوث الحدوث بشراب طهور تجلي صفات جماله وجلاله تطهيراً لا يكون بعده تلوث انتهى كما قالوا الفاني لا

يرد إلى أوصافه [پس اولياء كمل را خوف ظهور طبيعت نيست]:

تابنده زخود فانىء مطلق نشود توحيد بنزد او محقق نشود
توحيد حلول نيست نابودن تست ورنه بكذاف آدمى حق نشود

حققنا الله وإياكم بحقائق التوحيد وأيدنا من عنده بأشد التأييد ومحا عنا نقوش وجوداتنا وطهرنا من أدناس أنانياتنا إنه الكريم الجواد الرؤوف بكل عبد من العباد.

﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾.

﴿واذكرن﴾ [وياد كنيد اى زنان پيغمبر] أي: للناس بطريق العظة والتذكير **﴿ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾** أي: من الكتاب الجامع بين كونه آيات الله البينة الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلم والشرائع وقد سبق معنى الحكمة في سورة لقمان. وحمل قتادة الآيات على آيات القرآن والحكمة على الحديث الذي هو محض حكمة وهذا تذكير بما أنعم عليهن من كونهن أهل بيت النبوة ومهبط الوحي حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها مع أنه الأنسب لكونها مهبط الوحي لعمومها جميع الآيات ووقوعها في كل البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول وعدم تعيين التالي ليعم تلاوة جبريل وتلاوة النبي وتلاوتهن وتلاوة غيرهن تعلماً وتعليماً.

قال في «الوسيط»: وهذا حث لهن على حفظ القرآن والأخبار ومذاكرتهن بها للإحاطة بحدود الشريعة والخطاب وإن اختص بهن فغيرهن داخل فيه لأن مبني الشريعة على هذين القرآن والسنة وبهما يوقف على حدود الله ومفترضاته انتهى.

ومن سنة القارىء أن يقرأ القرآن كل يوم وليلة كيلا ينساه ولا يخرج عن صدره فإن النسيان وهو أن لا يمكنه القراءة من المصحف من الكبائر. ومن السنة أن يجعل المؤمن لبيته حظاً من القرآن فيقرأ فيه منه ما تيسر له من حزبه ففي الحديث: «إن في بيوتات المسلمين لمصابيح إلى العرش يعرفها مقربوا ملائكة السموات السبع والأرضين السبع يقولون هذا النور من بيوتات المؤمنين التي يتلى فيها القرآن» ومن السنة أن يستمع القرآن أحياناً من الغير. وكان عليه السلام يستمع قراءة أبيّ وابن مسعود رضي الله عنهما. وكان عمر رضي الله عنه يستمع قراءة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وكان حسن الصوت واستماع القرآن في الصلاة فرض وفي خارجها مستحب عند الجمهور فعليك بالتذكير والتحفظ والاستماع.

دل ازشنيدن قرآن بكيردت همه وقت چو باطلان زكلام حقت ملولى چيست

﴿إن الله كان لطيفاً﴾ بليغ اللطف والبر بخلقه كلهم **﴿خبيراً﴾** بليغ العلم بالأشياء كلها فيعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك أمر ونهى أو يعلم من يصلح لنبوته ومن يستأهل أن يكون من أهل بيته.

- روي - أنه تكلم رجل في زين العابدين رضي الله عنه وافترى عليه فقال زين العابدين: إن كنت كما قلت فاستغفر الله وإن لم أكن نستغفر الله لك فقام إليه الرجل وقبل رأسه وقال: جعلت فداءك لست كما قلت فاستغفر لي قال: غفر الله لك فقال الرجل: الله أعلم حيث يجعل رسالته. وخرج يوماً من المسجد فلقيه رجل فسبه فثارت إليه العبيد والموالي فقال لهم زين العابدين: مهلاً على الرجل ثم أقبل عليه وقال: بالله إلا ما سترت من أمرنا ألك حاجة نعينك

عليها فاستحيى الرجل فألقى عليه خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول.

قال بعض الكبار: القرابة طينية وهي ما كان من النسب ودينية وهي ما كان من مجانسة الأرواح في مقام المعرفة ومشابهة الأخلاق في مقام الطريقة ومناسبة الأعمال الصالحة في مقام الشريعة كما قال عليه السلام: «آل محمد كل تقي نقي» فأهل التقوى الحقيقية وهم العلماء بالله التابعون له عليه السلام في طريق الهدى من جملة أهل البيت وذوي القربى وأفضل الخلق عند الله وكذا السادات الصالحون لهم كرامة عظمى فرعايتهم راجعة إلى النبي عليه السلام.

- روي - أن علوية فقيرة مع بناتها نزلت مسجداً بسمرقند فخرجت لطلب القوت لبناتها فمرت على أمير البلد وذكرت أنها علوية وطلبت منه قوت الليلة فقال: ألك بينة على أنك علوية؟ فقالت: ما في البلد من يعرفني فأعرض عنها فمضت إلى مجوسي هو ضامن البلد فعرضت له حالها فأرسل المجوسي إلى بناتها وأكرم مثواهن فرأى أمير البلد في المنام كأن القيامة قد قامت وعند النبي عليه السلام لواء وإذا قصر من زمرد أخضر فقال: لمن هذا القصر يا رسول الله فقال عليه السلام: «لمؤمن موحد» فقال: أنا مسلم موحد قال عليه السلام: «ألك بينة على أنك مسلم موحد» فانتبه يبكي ويلطم وجهه وسأل عن العلوية وعرفها عند المجوسي وطلبها منه فأبى المجوسي فقال: خذ مني ألف دينار وسلمهن إليّ قال: لا يكون ذلك وقد أسلمنا على يد العلوية وقد أخبرنا النبي عليه السلام بأن القصر لنا.

- وروي - أنه كان ببغداد تاجر له بضاعة يسيرة فاتفق أنه صلى صلاة في جماعة فلما سلموا قام علوي وقال: إن لي بنية أريد تزويجها بحق جدي رسول الله ﷺ أعطوني ما أصلح به لها جهازها فأعطاه التاجر رأس ماله وكان خمسمائة درهم فلما كان الليل رأى التاجر رسول الله في المنام فقال له: يا فتى قد وصل إليّ ما أتحفتني فاقصد إلى مدينة بلخ فإن عبد الله بن طاهر بها فقل له إن محمداً يقرئك السلام ويقول: قد بعثت إليك ولياً له عندي يد فادفع إليه خمسمائة دينار فانتبه التاجر وأخبر بذلك امرأته فقالت: ومن يقوم بنفقتنا إلى أن ترجع من بلخ فقصد إلى خباز من جيرانه وقال: إن أعطيت أهلي كفايتهم مدة غيبتي أعطيتك إذا رجعت بدل كل درهم ديناراً فقال الخباز: إن الذي أمرك بالخروج إلى بلخ أوصاني بنفقة أهلك إلى رجوعك ففرح التاجر وخرج نحو بلخ فلما قرب استقبله عبد الله بن طاهر وقال: مرحباً برسول رسول الله إن الذي أرسلك إلي أوصاني بالإحسان إليك فأحسن ضيافته ثلاثة أيام ثم أعطاه خمسمائة دينار وفق أمره عليه السلام وأعطاه خمسمائة دينار لكونه رسول رسول الله وبعث معه جماعة أوصلوه إلى منزله، قال الشيخ سعدي:

زرونعمت اكنون بده كان تست ... كه بعد از توبيرون زفرمان تست
فرومانـدكانرا درون شاد كن ... زروز فرومانـدكى ياد كن
نه خواهندهٔ بردر ديكران ... بشكرانه خواهنده از درمران
جوانمردا كرراست خواهى وليست ... كرم پيشهٔ شاه مردان عليست
باحسانى آسوده كردن دلى ... به ازالف ركعت بهر منزلى
بقنطار زر بخش كردن زكنج ... نباشد چوقيراطى از دست رنج
برد هركسى بار درخورد زور ... كرانست پاى ملخ پيش مور

فإذا سمعت إلى هذا المقال فابسط يدك بالنوال إن كان لك مال وإلا فالعاقل الغيور يطير ويجود بهمته.

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾.

﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ . ـ روي ـ أنه لما نزل في نساء النبي عليه السلام الآيات المذكورة قالت نساء المؤمنين: فما نزل فينا ولو كان فينا خير لذكرنا فنزلت والمعنى: إن الداخلين في السلم بعد الحرب المنقادين لحكم الله من الذكور والإناث.

وفي «التأويلات النجمية»: المسلم هو المستسلم للأحكام الأزلية بالطوع والرغبة مسلماً نفسه إلى المجاهدة والمكابدة ومخالفة الهوى وقد سلم المسلمون من لسانه ويده **﴿والمؤمنين والمؤمنات﴾** المصدقين بما يجب أن يصدق به من الفريقين.

وفي «التأويلات»: المؤمن من أمنه الناس وقد أحيى الله قلبه أولاً بالعقل ثم بالعلم ثم بالفهم عن الله تعالى ثم بنور الله تعالى ثم بالتوحيد ثم بالمعرفة ثم أحياه الله. قال في «بحر العلوم»: ومراد أصحابنا باتحاد الإيمان والإسلام أن الإسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى قبول ما جاء به من عند الله والإذعان له وذلك حقيقة التصديق ولذلك لم يصح في الشرع أن يحكم على أحد بأنه مسلم وليس بمؤمن أو مؤمن وليس بمسلم فلا يمتاز أحدهما عن الآخر ولم يريدوا الاتحاد بحسب المفهوم لأن الإيمان هو تصديق الله فيما أخبر من أوامره ونواهيه ومواعيده والإسلام هو الخضوع والانقياد لألوهيته وهذا لا يحصل إلا بقبول الأمر والنهي والوعد والوعيد والإذعان لذلك فمن لم يقبل شيئاً من هذه الأربعة فقد كفر وليس بمسلم انتهى **﴿والقانتين والقانتات﴾** أي: المداومين على الطاعات القائمين بها.

وفي «التأويلات»: القنوت استغراق الوجود في الطاعة والعبودية **﴿والصادقين والصادقات﴾** في القول والعمل والنية.

وفي «التأويلات»: في عقودهم وعهودهم ورعاية حدودهم والصدق نور أهدى لقلوب الصديقين بحسب قربهم من ربهم **﴿والصابرين والصابرات﴾** على الطاعات وعن المعاصي.

وفي «التأويلات»: على الخصال الحميدة وعن الصفات الذميمة وعند جريان القضاء ونزول البلاء **﴿والخاشعين والخاشعات﴾** المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم.

وفي «التأويلات»: الخشوع إطراق السريرة عند توارد الحقيقة انتهى. قال بعضهم الخشوع انقياد الباطن للحق والخضوع انقياد الظاهر له. وفي «القاموس» الخشوع الخضوع أو هو في البدن والخشوع في الصوت **﴿والمتصدقين والمتصدقات﴾** بما وجب في مالهم والمعطين للصدقات فرضاً أو نفلاً يقال تصدق على الفقراء إذا أعطاهم الصدقة وهي العطية التي بها تبتغي المثوبة من الله تعالى. وفي «المفردات» الصدقة ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزكاة لكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوع به والزكاة للواجب وقيل يسمى الواجب صدقة إذا تحرى صاحبه الصدق في فعله.

وفي «التأويلات»: والمتصدقين والمتصدقات بأموالهم وأعراضهم حتى لا يكون لهم مع

أحد خصميه فيما ينال منهم، يعني: [بخشندكانند هم بمال وهم بنفس حق هيچ كس برخود نكذاشته وازراه خصومت باخلق برخاسته] وحقيقة الصدقة ما يكون بالأحوال على أرباب الطلب، قال الحافظ:

أي صاحب كرامت شكرانهٔ سلامت روزى تفقدى كن درويش بى نوارا

﴿والصائمين والصائمات﴾ الصوم المفروض أو مطلق الصوم فرضاً أو نفلاً.

وفي «التأويلات» الممسكين عما لا يجوز في الشريعة والطريقة بالقلب والقالب فيصوم القالب بالإمساك عن الشهوات ويصوم القلب بالإمساك عن رؤية الدرجات والقربات. وفي «المفردات» الصوم في الأصل الإمساك عن الفعل مطعماً كان أو كلاماً أو مشياً وفي الشرع إمساك المكلف بالنية من الخيط الأبيض إلى الخيط الأسود عن تناول الأطيبين والاستمناء والاستقاءة **﴿والحافظين فروجهم والحافظات﴾** في الظاهر عن الحرام وفي الحقيقة عن تصرفات المكونات أي: والحافظاتها فحذف المفعول لدلالة المذكور عليه. وفي «المفردات» الفرج والفرجة الشق بين الشيئين كفرجة الحائط والفرج ما بين الرجلين وكنى به عن السوأة وكثر حتى صار كالصريح فيه **﴿والذاكرين الله﴾** ذكراً **﴿كثيراً والذاكرات﴾** أي: والذاكراته فترك المفعول كما في الحافظات أي: بقلوبهم وألسنتهم.

وفي «التأويلات النجمية»: بجميع أجزاء وجودهم الجسمانية والروحانية بل بجميع ذرات المكونات بل بالله وجميع صفاته. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أدبار الصلوات وغدواً وعشياً وفي المضاجع وكلما استيقظ من نومه وكلما غدا وراح من منزله ذكر الله انتهى. والاشتغال بالعلم النافع وتلاوة القرآن والدعاء من الذكر وفي الحديث: «من استيقظ من منامه وأيقظ امرأته فصليا جميعاً ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات». وعن مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً **﴿أعد الله لهم﴾** بسبب ما عملوا من الطاعات العشر المذكورة وجمعوا بينها وهو خبر إن والعطف بالواو بين الذكور والإناث كالمسلمين والمسلمات كالعطف بين الضدين لاختلاف الجنسين. وأما عطف الزوجين على الزوجين كعطف المؤمنين والمؤمنات على المسلمين والمسلمات فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع أي: عطفهما لتغاير الوصفين **﴿مغفرة﴾** لما اقترفوا من الصغائر لأنهن مكفرات بما عملوا من الأعمال الصالحات.

وفي «التأويلات»: هي نور من أنوار جماله جعل مغفر الرأس روحهم يعصمهم مما يقطعهم عن الله **﴿وأجراً عظيماً﴾** على ما صدر عنهم من الطاعات وهو الجنة واليوم سهولة العبادة ودوام المعرفة وغداً تحقيق المسؤول ونيل ما فوق المأمول.

وفي «التأويلات» العظيم هو الله يعني أجراً من واهب ألطافه بتجلي ذاته وصفاته. وعن عطاء بن أبي رباح: من فوّض أمره إلى الله فهو داخل في قوله: **﴿إن المسلمين والمسلمات﴾** ومن أقرّ بأن الله ربه ومحمداً عليه السلام رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله: **﴿والمؤمنين والمؤمنات﴾** ومن أطاع الله في الفرائض والرسول في السنة فهو داخل في قوله: **﴿والقانتين والقانتات﴾** ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله: **﴿والصادقين والصادقات﴾** ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله: **﴿والصابرين والصابرات﴾** ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن شماله فهو داخل في قوله:

﴿**والخاشعين والخاشعات**﴾. قال في «بحر العلوم»: بني الأمر في هذا على الأشد وليس هذا بمرضي عنه انتهى. يقول الفقير: بل بني على الأسهل فإنه أراد ترك الالتفات يميناً وشمالاً وهو أسهل بالنسبة إلى الاستغراق في الشهود. ومن تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو داخل في قوله: ﴿**والمتصدقين والمتصدقات**﴾ ومن صام من كل شهر أيام البيض فهو داخل في قوله: ﴿**والصائمين والصائمات**﴾ ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل في قوله: ﴿**والحافظين فروجهم والحافظات**﴾ ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله: ﴿**والذاكرين الله كثيراً والذاكرات**﴾. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه سئل رسول الله ﷺ أي: العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذكرات» قالوا: يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله؟ قال: «لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى تكسر أو تخضب دماً لكان ذاكر الله كثيراً أفضل منه درجة» وعن أبي هريرة رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان كعثمان فقال: «سيروا هذا جمدان سبق المفرّدون» قالوا: ومن مفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات» أي: كثيراً والمفردون نقله البعض بكسر الراء وتشديدها والبعض الآخر بتخفيفها وإنما لم يقولوا من المفردون لأن مقصودهم من النبي عليه السلام كان أن يبين لهم ما المراد من الأفراد والتفريد لا بيان من يقوم به الفعل فبينه عليه السلام بقوله: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات» يعني المراد من الأفراد هنا أن يجعل الرجل بأن لا يذكر معه غيره والمراد من كثرة ذكره أن لا ينساه على كل حال لا الذكر بكثرة اللغات. قال ابن ملك: وفي ذكره عليه السلام هذا الكلام عقيب قوله: «هذا جمدان» لطيفة وهي أن جمدان كان منفرداً ولم يكن مثله فكذا هؤلاء السادات منفردون ثابتون على السعادات. يقول الفقير: أشار عليه السلام بجمدان إلى جبل الوجود والسير فيه وقطع طريقه بتفريد التوحيد وهو تقطيع الموحد عن الأنفس كما أن تجريد التوحيد تقطيعه عن الآفاق جعلنا الله وإياكم من السائرين الطائرين لا من الواقفين الحائرين.

سالها كرچه درين راه تك وپوى كنند — سالكاً بي كشش دوست بجايى نرسند

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾.

﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة**﴾. ـ روي ـ أن رسول الله ﷺ خطب زينب بنت جحش بن رباب الأسدي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب لمولاه زيد بن حارثة وكانت زينب بيضاء جميلة وزيد أسود أفطس فأبت وقالت: أنا بنت عمتك يا رسول الله وأرفع قريش فلا أرضاه لنفسي وكذلك أبى أخوها عبد الله بن جحش فنزلت. والمعنى ما صح وما استقام لرجل ولا امرأة من المؤمنين فدخل فيه عبد الله وأخته زينب ﴿**إذا قضى الله ورسوله أمراً**﴾ مثل نكاح زينب أي: قضى رسول الله وحكم وذكر الله لتعظيم أمره والإشعار بأن قضاءه عليه السلام قضاء الله كما أن طاعته طاعة الله تعالى. ﴿**أن يكون لهم الخيرة**﴾ الخيرة بالكسر اسم من الاختيار أي: أن يختاروا ﴿**من أمرهم**﴾ ما شاؤوا بل يجب عليهم أن يجعلوا أراءهم واختيارهم تبعاً لرأيه عليه السلام واختياره وجمع الضميرين لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما في سياق النفي. وقال بعضهم: الضمير الثاني للرسول أي: من أمره والجمع للتعظيم ﴿**ومن**﴾ [وهركه] ﴿**يعص الله**

ورسوله﴾ في أمر من الأمور ويعمل برأيه. وفي «كشف الأسرار» ومن يعص الله فخالف الكتاب ورسوله فخالف السنة ﴿فقد ضل﴾ طريق الحق وعدل عن الصراط المستقيم ﴿ضلالاً مبيناً﴾ أي: بين الانحراف عن سنن الصواب.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن العبد ينبغي أن لا يكون له اختيار بغير ما اختاره الله بل تكون خيرته فيما اختاره الله له ولا يعترض على أحكامه الأزلية عند ظهورها له بل له الاحتراز عن شرّ ما قضى الله قبل وقوعه فإذا وقع الأمر فلا يخلو إما أن يكون موافقاً للشرع أو يكون مخالفاً للشرع فإن يكن موافقاً للشرع فلا يخلو إما أن يكون موافقاً لطبعه أو مخالفاً لطبعه فإن يكن موافقاً لطبعه فهو نعمة من الله يجب عليه شكرها وإن يكن مخالفاً لطبعه فيستقبله بالصبر والتسليم والرضى وإن يكن مخالفاً للشرع يجب عليه التوبة والاستغفار والإنابة إلى الله تعالى من غير اعتراض على الله فيما قدّر وقضى وحكم به فإنه حكيم يفعل ما يشاء بحكمته ويحكم ما يريد بعزته انتهى. يقول الفقير: هذه الآية أصل في باب التسليم وترك الاختيار والاعتراض فإن الخير فيما اختاره الله واختاره رسوله واختاره ورثته الكمل والرسول حق في مرتبة الفرق كما أن الوارث رسول للخلافة الكاملة فكل من الرسول والوارث لا ينطق عن الهوى لفنائه عن إرادته بل هو وحي يوحى وإلهام يلهم فيجب على المريد أن يستسلم لأمر الشيخ المرشد محبوباً أو مكروهاً ولا يتبع هوى نفسه ومقتضى طبيعته وقد قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٦] فيمكن وجدان ماء الحياة في الظلمات ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾ [البقرة: ٢١٦] فقد يجعل في السكر السم ومن عرف أن فعل الحبيب حبيب وأن المبلي ليس لبلائه سواه طبيب لم يتحرك يميناً وشمالاً ورضى جمالاً وجلالاً، قال الحافظ:

عاشقانرا كردرآتش مى نشاند قهر دوست تنك چشمم كرنظر درچشمه كوثر كنم

واعلم أن الفناء عن الإرادة أمر صعب وقد قيل المريد من لا إرادة له يعني لا إرادة له من جهة نفسه فله إرادة من جهة ربه فهو لا يريد إلا ما يريد الله ولصعوبة إفناء الإرادة في إرادة الله وإرادة رسوله وإرادة وارث رسوله بقي أكثر السلاك في حجاب الوجود وغابوا عن الشهود وحرموا من بركة المتابعة ونماء المشايعة.

قال بعض الكبار: القهر عذاب ومن أراد أن يزول عنه حكم هذا القهر فليصحب الحق تعالى بلا غرض ولا شوق بل ينظر في كل ما وقع في العالم وفي نفسه فيجعله كالمراد له فيلتذ به ويتلقاه بالقبول والبشر والرضى فلا يزال من هذه حالته مقيماً في النعيم الدائم لا يتصف بالقهر ولا بالذلة وصاحب هذا المقام يحصل له اللذة بكل واقع منه أو فيه أو من غيره أو في غيره نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أهل التسليم وأرباب القلب السليم ويحفظنا من الوقوع في الاعتراض والعناد لما حكم وقضى وأراد.

﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧﴾.

﴿وإذ تقول﴾. ـ روي ـ إنه لما نزلت الآية المتقدمة قالت زينب وأخوها عبد الله رضينا يا

رسول الله أي: بنكاح زيد فأنكحها عليه السلام إياه وساق إليها مهرها عشرة دنانير وستين درهماً وخماراً وملحفة ودرعاً وإزاراً وخمسين مداً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر وبقيت بالنكاح معه مدة فجاء النبي عليه السلام يوماً إلى بيت زيد لحاجة فأبصر زينب فأعجبه حسنها فوقع في قلبه محبتها بلا اختيار منه والعبد غير ملوم على مثله ما لم يقصد المأثم ونظرة المفاجأة التي هي النظرة الأولى مباحة فقال عليه السلام عند ذلك: «سبحان الله يا مقلب القلوب ثبت قلبي» وانصرف وذلك أن نفسه كانت تمتنع عنها قبل ذلك لا يريدها ولو أرادها لخطبها وسمعت زينب التسبيحة فذكرتها لزيد بعد مجيئه وكان غائباً ففطن، يعني: [بدانست كه چيزى دردل رسول افتاد وبآنكه درحكم ازلى زينب زن رسول باشد الله تعالى محبت زينب دردل رسول افكند ونفرت وكراهت دردل زيد] فأتى رسول الله تلك الساعة فقال: يا رسول الله إني أريد أن أفارق صاحبتي فقال: «ما لك أرأيت منها شيئاً» قال: لا والله ما رأيت منها إلا خيراً ولكنها تتعظم عليّ لشرفها وتؤذيني بلسانها فمنعه عليه السلام من الفرقة وذلك قوله تعالى: ﴿**وإذ تقول**﴾ أي: واذكر وقت قولك يا محمد ﴿**للذي أنعم الله عليه**﴾ بالتوفيق للإسلام الذي هو أجل النعم وللخدمة والصحبة.

وفي «التأويلات النجمية»: بأن أوقعه في معرض هذه الفتنة العظيمة والبلية الجسيمة وقواه على احتمالها وأعانه على التسليم والرضى فيما يجري الله عليه وفيما يحكم به عليه من مفارقة الزوجة وتسليمها إلى رسول الله وبأن ذكر اسمه في القرآن من بين الصحابة وأفرد به ﴿**وأنعمت عليه**﴾ بحسن التربية والاعتقاق والتبني.

وفي «التأويلات»: بقبول زينب بعد أن أنعمت عليه بإيثارها عليه بقولك: أمسك الخ وهو زيد بن حارثة رضي الله عنه مولاه عليه السلام وهو أول من أسلم من الموالي وكان عليه السلام يحبه ويحب ابنه أسامة شهد بدراً والخندق والحديبية واستخلفه النبي عليه السلام على المدينة حين خرج إلى بني المصطلق وخرج أميراً في سبع سرايا وقتل يوم مؤتة بضم الميم وبالهمزة ساكنة موضع معروف عند الكرك وقد سبق في ترجمته عند قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِآبَآئِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٥] في أوائل هذه السورة. قال في «الإرشاد»: وإيراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة حاله لما صدر منه عليه السلام على زيد لا ينافي استحياءه منه في بعض الأمور خصوصاً إذا قارن تعيير الناس ونحوه كما سيجيء ﴿**أمسك عليك زوجك**﴾ [نكاه دار براى خود زن خودرا يعنى زينب] وإمساك الشيء التعلق به وحفظه ﴿**واتق الله**﴾ في أمرها ولا تطلقها ضراراً، يعني: [ازوى ضرر طلاقش مده] او تعللاً بتكبرها ﴿**وتخفي في نفسك ما الله مبديه**﴾ الموصول مفعول تخفي والإبداء الإظهار. يعنيك [ونكاه داشتى چيزى دردل كه الله آثرا پيدا خواست كر] وهو علم بأن زيداً سيطلقها وسينكحها يعني إنك تعلم بما أعلمتك أنها ستكون زوجتك وأنت تخفي في نفسك هذا المعنى والله يريد أن ينجز لك وعده ويبدي أنها زوجتك بقوله: ﴿**زوجناكها**﴾ وكان من علامات أنها زوجته إلقاء محبتها في قلبه وذلك بتحبيب الله تعالى لا بمحبته بطبعه وذلك ممدوح جداً ومنه قوله عليه السلام: «حبب إليّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة» وإنه لم يقل أحببت ودواعي الأنبياء والأولياء من قبيل الاذن الإلهي إذ ليس للشيطان عليهم سبيل. قال في «الأسئلة المقحمة»: قد أوحى إليه أن زيداً يطلقها وأنت تزوج بها فأخفى عن زيد سر ما أوحى إليه لأن ذلك السر يتعلق بالمشيئة والإرادة

ولا يجب على الرسل الاخبار عن المشيئة والإرادة وإنما يجب عليهم الاخبار والإعلام عن الأوامر والنواهي لا عن المشيئة كما أنه كان يقول لأبي لهب آمن بالله وقد علم أن الله أراد أن لا يؤمن أبو لهب كما قال تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ [المسد: ٣] لأن ذلك الذي يتعلق بعذاب أبي لهب إنما هو من المشيئة والإرادة فلا يجب على النبي إظهاره ولا الإخبار عنه ﴿**وتخشى الناس**﴾ تخاف لومهم وتعييرهم إياك به، يعني: [مى ترسى از سرزنش مردم كه كويند زن پسررا بخواست].

وفي «التأويلات النجمية»: أي: تخشى عليهم أن يقعوا في الفتنة بأن يخطر ببالهم نوع إنكار أو اعتراض عليه أو شك في نبوته بأن النبي من تنزه عن مثل هذا الميل وتتبع الهوى فيخرجهم من الإيمان إلى الكفر فكانت تلك الخشية إشفاقاً منه عليهم ورحمة بهم أنهم لا يطيقون سماع هذه الحالة ولا يقدرون على تحملها ﴿**والله أحق أن تخشاه**﴾ وإن كان فيه ما يخشى. قال الكاشفي: [مقرراست كه حضرت رسالت عليه السلام ترسكار ترين خلق بوده زيرا كه خوف وخشيت نتيجه علمست ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] پس بحكم «أنا أعلمكم بالله وأخشاكم» ازهمه عالميان أخشى بود ودر حديث آمده «الخوف رفيقي»]:

خوف وخشيت نتيجهٔ علمست هركرا علم بيش خشيت بيش
هركرا خوف شد رفيق رهش باشد از جمله رهروان درپيش

وفي «كشف الأسرار»: إنما عوتب عليه السلام على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجة له قالت عائشة رضي الله عنها: لو كتم النبي عليه السلام شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية ﴿**إذ تقول**﴾ الخ وما نزل على رسول الله آية هي أشد عليه من هذه الآية.

وفي «التأويلات» يشير إلى أن رعاية جانب الحق أحق من رعاية جانب الخلق لأن الله تعالى في إبداء هذا الأمر وإجراء هذا القضاء حكماً كثيرة فأقصى ما يكون في رعاية جانب الخلق أن لا يضل به بعض الضعفاء فلعل الحكمة في إجراء هذه الحكم فتنة لبعض الناس المستحقين الضلالة والإنكار ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة وهذا كما قال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] فالواجب على النبيّ إذا عرض له أمران في أحدهما رعاية جانب الحق وفي الآخر رعاية جانب الخلق أن يختار رعاية جانب الحق على الخلق فإن للحق تعالى في إجراء حكم من أحكامه وأصفاء أمر من أوامره حكماً كثيرة كما قال تعالى في إجراء تزويج النبي عليه السلام بزينب قوله: ﴿**لكي لا يكون على المؤمنين**﴾ ﴿**فلما قضى زيد منها**﴾ أي: من زوجه وهي زينب ﴿**وطراً**﴾. قال في «القاموس»: الوطر محركة الحاجة أو حاجة لك فيها همّ وعناية فإذا بلغتها فقد قضيت وطرك. وفي «الوسيط» معنى قضاء الوطر في اللغة بلوغ منتهى ما في النفس من الشيء يقال قضى منها وطراً وإذا بلغ ما أراد من حاجة فيها ثم صار عبارة عن الطلاق لأن الرجل إنما يطلق امرأته إذا لم يبق له فيها حاجة والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطلقها وانقضت عدتها.

وفي «التأويلات» أما وطر زيد منها في الصورة استيفاء حظه منها بالنكاح ووطره منها في المعنى شهرته بين الخلق إلى قيام الساعة بأن الله تعالى ذكره في القرآن باسمه دون جميع

الصحابة وبأنه آثر النبي عليه السلام على نفسه بإيثار زينب. وفي «الأسئلة المقحمة»: كيف طلق زيد زوجته بعد أن أمر الله ورسوله بإمساكه إياها والجواب ما هذا للوجوب واللزوم وإنما هو أمر للاستحباب. ﴿زوجناكها﴾ هلال ذي القعدة سنة أربع من الهجرة على الصحيح وهي بنت خمس وثلاثين سنة والمراد الأمر بتزوجها أو جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده ما روى أنس رضي الله عنه أنها كانت تفخر على سائر أزواج النبي عليه السلام وتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات، يعني: [سيد عالم از نزول آيت بخانه زينب آمد بى دستورى وزينب كفت يا رسول الله بى خطبه وبى كواه حضرت فرموده كه] «الله المزوج وجبريل الشاهد» وهو من خصائصه عليه السلام وأجاز الإمام محمد انعقاد النكاح بغير شهود خلافاً لهما قاس الإمام محمد ذلك بالبيع فإن النكاح بيع البضع والثمن المهر فكما أن نفس العقد في البيع لا يحتاج إلى الشهود فكذا في باب النكاح ونظر الإمامان إلى المآل فإنه إذا لم يكن عند الشهود بدون الإعلان فقد يحمل على الزنى فالنبي عليه السلام شرط ذلك حفظاً عن الفسخ وصوناً للمؤمنين عن شبهة الزنى.

وروي أنها لما اعتدت قال رسول الله لزيد: «ما أجد أحداً أوثق من نفسي منك اخطب لي زينب».

قال زيد: فانطلقت فإذا هي تخمر عجينها فقلت: يا زينب أبشري فإن رسول الله يخطبك ففرحت وقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن ﴿زوجناكها﴾ فزوجها رسول الله ودخل بها وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار وجعل زيد سفيراً في خطبتها ابتلاء عظيم له وشاهد بين على قوة إيمانه ورسوخه فيه.

اعتقاد من چوبيخ سرو دارد محكمى بيش باشد ازهواى عشق وسودانه كمى

﴿لكي لا يكون على المؤمنين حرج﴾ أي: ضيق ومشقة. قال في «المفردات»: أصل الحرج مجتمع الشجر وتصور منه ضيق بينها فقيل للضيق حرج وللإثم حرج واللام في لكي هي لام كي دخلت على كي للتوكيد. وقال بعضهم: اللام جارة لتعليل التزويج وكي حرف مصدري كأن ﴿في أزواج أدعيائهم﴾ في حق تزوج زوجات الذين دعوهم أبناء والأدعياء: جمع دعيّ وهو الذي يدعي ابناً من غير ولادة. ﴿إذا قضوا منهن وطراً﴾ أي: إذا لم يبق لهم فيهن حاجة وطلقوهن وانقضت عدتهن فإن لهم في رسول الله إسوة حسنة. وفيه دليل على أن حكمه عليه السلام وحكم الأمة سواء إلا ما خصه الدليل. قال الحسن: كانت العرب تظن أن حرمة المتبني كحرمة الابن فبين الله أن حلائل الادعياء غير محرمة على المتبني وإن أصابوهن أي: وطئوهن بخلاف ابن الصلب فإن امرأته تحرم بنفس العقد ﴿وكان أمر الله﴾ أي: ما يريد تكوينه من الأمور ﴿مفعولاً﴾ مكوّناً لا محالة لا يمكن دفعه ولو كان نبياً كما كان تزويج زينب وكانت كالعارية عند زيد.

ولذا قال حضرة الشيخ افتاده افندي قدس سره: في اعتقادنا أن زينب بكر كعائشة رضي الله عنها لأن زيداً كان يعرف أنها حق النبي عليه السلام فلم يمسها وذلك مثل آسية وزليخا ولكن عرفان عائشة لا يوصف ويكفينا أن ميله عليه السلام إليها كان أكثر من غيرها ولم تلد أيضاً لأنها فوق جميع التعينات وكان عائشة رضي الله عنها تقول في حق زينب: هي التي كانت

تساويني في المنزلة عند رسول الله ما رأيت امرأة قط خيراً في الدين وأتقى لله وأصدق في حديث وأوصل للرحم وأعظم صدقة من زينب [وازپس درويش نواز ومهماندار وبخشنده بود اورا أم المساكين ميكفتند واول زنى كه بعد ازرسول خدا ازدنيا بيرون شد زينب بود] ماتت بالمدينة سنة عشرين وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودفنت بالبقيع ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة وأبدل الله منها لزيد جارية في الجنة كما قال عليه السلام: «استقبلتني جارية لعساء وقد أعجبتني فقلت لها يا جارية أنت لمن؟ قالت: لزيد بن حارثة» قوله: استقبلتني أي: خرجت من الجنة واستقبلته عليه السلام بعد مجاوزة السماء السابعة ليلة المعراج. واللعس لون الشفة إذا كانت تضرب إلى السواد قليلاً وذلك مستملح قاله في «الصحاح». وأبدى السهيلي حكمة لذكر زيد باسمه في القرآن وهي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب:٥] وصار يقال له زيد بن حارثة ولا يقال له زيد بن محمد ونزع عنه هذا التشريف وعلم الله وحشته من ذلك شرفه بذكر اسمه في القرآن دون غيره من الصحابة فصار اسمه يتلى في المحاريب، وزاد في الآية أن قال: وإذ تقول للذي أنعم الله عليه أي: بالإيمان فدل على أنه من أهل الجنة علم بذلك قبل أن يموت وهذه فضيلة أخرى. ثم إن هذا الإيثار الذي نقل عن زيد إنما يتحقق به السالك القوي الاعتقاد الثابت في طريق الرشاد فانظر إلى حال الأصحاب يفتح الله لك الحجاب.

ـ روي ـ أنه عليه السلام آخى بعد الهجرة بين عبد الرحمٰن بن عوف من المهاجرين وبين سعد بن الربيع من الأنصار وعند ذلك قال سعد لعبد الرحمٰن: يا عبد الرحمٰن إني من أكثر الأنصار مالاً فأنا مقاسمك وعندي امرأتان فأنا مطلق إحداهما فإذا انقضت عدتها فتزوجها فقال له: بارك الله لك في أهلك ومالك كما في «إنسان العيون» ثم دار الزمان فصار كل أمر معكوساً فرحم الله امرأ نصب نفسه لرفع البدع والهوى وجانب جر الذيل إلى جانب الردى.

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾.

﴿**ما كان على النبي من حرج**﴾ أي: ما صح وما استقام في الحكمة أن يكون عليه ضيق فمن زائدة بعد النفي وحرج اسم كان الناقصة ﴿**فيما فرض الله له**﴾ أي: قسم الله له وقدر كتزوج زينب من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العساكر لأرزاقهم. ﴿**سنة الله**﴾ اسم موضوع موضع المصدر مؤكد لما قبله من نفي الحرج أي: سن الله نفي الحرج سنة أي: جعله طريقة مسلوكة ﴿**في الذين خلوا**﴾ مضوا. قال في «المفردات»: الخلو يستعمل في الزمان والمكان لكن لما تصور في الزمان المضي فسر أهل اللغة قولهم خلا الزمان بقولهم مضى وذهب انتهى.

يقول الفقير: الخلو في الحقيقة حال الزمان والمكان لأن المراد خلوهما عما فيهما بموت ما فيهما فافهم ﴿**من قبل**﴾ من الأنبياء حيث وسع عليهم في باب النكاح وغيره ولقد كان لداود عليه السلام مائة امرأة وثلاثمائة سرية ولابنه سليمان عليه السلام ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية فلك التوسعة في أمر النكاح مثل الأنبياء الماضين ﴿**وكان أمر الله**﴾ [وهست كار خدا]

﴿قدراً مقدوراً﴾ قضاء مقضياً وحكماً مبتوتاً. قال في «المفردات»: القدر إشارة إلى ما بين به القضاء والكتابة في اللوح المحفوظ وهو المشار إليه بقوله: «فرع ربك من الخلق» والخلق والأجل والرزق والمقدور إشارة إلى ما يحدث حالاً فحالاً وهو المشار إليه بقوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] وفيه إشارة إلى أن الله تعالى إذا قضى أمر نبي أو ولي لم يجعل عليه في ذلك من حرج ولا سبب نقصان وإن كان في الظاهر سبب نقصان ما عند الخلق والذي يجري على الأنبياء والأولياء قضاء مبرم مبني على حكم كثيرة ليس فيه خطأ ولا غلط ولا عبث.

پير ما كفت خطا برقلم صنع ترفت   آفرين برنظر پاك خطا پوشش باد

﴿الذين يبلغون رسالات الله﴾ مجرور المحل على أنه صفة للذين خلوا. ومعناه بالفارسية [آنانكه ميرسانيدند پيغامهاى خدارا بامتان خود] والمراد ما يتعلق بالرسالة وهي سفارة العبد بين الله وبين ذوي الألباب من خلقه أي: إيصال الخبر من الله إلى العبد ﴿ويخشونه﴾ في كل ما يأتون ويذرون لا سيما في أمر تبليغ الرسالة حيث لا يقطعون منها حرفاً ولا تأخذهم في ذلك لومة لائم ﴿ولا يخشون أحداً إلا الله﴾ وفي وصفهم بقصرهم الخشية على الله تعريض بما صدر عنه عليه السلام من الاحتراز عن لائمة الخلق بعد التصريح في قوله: ﴿وتخشى الناس﴾ الآية. قال بعض الكبار: خشية الأنبياء من العقاب وخشية الأولياء من الحجاب وخشية عموم الخلق من العذاب. وفي «الأسئلة المقحمة» كيف قال ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ومعلوم أنهم خافوا غير الله وقد خاف موسى عليه السلام حين قال له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٨] وكذلك قال يعقوب عليه السلام: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٣] وكذلك خاف نبينا عليه السلام حين قيل له: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] وكذلك أخبر الكتاب عن جماعة من الأنبياء أنهم خافوا أشياء غير الله والجواب أن معنى الآية لا يعتقدون أن شيئاً من المخلوقات يستقل بإضرارهم ويستبد بإيذائهم دون إرادة الله ومشيئته لما يعلمون أن الأمور كلها بقضاء الله وقدره فأراد بالخوف خوف العقيدة والعلم واليقين لا خوف البشرية الذي هو من الطباع الخلقية وخواص البشرية ونتائج الحيوانية ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ محاسباً لعباده على أعمالهم فينبغي أن يحاسب العبد نفسه قبل محاسبة الله إياه ولا يخاف غير الله لا في أمر النكاح ولا في غيره إذا علم أن رضى الله وحكمه فيه.

واعلم أن السواك والتعطر والنكاح ونحوها من سنن الأنبياء عليهم السلام وليس لنا عبادة شرعت من عهد آدم إلى الآن ثم تستمر تلك العبادة في الجنة إلا الإيمان والنكاح. قال بعض الكبار: من كان أتقى كانت شهوته أشد وذلك أن حرارة الشهوة الحقيقية إنما هي بعد نار العشق التي بعد نور المحبة فانظر كم من فرق بين شهوة أهل الحجاب وشهوة أهل الشهود فعروق أهل الغفلة ممتلئة بالدم وعروق أهل اليقظة ممتلئة بالنور ولا شك أن قوّة النور فوق قوة الدم فنسأل الله الهدى لا الحركة بالهوى.

ـ حكي ـ عن بعض الكبار أنه قال: كنت في مجلس بعض العارفين فتكلم إلى أن قال: لا مخلص لأحد من الهوى ولو كان فلاناً عنى به النبي عليه السلام حيث قال: «حبب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة» فقلت له: أما تستحي من الله تعالى فإنه عليه السلام ما قال أحببت بل قال حبب فكيف يلام العبد على ما كان من عند الله بلا اختيار منه قال ثم حصل لي غم وهمّ فرأيت النبي عليه السلام في المنام فقال: لا تغتم فقد كفينا أمره

ثم سمعت أنه قتل في طريق ضيعة له. قال بعض الكبار:

من أراد فهم المعاني الغامضة في الشريعة فليتعمل في تكثير النوافل في الفرائض وإن أمكنه أن يكثر من نوافل النكاح فهو أولى إذ هو أعظم نوافل الخيرات فائدة لما فيه من الازدواج والإنتاج فيجمع بين المعقول والمحسوس فلا يفوته شيء من العلم بالعالم الصادر عن الاسم الظاهر والباطن فيكون اشتغاله بمثل هذه النافلة أتم وأقرب لتحصيل ما يرونه فإنه إذا فعل ذلك أحبه الحق وإذا أحبه صار من أهل الله كأهل القرآن وإذا صار من أهل القرآن كان محلاً للقائه وعرشاً لاستوائه وسماء لنزوله وكرسياً لأمره ونهيه فيظهر له منه ما لم يره فيه مع كونه كان فيه وقال: كنت من أبغض خلق الله للنساء وللجماع في أول دخولي في الطريق وبقيت على نحو ثماني عشرة سنة حتى خفت على نفسي المقت لمخالفة ما حبب لرسول الله ﷺ فلما أفهمني الله معنى حبب علمت أن المراد أن لا يحبهن طبعاً وإنما يحبهن بتحبيب الله فزالت تلك الكراهة عني وأنا الآن من أعظم خلق الله شفقة على النساء لأني في ذلك على بصيرة لا عن حب طبيعي انتهى.

ـ وروي ـ أن جماعة أتوا منزل زكريا عليه السلام فإذا فتاة جميلة قد أشرق لها البيت حسناً قالوا: من أنت؟ قالت: أنا امرأة زكريا فقالوا لزكريا: كنا نرى نبي الله لا يريد الدنيا وقد اتخذت امرأة جميلة فقال: إنما تزوجت امرأة جميلة لأكف بها بصري وأحفظ بها فرجي فالمرأة الصالحة المعينة ليست من الدنيا في الحقيقة، قال الشيخ سعدي قدس سره:

زن خوب وفرمان بروپارسا ... كند مرد درويش را پادشا

كراخانه آبادوهمخوابه دوست ... خدارابرحمت نظر سوى اوست

چو مستور باشد زن خوبروى ... بديدار او در بهشتست شوى

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

﴿ما كان محمد﴾ ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم. والمختار أنه لا يشترط في الإسلام معرفة أب النبي عليه السلام واسم جده بل يكفي فيه معرفة اسمه الشريف كما في هداية المريدين للمولى أخي چلبي يقال فلان محمود إذا حمد ومحمد إذا كثرت خصاله المحمودة كما في «المفردات».

قال الشيخ زكريا في «شرح المقدمة الجزرية»: هو البليغ في كونه محموداً وهو الذي حمدت عقائده وأفعاله وأقواله وأخلاقه سماه به جده عبد المطلب بإلهام من الله في سابع ولادته فقيل له: لِمَ سميت محمداً وليس من أسماء آبائك ولا قومك فقال: رجوت أن يحمد في السماء والأرض وقد حقق الله رجاءه وتفاؤله فكان عليه السلام بخصاله المحبوبة وشمائله المرغوبة محموداً عند الله وعند الملائكة المقربين وعند الأنبياء والمرسلين وعند أهل الأرض أجمعين وإن كفر به بعضهم فإن ما فيه من صفات الكمال محمود عند كل عاقل. وله ألف اسم كما أن لله تعالى ألف اسم وجميع أسمائه مشتقة من صفات قامت به توجب له المدح والكمال فله من كل وصف اسم ألا ترى أنه الماحي لأن الله محابه الكفر أي: سورته التي كانت قبل بعثه. والحاشر لأنه الذي يحشر الناس على قدمه أي: على أثره وبعده. والعاقب وهو الآتي

عقيب الأنبياء. وأشار بالميم إلى أنه الختام لأن مخرجها ختام المخارج وكذا إلى بعثته عند الأربعين. قال الإمام النيسابوري كان من الاسم الشريف أربعة أحرف ليوافق اسم الله تعالى كما أن محمد رسول الله اثنا عشر حرفاً مثل لا إله إلا الله وهو من أسرار المناسبة وكذا لفظ أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب لكمال مناسبتهم في أخلاقهم لتلك الحضرة المحمدية ولهذه المناسبة يلتقي نسبهم بنسبه. فعليّ يلتقي نسبه في الأب الثاني. وعثمان في الخامس. وأبو بكر في السابع. وعمر في التاسع. ومحمد باعتبار البسط لا بحساب أبجد ثلاثمائة وثلاثة عشر مثل عدد المرسلين فإنك إذا أخذت في بسط الميمين والميم المدغم «م ي م، حا، دال يظهر لك العدد المذكور، قال المولى الجامي:

محمدت چون بلا نهايه زحق ... يافت شد نام او ازان مشتق
مى نمايد بچشم عقل سليم ... حرف حايش عيان ميان دوميم
چون رخ حوركز كنارۀ او ... كشته پيدا دو كوشواره او
ياد وحلقه ز عنبرين مويش ... آشكار از جانب رويش
دال آن كز همه فرودنشت ... دل بنازش كرفته برسر دست

وفي الحديث: «من ولد له مولود فسماه محمداً حباً لي وتبركاً باسمي كان هو ومولوده في الجنة» «ومن كان له ذو بطن فأجمع أن يسميه محمداً رزقه الله غلاماً». ومن كان لا يعيش له ولد فجعل لله عليه أن يسمي الولد المرزوق محمداً عاش» ومن خصائصه البركة في الطعام الذي عليه مسمى باسم محمد وكذا المشاورة ونحوها وينبغي أن يعظم هذا الاسم وصاحبه. [در مجمع اللطائف آورده كه اياز خاص پسرى داشت محمد نام واورا ملازم سلطان محمود ساخته بود روزى سلطان متوجّه طهارت خانه شده فرمودكه پسر ايازرا بكوييد تا آب طهارت بيارد اياز اين سخن شنوده در تأمل افتادكه ايا پسر من چه كناه كرده كه سلطان نام او برزبان نمى راند سلطان وضو ساته بيرون آمد ودر اياز نكريست اورا انديشه مند ديد پرسيدكه سبب اثر ملال كه برجبين تومى بينم چيست اياز از روى نياز بموقف عرض رسانيدكه بنده زاده را بنام نخواند برترسيدم كه مبادا ترك ادبى از صادر شده باشد وموجب انحراف مزاج همايون كشته سلطان تبسمى فرمود وكفت اى اياز دل جمع داركه از وصورتى كه مكروه طبع من باشد صدور نيافته بلكه وضو نداشتم واو محمد نام داشت مراشرم آمد لفظ محمد برزبان من كذرد وقتى كه بى وضو باشم چه اين لفظ نشانهء حضرت سيد انام است:

هزار بار بشويم دهن بمشك وكلاب ... هنوز نام توبردن ادب نمى دانم]

وكان رجل في بني إسرائيل عصى الله مائة سنة ثم مات فأخذوه فألقوه في مزبلة فأوحى الله تعالى إلى موسى أن أخرجه وصل عليه قال: يا رب إن بني إسرائيل شهدوا أنه عصاك مائة سنة فأوحى الله إليه أنه هكذا إلا أنه كان كلما نشر التوراة ونظر إلى اسم محمد قبله ووضعه على عينيه فشكرت له ذلك وغفرت له وزوجته سبعين حوراء.

قال أهل التفسير لما نكح النبي عليه السلام زينب بعد انقضاء عدتها استطال لسان المنافقين وقالوا: كيف نكح زوجة ابنه لنفسه وكان من حكم العرب أن من تبنى ولداً كان ولده من صلبه في التوريث وحرمة نكاح امرأته على الأب المتبني وأراد الله أن يغير هذا الحكم فأنزل **﴿ما كان محمد أبا أحد﴾** [پدرهيچ كس] **﴿من رجالكم﴾** [از مردان شما] على الحقيقة يعني

بالنسب والولادة حتى يثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه أباً للطاهر والقاسم وإبراهيم لأنهم لم يبلغوا الرجال لأن الرجل هو الذكر البالغ، يعني: [ايشان بمبلغ رجال نرسيدند اورا في الحقيقة بسر صلبى نيست كه ميان وى وآن پسر حرمت مصاهرت باشد] ولو بلغوا لكانوا رجاله لا رجالهم وكذا الحسن والحسين رضي الله عنهما لأنهما ابنا النبي عليه السلام بشهادة لفظه عليه السلام على أنهما أيضاً لم يكونا رجلين حينئذٍ بل طفلين أو المقصود ولده خاصة لا ولد ولده. قال في «الأسئلة المقحمة»: كان الله عالماً في الأزل بأن لا يكون لذكور أولاد رسوله نسل ولا عقب وإنما يكون نسبه لإناث أولاده دون ذكرانهم فقال: **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾** فعلى هذا كان الخبر من قبيل معجزاته على صدقه فإن المخبر عنه قد حصل كما أخبر وقد صدق الخبر انتهى وأبناء النبي عليه السلام على الصحيح ثلاثة: القاسم وبه يكنى إذ هو أول أولاده عاش سنتين ومات قبل البعثة بمكة، وعبد الله وهو الطيب الطاهر مات في الرضاع بعد البعثة ودفن بمكة وهما من خديجة رضي الله عنها، وإبراهيم من مارية القبطية ولد في ذي الحجة في ثمان من الهجرة عق عنه عليه السلام بكبشين يوم سابع ولاده وحلق رأسه وتصدق بزنة شعره فضة على المساكين وأمر بشعره فدفن في الأرض ومات في الرضاع وهو ابن ثمانية عشرة شهراً ودفن بالبقيع وجلس عليه السلام على شفير القبر ورش على قبره ماء وعلم على قبره بعلامة ولقنه وقال: «يا بني قل الله ربي ورسول الله أبي والإسلام ديني» ومن هٰهنا ذهب بعضهم إلى أن الأطفال يسألون في القبر وأن العقل يكمل لهم فيسن تلقينهم وذهب جمع إلى أنهم لا يسألون وإن السؤال خاص بالمكلف. قال السيوطي: لم يثبت في التلقين حديث صحيح ولا حسن بل حديثه ضعيف باتفاق جمهور المحدثين ولهذا ذهب جمهور الأمة إلا أن التلقين بدعة حسنة وآخر من أفتى بذلك عز الدين بن عبد السلام وإنما استحبه ابن الصلاح وتبعه النووي نظراً إلى أن الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال وحينئذٍ فقول الإمام السبكي حديث التلقين أي: تلقين النبي عليه السلام لابنه ليس له أصل أي: أصل صحيح أو حسن كذا في «إنسان العيون» وبقية الكلام في السؤال والتلقين سبق في سورة ابراهيم عليه السلام عند قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [إبراهيم: ٢٧] الآية **﴿ولكن رسول الله﴾** الرسول والمرسل بمعنى واحد من أرسلت فلاناً في رسالة فهو مرسل ورسول. قال القهستاني الرسول فعول مبالغة مفعل بضم الميم وفتح العين بمعنى ذي رسالة اسم من الإرسال وفعول هذا لم يأت إلا نادراً وعرفاً هو من بعث لتبليغ الأحكام ملكاً كان أو إنساناً بخلاف النبي فإنه مختص بالإنسان وهذا الفرق هو المعول عليه انتهى.

والمعنى ولكن كان رسول الله وكل رسول الله أبو أمته لكن لا حقيقة بل بمعنى أنه شفيق ناصح لهم وسبب لحياتهم الأبدية واجب التوقير والطاعة له ولذا حرمت أزواجه عليه السلام على أمته حرمة أمهاتهم فإنه من باب التعظيم وما زيد بن حارثة إلا واحد من رجالكم الذين لا ولادة بينهم وبينه عليه السلام فحكم حكمهم وليس للتبني والادعاء حكم سوى التقريب والاختصاص. قال بعضهم: لم يسمه لنا أباً لأنه لو سماه أبا لكان يحرم نكاح أولاده كما حرمت على الأمة نساؤه لكونهن أمهاتها أو لأنه لو سماه أباً لكان يحرم عليه أن يتزوج من نساء أمته كما يحرم على الأب أن يتزوج بابنته وتزوج بنات أمته ليس بحرام.

قال في «كشف الأسرار»: [هر چند اسم پدرى ازوبيفكند اما از همه پدران مشفق ومهر بانتربود قال عليه السلام: «أنا لكم مثل الوالد لولده» كفته اند شفقت او برامت از شفقت پدران افزون بود اما اورا پدرامت نخوانند ازبهر آنكه درحكم ازلى رفته كه روز قيامت دران عرصهٔ كبرى كه سرا پرده قهارى بزنند وبساط عظمت بكسترانند وترازوى عدل بياويزند وزندان عذاب از حجاب بيرون آرند جانها بكلو رسد زبانها فصيح كردد وعذرها همه باطل شود نسبها بريده كردد پدران همه از فرزندان بكريزند چنانكه رب العزت كفت ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ [عبس: ٣٤-٣٦] آدم كه پدر همكنانست فراپيش آيد بارخدايا آدم را بكذارد بافر زندان تودان كه چه كنى نوح هم آن كويد ابراهيم هم آن كويد وموسى وعيسى وديكر پيغمبران هم آن كويند از سياست قيامت وفزع اوهمه بكريزند وبخود درماند ندوبافر زندان نبردازند وكويند «نفسي نفسي» خداوندا مارا برهان وباقر زندان هرچه خواهى كن ومصطفى عربي عليه السلام رحمت وشفقت بكشاده كه بارخدايا امت من مشتى ضعيفان وبيچاركانند طاقت عذاب وعقاب توندارندبرايشان ببخشاى ورحمت كن وبامحمد هرچه خواهى ميكن بحكم آنكه رازل رفته كه پدران ازفرزندان بكريزند آن روز اورا پدر نخوانند تا ازيشان نكريزد وازبهر ايشان شفاعت كند وديكر اورا پدر نخوانندكه اكر پدر بودى كواهى پدر مرپسر قبول نكند در شرع واوصلوات الله عليه درقيامت بعدالت امت كواهى خواهدداد] وذلك قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] **﴿وخاتم النبيين﴾** قرأ عاصم بفتح التاء وهو آلة الختم بمعنى ما يختم به كالطابع بمعنى ما يطبع به. والمعنى وكان آخرهم الذي ختموا به، وبالفارسية: [مهر پيغمبران يعنى بدو مهر كرده شد درنبوت وپيغمبرانرا بدو ختم كرده اند] وقرأ الباقون بكسر التاء أي: كان خاتمهم أي: فاعل الختم بالفارسية [مهر كنندهٔ پيغمبرانست] وهو بالمعنى الأول أيضاً. وفي «المفردات»: لأنه ختم النبوة أي: تممت بمجيئه وأياً ما كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبياً ولم يكن هو عليه السلام خاتم النبيين كما يروى أنه في ابنه ابراهيم «لو عاش لكان نبياً» وذلك لأن أولاد الرسل كانوا يرثون النبوة قبله من آباهم وكان ذلك من امتنان الله عليهم فكانت علماء أمته ورثته عليه السلام من جهة الولاية وانقطع إرث النبوة بختميته ولا يقدح في كونه خاتم النبيين نزول عيسى بعده لأن معنى كونه خاتم النبيين أنه لا ينبأ أحد بعده كما قال لعلي رضي الله عنه: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» وعيسى ممن تنبأ قبله وحين ينزل إنما ينزل على شريعة محمد عليه السلام مصلياً إلى قبلته كأنه بعض أمته فلا يكون إليه وحي ولا نصب أحكام بل يكون خليفة رسول الله. فإن قلت: قد روي أنه عليه السلام إذا نزل في آخر الزمان يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويزيد في الحلال ويرفع الجزية عن الكفرة فلا يقبل إلا الإسلام. قلت: هذه من أحكام الشريعة المحمدية لكن ظهورها موقت بزمان عيسى وبالجملة قوله: **﴿وخاتم النبيين﴾** يفيد زيادة الشفقة من جانبه والتعظيم من جهتهم لأن النبي الذي بعده نبي يجوز أن يترك شيئاً من النصيحة والبيان لأنها مستدركة من بعده وأما من لا نبي بعده يكون أشفق على أمته وأهدى بهم من كل الوجوه.

ختم رسل خواجه پيغمبران   شمسهٔ نه مسند وهفت اختران

(نظم)

احـمـد مـرسـل كـه نـوشـتـه قـلـم حـمـد بـنـام وى وحـم هـم
چـو شـده او مـظـهـر الله هـاد درره ارشـاد وجـودش نـهـاد
جـمـلـهٔ اسـبـاب هـدى از خـدا كـرد بـتـقـريـر بـديـعـش ادا

﴿**وكان الله بكل شيء عليماً**﴾ فيعلم من يليق بأن يختم به النبوة وكيف ينبغي لشأنه ولا يعلم أحد سواه ذلك. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: هي نص على أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق الأولى والأحرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا ينعكس وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله فمن رحمة الله بالعباد إرسال محمد إليهم ثم من تشريفه له ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال الدين الحنيف له وقد أخبر الله في كتابه ورسوله في السنة المتواترة عن أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده كذاب أفاك دجال ضال مضل ولو تخرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجيات فكلها محال وضلال عند أولي الألباب كما أجرى سبحانه على يدي الأسود العبسي باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما علم كل ذي لب وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان لعنهما الله تعالى وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال يخلق الله معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب ما جاء بها انتهى. ولما نزل قوله تعالى: ﴿**وخاتم النبيين**﴾ استغرب الكفار كون باب النبوة مسدوداً فضرب النبي عليه السلام لهذا مثلاً ليتقرر في نفوسهم وقال: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**». قال في «بحر الكلام»: وصنف من الروافض قالوا: بأن الأرض لا تخلو عن النبي والنبوة صارت ميراثاً لعلي وأولاده ويفرض على المسلمين طاعة علي وعلى كل من لا يرى إطاعته يكفر. وقال أهل السنة والجماعة: لا نبي بعد نبينا لقوله تعالى: ﴿**ولكن رسول الله وخاتم النبيين**﴾ وقوله عليه السلام: «لا نبي بعدي» ومن قال بعد نبينا نبي يكفر لأنه أنكر النص وكذلك لو شك فيه لأن الحجة تبين الحق من الباطل. ومن ادعى النبوة بعد موت محمد لا يكون دعواه إلا باطلاً انتهى. وتنبأ رجل في زمن أبي حنيفة وقال: امهلوني حتى أجيء بالعلامات فقال أبو حنيفة: من طلب منه علامة فقد كفر لقوله عليه السلام: «لا نبي بعدي» كذا في مناقب الإمام.

وفي «الفتوحات المكية»: وإنما لم يعطف المصلي السلام الذي سلم به على نفسه بالواو على السلام الذي سلم به على نبيه أي: لم يقل والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين بعد قوله السلام عليك أيها النبي لأنه لو عطفه عليه وقال والسلام علينا على نفسه من جهة النبوة وهو باب قد سده الله كما سد باب الرسالة عن كل مخلوق بمحمد إلى يوم القيامة وتعين بهذا أنه لا مناسبة بيننا وبين رسول الله فإنه في المرتبة التي لا ينبغي لنا فابتدأنا بالسلام علينا في طورنا من غير عطف والمقام المحمدي ممنوع دخوله لنا وغاية معرفتنا بالنظر إليه كما تنظر الكواكب في السماء وكما ينظر أهل الجنة السفلى إلى من هو في عليين. وقد وقع للشيخ أبي يزيد البسطامي في مقام النبي قدر خرم إبرة تجلياً لا دخولاً فاحترق. وفي «الفصوص» وشرحه للجامي لا نبي بعده مشرعاً أو مشرعاً له والأول هو الآتي بالأحكام الشرعية من غير متابعة لنبي آخر قبله كموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام والثاني هو المتبع لما شرعه له النبي المقدم

كأنبياء بني إسرائيل إذ كلهم كانوا داعين إلى شريعة موسى فالنبوة والرسالة منقطعتان عن هذا الموطن بانقطاع الرسول الخاتم فلم يبق إلا النبوة اللغوية التي هي الأنباء عن الحق وأسمائه وصفاته وأسرار الملكوت والجبروت وعجائب الغيب ويقال لها الولاية وهي الجهة التي تلي الحق كما أن النبوة هي الجهة التي تلي الحق فالولاية باقية دائمة إلى قيام الساعة.

يقول الفقير: كان له عليه السلام نوران: نور النبوة، ونور الولاية، فلما انتقل من هذا الموطن بقي نور النبوة في الشريعة المطهرة وهي باقية فكأن صاحب الشريعة حي بيننا لم يمت وانتقل نور الولاية إلى باطن قطب الأقطاب يعني ظهر فيه ظهوراً تاماً فكان له مرآة وهو واحد في كل عصر ويقال له قطب الوجود وهو مظهر التجلي الحقي. وأما قطب «الإرشاد» فكثير وهم مظاهر التجلي العيني. قال في «هدية المهديين»: أما الإيمان بسيدنا محمد عليه السلام فإنه يجب بأنه رسولنا في الحال وخاتم الأنبياء والرسل فإذا آمن بأنه رسول ولم يؤمن بأنه خاتم الرسل لا نسخ لدينه إلى يوم القيامة لا يكون مؤمناً.

وقال في «الأشباه» في كتاب السر: إذا لم يعرف أن محمداً عليه السلام آخر الأنبياء فليس بمسلم لأنه من الضروريات. وفي الآية إشارة إلى قطع نسبه عن الخلق لأنه نفي الأبوة لرجال الناس وإلى إثبات نسبه لأولاده وآله ففي قوله: ﴿من رجالكم﴾ تشريف لهم وإنهم ليسوا كرجالهم بل هم المخصوصون بزيادة الأنعام لا ينقطع حسبهم ونسبه كما قال عليه السلام: «كل حسب ونسب ينقطع إلا حسبي ونسبي» أي: فإنه يختم باب التناسل برجل من أهل البيت من صلب المهدي خاتم الخلافة العامة وخاتم الولاية الخاصة ولا يلزم من ذلك أن يكون منهم أنبياء ولو جاء بعده نبي لجاء علي رضي الله عنه لأنه كان منه عليه السلام بمنزلة هارون من موسى فإذا لم يكن هو نبياً لم يكن الحسنان أيضاً نبيين لأنهما لم يكونا أفضل من أبيهما. قال بعض الكبار: الحسب في الحقيقة الفقر والنسب التقوى فمن أراد أن يرتبط برسول الله وأن يكون من آله المقبولين فليرتبط بهذين، [درعيون الاجوبه آورده كه صحت هر كتابى بمهراوست حق تعالى پيغمبررا مهر كفت تا دانند كه تصحيح دعوت محبت الهي جز بمتابعت حضرت رسالتپناهى نتوان كرد ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١] وشرف بزركوارىء كتاب بمهر اوست شرف جمله أنبياء نيز بدان حضر تست وشاهد هر كتاب مهر اوست پس شاهد همه در محكمه قيامت او خواهد بود ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ [النحل: ٨٩] وچون كتاب را مهر كردند كتاب درجهان باقى شد چون نبوت بدان حضرت سمت اختتام يافت درنبوت بسته كشت وديكر چون ازهمه انبيا بمهر مخصوص بختميت ايشان نيز اختصاص يافت]، وفي «المثنوي»:

بهر اين خاتم شده است اوكه بجود مثل او نى بود ونى خواهند بود
چونكه درصنعت بود استاد دست نى تو كويى ختم صنعت برتو است

قال في «حل الرموز»: الختم إذا كان على الكتاب لا يقدر أحد على فكه كذلك لا يقدر أحد أن يحيط بحقيقة علوم القرآن دون الخاتم وما دام خاتم الملك على الخزانة لا يجسر أحد على فتحها ولا شك أن القرآن خزانة جميع الكتب الإلهية المنزلة من عند الله ومجمع جواهر العلوم الإلهية والحقائق اللدنية فلذلك خص به خاتم النبيين محمد عليه السلام ولهذا السر كان خاتم النبوة على ظهره بين كتفيه لأن خزانة الملك تختم من خارج الباب لعصمة الباطن وما في

داخل الخزانة. وفي الخبر القدسي: «كنت كنزاً مخفياً» فلا بد للكنز من المفتاح والخاتم فسمي عليه السلام بالخاتم لأنه خاتمه على خزانة كنز الوجود وسمي بالفاتح لأنه مفتاح الكنز الأزلي به فتح وبه ختم ولا يعرف ما في الكنز إلا بالخاتم الذي هو المفتاح قال تعالى: «فأحببت أن أعرف» فحصل العرفان بالفيض الحثي على لسان الحبيب ولذلك سمي الخاتم حبيب الله لأن أثر الختم على كنز الملك صورة الحب لما في الكنز [كفته اند معنىٔ خاتم النبيين آنست كه رب العزة نبوت همه انبيا جمع كرد ودل مصطفى عليه السلام را معدن آن كرد ومهرنبوت بران نهاد تا هيچ دشمن بموضع نبوت راه نيافت نه هواى نفس نه وسوسهٔ شيطان ونه خطرات مذمومه وديكر پيغمبرانرا اين مهر نبوت نبود لا جرم از خطرات وهواجس امين نبودند پس رب العالمين كمال شرف مصطفارا آن مهركه در دل وى نهاد نكذاشت تا درميان دو كتف وى آشكارا كرد تاهركسى كه نكرستى آنرا ديدى همچو خانه كبوترى]. وفي صفاته عليه السلام: بين كتفيه خاتم النبوة ووجه كونه بين كتفيه يعرف مما نقله الإمام الدميري في «حياة الحيوان» أن بعض الأولياء سأل الله تعالى أن يريه كيف يأتي الشيطان ويوسوس فأراه الحق تعالى هيكل الإنسان في صورة بللور وبين كتفيه شامة سوداء كالعش والوكر فجاء الخناس يتجسس من جميع جوانبه وهو في صورة خنزير له خرطوم كخرطوم الفيل فجاء من بين الكتفين فأدخل خرطومه قبل قلبه فوسوس إليه فذكر الله فخنس وراءه ولذلك سمي بالخناس لأنه ينكص على عقبيه مهما حصل نور الذكر في القلب وكان خاتمه مثل زرّ الحجلة وهو طائر على قدر الحمامة أحمر المنقار والرجلين ويسمى دجاج البر. قال الترمذي وزرّها بيضها. قال الدميري والصواب حجلة السرير واحدة الحجال وزرّها الذي يدخل في عروتها وكان حول ذلك الخاتم شعرات مائلة إلى الخضرة مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله أو محمد نبي أمين أو غير ذلك كما قال في «السبعيات»: كان خاتم النبوة «تنجيخ هيصور توجه حيث شئت فإنك منصور» والتوفيق بين الروايات بتعدد الخطوط وتنوعها بحسب الحالات والتجليات أو بالنسبة إلى أنظار الناظرين ولكون ما بين الكتفين مدخل الشيطان كان عليه السلام يحتجم بين كتفيه ويأمر بذلك ووصاه جبريل بذلك لتضعيف مادة الشيطان وتضييق مرصده لأنه يجري وسوسته مجرى الدم وعصم عليه السلام من وسوسته لقوله: «أعانني الله عليه فأسلم» أي: بالختم الإلهيّ وما أسلم قرين آدم فوسوس إليه لذلك. وفي «سفر السعادة»: أن النبي عليه السلام لما سحره اليهوديّ ووصل المرض إلى الذات المقدسة النبوية أمر بالحجامة على قبة رأسه المباركة واستعمال الحجامة في كل متضرر في السحر غاية الحكمة ونهاية حسن المعالجة ومن لا حظ له في الدين والإيمان يشكل هذا العلاج وفي الحديث: «الحجامة في الرأس شفاء من سبع من الجنون، والصداع، والجذام، والبرص، والنعاس، ووجع الضرس، وظلمة يجدها في عينيه» والحجامة في وسط الرأس وكذا بين الكتفين نافعة. وتكره في نقرة القفاء فإنها تورث النسيان. قال بعضهم: الحجامة في البلاد الحارة أنفع من الفصد وروي أنه عليه السلام ما شكا إليه رجل وجعاً في رأسه إلا قال: «احتجم» ولا وجعاً في رجليه إلا قال: «أخضبه» وخير أيام الحجامة يوم الأحد والاثنين. وجاء في بعض الروايات النهي عن يوم الأحد واختار بعضهم يوم الثلاثاء وكرهه بعضهم وتكره يوم السبت والأربعاء إلا أن يكون قد غلب عليه الدم وخير أزمانها الربيع بعد نصف الشهر في السابع عشر والتاسع عشر والحادي والعشرين فالأولى أن تكون في الربع

الثالث من الشهر لأنه وقت هيجان الدم وتكره في المحاق وهو ثلاثة أيام من آخر الشهر ولا يستحب أن يحتجم في أيام الصيف في شدة الحر ولا في شدة البرد في أيام الشتاء وخير أوقاتها من لدن طلوع الشمس إلى وقت الضحى وتستحب الحجامة على الريق فإنها شفاء وبركة وزيادة في العقل والحفظ وعلى الشبع داء إلا إذا كان به ضرر فليذق أولاً شيئاً قليلاً ثم ليحتجم وإذا أراد الحجامة يستحب أن لا يقرب النساء قبل ذلك بيوم وليلة وبعده مثل ذلك ولا يدخل في يومه الحمام وإذا احتجم أو افتصد لا ينبغي أن يأكل على أثره مالحاً فإنه يخاف منه القروح أو الجرب ولا يأكل رأساً ولا لبناً ولا شيئاً مما يتخذ من اللبن ويستحب على أثره الخل ليسكن ما به ثم يحسو شيئاً من المرقة ويتناول شيئاً من الحلاوة إن قدر عليه كما في «بستان العارفين» والله الشافي وهو الكافي.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله﴾ بما هو أهله من التهليل والتحميد والتكبير ونحوها. والذكر إحضار الشيء في القلب أو في القول وهو ذكر عن نسيان وهو حال العامة أو إدامة الحضور والحفظ وهو حال الخاصة إذ ليس لهم نسيان أصلاً وهم عند مذكورهم مطلقاً **﴿ذكراً كثيراً﴾** في جميع الأوقات ليلاً ونهاراً صيفاً وشتاء وفي عموم الأمكنة براً وبحراً سهلاً وجبلاً وفي كل الأحوال حضراً وسفراً صحة وسقماً سراً وعلانية قياماً وقعوداً وعلى الجنوب وفي الطاعة بالإخلاص وسؤال القبول والتوفيق وفي المعصية بالامتناع منها وبالتوبة والاستغفار وفي النعمة بالشكر وفي الشدة بالصبر فإنه ليس للذكر حد معلوم كسائر الفرائض ولا لتركه عذر مقبول إلا أن يكون المرء مغلوباً على عقله. وأحوال الذاكرين متفاوتة بتفاوت أذكارهم. فذكر بعضهم بمجرد اللسان بدون فكر مذكوره ومطالعه آثاره بعقله وبدون حضور مذكوره ومكاشفة أطواره بقلبه وبدون أنس مذكوره ومشاهدة أنواره بروحه وبدون فنائه في مذكوره ومعاينة أسراره بسره. وهذا مردود مطلقاً. وذكر بعضهم باللسان والعقل فقد يذكر بلسانه ويتفكر مذكوره ويطالع آثاره بعقله لكن ليس له الحضور والإنس والفناء المذكور وهو ذكر الأبرار مقبول بالنسبة إلى الأول. وذكر بعضهم باللسان والعقل والقلب فقط بدون الإنس والفناء المذكور وهو ذكر أهل البداية من المقربين مقبول بالنسبة إلى ذكر الأبرار وما تحته. وذكر بعضهم باللسان والعقل والقلب والروح والسر جميعاً وهو ذكر أرباب النهاية من المقربين من الأنبياء والمرسلين والأولياء الأكملين وهو مقبول مطلقاً وللإرشاد إلى هذه الترقيات قال عليه السلام: «إن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد» قيل: يا رسول الله فما جلاؤها؟ قال: «تلاوة كتاب الله وكثرة ذكره» فبكثرة الذكر يترقى السالك من مرتبة اللسان إلى ما فوقها من المراتب العالية ويصقل مرآة القلب من ظلماتها وأكدارها. ثم إن ذكر الله وإن كان يشتمل الصلاة والتلاوة والدراسة ونحوها إلا أن أفضل الأذكار لا إله إلا الله فالاشتغال به منفرداً مع الجماعة محافظاً على الآداب الظاهرة والباطنة ليس كالاشتغال بغيره. [سلمى كويد مراد از ذكر كثير ذكر دلست چه دوام ذكر بزبان ممكن نيست]. وقال بعضهم: الأمر بالذكر الكثير إشارة إلى محبة الله تعالى يعني أحبوا الله لأن النبي عليه السلام قال: من أحب شيئاً أكثر من ذكره [نشان دوستى آنست كه نكذاردكه زبان از ذكر دوست يا دل ازفكر او خالى ماند]:

درهيچ مكان نيم زفكرت خالى درهيچ زمان نيم زذكرت عافل

فأوجب الله محبته بالإشارة في الذكر الكثير وإنما أوجبها بالإشارة دون العبارة الصريحة لأن أهل المحبة هم الأحرار عن رق الكونين والحر تكفيه الإشارة وإنما لم يصرح بوجوب المحبة لأنها مخصوصة بقوم دون سائر الخلق كما قال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] فعلى هذا بقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] يشير إلى أحبوني أحببكم:

بدرياى محبت آشنا باش صدف سان معدن در صفا باش

﴿وسبحوه﴾ ونزهوه تعالى عما لا يليق به. قال في «المفردات»: السبح المر السريع في الماء أو في الهواء والتسبيح تنزيه الله وأصله المر السريع في عبادة الله وجعل عاماً في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نية ﴿بكرة وأصيلا﴾ أي: أول النهار وآخره وقد يذكر الطرفان ويفهم منهما الوسط فيكون المراد سبحوه في جميع الأوقات خصوصاً في الوقتين المذكورين المفضلين على سائر الأوقات لكونهما مشهودين على ما دل عليه قوله عليه السلام: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» وإفراد التسبيح من بين الأذكار لكونه العمدة فيها من حيث إنه من باب التحلية وفي الحديث: «أربع لا يمسك عنهن جنب سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» فإذا قالها الجنب فالمحدث أولى فلا منع من التسبيح على جميع الأحوال إلا أن الذكر على الوضوء والطهارة من آداب الرجال. وفي «كشف الأسرار»: [وسبحوه أي: صلوا به بكرة يعني صلاة الصبح وأصيلا يعني صلاة العصر] أين تفسير موافق آن خبرست كه مصطفى عليه السلام كفت «من استطاع منكم أن لا يغلب على صلاة قبل طلوع الشمس ولا غروبها فليفعل» ميكويد هركه تواند ازشماكه مغلوب كارهاً وشغل دنيوي نكردد برنماز بامدادپيش از برآمدن آفتاب ونماز ديكر پيش ازفروشدن آفتاب باچنين كند اين هردو نماز بذكر مخصوص كردد ازبهر آنكه بسيار افتد مردم را اين دو وقت تقصير كردن درنماز وغافل بودن ازان اما نماز بامداد بسبب خواب ونماز ديكر بسبب امور دنيا ونيز شرف اين دونماز درميان نمازها پيداست نماز بامداد شهود فرشتكانست لقوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] يعني تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار [ونماز ديكر نماز وسطى است كه رب العزة كفت] ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨] وفي الحديث «ما عجت الأرض إلى ربها من شيء كعجيجها من دم حرام أو غسل من زنى أو نوم عليها قبل طلوع الشمس» والله تعالى يقسم الأرزاق وينزل البركات ويستجيب الدعوات فيما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس فلا بد من ترك الغفلة في تلك الساعة الشريفة وفي الحديث: «من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة» ومن هنا لم يزل الصوفية المتأدبون يجتمعون على الذكر بعد صلاة الصبح إلى وقت صلاة الإشراق فللذكر في هذا الوقت أثر عظيم في النفوس وهو أولى من القراءة كما دل عليه قوله عليه السلام: «ثم قعد يذكر الله» على ما في «شرح المصابيح» ويؤيده ما ذكر في «القنية» من أن الصلاة على النبي عليه السلام والدعاء والتسبيح أفضل من قراءة القرآن في الأوقات التي نهى عن الصلاة فيها.

وذكر في «المحيط» أنه يكره الكلام بعد انشقاق الفجر إلى صلاته وقيل بعد صلاة الفجر أيضاً إلى طلوع الشمس وقيل إلى ارتفاعها وهو كمال العزيمة. قال بعض الكبار: إذا قارب طلوع الشمس يبتدىء بقراءة المسبعات وهي من تعليم الخضر عليه السلام علمها ابراهيم التيمي

وذكر أنه تعلمها من رسول الله ﷺ وينال بالمداومة عليها جميع المتفرق في الأذكار والدعوات وهي عشرة أشياء: سبعة سبعة الفاتحة والمعوذتان وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسي وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والصلاة على النبي عليه السلام وآله بأن يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم والاستغفار بأن يقول اللهم اغفر لي ولوالديّ ولجميع المؤمنين والمؤمنات وقوله سبعاً اللهم افعل بنا وبهم عاجلاً وآجلاً في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا وبهم يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور حليم جواد كريم رؤوف رحيم.

روي أن إبراهيم التيمي لما قرأ هذه بعد أن تعلمها من الخضر رأى في المنام أنه دخل الجنة ورأى الملائكة والأنبياء وأكل من طعام الجنة ومكث أربعة أشهر لم يطعم لكونه أكل من طعام الجنة ويلازم الذاكر موضعه الذي صلى فيه مستقبل القبلة إلا أن يرى انتقاله إلى زاوية فإنه أسلم لدينه كيلا يحتاج إلى حديث أو نحوه مما يكره في ذلك الوقت فإن حديث الدنيا ونحوه يبطل ثواب العمل وشرف الوقت فلا بد من محافظة اللسان عن غير ذكر الله ومحافظة القلب عن غير فكره فإن اللسان والقلب إذا لم يتوافقا كان مجرد ولولة الواقف على الباب وصوت الحارس على السطح، وفي «المثنوي»:

ذكر آرد فكررا دراهتزاز ... ذكررا خورشيد اين افسرده ساز
اصل خود جذبه است ليك اى خواجه تاش ... كار كن موقوف آن جذبه مباش
زانكه ترك كار چون نازى بود ... نازكى درخورو جانبازى بود
نى قبول انديش ونى رد اي غلام ... امرراو نهى را مى بين مدام
مرغ جذبه ناكهان پرد زعش ... چون بديدى صبح شمع آنكه بكش
چشمها چون شد كذاره نوراوست ... مغزها مى بيند اودر عين پوست
بيند اندر ذره خورشيد بقا ... بيند اندر قطره كل بحررا

نسأل الله الحركات التي تورث البركات إنه قاضي الحاجات.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾.

﴿**هو الذي**﴾ [اوست آن خداونديكه] ﴿**يصلي عليكم**﴾ يعتني بكم بالرحمة والمغفرة والتزكية [والاعتناء: عنايت ورعايت داشتن] ﴿**وملائكته**﴾ عطف على المستكن في يصلي لمكان الفصل المغني عن التأكيد بالمنفصل أي: ويعتني ملائكته بالدعاء والاستغفار فالمراد بالصلاة المعنى المجازي الشامل للرحمة والاستغفار وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح أمرهم. وعن السدي قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: أيصلي ربنا فكبر هذا الكلام عليه فأوحى الله إليه أن قل لهم إني أصلي وإن صلاتي رحمتي التي تطفىء غضبي وقيل له عليه السلام ليلة المعراج: «قف يا محمد فإن ربك يصلي» فقال عليه السلام: إن ربي لغني عن أن يصلي فقال تعالى: «أنا الغني عن أن أصلي لأحد وإنما أقول سبحاني سبحاني سبقت رحمتي غضبي اقرأ يا محمد ﴿**هو الذي يصلي عليكم وملائكته**﴾ الآية فصلاتي رحمة لك ولأمتك» فكانت هذه الآية إلى قوله: ﴿**رحيماً**﴾ مما نزلت بقاب قوسين بلا وساطة جبريل عليه السلام.

وفي رواية لما وصلت إلى السماء السابعة قال لي جبريل: رويداً أي: قف قليلاً فإن ربك يصلي قلت: أهو يصلي؟ قال: نعم قلت: وما يقول؟ قال: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي».

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنكم إن تذكروني بذكر محدث فإني قد صليت عليكم بصلاة قديمة لا أول لها ولا آخر وإنكم لولا صلاتي عليكم لما وفقتم لذكري كما أن محبتي لو لم تكن سابقة على محبتكم لما هديتم إلى محبتي وأما صلاة الملائكة فإنما هي دعاء لكم على أنهم وجدوا رتبة الموافقة مع الله في الصلاة عليكم ببركتكم ولولا استحقاقكم لصلاة الله عليكم لما وجدوا هذه الرتبة الشريفة. وفي «عرائس البقلي» صلوات الله اختياره للعبد في الأزل بمعرفته ومحبته فإذا خص وجعل زلاته مغفورة وجعل خواص ملائكته مستغفرين له لئلا يحتاج إلى الاستغفار بنفسه لاشتغاله بالله وبمحبته.

قال أبو بكر بن طاهر: صلوات الله على عبده أن يزينه بأنوار الإيمان ويحليه بحلية التوفيق ويتوجه بتاج الصدق ويسقط عن نفسه الأهواء المضلة والإرادات الباطلة ويجعل له الرضى بالمقدور، قال الحافظ:

رضا بداده بده وزجبين كره بكشاى ... كه برمن وتو در اختيار نكشا دست

﴿ليخرجكم﴾ الله تعالى بتلك الصلاة والعناية وإنما لم يقل ليخرجاكم لئلا يكون للملائكة منة عليهم بالإخراج ولأنهم لا يقدرون على ذلك لأن الله هو الهادي في الحقيقة لا غير ﴿من الظلمات إلى النور﴾ الظلمة عدم النور ويعبر بها عن الجهل والشرك والفسق ونحوها كما يعبر بالنور عن أضدادها أي: من ظلمات الجهل والشرك والمعصية والشك والضلالة والبشرية وصفاتها والخلقية الروحانية إلى نور العلم والتوحيد والطاعة واليقين والهدي والروحانية وصفاتها والربوبية بجذبات تجلي ذاته وصفاته. والمعنى برحمة الله وبسبب دعاء الملائكة فزتم بالمقصود ونلتم الشهود ونورتم بنور الشريعة وتحققتم بسر الحقيقة. وقال الكاشفي: [مراد از اخراج ادامت واستقامت است بر خروج چه دروقت صلاة خدا وملائكه بر ايشان در ظلمات نبوده اند] ﴿وكان﴾ في الأزل قبل إيجاد الملائكة المقربين ﴿بالمؤمنين﴾ بكافتهم قبل وجوداتهم العينية ﴿رحيماً﴾ ولذلك فعل بهم ما فعل من الاعتناء بصلاحهم بالذات وبواسطة الملائكة فلا تتغير رحمته بتغير أحوال من سعد في الأزل.

كرد عصيان رحمت حق را نمى آردبشور ... مشروب دريا نكردد تيره ازسيلابها

ولما بين عنايته في الأولى وهي هدايته إلى الطاعة ونحوها بين عنايته في الآخرة فقال:

﴿تحيتهم﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول أي: ما يحيون به. والتحية الدعاء بالتعمير بأن يقال: حياك الله أي: جعل لك حياة ثم جعل كل دعاء تحية لكون جميعه غير خارج عن حصول الحياة أو سبب حياة إما لدنيا وإما لآخرة ﴿يوم يلقونه﴾ يوم لقائه تعالى عند الموت أو عند البعث من القبور أو عند دخول الجنة ﴿سلام﴾ تسليم عليهم من الله تعظيماً لهم:

خوشست ازتوسلامى بما در آخر عمر ... چونامه رفت باتمام والسلام خوشست

أو من الملائكة بشارة لهم بالجنة أو تكرمة لهم كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤] أو إخبار بالسلامة من كل مكروه وآفة وشدة. وعن أنس رضي الله عنه عن النبي عليه السلام: «إذا جاء ملك الموت إلى وليّ الله سلم عليه وسلامه

عليه أن يقول: السلام عليك يا ولي الله قم فاخرج من دارك التي خربتها إلى دارك التي عمرتها فإذا لم يكن ولياً لله قال له: قم فأخرج من دارك التي عمرتها إلى دارك التي خربتها».

يقول الفقير: عمارة الدنيا بزرع الحبوب وتكثير القوت وكري الأنهار وغرس الأشجار ورفع أبنية الدور وتزيين القصور وعمارة الآخرة بالاذكار والأعمال والأخلاق والأحوال كما قال المولى الجامي:

يادكن آنكه درشب اسرى ... يا حبيب خدا خليل خدا
كفت كوى ازمن اى رسول كرام ... امت خويش را ز بعد سلام
كه بود پاك وخوش زمين بهشت ... ليك آنجا كسى درخت نكشت
خاك اوپاك وطيب افتاده ... ليك هست از درختها ساده
غرس اشجار آن بسعى جميل ... بسمله حمد له است پس تهليل
هست تكبير نيزاز ان اشجار ... خوش كسى كش جزاين نباشد كار
باغ جنات تحتها الانهار ... سبز وخرم شود ازان اشجار

وفي الآية إشارة إلى أن التحية إذا قرنت بالرؤية واللقاء إذا قرن بالتحية لا يكونان إلا بمعنى رؤية البصر والتحية خطاب يفاتح به الملوك فبهذا أخبر عن علو شأنهم ورفعة درجتهم وأنهم قد سلموا من آفات القطيعة بدوام الوصلة. قال ابن عطاء: أعظم عطية المؤمنين في الجنة سلام الله عليهم من غير واسطة.

سلامت من دلخسته درسلام توباشد ... زهى سعادت اكردولت سلام تويابم

﴿وأعد لهم﴾ [وآماده كردخداى تعالى براى مؤمنان باوجود تحيت برايشان]﴿أجراً كريماً﴾ ثواباً حسناً دائماً وهو نعيم الجنة وهو بيان لآثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة إليهم قبل ذلك وإيثار الجملة الفعلية دون وأجرهم أجر كريم ونحوه لمراعاة الفواصل. وفيه إشارة إلى سبق العناية الأزلية في حقهم لأن في الإعداد تعريفاً بالإحسان السابق والأجر الكريم ما يكون سابقاً على العمل بل يكون العمل من نتائج الكرم:

قرب تو باسباب وعلل نتوان يافت ... بى سابقه فضل ازل نتوان يافت
برهرچه توان كرفتن اورا بدلى ... توبى بدلى ترا بدل نتوان يافت

ثم هذه الآية من أكبر نعم الله على هذه الأمة ومن أدل دليل على أفضليتها على سائر الأمم ومن جملة ما أوحي إليه عليه السلام ليلة المعراج «أن الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك» فإذا كانوا أقدم في الدخول للتعظيم كانوا أفضل وأكثر في الأجر الكريم ثم إن فقراء هذه الأمة أكبر شأناً من أغنيائهم. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بعث الفقراء إلى رسول الله ﷺ رسولاً فقال: يا رسول الله إني رسول الفقراء إليك فقال: «مرحباً بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم أحبهم» فقال: يا رسول الله إن الفقراء يقولون لك: إن الأغنياء ذهبوا بالخير كله هم يحجون ولا نقدر عليه ويتصدقون ولا نقدر عليه ويعتقون ولا نقدر عليه وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخراً لهم فقال عليه السلام: «بلغ الفقراء عني أن لمن صبر واحتسب منهم ثلاث خصال ليس للأغنياء منها شيء أما الخصلة الأولى فإن في الجنة غرفاً من ياقوت أحمر ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجوم لا يدخلها إلا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير والخصلة الثانية:

يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام والخصلة الثالثة: إذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مخلصاً وقال الغني مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير في فضله وتضاعف الثواب وإن أنفق الغني معها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها» فرجع الرسول إليهم وأخبرهم بذلك فقالوا: رضينا» يا رب رضينا ذكره اليافعي في «روض الرياحين».

صائب فريب نعمت ألوان نمى خوريم   روزى خود زخوان كرم مى خوريم ما

وقال:

افتد هماى دولت اكردر كمندما   ازهمت بلند رها مى كنيم ما

وقال الحافظ:

ازكران تابكران لشكر ظلمست ولى   از ازل تاابابد فرصت درويشانست

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾.

﴿يا أيها النبي﴾ نداء كرامة وتعظيم لأن الشريف ينادي باللقب الشريف لا نداء علامة مثل يا آدم ونحوه **﴿إنا أرسلناك شاهداً﴾** الشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصر أو بصيرة وهو حال مقدرة من كاف أرسلناك فإنه عليه السلام إنما يكون شاهداً وقت الأداء وذلك متأخر عن زمان الإرسال نحو مررت برجل معه صقر صائداً به غداً أي: مقدراً به الصيد غداً. والمعنى إنا أرسلناك بعظمتنا مقدر شهادتك على أمتك بتصديقهم وتكذيبهم تؤديها يوم القيامة أداء مقبولاً قبول قول الشاهد العدل في الحكم **﴿ومبشراً﴾** لأهل الإيمان والطاعة بالجنة ولأهل المحبة بالرؤية **﴿ونذيراً﴾** ومنذراً لأهل الكفر والعصيان بالنار ولأهل الغفلة بالحجاب **﴿وداعياً إلى الله﴾** أي: إلى الإقرار به وبوحدانيته وبسائر ما يجب الإيمان به من صفاته وأفعاله. وفيه إشارة إلى أن نبينا عليه السلام اختص برتبة دعوة الخلق إلى الله من بين سائر الأنبياء والمرسلين فإنهم كانوا مأمورين بدعوة الخلق إلى الجنة وأيضاً دعا إلى الله لا إلى نفسه فإنه افتخر بالعبودية ولم يفتخر بالربوبية ليصح له بذلك الدعاء إلى سيده فمن أجاب دعوته صارت الدعوة له سراجاً منيراً يدله على سبيل الرشد ويبصره عيوب النفس وغيها. **﴿بإذنه﴾** أي: بتيسيره وتسهيله فأطلق الإذن وأريد به التيسير مجازاً بعلاقة السببية فإن التصرف في ملك الغير متعسر فإذا أذن تسهل وتيسر وإنما لم يحمل على حقيقته وهو الإعلام بإجازة الشيء والرخصة فيه لانفهامه من قوله: **﴿أرسلناك﴾** **﴿وداعياً إلى الله﴾** وقيد به الدعوة إيذاناً بأنها أمر صعب لا يتأتى إلا بمعونة وإمداد من جانب قدسه كيف لا وهي صرف الوجوه عن سمت الخلق إلى الخلاق وإدخال قلادة غير معهودة في الأعناق. قال بعض الكبار: بإذنه أي: بأمره لا بطبعك ورأيك وذلك فإن حكم الطبع مرفوع عن الكمل فلا يدعون قولاً ولا عملاً إلا بالفناء في ذات الله عز وجل. **﴿وسراجاً منيراً﴾** السراج الزاهر بفتيلة، يعني: [آتش پاره كه در فتيله شمعست] والسراج المنير بالفارسية [چراغ روشن ودرخشان].

اعلم أن الله تعالى شبه نبينا عليه السلام بالسراج لوجوه:

الأول: أنه يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدي بأنواره إلى مناهج الرشد والهداية كما يهتدي بالسراج المنير في الظلام إلى سمت المرام كما قال بعضهم: [حق تعالى

پيغمبر مارا چراغ خواند زيرا كه ضوء چراغ ظلمت را محو كند ووجود آن حضرت نيز ظلمت كفررا از عرصهٔ جهان نابود ساخت]:

چـــراغ روشـــن از نـــور خـــدايـــى   جـهـا نـرا داده از ظـلـمـت رهـايـى

والثاني: [هرچه درخانه كم شود بنور چراغ باز توان يافت حقا يقي كه ازمر دم پوشيده بود بنور اين چراغ بر مقتبسان انوار معرفت روشن كشت]:

ازو جـانـرا بـدانـش آشـنـايـيـسـت   وزو چـشـم جـهـانـرا روشـنـا يـيـسـت

در كـــنـــج مـــعـــانـــى بـــر كـــشـــاده   وزان صـــاحـــب دلانـــرا مـــايـــه داده

والثالث: [چراغ اهل خانه سبب امن وراحتست ودزدرا واسطهٔ خجلت وعقوبت آن حضرت دوستانرا وسيلهٔ سلامتست ومنكرانرا حسرت وندامت].

والرابع: أن السراج الواحد يوقد منه ألف سراج ولا ينقص من نوره شيء وقد اتفق أهل الظاهر والشهود على أن الله تعالى خلق جميع الأشياء من نور محمد ولم ينقص من نوره شيء وهذا كما روي أن موسى عليه السلام قال: يا رب أريد أن أعرف خزائنك فقال له: اجعل على باب خيمتك ناراً يأخذ كل إنسان سراجاً من نارك ففعل فقال: هل نقص من نارك قال: لا يا رب قال: فكذلك خزائني. وأيضاً علوم الشريعة وفوائد الطريقة وأنوار المعرفة وأسرار الحقيقة قد ظهرت في علماء أمته وهي بحالها في نفسه عليه السلام ألا ترى أن نور القمر مستفاد من الشمس ونور الشمس بحاله وفي «القصيدة البردية»:

فـإنـه شـمـس فـضـل هـم كـواكـبـهـا   يـظـهـرن أنـوارهـا لـلـنـاس فـي الـظـلـم

تـو مـهـر مـنـيـرى هـمـه اخـتـرنـد   تـو سـلـطـان مـلـكـى هـمـه لـشـكـرنـد

أي أن سيدنا محمداً عليه السلام شمس من فضل الله طلعت على العالمين والأنبياء أقمارها يظهرن الأنوار المستفادة منها وهي العلوم والحكم في عالم الشهادة عند غيبتها ويختفين عند ظهور سلطان الشمس فينسخ دينه سائر الأديان. وفيه إشارة إلى أن المقتبس من نور القمر كالمقتبس من نور الشمس، وفي «المثنوي»:

كـفـت طـوبـى مـن رآنـي مـصـطـفـى   والـذي يـبـصـر لـمـن وجـهـي رأى

چـون چـراغ نـور شـمـعـى را كـشـيـد   هـركـه ديـد آنـرا يـقـيـن آن شـمـع ديـد

هـمـچـنـيـن تـا صـد چـراغ ار نـقـل شـد   ديـدن آخـر لـقـاى اصـل شـد

خـواه ازنـور پـسـيـن بـسـتـان تـوآن   هـيـچ فـرقـى نـيـسـت خـواه ازشـمـعـدان

والخامس أنه عليه السلام يضيء من جميع الجهات الكونية إلى جميع العوالم كما أن السراج يضيء من كل جانب وأيضاً يضيء لأمته كلهم كالسراج لجميع الجهات إلا من عمي مثل أبي جهل ومن تبعه على صفته فإنه لا يستضيء بنوره ولا يراه حقيقة كما قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨].

ـ حكي ـ أن السلطان محمود الغزنوي دخل على الشيخ أبي الحسن الخرقاني قدس سره وجلس ساعة ثم قال: يا شيخ ما تقول في حق أبي يزيد البسطامي فقال الشيخ هو رجل من رآه اهتدى فقال السلطان وكيف ذلك وأبا جهل رأى رسول الله ﷺ ولم يخلص من الضلالة قال الشيخ في جوابه إنه ما رأى رسول الله وإنما رأى محمد بن عبد الله يتيم أبي طالب حتى لو كان

رأى رسول الله لدخل في السعادة أي: لو رآه عليه السلام من حيث إنه رسول معلم هاد لا من حيث إنه بشر يتيم.

والسادس: أنه عليه السلام عرج به من العالم السفلي إلى العالم العلوي ومن الملك إلى الملكوت ومن الملكوت إلى الجبروت والعظموت بجذبة «ادن مني» إلى مقام ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ [النجم: ٩] وقرب. ﴿أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٩] إلى أن نوّر سراج قلبه بنور الله بلا واسطة ملك أو نبي ومن هنا قال: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل» لأنه كان في مقام الوحدة فلا يصل إليه أحد إلا على قدمي الفناء عن نفسه والبقاء بربه فناء بالكلية وبقاء بالكلية بحيث لا تبقى نار نور الإلهية من حطب وجوده قدر ما يصعد منه دخان نفسي نفسي وما بلغ كمال هذه الرتبة إلا نبينا عليه السلام فإنه من بين سائر الأنبياء يقول أمتي أمتي وحسبك في هذا حديث المعراج حيث إنه عليه السلام وجد في كل سماء نفراً من الأنبياء إلى أن بلغ السماء السابعة ووجد هناك إبراهيم عليه السلام مستنداً إلى سدرة المنتهى فعبر عنه مع جبرائيل إلى أقصى السدرة وبقي جبرائيل في السدرة فأدلى إليه الرفرف فركب عليه فأداه إلى قاب قوسين أو أدنى فهو الذي جعل الله له نوراً فأرسله إلى الخلق وقال: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ [المائدة: ١٥] فأذن له أن يدعو الخلق إلى الله بطريق متابعته فإنه من يطع الرسول حق إطاعته فقد أطاع الله والذين يبايعونه إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فإن يده فانية في يد الله باقية بها وكذلك جميع صفاته تفهم إن شاء الله وتنتفع بها ووصفه تعالى بالإنارة حيث قال: ﴿منيراً﴾ لزيادة نوره وكماله فيه فإن بعض السرج له فتور لا ينير. قال الكاشفي: ﴿منيراً﴾ [تأكيداست يعنى توچراغى نه چون چراغهاى ديكركه آن چگراغها كاهى مرده باشد وكاهى افروخته وازتو ازاول تا آخر وروشنى چراغها ببادى مقهور شود وهيچ كس نور ترا مغلوب نتواند ساخت] كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الصف: ٨]، وفي «المثنوي»:

هركه برشمع خدا آرد پفو ... شمع كى ميرد بسوزد پوز او
كى شود دريا زپوز سك نجس ... كى شود خورشيد ازپف منطمس

[ديكر چراغها بشب نور دهند نه بروز وتوشب ظلمت دنيارا بنور دعوت روشن ساخته وروز قيامت را نيز به پرتو شفاعت روشن خواهى ساخت]:

شد بدنيا رخش چراغ افروز ... شب ما كشت ز التفاتش روز
باز فردا چراغ افروزد ... كه ازان جرم عاصيان سوزد

[دركشف الأسرار فرموده كه حق سبحانه آفتاب را چراغ خواندكه ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣﴾ [النبأ: ١٣]. وپيغمبر مارا نيز چراغ كفت. آن چراغ آسمانست. واين چراغ زمين. آن چراغ دنياست. واين چراغ دين. آن چراغ منازل فلكست. واين چراد محافل ملك. آن چراغ آب وكلست. واين چراغ جان ودل بطلوع. آن چراغ ازخواب بيدارشوند. وبظهور اين چراغ از خواب عدم برخاسته بعرصه كاه وجود آمده اند]:

ازظلمات عدم راه كه بروى برد ... كرنشدى نورتو شمع روان همه

[وإشارات بهمين معنى فرموده ازاقليم عدم مى آمدى وپيش رو آدم چراغى بود بردستش همه ازنور تخستينست]. وقال بعضهم: المراد بالسراج الشمس وبالمنير القمر جمع له الوصف

بين الشمس والقمر دل على ذلك قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الفرقان: ٦١] وإنما حمل على ذلك لأن نور الشمس والقمر أتم من نور السراج ويقال سماه سراجاً ولم يسمه شمساً ولا قمراً ولا كوكباً لأنه لا يوجد يوم القيامة شمس ولا قمر ولا كوكب ولأن الشمس والقمر لا ينقلان من موضع إلى موضع بخلاف السراج ألا ترى أن الله تعالى نقله عليه السلام من مكة إلى المدينة.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾.

﴿وبشر المؤمنين﴾ عطف على المقدر أي: فراقب أحوال أمتك وبشر المؤمنين **﴿بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾** أي: على مؤمني سائر الأمم في الرتبة والشرف أو زيادة على أجور أعمالهم بطريق التفضل والإحسان.

ـ وروي ـ أن الحسنة الواحدة في الأمم السالفة كانت بواحدة وفي هذه الأمة بعشر أمثالها إلى ما لا نهاية له. وقال بعضهم: **﴿فضلاً كبيراً﴾** يعني: [بخششى بزرك زياده ازمردكار ايشان يعنى دولت لقاكه بزركتر عطايى وشر يفتر جزاييست]. وفي «كشف الأسرار»: [داعي را اجابت وسائر را عطيت ومجتهدرا معونت وشاكررا زيادت ومطيع را مثوبت وعاصى را اقالت ونادم را رحمت ومحب را كرامت ومشتاق را لقاء ورؤيت]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله عليه السلام علياً ومعاذاً فبعثهما إلى اليمن وقال: «اذهبا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا فإنه قد نزل عليّ» وقرأ الآية كما في «فتح الرحمٰن». ودل الآية والحديث وكذا قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥] على أنه لا بأس بالجلوس للوعظ إذا أراد به وجه الله تعالى وكان ابن مسعود رضي الله عنه يذكر عشية كل خميس وكان يدعو بدعوات ويتكلم بالخوف والرجاء وكان لا يجعل كله خوفاً ولا كله رجاء ومن لم يذكر لعذر وقدر على الاستخلاف فله ذلك ومنه إرسال الخلفاء إلى أطراف البلاد فإن فيه نفع العباد كما لا يخفى على ذوي الرشاد.

﴿ولا تطع الكافرين﴾ من أهل مكة **﴿والمنافقين﴾** من أهل المدينة ومعناه الدوام أي: دم وأثبت على ما أنت عليه من مخالفتهم وترك إطاعتهم واتباعهم. وفي «الإرشاد» نهى عن مداراتهم في أمر الدعوة واستعمال لين الجانب في التبليغ والمسامحة في الإنذار كنى عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن النهي عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها **﴿ودع أذاهم﴾** أي: لا تبال بإيذائهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والإنذار. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قسم رسول الله قسمة فقال رجل من الأنصار: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله فأخبر بذلك فاحمر وجهه فقال: «رحمه الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر».

صد هزاران كيميا حق آفريد كيميايى همچو صبر آدم نديد

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿ولا تطع﴾** الخ أي: لا تتخلق بخلق من أخلاقهم ولا توافق من أعرضنا عنه وأغفلنا قلبه عن ذكرنا وأضللناه من أهل الكفر والنفاق وأهل البدع والشقاق وفيه إشارة إلى أرباب الطلب بالصدق أن لا يطيعوا المنكرين الغافلين عن هذا الحديث فيما يدعونهم إلى ما يلائم هوى نفوسهم ويقطعون به الطريق عليهم ويزعمون أنهم ناصحوهم

ومشفقون عليهم وهم يحسنون صنعاً ﴿ودع أذاهم﴾ بالبحث والمناظرة على إبطالهم فإنهم عن سمع كلمات الحق لمعزولون فتضيع أوقاتك ويزيد إنكارهم. ﴿وتوكل على الله﴾ في كل الأمور خصوصاً في هذا الشأن فإنه تعالى يكفيكهم والعاقبة لك. ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ موكولاً إليه الأمور في كل الأحوال فهو فعيل بمعنى المفعول تمييز من فاعل كفى وهو الله إذ الباء صلة والتقدير وكفى الله من جهة الوكالة فإن أهل الدارين لا يكفي كفاية الله فيما يحتاج إليه فمن عرف أنه تعالى هو المتكفل بمصالح عباده والكافي لهم في كل أمر اكتفى به في كل أمره فلم يدبر معه ولم يعتمد إلا عليه.

ـ روي ـ أن الحجاج بن يوسف سمع ملبياً يلبي حول البيت رافعاً صوته بالتلبية وكان إذ ذاك بمكة فقال: عليّ بالرجل فأتى به إليه فقال: ممن الرجل؟ قال: من المسلمين فقال: ليس عن الإسلام سألتك قال: فعمّ سألت؟ قال: سألتك عن البلد قال: من أهل اليمن قال: كيف تركت محمد بن يوسف يعني أخاه قال: تركته عظيماً جسيماً لباساً ركاباً خراجاً ولاجاً قال: ليس عن هذا سألتك قال: فعمّ سألت؟ قال: سألتك عن سيرته قال: تركته ظلوماً غشوماً مطيعاً للمخلوق عاصياً للخالق فقال له الحجاج: ما حملك على هذا الكلام وأنت تعلم مكانه مني؟ قال: أترى مكانه منك أعز مني بمكاني من الله وأنا وافد بيته مصدق نبيه فسكت الحجاج ولم يحسن جواباً وانصرف الرجل من غير إذن فتعلق بأستار الكعبة وقال: اللهم بك أعوذ وبك ألوذ اللهم فرجك القريب ومعروفك القديم وعادتك الحسنة فخلص من يد الحجاج بسبب توكله على الله في قوله الخشن وبعدم إطاعته وانقياده للمخلوق.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم﴾. قال في «بحر العلوم»: أصل النكاح الوطىء ثم قيل للعقد نكاح مجازاً تسمية للسبب باسم المسبب فإن العقد سبب الوطىء المباح وعليه قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ [النور: ٣] أي: لا يتزوج ونظيره تسمية النبات غيثاً في قوله رعينا الغيث لأنه سبب للنبات والخمر إثماً لأنها سبب لاكتساب الإثم. وقال الإمام الراغب في «المفردات» أصل النكاح للعقد ثم استعير للجماع ومحال أن يكون في الأصل للجماع ثم استعير للعقد لأن أسماء الجماع كلها كنايات لاستقباحهم ذكره كاستقباح تعاطيه ومحال أن يستعير من لا يقصد فحشاً اسم ما يستفظعونه لما يستحسنونه انتهى. وفي «القاموس» النكاح الوطىء والعقد والمعنى إذا تزوجتم ﴿المؤمنات﴾ وعقدتم عليهن وخص المؤمنات مع أن هذا الحكم الذي في الآية يستوي فيه المؤمنات والكتابيات تنبيهاً على أن من شأن المؤمن أن لا ينكح إلا مؤمنة تخيراً لنطفته ويجتنب عن مجانبة الفواسق فما بال الكوافر فالتي في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين أوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو أولى بالمؤمنين من نكاح المؤمنات وقد قيل: الجنس يميل إلى الجنس، وفي «المثنوي»:

جنس سوى جنس صدپره برد ... بر خيالش بندهارا بر درد
آن يكى را صحبت اخيار خار ... لا جرم شد پهلوى فجار جار

﴿ثم طلقتموهن﴾ أصل الطلاق التخلية من وثاق يقال أطلقت الناقة من عقالها وطلقها وهي طالق وطلق بلا قيد ومنه استعير طلقت المرأة نحو خليتها فهي طالق أي: مخلاة عن حبالة النكاح ﴿من قبل أن تمسوهن﴾ أي: تجامعوهن فإن لمس أي: اللمس كناية عن الوطيء وفائدة ثم إزاحة ما عسى يتوهم أن تراخي الطلاق ريثما تمكن الإصابة يؤثر في العدة كما يؤثر في النسب فلا تفاوت في الحكم بين أن يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين أن يطلقها وهي بعيدة منه. قالوا فيه دليل على أن الطلاق قبل النكاح غير واقع لأن الله تعالى رتب الطلاق على النكاح كما قال بعضهم: إنما النكاح عقدة والطلاق يحلها فكيف تحل عقدة لم تعقد فلو قال متى تزوجت فلانة أو كل امرأة أتزوجها فهي طالق لم يقع عليه طلاق إذا تزوج عند الشافعي وأحمد وقال أبو حنيفة يقع مطلقاً لأنه تطليق عند وجود الشرط إلا إذا زوجها فضولي فإنها لم تطلق كما في «المحيط» وقال مالك: إن عين امرأة بعينها أو من قبيلة أو من بلد فتزوجها وقع الطلاق وإن عمم فقال: كل امرأة أتزوجها من الناس كلهم لم يلزمه شيء ثم إن حكم الخلوة التي يمكن معها المساس في حكم المساس عند أبي حنيفة وأصحابه والخلوة الصحيحة غلق الرجل الباب على منكوحته بلا مانع وطيء من الطرفين وهو ثلاثة: حسي كمرض يمنع الوطأ ورتق وهو انسداد موضع الجماع بحيث لا يستطاع، وشرعي كصوم رمضان دون صوم التطوع والقضاء والنذور والكفارة في الصحيح لعدم وجوب الكفارة بالإفساد وكإحرام فرض أو نفل فإن الجماع مع الإحرام يفسد النسك ويوجب دماً مع القضاء، وطبعي كالحيض والنفاس إذ الطباع السليمة تنفر منها فإذا خلا بها في محل خال عن غيرهما حتى عن الأعمى والنائم بحيث أمنا من اطلاع غيرهما عليهما بلا إذنهما لزمه تمام المهر لأنه في حكم الوطيء ولو كان خصياً وهو مقطوع الأنثيين أو عنيناً وهو الذي لا يقدر على الجماع وكذا لو كان مجبوباً وهو مقطوع الذكر خلافاً لهما وفرض الصلاة مانع كفرض الصوم للوعيد على تركها والعدة تجب بالخلوة ولو مع المانع احتياطاً لتوهم شغل الماء ولأنها حق الشرع والولد.

واعلم أن الحيض والنفاس والرتق من الأعذار المخصوصة بالمرأة وأما المرض والإحرام والصوم فتعتبر في كل من الرجل والمرأة وتعد مانعاً بالنسبة إلى كليهما كما في «تفسير أبي الليث». ومعنى الآية بالفارسية: [پس چون طلاق دهيد زنانرا قبل از دخول ياپيش از خلوت صحيحه] ﴿فما لكم عليهن﴾ [پس نيست شمارا برين مطلقات] ﴿من عدة﴾ أيام ينتظرن فيها وعدة المرأة هي الأيام التي بانقضائها تحل للزوج ﴿تعتدونها﴾ محله الجر على أنه صفة عدة أي: تستوفون عددها أو تعدونها وتحصونها بالاقراء إن كانت من ذوات الحيض أو بالأشهر إن كانت آيسة. وفي الإسناد إلى الرجال دلالة على أن العدة حقهم كما أشعر به فما لكم. فدلت الآية على أنه لا عدة على غير المدخول بها لبراءة رحمها من نطفة الغير فإن شاءت تزوجت من يومها وكذا إذا تيقن بفراغ رحم الأمة من ماء البائع لم يستبرىء عند أبي يوسف وقالا: إذا ملك جارية ولو كانت بكراً أو مشرية ممن لا يطأ أصلاً مثل المرأة والصبي والعنين والمجبوب أو شرعاً كالمحرم رضاعاً أو مصاهرة أو نحو ذلك حرم عليه وطؤها ودواعيه كالقبلة والمعانقة والنظر إلى فرجها بشهوة أو غيرها حتى يستبرىء بحيضة أو يطلب براءة رحمها من الحمل كذا في «شرح القهستاني» ﴿فمتعوهن﴾ أي: فأعطوهن المتعة وهي: درع وخمار وملحفة كما سبقت في هذه السورة وهو محمول على إيجاب المتعة إن لم يسم لها مهر عند العقد وعلى

استحبابها إن سمي ذلك فإنه إن سمى المهر عنده وطلق قبل الدخول فالواجب نصفه دون المتعة كما قال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] أي: فالواجب عليكم نصف ما سميتم لهن من المهر ﴿وسرحوهن﴾ قد سبق معنى التسريح في هذه السورة والمراد هنا اخرجوهن من منازلكم إذ ليس لكم عليهن من عدة ﴿سراحاً جميلاً﴾ أي: من غير ضرار ولا منع حق. وفي «كشف الأسرار»: معنى الجميل أن لا يكون الطلاق جور الغضب أو طاعة لغيره وأن لا يكون ثلاثاً بتاً أو لمنع صداق انتهى. ولا يجوز تفسير التسريح بالطلاق السني لأنه إنما يتسنى في المدخول بها والضمير لغير المدخول بها.

وفي «التأويلات النجمية»: وفي الآية إشارة إلى كرم الأخلاق يعني إذا نكحتم المؤمنات ومالت قلوبهن إليكم ثم آثرتم الفراق قبل الوصال فكسرتم قلوبهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن ليكون لهن عليكم تذكرة في أيام الفرقة وأوائلها إلى أن تتوطن نفوسهن على الفرقة وسرحوهن سراحاً جميلاً بأن لا تذكروهن بعد الفراق إلا بخير ولا تستردوا منهن شيئاً تفضلتم به معهن فلا تجمعوا عليها الفراق بالحال والإضرار من جهة المال انتهى.

وينبغي للمؤمن أن لا يؤذي أحداً بغيرْ حق ولو كلباً أو خنزيراً ولا يظلم ولو بشق تمرة ولو وقع شيء من الأذى والجور يجب الاستحلال والإرضاء ورأينا كثيراً من الناس في هذا الزمان يطلقون ضراراً ويقعون في الإثم مراراً يخالعون على المال بعد الخصومات كأنهم غافلون عما بعد الممات، قال المولى الجامي:

هزار كونه خصومت كنى بخلق جهان
زبكه درهوس سيم وآرزوى زرى
تراست دوست زروسيم وخصم صاحب اوست
كه كيرى از كفش آنرا بظلم وحيله كرى
نه مقتضاى خرد باشد ونتيجه عقل
كه دوست را بكذارى وخصم را بيرى

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾.

﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك﴾ [الإحلال: حلال كردن] وأصل الحل حل العقدة ومنه استعير قولهم حل الشيء حلالاً كما في «المفردات»، والمعنى بالفارسية: [بدرستى كه ما حلال كرده مايم براى تو] ﴿أزواجك﴾ نساءك ﴿اللاتي آتيت أجورهن﴾ الأجر يقال فيما كان عن عقد وما يجري مجرى العقد وهو ما يعود من ثواب العمل دنيوياً كان أو أخروياً وهو هٰهنا كناية عن المهر أي: مهورهن لأن المهر أجر على البضع أي: المباشرة وإيتاؤها أما إعطاؤها

معجلة أو تسميتها في العقد وأياً ما كان فتقييد الإحلال له عليه السلام بالإيتاء ليس لتوقف الحل عليه ضرورة أنه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل أو المتعة على تقديري الدخول وعدمه بل لإيتاء الأفضل له ﴿وما ملكت يمينك﴾ [وحلال ساخته ايم برتو آنچه مالك شده است دست راست تو يعنى مملوكات ترا] ﴿مما أفاء الله عليك﴾ [الإفاءة: مال كسى غنيمت دادن] وقيل للغنيمة التي لا يلحق فيها مشقة فيء تشبيهاً بالفيء الذي هو الظل تنبيهاً على أن أشرف أعراض الدنيا يجري مجرى ظل زائل.

قال الفقهاء: كل ما يحل أخذه من أموال الكفار فهو فيء فالفيء اسم لكل فائدة تفيء إلى الأمير أي: تعود وترجع من أهل الحرب والشرك فالغنيمة هي ما نيل من أهل الشرك عنوة والحرب قائمة فيء والجزية فيء ومال أهل الصلح فيء والخراج فيء لأن ذلك كله مما أفاء الله على المسلمين من المشركين وحقيقة ﴿أفاء الله عليك﴾ فيئاً لك أي: غنيمة وتقييد حلال المملوكة بكونها مسبية لاختيار الأولى له عليه السلام فإن المشتراة لا يتحقق بدء أمرها وما جرى عليها هكذا قالوا وهو لا يتناول مثل مارية القبطية ونحوها فإن مارية ليست سبية بل أهداها له عليه السلام سلطان مصر الملقب بالمقوقس.

وقد قال في «إنسان العيون»: إن سرارية عليه السلام أربع: مارية القبطية أم سيدنا إبراهيم رضي الله عنه وريحانة، وجارية وهبتها له عليه السلام زينب بنت جحش، وأخرى واسمها زليخا القرظية انتهى.

وكون ريحانة بنت يزيد من بني النضير سرية أضبط على ما قاله العراقي وزوجة أثبت عند أهل العلم على ما قاله الحافظ الدمياطي. وأما صفية بنت حيي الهارونية من غنائم خيبر. وجويرية بنت الحارث بن أبي صوار الخزاعية المصطلقية وإن كانتا من المسبيات لكنه عليه السلام أعتقهما فتزوجهما فهما من الأزواج لا من السرايا على ما بين في كتب السير فالوجه أن المعنى مما أفاء الله أي: أعاده عليك بمعنى صيره لك ورده لك بأي جهة كانت هدية أو سبية. واستفتى من المولى أبي السعود صاحب التفسير هل في تصرف الجواري المشتراة من الغزاة بلا نكاح نوع كراهية إذ في القسمة الشرعية بينهم شبهة فأفتى بأنه ليس في هذا الزمان قسمة شرعية وقع التنفيل الكلي في سنة تسعمائة وثمان وأربعين فإذا أعطى ما يقال له بالفارسية [پنج يك] لا يبقى شبهة والنفل ما ينفله الغازي أي: يعطاه زائداً على سهمه وهو أن يقول الإمام أو الأمير من قتل قتيلاً فله سلبه أو قال للسرية ما أصبتم فهو لكم أو ربعه أو خمسه وعلى الإمام الوفاء به. ﴿وبنات عمك وبنات عماتك﴾ البنت والابنة مؤنث ابن والعم أخ الأب والعمة أخته. والمعنى وأحللنا لك نساء قريش من أولاد عبد المطلب. وأعمامه عليه السلام اثنا عشر وهم: الحارث، وأبو طالب، والزبير، وعبد الكعبة، وحمزة، والمقوم بفتح الواو وكسرها مشددة، وجحل بتقديم الجيم على الحاء واسمه المغيرة والجحل السقاء الضخم وقيل بتقديم الحاء المفتوحة على الجيم وهو في الأصل الخلخال، والعباس، وضرار، وأبو لهب، وقثم، والغيداق واسمه مصعب أو نوفل وسمي بالغيداق لكثرة جوده ولم يسلم من أعمامه الذين أدركوا البعثة إلا حمزة والعباس. وبنات أعمامه عليه السلام: ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب وكانت تحت المقداد، وأم الحكم بنت الزبير وكانت تحت النضر بن الحارث، وأم هانىء بنت أبي طالب واسمها فاختة، وجماعة بنت أبي طالب، وأم حبيبة، وآمنة، وصفية بنات العباس بن عبد

المطلب، وأروى بنت الحارث بن عبد المطلب. وعماته عليه السلام ست وهن: أم حكيم واسمها البيضاء، وعاتكة، وبرة، وأروى، وأميمة، وصفية ولم تسلم من عماته اللاتي أدركن البعثة من غير خلاف إلا صفية أم الزبير بن العوام أسلمت وهاجرت وماتت في خلافة عمر رضي الله عنه. واختلف في إسلام عاتكة وأروى ولم يتزوج رسول الله من بنات أعمامه دينا وأما بنات عماته دينا فكانت عنده منهن زينب بنت جحش بن رباب لأن أمها أميمة بنت عبد المطلب كما في «التكملة». ﴿**وبنات خالك وبنات خالاتك**﴾ الخال أخ الأم والخالة أختها والمراد نساء بني زهرة يعني أولاد عبد مناف بن زهرة لا إخوة أمه ولا أخواتها لأن آمنة بنت وهب أم رسول الله لم يكن لها أخ فإذا لم يكن له عليه السلام خال ولا خالة فالمراد بذلك الخال والخالة عشيرة أمه لأن بني زهرة يقولون: نحن أخوال النبي عليه السلام لأن أمه منهم ولهذا قال عليه السلام لسعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه: «هذا خالي» وإنما أفرد العم والخال وجمع العمات والخالات في الآية وإن كان معنى الكل الجمع لأن لفظ العم والخالة وإن كان يعطي المفرد معنى الجنس استغني فيه عن لفظ الجمع تخفيفاً للفظ، ولفظ العمة والخالة وإن كان يعطي معنى الجنس ففيه الهاء وهي تؤذن بالتحديد والافراد فوجب الجمع لذلك ألا ترى أن المصدر إذا كان بغير هاء لم يجمع وإذا حدد بالهاء جمع هكذا ذكره الشيخ أبو علي رضي الله عنه كذا في التكملة ﴿**اللاتي هاجرن معك**﴾ صفة للبنات والمهاجرة في الأصل مفارقة الغير ومتاركته استعملت في الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان والمعنى خرجن معك من مكة إلى المدينة وفارقن أوطانهن والمراد بالمعية المتابعة له عليه السلام في المهاجرة سواء وقعت قبله أو بعده أو معه وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه للتنبيه على الأليق له عليه السلام فالهجرة وصفهن لا بطريق التعليل كقوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ [النساء: ٢٣] ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه عليه السلام خاصة وأن من هاجر معه منهن يحل له نكاحها ومن لم تهاجر لم تحل ويعضده قول أم هانىء بنت أبي طالب خطبني رسول الله فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء وهم الذين أسلموا بعد الفتح أطلقهم رسول الله حين أخذهم ولفائدة التقييد بالهجرة أعاد هنا ذكر بنات العم والعمات والخال والخالات وإن كن داخلات تحت عموم قوله تعالى عند ذكر المحرمات من النساء ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] وأول بعضهم الهجرة في هذه الآية على الإسلام أي: أسلمن معك فدل ذلك على أنه لا يحل له نكاح غير المسلمة ﴿**وامرأة مؤمنة**﴾ بالنصب عطف على مفعول أحللنا إذ ليس معناه إنشاء الإحلال الناجز بل إعلام مطلق الإحلال المنتظم لما سبق ولحق. والمعنى: وأحللنا لك أيضاً أي: أعلمناك حل امرأة مؤمنة أية امرأة كانت من النساء المؤمنات فإنه لا تحل له المشركة وإن وهبت نفسها. قال في «كشف الأسرار»: اختلفوا في أنه هل كان يحل للنبي عليه السلام نكاح اليهودية والنصرانية بالمهر فذهب جماعة إلى أنه كان لا يحل له ذلك لقوله: ﴿**وامرأة مؤمنة إن وهبت**﴾ تلك المرأة المؤمنة ﴿**نفسها للنبي**﴾ أي: لك والالتفات للإيذان بأن هذا الحكم مخصوص به لشرف نبوته. والهبة أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض والحرة لا تقبل الهبة ولا البيع ولا الشراء إذ ليست بمملوكة فمعناه إن ملكته بعضها بلا مهر بأي عبارة كانت من الهبة والصدقة والتمليك والبيع والشراء والنكاح والتزويج ومعنى الشرط إن اتفق ذلك أي: وجد اتفاقاً ﴿**إن أراد النبي أن**

يستنكحها﴾ شرط للشرط الأول في استيجاب الحل فإن هبتها نفسها منه لا توجب له حلها إلا بإرادته نكاحها فإنها جارية مجرى القبول والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه والمعنى أراد النبي أن يتملك بعضها كذلك أي: بلا مهر ابتداء وانتهاء **﴿خالصة لك﴾** مصدر كالكاذبة أي: خلص لك إحلال المرأة المؤمنة خالصة أي: خلوصاً أو حال من ضمير وهبت أي: حال كون تلك الواهبة خالصة لك **﴿من دون المؤمنين﴾** فإن الإحلال للمؤمنين إنما يتحقق بالمهر أو بمهر المثل إن لم يسم عند العقد ولا يتحقق بلا مهر أصلاً **﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم﴾** أي: أوجبنا على المؤمنين **﴿في أزواجهم﴾** في حقهن **﴿و﴾** في حق **﴿ما ملكت أيمانهم﴾** من الأحكام **﴿لكي لا يكون عليك حرج﴾** متعلق بخالصة ولام كي دخلت على كي للتوكيد أي: لئلا يكون عليك ضيق في أمر النكاح فقوله قد علمنا الخ اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج وبين متعلقه وهو خالصة لك من دون المؤمنين مقرر لما قبله من خلوص الإحلال المذكور لرسول الله وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان أنه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه ﷺ تكرمة له وتوسعة عليه أي: قد علمنا ما ينبغي أن يفرض عليهم في حق أزواجهم ومملوكاتهم وعلى أي: حد وعلى أي: صفة يحق أن يفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا على ذلك الوجه وخصصناك ببعض الخصائص كالنكاح بلا مهر وولي وشهود ونحوها وفسروا المفروض في حق الأزواج بالمهر والولي والشهود والنفقة ووجوب القسم والاقتصار على الحرائر الأربع وفي حق المملوكات بكونهن ملكاً طيباً بأن تكون من أهل الحرب لا ملكاً خبيثاً بأن تكون من أهل العهد وفي الحديث: «الصلاة وما ملكت أيمانكم» أي: احفظوا الصلوات الخمس والمماليك بحسن القيام بما يحتاجون إليه من الطعام والكسوة وغيرها وبغير تكليف ما لا يطيقون من العمل وترك التعذيب قرنه عليه السلام بأمر الصلاة إشارة إلى أن حقوق المماليك واجبة على السادات وجوب الصلوات.

جوانمرد وخوشخوى وبخشنده باش ... چو حق برتو پاشد تو بر خلق پاش
حق بنده هركز فرامش مكن ... بدستت اكر نوشد وكركهن
چو خشم آيدت بركناه كسى ... تأمل كنش در عقوبت بسى
كه سهلست لعل بدخشان شكست ... شكسته نشايد دكرباره بست

﴿وكان الله غفوراً﴾ أي: فيما يعسر التحرز عنه **﴿رحيماً﴾** منعماً على عباده بالتوسعة في مظانّ الحرج ونحوه. واختلف في أنه هل كان عنده عليه السلام امرأة وهبت نفسها منه أولاً. فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما كانت عنده امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين وقال آخرون بل كان عنده موهوبة نفسها. واختلفوا فيها فقال قتادة: هي ميمونة بنت الحارث الهلالية خالة عبد الله بن عباس رضي الله عنه حين خطبها النبي عليه السلام فجاءها الخاطب وهي على بعيرها فقالت البعير: وما عليه لرسول الله وقال الشعبي: هي زينب بنت خزيمة الأنصارية.

يقول الفقير: ذهب الأكثر إلى تلقيبها بأم المساكين والملقبة به ليست زينب هذه في المشهور وإن كانت تدعى به في الجاهلية بل زينب بنت جحش التي كانت تعمل بيدها وتتصدق على الفقراء والمساكين فسميت به لسخاوتها ويدل عليه قوله عليه السلام خطاباً لأزواجه «أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً» أي: أول من يموت منكن بعد موتي من كانت أسخى وهي زينب بنت جحش بالاتفاق ماتت في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه كما سبق. وأما زينب بنت

خزيمة فإنها ماتت في حياته عليه السلام كما قال الكاشفي: [اكر واهبهٔ زينب بوده باشدكه اشهرست وواقع است در رمضان المبارك سال سوم ازهجرت وهشت ماه درحرم محترم آن حضرت بود ودر ربيع الآخر درسال چهارم وفات كرد]. وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي أم شريك كزبير بنت جابر من بني أسد واسمها غزية فالأكثرون على أنه لم يقبلها وقيل بل قبلها ثم طلقها قبل أن يدخل بها. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقع في قلب أم شريك الإسلام وهي بمكة فأسلمت ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً فتدعوهن للإسلام وترغبهن فيه حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك ما فعلنا ولكنا نسيرك إليهم قالت: فحملوني على بعير ليس تحتي شيء ثم تركوني ثلاثاً لا يطعمونني ولا يسقونني وكانوا إذا نزلوا منزلاً أوقفوني في الشمس واستظلوا فبينما هم قد نزلوا منزلاً وأوقفوني في الشمس إذا أنا بأبرد شيء على صدري فتناولته فإذا هو دلو من ماء فشربت منه قليلاً ثم نزع مني ورفع ثم عاد فتناولته فشربت منه ثم رفع ثم عاد مراراً ثم رفع مراراً فشربت منه حتى رويت ثم أفضت سائره على جسدي وثيابي فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء على ثيابي فقالوا: انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه فقلت: لا والله ولكنه كان من الأمر كذا وكذا فقالوا: إن كنت صادقة لدينك خير من ديننا فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموا عند ذلك وأقبلت إلى النبي عليه السلام فوهبت نفسها له بغير مهر فقبلها ودخل عليها. وفي ذلك أن من صدق في حسن الاعتماد على الله وقطع طمعه عما سواه جاءته الفتوحات من الغيب.

هركه باشد اعتمادش بر خدا — آمد از غيب خدايش صد غذا

وقال عروة بن الزبير: هي أي: الواهبة نفسها خولة بنت حكيم من بني سليم وكانت من المهاجرات الأول فأرجأها فتزوجها عثمان بن مظعون رضي الله عنه قالت عائشة رضي الله عنها: كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله فدل أنهن كن غير واحدة. وجملة من خطبه عليه السلام من النساء ثلاثون امرأة منهن من لم يعقد عليه وهذا القسم منه من دخل به ومنه من لم يدخل به ومنهن من عقد عليه وهذا القسم أيضاً منه من دخل به ومنه من لم يدخل به. وفي لفظ جملة من دخل عليه ثلاث وعشرون امرأة والذي دخل به منهن اثنتا عشرة. وقال أبو الليث في «البستان» جميع ما تزوج من النساء أربع عشرة نسوة: خديجة ثم سودة ثم عائشة ثم حفصة ثم أم سلمة ثم أم حبيبة ثم جويرية ثم صفية ثم زينب ثم ميمونة ثم زينب ثم بنت خزيمة ثم امرأة من بني هلال وهي التي وهبت نفسها للنبي عليه السلام ثم امرأة من كندة وهي التي استعاذت منه فطلقها ثم امرأة من بني كليب. قال في «إنسان العيون»: لا يخفى أن أزواجه عليه السلام المدخول بهن اثنتا عشرة امرأة: خديجة ثم سودة ثم عائشة ثم حفصة ثم زينب بنت خزيمة ثم أم سلمة ثم زينب بنت جحش ثم جويرية ثم ريحانة ثم أم حبيبة ثم صفية ثم ميمونة على هذا الترتيب في التزوج. ومن جملة التي لم يدخل بهن عليه السلام التي ماتت من الفرح لما علمت أنه عليه السلام تزوج بها غراء أخت دحية الكلبي. ومن جملتهن سودة القريشية التي خطبها عليه السلام فاعتذرت ببنيها وكانوا خمسة أو ستة فقال لها خيراً. ومن جملتهن التي تعوذت منه عليه السلام وهي أسماء بنت معاذ الكندية قلن لها: إن أردت أن تحظي عنده فتعوذي بالله منه فلما دخل عليها رسول الله قالت: أعوذ بالله منك ظننت

أن هذا القول كان من الأدب فقال عليه السلام: «عذت بمعاذ عظيم الحقي بأهلك» ومتعها ثلاثة أثواب. ومن جملتهن التي اختارت الدنيا حين نزلت آية التخيير وهي فاطمة بنت الضحك وكانت تقول: أنا الشقية اخترت الدنيا. ومن جملتهن قتيلة على صيغة التصغير زوجه إياها أخوها وهي بحضرموت ومات عليه السلام قبل قدومها عليه وأوصى بأن تخير فإن شاءت ضرب عليها الحجاب وكانت من أمهات المؤمنين وإن شاءت الفراق فتنكح من شاءت فاختارت الفراق فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بحضرموت. وفي الحديث: «ما تزوجت شيئاً من نسائي ولا زوجت شيئاً من بناتي إلا بوحي» جاءني جبريل عليه السلام من ربي عز وجل.

﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾

﴿**ترجي من تشاء منهن**﴾ قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وأبو جعفر ترجي بياء ساكنة والباقون ترجيء بهمزة مضمونة. والمعنى واحد إذ الياء بدل من الهمزة وذكر في «القاموس» في الهمزة أرجأ الأمر أخره وترك الهمزة لغة وفي الناقص الإرجاء التأخير وهو بالفارسية: [واپس افكندن]. قال في «كشف الأسرار»: الإرجاء تأخير المرأة من غير طلاق والمعنى تؤخر يا محمد من تشاء من أزواجك وتترك مضاجعتها من غير نظر إلى نوبة وقسم وعدل ﴿**وتؤوي إليك من تشاء**﴾ يقال أوى إلى كذا أي: انضم وآواه غيره إيواء أي: وتضمها إليك وتضاجعها من غير التفات إلى نوبة وقسمة أيضاً فالاختيار بيديك في الصحبة بمن شئت ولو أياماً زائدة على النوبة وكذا في تركها أو تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتتزوج من شئت كما في «بحر العلوم» ﴿**ومن ابتغيت**﴾ أي: وتؤوي إليك أيضاً من ابتغيتها وطلبتها ﴿**ممن عزلت**﴾ أي: طلقتها بالرجعة. والعزل الترك والتبعيد ﴿**فلا جناح**﴾ لا إثم ولا لوم ولا عتاب ولا ضيق. ﴿**عليك**﴾ في شيء مما ذكر من الأمور الثلاثة كما في «كشف الأسرار» [درين هرسه برتوتنكى نيست]. وقال في «الكواشي»: من مبتدأ بمعنى الذي أو شرط نصب بقوله ابتغيت وخبر المبتدأ وجواب الشرط على التقديرين فلا جناح عليك وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض وهو إما أن يطلق وإما أن يمسك وإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم وإذا طلق فإما أن لا يبتغي المعزولة أو يبتغيها. والجمهور على أن الآية نزلت في القسم بينهن فإن التسوية في القسم كانت واجبة عليه فلما نزلت سقط عنه وصار الاختيار إليه فيهن وكان ذلك من خصائصه عليه السلام.

ـ ويروى ـ أن أزواجه عليه السلام لما طلبن زيادة النفقة ولباس الزينة هجرهن شهراً حتى نزلت آية التخيير فأشفقن أن يطلقهن وقلن يا نبي الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت ودعنا على حالنا فأرجأ خمساً: أم حبيبة، وميمونة، وسودة، وصفية، وجويرية، فكان يقسم لهن ما شاء وآوى إليه أربع: عائشة، وحفصة، وزينب، وأم سلمة، فكان يقسم بينهن سواء. ويروى أنه عليه السلام لم يخرج أحداً منهن عن القسم بل كان يسوي بينهن مع ما أطلق له وخير فيه إلا سودة فإنها رضيت بترك حقها من القسم ووهبت ليلتها لعائشة وقالت: لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك ﴿**ذلك**﴾ أي: ما ذكر من تفويض الأمر إلى مشيئتك ﴿**أدنى أن تقر**

أعينهن﴾ [نزديكتراست بآنكه روشن شود چشمهاى ايشان] فأصله من القر بالضم وهو البرد وللسرور دمعة قارة أي: باردة وللحزن دمعة حارة أو من القرار أي: تسكن أعينهن ولا تطمح إلى ما عاملتهن به. قال في «القاموس»: قرت عينه تقر بالكسر والفتح قرة وتضم وقروراً بردت وانقطع بكاؤها أو رأيت ما كانت متشوفة إليه وقر بالمكان يقر بالكسر والفتح قراراً ثبت وسكن كاستقر ﴿ولا يحزن﴾ [واندو هناك نشوند] ﴿ويرضين بما آتيتهن كلهن﴾ [وخوشنود باشند بآنچه دهى ايشانرا يعنى چون همه دانستندكه آنچه توميكنى از ارجاء وايواء وتقريب وتبعيد بفرمان خداست ملول نميشوند] قوله كلهن بالرفع تأكيد لفاعل يرضين وهو النون أي: أقرب إلى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعاً لأنه حكم كلهن فيه سواء ثم إن سويت بينهن وجدن ذلك تفضيلاً منك وإن رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن ويذهب التنافس والتغاير فرضين بذلك فاخترنه على الشرط ولذا قصره الله عليهن وحرم عليه طلاقهن والتزوج بسواهن وجعلهن أمهات المؤمنين كما في «تفسير الجلالين» ﴿والله﴾ وحده ﴿يعلم ما في قلوبكم﴾ من الضمائر والخواطر فاجتهدوا في إحسانها ﴿وكان الله عليماً﴾ مبالغاً في العلم فيعلم ما تبدونه وما تخفونه ﴿حليماً﴾ لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتأخيرها فإنه إمهال لا إهمال.

نه كردن كشانرا بكيرد بفور ... نه عذر آورانرا براند بجور
وكر خشم كيرد بكردار زشت ... چو باز آمدى ما جرا در نوشت
مكن يك نفس كار بد اى بسر ... چه دانى چه آيد بآخر يسر

وفي «التأويلات النجمية»: لما انسلخت نفسه عليه السلام عن صفاتها بالكلية لم يبق له أن يقول يوم القيامة نفسي نفسي ومن هنا قال: «أسلم شيطاني على يدي» فلما اتصفت نفسه بصفات القلب وزال عنها الهوى حتى لا ينطق بالهوى اتصفت دنياه بصفات الآخرة فحل له في الدنيا ما يحل لغيره في الآخرة لأنه نزع من صدره في الدنيا غل ينزع من صدره غيره في الآخرة كما قال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣] وقال في حقه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح: ١] يعني نزع الغل منه فقال الله تعالى له في الدنيا ﴿ترجي من تشاء﴾ الخ أي: على من تتعلق به إرادتك ويقع عليه اختيارك فلا حرج عليك ولا جناح كما يقول لأهل الجنة ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١] ﴿وكان الله عليماً﴾ في الأزل بتأسيس بنيان وجودك على قاعدة محبوبيتك ومحبيتك ﴿حليماً﴾ فيما صدر منك فيحلم عنك ما لم يحلم عن غيرك انتهى. قيل إنما لم يقع ظله عليه السلام على الأرض لأنه نور محض وليس للنور ظل. وفيه إشارة إلى أنه أفنى الوجود الكونيّ الظليّ وهو متجسد في صورة البشر ليس له ظلمة المعصية وهو مغفور عن أصل. قال بعض الكبار: ليس في مقدور البشر مراقبة الله في السر والعلن مع الأنفاس فإن ذلك من خصائص الملأ الأعلى. وأما رسول الله عليه السلام فكان له هذه المرتبة فلم يوجد إلا في واجب أو مندوب أو مباح فهو ذاكر الله على أحيانه. وما نقل من سهوه عليه السلام في بعض الأمور فهو ليس كسهو سائر الخلق الناشىء عن رعونة الطبع وغفلته حاشاه عن ذلك بل سهوه تشريع لأمته ليقتدوا به فيه كالسهو في عدد الركعات حيث إنه عليه السلام «صلى الظهر ركعتين ثم سلم فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: صليت ركعتين فقام وأضاف إليهما ركعتين» وبعض سهوه عليه السلام ناشىء عن الاستغراق

والانجذاب ولذلك كان يقول: «كلميني يا حميراء». والحاصل أن حاله عليه السلام ليس كأحوال أفراد أمته ولذا عامل الله تعالى به ما لم يعامل بغيره إذ هو يعلم ما في القلوب والصدور ويحيط بأطراف الأمور نسأل منه التوفيق لرضاه والوسيلة لعطاه وهو المفيض على كل نبي وولي والمرشد في كل أمر خفي وجلي.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾.

﴿لا يحل لك النساء﴾ بالياء لأن تأنيث الجمع غير حقيقي ولوجود الفصل وإذا جاز التذكير بغيره في قوله وقال نسوة، كان معه أجوز. والنساء والنسوان والنسوة بالكسر جموع المرأة من غير لفظها أي: لا تحل واحدة من النساء مسلمة أو كتابية لما تقرر أن حرف التعريف إذا دخل على الجمع يبطل الجمعية ويراد الجنس وهو كالنكرة يخص في الإثبات ويعم في النفي كما إذا حلف لا يتزوج النساء ولا يكلم الناس أو لا يشتري العبيد فإنه يحنث بالواحد لأن اسم الجنس حقيقة فيه **﴿من بعد﴾** أي: من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن بين الدنيا والآخرة فاخترنك لأنه نصابك من الأزواج كما أن الأربع نصاب أمتك منهن أو من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح أخرى. وإنما حرّم على أمته الزيادة على الأربع بخلافه فإنه عليه السلام في بذرقة النبوة وعصمة الرسالة قد يقدر على أشياء لا يقدر عليها غيره وقد افترض الله عليه أشياء لم يفترضها على أمته لهذا المعنى وهي قيام الليل وإنه إذا عمل نافلة يجب المواظبة عليها وغير ذلك. وسرّ الاقتصار على الأربع أن المراتب أربع: مرتبة المعنى، ومرتبة الروح، ومرتبة المثال، ومرتبة الحس ولما كان الوجود الحاصل للإنسان إنما حصل له بالاجتماع الحاصل من مجموع الأسماء الغيبية والحقائق العلمية والأرواح النورية والصور المثالية والصور العلوية والسفلية والتوليدية شرع له نكاح الأربع وتمامه في كتب التصوف **﴿ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾** تبدل بحذف أحد التاءين والأصل تتبدل وبدل الشيء الخلف منه وتبدله به وأبدله منه وبدله اتخذه بدلاً كما في «القاموس». قال الراغب: التبدل والإبدال والتبديل والاستبدال جعل الشيء مكان آخر وهو أعم من العوض فإن العوض هو أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول والتبديل يقال للتغيير وإن لم تأت ببدله انتهى. وقوله: **﴿من أزواج﴾** مفعول تبدل ومن مزيدة لتأكيد النفي تفيد استغراق جنس الأزواج بالتحريم. والمعنى لا يحل لك أن تتبدل بهؤلاء التسع أزواجاً أخر بكلهن أو بعضهن بأن تطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى، وبالفارسية: [وحلال نيست ترا آنكه بدل كنى بديشان اززنان ديكر يعني يكى را ازايشان طلاق دهى وبجاى او ديكرى رانكاح كنى] أراد الله لهنّ كرامة وجزاء على ما اخترن رسول الله والدار الآخرة لا الدنيا وزينتها ورضين بمراده فقصر رسوله عليهن ونهاه عن تطليقهن والاستبدال بهن **﴿ولو أعجبك حسنهن﴾** الواو عاطفة لمدخولها على حال محذوفة قبلها ولو في أمثال هذا الموقع لا يلاحظ لها جواب، والإعجاب [شكفتى نمودن وخوش آمدن].

قال الراغب: العجب والتعجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء وقد يستعار للروق فيقال: أعجبني كذا أي: راقني والحسن كون الشيء ملائماً للطبع وأكثر ما يقال الحسن بفتحتين في تعارف العامة في المستحسن بالبصر. والمعنى ولا يحل لك أن تستبدل

بهن حال كونك لو لم يعجبك حسن الأزواج المستبدلة وجمالهن ولو أعجبك حسنهن أي: حال عدم إعجاب حسنهن إياك وحال إعجابه أي: على كل حال ولو في هذه الحالة فإن المراد استقصاء الأحوال، وبالفارسية: [بشكفت آردترا خوبى ايشان]. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هي أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب لما استشهد أراد رسول الله أن يخطبها فنهاه الله عن ذلك فتركها فتزوجها أبو بكر بإذن رسول الله فهي ممن أعجبه حسنهن. وفي «التكملة» قيل: يريد حبابة أخت الأشعث بن قيس انتهى وفي الحديث «شارطت ربي أن لا أتزوج إلا من تكون معي في الجنة» فأسماء أو حبابة لم تكن أهلاً لرسول الله في الدنيا ولم تستأهل أن تكون معه في مقامه في الجنة فلذا صرفها الله عنه فإنه تعالى لا ينظر إلى الصورة بل إلى المعنى.

چون ترا دل اسير معنى بود ... عشق معنى ز صورت اولى بود
حسن معنى نمى شود سپرى ... عشق آن باشد از زوال برى
اهل عالم همه درين كارند ... بحجاب صور كرفتارند

وفي الحديث: «من نكح امرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها» ﴿إلا ما ملكت يمينك﴾ استثناء من النساء لأنه يتناول الأزواج والإماء، يعني: [حلال نيست بر تو زنان پس ازين نه تن كه دارى مكر آنچه مالك آن شود دست تو يعني بتصرف تودرآيد وملك توكردد] فإنه حل له أن يتسرى بهن. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ملك من هؤلاء التسع مارية القبطية أم سيدنا ابراهيم رضي الله تعالى عنه. وقال مجاهد: معنى الآية لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات من بعد المسلمات ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى يقول لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية إلا ما ملكت يمينك أحل الله له ما ملكت يمينه من الكتابيات أن يتسرى بهن ﴿**وكان الله على كل شيء رقيباً**﴾ يقال رقبته حفظته والرقيب الحافظ وذلك إما لمراعاة رقبة المحفوظ وإما لرفعه رقبته. والرقيب هو الذي لا يغفل ولا يذهل ولا يجوز عليه ذلك فلا يحتاج إلى مذكر ولا منبه كما في «شرح الأسماء» للزورقي أي: حافظاً مهيمناً فتحفظوا ما أمركم به ولا تتخطوا ما حد لكم.

وفي الآية الكريمة أمور:

منها: أن الجمهور على أنها محكمة وأن رسول الله عليه السلام مات على التحريم.

ومنها: أن الله لما وسع عليه الأمر في باب النكاح حظيت نفسه بشرب من مشاربها موجب لانحراف مزاجها كمن أكل طعاماً حلواً حاراً صفراوياً فيحتاج إلى غذاء حامض بارد دافع للصفراء حفظاً للصحة فالله تعالى من كمال عنايته في حق حبيبه غذاه بحامض ﴿**لا يحل لك النساء**﴾ الآية لاعتدال المزاج القلبي والنفسي فهو من باب تربية نفس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم.

ومنها: أنه تعالى لما ضيق الأمر على الأزواج المطهرة في باب الصبر بما أحل للنبي عليه السلام ووسع أمر النكاح عليه وخيره في الأرجاء والإيواء إليه كان أحمض شيء في مذاقهن وأبرد شيء لمزاج قلوبهن فغذاهن بحلاوة ﴿**لا يحل لك النساء**﴾ وسكن بها برودة مزاجهن حفظاً لسلامة قلوبهن وجبراً لانكسارها فهو من باب تربية نفوسهن.

ومنها: أن فيها ما يتعلق بمواعظ نفوس رجال الأمة ونسائها ليتعظوا بأحوال النبي عليه السلام وأحوال نسائه ويعتبروا بها ﴿وكان الله على كل شيء﴾ من أحوال النبي عليه السلام وأحوال أزواجه وأحوال أمته ﴿رقيباً﴾ يراقب مصالحهم.

ومنها: أن المراد بهؤلاء التسع عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة وصفية وميمونة وزينب وجويرية. أما عائشة رضي الله عنها فهي بنت أبي بكر رضي الله عنه تزوجها عليه السلام بمكة في شوال وهي بنت سبع وبنى بها في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة وهي بنت تسع وقبض عليه السلام عنها وهي بنت ثماني عشرة ورأسه في حجرها ودفن في بيتها وماتت وقد فارقت سبعاً وستين سنة في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وصلى عليها أبو هريرة بالبقيع ودفنت به ليلاً وذلك في زمن ولاية مروان بن الحكم على المدينة من خلافة معاوية وكان مروان استخلف على المدينة أبا هريرة رضي الله عنه لما ذهب إلى العمرة في تلك السنة.

وأما حفصة رضي الله عنها فهي بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأمها زينب أخت عثمان بن مظعون أخوه عليه السلام من الرضاعة تزوجها عليه السلام في شعبان على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة قبل أحد بشهرين وكانت ولادتها قبل النبوة بخمس سنين وقريش تبني البيت وبلغت ثلاثاً وستين وماتت بالمدينة في شعبان سنة خمس وأربعين وصلى عليها مروان بن الحكم وهو أمير المدينة يومئذٍ وحمل سريرها وحمله أيضاً أبو هريرة رضي الله عنه.

وأما أم حبيبة رضي الله عنها واسمها رملة فهي بنت أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية وتنصر عبيد الله هناك وثبتت هي على الإسلام وبعث رسول عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة فزوجه عليه السلام إياها وأصدقها النجاشي عن رسول الله أربعمائة دينار وجهزها من عنده وأرسلها في سنة سبع.

وأما سودة رضي الله عنها فهي بنت زمعة العامرية وأمها من بني النجار لأنها بنت أخي سلمى بن عبد المطلب.

وأما أم سلمة واسمها هند فهي بنت أبي أمية المخزومية تزوجها عليه السلام ومعها أربع بنات ماتت في ولاية يزيد بن معاوية وكان عمرها أربعاً وثمانين سنة ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه.

وأما صفية رضي الله عنها فهي بنت حيي سيد بني النضير من أولاد هارون عليه السلام قتل حيي مع بني قريظة واصطفاها عليه السلام لنفسه فأعتقها فتزوجها وجعل عتقها صداقها وكانت رأت في المنام أن القمر وقع في حجرها فتزوجها عليه السلام وكان عمرها لم يبلغ سبع عشرة ماتت في رمضان سنة خمس وخمسين ودفنت بالبقيع.

وأما ميمونة رضي الله عنها فهي بنت الحارث الهلالية تزوجها عليه السلام وهو محرم في عمرة القضاء سنة سبع وبعد الإحلال بنى بها بسرف ماتت سنة إحدى وخمسين وبلغت ثمانين سنة ودفنت بسرف الذي هو محل الدخول بها وهو ككتف موضع قرب التنعيم.

وأما زينب رضي الله عنها فهي بنت جحش بن رباب الأسدية وقد سبقت قصتها في هذه السورة.

وأما جويرية فهي بنت الحارث الخزاعية سبيت في غزوة المصطلق وكانت بنت عشرين سنة ووقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها على تسع آواق فأدى عليه السلام عنها ذلك وتزوجها وقيل إنها كانت بملك اليمين فأعتقها عليه السلام وتزوجها توفيت بالمدينة سنة ست وخمسين وقد بلغت سبعين سنة وصلى عليها مروان بن الحكم وهو والي المدينة يومئذٍ.
وهؤلاء التسع مات عنهن ﷺ وقد نظمهن بعضهم فقال:

توفي رسول الله عن تسع نسوة إليهن تعزي المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة ثلاث وست ذكرهن ليعذب

ومنها: أن الآية دلت على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء وعن أبي هريرة أن رجلاً أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار فقال له النبي عليه السلام: «أنظر إليها فإن في أعين نساء الأنصار شيئاً» قال الحميدي: يعني الصغر وذلك أن النظر إلى المخطوبة قبل النكاح داع للإلفة والإنس وأمر النبي عليه السلام أم سلمة خالته من الرضاعة حين خطب امرأة أن تشَم هي عوارضها أي: أطراف عارضي تلك المرأة لتعرف أن رائحتها طيبة أو كريهة وعارضاً الإنسان صفحتا خدّيه. وبالأعذار يجوز النظر إلى جميع الأعضاء حتى العورة الغليظة وهي تسعة:
الأول: تحمل الشهادة كما في الزنى يعني أن الرجل إذا زنى بامرأة يجوز النظر إلى فرجهما ليشهد بأنه رآه كالميل في المكحلة.
والثاني: أداء الشهادة فإن أداء الشهادة بدون رؤية الوجه لا يصح.
والثالث: حكم القاضي.
والرابع: الولادة للقابلة.
والخامس: البكارة في العنة والرد بالعيب.
والسادس، والسابع: الختان والخفض فالختان للولد سنة مؤكدة والخفض للنساء وهو مستحب وذلك أن فوق ثقبة البول شيئاً هو موضع ختانها فإن هناك جلدة رقيقة قائمة مثل عرف الديك وقطع هذه الجلدة هو ختانها وفي الحديث: «الختان سنة للرجال مكرمة للنساء ويزيد لذتها ويجف رطوبتها».
والثامن: إرادة الشراء.
والتاسع: إرادة النكاح ففي هذه الأعذار يجوز النظر وإن كان بالشهوة لكن ينبغي أن لا يقصدها فإن خطب الرجل امرأة أبيح له النظر إليها بالاتفاق فعند أحمد ينظر إلى ما يظهر غالباً كوجه ورقبة ويد وقدم وعند الثلاثة لا ينظر غير الوجه والكفين كما في «فتح الرحمٰن».
ومنها أن من علم أنه تعالى هو الرقيب على كل شيء راقبه في كل شيء ولم يلتفت إلى غيره. قال الكاشفي: [وكسى كه ازسر رقيبى حق آكاه كردد اورا ازمراقبه چاره نيست]:

چو دانستي كه حق دانا وبيناست نهان واشكار خويش كن راست

والتقرب بهذا الاسم تعلقاً من جهة مراقبته تعالى والاكتفاء بعلمه بأن يعلم أن الله رقيبه وشاهده في كل حال ويعلم أن نفسه عدو له وأن الشيطان عدو له وأنهما ينتهزان الفرص حتى يحملانه على الغفلة والمخالفة فيأخذ منها حذره بأن يلاحظ مكانها وتلبيسها ومواضع انبعاثها حتى يسد عليها المنافذ والمجاري ومن جهة التخلق أن يكون رقيباً على نفسه كما ذكر وعلى

من أمره الله بمراقبته من أهل وغيره. وخاصية هذا الاسم جمع الضوال والحفظ في الأهل والمال فصاحب الضالة يكثر من قراءته فتنجمع عليه ويقرأه من خاف على الجنين في بطن أمه سبع مرات وكذلك لو أراد سفراً يضع يده على رقبة من يخاف عليه المنكر من أهل وولد يقوله سبعاً فإنه يأمن عليه إن شاء الله ذكره أبو العباس الفاسي في «شرح الأسماء الحسنى» نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظنا في الليل والنهار والسر والجهار ويجعلنا من أهل المراقبة إلى أن تخلو منا هذه الدار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾

﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ [آورده اندكه چون حضرت پيغمبر عليه السلام زينب را رضي الله عنها بحكم رباني قبول فرموده وليمه ترتيب نمود ومردم را طلبيده دعوتي مستوفى داد وچون طعام خورده شد بسخن مشغول كشتند وزينب دركوشهٔ خانه روى بديوار نشسته بود حضرت عليه السلام ميخواست كه مردمان بروند آخر خود از مجلس برخاست وبرفت صحابه نيز برفتند وسه كس مانده همچنان سخن ميكفتند حضرت بدرخانه آمد وشرم ميداشت كه ايشانرا عذر خواهد وبعد ازانتظار بسياركه خلوت شدآيت حجاب نازل شد].

ـ وروي ـ أن ناساً من المؤمنين كانوا ينتظرون وقت طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون إلى حين إدراكه ثم يأكلون ولا يخرجون وكان رسول الله يتأذى من ذلك فقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي**﴾ حجراته في حال من الأحوال ﴿**إلا أن يؤذن لكم**﴾ إلا حال كونكم مأذوناً لكم ومدعواً ﴿**إلى طعام**﴾ [پس آن هنكام در آييد] وهو متعلق بيؤذن لأنه متضمن معنى يدعى للإشعار بأنه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وإن أذن به كما أشعر به قوله: ﴿**غير ناظرين إناه**﴾ حال من فاعل لا تدخلوا على أن الاستثناء وقع على الظرف والحال كأنه قيل: لا تدخلوا بيوت النبي إلا حال الإذن ولا تدخلوها إلا غير ناظرين إناه أي: غير منتظرين وقت الطعام أو إدراكه وهو بالقصر والكسر مصدر أنى الطعام إذا أدرك. قال في «المفردات»: الأنا إذا كسر أوله قصر وإذا فتح مد وأنى الشيء يأنى قرب أناه ومثله آن يئين أي: حان يحين. وفيه إشارة إلى حفظ الأدب في الاستئذان ومراعاة الوقت وإيجاب الاحترام ﴿**ولكن إذا دعيتم فادخلوا**﴾ استدراك من النهي عن الدخول بغير إذن وفيه دلالة بينة على أن المراد بالإذن إلى الطعام هو الدعوة إليه أي: إذا أذن لكم في الدخول ودعيتم إلى الطعام فادخلوا بيوته على وجوب الأدب وحفظ أحكام تلك الحضرة ﴿**فإذا طعمتم**﴾ الطعام وتناولتم فإن الطعم تناول الغذاء، وبالفارسية [پس چون طعام خورديد] ﴿**فانتشروا**﴾ فتفرقوا ولا تمكثوا، وبالفارسية: [پس پرا كنده شويد از خانهاى او] هذه الآية مخصوصة بالداخلين لأجل الطعام بلا إذن وأمثالهم وإلا لما جاز لأحد أن يدخل بيوته بالإذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لأمر مهم ﴿**ولا مستأنسين**﴾ [الاستئناس: أنس كرفتن] وهو ضد الوحشة والنفور ﴿**لحديث**﴾

الحديث يستعمل في قليل الكلام وكثيره لأنه يحدث شيئاً فشيئاً وهو عطف على ناظرين أو مقدر بفعل أي: ولا تدخلوا طالبين الأنس لحديث بعضهم أو لحديث أهل البيت بالتسمع، وبالفارسية: [ومنشينيد آرام كرفتكان براى سخن بيكديكر].

وفي «التأويلات النجمية»: إذا انتهت حوائجكم فأخرجوا ولا تتغافلوا ولا يمنعكم حسن خلقه من حسن الأدب ولا يحملنكم فرط احتشامه على الإبرام عليه وكأن حسن خلقه جسرهم على المباسطة معه حتى أنزل الله هذه الآية. ﴿إن ذلكم﴾ أي: الاستئناس بعد الأكل الدال على اللبث ﴿كان يؤذي النبي﴾ [مى رنجاند وآزرده كند پيغمبررا] لتضييق المنزل عليه وعلى أهله وإشغاله فيما لا يعنيه. والأذى ما يصل إلى الإنسان من ضرر إما في نفسه أو في جسمه أو فتياته دنيوياً كان أو أخروياً ﴿فيستحيي منكم﴾ محمول على حذف المضاف أي: من إخراجكم بدليل قوله: ﴿والله لا يستحيي من الحق﴾ فإنه يستدعي أن يكون المستحيي منه أمراً حقاً متعلقاً بهم لأنفسهم وما ذلك إلا إخراجهم. يعني أن إخراجكم حق فينبغي أن لا يترك حياء ولذلك لم يتركه الله ترك الحي وأمركم بالخروج والتعبير عن عدم الترك بعدم الاستحياء للمشاكلة وكان عليه السلام أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء وهو التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته. والحياء رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته أو ما يكون تركه خيراً من فعله. قال الراغب: الحياء انقباض النفس عن القبائح وتركه لذلك.

ـ روي ـ أن الله تعالى يستحيي من ذي الشيبة المسلم أن يعذبه فليس يراد به انقباض النفس إذ هو تعالى منزه عن الوصف بذلك وإنما المراد به ترك تعذيبه وعلى هذا ما روي أن الله تعالى حيي أي: تارك للمقابح فاعل للمحاسن. ثم في الآية تأديب للثقلاء. قال الأحنف: نزل قوله تعالى: ﴿فإذا طعمتم فانتشروا﴾ في حق الثقلاء فينبغي للضيف أن لا يجعل نفسه ثقيلاً بل يخفف الجلوس وكذا حال العائد فإن عيادة المرضى لحظة قيل للأعمش ما الذي أعمش عينيك قال: النظر إلى الثقلاء قيل:

إذا دخل الثقيل بأرض قوم   فما للساكنين سوى الرحيل

وقيل: مجالسة الثقيل حمى الروح. وقيل لأنوشروان: ما بال الرجل يحمل الحمل الثقيل ولا يحمل مجالسة الثقيل قال: يحمل الحمل بجميع الأعضاء والثقيل تنفرد به الروح. قيل: من حق العاقل الداخل على الكرام قلة الكلام وسرعة القيام. ومن علامة الأحمق الجلوس فوق القدر والمجيء في غير الوقت. وقد قالوا: إذا أتى باب أخيه المسلم يستأذن ثلاثاً ويقول في كل مرة السلام عليكم يا أهل البيت ثم يقول: أيدخل فلان ويمكث بعد كل مرة مقدار ما يفرغ الآكل من أكله ومقدار ما يفرغ المتوضىء من وضوئه والمصلي بأربع ركعات من صلاته فإن أذن دخل وخفف وإلا رجع سالماً عن الحقد والعداوة. ولا يجب الاستئذان على من أرسل إليه صاحب البيت رسولاً فأتى بدعوته. قال في «كشف الأسرار» [أدب نهايت قال است وبدايت حال حق جل جلاله أول مصطفى را عليه السلام بأدب بيارست پس بخلق فرستاد، كما قال: «أدبني ربي فأحسن تأديبي». عام را هرعضوى از اعضاى ظاهر أدبي بايد والا هالكند. وخاص را هر عضوى از اعضاى باطن أدبي بايد والا هالكند. وخاص الخاص درهمه اوقات ادب بايد قال المولى الجامي]:

أدبوا النفس أيها الأحباب   طرق العشق كلها آداب

مايه دولت ابد ادبست بايه رفعت خرد ادبست
چيست آن داد بندكى دادن بر حدود خداى ايستادن
قول وفعل از شنيدن وديدن بموازين شرح سنجيدن
باحق وخلق وشيخ ويار ورفيق ره سپردن بمقتضاى طريق
حركات جوارح واعضا راست كردن بحكم دين هدا
خطرات وخواطر واوهام پاك كردن ز شوب نفس تمام
دين وإسلام در ادب طلبيست كفر وطغيان زشوم بى ادبيست

ومن الله التوفيق للآداب الحسنة والأفعال المستحسنة ﴿وإذا سألتموهن متاعاً﴾ الماعون وغيره ﴿فاسألوهن﴾ أي: المتاع ﴿من وراء حجاب﴾ من خلف ستر، وبالفارسية: [ازپس پرده] ويقال خارج الباب ﴿ذلكم﴾ أي: سؤال المتاع من وراء الحجاب ﴿أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ أي: أكثر تطهيراً من الخواطر النفسانية والخيالات الشيطانية فإن كل واحد من الرجل والمرأة إذا لم ير الآخر لم يقع في قلبه شيء. قال في «كشف الأسرار»: نقلهم عن مألوف العادة إلى معروف الشريعة ومفروض العبادة وبين أن البشر بشر وإن كانوا من الصحابة وأزواج النبي عليه السلام فلا يأمن أحد على نفسه من الرجال والنساء ولهذا شدد الأمر في الشريعة بأن لا يخلو رجل بامرأة ليس بينهما محرمية كما قال عليه السلام: «لا يخلوّن رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان». وكان عمر رضي الله عنه يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيراً ويود أن ينزل فيه وكان يقول: لو أطاع فيكن ما رأتكن عين وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت.

ـ وروي ـ أنه مرَّ عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال: احتجبن فإن لَكُنَّ على النساء فضلاً كما أن لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب: إنك يا ابن الخطاب لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا، يعني: [اكر مراد الله بود خود فرمايد وحاجت بغيرت تو نباشد تادرين حديث بودند بروفق قول عمر رضي الله عنه آيت حجاب فرود آمد ﴿وإذا سألتموهن﴾] الخ.

وعن عائشة رضي الله عنها أن أزواج النبي عليه السلام كن يخرجن الليل لحاجتهن وكان عمر يقول للنبي: احجب نساءك فلم يكن يفعل فخرجت سودة بنت زمعة ليلة من الليالي عشياً وكانت امرأة طويلة فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سودة حرصاً على أن تنزل آية الحجاب فأنزلها الله تعالى وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال [وبعد از نزولش حكم شد تاهمه زنان پرده فرو كذا شتند] ولم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء رسول الله متنقبة كانت أو غير متنقبة، يعني: [بعد از نزول آيت حجاب هيچ كس را روا نبود كه درزنى از زنان رسول نكر ستندا كر در نقاب بودى يابى نقاب] واستدل بعض العلماء بأخذ الناس عن أزواج النبي عليه السلام من وراء الحجاب على جواز شهادة الأعمى إذا تيقن الصوت وهو مذهب مالك وأحمد ولم يجزها أبو حنيفة سواء كانت فيما يسمع أو لا خلافاً لأبي يوسف فيما إذا تحملها بصيراً فإن العلم حصل له بالنظر وقت التحمل وهو العيان فأداؤه صحيح إذ لا خلل في لسانه وتعريف المشهود عليه يحصل بذكر نسبه ولأبي حنيفة أنه يحتاج في أدائها إلى التمييز بين الخصمين وهو لا يفرق بينهما إلا بالنغمة وهي لا تعتبر لأنها تشبه نغمة أخرى ويخاف عليه التلقين من الخصم والمعرفة بذكر النسب لا تكفي لأنه ربما يشاركه غيره في الاسم والنسب

وهذا الخلاف في الدَّين والعقار لا في المنقول لأن شهادته لا تقبل فيه اتفاقاً لأنه يحتاج إلى الإشارة والدين يعرف ببيان الجنس والوصف والعقار بالتحديد وكذا قال الشافعي: تجوز شهادة الأعمى فيما رآه قبل ذهاب بصره أو يقر في إذنه فيتعلق به حتى يشهد عند قاض به ﴿وما كان لكم﴾ أي: وما صح وما استقام لكم ﴿أن تؤذوا رسول الله﴾ أي: أن تفعلوا في حياته فعلاً يكرهه ويتأذى به ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه﴾ [زنان اوراكه مدخول بها باشد] ﴿من بعده﴾ أي: من بعد وفاته أو فراقه ﴿أبداً﴾ فإن فيه تركاً لمراعاة حرمته فإنه أب وأزواجه أمهات ويقال لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة كما قال عليه السلام: «شارطت ربي أن لا أتزوج إلا من تكون معي في الجنة» ولو تزوجن لم يكنّ معه في الجنة لأن المرأة لآخر أزواجها لما روي أن أم الدرداء رضي الله عنها قالت لأبي الدرداء رضي الله عنه عند موته: إنك خطبتني من أبويّ في الدنيا فأنكحاك فإني أخطبك إلى نفسي في الآخرة فقال لها: لا تنكحي بعدي فخطبها معاوية بن أبي سفيان فأخبرته بالذي كان وأبت أن تتزوجه.

ـ وروي ـ عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال لامرأته: إن أردت أن تكوني زوجي في الجنة فلا تتزوجي بعدي فإن المرأة لآخر أزواجها.

ـ وروي ـ في خبر آخر بخلاف هذا وهو أن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله إن المرأة منا إذا كان لها زوجان لأيهما تكون في الآخرة؟ فقال: «إنها تخير فتختار أحسنهما خلقاً منها» ثم «قال يا أم حبيبة إن حسن الخلق ذهب بالدنيا والآخرة» والحاصل: أنه يجب على الأمة أن يعظموه عليه السلام ويوقروه في جميع الأحوال في حال حياته وبعد وفاته فإنه بقدر ازدياد تعظيمه وتوقيره في القلوب يزداد نور الإيمان فيها وللمريدين مع الشيوخ في رعاية أمثال هذا الأدب إسوة حسنة لأن الشيخ في قومه كالنبي في أمته كما سبق بيانه عند قوله: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. وفي الآية إشارة إلى أن قوى النفس المحمدية من جهة الراضية والمرضية والمطمئنة بطبقاتها بكلياتها متفردة بالكمالات الخاصة للحضرة الأحمدية دنيا وآخرة فافهم سر الاختصاص والتشريف. ثم إن اللاتي طلقهن النبي عليه السلام اختلف فيهن ومن قال بحلهن فلأنه عليه السلام قطع العصمة حيث قال: «أزواجي في الدنيا هن أزواجي في الآخرة» فلم يدخلن تحت الآية والصحيح أن من دخل بها النبي عليه السلام ثبتت حرمتها قطعاً فخص من الآية التي لم يدخل بها لما روى أن الأشعث بن قيس تزوج المستعيذة في أيام خلافة عمر رضي الله عنه فهمّ برجمهما فأخبر بأنه عليه السلام فارقها قبل أن يمسسها فترك من غير نكير. وسبب نزول الآية أن طلحة بن عبيد الله التيمي قال: لئن مات محمد لأتزوجن عائشة وفي لفظ تزوج محمد بنات عمنا ويحجبهن عنا يعني يمنعنا من الدخول على بنات عمنا لأنه وعائشة كانا من بني تيم بن مرة فقال: لئن مات لأتزوجن عائشة من بعده فنزل فيه قوله تعالى: ﴿وما كان لكم﴾ الآية. قال الحافظ السيوطي وقد كنت في وقفة شديدة من صحة هذا الخبر لأن طلحة أحد العشرة المبشرين بالجنة أجل مقاماً من أن يصدر منه ذلك حتى رأيت أنه رجل آخر شاركه في اسمه واسم أبيه ونسبته كما في «إنسان العيون» ﴿إن ذلكم﴾ يعني إيذاءه ونكاح أزواجه من بعده ﴿كان عند الله عظيماً﴾ أي: ذنباً عظيماً وأمراً هائلاً [زيرا كه حرمت آن حضرت لازمست درحيات او وبعد از وفات او بلكه حيات وممات او درادای حقوق تعظيم يكسانست چه خلعت خلافت ولباس شفاعت كبرى پس از وفات بر بالاى اعتدال او دوخته اند]:

قباى سلطنت هر دو كون تشريفست كه جز بقامت زيباى او نيامد راست

ثم بالغ في الوعيد فقال:

﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾.

﴿**إن تبدوا**﴾ على ألسنتكم [يعني آشكارا كنيد] ﴿**شيئاً**﴾ مما لا خير فيه كنكاحهن.

وفي «التأويلات النجمية»: من ترك الأدب وحفظ الحرمة وتعظيم شأنه ﷺ ﴿**أو تخفوه**﴾ في صدوركم، يعني: [بز بان نياريد زيرا كه نكاح عائشة رضي الله عنها در دل بعض كذشته بود وبز بان نياورده] كذا قال الكاشفي: ﴿**فإن الله كان بكل شيء عليماً**﴾ بليغ العلم بظاهر كل شيء وباطنه فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصي البادية والخافية لا محالة وعمم ذلك ليدخل فيه نكاحهن وغيره. قال في «كشف الأسرار»: [چون ميدانى كه حق تعالى بر اعمال واحوال تو مطلع است ونهان وآشكاراى توميداند ومى بيند پيوسته بردركاه او باش افعال خودرا مهذب داشته باتباع علم وغذاى حلال ودوام ورد وأقوال خودرا رياضت داده بقراءت قرآن ومداومت عذر ونصيحت خلق واخلاق خود پاك داشته از هرچه غبار راه دين است وسد منهج طريقت چون بخل وريا وطمع است وآرايش سخا وتوكل وقناعت وكلمهٔ «لا إله إلا الله» برهر دو حالت مشتمل است «لا إله» نفى آلايش است و«إلا الله» اثبات وآرايش چون بنده كويد «لا إله» هرچه آلايش است وحجاب راه ازبيخ بكند آنكه جمال «إلا الله» روى نمايد وبنده را بصفات آرايش بيارايد واورا آراسته وپيراسته فرا مصطفى بردتا ويرا بامتى قبول كند واكراثر «لا إله» بروى ظاهر نبود وجمال خلعت «إلا الله» بروى نبينند اورا بامتى فرا نپذيرد وكويد سحق سحقا]، قال المولى الجامي:

«لا» نهنكيست كائنات آشام عرش تا فرش او كشيده بكام
هر كجا كرده آن نهنك آهنك ازمن وما نه بوى مانده نه رنك
كرچه «لا» داشت تيركئ عدم دارد «الا» فروغ نور قدم
چون كند «لا» بساط كثرت طى دهد «إلا» زجام وحدت مى
تا نسازى حجاب كثرت دور ندهد آفتاب وحدت نور
كرزمانى زخود خلاص شوى مهبط فيض نور خاص شوى
جذب آن فيض يابد استيلا هم ز «لا» وار هى هم از «الا»
هركه حق داد نور معرفتش كائن بائن بود صفتش
جان بحق تن بغير حق كائن تن زحق جان زغير حق بائن

﴿**لا جناح عليهن في آبائهن**﴾ استئناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم.

- روي - أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أونكلمهن أيضاً أي: كالأباعد من وراء حجاب فنزلت ورخص الدخول على نساء ذوات محارم بغير حجاب، يعني: [هيچ كناهى نيست برزنان درنمودن روى بپدران خويش] ﴿**ولا أبنائهن**﴾ [ونه بپسران خويش] ﴿**ولا إخوانهن**﴾ [ونه ببرادران ايشان] ﴿**ولا أبناء أخواتهن**﴾ [ونه بپسران

برادران ايشان] ﴿ولا أبناء إخوانهن﴾ [ونه بپسران خواهران ايشان] فهؤلاء ينظرون عند أبي حنيفة إلى الوجه والرأس والساقين والعضدين ولا ينظرون إلى ظهرها وبطنها وفخذها وأبيح النظر لهؤلاء لكثرة مداخلتهن عليهن واحتياجهن إلى مداخلتهن وإنما لم يذكر العم والخال لأنهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم أباً في قوله: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة: ١٣٣] أو لأنه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة أن يصفاهن لأبنائهما وأبناؤهما غير محارم لجواز النكاح بينهم وكره وضع الخمار عندهما وقد نهى عن وصف المرأة لزوجها بشرة امرأة أخرى ومحاسنها بحيث يكون كأنه ينظر إليها فإنه يتعلق قلبه بها فيقع بذلك فتنة ﴿ولا نسائهن﴾ يعني المؤمنات فتنظر المسلمة إلى المسلمة سوى ما بين السرة والركبة وأبو حنيفة يوجب ستر الركبة فالمراد بالنساء نساء أهل دينهن من الحرائر فلا يجوز للكتابيات الدخول عليهن والتكشف عندهن أو المراد المسلمات والكتابيات وإنما قال ولا نسائهن لأنهن من أجناسهن فيحل دخول الكتابيات عليهن وقد كانت النساء الكوافر من اليهوديات وغيرهن يدخلن على نساء النبي عليه السلام فلم يكن يحتجبن ولا أمرن بالحجاب وهو قول أبي حنيفة وأحمد ومالك ﴿ولا ما ملكت أيمانهن﴾ من العبيد والإماء فيكون عبد المرأة محرماً لها فيجوز له الدخول عليها إذا كان عفيفاً وأن ينظر إليها كالمحارم وقد أباحت عائشة النظر لعبدها وقالت لذكوان: إنك إذا وضعتني في القبر وخرجت فأنت حر وقيل من الإماء خاصة فيكون العبد حكمه حكم الأجنبي معها.

قال في «بحر العلوم» وهو أقرب إلى التقوى لأن عبد المرأة كالأجنبي خصياً كان أو فحلاً وأين مثل عائشة وأين مثل عبدها في العبيد لا سيما في زماننا هذا وهو قول أبي حنيفة وعليه الجمهور فلا يجوز لها الحج ولا السفر معه وقد أجاز رؤيته إلى وجهها وكفيها إذا وجد الأمن من الشهوة ولكن جواز النظر لا يوجب المحرمية وقد سبق بعض ما يتعلق بالمقام في سورة النور فارجع لعلك تجد السرور ﴿واتقين الله﴾ فيما أمرتن من الاحتجاب واخشين حتى لا يراكن غير هؤلاء ممن ذكر وعليكن بالاحتياط ما قدرتن، قال الكاشفي: [پس عدول كرد از غيبت بخطاب بجهت تشديد وامر فرمودكه اى زنان در پس حجاب قرار كيريد وبترسيد ازخداى وپردهٔ شرم ازپيش برنداريد] ﴿إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾ لا يخفى عليه خافية من الأقوال والأفعال ولا يتفاوت في علمه والأوقات والأحوال.

چونكه خدا شد بخفايا كواه ... كرد شمارا همه لحظه نكاه
ديده بپوشيد زنا محرمان ... دور شويد ازره وهم وكمان
درپس زانوى حيا ووقار ... خوش بنشينيد بصبر وقرار

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بالآية إلى تسكين قلوبهن بعد فطامهن عن مألوفات العادة ونقلهن إلى معروف الشريعة ومفروض العبادة فمنّ عليهن وعلى أقربائهن بإنزاله هذه الرخصة لأنه ما أخرجهن وما خلى سبيل الاحتياط لهن مع ذلك فقال: ﴿واتقين الله﴾ فيهن وفي غيرهن بحفظ الخواطر وميل النفوس وهمها ﴿إن الله كان على كل شيء﴾ من أعمال النفوس وأحوال القلوب ﴿شهيداً﴾ حاضراً وناظراً إليها. قال أبو العباس الفاسي: الشهيد هو الحاضر الذي لا يغيب عنه معلوم ولا مرئي ولا مسموع ومن عرف أنه الشهيد عبده على المراقبة فلم يره حيث نهاه ولم يفقده حيث أمره واكتفى بعلمه ومشاهدته عن غيره فالله تعالى لا

يغيب عنه شيء في الدنيا والآخرة وهو يشهد على الخلق يوم القيامة بما علم وشاهد منهم.

ذرهٔ نيست درمكين ومكان كه نه علمش بود محيط برآن

عدد ريك دربيابانها عدد بركها ببستانها

همه نزديك اوبود ظاهر همه در علم اوبود حاضر

وخاصية هذا الاسم الرجوع عن الباطل إلى الحق حتى أنه إذا أخذ من الولد العاق من جبهته شعر وقرىء عليه أو على الزوجة كذلك الفا فإنه يصلح حالها كما في شرح الأسماء للفاسي نسأل الله سبحانه أن يصلح أحوالنا وأقوالنا وأفعالنا ويوجه إلى جنابه الكريم آمالنا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾

﴿**إن الله وملائكته**﴾. اعلم أن الملائكة عند أهل الكشف من أكابر أهل الله على قسمين:

قسم تنزلوا من مرتبة الأرواح إلى مرتبة الأجسام فلهم أجسام لطيفة كما أن للبشر أجساماً كثيفة وهم المأمورون بسجود آدم عليه السلام ويدخل فيهم جميع الملائكة الأرضية والسماوية أصاغرهم وأكابرهم كجبريل وغيره بحيث لا يشذ منهم فرد أصلاً.

وقسم بقوا في عالم الأرواح وتجردوا عن ملابس الجسمانية لطيفة كانت أو كثيفة وهم المهيمون الذين أشير إليهم بقوله تعالى: ﴿أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] وهم غير مأمورين بالسجود إذ ليس لهم شعور أصلاً لا بأنفسهم ولا بغيرهم من الموجودات مطلقاً لاستغراقهم في بحر شهود الحق.

والإنسان أفضل من هذين القسمين في شرف الحال ورتبة الكمال لأنه مخلوق بقبضتي الجمال والجلال بخلاف الملائكة فإنهم مخلوقون بيد الجمال فقط كما أشير إليه بقوله:

ملائك را چه سود ازحسن طاعت چو فيض عشق بر آدم فرو ريخت

وذلك لأن العشق يقتضي المحنة وموطنها الدنيا ولذا أهبط آدم من الجنة والمحنة من باب التربية وهي من آثار الجلال والمراد بالملائكة هٰهنا هو القسم الأول لأنهم يشاركون مؤمني البشر في الجمال والوجود الجسماني فكما أن مؤمني البشر كلهم يصلون على النبي فكذا هذا القسم من الملائكة مع أن مقام التعظيم يقتضي التعميم كما لا يخفى على ذي القلب السليم فاعرف واضبط أيها اللبيب الفهيم﴿**يصلون على النبي**﴾ أي: يعتنون بما فيه خيره وصلاح أمره ويهتمون بإظهار شرفه وتعظيم شأنه وذلك من الله تعالى بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار. فقوله يصلون محمول على عموم المجاز إذ لا يجوز إرادة معنيي المشترك معاً فإنه لا عموم للمشترك مطلقاً أي: سواء كان بين المعاني تنافٍ أم لا. قال القهستاني: الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن الإنس والجن القيام والركوع والسجود والدعاء ونحوها ومن الطير والهوام التسبيح اسم من التصلية وكلاهما مستعمل بخلاف الصلاة بمعنى أداء الأركان فإن مصدرها لم يستعمل فلا يقال صليت تصلية بل صلاة، وقال بعضهم: الصلاة من الله تعالى بمعنى الرحمة لغير النبي عليه السلام وبمعنى التشريف بمزيد الكرامة للنبي والرحمة عامة والصلاة خاصة كما دل العطف على التغاير في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ [البقرة: ١٥٧]، وقال بعضهم: صلوات الله على غير النبي رحمة وعلى النبي ثناء ومدحة قولاً وتوفيق وتأييد فعلاً وصلاة الملائكة على غير النبي استغفار وعلى النبي إظهار

للفضيلة والمدح قولاً والنصرة والمعاونة فعلاً وصلاة المؤمنين على غير النبي دعاء وعلى النبي طلب الشفاعة قولاً واتباع السنة فعلاً. ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ اعتنوا أنتم أيضاً بذلك فإنكم أولى به ﴿وسلموا تسليماً﴾ بأن تقولوا اللهم صل على محمد وسلم أو صلى الله عليه وسلم بأن يقال: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم لقوله عليه السلام: «إذا صليتم عليّ فعمموا» وإلا فقد نقصت الصلاة عليه ﷺ كما في شرح القهستاني. وقال الإمام السخاوي في المقاصد الحسنة لم أقف عليه أي: على هذا الحديث بهذا اللفظ ويمكن أن يكون بمعنى صلوا عليّ وعلى أنبياء الله فإن الله بعثهم كما بعثني انتهى. وخص اللهم ولم يقل يا رب ويا رحمٰن صلِ لأنه اسم جامع دال على الألوهية وعلامة الإسلام في قوله لا إله إلا الله فناسب ذكره وقت الصلاة عليه ﷺ لأنه عليه السلام جامع لنعوت الكمال مشتمل على أسرار الجمال والجلال. وخص اسم محمد لأن معناه المحمود مرة بعد أخرى فناسب مقام المدح والثناء. والمراد بآله الأتقياء من أمته فدخل فيه بنو هاشم والأزواج المطهرة وغيرهم جميعاً. قال في شرح «الكشاف» وغيره معنى قوله: اللهم صل على محمد اللهم عظمه في الدنيا بإعلاء دينه وإعظام ذكره وإظهار دعوته وإبقاء شريعته وفي الآخرة بتشفيعه في أمته وتضعيف أجره ومثوبته وإظهار فضله عن الأولين والآخرين وتقديمه على كافة الأنبياء والمرسلين ولما لم يكن حقيقة الثناء في وسعنا أمرنا أن نكل ذلك إليه تعالى فالله يصلي عليه بسؤالنا.

سلام من الرحمٰن نحو جنابه ... لأن سلامي لا يليق ببابه

فإن قلت فما الفائدة في الأمر بالصلاة؟ قلت: إظهار المحبة للصلاة كما استحمد فقال: قل الحمد لله إظهاراً لمحبة الحمد مع أنه هو الحامد لنفسه في الحقيقة ومعنى سلم اجعله يا رب سالماً من كل مكروه كما قال القهستاني. وقال بعضهم: [التسليم هنا بمعنى: آفرين كردن] ويجيء بمعنى [پاك ساختن، وسپردن وفروتنى كردن وسلامت دادن].

وفي «الفتوحات المكية» أن السلام إنما شرع من المؤمنين لأن مقام الأنبياء يعطي الاعتراض عليهم لأمرهم الناس بما يخالف أهواءهم فكأن المؤمن يقول: يا رسول الله أنت في أمان من اعتراضي عليك في نفسي وكذلك السلام على عباد الله الصالحين، فإنهم كذلك يأمرون الناس بما يخالف أهواءهم بحكم الإرث للأنبياء وأما تسليمنا على أنفسنا فإن فينا ما يقتضي الاعتراض واللوم منا علينا فنلزم نفوسنا التسليم فيه لنا ولا نعترض كما يقول الإنسان قلت لنفسي كذا فقالت: لا ولم نقف على رواية عن النبي عليه السلام في تشهده الذي كان يقوله في الصلاة هل كان يقول مثلنا السلام عليك أيها النبي أو كان يقول السلام عليّ أو كان لا يقول شيئاً من ذلك ويكتفي بقوله: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. فإن كان يقول مثل ما أمرنا نقول في ذلك وجهان: أحدهما أن يكون المسلم عليه هو الحق وهو مترجم عنه كما جاء في سمع الله لمن حمده. والوجه الثاني أنه كان يقام في صلاته في مقام الملائكة مثلاً ثم يخاطب نفسه من حيث المقام الذي أقيم فيه أيضاً من كونه نبياً فيقول: السلام عليك أيها النبي فعل الأجنبي فكأنه جرد من نفسه شخصاً آخر انتهى كلام الفتوحات. قالوا: السلام مخصوص بالحي والنبي عليه السلام ميت. وأجيب بأن المؤمن لا يموت حقيقة وإن فارق روحه جسده فالنبي عليه السلام مصون بدنه الشريف من التفسخ والانحلال حي بالحياة البرزخية ويدل عليه قوله: «إن لله ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام»، وفي الحديث: «ما من مسلم يسلم

عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام» ويؤخذ من هذا الحديث أنه حي على الدوام في البرزخ الدنيوي لأنه محال عادة أن يخلو الوجود كله من واحد يسلم على النبي في ليل أو نهار. فقوله رد الله عليّ روحي أي: أبقى الحق فيّ شعور خيالي الحسي في البرزخ وإدراك حواسي من السمع والنطق فلا ينفك الحس والشعور الكلي عن الروح المحمدي وليس له غيبة عن الحواس والأكوان لأنه روح العالم وسره الساري. قال الإمام السيوطي: وللروح بالبدن اتصال بحيث يسمع ويشعر ويرد السلام فيكون عليه السلام في الرفيق الأعلى وهي متصلة بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على صاحبها رد عليه السلام وهي في مكانها هناك وإنما يأتي الغلط هنا من قياس الغائب على الشاهد فيعتقد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التي إذا شغلت مكاناً لم يكن أن تكون في غيره وهذا غلط محض وقد رأى النبي موسى عليهما السلام ليلة المعراج قائماً يصلي عليه وهو في الرفيق الأعلى ولا تنافي بين الأمرين فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان ولولا لطافة الروح ونورانيتها ما صح اختراق بعض الأولياء الجدران ولا كان قيام الميت في قبره والتراب عليه أو التابوت فإنه لا يمنعه شيء من ذلك عن قعوده وقد صح أن الإنسان يمكن أن يدخل من الأبواب الثمانية للجنة في آن واحد لغلبة الروحانية مع تعذره في هذه النشأة الدنيوية. وقد مثل بعضهم بالشمس فإنها في السماء كالأرواح وشعاعها في الأرض وفي الحديث: «ما من عبد يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام» ولعل المراد أن يرد السلام بلسان الحال لا بلسان المقال لأنهم يتأسفون على انقطاع الأعمال عنهم حتى يتحسرون على رد السلام وثوابه. قال الشيخ المظهر التسليم على الأموات كالتسليم على الأحياء وأما قوله عليه السلام: «عليكم السلام تحية الموتى» أي: بتقديم عليكم فمبني على عادة العرب وعرفهم فإنهم كانوا إذا سلموا على قبر يقدمون لفظ عليكم فتكلم عليه السلام على عادتهم. وينبغي أن يقول المصلي اللهم صل على محمد وعلى آل محمد بإعادة كلمة على فإن أهل السنة التزموا إدخال على على الآل رداً على الشيعة فإنهم منعوا ذكر على بين النبي وآله وينقلون في ذلك حديثاً وهو «من فصل بيني وبين آلي بعلي لم ينله شفاعتي» قاله القهستاني والعصام وغيرهما. وقال محمد الكردي: هذا غير ثابت وعلى تقدير الثبوت فالمراد به علي بن أبي طالب بأن يجعل علياً من آله دون غيرهم فيكون فيه تعريض للشيعة فإنهم الذين يفصلون بينه وبين آله به لفرط محبتهم له ولذا قال عليه السلام لعلي: «هلك فيك اثنان محب مفرط ومبغض مفرط» فالمحب المفرط الروافض والمبغض الخوارج ونحن فيما بين ذلك انتهى كلامه. ولا يقول في الصلاة وارحم محمداً فإنه يوهم التقصير إذ الرحمة تكون بإتيان ما يلام عليه وهو الأصح كما ذكره شرف الدين الطيبي في «شرح المشكاة». وقال في «الدر» الصحيح إنه يكره. قال الشيخ علي في «أسئلة الحكم»: حرمت الصدقة على رسول الله وعلى آله لأن الصدقة تنشأ عن رحمة الدافع لمن يتصدق عليه فلم يرد الله أن يكون مرحوم غيره ولهذا نهى بعض الفقهاء عن الترحم في الصلاة عليه تأدباً لتلك الحضرة وإن كانت الرواية وردت به كما ذكره صدر الشريعة. ويتصل به قراءة الفاتحة لروحه المطهرة فالشافعي وأصحابه منعوا ذلك لروحه ولأرواح سائر الأنبياء عليهم السلام لأن العادة جرت بقراءة الفاتحة لأرواح العصاة فيلزم التسوية بأرواحهم مع أن في الدعاء بالترحم التحقير وجوزه أبو حنيفة وأصحابه لأنه عليه السلام دعا لبعض الأنبياء بالرحمة كما قال: «رحم

الله أخي موسى» «ورحم الله أخي لوطاً» وقال بين السجدتين: «اللهم اغفر لي وارحمني» وقال في تعليم السلام: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» فليس أحد مستغنياً عن الرحمة. وأيضاً فائدة القراءة ونحوها عائدة إلينا كما قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: الصلاة على النبي في الصلاة وغيرها دعاء من العبد المصلي لمحمد ﷺ بظهر الغيب وقد ورد في الحديث الصحيح: «إن من دعا لأخيه بظهر الغيب قال له الملك ولك بمثله» وفي رواية «ولك بمثليه» فشرع ذلك رسول الله وأمر الله به في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ ليعود هذا الخير من الملك إلى المصلي انتهى. وفي الدعاء أيضاً حكمة جليلة. قال بعض الكبار: أما الوسلية فهي أعلى درجة في الجنة أي: جنة عدن وهي لرسول الله حصلت له بدعاء أمته فعلى ذلك الحق سبحانه حكمة أخفاها فإنا بسببه نلنا السعادة من الله وبه كنا خير أمة أخرجت للناس وبه ختم الله لنا كما ختم به النبيين وهو عليه السلام بشر كما أمر أن يقول ولنا وجه خاص إلى الله نناجيه منه ويناجينا وكذلك كل مخلوق له وجه خاص إلى الله فأمرنا عن أمر الله أن ندعو له بالوسيلة حتى ينزل فيها بدعاء أمته وهذا من باب الغيرة الإلهية إن فهمت.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير بهذا الاختصاص إلى كمال العناية في حق النبي وفي حق أمته. أما في حق النبي فإنه يصلي عليه صلاة تليق بتلك الحضرة المقدسة عن الشبه والمثال مناسبة لحضرة نبوته بحيث لا يفهم معناها سواها. وأما في حق أمته فهو إنه تعالى أوجب على أمته الصلاة عليه ثم جازاهم بكل صلاة عليه عشر صلوات من صلاته وبكل سلام عشراً لأن من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وهذه عناية مختصة بالنبي وأمته. ولصلاة الله على عباده مراتب بحسب مراتب العباد ولها معان كالرحمة والمغفرة والوارد والشواهد والكشوف والمشاهدة والجذبة والقرب والشرب والري والسكر والتجلي والفناء في الله والبقاء بالله فكل هذا من قبيل الصلاة على العبد.

وقال بعضهم: صلوات الله على النبي تبليغه إلى المقام المحمود وهو مقام الشفاعة لأمته وصلوات الملائكة دعاؤهم له بزيادة مرتبته واستغفارهم لأمته وصلوات الأمة متابعتهم له ومحبتهم إياه والثناء عليه بالذكر الجميل وهذا التشريف الذي شرف الله به نبينا عليه السلام أتم من تشريف آدم عليه السلام بأمر الملائكة بالسجود له لأنه لا يجوز أن يكون الله تعالى مع الملائكة في هذا التشريف وقد أخبر تعالى عن نفسه بالصلاة على النبي ثم عن الملائكة.

عقل دور انديش ميداندكه تشريفي چنين — هيچ دين پرورنديد وهيچ پيغمبر نيافت
يصلي عليه الله جل جلاله — بهذا بدا للعالمين كماله
بجامه خانهٔ دين خلعت درود وسلام — چوكشت دوخته برقامت تو آمدراست
نشان حرمت صلوا عليه بر نامت — نوشته اندوچنين منصبي شريف تراست

[بعد از نزول آيت صلوات هردو رخسار مبارك آن حضرت از غايت مسرت برافروخته كشت وفرمودكه تهنيت كوييد مراكه آيت بر من فرود آمدكه دوستراست نزديك من از دنيا وهرچه دراوست]:

نوری از روزن اقبال در آفتاد مرا — كه ازان خانهٔ دل شد طرب آباد مرا

عن الأصمعي قال: سمعت المهدي على منبر البصرة يقول: إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته فقال: ﴿إن الله﴾ الخ آثره ﷺ من بين الرسل واختصكم بها من بين الأمم

فقابلوا نعمة الله بالشكر وإنما بدأ تعالى بالصلاة عليه بنفسه إظهاراً لشرفه ومنزلته وترغيباً للأمة فإنه تعالى مع استغنائه إذا كان مصلياً عليه كان الأمة أولى به لاحتياجهم إلى شفاعته وتقوية لصلوات الملائكة والمؤمنين فإن صلاة الحق حق وصلاة غيره رسم والرسم يتقوى بمقارنة الحق.

ازكنه وصف توكه تواندكه دم زند   وصفى سزاى تونكند خداى تو

وإشارة إلى أنه عليه السلام مجلى تام لأنوار الجمال والجلال ومظهر جامع لنعوت الكمال به فاض الجود وظهر الوجود. ثم ثنى بملائكة قدسه فإنهم مقدمون في الخلقة وأهل عليين في الصورة خائفون كبني آدم من نوازل القضاء ومستعيذون بالله من مثل واقعة إبليس وهاروت وماروت فاحتاجوا إلى الصلاة على النبي عليه السلام ليحصل لهم جمعية الخاطر والحفظ من المحن والبليات ببركة الصلوات. وأيضاً ليظهر لصلوات المؤمنين رواج بسبب موافقة صلواتهم كما ورد في آمين. وأيضاً لما خلق آدم رأوا أنوار محمد عليه السلام على جبينه فصلوا عليه وقتئذٍ فلما تشرف بخلقة الوجود قيل لهم: هذا هو الذي كنتم تصلون عليه وهو نور في جبين آدم فصلوا عليه وهو موجود بالفعل في العالم. ثم ثلث بالمؤمنين من برية جنه وإنسه في المؤمنين محتاجون إلى الصلاة عليه أداء لبعض حقوق الدعوة والأبوة فإنه عليه السلام بمنزلة الأب للأمة وقد أجاد في التعليم والتربية و«الإرشاد» وبالغ في لوازم الشفقة على العباد وثناء المعلم واجب على المتعلم وشكر الأب لازم على الابن.

ميان باغ جهان از زلال فيض حبيب   نهال جان مرا صد هزار نشو ونماست

وأيضاً في الصلوات شكر على كونه أفضل الرسل وكونهم خير الأمم. وأيضاً فيها إيجاب حق الشفاعة على ذمة ذلك الجناب فإن الصلوات ثمن الشفاعة فإذا أدوا الثمن هذا اليوم يرجى أن يحرزوا المثمن يوم القيامة:

بضاعت بچندانكه آرى برى   اكر مفلسى شر مسارى برى
ألا أيها الإخوان صلوا وسلموا   على المصطفى في كل وقت وساعه
فإن صلاة الهاشمي محمد   تنجي من الأهوال يوم القيامه

وبقدر صلواتهم عليه تحصل المعارفة بينهم وبينه. وعلامة المصلي يوم القيامة أن يكون لسانه أبيض. وعلامة التارك أن يكون لسانه أسود وبهما تعرف الأمة يومئذٍ. وأيضاً فيها مزيد القربات وذلك لأن بالصلوات تزيد مرتبة النبي فتزيد مرتبة الأمة لأن مرتبة التابع تابعة لمرتبة المتبوع كما أشار إليه حضرة المولى جلال الدين الرومي في المعراجية بقوله:

صلوات برتو آردم كه فزوده باد قربت   چه بقرب كل بكردد همه جزؤها مقرب

وأيضاً فيها إثبات المحبة ومن أحب شيئاً أكثر ذكره. قال بعضهم: صيغة المضارع يعني: ﴿**يصلون**﴾ [دلالت بر آن ميكندكه ملائكه پيوسته دركفتن صلواتند پس درود دهنده متشبه باشد بديشان وبحكم «من تشبه بقوم فهو منهم» از طهارت وعصمت كه لوازم ذات ملائكه است محتظى كردد وبا عالم روحانى آشنايى يابد]:

يا سيد انام درود وصلات تو   ورد زبان ماست مه وسال وصبح وشام
نزديك تو چه تحفه فرستيم ما زدور   دردست ما همين صلاتست والسلام

قال سهل بن عبد الله التستري قدس سره: الصلاة على محمد أفضل العبادات لأن الله

تولاها هو وملائكته ثم أمر بها المؤمنين وسائر العبادات ليس كذلك يعني أن الله تعالى أمر بسائر العبادات ولم يفعله بنفسه. قال الصديق الأكبر رضي الله عنه: الصلاة عليه أمحق للذنوب من الماء البارد للنار وهي أفضل من عتق الرقاب لأن عتق الرقاب في مقابلة العتق من النار ودخول الجنة والسلام على النبي عليه السلام في مقابلة سلام الله وسلام الله أفضل من ألف حسنة. قال الواسطي صل عليه بالأوقار ولا تجعل له في قلبك مقدار أي: لا تجعل لصلواتك عليه مقدراً تظن أنك تقضي به من حقه شيئاً بصلواتك عليه استجلاب رحمة على نفسك به وفي الحديث: «إن لله ملكاً أعطاه سمع الخلائق وهو قائم على قبري إذا مت إلى يوم القيامة فليس أحد من أمتي يصلي عليّ صلاة إلا سماه باسمه واسم أبيه قال: يا محمد صلى عليك فلان كذا وكذا ويصلي الرب على ذلك الرجل بكل واحدة عشراً» وفي الحديث: «إذا صليتم عليّ فأحسنوا عليّ الصلاة فإنكم تعرضون عليّ بأسمائكم وأسماء آبائكم وعشائركم وأعمامكم» ومن إحسان الصلوات حضور القلب وجمع الخاطر. وقد قال بعضهم: إنما تكون الصلوات على النبي طاعة وقربة ووسيلة واستجابة إذا قصد بها التحية والتوسل والتقرب إلى حضرة النبوة الأحمدية فإنه بهذه المناسبة يحصل له التقرب إلى الحضرة الأحدية ألا ترى أن التقرب إلى القمر كالتقرب إلى الشمس فإنه مرآتها ومطرح أنوارها وفي الحديث «من صلى واحدة أمر الله حافظه أن لا يكتب عليه ثلاثة أيام». ورأت امرأة ولدها بعد موته يعذب فحزنت لذلك ثم رأته بعد ذلك في النور والرحمة فسألته عن ذلك فقال: مر رجل بالمقبرة فصلى على النبي عليه السلام وأهدى ثوابها للأموات فجعل نصيبي من ذلك المغفرة فغفر لي.

ـ وحكي ـ عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال: بينا أنا أطوف بالبيت إذ رأيت رجلاً لا يرفع قدماً إلا وهو يصلي على النبي عليه السلام فقلت: يا هذا إنك تركت التسبيح والتهليل وأقبلت بالصلاة على النبي عليه السلام فهل عندك في هذا شيء؟ فقال: من أنت عافاك الله فقلت: أنا سفيان الثوري فقال: لولا أنك غريب في أهل زمانك لما أخبرتك عن حالي ولا أطلعتك على سري ثم قال: خرجت أنا وأبي حاجين إلى بيت الله الحرام حتى إذا كنا في بعض المنازل مرض أبي ومات واسود وجهه وازرقت عيناه وانتفخ بطنه فبكيت وقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون مات أبي في أرض غربة هذه الموتة فجذبت الإزار على وجهه فغلبتني عيناي فنمت فإذا أنا برجل لم أر أجمل منه وجهاً ولا أنظف ثوباً ولا أطيب ريحاً فدنا من أبي فكشف الإزار عن وجهه ومسح على وجهه فصار أشد بياضاً من اللبن ثم مسح على بطنه فعاد كما كان ثم أراد أن ينصرف فقمت إليه فأمسكت بردائه وقلت: يا سيدي بالذي أرسلك إلى أبي رحمة في أرض غربة من أنت؟ فقال: أو ما تعرفني؟ أنا محمد رسول الله كان أبوك هذا كثير المعاصي غير أنه كان يكثر الصلاة عليّ فلما نزل به ما نزل استغاث بي فأغثته وأنا غياث لمن يكثر الصلاة عليّ في دار الدنيا فانتبهت فإذا وجه أبي قد ابيض وانتفاخ بطنه قد زال.

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
شفع نبيك في ذلي ومسكنتي ... واستر فإنك ذو فضل وذو كرم

قال كعب بن عجرة رضي الله عنه: لما نزل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ قمنا إليه فقلنا أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة عليك يا رسول الله قال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم

إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد» كما في «تفسير التيسير» وهي الصلاة التي تقرأ في التشهد الأخير على ما هو الأصح ذكرها الزاهدي رواية عن محمد. والمعنى اللهم صل على محمد صلاة كاملة كما دل عليه الإطلاق. وقوله وعلى آل محمد من عطف الجملة أي: وصل على آله مثل الصلاة على إبراهيم وآله فلا يشكل بوجوب كون المشبه به أقوى كما هو المشهور ذكره القهستاني. وقال في «الضياء المعنوي»: هذا تشبيه من حيث أصل الصلاة لا من حيث المصلى عليه لأن نبينا أفضل من إبراهيم فمعناه اللهم صل على محمد بمقدار فضله وشرفه عندك كما صليت على إبراهيم بقدر فضله وشرفه وهذا كقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠] يعني: اذكروا الله بقدر نعمه وآلائه عليكم كما تذكرون آباءكم بقدر نعمهم عليكم وتشبيه الشيء بالشيء يصح من وجه واحد وإن كان لا يشبهه من كل وجه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] من وجه واحد وهو تخليقه عيسى من غير أب انتهى [ودر شرح مشكاة مذكوراست كه تشبيهي كه در كما صليت واقع شده نه ازقبيل الحاق ناقص است بكامل بلكه ازباب بيان حال ما لا يعرف است بما يعرف يعني بسبب نزول آيت ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣] درود إبراهيم وآل أوميان أهل ايمان اشتهار تام داشت وهمه دانسته بودندكه خداى بر ابراهيم درود وبركت فرستاده پس حضرت پيغمبر فرمودكه ازخداى درخواهيدكه فرستد بر من صلواتي مشهور ومعروف مانند صلوات ابراهيم وكويند كاف در «كما» براى تأكيد وجود آيدنه براى قرآن دروقوع چنانجه ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤] زيرا كه تر بيت واقعست از والدين ورحمت مطلوب الوقوع براى ايشان پس فائده كاف تأكيداست دروجود رحمت يعنى ايجاد كن رحمت ايشانرا ايجادى محقق ومقرراست پس ميكويد ارسال كن صلوات را بر حبيب خود ووجود ده آنرا همچنانچه قبل ازين وجود داده بودى براى خليل خود] وهذا المعنى قريب مما في الضياء المعنوي كما سبق [وكفته اند حضرت پيغمبر درضمن اين تشبيه مر امت خودرا طريق تواضع تعليم فرموده وبتكريم آباء اشارتى نموده يعنى با آنكه صلوات من اكمل واشرفست از درود ابراهيم آنرا دررتبه أقوى وأرفع ميدارم وحرمت ابويت ويرا فرو نمى كذا رم ومانند اين در كسر نفس ونفى غائله تكبر بسيار ازان حضرت مروى ومذكرو است چنانچه] «أنا أول من ينشق عنه الأرض ولا فخر وأنا حبيب ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر ولا تفضلوني على موسى. ولا تخيروني على إبراهيم. ولا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس» وإنما صلينا على إبراهيم وعلى آل إبراهيم لأنه حين تم بناء البيت دعوا للحجاج بالرحمة فكافأناهم بذلك. وقال الإمام النيسابوري: لأنه سأل الله أن يبعث نبياً من ذرية إسماعيل فقال: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩] ولذا قال عليه السلام: «انا دعوة أبي إبراهيم» فكافأه وشكره وأثنى عليه مع نفسه بالصلاة التي صلى الله وملائكته عليه وهذه الصلاة من الحق عليه هي قرة عين لأنه أكمل مظاهر الحق ومشاهد تجلياته ومجامع أسراره. وفي الخبر أن إبراهيم عليه السلام رأى في المنام جنة عريضة مكتوب على أشجارها لا إله إلا الله محمد رسول الله فسأل جبريل عنها فأخبره بقصتها فقال: يا رب أجر على لسان أمة محمد ذكري فاستجاب الله دعاءه وضم في الصلاة مع محمد عليهما السلام. وأيضاً أمرنا بالصلاة على إبراهيم لأن قبلتنا قبلته ومناسكنا

مناسكه والكعبة بناؤه وملته متبوعة الأمم فأوجب الله على أمة محمد ثناءه.

يقول الفقير: كان إبراهيم عليه السلام قطب التوحيد الذاتي وصلوات الله عليه أتم من صلواته على سائر أصفيائه. وكان أمته أكثر استعداداً من الأمم السالفة حتى بعث الله غيره إلى جميع المراتب من الأفعال والصفات والذات وإن لم يظهر حكمها تفصيلاً كما في هذه الأمة المرحومة ولذا اختص ببناء الكعبة إشارة إلى سر الذات ولذا لم يتكرر الحج تكرر سائر العبادات وأمر نبينا باتباع ملته أي: باعتبار الجمع دون التفصيل إذ لا متمم لتفاصيل الصفات إلا هو ولذلك لم يكن غيره خاتماً فلهذه المعاني خص إبراهيم بالذكر في الصلاة وشبه صلوات نبينا بصلاته دون صلوات غيره فاعرف. ثم إن الآية الكريمة دلت على وجوب الصلاة والسلام على نبينا عليه السلام وذلك لأن النفس الإنسانية منغمسة غالباً في العلائق البدنية والعوائق الطبيعية كالأكل والشرب ونحوها وكالأوصاف الذميمة والأخلاق الرديئة والمفيض تعالى وتقدس في غاية التنزه والتقدس فليس بينهما مناسبة والاستفاضة منه إنما تحصل بواسطة ذي جهتين أي: جهة التجرد وجهة التعلق كالحطب اليابس بين النار والحطب الرطب وكالغضروف بين اللحم والعظم وتلك الواسطة حضرة صاحب الرسالة عليه السلام حيث يستفيض من جهة تجرده ويفيض من جهة تعلقه فالصلاة عليه واجبة عقلاً كما أنها واجبة شرعاً أي: بهذه الآية لكن مطلقاً أي: في الجملة إذ ليس فيها تعرض للتكرار كما في قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]. وقال الطحاوي: تجب الصلاة عليه كلما جرى ذكره على لسانه أو سمعه من غيره. قال في «بحر العلوم» وهو الأصح لأن الأمر وإن كان لا يقتضي التكرار إلا أن تكرار سبب الشيء يقتضي تكراره كوقت الصلاة لقوله عليه السلام: «من ذكرت عنده فلم يصل عليّ فدخل النار فأبعده الله» أي: من رحمته وفي الحديث: «لا يرى وجهي ثلاثة أقوام أحدها العاق لوالديه والثاني تارك سنتي والثالث من ذكرت عنده فلم يصل عليّ» وفي الحديث: «أربع من الجفاء أن يبول الرجل وهو قائم وأن يمسح جبهته قبل أن يفرغ وأن يسمع النداء فلا يشهد مثل ما يشهد المؤذن وأن أذكر عنده فلا يصلي عليّ». فإن قلت: الصلاة على النبي لم تخلُ عن ذكره ولو وجبت كلما ذكر لم نجد فراغاً من الصلاة عليه مدة عمرنا. قلت: المراد من ذكر النبي الموجب للصلاة عليه الذكر المسموع في غير ضمن الصلاة عليه. وقيل: تجب الصلاة في كل مجلس مرة في الصحيح وإن تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وإن كان السنة أن يشمت لكل مرة إلى أن يبلغ إلى ثلاث ثم هو مخير إن شاء شمته وإن شاء تركه. وكذلك تجب الصلاة في كل دعاء في أوله وآخره وقيل: تجب في العمر مرة كما في إظهار الشهادتين والزيادة عليها مندوبة والذي يقتضيه الاحتياط وتستدعيه معرفة علو شأنه أن يصلي عليه كلما جرى ذكره الرفيع كما قال في «فتح الرحمٰن»: المختار في مذهب أبي حنيفة أنها مستحبة كلما ذكر وعليه الفتوى. وفي تفسير الكاشفي [وفتوى بر آنست كه نام آن حضرت هرچند تكرار يابد يك نوبت درود واجبست وباقي سنت] أي: يستحب تكرارها كلما ذكر بخلاف سجود التلاوة فإنه لا يندب تكراره بتكرير التلاوة في مجلس واحد. والفرق أن الله تعالى غني غير محتاج بخلاف النبي عليه السلام كما في «حواشي الهداية» للإمام الخبازي ولو تكرر اسم الله في مجلس واحد أو في مجالس يجب لكل مجلس ثناء على حدة بأن يقول: سبحان الله أو تبارك الله أو جل جلاله أو نحو ذلك فإن تعظيم الله لازم في كل زمان ومكان ولو تركه لا

يقضي بخلاف الصلاة على النبي عليه السلام لأنه لا يخلو عن تجدد نعم الله الموجبة للثناء فلا يخلص للقضاء وقت بخلاف الصلاة على النبي فتبقى ديناً في الذمة فتقضي لأن كل وقت محل للأداء.

وفي قاضي خان رجل يقرأ القرآن ويسمع اسم النبي لا تجب عليه الصلاة والتسليم لأن قراءة القرآن على النظم والتأليف أفضل من الصلاة على النبي فإذا فرغ من القرآن إن صلى عليه كان حسناً وإن لم يصل لا شيء عليه. أما الصلاة عليه في التشهد الأخير كما سبق فسنة عند أبي حنيفة ومالك وشرط لجواز الصلاة عند الشافعي وركن عند أحمد فتبطل الصلاة عندهما بتركها عمداً كان أو سهواً لقوله عليه السلام: «لا صلاة لمن لم يصل عليّ في صلاته» قلنا ذلك محمول على نفي الكمال ولو كانت فريضة لعلمها النبي عليه السلام الأعرابي حين علمه أركان الصلاة. وأما الصلاة على غير الأنبياء فتجوز تبعاً بأن يقول اللهم صل على محمد وعلى آله. ويكره استقلالاً وابتداء كراهة تنزيه كما هو الصحيح الذي عليه الأكثرون فلا يقال اللهم صل على أبي بكر لأنه في العرف شعار ذكر الرسل. ومن هنا كره أن يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزاً جليلاً ولتأديته إلى الاتهام بالرفض لأنه شعار أهل البدع وقد نهينا عن شعارهم وفي الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقف مواقف التهم». وأما السلام: فهو في معنى الصلاة فلا يستعمل الغائب فلا يفرد به غير الأنبياء فلا يقال عليّ عليه السلام كما تقول الروافض وتكتبه وسواء في هذا الأحياء والأموات. وأما الحاضر فيخاطب به فيقال: السلام عليك أو عليكم وسلام عليك أو عليكم وهذا مجمع عليه. والسلام على الأموات عند الحضور في القبور من قبيل السلام على الحاضر وقد سبق. وأما إفراد الصلاة عن ذكر السلام وعكسه فقد اختلفت الروايات فيه منهم من ذهب إلى عدم كراهته فإن الواو في وسلموا لمطلق الجمع من غير دلالة على المعية وعن إبراهيم النخعي أن السلام أي: قول الرجل عليه السلام يجزي عن الصلاة على النبي عليه السلام لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩] ولكن لا يقتصر على الصلاة فإذا صلى أو كتب اتبعها التسليم. ويستحب الترضي والترحم على الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء والعباد وسائر الأخيار فيقال أبو بكر وأبو حنيفة رضي الله عنه أو رحمه الله أو نحو ذلك فليس رضي الله عنه مخصوصاً بالصحابة بل يقال فيهم رحمه الله أيضاً. والأرجح في مثل لقمان ومريم والخضر والاسكندر المختلف في نبوته أن يقال رضي الله عنه أو عنها ولو قال عليه السلام أو عليها السلام لا بأس به. وقال الإمام اليافعي في «تاريخه»: والذي أراه أن يفرق بين الصلاة والسلام والترضي والترحم والعفو. فالصلاة مخصوصة على المذهب الصحيح بالأنبياء والملائكة. والترضي مخصوص بالصحابة والأولياء والعلماء. والترحم لمن دونهم. والعفو للمذنبين. والسلام مرتبة بين مرتبة الصلاة والترضي فيحسن أن يكون لمن منزلته بين منزلتين أعني يقال لمن اختلف في نبوتهم كلقمان والخضر وذي القرنين لا لمن دونهم. ويكره أن يرمز للصلاة والسلام على النبي عليه الصلاة والسلام في الخط بأن يقتصر من ذلك على الحرفين هكذا «عم» أو نحو ذلك كمن يكتب «صلعم» يشير به إلى ﷺ. ويكره حذف واحد من الصلاة والتسليم والاقتصار على أحدهما وفي الحديث: «من صلى عليّ في كتاب لم تزل صلاته جارية له ما دام اسمي في ذلك الكتاب» كما في «أنوار المشارق» لمفتي حلب.

ثم إن للصلوات والتسليمات مواطن: فمنها: أن يصلي عند سماع اسمه الشريف في الأذان، قال القهستاني في شرحه الكبير نقلاً عن «كنز العباد»: اعلم أنه يستحب أن يقال عند سماع الأولى من الشهادة الثانية «صلى الله عليك يا رسول الله» وعند سماع الثانية «قرة عيني بك يا رسول الله» ثم يقال: «اللهم متعني بالسمع والبصر» بعد وضع ظفر الإبهامين على العينين فإنه ﷺ يكون قائداً له إلى الجنة انتهى. قال بعضهم: [پشت ابهامين برچشم ماليده اين دعا بخواند «اللهم متعني» الخ. ودر صلوات نجمي فرموده كه ناخن هردو ابهام را برچشم نهد بطريق وضع نه بطريق مد. ودر محيط آورده كه پيغمبر ﷺ بمسجد در آمد ونزديك ستون بنشست وصديق رضي الله عنه در برابر آن حضرت نشسته بود بلال رضي الله عنه برخاست وباذان اشتغال فرمود چون كفت اشهد أن محمداً رسول الله أبو بكر رضي الله عنه هردوناخن ابهامين خودرا برهردوچشم خود نهاده كفت «قرة عيني بك يا رسول الله» چون بلال رضي الله عنه فارغ شد حضرت رسول الله ﷺ فرموده كه يا ابا بكر هركه بكند چنين كه توكردى خداى بيامرزد كناهان جديد وقديم اورا اكر بعمد بوده شاد اكر بخطا. وحضرت شيخ إمام أبو طالب محمد بن علي المكي رفع الله درجته در قوت القلوب روايت كرده ازابن عيينه رحمه الله كه حضرت پيغمبر عليه الصلاة والسلام بمسجد در آمد دردهه٭ محرم وبعد ازآنكه نماز جمعه إدا فرموده بود نزديك اسطوانه قرار كرفت وأبو بكر رضي الله عنه بظهر ابهامين چشم خودرا مسح كرد وكفت قرة عيني بك يا رسول الله وچون بلال رضي الله عنه ازاذان فراغتى روى نمود حضرت رسول الله ﷺ فرمودكه أي أبا بكر هركه بكويد آنچه توكفتى ازروىٰ شوق بلقاى من وبكند آنچه توكردى خداى در كذارد كناهان ويرا انكه باشد نووكهنه خطا وعمد ونهان واشكارا ومن درخواستكيم جرايم ويرا ودرمضمرات برين وجه نقل كرده]. وفي قصص الأنبياء وغيرها أن آدم عليه السلام اشتاق إلى لقاء محمد ﷺ حين كان في الجنة فأوحى الله تعالى إليه هو من صلبك ويظهر في آخر الزمان فسأل لقاء محمد ﷺ حين كان في الجنة فأوحى الله تعالى إليه فجعل الله النور المحمدي في إصبعه المسبحة من يده اليمنى فسبح ذلك النور فلذلك سميت تلك الأصبع مسبحة كما في «الروض الفائق» أو أظهر الله تعالى جمال حبيبه في صفاء ظفري ابهاميه مثل المرآة فقبل آدم ظفري ابهاميه ومسح على عينيه فصار أصلاً لذريته فلما أخبر جبرائيل النبي ﷺ بهذه القصة قال عليه السلام: «من سمع اسمي في الأذان فقبل ظفري إبهاميه ومسح على عينيه لم يعم أبداً». قال الإمام السخاوي في «المقاصد الحسنة»: إن هذا الحديث لم يصح في المرفوع والمرفوع من الحديث هو ما أخبر الصحابي عن قول رسول الله عليه السلام. وفي «شرح اليماني» ويكره تقبيل الظفرين ووضعهما على العينين لأنه لم يرد فيه حديث والذي فيه ليس بصحيح انتهى.

يقول الفقير: قد صح عن العلماء تجويز الأخذ بالحديث الضعيف في العمليات فكون الحديث المذكور غير مرفوع لا يستلزم ترك العمل بمضمونه وقد أصاب القهستاني في القول باستحبابه وكفانا كلام الإمام المكي في كتابه فإنه قد شهد الشيخ السهروردي في «عوارف المعارف» بوفور علمه وكثرة حفظه وقوة حاله وقبل جميع ما أورده في كتابه «قوت القلوب» ولله در أرباب الحال في بيان الحق وترك الجدال. ومنها أن يصلي بعد سماع الأذان بأن يقول: «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة

وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته» فإنه عليه السلام وعد لقائله الشفاعة العظمى. ومنها أن يصلي عند ابتداء الوضوء ثم يقول: «بسم الله» وبعد الفراغ منه فإنه يفتح له أبواب الرحمة وفي المرفوع: «لا وضوء لمن لم يصل على النبي عليه السلام». ومنها: أن يصلي عند دخول المسجد ثم يقول: «اللهم افتح لي أبواب رحمتك» وعند الخروج أيضاً ثم يقول: «اللهم افتح لي أبواب فضلك واعصمني من الشيطان» وكذا عند المرور بالمساجد ووقوع نظره عليها ويصلي في التشهد الأخير كما سبق وقبل الدعاء وبعده فإن الصلوات مقبولة لا محالة فيرجى أن يقبل الدعاء بين الصلاتين أيضاً. وفي «المصابيح» عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: دخل رجل مسجد الرسول فصلى فقال: اللهم اغفر لي وارحمني فقال رسول الله ﷺ: «عجلت أيها المصلي إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله وصلِ عليّ ثم ادعه» قال: ثم صلى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله تعالى وصلى على النبي عليه السلام فقال له النبي عليه السلام: «أيها المصلي ادع تجب» وفي الحديث «ما من دعاء إلا بينه وبين الله حجاب حتى يصلي على محمد وعلى آل محمد فإذا فعل ذلك انخرق الحجاب ودخل الدعاء وإذا لم يفعل ذلك رجع الدعاء» ذكره في «الروضة» وسره ما سبق من أن نبينا عليه السلام هو الواسطة بيننا وبينه تعالى والوسيلة ولا بد من تقديم الوسيلة قبل الطلب وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]:

بى بدرقه؟ درود او هيچ دعا البته بمنزل اجابت نرسد

وقد توسل آدم عليه السلام إلى الله تعالى بسيد الكونين في استجابة دعوته وقبول توبته كما جاء في الحديث: «لما اعترف آدم بالخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد أن تغفر لي فقال الله تعالى: يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: لأنك إذ خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا اسم أحب الخلق إليك فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ فغفرت لك ولولا محمد لما خلقتك» رواه البيهقي في «دلائله»:

از نسل آدمي تو ولى به ز آدمي شك نيست اندراين كه بود در به از صدف
سلطان انبياكه بدركاه كبريا چون اونيافت هيچ كسى عزت وشرف

ويصلي بعد التكبير الثاني في صلاة الجنازة على الاستحباب عند أبي حنيفة ومالك وعلى الوجوب عند الشافعي وأحمد وكذا في خطبة الجمعة على هذا الاختلاف بين الأئمة وكذا في خطبة العيدين والاستسقاء على مذهب الشافعي والإمامين فإنه ليس في الاستسقاء خطبة ولا أذان وإقامة عند الإمام بل ولا صلاة بجماعة وإنما فيه دعاء واستغفار. ويصلي في الصباح والمساء عشراً ومن صلى بعد صلاة الصبح والمغرب مائة فإن الله يقضي له مائة حاجة ثلاثين في الدنيا وسبعين في الآخرة. وبعد ختم القرآن وهو من مواطن استحابة الدعاء ويصلي قبل الاشتغال بالذكر منفرداً أو مجتمعاً فإن الملائكة يحضرون مجالس الذكر ويوافقون أهله في الذكر والدعاء والصلوات. وعند ابتداء كل أمر ذي بال. وفي أيام شعبان ولياليها فإنه عليه السلام أضاف شعبان إلى نفسه ليكثر فيه أمته الصلوات عليه [ودر آثار آمده كه در آسمان درياييست كه انرا درياى بركات كويند وبرلب آن دريا درختيست كه آنرا درخت تحيات خوانند وبران درخت مرغيست كه ممسى بمرغ صلوات اورا پرسيارست چون بندهٔ مؤمن درماه شعبان برسيد آخر الزمان صلوات فرستد آن مرغ بدان دريا فروشود وغوطه زده بيرون آيد وبران

درخت نشيند وپرهاى خودرا بيفشاند حق تعالى ازهر قطره آب كه از پروى بجكد فرشته بيافريند وآن همه بحمد وثناى حق تعالى مشغول كردند وثواب ايشان در ديوان عمل درود دهنده رقم ثبت يابد ودر خبر آمده كه يك درود در ماه شعبان برابرست باده درود در غير آن].

شعبان شهر رسول الله فاغتنموا صيام أيامه الغر الميامين
صلوا على المصطفى في شهره وارجوا منه الشفاعة يوم الحشر والدين

ويصلي يوم الجمعة وليلته فإن الجمعة سيد الأيام ومخصوص بسيد الأنام فللصلوات فيه مزية وزيادة مثوبة وقربة ودرجة وفي الحديث: «إن أفضل أيامكم يوم الجمعة خلق فيه آدم وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ» قيل: يا رسول الله كيف تعرض عليك صلاتنا وقد رممت أي: بليت قال: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» وفي الحديث «من صلى عليّ يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة ومن صل عليّ كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر أبداً» [ودر ازهار الأحاديث آيدكه حق تعالى بعضي از ملائكه مقربين روز پنجشنبه از دائره چرخ برين بمركز زمين فرستد باصحيفها از نقره وقلمها اززر تا بنويسند صلواتي راكه مؤمنان درشب وروز جمعه بر سيد عالم مى فرستد].

بروز جمعه درود محمد عربي ز روى قدر زايام ديكر افزونست

وعن بعض الكبار أن من صلى على النبي عليه السلام ليلة الجمعة ثلاثة آلاف رأى في منامه ذلك الجناب العالي ذكره على الصفي في «الرشحات» ويصلي عند الركوب يعني: [درهمه سفرها دروقت نشستن بر مركب بايدكفت كه] بسم الله والله أكبر وصل على محمد خير البشر ثم يتلو قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف: ١٣ ـ ١٤]. ويصلي في طريق مكة، يعني: [درراه حرم كعبه چون كسى خواهد كه بر بلندى رود تكبير بايد كفت وچون روى بنشيب آرد صلوات بايد فرستاد]. وعند استلام الحجر يقول: «اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك وسنة نبيك» ثم يصلي على النبي عليه السلام. ويصلي على جبل الصفا والمروة وبعد الفراغ من التلبية ووقت الوقوف عند المشعر الحرام. وفي طريق المدينة وعند وقوع النظر عليها وعند طواف الروضة المقدسة وحين التوجه إلى القبر المقدس [هركه نزديك قبر آن حضرت ايستاده آيت ﴿إن الله وملائكته﴾] تا آخر بخواند وهفتاد باربكويد صلى الله عليك يا محمد [فرشته ندا كندكه] صلى الله عليك يا فلان [بخواه حاجتى كه دارى كه هيچ حاجت تورد نمى شود]. ويصلي بين القبر والمنبر ويكبر ويدعو. ويصلي وقت استماع ذكره عليه السلام كما سبق. وكذا وقت ذكر اسمه الشريف وكتابته، يعني: [كاتب را صلوات بايد فرستاد بزبان وبدست نيز بايد نوشت]. ويصلي عند ابتداء درس الحديث وتبليغ السنن فيقول: «الحمد لله رب العالمين أكمل الحمد على كل حال والصلاة والسلام الإتمان والأكملان على سيد المرسلين كلما ذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكره الغافلون اللهم صل عليه وعلى آله وسائر النبيين وآل كل وسائر الصالحين نهاية ما ينبغي أن يسلكه السالكون». ويصلي عند ابتداء التذكير والعظة أي: بعد الحمد والثناء لأنه موطن تبليغ العلم المروي عنه عليه السلام. ووقت كفاية المهم ورفع الهم. ووقت طلب المغفرة والكفارة فإن الصلاة عليه محاء الذنوب. ووقت المنام والقيام منه. وحين دخول السوق لتربح تجارة آخرته. وحين المصافحة لأهل الإسلام. وحين افتتاح الطعام فيقول اللهم صل على محمد

وعلى آل محمد وطيب أرزاقنا وحسن أخلاقنا. وفي «الشرعة» والسنة في أكل الفجل بضم الفاء وسكون الجيم بالفارسية: [ترب] أن يذكر النبي عليه السلام في أول قضمة، يعني: [دراول دندان برو زدن] لئلا يوجد ريحه، يعني: [تادريافته نشود رايحه آن] قال بعضهم: المقصود الأصلي من الفجل ورقه كما قالوا المطلوب من الحمام العرق ومن الفجل الورق. ويصلي عند اختتام الطعام فيقول: «الحمد لله الذي أطعمنا هذا ورزقناه من غير حول منا وقوة الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم. ويصلي عند قيامه من المجلس فيقول: صلى الله وملائكته على محمد وعلى أنبيائه» فإنه كفارة اللهو واللغو الواقعين فيه. ويصلي عند العطسة عند البعض وكرهه الأكثرون كما قال في «الشرعة» وشرحها. ولا يذكر اسم النبي عند العطاس بل يقول الحمد لله. ولا وقت الذبح حتى لو قال بسم الله واسم محمد لا يحل لأنه لا يقع الذبح خالصاً لله ولو قال بسم الله وصلى الله على محمد يكره. ولا وقت التعجب فإن الذكر عند التعجب أن يقول سبحان الله. ويصلي عند طنين الأذن ثم يقول: «ذكر الله بخير من ذكرني». وفي خطبة النكاح فيقول: «الحمد لله الذي أحل النكاح وحرم السفاح والصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعي إلى الله القادر الفتاح وعلى آله وأصحابه ذوي الفلاح والنجاح». وعند شم الورد وفي «مسند الفردوس» «الورد الأبيض خلق من عرقي ليلة المعراج. والورد الأحمر خلق من عرق جبريل. والورد الأصفر خلق من عرق البراق» وعن أنس رضي الله عنه رفعه «لما عرج بي إلى السماء بكت الأرض من بعدي فنبت الأصفر من نباتها فلما أن رجعت قطر عرقي على الأرض فنبت ورد أحمر ألا من أراد أن يشم رائحتي فليشم الورد الأحمر». قال أبو الفرج النهرواني هذا الخبر يسير من كثير مما أكرم الله به نبيه عليه السلام ودل على فضله ورفيع منزلته كما في «المقاصد الحسنة».

زكيسوى او نافه بو يافته كل از روى او آب رو يافته

[در خبر آمده كه هركل بوى كند وبر من صلوات نفرستد جفا كرده باشد بامن]. ويصلي عند خطور ذلك الجناب بباله. وعند إرادة أن يتذكر ما غاب عن الخاطر فإن بركة الصلوات تخطر على القلب. ومن آداب المصلي أن يصلي على الطهارة وقد سبق حكاية السلطان محمود عند قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ﴾ [الأحزاب: ٤٠] الخ الآية. وأن يرفع صوته عند أداء الحديث [ودر آثار آمده كه برداريد آواز خودرا درادای صلوات كه رفع الصوت بوقت اداى درود صيقليست كه غبار شقاق وژنكار نفاق را ازمراياء قلوب مى زدايد]:

نام تو صيقليست كه دلهاى تيره را روشن كند چو آينهاء سكندرى

وأن يكون على المراقبة وهو حضور القلب وطرد الغفلة وأن يصحح نيته وهو أن تكون صلواته امتثالاً لأمر الله وطلباً لرضاه وجلباً لشفاعة رسوله وأن يستوي ظاهره وباطنه فإن الذكر اللساني ترجمان الفكر الجناني فلا بد من تطبيق أحدهما بالآخر وإلا فمجرد الذكر اللساني من غير حضور القلب غير مفيد. وأن يصلي ورسول الله ﷺ مشهود لديه كما يقتضيه الخطاب في قوله: السلام عليك فإن لم يكن يراه حاضراً وسامعاً لصلاته فأقل الأمر أن يعلم أنه عليه السلام يرى صلاته معروضة عليه وإلا فهي مجرد حركة لسان ورفع صوت.

واعلم أن الصلوات متنوعة إلى أربعة آلاف وفي رواية إلى اثني عشر ألفاً على ما نقل عن الشيخ سعد الدين محمد الحموي قدس سره كلٌّ منها مختار جماعة من أهل الشرق والغرب

بحسب ما وجدوه رابطة المناسبة بينهم وبينه عليه السلام وفهموا فيه الخواص والمنافع منها ما سبق في أوائل الآية وهو قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم [دررياض الأحاديث آورده كه پيغمبر عليه السلام فرمودكه دربهشت در ختيست كه آنرا محبوبه كويند ميوهٔ اوخرد ترست ازانار وبزركترست ازسيب وآن ميوه ايست سفيدتر ازشير وشيرين تر ازعسل ونرم تر ازمسكه نخورد ازآن ميوه الاكسى كه هرروز مداومت كند بركفتن] اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم. ومنها قوله: «اللهم صل على محمد النبي كما أمرتنا أن نصلي عليه وصل على محمد النبي كما ينبغي أن يصلى عليه وصل على محمد بعدد من صلى عليه وصل على محمد النبي بعدد من لم يصل عليه وصل على محمد النبي كما تحب أن يصلى عليه» من صلى هذه الصلوات صعد له من العمل المقبول ما لم يصعد لفرد من أفراد الأمة وأمن من المخاوف مطلقاً خصوصاً إذا كان على طريق يخاف فيه من قطاع الطريق وأهل البغي.

هست از آفات دوران ومخافات زمان نام او حصن حصين وذكر او دار الامان

ومنها قوله: «اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات» من صلى هذه الصلوات كثر ماله يوماً فيوماً. ومنها قوله: «اللهم صل على محمد وآله عدد ما خلقت اللهم صل على محمد وآله ملىء ما خلقت اللهم صل على محمد وآله عدد كل شيء اللهم صل على محمد وآله ملىء كل شيء اللهم صل على محمد وآله عدد ما أحصاه كتابك اللهم صل على محمد وآله ملىء ما أحصاه كتابك اللهم صل على محمد وآله عدد ما أحاط به علمك اللهم صل على محمد وآله ملىء ما أحاط به علمك». قال الكاشفي: [اين صلوات ثمانيه منسوبست بنجبا وايشان هشت تن اند درهر زمانى زياده وكم نشوند حضرت شيخ قدس سره در فتوحات فرمودكه ايشان اهل علم اندبصفات ثمانيه ومقام ايشان كرسى است يعني كشف ايشان ازان تجاوز نتواند نمود ودر علم تيسير كواكب از جهت كشف واطلاع نه بروجه اصطلاح قدمى راسخ دارند وسلطان ابراهيم بن أدهم قدس سره ايشانرا درقبة الملائكة ديده در حرم مسجد اقصى وهريك يك كلمه ازين صلوات بوى آموخته اند فرموده كه مارا ببركات اين كلمات تصرفات كلي هست واحوال ومواجيد بجهت اين ورد برماغلب مى كند وفوائد اين بسيارست نقلست كه حضرت إبراهيم ادهم بقيهٔ عمر براداى اين صلوات مواظبت مى نموده]. ومنها قوله: «اللهم صل على سيدنا محمد مفرّق فرق الكفر والطغيان ومشتت بغاة جيوش القرين والشيطان وعلى آل محمد وسلم» [ازحضرت شيخ المشايخ سعد الدين الحموي قدس سره روايت كرده اندكه اكركسى از وسوسهٔ شيطان ودغدغهٔ نفس وهوى متضرر باشد بايدكه پيوست بدين نوع صلوات فرستد تا ازشر شياطين وهمزات ايشان مأمون ومحفوظ باشد]. ومنها قوله: «اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم بعدد ما في جميع القرآن حرفاً حرفاً وبعدد كل حرف ألفاً ألفاً» من قاله من الحفاظ بعد تلاوة حزب من القرآن استظهر بميامنه في الدنيا والآخرة واستفاد من فائدته صورة ومعنى. ومنها قوله: «اللهم صل على سيدنا محمد ما اختلف الملوان وتعاقب العصران وكرّ الجديدان واستقل الفرقدان وبلغ روحه وأرواح أهل بيته منا التحية والسلام وبارك وسلم عليه كثيراً. [آورده اندكه كسى نزد سلطان غازى محمود غزنوى آمد وكفت مدتى بودكه حضرت

پيغمبر را عليه السلام ميخواستم كه درخواب ببينم وغمى كه دردل دارم بآن دلدار غمخوار بازكويم]:

همه شب ديده بعمدا نكشايم ازخواب بوكه در خواب بدان دولت بيدار رسم

[قضارا سعادت مساعده نموده شب دوش بدان دولت بيدار رسيدم ورخسار جانفزاى جهان آرايش «كالقمر ليلة البدر وكالروح ليلة القدر» ديدم چون آن حضرت را منبسط يافتم كفتم يا رسول الله هزار درم قرض دارم اداى ويرا قادر نيستم ومى ترسم كه اجل در رسد ووام دركردن من بماند حضرت پيغمبر عليه السلام فرمودكه نزد محمود سبكتكين رو واين مبلغ از وبستان كفتم ياسيد البشر شايد ازمن باورنكند ونشانى طلبد كفت بكو بدان نشانى كه دراول شب كه تكيه ميكنى سى هزار بار برمن درود مى دهى وباخرشب كه بيدار ميشوى سى هزار نوبت ديكر صلوات مى فرستى وام مرا اداكن سلطان محمود بكريه در آمد واورا تصديق كرده قرضش اداكرد وهزار درم ديكرش بداد اركان دولت متعجب شده كفتند اى سلطان اين مردرا درين سخن محال كه كفت تصديق كردى وحال آنكه ما دراول شب وآخر باتوييم ونمى بينيم كه بصلوات اشتغال ميكنى واكركسى بفرستادن درود مشغول كردد وبجدى وجهدي كه زياده ازان درحيز تصور نيايد درتمام اوقات وساعات شبانه روز شصت هزار بارصلوات نميتواند فرستاد باندك فرصتى دراول وآخر شب چكونه اين صورت تيسيير پذير باشد سلطان محمود فرمودكه من ازعلما شنوده بودم كه هركه يكبار بدين نوع صلوات فرستدكه «اللهم صل على سيدنا محمد ما اختلف الملوان الخ» چنان باشدكه ده هزار بارصلوات فرستاده باشد ومن در اول شب سه نوبت ودر آخرشب سه كرت اين را مى خوانم وچنان ميدانم كه شصت هزار صلوات فرستاده ام پس اين درويش كه پيغام سيد انام عليه الصلاة والسلام آورده است كفت آن كريه كه كردم ازشادى بودكه سخن علما راست بوده وحضرت رسول عليه الصلاة والسلام بران كواهى داده]. ومنها قوله: «اللهم صل على محمد وآل محمد بعدد كل داء ودواء» [مولانا شمس الدين كيشى وقتى كه در ولايت وى وباى عام بوده حضرت رسالت را عليه السلام در واقعه ديده وكفته يا رسول الله مرا دعايى تعليم ده كه ببركت آن ازبليهٔ طاعون ايمن شوم آن حضرت فرموده كه هركه بدين نوع برمن صلوات دهد ازطاعون امان يابد]:

اكرزآفت دوران شكسته حال شوى امان طلب زجناب مقدس نبوى

وكرسهام حوادث ترا نشانه كند پناه بربحصار درود مصطفوى

ومنها قوله: «اللهم صل على محمد بعدد ورق هذه الأشجار. وصل على محمد بعدد الورد والأنوار. وصل على محمد بعدد قطر الأمطار. وصل على محمد بعدد رمل القفار. وصل على محمد بعدد دواب البراري والبحار». [در ذخيرة المذكرين آورده كه يكى از صلحاى امت درايام بهار بصحرا بيرون شد وسر سبز اشجار وظهور انوار وازهار مشاهده نمود كفت «يا رب صل على محمد بعدد ورق الخ» هاتفي آوازدادكه اى درود دهنده دررنج انداختى كرام الكاتبين رابجهت نوشتن ثواب اين كلمات ومستوجب درجها بنوشتيدى كار ازسر كيركه هرچه ازبدى كرده بودى درين وقت بيامرزند]. ومنها قوله: «اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات. وتقضي لنا بها جميع الحاجات. وتطهرنا بها من جميع السيئات. وترفعنا بها عندك أعلى الدرجات. وتبلغنا

بها أقصى الغايات. من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات». [درشفاء السقم آورده كه فاكهاني دركتاب فجر منير ازشيخ أبو موسى ضرير رحمه الله نقل ميكند باجمعى مردم دركشتى نشسته بوديم ناكاه بادى كه اورايح اقلابيه كويند وزيدن آغازكرد وملاحان مضطرب شدند چه اركشتى ازان بادسالم راندى ازنوادر شمردندى اهل كشتى ازين حال واقف كشت غريو وزارى دركرفتند ودل برمرك نهاده يكديكررا وصيت ميكردند ناكاه چشم من در خواب شد وحضرت رسالت را ﷺ ديدم كه بكشتى درآد وكفت يا أبا موسى أهل كشتى را بكو تاهزار بار صلوات فرستند بدين نوع كه «اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد الخ» بيدار شدم وقصه بایاران كفتم وآن كلمات برزبان من جارى بود باتفاق مى خوانديم نزديك به سيصد عدد كه خوانده شد آن باد بياراميد وكشتى بسلامت بكذشت]:

على المصطفى صلوا فإن صلاته امان من الآفات والخطرات
تحيته اصل الميامن فاطلبوا بها جملة الخيرات والبركات

ومنها قوله: «الصلاة والسلام عليك يا رسول الله. الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله. الصلاة والسلام عليك يا خليل الله. الصلاة والسلام عليك يا صفي الله. الصلاة والسلام عليك يا نجي الله. الصلاة والسلام عليك يا خير خلق الله. الصلاة والسلام عليك يا من اختاره الله. الصلاة والسلام عليك يا من زينه الله. الصلاة والسلام عليك يا من أرسله الله. الصلاة والسلام عليك يا من شرفه الله. الصلاة والسلام عليك يا من عظمه الله. الصلاة والسلام عليك يا من كرمه الله. الصلاة والسلام عليك يا سيد المرسلين. الصلاة والسلام عليك يا إمام المتقين. الصلاة والسلام عليك يا خاتم النبيين. الصلاة والسلام عليك يا شفيع المذنبين. الصلاة والسلام عليك يا رسول رب العالمين. الصلاة والسلام عليك يا سيد الأولين. الصلاة والسلام عليك يا سيد الآخرين. الصلاة والسلام عليك يا قائد المرسلين. الصلاة والسلام عليك يا شفيع الأمة. الصلاة والسلام عليك يا عظيم الهمة. الصلاة والسلام عليك يا حامل لواء الحمد. الصلاة والسلام عليك يا صاحب المقام المحمود. الصلاة والسلام عليك يا ساقي الحوض المورود. الصلاة والسلام عليك يا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة. الصلاة والسلام عليك يا سيد ولد آدم. الصلاة والسلام عليك يا أكرم الأولين والآخرين. الصلاة والسلام عليك يا بشير. الصلاة والسلام عليك يا نذير. الصلاة والسلام عليك يا داعي الله بإذنه والسراج المنير. الصلاة والسلام عليك يا نبي التوبة. الصلاة والسلام عليك يا نبي الرحمة. الصلاة والسلام عليك يا مقفى. الصلاة والسلام عليك يا عاقب. الصلاة والسلام عليك يا حاشر. الصلاة والسلام عليك يا مختار. الصلاة والسلام عليك يا ماحي. الصلاة والسلام عليك يا أحمد. الصلاة والسلام عليك يا محمد صلوات الله وملائكته ورسله وحملة عرشه وجميع خلقه عليك وعلى آلك وأصحابك ورحمة الله وبركاته» [اين صلوات را صلوات فتح كويند چهل كلمه است صلواتي مباركست ونزد علماً معروف ومشهور وبهر مرادي كه بخوانند حاصل كردد هركه چهل بامداد بعدازاداى فرض بكويد كارفروبستهء او بكشايد وبردشمن ظفر يابد واكر درحبس بود حق سبحانه وتعالى اورا رهايى بخشد وخواص او بسيارست. وحضرت عارف صمداني اميرسيد على همداني قدس سره بعضي ازين صلوات در آخر اوراد فتحيه ايراد فرموده اند وشرط خواندن اين صلوات آنست كه حضرت پيغمبررا صلى الله تعالى عليه وسلم حاضر بيند

ومشافهه باايشان خطاب كند. ومنها قوله: «السلام عليك يا إمام الحرمين. السلام عليك يا إمام الخافقين. السلام عليك يا رسول الثقلين. السلام عليك يا سيد من في الكونين وشفيع من في الدارين. السلام عليك يا صاحب القبلتين. السلام عليك يا نور المشرقين وضياء المغربين. السلام عليك يا جد السبطين الحسن والحسين عليك وعلى عترتك وأسرتك وأولادك وأحفادك وأزواجك وأفواجك وخلفائك ونقبائك ونجبائك وأصحابك وأحزابك وأتباعك وأشياعك سلام الله والملائكة والناس أجمعين إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين» [اين را تسليمات سبعه كويندكه هفت سلامست هركه بكارى درماند ومهمات اوفروبسته باشد هفت روزى بعدازنمازى يازده بارصلوات فرستد پس اين را تسليمات هفت بار بخواند مهم كفايت شود وحاجت روا كردد]:

يا نبي الله السلام عليك ... إنما الفوز والفلاح لديك
بسلام آمدم جوابم ده ... مرهمى بر دل خرابم نه
پس بود جاه واحترام مرا ... يك عليك ازتوصد سلام مرا
زارىء من شنو تكلم كن ... كريه من نكر تبسم كن
لب بجنبان پى شفاعت من ... منكر دركناه وطاعت من

قال الكاشفي: [في تفسيره وفي تحفة الصلوات أيضاً دركيفيت صلاة أحاديث متنوعه وارد شده وإمام نووى فرموده كه افضل آنست كه جمع نمايند ميان احاديث طرق مذكوره چه اكثر آن بصحت پيوسته والفاظ وارده را بتمام بيارند برين وجه كه] «اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾.

﴿**إن الذين يؤذون الله**﴾ يقال: أذى يؤذي أذى وأذية وإذاية ولا يقال إيذاء كما في «القاموس» شاع بين أهل التصنيف استعماله كما في «التنبيه» لابن كمال. ثم إن حقيقة التأذي وهو بالفارسية: [آزرده شدن] في حقه تعالى محال فالمعنى يفعلون ما يكرهه ويرتكبون ما لا يرضاه بترك الإيمان به ومخالفة أمره ومتابعة هواهم ونسبة الولد والشريك إليه والإلحاد في أسمائه وصفاته ونفي قدرته على الإعادة وسب الدهر ونحت التصاوير تشبيهاً بخلق الله تعالى ونحو ذلك ﴿**ورسوله**﴾ بقولهم: شاعر ساحر كاهن مجنون وطعنهم في نكاح صفية الهارونية وهو الأذى القولي وكسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم أحد ورمي التراب عليه ووضع القاذورات على مهر النبوة. عبد الله بن مسعود [كفت ديدم رسول خدايرا عليه السلام در مسجد حرام درنماز بود سر بر سجود نهاده كه آن كافر بيامد وشكنبهء شتر ميان دوكتف وى فروكذاشت رسول همچنان درسجود بخدمت الله ايستاده وسرازرمين برنداشت تا آنكه كه فاطمهء زهرا رضي الله عنها بيامد وآن از كتف مبارك وى بينداخت وروى نهاد درجمع قريش وآنچه سراى ايشان بود كفت] ونحو ذلك من الأذى الفعلي ويجوز أن يكون المراد بإيذاء الله

ورسوله ايذاء رسول الله خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله لتعظيمه والإيذان بجلالة مقداره عنده وأن إيذاءه عليه السلام إيذاء له تعالى لأنه لما قال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] فمن آذى رسوله فقد آذى الله. قال الإمام السهيلي رحمه الله ليس لنا أن نقول أن أبوي النبي ﷺ في النار لقوله عليه السلام: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات» والله تعالى يقول: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ الآية يعني يدخل التعامل المذكور في اللعنة الآتية ولا يجوز القول في الأنبياء عليهم السلام بشيء يؤدي إلى العيب والنقصان ولا فيما يتعلق بهم. وعن أبي سهلة بن جلاد رضي الله عنه أن رجلاً أم قوماً فبصق في القبلة ورسول الله ينظر إليه فقال عليه السلام حين فرغ: «لا يصل بكم هذا» فأراد بعد ذلك أن يصلي بهم فمنعوه وأخبروه بقول رسول الله فذكر ذلك لرسول الله فقال: «نعم» وحسبت أنه قال: إنك آذيت الله ورسوله كما في «الترغيب» للإمام المنذري. قال العلماء: إذا كان الإمام يرتكب المكروهات في الصلاة كره الاقتداء به لحديث أبي سهلة هذا وينبغي للناظر وولي الأمر عزله لأنه عليه السلام عزله بسبب بصاقه في قبلة المسجد وكذلك تكره الصلاة بالموسوس لأنه يشك في أفعال نفسه كما في «فتح القريب». وإنما يكره للإمام أن يؤم قوماً وهم له كارهون بسبب خصلة توجب الكراهة أو لأن فيهم من هو أولى منه وأما إن كانت كراهتهم بغير سبب يقتضيها فلا تكره إمامته لأنها كراهة غير مشروعة فلا تعتبر. ومن الأذية أن لا يذكر اسمه الشريف بالتعظيم والصلاة والتسليم، وفي «المثنوي»:

آن دهان كژ كرد وازتسخر بخواند ... مر محمد را دهانش كژ بماند
باز آمد كاى محمد عفو كن ... اى ترا الطاف علم من لدن
من ترا افسوس مى كردم ز جهل ... من بدم افسوس را منسوب واهل
چون خدا خواهدكه پرده كس درد ... ميلش اندر طعنه پاكان برد
ورخدا خواهد كه پوشد عيب كس ... كم زند در عيب معيوبان نفس

﴿لعنهم الله﴾ طردهم وأبعدهم من رحمته ﴿في الدنيا والآخرة﴾ بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئاً منهم ﴿وأعد لهم﴾ مع ذلك ﴿عذاباً مهيناً﴾ يصيبهم في الآخرة خاصة أي: نوعاً من العذاب يهانون فيه فيذهب بعزهم وكبرهم.

قال في «التأويلات» لما استحق المؤمنون بطاعة الرسول والصلاة عليه صلاة الله فكذلك الكافرون استحقوا بمخالفة الرسول وإيذائه لعنة الله فلعنة الدنيا هي الطرد عن الحضرة والحرمان من الإيمان ولعنة الآخرة الخلود في النيران والحرمان من الجنان وهذا حقيقة قوله: ﴿وأعد لهم عذاباً مهيناً﴾. قال في «فتح الرحمٰن»: يحرم أذى النبي عليه السلام بالقول والفعل بالاتفاق. واختلفوا في حكم من سبه والعياذ بالله من المسلمين. فقال أبو حنيفة والشافعي هو كفر كالردة يقتل ما لم يتب وقال مالك وأحمد يقتل ولا تقبل توبته لأن قتله من جهة الحد لا من جهة الكفر. وأما الكافر إذا سبه صريحاً بغير ما كفر به من تكذيبه ونحوه. فقال أبو حنيفة: لا يقتل لأن ما هو عليه من الشرك أعظم ولكن يؤدب ويعزر. وقال الشافعي: ينتقض عهده فيخير فيه الإمام بين القتل والاسترقاق والمنّ والفداء ولا يرد مأمنه لأنه كافر لا أمان له ولو لم يشترط عليه الكف عن ذلك بخلاف ما إذا ذكره بسوء يعتقده ويتدين به كتكذيب ونحوه فإنه لا ينتقض عهده بذلك إلا باشتراط. وقال مالك وأحمد: يقتل ما لم يسلم واختار جماعة من أئمة مذهب

أحمد أن سابه عليه السلام يقتل بكل حال منهم الشيخ تقي الدين بن تيمية وقال: هو الصحيح من المذهب وحكم من سب سائر أنبياء الله وملائكته حكم من سب نبينا عليه السلام. وأما من سب الله تعالى والعياذ بالله من المسلمين بغير الارتداد عن الإسلام ومن الكفار بغير ما كفروا به من معتقدهم في عزير والمسيح ونحو ذلك فحكمه حكم من سب النبي ﷺ نسأل الله العصمة والهداية ونعوذ به من السهو والزلل والغواية إنه الحافظ الرقيب.

﴿**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات**﴾ يفعلون بهم ما يتأذون به من قول أو فعل ﴿**بغير ما اكتسبوا**﴾ أي: بغير جناية يستحقون بها الأذية وتقييد أذاهم به بعد إطلاقه في الآية السابقة للإيذان بأن أذى الله ورسوله لا يكون إلا غير حق وأما أذى هؤلاء فقد يكون حقاً وقد يكون غير حق. والآية عامة لكل أذى بغير حق في كل مؤمن ومؤمنة. فتشمل ما روي أن عمر رضي الله عنه خرج يوماً فرأى جارية مزينة مائلة إلى الفجور فضربها فخرج أهلها فآذوا عمر باللسان. وما روي أن المنافقين كانوا يؤذون علياً رضي الله عنه ويسمعونه ما لا خير فيه. وما سبق من قصة الأفك حيث اتهموا عائشة بصفوان السهمي رضي الله عنهما. وما روي أن الزناة كانوا يتبعون النساء إذا برزن بالليل لطلب الماء أو لقضاء حوائجهن وكانوا لا يتعرضون إلا للإماء ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر أيضاً جهلاً أو تجاهلاً لاتحاد الكل في الزي واللباس حيث كانت تخرج الحرة والأمة في درع وخمار وما سيأتي من أراجيف المرجفين وغير ذلك مما يثقل على المؤمن ﴿**فقد احتملوا**﴾ الاحتمال مثل الاكتساب بناء ومعنى كما في «بحر العلوم». وقال بعضهم: تحملوا لأن الاحتمال بالفارسية: [برداشتن] ﴿**بهتاناً**﴾ افتراء وكذباً عليهم من بهته فلان بهتاناً إذا قال عليه ما لم يفعله، وبالفارسية: [دروغى بزرك] ﴿**وإثماً مبيناً**﴾ أي: ذنباً ظاهراً. وقال الكاشفي، يعني: [سزاوار عقوبت بهتان ومستحق عذاب كناه ظاهر ميشوند].

واعلم أن أذى المؤمنين قرن بأذى الرسول عليه السلام كما أن أذى الرسول قرن بأذى الله ففيه إشارة إلى أن من آذى المؤمنين كان كمن آذى الرسول ومن آذى الرسول كان كمن آذى الله تعالى فكما أن المؤذي لله وللرسول مستحق الطرد واللعن في الدنيا والآخرة فكذا المؤذي للمؤمن.

ـ روي ـ أن رجلاً شتم علقمة رضي الله عنه فقرأ هذه الآية. وعن عبد الرحمٰن بن سمرة رضي الله عنه قال: خرج النبي عليه السلام على أصحابه فقال: «رأيت الليلة عجباً رأيت رجالاً يعلقون بألسنتهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل فقال: هؤلاء الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا» وفي الحديث القدسي: «من آذى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة»، يعني: [هركه دوستى را ازدوستان من بيازا رد آن آزارنده جنك مراساخته وازآزا رآن دوست جفاى من خواسته وهركه جنك مراسازد ويرا بلشكر انتقام مقهور كنم واورا بخوارى اندر جهان مشهور سازم.

ـ روي ـ أن ابن عمر رضي الله عنهما نظر يوماً إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك. وأوحى الله إلى موسى عليه السلام لو يعلم الخلق إكرامي الفقراء في مجلى قدسي ودار كرامتي للحسوا أقدامهم وصاروا تراباً يمشون عليهم فوعزتي ومجدي وعلوي وارتفاع مكاني لأسفرنّ لهم عن وجهي الكريم واعتذر إليهم بنفسي

واجعل شفاعتهم لمن برهم فيّ أو آواهم فيّ ولو كان عشاراً وعزتي ولا أعز مني وجلالي ولا أجل مني إني أطلب ثارهم ممن عاداهم حتى أهلكه في الهالكين، قال الشيخ سعدي قدس سره:

نكو كار مردم نباشد بدش ... نورزد كسى بدكه نيك آيدش
نه هر آدمى زادهٔ ازدد بهست ... كه دد زادمى زادهٔ بدبهست
بهست ازدد انسان صاحب خرد ... نه انسان كه درمردم افتدچودد

يعني: خاصمه وافترسه كالأسد مثلاً. قال فضيل رحمه الله: والله لا يحل لك أن تؤذي كلباً ولا خنزيراً بغير ذنب فكيف أن تؤذي مسلماً وفي الحديث: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» بأن لا يتعرض لهم بما حرم من دمائهم وأموالهم وأعراضهم قدم اللسان في الذكر لأن التعرض به أسرع وقوعاً وأكثر وخص اليد بالذكر لأن معظم الأفعال يكون بها.

واعلم أن المؤمن إذا أوذي يلزم عليه أن لا يتأذى بل يصبر فإن له فيه الأجر فالمؤذي لا يسعى في الحقيقة إلا في إيصال الأجر إلى من آذاه ولذا ورد «وأحسن إلى من أساء إليك» وذلك لأن المسيء وإن كان مسيئاً في الشريعة لكنه محسن في الحقيقة:

بدى را بدى سهل باشد جزا ... اكر مردى احسن إلى من أساء

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾.

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ أي نسائك وكانت تسعاً حين توفي عليه السلام وهن: عائشة وحفصة وأم حبيبة وأم سلمة وسودة وزينب وميمونة وصفية وجويرية وقد سبق تفاصيلهن نسباً وأوصافاً وأحوالاً **﴿وبناتك﴾** وكانت ثماني: أربعاً ولدتها خديجة وهي زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهن متن في حياته عليه السلام إلا فاطمة فإنها عاشت بعده ستة أشهر. وأربعاً ربائب ولدتها أم سلمة وهي برة وسلمة وعمرة ودرة رضي الله عنهن **﴿ونساء المؤمنين﴾** في المدينة **﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾** مقول القول: [والادناء: نزديك كردن] من الدنو وهو القرب. والجلباب ثوب أوسع من الخمار دون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله إلى صدرها بالفارسية: [چار] ومن للتبعيض لأن المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض [والتلفع: جامه تاپاى دركرفتن] والمعنى: يغطين بها وجوههن وأبدانهن وقت خروجهن من بيوتهن لحاجة ولا يخرجن مكشوفات الوجوه والأبدان كالإماء حتى لا يتعرض لهن السفهاء ظناً بأنهن إماء. وعن السدي تغطي إحدى عينيها وشق وجهها والشق الآخر إلا العين **﴿ذلك﴾** أي: ما ذكر من التغطي **﴿أدنى﴾** أقرب **﴿أن يعرفن﴾** ويميزن من الإماء والقينات اللاتي هن مواقع تعرض الزناة وأذاهم كما ذكر في الآية السابقة **﴿فلا يؤذين﴾** من جهة أهل الفجور بالتعرض لهن. قال أنس رضي الله عنه: مرت لعمر بن الخطاب جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال: يا لكاع تتشبهين بالحرائر ألقي القناع **﴿وكان الله غفوراً﴾** لما سلف من التفريط وترك الستر **﴿رحيماً﴾** بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها. وفي الآية تنبيه لهن على حفظ أنفسهن ورعاية حقوقهن بالتصاون والتعفف. وفيه إثبات زينتهن وعزة قدرهن **﴿ذلك﴾** التنبيه **﴿أدنى أن يعرف﴾** أن لهن قدراً ومنزلة وعزة في الحضرة **﴿فلا يؤذين﴾** بالأطماع

الفاسدة والأقوال الكاذبة ﴿وكان الله غفوراً﴾ لهن بامتثال الأوامر ﴿رحيماً﴾ بهن بإعلاء درجاتهن كما في «التأويلات النجمية».

واعلم أنه فهم من الآية شيئان: الأول أن نساء ذلك الزمان كن لا يخرجن لقضاء حوائجهن إلا ليلاً تستراً وتعففاً وإذا خرجن نهاراً لضرورة يبالغن في التغطي ورعاية الأدب والوقار وغض البصر عن الرجال الأخيار والأشرار ولا يخرجن إلا في ثياب دنيئة فمن خرجت من بيتها متعطرة متبرجة أي: مظهرة زينتها ومحاسنها للرجال فإن عليها ما على الزانية من الوزر. قال الشيخ سعدي قدس سره:

چوزن راه بازار كيرد بزن وكرنه تودر خانه بنشين چوزن
زبيكانكان چشم زن كورباد چو بيرون شداز خانه دركورباد

وعلامة المرأة الصالحة عند أهل الحقيقة أن يكون حسنها مخافة الله وغناها القناعة وحليها العفة أي: التكفف عن الشرور والمفاسد والاجتناب عن مواقع التهم. يقال إن المرأة مثل الحمامة إذا نبت لها جناح طارت كذلك الرجل إذا زين امرأته بالثياب الفاخرة فلا تجلس في البيت.

چو بيني كه زن پاى برجاى نيست ثبات از خردمندى وراى نيست
كريزاز كفش در دهان نهنك كه مردن به از زند كانى به ننك

قال الجامي:

چو مرداز زن بخوش خويى كشدبار زخوش خويى ببدبويى كشد كار
مكن بركار زن چند ان صبوري كه افتد رخنه در رسد غيورى

قيل: لا خير في بنات الكفرة وقد يؤذي عليهن في الأسواق وتمر عليهن أيدي الفساق يعني أنها في الابتذال بحيث لا يميل إليها أكثر الرجال والغالب عليها النظر إلى الأجانب والميل إلى كل جانب فأين نساء الزمان من رابعة العدوية رحمها الله فإنها مرضت مرة مرضاً شديداً فسئلت عن سببه فقالت: نظرت إلى الجنة فأدبني ربي وعاتبني فأخذني المرض من ذلك العتاب فإذا كان الناظر إلى الجنة في معرض الخطاب والعتاب لكونها ما دون الله تعالى مع كونها دار كرامته وتجليه فما ظنك بالناظر إلى الدنيا وحطامها ورجالها ونسائها.

والثاني: أن الدنيا لم تخل عن الفسق والفجور حتى في الصدر الأول فرحم الله امرأ غض بصره عن أجنبية فإن النظرة تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة. قال ابن سيرين رحمه الله: إني لأرى المرأة في منامي فأعلم أنها لا تحل لي فأصرف بصري فيجب أن لا يقرب امرأة ذات عطر وطيب ولا يمس يدها ولا يكلمها ولا يمازحها ولا يلاطفها ولا يخلو بها فإن الشيطان يهيج شهوته ويوقعه في الفاحشة وفي الحديث «من فاكه امرأة لم تحل له ولا يملكها حبس بكل كلمة ألف عام في النار ومن التزم امرأة حراماً» أي: اعتنقها «قرن مع الشيطان في سلسلة ثم يؤمر به في النار» والعياذ بالله من دار البوار.

﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾.

﴿لئن لم ينته المنافقون﴾ لام قسم والانتهاء والانزجار عما نهى عنه، وبالفارسية: [بازايستيدن] والمعنى والله لئن لم يمتنع المنافقون عما هم عليه من النفاق وأحكامه الموجبة للإيذاء ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ ضعف إيمان وقلة ثبات عليه أو فجور من تزلزلهم في الدين وما يستتبعه مما لا خير فيه أو من فجورهم وميلهم إلى الزنى والفواحش ﴿والمرجفون في المدينة﴾ الرجف الاضطراب الشديد يقال رجف الأرض والبحر وبحر رجاف والرجفة الزلزلة والإرجاف إيقاع الرجفة والاضطراب إما بالفعل أو بالقول وصف بالإرجاف الأخبار الكاذب لكونه متزلزلاً غير ثابت. وفي «التاج» [الارجاف: خبر دروغ افكندن] والمعنى لئن لم ينته المخبرون بالاخبار الكاذبة في الفريقين عما هم عليه من نشر أخبار السوء عن سرايا المسلمين بأن يقولوا انهزموا وقتلوا وأخذوا وجرى عليهم كيت كيت وآتاكم العدو وغير ذلك من الأراجيف المؤذية الموقعة لقلوب المسلمين في الاضطراب والكسر والرعب ﴿لنغرينك بهم﴾ جواب القسم المضمر [الاغراء: برانكيختن برچيز] يقال غرى بكذا أي: لهج به ولصق وأصل ذلك من الغراء وهو ما يلصق به وقد أغريت فلاناً بكذا إغراء ألهجته به والضمير في بهم لأهل النفاق والمرض والإرجاف أي: لنأمرنك بقتالهم وإجلائهم أو بما يضطرهم إلى الجلاء ولنحرّضنك على ذلك، وبالفارسية: [هرآينه ترا بركماريم بريشان ومسلط سازيم وامر كنيم بقتل ايشان] ﴿ثم لا يجاورونك فيها﴾ عطف على جواب القسم وثم للدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار الرسول أعظم ما يصيبهم أي: لا يساكنونك، وبالفارسية: [پس همسا يكى نكند باتو در مدينه] فإن الجار من يقرب مسكنه [والمجاورة: باكسى همسايكى كردن] ﴿إلا قليلاً﴾ زماناً أو جواراً قليلاً ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه. وفي «بحر العلوم» ريثما يرتحلون بأنفسهم وعيالهم.

﴿ملعونين﴾ مطرودين عن الرحمة والمدينة وهو نصب على الشتم والذم أي: اشتم واذم أو على الحال على أن حرف الاستثناء داخل على الظرف والحال معاً أي: لا يجاورونك إلا حال كونهم ملعونين ﴿أينما ثقفوا﴾ في أي: مكان وجدوا وأدركوا، وبالفارسية [هركجا يافته شوند]. قال الراغب الثقف الحذق في إدراك الشيء وفعله يقال ثقفت كذا إذا أدركته ببصرك لحذق في النظر ثم قد تجوز به فاستعمل في الإدراك وإن لم يكن معه ثقافة ﴿أخذوا﴾ [كرفته شوند يعني بايدكه بكيرند ايشانرا] ﴿وقتلوا تقتيلاً﴾ [وكشته كردند يعني بكشند كشتنى را بخوارى وزارى] يعني الحكم فيهم الأخذ والقتل على جهة الأمر فما انتهوا عن ذلك كما في «تفسير أبي الليث». وقال محمد بن سيرين: فلم ينتهوا ولم يغر الله بهم والعفو عن الوعيد جائز لا يدخل في الخلف كما في «كشف الأسرار».

﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾ مصدر مؤكد أي: سن الله ذلك في الأمم الماضية سنة وجعله طريقة مسلوكة من جهة الحكمة وهي أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء وسعوا في توهين أمرهم بالإرجاف ونحوه أينما ثقفوا ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ تغييراً أصلاً أي: لا يبدلها لابتنائها على أساس الحكمة التي عليها يدور فلك التشريع أو لا يقدر أحد على أن يبدلها لأنّ ذلك مفعول له لا محالة. وفي الآية تهديد للمنافقين عبارة ومن بصددهم من منافقي أهل الطلب من المتصوفة والمتعرفة الذين يلبسون في الظاهر ثيابهم ويتلبسون في الباطن بما يخالف سيرتهم وسرائرهم وأنهم لو لم يمتنعوا عن أفعالهم ولم يتغيروا عن أحوالهم لأجرى معهم سنته

في التبديل والتغيير على من سلف من نظائرهم ولكل قوم عقوبة بحسب جنايتهم. مالك بن دينار رضي الله عنه [كفت كه ازحسن بصرى پرسيدم كه عقوبت عالم چه باشد كفت مردن دل كفتم مردن دل ازچه باشد كفت ازجستن دنيا «فلا بد من إحياء القلب وإصلاح الباطن»] نقلست كه جنيد بغدادي قدس سره جامه بر سم علماى دانشمندان پوشيدى اورا كفتند اى پير طريقت چه بود اكر براى اصحاب مرقع در پوشى كفت اكرد انشمندى بمرقع كار مى شود از آتش وآهن لباس ساختمى ودر پوشيدمى ولكن هر ساعت در باطن من ندايى ميكنندكه «ليس الاعتبار بالخرقة إنما الاعتبار بالحرفة»:

اى درونت برهنه از تقوى وز برون جامهٔ ريا دارى

پردهٔ هفت رنك در مكذار تو كه در خانه بوريا دارى

نقلست كه وقتى نماز شام حسن بصري بدر صومعهٔ حبيب اعجمي كذشت وى اقامت نماز شام كفته بودى وبنماز ايستاد حسن در آمد وشنيدكه «الحمد» را «الهمد» ميخواند كفت نماز اودرست نبود بدو اقتدا نكرد وخود نماز بكذارد چون شب بخفت حق را تبارك وتعالى بخواب ديد اى بارخدا رضاى تو درچه چيزاست كفت يا حسن رضاى من درتو يافته بودى واين نماز مهر نمازهاى توخواسته بود اما ترا سقم عبادت ازصحت نيت بازداشت بسى تفاوتست اززبان راست كردن تادل] فعلى العاقل أن لا يميل إلى الشقاوة والنفاق بل إلى الإخلاص والوفاق. ويقال: هاتان الآيتان في الزنادقة تستثقلهم أهل كل ملة في الدنيا كما في كشف الأسرار. والزنديق هو الملحد المبطن للكفر. قال أبو حنيفة رضي الله عنه: اقتلوا الزنديق وإن قال تبت. قال بعضهم الزنديق من يقول ببقاء الدهر أي: لا يعتقد إلهاً ولا بعثاً ولا حرمة شيء من المحرمات ويقول: إن الأموال مشتركة. وفي قبول توبته روايتان والذي يرجح عدم قبولها قاتله الله ومن يليه من الملاحدة ولعنهم على حدة وحفظ الأرض من ظهورهم وشرورهم.

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾.

﴿يسألك الناس عن الساعة﴾ [مى پرسند ترا مردمان] عن وقت قيامها والساعة جزء من أجزاء الزمان ويعبر بها عن القيامة تشبيهاً بذلك لسرعة حسابها كما قال: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢] كان المشركون يسألونه عليه السلام عن ذلك استعجالاً بطريق الاستهزاء والتعنت والإنكار واليهود امتحاناً لما أن الله تعالى عمى أي: أخفى وقتها في التوراة وسائر الكتب **﴿قل إنما علمها عند الله﴾** لا يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً [كويند ازخلفاى يكى بخواب ديد ملك الموت را ازو پرسيدكه عمر من چند مانده است او پنج انكشت اشارت كرد تعبير خواب از بسياركس پرسيدند معلوم نشد إمام أعظم أبو حنيفة را رضي الله عنه خواندند كفت اشارت بپنج علمست كه كس نداند وآن پنج علم درين آيتست كه الله تعالى كفت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]] الآية خلعت نيكو دادش اما نپوشيد **﴿وما يدريك﴾** أي: شيء يجعلك داريا وعالماً بوقت قيامها أي: لا يعلمك به شيء أصلاً فأنت لا تعرفه وليس من شرط النبي أن يعلم الغيب بغير تعليم من الله تعالى، وبالفارسية: [وچه چيز ترا دانا كرد بآن]. **﴿لعل الساعة﴾**

[شايد كه قيامت] ﴿تكون﴾ شيئاً ﴿قريباً﴾ أو تكون الساعة في وقت قريب فتكون تامة وانتصاب قريباً على الظرفية. وفيه تهديد للمستعجلين وإسكات للمتعنتين. قالوا: من أشراط الساعة أن يقول الرجل افعل غداً فإذا جاء غد خالف قوله فعله وإن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار ويرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنى والفجور ورقص القينات وشرب الخمور ونحو ذلك من موت الفجأة وعلوّ أصوات الفساق في المساجد والمطر بلا نبات. وفي الحديث «لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفحش وحتى يعبد الدرهم والدينار» إلى غير ذلك وذكر أموراً لم تحدث في زمانه ولا بعده وكانت إذا هبت ريح شديدة تغير لونه عليه السلام وقال: «تخوفت الساعة» وقال: «ما أمدّ طرفي ولا أغضه إلا وأظن الساعة قد قامت» يعني موته فإن الموت الساعة الصغرى أي: موت كل إنسان كما أن موت أهل القرن الواحد هي الساعة الوسطى نسأل الله التدارك. قال المولى الجامي قدس سره:

كار امروز را مباش اسير ... بهر فردا زخيره بر كير
روز عمرت بوقت عصر رسيد ... عصر تو تا نماز شام كشيد
خفتن خواب مرك نزديكست ... موج كرداب مرك نزديكست
فانتبه قد أقيمت الساعة ... أن عمر الخلائق ساعه

﴿إن الله لعن الكافرين﴾ على الإطلاق لا منكري الحشر ولا معاندي الرسول فقط أي: طردهم وأبعدهم من رحمته العاجلة والآجلة ولذلك يستهزئون بالحق الذي لا بد لكل خلق من انتهائه إليه والاهتمام بالاستعداد له ﴿وأعد لهم﴾ مع ذلك ﴿سعيراً﴾ ناراً مسعورة شديدة الاتقاد يقاسونها في الآخرة، وبالفارسية: [آماده كرد براى عذاب ايشان آتشى افروخته] يقال سعر النار وأسعرها وسعرها أوقدها.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿خالدين فيها﴾ مقدّراً خلودهم في السعير ﴿أبداً﴾ دائماً، بالفارسية: [درحالتى كه جاويد باشند دران يعني هميشه در آتش معذب مانند] اكد الخلود بالتأبيد والدوام مبالغة في ذلك ﴿لا يجدون ولياً﴾ يحفظهم ﴿ولا نصيراً﴾ يدفع العذاب عنهم ويخلصهم منه.

﴿يوم تقلب وجوههم في النار﴾ ظرف لعدم الوجدان أي: يوم تصرف وجوههم فيها من جهة إلى جهة كاللحم ليشوي في النار أو يطبخ في القدر فيدور به الغليان من جهة إلى جهة ومن حال إلى حال أو يطرحون فيها مقلوبين منكوسين وتخصيص الوجوه بالذكر للتعبير عن الكل وهي الجملة بأشرف الأجزاء وأكرمها ويقال تحول وجوههم من الحسن إلى القبح ومن حال البياض إلى حال السواد ﴿يقولون﴾ استئناف بياني كأنه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل: يقولون متحسرين على ما فاتهم ﴿يا ليتنا﴾ يا هؤلاء فالمنادى محذوف ويجوز أن يكون يا لمجرد التنبيه من غير قصد إلى تعيين المنبه، وبالفارسية: [كاشكى ما] ﴿أطعنا الله﴾ في دار الدنيا فيما أمرنا ونهانا ﴿وأطعنا الرسولا﴾ فيما دعانا إلى الحق فلن نبتلي بهذا العذاب.

﴿وقالوا﴾ أي: الاتباع عطف على يقولون والعدول إلى صيغة الماضي للإشعار بأن قولهم هذا ليس مسبباً لقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار أرادوا به ضرباً من التشفي بمضاعفة

عذاب الذين ألقوهم في تلك الورطة وإن علموا عدم قبوله في حق خلاصهم منها ﴿ربنا﴾ [اى پروردكارما] ﴿إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا﴾ يعنون قادتهم ورؤساءهم الذين لقنوهم الكفر والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار وإلا فهم في مقام التحقير والإهانة. والسادة جمع سيد وجمع الجمع سادات وقد قرىء بها للدلالة على الكثرة. قال في «الوسيط» وسادة أحسن لأن العرب لا تكاد تقول سادات. والكبراء جمع كبير وهو مقابل الصغير والمراد الكبير رتبة وحالاً ﴿فأضلونا السبيلا﴾ أي: صرفونا عن طريق الإسلام والتوحيد بما زينوا لنا الكفر والشرك يقال أضله الطريق وأضله عن الطريق بمعنى واحد أي: أخطأ به عنه، وبالفارسية: [پس كم كردند راه مارا يعنى مارا ازراه ببردند وبافسون وافسانه فريب دادند] والألف الزائدة في الرسولا والسبيلا لإطلاق الصوت لأن أواخر آيات السورة الألف والعرب تحفظ هذا في خطبها وإشعارها. قال في «بحر العلوم»: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص والكسائي ﴿وأطعنا الرسول فأضلونا السبيل﴾ بغير ألف في الوصل. وحمزة وأبو عمرو ويعقوب في الوقف أيضاً والباقون بالألف في الحالين تشبيهاً للفواصل بالقوافي فإن زيادة الألف لإطلاق الصوت وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف وأما حذفها فهو القياس أي: في الوصف والوقف.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾.

﴿ربنا﴾ تصدير الدعاء بالنداء المكرر للمبالغة في الجؤار واستدعاء الإجابة ﴿آتهم ضعفين من العذاب﴾ أي: مثلي العذاب الذي أوتيناه لأنهم ضلوا وأضلوا فضعف لضلالهم في أنفسهم عن طريق الهداية وضعف لإضلالهم غيرهم عنها ﴿والعنهم لعناً كبيراً﴾ أي: شديداً عظيماً وأصل الكبير والعظيم أن يستعملا في الأعيان ثم استعيرا للمعاني، وبالفارسية: [وبرايشان راندن بزرك كه بآن خواندن نباشد ومقرراست كه هركرا حق تعالى براند ديكرى نتواندكه بخواند]:

هركه را قهر تو راند كه تواند خواندن وانكه لطف توخواند نتوانش راندن

وقرىء كثيراً أي: كثير العدد أي: اللعن على أثر اللعن أي: مرة بعد مرة ويشهد للكثرة قوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١]. قال في «كشف الأسرار»: [محمد بن أبي السري مردى بود از جمله نيك مردان روزكار كفتا بخواب نمودند مراكه درمسجد عسقلان كسى قرآن مى خواند باينجا رسيدكه. ﴿والعنهم لعناً كبيراً﴾] من كفتم كثيراً وى كفت كبيراً بازنكرستم رسول خدايرا ديدم درميان مسجد كه قصد مناره داشت فراپيش وى رفتم كفتم «السلام عليك يا رسول الله استغفر لي» رسول ازمن بركشت ديكر بار ازسوى راست وى در آمدم كفتم «يا رسول الله استغفر لي» رسول اعراض كرد برابروى بايستادم كفتم يا رسول الله سفيان بن عيينه مرا خبر كرد از محمد بن المنكدر ازجابر بن عبد الله كه هركز ازتو نخواستندكه كفتى «لا» چونست كه سؤال من رد ميكنى ومرادم نميدهى رسول خدا تبسمى كرد آنكه كفت «اللهم اغفر له» پس كفتم يا رسول الله ميان من واين مرد خلافست اوميكويد ﴿والعنهم لعناً كبيراً﴾ ومن ميكويم (كثيراً) رسول همچنان برمناره ميشدوميكفت (كثيراً كثيراً

كثيراً). ثم إن الله تعالى أخبر بهذه الآية عن صعوبة العقوبة التي علم أنه يعذبهم بها وما يقع لهم من الندامة على ما فرطوا حين لا تنفعهم الندامة ولا يكون سوى الغرامة والملامة:

حسرت ازجان اوبر آرد دود وان زمان حسرتش ندارد سود
بسكه ريزد زديده اشك ندم غرق كردد زفرق تابقدم
آب چشمش شود دران شيون آتشش را بخاصيت روغن
كاش اين كريه پيش ازين كردى غم اين كار بيش ازين كردى
اى بمهد بدن چو طفل صغير مانده دردست خواب غفلت اسير
پيش ازان كت اجل كند بيدار كر بمردى زخواب سر بردار

اللهم أيقظنا من الغفلة وادفع عنا الكسل واستخدمنا فيما يرضيك من حسن العمل.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا﴾ في أن تؤذوا رسول الله ﷺ. قيل: نزلت في شأن زينب وما سمع فيه من مقالة الناس كما سبق. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قسم النبي عليه السلام قسماً فقال رجل: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله فأتيت النبي عليه السلام فأخبرته فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ثم قال: «يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا». ﴿كالذين آذوا موسى﴾ كقارون وأشياعه وغيرهم من سفهاء بني إسرائيل كما سيأتي ﴿فبرأه الله مما قالوا﴾ أصل البراءة التفصي مما تكره مجاورته أي: فاظهر براءة موسى عليه السلام مما قالوا في حقه أي: من مضمونه ومؤداه الذي هو الأمر المعيب فإن البراءة تكون من العيب لا من القول وإنما الكائن من القول التخلص ﴿وكان﴾ موسى ﴿عند الله وجيهاً﴾ في «الوسيط» وجه الرجل يوجه وجاهة فهو وجيه إذا كان ذا جاه وقدر. قال في «تاج المصادر»: [الوجاهة: خداوند قدروجاه شدن] والمعنى ذا جاه ومنزلة وقربة فكيف يوصف بعيب ونقيصة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما وجيهاً أي: حظياً لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه. وفيه إشارة إلى أن موسى عليه السلام كان في الأزل عند الله مقضياً له بالوجاهة فلا يكون غير وجيه بتعيير بني إسرائيل إياه كما قيل:

إن كنت عندك يا مولاي مطرحاً فعند غيرك محمول على الحذف

وفي «المثنوي»:

كي شود دريا زپوزسك نجس كى شود خورشيد ازپف منطمس

وفي «البستان»:

امين وبدانديش طشتند ومور نشايد درو رخنه كردن بزور

واختلفوا في وجه أذى موسى عليه السلام فقال بعضهم: إن قارون دفع إلى زانية مالاً عظيماً على أن تقول على رأس الملأ من بني إسرائيل إني حامل من موسى على الزنى فأظهر الله نزاهته عن ذلك بأن أقرت الزانية بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل بقارون ما فعل من الخسف كما فصل في سورة القصص.

كند ازبهر كليم الله چاه درچه افتاد وبشد حالش تباه
چون قضا آيدشودتنك اين جهان از قضا حلوا شود رنج دهان
اين جهان چون قحبه مكاره بين كس زمكر قحبه چون باشدامين
او بمكرش كرد قارون درزمين شد زرسوايى شهير عالمين

وقال بعضهم: قذفوه بعيب في بدنه من برص وهو محركة بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد مزاج أو من ادرة وهي مرض الانثيين ونفختهما بالفارسية: [مادخايه] وذلك لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على براءته وذلك أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوأة بعضهم أي: فرجه وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده. قال ابن ملك وهذا مشعر بوجوب التستر في شرعه. فقال بعضهم: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر على وزن افعل وهو من له أدرة فذهب مرة موسى يغتسل فوضع ثوبه على حجر قيل هو الحجر الذي يتفجر منه الماء ففر الحجر بثوبه أي: بعد أن اغتسل وأراد أن يلبس ثوبه فأسرع موسى خلف الحجر وهو عريان وهو يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر أي: دع ثوبي يا حجر فوقف الحجر عند بني إسرائيل ينظرون إليه فقالوا: والله ما بموسى من بأس وعلموا أنه ليس كما قالوا في حقه فأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً فضربه خمساً أو ستاً أو سبعاً أو اثنتي عشرة ضربة بقي أثر الضربات فيه. قال في «إنسان العيون»: كان موسى عليه السلام إذا غضب يخرج شعر رأسه من قلنسوته وربما اشتعلت قلنسوته ناراً لشدة غضبه ولشدة غضبه لما فرّ الحجر بثوبه ضربه مع أنه لا إدراك له ووجه بأنه لما فر صار كالدابة والدابة إذا جمحت بصاحبها يؤدبها بالضرب انتهى.

يقول الفقير للجمادات: حياة حقانية عند أهل الله تعالى فهم يعاملونها بها معاملة الأحياء، قال في «المثنوي»:

بادرا بى چشم اكر بينش نداد	فرق چون ميكرد اندر قوم عاد
كر نبودى نيل را آن نور ديد	ازچه قبطى را زسبطى ميكزيد
كرنه كوه وسنك باديدار شد	پس چرا داودرا آن يار شد
اين زمين را كرنبودى چشم جان	ازچه قارو نرافرو خورد آنچنان

وفي القصة: إشارة إلى أن الأنبياء عليهم السلام لا بد وأن يكونوا متبرئين من النقص في أصل الخلقة وقد يكون تبريهم بطريق خارق للعادة كما وقع لموسى من طريق فرار الحجر كما شاهدوه ونظروا إلى سوأته. وفي «الخصائص الصغرى» أن من خصائص نبينا محمد ﷺ أنه لم تر عورته قط ولو رآها أحد طمست عيناه. وقال بعضهم في وجه الأذى أن موسى خرج مع هارون إلى بعض الكهوف فرأى سريراً هناك فنام عليه هارون فمات ثم إن موسى لما عاد وليس معه هارون قال بنو إسرائيل قتل موسى هارون حسداً له على محبة بني إسرائيل إياه فقال لهم موسى: ويحكم كان أخي ووزيري أترونني أقتله فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا فنزل السرير الذي نام عليه فمات حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدقوه وأن هارون مات فيه فدفنه موسى فقيل في حقه ما قيل كما ذكر حتى انطلق موسى ببني إسرائيل إلى قبره ودعا الله أن يحييه فأحياه الله تعالى وأخبرهم أنه مات ولم يقتله موسى عليه السلام وقد سبقت قصة وفاة موسى وهارون في سورة المائدة فارجع إليها.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى هذه الأمة بكلام قديم أزلي أن لا يكونوا كأمة موسى في الإيذاء فإنه من صفات السبع بل يكونوا أشداء على الكفار رحماء بينهم ولهذا المعنى قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه» وقال: «المؤمن من أمنه الناس» وقوله: ﴿**لا تكونوا**﴾ نهى عن كونهم بنفي هذه الصفة عنهم أي: كونوا ولا تكونوا بهذه الصفة لتكونوا خير أمة أخرجت للناس فكانوا ولم يكونوا بهذه الصفة. وفيه إشارة إلى أن كل موجود عند إيجاده

بأمركن مأمور بصفة مخصوصة به ومنهي عن صفة غير مخصوصة به فكان كل موجود كما أمر بأمر التكوين ولم يكن كما نهى بنهي التكوين كما قال تعالى للنبي ﷺ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢] بالاستقامة بأمر التكوين عند الإيجاد فكان كما أمر وقال تعالى ناهياً له نهي التكوين ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥] فلم يكن من الجاهلين كما نهى عن الجهل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ في رعاية حقوقه وحقوق عباده فمن الأول الامتثال لأمره ومن الثاني ترك الأذى لا سيما في حق رسوله. قال الواسطي: التقوى على أربعة أوجه: للعامة تقوى الشرك. وللخاصة تقوى المعاصي. وللخاص من الأولياء تقوى التوصل بالأفعال. وللأنبياء تقواهم منه إليه. **﴿وقولوا﴾** في أي: شأن من الشؤون **﴿قولاً سديداً﴾** مستقيماً مائلاً إلى الحق من سد يسد سداداً صار صواباً ومستقيماً فإن السداد الاستقامة يقال سدد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها وخص القول الصدق بالذكر وهو ما أريد به وجه الله ليس فيه شائبة غير وكذب أصلاً لأن التقوى صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك فلا يدخل فيها. وقال بعضهم القول السديد داخل في التقوى وتخصيصه لكونه أعظم أركانها. قال الكاشفي: [قول جامع درين باب آنست كه قول سديد سخنست كه صدق باشد نه كذب وصواب بودنه خطا وجد بودنه هزل چنين سخن كوييد] والمراد نهيهم عن ضده أي: عما خاضوا فيه من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد، يعني: [دروغ مكوييد وناراستى مكنيد درسخن چون حديث افك] وقصة زينب وبعثهم على أن يسددوا قولهم في كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله.

ـ حكي ـ أن يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت من أكابر علماء العربية جلس يوماً مع المتوكل فجاء المعتز والمؤيد ابنا المتوكل فقال: أيما أحب إليك ابناي أم الحسن والحسين قال: والله إن قنبرا خادم علي رضي الله عنه خير منك ومن ابنيك فقال: سلوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات في تلك الليلة ومن العجب أنه أنشد قبل ذلك للمعتز والمؤيد وكان يعلمهما فقال:

يصاب الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته في القول تذهب رأسه ... وعثرته في الرجل تبرا على مهل

﴿يصلح لكم أعمالكم﴾ يوفقكم للأعمال الصالحة أو يصلحها بالقبول والإثابة عليها **﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾** ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والفعل. وفيه إشارة إلى أن من وفقه الله لصالح الأعمال فذلك دليل على أنه مغفور له ذنوبه **﴿ومن﴾** [وهركه] **﴿يطع الله ورسوله﴾** في الأوامر والنواهي التي من جملتها هذه التكليفات والطاعة موافقة الأمر والمعصية مخالفته **﴿فقد فاز﴾** في الدارين والفوز الظفر مع حصول السلامة **﴿فوزاً عظيماً﴾** عاش في الدنيا محموداً وفي الآخرة مسعوداً أو نجا من كل ما يخاف ووصل إلى كل ما يرجو.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الإيمان لا يكمل إلا بالتقوى وهو التوحيد عقداً وحفظ الحدود جهداً ولا يحصل سداد أعمال التقوى إلا بالقول السديد وهي كلمة لا إله إلا الله

فبالمداومة على قول هذه الكلمة بشرائطها يصلح لكم أعمال التقوى فسداد أقوالكم سبب لسداد أعمالكم وبسداد الأقوال وسداد الأعمال يحصل سداد الأحوال وهو قوله: ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾ وهو عبارة عن رفع الحجب الظلمانية بنور المغفرة الربانية ومن يطع الله فيما أمره ونهاه ويطع الرسول فيما أرشده إلى صراط مستقيم متابعته فقد فاز فوزاً عظيماً بالخروج عن الحجب الوجودية بالفناء في وجود الهوية والبقاء ببقاء الربوبية انتهى. وقال بعضهم من يطع الله ورسوله في التزكية ومحو الصفات فقد فاز بالتحلية والاتصاف بالصفات الإلهية وهو الفوز العظيم. وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله تعالى وخير الهُدىٰ هُدىٰ محمد» أي: خير الإرشاد إرشاده ﷺ.

واعلم أن إطاعة الله تعالى في تحصيل مراتب التوحيد من الأفعال والصفات والذات وإطاعة الرسول بالاستمساك بحبل الشريعة فإن النجاة من بحر الجحود وظلمة الشرك أما بنور الكشف أو بسفينة الشريعة أما الأول: فهو أن يعتصم الطالب في طلبه بالله حتى يهتدي إليه بنوره ويؤتيه الله العلم من لدنه وأما الثاني: فهو أن يكتفي بالإقرار بالوحدانية والإيمان التقليدي والعمل بظواهر الشرع.

ـ روي ـ أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه لما راعى الشريعة بين جماعة كشفوا العورة في الحمام قيل له في المنام إن الله جعلك للناس إماماً برعايتك الشريعة [نقلست كه در بغداد چون معتزله غلبه كردند كفنند ويرا تكليف بايد كردن تاقر آنرا مخلوق كويد پس عزم كردند واورا بسراى خليفه بردند سرهنكى بود بردرسراى كفت أي: إمام مردانه باش كه وقتى من دزدى كردم وهزار چوبم زدند ومن مقر نكشتم تا عاقبت رهايى يافتم من كه درباطل چنين صبر كردم توكه برحقى او ليتر باشى بصبر كردن احمد كفت آن سخن او مرا عظيم يارى داد وتأثير كرد پس اورا مى بردند واوپير وضعيف بود دودستش ازپس برون كشيدند وهزار تازيانه بزدندش كه قر آنرا مخلوق كوى نكفت ودران ميان بند ازارش كشاده شد ودستش بسته بود درحال دودست ازغيب بديد آمد وبه بست وآن ازان بودكه بارى تنها درحمام بود خواست كه ازار بكشايد وبشويد آنرا ترك كرد ونكشود كفت اكر خلق حاضر نيست خداى تعالى حاضراست چون اين برهان ديدند بكذاشتند]:

درره حــق كــشـيــده انــد بــلا ايـن بـلا شـد سـبـب بـقـرب وولا
صـبـر وتـقـوى وطـاعـت مـولـى نـزد عـارف زهـر شـرف اولـى

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾.

﴿إنا﴾ هذه النون نون العظمة والكبرياء عند العلماء فإن الملوك والعظماء يعبرون عن أنفسهم بصيغة الجمع ونون الأسماء والصفات عند العرفاء فإنها متعددة ومتكثرة **﴿عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال﴾** يقال: عرض لي أمر كذا أي: ظهر وعرضت له الشيء أي: أظهرته له وأبرزته إليه وعرضت الشيء على البيع وعرض الجند إذا أمرّهم عليه ونظر ما حالهم والأمانة ضد الخيانة. والمراد هنا ما ائتمن عليها وهي على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: أنها التكاليف الشرعية والأمور الدينية المرعية ولذا سميت أمانة لأنها

لازمة الوجود كما أن الأمانة لازمة الأداء. وفي «الإرشاد»: عبر عن التكاليف الشرعية بالأمانة لأنها حقوق مرعية أودعها الله المكلفين وائتمنهم عليها وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وأمرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وأدائها من غير إخلال بشيء من حقوقها انتهى وتلك الأمانة هي العقل أوّلاً فإن به يحصل تعلم كل ما في طوق البشر تعلمه وفعل ما في طوقهم فعله من الجميل وبه فضل الإنسان على كثير من الخلائق ثم التوحيد والإيمان باليوم الآخر والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وصدق الحديث وحفظ اللسان من الفضول. وحفظ الودائع وأشدها كتم الأسرار وقضاء الدين والعدالة في المكيال والميزان والغسل من الجنابة والنية في الأعمال والطهارة في الصلاة وتحسين الصلاة في الخلوة والصبر على البلاء والشكر لدى النعماء والوفاء بالعهود والقيام بالحدود وحفظ الفرج الذي هو أول ما خلق الله من الإنسان وقال له: هذه أمانة استودعتكها والإذن والعين واليد والرجل وحروف التهجي كما نقله الراغب في «المفردات» وترك الخيانة في قليل وكثير لمؤمن ومعاهد وغير ذلك مما أمر به الشرع وأوجبه وهي بعينها المواثيق والعهود التي أخذت من الأرواح في عالمها ووضعت أمانة في الجوهر الجمادي صورة المسمى بالحجر الأسود لسيادته بين الجواهر وألقمه الحق تلك المواثيق وهو أمين الله لتلك الأمانة.

والمرتبة الثانية: أنها المحبة والعشق والانجذاب الإلهي التي هي ثمرة الأمانة الأولى ونتيجتها وبها فضل الإنسان على الملائكة إذ الملائكة وإن حصل لهم المحبة في الجملة لكن محبتهم ليست بمبنية على المحن والبلايا والتكاليف الشاقة التي تعطي الترقي إذ الترقي ليس إلا للإنسان فليس المحنة والبلوى الا له ألا ترى إلى قول الحافظ:

شب تاريك وبيم موج وكردابى چنين هائل   كجا دانند حال ماسبكباران ساحلها

أراد بقوله: «شب تاريك» جلال الذات وبقوله: «بيم موج» خوف صفات القهر وبقوله: «كرداب» در دربحر العشق وهي الامتحانات الهائلة والبرازخ المخوفة وبقوله: «سبكباران ساحل» الزهاد والملائكة الذين بقوا في ساحل بحر العشق وهو بر الزهد والطاعة المجردة وهم أهل الأمانة الأولى ومن هذا القبيل أيضاً قوله:

فرشته عشق نداندكه چيست قصه مخوان   بخواه جام كلابى بخاك آدم ريز

وقول المولى الجامي:

ملائك را چه سود ازحسن طاعت   چو فيض عشق برآدم فرو ريخت

[در لوامع آورده كه آن بو العجى كه عشق را درعالم بشريتست درمملكت ملكيت نيست كه ايشان سايه پرورد لطف وعصمت اند ومحبت بى دردرا قدر وقيمتى نيست عشق را طائفهٔ در خورندكه صفت ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] سرماية بازار ايشان وسمت ﴿إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ پيرايهٔ روزكار ايشانست ملكى را بينى كه اكرجناحى را بسط كند خافقين را در زير جناح خود آرد اما طاقت حمل اين معنى ندارد وآن بيچاره آدمى زادى را بينى بوستى در استخوانى كشيده بيباك واز شراب بلا درقدح ولا چشيده ودروى تغير نيامده آن چراست زيراكه آن صاحب دلست] والقلب يحمل ما لا يحمل البدن.

والمرتبة الثالثة أنها الفيض الإلهي بلا واسطة ولهذا سماه بالأمانة لأنه من صفات الحق تعالى فلا يتملكه أحد وهذا الفيض إنما يحصل بالخروج عن الحجب الوجودية المشار إليها

بالظلومية والجهولية وذلك بالفناء في وجود الهوية والبقاء ببقاء الربوبية وهذه المرتبة نتيجة المرتبة الثانية وغايتها فإن العشق من مقام المحبة الصفاتية وهذا الفيض والفناء من مقام المحبوبية الذاتية وفي هذا المقام يتولد من القلب طفل خليفة الله في الأرض وهو الحامل للأمانة فالمرتبة الأولى للعوام والثانية للخواص والثالثة لأخص الخواص والأولى طريق الثانية وهي طريق الثالثة ولم يجد سر هذه الأمانة إلا من أتى البيت من الباب وكل وجه ذكره المفسرون في معنى الأمانة حق لكن لما كان في المرتبة الأولى كان ظرفاً ووعاء للأمانة ولبه ما في المرتبة الثانية ولب اللب ما في المرتبة الثالثة ومن الله الهداية إلى هذه المراتب والعناية في الوصول إلى جميع المطالب.

ثم المراد بالسموات والأرض والجبال هي أنفسها أعيانها وأهاليها وذلك لأن تخصص الإنسان بحمل الأمانة يقتضي أن يكون المعروض عليه ما عداه من جميع الموجودات أياً ما كان حيواناً أو غيره وإنما خص في مقام الحمل، ذلك لأنه أصلب الأجسام وأثبتها وأقواها كما خص الأفلاك في قوله: «لولاك لما خلقت الأفلاك» لكونها أعظم الأجسام ولهذا السر لم يقل فأبوا أن يحملوها بواو العقلاء. فإن قلت ما ذكر من السموات وغيرها جمادات والجمادات لا إدراك لها فما معنى عرض الأمانة عليها. قلت للعلماء فيه قولان: الأول أنه محمول على الحقيقة وهو الأنسب بمذهب أهل السنة لأنهم لا يؤولون أمثال هذا بل يحملونها على حقيقتها خلافاً للمعتزلة. وعلى تقدير الحقيقة فيه وجهان: أحدهما أدق من الآخر. الأول أن للجمادات حياة حقانية دل عليها كثير من الآيات نحو قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ [الحج: ١٨] وقوله: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] وقوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] وقوله: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ [النور: ٤١]. قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر أكثر العقلاء بل كلهم يقولون إن الجمادات لا تعقل فوقفوا عند بصرهم والأمر عندنا ليس كذلك فإذا جاءهم عن نبي أو ولي أن حجراً كلمه مثلاً يقولون خلق الله فيه العلم والحياة في ذلك الوقت والأمر عندنا ليس كذلك بل سر الحياة سار في جميع العالم وقد ورد «إن كل شيء سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له» ولا يشهد إلا من علم وقد أخذ الله بأبصار الإنس والجن عن إدراك حياة الجماد إلا من شاء الله كنحن وأضرابنا فإنا لا نحتاج إلى دليل في ذلك لكون الحق تعالى قد كشف لنا عن حياتها وأسمعنا تسبيحها ونطقها وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلي إنما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله ولولا ما عنده من معرفة العظمة لما تدكدك انتهى. ومثله ما روينا أن حضرة شيخنا وسندنا روح الله روحه ووالى في البرزخ فتوحه دعا مرة من عنده للافطار فجلسنا له وبين يديه ماء وكعك مبلول وكان لا يأكل في أواخر عمره إلا الكعك المجرد فقال أثناء الإفطار أن لهذا الخبر روحاً حقانياً فظاهره يرجع إلى الجسد وروحه يرجع إلى الروح فيتقوى به الجسم والروح جميعاً، وفي «المثنوي»:

علم وحكمت زايد از لقمه حلال   عشق ورقت آيد ازلقمه حلال

ثم قال ولكل موجود روح إما حيواني أو حقاني فجسد الميت له روح حقاني غير روحه الحيواني الذي فارقه ألا ترى أن الله تعالى لو أنطقه لنطق فنطقه إنما هو لروحه وقد جاء أن كل شيء

يسبح بحمده حجراً أو شجراً أو غير ذلك وما هو إلا لسريان الحياة فيه حقيقة ولذا سبح الجبال مع داود وحمل الريح سليمان عليه السلام وجذبت الأرض قارون وحن الجذع في المسجد النبوي وسلم الحجر على رسول الله ﷺ ونحو ذلك مما لا يحصى، وفي «المثنوي»:

چون شما سوى جمادى مى رويد محرم جان جمادان چون شويد
از جمادى عالم جانها رويد غلغل اجزاى عالم بشنويد
چون ندارد جان توقنديلها بهر بينش كرده تأويلها

والوجه الثاني أن الله تعالى ركب العقل والفهم في الجمادات المذكورة عند عرض الأمانة كما ركب العقل وقبول الخطاب في النملة السليمانية والهدهد وغيرهما من الطيور والوحوش والسباع بل وفي الحجر والشجر والتراب فهن بهذا العقل والإدراك سمعن الخطاب وانطقهن الله بالجواب حيث قال لهن أتحملن هذه الأمانة على أن يكون لكنّ الثواب والنعيم في الحفظ والأداء والعقاب والجحيم في الغدر والخيانة ﴿فأبين أن يحملنها﴾ الاباء شدة الامتناع فكل إباء امتناع وليس كل امتناع إباء ﴿وأشفقن منها﴾ قال في «المفردات»: الإشفاق عناية مختلطة بخوف لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه فإذا عدي بمن فمعنى الخوف فيه أظهر وإذا عدي بعلى فمعنى العناية فيه أظهر كما قال في «تاج المصادر» [الإشفاق: ترسيدن ومهربانى كردن] يعدى بعلى وأصلهما واحد. والمعنى وخفن من الأمانة وحملها وقلن يا رب نحن مسخرات بأمرك لا نريد ثواباً ولا عقاباً ولم يكن هذا القول منهن من جهة المعصية والمخالفة بل من جهة الخوف والخشية من أن لا يؤدين حقوقها ويقعن في العذاب ولو كان لهن استعداد ومعرفة بسعة الرحمة واعتماد على الله لما أبين وكان العرض عرض تخيير لا عرض إلزام وإيجاب لأن المخالفة والإباء عن التكليف الواجب يوجب المقت والسقوط عن درجة الكمال ولم يذكر تعالى توبيخاً على الإباء ولا عقوبة.

والقول الثاني: أنه محمول على الفرض والتمثيل فعبر عن اعتبار الأمانة بالنسبة إلى استعدادهن بالعرض عليهن لإظهار مزيد الاعتناء بأمرها والرغبة في قبولهن لها وعن عدم استعدادهن لقبولها بالإباء والإشفاق منها لتهويل أمرها ومزيد فخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل الأجسام الثقيلة التي يستعمل فيها القوى الجسمانية التي هي أشدها وأعظمها ما فيهن من القوة والشدة فالمعنى أن تلك الأمانة في عظم الشأن بحيث لو كلفت هاتيك الإجرام العظام التي هي مثل في الشدة والقوة مراعاتها وكانت ذات شهود وإدراك لأبين قبولها وأشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق روماً لزيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه ﴿وحملها الإنسان﴾ عند عرضها عليه كما قال الإمام القشيري [أمانتها برانها عرض نمود وبرانسان فرض نمود آنجاكه عرض بود سرباز زدند واينجا كه فرض بود در معرض حمل رمدند] والمراد بالإنسان الجنس بدليل قوله: ﴿إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ أي: تكلفها والتزمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة لأن الحمل إنما يكون بالهمة لا بالقوة. قال في «الإرشاد»: وهو إما عبارة عن قبولها بموجب استعداده الفطري أو عن اعترافه يوم الميثاق بقوله بلى ولما حملها قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠] ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمن: ٦٠] [واين را در ظاهر مثالي هست درختانى كه اصل ايشان محكم ترست وشاخ ايشان بيشتربار

ايشان خردتر وسبكترباز در ختانى كه ضعيف ترند وسست تر بارايشان شكرف تراست وبزركترچون خربزه وكدو ومانند آن ليكن اينجا لطيفه ايست آن درخت كه باراوشكرف تراست وبزركتر طاقت كشيدن آن ندارد اورا كفتند باركران از كردن خويش برفرق زمين نه تا عالميان بداندكه هركجا ضعيفي است مربى او لطف حضرت عزت است اينست سر] ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠] فالإنسان اختص بالعشق وقبول الفيض بلا واسطة وحمله من سائر المخلوقات لاختصاصه بإصابة رشاش النور الإلهي وكل روح أصابه رشاش نور الله صار مستعداً لقبول الفيض الإلهي بلا واسطة وكان عرض العشق الفيض عاماً على المخلوقات وحمله خاصاً بالإنسان لأن نسبة الإنسان مع المخلوقات كنسبة القلب مع الشخص فالعالم شخص وقلبه الإنسان فكما أن عرض الروح عام على الشخص الإنساني وقبوله وحمله مخصوص بالقلب بلا واسطة ثم من القلب بواسطة العروق الممتدة يصل عكس الروح إلى جميع الأعضاء فيكون متحركاً به كذلك عرض العشق والفيض الإلهي عام لاحتياج الموجودات إلى الفيض وقبوله وحمله خاص بالإنسان ومنه يصل عكسه إلى سائر المخلوقات ملكها وملكوتها فأما إلى ملكها وهو ظاهر الكون أعني الدنيا فيصل الفيض إليه بواسطة صورة الإنسان من صنائعه الشريفة وحرفه اللطيفة التي بها العالم معمور ومزين وإما إلى ملكوتها وهو بأمركن باطن الكون أعني الآخرة فيصل الفيض إليها بواسطة روح الإنسان وهو أول شيء تعلقت به القدرة فيتعلق الفيض الإلهي من أمركن أولاً بالروح الإنساني ثم يفيض منه إلى عالم الملكوت فظاهر العالم وباطنه معمور بظاهر الإنسان وباطنه وهذا سر الخلافة المخصوصة بالإنسان. وقال بعضهم: المراد بالإنسان آدم. وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: مثلت الأمانة كالصخرة الملقاة ودعيت السماوات والأرض والجبال إليها فلم يقربوا منها وقالوا: لا نطيق حملها وجاء آدم من غير أن دعي وحرك الصخرة وقال: لو أمرت بحملها لحملتها فقلن له احمل فحملها إلى ركبتيه ثم وضعها وقال: لو أردت أن أزداد لزدت فقلن له: احمل فحملها إلى حقوه ثم وضعها وقال: لو أردت أن أزداد لزدت فقلن له: احمل فحملها حتى وضعها على عاتقه فأراد أن يضعها فقال الله مكانك فإنها في عنقك وعنق ذريتك إلى يوم القيامة.

آسمان بارامانت نتوانست كشيد قرعه فال بنام من ديوانه زدند

وفي «كشف الأسرار»: [چون آسمان وزمين وكوهها بترسيدند ازپذير فتن امانت وبازنشستند ازبرداشتن آن رب العزة آدم را كفت «إني عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يطقنها وأنت آخذها بما فيها قال: يا رب وما فيها: قال: إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت قال بين أذني وعاتقي» يعني آدم بطاعت وخدمت بنده وار درآمد وكفت برداشتم ميان كوش ودوش خويش رب العالمين كفت اكهون كه برداشت ترادران معونت وقوت دهم] اجعل لبصرك حجاباً فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك فارخ حجابه واجعل للسانك لحيين وغلقا فإذا خشيت أن تتكلم بما لا يحل فاغقله واجعل لفرجك لباساً فلا تكشفه على ما حرمت عليك. شيخ جنيد قدس سره [فرموده كه نظر آدم بر عرض حق بود نه برامانت لذت عرْض ثقل امانت را بروفراموش كردانيد لا جرم لطف رباني بزبان عنايت فرموده كه برداشتن ازتو ونكاه داشتن از من چون تو بطوع بارمرا برداشتى من هم ازميان همة تر برداشتم] ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ـ وروي ـ أن آدم عليه السلام قال: أحمل الأمانة بقوتي أم بالحق؟ فقيل: من يحملها يحمل بنا فإن ما هو منا لا يحمل الا بنا فحملها:

راه اورا بـــدو تـــوان پـــيـــمـــود بـــار اورا بـــدو تـــوان بـــرداشـــت

قال بعضهم:

آن بـاركـه ازبـردن آن عـرش ابـا كـرد بـاقـوت او حـامـل آن بـارتـوان بـود

ـ القصة ـ [خلعت حمل امانت جز برقامت با استقامت انسان كه منشور ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] او برنام نامى نوشته اند راست نيامد وچون كارى بدين عظمت وفهمى بدين ابهت نامزد اوشدجهت دفع چشم زخم حسود آن شياطين كه دشمن ديرينه اند سپند ﴿إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ بر آتش غيرت افكندند تا كورشود هرآنكه نتواندديد كما قال: ﴿إنه﴾ أي: الإنسان ﴿كان ظلوماً﴾ لنفسه بمعصية ربه حيث لم يف بالأمانة ولم يراع حقها ﴿جهولاً﴾ بكنه عاقبتها يعني: [نادان بعقوبت خيانت اكر واقع شود] والظلم وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه ومن هذا ظلمت السقاء إذا تناولته في غير وقته ويسمى ذلك اللبن الظلم وظلمت الأرض إذا حفرتها ولم تكن موضعاً للحفر وتلك الأرض يقال لها المظلومة والتراب الذي يخرج منها ظليم والظلم يقال في مجاوزة الحد الذي يجري مجرى النقطة في الدائرة ويقال فيما يكثر ويقل من التجاوز ولذا يستعمل في الذنب الصغير والكبير ولذا قيل لآدم في تقدمه ظالم وفي إبليس ظالم وإن كان بين الظلمين بون بعيد.

قال بعض الحكماء: الظلم ثلاثة: أحدهما: بين الإنسان وبين الله وأعظمه الكفر والشرك والنفاق. والثاني: ظلم بينه وبين الناس. والثالث: ظلم بينه وبين نفسه وهذه الثلاثة في الحقيقة للنفس فإن الإنسان أول ما يهم بالظلم فقد ظلم نفسه.

اول بـظـالـمـان اثـر ظـلـم مـيـرسـد پيش ازهدف هميشه كمان تارميكند

والجهل خلو النفس من العلم وهو على قسمين ضعيف وهو الجهل البسيط وقوي وهو الجهل المركب الذي لا يدري صاحبه إنه لا يدري فيكون محروماً من التعلم ولذا كان قوياً.

قال في «الإرشاد» وقوله: ﴿إنه﴾ الخ اعتراض وسط بين الحمل وغايته للإيذان من أول الأمر بعدم وفائه بما عهده وتحمله أي: إنه كان مفرطاً في الظلم مبالغاً في الجهل أي بحسب غالب أفراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة أو عهودهم يوم الأرواح دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله وجروا على ما اعترفوا بقولهم بلى. وقال بعضهم: الإنسان ظلوم وجهول أي: من شأنه الظلم والجهل كما يقال الماء طهور أي: من شأنه الطهارة.

واعلم أن الظلومية والجهولية صفتا ذم عند أهل الظاهر لأنهما في حق الخائنين في الأمانة فمن وضع الغدر والخيانة موضع الوفاء والأداء فقد ظلم وجهل. قال في «كشف الأسرار»: [عادت خلق آنست كه چون امانتى عزيز بنزديك كسى نهند مهرى بروى نهند وآن روز كه باز خواهند مهررا مطالعت كنند اكر مهر برجاى بود اورا ثناها كويند امانتى بنزديك تونهادند از عهد ربو بيت ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ومهرى كه بروى نهادند چون عمر بآخر رسد وترا بمنزل خاك برند آن فرشته درآيد وكويد «من ربك» آن مطالعت كه ميكند تا مهر روز اول برجاى هست يانه] قال الحافظ:

از دم صبح ازل تا آخر شام ابد دوستى ومهر بريك عهدويك ميثاق بود

وقال أهل الحقيقة: هما صفتا مدح أي: في حق مؤدي الأمانة فإن الإنسان ظلم نفسه بحمل الأمانة لأنه وضع شيئاً في غير موضعه فأفنى نفسه وأزال حجبها الوجودية وهي المعروفة بالأنانية وجهل ربه فإنه في أول الأمر يحب هذه البهيمية التي تأكل وتشرب وتنكح وتحمل الذكورية والأنوثية اللتين اشترك فيهما جميع الحيوانات وما يدري أن هذه الصورة الحيوانية قشر وله لب وهو محبوب الحق الذي قال: ﴿يحبهم﴾ وهو محب الحق الذي قال: ﴿يحبونه﴾ فإذا عبر عن قشر جسمانية الظلمانية ووصل إلى لب روحانية النورانية. ثم علم أن هذا اللب النوراني أيضاً قشر فإن النبي ﷺ قال: «إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة» فعبر عن القشر الروحاني أيضاً ووصل إلى لبه الذي هو محبوب الحق ومحبه فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه بتوحيد لا شرك فيه وجهل ما سوى الله تعالى بالكلية وأيضاً أن الجهول هو العالم لأن نهاية العلم هو الاعتراف بالجهل في باب المعرفة والعجز عن درك الإدراك إدراك.

قال المولى الجامي قدس سره:

غير انسان كسش نكرد قبول زانكه انسان ظلوم بود وجهول
ظلم او آنكه هستىٔ خود را ساخت فانى بقاى سرمدرا
جهل او آنكه هرچه جزحق بود صورت آن زلوح دل نزدود
نيك ظلمى كه عين معدلتست نغز جهلى كه مغز معرفتست
اى نكرده دل از علائق صاف مزن از دانش خلائق لاف
زانكه در عالم خدا دانى جهل علمست علم نا دانى

فلو لم يكن للإنسان قوة هذه الظلومية والجهولية لما حمل الأمانة وبهذا الاعتبار صح تعليل الحمل بهما. وقال بعض أهل التفسير وتبعهم صاحب «القاموس»: إن الوصف بالظلومية والجهولية إنما يليق بمن خان في الأمانة وقصر عن حقها لا بمن يتحملها ويقبلها فمعنى حملها الإنسان أي: خانها والإنسان الكافر والمنافق من قولك فلان حامل للأمانة ومحتمل لها بمعنى أنه لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج من عهدتها بجعل الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها كما يقال ركبته الديون فما يحمل إذا كناية عن الخيانة والتضيع والمعنى إنا عرضنا الطاعة على هذه الأجرام العظام فانقادت لأمر الله انقياداً يصح من الجمادات وأطاعت له إطاعة تليق بها حيث لم تمتنع عن مشيئته وإرادته إيجاداً وتكويناً وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة كما قال: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] والإنسان مع حياته وكمال عقله وصلاحه للتكليف لم يكن حاله فيما يصح منه ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه مثل حال تلك الجمادات بل مال إلى أن يكون محتملاً لتلك الأمانة مؤدياً إياها ومن ثم وصف بالظلم حيث ترك أداء الأمانة وبالجهل حيث أخطأ طريق السعادة ففي هذا التمثيل تشبيه انقياد تلك الأجرام لمشيئة الله إيجاداً وتكويناً بحال مأمور مطيع لا يتوقف عن الامتثال فالحمل في هذا مجاز وفي التمثيل السابق على حقيقته وليس في هذا المعنى حذف المعطوف مع حرف العطف بخلافه في محل الحمل على التحمل فإن المراد حينئذٍ وحملها الإنسان ثم غدر بالحمل حتى يصح التعليل بقوله: ﴿إنه كان﴾ الخ فاعرف هذا المقام والقول ما قالت حذام. قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف عرض الأمانة عليه مع علمه بحاله من كونه ظلوماً جهولاً؟ والجواب هذا سؤال طويل

الذيل فإنه تعالى قد بعث الرسل مبشرين ومنذرين إلى جميع الخلق ليدعوهم إلى الإيمان مع علمه السابق بأن يؤمن بعضهم ويكفر بعضهم والخطاب عم الكل مع علمه باختلاف أحوالهم في الإيمان والكفر فهذا من قبيله وسبيله فإنه مالك الأعيان والآثار على الإطلاق. وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان ظلوماً بحق الأمانة جهولاً بما يفعل من الخيانة يعني لم تكن الخيانة عن عمد وقصد بل كانت عن جهل وسهو كما قال: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] والسهو والنسيان مغفور والجهل في بعض المواضع معذور الهنا اصنع بنا ما أنت أهله ولا تصنع بنا ما نحن أهله، قال الشيخ سعدي قدس سره:

بر در كعبه سائلى ديدم كه همى كفت ميكرستى خوش
من نكويم كه طاعتم بپذير قلم عفو بركناهم كش

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾.

﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات﴾ الذين ضيعوا الأمانة بعدما قبلوها **﴿والمشركين والمشركات﴾** الذين خانوا في الأمانة بعدم قبولها رأساً. قال في «الإرشاد»: إشارة إلى الفريق الأول أي: حملها الإنسان ليعذب الله بعض أفراده الذين لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على أن اللام للعاقبة فإن التعذيب وإن لم يكن غرضاً له من الحمل لكن لما ترتب عليه بالنسبة إلى بعض أفراده ترتب الأغراض على الأفعال المعللة بها أبرز في معرض الغرض أي: كان عاقبة حمل الإنسان لها أن يعذب الله هؤلاء من أفراده لخيانتهم الأمانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية. قال في «بحر العلوم»: ويجوز أن تكون اللام علة لعرضنا أي: عرضنا ليظهر نفاق المنافقين وإشراك المشركين فيعذبهما الله **﴿ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾** الذين حفظوا الأمانة وراعوا حقها. قال في «الإرشاد»: إشارة إلى الفريق الثاني أي: كان عاقبة حمله لها أن يتوب الله على هؤلاء من أفراده أي: يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم من فرطات قلما يخلو عنها الإنسان بحكم جبليته وتداركهم لها بالتوبة والإنابة والالتفات إلى الاسم الجليل أولاً لتهويل الخطب وتربية المهابة والإظهار في موضع الإضمار ثانياً لإبراز مزيد الاعتناء بأمر المؤمنين توفية لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه **﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾** مبالغاً في المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم وأثاب بالفوز على طاعاتهم.

وفي «التأويلات النجمية»: هذه اللام لام الصيرورة والعاقبة يشير إلى أن الحكمة في عرض الأمانة أن يكون الخليقة في أمرها على ثلاث طبقات:

طبقة منها: تكون الملائكة وغيرهم ممن لم يحملها فلا يكون لهم في ذلك ثواب ولا عقاب.

وطبقة منها: من يحملها ولم يؤد حقها وقد خان فيها وهم المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات الذين حملوها بالظلومية على أنفسهم وضيعوها بجهولية قدرها فما رعوها حق رعايتها فحاصل أمرهم العذاب المؤبد.

وطبقة منها: من يحملها ويؤدي حقها ولم يخن فيها ولكن لثقل الحمل وضعف الإنسانية يتلعثم في بعض الأوقات فيرجع إلى الحضرة بالتضرع والابتهال معترفاً بالذنوب وهم المؤمنون

والمؤمنات فيتوب الله عليهم لقوله: ﴿ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾ والحكمة في ذلك ليكون كل طبقة من الطبقات الثلاث مرآة يظهر فيها جمال صفة من صفاته.

فالطبقة الأولى: إذا لم يحملوا الأمانة وتركوا نفعها لضرها فهم مرآة جمال صفة عدله.

والطبقة الثانية: إذ حملوها طمعاً في نفعها ولم يؤدوا حقها وقد خانوا فيها بأن باعوها بعوض من الدنيا الفانية فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فهم مرآة يظهر فيها جمال صفة قهره.

والطبقة الثالثة: إذ حملوها بالطوع والرغبة والشوق والمحبة وأدوا حقها بقدر وسعهم ولكن كما قيل لكل جواد كبوة وقع في بعض الأوقات قدم صدقهم عند ربهم في حجر بلاء وابتلاء بغير اختيارهم ثم اجتباهم ربهم فتاب عليهم وهداهم بجذبات العناية إلى الحضرة فهم مرآة يظهر فيها جمال فضله ولطفه وذلك قوله تعالى: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ للمؤمنين بفضله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء انتهى. قال بعض العارفين: الحكمة الإلهية اقتضت ظهور المخالفة من الإنسان ليظهر منه الرحمة والغفران، قال الحافظ:

سهو وخطاى بنده كرش نيست اعتبار   معنى عفو ورحمت آمرزكار چيست

وفي الحديث القدسي: «لو لم تذنبوا لذهبت بكم وخلقت خلقاً يذنبون ويستغفرون فأغفر لهم» وفي الحديث النبوي: «لو لم تذنبوا لخشيت عليكم أشد من الذنب ألا وهو العجب» ولهذه الحكمة خلق الله آدم بيديه أي: بصفاته الجلالية والجمالية فظهر من صفة الجلال قابيل والمخالفة ومن صفة الجمال هابيل والموافقة وهكذا يظهر إلى يوم قيام الساعة وليس الحديثان المذكوران واردين على سبيل الحث على الذنب فإن قضية البعثة إصلاح العالم وهو لا يوجد إلا بترك الكفر والشرك والمعاصي ولكن على سبيل الحث على التوبة والاستغفار. إبراهيم أدهم قدس سره [كفت فرصت مى جستم تا كعبه را خالى يابم ازطواف وحاجتى خواهم هيج فرصتى نيافتم تا شبى باران عظيم بود كعبه خالى ماند طواف كردم ودست در حلقه زدم وعصمت خواستم ندا آمدكه چيزى مى خواهى كه كسى را نداده ام اكر من عصمت دهم آنكاه درياى غفارى وغفورى ورحمانى ورحيمى من كجا شود پس كفتم «اللهم اغفر لي ذنوبي» آوازى شنودم كه از همه جهان با ما سخن كوى واز خود مكوى كه سخن تو ديكران كويند ودر مناجات كفت يا رب العزة مرا ازذل معصيت باعز طاعت آور وديكر كفت الهى آه «من عرفك لم يعرفك فكيف حال من لم يعرفك» آه آنكه ترا مى داند ترا نمى داند پس چكونه باشد حال كسى كه ترانميداند ابراهيم كفت پانزده سال مشقت كشيدم تانداپى شنودم كه] كن عبداً فاسترح يعني: ليست الراحة إلا في العبودية للمولى والإعراض عن الهوى من الأدنى والأعلى فلا راحة لعبد الدنيا وما دون المولى لا في الأولى ولا في العقبى فإذا وقع تقصير أو سهو أو نسيان فالله تعالى يحكم اسميه الغفور الرحيم بمحوه ويعرض عنه ولا يثبته في صحيفة ولا يناقش عليه ولا يعذب به بل من العصاة من يبدل الله سيئاتهم حسنات هذا. قال أبيّ بن كعب رحمه الله: كانت سورة الأحزاب تقارب سورة البقرة أو أطول منها وكان فيها آية الرجم وهي: «إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله العزيز الحكيم» ثم رفع أكثرها من الصدور ونسخ وبقي ما بقي وفي الحديث: «من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر» اللهم اختم لنا بالخير واعصمنا من كل سوء وضير وآمنا من البلايا وفتنة القبر ومحاسبة الحشر تمت سورة الأحزاب بعون الله الوهاب يوم الأحد الثامن عشر من شهر الله المحرم سنة عشر ومائة وألف.

٣٤ ـ سورة سبأ

أربع وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ①﴾.

﴿**الحمد لله**﴾ الألف واللام لاستغراق الجنس واللام للتمليك والاختصاص إلى جميع أفراد المدح والثناء والشكر من كل حامد ملك لله تعالى ومخصوص به لا شركة لأحد فيه لأنه الخالق والمالك كما قال: ﴿**الذي له**﴾ خاصة خلقاً وملكاً وتصرفاً بالإيجاد والإعدام والإحياء والإماته ﴿**ما في السموات وما في الأرض**﴾ أي: جميع الموجودات فإليه يرجع الحمد لا إلى غيره وكل مخلوق أجرى عليه اسم المالك فهو مملوك له تعالى في الحقيقة وإن الزنجي لا يتغير عن لونه لأن سمي كافوراً والمراد على نعمه الدنيوية فإن السموات والأرض وما فيها خلقت لانتفاعنا فكلها نعمة لنا ديناً ودنيا فاكتفى بذكر كون المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون الحمد أيضاً فيها وقد صرح في موضع آخر كما قال: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠] وهذا القول أي: الحمد لله الخ وإن كان حمداً لذاته بذاته لكنه تعليم للعباد كيف يحمدونه ﴿**وله الحمد في الآخرة**﴾ بيان لاختصاص الحمد الأخروي به تعالى أثر بيان اختصاص الدنيوي به على أن الجار متعلق إما بنفس الحمد أو بما تعلق به الخبر من الاستقرار وإطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليعم النعم الأخروية كما في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤] وقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٥] الآية وما يكون ذريعة إلى نيلها من النعم الدنيوية كما في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] أي: لما جزاؤه هذا من الإيمان والعمل الصالح.

يقال يحمده أهل الجنة في ستة مواضع:

أحدها: حين نودي ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يس: ٥٩] فإذا يميز المؤمنون من الكافرين يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨] كما قال نوح عليه السلام حين أنجاه الله من قومه.

والثاني: حين جاوزوا الصراط قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

والثالث: لما دنوا إلى باب الجنة واغتسلوا بماء الحياة ونظروا إلى الجنة قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣].

والرابع: لما دخلوا الجنة واستقبلتهم الملائكة بالتحية قالوا: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ [فاطر: ٣٥].

والخامس: حين استقروا في منازلهم قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ [الزمر: ٧٤].

والسادس: كلما فرغوا من الطعام قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢].

والفرق بين الحمدين مع كون نعمتي الدنيا والآخرة بطريق التفضل أن الأول على نهج العبادة والثاني على وجه التلذذ كما يتلذذ العطشان بالماء البارد لا على وجه الفرض والوجوب وقد ورد في الخبر «إنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النَفَس» [وكفته اند مجموع اهل آخرت مرورا حمد كويند دوستان اورا بفضل ستايند ودشنمان بعدل].

يقول الفقير: فيه نظر لأن الآخرة المطلقة كالعاقبة الجنة مع أن المقام يقتضي أن يكون ذلك من ألسنة أهل الفضل إذ لا اعتبار بحال أهل العدل كما لا يخفى ﴿وهو الحكيم﴾ الذي أحكم أمور الدين والدنيا ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة ﴿الخبير﴾ بليغ الخبرة والعلم ببواطن الأشياء ومكنوناتها ثم بين كونه خبيراً فقال:

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾

﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ الولوج الدخول في مضيق أي: يعلم ما يدخل فيها من البزور والغيث ينفذ في موضع وينبع من آخر والكنوز والدفائن والأموات والحشرات والهوام ونحوها وأيضاً يعلم ما يدخل في أرض البشرية بواسطة الحواس الخمس والأغذية الصالحة والفاسدة من الحلال والحرام. ﴿وما يخرج منها﴾ كالحيوان من جُحره والزرع والنبات وماء العيون والمعادن والأموات عند الحشر ونحوها وأيضاً ما يخرج من أرض البشرية من الصفات المتولدة منها والأعمال الحسنة والقبيحة. ﴿وما ينزل من السماء﴾ كالملائكة والكتب والمقادير والأرزاق والبركات والأمطار والثلوج والبرد والأنداء والشهب والصواعق ونحوها وأيضاً ما ينزل من سماء القلب من الفيوض الروحانية والإلهامات الربانية. ﴿وما يعرج﴾ يصعد ﴿فيها﴾ كالملائكة والأرواح الطاهرة والأبخرة والأدخنة والدعوات وأعمال العباد. ولم يقل «إليها» لأن قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] يشير إلى أن الله تعالى هو المنتهى لا السماء ففي ذكر «في» إعلام بنفوذ الأعمال فيها وصعودها منها. وأيضاً وما يعرج في سماء القلب من آثار الفجور والتقوى وظلمة الضلالة ونور الهدى. وقال بعضهم: [آنچه بالاميرود نالهٔ تائبانست وآه مفلسان كه چون سحركاه ازخلو تخانهٔ سينهٔ ايشان روى بدركاه رحمت پناه آرد في الحال رقم قبول بروى افتدكه «أنين المذنبين احب إليّ من زجل المسبحين» غلغل تسبيح شيخ ارچند مقبولست ليك آه درد آلود رندانرا قبول ديكرست بداود عليه السلام وحى آمدكه اى داود آن ذلت كه ازتو صادر شد برتو مبارك بود داود كفت بارخدا ذلت چكونه مبارك باشد كفت اى داود پيش ازان ذلت هرباركه بدركاه ما آمدى ملك وار مى آمدى باكر شمه وناز طاعت واكنون مى آيى بنده وار مى آيى باسوز ونياز مفلسى] ﴿وهو الرحيم﴾ للحامدين ولمن تولاه ﴿الغفور﴾ للمقصرين ولذنوب أهل ولايته فإذا كان الله متصفاً بالخلق

والملك والتصرف والحكمة والعلم والرحمة والمغفرة ونحوها من الصفات الجليلة فله الحمد المطلق والحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من جهة التعظيم من نعمة وغيرها كالعلم والكرم وأما قولهم الحمد لله على دين الإسلام فمعناه على تعليم الدين وتوفيقه والحمد القولي هو حمد اللسان وثناؤه على الحق بما أثنى به بنفسه على لسان أنبيائه والحمد الفعلي هو الإتيان بالأعمال البدنية ابتغاءً لوجه الله والحمد الحالي هو الاتصاف بالمعارف والأخلاق الإلهية والحمد عند المحنة الرضى عن الله فيما حكم به وعند النعم الشكر فيقال في الضراء الحمد لله على كل حال نظراً إلى النعمة الباطنة دون الشكر لله خوفاً من زيادة المحنة لأن الله تعالى قال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] والحمد على النعمة كالروح للجسد فلا بد من إحيائها وأبلغ الكلمات في تعظيم صنع الله وقضاء شكر نعمته الحمد لله ولذا جعلت زينة لكل خطبة وابتداء لكل مدحة وفاتحة لكل ثناء وفضيلة لكل سورة ابتدئت بها على غيرها. وفي الحديث «كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم» أي: أقطع فله الحمد قبل كل كلام بصفات الجلال والإكرام:

حمد أو تاج تارك سخنست صدر هرنامه نوو كهنست

قال في «فتوح الحرمين»:

أحسن ما اهتم به ذو الهمم ذكر جميل لولي النعم
چون نعم اوست برون ازخيال كيف يؤديه لسان المقال
نعمت او بيشتر از شكر ماست شكرهم ازنعمتهاى خداست

وعن رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: كنا نصلي مع رسول الله ﷺ فلما رفع رأسه ﷺ من الركوع قال: «سمع الله لمن حمده» فقال رجل وراءه: ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه فلما انصرف قال: «من المتكلم آنفاً» قال الرجل: أنا قال: «لقد رأيت بضعاً وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أولاً» وإنما ابتدرها هذا العدد لأن ذلك عدد حروف هذه الكلمات فلكل حرف روح هو المثبت له والمبقي لصورة ما وقع النطق به فبالأرواح تبقى الصور وبنيات العمال وتوجهات نفوسهم ترتفع حيث منتهى همة العامل وللملائكة مراتب منها مخلوقة من الأنوار القدسية والأرواح الكلية ومنها من الأعمال الصالحة والأذكار الخالصة بعضها على عدد بعض كلمات الأذكار وبعضها على عدد حروف الأذكار وبعضها على عدد الحروف المكررة وبعضها على عدد أركان الأعمال على قدر استعداد الذاكرين وقوتهم الروحية وهمتهم العلية. وفي الحديث المذكور دليل على أن من الأعمال ما يكتبه غير الحفظة مع الحفظة ويختصم الملأ الأعلى في الأعمال الصالحة ويستبقون إلى كتابة أعمال بني آدم على قدر مراتبهم وتفصيل سر الحديث في «شرح الأربعين» لحضرة الشيخ الأجل صدر الدين القنوي قدس سره:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٣﴾.

﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة﴾ [نمى آيد بما قيامت] وعبر عن القيامة بالساعة تشبيهاً لها بالساعة التي هي جزء من أجزاء الزمان لسرعة حسابها. قال في «الإرشاد»: أرادوا بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لا أنفسهم أو معاصرهم فقط كما أرادوا بنفي إتيانها نفي

وجودها بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها في نفس الأمر وإنما عبروا عنه بذلك لأنهم كانوا يوعدون بإتيانها ولأن وجود الأمور الزمانية المستقبلة لا سيما أجزاء الزمان لا تكون إلا بالإتيان والحضور. وفي «كشف الأسرار» [منكران بعث دو كروه اند كروهى كفتند ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢] يعني: ما در كمانيم بر ستاخيز يقين نميدانيم كه خواهد بود ورب العالمين ميكويد ايمان بنده وقتى درست شود كه برستاخيز وآخرت بيكمان باشد، وذلك قوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤] كروهى ديكر كفتند ﴿لا تأتينا الساعة﴾ رستاخيز بما نيايد ونخواهدبود] ﴿قل بلى﴾ رد لكلامهم وإثبات لما نفوه من إتيان الساعة على معنى ليس الأمر إلا إتيانها [درلباب كفته كه أبو سفيان بلات وعزى سوكند خوردكه بعث ونشور نيست حق تعالى فرمودكه اى حبيب من تو هم سوكند خوركه] ﴿وربي﴾ الواو للقسم يعني: [بحق آفريدكار من بزودى] ﴿لتأتينكم﴾ الساعة البتة يعني: [بيايد بشما قيامت] وهو تأكيد لما قبله ﴿عالم الغيب﴾ نعت لربي أو بدل منه وهو تشديد للتأكيد يريد أن الساعة من الغيوب والله عالم بكلها والغيب ما غاب عن الخلق على ما قال بعضهم العلقة غيب في النطفة والمضغة غيب في العلقة والإنسان غيب في هذا كله والماء غيب في الهواء والنبات غيب في الماء والحيوان غيب في النبات والإنسان غيب في هذا كله والله تعالى قد أظهره من هذه الغيوب وسيظهره بعدما كان غيباً في التراب وفائدة الأمر باليمين أن لا يبقى للمعاندين عذر أصلاً لما أنهم كانوا يعرفون أمانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلاً عن اليمين الفاجرة وإنما لم يصدقوه مكابرة وهذا الكفر والتكذيب طبيعة النفوس الكاذبة المكذبة فمن وكله الله بالخذلان إلى طبيعة نفسه لا يصدر منه إلا الإنكار ومن نظره الله إلى قلبه بنظر العناية فلا يظهر منه عند سماع قوله: ﴿قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب﴾ إلا الإقرار والنطق بالحق ﴿لا يعزب عنه﴾ [العزوب: درشدن] والعازب المتباعد في طلب الكلأ وعن أهله أي: لا يبعد عن علمه ولا يغيب ﴿مثقال ذرة﴾ المثقال ما يوزن به وهو من الثقل وذلك اسم لكل صنج كما في «المفردات». والذرة النملة الصغيرة الحميراء وما يرى في شعاع الشمس من ذرات الهواء أي: وزن أصغر نملة أو مقدار الهباء ﴿في السموات ولا في الأرض﴾ أي: كائنة فيهما. وفيه إشارة إلى علمه بالأرواح والأجسام ﴿ولا أصغر من ذلك﴾ المثقال ﴿ولا أكبر﴾ منه ورفعهما على الابتداء فلا وقف عند أكبر والخبر قوله تعالى: ﴿إلا﴾ مسطور ومثبت ﴿في كتاب مبين﴾ هو اللوح المحفوظ المظهر لكل شيء وإنما كتب جرياً على عادة المخاطبين لا مخافة نسيان وليعلم أنه لم يقع خلل وإن أتى عليه الدهر والجملة مؤكدة لنفي العزوب.

﴿لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ علة لقوله: ﴿لتأتينكم﴾ وبيان لما يقتضي إتيانها فاللام للعلة عقلاً وللمصلحة والحكمة شرعاً. ﴿أولئك﴾ الموصوفون بالإيمان والعمل. ﴿لهم﴾ بسبب ذلك ﴿مغفرة﴾ ستر ومحو لما صدر عنهم مما لا يخلو عنه البشر ﴿ورزق كريم﴾ لا تعب فيه ولا منّ عليه.

﴿والذين سعوا﴾ [بشتافتند] ﴿في آياتنا﴾ القرآنية بالرد والطعن فيها ومنع الناس عن

التصديق بها ﴿معاجزين﴾ أي: مسابقين كي يفوتونا. قال في «البحر»: ظانين في زعمهم وتقديرهم أنهم يفوتوننا وإن كيدهم للإسلام يتم لهم. وفي «المفردات» السعي المشي السريع وهو دون العدو ويستعمل للجد في الأمر خيراً كان أو شراً وأعجزت فلاناً وعاجزته جعلته عاجزاً أي: ظانين ومقدرين أنهم يعجزوننا لأنهم حسبوا أن لا بعث ولا نشور فيكون لهم ثواب وعقاب وهذا في المعنى كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ﴾ [العنكبوت: ٤] وقال في موضع آخر أي: اجتهدوا في أن يظهروا لنا عجزاً فيما أنزلناه من الآيات وبالفارسية: [وميكوشند درانكه مارا عاجز آرند وپيش شوند] ﴿أولئك﴾ الساعون ﴿لهم﴾ بسبب ذلك ﴿عذاب من رجز﴾ من للبيان والرجز سوء العذاب أي: من جنس سوء العذاب ﴿أليم﴾ بالرفع صفة عذاب أي: شديد الإيلام ويجيء الرجز بمعنى القذر والشرك والأوثان كما في قوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: ٥] سماها رجزاً لأنها تؤدي إلى العذاب وكذا سمي كيد الشيطان رجزاً في قوله تعالى: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأنفال: ١١] لأنه سبب العذاب. وفي «المفردات» أصل الرجز الاضطراب وهو في الآية كالزلزلة.

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧﴾.

﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ مستأنف مسوق للاستشهاد بأولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات أي: يعلم أولو العلم من أصحاب رسول الله ومن شايعهم من علماء الأمة أو من آمن من علماء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار ونحوهما والأول أظهر لأن السورة مكية كما في «التكملة»: ﴿الذي أنزل إليك من ربك﴾ أي: النبوة والقرآن والحكمة والجملة مفعول أول لقوله: ﴿يرى﴾. ﴿هو﴾ ضمير فصل يفيد التوكيد كقوله تعالى: ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ﴾ [آل عمران: ١٨٠] ﴿الحق﴾ بالنصب على أنه مفعول ثان ليرى ﴿ويهدي﴾ عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لأنه في تأويله كما في قوله تعالى: ﴿صَٰٓفَّٰتٍۖ﴾ [النور: ٤١] أي: وقابضات كأنه قيل ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك الحق وهادياً ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ الذي هو التوحيد والتوشح بلباس التقوى وهذا يفيد رهبة لأن العزيز يكون ذا انتقام من المكذب ورغبة لأن الحميد يشكر على المصدق. وفيه أن دين الإسلام وتوحيد الملك العلام هو الذي يتوصل به إلى عزة الدارين وإلى القربة والوصلة والرؤية في مقام العين كما أن الكفر والتكذيب يتوصل به إلى المذمة والمذلة في الدنيا والآخرة وإلى البعد والطرد والحجاب عما تعاينه القلوب الحاضرة والوجوه الناظرة. قال بعض الكبار: يشير بالآية إلى الفلاسفة الذين يقولون: إن محمداً ﷺ كان حكيماً من حكماء العرب وبالحكمة أخرج هذا الناموس الأكبر يعنون النبوة والشريعة ويزعمون أن القرآن كلامه أنشأه من تلقاء نفسه يسعون في هذا المعنى مجاهدين جهداً تاماً في إبطال الحق وإثبات الباطل فلهم أسوأ الطرد والإبعاد لأن القدح في النبوة ليس كالقدح في سائر الأمور. وأما الذين أوتوا العلم من عند الله موهبة منه لا من عند الناس بالتكرار والبحث فيعلمون أن النبوة والقرآن والحكمة هو الحق من ربهم وإنما يرون هذه الحقيقة لأنهم ينظرون بنور العلم الذي أوتوه من الحق تعالى فإن الحق لا يرى إلا بالحق كما

أن النور لا يرى إلا بالنور ولما كان يرى الحق بالحق كان الحق هادياً لأهل الحق وطالبيه إلى طريق الحق وذلك قوله: ﴿ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾ فهو العزيز لأنه لا يوجد إلا به وبهدايته والحميد لأنه لا يرد الطالب بغير وجدان كما قال: «ألا من طلبني وجدني». قال موسى عليه السلام: أين أجدك يا رب؟ قال: يا موسى إذا قصدت إليّ فقد وصلت إليّ، قال المولى الجامي:

هرچه جز حق ز لوح دل بتراش بكذر از خلق جمله حق را باش

رخت همت بخطه جان كش بر رخ غير خط نيسان كش

بكسلى خويش از هوا وهوس روى دل درخداى دارى پس

﴿وقال الذين كفروا﴾ منكري البعث وهم كفار قريش قالوا بطريق الاستهزاء مخاطباً بعضهم لبعض ﴿هل ندلكم﴾ [يا دلالت كنيم ونشان دهيم شمارا] ﴿على رجل﴾ يعنون به النبي ﷺ وإنما قصدوا بالتنكير الهزؤ والسخرية ﴿ينبئكم﴾ أي: يحدثكم ويخبركم بأعجب الأعاجيب ويقول لكم: ﴿إذا مزقتم كل ممزق﴾ الممزق مصدر بمعنى التمزيق وهو بالفارسية [پرا كنده كردن] وأصل التمزيق التفريق يقال مزق ثيابه أي: فرقها والمعنى إذا متم وفرقت أجسادكم كل تفريق بحيث صرتم رفاتاً وتراباً ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾ أي: مستقرون فيه وبالفارسية: [درآفرينش تو خواهيد بود يعني زنده خواهيد كشت] وجديد فعيل بمعنى فاعل عند البصريين من جدّ فهو جديد كقل فهو قليل وبمعنى المفعول عند الكوفيين من جدّ النساج الثوب إذا قطعه. قال في «المفردات» يقال جددت الثوب إذا قطعته على وجه الإصلاح وثوب جديد أصله المقطوع ثم جعل لكل ما أحدث إنشاؤه والخلق الجديد إشارة إلى النشأة الثانية والجديدان الليل والنهار والعامل في إذا محذوف دل عليه ما بعده أي: تنشأون خلقاً جديداً ولا يعمل فيها مزقتم لإضافتها إليه ولا ينبئكم لأن التنبئة لم تقع وقت التمزيق بل تقدمت ولا جديد لأن ما بعد أنّ لا يعمل فيما قبلها.

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾.

﴿افترى على الله كذباً﴾ فيما قاله وهذا أيضاً من كلام الكفار وأصل افترى أإفترى بهمزة الاستفهام المفتوحة الداخلة على همزة الوصل المكسورة للإنكار والتعجب فحذفت همزة الوصل تخفيفاً مع عدم اللبس.

والفرق بين الافتراء والكذب أن الافتراء هو افتعال الكذب من قول نفسه والكذب قد يكون على وجه التقليد للغير فيه ومعنى الافتراء بالفارسية [دروغ بافتن] أي: اختلق محمد على الله كذباً ﴿أم به جنة﴾ [يا بدو جنوني هست] أي: جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه من غير قصد والجنون حائل بين النفس والعقل وهذا حصر للخبر الكاذب بزعمهم في نوعيه وهما الكذب على عمد وهو المعنيّ بالافتراء والكذب لا عن عمد وهو المعنيّ بالجنون فيكون معنى أم به جنة أم لم يفتر فعبر عن عدم الافتراء بالجنة لأن المجنون لا افتراء له لأن الكذب عن عمد ولا عمد للمجنون فالإخبار حال الجنة قسيم للافتراء الأخص لا الكذب الأعم ثم أجاب

الله عن ترديدهم فقال: ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي: ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء كما زعموا وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالحشر والنشر واقعون ﴿في العذاب﴾ في الآخرة ﴿والضلال البعيد﴾ في الدنيا أي: البعيد عن الصواب والهدي بحيث لا يرجى الخلاص منه ووصف الضلال بالبعد على الإسناد المجازي للمبالغة إذ هو في الأصل وصف الضال لأنه الذي يتباعد عن المنهاج المستقيم وكلما ازداد بعداً عنه كان أضل وتقديم العذاب على ما يوجبه ويؤدي إليه وهو الضلال للمسارعة إلى بيان ما يسوؤهم وجعل العذاب والضلال محيطين بهم إحاطة الظرف بالمظروف لأن أسباب العذاب معهم فكأنهم في وسطه ووضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه على أن علة ما اجترأوا عليه كفرهم بالآخرة وما فيها فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفاً من غائلته.

وحاصل الآية إثبات الجنون الحقيقي لهم فإن الغفلة عن الوقوع في العذاب وعن الضلال الموجب لذلك جنون أي: جنون واختلال عقل أي: اختلال إذ لو كان فهمهم وإدراكهم تاماً وكاملاً لفهموا حقيقة الحال ولما اجترأوا على سوء المقال. قال بعض الكبار كما أن الطفل الصغير يسبى إلى بعض البلاد فينسى وطنه الأصلي بحيث لو ذكر به لم يتذكر كذلك نفس الإنسان القاسي قلبه إن ذكر بالآخرة وهو وطنه الأصلي لم يتذكر ويكفر به ويقول مستهزئاً ما يقول ولا يتفكر أن أجزاءه كانت متفرقة حين كان هو ذرة أخرجت من صلب آدم كيف جمع الله ذرات شخصه المتفرقة وجعلها خلقاً جديداً كذلك يجمع الله أجزاءه المتفرقة للبعث.

بامرش وجود از عدم نقش بست ... كه داند جزاو كردن ازنيست هست
دكر ره بكتم عدم در برد ... وزانجا بصحراى محشر برد
دهد روح كر تربت آدمى ... شود تربت آدم دران يكدمى
كسى كو بخواهد نظير نشور ... بكو در نكر سبزه را در ظهور
كه بعد خزان بشكفد چند كل ... بجوشد زمين در بهاران چو مل

﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض﴾ الفاء للعطف على مقدر أي: افعلوا ما فعلوا من المنكر المستتبع للعقوبة فلم ينظروا إلى ما أحاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفرّ لهم وهو السماء والأرض فإنهما أمامهم وخلفهم وعن يمينهم وشمالهم حيثما كانوا وساروا وبالفارسية: [آيا نمى نكرند كافران بسوى آنچه در پيش ايشانست از آسمان وزمين]. ثم بين المحذور المتوقع من جهتهما فقال: ﴿إن نشأ﴾ جرياً على موجب جناياتهم ﴿نخسف بهم الأرض﴾ كما خسفناها بقارون وخسف به الأرض غاب به فيها فالباء للتعدية وبالفارسية: [فرو بريم ايشانرا بزمين] ﴿أو نسقط عليهم كسفاً من السماء﴾ كما أسقطناها على أصحاب الأيكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرائم والكسف كقطع لفظاً ومعنى جمع كسفة. قال في «المفردات» ومعنى الكسفة قطعة من السحاب والقطن ونحو ذلك من الأجسام المتخلخلة ومعنى إسقاط الكسف من السماء إسقاط قطع من النار كما وقع لأصحاب الأيكة وهم قوم شعيب كانوا أصحاب غياض ورياض وأشجار ملتفة حيث أرسل الله عليهم حراً شديداً فرأوا سحابة فجاءوا ليستظلوا تحتها فأمطرت عليهم النار فاحترقوا ﴿إن في ذلك﴾ أي: فيما ذكر من السماء والأرض من حيث إحاطتهما بالناظر من جميع الجوانب أو فيما تلي من الوحي الناطق بما ذكر ﴿لآية﴾ لدلالة واضحة ﴿لكل عبد منيب﴾ شأنه الإنابة والرجوع إلى ربه فإنه إذا

تأمل فيهما أو في الوحي المذكور ينزجر عن تعاطي القبيح وينيب إليه تعالى. قال في «المفردات» النوب رجوع الشيء مرة بعد أخرى والإنابة إلى الله الرجوع إليه بالتوبة وإخلاص العمل. وفي الآية حث بليغ على التوبة والإنابة وزجر عن الجرم والجناية وأن العبد الخائف لا يأمن من قهر الله طرفة عين فإن الله قادر على كل شيء يوصل اللطف والقهر من كل ذرة من ذرات العالم.

قال إبراهيم بن أدهم قدس سره: إذا صدق العبد في توبته صار منيباً لأن الإنابة ثاني درجة التوبة. قال أبو سعيد القرشي المنيب الراجع عن كل شيء يشغله عن الله إلى الله. وقال بعضهم: الإنابة الرجوع منه إليه لا من شيء غيره فمن رجع من غيره إليه ضيع أحد طرفي الإنابة والمنيب على الحقيقة من لم يكن له مرجع سواه ويرجع إليه من رجوعه ثم يرجع من رجوع رجوعه فيبقى شبحاً لا وصف له قائماً بين يدي الحق مستغرقاً في عين الجمع. سري سقطي قدس سره [كويد معروف كرخى را روح الله روحه بخواب ديدم در زير عرش خداى واله ومدهوش وازحق ندايى رسيد بملائكة اين مرد كيست كفتند خداوندا تودانا ترى كفت معروف ازدوشتى ما واله كشته است جز بديدار ما بهوش نيايد وجز بلقاى ما ازخود خبر نيابد] فهذه هي حقيقة الرجوع. ومن هذا القبيل ما حكي عن إبراهيم بن أدهم قدس سره أنه حج إلى بيت الله الحرام فبينما هو في الطواف إذ بشاب حسن الوجه قد أعجب الناس حسنه وجماله فصار إبراهيم ينظر إليه ويبكي فقال بعض أصحابه: إنا لله وإنا إليه راجعون غفلة دخلت على الشيخ بلا شك ثم قال: يا سيدي ما هذا النظر الذي يخالطه البكاء؟ فقال إبراهيم: يا أخي عقدت مع الله عقداً لا أقدر على فسخه وإلا كنت أدني هذا الفتى مني وأسلم عليه لأنه ولدي وقرة عيني تركته صغيراً وخرجت فارّاً إلى الله تعالى وها هو قد كبر كما ترى وأني لأستحيي من الله أن أعود إلى شيء خرجت منه.

هجرت الخلق كلا في هواكا وايتمت العيال لكي أراكا
فلو قطعتني في الحب اربا لما سكن الفؤاد إلى سواكا

قال بعضهم: هجر النفس مواصلة الحق ومواصلة النفس هجر الحق ومن الله الإيصال إلى مقام الوصال.

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

﴿ولقد آتينا داود منا فضلا﴾ أعطى الله تعالى داود اسماً ليس فيه حروف الاتصال فدل على أنه قطعه عن العالم بالكلية وشرفه بالطافه الخفية والجلية فإن بين الاسم والمسمى مناسبة لا يفهمها إلا أهل الحقيقة وقد صح أن الألقاب والأسماء تنزل من صوب السماء والفضل الزيادة والتنوين للنوع أي: نوعاً من الفضل على سائر الأنبياء مطلقاً سواء كانوا أنبياء بني إسرائيل أو غيرهم كما دل عليه قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] والفاضل من وجه لا ينافي كونه مفضولاً من وجه آخر وهذا الفضل هو ما ذكر بعد من تأويب الجبال وتسخير الطير وإلانة الحديد فإنه معجزة خاصة به وهذا لا يقتضي انحصار فضله فيها فإنه تعالى أعطاه الزبور كما قال في مقام الامتنان والتفضل. ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

قال في «التأويلات النجمية»: والفرق بين داود وبين نبينا ﷺ أنه ذكر فضله في حق داود على صفة النكرة وهي تدل على نوع من الفضل وشيء منه وهو الفيض الإلهي بلا واسطة كما دل عليه كلمة منا وقال في حق نبينا ﷺ: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] والفضل الموصوف بالعظمة يدل على كمال الفضل وكذا قوله فضل الله لما أضاف الفضل إلى الله اشتمل على جميع الفضل كما لو قال أحد دار فلان اشتملت على جميع الدور انتهى بنوع من التغيير. ويجوز أن يكون التنكير للتفخيم ومنا لتأكيد فخامته الذاتية لفخامته الإضافية على أن يكون المفضل عليه غير الأنبياء فالمعنى إذا ولقد آتينا داود بلا واسطة فضلاً عظيماً على سائر الناس كالنبوة والعلم والقوة والملك والصوت الحسن وغير ذلك ﴿يا جبال أوبي معه﴾ بدل من آتينا بإضمار قلنا أومن فضلا باضمار قولنا. والتأويب على معنيين:

أحدهما: الترجيع وهو بالفارسية [نغمه كردانيدن] لأنه من الأوب وهو الرجوع.

والثاني: السير بالنهار كله فالمعنى على الأول رجعي معه التسبيح وسبحي مرة بعد مرة. قال في «كشف الأسرار»: أوّبي سبحي معه إذا سبح وهو بلسان الحبشة انتهى، وبالفارسية: [باز كردانيدن آوازخودرا باداود دروقت تسبيح أو يعني موافقت كنيد باوى] وذلك بأن يخلق الله تعالى فيها صوتاً مثل صوته كما خلق الكلام في شجرة موسى عليه السلام فكان كلما سبح سمع من الجبال ما يسمع من المسبح ويعقل معنى معجزة له قالوا: فمن ذلك الوقت يسمع الصدى من الجبال وهو ما يرده الجبل على المصوت فيه. فإن قلت: قد صح عند أهل الحقيقة أن للأشياء جميعاً تسبيحاً بلسان فصيح ولفظ صريح يسمعه الكمل من أهل الشهود فما معنى الفضل فيه لداود؟ قلت: الفضل موافقة الجبال له بطريق خرق العادة كما دل عليه كلمة مع. فإن قلت: قد ثبت أيضاً عندهم أن أذكار العوالم متنوعة فمتى سمع السالك من الأشياء الذكر الذي هو مشغول به فكشفه خيالي غير صحيح يعني أنه خيال أقيم له في الموجودات وليس له حقيقة وإنما الكشف الصحيح الحقيقي هو أن يسمع من كل شيء ذكراً غير ذكر الآخر. قلت: لا يلزم من موافقة الجبال لداود أن لا يكون لها تسبيح آخر في نفسها مسموع لداود كما هي فيه والمعنى على الثاني سيرى معه حيث سار، يعني: [سير كنيد با او هرجاكه رود وهركاه كه خواهد واين معجزه داود بودكه با او روان شدى] ولعل تخصيص الجبال بالتسبيح أو السير لأنها على صور الرجال كما دل عليه ثباتها ﴿والطير﴾ بالنصب عطفاً على فضلاً يعني وسخرنا له الطير لأن إيتاءها إياه عليه السلام لتسخيرها له فلا حاجة إلى إضماره ولا إلى تقدير المضاف أي: تسبيح الطير كما في «الإرشاد»: وبالفارسية: [ومسخر كرديم ويرا مرغان تادروقت ذكر با او موافق بودندى] نزل الجبال والطير منزلة العقلاء حيث نوديت نداءهم إذ ما من حيوان وجماد إلا وهو منقاد لمشيئته ومطيع لأمره فانظر إذ من طبع الصخور الجمود ومن طبع الطيور النفور ومع هذا قد وافقته عليه السلام فأشد منها القاسية قلوبهم لا يوافقون ذكراً ولا يطاوعون تسبيحاً وينفرون من مجالس أهل الحق نفور الوحوش بل يهجمون عليها بأقدام الإنكار كأنهم الأعداء من الجيوش.

قال المولى الجامي في «شرح الفصوص»: وإنما كان تسبيح الجبال والطير لتسبيحه لأنه لما قوي توجهه عليه السلام بروحه إلى معنى التسبيح والتحميد سرى ذلك إلى أعضائه وقواه فإنها مظاهر روحه ومنها إلى الجبال والطير فإنها صور أعضائه وقواه في الخارج فلا جرم

يسبحن لتسبيحه وتعود فائدة تسبيحها إليه يعني لما كان تسبيحها ينشأ من تسبيحه لا جرم يكون ثوابه عائداً إليه لا إليها لعدم استحقاقها لذلك انتهى. والحاصل: أن الذكر من اللسان يعبر إلى أن يصل إلى الروح ثم ينعكس النور من الروح إلى جبال النفس وطير القلب ثم بالمداومة ينعكس من النفس إلى البدن فيستوعب جميع أجزاء البدن ظاهرها وباطنها ثم ينعكس من أجزائه العنصرية إلى العناصر الأربعة مفردها ومركبها وينعكس من النفس إلى النفوس أعني النفس النامية والنفس الحيوانية والنفس السماوية والنفس النجومية وينعكس من الروح الإنساني إلى عالم الأرواح إلى أن يستوعب جميع العالم ملكه وملكوته وإليهما الإشارة بالجبال والطير فيذكر العالم بما فيه موافقة للذاكر ثم يعبر الذكر عن المخلوقات ويصعد إلى رب العالمين كما قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] فيذكره الله تعالى فيكون ذاكراً ومذكوراً متصفاً بصفة الرب وبخلقه ويكون الفضل في حقه كونه مذكوراً للحق. ثم إن الله تعالى ما بعث نبياً إلا حسن الوجه حسن الصوت وكان لداود عليه السلام حسن صوت جداً زائد على غيره كما أنه كان ليوسف عليه السلام حسن زائد على حسن غيره [هركاه كه داود بزبور خواندن مشغول شدى سباع ووحوش ازمنازل خود بيرون آمده استماع آواز دلنوازش كردندى وطيور ازنغمات جانفزايش مضطرب كشته خود ازمنزل برزمين افكندندى:

زصوت دلكشش جان تازه كشتى ... روانرا ذوق بى اندازه كشتى
سپهر چنك پشت ارغنون ساز ... ازان پر حالت نشنوده آواز

وكفتند چون داود تسبيح كفتى كوهها بصدا ويرا مدد دادندى ومرغان برز بر سروى كشيده بالحان دلاويز امداد نمودندى وهركس كه آواز وى شنيدى ازلذت آن نغمه بيخود كشتى وازان وجد وسماع بودى كه دريك مجلس چهار صد جنازه بركرفتندى]:

چو كردد مطرب من نغمه پرداز ... زشوقش مرغ روح آيد بپرواز

قال القرطبي: حُسْنُ الصوت هبة الله تعالى وقد استحسن كثير من فقهاء الأمصار القراءة بتزيين الصوت وبالترجيع ما لم يكن لحناً مفسداً مغيراً للمبنى مخرجاً للنظم عن صحة المعنى لأن ذلك سبب للرقة وإثارة الخشية كما في «فتح القريب» [شبى داود عليه السلام باخود كفت «لا عبدنّ الله تعالى عبادة لم يعبده أحد بمثلها» اين بكفت وبركوه شد تا عبادت كند وتسبيح كويد درميانهٔ شب وحشتى بوى در آمد ورب العالمين آن ساعت كوه را فرمود تا انس دل داودرا باوى تسبيح وتهليل مساعدت كند چندان آواز تسبيح وتهليل ازكوه بديد آمد كه آواز داود در جنب آن ناچيز كشت باخود كفت] كيف يسمع صوتي مع هذه الأصوات فنزل ملك وأخذ بعضد داود وأوصله إلى البحر فوضع قدمه عليه فانفلق حتى وصل إلى الأرض تحته فوضع قدمه عليها حتى انشقت فوصل إلى الحوت تحت الأرض ثم إلى الصخرة تحت الحوت فوضع قدمه على الصخرة فظهرت دودة وكانت تنشر فقال له الملك: يا داود إن ربك يسمع نشير هذه الدودة في هذا الموضع من وراء السبع الطباق فكيف لا يسمع صوتك من بين أصوات الصخور والجبال فتنبه داود لذلك ورجع إلى مقامه.

همه آوازها در پيش حق باز ... اكر پيدا اكر پوشيده آواز
كسى كو بشنود آواز ازحق ... شود در نفس خود خاموش مطلق

اللهم أسمعنا كلامك ﴿وألنا له الحديد﴾ اللين ضد الخشونة يستعمل في الأجسام ثم يستعار

للمعاني وإلانة الحديد بالفارسية: [نرم كردانيدن آهن] أي: جعلناه لينا في نفسه كالشمع والعجين والمبلول يصرفه في يده كيف يشاء من غير إحماء بنار ولا ضرب بمطرقة أو جعلناه بالنسبة إلى قوته التي آتيناها إياه ليناً كالشمع بالنسبة إلى سائر قوى البشرية وكان داود أوتي شدة قوة في الجسد وإن لم يكن جسيماً وهو أحد الوجهين لقوله: ذا الأيد في سورة ص.

﴿أن اعمل﴾ أي: أمرناه بأن عمل على أن أن مصدرية حذف منها الباء. ﴿سابغات﴾ أي: دروعاً واسعة تامة طويلة. قال في «القاموس» سبغ الشيء سبوغاً طال إلى الأرض والنعمة انسغت ودرع سابغة تامة طويلة انتهى ومنه استعير إسباغ الوضوء أو إسباغ النعمة كما في «المفردات» وهو عليه السلام أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح حديد مضروبة قالوا: كان عليه السلام حين ملك على بني إسرائيل يخرج متنكراً فيسأل الناس ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكاً في صورة آدمي فسأله على عادته فقال: نعم الرجل لولا خصلة فيه فسأله عنها فقال: لولا أنه يأكل ويطعم عياله من بيت المال ولو أكل من عمل يده لتمت فضائله فعند ذلك سأل ربه أن يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع فكان يعمل كل يوم درعاً ويبيعها بأربعة آلاف درهم أو بستة آلاف ينفق عليه وعلى عياله ألفين ويتصدق بالباقي على فقراء بني إسرائيل [درلباب كويد چون وفات فرمود هزار ذره در خزانه او بود] وفي الحديث: «كان داود لا يأكل إلا من كسب يده». وفي الآية دليل على تعلم أهل الفضل الصنائع فإن العمل بها لا ينقص بمرتبتهم بل ذلك زيادة في فضلهم إذ يحصل لهم التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم وفي الحديث: «إن خير ما أكل المرء من عمل يده» قال الشيخ سعدي قدس سره:

بياموز پرورده را دست رنج وكردست دارى چو قارون كنج
بپايان رسد كيسهٔ سيم وزر نكردد تهى كيسهٔ پيشه ور

﴿وقدر في السرد﴾ التقدير بالفارسية [اندازه كردن] والسرد في الأصل خرز ما يخشن ويغلظ كخرز الجلد ثم استعير لنظم الحديد ونسج الدروع كما في «المفردات» وقيل لصانع الدروع سراد وزراد بإبدال الزاء من السين وسرد كلامه وصل بعضه ببعض وأتى به متتابعاً وهو إنما يكون مقبولاً إذا لم يخل بالفهم والمعنى اقتصد في نسجها بحيث تناسب حلقها وبالفارسية: [واندازه نكه دار دربافتن آن «يعني حلقها مساوي» درهم افكن تا وضع آن متناسب افتد] ولا تصرف جميع أوقاتك إليه بل مقدار ما يحصل به القوة وأما الباقي فاصرفه إلى العبادة وهو الأنسب بما بعده.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى إلانة قلبه والسابغات الحكم البالغة التي ظهرت ينابيعها من قلبه على لسانه ﴿وقدر في السرد﴾ الحديث بأن تتكلم بالحكمة على قدر عقول الناس.

نكته كفتن پيش كژفهمان زحكمت بيكمان
جوهرى چند ازجواهر ريختن پيش خرست

﴿واعملوا﴾ خطاب لداود وأهله لعموم التكليف. ﴿صالحاً﴾ عملاً صالحاً خالصاً من الأغراض ﴿إني بما تعملون بصير﴾ لا أضيع عمل عامل منكم فأجازيكم عليه وهو تعليل للأمر أو لوجوب الامتثال به.

وفي «التأويلات النجمية»: أشار بقوله: ﴿واعملوا صالحاً﴾ إلى جميع أعضائه الظاهرة والباطنة أن تعمل في العبودية كل واحدة منها عملاً يصلح لها ولذلك خلقت إني بعمل كل واحدة منكن بصير وبالبصارة خلقتكن انتهى. والبصير هو المدرك لكل موجود برؤيته ومن عرف أنه البصير راقبه في الحركات والسكنات حتى لا يراه حيث نهاه أو يفقده حيث أمره. وخاصية هذا الاسم وجود التوفيق فمن قرأه قبل صلاة الجمعة مائة مرة فتح الله بصيرته ووفقه لصالح القول والعمل وإن كان الإنسان لا يخلو عن الخطأ. يقال: كان داود عليه السلام يقول: اللهم لا تغفر للخطائين غيره منه وصلابة في الدين فلما وقع له ما وقع من الزلة كان يقول: اللهم اغفر للمذنبين. ويقال لما تاب الله عليه اجتمع الإنس والجن والطير بمجلسه فلما رفع صوته وأدار لسانه في حنكه على حسب ما كان من عادته تفرقت الطيور وقالت: الصوت صوت داود والحال ليست تلك الحال فبكى داود عليه السلام وقال: ما هذا يا رب فأوحى الله إليه يا داود هذا من وحشة الزلة وكانت تلك من إنس الطاعة:

قدم نتوان نهاد آنجاكه خواهى   بفرمان رو بفرمان كن نكاهى
كه هر كاو نه بامر حق قدم زد   چو شمع ازسر برآمد تيز دم زد

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾.

﴿ولسليمان الريح﴾ أي: وسخرنا له الريح وهي الصبا ﴿غدوها﴾ أي: جريها وسيرها بالغداة أي: من لدن طلوع الشمس إلى زوالها وهو وقت انتصاف النهار، وبالفارسية: [بامدادبردن باد اورا] ﴿شهر﴾ مسيرة شهر أي: مسير دواب الناس في شهر. قال الراغب: الشهر مدة معروفة مشهورة بإهلال الهلال أو باعتبار جزء من اثني عشر جزءاً من دوران الشمس من نقطة إلى تلك النقطة. والمشاهرة المعاملة بالشهر كما أن المسانهة والمياومة المعاملة بالسنة واليوم ﴿ورواحها﴾ أي: جريها وسيرها بالعشي أي: من انتصاف النهار إلى الليل، وبالفارسية: [ورفتن او شبانكاه] ﴿شهر﴾ مسيرة شهر ومسافته يعني كانت تسير في يوم واحد مسيرة شهرين للراكب. والجملة إما مستأنفة أو حال من الريح. وعن الحسن كان يغدو بدمشق مع جنوده على البساط فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع واصطخر بوزن فردوس بلدة من بلاد فارس بناها لسليمان صخر الجني المراد بقوله: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [النمل: ٣٩] ثم يروح أي: من اصطخر فيكون رواحه بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وكابل بضم الباء الموحدة ناحية معروفة من بلاد الهند وكان عليه السلام يتغدى بالري ويتعشى بالسمرقند والري من مشاهير ديار الديلم بين قومس والجبال وسمرقند أعظم مدينة بما وراء النهر أي: نهر جيحون.

ـ ويحكى ـ أن بعضهم رأى مكتوباً في منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان نحن نزلناه وما بنيناه ومبنياً وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون عنه فبائتون بالشام إن شاء الله. قال في «كشف الأسرار»: [كفته اند سفروى از زمين عراق بود تابمرو وازآنجا تابلخ وازآنجا تادر بلاد ترك شدى وبلاد ترك باز بريدى تازمين چين آنكه سوى راست زجانب مطلع آفتاب بركشتى برساحل دريا تابزمين قندهار وازآنجا تا بمكران وكرمان وازآنجا تا

باصطخر فارس نزولكاه وى بود يكچند آنجا مقام كردى وازآنجا بامداد برفتى وشبانكاه بشام بودى بمدينه تدمر ومسكن ومستقروى تدمربود] وكان سليمان أمر الشياطين قبل شخوصه من الشام إلى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الأبيض والأصفر وقد وجدت هذه الأبيات منقورة في صخرة بأرض الشام أنشأها بعض أصحاب سليمان:

ونحن ولا حول سوى حول ربنا نروح إلى الأوطان من أرض تدمر
إذا نحن رحنا كان ريث رواحنا مسيرة شهر والغدوّ لآخر
اناس شر والله طوعا نفوسهم بنصر ابن داود النبي المطهر
متى يركب الريح المطيعة أرسلت مبادرة عن شهرها لم تقصر
تظلهمو طير صفوف عليهمو متى رفرفت من فوقهم لم تبتر

قال مقاتل: كان ملك سليمان ما بين مصر وكابل. وقال بعضهم: جميع الأرض وهو الموافق لما اشتهر من أنه ملك الدنيا بأسرها أربعة: اثنان من أهل الإسلام وهما الاسكندر وسليمان واثنان من أهل الكفر وهما نمرود وبخت نصر [بعض كبار كفته كه سليمان عليه السلام اسبان نيكويى عيب داشت همچون مرغان بايرچون آن قصه فوت نماز بيفتاد تيغ بركشيد وكردن اسبان مى بريد كفتندكه اكنون كه بترك اسبان بكفتى ما باد مركب توكرديم «من كان الله كان الله له» هركه بترك نظر خود بكريد نظر الله بدلش پيوند هيچ كس نبودكه بترك چيزى نكفت ازبهر خدا كه نه عوضى به ازانش ندادند مصطفى عليه السلام جعفررا رضي الله عنه بغزو فرستاد وامارت جيش بود داد لو اى اسلام دردست وى بودكفار حمله آوردند ويك دستش بينداختند لوا بديكردست كرفت يك زخم ديكر بر آوزدند وديكر دستش بيندا ختند بعد ازان هفتاد ونه زخم برداشت شهيد ازدنيابيرون شد اورا بخواب ديدندكه «ما فعل الله بك» كفت «عوّضني الله من اليدين جناحين أطير بهما في الجنة حيث أشاء مع جبريل وميكائيل» اسما بنت عميس كفت رسول خدا ايستاده بود ناكاه كفت «وعليكم السلام» كفتم «على من ترد السلام يا رسول الله» جواب سلام كه ميدهى هچ كس را نمى بينم كه برتو سلام ميكند كفت «إن جعفر بن أبي طالب مر مع جبريل وميكائيل» أي: جعفر دست بدادى اينك پرجزاى تو آى سليمان اسبان بدادى اينك اسبان در بروبحر حمال تو أي: محب صادق اكربحكم رياضت ديده فدا كردى وچشم نثار اينك لطف ماديده تو وفضل ما سمع تو وكرام ما چراغ وشمع تو «فإذا أحببته كنت له سمعاً يسمع بي وبصراً يبصر بي ويداً يبطش بي» أول مرد كوينده شود پس داننده شود پس رونده شود پس برنده شود اى مسكين ترا هركز آرزوى آن نبودكه روزى مرغ دلت ازقفس ادبار نفس خلاص يابد وبرهواى رضاى حق پروازكند بجلال قدر بارخداكه جزنواخت «اتيته هرولة» استقبال تو نكند]:

چه مانى بهر مردارى چو زاغان اندرين پستى
قفس بشكن چو طاوسان يكى برپر برين بالا

قفس قالب است وامانت مرغ جان پراوعشق پرواز او ارادت افق او غيب منزل او در دركاه كه مرغ امانت ازين قفس بشريت برافق غيب پرواز كند كروبيان عالم قدس دستهابديده خويش بازنهندتا از برق اين جمال ديدهاى ايشان نسوزد.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير قوله: ﴿ولسليمان الريح﴾ إلى آخره إلى القلب وسيره إلى عالم الأرواح وسرعته في السير للطافته بالنسبة إلى كثافة النفس وإبطائها في السير وذلك لأن مركب النفس في السير البدن وهو كثيف بطيء السير ومركب القلب في السير هو الجذبة الإلهية وهي من صفات لطفه كما قال عليه السلام: «قلوب العباد بيد الله يقلبها كيف يشاء» وتقليبها إلى الحضرة برياح العناية واللطف كما قال عليه السلام: «قلب المؤمن كريشة في فلاة يقلبها الريح ظهراً لبطن وبطناً لظهر» وهو حقيقة قوله «ولسليمان الريح» أي: لسليمان القلب سخرنا ريح العناية ليسير بها وهو ابن داود الروح وبساطه الذي كان مجلسه ويجري به الريح هو السر ولهذا المعنى قيل إن سليمان في سيره لاحظ ملكه يوماً فمال ببساطة فقال سليمان للريح: استوي فقالت الريح استو أنت ما دمت مستوياً بقلبك كنت مستوية ملت فملت كذلك حال السر والقلب وريح العناية إذا زاغ القلب أزاغ الله بريح الخذلان بساط السر فإن الله تعالى ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] انتهى، وفي «المثنوي»:

همچنين تاج سليمان ميل كرد / روز روشن را بروچون ليل كرد
كفت تاجا كژ مشو برفرق من / آفتابا كم مشو ازشرق من
راست مى كرد اوبدست آن تاج را / باز كژ مى شد بروتاج اى فتى
هشت بارش راست كرد وكشت كژ / كفت تاجاچيست آخر كژ مغژ
كفت اكر صدره كنى تو راست من / كژروم چون كژروى اى مؤتمن
پس سليمان اندرون و راست كرد / دل بر آن شهرت كه بودش كرد سرد
بعد ازان تا جش همان دم راست شد / آنچنانكه تاج را ميخواست شد
پس ترا هر غم كه پيش آيد زدرد / بركسى تهمت منه بر خويش كرد

ـ حكي ـ أن رجلاً سَقَّاء بمدينة بخارى، كان يحمل الماء إلى دار صائغ مدة ثلاثين سنة وكان لذلك الصائغ زوجة صالحة في نهاية الحسن والبهاء فجاء السقاء على عادته يوماً وأخذ بيدها وعصرها فلما جاء زوجها من السوق قالت: ما فعلت اليوم خلاف رضى الله تعالى فقال: ما صنعت شيئاً فألحت عليه فقال: جاءت امرأة إلى دكاني وكان عندي سوار فوضعته في ساعدها فأعجبني بياضها فعصرتها فقالت: الله أكبر هذه حكمة خيانة السَّقاء اليوم فقال الصائغ: أيها المرأة إني تبت فاجعليني في حل فلما كان الغد جاء السقاء وتاب وقال: يا صاحبة المنزل اجعليني في حل فإن الشيطان قد أضلني فقالت: امض فإن الخطأ لم يكن إلا من الشيخ الذي في الدكان فإنه لما غير حاله مع الله بمس الأجنبية غير الله حاله معه بمس الأجنبي زوجته ومثل ذلك من عدل الله تعالى والله تعالى غيور إذا رأى عبده فيما نهاه يؤاخذه بما يناسب حاله وفعله فإذا عرف العبد أن الحال هذا وجب عليه أن يترك الجفاء والأذى ويسلك طريق العدل والإنصاف ولا يأخذ سمت الجور والاعتساف والشقاق والخلاف ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ أي: أذبنا وأجرينا لسليمان عين النحاس المذاب أساله من معدنه كما ألان الحديد لداود فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سمي عيناً وبالفارسية: [وجارى كرديم براى سليمان چشمه مس كداخت را تا از معدن بيرون آمدى چون آب روان وازان مس هرچه ميخواست ميساخت وآن در موضعي بود ازيمن بقرب صنعاء]. قال في «كشف الأسرار»: لم يعمل بالنحاس قبل ذلك فكل ما في أيدي الناس من النحاس في الدنيا من تلك العين.

يقول الفقير: يرد عليه أن في بعض البلاد معدن النحاس يلتقط جوهره منه اليوم يذاب ويعمل فكيف يكون ما في أيدي الناس مما أعطى سليمان إلا أن يقال إن أصله كان من تلك العين كما أن المياه كلها تخرج من تحت الصخرة في بيت المقدس على ما ورد في بعض الآثار ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه﴾ جملة من مبتدأ وخبر. يعني: [ازطائفه جن است كسى كه كار كردى پيش سليمان] ﴿بإذن ربه﴾ بأمره كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿ومن يزغ منهم عن أمرنا﴾ الزيغ الميل عن الاستقامة أي: ومن يعدل من الجن ويمل عما أمرناه به من طاعة سليمان ويعصه ﴿نذقه﴾ [بچشانيم اورا] ﴿من عذاب السعير﴾ أي: عذاب النار في الآخرة.

ـ وروي ـ عن السدي أنه كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه الجني ضربه من حيث لا يراه ضربة أحرقته بالنار. وفيه إشارة إلى تسخير الله لسليمان صفات الشيطنة كما قال نبينا ﷺ: «إن الله سلطني على شيطاني فأسلم على يدي فلا يأمرني إلا بخير» فإذا كانت القوى الباطنة مسخرة كانت الظاهرة الصورية أيضاً مسخرة فتذهب الظلمة ويجيء النور ويزول الكدر ويحصل السرور وهذا هو حال الكمل في النهايات.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾.

﴿يعملون له ما يشاء﴾ تفصيل لما ذكر من عملهم. ﴿من محاريب﴾ بيان لما يشاء جمع محراب. قال في «القاموس»: المحراب الغرفة وصدر البيت وأكرم مواضعه ومقام الإمام من المسجد والموضع ينفرد به الملك فيتباعد عن الناس انتهى. وفي «المفردات» محراب المسجد قيل: سمي بذلك لأنه موضع محاربة الشيطان والهوى أو لكون حق الإنسان فيه أن يكون حريباً أي: مسلوباً من أشغال الدنيا ومن توزع الخاطر. وقيل: الأصل فيه أن محراب البيت صدر المجلس ثم لما اتخذت المساجد سمي صدرها به وقيل: بل المحراب أصل في المسجد وهو اسم خص به صدر المسجد وسمي صدر البيت محراباً تشبيهاً بمحراب المسجد وهذا أصح انتهى. والمعنى من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لأنها يذب عنها ويحارب عليها وأدرج في «تفسير الجلالين» أيضاً. قال المفسرون: فبنت الشياطين لسليمان تدمر كتنصر وهي بلدة بالشام والأبنية العجيبة باليمن وهي صرواح ومرواح وبينون وسلحين وهيذة وهنيذة وفلتوم وغمدان ونحوها وكلها خراب الآن وعملوا له بيت المقدس في غاية الحسن والبهاء:

[أصحاب سير كفته اندكه رب العالمين درنژاد إبراهيم عليه السلام بركت كرد چنانكه كس طاقت شمردن نسل آن نداشت خصوصاً در روزكار داود عليه السلام داود خواست كه عدد بني إسرائيل بداند ايشان كه در زمين فلسطين مسكن داشتند روز كارى دراز مى شمردند وبسر نرسيدند ونوميد كشتند پس وحى آمد بداودكه چون إبراهيم آن خواب كه اورا نموديم بذبح فرزند تصديق ووفاكرد من اورا وعده دادم كه درنسل وى بركت كنم اين كثرت ايشان ازانست اما ايشان فراوانى ازخويشتن ديدند وخودبين كشتند لا جرم عدد ايشان كم كنم اكنون مخيراند ميان سه بليه آن يكى كه اختيار كنند برايشان كما رم يا قحط ونياز وكرسنكى يادشمن سه ماه ياوبا وطاعون سه روز داود بني إسرائيل را جمع كرد وايشانرا درين سه بليت مخير كرد ازهرسه طاعون اختيار كردند كفتند اين يكى آسانتراست وار فضيحت دورتر پس همه جهاز مرك بساختند غسل كردند وخنود برخود ريختند وكفن در پوشيدن وبصحرا بيرون رفتند با أهل

وعيال وخرد وبزرك دران صعيد بيت المقدس پيش ازبنا نهادن آن وداود بصخره سجود درافتاد وايشان دعا وتضرع كردند رب العالمين طاعون برايشان فرود كشاد يك شبان روز چندان هلاك شدندكه بعد ازان بدوماه ايشانرا دفن توانستند كرد چون يك شبان روز ازطاعون بكذشت رب العالمين دعاى داود اجابت وتضرع ايشان روا كرد وآن طاعون ازايشان برداشت بشكر آنكه رب العالمين دران مقام برايشان رحمت كرد بفرمود تا آنجا مسجدي سازندكه پيوسته آنجا ذكر الله ودعا وتضرع رود پس ايشان دركار ايستادند ونخست مدينه بيت المقدس بنا نهادند وداود بردوش خودسنك ميكشيد وخيار بني إسرائيل همچنان سنك مى كشيدند تايك قامت بنابر آوردند پس وحى آمد بداودكه اين شهرستانرا بيت المقدس نام نهاديم قدمكاه پيغمبران وهجرتكاه ونزولكاه پاكان ونيكان]. قال بعض الكبار: أراد داود عليه السلام بنيان بيت المقدس فبناه مراراً فلما فرغ منه تهدّم فشكا ذلك إلى الله فأوحى الله إليه أن بيتي هذا لا يقوم على يدي من سفك الدماء فقال داود: يا رب ألم يك ذلك في سبيلك: قال: بلى ولكنهم أليسوا عبادي فقال: يا رب اجعل بنيانه على يدي من هو مني فأوحى الله إليه أن ابنك سليمان يبنيه فإني أملكه بعدك وأسلمه من سفك الدماء وأقضي إتمامه على يده. وسبب هذا أن الشفقة على خلق الله أحق بالرعاية من الغيرة في الله بإجراء الحدود المفضية إلى هلاكهم ولكون إقامة هذه النشأة أولى من هدمها فرض الله في حق الكفار الجزية والصلح إبقاء عليهم ألا ترى من وجب عليه القصاص كيف شرع لولي الدم أخذ الفدية أو العفو فإن أبى فحينئذٍ يقتل ألا تراه سبحانه إذا كان أولياء الدم جماعة فرضي واحد بالدية أو عفا وباقي الأولياء لا يرون إلا القتل كيف يراعي من عفا ويرجح على من لم يعف فلا يقتل قصاصاً. ثم نرجع إلى القصة فصلوا فيه زماناً [كفته اند داود درآن روز صد وبيست وهفت سال بود چون سال وى بصد وچهل رسيد ازدنيا بيرون شد وسليمان بجاى وى نشست].

وكان مولد سليمان بغزة وملك بعد أبيه وله اثنتا عشرة سنة ولما كان في السنة الرابعة من ملكه في شهر أيار سنة تسع وثلاثين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام ابتدأ سليمان في عمارة بيت المقدس وإتمامه حسبما تقدم وصية أبيه إليه وجمع حكماء الإنس والجن وعفاريت الأرض وعظماء الشياطين وجعل منهم فريقاً يبنون وفريقاً يقطعون الصخور والعمد من معادن الرخام وفريقاً يغوصون في البحر فيخرجون منه الدر والمرجان وكان في الدر ما هو مثل بيضة النعامة والدجاجة وبنى مدينة بيت المقدس وجعلها اثني عشر ربضاً وأنزل كل ربض منها سبطاً من أسباط بني إسرائيل وكانوا اثني عشر سبطاً ثم بنى المسجد الأقصى بالرخام الملون وسقفه بألواح الجواهر الثمينة ورصع سقوفه وحيطانه باللآلي واليواقيت وأنبت الله شجرتين عند باب الرحمة إحداهما تنبت الذهب والأخرى تنبت الفضة فكان كل يوم ينزع من كل واحدة مائتي رطل ذهباً وفضة وفرش المسجد بلاطة من ذهب وبلاطة من فضة وبألواح الفيروزج فلم يكن يومئذٍ في الأرض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر وفرغ منه في السنة الحادية عشرة من ملكه وكان ذلك بعد هبوط آدم عليه السلام بأربعة آلاف وأربعمائة وأربع عشرة سنة وبين عمارة سليمان لمسجد بيت المقدس والهجرة النبوية المحمدية على صاحبها أزكى السلام ألف وثمانمائة وقريب من سنتين ولما فرغ من بناء المسجد سأل الله ثلاثاً: حكماً يوافق حكمه وسأله ملكاً ولا ينبغي لأحد من بعده وسأله أن لا يأتي إلى هذا

المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه قال عليه السلام: نرجو أن يكون قد أعطاه إياه، ولما رفع سليمان يده من البناء جمع الناس فأخبرهم أنه مسجد لله تعالى وهو أمره ببنائه وأن كل شيء فيه لله من انتقص شيئاً منه فقد خان الله تعالى ثم اتخذ طعاماً وجمع الناس جمعاً لم ير مثله ولا طعام أكثر منه وقرب القرابين لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه فيه عيداً.

قال سعيد بن المسيب لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلقت أبوابه فعالجها سليمان فلم تنفتح حتى قال في دعائه بصلوات أبي داود وافتتح الأبواب فتفتحت فوزع له سليمان عشرة آلاف من قراء بني إسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار فلا يأتي ساعة من ليل ولا نهار إلا والله يعبد فيها واستمر بيت المقدس على ما بناه سليمان أربعمائة سنة وثلاثاً وخمسين سنة حتى قصده بخت نصر فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد وأخذ جميع ما كان فيه من الذهب والفضة والجواهر وحمله إلى دار مملكته من أرض العراق واستمر بيت المقدس خراباً سبعين سنة ثم أهلك بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه وذلك أنه من كبر الدماغ وانتفاخه فعل ما فعل من التخريب والقتل فجازاه الله تعالى بتسليط أضعف حيوان على دماغه.

نه هركز شنيديم در عمر خويش كه بد مردرانيكى آمد به پيش

﴿وتماثيل﴾ جمع تمثال بالكسر وهو الصورة على مثال الغير أي: وصور الملائكة والأنبياء على صورة القائمين والراكعين والساجدين على ما اعتادوه فإنها كانت تعمل حينئذٍ في المساجد من زجاج ونحاس ورخام ونحوها ليراها الناس ويعبدوا مثل عباداتهم. ويقال إن هذه التماثيل رجال من نحاس وسأل ربه أن ينفخ فيها الروح ليقاتلوا في سبيل الله ولا يعمل فيهم السلاح وكان اسفنديار رويين تن منهم كما في «تفسير القرطبي».

ـ وروي ـ أنهم عملوا أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان ذراعيهما فارتقى عليهما، يعني: [چون سليمان خواستى كه بتخت برآيد آن دوشير بازوهاى خود برافراختندى تاپاى بران نهاده بالارفتى] وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما فلما مات سليمان جاء افريدون ليصعد الكرسي ولم يدر كيف يصعد فلما دنا منه ضربه الأسد على ساقه فكسر ساقه ولم يجسر أحد بعده أن يدنو من ذلك الكرسي.

واعلم أن حرمة التصاوير شرع جديد وكان اتخاذ الصور قبل هذه الأمة مباحاً وإنما حرم على هذه الأمة لأن قوم رسولنا ﷺ كانوا يعبدون التماثيل أي: الأصنام فنهى عن الاشتغال بالتصوير وأبغض الأشياء إلى الخواص ما عصى الله به وفي الحديث: «من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً» وهذا يدل على أن تصوير ذي الروح حرام. قال الشيخ الأكمل: هل هو كبيرة أو لا؟ فيه كلام فعند من جعل الكبيرة عبارة عما ورد الوعيد عليه من الشرع فهو كبيرة وأما من جعل الكبيرة منحصرة في عدد محصور فهذا ليس من جملته فيكون الحديث محمولاً على المستحل أو على استحقاق العذاب المؤبد وأما تصوير ما لا روح له فرخص فيه وإن كان مكروهاً من حيث إنه اشتغال بما لا يعني. قال في «نصاب الاحتساب»: ويحتسب على من يزخرف البيت بنقش فيه تصاوير لأن الصورة في البيت سبب لامتناع الملائكة عن دخوله قال جبريل عليه السلام: «إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب أو صورة» ولو زخرفه بنقش لا صورة فيه ولا بأس به.

وفي «ملتقط الناصري» لو هدم بيتاً مصوراً فيه بهذه الأصباغ تماثيل الرجال والطيور ضمن

قيمة البيت وأصباغه غير مصورة انتهى فإذا منع من التصاوير في البيت فأولى أن يمنع منها في المسجد ولذا محيت رؤوس الطيور في المساجد التي كانت كنائس وفيها تماثيل وجاء في الفروع أنه يكره أن يكون فوق رأس المصلي أو بين يديه أو بحذائه صورة وأشدها كراهة أن يكون أمام المصلي ثم فوق رأسه ثم على يمينه ثم على يساره ثم خلفه قيل: ولو كانت خلفه لا يكره لأنه لا يشبه عبادة الصنم وفيه إهانة لها ولو كانت تحت قدميه لا يكره. قال في «العناية»: قيل: إذا كانت خلفه لا تكره الصلاة ويكره كونها في البيت لأن تنزيه مكان الصلاة عما يمنع دخول الملائكة مستحب. لا يقال فعلى هذا لا يكره كونها تحت القدم فيه أيضاً، لأنا نقول فيه من التحقير والإهانة ما لا يوجد في الخلف فلا قياس لوجود الفارق ثم الكراهة إذا كانت الصورة كبيرة بحيث تبدو وتظهر للناظر بلا تأمل فلو كانت صغيرة بحيث لا تتبين تفاصيل أعضائها إلا بتأمل لا يكره لأن الصغير جداً لا يعبد ولو قطع رأسها لا يكره لأنها لا تعبد بلا رأس عادة ومعنى قطع الرأس أن يمحى رأسها بخيط يخاط عليها وينسج حتى لم يبق للرأس أثر أصلاً بل طمست هيئته قطعاً ولو خيط ما بين الرأس والجسد لا يعتبر لأن من الطيور ما هو مطوق فيكون أحسن في العين ولو محى وجه الصورة فهو كقطع رأسها بخلاف قطع يديها ورجليها ولا تكره الصلاة على بساط مصور لأنه إهانة وليس بتعظيم إن لم يسجد عليها لأن السجود عليها يشبه عبادة الأصنام وأطلق الكراهة في «المبسوط» لأن البساط الذي يصلي عليه معظم بالنسبة إلى سائر البسط فكان فيه تعظيم الصورة وقد أمرنا بإهانتها. وفي «حواشي أخي» چلبي إذا كان التمثال تمثال ما يعظم الكفار كشكل الصلب مثلاً لا ريب في كراهة السجدة عليه ألا يرى إلى ظهير الدين حيث قال: الأصل فيه أن كل ما يقع تشبهاً بهم فيما يعظمون يكره الاستقبال بالصلاة إليه ولو كانت الصورة على وسادة ملقاة أو بساط مفروش لم يكره لأنها توطأ فكأنه استهانة بالصورة بخلاف ما لو كانت الوسادة منصوبة كالوسائد الكبار أو كانت على الستر لأنها تعظيم لها.

وفي «الخلاصة» الصورة إذا كانت على وسادة أو بساط لا بأس باستعمالهما وإن كان يكره اتخاذهما وإن كانت على الإزار والستر فمكروه ولا يفسد صلاته في كل الفصول لوجود شرائط الجواز والنهي لمعنى في غير المنهي عنه وتعاد على وجه غير مكروه وهو الحكم في كل صلاة أديت مع الكراهة كما لو ترك تعديل الأركان كما في «الكافي» ﴿**وجفان**﴾ [وميكردندى يعني شياطين براى سليمان ازكاسهاى چوبين وغير آن] وهي جمع جفنة، وهي: القصعة العظيمة فإن أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تليها تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم الميكلة تشبع الرجلين والثلاثة ثم الصحفة تشبع الرجل فتفسير الجفان بالصحاف كما فعله البعض منظور فيه. قال سعدي المفتي: والجفنة خصت بوعاء الأطعمة كما في «المفردات» ﴿**كالجواب**﴾ كالحياض الكبار أصله الجوابي بالياء كالجواري جمع جابية من الجباية لاجتماع الماء فيها وهي من الصفات الغالبة كالدابة.

قال الراغب: يقال جبيت الماء في الحوض جمعته والحوض الجامع له جابية ومنه استعير جبيت الخراج جباية. قيل: كان يقعد على الجفنة ألفا رجل فيأكلون منها وكان لمطبخه كل يوم اثنا عشر ألف شاة وألف بقرة وكان له اثنا عشر ألف خباز واثنا عشر ألف طباخ يصلحون الطعام في تلك الجفان لكثرة القوم. وكان لعبد الله بن جدعان من رؤساء قريش وهو

ابن عم عائشة الصديقة رضي الله عنها جفنة يستظل بظلها ويصل إليها المتناول من ظهر البعير ووقع فيها صبي فغرق وكان يطعم الفقراء كل يوم من تلك الجفنة وكان لنبينا ﷺ قصعة يحملها أربعة رجال يقال لها الغراء أي: البيضاء فلما دخلوا في الضحى وصلوا صلاة الضحى أتى بتلك القصعة وقد ثرد فيها فالتفوا حولها أي: اجتمعوا فلما كثروا جثا رسول الله ﷺ فقال أعرابي: ما هذه الجلسة؟ فقال عليه السلام: «إن الله جعلني عبداً كريماً ولم يجعلني جباراً عنيداً» ثم قال: «كلوا من جوانبها ودعوا ذروتها يبارك فيها» قال في «الشرعة»: ولا بركة في القصاع الصغار ولتكن قصعة الطعام من خزف أو خشب فإنهما أقرب إلى التواضع. ويحرم الأكل في الذهب والفضة وكذا الشرب منهما. ويكره في آنية النحاس إذا كان غير مطليّ بالرصاص. وكذا في آنية الصفر وهو بضم الصاد المهملة وسكون الفاء شيء مركب من المعدنيات كالنحاس والأسرب وغير ذلك يقال له بالفارسية: [روى] بترقيق الراء فإنه بتفخيمها بمعنى الوجه ﴿**وقدور راسيات**﴾ القدر بالكسر اسم لما يطبخ فيه اللحم كما في «المفردات». والجمع قدور. والراسيات جمع راسية من رسا الشيء يرسو إذا ثبت ولذلك سميت الجبال الرواسي والمعنى وقدور ثابتات على الأثافي لا تنزل عنهما لعظمها ولا تحرك من أماكنها وكان يصعد عليها بالسلال وكانت باليمن [وهنوز در بعض از ولايات شام ديكهاى چنين ازسنك تراشيده موجودست] وكانت تتخذ القدور من الجبال أو هي قدور النحاس وكانت موضوعة على الأثافي أو كانت أثافيها منها كما في «الكواشي».

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بقوله: ﴿**وجفان**﴾ إلى آخره إلى مأدبة الله التي لا نهاية لها التي يأكل منها الأولياء إذ يبيتون عنده كما قال عليه السلام: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» ﴿**اعملوا**﴾ يا ﴿**آل داود**﴾ فنصبه على النداء والمراد به سليمان لأن هذا الكلام قد ورد في خلال قصته وخطاب الجمع للتعظيم أو أولاده أو كل من ينفق عليه أو كل من يتأتى منه الشكر من أمته كما في «بحر العلوم» والمعنى وقلنا له أو لهم اعملوا ﴿**شكراً**﴾ نصب على العلة أي: اعملوا له واعبدوه شكراً لما أعطيتكم من الفضل وسائر النعماء فإنه لا بد من إظهار الشكر كظهور النعمة أو على المصدر لا عملوا لأن العمل للمنعم شكر له فيكون مصدراً من غير لفظه أو لفعل محذوف أي: اشكروا شكراً أو حال أي: شاكرين أو مفعول به أي: اعملوا شكراً ومعناه إنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكراً على طريق المشاكلة. قال بعض الكبار: قال تعالى في حق داود: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [سبا: ١٠] فلم يقرن بالفضل الذي آتاه شكراً يطلبه منه ولا أخبر أنه أعطاه هذا الفضل جزاء لعمل من أعماله ولما طلب الشكر على ذلك الفضل بالعمل طلبه من آل داود لا منه ليشكره الآل على ما أنعم به على داود فهو في حق داود عطاء نعمة وأفضال وفي حق آله عطاء لطلب المعاوضة منهم فداود عليه السلام ليس يطلب منه الشكر على ذلك العطاء وإن كانت الأنبياء عليهم السلام قد شكروا الله على إنعامه وهبته فلم يكن ذلك الشكر الواقع منهم مبنياً على طلب من الله سبحانه بل تبرعوا بذلك من عند نفوسهم كما قام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه من غير أن يكون مأموراً بالقيام على هذا الوجه شكراً لما غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلما قيل له في ذلك قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً».

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى شكر داود الروح وسليمان القلب من آله السر

والخفي والنفس والبدن فإن هؤلاء كلهم من مولدات الروح فشكر البدن استعمال الشريعة بجميع أعضائه وجوارحه ومحال الحواس الخمس ولهذا قال: اعملوا. وشكر النفس: بإقامة شرائط التقوى والورع. وشكر القلب بمحبة الله وخلوه عن محبة ما سواه. وشكر السر: مراقبته من التفاته لغير الله. وشكر الروح: ببذل وجوده على نار المحبة كالفراش على شعلة الشمع. وشكر الخفي قبول الفيض بلا واسطة في مقام الوحدة ولهذا سمي خفياً لأنه بعد فناء الروح في الله يبقى في قبول الفيض في مقام الوحدة مخفياً بنور الوحدة على نفسه **﴿وقليل من عبادي الشكور﴾** قليل خبر مقدم للشكور. وقال الكاشفي وصاحب «كشف الأسرار»: [واندكى ازبندكان من سپاس دارند] والشكور المبالغ في أداء الشكر على النعماء والآلاء بأن يشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته وأغلب أحواله ومع ذلك لا يوفي حقه لأن التوفيق للشكر نعمة تستدعي شكراً آخر لا إلى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر.

حق شكر حق نداند هيچ كس ... حيرت آمد حاصل دانا وبس
آن بزركى كفت باحق درنهان ... كاى پديد آرنده هر دوجهان
اى منزه اززن وفرزند وجفت ... كى نواتم شكر نعمتهات كفت
پيك حضرت دادش از ايزد پيام ... كفتش از تواين بود شكر مدام
چون درين راه اين قدر بشناختى ... شكر نعمتهاى ما پرداختى

قال الإمام الغزالي رحمه الله: أحسن وجوه الشكر لنعم الله تعالى أن لا يستعملها في معاصيه بل في طاعاته وذلك أيضاً بالتوفيق. وعن جعفر بن سليمان: سمعت ثابتاً يقول: إن داود جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من ساعات الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي. وعن النبي عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ ألا إن داود أشكر العابدين وأيوب صابر الدنيا والآخرة».

وفي «التأويلات النجمية» وبقوله: **﴿قليل من عبادي الشكور﴾** يشير إلى قلة من يصل إلى مقام الشكورية وهو الذي يكون شكره بالأحوال. فللعوام شكرهم بالأقوال كقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [النمل: ٩٣]. وللخواص شكرهم بالأعمال كقوله: **﴿اعملوا آل داود شكراً﴾**. والخواص الخواص شكرهم بالأحوال وهو الاتصاف بصفة الشكورية والشكور هو الله تعالى لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤] بأن يعطي على عمل فإن عشراً في ثواب باق كل ما كان عندكم ينفد وما عنده إلى السرمد إن الله كثير الإحسان فاعمل شكراً أيها الإنسان.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

﴿فلما قضينا عليه الموت﴾ القضاء الحكم والفصل والموت زوال القوة الحساسة أي: لما حكمنا على سليمان بالموت وفصلناه به عن الدنيا **﴿ما دلهم﴾** [دلالت نكرد ديوانرا] **﴿على موته﴾** [برمرك سليمان] **﴿إلا﴾** [مكر] **﴿دابة الأرض﴾** أي: الأرضة وهي دويبة تأكل الخشب بالفارسية [كرمك چوب خور] أضيفت إلى فعلها وهو الأرض بمعنى الأكل ولذا سميت الأرض مقابل السماء أرضاً لأنها تأكل أجساد بني آدم يقال أرضت الأرضة الخشبة أرضاً أكلتها فأرضت

أرضاً على ما لم يسم فاعله فهي مأروضة ﴿تأكل منسأته﴾ أي: عصاه التي يتوكأ عليها من النسيء وهو التأخير في الوقت لأن العصا يؤخر بها الشيء ويزجر ويطرد ﴿فلما خر﴾ سقط سليمان ميتاً. قال الراغب: خر سقط سقوطاً يسمع منه خرير والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو ﴿تبينت الجن﴾ من تبينت الشيء إذا علمته بعد التباسة عليك أي: علمت الجن علماً يقينياً ينتفي عنده الشكوك والشبه بعد التباس الأمر عليهم ﴿أن﴾ أي: إنهم ﴿لو كانوا يعلمون الغيب﴾ ما غاب عن حواسهم كما يزعمون ﴿ما لبثوا﴾ [درنك نمى كردند يكسال] ﴿في العذاب المهين﴾ [در عذاب خوار كننده] يعني التكاليف الشاقة والأعمال الصعبة التي كانوا يعملونها. والحاصل أنهم لو كان لهم علم بالغيب كما يزعمون لعلموا موت سليمان ولما لبثوا بعده حولاً في تسخيره إلى أن خر فلما وقع ما وقع علموا أنهم جاهلون لا عالمون. ويجوز أن يؤخذ تبينت من تبين الشيء إذا ظهر وتجلى فتكون أن مع ما في حيزها بدل اشتمال من الجن نحو تبين زيد جهله أي: ظهر للإنس أن الجن لو كانوا يعلمون إلى آخره. وأصل القصة أنه لما دنا أجل سليمان عليه السلام كان أول ما ظهر من علاماته أنه لم يصبح إلا ورأى في محرابه شجرة نابتة كما قال في «المثنوي»:

هرصباحى چون سليمان آمدي ... خاضع اندر مسجد أقصى شدى
نوكياهى رسته ديدى اندرو ... پس بكفتى نام ونفع خود بكو
توچه دارويى چيىء نامت چه است ... توزيان كه ونفعت بركى است
پس بكفتى هركياهى فعل ونام ... كه من آنرا جانم واين را حمام
من مرين را زهرم واورا شكر ... نام من اينست برلوح ازقدر
پس طبيبان ازسليمان زان كيا ... عالم ودانا شدندى مقتدا
تا كتبهاى طبيبي ساختند ... جسم را از رنج مى پردا ختند
اين نجوم وطب وحى انبياست ... عقل وحس را سوى بى سوره كجاست
هم بران عادت سليمان سنى ... رفت درمسجد ميان روشنى
قاعده هرروز را مى جست شاه ... كه ببيند مسجد اندر نوكياه
پس سليمان ديد اندر كوشه ... نوكياهى رسته همچون خوشه
ديد پس نادر كياهى سبزوتر ... مى برود آن سبزيش نور از بصر
كفت نامت چيست بركو بى دهان ... نام من خروب اى شاه جهان
كفت فعلت چيست وز توچه رود ... كفت من رستم مكان ويران شود
من كه خروبم خراب منزلم ... من خرابى مسجد آب وكلم
پس سليمان آن زمان دانست زود ... كه اجل آمد سفر خواهد نمود
كفت تا من هستم اين مسجد يقين ... در خلل نايد ز آفات زمين
تا كه من باشم وجود من بود ... مسجد أقصى مخلخل كى شود
پس خرابى مسجد ما بى كمان ... نبود الا بعد مرك ما بدان
مسجداست آن دل كه چشمش ساجداست ... يار بد خروب هرجاكه مسجداست
يار بد چون رست در تو مهر او ... هين ازو بكريز وكم كن كفت وكو
بركن از بيخش كه كر سر برزند ... مر ترا ومسجدت را بركنند

[پس ازان سليمان بملك الموت رسيد وكفت چون ترا بقبض روح من فرمايند مرا خبر ده ملك الموت بوقتى كه اورا فرمودند آمد واورا خبرداد كفت نماند از عمرتو الا يك ساعت اكر وصيتى ميكنى يا كارى از بهر مرك ميسازى بساز] فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس له باب فقام يصلي، قال في «كشف الأسرار»: [پس بآخركار عصاي خود پيش كرفت وتكيه برآن كرد وهردوكف زير سرنهاد وآن عصا اورا همچنان پناهى كشت وملك الموت درآن حال قبض روح وى كرد ويكسال برين صفت برآن عصا تكيه زده بماند وشياطين همجنان دركار ورنج وعمل خويش مى بودند ونمى دانستندكه سليمان را وفات رسيد] ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلاته قبل ذلك. وقال «الكاشفي في تفسيره»: [چون سليمان در كذشت وبشستند وبرو نماز كذا ردند واورا برعصا تكيه دادند ومرك او بموجب وصيت او فاش نكردند وديوان ازدور زنده مى بنداشتند وبهمان كاركه نامزد ايشان بود قيام نمودند تا بعد از يكسال اسفل عصاى اورا دوده بخورد سليمان برزمين افتاد همكنانرا موت او معلوم شد].

قال بعضهم: كانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى فلم يكن شيطان ينظر إليه في صلاته إلا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع صوته ثم نظر فإذا سليمان قد خر ميتاً ففتحوا عنه فإذا العصا قد أكلتها الأرضة فأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها في يوم وليلة مقداراً فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حياً ولو علموا أنه مات لما لبثوا في العذاب سنة. وقال في «كشف الأسرار»: [وعذاب ايشان ازجهت سليمان آن بودى چون بريكى ازايشان خشم كرفتى] كان قد حبسه في دنّ وشدّ رأسه بالرصاص أو جعله بين طبقتين من الصخر فألقاه في البحر أو شدّ رجليه بشعره إلى عنقه فألقاه في الحبس. ثم إن الشياطين قالوا للأرضة لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين من الشراب سقيناك أطيب الشراب ولكن ننقل إليك الماء والطين فهم ينقلون ذلك حيث كانت ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشب فهو ما يأتيها به الشياطين تشكراً لها. قال القفال: قد دلت هذه الآية على أن الجن لم يسخروا إلا لسليمان وأنهم تخلصوا بعد موته من تلك الأعمال الشاقة يعني: [چون بدانستند كه سليمان را وفات رسيد في الحال فرار نموده درشعاب جبال واجواف بوادى كريختند وازرنج وعذاب بازرستند] وإنما تهيأ لهم التسخير والعمل لأن الله تعالى زاد في أجسامهم وقواهم وغير خلقهم عن خلق الجن الذي لا يرون ولا يقدرون على شيء من هذه الأعمال الشاقة مثل نقل الأجسام الثقال ونحوه لأن ذلك كان معجزة لسليمان عليه السلام.

قالت المعتزلة: الجن أجسام رقاق ولرقتها لا نراها ويجوز أن يكثف الله أجسام الجن في زمان الأنبياء دون غيره من الأزمنة وأن يقويهم بخلاف ما هم عليه في غير زمانهم. قال القاضي عبد الجبار: ويدل على ذلك ما في القرآن من قصة سليمان أنه كثفهم له حتى كان الناس يرونهم وقواهم حتى يعملون له الأعمال الشاقة وأما تكثيف أجسامهم وأقدارهم عليها في غير زمان الأنبياء فإنه غير جائز لكونه نقضاً للعادة. قال أهل التاريخ: كان سليمان عليه السلام أبيض جسيماً وضيئاً كثير الشعر يلبس البياض وكان عمره ثلاثاً وخمسين سنة وكانت وفاته بعد فراغ بناء بيت المقدس بتسع وعشرين سنة. يقول الفقير: هو الصحيح أي: كون وفاته بعد

الفراغ من البناء لا قبله بسنة على ما زعم بعض أهل التفسير وذلك لوجوه الأول ما في المرفوع من أن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله ثلاثاً فأعطاه اثنتين ونحن نرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة وقد سبق في تفسير قوله تعالى: ﴿من محاريب﴾ والثاني اتفاقهم على أن داود أسس بيت المقدس في موضع فسطاس موسى وبنى مقدار قامة إنسان فلم يؤذن له في الإتمام كما مر وجهه ثم لما دنا أجله وصى به إلى ابنه سليمان وبعيد أن يؤخر سليمان وصية أبيه إلى آخر عمره مع ما ملك مدة أربعين سنة والثالث قصة الخروب التي ذكرها الأجلاء من العلماء فإنها تقتضي أن سليمان صلى في المسجد الأقصى بعد إتمامه كثيراً.

وفي «التأويلات النجمية»: تشير الآية إلى كمال قدرته وحكمته وأنه هو الذي سخر الجن والإنس لمخلوق مثلهم وهم الألوف الكثيرة والوحوش والطيور ثم قضى عليه الموت وجعلهم مسخرين لجثة بلا روح وبحكمته جعل دابة الأرض حيواناً ضعيفاً مثلها دليلاً لهذه الألوف الكثيرة من الجن والإنس تدلهم بفعلها على علم ما لم يعلموا. وفيه أيضاً إشارة إلى أنه تعالى جعل فيها سبباً لإيمان أمة عظيمة وبيان حال الجن أنهم لا يعلمون الغيب. وفيه إشارة أخرى أن نبيين من الأنبياء اتكئا على عصوين وهما موسى وسليمان فلما قال موسى هي عصاي أتوكأ عليها قال ربه ألقها فلما ألقاها جعلها ثعباناً مبيناً يعني من اتكأ على غير فضل الله ورحمته يكون متكوؤه ثعباناً ولما اتكأ سليمان على عصاه في قيام ملكه بها واستمسك بها بعث الله أضعف دابة وأخسها لإبطال متكئه ومتمسكه ليعلم أن من قام بغيره زال بزواله وأن كل متمسك بغير الله طاغوت من الطواغيت ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها انتهى كلامه.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿لقد﴾ أي: بالله لقد ﴿كان لسبأ﴾ كجبل وقد يمنع من الصرف باعتبار القبيلة أي: كان لقبيلة سبأ وهم أولاد سبأ بن يشجب بالجيم على ما في «القاموس» ابن يعرب بن قحطان بن عامر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام. وسبأ لقب عبد شمس بن يشجب وإنما لقب به لأنه أول من سبى كما قاله السهيلي وهو يجمع قبائل اليمن. ويعرب بن قحطان أول من تكلم بالعربية فهو أبو عرب اليمن يقال لهم العرب العاربة. ويقال لمن تكلم بلغة إسماعيل العرب المستعربة وهي لغة أهل الحجاز فعربية قحطان كانت قبل إسماعيل عليه السلام وهو لا ينافي كون إسماعيل أول من تكلم بالعربية لأنه أول من تكلم بالعربية البينة المحضة وهي عربية قريش التي نزل بها القرآن وكذا لا ينافي ما قيل إن أول من تكلم بالعربية آدم في الجنة فلما أهبط إلى الأرض تكلم بالسريانية وجاء «من أحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالفارسية فإنه يورث النفاق» واشتهر على ألسنة الناس أنه ﷺ قال: «أنا أفصح من نطق بالضاد» قال جمع: لا أصل له ومعناه صحيح لأن المعنى أنا أفصح العرب لكونهم هم الذين ينطقون بالضاد ولا توجد في غير لغتهم كما في «إنسان العيون» لعلي بن برهان الدين الحلبي.
﴿في مسكنهم﴾ بالفارسية [نشستكاه] والمعنى في بلدهم الذي كانوا فيه باليمن وهو مأرب كمنزل على ما في «القاموس» بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال وهي المرادة بسبا بلدة بلقيس

في سورة النمل. قال السهيلي: مأرب اسم ملك كان يملكهم كما أن كسرى اسم لكل من ملك الفرس. وخاقان اسم لكل من ملك الصين. وقيصر اسم لكل من ملك الروم. وفرعون لكل من ملك مصر. وتبع لكل من ملك الشحر واليمن وحضرموت. والنجاشي لكل من ملك الحبشة. وقيل: مأرب اسم قصر كان لهم ذكره المسعودي. قال في «إنسان العيون» ويعرب بن قحطان قيل له أيمن لأن هودا عليه السلام قال له: أنت أيمن ولدي وسمي اليمن يمناً بنزوله فيه ﴿آية﴾ علامة ظاهرة دالة بملاحظة الأحوال السابقة واللاحقة لتلك القبيلة من الإعطاء والترفية بمقتضى اللطف ثم من المنع والتخريب بموجب القهر على وجود الصانع المختار وقدرته على كل ما يشاء من الأمور البديعة ومجازاته للمحسن والمسيء وما يعقلها إلا العالمون وما يعبرها إلا العاقلون ﴿جنتان﴾ بدل من آية والمراد بهما جماعتان من البساتين لا بستانان اثنان فقط ﴿عن يمين﴾ جماعة عن يمين بلدتهم واليمين في الأصل الجارحة وهي أشرف الجوارح لقوتها وبها تعرف من الشمال وتمتاز عنها ﴿وشمال﴾ وجماعة عن شمالها كل واحدة من تينك الجماعتين في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة أو بستانان لكل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله ﴿كلوا﴾ حكاية لما قال لهم نبيهم تكميلاً للنعمة وتذكيراً لحقوقها أو لسان الحال أو بيان لكونهم أحقاء بأن يقال لهم ذلك ﴿من رزق ربكم﴾ من أنواع الثمار ﴿واشكروا له﴾ على ما رزقكم باللسان والجنان والأركان ﴿بلدة طيبة ورب غفور﴾ استئناف مبين لما يوجب الشكر المأمور به أي: بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لفرطات من يشكره فمعنى طيبة أنها لم تكن سبخة لينة حيث أخرجت الثمار الطيبة أو أنها طيبة الهواء والماء كما قال الكاشفي: [اين شهري كه خداى تعالى دروى روزى ميدهد شهري پاكيزه است هواى تن درست وآب شيرين وخاك پاك]:

شهري چو بهشت از نكويى چون باغ ارم بتازه رويى

وفي «فتح الرحمٰن»: وطيبتها أنها لم يكن بها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ولا غيرها من المؤذيات وكان يمر بها الغريب وفي ثيابه القمل فتموت كلها لطيب هوائها ومن ثمة لم يكن بها آفات وأمراض أيضاً. وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت أطيب البلاد هواء وأخصبها. وكانت المرأة تخرج من منزلها إلى منزل جارتها وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير فيما بين الأشجار فيمتلىء المكتل مما يتساقط فيه من أنواع الثمار من غير أن تمد يدها وإلى هذا المعنى أشير بعبارة الجنة إذ حال الجنة يكون هكذا. ولله تعالى جنان في الأرض كجنانه في السماء وأفضلها الجنة المعنوية التي هي القلب وما يحتويه من أنواع المعارف والفيوض والكشوف فالطيب من الأشياء ما يستلذه الحواس ومن الإنسان من تطهر عن نجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال وتطيب بالعلم والإيمان ومحاسن الأفعال.

قال بعض الكبار بلدة طيبة بلدة الإنسانية قابلة لبذر التوحيد وكلمة لا إله إلا الله ورب غفور يستر عيوب أوليائه بنور مغفرته ويغفر ذنوبهم لعزة معرفته انتهى وبسببهم يغفر ذنوب كثير من عباده ويقبل حسناتهم [نقلست عبد الله بن مبارك رضي الله عنه در حرم محترم يكسال ازحج فارغ شده بود بخواب ديدكه دوفرشته درآمدندى ويكى ازديكرى پرسيدى كه خلق امسال چند جمع آمدند ديكرى كفت سيصد هزار من كفتم حج چند كس مقبول افتاد كفتند حج هيچ كس عبد الله كفت چون اين شنودم اضطرابى در من بديد آمد كفتم آخر اين همه خلق ازاطراف

جهان با اين همه رنج وتعب مى آمدند واين همه ضايعست كفتند كفشكريست دردمشق علي بن موفق كويند او اينجا نيامده است وليكن حج اورا قبول كردند واين جمله را دركار اوكردند] وكان حجه أنه قال: جمعت ثلاثمائة وخمسين درهماً للحج فمرت بي حامل فقالت: إن هذه الدار يجيء منها رائحة طعام فاذهب وخذ شيئاً منه لي لئلا يسقط حملي قال: فذهبت فأخبرت القصة لصاحب الدار فبكى وقال: إن لي أولاداً لم يذوقوا طعاماً منذ أسبوع فقمت اليوم وجئت بلحم من ميتة حمار فهم يطبخونه فهو لنا حلال فإنا مضطرون ولك حرام فكيف أعطيك منه؟ قال علي: فلما سمعت ذلك منه احترق فؤادي ودفعت المبلغ المذكور إليه وقلت: حجي هذا فتقبل الله تعالى ذلك منه بقبول حسن ووهب له جميع الحجاج.

بإحساني آسوده كردن دلى   به ازالف ركعت بهر منزلي

يعني: في طريق مكة المشرفة.

﴿فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾

﴿فأعرضوا﴾ أي: أولاد سبأ عن الوفاء وأقبلوا على الجفاء وكفروا النعمة وتعرضوا للنقمة وضيعوا الشكر فبدلوا وبدل لهم الحال. يقال: أعرض أي: أظهر عرضه أي: ناحيته. قال ابن عباس رضي الله عنهما: بعث الله تعالى ثلاثة عشر نبياً إلى ثلاث عشرة قرية باليمن فدعوهم إلى الإيمان والطاعة وذكروهم نعمه تعالى وخوفوهم عقابه فكذبوهم وقالوا: ما نعرف له علينا من نعمة فقولوا فربكم فليحبس عنا هذه النعمة إن استطاع ﴿فأرسلنا عليهم﴾ الإرسال مقابل الإمساك والتخلية وترك المنع ﴿سيل العرم﴾ السيل أصله مصدر كالسيلان بمعنى [رفتن آب] وجعل اسماً للماء الذي يأتيك ولم يصبك مطره والعرم من العرامة وهي الشدة والصعوبة يقال عرم كنصر وضرب وكرم وعلم عرامة وعراماً بالضم فهو عارم وعرم اشتد وعرم الرجل إذا شرس خلقه أي: ساء وصعب أضاف السيل إلى العرم أي: الصعب وهو من إضافة الموصوف إلى صفته بمعنى سيل المطر العرم أو الأمر العرم. والمعنى بالفارسية: [پس فرستاديم وفروكشاديم بر ايشان سيل صعب ودشوار]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: العرم اسم الوادي، يعني: [نام وادى كه آب از جانب او آمد]. وقال بعضهم: العرم السد الذي يحبس الماء ليعلوا على الأرض المرتفعة، يعني: [عرم بند آبست بلغة حمير]. وقال بعضهم: هو الجرذ الذكر أضاف السيل إليه لأن الله تعالى أرسل جرذاناً برية كان لها أنياب من حديد لا يقرب منها هرة إلا قتلتها فنقبت عليهم ذلك السد، يعني: [بندرا سوراخ كرد] فغرقت جنانهم ومساكنهم ويقال لذلك الجرذ الخلد بالضم لإقامته عند حجره وهو الفار الأعمى الذي لا يدرك إلا بالسمع. قال أرسطو: كل حيوان له عينان إلا الخلد وإنما خلق كذلك لأنه ترابي جعل الله له الأرض كالماء للسمك وغذاؤه من باطنها وليس له في ظاهرها قوت ولا نشاط ولما لم يكن له بصر عوّضه الله حدة السمع فيدرك الوطء الخفي من مسافة بعيدة فإذا أحس بذلك جعل يحفر في الأرض قيل إن سمعه بمقدار بصر غيره وفي طبعه الهرب من الرائحة الطيبة ويهوي رائحة الكراث والبصل وربما صيد بها فإنه إذا شمها خرج إليها فإذا جاع فتح فاه فيرسل الله له الذباب فيسقط عليه فيأخذه ودمه إذا اكتحل به أبرأ العين كما في «حياة الحيوان». قال

الكاشفي: [درمختار آورده كه فرزندان سبارا درحوالى مأرب از ولايت يمن منزلي بود درميان دوكوه از اعلى تا اسفل آن منزل هژده فرسخ وشرب ايشان در اعلاى وادي بود ازچشمه در پايان كوى كاه بودى كه فاضل آب ازاوديه يمن با آب ايشان ضم شدى وخرابى كردى]. قال أبو الليث: كان الماء لا يأتيهم من مسيرة عشرة أيام حتى يجري بين الجبلين [ازبلقيس كه از واليه ولايت ايشان بود درخواست كردند تا سدى بست بسنك وقار دردهانه كوه تا آبهاى اصلي وزاندى از امطار وعيون آنجا جمع شدند]. وقال السهيلي في كتاب «التعريف والاعلام»: كان الذي بنى السد سبأ بن يشجب بناه بالرخام وساق إليه سبعين وادياً ومات قبل أن يستتمه فأتم بعده انتهى [وسه ثقبه برآن سد ترتيب كردتا اول ثقبه اعلى بكشايند وآب بمزروعات وباغها وخود برند وچون وفا نكند وكمتر شود وسطى وبآخر سفلى چون سيزده پيغمبررا تكذيب كردند وپيغمبر آخرين در زمان پادشاه ذي الأوغار بن جيشان بعد از رفع عيسى بديشان آمد واورا بسيار رنجانيدند حق سبحانه وتعالى موشهاى دستى درزير بند ايشان بديد آورده بفرمود تا سوراخ كردند ونيم شب كه همه درخواب بودند بندشكسته شد وسيل در آمده منازل وحدائق ايشان مغمور كشت وبسيار مردم وچهارپاى هلاك كشت]. وقال في «فتح الرحمٰن»: فأرسلنا عليهم السيل الذي لا يطاق فخرب السد وملأ ما بين الجبلين وحمل الجنات وكثيراً من الناس ممن لم يمكنه الفرار أي: إلى الجبل وأغرق أموالهم فتفرقوا في البلاد فصاروا مثلاً ﴿**وبدلناهم بجنتيهم**﴾ المذكورتين وآتيناهم بدلهما، وبالفارسية: [وبدل داديم ايشانرا بباغهاى ايشان] والتبديل: جعل الشيء مكان آخر والباء تدخل على المتروك على ما هي القاعدة المشهورة ﴿**جنتين**﴾ ثاني مفعولي بدلنا ﴿**ذواتي أكل خمط**﴾ صفة لجنتين ويقال في الرفع ذواتا بالألف وهي تثنية ذات مؤنث ذي بمعنى الصاحب والأكل بضم الكاف وسكونه اسم لما يؤكل والخمط كل نبت أخذ طعماً من مرارة حتى لا يمكن أكله والمعنى جنتين صاحبتي ثمر مرّ، وبالفارسية: [دوباغ خداوند ميوهاى تلخ] فيكون الخمط نعتاً للأكل وجاء في بعض القراآت بإضافة الأكل إلى الخمط على أن يكون الخمط كل شجر مر الثمر أو كل شجر له شوك أو هو الأراك على ما قاله البخاري والأكل ثمره. قال في المختار: الخمط ضرب من الأراك له حمل يؤكل وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم ﴿**وأثل**﴾ معطوف على أكل لا على خمط فإن الأثل هو الطرفاء بالفارسية [كز] أو شجر يشبهه أعظم منه ولا ثمر له، قال الشيخ سعدي قدس سره:

اكر بدكنى چشم نيكى مدار كه هركز نيارد كز انكور بار

﴿**وشيء من سدر قليل**﴾ وهو معطوف أيضاً على أكل. قال البيضاوي وصف السدر بالقلة لما أن جناه وهو النبق مما يطيب أكله ولذلك يغرس في البساتين انتهى فالسدر شجر النبق على ما في «القاموس». وقال المولى أبو السعود: والصحيح أن السدر صنفان: صنف يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمرة عفصة لا تؤكل أصلاً وهو البري الذي يقال له الضال والمراد هٰهنا هو الثاني فكان شجرهم من خير الشجر فصيره الله من شر الشجر بسبب أعمالهم القبيحة. والحاصل أن الله تعالى أهلك أشجارهم المثمرة وأنبت بدلها غير المثمرة.

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى مصدر قوله تعالى: ﴿جزيناهم﴾ فمحله النصب على أنه مصدر مؤكد له أي: ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء آخر أو إلى ما ذكر من التبديل فمحله النصب على أنه مفعول ثان له أي: ذلك التبديل جزيناهم لا غيره ﴿بما كفروا﴾ بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها أو بسبب كفرهم بالرسل وفي هذه الآية دليل على بعث الأنبياء بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فإنه روي أن الواقعة المذكورة كانت في الفترة التي بينهما وما قيل من إنه لم يكن بينهما نبي يعني نبي به ذو كتاب كذا في «بحر العلوم» فلا يشكل قوله عليه السلام: «ليس بيني وبينه نبي» أي: رسول مبعوث بشريعة مستقلة بل كل من بعث كان مقرراً لشريعة عيسى وقد سبق تحقيق هذا المبحث مراراً ﴿وهل نجازي إلا الكفور﴾ أي: وما نجازي هذا الجزاء إلا المبالغ في الكفران أو الكفر. فهل وإن كان استفهاماً فمعناه النفي ولذلك دخلت إلا في قوله إلا الكفور. قال في «القاموس»: هل كلمة استفهام وقد يكون بمعنى الجحد وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك أداء شكرها والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً والكفر في الدين أكثر والكفور فيهما جميعاً. وفي الآية إشارة إلى أن المؤمن الشاكر يربط بشكره النعم الصورية والمعنوية من الإيقان والتقوى والصدق والإخلاص والتوكل والأخلاق الحميدة وغير الشاكر يزيل بكفرانه هذه النعم فيجد بدلها الفقر والكفر والنفاق والشك والأوصاف الذميمة ألا ترى إلى حال بلعم فإنه لم يشكر يوماً على نعمة الإيمان والتوفيق فوقع فيما وقع من الكفر والعياذ بالله تعالى. فلما غرس أهل الكفر في بستان القلب والروح الأشجار الخبيثة لم يجدوا إلا الأثمار الخبيثة فما عوملوا إلا بما استوجبوا وما حصدوا إلا ما زرعوا وما وقعوا إلا في الحفرة التي حفروا كما قيل: «يداك أوكتا وفوك نفخ» وهذا مثل مشهور يضرب لمن يتحسر ويتضجر مما يرد عليه منه يقال أوكأ على سقائه إذا شده بالوكاء والوكاء للقربة وهو الخيط الذي يشد به فوها وقد ورد في العبارة النبوية: «فمن وجد خيراً فليحمد الله» أي: الذي هو ينبوع الرحمة والخير «ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه»، وفي «المثنوي»:

داد حق اهل سبارا بس فراغ — صد هزاران قصر وايوانها وباغ
شكر آن نكزاردند آن بدركان — در وفا بودند كمتر از سكان
مر سكانرا لقمه نانى زدر — چون رسد بردرهمى بندد كمر
پاسبان وحارس در ميشود — كرچه بروى جور سختى ميرود
هم بران درباشدش باش وقرار — كفر دارد كرد غيرى اختيار
بيوفايى چون سكانرا عار بود — بيوفايى چون روا دارى نمود

﴿وجعلنا﴾ عطف على كان لسبأ وهو بيان لما أوتوا من النعم البادية في مسايرهم ومتاجرهم بعد حكاية ما أوتوا من النعم الحاضرة في مساكنهم ومحاضرهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من الجزاء تكملة لقصتهم وإنما لم يذكر الكل معاً لما في التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير والمعنى وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فنون النعم ﴿بينهم﴾ أي: بين بلادهم اليمنية ﴿وبين القرى﴾ الشامية ﴿التي باركنا فيها﴾ [بركت داده ايم دران] يعني بالمياه والأشجار والثمار والخصب والسعة في العيش للأعلى والأدنى والقرية اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس بلدة كانت أو غيرها والمراد هنا فلسطين وأريحا وأردن ونحوها والبركة

ثبوت الخير الإلهي في الشيء والمبارك ما فيه ذلك الخير ﴿قرى ظاهرة﴾ أصل ظهر الشيء أن يحصل على ظهر الأرض فلا يخفى وبطن الشيء أن يحصل في بطنان الأرض فيخفي ثم صار مستعملاً في كل ما برز للبصر والبصيرة أي: قرى متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لا عين أهلها أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم [ودرعين المعاني آورده كه ازمأرب كه منزل أهل سبابود تاشام چهار هزار وهفتصدديه بود متصل ازسباتا بشام] ﴿وقدرنا فيها السير﴾ [التقدير: اندازه كردن] والسير المضي في الأرض أي: جعلنا القرى في نسبة بعضها إلى بعض على مقدار معين يليق بحال أبناء السبيل قيل: كان الغادي من قرية يقيل في الأخرى والرائح منها يبيت في أخرى إلى أن يبلغ الشام لا يحتاج إلى حمل ماء وزاد وكل ذلك كان تكميلاً لما أوتوا من أنواع النعماء وتوافيراً لها في الحضر والسفر ﴿سيروا فيها﴾ على إرادة القول بلسان المقال والحال فإنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه فكأنهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه أي: وقلنا لهم سيروا في تلك القرى لمصالحكم ﴿ليالي وأياماً﴾ أي: متى شئتم من الليالي والأيام حال كونكم ﴿آمنين﴾ أصل إلا من طمأنينة النفس وزوال الخوف أي: آمنين من كل ما تكرهونه من الأعداء واللصوص والسباع بسبب كثرة الخلق ومن الجوع والعطش بسبب عمارة المواضع لا يختلف إلا من فيها باختلاف الأوقات أو سيروا فيها آمنين وإن تطاولت مدة سفركم وامتدت ليالي وأياماً كثيرة أو سيروا فيها ليالي أعماركم وأيامها لا تلقون فيها إلا الأمن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه وأسبابه على الوجه المذكور منزلة أمرهم بذلك.

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿١٩﴾ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾ [المباعدة والبعاد: از كسى دورشدن وكسى را دور كردن] والسفر خلاف الحضر وهو في الأصل كشف الغطاء وسفر الرجل فهو سافر وسافر خص بالمفاعلة اعتباراً بأن الإنسان قد سفر عن المكان والمكان سفر عنه ومن لفظ السفر اشتقت السفرة لطعام السفر ولما يوضع فيه من الجلد المستدير. وقال بعضهم: وسمي السفر سفراً لأنه يسفر أي: يشكف عن أخلاق الرجال ويستخرج دعاوى النفوس ودفائنها. قال أهل التفسير بطر أهل سبأ النعمة وسئموا طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو إسرائيل الثوم والبصل مكان السلوى والعسل وقالوا: لو كان جني جناننا أبعد لكان أجدر أن نشتهيه وسألوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز وقفاراً ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الأزواد ويتطاولوا فيها على الفقراء، يعني: [توانكرانرا بردرويشان حسد آمدكه ميان ما وايشان در رفتن هيچ فرقى نيست پياده ومفلس اين راه همچنان ميرودكه سواره وتوانكر ﴿فقالوا﴾ پس كفتند اغنياى ايشان اى پروردكار ما دورى افكن ميان منازل سفرهاى ما يعني: بيابانها بديدكن ازمنزلى بمنزلي تامردم بى زاد وراحله سفر نتوانند كرد] فعجل لهم الإجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعاً لا يسمع فيها داع ولا مجيب وفي «المثنوي»:

آن سبا زاهل صبا بودند وخام ... كار شان كفران نعمت باكرام

باشد آن كفران نعمت در مثال ... كه كنى بامحسن خود توجنال
كه نمى بايد مرا اين نيكويى ... من برنجم زين چه رنچه ميشوى
لطف كن اين نيكويى را دوركن ... من نخواهم عافيت رنجور كن
پس سبا كفتند باعد بيننا ... شيننا خير لنا خذ زيننا
ما نمى خواهيم اين ايوان وباغ ... نى زنان خوب ونى امن وفراغ
شهرها نزديك همديكر بدست ... آن بيانانست خوش كانجاد دست
يطلب الإنسان في الصيف الشتا ... فإذا جاء الشتا انكرذا
فهو لا يرضى بحال ابداً ... لا بضيق لا بعيش رغدا
قتل الإنسان ما اكفره ... كلما نال هدى انكره

﴿وظلموا أنفسهم﴾ حين عرّضوها للسخط والعذاب بالشرك وترك الشكر وعدم الاعتداد بالنعمة وتكذيب الأنبياء ﴿فجعلناهم أحاديث﴾، قال ابن الكمال: الأحاديث مبني على واحده المستعمل وهو الحديث كأنهم جمعوا حديثاً على أحدثة ثم جمعوا الجمع على الأحاديث أي: جعلنا أهل سبأ اخباراً وعظة وعبرة لمن بعدهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من أحوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ أي: فرقناهم غاية التفريق على أن الممزق مصدر أو كل مطرح ومكان تفريق على أنه اسم مكان وفي عبارة التمزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الأمر والدلالة على شدة التأثير والإيلام ما لا يخفى أي: مزقناهم تمزيقاً لا غاية وراءه بحيث تضرب به الأمثال في كل فرقة ليس بعدها وصال فيقال تفرقوا أيدي سبأ أي: تفرقوا تفرق أهل هذا المكان من كل جانب وكانوا قبائل ولدهم سبأ فتفرقوا في البلاد [تايكى ازايشان دومأرب نمايد قبيله غسان ازايشان بشام رفت وقضاعه بمكه واسد ببجرين وانمار بيثرب وجذام بتهامه وازد بعمان] ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من قصتهم ﴿لآيات﴾ عظيمة ودلالات كثيرة وعبراً وحججاً واضحة قاطعة على الوحدانية والقدرة. قال بعضهم جمع الآيات لأنهم صاروا فرقاً كثيرة كل منهم آية مستقلة ﴿لكل صبار﴾ عن المعاصي ودواعي الهوى والشهوات وعلى البلايا والمشاق والطاعات ﴿شكور﴾ على النعم الإلهية في كل الأوقات والحالات أو لكل مؤمن كامل لأن الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر [دركشف الأسرار آورده كه أهل سبا درخوش حال وفارغ بالى مى كذرانيدند بسبب بى صبرى بر عافيت وناشكرى برنعمت رسيد بديشان آنچه رسيد]:

اى روزكار عافيت شكرت نكفتم لا جرم
دستى كه در آغوش بودا كنون بدندان مى كزم

وفي «المثنوي»:

چون زحد بردند اصحاب سبأ ... كه به پيش ماوبابه از صبا
ناصحانشان درنصيحت آمدند ... ازفسوق وكفر مانع مى شدند
قصد خون ناصحان ميداشتند ... تخم فسق وكافرى مى كاشتند
بهر مظلومان همى كندند چاه ... درچه افتادند ومى كفتند آه
صبر آرد آرزورانى شتاب ... صبر كن والله أعلم بالصواب

قال بعض الكبار: إن طلب الدنيا وشهواتها هو طلب البعد عن الله وعن حضرته والميل إلى الدنيا والرغبة في شهواتها من خسة النفس وركاكة العقل وهو ظلم على النفس فمن قطعته الدنيا عن الحضرة جعله الله عبرة لأهل الطلب وأوقعه في وادي الهلاك فلا بد من الصبر عن الدنيا وشهواتها والشكر على نعمة العصمة وتوفيق العبودية جعلنا الله وإياكم من الراغبين إليه والمعتمدين عليه وعصمنا من الرجوع عن طريقه والضلال بعد إرشاده وتوفيقه إنه الرحمٰن الذي بيده القلوب وتقليبها من حال إلى حال وتصريفها كيف يشاء في الأيام والليالي.

﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه﴾ التصديق بالفارسية: [راستى يافتن] وضمير عليهم إلى أهل سبأ لتقدم ذكرهم والظاهر أنه راجع إلى الناس كما يشهد به ما بعده. وإبليس مشتق من الإبلاس وهو الحزن المعترض من شدة اليأس كما في المفردات أبلس يئس وتحير ومنه إبليس أو هو أعجمي انتهى والظن هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ومظنة الشيء بكسر الظاء موضع يظن فيه وجوده والمعنى وبالله لقد وجد إبليس ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم في الشهوات صادقاً **﴿فاتبعوه﴾** أي: اتبع أهل سبأ الشيطان في الشرك والمعصية **﴿إلا فريقاً من المؤمنين﴾** الفريق الجماعة المنفردة عن الناس ومن بيانية أي: إلا جماعة هم المؤمنون لم يتبعوه في أصل الدين وتقليلهم بالإضافة إلى الكفار أو تبعيضية أي: إلا فريقاً من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون أو وجد ظنه ببني آدم صادقاً فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين وذلك أنه حين شاهد آدم عليه السلام قد أصغى إلى وسوسته قال: إن ذريته أضعف منه عزماً ولذا قال: لأضلنهم. وقال الكاشفي: [شيطان لعين كمان برده بودكه من بر بني آدم بسبب شهوت وغضب كه درنهاد ايشان نهاده اند دست يابم وايشانرا كمراه كنم كمان او درباره أهل غوايت راست شد] أو قال: أنا ناري وآدم طيني والنار تأكل الطين أو ظن عند قول الملائكة: **﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾** [البقرة: ٣٠].

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن إبليس لم يكن متيقناً أن يقدر على الإغواء والإضلال بل كان ظاناً بنفسه أنه يقدر على إغواء من لم يطع الله ورسوله فلما زين لهم الكفر والمعاصي وكانوا مستعدين لقبولها حكمة لله في ذلك وقبلوا منه بعض ما أمرهم به على وفق هواهم وتابعوه بذلك صدق عليهم ظنه أي: وجدهم كما ظن فيهم، قال الشيخ سعدي قدس سره:

نه ابليس در حق ما طعنه زد ... كز اينان نيايد بجز كار بد
فغان از بديها كه در نفس ماست ... كه ترسم شود ظن ابليس راست
چو ملعون پسند آمدش قهرما ... خدايش برانداخت از بهر ما
كجا سر برآريم ازين عارونتك ... كه با او بصلحيم وباحق بجنك
نظر دوست نادر كند سوى تو ... چودر روى دشمن بود روى تو
ندانى كه كمتر نهد دوست پاى ... چو بيندكه دشمن بود درسراى

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿وما كان له﴾ أي: لإبليس **﴿عليهم من سلطان﴾** السلطان القهر والغلبة ومنه السلطان

لمن له ذلك أي: تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وإلا فهو ما سل سيفاً ولا ضرب بعصا ﴿إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾ استثناء مفرغ من أعم العلل ومن موصولة منصوبة بنعلم. والعلم إدراك الشيء بحقيقته والعالم في وصف الله تعالى هو الذي لا يخفى عليه شيء والشك اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما وفي نظم الصلة الأولى بالفعلية دلالة على الحدوث كما أن في نظم الثانية بالاسمية إشعاراً بالدوام وفي مقابلة الإيمان بالشك إيذان بأن أدنى مرتبة الكفر يوقع في الورطة وجعل الشك محيطاً وتقديم صلته والعدول إلى كلمة من مع أنه يتعدى بفي للمبالغة والإشعار بشدته وأنه لا يرجى زواله فإنه إذا كان منشأ الشك متعلقه لا أمراً غيره كيف يزول وأن من كان حاله على خلاف هذا يكون مرجوّ الفلاح.

والمعنى: وما كان تسلطه عليهم إلا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزاً ممن هو في شك منها تعلقاً حالياً يترتب عليه الجزاء فعلم الله قديم وتعلقه حادث إذ هو موقوف على وجود المكلف في عالم الشهادة فلا يظن ظان بالله ظن السوء أن الله جل جلاله لم يكن عالماً بأهل الكفر وأهل الإيمان وإنما سلط عليهم إبليس ليعلم به المؤمن من الكافر فإن الله بكمال قدرته وحكمته خلق أهل الكفر مستعداً للكفر وخلق أهل الإيمان مستعداً للإيمان كما قال عليه السلام: «خلق الجنة وخلق لها أهلاً وخلق النار وخلق لها أهلاً» وقال تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس﴾ فالله تعالى كان عالماً بحال الفريقين قبل خلقهم وهو الذي خلقهم على ما هم به وإنما سلط الله الشيطان على بني آدم لاستخراج جواهرهم من معادن الإنسانية كما تسلط النار على المعادن لتخليص جوهرها فإن كان الجوهر ذهباً فيخرج منه الذهب وإن كان الجوهر نحاساً فيخرج منه النحاس فلا تقدر النار أن تخرج من معدن النحاس الذهب ولا من معدن الذهب النحاس فسلط عليهم لأنهم معادن كمعادن الذهب والفضة وهو ناري يستخرج جواهرهم من معادنهم بنفخة الوساوس فلا يقدر أن يخرج من كل معدن إلا ما هو جوهره:

درزمين كرنيشكر ورخودنى است ترجمان هرزمين بنت وى است

وقال بعضهم: العلم هنا مجاز عن التمييز والمعنى إلا لتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها فعلل التسلط بالعلم والمراد ما يلزمه ﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ محافظ عليه بالفارسية: [نكهبانست] فإن فعيلاً ومفاعلاً صيغتان متآخيتان. وقال بعضهم: هو الذي يحفظ كل شيء على ما هو به. والحفيظ من العباد من يحفظ ما أمر بحفظه من الجوارح والشرائع والأمانات والودائع ويحفظ دينه عن سطوة الغضب وخلابة الشهوة وخداع النفس وغرور الشيطان فإنه على شفا جرف هار وقد اكتنفته هذه الملكات المفضية إلى البوار.

قال بعض الحكماء الإلهية أسباب الحفظ الجد والمواظبة وترك المعاصي واستعمال السواك وتقليل النوم وصلاة الليل وقراءة القرآن نظراً وشرب العسل وأكل الكندر مع السكر وأكل إحدى وعشرين زبيبة حمراء كل يوم على الريق. ومن خاصية هذا الاسم وهو الحفيظ أن من علقه عليه لو نام بين السباع ما ضرته ومن حفظ الله تعالى ما قال ذو النون رضي الله عنه وقعت ولولة في قلبي فخرجت إلى شط النيل فرأيت عقرباً يعدو فتبعته فوصل إلى ضفدع على الشط فركب ظهره وعبر به النيل فركبت السفينة واتبعته فنزل وعدا إلى شاب نائم وإذا بأفعى بقربه تقصده فتواثبا وتلادغا وماتا وسلم النائم.

قال إبراهيم الخواص قدس سره: كنت في طريق مكة فدخلت إلى خربة بالليلة وإذا فيها سبع عظيم فخفت فهتف بي هاتف اثبت فإن حولك سبعين ألف ملك يحفظونك وهذا من لطف الله بأوليائه فواحد يحفظ عليه أعماله ليجازيه وآخر يحفظه فيدفع عنه الآفات اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا برأفتك التي لا ترام وارحمنا بقدرتك علينا فلا تهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا يا أرحم الراحمين ويا أكرم الأكرمين.

﴿**قل**﴾ يا محمد للمشركين إظهاراً لبطلان ما هم عليه وتبكيتاً لهم ﴿**ادعوا**﴾ نادوا ﴿**الذين زعمتم**﴾. قال في «القاموس»: الزعم مثلثة القول الحق والباطل والكذب ضد وأكثر ما يقال فيما يشك فيه. وفي «المفردات» الزعم حكاية قول يكون مظنة الكذب ولهذا جاء في القرآن في كل موضع ذم القائلين به والمعنى زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم ثم حذف الأول وهو ضمير الراجع إلى الموصول تخفيفاً لطول الموصول بصلته والثاني وهو آلهة لقيام صفته أعني قوله: ﴿**من دون الله**﴾ مقامه والمعنى ادعوا الذين عبدوهم من دون الله فيما يهتمكم من جلب نفع ودفع ضر لعلهم يستجيبون لكم إن صح دعواكم ثم أجاب عنه إشعاراً بتعين الجواب وأنه لا يقبل المكابرة فقال بطريق الاستئناف لبيان حالهم ﴿**لا يملكون مثقال ذرة**﴾ من خير وشر ونفع وضر وقد سبق معنى المثقال والذرة في أوائل هذه السورة ﴿**في السموات ولا في الأرض**﴾ أي: في أمر ما من الأمور وذكرهما للتعميم عرفاً يعني أن أهل العرف يعبرون بهما عن جميع الموجودات كما يعبرون بالمهاجرين والأنصار عن جميع الجماعة أو لأن آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها أرضية كالأصنام أو لأن الأسباب القريبة للخير والشر سماوية وأرضية ﴿**وما لهم**﴾ أي: لآلهتهم ﴿**فيهما**﴾ في السموات والأرض ﴿**من شرك**﴾ أي: شركة لا خلقاً ولا ملكاً ولا تصرفاً ﴿**وما له**﴾ أي: لله تعالى ﴿**منهم**﴾ من آلهتهم ﴿**من ظهير**﴾ من عون يعينه في تدبير أمورهما. تلخيصه أنه تعالى غني عن كل خلقه وآلهتهم عجزة عن كل شيء، وفي «المثنوي»:

نيست خلقش را دكر كس مالكى شركتش دعوى كند جزهالكى

ذات او مستغنيست از ياورى بلكه يابد عون ازو هر سرورى

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿**ولا تنفع الشفاعة**﴾ وهي طلب العفو أو الفضل للغير من الغير يعني أن الشافع شفيع للمشفوع له في طلب نجاته أو زيادة ثوابه ولذا لا تطلق الشفاعة على دعاء الرجل لنفسه وأما دعاء الأمة للنبي عليه السلام وسؤالهم له مقام الوسيلة فلا يطلق عليه الشفاعة إما لاشتراط العلو في الشفيع وإما لاشتراط العجز في المشفوع له وكلاهما منتف هٰهنا ﴿**عنده**﴾ تعالى كما يزعمون أي: لا توجد رأساً لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وإنما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحاً بنفي ما هو غرضهم من وقوعها ﴿**إلا لمن أذن له**﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي: لا تنفع الشفاعة في حال من الأحوال إلا كائنة لمن أذن له أي: لأجله وفي شأنه من المستحقين للشفاعة وإما من عداهم من غير المستحقين لها فلا تنفعهم أصلاً وإن فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء إذ لم يأذن لهم في شفاعتهم بل في

شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم من شفاعة هؤلاء بعبارة النص ومن شفاعة الأصنام بدلالته إذ حين حرموها من جهة القادرين على شفاعة بعض المحتاجين إليها فلأن يحرموها من جهة العجزة عنها أولى ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ التفزيع من الأضداد فإنه التخويف وإزالة الخوف والفزع وبالفارسية: [بترسانيدن واندوه وابردن] وهذا يعدي بعن كما في هذا المقام والفزع انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف وهو من جنس الجزع ولذا لا يقال فزعت من الله كما يقال خفت منه والمعنى حتى إذا أزيل الفزع عن قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين وأما الكفرة فهم عن موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفزيع عن قلوبهم بألف منزل وحتى غاية لما ينبىء عنه ما قبلها من الإشعار بوقوع إلا لمن أذن له فإنه يشعر بالاستئذان المستدعي الترقب والاستنظار للجواب كأنه سئل كيف يؤذن لهم فقيل: يتربصون في موقف الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع زماناً طويلاً حتى إذا أزيل الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتي وظهرت لهم تباشير الإجابة ﴿قالوا﴾ أي: المشفوع لهم إذ هم المحتاجون إلى الإذن والمهتمون بأمره ﴿ماذا﴾ [چه چيز] ﴿قال ربكم﴾ أي: في شأن الإذن ﴿قالوا﴾ أي: الشفعاء لأنهم المباشرون للاستئذان بالذات المتوسطون، بينهم وبينه تعالى بالشفاعة ﴿الحق﴾ أي: قال ربنا القول الحق وهو الإذن في الشفاعة للمستحقين لها ﴿وهو العلي الكبير﴾ من تمام كلام الشفعاء قالواه اعترافاً بغاية عظمة جناب العزة وقصور شأن كل من سواه أي: هو المتفرد بالعلو والكبرياء شأناً وسلطاناً ذاتاً وصفة قولاً وفعلاً ليس لأحد من أشراف الخلائق أن يتكلم إلا بإذنه. قال بعضهم: العلي فوق خلقه بالقهر والاقتدار والعلي الرفيع القدر وإذا وصف به تعالى فمعناه أنه يعلو أن يحيط به وصف الواصفين بل وعلم العارفين والعبد لا يتصور أن يكون علياً مطلقاً إذ لا ينال درجة إلا ويكون في الوجود ما هو فوقها وهي درجات الأنبياء والملائكة نعم يتصور أن ينال درجة لا يكون في جنس الإنس من يفوقها وهي درجة نبينا عليه السلام ولكنه علو إضافي لا مطلق والتخلق بهذا الاسم بالجنوح إلى معالي الأمور والبعد عن سفسافها وفي الحديث: «إن الله يحب معالي الأمور ويبغض سفسافها» وعن علي رضي الله عنه علو الهمة من الإيمان، قال الصائب:

چون بسير لا مكان خود ميروم ازخويشتن همچو همت توسنى درزير زين داريم ما

وخاصية هذا الاسم الرفع عن أسافل الأمور إلى أعاليها فيكتب ويعلق على الصغير فيبلغ وعلى الغريب فيجمع شمله وعلى الفقير فيجد غنى بفضل الله تعالى. وأما الكبير فهو الذي يحتقر كل شيء في جنب كبريائه. وقيل في معنى الله أكبر أي: أكبر من أن يقال له أكبر أو يدرك كنه كبريائه غيره. قال بعض الكبار معنى قول المصلي الله أكبر بلسان الظاهر الله أكبر أن يقيد ربي حال من الأحوال بل هو تعالى في كل الأحوال أكبر ومن عرف كبرياءه نسي كبرياء نفسه والكبير من العباد هو العالم التقي المرشد للخلق الصالح لأن يكون قدوة يقتبس من أنواره وعلومه ولهذا قال عيسى عليه السلام: من علم وعمل وعلّم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء وخاصية هذا الاسم فتح باب العلم والمعرفة لمن أكثر من ذكره وإن قرأه على طعام وأكله الزوجان وقع بينهما وفق وصلح. وفي «الأربعين الإدريسية»: يا كبير أنت الذي لا تهتدي العقول لوصف عظمته. قال السهروردي: إذا أكثر منه المديان أدى دينه واتسع رزقه وإن ذكره معزول عن رتبته سبعة أيام كل يوم ألفاً وهو صائم فإنه يرجع إلى مرتبته ولو كان ملكاً.

﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿قل من﴾ استفهام بمعنى [كه] بالفارسية ﴿يرزقكم من السموات﴾ بإنزال المطر ﴿والأرض﴾ بإخراج النبات أمر عليه السلام بتبكيت المشركين بحملهم على الإقرار بأن آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وإن الرازق هو الله تعالى فإنهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١] وحيث كانوا يتلعثمون في الجواب مخافة الإلزام قيل له عليه السلام: ﴿قل الله﴾ يرزقكم إذ لا جواب سواه عندهم أيضاً.

اعلم أن الرزق قسمان: ظاهر وهو الأقوات والأطعمة المتعلقة بالأبدان وباطن وهو المعارف والمكاشفات المتعلقة بالأرواح وهذا أشرف القسمين فإنه ثمرته حياة الأبد وثمرة الرزق الظاهر قوة إلى مدة قريبة الأمد والله تعالى هو المتولي لخلق الرزقين والمتفضل بالإيصال إلى كلا الفريقين ولكنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفي الحديث: «طلب الحلال فريضة بعد الفريضة» أي: فريضة الإيمان والصلاة وفي الحديث: «من أكل الحلال أربعين يوماً نوّر الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة في قلبه» وفي الحديث: «إن لله ملكاً على بيت المقدس ينادي كل ليلة من أكل حراماً لم يقبل منه صرف ولا عدل» أي: نافلة وفريضة [وكفته اند ازباكى مطعم وحلالي قوت صفاى دل خيزد واز صفاى دل نور معرفت افزايد وبانور معرفت مكاشفات ومنازلات درپيوندد]، وفي «المثنوي»:

لقمه كان نور افزود وكمال	آن بود آورده از كسب حلال
روغنى كايد چراغ ما كشد	آب خوانش جون جراغى راكشد
علم وحكمت زايد ازلقمه حلال	عشق ورقت آيد از لقمه حلال
چون زلقمه توحسد بينى ودام	جهل رغفلت زايد آنرادان حرام
هيچ كندم كارى وجو بردهد	ديده اسبى كه كره خردهد
لقمه تخمست وبرش انديشها	لقمه بحر وكوهرش انديشها
زايد ازلقمه حلال اندر دهان	ميل خدمت عزم رفتن آن جهان

﴿وإنا﴾ [وديكر بكو باايشان كه بدرستى ما] ﴿أو إياكم﴾ عطف على اسم أن يعني [باشما] ﴿لعلى هدى﴾ [برراه راستيم] ﴿أو في ضلال مبين﴾ [يادركمراهى آشكار] أي: وأن أحد الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويحصونه بالعبادة والذين يشركون به في العبادة الجماد النازل في أدنى المراتب الإمكانية لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال المبين وهذا بعد ما سبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو في الضلال أبلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الإنصاف المسكت للخصم الألد ونحوه قول الرجل في التعريف لصاحبه الله يعلم أن أحدنا لكاذب، يعني: [اين سخن چنانست دوكس درخصومت باشند يكى محق ويكى مبطل محق كويد ازمايكى دروغ زنست ناچار ومقصد وى ازين سخن تكذيب مبطل باشد وتصديق خويش همانست كه رسول عليه السلام كفت متلاعنين را] الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب؟ وأو هٰهنا لمجرد إبهام وإظهار نصفة لا للشك

والتشكيك. وقال بعضهم أو هٰهنا بمعنى الواو، يعني: إنا وإياكم لعلى هدى إن آمنا أو في ضلال مبين إن لم نؤمن انتهى واختلاف الجارين للإيذان بأن الهادي الذي هو صاحب الحق كمن استعلى على مكان مرتفع ينظر الأشياء ويتطلع عليها أو ركب فرساً جواداً يركضه حيث يشاء والضال كأنه منغمس في ظلال لا يرى شيئاً ولا يدري أين يتوجه أو متردي في بئر عميق أو محبوس في مطمورة لا يستطيع الخروج منها.

﴿**قل لا تسألون عما أجرمنا**﴾ [الإجرام: جرم كردن] والجرم بالضم الذنب وأصله القطع واستعير لكل اكتساب مكروه كما في «المفردات» أي: فعلنا واكتسبنا من الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن ﴿**ولا نسأل عما تعملون**﴾ من الكفر والكبائر بل كل مطالب بعمله وكل زرّاع يحصد زرعه لا زرع غيره:

برفتند وهركس درود آنچه كشت

وهذا أبلغ في الإنصاف وأبعد من الجدل والاعتساف حيث أسند فيه الإجرام وإن أريد به الزلة وترك الأولى إلى أنفسهم ومطلق العمل إلى المخاطبين مع أن أعمالهم أكبر الكبائر.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿**قل يجمع بيننا ربنا**﴾ يوم القيامة عند الحشر والحساب ﴿**ثم يفتح بيننا بالحق**﴾ [الفتح: كشادن وحكم كردن] أي: يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار ﴿**وهو الفتاح**﴾ الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة أي: المشكلة ﴿**العليم**﴾ بما ينبغي أن يقضي به وبمن يقضى له وعليه ولا يخفى عليه شيء من ذلك كما لا يخفى عليه ما عدا ذلك. قال الزروقي الفتاح المتفضل بإظهار الخير والسعة على أثر ضيق وانغلاق باب للأرواح والأشباح في الأمور الدنيوية والأخروية. وقال بعض المشايخ: الفتاح من الفتح وهو الإفراج عن الضيق كالذي يفرج تضايق الخصمين في الحق بحكمه والذي يذهب ضيق النفس بخيره وضيق الجهل بتعليمه وضيق الفقر ببذله. قال الإمام الغزالي رحمه الله: الفتاح هو الذي بعنايته ينفتح كل منغلق وبهدايته ينكشف كل مشكل فتارة يفتح الممالك لأنبيائه ويخرجها من أيدي أعدائه ويقول: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١ - ٢] وتارة يرفع الحجاب عن قلوب أوليائه ويفتح لهم الأبواب إلى ملكوت سمائه وجمال كبريائه ويقول: ما يفتح للناس من رحمة فلا ممسك لها ومن بيده مفاتيح الغيب ومفاتيح الرزق فبالأحرى أن يكون فتاحاً وينبغي أن يتعطش العبد إلى أن يصير بحيث ينفتح بلسانه مغاليق المشكلات الإلهية وأن يتيسر بمعونته ما تعسر على الخلق من الأمور الدينية والدنيوية ليكون له حظ من اسم الفتاح. وخاصية هذا الاسم تيسير الأمور وتنوير القلب والتمكين من أسباب الفتح فمن قرأه في أثر صلاة الفجر إحدى وسبعين مرة ويده على صدره طهر قلبه وتنور سره وتيسر أمره وفيه تيسير الرزق وغيره. والعليم: مبالغة العالم وهو من قام به العلم ومن عرف أنه تعالى هو العالم بكل شيء راقبه في كل شيء واكتفى بعلمه في كل شيء فكان واثقاً به عند كل شيء ومتوجهاً له بكل شيء. قال: ابن عطاء الله متى آلمك عدم إقبال الناس عليك أو توجههم بالذم إليك فارجع إلى علم الله فيك فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من

مصيبتك بوجود الأذى منهم. وخاصية هذا الاسم تحصيل العلم والمعرفة فمن لازمه عرف الله حق معرفته على الوجه الذي يليق به. وفي «شمس المعارف» من انبهم عليه أمر أو كشف سر من أسرار الله فليدم عليه فإنه يتيسر له ما سأل ويعرف الحكمة فيما طلب وإن أراد فتح باب الصفة الإلهية فتح له باب من العلم والعمل.

﴿قل أروني﴾ [بنماييد بمن] ﴿الذين ألحقتم﴾ أي: ألحقتموهم، يعني: [بربسته آيد]. قال في «تاج المصادر»: [الإلحاق: در رسيدن ودر رسانيدن] ﴿به﴾ تعالى ﴿شركاء﴾ أريد بأمرهم إراءة الأصنام مع كونها بمرأى منه عليه السلام إظهار خطأهم العظيم واطلاعهم على بطلان رأيهم أي: أرونيها لأنظر بأي صفة ألحقتموها بالله الذي ليس كمثله شيء مع استحقاق العبادة هل يخلقون وهل يرزقون وفيه مزيد تبكيت لهم بعد إلزام الحجة عليهم ﴿كلا﴾ ردع لهم عن المشاركة بعد إبطال المقايسة كما قال إبراهيم عليه السلام أف لكم ولما تعبدون بعدما حجهم يعني: [اين انبازى درست نيست] ﴿بل هو﴾ أي: الله وحده أو الشأن كما قال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ﴿الله العزيز الحكيم﴾ أي: الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فأين شركاؤكم التي هي أخس الأشياء وأذلها من هذه الرتبة العالية، يعني: [بس كه با اودم شركت تواندزد وحده لا شريك له صفتش وهو الفرد اصل معرفتش شرك راسوى وحدتش ده نه عقل از كنه ذاتش آكه نه هست درراه كبريا وجلال شرك نا لائق وشريك محال]. والتقرب باسم العزيز في التمسك بمعناه وذلك برفع الهمة عن الخلائق فإن العز فيه ومن ذكره أربعين يوماً في كل يوم أربعين مرة أعانه الله تعالى وأعزه فلم يحوجه لأحد من خلقه. وفي الأربعين الإدريسية يا عزيز المنيع الغالب على أمره فلا شيء يعادله. قال السهروردي: من قرأه سبعة أيام متواليات كل يوم ألفاً هلك خصمه وإن ذكره في وجه العسكر سبعين مرة ويشير إليهم بيده فإنهم ينهزمون والتقرب باسم الحكيم أن تراعى حكمته في الأمور فتجري عليها مقدماً ما جاء شرعاً ثم عادة سلمت من معارض شرعي. وخاصيته دفع الدواهي وفتح باب الحكمة فمن أكثر ذكره صرف عنه ما يخشاه من الدواهي وفتح له باب من الحكمة والحكمة في حقنا إصابة الحق في القول والعمل وفي حق الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام.

قال بعضهم: الحكمة تقال بالاشتراك على معنيين: الأول كون الحكيم بحيث يعلم الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر. والثاني كونه بحيث تصدر عنه الأفعال المحكمة الجامعة وقد سبق باقي البيان في تفسير سورة لقمان ومن الله العون على تحصيل العلم والاجتهاد في العمل ومعرفة الأشياء على ما هي عليه.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَـذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وما أرسلناك﴾ يا محمد أي: ما بعثناك، والإرسال بالفارسية: [فرستادن] ﴿إلا﴾ إرسالاً ﴿كافة﴾ عامة شاملة ﴿للناس﴾ محيطة باحمرهم واسودهم من الكف بمعنى المنع لأنها إذا عمتهم وشملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم فانتصاب كافة على أنها صفة مصدر محذوف والتاء للتأنيث والجار متعلق بها ويجوز أن تكون حالاً من الكاف والتاء للمبالغة كتاء علامة أي: ما أرسلناك في حال من الأحوال إلا حال كونك جامعاً لهم في الإبلاغ لأن الكف يلزم الجمع. وفي «كشف الأسرار»: الكافة هي الجامعة للشيء المانعة له عن التفرق ومنه

الكفاف من العيش وقولك كف يدك أي: اجمعها إليك ولا يجوز أن يكون حالاً من الناس لامتناع تقدم الحال على صاحبها المجرور كامتناع تقدم المجرور على الجار. قال الراغب: وما أرسلناك إلا كافاً لهم عن المعاصي والتاء فيه للمبالغة انتهى ﴿بشيراً﴾ حال كونك بشيراً بالفارسية [مژده دهنده] للمؤمنين بالجنة وللعاشقين بالرؤية ﴿ونذيراً﴾ وحال كونك منذراً بالفارسية [بيم كننده] للكافرين بالنار وللمنكرين بالحجاب ﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ ذلك فيحملهم جهلهم على المخالفة والعصيان وكرر ذكر الناس تخصيصاً للجهل بنعمتي البشارة والنذارة ونعمة الرسالة بهم وأنهم هم الذين لا يعلمون فضل الله بذلك عليهم ولا يشكرونه وذلك لأن العقل لا يستقل بإدراك جميع الأمور الدنيوية والأخروية والتمييز بين المضار والمنافع فاحتاج الناس إلى التبشير والإنذار وبيان المشكلات من جهة أهل الوحي. قال صاحب «كشف الأسرار» [صديق صديقان عالم كرد شراك نعلين چاكران وى بود وبيكانكان منكران اورا كاذب ميكفتند صداى وحى غيب عاشق سمع عزيز وى بود اورا كاهى ميخواندند عقول همه عقول عقلاء عالم از ادراك نور شراك غرا وعاجز بود وكافران نام او ديوانه نهادند آرى ديدهاى ايشان بحكم لطف ازل توتياى صدق نيافته وبچشمهاى ايشان كحل اقبال حق نرسيده وازآنست كه اورا نشناختند]. ودلت الآية على عموم رسالته وشمول بعثته وفي الحديث«فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم» وهي ما يكون ألفاظه قليلة ومعانيه كثيرة «ونصرت بالرعب» يعني نصرني الله بإلقاء الخوف في قلوب أعطائي «من مسيرة شهر بيني وبينهم» وجعل الغاية شهراً لأنه لم يكن بين بلده وبين أحد من أعدائه المحاربين له أكثر من شهر «وأحلت لي الغنائم» يعني أن من قبله من الأمم كانوا إذا غنموا الحيوانات تكون ملكاً للغانمين دون الأنبياء فخص نبينا عليه السلام بأخذ الخمس والصفي وإذا غنموا غيرها من الأمتعة والأطعمة والأموال جمعوه فتجيء نار بيضاء من السماء فتحرقه حيث لا غلول وخص هذه الأمة المرحومة بالقسمة بينهم كأكل لحم القربان فإن الله أحله لهم زيادة في أرزاقهم ولم يحله لمن قبلهم من الأمم «وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً» يعني: أباح الله لأمتي الصلاة حيث كانوا تخفيفاً لهم وأباح التيمم بالتراب عند فقد الماء ولم يبح الصلاة للأمم الماضية إلا في كنائسهم ولم يجز التطهر لهم إلا بالماء «وأرسلت إلى الخلق كافة» أي: في زمنه وغيره ممن تقدم أو تأخر بخلاف رسالة نوح عليه السلام فإنها وإن كانت عامة لجميع أهل الأرض لكنها خصت بزمانه. قال في «إنسان العيون»: والخلق يشتمل الإنس والجن والملك والحيوانات والنبات والحجر. قال الجلال السيوطي: وهذا القول أي: إرساله للملائكة رجحته في كتاب «الخصائص»: وقد رجحه قبلي الشيخ تقي الدين السبكي وزاد أنه مرسل لجميع الأنبياء والأمم السابقة من لدن آدم إلى قيام الساعة ورجحه أيضاً البارزي وزاد أنه مرسل إلى جميع الحيوانات والجمادات وزيد على ذلك أنه مرسل إلى نفسه وذهب جمع إلى أنه لم يرسل للملائكة منهم الحافظ العراقي والجلال المحلي وحكى الفخر الرازي في تفسيره والبرهان النسفي فيه الإجماع فيكون قوله عليه السلام: «أرسلت إلى الخلق كافة» وقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] من العام المخصوص ولا يشكل عليه حديث سلمان رضي الله عنه إذا كان الرجل في أرض وأقام الصلاة صلى خلفه من الملائكة ما لا يرى طرفاه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده لأنه يجوز أن يكون ذلك صادراً عن بعثته إليهم. يقول الفقير دل كونه

أفضل المخلوقات على عموم بعثته لجميع الموجودات ولذا بشر بمولده أهل الأرض والسماء وسلموا عليه حتى الجماد بفصيح الأداء فهو رحمة للعالمين ورسول إلى الخلق أجمعين، قال حضرة الشيخ العطار قدس سره:

داعـــئ ذرات بـــود آن پـــاك ذات   در كفش تسبيح ازان كفتى حصات

قال بعضهم:

تــرا دادنــد مــنــشــور ســعــادت   وزان پس نوع انــســان آفــريــدنــد

پرى را جمــلــه درخيــل تــو كــردنــد   پس آنكــاهى سليمــان آفــريــدنــد

وختم به النبيون أي: فلا نبي بعده ولا مشرعاً ولا متابعاً كما بين في سورة الأحزاب.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن إرسال ماهية وجودك التي عبرت عنها مرة بنوري وتارة بروحي من كتم العدم إلى عالم الوجود لم يكن منا إلا لتكون بشيراً ونذيراً للناس كافة من أهل الأولين والآخرين والأنبياء والمرسلين وإن لم يخلقوا بعد لاحتياجهم لك من بدء الوجود في هذا الشأن وغيره إلى الأبد كما قال ﷺ: «الناس محتاجون إلى شفاعتي حتى أبى إبراهيم» فأما في بدء وجودهم فالأرواح لما حصلت في عالم الأرواح بإشارة كن تابعة لروحك احتاجت إلى أن تكون لها بشيراً ونذيراً لتعلقها بالأجسام لأنها علوية بالطبع لطيفة نورانية والأجسام سفلية بالطبع كثيفة ظلمانية لا تتعلق بها ولا تميل إليها لمضادة بينهما فتحتاج إلى بشير يبشرها بحصول كمال لها عند الاتصال بها لترغب إليها وتحتاج إلى نذير ينذرها بأنها إن لم تتعلق بالأجسام تحرم من كمالها وتبقى ناقصة غير كاملة كمثل حبة فيها شجرة مركوزة بالقوة فإن تزرع وترب بالماء تخرج الشجرة من القوة إلى الفعل إلى أن تبلغ كمال شجرة مثمرة فالروح بمثابة الأكار المربى فبعد تعلق الروح بالقالب واطمئنانه واتصافه بصفته يحتاج إلى بشير بحسب مقامه يبشره بنعيم الجنة وملك لا يبلى ثم يبشره بقرب الحق تعالى ويشوقه إلى جماله ويعده بوصاله ونذير ينذره أولاً بنار جهنم ثم يوعده بالبعد عن الحق ثم بالقطيعة والهجران وإذا أمعنت النظر وجدت شجرة الموجودات منبتة من بذر روحه ﷺ وهو ثمرة هذه الشجرة من جميع الأنبياء والمرسلين وهم وإن كانوا ثمرة هذه الشجرة أيضاً ولكن وجدوا هذه المرتبة بتبعيته كما أنه من بذر واحد يظهر على الشجرة ثمار كثيرة بتبعية ذلك البذر الواحد فيجد كل بشير ونذير فرعاً لأصل بشيريته ونذيريته والذي يدل على هذا التحقيق قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧] دخلت شجرات الموجودات كلها تحت الخطاب وبقوله: ﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ يشير إلى أن أكثر الناس الذين هم أجزاء وجود الشجرة وما وصلوا إلى رتبة الثمرية لا يعلمون حقيقة ما قررنا لأن أحوال الثمرة ليست معلومة للشجرة إلا لثمرة مثلها في وصفها لتكون واقفة بحالها:

نــــدانــــد آدم كـــــامـــــل جـــــز آدم

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿**ويقولون**﴾ أي: المشركون من فرط جهلهم وغاية غيهم مخاطبين لرسول الله ﷺ والمؤمنين به بطريق الاستهزاء ﴿**متى**﴾ [كى باشد] ﴿**هذا الوعد**﴾ المبشر به والمنذر عنه يعني الجنة والنار ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ في دعوى الوقوع والوجود.

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿قل لكم ميعاد يوم﴾ أي: وعد يوم وهو يوم البعث مصدر ميمي **﴿لا تستأخرون عنه﴾** أي: عن ذلك الميعاد عند مفاجأته فالجملة صفة للميعاد **﴿ساعة﴾** [مقدار اندك اززمان] **﴿ولا تستقدمون﴾** [الاستئخار: پس شدن. والاستقدام: پيش شدن] وفي هذا الجواب من المبالغة في التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستئخار في الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلاً.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أرباب الطلب واستعجالهم فيما وعدوهم من رتبة الثمرية يعني متى نصل إلى الكمال الذي بشرتمونا به وبقوله **﴿قل لكم﴾** إلى آخره يجيبهم كما أن لثمرة كل شجرة وقتاً معلوماً لإدراكها وبلوغها إلى كمالها كذلك لكل سالك وقت معلوم لبلوغه إلى رتبة كماله كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥] ولهذا السر قال تعالى مع حبيبه عليه السلام ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] هذا يشير إلى أن لنيل كل مقام صبراً مناسباً لذلك المقام كما أن النبي عليه السلام لما كان من أولي العزم من الرسل أمر بصبر أولي العزم من الرسل كما قال مولانا جلال الدين الرومي قدس سره:

صبر آرد آرزورانى شتاب   صبر كن والله أعلم بالصواب

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿وقال الذين كفروا﴾ أي: كفار قريش **﴿لن نؤمن بهذا القرآن﴾** الذي ينزل على محمد **﴿ولا بالذي بين يديه﴾** أي: ولا بما نزل قبله من الكتب القديمة الدالة على البعث كالتوراة والإنجيل. قال في «كشف الأسرار» [چشمى كه مستعمل شده مملكت شيطان باشد مارا چون شناسد. دلى كه ملوث تصرف ديو بود ازكجا جلال عزت قرآن بداند. دلى بايد بضمان امان وحرم كرم حق پناه يافته تا راه بر رسالت ونبوت ما برد. شمعى بايد بزلال اقبال ازل شسته تا جلال عزت قرآن اورا بخود راه دهد. ديده بايد از رمص كفر خلاص يافته واز خواب شهوت بيدارشده تا معجزات وآيات ما بيند ودريابد. اى جوانمرد هركه جمالى ندارد كه باسلطان نديمى كند چه كند تا كلخانيانرا حريقى نكند]:

در مصطبها هميشه فراشم من   شايسته صومعه كجا باشم من
هر چند قلندرى وقلاشم من   تخمى باميد درد مى پاشم من

﴿ولو ترى﴾ يا محمد أو يا من يليق بالخطاب **﴿إذ الظالمون﴾** المنكرون للبعث لأنهم ظلموا بأن وضعوا الإنكار موضع الإقرار **﴿موقوفون عند ربهم﴾** أي: محبوسون في موقف المحاسبة على أطراف أناملهم وجواب لو محذوف أي: لرأيت أمراً فظيعاً شنيعاً تقصر العبارة عن تصويره يعني: [هرآينه به بينى امرى صعب وكارى دشوار] وإنما دخلت لو على المضارع مع أنها للشرط في الماضي لتنزيله منزلة الماضي لأن المترقب في أخبار الله كالماضي المقطوع به في تحقق وقوعه أو لاستحضار صورة الرؤية ليشاهدها المخاطب **﴿يرجع بعضهم﴾** أي: يرد من رجع رجعاً بمعنى رد **﴿إلى بعض القول﴾** أي: يتحاورون ويتراجعون القول ويتجاذبون أطراف المجادلة وبالفارسية: [محاوره ميكنند سخن برهم ميكردانند وجواب ميكويند] ثم أبدل

منه قوله: ﴿يقول الذين استضعفوا﴾ [الاستضعاف: ضعيف شمردن] أي: يقول الاتباع الذين عدوا ضعفاء وقهروا وبالفارسية: [زبون وبيچاره كرفتكان] ﴿للذين استكبروا﴾ [سر كشى ميكردند دردنيا] أي: للرؤساء الذين بالغوا في الكبر والتعظم عن عبادة الله وقبول قوله المنزل على أنبيائه واستتبعوا الضعفاء في الغي والضلال ﴿لولا أنتم﴾ أي: لولا إضلالكم وصدكم لنا عن الإيمان ﴿لكنا مؤمنين﴾ أي: أنتم منعتمونا من الإيمان واتباع الرسول كأنه قيل فماذا قال الذين استكبروا فقيل:

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا﴾ منكرين لكونهم الصادين لهم عن الإيمان مثبتين ذلك لأنفسهم أي: المستضعفين ﴿أنحن﴾ [آياما] ﴿صددناكم﴾ منعناكم وصرفناكم ﴿عن الهدى﴾ [ازقبول ايمان وهدايت] ﴿بعد إذ جاءكم﴾ أي: الهدى أي: لم نصدكم عنه كقولك ما أنا أقلت هذا تريد لم أقله مع أنه مقول لغيري فإن دخول همزة الاستفهام الإنكاري على الضمير يفيد نفي الفعل عن المتكلم وثبوته لغيره كما قال: ﴿بل كنتم مجرمين﴾ في الإجرام فبسبب ذلك صددتم أنفسكم عن الإيمان وآثرتم التقليد وفي هذا تنبيه للكفار على أن طاعة بعضهم لبعض في الدنيا تصير سبب عداوة في الآخرة وتبري بعضهم من بعض.

﴿وقال الذين استضعفوا﴾ مجيبين ﴿للذين استكبروا﴾ عطف على الجملة الاستئنافية وإضراب على إضرابهم وإبطال له ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ المكر صرف الغير عما يقصده بحيلة أي: بل صدّنا مكركم بنا في الليل والنهار وحملكم إيانا على الشرك والأوزار فحذف المضاف إليه وأقيم مقامه الظرف اتساعاً يعني اتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقوله: «يا سارق الليلة أهل الدار» أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين مجازاً ﴿إذ تأمروننا﴾ ظرف للمكر أي: بل مكركم الدائم وقت أمركم لنا ﴿أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً﴾ نقول له شركاء على أن المراد بمكرهم إما نفس أمرهم بما ذكر كما في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠] فإن الجعلين المذكورين نعمة من الله أي: نعمة وإما أمور أخر مقارنة للأمر داعية إلى الامتثال به والترغيب والترهيب ونحو ذلك ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ الندامة التحسر في أمر فائت أي: أضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والإضلال حين ما نفعتهم الندامة وأخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعيير وهو بالفارسية: [سرزنش كردن] أو أظهروها فإنه من الأضداد إذ الهمزة تصلح للإثبات والسلب كما في أشكيته وهو المناسب لحالهم ﴿وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا﴾ يقال في رقبته غل من حديد أي: قيد وطوق وأصل الغل توسط الشيء ومنه الغل للماء الجاري خص بما يقيد به فيجعل الأعضاء وسطه كما في «المفردات» والمعنى: ونجعل الأغلال يوم القيامة في أعناق الذين كفروا بالحق لما جاءهم في الدنيا من التابعين والمتبوعين وإيراد المستقبل بلفظ الماضي من جهة تحقق وقوعه والإظهار في موضع الإضمار حيث لم يقل في أعناقهم للتنويه بذمهم

والتنبيه على موجب إغلالهم ﴿هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ أي: لا يجزون إلا جزاء ما كانوا يعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي وإلا بما كانوا يعملونه على نزع الجار فلما قيدوا أنفسهم في الدنيا ومنعوها عن الإيمان بتسويلات الشيطان الجني والإنسي جوزوا في الآخرة بالقيد. وفي الفروع وكره جعل الغل في عنق عبده لأنه عقوبة أهل النار. قال القهستاني: الغل الطوق من حديد الجامع لليد إلى العنق المانع عن تحرك الرأس انتهى وهو معتاد بين الظلمة. وقال الفقيه: إنه في زماننا جرت العادة بذلك إذا خيف من الأباق كما في «الكبرى». ولا يكره أن يجعل قيداً في رجل عبده لأنه سنة المسلمين في السفهاء وأهل الفساد فلا يكره في العبد إذ فيه تحرز عن أباقة وصيانة لماله وحل ربطه بالحبل ونحوه. قال في «نصاب الاحتساب»: وأما ما اعتاده أهل الحسبة في إطاقة السوقيين بعد تحقق جنايتهم وخيانتهم فأصله ما ذكر في أدب القاضي للخصاف أن شاهد الزور يطاق به أي: يجعل في عنقه الطوق وهو ما يقال له بالفارسية [تخته كله] ويجوز أن تكون الإطاقة بالفاء وذلك للتشهير بين الناس.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿وما أرسلنا في قرية﴾ من القرى بالفارسية: [نفرستاديم درهيچ ديهى وشهرى]. قال في «كشف الأسرار»: القرية المصر تقرى أهلها وتجمعهم ﴿من نذير﴾ نبي ينذر أهلها بالعذاب ﴿إلا قال مترفوها﴾ المترف كمكرم المتنعم والموسع العيش والنعمة من الترفة بالضم وهو التوسع في النعمة يقال أترفه نعمه وأترفته النعمة أطغته أي: قال رؤساء تلك القرية المتكبرون المتنعمون بالدنيا لرسلهم ﴿إنا بما أرسلتم به﴾ على زعمكم من التوحيد والإيمان ﴿كافرون﴾ منكرون على مقابلة الجمع بالجمع. وهذه الآية جاءت لتسلية النبي عليه السلام أي: يا محمد هذه سيرة أغنياء الأمم الماضية فلا يهمك أمر أكابر قومك فتخصيص المتنعمين بالتكذيب مع اشتراك الكل فيه إما لأنهم المتبوعون أو لأن الداعي المعظم إلى التكذيب والإنكار هو التنعم المستتبع للاستكبار.

﴿وقالوا﴾ أي: الكفار المترفون للفقراء المؤمنين فخراً بزخارف الدنيا وبما هو فتنة لهم ﴿نحن أكثر أموالاً وأولاداً﴾ منكم في الدنيا ﴿وما نحن بمعذبين﴾ في الآخرة على تقدير وقوعها لأن المكرم في الدنيا لا يهان في الآخرة.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿قل﴾ يا محمد رداً عليهم ﴿إن ربي يبسط الرزق﴾ ويوسعه ﴿لمن يشاء﴾ أن يبسطه له ويوسعه من مؤمن وكافر ﴿ويقدر﴾ أي: يضيق على من يشاء أن يقدره عليه ويضيقه من مؤمن وكافر حسب اقتضاء مشيئته المبنية على الحكم البالغة فلا ينقاس على ذلك أمر الثواب والعقاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها فليس في التوسيع دلالة على الإكرام كما أنه ليس في التضييق دلالة على الإهانة وفي الحديث: «الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر».

اديم زمين سفرهٔ عام اوست   برين خوان يغماچه دشمن چه دوست

﴿ولكن أكثر الناس﴾ وهم أهل الغفلة والخذلان ﴿لا يعلمون﴾ حكمة البسط والقدر

فيزعمون أن مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر هو الذل والهوان ولا يدرون أن الأول كثيراً ما يكون بطريق الاستدراج والثاني بطريق الابتلاء ورفع الدرجات قال الصائب:

نفس را بدخو بناز ونعمت دنيا مكن آب ونان سير كاهل ميكند مزدور را

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿وما﴾ [ونيست] ﴿أموالكم ولا أولادكم﴾ كلام مستأنف من جهته تعالى مبالغة في تحقيق الحق أي: وما جماعة أموالكم وأولادكم أيها الناس ﴿بالتي﴾ بالجماعة التي فان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث أو بالخصلة التي فيكون تأنيث الموصول باعتبار تأنيث الصفة المحذوفة ﴿تقربكم عندنا زلفى﴾ نصب مصدراً بتقربكم كأنبتكم من الأرض نباتاً والزلفى والزلفة والقربى والقربة بمعنى واحد. وقال الأخفش: زلفى اسم مصدر كأنه قال بالتي تقربكم عندنا تقريباً ﴿إلا من آمن وعمل صالحاً﴾ استثناء من مفعول تقربكم أي: وما الأموال والأولاد تقرب أحداً إلا المؤمن الصالح الذي أنفق أمواله في سبيل الله وعلم أولاده الخير ورباهم على الصلاح والطاعة أو من مبتدأ خبره ما بعده كما في «الكواشي» فيكون الاستثناء منقطعاً كما في «فتح الرحمٰن» ﴿فأولئك﴾ المؤمنون العاملون ثابت ﴿لهم جزاء الضعف﴾ على أن الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لأولئك وإضافة الجزاء إلى الضعف من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه أن يضاعف لهم الواحدة من حسناتهم عشراً فما فوقها إلى سبعمائة إلى ما لا يحصى ﴿بما عملوا﴾ بسبب ما عملوا من الصالحات ﴿وهم من الغرفات﴾ أي: غرفات الجنة وهي قصورها ومنازلها الرفيعة جمع غرفة وهي البيت فوق البناء يعني كل بناء يكون علواً فوق سفل ﴿آمنون﴾ من جميع المكاره والآفات كالموت والهرم والمرض والعدو وغير ذلك. وفي الآية إشارة إلى أنه لا تستحق الزلفى عند الله بالمال والأولاد مما زين للناس حبه وحب غير الله يوجب البعد عن الله كما قال ﷺ: «حبك الشيء يعمي ويصم» يعني يعميك عن رؤية غيره ويصمك عن دعوة غيره وهذا أمارة كمال البعد فإن كمال البعد يورث العمى والصمم ولكن من موجبات القربة الأعمال الصالحة والأحوال الصافية والأنفاس الزكية بل العناية السابقة والهداية اللاحقة والرعاية الصادقة فأهل هذه الأسباب هم أهل الدرجات والأمن من الهجران والقطيعة وأما المنقطعون عن هذه الأسباب المفتخرون بما لا ينفع يوم الحساب وهم أهل الغفلات والدعوى والترهات فلهم الدركات والخوف الغالب في جميع الحالات قال الصائب:

نميدانند أهل غفلت انجام شراب آخر بآتش مى روند اين غافلان ازراه آب آخر

قال ابراهيم بن أدهم قدس سره لرجل: أدرهم في المنام أحب إليك أم دينار في اليقظة قال: دينار في اليقظة فقال: كذبت لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في المنام والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في اليقظة. ودخل عمل بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ ذات يوم في داره فوجده في بيت منخفض السطح وقد أثر في جنبه الحصير فقال: ما هذا؟ قال: «يا عمر أما تأثير الحصير في جنبي فحبذا خشونة بعدها لين وأما السطح فسطح

القبر يكون أخفض من هذا فنحن تركنا الدنيا لأهلها وهم تركوا لنا الآخرة وما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ثم راح وتركها» فالعاقل من لم يغتر بزينة الدنيا ويسعى إلى مرضاة المولى.

هركه كوته كند بدنيا دست پر بر آرد چو جعفر طيار

فالأولى أن يأخذ الباقي ويترك الفاني.

- حكي - أن سلطاناً كان يحب واحداً من وزرائه أكثر من غيره فحسدوه وطعنوا فيه فأراد السلطان أن يظهر حقيقة الحال فأضافهم في دار مزينة بأنواع الزينة ثم قال: ليأخذ كل منكم ما أعجبه في الدار فأخذ كل منهم ما أعجبه من الجواهر والمتاع وأخذ الوزير المحسود السلطان وقال: ما أعجبني إلا أنت فالإنسان لم يجيء إلى هذه الدار المزينة إلا للامتحان فإنه كالعروس وهي لا تلتفت إلى ما ينثر عليها فإن التفتت فمن دناءة الهمة ونقصان العقل فاليوم يوم الفرصة وتدارك الزاد لسفر المعاد.

ازرباط تن چو بكذشتى دكر معموره نيست

زاد راهى برنمى دارى ازين منزل چرا

نسأل الله سبحانه أن يقطع رجاءنا من غيره مطلقاً ويجعل عزمنا إليه صدقاً وإقبالنا عليه حقاً.

﴿**والذين**﴾ هم كفار قريش ﴿**يسعون في آياتنا**﴾ القرآنية بالرد والطعن فيها ويجتهدون في إبطالها حال كونهم ﴿**معاجزين**﴾ ظانين أنهم يعجزوننا ويفوتوننا فلا يكون لهم مؤاخذة بمقابلة ذلك. قال في «تاج المصادر» [المعاجزة: بركسى پيشى كرفتن در كارى] وقد سبق في أوائل السورة ﴿**أولئك في العذاب محضرون**﴾ من الإحضار وهو بالفارسية: [حاضر كردن] أي: مدخلون لا يغيبون عنه ولا ينفعهم ما اعتمدوا عليه.

وفي «التأويلات النجمية»: هم الذين لا يحترمون الأنبياء والأولياء ولا يرعون حق الله في السر فهم في عذاب الاعتراض عليهم وعذاب الوقوع بشؤم ذلك في ارتكاب محارم الله ثم في عذاب السقوط من عين الحق، وفي «المثنوي»:

چون خدا خواهدكه پرده كس درد ميلش اندر طعنه پاكان برد

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿**قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده**﴾ أي: يوسعه عليه تارة ﴿**ويقدر له**﴾ أي: يضيقه عليه تارة أخرى ابتلاء وحكمة فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرار ﴿**وما أنفقتم من شيء**﴾ ما موصولة بمعنى الذي وبالفارسية: [آنچه] مبتدأ خبره قوله ﴿**فهو يخلفه**﴾ أو شرطية بمعنى أي: شيء وبالفارسية: [هرچه] نصب بقوله انفقتم ومن شيء بيان له وجواب الشرط قوله فهو يخلفه [والإنفاق: نفقه كردن] يقال نفق الشيء مضى ونفد إما بالبيع نحو نفق البيع نفاقاً وإما بالموت نحو نفقت الدابة نفوقاً وإما بالفناء نحو نفقت الدراهم تنفق وأنفقتها [والإخلاف: بدل بازدادن ازمال وفرزند] يقال اخلف الله له وعليه إذا أبدل له ما ذهب عنه والمعنى الذي أو أي: شيء أنفقتم في طاعة الله وطريق الخير والبر

فالله تعالى يعطي خلفاً له وعوضاً منه إما في الدنيا بالمال أو بالقناعة التي هي كنز لا يفنى وإما في الآخرة بالثواب والنعيم أو فيهما جميعاً فلا تخشوا الفقر وانفقوا في سبيل الله وتعرضوا لالطاف الله عاجلاً أو آجلاً.

وفي «التأويلات النجمية»: وما أنفقتم من شيء من الموجودات أو الوجود فهو يخلفه من الموجود الفاني بالموجود الباقي ومن الوجود المجازي بالوجود الحقيقي فمن الخلف في الدنيا الرضى بالعدم والفقر صورة ومعنى وهو أتم من السرور بالموجود والوجود.

افتد همای دولت اكر دركمندما ازهمت بلند رها ميكنيم ما

﴿وهو خير الرازقين﴾ أي: خير من أعطى الرزق فإن غيره كالسلطان والسيد والرجل بالنسبة إلى جنده وعبده وعياله واسطة في إيصال رزقه ولا حقيقة لرازقيته والله تعالى يعطي الكل من خزائن لا تفنى.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه خير المنفقين لأن خيرية المنفق بقدر خيرية النفقة فما ينفق كل منفق في النفقة فهو فان وما ينفق الله من نفقة ليخلفه بها فهي باقية والباقيات خير من الفانيات انتهى. قال في «بحر العلوم» لما كانت إقامة مصالح العباد من أجل الطاعات وأشرف العبادات لأنها من وظيفة الأنبياء والصالحين دلهم الله في الآية على طرف منها حثاً عليها كما قال عليه السلام حثاً لأمته عليها: «الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله» قال العسكري: هذا على التوسع والمجاز كأن الله تعالى لما كان المتضمن لأرزاق العباد والكافل بها كان الخلق كالعيال له وفي الحديث: «إن لله أملاكاً خلقهم كيف يشاء وصورهم على ما يشاء تحت عرشه ألهمهم أن ينادوا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في كل يوم مرتين ألا من وسع على عياله وجيرانه وسع الله عليه في الدنيا والآخرة ألا من ضيق ضيق الله عليه ألا إن الله قد أعطاكم لنفقة درهم على عيالكم خير من سبعين قنطاراً» والقنطار كجبل أحد وزناً «أنفقوا ولا تخشوا ولا تضيقوا ولا تقتروا وليكن أكثر نفقتكم يوم الجمعة» وفي الحديث: «كل معروف صدقة» وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له به صدقة وما وقى الرجل به عرضه كتب له به صدقة» ومعنى كل معروف صدقة أن الإنفاق لا ينحصر في المال بل يتناول كل بر من الأموال والأقوال والأفعال والعلوم والمعارف وإنفاق الواصلين إلى التوحيد الحقاني والمعرفة الذاتية أفضل وأشرف لأن نفع الأموال للأجساد ونفع المعارف للقلوب والأرواح ومعنى ما وقى به عرضه ما أعطى الشاعر وذا اللسان المتقي وفي الحديث: «إن لكل يوم نحسا فادفعوا نحس ذلك اليوم بالصدقة» وفي الحديث: «ينادي منادٍ كل ليلة لا دواء للموت وينادي آخر ابنوا للخراب وينادي منادٍ هب للمنفق خلفاً وينادي مناد هب للممسك تلفاً» قال الحافظ:

أحوال كنج قارون كايام داد برباد باغنچه باز كويد تازرنهان ندارد

وفي المثنوي:

آن درم دادن سخى را لايقست جان سپردن خودسخاى عاشقست
نان دهى ازبهر حق نانت دهند جان دهى از بهر حق جانت دهند
هركه كارد كردد انبارش تهى ليكش اندر مزرعه باشد بهى
وانكه در انبار ماند وصرفه كرد اشپش وموش وحوادثهاش خورد
جمله در بازار زان كشتند بند تاچه سود افتاد مال خود دهند

وفي الحديث «يؤجر ابن آدم في نفقته كلها إلا شيئاً وضعه في الماء والطين». قال حضرة الشيخ صدر الدين القنوي في شرح هذا الحديث: اعلم أن صور الأعمال أعراض جواهرها مقاصد العمال وعلومهم واعتقاداتهم ومتعلقات هممهم وهذا الحديث وإن كان من حيث الصيغة مطلقاً فالأحوال والقرائن تخصصه وذلك أن بناء المساجد والرباطات ومواضع العبادات يؤجر الباني لها عليها بلا خلاف فالمراد بالمذكور هنا إنما هو البناء الذي لم يقصد صاحبه إلا التنزه والانفساح والاستراحة والرياء والسمعة وإذا كان كذلك فمطمح همة الباني ومقصده لا يتجاوز هذا العالم فلا يكون لبنائه ثمرة ونتيجة في الآخرة لأنه لم يقصد بما فعله أمراً وراء هذه الدار فأفعاله أعراض زائلة لا موجب لتعديها من هنا إلى الآخرة فلا أثمار لها فلا أجر انتهى.

اعلم أن العلماء تكلموا في الإنفاق والظاهر أنه بحسب طبقات الناس. فمنهم من ينفق جميع ما ملكه توكلاً على الله تعالى كما فعله الصديق لقوة يقينه. ومنهم من ينفق بعضه ويمسك بعضه لا للتنعم بل للإنفاق وقت الحاجة. ومنهم من يقتصر على أداء الواجب. قال الغزالي رحمه الله: الاكتفاء بمجرد الواجب حد البخلاء فلا بد من زيادة عليه لو شئت يسيراً فبين هذه الطبقات تفاوت في الدرجات وقد أسلفنا الكلام على الإنفاق في أواخر سورة الفرقان فارجع إليه واعتمد عليه جعلنا الله وإياكم من أهل البذل والإحسان بلا إمساك وادّخار وأخلف خيراً مما أنفقنا فإن خزائنه لا تفنى وبحر جوده زخار وهو المعطي المفيض كل ليل ونهار.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾.

﴿ويوم يحشرهم﴾ أي: واذكر يا محمد لقومك يوم يحشر الله أي: يجمع المستكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله حال كونهم ﴿جميعاً﴾ مجتمعين لا يشذ أحد منهم. وقال بعضهم: هؤلاء المحشورون بنوا مليح من خزاعة كانوا يعبدون الملائكة ويزعمون أنهم بنات الله لذلك سترهم. فإن قلت: لِمَ لم يقولوا ذلك في حق الجن مع أنهم مستورون أيضاً عن أعين الناس؟ قلت: لأن الملائكة سماوية والجن أرضية وهم اعتقدوا أن الله تعالى في السماء ﴿ثم يقول للملائكة﴾ توبيخاً للمشركين العابدين وإقناطاً لهم من شفاعتهم كما زعموا ﴿أهؤلاء﴾ أي: الكفار وبالفارسية: [آيا اين كروه اندكه] ﴿إياكم كانوا يعبدون﴾ في الدنيا وإياكم نصب بيعبدون وتخصيص الملائكة لأنهم أشرف شركائهم بطريق الأولوية.

﴿قالوا﴾ متنزهين عن ذلك وهو استئناف بياني ﴿سبحانك﴾ تنزيهاً لك عن الشرك. وفي «كشف الأسرار» [پاكى ترا است از آنكه غير ترا پرستند] ﴿أنت ولينا﴾ الولي خلاف العدو أي: أنت الذي نواليه ﴿من دونهم﴾ [بجزمشركان يعني ميان ايشان هيچ دوستى نيست وحاشاكه بپرستش ايشان رضا داده باشيم] ثم اضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم حقيقة بقولهم: ﴿بل كانوا﴾ من جهلهم وغوايتهم ﴿يعبدون الجن﴾ أي: الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله وقيل: كانوا يتمثلون لهم ويتخيلون أنهم الملائكة فيعبدونهم وعبر عن الشياطين بالجن لاستتارهم عن الحواس ولذا أطلقه بعضهم على الملائكة أيضاً ﴿أكثرهم﴾ الأكثر هٰهنا بمعنى الكل والضمير للمشركين كما هو الظاهر من السوق أي: كل المشركين. وقال بعضهم: الضمير للإنس والأكثر بمعناه أي: أكثر الإنس ﴿بهم﴾ أي: الجن وبقولهم الكذب الملائكة

بنات الله ﴿مؤمنون﴾ مصدقون ومتابعون ويغترون بما يلقون إليهم من أنهم يشفعون لهم.

وفي الآية: إشارة إلى أنه كما يعبد قوم الملائكة بقول الشيطان وتتبرأ الملائكة منهم يوم القيامة كذلك من يعبد الله بقول الوالدين أو الاستاذين أو أهل بلده أو بالتعصب والهوى كما يعبده اليهود والنصارى والصابئون والمجوس وأهل البدع والأهواء يتبرأ الله منه ويقول: أنا بريء من أن أعبد بقول الغير وبقول من يعبدني بالهوى أو بإعانة أهل الهوى فإن من عبدني بالهوى فقد عبد الهوى ومن عبدني بإعانة أهل الهوى إياه على أن يعبدني فقد عبد أهل الهوى لأنه ما عبدني مخلصاً كما أمرته ولهذا المعنى أمرنا الله أن نقول في عبادته في الصلاة إياك نعبد أي: لم نعبد غيرك وإياك نستعين على عبادتك بإعانتك لا بإعانة غيرك وبقوله: ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ يشير إلى أن أكثر مدعي الإسلام بأهل الهوى مؤمنون أي: بتقليدهم وتصديقهم فيما ينتمون إليه من البدع والاعتقاد السوء كذا في «التأويلات النجمية»، قال الصائب:

چه قدر راه بتقليد توان پيمودن رشته كوتاه بود مرغ نو آموخته را

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿فاليوم﴾ أي: يوم الحشر ﴿لا يملك﴾ [الملك بالحركات الثلاث: خداوند شدن] ﴿بعضكم﴾ يعني المعبودين ﴿لبعض﴾ يعني العابدين ﴿نفعاً﴾ بالشفاعة ﴿ولا ضراً﴾ أي: دفع ضر وهو العذاب على تقدير المضاف إذ الأمر فيه كله لله لأن الدار دار جزاء ولا يجازي الخلق أحد غير الله. قال في «الإرشاد» تقييد هذا الحكم بذلك اليوم مع ثبوته على الإطلاق لانعقاد رجائهم على تحقيق النفع يومئذٍ وهذا الكلام من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبري مما نسب إليهم الكفرة يخاطبون على رؤوس الإشهاد إظهاراً لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم وتنصيصاً على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء ليست لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة فإنه محقق أجابوا بذلك أم لا بل لترتيب الإخبار به عليه ﴿ونقول﴾ في الآخرة ﴿للذين ظلموا﴾ أنفسهم بالكفر والتكذيب فوضعوهما موضع اللإيمان والتصديق وهو عطف على يقول للملائكة لا على يملك كما قيل لأنه مما يقال يوم القيامة خطاباً للملائكة مترتباً على جوابهم المحكي وهذا حكاية لرسول الله ﷺ لما سيقال للعبدة يومئذٍ أثر حكاية ما سيقال للملائكة ﴿ذوقوا﴾ الذوق في الأصل وإن كان فيما يقل تناوله كالأكل فيما يكثر تناوله إلا أنه مستصلح للكثير ﴿عذاب النار التي كنتم﴾ في الدنيا ﴿بها﴾ متعلق بقوله: ﴿تكذبون﴾ وتصرون على القول بأنها غير كائنة فقد وردتموها وبطل ظنكم ودعواكم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من علق قلبه بالأغيار وظن صلاح حاله من الاحتيال والاستعانة بالأمثال والأشكال نزع الله الرحمة من قلوبهم فتتركهم وتشوش أحوالهم فلا لهم من الأشكال والأمثال معونة ولا لهم من عقولهم في أمورهم استبصار ولا إلى الله رجوع إلا في الدنيا فإن رجعوا إليه في الآخرة لا يرحمهم ولا يجيبهم ويذيقهم عذاب نار البعد والقطيعة لكونهم ظالمين أي: عابدين غير الله تعالى [احمد حرب كفت خداى تعالى خلق را آفريده تا اورا بيكانكى شتاسند وشريك نسازند ورزق داد تااورا برزاقى بدانند وميراند تااورا بقهارى شناسند «ألا ترى أن الموت يذل الجبابرة ويقهر الفراعنة» وزنده كردانيد تا اورا بقادري

بدانند چونكه قادر مطلق اوست انسان ببايدكه عجز خودرا بداند وعدم طاقت اودر زيربار قهرش شناسند ورجوع كند باختيار نه باضطرار وازحق شناسد توفيق هركار].

نكشود صائب ازمدد خلق هيچ كار از خلق روى خود بخدا مى كنيم ما

اعلم أن من عبد الجن وأطاع الشيطان فيما شاء وهو زوال دينه يكون عذابه في التأبيد كعذاب إبليس ومن أطاع النفس فيما شاءت وهي المعصية يكون عذابه على الانقطاع ومن أطاع الهوى فيما شاء وهو الشهوات يكون له شدة الحساب من أجاب إبليس ذهب عنه المولى ومن أجاب النفس ذهب عنه الورع ومن أجاب الهوى ذهب عنه العقل. وكان يحيى عليه السلام مع جلالة قدره وعدم همه بخطيئة يخاف من عذاب النار ويبكي في الليل والنهار والغافل كيف يأمن من سلب الإيمان مع كثرة العصيان وله عدو مثل الشيطان فلا بد من التوبة عن الميل إلى غير الله تعالى في جميع الأحوال والتضرع والبكاء في البكر والآصال لتحصل النجاة من النيران والفوز بدرجات الجنان والتنعم بنعيم القرب وشهود الرحمٰن.

زپشت آينه روى مراد نتوان ديد تراكه روى بخلق است ازخداچه خبر

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿وإذا تتلى﴾ أي: تقرأ قراءة متتابعة بلسان الرسول عليه السلام ﴿عليهم﴾ أي: على مشركي مكة ﴿آياتنا﴾ القرآنية حال كونها ﴿بينات﴾ واضحات الدلالة على حقية التوحيد وبطلان الشرك ﴿قالوا﴾ مشيرين إلى النبي عليه السلام ﴿ما هذا إلا رجل﴾ تنكيره للتهكم والتلهي وإلا فرسول الله كان علماً مشهوراً بينهم ﴿يريد أن يصدكم﴾ أي: يمنعكم ويصرفكم ﴿عما كان يعبد آباؤكم﴾ من الأصنام منذ أزمنة متطاولة فيستتبعكم بما يستبدعه من غير أن يكون هناك دين إلهي يعني: [مدعاى او آنست كه شما ازبت پرستيدن منع كند وبدين وآيين كه احداث كرده در آورد وتابع خود سازد] وإضافة الآباء إلى المخاطبين لا إلى أنفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد ﴿وقالوا ما هذا﴾ القرآن ﴿إلا إفك﴾ كلام مصروف عن جهته لعدم مطابقة ما فيه من التوحيد والبعث الواقع ﴿مفترى﴾ بإسناده إلى الله تعالى والافتراء الكذب عمداً قالوه عناداً ومكابرة وإلا فقد قال كبيرهم عتبة بن ربيعة والله ما هو شعر ولا كهانة ولا سحر ﴿وقال الذين كفروا للحق﴾ أي: للقرآن على أن العطف لاختلاف العنوان بأن يراد بالأول معناه وبالثاني نظمه المعجز ووضع المظهر موضع المضمر إظهاراً للغضب عليهم ودلالة على أن هذا لا يجترىء عليه إلا المتمادين في الكفر المنهمكون في الغي والباطل ﴿لما جاءهم﴾ من الله تعالى ومعنى التوقع في لما أنهم كذبوا به وجحدوه على البديهة ساعة أتاهم وأول ما سمعوه قبل التدبر والتأمل ﴿إن﴾ بمعنى ما النافية ﴿هذا إلا سحر مبين﴾ ظاهر سحريته لا شبهة فيه. والسحر من سحر يسحر إذا خدع أحداً وجعله مدهوشاً متحيراً وهذا إنما يكون بأن يفعل الساحر شيئاً يعجز عن فعله وإدراكه المسحور عليه كما في «شرح الأمالي». وقال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في «الفتوحات المكية»: السحر مأخوذ من السحر وهو ما بين الفجر الأول والفجر الثاني واختلاطته وحقيقته اختلاط الضوء والظلمة فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح ولا هو بنهار لعدم طلوع

الشمس للأبصار فكذلك ما فعله السحرة ما هو باطل محقق فيكون عدماً فإن العين أدركت أمراً ما لا تشك فيه ولا هو حق محض فيكون له وجود في عينه فإنه ليس هو في نفسه كما تشهد العين ويظنه الرائي انتهى. قال الشيخ الشعراني في الكبريت الأحمر: هو كلام نفيس ما سمعنا مثله قط.

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿وما آتيناهم﴾ أي: مشركي مكة ﴿من كتب﴾ أي: كتباً فإن من الاستغراقية داخلة على المفعول لتأكيد النفي ﴿يدرسونها﴾ يقرأونها فيها دليل على صحة الإشراك كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الروم: ٣٥] وقوله: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الزخرف: ٢١] وفي إيراد كتب بصيغة الجمع تنبيه على أنه لا بد لمثل تلك الشبهة من نظائر الأدلة والدرس قراءة الكتاب بإمعان النظر فيه طلباً لذلك معناه والتدريس تكرير الدرس. قال الراغب في «المفردات»: درس الشيء معناه بقي أثره وبقاء الأثر يقتضي إنمحاءه في نفسه ولذلك فسر الدروس بالانمحاء وكذا درس الكتاب ودرست العلم تناولت أثره بالحفظ ولما كان تناول ذلك بمداومة القراءة عبر عن إدامة القراءة بالدرس ﴿وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ يدعوهم إلى الشرك وينذرهم بالعقاب على تركه وقد بان من قبل أن لا وجه له بوجه من الوجوه فمن أين ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهو تجهيل لهم وتسفيه لآرائهم ثم هددهم بقوله:

﴿وكذب الذين من قبلهم﴾ من الأمم المتقدمة والقرون الماضية كما كذب قومك من قريش ﴿وما بلغوا﴾ [ونرسيدند قريش ومشركان مكه] ﴿معشار ما آتيناهم﴾ أي: عشر ما آتينا أولئك من قوة الأجسام وكثرة الأموال والأولاد وطول الأعمار. فالمعشار بمعنى العشر كالمرباع بمعنى الربع. قال الواحدي: المعشار والعشير والعشر جزء من العشرة وقيل المعشار عشر العشر ﴿فكذبوا رسلي﴾ عطف على وكذب الذين الخ بطريق التفصيل والتفسير كقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ [القمر: ٩] الخ ﴿فكيف كان نكير﴾ أي: إنكاري لهم بالاستئصال والتدمير فأي شيء خطر هؤلاء بجنب أولئك فليحذروا من مثل ذلك وبالفارسية: [پس چه كونه بودنا بسند من ايشانرا وعذاب دادن]. وفي الآية إشارة إلى أن صاحب النظر إذا دل الناس على الله ودعاهم إليه قال أخدانهم السوء وإخوانهم الجهلة وأعوانهم الغفلة من الأقارب وأبناء الدنيا وربما كان ذلك من العلماء السوء الذين أسكرتهم محبة الدنيا وقال ﷺ فيهم: «أولئك قطاع الطريق على العباد» هذا رجل يريد اصطيادكم واستتباعكم لتكونوا من أتباعه وأعوانه ومريديه ويصدكم عن مذاهبكم ويطمع في أموالكم ومن ذا الذي يطيق أن يترك الدنيا بالكلية وينقطع عن أقاربه وأهاليه ويضيع أولاده ويعق والديه وليس هذا طريق الحق وإنك لا تتمم هذا الأمر ولا بد لك من الدنيا ما دمت تعيش وأمثال هذا حتى يميل ذلك المسكين عن قبول النصح في الإقبال على الله والإعراض عن الدنيا وربما كان هذا من خواطره الدنية وهواجس نفسه الردية فيهلك ويضل كما هلكوا وضلوا فليعتبر الطالب بمن كان قبله من منكري المشايخ ومكذبي الورثة ما كان عاقبة أمرهم إلا الحرمان في الدنيا من مراتب الدين والعذاب

في الآخرة بنار القطيعة وليحذر من الاستماع إلى العائقين له عن طريق العاشقين فإنهم أعداء له في صورة الأحباب وفي المثنوي:

آدمي را دشمن پنهان بسيست ... آدمي باحذر عاقل كسيست

قال المولى الجامي في «درة التاج»:

چون سكندر بقصد آب حيات ... كرد عزم عبور بر ظلمات
بزميني رسيد پهن وفراخ ... راند خيل وحشم دران كستاخ
هركجا مى شد از يسار ويمين ... بود پر سنكريزه روى زمين
كرد روى سخن بسوى سپاه ... كاى همه كرده كم زظلمت راه
اين همه كو هراست بى شك وريب ... كيسه تان پركنيد ودا من وجيب
هركرا بود شك در اسكندر ... آن حكايت نيامدش باور
كفت در زير نعل لعل كه ديد ... درّ وكوهر بر هكذر كه شنيد
وانكه آيينهٔ سكندر بود ... سرّ جانش درو مصوّر بود
هرچه ازوى شنيد باورداشت ... آنچه مقدور بودازان برداشت
چون بريدند راه تاريكى ... تافت خورشيد شان ز نزديكى
آن يكى دست ميكزيد كه چون ... زين كهر بر نداشتم افزون
وان دكر خون همى كريست كه آه ... بر سكندر نكردمى انكار
تا نيفتادمى ازان تقصير ... در حجاب وخجالت وتشوير

فقس عليه مصدّق القرآن ومكذبه.

﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿**قل إنما أعظكم بواحدة**﴾ الوعظ زجر يقترن به تخويف. وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب والعظة والموعظة الاسم أي: ما أنشدكم وأنصح لكم إلا بخصلة واحدة هي ﴿**أن تقوموا**﴾ من مجلس رسول الله ﷺ وتتفرقوا من مجمعكم عنده فالقيام على حقيقته بمعنى القيام على الرجلين ضد الجلوس ويجوز أن يكون بمعنى القيام بالأمر والاهتمام بطلب الحق ﴿**لله**﴾ لأجله تعالى ورضاه لا للمراء والرياء والتقليد حال كونكم متفرقين ﴿**مثنى**﴾ اثنين اثنين ﴿**وفرادى**﴾ واحداً واحداً. قال الراغب: الفرد الذي لا يختلط به غيره فهو أعم من الوتر وأخص من الواحد وجمعه فرادى انتهى. وفي «المختار» الفرد الوتر وجمعه أفراد وفرادى بالضم على غير القياس كأنه جمع فردان ﴿**ثم تتفكروا**﴾ التفكر طلب المعنى بالقلب يعني: [تفكرجست وجودى دلست در طلب معنى] أي: تتفكروا في أمره ﷺ فتعلموا ﴿**ما**﴾ نافية ﴿**بصاحبكم**﴾ المراد الرسول عليه السلام ﴿**من جنة**﴾ أي: جنون يحمله على دعوى النبوة العامة كما ظننتم وفائدة التقييد بالاثنين والفرادى أن الاثنين إذا التجئا إلى الله تعالى وبحثا طلباً للحق مع الإنصاف هديا إليه وكذا الواحد إذا تفكر في نفسه مجرداً عن الهوى بخلاف كثرة الجمع فإنه يقل فيها الإنصاف غالباً ويكثر الخلاف غبار الغضب ولا يسمع إلا نصرة المذهب.

وفي تقديم مثنى إيذان بأنه أوفق وأقرب من الاطمئنان فإن الاثنين إذا قعدا بطريق المشاورة في شأن الرسول عليه السلام وصحة نبوته من غير هوى وعصبية وعرض كل منهما محصول فكره على الآخر أدى النظر الصحيح إلى التصديق ويحصل العلم عن العلم. وفي «الفتوحات المكية» قدس الله سر صاحبها الواحدة أن يقوم الواعظ من أجل الله إما غيرة وإما تعظيماً وقوله: ﴿مثنى﴾ أي: بالله ورسوله فإنه من أطاع الرسول فقد أطاع الله فيقوم صاحب هذا المقام بكتاب الله وسنة رسوله لا عن هوى نفس ولا تعظيم كوني ولا غيرة نفسية وقوله: ﴿وفرادى﴾ أي: بالله خاصة أو برسوله خاصة انتهى هذا إذا علقت ﴿ما بصاحبكم﴾ بمحذوف كما قدر فلا يوقف إذاً على تتفكروا ويجوز أن يكون الوقف تاماً عند تتفكروا على معنى ثم تتفكروا في أمره عليه السلام وما جاء به لتعلموا حقيقته فقوله: ﴿ما بصاحبكم من جنة﴾ استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بأن مثل هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصدى لادعائه إلا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه أو مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه وإذ قد علمتم أنه عليه السلام أرجح العالمين عقلاً وأصدقهم قولاً وأنزههم نفساً وأفضلهم علماً وأحسنهم عملاً وأجمعهم للكمالات البشرية وجب أن تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم إلى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ﴿إن﴾ ما ﴿هو﴾ صاحبكم ﴿إلا نذير لكم﴾ مخوف لكم بلسان ينطق بالحق ﴿بين يدي عذاب شديد﴾ أي: قدام عذاب الآخرة إن عصيتموه لأنه مبعوث في نسم الساعة أي: أولها وقربها وذلك لأن النسم النفس ومن قرب منك يصل إليك نفسه.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿بين يدي عذاب شديد﴾ في الدنيا والآخرة لينجيكم منه والعذاب الشديد الجهل والنكرة والجحود والإنكار والطرد واللعن من الله تعالى وفي الآخرة الحسرة والندامة والخجلة عند السؤال. وفي بعض الأخبار: أنه عذاب من يسألهم الحق فيقع عليهم من الخجل ما يقولون عنده عذبنا يا ربنا بما شئت من أنواع العقوبة ولا تعذبنا بهذا السؤال.

﴿قل ما﴾ أي: شيء ﴿سألتكم من أجر﴾ جعل على تبليغ الرسالة ﴿فهو لكم﴾ والمراد نفي السؤال رأساً يعني: [هيچ أجرى نخواهم] كقول من قال لمن لم يعطه شيئاً أن أعطيتني شيئاً فخذه. وقال بعضهم لما نزل قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] قال عليه السلام لمشركي مكة «لا تؤذوني في قرابتي» فكفوا عن ذلك فلما سب آلهتهم قالوا: لن ينصفنا يسألنا أن لا نؤذيه في قرابته وهو يؤذينا بذكر آلهتنا بسوء فنزل ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم﴾ إن شئتم آذوهم وإن شئتم امتنعوا ﴿إن أجري﴾ أي: ما أجري وثوابي ﴿إلا على الله﴾ فإنما أطلب ثواب الله لا عرض الدنيا ﴿وهو على كل شيء شهيد﴾ مطلع يعلم صدقي وخلوصي نيتي. وفيه إشارة إلى أنه من شرط دعوة الخلق إلى الله أن تكون خالصة لوجه الله لا يشوبها طمع في الدنيا والآخرة، قال الشيخ سعدي قدس سره:

زيان ميكند مرد تفسير دان ... كه علم وأدب ميفروشد بنان

كجا عقل با شرع فتوى دهد ... كه اهل خرد دين بدنيا دهد

قال الإمام الزروقي: الشهيد هو الحاضر الذي لا يغيب عنه معلوم ولا مرئي ولا مسموع ومنه عرف أن الشهيد عبد حافظ على المراقبة واتقى بعلمه ومشاهدته على غيره.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿قل إن ربي يقذف بالحق﴾ القذف الرمي البعيد بنحو الحجارة والسهم ويستعار لمعنى الإلقاء والباء للتعدية أي: يلقي الوحي وينزله على من يجتبيه من عباده فالاجتباء ليس لعلة والاصطفاء ليس لحيلة أو يرمي به الباطل فيدمغه ويزيله **﴿عالم الغيوب﴾** بالرفع صفة محمولة على محل أن واسمها أو بدل من المستكن في يقذف أو خبر ثان لأن أي: عالم بطريق المبالغة بكل ما غاب عن خلقه في السموات والأرض قولاً كان أو فعلاً أو غيرهما. قال بعض الكبار: من أدمن ذكر يا علام الغيوب إلى أن يغلب عليه منه حال فإنه يتكلم بالمغيبات ويكشف ما في الضمائر وتترقى روحه إلى العالم العلوي ويتحدث بأمور الكائنات والحوادث. وأيضاً هو نافع لقوة الحفظ وزوال النسيان.

وفي «التأويلات»: إنما ذكر الغيوب بلفظ الجمع لأنه عالم بغيب كل أحد وهو ما في ضمير كل أحد وأنه تعالى عالم بما يكون في ضمير أولاد كل أحد إلى يوم القيامة وإنما قال علام بلفظ المبالغة ليتناول علم معلومات الغيوب في الحالات المختلفة كما هي بلا تغير في العلم عند تغير المعلومات من حال إلى حال بحيث لا يشغله شأن حال عن حال.

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿قل جاء الحق﴾ أي: الإسلام والتوحيد **﴿وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾** ابدأ الشيء فعله ابتداء [والإعادة: باز كردانيدن] والمعنى زال الشرك وذهب بحيث لم يبق أثره أصلاً مأخوذ من هلاك الحي فإنه إذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة فجعل مثلاً في الهلاك بالكلية.

ـ روى ـ ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي عليه السلام دخل مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد».

﴿قل إن ضللت﴾ عن الطريق الحق كما تزعمون وتقولون لقد ضللت حين تركت دين آبائك **﴿فإنما أضل على نفسي﴾** فإن وبال ضلالي عليها لأنه بسببها إذ هي الحاملة عليه بالذات والأمارة بالسوء وبهذا الاعتبار قوبل الشرطية بقوله: **﴿وإن اهتديت﴾** إلى الطريق الحق **﴿فبما يوحي﴾** فبسبب ما يوحي **﴿إليّ ربي﴾** من الحكمة والبيان فإن الاهتداء بتوفيقه وهدايته. وفيه إشارة إلى منشأ الضلالة نفس الإنسان فإذا وكلت النفس إلى طبعها لا يتولد منها إلا الضلالة وإن الهداية من مواهب الحق تعالى ليست النفس منشأها ولذلك قال تعالى ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضحى: ٧] **﴿إنه﴾** تعالى **﴿سميع قريب﴾** يعلم قول كل من المهتدي والضال وفعله وإن بالغ في إخفائهما. قال بعض: الكبار سميع بمنطق كل ناطق قريب لكل شيء وإن كان بعيداً منه:

دوست نزديكتر از من بمن است ... وين عجبتر كه من ازوى دورم
چه كنم باكه توان كفت كه او ... در كنار من ومن مهجورم

قال بعضهم: السميع هو الذي انكشف كل موجود لصفة سمعه فكان مدركاً لكل مسموع من كلام. وغيره وخاصية هذا الاسم إجابة الدعاء فمن قرأه يوم الخميس خمسمائة مرة كان

مجاب الدعوة وقرب الله من العبد بمعنى أنه عند ظنه كما قال: «أنا عند ظن عبدي بي». وقال بعضهم: هو قريب من الكل لظهوره على العموم وإن لم يره إلا أهل الخصوص لأنه لا بد للرؤية من إزالة كل شيء معترض وحائل وهي حجب العبد المضافة إلى نفسه. وسئل الجنيد عن قرب الله من العبد فقال: هو قريب لا بالاجتماع بعيد لا بالافتراق وقال القرب يورث الحياء ولذا قال بعضهم:

نعره كمتر زن كه نزديكست يار

يشير إلى حال أهل الشهود فإنهم يراعون الأدب مع الله في كل حال فلا يصيحون كما لا يصيح القريب للقريب وأما أهل الحجاب فلهم ذلك لأن قربهم بالهم لا بالشهود وكم من فرق بينهما. وفي الآية إشارة إلى أنه لا يصير المرء ضالاً بتضليل الآخرة إياه فإن الضال في الحقيقة من خلق الله فيه الضلالة بسبب إعراضه عن الهدى كما أنه لا يكون كافراً بإكفار الغير إياه فإن الكافر في الحقيقة من قبل الكفر وأعرض عن الإيمان وإلى أنه لا تزر وازرة وزر أخرى وأن كل شاة معلقة برجلها أي: كل واحد مجزي بعمله لا بعمل غيره فالصالح مجزي بأعماله الصالحة وأخلاقه الحسنة ولا ضرر له من الأعمال القبيحة لغيره وكذا الفاسق مجزي بعمله السوء ولا نفع له من صالحات غيره:

هركه او نيك ميكند يابد نيك وبد هرچه ميكند يابد

وقيل للنابغة حين أسلم أصبوت يعني آمنت بمحمد قال: بلى غلبني بثلاث آيات من كتاب الله فأردت أن أقول ثلاثة أبيات من الشعر على قافيتها فلما سمعت هذه الآية تعبت فيها ولم أطق فعلمت أنه ليس من كلام البشر وهي هذه ﴿**قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب**﴾ إلى قوله: ﴿**إنه سميع قريب**﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿**ولو ترى**﴾ يا محمد أو يا من يفهم الخطاب ويليق به ﴿**إذ فزعوا**﴾ أي: حين يفزع الكفار ويخافون عند الموت أو البعث أو يوم بدر وجواب لو محذوف أي: لرأيت أمراً هائلاً وجيء بالماضي لأن المستقبل بالنسبة إلى الله تعالى كالماضي في تحققه وعن ابن عباس رضي الله عنه عنهما أن ثمانين ألفاً وهم السفياني وقومه يخرجون في آخر الزمان فيقصدون الكعبة ليخربوها فإذا دخلوا البيداء وهي أرض ملساء بين الحرمين كما في «القاموس» خسف بهم فلا ينجو منهم إلا السريّ الذي يخبر عنهم وهو جهينة فلذلك قيل عند جهينة الخبر اليقين. قال الكاشفي: [ازتمام لشكر دوكس نجات يابند يكى به بشارت بمكه برود وديكرى كه ناجى جهنى كويند روى او بر قفا كشته خبر قوم بسفياني رساند] ﴿**فلا فوت**﴾ الفوت بعد الشيء عن الإنسان بحيث يتعذر إدراكه أي: فلا فوت لهم من عذاب الله ولا نجاة بهرب أو تحصن ويدركهم ما فزعوا منه ﴿**وأخذوا من مكان قريب**﴾ أي: من ظهر الأرض إلى بطنها أو من الموقف إلى النار أو من صحراء بدر إلى قليبها وهو البئر أن تبنى بالحجارة. وقال أبو عبيدة: هي البئر العادية القديمة أو من تحت أقدامهم إذا خسف بهم وحيث كانوا فهم قريب من الله والجملة معطوفة على فزعوا.

﴿وقالوا﴾ عند معاينة العذاب ﴿آمنا به﴾ أي: بمحمد عليه السلام لأنه مر ذكره في قوله: ﴿ما بصاحبكم من جنة﴾ فلا يلزم الإضمار قبل الذكر ﴿وأنى لهم التناوش﴾ التناوش بالواو التناول السهل بالفارسية [كرفتن] من النوش يقال تناوش وتناول إذا مديده إلى شيء يصل إليه ومن همزه فأما أنه أبدل من الواو همزة لانضمامه نحو اقتت في وقتت وادؤر في أدور وإما أن يكون من النأش وهو الطلب كما في «المفردات» والمعنى ومن أين لهم أن يتناولوا الإيمان تناولاً سهلاً ﴿من مكان بعيد﴾ فإن الإيمان إنما هو في حيز التكليف وهي الدنيا وقد بعد عنهم بارتحالهم إلى الآخرة وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالإيمان بعد ما فات عنهم وبعد بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة وهي غاية قدر رمية كتناوله من مقدار ذراع في الاستحالة.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿وقد كفروا به﴾ أي: بمحمد أو بالعذاب الشديد الذي أنذرهم إياه ﴿من قبل﴾ من قبل ذلك في وقت التكليف تابوا وقد أغلقت الأبواب وندموا وقد تقطعت الأسباب فليس إلا الخسران والندم والعذاب والألم:

فخل سبيل العين بعدك للبكا فليس لأيام الصفاء رجوع

قال الحافظ:

چوبر روى زمين باشى توانايى غنيمت دان كه دوران ناتوانيها بسى زير زمين دارد

أي لا يقدر الإنسان على شيء إذا مات وصار إلى تحت الأرض كما كان يقدر إذا كان فوق الأرض وهو حي ﴿ويقذفون بالغيب﴾ الباء للتعدية أي: يرجمون بالظن الكاذب ويتكلمون بما لم يظهر لهم في حق الرسول من المطاعن أو في العذاب من قطع القول بنفسه كما قالوا وما نحن بمعذبين ﴿من مكان بعيد﴾ من جهة بعيدة من حاله عليه السلام حيث ينسبونه إلى الشعر والسحر والكهانة والكذب ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئاً لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه وهو معطوف على وقد كفروا به على حكاية الحال الماضية أو على قالوا فيكون تمثيلاً لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الإيمان في الدنيا.

﴿وحيل بينهم﴾ أي: أوقعت الحيلولة والمنع بين هؤلاء الكفار ﴿وبين ما يشتهون﴾ من نفع الإيمان والنجاة من النار ﴿كما فعل بأشياعهم من قبل﴾ أي: بأشياعهم من كفرة الأمم الماضية ﴿إنهم كانوا﴾ في الدنيا ﴿في شك﴾ مما وجب به الإيمان واليقين كالتوحيد والبعث ونزول العذاب على تقدير الإصرار ﴿مريب﴾ [بتهمت افكنده ودلرا مضطرب سازنده وشورانده]. قال أهل التفسير مريب موقع لهم في الريبة والتهمة من أرابه إذا أوقعه في الريبة أو ذي ريبة من أراب الرجل إذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز في الإسناد إلا أن بينهما فرقاً وهو أن المريب من الأول منقول ممن يصلح أن يكون مريباً من الأشخاص والأعيان إلى المعنى وهو الشك أي: يكون صفة من أوقع في الريب حقيقة وقد جعل في الآية صفة نفس الشك الذي هو معنى من المعاني. والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك إلى الشك

أي: أنهم كانوا في شك ذي شك كما تقول شعر شاعر وإنما الشاعر في الحقيقة صاحب الشعر وإنما أسند الشاعرية إلى الشعر للمبالغة وإذا كان حال الكفرة الشك في الدنيا فلا ينفعهم اليقين في الآخرة لأنه حاصل بعد معاينة العذاب والخروج من موطن التكليف وقد ذموا في هذه الآيات بالشك والكفر والرجم بالغيب فليس للمرء أن يبادر إلى إنكار شيء إلا بعد العلم إما بالدليل أو بالشهود.

قال في «الفتوحات المكية»: لا يجوز لأحد المبادرة إلى الإنكار إذا رأى رجلاً ينظر إلى امرأة في الطريق مثلاً فربما يكون قاصداً خطبتها أو طبيباً فلا ينبغي المبادرة للإنكار إلا فيما لا يتطرق إليه احتمال وهذا يغلط فيه كثير من المذنبين لا من أصحاب الدين لأن صاحب الدين أول ما يحتفظ على نفسه ولا سيما في الإنكار خاصة وقد ندبنا الحق إلى حسن الظن بالناس لا إلى سوء الظن فصاحب الدين لا ينكر قط مع الظن لأنه يعلم أن بعض الظن إثم ويقول لعل هذا من ذلك البعض وإثمه أن ينطق به وإن وافق العلم في نفس الأمر وذلك أنه ظن وما علم فنطق فيه بأمر محتمل وما كان له ذلك فمعلوم أن سوء الظن بنفس الإنسان أولى من سوء ظنه بالغير وذلك لأنه من نفسه على بصيرة وليس هو من غيره على بصيرة فلا يقال في حقه إن فلاناً أساء الظن بنفسه بل إنه عالم بنفسه وإنما عبرنا بسوء الظن بنفسه اتباعاً لتعبيرنا بسوء الظن بغيره فهو من تناسب الكلام وإلى الآن ما رأيت أحداً من العلماء استبرأ لدينه هذا الاستبراء فالحمد لله الذي وفقنا لاستعماله انتهى كلام الشيخ في الفتوحات:

همیشه در صدد عیب جوئی خویشیم نبوده ایم پی عیب دیکران هرکز

والله الموفق لصالحات الأعمال وحسنات الأخلاق:

تمت سورة سبأ في أصيل يوم الثلاثاء الخامس والعشرين
من شهر ربيع الأول من سنة ست عشرة ومائة وألف

٣٥ ـ سورة فاطر

مكية وآيها خمس وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ①﴾.

﴿الحمد لله﴾ أي: كل المحامد مختصة بالله تعالى لا تتجاوز منه إلى من سواه وهو وإن كان في الحقيقة حمداً لله لذاته بذاته لكنه تعليم للعباد كيف يحمدونه.

واعلم أن الحمد يتعلق بالنعمة والمحنة إذ تحت كل محنة منحة فمن النعمة العطاس وذلك لأنه سبب لانفتاح المسام أي: ثقب الجسد واندفاع الأبخرة المحتبسة عن الدماغ الذي فيه قوة التذكر والتفكر فهو بحران الرأس كما أن العرق بحران بدن المريض ولذا أوجب الشارع الحمد للعاطس. قال ابن عباس رضي الله عنهما: من سبق العاطس بالحمد لله وقى وجع الرأس والأضراس ومن المحنة التجشي وفي الحديث: «من عطس أو تجشا فقال: الحمد لله على كل حال دفع الله بها عنه سبعين داء أهونها الجذام». والتجشي تنفس المعدة وبالفارسية: [بدروغ شدن] وذلك لأن التجشي إنما يتولد من امتلاء المعدة من الطعام فهو من المصائب في الدين خصوصاً إذا وقع حال الصلاة ويدل عليه أنه عليه السلام كان يقول عند كل مصيبة: «الحمد لله على كل حال» ثم رتب الحمد على نعمة الإيجاد أولاً إذ لا غاية وراءها إذ كل كمال مبني عليها فقال: **﴿فاطر السموات والأرض﴾** إضافته محضة لأنه بمعنى الماضي فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلاً منه وهو قليل في المشتق والمعنى مبدعهما وخالقهما ابتداء من غير مثال سبق من الفطر بالفتح بمعنى الشق أو الشق طولاً كما ذهب إليه الراغب كأنه شق العدم بإخراجهما منه والفطر بالكسر ترك الصوم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري ما فاطر السموات حتى اختصم إليّ أعرابيان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها أي: ابتدأت حفرها قال المبرد فاطر خالق مبتدىء، ففيه إشارة إلى أن أول كل شيء تعلقت به القدرة سموات الأرواح وأرض النفوس وأما الملائكة فقد خلقت بعد خلق أرواح الإنسان ويدل عليه تأخير ذكرهم كما قال: **﴿جاعل الملائكة رسلاً﴾** إضافته محضة أيضاً على أنه نعت آخر للاسم الجليل ورسلاً منصوب بجاعل واسم الفاعل بمعنى الماضي وإن كان لا يعمل عند البصريين إلا معرفاً باللام إلا أنه بالإضافة أشبه باللام فعمل عمله فالجاعل بمعنى المصير والمراد بالملائكة جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل والحفظة ونحوهم. ويقال: لم ينزل إسرافيل على نبي إلا على محمد ﷺ نزل فأخبره بما هو كائن إلى يوم القيامة ثم عرج.

وفي «إنسان العيون»: نزل عليه ستة أشهر قبل نبوته فكان عليه السلام يسمع صوته ولا يرى شخصه. والرسل جمع رسول بمعنى المرسل والمعنى مصير الملائكة وسائط بينه تعالى وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصادقة. قال بعض الكبار: الإلقاء إما صحيح أو فاسد فالصحيح إلهيّ رباني متعلق بالعلوم والمعارف أو ملكي روحاني وهو الباعث على الطاعة وعلى كل ما فيه صلاح ويسمى إلهاماً والفاسد نفساني وهو ما فيه حظ النفس ويسمى هاجساً أو شيطاني وهو ما يدعو إلى معصية ويسمى وسواساً ﴿أولي أجنحة﴾ صفة لرسلاً وأولو بمعنى أصحاب اسم جمع لذو كما أن أولاء اسم جمع لذا وإنما كتبت الواو بعد الألف حالتي الحر والنصب لئلا يلتبس بإلى حرف الجر وإنما كتبوه في الرفع حملاً عليهما. والأجنحة جمع جناح بالفارسية [پروبال] ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ صفات لأجنحة فهي في موضع خفض ومعناها اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة أي: ذوي أجنحة متعددة متفاوتة في العدد حسب تفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها من السماء إلى الأرض ويعرجون أو يسرعون بها فإن ما بين السماء والأرض وكذا ما بين السموات مسيرة خمسمائة سنة وهم يقطعونها في بعض الأحيان في وقت واحد ففي تعدد الأجنحة إشارة إلى كمالية استعداد بعض الملائكة على بعض والمعنى أن من الملائكة خلقاً لكل منهم جناحان وخلقاً لكل منهم ثلاثة وخلقاً آخر لكل منهم أربعة. قال الكاشفي: [مثنى دو دو براى طيران وثلاث سه سه ورباع چهار چهار براى آرايش] انتهى.

ـ وروي ـ أن صنفاً من الملائكة له ستة أجنحة بجناحين منها يلفون أجسادهم وبآخرين منها يطيرون فيما أمروا به من جهته تعالى وجناحان منها مرخيان على وجوههم حياء من الله تعالى ويفهم من كلام بعضهم أن الطيران بكل الأجنحة كما قال عرف تعالى إلى العباد بأفعاله وندبهم إلى الاعتبار بها فمنها ما يعلمونه معاينة من السماء والأرض وغيرهما ومنها ما سبيل إثباته الخبر والنقل لا يعلم بالضرورة ولا بدليل العقل فالملاكة منه ولا يتحقق كيفية صورتهم وأجنحتهم وأنهم كيف يطيرون بأجنحتهم الثلاثة والأربعة لكن على الجملة يعلم كمال قدرته وصدق حكمته انتهى.

ـ وروي ـ عن رسول الله ﷺ أنه رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح منها اثنان يبلغان من المشرق إلى المغرب ودل هذا وكذا كل ما فيه زيادة على الأربع أنه تعالى لم يرد خصوصية الأعداد ونفي ما زاد عليها. وذكر السهيلي أن المراد بالأجنحة في حق الملائكة صفة ملكية وقوة روحانية وليست كأجنحة الطير ولا ينافي ذلك وصف كل جناح منها بأنه يسد ما بين المشرق والمغرب هذا كلامه كما في «إنسان العيون».

يقول الفقير: لا يجوز العدول عن الظاهر مع إمكان الحمل على الحقيقة وقد تظاهرت الروايات الدالة على إثبات الأجنحة للملائكة وإن لم تكن كأجنحة الطير من حيث إن الله تعالى باين بين صور المخلوقات والملائكة وإن كانوا روحانيين لكن لهم أجسام لطيفة فلا يمنع أن يكون للأجسام أجنحة جسمانية كما لا يمنع أن يكون للأرواح أجنحة روحانية نورانية كما ثبت لجعفر الطيار رضي الله عنه. والحاصل أن المناسب لحال العلويين أن يكونوا طائرين كما أن المناسب لحال السفليين أن يكونوا سائرين ومن أمعن النظر في خلق الأرض والجو عرف ذلك ويؤيد ما قلنا أن البراق وإن كان في صورة البغل في الجملة لكنه لما كان علوياً أثبت له الجناح

نعم أن الأجنحة من قبيل الإشارة إلى القوة الملكية والإشارة لا تنافي العبارة هذا. وفي «كشف الأسرار» وردت في عجائب صور الملائكة أخبار يقال: إن حملة العرش لهم قرون وهم في صورة الأوعال يعني: [بزان كوهى] وفي الخبر «إن في السماء ملائكة نصفهم ثلج ونصفهم نار تسبيحهم يا من يؤلف بين الثلج والنار ألف بين قلوب المؤمنين» وقيل لم يجمع الله في الأرض لشيء من خلقه بين الأجنحة والقرون والخراطيم والقوائم إلا وضعف خلقه وهو البعوض وفيه أيضاً [هرچندكه فرشتكان مقربان دركاه عزت اند وطاوسان حضرت با اين مرتبت خاكيان مؤمنان برايشان شرف دارند] كما قال عليه السلام: «المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده» فالملائكة وإن طاروا من الأرض إلى السماء في أسرع وقت فأهل الشهود طاروا إلى ما فوق السماء في لمحة بصر فلهم أجنحة من العقول السليمة والألباب الصافية والتوجهات المسرعة والجذبات المعجلة اجتهدوا وسلكوا ثم صاروا ثم طاروا طيراناً عجز عنده الملائكة وحاروا وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل»:

بربساط بوريا سير دو عالم ميكنيم — باوجود نى سوارى برق جولانيم ما
چون باوج حق پريم عاجز شود ازما ملك — كرد باد لا مكانى طرفه سيرانيم ما

﴿يزيد﴾ الله تعالى يعني: [زياده ميكند ومى افزايد] فإن زاد مشترك بين اللازم والمتعدي وليس في اللغة أزاد ﴿في الخلق﴾ في أي: خلق كان من الملائكة وغيرهم فاللام للجنس والخلق بمعنى المخلوق ﴿ما يشاء﴾ كل ما يشاء أن يزيده بموجب مشيئته ومقتضى حكمته من الأمور التي لا يحيط بها الوصف فليس تفاوت أحوال الملائكة في عدد الأجنحة وكذا تفاوت أحوال غيرهم في بعض الأمور تستدعيه ذواتهم بل ذلك من أحكام المشيئة ومقتضيات الحكم وذلك لأن اختلاف الأصناف بالخواص والفصول بالأنواع إن كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الأمور المتفقة وهو محال. والآية متناولة لزيادات الصور والمعاني. فمن الأولى حسن الصورة خصوصاً الوجه قيل ما بعث الله نبياً إلا حسن الشكل وكان نبينا عليه السلام أملح يعني: [بر يوسف عليه السلام مليحتر وشيرين تر بود] فمن قال كان أسود يقتل كما في «هدية المهديين» إلا أن لا يريد التقبيح بل الوصف بالسمرة والأسود العرب كما أن الأحمر العجم كما قال عليه السلام: «بعثت إلى الأسود والأحمر».

آن سيه چرده كه شيرينىء عالم با اوست

ومنها ملاحة العينين واعتدال الصورة وسهولة اللسان وطلاقته وقوة البطش والشعر الحسن والصوت الحسن وكان نبينا عليه السلام طيب النغمة وفي الحديث «لله أشد أذناً للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب قينة إلى قينته» أي: من استماع مالك جارية مغنية أريد هنا المغنية وفي الحديث «زينوا القرآن بأصواتكم» أي: اظهروا زينته بحسن أصواتكم وإلا فجل كلام الخالق أن يزينه صوت مخلوق ورخص تحسين الصوت والتطريب ما لم يتغير المعنى بزيادة أو نقصان في الحروف.

چنانكه ميرود از جاى دل بوقت سماع — هم از سماع بمأواى خود كند پرواز
خدايرا حدىء عاشقانه سركن — كه بى حدى نشود قطع راه دور ودراز

ومنها حسن الخط وفي الخبر عن رسول الله ﷺ: «الخط الحسن يزيد الحق وضحاً» وهو

بالفتح الضوء والبياض وفي الحديث «عليكم بحسن الخط فإنه من مفاتيح الرزق».

يقول الفقير: حسن الخط مما يرغب فيه الناس في جميع البلاد فاستكمال صنعة الكتابة من الكمالات البشرية وإن كانت من الزيادات لا من المقاصد وقد يتعيش بعض الفقراء بمنافع قلمه ولا يحتاج إلى الغير فتكون المنة لله على كل حال:

برو بحسن خطت دل فراغ كن يارا ز تنكدستى مبر شكوه اهل دنيارا

ومن الثانية كمال العقل وجزالة الرأي وجرأة القلب وسماحة النفس وغير ذلك من الزيادات المحمودة [در حقايق سلمى آورده كه تواضع در اشراف وسخا در اغنيا وتعفف درفقرا وصدق در مؤمنان وشوق در محبان. إمام قشيري فرموده كه علوهمت است همت عالى كسى را دهدكه خود خواهد] فالمراد بعلو الهمة التعلق بالمولى لا بالدنيا والعقبى.

همايى چون تو عالى قدر حرص استخوان حيفست

دريغا سايه همت كه برنا اهل افكندى

ويقال: يزيد في الجمال والكمال والدمامة. يقول الفقير: هذا المعنى لا يناسب مقام الامتنان كما لا يخفى على أهل الإذعان ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ بليغ القدرة على كل شيء ممكن وهو تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فإن شمول قدرته تعالى لجميع الأشياء مما يوجب قدرته على أن يزيد كل ما يشاؤه إيجاباً بيناً فقد أبان سبحانه أن قدرته شاملة لكل شيء ومن الأشياء الإنقاذ من الشهوات والإخراج من الغفلات والإدخال في دائرة العلم والشهود الذي هو من باب الزيادات فمن استعجز القدرة الإلهية فقد كفر ألا ترى إلى حال إبراهيم بن أدهم حيث تجلى الله له بجمال اللطف الصوري أولاً وأعطاه الجاه والسلطنة ثم منّ له باللطف المعنوي ثانياً حيث أنقذه من حبس العلاقات وخلصه من أيدي الكدورات وشرفه بالوصول إلى عالم الإطلاق والدخول في حرم الوفاق.

ـ حكي ـ أنه كان سبب خروج إبراهيم بن أدهم عن أهله وماله وجاهه ورياسته وكان من أبناء الملوك أنه خرج يوماً يصطاد فأثار ثعلباً ثم أرنباً فبينما هو في طلبه إذ هتف به هاتف ألهذا خلقت أم بهذا أمرت ثم هتف به من قربوس سرجه والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فنزل عن مركوبه وصادف راعياً لأبيه فأخذ جبة الراعي من صوف فلبسها وأعطاه فرسه وما معه ثم دخل البادية وكان من شأنه ما كان.

ـ وحكي ـ أن الشيخ أبا الفوارس شاهين بن شجاع الكرماني رضي الله عنه خرج للصيد وهو ملك كرمان فأمعن في الطلب حتى وقع في برية مقفرة وحده فإذا هو بشاب راكب على سبع وحوله سباع فلما رأته ابتدرت نحوه فزجرها الشاب عنه فلما دنا إليه سلم عليه وقال له: يا شاه ما هذه الغفلة عن الله اشتغلت بدنياك عن آخرتك وبلذتك وهواك عن خدمة مولاك إنما أعطاك الله الدنيا لتستعين بها على خدمته فجعلتها ذريعة إلى الاشتغال عنه فبينما الشاب يحدثه إذ خرجت عجوز بيدها شربة ماء فناولتها الشاب فشرب ودفع باقيها إلى الشاه فشربه فقال: ما شربت شيئاً الذّ منه ولا أبرد ولا أعذب ثم غابت العجوز فقال الشاب: هذه الدنيا وكلها الله إلى خدمتي فما احتجت إلى شيء إلا أحضرته إليّ حين يخطر ببالي أما بلغك أن الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها: يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه فلما رأى ذلك تاب وكان

منه ما كان فهذان الملكان بالكسر صارا ملكين بالفتح بقدرة الله تعالى فجاء في حقهما يزيد في الخلق ما يشاء والله الموفق.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾.

﴿**ما يفتح الله للناس من رحمة**﴾ ما شرطية في محل النصب بيفتح. والفتح في الأصل إزالة الاغلاق وفي العرف الظفر ولما كان سبباً للإرسال والاطلاق استعير له بقرينة لا مرسل له مكان الفاتح. وفي «الإرشاد» عبر عن إرسالها بالفتح إيذاناً بأنها أنفس الخزائن وأعزها منالاً وتنكيرها للإشاعة والإبهام أي: أي شيء يفتح الله من خزائن رحمته أية رحمة كانت من نعمة وصحة وعلم وحكمة إلى غير ذلك وبالفارسية [آنكه بكشايد خداى براى مردمان وفرستد بديشان از بخشايش خويش چون نعمت وعافيت وصحت] ﴿**فلا ممسك لها**﴾ أي: لا أحد من المخلوقات يقدر على إمساكها وحبسها فإنه لا مانع لما أعطاه. قيل: الفتح ضربان: فتح الهي وهو النصرة بالوصول إلى العلوم والهدايات التي هي ذريعة إلى الثواب والمقامات المحمودة فذلك قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ [الفتح: ١] وقوله: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٢] والثاني فتح دنيوي وهو النصرة في الوصول إلى اللذات البدنية وذلك قوله: ﴿**ما يفتح الله للناس من رحمة**﴾ وقوله: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] ﴿**وما يمسك**﴾ أي: أي شيء يمسكه ويحبسه ويمنعه ﴿**فلا مرسل له**﴾ أي: لا أحد من الموجودات يقدر على إرساله وإعطائه فإنه لا معطي لما منعه. واختلاف الضمير بالتذكير والتأنيث لما أن مرجع الأول مفسر بالرحمة ومرجع الثاني مطلق في كل ما يمسكه من رحمته وغضبه. ففي التفسير الأول وتقييده بالرحمة إيذان بأن رحمته سبقت غضبه أي: في التعلق وإلا فهما صفتان لله تعالى لا تسبق إحداهما الأخرى في ذاتهما ﴿**من بعده**﴾ على تقدير المضاف أي: من بعد إمساكه ومنعه كقوله: ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣] أي: من بعد هداية الله ﴿**وهو العزيز**﴾ الغالب على كل ما يشاء من الأمور التي من جملتها الفتح والإمساك فلا أحد ينازعه ﴿**الحكيم**﴾ الذي يفعل ما يشاء حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة. وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه كان النبي عليه السلام يقول في دبر الصلاة «لا إله إلا الله وحده لا شريك له وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد» وهو بالفتح الحظ والإقبال في الدنيا أي: لا ينفع الفتى المحظوظ حظه منك أي: بدل طاعتك وإنما ينفع العمل والطاعة. وعن معاذ رضي الله عنه مرفوعاً «لا تزال يد الله مبسوطة على هذه الأمة ما لم يرفق خيارهم بشرارهم ويعظم برّهم فاجرهم ويعن قراؤهم أمراءهم على معصية الله فإذا فعلوا نزع الله يده عنهم». صاحب «كشف الأسرار» [كويد أرباب فهم بدانندكه اين آيت درباب فتوح مؤمنان وارباب عرفانست وفتوح آنرا كويند كه ناجسته وناخواسته آيد وآن دوقسمت يكى مواهب صوريه چون رزق نا مكتسب وديكر مطالب معنويه وآن علم لدنيست نا آموخته].

دست لطفش منبع علم وحكم بى قلم بر صفحه دل زد رقم
علم اهل دل نه از مكتب بود بلكه از تلقين خاص رب بود

فعلى العاقل أن يجتهد حتى يأتي رزقه الصوري والمعنوي بلا جهد ومشقة وتعب.

- روي - عن الشيخ أبي يعقوب البصري رضي الله عنه أنه قال جعت مرة في الحرم عشرة أيام فوجدت ضعفاً فحدثتني نفسي أن أخرج إلى الوادي لعلي أجد شيئاً يسكن به ضعفي فخرجت فوجدت سلجمة مطروحة فأخذتها فإذا برجل جاء فجلس بين يديّ ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت كيف خصصتني بها؟ فقال: اعلم إنا كنا في البحر منذ عشرة أيام فأشرفت السفينة على الغرق فنذر كل واحد منا نذراً إن خلصنا الله أن يتصدق بشيء ونذرت أنا إن خلصني الله أن أتصدق بهذه على أول من يقع عليه بصري من المجاورين وأنت أول من لقيته قلت: افتحها ففتحها فإذا فيها كعك ممصر ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت: ردّ الباقي إلى صبيانك هدية مني إليهم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك يسير إليك منذ عشرة أيام وأنت تطلبه في الوادي.

صائب فريب نعمت الوان نمى خوريم روزىء خود زخوان كرم ميخوريم ما

وقال:

كشاد عقده روزى بدست تقديراست مكن ز رزق شكايت ازين وآن زنهار

اللهم افتح لنا خير الباب وارزقنا مما رزقت أولي الألباب إنك مفتح الأبواب.

﴿**يا أيها الناس**﴾ عامة فاللام للجنس أو يا أهل مكة خاصة فاللام للعهد ﴿**اذكروا نعمة الله عليكم**﴾ نعمه رسمت بالتاء في أحد عشر موضعاً من القرآن ووقف عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب أي: إنعامه عليكم إن جعلت النعمة مصدراً وكائنة عليكم إن جعلت اسماً أي: راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بمعطيها سواء كانت نعمة خارجة كالمال والجاه أو نعمة بدنية كالصحة والقوة أو نعمة نفسية كالعقل والفطنة ولما كان ذكر النعمة مؤدياً إلى ذكر المنعم قال بطريق الاستفهام الإنكاري ﴿**هل من خالق غير الله**﴾ أي: هل خالق مغاير له تعالى موجود أي: لا خالق سواه على أن خالق مبتدأ محذوف الخبر زيدت عليه من تأكيدا للعموم وغير الله نعت له باعتبار محله كما أنه نعت له في قراءة الجر باعتبار لفظه. قال في «الأسئلة المقحمة»: أي: حجة فيها على المعتزلة الجواب أنه تعالى أخبر بأن لا خالق غيره وهم يقولون: نحن نخلق أفعالنا وقوله من صلة وذلك يقتضي غاية النفي والانتفاء ﴿**يرزقكم من السماء والأرض**﴾ أي: المطر من السماء والنبات من الأرض وهو كلام مبتدأ لا محل له من الإعراب ولا مساغ لكونه صفة أخرى لخالق لأن معناه نفي وجود خالق موصوف بوصفي المغايرة والرازقية معاً من غير تعرق لنفي وجود ما اتصف به المغايرة فقط ولا لكونه خبراً للمبتدأ لأن معناه نفي رازقية خالق مغاير له من غير تعرض لنفي وجوده رأساً مع أنه المراد حتماً وفائدة هذا التعريف أنه إذا عرف أنه لا رازق غيره لم يعلق قلبه بأحد في طلب شيء ولا يتذلل للإنفاق لمخلوق وكما لا يرى رزقه من مخلوق لا يراه من نفسه أيضاً فيتخلص من ظلمات تدبيره واحتياله وتوهم شيء من أمثاله وأشكاله ويستريح بشهود تقديره.

قال شيخي وسندي روّح الله روحه من بعض تعليقاته يا مهموماً بنفسه كنت من كنت لو ألقيتها إلينا وأسقطت تدبيرها وتركت تدبيرك لها واكتفيت بتدبيرنا لها من غير منازعة في تدبيرنا لها لاسترحت جعلنا الله وإياكم هكذا بفضله آمين ﴿**لا إله إلا هو**﴾ وإذا تبين تفرده تعالى

بالألوهية والخالقية والرازقية ﴿فأنى﴾ فمن أي: وجه ﴿تؤفكون﴾ تصرفون عن التوحيد إلى الشرك وعن عبادته إلى عبادة الأوثان فالفاء لترتيب إنكار عدولهم عن الحق إلى الباطل على ما قبلها.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾.

﴿وإن يكذبوك﴾ أي: وإن استمر المشركون على أن يكذبوك يا محمد فيما بلغت إليهم فلا تحزن واصبر ﴿فقد كذبت رسل﴾ أولو شأن خطير وذووا عدد كثير ﴿من قبلك﴾ فصبروا وظفروا ﴿وإلى الله﴾ لا إلى غيره ﴿ترجع الأمور﴾ من الرجع وهو الرد أي: ترد إليه عواقبها فيجازي كل صابر على صبره وكل مكذب على تكذيبه.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى تسلية الرسول ﷺ وأولياء أمته وتسهيل الصبر على الأذية إذا علم أن الأنبياء عليهم السلام استقبلهم مثل ما استقبله وأنهم لما صبروا لله كفاهم علم أنه يكفيه بسلوك سبيلهم والاقتداء بهم وليعلم أرباب القلوب أن حالهم مع الأجانب من هذه الطريقة كأحوال الأنبياء مع السفهاء من أممهم وأنهم لا يقبلون منهم إلا القليل من أهل الإرادة وقد كان أهل الحقائق أبداً منهم في مقاساة الأذية ولا يتخلصون إلا بستر حالهم عنهم والعوام أقرب إلى هذه الطريقة من القراء المتقشفين والعلماء الذين هم لهذه الأصول منكرون وإقرار المقرين وإنكار المنكرين ليس يرجع إليهم بل يرجع إلى تقدير عليم حكيم يعلم المبدأ والمعاد ويدبر على وفق إرادته الأحوال. فعلى العاقل أن يختار طريق العشق والإقرار وإن كان فيه الأذى والملامة ويجتنب عن طريق النفي والإنكار وإن كان فيه الراحة والسلامة فإن ذرة من العشق خير للعاشقين من كثير من أعمال العابدين قال الحافظ:

هرچند غرق بحر كناهم ز صد جهت ... كر آشناى عشق شوم غرق رحمتم

وطريق العشق هو التوحيد وإثبات الهوية بالتفريد كما قال: ﴿لا إله إلا هو﴾ وهو كناية عن موجود غائب والغائب عن الحواس الموجود في الأزل هو الله تعالى وهو ذكر كل من المبتدي والمنتهي أما المبتدي ففي حقه غيبة لأنه من أهل الحجاب وأما المنتهي ففي حقه حضور لأنه من أهل الكشف فلا يشاهد إلا الهوية المطلقة وهو مركب في الحس من حرفين وهما: «ه و» وفي العقل من حرفين أيضاً وهما «اى» فكانت حروفه في الحس والعقل أربعة لتدل على الإحاطة التربيعية التي هي إحاطة هو الأول: والآخر والظاهر والباطن ولما كانت الأولية والآخروية اعتبارين عقليين دل عليهما بالألف والياء ولما كانت الظاهرية والباطنية اعتبارين حسيين دل عليهما بالهاء والواو فألف هو غيب في هائه وياؤه غيب في واوه.

واعلم أن الذكر خير من الجهاد فإن ثواب الغزو والشهادة في سبيل الله حصول الجنة والذاكر جليس الحق تعالى كما قال: «أنا جليس من ذكرني» وشهود الحق أفضل من حصول الجنة ولذلك كانت الرؤية بعد حصول الجنة وشرط الذكر الحضور بالقلب والروح وجميع القوى.

حضور قلب ببايدكه حق شود مشهود ... وكرنه ذكر مجرد نمى دهد يك سود

﴿يا أيها الناس إن وعد الله﴾ بالبعث والجزاء ﴿حق﴾ ثابت لا محالة لا خلف فيه.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن كل ما وعد به الله من الثواب والعقاب والدرجات في الجنة والدركات في النار والقربات في أعلى عليين وفي مقعد صدق عند مليك مقتدر والبعد إلى أسفل سافلين حق فإذا علم ذلك استعد للموت قبل نزول الموت ولم يهتم للرزق ولم يتهم الرب في كفاية الشغل ونشط في استكثار الطاعة ورضي بالمقسوم **﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾** بأن يذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها وتقطعكم زينتها وشهواتها عن الرياضات والمجاهدات وترك الأوطان ومفارقة الإخوان في طريق الطلب والمراد نهيهم عن الاغترار بها وإن توجه النهي صورة إليها. وفي بعض الآثار «يا ابن آدم لا يغرنك طول المهلة فإنما يعجل بالأخذ من يخاف الفوت». وعن العلاء بن زياد رأيت الدنيا في منامي قبيحة عمشاء ضعيفة عليها من كل زينة فقلت: من أنت أعوذ بالله منك فقالت: أنا الدنيا فإن سرك أن يعيذك الله مني فابغض الدراهم يعني لا تمسكها عن النفقة في موضع الحق وفي الحديث: «الدنيا غنيمة الأكياس وغفلة الجهال» وذلك لأن الأكياس يزرعون في مزرعة الدنيا أنواع الطاعات فيغتنمون بها يوم الحصاد بخلاف من جهل أن الدنيا مزرعة الآخرة.

نكه دار فرصت كه عالم دميست دمى پيش دانا به از عالميست
دل اندر دلارام دنيا مبند كه ننشست باكس كه دل برنكند

﴿ولا يغرنكم بالله﴾ وكرمه وعفوه وسعة رحمته **﴿الغرور﴾** فعول صيغة مبالغة كالشكور والصبور وسمي به الشيطان لأنه لا نهاية لغروره، بالفارسية: [فريفتن]. وفي «المفردات» الغرور كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان وقد فسر بالشيطان إذ هو أخبث الغارين وبالدنيا لما قيل الدنيا تغر وتضر وتمر. والمعنى ولا يغرنكم بالله الشيطان المبالغ في الغرور بأن يمنيكم المغفرة مع الإصرار على المعاصي قائلاً اعملوا ما شئتم إن الله غفور يغفر الذنوب جميعاً وأنه غني عن عبادتكم وتعذيبكم فإن ذلك وإن أمكن لكن تناول الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم اعتماداً على دفع الطبيعة فالله تعالى وإن كان أكرم الأكرمين مع أهل الكرم لكنه شديد العقاب مع أهل العذاب [بزركان فرموده اندكه يكى مصائد ابليس تسويفست در توبه يعني توبه بنده را در تأخير افكند كه فرصت باقيست عشرت نقد از دست مده]:

امشب همه شب يار ومى وشاهد باش چون روز شود توبه كن وزاهد باش

[عاقل بايدكه بدين فريب ازراه نرود وازنكته «الفرصة تمر مر السحاب» غافل نكردد].

عذر فاردا فكندى عمر فرداراكه ديد

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾.

﴿إن الشيطان لكم عدو﴾ عداوة قديمة بما فعل بأبيكم ما فعل لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام به **﴿فاتخذوه عدواً﴾** بمخالفتكم له في عقائدكم وأفعالكم وكونكم على حذر منه في جميع أحوالكم [از بزركى پرسيدندكه چكونه شيطانرا دشمان كيريم كفت از پى آرزو مرويد ومتابع هواى نفس مشويد وهرچه كنيد بايدكه موافق شرع ومخالف طبع بود] فلا تكفي العداوة باللسان فقط بل يجب أن تكون بالقلب والجوارح جميعاً ولا يقوى المرء على عداوته إلا بملازمة الذكر ودوام الاستعانة بالرب فإن من هجم عليه كلاب الراعي يشكل عليه دفعها إلا أن

ينادي الراعي فإنه يطردها بكلمة منه ﴿إنما يدعو﴾ الشيطان ﴿حزبه﴾ جماعته واتباعه.

قال في «التأويلات»: حزبه المعرضون عن الله المشتغلون بغير الله ﴿ليكونوا﴾ أي: حزبه ﴿من أصحاب السعير﴾ يعني: [جزاين نيست كه مى خواند شيطان باتباع هوى وميل بدنيا كروه خودرا يعني پى روان وفرمان بردارنرا تا باشند در آخرت با آواز ياران آتش يعني ملازمان دوزخ]. قال في «الإرشاد»: تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على أن غرضه في دعوة شيعته إلى اتباع الهوى والركون إلى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحابين في الدنيا عند سعي بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم وإلقاؤهم في العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون.

﴿الذين كفروا﴾ أي: ثبتوا على الكفر بما وجب به الإيمان وأصروا عليه ﴿لهم﴾ بسبب كفرهم وإجابتهم لدعوة الشيطان ﴿عذاب شديد﴾ معجل ومؤجل. فمعجله تفرقة قلوبهم وانسداد بصائرهم وخساسة همتهم حتى أنهم يرضون بأن يكون معبودهم الأصنام والهوى والدنيا والشيطان. ومؤجله عذاب الآخرة وهو مما لا تخفى شدته وصعوبته ﴿والذين آمنوا﴾ ثبتوا على الإيمان واليقين ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي: الطاعات الخالصة لله تحصيلاً لزيادة نور الإيمان ﴿لهم﴾ بسبب إيمانهم وعملهم الصالح الذي من جملته عداوة الشيطان ﴿مغفرة﴾ عظيمة وهي في المعجل ستر ذنوبهم ولولا ذلك لافتضحوا وفي المؤجل محوها من ديوانهم ولولا ذلك لهلكوا ﴿وأجر كبير﴾ لا غاية له وهو اليوم سهولة العبادة ودوام المعرفة وما يناله في قلبه من زوائد اليقين وخصائص الأحوال وأنواع المواهب وفي الآخرة تحقيق المسؤول ونيل ما فوق المأمول. قيل: مثل الصالحين وما زينهم الله به دون غيرهم مثل جند قال لهم الملك: تزينوا للعرض عليّ غداً فمن كانت زينته أحسن كانت منزلته عندي أرفع ثم يرسل الملك في السر بزينة عنده ليس عند الجند مثلها إلى خواص مملكته وأهل محبته فإذا تزينوا بزينة الملك فخروا على سائر الجند عند العرض على الملك فالله تعالى وفقهم للأعمال الصالحة وزينهم بالطاعات الخالصة وحلاهم بالتوجهات الصافية بتوفيقه الخاص قصداً إلى الاصطفاء والاختصاص فميزهم بها في الدنيا عن سائرهم وبأجورها العظيمة في الآخرة لمفاخرهم فليحمد الله كثيراً من استخدمه الله واستعمله في طريق طاعته وعبادته فإن طريق الخدمة قلّ من يسلكه خصوصاً في هذا الزمان وسبيل العشق ندر من يشرع فيها من الإخوان، قال الحافظ:

نشان اهل خدا عاشقيست باخود دار ... كه در مشايخ شهر اين نشان نمى بينم

ولله عباد لهم قلوب الهموم عمارتها والأحزان أوطانها والعشق والمحبة قصورها وبروجها.

أحبك حبين حب الهوى ... وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى ... فذكر شغلت به عن سواكا
وأما الذي أنت أهل له ... فكشفك للحجب حتى أراكا
ولا حمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

نسأل الله سبحانه أن يعمر قلوبنا بأنواع العمارات ويزين بيوت بواطننا بأصناف الإرادات ويحشرنا مع خواص عباده الذين لهم أجر كبير وثواب جزيل ويشرفنا بمطالعة أنوار وجهه الجميل إنه الرجو في الأول والآخر والباطن والظاهر.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾.

﴿أفمن زين له﴾ [التزيين: آراستن] ﴿سوء عمله﴾ أي: قبيح عمله بالفارسية [زشت وبد] ﴿فرآه حسناً﴾ فظنه جميلاً لأن رأى إذا عدّي إلى مفعولين اقتضى معنى الظن والعلم والمعنى أبعد تباين عاقبتي الفريقين يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الإيمان والعمل الصالح أي: لا يكون فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه ﴿فإن الله يضل﴾ إلى آخره تقرير له وتحقيق للحق ببيان أن الكل بمشيئة الله تعالى أي: فإنه تعالى يضل ﴿من يشاء﴾ أن يضله لاستحسانه الضلال وصرف اختياره إليه فيرده إلى أسفل سافلين ﴿ويهدي من يشاء﴾ أن يهديه لصرف اختياره إلى الهدى فيرفعه إلى أعلى عليين ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ الفاء للسببية فإن ما سبق سبب للنهي عن التحسر. والذهاب المضيّ وذهاب النفس كناية عن الموت. والحسرة شدة الحزن على ما فات والندم عليه كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه وقوله: حسرات مفعول له والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه السلام على أحوالهم أو على كثرة قبائح أعمالهم الموجبة للتأسف والتحسر وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حباً ومات عليه حزناً ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا تتقدم عليه صلته والمعنى إذا عرفت أن الكل بمشيئة الله فلا تهلك نفسك للحسرات على غيهم وإصرارهم والغموم على تكذيبهم وإنكارهم، وبالفارسية: [پس بايدكه نرود جان تو يعني هلاك نشود براى حسرتهاى متوالى كه مى خورى وتأسفهاى كونا كون كه دارى برفعلهاى ناخوش ايشان كه هريك مقتضى حسرت است] فقد بذلت لهم النصح وخرجت عن عهدة التبليغ فلا مشقة لك من بعد وإنما المشقة عليهم في الدنيا والآخرة لأنهم سقطوا عن عينك ومن سقط عن عينك فقد سقط عن عين الله فلا يوجد أحد يرحمه ﴿إن الله عليم﴾ بليغ العلم ﴿بما يصنعون﴾ يفعلون من القبائح فيجازيهم عليها جزاء قبيحاً فإنهم وإن استحسنوا القبائح لقصور نظرهم فالقبيح لا يكون حسناً أبداً.

واعلم أن الكافر يتوهم أن عمله حسن كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] ثم الراغب في الدنيا يجمع حلالها وحرامها ولا يتفكر في زوالها ولا في ارتحاله عنها قبل كمالها فقد زين له سوء عمله.

شد قواى جمله اجزاى جسمت درفنا باهزاران آرزو دست وكريبانى هنوز

ثم الذي يتوهم أنه إذا وجد نجاته ودرجاته في الجنة فقد استراح واكتفى فقد زين له سوء عمله حيث تغافل عن حلاوة مناجاة ربه فإنها فوق نعيم الجنان.

ما ييم وهمين عاشقي ولذت ديدار زاهد تو برو در طلب خلد برين باش

فمن زين له الدنيا بشهواتها ليس كمن زين له العقبى بدرجاتها ومن زين له نعيم العقبى ليس كمن زين له جمال المولى أي: لا يستوي هذا وذاك فاصرف إلى الأشهى هواك والله تعالى هو مبدأ كل حسن فمن وصل إليه حسن بحسن ذاته وصفاته وأفعاله وأعماله ومن وجده وجد كل شيء ومن لم يجده لم يجد شيئاً وإن وجد الدنيا كلها [نقلست كه ابراهيم بن أدهم

قدس سره روزى برلب دجله نشسته بود خرقه مى دوخت سوزنش بدريا افتد يكى ازو پرسيد كه ملك چنان از دست دادى چه يافتى اشارت بدريا كرد كه سوزنم بدهيد قرب هزار ما هى ازدريا بر آمدند هر يكى سوزن زرين برلب كرفته كفت سوزن من خواهم ما هيكه ضعيف بر آمد وسوزن او آورد بستد وكفت كمترين چيزى كه يافتم اين است باقى تو ندانى] فهذا من ثمرات الهداية الخاصة ونتائج النيات الخالصة والأعمال الصالحة وحسن الحال مع الله تعالى ولا يحصل إلا لمن أخذ الأمر من طريقه فأصلح الطبيعة في مرتبة الشريعة والنفس في مرتبة الطريقة وحسن ما حسنه الشرع والعقل السليم وقبح ما قبحه كل منهما فأما أصحاب الأهواء والبدع فقد زين لهم سوء أعمالهم ونياتهم من جهة الشيطان فضلوا طريق الهدى والسنة نسأل الله سبحانه أن يجعلنا على صراطه المستقيم الذي سلكه أهل الدين القويم ويهدينا إلى الأعمال الحسنة ويحلينا بالأخلاق المستحسنة.

﴿والله﴾ وحده وهو مبتدأ خبره قوله ﴿الذي أرسل الرياح﴾ الإرسال في القرآن على معنيين: الأول بمعنى [فرستادن] كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ [البقرة: ١١٩]. والثاني بمعنى [فرو كشادن] كما في قوله تعالى: ﴿أرسل الرياح﴾. وفي «المفردات»: الإرسال يقال في الإنسان وفي الأشياء المحبوبة والمكروهة وقد يكون ذلك للتسخير كإرسال الريح والمطر وقد يكون ببعث من له اختيار نحو إرسال الرسل وقد يكون ذلك بالتخلية وترك المنع نحو ﴿أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [مريم: ٨٣] والإرسال يقابل الإمساك. والرياح: جمع ريح بمعنى الهواء المتحرك أصله روح ولذا يجمع على أرواح وأما أرياح قياساً على رياح فخطأ. قال صاحب «كشف الأسرار» [الله است كه فرو كشايد بتقدير وتدبير خويش بهنكام دربايست وباندازه دربايست بادهاى مختلف از مخارج مختلف] أراد بها الجنوب والشمال والصبا فإنها رياح الرحمة لا الدبور فإنها رياح العذاب أما الجنوب فريح تخالف الشمال مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا وأما الشمال بالفتح ويكسر فمهبها بين مطلع الشمس وبنات النعش أو من مطلع الشمس إلى مسقط النسر الطائر ولا تكاد تهب ليلاً وأما الصبا فمهبها من جانب المشرق إذا استوى الليل والنهار سميت بها لأنها تصبو إليها النفوس أي: تميل ويقال لها القبول أيضاً بالفتح لأنها تقابل الدبور أو لأنها تقابل باب الكعبة أو لأن النفس تقبلها ﴿فتثير سحاباً﴾ تهيجه وتنشره بين السماء والأرض لإنزال المطر فإنه مزيد ثار الغبار إذا هاج وانتشر ساطعاً. قال في «تاج المصادر» [الإثارة: برانكيختن كرد وشورانيدن زمين وميغ آوردن باد] والسحاب جسم يملأه الله ماء كما شاء وقيل بخار يرتفع من البحار والأرض فيصيب الجبال فيستمسك ويناله البرد فيصير ماء وينزل وأصل السحب الجر كسحب الذيل والإنسان على الوجه ومنه السحاب لجره الماء وصيغة المضارع مع مضي أرسل وسقنا لحكاية الحال الماضية استحضاراً لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولأن المراد بيان إحداثها لتلك الخاصية ولذلك أسند إليها ﴿فسقناه إلى بلد ميت﴾ السوق بالفارسية [راندن] والبلد المكان المحدود المتأثر باجتماع قطانه وإقامتهم فيه ولاعتبار الأثر قيل: بجلده بلد أي: أثر والبلد الميت هو الذي لا نبت فيه قد أغبر من القحط. قال الراغب: الموت يقال بإزاء القوة النامية الموجودة في النبات ومقتضى الظاهر فساقه أي: ساق الله ذلك السحاب وأجراه إلى الأرض التي تحتاج إلى الماء وقال فسقناه إلى بلد التفاتاً من الغيبة إلى التكلم دلالة على زيادة اختصاصه به تعالى وأن

الكل منه والوسائط أسباب وقال إلى بلد ميت بالتنكير قصداً به إلى بعض البلاد الميتة وهي بلاد الذين تبعدوا عن مظان الماء ﴿فأحيينا﴾ الفاآت الثلاث للسببية فإن ما قيل كل واحدة منها سبب لمدخولها غير أن الأولى دخلت على السبب بخلاف الأخيرتين فإنهما دخلتا على المسبب ﴿به﴾ أي: بالمطر النازل من السحاب المدلول عليه بالسحاب فإن بينهما تلازماً في الذهن كما في الخارج أو بالسحاب فإنه سبب السبب ﴿الأرض﴾ أي: صيرناها خضراء بالنبات ﴿بعد موتها﴾ أي: يبسها ﴿كذلك النشور﴾ الكاف في حيز الرفع على الخبرية أي: مثل ذلك الإحياء الذي تشاهدونه إحياء الموتى وإخراجهم من القبور يوم الحشر في صحة المقدورية وسهولة التأتي من غير تفاوت بينهما أصلاً سوى الألف في الأول دون الثاني فالآية احتجاج على الكفرة في إنكارهم البعث حيث دلهم على مثال يعاينونه. وعن أبي رزين العقيلي قال: قلت يا رسول الله كيف يحيي الموتى؟ قال: «أما مررت بواد ممحلاً ثم مررت به خضراً» قلت: بلى قال: «فكذلك يحيي الله الموتى» أو قال: «كذلك النشور». وقال بعضهم في آية كذلك النشور أي: في كيفية الإحياء فكما أن إحياء الأرض بالماء فكذا إحياء الموتى كما روي أن الله تعالى يرسل من تحت العرش ماء كمني الرجال فينبت به الأجساد كنبات البقل ثم يأمر إسرافيل فيأخذ الصور فينفخ نفخة ثانية فتخرج الأرواح من ثقب الصور كأمثال النحل وقد ملأت ما بين السماء والأرض فيقول الله: ليرجعن كل روح إلى جسده فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد ثم تدخل في الخياشيم فتمشي في الأجساد مشي السم في اللديغ ثم تنشق الأرض فيخرجون حفاة عراة. وفي الآية إشارة إلى أنه تعالى من سنته إذا أراد إحياء أرض يرسل الرياح فتثير سحاباً ثم يوجه ذلك السحاب إلى الموضع الذي يريد تخصيصاً له كيف يشاء أو يمطرها هنالك كيف يشاء كذلك إذا أراد إحياء قلب عبد يرسل أولاً رياح الرجاء ويزعج بها كوامن الإرادة ثم ينشىء فيه سحاب الاحتياج ولوعة الإنزعاج ثم يأتي بمطر الجود فينبت به في القلب أزهار البسط وأنوار الروح ويطيب لصاحبه العيش والحضور.

يا رب از ابر هدايت برسان بارانى پيشتر زانكه چو كردى زمان برخيزم

المقصود طلب الهداية الخاصة إلى الفيض الإلّهي الذي يحصل عند الفناء التام.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًاۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

﴿من كان﴾ [هركه باشد] ﴿يريد العزة﴾ الشرف والمنعة بالفارسية: [ارجمندى]. قال الراغب: العز حالة مانعة للإنسان من أن يغلب من قولهم أرض عزاز أي: صلبة والعزيز الذي يقهر ولا يقهر والعزة يمدح بها تارة كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] ويذم بها أخرى كعزة الكافرين وذلك أن العزة التي لله ولرسوله وللمؤمنين هي الدائمة الباقية وهي العزة الحقيقية والعزة التي للكافرين هي التعزز وهو في الحقيقة ذل والمراد بما في الآية المشركون المتعززون بعبادة الأصنام والمنافقون المتعززون بالمشركين ﴿فلله﴾ وحده لا لغيره ﴿العزة﴾ حال كونها ﴿جميعاً﴾ أي: عزة الدنيا وعزة الآخرة لا يملك غيره شيئاً منها أي:

فليطلبها من عنده تعالى بطاعته وتقواه لا من عند غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليله إيذاناً بأن اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى ونظيره قولك من أراد العلم فهو عند العلماء أي: فليطلبه من عندهم لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه فقد أقمت الدليل مقام المدلول وأثبت العزة في آية أخرى لله ولرسوله وللمؤمنين وجه الجمع بينهما أن عز الربوبية والإلهية لله تعالى وصفاً وعز الرسول وعز المؤمنين له فعلاً ومنة وفضلاً فإذا العزة لله جميعاً. قال الكاشفي: [وبعزة أو رسول ومؤمنان متعززند عزت در موافقت اوست ومذلت در مخالفت او].

عزيزي كه هركه از درش سر بتافت   بهر دركه شد هيچ عزت نيافت

وفي الحديث «إن ربكم يقول كل يوم أنا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز» ثم بين ما يطلب به العزة وهو الإيمان والعمل الصالح فقال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ الضمير إلى الله تعالى وهو الظاهر. والصعود الذهاب في المكان العالي استعير لما يصل من العبد إلى الله كما استعير النزول لما يصل من الله إلى العبد. والكلم بكسر اللام جنس كنمر كما ذهب إليه الجمهور ولذا وصف بالمذكر لا جمع كلمة كما ذهب إليه البعض وأصل الطيب الذي به يطلب العزة لا إلى الملائكة الموكلين بأعمال العباد فقط وهو يعز صاحبه ويعطي مطلوبه بالذات. وقال بعضهم: الكلم يتناول الدعاء والاستغفار وقراءة القرآن والذكر من قوله: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» ونحو ذلك مما كان كلاماً طيباً. وقيل: إليه يصعد أي: إلى سمائه ومحل قبوله وحيث يكتب الأعمال المقبولة لا إلى الله كما قال: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨] وقال الخليل: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩] أي: ذاهب إلى الشام الذي أمرني بالذهاب إليه. فالظاهر أن الكتبة يصعدون بصحيفته إلى حيث أمر الله أن توضع أو يصعد هو بنفسه. قال بعض الكبار: بعض الأعمال ينتهي إلى سدرة المنتهى وبعضها يتعدى إلى الجنة وبعضها إلى العرش وبعضها يتجاوز العرش إلى عالم المثال وقد يتعدى من عالم المثال إلى اللوح ثم إلى المقام القلمي ثم إلى العماء وذلك بحسب تفاوت مراتب العمال في الصدق والإخلاص وصحة التصوير والشهود والعيان. فعلى هذا فبعض الأعمال يتجاوز السماء وعالم الأجسام كلها فيكون محل قبوله ما فوقها مما ذكر فسدر الانتهاآت إذاً كثيرة بعضها فوق بعض إلى مرتبة العماء نسأل الله قبول الأعمال وصحت توجه البال وقوة الحال ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ الرفع يقال تارة في الأجسام الموضوعة إذا أعليتها عن مقرها وتارة في البناء إذا طولته وتارة في الذكر إذا نوهته وتارة في المنزلة إذا شرفتها كما في «المفردات». وفي مرجع المستكن في يرفعه وجوه:

الأول: أنه للكلم فإن العمل لا يقبل إلا بالتوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل يعني أن التوحيد يصعد بنفسه ويرفع العمل الصالح بأن يكون سبباً لقبوله ألا ترى أن أعمال الكفار مردودة محبطة لوجود الشرك.

والثاني: أنه للعمل فإنه يحقق الإيمان ويقويه ولا ينال الدرجات العالية إلا به كما في «الإرشاد». وقال الشيخ: التوحيد إنما قبل بسبب الطاعة إذ هو مع العصيان لا ينفع أي: لا يمنع العقاب والأولى ما في «الإرشاد» فإن الأعمال كالمراقي وقول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر. وقال الكاشفي في الآية: [وعمل شايسته برميدارد آنرا

وبمحل قبول ميرساند چه مجرد قول بي عمل صالح كه اخلاصست نافع نيست. يا كلم طيب دعاست وعمل صالح صدقه مساكين ودرغالب اجابت دعوات بتصدقاتست. يا كلم طيب دعاى ائمه است وعمل تأمين جماعتيان. يا كلم تكبير غزاست وعمل شمشير زدن. يا كلم استغفاراست وعمل ندم ودرين همه صور بردارنده كلمه عمل است]. والثالث أنه لله تعالى يعني يتقبله. قال ابن عطية: وهذا أرجح الأقوال وتخصيص العمل بهذا الشرف على هذا الوجه لما فيه من الكلفة. وقال في «حل الرموز»: قالوا: كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» تصعد إلى الله بنفسها وغيرها من الأذكار والأعمال ترفعها الملائكة كما قال تعالى: ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ أي: يرفعه الحق ويقبله على أيدي الملائكة من الحفظة والسفرة وقد روي أن دعوة اليتيم وكذا دعوة المظلوم تصعد إلى الله بنفسها أي: من غير ملائكة. وفيه معنى آخر وهو أن يرفعه بمعنى يجعله ذا قدر وقيمة مثل ثوب رفيع ومرتفع يعني: [قدر ومرتبه او رفيع سازد مراد عمل موحد مخلص است كه هيچ چيزى بقيمت آن نيست وكاريرا كه بآن آميخته باشد ازهمه چيزى خوارتر وبى مقدار تراست]:

كرت بيخ اخلاص در يوم نيست ازين در كسى چون تو محروم نيست
زر قلب آلوده بى قيمت است زريرا كه خالص بود حرمت است

وفي «التأويلات النجمية»: بقوله: ﴿من كان يريد العزة﴾ يشير إلى أن الإنسان خلق ذليلاً مهيناً محتاجاً إلى كل شيء ولا يحتاج شيء إلى شيء كاحتياج الإنسان إلى الأشياء كلها ولا يحتاج إلى كل شيء إلا الإنسان والذلة قرين الحاجة فمن ازدادت حاجته ازدادت مذلته ﴿فللّه العزة جميعاً﴾ لعدم احتياجه وكل شيء ذليل له لاحتياجه إليه فكلما كان احتياج الإنسان كاملاً كان ذله كاملاً فقال تعالى: ﴿من كان﴾ إلى آخره أي: لا يطلب العزة من غير الله لأنه ذليل أيضاً لله فبقدر قطع النظر عن الأشياء وطلب العزة منها تنقص ذلة العبد وتزيد عزته إلى أن لا يبقى له الاحتياج إلى غير الله ولا يزول الاحتياج والافتقار إلى غير الله من القلوب إلا بنفي لا إله وإثبات إلا الله فبالنفي تنقطع تعلقاته عن الكونين وبالاثبات يتوجه بالكلية إلى الحق تعالى فإذا لم يبق له تعلق ترجع حقيقة الكلمة إلى الحضرة كما أن النار تستنزل من الفلك الأثير باصطكاك الحجر والحديد ثم يوقد بها شجرة فالنار تأكل الشجرة وتفنيها من الحطبية وتبقيها بالنارية إلى أن تفنى الشجرة بالكلية فلما لم يبق من وجود الحطب شيء ترجع النار إلى الأثير وهذا سرّ قول الله ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ والعمل الصالح هو أركان الشريعة فأول ركن منها كمال استنزال نار نور الله من أثير الحضرة باصطكاك حديد «لا إله إلا الله» وحجر القلب القاسي فلما وقعت النار في شجرة الوجود الإنساني عمل العبد بركن من الأركان الخمسة التي بنى الإسلام عليها والأركان الأربعة الباقية هي العمل الصالح الذي يقلع أصل الشجرة من أرض الدنيا ويقطعها قطعاً تستعد به لقبولها النار واشتعالها بالنار واحتراقها بها لتقع النار إلى أن تحترق الشجرة بالكلية وترفع بالعبور عن الشجرة إلى أثير الحضرة ولما كانت الشجرة مشتعلة بتلك النار آنس موسى عليه السلام من جانب الطور ناراً فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة على لسان الشعلة ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] تأمله تفهم إن شاء الله تعالى ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ المكر صرف الغير عما يقصده بحيلة. وفي «القاموس»: المكر الخديعة وهذا بيان لحال الكلم الخبيث

والعمل السيىء وأهلهما بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات على أنها صفة للمصدر المحذوف فإن يمكر لازم لا ينصب المفعول به أي: يمكرون المكرات السيئات وهي مكرات قريش بالنبي عليه السلام في دار الندوة وتدارؤهم الرأي في إحدى الثلاث التي هي الإثبات والقتل والإخراج كما حكى الله عنهم في سورة الأنفال بقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] ﴿لهم﴾ بسبب مكراتهم ﴿عذاب شديد﴾ في الدنيا والآخرة لا يدرك غايته ولا يبالي عنده بما يمكرون به ﴿ومكر أولئك﴾ المفسدين الذين أرادوا أن يمكروا به عليه السلام. وضع اسم الإشارة موضع ضميرهم للإيذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك ﴿هو﴾ خاصة دون مكر الله بهم. وفي «الإرشاد» لا من مكروا به ﴿يبور﴾ يهلك ويفسد فإن البوار فرط الكساد ولما كان فرط الكساد يؤدي إلى الفساد كما قيل كسد حتى فسد عبر بالبوار عن الهلاك والفساد ولقد أبارهم الله تعالى إبارة بعد إبارة مكراتهم حيث أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلاث التي اكتفوا في حقه عليه السلام بواحدة منهن قل كل يعمل على شاكلته. فللمكر السيىء قوم أشقياء غاية أمرهم الهلاك وللكلم الطيب والعمل الصالح قوم سعداء نهاية شأنهم النجاة. قال مجاهد وشهر بن حوشب: المراد بالآية أصحاب الرياء.

وفي «التأويلات النجمية»: بقوله: ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ يشير إلى الذين يظهرون الحسنات بالمكر ويخفون السيئات من العقائد الفاسدة ليحسبهم الخلق من الصالحين الصادقين ﴿لهم عذاب شديد﴾ وشدة عذابهم في تضعيف عذابهم فإنهم يعذبون بالسيئات التي يخفونها ويضاعف لهم العذاب بمكرهم في إظهار الحسنات دون حقيقتها كما قال تعالى: ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾ أي: مكرهم يبوّرهم ويهلكهم انتهى وإنما تظهر الكرامات بصدق المعاملات. قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: [كفت شبى خانه روشن كشت كفتم اكرشيطانست من ازان عزيز ترم وبلندهمت كه اورا در من طمع افتد واكر از نزديك تست بكذار تا ازسراى خدمت بسراى كرامت رسم] فالخدمة في طريق الحق بالخلوص وسيلة إلى ظهور الأنوار وانكشاف الأسرار. وقد قيل: ليس الإيمان بالتمني يعني لا بد للتصديق من مقارنة العمل ولا بد لتحقيق التصديق من صدق المعاملة فمن وقع في التمني المجرد فقد اشتهى جريان السفينة في البر.

كر همه علم عالمت باشد بى عمل مدعى وكذابى

حفظنا الله وإياكم من ترك المحافظة على الشرائع والأحكام وشرفنا بمراعاة الحدود والآداب في كل فعل وكلام إنه ميسر كل مراد ومرام.

﴿والله خلقكم من تراب﴾ دليل آخر على صحة البعث والنشور أي: خلقكم ابتداء من التراب في ضمن خلق آدم خلقاً إجمالياً لتكونوا متواضعين كالتراب. وفي الحديث «إن الله جعل الأرض ذلولاً تمشون في مناكبها وخلق بني آدم من التراب ليذلهم بذلك فأبوا إلا نخوة واستكباراً ولن يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر». وقال بعضهم من تراب تقبرون وتدفنون فيه.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنكم أبعد شيء من المخلوقات إلى الحضرة لأن التراب أسفل المخلوقات وكثيفها فإن فوقه ماء وهو ألطف منه وفوق الماء هواء وهو ألطف منه وفوق الهواء أثير وهو ألطف من الهواء وفوق الأثير السماء وهي ألطف من الأثير ولكن لا تشبه

لطافة السماء بلطافة ما تحتها من العناصر لأن لطافة العناصر من لطافة الأجسام ولطافة السموات من لطافة الأجرام. فالفرق بينهما أن لطافة الأجسام تقبل الخرق والالتئام ولطافة السموات لا تقبل الخرق والالتئام وفوق كل سماء سماء هي ألطف منها إلى الكرسي وهو ألطف من السموات وفوقه العرش وهو ألطف من الكرسي وفوقه عالم الأرواح وهو ألطف من العرش ولكن لا تشبه لطافة الأرواح بلطافة العرش والسموات لأنها لطافة الأجرام فالفرق بينهما أن لطافة الأجرام قابلة للجهات الست ولطافة الأرواح غير قابلة للجهات وفوق الأرواح هو الله القاهر فوق عباده وهو ألطف من الأرواح ولكن لطافته لا تشبه لطافة الأرواح لأن لطافة الأرواح نورانية علوية محيطة بما دونها إحاطة العلم بالمعلوم والله تعالى فوق كل شيء وهو منزه عن هذه الأوصاف ليس كمثله شيء وهو السميع البصير العليم ﴿ثم من نطفة﴾ النطفة هي الماء الصافي الخارج من بين الصلب والترائب قل أو كثر أي: ثم خلقكم من نطفة خلقاً تفصيلياً لتكونوا قابلين لكل كمال كالماء الذي هو سر الحياة ومبدأ العناصر الأربعة. وقال بعضهم: خلقكم من تراب يعني آدم وهو أصل الخلق ثم من نطفة ذرية منه التناسل والتوالد.

وفي «التأويلات»: يشير إلى أنه خلقكم من أسفل المخلوقات وهي النطفة لأن التراب نزل دركة المركبية ثم دركة النباتية ثم دركة الحيوانية ثم دركة الإنسانية ثم دركة النطفة فهي أسفل سافلي المخلوقات وهي آخر خلق خلقه الله تعالى من أصناف المخلوقات كما أن أعلى الشجرة آخر شيء يخلقه الله هو البذر الذي يصلح أن توجد منه الشجرة فالبذر آخر صنف خلق من أصناف أجزاء الشجرة ﴿ثم جعلكم أزواجاً﴾ أصنافاً أحمر وأبيض وأسود أو ذكراناً وإناثاً. وعن قتادة جعل بعضكم زوجاً لبعض.

وفي «التأويلات»: يشير إلى ازدواج الروح والقالب فالروح من أعلى مراتب القرب والقالب من أسفل دركات البعد فبكمال القدرة والحكمة جمع بين أقرب الأقربين وأبعد الأبعدين ورتب للقالب في ظاهره الحواس الخمس وفي باطنه القوى البشرية ورتب للروح المدركات الروحانية ليكون بالروح والقالب مدركاً لعوالم الغيب والشهادة كلها وعالماً بما فيها خلافة عن حضرة الربوبية عالم الغيب والشهادة:

آدمـي شـاه وكـائـنـات سـپـا مـظـهـر كـل خـلـيـفـة الله

﴿وما﴾ نافية ﴿تحمل﴾ [برنكيرد يعني ازفرزند] ﴿من أنثى﴾ [هيج زنى] من مزيدة لاستغراق النفي وتأكيده والأنثى خلاف الذكر ويقالان في الأصل اعتباراً بالفرجين كما في «المفردات» ﴿ولا تضع﴾ [وننهد آنچه درشكم اوست يعني نزايد] ﴿إلا﴾ حال كونها ملتبسة ﴿بعلمه﴾ تابعة لمشيئته. قال في «بحر العلوم»: بعلمه في موضع الحال والمعنى ما يحدث شيء من حمل حامل ولا وضع واضع إلا وهو عالم به يعلم مكان الحمل ووضعه وأيامه وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والأنوثة وغير ذلك ﴿وما يعمر من معمر﴾ ما نافية [والتعمير: عمر دادن] والمعمر من أطيل عمره ويقال للمعمر ابن الليالي. وقوله من معمر أي: من أحد ومن زائدة لتأكيد النفي كما في من أنثى وإنما سمي معمراً باعتبار مصيره يعني هو من باب تسمية الشيء بما يأول إليه والمعنى وما يمد في عمر أحد وما يطول وبالفارسية: [وزندكانى داده نشود هيج درازى عمرى] ﴿ولا ينقص من عمره﴾ العمر اسم لمدة عمارة البدن بالحياة وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قرأه من عمره بجزم الميم وهما لغتان مثل نكر ونكر

والضمير راجع إلى المعمر والنقصان من عمر المعمر محال فهو من التسامح في العبارة ثقة بفهم السامع فيراد من ضمير المعمر ما من شأنه أن يعمر على الاستخدام والمعنى ولا ينقص من عمر أحد لكن لا على معنى لا ينقص من عمره بعد كونه زائداً بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصاً وبالفارسية: [وكم كرده نشود از عمر معمرى ديكر يعني كه يعمر معمر اول نرسد] ﴿إلا في كتاب﴾ أي: اللوح أو علم الله أو صحيفة كل إنسان ﴿إن ذلك﴾ المذكور من الخلق وما بعده مع كونه محاراً للعقول والأفهام ﴿على الله يسير﴾ لاستغنائه على الأسباب فكذلك البعث. وفي «بحر العلوم»: إن ذلك إشارة إلى أن الزيادة والنقص على الله يسير لا يمنعه منه مانع ولا يحتاج فيه إلى أحد.

واعلم أن الزيادة والنقصان في الآية بالنسبة إلى عمرين كما عرفت وإلا فمذهب أكثر المتكلمين وعليه الجمهور أن العمر يعني عمر شخص واحد لا يزيد ولا ينقص. وقيل: الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت في اللوح مثل أن يكتب فيه إن حج فلان فعمره ستون وإلا فأربعون فإذا حج فقد بلغ الستين وقد عمر وإذا لم يحج فلا يجاوز الأربعين فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون وكذا إن تصدق أو وصل الرحم فعمره ثمانون وإلا فخمسون وإليه أشار عليه السلام بقوله: «الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الأعمار» وفي الحديث «إن المرء ليصل رحمه وما بقي من عمره إلا ثلاثة أيام فينسئه الله إلى ثلاثين سنة وإنه ليقطع الرحم وقد بقي من عمره ثلاثون سنة فيرده الله إلى ثلاثة أيام» وفي الحديث «بر الوالدين يزيد في العمر والكذب ينقص الرزق والدعاء يرد القضاء».

قال بعض الكبار: لم يختلف أحد من علماء الإسلام في أن حكم القضاء والقدر شامل لكل شيء ومنسحب على جميع الموجودات ولوازمها من الصفات والأفعال والأحوال وغير ذلك. فما الفرق بين ما نهى النبي عليه السلام عن الدعاء فيه كالأرزاق المقسومة والآجال المضروبة وبين ما حرّض عليه كطلب الإجارة من عذاب النار وعذاب القبر ونحو ذلك.

فاعلم أن المقدورات على ضربين: ضرب يختص بالكليات وضرب يختص بالجزئيات التفصيلية فالكليات المختصة بالإنسان قد أخبر عليه السلام أنها محصورة في أربعة أشياء وهي: العمر والرزق والأجل والسعادة أو الشقاوة وهي لا تقبل التغير فالدعاء فيها لا يفيد كصلة الرحم إلا بطريق الفرض يعني لو أمكن أن يبسط في الرزق ويؤخر في الأجل لكان ذلك بالصلة والصدقة فإن لهما تأثيراً عظيماً ومزاية على غيرهما ويجوز فرض المحال إذا تعلق بذلك الحكمة قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخرف: ٨١] وأما الجزئيات ولوازمها التفصيلية فقد يكون ظهور بعضها وحصوله للإنسان متوقفاً على أسباب وشروط ربما كان الدعاء والكسب والسعي والعمل من جملتها بمعنى لم يقدّر حصوله بدون الشرط أو الشروط. وقال ابن الكمال: أما الذي يقتضيه النظر الدقيق فهو أن المعمر الذي قدر له العمر الطويل يجوز أن يبلغ حد ذلك العمر وأن لا يبلغه فيزيد عمره على الأول وينقص على الثاني ومع ذلك لا يلزم التغيير وذلك لأن المقدر لكل شخص إنما هو الأنفاس المعدودة لا الأيام المحدودة والأعوام المعدودة ولا خفاء في أن أيام ما قدر من الأنفاس تزيد وتنقص بالصحة والحضور والمرض والتعب فافهم هذا السر العجيب حتى ينكشف لك سر اختيار بعض الطوائف حبس النفس ويتضح وجه كون الصدقة والصلة سبباً لزيادة العمر انتهى. وقيل المراد

من النقص ما يمر من عمره وينقص فإنه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى يأتي على آخره كما قال ابن عباس رضي الله عنهما إن الله تعالى جعل لكل نسمة عمراً تنتهي إليه فإذا جرى عليه الليل والنهار نقص من عمره بالضرورة وقد قيل: نقصان العمر صرفه إلى غير مرضاة الله تعالى قال الحافظ قدس سره:

فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد

وقال:

اوقات خوش آن بودكه بادوست بسر رفت

باقي همه بى حاصلي وبي خبري بود

وقال المولى الجامي قدس سره:

هردم از عمر كرامي هست كنج بى بدل ميرود كنج چنين هر لحظه برباد آه آه

وقال الشيخ سعدي قدس سره:

هردم از عمر ميرود نفسي چون نكه ميكنم نمانده بسى

عمر برفست وآفتاب تموز اندكى ماندو خواجه غره هنوز

أيقظنا الله وإياكم.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾.

﴿وما يستوي البحران﴾ أصل البحر كل مكان واسع جامع للماء الكثير ويقال للمتوسع في العلم بحر. وفي «القاموس» البحر الماء الكثير عذباً أو ملحاً. وقال بعضهم: البحر في الأصل يقال للملح دون العذب فقوله: وما يستوي البحران الخ إنما سمي العذب بحراً لكونه مع الملح كما يقال للشمس والقمر قمران. قال في إخوان الصفا: فإن قيل ما البحار؟ يقال هي مستنقعات على وجه الأرض حاصرة للمياه المجتمعة فيها ﴿هذا﴾ البحر ﴿عذب﴾ طيب بالفارسية [شيرين] ﴿فرات﴾ بليغ عذوبته بحيث يكسر العطش. وقال في «تاج المصادر»: [الفروتة: خوش شدن آب] والنعت فعال ويقال للواحد والجمع ﴿سائغ شرابه﴾ سهل انحدار مائه في الحلق لعذوبته فإن العذب لكونه ملائماً للطمع تجذبه القوة الجاذبة لسهول. والسائغ بالفارسية [كوارنده] يقال ساغ الشراب سهل مدخله والشراب ما شرب والمراد هنا الماء ﴿وهذا﴾ البحر الآخر ﴿ملح﴾ [تلخست]. قال في «المفردات»: الملح الماء الذي تغير طعمه التغير المعروف وتجمد ويقال له ملح إذا تغير طعمه وإن لم يتجمد فيقال ماء ملح وقلما تقول العرب مالح ثم استعير من لفظ الملح الملاحة فقيل: رجل مليح ﴿أجاج﴾ شديد ملوحته بحيث يحرق بملوحته وهو نقيض الفرات. قال في «خريدة العجائب»: الحكمة في كون ماء البحر ملحاً أجاجاً لا يذاق ولا يساغ لئلا ينتن من تقادم الدهور والأزمان وعلى ممرّ الأحقاب والأحيان فيهلك من نتنه العالم الأرضي ولو كان عذباً لكان كذلك ألا ترى إلى العين التي بها ينظر الأنسان الأرض والسماء والعالم والألوان وهي شحمة مغمورة في الدمع وهو ماء مالح

والشحم لا يصان إلا بالملح فكان الدمع مالحاً لذلك المعنى انتهى. وأما الأنهار العظيمة العذبة فلجريانها دائماً لم يتغير طعمها ورائحتها فإن التغير إنما يحصل من الوقوف في مكان ﴿ومن كل﴾ أي: من كل واحد من البحرين المختلفين طعماً ﴿تأكلون﴾ أيها الناس ﴿لحماً طرياً﴾ غضاً جديداً من الطراء [والطراوة بالفارسية: ميخوريد كوشتى تازه يعني ماهى] وصف السمك بالطراوة وهي بالفارسية: [تازه شدن] لتسارع الفساد إليه فيسارع إلى أكله طرياً ومضى باقي النقل في سورة النحل ﴿وتستخرجون﴾ أي: من المالح خاصة ولم يقل منه لأنه معلوم ﴿حلية﴾ زينة أي: لؤلؤاً ومرجاناً. وفي «الأسئلة المقحمة» أراد بالحلية اللآلي واللآلي إنما تخرج من ملح أجاج لا من عذب فرات فكيف أضافها إلى البحرين والجواب قد قيل: إن اللآلي تخرج من عذب فرات وفي الملح عيون من ماء عذب ينعقد فيه اللؤلؤ والمرجان انتهى قال في «الخريدة»: اللؤلؤ يتكون في بحر الهند وفارس والمرجان ينبت في البحر كالشجر وإذا كلس المرجان عقد الزئبق فمنه أبيض ومنه أحمر ومنه أسود وهو يقوي العين كحلاً وينشف رطوبتها ﴿تلبسونها﴾ أي: تلبس تلك الحلية نساؤكم ولما كان تزينهن بها لأجل الرجال فكأنها زينتهم ولباسهم ولذا أسند إليهم وفي الحديث «كلم الله البحرين فقال للبحر الذي بالشام يا بحر إني قد خلقتك وأكثرت فيك من الماء وإني حامل فيك عباداً لي يسبحونني ويحمدونني ويهللونني ويكبرونني فما أنت صانع بهم؟ قال: أغرقهم قال الله تعالى فإني أحملهم على ظهرك وأجعل بأسك في نواصيك» وقال للبحر الذي باليمن «إني قد خلقتك وأكثرت فيك الماء وإني حامل فيك عباداً يسبحونني ويحمدونني ويهللونني ويكبرونني فما أنت صانع بهم؟ قال: أسبحك وأحمدك وأهللك وأكبرك معهم وأحملهم على ظهري قال الله تعالى فإني أفضلك على البحر الآخر بالحلية والطري» كذا في «كشف الأسرار» ﴿وترى الفلك﴾ السفينة ﴿فيه﴾ أي: في كل منهما وأفراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لأن الخطاب لكل أحد يأتي منه الرؤية دون المنتفعين بالبحرين فقط ﴿مواخر﴾ يقال سفينة ماخرة إذا جرت تشق الماء مع صوت والجمع المواخر كما في «المفردات» والمعنى شواق للماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿لتبتغوا﴾ [تا طلب كنيد] واللام متعلق بمواخر ﴿من فضله﴾ أي: من فضل الله تعالى بالنقلة فيها. قال في «بحر العلوم» ابتغاء الفضل التجارة وهي أعظم أسباب سعة الرزق وزيادته قال عليه السلام: «تسعة أعشار رزق أمتي في البيع والشراء» ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أي: ولتشكروا على ذلك الفضل وحرف الترجي للإيذان بكونه مرضياً عنده تعالى. وفي «بحر العلوم» وكي تعرفوا نعم الله فتقوموا بحقها سيما أنه جعل المهالك سبباً لوجود المنافع وحصول المعايش.

واعلم أن الله تعالى ذكر هذه الآية دلالة على قدرته وبياناً لنعمته. وقال بعضهم: ضرب البحر العذب والملح مثلاً للمؤمن والكافر فكما لا يستوي البحران في الطعم فكذا المؤمن والكافر [يكى ازحلاوت ايمان عين عذب عرفانست وديكر از مرارت عصيان بحر اجاج كفر وطغيان آن آب حيات آمد واين نقش سرابست اين عين خطا باشد وآن محض صوابست] فقوله: ومن كل الخ إما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع أو تفضيل للأجاج على الكافر من حيث إنه يشارك العذب في منافع كثيرة كالسمك وجري الفلك ونحوهما والكافر خلا من المنافع بالكلية على طريقة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ

ٱلْمَآءُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ٧٤] ورحم الله أبا الليث حيث قال في تفسيره ومن كل يظهر شيء من الصلاح يعني يلد الكافر المسلم مثل ما ولد الوليد بن المغيرة خالد بن الوليد وأبو جهل عكرمة بن أبي جهل. والإشارة بالبحر العذب إلى الروح وصفاته الحميدة ومشربه الواردات الربانية وبالملح إلى النفس وصفاتها الذميمة ومشربها الشهوات الحيوانية ولنا سفينتان الشريعة والطريقة فسفينة الشريعة تجري من بحر الروح إلى بحر النفس فيها أحمال الأوامر والنواهي وسفينة الطريقة تجري من بحر الروح إلى الحضرة فيها أحمال الأسرار والحقائق والمعاني والمقصود الوصول إلى الحضرة على قدمي الشريعة والطريقة. في «كشف الأسرار» [اين دودرياى مخلف يكى فرات ويكى أجاج. مثال دو درياست كه ميان بنده وخداست يكى درياى هلاك ديكر درياى نجات. دردرياى هلاك پنج كشتى روانست. يكى حرص. وديكر رياست. ديكر اصرار بر معاصى. چهارم غفلت پنجم قنوط. هركه دركشتى حرص نشيند بساحل حسرت رسد. هركه دركشتى قنوط نشيند بساحل كفر رسد. أما درياى نجات بساحل عطا رسد. هركه دركشتى زهد نشيند بساحل قربت رسد هركه دركشتى معرفت نشيند بساحل انس رسد. هركه دركشتى توحيد نشيند بساحل مشاهده رسد. پيرطريقت موعظتي بليغ كفته ياران ودوستان خودرا كفت أى عزيزان وبرادران هنكام آن آمد كه ازين درياى هلاك نجات جوييد واز ورطه فترت برخيزيد نعيم باقى باين سراى فانى نفروشيد نفس بخدمت بيكانه است بيكانه را ميروريد دل بى يقظت غول است تا بغول صحبت مداريد نفس بى آكاهى باداست باباد عمر مكذرانيد باسمى ورسمى ازحقيقت قانع مباشيد از مكر نهانى ايمن منشينيد ازكار خاتمه ونفس باز پسين همواره برحذر باشيد شيرين سخن ونيكو نظمى كه آن خوانمرد كفته است]:

اى دل ار عقبيت بايدچنك ازين دنيا بدار ... پاك بازى پيشه كير وراه دين كن اختيار
پاى دردنيا نه وبردوز چشم نام وننك ... دست در عقبى زن وبربندراه فخر وعار
چون زنان تاكى نشينى براميدرنك وبوى ... همت اندر راه بند كامزن مردانه وار
چشم آن نادان كه عشق آوردبررنك صدف ... والله آرديدش رسد هركز بدرشاهوار

قال بعض أهل المعرفة: ﴿وما يستوي البحران﴾ أي: الوقتان هذا بسط وصاحبه في روح وهذا قبض وصاحبه في نوح هذا فرق وصاحبه يوصف بالعبودية وهذا جمع وصاحبه في شهود الربوبية [بنده تادر قبض است خوابش چون خواب غرق شدكان خوردش چون خورد بيماران عيشش چون عيش زندانيان بسزاى نياز خويش مى زيد بخوارى وراه مى برد بزارى وبزبان تذلل مى كويد پرآب دوچشم وپرآتش جكرم پرباد دودستم وپرازخاك سرم چون زارى وخوارى بغايت رسد وتذلل وعجزى ظاهر كردد رب العزة تدارك دل وى كند دربسط وانبساط بردل وى كشايد وقت وى خوش كردد دلش با مولى پيوسته وسر باطلاع حق آراسته وبزبان شكر ميكويد الهى محنت من بودى دولت من شدى اندوه من بودى راحت من شدى داغ من بودى چراغ من شدي جراحت من بودى مرهم من شدى] نسأل الله الخلاص من البرازخ والقيود والوصول إلى الغاية القصوى من الوجدان والشهود إنه رحيم ودود.

﴿يولج الليل في النهار﴾ أي: يدخل الله الليل في النهار بإضافة بعض أجزاء الليل إلى النهار فينقص الأول ويزيد الثاني كما في فصلي الربيع والصيف ﴿ويولج النهار في الليل﴾

بإضافة بعض أجزاء النهار إلى الليل كما في فصلي الخريف والشتاء ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ [ورام كرد آفتاب وماه راه يعني مسخر فرمان خود ساخت]. وفي «بحر العلوم» معنى تسخير الشمس والقمر تصييرهما نافعين للناس حيث يعلمون بمسيرهما عدد السنين والحساب انتهى. يقول الفقير ومنه يعلم حكمة الإيلاج فإنه بحركة النيرين تختلف الأوقات وتظهر الفصول الأربعة التي تعلق بها المصالح والأمور المهمة. ثم قوله وسخر عطف على يولج واختلافهما صيغة لما أن إيلاج أحد الملوين في الآخر متجدد حيناً فحيناً وأما تسخير النيرين فلا تعدد فيه وإنما المتعدد والمتجدد آثاره وقد أشير إليه بقوله تعالى: ﴿كل﴾ أي: كل واحد من الشمس والقمر ﴿يجري﴾ أي: بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد أيام السنة جرياً مستمراً ﴿لأجل﴾ وقت ﴿مسمى﴾ معين قدره الله تعالى لجريانهما وهو يوم القيامة فحينئذٍ ينقطع جريهما. وقال بعضهم يجري إلى أقصى منازلهما في الغروب لأنهما يغربان كل ليلة في موضع ثم يرجعان إلى أدنى منازلهما فجريانهما عبارة عن حركتيهما الخاصتين بهما في فلكيهما. والأجل المسمى عبارة عن منتهى دوريتهما ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر فإذا كان آخر السنة ينتهي جري الشمس وإذا كان آخر الشهر ينتهي جري القمر. قال في «البحر»: والمعنى في التحقيق يجري لإدراك أجل على أن الجري مختص بإدراك أجل ﴿ذلكم﴾ مبتدأ إشارة إلى فاعل الأفاعيل المذكورة إشارة تجوّز فإن الأصل إلى الإشارة أن تكون حسية ويستحيل إحساسه تعالى وما فيه من معنى البعد للإيذان بغاية العظمة أي: ذلك العظيم الشأن الذي أبدع هذه الصنائع البديعة ﴿الله﴾ خبر ﴿ربكم﴾ خبر ثان ﴿له الملك﴾ خبر ثالث أي: هو الجامع لهذه الأوصاف من الإلهية والربوبية والمالكية لما في السموات والأرض فاعرفوه ووحدوه وأطيعوا أمره ﴿والذين تدعون﴾ [وآنانرا كه مى خوانيد ومى پرستيد] ﴿من دونه﴾ أي: حال كونكم متجاوزين الله وعبادته ﴿ما يملكون من قطمير﴾ هو القشرة البيضاء الرقيقة الملتفة على النواة كاللفافة لها وهو مثل في القلة والحقارة كالنقير الذي هو النكتة في ظهر النواة ومنه ينبت النخل والفتيل الذي في شق النواة على هيئة الخيط المفتول والمعنى لا يقدرون على أن ينفعوكم مقدار القطمير.

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾.

﴿إن تدعوهم﴾ أي: الأصنام للإعانة وكشف الضر ﴿لا يسمعوا دعاءكم﴾ لأنهم جماد والجماد ليس من شأنه السماع ﴿ولو سمعوا﴾ على الفرض والتمثيل ﴿ما استجابوا لكم﴾ فإنهم لا لسان لهم أو ما أجابوكم لملتبسكم لعجزهم عن النفع بالكلية فإن من لا يملك نفع نفسه كيف يملك نفع غيره. قال الكاشفي يعني: [قادر نيستند بر إيصال منافع ودفع مكاره] ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ أي: يجحدون بإشراككم لهم وبعبادتكم إياهم بقولهم ما كنتم إيانا تعبدون وإنما جيء بضمير العقلاء لأن عبدتهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلاً وغباوة ولأنه أسند إليهم ما يسند إلى أولي العلم من الاستجابة والسمع ويجوز أن يريد كل معبود من دون الله من الجن والإنس والأصنام فغلب غير الأصنام عليها كما في «بحر العلوم» ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾ أي: لا يخبرك يا محمد بالأمر مخبر مثل خبير أخبرك به وهو الحق سبحانه فإنه الخبير

بكنه الأمور دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من الإلهية [صاحب لباب آورده كه اضافت مثل بخداى جائز نيست پس اين مثليست دركلام عرب شايع كشته واستعمال كنند دراخبار مخبرى كه سخن او في نفس الأمر معتمد عليه باشد]. قال الزروقي: الخبير هو العليم بدقائق الأمور التي لا يتوصل إليها غيره إلا بالاختيار والاحتيال. وقال الغزالي: هو الذي لا يعزب عنه الأخبار الباطنة ولا يجري في الملك والملكوت شيء ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تصطرب نفس ولا تطمئن إلا ويكون عنده خبرها:

بر احوال نا بوده علمش بصير بر اسرار ناكفته لطفش خبير

وحظ العبد من ذلك أن يكون خبيراً بما يجري في بدنه وقلبه من الغش والخيانة والتطوف حول العاجلة وإضمار الشر وإظهار الخير والتحمل بإظهار الإخلاص والإفلاس عنه ولا يكون خبيراً بمثل هذه الخفايا إلا بإظهار التوحيد وإخفائه وتحقيقه والوصول إلى الله بالإعراض عن الشرك وما يكون متعلق العلاقة والميل.

غلام همت آنم كه زير چرخ كبود ز هرچه رنك تعلق پذيرد آزادست

وذلك أن التعلق بما سوى الله تعالى لا يفيد شيئاً من الجلب والسلب فإنه كله مخلوق والمخلوق عاجز وليست القدرة الكاملة إلا لله تعالى فوجب توحيده والعبادة له والتعلق به. وخاصية الاسم الخبير حصول الإخبار بكل شيء فمن ذكره سبعة أيام أتته الروحانية بكل خبر يريده من أخبار السنة وأخبار الملوك وأخبار القلوب وغير ذلك كذا في «شمس المعارف» ومن كان في يد شخص يؤذيه فليكثر ذكره يصلح حاله كذا في «شرح الأسماء الحسنى» للشيخ الزروقي.

﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾.

﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ الفقراء جمع فقير كالفقائر جمع فقيرة والفقير المكسور الفقار والفقر [پشت كسى شكستن] ذكره في «تاج المصادر» في باب ضرب وجعله في «القاموس» من حد كرم. وقال الراغب في «المفردات»: يقال افتقر فهو مفتقر وفقير ولا يكاد يقال فقر وإن كان القياس يقتضيه انتهى. وفهم من هذا أن الفقير صيغة مبالغة كالمفتقر بمعنى ذي الاحتياج الكثير والشديد والفقر وجود الحاجة الضرورية وفقد ما يحتاج إليه وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم فإنهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء فحسب وأن افتقار سائر الأخلاق بالنسبة إلى فقرهم بمنزلة العدم. والمعنى يا أيها الناس أنتم المحتاجون إلى الله تعالى بالاحتياج الكثير الشديد في أنفسكم وفيما يعرض لكم من أمر مهم أو خطب ملم فإن كل حادث مفتقر إلى خالقه ليبديه وينشئه أولاً ويديمه ويبقيه ثانياً ثم الإنسان محتاج إلى الرزق ونحوه من المنافع في الدنيا مع دفع المكاره والعوارض وإلى المغفرة ونحوها في العقبى فهو محتاج في ذاته وصفاته وأفعاله إلى كرم الله وفضله.

قال بعض الكبار: إن الله تعالى ما شرّف شيئاً من المخلوقات بتشريف خطاب أنتم الفقراء إلى الله حتى الملائكة المقربين سوى الإنسان وذلك أن افتقار المخلوقات إلى أفعال الله

تعالى من حيث الخلق ونحوه وافتقار الإنسان إلى ذات الله وصفاته فجميع المخلوقات وإن كانت محتاجة إلى الله تعالى لكن الاحتياج الحقيقي إلى ذات الله وصفاته مختص بالإنسان من بينها كمثل سلطان له رعية وهو صاحب جمال فيكون افتقار جميع رعاياه إلى خزائنه وممالكه ويكون افتقار عشاقه إلى عين ذاته وصفاته فيكون غنى كل مفتقر بما يفتقر إليه فغنى الرعية يكون بالمال والملك وغنى العاشق يكون بمعشوقه.

كـام عـاشـق دولـت ديـدار يـار قـصـد زاهـد جـنـت ونـقـش ونـكـار
هـرچـه جز عـشـق حـقـيـقي شـدوبـال هـرچـه جز مـعـشـوق بـاقي شـد خـيـال
هـسـت در وصـلـت غـنـا انـدر غـنـا هـسـت درفـرقـت غـم وفـقـر وعـنـا

ومن الكمالات الإنسانية الاحتياج إلى الاسم الأعظم من جميع وجوه الأسماء الإلهية بحسب مظهريته الكاملة وأما غيره من الموجودات فاحتياجهم إنما هو بقدر استعدادهم فهو احتياج بوجه دون وجه ولذا ورد «الفقر فخري وبه افتخر» وهذا صحيح بمعناه وإن اختلف في لفظه كما قال عليه السلام: «اللهم أغنني بالافتقار إليك ولا تفقرني بالاستغناء عنك». قال في «كشف الأسرار» [صحابه را فقرا نام نهاد] حيث قال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الحشر: ٨] وقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] [وآن تلبيس توانكرى حال ايشانست تاكس توانكرىء ايشان نداندااين چنانست كه كفته اند]:

ارسـلانـم خـوان تـاكـس بـه نـدانـدكـه كـه ام

[پيران طريقت كفته اند بناى دوستى برتلبيس نهاده اند سليمانرا نام ملكى تلبيس فقر بود آدم را نام عصيان تلبيس صفوت بود إبراهيم را التباس نعمت تلبيس خلت بود زيراكه شرط محبت غير نست ودوستان حال خود بهركس ننمايند كسى كه ازكون ذره ندارد وبكونين نظرى ندارد وهمواره نظر الله پيش چشم خود دارد اورا فقير كويند از همه درويش است وبحق توانكر «إنما الغنى غنى القلب» توانكرى درسينه مى بايدنه درخزينه فقير اوست كه خودرادر دوجهان جز ازحق دست آوزنكند ونظر خود ندارد جهار تكبير برذات وصفات خود كند جنانكه آن جوانمرد كفت]:

نيست عشق لا يزالى را دران دل هيچ كار كاو هنوزاندر صفات خويش مانداست استوار
هركه در ميدان عشق نيكوان نامى نهاد چار تكبيرى كند برذات او ليل ونهار

﴿والله هو﴾ وحده ﴿الغنيّ﴾ المستغني على الإطلاق فكل أحد يحتاج إليه لأن أحداً لا يقدر أن يصلح أمره إلا بالأعوان لأن الأمير ما لم يكن له خدم وأعوان لا يقدر على الأمارة وكذا التاجر يحتاج إلى المكارين والله الغنيّ عن الأعوان وغيرها. وفي «الأسئلة المقحمة» معناه الغنيّ عن خلقه فلو لم يخلقهم لجاز ولو أدام حياتهم لابتلاهم كلفهم أو لم يكلفهم فالكل عنده بمثابة واحدة لأنه غني عنهم خلافاً للمعتزلة حيث قالوا: لو لم يكلفهم معرفته وشكره لم يكن حكيماً وهذا غاية الخزي ويفضي إلى القول بأن خلقهم لنفع أو دفع وهو قول المجوس بعينه حيث زعموا وقالوا: خلق الله الملائكة ليدفع بهم عن نفسه أذى الشيطان انتهى ﴿الحميد﴾ المنعم على جميع الموجودات حتى استحق عليهم الحمد على نعمته العامة وفضله الشامل فالله الغنيّ المغني. قال الكاشفي: [ببايد دانست كه ماهيات ممكنه در وجود محتاجند بفاعل ﴿وأنتم الفقراء﴾ إشارة با آنست وحق سبحانه وتعالى بحسب كمال ذاتي خود ازوجود عالم

وعالميان مستغنيست ﴿والله هو الغنيّ﴾ عبارت ازآنست وچون ظهور كمال اسمانى موقوفست بروجود اعيان ممكنات پس درايجاد آن كه نعمتيست كبرى مستحق حمداست وثنا كلمة ﴿الحميد﴾ بدان ايمايى مينمايد وازين رباعى پى بدين معنى توان برد]:

تاخود كردد بجمله اوصاف عيان واجب باشدكه ممكن آيد بميان
ورنه بكمال ذاتي از آدميان فردست وغنى چنانكه خود كردبيان

﴿إن يشأ﴾ أي: الله تعالى ﴿يذهبكم﴾ عن وجه الأرض ويعدمكم كما قدر على إيجادكم وبقائكم ﴿ويأت﴾ [وبيارد] ﴿بخلق﴾ مخلوق ﴿جديد﴾ مكانكم وبدلكم ليسوا على صفتكم بل مستمرون على الطاعة فيكون الخلق الجديد من جنسهم وهو الآدمي أو يأتي بعالم آخر غير ما تعرفونه يعني: [يا كروهى بياردكس نديده ونشنيده بود] فيكون من غير جنسهم وعلى كلا التقديرين فيه إظهار الغضب للناس الناسين وتخويف لهم على سرفهم ومعاصيهم وفيه إيضاً من طريق الإشارة تهديد لمدعي محبته وطلبه أي: إن لم تطلبوه حق الطلب يفنكم ويأت بخلق جديد في المحبة والطلب.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾

﴿وما ذلك﴾ أي: ما ذكر من الإذهاب بهم والإتيان بآخرين ﴿على الله﴾ متعلق بقوله: ﴿بعزيز﴾ بمتعذر ولا صعب ومتعسر بل هو هين عليه يسير لشمول قدرته على كل مقدور ولذلك يقدر على الشيء وضده فإذا قال لشيء كن كان من غير توقف ولا امتناع وقد أهلك القرون الماضية واستخلف الآخرين إلى أن جاء نوبة قريش فناداهم بقوله يا أيها الناس وبين أنهم محتاجون إليه احتياجاً كلياً وهو غني عنهم وعن عبادتهم ومع ذلك دعاهم إلى ما فيه سعادتهم وفوزهم وهو الإيمان والطاعة وهم مع احتياجهم لا يجيبونه فاستحقوا الهلاك ولم يبق إلا المشيئة ثم إنه تعالى شاء هلاكهم لإصرارهم فهلك بعضهم في بدر وبعضهم في غيره من المعارك وخلق مكانهم من يطيعونه تعالى فيما أمرهم به ونهاهم عنه ويستحقون بذلك فضله ورحمته واستمر الإفناء والإيجاد إلى يومنا هذا لكن لا على الاستعجال بل على الإمهال فإنه تعالى صبور لا يؤاخذ العصاة على العجلة ويؤخر العقوبة ليرجع التائب ويقلع المصر. ففي الآية وعظ وزجر لجميع الأصناف من الملوك ومن دونهم فمن أهمل أمر الجهاد لم يجد المهرب من بطش رب العباد ومن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد جعل نفسه عرضة للهلاك والخطر وعلى هذا فقس. فينبغي للعاقل المكلف أن يعبد الله ويخافه ولا يجترىء على ما يخالف رضاه ولا يكون أسوأ من الجمادات مع أن الإنسان أشرف المخلوقات. قال جعفر الطيار رضي الله عنه: كنت مع النبي عليه السلام وكان حذاءنا جبل فقال عليه السلام: «بلّغ مني السلام إلى هذا الجبل وقل له يسقيك إن كان فيه ماء» قال: فذهبت إليه وقلت: السلام عليك أيها الجبل فقال الجبل بنطق: لبيك يا رسول رسول الله فعرضت القصة فقال: بلّغ سلامي إلى رسول الله وقل له منذ سمعت قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ

﴿ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] بكيت لخوف أن أكون من الحجارة التي هي وقود النار بحيث لم يبق فيّ ماء.

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ يقال وزر يزر من الثاني وزراً بالفتح والكسر ووزر يوزر من الرابع حمل. والوزر الإثم والثقل والوازرة صفة للنفس المحذوفة وكذا أخرى والمعنى لا تحمل نفس آثمة يوم القيامة إثم نفس أخرى بحيث تتعرى منه المحمول عنها بل إنما تحمل كل منهما وزرها الذي اكتسبته بخلاف الحال في الدنيا فإن الجبابرة يأخذون الولي بالولي والجار بالجار وأما في قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] من حمل المضلين أثقالهم وأثقالاً غير أثقالهم فهو حمل أثقال ضلالهم مع أثقال إضلالهم وكلاهما أوزارهم ليس فيها شيء من أوزار غيرهم ألا يرى كيف كذبهم في قولهم: ﴿ٱتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢] بقوله: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ﴾ [العنكبوت: ١٢] ومنه يعلم وجه تحميل معاصي المظلومين يوم القيامة على الظالمين فإن المحمول في الحقيقة جزاء الظلم وإن كان يحصل في الظاهر تخفيف حمل المظلوم ولا يجري إلا في الذنب المتعدي كما ذكرناه في أواخر الأنعام. وفيه إشارة إلى أن الله تعالى في خلق كل واحد من الخلق سراً مخصوصاً به وله مع كل واحد شأن آخر فكل مطالب بما حمل كما أن كل بذر ينبت بنبات قد أودع فيه ولا يطالب بنبات بذر آخر لأنه لا يحمل إلا ما حمل عليه كما في «التأويلات النجمية»، قال الشيخ سعدي:

رطب ناورد چوب خر زهره بار چه تخم افكنى بر همان چشم دار

﴿وإن تدع﴾ صيغة غائبة أي: ولو دعت، وبالفارسية: [واكر بخواند] ﴿مثقلة﴾ أي: نفس أثقلتها الأوزار والمفعول محذوف أي: أحداً. قال الراغب: الثقل والخفة متقابلان وكل ما يترجح عما يوزن به أو يقدّر به يقال هو ثقيل وأصله في الأجسام ثم يقال في المعاني أثقله الغرم والوزر انتهى. فالثقل الإثم سمي به لأنه يثقل صاحبه يوم القيامة ويثبطه عن الثواب في الدنيا ﴿إلى حملها﴾ الذي عليها من الذنوب ليحمل بعضها. قيل في الأثقال المحمولة في الظاهر كالشيء المحمول على الظهر حمل بالكسر وفي الأثقال المحمولة في الباطن كالولد في البطن حمل بالفتح كما في «المفردات» ﴿لا يحمل منه شيء﴾ لم تجب لحمل شيء منه ﴿ولو﴾ للوصل ﴿كان﴾ أي: المدعو المفهوم من الدعوة وترك ذكره ليشمل كل مدعو ﴿ذا قربى﴾ ذا قرابة من الداعي كالأب والأم والولد والأخ ونحو ذلك إذ لكل واحد منهم يومئذٍ شأن يغنيه وحمل يعجزه. ففي هذا دليل أنه تعالى لا يؤاخذ بالذنب إلا جانيه وأن الاستغاثة بالأقربين غير نافعة لغير المتقين عن ابن عباس رضي الله عنهما يلقى الأب والأم ابنه فيقول يا بني احمل عني بعض ذنوبي فيقول: لا أستطيع حسبي ما عليّ وكذا يتعلق الرجل بزوجته فيقول لها: إني كنت لك زوجاً في الدنيا فيثني عليها خيراً فيقول قد احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترين فتقول ما أيسر ما طلبت ولكن لا أطيق إني أخاف مثل ما تخوفت:

هيچ رحمى نه برادر به برادر دارد هيچ خيرى نه پدر را به پسر مى آيد
دختر ازپهلوى مادر بكند قصد فرار دوستى از همه خويش بسرمى آيد

قال في «الإرشاد»: هذه الآية نفي للتحمل اختياراً والأولى نفي له إجباراً. والإشارة أن الطاعة نور والعصيان ظلمة فإذا اتصف جوهر الإنسان بصفة النور أو بصفة الظلمة لا تنقل تلك

الصفة من جوهره إلى جوهر إنسان آخر أياً ما كان ألا ترى أن كل أحد عند الصراط يمشي في نوره لا يتجاوز منه إلى غيره شيء وكذا من غيره إليه ﴿إنما تنذر﴾ يا محمد بهذه الإنذارات. والإنذار الإبلاغ مع التخويف ﴿الذين يخشون﴾ يخافون ﴿ربهم﴾ حال كونهم ﴿بالغيب﴾ غائبين عن عذابه وأحكام الآخرة أو عن الناس في خلواتهم يعني: [در خلوتها أثر خشيت برايشان ظاهرت نه در صحبتها] فهو حال من الفاعل أو حال كون ذلك العذاب غائباً عنهم فهو حال من المفعول ﴿وأقاموا الصلاة﴾ أي: راعوها كما ينبغي وجعلوها مناراً منصوباً وعلماً مرفوعاً. قال في «كشف الأسرار» وغاير بين اللفظين لأن أوقات الخشية دائمة وأوقات الصلاة معينة منقضية. والمعنى إنما ينفع إنذارك وتحذيرك هؤلاء من قومك دون من عداهم من أهل التمرد والفساد وإن كنت نذيراً للخلق كلهم وخص الخشية والصلاة بالذكر لأنهما أصلا الأعمال الحسنة الظاهرية والباطنية. أما الصلاة فإنها عماد الدين. وأما الخشية فإنها شعار اليقين وإنما يخشى المرء بقدر علمه بالله كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] فقلب لم يكن عالماً خاشياً يكون ميتاً لا يؤثر فيه الإنذار كما قال تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠] ومع هذا جعل تأثير الإنذار مشروطاً بشرط آخر وهو إقامة الصلاة وامارة خشية قلبه بالغيب محافظة الصلاة في الشهادة وفي الحديث «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» ﴿ومن﴾ [وهركه] ﴿تزكى﴾ تطهر من أوضار الأوزار والمعاصي بالتأثر من هذه الإنذارات وأصلح حاله بفعل الطاعات ﴿فإنما يتزكى لنفسه﴾ لاقتصار نفعه عليها كما أن من تدنس بها لا يتدنس إلا عليها ويقال: من يعطي الزكاة فإنما ثوابه لنفسه ﴿وإلى الله المصير﴾ أي: الرجوع لا إلى غيره استقلالاً واشتراكاً فيجازيهم على تزكيهم أحسن الجزاء.

واعلم أن ثواب التزكي عن المعاصي هو الجنة ودرجاتها وثواب التزكي عن التعلق بما سوى الله تعالى هو جماله تعالى كما أشار إليه بقوله: ﴿وإلى الله المصير﴾ فمن رجع إلى الله بالاختيار لم يبق له بما دونه قرار، قال الشيخ سعدي قدس سره:

ندادند صاحب دلان دل بپوست وكرابلهى داد بى مغز اوست
مى صرف وحدت كسى نوش كرد كه دنيى وعقبى فراموش كرد

والأصل هو العناية. وعن إبراهيم المهلب السائح رضي الله عنه قال: بينا أنا أطوف وإذا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول بحبك لي ألا رددت عليّ قلبي فقلت: يا جارية من أين تعلمين أنه يحبك قالت بالعناية القديمة جيش في طلبي الجيوش وأنفق الأموال حتى أخرجني من بلاد الشرك وأدخلني في التوحيد وعرفني نفسي بعد جهلي إياها فهل هذا يا إبراهيم إلا لعناية أو محبة؟ قلت: وكيف حبك له؟ قالت: أعظم شيء وأجله قلت: وكيف هو؟ قالت: هو أرق من الشراب وأحلى من الجلاب. وإنما تتولد معرفة الله من معرفة النفس بعد تزكيتها كما أشار إليه: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» ففي هذا أن الولد يكون أعظم في القدر من الوالد فافهم رحمك الله وإياي بعنايته.

﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾ تمثيل للكافر والمؤمن فإن المؤمن من أبصر طريق الفوز والنجاة وسلكه بخلاف الكافر فكما لا يستوي الأعمى والبصير من حيث الحس الظاهري إذ لا بصر للأعمى كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن من حيث الإدراك الباطني ولا بصيرة للكافر بل الكافر أسوأ حالاً من الأعمى المدرك للحق إذ لا اعتبار بحاسة البصر لاشتراكها بين جميع

الحيوانات. وفيه إشارة إلى حال المحجوب والمكاشف فإن المحجوب أعمى عن مطالعة الحق فلا يستوي هو والمكاشف الذي كوشف له عن وجه السر المطلق. وقال الكاشفي: ﴿وما يستوي الأعمى﴾ [وبرابر نيست نابينا يعني كافر يا جاهل يا كمراه ﴿والبصير﴾ وبينا يعني مؤمن يا عالم ياراه يافته].

﴿ولا﴾ لتأكيد نفي الاستواء ﴿الظلمات﴾ جمع ظلمة وهي عدم النور ﴿ولا﴾ للتأكيد ﴿النور﴾ هو الضوء المنتشر المعين للأبصار تمثيل للباطل والحق. فالكافر في ظلمة الكفر والشرك والجهل والعصيان والبطلان لا يبصر اليمين من الشمال فلا يرجى له الخلاص من المهالك بحال. والمؤمن في نور التوحيد والإخلاص والعلم والطاعة والحقانية بيده الشموع والأنوار أينما سار. وجمع الظلمات مع أفراد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق يعني أن الحق واحد وهو التوحيد فالموحد لا يعبد إلا الله تعالى وأما الباطل فطرقه كثيرة وهي وجوه الإشراك فمن عابد للكواكب ومن عابد للنار ومن عابد للأصنام إلى غير ذلك فالظلمات كلها لا تجد فيها ما يساوي ذلك النور الواحد. وفيه إشارة إلى ظلمة النفس ونور الروح فإن المحجوب في ظلمة الغفلات المتضاعفة والمكاشف في نور الروح واليقظة.

﴿ولا الظل ولا الحرور﴾ قدم الأعمى على البصير والظلمات على النور والظل على الحرور ليتطابق فواصل الآي وهو تمثيل للجنة والنار والثواب والعقاب والراحة والشدة. الظل بالفارسية [سايه]. قال الراغب: يقال لكل موضع لا تصل إليه الشمس ظل ولا يقال الفيء إلا لما زال عنه الشمس ويعبر بالظل عن العز والمنعة وعن الرفاهية انتهى. والحرور: الريح الحارة بالليل وقد تكون بالنهار وحر الشمس والحر الدائم والنار كما في «القاموس» فعول من الحر غلب على السموم وهي الريح الحارة التي تؤثر تأثير السم تكون غالباً بالنهار. والمعنى كما لا يستوي الظل والحرارة من حيث إن في الظل استراحة للنفس وفي الحرارة مشقة وألماً كذلك لا يستوي ما للمؤمن من الجنة التي فيها ظل وراحة وما للكافر من النار التي فيها حرارة شديدة. وفيه إشارة إلى أن البعد من الله تعالى كالحرور في إحراق الباطن والقرب منه كالظل في تفريح القلب.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾ تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من الأول ولذلك كرر الفعل وأوثرت صيغة الجمع في الطرفين تحقيقاً للتباين بين أفراد الفريقين والحي ما به القوة الحساسة والميت ما زال عنه ذلك وجه التمثيل أن المؤمن منتفع بحياته إذ ظاهره ذكر وباطنه فكر دون الكافر إذ ظاهره عاطل وباطنه باطل. وقال بعض العلماء: هو تمثيل للعلماء والجهال وتشبيه الجهلة بالأموات شائع ومنه قوله:

لا تعجبن الجهول خلته ... فإنه الميت ثوبه كفن

لأن الحياة المعتبرة هي حياة الأرواح والقلوب وذلك بالحكم والمعارف ولا عبرة بحياة الأجساد بدونها لاشتراك البهائم فيها.

قال بعض الكبار: الأحياء عند التحقيق هم الواصلون بالفناء التام إلى الحياة الحقيقية

وهم الذين ماتوا بالاختيار قبل أن يموتوا بالاضطرار ومعنى موتهم إفناء أفعالهم وصفاتهم وذواتهم في أفعال الحق وصفاته وذاته وإزالة وجودياتهم بالكلية طبيعة ونفساً وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «من أراد أن ينظر إلى ميت متحرك فلينظر إلى أبي بكر» فالحياة المعنوية لا يطرأ عليها الفناء بخلاف الحياة الصورية فإنها تزول بالموت فطوبى لأهل الحياة الباقية وللمقارنين بهم والآخذين عنهم. قال إبراهيم الهروي: كنت بمجلس أبي يزيد البسطامي قدس سره فقال بعضهم: إن فلاناً أخذ العلم من فلان قال أبو يزيد المساكين أخذوا العلوم من الموتى ونحن أخذنا العلم من حي لا يموت وهو العلم اللدني الذي يحصل من طريق الإلهام بدون تطلب وتكلف، قال الشيخ سعدي قدس سره:

نه مردم همين استخوانند وبوست نه هر صورتى جان ومعنى دروست
نه سلطان خريدار هربنده ايست نه در زير هر ژنده ايست

﴿إن الله يسمع﴾ كلامه إسماع فهم واتعاظ وذلك بإحياء القلب ﴿من يشاء﴾ أن يسمعه فينتفع بإنذارك ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ جمع قبر وهو مقر الميت وقبرته جعلته في القبر. وهذا الكلام ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالأموات وإشباع في إقناطه عليه السلام من إيمانهم وترشيح الاستعارة اقترانها بما يلائم المستعار منه شبه الله تعالى من طبع على قلبه بالموتى في عدم القدرة على الإجابة فكما لا يسمع أصحاب القبور ولا يجيبون كذلك الكفار لا يسمعون ولا يقبلون الحق.

﴿إن﴾ ما ﴿أنت إلا نذير﴾ منذر بالنار والعقاب وأما الإسماع البتة فليس من وظائفك ولا حيلة لك إليه في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى وقوله: ﴿إن الله يسمع﴾ الخ وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] وقوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] وغير ذلك لتمييز مقام الألوهية عن مقام النبوة كيلا يشتبها على الأمة فيضلوا عن سبيل الله كما ضل بعض الأمم السالفة فقال بعضهم عزيز ابن الله وقال بعضهم المسيح ابن الله وذلك من كمال رحمته لهذه الأمة وحسن توفيقه. يقول الفقير أيقظه الله القدير: إن قلت قد ثبت أنه عليه السلام أمر يوم بدر بطرح أجساد الكفار في القليب ثم ناداهم بأسمائهم وقال: «هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقاً فإني وجدت ما وعدني الله حقاً» فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله كيف تكلم أجساداً الارواح فيها فقال عليه السلام: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئاً» فهذا الخبر يقتضي أن النبي عليه السلام أسمع من في القليب وهم موتى وأيضاً تلقين الميت بعد الدفن للإسماع وإلا فلا معنى له.

قلت: أما الأول فيحتمل أن الله تعالى أحيى أهل القليب حينئذٍ حتى سمعوا كلام رسول الله توبيخاً لهم وتصغيراً ونقمة وحسرة وإلا فالميت من حيث هو ميت ليس من شأنه السماع وقوله عليه السلام: «ما أنتم بأسمع» الخ يدل على أن الأرواح أسمع من الأجساد مع الأرواح لزوال حجاب الحس وانخراقه. وأما الثاني فإنما يسمعه الله أيضاً بعد إحيائه بمعنى أن يتعلق الروح بالجسد تعلقاً شديداً بحيث يكون كما في الدنيا فقد أسمع الرسول عليه السلام وكذا الملقن بإسماع الله تعالى وخلق الحياة وإلا فليس من شأن أحد الإسماع كما أنه ليس من شأن الميت السماع والله أعلم. قال بعض العارفين: [أي محمد عليه السلام دل در بو جهل چه

بندى كه اونه ازان اصلت كه طينت خبيث وى نقش نكين تو پذيرد دل در سلمان بنده پيش ازانكه تو قدم درميدان بعثت نهادى چندين سال كرد عالم سر كردان در طلب تو مى كشت ونشان تو ميجست] ولسان الحال يقول:

كرفت خواهم من زلف عنبر ينت را   زمشك نقش كنم برك ياسمينت را
بتيغ هندى دست مرا جدا نكند   اكر بكيرم يك ره سر آستينت را

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿إنا أرسلناك بالحق﴾ حال من المرسل بالكسر أي: حال كوننا محقين أو من المرسل بالفتح أي: حال كونك محقاً أو صفة لمصدر محذوف أي: إرسالاً مصحوباً بالحق وأرسلناك بالدين الحق الذي هو الإسلام أو بالقرآن ﴿بشيراً﴾ حال كونك بشيراً للمؤمنين بالجنة وبالفارسية: [مژده دهنده] ﴿ونذيراً﴾ منذراً للكافرين بالنار وبالفارسية: [بيم كننده] ﴿وإن من أمة﴾ أي: ما من أمة من الأمم السالفة وأهل عصر من الأعصار الماضية ﴿إلا خلا﴾ مضى. قال الراغب الخلاء المكان الذي لا ساتر فيه من بناء وساكن وغيرهما. والخلو يستعمل في الزمان والمكان لكن لما تصور في الزمان المضيّ فسر أهل اللغة قولهم خلا الزمان بقولهم مضى وذهب ﴿فيها﴾ أي: في تلك الأمة ﴿نذير﴾ [بيم وآكاه كننده] من نبي أو عالم ينذرهم والاكتفاء بالإنذار لأنه هو المقصود الأهم من البعثة. قال في «الكواشي»: وأما فترة عيسى فلم يزل فيها من هو على دينه وداع إلى الإيمان. وفي «كشف الأسرار» الآية تدل على أن كل وقت لا يخلو من حجة خبرية وأن أول الناس آدم وكان مبعوثاً إلى أولاده ثم لم يخل بعده زمان من صادق مبلغ عن الله أو آخر يقوم مقامه في البلاغ والأداء حين الفترة وقد قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦] لا يؤمر ولا ينهى. فإن قيل كيف يجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾﴾ [يس: ٦]. قلت: معنى الآية ما من أمة من الأمم الماضية إلا وقد أرسلت إليهم رسولاً ينذرهم على كفرهم ويبشرهم على إيمانهم أي: سوى أمتك التي بعثناك إليهم يدل على ذلك قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤] وقوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس: ٦] وقيل: المراد ما من أمة هلكوا بعذاب الاستئصال إلا بعد أن أقيم عليهم الحجة بإرسال الرسول بالأعذار والإنذار انتهى ما في «كشف الأسرار» وهذا الثاني هو الأنسب بالتوفيق بين الآيتين يدل عليه ما بعده من قوله «وإن يكذبوك إلخ» وإلا فلا يخفى أن أهل الفترة ما جاءهم نذير على ما نطق به قوله تعالى: ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس: ٦] ويدل أيضاً أن كل أمة أنذرت من الأمم ولم تقبل استؤصلت فكل أمة مكذبة معذبة بنوع من العذاب وتمام التوفيق بين الآيتين يأتي في يس.

﴿وإن يكذبوك﴾ [واكر معاندان قريش ترا دروغ زن دارند وبر تكذيب استمرار نمايند پس بايشان وبتكذيب آنان مبالات مكن] ﴿فقد كذب الذين من قبلهم﴾ من الأمم العاتية أنبياءهم ﴿جاءتهم﴾ [آمدند بديشان] وهو وما بعده استئناف أو حال أي: كذب المتقدمون وقد جاءتهم ﴿رسلهم بالبينات﴾ أي: المعجزات الظاهرة الدالة على صدق دعواهم وصحت نبوتهم

﴿وبالزبر﴾ كصحف شيث وإدريس وإبراهيم عليهم السلام جمع زبور بمعنى المكتوب من زبرت الكتاب كتبته كتابة غليظة وكل كتاب غليظ الكتابة يقال له زبور كما في «المفردات» ﴿وبالكتاب المنير﴾ أي: المظهر للحق الموضح لما يحتاج إليه من الأحكام والدلائل والمواعظ والأمثال والوعد والوعيد ونحوها كالتوراة والإنجيل والزبور على إرادة التفصيل دون الجمع أي: بعض هذه المذكورات جاءت بعض المكذبين وبعضها بعضهم لا أن الجميع جاءت كلاً منهم.

﴿ثم أخذت﴾ بأنواع العذاب ﴿الذين كفروا﴾ ثبتوا على الكفر وداوموا عليه وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والإشعار بعلية الأخذ ﴿فكيف كان نكير﴾ أي: إنكاري بالعقوبة وتعييري عليهم وبالفارسية: [پس چكونه بود انكار من برايشان بعذاب وعقاب]. قال في «كشف الأسرار»: [پيداكردن نشان ناخوشنودى چون بود حال كردانيدن من چون ديدى]. قال ابن الشيخ الاستفهام للتقرير فإنه عليه السلامﷺ علم شدة الله عليهم فحسن الاستفهام على هذا الوجه في مقابلة التسلية يحذر كفار هذه الأمة بمثل عذاب الأمم المكذبة المتقدمة والعاقل من وعظ بغيره:

نيك بخت آنكسى بود كه دلش آنچه نيكى دروست بپذيرد
ديكرانرا چو پند داده شود او ازان پند بهره بر كيرد

ويسلي أيضاً رسوله عليه السلام فإن التكذيب ليس ببدع من قريش فقد كان أكثر الأولين مكذبين وجه التسلي أنه عليه السلام كان يحزن عليهم وقد نهى الله عن الحزن بقوله: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [النحل: ١٢٧] وذلك لأنهم كانوا غير مستعدين لما دعوا إليه من الإيمان والطاعة فتوقع ذلك منهم كتوقع الجوهرية من الحجر القاسي:

توان پاك كردن ژنك آينه وليكن نيايد زسنك آينه

مع أن الحزن للحق لا يضيع كما أن امرأة حاضت في الموقف فقالت: آه فرأت في المنام كأن الله تعالى يقول: أما سمعت أني لا أضيع أجر العاملين وقد أعطيتك بهذا الحزن أجر سبعين حجة. قال بعض الكبار لا يخفى أن أجر كل نبي في التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة له من المخالفين وعلى قدر ما يقاسيه منهم وكل من رد رسالة نبي ولم يؤمن بها أصلاً فإن لذلك النبي أجر المصيبة وللمصاب أجر على الله بعدد من رد رسالته من أمته بلغوا ما بلغوا وقس على هذا حال الولي الوارث الداعي إلى الله على بصيرة.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ألم تر﴾ الاستفهام تقريري والرؤية قلبية أي: ألم تعلم يعني قد علمت يا محمد أو يا من يليق به الخطاب ﴿أن الله أنزل﴾ بقدرته وحكمته ﴿من السماء﴾ أي: من الجهة العلوية سماء أو سحاباً ﴿ماء﴾ مطراً ﴿فأخرجنا به﴾ أي: بذلك الماء. والالتفات من الغيبة إلى التكلم لإظهار كمال الاعتناء بفعل الإخراج لما فيه من الصنع البديع المنبىء عن كمال القدرة والحكمة ولأن الرجوع إلى نون العظمة أهيب في العبارة. وقال الكاشفي: [عدول متكلم جهت تخصيص فعل است يعني ماتوانابيم كه بيرون آريم بدان آب] ﴿ثمرات﴾ جمع ثمرة وهي اسم

لكل ما يطعم من أحمال الشجر ﴿مختلفاً ألوانها﴾ وصف سببي للثمرات أي: أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها أو أصنافها على أن كلاً منها ذو أصناف مختلفة كالعنب فإن أصنافه تزيد على خمسين وكالتمر فإن أصنافه تزيد على مائة أو هيئاتها من الصفرة والحمرة والخضرة والبياض والسواد وغيرها ﴿ومن الجبال جدد﴾ مبتدأ وخبر. والجدد جمع جدة بالضم بمعنى الطريقة التي يخالف لونها ما يليها سواء كانت في الجبل أو في غيره والخطة في ظهر الحمار تخالف لونه وقد تكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه. ولما لم يصح الحكم على نفس الجدد بأنها من الجبال احتيج إلى تقدير المضاف في المبتدأ أي: ومن الجبال ما هو ذو جدد أي: خطط وطرائق متلونة يخالف لونها لون الجبل فيؤول المعنى إلى أن من الجبال ما هو مختلف ألوانه لأن بيض صفة جدد وحمر عطف على بيض فتلا عليه السلام القرائن الثلاث فإن ما قبلها فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها وما بعدها ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه أي: منهم بعض مختلف ألوانه فلا بد في القرينة المتوسطة بينهما من ارتكاب الحذف ليؤول المعنى إلى ما ذكر فيحصل تناسب القرائن. وفي «المفردات» أي: طرائق ظاهرة من قولهم طريق مجدود أي: مسلوك مقطوع ومنه جادة الطريق. وفي «الجلالين» الطرائق تكون في الجبال كالعروق ﴿بيض﴾ جمع أبيض صفة جدد ﴿وحمر﴾ جمع أحمر. وفي»كشف الأسرار»: [واز كوهها راهها بيدا شده از روندكان خطها سپيد وخطها سرخ در كوههاى سپيد وكوههاى سرخ] حمل صاحب «كشف الأسرار» الجدد على الطرائق المسلوكة والظاهر هو الأول لأن المقام لبيان ما هو خلقي على أن كون الطريقة بيضاء لا يستلزم كون الجبال كذلك إذ للجبال عروق لونها يخالف لونها وكذا العكس وهو أن كون الجبل أبيض لا يقتضي كون الطريقة كذلك فمن موافق ومن مخالف ﴿مختلف ألوانها﴾ أي: ألوان تلك الجدد إلا أن قوله مختلف ألوانها صفة لكل واحدة من الجدد البيض والحمر بمعنى أن بياض كل واحدة من الجدد البيض وكذا حمرة الجدد الحمر يتفاوتان بالشدة والضعف. فقوله: ﴿بيض وحمر﴾ وإن كان صفة لجدد فرب أبيض أشد بياضاً من أبيض آخر وكذا رب أحمر أشد حمرة من أحمر آخر فنفس البياض مختلف وكذا نفس الحمرة فلذلك جمع لفظ ألوان مضافاً إلى ضمير كل واحد من البيض والحمر فيكون كل واحد منهما من قبيل الكلي المشكك. ويحتمل أن يكون قوله مختلف ألوانها صفة ثالثة لجدد فيكون ضمير ألوانها للجدد فيكون تأكيداً لقوله ﴿بيض وحمر﴾ ويكون اختلاف ألوان الجدد بأن يكون بعضها أبيض وبعضها أحمر فتكون الجدد كلها على لونين بياض وحمرة إلا أنه عبر عن اللونين بالألوان لتكثير كل واحد منهما باعتبار محاله كذا في «حواشي ابن الشيخ».

يقول الفقير: من شاهد جبال ديار العرب في طريق الحج وغيرها وجد هذه الأقسام كلها فإنها وجددها مختلفة متلونة ﴿وغرابيب سود﴾ عطف على بيض فيكون من تفاصيل الجدد والصفات القائمة بها كالبيض والحمر كأنه قيل ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود غرابيب. وإنما وسط الاختلاف لأنه علم من الوصف بالغرابيب أنه ليس في الأسود اختلاف اللون بالشدة والضعف. ويجوز أن يكون غرابيب عطفاً على جدد فلا يكون داخلاً في تفاصيل الجدد بل يكون قسيمها كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد وهو السواد. فالغرض من الآية إما بيان اختلاف ألوان طرائق الجبال كاختلاف ألوان الثمرات فترى

الطرائق الجبلية من البعيد منها بيض ومنها حمر ومنها سود وإما بيان اختلاف ألوان الجبال نفسها وكل منها أثر دال على القدرة الكاملة كذا في «حواشي ابن الشيخ». والغرابيب جمع غربيب كعفريت يقال: أسود غربيب أي شديد السواد الذي يشبه لون الغراب وكذا يقال: أسود حالك كما يقال: أصفر فاقع وأبيض يقق محركة وأحمر قان لخالص الصفرة وشديد البياض والحمرة وفي الحديث «إن الله يبغض الشيخ الغربيب» يعني الذي يخضب بالسواد كما في «تفسير القرطبي» والذي لا يشيب كما في «المقاصد الحسنة» والسود جمع أسود. فإن قلت إذا كان الغربيب تأكيداً للأسود كالفاقع مثلاً للأصفر ينبغي أن يقال وسود غرابيب بتقديم السود إذ من حق التأكيد أن يتبع المؤكد ولا يتقدم عليه. قلت: الغرابيب تأكيد لمضمر يفسره ما بعده والتقدير سود غرابيب سود فالتأكيد إذاً متأخر عن المؤكد وفي الإضمار ثم الإظهار مزيد تأكيد لما فيه من التكرار وهذا أصوب من كون السود بدلاً من الغرابيب كما ذهب إليه الأكثر حتى صاحب «القاموس» كما قال وأما غرابيب سود بدل لأن تأكيد الألوان لا يتقدم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿ومن الناس﴾ [واز آدميان] ﴿والدواب﴾ [واز چهار پايان] جمع دابة وهي ما يدب على الأرض من الحيوان وغلب على ما يركب من الخيل والبغال والحمير ويقع على المذكر ﴿والأنعام﴾ [واز چرند كان] جمع نعم محركة وقد يسكن عينه الإبل والبقر والضأن والمعز دون غيرها فالخيل والبغال والحمير خارجة عن الأنعام والمعنى ومنهم بعض ﴿مختلف ألوانه﴾ أو وبعضهم مختلف ألوانه بأن يكون أبيض وأحمر وأسود ولم يقل هنا ألوانها لأن الضمير يعود إلى البعض الدال عليه من ﴿كذلك﴾ تم الكلام هنا وهو مصدر تشبيهي لقوله مختلف أي: صفة لمصدر مؤكد تقديره مختلف اختلافاً كائناً كذلك أي: كاختلاف الثمار والجبال ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ يعني [هركه نداند قدرت خدايرا بر آفريدن اشيا وعالم نبود بتحويل هر چيزى از حالى بحالى چكونه از خداى تعالى ترسد ﴿إنما يخشى الله﴾] الخ. وفي «الإرشاد» وهو تكملة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [فاطر: ١٨] بتعيين من يخشاه من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم أما في الأوصاف المعنوية فبطريق التمثيل وأما في الأوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منها حقها اللائق بها من البيان أي: إنما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة لما أن مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشؤونه فمن كان أعلم به تعالى كان أخشى منه كما قال عليه السلام: «أنا أخشاكم لله وأتقاكم له» ولذلك عقب بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل عن هذه المعرفة امتنع إنذارهم بالكلية انتهى. وتقديم المخشي وهو المفعول للاختصاص وحصر الفاعلية أي: لا يخشى الله من بين عباده إلا العلماء ولو أخر لانعكس الأمر وصار المعنى لا يخشون إلا الله وبينهما تغاير ففي الأول بيان أن الخاشعين هم العلماء دون غيرهم وفي الثاني بيان أن المخشي منه هو الله دون غيره. وقرأ أبو حنيفة وعمر بن عبد العزيز وابن سيرين برفع اسم الله ونصب العلماء على أن الخشية استعارة للتعظيم فإن المعظم يكون مهيباً فالمعنى إنما يعظمهم الله من بين جميع عباده كما يعظم

المهيب المخشي من الرجال بين الناس وهذه القراءة وإن كانت شاذة لكنها مفيدة جداً وجعل عبد الله بن عمر الخشية بمعنى الاختيار أي: إنما يختار الله من بين عباده العلماء ﴿إن الله عزيز﴾ [غالبست در انتقام كشيدن از كسى كه نترسد از عقوبت او] ﴿غفور﴾ للخاشعين وهو تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب من عصيانه ومن حق من هذه صفته أن يخشى. قيل الخشية تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل يكون تارة بكثرة الجناية من العبد وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته وخشية الأنبياء من هذا القبيل. فعلى المؤمن أن يجتهد في تحصيل العلم بالله حتى يكون أخشى الناس فبقدر مراتب العلم تكون مراتب الخوف والخشية.

- روي - عن النبي ﷺ أنه سئل يا رسول الله أينا أعلم؟ قال: «أخشاكم لله سبحانه وتعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء» قالوا: يا رسول الله فأي الأصحاب أفضل؟ قال: «من إذا ذكرت الله أعانك وإذا نسيت ذكرك» قالوا: فأي الأصحاب شر؟ قال: «الذي إذا ذكرت لم يعنك وإذا نسيت لم يذكرك» قالوا: فأي الناس شر؟ قال: «اللهم اغفر للعلماء العالم إذا فسد فسد الناس» كذا في «تفسير أبي الليث»:

علم جندانكه بيشتر خوانى چون عمل در تونيست نادانى

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا عالمين ومحققين وفي الخوف والخشية صادقين ومحققين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿إن الذين يتلون كتاب الله﴾ أي: يداومون على تلاوة القرآن ويعملون بما فيه إذ لا تنفع التلاوة بدون العمل والتلاوة القراءة أعم متتابعة كالدراسة والأوراد الموظفة والقراءة منها لكن التهجي وتعليم الصبيان لا يعد قراءة ولذا قالوا: لا يكره التهجي للجنب والحائض والنفساء بالقرآن لأنه لا يعد قارئاً وكذا لا يكره لهم التعليم للصبيان وغيرهم حرفاً حرفاً وكلمة كلمة مع القطع بين كل كلمتين ﴿وأقاموا الصلاة﴾ بآدابها وشرائطها وغاير بين المستقبل والماضي لأن أوقات التلاوة أعم بخلاف أوقات الصلاة وكذا أوقات الزكاة المدلول عليها بقوله: ﴿وأنفقوا﴾ في وجوه البر يعني: [ازدست بيرون كنند درويشانرا] ﴿مما رزقناهم﴾ أعطيناهم يعني: [از آنچه روزى داده ايم ايشانرا ﴿سراً وعلانية﴾] وهي ضد السر وأكثر ما يقال ذلك في المعاني دون الأعيان يقال أعلنته فعلن أي: في السر والعلانية أو إنفاق سر وعلانية أو ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين كيفما اتفق من غير قصد إليهما. وقال الكاشفي: ﴿سراً﴾ [پنهان از خوف آنكه بريا آميخته نكردد ﴿وعلانية﴾ واشكار بطمع آنكه سبب رغبت ديكران كردد بتصدق] فالأولى هي المسنونة والثانية هي المفروضة وفيهما إشارة إلى علم الباطن والظاهر وفيه بعث للمنفق على الصدقة في سبيل الله في عموم الأوقات والأحوال ﴿يرجون﴾ خبر إن ﴿تجارة﴾ تحصيل ثواب بالطاعة والتاجر الذي يبيع ويشتري وعمله التجارة وهي التصرف في رأس المال طالباً للربح قيل: وليس في كلامهم تاء بعدها جيم غير هذه اللفظة وأما تجاه فأصله وجاه وتجوب فالتاء فيه للمضارعة ﴿لن تبور﴾ البوار فرط الكساد والوصف بائر. ولما كان فرط

الكساد يؤدي إلى الفساد عبر بالبوار عن الهلاك مطلقاً ومن الهلاك المعنوي ما في قولهم خذوا الطريق ولو دارت وتزوجوا البكر ولو بارت واسكنوا المدن ولو جارت. والمعنى لن تكسد ولن تهلك مطلقاً بالخسران أصلاً وبالفارسية: [فاسد نبود وزيان بدان نرسيد بلكه در روز قيامت متاع اعمال ايشان رواجي تمام يابد]. قال في «الإرشاد» قوله: ﴿لن تبور﴾ صفة للتجارة جيء بها للدلالة على أنها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لأنه اشتراء باق بفان والإخبار برجائهم من أكرم الأكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم.

﴿ليوفيهم أجورهم﴾ [التوفية: تمام بدادن] والأجر ثواب العمل وهو متعلق بلن تبور على معنى أنه ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بحسب أعمالهم وخلوص نياتهم أجور أعمالهم من التلاوة والإقامة والإنفاق فلا وقف على لن تبور ﴿ويزيدهم﴾ [وزياده كند بر ثواب ايشانرا] ﴿من فضله﴾ أي: جوده وتفضله وخزائن رحمته ما يشاء مما لم يخطر ببالهم عند العمل ولم يستحقوا له بل هو كرم محض ومن فضله يوم القيامة نصبهم في مقام الشفاعة ليشفعوا فيمن وجبت لهم النار من الأقرباء وغيرهم ﴿إنه غفور﴾ تعليل لما قبله من التوفية والزيادة أي: غفور لفرطاتهم. وفي «بحر العلوم» ستار لكل ما صدر عنهم مما من شأنه أن يستر محاه له عن قلوبهم وعن ديوان الحفظة ﴿شكور﴾ لطاعاتهم أي: مجازيهم عليها ومثيب.

وفي «التأويلات النجمية»: غفور يغفر تقصيرهم في العبودية شكور يشكر سعيهم مع التقصير بفضل الربوبية. قال أبو الليث: الشكر على ثلاثة أوجه: الشكر ممن دونه يكون بالطاعة وترك مخالفته. والشكر ممن هو شكله يكون بالجزاء والمكافأة. والشكر ممن فوقه يكون رضى منه باليسير كما قال: بعضهم الشكور هو المجازي بالخير الكثير على العمل اليسير والمعطي بالعمل في أيام معدودة نعماً في الآخرة غير مجذوذة ومن عرف أنه الشكور شكر نعمته وآثر طاعته وطلب رحمته وشهد منته. قال الغزالي رحمه الله: وأحسن وجوه الشكر لنعم الله أن لا يستعملها في معاصيه بل في طاعاته. وخاصة هذا الاسم إنه لو كتبه إحدى وأربعين مرة من به ضيق في النفس وتعب في البدن وثقل في الجسم وتمسح به وشرب منه برىء بإذن الله تعالى وإن تمسح به ضعيف البصر على عينيه وجد بركة ذلك.

﴿وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾
ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ
بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب﴾ وهو القرآن ومن للتبيين أو للجنس أو للتبعيض ﴿هو الحق﴾ الصدق لا كذب فيه ولا شك ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ أي: حال كونه موافقاً لما قبله من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء في العقائد وأصول الأحكام وهو حال مؤكدة أي: أحقه مصدقاً لأن حقيته لا تنفك عن هذا التصديق ﴿إن الله بعباده﴾ متعلق بقوله: ﴿لخبير بصير﴾ وتقديمه عليه لمراعاة الفاصلة التي على حرف الراء أي: محيط ببواطن أمورهم وظواهرها فلو كان في أحوالك ما ينافي النبوة لم يوح إليك مثل هذا الحق المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب يعرف صدقها منه وتقديم الخبير للتنبيه على أن العمدة في ذلك العلم والإحاطة هي الأمور الروحانية.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿إن الله بعباده﴾ من أهل السعادة وأهل الشقاوة ﴿لخبير﴾ لأنه خلقهم ﴿بصير﴾ بما يصدر منهم من الأخلاق والأعمال انتهى فقد أعلم الله تعالى حقية القرآن ووعد على تلاوته والعمل به الأجر الكثير ولا يحصل أجر التلاوة للأمي إذ لا تلاوة له بل للقارىء فلا بد من التعلم والاشتغال في جميع الأوقات، قال المولى الجامي:

چون زنفس وحديثش آيى تنك ... بكلام قديم كن آهنك
مصحفى جو چو شاهد مهوش ... بوسه زن دركنار خويشش كش
حرف او كن حواس جسماني ... وقف او كن قواى روحاني
دل بمعنى زبان بلفظ سپار ... چشم بر خط نه ونقط بكذار

وفي الحديث: «إذا كان يوم القيامة وضعت منابر من نور مطوقة بنور عند كل منبر ناقة من نوق الجنة ينادي منادٍ أين من حمل كتاب الله اجلسوا على هذه المنابر فلا روع عليكم ولا حزن حتى يفرغ الله مما بينه وبين العباد فإذا فرغ الله من حساب الخلق حملوا على تلك النوق إلى الجنة» وفي الحديث: «إن أردتم عيش السعداء وموت الشهداء والنجاة يوم الحشر والظل يوم الحرور والهدى يوم الضلالة فادرسوا القرآن فإنه كلام الرحمٰن وحرز من الشيطان ورجحان في الميزان». ذكر في «القنية» أن الصلاة على النبي عليه السلام والدعاء والتسبيح أفضل من قراءة القرآن في الأوقات التي نهى عن الصلاة فيها. فالمستحب بعد الفجر مثلاً ذكر الله تعالى كما هو عادة الصوفية إلى أن تطلع الشمس فإن هذا الوقت وإن جاز فيه قضاء الفوائت وسجدة التلاوة وصلاة الجنازة ولكن يكره التطوع فهو منهي عنه فيه وكذا المنذورة وركعتا الطواف وقضاء تطوع إذا أفسده لأنها ملحقة بالنفل إذ سبب وجوبها من جهته جعلنا الله وإياكم من المغتنمين بتلاوة كتابه والمتشرفين بلطف خطابه والواصلين إلى الأنوار والأسرار.

﴿ثم﴾ للترتيب والتأخير أي: بعدما أوحينا إليك أو بعد كتب الأولين كما دل ما قبله على كل منهما. وسئل الثوري على ماذا عطف بقوله ثم قال على إرادة الأزل والأمر المقضي أي: بعدما أردنا في الأزل ﴿أورثنا الكتاب﴾ أي: ملكنا بعظمتنا ملكاً تاماً وأعطينا هذا القرآن عطاء لا رجوع فيه. قال الراغب الوراثة انتقال قينة إليك عن غيرك من غير عقد ولا ما يجري مجرى العقد وسمي بذلك المنتقل عن الميت ويقال لكل من حصل له شيء من غير تعب قد ورث كذا انتهى وسيأتي بيانه ﴿الذين اصطفينا من عبادنا﴾ الموصول مع صلته مفعول ثان لأورثنا. والاصطفاء في الأصل تناول صفو الشيء بالفارسية: [بركزيدن وعباد اينجا بموضع كرامت است اكرچه كه نسبت عبوديت آدمرا حقيقت است] كما في «كشف الأسرار» والمعنى بالفارسية: [آنا نرا كه بركزيديم از بندكان ما «وهم الأمة بأسرهم زيرا آن روز كه اين آيت آمد مصطفى عليه السلام سخت شاد شد وازشادى كه بوى رسيد سه بار بكفت] امتى ورب الكعبة والله تعالى اصطفاهم على سائر الأمم كما اصطفى رسولهم على جميع الرسل وكتابهم على كل الكتب وهذا الإيراث للمجموع لا يقتضي الاختصاص بمن يحفظ جميع القرآن بل يشمل من يحفظ منه جزءاً ولو أنه الفاتحة فإن الصحابة رضي الله عنهم لم يكن واحد منهم يحفظ جميع القرآن ونحن على القطع بأنهم مصطفون كما في «المناسبات». قال الكاشفي: [عطارا ميراث خواند چه ميراث مالى باشدكه بى تعب طلب بدست آيد همچنين عطيه قرآن بى جست وجوى مؤمنان بمحض عنايت ملك منان بديشان رسيد وبيكانكان را درميراث دخل نيست دشمنان نيز

وبهر هاى أهل قرآن متفاوتست هركس بقدر استحاق واندازه استعداد خود از حقائق قرآن بهره مند شوند]:

زين بزم يكى جرعه طلاب كرد يكى جام

وفي «التأويلات النجمية»: إنما ذكر بلفظ الميراث لأن الميراث يقتضي صحة النسب أو صحة السبب على وجه مخصوص فمن لا سبب له ولا نسب له فلا ميراث له فالسبب هٰهنا طاعة العبد والنسب فضل الرب فأهل الطاعة هم أهل الجنة كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ [المؤمنون: ١٠ ـ ١١] فهم ورثوا الجنة بسبب الطاعة وأصل وراثتهم بالسببية المبايعة التي جرت بينهم وبين الله بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] فهؤلاء أطاعوا الله بأنفسهم وأموالهم فأدخلهم الله الجنة جزاء بما كانوا يعملون وأهل الفضل هم أهل الله وفضله معهم بأن أورثهم المحبة والمعرفة والقربة كما قال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] الآية. ولما كانت الوراثة بالسبب والنسب وكان السبب جنساً واحداً كالزوجية وهما صاحبا الفرض وكان النسب من جنسين الأصول كالآباء والأمهات والفروع كل ما يتولد من الأصول كالأولاد والأخوة والأخوات وأولادهم والأعمام وأولادهم وهم صاحب فرض وعصبة فصار مجموع الورثة ثلاثة أصناف: صاحب الفرض بالسبب وصنف صاحب الفرض بالنسب وصنف صاحب الباقي وهم العصبة كذلك الورثة هٰهنا ثلاثة أصناف كما قال تعالى: ﴿فمنهم﴾ أي: من الذين اصطفينا من عبادنا ﴿ظالم لنفسه﴾ في العمل بالكتاب وهو المرجأ لأمر الله أي: الموقوف أمره لأمر الله إما يعذبه وإما يتوب عليه وذلك لأنه ليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩] الآية ولا من ضرورة الاصطفاء المنع عن الوصف بالظلم هذا آدم عليه السلام اصطفاه الله كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٣٣] وهو القائل: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] الآية. سئل أبو يزيد البسطامي قدس سره: أيعصي العارف الذي هو من أهل الكشف؟ فقال: نعم ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] يعني إن كان الحق قدر عليه في سابق علمه شيئاً فلا بد من وقوعه.

واعلم أن الظلم ثلاثة: ظلم بين الإنسان وبين الله وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، وظلم بينه وبين الناس، وظلم بينه وبين نفسه وهو المراد بما في الآية كما في «المفردات». وتقديم الظلم بالذكر لا يدل على تقديمه في الدرجة لقوله تعالى: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] كما في «الأسئلة المقحمة». وقال بعضهم: قدم الظالم لكثرة الفاسقين ولأن الظلم بمعنى الجهل والركون إلى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان. وقال أبو الليث الحكمة في تقديم الظالم وتأخير السابق كي لا يعجب السابق بنفسه ولا ييأس الظالم من رحمة الله يعني: [ابتداء بظالم كرد تا شرم زده نكردند وبرحمت بى غايت او اميدوار باشند]:

نيايد از من آلوده طاعت خالص ولى برحمت وفضلت اميدوارى هست

وقال القشيري في الإرث يبدأ بصاحب الفرض وإن قل نصيبه فكذا هٰهنا بدأ بالظالم ونصيبه أقل من نصيب الآخرين [وكفته اند تقديم ظالم ازروى فضلست وتأخيرش ازراه عدل وحق سبحانه فضل را از عدل دوستر دارد وتأخير سابق جهت آنست كه تابثواب كه دخول

جنانست اقرب باشد يا بجهت آنكه اعتماد بر عمل خود نكند وبطاعت معجب نكرددكه عجب آتشيست كه چون برافروخته شود هزارخر من عبادت بدوسوخته شود]:

اى پسر عجب آتشى عجبست كرم ساز تنور بو لهبست
هركجا شعله ازو افروخت هرچه از علم وزهد ديدبسوخت

﴿ومنهم مقتصد﴾ يعمل بالكتاب في أغلب الأوقات ولا يخلو من خلط الشيء وبالفارسية: [وهست از ايشان كه راه ميان رفت نه هنر سابقان ونه تفريط ظالمان] فإن الاقتصاد بالفارسية: [ميان رفتن دركار] وإنما قال مقتصد بصيغة الافتعال لأن ترك الإنسان للظلم في غاية الصعوبة ﴿ومنهم سابق﴾ أصل السبق التقدم في السير ويستعار لاحراز الفضل فالمعنى متقدم إلى ثواب الله وجنته ورحمته ﴿بالخيرات﴾ بالأعمال الصالحة بضم التعليم والإرشاد إلى العلم والعمل والخير ما يرغب فيه الكل كالعقل والعدل والفضل والشيء النافع وضده الشر.

قال بعض الكبار: وهذه الخيرات على قسمين: قسم من كسب العبد بتقديم الخيرات، وقسم من فضل الرب بتواتر الجذبات إلى أن يسبق على الظالم لنفسه وعلي المقتصد بالسير بالله في الله وإن كان مسبوقاً بالذكر في الأخير كما كان حال النبي عليه السلام مسبوقاً بالخروج في آخر الزمان للرسالة سابقاً بالرجوع إلى الحضرة ليلة المعراج على جميع الأنبياء والرسل كما أخبر عن حال نفسه وحال سابقي أمته بقوله: «نحن الآخرون السابقون» أي: الآخرون خروجاً في عالم الصورة السابقون وصولاً إلى عالم الحقيقة. وعن جعفر الصادق رضي الله عنه بدأ بالظالمين إخباراً أنه لا يتقرب إليه إلا بكرمه وإن الظلم لا يؤثر في الاصطفاء ثم ثنى بالمقتصدين لأنهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحد مكره وكلهم في الجنة بحرمة كلمة الإخلاص. وقد روي أن عمر رضي الله عنه قال على المنبر قال رسول الله ﷺ: «سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له».

وقال أبو بكر بن الوراق رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لأن أحوال العبد ثلاث: معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فإذا عصى دخل في حيز الظالمين وإذا تاب دخل في جملة المقتصدين وإذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل في عداد السابقين. والسابق على ضربين سابق ولد سابقاً وعاش سابقاً ومات سابقاً وسابق ولد سابقاً وعاش ظالماً ومات سابقاً فاسم الظالم عليهم عارية إذا ولدوا سابقين وماتوا سابقين ولا عبرة بالظلم العارض بل العبرة بالأزل والأبد لا بالبرزخ بينهما فأما من ولد ظالماً وعاش ظالماً ومات ظالماً من هذه الأمة فهو من أهل الكبائر الذين قال النبي عليه السلام فيهم: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». فعلى هذا المقتصد من مات على التوبة والسابق من عاش في الطاعة ومات في الطاعة. أو السابق هو الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام: «أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب». وأما المقتصد فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً. وأما الذين ظلموا فأولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته.

وهٰهنا مقالات أخر كثيرة ذكرنا بعضاً منها على ترتيب الآية وهو أن المراد بالطوائف الثلاث التالي للقرآن تلاوة مجردة والقارىء له العامل به والقارىء العامل بما فيه والمعلم له. أو من استغنى بماله ومن استغنى بدينه ومن استغنى بربه. أو الذي يدخل المسجد وقد أقيمت الصلاة والذي يدخله وقد أذن والذي يدخله قبل تأذين المؤذن وإنما كان الأول ظالماً لأنه نقص

نفس الأجر فلم يحصل لها ما حصل لغيرها. أو الذي يعبد الله على الغفلة والعادة والذي يعبده على الرغبة والرهبة والذي يعبده على الهيبة. أو الذي شغله معاشه عن معاده والذي اشتغل بالمعاش والمعاد جميعاً والذي شغله معاده عن معاشه. أو من يرتكب المعاصي غير مستحل لها ولا جاحد تحريمها ومن لا يزيد من الطاعات على الفرائض والواجبات ومن يكثر الطاعات ويبلغ النهاية فيها مع اجتناب المعاصي. أو من هو معذب ناج ومن هو معاتب ناج ومن هو مقرب ناج. أو الذي ترك الحرام والذي ترك الشبهة والذي ترك الفضل في الجملة. أو الذي رجحت سيئاته والذي ساوت حسناته سيئاته والذي رجحت حسناته. أو من ظاهره خير من باطنه ومن استوى ظاهره وباطنه ومن باطنه خير من ظاهره. أو من أسلم بعد فتح مكة ومن أسلم بعد الهجرة قبل الفتح ومن أسلم قبل الهجرة. أو أهل البدو يعني: [أهل باديه كه نه كمر جهاد بندند ونه دولت جماعت يابند] وأهل الحضر أي: الامصار وهم أصحاب الجماعات والجمعات وأهل الجهاد في سبيل الله. أو من لا يبالي من أين أخذ من الحلال أو الحرام ومن أخذ من الحلال ومن ترك الدنيا لما أنه في حلالها حساب وفي حرامها عذاب. أو الذي يطلب فوق القوت والكفاف والذي يطلب القوت لا الزيادة عليه والذي يتوكل على الله ويجعل جميع جهده في طاعته. أو الذي يدخل الجنة بشفاعة الشافعين والذي يدخلها برحمة الله وفضله والذي ينجو بنفسه وينجو غيره بشفاعته. أو الذي يضيع العمر في الشهوة والمعصية والذي يحارب فيهما والذي يجتهد في الزلات لأن محاربة الصديقين في الزلات ومحاربة الزاهدين في الشهوات ومحاربة التائبين في الموبقات. أو من يطلب الدنيا تمتعاً ومن يطلبها تلذذاً ومن يتركها تزاهداً. أو الذي يطلب ما لم يؤمر بطلبه وهو الرزق والذي يطلب ما أمر به وما لم يؤمر به والذي يطلب مرضاة الله ومحبته. أو أصحاب الكبائر وأرباب الصغائر والمجتنب عنهما جميعاً فهذا القائل إنما حمل الأمر على أشده. أو من يشتغل بعيب غيره ولا يصلح عيب نفسه ومن يطلب عيب نفسه ويطمع في عيب غيره أيضاً أو من يشتغل بعيب نفسه ولا يطلب عيب غيره أصلاً. أو الجاهل والمتعلم والعالم [يا آنكه انصاف ستاند وندهد وآنكه هم ستاند وهم دهد وآنكه او دهد ونستاند يا طالب نجاة ودرجات ومناجات يا ناظر از خود بخود ونكرنده از خود بآخرت وناظر از حق بحق يا آنكه پيوسته درخواب غفلت باشد وآنكه كاهى بيدار كردد وآنكه هميشه بيدار بود]. أو الزاهد لأنه ظلم نفسه بترك حظه من الدنيا والعارف والمحب. أو الذي يجزع عند البلاء والصابر على البلاء والمتلذذ بالبلاء. أو من ركن إلى الدنيا ومن ركن إلى العقبى ومن ركن إلى المولى.

نعيم هر دو جهان ميكنند برما عرض | دل ازميانه تمنا ندارد الا دوست

أو من جاد بنفسه ومن جاد بقلبه ومن جاد بروحه. أو من له علم اليقين ومن له عين اليقين ومن له حق اليقين. أو الذي يحب له لنفسه والذي يحبه الله والذي أسقط عنه مراده لمراد الحق لم ير لنفسه طلباً ولا مراداً لغلبة سلطان الحق عليه. أو من يراه في الآخرة بمقدار أيام الدنيا في كل جمعة مرة ومن يراه في كل يوم مرة ومن هو غير محجوب عنه ولو ساعة. أو من هو في ميدان العلم ومن هو في ميدان المعرفة ومن هو في ميدان الوجد. أو السالك والمجذوب والمجذوب السالك فالسالك هو المتقرب والمجذوب هو المقرب والمجذوب السالك هو المستهلك في كمالات القرب الفاني عن نفسه الباقي بربه. أو من هو مضروب

بسوط الأمل مقتول بسيف الحرص مضطجع عل باب الرجاء ومن هو مضروب بسوط الحسرة مقتول بسيف الندامة مضطجع على باب الكرم ومن هو مضروب بسوط المحبة مقتول بسيف الشوق مضطجع على باب الهيبة.

اكر عاشقى خواهى آموختى بكشتن فرج يابى از سوختن
مكن كريه بركور مقتول دوست قل الحمد لله كه مقبول اوست

فالظالم على هذه الأقاويل كلها هو المؤمن.

وأما قول من قال: الظالم لنفسه آدم عليه السلام والمقتصد إبراهيم عليه السلام والسابق محمد عليه السلام ففيه أن الآية في حق هذه الأمة إلا أن يعاد الضمير في قوله منهم إلى العباد مطلقاً. فإن قلت هل يقال إن آدم ظلم نفسه؟ قلت: هو قد اعترف بالظلم لنفسه في قوله: «ربنا ظلمنا أنفسنا» وإن كان الأدب الإمساك عن مثل هذا المقال في حقه وإن كان له وجه في الجملة كما قال الراغب الظلم يقال في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة ويقال فيما يقل ويكثر من التجاوز ولهذا يستعمل في الذنب الكبير والصغير ولذلك قيل لآدم ظالم في تعديه ولإبليس ظالم وإن كان بين الظلمين بون بعيد انتهى ﴿بإذن الله﴾ جعله في «كشف الأسرار» متعلقاً بالأصناف الثلاثة على معنى ظلم الظالم وقصد المقتصد وسبق السابق بعلم الله وإرادته. والظاهر تعلقه بالسابق كما ذهب إليه أجلاء المفسرين على معنى بتيسيره وتوفيقه وتمكينه من فعل الخير لا باستقلاله. وفيه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة مأخذها. قال القشيري قدس سره: كأنه قال يا ظالم ارفع رأسك فإنك وإن ظلمت فما ظلمت إلا نفسك ويا سابق اخفض رأسك فإنك وإن سبقت فما سبقت إلا بتوفيقي ﴿ذلك﴾ السبق بالخيرات ﴿هو الفضل الكبير﴾ من الله الكبير لا ينال إلا بتوفيقه أو ذلك الإيراث والاختيار فيكون بالنظر إلى جمع المؤمنين من الأمة وكونه فضلاً لأن القرآن أفضل الكتب الإلهية وهذ الأمة المرحومة أفضل جميع الأمم السابقة.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: الذي ذكر من العالم مع السابق في الإيراث واصطفاء ودخول الجنة ومن دقائق حكمته أنه تعالى ما قال في هذا المعرض الفضل العظيم لأن الفضل العظيم في حق الظالم أن يجمعه مع السابق في الفضل والمقام كما جمعه معه في الذكر.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿جنات عدن﴾ يقال عدن بمكان كذا إذا استقر ومنه المعدن لمستقر الجواهر كما في «المفردات» أي: بساتين استقرار وثبات وإقامة بلا رحيل لأنه لا سبب للرحيل عنها وهو إما بدل من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب أو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿يدخلونها﴾ جمع الضمير لأن المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين ومالهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الآخرين وإن لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقاً لكن فيه تحذير لهما من التقصير وتحريض على السعي في إدراك شؤون السابقين. وقال بعضهم: المراد بالأصناف الثلاثة الكافر والمنافق والمؤمن أو أصحاب المشأمة وأصحاب الميمنة ومن أريد بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الواقعة: ١٠] أو المنافقون والمتابعون بالإحسان وأصحاب النبي عليه

السلام أو من يعطي كتابه وراء ظهره ومن يعطي كتابه بشماله ومن يعطي كتابه بيمينه. فعلى هذه الأقوال لا يدخل الظالم في الجنات لكونه غير مؤمن وحمل هذا القائل الاصطفاء على الاصطفاء في الخلقة وإرسال الرسول إليهم وإنزال الكتاب والأول هو الأصح وعليه عامة أهل العلم كما في «كشف الأسرار». قال أبو الليث في تفسير أول الآية وآخرها دليل على أن الأصناف الثلاثة كلهم مؤمنون. فأما أول الآية فقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ [فاطر: ٣٢] فأخبر أنه أعطى الكتاب لهؤلاء الثلاثة. وأما آخر الآية فقوله: ﴿يدخلونها﴾ إذ لم يقل يدخلانها.

- وروي - عن كعب الأحبار أنه قيل له ما منعك أن تسلم على يدي رسول الله عليه السلام قال: كان أبي مكنني من جميع التوراة إلا ورقات منعني أن أنظر فيها فخرج أبي يوماً لحاجة فنظرت فيها فوجدت فيها نعت أمة محمد وأن يجعلهم الله يوم القيامة ثلاثة أثلاث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حساباً يسيراً ويدخلون الجنة وثلث تشفع لهم الملائكة والنبيون فأسلمت وقلت لعلي أكون من الصنف الأول وإن لم أكن من الصنف الثاني أو من الصنف الثالث فلما قرأت القرآن وجدتها في القرآن وهو قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب﴾ إلى قوله: ﴿يدخلونها﴾.

وفي «التأويلات النجمية» لما ذكرهم أصنافاً ثلاثة رتبها ولما ذكر حديث الجنة والتنعم والتزين فيها ذكرهم على الجمع ﴿جنات عدن﴾ الآية نبه على أن دخولهم الجنة لا باستحقاق بل بفضله وليس في الفضل تميز فيما يتعلق بالنعمة دون ما يتعلق بالمنعم لأن في الخبر «إن من أهل الجنة من يرى الله سبحانه في كل جمعة بمقدار أيام الدنيا مرة ومنهم من يراه في كل يوم مرة ومنهم من هو غير محجوب عنه لحظة» كما سبق ﴿يحلون﴾ [التحلية: بازيور كردن] أي: يلبسون على سبيل التزين والتحلي نساء ورجالاً خبر ثان أو حال مقدرة ﴿فيها﴾ أي: في تلك الجنات ﴿من أساور من ذهب﴾ من الأولى تبعيضية والثانية بيانية. وأساور جمع أسورة وهو جمع سوار مثل كتاب وغراب معرب «دستواره» والمعنى يحلون بعض أساور من ذهب لأنه أفضل من سائر أفرادها أي: بعضاً سابقاً لسائر الأبعاض كما سبق المسورون به غيرهم وقال في سورة هل أتى ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١] قيل يجمع لهم الذهب والفضة جميعاً وهو أجمل أو بعضهم يحلون بالذهب وهم المقربون وبعضهم يحلون بالفضة وهم الأبرار ﴿ولؤلؤاً﴾ بالنصب عطفاً على محل من أساور. واللؤلؤ الدر سمي بذلك لتلألئه ولمعانه والمعنى ويحلون لؤلؤاً. قال الكاشفي: [چنانچه پادشاهان عجم]. وقرىء بالجر عطفاً على ذهب أي: من ذهب مرصع باللؤلؤ ومن ذهب في صفاء اللؤلؤ وذلك لأنه لم يعهد الأسورة من نفس اللؤلؤ إلا أن تكون بطريق النظم في السلك. وقال في «بحر العلوم»: عطف على ذهب فإنهم يسورون بالجنسين أساور من ذهب ومن لؤلؤ وذلك على الله يسير وكم من أمر من أمور الآخرة يخالف أمور الدنيا وهذا منها ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ لا كحرير الدنيا فإنه لا يوجد من معناه في الدنيا إلا الاسم واللباس اسم ما يلبس وبالفارسية: [جامه وپوشش] والحرير من الثياب مارق كما في «المفردات» وثوب يكون سداه ولحمته ابريسما وإن كان في الأصل الابريسم المطبوخ كما في القهستاني. ويحرم لبسه على الرجال دون النساء إلا في الحرب ولكن لا يصلي فيه إلا أن يخاف العدو أو لضرورة كحكة أو جرب في جسده أو لدفع القمل ولا يلبسه وإن لم يتصل بجلده وهو الصحيح وجاز أن يكون عروة القميص وزره حريراً كالعلم في الثوب ولا بأس أن

يشد خماراً أسود من الحرير على العين الرامدة والناظرة إلى الثلج وأن تكون التكة حريراً ورخص قدر أربع أصابع كما هي. وقيل مضمومة ولا يجمع المتفرق من الحرير. ويجوز عند الإمام أن يجعل الحرير تحت رأسه وجنبه ويكره عندهما وبه أخذ أكثر المشايخ. وعلى هذا الخلاف تعليق الحرير على الجدر ولا بأس بالجلوس على بساط الحرير والصلاة على السجادة منه ويوضع ملاءة الحرير على مهد الصبي. ويلبس الرجل في الحرب وغيره بلا كراهة إجماعاً ما سداه ابريسم ولحمته وغيره سواء كان مغلوباً أو غالباً أو مساوياً للحرير وهو الصحيح. ويلبس عكسه أي: ما لحمته ابريسم وسداه غيره في حرب فقط. وكره إلباس الصبي ذهباً أو حريراً لئلا يعتاده والإثم على الملبس لأن الفعل مضاف إليه. وكذا يكره كل لباس خلاف السنة والمستحب أن يكون من القطن والكتان أو الصوف. وأحب الألوان البياض. ولبس الأخضر سنة. ولبس الأسود مستحب ولا بأس بالثوب الأحمر كما في الزاهدي الكل من القهستاني وقد سبق باقي البيان في سورة الحج وغيرها ﴿وقالوا﴾ أي: ويقولون عند دخول الجنة حمداً لربهم على ما صنع بهم وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وبالفارسية: [وكويند اين جمع چون ازحفره دوزخ برهند وبروضه بهشت برسند] ﴿الحمد لله﴾ أي: الإحاطة بأوصاف الكمال لمن له تمام القدرة ﴿الذي أذهب﴾ أزال ﴿عنا﴾ بدخولنا الجنة ﴿الحزن﴾ الحزن بفتحتين والحزن بالضم والسكون واحد وهو خشونة الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغم ويضاده الفرح.

وفي «التأويلات النجمية»: سمي الحزن حزناً لحزونة الوقت على صاحبه وليس في الجنة وهي جوار الحضرة حزونة وإنما هي رضى واستبشار انتهى. والمراد جنس الجزن سواء كان حزن الدنيا أو حزن الآخرة من هم المعاش وحزن زوال النعم والجوع والعطش وقوت من الحلال وخوف السلطان ودغدغة التحاسد والتباغض وحزن الأعراض والآفات ووسوسة إبليس والسيآت ورد الطاعات وسوء العاقبة والموت وأهوال يوم القيامة والنار والمرور على الصراط وخوف الفراق وتدبير الأحوال وغير ذلك وفي الحديث «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في منشرهم وكأني بأهل لا إله إلا الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن». قال أبو سعيد الخراز قدس سره: أهل المعرفة في الدنيا كأهل الجنة في الآخرة فتركوا الدنيا في الدنيا فتنعموا وعاشوا عيش الجنانيين بالحمد والشكر بلا خوف ولا حزن.

جنت نقدست اينجا ذوق ارباب حضور   دردل ايشان نباشد حزن وغم تانفخ صور

﴿إن ربنا﴾ المحسن إلينا مع إساءتنا ﴿لغفور﴾ للمذنبين فيبالغ في ستر ذنوبهم الفائتة للحصر ﴿شكور﴾ للمطيعين فيبالغ في إثابتهم فإن الشكر من الله الإثابة والجزاء والوفاق.

وفي «التأويلات»: غفور للظالم لنفسه شكور للمقتصد والسابق وإنما قدم ما للظالم رفقاً بهم لضعف أحوالهم انتهى. ثم وصفوا الله بوصف آخر هو شكر له فقالوا:

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿الذي أحلنا﴾ أنزلنا يقال حلت نزلت من حل الأحمال عند النزول ثم جرد استعماله للنزول فقيل: حل حلولاً وأحله غيره والمحلة مكان النزول كما في «المفردات» ﴿دار المقامة﴾ مفعول ثانٍ لأحل وليست بظرف لأنها محدودة. والمقامة بالضم مصدر تقول أقام يقيم إقامة ومقامة أي: دار الإقامة التي لا انتقال عنها أبداً فلا يريد النازل بها ارتحالاً منها ولا يراد به ذلك ﴿من فضله﴾ أي: من أنعامه وتفضله من غير أن يوجبه شيء من قبلنا من الأعمال فإن الحسنات فضل منه أيضاً فلا واجب عليه. وذلك أن دخول الجنة بالفضل والرحمة واقتسام الدرجات بالأعمال والحسنات هذا مخلوق تحت رق مخلوق مثله لا يستحق على سيده عوضاً لخدمته فكيف الظن بمن له الملك على الإطلاق أيستحق من يعبده عوضاً عن عبادته تعالى الله عما يقول المعتزلة من الإيجاب.

وفي «التأويلات» وبقوله: ﴿الذي أحلنا دار المقامة﴾ من فضله كشف القناع عن وجه الأحوال كلها فدخل كل واحد من الظالم والمقتصد والسابق في مقام أحله الله فيه من فضله لا بجهده وعمله وأن الذي أدخله الله الجنة جزاء بعمله فتوفيقه للعمل الصالح أيضاً من فضل الله وهذا حقيقة قوله عليه السلام: «قبل من قبل لا لعلة ورد من رد لا لعلة» ﴿لا يمسنا﴾ المس كاللمس وقد يقال في كل ما ينال الإنسان من أذى والمعنى بالفارسية: [نميرسد مارا] ﴿فيها﴾ أي: في دار الإقامة في وقت من الأوقات ﴿نصب﴾ تعب بدن ولا وجع كما في الدنيا ﴿ولا يمسنا فيها لغوب﴾ كلال وفتور إذ لا تكليف فيها ولا كدّ وبالفارسية: [ماندكى وملال چه كلفتى ومحنتى نيست دروى بلكه همه عيش وحضور وفرح وسرورست] وإذا أرادوا أن يروه لا يحتاجون إلى قطع مسافة وانتظار وقت بل هم في غرفهم يلقون فيها تحية وسلاماً وإذا رأوه لا يحتاجون إلى تحديق مقلة في جهة يرونه كما هم بلا كيفية كل صفة لهم أرادت الرؤية لقوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١] والفرق بين النصب واللغوب أن النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور للجوارح. قال أبو حيان هو لازم من تعب البدن فهي الجديرة لعمري بأن يقال فيها:

علياء لا تنزل الأحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء

والتصريح بنفي الثاني مع استلزام نفي الأول له وتكرير الفعل المنفي للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما.

ـ روي ـ عن الضحاك رحمه الله قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة استقبلهم الولدان والخدم كأنهم اللؤلؤ المكنون فبعث الله من الملائكة من معه هدية من رب العالمين وكسوة من كسوة الجنة فيلبسه فيريد أن يدخل الجنة فيقول الملك كما أنت ويقف ومعه عشرة خواتيم من خواتيم الجنة هدية من رب العالمين فيضعها في أصابعه مكتوب في أول خاتم منها ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] وفي الثاني مكتوب ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ۝٣٤﴾ [ق: ٣٤] وفي الثالث مكتوب «رفعت عنكم الأحزان والهموم» وفي الرابع مكتوب «زوجناكم الحور العين» وفي الخامس مكتوب ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦﴾ [الحجر: ٤٦] وفي السادس مكتوب ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟﴾ [المؤمنون: ١١١] وفي السابع مكتوب ﴿أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١] وفي الثامن مكتوب «صرتم آمنين لا تخافوا أبداً» وفي التاسع مكتوب «رافقتم النبيين والصديقين والشهداء» وفي العاشر مكتوب «في جوار من لا يؤذي الجيران» ثم يقول

الملك ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦] فلما دخلوا ﴿قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ إلى آخر الآية [اى جوانمرد. قدر ترياق مار كزيده دند. قدر آتش سوزان پروانه داند. قدر پيرهن يوسف يعقوب غمكين داند اوكه مغرور سلامت خويش است اكر اورا ترياق دهى قدر آن چه داند جان بلب رسيده بايد تاقدر ترياق بداند درويشى دل شكسته غم خورده اندوه كشيده بايد تاقدر اين شناسد وعزاين خطاب بداندكه ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ باش تافردا كه آن درويش دلريش را در حظيره قدس بر سرير سرور نشانند وآن غلمان وولدان جاكرواريپش تخت دولت او سماطين بركشند شب محنت بپايان رسيده خورشيد سعادت از افق كرامت برآمده وحضرت عزت از الطاف وكرم روى بدرويش نهاده بزبان ناز ودلال همى كويد بنعت شكر ﴿الحمد لله﴾] الخ:

نماند اين شب تاريك ميرسد سحرش نماند ابر زخورشيد ميرود كدرش

نسأل الله الانكشاف.

﴿والذين كفروا﴾ جحدوا بوجود الله تعالى أو بوحدته ﴿لهم﴾ بمقابلة كفرهم الذي هو أكبر الكبائر وأقبح القبائح ﴿نار جهنم﴾ التي لا تشبه ناراً ﴿لا يقضى عليهم﴾ لا يحكم عليهم بموت ثان يعني: [وقتى كه در دوزخ باشند] ﴿فيموتوا﴾ ويستريحوا من العذاب ونصبه بإضمار أن لأنه جواب النفي ﴿ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ طرفة عين بل كلما خبت زيد استعارها يعني: [هركاه كه آتش فرونشيند زياده كنند احراق والتهاب اورا]. وقوله كلما خبت لا يدل على تخفيف عنهم بل على نقصان في النار ثم يزداد كما في «كشف الأسرار». قوله عنهم نائب مناب الفاعل ومن عذابها في موقع النصب أو بالعكس وإن كانت زائدة يتعين له الرفع ﴿كذلك﴾ أي: مثل هذا الجزاء الفظيع ﴿نجزي﴾ [جزاميدهيم] ﴿كل كفور﴾ مبالغ في الكفر أو في الكفران لا جزاء أخف وأدنى منه.

﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۝٣٧ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٣٨﴾.

﴿وهم﴾ أي: الكفار ﴿يصطرخون فيها﴾ يستغيثون وبالفارسية: [فرياد ميخواهند در دوزخ] والاصطراخ افتعال من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة دخلت الطاء فيه للمبالغة كدخولها في الاصطبار والاصطفاء والاصطناع والاصطياد استعمل في الاستغاثة بالفارسية [فرياد خواستن وشفاعت كردن خواستن] لجهر المستغيث صوته ﴿ربنا﴾ بإضمار القول يقولون ربنا ﴿أخرجنا﴾ من النار وخلصنا من عذابها وردنا إلى الدنيا ﴿نعمل صالحاً﴾ [عمل بسنديده] أي: نؤمن بدل الكفر ونطيع بدل المعصية وذلك لأن قبول الأعمال مبني على الإيمان ﴿غير الذي كنا نعمل﴾ قيدوا العمل الصالح بهذا الوصف إشعاراً بأنهم كانوا يحسبون ما فعلوه صالحاً والآن تبين خلافه إذ كان هوى وطبعاً ومخالفة يعني: [اكنون عذاب را معاينه ديديم ودانستيم كه كردارمادر دنيا شايسته نبود] ﴿أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ جواب من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام [والتعمير: زندكانى دادن] والعمر اسم لمدة عمارة البدن بالحياة وما نكرة موصوفة أو مصدر يراد به الزمان كقولك

آتيك غروب الشمس [والتذكر: پندكر فتن] والمعنى ألم نعطكم مهلة ولم نعمركم عمراً أو تعميراً أو وقتاً وزمناً يتذكر فيه من تذكر وإلى الثاني مال الكاشفي حيث قال بالفارسية: [آيا زندكانى نداديم وعمر ارزانى نداشتيم شمارا آن مقدار پندكيريد ودران عمر هركه خواهد كه پند كيرد] ومعنى يتذكر فيه أي: يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكر لشأنه وإصلاح حاله وإن قصر إلا أن التوبيخ في المطاولة أعظم يعني إذا بلغ حد البلوغ يفتح الله له نظر العقل فيلزم حينئذٍ على المكلف أن ينظر بنظر العقل إلى المصنوعات فيعرف صانعها ويوحده ويطيعه فإذا بلغ إلى الثماني عشرة أو العشرين أو ما فوق ذلك يتأكد التكليف ويلزم الحجة أشد من الأول وفي الحديث «اعذر الله إلى امرىء وأخر أجله حتى بلغ ستين سنة» أي: أزال عذره ولم يبق منه موضعاً للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدة ولم يتعذر ولعل تعيين الستين ما قال عليه السلام: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين» وأقلهم من يجوز ذلك فإذا بلغ الستين وجاوزها كانت السبعون آخر زمان التذكر لأن ما بعدها زمان الهرم وفي الحديث: «إن لله ملكاً ينادي كل يوم وليلة أبناء الأربعين زرع قد دنا حصاده وأبناء الستين ما قدمتم وما عملتم وأبناء السبعين هلموا إلى الحساب». وكان الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره: إذا قام إليه شاب ليتوب يقول: يا هذا ما جئت حتى طلبوك ولا قدمت من سفر الجفاء حتى استحضروك يا هذا ما تركناك لما تركتنا ولا نسيناك لما نسيتنا أنت في إعراضك وعيننا تحفظك ثم حركناك لقربنا وقدمناك لأنسنا. وكان إذا قام إليه شيخ ليتوب يقول يا هذا أخطأت وأبطأت كبر سنك وتمردجنك هجرتنا في الصبى فعذرناك وبادرتنا في الشباب فمهلناك فلما قاطعتنا في المشيب مقتناك فإن رجعت إلينا قبلناك.

دل زدنيا زودتر كردد جوانا نرا خنك   كهنكى از سردىء آبست مانع كوزه را

وكان جماعة من الصحابة ومن بعدهم إذا بلغ أربعين سنة أو رأى شيباً بالغ في الاجتهاد وطوى الفراش وأقبل على قيام الليل وأقل معاشرة الناس ولا فرق في ذلك بين الأربعين فما دونها لأن الأجل مكتوم لا يدري متى يحل أيقظنا الله وإياكم من رقدة الغافلين ﴿وجاءكم النذير﴾ عطف على الجملة الاستفهامية لأنها في معنى قد عمرناكم حيث إن همزة الإنكار إذا دخلت على حرف النفي أفادت التقرير كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا﴾ [الشرح: ١-٢] الخ لأنه في معنى قد شرحنا الخ. والمراد بالنذير رسول الله ﷺ وعليه الجمهور أو ما معه من القرآن أو العقل فإنه فارق بين الخير والشر أو موت الأقارب والجيران والإخوان أو الشيب وفيه أن مجيء الشيب ليس بعام للجميع عموم ما قبله. قال الكاشفي: [وأكثر علما برآنند كه مراد از نذير شيب است چه زمان شيب فرو نشاننده شعله حياتست وموسم پيرى زنك فزاينده آيينه ذات]:

نوبت پيرى چو زند كوس درد   دل شود ازخوشدلى وعيش فرد
درتن واندام در آيد شكست   لرزه كند پاى زستى چودست
موى سفيد از اجل آرد پيام   پشت خم ازمرك رساند سلام

قيل: أول من شاب من ولد آدم عليه السلام إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: ما هذا يا رب؟ قال: هذا وقار في الدنيا ونور في الآخرة فقال: رب زدني من نورك ووقارك، وفي الحديث: «إن الله يبغض الشيخ الغربيب» أي: الذي لا يشيب كما في «المقاصد الحسنة».

وقال في «الكواشي»: يجوز أن يراد بالنذير كل ما يوزن بالانتقال فلا بد من التنبه عند مجيئه ولذا قال أهل الأصول الصحيح من قولي محمد أن الحج يجب موسعاً يحل فيه التأخير إلا إذا غلب على ظنه أنه إذا أخر يفوت فإذا مات قبل أن يحج فإن كان الموت فجأة لم يلحقه إثم وإن كان بعد ظهور إمارات يشهد قلبه بأنه لو أخر يفوت لم يحل له التأخير ويصير مضيقاً عليه لقيام الدليل فإن العمل بدليل القلب أوجب عند عدم دلالته [در موضح آورده كه چون دوزخيان استغاثه كنند وبفرياد آيند وكويند خدايا مارا بدنيا فرست تا عمل خير كنيم بمقدار زمان دنيا از اول ابداع تا آخر انقطاع فرياد كنند تا حق سبحانه وتعالى جواب فرمايدكه زندكانى دادم شمارا ونذير فرستادم بشما كويند بلا زندكانى يافتيم ونذيررا ديديم خداى تعالى فرمايد] ﴿فذوقوا﴾ [پس بچشيد عذاب دوزخ فالفاء لترتيب الأمر بالذوق على ما قبلها من التعمير ومجيء النذير ﴿فما﴾] الفاء للتعليل ﴿للظالمين﴾ على أنفسهم بالكفر والشرك ﴿من نصير﴾ يدفع العذاب عنهم. وفيه إشارة إلى أنهم كانوا في الدنيا نائمين ولذا لم يذوقوا الألم فلما ماتوا وبعثوا وتيقظوا تيقظاً تاماً ذاقوا العذاب وأدركوه ﴿إن الله عالم غيب السموات والأرض﴾ أي: يختص بالله علم كل شيء فيهما غاب عن العباد وخفي عليهم فكيف يخفى عليه أحوالهم وإنهم لو ردوا إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه ﴿إنه﴾ تعالى ﴿عليم بذات الصدور﴾ لم يقل ذوات الصدور لإرادة الجنس وذات تأنيث ذي بمعنى صاحب والمعنى عليم بالمضمرات صاحبة الصدور أي: القلوب وبالفارسية: [داناست بچيزها كه مضمراست درسينها] فحذف الموصوف وأقيمت صفته مقامه وجعلت الخواطر القائمة بالقلب صاحبة له بملازمتها وحولها كما يقال للبن ذو الإناء ولولد المرأة وهو جنين ذو بطنها فالإضافة لأدنى ملابسة.

وفي «التأويلات النجمية» أي: عالم بإخلاص المخلصين وصدق الصادقين وهما من غيب سموات القلوب وعالم بنفاق المنافقين وجحد الجاحدين وهما من غيب أرض النفوس انتهى. ففيه وعد ووعيد وحكم الأول الجنة والقربة وحكم الثاني النار والفرقة. قيل: لا يا رب إلا ما لا خير فيه قال كذلك لا أدخل النار من عبادي إلا من لا خير فيه وهو الإيمان.

در خلائق روحهاى پاك هست ... روحهاى شيره كلناك هست
واجبست اظهار اين نيك وتباه ... همچنان اظهار كندمها زكاه

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾.

﴿هو﴾ أي: الله تعالى وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ جمع خليفة وأما خلفاء فجمع خليف وكلاهما بمعنى المستخلف أي: جعلكم خلفاء في أرضه وألقى إليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها أو جعلكم خلفاء ممن كان قبلكم من الأمم وأورثكم ما بأيديهم من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة. وفيه إشارة إلى أن كل واحد من الأفاضل والأراذل خليفة من خلفائه في أرض الدنيا. فالأفاضل يظهرون جمال صنائعه في مرآة أخلاقهم الربانية وعلومهم اللدنية. والأراذل يظهرون كمال بدائعه في مرآة

حرفهم وصنعة أيديهم. ومن خلافتهم أن الله تعالى استخلفهم في خلق كثير من الأشياء كالخبز فإنه تعالى يخلق الحنطة بالاستقلال والإنسان بخلافته يطحنها ويخبزها وكالثوب فإنه تعالى يخلق القطن والإنسان يغزله وينسج منه الثوب بالخلافة وهلمّ جرا ﴿**فمن**﴾ [پس هركه] ﴿**كفر**﴾ منكم نعمة الخلافة بأن يخالف أمر مستخلفه ولا ينقاد لأحكامه ويتبع هواه ﴿**فعليه كفره**﴾ أي: وبال كفره وجزاؤه وهو الطرد واللعن والنار لا يتعداه إلى غيره ﴿**ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً**﴾. قال الراغب المقت البغض الشديد لمن يراه متعاطياً لقبيح يعني: [نتيجه كفرايشان بنسبت مكر بغض رباني كه سبب غضب جاودانى همان تواند بود] ﴿**ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً**﴾ [مكر زياني در آخرت كه حرمانست ازجنت] والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من الأمرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والأصالة. والتنكير للتعظيم أي: مقتاً عظيماً ليس وراءه خزي وصغار وخساراً عظيماً ليس بعده شر وتبار.

﴿**قل**﴾ تبكيتاً لهم ﴿**أرأيتم**﴾ [آياديديد] ﴿**شركاءكم**﴾ أي: آلهتكم وأصنامكم والإضافة إليهم حيث لم يقل شركائي لأنهم جعلوهم شركاء الله وزعموا ذلك من غير أن يكون له أصل مّا أصلاً ﴿**الذين تدعون**﴾ [ميخوانيد ايشانرا ومى پرستيد] ﴿**من دون الله**﴾ أي: حال كونكم متجاوزين دعاء الله وعبادته ﴿**أروني**﴾ أخبروني وبالفارسية: [بنماييد وخبر كنيدمرا] وذلك لأن الرؤية والعلم سبب الأخبار فاستعمل الإراءة في الأخبار وهو بدل من أرأيتم بدل اشتمال كأنه قيل اخبروني عن شركائكم أروني ﴿**ماذا خلقوا من الأرض**﴾ أي: جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله والمراد من الاستفهام نفي ذلك وبالفارسية: [اين شركا چه چيز آفريده اند از زمين وآنچه درو برويست] ﴿**أم لهم**﴾ [آيا هست ايشانرا] ﴿**شرك في السموات**﴾ شركة مع الله في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة في الألوهية ذاتية ﴿**أم آتيناهم**﴾ أي: الشركاء ويجوز أن يكون الضمير للمشركين ﴿**كتاباً**﴾ينطق بإنا اتخذناهم شركاء ﴿**فهم على بينة منه**﴾ أي: حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بأن لهم شركة جعلية. ولما نفى أنواع الحجج في ذلك أضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو التقرير فقال: ﴿**بل**﴾ [نه چنين است بلكه] ﴿**إن**﴾ نافية أي: ما ﴿**يعد الظالمون**﴾ [وعده نمى دهند مشركان برخى ايشان كه اسلاف يا رؤسا واشرافند] ﴿**بعضاً**﴾ [برخى ديكررا كه اخلاف ويا اراذل واتباعند] ﴿**إلا غروراً**﴾ باطلاً لا أصل له وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وهو تغرير محض يسفه بذلك آراءهم وينبئهم على ذميم أحوالهم وأفعالهم وخسة هممهم ونقصان عقولهم بإعراضهم عن الله وإقبالهم على ما سواه. فعلى العاقل أن يصحح التوحيد ويحققه ولا يرى الفاعل والخالق إلا الله.

وعن ذي النون رضي الله عنه قال: بينا أنا أسير في تيه بني إسرائيل إذا أنا بجارية سوداء قد استلبها الوله من حب الرحمٰن شاخصة ببصرها نحو السماء فقلت: السلام عليك يا أختاه فقالت: وعليك السلام ياذا النون فقلت لها من أين عرفتني يا جارية فقالت: يا بطال إن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ثم ادارها حول العرش فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فعرفت روحي روحك في ذلك الجولان فقلت: إني لأراك حكيمة علميني شيئاً مما علمك الله فقالت: يا أبا الفيض ضع على جوارحك ميزان القسط حتى يذوب كل ما كان لغير الله ويبقى القلب مصفى ليس فيه غير الرب فحينئذٍ يقيمك على الباب ويوليك ولاية

جديدة ويأمر الخزان لك بالطاعة فقلت: يا أختاه زيديني فقالت: يا أبا الفيض خذ من نفسك لنفسك وأطع الله إذا خلوت يجبك إذا دعوت ولن يستجيب إلا من قلب غير غافل وهو قلب الموحد الحقيقي الذي زال عنه الشرك مطلقاً.

اكرچه آينه داري از براي رخش ولى چه سودكه داري هميشه آينه تار
بيا بصيقل توحيد زآينه بزدآى غبار شرك كه تاپاك كرددا ز ژنكار

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾.

﴿إن الله يمسك السموات والأرض﴾ أي: يحفظهما بقدرته فإن الإمساك ضد الإرسال وهو التعلق بالشيء وحفظه ﴿أن تزولا﴾ الزوال الذهاب وهو يقال في كل شيء قد كان ثابتاً قبل أي: كراهة زوالهما عن أماكنهما فإن الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ فعلى هذا يكون مفعولاً له أو يمنعهما من أن تزولا لأن الإمساك منع يقال أمسكت عنه كذا أي: منعته فعلى هذا يكون مفعولاً به ﴿ولئن زالتا﴾ أي: والله لئن زالت السموات والأرض عن مقرهما ومركزهما بتخليتهما كما يكون يوم القيامة ﴿إن﴾ نافية أي: ما ﴿أمسكهما﴾ [نكاه ندارد ايشانرا] أي: ما قدر على إعادتهما إلى مكانهما ﴿من أحد﴾ [هيچ يكى] ومن مزيدة لتأكيد نفي الإمساك عن كل أحد ﴿من بعده﴾ من للابتداء أي: من بعد إمساكه تعالى أو من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين للقسم والشرط ﴿إنه﴾ سبحانه ﴿كان حليماً﴾ غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها جنايات الكفار حيث أمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدّا هدّاً لعظم كلمة الشرك ﴿غفوراً﴾ لمن رجع عن كلمة الكفر وقال بالوحدانية. والحلم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب كما في «المفردات». والفرق بين الحليم والصبور أن المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصبور كما يأمنها في صفة الحليم يعني أن الصبور يشعر بأنه يعاقب في الآخرة بخلاف الحليم كما في المفاتيح ولعل هذا بالنسبة إلى المؤمنين دون الكفار. قال في «بحر العلوم»: الحليم مجازي أي: يفعل بعباده فعل من يحلم على المسيء ولا يعاجلهم بالعقوبة مع تكاثر ذنوبهم. وفي «شرح الأسماء»: للإمام الغزالي رحمه الله تعالى الحليم هو الذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الأمر ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش. فعلى العاقل أن يتخلق بهذا الاسم بأن يصفح عن الجنايات ويسامح في المعاملات بل يجازي الإساءة بالإحسان فإنه من كمالات الإنسان.

بدى را بدى سهل باشد جزا اكر مردى احسن الى من اساء

ـ روي ـ عن بعضهم أنه كان محبوساً وكان يعرض غدوة وعشية ليقتل فرأى النبي عليه السلام في النوم فقال له: اقرأ وأشار إلى هذا الآية فقال: كم أقرأ؟ فقال: أربعمائة مرة فقرأ فلم يذكر عشرين ليلة حتى أخرج. ولعل سره أن السموات والأرض إشارة إلى الأرواح والأجساد فكما أن الله تعالى يحفظ عالم الصورة من أوجه وحضيضه فكذا يحفظ ما هو أنموذجه وهو عالم الإنسان. وأيضاً أن الجاني وإن كان مستحقاً للعقوبة لكن مقتضى الاسم الحليم ترك المعاجلة بل الصفح بالكلية ففي مداومة الآية استعطاف واستنزال للرحمة على الجسم والروح وطلب بقائهما.

واعلم أن التوحيد سبب لنظام العالم بأسره ألا يرى أنه لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله أي: لا يوجد من يوحد توحيداً حقيقياً فإنه إذا انقرض أهل هذا التوحيد وانتقل الأمر من الظهور إلى البطون يزول العالم وينتقض أجزاؤه لأنه إذا يكون كجسد بلا روح والروح إذا فارق الجسد يتسارع إلى الجسد البلي والفساد. ففي الآية أخبار عن عظيم قدرة الله على حفظ السموات والأرض وإمساكهما عن الزوال والذهاب وأن الإنسان الكامل من حيث إنه خليفة الله هو العماد المعنوي فيه يحفظ الله عالم الأرواح والأجسام.

وفي «الفتوحات المكية»: لا بد في كل إقليم أو بلد أو قرية من ولي به يحفظ الله تلك الجهة سواء كان أهل تلك الجهة مؤمنين أو كفاراً.

ـ يروى ـ أن آخر مولود في النوع الإنساني يكون بالصين فيسري بعد ولادته العقم في الرجال والنساء ويدعوهم إلى الله فلا يجاب في هذه الدعوة فإذا قبضه الله وقبض مؤمني زمانه بقي من بقي مثل البهائم لا يحلون حلالاً ولا يحرمون حراماً فعليهم تقوم الساعة وتخرب الدنيا وينتقل الأمر إلى الآخرة.

مدار نظم امور جهان انسانست جميع اهل جهان جسم وجان انسانست
فناى عالم صورت برحلتش مربوط مقام بود سما اوت كرد بارض هبوط

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿وأقسموا بالله﴾ أقسم حلف أصله من القسامة وهي أيمان تقسم على أولياء المقتول ثم صار اسماً لكل حلف كما في «المفردات» والضمير لمشركي مكة والمعنى بالفارسية: [وسوكند خوردند اهل مكة بخداى تعالى] **﴿جهد أيمانهم﴾** مصدر في موقع الحال أي: جاهدين في أيمانهم. والجهد والجهد الطاقة والمشقة. وقيل الجهد بالفتح المشقة وبالضم الوسع والإيمان بالفتح جمع يمين واليمين في الحلف مستعار من اليمين بمعنى اليد اعتباراً بما يفعل المحالف والمعاهد عنده. قال الراغب: أي: حلفوا واجتهدوا في الحلف أن يأتوا به على أبلغ ما في وسعهم انتهى وكان أهل الجاهلية يحلفون بآبائهم وبالأصنام وبغير ذلك وكانوا يحلفون بالله ويسمونه جهد اليمين وهي اليمين المغلظة كما قال النابغة:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مطلب

أي كما أن الله تعالى أعلى المطالب كذلك الحلف به أعلى الاحلاف.

ـ روي ـ أن قريشاً بلغهم قبل مبعث رسول الله ﷺ أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا: لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم وحلفوا **﴿لئن جاءهم نذير﴾** أي: والله لئن جاء قريشاً نبي منذر **﴿ليكونن أهدى﴾** أطوع وأصوب ديناً **﴿من إحدى الأمم﴾** [از يكى امتان كذشته] أي: من كل من اليهود والنصارى وغيرهم لأن إحدى شائعة. والأمم جمع فليس المراد إحدى الأمتين اليهود والنصارى فقط ولم يقل من الأمم بدون إحدى لأنه لو قال لجاز أن يراد بعض الأمم وقوله في أواخر الأنعام ﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَـٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ [الأنعام: ١٥٦] أي: اليهود والنصارى ثم قوله: ﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَـٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٧] أي: إلى الحق لا ينافي العموم لأن تخصيص الطائفتين وكتابيهما إنما هو

لاشتهارهما بين الأمم واشتهارهما فيما بين الكتب السماوية. وقال بعضهم: معنى من إحدى الأمم من الأمة التي يقال لها إحدى الأمم تفضيلاً لها على غيرها في الهدي والاستقامة ومنه قولهم للداهية هي إحدى الدواهي أي: العظيمة وإحدى سبع أي: إحدى ليالي عاد في الشدة وفي الآية إشارة إلى أن الإنسان لما كان مركباً من الروح والجسد فبروحانيته يميل إلى الدين وما يتعلق به وببشريته يميل إلى الدنيا وما يتعلق بها الكافر والمؤمن فيه سواء إلا أن الكافر إذا مال إلى شيء من الدين بحسب غلبة روحانيته على بشريته وعاهد عليه ثم وقع في معرض الوفاء به لم توافقه نفسه لأنها مائلة إلى الكفر راغبة عن الدين وظلمة الكفر تحرّضه على نقض العهد فينقضه وأن المؤمن إذا مال إلى شيء من الدنيا بحسب غلبة بشريته على روحانيته وعاهد عليه وهو يريد الوفاء به يمنعه نور إيمانه عن ذلك ويحرضه على نقض العهد فينقضه وكذلك المريد الصادق إذا اشتد عليه القبض وملت نفسه من مقاساة شدة الرياضة والمجاهدة يمني نفسه بنوع من الرخص استمالة لها وربما عاهد الله عليه ويؤكد الشيطان فيه عهده ويمنيه وبعده فإذا وقع في معرض الوفاء وأراد أن يفي بعده فإذا صدقت إرادته تسبق عزيمته وتحرك سلسلة طلبه فينقض عهده مع النفس ويجدد عهد الطلب مع الله ويتمسك بدوام الذكر وملازمته إلى أن يفتح الله بمفتاح الذكر باب قلبه إلى الحضرة ويزهق بمجيء الحق باطل ما تمناه﴿**فلما جاءهم نذير**﴾ وأي نذير أفضل الكل وأشرف الأنبياء والرسل عليهم السلام﴿**ما زادهم**﴾ أي: النذير أو مجيئه على التسبب﴿**إلا نفوراً**﴾ تباعداً عن الحق والهدي وبالفارسية: [مكر رميدن از حق ودورشدن].

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾.

﴿**استكباراً في الأرض**﴾ بدل من نفوراً أو مفعول له يعني عتواً على الله وتكبراً عن الإيمان به وبالفارسية: [كردن كشى ازفرمان الهي]. قال في «بحر العلوم»: الاستكبار التكبر كالاستعظام والتعظم لفظاً ومعنى انتهى. قال بعض الكبار: إن الله تعالى قد أنشأك من الأرض فلا ينبغي لك أن تعلو على أمك.

زخاك آفريدت خداوند پاك   پس اى بنده افتادكى كن چوخاك

﴿**ومكر السيىء**﴾ عطف على استكباراً أو على نفوراً وأصله أن مكروا المكر السيىء فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل أن مع الفعل بالمصدر ثم أضيف اتساعاً. قال في «تاج المصادر»: [المكر: تاريك شدن شب] ومنه اشتق المكر لأنه السعي بالفساد في خفية. وقال الراغب: المكر صرف الغير عما يقصده بحيلة وذلك ضربان محمود وهو أن يتحرى بذلك فعل جميل وعلى ذلك قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤] ومذموم وهو أن يتحرى به فعل قبيح انتهى ومنه الآية ولذا وصف بالسيىء والمعنى ما زادهم إلا المكر السيىء في دفع أمره عليه السلام بل وفي قتله وإهلاكه وبالفارسية: [وآنكه مكر كردند مكرى بد يعني حيله انديشيدند درهلاك كردن آن تدبير]﴿**ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله**﴾ . قال في «القاموس»:

حاق به يحيق حيقاً وحيوقاً وحيقاناً أحاط به كأحاق وحاق بهم العذاب أحاط ونزل كما في «المختار» والحيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله والمعنى ولا يحيط المكر السيىء إلا بأهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وبالفارسية: [وأحاطه نميكنند مكر بدمكر بأهل وى يعني مكر هر ما كرى بوى احاطه كند واطراف وجوانب وى فرو كيرد وهرچه در باب قصد كسى انديشيده باشد در باره خود مشاهد نمايد]. قال في «بحر العلوم»: المعنى إلا حيقاً ملصقاً بأهله وهو استثناء مفرغ فيجب أن يقدر له مستثنى منه عام مناسب له من جنسه فيكون التقدير ولا يحيق المكر السيىء حيقاً إلا حيقاً بأهله وفي الحديث: «لا تمكروا ولا تعينوا ماكراً فإن الله يقول ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغياً فإن الله يقول إنما بغيكم على أنفسكم» وأما قوله عليه السلام: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» فمعناه بالنسبة إلى نصرة الظالم أن تنصره على إبليس الذي يوسوس في صدره بما يقع منه في الظلم بالكلام الذي تستحليه النفوس وتنقاد إليه فتعينه على رد ما وسوس إليه الشيطان من ذلك وفي حديث آخر «المكر والخديعة في النار» يعني: أصحابهما لأنهما من أخلاق الكفار لا من أخلاق المؤمنين الأخيار وفي أمثالهم من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكباً فلا يصيب الشر إلا أهل الشر [وابن بامیین را درین باب قطعه است این دو بیت اینجا ثبت افتاد]:

دریاب من زروى حسد يكدو ناشناس دمهـا زدنـد وكـوره تـزويـر تـافـتـنـد
زاعمال نفسهم همه نیکی بمن رسيد وايشـان جزاى فعـل بدخويش يـافـتـنـد

جعلنا الله وإياكم ممن صفا قلبه من الغل والكدر وحفظنا من الوقوع في الخطر ﴿**فهل ينظرون**﴾ النظر هنا بمعنى الانتظار أي: ما ينتظرون وبالفارسية: [پس آيا انتظار ميبرند مكذبان ومكاران يعنى نمى برند وچشم نمى دارند] ﴿**إلا سنة الأولين**﴾ أي: سنة الله في الأمم المتقدمة بتعذيب مكذبيهم وماكريهم. والسنة الطريقة وسنة النبي طريقته التي كان يتحراها وسنة الله طريقة حكمته ﴿**فلن**﴾ الفاء لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ﴿**تجد**﴾ [پس نيابى توالبته] ﴿**لسنة الله تبديلاً**﴾ بأن يضع موضع العذاب غير العذاب هو الرحمة والعفو ﴿**ولن تجد لسنة الله تحويلاً**﴾ بأن ينقله من المكذبين إلى غيرهم [والتحويل: بكردانيدن] ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتأكيد انتفائهما. وفي الآية تنبيه على أن فروع الشرائع وإن اختلفت صورها فالغرض المقصود منها لا يختلف ولا يتبدل وهو تطهير النفس وترشيحها للوصول إلى ثواب الله وجواره كما في «المفردات».

﴿**أو لم يسيروا في الأرض**﴾ الهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر أي: اقعد مشركو مكة في مساكنهم ولم يسيروا ولم يمضوا في الأرض إلى جانب، الشام واليمن والعراق للتجارة ﴿**فينظروا**﴾ بمشاهدة آثار ديار الأمم الماضية العاتية ﴿**كيف كان عاقبة الذين**﴾ جاءوا ﴿**من قبلهم**﴾ أي: هلكوا لما كذبوا الرسل وآثار هلاكهم باقية في ديارهم ﴿**وكانوا**﴾ أي: والحال أن الذين من قبلهم كعاد وثمود وسبأ كانوا ﴿**أشد منهم قوة**﴾ [سخترين ازمكيان ازروى توانايى] وأطول أعماراً فما نفعهم طول المدى وما أغنى عنهم شدة القوى ﴿**وما كان الله ليعجزه من شيء**﴾ [الاعجاز: عاجز كردن] واللام ومن لتأكيد النفي والمعنى استحال من كل الوجوه أن يعجز الله تعالى شيء ويسبقه ويفوته ﴿**في السماوات ولا**﴾ تأكيد آخر لما النافية ففي هذا

الكلام ثلاثة تأكيدات ﴿في الأرض﴾ [پس هرچه خواهد كند وكسى بر حكم او پيشى نكيرد] ﴿إنه﴾ تعالى ﴿كان عليماً﴾ بليغ العلم بكل شيء في العالم مما وجد ويوجد ﴿قديراً﴾ بليغ القدرة على كل ممكن ولذلك علم بجميع أعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها فمن كان قادراً على معاقبة من قبلهم كان قادراً على معاقبتهم إذا كانت أعمالهم مثل أعمالهم والآية وعظ من الله تعالى ليعتبروا:

نــرود مــرغ ســوى دانــه فــراز ... چــون دكــر مــرغ بيــنـدانـدر بـنـد

پــنــد كــيــراز مــصــائــب دكــران ... تــانــكــيــرنــد ديــكــران زتــويــنــد

والإشارة أنه ما خاب له تعالى ولي ولا ربح له عدو فقد وسع لأوليائه فضلاً كثيراً ودمر على أعدائه تدميراً وسبب الفضل والولاية هو التوحيد كما أن سبب القهر والعداوة هو الشرك. قال بعض الكبار: ما أخذ الله من أخذ من الأمم إلا في آخر النهار كالعنين وذلك لأن أسباب التأثير الإلّهي المعتاد في الطبيعة قد مرت عليه وما آثرت فيه فدل على أن العنة فيه استحكمت لا تزول فلما عدمت فائدة النكاح من لذة وتناسل فرق بينهما إذ كان النكاح موضوعاً للالتذاذ أو للتناسل أولهما معاً أو في حق طائفة لكذا وفي حق أخرى لكذا وفي حق أخرى للمجموع وكذلك اليوم في حق من أخذ من الأمم إذا انقضت دورته وقع الأخذ الإلّهي في آخره انتهى كلامه قدس سره.

واعلم أن الله تعالى أمهل عباده ولم يأخذهم بغتة ليروا أن العفو والإحسان أحب إليه من الأخذ والانتقام وليعلموا شفقته وبره وكرمه وأن رحمته سبقت غضبه ثم إنهم إذا لم يعرفوا الفضل من العدل واللطف من القهر والجمال من الجلال أخذهم في الدنيا والآخرة بأنواع البلاء والعذاب وهي تطهير في حق المؤمن وعقوبة محضة في حق الكافر لأنه ليس من أهل التطهير إذ التطهير إنما يتعلق بلوث المعاصي غير الكفر عصمنا الله وإياكم مما يوجب سخطه وعذابه وعقابه.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾.

﴿ولو يؤاخذ الله الناس﴾ جميعاً ﴿بما كسبوا﴾ من المعاصي وبالفارسية: [واكر مؤاخذه كرد خداى تعالى مردمانرا بجزاى آنچه كسب ميكنند از شرك ومعصيت چنانكه مؤاخذه كرد امم ماضيه] ﴿ما ترك على ظهرها﴾ الظهر بالفارسية: [پشت] والكناية راجعة إلى الأرض وإن لم يسبق ذكرها لكونها مفهومة من المقام ﴿من دابة﴾ من نسمة تدب عليها من بني آدم لأنهم المكلفون المجازون ويعضده ما بعد الآية أو من غيرهم أيضاً فإن شؤم معاصي المكلفين يلحق الدواب في الصحارى والطيور في الهواء بالقحط ونحوه. ولذا يقال: من أذنب ذنباً فجميع الخلق من الإنس والدواب والوحوش والطيور والذر خصماؤه يوم القيامة وقد أهلك الله في زمان نوح عليه السلام جميع الحيوانات إلا ما كان منها في السفينة وذلك بشؤم المشركين وسببهم. وقال بعض الأئمة: ليس معناه أن البهيمة تؤخذ بذنب ابن آدم ولكنها خلقت لابن آدم فلا معنى لإبقائها بعد إفناء من خلقت له ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ وقت معين معلوم عند الله وهو يوم القيامة ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ [پس چون بيايد وقت هلاك ايشان] ﴿فإن الله كان

بعباده بصيراً﴾ فيجازيهم عند ذلك بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

آنرا بلوامع رضا بنوازد ... اين را بلوامع غضب بكدازد
كس را بقضاى قدرتش كارى نيست ... آنست صلاح خلق كوميسازد

وفي الآية: إشارة إلى أنه ما من إنسان إلا ويصدر منه ما يستوجب المؤاخذة ولكن الله تعالى بفضله ورحمته يمهل ثم يؤاخذ من كان أهل المؤاخذة ويعفو عمن هو أهل العفو. ففي الآية بيان حلمه تعالى وإرشاد للعباد إلى الحلم فإن الحلم حجاب الآفات وملح الأخلاق. وساد أحنف بن قيس بعقله وحلمه حتى كان يتجرد لأمره مائة ألف سيف وكان أمراء الأمصار يلتجئون إليه في المهمات وهو المضروب به المثل في الحلم وقال له رجل: دلني على المروءة فقال: عليك بالخلق الفسيح والكف عن القبيح ثم قال: ألا أدلك على أدوى الداء قال: بلى قال: اكتساب الذم بلا منفعة. ومن بلاغات الزمخشري «البأس والحلم حاتمي واحنفي، والدين والعلم حنيفي وحنفي» وفيه لف ونشر على الترتيب والبأس الشجاعة وفيها السخاوة إذ لا تكون الشجاعة إلا بسخاوة النفس ولا تكون السخاوة إلا بالشجاعة فإن المال محبوب لا يصدر إنفاقه إلا ممن غلب على نفسه. والجود منسوب إلى حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي. والحلم منسوب إلى الأحنف المذكور: والدين منسوب إلى إبراهيم بن الحنيف معلم أبي حنيفة رحمه الله والعلم منسوب إلى أبي حنيفة وفي هذا المعنى قيل:

الفقه زرع ابن مسعود وعلقمة ... حصاده ثم إبراهيم دوّاس
نعمان طاحنه يعقوب عاجنه ... محمد خابز والآكل الناس

ثم إن الحلم لا بد وأن يكون في محله كما قيل:

أرى الحلم في بعض المواضع ذلة ... وفي بعضها عزاً يسود فاعله

وكذلك الإحسان فإنه إنما يحسن إذ وقع في موقعه:

هر آنكس كه بردزد رحمت كند ... ببازوى خود كاروان ميزند

ثم إن البصير هو المدرك لكل موجود برؤيته. وخاصية هذا الاسم وجود التوفيق فمن قرأه قبل صلاة الجمعة مائة مرة فتح الله بصيرته ووفّقه لصالح القول والعمل نسأل الله سبحانه أن يفتح بصيرتنا إلى جانب الملكوت ويأخذنا عن التعلق بعالم الناسوت ويحلم عنا باسمه الحليم ويختمنا بالخير ويجعلنا ممن أتى بقلب سليم:

تمت سورة الملائكة في أواخر شهر الله رجب
من سنة عشر ومائة وألف من هجرة من له أكمل الشرف

٣٦ ـ سورة يس

ثلاث وثمانون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾.

﴿يسٓ﴾ إما مسرود على نمط التعديل فلا حظ له من الإعراب أو اسم للسورة وعليه الأكثر فمحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: هذه يس أو النصب على أنه مفعول لفعل مضمر أي: اقرأ يس ويؤيد كونه اسم السورة قوله عليه السلام: «إن الله تعالى قرأ طه ويس قبل أن خلق آدم بألفي عام فإذا سمعت الملائكة قالوا: طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لألسن تتكلم بهذا وطوبى لأجواف تحمل هذا» [ودر خبرست كه چون دوستان حق در بهشت رسند از جناب جبروت ندا آيدكه از ديكران بسيار بشنيديد وقت آن آمدكه از ما شنويد «فيسمعهم سورة الفاتحة وطه ويس» مصطفى عليه السلام كفت] «كأن الناس لم يسمعوا القرآن حين سمعوا الرحمٰن يتلوه عليهم» كما في «كشف الأسرار». وقال بعضهم: إن الحروف المقطعة أسماء الله تعالى ويدل عليه أن علياً رضي الله عنه كان يقول: «يا كهيعص يا حمعسق» فيكون مقسماً به مجروراً أو منصوباً بإضمار حرف القسم وحذفه والمراد بحذفه أن لا يكون أثره باقياً وبإضماره أن يبقى أثره مع عدم ذكره ففي نحو الله لأفعلن يجوز النصب بنزع الخافض وأعمال فعل القسم المقدر ويجوز الجر أيضاً بإضمار حرف الجر أي: اقسم بيس أي: الله تعالى. وفي «الإرشاد»: لا مساغ للنصب بإضمار فعل القسم لأن ما بعده مقسم به وقد أبوا الجمع بين القسمين على شيء واحد قبل انقضاء الأول.

وقال بعض الحكماء الإلهية: إنها اسماء ملائكة هم أربعة عشر كما سبق بيانه في طسم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول كثير منهم أن معنى ﴿يس﴾ يا إنسان في لغة طيىء على أن المراد به رسول عليه السلام ولعل أصله يا أنيسين تصغير إنسان للتكبير فإن صيغة التصغير قد تكون لإظهار العطف والتعظيم ولا سيما أن المتكلم بصيغة التصغير هو الله تعالى وهو لا يقول ولا يفعل إلا ما هو صواب وحكمة فتكون «يا» من يس حرف نداء و«سين» شطر انيسين فلما كثر النداء به في ألسنتهم اقتصروا على شطره الثاني للتخفيف كما قالوا في القسم من الله أصله أيمن الله [واين خطاب باصورت رد بشريت مصطفاست عليه السلام چنانكه جاى ديكر كفت ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ [الكهف: ١١٠] ازانجاكه انسانيست وجنسيت آنست او مشاكل خلق است واين خطاب باانسان بروفق آنست وازآنجاكه شرف نبوتست وتخصيص رسالت خطاب باوى اينست كه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٤]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١] واين

خطاب كه باصورت وبشريت ازبهر آن رفت كه تانقاب غيرت سازند وهر نامحرمرا برجمال وكمال وى اطلاع ندهند اين چنانست كه كويند]:

ارسلانم خوان تاكس نه بداندكه كيم

وعن ابن الحنفية معناه يا محمد دليله قوله بعده إنك لمن المرسلين وفي الحديد: «إن الله سماني بسبعة أسماء محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله» ويؤيده أنه يقال لأهل البيت آل يس كما قيل سلام على آل طه ويس وسلام على آل خير النبيين.

لله دركمو يا آل ياسينا

يقول الفقير: يحتمل أن يكون المراد بآل يس أول من عظمه الله تعالى بما في سورة يس فلا يحصل التأييد. وقال الكاشفي: [حقيقت آنست كه دركلام عرب از كلمه بحر في تعبير ميكنند چنانچه.

قد قلت لها قفي فقالت ق

أي وقفت پس ميشايدكه حرف سين اشارت بكلمه ياسيد البشر أو يا سيد الأولين والآخرين وحديث «أنا سيد ولد آدم» تفسير اين حرف بود] كما قال في «العرائس»: لم يمدح عليه السلام بذلك نفسه ولكن أخبر عن معنى مخاطبة الحق إياه بقوله يس انتهى [وديكر بايد دانست كه ازميان حروف سين را سويت اعتداليه هست كه ميان زبر وبينات او توافق وتساوى هست وهيچ حرفى ديكر آن حال ندارد لا جرم مخصوص بحضرت ختميه است ﷺ كه عدالت حقيقى خواه در طريق توحيد وخواه دراحكام شرع بدو اختصاص دارد.

تراست مرتبه اعتدال درهمه حال	كه در خصائص توحيد اعدل ازهمه
تمكن است ترا در مقام جمع الجمع	بدين فضيلت مخصوص افضلى ازهمه

واز فحواى كلمات سابقه روايح رياحين قلب القرآن يس استشمام ميتواند نمود] وسيجيء تمامه في آخر السورة إن شاء الله تعالى. وقال نعمة الله النقشبندي: يا من تحقق بينبوع بحر اليقين وسبح سالماً من الانحراف والتلوين. وشيخ نجم الدين [كفت قسمست بيمن نبوت حبيب وبسر مطهر او]. وقال البقلي: أقسم بيد القدرة الأزلية وسناء الربوبية. وقال القشيري: الياء يشير إلى يوم الميثاق والسين إلى سره مع الأحباب كأنه قال بحق يوم الميثاق وسرى مع الأحباب والقرآن الخ. وذهب قوم إلى أن الله تعالى لم يجعل لأحد سبيلاً إلى إدراك معاني الحروف المقطعة في أوائل السور وقالوا: إن الله تعالى متفرد بعلمها ونحن نؤمن بأنها من جملة القرآن العظيم ونكل علمها إليه تعالى ونقرأها تعبداً وامتثالاً لأمر الله وتعظيماً لكلامه وإن لم نفهم منهم ما نفهمه من سائر الآيات [درينابيع آورده كه هر حرفى از حروف مقطعه را سريست از اسرار خزانه غيب كه حضرت حق حبيب خودرا برآن اطلاع داده بعد ازان جبرائيل برآن نازل شده وجزخدا ورسول مقبول كسى برآن وقوف ندارد].

قال الشيخ ابن نور الدين في بعض وارداته: سألت رسول الله ﷺ عن أسرار المتشابهات من الحروف فقال: هي من أسرار المحبة بيني وبين الله فقلت: هل يعرفها أحد فقال: ولا يعرفها جدي إبراهيم عليه السلام هي من أسرار الله تعالى التي لا يطلع عليها نبي مرسل ولا ملك مقرب ويؤيده ما في الأخبار أن جبريل عليه السلام نزل بقوله تعالى: ﴿كهيعص﴾ فلما قال كاف قال النبي عليه السلام: «علمت» فقال ها فقال: «علمت» فقال: يا فقال: «علمت»

فقال عين فقال: «علمت» فقال صاد فقال: «علمت» فقال جبريل كيف علمت ما لم أعلم؟ يقول الفقير: لا شك أنه عليه السلام وصل إلى مقام في الكمال لم يصل إليه أحد من كمل الأفراد فضلاً عن الغير ويدل عليه عبوره ليلة المعراج جميع المواطن والمقامات فلهذا جاز أن يقال لم يعرف أحد من الثقلين والملائكة ما عرفه النبي عليه السلام فإن علوم الكل بالنسبة إلى علمه كقطرة من البحر فله عليه السلام علم حقائق الحروف بما لا مزيد عليه بالنسبة إلى ما في حد البشر وأما غيره فلهم علم لوازمها وبعض حقائقها بحسب استعداداتهم وقابلياتهم هذا ما يعطيه الحال والله تعالى أعلم بالخفايا والأسرار وما ينطوي عليه كتابه ويحيط به خطابه.

﴿والقرآن﴾ بالجر على أنه مقسم به ابتداء ﴿الحكيم﴾ أي: الحاكم كالعليم بمعنى العالم فإنه يحكم بما فيه من الأحكام أو المحكم من التناقض والعيب ومن التغير بوجه ما كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢] وهو الذي أحكم نظمه وأسلوبه وأتقن معناه وفحواه أو ذي الحكمة أي: المتضمن لها والمشتمل عليها فإنه منبع كل حكمة ومعدن كل عظة فيكون بمعنى النسب مثل تامر بمعنى ذي تمر أو هو من قبيل وصف الكلام بصفة المتكلم به أي: الحكيم قائله.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾﴾.

﴿إنك﴾ يا أكمل الرسل وأفضل الكل وهو مخاطبة المواجهة بعد شرف القسم بنفسه وهو مع قوله: ﴿لمن المرسلين﴾ جواب للقسم والجملة لرد انكار الكفرة بقولهم في حقه عليه السلام لست مرسلاً وما أرسل الله إلينا رسولاً. والإرسال قد يكون للتسخير كإرسال الريح والمطر وقد يكون ببعث من له اختيار نحو إرسال الرسل كما في «المفردات». قال في «بحر العلوم»: هو من الأيمان الحسنة البديعة لتناسب بين المرسل به والمرسل إليه اللذين أحدهما المقسم المنزل والآخر المقسم عليه المنزل إليه انتهى. وهذه الشهادة منه تعالى من جملة ما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الرعد: ٤٣] ولم يقسم الله لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له. قال في «إنسان العيون»: من خصائصه عليه السلام أن الله تعالى أقسم على رسالته بقوله: ﴿يسٓ والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين﴾ قال الشيخ سعدي قدس سره:

نـدانـم كـدامـيـن سـخـن كـويـمـت / كـه والا تـرى زانـچـه مـن كـويـمـت

تـر اعـز لـولاك تـمـكـيـن بـس اسـت / ثـنـاى تـوطـه ويـس بـس اسـت

ومعنى ثناء طه أنه عليه السلام صلى في الليالي حتى تورمت قدماه فقال تعالى: طه أي: يا طه أو يا طالب الشفاعة وهادي البشر ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى أي: لتقع به في التعب. وقال بعضهم: الطاء تسعة والهاء خمسة معناه يا من هو كالقمر المنير ليلة البدر ومعنى ثناء يٓس ما ذكر من الأقسام على رسالته مع أنه يحتمل أن يراد بيس يا سيد البشر ونحوه على ما سلف وذلك ثناء من الله أي: ثناء.

﴿على صراط مستقيم﴾ خبر آخر لأن أي: متمكن على توحيد وشرائع موصلة إلى الجنة والقربة والرضى واللذة واللقاء وفي موضع إنك لعلى هدى مستقيم [يعني كه تو از مرسلانى بر طريقى راست بردينى درست وشريعتي پاك وسيرتي پسنديده] كما في «كشف الأسرار». فإن

قلت: أي: حاجة إلى قوله ﴿على صراط مستقيم﴾ ومن المعلوم أن الرسل لا يكونون إلا على صراط مستقيم؟ قلت: فائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحاً وإن دل عليه ﴿لمن المرسلين﴾ التزاماً فجمع بين الوصفين في نظام واحد كأنه قال: إنك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت استقامته وقد نكره ليدل به على أنه أرسل من بين الصرط على صراط مستقيم لا يوازيه صراط ولا يكتنه وصفه في الاستقامة فالتنكير للتفخيم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بقوله: ﴿يسٓ﴾ إلى ﴿مستقيم﴾ إلى سيادة النبي عليه السلام وإلى أنه ما بلغ أحد من المرسلين إلى رتبته في السيادة وذلك لأنه تعالى أقسم بالقرآن الحكيم إنه لمن المرسلين على صراط مستقيم إلى قاب قوسين من القرب أو أدنى أي: بل أدنى من كمال القرب كما قال ﷺ: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل» فإن لكل نبي مرسل سيرة إلى مقام معين على صراط مستقيم هو صراط الله كما أن النبي عليه السلام أخبر أنه رأى ليلة المعراج في كل سماء بعض الأنبياء حتى قال عليه السلام: «رأيت موسى عليه السلام في السماء السادسة ورأى إبراهيم عليه السلام في السماء السابعة» وقد عبر عنهم إلى كمال رتبة ما بلغ أحد من العالمين إليها.

﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾.

﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ نصب على المدح بإضمار أعني والتقدير أعني بالقرآن الحكيم تنزيل العزيز الرحيم إنك لمن المرسلين لتنذر الخ وهو مصدر بمعنى المفعول أي: المنزل كما تقول العرب هذا الدرهم ضرب الأمير أي: مضروبه عبر به عن القرآن لكمال عراقته في كونه منزلاً من عند الله تعالى كأنه نفس التنزيل [وتنزيل بناء كثرات ومبالغه است اشارت است كه اين قرآن بيكبار ازآسمان فرو آمد بلكه بكرات ومرات فروآمد بمدت بيست وسه سال سيزده سال بمكة وده سال بمدينه نجم نجم آيت آيت سورت سورت چنانكه حاجت بود ولائق وقت بود]. والعزيز الغالب على جميع المقدورات المتكبر الغني عن طاعة المطيعين المنتقم ممن خالفه ولم يصدق القرآن. وخاصية هذا الاسم وجود الغنى والعز صورة أو حقيقة أو معنى فمن ذكره أربعين يوماً في كل يوم أربعين مرة أعانه الله تعالى وأعزه فلم يحوجه إلى أحد من خلقه. وفي «الأربعين الإدريسية» يا عزيز المنيع الغالب على أمره فلا شيء يعادله. قال السهروردي: من قرأه سبعة أيام متواليات كل يوم ألفاً أهلك الله خصمه وإن ذكره في وجه العسكر سبعين مرة ويشير إليهم بيده فإنهم ينهزمون. والرحيم المتفضل على عباده المؤمنين بإنزال القرآن ليوقظهم من نوم الغفلة ونعاس النسيان. وخاصية هذا الاسم رقة القلب والرحمة للمخلوقين فمن داومه كل يوم مائة كان له ذلك ومن خاف الوقوع في مكروه ذكره مع قرينه وهو اسم الرحمٰن أو حمله. وفي «الأربعين الإدريسية»: يا رحيم كل صريخ ومكروب وغياثه ومعاذه. وقال السهروردي إذا كتبه ومحاه بماء وصب في أصل شجرة ظهر في ثمرها البركة ومن شرب من ذلك اشتاق لكاتبه وكذا إن كتب مع اسم الطالب والمطلوب وأمه فإنه يهيم ويدركه من الشوق ما لا يمكنه الثبات معه إن كان وجهاً يجوز فيه ذلك وإلا فالعكس. قال في «الإرشاد» في تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرأفة العامة حث على الإيمان به ترهيباً

وترغيباً حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن القرآن تنزيل من عزيز غني لا يحتاج إلى تنزيله لعلة بل هو رحيم اقتضت رحمته تنزيل القرآن فإنه حبل الله يعتصم به الطالب الصادق ويصعد إلى سرادقات عزته وعظمته. وفي «كشف الأسرار»: [عزيز به بيكانكان رحيم بمؤمنان اكر عزيز بود بى رحيم هركز اورا كسى نيابد واكر رحيم بود بى عزيز همه كس اورا يابد عزيز است تا كافران دردنيا اورا ندانند رحيم است در عقبى تا مؤمنان اورا بينند]:

دست رحمت نقاب خود بكشيد   عاشقان ذوق وصل او بچشيد
ماند اهل حجاب در پرده   ببلاى فراق او مرده

﴿لتنذر﴾ متعلق بتنزيل أي: لتخوف بالقرآن ﴿قوماً ما أنذر آباؤهم﴾ ما نافية والجملة صفة مبينة لغاية احتياجهم إلى الإنذار. والمعنى لتنذر قوماً لم ينذر آباؤهم الأقربون لتطاول مدة الفترة ولم يكونوا من أهل الكتاب ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤] يعني العرب وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ [الجمعة: ٢] إلى قوله: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] ويجوز أن تكون ما موصولة أو موصوفة على أن تكون الجملة مفعولاً ثانياً لتنذر بحذف العائد. والمعنى لتنذر قوماً العذاب الذي أنذره أو عذاباً أنذره آباؤهم الأبعدون في زمن إسماعيل عليه السلام وإنما وصف الآباء في التفسير الأول بالأقربين وفي الثاني بالأبعدين لئلا يلزم أن يكونوا منذرين وغير منذرين فآباؤهم الأقدمون أتاهم النذير لا محالة بخلاف آبائهم الادنين وهم قريش فيكون ذلك بمعنى قوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون: ٦٨]. فإن قلت: كيف هذا وقد وقعت الفترات في الأزمنة بين نبي ونبي حسبما يحكى في التواريخ وأما الحديث فقيل كان خالد مبعوثاً إلى بني عبس خاصة دون غيرهم من العرب وكان بين عهد عيسى وعهد نبينا عليه السلام. ويقال إن قبره بناحية جرجان على قلة جبل يقال له خدا وقد قال فيه الرسول عليه السلام لبعض من بناته جاءته «يا بنت نبي ضيعه قومه» كذا في «الأسئلة المقحمة». ويحتمل التوفيق بوجه آخر وهو أن المراد بالأمة التي خلا فيها نذير هي الأمة المستأصلة فإنه لم يستأصل قوم إلا بعد النذير والإصرار على تكذيبه وأيضاً إن خلو النذير في كل عصر يستلزم وجوده في كل ناحية والله أعلم ﴿فهم غافلون﴾ متعلق بنفي الإنذار مترتب عليه. والضمير للفريقين أي: لم ينذر آباؤهم فهم جميعاً لأجله غافلون عن الإيمان والرشد وحجج التوحيد وأدلة البعث والفاء داخلة على الحكم المسبب عما قبله فالنفي المتقدم سبب له يعني أن عدم إنذارهم هو سبب غفلتهم ويجوز أن يكون متعلقاً بقوله لتنذر رداً لتعليل إنذاره فالضمير للقوم خاصة أي: فهم غافلون بما أنذر آباؤهم الأقدمون لامتداد المدة فالفاء داخلة على سبب الحكم المتقدم. والغفلة ذهاب المعنى عن النفس والنسيان ذهابه عنها بعد حضوره. قال بعضهم: الغفلة نوم القلب فلا تعتبر حركة اللسان إذا كان القلب نائماً ولا يضر سكونه إذا كان متيقظاً ومعنى التيقظ أن يشهده تعالى حافظاً له رقيباً عليه قائماً بمصالحه، قال المولى الجامي قدس سره:

رب تال يفوه بالقرآن   وهو يفضي به إلى الخذلان
لعنتست اين كه بهر لهجه وصوت   شود ازتو حضور خاطر فوت
فكر حسن غنا برد هوشت   متكلم شود فرا موشت

نشود بر دل توتابنده كين كلام خداست يابنده
حكم لعنت ز قفل بى اخلاص نيست باقارئان قرآن خاص
پس مصلى كه درميان نماز ميكند بر خداى عرض نياز
چون در صدق نيست باز برو ميكند لعنت آن نماز برو

وفي الحديث «الغفلة في ثلاث الغفلة عن ذكر الله والغفلة فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وغفلة الرجل عن نفسه في الدين». وفي «كشف الأسرار»: [غافلان دواند يكى ازكار دين غافل واز طلب اصلاح خود بى خبر سربدنيا درنهاده ومست شهوت كشته وديده فكرت وعبرت برهم نهاده حاصل وى آنست كه رب العزه كفت] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٨٧] وفي الخبر: «عجبت لغافل وليس بمغفول عنه» [ديكر غافلى است پسنديده ازكار دنيا وترتيب معاش غافل سلطان حقيقت برباطن وى استيلا نموده درمكاشفه جلال احديت چنان مستهلك شده كه ازخود غائب كشته نه ازدنيا خبردارد نه از عقبا بزبان حال ميكويد]:

اين جهان دردست عقلست آن جهان دردست روح
پاى همت بر قفاى هر دوده سالار زن

قالوا الصوفي كائن بائن:

هركه حق دادنور معرفتش كائن بائن بود صفتش
جان بحق تن بغير حق كائن تن زحق جان زغير حق بائن
ظاهر أو بخلق پيوسته باطن أو زخلق بكسسته
از درون آشنا وهمخانه وزبرون درلباس بيكانه

فأهل هذه الصفة هم المتيقظون حقيقة وإن ناموا لأنه لا تنام عين العارفين وما سواهم هم النائمون حقيقة وإن سهروا لأنه لم تنفتح أبصار قلوبهم [ودر وصايا واردست كه يا علي بامردكان منشين علي رضي الله عنه كفت يا رسول الله مردكان كيانند كفت اهل جهلت وغفلت] اللهم اجعلنا من أهل العلم والعرفان والإيقان والشهود والعيان وشرفنا بلقائك في الدارين واصرفنا عن ملاحظة الكونين آمين.

﴿لقد﴾ اللام جواب القسم أي: ولله لقد ﴿حق القول﴾ وجب وتحقق ﴿على أكثرهم﴾ أي: أكثر القوم الذين تنذرهم وهم أهل مكة ﴿فهم لا يؤمنون﴾ أي: بإنذارك إياهم والفاء داخلة على الحكم المسبب عما قبله. واختلفوا فقال بعضهم: القول حكم الله تعالى إنهم من أهل النار. وفي «المفردات» علم الله بهم. وقال بعضهم: القول كناية عن العذاب أي: وجب على أكثرهم العذاب. والجمهور على أن المراد به قوله تعالى لإبليس عند قوله: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٥] وهو المعنيّ بقوله: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١] وهذا القول لما تعلق بمن تبع إبليس من الجنّ والإنس وكان أكثر أهل مكة ممن علم الله منهم الإصرار على اتباعه واختيار الكفر إلى أن يموتوا كانوا ممن وجب وثبت عليهم مضمون هذا القول لكن لا بطريق الجبر من غير أن يكون من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب إصرارهم الاختياري على الكفر والإنكار وعدم تأثرهم من

التذكير والإنذار. ولما كان مناط ثبوت القول وتحققه عليهم إصرارهم على الكفر إلى الموت كان قوله: ﴿فهم لا يؤمنون﴾ متفرعاً في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول. قال الكاشفي [مراد آنانندكه خداى تعالى ميدانست كه ايشان بركفر ميرند يابر شرك كشته شوند چون أبو جهل واضراب او] وحقيقة هذا المقام أن الكل سعيداً كان أو شقياً يجرون في هذه النشأة على مقتضى استعداداتهم فالله تعالى يظهر أحوالهم على صفحات أعمالهم لا يجبرهم في شيء أصلاً فمن وجد خيراً فليحمد الله تعالى ومن وجد غيره فلا يلومن إلا نفسه والأعمال أمارات وليست بموجبات فإن مصير الأمور في النهاية إلى ما جرى به القدر في البداية. وفي الخبر الصحيح روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ وفي يديه كتابان فقال للذي في يده اليمنى «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً» ثم قال للذي بشماله: «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً» ثم قال بيده فنبذهما ثم قال: «فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير» وحكم الله تعالى على الأكثر بالشقاوة فدل على أن الأقل هم أهل السعادة وهم الذين سمعوا في الأزل خطاب الحق ثم إذا سمعوا نداء النبي عليه السلام أجابوه لما سبق من الإجابة لنداء الحق. وإنما كان أهل السعادة أقل لأن المقصود من الإيجاد ظهور الخليفة من العباد وهو يحصل بواحد مع أن الواحد على الحق هو السواد الأعظم في الحقيقة.

قال بعض الكبار: من رأى محمداً عليه السلام في اليقظة فقد رأى جميع المقربين لانطوائهم فيه ومن اهتدى بهداه فقد اهتدى بهدي جميع النبيين. والإسلام عمل. والإيمان تصديق. والإحسان رؤية أو كالرؤية فشرط الإسلام الانقياد وشرط الإيمان الاعتقاد وشرط الإحسان الإشهاد فمن آمن فقد أعلى الدين ومن أعلاه فقد تعرض لعلوه وعزه عند الله تعالى ومن كفر فقد أراد إطفاء نور الله والله متم نوره وفي «المثنوي»:

هركه بر شمع خدا آرد پفو   شمع كى ميرد بسوز وپوزاو

لما قال المشركون يوم أحد أعل هبل أعل هبل أذلهم الله وهبلهم وهو صنم كان يعبد في الجاهلية وهو الحجر الذي يطأه الناس في العتبة السفلى من باب بني شيبة وهو الآن مكبوب على وجهه وبلط الملوك فوقه البلاط فإن كنت تفهم مثل هذه الأسرار وإلا فاسكت والله تعالى حكيم يضع الأمور كلها في مواضعها فكل ما ظهر في العالم فهو حكمة وضعه في محله لكن لا بد من الإنكار لما أنكره الشارع فإياك والغلط.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾.

﴿إنا﴾ بمقتضى قهرنا وجلالنا ﴿جعلنا﴾ خلقنا أو صيرنا ﴿في أعناقهم﴾ جمع عنق بالفارسية [كردن] والضمير إلى أكثر أهل مكة ﴿أغلالاً﴾ عظيمة ثقالاً جمع غل، بالضم وهو ما يشد به اليد إلى العنق للتعذيب والتشديد سواء كان من الحديد أو غيره. وقال القهستاني: الغل الطوق من حديد الجامع لليد إلى العنق المانع عن تحرك الرأس. وفي «المفردات» أصل الغلل تدرع الشيء وتوسطه ومنه الغلل للماء الجاري مختص بما يقيد به فيجعل الأعضاء وسطه وغل

فلان قيد به. وقيل للبخيل هو مغلول اليد قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤] انتهى ﴿فهي إلى الأذقان﴾ الفاء للنتيجة أو التعقيب. والأذقان جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين بالفارسية [زنخدان] أي: فالأغلال منتهية إلى أذقانهم بحيث لا يتمكن المغلول معها من تحرك الرأس والالتفات وبالفارسية: [پس آن غلها وزنجيرها پيوسته شده بزنخدانهاى ايشان ونمى كذارندكه سرها بجنبانند] ووجه وصول الغل إلى الذقن هو إما كونه غليظاً عريضاً يملأ ما بين الصدر والذقن فلا جرم يصل إلى الذقن ويرفع الرأس إلى فوق وإما كون الطوق الغل الذي يجمع اليدين إلى العنق بحيث يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة يدخل فيها رأس العمود الواصل بين ذلك الطوق وبين قيد اليد خارجاً عن الحلقة إلى الذقن فلا يخليه يحرك رأسه ﴿فهم مقمحون﴾ رافعون رؤوسهم غاضون أبصارهم فإن الأقماح رفع الرأس إلى فوق مع غض البصر يقال قمح البعير قموحاً فهو قامح إذا رفع رأسه عند الحوض بعد الشرب إما لارتوائه أو لبرودة الماء أو لكراهة طعمه وأقمحت البعير شددت رأسه إلى خلف وأقمحه الغل إذا ترك رأسه مرفوعاً من ضيقه.

قال بعضهم لفظ الآية وإن كان ماضياً لكنه إشارة إلى ما يفعل بهم في الآخرة كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [سبا: ٣٣] الآية ولهذا قال الفقهاء كره جعل الغل في عنق عبده لأنه عقوبة أهل النار. قال الفقيه: إن في زماننا جرت العادة بذلك إذا خيف من الأباق بخلاف التقييد فإنه غير مكروه لأنه سنة المسلمين في المتمردين هذا والجمهور على أن الآية تمثيل لحال الأكثر في تصميمهم على الكفر وعدم امتناعهم عنه وعدم التفاتهم إلى الحق وعدم انعطاف أعناقهم نحوه بحال الذين غلت أعناقهم فوصلت الأغلال إلى أذقانهم وبقوا رافعين رؤوسهم غاضين أبصارهم فهم أيضاً لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم ولا يكادون يرون الحق أو ينظرون إلى جهته. وقال الراغب: قوله فهم مقمحون تشبيه بحال البعير ومثل لهم وقصد إلى وصفهم بالتأبي عن الانقياد للحق وعن الإذعان لقبول الرشد والتأبي عن الإنفاق في سبيل الله انتهى، وفي «المثنوي»:

كفت اغلالاً فهم به مقمحون ... نيست آن اغلال برما از برون
بند پنهان ليك ازآهن را بتر ... بند آهن را كند پاره بتر
بند آهن را توان كردن جدا ... بند غيبى را نداند كس دوا
مرد را زنبور اكر نيشى زند ... طبع او آن لحظه بر دفعى تند
زخم نيش اما چو ازهستى تست ... غم قوى باشد نكردد درد ست

قال النقشبندي: هي أغلال الأماني والآمال وسلاسل الحرص والطمع بمزخرفات الدنيا الدنية وما يترتب عليها من اللذات الوهمية والشهوات البهيمية.

﴿وجعلنا﴾ أي: خلقنا لهم من كمال غضبنا عليهم وصيرنا ﴿من بين أيديهم﴾ [ازپيش روى ايشان] ﴿سداً﴾ [ديوارى وحجابى] قرأه حفص بالفتح والباقون بالضم وكلاهما بمعنى. وقيل: ما كان من عمل الناس بالفتح وما كان من خلق الله بالضم ﴿ومن خلفهم﴾ [واز پس ايشان] ﴿سداً﴾ [پرده ومانعى] ﴿فأغشيناهم﴾ [الإغشاء: بر پوشانيدن وكور كردن] والمضاف محذوف والتقدير غطينا أبصارهم وجعلنا عليها غشاوة وهو ما يغشى به الشيء وبالفارسية: [پس بپوشيديم جشمهاى ايشانرا] ﴿فهم لا يبصرون﴾ الفاء داخلة على الحكم المسبب عما قبله

لأن من أحاطه السد من جميع جوانبه لا يبصر شيئاً إذ الظاهر أن المراد ليس جهتي القدام والخلف فقط بل يعم جميع الجهات إلا أن جهة القدام لما كانت أشرف الجهات وأظهرها وجهة الخلف كانت ضدها خصت بالذكر. والآية إما تتمة للتمثيل وتكميل له أي: تكميل أي: وجعلنا مع ما ذكر من أمامهم سداً عظيماً ومن ورائهم سداً كذلك فغطينا بهما أبصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على أبصار شيء ما أصلاً. وإما تمثيل مستقل فإن ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطينا بهما أبصارهم بحيث لا يبصرون شيئاً قطعاً كاف في الكشف عن فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مطمورة الغي والجهالات محرومين من النظر في الأدلة والآيات. قال الإمام: المانع من النظر في الآيات والدلائل قسمان: قسم يمنع من النظر في الآيات التي في أنفسهم فشبه ذلك بالغل الذي يجعل صاحبه مقمحاً لا يرى نفسه ولا يقع بصره على بدنه. وقسم يمنع من النظر في آيات الآفاق فشبه بالسد المحيط فإن المحاط بالسد لا يقع نظره على الآفاق فلا تتبين له الآيات التي في الآفاق كما أن المقمح لا تتبين له الآيات التي في الأنفس فمن ابتلي بهما حرم من النظر بالكلية لأن الدلائل والآيات مع كثرتها منحصرة فيهما كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] وقوله تعالى: **﴿إنا جعلنا في أعناقهم﴾** مع قوله: **﴿وجعلنا من بين أيديهم﴾** الخ إشارة إلى عدم هدايتهم لآيات الله تعالى في الأنفس والآفاق [محققان كويندكه سد پيش طول املست وطمع بقا وسد عقب غفلت ازجنايات كذشته وقلت ندم واستغفار برو هركه اورا دوسد چنين احاطه كرده باشدهر آينه چشم او پوشيده باشد از نظردر دلائل قدرت ونه بيند راه فلاح وهدايت] وفي «المثنوي»:

خلفهم سداً فأغشيناهمو — مى نه بيند بندرا پيش وپس او
رنك صحرا دارد آن سدى كه خاست — او نمى داند كه آن سر قضاست
شاهد تو سد زوى شاهداست — مرشدتو سد كفت مرشداست

[وآوردند كه أبو جهل سوكند خورد بلات وعزى كه اكر پيغمبررا عليه السلام درنماز بيند سر مبارك أو نعوذ بالله بشكند وعرب را ازو باز رهاند روزى ديدكه آن حضرت نماز مى كرد ودرحرم كعبه آن ملعون سنكى برداشت ونزد آن حضرت آمد وچون دست بالا برد كه سنك بروى زند دست أو بركردن چنبر شده سنك بردست أو چسبيد دركردنش بماند نوميد باز كشت قوم بني مخزوم دست اورا بجهد بسياراز كردن أو دور كردند وأين آيت يعني: **﴿إنا جعلنا في أعناقهم﴾** الخ آمد كه ما ايشانرا بازداشتيم چنانچه مغلولان ازكارها بازداشته شوند ومخزومى ديكركه وليد بن مغيره است كفت من بروم وبدين سنك محمدرا عليه السلام بكشم نعوذ بالله چون بنزديك آن حضرت آمد نابينا شد تا حس وآواز مى شنيد وكس را نديد] فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه وأخبرهم بالحال فنزل في حقه قوله تعالى: **﴿وجعلنا من بين أيديهم﴾** الخ فيكون ضمير الجمع في الآيتين على طريقة قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل واحد منهم [وكفته اند اين آيت حرزى نيكوست كسى راكه ازدشمن ترسد اين آيت برروى دشمن خواند الله تعالى شر آن دشمن ازوى بازدارد دشمن را ازوى در حجاب كند چنانكه بارسول خدا كرد آن شب كه كافران قصدوى كردند بدر سراى وى آمدند تا بر سروى هجوم برند رسول خدا علي را رضي الله عنه برجاي خود خوابانيد وبيرون آمد وبايشان بركذشت وأين

آيت مى خواند ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً﴾ الخ ودشمنان اورا نديدند ودر حجاب بماندند رسول بر كذشت وقصد مدينه كرد وآن ابتداى هجرت بود] كذا في «كشف الأسرار». وقال «إنسان العيون» لما خرج عليه السلام من بيته الشريف أخذ حفنة من تراب ونثره على رؤوس القوم عند الباب وتلا ﴿يس والقرآن الحكيم﴾ إلى قوله: ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ فأخذ الله تعالى أبصارهم عنه عليه السلام فلم يبصروه.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾.

﴿وسواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ أي: مستو عند أكثر أهل مكة إنذارك إياهم وعدمه لأن قوله: ﴿ءأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ وإن كانت جملة فعلية استفهامية لكنه في معنى مصدر مضاف إلى الفاعل فصح الإخبار عنه فقد هجر فيه جانب اللفظ إلى المعنى ومنه «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» وهمزة الاستفهام وأم لتقرير معنى الاستواء والتأكيد فإن معنى الاستفهام منسلخ منهما رأساً بتجريدهما عنه لمجرد الاستواء كما جرد حرف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم: «اللهم اغفر لنا أيتها العصابة» فكما أن هذا جرى على صورة النداء وليس بنداء كذلك ﴿ءأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ على صورة الاستفهام وليس باستفهام ﴿لا يؤمنون﴾ [نمى كردند ايشان كه علم قديم موت ايشان بر كفر حكم كرده است بسبب اختيار ايشان] وهو استئناف مؤكد لما قبله مبين لما فيه من إجمال ما فيه الاستواء. قال في «كشف الأسرار»: أي من أضله الله هذا الضلال لم ينفعه الإنذار.

ـ روي ـ أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى دعا غيلان القدري فقال: يا غيلان بلغني أنك تتكلم في القدر فقال: يا أمير المؤمنين إنهم يكذبون عليّ قال: يا غيلان اقرأ أول سورة يس إلى قوله: ﴿أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ فقال غيلان: يا أمير المؤمنين والله لكأني لم أقرأها قط قبل اليوم أشهدك يا أمير المؤمنين أني تائب مما كنت أتكلم به في القدر فقال عمر بن عبد العزيز: اللهم إن كان صادقاً فتب عليه وثبته وإن كان كاذباً فسلط عليه من لا يرحمه واجعله آية للمؤمنين قال: فأخذه هشام بن عبد الملك فقطع يديه ورجليه قال بعضهم: أنا رأيته مصلوباً على باب دمشق. دلت الحكاية على أن القدرية هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى وقال الإمام المطرزي في «المغرب»: والقدرية هم الفرقة المجبرة الذين يثبتون كل الأمر بقدر الله وينسبون القبائح إليه سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً. ولما بين كون الإنذار عندهم كعدمه عقبه ببيان من يتأثر منه فقيل:

﴿إنما تنذر﴾ أي: ما ينفع إنذارك ﴿من اتبع الذكر﴾ أي: القرآن بالتأمل فيه أو الوعظ والتذكير ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان ﴿وخشي الرحمٰن بالغيب﴾ أي: خاف عقابه تعالى والحال أنه غائب عن العقاب على أنه حال من الفاعل أو والحال إن العقاب غائب عنه أي: قبل نزول العقاب وحلوله على أنه حال من المفعول أو حال كونه غائباً عن عيون الناس في خلوته ولم يغتر برحمته فإنه منتقم قهار كما أنه رحيم غفار وكيف يؤمن سخطه وعذابه بعد أن قال: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ [المعارج: ٢٨] ومن كان نعمته بسبب رحمته أكثر فالخوف منه أتم مخافة أن يقطع عنه النعم المتواترة فظهر وجه ذكر الرحمٰن مع الخشية مع أن

الظاهر أن يذكر معها ما ينبيء عن القهر.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿وخشي الرحمٰن بالغيب﴾ أي: بنور غيبتي يشاهد وخامة عاقبة الكفر والعصيان ويتحقق عنده بشواهد الحق كمالية حلاوة الإيمان ورفعة رتبة العرفان ﴿فبشره﴾ أي: من اتبع وخشي وحد الضمير مراعاة اللفظ من ﴿بمغفرة﴾ عظيمة لذنوبه ﴿وأجر كريم﴾ حسن مرضى لأعماله الصالحة لا يقادر قدره وهو الجنة وما فيها مما أعده الله لعباده الجامعين بين اتباع ذكره وخشيته والفاء لترتيب البشارة أو الأمر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية. يقول الفقير: رتب التبشير بمثنى على مثنى فالتأمل في القرآن أو التأثر من الوعظ يؤدي إلى الإيمان المؤدي إلى المغفرة لأن الله تعالى يغفر ما دون الشرك لمن يشاء والخشية تؤدي إلى الحسنات المؤدية إلى الأجر الكريم لأنه تعالى قال: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ٢٤]. قال بعضهم: الإنذار لا يؤثر إلا في أصحاب الذكر لأنهم في مشاهدة عظمة المذكور فبركة موعظة الصادق تزيد لهم تعظيم الله تعالى وإجلاله وإذا زاد هذا المعنى زادت العبودية وزال التعب وحصل الإنس مع الرب.

واعلم أن الجنة دار جمال وأنس وتنزل إلهي لطيف. وأما النار فهي دار جلال وجبروت فالاسم الرب مع أهل الجنة والاسم الجبار مع أهل النار أبد الآبدين ودهر الداهرين وقد قال تعالى: «هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي» وإنما كان الحق تعالى لا يبالي بذلك لأن رحمته سبقت غضبه في حق الموحدين أو في حق المشركين ويكون المراد بالرحمة رحمة الإيجاد من العدم لأنها سابقة على سبب الغضب الواقع منهم فلذلك كان تعالى لا يبالي بما فعل بالفريقين. ولو كان المراد من عدم المبالاة ما توهمه بعضهم لما وقع الأخذ بالجرائم ولا وصف الحق نفسه بالغضب ولا كان البطش الشديد هذا كله من المبالاة والتهم بالمأخوذ كذا في «الفتوحات المكية».

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾.

﴿إنا﴾ من مقام كمال قدرتنا والجمع للتعظيم ولكثرة الصفات. وقال بعضهم لما في إحياء الموتى من حظ الملائكة وينافيه الحصر الدال عليه قوله: ﴿نحن﴾ قال في «البحر»: كرر الضمير لتكرير التأكيد ﴿نحيي الموتى﴾ نبعثهم بعد مماتهم ونجزيهم على حسب أعمالهم فيظهر حينئذٍ كمال الإكرام والانتقام للمبشرين والمنذرين من الأنام. والإحياء جعل الشيء حياً ذا حس وحركة والميت من أخرج روحه وقد أطلق النبي عليه السلام لفظ الموتى على كل غني مترف وسلطان جائر وذلك في قوله عليه السلام: «أربع يمتن القلب الذنب على الذنب وكثرة مصاحبة النساء وحديثهن وملاحاة الأحمق تقول له ويقول لك ومجالسة الموتى قيل: يا رسول الله وما مجالسة الموتى؟ قال: كل غني مترف وسلطان جائر».

وفي «التأويلات النجمية»: نحيي قلوباً ماتت بالقسوة بما نمطر عليها من صوب الإقبال والزلفة انتهى فالإحياء إذاً مجاز عن الهداية ﴿ونكتب﴾ أي: نحفظ ونثبت في اللوح المحفوظ يدل عليه آخر الآية أو يكتب رسلنا وهم الكرام الكاتبون وإنما أسند إليه تعالى ترهيباً ولأنه الآمر به ﴿ما قدموا﴾ أي: أسلفوا من خير وشر وإنما أخر الكتابة مع أنها مقدمة على الإحياء لأنها ليست مقصودة لذاتها وإنما تكون مقصودة لأمر الإحياء ولولا الإحياء والإعادة لما ظهر

للكتابة فائدة أصلاً ﴿وآثارهم﴾ أثر الشيء حصول ما يدل على وجوده أي: آثارهم التي أبقوها من الحسنات كعلم علموه أو كتاب ألفوه أو حبيس وقفوه أو بناء شيء من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من وجوه البرّ قال الشيخ سعدي:

نمرد آنكه ماند پس از وى بجاى پل ومسجد وخان ومهمان سراى
هر آن كو نماند از پسش ياد كار درخت وجودش نياورد بار
وركرفت آثار خيرش نماند نشايد پس از مرك الحمد خواند

ومن السيئات كوظيفة وظفها بعض الظلمة على المسلمين مسانهة أو مشاهرة وسكة أحدثها فيها تحسيرهم وشيء أحدث فيه صدّ عن ذكر الله من ألحان وملاهي ونحوه قوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة: ١٣] أي: بما قدم من أعماله وأخر من آثاره وفي «المثنوي»:

هركه بنهد سنت بد اى فتى تا در افتد بعد او خلق از عمى
جمع كردد بر وى آن جمله بزه كوسرى بودست وايشان دم غزه

فعلى العدول أن يرفعوا الأحداث التي فيها ضرر بين للناس في دينهم ودنياهم وإلا فالراضي كالفاعل وكل مجزي بعمله:

از مكافات عمل غافل مشو كندم از كندم برويد جو ز جو
كين چنين كفتست پير معنوي كاى برادر هرچه كارى بدروى

وقال بعض المفسرين: هي آثار المشائين إلى المساجد ولعل المراد أنها من جملة الآثار كما في «الإرشاد».

ـ روي ـ أن جماعة من الصحابة بعدت دورهم عن المسجد النبوي فأراد النقلة إلى جوار المسجد فقال عليه السلام: «إن الله يكتب خطواتكم ويثيبكم عليها فالزموا بيوتكم» والله تعالى لا يترك الجزاء على الخطى سواء كانت في حسنة أو في سيئة وفي الحديث: «أعظم الناس أجراً من يصلي ثم ينام». واختلف فيمن قربت داره من المسجد هل الأفضل له أن يصلي فيه أو يذهب إلى الأبعد فقالت طائفة: الصلاة في الأبعد أفضل لكثرة الثواب الحاصل بكثرة الخطى. وقال بعضهم: الصلاة في الأقرب أفضل لما ورد «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد» ولإحياء حق المسجد ولماله من الجوار وإن كان في جواره مسجد ليس فيه جماعة وبصلاته فيه يحصل الجماعة كان فعلها في مسجد الجوار أفضل لما فيه من عمارة المسجد وإحيائه بالجماعة وأما لو كان إذا صلى في مسجد الجوار صلى وحده فالبعيد أفضل ولو كان إذا صلى في بيته صلى جماعة وإذا صلى في المسجد صلى وحده ففي بيته أفضل.

قال بعضهم: جار المسجد أربعون داراً من كل جانب. وقيل: جار المسجد من سمع النداء. قال في مجمع الفتاوى: رجل لو كان في جواره مسجدان يصلي في أقدمهما لأن له زيادة حرمة وإن كانا سواء أيهما أقرب يصلي هناك وإن كان فقيهاً يذهب إلى الذي قومه أقل حتى يكثر بذهابه وإن لم يكن فقيهاً يخير قالوا: كل ما فيه الجماعة كالفرائض والتراويح فالمسجد فيه أفضل فثواب المصلين في البيت بالجماعة دون ثواب المصلين في المسجد بالجماعة وفي الحديث: «صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته، وفي سوقه خمسة وعشرين ضعفاً» وفي رواية «سبعة وعشرين» وذلك لأن فرائض اليوم والليلة سبع عشرة

ركعة والرواتب عشر فالجميع سبع وعشرون. وأكثر العلماء على أن الجماعة واجبة. قال بعضهم: سنة مؤكدة وفي الحديث: «لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس وأنظر إلى أقوام يتخلفون عن الجماعة فاحرّق بيوتهم» وهذا يدل على جواز إحراق بيت المتخلف عن الجماعة لأن الهم على المعصية لا يجوز من الرسول عليه السلام لأنه معصية فإذا جاز إحراق البيت على ترك الواجب أو السنة المؤكدة فما ظنك في ترك الفرض وفي الحديث: «بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» وفيه إشارة إلى أن كل ظلمة ليست بعذر لترك الجماعة بل الظلمة الشديدة وإطلاق اللفظ يشعر بأن المتحري للأفضل ينبغي أن لا يتخلف عن الجماعة بأي وجه كان إلا أن يكون العذر ظاهراً والأعذار التي تبيح التخلف عن الجماعة هي المرض الذي يبيح التيمم ومثله كونه مقطوع اليد والرجل من خلاف أو مفلوجاً أو لا يستطيع المشي أو أعمى والمطر والطين والبرد الشديد والظلمة الشديدة في الصحيح وكذا الخوف من السلطان أو غيره من المتغلبين جعلنا الله وإياكم ممن قام بأمره في جميع عمره **﴿وكل شيء﴾** من الأشياء كائناً ما كان سواء كان ما يصنعه الإنسان أو غيره وهو منصوب بفعل مضمر يفسره قوله: **﴿أحصيناه﴾** ضبطناه وبيناه. قال ابن الشيخ: أصل الإحصاء العد ثم استعير للبيان والحفظ لأن العد يكون لأجلهما. وفي «المفردات» الإحصاء التحصيل بالعدد يقال: أحصيت كذا وذلك من لفظ الحصى واستعمال ذلك فيه لأنهم كانوا يعتمدون عليه في العد اعتمادنا فيه على الأصابع **﴿في إمام مبين﴾** أصل عظيم الشأن مظهر لجميع الأشياء مما كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ سمي إماماً لأنه يؤتم به ويتبع. قال الراغب: الإمام المؤتم به إنساناً كان يقتدى بقوله وبفعله أو كتاباً أو غير ذلك محقاً كان أو مبطلاً وجمعه أئمة نحو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] أي: بالذي يقتدون به وقيل بكتابهم **﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾** فقد قيل: إشارة إلى اللوح المحفوظ انتهى. وفي الأحصاء ترغيب وترهيب فإن المحصي لم يصح منه الغفلة في حال من الأحوال بل راقب نفسه في كل وقت ونفس وحركة وسكنة. وخاصية هذا الاسم تسخير القلوب فمن قرأه عشرين مرة على كل كسرة من الخبز والكسر عشرون فإنه يسخر له الخلق. فإن قيل: ما فائدة تسخير الخلق؟ قلت: دفع المضرة أو جلب المنفعة وأعظم المنافع التعليم و«الإرشاد» واختار بعض الكبار ترك التصرف والالتفات إلى جانب الخلق بضرب من الحيل فإن الله تعالى يفعل ما يريد والأهم تسخير النفس الأمارة حتى تنقاد للأمر وتطيع للحق فمن لم يكن له أمارة على نفس كان ذليلاً في الحقيقة وإن كان مطاعاً في الظاهر.

وفي «التأويلات النجمية» **﴿وكل شيء﴾** مما يتقربون به إلينا **﴿أحصيناه في إمام مبين﴾** أي: أثبتنا آثاره وأنواره في لوح محفوظ قلوب أحبابنا انتهى.

واعلم أن قلب الإنسان الكامل اسم مبين ولوح إلهي فيه أنوار الملكوت منتقشة وأسرار الجبروت منطبعة مما كان في حد البشر دركه وطوق العقل الكلي كشفه وإنما يحصل هذا بعد التصفية بحيث لم يبق في القلب صورة ذرة مما يتعلق بالكونين ومعنى التصفية إزالة المتوهم ليظهر المتحقق فمن لم يدر المتوهم من المتحقق حرم من المتحقق، قال المولى الجامي قدس سره:

سككى مى شد استخوان بدهان   كرده رد بر كنار آب روان

بسكه آن آب صاف وروشن بود عكس آن استخوان در آب نمود
برد بيچاره سك كمان كه مكر هست در آب استخوان دكر
لب چو بكشاد سوى آن بستاد استخوان ازدهان در آب فتاد
نيست را هستى توهم كرد بهر آن نيست هست راكم كرد

فعلى العاقل أن يجلو المرآة ليظهر صورة الحقيقة وحقيقة الوجود ويحصل كمال العيان والشهود نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل الصفوة ويحفظنا من الكدورات والهفوة إنه غاية المقصود ونهاية الأمل من كل علم وعمل.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية﴾ إلى قوله: **﴿خامدون﴾** يشير إلى أصناف ألطافه مع أحبائه وأنواع قهره مع أعدائه كما في «التأويلات النجمية» أمر الله تعالى سيد المرسلين ﷺ بإنذار مشركي مكة بتذكيرهم قصة أصحاب القرية ليحترزوا عن أن يحل بهم ما نزل بكفار أهل تلك القرية. قال في «الإرشاد» ضرب المثل يستعمل على وجهين: الأول في تطبيق حالة غريبة بحالة أخرى مثلها فالمعنى اجعل أصحاب القرية مثلاً لأهل مكة في الغلو في الكفر والإصرار على تكذيب الرسل أي: طبق حالهم بحالهم على أن مثلاً مفعول ثان وأصحاب القرية مفعوله الأول أخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه. والثاني في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد إلى تطبيقها بنظيرة لها فالمعنى اذكر وبين لهم قصة هي في الغرابة كالمثل فقوله أصحاب القرية أي: مثل أصحاب القرية على تقدير المضاف كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] وهذا المقدر بدل من الملفوظ أو بيان له. والقرية انطاكية من قرى الروم وهي بالفتح والكسر وسكون النون وكسر الكاف وفتح الياء المخففة قاعدة بلاد يقال لها العواصم وهي ذات عين وسور عظيم من صخر داخله خمسة أجبل دورها اثنا عشر ميلاً كما في «القاموس» ويقال لها انتاكية بالتاء بدل الطاء وهو المسموع من لسان الملك في قصة ذكرت في «مشارع الأشواق». قال الإمام السهيلي: نسبت انطاكية إلى انطقيس وهو اسم الذي بناها ثم غيرت. وفي «التكملة» وكانت قصتهم في أيام ملوك الطوائف. وفي «بحر العلوم» انطاكية من مدائن النار بشهادة النبي عليه السلام حيث قال: «أربع مدائن من مدائن الجنة مكة والمدينة وبيت المقدس وصنعاء اليمن وأربع مدائن من مدائن النار أنطاكية وعمورية وقسطنطينية وظفار اليمن» وهو كقطام بلد باليمن قرب صنعاء إليه ينسب الجزع وهو بالفتح خرز فيه سواد وبياض يشبه به الأعين وكانت انطاكية إحدى المدن الأربع التي يكون فيها بطارقة النصارى وهي انطاكية والقدس والاسكندرية وورومية ثم بعدها قسطنطينية. قال في «خريدة العجائب»: رومية الكبرى مدينة عظمية في داخلها كنيسة عظيمة طولها ثلاثمائة ذراع وأركانها من نحاس مفرغ مغطى كلها بالنحاس الأصفر وبها كنيسة أيضاً بنيت على هيئة بيت المقدس وبها ألف حمام وألف فندق وهو الخان ورومية أكبر من أن يحاط بوصفها ومحاسنها وهي للروم مثل مدينة فرانسة للافرنج كرسي ملكهم ومجتمع أمرهم وبيت ديانتهم وفتحها من اشراط الساعة **﴿إذ جاءها المرسلون﴾** بدل من أصحاب القرية بدل الاشتمال لاشتمال الظروف على ما حل فيها كأنه قيل واجعل وقت مجيء

المرسلين مثلاً أو بدل من المضاف المقدر كأنه قيل واذكر لهم وقت مجيء المرسلين وهم رسل عيسى عليه السلام إلى أهل انطاكية.

﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين﴾ بدل من إذ الأولى أي: وقت أرسلنا اثنين إلى أصحاب القرية وهما يحيى ويونس ونسبة إرسالهما إليه تعالى بناء على أنه بأمره تعالى فكانت الرسل رسل الله. ويؤيده مسألة فقهية وهي أن وكيل الوكيل بإذن الموكل بأن قال الموكل له اعمل برأيك يكون وكيلاً للموكل لا للوكيل حتى لا ينعزل بعزل الوكيل إياه وينعزل إذا عزله الموكل الأول ﴿فكذبوهما﴾ أي: فأتياهم فدعواهم إلى الحق فكذبوهما في الرسالة بلا تراخ وتأمل وضربوهما وحبسوهما على ما قال ابن عباس رضي الله عنهما وسيأتي ﴿فعززنا﴾ أي: قويناهما فحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولأن القصد ذكر المعزز به وبيان تدبيره اللطيف الذي به عز الحق وذل الباطل يقال عزز المطر الأرض إذا لبدها وسددها وأرض عزاز أي: صلبة وتعزز اللحم اشتد وعز كأنه حصل في عزاز يصعب الوصول إليه. وفي «تاج المصادر» [التعزيز والتعزة: ليرومندكردند] ومنه الحديث «إنكم لمعزز بكم» أي: مشدد [وفرونشاندن باران زمين را] انتهى ﴿بثالث﴾ هو شمعون الصفار ويقال له شمعون الصخرة أيضاً رئيس الحواريين وقد كان خليفة عيسى عليه السلام بعد رفعه إلى السماء. قال في «التكملة»: اختلف في المرسلين الثلاثة فقيل: كانوا أنبياء رسلاً أرسلهم الله تعالى وقيل: كانوا من الحواريين أرسلهم عيسى ابن مريم إلى أهل القرية المذكورة ولكن لما كان إرساله إياهم عن أمره أضاف الإرسال إليه انتهى علم منه أن الحواريين لم يكونوا أنبياء لا في زمان عيسى ولا بعد رفعه وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «ليس بيني وبينه نبي» أي: بين عيسى وإن احتمل أن يكون المراد النبي الذي يأتي بشريعة مستقلة وهو ينافي وجود النبي المقرر للشريعة المتقدمة ﴿فقالوا﴾ أي: جميعاً ﴿إنا إليكم مرسلون﴾ مؤكدين كلامهم لسبق الإنكار لما أن تكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم.

قال في «كشف الأسرار»: [قصه آنست كه رب العالمين وحى فرستاد بعيسى عليه السلام كه من ترا بآسمان خواهم برد حواريان را يكان يكان ودوان ودوان بشهرها فرست تا خلق را بدين حق دعوت كنند عيسى ايشانرا حاضر كرد ورئيس ومهترايشان شمعون وايشانرا يكان يكان ودوان دوان قوم بقوم فرستاد وشهر شهر ايشانرا نامزد مى زد وايشانرا كفت چون من بآسمان رفتم شماهر كجاكه معين كرده ام ميرويد ودعوت ميكنيد واكر زبان آن قوم ندانيد در آن راه كه ميرويد شمارا فرشته پيش ايد جامى شراب بر دست نهاده از ان شراب نوراني بازخوريد تاز بان ان قوم بدانيد ودوكس را بشهر انطاكية فرستاد] وكانوا عبدة أصنام. وقال أكثر أهل التفسير: ارسل إليهم عيسى اثنين قبل رفعه ولما أمرهما أن يذهبا إلى القرية قالا: يا نبي الله إنا لا نعرف لسان القوم فدعا الله لهما فناما بمكانهما فاستيقظا وقد حملتهما الملائكة وألقتهما إلى أرض أنطاكية فكلم كل واحد صاحبه بلغة القوم فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار الذي ينحت الأصنام وهو صاحب يس لأن الله تعالى ذكره في سورة يس في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ [القصص: ٢٠] فسلما عليه فقال: من أنتما؟ فأخبراه بأنهما من رسل عيسى [آمده ايم تا شمارا بردين حق دعوت كنيم وراه راست وملت پاك شما نماييم كه دين حق توحيداست وعبادت خداى يكتا پير كفت شمارا برراستى اين سخن هيچ معجزه هست كفتند آرى] نحن نشفي المريض ونبرىء الأكمه والأبرص بإذن الله وكان للرسل من المعجزة ما

للأنبياء بدعاى عيسى [پيركفت مرا پسريست ديوانه وياخود دير كاه تاوى بيماراست ودرد وى علاج اطبانه پذيرد خواهم كه اورا به بينيد ايشانرا بخانه برد] فدعوا الله تعالى ومسحا المريض فقام بإذن الله صحيحاً:

قدم نهادي وبرهر دوديده جاكردى   بيكنفس دل بيمار را دوا كردى

فآمن حبيب وفشا الخبر وشفي على أيديهما خلق كثير وبلغ حديثهما إلى الملك واسمه بحناطيس الرومي او انطيخس او شلاحن فطلبهما فأتياه فاستخبر عن حالهما فقالا: نحن رسل عيسى ندعوك إلى عبادة رب وحده فقال: ألنا رب غير آلهتنا؟ قالا: نعم وهو من أوجدك وآلهتك، من آمن به دخل الجنة ومن كفر به دخل النار وعذب فيها أبداً فغضب وضربهما وحبسهما فانتهى ذلك إلى عيسى فأرسل ثالثاً وهو شمعون لينصرهما فإنه رفع بعده كما قاله البعض فجاء القرية متنكراً أي: لم يعرف حاله ورسالته وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا حديثه إلى الملك فأنس به وكان شمعون يظهر موافقته في دينه حيث كان يدخل معه على الصنم فيصلي ويتضرع وهو يظن أنه من أهل دينه كما قال الشيخ سعدي في قصة صنم سومنات لما دخل الكنيسة متنكراً وأراد أن يعرف كيفية الحال:

بتك را يكى بوسه دادم بدست   كه لعنت برويباد وبربت پرست

بتقليد كافر شدم روز چند   برهمن شدم در مقالات زند

فقال شمعون للملك يوماً: بلغني أنك حبست رجلين دعواك إلى إله غير إلهك فهل لك أن تدعوهما فأسمع كلامهما وأخاصمهما عنك فدعاهما. وفي بعض الروايات لما جاء شمعون إلى انطاكية دخل السجن أولاً حتى انتهى إلى صاحبيه فقال لهما: ألم تعلما أنكما لا تطاعان إلا بالرفق واللطف:

چو بينى كه جاهل بكين اندراست   سلامت بتسليم دين اندراست

قال: وإن مثلكما مثل امرأة لم تلد زماناً من دهرها ثم ولدت غلاماً فأسرعت بشأنه فأطعمته الخبز قبل أوانه فغص به فمات فكذلك دعوتكما هذا الملك قبل أوان الدعاء ثم انطلق إلى الملك يعني بعد التقرب إليه استدعاهما للمخاصمة فلما حضرا قال لهما شمعون: من أرسلكما؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال: صفاه وأوجزا قالا: يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال: وما برهانكما على ما تدعيانه قالا: ما يتمنى الملك فجيء بغلام مطموس العينين أي: كان لا يتميز موضع عينيه من جبهته فدعوا الله حتى انشق له موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فتعجب الملك فقال له شمعون: أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال: ليس لي عنك سر مكتوم إن آلهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع ثم قال له الملك: إن هنا غلاماً مات منذ سبعة أيام كان لأبيه ضيعة قد خرج إليها وأهله ينتظرون قدومه واستأذنوا في دفنه فأمرتهم أن يؤخروه حتى يحضر أبوه فهل يحييه ربكما فأمر بإحضار ذلك الميت فدعوا الله علانية ودعا شمعون سراً فقام الميت حياً بإذن الله [كفت چون جانم از كالبد جدا كشت مرا بهفت وادىء آتش بكذرانيدند ازآنكه بكفر مرده ام] وأنا أحذركم عما أنتم فيه من الشرك فآمنوا [وكفت اينك درهاى آسمان مى بينم كشاده وعيسى پيغمبر ايستاده زير عرش واز بهر اين ياران شفاعت ميكند وميكويدكه بار خدايا ايشانرا نصرت ده كه ايشان رسولان من اند] حتى أحياني

الله وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن عيسى روح الله وكلمته وأن هؤلاء الثلاثة رسل الله قال الملك: ومن الثلاثة قال الغلام شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قول الغلام قد أثر في الملك أخبره بالحال وأنه رسول المسيح إليهم ونصحه فآمن الملك فقط كما حكاه القشيري خفية على خوف من عتاة ملئه وأصر قومه فرجموا الرسل بالحجارة وقالوا: إن كلمتهم واحدة وقتلوا حبيب النجار وأبا الغلام الذي أحيى لأنه أيضاً كان قد آمن ثم إن الله تعالى بعث جبريل فصاح عليهم صيحة فماتوا كلهم كما سيجيء تمام القصة. وقال وهب بن منبه وكعب الأحبار: بل كفر الملك أيضاً وأصروا جميعاً هو وقومه على تعذيب الرسل وقتلهم ويؤيده حكاية تماديهم في اللجاج والعناد وركوبهم متن المكابرة في الحجاج ولو آمن الملك وبعض قومه كما قال بعضهم لكان الظاهر أن يظاهروا الرسل ويساعدوهم قبلوا في ذلك أو قتلوا كدأب النجار الشهيد ولم ينقل ذلك مع أن الناس على دين ملوكهم لا سيما بعد وضوح البرهان.

﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾.

﴿قالوا﴾ أي: أهل انطاكية الذين لم يؤمنوا مخاطبين للثلاثة **﴿ما أنتم إلا بشر﴾** آدمي **﴿مثلنا﴾** هو من قبيل قصر القلب فالمخاطبون وهم الرسل لم يكونوا جاهلين بكونهم بشراً ولا منكرين لذلك لكنهم نزلوا منزلة المنكرين لاعتقاد الكفار أن الرسول لا يكون بشراً فنزلوهم منزلة المنكرين للبشرية لما اعتقدوا التنافي بين الرسالة والبشرية فقلبوا هذا الحكم وعكسوه وقالوا: **﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾** أي: أنتم مقصورون على البشرية ليس لكم وصف الرسالة التي تدعونها فلا فضل لكم علينا يقتضي اختصاصكم بالرسالة دوننا ولو أرسل الرحمٰن إلى البشر رسلاً لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة على زعمهم **﴿وما أنزل الرحمٰن من شيء﴾** من وحي سماوي ومن رسول يبلغه فكيف صرتم رسلاً وكيف يجب علينا طاعتكم وهو تتمة الكلام المذكور لأنه يستلزم الإنكار أيضاً **﴿إن أنتم﴾** أي: ما أنتم **﴿إلا تكذبون﴾** في دعوى رسالته.

﴿قالوا ربنا يعلم﴾ بعلمه الحضوري **﴿إنا إليكم لمرسلون﴾** وإن كذبتمونا استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم في التوحيد مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله وزادوا اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة الإنكار.

﴿وما علينا﴾ أي: من جهة ربنا **﴿إلا البلاغ المبين﴾** أي: إلا تبليغ رسالته تبليغاً ظاهراً مبيناً بالآيات الشاهدة بالصحة فإنه لا بد للدعوى من البينة وقد خرجنا من عهدته فلا مؤاخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا وليس في وسعنا إجباركم على الإيمان ولا أن نوقع في قلوبكم العلم بصدقنا فإن آمنتم وإلا فينزل العذاب عليكم وفيه تعريض لهم بأن إنكارهم للحق ليس لخفاء حاله وصحته بل هو مبني على محض العناد والحمية الجاهلية.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿قالوا﴾ لما ضاقت عليهم الحيل ولم يبق لهم علل **﴿إنا تطيرنا بكم﴾** أصل التطير التفاؤل بالطير فإنهم يزعمون أن الطائر السانح سبب للخير والبارح سبب للشر كما سبق في

النمل ثم استعمل في كل ما يتشاءم به والمعنى إنا تشاءمنا بكم جرياً على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم وإن كان مستجلباً لكل شر ووبال ويتشاءمون بكل ما لا يوافقها وإن كان مستتبعاً لسعادة الدارين.

وقال النقشبندي: قد تشاءمنا بقدومكم إذ منذ قدمتم إلى ديارنا ما نزل القطر علينا وما أصابنا هذا الشر إلا من قبلكم اخرجوا من بيننا وارجعوا إلى أوطانكم سالمين وانتهوا عن دعوتكم ولا تتفوهوا بها بعد. وكان عليه السلام يحب التفاؤل ويكره التطير والفرق بينهما أن الفأل إنما هو من طريق حسن الظن بالله والتطير إنما هو من طريق الاتكال على شيء سواه وفي الخبر لما توجه النبي عليه السلام نحو المدينة لقي بريدة بن أسلم فقال: «من أنت يا فتى» قال بريدة فالتفت عليه السلام إلى أبي بكر فقال: «برد أمرنا وصلح» أي: سهل ومنه قوله: «الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة» ثم قال عليه السلام: «ابن من أنت يا فتى» قال: ابن أسلم فقال عليه السلام لأبي بكر رضي الله عنه: «سلمنا من كيدهم». وفي الفقه: لو صاحت الهامة أو طير آخر فقال: رجل يموت المريض يكفر ولو خرج إلى السفر ورجع فقال: ارجع لصياح العقعق كفر عند البعض وفي الحديث: «ليس عبد إلا سيدخل في قلبه الطيرة فإذا أحس بذلك فليقل أنا عبد الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله لا يأتي بالحسنات إلا الله ولا يذهب بالسيئات إلا الله أشهد أن الله على كل شيء قدير ثم يمضي بوجهه» يعني: يمضي ماراً بوجهه أي: بجهة وجهه فعدى يمضي بالباء لتضمين معنى المرور قالوا: من تطير تطيراً منهياً عنه حتى منعه مما يريده من حاجته فإنه قد يصيبه ما يكرهه كما في «عقد الدر» ﴿**لئن لم تنتهوا**﴾ والله لئن لم تمتنعوا عن مقالتكم هذه ولم تسكتوا عنا وبالفارسية: [واكر نه باز ايستيد ازدعواى خود] ﴿**لنرجمنكم**﴾ [الرجم: سنكسار كردن] أي: لنرمينكم بالحجارة ﴿**وليمسنكم منا عذاب أليم**﴾ [وبشما رسد ازما عذابى دردنماى] أي: لا نكفي برجمكم بحجر أو حجرين بل نديم ذلك عليكم إلى الموت وهو العذاب الأليم أو ليمسنكم بسبب الرجم منا عذاب مؤلم. وفسر بعضهم الرجم بالشتم فيكون المعنى لا نكتفي بالشتم بل يكون شتمنا مؤدياً إلى الضرب والإيلام الحسي.

ـ حكي ـ أن دباغاً مر بسوق العطارين فغشي عليه وسقط فاجتمع عليه أهل السوق وعالجوه بكل ما يمكن من الأشياء العطرة فلم يفق بل اشتد عليه الحال ولم يدر أحد من أين صار مصروعاً ثم أخبر أقرباؤه بذلك فجاء أخوه وفي كمه شيء من نجاسة الكلب فسحقه حتى إذا وصلت رائحته إلى شمه أفاق وقام وهكذا حال الكفار كما قال جلال الدين قدس سره في «المثنوي»:

ناصحان او را بعنبر يا كلاب ... مى دوا سازند بهر فتح باب
مر خبيثانرا نشايد طيبات ... درخور ولايق نباشد اى ثقات
چون زعطر وحى كم كشتندوكم ... بدفغان شان كه تطيرنا بكم
رنج وبيماريست مارا زين مقال ... نيست نيكو وعظتان مارا بفال
كر بيا غازيد نصحى آشكار ... ماكنيم آن دم شمارا سنكسار
ما بلغو ولهو فربه كشته ايم ... در نصيحت خويش را نسرشته ايم
هست قوت ما دروغ ولاف ولاغ ... شورش معده است مارازين بلاغ
هركرا مشك نصيحت سودنيست ... لا جرم بابوى بدخو كردنيست

مشركانرازان نجس خواندست حق | كاندرون پشك زادند از سبق
كرم كوزادست در سركين ابد | مى نكرداند بعنبر خوى خود

﴿قالوا﴾ أي: المرسلون لأهل أنطاكية ﴿طائركم﴾ أي: سبب شؤمكم ﴿معكم﴾ لا من قبلنا وهو سوء اعتقادكم وقبح أعمالكم فالطائر بمعنى ما يتشاءم به مطلقاً ﴿أئن ذكرتم﴾ بهمزتين استفهام وشرط أي: وعظتم بما فيه سعادتكم وخوّفتم وبالفارسية: [آيا اكر پند داده مى شويد] وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه أي: تطيرتم أو توعدتم بالرجم والتعذيب ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ إضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سبباً للشؤم أو مصححاً للتوعد أي: ليس الأمر كذلك بل أنتم قوم عادتكم الإسراف في العصيان والتجاوز فيه عن الحد فلذلك أتاكم الشؤم أو في الظلم والعدوان ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب إكرامه والتبرك به. وهؤلاء القوم في الحقيقة هم النفس وصفاتها فإن أسرفت في موافقة الطبع ومخالفة الحق فكل من كان في يد مثل هذه النفس فهو لا يبالي بالوقوع في المهالك ولا يزال يدعو الناس إلى ما سلكه من شر المسالك:

هركرا باشد مزاج وطبع سست | او نخواهد هيچ كس راتن درست

وكل من تخلص عنها وزكاها أفلح هو ومن تبعه ولذا وعظ الأنبياء والأولياء وذكروا ونبهوا الناس على خطاهم وإسرافهم وردوهم عن طريقة أسلافهم ولكن الذكرى إنما تنفع المؤمنين.

ـ حكي ـ أن غلام الخليل سعى بالصوفية إلى خليفة بغداد وقال: إنهم زنادقة فاقتلهم ولك ثواب جزيل فأحضرهم الخليفة وفيهم الجنيد والشبلي والنوري فأمر بضرب أعناقهم فتقدم أبو الحسين النوري فقال السياف: أتدري إلى ما تبادر؟ فقال: نعم فقال: وما يعجلك فقال: أوثر أصحابي بحياة ساعة فتحير السياف وأنهى الأمر إلى الخليفة فتعجب الخليفة ومن عنده من ذلك فأمر بأن يختبر القاضي حالهم فقال القاضي: يخرج إليّ واحد منهم حتى أبحث معه فخرج إليه أبو الحسين النوري فألقى إليه القاضي مسائل فقهية فالتفت عن يمينه ثم التفت عن يساره ثم أطرق ساعة ثم أجابه عن الكل ثم أخذ يقول وبعد فإن لله عباداً إذا قاموا قاموا بالله وإذا نطقوا نطقوا بالله وسرد كلاماً أبكى القاضي ثم سأله القاضي عن التفاته فقال: سألتني عن المسائل ولا أعلم لها جواباً فسألت عنها صاحب اليمين فقال: لا علم لي ثم سألت صاحب الشمال فقال: لا علم لي فسألت قلبي فأخبرني قلبي عن ربي فأجبتك بذلك فأرسل القاضي إلى الخليفة إن كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الأرض مسلم [خليفه ايشانرا بخواند وكفت حاجتى خواهيد كفتند حاجت ما آنست كه مارا فراموش كنى نه بقبول خود مارا مشرف كردانى نه برد مهجوركه مارا رد توچون قبول تست خليفه بسيار بكريست وايشانرا با كرامى تمام روانه كرد چون درنهاد خليفه وقاضي عدل وإنصاف سرشته مى شد لا جرم بجانب حق ميل كردند ودرحق صوفيه محققين طريقه ظلم وإسراف سالك نشدند] عصمنا الله وإياكم من مخالفة الحق الصريح بعد وضوحه بالبرهان الصحيح.

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وجاء من أقصى المدينة﴾ أبعد جوانب أنطاكية وبالفارسية: [وآد ازدورتر جايى ازان

شهر] ﴿رجل﴾ فيه إشارة إلى رجولية الجائي وجلادته وتنكيره لتعظيم شأنه لا لكونه رجلاً منكوراً غير معلوم فإنه رجل معلوم عند الله تعالى وكان منزله عند أقصى باب في المدينة وفي مجيئه من أقصى المدينة بيان لكون الرسل أتوا بالبلاغ المبين حتى بلغت دعوتهم إلى أقصى المدينة حيث آمن الرجل وكان دور السور اثني عشر ميلاً كما سبق ﴿يسعى﴾ حال كونه يسرع في مشيه فإن السعي المشي السريع وهو دون العدو كما في «المفردات» والمراد حبيب بن مرى النجار المشهور عند العلماء بصاحب يس كما سبق وجهه. وفي بعض التواريخ كان من نسل الاسكندر الرومي وإنما سمي حبيب النجار لأنه كان ينحت أصنامهم.

يقول الفقير: هذا ظاهر على تقدير أن يكون إيمانه على أيدي الرسل وهو الذي عليه الجمهور وأما قوله عليه السلام: «سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون» فمعناه إنهم لم يسجدوا للصنم ولم يخلوا بما هو من أصول الشرائع ولا يلزم من نحت الأصنام السجدة لها والأظهر أنه كان نجاراً كما في التعريف للسهيلي ولا يلزم من كونه نجاراً كونه ناحتاً للأصنام وقد قالوا: إنه ممن آمن برسول الله ﷺ وبينهما ستمائة سنة. وكان سبب إيمانه به أنه كان من العلماء بكتاب الله ورأى فيه نعته ووقت بعثته فآمن به ولم يؤمن بنبي غيره عليه السلام قبل مبعثه وقد آمن به قبل مبعثه أيضاً غير حبيب النجار كما قال السيوطي: أول من أظهر التوحيد بمكة وما حولها قس بن ساعدة وفي الحديث: «رحم الله قساً إني لأرجو يوم القيامة أن يبعث أمة وحده» وورقة بن نوفل ابن عم خديجة رضي الله عنها وزيد بن عمرو بن نفيل وكذا آمن به عليه السلام قبل مبعثه وأظهر التوحيد تبع الأكبر. وقصته أنه اجتاز بمدينة الرسول عليه السلام وكان في ركابه مائة ألف وثلاثون ألفاً من الفرسان ومائة ألف وثلاثة عشر ألفاً من الرجالة فأخبر أن أربعمائة رجل من اتباعه من الحكماء والعلماء تبايعوا أن لا يخرجوا منها فسألهم عن الحكمة فقالوا: إن شرف البيت إنما هو برجل يخرج يقال له محمد هذه دار إقامته ولا يخرج منها فبنى فيها لكل واحد منهم داراً واشترى له جارية وأعتقها وزوجها منه وأعطاهم عطاءً جزيلاً وكتب كتاباً وختمه ورفعه إلى عالم عظيم منهم وأمره أن يدفع ذلك الكتاب لمحمد ﷺ إن أدركه وفي ذلك الكتاب أنه آمن به وعلى دينه وبنى له ﷺ داراً ينزلها إذا قدم تلك البلدة ويقال إنها دار أبي أيوب وأنه من ولد ذلك العالم الذي دفع إليه الكتاب فهو عليه السلام لم ينزل إلا في داره ووصل إليه عليه السلام الكتاب المذكور على يد بعض ولد العالم المسطور في أول البعثة أو حين هاجر وهو بين مكة والمدينة ولما قرىء عليه قال: «مرحباً بتبع الأخ الصالح» ثلاث مرات وكان إيمانه قبل مبعثه بألف سنة ويقال أن الأوس والخزرج من أولاد أولئك العلماء والحكماء. وذكر أنه حفر قبره بصنعاء قبل الإسلام فوجد فيه امرأتان لم تبليا وعند رؤوسهما لوح من فضنة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر فلانة وفلانة ابنتي تبع ماتتا وهما تشهدان أن لا إله إلا الله ولا تشركان به وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما وفي الحديث: «من مات وهو يعلم لا إله إلا الله دخل الجنة» وإنما لم يقل من مات وهو يؤمن أو يقول ليعلمنا أن كل موحد لله في الجنة يدخلها من غير شفاعة ولو لم يوصف بالإيمان كقس بن ساعدة وأضرابه ممن لا شريعة بين أظهرهم يؤمنون بها وبصاحبها فقس موحد لا مؤمن كما في «الفتوحات المكية» [كفتند حبيب نجار خانه داشت درآن كوشه ازشهر بدورتر جايى ازمردمان وكسب كردى هرروز آنچه كسب

وى بود يك نيمه بصدقه دادى ويك نيمه بخرج عيال كردى وخدايرا پنهان عبادت كردى وكس ازحال وى خبر نداشتى تا آن روزكه رسولان عيسى را رنجانيدند وجفا كردند ازان منزل خويش بشتاب بيامد وايمان خويش آشكارا كرد. وكفته اند أهل انطاكية دارها بردند وآن رسولا نرا باجهل تن كه ايمان آورده بودند كلوهاى شان سوراخ كردند ورسنها بكلو دركشيدند وازدار بياويختند خبر بحبيب نجار رسيدكه خدايرا مى پرستيد درغارى چنانكه ابدال دركوه نشينند وازخلق عزلت كيرند بشاب ازمنزل خويش بيامد] ﴿قال﴾ استئناف بياني كأنه قيل فما قال عند ما جاء ساعياً ووصل إلى المجمع ورآهم مجتمعين على الرسل قاصدين قتلهم فقيل قال: ﴿يا قوم﴾ أصله يا قومي معناه بالفارسية: [اى كروه من] خاطبهم بياقوم لتأليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول نصيحته وللاشارة إلى أنه لا يريد بهم إلا الخير وإنه غير متهم بإرادة السوء بهم. قال بعضهم: وكان مشهوراً بينهم بالورع واعتدال الأخلاق ﴿اتبعوا المرسلين﴾ المبعوثين إليكم بالحق تعرض لعنوان رسالتهم حثاً لهم على اتباعهم [قتاده كفت چون بيامد نخست رسولانرا بديد كفت شما باين دعوت كه ميكنيد هيچ مزد ميخواهيد كفتند ما هيچ مزد نميخواهيم وجز اعلاى كلمه حق واظهار دين الله مقصود نيست حبيب قوم را بكفت].

﴿اتبعوا من لا يسألكم﴾ [نمى خواهند ازشما] ﴿أجراً﴾ أجرة ومالاً على النصح وتبليغ الرسالة ﴿وهم مهتدون﴾ إلى خير الدين والدنيا والمهتدي إلى طريق الحق الموصل إلى هذا الخير إذا لم يكن متهماً في الدعوة يجب اتباعه وإن لم يكن رسولاً فكيف وهم رسل ومهتدون ومن قال الايغال هو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها تكون الآية عنده مثالاً له لأن قوله وهم مهتدون مما يتم المعنى بدونه لأن الرسول مهتد لا محالة إلا أن فيه زيادة حث على اتباع الرسل وترغيب فيه فقوله: من لا يسألكم بدل من المرسلين معمول لاتبعوا الأول والثاني تأكيد لفظ للأول. قال في «الإرشاد»: تكرير للتأكيد وللتوسل به إلى وصفهم بما يرغبهم في اتباعهم من التنزه عن الغرض الدنيوي والاهتداء إلى خير الدنيا والدين انتهى. وفيه ذم للمتشيخة المزوّرين الذين يجمعون بتلبيساتهم أموالاً كثيرة من الضعفاء الحمقى المائلين نحو أباطيلهم كما في «التأويلات النقشبندية»:

ره كاروان شير مردان زنند ... ولى جامه مردم اينان كنند

عصاى كليمند بسيار خوار ... بظاهر چنين زرد روى ونزار

[چون حبيب آن قوم را نصيحت كرد ايشان كفتند] وأنت مخالف لديننا ومتابع لهؤلاء الرسل فقال:

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿وما لي﴾ وأي شيء عرض لي ﴿لا أعبد الذي فطرني﴾ خلقني وأظهرني من كتم العدل ورباني بأنواع اللطف والكرم وقد سبق الفطر في أول فاطر وهذا تلطف في «الإرشاد» بإيراده في معرض المناصحة لنفسه وإمحاض النصح حيث أراهم أنه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم إلى عبادة غيره كما ينبىء عنه قوله: ﴿وإليه ترجعون﴾ مبالغة في التهديد أي: إليه تعالى لا إلى غيره تردون أيها القوم بعد البعثة للمجازاة

أو للمحاسبة. قال في «فتح الرحمٰن»: أضاف الفطرة إلى نفسه والرجوع إليهم لأن الفطرة أثر النعمة وكانت عليه أظهر وفي الرجوع معنى الزجر وكان بهم أليق. قال بعض العارفين العبودية ممزوجة بالفطرة والمعرفة فوق الخلقة والفطرة وهذا المعنى مستفاد من قول النبي عليه السلام: «كل مولود يولد على الفطرة» ولو كانت المعرفة ممزوجة بالفطرة لما قال: «وأبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه» بل المعرفة تتعلق بكشف جماله وجلاله صرفاً بالبديهة بغير علة واكتساب لقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٥١]. قال بعضهم: العبد الخالص من عمل على رؤية الفطرة لا غير وأجل منه من يعمل على رؤية الفاطر ثم عاد على المساق الأول وهو إبراز الكلام في صورة النصيحة لنفسه فقال:

﴿ءأتخذ من دونه﴾ أي: دون الذي فطرني وهو الله تعالى ﴿آلهة﴾ باطلة وهي الأصنام وهو إنكار ونفي لاتخاذ الآلهة على الإطلاق أي: لا أتخذ ثم استأنف لتعليل النفي فقال: ﴿إن يردن الرحمٰن بضر﴾ يعني: [اكرخواهد رحمن ضررى بمن رسد] والضر اسم لكل سوء ومكروه يتضرر به ﴿لا تغن عني شفاعتهم﴾ أي: الآلهة ﴿شيئاً﴾ أي: لا تنفعني شيئاً من النفع إذ لا شفاعة لهم فتنفع فنصب شيئاً على المصدرية وقوله: لا تغن جواب الشرط والجملة الشرطية استئناف لا محل لها من الإعراب ﴿ولا ينقذون﴾ الإنقاذ التخليص أي: لا يخلصونني من ذينك الضر والمكروه بالنصرة والمظاهرة وهو عطف على لا تغن وعلامة الجزم حذف نون الإعراب لأن أصله لا ينقذونني وهو تعميم بعد تخصيص مبالغة بهما في عجزهم وانتفاء قدرتهم. قال الإمام السهيلي: ذكروا أن حبيباً كان به داء الجذام فدعا له الحواري فشفي فلذلك قال: إن يردن الرحمٰن الخ انتهى. وقال بعضهم: إن المريض كان ابنه كما سبق إلا أن يقال لا مانع من ابتلاء كليهما أو أن مرض ابنه في حكم مرض نفسه فلذا أضاف الضر إلى نفسه ويحتمل أن الضر ضر القوم لأنه روى شفاء كثير من مرضاهم على يدي الرسل فأضافه حبيب إلى نفسه على طريقة ما قبله من الاستمالة وتعريفاً للإحسان بهم بطريق اللطف.

﴿إني إذاً﴾ أي: إذا اتخذت من دونه آلهة ﴿لفي ضلال مبين﴾ فإن إشراك ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر بالخالق المقتدر الذي لا قادر غيره ولا خير إلا خيره ضلال بين لا يخفى على أحد ممن له تمييز في الجملة.

﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿إني آمنت بربكم﴾ الذي خلقكم ورباكم بأنواع النعم وإنما قال: آمنت بربكم وما قال آمنت بربي ليعلموا أن ربهم هو الذي يعبده فيعبدوا ربهم ولو قال إني آمنت بربي لعلهم يقولون أنت تعبد ربك ونحن نعبد ربنا وهو آلهتهم ﴿فاسمعون﴾ أجيبوني في وعظي ونصحي واقبلوا قولي كما يقال سمع الله لمن حمده أي: قبله فالخطاب للكفرة شافههم بذلك إظهاراً للتصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل. وإضافة الرب إلى ضميرهم لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الأصنام أرباباً كما في «الإرشاد»: وإنما أكده إظهاراً لصدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط. ولما فرغ من نصيحته لهم وثبوا عليه فوطؤوه بأرجلهم حتى خرجت إمعاؤه من دبره ثم ألقي في البئر وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه. وقال السدي رجموه يعني

[ايشان اورا سنك مى زدند تا هلاك شد وهو يقول رب اهد قومي آن دليل است بركمال وفرط شفقت وى بر خلق اين آنچنان است كه أبو بكر الصديق بني تيم را كفت آنكه كه اورا مى رنجانيدند واز دين حق بادين باطل ميخواندند كفت «اللهم اهد بني تيم فإنهم لا يعلمون يأمرونني بالرجوع من الحق إلى الباطل» كمال شفقت ومهربانىء ابو بكر رضي الله عنه برخلق خدا غرفه بود از بحر نبوت عربى عليه السلام بآن خبركه كفت «ما صب الله تعالى شيئاً في صدري إلا وصببته في صدر أبي بكر» وخلق مصطفى عليه السلام باخلق چنان بود كه كافران بقصدوى برخاسته بودند ودندان عزيزوى ميشكستند ونجاست برمهر نبوت مى انداختند وآن مهتر عالم دست شفقت بر سر ايشان نهاده كه] «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» وفي «المثنوي»:

طبـع را كـشـتـنـد در حـمـل بـدى   نـا حـمـولـى كـر بـود هـسـت ازدى
اى مـسـلـمـان خـود ادب انـدر طـلـب   نـيـسـت الا حـمـل ازهـر بـى ادب

وقال الحسن: خرقوا خرقاً في حلق حبيب فعلقوه من وراء سوء المدينة. وقيل نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه. وقيل: ألقي في البئر وهو الرس وقبره في سوق أنطاكية. قيل: طوّل معهم الكلام ليشغلهم بذلك عن قتل الرسل إلى أن قال: إني آمنت بربكم فاسمعون فوثبوا عليه فقتلوه وباشتغالهم بقتله تخلص الرسل كما في «حواشي ابن الشيخ» وكذا قال الكاشفي: [وبقولي آنست بسلامت بيرون رفتند وحبيب كشته شد وقولي آنست كه پيغمبران وملك ومؤمنان كشته شدند] كما قال أبو الليث في تفسيره وقتلوا الرسل الثلاثة.

چون سفـيـهـا نـراسـت ايـن كـار وكـيـا   لازم آمـد يـقـتـلـون الأنـبـيـا

﴿قيل ادخل الجنة﴾ قيل له أي: الحبيب النجار ذلك لما قتلوه إكراماً له بدخولها حينئذٍ كسائر الشهداء. وقيل معناه البشري بدخول الجنة وإنه من أهلها يدخلها بعد البعث لا أنه أمر بدخولها في الحال لأن الجزاء بعد البعث وإنما لم يقل قيل له لأن الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللمبالغة في المسارعة إلى بيانه والجملة استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية حاله ومقاله كأنه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه والتسخي بروحه لوجهه تعالى فقيل: قيل ادخل الجنة وكذا قوله تعالى: ﴿قال﴾ إلى آخره فإنه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله كأنه قيل فماذا قال عند نيله تلك الكرامة السنية فقيل: قال متمنياً علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والطاعة جرياً على سنن الأولياء في كظم الغيظ والترحم على الأعداء وليعلموا أنهم كانوا على خفاء عظيم في أمره وإنه كان على الحق وأن عداوتهم لم تكسبه إلا سعادة ﴿يا ليت قومي﴾ يا في مثل هذا المقام لمجرد التنبيه من غير قصد إلى تعيين المنبه [اى كاشكى قوم من] ﴿يعلمون بما غفر لي ربي﴾ ما موصولة أي: بالذي غفر لي ربي بسببه ذنوبي أو مصدرية أي: بمغفرة ربي والباء صلة يعلمون أو استفهامية وردت على الأصل وهو أن لا تحذف الألف بدخول الجار والباء متعلقة بغفر أي: بأي شيء غفر لي ربي يريد به تفخيم شأن المهاجرة عن ملتهم والمصابرة على اذيتهم لإعزاز الدين حتى قتل ﴿وجعلني من المكرمين﴾ أي: المنعمين في الجنة وإن كان على النصف إذ تمامه إنما يكون بعد تعلق الروح بالجسد يوم القيامة وفي الحديث المرفوع «نصح قومه حياً وميتاً» [اكرآن قوم اين كرامت ديدندى ايشان نيز ايمان آوردندى] وهكذا ينبغي للمؤمن

أن يكون ناصحاً للناس لا يلتفت إلى تعصبهم وتمردهم ويستوي حاله في الرضى والغضب. قال حمدون القصار: لا يسقط عن النفس رؤية الخلق بحال ولو سقط عنها في وقت لسقط في المشهد الأعلى في الحضرة ألا تراه في وقت دخول الجنة يقول: يا ليت قومي يعلمون يحدّث نفسه إذ ذاك. يقول الفقير وذلك لأن حجاب الإمكان الذي هو متعلق بجانب النفس والخلق والكثرة لا يزول أبداً وإن كان الانسلاخ التام ممكناً لا كامل البشر عند كمال الشهود فإن هذا الانسلاخ لا يخرجهم عن حد الحدوث والإمكان بالكلية والا يلزم أن ينقلب الحادث الممكن واجباً قديماً وهو محال. قال في «كشف الأسرار»: [نشان كرامت بنده آنست كه مردوار درآيد وجان ودل وروز كار فداى حق ودين اسلام كند چنانكه حبيب كرد تا از حضرت عزت اين خلعت كرامت بدور سيدكه ﴿ادخل الجنة﴾ دوستان او چون بآن عقبه خطرناك رسند بايشان خطاب آيد ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠] بازايشانرا بشارت دهندكه ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ﴾ [فصلت: ٣٠] احمد بن حنبل رحمة الله در نزع بود بدست اشارت مى كرد وبزبان دند نه مى كفت عبد الله پسرش كوش بردهان او نهاد تاچه شنود او درخويشتن مى كفت «لا بعد لا بعد» پسرش كفت اى پدر اين چه حالتست كفت اى عبد الله وقتى باخطراست بدعا مددى ده اينك ابليس بر ايستاده وخاك ادبار برسر مى ريزد وميكويدكه جان ببردى اززخم ما ومن ميكويم «لا بعد» هنوز نه بايك نفس مانده جاى خطراست نه جاى ايمن وكار موقوف بعنايت حق. أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كويد يكى را درخاك مى نهادم سه بار روى او بجانب قبله كردم هربار روى ازقبله بكردانيد پس ندايى شنيدكه اى على دست بدار آنكه ما ذليل كرديم تو عزيز نتوانى كرد وكذا العكس در خبر آيد كه بنده مؤمن چون از سراى فانى روى بدان منزل بقا نهد غسال اورا بدان تخته چوب خواباند تا بشويد از جناب قدم بنعت كرم خطاب آيدكه اى مقربان دركاه دركريد چنانكه آن غسال ظاهر او بآب ميشويد ما باطن او بآب رحمت ميشوييم ساكنان حضرت جبروت كويند پادشاها مارا خبركن تا آنچه نورست كه ازدهان وى شعله مى زند وكويد از نور جلال ماست كه از باطن وى پرظاهر تجلى ميكند حبيب نجار چون بآن مقام دولت رسيد اورا كفتند ﴿ادخل الجنة﴾ أي: در آى درين جاى ناز دوستان وميعادرا زمحبان ومنزل آسايش مشتاقان تاهم طوبى بينى هم زلفى هم حسنى. طوبى عيش بى عتابست. وزلفى ثواب بى حسابست. وحسنى ديدار بى حجابست حبيب چون آن نواخت وكرامت ديد كفت ﴿يا ليت قومي يعلمون﴾ الخ آرزو كردكه كاشكى قوم من دانستندى كه ماكجا رسيديم وچه ديديم تواخت حق ديديم وبمغفرت الله رسيديم]:

آنجايكه ابرار نشستند نشستيم صدكونه شراب از كف اقبال چشيديم
مارا همه مقصود بخشايش حق بود المنة لله كه بمقصود رسيديم

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿وما أنزلنا على قومه﴾ أي: قوم حبيب وهم أهل أنطاكية ﴿من بعده﴾ أي: من بعد قتله ﴿من جند﴾ [عسكر] ﴿من السماء﴾ لإهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق بل كفينا أمرهم بصيحة ملك ﴿وما كنا منزلين﴾ وما صح في حكمتنا أن ننزل لإهلاك قومه جنداً

من السماء لما أن قدرنا لكل شيء سبباً حيث أهلكنا بعض الأمم بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالإغراق وجعلنا إنزال الجند من السماء من خصائصك في الانتصار من قومك. وفي الآية استحقار لأهل أنطاكية ولإهلاكهم حيث اكتفى في استئصالهم بما يتوسل به إلى زجر نحو الطيور والوحوش من صيحة عبد واحد مأمور وإيماءً إلى تفخيم شأن الرسول عليه السلام لأنه إذا كان أدنى صيحة ملك واحد كافياً في إهلاك جماعة كثيرة ظهر أن إنزال الجنود من السماء يوم بدر والخندق لم يكن إلا تعظيماً لشأنه وإجلالاً لقدره لا لاحتياج الملائكة إلى المظاهرة والمعاونة فإنه قيل كما لم ينزل عليهم جنداً من السماء لم يرسل إليهم جنداً من الأرض أيضاً فما فائدة قوله من السماء فالجواب أنه ليس للاحتراز بل لبيان أن النازل عليهم من السماء لم يكن إلا صيحة واحدة أهلكتهم بأسرهم.

﴿إن كانت﴾ أي: ما كانت الأخذة أو العقوبة على أهل أنطاكية **﴿إلا صيحة واحدة﴾** [مكر يك فرياد كه جبرائيل هردوبازى درشهر ايشان كرفته صيحه زد] **﴿فإذا هم﴾** [پس آنجا ايشان] **﴿خامدون﴾** ميتون لا يسمع لهم حس ولا يشاهد لهم حركة شبهوا بالنار الخامدة رمزاً إلى أن الحي كالنار الساطعة في الحركة والالتهاب والميت كالرماد يقال خمدت النار سكن لهبها ولم ينطفىء جمرها وهمدت إذا طفىء جمرها. قال في «الكواشي»: لم يقل هامدون وإن كان أبلغ لبقاء أجسادهم بعد هلاكهم ووقعت الصيحة في اليوم الثالث من قتل حبيب والرسل أو في اليوم الذي قتلوهم فيه. وفي رواية في الساعة التي عادوا فيها بعد قتلهم إلى منازلهم فرحين مستبشرين وإنما عجل الله عقوبتهم غضباً لأوليائه الشهداء فإنه تعالى يغضب لهم كما يغضب الأسد لجروه نسأل الله أن يحفظنا من موجبات غضبه وسخطه وعذابه.

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿يا حسرة على العباد﴾ المصرين على العناد تعالى فهذه من الأحوال التي حقها أن تحضري فيها وهي ما دل عليه قوله تعالى: **﴿ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾** فإن المستهزئين بالناصحين الذين نيطت بنصائحهم سعادة الدارين أحقاء بأن يتحسروا ويتحسر عليهم المتحسرون وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنين من الثقلين فقوله: **﴿يا حسرة﴾** نداء للحسرة عليهم والحسرة وهي أشد الغم والندامة على الشيء الفائت لا تدعي ولا يطلب إقبالها لأنها مما لا تجيب والفائدة في ندائها مجرد تنبيه المخاطب وإيقاظه ليتمكن في ذهنه أن هذه الحالة تقتضي الحسرة وتوجب التلهف فإن العرب تقول يا حسرة يا عجباً للمبالغة في الدلالة على أن هذا زمان الحسرة والتعجب والنداء عندهم يكون لمجرد التنبيه. وقد جوز أن يكون تحسراً عليهم من جهة الله بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه على أنفسهم شبه استعظام الله لجناياتهم على أنفسهم بتحسر الإنسان على غيره لأجل ما فاته من الدولة العظمى من حيث إن ذلك التحسر يستلزم استعظام ما أصاب ذلك الغير والإنكار على ارتكابه والوقوع فيه ويؤيده قراءة يا حسرتا لأن المعنى يا حسرتي ونصبها لطولها بما تعلق بها من الجار أي: لكونها مشابهة بالمنادى المضاف في طولها بالجار المتعلق. وفي «بحر العلوم» قوله: **﴿ما يأتيهم﴾** الخ حكاية حال ماضية مستمرة أي: كانوا في الدنيا على الاستمرار يستهزئون بمن يأتيهم من الرسول من غاية الكبر ويستحقرون ويستنكفون عن قبول دينه ودعوته وفيه تسلية لرسول الله ﷺ

عن استهزاء قومه. وفي «تفسير العيون» قوله: ﴿يا حسرة على العباد﴾ بيان حال استهزائهم بالرسل أي: يقال يوم القيامة يا حسرة وندامة على الكفار حيث لم يؤمنوا برسلهم وقوله: ﴿ما يأتيهم﴾ الخ تفسير لسبب الحسرة النازلة بهم وفي الحديث «إن المستهزئين بالناس في الدنيا يفتح لهم يوم القيامة باب من أبواب الجنة فيقال لهم هلم هلم فيأتيه أحدهم بكربه وغمه فإذا أتاه أغلق دونه فلا يزال يفعل به ذلك حتى يفتح له الباب فيدعى إليه فلا يجيب من الإياس». وقال مالك بن دينار قرأت في زبور داود طوبى لمن لم يسلك سبيل الآثمين ولم يجالس الخاطئين ولم يدخل في هزؤ المستهزئين، وفي «المثنوي»:

پاره دوزی ميكنى اندر دكان — زير اين دكان تو مدفون دو كان
هست اين دكان كر آيى زودباش — تيشه بستان وتكش را مى تراش
تاكه تيشه ناكهان بر كان نهى — ازد كان وپاره دوزى وارهى
پاره دوزى چيست خورد آب ونان — مى زنى اين پاره بر دلق كران
هر زمان مى درد اين دلق تنت — پاره بروى مى زنى زين خوردنت
پاره بركن ازين قعر دكان — تابر آرد سر به پيش تو دو كان
پيش ازان كين مهلت خانه كرى — آخر آيد تو نبردى زو برى
پس ترا بيرون كند صاحب دكان — وين دكانرا بركنند از روى كان
تو ز حسرت كاه بر سر مى زنى — كاه ريش خام خود بر ميكنى
كاى دريغا آن من بود اين دكان — كور بودم برنخوردم زين مكان
اى دريغا بود ما را برد باد — تا ابد يا حسرة شد للعباد

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿ألم يروا﴾ وعيد للمشركين في مكة بمثل عذاب الأمم الماضية ليعتبروا ويرجعوا عن الشرك أي: ألم يعلم أهل مكة ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ كم خبرية. والقرن القوم المقترنون في زمن واحد أي: كثرة إهلاكنا من قبلهم من المذكورين آنفاً ومن غيرهم بشؤم تكذيبهم وقوله ألم يروا معلق عن العمل فيما بعده لأن كم لا يعمل فيها ما قبلها وإن كانت خبرية لأن أصلها الاستفهام خلا أن معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك ألم تر أن زيداً لمنطلق وإن لم يعمل في لفظه فالجملة منصوبة المحل بيروا ﴿أنهم إليهم لا يرجعون﴾ بدل من أهلكنا على المعنى أي: ألم يعلموا كثرة إهلاكنا القرون الماضية والأمم السالفة كونهم أي: الهالكين غير راجعين إليهم أي: إلى هؤلاء المشركين أي: أهلكوا إهلاكاً لا رجوع لهم من بعده في الدنيا وبالفارسية: [ومشاهده نكردند كه هلاك شدكان سوى ايشان بازنمى كردند يعنى بدنيا معاودت نمى كنند] أفلا يعتبرون ولم لا ينتبهون فكما أنهم مضوا وانقرضوا إلى حيث لم يعودوا إلى ما كانوا فكذلك هؤلاء سيهلكون وينقرضون أثرهم ثم لا يعودون. وقال بعضهم: ألم يروا أن خروجهم من الدنيا ليس كخروج أحدهم من منزله إلى السوق أو إلى بلد آخر ثم عودته إلى منزله عند إتمام مصلحته هناك بل هو مفارق من الدنيا أبداً فكونهم غير راجعين إليهم عبارة عن هلاكهم بالكلية ويجوز أن يكون المعنى أن الباقين لا يرجعون إلى المهلكين بسبب

الولادة وقطعنا نسلهم وأهلكناهم كما في «التفسير الكبير» [سلمان فارسي رضي الله عنه هركاه كه بخرابى بر كذشتى توقف كردى دل بدادند ومال ورفتكان آن منزل ياد كردى كفتى كجايند ايشان كه اين بنا نهادند واين مسكن ساختند وبزارى بناليدى وجان بردر باختند تا آن غرفها بياراستند چون دلبران نهادند وچون كل بشكفتند برك بريختند ودر كل خفتند]:

سل الطارم العالي الذرى عن قطينه نجا ما نجا من بؤس عيش ولينه
فلما استوى في الملك واستعبد العدى رسول المنايا تله لجبينه

وهذه الآية ترد قول أهل الرجعة أي: من يزعم أن من الخلق من يرجع قبل القيامة بعد الموت كما حكي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قيل له إن قوماً يزعمون أن علياً رضي الله عنه مبعوث قبل يوم القيامة فقال: بئس القوم نحن إذا نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه أي: لو كان راجعاً لكان حياً والحي لا تنكح نساؤه ولا يقسم ميراثه كما قال الفقهاء إذا بلغ إلى المرأة وفاة زوجها فاعتدت وتزوجت وولدت ثم جاء زوجها الأول فهي امرأته لأنها كانت منكوحته ولم يعترض شيء من أسباب الفرقة فبقيت على النكاح السابق ولكن لا يقربها حتى تنقضي عدتها من النكاح الثاني. ويجب إكفار الروافض في قولهم بأن علياً وأصحابه يرجعون إلى الدنيا فينتقمون من أعدائهم ويملأون الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وذلك القول مخالف للنص نعم إن روحانية علي رضي الله عنه من وزراء المهدي في آخر الزمان على ما عليه أهل الحقائق ولا يلزم من ذلك محذور قطعاً لأن الأرواح تعين الأرواح والأجسام في كل وقت وحال فاعرف هذا ﴿**وإن كل لما جميع لدينا محضرون**﴾ إن نافية وتنوين كل عوض عن المضاف إليه. ولما بمعنى إلا. وجميع فعيل بمعنى مفعول جمع بين كل وجميع لأن الكل يفيد الإحاطة دون الاجتماع والجميع يفيد أن المحشر يجمعهم. ولدينا بمعنى عندنا ظرف لجميع أو لما بعده. والمعنى ما كل الخلائق إلا مجموعين عندنا محضرون للحساب والجزاء. وهذه الآية بيان لرجوع الكل إلى المحشر بعد بيان عدم الرجوع إلى الدنيا وإن من مات ترك على حاله ولو لم يكن بعد الموت بعث وجمع وحبس وعقاب وحساب لكان الموت راحة للميت ولكنه يبعث ويسأل فيكرم المؤمن والمخلص والصالح والعادل ويهان الكافر والمنافق والمرائي والفاسق والظالم فيفرح من يفرح ويتحسر من يتحسر فللعباد موضع التحسر إن لم يتحسروا اليوم.

واعلم أنه غلبت على أهل زماننا مخالفة أهل الحق ومعاداة أولياء الله واستهزاؤهم ألا ترون أنهم يستمعون القول من المحققين فيتبعون أقبحه ويقعون في أولياء الله ويستهزئون بهم وبكلماتهم المستحسنة إلا من يشاء الله به خيراً من أهل النظر وأرباب الإرادة وقليل ما هم فكما أن الله تعالى هدد كفار الشريعة في هذا المقام من طريق العبارة كذلك هدد كفار الحقيقة من طريق الإشارة فإنه لم يفت منهم أحد ولم ينفلت من قبضة القدرة إلى يومنا هذا ولم يكن لواحد منهم عون ولا مدد وكلهم رجعوا إليه وأحضروا لديه وعوتبوا بل عوقبوا على ما هم عليه. ثم اعلم أن الله تعالى جعل هذه الأمة آخر الأمم فضلاً منه وكرماً ليعتبروا بالماضين وما جعلهم عبرة لأمة أخرى وأنه تعالى قد شكا لهم من كل أمة وما شكا إلى أحد من غيرهم شكايتهم إلا ما شكا إلى نبيهم المصطفى ﷺ ليلة المعراج كما قال عليه السلام: «شكا ربي من أمتي شكايات: الأولى: أني لم أكلفهم عمل الغد وهم يطلبون مني رزق الغد. والثانية: أني لا أدفع أرزاقهم إلى غيرهم وهم يدفعون عملهم إلى غيري. والثالثة: أنهم يأكلون رزقي

ويشكرون غيري ويخونون معي ويصالحون خلقي. والرابعة: أن العزة لي وأنا المعز وهم يطلبون العز من سواي. والخامسة أني خلقت النار لكل كافر وهم يجتهدون أن يوقعوا أنفسهم فيها».

فغان از بديها كه در نفس ماست نه فعل نكوهست نه كفتار راست
دوخواهنده بودن بمحشر فريق ندانم كدامين دهندم طريق
خدايا دو چشمم زباطل بدوز بنورم كه فردا بنارت مسوز

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿وآية﴾ علامة عظيمة ودلالة واضحة على البعث والجمع والإحضار وهو خبر مقدم للاهتمام به وقوله ﴿لهم﴾ أي: لأهل مكة إما متعلق بآية لأنها بمعنى العلامة أو بمضمر هو صفة لها والمبتدأ قوله ﴿الأرض الميتة﴾ اليابسة الجامدة وبالفارسية: [خشك وبى كياه] ﴿أحييناها﴾ استئناف مبين لكيفية كون الأرض الميتة آية كأن قائلاً قال كيف تكون آية فقال: أحييناها والإحياء في الحقيقة إعطاء الحياة وهي صفة تقتضي الحس والحركة والمعنى هٰهنا هيجنا القوى النامية فيها وأحدثنا نضارتها بأنواع النباتات في وقت الربيع بإنزال الماء من بحر الحياة وكذلك النشور فإنا نحيي الأبدان البالية المتلاشية في الأجداث بإنزال رشحات من بحر الجود فنعيدهم أحياء كما أبدعناهم أولاً من العدم ﴿وأخرجنا منها﴾ أي: من الأرض ﴿حباً﴾ الحب الذي يطحن والبزر الذي يعصر منه الدهن وهو جمع حبة والمراد جنس الحبوب التي تصلح قواماً للناس من الأرز والذرة والحنطة وغيرها ﴿فمنه﴾ أي: فمن الحب ﴿يأكلون﴾ تقديم الصلة ليس لحصر جنس المأكول في الحب حتى يلزم أن لا يؤكل غيره بل هو لحصر معظم المأكول فيه فإن الحب معظم ما يؤكل ويعاش به ومنه صلاح الإنس حتى إذا قلّ قلّ الصلاح وكثر الضر والصياح وإذا فقد فقد النجاح باختلال الأشباح والأرواح ولأمر مّا قال عليه السلام: «أكرموا الخبز فإن الله أكرمه فمن أكرم الخبز أكرمه الله» وقال عليه السلام: «أكرموا الخبز فإن الله سخر له بركات السموات والأرض والحديد والبقر وابن آدم ولا تسندوا القصعة بالخبز فإنه ما أهانه قوم إلا ابتلاهم الله بالجوع» وقال عليه السلام: «اللهم متعنا بالإسلام وبالخبز فلولا الخبز ما صمنا ولا صلينا ولا حججنا ولا غزونا وارزقنا الخبز والحنطة» كما في «بحر العلوم». قال في «شرعة الإسلام»: ويكرم الخبز بأقصى ما يمكن فإنه يعمل في كل لقمة يأكلها الإنسان من الخبز ثلاثمائة وستون صانعاً أولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من خزانة الرحمة ثم الملائكة التي تزجر السحاب والشمس والقمر والأفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض وآخرهم الخباز، قال الشيخ سعدي قدس سره:

ابروباد ومه وخورشيد وفلك دركارند تاتونانى بكف آرى وبغفلت نخورى
همه ازبهر توسر كشته وفرمان بردار شرط انصاف نباشد كه توفرمان نبرى

ومن إكرام الخبز أن يلتقط الكسرة من الأرض وإن قلت فيأكلها تعظيماً لنعمة الله تعالى وفي الحديث: «من أكل ما يسقط من المائدة عاش في وسعة وعوفي في ولده وولد ولده من

الحمق» ويقال إن التقاط الفتات مهور الحور العين ولا يضع القصعة على الخبز ولا غيرها إلا ما يؤكل به من الأدام. ويكره مسح الأصابع والسكين بالخبز إلا إذا أكله بعده. وكذا يكره وضع الخبز جنب القصعة لتستوي. وكذا يكره أكل وجه الخبز أو جوفه ورمي باقيه لما في كل ذلك من الاستخفاف بالخبز والاستخفاف بالخبز يورث الغلاء والقحط كذا في «شرح النقاية والعوارف».

ـ وذكر ـ أن الأرز خلق من عرق النبي عليه السلام. زعم بعضهم أن أهل الهند لما منعوا من إخراجه إلى الروم أطعموه البط ثم ذبحوه فأخرجوه خيفة منهم بهذه الحيلة. قال بعض الكبار: من لم يأكل الأرز بهذا الزعم فليأكل السم.

﴿وجعلنا فيها﴾ وخلقنا في الأرض **﴿جنات﴾** بساتين مملوءة **﴿من نخيل﴾** جمع نخلة **﴿وأعناب﴾** جمع عنب أي: من أنواع النخل والعنب ولذلك جمعاً دون الحب فإن الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الأنواع. فإن قلت: لم ذكر النخيل دون التمور حتى يطابق الحب والأعناب في كونها مأكولة لأن التمور والحب والأعناب كلها مأكولة دون النخيل. قلت لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وذلك لأنها أول شجرة استقرت على وجه الأرض وهي عمتنا لأنها خلقت من فضل طينة آدم عليه السلام وهي تشبه الإنسان من حيث استقامة قدّها وطولها وامتياز ذكرها من بين النبات واختصاصها باللقاح ورائحة طلعها كرائحة المني ولطلعها غلاف كالمشيمة التي يكون الولد فيها ولو قطع رأسها ماتت كما قالوا أقرب الجماد إلى النبات المرجان لأنه ينبت في البحر كالنبات ويكون له أغصان وأقرب النبات إلى الحيوان النخل لأنها تموت بقطع رأسها ولا تثمر بدون اللقاح كما ذكر وأقرب الحيوان إلى الإنسان الفرس يعني: [ازحيثيت شعور وزيركى] ويرى المنامات كبني آدم ولو أصاب جمار النخلة آفة هلكت والجمار من النخلة كالمخ من الإنسان وإذا تقارب ذكورها وإناثها حملت حملاً كثيراً لأنها تستأنس بالمجاورة وإذا كانت ذكورها بين إناثها ألقحتها بالريح وربما قطع ألفها من الذكور فلا تحمل لفراقه ويعرض لها العشق وهو أن تميل إلى نخلة أخرى ويخف حملها وتهزل وعلاجه أن يشد بينها وبين معشوقها الذي مالت إليه بحبل أو يعلق عليها سعفة منه أو يجعل فيها من طلعه. ومن خواص النخلة أن مضغ خوصها يقطع رائحة الثوم وكذا رائحة الخمر. وأما العنب فقد جاء في بعض الكتب المنزلة أتكفرون بي وأنا خالق العنب وله خواص كثيرة وكذا الزبيب روي أنه أهدي إلى رسول الله ﷺ الزبيب فقال: «بسم الله كلوا نعم الطعام الزبيب يشد العصب ويذهب الوصب ويطفىء الغضب ويرضي الرب ويطيب النكهة ويذهب البلغم ويصفي اللون» وماء الكرم الذي يتقاطر من قضبانها بعد كسحها ينفع للجرب شرباً ويجمع ويسقى للمشغوف بالخمر بعد شرب الخمر من غير علمه فيبغض الخمر قطعاً. وأول من استخرج الخمر جمشيد الملك فإنه توجه مرة إلى الصيد فرأى في بعض الجبال كرمة وعليها عنب فظنها من السموم فأمر بحملها حتى يجرّ بها ويطعم العنب لمن يستحق القتل فحملوه فتكسرت حباته فعصروها وجعلوا ماءها في ظرف فما عاد الملك إلى قصره إلا وقد تخمر العصير فأحضر رجلاً وجب عليه القتل فسقاه من ذلك فشربه بكره ومشقة ونام نومة ثقيلة ثم انتبه وقال: اسقوني منه فسقوه أيضاً مراراً فلم يحدث فيه إلا السرور والطرب فسقوا غيره وغيره فذكروا أنهم انبسطوا بعدما شربوه ووجدوا سروراً وطرباً فشرب الملك فأعجبه ثم أمر

بغرسه في سائر البلاد وكانت الخمر حلالاً في الأمم السالفة فحرمها الله تعالى علينا لأنها مفتاح لكل شر وجالبة لكل سوء وضرّ ومميتة للقلب ومسخطة للرب في الحديث «خير خلكم خل خمركم» وذلك لأن انقلاب الخمر إلى الخل مرضاة للرب. وفيه خواص كثيرة وأكثر الناس السعال والتنحنح في مجلس معاوية فأمر بشرب خل الخمر. والخل ورد فيه «نعم الأدام» وقد تعيش به كثير من السلف الكرام نسأل الله القناعة على الدوام ﴿وفجرنا﴾ الفجر شق الشيء شقاً واسعاً كما في «المفردات». قال بعضهم: التفجير كالتفتيح لفظاً ومعنى وبناء التفعيل للتكثير والمعنى بالفارسية: [دركشاديم وروانه كرديم] ﴿فيها﴾ أي: في الأرض ﴿من العيون﴾ جمع عين وهي في الأصل الجارحة ويقال لمنبع الماء عين تشبيهاً بها في الهيئة وفي سيلان الماء منها ومن عين الماء اشتق ماء معين أي: ظاهر للعيون ومعنى من العيون من ماء العيون فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أو العيون ومن مزيدة على رأي الأخفش.

واعلم أن تفجير الأنهار والعيون في البلاد رحمة من الله تعالى على العباد إذ حياة كل شيء من الماء وللبساتين منه النضارة والنماء. والعيون إما جارية وإما غير جارية والجارية غير الأنهار إذ هي أكثر وأوسع من العيون ومنبعها غير معلوم غالباً كالنيل المبارك حيث لم يوجد رأسه وغير الجارية هي الآبار. وفي الدنيا عيون وآبار كثيرة وفي بعضها خواص زائدة كعين شبرم وهي بين أصفهان وشيراز وهي من عجائب الدنيا وذلك أن الجراد إذا وقعت بأرض يحمل إليها من ذلك العين ماء في ظرف أو غيره فيتبع ذلك الماء طيور سود تسمى السمرمر ويقال له السوادية بحيث إن حامل الماء لا يضعه إلى الأرض ولا يلتفت وراءه فتبقى تلك الطيور على رأس حامل الماء في الجو كالسحابة السوداء إلى أن يصل إلى الأرض التي بها الجراد فتصيح الطير عليها فتقتلها فلا يرى شيء من الجراد متحركاً بل يموت من أصوات تلك الطيور.

يقول الفقير: في حد الروم أيضاً عين يقال لها ماء الجراد وهي مشهورة في جميع البلاد الرومية ينقل ماؤها من بلدة إلى بلدة القتل الجراد إذا استولت وقد حصلت تلك الخاصية لها بنفس من أنفاس بعض الأولياء وإن كان التأثير في كل شيء من الله تعالى ولهذا نظائر منها أن في قبر إبراهيم بن أدهم قدس سره ثقبة إذا قصد ظالم بسوء البلدة التي فيها ذلك القبر المنيف يخرج من تلك الثقبة نحل وزنابير تلسعه ومن يتبعه فيتفرقون، وفي «المثنوي»:

اوليـاراهسـت قـوت ازآلـه تـيـر جـسـتـه بـاز كـردانـد زراه

نسأل الله العصمة والتوفيق والشرب من عين التحقيق.

﴿ليأكلوا من ثمره﴾ متعلق بجعلنا وتأخيره عن تفجير العيون لأنه من مبادي الأثمار أي: وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب ورتبنا مبادىء أثمارها ليأكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل ويواظبوا على الشكر أداء لحقوقنا ففيه إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة ﴿وما عملته أيديهم﴾ عطف على ثمره وأيديهم كناية عن القوة لأن أقوى جوارح الإنسان في العمل يده فصار ذكر اليد غالباً في الكناية ومثله ذلك بما قدمت أيديكم وفي كلام العجم [بدست خويش كردم بخويشتن] وأنت لا تنوي اليد بعينها كما في «كشف الأسرار» والمعنى وليأكلوا من الذي عملته أيديهم وهو ما يتخذ منه من العصير والدبس ونحوهما. وقيل ما نافية والمعنى أن الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ومحل الجملة النصب على الحالية ويؤكد الأول قراءة عملت بلا هاء

فإن حذف العائد من الصلة أحسن من الحذف من غيرها ﴿أفلا يشكرون﴾ إنكار واستقباح لعدم شكرهم النعم المعدودة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي: يرون هذه النعم أو يتنعمون بها فلا يشكرونها بالتوحيد والتقديس والتحميد [صاحب بحر الحقائق فرموده كه معنى آيت بزبان اهل اشارت آنست كه زمين دلرازنده كرديم بباران عنايت وبيرون آورديم ازان حب طاعت تا ارواح ازان غذامى يابند وساختيم بوستانها ازنخيل اذكار واعناب أشواق وعيون حكمت دروى روان كرديم تا ازاثمار مكاشفات ومشاهدات تمتع مى كيرند از نتايج اعمال كه كرده اند از صدقات وخيرات آياسپاس دارى نميكنند يعنى سپاس نمى بايد داشت برين نعم ظاهره وباطنه تا موجب مزيد آن شودكه] ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]:

كر شكر كنى زياده كردد نعمت ... وزدل ببرد دغدغه بيش وكمت
پس زود بسر منزل مقصود رسى ... از منهج شكر آكه نلغزد قدمت

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧)﴾.

﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها﴾ سبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقاداً وقولاً أي: اعتقاد البعد عنه والحكم به فإن العلم كما يكون علماً للأشخاص كزيد وعمرو وللأجناس كأسامة يكون للمعاني أيضاً لكن علم الأعيان لا يضاف وهذا لا يجوز بغير إضافة كما في الآية أقيم مقام المصدر وبين مفعوله بإضافته إليه والمراد بالأزواج الأصناف والأنواع جمع زوج بالفارسية: [جفت] خلاف الفرد ويقال للأنواع أزواج لأن كل نوع زوج بقسميه. وفي سبحان استعظام ما ذكر في حيز الصلة من بدائع آثار قدرته وروائع نعمائه الموجبة للشكر وتخصيص العبادة به والتعجب من إخلال الكفرة بذلك والحالة هذه فإن التنزيه لا ينافي التعجب. والمعنى أسبح الذي أوجد الأصناف والأنواع سبحانه أي: أنزهه عما لا يليق به عقداً وعملاً تنزيهاً خاصاً به حقيقاً بشأنه فهو حكم منه تعالى بتنزهه وبراءته عن كل ما لا يليق به كما فعله الكفار من الشرك وما تركوه من الشكر وتلقين للمؤمنين أن يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه.

وقال بعضهم سبحان مصدر كغفران أريد به التنزه التام والتباعد الكلي عن السوء على أن تكون الجملة أخبار من الله بالتنزه والمعنى تنزه تعالى بذاته عن كل ما لا يليق به تنزهاً خاصاً ومن هو خالق الأصناف والأنواع كيف يجوز أن يشرك به ما لا يخلق شيئاً بل هو مخلوق عاجز.

قال ابن الشيخ: والتنزيه يتناول التنزيه بالقلب وهو الاعتقاد الجازم وباللسان مع ذلك الاعتقاد وهو الذكر الحسن وبالأركان معهما جميعاً وهو العمل الصالح والأول هو الأصل والثاني ثمرة الأول والثالث ثمرة الثاني وذلك لأن الإنسان إذا اعتقد شيئاً ظهر من قلبه على لسانه وإذا قال ظهر صدقه في مقاله من أفعال جوارحه فاللسان ترجمان الجنان والأركان ترجمان اللسان ﴿مما تنبت الأرض﴾ بيان للأزواج والمراد كل ما ينبت فيها من الأشياء المذكورة وغيرها ﴿ومن أنفسهم﴾ أي: خلق الأزواج من أنفسهم أي: الذكر والأنثى ﴿ومما لا يعلمون﴾ أي: والأزواج مما لا يطلعهم على خصوصياته لعدم قدرتهم على الإحاطة بها ولما

أنه لم يتعلق بها شيء من مصالحهم الدينية والدنيوية. قال القرطبي: أي من أصناف خلقه في البر والبحر والسماء والأرض ثم يجوز أن يكون ما يخلقه لا يعلمه البشر ويعلمه الملائكة ويجوز أن لا يعلمه مخلوق. يقال: دواب البحر والبر ألف صنف لا يعلم الناس أكثرها.

قال في «بحر العلوم»: ويجوز أن يكون المعنى مما لا يدركون كنهه مما خلق من الأشياء من الثواب والعقاب كما قال عليه السلام: «أربع لا تدرك غايتها شرور النفس وخداع إبليس وثواب أهل الجنة وعقاب أهل النار» ومنه الروح فإنه ما بلغنا أن الله تعالى اطلع أحداً على حقيقة الروح. وفي الآية إشارة إلى أنه ما من مخلوق إلا وقد خلق شفعاً إذ الفردية من أخص أوصاف الربوبية كما قال عبد العزيز المكي رحمه الله خلق الأزواج كلها ثم قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ليستدل بذلك أن خالق الأشياء منزه عن الزوج وإلى أن في كل شيء دليلاً على وجوده تعالى ووحدته وكمال قدرته. قال في «كشف الأسرار»: [هريكى برهستى الله كواه وبريكانكىء وى نشان نه كواهى دهنده را خردنه نشان دهنده را زبان]:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

قال في «أنيس الوحدة وجليس الخلوة» [وقتى پادشاهى بوداورا بكفر وزندقه ميلى بود وزيرى داشت عاقل ومسلمان خواست كه پادشاهرا ازان باز آورد وعادت وزير آنچنان بودكه هرسال پادشاهرا يكبار ضيافت كردى چون وقت ضيافت در رسيد پادشاهرا دعوت كرد بزمين شورستان كفت آنجاى چه چاى ميزبانيست وزير كفت آنجا بوستانهاى خوش وانهار دلكش روان وعمارتهاى كران ظاهر شده است بى آنكه كسى مباشرت واقدام نموده پادشاه چون اين سخن دور از عقل شنيد بخنديد وكفت در عقل چه كونه كنجد كه بنابى بنا كننده ظاهر شود وزير كفت ظاهر شدن عالم علوى وسفليست باچندين عجائب وغرائب بى آفريدكارى چه كونه معقول بود پادشاهرا اين سخن عظيم خوش آمد واورا سعادت وهدايت روى نمود]:

چشمها وكوشهارا بسته اند جز مراآنهاكه از خود رسته اند
جز عنايت كى كشايد چشم را جز محبت كى نشاند خشم را
چون كريزم زانكه بى توزنده نيست بى خداونديت بود بنده نيست
توبه بى توفيقت اى نور بلند چيست جز بدريش توبه ريش خند

نسأل الله الوقوف على أسراره والاستنارة بأنوار آثاره إنه الظاهر في المجالي بحسن أسمائه وصفاته والباطن بحقائق كمالاته في غيب ذاته.

﴿**وآية لهم**﴾ أي: علامة عظيمة لأهل مكة على كمال قدرتنا وهو مبتدأ خبره قوله ﴿**الليل**﴾ المظلم كأنه قيل كيف كان آية فقيل ﴿**نسلخ منه النهار**﴾ المضيء أي: نزيل النهار ونكشفه على مكان الليل ونلقي ظله بحيث لا يبقى معه شيء من ضوئه الذي هو شعاع الشمس في الهواء مستعار من السلخ وهي إزالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال وإن غلب في الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الاهاب بمعنى أخرجتها عنه ﴿**فإذا هم مظلمون**﴾ داخلون في الظلام مفاجأة فإن إذا للمفاجأة أي: ليس لهم بعد ذلك أمر سوى الدخول فيه. وفيه رمز إلى أن الأصل هو الظلمة والنور عارض متداخل في الهواء فإذا خرج منه أظلم فعلى هذا المعنى كان الواقع عقيب إذهاب الضوء عن مواضع ظلمة الليل هو ظهور الظلمة كما كان الواقع عقيب سلخ الإهاب هو ظهور المسلوخ وأما على معنى الإخراج فالواقع بعده وإن كان

هو الإبصار دون الإظلام والمقام مقام أن يقال فإذا هم مبصرون لكن لما كان الليل زمان ترح وألم وعدم إبصار والنهار وقت فرح وسرور وإبصار جعل الليل كأنه يفاجئهم عقيب إخراج النهار من الليل بلا مهلة إذ زمان السرور ليس فيه مهلة حكماً وإن كان ممتداً بخلاف زمان الغم فإنه كان فيه المهلة وإن كان قصيراً كما قيل سنة الوصل سنة وسنة الهجر ألف سنة، وقيل:

ويـــوم لا أراك كـــألـــف شـــهـــر وشـــهـــر لا أراك كـــألـــف عـــام

قال الحافظ:

آندم كه باتو باشم يكساله هست روزى واندم كه بى توباشم يكلحظه هست سالى

مـحـن الـزمـان كـثـيـرة لا تـنـقـضـي وســـروره يـــأتـــيـــك كـــالأعـــيـــاد

وفي الخبر عن سلمان رضي الله عنه قال: الليل موكل به ملك يقال له شراهيل فإذا حان وقته أخذ خرزة سوداء فدلاها من قبل المغرب فإذا نظرت إليها الشمس وجبت» أي: سقطت في أسرع من طرفة العين وقد أمرت أن لا تغرب حتى ترى الخرزة فإذا غربت جاء الليل وقد نشرت الظلمة من تحت جناحي الملك فلا تزال الخرزة معلقة حتى يجيء ملك آخر يقال له هراهيل بخرزة بيضاء فيعلقها من قبل المطلع فإذا رأتها الشمس طلعت في طرفة عين وقد أمرت أن لا تطلع حتى ترى الخرزة البيضاء فإذا طلعت جاء النهار وقد نشر النور من تحت جناحي الملك فلنور النهار ملك موكل ولظلمة الليل ملك موكل عند الطلوع والغروب كما وردت الأخبار ذكره السيوطي في كتاب «الهيئة السنية». قال في «كشف الأسرار»: [بزركى رامپر سيدندكه شب فاضلتر يا روز جواب دادكه شب فاضلتركه درهمه شب آسايش وراحت بود والراحة من الجنة ودر روز همه رنج ودشوارى بود اندر طلب معاش والمشقة من النار]. يقول الفقير: فكون النهار زمان سرور بالنسبة إلى العامة أيضاً إذا كانت ليلة الإفطار فإن للصائم فرحة عند ذلك كما ورد في الحديث [وبزركى كفت شب حظ مخلصانست كه عبادت باخلاص كنند ريا دران نه وروز حظ مرائيانست كه عبادت بريا كنند اخلاص دران نه وحى آمد ببعض انبياكه] كذب من ادعى محبتي إذا جنه الليل نام عني أليس كل محب يحب خلوة حبيبه ها أنا مطلع عليكم أسمع وأرى.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**وآية لهم الليل**﴾ البشرية ﴿**نسلخ منه النهار**﴾ الروحانية ﴿**فإذا هم مظلمون**﴾ بظلمة الخلقية فإن الله خلق الخلق بظلمة ثم رش عليهم من نوره.

﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿**والشمس**﴾ معطوف على الليل أي: وآية لهم الشمس المضيئة المشرقة على صحائف الكائنات كإشراق نور الوجود مطلق الفائض على هياكل الموجودات حسب التجليات الإلهية كأنه قيل كيف كانت آية فقيل: ﴿**تجري**﴾ أو حال كونها جارية وسائرة ﴿**لمستقر لها**﴾ فيه وجوه: الأول أن اللام في المستقر للتعليل والمستقر اسم مكان أي: تجري لبلوغ مستقر واحد معين ينتهي إليه دورها في آخر السنة فشبه بمستقر المسافر إذا قطع سيره. والثاني: أن اللام بمعنى إلى والمستقر كبد السماء أي: وسطها والمعنى تجري إلى أن تبلغ إلى وسط السماء

وتستقر فيه شبه بطؤ حركتها فيه بالوقفة والاستقرار وإلا فلا استقرار لها حقيقة كما قال في «المفردات»: الزوال يقال في شيء قد كان ثابتاً ومعلوم أن لا ثبات للشمس فكيف يقال زوال الشمس فالجواب قالوه لاعتقادهم في الظهيرة أن لها ثباتاً في كبد السماء وكما قال في «شرح التقويم»: فإن قلت: لم سميت السيارة بها وليست السموات بساكنة؟ قلت: لسرعة حركتها بالنسبة إلى حركة الكواكب الباقية فإن حركتها في غاية البطؤ ولذلك تسمى ثوابت. والثالث أن اللام لام العاقبة والمستقر مصدر ميمي أي: تجري بحيث يترتب على جريها استقرارها في كل برج من البروج الاثني عشر على نهج مخصوص بأن تستقر في كل برج شهراً ويأخذ الليل من النهار في نصف الحول والنهار من الليل في النصف الآخر منه وتبلغ نهاية ارتفاعها في الصيف ونهاية انحطاطها في الشتاء ويترتب عليه اختلاف الفصول الأربعة وتهيئة أسباب معاش الأرضيات وتربيتها. والرابع أن المعنى المنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فإن لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقاً ومغرباً تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود إليها إلى العام القابل فالمستقر اسم زمان أي: تجري إلى زمان استقرارها وانقطاع حركتها عند خراب العالم أو إلى وقت قرارها وتغير حالها بالطلوع من مغربها كما قال أبو ذر رضي الله عنه: دخلت المسجد ورسول الله عليه السلام جالس فلما غابت الشمس قال عليه السلام: «يا أبا ذر أتدري أين تذهب هذه الشمس» فقلت: الله ورسوله أعلم فقال: «تذهب تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد ولا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها ويقال لها: ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله والشمس تجري لمستقر لها» وفهم من الحديث أن المستقر أيضاً تحت العرش والمراد بالسجدة الانقياد ويجوز أن تكون على حقيقتها فإن الله تعالى قادر على أن يخلق فيها حياة وإدراكاً يصح معهما سجدتها كما سبق نظائرها.

قال بعض العارفين: تسجد بروحها عند العرش كما تسجد الروح عند النوم إذا باتت على طهارة.

قال إمام الحرمين وغيره من الفضلاء: لا خلاف أن الشمس تغرب عند قوم وتطلع عند قوم آخرين والليل يطول عند قوم ويقصر عند قوم آخرين وعند خط الاستواء يكون الليل والنهار مستويين أبداً والأرض مدورة مسيرة خمسمائة عام كأنها نصف كرة مدورة فيكون وسطها أرفع ولذلك سموا الجزيرة التي هي وسط الأرض كلها المستوي فيها الليل والنهار قبة الأرض وحول الأرض البحر الأعظم المحيط فيها ماء غليظ منتن لا تجري فيه المراكب وحول هذا البحر جبل قاف خلق من زمرد أخضر وسماء الدنيا مقبية عليه ومنه خضرتها. وسئل الشيخ أبو حامد رضي الله عنه عن بلاد بلغار كيف يصلون لأن الشمس لا تغرب عندهم إلا مقدار ما بين المغرب والعشاء ثم تطلع فقال: يعتبر صومهم وصلاتهم بأقرب البلاد إليهم والأصح عند أكثر الفقهاء أنهم يقدرون الليل والنهار ويعتبرون بحسب الساعات كما قال عليه السلام في حق الدجال: «يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة فيقدر الصلاة والصيام في زمنه» **﴿ذلك﴾** الجري البديع المنطوي على الحكم العجيبة التي تتحير في فهمها العقول والافهام **﴿تقدير العزيز﴾** الغالب بقدرته على كل مقدور **﴿العليم﴾** المحيط علمه بكل معلوم. قال في «المفردات»: التقدير تبيين كمية الشيء. وتقدير الله الأشياء على وجهين: «أحدهما»: بإعطاء القدرة. «والثاني»: أن يجعلها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضته الحكمة. وذلك

أن فعل الله ضربان: ضرب أوجده بالفعل ومعنى إيجاده بالفعل إظهاره. وضرب إجراه بالقوة وقدره على وجه لا يتأتى غير ما قدر فيه كتقديره في النواة أن ينبت منها النخل دون التفاح والزيتون وتقدير مني الآدمي أن يكون منه الإنسان دون سائر الحيوانات. فتقدير الله على وجهين: أحدهما بالحكم منه أن يكون كذا ولا يكون كذا إما على سبيل الوجوب وإما على سبيل الإمكان. والثاني بإعطاء القدرة عليه. وفي الآية إشارة إلى شمس نور الله فإنها ﴿**تجري لمستقر لها**﴾ وهو قلب استقر فيه رشاش نور الله ﴿**ذلك**﴾ المستقر ﴿**تقدير العزيز**﴾ الذي لا يهتدي إليه أحد إلا به ﴿**العليم**﴾ الذي يعلم حيث يجعل رسالته فليس كل قلب مستقراً لذلك النور فلا بد من التهيئة والتصقيل إلى أن يتلطف ويزول منه كل ثقيل مما يتعلق بظلمات الكون والفساد.

كوهر انواررا دلهاى پاك آمد صدق

﴿**والقمر قدرناه**﴾ بالنصب بإضمار فعل يفسره الظاهر كما في زيداً ضربته أي: وقدرنا القمر قدرناه أي: قدرنا له وعينا ﴿**منازل**﴾ وهي ثمان وعشرون مقسومة على الاثني عشر برجاً كما استوفينا الكلام عليها في أوائل سورة يونس ينزل القمر كل ليلة في واحدة من تلك المنازل لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها فإذا كان في آخر منازله دق واستقوس ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين أو ليلة إن كان تسعة وعشرين وقد صام عليه السلام ثمانية أو تسعة رمضانات خمسة منها كانت تسعة وعشرين يوماً والباقي ثلاثين وقد قال عليه السلام: «شهرا العيد لا ينقصان» أي حكمهما إذا كانا تسعاً وعشرين مثل حكمهما إذا كانا ثلاثين في الفضل وقد صح أن دور هذه الأمة هو الدور القمري العربي الذي حسابه مبني على الشهر لا الدور الشمسي الذي مبني حسابه على الأيام ﴿**حتى عاد**﴾ [تا عود كرد ماه]. وقال ابن الشيخ: حتى صار القمر في آخر الشهر وأول الشهر الثاني في دقته واستقواسه واصفراره ﴿**كالعرجون**﴾ فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وهو عود العذق ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة. والعذق بالكسر في النخل بمنزلة العنقود في الكرم بالفارسية [خوشه خرما]. والشماريخ جمع شمراخ أو شمروخ ما عليه البسر من العيدان ﴿**القديم**﴾ العتيق فإذا قدم وعتق دق وتقوس واصفر شبه به القمر في آخر الشهر في هذه الوجوه الثلاثة أي: في عين الناظر وإن كان في الحقيقة عظيماً بنفسه فالقديم ما تقادم عهده بحكم العادة ولا يشترط في إطلاق لفظ القديم عليه مدة بعينها إذ يقال لبعض الأشياء قديم وإن لم يمض عليه حول وقيل أقل هذا القديم الحول فمن حلف كل مملوك قديم لي فهو حر عتق من مضى عليه الحول. قال في «كشف الأسرار»: [ازروى حكمت كفته اندكه زيادت ونقصان ماه از آنست كه در ابتداى آفرينش نور أو بر كمال بود بخود نظرى كرد عجبى دروى پيدا شد رب العزة جبريل را فرمود تا پرخويش برروى ماه زد وآن نور ازوى بستاد ابن عباس رضي الله عنهما كفت آن خطهاكه برروى ماه مى بينيد نشان پر جبرائيل است نور ازوى بست اما نقش برجاى بماند ونقش كلمه توحيداست برپيشانى ماه نبشت «لا اله إلا الله محمد رسول الله» ياخود حروفى كه ازان اسم جميل حاصل ميشود چون نور ازماه بستدند اورا از خدمت دركاه منع كردند ماه ازفرشتكان مدد خواست تا از بهروى شفاعت كردند كفتند بارخدايا ماه درخدمت دركاه عزت خوى كرده هيچ روى آن دارد كه بيكباركى اورا مهجور كنى رب العزة شفاعت ايشان قبول كرد واورا دستورى داد تا هر ما هى بيكبار سجود كند درشب

چارده اكنون هرشب كه برآيد وبوقت خدمت نزديكتر مى كردد نوروى مى افزايد تاشب چهارده كه وقت سجود بود نورش بكمال رسد بازچون از چهارده در كذرد هرشب در نوروى نقصان مى آيد ازبساط خدمت دورتر مى كردد]. وقيل شبيه الشمس عبد يكون ابداً في ضياء معرفته وهو صاحب تمكين غير متلون أشرقت شمس معرفته من بروج سعادته دائماً لا يأخذه كسوف ولا يستره حجاب. وشبيه القمر عبد تكون أحواله في التنقل وهو صاحب تلوين له من البسط ما يرقيه إلى حد الوصال ثم يرد إلى الفترة ويقع في القبض مما كان به من صفاء الحال فيتناقص ويرجع إلى نقصان أمره إلى أن يرفع قلبه من وقته ثم يجود عليه الحق فيوفقه لرجوعه عن فترته وإفاقته من سكرته فلا يزال يصفو حاله إلى أن يقرب من الوصال ويرتقي إلى ذروة الكمال فعند ذلك يقول بلسان الحال:

ما زلت أنزل من ودادك منزلاً   تتحير الألباب عند نزوله

وفي «التأويلات النجمية»: وبقوله: ﴿**والقمر قدرناه منازل**﴾ يشير إلى قمر القلب فإن القلب كالقمر في استفادة النور من شمس الروح أولاً ثم من شمس شهود الحق تعالى ثانياً وله ثمانية وعشرون منزلاً على حسب حروف القرآن كما أن للقمر ثمانية وعشرون منزلاً فالقلب ينزل في كل حين منها بمنزل وهذه أسماؤها الإلفة والبر والتوبة والثبات والجمعية والحلم والخلوص والديانة والذلة والرأفة والزلفة والسلامة والشوق والصدق والضرر والطلب والظمأ والعشق والغيرة والفتوة والقربة والكرم واللين والمروءة والنور والولاية والهداية واليقين فإذا صار إلى آخر منازله فقد تخلق بخلق القرآن واعتصم بحبل الله وله آن أن يعتصم بالله ولهذا قال الله تعالى لنبيه في قطع منازل العبودية ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩] ويقال للمؤمن في الجنة اقرأ وارق يعني اقرأ القرآن وارتق في مقامات القرب وبقوله ﴿**حتى عاد كالعرجون القديم**﴾ يشير إلى سير قمر القلب في منازله فإذا ألف الحق تعالى في أول منزله ثم بر بالإيمان والعمل الصالح ثم تاب وتوجه إلى الحضرة ثم ثبت على تلك التوبة جعل له الجمعية مع الله فيستنير قمر قلبه بنور ربه حتى يصير بدراً كاملاً ثم يتناقص بدنوه من شمس شهود الحق تعالى قليلاً كلما ازداد دنوه من الشمس ازداد في نفسه نقصاناً إلى أن يتلاشى ويخفى ولا يرى له أثر وهذا مقام الفقر الحقيقي الذي افتخر به النبي ﷺ في قوله: «الفقر فخري» لأنه عليه السلام كلما ازداد دنوه إلى الحضرة ليلة المعراج ازداد في فقره عن الوجود كما أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: ٨-٩] كمل هٰهنا فقره عن الوجود فوجده الله تعالى عائلاً فأغناه بجوده انتهى.

واعلم أن القمر مرآة قابلة لأن تكتسب النور من قرص الشمس حسب المحاذاة بينهما ولما كان دور الشمس بطيئاً كان ظهور أثرها دائراً على حصول الفصول الأربعة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء ولما كان دور القمر سريعاً كان ظهور أثره في الكون سريعاً وإلى القمر ينظر القلب في سرعة الحركة ولهذا السر أسكن الله آدم في فلك القمر لمناسبة باطنه به في سرعة حركاته وتقلباته. ثم إن القمر مرئي مدرك وأما الشمس في إشراقها وإضاءتها وتلألؤ شعاعها لا تدرك كيفيتها وكميتها على ما هي عليه من تمنعها وامتناعها واحتيج إلى طريق يتوصل به إلى أبصارها بقدر الوسع فأفادت الفكرة والخبرة أن يأخذ الإنسان إناءً كثيفاً ويملأه ماءً صافياً نظيفاً ويضعه في مقابلة الشمس لتنعكس صورة من الشمس في الماء فيلاحظ الإنسان

الشمس بغير دفع تلألؤ الأضواء ويراها في أسفل قعر الإناء فإن اللطيف من شأنه القبول والكثيف من شأنه الإمساك فقبل الماء وأمسك الإناء وهذا تدبير من يريد إبصار الشمس الظاهرة بمقلته الباصرة فإذا كان الشمس الظاهرة المتناهية لا يدرك عكسها بالاستعدادات السابقة والتدبيرات اللاحقة فما ظنك بشمس عالم الأحدية الإلهية الربوبية الغير المتناهية وإن نسبتها إليه في الإنارة والإضاءة والظهور والإظهار ودفع أنوار العظمة ليست إلا كذرّة في الآفاق والسبع الطباق أو كقطرة بالنسبة إلى البحار الزاخرة أو كجزء لا يتجزأ بالنسبة إلى الدنيا والآخرة سبحان الله وله المثل الأعلى في الأرض والسماء فإذا عرفت هذا المثال عرفت حال القلب مع شمس الربوبية وانعكاس نورها فيه. قال الشيخ المغربي قدس سره:

نخست ديده طلب كن پس آنكهى ديدار ... از آنكه يار كند جلوه بر اولو الأبصار
تراكه چشم نباشد چه حاصل از شاهد ... تراكه كوش نباشد چه سود از كفتار
اكرچه آينه دارى از براى رخش ... ولى چه سود كه دارى هميشه آينه تار
بيا بصيقل توحيد ز آينه بزدآى ... غبار شرك كه تا پاك كردد از ژنكار

وقال أيضاً:

كجا شود بحقيقت عيان جمال حقيقت ... اكر مظاهر وآينه مجاز نباشد
مجوى دردل ما غير دوست زانكه نيابى ... از آنكه در دل محمود جز اياز نباشد
به پيش عقل مكو قصهاى عشق كه آنرا ... قبول مى نكند آنكه عشقباز نباشد

﴿لا الشمس ينبغي لها﴾ هو أبلغ من لا ينبغي للشمس كما أن أنت لا تكذب بتقديم المسند إليه آكد من لا تكذب أنت لاشتمال الأول على تكرر الإسناد. ففي ذكر حرف النفي مع الشمس دون الفعل دلالة على أن الشمس مسخرة لا يتيسر لها إلا ما أريد بها وقدر لها وينبغي أن الانفعال وثلاثيه بغي يبغي بمعنى طلب تجاوز الاقتصار فيما يتحرى تجاوزه أو لم يتجاوز وإما استعمال انبغى ماضياً فقليل. قال في «كشف الأسرار»: يقال بغيت الشيء فانبغى لي أي: استسهلته فتسهل لي وطلبته فتيسر لي والمعنى لا الشمس يصح لها ويتسهل وبالفارسية: [نه آفتاب سزد مرورا وشايد] ﴿أن تدرك القمر﴾ في سرعة سيره فإن القمر أسرع سيراً حيث يقطع فلكه ويدور في منازله الثماني والعشرين في شهر واحد بخلاف الشمس فإنها أبطأ منه حيث لا تقطع فلكها ولا تدور في تلك المنازل المقسومة على الاثني عشر برجاً إلا في سنة فيكون مقام الشمس في كل منزلة ثلاثة عشر يوماً فهي لا تدرك القمر في سرعة سيره فإنه تعالى جعل سيرها أبطأ من سير القمر وأسرع من سير زحل وهو كوكب السماء السابعة وذلك لأن الشمس كاملة النور فلو كانت بطيئة السير لدامت زماناً كثيراً في مسامته شيء واحد فتحرقه ولو كانت سريعة السير لما حصل لها لبث في بقعة واحدة بقدر ما يخرج النبات من الأرض والأوراق والثمار من الأشجار وبقدر ما ينضج الثمار والحبوب ويجف فلو أدركت القمر في سرعة سيره لكان في شهر واحد صيف وشتاء فيختل بذلك أحكام الفصول وتكوّن النبات وتعيش الحيوان ويجوز أن يكون المعنى ليس للشمس أن تدرك القمر في آثاره ومنافعه مع قوة نورها وإشراقها فإن لكل واحد منهما آثاراً ومنافع تخصه وليس للآخر أن يدركه فيها كما قالوا الثمرة تنضجها الشمس ويلونها القمر ويعطيها الطعم الكوكب. وقالوا إن سهيلاً وهو كوكب يمنّي يعطي الحجر اللون الأحمر فيصير عقيقاً. ويجوز أن يكون معنى أن تدرك القمر أي: في مكانه فإن القمر في

السماء الدنيا والشمس في السماء الرابعة فهي لا تدركه في مكانه ولا يجتمعان في موضع أو لا تدركه في سلطانه أي: نوره الذي هو برهان لوجوده فإن نوره إنما يكون بالليل فليس للشمس أن تجامعه في وقت من أوقات ظهور سلطانه بأن تطلع بالليل فتطمس نوره فسلطان القمر بالليل وسلطان الشمس بالنهار ولو أدركت الشمس القمر لذهب ضوءه وبطل سلطانه ودخل النهار على الليل. وفي بعض التصاوير لا ينبغي للشمس أن تدرك سلطان القمر فتراه ناقصاً وذلك أن الله تعالى لما قبض نور القمر سأله القمر أن لا ترى الشمس نقصانه. وقال بعض الكبار: جعل الله شهورنا قمرية ولم يجعلها شمسية تنبيهاً من الله تعالى للعارفين من عباده أن آية القمر بمحوه عن العالم لمن اعتبر في قوله تعالى وتدبر ﴿**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر**﴾ أي: في علو المرتبة والشرف فكان ذلك تقوية لكتم آياتهم التي أعطاها للمحمديين العربيين وأجراها وأخفاها فيهم يعني: أن آيات المحمديين ليست بظاهرة في ظواهرهم غالباً كآية القمر وستظهر كراماتهم في الآخرة التي هي آثار ما في بواطنهم من العلوم والكشوف والحقائق والخوارق ﴿**ولا الليل سابق النهار**﴾ أي: ولا الليل يسبق النهار فيعجزه من أن ينتهي إليه ويجيء الليل بعده ولكن الليل يعاقب النهار ويناوبه. وقيل: المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر إلى سلطان الشمس في محو نورها فيكون عكساً للأول فالمعنى لا يصح للقمر أيضاً أن يطلع في وقت ظهور سلطان الشمس وضوئها بحيث يغلب نورها ويصير الزمان كله ليلاً فهما يسيران الدهر ولا يدخل أحدهما على الآخر ولا يجتمعان إلا عند إبطال الله هذا التدبير ونقض هذا التأليف وتطلع الشمس من مغربها ويجتمع معها القمر كما قال تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ [القيامة: ٩] وذلك من أشراط الساعة. فإن قلت إذا كان هذا عكس ما ذكر قبله كان المناسب أن يقال ولا الليل مدرك النهار. قلت: إيراد السبق مكان الإدراك لأنه الملائم لسرعة سيره. وفيه إشارة إلى أنه كما لا يصير القمر شمساً والشمس قمراً فكذلك قمر القلب بتوجهه إلى شمس شهود الحق يتنور بنورها كما قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] ولكنه لا يصير الرب تعالى عبداً ولا العبد رباً فإن للرب الربوبية وللعبد العبودية تعالى الله تعالى عما يقول أصحاب الحلول وأرباب الفضول ﴿**وكل**﴾ أي: وكلهم على أن التنوين عوض عن المضاف إليه الذي هو الضمير العائد إلى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطلعهما فإن اختلاف الأحوال يوجب تعدداً ما في الذات أو إلى الكواكب فإن ذكرهما مشعر بها ﴿**في فلك**﴾ مخصوص معين من الأفلاك السبعة. وفي «بحر العلوم» في جنس الفلك كقولهم كساهم الأمير حلة يريدون كساهم هذا الجنس والفلك مجرى الكواكب ومسيرها وتسميته بذلك لكونه كالفلك كما في «المفردات» والجار متعلق ﴿**يسبحون**﴾ السبح المر السريع في الماء أو في الهواء واستعير لمر النجوم في الفلك كما في «المفردات». وقال في «كشف الأسرار»: والسبح الانبساط في السير كالسباحة في الماء وكل من انبسط في شيء فقد سبح فيه والمعنى يسيرون بانبساط وسهولة لا مزاحم لهم سير السابح في سطح الماء. وأخرج السيوطي في كتاب «الهيئة السنية» خلق الله بحراً دون السماء جارياً في سرعة السهم قائماً في الهواء بأمر الله تعالى لا يقطر منه قطرة يجري فيه الشمس والقمر والنجوم فذلك قوله تعالى: ﴿**وكل في فلك يسبحون**﴾ والقمر يدور دوران العجلة في لجة غمر ذلك البحر فإذا أحب الله أن يحدث الكسوف حرف الشمس عن العجلة فتقع في غمر ذلك البحر ويبقى سائراً على العجلة النصف

أو الثلث أو ما شاء الرب تعالى للحكمة الربانية واقتضاء الاستعداد الكوني. قال المنجمون قوله تعالى: ﴿يسبحون﴾ يدل على أن الشمس والقمر والكواكب السيارة أحياء عقلاء لأن الجمع بالواو والنون لا يطلق على غير العقلاء. وقال الإمام الرازي: إن أرادوا القدر الذي يصح به التسبيح فنقول به لأن كل شيء يسبح بحمده وإن أرادوا شيئاً آخر فذلك لم يثبت والاستعمال لا يدل عليه كما في قوله تعالى في حق الأصنام ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الصافات: ٩٢] وقوله: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧]. وقال الإمام النسفي جمع يسبحون بالواو والنون لأنه تعالى وصفها بصفات العقلاء كالسباحة والسبق والإدراك وإن لم يكن لها اختيار في أفعالها بل مسخرة عليها يفعل بها ذلك تجبراً. يقول الفقير: هنا وجه آخر هو أن صيغة العقلاء باعتبار مبادي حركات الأفلاك والنجوم فإن مبادي حركاتها جواهر مجردة عن مواد الأفلاك في ذواتها ومتعلقة بها في حركاتها ويقال لتلك الجواهر النفوس الفلكية على أنه ليس عند أهل الله شيء خال عن الحياة فإن سرّ الحياة سار في جميع الأشياء أرضية كانت أو سماوية لا سيما الشمس والقمر اللذان هما عينا هذا التعين الكوني:

جمله ذرات زمين وآسمان مظهر سرّ حياتست أي: جوان
كى تواند يافتن آنرا خرد هست او سرى خرد كى پى برد

نسأل الله تعالى حقيقة الإدراك والحفظ عن الزلق والهلاك.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿وآية لهم﴾ أي: علامة عظيمة لأهل مكة على كمال قدرتنا وهو خبر مقدم لقوله: ﴿أنا حملنا ذريتهم﴾ [الحمل: برداشتن]. قال في «القاموس» ذرأ كجعل خلق والشيء كثر ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين انتهى. قال الراغب: الذرية أصلها الصغار من الأولاد وإن كان يقع على الصغار والكبار في المتعارف ويستعمل في الواحد والجمع وأصله الجمع انتهى ويطلق على النساء أيضاً لا سيما مع الاختلاط مجازاً على طريقة تسمية المحل باسم الحال لأنهم مزارع الذرية كما في حديث عمر رضي الله عنه حجوا بالذرية يعني النساء وفي الحديث نهى عن قتل الزراري يعني النساء والمعنى أنا حملنا أولادهم الكبار الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم ﴿في الفلك﴾ [در كشتى] وهو هٰهنا مفرد بدليل وصفه بقوله: ﴿المشحون﴾ أي: المملوء منهم ومن غيرهم والشحناء عداوة امتلأت منها النفوس كما في «المفردات» أو حملنا صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم يعني: [برداشتيم فرزندان خرد وزنان ايشانرا كه آنانرا قوت سفر نيست بر خشكى] وتخصيص الذرية بمعنى الضعفاء الذين يستصحبونهم في سفر البحر مع أن تسخير البحر والفلك نعمة في حق أنفسهم أيضاً لما أن استقرارهم في السفن أشق واستمساكهم فيها أعجب.

﴿وخلقنا لهم من مثله﴾ مما يماثل الفلك ﴿ما يركبون﴾ من الإبل فإنها سفائن البر فتعريف الفلك للجنس لأن المقصود من الآية الاحتجاج على أهل مكة ببيان صحة البعث وإمكانه. استدل عليه أولاً بإحياء الأرض الميتة وجعلها سبباً لتعيشهم. ثم استدل عليه بتسخير الرياح والبحار والسفن الجارية فيها على وجهه يتوسلون بها إلى تجارات البحر ويستصحبون

من يهمهم حمله من النساء والصبيان كما قال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠]. وقيل تعريفه للعهد الخارجي والمراد فلك نوح عليه السلام المذكور في قوله: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧] فيكون المعنى أنا حملنا ذريتهم أي: أولادهم إلى يوم القيامة في ذلك الفلك المشحون منهم ومن سائر الحيوانات التي لا تعيش في الماء ولولا ذلك لما بقي للآدمي نسل ولا عقب وخلقنا لهم من مثله أي: مما يماثل ذلك الفلك في صورته وشكله من السفن والزوارق وبالفارسية: [چون زورق وصندل وناو]. فإن قلت فعلى هذا لم لم يقل حملناهم وذريتهم مع أن أنفسهم محمولون أيضاً. قلت: إشارة إلى أن نعمة التخليص عامة لهم ولأولادهم إلى يوم القيامة ولو قيل: حملناهم لكان امتناناً بمجرد تخليص أنفسهم من الغرق وجعل السفن مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد ليس لمجرد كونها صنعتهم بأقدار الله تعالى وإلهامه بل لمزيد اختصاص أهلها بقدرته تعالى وحكمته حسبما يعرب عنه قوله تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧] والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن بالركوب لأنها باختيارهم كما أن التعبير عن ملابسة ذريتهم بفلك نوح بالحمل لكونها بغير شعور منهم واختيار وأما قوله تعالى في سورة المؤمنين ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المؤمنون: ٢٢] فبطريق التغليب وجعل بعضهم المعنى الثاني أظهر لأنه إذا أريد بمثل الفلك الإبل لكان قوله: ﴿**وخلقنا لهم**﴾ الخ فاصلاً بين متصلين لأن قوله: ﴿**وإن نشأ نغرقهم**﴾ متصل بالفلك واعتذر عنه في «الإرشاد» بأن حديث خلق الإبل في خلال الآية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الإبل والفلك فكأنها نوع منه. وقيل: المراد بالذرية الآباء والأجداد فإن الذرية تطلق على الأصول والفروع لأنها من الذرء بمعنى الخلق فيصلح الاسم للأصل والنسل لأن بعضهم خلق من بعض فالآباء ذريتهم لأن منهم ذرأ الأبناء. وفيه أن الذرية في اللغة لم تقع إلا على الأولاد وعلى النساء كما ذكر اللهم إلا أن يراد ذرية أبيهم آدم عليه السلام وهم الأصول والفروع إلى قيام الساعة والعلم عند الله تعالى [كفتند سه چيزرا الله تعالى راند بكمال قدرت خويش شتران در صحرا وميغ در هوا وكشتى در دريا] وفهم من الامتنان بالحمل جواز ركوب البحر إلا من دخول الشمس العقرب إلى آخر الشتاء فإنه لا يجوز ركوبه حينئذٍ لأنه من الإلقاء إلى التهلكة كما في شرح «حزب البحر» للشيخ الزروقي قدس سره.

﴿**وإن نشأ نغرقهم**﴾ الخ من تمام الآية فإنهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢] وفي تعليق الإغراق وهو بالفارسية [غرقه كردن] بمحض المشيئة إشعار بأنه قد تكامل ما يوجب هلاكهم من معاصيهم ولم يبق إلا تعلق مشيئته تعالى به. قال في «بحر العلوم»: وهو محمول على الفرض والتقدير بدليل قوله ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا﴾ [يس: ٤٣،٤٤] الخ والمعنى أن نشأ إغراقهم نغرقهم في اليم مع ما حملناهم فيه من الفلك وبالفارسية [واكر خواهيم أهل كشتى راكه مراد ذريت مذكوره است غرقه سازيم ودر آب كشيم] فإن الغرق الرسوب في الماء ﴿**فلا صريخ لهم**﴾ فعيل بمعنى مفعول أي: مصرخ وهو المغيب بالفارسية [فريادرس] والصريخ أيضاً صوت المستصرخ والمعنى فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه وبالفارسية: [پس هيچ فريادرسى نيست مر ايشانرا كه از غرقه شدن نكاه دارد] قبل الوقوع ﴿**ولا هم ينقذون**﴾ ينجون منه بعد وقوعه يقال أنقذه واستنقذه إذا خلصه من ورطة ومكروه ﴿**إلا رحمة**

منا ومتاعاً إلى حين﴾ استثناء مفرغ من أعم العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية المتأخرة أي: لا يغاثون ولا ينقذون لشيء من الأشياء إلا لرحمة عظيمة ناشئة من قبلنا داعية إلى الإغاثة والإنقاذ وتمتع بالفارسية [برخور دارى وانتفاع دادن] بالحياة مترتب عليهما إلى زمان قدر لآجالهم. وفي الآية رد على ما زعم الطبيعي من أن السفينة تحمل بمقتضى الطبيعة وأن المجوف لا يرسب فقال تعالى في رده: ليس الأمر كذلك بل لو شاء الله تعالى إغراقهم لأغرقهم وليس ذلك بمقتضى الطبيعة وإلا لما طرأ عليها آفة ورسوب.

والإشارة إلى أن المنعم عليه ينبغي أن لا يأمن في حال النعمة عذاب الله تعالى فإن كفار الأمم السالفة آمنوا من بطشه تعالى فأخذوا من حيث لا يشعرون فكيف يأمن أهل مكة وأهل السفينة لكن لا يعرفون قدر النعمة إلا بعد تحولها عنهم ولا قدر العافية إلا بعد الابتلاء بمصيبة.

قال الشيخ سعدي: [پادشاهى باغلام عجمى در كشتى نشسة بود غلام دريا را هر كزنديده بود ومحنت كشتى نكشيده كريه وزارى درنهاد ولرزه براندامش افتاد چندانكه ملاطفت كردند آرام نكرفت ملك را عيش از ومنغص شد چاره ندانستند حكيمى دران كشتى بود ملك را كفت اكر فرمان دهى من اورا بطريقى خاموش كنم كفت غايت لطف باشد فرمود تا غلام را بدريا انداختند بارى چند غوطه بخورد مويش كرفتند وسوى كشتى آوردند بهر دودست درسكان كشتى آويخت چون بر آمد بكوشه بنشست وقرار كرفت ملك را عجب آمد وپرسيد درين چه حكمت بود كفت اي خداوند اول محنت غرق شدن نچشيده بود قدر سلامت كشتى نمى دانست همچنان قدر عافيت كسى داندكه بمصيبت كرفتار آيد]:

اى سير ترا نان جوين خوش ننمايد   معشوق منست آنكه بنزديك توز شتست
حوران بهشتى را دوزخ بود اعراف   از دوز خيان پرس كه اعراف بهشتست

فلا بد من مقابلة النعمة بالشكر والعطاء بالطاعة والاجتهاد في طريق التوحيد والمعرفة فإن المقصود من الإمهال هو تدارك الحال.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون﴾ يشير إلى حمله عباده في سفينة الشريعة خواصهم في بحر الحقيقة وعوامهم في بحر الدنيا فإن من نجا من تلاطم أمواج الهوى في بحر الدنيا إنما نجا بحمله للعناية في سفينة الشريعة وكذا من نجا من تلاطم أمواج الشبهات في بحر الحقيقة إنما نجا بحمله لعواطف إحسان ربه في سفينة الشريعة بملاحية أرباب الطريقة ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ وهو جناح همة المشايخ الواصلين الكاملين ﴿وإن نشأ نغرقهم﴾ يعني العوام في بحر الدنيا والخواص في بحر الحقيقة بكسر سفينة الشريعة فمن ركب من المتمنين بحر الحقيقة بلا سفينة الشريعة أو كسروا السفينة أغرقوا فادخلوا ناراً ﴿فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون إلا رحمة منا﴾ وهم المشايخ فإنهم صورة رحمة الحق تعالى ﴿ومتاعاً إلى حين﴾ أي: إلى حين تدركهم العناية الأزلية انتهى.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿وإذا قيل لهم﴾ أي: لكفار مكة بطريق الإنذار وبالفارسية: [وچون كفته شود مر

كافرانراكه] ﴿اتقوا﴾ [بترسيد] ﴿ما بين أيديكم﴾ أي: العقوبات النازلة على الأمم الماضية الذين كذبوا رسلهم واحذروا من أن ينزل بكم مثلها إن لم تؤمنوا جعلت الوقائع الماضية باعتبار تقدمها عليهم كأنها بين أيديهم ﴿وما خلفكم﴾ من العذاب المعد لكم في الآخرة بعد هلاككم جعلت أحوال الآخرة باعتبار أنها تكون بعد هلاكهم كأنها خلفهم أو ما بين أيديكم من أمر الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم من الدنيا فلا تغتروا بها وقيل غير ذلك وما قدمناه أولى لأن الله خوف الكفار في القرآن بشيئين أحدهما العقوبات النازلة على الأمم الماضية والثاني عذاب الآخرة ﴿لعلكم ترحمون﴾ إما حال من واو اتقوا أي: راجين أن ترحموا أو غاية لهم أي: كي ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم أن مناط النجاة ليس إلا رحمة الله وجواب إذا محذوف أي: اعرضوا عن الموعظة حسبما اعتادوه وتمرنوا عليه وزادوا مكابرة وعناداً كما دلت عليه الآية الثانية.

كسى راكه پندار در سر بود مپندار هركزكه حق بشنود
ز علمش ملال آيد ازوعظ ننك شقايق بباران نرويد زسنك

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم﴾ أي: احذروا من الدنيا وما فيها من شهواتها ولذائذها ﴿وما خلفكم﴾ من الآخرة وما فيها من نعيمها وحورها وقصورها وأشجارها وأثمارها وأنهارها وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين منها ﴿لعلكم ترحمون﴾ بمشاهدة الجمال ومكاشفة الجلال وكمالات الوصال. وقال بعضهم: ﴿اتقوا ما بين أيديكم﴾ من أحوال القيامة الكبرى ﴿وما خلفكم﴾ من أحوال القيامة الصغرى فإن الأولى تأتي من جهة الحق والثانية تأتي من جهة النفس بالفناء في الله وبالتجرد عن الهيئات البدنية في الثانية والنجاة منها والرحمة هي الخلاص من الغضب بالكلية فإنه ما دامت في النفس بقية فالعبد لا يخلو عن غضب وحجاب وتشديد بلاء وعذاب.

﴿وما﴾ نافية ﴿تأتيهم﴾ تنزل إليهم ﴿من﴾ مزيدة لتأكيد العموم ﴿آية﴾ تنزيلية كائنة ﴿من﴾ تبعيضية ﴿آيات ربهم﴾ التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله وسوابغ آلائه الموجبة للإقبال عليها والإيمان بها ﴿إلا كانوا عنها﴾ متعلق بقوله: ﴿معرضين﴾ يقال: أعرض أي: أظهر عرضه أي: ناحيته والجملة حال من مفعول تأتي والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال أي: وما تأتيهم من آية من آيات ربهم في حال من الأحوال إلا حال إعراضهم عنها على وجه التكذيب والاستهزاء ويجوز أن يراد بالآيات ما يعم الآيات التنزيلية والتكوينية فالمراد بإتيانهم ما يعم نزول الوحي وظهور تلك الأمور لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات الشاهدة بوحدانيته تعالى وتفرده بالألوهية إلا كانوا تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي إلى الإيمان به تعالى فكل ما في الكون فهو صورة صفة من صفاته تعالى وسر من أسرار ذاته.

مغربى آنچه عالمش خوانند عكس رخسارتست در مرآت
وانچه او آدمش همى دانند نسخه عالمست مظهر ذات

وقال المولى الجامي قدس سره:

جهان مرآت حسن شاهد ماست فشاهد وجهه في كل ذرات

ثم إن أعظم الآيات وأكبر العلامات الرجال البالغون الكاملون في الدين من أرباب الحقيقة وأهل اليقين فمن وفق للقبول والتسليم وتربى بتربيتهم الحسنة إلى أن يحصل على

القلب السليم نجا وكان مقبلاً مقبولاً. ومن قابلهم بالإعراض ونازلهم بالاعتراض هلك وكان مدبراً مردوداً.

قال بعض الكبار: من عدم الإنصاف إيمان الناس بما جاء من أخبار الصفات على لسان الرسل وعدم الإيمان بها إذا أتى بها أحد من العلماء الوارثين لهم فإن البحر واحد وإذا لم يؤمنوا بما جاءت به الأولياء فلا أقل من أن يأخذوه منهم على سبيل الحكاية وكما جاءت الأنبياء بما تحيله العقول من الصفات وآمنا به كذلك يجب الإيمان بما جاء به الأولياء المحفوظون وكما سلمنا ما جاء به الأصل كذلك نسلم ما جاء به الفرع بجامع الموافقة انتهى.

وأما قول أبي حنيفة رضي الله عنه ما أتانا عن الرسول ﷺ فعلى الرأس والعين وما أتانا عن الصحابة رضي الله عنهم فنأخذ تارة ونترك أخرى وما أتانا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال فإنما هو بالنظر إلى الاجتهاد الظاهر الذي يختلف فيه العلماء والإعراض فيه انتقال من الأدنى إلى الأعلى بحسب الدليل الأقوى وقد يفتح الله على الطالب على لسان شيخه بعلوم لم تكن عند الشيخ لحسن أدبه مع الله ومع شيخه. وسأل الأعمش أبا حنيفة عن مسائل فأجاب فقال الأعمش من أين لك هذا قال مما حدثتنا به فقال: يا معشر الفقهاء أنتم الأطباء ونحن الصيادلة وهي الجماعة المنسوبة إلى الصندل وهو شجر طيب الرائحة قلبت النون ياء كما يقال صندلاني وصيدلاني والمراد من يبيع مواد الأدوية. ومن علامة العلم المكتسب دخوله في ميزان العقول وعلامة العلم الموهوب أن لا يقبله ميزان إلا في النادر وترده العقول من حيث أفكارها. ومن أعظم المكر بالعبد أن يرزق العلم ويحرم العمل به أو يرزق العمل ويحرم الإخلاص فيه فإذا رأيت يا أخي هذا من نفسك أو علمته من غيرك فاعلم أن المقبل به ممكور به فالإقبال إلى الله تعالى إنما هو بالإخلاص فإن وجه الرياء إلى الغير حفظنا الله تعالى وإياكم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿وإذا قيل لهم﴾ أي: للكافرين بطريق النصيحة **﴿أنفقوا﴾** على المحتاجين **﴿مما رزقكم الله﴾** أي: بعض ما أعطاكم بطريق التفضل والإنعام من أنواع الأموال فإن ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره **﴿قال الذين كفروا﴾** بالصانع تعالى وهم زنادقة كانوا بمكة. والزنديق من لا يعتقد إلهاً ولا بعثاً ولا حرمة شيء من الأشياء **﴿للذين آمنوا﴾** تهكماً بهم وبما كانوا عليه من تعليق الأمور بمشيئة الله تعالى حيث كانوا يقولون لو شاء الله لأغنى فلاناً ولو شاء الله لأعزه ولو شاء لكان كذا وكذا وإنما حمل على التهكم لأن المعطلة ينكرون الصانع فلا يكون جوابهم المذكور عن اعتقاد وجدّ **﴿أنطعم﴾** من أموالنا حسبما تعظوننا به وبالفارسية: [آيا طعام دهيم] أي: لا نطعم فإن الهمزة للإنكار والطعام في الأصل البر وقوله عليه السلام في ماء زمزم «إنه طعام طعم وشفاء سقم» فتنبيه منه إنه غذاء بخلاف سائر المياه **﴿من لو يشاء الله أطعمه﴾** أي: على زعمكم يعني: [خداكه بزعم شما قادرست بر اطعام خلق بايستى كه ايشانرا طعام دهد چون او طعام نداد مانيز نمى دهيم] **﴿إن أنتم﴾** [نيستيد شما اى مؤمنان] **﴿إلا في ضلال مبين﴾** الضلال العدول عن الطريق المستقيم ويضاده الهداية ويقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً يسيراً كان أو كثيراً ولهذا صح أن يستعمل فيمن يكون منه خطأ ما كما في

«المفردات». والمعنى في خطأ بين بالفارسية: [كمراهى آشكارا] حيث تأمروننا بما يخالف مشيئة الله تعالى [واين سخن ازايشان خطا بود براى آنكه بعض مردم را خداى تعالى توانكر ساخته وبعضى را دوريش كذشته وبجهت ابتلا حكم في فرموده كه اغنيا مال خدايرا بفقرا دهند پس مشيت را بهانه ساختن وامر الهى راكه بانفاق فرموده فرو كذاشتن محض خطا وعين جفاست]:

درويش را خدا بتوانكر حواله كرد — تاكار او بسازد وفارغ كند دلش

ازروى بخل اكرنشود ملتفت بوى — فردا بود ندامت واندوه حاصلش

وفي الحديث «لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ولو شاء لجعلكم فقراء لا غني فيكم ولكنه ابتلى بعضهم ببعض لينظر كيف عطف الغني وكيف صبر الفقير» وهذه الآية ناطقة بترك شفقتهم على خلق الله وجملة التكاليف ترجع إلى أمرين التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله وهم قد تركوا الأمرين جميعاً وقد تمسك البخلاء بما تمسكوا به حيث يقولون لا نعطي من حرم الله ولو شاء لأغناه نعم لو كان مثل هذا الكلام صادراً عن يقين وشهود وعيان لكان مفيداً بل توحيداً محضاً يدور عليه كمال الإيمان ولكنهم سلكوا طريق التقليد والإنكار والعناد ومن لم يهد الله فما له من هاد. وكان لقمان يقول. إذا مر بالأغنياء: يا أهل النعيم لا تنسوا النعيم الأكبر وإذا مر بالفقراء يقول: إياكم أن تغبنوا مرتين. وعن علي رضي الله عنه أن المال حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام.

قال الفضيل رحمه الله: من أراد عز الآخرة فليكن مجلسه مع المساكين نسأل الله تعالى فضله الكثير ولطفه الوفير فإنه مسبب الأسباب ومنه فتح الباب وفي «المثنوي»:

ما عيال حضرتيم وشير خواه — كفت الخلق عيال للاله

آنكه او از آسمان باران دهد — هم تواند كو زرحمت نان دهد

كل يوم هو في شأن بخوان — مرورا بى كار وبى فعلى مدان

﴿ويقولون﴾ أي: أهل مكة لرسول الله ﷺ والمؤمنين إنكاراً واستبعاداً ﴿متى﴾ [كى است] ﴿هذا الوعد﴾ بقيام الساعة والحساب والجزاء. ومعنى طلب القرب في هذا إما بطريق الاستهزاء وإما باعتبار قرب العهد بالوعد. والوعد يستعمل في الخير والشر والنفع والضر والوعيد في الشر خاصة. والوعد هنا يتضمن الأمرين لأنه وعد بالقيامة وجزاء العباد إن خيراً فخير وإن شراً فشر. قال في «كشف الأسرار»: : إنما ذكر بلفظ الوعد دون الوعيد لأنهم زعموا أن لهم الحسنى عند الله إن كان الوعد حقاً.

يقول الفقير: هذا إنما يتمشى في المشركين دون المعطلة وقد سبق أنهم زنادقة كانوا بمكة ﴿إن كنتم صادقين﴾ في وعدكم فقولوا متى يكون وهذا الاستعجال بهجوم الساعة والاستبطاء لقيام القيامة إنما وقع تكذيباً للدعوة وإنكاراً للحشر والنشر ولو كان تصديقاً وإقراراً واستخلاصاً من هذا السجن وشوقاً إلى الله تعالى ولقائه لنفعهم جداً ولما قامت عليهم القيامة عند الموت كما لا تقوم على المؤمنين بل يكون الموت لهم عيداً وسروراً! وفي «المثنوي»:

خلق در بازار يكسان مى روند — آن يكى در ذوق وديكر دردمند

همچنان درمرك وزنده مى رويم — نيم در خسران ونيمى خسرويم

﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝٤٩ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝٥٠﴾.

﴿**ما ينظرون**﴾ جواب من جهته والنظر بمعنى الانتظار أي: ما ينتظر كفار مكة ﴿**إلا صيحة واحدة**﴾ لا تحتاج إلى ثانية هي النفخة الأولى التي هي نفخة الصعق والموت والصيحة رفع الصوت ﴿**تأخذهم**﴾ مفاجأة وتصل إلى جميع أهل الأرض. والأخذ حوز الشيء وتحصيله وذلك تارة بالتناول نحو ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يوسف: ٧٩] وتارة بالقهر نحو ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ويقال أخذته الحمى ويعبر عن الأسير بالمأخوذ والأخيذ ﴿**وهم يخصمون**﴾ أصله يختصمون فقلبت التاء صاداً ثم أسكنت وأدغمت في الصاد الثانية ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وخاصمته نازعته وأصل المخاصمة أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر بالضم أي: جانبه وأن يجذب كل واحد خصم الجوالق من جانب وهو الجانب الذي فيه العروة. والمعنى والحال أنهم يتخاصمون ويتنازعون في تجاراتهم ومعاملاتهم ويشتغلون بأمور دنياهم حتى تقوم الساعة وهم في غفلة عنها فلا يغتروا لعدم ظهور علامتها ولا يزعموا أنها لا تأتيهم. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تهيج الساعة والدجلان يتبايعان قد نشرا أثوابهما فلا يطويانها والرجل يلوط حوضه فلا يستقي منه والرجل قد انصرف بلبن لقحته فلا يطعمه والرجل قد رفع أكلته إلى فيه فلا يأكلها ثم تلا ﴿**تأخذهم وهم يخصمون**﴾.

ـ روي ـ أن الله تعالى يبعث ريحاً يمانية ألين من الحرير وأطيب رائحة من المسك فلا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلا قبضته ثم يبقى شرار الخلق مائة عام لا يعرفون ديناً وعليهم تقوم الساعة وهم في أسواقهم يتبايعون. فإن قلت: هم ما كانوا منتظرين بل كانوا جازمين بعدم الساعة والصيحة. قلت: نعم إلا أنهم جعلوا منتظرين نظراً إلى ظاهر قولهم متى يقع لأن من قال متى يقع الشيء الفلاني يفهم من كلامه أنه ينتظر وقوعه.

﴿**فلا يستطيعون**﴾ الاستطاعة استفعال من الطوع وذلك وجود ما يصير به الفعل متأتياً أي: لا يقدرون ﴿**توصية**﴾ مصدر بالفارسية: [وصيت كردن] والوصية اسم من الإيصاء يقال وصيت الشيء بالشيء إذا وصلته به وسمي إلزام شيء من مال أو نفقة بعد الموت بالوصية لأنه لما أوصى به أي: أوجب وألزم وصل ما كان من أمر حياته بما بعده من أمر مماته والتنكير للتعميم أي: في شيء من أمورهم إذ كانت فيما بين أيديهم.

قال ابن الشيخ: لا يستطيعون توصية ما ولو كانت بكلمة يسيرة فإذا لم يقدروا عليها يكونون أعجز عما يحتاجون فيه إلى زمان طويل من أداء الواجبات ورد المظالم ونحوها لأن القول أيسر من الفعل فإذا عجزوا عن أيسر ما يكون من القول تبين أن الساعة لا تمهلهم بشيء ما واختيار الوصية من جنس الكلمات لكونها أهم بالنسبة إلى المحتضر فالعاجز عنها يكون أعجز عن غيرها ﴿**ولا إلى أهلهم**﴾ الأهل يفسر بالأزواج والأولاد بالعبيد والإماء والأقارب وبالأصحاب وبالمجموع كما في «شرح المشارق» لابن الملك. قال الراغب: أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب وعبر بأهل الرجل عن امرأته. ﴿**يرجعون**﴾ إن كانوا في خارج أبوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيث ما كانوا وبالفارسية: [پس نتوانند وصيت كردن با حاضران ونه بسوى ايشان كر غائب باشند باز كردند يعني مجال از بازار بخانه رفتن نداشته باشند الحاصل

دران وقت كه دربازار بخصومت وجدال ومعاملات مشغول باشند ومهمات دنيايى سازند يكبار اسرافيل بصور در دمد وهمه خلق برجاى بميرند] إلا ما شاء الله كما يأتي في سورة الزمر إن شاء الله تعالى.

واعلم أن الموت يدرك الإنسان سريعاً والإنسان لا يدرك كل الأماني فعلى العبد أن يتدارك الحال بقصر الآمال، قال الشيخ سعدي قدس سره:

تو غافل در انديشه سود ومال — كه سرمايه عمر شد پايمال
غبار هوى چشم عقلت بدوخت — شموس هوس كشت عمرت بسوخت
خبر دارى اى استخوان قفس — كه جان تو مرغيست نامش نفس
چو مرغ ازقفس رفت وبكسست قيد — دكر ره نكردد بسعى تو صيد
نكه دار فرصت كه عالم دميست — دمى پيش دانا به از عالميست
سكندر كه برعالمى حكم داشت — دران دم كه بكذشت عالم كذاشت
ميسر نبودش كزو عالمى — ستانند ومهلت دهندش دمى
دل اندر دلارام دنيا مبند — كه ننشست باكس كه دل برنكند
سر ازجيب غفلت برآور كنون — كه فردا نمانى بحسرت نكون
طريقى بدست آر وصلحى بجوى — شفيعى بر انكيز وعذري بكوى
كه يك لحظه صورت نبندد امان — چو پيمانه پر شد بدور زمان

دعا عمرو بن العاص رضي الله عنه حين احتضاره بالغل والقيد فلبسهما ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن التوبة مبسوطة ما لم يغرغر ابن آدم بنفسه» ثم استقبل القبلة فقال: اللهم أمرتنا فعصينا ونهيتنا فارتكبنا هذا مقام العائذ بك فإن تعف فأهل العفو أنت وإن تعاقب فيما قدمت يداي سبحانك لا إله إلا أنت إني كنت من الظالمين فمات وهو مغلول مقيد فبلغ الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال: استسلم الشيخ حين أيقن بالموت ولعله ينفعه. ومن السنة حسن الوصية عند الموت وإن كان الذي يوصي عند الموت كالذي يقسم ماله عند الشبع. ومن مات بغير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة ويتزاور الأموات ويتحدثون وهو ساكت فيقولون إنه مات من غير وصية فيوصي بثلث ماله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما الضرار في الوصية من الكبائر ويوصي بإرضاء خصومه وقضاء ديونه وفدية صلاته وصيامه جعلنا الله وإياكم من المتداركين لحالهم والمتفكرين في مآلهم والمكثرين من صالحات الأعمال والمنتقلين من الدنيا على اللطف والجمال.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٥٣﴾.

﴿**ونفخ في الصور**﴾ أي: ينفخ في الصور وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع والنفخ نفخ الريح في الشيء وبالفارسية: [دردميد] والجمهور على إسكان واو الصور. وفيه وجهان:

أحدهما أنه القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام وفيه بعدد كل روح ثقبة هي مقامه

فالمعنى ونفخ في القرن نفخاً هو سبب لحياة الموتى.

والثاني جمع صورة كصوف جمع صوفة ويؤيد هذا الوجه قراءة بعض القراء ونفخ في الصور بفتح الواو فالمعنى ونفخ في الصور الأرواح وذلك أيضاً بنفخ القرن والمراد النفخة الثانية التي يحيي الله بها كل ميت لا النفخة الأولى التي يميت الله بها كل حي وبينهما أربعون سنة تبقى الأرض على حالها مستريحة بعدما مر بها من الأهوال العظام والزلازل وتمطر سماؤها وتجري مياهها وتطعم أشجارها ولا حي على ظهرها من المخلوقات فإذا مضى بين النفختين أربعون عاماً أمطر الله من تحت العرش ماء غليظاً كمني الرجال يقال له ماء الحيوان فتنبت أجسامهم كما ينبت البقل وتأكل الأرض ابن آدم إلا عجب الذنب فإنه يبقى مثل عين الجرادة لا يدركه الطرف فينشأ الخلق من ذلك وتركب عليه أجزاؤه كالهباء في شعاع الشمس فإذا تكاملت الأجساد يحيي الله تعالى إسرافيل فينفخ في الصور فيطير كل روح إلى جسده ثم ينشق عنه القبر **﴿فإذا هم﴾** بغتة من غير لبث أي: الكفار كما دل عليه ما بعد الآية **﴿من الأجداث﴾** أي: القبور جمع جدث محركة وهو القبر كما في «القاموس». فإن قيل أين يكون في ذلك الوقت أجداث وقد زلزلت الصيحة الجبال. أجيب بأن الله يجمع أجزاء كل ميت في الموضع الذي أقبر فيه فيخرج من ذلك الموضع وهو جدثه **﴿إلى ربهم﴾** أي: إلى دعوة ربهم ومالك أمرهم على الإطلاق وهي دعوة إسرافيل للنشور أو إلى موقف ربهم الذي أعد للحساب والجزاء وقد صح أن بيت المقدس هي أرض المحشر والمنشر وكل من الجارين متعلق بقوله: **﴿ينسلون﴾** كما دل عليه قوله: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣] أي: يسرعون بطريق الإجبار دون الاختيار لقوله تعالى: ﴿لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢] من نسل الثعلب ينسل أسرع في عدوه والمصدر نسل ونسلان وإذا المفاجأة بعد قوله: **﴿ونفخ في الصور﴾** إشارة إلى كمال قدرته تعالى وإلى أن مراده لا يتخلف عن إرادته زماناً حيث حكم بأن النسلان وهو سرعة المشي وشدة العدو ويتحقق في وقت النفخ لا يتخلف عنه مع أن النسلان لا يكون إلا بعد مراتب وهي جمع الأجزاء المتفرقة والعظام المتفتة وتركيبها وإحياؤها وقيام الحي ثم نسلانه. فإن قيل قال تعالى في آية أخرى ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] وقال هٰهنا **﴿فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾** والقيام غير النسلان وقد صدر كل واحد منهما في موضعه بإذا المفاجأة فيلزم أن يكونا معاً. والجواب من وجهين:

الأول: أن القيام لا ينافي المشي السريع لأن الماشي قائم ولا ينافي النظر أيضاً.

والثاني: أن الأمور المتعاقبة التي لا يتخلل بينها زمان ومهلة تجعل كأنها واقعة في زمان واحد كما إذا قيل مقبل مدبر.

﴿قالوا﴾ أي: الكفار في ابتداء بعثهم من القبور منادين لويلهم وهلاكهم من شدة ما غشيهم من أمر القيامة **﴿يا ويلنا﴾** أحضر فهذا أوانك ووقت مجيئك. وقال الكاشفي: [اى واى برما] فويل منادي أضيف إلى ضمير المتكلمين وهو كلمة عذاب وبلاء كما أن ويح كلمة رحمة **﴿من﴾** استفهام **﴿بعثنا من مرقدنا﴾** كان حفص يقف على مرقدنا وقفة لطيفة دون قطع نفس لئلا يتوهم أن اسم الإشارة صفة لمرقدنا ثم يبتدىء هذا ما وعد الرحمٰن على أنها جملة مستأنفة ويقال لهذه الوقفة وقفة السكت وهي قطع الصوت مقداراً أخصر من زمان النفس. والبعث [برانكيختن] والمرقد إما مصدر أي: من رقادنا وهو النوم أو اسم مكان أريد به الجنس فينتظم

مرقد الكل أي: من مكاننا الذي كنا فيه راقدين وبالفارسية: [كه برانكيخته يعني پيدار كرد مارا زخوابكاه ما] فإن كان مصدراً تكون الاستعارة الأصلية تصريحية فالمستعار منه الرقاد والمستعار له الموت والجامع عدم ظهور الفعل والكل عقلي وإن كان اسم مكان تكون الاستعارة تبعية فيعتبر التشبيه في المصدر لأن المقصود بالنظر في اسم المكان وسائر المشتقات إنما هو المعنى القائم بالذات وهو الرقاد هٰهنا لا نفس الذات وهي هٰهنا القبر الذي ينام فيه واعتبار التشبيه في المقصود الأهم أولى. قال في «الأسئلة المقحمة»: إن قيل أخبر الكفار بأنهم كانوا في القبر قبل البعث في حال الرقاد وهذا يرد عذاب القبر قلت: إنهم لاختلاط عقولهم يظنون أنهم كانوا نياماً أو أن الله تعالى يرفع عنه العذاب بين النفختين فكأنهم يرقدون في قبورهم كالمريض يجد خفة ما فينسلخ عن الحس بالمنام فإذا بعثوا بعد النفخة الآخرة وعاينوا القيامة دعوا بالويل ويؤيد هذا الجواب قوله عليه السلام: «بين النفختين أربعون سنة وليس بينهما قضاء ولا رحمة ولا عذاب إلا ما شاء ربك» أو أن الكفار إذا عاينوا جهنم وأنواع عذابها وافتضحوا على رؤوس الإشهاد وصار عذاب القبر في جنبها كالنوم قالوا من بعثنا من مرقدنا وذلك إن عذاب القبر روحاني فقط. وقول الإمام الأعظم رحمه الله إن سؤال القبر للروح والجسد معاً أراد به بيان شدة تعلق أحدهما بالآخر كأرواح الشهداء ولذا عدوا أحياء وأما عذاب يوم القيامة فجسداني وروحاني وهو أشد من الروحاني فقط ﴿**هذا ما وعد الرحمٰن وصدق المرسلون**﴾ جملة من مبتدأ وخبر وما موصولة والعائد محذوف أي: هذا البعث هو الذي وعده الرحمٰن في الدنيا وأنتم قلتم متى هذا الوعد إنكاراً وصدق فيه المرسلون بأنه حق وهو جواب من قبل الملائكة أو المؤمنين عدل به عن سنن سؤال الكفار تذكيراً لكفرهم وتقريعاً لهم عليه وتنبيهاً على أن الذي يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا هو دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمٰن الذي وعدكم ذلك في كتبه وأرسل إليكم الرسل فصدقوكم فيه وليس بالبعث الذي تتوهمونه وهو بعث النائم من مرقده حتى تسألوا عن الباعث وإنما هذا البعث الأكبر ذو الإفزاع والأهوال.

﴿**إن كانت**﴾ أي: ما كانت النفخة الثانية المذكورة ﴿**إلا صيحة واحدة**﴾ حصلت من نفخ إسرافيل في الصور وقيل صيحة البعث هو قول إسرافيل على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة والأعضاء المتمزقة والشعور المنتشرة إن الله المصور الخالق يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فاجتمعوا وهلموا إلى العرض وإلى جبار الجبابرة.

يقول الفقير: الظاهر إن هذا ليس غير النفخ في الحقيقة فيجوز أن يكون المراد من أحدهما المراد من الآخر أو أن يقال ذلك أثناء النفخ بحيث يحصل هو ولنفخ معاً إذ ليس من ضرورة التكلم على الوجه المعتاد حتى يحصل التنافي بينهما ﴿**فإذا هم**﴾ بغتة من غير لبث ما طرفة عين وهم مبتدأ خبره قوله: ﴿**جميع**﴾ أي: مجموع وقوله: ﴿**لدينا**﴾ أي: عندنا متعلق بقوله: ﴿**محضرون**﴾ للفصل والحساب. وفيه من تهوين أمر البعث والحشر والإيذان باستغنائهما عن الأسباب ما لا يخفى كما هو عسير على الخلق يسير على الله تعالى لعدم احتياجه إلى مزاولة الأسباب ومعالجة الآلات كالخلق وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له ﴿كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ [مريم: ٣٥]. وفي الآية إشارة إلى الحشر المعنوي الحاصل لأهل السلوك في الدنيا وذلك أن العالم الكبير صورة الإنسان وتفصيله فكما أنه تتلاشى أجزاؤه وقت قيام الساعة بالنفخ الأول ثم تجتمع بالنفخ الثاني فيحصل الوجود بعد العدم كذلك الإنسان العاشق يتفرق أنياته

ويتقطع تعيناته وقت حصوله العشق بالجذبة القوية الإلهية ثم يظهر ظهوراً آخر فيحصل البقاء بعد الفناء فإذا وصل إلى هذه المرتبة يكون هو إسرافيل وقته كما جاء في «المثنوي»:

هين كه اسرافيل وقتند اوليا مرده را زايشان حياتست ونما
جان هريك مرده از كورتن برجهد زآواز شان اندر كفن

فالرقاد: هو غفلة الروح في جدث البدن ولا يبعثه في الحقيقة غير فضل الله تعالى وكرمه ولا يفنيه عنه إلا تجلي من جلاله والأنبياء والأولياء عليهم السلام وسائط بين الله تعالى وبين أرباب الاستعداد فمن ليس له قابلية الحياة لا ينفعه النفخ.

همه فيلسوفان يونان وروم ندانند كردانكبين از زقوم
ز وحشى نيايدكه مردم شود بسعى اندر وتربيت كم شود
بكوشش نرويد كل ازشاخ بيد نه زنكى بكر ما به كردد سفيد

نسأل الله المحسان كثير الإحسان.

﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿فاليوم﴾ أي: فيقال للكفار حين يرون العذاب المعد لهم اليوم أي: يوم القيامة وهو منصوب بقوله: ﴿لا تظلم نفس﴾ من النفوس برة كانت أو فاجرة والنفس الذات والروح أيضاً ﴿شيئاً﴾ نصب على المصدرية أي: شيئاً من الظلم بنقص الثواب وزيادة العقاب ﴿ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ أي: إلا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصي والأوزار أيها الكفار على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كأنهما شيء واحد أو إلا بما كنتم تعملونه أي: بمقابلته أو بسببه فقوله: ﴿لا تظلم نفس﴾ ليأمن المؤمن وقوله: ﴿ولا تجزون﴾ الخ لييأس الكافر. فإن قلت ما الفائدة في إيثار طريق الخطاب عند الإشارة إلى يأس المجرم والعدول عن الخطاب عند الإشارة إلى أمان المؤمن. فالجواب أن قوله: ﴿لا تظلم نفس شيئاً﴾ يفيد العموم وهو المقصود في هذا المقام فإنه تعالى لا يظلم أحداً مؤمناً كان أو مجرماً وأما قوله: ﴿لا تجزون﴾ فإنه يختص بالكافر فإنه تعالى يجزي المؤمن بما لم يعمله من جهة الوراثة وجهة الاختصاص الإلهي فإنه تعالى يختص برحمته من يشاء من المؤمنين بعد جزاء أعمالهم فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله أضعافاً مضاعفة:

فضل أو بي نهايت وپايان لطف او از تصورت بيروز
فيض أو هم سعد آرامبذول أجر او ميشده غير ممنون

﴿إن أصحاب الجنة﴾ الخ من جملة ما سيقال لهم يومئذٍ زيادة لحسرتهم وندامتهم فإن الأخبار بحسن حال أعدائهم أثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة ﴿اليوم﴾ أي: يوم القيامة مستقرون ﴿في شغل﴾ قال في «المثنوي»: الشغل بضم الغين وسكونها العارض الذي يذهل الإنسان. وفي «الإرشاد» والشغل هو الشان الذي يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤونه لكونه أهم عنده من الكل إما لإيجابه كمال المسرة والبهجة أو كمال المساءة والغم

والمراد هنا هو الأول والتنوين للتفخيم أي: في شغل عظيم الشأن ﴿فاكهون﴾ خبر آخر لأن من الفكاهة بفتح الفاء وهي طيب العيش والنشاط بالتنعم وأما الفكاهة بالضم فالمزاح والشطارة أي: حديث ذوي الإنس ومنه قول علي رضي الله عنه لا بأس بفكاهة يخرج بها الإنسان من حد العبوس والمعنى متنعمون بنعيم مقيم فائزون بملك كبير. ويجوز أن يكون فاكهون هو الخبر وفي شغل متعلق به ظرف لغوله أي: متلذذون في شغل فشلغهم شغل التلذذ لا شغل فيه تعب كشغل أهل الدنيا. والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها تنزيل للمترقب المتوقع منزلة الواقع للإيذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وهم الكفار ثم إن الشغل فسر على وجوه بحسب اقتضاء مقام البيان ذلك:

منها افتضاض الأبكار وفي الحديث: «إن الرجل ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع» فقال رجل من أهل الكتاب: إن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال عليه السلام: «يفيض من جسد أحدهم عرق مثل المسك الأذفر فيضمر بذلك بطنه» وفي الحديث: «إن أحدهم ليفتض في الغداة الواحدة مائة عذراء». قال عكرمة: فتكون الشهوة في أخراهن كالشهوة في أولاهن وكلما افتضها رجعت على حالها عذراء ولا تجد وجع الافتضاض أصلاً كما في الدنيا وجاء رجل فقال: يا رسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة كما نفضي إليهن في الدينا؟ قال: «والذي نفسي بيده أن المؤمن ليفضي في اليوم الواحد إلى ألف عذراء» [عبد الله بن وهب كفت كه درجنت غرفه ايست كه ويرا عاليه كفته مى شود دروى حوريست ويرا غنجه كفته مى شود هر كاه كه دوست خداى بوى آيد آيد بوى جبرائيل اذن دهد ويرا پس بر خيزد براطرافش باوى چهار هزار كنيزك باشدكه جمع كنند دامنهاى وى وكيسوهاى ويرا بخور كنند از براى وى بمجمرهاى بى آتس. كفته اند در صحبت بهشتيان مني ومذي وفضولات نباشد چنانكه دردنيا بلى لذت صحبت آن باشدكه زير هر تار موى يك قطره عرق بيايدكه رنكش رنك عرق بود وبويس بوى مشك]. وفي «الفتوحات المكية»: ولذة الجماع هناك تضاعف على لذة جماع أهل الدنيا أضعافاً مضاعفة فيجد كل من الرجل والمرأة لذة لا يقدر قدرها لو وجداها في الدنيا غشي عليهما من شدة حلاوتها لكن تلك اللذة إنما تكون بخروج ريح إذ لا مني هناك كالدنيا كما صرحت به الأحاديث فيخرج من كل من الزوجين ريح كرائحة المسك وليس لأهل الجنة أدبار مطلقاً لأن الدبر إنما خلق في الدنيا مخرجاً للغائط ولا غائط هناك ولولا أن ذكر الرجل أو فرج المرأة يحتاج إليه في جماعهم لما كان وجد في الجنة فرج لعدم البول فيها ونعيم أهل الجنة مطلق والراحة فيها مطلقة إلا راحة النوم فليس عندهم من نعيم راحته شيء لأنهم لا ينامون ولا يعرف شيء إلا بصده.

ومنها سماع الأصوات الطيبة والنغمات اللذيذة [چون بنده مؤمن دربهست آرزوى سماع كند رب العزت اسرافيل بفرستد تا برجانب راست وى بايستد وقرآن خواندن كيرد داود برچب بايستد زبور خواندن كيرد بنده سماع همى كند تاوقت وى خوش كردد وجان وى در شهود جانان مستغرق رب العزت در آن دم پرده جلال بردارد ديدار بنمايد بنده بجام شراب طهور بنوازد طه ويس خواندن كيرد جان بنده آنكه بحقيقت درسماع آيد]. ثم إنه ليس في الجنة سماع المزامير والأوتار بل سماع القرآن وسماع أصوات الأبكار المغنية والأوراق والأشجار ونحو ذلك كما سبق بعض ما يتعلق بهذا المقام في أوائل سورة الروم وأواخر الفرقان. قال بعض

العلماء: السماع محرك للقلب مهيج لما هو الغالب عليه فإن كان الغالب عليه الشهوة والهوى كان حراماً وإلا فلا. قال بعض الكبار: إذا كان الذكر بنغمة لذيذة فله في النفس أثر كما للصورة الحسنة في النظر ولكن السماع لا يتقيد بالنغمات المعروفة في العرف إذ في ذلك الجهل الصرف فإن الكون كله سماع عند صاحب الاستماع فالمنتهى غني عن تغني أهل العرف فإن محركه في باطنه وسماعه لا يحتاج إلى الأمر العارض الخارج المقيد الزائد.

ومنها التزاور يعني: [شغل ايشان دربهشت زرايت يكديكرست اين بزيارت آن ميرود وآن بزيارت اين مى آيد وقتى پيغمبران بزيارت صديقان واوليا وعلما روند وقتى صديقان واوليا وعلما بزيارت پيغمبران روند وقتى همه بهم جمه شوند بزيارت دركاه عزت وحضرت الهيت روند] وفي الحديث: «إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل يوم جمعة في رحال الكافور وأقربهم منه مجلساً أسرعهم إليه يوم الجمعة وأبكرهم غدواً». قال بعض الكبار: إن أهل النار يتزاورون لكن على حالة مخصوصة وهي أن لا يتزاور إلا أهل كل طبقة مع أهل طبقته كالمحرور يزور المحرورين والمقرور يزور المقرورين فلا يزور المقرور محروراً وعكسه بخلاف أهل الجنة للإطلاق والسراح الذي لأهلها المشاكل للنعيم ضد ما لأهل النار من الضيق والتقييد.

ومنها ضيافة الله تعالى [خدايرا عز وجل دو ضيافت است مر بندكانرا يكى اندر ربض بهشت بيرون بهشت ويكى اندر بهشت ولكن آن ضيافت كه دربهشت است متكرر ميشود چنانكه] رؤيت وما ظنك بشغل من سعد بضيافة الله والنظر إلى وجهه وفي الحديث: «إذا نظروا إلى الله نسوا نعيم الجنة».

ومنها شغلهم عما فيه أهل النار على الإطلاق وشغلهم عن أهاليهم في النار لا يهمهم ولا يبالون بهم ولا يذكرونهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم يعني: [بهشتيانرا چندان ناز ونعيم بودكه ايشانرا پرواى اهل دوزخ نبود نه خبرايشان پرسند نه پرواى ايشان دارندكه نام ايشان برند] وذلك لأن الله تعالى ينسيهم ويخرجهم من خاطرهم إذ لو خطر ذكرهم بالبال تنغص عيش الوقت [وكفته اند شغل بهشتيان ده پيزاست ملكى كه در وعزل نه. جوانى كه با او پيرى نه. صحتى بردوام كه با اوبيمارى نه. عزى پيوسته كه با اوذل نه. راحتى كه بااوشدت نه. نعمتى كه با او محنت نه بقايى كه با اوفنانه، حياتى كه با اومرك نه. رضايى كه با اوسخط نه. انسى كه بااو وحشت نه] والظاهر أن المراد بالشغل ما هم فيه من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية أي: شغل كان. وفي الآية إشارة إلى أن أهل النار لا نعم لهم من الطعام والشراب والنكاح وغيرها لأن النعيم من تجلي الصفات الجمالية وهم ليسوا من أهله لأن حالهم القهر والجلال غير أن بعض الكبار قال: أما أهل النار فينامون في أوقات ببركة سيدنا محمد ﷺ وذلك هو القدر الذي ينالهم من النعيم فنسأل الله العافية انتهى وهذا كلام من طريق الكشف وليس ببعيد إذ قد ثبت في تذكرة القرطبي أن بعض العصاة ينامون في النار إلى وقت خروجهم منها ويكون عذابهم نفس دخولهم في النار فإنه عار عظيم وذل كبير ألا يرى أن من حبس في السجن كان هو عذاباً له بالنسبة إلى مرتبته وإن لم يعذب بالضرب والقيد ونحوهما ثم إنا نقول والعلم عند الله تعالى [ودربحر الحقائق كويد مراد از اصحاب جنت طالبان بهشت اندكه مقصد ايشان نعيم جنات بود حق سبحانه وتعالى ايشانرا بتنعم مشغول

كرداند وآن حال اكرچه نسبت بادوزخيان ازجلائل احوال است نسبت باطلبان حق بغايت فرو مى نمايد واينجا سر «أكثر أهل الجنة البله» پى توان برد]. وعن بعض أرباب النظر أنه كان واقفاً على باب الجامع يوم الجمعة والخلق قد فرغوا من الصلاة وهم يخرجون من الجامع قال: هؤلاء حشو الجنة وللمجالسة أقوام آخرون. وقد قرىء عند الشبلي رحمه الله قوله تعالى: ﴿إن أصحاب الجنة﴾ الخ فشهق شهقة وغاب فلما أفاق قال مساكين: لو علموا أنهم عما شغلوا لهلكوا يعني: [بيچاركان اكرداندكه ازكه مشغول شده اند في الحال درورطه هلاك مى افتند. ودر كشف الأسرار از شيخ الإسلام الأنصاري نقل ميكندكه مشغول نعمت بهشت ازان عامه مؤمنانست اما مقربان حضرت از مطالعه شهود وملاحظه نور وجود يك لحظه بانعيم بهشت نپردازند] قال علي رضي الله عنه: لو حجبت عنه ساعة لمت.

روزيكه مرا وصل تودر چنك آيد از حال بهشتيان مرا ننك آيد
وربي تو بصحراى بهشتم خوانند صحراى بهشت بر دلم تنك آيد

وفي «التأويلات النجمية»: إن لله تعالى عباداً استخصهم للتخلق بأخلاقه في سر قوله: «كنت سمعه وبصره فبي يسمع وبي يبصر» فلا يشغلهم شأن اشتغالهم بأبدانهم مع أهلهم عن شأن شهود مولاهم في الجنة كما أنهم اليوم مستديمون لمعرفته بأي حال من حالاتهم ولا يقدح اشتغالهم باستيفاء حظوظهم من معارفهم. فعلى العاقل أن يكون في شغل الطاعات والعبادات لكن لا يحتجب به عن المكاشفات والمعاينات فيكون له شغلان: شغل الظاهر وهو من ظاهر الجنة وشغل الباطن وهو من باطنها فمن طلبه تعالى لم يضره أن يطلب منه لأن عدم الطلب مكابرة له في ربوبيته ومن طلب منه فقط لم ينل لقاءه. قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: رأيت رب العزة في منامي فقال لي: يا معاذ كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد فإنه يطلبني.

واعلم أن كل مطلوب يوجد في الآخرة فهو ثمرة بذر طلبه في الدنيا سواء تعلق بالجنة أو بالحق كما قال عليه السلام: «يموت المرء على ما عاش فيه ويحشر على ما مات عليه» ﴿هم﴾ الخ استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسراراً من شركة أزواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة وهم مبتدأ والضمير لأصحاب الجنة ﴿وأزواجهم﴾ عطف عليه والمراد نساؤهم اللاتى كن لهم في الدنيا أو الحور العين أو أخلاؤهم كما في قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢] ويجوز أن يكون الكل مراداً فقوله وأزواجهم إشارة إلى عدم الوحشة لأن المنفرد يتوحش إذا لم يكن له جليس من معارفه وإن كان في أقصى المراتب ألا ترى أنه عليه السلام لحقته الوحشة ليلة المعراج حين فارق جبريل في مقامه فسمع صوتاً يشابه صوت أبي بكر رضي الله عنه فزالت عنه تلك الوحشة لأنه كان يأنس به وكان جليسه في عامة الأوقات ولأمر ما نهى النبي عليه السلام عن أن يبيت الرجل منفرداً في بيت ﴿في ظلال على الأرائك متكئون﴾ قوله متكئون خبر المبتدأ والجاران صلتان له قدمتا عليه لمراعاة الفواصل ويجوز أن يكون في ظلال خبراً ومتكئون على الأرائك خبراً ثانياً. والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب والظل ضد الضح بالفارسية [سايه] أو جمع ظلة كقباب جمع قبة وهي الستر الذي يسترك من الشمس. والأرائك جمع أريكة وهي كسفينة سرير في حجلة وهي محركة موضع يزين بالثياب والستور للعروس كما في «القاموس». قال في «المختار»: الأريكة سرير متخذ مزين في قبة أو بيت فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة أي: لا

أريكة وتسميتها بالأريكة إما لكونها في الأصل متخذة من الأراك وهو شجر يتخذ منه المسواك أو لكونها مكاناً للإقامة فإن أصل الأروك الإقامة على رعي الأراك ثم تجوز به في سائر الإقامات. والاتكاء الاعتماد بالفارسية: [تكيه زدن] أي: معتمدون في ظلال على السرر في الحجال والاتكاء على السرر دليل التنعم والفراغ. قال في «كشف الأسرار»: [معنى آنست كه ايشان وجفتان ايشان زير سايها اند بناها وخيمها كه از براى ايشان ساخته اند خيمهاست از مرواريد سفيد چهار فرسنك در چهار فرسنك آن خيمه زده شصت ميل ارتفاع آن ودران خيمه سريرها وتختها نهاده هر تختى سيصد كزار ارتفاع آن بهشتى چون خواهدكه بران تخت شودتخت بزمين پهن باز شودتا بهشتى آسان بى رنج بران تخت شود]. فإن قيل كيف يكون أهل الجنة في ظلال والظل إنما يكون حيث تكون الشمس وهم لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً. أجيب بأن المراد من الظل ظل أشجار الجنة من نور العرش لئلا يبهر أبصار أهل الجنة فإنه أعظم من نور الشمس. وقيل من نور قناديل العرش كذا في «حواشي ابن الشيخ». وقال في «المفردات»: ويعبر بالظل عن العز والمنعة وعن الرفاهة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١] أي: في عزة ومنعة وأظلني فلان أي: حرسني وجعلني في ظله أي: في عزه ومنعته وندخلهم ظلاً ظليلاً كناية عن نضارة العيش انتهى. وقال الإمام في سورة النساء: إن بلاد العرب كانت في غاية الحرارة فكان الظل عندهم من أعظم أسباب الراحة وهذا المعنى جعلوه كناية عن الراحة قال عليه السلام: «السلطان ظل الله في الأرض». وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى يقول لأقوام فارغين عن الالتفات إلى الكونين مراقبين للمشاهدات إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم أي: أشكالهم فارغبوا أنتم إليّ واشتغلوا بي وتنعموا بنعيم وصالي وتلذذوا بمشاهدة جمالي فإنه لا لذة فوقها رزقنا الله وإياكم ذلك قال الحافظ:

صحبت حور نخواهم كه بود عين قصور   باخيال تواكر باد كرى پردازم

وقال أيضاً:

نعيم أهل جهان پيش عاشقان يك جو

﴿لهم فيها فاكهة﴾ الخ بيان لما يتمتعون به في الجنة في المآكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان مالهم فيها من مجالس الإنس ومحافل القدس تكميلاً لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة والفاكهة الثمار كلها والمعنى لهم في الجنة غاية مناهم فاكهة كثيرة من كل نوع من أنواع الفواكه عظيمة لا توصف جمالاً وبهجة وكمالاً ولذة كما روي أن الرمانة منها تشبع السكن وهو أهل الدار والتفاحة تنفتق عن حوراء عيناء وكل ما هو من نعيم الجنة فإنما يشارك نعيم الدنيا في الاسم دون الصفة. وفيه إشارة إلى أن لا جوع في الجنة لأن التفكه لا يكون لدفع ألم الجوع ﴿ولهم ما يدعون﴾ الجملة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء بعطف ما يدعون على فاكهة لئلا يتوهم كون ما عبارة عن توابع الفاكهة وتتماتها وما عبارة عن مدعو عظيم الشأن معين أو مبهم. ويدعون أصله يدتعيون على وزن يفتعلون من الدعاء لا من الادّعاء بمعنى الإتيان بالدعوى وبالفارسية: [دعوى كردن بركسى] فبناء افتعل الشيء فعله لنفسه وإعلاله أنه استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى ما قبلها فحذفت لاجتماع الساكنين فصار يدتعون ثم أبدلت التاء دالاً فأدغمت الدال في الدال فصار يدعون والمعنى ولهم ما يدعون الله به لأنفسهم من مدعو عظيم الشأن أو كل ما يدعون به كائناً ما كان

من أسباب البهجة وموجبات السرور. قال ابن الشيخ: أي: ما يصح أن يطلب فهو حاصل لهم قبل الطلب كما قال الإمام ليس معناه أنهم يدعون لأنفسهم شيئاً فيستجاب لهم بعد الطلب بل معناه لهم ذلك فلا حاجة إلى الدعاء كما إذا سألك أحد شيئاً فقلت: لك ذلك وإن لم تطلبه ويجيء الادعاء بمعنى التمني كما قال في «تاج المصادر» [الادعاء: آرزو خواستن] من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه عليّ فالمعنى ولهم ما يتمنونه وبالفارسية: [ومرايشانرا آنچه خواهند وآرزو برند وابن عباس رضي الله عنهما كفت كه بهشتى از أطعمه وأشربه بى آنكه بزبان آرد پيش خود حاضر بيند].

﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ۝٥٨ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٥٩﴾.

﴿سلام﴾ بدل من ما يدعون كأنه قيل ولهم سلام وتحية يقال لهم ﴿قولا﴾ كائناً ﴿من﴾ جهة ﴿رب رحيم﴾ أي: يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة الملك أو بدونها مبالغة في تعظيمهم فقولا مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو صفة له والأوجه أن ينتصب قولاً على الاختصاص أي: بتقدير أعني فإن المقام مقام المدح من حيث إن هذا القول صادر من رب رحيم فكان جديراً بأن يعظم أمره وفي الحديث «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم».

سلام دوست شنيدن سعادتست وسلامت بوصل يار رسيدن فضيلتست وكرامت

قال في «كشف الأسرار» [معنى سلام آنست كه سلمت عبادي من الحرقة والفرقة واشارت رحمت درين موضع آنست كه ايشانرا برحمت خويش قوت وطاقت دهد تا بى واسطه كلام حق بشنوند وديدار وى بينند وايشانرا دهشت وحيرت نبود].

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن سلامه تبارك وتعالى كان قولاً منه بلا واسطة وأكده بقوله رب ليعلم أنه ليس بسلام على لسان سفير وقوله رحيم فالرحمة في تلك الحالة أن يرزقهم الرؤية حال ما يسلم عليهم ليكمل لهم النعمة. وفي «حقائق البقلي» سلام الله أزلي إلى الأبد غير منقطع عن عباده الصادقين في الدنيا والآخرة لكن في الجنة يرفع عن آذانهم جميع الحجب فيسمعون سلامه وينظرون إلى وجهه كفاحا:

سلامت من دلخسته درسلام توباشد زهى سعادت اكر دولت سلام تويابم

قال في «كشف الأسرار»: [سلام خداوند كريم بربندكان ضعيف دو ضرب است يكى بسفير وواسطه ويكى بى سفير وبى واسطه اما آنچه بواسطه است اول سلام مصطفاست عليه السلام وذلك في قوله: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ [الأنعام: ٥٤] أي: محمد چون مؤمنان برتو آيند ونواخت ما طلبند تو بنيابت ما برايشان سلام كن وبكوى ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ﴾ [الأنعام: ٥٤] باز چون روز كار حيات بنده برسد وبريد مرك در رسد دران دم زدن بازپسين ملك الموت را فرمان آيدكه توبريد حضرت مايى بفرمان ما قبض روح بنده ميكنى نخست اورا شربت شادى ده ومرهمى بردل خسته بروى نه بروى سلام

كن ونعمت بروى تمام كن اينست كه رب العزت كفت ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب: ٤٤] آن فرشتكان ديكركه اعوان ملك الموت اند چون آن نواخت وكرامت بيننده‌مه كويند ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] أي: بنده مؤمن خوشدلى وديعت جان تسليم كردى نوشت بادوسلام ودرود مرترا باد ازسراى حكم قدم درساخت بهشت نه كه كار كارتست ودولت دولت تو وازان پس چون ازحساب وكتاب ديوان قيامت فارغ شود بدربهشت رسد ورضوان اورا استقبال كند كويد ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] سلام ودرود برشماخوش كشتيد وپاك آمديد وپاك زندكانى كرديد اكنون دررويد درين سراى جاودان ونازونعيم بى كران وازان پس كه در بهشت آيد بغرفه خويش آرام كيرد فرستادكان ملك آيندواورا مژده دهند وسلام رسانند وكويند ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٤] چون كوش بنده ازشنيدن سلام واسطه پرشود وازدرود فرشتكان پرشود آرزوى ديدارحق وسلام وكلام متكلم مطلب كند كويد بزبان افتقار درحالت انكسارى بساط انبساط كه. أي معدن ناز من اين نياز من تاكى. أي شغل جان من اين شغل جان من تاكى. أي همراز دل من اين انتظار دل من تاكى. أي ساقى سر من اين تشنكى من تاكى. أي مشهود جان من اين خبر پرسيدن من تاكى. خداوندا موجود دل عارفانى در ذكر يكانه آرزوى مشتقانى دروجود يكانه هيچ روى آن دارد خداونداكه ديدار بنمايى وخود سلام كنى برين بنده] فيتجلى الله عز وجل ويقول سلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله: ﴿**سلام قولاً من رب رحيم**﴾. قيل: سبعة أشياء ثواب لسبعة أعضاء لليد ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ [الطور: ٢٣] للرجل ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦] للبطن ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا﴾ [الطور: ١٩] للعين ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١] للفرج ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠] للأذن ﴿**سلام قولاً**﴾ للسان ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠].

﴿**وامتازوا**﴾ يقال مازه عنه يميزه ميزا أي عزله ونحاه فامتاز والتمييز الفصل بين المتشابهات ودل الامتياز على أنه حين يحشر الناس يختلط المؤمن والكافر والمخلص والمنافق ثم يمتاز أحد الفريقين عن الآخر كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الروم: ١٤] وهو عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال أولئك ووصف ثوابهم وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما ويجوز أن يكون معطوفاً على مضمر ينساق إليه حكاية حال أهل الجنة كأنه قيل بعد بيان كونهم في شغل عظيم الشأن وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عيناً وامتازوا عنهم وانفردوا ﴿**اليوم**﴾ وهو يوم القيامة والفصل والجزاء ﴿**أيها المجرمون**﴾ إلى مصيركم فكونوا في السعير وفنون عذابها ولهبها بدل الجنة لهم وألوان نعمها وطربها وبالفارسية: [وجدا شويد آنروز أي: مشركان ازموحدان واى منافقان از مخلصان كه شما بزندان دشمنان مى رانند وايشانرا ببوستان دوستان خوانند]. وعن وقتادة اعتزلوا عما ترجون وعن كل خير أو تفرقوا في النار لكل كافر بيت من النار ينفرد به ويردم بابه بالنار فيكون فيه أبد الآبدين لا يرى ولا يرى وهو على خلاف ما للمؤمن من الاجتماع بالإخوان وعذاب الفرقة عن القرناء والأصحاب من أسوء العذاب وأشد العقاب.

وفي «التأويلات»: يشير إلى امتياز المؤمن والكافر في المحشر والمنشر بابيضاض وجه المؤمن واسوداد وجه الكافر وبإيتاء كتاب المؤمن بيمينه وبإيتاء كتاب الكافر بشماله وبثقل

الميزان وبخفته وبالنور وبالظلمة وثبات القدم على الصراط وزلة القدم عن الصراط وغير ذلك. قال بعض الكبار: اعلم أن أهل النار الذين لا يخرجون منها أربع طوائف: المتكبرون، والمعطلة، والمنافقون، والمشركون ويجمعها كلها المجرمون قال تعالى: ﴿**وامتازوا اليوم أيها المجرمون**﴾ أي: المستحقون لأن يكونوا أهلاً لسكنى النار فهؤلاء أربع طوائف هم الذي لا يخرجون من النار من إنس وجن وإنما جاء تقسيمهم إلى أربع طوائف من غير زيادة لأن الله تعالى ذكر عن إبليس أنه يأتينا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ولا يدخل أحد النار إلا بواسطته فهو يأتي للمشرك من بين يديه ويأتي للمتكبر عن يمينه ويأتي للمنافق عن شماله ويأتي للمعطل من خلفه وإنما جاء للمشرك من بين يديه لأن المشرك بين يديه جهة غيبية فأثبت وجود الله ولم يقدر على إنكاره فجعله إبليس يشرك بالله في ألوهيته شيئاً يراه ويشاهده وإنما جاء للمتكبر من جهة اليمين لأن اليمين محل القوة فلذلك تكبر لقوته التي أحس بها من نفسه وإنما جاء للمنافق من جهة شماله الذي هو الجانب الأضعف لكون المنافق أضعف الطوائف كما أن الشمال أضعف من اليمين ولذلك كان في الدرك الأسفل من النار ويعطي كتابه بشماله وإنما جاء للمعطل من خلفه لأن الخلف ما هو محل نظر فقال له ما ثم شيء فهذه أربع مراتب لأربع طوائف ولهم من كل باب من أبواب جهنم جزء مقسوم وهي منازل عذابهم فإذا ضربت الأربع التي هي المراتب في السبعة أبواب كان الخارج ثمانية وعشرين منزلاً عدد منازل القمر وغيره من الكواكب السيارة انتهى كلامه.

﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿**ألم أعهد إليكم يا بني آدم**﴾ الخ من جملة ما يقال لهم يوم القيامة بطرق التقريع والإلزام والتبكيت بين الأمر بالامتياز وبين الأمر بدخول جهنم بقوله تعالى: ﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ﴾ [يس: ٦٤] الخ والعهد والوصية التقدم بأمر فيه خير ومنفعة والمراد هٰهنا ما كلفهم الله تعالى على ألسنة الرسل من الأوامر والنواهي التي من جملتها قوله تعالى: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨] وغيرها من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى والمراد ببني آدم المجرمون والمعنى بالفارسية: [أيا عهد نكرده ام شمارا يعني عهد كردم وفرمودم شمارا] ﴿**أن لا تعبدوا الشيطان**﴾ إن مفسرة للعهد الذي فيه معنى القول بالأمر والنهي أو مصدرية حذف منها الجار أي: ألم أعهد إليكم في ترك عبادة الشيطان والمراد بعبادة الشيطان عبادة غير الله لأن الشيطان لا يعبده أحد ولم يرد عن أحد أنه عبد الشيطان إلا أنه عبر عن عبادة غير الله بعبادة الشيطان لوقوعها بأمر الشيطان وتزيينه والانقياد فيما سوّله ودعا إليه بوسوسته فسمي إطاعة الشيطان والانقياد له عبادة له تشبيهاً لها بالعبادة من حيث إن كل واحد منهما ينبىء عن التعظيم والاجلال ولزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته تعالى. قال ابن عباس رضي الله عنهما: من أطاع شيئاً عبده دل عليه ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] والمعنى بالفارسية: [نپرستيد شيطانرا يعني بتان بفرموده شيطان] ﴿**إنه لكم عدو مبين**﴾ أي: ظاهر العداوة لكم يريد أن يصدكم عما جبلتم عليه من الفطرة وكلفتم به من الخدمة وهو تعليل

لوجوب الانتهاء عن المنهي عنه ووجه عداوة إبليس لبني آدم أنه تعالى لما أكرم آدم عليه السلام عاداه إبليس حسداً والعاقل لا يقبل من عدوه وإن كان ما يلقاه إليه خيراً إذ لا أمن من مكره فإن ضربة الناصح خير من تحية العدو. قال الشيخ سعدي قدس سره: [دشمن چون ازهمه حيلتي درماند سلسله دوستى بجنباند پس آنكاه بدوستى كارهاً كندكه هيچ دشمن نتواند كرد]:

حذركن زانچه دشمن كويد آن كن — كه بر زانوا زنى دست تغابن

كرت راهى نمايد راست چون تير — ازان بر كرد وراه دست چپ كير

قال بعض الكبار: اعلم أن عداوة إبليس لبني آدم أشد من معاداته لأبيهم آدم عليه السلام وذلك أن بني آدم خلقوا من ماء والماء منافر للنار وأما آدم فجمع بينه وبين إبليس اليبس الذي في التراب فبين التراب والنار جامع ولهذا صدقه لما أقسم له بالله إنه لناصح وما صدقه الأبناء لكونه لهم ضداً من جميع الوجوه فبهذا كانت عداوة الأبناء أشد من عداوة الأب ولما كان العدو محجوباً عن إدراك الأبصار جعل الله لنا علامات في القلب من طريق الشرع نعرفه بها تقوم لنا مقام البصر فنتحفظ بتلك العلامة من إلقائه وإعانة الله عليه بالملك لذي جعله الله مقابلاً له غيباً بغيب انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: في الآية إشارة إلى كمال رأفته وغاية مكرمته في حق بني آدم إذ يعاتبهم معاتبة الحبيب للحبيب ومناصحة الصديق للصديق وأنه تعالى يكرمهم ويجعلهم عن أن يعبدوا الشيطان لكمال رتبتهم واختصاص قربتهم بالحضرة وغاية ذلة الشيطان وطرده ولعنه من الحضرة وسماه عدواً لهم وله وسمي بني آدم الأولياء والأحباب وخاطب المجرمين منهم كالمعتذر الناصح لهم ألم أعهد إليكم ألم أنصح ألم أخبركم عن خباثة الشيطان وعداوته لكم وإنكم أعز من أن تعبدوا مثله ملعوناً مهيناً.

﴿وأن اعبدوني﴾ لأن مثلكم يستحق لعبادة مثلي فإني أنا العزيز الغفور وإني خلقتكم لنفسي وخلقت المخلوقات لأجلكم وعززتكم وأكرمتكم بأن أسجدت لكم ملائكتي المقربين وعبادي المكرمين وهو عطف على أن لا تعبدوا وإن فيه كما هي فيه أي: وحدوني بالعبادة ولا تشركوا بها أحداً وتقديم النهي على الأمر لما أن حق التخلية التقدم على التحلية وليتصل به قوله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥] فإنه إشارة إلى عبادته تعالى التي هي عبارة عن التوحيد والإسلام وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر: ٤١] والمقصود بقوله تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] والتنكير للتفخيم. قال البقلي: طلب الحق منهم ما خلق في فطرتهم من استعداد قبول الطاعة أي: اعبدوني بي لا بكم فهذا صراط مستقيم حيث لا تنقطع العبودية عن العباد أبداً ولا يدخل في هذا الصراط اعوجاج واضطراب أصلاً وكل قول يقبل الاختلاف بين المسلمين إلا قول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فإنه غير قابل للاختلاف فمعناه متحقق وإن لم يتكلم به أحد. قال الواسطي: من عبد الله لنفسه فإنما يعبد نفسه ومن عبده لأجله فإنه لم يعرف ربه ومن عبده بمعنى أن العبودية جوهرة فطرة الربوبية فقد أصاب ومن علامات العبودية ترك الدعوى واحتمال البلوى وحب المولى وحفظ الحدود والوفاء بالعهود وترك الشكوى عند المحنة وترك المعصية عند النعمة وترك الغفلة عند الطاعة. قال بعض الكبار: لا يصح مع العبودية رياسة أصلاً لأنها ضد لها ولهذا قال المشايخ رضوان الله عليهم آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الجاه.

واعلم أنه كم نصح الله ووعظ وأنذر وحذر ووصل القول وذكر ولكن المجرمين لم يقبلوا النصح ولم يتعظوا بالوعظ ولم يعملوا بالأمر بل عملوا بأمر الشيطان وقبلوا إغواءه إياهم فليرجع العاقل من طريق الحرب إلى طريق الصلح قال الشيخ سعدي قدس سره:

نه ابليس در حق ما طعنه زد كزاينان نيايد بجز كاربد
فغان ازبديها كه درنفس ماست كه ترسم شودظن ابليس راست
چو ملعون پسند آمدش قهرما خدايش بر انداخت ازبهرما
كجا بر سر آيم ازين عارونـنك كه بااو بصلحيم وباحق بجنك
نظر دوست تادر كند سوى تو كه درروى دشمن بودروى تو
ندانى كه كمترنهد دوست پاى چوبيندكه دشمن بوددر سراى

وقال أيضاً من طريق الإشارة:

نه مارا درميان عهد ووفا بود جفا كردى وبدعهدى نمودى
هنوزت ارسر صلحست بازآى كزان محبوبتر باشى كه بودى

﴿ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً﴾ جواب قسم محذوف والخطاب لبني آدم. وفي «الإرشاد» الجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيد التقريع ببيان أن جناياتهم ليست بنقض العهد فقط بل به وبعدم الاتعاظ بما شاهدوا من العقوبات النازلة على الأمم الخالية بسبب طاعتهم للشيطان والخطاب لمتأخريهم الذين من جملتهم كفار مكة خصوا بزيادة التوبيخ والتقريع لتضاعف جناياتهم والجبل بكسر الجيم وتشديد اللام الخلق أي: المخلوق ولما تصور من الجبل العظم قيل للجماعة العظيمة جبل تشبيهاً بالجبل في العظم وإسناد الإضلال إلى الشيطان مجاز والمراد سببيته كما في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦] وإلا فالهداية والإضلال و«الإرشاد» والإغواء صفة الله تعالى في الحقيقة بدليل قوله عليه السلام: «بعثت داعياً ومبلغاً وليس إليّ من الهدى شيء وخلق إبليس مزيناً وليس إليه من الضلالة شيء» والمعنى وبالله لقد أضل الشيطان منكم خلقاً كثيراً يعني صار سبباً لضلالهم عن ذلك الصراط المستقيم الذي أمرتكم بالثبات عليه فأصابهم لأجل ذلك ما أصابهم من العقوبات الهائلة التي ملأ الآفاق أخبارها وبقي مدى الدهر آثارها.

وقال بعضهم: وكيف تعبدون الشيطان وتنقادون لأمره مع أنه قد أضل منكم يا بني آدم جماعة متعددة من بني نوعكم فانحرفوا بإضلاله عن سواء السبيل فحرموا من الجنة الموعودة لهم ﴿أفلم تكونوا تعقلون﴾ الفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي: أكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون إنها لضلالهم وطاعتهم إبليس أو فلم تكونوا تعقلون شيئاً أصلاً حتى ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب. وقال الكاشفي: [ايا نيستيد شماكه تعقل كنيد وخودرا دردام فريب او بيفكنيد]. وفي «كشف الأسرار» هو استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل وفي الحديث «قسم الله العقل ثلاثة أجزاء فمن كانت فيه فهو العاقل حسن المعرفة بالله» أي: الثقة بالله في كل أمر والتفويض إليه والائتمار له على نفسك وأحوالك والوقوف عند مشيئته لك في كل أمر دنيا وآخرة «وحسن الطاعة لله» وهو أن تطيعه في كل أموره «وحسن الصبر» لله وهو أن تصبر في النوائب صبراً لا يرى عليك في الظاهر أثر النائبة كذا في «درر الأصول».

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً﴾ عن صراط مستقيم عبوديتي وأبعدكم عن جواري وقربتي ﴿أفلم تكونوا تعقلون﴾ لتعلموا أن الرجوع إلى الحق أولى من التمادي في الباطل فلا تظلموا على أنفسكم وارجعوا إلى ربكم واعلم أن العقل نور يستضاء به كما قال في «المثنوي»:

كربصورت وانمايد عقل رو تيره باشد روز پيش نوراو
ورمثال احمقى پيدا شود ظلمت شب پيش اوروشن بود
اندك اندك خوى كن بانور روز ورنه خفاشىء بمانى بى فروز
عقل كل راكفت ما زاغ البصر عقل جزئي ميكند هرسونظر

ثم اعلم أن الجاهل الأحمق والضال المطلق في يد الشيطان يقوده حيث يشاء ولو علم حقيقة الحال وعقل أن الله الملك المتعال واهتدى إلى طريق التوحيد والطاعة لحفظه الله من تلك الساعة فإن التوحيد حصنه الحصين ومن دخل فيه أمن من مكر العدو المهين ومن خرج عنه طالباً للنجاة أدركه الهلاك ومات في يد الآفات ومن أهمل نفسه فلم يتحرك لشيء كان كمجنون لا يعرف شمساً من فيء فنسأل الله الاشتغال بطاعته واستيعاب الأوقات بعبادته وطرد الشيطان بأنوار الخدمة وقهر النفس بأنواع الهمة.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿هذه جهنم التي كنتم﴾ أيها المرجون ﴿توعدون﴾ أي: توعدونها على ألسنة الرسل في الدنيا في أزمنتها المتطاولة بمقابلة عبادة الشيطان مثل قوله تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٥] وغير ذلك وهو استئناف يخاطبون به من خزنة جهنم بعد تمام التوبيخ والتقريع والإلزام والتبكيت عند إشرافهم على شفير جهنم ﴿اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون﴾ يقال: صلي اللحم كرمي يصليه صلياً شواه وألقاه في النار وصلى النار قاسى حرها وأصله أصليوها فاعل كاحشيوا وهو أمر تنكيل وإهانة كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩] والمعنى ادخلوها وقاسوا حرها وفنون عذابها اليوم بكفركم المستمر في الدنيا وفي ذكر اليوم ما يوجب شدة ندامتهم وحسرتهم يعني أن أيام لذاتكم قد مضت ومن هذا الوقت واليوم وقت عذابكم. قال أبو هريرة رضي الله عنه: أوقدت النار ألف عام فابيضت ثم أوقدت ألف عام فاحمرت ثم أوقدت ألف عام فاسودت فهي سوداء كالليل المظلم وهي سجن الله تعالى المجرمين قال النبي عليه السلام لجبرائيل: «ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط» قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار. قال بعضهم: ذكر النار شديد فكيف القطيعة والفضيحة فيها ولذا ورد فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة.

وعن السري السقطي رحمه الله: أشتهي أن أموت ببلدة غير بغداد مخافة أن لا يقبلني قبري فافتضح عندهم. وقال العطار رحمه الله: لو أن ناراً أوقدت فقيل من قبل الرحمٰن من ألقى نفسه فيها صار لاشياً لخشيت أن أموت من الفرح قبل أن أصل إلى النار لخلاصي من العذاب الأبدي فانظر إلى إنصاف هؤلاء السادات كيف أساءوا الظن بأنفسهم مع أنهم موحدون توحيداً حقيقياً عابدون عارفون وقد جعل دخول النار مسبباً عن الكفر والشرك والأوزار.

خدايا بعزت كه خوارم مكن بذل كنه شرمسارم مكن

مـرا شـر مـسـاری زروی تـوبـس دكـر شـر مـسـارم مـكـن پـيـش كـس
بـلـطـفـم بـخـوان يـابـران ازدرم نـدارد بـجـز آسـتـانـت سـرم
بـحـقـت كـه چـشـم زبـاطـل بـدوز بـنـورت كـه فـردا بـنـارم مـسـوز

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ الختم في الأصل الطبع ثم استعير للمنع والأفواه جمع فم وأصل فم فوه بالفتح وهو مذهب سيبويه والبصريين كثوب وأثواب حذفت الهاء حذفاً على غير قياس لخفائها ثم الواو لاعتدالها ثم أبدل الواو المحذوفة ميماً لتجانسهما لأنهما من حروف الشفة فصار فم فلما أضيف رد إلى أصله ذهاباً به مذهب أخواته من الأسماء. وقال الفراء جمع فوه بالضم كسوق وأسواق وفي الآية التفات إلى الغيبة للإيذان بأن ذكر أحوالهم القبيحة استدعى أن يعرض عنهم ويحكي أحوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الإيمان إلى أن ذلك من مقتضيات الختم لأن الخطاب لتلقي الجواب وقد انقطع بالكلية والمعنى تمنع أفواههم من النطق ونفعل بها ما لا يمكنهم معه أن يتكلموا فتصير أفواههم كأنها مختومة فتعترف جوارحهم بما صدر عنها من الذنو. **﴿وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم﴾** باستنطاقنا إياها **﴿بما كانوا يكسبون﴾** فتنطق الأربع بما كسبوه من السيئات والمراد جميع الجوارح لا أن كل عضو يعترف بما صدر منه [والكسب: حاصل كردن كسى چيزى را] والمعنى بالفارسية: [امروز مهر مى نهيم بر دهنهاى ايشان چون ميكويد كه مشرك نبوده ايم وتكذيب رسل نكرده وشيطانرا نپرستيده وسخن كويد بامادستهاى ايشان وكواهى دهد پايهاى ايشان بآنچه بودند در دنيا ميكردند]. قال بعضهم لما قيل لهم: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس: ٦٠] جحدوا وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين وما عبدنا من دونك من شيء وما أطعنا الشيطان في شيء من المنكرات فيختم على أفواههم وتعترف جوارحهم بمعاصيهم. والختم لازم للكفار أبداً. أما في الدنيا فعلى قلوبهم كما قال تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]. وأما في الآخرة فعلى أفواههم ففي الوقت الذي كان الختم على قلوبهم كان قولهم بأفواههم كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٠] فلما ختم على أفواههم أيضاً لزم أن يكون قولهم بأعضائهم لأن الإنسان لا يملك غير القلب واللسان والأعضاء فإذا لم يبق القلب واللسان تعين الجوارح والأركان. وفي «كشف الأسرار» [روز قيامت عمل كافران بركافران عرضه كنند وصحيفهاى كردار ايشان بايشان نمايند آن رسواييها بينند وكردها برمثال كوههاى عظيم انكار كنند وخصومت دركيرند وبر فرشتكان دعوى دروغ كنند كويند ما اين كه در صحيفهاست نكرده ايم وعمل ما نيست همسايكان برايشان كواهى دهند همسايكانرا دروغ زن كيرند أهل وعشيرت كواهى دهند وايشانرا نيز دروغ زن كيرند پس رب العزة مهر بردهنهاى ايشان نهد وجوارح ايشان بسخن آردتا بر كردهاى ايشان كواهى دهند] وعن أنس رضي الله عنه: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هل تدرون مم أضحك» قلنا: الله ورسوله أعلم قال: «في مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم يقول: بلى فيقول: لا أجيز عن نفسي إلا شاهداً مني فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً فيختم على فيه ويقال لأركانه: انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول: بعداً لكنّ وسحقاً فعنكنّ

كنت أناضل» أي: أدافع وأول عظم من الإنسان ينطق يوم يختم على الأفواه فخذه من رجله الشمال وكفه كما جاء في الحديث. والسر في نطق الأعضاء والجوارح بما صدر عنها ليعلم أن ما كان عوناً على المعاصي صار شاهداً فلا ينبغي لأحد أن يلتفت إلى ما سوى الله ويصحب أحداً غير الله لئلا يفتضح ثمة بسبب صحبته.

نكشود صائب ازمدد خلق هيچ كار   از خلق روى خود به خدا ميكنيم ما

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الغالب على الأفواه الكذب كما قال: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧] والغالب على الأعضاء الصدق ويوم القيامة يوم يسأل الصادقين عن صدقهم فلا يسأل الأفواه فإنها كثيرة الكذب ويسأل الأعضاء فإنها كثيرة الصدق فتشهد بالحق أما الكفار فشهادة أعضائهم عليهم مبيدة لهم وأما العصاة من المؤمنين الموحدين فقد تشهد عليهم أعضاؤهم بالعصيان ولكن تشهد لهم بعض أعضائهم أيضاً بالإحسان كما جاء في بعض الأخبار المروية المسندة أن عبداً تشهد عليه أعضاؤه بالزلة فتتطاير شعرة من جفن عينيه فتستأذن بالشهادة له فيقول الحق تعالى: تكلمي يا شعرة جفن عين عبدي واحتجي عن عبدي فتشهد له بالبكاء من خوفه فيغفر له وينادي مناد هذا عتيق الله بشعرة [دركشف الأسرار فرمودكه چنانكه جوارح اعدا بر افعال بدايشان كواهى ميدهد همچنين اعضاى بر طاعت ايشان اقامت شهادت كند چنانچه در آثار آورده اندكه حق سبحانه وتعالى بنده مؤمن را خطاب كندكه چه آورده او شرم داردكه عبادات وخيرات خود برشمارد حق سبحانه اعضاى ويرا بسخن در آورد تاهريك اعمال خودرا باز كويند انامل كواهى بردهد بر تسبيحات] كما قال عليه السلام لبعض النساء: «عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس واعقدن بالأنامل فإنهن مسؤولات مستنطقات» يعني: بالشهادة يوم القيامة ولذا سن عد الأذكار بالأصابع وإن لم يعلم العقد المعهود يعدّهن بأصابعه كيف شاء كما في «الأسرار المحمدية».

وقال بعض العرفاء معنى الختم على الأفواه وتكلم الأيدي وشهادة الأرجل تغيير صورهم وحبس ألسنتهم عن النطق وتصوير أيديهم وأرجلهم عن صورة تدل بهيئاتها وأشكالها على أعمالها وتنطق بألسنة أحوالها على ما كان من هيئة أفعالها انتهى. فكما أن هيئة أعضاء المجرمين تدل على قبح أحوالهم وسوء أفعالهم كذلك شكل جوارح المؤمنين يدل على حسن أحوالهم وجمال أفعالهم وكل إناء يترشح بما فيه فطوبى للسعداء ومن يتبعهم في زيهم وهيئاتهم وطاعاتهم وعباداتهم.

پى نيك مردان بيايد شتافت   كه هركين سعادت طلب كرد يافت
وليكن تو دنبال ديو خسى   ندانم كه درصالحان كى رسى
پيمبر كسى را شفاعت كرست   كه برجاده شرع پيغمبرست

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿**ولو نشاء**﴾ لو للمضي إن دخل على المضارع ولذا لا يجزمه أي: ولو أردنا عقوبة المشركين في الدنيا هم أهل مكة ﴿**لطمسنا على أعينهم**﴾ طمس الشيء إزالة أثره بالكلية يقال طمسته أي: محوته واستأصلت أثره كما في «القاموس» أي: لسوينا أعينهم ومحوناها بأن أزلنا

ضوءها وصورتها بحيث لا يبدو لها شق ولا جفن وتصير مطموسة ممسوخة كسائر أعضائهم وبالفارسية: [هرآينه ناييدا كنيم يعني رقم محو كشيم بر چشمهاى ايشان] يعني كما أعمينا قلوبهم ومحونا بصائرهم لو نشاء لأعمينا أبصارهم الظاهرة وأزلناها بالكلية فيكون عقوبة على عقوبة ﴿فاستبقوا الصراط﴾ الاستباق افتعال وبالفارسية: [بر يكديكر پيش كرفتن] والصراط من السبيل ما لا التواء فيه بل يكون على سبيل القصد وانتصابه بنزع الجار لأن الصراط مسبوق إليه لا مسبوق أي: فأرادوا أن يستبقوا ويتبادروا إلى الطريق الواسع الذي اعتادوا سلوكه وبالفارسية: [پس پيشى كيرند وآهنك كنند راهى راكه در سلوك آن معتادند] ﴿فأنى يبصرون﴾ أي: فكيف يبصرون الطريق وجهة السلوك إلى مقاصدهم حين لا عين لهم للابصار فضلاً عن غيره أي: لا يبصرون لأن أنى بمعنى كيف وكيف هنا إنكار فتفيد النفي وحاصله تهديد لأهل مكة بالطمس فإن الله تعالى قادر على ذلك كما فعل بقوم لوط حين كذبوه وراودوه عن ضيفه.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى طمس عين الظاهر بحيث لا يكون لها شق فكيف تبكي حتى تشهد بالبكاء على صاحبها ويشير أيضاً إلى طمس عين الباطن فإذا كانت مطموسة كيف يبصر بها الحق والباطل ليرجع من الباطل إلى الحق وإذا لم يبصر بها الحق كيف يخاف من الباطل ليحترق قلبه بنار الخوف فيسيل منه الدمع ليشهد له بالبكاء من الخوف.

كريه وزارى دليل رهبتست هركرا اين نيست اهل شقوتست

﴿ولو نشاء لمسخناهم﴾ المسخ تحويل الصورة إلى ما هو أقبح منها سواء كان ذلك التحويل بقلبها إلى صورة البهيمية مع بقاء الصورة الحيوانية أو بقلبها حجراً ونحوه من الجمادات بإبطال القوى الحيوانية. والمعنى ولو نشاء نسقطهم عن رتبة التكليف ودرجة الاعتبار لغيرنا صورهم بأن جعلناهم قردة وخنازير كما فعلنا بقوم موسى أي: بني إسرائيل في زمان داود عليه السلام أو بأن جعلناهم حجارة ومدرة وهذا أشد من الأول وأقبح لأن الأول خروج عن رتبة الإنسانية إلى الحيوانية وهذا عن الحيوانية إلى الجمادية التي ليس فيها شعور أصلاً وقطعاً ﴿على مكانتهم﴾ بمعنى المكان إلا أن المكانة أخص كالمقامة والمقام أي: مكانهم ومنزلهم الذي هم فيه قعود وبالفارسية: [برجاى خويش تاهم آنجا افسرده شوند] وقال بعضهم: لأقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم ﴿فما استطاعوا مضياً﴾ ذهاباً وإقبالاً إلى جانب أمامهم أي: لم يقدروا أن يبرحوا مكانهم بإقبال. أصله مضوي قلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء وكسرت الضاد قبل الياء لتسلم الياء ومن قرأ مضياً بكسر الميم فإنما كسرها اتباعاً للضاد ﴿ولا يرجعون﴾ أي: ولا رجوعاً وإدباراً إلى جهة خلفهم فوضع موضع الفعل لمراعاة الفاصلة وليس مساق الشرطين لمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر من عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان أنهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاظ بما شاهدوا من آثار دثار امثالهم أحقاء بأن يفعل بهم في الدنيا تلك العقوبة كما فعل بهم في الآخرة عقوبة الختم وأن المانع من ذلك ليس إلا عدم تعلق المشيئة الإلهية به كأنه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ لفعلناها لكنا لم نفعل جرياً على سنن الرحمة العامة والحكمة التامة الداعيتين إلى إمهالهم زماناً إلى أن يتوبوا ويؤمنوا ويشكروا النعمة أو إلى أن يتولد منهم من يتصف بذلك.

قال بعض الحكماء: المسخ ضربان خاص وهو تشويه الخلق بالفتح وعام في كل زمان

وهو تبديل الخلق بالضم وذلك أن يصير الإنسان متخلقاً بخلق ذميم من أخلاق بعض الحيوانات نحو أن يصير في شدة الحرص كالكلب أو الشره كالخنزير أو الغمارة كالثور. فعبارة الآية في تحويل الصورة وإشارتها في تحويل الصفات الإنسانية بالصفات السبعية والشيطانية فلا يقدرون على إزالة هذه الصفات ولا يقدرون على رجوعهم إلى صفاتهم الإنسانية فمن مسخه الله في الدنيا بصفات حشره في صورة صفته الممسوخة كما جاء في الحديث الصحيح «إن آزر يحشر على صفة ضبع». قال في «حياة الحيوان»: في الحديث: «يلقي إبراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعص فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزي أخزي من أن يكون أبي في النار فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيح متلطخ وهو بكسر الذال والخاء المعجمتين ذكر الضباع الكثيرة الشعر فيؤخذ بقوائمه ويلقى في النار والحكمة في كون آزر مسخ ضبعاً دون غيره من الحيوان أن الضبع تغفل عما يجب التيقظ له وتوصف بالحمق فلما لم يقبل آزر النصيحة من أشفق الناس عليه وقبل خديعة عدوه الشيطان أشبه الضبع الموصوفة بالحمق لأن الصياد إذا أراد أن يصيدها رمى في حجرها بحجر فتحسبه شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك ولأن آزر لو مسخ كلباً أو خنزيراً كان فيه تشويه لخلقه فأراد الله تعالى إكرام إبراهيم عليه السلام بجعل أبيه على هيئة متوسطة». قال في «المحكم»: يقال خزيته أي: ذللته فلما خفض إبراهيم عليه السلام له جناح الذل من الرحمة لم يخز بصفة الذل يوم القيامة فإذا كان حال إبراهيم فما ظنك بغيره ممن لم يأت الله بقلب سليم فينبغي أن لا يلتفت إلى الاكتساب بل يؤخذ بصالحات الأعمال وخالصات الأحوال نرجو من الله المتعال أن لا يفضحنا يوم السؤال.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿ومن نعمره﴾ [التعمير: زندكانى دادن] والعمر مدة عمارة البدن بالروح أي: ومن نطل عمره في الدنيا وبالفارسية: [هركرا عمر دراز دهيم] **﴿ننكسه في الخلق﴾** [التنكيس: نكونسار كردن] وهو أبلغ والنكس أشهر وهو قلب الشيء على رأسه ومنه نكس الولد إذا خرج رجله قبل رأسه والنكس في المرض أن يعود في مرضه بعد إفاقته والنكس في الخلق وهو بالفارسية: [آفرينش] الرد إلى أرذل العمر والمعنى نقلبه فيه ونخلقه على عكس ما خلقناه أولاً فلا يزال يتزايد ضعفه وتتناقص قوته وتنتقض بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود إلى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والإدراك.

أراني كل يوم في انتقاص ولا يبقى على النقصان شيء

﴿أفلا يعقلون﴾ أي: أيرون ذلك فلا يعقلون أن من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ فإنه مشتمل عليهما وزيادة غير أنه على تدرج وأن عدم إيقاعهما لعدم تعلق مشيئته تعالى بهما.

نزد قدرت كارها دشوار نيست

وفي «البحر»: فإن لم نفعلها بكم في الدنيا نفعلها بكم في الآخرة إن لم تتوبوا عن الكفر

والمعاصي فإنه روي أن بعض الناس من هذه الأمة يحشرون على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسين أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمياً وبعضهم صماً وبكماً وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع إلى غير ذلك وسيجيء تفصيله في محله. قال أبو بكر الوراق قدس سره: من عمره الله بالغفلة فإن الأيام والأحوال مؤثرة فيه حالاً فحالاً من طفولة وشباب وكهولة وشيبة إلى أن يبلغ ما حكى الله عنه من قوله: **﴿ومن نعمره ننكسه في الخلق﴾** ومن أحياه الله بذكره فإن تلون الأحوال لا يؤثر فيه فإنه متصل الحياة بحياة الحق حي به وبقربه قال الله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]. قال في «كشف الأسرار»: [اين بندكانرا تنبيهي است عظيم بيدار كردن ايشان ازخواب غفلت يعني كه خودرا دريابيد وروز كار جوانى وقوت بغنيمت داريد وعمل كنيد پيش ازانكه نتوانيد] قال النبي ﷺ: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك وفراغك قبل شغلك» [پس اكر روز كار جوانى ضايع كند ودر عمل تقصير كند برسر پيرى وعجز عذري باز خواهد هم نكوبود] قال النبي عليه السلام: «إذا بلغ الرجل تسعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب أسير الله في الأرض وشفع في أهل بيته وإذا بلغ مائة سنة استحيى الله عز وجل منه أن يحاسبه» أي: رضي عنه وسامح في حسابه، قال الشيخ سعدي قدس سره:

دلم ميدهد وقت وقت اين اميد ... كه حق شرم دارد زموى سفيد
عجب دارم ار شرم دارد زمن ... كه شرمم نمى آيد از خويشتن

﴿وما علمناه الشعر﴾ رد وإبطال لما كانوا يقولون في حقه عليه السلام من أنه شاعر وما يقوله شعر والظاهر في الرد أن يقال أنه ليس بشاعر وأن ما يتلوه عليكم ليس بشعر إلا أن عدم كونه شاعراً لما كان ملزوماً لعدم كون معلمه علمه الشعر نفي اللازم وأريد نفي الملزوم بطريق الكناية التي هي أبلغ من التصريح.

قال الراغب: يقال: شعرت أصبت الشعر ومنه استعير شعرت كذا أي: علمت علماً في الدقة كإصابة الشعر وسمي الشاعر شاعراً لفطنته ودقة معرفته. فالشعر في الأصل اسم للعلم الدقيق في قولهم: ليت شعري وصار في التعارف اسماً للموزون المقفى من الكلام والشاعر المختص بصناعته. وفي «القاموس»: الشعر غلب على منظوم القول لشرفه بالوزن والقافية وإن كان كل علم شعراً والجمع إشعار يقال شعر به كنصر وكرم علم به وفطن له وعقله. والشعر عند الحكماء القدماء ليس على وزن وقافية ولا الوزن والقافية ركن في الشعر عندهم بل الركن في الشعر إيراد المقدمات المخيلة فحسب ثم قد يكون الوزن والقافية معينين في التخيل فإن كانت المقدمة التي تورد في القياس الشعري مخيلة فقط تمحض القياس شعرياً وإن انضم إليها قول إقناعي تركبت المقدمة من معنيين شعري وإقناعي وإن كان الضميم إليه قولاً يقينياً تركبت المقدمة من شعريّ وبرهانيّ.

قال بعضهم: الشعر إما منطقي وهو المؤلف من المقدمات الكاذبة وإما اصطلاحي وهو كلام مقفى موزون على سبيل القصد والقيد الأخير يخرج ما كان وزنه اتفاقياً كآيات شريفة اتفق جريان الوزن فيها أي: من بحور الشعر الستة عشر نحو قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟﴾ [آل عمران: ٩٢] وقوله: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣] وقوله: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ

﴿قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٣] ونحو ذلك وكلمات شريفة نبوية جاء الوزن فيها اتفاقياً من غير قصد إليه وعزم عليه نحو قوله عليه السلام حين عثر في بعض الغزوات فأصاب إصبعه حجر فدميت.

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

وقوله يوم حنين حين نزل ودعا واستنصر أو يوم فتح مكة:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وقوله يوم الخندق:

باسم الإله وبه بدأنا ولو عبدنا غيره شقينا

وغير ذلك سواء وقع في خلال المنثورات والخطب أم لا.

والمراد بالشعر الواقع في القرآن الشعر المنطقي سواء كان مجرداً عن الوزن أم لا والشعر المنطقي أكثر ما يروج بالاصطلاحي. قال الراغب: قال بعض الكفار للنبي عليه السلام: إنه شاعر فقيل لما وقع في القرآن من الكلمات الموزونة والقوافي. وقال بعض المحصلين أرادوا به أنه كاذب لأن ظاهر القرآن ليس على أساليب الشعر ولا يخفى ذلك على الأغتم من العجم فضلاً عن بلغاء العرب فإنما رموه بالكذب لأن أكثر ما يأتي به الشاعر كذب ومن ثمة سموا الأدلة الكاذبة شعراً. قال الشريف الجرجاني في «حاشية المطالع»: والشعر وإن كان مفيداً للخواص والعوام فإن الناس في باب الإقدام والإحجام أطوع للتخييل منهم للصدق إلا أن مداره على الأكاذيب ومن ثمة قيل أحسن الشعر أكذبه فلا يليق بالصادق المصدوق لما شهد به قوله تعالى: ﴿**وما علمناه الشعر**﴾ الآية والمعنى وما علمنا محمداً الشعر بتعليم القرآن على معنى أن القرآن ليس بشعر فإن الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبني على خيالات وأوهام واهية فأين ذلك من التنزيل الجليل الخطر المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والأحكام الباهرة الموصلة على سعادة الدنيا والآخرة ومن أين اشتبه عليهم الشؤون واختلط بهم الظنون قاتلهم الله أنى يؤفكون. وفي الآية: إشارة إلى أن النبي عليه السلام معلم من عند الله لأنه تعالى علمه علوم الأولين والآخرين وما علمه الشعر لأن الشعر قرآن إبليس وكلامه لأنه قال رب اجعل لي قرآناً قال تعالى قرآنك الشعر.

قال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في قوله تعالى: ﴿**وما علمناه الشعر**﴾ اعلم أن الشعر محل للإجمال واللغز والتورية أي: وما رمزنا لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم شيئاً ولا ألغزنا ولا خاطبناه بشيء ونحن نريد شيئاً ولا أجملنا له الخطاب حيث لم يفهم انتهى وهل يشكل على هذه الحروف المقطعة في أوائل السور ولعله رضي الله عنه لا يرى أن ذلك من قبيل المتشابه أو أن المتشابه ليس مما استأثر الله بعلمه.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير قوله: ﴿**وما علمناه الشعر**﴾ إلى أن كل أقوال وأعمال وأحوال تجري على العباد في الظاهر والباطن كلها تجري بتعليم الحق تعالى حتى الحرف والصنائع وذلك سر قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] وتعليمه الصنائع لعباده على ضربين بواسطة وبغير واسطة أما بالواسطة فبتعليم بعضهم بعضاً وأما بغير الواسطة فكما علم داود عليه السلام صنعة اللبوس وكل حرفة وصنعة يعملها الإنسان من قريحته بغير تعليم أحد فهي من هذا القبيل انتهى، وفي «المثنوي»:

قابل تعليم وفهمست اين جسد ليك صاحب وحى تعليمش دهد
جمله حرفتها يقين از وحى بود اول اوليك عقل آنرا فزود
هيچ حرفت را ببين كين عقل ما داند او آموختن بى اوستا
كرچه اندر مكر موى اشكاف بد هيچ بيشه رام بى استاد شد

ثم حكى قصة قابيل فإنه تعلم حفر القبر من الغراب حتى دفن أخاه هابيل بعد قتله وحمله على عاتقه أياماً ﴿**وما ينبغي له**﴾ البغاء الطلب والانبغاء انفعال منه يقال بغيته أي: طلبته فانطلب. قال الراغب: هو مثل قوله النار ينبغي أن تحرق الثوب أي: هي مسخرة للإحراق والمعنى وما يصح لمحمد الشعر ولا يتسخر ولا يتسهل ولا يتأتى له لو طلبه أي: جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يكن لسانه يجري به إلا منكسراً عن وزنه بتقديم وتأخير أو نحو ذلك كما جعلناه أمياً لا يهتدي للخط ولا يحسنه ولا يحسن قراءة ما كتبه غيره لتكون الحجة أثبت وشبهة المرتابين في حقية رسالته ادحض فإنه لو كان شاعراً لدخلت الشبهة على كثير من الناس في أن ما جاء به يقوله من عند نفسه لأنه شاعر صناعته نظم الكلام. وقال في «إنسان العيون» والحاصل أن الحق الحقيق بالاعتماد وبه تجتمع الأقوال أن المحرم عليه ﷺ إنما هو إنشاء الشعر أي: الإتيان بالكلام الموزون عن قصد وزنه وهذا هو المعنى بقوله: ﴿**وما علمناه الشعر**﴾ فإن فرض وقوع كلام موزون منه عليه السلام لا يكون ذلك شعراً اصطلاحاً لعدم قصد وزنه فليس من الممنوع منه والغالب عليه أنه إذا أنشد بيتاً من الشعر متمثلاً به أو مسنداً لقائله لا يأتي به موزوناً. وادعى بعض الأدباء أنه عليه السلام كان يحسن الشعر أي: يأتي به موزوناً قصداً ولكنه كان لا يتعاطاه أي: لا يقصد الإتيان به موزوناً قال: وهذا أتم وأكمل مما لو قلنا إنه كان لا يحسن وفيه أن في ذلك تكذيباً للقرآن.

وفي «التهذيب» للبغوي: من أئمتنا قيل كان عليه السلام يحسن الشعر ولا يقوله والأصح أنه كان لا يحسنه ولكن كان يميز بين جيد الشعر ورديئه ولعل المراد بين الموزون منه وغير الموزون. ثم رأيته في «ينبوع الحياة» قال: كان بعض الزنادقة المتظاهرين بالإسلام حفظاً لنفسه وماله يعرض في كلامه بأن النبي عليه السلام كان يحسن الشعر يقصد بذلك تكذيب كتاب الله تعالى في قوله: ﴿**وما علمناه الشعر وما ينبغي له**﴾ الآية الكل في «إنسان العيون». يقول الفقير أغناه الله القدير: هذا ما قالوه في هذا المقام وفيه إشكال كما لا يخفى على ذوي الإفهام لأنهم حين حملوا الشعر في هذا الكلام على المنطقي ثم بنوا قوله وما ينبغي له على القريض لم يتجاوب آخر النظم بأوله والظاهر أن المراد وما ينبغي له من حيث نبوته وصدق لهجته أن يقول الشعر لأن المعلم من عند الله لا يقول إلا حقاً وهذا لا ينافي كونه في نفسه قادراً على النظم والنثر ويدل عليه تمييزه بين جيد الشعر ورديئه أي: موزونه وغير موزونه على ما سبق ومن كان مميزاً كيف لا يكون قادراً على النظم في الإلهيات والحكم لكن القدرة لا تستلزم الفعل في هذا الباب صوناً عن إطلاق لفظ الشعر والشاعر الذي يوهم التخييل والكذب وقد كان العرب يعرفون فصاحته وبلاغته وعذوبة لفظه وحلاوته منطقه وحسن سرده والحاصل أن كل كمال إنما هو مأخوذ منه كما سبق في أواخر الشعراء. وكان أحب الحديث إليه ﷺ الشعر أي: ما كان مشتملاً على حكمة أو وصف جميل من مكارم الأخلاق أو نصرة الإسلام أو ثناء على الله ونصيحة للمسلمين. وأيضاً كان أبغض الحديث إليه ﷺ الشعر أي: ما كان فيه كذب وقبح

وهجو ونحو ذلك. وأما ما روي من أنه عليه السلام كان يضع لحسان في المسجد منبراً فيقوم عليه يهجو من كان يهجو رسول الله والمؤمنين فذلك من قبيل المجاهدة التي أشير إليها في قوله: «جاهدوا بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم».

شاعران شيران شدند وهجوشان همچو چنكال وچو دندانست دان
تيزكن دندان وموزى قطع كن اين چنين باشد مكافات بدان

﴿إن هو﴾ أي: ما القرآن ﴿إلا ذكر﴾ أي: عظة من الله تعالى وإرشاد للإنس والجن كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَلَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤] ﴿وقرآن مبين﴾ أي: كتاب سماوي بين كونه كذلك أو فارق بين الحق والباطل يقرأ في المحاريب ويتلى في المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدين فكم بينه وبين ما قالوا. فعطف القرآن على الذكر عطف الشيء على أحد أوصافه فإن القرآن ليس مجرد الوعظ بل هو مشتمل على المواعظ والأحكام ونحوها فلا تكرار. قال في «كشف الأسرار»: [هرپيغمبرى كه آمد برهان نبوت وى ازراه ديدها در آمد چو آتش ابراهيم وعصا ويد بيضاء موسى وإحياء موتاى عيسى عليهم السلام وبرهان نبوت محمد عربي أزراه دلها در آمد بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم اكرچه مصطفى را نيز معجزات بسيار بود كه محل اطلاع ديدها بود چون انشقاق قمر وتسبيح حجر وكلام ذئب وإسلام ضب وغير آن إما مقصود آنست كه موسى تحدى بعصا كرد وعيسى تحدى بإحياء موتى كرد ومصطفى عليه السلام تحدى بكلام كرد ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] عصاى موسى هرچند درو صفت ربانى تعبيه بودازدرخت عوسج بود ودم عيسى هرچندكه درو لطف الهى تعبيه بود اما وديعت سنيه بشر بود اى محمد توكه مى روى دمى وچوبى باخود مبر چوب نفقه خران باشد ودم نصيب بيماران توصفت قديم ما قرآن مجيد باخود بير تا معجزه تو صفت ما بود].

﴿لينذر﴾ أي: القرآن متعلق بقوله وقرآن أو بمحذوف دل عليه قوله إلا ذكر وقرآن أي إلا ذكر أنزل لينذر ويخوف ﴿من كان حياً﴾ أي: عاقلاً فهيماً يميز المصلحة من المفسدة ويستخدم قلبه فيما خلق له ولا يضيعه فيما لا يعنيه فإن الغافل بمنزلة الميت وجعل العقل والفهم للقلب بمنزلة الحياة للبدن من حيث إن منافع القلب منوطة بالعقل كما أن منافع البدن منوطة بالحياة. وفيه إشارة إلى أن كل قلب تكون حياته بنور الله وروح منه يفيده الإنذار ويتأثر به وأمارة تأثره الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة والمولى.

وقال بعضهم: من كان حياً أي: مؤمناً في علم الله فإن الحياة الأبدية بالإيمان يعني أن إيمان من كان مؤمناً في علم الله بمنزلة الحياة للبدن لكونه سبباً للحياة الأبدية. قال ابن عطاء: من كان في علم الله حياً أحياه الله بالنظر إليه والفهم عنه والسماع منه والسلام عليه. وقال الجنيد: الحي من كان حياته بحياة خالقه لا من تكون حياته ببقاء نفسه ومن كان بقاؤه ببقاء نفسه فإنه ميت في وقت حياته ومن كان حياته بربه كان حقيقة حياته عند وفاته لأنه يصل بذلك إلى رتبة الحياة الأصلية وتخصيص الإنذار بمن كان حي القلب مع أنه عام له ولمن كان ميت القلب لأنه المنتفع به ﴿ويحق القول﴾ أي: يجب كلمة العذاب وهو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] ﴿على الكافرين﴾ المصرين على الكفر لأنه إذا انتفت الريبة إلا المعاندة فيحق القول عليهم وفي إيرادهم بمقابلة من كان حياً إشعار بأنهم لخلوهم عن آثار

الحياة وأحكامها التي هي المعرفة أموات في الحقيقة كالجنين ما لم ينفخ فيه الروح فالمعرفة تؤدي إلى الإيمان والإسلام والإحسان التي لا يموت أهلها بل ينتقل من مكان إلى مكان. قال حضرة شيخي وسندي روح الله روحه: حالة النوم وحالة الانتباه إشارة إلى الغفلة ويقظة البصيرة فوقت الانتباه كوقت انتباه القلب في أول الأمر ثم الحركة إلى الوضوء إشارة إلى التوبة والإنابة ثم الشروع في الصلاة إشارة إلى التوجه الإلهي والعبور من عالم الملك والناسوت والدخول في عالم الملكوت ففي الحركات بركات كما أشار إليه المولوي في قوله:

فرقتي لو لم تكن في ذا السكوت لم يقل إنا إليه راجعون

ثم إن الإنذار صفة النبي عليه السلام في الحقيقة وقد قرىء لتنذر بتاء الخطاب ثم صفة وارثه الأكمل الذي هو على بصيرة من أمره.

قال الشيخ الشهير بأفتاده قدس سره: إن الوعظ لا يليق بمن لم يعرف المراتب الأربع لأنه يعالج مرض الصفراء بعلاج البلغم أو السوداء نعم يحصل له الثواب إذا كان لوجه الله تعالى ولكن لا يحصل الترقي قدر ذرة فإنه لا بد أن يعرف الواعظ أن أية آية تتعلق بالطبيعة وأية آية تتعلق بالنفس ولذلك بكى الأصحاب دماً فمن وجب عليه القول الأزلي بموت قلبه وقساوته كالكافرين والغافلين فلا يتأثر بالإنذار إذ الباز الأشهب إنما يصيد الصيد الحي فنسأل الله الحياة واليقظة والتأثر من كل الإنذار والتنبيه والعظة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

﴿**أولم يروا**﴾ الهمزة للإنكار والتعجيب والواو للعطف على مقدر والضمير للمشركين من أهل مكة أي: ألم يتفكروا ولم يعلموا علماً يقينياً هو في حكم المعاينة أي: قد رأوا وعلموا ﴿**أنا**﴾ بمقتضى جودنا ﴿**خلقنا لهم**﴾ أي: لأجلهم وانتفاعهم ﴿**مما عملت أيدينا**﴾ العمل كل فعل من الحيوان يقصد فهو أخص من الفعل أي: مما تولينا إحداثه بالذات لم يشاركنا فيه غيرنا بمعاونة وتسبب وذكر الأيدي وإسناد العمل إليها استعارة تمثيلية من عمل يعمل بالأيدي لأنه تعالى منزه عن الجوارح. قال الكاشفي: [ميان مردمان مثاليست هركارى كه تنهاكند كويند من اين مهم بدست خود ساخته ام يعني ديكر مرا درساختن يارى نداده] وإنما تخاطب العرب بما يستعملون في مخاطباتهم [اينجا نيز ميفرمايدكه ما آفريديم براى ايشان بخود بى مشاركت غيري]. قال الراغب: الأيدي جمع يد بمعنى الجارحة خص لفظ اليد لقصورنا إذ هي أجل الجوارح التي يتولى بها الفعل فيما بيننا. وقال العتبي: الأيدي هنا القوة والقدرة وقوله عملت أيدينا حكاية عن الفعل وإن لم يباشر الفعل باليد هذا كقوله جرى بناء هذه القنطرة وهذا القصر على يدي فلان. وفي الخبر على اليد ما أخذت حتى تؤديه فالأمانة مؤداة وإن لم تباشر باليد فيقول ما لي في يد فلان أو اليتيم تحت يد القيم فاليد يكنى بها عن الملكة والضبط.

وقال في «الأسئلة المقحمة»: الأيدي هنا صلة وهو كقوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] ومذهب العرب الكناية باليد والوجه عن الجملة انتهى وهذه المعاني متقاربة في الحقيقة ﴿**أنعاماً**﴾ مفعول خلقنا آخر جمعاً بينه وبين أحكامه المتفرعة عليه بقوله تعالى: ﴿**فهم**﴾ الخ جمع نعم وهو المال الراعية وهي الإبل والبقر والغنم والمعز مما في سيره نعومة أي: لين

ولا يدخل فيها الخيل والبغال والحمر لشدة وطئها الأرض وخص بالذكر من بين سائر ما خلق الله من المعادن والنبات والحيوان غير الأنعام لما فيها من بدائع الفطرة كما في الإبل وكثرة المنافع كما في البقر والغنم أي: الضأن والمعز ﴿فهم لها مالكون﴾. قال ابن الشيخ: الفاء للسببية ومالكون من ملك السيد والتصرف أي: فهم لسبب ذلك مالكون لتلك الأنعام بتمليكنا إياها وهم متصرفون فيها بالاستقلال يختصون بالانتفاع بها لا يزاحمهم في ذلك غيرهم.

﴿وذللناها لهم﴾ [التذليل: خوار وذليل ومنقاد كردن] والذل بالضم ويكسر ضد الصعوبة. وفي «المفردات» الذل ما كان عن قهر والذل ما كان بعد تصعب وشماس من غير قهر وذلت الدابة بعد شماس ذلاً وهي ذلول ليست بصعبة. والمعنى وصيرنا تلك الأنعام منقادة لهم وبالفارسية: [رام كرديم انعام را براى ايشان] بحيث لا تستعصي عليهم في شيء مما يريدون بها من الركوب والحمل والسوق إلى ما شاءوا والذبح مع كمال قوتها وقدرتها فهو نعمة من النعم الظاهرة ولهذا ألزم الله الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣] ﴿فمنها ركوبهم﴾ بفتح الراء بمعنى المركوب كالحلوب بمعنى المحلوب أي: فبعض منها مركوبهم أي: معظم منافعها الركوب وقطع المسافات وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب. قال الكاشفي: [پس بعضى ازان مركوب ايشانست كه بران سوارى كنند چون شتر] والركوب في الأصل كون الإنسان على ظهر حيوان وقد يستعمل في السفينة والراكب اختص في التعارف بممتطي البعير [والامتطاء: مركب ومطيه كرفتن] ﴿ومنها يأكلون﴾ أي: وبعض منها يأكلون لحمه وشحمه.

﴿ولهم فيها﴾ أي: في الأنعام المركوبة والمأكولة ﴿منافع﴾ أخر غير الركوب والأكل كالجلود والأصواف والأوبار والأشعار والنسيلة أي: النتائج وكالحراثة بالثيران ﴿ومشارب﴾ من اللبن جمع مشروب والشرب تناول كل مائع ماء كان أو غيره ﴿أفلا يشكرون﴾ أي: أيشاهدون هذه النعم التي يتنعمون بها فلا يشكرون المنعم بها بأن يوحدوه ولا يشركوا به في العبادة فقد تولى المنعم أحداث تلك النعم ليكون أحداثها ذريعة إلى أن يشكروها فجعلوها وسيلة إلى الكفران كما شكا مع حبيبه وقال:

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿واتخذوا﴾ أي: مع هذه الوجوه من الإحسان ﴿من دون الله﴾ أي: متجاوزين الله المتفرد بالقدرة المتفضل بالنعمة ﴿آلهة﴾ من الأصنام وأشركوها به تعالى في العبادة ﴿لعلهم ينصرون﴾ رجاء أن ينصروا من جهتهم فيما أصابهم من الأمور أو ليشفعوا لهم في الآخرة ثم استأنف فقال:

﴿لا يستطيعون نصرهم﴾ أي: لا تقدر آلهتهم على نصرهم والواو لوصفهم الأصنام بأوصاف العقلاء ﴿وهم﴾ أي: المشركون ﴿لهم﴾ أي: لآلهتهم ﴿جند﴾ عسكر ﴿محضرون﴾ أثرهم في النار أي: يشيعون عند مساقهم إلى النار ليجعلوا وقوداً لها وبالفارسية: [سپاه اند حاضر كرده شد كان فرداكه لشكر ايشانند با ايشان حاضر شوند فردوزخ]. قال الكواشي: روي أنه يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه اتباعه كأنهم جنده فيحضرون في النار هذا لمن أمر بعبادة نفسه أو كان جماداً:

عابد ومعبود باشد در جحيم حسرت ايشان شود تاكه عظيم

﴿فلا يحزنك قولهم﴾ الفاء لترتيب النهي على ما قبله والنهي وإن كان بحسب الظاهر متوجهاً إلى قولهم لكنه في الحقيقة متوجه إلى رسول الله ﷺ ونهي له عن التأثر منه بطريق الكناية على أبلغ وجه وآكده فإن النهي عن أسباب الشيء ومباديه المؤدية إليه نهي عنه بالطريق البرهاني وإبطال للسببية. وقد يوجه النهي إلى المسبب ويراد النهي عن السبب كما في قوله لا أرينك هٰهنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه والمراد بقولهم ما ينبىء عنه ما ذكر من اتخاذهم الأصنام آلهة فإن ذلك مما لا يخلو عن التفوه بقولهم هؤلاء آلهتنا وأنهم شركاء الله تعالى في المعبودية وغير ذلك مما يورث الحزن كذا في «الإرشاد». قال ابن الشيخ: الفاء جزائية أي: إذا سمعت قولهم في الله أن له شريكاً وولداً وفيك أنك كاذب شاعر وتألمت من أذائهم وجفائهم فتسل بإحاطة علمي بجميع أحوالهم وبأني أجازيهم على تكذيبهم إياك وإشراكهم بي ﴿إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون﴾. قال في «الإرشاد»: تعليل صريح للنهي بطريق الاستئناف بعد تعليله بطريق الإشعار فإن العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعاً أي: نعلم بعلمنا الحضوري عموم ما يضمرون في صدورهم من العقائد الفاسدة ومن العداوة والبغض وجميع ما يظهرون بألسنتهم من كلمات الكفر والشرك بالله والإنكار للرسالة فنجازيهم على جميع جناياتهم الخافية والبادية.

بآشكار ونهان هرچه كفتى وكردى جزا دهد بتو داناى آشكار ونهان

وتقديم السر على العلن إما للمبالغة في بيان شمول علمه تعالى لجميع المعلومات كأنه علمه تعالى بما يسرون أقدم منه بما يعلنون مع استوائهما في الحقيقة فإن علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الأشياء البارزة والكامنة وإما لأن مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن إذ ما من شيء يعلن إلا وهو أو مباديه مضمر في القلب قبل ذلك فتعلق علمه بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة. وفي الآية إشارة إلى أن كلام الأعداء الصادر من العداوة والحسد جدير أن يحزن قلوب الأنبياء مع كمال قوتهم وأنهم ومتابعيهم مأمورون بعدم الالتفات وتطييب القلوب في مقاساة الشدائد في الله بأن لها ثمرات كريمة عند الله وللحساد مطالب بها عند الله كما قال: ﴿إنا نعلم ما يسرون﴾ من الحسد والضغائن ﴿وما يعلنون﴾ من العداوة والطعن وأنواع الجفاء وإذا علم العبد أن ألمه آت من الحق هان عليه ما يقاسيه لا سيما إذا كان في الله كما في «التأويلات النجمية». قال بعض الكبار: ليخفف ألم البلاء علمك بأن الله هو المبتلي.

هرچه ازجانان مى آيد صفا باشد مرا

هذا، قال في «برهان القرآن» قوله: ﴿فلا يحزنك قولهم إنا نعلم﴾ وفي يونس ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥] تشابهاً في الوقف على قولهم في السورتين لأن الوقف عليه لازم وإن فيهما مكسورة في الابتداء لا في الحكاية ومحكي القول فيهما محذوف ولا يجوز الوصل لأن النبي ﷺ منزه عن أن يخاطب بذلك انتهى. قال في «بحر العلوم» قوله: ﴿إنا﴾ الخ تعليل للنهي على الاستئناف ولذلك لو قرىء أنا بفتح الهمزة على حذف لام التعليل جاز وعليه تلبية رسول الله ﷺ «لبيك إن الحمد والنعمة لك» كسر أبو حنيفة وفتح

الشافعي وكلاهما تعليل انتهى. وفي «الكواشي» وزعم بعضهم أن من فتح ﴿إنا﴾ بطلت صلاته وكفر وليس كذلك لأنه لا يخلو إما أن يفتحها تعليلاً فمعناه كالمكسورة أو يفتحها بدلاً من قولهم وليس بكفر أيضاً لجواز أن يخاطب هو ﷺ والمراد غيرة نحو ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] بل إن اعتقد أن محمداً عليه السلام يحزن لعلمه تعالى سرهم وعلانيتهم فقد كفر أو يفتحها معمولة قولهم عند من يعمل القول بكل حال وليس بكفر أيضاً انتهى كلامه بإجمال.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾.

﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان إنكارهم البعث بعد ما شاهدوا في أنفسهم أوضح دلائله وأعدل شواهده كما أن ما سبق مسوق لبيان بطلان إشراكهم بالله بعدما عاينوا فيما بأيديهم ما يوجب التوحيد والإسلام. والهمزة للإنكار والتعجيب والواو للعطف على مقدر والرؤية قلبية والنطفة الماء الصافي ويعبر بها عن ماء الرجل.

ـ روي ـ أن جماعة من كفار قريش منهم أبيّ بن خلف ووهب بن حذافة بن جمع وأبو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة اجتمعوا يوماً فقال أبيّ بن خلف: ألا ترون إلى ما يقول محمد أن الله يبعث الأموات ثم قال: واللات والعزى لأذهبن إليه ولأخصمنه وأخذ عظماً بالياً فجعل يفته بيده ويقول: يا محمد إن الله يحيي هذا بعدما رمّ قال عليه السلام: «نعم ويبعثك ويدخلك جهنم» فنزلت رداً عليه في إنكاره البعث لكنها عامة تصلح رداً لكل من ينكره من الإنسان لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وفي «الإرشاد» وإيراد الإنسان موضع المضمر لأن مدار الإنكار متعلق بأحواله من حيث هو إنسان كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم: ٦٧] والمعنى ألم يتفكر الإنسان المنكر للبعث أياً من كان ولم يعلم علماً يقينياً أنا خلقناه من نطفة وبالفارسية: [آيا نديد وندانست ابيّ وغير او آنراكه ما بيافريديم اورا از آبى مهين در قرارى مكين چهل روز اور در طور نطفه نكه داشتيم تا مضغه كشت مصطفى عليه السلام كفت «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله عز وجل إليه ملكاً بأربع كلمات فيقول: اكتب أجله ورزقه وإنه شقي أو سعيد» آنكه تقطيع هيكل أو صورت شخص او در ظهور آورديم واورا كسوت بشريت پوشانيديم وازان قرار مكين باين فضاى رحيب آورديم واز بستان پرازخون اورا شير صافى داديم وبعقل وفهم وسمع وبصر ودل وجان اورا بياراستيم وبقبض وبسط ومشي وحركات اورا قوت ديديم وچون ازان نطفه باين رتب رسانيديم وسخن كوى ودلير كشت] ﴿فإذا هو﴾ [پس آنكاه او] ﴿خصيم﴾ شديد الخصومة والجدال بالباطل ﴿مبين﴾ أي: مبين في خصومته أو مظهر للحجة وهو عطف على الجملة المنفية داخل في حيز الإنكار والتعجيب كأنه قيل أولم ير أنا خلقناه من أخس الأشياء وأمهنها ففاجأ خصومتنا في أمر يشهد بصحته وتحققه مبدأ فطرته شهادة بينة فهذا حال الإنسان الجاهل الغافل ونعم ما قيل:

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رماني

أعلمه القوافي كل حين ... فلما قال قافية هجاني

وما قيل:

لـقـد ربـيـت جـرواً طـول عـمـري فـلـمـا صـار كـلـبـاً عـض رجـلـي

قال السمرقندي: العامل في إذا المفاجأة معنى المفاجأة وهو عامل لا يظهر استغنى عن إظهاره بقوة ما فيها من الدلالة عليه ولا يقع بعدها إلا الجملة المركبة من المبتدأ والخبر وهو في المعنى فاعل لأن معنى **﴿فإذا هو خصيم مبين﴾** فاجأه خصومة بينة كما أن معنى قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦] فاجأهم قنوطهم أو مفعول أي: فاجأ الخصومة وفاجأوا القنوط يعني خاصم خالقه مخاصمة ظاهرة وقنطوا من الرحمة.

﴿وضرب لنا مثلاً﴾ عطف على الجملة الفجائية أي: ففاجأ خصومتنا وضرب لنا مثلاً أي: أورد في شأننا قصة عجيبة في نفس الأمر وهي في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل وهي إنكار إحيائنا العظام ونفي قدرتنا عليه. قال ابن الشيخ المثل يستعار للأمر العجيب تشبيهاً له في الغرابة بالمثل العرفي الذي هو القول السائر ولا شك أن نفي قدرة الله على البعث مع أنه من جملة الممكنات وأنه تعالى على كل شيء قدير من أعجب العجائب **﴿ونسي خلقه﴾** عطف على ضرب داخل في حيز الإنكار والتعجيب والمصدر مضاف إلى المفعول أي: خلقنا إياه من النطفة أي: ترك التفكر في بدء خلقه ليدله ذلك على قدرته على البعث فإنه لا فرق بينهما من حيث إن كلاً منهما إحياء موات وجماد. وقال البقلي في «خلق الإنسان والوجوه الحسان»: من علامات قدرته أكثر مما يكون في الكون لأن الكونين والعالمين في الإنسان مجموعون وفيه علمه معلوم لو عرف نفسه فقد عرف ربه لأن الخليقة مرآة الحقيقة تجلت الحقيقة في الخليقة لأهل المعرفة ورب قلب ميت أحياه بجماله بعد موته بجهالته **﴿قال﴾** استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ عن حكاية ضرب المثل كأنه قيل أي: مثل ضرب أو ماذا قال فقيل: قال **﴿من يحيي العظام﴾** منكراً له أشد النكير مؤكداً له بقوله: **﴿وهي رميم﴾** أي: بالية أشد البلى بعيدة من الحياة غاية البعد حيث لا جلد عليها ولا لحم ولا عروق ولا أعصاب يقال رمّ العظم يرم رمة بكسر الراء فيهما أي: بلى فهو رميم وعدم تأنيث الرميم مع وقوعه خبراً للمؤنثة لأنه اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرفات. وقد تمسك بظاهر الآية الكريمة من أثبت للعظم حياة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميت وهو الشافعي ومالك وأحمد وأما أصحابنا الحنفية فلا يقولون بنجاسته كالشعر ويقولون المراد بإحياء العظام ردها إلى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن حي حساس. واختلفوا في الآدمي هل يتنجس بالموت. فقال أبو حنيفة: يتنجس لأنه دموي إلا أنه يطهر بالغسل كرامة له وتكره الصلاة عليه في المسجد. وقال الشافعي وأحمد لا يتنجس به ولا تكره الصلاة عليه فيه وعن مالك خلاف والأظهر الطهارة وأما الصلاة عليه في المسجد فالمشهور من مذهبه كراهتها كقول أبي حنيفة.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

﴿قل﴾ يا محمد تبكيتاً لذلك الإنسان المنكر بتذكير ما نسيه من فطرة الدالة على حقيقة الحال وإرشاده الطريقة للاستشهاد بها **﴿يحييها﴾** أي: تلك العظام **﴿الذي أنشأها﴾** أوجدها **﴿أول مرة﴾** أي: في أول مرة ولم تكن شيئاً فإن قدرته كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة

على حالها في القابلية اللازمة لذاتها وهو من النصوص القاطعة الناطقة بحشر الأجساد استدلالاً بالابتداء على الإعادة وفيه رد على من لم يقل به وتكذيب له ﴿وهو﴾ أي: الله المنشىء ﴿بكل خلق عليم﴾ مبالغ في العلم بتفاصيل كيفيات الخلق والإيجاد إنشاء وإعادة محيط بجميع الأجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الأشخاص أصولها وفروعها وأوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلاً من ذلك على النمط السابق مع القوى التي كانت قبل.

وفي «بحر العلوم» بليغ العلم بكل شيء من المخلوقات لا يخفى عليه شيء من الأجزاء المتفتتة وأصولها وفروعها فإذا أراد أن يحيي الموتى يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها ويحيون كما كانوا أحياء وهو معنى حشر الأجساد والأرواح وبعث الموتى. قال القاضي عضد الدين في «المواقف» هل يعدم الله الأجزاء البدنية ثم يعيدها أو يفرقها ويعيد فيها التأليف والحق إنه لم يثبت ذلك ولا نجزم فيه نفياً ولا إثباتاً لعدم الدليل على شيء من الطرفين وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] لا يرجح أحد الاحتمالين لأن هلاك الشيء كما يكون بإعدام أجزائه يكون أيضاً بتفريقها وإبطال منافعها انتهى. فالجسم المعاد هو المبتدأ بعينه أي: بجميع عوارضه المشخصة سواء قلنا إن المبتدأ قد فني بجميع أعضائه وصار نفياً محضاً وعدماً صرفاً ثم إنه تعالى أعاده بإعادة أجزائه الأصلية وصفاته الحالة فيها أو قلنا إن المبتدأ قد فني بتفرق أجزائه الأصلية وبطلان منافعها ثم إنه تعالى ألف بين الأجزاء المتفرقة وضم بعضها إلى بعض على النمط السابق وخلق فيها الحياة.

واعلم أن المنكرين للحشر منهم من لم يذكر فيه دليلاً ولا شبهة بل اكتفى بمجرد الاستبعاد وهم الأكثرون كقولهم: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ [السجدة: ١٠] وقولهم: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢] ومن قال: ﴿من يحيي العظام وهي رميم﴾ قاله على طريق الاستبعاد فأبطل الله استبعادهم بقوله: ﴿ونسي خلقه﴾ أي: نسي أنا خلقناه من تراب ثم من نطفة متشابهة الأجزاء ثم جعلنا له من ناصيته إلى قدمه أعضاء مختلفة الصور وما اكتفينا بذلك حتى أودعناه ما ليس من قبيل هذه الأجرام وهو النطق والعقل واللذان بهما استحق الإكرام فإن كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد فهلا يستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة قذرة لم تكن محلاً للحياة أصلاً ويستبعدون إعادة النطق والعقل إلى محل كانا فيه. ومنهم من ذكر شبهة وإن كانت في آخرها تعود إلى مجرد الاستبعاد وهي على وجهين:

الأول: أنه بعد العدم لم يبق شيئاً فكيف يصح على العدم الحكم بالوجود فأجاب تعالى عن هذه الشبهة بقوله: ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ يعني أنه كما خلق الإنسان ولم يك شيئاً مذكوراً كذلك يعيده وإن لم يبق شيئاً مذكوراً.

والثاني: أن من تفرقت أجزاؤه في مشارق العالم ومغاربه وصار بعضه في أبدان السباع وبعضه في حواصل الطيور وبعضه في جدران المنازل كيف يجتمع وأبعد من هذه أنه لو أكل إنسان إنساناً وصارت أجزاء المأكول داخلة في أجزاء الآكل فإن أعيدت أجزاء الآكل لا يبقى للمأكول أجزاء تتخلق منها أعضاؤه وإن أعيدت الأجزاء المأكولة إلى بدن المأكول وأعيد المأكول بأجزائه لا تبقى للآكل أجزاء يتخلق منها فأبطل الله هذه الشبهة بقوله: ﴿وهو بكل خلق عليم﴾. ووجهه أن في الآكل أجزاء أصلية وأجزاء فضلية وفي المأكول أيضاً كذلك فإذا أكل

إنسان إنساناً صارت الأجزاء الأصلية للمأكول فضلة بالنسبة إلى الآكل والأجزاء الأصلية للآكل وهي ما كان قبل الأكل هي التي تجمع وتعاد مع الآكل والأجزاء المأكولة مع المأكول والله بكل خلق عليم يعلم الأصل من الفضل فيجمع الأجزاء الأصلية للآكل ويجمع الأجزاء الأصلية للمأكول وينفخ فيه الروح وكذلك يجمع الأجزاء المتفرقة في البقاع المتباعدة بحكمته وقدرته.
قال بعض الأفاضل: لما كان تمسكهم بكون العظام رميمة من وجهين:

أحدهما: اختلاط أجزاء الأبدان والأعضاء بعضها مع بعض فكيف يميز أجزاء بدن من أجزاء رميمة يابسة جداً مع أن الحياة تستدعي رطوبة البدن. أشار إلى جواب الأول بقوله: **﴿وهو بكل خلق عليم﴾** فيمكنه تمييز أجزاء الأبدان والأعضاء. وإلى جواب الثاني بقوله: **﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾** بدل من الموصول الأول وعدم الاكتفاء بعطف الصلة للتأكيد ولتفاوتهما في كيفية الدلالة. والشجر من النبت: ماله ساق والخضرة أحد الألوان بين البياض والسواد وهو إلى السواد أقرب فلهذا سمي الأسود أخضر والأخضر أسود.

وقيل: سواد العراق للموضع الذي تكثر فيه الخضرة ووصف الشجر بالأخضر دون الخضراء نظراً إلى اللفظ فإن لفظ الشجر مذكر ومعناه مؤنث لأنه جمع شجرة كثمر وثمرة والجمع مؤنث لكونه بمعنى الجماعة. والمعنى خلق لأجلكم ومنفعتكم من الشجر الأخضر كالمرخ والعفار ناراً والمرخ بالخاء المعجمة شجر سريع الورى والعفار بالعين المهملة كسحاب شجر آخر تقدح منه النار.

قال الحكماء: لكل شجر نار إلا العناب فمن ذلك يدق القصار الثوب عليه ويتخذ منه المطرقة والعرب تتخذ زنودها من المرخ والعفار وهما موجودان في أغلب المواضع من بوادي العرب يقطع الرجل منهما غصنين كالمسواكين وهما أخضران يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو أنثى فتنقدح النار بإذن الله تعالى وذلك قوله تعالى: **﴿فإذا أنتم منه توقدون﴾** إذا للمفاجأة والجار متعلق بتوقدون والضمير راجع إلى الشجر [والإيقاد: آتش افروختن] أي: تشعلون النار من ذلك الشجر لا تشكون في أنها نار تخرج منه كذلك لا تشكون في أن الله يحيي الموتى ويخرجهم من القبور للسؤال والجزاء من الثواب والعقاب فإن من قدر على إحداث النار وإخراجها من الشجر الأخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفية كان أقدر على إعادة الغضاضة إلى ما كان غضاً فطرأ عليه اليبوسة والبلى وعلم منه أن الله تعالى جامع الأضداد ألا يرى أنه جمع الماء والنار في الخشب فلا الماء يطفىء النار ولا النار تحرق الخشب.

ويقال إن الله تعالى خلق ملائكة نصف أبدانهم من الثلج ونصفها من النار فلا الثلج يطفىء النار ولا النار تذيب الثلج. وفي الآية إشارة إلى شجرة أخضر البشرية ونار المحبة فمصباح القلوب إنما يوقد منه. قال بعض الكبار: ظاهر البدن من عالم الشهادة والقلب من عالم الملكوت وكما تنحدر من معارف القلب آثار إلى الجوارح فكذلك قد ترتفع من أحوال الجوارح التي هي من عالم الشهادة آثار إلى القلب والحاصل أنه ينقدح الظاهر بالأعمال فيحدث منها نور يتنور به البال ويزيد الحال.

ادخلوا الأبيات من أبوابها — واطلبوا الأغراض من أسبابها

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

نسأل الله الدخول في الطريق والوصول إلى منزل التحقيق ﴿**أوليس الذي خلق السموات والأرض**﴾ الهمزة للإنكار وإنكار النفي إيجاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام فهمزة الإنكار وإن دخلت على حرف العطف ظاهراً لكنها في التحقيق داخلة على كلمة النفي قصداً إلى إثبات القدرة له وتقريرها.

والمعنى: أليس القادر المقتدر الذي أنشأ الأناسي أول مرة وأليس الذي جعل لهم من الشجر الأخضر ناراً وأليس الذي خلق السموات أي: الإجرام العلوية وما فيها والأرض أي: الإجرام السفلية وما عليها مع كبر جرمهما وعظم شأنهما وبالفارسية: [آيانيست آنكس كه بيافريد آسمانها وزمينها بابزركى اجرام ايشان] ﴿**بقادر**﴾ في محل النصب لأنه خبر ليس ﴿**على أن يخلق**﴾ في الآخرة ﴿**مثلهم**﴾ أي: مثل الأناسي في الصغر والحقارة بالنسبة إليهما ويعيدهم أحياء كما كانوا فإن بديهة العقل قاضية بأن من قدر على خلقهما فهو على خلق الأناسي أقدر كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] أو مثلهم في أصول الذات وصفاتها وهو المعاد فإن المعاد مثل الأول في الاشتمال على الأجزاء الأصلية والصفات المشخصة وإن غايره في بعض العوارض لأن أهل الجنة جرد مرد وأن الجهنمي ضرسه مثل أحد وغير ذلك. وقال شرف الدين الطيبي: لفظ مثل هٰهنا كناية عن المخاطبين نحو قولك مثلك يجود أي: على أن يخلقهم.

وفي «التأويلات النجمية»: قال: إن الإعادة في معنى الابتداء فإذا قررتم بالابتداء فأي إشكال بقي في جواز الإعادة في الانتهاء ثم قال الذي قدر على خلق النار في الأغصان من المرخ والعفار قادر على خلق الحياة في الرمية البالية ثم زاد في البيان بأن قال القدرة على مثل الشيء كالقدرة عليه لاستوائهما بكل وجه وأنه يحيي النفوس بعد موتها في العرصة كما يحيي الإنسان من النطفة والطير من البيضة ويحيي القلوب بالعرفان لأهل الإيمان كما يحيي نفوس أهل الكفر بالهوى والطغيان.

دل عاشق چوباغ وفيض حق ابر بهارآسا حياة تازه بخشد حق دمادم باغ دلهارا

﴿**بلى**﴾ جواب من جهته تعالى وتصريح بما أفاده الاستفهام الإنكاري من تقرير ما بعد النفي وإيذان بتعين الجواب نطقوا به أو تلعثموا فيه مخافة الإلزام.

قال ابن الشيخ: هي مختصة بإيجاب النفي المتقدم ونقضه فهي هٰهنا لنقض النفي الذي بعد الاستفهام أي: بلى إنه قادر كقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] أي: بلى أنت ربنا. وفي «المفردات» بلى جواب استفهام مقترن بنفي نحو ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾. ونعم يقال في الاستفهام المجرد نحو: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤٤] ولا يقال هٰهنا بلى فإذا قيل ما عندي شيء فقلت: بلى فهو رد لكلامه فإذا قلت نعم فإقرار منك انتهى ﴿**وهو الخلاق العليم**﴾ عطف على ما يفيده الإيجاب أي: بلى هو قادر على ذلك والمبالغ في

العلم والخلق كيفا وكماً. وقال بعضهم: كثير المخلوقات والمعلومات يخلق خلقاً بعد خلق ويعلم جميع الخلق.

ـ ذكر البرهان الرشيدي ـ أن صفات الله تعالى التي على صيغة المبالغة كلها مجاز لأنها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لأن المبالغة أن يثبت للشيء أكثر مما له وصفاته تعالى متناهية في الكمال لا يمكن المبالغة فيها. وأيضاً فالمبالغة تكون في صفات تفيد الزيادة والنقصان وصفات الله منزهة عن ذلك واستحسنه الشيخ تقي الدين السبكي.

وقال الزركشي في «البرهان»: التحقيق إن صيغة المبالغة قسمان:

«أحدهما»: ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل.

«والثاني»: بحسب زيادة المفعولات ولا شك أن تعددها لا يوجب للفعل زيادة إذ الفعل الواقع قد يقع على جماعة متعددين وعلى هذا القسم تنزل صفات الله وارتفع الإشكال ولهذا قال بعضهم في حكيم معنى المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة إلى الشرائع. وقال في «الكشاف»: المبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده أو لأنه بليغ في قبول التوبة ينزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه **﴿إنما أمره﴾** أي: شأنه تعالى **﴿إذا أراد شيئاً﴾** وجود شيء من الأشياء خلقه **﴿أن يقول له كن﴾** أي: أن يعلق به قدرته **﴿فيكون﴾** قرىء بالنصب على أن يكون معطوف على يقول والجمهور على رفعه بناء على أنه في تقدير فهو يكون بعطف الجملة الاسمية على الاسمية المتقدمة وهي قوله **﴿إنما أمره أن يقول له كن﴾** فالمعنى فهو يحدث من غير توقف على شيء آخر أصلاً.

وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى فيما أراده بأمر الآمر المطاع للمأمور المطيع في سرعة حصول المأمور به من غير توقف على شيء ما وهو قول أبي منصور الماتريدي لأنه لا وجه لحمل الكلام على الحقيقة إذ ليس هناك قول ولا آمر ولا مأمور لأن الأمر إن كان حال وجود المكون فلا وجه للأمر وإن كان حال عدمه فكذلك إذ لا معنى لأن يؤمر المعدوم بأن يوجد نفسه.

قال النقشبندي: والتعقيب في فيكون إنما نشأ من العبارة وإلا فلا تأخير ولا تعقيب في سرعة نفوذ قضائه سبحانه [وكويند اين كن كلمه علامتيست كه چون ملائكة بشنوند دانندكه خير حادث خواهد شد]:

حرفيست كاف ونون زتو امير صنع او ازقاف تابقاف بدين حرف كشته دال

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الإرادة الأزلية كما تعلقت بإيجاد المكونات تعلقت القدرة الأزلية على وفق الحكمة الأزلية بالمقدورات إلى الأبد على وفق الإرادة بإشارة أمر كن فيكون إلى الأبد ما شاء في الأزل انتهى. فإن قلت إرادته قديمة فلو كان القول قديماً صار المكون قديماً. قلت: تعلق الإرادة حادث في وقت معين وهو وقت وجود المكون في الخارج والعين فلا يلزم ذلك. وعن بعض الكبار في قوله عليه السلام: «إن الله فرد يحب الفرد» إن مقام الفردية يقتضي التثليث فهو ذات وصفة وفعل وأمر الإيجاد يبتني على ذلك وإليه الإشارة بقوله: **﴿إنما أمره﴾** الخ فهو ذات وإرادة وقول والقول مقلوب اللقاء بعد الإعلال فليس عند الحقيقة هناك قول وإنما لقاء الموجد اسم فاعل بالموجد اسم مفعول وسريان هويته إليه وظهور صفته وفعله فيه فافهم هذه الدقيقة وعليها يدور سر قوله تعالى: **﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾**

[الحجر: ٢٩] إذ لا نفخ هناك أصلاً وإنما هو تصوير قال الحسين النوري قدس سره: ابدأ الأكوان كلها بقوله كن إهانة وتصغيراً ليعرف الخلق إهانتها ولا يركنوا إليها ويرجعوا إلى مبدئها ومنشئها فشغل الخلق زينة الكون فتركهم معه واختار من خواصه من أعتقهم من رق الكون وأحياهم به فلم يجعل للعلل عليهم سبيلاً ولا للآثار فيهم طريقاً:

محو معنى وفارغ از صورم نيست از جلوه صور خبرم
تاشدم از سواى حق فانى يافتم من وجود حقانى
شد زمن غائب عالم اكوان ديده ام كشت پرزنور جهان

﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾ الملكوت والرحموت والرهبوت والجبروت مصادر زيدت الواو والتاء فيها للمبالغة في الملك والرحمة والرهبة والجبر.

قال في «المفردات»: الملكوت مختص بملك الله تعالى والملك ضبط الشيء والتصرف فيه بالأمر والنهي أي: فإذا تقرر ما يوجب تنزهه تعالى وتنزيهه أكمل إيجاب من الشؤون المذكورة كالإنشاء والإحياء وأن إرادته لا تتخلف عن مراده ونحو ذلك فنزهوا الله الذي بيده أي: تحت قدرته وفي تصرف قبضته ملك كل شيء وضبطه وتصرفه عما وصفوه تعالى به من العجز وتعجبوا مما قالوه في شأنه تعالى من النقصان وبالفارسية: [پس وصف كنيد به پاكى وبى عيبى آنكسى راكه بدست اقتدار اوست پادشاهى همه چيز] ﴿وإليه﴾ لا إلى غيره إذ لا مالك سواه على الإطلاق ﴿ترجعون﴾ تردون بعد الموت فيجازيكم بأعمالكم وهو وعد للمقرين ووعيد للمنكرين يعني: [وعده دوستانست ووعيد دشمنان ابنانرا شديد العقابست وآنانرا] طوبى لهم وحسن مآب فالخطاب للمؤمنين والكافرين.

وفي «التأويلات النجمية»: أثبت لكل شيء ملكوتاً وملكوت الشيء ما هو الشيء به قائم ولو لم يكن للشيء ملكوت يقوم به لما كان شيء والملكوتات قائمة بيد قدرته. ﴿وإليه ترجعون﴾ بالاختيار أهل القبول وبالاضطرار أهل الرد عصمنا الله من الرد بفضله وسعة كرمه اهـ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كنت لا أعلم ما روي في فضل يس وقراءتها كيف خصت به فإذا أنه لهذه الآية، وفي الحديث: «اقرأوا سورة يس على موتاكم» قال الإمام: وذلك لأن الإنسان حينئذٍ ضعيف القوة وكذا الأعضاء لكن القلب يكون مقبلاً على الله تعالى بكليته فإذا قرىء عليه هذه السورة الكريمة تزداد قوة قلبه ويشتد تصديقه بالأصول فيزداد إشراق قلبه بنور الإيمان وتتقوى بصيرته بلوامع العرفان انتهى.

يقول الفقير أغناه الله القدير: وأيضاً إن المشرف على النزع يناسبه خاتمة السورة إذ الملكوت الذي هو الروح القائم هو به وسر الفائض عليه من ربه يرجع إلى أصله حينئذٍ وينسلخ عن عالم الملك وقتئذٍ وإليه الإشارة بالقول المذكور لابن عباس رضي الله عنهما وفي الحديث «إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس».

خدايست لشكرى داده زقرآن پس آنكه قلب آن لشكر ز يس

قيل: إنما جعل يس قلب القرآن أي: أصله ولبه لأن المقصود الأهم من إنزال الكتب بيان أنهم يحشرون وأنهم جميعاً لديه محضرون وأن المطيعين يجازون بأحسن ما كانوا يعملون ويمتاز عنهم المجرمون وهذا كله مقرر في هذه السورة بأبلغ وجه وأتمه.

ونقل عن الغزالي أنه إنما كانت قلب القرآن لأن الإيمان صحته بالاعتراف بالحشر والنشر وهذا المعنى مقرر فيها بأبلغ وجه فشابهت القلب الذي يصح به البدن. وقال أبو عبد الله: القلب أمير على الجسد وكذلك يس أمير على سائر السور موجود فيه كل شيء. ويجوز أن يقال في وجه شبهه بالقلب إنه لما كان القلب غائباً عن الإحساس وكان محلاً للمعاني الجليلة وموطناً للإدراكات الخفية والجلية وسبباً لصلاح البدن وفساده شبه الحشر به فإنه من عالم الغيب وفيه يكون انكشاف الأمور والوقوف على حقائق المقدور وبملاحظته وإصلاح أسبابه تكون السعادة الأبدية وبالإعراض عنه وإفساد أسبابه يبتلى بالشقاوة السرمدية.

وقال النسفي: يمكن أن يقال في كونه قلب القرآن إن هذه السورة ليس فيها إلا تقرير الأصول الثلاثة الوحدانية والرسالة والحشر وهو الذي يتعلق بالقلب والجنان وأما الذي باللسان والأركان ففي غير هذه السورة فلما كان فيها أعمال القلب لا غير سماها قلباً. وآخر الحديث المذكور: «من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن ثنتين وعشرين مرة وأيما مسلم قرىء عنده إذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفاً يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ يس وهو في سكراته لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة يشربها وهو على فراشه ويقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان»، وفي الحديث: «إن في القرآن لسورة تشفع لقارئها ويغفر لسامعها تدعى في التوراة المعمة» قيل: يا رسول الله وما المعمة؟ قال: «تعم صاحبها بخير الدارين وتدفع عنه أهاويل الآخرة وتدعى الدافعة والقاضية» قيل: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال: «تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة» وفي الحديث: «من قرأها عدلت له عشرين حجة ومن سمعها كان له ثواب صدقة ألف دينار في سبيل الله ومن كتبها ثم شربها أدخلت جوفه ألف دواء وألف نور وألف بركة وألف رحمة ونزع منه كل داء وغل» وفي الحديث «من قرأ سورة يس في ليلة أصبح مغفوراً له». وعن يحيى بن كثير قال: «بلغنا أنه من قرأ يس حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي ومن قرأها حين يمسي لم يزل في فرح حتى يصبح» وفي الحديث: «اقرأوا يس فإن فيها عشر بركات ما قرأها جائع إلا شبع وما قرأها عار إلا اكتسى وما قرأها أعزب إلا تزوج وما قرأها خائف إلا أمن وما قرأها مسجون إلا فرج وما قرأها مسافر إلا عين على سفره وما قرأها رجل ضلت له ضالة إلا وجدها وما قرئت عند ميت إلا خفف عنه وما قرأها عطشان إلا روي وما قرأها مريض إلا برىء» وفي الحديث «يس لما قرئت له» وفي الحديث «من دخل المقابر وقرأ سورة يس خفف عنهم يومئذٍ وكان له بعدد من فيها حسنات».

وفي «ترجمة الفتوحات» [وچون ببالين محتضر حاضر شوى سورة يس بخوان شيخ اكبر قدس سره ميفرمايدكه وقتى بيمار بودم ودرين مرض مراغشيانى شد بحدى كه مرا از جمله مردكان شمردند دران حالت قومى ديدم منظر هاى كريه وصورتهاى قبيح ميخواستندكه بمن اذيتي رسانند وشخصي ديدم بغايت خوب روى باقوت تمام وازوى بوى خوش مى آمد آن طائفه را ازمن دفع كرد وتابدان حدكه ايشانرا مقهور كردانيد واورا پرسيدم توكيستى كفت من سوره يس ام ازتو دفع ميكنم چون ازان حالت بهوش آمدم پدر خودرا ديدم كه ميكريست

وسورة يس ميخواند دران لحظه ختم كرد اورا از آنچه مشاهده كرده بودم خبر دادم وبعد ازان بمدتى از رسول الله ﷺ بمن رسيدكه] «اقرأوا على موتاكم يس».

قال الإمام اليافعي: قد جاء في الحديث: «إن عمل الإنسان يدفن معه في قبره فإن كان العمل كريماً أكرم صاحبه وإن كان لئيماً آلمه» أي: إن كان عملاً صالحاً آنس صاحبه وبشره ووسع عليه قبره ونوّره وحماه من الشدائد والأهوال وإن كان عملاً سيئاً فزع صاحبه وروّعه وأظلم عليه قبره وضيقه وعذبه وخلى بينه وبين الشدائد والأهوال والعذاب والوبال كما جاء في «المثنوي»:

در زمانه مرترا سه همره اند ... آن يكى وافى واين يك غدر مند
آن يكى ياران وديكر رخت ومال ... وآن سوم وافيست وان حسن الفعال
مال انايد باتو بيرون از قصور ... يار آيد ليك آيد تا بكور
چون ترا روز اجل آيد به پيش ... يار كويد از زبان حال خويش
تابدينجا بيش همره نيستم ... بر سر كورت زمانى بيستم
فعل تو وافيست زوكن ملتحد ... كه در آيد باتو در قعر لحد
بس پيمبر كفت بهر اين طريق ... باوفاتر از عمل نبود رفيق
كر بود نيكوابد يارت شود ... ور بود بد در لحد مارت شود

وعن بعض الصالحين في بعض بلاد اليمن أنه لما دفن بعض الموتى وانصرف الناس سمع في القبر صوتاً ودقاً عنيفاً ثم خرج من القبر كلب أسود فقال له الشيخ الصالح: ويحك أيّ شيء أنت؟ فقال: أنا عمل الميت قال: فهذا الضرب فيك أم فيه قال: فيّ وجدت عنده سورة يس وأخواتها فحالت بينه وبيني وضربت وطردت.

قال اليافعي: قلت لما قوي عمله الصالح غلب عمله الصالح وطرد عنه بكرم الله ورحمته ولو كان عمله القبيح أقوى لغلبه وأفزعه وعذبه نسأل الله الكريم الرحيم لطفه ورحمته وعفوه وعافيته لنا ولأحبابنا لإخواننا المسلمين اللهم أجب دعاءنا بحرمة سورة يس.

تمت سورة يس في ثاني ذي القعدة الشريف من الشهور المنسلكة
في سلك سنة عشر ومائة وألف

٣٧ ـ سورة الصافات

إحدى أو اثنتان وثمانون ومائة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّـٰلِيَـٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَـٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾

﴿**والصافات صفاً**﴾ الواو للقسم والصافات جمع صافة بمعنى جمع صافية بمعنى جماعة صافة فالصافات بمعنى الجماعات الصافات ولو قيل والصافين وما بعدها بالتذكير لم يحتمل الجماعات. والصف أن يجعل الشيء على خط مستقيم كالناس والأشجار وبالفارسية: [رسته كردن] تقول صففت القوم من باب ردّ فاصطفوا إذا أقمتم على خط مستو لأداء الصلاة أو لأجل الحرب.

أقسم الله سبحانه بالملائكة الذين يصفون للعبادة في السماء ويتراصون في الصف أي: بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف على أن المراد إيقاع نفس الفعل من غير قصد إلى المفعول واللاتي يقفن صفاً صفاً في مقام العبودية والطاعة، وبالفارسية: [وبحق فرشتكان صف بركشيده در مقام عبوديت صف بركشيدنى] أو الصافات أنفسها أي: الناظمات لها في سلك الصفوف بقيامها في مواقف الطاعة ومنازل الخدمة وفي الحديث: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم» قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: «يتمون الصفوف المقدّمة ويتراصون في الصف» [والتراص: نيك در يكديكر بايستادن]. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أراد أن يفتتح بالناس الصلاة قال استووا تقدم يا فلان تأخر يا فلان إن الله عز وجل يرى لكم بالملائكة إسوة.

يقول: والصافات صفاً يعني: [خداى تعالى مى نمايد برشمارا به بملائكه اقتدا كويد] والصافات صفاً. وعن ابن عباس رضي الله عنهما ترد الملائكة صفوفاً صفوفاً لا يعرف كل ملك منهم من إلى جانبه لم يلتفت منذ خلقه الله تعالى. وفي «القاموس» والصافات صفاً الملائكة المصطفون في الهواء يسبحون ولهم مراتب يقومون عليهاصفوفاً كما يصطف المصلون انتهى. وقال بعضهم: الصافات أجنحتها في الهواء منتظرة لأمر الله تعالى فيما يتعلق بالتدبير وقيل غير ذلك وقوله تعالى في أواخر هذه السورة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الصافات: ١٦٥] يحتمل الكل. قال بعض الكبار: الملائكة على ثلاثة أصناف مهيمون في جلال الله تعالى تجلى لهم في اسمه الجليل فهيمهم وأفناهم عنهم فلا يعرفون نفوسهم ولا من هاموا فيه وصنف

مسخرون ورأسهم القلم الأعلى سلطان عالم التدوين والتسطير وصنف أصحاب التدبير للأجسام كلها من جميع الأجناس كلها وكلهم صافون في الخدمة ليس لهم شغل غير ما أمروا به وفيه لذتهم وراحتهم.

وفي الآية بيان شرف الملائكة حيث أقسم بهم وفضل الصفوف وقد صح أن الشيطان يقف في فرجة الصف فلا بد من التلاصق والإنضمام والاجتماع ظاهراً وباطناً. ﴿**فالزاجرات زجراً**﴾ يقال زجرت البعير إذا حثثته ليمضي وزجرت فلاناً عن سوء فانزجر أي: نهيته فانتهى فزجر البعير كالحث له وزجر الإنسان كالنهي.

وفي «كشف الأسرار» الزجر الصرف عن الشيء بتخويف. وفي «المفردات»: الزجر طرد بصوت ثم يستعمل في الطرد تارة وفي الصوت أخرى.

وفي «تاج المصادر»: [الزجر: تهديد كردن وبانك برستور زدن تابرود] أي: الفاعلات للزجر والزاجرات لما نيط بها زجره من الأجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر الشيطان عن الوسوسة والإغواء وعن استراق السمع كما يأتي. قال بعضهم: يعني الملائكة الذين يزجرون السحاب ويؤلفونه ويسوقونه إلى البلد الذي لا مطر به ﴿**فالتاليات ذكراً**﴾ مفعول التاليات وأما صفاً وزجراً فمصدران مؤكدان لما قبلهما بمعنى صفاً بديعاً وزجراً بليغاً أي: التاليات ذكراً عظيم الشأن من آيات الله وكتبه المنزلة على الأنبياء عليهم السلام وغيرهما من التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد.

أو المراد بالمذكورات نفوس العلماء العمال الصافات أنفسها في صفوف الجماعات وإقدامها في الصلاة الزاجرات بالمواعظ والنصائح التاليات آيات الله الدارسات شرائعه وأحكامه. أو طوائف الغزاة الصافات أنفسهم في مواطن الحرب كأنهم بنيان مرصوص. أو طوائف قوادهم الصافات لهم فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقاً والعدو في المعارك طرداً التاليات آيات الله وذكره وتسبيحه في تضاعيف ذلك لا يشغلهم عن الذكر مقابلة العدوّ وذلك لكمال شهودهم وحضورهم مع الله وفي الحديث: «ثلاثة أصوات يباهي الله بهن الملائكة: الأذان والتكبير في سبيل الله ورفع الصوت بالتلبية». أو نفوس العابدين الصافات عند أداء الصلاة بالجماعة الزاجرات الشياطين بقراءة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم التاليات القرآن بعدها. ويقال ﴿**فالتاليات ذكراً**﴾ أي: الصبيان يتلون في الكتاب فإن الله تعالى يحول العذاب عن الخلق ما دامت تصعد هذه الأربعة إلى السماء أولها أذان المؤذنين. والثاني: تكبير المجاهدين. والثالث: تلبية الملبين. والرابع: صوت الصبيان في الكتاب [صاحب تأويلات فرموده كه سوكند ميخورد بنفوس سالكان طريق توحيدكه در مواقف مشاهده صف بركشيده دواعي شيطاني ونوازع شهوات نفساني را زجرى نمايند وبأنواع ذكر لساني يا قلبي يا سري يا روحي بحسب أحوال خود اشتغال ميفرمايند].

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**والصافات صفاً**﴾ يشير إلى صفوف الأرواح وجاء أنهم لما خلقوا قبل الأجساد كانوا في أربعة صفوف. كان الصف الأول أرواح الأنبياء والمرسلين. وكان الصف الثاني أرواح الأولياء والأصفياء. وكان الصف الثالث أرواح المؤمنين والمسلمين. وكان الصف الرابع أرواح الكفار والمنافقين ﴿**فالزاجرات زجراً**﴾ هي الإلهامات الربانية الزاجرات

للعوام عن المناهي والخواص عن رؤية الطاعات والأخص عن الالتفات إلى الكونين **﴿فالتاليات ذكراً﴾** هم الذاكرون الله تعالى كثيراً والذاكرات انتهى وهذه الصفات إن أجريت على الكل فعطفها بالفاء للدلالة على ترتيبها في الفضل إما بكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة أو على العكس وإن أجريت كل واحدة منهن على طوائف معينة فهو للدلالة على ترتب الموصوفات في مراتب الفضل بمعنى أن طوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أبهر فضلاً أو على العكس.

وفي «تفسير الشيخ» وغيره وجاء بالفاء للدلالة على أن القسم بمجموع المذكورات **﴿إن إلهكم﴾** يا أهل مكة فإن الآية نزلت فيهم إذ كانوا يقولون بطريق التعجب أجعل الآلهة إلهاً واحداً أو يا بني آدم وبالفارسية: [وبدرستى كه خداى شمادرذات وحدانيت خود] **﴿لواحد﴾** لا شريك له فلا تتخذوا آلهة من الأصنام والدنيا والهوى والشيطان. والجملة جواب للقسم والفائدة فيه مع أن المؤمن مقر من غير حلف والكافر غير مقرّ ولو بالحلف تعظيم المقسم به وإظهار شرفه وتأكيد المقسم عليه على ما هو المألوف في كلامهم وقد أنزل القرآن على لغتهم وعلى أسلوبهم في محاوراتهم. وقيل تقدير الكلام فيها وفي مثلها ورب الصافات ورب التين والزيتون. وفي «المفردات»: الوحدة الانفراد والواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتة ثم يطلق على كل موجود حتى أنه ما من عدد إلا ويصح وصفه به فيقال عشرة واحدة ومائة واحدة. فالواحد لفظ مشترك يستعمل في خمسة أوجه:

الأول: ما كان واحداً في الجنس أو في النوع كقولنا الإنسان والفرس واحد في الجنس وزيد وعمرو واحد في النوع.

والثاني: ما كان واحداً بالاتصال إما من حيث الخلقة كقولك شخص واحد وإما من حيث الصناعة كقولك حرفة واحدة.

«والثالث» ما كان واحداً لعدم نظيره إما في الخلقة كقولك الشمس واحدة وإما في دعوى الفضيلة كقولك فلان واحد دهره وكقولك هو نسيج وحده.

«والرابع»: ما كان واحد الامتناع التجزي فيه إما لصغره كالهباء وإما لصلابته كالماس.

«والخامس» للمبتدأ إما لمبدأ العدد كقولك واحد اثنين وإما لمبدأ الخط كقولك النقطة الواحدة والوحدة في كلها عارضة فإذا وصف الله عز وجل بالواحد فمعناه هو الذي لا يصح عليه التجزىء ولا التكثر ولصعوبة هذه الوحدة قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ [الزمر: ٤٥] انتهى.

قال الغزالي رحمه الله: الواحد هو الذي لا يتجزىء ولا يثنى. أما الذي لا يتجزىء فكالجواهر الواحد الذي لا ينقسم فيقال إنه واحد بمعنى أنه لا جزء له وكذا النقطة لا جزء لها والله تعالى واحد بمعنى أنه يستحيل تقدير الانقسام على ذاته. وأما الذي لا يثنى فهو الذي لا نظير له كالشمس مثلاً فإنها وإن كانت قابلة للقسمة بالوهم متجزئة في ذاتها لأنها من قبيل الأجسام فهي لا نظير لها إلا أنه يمكن لها نظير فما في الوجود موجود ينفرد بخصوص وجود إلا ويتصور أن يشاركه فيه غيره إلا الله تعالى فإنه الواحد المطلق أزلاً وأبداً فالعبد إنما يكون واحداً إذا لم يكن في أبناء جنسه نظير له في خصلة من خصال الخير وذلك بالإضافة إلى أبناء جنسه وبالإضافة إلى الوقت إذ يمكن أن يظهر في وقت آخر مثله وبالإضافة إلى بعض الخصال

دون الجميع فلا وحدة على الإطلاق إلا لله تعالى انتهى. ولا يوحده تعالى حق توحيده إلا هو إذ كل شيء وحده أي: أثبت وجوده وفعله بتوحيده فقد جحده بإثبات وجود نفسه وفعله وإليه الإشارة بقول الشيخ أبي عبد الله الأنصاري قدس سره تعالى:

ما وحد الواحد من واحد   إذ كل من ينعته جاحد

فإذا أفنى الوجود المجازي صح التوحيد الحقيقي الذاتي وكل شيء من الأشياء عين مرآة توحيده كما قالوا:

ففي كل شيء له آية   تدل على أنه واحد

وذلك لأن كل شيء واحد بهويته أو بانتهائه إلى الجزء الذي لا يتجزىء أو بغير ذلك:

تادم وحدت زدى حافظ شوريده حال   خامه توحيد كش بر ورق اين وآن

قال الشيخ الزروقي في «شرح الأسماء»: من عرف أنه الواحد أفرد قلبه له فكان واحداً به وقد فسر قوله عليه السلام «إن الله وتر يحب الوتر» يعني: القلب المنفرد له. وخاصة هذا الاسم الواحد إخراج الكون من القلب فمن قرأه ألف مرة خرج الخلائق من قلبه فكفى خوف الخلق وهو أصل كل بلاء في الدنيا والآخرة وسمع عليه السلام رجلاً يقول في دعائه: «اللهم إني أسألك باسمك الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال: «سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى». وفي «الأربعين الإدريسية» يا واحد الباقي أول كل شيء وآخره. قال السهرودي يذكره من توالت عليه الأفكار الرديئة فتذهب عنه وإن قرأه الخائف من السلطان بعد صلاة الظهر خمسمائة مرة فإنه يأمن ويفرج همه ويصادقه أعداؤه ﴿**رب السموات والأرض وما بينهما**﴾ خبر ثانٍ لأن أي: مالك السموات والأرض وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها إلى كمالاتها ﴿**ورب المشارق**﴾ أي: مشارق الشمس وهي ثلاثمائة وستون مشرقاً تشرق كل يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها يعني إذا كانت المشارق بهذا العدد تكون المغارب أيضاً بهذا العدد فتغرب في كل يوم من مغرب منها وأما قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ [الرحمٰن: ١٧] فهما مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما وقوله: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [المزمل: ٩] أراد به الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة وإعادة الرب في المشارق لغاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجددها كل يوم كما ذكر آنفاً. تلخيصه هو رب جميع الموجودات وربوبيته لذاته لا لنفع يعود إليه بخلاف تربية الخلق والربوبية بمعنى المالكية والخالقية ونحوهما عامة وبمعنى التربية خاصة بكل نوع بحسبه فهو مربي الأشباح بأنواع نعمه ومربي الأرواح بلطائف كرمه ومربي نفوس العابدين بأحكام الشريعة ومربي قلوب المشتاقين بآداب الطريقة ومربي أسرار المحبين بأنوار الحقيقة والرب عنوان الأدعية فلا بد للداعي من استحضاره لساناً وقلباً حتى يستجاب في دعائه اللهم ربنا إنك أنت الواحد وحدة حقيقية ذاتية لا انقسام لك فيها فاجعل توحيدنا توحيداً حقانياً ذاتياً سرياً لا مجازية فيه وإنك أنت الرب الكريم الرحيم فكما أنك ربنا وخالقنا فكذا مربينا ومولينا فاجعلنا في تقلبات أنواع نعمك شاغلين بك فارغين عن غيرك وأوصل إلينا من كل خيرك ﴿**إنا زينا السماء الدنيا**﴾ أي: القربى منكم ومن الأرض وأما بالنسبة إلى العرش فهي البعدي. والدنيا تأنيث الأدنى بمعنى الأقرب ﴿**بزينة**﴾ عجيبة بديعة ﴿**الكواكب**﴾ بالجر بدل من زينة على أن المراد بها الاسم أي: يزان به لا المصدر فإن الكواكب بأنفسها وأوضاع بعضها

عن بعض زينة وأي زينة. وفيه إشارة إلى أن الزينة التي تدرك بالبصر يعرفها الخاصة والعامة وإلى الزينة التي يختص بمعرفتها الخاصة وذلك أحكامها وسيرها والكواكب معلقة في السماء كالقناديل أو مكوكبة عليها كالمسامير على الأبواب والصناديق وكون الكواكب زينة للسماء الدنيا لا يقتضي كونها مركوزة في السماء الدنيا ولا ينافي كون بعضها مركوزة فيما فوقها من السموات لأن السموات إذا كانت شفاعة وأجراماً صافية فالكواكب سواء كانت في السماء الدنيا أو في سماوات أخرى فهي لا بد وأن تظهر في السماء الدنيا وتلوح منها فتكون سماء الدنيا مزينة بالكواكب.

«والحاصل»: أن المراد هو التزيين في رأي العين سواء كانت أصول الزينة في سماء الدنيا أو في غيرها وهذا مبني على ما ذهب إليه أهل الهيئة من أن الثوابت مركوزة في الفلك الثامن وما عدا القمر في السنة المتوسطة وإن لم يثبت ذلك فحقيقة العلم عند الله تعالى **﴿وحفظاً﴾** منصوب بعطفه على زينة باعتبار المعنى كأنه قيل إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظاً برمي الشهب **﴿من كل شيطان مارد﴾** أي: خارج عن الطاعة متعر عن الخير من قولهم شجر أمرد إذا تعرى من الورق ومنه الأمرد لتجرده عن الشعر.

وفي «التأويلات النجمية» بقوله: **﴿إنا زينا﴾** الخ يشير إلى الرأس فإنه بالنسبة إلى البدن كالسماء مزين **﴿بزينة الكواكب﴾** الحواس وأيضاً زين سماء الدنيا بالنجوم وزين قلوب أوليائه بنجوم المعارف والأحوال وكما حفظ السموات بأن جعل النجوم للشياطين رجوماً كذلك زين القلوب بأنوار التوحيد فإذا قرب منها الشياطين رجموهم بنور معارفهم كما قال: **﴿وحفظاً من كل شيطان مارد﴾** يعني: من شياطين الإنس.

وحكي أن أبا سعيد الخراز قدس سره رأى إبليس في المنام فأراد أن يضربه بالعصا فقال: يا أبا سعيد أنا لا أخاف العصا وإنما أخاف من شعاع شمس المعرفة:

بسوزد نور پاك اهل عرفان دير ناری را

﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿لا يسمعون إلا الملأ الأعلى﴾ أصل يسمعون يتسمعون فأدغمت التاء في السين وشددت والتسمع وتعديته بإلى لتضمنه معنى الإصغاء. والملأ جماعة يجتمعون على رأي فيملأون العيون رواء والنفوس جلالة وبهاء والملأ الأعلى الملائكة أو أشرافهم أو الكتبة وصفوا بالعلو لسكونهم في السموات العلى، والجن والإنس هم الملأ الأسفل لأنهم سكان الأرض وهذا كلام مبتدأ مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء منهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعتريهم في أثناء ذلك من العذاب. والمعنى: لا يتطلبون السماء والإصغاء إلى الملائكة الملكوتية يعني: [ملائكه كه مطلع اند بر بعضى از اسرار لوح بايكديكر ميكويند ايشانرا نمى شنوند بلكه طاقت شنودن وكوش فرانهادن ندارند] **﴿ويقذفون﴾** القذف الرمي البعيد ولاعتبار البعد فيه قيل منزل قذف وقذيف وقذفته بحجر رميت إليه حجراً منه قذفه بالفجور أي: يرمون وبالفارسية: [وانداخته مى شوند] **﴿من كل جانب﴾** من جميع جوانب السماء إذا قصدوا الصعود إليها **﴿دحوراً﴾** علة للقذف أي: للدحور وهو الطرد يقال دحره دحراً ودحوراً إذا طرده

وأبعده ﴿ولهم﴾ في الآخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب ﴿عذاب واصب﴾ دائم غير منقطع من وصب الأمر وصوباً إذا دام. قال في «المفردات»: الوصب السقم اللازم ﴿إلا من خطف الخطفة﴾ استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه. والخطف الاختلاس بسرعة والمراد اختلاس الكلام أي: كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة أي: لا يسمع جماعة الشياطين إلا الشيطان الذي خطف أي: اختلس الخطفة أي: المرة الواحدة يعني كلمة واحدة من كلام الملائكة وبالفارسية: [وانرا قوت استماع كلام ملائكه نيست مكر كسى كه درربايد يك ربودن يعنى بد زدد سخنى ازفرشته] ﴿فأتبعه﴾ أي: طبعه ولحقه وبالفارسية: [پس ازپى در آيد اورا]. قال ابن الكمال: الفرق بين اتبعه وتبعه أنه يقال اتبعه اتباعاً إذا طلب الثاني اللحوق بالأول وتبعه تبعاً إذا مر به ومضى معه ﴿شهاب﴾. قال في «القاموس»: الشهاب ككتاب شعلة من نار ساطعة انتهى والمراد هنا ما يرى منقضاً من السماء ﴿ثاقب﴾. قال في «المفردات»: الثاقب النير المضيء يثقب بنوره وإضاءته ما يقع عليه انتهى أي: مضى في الغاية كأنه يثقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين إذا صعدوا لاستراق السمع. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالس في نفر من أصحابه إذ رمى بنجم فاستنار فقال عليه السلام: «ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية» فقالوا: يموت عظيم أو يولد عظيم فقال: «إنه لا يرمىٰ لموت أحد ولا لحياته ولكن الله إذا قضى أمراً يسبحه حملة العرش وأهل السماء السابعة يقولون» أي: أهل السماء السابعة «لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم فيستخبر أهل كل سماء أهل سماء حتى ينتهي الخبر إلى السماء الدنيا فيتخطف الجن فيرمون فما جاءوا به على وجهه هو حق ولكنهم يزيدون فيه ويكذبون فما ظهر صدقه فهو من قسم ما سمع من الملائكة وما ظهر كذبه فهو من قسم ما قالوه».

قيل: كان ذلك في الجاهلية أيضاً لكن غلظ المنع وشدّد حين بعث النبي عليه السلام. قيل: هيئة استراقهم أن الشياطين يركب بعضهم بعضاً إلى السماء الدنيا فيسمع من فوقهم الكلام فيلقيه إلى من تحته ثم هو يلقيه إلى الآخر حتى إلى الكاهن فيرمون بالكوكب فلا يخطىء أبداً فمنهم من يقتل ومنهم من يحرق بعض أعضائه وأجزائه ومنهم من يفسد عقله وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيه وربما ألقاه قبل أن يدركه ولأجل أن يصيبهم مرة ويسلمون أخرى لا يرتدعون عن الاستراق بالكلية كراكب البحر للتجارة فإنه قد يصيبه الموج وقد لا يصيبه فلذا يعود إلى ركوب البحر رجاء السلامة. ولا يقال إن الشيطان من النار فلا يحترق لأنه ليس من النار الصرف كما أن الإنسان ليس من التراب الخالص مع أن النار القوية إذا استولت على الضعيفة استهلكتها ثم إن المراد بالشهاب شعلة نار تنفصل من النجم لا أنه النجم نفسه لأنه قار في الفلك على حاله.

«وقالت الفلاسفة»: إن الشهب إنما هي أجزاء نارية تحصل في الجو عند ارتفاع الأبخرة المتصاعدة واتصالها بالنار التي دون الفلك انتهى.

وقال بعض كبار أهل الحقيقة: لولا الأثير الذي هو بين السماء والأرض ما كان حيوان ولا نبات ولا معدن في الأرض لشدة البرد الذي في السماء الدنيا فهو يسخن العالم لتسري فيه الحياة بتقدير العزيز العليم وهذا الأثير الذي هو ركن النار متصل بالهواء والهواء حار رطب ولما في الهواء من الرطوبة إذا اتصل بهذا الأثير أثر فيه لتحركه اشتعالاً في بعض أجزاء الهواء

الرطبة فبدت الكواكب ذوات الأذناب لأنها هواء محترق لا مشتعل وهي سريعة الاندفاع وإن أردت تحقيق هذا فانظر إلى شرر النار إذا ضرب الهواء النار بالمروحة يتطاير منها شرر مثل الخيوط في رأى العين ثم تنطفىء كذلك هذه الكواكب وقد جعلها الله رجوماً للشياطين الذين هم كفار الجن كما قال الله تعالى انتهى كلامه قدس سره.

قال بعضهم: لما كان كل نير يحصل في الجو مصابيح لأهل الأرض فيجوز أن تنقسم إلى ما تكون باقية على وجه الدهر آمنة من التغير والفساد وهي الكواكب المركوزة في الأفلاك وإلى ما لا تبقى بل تضمحل وهو الحادث بالبخار الصاعد على ما ذهب إليه الفلاسفة أو بتحريك الهواء الأثير وإشعاله على ما ذهب إليه بعض الكبار فلا يبعد أن يكون هذا الحادث رجماً للشيطان. يقول الفقير أغناه الله القدير: قول بعض الكبار يفيد حدوث بعض الكواكب ذوات الأذناب من التحريك المذكور وهي الكواكب المنقضة سواء كانت ذوات أذناب أو لا وهذا لا ينافي ارتكاز الكواكب الغير الحادثة في أفلاكها أو تعليقها في السماء أو بأيدي الملائكة كالقناديل المعلقة في المساجد أو كونها ثقباً في السماء أو عروقاً نيرة من الشمس على ما ذهب إلى كل منها طائفة من أهل الظاهر والحقيقة.

قال قتادة: جعل الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدي بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به، فعلى طالب الحق أن يرجم شيطانه بنور التوحيد والعرفان كيلا يحوم حول جنانه ويكون كالملأ الأعلى في الاشتغال بشأنه:

كاه كويي اعوذوكه لا حول ليك فعلت بود مكذب قول
بحقيقت بسوز شيطانرا ساز از نور حال درمانرا

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾﴾

﴿فاستفتهم﴾ خطاب للنبي عليه السلام والضمير لمشركي مكة [والاستفتاء: فتواى خواستن] والفتيا والفتوى الجواب عما يشكل من الأحكام يقال استفتيته فأفتاني بكذا.

قال بعضهم: الفتوى من الفتى وهو الشاب القوي وسمي الفتوى فتوى لأن المفتي يقوي السائل في جواب الحادثة وجمعه فتاوى بالفتح والمراد بالاستفتاء هنا الاستخبار كما في قوله تعالى في قصة أهل الكهف ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢] وليس المراد سؤال الاستفهام بل التوبيخ. والمعنى فاستخبر يا محمد مشركي مكة توبيخاً واسألهم سؤال محاجة **﴿أهم﴾** [آيا ايشان] **﴿أشد خلقاً﴾** أقوى خلقة وأمتن بنية أو أصعب على الخالق خلقاً أو أشق إيجاداً **﴿أم من﴾** أي: أم الذي **﴿خلقنا﴾** من الملائكة والسماء والأرض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة ومن لتغليب العقلاء على غيرهم **﴿إنا خلقناهم﴾** أي: خلقنا أصلهم وهو آدم وهم من نسله **﴿من طين لازب﴾** لاصق يلصق ويعلق باليد لا رمل فيه. قال في «المفردات»: اللازب الثابت الشديد الثبوت ويعبر بالازب عن الواجب فيقال ضربة لازب اهـ والباء بدل من الميم والأصل لازم مثل مكة وبكة كما في «كشف الأسرار».

والمراد إثبات المعاد ورد استحالتهم وتقريره أن استحالة المعاد إما لعدم قابلية المادة ومادتهم الأصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي إلى الجزء الأرضي وهما باقيان قابلان الإنضمام بعد وإما لعدم قدرة الفاعل وهو باطل فإن من قدر على خلق هذه

الأشياء العظيمة قادر على ما يعتد به بالإضافة إليها وهو خلق الإنسان وإعادته سيما ومن الطين اللازب بدأهم وقدرته ذاتية لا تتغير فهي بالنسبة إلى جميع المخلوقات على السواء [پس هركاه خورشيد قدرت ازافق ارادت طلوع نمايد ذرات مقدورات در هواى ابداع وفضاى اختراع بجلوه در آيند] قدس سره:

كـايـنـك زعـدم سـوى وجـود آمـده ايـم

قال الشيخ سعدي قدس سره:

بـامـرش وجـود از عـدم نـقـش بـسـت كـه دانـد جزاو كـردن ازنـيـسـت هـسـت
دكـــره بـــكـــتـــم عـــدم در بـــرد واز آنـجـا بـصـحـراى مـحـشـر بـرد

وفي الآية إشارة إلى أنه تعالى أودع في الطينة الإنسانية خصوصية لزوب ولصوق يلصق بكل شيء صادفه فصادف قوما الدنيا فلصقوا بها وصادف قوماً الآخرة فلصقوا بها وصادف قوماً نفحات ألطاف الحق فلصقوا بها فأذابتهم وجذبتهم عن أنانيتهم بهويتها كما تذيب الشمس الثلج وتجذبه إليها فطوبى لعبد لم يتعلق بغير الله تعالى.

قال الحافظ:

غـلام هـمـت آنـم كـه زيـر چـرخ كـبـود زهـرچـه رنـك تـعـلـق پـذيـرد آزادسـت

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿**بل عجبت ويسخرون**﴾. قال سعدي المفتي إضراب عن الأمر بالاستفتاء أي: لا تستفتهم فإنهم معاندون ومكابرون لا ينفع فيهم الاستفتاء وانظر إلى تفاوت حالك وحالهم أنت تعجب من قدرة الله تعالى على خلق هذه الخلائق العظيمة ومن قدرته على الإعادة وإنكارهم للبعث وهم يسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث. وقال قتادة: عجب نبي الله من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم وذلك أن النبي عليه السلام كان يظن أن كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن فسخروا منه ولم يؤمنوا عجب من ذلك النبي عليه السلام فقال الله تعالى: ﴿**بل عجبت ويسخرون**﴾ والسخرية الاستهزاء والعجب والتعجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل: لا يصح على الله التعجب إذ هو علام الغيوب لا يخفى عليه خافية. والعجب في صفة الله تعالى قد يكون بمعنى الإنكار الشديد والذم كما في قراءة بل عجبت بضم التاء وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضى كما في حديث «عجب ربكم من شاب ليست له صبوة ونخوة».

وفي «فتح الرحمٰن» هي عبارة عما يظهره الله في جانب المتعجب منه من التعظيم والتحقير حتى يصير الناس متعجب منه انتهى. وسئل الجنيد عن هذه الآية فقال: إن الله تعالى لا يعجب من شيء ولكن الله وافق رسوله فقال: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ [الرعد: ٥] أي: هو كما تقوله.

وفي «المفردات»: بل عجبت ويسخرون أي: عجبت من إنكارهم البعث لشدة تحققك بمعرفته ويسخرون بجهلهم. وقرأ بعضهم بل عجبت بضم التاء وليس ذلك إضافة التعجب إلى نفسه في الحقيقة بل معناه إنه مما يقال عنده عجبت أو تكون عجبت مستعارة لمعنى أنكرت

نحو: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٧٣] انتهى ﴿وإذا ذكروا﴾ أي: ودأبهم المستمر أنهم إذا وعظوا بشيء من المواعظ وبالفارسية: [وچون پندداده شوندبه چيزى] ﴿لا يذكرون﴾ ولا يتعظون وبالفارسية: [ياد نكنند آنرا وبدان پند پذير نشوند]. وفيه إشارة إلى أنهم نسوا الله غاية النسيان بحيث لا يذكرونه وإذا ذكروا يعني بالله تعالى لا يتذكرون ﴿وإذا رأوا آية﴾ أي: معجزة تدل على صدق القائل بالبعث ﴿يستسخرون﴾ [الاستسخار: افسوس داشتن] والسين والتاء للمبالغة والتأكيد أي: يبالغون في السخرية والاستهزاء أو للطلب على أصله أي: يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها يعني: [يكديكررا بسخريه مى خوانند] ﴿وقالوا إن هذا﴾ [نيست اين كه ماديدم] إن نافية بمعنى ما وهذا إشارة إلى ما يرونه من الآية الباهرة ﴿إلا سحر مبين﴾ ظاهر سحريته.

وفيه إشارة إلى أن أهل الإنكار إذا رأوا رجلاً يكون آية من آيات الله يسخرون منه ويعرضون عن الإيمان به ويقولون لما يأتي به إن هذا إلا سحر مبين لانسداد بصائرهم عن رؤية حقيقة الحال بغطاء الإنكار ونسبة أهل الهدى إلى الضلال.

چون نباشد چشم ويرانور جان   كفت وكوى وجه باقى شد خيال

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا هَـٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿أئذا﴾ أي: أنبعث إذا ﴿متنا﴾ وبالفارسية: [آيا برانكيختكان باشيم چون ميريم ما] ﴿وكنا ترابا﴾ [وباشيم خاك] ﴿وعظاماً﴾ [واستخوانهاى بى كوشت وپوست] أي: كان بعض أجزائنا تراباً وبعضها عظاماً وتقديم التراب لأنه منقلب من الأجزاء البالية ﴿أئنا لمبعوثون﴾ أي: لانبعث فإن الهمزة للإنكار الذي يراد به النفي وتقديم الظرف لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إلى حالة منافية له غاية المنافاة ﴿أو آباؤنا الأولون﴾ الهمزة للاستفهام والواو للعطف وآباؤنا رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيبويه أي: وآباؤنا الأولون أي: الأقدمون أيضاً مبعوثون ومرادهم زيادة الاستبعاد بناء على أنهم أقدم فبعثهم أبعد على زعمهم ﴿قل﴾ تبكيتاً لهم ﴿نعم وأنتم داخرون﴾ نعم بفتحتين يقع في جواب الاستخبار المجرد من النفي ورد الكلام الذي بعد حرف الاستفهام والخطاب لهم ولآبائهم على التغليب. والدخور أشد الصغار والذلة يقال ادخرته فدخر أي: أذللته فذل والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم أي: كلكم مبعوثون والحال أنكم صاغرون أذلاء على رغم منكم ﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾ لا تحتاج إلى نعم الأخرى وهي إما ضمير مبهم يفسره خبره أو ضمير البعثة المذكورة في ضمن نعم لأن المعنى نعم مبعوثون والجملة جواب شرط مضمر أو تعليل لنهي مقدر أي: إذا أمر الله بالبعث فإنما هي الخ ولا تستصعبوه فإنما هي الخ. والزجرة الصيحة من زجر الراعي غنمه أو إبله إذا صاح عليها وهي النفخة الثانية ﴿فإذا هم﴾ إذا للمفاجأة والضمير للمشركين. وفي بعض التفاسير للخلائق كلهم أي: فإذا هم قائمون من مراقدهم أحياء ﴿ينظرون﴾ حيارى أو يبصرون كما كانوا أو ينتظرون ما يفعل بهم ﴿وقالوا﴾ أي: المبعوثون وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق

والتقرر **﴿يا ويلنا﴾** الويل الهلاك أي: يا هلاكنا احضر فهذا أوان حضورك. وقال الكاشفي: [اى واى برما] **﴿هذا يوم الدين﴾** تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستئناف أي: اليوم الذي نجازي فيه بأعمالنا وإنما علموا ذلك لأنهم كانوا يسمعون في الدنيا أنهم يبعثون ويحاسبون ويجزون بأعمالهم فلما شاهدوا البعث أيقنوا بما بعده أيضاً فتقول لهم الملائكة بطريق التوبيخ والتقريع **﴿هذا يوم الفصل﴾** أي: القضاء أو الفرق بين فريقي الهدى والضلال **﴿الذي كنتم به تكذبون﴾** أي: كنتم على الاستمرار تكذبون به وتقولون إنه كذب ليس له أصل أبداً فيقول الله تعالى للملائكة **﴿احشروا الذين ظلموا﴾** الحشر يجيء بمعنى البعث وبمعنى الجمع والسوق وهو المراد هٰهنا دون الأول كما لا يخفى والمراد بالظالمين المشركون من بني آدم [جمع كنيدوبهم آريد آنانرا كه ستم كردند برخود بشرك] **﴿وأزواجهم﴾** أي: أشباههم من أهل الشرك والكفر والنفاق والعصيان عابد الصنم مع عبدته وعابد الكواكب مع عبدتها واليهود مع اليهود والنصارى مع النصارى والمجوس مع المجوس وغيرهم من الملل المختلفة ويجوز أن يكون المراد بالأزواج نساءهم اللاتي على دينهم أو قرناءهم من الشياطين كل كافر مع شيطانه في سلسلة **﴿وما كانوا يعبدون من دون الله﴾** من الأصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم **﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾** الضمير للظالمين وأزواجهم ومعبوديهم أي: فعرّفوهم طريق جهنم ووجهوهم إليها وفيه تهكم بهم.

ويقال: الظالم في الآية عام على من ظلم نفسه وغيره فيحشر كل ظالم مع من كان معيناً له أهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الزنى مع أهل الزنى وأهل الربا مع أهل الربا وغيرهم كل مع مصاحبه [درقوت القلوب آورده كه يكى از عبد الله بن مبارك قدس سره پرسيدكه من خياطم واحيانا براى ظلمه جامه مى دوزم ناكاه ازعوان ايشان نباشيم ابن مبارك فرمودنى توكه ازاعوان نيستى بلكه از ظالمانى اعوان ظلمه آنها اندكه سوزن ورشته بتو ميفروشند]. وفي الفروع ويكره للخفاف والخياط أن يستأجر على عمل من زي الفساق ويأخذ في ذلك أجراً كثيراً لأنه إعانة على المعصية [نقليست كه يكبار امام اعظم رضي الله عنه را محبوس كردنديكى از ظلمه بيامدكه مر اقلمى تراش كن كفت ترسم كه ازان قوم باشم كه حق تعالى ميفرمايد] **﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾** أي: أتباعهم وأعوانهم وأقرانهم المقتدين بهم في أفعالهم وفي الحديث «امرؤ القيس قائد لواء الشعراء إلى النار» كما في «تذكرة القرطبي»:

يـــار ظـــالـــم مـــبـــاش تـــانـــشـــوى   روز حـــشـــر ازشـــمـــاره ايـــشـــان

ـ ويروى ـ ان ابن المبارك رؤي في المنام فقيل له: ما فعل بك ربك؟ فقال: عاتبني وأوقفني ثلاث سنين بسبب أني نظرت باللطف يوماً إلى مبتدع فقال: إنك لم تعاد عدوى فكيف حال القاعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين.

وفي «الروضة»: يجيب دعوة الفاسق والورع أن لا يجيب ويكره للرجل المعروف الذي يقتدى به أن يتردد إلى رجل من أهل الباطل وأن يعظم أمره بين الناس فإنه يكون مبتدعاً أيضاً ويكون سبباً لترويج أمره الباطل واتباع الناس له في اعتقاده الفاسد وفعله الكاسد.

والحاصل أن أرباب النفوس الأمارة كانوا يدلون في الدنيا على صراط الجحيم من حيث الأسباب من الأقوال والأفعال والأخلاق فلذا يحشرون على ما ماتوا وكذلك من أعان صاحب فترة في فترته أو صاحب زلة في زلته كان مشاركاً له في عقوبته واستحقاق طرده وإهانته كما

اشتركت النفوس والأجساد في الثواب والعقاب نسأل الله العمل بخطابه والتوجه إلى جنابه والسلوك بتوفيقه والاهتداء إلى طريقه إنه المعين ﴿وقفوهم﴾ قفوا أمر من وقفه وقفاً بمعنى حبسه لا من وقف وقوفاً بمعنى دام قائماً فالأول متعد والثاني لازم.

والمعنى: احبسوا المشركين أيها الملائكة عند الصراط كما قال بطريق التعليل ﴿إنهم مسؤولون﴾ عما ينطق به وقوله تعالى: ﴿ما لكم﴾ [چيست بشماكه] ﴿لا تناصرون﴾ حال من معنى الفعل في مالكم أي: ما تصنعون حال كونكم غير متناصرين وحقيقته ما سبب عدم تناصركم وأن لا ينصر بعضكم بعضاً بالتخليص من العذاب كما كنتم تزعمون في الدنيا كما قال أبو جهل يوم بدر نحن جميع منتصر يعني: [ما همه هم پشتيم يكد يكررا تاكين كشيم از محمد] وتأخير هذا السؤال إلى ذلك الوقت لأنه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة إلى النصرة وحالة انقطاع الرجاء منها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذٍ أشد وقعاً وتأثيراً وفي الحديث: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربعة عن شبابه فيم أبلاه وعن عمره فيم أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن عمله ماذا عمل به».

قال بعض الكبار مقام السؤال صعب قوم يسألهم الملك وقوم يسألهم الملك فالذين تسألهم الملائكة أقوام لهم أعمال صالحة تصلح للعرض والكشف وأقوام لهم أعمال لا تصلح للكشف وهم قسمان: الخواص يسترهم الحق عن اطلاع الخلق عليهم في الدنيا والآخرة وأقوام هم أهل الزلات يخصهم الله تعالى برحمته فلا يفضحهم وأما الأغيار والأجانب فيقال لهم كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً فإذا قرأوا كتابهم يقال لهم فما جزاء من عمل هذا فيقولون جزاؤه النار فيقال لهم ادخلوا بحكمكم كما أن جبرائيل جاء في صورة البشر إلى فرعون وقال ما جزاء عبد عصى سيده وادعى العلو عليه وقد رباه بأنواع نعمه قال جزاؤه الغرق قال: اكتب لي فكتب له صورة فتوى فلما كان يوم الغرق أظهر الفتوى وقال: كن غريقاً بحكمك على نفسك. ويجوز أن يقال لهم في بعض أحوال استيلاء الفزع عليهم ما لكم لا تناصرون فيكون منقطعاً عما قبله.

قال في «بحر العلوم»: والآية نص قاطع ينطق بحقية الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أدق من الشعر واحد من السيف يعبره أهل الجنة وتزل به أقدام أهل النار وأنكره بعض المعتزلة لأنه لا يمكن العبور عليه وإن أمكن فهو تعذيب للمؤمنين وأجيب بأن الله قادر أن يمكن من العبور عليه ويسهله على المؤمنين حتى أن منهم من يجوزه كالبرق الخاصف ومنهم كالريح الهابّة ومنهم كالجواد إلى غير ذلك، وفي «سلسلة الذهب» للمولى الجامي:

هركه باشد زمؤمن وكافر ... بر سرپل كنند شان حاضر
هركه كافر بود چو بنهد پاى ... قعر دوزخ بود مر او راجاى
مؤمنانرا زحق رسد تأييد ... ليك بر قدر قوت توحيد
هر كرا بر طريقت نبوى ... ره نبودست غير راست روى
دوزخ از نور او كند پرهيز ... بكذرد همچو برق خاطف تيز
ياچو مرغ پران وباد وزان ... ياچو چيزى دكر سبكترازان
وانكه ضعفى بود در ايمانش ... نبود زان كذشتن آسانش
بلكه درربخ آن كذركه تنك ... باشد اورا بقدر ضعف درنك
ليك يابد خلاص آخر كار ... كرچه بيند مشقت بسيار

وفي الحديث: «إذا اجتمع العالم والعابد على الصراط قيل للعابد ادخل الجنة وتنعم بعبادتك وقيل للعالم قف هٰهنا فاشفع لمن أحببت فإنك لا تشفع لأحد إلا شفعت فقام مقام الأنبياء» وقد جاء في الفروع رجلان تعلما علماً كعلم الصلاة أو نحوها أحدهما يتعلم ليعلم الناس والآخر يتعلم ليعمل به فالأول أفضل لأن منفعة تعليم الخلق أكثر لكونه خيراً متعدياً فكان هو أفضل من الخير اللازم لصاحبه وقد جاء في الآثار «إن مذاكرة العلم ساعة خير من إحياء الليلة» خصوصاً إذا كان مما يتعلق بالعلم بالله وقد قل أهله في هذا الزمان وانقطعت مذاكرته عن اللسان لانقطاع ذوق الجنان وانسداد البصيرة والعياذ بالله من الخذلان والحرمان ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ [الاستسلام: كردن نهادن] يقال استسلم للشيء إذا انقاد له وخضع وأصله طلب السلامة.

والمعنى: منقادون ذليلون خاضعون بالاضطرار لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم أسلم بعضهم بعضاً وخذله عن عجز فكل مستسلم غير منتصر كقوم متحابين انكسرت سفينتهم فوقعوا في البحر فأسلم كل واحد منهم صاحبه إلى الهلكة لعجزه عن تنجية نفسه فضلاً عن غيره بخلاف حال المتحابين في الله. قال الحافظ:

يار مردان خدا باش كه دركشتى نوح هست خاكى كه بآبى نخرد طوفانرا

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وأقبل﴾ حينئذٍ [والاقبال: پيش آمدن وروى فراكسى كردن]. يقال: أقبل عليه بوجهه وهو ضد الإدبار ﴿بعضهم﴾ هم الاتباع أو الكفرة ﴿على بعض﴾ هم الرؤساء أو القرناء حال كونهم ﴿يتساءلون﴾ يسأل بعضهم بعضاً سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال ولذا فسر بيتخاصمون كأنه قيل كيف يتساءلون فقيل: ﴿قالوا﴾ أي: الاتباع للرؤساء أو الكفرة للقرناء ﴿إنكم كنتم تأتوننا﴾ في الدنيا ﴿عن اليمين﴾ عن القوة والإجبار فتجبروننا على الغي والضلال فاتبعناكم خوفاً منكم بسبب القهر والقوة وبها يقع أكثر الأعمال. أو عن الناحية التي كان منها الحق فتصرفوننا عنها كما في «المفردات». أو عن الجهة التي كنا نأمنكم منها لحلفكم أنكم على الحق فصدقناكم فأنتم أضللتمونا كما في «فتح الرحمٰن» فاليمين إذا بمعنى الحلف والأول أوفق للجواب الآتي كما في «الإرشاد». ويقال: من أتاه الشيطان من جهة اليمين أتاه من قبل الدين لتلبيس الحق عليه. ومن أتاه من جهة الشمال أتاه من قبل الشهوات. ومن أتاه من بين يديه أتاه من قبل تكذيب القيامة. ومن أتاه من خلفه أتاه من قبل تخويفه بالفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحماً ولم يؤد زكاة. وفي الآية إشارتان:

«الأولى»: أن دأب أهل الدنيا أنهم يلقون ذنب بعضهم على بعض ويدفعون عن أنفسهم ويبرئون اعراض الإخوان من تهمة الذنوب ويتهمون أنفسهم بها كما كان عيسى عليه السلام إذا رأى قد سرق شيئاً يقول له أسرقت؟ فيقول: لا والذي لا إله إلا هو فيقول عيسى: صدقت وكذبت عيناي.

«والثانية»: أن من كان مؤمناً حقيقياً لا يقدر أحد على إضلاله ومن كان مؤمناً تقليدياً

يضل بإضلال أهل الهوى والبدع ويزول إيمانه بأدنى شبهة كما أشار بنفي الإيمان في الجواب الآتي ﴿قالوا﴾ استئناف بياني كأنه قيل فماذا قال الرؤساء أو القرناء فقيل: قالوا: ﴿بل لم تكونوا مؤمنين﴾ أي: لم نمنعكم من الإيمان بالقوة والقهر أو بنحو ذلك بل لم تؤمنوا باختياركم وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر عليه ﴿وما كان لنا عليكم من سلطان﴾ من قهر وتسلط نسلب به اختياركم. والسلاطة التمكن من القهر سلطه فتسلط ومنه سمي السلطان بمعنى الغالب والقاهر والسلطان يقال في السلاطة أيضاً ومنه ما في الآية ونظائرها ﴿بل كنتم قوماً طاغين﴾ مختارين للطغيان مصرين عليه والطغيان مجاوزة الحد في العصيان ﴿فحق علينا﴾ أي: لزم وثبت علينا ﴿قول ربنا﴾ وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٥] ﴿إنا لذائقون﴾ أي: العذاب الذي ورد به الوعيد وبالفارسية: [بدرستى كه چشند كانيم عذاب را دران روز] ﴿فأغويناكم﴾ فدعوناكم إلى الغي والضلال دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم الغي على الرشد وبالفارسية: [پس ما شمارا دعوت كرديم بكمراهى وكژراهى بجهت آنكه] ﴿إنا كنا غاوين﴾ ثابتين على الغواية فلا عتب علينا في تعرضنا لإغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا أمثالنا في الغواية وبالفارسية: [ما بوديم كمراهان خواستيم كه شما نيز مثل ما باشيد در مثل است كه خر من سوخته خر من سوخته طلبد:

من مستم وخواهم كه توهم مست شوى ... تا همچو من سوخته همدست شوى

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾

حق سبحانه وتعالى فرمودكه] ﴿فإنهم﴾ أي: الأتباع والمتبوعين ﴿يومئذٍ﴾ [آنروز] ﴿في العذاب﴾ متعلق بقوله: ﴿مشتركون﴾ حسبما كانوا مشتركين في الغواية ﴿إنا كذلك﴾ أي: مثل ذلك الفعل البديع الذي تقتضيه الحكمة التشريعية وهو الجمع بين الضالين والمضلين في العذاب ﴿نفعل بالمجرمين﴾ المتناهين في الإجرام وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى: ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم﴾ بطريق الدعوة والتلقين بأن يقال قولوا: ﴿لا إله إلا الله يستكبرون﴾ يتعظمون عن القول، وقع ذكر لا إله إلا الله في القرآن في موضعين: أحدهما في هذه السورة. والثاني في سورة القتال في قوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] وليس في القرآن لهما ثالث.

وفي «التلويح»: لا يخفى أن الاستثناء هٰهنا بدل من اسم لا على المحل والخبر محذوف أي: لا إله موجود في الوجود إلا الله انتهى. قال الهندي: ويجوز في المستثنى النصب على الاستثناء ولا يضعف إلا في نحو لا إله إلا الله من حيث إنه يوهم وجهاً ممتنعاً وهو الإبدال من اللفظ انتهى. قال العصام لأن إيهام البدل هٰهنا من اللفظ إيهام الكفر وبينه وبين قصد المخبر بالتوحيد تناف ﴿ويقولون أئنا﴾ [آياما] ﴿لتاركوا آلهتنا﴾ [ترك كنند كانيم عبادات خداى خودرا] ﴿لشاعر مجنون﴾ أي: لأجل قول شاعر مغلوب على عقله يعنون محمداً ﷺ وهمزة الاستفهام للإنكار أي: ما نحن بتاركي عبادة آلهتنا وهي الأصنام وبالفارسية: [ما بسخن أو ترك عبادت اصنام نكنيم] ولقد كذبوا في ذلك حيث جننوه وشعروه وقد علموا أنه أرجح الناس عقلاً وأحسنهم

رأياً وأشدهم قولاً وأعلاهم كعباً في المآثر والفضائل كلها وأطولهم باعاً في العلوم والمعارف بأسرها ويشهد بذلك خطبة أبي طالب في تزويج خديجة الكبرى في محضر بني هاشم ورؤساء مضر على ما سبق في سورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٦٤] الآية ﴿بل جاء بالحق﴾ أي: ليس الأمر على ما قالوه من الشعر والجنون بل جاء محمد بالحق وهو التوحيد ﴿وصدق المرسلين﴾ جميعاً في مجيئهم بذلك فما جاء به هو الذي أجمع عليه كافة الرسل فأين الشعر والجنون من ساحته الرفيعة:

هركرا در عقل كل باشد كمال   نيست او مجنون اى شوريده حال

﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿إنكم﴾ بما فعلتم من الإشراك وتكذيب الرسول والاستكبار ﴿لذائقوا العذاب الأليم﴾ والالتفات إلى الخطاب لإظهار كمال الغضب عليهم ﴿وما تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ أي: الإجزاء ما كنتم تعملونه من السيئات أو إلا ما كنتم تعملونه منها. قال ابن الشيخ ولما كان المقام مظنة أن يقال كيف يليق بالكريم الرحيم المتعالي عن النفع والضر أن يعذب عباده أجاب عنه بقوله: ﴿وما تجزون﴾ الخ وتقريره أن الحكمة تقتضي الأمر بالخير والطاعة والنهي عن القبيح والمعصية ولا يكمل المقصود من الأمر والنهي إلا في الترغيب في الثواب والترهيب بالعقاب ولما وقع الاخبار بذلك وجب تحقيقه صوناً للكلام عن الكذب فلهذا السبب وقعوا في العذاب انتهى. فعلى العاقل أن يحذر من يوم القيامة وجزائه فينتقل من الإنكار إلى الإقرار ومن الشك إلى اليقين ومن الكبر إلى التواضع ومن الباطل إلى الحق ومن الفاني إلى الباقي ومن الشرك إلى التوحيد ومن الرياء إلى الإخلاص. وسئل علي رضي الله عنه ما علامة المؤمن قال أربع: أن يطهر قلبه من الكبر والعداوة. وأن يطهر لسانه من الكذب والغيبة. وأن يطهر قلبه من الرياء والسمعة. وأن يطهر جوفه من الحرام والشبهة وأعظم الكبر أن يتكبر عن قول لا إله إلا الله الذي هو أساس الإيمان وخير الاذكار وكلمة الإخلاص وبه يترقى العبد إلى جميع المراتب الرفيعة لكن بشرائطه وأركانه [حسن بصري را پرسيدند كه چه كويى درين خبر كه] «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة» قال لمن عرف حدها وأدى حقها:

هركرا از خدا بود تأييد   نشود كار او بجز توحيد
ذكر توحيد مايه حالست   چون ازان بكذرى همه قالست

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾﴾

﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ استثناء منقطع من ضمير ذائقون وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة إلى تحقيق الحق ببيان أن ذوقهم العذاب ليس إلا من جهتهم لا من جهة غيرهم أصلاً ولكون الاستثناء منقطعاً وإلا بمعنى لكن.

قال في «كشف الأسرار»: تم الكلام هٰهنا أي: عند قوله تعالى: ﴿إلا ما كنتم تعملون﴾ والمعنى إنكم لذائقوا العذاب الأليم لكن عباد الله المخلصين لا يذوقونه. والمخلصون بالفتح من أخلصه الله لدينه وطاعته واختاره لجناب حضرته كقوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩] أي: اصطفاهم الله تعالى فلهم سلامة من الأزل إلى الأبد. والمخلص بالكسر من أخلص عبادته لله تعالى ولم يشرك بعبادته أحداً كقوله تعالى: ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾

[النساء: ٤٦]. وحقيقة الفرق بينهم على ما قال بعض العارفين أن الصادق والمخلص بالكسر من باب واحد وهو من تخلص من شوائب الصفات النفسانية مطلقاً والصديق والمخلص بالفتح من باب واحد وهو من تخلص من شوائب الغيرية أيضاً والثاني أوسع فلكاً وأكثر إحاطة فكل صديق ومخلص بالفتح صادق ومخلص بالكسر من غير عكس فرحم الله حفصاً حيث قرأ بالفتح حيثما وقع في القرآن ﴿أولئك﴾ الخ استئناف فكأن سائلاً سأل ما لهؤلاء المخلصين من الأجر والثواب فقيل: أولئك الممتازون عما عداهم بالإضافة والإخلاص ﴿لهم﴾ بمقابلة إخلاصهم في العبودية ﴿رزق﴾ لا يدانيه رزق ولا يحيط به وصف على ما يفيده التنكير والرزق اسم لما يسوقه الله إلى الحيوان فيأكله ﴿معلوم﴾ الخصائص من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال والظاهر أن معناه معلوم وجوداً وقدراً وحسناً ولذة وطيباً ووقتاً بكرة وعشياً أو دواماً كل وقت اشتهوه فإن فيه فراغ الخاطر وإنما يضطرب أهل الدنيا في حق الرزق لكون أرزاقهم غير معلومة لهم كما في الجنة:

تشنكانرا نمايد اندر خواب   همه عالم بچشم چشمه آب
هركرا چشمه شد جدا لب او   كى بماند بآنكه در لب جو

﴿فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فواكه﴾ بدل من رزق جمع فاكهة وهي كل ما يتفكه به أي: يتنعم بأكله من الثمار كلها رطبها ويابسها وتخصيصها بالذكر لأن أرزاق أهل الجنة كلها فواكه أي: ما يأكل بمجرد التلذذ دون الاقتيات وبالفارسية: [قوت كرفتن] لأنهم مستغنون عن القوت لكون خلقتهم على حالة تقتضي البقاء فهي محكمة محفوظة من التحلل المحوج إلى البدل بخلاف خلقة أهل الدنيا فإنها على حالة تقتضي الفناء فهي ضعيفة محتاجة إلى ما يحصل به القوام اللهم إلا خلقة بعض الأفراد المصونة من التحلل والتفسخ دنيا وبرزخاً.

وقال بعضهم: لأن الفواكه من اتباع سائر الأطعمة فذكرها مغن عن ذكرها. يقول الفقير: والظاهر أن الاقتصار على الفواكه للترغيب والتشويق من حيث إنه لا يوجد في أغلب ديار العرب خصوصاً في الحجاز أنواع الفواكه ﴿وهم مكرمون﴾ عنده لا يلحقهم هوان وذلك أعظم المثوبات وأليقها بأولى الهمم. وقال بعضهم لما فصل خصائص رزقهم بين أن ذلك الرزق يصل إليهم بالتعظيم والإكرام لأن مجرد المطعوم من غير إعزاز وإكرام يليق بالبهائم. ولما ذكر مأكولهم وصف مساكنهم فقال: ﴿في جنات النعيم﴾ النعيم النعمة أي: في جنات ليس فيها إلا النعيم بالإضافة للاختصاص والظرف يقرر محل الرزق والإكرام أو خبر آخر لقول هم مثل قوله: ﴿على سرر﴾ [برتختهاى آراسته] جمع سرير وهو الذي يجلس عليه من السرور إذ كان كذلك لأولي النعمة وسرير الميت يشبه به في الصورة وللتفاؤل بالسرور الذي يلحق بالميت برجوعه إلى الله وخلاصه من السجن المشار إليه بقوله عليه السلام: «الدنيا سجن المؤمن» ويجوز أن يتعلق على سرر بقوله: ﴿متقابلين﴾ أي: حال كونهم متقابلين على سرر وهو حال من الضمير في قوله على سرر والمعنى بالفارسية: [روى در روى يكديكر تابديدار هم شاد وخرم باشند] والتقابل وهو أن ينظر بعضهم وجه بعض أتم للسرور والإنس. وقيل: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم ثم إن استئناس بعضهم برؤية بعض صفة الأبرار فإن

من صفة الأحرار لا يستأنسوا إلا بمولاهم. وسئل يحيى بن معاذ رضي الله عنه هل يقبل الحبيب بوجهه على الحبيب؟ فقال: وهل يصرف الحبيب وجهه عن الحبيب وذلك لكون أحدهما مرآة للآخر فالله تعالى يتجلى للمقربين كل لحظة فيدوم عليهم انسهم الباطن حال كون ظواهرهم مستغرقة في نعيم الجنان، قال الكمال الخجندي:

دولت آن نيست كه يابم دو جهان زير نكين
دولت اينست وسعادت كه ترا يافته ام

ولما ذكر مأكل المخلصين ومسكنهم ذكر بعده صفة شربهم فقال:

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿يطاف عليهم﴾ استئناف مبني على ما نشأ عن حكاية تكامل مجالس أنسهم. والطواف الدوران حول الشيء وكذا الإطافة كما قال في «التهذيب»: [الإطافة: كرد چيزى بركشتن] والمعنى بالفارسية: [كردانيده ميشود برايشان يعني ساقيان بهشت وخادمان برسر ايشان مى كردانند] **﴿بكأس﴾** [جامى تر] أي باناء فيه خمر فإن الكأس يطلق على الزجاجة ما دام فيها خمر وإلا فهو قدح وإناء **﴿من معين﴾** صفة كأس أي: كائنة من شراب معين أي: ظاهر للعين أو من نهر معين أي: جار على وجه أرض الجنة فإن في الجنة أنهاراً جارية من خمر كأنهار جارية من ماء. قال في ا«المفردات»: هو من قولهم معن الماء جرى فهو معين وقيل ماء معين هو من العين والميم زائدة فيه انتهى. وفي الآية إشارة إلى أن قوماً شربوا ومشربهم الشراب بالكأس والشراب معين محسوس وقوماً شربوا ومشربهم الحب والحب مغيب مستور وقوماً شربوا ومشربهم المحبوب هو سر مكنون.

نسيم الحب يحييكم رحيق الحب يلهيكم
من المحبوب تأتيكم إلى المحبوب ينهيكم

﴿بيضاء﴾ لوناً أشد من لون اللبن والخمر البيضاء لم تر في الدنيا ولن ترى وهذا من جملة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت. وبيضاء تأنيث أبيض صفة أيضاً لكأس وكذا قوله: **﴿لذة للشاربين﴾** لكل من يشرب منها. ووصفها بلذة إما للمبالغة أي: كأس لذيذة عذبة شهية طيبة صارت في لذتها كأنها نفس اللذة أو لأنها تأنيث اللذ بمعنى اللذيذ وصفها باللذة بياناً لمخالفتها لخمور الدنيا لانقطاع اللذة عن خمور الدنيا كلها رأساً بالكلية **﴿لا فيها غول﴾** بخلاف خمور الدنيا فإن فيها غولاً كالصداع ووجع البطن وذهاب العقل والإثم فهو من قصر المسند إليه على المسند. يعني إن عدم الغول مقصور على الاتصاف بفي إذ خمور الجنة لا تتجاوز الاتصاف بفي كخمور الدنيا وبالفارسية: [نيست دران شراب آفتى وعلتى كه بر خمر دنيا مرتب است چون فساد حال وذهاب عقل وصداع سر وخواب وجزآن] وهي صفة لكأس أيضاً وبطل عمل لا وتكررت لتقدم خبرها. والغول اسم بمعنى الغائلة يطلق على كل أذية ومضرة. قال في «المفردات»: قال تعالى في صفة خمر الجنة **﴿لا فيها غول﴾** نفياً لكل ما نبه عليه بقوله: **﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾** [البقرة: ٢١٩] وبقوله: **﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾** [المائدة: ٩٠] انتهى يقال غاله الشيء إذا أخذه من حيث لم يدر وأهلكه من حيث لا يحس به ومنه سمي السعلاة غولاً بالضم والسعلاة سحرة الجن كما سبق في سورة الحجر. قال في

«بحر العلوم»: ومنه الغول الذي يراه بعض الناس في البوادي ولا يكذبه ولا ينكره إلا المعتزلة من جميع أصناف الناس حتى جعلوه من كذبات العرب مع أنه يشهد بصحته قوله عليه السلام: «إذا تغولت الغيلان فنادوا بالأذان» انتهى.

قال ابن الملك عند قوله عليه السلام: «لا عدوى ولا طيرة ولا غول» هو واحد الغيلان وهي نوع من الجن كانت العرب يعتقدون أنه في الفلاة يتصرف في نفسه ويتراءى للناس بألوان مختلفة وأشكال شتى ويضلهم عن الطريق ويهلكهم. فإن قيل ما معنى النفي وقد قال عليه السلام: «إذا تغولت الغيلان» أي: تلونت لوناً بصور شتى «فعليكم بالأذان». أجيب بأنه كان ذلك في الابتداء ثم دفعه الله عن عباده. أو يقال المنفي ليس وجود الغول بل ما يزعمه العرب من تصرفه في نفسه انتهى أي: من تلونه بالصور المختلفة واغتياله أي: إضلاله وإهلاكه والغول يطلق على ما يهلك كما في ا«المفردات»، وفي «المثنوي»:

ذكر حق كن بانك غولانرا بسوز

أخذ ذكر الحق من الأذان في الحديث وأراد بالغيلان ما يضل السالك أياً كان ﴿ولا هم﴾ أي: المخلصون ﴿عنها﴾ أي: عن خمر الجنة ﴿ينزفون﴾ يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف إذا ذهب عقله من السكر وبالكسر من أنزف الرجل إذا سكر وذهب عقله أو نفد شرابه. وفي «المفردات»: نزف الماء نزحه كله من البئر شيئاً بعد شيء ونزف دمه ودمعه أي: نزح كله ومنه قيل سكران نزف أي: نزف فمه بسكره. وقرىء ينزفون أي: بالكسر من قولهم أنزف القوم إذا نزف ماء بئرهم انتهى. ثم إنه أفرد هذا بالنفي مع اندراجه فيما قبله من نفي الغول عنها لما أنه من معظم مفاسد الخمر كأنه جنس برأسه. والمعنى لا فيها نوع من أنواع الفساد من مغص أي: وجه في البطن أو صداع أو حمى أو عربدة أي: سوء خلق والمعربد مؤذ نديمه في سكره «قاموس» أي: لا لغو ولا تأثيم ولا هم يسكرون.

وفي «بحر العلوم» وبالجملة ففي خمر الدنيا أنواع من الفساد من السكر وذهاب العقل ووقوع العداوة والبغضاء والصداع والخسارة في الدين والدنيا حتى جعل شاربها كعابد الوثن ومن القيء والبول وكثيراً ما تكون سبباً للقتال والضراب والزنى وقتل النفس بغير حق كما شوهد من أهلها ولا شيء من ذلك كله في خمر الجنة.

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

قال بعض العرفاء جميع البلاء والارتكابات ليس إلا لكثافتنا فلولا هذه الكثافة لما عرض لنا الأمراض والأوجاع ولم يصدر منا ما يقبح في العقول والأوضاع ألا يرى أنه لا مرض في عالم الآخرة ولا شيء مما يتعلق بالكثافة ولكن معرفة الله تعالى لا تحصل لو لم تكن تلك الكثافة فهي مدار الترقي والتنزل ولذلك لا يكون للملائكة ترق وتدل فهم على خلقتهم وجبلتهم الأصلية ﴿وعندهم﴾ أي: عند المخلصين ﴿قاصرات الطرف﴾ القصر الحبس والمنع وطرف العين جفنه والطرف تحريك الجفن وعبر به عن النظر لأن تحريك الجفن يلازمه النظر.

والمعنى حور قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفاً إلى غيرهم ولا يبغين بهم بدلاً لحسنهم عندهن ولعفتهن كما في بعض التفاسير ﴿عين﴾ صفة بعد صفة لموصوف ترك ذكره للعلم به. جمع عيناء بمعنى واسعة العين وأصله فعل بالضم كسرت الفاء لتسلم الياء والمعنى حسان الأعين وعظامها. قال في «المفردات»: يقال للبقر الوحشي عيناء وأعين لحسن عينه وبها شبه الإنسان ﴿كأنهن﴾ أي: القاصرات ﴿بيض﴾ بفتح الباء جمع بيضة وهو المعروف سمي البيض لبياضه والمراد به هنا بيض النعام يعني: [خايه شتر مرغ] ﴿مكنون﴾ ذكر المكنون مع أنه وصف به الجمع فينبغي أن يؤنث اعتباراً للفظ الموصوف ومكنون أي: مستور من كننته أي: جعلته في كن وهو السترة شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة فإن ذلك أحسن ألوان الأبدان أي: لم تنله الأيدي فإن ما مسته الأيدي يكون متدنساً.

وقال الطبري أولى الأقاويل أن يقال: إن البيض هو الجلدة التي في داخل القشرة قبل أن يمسها شيء لأنه مكنون يعني هو البيض أول ما ينحى عنه قشره.

يقول الفقير أغناه الله القدير: ذكر الله تعالى في هذه الآيات ما كان لذة الجسم ولذة الروح. أما لذة الجسم فالتنعم بالفواكه وأنواع النعم والخمر التي لم يكن عند العرب أحب منها والتمتع بالأزواج الحسان. وأما لذة الروح فالسرور الحاصل من الإكرام والإنس الحاصل من صحبة الإخوان والانبساط الحاصل من النظر إلى وجوه الحسان وفي الحديث: «ثلاث يجلين البصر النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجاري وإلى الوجه الحسن» قال ابن عباس رضي الله عنهما والاثمد عند النوم نسأل الله لقاءه وشهوده ونطلب منه فضله وجوده:

دارم اندك روشنايى در بصر ... بى جمال او ولى فيه النظر

قال بعض العرفاء: البيضة حلال لطيف ولكن أهل التصوف لا يأكلها لأنها ناقصة وإنما كمالها إذا كانت دجاجة وكذا لا يحصل منها الشبع التام وكذا من مرق العمارة لعدم طهارته فلتكن هذه المسألة نقلاً وفاكهة لأهل الإرادة ومن الله الوصول إلى أسباب السعادة ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ معطوف على يطاف أي: ليشرب عباد الله المخلصون في الجنة فيتحادثون على الشراب كما هو عادة الشرب في الدنيا فيقبل بعضهم على بعض حال كونهم يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى عليهم ولهم في الدنيا وبالفارسية: [مى پرسند از احوال دنيا وما جراى ايشان بادوست ودشمن] فالتعبير عنهم بصيغة الماضي للتأكيد والدلالة على تحقق الوقوع حتماً. وفي الآية إشارة إلى أن أهل الجنة هم الذين كانوا ممن لم يقبلوا على الله بالكلية وإن كانوا مؤمنين موحدين وإلا كانوا في مقعد صدق مع المقربين ﴿قال قائل منهم﴾ في تضاعيف محاوراتهم وأثناء مكالماتهم ﴿إني كان لي﴾ في الدنيا ﴿قرين﴾ مصاحب وجليس وبالفارسية: [مرايارى وهمنشينى بود] ﴿يقول﴾ لي على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الإيمان والتصديق بالبعث ﴿أئنك﴾ [آياتو] ﴿لمن المصدقين﴾ المعتقدين والمقرين بالبعث ﴿أئذا متنا﴾ [آيا چون بميريم] ﴿وكنا ترابا﴾ [وخاك كرديم] ﴿وعظاماً﴾ [واستخوانهاى كهنة] ﴿أئنا لمدينون﴾ جمع مدين من الدين بمعنى الجزاء ومنه كما تدين تدان أي: لمبعوثون ومحاسبون ومجزيون أي: لا نبعث ولا نجزي ﴿قال﴾ أي: ذلك القائل بعدما حكى لجلسائه مقالة قرينه في الدنيا ﴿هل أنتم﴾ [آياشما] ﴿مطلعون﴾ [الاطلاع: ديده ور شدن] أي: ناظرون

إلى أهل النار لأريكم ذلك القرين المكذب بالبعث يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه فقال جلساؤه: أنت أعرف به منا فاطلع أنت ﴿فاطلع﴾ عليه يعني: [فرونكيرد برايشان] ﴿فرآه﴾ أي: قرينه ﴿في سواء الجحيم﴾ في وسط جهنم وبالفارسية: [درميان آتش دوزخ] وسمي وسط الشيء سواء لاستواء المسافة منه إلى جميع الجوانب. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «في الجنة كوى ينظر منها أهلها إلى أهل النار ويناظرونهم» لأن لهم في توبيخ أهل النار لذة وسروراً.

يقول الفقير: لا شك أن الجنة في جانب الأوج والنار في طرف الحضيض فلأهل الجنة النظر إلى النار وأهلها كما ينظر أهل الغرف إلى من دونهم وأما سرورهم لعذابهم مع كونهم مؤمنين رحماء فلأن يوم القيامة يوم ظهور اسم المنتقم والقهار ونحوهما فكما أنهم في الدنيا رحماء بينهم أشداء على الكفار كذلك لا يرحمون الأعداء كما لا يرحمهم الله إذ لو رحمهم لأدخلهم الجنة نسأل الله ثوابه وجنته ﴿قال﴾ أي: القائل مخاطباً لقرينه متشمتاً به حين رآه على صورة قبيحة ﴿تالله إن﴾ أي: إن الشأن ﴿كدت﴾ قاربت وبالفارسية: [بخداى كه نزديك توبودى كه] ﴿لتردين﴾ [مراهلاك كردى وتباه] أي: لتهلكني بالإغواء والردى الهلاك والارداء الإهلاك وأصله ترديني بياء المتكلم فحذفت اكتفاء بالكسرة ﴿ولولا نعمة ربي﴾ بالهداية والعصمة ﴿لكنت من المحضرين﴾ الإحضار لا يستعمل إلا في الشر كما في «كشف الأسرار» أي: من الذين أحضروا العذاب ما أحضرته أنت وأمثالك.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولولا نعمة ربي﴾ حفظه وخصمته وهدايته ﴿لكنت من المحضرين﴾ معكم فيما كنتم فيه من الضلالة في البداية وفيما أنتم فيه من العذاب والبعد في النهاية وإنما أخبر الله تعالى عن هذه الحالة قبل وقوعها ليعلم أن غيبة الأشياء وحضورها عند الله سواء لا يزيد حضورها في علم الله شيئاً ولا ينقص غيبتها من علمه شيئاً سواء في علمه وجودها وعدمها بل كانت المعدومات في علمه موجودة:

برو علم يك ذره پوشيده نيست   كه پيدا وپنهان بنزدش يكيست

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿أفما نحن بميتين﴾ رجوع إلى محاورة جلسائه بعد إتمام الكلام مع قرينه سروراً بفضل الله العظيم والنعيم المقيم فإن تذكر الخلود في الجنة لذة عظيمة والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام أي: أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين أي: بمن شأنه الموت ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٣٥] التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال قاله تصديقاً لقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦] أي: لا نموت في الجنة أبداً سوى موتتنا الأولى في الدنيا ونصبها على المصدر من اسم الفاعل يعني إنه مستثني مفرغ معرب على حسب العوامل منصوب بميتين كما ينصب المصدر بالفعل المذكور قبله في مثل قولك ما ضربت زيداً إلا ضربة واحدة كأنه قيل وما نحن نموت موتة إلا موتتنا الأولى وقيل نصبها على الاستثنا المنقطع بمعنى لكن الموتة الأولى قد كانت في الدنيا. وقيل إلا هنا بمعنى بعد وسوى ﴿وما نحن بمعذبين﴾ كالكفار فإن النجاة من العذاب أيضاً نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها كما أن العذاب محنة عظيمة مستدعية

لتمني الموت كل ساعة. وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه «الموت أشد مما قبله وأهون مما بعده». وفي الآية إشارة إلى أن مات الموتة الأولى وهي الموتة الإرادية عن الصفات النفسانية الحيوانية فقد حيي بحياة روحانية ربانية لا يموت بعدها أبداً بل ينقل المؤمن من دار إلى دار في جوار الحق ولا يعذب بنار الهجران وآفة الحرمان:

هركه فانى شد ازارادت خويش زندكى يافت او زمهجت خويش
از عذاب والم مسلم كشت در جوار خدا منعم كشت

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَـَٔاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿إن هذا﴾ أي: الأمر العظيم الذي نحن فيه من النعمة والخلود والأمن من العذاب **﴿لهو الفوز العظيم﴾** الفوز الظفر مع حصول السلامة أي: لهو السعادة والظفر بكل المراد الدنيا وما فيها تحتقر دونه كما تحتقر القطرة من البحر المحيط والحبة من البيدر الكبير **﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾** أي: لنيل هذا المرام الجليل يجب أن يعمل العاملون ويجتهد المجتهدون لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانقطاع المشوبة بفنون الآلام والبلايا والصداع. قال الكاشفي: [ازبراى اين نعمتها پس بايدكه عمل كنند كان نه براى مال وجاه دنياكه برشرف زوال وصدد انتقال است]:

كربار كشى بار نكارى بارى وركار كنى براى يارى بارى
ورروى بخاكراهى خواهى ماليد برخاك ره طرفه سوارى بارى

ويحتمل أن يكون قوله إن هذا الخ من كلام رب العزة فهو ترغيب في طلب ثواب الله بطاعته ويقال فليحتمل المحتملون الأذى لأنه قد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات كما قال جلال الدين الرومي قدس سره:

حفت الجنة بمكروهاتنا حفت النيران من شهواتنا

يعني: جعلت الجنة محفوفة بالأشياء التي كانت مكرهة لنا وجعلت النار محاطة بالأشياء التي محبوبة لنا فما بين المرء وبين الجنة حجاب إلا المكاره وهو حجاب عظيم صعب خرقه وما بين النار وبينه حجاب إلا الشهوات وهو حجاب حقير سهل لأهله والعياذ بالله من الإقبال على الشهوات والإدبار عن الكرامات في الجنات.

قال في «كشف الأسرار»: [پس عارفان سزاترانده براميد ديدار جلال احديت ويافت حقائق قربت وتباشير صبح وصلت ديده ديده ودل فرا كنند وجان ورواه درين بشارت نثار كنند] يعني إن هبت نفحة من نفحات الحق من جنات القدس أو شم رائحة من نسيم القرب أو بدت شطبة من الحقائق وتباشير الوصلة حق للعارف أن يقول إن هذا لهو الفوز العظيم وبالحري أن يقول: **﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾** بل لمثل هذه الحالة تبذل الأرواح وتفدى الأشباح كما قيل:

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه وإن بات من سلمى على اليأس طاويا

والحاصل: أن لكل من العابدين والعارفين حصة من إشارة هذا في الآية وكان بعض الصلحاء يصلي الضحى مائة ركعة ويقول لهذا خلقنا وبهذا أمرنا يوشك أولياء الله أن يكفوا ويحمدوا أي: على ما آتاهم الله في مقابلة مجاهداتهم وطاعاتهم من الأجر الجزيل والثواب الجميل. وقد ثبت أن كثيراً من الصلحاء تلوا عند النزع قوله تعالى: **﴿لمثل هذا﴾** إلى آخر ما أشير إليه لما شاهده من حيث مقامه فنسأل الله القلب السليم في الدنيا والنعيم المقيم في العقبى ولله تعالى ألطاف لا تحويها الأفكار.

ـ حكي ـ أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى من أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول رب وكيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذهم فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت يا رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله فيقول في الخامسة رضيت يا رب فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت يا رب قال موسى عليه السلام: فمن أعلاهم منزلة؟ فقال أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر والكل فوز لكن الفوز بالأعلى فوز عظيم ألا ترى أنه لا تستوي الرعية والسلطان في الدنيا فإن كل للرعية عباء فللسلطان قباء وإن كان لهم حجرة فله غرفة وإن كان لهم كسرة خبز فله ألوان نعمة وهكذا فقد تفاوتت الهمم في الدنيا واختلف الأغراض ولذا تفاوت المراتب في العقبى وتباين الأعواض فمن وجد الله تعالى وجد الجنة أيضاً بكل ما فيها ولكن ليس كل من يجد الجنة بأسرها يصل إلى الله تعالى والإنسان به والاحتظاظ بلقائه المستغرق جميع الأوقات وشهوده المستوعب لكل الحالات فكن عالي الهمة فإن علو الهمة من الإيمان وغاية الإيمان الإحسان ونهايته الاستغراق في شهود المنان **﴿أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم﴾** الهمزة للتقرير والمراد حمل الكفار على إقرار مدخولها وذلك إشارة إلى نعيم الجنة. وخير وارد على سبيل التهكم والاستهزاء بهم وانتصاب نزلاً على الحالية وهو ما يهيأ من الطعام الحاضر للنازل أي: الضيف ومنه إنزال الأجناد لأرزاقهم.

والزقوم: اسم شجرة صغيرة الورق مرة كريهة الرائحة تكون بتهامة يعرفها المشركون سميت بها الشجرة الموصوفة بقوله إنها شجرة الخ. وفي «المفردات»: شجرة الزقوم عبارة عن أطعمة كريهة في النار ومنه استعير زقم فلان وتزقم إذا ابتلع شيئاً كريهاً.

والمعنى: أن نعم الجنة والرزق المعلوم للمؤمنين فيها خير طعاماً يعني أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم أي: ثمرها فأيهما خير في كونهما نزلاً وفي ذكره دلالة على أن ما ذكره من النعيم لأهل الجنة بمنزلة ما يعد ويرفع للنازل ولهم وراء ذلك ما تقصر عنه الإفهام وكذلك الزقوم لأهل النار ويقال أصل النزل الفضل والزيادة والريع ومنه قولهم العسل ليس من إنزال الأرض أي: من ريعها وما يحصل منه فاستعير للحاصل من الشيء فانتصاب نزلاً على التمييز. والمعنى أذلك الرزق المعلوم الذي حاصله اللذة والسرور خير حاصلاً أم شجرة الزقوم التي حاصلها الألم والغم **﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾** محنة وعذاباً لهم في الآخرة فإن الفتن في اللغة الإحراق أو ابتلاء في الدنيا حيث فتنوا وضلوا عن الحق بسببه فإن الفاتن قد يطلق على المضل عن الحق فإن الكفار لما سمعوا كون هذه الشجرة في النار فتنوا به في دينهم وتوسلوا به إلى الطعن في القرآن والنبوة والتمادي في الكفر وقالوا:

كيف يمكن ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا أن من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويتلذذ بها أقدر على خلق الشجرة في النار وحفظه من الإحراق **﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾** أي: تنبت في قعر جهنم فمنبتها في قعرها وأغصانها ترتفع إلى دركاتها ولما كان أصل عنصرها النار لم تحرق بها كسائر الأشجار ألا ترى أن السمك لما تولد في الماء لم يغرق بخلاف ما لم يتولد فيه. ولعله رد على ابن الزبعرى وصناديد قريش وتجهيل لهم حيث قال ابن الزبعرى لهم: إن محمداً يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان البربر الزبد والتمر فأدخلهم أبو جهل بيته وقال: يا جارية زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر فقال استهزاء تزقموا فهذا ما توعدكم به محمد فقال تعالى: **﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾** فليس الزقوم ما فهم هؤلاء الجهلة الضلال **﴿طلعها﴾** أي: حملها وثمرها الذي يخرج منها ويطلع مستعار من طلع النخلة لمشاركته له في الشكل. والطلع شيء يخرج من النخل كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود **﴿كأنه﴾** [كويا او] **﴿رؤوس الشياطين﴾** في تناهي القبح والهول لأن صورة الشيطان أقبح الصور وأكرهها في طباع الناس وعقائدهم ومن ثمة إذا وصفوا شيئاً بغاية القبح والكراهة قالوا: كأنه شيطان وإن لم يروه فتشبيه الطلع برؤوس الشياطين تشبيه بالمخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك قال تعالى حكاية ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝٣١﴾ [يوسف: ٣١]. وفيه إشارة إلى أن من كان هٰهنا معلوماته في قبح صفات الشياطين يكون هناك مكافأته في قبح صورة الشياطين **﴿فإنهم﴾** [بس دوز خيان] **﴿لآكلون منها﴾** أي: من الشجرة ومن طلعها فالتأنيث مكتسب من المضاف إليه **﴿فمالئون منها البطون﴾** لغلبة الجوع أو للقسر على أكلها وإن كرهوها ليكون ذلك نوعاً آخر من العذاب. وفيه إشارة إلى أنهم كانوا لها في مزرعة الآخرة أعني الدنيا زارعين فما حصدوا إلا ما زرعوا. والمالىء: اسم فاعل من ملأ الإناء ماء يملؤه فهو مالىء ومملوء. والبطون جمع بطن وهو خلاف الظهر في كل شيء **﴿ثم إن لهم عليها﴾** أي: على الشجرة التي ملأوا منها بطونهم بعدما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم كما ينبىء عنه كلمة ثم فتكون للتراخي الزماني ويجوز أن تكون للرتبى من حيث إن كراهة شرابهم وبشاعته لما كانت أشد وأقوى بالنسبة إلى كراهة طعامهم كان شرابهم أبعد من طعامهم من حيث الرتبة فيكونون جامعين بين أكل الطعام الكريه البشيع وشرب شراب الأكره الأبشع **﴿لشوباً من حميم﴾** الشوب الخلط والحميم الماء الحار الذي قد انتهى حره أي: شراباً من دم أو قيح أسود أو صديد ممزوجاً مشوباً بماء حار غاية الحرارة يقطع إمعاءهم **﴿ثم إن مرجعهم﴾** أي: مصيرهم **﴿لإلى الجحيم﴾** أي: إلى درجاتها أو إلى نفسها فإن الزقوم والحميم نزل يقدم إليهم قبل دخولها وقيل الجحيم خارج عنها لقوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٤٣ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۝٤٤﴾ [الرحمٰن: ٤٣-٤٤] يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم من الجحيم إلى شجره الزقوم فيأكلون منها إلى أن يتملؤوا ثم يسقون من الحميم ثم يردون إلى الجحيم كما يرد الإبل عن موارد الماء ويؤيده قراءة ابن مسعود «ثم إن منقلبهم» وفي الحديث: «يا أيها الناس اتقوا الله ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون فلو أن قطرة من الزقوم قطرت لأمرّت على أهل الدنيا معيشتها فكيف بمن هو طعامه وشرابه وليس له طعام غيره» **﴿إنهم ألفوا آباءهم ضالين﴾** تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الآباء في الدين من غير أن يكون لهم ولآبائهم شيء يتمسك به أصلاً. والإلفاء بالفاء الوجدان وبالفارسية: [يافتن] وضالين مفعول ثان لقوله ألفوا بمعنى وجدوا.

والمعنى: وجدوهم ضالين في نفس الأمر عن الهدى وطلب الحق ليس لهم ما يصلح شبهة فضلاً عن صلاحية الدليل ﴿فهم﴾ أي: الكافرون الظالمون ﴿على آثارهم﴾ أي: آثار الآباء جمع أثر بالفارسية [پی] ﴿يهرعون﴾ يسرعون من غير أن يتدبروا أنهم على الحق أو لا مع ظهور كونهم على الباطل بأدنى تأمل، والإهراع: الإسراع الشديد كأنهم يزعجون ويحثون حثاً على الإسراع على آثارهم ﴿ولقد﴾ جواب قسم أي: وبالله لقد ﴿ضل﴾ [كمراه شد] ﴿قبلهم﴾ أي: قبل قومك قريش ﴿أكثر الأولين﴾ من الأمم السابقة أضلهم إبليس ولم يذكر لأن في الكلام دليلاً فاكتفى بالإشارة ﴿ولقد أرسلنا فيهم﴾ [وبتحقيق ما فرستاديم درميان ايشان] يعني الأكثرين ﴿منذرين﴾ أي: أنبياء أولى عدد كثير ذوي شأن خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وأنذروهم عاقبته الوخيمة ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ أي: آخر أمر الذين أنذروا من الهول والفظاعة والهلاك لما لم يلتفتوا إلى الإنذار ولم يرفعوا لهم رأساً. والخطاب إما للرسول أو لكل أحد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وسماع أخبارهم وحيث كان المعنى أنهم أهلكوا إهلاكاً فظيعاً استثنى منهم المخلصون بقوله تعالى: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ أي: الذين أخلصهم الله بتوفيقهم للإيمان والعمل بموجب الإنذار يعني أنهم نجوا مما أهلك به كفار الأمم الماضية.

وفي الآية تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ببيان أنه تعالى أرسل قبله رسلاً إلى الأمم الماضية فأنذروهم بسوء عاقبة الكفر والضلال فكذبهم قومهم ولم ينتهوا بالإنذار وأصروا على الكفر والضلال فصبر الرسل على أذاهم واستمروا على دعوتهم إلى الله تعالى فاقتد بهم وما عليك إلا البلاغ ثم إن عاقبة الإصرار الهلاك وغاية الصبر النجاة والفوز بالمراد. فعلى العاقل تصحيح العمل بالإخلاص وتصحيح القلب بالتصفية.

قال الواسطي: مدار العبودية على ستة أشياء: التعظيم والحياء والخوف والرجاء والمحبة والهيبة. فمن ذكر التعظيم يهيج الإخلاص. ومن ذكر الحياء يكون العبد على خطرات قلبه حافظاً. ومن ذكر الخوف يتوب العبد من الذنوب ويأمن من المهالك. ومن ذكر الرجاء يسارع إلى الطاعات. ومن ذكر المحبة يصفو له الأعمال. ومن ذكر الهيبة يدع التملك والاختيار ويكون تابعاً في إرادته لإرادة الله تعالى ولا يقول إلا سمعنا وأطعنا.

وقد صح أن ذا القرنين لما دخل الظلمات قال لعسكره ليرفع كل منكم من الأحجار التي تحت أقدام الافراس فإنها جواهر فمن رفع بلغ نهاية الغنى ومن خالف وأنكر ندم وبقي في التحسر أبداً:

كاشكى بهر امتحان بارى   كردمى نان ذخيره مقدارى
تا كنون نقد وقت من كشتى   وقتم اينسان بمقت نكذشتى
كاشكى كزكهر بكردم بار   برسكندر نكردمى انكار
تانيفتادمى ازان تقصير   در حجاب وخجالت وتشوير
آين بود حال كافر ومسلم   كاو درين تنك موطن ومظلم
چون رشيد ازخدا كتاب ورسول   آن برد پيش رفت اين بقبول
نزدند از سر فساد وغلو   كافران جز در عناد وعتو
مؤمنان كرده در پيمبر روى   هم سمعنا وهم أطعنا كوى
شد بلايا نهايت انكار   شد عطايا نهايت اقرار

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾

ومن الله التوفيق بطريق التحقيق.

﴿ولقد نادينا نوح﴾ نوع تفصيل لحسن عاقبة المنذرين بالكسر وسوء خاتمة المنذرين بالفتح. والنداء الدعاء بقرينة فلنعم المجيبون. والمعنى وبالله لقد دعانا نوح وهو أول المرسلين حين يئس من إيمان قومه بعدما دعاهم إليه أحقاباً ودهوراً فلم يزدهم دعاؤه إلا فراراً ونفوراً فأجبناه أحسن الإجابة حيث أوصلناه إلى مراده من نصرته على أعدائه والانتقام منهم بأبلغ ما يكون ﴿فلنعم المجيبون﴾ أي: فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة والكبرياء ﴿ونجيناه﴾[التنجية: نجات دادن] ﴿وأهله﴾[وكسان او] ﴿من الكرب العظيم﴾[ازاندوه بزرك] أي: من الغرق أو من أذى قومه دهراً طويلاً. والكرب الغم الشديد والكربة كالغمة وأصل ذلك من كرب الأرض وهو قلبها بالحفر فالغم يثير النفس إثارة ذلك ويصح أن يكون الكرب من كربت الشمس إذا دنت للمغيب ﴿وجعلنا ذريته﴾نسله ﴿هم﴾فحسب ﴿الباقين﴾حيث أهلكنا الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً. وقد روي أنه مات كل من كان معه في السفينة غير أبنائه وأزواجهم وهم الذين بقوا متناسلين إلى يوم القيامة. قال قتادة: إنهم كلهم من ذرية نوح وكان له ثلاثة أولاد: سام وحام ويافث. فسام أبو العرب وفارس والروم واليهود والنصارى. وحام أبو السودان من المشرق إلى المغرب والسند والهند والنوبة والزنج والحبشة والقبط والبربر وغيرهم. ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك.

قال في «كشف الأسرار»: [أصحاب التورايخ كفتند فرزاندن يافث هفت بودند نامهاى ايشان ترك وخزر وصقلاب وتاريس ومنسلك وكمارى وصين ومسكن ايشان ميان مشرق ومهب شمال بود وهرچه ازين جنس مردم اند از فرزندان اين هفت برادرانند وهمچنين فرزندان حام بن نوح هفت بودند نامهاى ايشان سند وهند وزنج وقبط وحبش ونوب وكنعان ومسكن ايشان ميان چنوب ودبور وصبابور وجنس سياهان همه ازفرزندان اين هفت برادرانند اما فرزندان سام ميكويند پنج بودند وقومى ميكويندكه هفت بودندارم وارفخشد وعالم ويفر واسود وتارخ وتورخ ارم پدرعاد وثمود بودار فحشد بدر عرب بود از ايشان فالغ وقحطان بود فالغ جد ابراهيم عليه السلام قحطان ابو اليمن بود وعالم بدر خراسان واسود پدر فارس ويفر پدر روم بود وتورخ پدر ارمين بود صاحب ارمينيه وتارخ پدر كرمان بود وابن ديار واقطاع همه بنام ايشان باز ميخوانند وبعد ازنوح خليفه وى سام بود برسر فرزندان نوح فرمانده بود وكارساز ومسكن وى زمين عراق بود وايران شهر] وقيل يشتوا بأرض خوخى ويصيف بالموصل [ونوح راپسرچهارمين بودنام او يام] وهو الغريق ولم يكن له عقب ﴿وتركنا عليه﴾أبقينا على نوح ﴿في الآخرين﴾ من الأمم وبالفارسية: [درميان پسينيان] ﴿سلام على نوح﴾ أي: هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت سورة أنزلناها فلم ينتصب السلام لأن الحكاية لا تزال عن وجهها. والمعنى يسلمون عليه تسليماً ويدعون له على الدوام أمة بعد أمة ﴿في

العالمين﴾ بدل من قوله في الآخرين لكونه أدل منه على الشمول والاستغراق لدخول الملائكة والثقلين فيه. والمراد الدعاء بثبات هذه التحية واستمرارها أبداً في العالمين من الملائكة والثقلين جميعاً.

وفي «تفسير القرطبي» جاءت الحية والعقرب لدخول السفينة فقال نوح: لا أحملكما لأنكما سبب الضر والبلاء فقالا: احملنا فنحن نضمن لك أن لا نضر أحداً ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما **﴿سلام على نوح في العالمين﴾** لم يضراه ذكره القشيري.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بهذا إلى أن المستحق لسلام الله هو نوح روح الإنسان لأنه ما جاء أن الله سلم على شيء من العالمين غير الإنسان كما قال تعالى ليلة المعراج: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» فقال عليه السلام: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» وما قال وعلى ملائكتك المقربين. وإنما كان اختصاص الإنسان بسلام من بين العالمين لأنه حامل الأمانة الثقيلة التي أعرض عنها غيره فكان أحوج شيء إلى سلام الله ليعبر بالأمانة على الصراط المستقيم الذي هو أدق من الشعرة وأحد من السيف ولهذا قال النبي عليه السلام: «تكون دعوة الرسل حينئذٍ رب سلم سلم» وهل سمعت أن يكون لغير الإنسان العبور على الصراط وإنما اختصوا بالعبور على الصراط لأنهم يؤدون الأمانة إلى أهلها وهو الله تعالى فلا بد من العبور على صراط الله الموصل إليه لأداء الأمانة **﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾** الكاف متعلقة بما بعدها أي: مثل ذلك الجزاء الكامل من إجابة الدعاء وإبقاء الذرية والذكر الجميل وتسليم العالمين أبداً نجزي الكاملين في الإحسان لا جزاء أدنى منه فهو تعليل لما فعل بنوح من الكرامات السنية بأنه مجازاة له على إحسانه **﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾** تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال إيمانه. وفيه إظهار لجلالة قدر الإيمان وأصالة أمره وترغيب في تحصيله والثبات عليه. وفي «كشف الأسرار»: خص الإيمان بالذكر والنبوة أشرف منه بياناً لشرف المؤمنين لا لشرف نوح كما يقال إن محمداً عليه السلام من بني هاشم. قال عباس بن عطاء أدنى منازل المرسلين أعلى مراتب النبيين وأدنى مراتب النبيين أعلى مراتب الصديقين وأدنى مراتب الصديقين أعلى مراتب المؤمنين **﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾** أي: المغايرين لنوح وأهله وهم كفار قومه أجمعين [والإغراق: غرقه كردن يعني آنكه ديكرانرا بآب كشتيم] وهو عطف على نجيناه. وثم لما بين الإنجاء والإغراق من التفاوت وكذا إذا كان عطفاً على تركنا وليس للتراخي لأن كلاً من الإنجاء والإبقاء إنما هو بعد الإغراق دون العكس كما يقتضيه التراخي **﴿وإن من شيعته﴾** أي: ممن شايع نوحاً وتابعه في أصول الدين **﴿لإبراهيم﴾** وإن اختلفت فروع شريعتيهما ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق كلي أو أكثري. وعن ابن عباس رضي الله عنهما من أهل دينه وعلى سنته أو ممن شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين وما كان بينهما الأنبياء هود وصالح وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة. وفي بعض التفاسير أن الضمير عائد إلى حضرة صاحب الرسالة ﷺ وإن كان غير مذكور فإبراهيم وإن كان سابقاً في الصورة لكنه متابع لرسول الله في الحقيقة ولذا اعترف بفضله ومدح دينه ودعا فيه حيث قال: **﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾** [البقرة: ١٢٩] الآية:

پيش آمدند بسى انبيا وتو — كر آخر آمدى همه را پيشوا توى
خوان خليل هست نمكدان خوان تو — برخوان اصطفا نمك انبيا توى

﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾
فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾
فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟
إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿إذ جاء ربه﴾ منصوب باذكر **﴿بقلب سليم﴾** الباء للتعدية أي: بقلب سليم من آفات القلوب بل من علاقة من دون الله مما يتعلق بالكونين ومعنى مجيئه به ربه إخلاصه له كأنه جاء به متحضناً إياه بطريق التمثيل وإلا فليس القلب مما ينقل من مكان إلى مكان حتى يجاء به **﴿إذ قال﴾** الخ بدل من إذ الأولى **﴿لأبيه﴾** آزر بن باعر بن ناحور بن فالغ بن سالح بن ارفخشد بن سام بن نوح **﴿وقومه﴾** وكانوا عبدة الأصنام **﴿ماذا تعبدون﴾** استفهام إنكاري وتوبيخ أي: أي شيء تعبدون **﴿أإفكا آلهة دون الله تريدون﴾** الإفك أسوء الكذب أي: أتريدون آلهة من دون الله إفكاً أي: للافك فقدم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به لأن الأهم مكافحتهم بأنهم على أفك آلهتهم وباطل شركهم **﴿فما ظنكم﴾** أي: أي شيء ظنكم فما مبتدأ خبره ظنكم **﴿برب العالمين﴾** إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره أن يغفل عنكم أو لا يؤاخذكم بما كسبت أيديكم أي: لا ظن فكيف القطع. قال في «كشف الأسرار»: [دردل ابراهيم بود كه بتان ايشان را كيدى سازد تا حجت برايشان الزام كنند وآشكارا نمايد كه ايشان مبعودى را نشايند روزى پدر وياران وى كفتندكه أي إبراهيم بيا تا بصحرا بيرون شويم وبعيد كاه ما برويم] **﴿فنظر﴾** ابراهيم **﴿نظرة في النجوم﴾** جمع نجم وهو الكوكب الطالع أي: في علمها وحسابها إذ لو نظر إلى النجوم أنفسها لقال إلى النجوم وكان القوم يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه واعتل في التخلف عن عيدهم أي: عن الخروج معهم إلى معبدهم **﴿فقال إني سقيم﴾**. قال في «المفردات»: السقم والسقم المرض المختص بالبدن والمرض قد يكون في البدن وفي النفس. وقوله: **﴿إني سقيم﴾** فمن التعريض والإشارة به إما إلى ماض وإما إلى مستقبل وإما إلى قليل مما هو موجود في الحال إذ كان الإنسان لا ينفك من خلل يعتريه وإن كان لا يحس به ويقال مكان سقيم إذا كان فيه خوف انتهى. وقال ابن عطاء: إني سقيم من مخالفتكم وعبادتكم الأصنام أو بصدد الموت فإن من في عنقه الموت سقيم وقد فوجىء رجل فاجتمع عليه الناس وقالوا: مات وهو صحيح فقال أعرابي: أصحيح من الموت في عنقه وأياً ما كان فلم يقل إلا على تأويل فإن العارف لا يقع في انهتاك الحرمة أبداً وكان ذلك من إبراهيم لذب عن دينه وتوسل إلى إلزام قومه.

قال عز الدين بن عبد السلام: الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعاً فالكذب فيه حرام فإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً. وواجب إن كان ذلك المقصود واجباً فهذا ضابطه. وفي «الأسئلة المقحمة»: ومن الناس من يجوّز الكذب في الحروب لأجل المكيدة والخداع وإرضاء الزوجة والإصلاح بين المتهاجرين والصحيح أن ذلك لا يجوز أيضاً في هذه المواضع لأن الكذب في نفسه قبيح والقبيح في نفسه لا يصير حسناً باختلاف الصور والأحوال وإنما يجوز في هذه المواضع بتأويل وتعريض لا بطريق التصريح. ومثاله يقول

الرجل لزوجته: إذا كان لا يحبها كيف لا أحبك وأنت حلالي وزوجتي وقد صحبتك وأمثال هذه فأما إذا قال صريحاً بأني أحبك وهو يبغضها فيكون كذباً محضاً ولا رخصة فيه. مثاله كان رسول الله ﷺ إذا أراد النهضة نحو يمينه كان يسأل عن منازل اليسار ليشبه على العدو من أي: جانب يأتيه وأما إذا كان يقصد جانباً ويقول أمضي إلى جانب آخر فهذه من قبيلها انتهى.

وكان القوم يتطيرون من المريض فلما سمعوا من إبراهيم ذلك هربوا منه إلى معبدهم وتركوه في بيت الأصنام فريداً ليس معه أحد وذلك قوله تعالى: ﴿**فتولوا عنه**﴾فأعرضوا وتفرقوا عن إبراهيم ﴿**مدبرين**﴾هاربين مخافة العدوى أي: السراية. وقال بعضهم: إن المراد بالسقم هو الطاعون وكان أغلب الأسقام وكانوا يخافون العدوى. يقول الفقير: المشهور إن الطاعون قد فشا في بني إسرائيل ولم يكن قبلهم إلا على رواية كما قال عليه السلام: «الطاعون رجز أرسل على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم» ﴿**فراغ إلى آلهتهم**﴾أي: ذهب إليها في خفية وأصله الميل بحيلة من روغة الثعلب وهو ذهابه في خفية وحيلة. قال في «القاموس»: راغ الرجل والثعلب روغاً وروغاناً مال وحاد عن الشيء. وفي «تاج المصادر»: [الروغ والروغان: روباهى كردن] [والروغ: پنهان سوى چيزى شدن]. وفي «التهذيب» [الروغ والروغان: دستان كردن] ﴿**فقال**﴾للأصنام استهزاء [چون ديد ايشانرا آراسته وخوانهاى طعام درپيش ايشان نهاده] ﴿**ألا تأكلون**﴾[آيا نمى خوريد ازين طعامها] وكانوا يضعون الطعام عند الأصنام لتحصل له البركة بسببها ﴿**ما لكم لا تنطقون**﴾أي: ما تصنعون غير ناطقين بجوابي وبالفارسية: [چيست شمارا كه سخن نمى كوييد ومرا جوابى ندهيد] ﴿**فراغ عليهم**﴾فمال مستعلياً عليهم حال كونه يضربهم ﴿**ضرباً باليمين**﴾أو حال كونه ضارباً باليمين فالمصدر بمعنى الفاعل أي: ضرباً شديداً قوياً وذلك لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما وقوة الآلة تقتضي قوة الفعل وشدته. وقيل: بالقوة والمتانة وعلى ذلك مدار تسمية الحلف باليمين لأنه يقوي الكلام ويؤكده. وقيل بسبب الحلف وهو قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧] فلما رجعوا من عيدهم إلى بيت الأصنام وجدوها مكسورة يعني: [پاره پاره كشته] فسألوا عن الفاعل فظنوا أن إبراهيم عليه السلام فعله فقيل فائتوا به ﴿**فأقبلوا**﴾أي: توجه المأمورون بإحضاره ﴿**إليه**﴾إلى إبراهيم. قال ابن الشيخ: إليه يجوز أن يتعلق بما قبله وبما بعده ﴿**يزفون**﴾حال من واو أقبلوا أي: يسرعون من زفيف النعام وهو ابتداء عدوها. قال في «المفردات»: أصل الزفيف في هبوب الريح وسرعة النعامة التي تخلط الطيران بالمشي وزفزف النعام إذا أسرع ومنه استعير زف العروس استعارة ما تقتضي السرعة لا لأجل مشيها ولكن للذهاب بها على خفة من السرور ﴿**قال**﴾أي: بعدما أتوا به وجرى بينهم وبينه من المحاورات ما نطق به قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنبياء: ٦٢] إلى قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٥] ﴿**أتعبدون**﴾همزة الاستفهام للإنكار ﴿**ما تنحتون**﴾ ما تنحتونه من الأصنام فما موصولة. والنحت نحت الشجر والخشب ونحوهما من الأجسام وبالفارسية: [تراشيدن يعني آيامى پرستيد آنچه مى تراشيد از سنك وچوب بدست خود] ﴿**والله خلقكم**﴾حال من فاعل تعبدون مؤكدة للإنكار والتوبيخ أي: والحال أنه تعالى خلقكم والخالق هو الحقيق بالعبادة دون المخلوق ﴿**وما تعملون**﴾أي: وخلق ما تعملونه من الأصنام وغيرها فإن جواهر أصنامهم ومادتها بخلقه تعالى وشكلها وإن كان بفعلهم لكنه بأقدار الله تعالى إياهم

عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد والأسباب فلم يلزم أن يكون الشيء مخلوقاً لله تعالى ومعمولاً لهم وظهر من فحوى الآية أن الأفعال مخلوقة لله تعالى مكتسبة للعباد حسبما قالته أهل السنة والجماعة وبالاكتساب يتعلق الثواب والعقاب.

قال المولى الجامي:

فعل ماخواه زشت وخواه نكو ... يك بيك هست آفريده او
نيك وبد كرچه مقتضاى قضاست ... اين خلاف رضا وآن برضاست

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿قالوا﴾ [كفت نمرود وخواص او]. وقال السهيلي في «التعريف»: قائل هذه المقالة لهم فيما ذكر الطبري اسمه الهيزن رجل من أعراب فارس وهم الترك وهو الذي جاء في الحديث «بينا رجل يمشي في حلة يتبختر فيها فخسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة» **﴿ابنوا له بنياناً﴾** [بنا كنيد براى سوختن ابراهيم بنايى واز هيزم پرساخته آتش دران زنيد].

ـ روي ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: بنوا حائطاً من حجر طوله في السماء ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وملأوه حطباً وأشعلوه ناراً وطرحوه فيها كما قال: **﴿فألقوه في الجحيم﴾** في النار الشديدة الإيقاد وبالفارسية: [پس طرح كنيد ودر افكنيد اورا در آتش سوزان] من الجحمة وهي شدة التأجج والالتهاب واللام عوض عن المضاف إليه أي: ذلك البنيان **﴿فأرادوا به كيداً﴾** أي: شراً وهو أن يحرقوه بالنار عليه السلام لما قهر لهم بالحجة وألقمهم الحجر قصداً أن يكيدوا به ويحتالوا لإهلاكه كما كاد أصنامهم بكسره إياهم لئلا يظهر للعامة عجزهم والكيد ضرب من الاحتيال كما في «المفردات» **﴿فجعلناهم الأسفلين﴾** الأذلين بإبطال كيدهم وجعله برهاناً نيراً على علو شأنه عليه السلام بجعل النار عليه برداً وسلاماً على ما سبق تفصيل القصة في سورة الأنبياء. فإن قلت لم ابتلاه تعالى بالنار في نفسه؟ قلت: لأن كل إنسان يخاف بالطبع من ظهور صفة القهر كما قيل لموسى عليه السلام ﴿وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾ [طه: ٢١] فأراه تعالى أن النار لا تضر شيئاً إلا بإذن الله تعالى وإن ظهرت بصورة القهر وصفته وكذلك أظهر الجمع بين المتضادين بجعلها برداً وسلاماً. وفيه معجزة قاهرة لأعدائه فإنهم كانوا يعبدون النار والشمس والنجوم ويعتقدون وصف الربوبية لها فأراهم الحق تعالى أنها لا تضر إلا بإذن الله تعالى. وقد ورد في الخبر «أن النمرود لما شاهد النار كانت على إبراهيم برداً وسلاماً قال: إن ربك لعظيم نتقرب إليه بقرابين فذبح تقرباً إليه آلافاً كثيرة فلم ينفعه لإصراره على اعتقاده وعمله وسوء» حاله، قال المولى الجامي:

يافت ناكاه آن حكيمك راه ... پيش جمعى زاو لياء الله
فصل دى بود ومنقلى آتش ... شعله ميزد ميان ايشان خوش
شد بتقريب آتش ومنقل ... از خليلى برى زنقص وخلل
ذكر آن قصه كهن بتمام ... كه برونار كشت برد وسلام

آن حكيمك زجهل واستكبار كفت بالطبع محرق آمدنار
آنچه بالطبع محرقست كجا كردد از مقتضاى طبع جدا
يكى از حاضران زغيرت دين كفت هين دامنت بيار وببين
منقل آتشش بدامان ريخت آتش خجلتش زجان آنكيخت
كفت دركن ميان آتش دست هيچ كرمى ببين در آتش هست
چون نه دستش بسوخت نى دامن شدازان جهل او برو روشن
طبع راهم مسخر حق ديد حانش ازتيركى عقل رهيد
اكر آن علم او يقين بودى قصه اوكى اينچنين بودى
علم كامد يقين زبيم زوال بيقين ايمن است درهمه حال

﴿وقال﴾ إبراهيم بعدما أنجاه الله تعالى من النار قاله لمن فارقه من قومه فيكون ذلك توبيخاً لهم أو لمن هاجر معه من أهله فيكون ذلك ترغيباً لهم ﴿إني ذاهب إلى ربي﴾ أي: مهاجر من أرض حرّان أو من بابل أو قرية بين البصرة والكوفة يقال لها من مزبحره إلى حيث أمرني ربي وهو الشام أو إلى حيث أتجرد فيه لعبادته تعالى أي: موضع كان فإن الذهاب إلى ذات الرب محال إذ ليس في جهة. وفي «بحر العلوم»: ولعله أمره الله تعالى بأن يهجر دار الكفر ويذهب إلى موضع يقدر على زيارة الصخرة التي هي قبلته وعلى عمارة المسجد الحرام أو هي القرية التي دفن فيها كما أمر نبينا بالهجرة من مكة إلى المدينة.

وفي بعض التواريخ: دفن إبراهيم بأرض فلسطين وهي بكسر الفاء وفتح اللام وسكون السين المهملة البلاد التي بين الشام وأرض مصر منها الرملة وغزة وعسقلان وغيرها ﴿سيهدين﴾ إلى مقصدي الذي أردت وهو الشام أو إلى موضع يكون فيه صلاح ديني وبت القول بذلك لسبق الوعد أو للبناء على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى حيث قال: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢] ولذلك أتى بصيغة التوقع. وهذه الآية أصل في الهجرة من ديار الكفر إلى أرض يتمكن فيها من إقامة وظائف الدين والطاعة وأول من فعل ذلك إبراهيم هاجر مع لوط وصار إلى الأرض المقدسة. قال في «كشف الأسرار»: [برذوق أهل معرفت ﴿إني ذاهب إلى ربي﴾ اشارتست بانقطاع بنده ومعنى انقطاع باحق بريدنست در بدايت بجهد ودر نهايت بكل بدايت تن درسعى وزبان در ذكر وعمر در جهد ونهايت باخلق عاريت وباخود بيكانه واز تعلق آسوده]:

وصل ميسر نشود جز بقطع قطع نخست از همه بيريدنست

فمن بقي له في القلب لمحة للعالم بأسره الملك والملكوت لم ينفتح له باب العلم بالله من حيث المشاهدة ولم يدخل عالم الحقيقة. واسطى [كفت خليل از خلق بحق مى شد وحبيب ازحق بخلق مى آمد اوكه از خلق بحق پثود حق را بدليل شناسد واوكه ازحق بخلق آيد دليل را بحق شناسد].

- روي - أن إبراهيم عليه السلام لما جعل الله النار عليه برداً وسلاماً وأهلك عدوه النمرود وتزوج بسارة وكانت أحسن النساء وجهاً وكانت تشبه حواء في حسنها عزم الانتقال من أرض بابل إلى الشام [پس روى مبارك بشام نهاد ودران راه هاجر بدست ساره خاتون افتاد وآنرا بإبراهيم بخشيد وچون ملك يمين وى شد دعا كرده كه] ﴿رب﴾ [اى پرودكار من] ﴿هب لي

من الصالحين﴾ المراد ولد كامل الصلاح عظيم الشأن فيه أي: بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لأن لفظ الهبة على الإطلاق خاص به وإن كان قد ورد مقيداً بالأخ في قوله ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ [مريم: ٥٣] ولقوله تعالى: ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ فإنه صريح في أن المبشر به غير ما استوهبه عليه السلام. والغلام الطارّ الشارب والكهل ضد أو من حين يولد إلى أن يشيب كما في «القاموس».

وقال بعض أهل اللغة: الغلام من جاوز العشر وأما من دونها فصبي والحليم من لا يعجل في الأمور ويتحمل المشاق ولا يضطرب عند إصابة المكروه ولا يحركه الغضب بسهولة. والمعنى بالفارسية: [پس مژده داديم اورا بفرزندى بردبار يعني چون ببلوغ رسد حليم بود] ولقد جمع فيه بشارات ثلاث بشارة إنه غلام وإنه يبلغ أوان الحلم فإن الصبي لا يوصف بالحلم وإنه يكون حليماً أي: حلم يعادل حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح وهو مراهق فاستسلم. قال الكاشفي: [پس خداى تعالى إسماعيل را ازهاجر بوى ارزانى داشت وبحكم سبحانه از زمين شام هاجر يسر آورده را بمكة برد وإسماعيل آنجا نشو ونمايافت] ﴿فلما بلغ﴾ الغلام ﴿معه﴾ مع إبراهيم ﴿السعي﴾ الفاء فصيحة معربة عن مقدر أي: فوهبنا له فنشأ فلما بلغ رتبة أن يسعى معه في أشغاله وحوائجه ومصالحه ومعه متعلق بالسعي وجاز لأنه ظرف فيكفيه رائحة من الفعل لا يبلغ لاقتضائه بلوغهما معاً حد السعي ولم يكن معاً كذا في «بحر العلوم». وتخصيصه لأن الأدب أكمل في الرفق والاستصلاح فلا نستسعيه قبل أوانه لأنه استوهبه لذلك وكان له يومئذٍ ثلاث عشرة سنة ﴿قال﴾ إبراهيم: ﴿يا بني﴾ [اى پسرك من تصغير شفقت است]﴿إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ قرباناً لله تعالى أي: أرى هذه الصورة بعينها أو ما هذه عبارته وتأويله. وقيل: إنه رأى ليلة التروية كأن قائلاً يقول له: إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روّى في ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله تعالى هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثمة سمي يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله تعالى فمن ثمة سمي يوم عرفة ثم رأى في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر ﴿فانظر ماذا﴾ منصوب بقوله: ﴿ترى﴾ من الرأي فيما ألقيت إليك وبالفارسية: [پس در نكر درين كارچه چيزى بيني رأى تو چه تقاضا ميكند] فإنما يسأله عما يبديه قلبه ورأيه أي: شيء هل هو الإمضاء أو التوقف فقوله ترى من الرأي الذي يخطر بالبال لا من رؤية العين وأنما شاوره فيه وهو أمر محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فتثبت قدمه إن جزع ويأمن إن سلم ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله وتكون سنة في المشاورة. فقد قيل لو شاور آدم الملائكة في أكله من الشجرة لما فرط منه ذلك ﴿قال يا أبت افعل﴾ [كفت اى پدربكن] ﴿ما تؤمر﴾ [آنچه فرموده شدى بدان] أي: ما تؤمر به فحذف الجار أولاً على القاعدة المطردة ثم حذف العائد إلى الموصول بعد انقلابه منصوباً بإيصاله إلى الفعل أو حذفاً دفعة أو افعل أمرك إضافة المصدر إلى المفعول وتسمية المأمور به أمراً وصيغة المضارع حيث لم يقل ما أمرت للدلالة على أن الأمر متعلق به متوجه إليه مستمر إلى حين الامتثال به ولعله فهم من كلامه أنه رأى ذبحه مأموراً به ولذا قال: ما تؤمر وعلم أن رؤيا الأنبياء حق وإن مثل ذلك لا يقدمون عليه إلا بأمر. وإنما أمر به في المنام دون اليقظة مع أن غالب وحي الأنبياء أن يكون في اليقظة ليكون مبادرتهما إلى الامتثال أدل على كمال الإنقياد والإخلاص. قالوا: رؤيا الأنبياء حق من قبيل الوحي فإنه يأتيهم

الوحي من الله إيقاظاً إلا لا تنام قلوبهم أبداً ولأنه لطهارة نفوسهم ليس للشيطان عليهم سبيل. وفي «أسئلة الحكم» لم أمر الله تعالى إبراهيم بذبح ولده في المنام ورؤيا الأنبياء حق وقتل الإنسان بغير حق من أعظم الكبائر. قيل: أمره في المنام دون اليقظة لأنه ليس شيء أبغض إلى الله من قتل المؤمن ﴿ستجدني﴾ [زود باشدكه يابى مرا] ثم استعان بالله في الصبر على بلائه حيث استثنى فقال: ﴿إن شاء الله﴾ ومن أسند المشيئة إلى الله تعالى والتجأ إليه لم يعطب ﴿من الصابرين﴾ على الذبح أو على قضاء الله تعالى قال: الذبيح من الصابرين أدخل نفسه في عداد الصابرين فرق عليه وموسى عليه السلام تفرق بنفسه حيث قال للخضر: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: ٦٩] فخرج والتفويض أسلم من التفرد وأوفق لتحصيل المرام ولما كان إسماعيل في مقام التسليم والتفويض إلى الله تعالى وقف وصبر ولما كان موسى في صورة المتعلم ومن شأن المتعلم أن يتعرض لأستاذه بالاعتراض فيما لم يفهمه خرج ولم يصبر. وقال بعضهم: ظاهر موسى تعرض وباطنه تسليم أيضاً لأنه إنما اعترض على الخضر بغيرة الشرع ﴿فلما أسلما﴾ أي: استسلم إبراهيم وابنه لأمر الله وانقادا وخضعا له وبالفارسية: [پس هنكام كه كردن نهادند خدايرا] يقال: سلم لأمر الله وأسلم واستسلم بمعنى واحد قرىء بهن جميعاً وأصلها من قولك سلم هذا لفلان إذا خلص له ومعناه سلم أن ينازع فيه وقولهم سلم لأمر الله وأسلم له منقولان منه ومعناهما أخلص نفسه لله وجعلها سالمة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله تعالى. وعن قتادة في أسلما أسلم إبراهيم ابنه وإسماعيل نفسه ﴿وتله للجبين﴾. قال في «القاموس»: تله صرعه وألقاه على عنقه وخده. والجبين أحد جانبي الجبهة فللوجه فوق الصدغ جبينان عن يمين الجبهة وشمالها. قال الراغب: أصل التل المكان المرتفع والتليل العنق وتله للجبين أسقطه على التل أو على تليله. وقال غيره صرعه على شقه فوقع جبينه على الأرض لمباشرة الأمر بصبر وجلد ليرضيا الرحمٰن ويحزنا الشيطان وكان ذلك عند الصخرة من منى أو في الموضع المشرف على مسجد منى أو في المنحر الذي ينحر فيه اليوم.

ـ وروي ـ أن إبليس عرض لإبراهيم عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى إبراهيم لأمر الله تعالى وعزم على الذبح ومنه شرع رمي الجمرات في الحج فهو من واجبات الحج يجب بتركه الفدية باتفاق الأئمة.

قال في «التأويلات النجمية»: ومن دقة النظر في رعاية آداب العبودية في حفظ حق الربوبية في القصة أن إسماعيل أمر أباه أن يشد يديه ورجليه لئلا يضطرب إذا مسه ألم الذبح فيعاتب ثم لما هم بذبحه قال: افتح القيد عني فإني أخشى أن أعاتب فيقال لي أمشدود اليد حبيبي يطيعني:

ولو بيد الحبيب سقيت سماً لكان السم من يده يطيب

وقد قيل ضرب الحبيب يطيب:

ازدست تومشت بردهان خوردن خوشتركه بدست خويش نان خوردن

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ۝١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ۝١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝١٠٩ كَذَٰلِكَ

﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا
عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾

﴿وناديناه أن﴾ مفسرة لمفعول ناديناه المقدر أي: ناديناه بلفظ هو قولنا ﴿يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ بالعزم على الإتيان بالمأمور به وترتيب مقدماته وبالفارسية: [بدرستى كه راست كردى خوابى كه ديده بودى].

وفي «شرح الفصوص» للمولى الجامي أي: حققت الصورة المرئية وجعلتها صادقة مطابقة للصورة الحسية الخارجية بالإقدام على الذبح والتعرض لمقدماته وقد قيل إنه أمرّ السكين بقوته على حلقه مراراً فلم يقطع ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين.

آن توكل تو خليلانه ترا تا نبرد تيغت اسماعيل را

فعند ذلك وقع النداء. وفي الخبر سأل نبينا عليه السلام جبريل: هل أصابك مشقة وتعب في نزولك من السماء قال: نعم في أربعة مواضع:

الأول: حين ألقي إبراهيم في النار كنت تحت العرش قال الله تعالى: أدرك عبدي فأدركته وقلت له: هل لك من حاجة فقال: أما إليك فلا.

والثاني: حين وضع إبراهيم السكين على حلق إسماعيل كنت تحت العرش قال الله تعالى: أدرك عبدي فأدركته طرفة عين فقلبت السكين.

والثالث: حين شجك الكفار وكسروا رباعيتك يوم أحد قال الله تعالى: أدرك دم حبيبي فإنه لو سقط من دمه على الأرض قطرة ما أخرجت منها نباتاً ولا شجراً فقبضت دمك بكفي ثم رميته في الهواء.

والرابع: حين ألقي يوسف في الجب قال الله تعالى: أدرك عبدي فأدركته قبل أن وصل إلى قعر الجب وأخرجت حجراً من أسفل البئر فأجلسته عليه.

وجواب لما محذوف إيذاناً بعدم وفاء التعبير بتفاصيله كأنه قيل: كان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما أنعم به عليهما من رفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق أحد لمثله وإظهار فضلهما بذلك على العالمين مع إحراز الثواب العظيم إلى غير ذلك.

قال بعض العارفين: الإنسان مجبول على حب الولد فاقتضت غيرة الخلة ومقام المحبة أن يقطع علاقة القلب عن غيره فأمر بذبح ولده امتحاناً واختباراً له ببذل أحب الأشياء في سبيل الله من غير توقف وإشعاراً للملائكة بأنه خليل الله لا يسعه غير الحق فليس المبتغى منه تحصيل الذبح إنما هو إخلاء السر عنه وترك عادة الطبع.

وقال المولى الجامي: غلبت عليه محبة الحق حتى تبرأ من أبيه في الحق ومن قومه وتصدى لذبح ابنه في سبيل الله وخرج عن جميع ماله مع كثرته المشهورة لله تعالى.

ـ ورد ـ في الخبر: أنه كان له خمسة آلاف قطيع من الغنم فتعجب الملائكة من كثرة ماله مع خلته العظيمة عند الله فخرج يوماً خلف غنمه وكلاب قطائع الأغنام عليها أطواق الذهب فطلع ملك في صورة آدمي على شرف الوادي فسبح قائلاً: سبوح قدوس رب الملائكة والروح فلما سمع الخليل تسبيح حبيبه أعجبه وشوّقه نحو لقائه فقال: يا إنسان كرر ذكر ربي فلك

نصف مالي فسبح بالتسبيح المذكور فقال: كرر تسبيح خالقي فلك جميع أموالي مما ترى من الأغنام والغلمان وكانوا خمسة آلاف غلام فأنصفت الملائكة وسلمت بخلته كما سلمت بخلافة آدم وهذا من جملة الأسرار التي جعل بها أباً ثانياً لنا.

يقول الفقير أغناه الله القدير: سمعت من شيخي قدس سره إنه قال: إن إبراهيم له الإحراز بجميع مراتب التوحيد من الأفعال والصفات والذات وذلك لأن الحجب الكلية ثلاثة هي المال والولد والبدن فتوحيد الأفعال إنما يحصل بالفناء عن المال وتوحيد الصفات بالفناء عن الولد وتوحيد الذات بالفناء عن الجسم والروح فتلك الحجب على الترتيب بمقابلة هذه المقامات من التوحيد فأخذ الله من إبراهيم المال تحقيقاً للتوحيد الأول وابتلاه بذبح الولد تحقيقاً للتوحيد الثاني وبجسمه حين رمى به في نار نمرود تحقيقاً للتوحيد الثالث فظهر بهذا كله فناؤه في الله وبقاؤه بالله حققنا الله وإياكم بحقيقة التوحيد وأوصلنا وإياكم إلى سر التجريد والتفريد ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما بإحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع المأمور به فإنه عليه السلام كان مأموراً بالذبح ولم يحصل. قال في «الأسئلة المقحمة» وهذه القصة حجة على المعتزلة فإن الآية تدل على أن الله تعالى قد يأمر بالشيء ولا يريده فإنه تعالى أمر إبراهيم بذبح ولده ولم يرد ذلك منه والمعتزلة لا يجوزون اختلاف الأمر والإرادة ﴿إن هذا﴾ [بدرستى كه اين كار] ﴿لهو البلاء المبين﴾ الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره أو المحنة البينة الصعوبة إذ لا شيء أصعب منها. قال البقلي: أخبر سبحانه وتعالى أن هذا بلاء في الظاهر ولا يكون بلاء في الباطن لأن في حقيقته بلوغ منازل المشاهدات وشهود أسرار حقائق المكاشفات وهذا من عظائم القربات وأصل البلاء ما يحجبك عن مشاهدة الحق لحظة ولم يقع هذا البلاء بين الله وبين أحبابه قط فالبلاء لهم عين الولاء.

قال الحريري: البلاء على ثلاثة أوجه على المخالفين نقم وعقوبات وعلى السابقين تمحيص وكفارات وعلى الأولياء والصديقين نوع من الاختبارات.

جاميا دل بغم ودرد نه اندرره عشق كه نشد مرده آنكس كه نه اين درد كشيد

﴿وفديناه بذبح﴾ بما يذبح بدله فيتم به الفعل المأمور وهو فرى الأوداج وإنهار الدم أي: جعلنا الذبح بالكسر اسم لما يذبح فداء له وخلصناه به من الذبح وبالفارسية: [وفدا داديم إسماعيل را بكبشى] والفادي في الحقيقة هو إبراهيم وإنما قال وفديناه لأنه تعالى هو المعطي له والآمر به على التجوز في الفداء أو الإسناد ﴿عظيم﴾ أي: عظيم الجثة سمين وهي السنة في الأضاحي كما قال عليه السلام: «عظموا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم» أو عظيم القدر لأنه يفدي به الله نبياً ابن نبي وأي نبي من نسله سيد المرسلين.

وفي «التأويلات النجمية»: إنما سمي الذبح عظيماً لأنه فداء نبيين عظيمين أحدهما أعظم من الآخر وهما إسماعيل ومحمد عليهما السلام لأنه كان محمد في صلب إسماعيل انتهى.

وفي «أسئلة الحكم»: لم عظَّم الله الذبح مع أن البدن أعظم في القربان من الكبش لأنها تنوب عن سبعة الجواب لشدة المناسبة بين الكبش وبين النفس المسلمة الفانية في الله فإنه خلق مستسلماً للذبح فحسب فيكون الكبش في الآخرة صورة الموت يذبح على الصراط كما كان صورة الفناء الكلي والتسليم والانقياد ولذلك المعنى عظمه الله تعالى لأن فضل كل شيء

بالمعنى لا بالصورة إذ فضل الصورة تابع لفضل المعنى بخلاف البدنة فإن المقصود الأعظم منها الركوب وحمل الأثقال عليها قيل: كان ذلك كبشاً من الجنة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إنه الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدى به إسماعيل وحينئذٍ تكون النار التي نزلت في زمن هابيل لم تأكله بل رفعته إلى السماء وحينئذٍ يكون قول بعضهم فنزلت النار فأكلته محمولاً على التسمح كما في «إنسان العيون». ويحتمل أن تتجسم الروح كما تتجسم المعاني وتبقى أبداً فلا ينافي أن تأكله النار في زمن هابيل أن يذبحه إبراهيم ثانياً. وروي أنه هرب من إبراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقي سنة في الرمي. وروي أنه رمي الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده كما سبق. وروي أنه لما ذبحه قال جبريل: «الله أكبر الله أكبر» فقال الذبيح: «لا إله إلا الله والله أكبر» فقال إبراهيم: «الله أكبر ولله الحمد» فبقي سنة.

واعلم أن الذبح ثلاثة: وهو ذبح هابيل ثم ذبح إبراهيم ثم ذبح الموت في صورة الكبش. وكذا الفداء فإنه فداء إسماعيل بكبش هابيل وفداء المؤمنين يوم القيامة يفدى عن كل مؤمن بكافر يأخذ المؤمن بناصيته فيلقيه في النار وفداء الله عن الحياة الأبدية بالموت يذبح في صورة الكبش على الصراط فيلقي به في النار بشارة لأهل الجنة بالخلود الدائم وتبكيتاً لأهل النار بالعقوبة الدائمة. ففيه إشارة إلى مراتب التوحيد فذبح هابيل إشارة إلى توحيد الأفعال وذبح يحيى إلى توحيد الصفات وذبح إبراهيم إلى توحيد الذات لأنه مظهر توحيد الذات والفناء الكلي في ذات الله تعالى فذبحه أعظم من كل ذبح وفداؤه أتم من كل فداء. قالوا: إن الدم إذا تعين على الحاج فلا يسقط عمن تعين عليه ولما تعين ذبح ولد إبراهيم لم يسقط عنه الدم أصلاً ففداه الله تعالى بكبش عظيم حيث جعله بدل إفساد نبي مكرم فحصل الدم وبعد أن وجب فلا يرتفع ولذا من نذر بذبح ولده لزمه شاة عند الحنفية فصارت صورة ولد إبراهيم صورة الكبش يساق إلى الجنة يدخل فيها في أي: صورة شاء فذبحت صورة الكبش ولبست صورة ولد إبراهيم صورة الكبش وهذا سبب العقيقة التي كل إنسان مرهون بعقيقته ولو لم يفد الله بالكبش لصار ذبح الناس واحداً من أبنائهم سنة إلى يوم القيامة.

وتحقيق المقام أنه كان كبش ظهر في صورة ابن إبراهيم في المنام لمناسبة واقعة بينهما وهي الاستسلام والانقياد فكان مراد الله الكبش لا ابن إبراهيم فما كان ذلك المرئي عند الله إلا الذبح العظيم متمثلاً في صورة ولده ففدى الحق ولده بالذبح العظيم وهذا كما أن العلم يرى في صورة اللبن فليس ما يرى في حضرة الخيال عين اللبن وحقيقته فلو تجاوز إبراهيم عليه السلام عما رآه في حضرة الخيال إلى المعنى المقصود منه بأن يعبر ذبح ابنه في منامه بذبح الكبش الذي في صورته لما ظهر لأهل الآفاق كمال فنائه وتمام استسلامه وكذلك انقياد ابنه لكن الله سبحانه أراد إراءة استسلامهما وإظهار انقيادهما لأمره تعالى فأخفى عليه تعبير رؤياه وستر المقصود من المنام حتى صدق الرؤيا وفعل ما فعل لتلك الحكمة العلية.

واختلف في أن الذبيح إسماعيل وإسحاق فذهب أكثر المفسرين إلى الأول لوجوده ذكرت في التفاسير ولأن قرني الكبش كانا معلقين بالكعبة إلى أن احترق البيت واحترق القرنان في أيام ابن الزبير والحجاج ولم يكن إسحاق ثمة. وفي «فضائل القدس»: كان في السلسلة التي في وسط القبة على صخرة الله درة يتيمة وقرنا كبش إبراهيم وتاج كسرى معلقات فيها أيام

عبد الملك بن مروان فلما صارت الخلافة إلى بني هاشم حولوا إلى الكعبة حرسها الله انتهى.

يقول الفقير: هذا يقتضي أن لا تأكل النار الكبش الذي جاء فداء لأن بقاء القرن من موجبات ذلك وأكل النار القربان كان عادة إلهية من لدن آدم إلى زمان نبينا عليه السلام ثم رفع عن قربان هذه الأمة.

اللهم إلا أن يحمل على أحد وجوه: الأول: أن معنى أكل النار القربان إحراقه بحيث يخرج عن الانتفاع به وهذا لا يوجب كون القرنين حريقين بالكلية.

والثاني: أن الذي كان يحرقه النار ليس جثة القربان بمجموعها من القرن إلى القدم بل ثروبه وأطايب لحمه كما روي أن بني إسرائيل كانوا إذا ذبحوا قرباناً وضعوا ثروبه وأطايب لحمه في موضع فيدعو النبي فتأتي نار فتأكله فلا يلزم أن يكون جميع أجزائه مأكولة محروقة.

والثالث: أنه محمول على التمسح كما سبق في قربان هابيل. فإن قلت: قد صح أن عبد المطلب نذر أن يذبح ولداً إن سهل الله حفر بئر زمزم أو بلغ بنوه عشرة فلما سهل الله فخرج السهم على عبد الله والد رسول الله منعه أخواله ففداه بمائة من الإبل ولذلك سنت الدية بمائة فقد روي أنه فرق لحوم القرابين المذكورة إلى الفقراء ولم تأكلها النار فكيف كان سنة إلهية بين جميع الملل. قلت: المتقرب إن كان جاهلياً فلا شك أن قربانه غير معتد به وإن كان إسلامياً فلا بد أن يكون في محضر نبي من الأنبياء إذ هو الذي يدعو فتأتي النار كما لا يخفى على من له حظ أو في من علم التفسير والتأويل.

وذهب إلى الثاني بعض أرباب الحقائق والتوفيق بين الروايتين عند التحقيق أن صورة الذبح جرى في الظاهر إلى حقيقة إسماعيل أولاً ثم سرى ثانياً إلى حقيقة إسحاق لتحققه أيضاً بمقام الإرث الإبراهيمي من التسليم والتفويض والإنقياد الذي ظهر في صورة الكبش ولهذا السر اشتركا في البشارة الإلهية ﴿وبشرناه بغلام حليم وبشرناه بإسحاق﴾ فكان إسماعيل وإسحاق مختلفين في الصورة والتشخص متفقين في المعنى والحقيقة فإن شئت قلت إن الذبيح هو إسماعيل وإن شئت قلت: إنه إسحاق فأنت مصيب في كل من القولين في الحقيقة لما عرفت أن أحدهما عين الآخرة في التحقق بسر إبراهيم عليه وعليهما السلام إلى يوم القيامة ﴿وتركنا عليه﴾ أي: أبقينا على إبراهيم ﴿في الآخرين﴾ من الأمم ﴿سلام على إبراهيم﴾ أي: هذا الكلام بعينه كما سبق في قصة نوح ﴿كذلك نجزي المحسنين﴾ الكاف متعلقة بما بعدها وذلك إشارة إلى إبقاء ذكره الجميل فيما بين الأمم لا إلى ما أشير إليه فيما سبق فلا تكرار أي: مثل ذلك الجزاء الكامل نجزي المحسنين لأجزاء أدنى منه يعني أن إبراهيم من المحسنين وما فعلناه به مما ذكر مجازاة له على إحسانه ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ الراسخين في الإيمان على وجه الإيقان والإطمئنان.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: من عبادنا المخلصين لا من عباد الدنيا والهوى والسوى ﴿وبشرناه﴾ أي: إبراهيم، والتبشير بالفارسية: [مژده دادن] وهو الإخبار بما يظهر سروراً في المخبر به ومنه تباشير الصبح لما ظهر من أوائل ضوئه ﴿بإسحاق﴾ من سارة رضي الله عنها ﴿نبياً من الصالحين﴾ أي: مقضياً بنبوته مقدراً كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة إلى وجود المبشر به وقت البشارة فإن وجود ذي الحال ليس بشرط وإنما الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار معنى الحال.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿نبياً﴾ أي: ملهماً من الحق تعالى كما قال بعضهم حدثني قلبي عن ربي ﴿من الصالحين﴾ أي: من المستعدين لقبول الفيض الإلهي بلا واسطة انتهى. وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه وإيماء إلى أنه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الإطلاق وقد سبق الكلام المشبع فيه في أواخر سورة يوسف ﴿وباركنا عليه﴾ على إبراهيم في أولاده، وبالفارسية: [وبركت داديم بر إبراهيم] ﴿وعلى إسحاق﴾ بأن أخرجنا من صلبه أنبياء من بني إسرائيل وغيرهم كأيوب وشعيب أو أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا ﴿ومن ذريتهما محسن﴾ في عمله أو لنفسه بالإيمان والطاعة ﴿وظالم لنفسه﴾ بالكفر والمعاصي ﴿مبين﴾ ظاهر ظلمه.

وفيه تنبيه على أن الظلم في أولادها وذريتهما لا يعود عليهما بعيب ولا نقيصة وأن المرء يجازي بما صدر من نفسه طاعة أو معصية لا بما صدر من أصله وفرعه كما قال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] وأن النسب لا تأثير له في الصلاح والفساد والطاعة والعصيان فقد يلد الصالح العاصي والمؤمن الكافر وبالعكس ولو كان ذلك بحسب الطبيعة لم يتغير ولم يتخلف. وفيه قطع لأطماع اليهود المفاخرين بكونهم أولاد الأنبياء وفي الحديث «يا بني هاشم لا تأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم» الواو في تأتوني واو الصرف ولهذا نصب وتأتوني حذف نون تأتون علامة للنصب وهذه النون نون الوقاية أي: لا يكون أعمال الناس وأنسابكم مجتمعين فائتوني بالأعمال والغرض تقبيح افتخارهم لديه عليه السلام بالأنساب حين يأتي الناس بالأعمال.

أتفخر باتصالك من عليّ وأصل البولة الماء القراح
وليس بنافع نسب زكي تدنسه صنائعه القباح

وقال بعضهم:

وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهله

وقبيلة باهلة عرفوا بالدناءة لأنهم كانوا يأكلون بقية الطعام مرة ثانية ويأكلون نقي عظام الميتة:

كر بنكرى باصل همه بنى آدمند زان اعتبار جمله عزيز ومكرمند
بيش اندناس صورت نسناس سيرتان خلقي كه آدمند بخلق وكرم كمند

وفي المثل: «ذهب الناس وما بقي إلا النسناس» وهم الذين يتشبهون بالناس وليسوا بالناس أو هم خلق في صورة الناس وقال بعضهم:

أصل را اعتبار چندان نيست روى همچو ورد خندان نيست
مى زغوره شود شكر ازنى عسل از نحل حاصلست بقى

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾﴾

فعلى العاقل ترك الاغترار بالأنساب والأحساب والاجتهاد فيما ينفعه يوم الحساب. وكان زين العابدين رضي الله عنه يقول: اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لوامع العيون علانيتي وتقبح سريرتي ومن الله التوفيق ﴿ولقد مننا على موسى وهارون﴾ المنان في صفة الله تعالى

المعطي ابتداء من غير أن يطلب عوضاً يقال منّ عليه منا إذا أعطاه شيئاً ومنّ عليه منة إذا أعد نعمته عليه وامتن وهو مذموم من الخلق لا من الحق كما قال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٧] والمعنى وبالله لقد أنعمنا على موسى وأخيه هارون بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية ﴿ونجيناهما وقومهما﴾ وهم بنو إسرائيل ﴿من الكرب العظيم﴾ من تعذيب فرعون وأذى قومه القبط وقد سبق معنى الكرب في هذه السورة ولما كانت النتيجة عبارة عن التخليص من المكروه وهي لا تقتضي الغلبة أتبعها بقوله: ﴿ونصرناهم﴾ أي: موسى وهارون وقومهما ﴿فكانوا﴾ بسبب ذلك ﴿هم﴾ فحسب ﴿الغالبين﴾ على عدوهم فرعون وقومه غلبة لا غاية وراءها بعد أن كان قومهما في أسرهم وقسرهم مقهورين تحت أيديهم. وفيه إشارة إلى تنجية موسى القلب وهارون السر من غرق بحر الدنيا وماء شهواتها ونصرتهما مع صفاتهما على فرعون النفس وصفاتها فليصبر المجاهدون على أنواع البلاء إلى أن تظهر آثار الولاء فإن آخر الليل ظهور النهار وغاية الخريف والشتاء طلوع الأزهار والأنوار، قال الحافظ:

چه جورها كه كشيدند بلبلان ازدى ببوى آنكه دكر ثوبهار باز آمد

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾
سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾
وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ
ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾
إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى
ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿وآتيناهما﴾ بعد ذلك المذكور من النتيجة ﴿الكتاب المستبين﴾ أي: البليغ والمتناهي في البيان والتفصيل وهو التوراة فإنه كتاب مشتمل على جميع العلوم التي يحتاج إليها في مصالح الدين والدنيا قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]. فاستبان مبالغة بان بمعنى ظهر ووضح وجعل الكتاب بالغاً في بيانه من حيث إنه لكماله في بيان الأحكام وتمييز الحلال عن الحرام كأنه يطلب من نفسه أن يبينها ويحمل نفسه على ذلك وقيل: هذه السين كهي في قوله يستسخرون فإن بان واستبان وتبين واحد نحو عجل واستعجل وتعجل فيكون معناه الكتاب المبين ﴿وهديناهما﴾ بذلك الكتاب ﴿الصراط المستقيم﴾ الموصل إلى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل الشرائع وتفاريع الأحكام. وفي «كشف الأسرار»: وهديناهما دين الله الإسلام أي: ثبتناهما عليه واستعير الصراط المستقيم من معناه الحقيقي وهو الطريق المستوي للدين الحق وهو ملة الإسلام وهذا أمر تحقق عقلاً فقد نقل اللفظ إلى أمر معلوم من شأنه أن ينص عليه ويشار إليه إشارة عقلية ولأجل تحققه سميت هذه الاستعارة بالتحقيقية. وفيه إشارة إلى إيتاء العلوم الحقيقية والإلهامات الربانية والهداية بذلك إلى الحضرة الواحدية والأحدية ﴿وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهارون﴾ أي: أبقينا عليهما فيما بين الأمم الآخرين هذا الذكر الجميل والثناء الجزيل فهم يسلمون عليهما يقولون سلام على موسى وهارون ويدعون لهما دعاء دائماً إلى يوم الدين ﴿إنا كذلك﴾ أي: مثل هذا الجزاء الكامل

﴿نجزي المحسنين﴾ الذين هما من جملتهم لا جزاء قاصراً عنه ﴿إنهما من عبادنا المؤمنين﴾ يشير إلى أن طريق الإحسان هو الإيمان فالإيمان هو مرتبة الغيب والإحسان هو مرتبة المشاهدة ولما كان الإيمان ينشأ عن المعرفة كان الأصل معرفة الله والجري على مقتضى العلم فالإنسان من حيث ما يتغذى نبات ومن حيث ما يحس ويتحرك حيوان ومن حيث الصورة التخطيطية فكصورة في جدار وإنما فضيلته بالنطق والعلم والفهم وسائر الكمالات البشرية وفي الحديث: «ما فضلكم أبو بكر بكثير صوم ولا صلاة ولكن بسرّ وقر في صدره» ومن آثار هذا السر الموقور ثباته يوم موت الرسول عليه السلام وعدم تغيره كسائر الأصحاب حيث صعد المنبر وقرأ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآية فكان إيمانه أقوى وثباته أوفى ومشاهدته أعلى ﴿وإن إلياس لمن المرسلين﴾ أي: إلى بني إسرائيل وهو إلياس بن ياسين بن شير بن فخاص بن العيزار بن هارون بن عمران وهو من سبط هارون أخي موسى بعث بعد موسى هذا هو المشهور وعليه الجمهور.

ودل عليه ما في بعض المعتبرات أن الموجود من الأنبياء بأبدانهم العنصرية أربعة: اثنان في السماء إدريس وعيسى واثنان في الأرض الخضر وإلياس فإدريس وإلياس اثنان من حيث الهوية والتشخص.

وقال جماعة من العلماء منهم أحمد بن حنبل: إن إلياس هو إدريس أي: أخنوخ بن متوشلخ بن لمك وكان قبل نوح كما قالوا خمسة من الأنبياء لهم اسمان إلياس هو إدريس ويعقوب هو إسرائيل ويونس هو ذو النون وعيسى هو المسيح ومحمد هو أحمد صلوات الله عليهم أجمعين ووافقهم في ذلك بعض أكابر المكاشفين فعلى هذا معناه أن هوية إدريس مع كونها قائمة في أنيته وصورته في السماء الرابعة ظهرت وتعينت في أنية إلياس الباقي إلى الآن فتكون من حيث العين والحقيقة واحدة ومن حيث التعين الصوري اثنتين كنحو جبرائيل وميكائيل وعزرائيل يظهرون في الآن الواحد في مائة ألف مكان بصور شتى كلها قائمة بهم وكذلك أرواح الكمل كما يروى عن قضيب البان الموصلي قدس سره أنه كان يرى في زمان واحد في مجالس متعددة مشتغلاً في كل بأمر غير ما في الآخر وليس معناه أن العين خلع الصورة الإدريسية ولبس الصورة الإلياسية وإلا لكان قولاً بالتناسخ ﴿إذ قال﴾ أي: اذكر وقت قوله: ﴿لقومه ألا تتقون﴾ أي: عذاب الله تعالى وبالفارسية: [آيانمى ترسيد از عذاب الهي] ﴿أتدعون بعلا﴾ أتعبدونه أي: لا تعبدوه ولا تطلبوا منه الخير. والبعل هو الذكر من الزوجين ولما تصور من الرجل استعلاء على المرأة فجعل سائسها والقائم عليها شبه كل مستعل على غيره به فسمي باسمه فسمى العرب معبودهم الذي يتقربون به إلى الله بعلا لاعتقادهم ذلك. فالبعل اسم صنم كان لأهل بك من الشام وهو البلد المعروف اليوم ببعلبك وكان من ذهب طوله عشرون ذراعاً وله أربعة أوجه وفي عينيه ياقوتتان كبيرتان فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياءه فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس ﴿وتذرون أحسن الخالقين﴾ وتتركون عبادته ﴿الله ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ بالنصب على البدلية من أحسن الخالقين والتعرض لذكر ربوبيته تعالى لآبائهم للإشعار ببطلان آرائهم أيضاً. ثم إن الخلق حقيقة في الاختراع والإنشاء والإبداع ويستعمل أيضاً بمعنى التقدير والتصوير وهو المراد به هٰهنا لأن الخلق بمعنى الاختراع لا يتصور من غير الله حتى

يكون هو أحسنهم كما قال الراغب. إن قيل قوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] يدل على أنه يصح أن يوصف غيره بالخلق. قيل ذلك معناه أحسن المقدرين أو يكون على تقدير ما كانوا يعبدون ويزعمون أن غير الله يبدع فكأنه قيل: وهب أن هٰهنا مبدعين وموجودين فالله تعالى أحسنهم إيجاداً على ما يعتقدون كما قال خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم انتهى.

وعبد الخالق عند الصوفية المتحققين هو الذي يقدر الأشياء على وفق مراد الحق لتجليه له بوصف الخلق والتقدير فلا يقدر إلا بتقديره له تعالى.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: إذا بلغ العبد في مجاهدة نفسه بطريق الرياضة في سياستها وسياسة الخلق مبلغاً ينفرد فيه باستنباط أمور لم يسبق إليها ويقدر مع ذلك على فعلها والترغيب فيها كان كالمخترع لما لم يكن له وجود قبل إذ يقال لواضع الشطرنج إنه الذي وضعه واخترعه حيث وضع ما لم يسبق إليه انتهى.

يقول الفقير: إن بعض الكمل كانوا يتركون في مكانهم بدلاً منهم على صورتهم وشكلهم ويكونون في أكنة في آن واحد كما روي عن قضيب البان فيما سبق فهو من أسرار هذا المقام لأنه إنما يقدر عليه بعد المظهرية للاسم الخالق والوصول إلى سره فاعرف واكتم وصن وصم **﴿فكذبوه﴾** أي: إلياس **﴿فإنهم﴾** بسبب تكذيبهم إياه **﴿لمحضرون﴾** لمدخلون في النار والعذاب لا يغيبون منها ولا يخفف عنهم كقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] لأن الإحضار المطلق مخصوص بالشر عرفاً **﴿إلا عباد الله المخلصين﴾** استثناء متصل من فاعل كذبوه. وفيه دلالة على أن من قومه من لم يكذبه ولم يحضر في العذاب وهم الذين أخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للإيمان والعمل بموجب الدعوة والإرشاد **﴿وتركنا عليه﴾** وأبقينا على إلياس **﴿في الآخرين﴾** من الأمم **﴿سلام على إل ياسين﴾** أي: هذا الكلام بعينه فيدعون له ويثنون عليه إلى يوم القيامة وهو لغة في إلياس كسيناء في سينين فإن كل واحد من طور سيناء وطور سينين بمعنى الآخر زيد في أحدهما الياء والنون فكذا إلياس وإلياسين وقرىء بإضافة آل إلى ياسين لأنهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين أبا إلياس والآل هو نفس الياس **﴿إنا كذلك﴾** مثل هذا الجزاء الكامل **﴿نجزي المحسنين﴾** إحساناً مطلاقاً ومن جملتهم إلياس **﴿إنه﴾** لا شبهة إن الضمير لإلياس فيكون إلياس وإلياسين شخصاً واحداً وليس الياسين جمع إلياس كما دل عليه ما قبله من قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ﴾ [الصافات: ٧٩] ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩﴾ [الصافات: ١٠٩] ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٠﴾ [الصافات: ١٢٠] **﴿من عبادنا المؤمنين﴾**. قال الكاشفي: [إيمان اسميست من جميع كمالات صوري ومعنوي ونام بندكى بتشريفيست خاص ازبراى اهل اختصاص]:

اكر بنده خويش خوانى مرا   به از مملكت جاودانى مرا
شهانى كه با بخت فرخنده اند   همه بندكان ترا بنده اند

ـ روي ـ أنه بعث بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون ثم كالب بن يوقنا ثم حزقيل ثم لما قبض الله حزقيل النبي عظمت الأحداث في بني إسرائيل ونسوا عهد الله وعبدوا الأوثان وكانت الأنبياء من بني إسرائيل يبعثون بعد موسى بتجديد ما نسوا من التوراة وبنو إسرائيل كانوا متفرقين بأرض الشام وكان سبط منهم حلوا ببعلبك ونواحيها من أرض الشام وهم السبط الذين كان منهم الناس فلما أشركوا وعبدوا الصنم المذكور وتركوا العمل بالتوراة بعث الله إلياس

إليهم نبياً وتبعه يسع بن أخطوب وآمن به وكان على سبط إلياس ملك اسمه أجب وكان له امرأة يقال لها أزبيل يستخلفها على رعيته إذا غاب عنهم وكانت تبرز للناس وتقضي بينهم وكانت قتالة للأنبياء والصالحين يقال: إنها هي التي قتلت يحيى بن زكريا عليهما السلام وقد تزوجت سبعة من ملوك بني إسرائيل وقتلتهم كلهم غيلة وكانت معمرة يقال إنها ولدت سبعين ولداً وكان لزوجها أجب جار صالح يقال له مزدكى وكانت له جنينة يعيش منها في جنب قصرهما فحسدته في ذلك حتى إذا خرج الملك إلى سفر بعيد أمرت جمعاً من الناس أن يشهدوا على مزدكى أنه سب زوجها أجب فأطاعوها فيه وكان في حكم ذلك الزمان يحل قتل من سبب الملك إذا قامت عليه البينة فأحضرته فقالت له: بلغني أنك شتمت الملك فأنكر فأحضرت الشهود فشهدوا عليه بالزور فأمرت بقتله وأخذت جنينة غصباً ثم لما قدم الملك أوحى الله إلى إلياس أن يخبرهما بأن الله قد غضب عليهما لوليه مزدكى حين قتلاه ظلماً وآلى على نفسه أنهما إن لم يتوبا عن صنيعهما ولم يردا الجنينة على ورثة مزدكى أن يهلكهما في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين حتى تتعرى عظامهما من لحومهما فلما سمعا ذلك اشتد غضبهما إلى الياس ولم يظهر منهما ولا من قومهما إلا المخالفة والعصيان والإصرار إلى أن همّ الملك بتعذيب إلياس وقتله فلما أحس إلياس بالشر خرج من بينهم لأن الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين وارتقى إلى أصعب جبل وأرفعه فدخل مغارة فيه يقال إنه بقي فيها سبع سنين يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا عليه العيون والله تعالى ستره كما وقع مثله لأصحاب الكهف فلما طال عصيانهم دعا عليهم بالقحط والجوع سبع سنين فقال الله تعالى: يا إلياس أنا أرحم بخلقي من ذلك وإن كانوا ظالمين ولكن أعطيك مرادك ثلاث سنين فقحطوا بتلك المدة فلم يقلعهم ذلك عن الشرك ولما رأى ذلك منهم إلياس دعا الله تعالى بأن يريحه منهم فقيل له: اخرج يوم كذا إلى موضع كذا فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج إلياس في ذلك اليوم ومعه خادمه أليسع فوصل الموضع الذي أمر فاستقبله فرس من نار وجميع الآلة من النار حتى وقف بين يديه فركب عليه فانطلق به الفرس إلى جانب السماء فناداه أليسع ما تأمرني فقذف إليه إلياس بكسائه من الجو الأعلى.

يعني: [كه ترا خليفه خويش كردم بربنى اسرائيل] ورفع الله إلياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فكان إنسياً ملكياً أرضياً سماوياً.

وقال بعضهم: كان قد مرض وأحس بالموت فبكى فأوحى الله إليه لِمَ تبكي؟ أحرصاً على الدنيا أم جزعاً من الموت أم خوفاً من النار؟ قال: لا ولكن وعزتك وجلال إنما جزعي كيف يحمدك الحامدون بعدي ولا أحمدك ويذكرك الذاكرون بعدي ولا أذكرك ويصوم الصائمون بعدي ولا أصوم ويصلي المصلون بعدي ولا أصلي فقيل له: يا إلياس لأوخرنك إلى وقت لا يذكرني ذاكر يعني يوم القيامة وسلط الله على قومه عدواً لهم من حيث لا يشعرون فأهلكمْ وقتل أجب وامرأته أزبيل في جنينة مزدكى فلم تزل جيفتاهما ملقاتين فيها إلى أن بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله أليسع وبعثه إلى بني إسرائيل وأيده فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه ويطيعونه وحكم الله فيهم قائم إلى أن فارقهم أليسع.

ـ روي ـ أن الياس والخضر عليهما السلام يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام وهما آخر من يموت من بني آدم. وقيل إن إلياس موكل بالفيافي جمع

فيفاة بمعنى الصحراء والخضر موكل بالبحار وذكر أنهما يقولان عند افتراقهما من الموسم ما شاء الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله. ما شاء الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله. ما شاء الله ما شاء الله ما يكون من نعمة فمن الله. ما شاء الله ما شاء الله توكلنا على الله حسبنا الله ونعم الوكيل [محمد بن أحمد العابد كويد در مسجد اقصى نشسته بودم روز آزينه بعد ازنماز ديكركه دو مرد ديدم يكى برصفت وهيئت ما وآن ديكر شخصى عظيم بود قدى بلند وپيشانى فراخ پهن صدر وذراعين اين شخص عظيم ازمن دورنشست وآن پيركه برصفت وقدما بود فرا پيش آمد وسلام كرد جواب سلام دادم وكفتم «من أنت رحمك الله» توكيستى وآنكه ازما دور نشسته است كيست كفت من خضرم واو برادرم إلياس از كفتار ايشان دردل من هراس آمد وبلرزيدم خضر كفت «لا بأس عليك نحن نحبك» ماترا دوست داريم چه انديشه برى. آنكه كفت هركه روز آزينه نماز ديكر بكزارد وروى بسوى قبله كند رتا بوقت فروشدن آفتاب همى كويد «يا الله يا رحمٰن» رب العزة دعاى وى مستجاب كرداند وحاجت وى روا كند كفتم «آنستني آنسك الله بذكره» كفتم طعام توچه باشد كفت كرفس وكماءة كفتم طعام الياس چه باشد كفت دو رغيف خوارى هرشب وقت افطار كفتم مقام او كجا باشد كفت در جزائر دريا كفتم شماكى فراهم آيد كفت چون يكى از اولياء الله از دنيا بيرون شود هردو بروى نماز كنيم ودر موسم عرفات فراهم آييم وبعد از فراغ مناسك او موى من بازكند ومن موى اوباز كنم كفتم اولياء الله را همه شناسى كفت قومى معدودرا شناسم كفت چون رسول خدا صلوات الله عليه ازدنيا بيرون شد زمين بالله ناليدكه «بقيت لا يمشي عليّ نبي إلى يوم القيامة» رب العالمين كفت من از اين امت مردانى را بديدارم دلها انبيا باشد. آنكه خضر برخاست تارود من تيز برخاستم تاباوى باشم كفت توبا من نتوانى بود من هر روز نماز بامداد بمكه كزارم در مسجد حرام وهمچنان نشينم نزديك ركن شامى در حجر تا آفتاب برآيد آنكه طواف كنم ودو ركعت خلف المقام بكزارم ونماز پيشين بمدينه مصطفى عليه السلام كزارم ونماز شام بطورسينا ونماز خفتن بر سد ذو القرنين وهمه شب آنجا پاس دارم چون وقت صبح باشد نماز بامداد بامكه برم درمسجد حرام] **﴿وإن لوطاً﴾** هو لوط بن هاران أخي إبراهيم الخليل عليه السلام **﴿لمن المرسلين﴾** إلى قومه وهم أهل سدوم بالدال المهملة فكذبوه وأرادوا إهلاكه فقال: رب نجني وأهلي مما يعملون فنجاهم الله وأهله فذلك قوله تعالى **﴿إذ نجيناه﴾** أي: اذكر وقت تنجيتنا إياه ولا يتعلق بما قبله لأنه لم يرسل إذ نجى **﴿وأهله أجمعين﴾** [وهمه اهل بيت اورا ازدختران وغير ايشان] **﴿إلا عجوزاً﴾** هي امرأة الخائنة واهلة كانت كافرة وكان نكاح الوثنيات والإقامة عليهن جائزاً في شريعته وسميت المرأة المسنة عجوزاً لعجزها عن كثير من الأمور كما في «المفردات». **﴿في الغابرين﴾** صفة لها بمعنى إلا عجوزاً مقدراً غبورها لأن الغبور لم يكن صفتها وقت تنجيتهم فلم يكن بد من تقدير مقدر أي: الباقين في العذاب والهلاك وقيل للباقي غابر تصوراً بتخلف الغبار عن الذي يعدو فيخلفه أو الماضين الهالكين وقيل غابر تصورا لمضي الغبار عن الأرض. والمعنى بالفارسية: [مكر پيره زنى كه زن اوبودچه اواقرار كرفت در بازار ماندكان بعذاب وبالوط همراهى نكرد] قال الشيخ سعدي:

بابدان يار كشت همسر لوط خاندان نبوتش كم شد
سك اصحاب كهف روزى چند پى نيكان كرفت ومردم شد

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾﴾

﴿ثم دمرنا﴾ التدمير إدخال الهلاك على الشيء أي: أهلكنا ﴿الآخرين﴾ بالائتفاك بهم وإمطار الحجارة عليهم فإنه تعالى لم يرض بالائتفاك حتى اتبعه مطراً من حجارة وبالفارسية: [پس هلاك كردم ديكرانرا از قوم وى وديار ايشان وقتى زير وزبر ساختيم] فإن في ذلك شواهد على جلية أمره وكونه من جملة المرسلين وتقدم ذكر قصته في سورة هود والحجر فارجع ﴿وإنكم﴾ يا أهل مكة ﴿لتمرون عليهم﴾ أي: على ديار قوم لوط المهلكين ومنازلهم في متاجركم إلى الشام وتشاهدون آثار هلاكهم فإن سدوم في طريق الشام وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الحجر: ٧٦] ﴿مصبحين﴾ حال من فاعل تمرون أي: حال كونكم داخلين في الصباح ﴿وبالليل﴾ أي: وملتبسين بالليل أي: مساء ولعلها وقعت بقرب منزل يمر به المرتحل عنه صباحاً والقاصد له مساء ويجوز أن يكون المعنى نهاراً وليلاً على أن يعمم المرور للأوقات كلها من الليل والنهار ولا يخصص بوقتي الصباح والمساء ﴿أفلا تعقلون﴾ أي: أفتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا أن يصيبكم مثل ما أصابهم فإن من قدر على إهلاك أهل سدوم واستئصالهم بسبب كفرهم وتكذيبهم كان قادراً على إهلاك كفار مكة واستئصالهم لاتحاد السبب ورجحانه لأنهم أكفر من هؤلاء وأكذب كما يشهد به قوله: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ [القمر: ٤٣] وكان النبي عليه السلام يقول لأبي جهل «إن هذا أعتى على الله من فرعون».

فعلى العاقل أن يعتبر ويؤمن بوحدانية الحق ويرجع إلى أبواب فضله وكرمه ورحمته ويؤدب عجوز نفسه الأمارة ويحملها على التسليم والامتثال كي لا تهلك مع أهل القهر والجلال.

قال بعض الكبار: لا بد من نصرة لكل داخل طريق أهل الله عز وجل ثم إذا حصلت فإما أن يعقبها رجوع إلى الحال الأول من العبادة والاجتهاد وهم أهل العناية الإلَّهية وإما أن لا يعقبها رجوع فلا يفلح بعد ذلك أبداً انتهى أي: فيكون كالمصر على ذنبه ابتداء وانتهاء. ثم إن الله تعالى ركب العقل في الوجود الإنساني ومن شأنه أن يرى ويختار أبداً الأصلح والأفضل في العواقب وإن كان على النفس في المبدأ مؤونة ومشقة وأما الهوى فهو على ضد ذلك فإنه يؤثر ما يدفع به المؤذي في الوقت وإن كان يعقبه مضرة من غير نظر منه في العواقب كالصبي الرمد الذي يؤثر أكل الحلاوات واللعب في الشمس على أكل الاهليلج والحجامة ولهذا قال النبي عليه السلام: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات».

تو بركره توسنى در كمر — نكر تا نپيچد زحكم تو سر
اكر پالهنك از كفت در كسيخت — تن خويشتن كشت وخونت بريخت

ففيه إشارة إلى فكر العواقب. وجاء في الأمثال [وقتى زنبورى مورى را ديدكه بهزار

حيله دانه بخانه ميكشيد ودران رنج بسيارى ديد اورا كفت اى مور اين چه رنجست كه برخود نهاده واين چه بارست كه اختيار كرده بيا مطعم ومشرب من ببين كه هر طعام كه لطيف ولذيذ ترست تا ازمن زياده نيايد بپادشاهان نرسد هر آنجاكه خواهم كزينم وخورم درين سخن بودكه برپريد وبدكان قصابى برمسلوخى نشست قصاب كاردكه دردست داشت بران زنبور مغرور زد ودوياره كرد وبرزمين انداخت ومور بيامد وپاى كشان اورامى برد وكفت «رب شهوة ساعة أورثت صاحبها حزناً طويلاً» زنبور كفت مرا بجايى مبركه نخواهم مور كفت هركه از روى حرص وشهوت جايى نشيندكه خواهد بجايى كشندش كه نخواهد] نسأل الله أن يوفقنا لإصلاح الطبيعة والنفس ويجعل يومنا خيراً من الأمس في التوجه إلى جنابه والرجوع إلى بابه إنه هادى القلوب الراجعة في الأوقات الجامعة ومنه المدد كل يوم لكل قوم ﴿وإن يونس﴾ بن متى بالتشديد وهو اسم أبيه أو أمه. وفي «كشف الأسرار» اسم أبيه متى واسم أمه تنجيس كان يونس من أولاد هود كما في «أنوار المشارق» وهو ذو النون وصاحب الحوت لأنه التقمه.

وأما ذو النون المصري من أولياء هذه الأمة فقيل: إنما سمي به لأنه ركب سفينة مع جماعة فقد واحد منهم ياقوتاً فلم يجده فآل رأيهم إلى أن هذا الرجل الغريب قد سرقه فعوتب عليه فأنكر الشيخ فحلف فلم يصدقوه بل أصروا على أنه ليس إلا فيه فلما اضطر توجه ساعة فأتى جميع الحوت من البحر في فيها يواقيت فلما رأوا ذلك اعتذروا عن فعلتهم فقام وذهب إلى البحر ولم يغرق بإذن الله تعالى فسمي ذا النون. ﴿لمن المرسلين﴾ إلى بقية ثمود وهم أهل نينوى بكسر النون الأولى وفتح الثانية وقيل بضمها قرية على شاطىء دجلة في أرض الموصل.

وفي كلام الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر قد اجتمعت بجماعة من قوم يونس سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالأندلس حيث كنت فيه وقست أثر رجل واحد منهم في الأرض فرأيت طول قدمه ثلاثة أشبار وثلثي شبر انتهى. ولما بعث إليهم دعاهم إلى التوحيد أربعين سنة وكانوا يعبدون الأصنام فكذبوه وأصروا على ذلك فخرج من أظهرهم وأوعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث أو بعد أربعين ليلة ثم إن قومه لما أتاهم إمارات العذاب بأن أطبقت السماء غيماً أسود يدخن دخاناً شديداً ثم يهبط حتى يغشى مدنيتهم حتى صار بينهم وبين العذاب قدر ميل أخلصوا الله تعالى بالدعاء والتضرع بأن فرقوا بين الأمهات والأطفال وبين الاتن والجحوش وبين البقر والعجول وبين الإبل والفصلان وبين الضأن والحملان وبين الخيل والإفلاء ولبسوا المسوح ثم خرجوا إلى الصحراء متضرعين ومستغفرين حتى ارتفع الضجيج إلى السماء فصرف الله عنهم العذاب وقبل توبتهم ويونس ينتظر هلاكهم فلما أمسى سأل محتطباً مر بقومه كيف كان حالهم فقال: هم سالمون وبخير وعافية وحدثه بما صنعوا فقال: لا أرجع إلى قوم قد كذبتهم وخرج من ديارهم مستنكفاً خجلاً منهم ولم ينتظر الوحي وتوجه إلى جانب البحر وذلك قوله تعالى: ﴿إذ أبق﴾ أي: أذكر وقت إباقه أي: هربه وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه حسن إطلاقه عليه بطريق المجاز تصويراً لقبحه فإنه عبد الله فكيف يفر بغير الإذن وإلى أين يفر والله محيط به وقد صح أنه لا يقبل فرض الآبق ولا نفله حتى يرجع فإذا كان الأدنى مأخوذاً بزلة فكيف الأعلى. ﴿إلى الفلك المشحون﴾ أي: المملوء من الناس والدواب والمتاع ويقال المجهز الذي فرغ من جهازه يقال شحن السفينة ملأها كما في «القاموس».

- روي - أن يونس لما دخل السفينة وتوسطت البحر احتبست عن الجري ووقفت فقال الملاحون: هنا عبد آبق من سيده وهذا رسم السفينة إذا كان فيها عبد آبق لا تجري. وقال الإمام فقال الملاحون: إن فيكم عاصياً وإلا لم يحصل في السفينة ما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر وقال التجار: قد جربنا مثل هذا فإذا رأينا نقترع فمن خرج سهمه نرميه في البحر لأن غرق الواحد خير من غرق الكل فاقترعوا ثلاث مرات فخرجت القرعة على يونس في كل مرة وذلك قوله تعالى: ﴿فساهم﴾ المساهمة المقارعة يعني: [باكسى قرعه زدن] والسهم ما يرمي به من القداح ونحوه. والمعنى فقارع أهل الفلك من الآبق وألقوا السهام على وجه القرعة. والمفهوم من تفسير الكاشفي أن الضمير إلى يونس يعني: [يونس قرعه زد باهل كشتى سه نوبت] ﴿فكان من المدحضين﴾ فصار من المغلوبين بالقرعة وأصله المزلق عن مقام الظفر والغلبة. قال في «القاموس»: دحضت رجله زلقت والشمس زالت والحجة دحوضاً بطلت انتهى. فالإدحاض بالفارسية: [باطل كردن حجت] وحين خرجت القرعة على يونس قال: أنا العبد الآبق أو يا هؤلاء أنا والله العاصي فتلفف في كسائه ثم قام على رأس السفينة فرمى بنفسه في البحر يعني: [يونس كليم در سرخود كشيده خود رادربحر افكند] ﴿فالتقمه الحوت﴾ الالتقام الابتلاع يعني: [لقمه كردن وفرو بردن] يقال لقمت اللقمة والتقمتها إذا ابتلعتها أي: فابتلعه السمك العظيم. قال الكاشفي: [حق تعالى وحي فرستاد بما هي كه در آخرين ديارها باشد تاپيش كشتى رمده دهن بازكرده]. وقال في «كشف الأسرار»: فصادفه حوت جاء من قبل اليمن فابتلعه فسفل به إلى قرار الأرضين حتى سمع تسبيح الحصى ﴿وهو مليم﴾ حال من مفعول التقمه أي: داخل في الملامة ومعنى دخوله في الملامة كونه يلام سواء استحق اللوم أم لا أو آتي بما يلام عليه فيكون المليم بمعنى من يستحق اللوم سواء لاموه أم لا يقال: ألام الرجل إذا أتى بما يلام عليه أو يلوم نفسه يعني: [واوملامت كننده بود نفس خودراكه چرا ازقوم كريختى] فالهمزة على هذا للتعدية لا على التقديرين الأولين.

- روي - أن الله تعالى أوحى إلى السمكة أني لم أجعله لك رزقاً ولكن جعلت بطنك له وعاء فلا تكسري منه عظماً ولا تقطعي منه وصلاً فمكث في بطن الحوت أربعين ليلة كما دل عليه كونه منبوذاً على الساحل وهو سقيم. قال الكاشفي: [سه روز ياهفت روز اشهر آنست كه چهل روز درشكم ماهى بود وآن ماهى هفت دريارا بكشت وحق سبحانه وتعالى كوشت ويوست اورا نازك وصافى ساخته بود چون آبكينه تايونس عجائب وغرائب بحر را مشاهده كرد وپيوسته بذكر حق سبحانه وتعالى اشتغال داشت] ﴿فلولا أنه﴾ [پس اكرنه آنست كه يونس] ﴿كان من المسبحين﴾ في بطن الحوت وهو قوله: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] أو من الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح مدّة عمره. وعن سهل من القائمين بحقوق الله قبل البلاء ذكراً أو صلاة أو غيرهما ﴿للبث﴾ لمكث حياً أو ميتاً ﴿في بطنه﴾ أي: في بطن الحوت ﴿إلى يوم يبعثون﴾ يعني: [تاآن روز كه خلق را برانكيزند از قبور].

قال في «كشف الأسرار»: فيه ثلاثة أوجه: **أحدها** يبقى هو والحوت إلى يوم البعث. **والثاني**: يموت الحوت ويبقى هو في بطنه. **والثالث**: يموتان ثم يحشر يونس من بطنه فيكون بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة فلم يلبث لكونه من المسبحين، وفيه حث على إكثار الذكر وتعظيم لشأنه وإشارة إلى أن خلاص يونس القلب إذا التقمه حوت النفس لا يكون إلا بملازمة

ذكر الله ومن أقبل عليه في السراء أخذ بيده عند الضراء والعمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر وإذا صرع يجد متكئاً. وفي الوسيط كان يونس عبداً صالحاً ذاكراً لله فلما وقع في بطن الحوت قال الله: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ الآية وإن فرعون كان عبداً طاغياً ناسياً ذكر الله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] قال الله تعالى: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ﴾ [يونس: ٩١] وعن الشافعي أنفس ما يداوي به الطاعون التسبيح لأن الذكر يرفع العقوبة والعذاب كما قال الله تعالى: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾. وعن كعب قال: سبحان الله يمنع العذاب. وعن عمر رضي الله عنه أنه أمر بجلد رجل فقال في أول جلده سبحان الله فعفا عنه.

ذكر حق شافع بود دركاه را راضى وخشنود كند الله را

قال في «كشف الأسرار»: [خداوند كريم چون يونس را درشكم ما هى بزندان كرد نام الله چراغ ظلمت اوبود يا الله أنس ورحمت اوبود هرچندكه ازروى ظاهر ماهى بلاى يونس بود اما ازروى باطن خلوتكاه وى بود ميخواست بى زحمت اخيار بادوست رازى كويد چنانكه يونس را درشكم ماهى خلوتكاه ساختند خليل را درميان آتش نمرود خلوتكاه ساختند وصديق اكبررا بامهتر عالم دران كوشه غار خلوتكاه ساختند همچنين هركجا مؤمنين وموحدين است اوراخلوتكاهى است وآن سينه عزيزوى است وغار سورى نزول كاه لطف الهى وموضع نظر رباني] روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «سبح يونس في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا: ربنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة فقال تعالى: ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في يوم وليلة عمل صالح قال: نعم فشفعوا له فأمر الحوت فقذفه بالساحل في أرض نصيبين» وهي بلدة قاعدة ديار ربيعة وذلك قوله تعالى: ﴿فنبذناه بالعراء﴾ النبذ إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به. والعراء ممدوداً مكان لا سترة فيه وهو من التعري سمي به الفضاء الخالي عن البناء والأشجار المظلة لتعريه عما يستر أهله ومعاري الإنسان الأعضاء التي من شأنها أن تعرى كاليد والوجه والرجل. والإسناد المعبر في قوله فنبذناه من قبيل إسناد الفعل إلى السبب الحامل على الفعل فالمعنى فحملنا الحوت على لفظه ورميه بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر أو نبت ﴿وهو سقيم﴾ أي: عليل البدن من أجل ما ناله في بطن الحوت من ضعف بدنه فصار كبدن الطفل ساعة يولد لا قوة له أو بلي لحمه ونتف شعره حتى صار كالفرخ ليس عليه شعر وريش ورق عظمه وضعف بحيث لا يطيق حر الشمس وهبوب الرياح. وفيه إشارة إلى أن القلب وإن تخلص من سجن النفس وبحر الدنيا يكون سقيماً بانحراف مزاجه القلبي بمجاورة صحبة النفس واستراق طبعه ﴿وأنبتنا عليه﴾ أي: فوقه مظلة عليه ﴿شجرة من يقطين﴾ يفعيل مشتق من قطن بالمكان إذا أقام به كاشتقاق الينبوع من نبع فهو موضوع لمفهوم كلي متناول للقرع والبطيخ والقثاء والقثد والحنظل ونحوها مما كان ورقه كله منبسطاً على وجه الأرض ولم يقم على ساق واحدته يقطينة. وفي «القاموس» اليقطين ما لا ساق له من النبات ونحوه وبهاء القرعة الرطبة انتهى أطلق هنا على القرع استعمالاً للعام في بعض جزئياته. قال ابن الشيخ: ولعل إطلاق اسم الشجرة على القرع مع أن الشجر في كلامهم اسم لكل نبات يقوم على ساقه ولا ينبسط على وجه الأرض مبني على أنه تعالى أنبت عليه شجرة صارت عريشاً لما نبت

تحتها من القرع بحيث استولى القرع على جميع أغصانها حتى صارت كأنها شجرة من يقطين وكان هذا الإنبات كالمعجزة ليونس فاستظل بظلها وغطته بأوراقها عن الذباب فإنه لا يقع عليها كما يقع على سائر العشب وكان يونس حين لفظه البحر متغيراً يؤلمه الذباب فسترته الشجرة بورقها. قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إنك تحب القرع قال: «أجل هي شجرة أخي يونس» وعن أبي يوسف لو قال رجل: إن رسول الله كان يحب القرع مثلاً فقال الآخر أنا لا أحبه فهذا كفر يعني: إذا قاله على وجه الإهانة والاستخفاف وإلا فلا يكفر على ما قاله بعض المتأخرين. وروي أنه تعالى قيض له أروية وهي الأنثى من الوعل تروح عليه بكرة وغشية فيشرب من لبنها حتى اشتد لحمه ونبت شعره وعادت قوته ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف﴾ هم قومه الذين هرب منهم المراد إرساله السابق وهو إرساله إليهم قبل أن خرج من بينهم والتقمه الحوت. أخبر أولاً بأنه من المرسلين على الإطلاق ثم أخبر بأنه قد أرسل إلى مائة ألف جمة وكان توسيط تذكير وقت هربه إلى الفلك وما بعده بينهما لتذكير سببه وهو ما جرى بينه وبين قومه من إنذاره إياهم عذاب الله وتعيينه لوقت حلوله وتعللهم وتعليقهم لإيمانهم بظهور إمارته ليعلم أن إيمانهم الذي سيحكى بعد لم يكن عقيب الإرسال كما هو المتبادر من ترتب الإيمان عليه بالفاء بل بعد اللتيا والتي ﴿أو يزيدون﴾ أي: في مرأى الناظر فإنه إذا نظر إليهم قال: إنهم مائة ألف أو يزيدون عليها عشرين ألفاً أو ثلاثين أو سبعين فأو التي للشك بالنسبة إلى المخاطبين إذ الشك على الله محال والغرض وصفهم بالكثرة وهذا هو الجواب عن كل ما يشبه هذا كقوله: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾﴾ [المرسلات: ٦] ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣] وغير ذلك ﴿فآمنوا﴾ أي: بعدما شاهدوا علائم حلول العذاب إيماناً خالصاً ﴿فمتعناهم﴾ أي: بالحياة الدنيا وأبقيناهم ﴿إلى حين﴾ قدره الله سبحانه لهم وهذا كناية عن رد العذاب عنهم وصرف العقوبة.

ـ روي ـ أن يونس عليه السلام نام يوماً تحت الشجرة فاستيقظ وقد يبست فخرج من ذلك العراء ومر بجانب مدينة نينوى فرأى هنالك غلاماً يرعى الغنم فقال له من أنت يا غلام فقال من قوم يونس قال فإذا رجعت إليهم فاقرأ عليهم مني السلام وأخبرهم إنك قد لقيت يونس ورأيته فقال الغلام: إن تكن يونس فقد تعلم أن من يحدث ولم يكن له بينة قتلوه وكان في شرعهم أن من كذب قتل فمن يشهد لي فقال له يونس تشهد لك هذه الشجرة وهذه البقعة فقال الغلام ليونس: مرهما بذلك فقال لهما: إذا جاءكما هذا الغلام فاشهدا له قالتا نعم فرجع الغلام إلى قومه فأتى الملك فقال: إني لقيت يونس وهو يقرأ عليكم السلام فأمر الملك أن يقتل فقال: إن لي بينة فأرسل معه جماعة فانتهوا إلى الشجرة والبقعة فقال لهما الغلام أنشدكما الله عز وجل أي: أسألكما بالله تعالى هل أشهدكما يونس؟ قالتا: نعم فرجع القوم مذعورين فأتوا الملك فحدثوه بما رأوا فتناول الملك يد الغلام فأجلسه في منزله وقال له: أنت أحق مني بهذا المقام والملك فأقام بهم الغلام أربعين سنة.

ـ روي ـ في بعض التفاسير: أن قومه آمنوا فسألوه أن يرجع إليهم فأبى يونس لأن النبي إذا هاجر لم يرجع إليهم مقيماً فيهم.

ـ وروي ـ أنه لما استيقظ فوجد أنه قد يبست الشجرة فأصابته الشمس حزن لذلك حزناً شديداً فجعل يبكي فبعث الله إليه جبرائيل وقال: قل له: أتحزن على شجرة لم تخلقها أنت

ولم تنبتها ولم تربها وأنا الذي خلقت مائة ألف من الناس أو يزيدون تريد مني أن أستأصلهم في ساعة واحدة وقد تابوا وتبت عليهم فأين رحمتي يا يونس وأنا أرحم الراحمين وما أحسن ما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترغيباً للعبد فيما يوصله إلى ما خلق له وتفضيلاً لهذا الموصل على هدم النشأة الإنسانية وإن كان ذلك الهدم واقعاً بموجب الأمر وكان للهادم رتبة إعلاء كلمة الله وثواب الشهادة «ألا أنبئكم بما هو خير لكم وأفضل من أن تلقوا عدوكم فتضربوا رقابهم ويضربوا رقابكم ذكر الله» أي: ما هو خير لكم مما ذكر ذكر الله تعالى فأبقاء هذه النشأة أفضل من هدمها وإن كان بالأمر.

وفي «كشف الأسرار» [درقصه آورده اندكه چون يونس عليه السلام ازان ظلمت نجات يافت وازان محنت برست وباميان قوم خودشد وحى آمدبوى كه فلان مرد فخارى را كوى تا آن خنورهاى ويرانهاكه باين يكسال ساخته وپرداخته همه بشكند وبتلف آرد يونس باين فرمان كه آمده اندوهكين كشت وبران فخار بخشايشى كرد وكفت بار خدايا مرا رحمت مى آيد بران مردكه يكساله عمل وى تباه خواهى كرد ونيست خواهد شد الله تعالى كفت اى يونس بخشايش مى نمايى بمردى كه عمل يكساله وى تباه ونيست ميشود وبرصد هزار مرد از بندكان من بخشايش ننمودى وهلاك وعذاب ايشان خواستى «يا يونس لم تخلقهم ولو خلقتهم لرحمتهم» بشر حافى را رحمه الله بخواب ديدند كفتند حق تعالى باتوچه كرد كفت بامن عتاب كرد كفت اى بشر آن همه خوف ووجل در دنيا ترا ازبهر چه بود «اما علمت أن الرحمة والكرم صفتي» فردا مصطفى عربى را عليه السلام دركنهكاران امت شفاعت دهدتا آنكه كه كويد خداوند مرا درحق كسانى شفاعت ده كه هرنيكى نكرده اند فيقول الله عز وجل يا محمد اين يكى مراست حق من وسراى منست آنكه خطاب آيدكه «اخرجوا من النار من ذكرني مرة في مقام أو خاف مني في وقت» اين آن رحمتست كه سؤال دروى كم كشت اين آن لطف است كه انديشه دروى نيست كشت اين آن كرم است كه وهم درو متحير كشت اين آن فضلست كه حد آن ازغايت اندازه در كذشت. اى بنده اكر طاعت كنى قبول برمن. ورسؤال كنى عطا برمن. وركناه كنى عفو برمن. آب درجوى من. راحت دركوى من. طرب در طلب من. انس باجمال من. سروربقاى من. شادى بلقاى من]. قال الكاشفي: ﴿فمتعناهم إلى حين﴾ [پس برخور دارى داديم ايشانرا تاهنكام اجل ايشان وبعد ازانكه متقاضى اجل باسترداد وديعت روح متوجه كردد نه بمدافعت ابطال منع او ميسراست ونه ببذل اموال دفع او متصور]:

روزى كه اجل دست كشايد بستيز   وزبهر هلاك بر كشد خنجرتيز
نه وقت جدل بود نه هنكام دخيل   نه روى مقاومت نه يارای كريز

وصارت قصة يونس آخر القصص لما فيها من ذكر عدم الصبر على الأذى والإباق كما أنهم أخروا ذكر الحلاج في المناقب لما صدر منه من الدعوى على الإطلاق ولعل عدم ختم هذه القصة وقصة لوط بما ختم به سائر القصص من ذكر السلام وما يتبعه للتفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع الكبار وأولي العزم من الرسل أو اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة قاله البيضاوي والشيخ رشيد الدين في «كشف الأسرار» وأورده المولى أبو السعود في تفسيره بصيغة التمريض.

يقول الفقير: وجهه أن إلياس ويونس سواء في أن كلاً منهما ليس من أرباب الشرائع

الكبار وأولي العزم من الرسل فلا بد لتخصيص أحدهما بالسلام من وجه وأن التسليم المذكور في آخر السورة شامل لكل من ذكر هنا ومن لم يذكر فحينئذٍ كان الظاهر أن يقتصر على ذكر سلام نوح ونحوه ثم يعمم عليهم وعلى غيرهم ممن لم يكن في درجتهم ﴿فاستفتهم﴾ [پس پرس از ايشان] أي: إذا كان الله موصوفاً بنعوت الكمال والعظمة والجلال متفرداً بالخلق والربوبية وجميع الأنبياء مقرين بالعبودية داعين للعبيد إلى حقيقة التنزيه والتوحيد فاستخبر على سبيل التوبيخ والتجهيل قريشاً وبعض طوائف العرب نحو جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح فإنهم كانوا يقولون إن الله تعالى تزوج من الجن فخرجت منها الملائكة فهم بنات الله ولذا يسترهن من العيون فأثبتوا الأولاد لله تعالى ثم زعموا أنها من جنس الإناث لا من جنس الذكور وقسموا القسمة الباطلة حيث جعلوا الإناث لله تعالى وجعلوا الذكور لأنفسهم فإنهم كانوا يفتخرون بذكور الأولاد ويستنكفون من البنات ولذا كانوا يقتلونهن ويدفنونهن حياء قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النحل: ٥٨] الآية ومن هنا أنه من رأى في المنام أنه اسود وجهه فإنه يولد له بنت والذي يستنكف منه المخلوق كيف يمكن إثباته للخالق كما قال تعالى: ﴿ألربك البنات﴾ اللاتي هن أوضع الجنسين ﴿ولهم البنون﴾ الذين هم أرفعهما. وفيه تفضيل لأنفسهم على ربهم وذلك مما لا يقول به من له أدنى شيء من العقل وهذا كقوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم: ٢١-٢٢] أي: قسمة جائرة غير عادلة. وفيه إشارة إلى كمال جهالة الإنسان وضلالته إذا وكل إلى نفسه الخسيسة وخلي إلى طبيعته الركيكة إنه يظن بربه ورب العالمين نقائص لا يستحقها أدنى عاقل بل غافل من أهل الدنيا:

برى ذاتش ازتهمت ضد وجنس غنى ذاتش از تهمت جن وانس
نه مستغنى از طاعتش پشت كست نه برحرف اوجاى انكشت كس

﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ
لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ
سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ
إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾

ثم انتقل إلى تبكيت آخر فقال: ﴿أم خلقنا الملائكة إناثاً﴾ الإناث ككتاب جمع الأنثى أي: بل أم خلقنا الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق وأبعدهم من صفات الأجسام ورذائل الطبائع إناثاً والأنوثة من أخس صفات الحيوان ولو قيل لأدناهم فيك أنوثة لتمزقت نفسه من الغيظ لقائله ففي جعلهم الملائكة أناثاً استهانة شديدة بهم ﴿وهم شاهدون﴾ حال من فاعل خلقنا مفيد للاستهزاء والتجهيل أي: والحال إنهم حاضرون حينئذٍ فيقدمون على ما يقولون فإن أمثال هذه الأمور لا تعلم إلا بالمشاهدة إذ لا سبيل إلى معرفتها بطريق العقل الصرف بالضرورة أو بالاستدلال إذ الأنوثة ليست من لوازم ذاتهم بل من اللوازم الخارجية وانتفاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد أن يكون القائل بأنوثتهم شاهداً أي: حاضراً عند خلقهم إذ أسباب العلم هذه الثلاثة فكيف جعلوهم إناثاً ولم يشهدوا خلقهم ثم استأنف فقال: ﴿ألا﴾ حرف تنبيه يعني:

[بدانكه] ﴿إنهم من إفكهم﴾ أي: من أجل كذبهم الأسوء وهو متعلق بقوله ﴿ليقولون ولد الله﴾ [بزاد خداى تعالى يعني براى او بزادند آن] يعني مبني مذهبهم الفاسد ليس إلا الإفك الصريح والافتراء القبيح من غير أن يكون لهم دليل أو شبهة قطعاً. والولد يعم الذكور والإناث والقليل والكثير وفيه تجسيم له تعالى وتجويز الفناء عليه لأن الولادة مختصة بالأجسام القابلة للكون والفساد ﴿وإنهم لكاذبون﴾ في قولهم ذلك كذباً بيناً لا ريب فيه ﴿أصطفى البنات على البنين﴾ بفتح الهمزة على أنها همزة استفهام للإنكار والاستبعاد دخلت على ألف الافتعال أصله أاصطفى فحذفت همزة الافتعال التي هي همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام. والاصطفاء أخذ صفوة الشي لنفسه أي: أتقولون أنه اختار البنات على البنين من نقصانهن رضي بالأخص الأدنى وبالفارسية: [آيا بركزيد خداى تعالى دخترانرا كه مكروه طباع شما اند به پسران كه ماده افتخار واستظهار شما ايشانند] ﴿ما لكم﴾ أي: شيء لكم في هذه الدعوى. وقال الكاشفي: [چيست شمارا قسمت] ﴿كيف تحكمون﴾ على الغني عن العالمين بهذا الحكم الذي تقضي ببطلانه بديهة العقول ارتدعوا عنه فإنه جور وبالفارسية: [چكونه حكم ميكنيد ونسبت ميدهيد بخداى آنراكه براى خود نمى پسنديد]. قال ابن الشيخ جملتان استفهاميتان ليس لأحديهما تعلق بالأخرى من حيث الإعراب استفهم أولاً عما استقر لهم وثبت استفهام إنكار ثم استفهم استفهام تعجب من حكمهم هذا الحكم الفاسد وهو أن يكون أحسن الجنسين لأنفسهم وأخسهما لربهم ﴿أفلا تذكرون﴾ بحذف إحدى التائين من تتذكرون والفاء للعطف على مقدر أي: أتلاحظون ذلك فلا تتذكرون بطلانه فإنه مركوز في عقل زكي وغبي ثم انتقل إلى تبكيت آخر فقال: ﴿أم لكم سلطان مبين﴾ أي: هل لكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بنات الله ضرورة أن الحكم بذلك لا بد له من سند حسي أو عقلي وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلي ﴿فأتوا بكتابكم﴾ الناطق بصحة دعواكم وبالفارسية: [پس بياريد آن كتاب منزل را] فالباء للتعدية ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيها فإذا لم ينزل عليكم كتاب سماوي فيه ذكر ذلك الحكم فلم تصرون على الكذب ثم التفت إلى الغيبة للإيذان بانقطاعهم عن الجواب وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم أن يعرض عنهم ويحكي جناياتهم لآخرين فقال: ﴿وجعلوا بينه﴾ تعالى ﴿وبين الجنة﴾ الجنة بالكسر جماعة الجن والملائكة كما في «القاموس» والمراد هنا الملائكة وسموا جنة لاجتنانهم واستتارهم عن الأبصار ومنه سمي الجنين وهو المستور في بطن الأم والجنون لأنه خفاء العقل. والجنة بالضم الترس لأنه يجن صاحبه ويستره. والجنة بالفتح لأنها كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض فمن له اجتنان عن الأعين جنس يندرج تحته الملائكة والجن المعروف. قالوا: الجن واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شراً كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيراً فهو ملك. قال الراغب الجن يقال على وجهين: أحدهما للروحانيين المستترة عن الحواس كلها بإزاء الإنس فعلى هذا يدخل فيه الملائكة والشياطين فكل ملائكة جن وليس كل جن ملائكة. وقيل: بل الجن بعض الروحانيين وذلك أن الروحانيين ثلاثة أخيار وهم الملائكة وأشرار وهم الشياطين وأوساط فهم أخيار وأشرار وهم الجن ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ [الجن: ١-١٤] ﴿نسباً﴾ النسب والنسبة اشتراك من جهة الأبوين وذلك ضربان نسب بالطول كالاشتراك بين الآباء والأبناء ونسب بالعرض كالنسبة بين الإخوة وبني

العم وقيل فلان نسيب فلان أي: قريبه. والمعنى وجعل المشركون بما قالوا نسبة بين الله وبين الملائكة وأثبتوا بذلك جنسية جامعة له وللملائكة. وفي ذكر الله الملائكة بهذا الاسم في هذا الموضع إشارة إلى أن من صفته الاجتنان وهو من صفات الأجرام لا يصلح أن يناسب من لا يجوز عليه ذلك. وفيه إشارة إلى جنة الإنسان وقصور نظر عقله عن كمال أحدية الله وجلال صمديته إذا وكل إلى نفسه في معرفة ذات الله وصفاته فيقيس ذاته على ذاته وصفاته فيثبت له نسباً كما له نسب ويثبت له زوجة وولداً كما له زوجة وولد ويثبت له جوارح كما له جوارح ويثبت له مكاناً كما له مكان تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وهو يقول تبارك وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]:

جهان متفق بر الهيتش فرومانده از كنه ماهيتش
بشر ما وراى جلالش نيافت بصر منتهاى كمالش نيافت
نه ادراك در كنه ذاتش رسد نه فكرت بنور صفاتش رسد

ثم إن هذا وهو قوله تعالى: ﴿وجعلوا بينه﴾ الخ عبارة عن قولهم الملائكة بنات الله وإنما أعيد ذكره تمهيداً لما يعقبه من قوله: ﴿ولقد علمت الجنة﴾ أي: وبالله لقد علمت الجنة التي عظموها بأن جعلوا بينها وبينه تعالى نسباً وهم الملائكة ﴿إنهم﴾ أي: الكفرة ﴿لمحضرون﴾ النار معذبون بها لا يغيبون عنها لكذبهم وافترائهم في ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان أن الذي يدعي هؤلاء المشركون لهم تلك النسبة ويعلمون أنهم أعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بأنهم معذبون لأجله حكماً مؤكداً.

قال في «كشف الأسرار»: [نحويان كفتند چون ان ازقفاى علم وشهادت آيد مفتوح بايد مكر كه در خبر لام آيد آنكه مكسور باشد] كقول العرب أشهد أن فلاناً عاقل وإن فلاناً لعاقل وجهه أن إن المكسورة لا تغير معنى الجملة واللام الداخلة على الخبر لتأكيد معنى الجملة. ثم إن الله تعالى نزه نفسه عما قالوه من الكذب فقال: ﴿سبحان الله﴾ أي: تنزه تعالى تنزهاً لائقاً بجنابه ﴿عما يصفون﴾ به من الولد والنسب أو نزهوه تنزيهاً عن ذلك أو ما أبعد وما أنزه من هؤلاء خلقه وعبيده عما يضاف إليه من ذلك فهو تعجب من كلمتهم الحمقاء وجعلتهم العوجاء ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ استثناء منقطع من الواو في يصفون أي: يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين الذين أخلصهم الله بلطفه من ألواث الشكوك والشبهات ووفقهم للجريان بموجب اللب برءاء من أن يصفوه به. وجعل أبو السعود قوله سبحان الله عما يصفون بتقدير قول معطوف على علمت الملائكة أن المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفون به من الولد والنسب لكن عباد الله المخلصين الذين نحن من جملتهم برءاء من ذلك الوصف بل نصفه بصفات العلى فيكون المستثنى أيضاً من كلام الملائكة ﴿فإنكم﴾ أيها المشركون عود إلى خطابهم لإظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام ﴿وما تعبدون﴾ ومعبوديكم وهم الشياطين الذين أغووهم ﴿ما أنتم﴾ ما نافية وأنتم خطاب لهم ولمعبوديهم تغليباً للمخاطب على الغائب ﴿عليه﴾ الضمير لله وعلى متعلقة بقوله: ﴿بفاتنين﴾ الفاتن هنا بمعنى المضل والمفسد يقال فتن فلان على فلان امرأته أي: أفسدها عليه وأضلها حاملاً إياها على عصيان زوجها فعدى الفاتن بعلى لتضمينه معنى الحمل والبعث. والمعنى ما أنتم بفاتنين أحداً من عباده أي: بمضلين ومفسدين بحمله على المعصية والخلاف فمفعول فاتنين محذوف

﴿إلا من هو صال الجحيم﴾ منهم أي: داخلها لعلمه تعالى بأنه يصر على الكفر بسوء اختياره ويصير من أهل النار لا محالة فيضلون بتقدير الله من قدر الله أن يكون من أهل النار وأما المخلصون منهم فإنهم بمعزل عن إفسادهم وإضلالهم فهم لا جرم برءاء من أن يفتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتموه به. قوله صال بالكسر أصله صالي على وزن فاعل من الصلي وهو الدخول في النار يقال صلي فلان النار يصلى صلياً من الباب الرابع دخل فيها واحترق فاعل كقاض فلما أضيف إلى الجحيم سقط التنوين وأفرد حملاً على لفظ من. واحتج أهل السنة والجماعة بهذه الآية وهي قوله: ﴿فإنكم﴾ الخ على أنه لا تأثير لإلقاء الشيطان ووسوسته ولا لأحوال معبودهم في وقوع الفتنة وإنما المؤثر هو قضاء الله وتقديره وحكمه بالشقاوة ولا يلزم منه الجبر وعدم لوم الضال والمضل بما كسبا لما أشير إليه من أنهم لا يقدرون على إضلال أحد إلا إضلال من علم الله منه اختيار الكفر والإصرار عليه وعلم الله وتقديره وقضاؤه فعلاً من أفعال المكلفين لا ينافي اختيار العبد وكسبه.

هركه در فعل خود بود مختار فعل او دور باشد از اجبار
بهر آن كرد امر ونهي عباد تاشود ظاهر انقياد وعناد
زايد از انقياد حب ورضا وزخلاف وعناد سوء قضا
پس بود امر ونهي شرط ظهور فعلها را ز بنده مأمور

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

﴿وما منا﴾ حكاية اعتراف الملائكة للرد على عبدتهم كأنه قيل ويقول الملائكة الذين جعلتموهم بنات الله وعبدتموهم بناء على ما زعمتم من أن بينهم وبينه تعالى مناسبة وجنسية جامعة وما منا أحد أي: ملك على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه فالموصوف المقدر في الآية مبتدأ وقوله: ﴿إلا له مقام معلوم﴾ صفة وما منا مقدم خبره أي: أحد استثنى منه من له مقام معلوم ليس منا يعني لكل واحد منا مرتبة في المعرفة والعبادة والانتهاء إلى أمر الله في تدبير العالم مقصور عليها لا يتجاوزها ولا يستطيع أن ينزل عنها قدر ظفر خضوعاً لعظمته وخشوعاً لهيبته وتواضعاً لجلاله كما روى فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه. ففيه تنبيه على فساد قول المشركين أنهم أولاد الله لأن مبالغتهم في إظهار العبودية تدل على اعترافهم بالعبودية فكيف يكون بينه تعالى وبينهم جنسية.

قال ابن عباس رضي الله عنهما ما في السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يسبح» بل والعالم مشحون بالأرواح فليس فيه موضع بيت ولا زاوية إلا وهو معمور بما لا يعلمه إلا الله ولذا أمر النبي عليه الصلاة والسلام بالتستر في الخلوة وأن لا يجامع الرجل امرأته عريانين. وقال السدي: ﴿إلا له مقام معلوم﴾ في القربة والمشاهدة. وقال أبو بكر الوراق قدس

سره: ﴿إلا له مقام معلوم﴾ يعبد الله عليه كالخوف والرجاء والمحبة والرضى يعني: [مراد مقامات سنيه است چون خوف ورجا ومحبت ورضاكه هريك از مقربان حظائر ملكوت ومقدسان صوامع جبروت در مقامى ازان ممكن اند].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن للملك مقاماً معلوماً لا يتعدى حده وهو مقام الملك الروحاني أو الكروبي فالروحاني لا يعبر عن مقامه إلى مقام الكروبي والكروبي لا يقدم على مقام الروحاني فلا عبور لهم من مقامهم إلى مقام فوق مقامهم ولا نزول لهم إلى مقام دون مقامهم ولهم بهذا فضيلة على إنسان بقي في أسفل سافلين في الدرك الأسفل من النار واللذين عبروا منهم عن أسفل سافلين بالإيمان والعمل الصالح وصعدوا إلى أعلى عليين بل ساروا إلى مقام قاب قوسين بل طاروا إلى منزل أو أدنى فضيلة عليهم ولهذا أمروا بسجدة أهل الفضل منهم فقعوا له ساجدين فللإنسان أن يتنزل من مقام الإنسانية إلى دركة الحيوانية كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وله أن يترقى بحيث يعبر عن المقام الملكي ويقال له تخلقوا بأخلاق الله انتهى. وقال جعفر رضي الله عنه: الخلق مع الله على مقامات شتى من تجاوز حده هلك فللأنبياء مقام المشاهدة وللرسل مقام العيان وللملائكة مقام الهيبة وللمؤمنين مقام الدنو وللعصاة مقام التوبة وللكفار مقام الغفلة والطرد واللعنة.

وقال الحسين قدس سره: المريدون يتحولون من مقام إلى مقام والمرادون يتجاوزون المقامات إلى رب المقامات. وقال بعضهم: العارف يأكل في هذه الدار الحلوى والعسل فهذا مقامه والكامل المحقق يأكل فيها الحنظل لا يتلذذ فيها بنعمة لاشتغاله بما كلفه الله تعالى من الشكر عليها وغير ذلك من تحمل هموم الناس فكم من فرق بين المقامين وأهل الفناء وإن تألموا هنا ولكن ذلك ليس بألم بل أشد العذاب والألم فيما إذا رأى أهل الذوق مراتب أهل الفناء فوقهم وأقله التألم من تقدمهم.

باش تافانى شود احوال تو ... بكزرد از حال كل تا حال تو

از مقامى ساز بقعه خويش را ... كه بماند جمله زير بال تو

﴿وإنا لنحن الصافون﴾ في مواقف الطاعة ومواطن الخدمة وبالفارسية: [وبدرستى كه ماصف كشيدكانيم در مواقف در طاعات ومواضع خدمت]. قال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: ليس للملائكة نافلة إنما هم دائماً في فرائض بعدد أنفاسهم فلا نفل لهم بخلاف البشر انتهى. قيل إن المسلمين إنما اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الآية وليس يصطف أحد من أهل الملل في صلاتهم غير المسلمين، يقول الفقير: الاصطفاف في الصلاة حصل بفعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في أول ما صلى من الصلوات وهي صلاة الظهر فإنه لما نزل من المعراج وزالت الشمس أمر فصيح بأصحابه الصلاة جامعة، فاجتمعوا فصلى به عليه السلام جبريل وصلى النبي عليه السلام بالناس إلا أن يتفق نزول الآية في ذلك الوقت ولكن كلام القائل يقتضي كونهم مقيمين للصلاة فرادى قبل نزولها كما قال قتادة: كان الرجال والنساء يصلون معاً حتى نزلت ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ١٦٤﴾ [الصافات: ١٦٤] فتقدم الرجال وتأخر النساء فكانوا يصلون منفردين حتى نزلت ﴿وإنا لنحن الصافون﴾ ﴿وإنا لنحن المسبحون﴾ المقدسون لله تعالى عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وتحلية كلامهم بفنون التأكيد لإبراز صدوره عنهم بكمال الرغبة والنشاط.

قال البيضاوي: ولعل الأول إشارة إلى درجاتهم في الطاعات وهذا في المعارف انتهى. قال بعض الكبار: للملائكة الترقي في العلم لا في العمل فلا يترقون بالأعمال كما لا نترقى بأعمال الآخرة إذا انتقلنا إليها وأما الإنسان فله الترقي في العلم والعمل ولو أن الملائكة ما كان لها الترقي في العلم ما قبلت الزيادة حين علمت الأسماء كلها فإنه زادهم علماً بالأسماء لم يكن عندهم.

قال البقلي رحمه الله: لما كانوا من أهل المقامات افتخروا بمقاماتهم في العبودية من الصلاة والتسبيح ولو كانوا من أهل الحقائق في المعرفة لفنوا عن ملاحظة طاعاتهم من استيلاء أنوار مشاهدة الحق.

وفي «التأويلات النجمية»: ولو كان من مفاخر الملك أن يقولوا وإنا لنحن الصافون يعني في الصلاة والعبودية فإن للإنسان معه شركة في هذا وللإنسان صف يحبه الله وليس للملك فيه شركة وذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ [الصف: ٤] وأن يقولوا: ﴿وإنا لنحن المسبحون﴾ أيضاً للإنسان معهم شركة ومن مفاخر الإنسان أن يقولوا: إنا لنحن المحبون وإنا لنحن المحبوبون وهم المخصوصون به في الترقي من مقام المحبية إلى مقام المحبوبية انتهى وهذا بالنسبة إلى أكاملهم وأفاضلهم:

لفظ إنسان يكى ولى هركس — زده ازوى بقدر خويش نفس
جنبش هركسى زجاى ويست — روى هركس بفكر ورأى ويست
تا بر اهل طلب خداى مجيد — متجلى نشد باسم مريد
بارادت كسى نشد موصوف — بمحبت كسى نشد معروف

﴿وإن كانوا ليقولون﴾ إن هي المخففة من الثقيلة وضمير الشأن محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وفي الإتيان بأن المخففة واللام إشارة إلى أنهم كانوا يقولون ما قالوه مؤكدين جادّين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره. والمعنى وأن الشان كان قريش تقول قبل المبعث: ﴿لو أن عندنا ذكراً من الأولين﴾ أي كتاباً من كتب الأولين من التوراة والإنجيل وبالفارسية: [اكربودى نزديك ما كتابي كه سبب بند ونصيحت بودى] ﴿لكنا عباد الله المخلصين﴾ أي لأخلصنا العبادة لله ولما خالفنا كما خالفوا ﴿فكفروا به﴾ الفاء فصيحة أي فجاءهم ذكر أي ذكر سيد الأذكار وكتاب مهيمن على سائر الكتب والأسفار وهو القرآن فكفروا به وأنكروه وقالوا في حقه وفي حق من أنزل عليه ما قالوا ﴿فسوف يعلمون﴾ أي عاقبة كفرهم وغائلته من المغلوبية في الدنيا والعذاب العظيم في العقبى وهو وعيد لهم وتهديد. وفيه إشارة إلى تنزل الإنسان إلى الدرك الأسفل وإلى أن مآل الدعوى بلا تطبيق للصورة بالمعنى خزي وقهر وجلال عصمنا الله الملك الكريم المتعال.

قال بعضهم: وكان الملامية الذين هم أكابر القوم لا يصلون مع الفرائض إلا ما لا بد منه من مؤكدات النوافل خوفاً أن يقوم بهم دعوى أنهم أتوا بالفرائض على وجه الكمال الممكن وزادوا على ذلك فإنه لا نفل إلا عن كمال فرض ونعم ما فهموا ولكن ثم ما هو أعلى وهو أن يكثروا من النوافل توطئة لمحبة الله لهم ثم يرون ذلك جبراً لبعض ما في فرائضهم من النقص وفي الحديث «حسنوا نوافلكم فبها تكمل فرائضكم» وفي المرفوع: «النافلة هدية المؤمن إلى ربه فليحسن أحدكم هديته وليطيبها» ولكون الهدية سبباً للمحبة قال عليه السلام: «تهادوا تحابوا».

واعلم أن القرآن ذكر جليل أنزل تذكيراً للناس وطرداً للوسواس الخناس فإنه كلما ذكر الإنسان خنس الشيطان أي تأخر والقرآن وإن كان كله ذكراً لكن ما كل آي القرآن يتضمن ذكر الله فإن فيه حكاية الأحكام المشروعة وفيه قصص الفراعنة وحكايات أقوالهم وكفرهم وإن كان في ذلك الأجر العظيم من حيث هو قرآن بالإصغاء إلى القارىء إذا قرأه من نفسه وغيره فذكر الله إذا سمع في القرآن أتم من استماع قول الكافرين في الله ما لا ينبغي فالأول من قبيل استماع القول الأحسن والثاني من استماع القول الحسن فاعرف ذلك. ويستحب لقارىء القرآن في المصحف أن يجهر بقراءته ويضع يده على الآية يتتبعها فيأخذ اللسان حظه من الرفع ويأخذ البصر حظه من النظر واليد حظها من المس وكان كبار السلف يقرأون على سبيل التأني والتدبر للوقوف على أسراره وحقائقه كما حكي أن الشيخ العطار قدس سره كان يختم في أوائله في كل يوم ختمة وفي كل ليلة ختمة ثم لما آل الأمر إلى الشهود وأخذ الفيض من الله ذي الجود بقي في السبع الأول من القرآن أكثر من عشرين سنة ومن الله العناية والهداية ﴿**ولقد سبقت**﴾ أي وبالله لقد تقدمت في الأزل أو كتبت في اللوح المحفوظ ثم إن السبق والتقدم الموقوف على الزمان إنما هو بالنسبة إلى الإنسان وإلا فالأمر بالإضافة إلى الله كائن على ما كان ﴿**كلمتنا**﴾ وعدنا على مالنا من العظمة ﴿**لعبادنا**﴾ الذين أخلصوا لنا العبادة في كل حركة وسكون ﴿**المرسلين**﴾ الذين زدناهم على شرف الإخلاص في العبودية شرف الرسالة ثم فسر ذلك الوعد بطريق الاستئناف فقال: ﴿**إنهم لهم**﴾ خاصة ﴿**المنصورون**﴾ فمن نصرناه فلا يغلب كما أن من خذلناه لا يغلب ثم عمم فقال: ﴿**وإن جندنا**﴾ أي من المرسلين وأتباعهم المؤمنين والجند العسكر ﴿**لهم**﴾ أي لا غيرهم ﴿**الغالبون**﴾ على أعدائهم في الدنيا والآخرة وإن رؤي أنهم مغلوبون في بعض المشاهد لأن العاقبة لهم والحكم للغالب والنادر كالمعدوم والمغلوبية لعارض كمخالفة أمر الحاكم وطمع الدنيا والعجب والغرور ونحو ذلك لا تقدح في النصر المقضي بالذات. والنصر منصب شريف لا يليق إلا بالمؤمن وأما الكافر فشأنه الاستدراج وغاية الخذلان. وقال بعضهم: لم يرد بالنصر هذا النصر المعهود بل الحجة لأن الحق إنما يتبين من الباطل بالحجة لا بالسيف فأراد بذلك أن الحجة تكون للأنبياء على سائر الأمم في اختلاف الأطوار والأعصار. وقال الحسن البصري رحمه الله: أراد بالنصرة هذه النصرة بعينها دون الحجة ثم قال ما انتهى إلى أن نبياً قتل في حرب قط.

يقول الفقير: أراد الحسن المأمور بالحرب منصور لا محالة بخلاف غير المأمور وهو التوفيق بين قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٢١] ونظائره وبين هذه الآية وأمثالها. والحاصل أن المؤمنين المخلصين هم المنصورون والغالبون لأن المستند إلى المولى الغالب العزيز هو المنصور المظفر الغالب القاهر وأعداءهم هم المنهزمون المغلوبون لأن المستند إلى غير الله خصوصاً إلى الحصون والقلاع المبنية من الأحجار هو المنهزم المدمر المغلوب المقهور:

تكيه بر غير بود جهل وهوى　　نيست آنجام اعتماد سوى

ثم إن جنده تعالى هم مظاهر اسمه العزيز والمنتقم ومظاهر قوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وفي «التأويلات النجمية»: جنده الذين نصبهم لنشر دينه وأقامهم لنصر الحق وتبيينه فمن

أراد إذلالهم فعلى أذقانه يخرّ. والجند كما ورد في الحديث: «جندان جند الوغى وجند الدعاء» فلا بد لجند الوغى من عمل الوغى وشغل الحرب ولجند الدعاء من عمل الدعاء وشغل الأدب فمن وجد في قلبه الحضور واليقظة فليطمع في الإجابة ومن وجد الفتور والغفلة فليخف عدم الإصابة:

كـى دعـاى تـو مـسـتـجـاب شـود كـه بـيـك روى دردو مـحـرابـى

وفي الحديث: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم» أي عاداهم «حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال» ولا شك أن الملوك العثمانية خاتمة هذه الطائفة وعيسى والمهدي عليهما السلام خاتمة الخاتمة والصيحة الواحدة الآخذة كل من بقي على الأرض عند قيام الساعة من الكفرة الفجرة خاتمة خاتمة الخاتمة ﴿**فتول عنهم**﴾ أي إذا علمت أن النصرة والغلبة لك ولأتباعك فأعرض عن كفار مكة واصبر على أذاهم ﴿**حتى حين**﴾ أي مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال فالآية محكمة لا منسوخة بآية القتال ﴿**وأبصرهم**﴾ على أسوء حال وأفظع نكال حل بهم من القتل والأسر والمراد بالأمر بأبصارهم الإيذان بغاية قربه كأنه بين يديه يبصره في الوقت وإلا فمتعلق الأبصار لم يكن حاضراً عند الأمر ﴿**فسوف يبصرون**﴾ ما يقع حينئذٍ من الأمور.

وفي «التأويلات»: وأبصر أحوالهم فسوف يبصرون جزاء ما عملوا من الخير والشر انتهى. وسوف للوعيد ليتوبوا ويؤمنوا دون التبعيد لأن تبعيد الشيء المحذر منه كالمنافي لإرادة التخويف به ولما نزل ﴿**فسوف يبصرون**﴾ قالوا استعجالاً واستهزاء لفرط جهلهم متى هذا فنزل قوله تعالى: ﴿**أفبعذابنا يستعجلون**﴾ أي أبعد هذا التكرير من الوعيد يستعجلون بعذابنا والهمزة للإنكار والتعجب يعني تعجبوا من هذا الأمر المستنكر وبالفارسية: [آيا بعذاب ما شتاب ميكنند ووقت نزول آن مى پرسند]. وفي التوراة «أبي يغترون أم عليّ يجترئون؟» يعني: [بمهلت دادن وفراكذشتن من فريفته شوند يا بر من ديرى كنند ونمى ترسند] ﴿**فإذا نزل**﴾ العذاب الموعود ﴿**بساحتهم**﴾. قال في «المفردات»: الساحة المكان الواسع ومنه ساحة الدار انتهى. وفي «حواشي» ابن الشيخ الساحة الفناء الخالي عن الأبنية وفناء الدار بالكسر ما امتد من جوانبها معداً لمصالحها وبالفارسية: [پيشكاه منزل] والمعنى بفنائهم وقربهم وحضرتهم كأنه جيش قد هزمهم فأناخ بفنائهم بغتة ﴿**فساء صباح المنذرين**﴾ فبئس صباح المنذرين صباحهم أي صباح من أنذر بالعذاب وكذبه فلم يؤمن واللام للجنس فإن أفعال المدح والذم تقتضي الشيوع والإبهام والتفصيل فلا يجوز أن تكون للعهد. والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الإغارة في الصباح سموها صباحاً وإن وقعت ليلاً. قال الكاشفي: [آورده اندكه درميان عرب قتل وغارت واسر بسيار بود هر لشكركه قصد قبيله داشتندى شب همه شب راه پيموده وقت سحر كه خواب كرانيست بحواله ايشان آمدندى ودست بقتل وغارت واسر وتاراج بر كشاده قوم را مستأصل كردندى وبدين سبب كه اغلب غارت در صباح واقع مى شد غارت را صباح نام نهادند وهرچند دروقتى ديكر وقوع يافتى همان صباح كفتندى] ﴿**وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون**﴾ تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أثر تسلية وتأكيد لوقوع الميعاد غب تأكيد مع ما في إطلاق الفعلين عن المفعول من الإيذان بأن ما يبصره عليه السلام من فنون المسار وما يبصرون من أنواع المضار

لا يحيط به الوصف والبيان. وفي «البرهان» حذف الضمير من الثاني اكتفاء بالأول ﴿سبحان ربك﴾ خطاب للنبي عليه السلام وقوله: ﴿رب العزة﴾ بدل من الأول ﴿عما يصفون﴾ أي نزه يا محمد من هو مربيك ومكفلك ومالك العزة والغلبة على الإطلاق عما يصفه المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه من الأولاد والأزواج والشركاء وغير ذلك من الأشياء التي من جملتها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب. قال في «بحر العلوم»: أضاف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذي العزة كقولك صاحب صدق لاختصاصه بالصدق فلا عزة إلا له على أن العزة ذاتية أو لمن أعزه من الأنبياء وغيرهم فالعزة حادثة كائنة بين خلقه وهي وإن كانت صفة قائمة بغيره تعالى إلا أنها مملوكة له مختصة به يضعها حيث يشاء كما قال تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] وفيه إشعار بالسلوب والإضافات كما في قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن: ٧٨] وذلك أن قوله سبحان إشارة إلى السلوب كالجلال فإن كل منهما يفيد ما أفاد الآخر في قولنا سبحان ربنا عن الشريك والشبيه وجل ربنا عنهما. وقوله ربك رب العزة إشارة إلى الإضافات كالإكرام وإنما قدم السلب على الإضافة لأن السلوب كافية فيها ذاته من حيث هو هو بخلاف الإضافات فإنه لا بد من تحققها من غيره لأن الإضافة لا توجد إلا عند وجود المضافين. قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام سبحان الله كلمة مشتملة على سلب النقص والعيب عن ذات الله وصفاته فما كان من أسمائه سلباً فهو مندرج تحت هذه الكلمة كالقدوس وهو الطاهر من كل عيب والسلام وهو الذي سلم من كل آفة فنفينا بسبحان الله كل عيب عقلناه وكل نقص فهمناه. ثم إن المرسلين لما كانوا وسائط بين الله وبين عباده نبه على علو شأنهم بقوله: ﴿وسلام﴾ وسلامة ونجاة من كل المكاره وفوز بجميع المآرب ﴿على المرسلين﴾ الذين يبلغون رسالات الله إلى الأمم ويبينون لهم ما يحتاجون إليه من الأمور الدينية والدنيوية أولهم آدم وآخرهم محمد عليهم السلام فهو تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم فيما سبق لأن تخصيص كل واحد بالذكر يطول وفي الحديث «إذا سلمتم عليّ فسلموا على المرسلين فإنما أنا أحدهم» كما في «فتح الرحمٰن» و«حواشي» ابن الشيخ وغيرهما وفي الحديث «إذا صليتم عليّ فعمموا» أي للآل والأصحاب. قال في «المقاصد الحسنة»: لم أقف عليه بهذا اللفظ ويمكن أن يكون بمعنى صلوا عليّ وعلى أنبياء الله فإن الله بعثهم كما بعثني انتهى ﴿والحمد لله رب العالمين﴾. قال الشيخ عز الدين: الحمد لله كلمة مشتملة على إثبات ضروب الكمال لذاته وصفاته تعالى فما كان من أسمائه متضمناً للإثبات كالعليم والقدير والسميع والبصير فهو مندرج تحتها فأثبتنا بالحمد لله كل كمال عرفناه وكل جلال أدركناه. قال المولى أبو السعود: هذا إشارة إلى وصفه تعالى بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه بجميع صفاته السلبية وإيذان باستتباعها للأفعال الجميلة التي من جملتها إفاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية والدنيوية وإسباغه عليهم وعلى من اتبعهم من فنون النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى وإشعار بأن ما وعده من النصرة والغلبة قد تحقق. والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسائط بينهم وبينه عز وجل في فيضان الكمالات الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم السورة الكريمة بحمده مع ما فيه من الإشعار بأن توفيقه عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد انتهى. وقال بعضهم: والحمد

لله على إهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين وعلى كل حال يعني هو المحمود في كل من الحالات ساء أم سرّ نفع أم ضرّ:

در بـــلا ودر ولا الـــحـــمـــد خـــوان ايـــن بـــود آيـــيـــن پـــاك عـــاشـــقـــان

وعن علي رضي الله تعالى عنه: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك الخ. وفي بعض النسخ من أحب أن يكال له وإليه الإشارة بقوله الكاشفي: [هركه دوست ميداردكه برو پيمايند مزد ثواب را به پيمانه بزركتر بايدكه آخر كلام او از مجلس اين آيت باشد]. يقول الفقير: أصلحه الله القدير فللمؤمن أن يتدارك حاله بشيئين قبل أن يقوم من مجلسه أحدهما يجلب الأجر الجزيل وهو بالآية المذكورة. والثاني بالكفارة وهو بما أشار إليه النبي عليه السلام في قوله: «من جلس مجلساً فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك فقد غفر له» يعني من الصغائر ما لم يتعلق بحق آدمي كالغيبة كما في شرح الترغيب المسمى «بفتح القريب» فعلى العاقل أن لا يغفل في مجلسه بل يذكر ربه لأنسه ويختمه بما هو من باب التخلية والتحلية والتصفية والتجلية وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

تمت سورة الصافات والحمد لله رب الكائنات في أوائل المحرم
من سنة إحدى عشرة ومائة وألف تم المجلد السابع
ويليه المجلد الثامن إن شاء الله تعالى أوله سورة صَ

٣٨ ـ سورة ص

مكية آيها ست أو ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢﴾.

﴿ص﴾: خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذه سورة ص كما مرّ في أخواته: [بعضى برآنندكه حروف مقطعة براى اسكات كفارست كه هروقت كه حضرت محمد عليه السلام در نماز وغير آن قرآن بجهر تلاوت فرمودى إيشان أزروى عناد صفير زدندى ودست وبردست كوفتندى تا آن حضرت درغلط افتد حق سبحانه وتعالى اين حروف فرستاد تا ايشان بعد آز استماع آن متأمل ومتفكر شده از تغليظ باز مى ماندند].

وقال الشعبي: إن لله تعالى في كل كتاب سراً وسره في القرآن فواتح السور.

وقال بعضهم: ﴿ص﴾: مفتاح اسمه الصادق والصبور والصمد والصانع.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى القسم بصاد صمديته في الأزل وبصاد صانعيته في الوسط وبصاد صبوريته إلى الأبد وبصاد صدق الذي جاء بالصدق وصاد صديقية الذي صدق به وبصاد صفوته في مودته ومحبته. هـ.

وقال ابن جبير رضي الله عنه: ﴿ص﴾ يحيي الله به الموتى بين النفختين.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ص﴾ كان بحراً بمكة وكان عليه عرش الرحمٰن إذ لا ليل ولا نهار.

وفي بعض المعتبرات: كان جبلاً بمكة ومضى شرح هذا الكلام في أول ﴿المص﴾.

وقيل في ﴿ص﴾: معناه أن محمداً عليه السلام صاد قلوب الخلائق، واستمالها حتى آمنوا به كما قال في إنسان العيون، ومما لا يكاد يقضى منه العجب حسن تدبيره عليه السلام للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة كيف ساسهم واحتمل جفاءهم وصبر على أذاهم إلى أن انقادوا إليه واجتمعوا عليه ﷺ، واختاروه على أنفسهم، وقاتلوا دونه أهلهم وآباءهم وأبناءهم وهجروا في رضاه أوطانهم. انتهى.

يقول الفقير أغناه الله القدير: سمعت شيخي وسندي قدس سره، وهو يقول: إن قوله تعالى ﴿ق﴾ إشارة إلى مرتبة الأحدية التي هي التعيين الأول كما في سورة الإخلاص المصدرة بكلمة: قل المبتدأة بحرف ق. وقوله ص: إشارة إلى مرتبة الصمدية التي هي التعيين الثاني المندرجة تحته مرتبة بعد مرتبة وطوراً بعد طور إلى آخر المراتب والأطوار.

﴿والقرآن ذي الذكر﴾: (الواو): للقسم، والذكر: الشرف والنباهة، أو الذكرى والموعظة

أو ذكر ما يحتاج إليه في أمر الدين من الشرائع والأحكام، وغيرها من أقاصيص الأنبياء وأخبار الأمم الماضية والوعد والوعيد، وحذف جواب القسم في مثل ذلك غير عزيز والتقدير: على ما هو الموافق لما في أول يس ولسياق الآية أيضاً، وهو عجبوا الخ. إن محمداً الصادق في رسالته وحق نبوته ليس في حقيته شك، ولا فيما أنزل عليه من القرآن ريب.

﴿بل الذين كفروا﴾ : من رؤساء أهل مكة فهو إضراب عن المفهوم من الجواب **﴿في عزة﴾** .

قال الراغب: العزة حالة مانعة للإنسان من أن يغلب ويمدح بالعزة تارة كما في قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]؛ لأنها الدائمة الباقية، وهي العزة الحقيقية ويذم بها أخرى، كما في قوله تعالى: **﴿بل الذين كفروا في عزة﴾** : لأن العزة التي هي التعزز وهي في الحقيقة ذل، وقد تستعار للحمية والأنفة المذمومة، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]. انتهى.

وقد حمل أكثر أهل التفسير العزة في هذا المقام على الثاني لما قالوا، بل هم في استكبار عن الاعتراف بالحق والإيمان وحمية شديدة: وبالفارسية [در سركشي اند ازقبول حق].

﴿وشقاق﴾ ؛ أي: مخالفة لله وعداوة عظيمة لرسول الله ﷺ، فلذا لا ينقادون.

وفي «التأويلات النجمية» وبقوله: **﴿والقرآن ذي الذكر﴾** يشير إلى القسم بالقرآن الذي هو مخصوص بالذكر، وذلك لأن القرآن قانون معالجات القلوب المريضة وأعظم مرض القلب نسيان الله تعالى كما قال: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، وأعظم علاج مرض النسيان بالذكر كما قال: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ولأن العلاج بالضد وبقوله: **﴿بل الذين﴾** إلخ. يشير إلى انحراف مزاج قلوب الكفار بمرض نسيان الله من اللين والسلامة إلى الغلظة والقساوة ومن التواضع إلى التكبر ومن الوفاق إلى الخلاف ومن الوصلة إلى الفرقة ومن المحبة إلى العداوة، ومن مطالعة الآيات إلى الإعراض عن البحث في الأدلة والسير للشواهد.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾

﴿كم﴾ : مفعول قوله: **﴿أهلكنا﴾** . ومن في قوله: **﴿من قبلهم﴾** : لابتداء الغاية. وقوله: **﴿من قرن﴾** : تمييز.

والقرن: القوم المقترنون في زمن واحد. والمعنى: قرناً كثيراً أهلكنا من القرون المتقدمة؛ أي: أمة من الأمم الماضية بسبب الاستكبار والخلاف. **﴿فنادوا﴾** عند نزول بأسنا وحلول نقمتنا استغاثة أو توبة واستغفاراً لينجوا في ذلك، وبالفارسية: [بس ندا كردند وآواز بلند برداشتندتا كسى ايشانرا بفريادرسد].

﴿ولات حين مناص﴾ : حال من ضمير نادوا؛ أي: نادوا، واستغاثوا طلباً للنجاة، والحال أن ليس الحين حين مناص؛ أي: فوت وفرار ونجاة لكونه حالة اليأس: وبالفارسية: [ونيست آن هنكام وقت رجوع بكريزكاه].

فقوله: لا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بنفي الأحيان، ولم يبرز إلا أحد معموليها اسمها أو خبرها، والأكثر حذف اسمها.

وفي بعض التفاسير لات بمعنى ليس بلغة أهل اليمن. انتهى.

والوقف عليها بالتاء عند الزجاج وأبي علي وعند الكسائي نحو قاعدة وضاربة وعند أبي عبيد على لا. ثم يبتدىء تحين مناص، لأنه عنده أن هذه التاء تزاد مع حين، فيقال: كان هذا تحين كان ذاك كذا في «الوسيط».

والمناص: المنجأ؛ أي: النجاة والفوت عن الخصم على أنه مفعل من ناصه ينوصه إذا فاته أريد به المصدر. ويقال: ناص ينوص؛ أي: هرب. ويقال: أي: تأخر، ومنه: ناص قرنه؛ أي: تأخر عنه حيناً. وفي «المفردات»: ناص إلى كذا، التجأ إليه، وناص عنه تنحى ينوص نوصاً. والمناص: الملجأ. انتهى.

[در معالم فرموده كه عادت كفار مكي آن بودكه جون دركارزاركار برايشان زار شدى كفتندى مناص مناص يعني بكر زيد حق سبحانه وتعالى خبر ميدهدكه بهنكام حلول عذاب دربدر خلاص مناص خواهند كفت وآنجا جاي كريز نخوا هدبود].

﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾.

﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ ؛ أي: عجب كفار أهل مكة من أن جاءهم منذر ينذرهم النار؛ أي: رسول من جنسهم بل أدون منهم في الرياسة الدنيوية والمال على معنى أنهم عدوا ذلك خارجاً عن احتمال الوقوع وأنكروه أشد الإنكار لا أنهم اعتقدوا وقوعه، وتعجبوا منه، قالوا: إن محمداً مساوٍ لنا في الخلقة الظاهرة والأخلاق الباطنة والنسب والشكل والصورة، فكيف يعقل أن يختص من بيننا بهذا المنصب العالي ولم يتعجبوا من أن تكون المنحوتات آلهة، وهذه مناقضة ظاهرة، فلما تحيروا في شأن النبي عليه السلام نسبوه إلى السحر والكذب كما قال حكاية.

﴿وقال الكافرون﴾ : وضع فيه الظاهر موضع المضمر غضباً عليهم وإيذاناً بأنه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه إلا المتوغلون في الكفر والفسوق **﴿هذا﴾** [اين منذر] **﴿ساحر﴾** فيما يظهره من الخوارق **﴿كذّاب﴾** فيما يسنده إلى الله من الإرسال والإنزال لم يقل كاذب لرعاية الفواصل، ولأن الكذب على الله ليس كالكذب على غيره ولكثرة الكذب في زعمهم، فإنه يتعلق بكل آية من الآيات القرآنية بخلاف إظهار الخوارق فإنه قليل بالنسبة إليه. هكذا لاح لي هذا المقام.

وفي «التأويلات النجمية»: لما كانوا منحرفي مزاج القلوب لمرض نسيان الحق جاءت النبوة على مذاق عقولهم المتغيرة سحراً والصدّيق كذاباً.

قال الكاشفي [جه تيره رايى كه أنوار لمعات وحى را أزتاريكىء سحر امتياز نكند وجه بي بصيرتي كه آثار شعاع صدق را از ظلمات كذب بازنشناسند].

كشته طالع آفتابي أنيچينين عالم فروز ديده خفاش را يكذره ازوى نورته

از شعاع روز روشن روى كيتى مستنير تيركى شب هنوز از ديده وى دورنه

واعلم: أن إثبات النبوة والولاية سهل بالنسبة إلى أهل العناية والتوفيق فإن قلوبهم ألفت الإعراض عما سوى الله بخلاف أهل الإنكار والخذلان، فإن قلوبهم ألفت الإعراض عن الله، فلذا صحبتهم الوقيعة في أنبياء الله وأوليائه.

قال الأستاذ أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه التصديق بعلمنا هذا ولاية يعني: الولاية الصغرى دون الكبرى.

قال اليافعي: والناس على أربعة أقسام:

القسم الأول: حصل لهم التصديق بعلمهم، والعلم بطريقتهم والذوق لمشربهم وأحوالهم.

والقسم الثاني: حصل لهم التصديق، والعلم المذكور دون الذوق.

والقسم الثالث: حصل لهم التصديق دونهما.

والقسم الرابع: لم يحصل لهم من الثلاثة شيء، نعوذ بالله من الحرمان ونسأله التوفيق والغفران، فهم الذين أطالوا ألسنتهم في حق الخواص ورموهم بالسحر والكذب والجنون لكونهم ليسوا من المحارم في شأن من الشؤون: وفي «المثنوي»:

جون خدا خواهد كه برده كس درد ميلش اندر طعنه باكان برد

﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً﴾: (الهمزة): للإنكار والاستبعاد. والآلهة: جمع إله وحقه أن لا يجمع إذ لا معبود في الحقيقة سواه تعالى لكن العرب لاعتقادهم أن ههنا معبودات جمعوه. فقالوا: آلهة. وإلٰهاً واحداً: مفعول ثان لجعل؛ لأنه بمعنى صير؛ أي: صيرهم إلٰهاً واحداً في زعمه وقوله لا في فعله؛ لأن جعل الأمور المتعددة شيئاً واحداً بحسب الفعل محال [آورده اندكه بعد ازاسلام حمزة وعمر رضي الله عنهما أشراف قريش جون وليد وأبو سفيان وأبو جهل وعتبة وشيبة وأمية ازروى اضطراب نزد أبو طالب آمده در مرض موت أو كفتند اي عبد مناف تو بزر كتر ومهتر مايى آمده ايم تاميان ما وبرادر زاده خود حكم فرمايي كه يك يك ازسفهاي قوم را مي فريبد ودين محدث وآيين مجدد خودرا بديشان جلوه ميدهد سنك تفرقه در مجمع ما افكنده است ونزديك بآن رسيده كه دست تدارك از اطفاي اين نائره عاجز آيد أبو طالب آن حضرت را صلى الله تعالى عليه وسلم طلبيد وكفت اي محمد قوم تو آمده اند وايشانرا أزتو مدعاييست يكباركي طرف انحراف مورد متمناي ايشان تأمل نماي حضرت عليه السلام فرمود اي معشر قريش مطلوب شما ازمن جه جيزست كفتند آنكه دست ازنقض دين ما بداري وسب آلهة ما فرو كذاري تامانيز متعرض تو ومتابعان تونشويم حضرت عليه السلام فرمودكه من هم ازشما مي طلبم كه بيك كلمه بامن متفق شويد تامما لك غرب شمارا مسخر شود واكابر عجم كمر فرمان بردارى شما بربندند كفتند آن كلمه كدامست سيد عالم عليه السلام فرمودكه: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» بيكبار أشراف قريش ازان حضرت اعراض نموده كفتند].

أجعل الخ؛ أي: أصير محمد بزعمه الآلهة إلٰهاً واحداً بأن نفى الألوهية عنهم وقصرها على واحد ولم يعلموا أنهم جعلوا الإله الواحد آلهة **﴿إن هذا﴾:** [بدرستى كه يكانكى خداى تعالى].

﴿لشيء عجاب﴾: العجاب: بمعنى العجيب، وهو الأمر الذي يتعجب منه كالعجب إلا أن العجيب أبلغ منه، والعجاب بالتشديد أبلغ من العجاب بالتخفيف مثل كبار في قوله: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾ [نوح: ٢٢]، فإنه أبلغ من الكبار بالتخفيف ونحوه طويل وطوال. والمعنى: بليغ في العجب، لأنه خلاف ما اتفق عليه آباؤنا إلى هذا الآن.

وقال بعضهم: [نيك شكفت جه سيصد وشصت بت كه مداريم كاريك شهر مكه راست

نمى توانندكرد يك خداي كه محمد ميكويد كار تمام عالم جون سازد]. يعني: أنهم ما كانوا أهل النظر والبصيرة، بل أوهامهم كانت تابعة للمحسوسات، فقاسوا الغائب على الشاهد، وقالوا: لا بدّ لحفظ هذا العالم الكبير من آلهة كثيرة يحفظونه بأمره وقضائه تعالى ولم يعرفوا الإله، ولا معنى الإلهية، فإن الإلهية هي القدرة على الاختراع وتقدير قادرين على الاختراع غير صحيح لما يجب من وجوده التمانع بينهما وجوازه، وذلك يمنع من كمالها، ولو لم يكونا كاملي الوصف لم يكونا إلٰهين وكل أمر جرّ ثبوته سقوطه فهو مطروح. باطل.

﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾

﴿وانطلق الملأ منهم﴾: الانطلاق الذهاب والملأ الأشراف لا مطلق الجماعة، ويقال لهم: ملأ لأنهم إذا حضروا مجلساً ملأت العيون وجاهتهم والقلوب مهابتهم؛ أي: وذهب الأشراف من قريش وهم خمسة وعشرون عن مجلس أبي طالب بعد ما أسكتهم رسول الله عليه السلام بالجواب الحاضر، وشاهدوا تصلبه عليه السلام في الدين وعزيمته على أن يظهره على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط أبي طالب من المصالحة على الوجه المذكور.

﴿أن﴾: مفسرة للمقول المدلول عليه بالانطلاق لأن الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول؛ أي: وانطلق الملأ منهم بقول هو قول بعضهم لبعض على وجه النصيحة.

﴿امشوا﴾: سيروا على طريقتكم وامضوا فلا فائدة في مكالمة هذا الرجل. وحكى المهدوي أن قائلها عقبة بن أبي معيط.

﴿واصبروا على آلهتكم﴾؛ أي: واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعونه في حقها من القدح.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الكفار إذا تراضوا فيما بينهم بالصبر على آلهتهم فالمؤمنون أولى بالصبر على عبادة معبودهم والاستقامة في دينهم بل الطالب الصادق والعاشق الوامق أولى بالصبر والثبات على قدم الصدق في طلب المحبوب المعشوق.

﴿إن هذا﴾: تعليل للأمر بالصبر أو لوجوب الامتثال به؛ أي: هذا الذي شاهدناه من محمد من أمر التوحيد ونفي آلهتنا وإبطال أمرنا.

﴿لشيء يراد﴾: من جهته عليه السلام إمضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان، أو أمر يرجى فيه المسامحة بشفاعة أو امتناع، فاقطعوا أطماعكم عن استنزاله عن رأيه بواسطة أبي طالب وشفاعته وحسبكم أن لا تمنعوا من عبادة آلهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعونه في حقها من القدح وسوء المقالة هذا ما ذهب إليه المولى أبو السعود في «الإرشاد».

وقال في «تفسير الجلالين»: لأمر يراد بنا ومكر يمكر علينا.

وقال سعدي المفتي: وسنح بالبال أنه يجوز أن يكون المراد أن دينكم لشيء يستحق أن يطلب ويعض عليه بالنواجذ، فيكون ترغيباً وتعليلاً للأمر السابق.

وقال بعضهم: [بدرستى كه مخالفت محمد باما جيز نيست كه خواسته اند بما از حوادث زمان واز وقوع آن جاره نيست].

يقول الفقير أمده الله القدير بالفيض الكثير ويجوز أن يكون المعنى: أن الصبر والثبات

على عبادة الآلهة التي هي الدين القديم يراد منكم فإنه أقوى ما يدفع به أمر محمد كما قالوا نتربص به ريب المنون، فيكون موافقاً لقرينه في الإشارة إلى المذكور فيما قبله أو أن شأن محمد لشيء يراد دفعه وإطفاء نائرته بأي وجه كان قبل أن يعلو ويشيع، كما قيل:

علاج واقعه بيش از وقوع بايد كرد

ودل عليه اجتماعهم على مكره عليه السلام مراراً فأبى الله إلا أن يتم نوره.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾.

﴿**ما سمعنا بهذا**﴾: الذي يقوله من التوحيد.

﴿**في الملة الآخرة**﴾: ظرف لغو سمعنا؛ أي: في الملة التي أدركنا عليها آباءنا، وهي ملة قريش ودينهم الذي هم عليه، فإنها متأخرة عما تقدم عليها من الأديان والملل.

وفيه إشارة إلى ركون الجهال إلى التقليد والعادة وما وجدوا عليه أسلافهم من الضلال وإخطاء طريق العبادة:

ترسم نرسى بكعبه اي اعرابى كين ره كه توميروى بتركستانست

والملة كالدين اسم لما شرع الله لعباده على يد الأنبياء ليتوصلوا به إلى ثواب الله وجواره فإطلاق كل منهما على طريقة المشركين مجاز مبني على التشبيه.

﴿**إن هذا**﴾: نافية بمعنى ما ﴿**إلا اختلاق**﴾.

[الاختلاق دروغ كفتن ازنزد خود]؛ أي: كذب اختلقه من عند نفسه.

قال في «المفردات»: وكل موضع استعمل فيه الخلق في وصف الكلام، فالمراد به الكذب ومن هذا امتنع كثير من الناس من إطلاق لفظ الخلق على القرآن، وعلى هذا قوله: ﴿**إن هذا إلا اختلاق**﴾.

﴿**أأنزل عليه الذكر من بيننا**﴾: ونحن رؤساء الناس وأشرافهم وأكبرهم سناً وأكثرهم أموالاً وأعواناً وأحقاء بكل منصب شريف ومرادهم إنكار كون القرآن ذكراً منزلاً من الله تعالى. وأمثال هذه المقالات الباطلة دليل على أن مناط تكذيبهم ليس إلا الحسد على اختصاصه عليه السلام بشرف النبوة من بينهم وحرمانهم منه وقصر النظر على متاع الدنيا وغلطوا في القصر والقياس. أما الأول فلأن الشرف الحقيقي إنما هو بالفضائل النفسانية دون الخارجية.

وأما الثاني فلأن قياس نفسه عليه السلام بأنفسهم فاسد إذ هو روح الأرواح وأصل الخليقة، فأنى يكون هو مثلهم وأما الصورة الإنسانية فميراث عام من آدم عليه السلام لا تفاوت فيها بين شخص وشخص نعم وجهه عليه السلام كان يلوح منه أنوار الجمال بحيث لم يوجد مثله فيما بين الرجال:

اى حسن سعادت زجبين تو هويدا اين حسن جه حسنست تقدس وتعالى

وفيه إشارة إلى حال أكثر علماء زماننا وعبادهم أنهم إذا رأوا عالماً ربانياً من أرباب الحقائق يخبر عن حقائق لم يفهموها ويشير إلى دقائق لم يذوقوها دعتهم النفوس المتمردة إلى تكذيبه، فيجحدونه بدل الاغتنام بأنفاسه والاقتباس من أنواره ويقولون أكوشف هو بهذه الحقائق من بيننا ويقعون في الشك من أمرهم كما قال تعالى: ﴿**بل هم في شك من ذكري**﴾؛

أي: القرآن أو الوحي بميلهم إلى التقليد وإعراضهم عن النظر في الأدلة المؤدية إلى العلم بحقيته وليس في عقيدتهم ما يجزمونه فهم مذبذبون بين الأوهام ينسبونه تارة إلى السحر وأخرى إلى الاختلاق.

وفيه إشارة إلى أن القرآن قديم لأنه سماه الذكر ثم أضافه إلى نفسه، ولا خفاء بأن ذكره قديم، لأن الذكر المحدث يكون مسبوقاً بالنسيان، وهو منزه عنه.

﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾ في لما دلالة على أن ذوقهم العذاب على شرف الوقوع، لأنها للتوقع؛ أي: بل لم يذوقوا بعد عذابي، فإذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال.

وفيه تهديد لهم؛ أي: سيذوقون عذابي فيلجئهم إلى تصديق الذكر حين لا ينفع التصديق.

وفيه إشارة إلى أنهم مستغرقون في بحر عذاب الطرد والبعد ونار القطيعة لكنهم عن ذوق العذاب بمعزل لغلبة الحواس إلى أن يكون يوم تبلى السرائر فتغلب السرائر على الصور والبصائر على البصر، فيقال لهم: ذوقوا العذاب، يعني: كنتم معذبين وما كنتم ذائقي العذاب، فالمعنى: لو ذاقوا عذابي ووجدوا ألمه لما قدموا على الجحود دل على هذا قوله عليه السلام: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا».

شو زخواب كران جان بيدار   تا جمالش عيان ببين اي يار

﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾: أم منقطعة بمعنى: بل، والهمزة وهي للإنكار. والخزائن جمع خزانة بالكسر بمعنى المخزن؛ أي: بل أعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم، فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم. والمعنى: أن النبوة عطية من الله تعالى يتفضل بها على من يشاء من عباده، لا مانع له فإنه العزيز؛ أي: الغالب الذي لا يغالب الوهاب الذي له أن يهب كل ما يشاء.

جون زحال مستحقان آكهي   هرجه خواهي هركرا خواهي دهي
ديكرا نرا اين تصرف كي رواست   اختيار اين تصرفها تراست

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾﴾

﴿أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما﴾: ترشيح؛ أي: تربية لما سبق؛ أي: بل ألهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا في الأمور الربانية ويتحكموا في التدابير الإلهية التي يستأثر بها رب العزة والكبرياء.

﴿فليرتقوا في الأسباب﴾: جواب شرط محذوف، والارتقاء: الصعود.

قال الراغب: السبب الحبل الذي يصعد به النخل، وقوله تعالى: **﴿فليرتقوا في الأسباب﴾**: إشارة إلى قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ﴾ [الطور: ٣٨] فيه وسمي كل ما يتوصل به إلى شيء سبباً. انتهى.

والمعنى: إن كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وينزلوا الوحي إلى ما يختارون ويستصوبون. وفيه من التهكم بهم ما لا غاية وراءه.

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾.

﴿جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾: الجند جمع معد للحرب وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو أكلت شيئاً ما وهنالك مركب من ثلاث كلمات إحداها هنا وهو إشارة إلى مكان قريب. والثانية: اللام وهي للتأكيد، والثالثة: الكاف وهي للخطاب. قالوا: واللام فيها كاللام في ذلك في الدلالة على بعد المشار إليه، والهزم: الكسر. يقال: هزم العدو كسرهم وغلبهم والاسم: الهزيمة. وهزمه يهزمه، فانهزم غمزه بيده فصارت فيه حفرة كما في «القاموس». والحزب جماعة فيها غلظ كما في «المفردات» قال ابن الشيخ: جند خبر مبتدأ محذوف ومن الأحزاب صفته؛ أي: جملة الأحزاب وهم القرون الماضية الذين تحزبوا وتجمعوا على الأنبياء بالتكذيب، فقهروا وهلكوا ومهزوم خبر ثانٍ للمبتدأ المقدر أو صفة لجند، وهنالك ظرف لمهزوم أو صفة أخرى لجند، وهو إشارة إلى الموضع الذي تقاولوا وتحاوروا فيه بالكلمات السابقة، وهو مكة؛ أي: سيهزمون بمكة، وهو إخبار بالغيب لأنهم انهزموا في موضع تكلموا فيه بهذه الكلمات.

وقال بعضهم: هنالك إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب؛ أي: الإجابة والمطاوعة لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك فإن هواهم الزائغ وحسدهم البالغ حملهم على أن يقولوا: أأنزل عليه الذكر من بيننا فانتدبوا له ووضعوا أنفسهم في مرتبة أن يقولوا ذلك العظيم، فإنه لاستلزامه الاعتراض على مالك الملك والملكوت لا ينبغي لأحد أن يجترىء عليه ويضع نفسه في تلك المرتبة.

والمعنى: هم كجند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون، ولا تكترث بما يهذون.

ففي إشارة إلى عجزهم وعجز آلهتهم، يعني: أن هؤلاء الكفار ليس معهم حجة ولا لأصنامهم من النفع والضر مكنة ولا في الدفع والردّ عن أنفسهم قوة.

وسمعت من فم حضرة شيخي وسندي قدس سره يقول استناد الكفار إلى الأحجار ألا ترى إلى القلاع والحصون واستناد المؤمنين إلى «لا إله إلا الله محمد رسول الله». ألا ترى أنهم لا يتحصنون بحصن سوى التوكل على الله تعالى، وهو يكفيهم كما قال تعالى: «لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي». انتهى.

﴿كذبت قبلهم﴾؛ أي: قبل قومك يا محمد، وهم: قريش.

﴿قوم نوح﴾؛ أي: كذبوا نوحاً، وقد دعاهم إلى الله وتوحيده ألف سنة إلا خمسين عاماً.

﴿وعاد﴾: قوم هود. **﴿وفرعون﴾**: موسى عليه السلام. **﴿ذو الأوتاد﴾**: جمع وتد محركة وبكسر التاء، وهو ما غرز في الأرض أو الحائط من خشب: وبالفارسية: [ميخ]؛ أي: ذو الملك الثابت، لأنه استقام له الأمر أربعمائة سنة من غير منازع وأصله أن يستعمل في ثبات الخيمة بأن يشد أطنابها على أوتاد مركوزة في الأرض، فإن أطنابها إذا اشتدت عليها كانت ثابتة فلا تلقيها الريح على الأرض ولا تؤثر فيها ثم استعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة

الأمر، بأن شبه ملك فرعون بالبيت المطنب استعارة بالكناية، وأثبت له لوازم المشبه به. وهو الثبات بالأوتاد تخييلاً. وجه تخصيص هذه الاستعارة أن أكثر بيوت العرب كانت خياماً، وثباتها بالأوتاد ويجوز أن يكون المعنى ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لأنهم يشدون البلاد، والملك ويشد بعضهم بعضاً كالوتد يشد البناء والخباء، فتكون الأوتاد استعارة تصريحية.

وفي الحديث: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»؛ أي: لا يتقوى في أمر دينه ودنياه إلا بمعونة أخيه كما أن بعض البناء يتقوى ببعضه ويكفي دليلاً على كثرة جموع فرعون أنه قال في حق بني إسرائيل إن هؤلاء لشرذمة قليلون مع أنهم كانوا ينيفون على ستمائة ألف مقاتل سوى الصغير والشيخ. ويجوز أن يكون الأوتاد حقيقة لا استعارة فإنه على ما روي كانت له أوتاد من حديد يعذب الناس عليها فكان إذا غضب على أحد مده مستلقياً بين أربعة أوتاد، وشد كل يد وكل رجل منه إلى سارية وكان كذلك في الهواء بين السماء والأرض حتى يموت، أو كان يمد الرجل مستلقياً على الأرض ثم يشد يديه ورجليه ورأسه على الأرض بالأوتاد.

يقول الفقير: هذه الرواية هي الأنسب لما ذكروه في قصة آسية امرأة فرعون في سورة التحريم من أنها لما آمنت بموسى أوتد لها فرعون بأوتاد في يديها ورجليها كما سيجيء.

﴿وثمود﴾: قوم صالح.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن قوم صالح آمنوا به، فلما مات صالح رجعوا بعده عن الإيمان فأحيى الله صالحاً وبعثه إليهم ثانياً فأعلمهم أنه صالح، فكذبوه فأتاهم بالناقة فكذبوه فعقروها فأهلكهم الله.

قال الكاشفي: [بعضى إيمان آوردند وجمعى تكذيب نمودند وبسبب عقر ناقه هلاك شدند].

﴿وقوم لوط﴾: قال مجاهد: كانوا أربعمائة ألف بيت، في كل بيت عشرة.

وقال عطاء: ما من أحد من الأنبياء إلا ويقوم معه يوم القيامة قوم من أمته، إلا لوط فإنه يقوم وحده كما في «كشف الأسرار».

﴿وأصحاب الأيكة﴾: أصحاب الغيضة من قوم شعيب بالفارسية [أهل بيشه].

قال الراغب: الأيك شجر ملتف. وأصحاب الأيكة: قيل: نسبوا إلى غيضة كانوا يسكنونها. وقيل: هي اسم بلد كما في «المفردات».

﴿أولئك الأحزاب﴾: بدل من الطوائف المذكورة، يعني المتحزبين؛ أي: المجتمعين على أنبيائهم الذين جعل الجند المهزوم، يعني: قريشاً منهم.

﴿إن كل إلا كذب الرسل﴾: استئناف جيء به تهديداً لما يعقبه؛ أي: ما كل حزب وجماعة من أولئك الأحزاب إلا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع لتدل على انقسام الآحاد بالآحاد، كما في قولك: ركب القوم دوابهم. والاستثناء: مفرغ من أعم الأحكام في حيز المبتدأ؛ أي: ما كل واحد منهم محكوماً عليه بحكم إلا محكوم عليه، بأنه كذب الرسل، ويجوز أن يكون قوله: ﴿أولئك الأحزاب﴾: مبتدأ. وقوله: ﴿إن كل إلا كذب الرسل﴾: خبره محذوف العائد؛ أي: إن كل منهم. ﴿فحق عقاب﴾؛ أي: ثبت ووقع على كل منهم عقابي الذي كانت توجبه جناياتهم من أصناف العقوبات المفصلة في مواقعها.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ۝١٥ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝١٦ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٧﴾.

﴿**وما ينظر هؤلاء**﴾: الإشارة إلى كفار مكة بهؤلاء تحقير لشأنهم وتهوين لأمرهم وما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين هم أمثال أولئك الطوائف المذكورة المهلكة في الكفر والتكذيب.

﴿**إلا صيحة واحدة**﴾: هي النفخة الثانية؛ أي: ليس بينهم وبين حلول ما أعد لهم من العقاب الفظيع إلا هي حيث أخرت عقوبتهم إلى الآخرة لما أن تعذيبهم بالاستئصال حسبما يستحقونه. والنبي عليه السلام بين أظهرهم خارج عن السنة الإلهية المبنية على الحكم الباهرة كما نطق به قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ﴾ [الأنفال: ٣٣]. ثم إن الانتظار يحتمل أن يكون حقيقة أو استهزاء فهم، وإن كانوا ليسوا بمنتظرين لأن تأتيهم الصيحة إلا أنهم جعلوا منتظرين لها تنبيهاً على قربها منهم، فإن الرجل إنما ينتظر الشيء، ويمدّ طرفه إليه مترقباً في كل آن حضوره إذا كان الشيء في غاية القرب منه.

﴿**ما لها من فواق**﴾؛ أي: ما للصيحة من توقف مقدار فواق، ففيه تقدير مضاف هو صفة لموصوف مقدر. والفواق: بالضم كغراب ويفتح كما في «القاموس» ما بين حلبتي الحالب من الوقت؛ لأن الناقة تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لإدرار اللبن ثم تحلب ثانية، يعني: إذا جاء وقت الصيحة لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ﴾ [الأعراف: ٣٤]: وهو عبارة عن الزمان اليسير.

وفي الحديث: «من اعتكف قدر فواق فكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل». وفي الحديث: «من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة».

وفي الآيتين إشارة إلى تسلية قلب النبي عليه السلام وتصفيته عن الاهتمام بكفار مكة لئلا يضيق قلبه من تكذيبهم ولا يحزن عليهم لكفرهم فإن هؤلاء الأحزاب كذبوا الرسل كما كذبه قومه وكانوا أقوياء متكثرين عدداً وقومه جنداً قليلاً من تلك المتحزبين ثم إنهم كانوا مظهر القهر وحطب نار الغضب ما أغنى عنهم جمعهم وقوتهم أبداناً وكثرتهم أسباباً، فكذا حال قريش فانتظارهم أيضاً أثر من آثار القهر الإلهي، ونار من نيران الغضب القهاري.

﴿**وقالوا**﴾: بطريق الاستهزاء والسخرية عند سماعهم بتأخير عقابهم إلى الآخرة، والقائل النضر بن الحرث بن علقمة بن كندة الخزاعي وأضرابه، وكان النضر من شياطينهم ونزل في شأنه في القرآن بضع عشرة آية وهو الذي قال: ﴿فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢].

﴿**ربنا**﴾: وتصدير دعائهم بالنداء للإمعان في الاستهزاء كأنهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال.

﴿**عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب**﴾: القط: القطعة من الشيء من قطه إذا قطعه. والمراد هنا: القسط والنصيب؛ لأنه قطعة من الشيء مفرزة.

قال الراغب: أصل القط: الشيء المقطوع عرضاً كما أن القدّ هو المقطوع طولاً. والقط: النصيب المفروض كأنه قط، وأفرز. وقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما الآية به. انتهى.

فالمعنى: عجل لنا قسطنا وحظنا من العذاب الذي توعدنا به محمد ولا تؤخره إلى يوم الحساب الذي مبدأه الصيحة المذكورة. ويقال لصحيفة الجائزة أيضاً قط؛ لأنها قطعة من القرطاس. فالمعنى: عجل لنا صحيفة أعمالنا لننظر فيها.

قال سهل بن عبد الله التستري ـ رحمه الله ـ: لا يتمنى الموت إلا ثلاثة: رجل جاهل بما بعد الموت، أو رجل يفر من أقدار الله عليه، أو مشتاق محب لقاء الله.

وفيه إشارة إلى أن النفوس الخبيثة السفلية يميل طبعها إلى السفليات، وهي في الدنيا لذائد الشهوات الحيوانية. وفي الآخرة دركات أسفل سافلين جهنم كما أن القلوب العلوية اللطيفة يميل طبعها إلى العلويات، وهي في الدنيا حلاوة الطاعة ولذاذة القربات. وفي الآخرة درجات أعلى عليين الجنات، وكما أن الأرواح القدسية تشتاق بخصوصيتها إلى شواهد الحق ومشاهدات أنوار الجمال والجلال ولكل من هؤلاء الأصناف جذبة بالخاصية جاذبة بلا اختيار كجذبة المغناطيس للحديد وميلان طبع الحديد إلى المغناطيس من غير اختيار بل باضطرار كذا في «التأويلات النجمية»: وفي «المثنوي».

ذره ذره كاندرين ارض وسماست جنس خودرا همجوكاه وكهرباست

﴿اصبر﴾: يا محمد. ﴿على ما يقولون﴾؛ أي: ما يقوله كفار قريش من المقالات الباطلة التي من جملتها قولهم في تعجيل العذاب ربنا عجل لنا إلخ. فعن قريب سينزل الله نصرك ويعطيهم سؤلهم.

قال شاه الكرماني: الصبر ثلاثة أشياء ترك الشكوى وصدق الرضا وقبول القضاء بحلاوة القلب.

قال البقلي: كان خاطر النبي عليه السلام أرق من ماء السماء بل ألطف من نور العرش والكرسي من كثرة ما ورد عليه من نور الحق فلكمال جلاله في المعرفة كان لا يحتمل مقالة المنكرين وسخرية المستهزئين، لا أنه لم يكن صابراً في مقام العبودية.

﴿واذكر﴾: من الذكر القلبي؛ أي: وتذكر.

﴿عبدنا﴾: المخصوص بعنايتنا القديمة. ﴿داود﴾: ابن إيشا من سبط يهودا بن يعقوب عليه السلام بينه وبين موسى عليه السلام خمسمائة وتسع وستون سنة. وقام بشريعة موسى وعاش مائة سنة.

﴿ذا الأيد﴾: يقال: آد يئيد أيداً مثل باع يبيع بيعاً اشتد وقوي. والأيد: القوة كما في «القاموس» والقوة الشديدة كما في «المفردات»؛ أي: ذا القوة في الدين القائم بمشاقه وتكاليفه.

وفي «الكواشي»: ويجوز أن يراد القوة في الجسد والدين. انتهى.

واعلم أنه تعالى ذكر أولاً قوة داود في أمر الدين ثم زلته بحسب القضاء الأزلي، ثم توبته بحسب العناية السابقة وأمره عليه السلام بذكر حاله وقوته في باب الطاعة ليتقوى على الصبر ولا يزل عن مقام استقامته وتمكينه كما زل قدم داود فظهرت المناسبة بين المسندين واتضح وجه عطف واذكر على اصبر.

﴿إنه أواب﴾: من الأوب، وهو الرجوع؛ أي: رجاع إلى الله ومرضاته؛ أي: عن كل ما يكره الله إلى ما يحب الله، وهو تعليل لكونه ذا الأيد. ودليل على أن المراد به القوة في أمر

الدين وما يتعلق بالعبادة لا قوة البدن؛ لأن كونه راجعاً إلى مرضاة الله لا يستلزم كونه قوي البدن. وقد روي أنه لم يكن جسيماً كسائر الأنبياء بل قصير القامة، وأكثر القوى البدنية كان فيمن زاده الله بسطة في جسمه.

«وفي التأويلات النجمية»: تشير الآية إلى كماليته في العبودية بأنه لم يكن عبد الدنيا ولا عبد الآخرة، وإنما كان عبدنا خالصاً مخلصاً وله قوة في العبودية ظاهراً وباطناً.

فأما قوته ظاهراً فبأنه قتل جالوت، وكثيراً من جنوده بثلاثة أحجار رماها عليهم وأما قوته في الباطن فلأنه كان أواباً وقد سرت أوابيته في الجبال والطير، فكانت تؤوب معه انتهى.

ومن قوة عبادة داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وذلك أشد الصوم، وكان ينام النصف الأول من الليل ويقوم النصف الأخير منه مع سياسة الملك.

وفي بعض التفاسير كان ينام النصف الأول من الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وهو الموافق لما في المشارق من قوله عليه السلام: «أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً وأحب الصلاة إلى الله»؛ أي: في النوافل: «صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه»، وإنما صار هذا النوع أحب؛ لأن النفس إذا نامت الثلثين من الليل تكون أخف وأنشط في العبادة.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿إنا سخرنا الجبال معه﴾: بيان لفضله مع داود؛ أي: ذللناها ومع متعلق بالتسخير وإيثارها على اللام لكون تسخير الجبال له عليه السلام لم يكن بطريق تفويض التصرف فيها إليه كتسخير الريح وغيرها لسليمان عليه السلام لكون سيرها معه بطريق التبعية له، فتكون مع على حالها، ويجوز أن تكون مع متعلقة بما بعدها. وهو قوله: ﴿يسبحن﴾؛ أي: حال كونها تقدس الله تعالى مع داود لم يقل مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالاً بعد حال.

قال في «كشف الأسرار»: كان داود يسمع ويفهم تسبيح الجبال على وجه تخصيصه به كرامة له ومعجزة. انتهى.

واختلفوا في كيفية التسبيح، فقيل: بصوت يتمثل له وهو بعيد. وقيل: بلسان الحال، وهو أبعد. وقيل: بخلق الله في جسم الجبل حياة وعقلاً وقدرة ونطقاً فحينئذٍ يسبح الله كما يسبح الأحياء العقلاء. وهذا لسان أهل الظاهر، وأما عند أهل الحقيقة فسر الحياة سار في جميع الموجودات حيواناً أو نباتاً أو جماداً، فالحياة في الكل حقيقة لا عارضية أو حالية أو تمثيلية لكن إنما يدركها كُمَّل المكاشفين فتسبيح الجبال مع داود على حقيقته لكن لما كان على كيفية مخصوصة وسماعه على وجه غريب خارج عن العقول كان من معجزات داود عليه السلام وكراماته. وقد سبق مراراً تحقيق هذا المقام بما لا مزيد عليه من الكلام.

﴿بالعشي﴾: في آخر النهار. ﴿والإشراق﴾: في أول النهار ووقت الإشراق هو حين تشرق الشمس؛ أي: تضيء. ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى. وأما شروقها فطلوعها. يقال: شرقت الشمس ولما تشرق.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كنت أمر بهذه الآية ولا أدري ما هي حتى حدثتني أم

هانىء بنت أبي طالب أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوم فتح مكة فدعا بوضوء فتوضأ. وفي «البخاري»: واغتسل في بيتها ثم صلى الضحى ثماني ركعات. وقال: «يا أم هانىء هذه صلاة الإشراق». ومن هنا قال بعضهم: من دخل مكة وأراد أن يصلي الضحى أول يوم اغتسل وصلاها كما فعله عليه السلام يوم فتح مكة.

وقال بعضهم: صلاة الضحى غير صلاة الإشراق كما دل عليه قوله عليه السلام: «من صلى الفجر بجماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كان له كأجر حجة وعمرة تامة تامة». وهي صلاة الإشراق كما في «شرح المصابيح» وقوله عليه السلام: «صلاة الأوابين حين ترمض الفصال من الضحى».

والمعنى: أن صلاة الضحى تصلى إذا وجد الفصيل حرّ الشمس من الرمضاء؛ أي: من الأرض التي اشتد حرها من شدة وقع الشمس عليها، فإن الرمض: شدة وقع الشمس على الرمل وغيره والفصيل الذي يفصل ويفطم عن الرضاع من الإبل وخص الفصال هنا بالذكر؛ لأنها التي ترمض لرقة جلد رجلها.

وفيه إشارة إلى مدحهم بصلاة الضحى في الوقت الموصوف؛ لأن الحر إذا اشتد عند ارتفاع الشمس تميل النفوس إلى الاستراحة، فيرد على قلوب الأوابين المستأنسين بذكر الله تعالى أن ينقطعوا عن كل مطلوب سواه. يقول الفقير: يمكن التوفيق بين الروايتين بوجهين:

الأول: يحتمل أن يكون الإشراق من أشرق القول إذا دخلوا في الشروق؛ أي: الطلوع، فلا يدل على الضحى الذي هو الوقت المتوسط بين طلوع الشمس وزوالها.

والثاني: أن أول وقت صلاة الإشراق هو أن ترتفع الشمس قدر رمح وآخر وقتها هو أول وقت صلاة الضحى فصلاة الضحى في الغداة بإزاء صلاة العصر في العشي، فلا ينبغي أن تصلى حتى تبيض الشمس طالعة ويرتفع كدرها بالكلية وتشرق بنورها كما يصلى العصر إذا اصفرت الشمس. فقوله عليه السلام: «هذه صلاة الإشراق»، إما بمعنى: أنها إشراق بالنسبة إلى آخر وقتها، وإما بمعنى: أنها ضحى باعتبار أول وقتها.

قال الشيخ عبد الرحمٰن البسطامي ـ قدس سره ـ في «ترويح القلوب» يصلي أربع ركعات بنية صلاة الإشراق فقد وردت السنة يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة سورة والشمس وضحاها. وفي الثانية: والليل إذا يغشى، وفي الثالثة: والضحى. وفي الرابعة: ألم نشرح لك. ثم إذا حان وقت صلاة الضحى، وهو إذا انتصف الوقت من صلاة الصبح إلى الظهر يصلي صلاة الضحى.

وأقلّ صلاة الضحى: ركعتان أو أربع ركعات أو أكثر إلى ثنتي عشرة ركعة ولم ينقل أزيد منها بثلاث تسليمات وإن شئت بست تسليمات ورد في فضلها أخبار كثيرة من صلاها ركعتين، فقد أدى ما عليه من شكر الأعضاء لأن الصلاة عمل بجميع الأعضاء التي في البدن، ومن صلاها ثنتي عشرة ركعة بني له قصر من ذهب في الجنة وللجنة باب يقال له: الضحى. فإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الذين كانوا يدومون على صلاة الضحى هذا بابكم، فادخلوه برحمة الله عزّ وجلّ.

﴿والطير﴾: عطف على الجبال. جمع طائر كركب وراكب، وهو كل ذي جناح يسبح في الهواء.

﴿محشورة﴾: حال من الطير، والعامل سخرنا؛ أي: وسخرنا الطير حال كونها محشورة مجموعة إليه من كل جانب وناحية: وبالفارسية: [جمع كرده شد نزد وى وصف زده بالاى سروى]. وكانت الملائكة تحشر إليه ما امتنع عليه منها كما في «كشف الأسرار» عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت. وذلك حشرها وإنما لم يراع المطابقة بين الحالين، بأن يقال: يحشرن؛ لأن الحشر جملة أدل على القدرة منه متدرجاً كما يفهم من لفظ المضارع.

﴿كل﴾؛ أي: كل واحد من الجبال والطير ﴿له﴾؛ أي: لأجل داود لأجل تسبيحه، فهو على حذف المضاف.

﴿أواب﴾: رجاع إلى التسبيح إذا سبح سبحت الجبال والطير معه: وبالفارسية: [بازكرداننده أواز خود باوى بتسبيح]. ووضع الأواب موضع المسبح؛ لأنها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع؛ لأنه يرجع إلى فعله رجوعاً بعد رجوع. والفرق بينه وبين ما قبله وهو يسبحن. أن يسبحن يدل على الموافقة في التسبيح. وهذا يدل على المداومة عليها.

وقيل: الضمير لله؛ أي: كل من داود والجبال والطير لله أواب؛ أي: مسبح مرجع لله. التسبيح والترجيع بالفارسية [نغمت كردانيدن] ـ روي ـ أن الله تعالى لم يعط أحداً من خلقه ما أعطي داود من حسن الصوت، فلما وصل إلى الجبال ألحان داود تحركت من لذة السماع فوافقته في الذكر والتسبيح ولما سمعت الطيور نغماته صفرت بصفير التنزيه والتقديس ولما أصغت الوحوش إلى صوته ودنت منه حتى كانت تؤخذ بأعناقها فقبل الكل فيض المعرفة والحالة بحسب الاستعداد ألا ترى إلى الهدهد والبلبل والقمرى والحمامة ونحوها.

دانى جه كفت مرا آن بلبل سحرى   توخو دجه آدمى كزعشق بيخبرى
اشتر بشعر عرب در حالتست وطرب   كر ذوق نيست تراكز طبع جانورى

فالتأثر والحركة والبكاء ونحوها ليست من خواص الإنسان فقط بل إذا نظرت بنظر الحقيقة وجدتها في الحيوانات بل في الجمادات أيضاً لكونها أحياء بالحياة الحقيقية كما أشير إليه فيما سبق.

قال الكاشفي: [يكى أزاوليا سنكى راديدكه جون قطرات باران آب ازوميجكد ساعتى توقف كرد بتأمل دران نكريست سنك باوى بسخن در آمدكه اي ولى خدا جندين سالست كه خداى تعالى مرا آفريده وازبيم سياست اواشك حسرت ميريزم آن ولى مناجات كردكه خدايا اين سنك را ايمن كردان دعاى اوباجابت بيوسته مزده امان بدان سنك رسيد آن ولى بعذار مدتى ديكر باره هما نجا رسيد وآن سنك راديدكه ازنوبت أول بيشتر قطرها ميريخت فرمودكه اى سنك جون ايمن شدى اين كريه ازجيست جواب دادكه اول مى كريستم از خوف عقوبت وحالا ميكريم ازشادى امن وسلامت].

ازسنك كريه بين ومكو آن ترشحست   دركوه ناله بين ومبندار كان صداست

قال بعض كبار المكاشفين: سبحت الجبال وكذا الطير لتسبيح داود ليكون له عملها، لأن تسبيحها لما كان لتسبيحه منتشأ منه لا جرم يكون ثوابه عائداً إليه لا إليها لعدم استحقاقها لذلك بخلاف الإنسان فإنه إذا وافقه إنسان آخر في ذكره وتسبيحه، أو عمل بقوله يكون له مثل ثواب ذكره وتسبيحه لإحيائه وإيقاظه فهو صيده، وأحق به، وإنما كان يسبح الجبال والطير

لتسبيحه، لأنه لما قوي توجهه عليه السلام بروحه إلى معنى التسبيح والتحميد سرى ذلك إلى أعضائه وقواه؛ فإنها مظاهر روحه ومنها إلى الجبال والطير فإنها صور أعضائه وقواه في الخارج، فلا جرم يسبحن لتسبيحه وتعود فائدة تسبيحها إليه وخاصية العشي والإشراق أن فيهما زيادة ظهور أنوار قدرته وآثار بركة عظمته، وأن وقت الضحى وقت صحو أهل السكر من خمار شهود المقامات المحمودة، وأن العشي وقت إقبال المصلين إلى المناجاة وعرض الحاجات.

﴿وشددنا ملكه﴾: قوينا ملكه بالهيبة والنصرة ونحوهما.

قال الكاشفي: [ومحكم كرديم بادشاهى ويرا بدعاى مظلومان. يابو زراى نصيحت كنندكان. يابكوتاه كردن ظلم ازرعيت. يابا لقاى رعب وى دردل اعادى. يابيافتن زره وساختن آلات حرب، يابه بسيارى لشكر. يابكثرت باسبانان جه هرشب سى وشش هزار مردباس خانه وى ميداشتند].

وقيل: كان أربعون ألف لابسي درع يحرسونه، فإذا أصبح قيل: ارجعوا فقد رضي عنكم نبي الله وكان نبينا عليه السلام يحرس أيضاً إلى نزول قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. ومن ذلك أخذ السلاطين الحرس في السفر والحضر فلا يزالون يحرسونهم في الليالي ولهم أجر في ذلك.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ادعى رجل على آخر بقرة وعجز عن إقامة البينة فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: أن اقتل المدعى عليه فأعلم الرجل فقال: صدقت يا نبي الله، إن الله لم يأخذني بهذا الذنب. ولكن بأني قتلت أبا هذا غيلة، فقتله فقال الناس: إن أذنب أحد ذنباً أظهره الله عليه فقتله فهابوه، وعظمت هيبته في القلوب.

والغيلة: بالكسر هو أن يخدع شخصاً فيذهب به إلى موضع فإذا صار إليه قتله.

﴿وآتيناه الحكمة﴾؛ أي: العلم بالأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاه إن كان متعلقاً بكيفية العمل.

واعلم أن الحكمة نوعان:

أحدهما: الحكمة المنطوق بها وهي علم الشريعة والطريقة.

والثاني: الحكمة المسكوت عنها وهي أسرار الحقيقة التي لا يطلع عليها عوام العلماء على ما ينبغي فيضرهم أو يهلكهم. كما روي أن رسول الله ﷺ كان يجتاز في بعض سكك المدينة مع أصحابه فأقسمت عليه امرأة أن يدخلوا منزلها، فدخلوا فرأوا ناراً موقدة وأولاد المرأة يلعبون حولها، فقالت: يا نبي الله أرحم بعباده أم أنا بأولادي، فقال عليه السلام: «بل الله أرحم فإنه أرحم الراحمين». فقالت: يا رسول الله أتراني أحب أن ألقي ولدي في النار فقال: «لا». فقالت: فكيف يلقي الله عبيده فيها، وهو أرحم بهم.

قال الراوي: فبكى رسول الله ﷺ، فقال: «هكذا أوحي إلي».

﴿وفصل الخطاب﴾: لبيان تلك الحكمة على الوجه المفهم كما في «شرح الفصوص» للمولى الجامي رحمه الله، فيكون بمعنى الخطاب الفاصل؛ أي: المميز والمبين، أو الخطاب المفصول؛ أي: الكلام الملخص الذي ينبه المخاطب على المرام من غير التباس.

وفي «شرح الجندي»: يعني الإفصاح بحقيقة الأمر وقطع القضايا والأحكام باليقين من غير ارتياب، ولا شك ولا توقف، فيكون بمعنى فصل الخصام بتمييز الحق من الباطل،

فالفصل على حقيقته، وأريد بالخطاب المخاصمة لاشتمالها عليه.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وشددنا ملكه﴾: في الظاهر بأن جعلناه أشد ملوك الأرض ﴿و﴾ في الباطن بأن ﴿آتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾. والحكمة: هي أنواع المعارف من المواهب وفصل الخطاب بيان تلك المعارف بأدل دليل وأقل قليل. انتهى. وإنما سمي به. أما بعد، لأنه يفصل المقصود عما سبق تمهيداً له من الحمد والصلاة.

وقال زياد: أول من قال في كلامه أما بعد داود عليه السلام، فهو فصل الخطاب ورد بأنه لم يثبت عنه أنه تكلم بغير لغته. وأما بعد لفظة عربية وفصل الخطاب الذي أوتيه داود هو فصل الخصومة كما في «إنسان العيون».

اللهم إلا أن يقال إن صح هذا القول لم يكن ذلك بالعربية على هذا النظم وإنما كان بلسانه عليه السلام.

وقال عليّ ـ رضي الله عنه ـ: فصل الخطاب أن يطلب البينة من المدعي ويكلف اليمين من أنكر، لأن كلام الخصوم لا ينقطع ولا ينفصل إلا بهذا الحكم.

قالوا: كان قبل ذلك قد علق الله سلسلة من السماء وأمره بأن يقضي بها بين الناس، فمن كان على الحق يأخذ السلسلة وتصل يده إليها. ومن كان ظالماً لا يقدر على أخذ السلسلة فاتفق أن رجلاً غصب من رجل آخر لؤلؤاً فجعل اللؤلؤ في جوف عصاه ثم خاصم المدعي إلى داود عليه السلام فقال: إن هذا قد أخذ لؤلؤاً وإني صادق في مقالتي، فجاء وأخذ السلسلة ثم قال المدعى عليه: خذ مني العصا، فأخذ عصاه فقال: إني دفعت اللؤلؤ إليه وإني صادق في مقالتي فجاء وأخذ السلسلة، فتحير داود في ذلك ورفعت السلسلة وأمر عليه السلام بأن يقضي بالبينات والإيمان فذلك قوله: ﴿وآتيناه الحكمة﴾، يعني: العلم والفهم وفصل الخطاب يعني القضاء بالبينات والإيمان على الطالبين والمدعى عليهم كذا في «تفسير الإمام أبي الليث» رحمه الله. وكان الحكم في شرعنا أيضاً بذلك؛ لأنه أسدّ الطرق وأحسن الوسائل في كل مسألة من المسائل لكل سائل.

﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾: استفهام معناه التعجب والتشويق إلى استماع ما في حيزه للإيذان بأنه من الأخبار البديعة التي حقها أن لا تخفى على أحد. والنبأ: الخبر العظيم والخصم بمعنى المخاصم وأصل المخاصمة أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر بالضم؛ أي: جانبه ولما كان الخصم في الأصل مصدراً متساوياً أفراده وجمعه، أطلق على الجمع في قوله تعالى: ﴿إذ تسوروا المحراب﴾. يقال: تسور المكان إذا علا سوره وسور المدينة حائطها المشتمل عليها. وقد يطلق على حائط مرتفع وهو المراد هنا.

والمراد من المحراب البيت الذي كان داود عليه السلام يدخل فيه ويشتغل بطاعة ربه.

قيل: كان ذلك البيت غرفة وسمي ذلك البيت محراباً لاشتماله على المحراب على طريقة تسمية الشيء بأشرف أجزائه وإذ متعلقة بمحذوف، وهو التحاكم؛ أي: نبأ تحاكم الخصم إذ

تسوروا المحراب؛ أي: تصعدوا سور الغرفة ونزلوا إليه. والمراد بالخصم المتسورين: جبرائيل وميكائيل بمن معهما من الملائكة على صورة المدعي والمدعى عليه، والشهود والمزكين من بني آدم.

﴿**إذ دخلوا على داود**﴾ : بدل مما قبله. ﴿**ففزع منهم**﴾ : الفزع انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف وهو من جنس الجزع، ولا يقال: فزعت من الله كما يقال خفت منه وإنما فزع منهم، لأنه كان الباب مغلقاً وهو يتعبد في البيت فنزلوا عليه بغتة من فوق؛ أي: من غير الباب على خلاف العادة.

وفيه إشارة إلى كمال ضعف البشرية مع أنه كان أقوى الأقوياء إذ فزع منهم، ولعل فزع داود كان لاطلاع روحه على أنه تنبيه له وعتاب فيما سلف منه كما سيأتي فلما رأوه فزعاً ﴿**قالوا**﴾ : إزالة لفزعه ﴿**لا تخف**﴾ منا.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه لا تخف من صورة أحوالنا، فإنا جئنا لتحكم بيننا بالحق ولكن خف من حقيقة أحوالنا، فإنها كشف أحوالك التي جرت بينك وبين خصمك أوريا ﴿**خصمان**﴾ ؛ أي: نحن فريقان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصماً تجوزاً.

والحاصل أنه أطلق لفظ الخصم فيما سبق على الجمع بدليل تسوروا ثم ثنى بتأويل الفريق، وهم وإن لم يكونوا فريقين بل شخصين اثنين بدليل ﴿**إن هذا أخي**﴾ الآية لكن جعل مصاحب الخصم خصماً فكانا بمن معهما فريقين من الخصوم، فحصل الانطباق بين صيغة التثنية في قوله خصمان وبين ما مر من إرادة الجمع.

﴿**بغى**﴾ : [ستم وجور كرد]. ﴿**بعضنا على بعض**﴾ : هو على الفرض وقصد التعريض بداود لا على تحقيق البغي من أحدهما، فلا يلزم الكذب إذ الملائكة منزهون عنه، فلا يحتاج إلى ما قيل إن المتخاصمين كانا لصين دخلا عليه للسرقة، فلما رآهما اخترعا الدعوى كما في «شرح المقاصد».

﴿**فاحكم بيننا بالحق**﴾ : بالعدل: وبالفارسية: [بس حكم كن درميان ما براستى]. ﴿**ولا تشطط**﴾ : [الإشطاط: بيدا كردن واز حد در كذشتن] من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق.

والمعنى: لا تجر في الحكومة وهو تأكيد للأمر بالحكم بالحق والمقصود من الأمر والنهي الاستعطاف. ﴿**واهدنا إلى سواء الصراط**﴾ إلى وسط طريق الحق بزجر الباغي عما سلكه من طريق الجور وإرشاده إلى منهاج العدل.

﴿**إن هذا**﴾ : استئناف لبيان ما فيه الخصومة ﴿**أخي**﴾ في الدين أو في الصحبة والتعرض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه.

﴿**له تسع وتسعون نعجة ولي**﴾ : قرأ حفص عن عاصم ولي بفتح الياء والباقون بإسكانها على الأصل. ﴿**نعجة واحدة**﴾ : النعجة هي الأنثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض أبلغ في المقصود وهو: التوبيخ فإن حصول العلم بالمعرض به يحتاج إلى تأمل فإذا تأمله واتضح قبحه كان ذلك أوقع في نفسه وأجلب لخجالته وحيائه. ﴿**فقال أكفلنيها**﴾ : أي ملكنيها وحقيقته: اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي. والكافل: هو الذي يعولها وينفق عليها.

﴿وعزني في الخطاب﴾؛ أي: غلبني في مخاطبته إياي محاجة بأن جاء بحجاج لم أقدر على رده.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان أعز مني وأقوى على مخاطبتي؛ لأنه كان الملك، فالمعنى: كان أقدر على الخطاب لعزة ملكه كما في «الوسيط».

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (٢٤)﴾

﴿قال﴾: داود بعد اعتراف المدعى عليه أو على تقدير صدق المدعي وإلا فالمسارعة إلى تصديق أحد الخصمين قبل سماع كلام الآخر لا وجه له في الحديث: «إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض لأحدهما حتى تسمع من الآخر».

﴿لقد ظلمك﴾: جواب قسم محذوف قصد به عليه السلام المبالغة في إنكار فعل صاحبه وتهجن طعمه في نعجة من ليس له غيرها مع أن له قطيعاً منها. ﴿بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾: السؤال مصدر مضاف إلى مفعوله وتعديته إلى مفعول آخر بإلى لتضمنه معنى الإضافة والضم كأنه قيل بضم نعجتك إلى نعاجه على وجه السؤال والطلب.

وفي هذا إشارة إلى أن الظلم في الحقيقة من شيم النفوس، فإن وجدت ذا عفة، فالعلة كما قال يوسف: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾ [يوسف: ٥٣] الآية. فالنفوس جبلت على الظلم والبغي وسائر الصفات الذميمة ولو كانت نفوس الأنبياء عليهم السلام كذا، في «التأويلات النجمية».

يقول الفقير: هذا بالنسبة إلى أصل النفوس وحقيقتها وإلا فنفوس الأنبياء مطمئنة لا أمارة إذ لم يظهر فيهم إلا آثار المطمئنة وهي أول مراتب سلوكهم. وقد إشار الشيخ إلى الجواب بقوله، فإن وجدت الخ. فاعرف ذلك، فإنه من مزالق الأقدام وقد سبق التحقيق فيه في سورة «يوسف».

ثم قال داود عليه السلام حملاً للنعجة على حقيقتها لا على كونها مستعارة للمرأة.

﴿وإن كثيراً من الخلطاء﴾؛ أي: الشركاء الذين خلطوا أموالهم. جمع: خليط، كظريف. والخلطة: الشركة، وقد غلبت في الماشية.

﴿ليبغي بعضهم على بعض﴾؛ أي: ليتعدى غير مراعي لحق الصحبة والشركة: يعني: [ازحق خودزياده مى طلبند].

﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾: منهم فإنهم يجتنبون عن البغي والعدوان.

﴿وقليل ما هم﴾: وهم قليل فهم: مبتدأ وقليل خبره. قدم عليه للاهتمام به وإنما أفرد تشبيهاً بفعيل بمعنى مفعول وما مزيدة لتأكيد القلة أو للإبهام، أو التعجب من قلة الموصوفين بالإيمان وصالح العمل.

﴿وظن داود أنما فتناه﴾: الظن مستعار للعلم الاستدلالي لما بينهما من المشابهة. يعني: أن الظن الغالب لما كان يقارب العلم استعير له فالظن يقين لكنه ليس بيقين عيان، فلا يقال فيه إلا العلم. وما في إنما كافة. **والمعنى**: وعلم داود بما جرى في مجلس الحكومة أنما فعلنا به الفتنة والامتحان لا غير، بتوجيه الحصر إلى نفس الفعل بالقياس إلى ما يغايره من الأفعال.

﴿فاستغفر ربه﴾: إثر ما علم أن ما صدر عنه ذنب كما استغفر آدم عليه السلام بقوله ربنا

ظلمنا أنفسنا إلخ وموسى عليه السلام بقوله: تبت إليك وغيرهما من الأنبياء الكرام على ما بين في موضعه.

﴿وخر﴾: سقط حال كونه ﴿راكعاً﴾؛ أي: ساجداً على تسمية السجود ركوعاً لأنه مبدأه؛ لأنه لا يكون ساجداً حتى يركع وفي كل من الركوع والسجود التحني والخضوع. وبه استشهد أبو حنيفة وأصحابه في سجدة التلاوة على أن الركوع يقوم مقام السجود أو خرّ للسجود راكعاً؛ أي: مصلياً إطلاقاً للجزء، وإرادة الكل كأنه أحرم بركعتي الاستغفار والدليل على الأول؛ أي: على أن الركوع هاهنا بمعنى السجود ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه السلام كان يقول في سجدة ﴿ص﴾ وسجدة الشكر: «اللهم اكتب لي عندك بها أجراً، واجعلها لي عندك ذخراً وضع عني بها وزراً، واقبلها مني كما قبلت من عبدك داود سجدته».

﴿وأناب﴾؛ أي: رجوع إلى الله بالتوبة من جميع المخالفات التي هي الزلات وما كان من قبيل ترك الأولى والأفضل لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه السلام سجد في ﴿ص﴾ وقال: «سجدها داود توبة ونسجدها شكراً». وهذه السجدة من عزائم السجود عند أبي حنيفة ومالك رحمهما الله وكل منهما على أصله، فأبو حنيفة يقول: هي واجبة. ومالك: هي فضيلة عند الشافعي وأحمد سجدة شكر تستحب في غير الصلاة فلو سجد بها في الصلاة بطلت عندهما كما في فتح الرحمٰن. وقال الكاشفي: [اين سجده نزد امام اعظم سجدة عزيمت است وميكويد بتلاوت وى سجده بايد كرد در نماز وغير نماز ونزد امام شافعي از عزائم نيست واز امام احمد درين سجده دو روايتست واين سجده دهم است بقول امام اعظم. ودر فتوحات مكيه اين را سجده انابت كفته وفر موده كه].

يقال لها: سجدة الشكر في حضرة الأنوار؛ لأن داود سجدها شكراً.

﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿فغفرنا له ذلك﴾؛ أي: ما استغفر منه، وكان ذلك في شهر ذي الحجة كما في «بحر العلوم»، وروي، أنه عليه السلام بقي في سجوده أربعين يوماً وليلة لا يرفع رأسه لصلاة مكتوبة أو لما لا بدّ منه، ولا يرقأ دمعه حتى نبت منه العشب حول رأسه ولم يشرب ماء إلا ثلثاه دمع وجهد نفسه راغباً إلى الله في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له: إيشا على ملكه فاجتمع إليه أهل الزيغ من بني إسرائيل، فلما نزلت توبته بعد الأربعين وغفر له حاربه فهزمه. وقد قال نبينا عليه السلام: «إذا بويع لخليفتين»؛ أي: لأحدهما أولاً وللآخر بعده: «فاقتلوا الآخر منهما»، لأنه كالباغي هذا إذا لم يندفع إلا بقتله.

﴿وإن له﴾؛ أي: داود ﴿عندنا لزلفى﴾: لقربة وكرامة بعد المنفرة كما وقع لآدم عليه السلام. والزلفى: القربة والإزلاف: التقريب. والازدلاف: الاقتراب ومنه سميت المزدلفة لقربها من الموقف.

وعن مالك بن دينار في قوله: ﴿وإن له﴾ الخ. يقول الله تعالى لداود عليه السلام وهو قائم بساق العرش يا داود مجدني بذلك الصوت الرخيم اللين، فيقول: كيف وقد سلبتنيه في الدنيا فيقول: إني أرده عليك فيرفع داود صوته بالزبور، فيستفرغ نعيم أهل الجنة كما في «الوسيط».

﴿وحسن مآب﴾: حسن مرجع في الجنة.

وفي «كشف الأسرار»: هو الجنة يعني الجنة هي مآب الأنبياء والأولياء.

وأصل هذه القصة

أن داود عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له: أوريا بن حنانا، ويقال لها: بنشاوع أو بنشاويع بنت شايع، فمال قلبه إليها وابتلي بعشقها وحبها من غير اختيار منه كما ابتلي نبينا عليه السلام بزينب رضي الله عنها لما رآها يوماً حتى قال: يا مقلب القلوب فسأله داود أن يطلقها فاستحى أن يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان عليه السلام، وكان ذلك جائزاً في شريعته معتاداً فيما بين أمته غير مخل بالمروءة حيث كان يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل عن امرأته، فيتزوجها إذا أعجبته خلا أنه عليه السلام لعظم منزلته وارتفاع مرتبته، وعلو شأنه نبه بالتمثيل على أنه لم يكن ينبغي له أن يتعاطى ما يتعاطاه آحاد أمته، ويسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة أن ينزل عنها، فيتزوجها مع كثرة نسائه، بل كان يجب عليه أن يصبر على ما امتحن به، كما صبر نبينا عليه السلام حتى كان طالب الطلاق هو زوج زينب، وهو زيد المذكور في سورة الأحزاب لا هو عليه السلام؛ أي: لم يكن هو عليه السلام طالب الطلاق.

قال البقلي: عشق داود عليه السلام لعروس من عرائس الحق حين تجلى الحق منها له؛ فإنه كان عاشق الحق فسلاه بواسطة من وسائطه. وهذه القصة تسلية لقلب نبينا عليه الصلاة السلام، حيث أوقع الله في قلبه محبة زينب، فضاق صدره، فقال سبحانه: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ [الإسراء: ٧٧]، وفرح بذلك وزاد له محبة الله والشوق إلى لقائه.

قال أبو سعيد الخراز ـ قدس سره ـ زلات الأنبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلفى ألا تَرى إلى قصة داود حين أحس بأوائل أمره كيف استغفر وتضرع ورجع، فكان له بذلك عنده زلفى وحسن مآب صدق أبو سعيد فيما قال؛ لأن بلاء الأنبياء والأولياء لا ينقص اصطفائيتهم بل يزيدهم شرفاً على شرفهم، وذلك لأن مقام الخلافة مظهر الجمال والجلال، فيتحقق بتجليات الجلال بالافتتان والابتلاء. وفي ذلك ترق له كما قال في «التأويلات النجمية»: إن من شأن النبي والولي أن يحكم كل واحد منهم بين الخصوم بالحق كما ورد الشرع به بتوفيق الله وأن الواجب عليهم أن يحكموا على أنفسهم بالحق كما يحكمون على غيرهم كما قال تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥]. فلما تنبه داود أنه ما حكم على نفسه بالحق كما حكم على غيره استغفر ورجع إلى ربه متضرعاً خاشعاً باكياً بقية العمر معتذراً عما جرى عليه، فتقبل الله منه ورحم عليه وعفا عنه كما قال: ﴿فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى﴾؛ أي: لقربة بكل تضرع وخضوع وخشوع وبكاء وأنين وحنين وتأوه صدر منه ﴿و﴾ له بهذه المراجعات ﴿حسن مآب﴾ عندنا. انتهى.

وفي الحديث: «أوحى الله تعالى إلى داود يا داود قل للعاصين أن يسمعوني ضجيج

أصواتهم، فإني أحب أن أسمع ضجيج العاصين إذا تابوا إليّ يا داود، لن يتضرع المتضرعون إلى من هو أكرم مني ولا يسأل السائلون أعظم مني جوداً، وما من عبد يطيعني إلا وأنا معطيه قبل أن يسألني ومستجيب له، قبل أن يدعوني وغافر له قبل أن يستغفرني».

وقد أنكر القاضي عياض ما نقله المؤرخون والمفسرون في هذه القصة، وهي قولهم فيها. ونقل عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم: أنهما قالا ما زاد داود على أن قال للرجل: انزل لي عن امرأتك وأكفلنيها، فعاتبه الله على ذلك ونبه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا. قال: وهذا هو الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره ـ وحكى ـ بعضهم أن أوريا كان خطب تلك المرأة: يعني [أوريا آن زن را خطبه كره بود أورا بخواسته واز قوم وي أجابت يافته ودل بروى نهاده «فأما عقد نكاح» هنوز نرفته بود «فلما غاب أوريا» يعني بغزا رفت].

وكان من غزاة البلقاء ثم خطبها داود فزوجت منه لجلال قدره، فاغتم لذلك أوريا، فعاتبه الله على ذلك، فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المسلم مع عدم احتياجه؛ لأنه كانت تحت نكاحه وقتئذٍ تسع وتسعون امرأة، ولم يكن لأوريا غير من خطبها.

يقول الفقير: دلّ نظم القرآن على الرواية فقوله: ﴿أكفلنيها﴾ دلّ على أنها كانت تحت نكاح أوريا. وأيضاً دل لفظ: ﴿الخصم﴾ على أن أوريا بصدد الخصام، ولا يكون بهذا الصدد إلا بكونها تحت نكاحه مطلوبة منه بغير حسن رضاه وصفاء قلبه ومجرد جواز استنزال الرجل عن امرأته في شريعتهم لا يستلزم جواز الجبر، فلما طلقها أوريا استحياء من داود بقيت الخصومة بينه وبين داود إذ كان كالجبر كما دلّ: ﴿وعزني في الخطاب﴾، فكان السائل العزيز الغالب فهاتان الروايتان أصح ما ينقل في هذه القصة، فإنهم وإن أكثروا القول فيها لكن الأنبياء منزهون عما يشين بكمالهم أو لا يزين بجمالهم خصوصاً عما يقوله القصاص من حديث قتل أوريا وسببية داود في ذلك بتزوج امرأته. ولذلك قال علي ـ رضي الله عنه ـ: من حدّث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين، وذلك حدّ الفرية على الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي «الفتوحات المكية» في الباب السابع والخمسين بعد المائة: ينبغي للواعظ أن يراغب الله في وعظه ويجتنب عن كل ما فيه تجر على انتهاك الحرمات مما ذكره المؤرخون عن اليهود من ذكر زلات الأنبياء كداود ويوسف عليهما السلام مع كون الحق أثنى عليهم واصطفاهم، ثم الداهية العظمى أن يجعل ذلك في تفسير القرآن. ويقول: قال المفسرون: كذا وكذا مع كون ذلك كله تأويلات فاسدة بأسانيد واهية عن قوم غضب الله عليهم، وقالوا في الله ما قصه الله علينا في كتابه، وكل واعظ ذكر ذلك في مجلسه مقته الله وملائكته لكونه ذكر لمن في قلبه مرض من العصاة حجة يحتجّ بها. ويقول: إذا كان مثل الأنبياء وقع في مثل ذلك، فأي شيء أنا فعلم أن الواجب على الواعظ ذكر الله وما فيه تعظيمه وتعظيم رسله وعلماء أمته وترغيب الناس في الجنة وتحذيرهم من النار وأهوال الموقف بين يدي الله تعالى، فيكون مجلسه كله رحمة. انتهى كلام «الفتوحات» على صاحبه أعلى التجليات.

قال الشيخ الشعراني قدس سره في «الكبريت الأحمر»: وكذلك لا ينبغي له أن يحقق المناط في نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ولا نحو قوله: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. وقوله:

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]. فإن العامة إذا سمعوا مثل ذلك استهانوا بالصحابة ثم احتجوا بأفعالهم. انتهى كلامه.

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله: يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين رضي الله عنه وحكاية ما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم، فإنه يهيج بغض الصحابة والطعن فيهم وهم أعلام الدين، وما وقع بينهم من المنازعات، فيحمل على محامل صحيحة، فلعل ذلك الخطأ في الاجتهاد لا لطلب الرياسة أو الدنيا، كما لا يخفى. انتهى.

والحاصل: أن معاصي الخواص ليست كمعاصي غيرهم بأن يقعوا فيها بحكم الشهوة الطبيعية، وإنما تكون معاصيهم بالخطأ في التأويل، فإذا أظهر الله لهم فساد ذلك التأويل الذي أداهم إلى ذلك الفعل حكموا على أنفسهم بالعصيان، وتابوا ورجعوا إلى حكم العزيز المنان.

﴿**يا داود**﴾؛ أي: فغفرنا له ذلك وقلنا له: يا داود ﴿**إنا جعلناك خليفة في الأرض**﴾.
الخلافة: النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض إذ الوجوه الأول محال في حق الله تعالى فالخليفة عبارة عن الملك النافذ الحكم، وهو من كان طريقته وحكومته على طريقة النبي وحكومته والسلطان أعم، والخلافة في خصوص مرتبة الإمامة أيضاً أعمّ.

والمعنى: استخلفناك على الملك في الأرض والحكم فيما بين أهلها؛ أي: جعلناك أهل تصرف نافذ الحكم في الأرض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها. وكان النبوة قبل داود في سبطه والملك في سبط آخر فأعطاهما تعالى داود عليه السلام، فكان يدبر أمر العباد بأمره تعالى.

وفيه دليل بيّن على أن حاله عليه السلام بعد التوبة كما كان قبلها لم يتغير قط، بل زادت اصطفائيته كما قال في حق آدم عليه السلام: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١٢٢].

قال بعض كبراء المكاشفين: ثم المكانة الكبرى والمكانة الزلفى التي خصه الله بها التنصيص على خلافته، ولم يفعل ذلك مع أحد من أبناء جنسه وهم الأنبياء وإن كان فيهم خلفاء.

فإن قلت: آدم عليه السلام قد نص الله على خلافته، فليس داود مخصوصاً بالتنصيص على خلافته.

قلنا: ما نص على خلافة آدم مثل التنصيص على خلافة داود وإنما قال للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة فيحتمل أن يكون الخليفة الذي أراده الله غير آدم بأن يكون بعض أولاده، ولو قال أيضاً: إني جاعل آدم لم يكن مثل قوله: إنا جعلناك خليفة بضمير الخطاب في حق داود، فإن هذا محقق ليس فيه احتمال غير المقصود.

قال بعضهم: تجبرت الملائكة على آدم، فجعله الله خليفة وتجبر طالوت على داود فجعله خليفة وتجبرت الأنصار على أبي بكر رضي الله عنه، فجعله خليفة، فلذا جعل الله الخلفاء ثلاثة: آدم وداود وأبا بكر.

وكان مدة ملك داود أربعين سنة مما وهبه الخليفة الأول من عمره، فإن آدم وهب لداود من عمره ستين سنة، فلذا كان خليفة في الأرض كما كان آدم خليفة فيها.

وفي الآية إشارة إلى معان مختلفة:

منها: أن الخلافة الحقيقية ليست بمكتسبة للإنسان وإنما هي عطاء وفضل من الله يؤتيه من يشاء كما قال تعالى: ﴿**إنا جعلناك خليفة**﴾؛ أي: أعطيناك الخلافة.

ومنها: أن استعداد الخلافة مخصوص بالإنسان كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

ومنها: أن الإنسان وإن خلق مستعداً للخلافة، ولكن بالقوة فلا يبلغ درجاتها بالفعل إلا الشواذ منهم.

ومنها: أن الجعلية تتعلق بعالم المعنى، كما أن الخلقية تتعلق بعالم الصورة ولهذا لما أخبر الله تعالى عن صورة آدم عليه السلام قال: ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ [ص: ٧١]. ولما أخبر عن معناه قال: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

ومنها: أن الروح الإنساني هو الفيض الأول، وهو أول شيء تعلق به أمركن ولهذا نسبه إلى أمره، فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]، فلما كان الروح هو الفيض الأول كان خليفة الله.

ومنها: أن الروح الإنساني خليفة الله بذاته وصفاته أما بذاته، فلأنه كان له وجود من جود وجوده بلا واسطة، فوجوده كان خليفة وجود الله. وأما بصفاته، فلأنه كان له صفات من جود صفات الله بلا واسطة، فكل وجود وصفات تكون بعد وجود الخليفة يكون خليفة، خليفة الله بالذات والصفات وهلم جراً إلى أن يكون القالب الإنساني هو أسفل سافلين الموجودات وآخر شيء لقبول الفيض الإلهي، وأقل حظ من الخلافة، فلما أراد الله أن يجعل الإنسان خليفة خليفته في الأرض خلق لخليفة روحه منزلاً صالحاً لنزول الخليفة فيه، وهو قالبه وأعدّ له عرشاً فيه ليكون محل استوائه عليه، وهو القلب ونصب له خادماً وهو النفس، فلو بقي الإنسان على فطرة الله التي فطر الناس عليها يكون روحه مستفيضاً من الحق تعالى فائضاً بخلافة الحق تعالى على عرش القلب والقلب فائض بخلافة الروح على خادم النفس والنفس فائضة بخلافة القلب على القالب والقالب فائض بخلافة النفس على الدنيا، وهي أرض الله فيكون الروح بهذه الأسباب والآلات خليفة الله في أرضه بحكمه وأمره بتواقيع الشرائع.

ومنها: أن من خصوصية الخلافة الحكم بين الناس بالحق والإعراض عن الهوى بترك متابعته كما أن من خصوصية أكل الحلال العمل الصالح قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

ومنها: أن الله تعالى جعل داود الروح خليفة في أرض الإنسانية وجعل القلب والسر والنفس والقالب والحواس والقوى والأخلاق والجوارح والأعضاء كلها رعية له ثم على قضية كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته أمر بأن يحكم بين رعيته بالحق؛ أي: بأمر الحق لا بأمر الهوى، كما قال تعالى: ﴿**فاحكم بين الناس بالحق**﴾؛ أي: بحكم الله تعالى، فإن الخلافة مقتضية له حتماً وحكم الله بين خلقه هو العدل المحض وبه يكون الحاكم عادلاً لا جائراً. والحكم لغة: الفصل وشرعاً: أمر ونهي يتضمنه إلزاماً.

﴿**ولا تتبع الهوى**﴾؛ أي: ما تهواه النفس وتشتهيه في الحكومات وغيرها من أمور الدين والدنيا: وبالفارسية: [وبيروى مكن هواى نفس را وآرزوهاي أورا].

قال بعضهم: وهو يؤيد ما قيل إن ذنب داود الهم الذي هم به حين نظر إلى امرأة أوريا،

وهو أن يجعلها تحت نكاحه أو ما قيل: إن ذنبه المبادرة إلى تصديق المدعي وتظليم الآخر قبل مسألته: ﴿فيضلك عن سبيل الله﴾ بالنصب على أنه جواب النهي؛ أي: فيكون الهوى أو اتباعه سبباً لضلالك عن دلائله التي نصبها على الحق تكويناً وتشريعاً.

قال بعض الكبار: ﴿ولا تتبع الهوى﴾؛ أي: ما يخطر لك في حكمك من غير وحي مني، ﴿فيضلك عن سبيل الله﴾؛ أي: عن الطريق الذي أوحى بها إلى رسلي. انتهى.

فإن قلت: كيف يكون متابعة الهوى سبباً للضلال.

قلت: لأن الهوى يدعو إلى الاستغراق في اللذات الجسمانية فيشغل عن طلب السعادات الروحانية التي هي الباقيات الصالحات فمن ضلّ عن سبيل الله الذي هو اتباع الدلائل المنصوبة على الحق أو اتباع الحق في الأمور وقع في سبيل الشيطان، بل في حفرة النيران والحرمات.

﴿إن الذين يضلون عن سبيل الله﴾: تعليل لما قبله ببيان غائلته وإظهار في سبيل الله في موضع الإضمار للإيذان بكمال شناعة الضلال عنه.

﴿لهم عذاب شديد بما نسوا﴾؛ أي: بسبب نسيانهم.

﴿يوم الحساب﴾: مفعول لنسوا. ولما كان الضلال عن سبيل الله مستلزماً لنسيان يوم الحساب كان كل منهما سبباً وعلة لثبوت العذاب الشديد تأدب سبحانه وتعالى مع داود، حيث لم يسند الضلال إليه؛ بأن يقول: فلئن ضللت عن سبيلي فلك عذاب شديد لما هو مقتضى الظاهر بل أسنده إلى الجماعة الغائبين الذين داود عليه السلام واحد منهم.

واعلم أن الله تعالى خلق الهوى الباطل على صفة الضلالة مخالفاً للحق تعالى؛ فإن من صفته الهداية والحكمة في خليفته يكون هادياً إلى الحضرة بضدية طبعه ومخالفة أمره كما أن الحق تعالى كان هادياً إلى حضرته بنور ذاته وموافقة أمره ليسير السائر إلى الله على قدمي موافقته أمر الله ومخالفته هواه. ولهذا قال المشايخ: لولا الهوى ما سلك أحد طريقاً إلى الله تعالى، وأعظم جنايات العبد وأقبح خطاياه متابعة الهوى كما قال عليه السلام: «ما عبد إله في الأرض أبغض على الله من الهوى».

وفي الحديث: «ثلاث مهلكات: شحّ مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه». وللهوى كمالية في الإضلال لا توجد في غيره وذلك لأنه يحتمل أن يتصرف في الأنبياء عليهم السلام بإضلالهم عن سبيل الله كما قال لداود عليه السلام: ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾. وبقوله: ﴿إن الذين﴾ الخ: يشير إلى أن الضلال الكبير هو: الانقطاع عن طلب الحق ومن ضل عن طريق الحق أخذ بعذاب شديد القطيعة والحرمان من القرب وجوار الحق وذلك بما نسوا يوم الحساب، وهو يوم يجازى فيه كل محق بقدر هدايته وكل مبطل بحسب ضلالته كما في «التأويلات النجمية».

وفي الآية دليل على وجوب الحكم بالحق وأن لا يميل الحاكم إلى أحد الخصمين بشيء من الأشياء.

وفي الحديث، أنه عليه السلام قال لعلي: «يا علي احكم بالحق فإن لكل حكم جائر سبعين درعاً من النار لو أن درعاً واحداً وضع على رأس جبل شاهق لأصبح الجبل رماداً».

[درفوائد السلوك آورده كه بنكركه بادشاهى جه صعب كاريست كه حضرت داود عليه السلام با كمال درجه نبوت وجلال مرتبه رسالت بحمل اعباى جنين أمري مأمور وبخطب اثقال جنين

خطابي مخاطب مي شودكه ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ ميان مردمان حكم بطريق معدلت ونصفت كن وداورى برمنهج عدل وإنصاف نماي وباي برجاي حق نه بر طريق باطل ومتابعت هواي نفس برمتابعت مراد حق اختيار مكن كه ترا از مسالك مراضى ما كمراه كردند: ودر سلسلة الذهب ميفرمايد].

نص قرآن شنوكه حق فرمود | در مقام خطاب يا داود
كه ترازان خليفكى داديم | سوى خلقان ازان فرستاديم
تادهى ملك را زعدل اساس | حكم راني بعدل بين الناس
هركرا نه زعدل دستورست | از مقام خليفكى دورست
آنكه كيرد ستم زديو سبق | عدل جون خواندش خليفة حق
بيشه كرده خلاف فرمان را | كشته نائب مناب شيطان را
حق زشاهان بغير عدل نخواست | آسمان وزمين بعدل بباست
شاه باشد شبان خلق همه | رمه وكرك آن رمه ظلمه
بهر آنست هاي هوى شبان | تابيابد رمه زكرك امان
جون شبان سازكار كرك بود | رمه را آفت بزرك بود
هركرا دل بعدل شد مائل | طمع از مال خلق كوبكسل
طمع وعدل آتش وآبند | هردو يكجا قرار كي يابند
هركرا از خليفكى خداي | نشود سير نفس بد فرماي
سيرمشكل شود ازان زروسيم | كه كشدكه زبيوه كه زيتيم

ومن الله التوفيق للعدل في الأنفس والآفاق وإجراء أحكام الشريعة وآداب الطريقة على الإطلاق إنه المحسن الخلاق.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما﴾: من المخلوقات **﴿باطلاً﴾**؛ أي: خلقاً باطلاً لا حكمة فيه، بل ليكون مدار للعلم والعمل ومذكراً للآخرة وما فيها من الحساب والجزاء؛ فإن الدنيا لا تخلو عن الصفو والكدر وكل منهما يفصح عما في الآخرة من الراحة والخطر. وأيضاً ليكون مرآة يشاهد فيها المؤمنون الذين ينظرون بنور الله شواهد صفات الجمال والجلال.

جهان مرآت حسن شاهدماست | فشاهد وجهه في كل ذرات

﴿ذلك﴾؛ أي: كونه خلقاً باطلاً خالياً عن الغاية الجليلة والحكمة الباهرة.

﴿ظن الذين كفروا﴾؛ أي: مظنون كفار مكة فإنهم وإن كانوا مقرين بأن الله هو الخالق لكن لما اعتقدوا بأن الجزاء الذي هو علة خلق العالم باطل لزمهم أن يظنوا أن المعلول باطل ويعتقدوا ذلك.

﴿فويل﴾؛ أي: فإذا كان مظنونهم هذا فالهلاك كل الهلاك؛ أي: فشدة هلاك حاصل: وبالفارسية: [بس واي].

﴿للذين كفروا﴾ : خبر لويل.

﴿من النار﴾ : من تعليلية مفيدة لعلية النار لثبوت الويل لهم صريحاً بعد الإشعار بعلية ما يؤدي إليها من ظنهم وكفرهم؛ أي: فويل لهم بسبب النار المرتبة على ظنهم وكفرهم فلابدّ من رؤية الحق حقاً والباطل باطلاً وتدارك زاد اليوم؛ أي: يوم الجزاء ظاهراً وباطناً ليحصل الخلاص والنجاة والنعيم واللذات في أعلى الدرجات.

﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ : أم منقطعة بمعنى بل. و(الهمزة) الإنكارية؛ أي: بل أنجعل المؤمنين المصلحين في الأرض﴿كالمفسدين في الأرض﴾ بالكفر والمعاصي؛ أي: لا نجعلهم سواء، فلو بطل البعث والجزاء كما يظن الكفار لاستوت عند الله حال من أصلح ومن أفسد ومن سوى بينهما، كان سفيهاً والله تعالى منزه عن السفه، فإنما بالإيمان والعمل الصالح يرفع المؤمنين إلى أعلى عليين ويرد الكافرين إلى أسفل سافلين.

﴿أم نجعل المتقين كالفجار﴾ ؛ أي: كما لا نجعل أهل الإيمان والعمل الصالح الذين هم مظاهر صفات لطفنا وجمالنا كالمفسدين الذين هم مظاهر صفات قهرنا وجلالنا كذلك لا نجعل أهل التقوى، كالفجار. والفجر: شق الشيء شقاً واسعاً. والفجور: شق سر الديانة.

أنكر التسوية أولاً بين أهل الإيمان والشرك، ثم بين أهل التقوى والهوى يعني من المؤمنين، وهو المناسب لمقام التهديد والوعيد كي يخاف من الله تعالى كل صنف بحسب مرتبته. ويجوز أن يكون تكرير الإنكار الأول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم. وروي: أن كفار قريش قالوا للمؤمنين: إنا نعطى في الآخرة من الخير ما تعطون بل أكثر فقال تعالى: ﴿أم نجعل﴾ إلخ. وإنما قالوا ذلك على تقدير وقوع الآخرة كما سبق من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [سبأ: ٣٥]. وسيجيء في قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [القلم: ٣٥]؛ أي: في ثواب الآخرة.

واعلم أن الله تعالى سوى بين الفريقين في التمتع بالحياة الدنيا بل الكفار أوفر حظاً من المؤمنين؛ لأن الدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة، لكن الله جعل الدار الآخرة للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، وهم المؤمنون المخلصون المنقادون لله ولأمره، وإنما لم يجازهم في هذه الدار لسعة رحمته وضيق هذه الدار، فلذا أخر الجزاء إلى الدار الآخرة، فإذا ترقى الإنسان من الهوى إلى الهدى ومن الفجور إلى التقوى أخذ الأجر بالكيل الأوفى.

ثم لما كان القرآن منبع جميع السعادات والخيرات وصفه أولاً ثم بين المصلحة فيه فقال: ﴿كتاب﴾ : خبر مبتدأ محذوف وهو عبارة عن القرآن؛ أي: هذا كتاب﴿أنزلناه إليك﴾ : صفته﴿مبارك﴾ : خبر ثان للمبتدأ؛ أي: كثير المنفعة دنيا وديناً لمن آمن به وعمل بأحكامه وحقائقه وإشاراته، فإن البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء والمبارك ما فيه ذلك الخير ﴿ليدبروا آياته﴾ : متعلق بأنزلنا وأصله: يتدبروا فأدغمت التاء في الدال؛ أي: أنزلناه ليتفكروا في آياته بالفكر السليم فيعرفوا ما يتبع ظاهرها من المعاني الفائقة والتأويلات اللائقة؛ أي: ليتفكروا في معانيها فإن التدبر عبارة عن النظر في عواقب الأمور والتفكر: تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب.

﴿وليتذكر أولو الألباب﴾ ؛ أي: وليتعظ به أصحاب العقول الخالصة عن شوب الوهم، عمم التدبر لعموم العلماء وخص التذكر بخصوص العقلاء؛ لأن التدبر للفهم والتذكر لوقوع

الإجلال والخشية الخاص بأكابر أهل العلم.

قال بعضهم: التفكر عند فقدان المطلوب لاحتجاب القلب بالصفات النفسانية. وأما التذكر فهو عند رفع الحجاب والرجوع إلى الفطرة الأولى، فيتذكر ما انطبع في النفس في الأزل من التوحيد والمعارف انتهى. فعلم أن المقصود من كلام الحق التفكر والتذكر والاتعاظ به لا حفظ الألفاظ فقط.

قال الشبلي قدس سره: قرأت أربعة آلاف حديث ثم اخترت منها حديثاً واحداً، وكان علم الأولين والآخرين مندرجاً فيه وذلك أن رسول الله ﷺ قال لبعض أصحابه: «اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها واعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها واعمل لله بقدر حاجتك إليه واعمل للنار بقدر صبرك عليها».

وكان الصحابة يكتفون ببعض السور القرآنية ويشتغلون بالعمل بها؛ فإن المقصود من القرآن العمل به.

روي أن رجلاً جاء إلى النبي عليه السلام وقال: علمني مما علمك الله، فدفعه إلى رجل يعلمه القرآن، فعلمه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الزلزلة: ١]حتى إذا بلغ ﴿فَمَن يَعْمَلْ﴾ [الزلزلة: ٧] إلخ. قال: حسبي، فأخبر النبي عليه السلام بذلك فقال: «دعوه فقد فقه الرجل».

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: مررت بحجر مكتوب عليه: قلبني ينفعك، فقلبته، فإذا مكتوب عليه: أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب ما لم تعلم.

وعن البصري رحمه الله: قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله وحفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى أن أحدهم ليقول: والله، لقد قرأت القرآن، فما أسقطت منه حرفاً، والله وقد أسقط كله ما يرى عليه للقرآن أثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء، فمن اقتفى بظاهر المتلوّ كان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نتوج لا يستولدها.

قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «تعوذوا بالله من فخر القراء، فإنهم أشد فخراً من الجبابرة. ولا أحد أبغض إلى رسول الله من قارىء متكبر». وعن علي رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «تعوذوا بالله من دار الحزن فإنها إذا فتحت استجارت منها جهنم سبعين مرة، أعدها الله للقراء المرائين بأعمالهم وإن شر القراء لمن يزور الأمراء»: وفي سلسلة الذهب للمولى الجامي قدس سره.

رُب تالٍ يفوه بالقرآن وهو يفضي به إلى الخذلان.

خواجه را نيست جزتلاوت كار ... ليكن آن طرد ولعنت آرد بار
لعنتست اين كه بهر لهجه وصوت ... شود از تو حضور خاطر فوت
نشود بر دل تو تابنده ... كين كلام خداست يابنده
لعنتست اين كه سازدت بي سيم ... روز شب باامير وخواجه نديم
خانه شان مزبله است وقرآن نور ... دار اين نور را زمز بله دور
معنى لعن جيست مردودى ... بمقامات بعد خشنودى
هركه ماند از خدا بيك سرمو ... آمد اندر مقام بعد فرو
كرجه ملعون نشد زحق مطلق ... هست ملعون بقدر بعد ازحق

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿ووهبنا لداود سليمان﴾: [وبخشيديم داودرا فرزندى كه آن سليمانست] عليهما السلام. والهبة: عطاء الواهب بطريق الإنعام لا بطريق العوض، والجزاء الموافق لأعمال الموهوب له. فسليمان: النعمة التامة على داود؛ لأن الخلافة الظاهرة الإلٰهية قد كملت لداود وظهرت أكمليتها في سليمان، وكذا على العالمين لما وصل منه إليهم من آثار اللطف والرحمة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أولادنا من مواهب الله، ثم قرأ: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾ [الشورى: ٤٩].

روي: أن داود عليه السلام عاش مائة سنة ومات يوم السبت فجأة. ويوم السبت لهم كيوم الجمعة لنا أتاه ملك الموت وهو يصعد في محرابه؛ أي: الغرفة وينزل. وقال: جئت لأقبض روحك، فقال: دعني حتى أنزل وأرتقي، فقال: ما لي إلى ذلك سبيل، نفدت الأيام والشهور والسنون والآثار والأرزاق، فما أنت بمؤثر بعدها، فسجد داود على مرقاة من الدرج فقبض نفسه على تلك الحال. وموت الفجأة رحمة للصالحين وتخفيف ورفق بهم إذ هم المنقطعون المستعدون، فلا يحتاجون إلى الإيصاء وتجديد التوبة ورد المظالم بخلاف غيرهم ولذا كان من آثار غضب الله على الفاسقين، وأوصى داود لابنه سليمان بالخلافة.

﴿نعم العبد﴾ سليمان لصلاحية استعداده للكمال النوعي الإنساني وهو مقام النبوة والخلافة.

قال بعضهم: العبودية هي الذبول عن موارد الربوبية والخمول تحت صفات الألوهية.

﴿إنه أواب﴾: رجاع إلى الحضرة بإخلاص العبودية بلا علة دنيوية ولا أخروية أو رجاع إلى الله في جميع الأحوال في النعمة بالشكر وفي المحنة بالصبر. [بظاهر ملك ومملكت ميراند وبباطن فقر وفاقت همى برورد سليمان روزى تمنى كرد كفت بار خدايا جن وانس وطيور ووحوش بفرمان من كردى جه بود كه ابليس رانيز بفرمان من كنى تا أورا بند كنم كفت اي سليمان اين تمنى مكن كه دران مصلحت نيست كفت بار خدايا كر هم دو روز باشد اين مراد من بده كفت دادم سليمان ابليس را در بند كرد ومعاش سليمان با آن همه ملك ومملكت از دست رنج خويش بود هر روز زنبيلى ببافتى وبدو قرص بدادى ودر مسجد با درويشى بهم بخوردى وكفتى]. مسكين وجالس مسكيناً.

يك كدا بود سليمان بعصا وزنبيل   يافت از لطف توآن حشمت وملك آرايى

[آن روز كه ابليس رادر بند كرد زنبيل ببازار فرستاد وكس نخريد كه در بازار آن روز هيج معاملت وتجارت نبود ومردم همه بعبادت مشغول بودند آن روز سليمان هيج طعام نخورد ديكر روز همجنان بر عادت زنبيل بافت وكس نخريد سليمان كرسنه شد بالله ناليد كفت بار خدايا كرسنه ام وكس زنبيلى نمى خرد فرمان آمد كه اي سليمان نمى دانى كه جون تو مهتر بازاريان در بند كنى در معاملات بر خلق فروبسته شود ومصلحت خلق نباشد أو معمار دنياست ومشارك خلق در أموال واولاد].

يقول الله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الإسراء: ٦٤] فظهر من هذه الحكاية حال

سليمان مع الله تعالى وكونه متخلياً عن المال فارغاً عن الملك في الحقيقة.

جوهر ساعت از تو بجايى رود دل بتنهايى اندر صفايى نبينى
ورت مال وجاهست وزرع وتجارت چو دل باخدايست خلوت نشينى

﴿إذ عرض عليه﴾؛ أي: اذكر ما صدر عنه إذ عرض عليه يقال: عرض له أمر كذا؛ أي: ظهر وعرضته له؛ أي: أظهرته وعرض الجند إذا أمرهم عليه ونظر ما حالهم.

﴿بالعشي﴾: هو من الظهر إلى آخر النهار.

﴿الصافنات﴾: مرفوع بعرض جمع صافن لا صافنة، لأنه لذكور الخيل وصفة المذكر الذي لا يعقل يجمع هذا الجمع مطرداً كما عرف في النحو.

والصفن: الجمع بين الشيئين ضاماً بعضهما إلى بعض يقال: صفن الفرس قوائمه إذا قام على ثلاث وثنى الرابعة؛ أي: قلب أحد حوافره وقام على طرف سنبك يد أو رجل. والسنبك: طرف مقدم الحافر. وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يتفق إلا في العربي الخالص.

والمعنى بالفارسية: [اسبان ايستاده به سه باى وبركناره سم از قائم جهارم].

﴿الجياد﴾: جمع جواد وجود وهو الذي يسرع في جريه تشبيهاً له بالمطر الجود. والمعنى بالفارسية: [اسبهاى تازى نيورنك نيكوقد تيزرو]. كذا قاله صاحب «كشف الأسرار»، وكأنه جمع بين معنى الجيد والجواد.

قال في «القاموس»: الجواد السخي والسخية. والجمع: الأجواد. والجيد ضد الرديء والجمع: الجياد. وقيل: الجواد هو: الفرس الذي يجود عند الركض؛ أي: العدو.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الجياد: الخيل السوابق، وإذا جرت كانت سراعاً خفافاً في جريها.

روي أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين، وهي قاعدة ديار ربيعة، فأصاب ألف فرس عربي، أو أصابها أبوه من العمالقة فورثها منه، وهذا على تقدير عدم بقاء قوله عليه السلام: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة» على عمومه أو يحمل على الاستعارة بعلاقة المشابهة في ثبوت ولاية التصرف، فإن لسليمان حق التصرف فيما تركه أبوه في بيت المال، كالدروع ونحوها كما كان للخلفاء حق التصرف فيما تركه نبينا عليه السلام، ولذا منع أبو بكر رضي الله عنه فاطمة رضي الله عنها عن الميراث حيث طلبته وذلك أن ما تركه عليه السلام من صفايا أموال النفير وفدك كان مصروفاً إلى نفقة نسائه كما في حياته لكونهن محبوسات عليه إلى وفاتهن. وأيضاً إلى نفقة خليفته لكونه خادماً له قائماً مقامه وما فضل من ذلك كان يصرف إلى مصالح المسلمين، فلم يبق له بعد وفاته ما يكون ميراثاً لأهل بيته. [وكفته اند اسبان دريايى بودند وبر داشتند وديوان. براى سليمان از بحر بر آوردند].

وسيجيء ما يؤيده وعلى كل تقدير قعد سليمان يوماً بعد ما صلى الظهر على كرسيه وكان يريد جهاداً، فاستعرض تلك الأفراس؛ أي: طلب عرضها عليه، فلم تزل تعرض عليه وهو ينظر إليها ويتعجب من حسنها حتى غربت الشمس وغفل عن العصر، وكانت فرضاً عليه كما في «كشف الأسرار»، وعن ورد: كان له من الذكر وقتئذٍ وتهيبه قومه فلم يعلموه فاغتم لما فاته بسبب السهو والنسيان فاستردها فعقرها تقرباً إلى الله وطلباً لمرضاته على أن يكون العقر

قربة في تلك الشريعة، ولذا لم ينكر عليه فعله أو مباحاً في ذلك اليوم، وإنما أراد بذلك الاستهانة بمال الدنيا لمكان فريضة الله كما قال أبو الليث فلم يكن من قبيل تعذيب الحيوان.

يقول الفقير: سر العقر هاهنا هو أن تلك الخيل لما شغلته عن القيام إلى الصلاة كان العقد كفارة موافقة له.

وقال بعضهم: المراد من العقر: الذبح فيكون تقديم السوق كما يأتي لرعاية الفاصلة، فذبحها وتصدق بلحومها. وكان لحم الخيل حلالاً في ذلك الوقت وإنما لم يتصدق بها، لأنه يحتاج إلى زمان ووجدان محل صالح له.

والحاصل: أنه ذبح تسعمائة وبقي مائة وهو ما لم يعرض عليه بعد فما في أيدي الناس من الجياد، فمن نسل تلك المائة الباقية كذا.

قالوا: وفيه أن هذا يؤيد كون تلك الخيل قد أخرجت من البحر إذ لو كانت من غنائم الغزو لم يلزم أن يكون نسل الجياد من تلك المائة لوجود غيرها في الدنيا، وأيضاً على تقدير كونها ميراثاً من أبيه بالمعنى الثاني كما سبق تكون أمانة في يده. والأمانة لا تعقر ولا تذبح كما لا يخفى.

﴿**فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي**﴾، قاله عليه السلام عند غروب الشمس اعترافاً بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلاة وندماً عليه وتمهيداً لما يعقبه من الأمر بردها وعقرها، والتعقيب بالفاء باعتبار أواخر العرض المستمر دون ابتدائه والتأكيد للدلالة على أن اعترافه وندمه عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر وأصل أحببت: أن يعدى بعلى لأنه بمعنى آثرت كما في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]. وكل من أحب شيئاً فقد آثره، لكن لما أنيب مناب أنبت وضمن معناه عدي تعديته بعن وحب الخير مفعوله؛ أي: مفعول به لأنبت المضمن، والذي أنيب مناب الذكر هو الاطلاع على أحوال الخيل لا حب الخيل إلا أنه عدى الفعل إلى حب الخيل للدلالة على غاية محبته لها فإن الإنسان قد يحب شيئاً، ولكنه يحب أن لا يحبه كالمريض الذي يشتهي ما يضره، ولذا لما قيل لمريض: ما تشتهي. قال: أشتهي أن لا أشتهي، وأما من أحب شيئاً وأحب أن يحبه فذلك غاية المحبة. والخير: المال الكثير والمراد به: الخيل التي شغلته عليه السلام؛ لأنها مال ويحتمل أنه سماها خيراً كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها.

قال عليه السلام: «الخير»؛ أي: الأجر والمغنم (معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة). والمراد بالذكر: صلاة العصر بدليل قوله: بالعشي، وسميت الصلاة ذكراً؛ لأنها مشحونة بالذكر كما في «كشف الأسرار» أو الورد المعين وقتئذٍ.

ومعنى الآية: أنبت حب الخيل؛ أي: جعلته نائباً عن ذكر ربي ووضعته موضعه، وكان يحب لمثلي أن يشتغل بذكر ربه وطاعته.

﴿**حتى توارت بالحجاب**﴾: التواري: الاستتار. والضمير للشمس، وإضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها إذ لا شيء يتوارى حينئذٍ غيرها، فالحجاب: مغيب الشمس ومغربها، كما في «المفردات». وحتى متعلق بقوله: أحببت. وغاية له باعتبار استمرار المحبة ودوامها حسب استمرار العرض.

والمعنى: أنبت حب الخير عن ذكر ربي واستمر ذلك حتى توارت؛ أي: غربت الشمس

تشبيهاً لغروبها في مغربها بتواري الجارية المخبأة بحجابها؛ أي: المستترة بخبائها وخدرها.

وقيل: الضمير في توارت للصافنات؛ أي: حتى توارت بحجاب الليل؛ أي: بظلامه؛ لأن ظلام الليل يستر كل شيء.

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ردوها عليّ﴾: من تمام مقالة سليمان ومرمى غرضه من تقديم ما قدمه، والخطاب لأهل العرض من قومه؛ أي: أعيدوا تلك الخيل عليّ.

﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾: الفاء: فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وإيذاناً بغاية سرعة الامتثال بالأمر وطفق من أفعال المقاربة الدالة على شروع فاعلها في مضمون الخبر، فهو بمعنى أخذ وشرع وخبر هذه الأفعال يكون فعلاً مضارعاً في الأغلب ومسحاً نصب على المصدرية بفعل مقدر، هو خبر طفق. والمسح: إمرار اليد على الشيء. والجمهور على أن المراد به هنا القطع من قولهم: مسح علاوته؛ أي: ضرب عنقه وقطع رأسه. والعلاوة: بالكسر أعلى الرأس أو العنق.

قال في «المفردات»: مسحته بالسيف كناية عن الضرب. والسوق: جمع ساق كدور ودار. والساق: ما بين الكعبين كعب الركبة وكعب الرجل. والأعناق: جمع عنق، بالفارسية: [كردن]. والباء: مزيدة كما في قوله تعالى: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: ٦]: فإن مسحت رأسه ومسحت برأسه بمعنى واحد.

والمعنى: فردوها عليه فأخذ يمسح بالسيف مسحاً سوقها وأعناقها؛ أي: يقطع أعناقها ويعرقب أرجلها؛ أي: هو وأصحابه، أو يذبح بعضها ويعرقب بعضها إزالة للعلاقات ورفعاً للحجاب الحائل بينه وبين الحق واستغفاراً وإنابه إليه بالترك والتجريد.

وفي الآية إشارة إلى أن حب غير الله شاغل عن الله وموجب للحجاب، وأن كل محبوب سوى الله إذا حجبك عن الله لحظة يلزمك أن تعالجه بسيف نفي لا إله إلا الله.

«لا» نهنكيست كائنات آشام عرش تا فرش در كشيده بكام
هر كجا كرده آن نهنك آهنك ازمن وما نه بوى ماندونه رنك

وقال الإمام في «تفسيره»: الصواب أن يقال: إن رباط الخيل كان مندوباً إليه في دينهم كما هو مندوب إليه في شرعنا. ثم إن سليمان عليه السلام احتاج إلى الغزو فجلس على كرسيه وأمر بإحضار الخيل وأمر بإجرائها. وذكر أني لا أجريها لأجل الدنيا وحظ النفس وإنما أجريها وأحبها لأمر الله تعالى وتقوية دينه، وهو المراد من قوله: **﴿عن ذكر ربي﴾** ثم إنه أمر بإجرائها وتسييرها حتى توارت بالحجاب؛ أي: غابت عن بصره، فإنه كان له ميدان واسع مستدير يسابق فيه بين الخيل حتى تتوارى عنه وتغيب عن عينه، ثم إنه أمر الرائضين بأن يردوها فردوا تلك الخيل إليه فلما عادت إليه طفق يمسح سوقها وأعناقها؛ أي: بيده حبالها وتشريفاً وإبانة لعزتها لكونها من أعظم الأعوان في قهر الأعداء وإعلاء الدين، وهو قول الزهري وابن كيسان، وليس فيه نسبة شيء من المنكرات إلى سليمان عليه السلام، فهو أحق بالقبول عند أولي الأفهام.

وفي «الفتوحات المكية»: معنى الآية: أحببت الخير عن ذكر ربي الخير بالخيرية فأحببته

لذلك. والخير: هي الصافنات: الجياد من الخيل. وأما قوله: فطفق مسحاً؛ أي: يمسح بيده على أعناقها وسوقها فرحاً وإعجاباً بخير ربه لا فرحاً بالدنيا؛ لأن الأنبياء منزهون عن ذلك وهذه تشبه ما وقع لأيوب عليه السلام حين أرسل الله له جراداً من ذهب، فصار يحثو في ثوبه منه ويقول: لا غنى لي عن بركتك يا رب، فما أحب سليمان الخير إلا لكونه تعالى أحب حب الخير ولذلك اشتاق إليها لما توارت بالحجاب، يعني: الصافنات الجياد لكونه فقد المحل الذي أوجب له حب الخير عن ذكر ربه، فقال: ردوها عليّ. وليس للمفسرين الذين جعلوا التواري للشمس دليل، فإن الشمس ليس لها هنا ذكر ولا الصلاة التي يزعمون ومساق الآية لا يدل على ما قالوه بوجه ظاهر البتة. انتهى كلام «الفتوحات».

وعن علي رضي الله عنه: اشتغل سليمان عليه السلام بعرض الأفراس للجهاد حتى توارت بالحجاب؛ أي: غربت الشمس، فقال بأمر الله للملائكة الموكلين بالشمس: ردوها، يعني: الشمس فردوها إلى موضع وقت العصر حتى صلى العصر في وقتها فذلك من معجزات سليمان عليه السلام.

قال في «كشف الأسرار»: [سليمان عليه السلام درراه خدا آن همه اسبان فدا كرد ودل ازان زينب وآرايش دنيا بر داشت وباعبادت الله برداخت لا جرم رب العزة أورا به ازان عوض داد بجاي اسبان بادرا مركب أوساخت وبسبب آن اندوه كه بوى رسيد برفوت عبادت فرشته قرص آفتاب ازمغرب باز كردانيد از بهروى تانماز ديكر بوقت خويش بكزارد وآن ويرا معجزة كشت وجنانكه اين معجزة ازبهر سليمان بيغمبر بيدا كشت درين امت ازبهر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه زروى كرامت بيدا كشت درخبر ست مصطفى عليه السلام سربر كنار على نهاد وبخفت على نماز ديكر نكرده بود نخواست كه خواب بررسول قطع كند مرد عالم بود كفت نماز طاعت حق وخدمت راست رسول طاعت حق همجنان مى بود تاقرص آفتاب بمغرب فروشد مصطفى عليه السلام از خواب در آمد على كفت يا رسول الله وقت نماز ديكر فوت شد ومن نماز نكردم رسول كفت اي علي جرا نماز نكردى كفت نخواستم كه لذت خواب برتو قطع كنم جبريل آمد كه يا محمد حق تعالى مرا فرمود تاقرص آفتاب را از مغرب باز آرم تا على نماز ديكر بوقت بكزارد بعض ياران كفتند قرص آفتاب را جندان باز آوردكه شعاع آفتاب ديديم كه بر ديوار هاي مدينة مى تافت].

قال الكاشفي: [وانكه آفتاب بدعاى حضرت بيغمبر عليه السلام در صهباى خيبر بعد از غروب بازكشت وبجاي عصر آمد تا حضرت علي رضي الله عنه نماز كزارد ونزد محدثان مشهورست وإمام طحاوي در شرح آثار خويش فرمود كه روات اين ثقات اند واز أحمد بن صالح رحمه الله نقل كرده كه أهل علم را سزاوار نيست كه تغافل كنند از حفظ اين حديث كه از علامات نبوتست]. ولا عبرة بقول بعضهم بوضعه:

كه دعوتش كرفته كريبان آفتاب ... بالا كشيده ازجه مغرب برآسمان
كه قرص بدررا بسر كردخوان جرخ ... دستش دونيم كرده بيك ضربت بنان

واعلم أن حبس الشمس وردها وقع مراراً. ومعنى حبسها: وقوفها عن السير والحركة بالكلية أو بطء حركتها أو ردها إلى ورائها. ومعنى ردها: إعادتها بعد غروبها ومغيبها فقد حبست لداود عليه السلام. وذلك في رواية ضعيفة وردت لسليمان على ما قرر.

وحبست أيضاً لخليفة موسى عليه السلام، وهو: يوشع بن نون، فإنه سار مع بني إسرائيل لقتال الجبارين، وكان يوم الجمعة ولما كاد يفتحها كادت الشمس تغرب، فقال للشمس: أيتها الشمس إنك مأمورة وأنا مأمور بحرمتي عليك، إلا ركدت؛ أي: مكثت ساعة من النهار. وفي رواية: اللهم احبسها عليّ فحبسها الله حتى افتتح المدينة، وإنما دعا بحبسها خوفاً من دخول البيت المحرم عليهم فيه المقاتلة.

وردت أيضاً لعلي رضي الله عنه بدعاء نبينا عليه السلام على ما سبق. وحبست أيضاً عن الغروب لنبينا عليه السلام، وذلك أنه أخبر في قصة المعراج أن عير قريش تقدم يوم كذا، فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون ذلك، وقد ولى النهار حتى كادت الشمس تغرب، فدعا الله تعالى فحبس الشمس عن الغروب حتى قدمت العير، وفي بعض الروايات حبست له عن الطلوع؛ لأنه عليه السلام قال: «وتطلع العير عليكم من الثنية عند طلوع الشمس»، فحبس الله الشمس عن الطلوع حتى قدمت العير. وحبست أيضاً له عليه السلام في بعض أيام الخندق إلى الاحمرار والاصفرار وصلى حينئذٍ. وفي بعضها لم تحبس بل صلى بعد الغروب. وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «شغلونا عن الصلاة الوسطى»؛ أي: عن صلاة العصر.

وفي كلام سبط ابن الجوزي إن قيل: حبسها ورجوعها مشكل؛ لأنها لو تخلفت أو ردّت لاختلت الأفلاك وفسد النظام، قلنا: حبسها وردها من باب المعجزات ولا مجال للقياس في خرق العادات. وذكر أنه وقع لبعض الوعاظ ببغداد أنه قعد يعظ بعد العصر ثم أخذ في ذكر فضائل آل البيت، فجاءت سحابة غطت الشمس وظن الناس الحاضرون عنده أن الشمس غابت فأرادوا الانصراف فأشار إليهم ألا يتحركوا، ثم أدار وجهه إلى ناحية المغرب، وقال:

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي ... مدحي لآل المصطفى ولنجله
إن كان للمولى وقوفك فليكن ... هذا الوقوف لولده ولنسله

فطلعت الشمس فلا يحصى ما رمي عليه من الحليّ والثياب. هذا كلامه رحمه الله سبحانه وتعالى:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿ولقد فتنا سليمان﴾: الفتنة: الاختبار والابتلاء.

﴿وألقينا﴾: الإلقاء: الطرح. ﴿على كرسيه﴾: الكرسي: اسم لما يقعد عليه والمراد: سريره المشهور، وقد سبق في سورة سبأ. ﴿جسداً﴾:

قال في «المفردات»: الجسد: الجسم لكنه أخص. قال الخليل: لا يقال: الجسد لغير الإنسان من خلق الأرض ونحوه. وأيضاً فإن الجسد يقال: لما له لون. والجسم يقال: لما لا يبين له لون كالماء والهواء.

وقال في «أنوار المشارق»: الفرق بين الجسد والبدن، أن الأول يعمّ لذي الروح وغيره. ويتناول الرأس والشوى. والثاني: مخصوص بذي الروح ولا يتناولهما. ومن هذا قد اشتهر فيما بينهم حشر الأجساد بإضافة الحشر الخاص بذي الروح إلى الأجساد العامة له، ولغيره دون الأبدان المخصوصة وذلك لأن في إضافته إلى البدن باعتبار أنه لا يتناول الرأس والشوى على ما نص عليه الزمخشري في «الفائق» والخليل في كتاب «العين» قصوراً مخلاً بحكم الإعادة

بعينه. وأما ما في الجسد من العموم الزائد على قدر الحاجة، فمندفع بقرينة إضافة الحشر. انتهى كلام «الأنوار». والمراد به في الآية: القالب بلا روح كما سيأتي.

﴿ثم أناب﴾؛ أي: سليمان عليه السلام. والإنابة: الرجوع إلى الله تعالى.

روي أن سليمان كان له ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية، وكان في ظهره ماء مائة رجل؛ أي: قوتهم. وهكذا أنبياء الله أعطي كل منهم من القوة الجماعية ما لم يعط أحد من أفراد أمته، وكذا الولي الأكمل؛ فإن له قوة زائدة على سائر الآحاد، وإن لم تبلغ مرتبة قوة النبي، فقال سليمان عليه السلام يوماً: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة؛ أي: أجامعهن أو تسعين أو تسع وتسعين أو مائة، تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله، فقال له صاحبه؛ أي: وزيره آصف، قل: إن شاء الله فلم يقل فطاف عليهن تلك الليلة، فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق ولد له عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة فألقته القابلة على كرسيه وهو الجسد المذكور. قال نبينا عليه السلام: «لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون».

قال القاضي عياض رحمه الله: وإن سئل: لم لم يقل سليمان في تلك القصة المذكورة: إن شاء الله فعنه أجوبة:

أحدها ما روي في الحديث الصحيح أنه نسي أن يقولها؛ أي: كلمة إن شاء الله. وذلك لينفذ مراد الله.

والثاني: أنه لم يسمع صاحبه وشغل عنه. انتهى. فمعنى ابتلائه قوله: لأطوفن إلخ، وتركه الاستثناء ومعنى إلقاء الجسد على كرسيه، إلقاء الشق المذكور عليه. ومعنى إنابته: رجوعه إلى الله تعالى عن زلته، وهو تركه الاستثناء في مثل ذلك الأمر الخطير، لأن ترك الأولى زلة للأنبياء إذ حسنات الأبرار سيئات المقربين، ألا ترى أن نبينا عليه السلام لما سئل عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين قال: «ائتوني غداً أخبركم» ولم يستثن فحبس عنه الوحي أياماً، ثم نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

روي أن سليمان عليه السلام ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله وذلك أنهم كانوا يقدرون في أنفسهم أنهم سيستريحون مما هم فيه من تسخير سليمان إياهم على التكاليف الشاقة والأعمال المستمرة الدائمة بموته، فلما ولد له ابن قال بعضهم لبعض: إن عاش له ولده لم ننفك عما نحن فيه من البلاء، فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله. والتخبيل: إفساد العقل والعضو فعلم سليمان بذلك فأمر السحاب، فحمله وكانت الريح تعطيه غذاءه وربى فيه خوفاً من مضرة الشياطين فابتلاه الله لأجل خوفه هذا وعدم توكله في أمر ابنه على ربه العزيز بموت ابنه حيث مات في السحاب وألقي ميتاً على كرسيه، فهو المراد من الجسد الملقى على كرسيه.

قال في «شرح المقاصد»: فتنبه لخطئه في ترك التوكل فاستغفر وتاب، فهذا مما لا بأس به وغايته ترك الأولى إذ ليس في التحفظ ومباشرة الأسباب ترك الامتثال لأمر التوكل على ما قال عليه السلام: «اعقلها وتوكل». انتهى.

فإن قلت: كان الشياطين يصعدون إلى السماء وقتئذٍ فما فائدة رفعه في السحاب في المنع عنهم.

قلت: فائدته أن الشياطين التي خاف سليمان على ابنه منهم كانوا في خدمته الدائمة في الأرض فكان في الرفع إلى السحاب رفعه عن أبصارهم وتغييبه عن عملهم وتسليمه إلى محافظة الملائكة، ولما ألقي ابنه الميت على كرسيه جزع سليمان عليه إذ لم يكن له إلا ابن واحد، فدخل عليه ملكان، فقال أحدهما: إن هذا مشى في زرعي، فأفسده، فقال له سليمان: لم مشيت في زرعه؟ قال: لأن هذا الرجل زرع في طريق الناس، فلم أجد مسلكاً غير ذلك. فقال سليمان للآخر: لم زرعت على طريق الناس، أما علمت أن الناس لا بد لهم من طريق يمشون فيه، فقال لسليمان: صدقت لم ولدت على طريق الموت، أما علمت أن ممر الخلق على الموت، ثم غابا عنه، فاستغفر سليمان وأناب إلى الله تعالى: قال الشيخ سعدي قدس سره:

مكن خانه در راه سيل اي غلام كه كس را نكشت اين عمارت تمام
نه از معرفت باشد وعقل ورأى كه در ره كنند كارواني سراي
ز هجران طفلي كه در خاك رفت جه نالي كه باك آمد وباك رفت
توباك آمدي بر حذر باش وباك كه ننكست ناباك رفتن بخاك
مكن عمر ضايع بافسوس وحيف كه فرصت عزيز ست والوقت سيف

قال الكاشفي: [ومشهور آنست كه بواسطه ترك ازلي انكشتر مملكت سليمان بدست صخر جن افتاد وجهل روز برتخت سليمان نشست وباز آن خاتم بدست سليمان آمد بمملكت بازكشت]. فيكون المعنى: ولقد ابتليناه بسبب ملكه وألقينا على كرسيه جسداً، يعني: العفريت الذي أخذ خاتمه وجلس على كرسيه وهو صخر صاحب البحر على أشهر الأقاويل وسمي جسداً؛ لأنه تمثل بصورة سليمان، ولم يكن هو فكان جسداً محضاً وصورة بلا معنى، ثم أناب؛ أي: رجع إلى ملكه بعد أربعين يوماً.

يقول الفقير: أرشده الله القدير هذا وإن كان مشهوراً محرراً خصوصاً في نظم بعض العرب والعجم، لكنه مما ينكر جداً ولا يكاد يصح قطعاً، وذلك لوجوه:

أحدها: أنه ليس في جلوس الجن على الكرسي معنى الإلقاء إلا أن يتكلف.

والثاني: أن جميع الأنبياء معصومون من أن يظهر شيطان بصورهم في النوم واليقظة لئلا يشتبه الحق بالباطل؛ ولأن الأنبياء عليهم السلام صور الاسم الهادي ومظاهر صفة الهداية والشيطان مظهر الاسم المضل والظاهر بصفة الضلالة فهما ضدان، فلا يجتمعان، ولا يظهر أحدهما بصورة الآخر. وقس على الأنبياء أحوال الكمل من الأولياء، فإنهم ورثتهم ومتحققون بمعارفهم وحقائقهم.

فإن قيل: عظمة الحق سبحانه أتم من عظمة كل عظيم، فكيف امتنع على إبليس أن يظهر بصورة الأنبياء مع أن اللعين قد تراءى لكثيرين وخاطبهم بأنه الحق طلباً لإضلالهم. وقد أضل جماعة بمثل هذا حتى ظنوا أنهم رأوا الحق وسمعوا خطابه.

قلنا: إن كل عاقل يعلم أن الحق ليست له صورة معينة معلومة توجب الاشتباه، ولذا جوز بعض العلماء رؤية الله في المنام في أي صورة كانت، لأن ذلك المرئي غير ذات الله إذ ليس لها صورة. وأما الأنبياء فإنهم ذوو صور معينة معلومة مشهودة توجب الاشتباه.

والثالث: أنه كيف يصح من الحكيم أن يجلس شيطاناً من الشياطين على كرسي نبي من

الأنبياء ويسلطه على المسلمين ويحكمه عليهم مع أنه لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً أبداً.

كس نيايد بزير سايه بوم ورهماي ازجهان شود معدوم

والرابع: أن الخاتم كان نورانياً فكيف صح أن يستقر في يد الشيطان الظلماني بطريق تقلد الحكومة، وقد ثبت أن الشيطان يحرقه النور مطلقاً، ولذا جعل الشهاب رجماً للشياطين.

والخامس: أنه كان ملك سليمان في الخاتم، فكيف يصح أن يجلس الجني على كرسيه على تقدير قذف الخاتم في البحر على ما قالوا.

قال في «كشف الأسرار»: [ملك سليمان در خاتم وى بود ونكين آن خاتم كبريت أحمر بود]. انتهى.

وفي «عقد الدرر»: أنه كان خاتم آدم عليه السلام قبل خروجه من الجنة ألبسه الحق إياه، ثم أودع في ركن من أركان العرش وكان مكتوب عليه في السطر الأول: «بسم الله الرحمٰن الرحيم». وفي الثاني: «لا إله إلا الله»، وفي الثالث: «محمد رسول الله». فلما أنزله جبريل إلى سليمان اضطرب العالم من مهابته، ولما وضعه في أصبعه غاب عن أعين الناس، فقالوا: يا نبي الله نريد أن نتشرف بمشاهدة جمالك، فقال: اذكروا الله، فلما ذكروه رأوه فالتأثير من الله وبسليمان المظهرية والخاتم واسطة في الحقيقة. وإنما وضع ملكه في فص خاتم؛ لأنه تعالى أراه في ذلك أن ما أعطيت في جنب ما لم تعط قدر هذا الحجر من بين سائر الأحجار إذ كان ملك الدنيا عند الله تعالى كقدر حجر من الأحجار والله يعز من يشاء بما يشاء.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿قال﴾: سليمان وهو بدل من أناب وتفسير له.

﴿رب﴾ [اي بروردكار من]. ﴿اغفر لي﴾: ما صدر مني من الزلة التي لا تليق بشأني وتقديم الاستغفار على الاستيهاب الآتي لمزيد اهتمامه بأمر الدين جرياً على سنن الأنبياء والصالحين وكون ذلك أدخل في الإجابة.

﴿وهب لي﴾: [وببخش مرا]. ﴿ملكاً﴾: [بادشاهي وتصرفي كه]. ﴿لا ينبغي﴾: [نسزد ونشايد] ﴿لأحد﴾ من الخلق ﴿من بعدي﴾ إلى يوم القيامة بأن يكون الظهور به بالفعل في عالم الشهادة في الأمور العامة والخاصة مختصاً بي، وهو الغاية التي يمكنه بلوغها دل على هذا المعنى قول نبينا عليه السلام: «إن عفريتاً من الجن». وهو الخبيث المنكر «تفلت عليّ البارحة»؛ أي: تعرض في صورة هر كما في حياة الحيوان.

قال في «تاج المصادر»: [التفلت بجستن]. وفي الحديث: «إن عفريتاً من الجن تفلّت عليّ البارحة»؛ أي: تعرض له فلتة؛ أي: فجأة «ليقطع عليّ صلاتي فأمكنني الله منه». الإمكان: القدرة على الشيء مع ارتفاع الموانع؛ أي: أعطاني الله مكنة من أخذه وقدرة عليه «فأخذته فأردت أن أربطه» بكسر الباء وضمها؛ أي: أشده «على سارية من سواري المسجد»؛ أي: أسطوانة من أساطينه «حتى تنظروا إليه كلكم ويلعب به ولدان أهل المدينة فذكرت دعوة أخي سليمان: رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي فرددته خاسئاً»؛ أي: ذليلاً مطروداً، لم يظفر بي ولم يغلب على صلاتي، فدل على أن الملك الذي آتاه الله سليمان ولم

يؤته أحداً غيره من بعده هو الظهور بعموم التصرف في عالم الشهادة لا التمكن منه، فإن ذلك مما آتاه الله غيره من الكمل نبياً كان أو ولياً ألا ترى أن نبينا عليه السلام قال: «فأمكنني الله منه»؛ أي: من العفريت فعلمنا أن الله تعالى قد وهب التصرف فيه بما شاء من الربط وغيره، ثم إن الله تعالى ذكره فتذكر دعوة سليمان، فتأدب معه كمال التأديب حيث لم يظهر بالتصرف في الخصوص فكيف في العموم فردّ الله ذلك العفريت ببركة هذا التأدب خاسئاً عن الظفر به.

وكان في وجود سليمان عليه السلام قابلية السلطنة العامة ولهذا ألهمه الله تعالى أن يسأل الملك المخصوص به، فلم يكن سؤاله للبخل والحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة والرغبة فيها كما توهمه الجهلة. وأما سلطان الأنبياء ﷺ فقد أفنى جميع ما في ملك وجوده من جهة الأفعال والصفات، فلم يبق شيء فظهر مكانه شيء لا يوصف حيث وقع تجلي الذات في مرتبة لم ينلها أحد من أفراد الخلق سابقاً ولا لاحقاً، وستظهر سلطنته الصورية أيضاً بحيث يكون آدم ومن دونه تحت لوائه.

در بزم احتشام تو سياره هفت جام وز مطبخ نوال تو افلاك نه طبق
هر خطبه كمال بنام تو شد ازل كس تاابد زلوح نمى خوانده اين سبق

﴿إنك أنت الوهاب﴾: لجميع استعدادات كل ما سألت من الكمالات كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وفي «التأويلات النجمية»: بقوله: ﴿قال رب اغفر لي﴾ الآية. يشير إلى معانٍ مختلفة.

منها: أنه لما أراد طلب الملك الذي هو رفعة الدرجة بني الأمر في ذلك على التواضع الموجب للرفعة، وهو قوله: ﴿رب اغفر لي﴾.

ومنها: أنه قدم طلب المغفرة على طلب الملك؛ لأنه لو كان طلب الملك زلة في حق الأنبياء كانت مسبوقة بالمغفرة لا يطالب بها.

ومنها: أن الملك مهما يكن في يد مغفور له منظور بنظر العناية ما يصدر منه تصرف في الملك إلا مقروناً بالعدل والنصفة، وهو محفوظ من آفات الملك وتبعاته.

ومنها: قوله: ﴿وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾؛ أي: يكون ذلك موهوباً له بحيث لا ينزعه منه ويؤتيه من يشاء كما هي السنة الإلهية جارية فيه.

ومنها: قوله: ﴿لا ينبغي لأحد من بعدي﴾؛ أي: لا يطلبه أحد غيري لئلا يقع في فتنة الملك على مقتضى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ⑦﴾ [العلق: ٦، ٧]، فإن الملك جالب للفتنة كما كان جالباً لها إلى سليمان بقوله: ﴿ولقد فتنا سليمان﴾.

ومنها: قوله: ﴿لا ينبغي لأحد غيري﴾؛ أي: لا يكون هذا الملك ملتمس أحد منك غيري للتمتع والانتفاع به، وهو بمعزل عن قصدي ونيتي في طلب هذا، فإن لي في طلب هذا الملك نية لنفسي ونية لقلبي ونية لروحي ونية للممالك بأسرها ونية للرعايا.

فأما نيتي لنفسي فتزكيتها عن صفاتها الذميمة وأخلاقها اللئيمة. وذلك في منعها عن استيفاء شهواتها وترك مستلذاتها النفسانية بالاختيار دون الاضطرار وإنما يتيسر ذلك بعد القدرة الكاملة عليه بالمالكية والملكية بلا مانع ولا منازع، وكماليته في المملكة بحيث لا يكون فيها ما يحرك داعية من دواعي البشرية المركوزة في جبلة الإنسان ليكون كل واحدة من المشتهيات والمستلذات النفسانية محركة لداعية تناسبها عند تملكها، والقدرة عليها عند توقان النفس إليها

وغلبات هواها فيحرم على النفس مراضعها ويحرمها من مشاربها وينهاها عن هواها خالصاً لله، وطلباً لمرضاته فتموت النفس عن صفاتها كما يموت البدن عند إعواز فقدان ما هو غذاء يعيش به، فإذا ماتت عن صفاتها الذميمة يحييها الله بالصفات الحميدة كما قال: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]. وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس: ٩]، فلا يبقى لها نظر إلى الدنيا وسائر نعمها كما كان حال سليمان لم يكن له نظر إلى الدنيا ونعيمها، وإنما كان مع تلك الوسعة في المملكة يأكل كسرة من كسب يده مع جليس مسكين ويقول: مسكين جالس مسكيناً، وأما نيته لقلبه فتصفيته عن محبة الدنيا وزينتها وشهواتها وتوجيهه إلى الآخرة بالإعراض عنها عند القدرة عليها والتمكن فيها، ثم صرفها في سبيل الله وقلع أصلها من أرض القلب، ليبقى القلب صافياً من الدنس قابلاً للفيض الإلٰهي، فإنه خلق مرآة لجميع الصفات الإلٰهية.

وأما نيته لروحه فلتحليته بالأخلاق الحميدة الربانية ولا سبيل إليها إلا بعلو الهمة وخلوص النية، فإن المرء يطير بهمته كالطائر يطير بجناحيه وتربية الهمة بحسب نيل المقاصد الدنيوية الدينية وصرفها في نيل المراتب الدينية الأخروية الباقية، وإن ترك المقاصد الدنيوية الدينية، وإن كان أثر التربية الهمة ولكن لا يبلغ حد أثر صرف ما يملك من المقاصد الدنيوية لنيل الدرجات العلية فلما كان من أخلاق الله أن يحب معالي الأمور ويبغض سفسافها. التمس سليمان أقصى مراتب الدنيا ونهاية مقاصدها لئلا يلتفت ويستعملها في تربية الهمة لتتخلى روحه بأن يحسن إليهم ويؤلف قلوبهم ببذل المال والجاه، فإن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها، فإنهم إذا أحبوا نبي الله لزمهم حب الله، فيكون حب الله وحب نبيه في قلوبهم محض الإيمان، ومن لم يمكن أن يؤمن بالإحسان، فيدخلهم في الإيمان بالقهر والغلبة بأن يأتيهم بجنود لم يروها كما أدخل بلقيس وقومها في الإيمان.

وأما نيته للممالك، فبأن يجعل الممالك الدنيوية الفانية أخروية باقية بأن يتوسل بها إلى الحضرة بصرفها بإظهار الدين وإقامة الحق وإعلاء كلمة الإسلام.

فإن قيل قوله: ﴿**لا ينبغي لأحد من بعدي**﴾، هل يتناول النبي عليه السلام أو لا؟.

قلنا: أما بالصورة، فيتناول، ولكن لعلو همته وكمال قدره لا لعدم استحقاقه؛ لأنه عرض عليه ﷺ ملك أعظم من ملكه، فلم يقبله. وقال: «الفقر فخري». وأما بالمعنى: فلم يتناول النبي ﷺ؛ لأنه قال: «فضلت على الأنبياء بست»، يعني على جميع الأنبياء ولا خفاء في أن سليمان عليه السلام ما بلغ درجة واحد من أولي العزم من الرسل مع اختصاصه بصورة الملك منهم، وهم معه مفضولون بست فضائل من النبي عليه السلام، فمعنى الملك الحقيقي الذي كان ملك سليمان صورته بلا ريب يكون داخلاً في الفضائل التي اختصه الله بها وأخبر عنها بقوله: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]. بل أعطاه الله ما كان مطلوب سليمان من صورة الملك ومعناه أوفر ما أعطى سليمان وفتنه به من غير زحمة مباشرة صورة الملك والافتتان به عزة ودلالاً. انتهى كلام التأويلات على مكاشفة أعلى التجليات.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝٣٨﴾

﴿فسخرنا له الريح﴾. قال أبو عمرو: إنه ريح الصبا؛ أي: فذللناها لطاعة سليمان؛ أي: جعلناها مطيعة لا تخالفه إجابة لدعوته، فعاد أمره عليه السلام على ما كان عليه قبل الفتنة فيكون ذلك مسبباً عن إنابته: وبالفارسية: [بس رام كردانيدم مر سليمان را باد تافر مان وى برد].

وفيه إشارة إلى أن سليمان لما فعل بالصافنات الجياد ما فعل في سبيل الله عوضه الله مركباً مثل الريح كان غدوها شهراً ورواحها شهراً كما في «التأويلات النجمية». وقد سبق أيضاً من «كشف الأسرار».

قال البقلي رحمه الله: كان سليمان عليه السلام من حبه جمال الحق يحب أن ينظر إلى صنائعه وممالكه ساعة فساعة من الشرق إلى الغرب حتى يدرك عجائب ملكه وملكوته، فسخر الله له الريح وأجراها بمراده. وهذا جزاء صبره في ترك حظوظ نفسه.

﴿تجري بأمره﴾: بيان لتسخيرها له.

﴿رخاء﴾: حال من ضمير تجري. والرخاء: الريح اللينة من قولهم شيء رخو كما في «المفردات»: وبالفارسية: [نرم وخوش].

وفي «الفتوحات المكية»: أن الهواء لا يسمى ريحاً إلا إذا تحرك وتموج، فإن اشتدت حركته كان زعزعاً، وإن لم تشتد كان رخاء، وهو ذو روح يعقل كسائر أجزاء العالم وهبوبه تسبيحه تجري به الجواري، ويطفأ به السراج وتشتعل به النار وتتحرك المياه والأشجار ويموج البحر وتتزلزل الأرض ويزجي السحاب. انتهى.

والمعنى: حال كون تلك الريح لينة طيبة لا تزعزع ولا تنافي بين كونها لينة الهبوب، وبين قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١]؛ لأن المراد: أن تلك الريح أيضاً في قوة الرياح العاصفة إلا أنها لما جرت بأمره عليه السلام، كانت لينة رخاء أو تسخر له كلا نسيميها.

﴿حيث أصاب﴾: ظرف لتجري أو لسخرنا. وأصاب بمعنى أراد لغة حمير أو هجر.

وفي «القاموس»: الإصابة: القصد؛ أي: حيث قصد وأراد من النواحي والأطراف.

واعلم أن المراد بقوله بأمره جريان الريح بمجرد أمره من غير جمعية خاطر ولا همة قلب فهو الذي جعل الله من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده لا مجرد التسخير، فإن الله تعالى سخر لنا أيضاً ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما، لكن إنما تفعل أجرام العالم لهمم النفوس إذا أقيمت في مقام الجمعية، فهذا التسخير عن أمر الله لا عن أمرنا كحال سليمان عليه السلام.

﴿والشياطين﴾: عطف على الريح. ﴿كل بناء﴾: بدل من الشياطين، وهو مبالغة بأن اسم الفاعل من بني، وكانوا يعملون له عليه السلام ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب، وقدور راسيات لما سبق في سورة سبأ ويبنون له الأبنية الرفيعة بدمشق واليمن، ومن بنائهم بيت المقدس وإصطخر، وهي من بلاد فارس، تنسب إلى صخر الجني المراد بقوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [النمل: ٣٩].

﴿وغواص﴾: مبالغة غائص من غاص يغوص غوصاً، وهو الدخول تحت الماء وإخراج شيء منه.

قال في «المفردات»: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٨٢]؛ أي: يستخرجون له الأعمال الغريبة والأفعال البديعة وليس استنباط الدر فقط. انتهى.

وكانوا يستخرجون الدرر والجواهر والحليّ من البحر، وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر.

﴿وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾: عطف على كل بناء داخل في حكم البدل يقال: قرنت البعيرين إذا جمعت بينهما وقرنت على التكثير كما في الآية.

قال الراغب: والتقرين بالفارسية: [برهم كردن].

قال ابن الشيخ: مقرنين صفة لآخرين، وهو اسم مفعول من باب التفعيل منقول من قرنت الشيء بالشيء؛ أي: وصلته به وشدد العين للمبالغة والكثرة. والأصفاد: جمع صفد محركة، وهو القيد وسمي به العطاء؛ لأنه يرتبط بالمنعم عليه، وفرقوا بين فعليهما، فقالوا: صفده قيده وأصفده أعطاه على عكس وعد وأوعد، فإن الثلاثي فيه للخير والمنفعة والرباعي للشر والمضرة ولكن في كون أصفد، بمعنى: أعطى نكتة، وهي أن الهمزة للسلب.

والمعنى: أزلت ما به من الاحتياج بأن أعطيته ما تندفع به حاجته بخلاف أوعد، فإنه لغة أصلية موضوعة للتهديد.

ومعنى الآية: وسخرنا له شياطين آخرين لا يبنون ولا يغوصون، كأنه عليه السلام فصل الشياطين إلى عملة استعملهم في أعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك. وإلى مردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل وأوثقهم بالحديد لكفهم على الشر والفساد.

فإن قيل: إن هذه الآية تدل على أن الشياطين لها قوة عظيمة، قدروا بها على تلك الأبنية العظيمة التي لا يقدر عليها البشر وقدروا على الغوص في البحار، واستخراج جواهرها، وأنى يمكن تقييدهم بالأغلال والأصفاد. وفيه إشكال، وهو أن هذه الشياطين إما أن تكون أجسادهم كثيفة أو لطيفة، فإن كانت كثيفة وجب أن يراهم من كان صحيح الحاسة إذ لو جاز أن لا يراهم مع كثافة أجسادهم لجاز أن يكون بحضرتنا جبال عالية وأصوات هائلة لا نراها، ولا نسمعها وذا سفسطة، وإن كانت أجسادهم لطيفة واللطافة تنافي الصلابة، فمثل هذا يمتنع أن يكون موصوفاً بالقوة الشديدة بحيث يقدر بها على ما لا يقدر عليه البشر؛ لأن الجسم اللطيف يكون ضعيف القوام تتمزق أجزاؤه بأدنى المدافعة، فلا يطيق تحمل الأشياء الثقيلة ومزاولة الأعمال الشاقة. وأيضاً لا يمكن تقييده بالأصفاد والأغلال.

قلنا: إن أجسادهم لطيفة ولكن شفافة ولطافتها لا تنافي صلابتها بمعنى الامتناع من التفرق، فلكونها لطيفة لا ترى ولكونها صلبة يمكن تقيدها وتحملها الأشياء الثقيلة ومزاولتها الأعمال الشاقة، ولو سلم أن اللطافة تنافي الصلابة إلا أنا لا نسلم أن اللطيف الذي لا صلابة له يمتنع أن يتحمل الأشياء الثقيلة ويقدر على الأعمال الشاقة. ألا ترى أن الرياح العاصفة تفعل أفعالاً عجيبة لا تقدر عليها جماعة من الناس.

وقال في «بحر العلوم»: والأقرب أن المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالتقرين في الصفد، يعني: أن قولهم: لا يمكن تقييده بالأصفاد والأغلال حقيقة مسلم. ولكن ليس الكلام محمولاً على حقيقته؛ لأنهم لما كانوا مسخرين مذللين لطاعته عليه السلام بتسخير الله إياهم له كان قادراً على كفهم عن الإضرار بالخلق. فشبه كفهم عن ذلك بالتقرين في الأصفاد، فأطلق على الكف المذكور لفظ التقرين استعارة أصلية، ثم اشتق من التقرين؛ يعني المعنى المجازي لفظ مقرنين، فهو استعارة تبعية بمعنى ممنوعين عن الشرور.

«وفي الأسئلة المقحمة»: الجن أجسام مؤلفة وأشخاص ممثلة ولا دليل يقضي؛ بأن تلك الأجسام لطيفة أو كثيفة، بل يجوز أن تكون لطيفة، وأن تكون كثيفة، وإنما لا نراهم لا للطافتهم كما يزعمه المعتزلة. ولكن لأن الله تعالى لا يخلق فينا إدراكاً لهم. انتهى.

قال القاضي أبو بكر: الأصل الذي خلقوا منه هي النار، ولسنا ننكر مع ذلك أن يكثفهم الله تعالى ويغلظ أجسامهم ويخلق لهم أعراضاً زائدة على ما في النار، فيخرجون عن كونهم ناراً ويخلق لهم صوراً وأشكالاً مختلفة، فيجوز أن نراهم إذا قوى الله أبصارنا كما يجوز أن نراهم لو كثف الله أجسامهم.

قال القاضي عبد الجبار: إن الله تعالى كثفهم لسليمان حتى كان الناس يرونهم وقواهم حتى كانوا يعملون له الأعمال الشاقة. والمقرّن في الأصفاد لا يكون إلا جسماً كثيفاً. وأما إقداره عليهم وتكثيفهم في غير أزمان الأنبياء فإنه غير جائز؛ لأنه يؤدي إلى أن يكون نقضاً للعادة، كما في «آكام المرجان في أحكام الجان».

وقال بعضهم: إن الشياطين كانوا يشاهدون في زمن سليمان، ثم إنه لما توفي أمات الله أولئك الشياطين وخلق نوعاً آخر في غاية الرقة واللطافة. وفيه أن الشياطين منظرون، فكيف يموتون إلا أن يختص الأنظار بإبليس أو إلا أن يحمل الشياطين على كفار الجن، فإنهم ماردون أيضاً. روي: أن الله تعالى أجاب دعاء سليمان بأن سخر له ما لم يسخره لأحد من الملوك، وهو الرياح والشياطين والطير، وسخر له من الملوك ما لم يتيسر لغيره مثل ذلك، فإنه روي: أنه ورث ملك أبيه داود في عصر كيخسرو بن سياوش، وسار من الشام إلى العراق فبلغ خبره إلى كيخسرو، فهرب إلى خراسان، فلم يلبث قليلاً حتى هلك، ثم سار إلى مرو، ثم سار إلى بلاد الترك، فوغل فيها، ثم جاز بلاد الصين، ثم عطف إلى اين وافى بلاد فارس، فنزلها أياماً، ثم عاد إلى الشام ثم أمر ببناء بيت المقدس، فلما فرغ منه سار إلى تهامة، ثم إلى صنعاء. وكان من حديثه مع صاحبة صنعاء، وهي بلقيس ما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم وغزا بلاد المغرب، الأندلس وطنجة وإفرنجة ونواحيها.

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿هذا﴾؛ أي: فسخرنا وقلنا له: هذا الذي أعطيناك من الملك العظيم والبسطة والتسلط على ما لم يسلط عليه غيرك.

﴿عطاؤنا﴾ الخاص بك الذي لا يقدر عليه غيرنا ﴿فامنن﴾ من قوله منّ عليه منّاً؛ أي: أنعم؛ أي: فأعط منه من شئت. ﴿أو أمسك﴾ وامنع منه من شئت، وأو للإباحة.

﴿بغير حساب﴾: حال من المستكن في الأمر؛ أي: غير محاسب على منّه وإحسانه ومنعه وإمساكه، لا حرج عليك فيما أعطيت وفيما أمسكت لتفويض التصرف فيه إليك على الإطلاق.

وفي «المفردات»: قيل تصرف فيه تصرف من لا يحاسب؛ أي: تناول كما تحب وفي وقت ما تحب وعلى ما تحب وأنفقه كذلك. انتهى.

قال الحسن: ما أنعم الله على أحد نعمة إلا كان عليه تبعة إلا سليمان؛ فإن أعطي أجر عليه وإن لم يعط لم يكن عليه تبعة وإثم. وهذا مما خص به والتبعة ما يترتب على الشيء من

المضرة، وكل حق يجب للمظلوم على الظالم بمقابلة ظلمه عليه.

قال بعض الكبار المحققين: كان سؤال سليمان ذلك عن أمر ربه، والطلب إذا وقع عن الأمر الإلهي كان امتثال أمر وعبادة، فللطالب الأجر التام على طلبه من غير تبعة حساب ولا عقاب، فهذا الملك والعطاء لا ينقصه من ملك آخرته شيئاً، ولايحاسب عليه أصلاً، كما يقع لغيره.

وأما ما روي: أن سليمان آخر الأنبياء دخولاً الجنة لمكان ملكه، فعلى تقدير صحته لا ينافي الاستواء بهم في درجات الجنة، ومطلق التأخر في الدخول لا يستلزم الحساب. وقد روي: (إن الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة سنة). ويجوز أن يكون بغير حساب حالاً من العطاء؛ أي: هذا عطاؤنا ملتبساً بغير حساب لغاية كثرته كما يقال للشيء الكثير. هذا لا يحيط به حساب أو صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين.

﴿**وإن له عندنا لزلفى**﴾ ؛ أي: لقربة في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا. ﴿**وحسن مآب**﴾ ، وهو الجنة. وفي الحديث: «أرأيتم ما أعطي سليمان بن داود من ملكه، فإن ذلك لم يزده إلا تخشعاً ما كان يرفع بصره إلى السماء تخشعاً لربه». انتهى.

أي: ولذا وجد الزلفى، وحسن المرجع، فطوبى له حيث كان فقيراً في صورة الغنى.

وفي الإشارة إلى أن الإنسان إذا كمل في إنسانيته يصير قابلاً للفيض الإلهي بلا واسطة، فيعطيه الله تعالى من آثار الفيض تسخير ما في السماوات من الملائكة كما سخر لآدم بقوله: ﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤]. وما في الأرض كما سخر لسليمان الجن والإنس والشياطين والوحوش والطيور. وذلك لأن كل ما في السماوات وما في الأرض أجزاء وجود الإنسان الكامل، فإذا أنعم الله عليه بفيضه سخر له أجزاء وجوده في المعنى. أما في الصورة، فيظهر على بعض الأنبياء تسخر بعضها إعجازاً له كما ظهر على نبينا عليه السلام تسخر القمر عند انشقاقه بإشارة أصبع، ولذا قال: هذا عطاؤنا إلخ يشير إلى أن للأنبياء بتأييد الفيض الإلهي ولاية إفاضة الفيض على من هو أهله عند استفاضته. ولهم إمساك الفيض عند عدم الاستفاضة من غير أهله ولا حرج عليهم في الحالتين، وإن له عندنا لزلفى في الإفاضة والإمساك وحسن مآب؛ لأنه كان متقرباً إلينا بالعطاء والمنع كما في «التأويلات النجمية». روي: أن سليمان عليه السلام فتن بعدما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة ثم انتقل إلى حسن مآب: قال الشيخ سعدي:

جهان اي بسر ملك جاويد نيست ... ز دنيا وفادارى أميد نيست
نه بر باد رفتى سحر كاه وشام ... سرير سليمان عليه السلام
بآخر نديدى كه برباد رفت ... خنك آنكه باذانش وداد رفت

أيقظنا الله تعالى وإياكم.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾

﴿**واذكر عبدنا أيوب**﴾ بن آموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وأمه من أولاد لوط بن هاران وزوجته رحمة بنت إفراييم بن يوسف عليه السلام أو ليا

بنت يعقوب عليه السلام. ولذا قال في «كشف الأسرار»: كان أيوب في زمان يعقوب أوما خير بنت ميشا بن يوسف. والأول أشهر الأقاويل.

قال القرطبي: لم يؤمن بأيوب إلا ثلاثة نفر وعمره ثلاث وتسعون. وقوله: أيوب، عطف بيان للعبد. ﴿**إذ نادى ربه**﴾ بدل من عبدنا؛ أي: دعا وتضرع بلسان الاضطرار والافتقار. ﴿**أني**﴾؛ أي: بأني ﴿**مسني الشيطان**﴾ أصابني. وبالفارسية [ديو بمن رسيد]، فتكون الباء في قوله: ﴿**بنصب**﴾ للتعدية؛ أي: تعب ومشقة وكذا النصب بفتحتين ﴿**وعذاب**﴾ العذاب: الإيجاع الشديد؛ أي: ألم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد، وهو المراد بالضر في قوله في سورة الأنبياء: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به بعبارته، وإلا لقيل إنه مسه إلخ، وليس هذا تمام دعائه عليه السلام، بل من جملة قوله: ﴿**وأنت أرحم الراحمين**﴾، فاكتفى هاهنا عن ذكره بما في سورة الأنبياء كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر هاهنا.

فإن قلت: لا قدرة للشيطان البتة على إيقاع الناس في الأمراض والأسقام؛ لأنه لو قدر على ذلك لسعى في قتل الأنبياء والأولياء والعلماء والصالحين، فهو لا يقدر أن يضر أحداً إلا بطريق إلقاء الوساوس والخواطر الفاسدة. فما معنى إسناد المس إليه.

قلت: إن الذي أصابه لم يصبه إلا من الله تعالى إلا أنه أسنده إلى الشيطان لسؤال الشيطان منه تعالى أن يمسه الله تعالى بذلك الضر امتحاناً لصبره، ففي إسناده إليه دون الله تعالى مراعاة للأدب. روي: أن أيوب عليه السلام كان له أموال كثيرة من صنوف مختلفة. وهو مع ذلك كان مواظباً على طاعة الله محسناً للفقراء واليتامى وأرباب الحاجات، فحسده إبليس لذلك. وقال: إنه يذهب بالدنيا والآخرة، فقال: إلٰهي عبدك أيوب قد أنعمت عليه، فشكرك وعافيته، فحمدك ولو ابتليته بنزع النعمة والعافية لتغير عن حاله، فقال تعالى: إني أعلم منه أن يعبدني ويحمدني على كل حال، فقال إبليس: يا رب سلطني عليه وعلى أولاده وأمواله، فسلطه على ذلك، فأحرق زرعه وأسقط الأبنية على أولاده، فلم يزدد أيوب إلا حمداً لربه، ثم نفخ في جسده نفخة خرجت بها فيه النفاخات، ثم تقطرت بالدم الأسود وأكله الدود سبع سنين، وهو على حاله في مقام الصبر والرضى والتسليم، فكان بلاؤه امتحاناً من غير أن يكون منه ذنب يعاقب عليه ليبرز الله ما في ضميره، فيظهر لخلقه درجته، أين هو من ربه كما ذكره الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول».

وعلى هذا القول اعتماد الفحول، فدع ما عداه فإنه غير مقبول.

وفي «التأويلات النجمية» يشير بقوله: ﴿**واذكر**﴾ إلخ إلى معاني مختلفة.

﴿**منها**﴾: إن من شرط عبودية خواص عباده من الأنبياء والأولياء الصبر عند نزول البلاء والرضى بجريان أحكام القضاء.

ومنها: ليعلم أن الله تعالى لو سلط الشيطان على بعض من أوليائه وأنبيائه لا يكون لإهانتهم بل يكون لعزتهم وإعانتهم على البلوغ إلى رتبة نعم العبدية ودرجة الصابرين المحبوبين.

ومنها: أن العباد من الأنبياء والأولياء لو لم يكونوا في كنف عصمة الله وحفظه لمستهم الشياطين بنصب وعذاب.

ومنها: أن من آداب العبودية إجلال الربوبية وإعظامها عن إحالة الضر والبلاء والمحن عليها لا على الشيطان، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾ [يوسف: ١٠٠]. وقال يوشع عليه السلام: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣]. وقال موسى عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾ [القصص: ١٥].

ومنها: ليعلم أنه ما بلغ مقام الرجال البالغين؛ إلا بالصبر على البلوى وتفويض الأمور إلى المولى والرضى بما يجري عليه من القضاء. انتهى.

﴿اركض برجلك﴾ الركض الضرب والدفع القوي بالرجل، فمتى نسب إلى الراكب، فهو إغراء مركوبه وحثه للعدو نحو ركضت الفرس، ومتى نسب إلى الماشي، فوطىء الأرض كما في الآية كذا قاله الراغب. والرجل: القدم أو من أصل الفخذ إلى رؤوس الأصابع. والمعنى: إذ نادى فقلنا له على لسان جبريل عليه السلام حين انقضاء مدة بلائه اركض برجلك؛ أي: من اضرب بها الأرض: وبالفارسية [بزن باي خودرا بزمين]، وهي أرض الجابية بلد في الشام من إقطاع أبي تمام، فضربها فنبعت عين. فقلنا له: ﴿هذا﴾ [اين جشمه]. ﴿مغتسل بارد﴾ تغتسل به.

وقال الكاشفي: [جاي غسل كردنست يا آبيست كه بدان غسل كنند]. أشار إلى أن المغتسل هو الموضع الذي يغتسل فيه، والماء الذي يغتسل به. والاغتسال: غسل البدن وغسلت الشيء غسلاً أسلت عليه الماء، فأزلت درنه. ﴿وشراب﴾ تشرب منه فيبرأ باطنك. والشراب: هو ما يشرب ويتناول من كل مائع ماء كان أو غيره. والواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف.

وقال بعض الكبار: هذا مغتسل به؛ أي: ماء يغتسل به وموضعه وزمانه بارد يبرد حرارة الظاهر وشراب يبرد حرارة الباطن، يعني: إنما كان الماء بارداً لما كان عليه من إفراط حرارة الألم، فسكن الله إفراطها الزائد المهلك ببرد الماء وأبقى الحرارة النافعة للإنسان.

وفي كلام الشيخ الشهير بافتاده البرسوي قدس سره أن المراد بالماء في هذه الآية صورة إحياء الله تعالى. وهو المراد بماء المطر أيضاً فيما روي أنه إذا كان يوم القيامة ينزل المطر على الأموات أربعين سنة، فيظهرون من الأرض كالنبات. انتهى.

فاغتسل أيوب عليه السلام من ذلك الماء وشرب فذهب ما به من الداء من ظاهره وباطنه، فإن الله تعالى إذا نظر إلى العبد بنظر الرضى يبدل مرضه بالشفاء وشدته بالرخاء وجفاءه بالوفاء، فقام صحيحاً وكسي حلة، وعاد إليه جماله وشبابه أحسن ما كان.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: مكث في البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات لم يغمض فيهن ولم ينقلب من جنب إلى جنب كما في «زهرة الرياض».

قال حضرة الشيخ بالى الصوفي في «شرح الفصوص»: الإشارة فيه أن الله تعالى أمر نبيه بضرب الرجل على الأرض، ليخرج منها الماء لإزالة ألم البدن، فهو أمر لنا بالسلوك والمجاهدة، ليخرج ماء الحياة، وهو العلم بالله من أرض وجودنا لإزالة أمراض أرواحنا، وهي الحجب المبعدة عن الحق. ثم قال: وفي هذه الآية سر لطيف، وهو أن السالكين مسلك التقوى بالمجاهدة والرياضات إذا اجتمعوا في منزل وذكروا الله كثيراً بأعلى صوت وضربوا أرجلهم على الأرض مع الحركة، أية حركة كانت، وكانت نيتهم بذلك إزالة الألم الروحاني.

جاز منهم ذلك إذا ضرب الرجل الصورية على الأرض الصورية مع الذكر الصوري بنية خالصة يوصل إلى الحقيقة إذ ما من حكم شرعي إلا وله حقيقة توصل عامله إلى حقيقته. انتهى كلامه.

قال بعض العلماء: بالله ارتفاع الأصوات في بيوت العبادات بحسن النيات وصفاء الطويات يحل ما عقدته الأفلاك الدائرات حتى قال أهل البصائر: إن الأنفاس البشرية هي التي تدير الأفلاك العلوية. انتهى.

فقد شرطوا في ضرب الرجل وكذا في رفع الصوت حسن النية وصفوة الباطن من كل غرض ومرض، فإذا كان المرء حسن النية يراعي الأدب الظاهري والباطني من كل الوجوه، فيعرج بمعراج الخلوص على ذروة مراتب أهل الخصوص، ويسلم من الجرح والقدح لكون حركته على ما أشار إليه النصوص.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في «الفتوحات المكية»: لا يجوز لأحد التواجد إلا بإشارة شيخ عارف بأمراض الباطن. وفي محل آخر من شرط أهل الله في السماع أن يكونوا على قلب رجل واحد وأن لا يكون فيهم من ليس من جنسهم، أو غير مؤمن بطريقهم، فإن حضور مثل هؤلاء يشوش. وفي آخر لا ينبغي للأشياخ أن يسلموا للمريد حركة الوجد الذي تبقى معه الإحساس بمن في المجلس ولا يسلم له حركته إلا إن غاب. ومهما أحس بمن كان في المجلس تعين عليه أن يجلس إلا أن يعرف الحاضرون أنه متواجد لا صاحب وجد، فيسلم له ذلك؛ لأن هذه الحالة غير محمودة بالنظر إلى ما فوقها. وفي آخر إذا كانت حركة المتواجد نفسية فليست بقدسية وعلامتها الإشارة بالأكمام والمشي إلى خلف وإلى قادم والتمايل من جانب إلى جنب، والتفريق بين راجع وذاهب فقد أجمع الشيوخ على أن مثل هذا محروم مطرود. انتهى.

فقد شرط الشيخ رضي الله عنه في هذا الكلمات لمن أراد الوجد والسماع، حضور القلب والعشق والمحبة والصدق وغلبة الحال. فقول القرطبي استدل بعض الجهال المتزهدة وطغاة المتصوفة، بقوله تعالى لأيوب عليه السلام: ﴿اركض برجلك﴾ على جواز الرقص. وهذا احتجاج بارد؛ لأنه تعالى إنما أمر بضرب الرجل لنبع الماء لا لغيره؛ وإنما هو لأهل التكلف كما دل عليه صيغة التزهد والتصوف؛ فإن أتقياء الأمة برآء من التكلف، فهو زجر لفسقة الزمان عما هم عليه من الاجتماع المنافي لنص القرآن؛ فإنهم لو كانوا صلحاء مستأهلين لأباحت لهم إشارة القرآن ذلك، لكنهم بمعزل عن الركض بشرائط فهم ممنوعون جداً.

قال الشيخ الشهير بافتاده قدس سره: ليس في طريق الشيخ الحاجي بيرام قدس سره: الرقص حال التوحيد وليس في طريقنا أيضاً، بل نذكر الله قياماً وقعوداً ولا نرقص على وفق قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وقال أيضاً: ليس في طريقتنا رقص، فإن الرقص والأصوات كلها إنما وضع لدفع الخواطر، ولا شيء في دفعها أشد تأثيراً من التوحيد فطريقنا طريق الأنبياء عليهم السلام، فنبينا عليه السلام لم يلقن إلا التوحيد.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿ووهبنا له أهله﴾ معطوف على مقدر؛ أي: فاغتسل وشرب، فكشفنا بذلك ما به من ضر كما في سورة الأنبياء ووهبنا له أهله: يعني [فرزندان ويرا زنده كرديم]. وكانوا ثلاثة عشر.

روى الحسن: أن الله تعالى أحياهم بعد هلاكهم؛ أي: بما ذكر من أن إبليس هدم عليهم البناء فماتوا تحته. ﴿ومثلهم معهم﴾ عطف على أهله، فكان له من الأولاد ضعف ما كان له قبل؛ أي: زاده على ما كان له قبل البلاء، قال الصائب:

زفوت مطلب جزؤى مشوغمين كه فلك ستاره ميبرد وآفتاب مى آرد

﴿رحمة منا﴾؛ أي: لرحمة عظيمة عليه من عندنا ﴿وذكرى لأولي الألباب﴾، ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر، ويلجؤوا إلى الله فيما ينزل بهم كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة: قال الكاشفي: [رحمت إلٰهي فرج را بصبر ناريست].

اصبر فإن الصبر مفتاح الفرج

كليد صبر كسى راكه باشد اندردست هرآينه در كنج مراد بكشايد

بشام تيره محنت بساز وصبر نماى كه دمبدم سحر از برده روى بنمايد

[آورده أندكه درزمان مرض أيوب عليه السلام زوجه أو رحمه بهمى رفته بود وديرمى آمد أيوب سوكند خورد كه أورا صدجوب بزند جون تباشير صبح صحت أزافق رحمت روى نمود وأيوب بحالت تن درستي وجواني بازآمد خواست تاسوكند خودرا راست كند خطاب از حضرت عزت رسيدكه].

﴿وخذ بيدك ضغثاً﴾.

قال في «الإرشاد»: معطوف على اركض أو على وهبنا بتقدير. وقلنا خذ بيدك إلخ والأول أقرب لفظاً. وهذا أنسب معنى؛ فإن الحاجة إلى هذا الأمر لا تمس إلا بعد الصحة. والضغث: الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه في «المفردات» الضغث: قبضة ريحان أو حشيش. وبه شبه الأحلام المختلطة التي لا يتبين حقائقها. انتهى.

وقال الكاشفي: [وبكير بدست خود دسته از جوب ازخر ما يا از حشائش خشك شده كه بعدد صد باشد وفي «كشف الأسرار» مفسران كفتند إبليس برصورت طبيبي برسر راه نشست وبيماران را مداوات مي كرد زن أيوب آمد وكفت بيمارى كه فلان علت دارد أورا مداوات كنى إبليس كفت أورا مداوات كنم وشفادهم بشرط آنكه جون أورا شفادهم اومرا كويد «أنت شفيتني» يعني: تومرا شفا دادي ازشما جزاين نخواهم زن بيامد وآنجه ازوى شنيد بأيوب كفت أيوب بدانست كه آن شيطانست وأورا از راه مى برد وكفت «والله لئن برئت لأضربنك مائة» بس جون به شد جبريل آمد وبيام آورد ازحق تعالى كه آن زن ترا درايام بلا خدمت نيكو كرد اكنون تخفيف ويرا وتصديق سوكند خودرا دسته كياه وريحان كه بعدد صد شاخ باشد يا قبضه كه ازين درخت كندم كه خوشه برسردارد آنرا بدست خويش كير].

فإنه قال في «التكملة»: وقد روي: أنه أخذ مائة سنبلة في كف واحد فضربها بها.

وقيل: باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب إذا قام فحلف بذلك.

قال في «فتح الرحمٰن»: روي أن أيوب عليه السلام كانت زوجته مدة مرضه تختلف إليه فيتلقاها الشيطان مرة في صورة طبيب ومرة في هيئة ناصح، فيقول لها: لو سجد هذا المريض

للصنم الفلاني لبرىء، ولو ذبح عناقاً للصنم الفلاني لبرىء. ويعرض لها وجوهاً من الكفر فكانت هي ربما عرضت ذلك على أيوب، فيقول: لقيت عدو الله في طريقك، فلما أغضبته حلف إن عوفي ليجلدنها مائة جلدة. انتهى.

يقول الفقير: هذه الوجوه ذكرت أيضاً في غيره من التفاسير لكنها ضعيفة، فإن امرأة أيوب، وهي رحمة وكانت بنت ابن يوسف الصديق عليه السلام على ما هو الأرجح، ولا يتصور من مثل هذه المرأة المتدينة أن تحمل أيوب على ما هو كفر في دينه وفي سائر الأديان، وبمجرد نقل كلام العدو لا يلزم الغضب والحلف، فالوجه الأول أليق بالمقام. **﴿فاضرب به﴾**؛ أي: بذلك الضغث زوجك. **﴿ولا تحنث﴾** في يمينك، فإن البر يتحقق به، فأخذ ضغثاً فضربها ضربة واحدة. يقال: حنث في يمينه إذا لم يف بها.

وقال بعضهم: الحنث: الإثم ويطلق على فعل ما حلف على تركه وترك ما حلف على فعله من حيث إن كل واحد منهما سبب له.

وفي «تاج المصادر» [الحنث: دروغ شدن سوكند] ويعدى بفي [وبزه مند شدن]. فإن قيل: لم قال الله تعالى لأيوب عليه السلام **﴿لا تحنث﴾**. وقال لمحمد ﷺ: **﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾** [التحريم: ٢]. قلنا: لأن كفارة اليمين لم تكن لأحد قبلنا، بل هي لنا مما أكرم الله به هذه الأمة بدليل قوله تعالى: لكم. كذا في «أسئلة الحكم».

وفي كلام بعض المفسرين: لعل التكفير لم يجز في شرعهم أو أن الأفضل الوفاء به. انتهى.

قال الشيخ نجم الدين رحمه الله: أراد الله أن يعصم نبيه أيوب عليه السلام من الذنبين اللازمين. أحدهما: إما الظلم وإما الحنث، وأن لا يضيع أجر إحسان المرأة مع زوجها، وأن لا يكافئها بالخير شراً، وتبقى ببركتها هذه الرخصة في الأمم إلى يوم القيامة. انتهى.

فقد شرع الله هذه الرحمة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها، وهي رخصة باقية في الحدود يجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة إما بأطرافها قائمة أو بأعراضها مبسوطة على هيئة الضرب؛ أي: بشرط أن توجد صورة الضرب؛ ويعمل بالحيل الشرعية بالاتفاق.

روي: أن الليث بن سعد حلف أن يضرب أبا حنيفة بالسيف، ثم ندم من هذه المقالة وطلب المخرج من يمينه، فقال أبو حنيفة رحمه الله: خذ السيف واضربني بعرضه، فتخرج عن يمينك كما في «مناقب الإمام» رضي الله عنه.

قال في «فتح الرحمٰن»: مذهب الشافعي إذا وجب الحد على مريض وكان جلداً أخر للمرض، فإن لم يرج برؤه جلد بعثكال عليه مائة غصن، فإن كان خمسين ضرب به مرتين وتمسه الأغصان، أو ينكبس بعضها على بعض ليناله بعض الألم، فإن برىء أجزأه. ومذهب أبي حنيفة رحمه الله يؤخر فلا يجلد حتى يبرأ كمذهب الشافعي، فإن كان ضعيف الخلقة يخاف عليه الهلاك لو ضرب شديداً، يضرب مقدار ما يتحمله من الضرب. ومذهب مالك: لا يضرب إلا بالسوط ويفرق الضرب وعدد الضربات مستحق لا يجوز تركه، فإن كان مريضاً آخر إلى أن يبرأ كمذهب الشافعي وأبي حنيفة ومذهب أحمد: يقام الحد في الحال ولا يؤخر للمرض، ولو رجى زواله ويضرب بسوط يؤمن معه التلف كالقضيب الصغير، فإن خشي عليه من السوط أقيم

بأطراف الثياب وعثكول النخل، فإن خيف عليه من ذلك جمع ضغث فيه مائة شمراخ، فضرب به ضربة واحدة كقول الشافعي. وأما إذا كان الحد رجماً، فلا يؤخر بالاتفاق ولا يقام الحد على حامل حتى تضع بغير خلاف، فأبو حنيفة: إن كان حدها الجلد، فحتى تتعالّ؛ أي: تخرج من نفاسها، وإن كان الرجم فعقيب الولادة، وإن لم يكن للصغير من يربيه، فحتى يستغني عنها. والشافعي حتى ترضعه اللبان ويستغني بغيرها، أو فطام لحولين. ومالك وأحمد بمجرد الوضع.

﴿إنا وجدناه﴾ علمناه ﴿صابراً﴾ فيما أصابه في النفس والأهل لولا أنا وجدناه صابراً؛ أي: جعلناه يدل على هذا المعنى قوله تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]؛ أي: هو الذي صبرك وإن لم تكن تصبر. انتهى.

روي: أنه بلغ أمر أيوب عليه السلام إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان، فجاءت دودة إلى القلب فعضته، وأخرى إلى اللسان فعضته، فعند ذلك دعا أيوب فوقعت دودة في الماء فصار علقاً وأخرى في البر فصار نحلاً يخرج منه العسل.

وفي «زهرة الرياض»: أنه بقي على بدنه أربعة من الديدان. واحد طار ووقع على شجرة الفرصاد، فصار دود القز وواحد وقع في الماء فصار علقاً وواحد وقع في الحبوب فصار سوساً، والرابع طار ووقع في الجبال والأشجار فصار نحلاً، وهذا بعدما كشف الله عنه.

واعلم أن العلماء قالوا: إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الأمراض المنفرة ويناقش فيه بحديث أيوب عليه السلام إذ روي أنه تفرق عنه الناس حتى ارتد بعض من آمن به إلا أن يستثنى أيوب عليه السلام، فإن ابتلاءه كان خارقاً للعادة وابتلاء الناس به أي ابتلاء.

ثم اعلم أنه ليس في شكواه إلى الله تعالى إخلال بصبره فإن الصبر حبس النفس عن الشكوى لغير الله لا إلى الله تعالى، وفي حبس النفس عن الشكوى إلى الله في رفع الضر مقاومة القهر الإلهي، وهو ليس من آداب العبودية، فلا بد من الشكاية ليصح الافتقار الذي هو حقيقتك المميزة نسبة العبودية من الربوبية. ولذا قال أبو زيد البسطامي قدس سره:

جارجيز آورده ام شاها كه دركنج تونيست
نيستي وحاجت وعجز ونياز آورده ام

وجاع بعض العارفين فبكى فعاتبه في ذلك بعض من لا ذوق له، فقال: إنما جوّعني لأبكي، وأسأل ﴿نعم العبد﴾؛ أي: أيوب ﴿إنه أواب﴾ تعليل لمدحه؛ أي: إنما كان نعم العبد؛ لأنه رجاع إلى الله تعالى لا إلى الأسباب مقبل بجملة وجوده إلى طاعته أو رجاع إلى الحضرة في طلب الصبر على البلاء، والرضى بالقضاء. ولقد سوى الله تعالى بين عبديه اللذين أحدهما أنعم عليه فشكر، والآخر ابتلي فصبر حيث أثنى عليهما ثناء واحداً فقال في وصف سليمان: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

وفي وصف أيوب كذلك، ولم يلزم من الأوابية الذنب؛ لأن بلاء أيوب كان من قبيل الامتحان على ما سبق.

واعلم أن العيش في البلاء مع الله عيش الخواص، وعيش العافية مع الله عيش العوام.

وذلك لأن الخواص يشاهدون المبلى في البلاء وتطيب عيشتهم بخلاف العوام؛ فإنهم بمعزل من الشهود، فيكون البلاء لهم عين المحنة، ولذا لا صبر لهم.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: أيوب عليه السلام رأس الصابرين إلى يوم القيامة.

قال بعضهم: [بلا ذخيرة أوليا واختيار اصفيا است هر يكى بنوعى ممتحن بودند. نوح بدست قوم خويش كرفتار. إبراهيم بآتش نمرود. إسماعيل بفتنه ذبح. يعقوب بفراق فرزند. زكريا ويحيى بمحنت قتل. موسى بدست فرعون وقبطيان وعلى هذا أوليا وأصفيا. يكى را محنت غربت بود ومذلت. يكى راكر سنكى وفاقت. يكى رابيماري وعلت. يكى را قتل وشهادت. مصطفى عليه السلام كفت (إن الله ادخر البلاء لأوليائه كما ادخر الشهادة لأحبابه) جون رب عزت آن بلاها از أيوب كشف كرد روزى بخاطروى بكذشت كه نيك صبر كردم دران بلا ندا آمدكه «أأنت صبرت أم نحن صبرناك يا أيوب لولا أنا وضعنا تحت كل شعرة من البلاء جبلاً من الصبر لم تصبر» جنيد قدس سره كفت].

من شهد البلاء بالبلاء ضجّ من البلاء، ومن شهد البلاء من المبلى حنّ إلى البلاء.

قال ابن عطاء: ليخفف ألم البلاء عنك علمك بأن الله هو المبلي.

واعلم أن لكل بلاء خلفاً إما في الدنيا، وإما في الآخرة وإما في كليهما. قال الصائب:

هـر مـحـنـتـى مـقـدمـه راحـتـى بـود　　شد همز بان حق جو زبان كليم سوخت

يروى: أن الله تعالى لما أذهب عن أيوب ما كان به من الأذى أنزل عليه ثوبين أبيضين من السماء، فاتزر بأحدهما، وارتدى بالآخر. ثم مشى إلى منزله، فأقبلت سحابة فسحت في أندر قمحه ذهباً حتى امتلأ، وأقبلت سحابة أخرى إلى أندر شعيره، فسحت فيه ورقاً حتى امتلأ وشكر الله خدمة زوجته فردها إلى شبابها وجمالها.

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿واذكر عبادنا﴾ المخصوصين من أهل العناية ﴿إبراهيم وإسحاق﴾ بن إبراهيم ﴿ويعقوب﴾ بن إسحاق. ثم أومأ إلى وجه اختصاصهم بجنابه تعالى. فقال: ﴿أولي الأيدي﴾ ذوي الأيدي، وهي جمع يد، بمعنى الجارحة في الأصل أريد بها القوة مجازاً بمعونة المقام، وذلك لكونها سبب التقوى على أكثر الأعمال. وبها يحصل البطش والقهر، ولم تجمع القوة لكونها مصدراً يتناول الكثير. ﴿والأبصار﴾ جمع بصر. حمل على بصر القلب ويسمى البصيرة، وهي القوة التي يتمكن بها الإنسان من إدراك المعقولات.

قال في «المفردات»: البصر يقال للجارحة الناظرة، وللقوة التي فيها يقال لقوة القلب المدركة: بصيرة وبصر، ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة. وجمع البصر: أبصار. وجمع البصيرة: بصائر. والمعنى: ذوي القوة في الطاعة والبصيرة في أمور الدين.

ويجوز أن يراد بالأيدي الأعمال الجليلة لأن أكثر الأعمال تباشر بها، فغلب الأعمال بالأيدي على سائر الأعمال التي تباشر بغيرها، وأن يراد بالأبصار المعارف والعلوم الشريفة؛ لأن البصر والنظر أقوى مباديها، وهم أرباب الكمالات العملية والنظرية، والذين لا يفكرون فكر ذوي الديانات في حكم من لا استبصار لهم.

وفيه تعريض بالجهلة البطالين، وأنهم كالزمنى والعميان حيث لا يعملون عمل الآخرة ولا يستبصرون في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع تمكنهم منهما. وفي المثنوي:

أنـدريـن ره مـى تـراش ومـى خـراش تـا دم آخـر دمـى فـارغ مـبـاش

﴿إنا أخلصناهم بخالصة﴾ تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة. والتنكير للتفخيم؛ أي: إنا جعلناهم لنا بخصلة خالصة عظيمة الشأن لا شوب فيها. ﴿ذكرى الدار﴾ مصدر بمعنى التذكر مضاف إلى مفعوله، وهو خبر مبتدأ محذوف. والجملة صفة خالصة.

والتقدير: هي تذكرهم للدار الآخرة دائماً ولا همّ لهم غيرها وإطلاق الدار يعني مراداً بها الدار الآخرة للإشعار بأنها الدار في الحقيقة وإنما الدنيا معبر.

فإن قيل: كيف يكونون خالصين لله تعالى وهم مستغرقون في الطاعة، وفيما هو سبب لها، وهو تذكر الآخرة.

قلت: إن استغراقهم في الطاعة إنما هو لاستغراقهم في الشوق إلى لقاء الله، ولما لم يكن ذلك إلا في الآخرة، استغرقوا في تذكرها وفي الآخرة: [آن ياد كردن سراى آخر تست جه مطمح نظر أنبيا جزفوز بلقاى حضرت كبريا نيست وآن در آخرت ميسر شود].

وفي «التأويلات النجمية»: إنا صفيناهم عن شوب صفات النفوس وكدورة الأنانية وجعلناهم لنا خالصين بالمحبة الحقيقية ليس لغيرنا فيهم نصيب ولا يميلون إلى الغير بالمحبة العارضة لا إلى أنفسهم ولا إلى غيرهم بسبب خصلة خالصة غير مشوبة بهمّ آخر هي ذكرى الدار الباقية، والمقر الأصلي؛ أي: استخلصناهم لوجهنا بسبب تذكرهم لعالم القدس وإعراضهم عن معدن الرجس مستشرفين لأنواره لا التفات لهم في الدنيا وظلماتها أصلاً. انتهى.

يقول الفقير: أراد أن الدنيا ظلمة؛ لأنها مظهر جلاله تعالى والآخرة نور؛ لأنها مجلى جماله تعالى. والتاء: للتخصيص. والأصل: الآخر الذي هو الله تعالى، ولذا يرجع العباد إليه بالآخرة.

﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين﴾. قوله: عند ظرف لمحذوف دل عليه المصطفين، ولا يجوز أن يكون معمولاً لقوله: من المصطفين؛ لأن الألف واللام فيه بمعنى الذي. وما في حيز الصلة لا يتقدم على الموصول.

والمصطفين: بفتح الفاء والنون جمع مصطفى. أصله: مصطفيين بالياءين وبكسر الأولى. والمعنى لمن المختارين من أمثالهم ﴿الأخيار﴾ المصطفين عليهم في الخير.

وفي «التأويلات النجمية»: وأنهم في الحضرة الواحدية لمن الذين اصطفيناهم لقربنا من بني نوعهم الأخيار المنزهين عن شوائب الشر والإمكان والعدم والحدثان. انتهى.

وذكر العندية وقرن بها الاصطفائية إشارة إلى أن الاصطفائية في العبودية أزلية قبل وجود الكون فشرفهم خاص وموهبة خالصة بلا علل.

والأخيار: جمع خير كشر وأشرار على أنه اسم تفضيل أو خير بالتشديد أو خير بالتخفيف كأموات جمع: ميت وميت.

﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿واذكر إسماعيل﴾ بن إبراهيم عليهما السلام، وليس هو بأشموئيل بن هلقاثان على ما قال قتادة. وإنما فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه للإشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكر، وذلك لأنه أسلم نفسه للذبح في سبيل الله، أو ليكون أكثر تعظيماً، فإنه جد أفضل الأنبياء والمرسلين. **﴿واليسع﴾** هو ابن أخطوب من العجوز استخلفه إلياس عليه السلام على بني إسرائيل، ثم استنبىء ودخل اللام على العلم لكونه منكراً بسبب طرو الاشتراك عليه فعرف باللام العهدية على إرادة اليسع الفلاني مثل قول الشاعر:

رأيت الوليد بن اليزيد مباركا

﴿وذا الكفل﴾: هو ابن عم يسع أو يشير بن أيوب عليه السلام بعث بعد أبيه إلى قوم في الشام.

واختلف في نبوته. والأكثرون على أنه نبي لذكره في سلك الأنبياء، واختلف أيضاً أنه إلياس، أو يوشع، أو زكريا، أو غيرهم. وإنما لقب بذي الكفل؛ لأنه فرّ إليه مائة نبي من بني إسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم بمعنى: أطعمهم وكساهم وكتمهم من الأعداء.

وفي «التأويلات النجمية»: قيل: إن اليسع وذا الكفل كانا أخوين، وذو الكفل تكفل بعمل رجل صالح مات في وقته كان يصلي لله كل يوم مائة صلاة، فأحسن الله إليه الثناء.
﴿وكل﴾؛ أي: وكلهم على أن لا يكونوا بدلاً منهم **﴿من الأخيار﴾** المشهورين بالخيرية.

والآيات تعزية وتسلية للنبي ﷺ، فإن الأنبياء عليهم السلام إذا اجتهدوا في الطاعات وقاسوا الشدائد والآفات وصبروا على البلايا والأذيات من أعدائهم مع أنهم مفضولون، فالنبي عليه السلام أولى بذلك لكونه أفضل منهم والأفضل يقاسي ما لا يقاسي المفضول إذ به تتم رتبته وتظهر رفعته.

قال في «كشف الأسرار»: [اسما دختر صديق رضي الله عنها روايت كندكه مصطفى عليه السلام روزى در انجمن قريش بكذشت يكى از ايشان برخاست كفت تويى كه خدايان مارا بد ميكويى ودشنام مى دهى رسول خدا كفت من ميكويم كه معبود عالميان يكيست بي شريك وبي نظير شما در برستش اصنام برباطليد ايشان همه بيكبار هجوم كردند ودر رسول آو يختندن واورا ميزدند اسما كفت اين ساعت يكى آمد بدر سراى أبو بكر وكفت «أدرك صاحبك» صاحب خويش را در ياب كه در زخم دشمنانى كرفتارست أبو بكر بشتاب رفت وبا ايشان كفت «ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم» ايشان رسول رابكذاشتند وأبو بكر را بيمحابا زدند وأبو بكر كيسوان داشت جون بخانه باز آمدد ست بكيسوان فرو مى آورد وموى بدست وبازمى آمد وميكفت «تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام» رب العالمين اين همه رنج وبلا بردوستان نهد كه از ايشان دوجيز دوست دارد جشمى كريان ودلى بريان ودوست داردكه بنده مى كريد واورا دران كريه مى ستايدكه «ترى أعينهم تفيض من الدمع» ودوست دارد كه بنده مى نالد وبردركاه او مى زارد واوراد آن مى ستايدكه]. وجلت قلوبهم. وفي المثنوي:

باسياستهاى جاهل صبركن | خوش مدارا كن بعقل من لدن
صبر برنا اهل اهلا نراجليست | صبر صافي ميكندهر جادليست
آتش نمرود إبراهيم را | صفوت آينه آمد در جلا
جور كفر نوحيان وصبر نوح | نوح را شد صيقل مرآت نوح
أنبيا رنج خسان بس ديده اند | از جنين ماران بسى بيجيده اند
روبكش خندان وخوش بار حرج | از بى الصبر مفتاح الفرج

اللهم أعنا على الصبر ﴿هذا﴾ المذكور من الآيات الناطقة بمجالس الأنبياء ﴿ذكر﴾؛ أي: شرف لهم وذكر جميل يذكرون به أبداً كما يقال: يموت الرجل ويبقى اسمه وذكره، ويموت الفرس ويبقى ميدانه:

ياد كارست جون حديث بشر | ياد كارت بخير به كه بشر

وفي التفسير الفارسي: [اين خبر انبيا سبب ياد كردست ترا اي محمد وقوم ترا]. كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هذا ذكر من مضى من الأنبياء.

وفي «التأويلات النجمية»: هذا؛ أي: القرآن فيه ذكر ما كان، وذكر الأنبياء وقصصهم لتعتبر بهم وتقتدي بسيرهم. ﴿وإن للمتقين﴾ الذين يتقون الله لا ما سواه وهذا لأن جنات عدن مقام أهل الخصوص ﴿لحسن مآب﴾، مرجع في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من الثناء الجميل، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف؛ أي: مآباً حسناً.

﴿جنات عدن﴾ عطف بيان لحسن مآب.

وأصل العدن في اللغة: الإقامة ثم صار علماً بالغلبة. روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إن الله تعالى بنى جنة عدن بيده وبناها بلبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل ملاطها المسك وترابها الزعفران وحصباءها الياقوت، ثم قال لها: تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون. قالت الملائكة طوبى لك منزل الملوك».

يقول الفقير: دل الحديث على أن جنة عدن مقر الخواص والمقربين الذين هم بمنزلة الملوك من الرعايا ودل عليه الإطلاق في قوله أيضاً: قد أفلح المؤمنون؛ لأن الله تعالى عقب في القرآن قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: ١] بصفات جليلة لا تتيسر إلا للخواص، فأين السياس من منازل السلاطين. ﴿مفتحة﴾؛ أي: حال كون تلك الجنات مفتحة. ﴿لهم الأبواب﴾ منها، والأبواب: مفعول مفتحة؛ أي: إذا وصلوا إليها وجدوها مفتوحة الأبواب لا يحتاجون إلى فتح بمعاناة ولا يلحقهم ذل الحجاب ولا كلفة الاستئذان تستقبلهم الملائكة بالتبجيل والترحيب والإكرام يقولون: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.

وقيل: هذا مثل كما تقول: متى جئتني وجدت بابي مفتوحاً لا تمنع من الدخول. فإن قيل: ما فائدة العدول عن الفتح إلى التفتيح.

قلنا: المبالغة وليست لكثرة الأبواب بل لعظمها كما ورد من المبالغة في وسعها وكثرة الداخلين، ويحتمل أن يكون للإشارة إلى أن أسباب فتحها عظيمة شديدة؛ لأن الجنة قد حفت بالمكاره على وجه ما رآها جبرائيل عليه السلام مع عظمة نعيمها، قال: يا رب أنى هذه لا يدخلها أحد.

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ۝٥١ ۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ۝٥٢ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝٥٣ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾.

﴿متكئين فيها﴾، حال من لهم؛ أي: حال كونهم جالسين فيها جلسة المتنعمين للراحة ولا شك أن الاتكاء على الأرائك دليل التنعم ثم استأنف لبيان حالهم في الجنات، فقال: ﴿يدعون فيها﴾. [مى خوانند دران بهشتها]. ﴿بفاكهة كثيرة﴾؛ أي: بألوان الفاكهة، وهي ما يؤكل للذة لا للغذاء والاقتصار على دعاء الفاكهة للإيذان بأن مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي، فإنه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل فيها. ﴿وشراب﴾؛ أي: ويدعون فيها أيضاً بشراب. وقيل: تقديره: وشراب كثير فحذف اكتفاء بالأول؛ أي: يدعون بشراب كثير بمعنى ألوانه.

يقال: نطق القرآن بعشرة أشربة في الجنة منها: الخمر الجارية من العيون وفي الأنهار.

ومنها: العسل واللبن وغيرهما. ولا شك أن الأذواق المعنوية في الدنيا متنوعة ومقتضاه تنوع التجليات الواقعة في الجنة سواء كانت تجليات شرابية أو غيرها.

﴿وعندهم﴾؛ أي: عند المتقين ﴿قاصرات الطرف﴾؛ أي: زوجات قصرن طرفهن؛ أي: نظرهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم: يعني [زنانى كه از غير شوهر جشم باز كيرند].

قال في «كشف الأسرار»: هذا كقولهم فلانة عند فلان؛ أي: زوجته ﴿أتراب﴾ جمع: ترب بالكسرة، وهي اللدة؛ أي: من ولد معك والهاء في اللدة عوض عن الواو الذاهبة من أوله؛ لأنه من الولادة.

والمعنى: لدات أقران ينشأن معاً تشبيهاً في التساوي والتماثل بالترائب التي هي ضلوع الصدر ولوقوعهن على الأرض معاً؛ أي: يمسهن التراب في وقت واحد.

قال في «كشف الأسرار»: لدات مستويات في السن لا عجوز فيهن ولا صبية.

وقال بعضهم: لدات لأزواجهن؛ أي: هن في سن أزواجهن: يعني: [تمام زنان بهشت درسن متساوى ازواج باشند مجموع سى وسه سال] لا أصغر ولا أكبر. وفيه: أن رغبة الرجل فيمن هي دونه في السن أتم وأنه كان التحاب بين الأقران أرسخ، فلا يكون كونهن لدات لأزواجهن صفة مدح في حقهن. [وبعضى برانندكه مراد از أتراب آنست كه همه زنان متساوى باشند در حسن يعنى هيج يك را رديكرى فضلى نبود دران تاطبع بفاضله كشد واز مفضوله منصرف كردد]. وفي الخبر الصحيح: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين سنة»، «لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من ورائها».

﴿هذا﴾؛ أي: تقول لهم الملائكة: هذا المعد من الثواب والنعيم. ﴿ما توعدون﴾ أيها المتقون على لسان النبي عليه السلام ﴿ليوم الحساب﴾؛ أي: لأجله فإن الحساب علة للوصول إلى الجزاء.

يقول الفقير: ويحتمل أن يكون التقدير: ما توعدون بوقوعه في يوم الحساب والجزاء.

﴿إن هذا﴾؛ أي: ما ذكر من ألوان النعم والكرامات. ﴿لرزقنا﴾ عطاؤنا أعطيناكموه.

﴿ما له من نفاد﴾؛ أي: ليس له انقطاع أبداً وفناء وزوال.

قال في «المفردات»: النفاد: الفناء.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ليس لشيء نفاد ما أكل من ثمارها خلف مكانه مثله، وما أكل من حيوانها وطيرها عاد مكانه حياً.

وفي «التأويلات النجمية»: وبقوله: ﴿**جنات عدن**﴾ إلى قوله: ﴿**ليوم الحساب**﴾ يشير إلى أن هذه الجنات بهذه الصفات مفتوحة لهم الأبواب. وأبواب الجنة بعضها مفتوحة إلى الخلق، وبعضها مفتوحة إلى الخالق لا يغلق عليهم واحد منها، فيدخلون من باب الخلق وينتفعون بما أعد لهم فيها ثم يخرجون من باب الخالق وينزلون في مقعد صدق عند مليك مقتدر لا يقيدهم نعيم الجنة ليكونوا من أهل الجنة كما لم يقيدهم نعيم الدنيا ليكونوا من أهل النار، بل أخلصهم من حبس الدارين ومتعهم بنزل المنزلين وجعلهم من أهل الله وخاصته ﴿**إن هذا لرزقنا ما له من نفاد**﴾؛ أي: هذا ما رزقناهم في الأزل، فلا نفاد له إلى الأبد. انتهى.

فعلى العاقل الإعراض عن اللذات الفانية والإقبال على الأذواق الباقية، فالفناء يوصل إلى البقاء كما أن الفقر يوصل إلى الغنى ولكل احتياج استغناء. [حكايت كنند مردى مال بسيار داشت دردلش افتادكه بازركاني كند دران كشتى كه نشسته بود بشكست ومال او جمله غرق شد واو برلوحى بماند بجزيره افتاد حالى بى مونسى ورفيقى سالها بروى آمد دلتنك كشت وغمكين شدشبى برلب دريا نشسته بود وموى باليده وجامها ازوى فروشداين بيت ميكفت].

إذا شـاب الـغـراب أتـيـت أهـلـي وهـيـهـات الـغـراب مـتـى يـشـيـب

[آو ازى درياشنيدكه كسى ميكفت]:

عـسـى الـكـرب الـذي أمـسـيـت فـيـه يـكـون وراءه فـرج قـريـب

[ديكر روز آن مردرا جشم بردريا افتاد وجيزى عظيم ديد جون نزديك آمد كشتى جو عروسى بودجون اين مردرا بديد ند كفتند حال توجيست قصة اش بكفت واز شهر ش خبر داد كفتند ترا هيج بسر بود كفت نعم وصفتش بيان كرد ايشان همه بروى افتادند وبوسه بروى دادند وكفتند اين بسر تواست واين كشتى ازان اوست ومابند كان اوييم وهرجه ازان اوست ازان توبود واورا موى فروكرند وجامهاى فاخر بوشيدند وبراحت باجايكاه خويش آوردند]. فظهر أن ذلك الرجل ظن أن نفسه هلك ورزقه نفد فوجد الله تعالى قد أعطاه حالاً أحسن من حاله الأولى؛ فإن رزقه ليس له نفاد وعطاءه غير مجذوذ.

﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾.

﴿**هذا**﴾؛ أي: الأمر في حق المتقين هذا الذي ذكرناه.

وقال بعضهم: هذا من قبيل ما إذا فرغ الكاتب من فصل وأراد الشروع في فصل آخر منفصل عما قبله. قال هذا أي: احفظ ما كان كيت وكيت وانتظر إلى ما يجيء. ﴿**وإن للطاغين**﴾؛ أي: للذين طغوا على الله وكذبوا الرسل، يعني: للكافرين.

قال الراغب: الطغيان تجاوز الحد في العصيان ﴿**لشر مآب**﴾ مرجع في الآخرة.

﴿**جهنم**﴾ عطف بيان لشر مآب ﴿**يصلونها**﴾، حال من المنوي في للطاغين؛ أي: حال كونهم يدخلونها، ويجدون حرها يوم القيامة، ولكن اليوم مهدوا لأنفسهم، ﴿**فبئس المهاد**﴾؛

أي: جهنم: وبالفارسية: [بس بد آرامكاهيست دوزخ]. وهو: المهد والفرش مستعار من فراش النائم إذ لا مهاد في جهنم ولا استراحة، وإنما مهادها نار وغواشيها نار كما قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ [الأعراف: ٤١]؛ أي: فراش من تحتهم، ومن تجريدية. ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]؛ أي: أغطية: يعني: [زيروزبر ايشبان آتش باشد].

﴿هذا فليذوقوه﴾؛ أي: ليذوقوا هذا العذاب، فليذوقوه. والذوق: وجود الطعم بالفم وأصله في القليل لكنه يصلح للكثير الذي يقال له: الأكل وكثر استعماله في العذاب تهكماً. **﴿حميم﴾**؛ أي: هو حميم وهو الماء الذي انتهى حره: يعني [آن آب كرم است درنهايت حرارت جون بيش لب رسد ويرا بسوزد وجون بخورند دو باره شود]. **﴿وغساق﴾**: ما يغسق من صديد أهل النار؛ أي: يسيل من غسقت العين سال دمعها.

قال الكاشفي: [مراد ريم است كه از كوشت وبوست دوزخيان واز فروج زانيان سيلان ميكند آنرا جمع كرده بديشان مى خورانند].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الزمهرير يحرقهم برده كما يحرقهم النار بحرّها.

وفي «القاموس»: الغساق كسحاب وشداد البارد المنتن فلو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت أهل المغرب، ولو قطرت قطرة في المغرب لنتنت أهل المشرق.

وعن الحسن: هو عذاب لا يعلمه إلا الله إن ناساً اخفوا الله طاعة فأخفى لهم ثواباً في قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم﴾ [السجدة: ١٧]. وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة.

وقيل: هو مستنقع في جهنم يسيل إليه سم كل ذي سم من عقرب وحية يغمس فيه الآدمي فيسقط جلده ولحمه عن العظام.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿هذا﴾** الذي مهدوا اليوم **﴿فليذوقوه﴾** يوم القيامة، يعني قد حصلوا اليوم معنى صورته **﴿حميم وغساق﴾** يوم القيامة ولكن مذاقهم بحيث لا يجدون ألم عذاب ما حصلوه بسوء أعمالهم فليذوقوه يوم القيامة:

هركه أونيك ميكند يابد نيك وبدهر كه ميكند يابد

فإذا تنعم المؤمنون بالفاكهة والشراب تعذب الكافرون بالحميم والغساق.

﴿وآخر﴾ ومذوق آخر أو عذاب آخر **﴿من شكله﴾**؛ أي: من مثل هذا المذوق أو العذاب في الشدة والفظاعة. **﴿أزواج﴾** قوله: آخر مبتدأ وأزواج: مبتدأ ثان. ومن شكله: خبر لأزواج. والجملة خبر المبتدأ الأول وأزواج؛ أي: أجناس؛ لأنه يجوز أن يكون ضروباً: يعني [اين عذاب كونا كونست أما همه متشابه يكديكرند در تعذيب وإيلام].

وفي «التأويلات النجمية»: أي فنون أخر مثل ذلك العذاب يشير به إلى أن لكل نوع من المعاصي نوعاً آخر من العذاب كما أن كل بذر يزرعونه يكون له ثمرة تناسب البذر:

همينت بسندست اكر بشنوى كه كرخار كارى سمن ندروى

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾﴾.

﴿هذا فوج مقتحم معكم﴾: الفوج: الجماعة والقطيع من الناس. وأفاج: أسرع وعدا وندّ.

قال الراغب: الفوج الجماعة المارة المسرعة، وهو مفرد اللفظ، ولذا قيل: مقتحم لا مقتحمون. والاقتحام: الدخول في الشيء بشدة والقحمة: الشدة.

قال في «القاموس»: قحم في الأمر كنصر قحوماً رمى بنفسه فيه فجأة بلا رؤية.

والمعنى: يقول الخزنة لرؤساء الطاغين إذا دخلوا النار مشيرين إلى الأتباع الذين أضلوهم هذا؛ أي: الأتباع فوج تبعكم في دخول النار بالاضطرار كما كانوا قد تبعوكم في الكفر والضلالة بالاختيار، فانظروا إلى أتباعكم لم يحصل بينكم وبينهم تناصر، وانقطعت مودتكم وصارت عداوة.

قيل: يضرب الزبانية المتبوعين والأتباع معاً بالمقامع، فيسقطون في النار خوفاً من تلك المقامع، فذلك هو الاقتحام: وبالفارسية: [اين كردهست كه در آمد كانند در دوزخ برنج وسختى باشما هركه أز روى حرص وشهوت جايى نشيندكه خواهد بجاى كشندش كه نخواهد].

﴿لا مرحباً بهم﴾ مصدر بمعنى الرحب، وهو السعة، وبهم بيان للمدعو وانتصابه على أنه مفعول به لفعل مقدر؛ أي: لا يصادفون رحباً وسعة أو لا يأتون رحب عيش ولا وسعة مسكن، ولا غيره. وحاصله: لا كرامة لهم، أو على المصدر؛ أي: لا رحبهم عيشهم ومنزلهم رحباً، بل ضاق عليهم: وبالفارسية: [هيج مرحبا مباد ايشانرا]. يقول الرجل لمن يدعوه مرحباً؛ أي: أتيت رحباً من البلاء، وأتيت واسعاً وخيراً كثيراً.

قال الكاشفي: [مرحبا كلمه ايست براى اكرام مهمان ميكويند].

وقال غيره: يقصد به إكرام الداخل وإظهار المسرة بدخوله، ثم يدخل عليه كلمة لا في دعاء السوء.

وفي بعض شروح الحديث التكلم بكلمة مرحباً سنة اقتداء بالنبي ﷺ حيث قال: «مرحباً يا أم هانىء» حين ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح، وهي بنت أبي طالب أسلمت يوم الفتح، ومن أبواب الكعبة باب أم هانىء لكون بيتها في جانب ذلك الباب، وقد صحّ أنه عليه السلام عرج به من بيتها كما قال المولى الجامي:

جو دولت شد زبد خواهان نهانى سوى دولت سراى أم هانى

﴿إنهم صالو النار﴾ تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم؛ أي: داخلون النار بأعمالهم السيئة وباستحقاقهم. ﴿قالوا﴾؛ أي: الأتباع عند سماع ما قيل في حقهم. ﴿بل أنتم لا مرحباً بكم﴾ [بلكه شما مرحبا مباد شمارا بدين نفرين سزاوار تريد]. خاطبوا الرؤساء مع أن الظاهر أن يقولوا بطريق الاعتذار إلى الخزنة، بل هم لا مرحباً بهم قصداً منهم إلى إظهار صدقهم بالمخاصمة مع الرؤساء والتحاكم إلى الخزنة طمعاً في قضائهم بتخفيف عذابهم، أو تضعيف عذاب خصمائهم؛ أي: بل أنتم أيها الرؤساء أحق بما قيل لنا من جهة الخزنة لإغوائكم إيانا مع ضلالكم في أنفسكم. ﴿أنتم قدمتموه لنا﴾ تعليل لأحقيتهم بذلك؛ أي: أنتم قدمتم العذاب أو الصليّ لنا وأوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدي إليه من العقائد الزائغة، والأعمال السيئة وتزيينها في أعيننا وإغرائنا عليها لا أنا باشرنا من تلقاء أنفسنا. وذلك أن سبب عذاب الأتباع هو تلك العقائد والأعمال والرؤساء لم يقدموها، بل الذين قدموها هم الأتباع باختيارهم إياها واتصافهم بها، والذي قدمه الرؤساء لهم ما يحملهم عليها من الإغواء والإغراء عليها،

وهذا القدر من السببية كاف في إسناد تقديم العذاب أو الصليّ إلى الرؤساء.

﴿فبئس القرار﴾؛ أي: فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها جناية الرؤساء عليهم. ﴿قالوا﴾؛ أي: الأتباع معرضين عن خصومتهم متضرعين إلى الله. ﴿ربنا من قدم لنا هذا﴾ العذاب أو الصليّ.

وفي «التفسير» الفارسي: [هركه فرا بيش داشت براى ما اين كفر وضلال ومارا ازراه حق بلغزانيد]. ﴿فزده عذاباً ضعفاً في النار﴾. [بس زياده كن أورا عذابي دوباره در آتش يعني آن مقدار عذاب كه دارد آنزا دوجندان كن]. ومن يجوز أن تكون شرطية وفزده جوابها، وأن تكون موصولة بمعنى الذي مرفوعة المحل على الابتداء والخبر، فزده، والفاء: زائدة لتضمن المبتدأ معنى الشرط، وضعفاً صفة لعذاباً بمعنى مضاعفاً. وفي النار ظرف لزده، أو نعت لعذاباً.

قال الراغب: الضعف من الأسماء المتضايفة التي يقتضي وجود أحدها وجود الآخر كالضعف والزوج، وهو تركب قدرين مساويين ويختص بالعدد، فإذا قيل: ضعفت الشيء وضاعفته؛ أي: ضممت إليه مثله فصاعداً، فمعنى عذاباً ضعفاً؛ أي: عذاباً مضاعفاً؛ أي: ذا ضعف بأن يزيد عليه مثله، ويكون ضعفين؛ أي: مثلين، فإن ضعف الشيء وضعفيه مثلاه كقولهم ربنا وآتهم ضعفين من العذاب.

فإن قلت: كل مقدار يعرض من العذاب، إن كان بقدر الاستحقاق لم يكن مضاعفاً، وإن كان زائداً عليه كان ظلماً، فكيف يجوز سؤاله من الله تعالى يوم القيامة.

قلت: إن المسؤول من التضعيف ما يكون بقدر الاستحقاق بأن يكون أحد الضعفين بمقابلة الضلال، والآخر بمقابلة الإضلال. قال عليه السلام: «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة». ونظيره أن الكافرين إذا قتل أحدهما وزنى دون الآخر، فهما متساويان في وزر الكفر. وأما القاتل والزاني، فعذابه مضاعف لمضاعفة عمله السيىء.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: العذاب الضعف هو الحيات والأفاعي. وذلك المضل آذى روح من أضله في الدنيا، فسلط الله عليه المؤذي في الآخرة، لأن الجزاء من جنس العمل.

فعلى العاقل إصلاح الباطن وتزكيته من الأخلاق الذميمة، والأوصاف القبيحة وإصلاح الظاهر وتحليته عن الأقوال الشنيعة، والأعمال الفظيعة، ولا يغتر بالقرناء السوء فإنهم منقطعون غداً عن كل خلة ومودة، ولا ينفع لأحد إلا القلب السليم والعلم النافع والعمل الصالح:

بضاعت بجندانكه آرى برى وكر مفلسى شر مسارى برى

اللهم اجعلنا من أهل الرحمة لا من أهل الغضب.

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿وقالوا﴾؛ أي: الطاغون مثل أبي جهل وأضرابه: وبالفارسية: [وكويند صناديد قريش دردوزخ]. ﴿ما لنا﴾ [جيست مارا امروز]. وما: استفهامية مبتدأ ولنا خبره، وهو مثل قوله: ﴿مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ [النمل: ٢٠] في أن الاستفهام محمول على التعجب لا على حقيقته إذ لا معنى لاستفهام العاقل عن نفسه. ﴿لا نرى رجالاً﴾ الفعل المنفي حال من معنى الفعل في ما

لنا كما تقول ما لك قائماً بمعنى ما تصنع قائماً؛ أي: ما نصنع حال كوننا غير رائين رجالاً.

والمعنى؛ أي حال لنا لا نرى في النار رجالاً ﴿**كنا**﴾ في الدنيا ﴿**نعدّهم من الأشرار**﴾ يعني [از بدان ومردودان]، جمه شر، وهو الذي يرغب عنه الكل كما أن الخير هو الذي يرغب فيه الكل يعنون فقراء المسلمين كانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم مثل صهيب الرومي وبلال الحبشي وسلمان الفارسي وحباب وعمار وغيرهم من صعاليك المهاجرين الذين كانوا يقولون لهم: هؤلاء منّ الله عليهم من بيننا سموهم أشراراً، إما بمعنى الأراذل والسفلة الذين لا خير فيهم ولا جدوى، كما قال هذا من شر المتاع، أو لأنهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم أشراراً.

﴿**أتخذناهم سخرياً**﴾ بقطع الهمزة على أنها استفهام. والأصل أاتخذناهم حذفت همزة الوصل للاستغناء عنها بهمزة الاستفهام. وسخرياً: بضم السين وكسرها مصدر سخر.

قال في «القاموس»: سخر؛ أي: هزىء كاستسخر، والاسم: السخرية، والسخرى ويكسر. انتهى.

زيد فيه ياء النسبة للمبالغة، لأن في ياء النسبة زيادة قوة في الفعل كما قيل: الخصوصية في الخصوص قالوه إنكاراً على أنفسهم، ولو مالها في الاستخبار منهم، فمعنى الاستفهام: الإنكار والتوبيخ والتعنيف واللوم: وبالفارسية: [ما ايشانرا كرفتيم مهزوء بهم]. ﴿**أم زاغت عنهم الأبصار**﴾. يقال: زاغ؛ أي: مال عن الاستقامة وزاغ البصر كل وأم متصلة معادلة لاتخذناهم.

والمعنى؛ أي الأمرين فعلنا بهم الاستسخار منهم أم الازدراء بهم وتحقيرهم؛ فإن زيغ البصر وعدم الالتفات إلى الشيء من لوازم تحقيره فكني به عنه.

قال الحسن: كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخرياً، وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم. والمعنى: إنكار كل واحد من الفعلين على أنفسهم توبيخاً لهم.

ويجوز أن تكون أم منقطعة. والمعنى: اتخذناهم سخرياً، بل زاغت عنهم أبصارنا في الدنيا تحقيراً لهم، وكانوا خيراً منا ونحن لا نعلم على معنى توبيخ أنفسهم على الاستسخار، ثم الإضراب، والانتقال منه إلى التوبيخ على الازدراء والتحقير [در آثار آمده كه حق سبحانه وتعالى آن كروه فقرارا برغرفات بهشت جلوه دهد تاكفار ايشانرا بينند وحسرت ايشان زياده شود].

﴿**إن ذلك**﴾ الذي حكي من أحوالهم. ﴿**لحق**﴾ لا بد من وقوعه البتة. ﴿**تخاصم أهل النار**﴾: خبر مبتدأ محذوف. والجملة بيان لذلك؛ أي: هو تخاصم إلخ، يعني تخاصم القادة والأتباع: وبالفارسية: [جنك وجدل كردن أهل دوزخ وماجراى ايشان]. وهذا إخبار عما سيكون وسمي ذلك تخاصماً على تشبيه تقاولهم، وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك.

وفي «التأويلات النجمية» وبقوله: ﴿**وقالوا ما لنا**﴾ الخ، يشير إلى تخاصم أهل النار مع أنفسهم يسخرون بأنفسهم كما كانوا يسخرون بالمؤمنين، فيقولون: ﴿**ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخرياً**﴾، وما كانوا من الأشرار. ﴿**أم زاغت عنهم الأبصار**﴾ فلا نراهم معنا وهم ها هنا. ﴿**إن ذلك**﴾ التخاصم ﴿**لحق**﴾ مع أنفسهم ﴿**تخاصم أهل النار**﴾ من الندامة حين لا ينفعهم التخاصم ولا الندامة. انتهى.

وفي الآية ذم، وفي الحديث: «اتخذوا الأيادي عند الفقراء قبل أن تجيء دولتهم، فإذا كان يوم القيامة يجمع الله الفقراء والمساكين، فيقال: تصفحوا الوجوه، فكل من أطعمكم لقمة أو سقاكم شربة، أو كساكم خرقة، أو دفع عنكم غيبة، فخذوا بيده وأدخلوه الجنة»: قال الحافظ:

از ازل تابايد فرصت درويشانست ازكر ان تابكران لشكر ظلمست ولى

وفي الحديث: «ملوك الجنة كل أشعث أغبر إذا استأذنوا في الدنيا لم يؤذن لهم، وإن خطبوا النساء لم ينكحوا، وإذا قالوا لم ينصت لقولهم، ولو قسم نور أحدهم بين أهل الأرض لوسعهم»، كذا في «أنيس المنقطعين»: قال الحافظ:

نظر كردن بدر ويشان منافى بزركى نيست سليمان باجنان حشمت نظر هابود بامورش

اللهم اجعل حليتنا حب الفقراء واحشرنا في الدنيا والآخرة مع الفقراء.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿قل﴾ يا محمد لمشركي مكة **﴿إنما أنا منذر﴾** رسول منذر من جهته تعالى أنذركم وأحذركم عذابه على كفركم ومعاصيكم. وقل أيضاً: **﴿وما من إله﴾** في الوجود **﴿إلا الله الواحد﴾** الذي لا يقبل الشركة والكثرة أصلاً؛ أي: لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فلا ملجأ ولا مفر إلا إليه، يعني من عرف أنه الواحد أفرد قلبه له، فكان واحداً به. وقد فسر قوله عليه السلام: «إن الله وتر يحب الوتر»، يعني: القلب المنفرد له:

إذا كان ما تهواه في الحسن واحداً فكن واحداً في الحب إن كنت تهواه

ومن خاصية هذا الاسم أن من قرأها ألف مرة خرج الخلائق من قلبه **﴿القهار﴾** لكل شيء سواه، ومن الأشياء آلهتهم، فهو يغلبهم، فكيف تكون له شركاء، وأيضاً يقهر العباد بذنوبهم ومعاصيهم.

قال الكاشفي: [قهر كننده كه بناى آمال را بقواصف آجال درهم شكند باشركت متوهم وكثرت بي اعتبار را في نفس الأمر وجود ندارد در نظر عارف مضمحل ومتلاشى سازد]:

غيرتش غير درجهان نكذاشت وحدتش اسم اين وآن برداشت
كم شود جمله ظلمت بندار نزد أنوار واحد قهار

يقول الفقير: سمعت من حضرة شيخي وسندي قدس سره، يقول: في هذه الآية ترتيب أنيق، فإن الذات الأحدية تدفع بوحدتها الكثرة وبقهرها الآثار، فيضمحل الكل، فلا يبقى سواه تعالى.

قال بعضهم: القهار الذي له الغلبة التامة على ظاهر كل أمر وباطنه، ومن عرف قهره لعباده نسي مراد نفسه لمراده، فكان له، وبه لا لأحد سواه، ولا شيء دونه.

وخاصية هذا الاسم إذهاب حب الدنيا وعظمة ما سوى الله تعالى عن القلب، ومن أكثر ذكره ظهرت له آثار القهر على عدوه، ويذكر عند طلوع الشمس، وجوف الليل لإهلاك الظالم بهذه الصفة: يا جبار، يا قهار، يا ذا البطش الشديد مرة ثم تقول: خذ حقي ممن ظلمني وعدا عليّ.

وفي «الأربعين الإدريسية»: يا قاهر، ذا البطش الشديد الذي لا يطاق انتقامه يكتب على

جام صيني لحل المعقود وعلى ثوب الحرب في وقته لقهر الأعداء وغلبة الخصوم.

﴿رب السماوات والأرض وما بينهما﴾ من المخلوقات؛ أي: مالك جميع العوالم، فكيف يتوهم أن يكون له شريك. ﴿العزيز﴾ الذي لا يغلب في أمر من أموره. وأيضاً العزيز بالانتقام من المجرمين، فالعزة لله تعالى. وبه التعزز أيضاً، كما قيل: ليكن بربك عزك تستقر وتثبت، فإن أعززت بمن يموت، فإن عزك يموت.

قال الشيخ أبو العباس المرسي رحمه الله: والله ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن المخلوقين.

وخاصية هذا الاسم أن من ذكره أربعين يوماً في كل يوم أربعين مرة أعانه الله وأعزه، فلم يحوجه لأحد من خلقه.

وفي «الأربعين الإدريسية»: يا عزيز المنيع الغالب على أمره، فلا شيء يعادله.

قال السهروردي: من قرأه سبعة أيام متواليات كل يوم ألفاً أهلك الله خصمه، وإن ذكره في وجه العسكر سبعين مرة، ويشير إليهم بيده، فإنهم ينهزمون. ﴿الغفار﴾: المبالغ في المغفرة والستر والمحو لمن تاب وآمن وعمل صالحاً.

قال بعضهم: الغفار كثير المغفرة لعباده، والمغفرة: الستر على الذنوب وعدم المؤاخذة بها. وما جاء على فعال فإشعار بترداد الفعل. وفي الحديث: «إذا قال العبد يا رب اغفر لي قال الله: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ به أشهدكم أني قد غفرت له».

وخاصية هذا الاسم وجود المغفرة، فمن ذكره إثر صلاة الجمعة مائة مرة ظهرت له آثار المغفرة. وقد قال رسول الله ﷺ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا تضوّر من الليل قال: «لا إله إلا الله الواحد القهار رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار». ومعنى تضوّر: تلوّى إذا قام من النوم.

وفي «تاج المصادر»: [التضور: برخويشتن بيجيدن ازكر سنكى يا از زخم]. وفي هذه الأوصاف الجارية على اسم الله تعالى تقرير للتوحيد، فإن إجراء الواحد عليه يقرر وحدانيته وإجراء القهار العزيز عليه وعيد للمشركين، وإجراء الغفار عليه وعد للموحدين وتنبيه ما يشعر بالوعيد من وصفي القهر وتقديم وصف القهارية على وصف الغفارية لتوفية مقام الإنذار حقه.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿قل هو﴾؛ أي: القرآن وما أنبأكم به من أمر التوحيد والنبوة وأخبار القيامة والحشر والجنة والنار وغيرها. ﴿نبأ عظيم﴾ وشأن جسيم؛ لأنه كلام الرب القديم وارد من جانبه الكريم يستدل به على صدقي في دعوى النبوة. والنبأ: ما أخبر النبي عليه السلام عن الله تعالى، ولا يستعمل إلا في خبر ذي فائدة عظيمة.

﴿أنتم عنه معرضون﴾ لا تتفكرون فيه وتعدونه كذباً لغاية ضلالتكم وغاية جهالتكم، فلذا لا تؤمنون به مع عظمته وكونه موجباً للإقبال الكلي عليه، وتلقيه بحسن القبول، فالتصديق فيه نجاة، والكذب فيه هلكة.

﴿ما كان لي﴾ قرأ حفص عن عاصم بفتح الياء والباقون بإسكانها؛ أي: ما كان لي فيما سبق. ﴿من علم﴾؛ أي: علم ما بوجه من الوجوه على ما يفيده حرف الاستغراق. ﴿بالملأ الأعلى﴾؛ أي: بحال الملأ الأعلى، وهم الملائكة وآدم عليهم السلام وإبليس عليه اللعنة، سموا بالملأ الأعلى؛ لأنهم كانوا في السماء وقت التقاول.

قال الراغب: الملأ: الجماعة يجتمعون على رأي، فيملؤون العيون رواء والنفوس جلالة وبهاء. ﴿إذ يختصمون﴾؛ أي: بحالهم وقت اختصامهم ورجوع بعضهم إلى بعض في الكلام في شأن آدم، فإن إخباره عن تقاول الملائكة، وما جرى بينهم من قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] حين قال الله لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] على ما ورد في الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور إلا بالوحي؛ أي: فلو لم يكن لي نبوة ما أخبرتكم عن اختصامهم وإذ متعلق بالحال المحذوف الذي يقتضيه المقام إذ المراد نفي علمه بحالهم لا بذواتهم. والحال يشمل الأقوال الجارية فيما بينهم، والأفعال أيضاً من سجود الملائكة، واستكبار إبليس وكفره.

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

﴿إن﴾؛ أي: ما ﴿يوحى إليّ﴾؛ أي: من حال الملأ الأعلى وغيره من الأمور المغيبة. ﴿إلا أنما﴾ بفتح الهمزة على تقدير لأنما بإسقاط اللام. ﴿أنا نذير﴾ نبي من جهته تعالى. ﴿مبين﴾ ظاهر النظارة والنبوة بالدلائل الواضحة عبر عن النبي بالنذير، لأنه صفته وخصص النذير مع أنه بشير أيضاً؛ لأن المقام يقتضي ذلك.

قال في «كشف الأسرار»: [وكفته اند اين نبأ عظيم سه خبر ست هول مرك وحساب قيامت وآتش دوزخ يحيى بن معاذ رحمه الله كفت «لو ضربت السماوات والأرض بهذه السياط الثلاثة لانقادت خاشعة فكيف، وقد ضرب بها ابن آدم الموت والحساب والنار» [مسكين فرزند آدم أورا عقبهاى عظيم دربيش است وآنجه در كمانها مى افتد بيش امادر درياى عشق دنيا بموج غفلت جنان غرق كشسته كه نه از سابقه خويش مى انديشه نه از خاتمه كار مى ترسد هر روز بامداد فرشته ندا ميكندكه «خلقتم لأمر عظيم وأنتم عنه غافلون» دركار روزكار خود جون انديشه كند كسى زبانرا بدروغ ملوث كرده ودلرا بخلف آلوده وسر از خيانت شوريده كردانيده سرى كه موضع امانت است بخيانت سبرده دلى كه معدن تقوى است زنكار خلف كرفته زبانى كه آلت تصديق است بردروغ وقف كرده لا جرم سخن جز خداع نيست ودين جز نفاق نيست]:

إذا ما الناس جرّبهم لبيب فإني قد أكلتهم وذاقا
فلم أر ودّهم إلا خداعاً ولم أر دينهم إلا نفاقا

[اكنون اكر ميخواهى كه درد غفلت را مداوات كنى راه توآنست كه تخته نفاق را بآب جشم كه از حسرت خيزد بشويى وبر راه كذر بادى كه از مهب ندامت بر آمد بنهى وبدبيرستان شرع شوى وسوره اخلاص بنويسى كه خداوند عالم از بندكان اخلاص درخواهد ميكويد. ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ [البينة: ٥] ومصطفى عليه السلام كفت]. اخلص العمل يجزك منه القليل. والله الموفق.

﴿إذ قال ربك للملائكة﴾ بدل من إذ يختصمون.

فإن قيل: كيف يجوز أن يقال: إن الملائكة اختصموا بهذا القول والمخاصمة مع الله تعالى كفر.

قلت: لا شك أنه جرى هناك سؤال وجواب. وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة والمشابهة تجوّز إطلاق اسم المشبه به على المشبه، فحسن إطلاق المخاصمة على المقاولة الواقعة هناك.

فإن قلت: إن الاختصام المذكور سابقاً مسند إلى الملأ الأعلى وواقع فيما بينهم، وما وقع في جملة البدل، هو التقاول الواقع بين الله تعالى وبينهم؛ لأنه تعالى هو الذي قال لهم وقالوا له، فكيف تجعل هذه الجملة بدلاً من قوله: إذ يختصمون مبيناً ومشتملاً له.

قلت: حيث كان تكليمه تعالى إياهم بواسطة الملك صح إسناد الاختصام إلى الله تعالى لكونه سبباً آمراً، وقد سبق المراد بالملائكة في سورة الحجر فارجع. ﴿إني خالق﴾؛ أي: فيما سيأتي. ﴿بشراً﴾.

قال الراغب: عبر عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلده من الشعر، فإن البشرة هي ظاهر الجلد بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر، أو الوبر.

وقال بعضهم: أي أرباب الحقائق سمي آدم بشراً، لأنه باشره الحق سبحانه بيديه عند خلقه مباشرة لائقة بذلك الجناب مقدسة عن توهم التشبه، فإن المباشرة حقيقة هي الإفضاء بالبشرتين. ولذا كنى بها عن الجماع. ﴿من طين﴾؛ أي: من تراب مبلول.

قال بعض الكبار: من عجز وضعف كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٍ﴾ [الروم: ٥٤]. قالوا: مقام التراب مقام التواضع والمسكنة ومقام التواضع الرفعة والثبات، ولذا ورد: (من تواضع لله رفعه). وكان من دعائه عليه السلام: «اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً. ﴿فإذا سويته﴾؛ أي: صورته بالصورة الإنسانية والخلقة البشرية، أو سويت أجزاء بدنه بتعديل طبائعه كما في الجنين الذي أتى عليه أربعة أشهر، فلا بدّ لنفخ الروح من هذه التسوية البتة، كما لا بدّ لنفخ روح الحقيقة من تسوية الشريعة والطريقة، فليحافظ. ولذا قال النجم في «تأويلاته»: ﴿فإذا سويته﴾ تسوية تصلح لنفخ الروح المضاف إلى الحضرة. ﴿ونفخت فيه من روحي﴾. النفخ: إجراء الريح إلى تجويف جسم صلح لإمساكها والامتلاء بها، وليس ثمة نفخ، ولا منفوخ، وإنما هو تمثيل لإضافة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها؛ أي: فإذا أكملت استعداده، وأفضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من أمري وإضافته إلى نفسه لشرفه وطهارته، أو على سبيل التعظيم؛ لأن المضاف إلى العظيم عظيم كما في بيت الله وناقة الله.

وبهذا ظهر فساد ما ذهب إليه الحلولية من أن من تبعيضية، فيكون الروح جزء من الله تعالى. وذلك أنه ليس لله تعالى هذا الروح من أجزائه، وإنما روحه نفسه الرحماني. وأيضاً: إن كل ما له جزء، فهو ممكن ومحدث، والله تعالى منزه عنهما.

قال القاضي عياض رحمه الله في «الشفاء» من ادعى حلول الباري تعالى في أحد الأشخاص كان كافراً بإجماع المسلمين.

قال الراغب: الروح اسم للنفس، وذلك لكون النفس بعض الروح، فهو كتسمية النوع

باسم الجنس كتسمية الإنسان بالحيوان وجعل اسماً للجزء الذي به تحصل الحياة والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع المضار، وهو المذكور في قوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]. وقوله: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾، وإضافته تعالى إلى نفسه إضافة ملك وتخصيصه بالإضافة تشريف له وتعظيم كقوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الحج: ٢٦]. انتهى.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: إن الروح روحان: حيواني وهي التي تسميها الأطباء المزاج، وهي جسم لطيف بخاري معتدل سار في البدن الحامل لقواه من الحواس الظاهرة، والقوى الجسمانية. وهذه الروح تفنى بفناء البدن وتنعدم بالموت. وروح روحاني، وهي التي يقال لها: النفس الناطقة، ويقال لها: اللطيفة الربانية، والعقل والقلب من الألفاظ الدالة على معنى واحد لها تعلق بقوى النفس الحيوانية. وهذه الروح لا تفنى بفناء البدن وتبقى بعد الموت.

يقول الفقير: قال شيخي وسندي روح الله روحه في بعض تحريراته: اعلم أن الروح من حيث جوهره وتجرده، وكونه من عالم الأرواح المجردة مغاير للبدن متعلق به تعلق التدبير والتصرف قائم بذاته غير محتاج إليه في بقائه ودوامه، ومن حيث إن البدن صورته ومظهر كمالاته وقواه في عالم الشهادة محتاج إليه غير منفك عنه، بل سار فيه لا كسريان الحلول المشهور عند أهله، بل كسريان الوجود المطلق الحق في جميع الموجودات، فليس بينهما مغايرة من كل الوجوه بهذا الاعتبار، ومن علم كيفية ظهور الحق في الأشياء، وأن الأشياء من أي وجه عينه، ومن أي وجه غيره يعلم كيفية ظهور الروح في البدن، ومن أي وجه عينه، ومن أي وجه غيره؛ لأن الروح رب بدنه، فمن تحقق له حال الرب مع المربوب تحقق له ما ذكرنا، وهو الهادي إلى العلم والفهم. هذا كلامه قدس سره، فاحفظه ودع عنك القيل والقال.

قال السمرقندي في «بحر العلوم»: الظاهر أن هذا النفخ بغير وسط وسبب من ملك ويجوز أن يكون بوسط ملك نفخ فيه الروح بإذنه، كما صرح به النبي عليه السلام في خلق بني آدم بقوله: (يرسل الله ملكاً فينفخ فيه الروح). الحديث، وفيه كلام. انتهى.

يقول الفقير: لا يجوز ذلك، لأن مقام التشريف يأبى عنه لا سيما وقد قال: ﴿ونفخت فيه﴾. وقال: ﴿خلقت بيدي﴾، فإنه لا معنى لارتكاب التجوز في مثله. وأما أولاده، فيجوز ذلك فيهم لظهورهم بالوسائط. ومنهم عيسى عليه السلام لظهوره بوساطة أمه، فيجوز أن النافخ في حقه هو جبريل عليه السلام، وإن كان الله قد أضافه إلى نفسه في قوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢].

ثم يقول الفقير: نفخ الروح عندي عبارة عن إظهارها في محلها وعبر عنه بالنفخ؛ لأن البدن بعد ظهور الروح فيه يكون كالمنفوخ المرتفع الممتلىء ألا ترى إلى أن الميت يبقى بعد مفارقة الروح كالخشب اليابس، ففيه رمز آخر في سورة الحجر. ثم في إضافة الروح إشارة إلى تقديم روح آدم على أرواح الملائكة وغيرها؛ لأن المضاف إلى القديم قديم، وإن كان جسد بعض الأشياء متقدماً على جسده. ﴿فقعوا له﴾ أمر من وقع يقع؛ أي: اسقطوا له: وبالفارسية: [بس بروى در افتيد].

وفيه دليل على أن المأمور به ليس مجرد انحناء كما قيل، وكذا في قوله: ﴿ساجدين﴾، فإن حقيقة السجود وضع الوجه على الأرض؛ أي: حال كونكم ساجدين لاستحقاقه للخلافة.

وهذه السجود من باب التحية والتكريم، فإنه لا يجوز السجود لغير الله على وجه العبادة لا في هذه الأمة ولا في الأمم السابقة، وإنما شاع بطريق التحية للمتقدمين ثم أبطله الإسلام.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿**فسجد الملائكة**﴾؛ أي: فخلقه فسواه، فنفخ فيه الروح، فسجد له الملائكة خلافة عن الحق تعالى إذ كان متجلياً فيه، فوقعت هيبته على الملائكة، فسجدوا له وأول من سجد له إسرافيل. ولذلك جوزي بولاية اللوح المحفوظ قاله السهيلي نقلاً عن النقاش. ﴿**كلهم**﴾ بحيث لم يبق منهم أحد إلا سجد ﴿**أجمعون**﴾ بطريق المعية بحيث لم يتأخر في ذلك أحد منهم عن أحد ولا اختصاص لإفادة هذا المعنى بالحالية، بل يفيده التأكيد أيضاً:

جون ملك أنوار حق دروى بيافت ... در سجود افتاد ودرخدمت شتافت

﴿**إلا إبليس**﴾؛ فإنه لم يسجد والاستثناء متصل؛ لأنه كان من الملائكة فعلاً ومن الجن نوعاً. ولذلك تناوله أمرهم. وكان اسم إبليس قبل أن يبلس من رحمة الله عزازيل، والحارث وكنيته أبو كردوس وأبو مرة؛ كأنه سئل كيف ترك السجود هل كان ذلك للتأمل والتروي، أو غير ذلك فقيل: ﴿**استكبر**﴾. [الاستكبار: كردن كشى كردن]؛ أي: تعظم: وبالفارسية: [بزرك داشت خودرا وفرمان نبرد]. وسببه أنه كان أعور فما رأى آثار أنوار التجلي على آدم عليه السلام:

در محفلى كه خورشيد أندرشمار ذره است ... خودرا بزرك ديدن شرط ادب نباشد

﴿**وكان من الكافرين**﴾ في علم الله أزلاً بالذات. وفي الخارج أبداً باستقباح أمر الله ولذا كانت شقاوته ذاتية لا عارضية وسعادته في البين عارضية لا ذاتية: قال الحافظ:

من آن نكين سليمان بهيج نستانم ... كه كاه كاه بروودست اهر من باشد

فالعبرة لما هو بالذات. وذلك لا يزول لا لما هو بالعرض إذ ذاك يزول، ومن القبيل حال برصيصا وبلعام ونحوهما، ممن هو مرزوق البداية ومحروم النهاية. فالعصاة كلهم في خطر المشيئة بل الطائعون لا يدرون بما ذا يختم لهم.

قالوا: إن الإصرار على المعاصي يجر كثيراً من العصاة إلى الموت على الكفر والعياذ بالله تعالى كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ١٠] والاستهزاء بها. وذلك هو الكفر أعاذنا الله وإياكم منه. ومن أسبابه المؤدية إليه وأماتنا على ملة الإسلام، وجعلنا من المقبولين لديه، إنه السميع للدعاء في كل الحضرات والمجيب للرجاء في كل الحالات.

﴿**قال**﴾ الله تعالى لإبليس مشافهة حين امتنع من السجود. ﴿**يا إبليس**﴾، وهذه مشافهة لا تدل على إكرام إبليس إذ يخاطب السيد عبده بطريق الغضب وتمامه في سورة الحجر. ﴿**ما**﴾؛ أي: شيء ﴿**منعك**﴾ من ﴿**أن تسجد**﴾؛ أي: دعاك إلى ترك السجود ﴿**لما**﴾؛ أي: لمن. ﴿**خلقت بيدي**﴾ خصصته بخلقي إياه بيدي كرامة له؛ أي: خلقته بالذات من غير توسط أب وأم، فذكر اليد لنفي توهم التجوز؛ أي: لتحقيق إضافة خلقه إليه تعالى وإسناد اليد إلى أب بعد قيام البرهان على تنزهه عن الأعضاء مجاز عن التفرد في الخلق والإيجاد تشبيهاً لتفرده

بالإيجاد باختصاص ما عمل الإنسان بها، والتثنية في اليد لما في خلقه من مزيد القدرة، واختلاف الفعل، فإن طينته خمرت أربعين صباحاً، وكان خلقه مخالفاً لسائر أبناء جنسه المتكونة من نطفة الأبوين، أو من نطفة الأم مميزاً عنه ببديع صنعه تعالى. ولقد نظم الحكيم السنائي بعض التأويلات الفارسية:

يد او قدرتست ووجه بقاش آمدن حكمش ونزول عطاش
اصبعينش نفاذ حكم قدر قد مينش جلال وقهر وخطر

[ودر بعضى تفسير آمده كه مراد يد قدرت ويد نعمتست ودر فتوحات فرموده كه قدرت ونعمت شاملست همه موجودات را «لأنه خلق إبليس بالقدرة التي خلق بها آدم» بس بدين منوال تأويل آدم راهيج شر في ثابت نشود بس لابداست از آنكه بيدى معنى باشدكه دلالت كند برتشريف آدم عليه السلام بر حمل نسبتين تنزيه وتشبيه كه آدم جامع هر دو صفتست مناسب مى نمايد].

وفي «بحر الحقائق»: يشير بيدي إلى ضفتي اللطف والقهر، وهما تشتملان على جميع الصفات، وما من صفة إلا وهي. إما من قبيل اللطف، وإما من قبيل القهر، وما من مخلوق من جميع المخلوقات إلا وهو إما مظهر صفة اللطف، أو مظهر صفة القهر، كما أن الملك مظهر صفة لطف الحق والشيطان مظهر صفة قهر الحق إلا الآدمي، فإنه خلق مظهر كلتا صفتي اللطف والقهر والعالم بما فيه بعضه مرآة صفة لطفه تعالى، وبعضه مرآة صفة قهره تعالى. والآدمي مرآة ذاته وصفاته تعالى كما قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] وبهذه الجامعية كان مستحقاً لمسجوديه الملائكة: [ودرين معنى كفته اند].

آمد آبينه جميله ولى همجو آبينه نكرده جلى
كشت آدم جلاء اين مرآت شدعيان ذات أو بجمله صفات
مظهرى كشت كلى وجامع سر ذات وصفات از ولامع

والحاصل: إن الله تعالى أوجد العالم ذا خوف ورجاء فنخاف غضبه ونرجو رضاه، فهذا الخوف والرجاء أثر صفتي الغضب والرضا، ووصف تعالى نفسه بأنه جميل وذو جلال؛ أي. متصف بالصفات الجمالية، وهي ما يتعلق باللطف والرحمة ومتصف بالصفات الجلالية، وهي ما يتعلق بالقهر والغلبة، فأوجدنا على أنس وهيبة، فالإنس من كونه جميلاً، والهيبة من كونه جليلاً. وهكذا جميع ما ينسب إليه تعالى، ويسمى به من الأسماء المتقابلة كالهداية والإضلال والإعزاز والإذلال وغيرها، فإنه سبحانه أوجدنا بحيث نتصف بها تارة، ويظهر فينا آثارها تارة، فعبر عن هذين النوعين المتقابلين من الصفات باليدين لتقابلهما، وتصرف الحق بهما في الأشياء، وهاتان اليدان هما اللتان توجهتا من الحق سبحانه على خلق الإنسان الكامل، لكونه الجامع لحقائق العالم ومفرداته التي هي مظاهر لجميع الأسماء، فلهذا السر ثنى الله اليدين. وأما الجمع في قوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١]، فوارد على طريق التعظيم كما هو عادة الملوك. وأيضاً: إن العرب تسمي الاثنين جمعاً، كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]. وأما الواحد في قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٦٣] فباعتبار المبدأ والمآل، والله الملك المتعال.

﴿أستكبرت﴾ بقطع الألف، أصله: أستكبرت، أدخلت همزة الاستفهام للتوبيخ والإنكار على همزة الوصل، فحذفت همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام وبقيت همزة الاستفهام مفتوحة. والمعنى: أتكبرت من غير استحقاق. ﴿أم كنت من العالين﴾ المستحقين للتفوق والعلو، ويحتمل أن يكون المراد بالعالين، الملائكة المهيمين الذين ما أمروا بالسجود لآدم لاستغراقهم في شهود الحق، وهم الأرواح المجردة كما سبق بيانهم في سورة الحجر.

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾

﴿قال﴾ إبليس إبداء للمانع.

قال الكاشفي: [إبليس شق ثاني اختيار كرده كفت]. ﴿أنا خير منه﴾؛ أي: أفضل من آدم. وفي المثنوي:

علتى بدتر زبندار كمال ... نيست اندرجان تو اى ذو دلال
علت إبليس انا خيرى بدست ... وين مرض در نفس هر مخلوق هست
كرجه خودرا بس شكسته بيند او ... آب صافى دان وسركين زير جو
جون بشوراند ترا در امتحان ... آب سركين رنك كرد در زمان

ثم بين وجه الخيرية بقوله: ﴿خلقتني من نار﴾. [بيافريدى مرا ازآتش واورا لطافت ونورانيت است]. نسب خلقه إلى النار باعتبار الجزء الغالب إذ الشيطان مخلوق من نار وهواء مع أنا نقول إن الله تعالى قادر على أن يخلقه من نار فقط من غير اختلاط شيء آخر معها من سائر العناصر، ولا يستحيله إلا فلسفي أو متفلسف. ﴿وخلقته من طين﴾. [وبيافريدي ازكل كه در كثافت وظلمانيت است]. نسب خلقه إلى الطين باعتبار الجزء الغالب أيضاً إذ آدم مخلوق من العناصر الأربعة.

والمعنى: لو كان آدم مخلوقاً من نار لما سجدت له؛ لأنه مثلي، فكيف أسجد لمن هو دوني، لأنه من طين. والنار تغلب الطين وتأكله، فلا يحسن أن يسجد الفاضل للمفضول، فكيف يحسن أن يؤمر ظنّ أن ذلك شرف له، ولم يعلم أن الشرف يكتسب بطاعة الله تعالى. ولقد أخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة، والعنصر وزلّ عما من جهة الفاعل كما أنبأ عنه قوله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾. وما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله تعالى: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾. وأما من جهة الغاية، وهو ملاك الأمر كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾ [البقرة: ٣١]. ولذلك أمر الملائكة بسجوده حين ظهر لهم أنه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة في الأرض، وأن له خواص ليست لغيره. وفي تفسير سورة ﴿ص﴾ يعني أن النار أقرب إلى الأشرف الذي هو الفلك، وهي خليفة الشمس والقمر في الإضاءة والحرارة، وهي ألطف من الأرض، وهي مشرقة، وهي شبيه الروح، وأشرف الأعضاء القلب والروح. وهما على طبيعة النار، وكل جسم أشبه النار كالذهب والياقوت، فهو أشرف، والشمس أشرف الأجسام. وهي تشبه النار في الطبع والصورة. وأيضاً: لم يتم المزاج إلا بالحرارة ومآل كل هذه إلى أن أصله خير فهو خير وهذا ممنوع. ولذا قال من قال:

أتفخر باتصالك من عليّ ... وأصل البولة الماء القراع
وليس بنافع نسب زكي ... تدنسه صنائعك القباح

فيجوز أن يكون أصل أحد الشيئين أفضل وينضم إليه ما يقتضي مرجوحيته، كما في إبليس. فإنه قد انضم إلى أصله عوارض رديئة كالكبر والحسد والعجب والعصيان، فاقتضت اللعنة عليه. وأمر آدم عليه السلام بالعكس.

وقال في «آكام المرجان»: اعلم أن هذه الشبهة التي ذكرها إبليس إنما ذكرها على سبيل التعنت، وإلا فامتناعه عن السجود لآدم إنما كان عن كبر وكفر ومجرد إباء وحسد. ومع ذلك فما أبداه من الشبهة، فهو داحض؛ أي: باطل؛ لأنه رتب على ذلك أنه خير من آدم لكونه خلق من نار، وآدم خلق من طين. ورتب على هذا أنه لا يحسن منه الخضوع لمن هو دونه، وهذا باطل من وجوه:

الأول : أن النار طبعها الفساد وإتلاف ما تعلقت به بخلاف التراب، فإنه إذا وضع القوت فيه أخرجه أضعاف ما وضع فيه بخلاف النار، فإنها آكلة لا تبقي ولا تذر.

والثاني : أن النار طبعها الخفة والطيش والحدة، والتراب طبعه الرزانة والسكون والثبات.

والثالث : أن التراب يتكون فيه، ومنه أرزاق الحيوانات وأقواتهم ولباس العباد وزينهم وآلات معايشهم ومساكنهم. والنار لا يتكون فيها شيء من ذلك.

والرابع : أن التراب ضروري للحيوان لا يستغني عنه البتة، ولا عما يتكون فيه ومنه. والنار يستغني عنها الحيوان مطلقاً، وقد يستغني عنها الإنسان أياماً وشهوراً، فلا تدعوه إليها ضرورة.

والخامس : أن النار لا تقوم بنفسها، بل هي مفتقرة إلى محل تقوم به يكون حاملاً لها، والتراب لا يفتقر إلى حامل، فالتراب أكمل منها لغناه وافتقارها.

والسادس : أن النار مفتقرة إلى التراب، وليس التراب فقر إليها، فإن المحل الذي تقوم به النار لا يكون إلا متكوناً من التراب، أو فيه، فهي المفتقرة إلى التراب، وهو الغني عنها.

والسابع : أن المادة الإبليسية هي المارج من النار، وهو ضعيف تتلاعب به الأهوية فيميل معها كيفما مالت. ولهذا غلب الهوى على المخلوق منه، فأسره وقهره. ولما كانت المادة الآدمية هي التراب، وهو قوي لا يذهب مع الهواء أينما ذهب، فهو قهر هواه وأسره ورجع إلى ربه، فاجتباه، فكان الهواء الذي مع المادة الآدمية عارضاً سريع الزوال فزال، فكان الثبات والرزانة أصلاً له، فعاد إليه وكان إبليس بالعكس من ذلك، فعاد كل منهما إلى أصله وعنصره آدم إلى أصله الطيب الشريف واللعين إلى أصله الرديء الخبيث.

والثامن : أن النار، وإن حصل بها بعض المنفعة من الطبخ والتسخين والاستضاءة بها، فالشر كامن فيها لا يصدها عنه إلا قسرها وحبسها، ولولا القاسر والحابس لها، لأفسدت الحرث والنسل. وأما التراب، فالخير والبركة كامن فيه كلما أثير، وقلب ظهر خيره وبركته وثمرته، فأين أحدهما من الآخر.

التاسع : أن الله تعالى أكثر ذكر الأرض في كتابه وأخبر عن منافعها، وأنه جعلها مهاداً وفراشاً وبساطاً وقراراً وكفاتاً للأحياء والأموات. ودعا عباده إلى التفكر فيها، والنظر في آياتها وعجائبها، وما أودع فيها، ولم يذكر النار إلا في معرض العقوبة والتخويف والعذاب إلا موضعاً أو موضعين، ذكرها فيه بأنها تذكرة ومتاع للمقوين تذكرة بنار الآخرة، ومتاع لبعض أفراد الناس، وهم المقوون النازلون بالقواء. وهي الأرض الخالية إذا نزلها المسافر تمتع بالنار

في منزلة، فأين هذا من أوصاف الأرض في القرآن.

والعاشر: أن الله تعالى وصف الأرض بالبركة في غير موضع من كتابه، وذلك عموماً كما في قوله تعالى: ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ [فصلت: ١٠]. وخصوصاً كما في قوله: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٧١].. الآية ونحوها. وأما النار فلم يخبر أنه جعل فيها بركة بل المشهور أنها مذهبة للبركات، فأين المبارك في نفسه من المزيل لها.

والحادي عشر: أن الله تعالى جعل الأرض محل بيوته التي يذكر فيها اسمه ويسبح له فيها بالغدو والآصال عموماً وبيته الحرام الذي جعله قياماً للناس مباركاً وهدى للعالمين خصوصاً، فلو لم يكن في الأرض إلا بيته الحرام لكفاها ذلك شرفاً وفخراً على النار.

والثاني عشر: أن الله تعالى أودع في الأرض من المعادن والأنهار والعيون والثمرات والحبوب والأقوات وأصناف الحيوانات وأمتعتها، والجبال والرياض والمراكب البهية، والصور البهيجة ما لم يودع في النار شيئاً من ذلك، فأي روضة وجدت في النار أو جنة أو معدن أو صورة أو عين فوّارة أو نهر أو ثمرة لذيذة.

والثالث عشر: أن غاية النار أنها وضعت خادمة في الأرض، فالنار إنما محلها محل الخادم لهذه الأشياء، فهي تابعة لها خادمة فقط إذا استغنت عنها طردتها وأبعدتها عن قربها، وإذا احتاجت إليها استدعتها استدعاء المخدوم لخادمه.

الرابع عشر: أن اللعين لقصور نظره وضعف بصره رأى صورة الطين تراباً ممتزجاً بماء، فاحتقره ولم يعلم أنه مركب من أصلين الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي، والتراب الذي جعله خزانة المنافع والنعم. هذا ولم يتجاوز من الطين إلى المنافع وأنواع الأمتعة، فلو تجاوز نظره صورة الطين إلى مادته ونهايته لرأى أنه خير من النار، وأفضل. ثم لو سلم بطريق الفرض الباطل أن النار خير من الطين، لم يلزم من ذلك أن يكون المخلوق منها خيراً من المخلوق من الطين، فإن القادر على كل شيء يخلق من المادة المفضولة من هو خير من المادة الفاضلة، فإن الاعتبار بكمال النهاية لا بنقصان المادة، فاللعين لم يتجاوز نظره محل المادة، ولم يعبر منها إلى كمال الصورة ونهاية الخلقة.

[ودر كشف الأسرار فرموده كه آتش سبب فرقتست وخاك وسيلة وصلت واز آتش كسستن آيد واز خاك بيوستن آدم كه از خاك بود بيبوست تاخلقه ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [طه: ١٢٢] يافت إبليس كه از آتش بودبكسست تافرمان ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٣] مردود كشت روزى شوريده باسلطان العارفين أبو يزيد كفت جه بودى اكر اين خاك بى باك نبودى أبو يزيد بانك بروزدكه اكر اين خاك نبودى آتش عشق افروخته نشدى وسوز سينها وآب ديدها ظاهر نكشتى كه اكر خاك نبودى بوى مهرازل كه شنودى وآشناى قرب لم يزل كه بودى]:

اي خاك جه خوش طينت قابل دارى ... كلهاى لطيفست كه در كل دارى
در مخزن كنت كنز هر كنج كه بودى ... تسليم توكر دندكه در دل دارى

ثم في الآية إشارة إلى أن أهل الدعوى والإنكار لايدركون فضائل الأنبياء والأولياء إلى أبد الآبدين ولا يرون أنوار الجمال والجلال عليهم، فلا يذوقون حلاوة برد الوصال، بل يخاطبون من جانب رب العزة بالطرد والإبعاد إلى يوم المعاد.

مدعى خواست كه آيد بتماشا كه راز ... دست غيب آمد وبرسينه نامحرم زد

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

﴿قال﴾ الله تعالى بقهره وعزته. ﴿فاخرج منها﴾: الفاء: لترتيب الأمر على مخالفته وتعليلها بالباطل؛ أي: فاخرج يا إبليس من الجنة، أو من زمرة الملائكة، وهو المراد بالأمر بالهبوط لا الهبوط من السماء، كما قال البيضاوي، فإن وسوسته لآدم كانت بعد هذا الطرد.

يقول الفقير: عظم جناية إبليس يقتضي هبوطه من السماء إلى الأرض لا التوقف فيها إلى زمان الوسوسة، وأما أمر الوسوسة، فيجوز أن يكون بطريق الصعود إلى السماء ابتلاء من الله تعالى ودخوله الجنة، وهو في السماء ليس بأهون من دخوله، وهو في الأرض إذ هو ممنوع من الدخول مطلقاً سواء كان في الأرض، أو في السماء إلا بطريق الامتحان.

ثم إن الحكمة الإلهية اقتضت أن يخرج إبليس من الخلقة التي كان عليها وينسلخ منها، فإنه كان يفتخر بخلقته، فغير الله خلقته، فاسود بعدما كان أبيض وقبح بعدما كان حسناً وأظلم بعدما كان نورانياً، وكذا حال العصاة مطلقاً، فإنه كما تتغير بواطنهم بسبب العصيان تتغير ظواهرهم أيضاً بشؤمه، فإذا رأيت أحداً منهم بنظر الفراسة، والحقيقة وجدت عليه أثر الاسوداد. وذلك أن المعصية ظلمة وصاحبها ظلماني، والطاعة نور وأهلها نوراني، فكل يكتسي بكسوة حال نفسه. ﴿فإنك رجيم﴾ تعليل للأمر بالخروج؛ أي: مطرود عن كل خير وكرامة، فإن من يطرد يرجم بالحجارة إهانة له، أو شيطان يرجم بالشهب السماوية، أو الأثيرية، وإلى الثاني: ذهب بعض أهل الحقائق.

﴿وإن عليك لعنتي﴾؛ أي: إبعادي عن الرحمة، فإن اللعن طرد أو إبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة. وفي الدنيا انقطاع عن قبول فيضه وتوفيقه. ومن الإنسان دعاء على غيره وتقييدها بالإضافة مع إطلاقها في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ﴾ [الحجر: ٣٥] لما أن لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين أيضاً من جهته تعالى، وأنهم يدعون عليه بلعنة الله وإبعاده من الرحمة.

يقول الفقير: اللعنة المطلقة هي لعنة الله تعالى، فمآل الآيتين واحد، ويجوز أن يكون المعنى، وإن عليك لعنتي على ألسنة عبادي يلعنونك. ﴿إلى يوم الدين﴾؛ أي: يوم الجزاء والعقوبة، يعني أن عليك اللعنة في الدنيا، ولا يلزم من هذا التوقيت انقطاع اللعنة عنه في الآخرة إذ من كان ملعوناً مدة الدنيا، ولم يشم رائحة الرحمة في وقتها كان ملعوناً أبدياً في الآخرة. ولم يجد أثر الرحمة فيها لكونها ليست وقت الرحمة للكافر، وقد علم خلوده في النار بالنص وكذا لعنه كما قال: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤] مع ما ينضم إليه من عذاب آخر ينسى عنده اللعنة، والعياذ بالله تعالى.

قال بعضهم: أما طرد إبليس فلعجبه ونظره إلى نفسه ليعتبر كل مخلوق بعده. قال: أنا خير منه.

ويقال: طرده وخذله ترهيباً للملائكة ولبني آدم كي يحذروا مما لا يرضى عنه، ويحصل لهم العبرة:

اين خوديرا خرج كن اندر خدا تا نماني همچوآن إبليس جدا

كـن حـذر ازسـطـوت قـهـاريـش روبـسـوى حـضـرت غـفـاريـش
عـبـرت بـيـشـيـنـيـان كـيـر اى خـلـف تـا خـلاصـى يـا بـى از قـهـر وتـلـف

ومن الله العصمة والتوفيق.

﴿قال﴾ إبليس ﴿رب﴾. [اى برورد كارمن]. ﴿فأنظرني﴾. الإنظار: الإمهال والتأخير والفاء: فصيحة؛ أي: إذا جعلتني رجيماً، فأمهلني ولا تمتني. ﴿إلى يوم يبعثون﴾. من قبورهم للجزاء، وهو يوم القيامة. والمراد آدم وذريته. [والبعث: مرده رازنده كردن]. وأراد بدعائه أن يجد فسحة لإغوائهم ويأخذ منهم ثأره وينجو من الموت بالكلية إذ لا موت بعد يوم البعث، فلم يجب، ولم يوصل إلى مراده.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾

﴿قال﴾ الله تعالى ﴿فإنك من المنظرين﴾؛ أي: من جملة الذين أخرت آجالهم أزلاً حسب الحكمة كالملائكة ونحوهم.

﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ الذين قدره الله وعينه لفناء الخلائق، وهو وقت النفخة الأولى لا إلى وقت البعث الذي هو المسؤول.

قال في «آكام المرجان»: ظاهر القرآن يدل على أن إبليس غير مخصوص بالإنظار. وأما ولده وقبيله، فلم يقم دليل على أنهم منظرون معه.

وقال بعضهم: الشياطين يتوالدون ولا يموتون إلى وقت النفخة الأولى بخلاف الجن، فإنهم يتوالدون ويموتون، ويحتمل أن بعض الجن أيضاً منظرون، كما أن بعض الإنس، كالخضر عليه السلام كذلك.

وفيه أن الظاهر أن يموت الخضر، وأمثاله حين يموت المؤمنون، ولا يبقى منهم أحد وذلك قبل الساعة بكثير من الزمان، ثم إن قوله تعالى: ﴿فإنك﴾ الخ. إخبار من الله تعالى بالإنظار المقدر أزلاً لا إنشاء لإنظار خاص به قد وقع إجابة لدعائه. وكان استنظاره طلباً لتأخير الموت لا لتأخير العقوبة هكذا في «الإرشاد». يقول الفقير: لا شك أن الله تعالى استجاب دعاء إبليس ليكون طول بقائه في الدنيا أجراً له في مقابلة طول عبادته قبل لعنه ودعاء الكافر مستجاب في أمور الدنيا، فلا مانع أن يكون إنظاره بطريق الإنشاء يدل عليه ترتيبه على دعائه الحادث، وذلك لا يمنع كونه من المنظرين أزلاً لأن كل أمر حادث في جانب الأبد، فهو مبني على أمر قديم في الأزل ألا ترى أن كفره بإنشاء استقباح أمر الله تعالى مبني على كفره الأزلي في علم الله تعالى ثم لا مانع أن يكون الاستنظار لطلب تأخير الموت وتأخير العقوبة جميعاً، لأن اللعن من موجبات العقوبة، فطلب الإنظار خوفاً من العذاب المعجل ولما حصل مراده صرح بالإغواء لأجل الانتقام؛ لأن آدم هو الذي كان سبب لعنه.

وفي الآية إشارة إلى أن من أبعده الحق وطرده قلب عليه أحواله حتى يجر إلى نفسه أسباب الشقاوة كما دعا إبليس ربه وسأله الإنظار من كمال شقاوته ليزداد إلى يوم القيامة إثمه الذي هو سبب عقوبته واغتر بالمدة الطويلة، ولم يعلم أن ما هو آت قريب [عمر اكرجه دراز بود جون مرك نمود ازان درازى جه سود نوح عليه السلام هزار سال در جهان بسر برده است امروز جند هزار سالست كه مرده است]:

دريغـا كـه بـكـذشـت عـمـر عـزيـز بـخـواهـد كـذشـت ايـن دم جـنـدنـيـز

فأنظره الله تعالى وأجابه إذ سأله بربوبيته ليعلم أن كل من سأله باسم الرب، فإنه يجيبه كما أجاب إبليس، وكما أجاب آدم عليه السلام إذ قال) ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، فأجابه ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢].

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿قال﴾ إبليس عليه ما يستحق. ﴿فبعزتك﴾ الباء: للقسم؛ أي: فأقسم بعزتك؛ أي: بقهرك وسلطانك. وبالفارسية: [بغالبيت وقهر توسو كند]. ولا ينافيه قوله تعالى حكاية: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف: ١٦]، لأن إغواء إياه أثر من آثار قدرته وعزته، وحكم من أحكام قهره وسلطنته. ولهذه النكتة الخفية ورد الحلف بالعزة مع أن الصفات اللائقة للحلف كثير. وفي «التأويلات النجمية»: ثم إبليس لتمام شقاوته. قال: فبعزتك الخ. ولو عرف عرته لما أقسم بها على مخالفته. ﴿لأغوينهم أجمعين﴾ لأحملنهم على الغي، وهو ضد الرشد ولأكونن سبباً لغوايتهم؛ أي: ذرية آدم بتزيين المعاصي لهم وإدخال الشكوك والشبهات فيهم، والإغواء بالفارسية [كمراه كردن].

ثم صدق حيث استثنى، فقال:

﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾؛ أي: عبادك المخلصين من ذرية آدم، وهم الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته، وعصمهم من الغواية. وقرىء بالكسر على صيغة الفاعل؛ أي: الذين أخلصوا قلوبهم وأعمالهم لله تعالى من غير شائبة الرياء. وفي «التأويلات النجمية»، ثم لعجزه وعزة عباد الله، قال: إلا عبادك منهم المخلصون في عبوديتك. انتهى.

قال بعضهم: العبد المخلص هو الذي يكون سره بينه وبين ربه بحيث لا يعلمه ملك، فيكتبه ولا شيطان، فيفسده، ولا هوى، فيميله، ثم لا شك أن من العباد عباداً إذا رأى الشيطان أثر سلطنة ولايتهم وعزة أحوالهم يذوب كما يذوب الملح في الإناء، ولا يبقى له حيل ولا يطيق أن يمكر بهم، بل ينسى في رؤيتهم جميع مكرياته، ولا يطيق أن يرمي إليهم من أسهم وسوسته بل مكره محيط به لا بأهل الحق. وهكذا حال ورثة الشيطان من المنكرين المفسدين مع أهل الله تعالى، فإنهم محفوظون عما سوى الله تعالى مطلقاً.

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

﴿قال﴾ الله تعالى ﴿فالحق﴾ بالرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر؛ أي: فالحق قسمي على أن الحق. إما اسمه تعالى كما في قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥] أو نقيض الباطل عظمه الله تعالى بإقسامه به، ويحتمل أن يكون التقدير، فالحق مني كما قال الحق من ربك. ﴿والحق أقول﴾ بالنصب على أنه مفعول لأقوله قدم عليه للقصر؛ أي: لا أقول إلا الحق.

﴿لأملأن جهنم منك﴾؛ أي: من جنسك من الشيطان ﴿وممن تبعك﴾ في الغواية والضلال بسوء اختياره ﴿منهم﴾؛ أي: من ذرية آدم. ﴿أجمعين﴾ تأكيد للكاف وما عطف عليه؛ أي: لأملأنها من المتبوعين. والأتباع أجمعين لا أترك أحداً منهم.

وفي «التأويلات النجمية»: ولما كان تجاسره في مخاطبته الحق حيث أصر على الخلاف وأقسم عليه أقبح وأولى في استحقاق اللعنة من امتناعه للسجود لآدم قال: فالحق إلخ. انتهى.

فعلى العاقل أن يتأدب بالآداب الحسنة قولاً وفعلاً ولا يتجاسر على الله تعالى أصلاً ولا يتبع خطوات الشيطان حتى لا يرد معه النار وعن أبي موسى الأشعري، قال: إذا أصبح إبليس بث جنوده، فيقول: من أضل مسلماً ألبسته التاج، قال: فيقول له القائل: لم أزل بفلان حتى طلق امرأته، قال: يوشك أن يتزوج. ويقول الآخر: لم أزل بفلان حتى عق؛ أي: عصى والديه أو أحدهما. قال: يوشك أن يبر، قال: فيقول القائل: لم أزل بفلان حتى شرب. قال: أنت، أي: أنت فعلت شيئاً عظيماً أرضى عنه. قال: ويقول الآخر: لم أزل بفلان حتى زنى، فيقول: أنت. قال: ويقول الآخر: لم أزل بفلان حتى قتل، فيقول: أنت أنت، أي: أنت صنعت شيئاً أعظم وحصلت غاية أمنيتي، وكمال رضاي، وذلك لأن وعيد القتل أشد وأعظم كما قال تعالى، ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣]. إلخ.

فلذلك كرر: أنت. إشارة إلى كمال رضاه عنه وعن بعض الأشياخ أنه قال: الشيطان أشد بكاء على المؤمن إذا مات لما فاته من افتتانه إياه في الدنيا. ويقال: لما أنظر الله إبليس وأهبطه إلى الأرض أعطاه منشور الدنيا، فأول نظرة منه وقعت على الجبال فمن شؤمه من ذلك الوقت لا تحتمل الماء للأحجار بل يرسلها إلى أسفله، ومن كان على دينه لا يبقى على الصراط ما لم ينته إلى أسفل السافلين فيا خسارة من كان إنساناً دخل النار معه.

﴿قل﴾ يا محمد للمشركين ﴿ما أسألكم﴾ نيمخواهيم ازشما ﴿عليه﴾؛ أي: على القرآن الذي أتيتكم به، أو على تبليغ الوحي وأداء الرسالة. ﴿من أجر﴾ من مال دنيوي، ولكن أعلمكم بغير أجر، وذلك لأن من شرط العبودية الخالصة أن لا يراد عليها الجزاء ولا الشكور، فمن قطع رأس كافر في دار الحرب أو أسره وأحضره عند رئيس العسكر، ليعطي له مالاً، فقد فعله للأجر لا لله تعالى، وعلى هذه جميع ما يتعلق به الأغراض الفاسدة:

فرادا كه بيشكاه حقيقت شود بديد شرمنده رهروى كه عمل برمجاز كرد

﴿وما أنا من المتكلفين﴾؛ أي: المتصنعين بما ليسوا من أهله على ما عرفتم من حالي حتى انتحل النبوة؛ أي: أدعيها لنفسي كاذباً وأتقول القرآن من تلقاء نفسي وبالفارسية: [ومن نيستم از جماعتى كه بتصنع ازخود جيزى ظاهر كنند وبرسازند كه ندارند].

وحاصله: ما جئتكم باختياري دون أن أرسلت إليكم، فكل من قال شيئاً من تلقاء نفسه، فقد تكلف له. والتكلف في الأصل التعسف في طلب الشيء الذي لا يقتضيه إلا العقل. وفي «تاج المصادر»: التكلف [رنج جيزى بكشيدن واز خويشتن جيزى نمودن كه آن نباشد]. والمتكلف: المتعرض لما لا يعينه. انتهى.

وفي «المفردات»: تكلف الشيء ما يفعله الإنسان بإظهار كلفة مع مشقة تناله في تعاطيه، وصارت الكلفة في التعاريف اسماً للمشقة. والتكلف اسم لما يفعل بمشقة أو بتصنع أو تشبع. ولذلك صار التكليف ضربين: محموداً، وهو ما يتحراه الإنسان ليتوصل به إلى أن يصير الفعل الذي يتعاطاه سهلاً عليه ويصبر كلفاً به ومحباً له، وبهذا النظر استعمل التكليف في تكليف العبادات.

والثاني . ما يكون مذموماً، وإياه عنى بقوله: ﴿**وما أنا من المتكلفين**﴾ . وصح في الحديث النهي عن التكلف كما قال عليه السلام: «أنا بريء من التكلف»، وصالحو أمتي. وفي حديث آخر: «أنا والأتقياء من أمتي برءاء من التكلف». وكذا صح عن رسول الله ﷺ النهي عن السجع في الدعاء؛ لأنه من باب التكلف والتصنع. ومن هذا قال أهل الحقائق: لا يعين للصلاة شيئاً من القرآن بل يقرأ أول ما يقرع خاطره في أول الركعة، فإنه المسلك الذي اختار الله تعالى له وعنه عليه السلام للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه، يعني: [يكى آنكه نزاع كند باكسى كه بر ترازوست، «ويتعاطى ما لا ينال» يعني: دوم آنكه ميخواهد كه فرا كيرد آنجه يافتن آن نه مقدور اوست] «ويقول ما لم يعلم»، يعني: [سوم آنكه كويد جيزى كه نداند].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: يا أيها الناس من علم شيئاً، فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم. الله أعلم. فإنه تعالى قال لنبيه عليه السلام: ﴿**وما أنا من المتكلفين**﴾ . وفي الحديث: «من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماوات والأرض»

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾ .

﴿**إن هو**﴾ ؛ أي: ما هو يعني: [نيست اين كه من آوردم ازخدا]. يعني: القرآن والرسالة.

﴿**إلا ذكر**﴾ ؛ أي: عظة من الله تعالى، وأيضاً: شرف وذكر باق ﴿**للعالمين**﴾ للثقلين كافة.

﴿**ولتعلمن**﴾ أيها المشركون. ﴿**نبأه**﴾ ؛ أي: ما أنبأ القرآن به من الوعد والوعيد وغيرهما، أو صحة خبره، وأنه الحق والصدق. ﴿**بعد حين**﴾ . بعد الموت، أو يوم القيامة حين لا ينفع العلم وفيه تهديد.

قال في «المفردات»: الحين وقت بلوغ الشيء وحصوله، وهو مبهم المعنى ويتخصص بالمضاف إليه نحو ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣]. ومن قال حين على أوجه للأجل نحو ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨] وللسنة نحو ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ [إبراهيم: ٢٥]. وللساعة نحو ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ [الروم: ١٧]، وللزمان المطلق نحو ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]. ﴿**ولتعلمن نبأه بعد حين**﴾ ، فإنما فسر ذلك بحسب ما وجده، وقد علق به. انتهى.

قال الحسن بن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين، فينبغي للمؤمن أن يكون بحيث لو كشف الغطاء ما ازداد يقيناً، ومن كلام سيدنا علي رضي الله عنه: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً:

حال وخلد وجحيم دانستم بيقين آنجنانكه مى بايد
كر حجاب از ميانه بركيرند آن يقين ذره نيفزايد

[معنى اين كلمه آنست كه داردنيا سراى حجابست وأحوال آخرت مرا يقين كشته است ازحشر ونشر وثواب وعقاب ونعيم وجحيم وغير آن بس اكر حجاب بردارندتا آن جمله را مشاهده كنم يك ذره در يقين من زيادت نشود كه علم اليقين من امروز جو عين اليقين منست در فردا].

وأخبر القرآن أن الكفار يؤمنون بعد الموت بالقرآن، وبما أخبر به، ولكن لا يقبل إيمانهم.

وسئل أبو القاسم الحكيم، فقيل له: العاصي يتوب من عصيانه أم كافر يرجع من الكفر إلى الإيمان، فقال: بل عاص يتوب من عصيانه، لأن الكافر في حال كفره أجنبي، والعاصي في حال عصيانه عارف بربه، والكافر إذا أسلم ينتقل من درجة الأجانب إلى درجة المعارف والعاصي إذا تاب، ينتقل من درجة المعارف إلى درجة الأحباء، فلا بدّ من التوبة والتوجه إلى الله تعالى قبل الموت حتى يزول التهديد والوعيد، ويظهر الوعد والتأييد ويحصل الانبساط في جميع المواطن، وينصب الفيض في الظاهر والباطن بلطفه تعالى وكرمه.

تمت سورة ﴿ص﴾ بعون من هو بالمرصاد في ثالث جمادى الآخرة
من سنة اثنتي عشرة ومائة وألف

٣٩ ـ سورة الزمر

خمس وسبعون أو اثنتان وسبعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾.

﴿تنزيل الكتاب﴾؛ أي: القرآن، وخصوصاً منه هذه السورة الشريفة، وهو مبتدأ خبره قوله: **﴿من الله العزيز الحكيم﴾** لا من غيره كما يقول المشركون: إن محمداً تقوّله من تلقاء نفسه.

وقيل: معناه تنزيل الكتاب من الله، فاستمعوا له واعملوا به، فهو كتاب عزيز. نزل من رب عزيز على عبد عزيز بلسان ملك عزيز في شأن أمة عزيزة، والتعرض لوصفي العزة والحكمة للإيذان بظهور أثريهما في الكتاب، بجريان أحكامه ونفاذ أوامره ونواهيه من غير مدافع ولا ممانع، وبابتناء جميع ما فيه على أساس الحكم الباهرة.

وقال الكاشفي: **﴿العزيز﴾** [خداوند غالب در تقدير **﴿الحكيم﴾** دانا است در تدبير].

وفي «فتح الرحمٰن»: العزيز في قدرته الحكيم في إبداعه.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾

﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾. شروع في بيان شأن المنزل إليه، وما يجب عليه إثر بيان شأن المنزل، وكونه من عند الله، فلا تكرار في إظهار الكتاب في موضع الإضمار لتعظيمه، ومزيد الاعتناء بشأنه. والباء: إمَّا متعلقة بالإنزال؛ أي: بسبب الحق وإثباته وإظهاره، وإما بمحذوف هو حال من نون العظمة؛ أي: أنزلناه إليك حال كوننا محقين في ذلك، أو حال من الكتاب؛ أي: أنزلناه حال كونه ملتبساً بالحق والصواب؛ أي: كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل حتماً.

وفي «التأويلات النجمية»: أي من الحق نزل وبالحق نزل وعلى الحق نزل.

قال في «برهان القرآن»: كل موضع خاطب الله النبي عليه السلام بقوله: **﴿إنا أنزلنا إليك﴾**، ففيه تكليف، وإذا خاطبه بقوله: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ [النمل: ٦٤]، ففيه تخفيف. ألا ترى إلى ما في أول السورة إليك، فكلفه الإخلاص في العبودية، وإلى ما في آخرها عليك، فختم الآية بقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنفال: ١٠٧]؛ أي: لست بمسؤول عنهم، فخفف عنه ذلك **﴿فاعبد الله﴾** حال كونك **﴿مخلصاً له الدين﴾**. الإخلاص أن يقصد العبد بنيته وعمله إلى خالقه لا يجعل ذلك لغرض من الأغراض؛ أي: ممحضاً له الطاعة من شوائب الشرك والرياء، فإن الدين الطاعة كما في «الجلالين» وغيره.

قال في «عرائس البيان»: أمر حبيبه عليه السلام بأن يعبده بنعت أن لا يرى نفسه في عبوديته، ولا الكون وأهله، ولا يتجاوز عن حدّ العبودية في مشاهدة الربوبية، فإذا سقط عن العبد حظوظه من العرش إلى الثرى، فقد سلك مسلك العبودية الخالصة:

كر نباشد نيت خالص جه حاصل از عمل

قال بعض الكبار: العبادة الخالصة معانقة الأمر على غاية الخضوع. وتكون بالنفس فإخلاصها فيها التباعد عن الانتقاص. وبالقلب فإخلاصه فيها العمى عن رؤية الأشخاص. وبالروح فإخلاصه فيها التنقي عن طلب الاختصاص وأهل هذه العبادة موجود في كل عصر لما قال عليه السلام: «لايزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته».

قال الكاشفي: [مخاطب حضرتست ومراد امت است كه مأمورند بآنكه طاعت خودرا از شرك وريا خالص سازند].

وفي «كشف الأسرار»: [فرموده رسول خدا عليه السلام باين خطاب جنان ادب كرفت كه جبريل آمد وكفت «يا محمد أتختار أن تكون ملكاً نبياً أو عبداً نبياً» كفت خداوندا بندكى خواهم وملكى نخواهم ملكى ترا مسلم است وبندكى مارا مسلم اكر ملك اختيار كنم با ملك بما نم وآنكه افتخار من بملك باشد ليكن بندكى اختيار كنم تا مملوك تو باشم وافتخار من بملك توباشد ازنيجا كفت «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» يعني مارا بهيج جيز فخر نيست فخر ما بخالقست زيراكه برماكس نيست جز او اكر بغير او فخر كنم بغير او نكر سته باشم وفرمان ﴿فاعبد الله مخلصاً﴾ بكذاشته باشم وبكذاشته فرمان نيست وبغير او نكر ستن شرط نيست لا جرم بغير أو فخر نيست]. قال الحافظ:

كدايى درجانا بسلطنت مفروش كسى زسايه اين در بآفتاب رود

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾.

﴿ألا﴾ بدانيد كه ﴿لله﴾؛ أي: من حقه وواجباته ﴿الدين الخالص﴾ من الشرك؛ أي: ألا هو الذي يجب أن يخص بإخلاص الطاعة له: [يعني او سزاوار آنست كه طاعة او خالص باشد] لتفرده بصفات الألوهية واطلاعه على الغيوب والأسرار، وخلوص نعمته عن استجرار النفع. وفي «الكواشي»: ألا لله الدين الخالص من الهوى والشك والشرك، فيتقرب به إليه رحمة لا أن له حاجة إلى إخلاص عبادته. وفي «التأويلات النجمية»: الدين الخالص ما يكون جملته لله، وما للعبد فيه نصيب والمخلص من خلصه الله من حبس الوجود بجوده لا بجهده. وعن الحسن: الدين الخالص الإسلام، لأن غيره من الأديان ليس بخالص من الشرك، فليس بدين الله الذي أمر به فالله تعالى لا يقبل إلا دين الإسلام. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إني أتصدق بالشيء وأضع الشيء أريد به وجه الله وثناء الناس، فقال عليه السلام: والذي نفس محمد بيده لا يقبل الله شيئاً شورك فيه، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿ألا لله الدين الخالص﴾. وقال عليه السلام، قال الله سبحانه: «من عمل لي عملاً أشرك فيه معي غيري، فهو له كله، وأنا بريء منه، وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك»، وقال عليه السلام: «لا يقبل الله عملاً فيه مقدار ذرة من رياء»:

زعمرو اى بسر جشم اجرت مدار جو درخانه زيد باشى بكار

[سزاى الله تعالى عبادت باكست بي نفاق وطاعت خالصة بى ريا وكوهر إخلاص كه يابنددر صدق دل يا بند يادر درياى سينه واز انيجاست كه حذيقه كويد رضي الله عنه ازان مهتر كائنات عليه السلام بر سيدم كه اخلاص جيست كفت ازجبريل برسيدم إخلاص جيست كفت از رب العزة برسيدم كه إخلاص جيست كفت سر من أسراري استودعته قلب من أحببت من عبادي كفت كوهر ست كه از خزينه أسرار خويش بيرون آوردم ودرسو يداى دل دوستان خويش وديعت نهادم اين إخلاص نتيجه دوستى است واثر بندكى هركه لباس محبت بوشيد وخلقت بندكى برافكند هر كاركه كند ازميان دل كند دوستى حق تعالى بآرزوهاى برا كنده دريك دل جمع نشود وفريضه تن نماز وروزه است وفريضه دل دوستى حق نشان دوستى آنست كه هر مكروه طبيعت ونهاد كه]:

از دوست بتو آيد بر ديده نهى ولو بيد الحبيب سقيت سما

لكل السم من يده يطيب زهرى كه بيادتو خورم نوش آيد

ديوانه ترا بيند وباهوش آيد آن دل كه توسوختى تراشكر كند

[وآن خون كه توريختى بتو فخر كند]. ﴿والذين﴾ عبارة عن المشركين ﴿اتخذوا﴾: يعني عبدوا. ﴿من دونه﴾؛ أي: حال كونهم متجاوزين الله وعبادته. ﴿أولياء﴾: أرباباً أوثاناً كالملائكة وعيسى وعزير والأصنام لم يخلصوا العبادة لله تعالى، بل شابوها بعبادة غيره حال كونهم قائلين. ﴿ما نعبدهم﴾؛ أي: الأولياء لشيء من الأشياء. ﴿إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾؛ أي: تقريباً، فهو مصدر مؤكد على غير لفظ مصدر ملاق له في المعنى. وكانوا إذا سئلوا عمن خلق السماوات والأرض. قالوا الله، فإذا قيل لهم: لم تعبدون الأصنام. قالوا: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله.

وفي «تفسير الكاشفي»: [درخواست كنند تا بشفاعت ايشان ميزلت يا بيم]. وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني: أن أصل وضع الأصنام إنما كان من قوة التنزيه من العلماء الأقدمين، فإنهم نزهوا الله عن كل شيء وأمروا بذلك عامتهم، فلما رأوا أن بعض عامتهم صرح بالتعطيل وضعوا لهم الأصنام وكسوها الديباج والحلي والجواهر وعظموها بالسجود وغيره، ليتذكروا بها الحق الذي غاب عن عقولهم. وغاب عن أولئك العلماء أن ذلك لا يجوز إلا بإذن من الله تعالى: ﴿إن الله﴾ إلخ. خبر للموصول: ﴿يحكم بينهم﴾؛ أي: بين المتخذين بالكسر غير المخلصين، وبين خصمائهم المخلصين للدين، وقد حذف لدلالة الحال عليه ﴿فيما هم فيه يختلفون﴾ من الدين الذي اختلفوا فيه بالتوحيد والإشراك وادعى كل فريق صحة ما انتحله وحكمه تعالى في ذلك إدخال الموحدين الجنة والمشركين النار، فالضمير للفريقين. ﴿إن الله لا يهدي﴾ لا يوفق إلى الاهتداء إلى الحق الذي هو طريق النجاة من المكروه. والفوز بالمطلوب. ﴿من هو كاذب كفار﴾؛ أي: راسخ في الكذب مبالغ في الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذوب؛ فإنهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء لتغييرهما: الفطرة الأصلية بالتمرن في الضلالة والتمادي في الغيّ، قال في «الوسيط»: هذا فيمن سبق عليه القضاء بحرمان الهداية، فلا يهتدي إلى الصدق والإيمان البتة. قال الحافظ:

كرجان بدهد سنك سيه لعل نكردده باطينت أصلى جه كند بدكهر افتاد

وكذبهم قولهم في بعض أوليائهم بنات الله وولده. قولهم: إن الآلهة تشفع لهم وتقربهم إلى الله وكفرهم عبادتهم تلك الأولياء وكفرانهم النعمة بنسيان المنعم الحقيقي. وفي «التأويلات النجمية»: أن الإنسان مجبول على معرفة صانعه، وصانع العالم ومقتضى طبعه عبادة صانعه، والتقرب إليه من خصوصية فطرة الله التي فطر الناس عليها، ولكن لا عبرة بالمعرفة الفطرية والعبادة الطبيعية؛ لأنها مشوبة بالشركة لغير الله؛ ولأنها تصدر من نشاط النفس واتباع هواها، وإنما تعتبر المعرفة الصادرة عن التوحيد الخالص ومن أماراتها قبول دعوة الأنبياء والإيمان بهم، وبما أنزل عليهم من الكتب ومخالفة الهوى والعبادة على وفق الشرع لا على وفق الطبع، والتقرب إلى الله بأداء ما افترض الله عليهم ونافلة قد استن النبي ﷺ بها، أو بمثلها، فإنه كان من طبع إبليس السجود لله ولما أمر بالسجود على خلاف طبعه أبى واستكبر، وكان من الكافرين بعد أن كان من الملائكة المقربين. وكذلك حال الفلاسفة ممن لا يتابع الأنبياء منهم ويدعي معرفة الله ويتقرب إلى الله بأنواع العلوم، وأصناف الطاعات والعبادات بالطبع لا بالشرع، ومتابعة الهوى لا بأمر المولى، فيكون حاصل أمره ما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، فاليوم كل مدع يدعي حقيقة ما عنده من الدين والمذهب على اختلاف طبقاتهم، فالله تعالى يحكم بينهم في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فيحق الحق باتساع صدور أهل الحق بنور الإسلام وبكتابة الإيمان في قلوبهم وتأييدهم بروح منه، وكشف شواهد الحق عن أسرارهم وتجلي صفات جماله وجلاله لأرواحهم، ويبطل الباطل بتضييق صدور أهل الأهواء والبدع وقسوة قلوبهم وعمى أسرارهم وبصائرهم وغشاوة أرواحهم بالحجب. وأما في الآخرة فتبييض وجوه أهل الحق وإعطاء كتابهم باليمين وتثقيل موازينهم وجوازهم على الصراط وسعي نورهم بين أيديهم وإيمانهم ودخول الجنة ورفعتهم في الدرجات، وبتسويد وجوه أهل الباطل، وإيتاء كتبهم بالشمال ومن وراء ظهورهم، وتخفيف موازينهم، وزلة أقدامهم على الصراط، ودخول النار ونزولهم في الدركات، وبقوله: **﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾**. يشير إلى تهديد من يتعرض لغير مقامه ويدعي رتبة ليس بصادق فيها، فالله لا يهديه قط إلى ما فيه سداده ورشده وعقوبته أن يحرمه تلك الرتبة التي تصدى لها بدعواه قبل تحققه بوجودها. قال الحافظ:

كرانكشت سليماني نباشد چه خاصيت دهد نقش نكيني
خدازان خرقه بيزارست صدبار كه صد بت باندش در آستيني

ومن الله العصمة من الدعوى قبل التحقق بحقيقة الحال، وهو المنعم المتعال.

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾

﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً﴾. كما زعم المشركون بأن الله تعالى اتخذ ولداً. **﴿لاصطفى﴾** لاتخذ واختار. **﴿مما يخلق﴾**؛ أي: من جنس مخلوقاته. **﴿ما يشاء﴾**. ولم يخص مريم ولا عيسى ولا عزيراً بذلك ولخلق جنساً آخر أعز وأكرم مما خلق، واتخذه ولداً لكنه لا يفعله لامتناعه والممتنع لا تتعلق به القدرة والإرادة، وإنما أمره اصطفاء من شاء من عباده وتقريبهم منه، وقد فعل ذلك الملائكة وبعض الناس كما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى

﴿مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥]، ولذا وضع الاصطفاء مكان الاتخاذ.

وقال بعضهم: معناه لو اتخذ من خلقه ولداً لم يتخذه باختيارهم، بل يصطفي من خلقه من يشاء.

وقال الكاشفي: [هر آينه اختيار كردى از آنجه مى آفريند آنجه خواستى از اعزاشيا واحسن آن واكمل كه بنون اندنه از نقص كه بتانند اما مخلوق مماثل خالق نيست وميان والد ومولود مجانست شرط است بس اورا فرزند نبود]. ﴿**سبحانه**﴾ مصدر من سبح إذا بعد؛ أي: تنزه تعالى بالذات عن ذلك الاتخاذ وعما نسبوا إليه من الأولاد والأولياء وعلم للتسبيح مقول على ألسنة العباد؛ أي: أسبحه تسبيحاً لائقاً به أو سبحوه تسبيحاً حقيقياً بشأنه. ﴿**هو**﴾: مبتدأ خبره. قوله: ﴿**الله**﴾ المتصف بالألوهية. ﴿**الواحد**﴾ الذي لا ثاني له والولد ثاني والده وجنسه وشبهه. وفي «بحر العلوم»: واحد؛ أي: موجود جلّ عن التركيب والمماثلة ذاتاً وصفة، فلا يكون له ولد؛ لأنه يماثل الوالد في الذات والصفات. ﴿**القهار**﴾ الذي بقهاريته لا يقبل الجنس والشبه بنوع ما.

وفي «الإرشاد»: قهار لكل الكائنات كيف يتصور أن يتخذ من الأشياء الفانية ما يقوم مقامه.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥﴾.

﴿**خلق السماوات والأرض**﴾، وما بينهما من الموجودات حال كونها ملتبسة. ﴿**بالحق**﴾. والصواب مشتملة على الحكم والمصالح لا باطلاً وعبثاً.

قال الكاشفي: [بيافريد آسمان وزمين را براستى نه بباطل وبازى بلكه در آفرينش هريك ازان صد هزار آثار قدرت وأطوار حكمت است نعميه تاديده وران از روى اعتبار ارقام معرفت آفريد كار بر صفحات آن دلائل مطالعه نمايند]:

نوشته است براوراق آسمان وزمين　　خطى كه فاعتبروا منه يا أولي الأبصار

﴿**يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل**﴾. قال في «تاج المصادر»: تكوير الليل على النهار تغشيته إياه، ويقال: زيادته من هذا في ذاك، كما قال الراغب في «المفردات»: تكوير الشيء إدارته وضم بعضه إلى بعض ككور العمامة. وقوله تعالى: ﴿**يكور الليل**﴾ إلخ. إشارة إلى جريان الشمس في مطالعها، وانتقاص الليل والنهار وازديادهما. انتهى.

والمعنى: يغشى كل واحد منهما الآخر، كأنه يلفه عليه لف اللباس على اللابس. وبالفارسية: [برمى بيجد ودر مى آرد شب بروز وبه برده ظلمت آن نور اين مى بوشد ودر مى آرد روزرا برشب وشعله روشنى آن تاريكى اين را مختفى مى سازد]. وذلك أن النور والظلمة عسكران مهيبان عظيمان، وفي كل يوم يغلب هذا ذاك كما في «الكبير» أو يغيب كل واحد منهما بالآخر، كما يغيب الملفوف باللفافة عن مطامح الأبصار، أو يجعله كارّاً عليه كروراً متتابعاً تتابع أكوار العمامة بعضها على بعض.

﴿**وسخّر الشمس والقمر**﴾: جعلهما منقادين لأمره تعالى. ﴿**كل**﴾ منهما ﴿**يجري**﴾ يسير في بروجه ﴿**لأجل مسمى**﴾ لمدة معينة، هي منتهى دورته في كل يوم أو شهر، أو منقطع

حركته؛ أي: وقت انقطاع سيره، وهو يوم القيامة، وإنما ذلك لمنافع بني آدم. وفي الحديث: «وكل بالشمس سبعة أملاك يرمونها بالثلج ولولا ذلك ما أصابت شيئاً إلا أحرقته». [وكفته اند ستاركان آسمان دو قسم اند قسمي بر آفتاب كذر كنند وازوى روشنايى كيرند وقسمى آفتاب برايشان كذر كند وايشانرا روشنايى دهد ازروى اشارت ميكويد مؤمنان دو كروهند كروهى بدركاه شوند بجد واجتهاد تانور هدايت يابند].

كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]. [وكروهى آنند كه عنايت ازلى برايشان كذر كند وايشانرا نور معرفت دهد].

كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]. ﴿ألا﴾ اعلموا ﴿هو﴾ وحده ﴿العزيز﴾ الغالب القادر على كل شيء، فيقدر على عقاب العصاة ﴿الغفار﴾ المبالغ في المغفرة. ولذلك لا يعاجل بالعقوبة، وسلب ما في هذه الصنائع البديعة من آثار الرحمة، وعموم المنفعة. وبالفارسية: [سلب اين نعمتها نمى كند از آدميان باوجود وقوع شرك ومعصيت ازايشان].

قال الإمام الغزالي رحمه الله: الغفار هو الذي أظهر الجميل وستر القبيح والذنوب من جملة القبائح التي سترها بإسبال الستر عليها في الدنيا، والتجاوز عن عقوبتها في الآخرة.

والغفر: هو الستر. وأول ستره على عبده أن جعل مقابح بدنه التي تستقبحها الأعين مستورة في باطنه مغطاة بجمال ظاهره فكم بين باطن العبد وظاهره في النظافة والقذارة. وفي القبح والجمال، فانظر ما الذي أظهره، وما الذي ستره.

وستره الثاني أن جعل مستقر خواطره المذمومة وإرادته القبيحة سر قلبه حتى لا يطلع أحد على سر قلبه، ولو انكشفت للخلق ما يخطر بباله في مجاري وسواسه، وما ينطوي عليه ضميره من الغش والخيانة، وسوء الظن بالناس لمقتوه، بل سعوا في تلف روحه وإهلاكه، فانظر كيف ستر عن غيره أسراره وعوارفه.

والثالث: مغفرة ذنوبه التي كان يستحق الافتضاح بها على ملأ من الخلق، وقد وعد أن يبدل من سيئاته حسنات ليستر مقابح ذنوبه بثواب حسناته إذا مات على الإيمان.

وحظ العبد من هذا الاسم أن يستر من غيره ما يحب أن يستر منه. وقد قال النبي ﷺ. «من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة». والمغتاب والمتجسس والمكافىء على الإساءة بمعزل، وعن هذا الوصف، وإنما المتصف به من لا يفشي من خلق الله إلا أحسن ما فيهم، ولا ينفلت مخلوق عن كمال ونقص وعن قبح وحسن، فمن تغافل عن المقابح، وذكر المحاسن، فهو ذو نصيب من هذا الاسم والوصف كما روي عن عيسى عليه السلام أنه مر مع الحواريين بكلب ميت قد غلب نتنه، فقالوا: ما أنتن هذه الجيفة، فقال عيسى عليه السلام: ما أحسن بياض أسنانها تنبيهاً على أن الذي ينبغي أن يذكر من كل شيء ما هو أحسنه. قال الشيخ سعدي:

مكن عيب خلق اي خردمند فاش بعيب خود از خلق مشغول باش
جو باطل سرايند نمكمار كوش جو بى ستر بينى نظر رابيوش

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي

﴿بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿**خلقكم**﴾؛ أي: الله تعالى أيها الناس جميعاً ﴿**من نفس واحدة**﴾ هي نفس آدم عليه السلام. ﴿**ثم جعل منها**﴾؛ أي: خلق من جنس تلك النفس واحدة، أو من قصيراها، وهي الضلع التي تلي الخاصرة، أو هي آخر الأضلاع. وبالفارسية: [ازاستخوان بهلوى جب]، أو ﴿**زوجها**﴾ حواء عليها السلام، وثم عطف على محذوف هو صفة لنفس؛ أي: من نفس واحدة خلقها، ثم جعل منها زوجها، فشفعها وذلك، فإن ظاهر الآية يفيد أن خلق حواء بعد خلق ذرية آدم، وليس كذلك. وفيه إشارة إلى أن الله تعالى خلق الإنسان من نفس واحدة هي الروح، وخلق منها زوجها وهو القلب، فإنه خلق من الروح كما خلقت حواء من ضلع آدم عليه السلام، فالله تعالى متفرد بهذا الخلق مطلقاً، فينبغي أن يعرف ويعبد بلا إشراك. ﴿**وأنزل لكم**﴾؛ أي: قضى وقسم لكم، فإن قضاياه تعالى وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث تكتب في اللوح المحفوظ، أو أحدث لكم وأنشأ بأسباب نازلة من السماء كالأمطار وأشعة الكواكب. وهذا كقوله: قد أنزلنا عليكم لباساً، ولم ينزل اللباس نفسه، ولكن أنزل الماء الذي هو سبب القطن والصوف واللباس منهما. ﴿**من الأنعام**﴾ [از جهار بايان]. ﴿**ثمانية أزواج**﴾ ذكراً وأنثى، هي الإبل والبقر والضأن والمعز والأنعام جمع نعم بفتحتين، وهي جماعة الإبل في الأصل لا واحد لها من لفظها.

قال ابن الشيخ في أول المائدة: الأنعام مخصوص بالأنواع الأربعة، وهي الإبل والبقر والضأن والمعز، ويقال لها: الأزواج الثمانية؛ لأن ذكر كل واحد من هذه الأنواع زوج بأنثاه وأنثاه زوج بذكره، فيكون مجموع الأزواج ثمانية بهذا الاعتبار من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين والخيل والبغال والحمير خارجة من الأنعام. قال في «بحر العلوم» الواحد إذا كان وحده، فهو فرد، وإذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجاً، فهي زوجان بدليل قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥]، وعند الحساب الزوج خلاف الفرد كالأربعة والثمانية في خلاف الثلاثة والسبعة. وخصصت هذه الأنواع الأربعة بالذكر لكثرة الانتفاع بها من اللحم والجلد والشعر والوبر.

وفي «التأويلات النجمية»: وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج؛ أي: خلق فيكم من صفات الأنعام ثماني صفات، وهي الأكل والشرب والتغوط والتبول والشهوة والحرص والشره والغضب. وأصل جميع هذه الصفات الصفتان الاثنتان: الشهوة والغضب، فإنه لا بدّ لكل حيوان من هاتين الصفتين لبقاء وجوده بهما فبالشهوة يجلب المنافع إلى نفسه وبالغضب يدفع المضرات. ﴿**يخلقكم في بطون أمهاتكم**﴾؛ أي: في أرحامهن جمع أم زيدت الهاء فيه كما زيدت في أهراق من أراق. ﴿**خلقاً**﴾ كائناً ﴿**من بعد خلق**﴾؛ أي: خلقاً مدرجاً حيواناً سوياً من بعد عظام مكسوة لحماً من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة من بعد علقة من بعد نطفة ونظيره قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح: ١٤]. ﴿**في ظلمات ثلاث**﴾ متعلق بيخلقكم، وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، وهي بالفتح محل الولد؛ أي: الجلد الرقيق المشتمل على الجنين، أو ظلمة الصلب أو البطن والرحم. وفيه

إشارة إلى ظلمة الخلقية وظلمة وجود الروح وظلمة البشرية، وإن شئت قلت: ظلمة الجسد وظلمة الطبيعة وظلمة النفس، فكما أن الجنين يخرج في الولادة الأولى من الظلمات المذكورة إلى نور عالم الملك والشهادة، فكذا السالك يخرج في الولادة الثانية من الظلمات المسطورة إلى نور عالم الملكوت والغيب في مقام القلب والروح.

قال الحافظ:

بال بكشا وصفير از شجر طوبى زن حيف باشد جو تومر غى كه اسير قفسى

﴿ذلكم﴾ إشارة إليه تعالى باعتبار أفعاله المذكورة ومحله الرفع على الابتداء؛ أي: ذلكم العظيم الشأن الذي عدت أفعاله. ﴿الله﴾ خبره. وقوله تعالى: ﴿ربكم﴾ خبر آخر له؛ أي: مربيكم فيما ذكر من الأطوار وفيما بعدها ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به.

وفي «التأويلات النجمية»؛ أي: أنا خلقتكم وأنا صورتكم، وأنا الذي أسبغت عليكم إنعامي وخصصتكم بجميع إكرامي وغرقتكم في بحار أفضالي وعرفتكم استحقاق شهود جمالي وجلالي وهديتكم إلى توحيدي وأدعوكم إلى وحدانيتي، فما لكم لا تنطقون إلي بالكلية وما لكم لا تطلبون مني ولا تطلبونني، وقد بشرتكم بقولي ألا من طلبني وجدني ومن كان لي كنت له ومن كنت له يكون له ما كان لي. ﴿له الملك﴾ على الإطلاق في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه. وبالفارسية: [مرورا بادشاهى مطلق كه زوال وفنا بدوراه نيابد]. وقال بعض الكبار: له ملك القدرة على تبليغ العباد إلى المقامات العلية والكرامات السنية، فينبغي للعبد أن لا يقنط، فإن الله تعالى قادر ليس بعاجز والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى: ﴿لا إله إلا هو﴾ [نيست معبودى بسزا مكرا] وفكما أن لا معبود إلا هو، فكذا لا مقصود، بل لا موجود إلا هو، فهو الوجود المطلق والهوية المطلقة والواحدة الذاتية. ﴿فأنى تصرفون﴾؛ أي: فكيف، ومن أي وجه تصرفون وتردون عن ملازمة بابه بالعبودية إلى باب عاجز مثلكم من الخلق؛ أي: عن عبادته تعالى إلى عبادة الأوثان مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها بالكلية إلى عبادة غيره من غير داع إليها مع كثرة الصوارف عنها. قال علي كرم الله وجهه: قيل للنبي عليه السلام: هل عبدت وثناً قط. قال: لا، قيل: هل شربت خمراً. قال: لا وما زلت أعرف أن الذي هم؛ أي: الكفار عليه من عبادة الأوثان ونحوها، كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان»، فأدلة العقل وحدها كافية في الحكم ببطلان عبادة غير الله، فكيف وقد انضم إليها أدلة الشرع، فلا بد من الرجوع إلى باب الله تعالى، فإنه المنعم الحقيقي والعبودية له؛ لأنه الخالق.

قال أبو سعيد الخراز قدس سره: العبودية ثلاثة: الوفاء لله على الحقيقة ومتابعة الرسول في الشريعة والنصيحة لجماعة الأمة.

واعلم أن العبادة، هي المقصود من خلق الأشياء كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] سواء فسرت العبادة بالمعرفة أم لا إذ لا تكون المعرفة الحقيقية إلا من طريق العبادة.

وعن معاذ رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار. قال: «لقد سألت عن عظيم، وإنه يسير على من يسر الله تعالى تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك

على أبواب الخير: الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما تطفأ النار بالماء، وصلاة الرجل في جوف الليل». ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] الآية. ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه: الجهاد». ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله». قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه. وقال: «كف عليك هذا». قلت: يا نبي الله وإنا المؤاخذون بما نتكلم به فقال: «ثكلتك أمك، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»:

ترا ديده درسر نهادند وگوش ... دهن جاى گفتار ودل جاى هوش
مكر بازدانى نشيب ازفراز ... نگويى كه اين كوته است آن دراز

﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

﴿إن تكفروا﴾ به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شؤونه العظيمة الموجبة للإيمان والشكر. والخطاب لأهل مكة كما في «الوسيط». والظاهر التعميم لكل الناس كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [إبراهيم: ٨]. **﴿فإن الله غني عنكم﴾** وعن العالمين؛ أي: فاعلموا أنه تعالى غني عن إيمانكم وشكركم غير متأثر من انتفائهما، والغني هو الذي يستغني عن كل شيء لا يحتاج إليه لا في ذاته ولا في صفاته؛ لأنه الواجب من جميع جهاته. **﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾**، وإن تعلقت به إرادته تعالى من بعضهم؛ أي: عدم رضاه بكفر عباده لأجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره به تعالى. وإنما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم للمؤمنين والكافرين وتعليله بكونهم عباده.

واعلم أن الرضا ترك السخط، والله تعالى لا يترك السخط في حق الكافر، لأنه لسخطه عليه أعدَّ له جهنم، ولا يلزم منه عدم الإرادة إذ ليس في الإرادة ما في الرضا من نوع استحسان، فالله تعالى مريد الخير والشر، ولكن لا يرضى بالكفر والفسوق، فإن الرضا إنما يتعلق بالحسن من الأفعال دون القبيح، وعليه أهل السنة، وكذا أهل الاعتزال.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: والذي لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر، وهم الذين ذكرهم في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، فيكون عاماً مخصوصاً كقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦]، يريد بعض العباد، وعليه بعض الماتريدية حيث قالوا: إن الله يرضى بكفر الكافر ومعصية العاصي، كما أنه يريدهما صرح بذلك الخصاف في «أحكام القرآن».

ونقل أن هشام بن عبد الملك إنما قتل غيلان القدري بإشارة علماء الشام بقوله: إن الله لا يرضى لعباده الكفر. قال هشام: إن لم يكن الله قادراً على دفع الكفر عن الكافر يكون عاجزاً فلا يكون إلٰهاً، وإن قدر فلم يدفع يكون راضياً فأفحم غيلان.

وفي «الأسئلة المقحمة»: فإن قيل: هل يقولون بأن كفر الكافر قد رضيه الله تعالى للكافر. قلنا: إن الله تعالى خلق كفر الكافر ورضيه له وخلق إيمان المؤمن، ورضيه له وهو مالك الملك على الإطلاق.

وتكلف بعض أهل الأصول، فقال: إن الله تعالى لا يرضى بكون الكفر حسناً وديناً، لأنه

تعالى يرضى وجوده، وهو حسن، ولا يخلقه، وهو حسن، وعلى هذا معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]. والأليق بأهل الزمان، والأبعد عن التشنيع، والأقرب أن لا يرضى من عباده الكفر مؤمناً كان أو كافراً.

يقول الفقير: إن رضى الله بكفر الكافر ومعصية العاصي اختياره وإرادته له في الأزل، فلذا لم يتغير حكمه في الأبد لا مدحه وثناؤه وترك السخط عليه فارتفع النزاع، ومن تعمق في إشارة قوله تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]. انكشف له حقيقة الحال. ﴿وإن تشكروا﴾ تؤمنوا به تعالى وتوحدوه يدل عليه ذكره في مقابلة الكفر. ﴿يرضه لكم﴾ أصله يرضاه على أن الضمير عائد إلى الشكر حذف الألف علامة للجزم، وهو باختلاس ضمة الهاء عند أهل المدينة وعاصم وحمزة، وبإسكان الهاء عند أبي عمرو، وبإشباع ضمة الهاء عند الباقين، لأنها صارت بخلاف الألف موصولة بمتحرك. والمعنى: يرضى الشكر والإيمان لأجلكم ومنفعتكم؛ لأنه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه تعالى به.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني: لا يرضى لكفركم؛ لأنه موجب للعذاب الشديد ويرضى لشكركم؛ لأنه موجب لمزيد النعمة، وذلك لأن رحمته سبقت غضبه يقول: يا مسكين أنا لا أرضى لك أن لا تكون لي يا قليل الوفاء كثير التجني، فإن أطعتني شكرتك وإن ذكرتني ذكرتك.

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ بيان لعدم سراية كفر الكافر إلى غيره أصلاً. والوزر: الحمل الثقيل ووزره؛ أي: حمله. والمعنى: ولا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس أخرى من الذنب والمعصية [بلكه هريك بردارنده وزر خود بردارد جنانكه كناه كسى دردفتر ديكر نمى نويسند]:

كه كناه دكران برتو نخواهند نوشت

﴿ثم إلى ربكم مرجعكم﴾؛ أي: رجوعكم بالبعث بعد الموت لا إلى غيره. ﴿فينبئكم﴾ عند ذلك. وبالفارسية: [بس خبر دهد شمارا]. ﴿بما كنتم تعملون﴾؛ أي: بما كنتم تعملونه في الدنيا من أعمال الكفر والإيمان؛ أي: يجازيكم بذلك ثواباً وعقاباً كما قال الكاشفي. [واخبار از آن بمحاسبه ومجازات باشد].

وفي «تفسير أبي السعود» في غير هذا المحل عبر عن إظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في أنهما سببان للعلم، تنبيهاً على أنهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته؛ أي: يظهر لكم على رؤوس الأشهاد ويعلمكم؛ أي شيء شنيع كنتم تفعلونه في الدنيا على الاستمرار، ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء. ﴿إنه﴾ تعالى ﴿عليم بذات الصدور﴾. تعليل للتنبئة؛ أي: مبالغ في العلم بمضمرات القلوب، فكيف بالأعمال الظاهرة، وأصله عليم بمضمرات صاحبة الصدور.

وفي الآية دليل على أن ضرر الكفر والطغيان يعود إلى نفس الكافر، كما أن نفع الشكر والإيمان يعود إلى نفس الشاكر، والله غني عن العالمين كما وقع في الكلمات القدسية: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم»؛ أي: على تقوى أتقى قلب رجل «ما زاد ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم

وجنكم كانوا على أفجر قلب واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً». وفي آخر الحديث، فمن وجد خيراً، فليحمد الله ومن وجد غير ذلك، فلا يلومنّ إلا نفسه. واعلم أن الشكر سبب الرضوان ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾، ولشرف الشكر أمر أنبياءه، فقال لموسى فخذ ما آتيتك، وكن من الشاكرين. روي: أنه أخذ التوراة، وهي خمسة ألواح أو تسعة من الياقوت، وفيها مكتوب يا موسى من لم يصبر على قضائي، ولم يشكر نعمائي، فليطلب رباً سواي. وكان الأنبياء لمعرفتهم لفضل الشكر يبادرون إليه.

روي: أنه عليه السلام لما تورمت قدماه من قيام الليل؛ أي: انتفختا من الوجع الحاصل من طول القيام في الصلاة. قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ. أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال عليه السلام: أفلا أكون عبداً شكوراً؛ أي: مبالغاً في شكر ربي. وفي ذلك تنبيهه على كمال فضل قيام الليل حيث جعله النبي عليه السلام شكراً لنعمته تعالى، ولا يخفى أن نعمه عظيمة وشكره أيضاً عظيم، فإذا جعل النبي عليه السلام قيام الليل شكراً لمثل هذه النعم الجليلة ثبت أنه من أعظم الطاعات، وأفضل العبادات.

وفي الحديث صلاة في مسجدي هذا أفضل من عشرة آلاف في غيره إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في غيره، ثم قال: «ألا أدلكم على ما هو أفضل من ذلك»، قالوا: نعم. قال: «رجل قام في سواد الليل فأحسن الوضوء وصلى ركعتين يريد بهما وجه الله تعالى». وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي عليه السلام كان إذا فاته قيام الليل بعذر قضاه ضحوة؛ أي: من غير وجوب عليه، بل على طريق الاحتياط، فإن الورد الملتزم إذا فات عن محله يلزم أن يتدارك في وقت آخر حتى يتصل الأجر ولا ينقطع الفيض، فإنه بدوام التوجه يحصل دوام العطاء وشرط عليه السلام إرادة وجه الله تعالى، فإنه تعالى لا يقبل ما كان لغيره ولذا وعدوا وعداً بقوله: إنه عليم بذات الصدور، فمن اشتمل صدره على الخلوص تخلص من يد القهر، ومن اشتمل على الشرك والرياء وجد الله عند عمله فوفاه حسابه:

اكر جز بحق ميرود جاده ات در آتش فشانند سجاده ات
اكر جانب حق نداری نكاه بكويی بروز اجل آه آه
جه وزن آورد جايی انبان باد كه ميزان عدلست وديوان داد
مرايی كه جندان عمل می نمود بديدند هيجش در انبان نبوت
منه آب روی ريارا محل كه اين آب در زير دارد وحل

جعلنا الله وإياكم من الصالحين الصادقين والمخلصين في الأقوال والأفعال والأحوال دون الفاسقين الكاذبين المرائين آمين يا كريم العفو كثير النوال.

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ⑧﴾.

﴿وإذا مس الإنسان ضر﴾ أصابه ووصل إليه سوء حال من فقر أو مرض أو غيرهما. وبالفارسية: [وجون آنكاه كه برسيد ايشانرا سختى].

قال الراغب: المس، يقال: في كل ما ينال الإنسان من أذى والضر يقابل بالسراء

والنعماء والضرر والنفع ﴿دعا ربه﴾ في كشف ذلك الضر حال كونه ﴿منيباً إليه﴾ راجعاً إليه مما كان يدعوه في حالة الإنابة إلى الله، والرجوع إليه بالتوبة وإخلاص العمل والنوب رجوع الشيء مرة بعد أخرى. وهذا وصف للجنس بحال بعض أفراده كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وفيه إشارة إلى أن من طبيعة الإنسان أنه إذا مسه ضر خشع وخضع، وإلى ربه فزع وتملق بين يديه وتضرع. وفي المثنوي:

بندمى نالد بحق ازدر دونيش   صد شكايت ميكند از رنج خويش
حق همى كويد كه آخر رنج ودرد   مر ترا لابه كان او راست كرد
در حقيقت هر عدد را روى تست   كيميا ونافع دلجوى تست
كه از واندر كريزى درخلا   استعانت جويى از لطف خدا
در حقيقت دوستان دشمن اند   كه زحضرت دور ومشغولت كنند

﴿ثم إذا خوله نعمة منه﴾؛ أي: أعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى، وأزال عنه ضره وكفاه أمره وأصلح باله، وأحسن حاله من التخول، وهو التعهد؛ أي: المحافظة والمراعاة؛ أي: جعله خائل مال من قولهم فلان خائل ماله إذا كان متعهداً له حسن القيام به، ومن شأن الغني الجواد أن يراعي أحوال الفقراء أو من الخول، وهو الافتخار، لأن الغني يكون متكبراً طويل الذيل؛ أي: جعله يخول؛ أي: يختال ويفتخر بالنعمة. ﴿نسي ما كان يدعو إليه﴾؛ أي: نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه. ﴿من قبل﴾؛ أي: من قبل التخويل كقوله تعالى: مر كأنلم يدعنا إلى ضر مسه أو نسي ربه الذي كان يدعوه ويتضرع إليه إما بناء على أن ما بمعنى من كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ [الليل: ٣]، وإما إيذاناً بأن نسيانه بلغ إلى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلاً عن أن يعرفه من هو، فيعود إلى رأس كفرانه وينهمك في كبائر عصيانه ويشرك بمعبوده ويصر على جحوده، وذلك لكون دعائه المحسوس معلولاً بالضر الممسوس لا ناشئاً عن الشوق إلى الله المأنوس. وفي المثنوي:

آن ندامت از نتيجه رنج بود   نى زعقل روشن جون كنج بود
جونكه شد ربح آن ندامت شد عدم   مى نيرز دخاك آن توبه ندم
ميكند او توبه وبير خرد   بابك لو ردوا لعادوامى زند

وفي «عرائس البقلي»: وصف الله أهل الضعف من اليقين إذا مسه ألم امتحانه دعاه بغير معرفته، وإذا وصل إليه نعمته احتجب بالنعمة عن المنعم، فبقي جاهلاً من كلا الطريقين لا يكون صابراً في البلاء ولا شاكراً في النعماء، وذلك من جهله بربه ولو أدركه بنعت المعرفة وحلاوة المحبة لبذل له نفسه حتى يفعل به ما يشاء. وقال بعضهم: أقل العبيد علماً ومعرفة أن يكون دعاؤه لربه عند نزول ضر به، فإن من دعاه بسبب أو لسبب فذلك دعاء معلول مدخول حتى يدعوه رغبة في ذكره وشوقاً إليه.

وقال الحسين: من نسي الحق عند العوافي لم يجب الله دعاءه عند المحن والاضطرار، ولذلك قال النبي عليه السلام لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة». وقال النهر جوري: لا تكون النعمة التي تحمل صاحبها إلى نسيان المنعم نعمة، بل هي إلى النقم أقرب.

اين كله زان نعمتي كن كت زند   ازدرما دور مطر ودت كنند

﴿وجعل لله أنداداً﴾ شركاء في العبادة؛ أي. رجع إلى عبادة الأوثان جمع ند، وهو يقال: لما يشارك في الجوهر فقط كما في «المفردات». وقال في «بحر العلوم»: هو المثل المخالف؛ أي: أمثالاً يعتقد أنها قادرة على مخالفة الله ومضادته. **﴿ليضل﴾** الناس بذلك يعني: [تاكمراه كندمر دمانرا]. **﴿عن سبيله﴾** الذي هو التوحيد.

والسبيل: من الطرق ما هو معتاد السلوك استعين للتوحيد، لأنه موصل إلى الله تعالى ورضاه قرى ليضل بفتح الياء؛ أي: ليزداد ضلالاً، أو يثبت عليه، وإلا فأصل الضلال غير متأخر عن الجعل المذكور. واللام: لام العاقبة، فإن النتيجة قد تكون غرضاً في الفعل، وقد تكون غير غرض والضلال والإضلال ليسا بغرضين، بل نتيجة الجعل وعاقبته. **﴿قل﴾** الأمر الآتي للتهديد كقوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، فالمعنى: قل يا محمد تهديداً لذلك الضال المضل وبياناً لحاله ومآله.

وفي «التأويلات النجمية»: قل للإنسان الذي هذه طبيعته في السراء والضراء. **﴿تمتع بكفرك قليلاً﴾**؛ أي: تمتعاً قليلاً، فهو صفة مصدر محذوف، أو زماناً قليلاً، فهو صفة زمان محذوف يعني: [ازمتمتعات بهرجه خواهى اشتغال كن در دنيا تاوقت مرك والتمتع برخوردارى كرفتن]، يعني: الانتفاع. **﴿إنك من أصحاب النار﴾** في الآخرة؛ أي: من ملازميها والمعذبين فيها على الدوام: [ولذتهاى دنيا درجنب شدت عذاب دوزخ بغايت محقراست]. وهو تعليل لقلة التمتع.

وفيه من الإقناط من النجاة ما لا يخفى كأنه قيل، وإذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان والطاعة، فمن حقك أن تؤمر بتركه لتذوق عقوبته.

وفيه إشارة إلى أن من صاحب في الدنيا أهل النار وسلك على إقدام مخالفات المولى وموافقات الهوى طريق الدركات السفلى، وهو صاحب النار وأهلها، وإلى أن عمر الدنيا قليل، فكيف بعمر الإنسان، وأن التمتع بمشتهيات الدنيا لا يغني عن الإنسان شيئاً، فلا بد من الانتباه قبل نداء الأجل.

وصلى أبو الدرداء رضي الله عنه في مسجد دمشق، ثم قال: يا أهل دمشق ألا تستحيون إلى متى تؤمّلون ما لا تبلغون وتجمعون ما لا تأكلون وتبنون ما لا تسكنون إن من كان قبلكم أمّلوا بعيداً وبنوا مشيداً وجمعوا كثيراً، فأصبح أملهم غروراً وجمعهم بوراً ومساكنهم قبوراً.

وذكر في «الأخبار»: أن رجلاً قال لموسى عليه السلام: ادع الله أن يرزقني مالاً فدعا ربه، فأوحى الله إليه يا موسى أقليلاً سألت أم كثيراً. قال: يا رب، كثيراً، قال: فأصبح الرجل أعمى فغدا على موسى، فتلقاه سبع فقتله، فقال موسى: يا رب سألتك أن ترزقه كثيراً، وأكله السبع، فأوحى الله إليه: يا موسى، إنك سألت له كثيراً، وكل ما كان في الدنيا، فهو قليل، فأعطيته الكثير في الآخرة، فطوبى لمن أبغض الدنيا وما فيها وعمل للآخرة والمولى قبل دنو الأجل وظهور الكسل، جعلنا الله وإياكم من المتيقظين آمين.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾

﴿أمن﴾ بالتشديد على أن أصله أم من، والاستفهام بمعنى التقرير، والمعنى الكافر

القاسي الناسي خير حالاً وأحسن مآلاً أم من، وهو عثمان رضي الله عنه على الأشهر، ويدخل فيه كل من كان على صفة التزكية، ومن خفف الميم تبع المصحف، لأن فيه ميماً واحدة، فالألف للاستفهام دخلت على من ومعناه أم من. ﴿**هو قانت**﴾ كمن ليس بقانت.

القنوت: يجيء على معاني: **منها**: الدعاء فقنوت الوتر دعاؤه، وأما دعاء القنوت، فالإضافة فيه بيانية كما في «حواشي أخي جلبي».

ومنها: الطاعة كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

ومنها: القيام، فالمصلي قانت؛ أي: قائم. وفي الفروع وطول القيام أولى من كثرة السجود لقوله عليه السلام: «أفضل الصلاة طول القنوت»؛ أي: القيام كما في «الدرر». وفي الحديث: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصائم». يعني المصلي الصائم كما في «كشف الأسرار». والتعقيب: بآناء الليل وبساجداً أو قائماً يخصصه؛ أي: القنوت بالقيام، فالمعنى: أم من هو قائم. ﴿**آناء الليل**﴾؛ أي: في ساعاته واحده أنى بكسر الهمزة وفتحها مع فتح النون، وهو الساعة وكذا الإنى والإنو بالكسر وسكون النون. يقال: مضى إنوان وإنيان من الليل؛ أي: ساعتان. ﴿**ساجداً**﴾: حال من ضمير قانت؛ أي: حال كونه ساجداً. ﴿**وقائماً**﴾: تقديم السجود على القيام لكونه أدخل في معنى العبادة. والواو: للجمع بين الصفتين.

والمراد بالسجود والقيام: الصلاة عبر عنها بهما لكونهما من أعظم أركانها.

فالمعنى: قانت؛ أي: قائم طويل القيام في الصلاة كما يشعر به آناء الليل، لأنه إذا قام في ساعات الليل فقد أطال القيام بخلاف من قام في جزء من الليل. ﴿**يحذر الآخرة**﴾: حال أخرى على الترادف أو التداخل أو استئناف؛ كأنه قيل: ما باله يفعل القنوت في الصلاة، فقيل: يحذر عذاب الآخرة لإيمانه بالبعث. ﴿**ويرجو رحمة ربه**﴾؛ أي: المغفرة أو الجنة، لا أنه يحذر ضرّ الدنيا ويرجو خيرها فقط كالكافر.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى القيام بأداء العبودية ظاهراً وباطناً من غير فتور ولا تقصير. ﴿**يحذر الآخرة**﴾ ونعيمها كما يحذر الدنيا وزينتها. ﴿**ويرجو رحمة ربه**﴾ لا نعمة ربه. انتهى.

ودلت الآية على أن المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء يرجو رحمة ربه لعمله ويحذر عذابه لتقصيره في عمله.

ثم الرجاء إذا جاوز حدّه يكون أمناً، والخوف إذا جاوز حدّه يكون إياساً، وكل منهما كفر، فوجب أن يعتدل كما قال عليه السلام: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا».

كرجه دارى طاعتى ازهيبتش ايمن مباش
وركنه دارى زفيض رحمتش دل برمدار
نيك ترسان شوكه قهر اوست بيرون از قياس
باش بس خوش دل كه لطف اوست افزون ازشمار

ثم في الآية تحريض على صلاة الليل. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: من أحب أن يهوّن الله عليه الموقف يوم القيامة، فليره الله في سواد الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة، ويرجو رحمة ربه كما في «تفسير الحدادي».

قال ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيت بوضوئه وحاجته، فقال لي: «سل»، فقالت: أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: «أو غير ذلك»، فقلت: هو ذلك. قال: «فأعن نفسك على كثرة السجود»؛ أي: بكثرة الصلاة.

قال بعض العارفين: إن الله يطلع على قلوب المستيقظين في الأسحار فيملؤها نوراً، فترد الفوائد على قلوبهم، فتستنير ثم تنتشر العوافي من قلوبهم إلى قلوب الغافلين.

خروسان در سحر كويد كه قم يا أيها الغافل سعادت آنكسى داردكه وقت صبح بيدارست

﴿**قل**﴾ بياناً للحق وتنبيهاً على شرف العلم والعمل. ﴿**هل يستوي الذين يعلمون**﴾ حقائق الأعمال، فيعملون بموجب علمهم كالقانت المذكور. ﴿**والذين لا يعلمون**﴾ ما ذكر، فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كالكافر. والاستفهام: للتنبيه على كون الأولين في أعلى معارج الخير وكون الآخرين في أقصى مدارج الشر.

وفي «بحر العلوم»: الفعل منزل منزلة اللازم ولم يقدّر له مفعول، لأن المقدر كالمذكور. والمعنى: لا يستوي من يوجد فيه حقيقة العلم ومن لا يوجد. ﴿**إنما يتذكر أولو الألباب**﴾ كلام مستقل غير داخل في الكلام المأمور به وارد من جهته تعالى؛ أي: إنما يتعظ بهذه البيانات الواضحة أصحاب العقول الخالصة من شوائب الخلل والوهم. وهؤلاء بمعزل عن ذلك.

قيل: قضية اللب الاتعاظ بالآيات، ومن لم يتعظ، فكأنه لا لب له ومثله مثل البهائم.

وفي «المفردات»: اللب العقل الخالص من الشوائب وسمي بذلك، لكونه خالص ما في الإنسان من قواه كاللباب من الشيء.

وقيل: هو ما زكا من العقل، فكل لب عقل، وليس كل عقل لباً. ولذا علق الله تعالى الأحكام التي لا تدركها إلا العقول الزكية بأولي الألباب نحو قوله: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. ونحو ذلك من الآيات. انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**هل يستوي الذين يعلمون**﴾ قدر جوار الله وقربته ويختارونه على الجنة ونعيمها. ﴿**والذين لا يعلمون**﴾ قدره. ﴿**إنما يتذكر**﴾ حقيقة هذا المعنى ﴿**أولو الألباب**﴾. وهم الذين انسلخوا من جلد وجودهم بالكلية، وقد ماتوا عن أنانيتهم وعاشوا بهويته، انتهى.

وفي الآية بيان لفضل العلم وتحقير للعلماء الغير العاملين فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء.

قال الشيخ السهروردي في عوارف المعارف: أرباب الهمة أهل العلم الذين حكم الله تعالى لهم بالعلم في قوله تعالى: ﴿**أم من هو قانت آناء الليل**﴾ إلى قوله: ﴿**قل هل يستوي**﴾ إلخ. حكم لهؤلاء الذين قاموا بالليل بالعلم فهم لموضع علمهم أزعجوا النفوس عن مقار طبيعتها ورقوها بالنظر إلى اللذات الروحانية إلى ذرى حقيقتها، فتجافت جنوبهم عن المضاجع وخرجوا من صفة الغافل الهاجع. انتهى.

وفي الحديث: «يشفع يوم القيامة ثلاث: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك، فاختار العلم فأعطي المال والملك. وفي الخبر «إن الله تعالى أرسل جبرائيل إلى آدم

عليهما السلام بالعقل والحياء والإيمان، فخيره بينهن، فاختار العقل، فتبعاه. وفي بعض الروايات أرسل بالعلم والحياء والعقل، فاستقر العلم في القلب، والحياء في العين والعقل في الدماغ. وفي الحديث: «من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار، فلينظر إلى المتعلمين فوالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف إلى باب العلم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة وبنى له بكل قدم مدينة في الجنة ويمشي على الأرض تستغفر له، ويستغفر له كل من يمشي على الأرض ويمسي ويصبح مغفور الذنب وشهدت الملائكة هؤلاء عتقاء الله من النار».

وذكر أن شرف العلم فوق شرف النسب، ولذا قيل: إن عائشة رضي الله عنها أفضل من فاطمة رضي الله عنها، ولعله المراد بقول الأمالي:

وللصدّيقة الرجحان فاعلم على الزهراء في بعض الخصال

لأن النبي عليه السلام، قال: «خذوا ثلثي دينكم من عائشة». وأما أكثر الخصال، فالرجحان للزهراء على الصدّيقة كما دل عليه قوله عليه السلام: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد». وفي الحديث: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

قال في «الاحياء»: اختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم.

فقال المتكلمون: هو علم الكلام إذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله وصفاته.

وقال الفقهاء: هو علم الفقه إذ به يعرف العبادات والحلال والحرام.

وقال المفسرون والمحدثون: هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل العلوم كلها.

وقال المتصوفة: هو علم التصوّف إذ به يعرف العبد مقامه من الله تعالى. **وحاصله**: إن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده قوله: «على كل مسلم»؛ أي: مكلف ذكراً كان أو أنثى.

قال في «شرح الترغيب» مراده علم ما لا يسع الإنسان جهله كالشهادة. باللسان والإقرار بالقلب واعتقاد أن البعث بعد الموت ونحوه حق وعلم ما يجب عليه من العبادات، وأمر معايشه كالبيع والشراء، فكل من اشتغل بأمر شرعيّ يجب طلب علمه عليه مثلاً إذا دخل وقت الصلاة تعين عليه أن يعرف الطهارة وما يتيسر من القرآن، ثم تعلم الصلاة وإن أدركه رمضان وجب عليه أن ينظر في علم الصيام، وإن أخذه الحج وجب عليه حينئذ علمه، وإن كان له مال. وحال عليه الحول تعين عليه علم زكاة ذلك الصنف من المال لا غير، وإن باع أو اشترى وجب عليه علم البيوع والمصارفة. وهكذا سائر الأحكام لا يجب عليه إلا عند ما يتعلق به الخطاب.

فإن قيل: يضيق الوقت على نيل علم ما خوطب به في ذلك الوقت.

قلنا: لسنا نريد عند حلول الوقت المعين، وإنما نريد بقربه بحيث أن يكون له من الزمان بقدر ما يحصل ذلك العلم المخاطب به وليدخل عقيبه وقت العمل وهذا المذكور هو المراد بعلم الحال، فعلم الحال بمنزلة الطعام لا بدّ لكل أحد منه وعلم ما يقع في بعض الأحايين بمنزلة الدواء يحتاج إليه في بعض الأوقات.

وقال في «عين العلم»: المراد المكاشفة فيما ورد: «فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي»، إذ غيره وهو علم المعاملة تبع للعمل لثبوته شرطاً له، وكذا المراد المعاملة القلبية

الواجبة فيما ورد: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»؛ أي: يفترض عليه علم أحوال القلب من التوكل والإنابة والخشية والرضا، فإنه واقع في جميع الأحوال وكذلك في سائر الأخلاق نحو الجود والبخل والجبن والجراءة والتكبر والتواضع والعفة والشره والإسراف والتقتير وغيرها. ويمتنع أن يراد غير هذه المعاملات، أما التوحيد فللحصول، وأما الصلاة فلجواز أن يتأهلها شخص وقت الضحى بالإسلام، أو البلوغ، ومات قبل الظهر، فلا يفترض عليه طلب علم تلك الصلاة، فلا يستقيم العموم المستفاد من لفظه كل، وكذا المراد علم الآخرة مطلقاً؛ أي: مع قطع النظر عن المعاملة والمكاشفة فيما ورد: ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾، لئلا يفضل علماء الزمان على الصحابة، فمجادلة الكلام والتعمق في فتاوى ندر وقوعها محدث. وبالجملة علم التوحيد أشرف العلوم لشرف معلومه، وكل علم نافع، وإن كان له مدخل في التقرب إلى الله تعالى إلا أن القربة التامة، إنما هي بالعلم الذي اختاره الصوفية المحققون على ما اعترف به الإمام الغزالي رحمه الله في «منقذ الضلال». وكان المتورعون من علماء الظاهر يعترفون بفضل أرباب القلوب ويختلفون إلى مجالسهم. وسأل بعض الفقهاء أبا بكر الشبلي قدس سره اختباراً لعلمه. وقال كم في خمس من الإبل، فقال: أما الواجب فشاة وأما عندنا فكلها لله، فقال: وما دليلك فيه. قال أبو بكر رضي الله عنه: حين خرج عن جميع ماله لله ولرسوله، فمن خرج عن ماله كله فإمامه أبو بكر رضي الله عنه، ومن ترك بعض فإمامه عمر رضي الله عنه، ومن أعطى لله ومنع لله فإمامه عثمان رضي الله عنه، ومن ترك الدنيا لأهلها، فإمامه علي رضي الله عنه، فكل علم لا يدل على ترك الدنيا، فليس بعلم، وقد قال عليه السلام: «أعوذ بك من علم لا ينفع»، وهو العلم الذي لا يمنع صاحبه عن المنهي ولا يجره إلى المأمور به.

وفي «كشف الأسرار»: [علم سه است علم خبري وعلم الهامي وعلم غيبي. علم خبرى كوشها شنود. وعلم الهامى دلها شنود. وعلم غيبي جانها شنود. علم خبري بروايت است. علم الهامى بهدايت است. علم غيبى بعنايت است. علم خبرى را كفت ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] «فقدم العلم لأنه إمام العمل» علم الهامى راكفت ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾ [الإسراء: ١٠٧] علم غيبي راكفت ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] ووراى اين همه علمى است كه وهم آدمي بدان نرسد وفهم ازان درماند].

وذلك علم الله عز وجل بنفسه على حقيقته. قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. قال الشبلي قدس سره: العلم خبر والخبر جحود وحقيقة العلم عندي بعد أقوال المشايخ الاتصاف بصفة الحق من حيث علمه حتى يعرف ما في الحق.

وقال بعض الكبار: المقامات كلها علم والعلم حجاب؛ أي: ما لم يتصل بالمعلوم ويفنى فيه، وكذا الاشتغال بالقوانين والعلوم الرسمية حجاب مانع عن الوصول، وذلك لأن العلم الإلٰهي الذي يتعلق بالحقائق الإلٰهية لا يحصل إلا بالتوجه والافتقار التام وتفريغ القلب وتعريته بالكلية عن جميع المتعلقات الكونية والعلوم والقوانين الرسمية، وأما علم الحال فمن مقدمات السلوك فحجبه مانع لا هو نفسه وعينه، ولا يدعي أحد أن العلم مطلقاً حجاب، وكيف يكون حجاباً، وهو سبب الكشف والعيان لا بد من فنائه في وجود العالم وفناء ما يقتضيه من الافتخار والتكبر والازدراء بالغير ونحوها، ولكون بقائه حجاباً قلما سلك العلماء

بالرسوم نسأل الله سبحانه أن يزين ظواهرنا بالشرائع والأحكام وينور بواطننا بأنواع العلوم والإلهام، ويجعلنا من الذين يعلمون وهم الممدوحون لا من الذين لايعلمون وهم المذمومون آمين، وهو المعين.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾.

﴿قل يا عباد الذين آمنوا﴾؛ أي: قل لهم قولي هذا بعينه وفيه تشريف لهم بإضافتهم إلى ضمير الجلالة، فإن أصله يا عبادي بالياء حذفت اكتفاء بالكسرة.

وفي «كشف الأسرار»: [اين خطاب با قومي است كه مراد نفس خويش بموافقت حق بدادند ورضاى الله برهواى نفس بركزيدند تاصفت عبوديت ايشان درست كشت ورب العالمين رقم اضافت بر ايشان كشيدكه **﴿يا عباد﴾** ومصطفى عليه السلام كفت «من مقت نفسه في ذات الله آمنه الله من عذاب يوم القيامة»، وأبو يزيد بسطامى قدس سره ميكويد اكر فرادى قيامت مرا كويندكه آرزويى كن آرزوى من آنست بدوزخ اندر آيم واين نفس بر آتش عرض كنم كه دردنيا ازوبسيار بيجيدم ورنج وى كشيدم]. انتهى.

وأيضاً: إن أخص الخواص هم العباد الذين خلصوا من عبودية الغير من الدنيا والآخرة لكونهما مخلوقتين وآمنوا بالله الخالق إيمان الطلب شوقاً ومحبة. **﴿اتقوا ربكم﴾**؛ أي: اثبتوا على تقوى ربكم، لأن الإيمان حصول التقوى عن الكفر والشرك أو اتقوا عذابه وغضبه باكتساب طاعته، واجتناب معصيته، أو اتقوا به عما سواه حتى تتخلصوا من نار القطيعة وتفوزوا بوصاله ونعيم جماله. **﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا﴾**؛ أي: عملوا الأعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الإخلاص ورأسها كلمة الشهادة، فإنها أحسن الحسنات. **﴿حسنة﴾**: مبتدأ وخبره للذين. وفي هذه الدنيا متعلق بأحسنوا.

وفيه إشارة إلى قوله: «الدنيا مزرعة الآخرة»؛ أي: حسنة ومثوبة عظيمة في الآخرة لا يعرف كنهها، وهي الجنة والشهود؛ لأن جزاء الإحسان الإحسان، والإحسان أن تعبد الله، كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك فالمحسن هو المشاهد وبمشاهدة الله يغيب ما سوى الله، فلا يبقى إلا هو وذلك حقيقة الإخلاص، وأما غير المحسن، فعلى خطر لبقائه مع ما سوى الله تعالى، فلا يأمن من الشرك والرياء القبيح ومن كان عمله قبيحاً لم يكن جزاؤه حسناً.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿للذين أحسنوا﴾** في طلبي **﴿في هذه الدنيا﴾**، ولا يطلبون من غيري حسنة؛ أي: لهم حسنة وجداني يعني: حسن الوجدان مودع في حسن الطلب: قال الخجندي:

بكوش تابكف آرى كليد كنج وجود ... كه بى طلب نتوان يافت كوهر مقصود
توجاكر در سلطان عشق شو جواياز ... كه هست عاقبت كار عاشقان محمود

﴿وأرض الله واسعة﴾، فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والإحسان، وفي وطنه، فليهاجر إلى حيث يتمكن فيه من ذلك، كما هو سنة الأنبياء والصالحين، فإنه لا عذر له في التفريط أصلاً.

وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي، وقد ورد: «إن من فر بدينه من أرض إلى أرض وجبت له الجنة»، وإنما قال: بدينه احترازاً عن الفرار بسبب الدنيا ولأجلها خصوصاً إذا كان المهاجر إليه أعصى من المهاجر منه.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى حضرة جلاله أنه لا نهاية لها فلا يغتر طالب بما يفتح عليه من أبواب المشاهدات والمكاشفات، فيظن أنه قد بلغ المقصد الأعلى والمحل الأقصى، فإنه لا نهاية لمقامات القرب، ولا غاية لمراتب الوصول. وفي المثنوي:

اى برادر بى نهايت دركهيست ... هر كجاكه ميرسى بالله مأيست

﴿إنما يوفى الصابرون﴾ الذين صبروا على دينهم، فلم يتركوه للأذى وحافظوا على حدوده، ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه لما اعتراهم في ذلك من فنون الآلام والبلايا التي من جملتها مهاجرة الأهل ومفارقة الأوطان [والتوفية: تمام بدادن].

قال في «المفردات»: توفية الشيء بذله وافياً كاملاً واستيفاؤه تناوله وافياً. والمعنى: يعطون ﴿أجرهم﴾ بمقابلة ما كابدوا من الصبر ﴿بغير حساب﴾؛ أي: بحيث لا يحصى ويحصر. وفي الحديث: «أنه تنصب الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج، فيوفون بها أجورهم ولا تنصب لأهل البلاء، بل يصب عليهم الأجر صباً حتى يتمنى أهل المعافاة في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل».

تو مبين رنجورى غمديدكان ... كاندران رنجيده ازبكزيدكان

هركرا از زخمها غم بيشتر ... لطف يارش داده مرهم بيشتر

قال سفيان: لما نزل ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠] قال عليه السلام: «رب زد لأمتي»، فنزل: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾ [البقرة: ٢٦١]، فقال عليه السلام: «رب زد لأمتي»، فنزل: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾، فانتهى رسول الله ﷺ. وسئل النبي عليه السلام؛ أي: الناس أشد بلاء، قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه»، فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه وإن كان في دينه ذا رقة هون عليه، فما زال كذلك حتى يمشي على الأرض كمن ليس له ذنب. وقال ﷺ: «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده أو في ماله، أو في ولده، ثم صبر على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله»، «وإن أعظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله عز وجل إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط، فله السخط. وفي «عرائس البقلي» وصف الله القوم بأربع خصال: بالإيمان والتقوى والإحسان والصبر. فأما إيمانهم فهو المعرفة بذاته وصفاته من غير استدلال بالحدثان، بل عرفوا الله بالله، وأما تقواهم فتجريدهم أنفسهم عن الكون حتى قاموا بلا احتجاب عنه، وأما إحسانهم فإدراكهم رؤيته تعالى بقلوبهم وأرواحهم بنعت كشف جماله، وأما صبرهم فاستقامتهم في مواظبة الأحوال وكتمان الكشف الكلي.

وحقيقة الصبر أن لا يدعي الديمومية بعد الاتصاف بها ومعنى ﴿أرض الله واسعة﴾ أرض القلوب ووسعها بوسع الحق، فإذا كان العارف بهذه الأوصاف، فله أجران: أجر الدنيا وهو المواجيد والواردات الغريبة وأجر الآخرة، وهو غوصه في بحار الآزال والآباد، والفناء في الذات والبقاء في الصفات.

قال الحارث المحاسبي: الصبر التهدّف لسهام البلاء.

وقال طاهر المقدسي: الصبر على وجوه صبر منه وصبر له وصبر عليه وصبر فيه أهونه الصبر على أوامر الله، وهو الذي بين الله ثوابه، فقال: ﴿إنما يوفى الصابرون﴾ إلخ.

وقال يوسف بن الحسين: ليس بصابر من يتجرع المصيبة ويبدي فيها الكراهة، بل الصابر من يتلذذ بصبره حتى يبلغ به إلى مقام الرضا.

﴿قل﴾: روي أن كفار قريش قالوا للنبي عليه السلام: ما يحملك على الذي أتيتنا به ألا تنظر إلى ملة آبائك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى، فتأخذ بتلك الملّة، فقال تعالى: ﴿قل﴾ يا محمد للمشركين: ﴿إني أمرت﴾ من جانبه تعالى: ﴿أن﴾؛ أي: بأن. ﴿أعبد الله﴾ حال كوني ﴿مخلصاً له الدين﴾؛ أي: العبادة من الشرك والرياء بأن يكون المقصد من العبادة هو المعبود بالحق لا غير كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾ [الرعد: ٣٦].

﴿وأمرت﴾ بذلك. ﴿لأن أكون أول المسلمين﴾ من هذه الأمة؛ أي: لأجل أن أكون مقدمهم في الدنيا والآخرة؛ لأن السبق في الدين إنما هو بالإخلاص فيه، فمن أخلص عدّ سابقاً، فإذا كان الرسول عليه السلام متصفاً بالإخلاص قبل إخلاص أمته فقد سبقهم في الدارين إذ لا يدرك المسبوق مرتبة السابق ألا ترى إلى الأصحاب مع من جاء بعدهم والظاهر أن اللام مزيدة، فيكون كقوله تعالى: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ [الأنعام: ١٤]، فالمعنى: وأمرت أن أكون أول من أسلم من أهل زماني؛ لأن كل نبي يتقدم أهل زمانه في الإسلام والدعاء إلى خلاف دين الآباء، وإن كان قبله مسلمون.

قال بعضهم: الإخلاص أن يكون جميع الحركات في السر والعلانية لله تعالى وحده لا يمازجه شيء. وقال الجنيد قدس سره: أمر جميع الخلق بالعبادة وأمر النبي عليه السلام بالإخلاص فيها إشارة إلى أن أحداً لا يطيق تمام مقام الإخلاص سواه.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾﴾.

﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي﴾ بترك الإخلاص والميل إلى ما أنتم عليه من الشرك. ﴿عذاب يوم عظيم﴾؛ أي: أخاف من عذاب يوم القيامة، وهو يوم عظيم لعظمة ما فيه من الدواهي والأهوال بحسب عظم المعصية وسوء الحال.

وفيه زجر عن المعصية بطريق المبالغة؛ لأنه عليه السلام مع جلالة قدره إذا خاف على تقدير العصيان فغيره من الأمة أولى بذلك.

ودلت الآية على أن المترتب على المعصية ليس حصول العقاب، بل الخوف من العقاب، فيجوز العفو عن الصغائر والكبائر. قال الصائب:

محيط از جهره سيلاب كرده راه ميشويد جه اند يشد كسى باعفو حق از كرد زلتها

﴿قل الله﴾ نصب بقوله: ﴿أعبد﴾ على ما أمرت لا غيره لا استقلالاً ولا اشتراكاً. ﴿مخلصاً له ديني﴾ من كل شوب، وهو بالإضافة؛ لأن قوله: أعبد إخبار عن المتكلم بخلاف ما في قوله مخلصاً له الدين؛ لأن الإخبار فيه أمرت وما بعده صلته ومفعوله، فظهر الفرقان كما في «برهان القرآن».

وقال الكاشفي: [باك كننده براى أوكيش خودرا از شرك يا خالص سازنده عمل خودرا ازريا].

وفي «التأويلات النجمية»: قل الله أعبد لا الدنيا ولا العقبى وأطلب بعبادتي المولى مخلصاً له ديني:

وكل له سؤل ودين ومذهب فلي أنتمو سؤلي وديني هوا كمو
زبشت آينه روى مراد نتوان ديد تراكه روى بخلق است ازخداجه خبر

﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾

﴿فاعبدوا﴾؛ أي: قد امتثلت ما أمرت به، فاعبدوا يا معشر الكفار **﴿ما شئتم﴾** أن تعبدوه **﴿من دونه﴾** تعالى. والأمر للتحديد كما في قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: ٤٠].

قال في «الإرشاد»: وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى كأنهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه أمروا به كي يحل بهم العقاب، ولما قال المشركون خسرت يا محمد حيث خالفت دين آبائك. قال تعالى: **﴿قل إن الخاسرين﴾**؛ أي: الكاملين في الخسران الذي هو عبارة عن إضاعة ما يهمه وإتلاف ما لا بد منه.

وفي «المفردات»: الخسران انتقاص رأس المال يستعمل في المال والجاه والصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب، وهو الذي جعل الله الخسران المبين، وهو بالفارسية: [زيان: والخاسر زيانكار بكو بدرستى كه زيانكاران]. **﴿الذين﴾**. [آنانندكه]، فالجملة من الموصول والصلة خبر إن. **﴿خسروا أنفسهم﴾** بالضلال واختيار الكفر لها؛ أي: أضاعوها وأتلفوها إتلاف البضاعة، فقوله: أنفسهم مفعول خسروا.

وقال الكاشفي: [زيان كردند در نفسهاى خودكه كمراه كشتند]. **﴿وأهليهم﴾** بالضلال واختيار الكفر لهم أيضاً أصله أهلين جمع أهل وأهل الرجل عشيرته وذو قرابته كما في «القاموس» ويفسر بالأزواج والأولاد وبالعبيد والإماء وبالأقارب وبالأصحاب وبالمجموع كما في «شرح المشارق» لابن الملك. **﴿يوم القيامة﴾** حين يدخلون النار بدل الجنة حيث عرضوهما للعذاب السرمدي وأوقعوهما في هلكة لا هلكة وراءها. **﴿ألا ذلك﴾** الخسران. **﴿هو الخسران المبين﴾** حيث استبدلوا بالجنة ناراً وبالدرجات دركات كما في «كشف الأسرار».

وقال الكاشفي: [بدانيد وآكاه باشيدكه آنست آن زيان هويدا كه برهيجكس ازهل موقف بوشيده نماند].

وفي «التأويلات النجمية»: الخاسر في الحقيقة من خسر دنياه بمتابعة الهوى وخسر عقباه بارتكاب ما نهي عنه وخسر مولاه بتولي غيره، ثم شرح خسرانهم بنوع بيان، فقال:

﴿لهم من فوقهم ظلل من النار﴾ لهم خبر الظلل والضمير للخاسرين ومن فوقهم حال من ظلل، والظلل جمع ظلة كغرف جمع غرفة وهي سحابة تظل وشيء كهيئة الصفة. بالفارسية: [سايبان].

وفي «كشف الأسرار»: ما أظلك من فوقك. والمعنى: للخاسرين ظل من النار كثيرة متراكبة بعضها فوق بعض حال كون تلك الظل من فوقهم. والمراد: طباق وسرادقات من النار ودخانها وسمي النار ظلة لغلظها وكثافتها، ولأنها تمنع من النظر إلى ما فوقهم.

وفيه إشعار بشدة حالهم في النار وتهكم بهم؛ لأن الظلة إنما هي للاستظلال والتبرد خصوصاً في الأراضي الحارة كأرض الحجاز، فإذا كانت من النار نفسها كانت أحرّ ومن تحتها أغمّ. ﴿ومن تحتهم﴾ أيضاً. ﴿ظلل﴾. والمراد: إحاطة النار بهم من جميع جوانبهم كما قال تعالى: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف: ٢٩]؛ أي: فسطاطها، وهو الخيمة شبه به ما يحيط بهم من النار كما سبق في الكهف، ونظير الآية قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥]. وقوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍۚ﴾ [الأعراف: ٤١].

وقال بعضهم: ومن تحتهم ظلل؛ أي: طباق من النار ودركات كثيرة بعضها تحت بعض هي ظلل للآخرين، بل لهم أيضاً عند تردّيهم في دركاتها كما قال السدي هي لمن تحتهم ظلل. وهكذا حتى ينتهي إلى القعر والدرك الأسفل الذي هو للمنافقين فالظلل لمن تحتهم، وهي فرش لهم، وكما قال في «الأسئلة المقحمة» كيف سمى ما هو الأسفل ظللاً، والظلال ما يكون فوقاً، والجواب: لأنها تظلل من تحتها، فأضاف السبب إلى حكمه. ﴿ذلك﴾ العذاب الفظيع هو الذي ﴿يخوف الله به عباده﴾ في القرآن ليؤمنوا ويحذرهم إياه بآيات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه.

وفي «الوسيط» يخوف الله به عباده المؤمنين يعني أن ما ذكر من العذاب معد للكفار، وهو تخويف للمؤمنين ليخافوه فيتقوه بالطاعة والتوحيد. ﴿يا عباد﴾. [اي بندكان من]. وأصله: يا عبادي بالياء. ﴿فاتقون﴾، ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي. وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والرحمة.

وفيه إشارة إلى أن الله تعالى خلق جهنم سوطاً يسوق به عباده إلى الجنة إذ ليس تحت الوجود إلا ما هو مشتمل للحكمة والمصلحة، فمن خاف بتخويف الله إياه من هذا الخسران، فهو عبده عبداً حقيقياً، ومستأهل لشرف الإضافة إليه.

وعن أبي يزيد البسطامي قدس سره: أن الخلق يفرون من الحساب، وأنا أقبل عليه، فإن الله تعالى: لو قال لي أثناء الحساب عبدي لكفاني، فعلى العاقل تحصيل العبودية وتكميلها كي يليق بخطاب الله تعالى، ويكون من أهل الحرمة عند الله تعالى ألا ترى أن من خدم ملكاً من الملوك يستحق الكرامة، ويصير محترماً عنده، وهو مخلوق، فكيف خدمة الخالق.

نقل في آخر «فتاوى الظهيرية»: أن الإمام الأعظم أبا حنيفة رحمه الله لما حج الحجة الأخيرة. قال في نفسه لعلي لا أقدر أن أحجّ مرة أخرى فسأل حجاب البيت أن يفتحوا له باب الكعبة، ويأذنوا له في الدخول ليلاً، ليقوم، فقالوا: إن هذا لم يكن لأحد قبلك ولكنا نفعل ذلك لسبقك وتقدمك في علمك واقتداء الناس كلهم بك، ففتحوا له الباب، فدخل فقام بين العمودين على رجل اليمنى حتى قرأ القرآن إلى النصف وركع وسجد ثم قام على رجل اليسرى وقد وضع قدمه اليمنى على ظهر رجله اليسرى حتى ختم القرآن، فلما سلم بكى وناجى وقال: إلٰهي ما عبدك هذا العبد الضعيف حق عبادتك، ولكن عرفك حق معرفتك، فهب نقصان خدمته لكمال معرفته، فهتف هاتف من جانب البيت يا أبا حنيفة، قد عرفت وأخلصت

المعرفة، وخدمت فأحسنت الخدمة، فقد غفرنا لك، ولمن اتبعك وكان على مذهبك إلى قيام الساعة.

ثم إن مثل هذه العبودية ناشئة عن التقوى والخوف من الله تعالى ومطالعة هيبته وجلاله، وكان عليه السلام يصلي وبصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء. والأزيز: الغليان. وقيل: صوته والمرجل قدر من نحاس. كذا نقل مثل ذلك عن إبراهيم عليه السلام، فحرارة هذا الخوف إذا أحاطت بظاهر الجسم، وباطنه سلم الإنسان من الاحتراق، وإذا مضى الوقت تعذر تدارك الحال، فليحافظ على زمان الفرصة:

وحشى فرصت جوتير از جشم بيرون جسته است

تاتوزه مى سازى اى غافل كمان خويش را

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾.

﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾. [الاجتناب: بايك سو شدن]. يقال: اجتنبه بعد عنه. والطاغوت: البالغ أقصى غاية الطغيان، وهو تجاوز الحدّ في العصيان، فلعوت من الطغيان بتقديم اللام على العين، لأن أصله طغيوت بني للمبالغة كالرحموت والعظموت. ثم وصف به للمبالغة في النعت كأن عين الشيطان طغيان؛ لأن المراد به هو الشيطان وتاؤه زائدة دون التأنيث كما قال في «كشف الأسرار»: التاء ليست بأصلية، هي في الطاغوت كهي في الملكوت والجبروت واللاهوت والناسوت والرحموت والرهبوت. ويذكر؛ أي: الطاغوت ويؤنث كما في «الكواشي»، ويستعمل في الواحد والجمع كما في «المفردات» و«القاموس» قال الراغب: وهو عبارة عن كل متعد وكل معبود من دون الله.

وفي «القاموس»: الطاغوت اللات والعزى والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال والأصنام وكل ما عبد من دون الله ومردة أهل الكتاب.

وقال في «كشف الأسرار»: كل من عبد شيئاً غير الله، فهو طاغٍ ومعبوده: طاغوت.

وفي «التأويلات النجمية»: طاغوت كل أحد نفسه وإنما يجتنبُ الطاغوت من خالف هواه وعانق رضا مولاه ورجع إليه بالخروج عما سواه رجوعاً بالكلية.

وقال سهل: الطاغوت: الدنيا وأصلها الجهل وفرعها المآكل والمشارب وزينتها التفاخر وثمرتها المعاصي وميراثها القسوة والعقوبة: والمعنى بالفارسية: [و آنانكه بيكسو رفتند ازشيطان يابتان يا كهنه يعني از هرجه بدون خداى تعالى برستند ايشان بر طرف شدند]. **﴿أن يعبدوها﴾** بدل اشتمال منه، فإن عبادة غير الله عبادة للشيطان إذ هو الآمر بها والمزين لها.

قال في «بحر العلوم»: وفيها إشارة إلى أن المراد بالطاغوت ها هنا الجمع. **﴿وأنابوا إلى الله﴾** وأقبلوا عليه معرضين عما سواه إقبالاً كلياً.

قال في «البحر»: واعلم أن المراد باجتناب الطاغوت الكفر بها وبالإنابة إلى الله الإيمان بالله كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وقدم اجتناب الطاغوت على الإنابة إلى الله كما قدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله على وفق كلمة التوحيد لا اله إلا الله حيث قدم نفي وجود الإلهية على إثبات الألوهية لله

تعالى. ﴿**لهم البشرى**﴾ بالثواب والرضوان الأكبر على ألسنة الرسل بالوحي في الدنيا، أو الملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون، وبعد ذلك.

وقال بعض الكبار: لهم البشرى بأنهم من أهل الهداية والفضل من الله، وهي الكرامة الكبرى. ﴿**فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه**﴾. فيه تصريح بكون التبشير من لسان الرسول عليه السلام، وهو تبشير في الدنيا. وأما تبشير الملك فتبشير في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]. وبالجملة تبشير الآخرة مرتب على تبشير الدنيا، فمن استأهل الثاني استأهل الأول. والأصل: عبادي بالياء فحذفت.

قيل: إن الآية نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمٰن بن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير حين سألوا أبا بكر رضي الله عنه، فأخبرهم بإيمانه فآمنوا. حكاه المهدوي في «التكملة»، فيكون المعنى: يستمعون القول من أبي بكر، فيتبعون أحسنه، وهو قول لا إله إلا الله، كما في «كشف الأسرار».

وقال في «الإرشاد» ونحوه؛ أي: فبشر، فوضع الظاهر موضع ضميرهم تشريفاً لهم بالإضافة ودلالة على أن مدار اتصافهم بالاجتناب والإنابة كونهم نقاداً في الدين يميزون الحق من الباطل، ويؤثرون الأفضل فالأفضل. انتهى.

وهذا مبني على إطلاق القول وتعميمه جرياً على الأصل.

يقول الفقير: ويحتمل أن يكون المعنى: يستمعون القول مطلقاً قرآناً كان، أو غيره، فيتبعون أحسنه بالإيمان والعمل الصالح، وهو القرآن؛ لأنه تعالى قال في حقه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]. كما سيأتي في هذه السورة.

وقال الراغب في «المفردات»: فيتبعون أحسنه؛ أي: الأبعد من الشبهة: [ودر بحر الحقائق فرموده كه قول اعم است ازسخن خدا وملك وانسان وشيطان ونفس. اما انسان حق وباطل ونيك وبد كويد. وشيطان بمعاصى خواند. ونفس بآرزوها ترغيب كند. وملك بطاعت دعوت نمايد. وحضرت عزت بخود خواند كما قال: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨] بس بندكان خالص آنانندكه احسن خطاب راكه خطاب رب الأرباب است اززبان حضرت رسول استماع نموده اند بيروى كنند].

وأيضاً: إن الألف واللام في القول للعموم، فيقتضي أن لهم حسن الاستماع في كل قول من القرآن وغيره ولهم أن يتبعوا أحسن معنى يحتمل كل قول اتباع درايته والعمل به، وأحسن كل قول ما كان من الله، أو لله أو يهدي إلى الله، وعلى هذا يكون استماع قول القوّال من هذا القبيل كما في «التأويلات النجمية».

وقال الكلبي: يجلس الرجل مع القوم فيستمع الأحاديث محاسن ومساوىء فيتبع أحسنها، فيأخذ المحاسن ويحدث بها ويدَع مساوءها: [ودر لباب كفته كه مراد ازقول سخنانست كه در مجالس ومحافل كذرد وأهل متابعت احسن آن اقوال اختيار ميكنند در ايشان ودر امثال آمده].

خذ ما صفا دع ما كدر

قول كس جون بشنوى دروى تأمل كن تمام صاف را بردار ودردى را رها كن والسلام

[وكفته اند استماع قول واتباع احسن آن عمومي دارد ومرد ازقول قرآنست واحسن، أو

محكم باشد دون منسوخ وعزيمت دون رخصت. وكفته أند كه در قرآن مقابح اعدا وممادح أوليا ست ايشان متابعت أحسن مينما يند كه مثلا طريقه موسى است عليه السلام دون سيرت فرعون]. وعلى هذا.

وفي «كشف الأسرار»: مثال هذا الأحسن في الدين أن ولي القتيل إذا طالب بالدم، فهو حسن وإذا عفا ورضي بالدية، فهو أحسن. ومن جزى بالسيئة السيئة مثلها، فهو حسن وإن عفا وغفر، فهو أحسن. وإن وزن أو كال، فهو حسن وإن أرجح، فهو أحسن. وإن اتزن وعدل، فهو حسن وإن طفف على نفسه، فهو أحسن. وإن رد السلام فقال: وعليكم السلام، فهو حسن، وإن قال: وعليكم السلام ورحمة الله، فهو أحسن. وإن حج راكباً، فهو حسن، وإن فعله راجلاً، فهو أحسن. وإن غسل أعضاءه في الوضوء مرة مرة، فهو حسن، وإن غسلها ثلاثاً ثلاثاً، فهو أحسن. وإن جزي من ظلمه بمثل مظلمته، فهو حسن وإن جازاه بحسنة، فهو أحسن. وإن سجد، أو رجع ساكتاً، فهو جائز، والجائز حسن، وإن فعلهما مسبحاً، فهو أحسن. ونظير هذه الآية قوله عز وجلّ لموسى عليه السلام: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥]. وقوله: ﴿وَاتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥]. انتهى ما في «الكشف».

وهذا معنى ما قال بعضهم: يستمعون قول الله، فيتبعون أحسنه ويعملون بأفضله، وهو ما في القرآن من عفو وصفح واحتمال على أذى، ونحو ذلك فالقرآن كله حسن، وإنما الأحسن بالنسبة إلى الآخذ والعامل.

قال الإمام السيوطي رحمه الله في «الاتقان»: اختلف الناس هل في القرآن شيء أفضل من شيء، فذهب الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله وبعض الأئمة الأعلام إلى المنع؛ لأن الجميع كلام الله، ولئلا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه. وذهب آخرون من المحققين، وهو الحق كلام الله في الله أفضل من كلامه في غيره، فقل هو الله أحد أفضل من تبت يدا أبي لهب؛ لأن فيه فضيلة الذكر، وهو كلام الله وفضيلة المذكور، وهو اسم ذاته وتوحيده وصفاته الإيجابية والسلبية. وسورة ﴿تَبَّتْ﴾ [المسد: ١] فيها فضيلة الذكر فقط، وهو كلام الله تعالى.

والأخبار الواردة في فضائل القرآن وتخصيص بعض السور والآيات بالفضل وكثرة الثواب في تلاوتها لا تحصى.

قال الإمام الغزالي رحمه الله في «جوهر القرآن»: كيف يكون بعض الآيات والسور أشرف من بعض مع أن الكل كلام الله، فاعلم نوّرك الله بنور البصيرة وقلد صاحب الرسالة عليه السلام، فهو الذي أنزل عليه القرآن. وقال: «يٰس قلب القرآن»، وفاتحة الكتاب سور القرآن، وآية الكرسي سيدة القرآن، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن». ومن توقف في تعديل الآيات أول قوله عليه السلام أفضل سورة وأعظم سورة أراد في الأجر والثواب، لا أن بعض القرآن أفضل من بعض، فالكل في فضل الكلام واحد، والتفاوت في الأجر لا في كلام الله من حيث هو كلام الله القديم القائم بذاته.

واعلم أن استماع القول عند العارفين يجري في كل الأشياء، فالحق تعالى يتكلم بكل لسان من العرش إلى الثرى، ولا يتحقق بحقيقة سماعه إلا أهل الحقيقة وعلامة سماعهم انقيادهم إلى كل عمل مقرب إلى الله من جهة التكليف المتوجه على الإذن من أمر أو نهي كسماعه للعلم، والذكر

والثناء على الحق تعالى، والموعظة الحسنة والقول الحسن والتصامم عن سماع الغيبة والبهتان والسوء من القول والخوض في آيات الله والرفث والجدال، وسماع القيان، وكل محرم حجر الشارع عليه سماعه، فإذا كان كذلك كان مفتوح الأذن إلى الله تعالى، وفي المثنوي:

ينبه آن كوش سر كوش سراست ... تانكردد اين كران باطن كراست

وللفقير:

ينبه بيرون آر از كوش دلت ... ميرسد تا صوت از هر بلبلت

﴿أولئك﴾ المنعوتون بالمحاسن الجميلة، وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿الذين هداهم الله﴾ للدين الحق والاتصاف بمحاسنه. ﴿وأولئك هم أولو الألباب﴾ أصحاب العقول السليمة من معارضة الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم.

وفي الكلام دلالة على أن الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها، يعني أن لكسب العبد مدخلاً فيها بحسب جري العادة.

وفيه إشارة إلى أن أولئك القوم هم الذين عبروا عن قشور الأشياء، ووصلوا إلى الباب حقائقها.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾

﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار﴾. بيان لأحوال عبدة الطاغوت بعد بيان أحوال المجتنبين عنها. والهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء للعطف على محذوف دل عليه الكلام، ومن شرطية والمفهوم من «كشف الأسرار» و«تفسير الكاشفي» كونها موصولة وحق بمعنى وجب وثبت، وكلمة العذاب قوله تعالى لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٥]. وكررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الإنكار. والفاء فيه فاء الجزاء. ثم وضع موضع الضمير من في النار لمزيد تشديد الإنكار والاستبعاد والتنبيه على أن المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار، وأن اجتهاده عليه السلام في دعائهم إلى الإيمان سعي في إنقاذهم من النار؛ أي: تخليصهم، فإن الانقاذ التخليص من ورطة كما في «المفردات».

والمعنى: أنت يا محمد مالك أمر الناس، فمن حق؛ أي: وجب وثبت عليه من الكفار عدلاً في علم الله تعالى كلمة العذاب، فأنت تنقذه فالآية جملة واحدة من شرط وجزاء. وبالفارسية: [آيا هركسى يا آنكسى كه واجب شد برو كلمة وعيد آيا تو اي محمد مى رهانى آنرا كه در دوزخ باشد يعنى ميتوانى كه أورا مؤمن سازى واز عذاب باز رهانى يعنى اين كار بدست تو نيست كه دوز خيانرا بازر هانى همجو ابو لهب وبسرش عقبه وغير آن].

وفيه إشارة إلى أن من حق عليه في القسمة الأولى أن يكون مظهراً لصفات قهره إلى الأبد لا ينفعه شفاعة الشافعين، ولا يخرجه من جهنم سخط الله وطرده وبعده جميع الأنبياء والمرسلين، وإنما الشفاعة للمؤمنين بدليل قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [الأعراف: ١٠٣]. وحيث كان المراد بمن في النار الذين قيل في حقهم: ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل﴾ استدرك بقوله تعالى:

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿لكن الذين اتقوا ربهم﴾. [ليكن آنانكه بترسيدند از عذاب بروردكار خويش وبايمان وطاعت متصف شدند].

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم﴾ اليوم عن الشرك والمعاصي والزلات والشهوات وعبادة الهوى والركون إلى غير المولى فقد أنقذهم الله تعالى في القسمة الأولى من أن يحق عليهم كلمة العذاب وحق عليهم أن يكونوا مظهر صفات لطفه إلى الأبد. ﴿لهم غرف﴾. [منزلهاى بلندتر دربهشت]؛ أي: بحسب مقاماتهم في التقوى جمع غرفة، وهي علية من البناء وسمى منازل الجنة غرفاً كما في «المفردات». ﴿من فوقها غرف﴾؛ أي: لهم علالي بعضها فوق بعض بين أن لهم درجات عالية في جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم. ﴿مبنية﴾. تلك الغرف الموصوفة بناء المنازل على الأرض في الرصانة والإحكام.

قال سعدي المفتي: الظاهر أن فائدة هذا الوصف تحقيق الحقيقة وبيان كون الغرف كالظلل حيث أريد بها المعنى المجازي على الاستعارة التهكمية.

وفي «بحر العلوم» مبنية بنيت من زبرجد وياقوت ودرّ وغير ذلك من الجوهر.

وفي «كشف الأسرار» مبنية، يعني: [بخشت زرين وسيمين بر آورده].

وفيه إشارة بأنها مبنية بأيدي أعمال العاملين وأحوال السالكين. ﴿تجري من تحتها﴾؛ أي: من تحت تلك الغرف المنخفضة والمرتفعة. ﴿الأنهار﴾ الأربعة من غير تفاوت بين العلو والسفل. ﴿وعد الله﴾ مصدر مؤكد؛ لأن قوله لهم: غرف في معنى الوعد؛ أي: وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعداً ﴿لا يخلف الله الميعاد﴾؛ لأن الخلف نقص، وهو على الله محال. [والإخلاف: وعده خلاف دادن]. والميعاد بمعنى الوعد.

وفي «التأويلات النجمية»: وعد الله الذي وعد التائبين بالمغفرة والمطيعين بالجنة والمشتاقين بالرؤية والعاشقين الصادقين بالقربة، والوصلة لا يخلف الله الميعاد. يعني: إذا لم يقع لهم فترة فلا محالة يصدق وعده، وإذا وقع لهم ذلك، فلا يلومن إلا أنفسهم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «إن أهل الجنة ليتراأون أهل الغرف من فوقهم». المراد: من أهلها أصحاب المنازل الرفيعة وتراءي القوم الهلال رأوه بأجمعهم ومنه الحديث: «كما يتراأون الكوكب الدرّي الغابر في الأفق من المشرق والمغرب». الغابر الباقي يعني: يرى التباعد بين أهل الغرف وسائر أصحاب الجنة كالتباعد المرئي بين الكوكب ومن في الأرض، وأنهم يضيئون لأهل الجنة إضاءة الكوكب الدري: «لتفاضل ما بينهم». يعني يرى أهل الغرف كذلك لتزايد درجاتهم على من سواهم. قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال» يعني: يبلغها رجال، وإنما قرن القسم ببلوغ غيرهم لما في وصول المؤمنين لمنازل الأنبياء من استبعاد السامعين: «آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

وفيه بشارة وإشارة إلى أن الداخلين مداخل الأنبياء من مؤمني هذه الأمة، لأنه قال: وصدقوا المرسلين وتصديق جميع الرسل إنما صدر منهم لا ممن قبلهم من الأمم. وفي الحديث: «من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»، قوله: ينعم بفتح الياء والعين؛ أي: يصيب نعمة وقولة: ولا ييأس بفتح الهمزة؛ أي: لا يفتقر. وفي بعض النسخ

بضمها؛ أي: لا يرى شدة قوله: لا تبلى بفتح حرف المضارعة واللام.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾

﴿ألم تر﴾. [آيا نمى بينى يا محمد]، أو يا أيها الناظر. ﴿أن الله أنزل من السماء﴾ من تحت العرش ﴿ماء﴾ هو المطر. روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «المياه العذبة والرياح اللواقح من تحت صخرة بيت المقدس»، يعني: كل ماء في الأرض نهراً، أو غيره، فهو من السماء ينزل منها إلى الغيم، ثم منه إلى الصخرة يقسمه الله بين البقاع، ﴿فسلكه﴾. يقال: سلك المكان وسلك غيره فيه، وأسلكه: أدخله فيه؛ أي: فأدخل ذلك الماء ونظمه. ﴿ينابيع في الأرض﴾؛ أي: عيوناً ومجاري كالعروق في الأجساد فقوله: ﴿ينابيع﴾ نصب بنزع الخافض. وقد ذكر الخافض في قوله: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾ [القصص: ٣٢]. وقوله: ﴿في الأرض﴾ بيان لمكان الينابيع كقولك لصاحبك: أدخل الماء في جدول المبطخة في البستان، وفيه أن ماء العين هو المطر يحبسه في الأرض، ثم يخرجه شيئاً فشيئاً، فالينابيع جمع ينبوع، وهو يفعول من نبع الماء ينبع مثلثة ونبوعاً خرج من العين. والينبوع: العين التي يخرج منها الماء. والينابيع: الأمكنة التي ينبع ويخرج منها الماء. ﴿ثم يخرج به﴾. [بس بيرون مى آرد بدان آب]، ﴿زرعاً﴾ هو في الأصل مصدر بمعنى الإنبات عبر به عن المزروع؛ أي: مزروعاً. ﴿مختلفاً ألوانه﴾ أصنافه إضافة من بر وشعير وغيرهما، وكيفياته من الألوان والطعوم وغيرهما. وكلمة ثم للتراخي في الرتبة أو الزمان، وصيغة المضارع لاستحضار الصورة.

قال في «المفردات»: اللون معروف وينطوي على الأبيض والأسود وما يركب منهما. ويقال: تلوّن إذا اكتسى لوناً غير اللون الذي كان له ويعبر بالألوان عن الأجناس والأنواع. يقال: فلان أتى بألوان من الأحاديث، وتناول كذا لوناً من الطعام. انتهى.

﴿ثم يهيج﴾؛ أي: يتم جفافه حين حان له أن يثور عن منبته يقال: هاج يهيج هيجاً وهيجاناً وهياجاً بالكسر: ثار وهاج النبت يبس، كما في القاموس. وبالفارسية: [بس خشك ميشود آن مزروع]. ﴿فتراه مصفراً﴾ من يبسه بعد خضرته ونضرته. وبالفارسية: [بس مى بينى آنرا زرد شده بعد ازتازه كى وسبزى].

قال الراغب: الصفرة لون من الألوان التي بين السواد والبياض، وهي إلى البياض أقرب، ولذلك قد يعبر بها عن السواد. ﴿ثم يجعله﴾؛ أي: الله تعالى ﴿حطاماً﴾، فتاتاً متكسراً كأن لم يغن بالأمس. وبالفارسية: [ريزه ريزه ودرهم شكسته] يقال: تحطم العود إذا تفتت من اليبس ولكون هذه الحالة من الآثار القوية علقت بجعل الله تعالى كالإخراج. ﴿إن في ذلك﴾ المذكور مفصلاً. ﴿لذكرى﴾ لتذكيراً عظيماً. [والتذكير: ياد دادن]. ﴿لأولي الألباب﴾: أصحاب العقول الخالصة من شوائب الخلل وتنبيهاً لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك أن حال الحياة الدنيا في سرعة التقضي والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا يفتنون بفتنتها:

بود حال دنيا جو آن سبزه زار ... كه بس تازه بينى بفصل بهار
جو بروى وزد تند باد خزان ... يكى برك سبزى نيابى ازان

قال في «كشف الأسرار»: الإشارة في هذه الآية إلى أن الإنسان يكون طفلاً، ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً، ثم يصير إلى أرذل العمر، ثم آخره يخترم، ويقال: إن الزرع ما لم يؤخذ منه الحب الذي هو المقصود منه لا يكون له قيمة كذلك الإنسان ما لم يخل من نفسه لا يكون له قدر ولا قيمة.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بقوله: ﴿**ألم تر**﴾ إلخ، إلى إنزال ماء الفيض الروحاني من سماء القلب. ﴿**فسلكه ينابيع**﴾ الحكمة ﴿**في الأرض**﴾ البشرية. ﴿**ثم يخرج به زرعاً**﴾، من الأعمال البدنية. ﴿**مختلفاً ألوانه**﴾ من الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد. ﴿**ثم يهيج**﴾ إلخ. يشير إلى أعمال المرائي تراها مخضرة على وفق الشرع، ثم تجف من آفة العجب والرياء. ﴿**فتراه مصفراً**﴾ لا نور له. ﴿**ثم يجعله**﴾ من رياح القهر أذهبت عليه ﴿**حطاماً**﴾ لا حاصل له إلا الحسرة. وقوله: ﴿**إن في ذلك**﴾ إلخ. إشارة إلى أن السالك إذا جرى على مقتضى عقله وعلمه يظهر منه آثار الاجتهاد، ثم إذا ترقى إلى مقام المعرفة تضمحل منه حالته الأولى، ثم إذا بدت أنوار التوحيد استهلكت الجملة كما قالوا:

فلما استبان الصبح أدرج ضوءه ... بأنواره أنوار تلك الكواكب

فالتوحيد كالشمس ونورها، فكما أنه بنور الشمس تضمحل أنوار الكواكب، فكذا بنور التوحيد تتلاشى أنوار العلوم والمعارف ويصير حالها إلى الأفول والفناء، ويظهر حال أخرى من عالم البقاء.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿**أفمن شرح الله صدره للإسلام**﴾. الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والفاء: للعطف على محذوف. ومن شرطية أو موصولة وخبرها محذوف دل عليه ما بعده. وأصل الشرح بسط اللحم. ونحوه يقال: شرحت اللحم وشرحته. ومنه شرح الصدر بنور إلٰهي وسكينة من جهته تعالى وروح منه، كما في «المفردات».

قال في «الإرشاد»: شرح الصدر للإسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له، فإن الصدر بالفارسية: [سينه] محل القلب الذي هو منبع للروح التي تتعلق بها النفس القابلة للإسلام، فانشراحه مستدع لاتساع القلب واستضاءته بنوره، فهذا شرح قبل الإسلام لا بعده. والمعنى: أكل الناس سواء فمن بالفارسية: [بس هركسى ويا آنكس كه]. ﴿**شرح الله صدره**﴾؛ أي: خلقه متسع الصدر مستعداً للإسلام، فبقي على الفطرة الأصلية، ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادمة فيها. ﴿**فهو**﴾ بموجب ذلك مستقر ﴿**على نور**﴾ عظيم ﴿**من ربه**﴾، وهو اللطف الإلٰهي الفائض عليه عند مشاهدة الآيات التكوينية والتنزيلية، والتوفيق للاهتداء بها إلى الحق كمن قسا قلبه وحرج صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره واستولت عليه ظلمات الغيّ والضلالة، فأعرض عن تلك الآيات بالكلية حتى لا يتذكر بها ولا يغتنمها كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، يعني: ليس من هو على نور كمن هو على ظلمة، فلا يستويان كما لا يستوي النور والظلمة والعلم والجهل.

واعلم أنه لا نور ولا سعادة لمسلم إلا بالعلم والمعرفة، ولكل واحد من المؤمنين معرفة

تختص به، وإنما تتفاوت درجاتهم بحسب تفاوت معارفهم.

والإيمان والمعارف أنوار، فمنهم من يضيء نوره جميع الجهات، ومنهم من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه. فإيمان آحاد العوام نوره كنور الشمع وبعضهم نوره كنور السراج وإيمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم على تفاوتها وأما الأنبياء فنور إيمانهم كنور الشمس وأزيد فكما ينكشف في نورها كل الآفاق مع اتساعها، ولا ينكشف في نور الشمع إلا زاوية ضيقة من البيت كذلك يتفاوت انشراح الصدور بالمعارف، وانكشاف سعة الملكوت لقلوب المؤمنين. ولهذا جاء في الحديث: «إنه يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من في قلبه مثقال من الإيمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة».

ففيه تنبيه على تفاوت درجات الإيمان وبقدره تظهر الأنوار يوم القيامة في المواقف خصوصاً عند المرور على الصراط. ﴿فويل﴾ [بس شدت عذاب]. ﴿**للقاسية قلوبهم من ذكر الله**﴾: القسوة غلظ القلب وأصله من حجر قاس والمقاساة معالجة ذلك ومن أجلية وسببية كما في قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾ [نوح: ٢٥]. والمعنى: من أجل ذكره الذي حقه أن تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب؛ أي: إذا ذكر الله تعالى عندهم وآياته اشمأزوا من أجله وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾ [التوبة: ١٢٥]. وقرىء عن ذكر الله؛ أي: فويل للذين غلظت قلوبهم عن قبول ذكر الله.

وعن مالك بن دينار رحمه الله ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلبه، وما غضب الله على قوم إلا نزع منهم الرحمة.

وقال الله تعالى لموسى عليه السلام في مناجاته: يا موسى لا تطل في الدنيا أملك، فيقسو قلبك، والقلب القاسي مني بعيد، وكن خلق الثياب جديد القلب تخف على أهل الأرض وتعرف في أهل السماء. وفي الحديث: «تورث القسوة في القلب ثلاث خصال: حب الطعام وحب النوم وحب الراحة».

وفي «كشف الأسرار»: [بدانكه اين قسوة دل از بسيارى معصيت خيزد عائشة صديقه رضي الله عنها كويد أول بدعتى كه بعد از رسول خدا درميان خلق بديد آمد سيرى بود. ذون مصرى رحمه الله كويد هركز سير نخوردم كه نه معصيتى كردم. شبلي رحمه الله كفت هيج وقت كرسنه نه نشستم كه دردل خود حكمتى وعبرتى تازه يافتم]. وفي الحديث: «أفضلكم عند الله أطولكم جوعاً وتفكراً وأبغضكم إلى الله كل أكول شروب نؤوم. كلوا واشربوا في أنصاف البطون فإنه جزء من النبوة». قال الشيخ سعدي:

بانـدازه خـورزاد اكـر آدمـى جـنـيـن برشكـم آدمـى يـا خـمـى
درون جـاى قـوتـسـت وذكـر نـفـس تـو بـنـدارى از بـهـر نـانـسـت وبـس
نـدارنـد تـن بـروران آكـهـى كـه بـرمـعـده بـاشـد زحـكـمـت تـهـى

﴿**أولئك**﴾: البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلب. وبالفارسية: [آن كروه غافلان وسنكدلان]. ﴿**في ضلال**﴾ بعيد عن الحق ﴿**مبين**﴾: ظاهر كونه ضلالاً للناظر بأدنى نظر، يعني: [ضلالت ايشان برهركه اندك فهمى دارد ظاهر است].

واعلم أن الآية عامة فيمن شرح صدره للإسلام بخلق الإيمان فيه.

وقيل: نزلت في حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وأبي لهب

وولده. فحمزة وعلي ممن شرح الله صدره للإسلام. وأبو لهب وولده من الذين قست قلوبهم، فالرحمة للمشروح صدره والغضب للقاسي قلبه. روي في الخبر أنه لما نزلت هذه الآية، قالوا: كيف ذلك يا رسول الله، يعني: ما معنى شرح الصدر، قال: «إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح»، فقيل: ما علامة ذلك، قال: «الإنابة إلى دار الخلود»، يعني التوجه للآخرة. «والتجافي عن دار الغرور». [يعني: برهيز كردن از دنيا]. «والتأهب للموت قبل نزوله». [وعزيزى درين معنا فرموده است].

نشان آن دلى كز فيض إيمانست نوراني
توجه باشد اول سوى دار الملك روحاني
زدنيا روى كردانيدن وفكر اجل كردن
كه جون مرك اندر آيدخوش توان مردن بآساني

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الإيمان نور ينوّر الله به مصباح قلوب عباده المؤمنين والإسلام ضوء نور الإيمان تستضيء به مشكاة صدورهم، ففي الحقيقة من شرح الله صدره بضوء نور الإسلام، فهو على نور من نظر عناية ربه. ومن أمارات ذلك النور محو آثار ظلمات الصفات الذميمة النفسانية من حب الدنيا وزينتها وشهواتها وإثبات حب الآخرة والأعمال الصالحة، والتحلية بالأخلاق الكريمة الحميدة. قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]، ومن أماراته أن تلين قلوبهم لذكر الله فتزداد أشواقهم إلى لقاء الله تعالى وجواره، فيسأمون من محن الدنيا وحمل أثقال أوصاف البهيمية والسبعية والشيطانية، فيفرون إلى الله ويتنورون بأنوار صفاته منها نور اللوائح بنور العلم، ثم نور اللوامع ببيان الفهم، ثم نور المحاضرة بزوائد اليقين، ثم نور المكاشفة بتجلي الصفات، ثم نور المشاهدة بظهور الذات ثم أنوار جلال الصمدية بحقائق التوحيد، فعند ذلك لا وجد ولا وجود ولا قصد ولا مقصود ولا قرب ولا بعد ولا وصال ولا هجران أن كل شيء هالك إلا وجهه كلا بل هو الله الواحد القهار:

جامى مكن انديشه زنز ديكى ودورى   لا قرب ولا بعد ولا وصل ولا بين

قال الواسطي: نور الشرح منحة عظيمة لا يحتمله أحد إلا المؤيدون بالعناية والرعاية، فإن العناية تصون الجوارح والأشباح والرعاية تصون الحقائق والأرواح.

وفي «كشف الأسرار»: [بدان كه دل آدمى را جهار برده است. برده أول صدر است مستقر عهد إسلام كقوله تعالى: **﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾**. برده دوم قلب است محل نور إيمان نور إيمان كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، برده سوم فؤادست سرابرده مشاهده حق كقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١]. برده جهارم شغافست محط رحل عشق كقوله تعالى: ﴿قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠] رب العالمين جون خواهد كه رميده را بكمند لطف درراه دين خويش كشد اول نظرى كند بصد روى تاسينه وى از هوى وبدعتها باك كردد وقدم وى برجاده سنت مستقيم شود بس نظر كند بقلب وى تا از آلايش دنيا وأخلاق نكوهيده جون عجب وحسد وكبر وريا وحرص وعداوت ورعونت باك كردد ودر راه ورع روان شود بس نظرى كند بفؤاد وى واورا از خلائق وعلائق

بازبرده جشمه علم وحكمت در دل وى كشايد نور هدايت تحفه نطفه وى كرداند جنانكه كفت ﴿فهو على نور من ربه﴾ بس نظرى كند بشغاف وى واورا از آب وكل بازبرد قدم در كوى فنا نهد ونور برسه قسم است يكى برزبان ويكى دردل ويكى درتن. نور زبان توحيد است وشهادت. ونورتن خدمت است وطاعت. ونوردل شوق است ومحبت. نور زبان بجنت رساند لقوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ﴾ [المائدة: ٨٥]. نورتن بفردوس رساند. لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف: ١٠٧]. نوردل بلقاى دوست رساند] لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢،٢٣]. وفي الحديث: «إن لأهل النعم أعداء فاحذروهم».

قال بعضهم: وأجل النعم على العبد نعمة الإسلام وعدوها إبليس، فاحفظ هذه النعمة وسائر النعم واحذر من النسيان والقسوة والكفران.

قال الحسين النوري رحمه الله: قسوة القلب بالنعم أشد من قسوته بالشدة، فإنه بالنعمة يسكن وبالشدة يذكر. وقال: من همّ بشيء مما أباحه العلم تلذذاً عوقب بتضييع العمر وقسوة القلب، فليبك على نفسه من صرف عمره وضيع وقته، ولم يدرك مراتب المنشرحين صدورهم، وبقي مع القاسين قلوبهم نسألك اللهم الحفظ والعصمة.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾

﴿الله نزل أحسن الحديث﴾. هو القرآن الكريم الذي لا نهاية لحسنه ولا غاية لجمال نظمه وملاحة معانيه، وهو أحسن مما نزل على جميع الأنبياء والمرسلين وأكمله وأكثره إحكاماً. وأيضاً: أحسن الحديث لفصاحته وإعجازه. وأيضاً: لأنه كلام الله، وهو قديم وكلام غيره مخلوق محدث. وأيضاً: لكونه صدقاً كله إلى غير ذلك. سمي حديثاً؛ لأن النبي عليه السلام كان يحدّث به قومه ويخبرهم بما ينزل عليه منه، فلا يدل على حدوث القرآن، فإن الحديث في عرف العامة الخبر والكلام.

قال في «المفردات» كل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه، يقال له حديث.

روي أن أصحاب رسول الله ﷺ ملوا ملة، فقالوا له عليه السلام: حدثنا حديثاً أو لو حدثتنا: يعني: [جه شودكه براى ماسخنى فرمايند وكام طوطيان أرواح مستمعان را بحديث ازل شكر بار وشيرين كردانند سرمايه حيات ابد اهل ذوق را دريك حكايت ازلب شكر فشان يست]. فنزلت هذه الآية.

والمعنى: أن فيه مندوحة عن سائر الأحاديث. ﴿كتاباً﴾ بدل من أحسن الحديث. ﴿متشابهاً﴾ معانيه في الصحة والأحكام والابتناء على الحق والصدق واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب ألفاظه في الفصاحة وتجاوب نظمه في الإعجاز. ﴿مثاني﴾ صفة أخرى لكتاباً ووصف الواحد، وهو الكتاب بالجمع، وهو المثاني باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات والإنسان عروق وعظام وأعصاب، وهو جمع مثنى بضم الميم وتشديد النون

بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه، أو لأنه ثنى في التلاوة، فلا يمل كما جاء في نعته لا يخلق على كثرة الترداد؛ أي: لا يزول رونقه ولذة قراءته واستماعه من كثرة ترداده على ألسنة التالين وتكراره على آذان المستمعين وأذهان المتفكرين على خلاف ما عليه كلام المخلوق، وفي القصيدة البردية:

فلا تعد ولا تحصى عجائبها ولا تسام على الإكثار بالسأم

أي لا تقابل آيات القرآن مع الإكثار بالملال.

وفي «المفردات» وسمي سور القرآن مثاني؛ لأنها تثنى على مرور الأيام وتكرر، فلا تدرس ولا تنقطع دروس سائر الأشياء التي تضمحل وتبطل على مرور الأيام، وإنما تدرس الأوراق. كما روي أن عثمان رضي الله عنه حرق مصحفين لكثرة قراءته فيهما. ويصح أن يقال للقرآن: مثاني لما يثنى ويتجدد حالاً فحالاً من فوائده، كما جاء في نعته، ولا تنقضي عجائبه. ويجوز أن يكون ذلك من الثناء تنبيهاً على أنه أبداً يظهر منه ما يدعو إلى الثناء عليه، وعلى من يتلوه ويعلمه ويعمل به، وعلى هذا الوجه وصفه بالكرم في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧﴾ [الواقعة: ٧٧] وبالمجد في قوله: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١﴾ [البروج: ٢١]، أو هو جمع مثنى بفتح الميم وإسكان الثاء مفعل من الثنية بمعنى التكرير والإعادة كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ [الملك: ٤]؛ أي: كرة بعد كرة أو جمع مثنى بضم الميم وسكون الثاء، وفتح النون؛ أي: مثنى عليه بالبلاغة والإعجاز حتى قال بعضهم لبعض: ألا سجدت لفصاحته، ويجوز أن يكون بكسر النون؛ أي: مثن عليّ بما هو أهله من صفاته العظمى.

قال ابن بحر: لما كان القرآن مخالفاً لنظم البشر ونثرهم حول أسمائه بخلاف ما سموا به كلامهم على الجملة والتفصيل، فسمى جملته قرآناً كما سموا ديواناً، وكما قالوا: قصيدة وخطبة ورسالة. قال: سورة، وكما قالوا: بيت. قال: آية وكما سميت الأبيات لاتفاق أواخرها قوافي سمى الله القرآن لاتفاق خواتيم الآي فيه مثاني.

وفي «التأويلات النجمية»: القرآن كتاب متشابه في اللفظ مثاني في المعنى من وجهين:

أحدهما: أن لكل لفظ منه معاني مختلفة بعضها يتعلق بلغة العرب وبعضها يتعلق بإشارات الحق وبعضها يتعلق بأحكام الشرع كمثل الصلاة، فإن معناها في اللغة الدعاء. وفي أحكام الشرع عبارة عن هيئات وأركان وشرائط وحركات مخصوصة بها. وفي إشارة الحق تعالى هي الرجوع إلى الله كما جاء روحه من الحضرة بالنفخة الخاصة إلى القالب، فإنه عبر على القيام الذي يتعلق بالسماوات، ثم على الركوع الذي يتعلق بالحيوانات ثم على السجود الذي يتعلق بالنباتات، ثم على التشهد الذي يتعلق بالمعادن، فبالصلاة يشير الله عز وجلّ إلى رجوع الروح إلى حضرة ربه على طريق جاء منها، ولهذا قال النبي عليه السلام: «الصلاة معراج المؤمن».

والوجه الثاني: أن لكل آية تشبهاً بآية أخرى من حيث صورة الألفاظ، ولكن المعاني والإشارات والأسرار والحقائق مثاني فيها إلى ما لا ينتهي وإلى هذا يشير بقوله: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا﴾ [الكهف: ١٠٩] الآية. ﴿**تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم**﴾، استئناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان أوصافه في نفسه وتقرير كونه أحسن الحديث، يقال: اقشعر جلده أخذته قشعريرة؛ أي: رعدة كما في «القاموس». والجلد: قشر البدن كما في «المفردات».

وقال بعضهم: أصل الاقشعرار تغير كالرعدة يحدث في جلد الإنسان عند الوجل والخوف.

وفي «الإرشاد»: الاقشعرار التقبض يقال: اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضاً شديداً وتركيبه من القشع، وهو الأديم اليابس قد ضم إليه الراء ليكون باعثاً ودالاً على معنى زائد يقال: اقشعر جلده ووقف شعره إذا عرض له خوف شديد من منكر حائل دهمه بغتة. والمراد: إما بيان إفراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير أو بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق، وهو الظاهر إذ هو موجود عند الخشية محسوس يدركه الإنسان من نفسه، وهو يحصل من التأثر القلبي، فلا ينكر.

والمعنى: أنهم إذا سمعوا بالقرآن وقوارع آيات وعيده أصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم؛ أي: يعلوها قشعريرة ورعدة. وبالفارسية: [لرزد ازو يعنى از خوف وعيد كه در قرآنست بوستها برتنهاى آنانكه مى ترسند از برورد كار خود]. ﴿**ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله**﴾ اللين ضد الخشونة، ويستعمل ذلك في الأجسام، ثم يستعار للخلق ولغيره من المعاني. والجلود عبارة عن الأبدان والقلوب عن النفوس كما في «المفردات»؛ أي: ثم إذا ذكروا رحمة الله وعموم مغفرته لانت أبدانهم ونفوسهم، وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة، بأن تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة. وبالفارسية: [بس نرم ميشود وآرام ميكيرد بوستها ودلهاى ايشان بسوى يادكردن رحمت ومغفرت]. وتعدية اللين بإلى لتضمنه معنى السكون والاطمئنان؛ كأنه قيل: تسكن وتطمئن إلى ذكر الله لينة غير منقبضة راجية غير خاشعة أو تلين ساكنة مطمئنة إلى ذكر الله على أن المتضمن بالكسر يقع حالاً من المتضمن بالفتح. وإنما أطلق ذكر الله ولم يصرح بالرحمة إيذاناً بأنها أول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى.

فإن قلت: لم ذكرت الجلود وحدها أولاً ثم قرنت بها القلوب ثانياً.

قلت: لتقدم الخشية التي هي من عوارض القلوب، فكأنه قيل: تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم من أول وهلة، فإذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة واستبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة ليناً في جلودهم. فالجملتان إشارة إلى الخوف والرجاء أو القبض والبسط أو الهيبة والأنس، أو التجلي والاستتار.

قال النهرجوري رحمه الله: وصف الله بهذه الآية سماع المريدين وسماع العارفين. وقال: سماع المريدين بإظهار الحال عليهم وسماع العارفين بالاطمئنان والسكون فالاقشعرار صفة أهل البداية واللين صفة أهل النهاية.

وعن شهر بن حوشب قالت أم الدرداء: رضي الله عنها: إنما الوجل في قلب الرجل كاحتراق السعفة أما تجد الاقشعريرة قلت: بلى. قالت: فادع الله، فإن الدعاء عند ذلك مستجاب، وذلك لانجذاب القلب إلى الملكوت وعالم القدس واتصاله بمقام الأنس. ﴿**ذلك**﴾ الكتاب الذي شرح أحواله ﴿**هدى الله**﴾. [راه نمودن خداست يعن ارشاديست مر خلق را از خداي]. ﴿**يهدي به**﴾ [راه بنمايد بوى]. ﴿**من يشاء**﴾ أن يهديه من المؤمنين المتقين كما قال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] لصرف مقدوره إلى الاهتداء بتأمله فيما في تضاعيفه من الشواهد الخفية ودلائل كونه من عند الله ﴿**ومن يضلل الله**﴾؛ أي: يخلق فيه الضلالة لصرف قدرته إلى

مباديها وأعراضه عما يرشده إلى الحق بالكلية وعدم تأثره بوعده ووعيده أصلاً. ﴿فما له من هاد﴾ يخلصه من ورطة الضلال.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ومن يضلل الله﴾ بأن يكله إلى نفسه وعقله ويحرمه من الإيمان بالأنبياء ومتابعتهم. ﴿فما له من هاد﴾ من براهين الفلاسفة والدلائل العقلية. قال المولى الجامي قدس سره:

خواهى بصوب كعبه تحقيق ره برى بى برده مقلد كم كرده ره مرو

وفي «كشف الأسرار»: [يكى ازصحابه روزى بآن مهتر عالم عليه السلام كفت يا رسول الله جرا رخساره ما در استماع قرآن سرخ ميكردد وآن منافقان سياه كفت زيراكه قرآن نوريست مارا مى افروزد وايشانرا ميسوزد] يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً. قال الخجندي قدس سره:

دل ازشنيدن قرآن بكيردت همه وقت جو باطلان زكلام حقت ملولي جيست

وفي الآية لطائف.

منها: أنه لما عقب أحسنية القرآن بكونه متشابهاً ومثاني رتب عليه اقشعرار جلود المؤمنين إيماء إلى أن ذلك إنما يحصل بكونه مردداً ومكرراً؛ لأن النفوس أنفر شيء من حديث الوعظ والنصيحة وأكثر جموداً وإباء عنه فلا تلين شكيمتها ولا تنقاد طبيعتها إلا أن يلقى إليها النصائح عوداً بعد بدء ولهذا كان عليه السلام يكرر وعظه ثلاثاً أو سبعاً.

ومنها: أن الاقشعرار أمر مستجلب للرحمة قال عليه السلام: «إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه»؛ أي: تساقطت: «كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها» وعنه عليه السلام: «إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله حرمه الله على النار»، ولما اتخذ الله إبراهيم خليلاً ألقى في قلبه الوجل حتى إن خفقان قلبه يسمع من بعيد كما يسمع خفقان الطير في الهواء.

قال مسروق: إن المخافة قبل الرجاء، فإن الله تعالى خلق جنة وناراً، فلن تخلصوا إلى الجنة حتى تمروا بالنار.

ومنها: أن غاية ما يحصل للعابدين من الأحوال المذكورة في هذه الآية من الاقشعرار والخشية والاطمئنان.

قال قتادة: هذا نعت أولياء الله نعتهم بأن تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم ولم ينعتهم بذهاب عقلهم، والغشيان عليهم، وإنما ذلك في أهل البدع، وهو من الشيطان.

وعن عبد الله بن عبد الله بن الزبير. قال: قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه: كيف كان أصحاب رسول الله يفعلون إذا قرىء عليهم القرآن، قالت: كانوا كما نعتهم الله تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم. قال: فقلت لها: إن ناساً اليوم إذا قرىء عليهم القرآن خر أحدهم مغشياً عليه، فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وروي: أن ابن عمر رضي الله عنهما مر برجل من أهل العراق ساقط، فقال: ما بال هذا. قالوا: إنه إذا قرىء عليه القرآن، أو سمع ذكر الله سقط، فقال ابن عمر رضي الله عنه إنا لنخشى الله، وما نسقط. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إن الشيطان يدخل في جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد ﷺ كذا في التفاسير نحو «كشف الأسرار» و«المعالم» و«الوسيط» و«الكواشي» وغيرها.

يقول الفقير: لا شك أن القدح والجرح، إنما هو في حق أهل الرياء والدعوى، وفي حق من يقدر على ضبط نفسه كما أشار عليه السلام بقوله: «من عشق وعف وكتم ثم مات مات شهيداً». فإن من غلب على حاله كان الأدب له أن لا يتحرك بشيء لم يؤذن فيه، وأما من غلب عليه الحال وكان في أمره محقاً لا مبطلاً، فيكون كالمجنون، حيث يسقط عنه القلم فبأي حركة تحرك كان معذوراً فيها، فليس حال أهل البداية والتوسط كحال أهل النهاية، فإن ما يقدر عليه أهل النهاية لا يقدر عليه من دونهم، وكأن الأصحاب رضي الله عنهم، ومن في حكمهم ممن جاء بعدهم راعوا الأدب في كل حال ومقام بقوة تمكينهم، بل لشدة تلوينهم في تمكينهم، فلا يقاس عليهم من ليس له هذا التمكين، فرب أهل تلوين يفعل ما لا يفعله أهل التمكين، وهو معذور في ذلك لكونه مغلوب الحال ومسلوب الاختيار، فليجتهد العاقل في طريق الحق بلا رياء ودعوى وليلازم الأدب في كل أمر متعلق بفتوى أو تقوى، وليحافظ على ظاهره وباطنه من الشين ومما يورث الرين والغين.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿أفمن يتقي بوجهه﴾ الهمزة: للإنكار والفاء: للعطف على محذوف. ومن شرطية، والخبر محذوف. والاتقاء بالفارسية: [حذر كردن وخودرا نكاه داشتن]. يقال: اتقى فلان بكذا إذا جعله وقاية لنفسه والتركيب يدل على دفع شيء عن شيء يضره، وتقدير الكلام أكل الناس سواء فمن شأنه، وهو الكافر أن يقي نفسه بوجهه الذي هو أشرف أعضائه. **﴿سوء العذاب﴾**؛ أي: العذاب السيِّىء الشديد: يعني [زبانه آتش]، كما في «تفسير الفارسي» للكاشفي. **﴿يوم القيامة﴾** لكون يده التي بها كان يتقي المكاره والمخاوف مغلولة إلى عنقه كمن هو آمن، وهو المؤمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج إلى الاتقاء بوجه من الوجوه.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿أفمن يتقي بـ﴾** توجه **﴿وجهه﴾** لله **﴿سوء العذاب﴾**؛ أي: عذاب السيىء **﴿يوم القيامة﴾**، ويدفعه به عن نفسه كمن لا يتقي ويظلم على نفسه. **﴿وقيل للظالمين﴾** الذين وضعوا الكفر موضع الإيمان والتكذيب موضع التصديق والعصيان موضع الطاعة، وهو عطف على يتقي؛ أي: ويقال لهم: من جهة خزنة النار. وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق ووضع المظهر في مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والإشعار بعلة الأمر في قوله: **﴿ذوقوا﴾** [بجشيد]. **﴿ما كنتم تكسبون﴾**؛ أي: وبال ما كنتم تكسبونه في الدنيا على الدوام من الكفر والتكذيب والمعاصي.

وفي «التأويلات النجمية»؛ أي: ذوقوا ما كسبتم بأفعالكم الرديئة وأخلاقكم الدنيئة يعني كنتم في عين العذاب، ولكن ما كنتم تجدون ذوقه لغلبة نوم الغفلة فإذا متم انتبهتم. **﴿كذب الذين﴾** من الأمم السابقة الذين جاؤوا. **﴿من قبلهم﴾**؛ أي: من قبل كفار مكة، يعني كذبوا أنبياءهم كما كذبك قومك. **﴿فأتاهم العذاب﴾** المقدر لكل أمة منهم. وبالفارسية: [بس آمد بديشان عذاب إلهي]. **﴿من حيث لا يشعرون﴾** من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم إتيان العذاب والشر منها بينا هم آمنون رافهون إذ فوجئوا من مأمنهم، فمعنى: من حيث لا يشعرون أتاهم العذاب، وهم آمنون في أنفسهم غافلون عن العذاب. وقيل: معناه لا يعرفون له

مدفعاً ولا مرداً، وفي «التأويلات النجمية»؛ أي: أتاهم العذاب في صورة الصحة والنعمة والسرور وهم لا يشعرون أنه العذاب وأشد العذاب ما يكون غير متوقع.

﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿**فأذاقهم الله الخزي**﴾؛ أي: الذل والصغار: وبالفارسية: [بس بجشانيده ايشانرا خداي تعالى خوراى ورسوايى]. يعني: أحسوا به إحساس الذائق المطعوم. ﴿**في الحياة الدنيا**﴾ بيان لمكان إذاقة الخزي. وذلك الخزي كالمسخ والخسف والغرق والقتل والسبي والإجلاء ونحو ذلك من فنون النكال، وهو العذاب الأدنى. ﴿**ولعذاب الآخرة**﴾ المعد لهم ﴿**أكبر**﴾ من العذاب الدنيا لشدته ودوامه. ﴿**لو كانوا يعلمون**﴾؛ أي: لو كان من شأنهم أن يعلموا لعلموا ذلك واعتبروا به، وما عصوا الله ورسوله، وخلصوا أنفسهم من العذاب.

فعلى العاقل أن يرجع إلى ربه بالتوبة والإنابة كي يتخلص من عذاب الدنيا والآخرة.

وعن الشبلي قدس سره أنه قال: قرأت أربعة آلاف حديث، ثم اخترت منها واحداً، وعملت به وخليت ما سواه، لأني تأملته، فوجدت خلاصي ونجاتي فيه، وكان علم الأولين والآخرين مندرجاً فيه. وذلك أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لبعض أصحابه: «اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها واعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها، واعمل لله بقدر حاجتك إليه واعمل للنار بقدر صبرك عليها». فإذا كان الصبر على النار غير ممكن للإنسان الضعيف فليسلك طريق النجاة المبعدة عن النار الموصلة إلى الجنات وأعلى الدرجات. وفي الحديث: «إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا قيام، ولكن دخلوها بسخاء الأنفس وسلامة الصدر والنصح للمسلمين». وأصل الكل هو التوحيد.

وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «مات رجل من قوم موسى، فإذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى لملائكته انظروا هل تجدون لعبدي شيئاً من الأعمال، فيقولون لا نجد سوى نقش خاتمه لا إله إلا الله، فيقول الله تعالى لملائكته أدخلوا عبدي الجنة قد غفرت له»، فإذا كان التوحيد منجياً بنقشه الظاهري، فما ظنك بنقشه الباطني، فلا بد من الاجتهاد لإصلاح النفس وتقوية اليقين، والحمد لله على نعمة الإسلام والدين. وحكي عن أبي علي النسفي أنه قال: فقد مسلم حماراً، فخرج في طلبه فاستقبله مجوسي فانصرف المؤمن. وقال: إلهي أنا فقدت الدابة، وهذا فقد الدين فمصيبته أكبر من مصيبتي. الحمد لله الذي لم يجعل مصيبتي كمصيبته. وهذا بالنسبة إلى الوقت والحال، وأما أمر المآل فعلى الإشكال، كما قال المثنوي:

هيج كافررا بخوارى منكريد ... كه مسلمان مردنش باشد اميد

جه خبر دارى زختم عمر او ... تابكر دانى ازو يكباره رو

ومن الله التوفيق.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿**ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل**﴾. يحتاج إليه الناظر في أمور دينه.

قال السمرقندي: ولقد بينا لهم فيه كل صفة هي في الغرابة؛ أي: في غرابتها وحسنها،

كالمثل السائر، وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كقصة الأولين وقصة المبعوثين يوم القيامة وغير ذلك. والمراد بالناس أهل مكة كما في «الوسيط» ويعضده ما قال بعضهم من أن الخطاب بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١] في كل ما وقع في القرآن لأهل مكة، والظاهر التعميم لهم ولمن جاء بعدهم. ﴿**لعلهم يتذكرون**﴾ يتذكرون به ويتعظون به ﴿**قرآناً عربياً**﴾؛ أي: بلغة العرب، وهو حال مؤكدة من هذا على أن مدار التأكيد هو الوصف؛ أي: التأكيد في الحقيقة هو الصفة ومفهومها.

وبعضهم جعل القرآن توطئة للحال التي هي عربياً. والحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة هي الحال في الحقيقة، ويجوز أن ينتصب على المدح؛ أي: أريد بهذا القرآن قرآناً عربياً. ﴿**غير ذي عوج**﴾. لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه، ولا تناقض ولا عيب ولا خلل. والفرق بينه بالفتح، وبينه بالكسر أن كل ما ينتصب كالحائط والجدار والعود، فهو عوج بفتح العين، وكل ما كان في المعاني والأعيان الغير المنتصبة وبفتحها في المنتصبة كالرمح والجدار، ولذا قال أهل التفسير: لم يقل مستقيماً أو غير معوج مع أنه أخصر لفائدتين:

إحداهما: نفي أن يكون فيه عوج ما بوجه من الوجوه كما قال: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ [الكهف: ١].

والثانية: أن لفظ العوج مختص بالمعاني دون الأعيان، وهو بالفارسية: [كجى].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿**غير ذي عوج**﴾؛ أي: غير مخلوق، وذلك لأن كونه مقروءاً بالألسنة ومسموعاً بالآذان ومكتوباً في الأوراق ومحفوظاً في الصدور لا يقتضي مخلوقيته إذ المراد كلام الله القديم القائم بذاته.

وفي «حقائق البقلي»: قرآناً قديماً ظهر من الحق على لسان حبيبه لا يتغير بتغير الزمان ولا يرهقه غبار الحدثان لا تعوجه الحروف، ولا تحيط به الظرف.

وفي «بحر الحقائق»: صراطاً مستقيماً إلى حضرتنا لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه ﴿**لعلهم يتقون**﴾ علة أخرى مترتبة على الأولى، فإن المصلحة في ضرب الأمثال هو التذكر والاتعاظ بها أولاً، ثم تحصيل التقوى.

والمعنى: لعلهم يعملون عمل أهل التقوى في المحافظة على حدود الله في القرآن والاعتبار بأمثاله. وبالفارسية: [شايدكه ايشان بسبب تأمل در معاني آن بيرهيزند ازكفر وتكذيب].

ثم أورد مثلاً من تلك الأمثال، فقال:

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿**ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون**﴾. المراد بضرب المثل هنا تطبيق حالة عجيبة بأخرى مثلها كما مر في أوائل سورة يس ومثلاً مفعول ثان لضرب ورجلاً مفعوله الأول اخر عن الثاني للتشويق إليه، وليتصل به ما هو من تتمته التي هي العمدة في التمثيل. وفيه خبر مقدم لقوله شركاء، والجملة في حيز النصب على الوصفية لرجلاً: [والتشاكس: بايكديكر بدخويى كردن].

قال في «المفردات»: الشكس السيِّيء الخلق ومتشاكسون متشاجرون بشكاسة خلقهم.

وفي «القاموس»: وكندس الصعب الخلق وككتف البخيل ومتشاكسون مختلفون عسرون وتشاكسوا تخالفوا.

والمعنى: جعل الله تعالى للمشرك مثلاً حسبما يقود إليه مذهبه من ادعاء كل من معبوديه عبوديته عبداً يتشارك فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المتباينة في تحسره. وتوزع قلبه. ﴿ورجلاً﴾؛ أي: وجعل للموحد مثلاً ﴿سلماً﴾ خالصاً ﴿لرجل﴾ فرد ليس لغيره عليه سبيل أصلاً فالتنكير في كل منهما للإفراد؛ أي: فرداً من الأشخاص لفرد من الأشخاص. والسلم: بفتحتين وكقتل وفسق مصدر من سلم له كذا؛ أي: خلص نعت به مبالغة كقبولك رجل عدل، أو حذف منه ذو بمعنى ذا سلامة لرجل؛ أي: ذا خلوص له من الشرك. والرجل ذكر من بني آدم جاوز حد الصغر وتخصيص الرجل، لأنه انطق لما يجري عليه من الضر والنفع، لأن المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك. ﴿هل﴾ استفهام إنكار ﴿يستويان﴾ . [آيا مساوى باشد اين دوبنده]. ﴿مثلاً﴾ من جهة الصفة والحال نصب على التمييز والوحدة حيث لم يقل مثلين لبيان الجنس وإرادته، فيعم؛ أي: هل يستوي حالهما وصفاتهما يعني: لا يستويان.

والحاصل: أن الكافر كالعبد الأول في كونه حيران متفرق البال؛ لأنه يعبد آلهة مختلفة؛ أي: أصناماً لا يجيء منها خير بل تكون سبباً لوقوعه في أسفل سافلين كما أن العبد يخدم ملاكاً متعاسرين مختلفي الأهوية لا يصل إليه منهم منفعة أصلاً، والمؤمن كالعبد الثاني في انضباط أحواله، واجتماع باله حيث يعبد رباً واحداً، يوصله إلى أعلى عليين كما أن العبد يخدم سيداً واحداً يرضى عنه، ويصل إليه بالعطاء الجزيل:

يك يار بسنده كن جويك دل دارى

﴿الحمد لله﴾ حيث خصمهم كما قال مقاتل؛ أي: قطعهم بالخصومة وغلبهم، وأظهر الحجة عليهم ببيان عدم الاستواء بطريق ضرب المثل. ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ إضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور إلى بيان أن أكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون بذلك مع كمال ظهوره، فيبقون في ورطة الشرك والضلال من فرط جهلهم.

وفي الآية إشارة إلى بيان عدم الاستواء بين الذي يتجاذبه شغل الدنيا وشغل العيال وغير ذلك من الأشياء المختلفة، والخواطر المتفرقة، وبين الذي هو خالص لله ليس للخلق فيه نصيب ولا للدنيا نسيب، وهو من الآخرة غريب وإلى الله قريب منيب.

والحاصل: أن الراغب في الدنيا شغلته أمور مختلفة، فلا يتفرغ لعبادة ربه، وإذا كان في العبادة يكون قلبه مشغولاً بالدنيا. والزاهد: قد تفرغ من جميع أشغال الدنيا، فهو يعبد ربه خوفاً وطمعاً. والعارف: قد تفرغ من الكونين، فهو يعبد ربه شوقاً إلى لقائه، فلا استواء بين البطالين والطالبين وبين المنقطعين والواصلين الحمد لله، يعني الثناء له، وهو مستحق لصفات الجلال، بل أكثرهم لا يعلمون كمال جماله، ولا يطلعون على حسن استعدادهم بمرآتية صفات جماله وجلاله، وإلا لعطلوا الأمور الدنيوية بأسرها وخربت الدنيا التي هي مزرعة الآخرة. وفي المثنوي:

استن اين عالم اي جان غفلتست هو شيارى اين جهانرا آفتست

هو شياری زان جهانست وجو آن غالب آيد بست كردد اين جهان
هو شياری آفتاب وحرص يخ هو شياری آب واين عالم وسخ
زان جهان اندك ترشح مى رسد تانلغزد در جهان حرص وحسد
كر ترشح بيشتر كردد زغيب نى هنر ماند درين عالم نه عيب

فعلى العاقل الرجوع إلى الله والعمل بما في القرآن والاعتبار بأمثاله حتى يكون من الذين يعلمون حقيقة الحال. وفي المثنوي:

هست قرآن حالهاى أنبيا ماهيان بحر باك كبريا
ور بخوانى ونه قرآن بذير أنبيا وأوليا را ديده كير
وربذيرايى جوبر خوانى قصص مرغ جانت تنك آيد در قفص
مرغ كواندر قفص زندانيست مى نجويد رستن ازناد انيست
روحهايى كز قفصها رسته اند انبياى رهبر شايسته اند

كان الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بين يدي النبي، فأعجب بهما، فأتاه جبرائيل عليه السلام بقارورة وكاغدة. وفي القارورة الدم وفي الكاغدة السم، فقال: أتحبهما يا محمد، فاعلم أن أحدهما يقتل بالسيف فهذا دمه والآخر يسقى السم، وهذا سمه، فقطع القلب عن الأولاد، وعلق قلبه بالله تعالى من قال الله، ولم يفر من غير الله إلى الله لم يقل الله دع روحك وقلبك، ثم قل الله كما قال الله تعالى لحبيبه عليه السلام: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١]؛ أي: ذرهم، ثم قل الله، نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المنقطعين إليه، والحاضرين لديه إنه هو المسؤول:

﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيامة إذ كان كفار قريش يتربصون برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم موته.

يعني: [كفار مكه ميكفتند جشم ميداريم كه محمد بميرد واز وبازر هيم]. والموت: صفة وجودية خلقت ضداً للحياة.

وفي «المفردات»: الموت زوال القوة الحساسية الحيوانية، وإبانة الروح عن الجسد. والتأكيد بالنون لتنزيل المخاطب منزلة المتردد فيه تنبيهاً له على ظهور أدلته وحثاً على النظر فيها. والمعنى: أنكم جميعاً بصدد الموت، فالموت يعمكم ولامعنى للتربص والشماتة، بل هو عين الجهالة:

مكن شادمانى بمرك كسى كه دهرت نماند بس ازوى بسى

فمعنى قوله: ميت وميتون. بالفارسية: [مرده خواهى شد وزود بميرند]؛ أي: ستموت، وسيموتون. والشيء إذا قرب من الشيء يسمى باسمه، فلا بد لكل من الموت قريباً وبعيداً، وكل آتٍ فهو قريب.

روي أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض قيل له: لد للفناء، وابن للخراب. قرأ بعضهم إنك مائت وإنهم مائتون؛ لأنه مما سيحدث وتوضيحه أن المائت صفة حادثة في الحال، أو في المستقبل بدليل صحة قولك: زيد مائت الآن، أو غداً بخلاف الميت، فإنه صفة لازمة كالسيد للعريق في السؤدد والسائد لمن حدث له السؤدد.

وقيل: الموت ليس ما أسند إلى إبانة الروح عن الجسد، بل هو إشارة إلى ما يعتري

الإنسان في كل حال من الخلل والنقص وأن البشر ما دام في الدنيا يموت جزءاً فجزءاً، وقد عبر قوم عن هذا المعنى، وفصلوا بين الميت والمائت، فقالوا: المائت هو المتخلل.

قال القاضي علي بن عبد العزيز ليس في لغتنا مائت على حسب ما قالوه، وإنما يقال: موت مائت كقولنا: شعر شاعر وسيل سائل.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لما دنا فراق رسول الله جمعنا في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها، ثم نظر إلينا، فدمعت عيناه. وقال: «مرحباً بكم حياكم الله رحمكم الله أوصيكم بتقوى الله وطاعته قد دنا الفراق، وحان المنقلب إلى الله تعالى وإلى سدرة المنتهى، وجنة المأوى يغسلني رجال أهل بيتي ويكفنونني في ثيابي هذه إن شاؤوا أو في حلة يمانية، فإذا غسلتموني وكفنتموني ضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير لحدي، ثم اخرجوا عني ساعة فأول من يصلي عليّ حبيبي جبرائيل ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم ملك الموت مع جنودهم، ثم ادخلوا عليّ فوجاً فصلوا عليّ». فلما سمعوا فراقه صاحوا وبكوا وقالوا: يا رسول الله أنت رسول ربنا وشمع جمعنا، وبرهان أمرنا إذا ذهبت عنا فإلى من نرجع في أمورنا، قال: «تركتكم على المحجة البيضاء»؛ أي: على الطريق الواضح الواسع ليلها كنهارها؛ أي: في الوضوح، ولا يزيغ بعدها إلا هالك وتركت لكم واعظين ناطقاً وصامتاً، فالناطق القرآن والصامت الموت، فإذا أشكل عليكم أمر، فارجعوا إلى القرآن والسنة، وإذا قست قلوبكم فلينوها بالاعتبار في أحوال الأموات»، فمرض رسول الله ﷺ من يومه ذلك من صداع عرض له، وكان مريضاً ثمانية عشر يوماً يعوده الناس، ثم مات يوم الاثنين كما بعثه الله فيه، فغسله علي رضي الله عنه وصب الماء؛ أي: ماء بئر غرس الفضل بن العباس رضي الله عنهما ودفنوه ليلة الأربعاء وسط الليل، وقيل: ليلة الثلاثاء، في حجرة عائشة رضي الله عنها.

وفي الحديث: «من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها أفظع المصائب». وأنشد بعضهم:

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بأن المرء غير مخلد
وإذا اعترتك وساوس بمصيبة ... فاذكر مصابك بالنبي محمد

وفي «التأويلات النجمية» يشير بقوله: ﴿إنك ميت﴾ إلخ إلى نعيه عليه السلام ونعي المسلمين إليهم ليفرغوا بأجمعهم عن مأتمهم ولا تعزية في العادة بعد ثلاث، ومن لم يتفرغ عن مأتم نفسه وأنواع همومه، فليس له من هذا الحديث شمة، فإذا فرغ قلبه عن حديث نفسه، وعن الكونين بالكلية، فحينئذٍ يجد الخير من ربه، وليس هذا الحديث إلا بعد فنائهم عنهم، ولهذا أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام، فقال: «يا داود فرغ لي بيتاً أسكن فيه، قال: يا رب أنت منزه عن البيت كله، قال: فرغ لي قلبك». وقال لنبينا عليه السلام: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الانشراح: ١] يعني قلبك. وقال: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر: ٤]؛ أي: قلبك عن لوث تعلقات الكونين:

سالك پاك رو نخوانندش ... آنكه ازماسوى منزه نيست

وقال المولى الجامي قدس سره:

روز شب در نظرت موج زنان بحر قدم ... حيف باشد كه بلوث حدث آلوده شوى

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿ثم إنكم﴾؛ أي: إنك وإياهم على تغليب ضمير المخاطب على ضمير الغائب وأكد بالنون، وإن كان الاختصام مما لا ينكر لتنزيل المخاطبين منزلة من يبالغ في إنكار الاختصام؛ لانهماكهم في الغفلة عنه. ﴿يوم القيامة عند ربكم﴾؛ أي: مالك أمركم. ﴿تختصمون﴾ فتحتج أنت عليهم، بأنك بلغتهم ما أرسلت به من الأحكام والمواعظ، واجتهدت في الدعوة إلى الحق حق الاجتهاد، وهم قد لجوا في المكابرة والعناد، ويعتذرون بما لا طائل تحته مثل أطعنا سادتنا وكبراءنا وجدنا آباءنا.

وفي «بحر العلوم»: الوجه الوجيه أن يراد الاختصام العام، وأن يخاصم الناس بعضهم بعضاً مؤمناً، أو كافراً، فيما جرى بينهم في الدنيا بدلائل:

منها: قول النبي عليه السلام: «أول من يختصم يوم القيامة الرجل والمرأة، والله ما يتكلم لسانها، ولكن يداها تشهدان ورجلاها عليها بما كانت تعيب لزوجها وتشهد عليه يداه ورجلاه بما كان يؤذيها».

ومنها: قوله عليه السلام: «أنا خصم عثمان بن عفان بين يدي الرب تعالى».

وعن إبراهيم النخعي قالت الصحابة رضي الله عنهم: ما خصومتنا ونحن إخوان، فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا: هذه خصومتنا.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه كنا نقول: ربنا واحد ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد، فما هذه الخصومة، فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف، قلنا: نعم هو هذا.

ومنها: قوله عليه السلام: «من كان عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، وإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه، فحمل عليه».

قال ابن الملك: يحتمل أن يكون المأخوذ نفس الأعمال بأن تتجسد، فتصير كالجواهر، وأن يكون ما أعد لها من النعم والنقم إطلاقاً للسبب على المسبب.

وعن الزبير بن العوّام رضي الله عنه قال لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿ثم إنكم﴾ إلخ. قلت: أي رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؛ أي: الذنوب المخصوصة بنا سوى المخاصمات قال: «نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا إلى كل ذي حق حقه». قال الزبير: إن الأمر إذاً لشديد. وفي الحديث: «لا تزال الخصومة بين الناس حتى تخاصم الروح الجسد، فيقول الجسد: إنما كنت بمنزلة جذع ملقى لا أستطيع شيئاً، ويقول الروح: إنما كنت ريحاً لا أستطيع أن أعمل شيئاً، فضرب لهما مثل الأعمى والمقعد يحمل الأعمى المقعد فيدله المقعد ببصره ويحمله الأعمى برجليه».

وفي الحديث: «أتدرون من المفلس»، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، وكان قد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا وسفك دم هذا، فيقضي هذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه ثم طرح في النار».

فإن قيل: قال في آية أخرى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٨]. قيل: إن في يوم القيامة ساعات كثيرة وأحوالها مختلفة مرة يختصمون ومرة لا يختصمون كما أنه قال: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [القصص: ٦٦]. وقال في آية أخرى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الصافات: ٢٧]. يعني في حال لا يتساءلون، وفي حال يتساءلون، وكما أنه قال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمٰن: ٣٩]. وفي موضع آخر: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢]. ونحو هذا كثير في القرآن. قال بعض الكبار: يوم القيامة يوم عظيم شديد يتجلى الحق فيه أولاً بصفة القهر بحيث يسكت الأنبياء والأولياء، ثم يتجلى باللطف، فيحصل لهم انبساط، فعند ذلك يشفعون.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾؛ أي: تراجعون الحق تعالى بشفاعة أقربائكم وأهاليكم وأصدقائكم بعد فراغكم من خويصة أنفسكم نسأل الله سبحانه وتعالى العناية.

﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿فمن أظلم ممن كذب على الله﴾. في «الإرشاد»: المعنى الأول ليختصمون هو الأظهر الأنسب بهذا القول، فإنه مسوق لبيان حال كل من طرفي الاختصام الجاري في شأن الكفر والإيمان لا غير.

وفي «بحر العلوم»: فيه دلالة بينة على أن الاختصام يوم القيامة بين الظالمين والمظلومين. والمعنى: أظلم من كل ظالم من افترى على الله بأن أضاف إليه الشرك والولد. ﴿وكذب بالصدق﴾؛ أي: بالأمر الذي هو عين الحق ونفس الصدق، وهو ما جاء به النبي عليه السلام: ﴿إذ جاءه﴾؛ أي: في مجيئه على لسان الرسول عليه السلام، يعني: فاجأه بالتكذيب ساعة أتاه وأول ما سمعه من غير تدبر فيه ولا تأمل.

وفيه إشارة إلى من يكذب على الله بادعاء أنه أعطاه رتبة وحالاً ومقاماً، وإذا وجد صديقاً جاء بالصديق في المقال والأحوال كذبه، وينكر على صدقه، فيكون حاصل أمره يوم القيامة، قوله: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ﴾ [الزمر: ٦٠]، ولهذا قال تعالى: ﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾ استفهام إنكاري وإنكار النفي نفي له ونفي النفي إثبات. والثواء: هو الإقامة والاستقرار والمثوى المقام والمستقر. والمعنى: أن جهنم منزل ومقام للكاذبين المكذبين المذكورين وغيرهم من الكفار جزاء لكفرهم وتكذيبهم.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿والذي جاء﴾: [وانكه آمد ويا آرد]. ﴿بالصدق وصدق به﴾: الموصول عبارة عن رسول الله عليه السلام، ومن تبعه من المؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المؤمنون: ٤٩]، فإن المراد: موسى عليه السلام وقومه. ﴿أولئك﴾: الموصوفون بالصدق والتصديق. ﴿هم المتقون﴾ المنعوتون بالتقوى التي هي أجلّ الرغائب. وقال الإمام السهيلي رحمه الله. ﴿والذي جاء بالصدق﴾: هو رسول الله. ﴿و﴾ الذي ﴿صدق

به﴾. هو الصديق رضي الله عنه، ودخل في الآية بالمعنى كل من صدق، ولذلك قال: **﴿وأولئك هم المتقون﴾**. انتهى.

وفيه على ما قال أهل التفسير: إنه يلزم إضمار الذي بأن يقال: والذي صدق به وذا غير جائز.

ودلت الآية على أن النبي عليه السلام يصدق أيضاً بما جاء به من عند الله ويتلقاه بالقبول كما قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. ومن هنا قال بعضهم: إن النبي عليه السلام مرسل إلى نفسه أيضاً، وهكذا وارث الرسول، فإنه لا يتردد في صدق حاله وتصديق الخبر الذي يأتيه من الله تعالى، فيفيض بركة حاله إلى وجوده كله، وإلى من يعتقده ويصدقه ألا ترى أن النبي عليه السلام أتى بالصدق وأفاض من بركات صدقه على أبي بكر رضي الله عنه، فسمي صديقاً، وهكذا حال سائر الصديقين. قال الحافظ:

بصدق كوش كه خورشيد زايد ازنفست   كه از دروغ سيه روى كشت صبح نخست

يعني: أن الصادق الصديق يتولد من نفسه نفس الشمس المعنوية فتنور الأنفس كما أن الصبح الصادق تطلع بعده الشمس الصورية فتنور الآفاق بخلاف حال الكاذب، فإنه كالصبح الكاذب حيث تعقبه الظلمة.

﴿لهم﴾؛ أي: للمتقين بمقابلة محاسن أعمالهم في الدنيا. **﴿ما يشاؤون عند ربهم﴾**؛ أي: كل ما يشاؤونه من جلب المنافع ودفع المضار في الآخرة لا في الجنة فقط لما أن بعض ما يشاؤونه من تكفير السيئات، والأمن من الفزع وسائر أهوال القيامة، إنما يقع قبل دخول الجنة.

يقال: أجمع العبارات لنعيم الجنة. ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧] وأجمع العبارات لعذاب الآخرة. ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤].

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿لهم ما يشاؤون عند ربهم﴾**، لأنهم تقربوا إلى الله تعالى بالاتقاء به عما سواه فأوجب الله في ذمة كرمه أن يتقرب إليهم بإعطاء ما يشاؤون من عنده بحسب حسن استعدادهم. **﴿ذلك﴾**؛ أي: حصول ما يشاؤونه. **﴿جزاء المحسنين﴾** ثواب الذين أحسنوا أعمالهم بأن عملوها على مشاهدة الحق.

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا﴾

قال الراغب: الكفارة ما يغطي الإثم. ومنه كفارة اليمين والقتل والظهار. والتكفير: ستره وتغطيته حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل، ويجوز أن يكون بمعنى إزالة الكفر والكفران كالتمريض، بمعنى إزالة المرض، واللام متصل بالمحسنين، يعني الذين أحسنوا رجاء أن يكفر الله، إلخ. أو بالجزاء، يعني: جزاهم كي يكفر عنهم كذا في «كشف الأسرار».

وقال المولى أبو السعود رحمه الله: اللام متعلق بقوله: لهم ما يشاؤون باعتبار فحواه الذي هو الوعد؛ أي: وعدهم الله جميع ما يشاؤونه من زوال المضار، وحصول المسار ليكفر

عنهم بموجب ذلك الوعد أسوأ الذي عملوا دفعاً لمضارهم. ﴿ويجزيهم أجرهم﴾، ويعطيهم ثوابهم ﴿بأحسن الذي كانوا يعملون﴾؛ أي: إعطاؤنا لمنافعهم وإضافة الأسوأ والأحسن إلى ما بعدهما ليست من قبيل إضافة المفضل إلى المفضل عليه، بل من إضافة الشيء إلى بعضه للقصد إلى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه، وإنما المعتبر فيهما مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف إليه المعين بخصوصه خلا أن الزيادة المعتبرة فيها ليست بطريق الحقيقة، بل هي في الأول بالنظر إلى ما يليق بحالهم من استعظام سيئاتهم. وإن قلت: واستصغار حسناتهم، وإن جلت. والثاني: بالنظر إلى لطف كرم أكرم الأكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة، وإن أمكن في الأول بناء على أن تخصيص الأسوأ بالذكر لبيان تكفير ما دونه بطريق الأولوية ضرورة استلزام تكفير الأسوأ لتكفير السَّيِّىء لكن لما لم يكن ذلك في الأحسن، كان الأحسن نظمها في سلك واحد من الاعتبار. والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة الموصول الثاني دون الأول للإيذان باستمرارهم على الأعمال الصالحة بخلاف السيئة، كذا في «الإرشاد».

واعلم أن سبب التكفير والأجر الأحسن هو الصدق، وهو من المواهب لا من المكاسب في الحقيقة، وإن كان حصول أثره منوطاً بفعل العبد، ويجري في القول والفعل والوعد والعزم.

قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: أوقفني الحق سبحانه بين يديه ألف موقف، في كل موقف عرض عليّ مملكة الدارين، فقلت: لا أريدها، فقال لي: في آخر موقف: يا أبا يزيد ما تريد، قلت: أريد أن لا أريد. قال: أنت عبدي حقاً وصدقاً:

مـن كـه بـاشـم كـه مـرا خـواسـت بـود

[داود طائى رحمه الله عالم وقت بود ودر فقه فريد عصر بود ودر مقام صدق جنان بود كه آن شب كه ازدنيا بيرون رفت از آسمان ندا آمدكه «يا أهل الأرض إن داود الطائي رحمه الله قدم على ربه، وهو غير راضٍ» واين منزلت ومنقبت در صدق عمل جنان بودكه أبو بكر عياش حكايت كندكه در حجره وى شدم أورا ديدم نشسته وباره نان خشك دردست داشت ومى كريست كفتم].

ما لك يا داود، فقال: هذه الكسرة آكلها ولا أدري أمن حلال هي أم من حرام. [وشيخ أبو سعيد أبو الخير قدس سره را در مجلس سؤال كردندكه]. يا الشيخ ما الصدق؟ وكيف السبيل إلى الله شيخ كفت.

الصدق: وديعة الله في عباده ليس للنفس فيه نصيب؛ لأن الصدق سبيل إلى الحق، وأبى الله أن يكون لصاحب النفس إليه سبيل. قال عليه السلام لمعاذ رضي الله عنه: «يا معاذ أخلص دينك يكفك القليل من العمل».

﴿أليس الله بكاف عبده﴾. أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفي، فأفادت معنى إثبات الكفاية وتقريرها.

والكفاية ما فيه سد الخلة وبلوغ المراد في الأمر؛ أي: هو تعالى كاف عبده محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم أمر من يعاديه وناصره عليه، وفيه تسلية له عليه السلام، ويحتمل الجنس، ففيه تسلية لكل من تحقق بمقام العبودية.

وعن بعض الكبار أليس بكاف عبده أن يعبده، ويؤمن به وأيضاً عبده المتحقق بحقيقة هويته التي هي مبدأ الألوهية؛ أي: ألوهيته وإلٰهيته.

وفي «التأويلات النجمية»: أن الله كافٍ عبده عن كل شيء، ولا يكفي له كل شيء عن الله. ولهذا المعنى إذ يغشى السدرة ما يغشى من نفائس الملك والملكوت لتكون للنبي عليه السلام تلك النفائس كافية عن رؤية ما زاغ البصر، وما طغى بنظر القبول إليها حتى رأى من آيات ربه الكبرى.

وفي «عرائس البقلي»: فيه نبذة من العتاب، عاتب الحق عباده بلفظ الاستفهام؛ أي: هل يجري على قلوبهم أني أتركهم من رعايتي وحفظي كلا، ومن يجترىء أن يقوم بمخاصمة من هو في نظري من الأزل إلى الأبد.

وفي «كشف الأسرار»: من تبرأ من اختياره واحتياله وصدق رجوعه إلى الله من أحواله ولا يستعين بغير الله من أشكاله وأمثاله آواه الله إلى كنف إقباله وكفاه جميع أشغاله. وفي الحديث: «من أصبح وهمومه هم واحد كفاه الله هموم الدنيا والآخرة». [عبد الواحد زيدرا كفتند هيج كس را دانى كه در مراقبت خالق جنان مستغرق بودكه أورا برواى خلق نباشد كفت يكى را دانم كه همين ساعت درآيد عتبة الغلام در آمد عبد الواحد كفت اى عتبه درراه كراديدى كفت هيج كس را وراه وى بازار بود انجمن خلق].

وقال السيد جعفر الصادق رضي الله عنه: ما رأيت أحسن من تواضع الأغنياء للفقراء، وأحسن من ذلك إعراض الفقير عن الغني استغناء بالله تعالى ورعايته وكفايته.

قال أبو بكر بن طاهر رحمه الله: من لم يكف بربه بعد قوله: ﴿**أليس الله بكاف عبده**﴾، فهو من درجة الهالكين.

وقال ابن عطاء رحمه الله: رفع جلاجل العبودية من عنقه من نظر بعد هذه الآية إلى أحد من الخلق، أو رجاهم، أو خافهم، أو طمع فيهم:

بس ترا از ما سوى امداد هو كفت أليس الله بكاف عبده

﴿**ويخوفونك**﴾؛ أي: المشركون ﴿**بالذين من دونه**﴾؛ أي: بالأوثان التي اتخذوها آلهة من دون الله تعالى، ويقولون: إنك تعيبها، وإنها لتصيبك بسوء كالهلاك، أو الجنون، أو فساد الأعضاء.

وقال بعض أهل التفسير: إن هذه الآية؛ أي: قوله: ﴿**أليس الله بكاف عبده**﴾ نزلت مرة في حق النبي عليه السلام، ومرة في شأن خالد بن الوليد رضي الله عنه كسورة الفاتحة حيث نزلت مرة بمكة، ومرة بالمدينة. [ونزولش در حق خالد بن الوليد آنست كه قومى از مشركان عرب درختى را بمعبودى كرفته بودند ودر وى ديوى در زير بيخ آن درخت قرار كرده بود نام آن ديو عزى ورب العزة آنرا سبب ضلالت ايشان كرده بود مصطفى عليه السلام خالد وليدرا فرموده تا آن درخت را ازبيخ بر آورد وآن ديورا بكشد مشركان كرد آمدند وخالد را بترسانيد ند كه عزى ترا هلاك كند يا ديوانه كند خالد از مقالات ايشان مصطفى را خبر كرد ورب العزة در حق وى اين آيت فرستادكه ﴿**أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه**﴾ خالد باز كشت وآن درخت را از بيخ بكند وزير آن درخت شخصى يافت عظيم سياه كريه المنظر واورا بكشت بس مصطفى عليه السلام كفت]. تلك عزى ولن تعبد أبداً. كذا في «كشف الأسرار»: ﴿**ومن**

يضلل الله﴾؛ أي: ومن يجعله دالاً عن الطريق القويم والفهم المستقيم حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له عليه السلام وخوفه بما لا ينفع ولا يضر أصلاً. ﴿فما له من هاد﴾ يهديه إلى خير ما.

﴿ومن يهد الله﴾؛ أي: ومن يرشده إلى الصراط المستقيم. ﴿فما له من مضل﴾ يصرفه عن مقصده أو يصيبه بسوء يخل بسلوكه إذ لا راد لفعله، ولا معارض لإرادته.

وفي «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن رؤية الخير والشر من غير الله ضلالة والتخويف بمن دون الله غاية الضلالة ولهذا قال: ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾، ولأن الهادي في الحقيقة هو الله، فمن يضلل الله كيف يهديه غيره، وكذلك من يهد الله فما له من مضل؛ لأن المضل على الحقيقة هو الله، فمن يهده الله كيف يضله. ﴿أليس الله بعزيز﴾ غالب منيع يعز من يعبده. ﴿ذي انتقام﴾ من أعدائه لأوليائه؛ أي: هو عزيز ذو انتقام؛ لأن الاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقاً وتقريراً كما مرّ. والانتقام بالفارسية: [كينه كشيدن].

وفي «بحر العلوم»: من النقمة، وهي الشدة والعقوبة.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿ولئن سألتهم﴾؛ أي: هؤلاء المشركين الذين يخوفونك بآلهتهم، فقلت لهم: ﴿من خلق السماوات والأرض﴾ من اخترع هذين الجنسين المعبر عنهما بالعالم. ﴿ليقولن الله﴾؛ أي: خلقهن الله لوضوح الدليل على اختصاصه بالخالقية واللام الأولى توطئة وتمهيد للقسم، والثانية: جواب له، وهو سادّ مسدّ جوابين.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الإيمان الفطري مركوز في جبلة الإنسان من يوم الميثاق إذا شهدهم الله على أنفسهم، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، كما قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]. وقال عليه السلام: «كل مولود يولد على الفطرة»، فلا يزال يوجد في الإنسان، وإن كان كافراً أثر ذلك الإقرار، ولكنه غير نافع إلا مع الإيمان الكسبي بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاؤوا به. ﴿قل﴾ تبكيتاً لهم. ﴿أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره﴾. أرأيتم بمعنى: أخبروني. جعل الرؤية، وهو العلم الذي هو سبب الإخبار مجازاً عن الإخبار، وتدعون بمعنى: تعبدون، وما عبارة عن الآلهة والضر سوء الحال أياً كان من مرض وضيق معيشة وشدة، والاستفهام للإنكار وضمير هنّ راجع إلى ما باعتبار الآلهة. والكشف: الإظهار والإزالة، ورفع شيء عما يواريه ويغطيه.

والمعنى: بعد ما تحققتم أن خالق العالم العلوي والسفلي هو الله تعالى، فأخبروني أن آلهتكم إن أرادني الله بضر، هل هن يكشفن عني ذلك الضرر والبلاء ويدفعنه؟ أي: لا تقدر على دفعه وإزالته. ﴿أو أرادني برحمة﴾؛ أي: أو إن أرادني بنفع من صحة أو غنى أو غير ذلك من المنافع. ﴿هل هن ممسكات رحمته﴾. فيمنعنها عني؛ أي: لا تقدر على إمساك تلك الرحمة، ومنعها وتعليق إرادة الضر والرحمة بنفسه عليه السلام للرد في نحورهم حيث كانوا

خوفوه مضرة الأوثان ولما فيه من الإيذان بإمحاض النصح، وإنما قال: كاشفات وممسكات إبانة لكمال ضعفها وإشعاراً بأنوثتها كما قال: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ [النساء: ١١٧]، وهم كانوا يصفونها بالأنوثة مثل العزى واللات ومناة، فكأنه قال: كيف أشركتم به تعالى هذه الأشياء الجمادية البعيدة من الحياة والعلم والقدرة والقوة والتمكن من الخلق، هلا استحييتم من ذلك؟. ﴿قل﴾ يا محمد: ﴿حسبي الله﴾ حسب مستعمل في معنى الكفاية؛ أي: الله كافيّ في جميع أموري من إصابة الخير ودفع الشر. وبالفارسية: [بسست مرا خداى تعالى در رسانيدن خيروباز داشتن شر].

روي: أنه عليه السلام لما سألهم سكتوا، فنزل: ﴿عليه﴾ تعالى لا على غيره أصلاً. ﴿يتوكل المتوكلون﴾ لعلمهم بأن ما سواه تحت ملكوته تعالى:

توبا خداى خود اندازكار ودل خوش دار
كه رحم اكر نكند مدعى خدا بكند

وفيه إشارة إلى أن من تحول عن الكافي إلى غير الكافي لم يتم أمره، فلا بد من التوكل على رب العباد والتسليم له والانقياد. [در كليله ودمنه كويد باسلطان قوى كسى طاقت ندارد وكس با او نستيزد مكر بكردن دادن ويرا مثل آن حشيش كه هركاه كه باد غلبه كيرد خودرا فراباد دهد تادر زمين همين كرداندش آخر نجات يابد وآن درخت رفته راكه كردن ننهد از بيخ بركندن وجون شرار بينى وازو بترسى بيش أودر زمين بغلظ تواضع كن تابرهى كه شيرا كرجه عظيم بود اما كريم بود].

فالعصمة من الله تعالى. حكي: أن سفينة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخطأ الجيش بأرض الروم وأسر، فانطلق هارباً يلتمس الجيش، فإذا بأسد، فقال له: يا أبا الحارث، أنا سفينة مولى رسول الله، فكان مرادي كيت وكيت، فأقبل الأسد يتبصبص حتى قام إلى جنبه، فركب عليه، فكان كلما سمع صوتاً أهوى إليه، فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش، ثم رجع الأسد.

وفيه إشارات منها أن الحيوان المفترس لا يقدر على الإضرار إذا كان المرء في عصمة الله، فكيف الجماد.

ومنها: أن طاعة الله تعالى والتوكل عليه سبب النجاة من المهالك.

ومنها: أن الاستشفاع برسول الله والتقرب إليه بالإيمان والتوحيد والعمل بسنته يهدي إلى سواء الصراط، كما هدى سفينة رضي الله عنه.

فعلى العاقل إخلاص التوحيد والإعراض عما سوى الله تعالى، فإنه تعالى كاف لعبده في كل حال من الأحوال والأمور.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿قل يا قوم﴾؛ أي: قوم من. ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ على حالتكم التي أنتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها، فإن المكانة تستعار من العين للمعنى كما يستعار هنا، وحيث للزمان مع كونهما للمكان. ﴿إني عامل﴾؛ أي: على مكانتي ما استطعت ولا يزيد حالي إلا قوّة

ونصرة. ﴿**فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه**﴾، بسوء أعماله، ومن مفعول تعلمون. والإخزاء: [دون كردن وخوار كردن ورسوا كردن وهلاك كردن]. ومعاني هذه الكلمة يقرب بعضها من بعض. ومنه الحديث: «لا تخزوا الحور»؛ أي: لا تجعلوهن يستحيين من فعلكم كما في «تاج المصادر». والمعنى بالفارسية: [بس زود باشدكه بدانيد آنكس راكه ازماوشما بيايد بدو عذابى كه اورا رسواكند]. وهو عذاب الدنيا وخزي أعدائه دليل على غلبته فقد نصره الله وعذب أعداءه وأخزاهم يوم بدر. يعني: [حق سبحانه رسوا كرد دشمنان آن حضرت رادر روز بدركه جمعى از ايشان بدست مؤمنان كشته كشتند وكروهى بقيد مذلت وسلسلة نكبت كرفتار شدند]:

اين سرباد داده وآن دستها ببند آن كشته خوار وزار وكرفتار ومستمند

﴿**ويحل**﴾: ينزل من أفعاله من الحلول، وهو النزول. ﴿**عليه عذاب مقيم**﴾ إلى الأبد لا يفارقه دائم لا ينقطع عنه، وهو عذاب الآخرة يعني: أنتم الهالكون بسبب كونكم على البطلان. ونحن الناجون بسبب كوننا على الحق، فسوف ينكشف ربحنا وخسرانكم وسوف تظهر زيادتنا ونقصانكم وسوف يطالبكم الله ولا جواب لكم ويعذبكم، ولا شفيع لكم ويدمر عليكم ولا صريخ لكم:

إيمان رسد بفرياد قرآن رسد بامداد

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾.

﴿**إنا أنزلنا عليك الكتاب**﴾؛ أي: القرآن. ﴿**للناس**﴾؛ أي: لأجلهم فإنه مناط لمصالحهم في المعاش والمعاد، وقد سبق الفرق بين إليك وعليك في أول السورة. ﴿**بالحق**﴾ حال من فاعل أنزلنا. حال كوننا محقين في إنزاله أو من مفعوله كون ذلك الكتاب ملتبساً بالحق والصدق؛ أي: كل ما فيه حق وصواب لا ريب فيه موجب للعمل به حتماً. ﴿**فمن اهتدى**﴾، بأن عمل بما فيه. ﴿**فلنفسه**﴾؛ أي: إنما نفع به نفسه. ﴿**ومن ضل**﴾، بأن لم يعمل بموجبه، ﴿**فإنما يضل عليها**﴾، لما أن وبال ضلالة مقصور عليها. ﴿**وما أنت عليهم بوكيل**﴾. الوكيل: القائم على الأمر حتى يكمله؛ أي: وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى، وما وظيفتك إلا البلاغ. وقد بلغت أي بلاغ.

وفي الآية إشارة إلى أن القرآن مذكر جوار الحق للناس الذين نسوا الله وجواره، فمن تذكر بتذكيره واتعظ بوعظه، واهتدى بهدايته كانت فوائد الهداية راجعة إلى نفسه، بأن تنورت بنور الهداية، فانمحى عنها آثار ظلمات صفاتها الحيوانية السبعية الشيطانية الموجبة لدخول النار. ﴿**ومن ضل فإنما يضل عليها**﴾، فإنه يوكله إلى نفسه وطبيعته، فتغلب عليه الصفات الذميمة، فيكون حطب النار. ﴿**وما أنت**﴾ يا محمد ﴿**عليهم بوكيل**﴾، تحفظهم من النار إذا كان في استعدادهم الوقوع فيها.

وفي الحديث: «إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها وأنا آخذ بحجزكم تقحمون فيه». والحجز: جمع الحجزة، كالكدرة، وهي معقد الإزار خصه بالذكر، لأن أخذ الوسط أقوى في المنع وأصل تقحمون بالتشديد تتقحمون وفيه؛

أي: في النار على تأويل المذكور، يعني: أنا آخذكم حتى أبعدكم عن النار وأنتم تدخلون فيها بشدة. ومعنى التمثيل: أن النبي عليه السلام في منعهم عن المعاصي والشهوات المؤدية إلى النار وكونهم متقحمين متكلفين في وقوعها مشبه بشخص مشفق يمنع الدواب عنها وهن يغلبنه.

وفي الحديث إخبار عن فرط شفقته على أمته وحفظهم من العذاب، ولا شك فيه لأن الأمم في حجر الأنبياء كالصبيان الأغبياء في أكناف الآباء صلوات الله عليهم وسلامه.

وفي الحديث: «إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني به، فعلم وعلم ومثل من لم يرفع لذلك رأساً»؛ أي: لم يلتفت إليه بالعمل، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به». انتهى، فعلم العالم العامل المعلم كالمطر الواقع على التربة الطيبة، وعلم العالم المعلم الغير العامل كالمطر الواقع على الأجادب، وأما الذي لا يقبل الهدى أصلاً، فكان كالأرض التي لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فكما أنها ليس فيها ماء ولا كلأ، فكذا الكافر والجاهل ليس فيه علم ولا عمل، فلا لنفسه نفع ولا لغيره.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾. يقال: توفاه الله، قبض روحه. كما في «القاموس». والأنفس: جمع نفس بسكون الفاء، وهي النفس الناطقة المسماة عند أهل الشرع بالروح الإضافي الإنساني السلطاني، فسميت نفساً باعتبار تعلقها بالبدن وانصياعها بأحكامه، والتلبس بغواشيه وروحاً باعتبار تجردها في نفسها ورجوعها إلى الله تعالى. فالنفس ناسوتية سفلية والروح لاهوتية علوية.

قالوا: الروح الإنساني جوهر بسيط محرك للجسم، وليس هو حالاً في البدن كالحلول السرياني ولا كالحلول الجواري، ولكن له تعلق به تعلق التدبير والتصرف والروح الحيواني أثر من آثار هذا الروح على ما سبق مني تحقيقه في سورة الإسراء عند قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، فهو من الروح الإنساني كالقمر من الشمس في استفاضة النور والبهائم تشارك فيه الإنسان وهو الروح الذي يتصرف في تعديله وتقويته علم الطب ولا يحمل الأمانة والمعرفة والتراب يأكل محله، وهو البدن العامي، لأن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء والصديقين والشهداء بخلاف الروح الإنساني، فإنه حامل الأمانة والمعرفة والإيمان ويتصرف فيه علم الشريعة والطريقة والمعرفة والحقيقة بتوسط الحكماء الإلٰهيين، ولا يأكله التراب، وهو باعتبار كونه نفساً هو النبي والولي والمشار إليه بأنا، والمدرج في الخرقة بعد مفارقته عن البدن، والمسؤول في القبر والمثاب والمعاقب، وليس له علاقة مع البدن سوى أن يستعمله في كسب المعارف بواسطة شبكة الحواس، فإن البدن آلته ومركبه وشبكته، وبطلان الآلة والمركب والشبكة لا يوجب بطلان الصياد. نعم بطلت الشبكة بعد الفراغ من

الصيد، فبطلانها غنيمة إذ يتخلص من حملها وثقلها. ولذا قال عليه السلام: «الموت تحفة المؤمن». أما لو بطلت الشبكة قبل الصيد، فقد عظمت فيه الحسرة والندامة، ولذا يقول المقصرون: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠] الآية.

والموت: زوال القوة الحساسة كما أن الحياة وجود هذه القوة، ومنه سمي الحيوان حيواناً ومبدأ هذه القوة هو الروح الحيواني الذي محله الدماغ كما أن محل الروح الإنساني: القلب الصنوبري ولا يلزم من ذلك تحيزه فيه، وإن كانت الأرواح البشرية متحيزة عند أهل السنة. ثم إن الإنسان ما دام حياً، فهو إنسان بالحقيقة، فإذا مات فهو إنسان بالمجاز؛ لأن إنسانيته في الحقيقة إنما كانت بتعلق الروح الإنساني، وقد فارقه. وفي المثنوي:

جان زريش وسبلت تن فارغست ليك تن بى جان بود مرداريست

ومعنى الآية: يقبض الله الأرواح الإنسانية عن الأبدان بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها ظاهراً وباطناً، وذلك عند الموت، فيزول الحس والحركة عن الأبدان، وتبقى كالخشب اليابس ويذهب العقل والإيمان والمعرفة مع الأرواح.

وفي «الوسيط»: ﴿**حين موتها**﴾؛ أي: حين موت أبدانها وأجسادها على حذف المضاف.

يقول الفقير: ظاهره يخالف قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فإن المفهوم منه أن الموت يطرأ على النفوس لا على البدن، اللهم إلا أن يقال: المراد أن الله يتوفى الأرواح حين موت أبدانها بمفارقة أرواحها عنها وأسند القبض إليه تعالى، لأنه الآمر للملائكة القابضين.

وفي «زهرة الرياض»: التوفي من الله الأمر بخروج الروح من البدن لو اجتمعت الملائكة لم يقدروا على إخراجه، فالله يأمره بالخروج كما أمره بالدخول، ومن الملائكة المعالجة، وإذا بلغت الحنجرة يأخذها ملك الموت على الإيمان، أو الكفر. انتهى.

على أن من خواص العباد من يتولى الله قبض روحه، كما روي أن فاطمة الزهراء رضي الله عنها لما نزل عليها ملك الموت لم ترض بقبضه، فقبض الله روحها، وأما النبي عليه السلام، فإنما قبضه ملك الموت لكونه مقدم الأمة، وكما قال ذو النون المصري قدس سره: إلٰهي لا تكلني إلى ملك الموت، ولكن اقبض روحي أنت ولا تكلني إلى رضوان، وأكرمني أنت ولا تكلني إلى مالك، وعذبني أنت، نسأل الله الفضل على كل حال. ﴿**والتي لم تمت في منامها**﴾ قوله: ﴿**في منامها**﴾ متعلق بيتوفى المقدر. المنام والنوم واحد، وهو استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد إليه.

وقيل: هو أن يتوفى الله النفس من غير موت كما في الآية.

وقيل: النوم موت خفيف والموت: نوم ثقيل. وهذه التعريفات كلها صحيح بنظرات مختلفة. والمعنى: ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها؛ أي: يتوفاها حين نومها بأن يقطع تعلقها عن الأبدان، وتصرفها فيها ظاهراً لا باطناً، فالنائم يتنفس ويتحرك ببقاء الروح الحيواني، ولا يعقل ولا يميز بزوال الروح الإنساني ومثل النوم حال الانسلاخ عند الصوفية إلا أن المنسلخ حال اليقظة أقوى حالاً وشهوداً من المنسلخ حال النوم، وهو النائم وعبر عن الموت، والنوم بالتوفي تشبيهاً للنائمين بالموتى لعدم تميزهم، ولذا ورد: النوم أخو الموت».

وعن علي رضي الله عنه أن الروح يخرج عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد، فلذلك يرى الرؤيا، فإذا انتبه عاد روحه إلى جسده بأسرع من لحظة. ويروى: أن أرواح المؤمنين تعرج عند النوم إلى السماء، فمن كان منهم طاهراً؛ أي: على وضوء أذن له في السجود لله تعالى تحت العرش، ومن لم يكن منهم طاهراً، لم يؤذن له فيه، فلذلك يستحب أن ينام الرجل على الوضوء لتصدق رؤياه، ويكون له مع الله معاملات ومخاطبات.

قال بعضهم: خلق الله الأرواح على اللطافة والأجساد على الكثافة، فلما أمرت بالتعلق بالأجساد انقبضت من الاحتجاب بها، فجعل الله النوم والانسلاخ سبباً لسيرها في عالم الملكوت، حتى يتجدد لها المشاهدة، وتزيد الرغبة في قرب المولى؛ وإنما يستريح العبد ويجد اللذة في النوم؛ لأنه في يد الله، وهو أرحم الراحمين، ويضطرب ويجد الألم في الموت؛ لأنه في يد ملك الموت، وهو أشد الخلائق أجمعين. ﴿**فيمسك التي قضى عليها الموت**﴾ إمساك شيء تعلق به وحفظه، والقضاء الحكم؛ أي: يمسك أنفس الأموات عنده ولا يردها إلى البدن، وذلك الإمساك إنما هو عالم البرزخ الذي تكون الأرواح فيه بعد المفارقة من النشأة الدنيوية، وهو غير البرزخ بين الأرواح المجردة والأجسام؛ أي: غير عالم المثال الذي كان النوم أو الانسلاخ سبباً للدخول فيه؛ لأن مراتب تنزلات الوجود ومعارجه دورية والمرتبة التي قبل النشأة الدنيوية هي من مراتب التنزلات ولها الأولية والتي بعدها هي من مراتب المعارج، ولها الآخرية، وأيضاً: الصور التي تلحق الأرواح في البرزخ الأخير؛ إنما هي صور الأعمال ونتائج الأفعال السابقة في النشأة الدنيوية بخلاف صور البرزخ الأول، فلا يكون شيء منهما عين الآخرة، لكنهما يشتركان في كونهما عالماً روحانياً وجوهراً نورانياً غير مادي مشتملاً على مثال صور العالم.

﴿**ويرسل الأخرى**﴾؛ أي: ويرسل أنفس الأحياء، وهي النائمة إلى أبدانها عند اليقظة والنزول من عالم المثال المقيد، ولعالم المثال شبه بالجوهر الجسماني في كونه محسوساً مقدارياً، وبالجوهر العقلي المجرد في كونه نورانياً، فجعل الله عالم المثال وسطاً شبيهاً بكل من الطرفين حتى يتجسد أولاً، ثم يتكاثف. ألا ترى أن حقيقة العلم الذي هو مجرد يتجسد بالصورة التي في عالم المثال. ﴿**إلى أجل مسمى**﴾: هو الوقت المضروب لموتها، وهو غاية لجنس الإرسال؛ أي: لا لشخصه حتى يرد لزوم أن لا يقع نوم بعد اليقظة الأولى.

وعن سعيد بن جبير أن أرواح الأحياء وأرواح الأموات تلتقي في المنام، فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف، فيمسك التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها.

وفي «الأسئلة المقحمة»: يقبض الروح حال النوم، ثم يمسك الروح التي قضى الموت على صاحبها، ووافق نومه أجله. انتهى.

فيكون قوله: فيمسك متفرعاً على قوله: والتي لم تمت، ويؤيده قوله عليه السلام: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلف عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي، فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

وفيه إشارة إلى أن المقصود من الحياة هو: الصلاح. وما عداه ينبغي أن يكون وسيلة

إليه. ﴿إن في ذلك﴾؛ أي: فيما ذكر من التوفي على الوجهين والإمساك في أحدهما، والإرسال في الآخر. ﴿لآيات﴾ عجيبة دالة على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته. ﴿لقوم يتفكرون﴾ في كيفية تعلق الأرواح بالأبدان وتوفيها عنها تارة بالكلية كما عند الموت، وإمساكها باقية بعد الموت، لا تفنى بفناء الأبدان، وما يقربها من السعادة والشقاوة. وأخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم وإرسالها حيناً بعد حين إلى انقضاء آجالها وانقطاع أنفاسها.

وفي «الكواشي»: ﴿لقوم يتفكرون﴾، فيستدلون على أن القادر على ذلك قادر على البعث كما قال الكاشفي: [براى كروهى كه تفكر كنند در امراماته كه مشابه نوم است ودر احياكه مما ثلتست به يقظه ودرتورات مذكور است كه اى فرزند آدم جنانجه در خواب ميروى بميرد وجنانجه بيدار ميكردى برانكيخته شوى]:

فالموت باب وكل الناس داخله

وفي الحديث القدسي: «ما ترددت في شيء أنا فاعله كترددي في قبض نفس عبدي المؤمن». لما كان التردد، وهو التحير بين الشيئين لعدم العلم بأن الأصلح أيهما محالاً في حق الله تعالى حمل على منتهاه، وهو التوقف. يعني: ما توقفت فيما أفعله مثل توقفي في قبض نفس المؤمن، فإني أتوقف فيه وأريه ما أعددت له من النعم والكرامات حتى يميل قلبه إلى الموت شوقاً إلى لقائي. ويجوز أن يراد من تردده تعالى إرسال أسباب الهلاك إلى المؤمن من الجوع والمرض وغيرهما. وعدم إهلاكه بها ثم إرسالها مرة أخرى حتى يستطيب الموت ويستحلي لقاءه، كذا في «شرح السنة»: «يكره الموت»، استئناف جواب عمن قال: ما سبب ترددك أراد به شدة الموت؛ لأن الموت نفسه يوصل المؤمن إلى لقاء الله، فكيف يكرهه المؤمن. وفي الحديث: «إن أحدكم لن يرى ربه حتى يموت»:

تانميرد بنده ازهستى تمام أو نبيند حق تعالى والسلام
مرك بيش از مرك امنست اى فتى اين جنين فرمود مارا مصطفى

قال بعضهم: [واز موت كراهت داشتن بنده را سبب آنست كه محجوبست از ادراك لذت وصال وكمال عزتى كه اورا بعد از موت حاصل خواهد شد]. «وأنا أكره مساءته»؛ أي: إيذاءه بما يلحقه من صعوبة الموت وكربه. «ولا بد له منه»؛ أي: للعبد من الموت؛ لأنه مقدر لكل نفس.

قال بعضهم: [واكرجه حق تعالى كراهت داردكه روح جنان بنده قبض كند اماجون وقت آيد ازغايت محبت كه بابنده دارد حجاب جسم كه نقاب رخساره روح است برا ندازد]:

حجاب جهره جان ميشود غبار تنم خوشا دمى كه ازين جهره برده بر فكنم

فعلى العاقل أن يتهيأ للموت بتحصيل حضور القلب وصفاء البال، فإن كثيراً من أرباب الحال والمقال وقعوا في الاضطراب عند الحال. وفي المثنوي:

آن هنر هاى دقيق وقال وقيل قوم فرعونند أجل جون آب نيل
سحر هاى ساحران دان جمله را مرك جوبى دانكه آن شد ازدها
جاد ويهارا همه يك لقمه كرد يك جهان برشت بد آن را اصبح خورد
آتش ابراهيم را دندان نزد جون كزيده حق بود جونش كزد
همجنين باد اجل برعارفان نرم وخوش همجو نسيم يوسفان

﴿أم اتخذوا﴾: نزلت في أهل مكة حيث زعموا أن الأصنام شفعاؤهم عند الله، فقال الله تعالى منكراً عليهم، أم اتخذوا؛ أي: بل اتخذ قريش. فأم منقطعة بمعنى: بل والهمزة. **﴿من دون الله﴾**: من دون إذنه تعالى. **﴿شفعاء﴾**: تشفع لهم عنده تعالى، وهي الأصنام، جمع: شفيع. والشفع: ضم الشيء إلى مثله، والشفاعة: الانضمام إلى آخر مسائلاً عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى رتبة إلى من هو أدنى، ومنه الشفاعة يوم القيامة. **﴿قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون﴾**: الهمزة لإنكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه. والواو: للحال عند الجمهور.

والمعنى: قل يا محمد للمشركين أفتتخذون الأصنام شفعاء، ولو كانوا لا يملكون شيئاً من الأشياء، ولا يعقلونه فضلاً عن أن يملكوا الشفاعة عند الله، ويعقلوا أنكم تعبدونهم. يعني: [توقع شفاعت مكنيد از جمادات وحال آنكه ايشان ازقدرت وعلم بى بهره اند].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن اتخاذ الأشياء للعبادة أو للشفاعة بالهوى، والطبع لا بأمر الله، ووفق الشرع يكون ضلالة على ضلالة، وأن المقبول من العبادة والشفاعة، ما يكون بأمر الله ومتابعة نبيه عليه السلام على وفق الشرع، وذلك لأن حجاب العبد هو الهوى والطبع، وإنما أرسل الأنبياء لنفي الهوى، لتكون حركات العباد وسكناتهم بأمر الحق تعالى ومتابعة الأنبياء لا بأمر الهوى، ومتابعة النفس، لأن النفس وهواها ظلمانية، والأمر ومتابعة الأنبياء نورانية، والشهوات ظلمانية. ولكن العبد إذا عبد الله بالهوى والطبع تصير عبادته ظلمانية، فإذا جامع زوجته بالأمر على وفق الشرع تصير شهوته نورانية.

﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿قل﴾ بعد تبكيتهم وتجهيلهم بما ذكر تحقيقاً للحق. **﴿لله الشفاعة جميعاً﴾** نصب على الحال من الشفاعة؛ أي: هو الله تعالى مالك الشفاعة لا يستطيع أحد شفاعة ما إلا أن يكون المشفوع له مرتضى. والشفيع مأذوناً له، وكلاهما مفقود ها هنا.

قال البقلي: بين أنه تعالى مرجح الكل، الشافع والمشفع فيه حتى يرجع العبد العارف إليه بالكلية، ولا يلتفت إلى أحد سواه، فلا يصل إليه أحد إلا به. قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. ونعم ما قالت رابعة رحمها الله: محبة الله تعالى ما أبقت محبة غيره.

ففيه إشارة إلى أن محبة الرسول عليه السلام مندرجة في محبة الله تعالى، فمن أحب الله حباً حقيقياً، أحب الله أن يأذن لحبيبه في شفاعته، ومن أحب رسول الله من غير محبة الله لم يؤذن له في الشفاعة، ألا ترى أن قوماً أفرطوا في حب عليّ رضي الله عنه، ونسوا محبة الله فنفاهم عليّ بل أحرق بعضهم. **﴿له﴾** تعالى وحده **﴿ملك السماوات والأرض﴾** وما فيهما من المخلوقات لا يملك أحد أن يتكلم في أمر من أموره بدون إذنه ورضاه. وأشار إلى أن الله تعالى هو المالك حقيقة، فإن ما سواه عبد ولا ملك للعبد، ولو ملكه مولاه، وإنما هو عارية عنده، والعارية مردودة إلى مالكها.

﴿ثم إليه ترجعون﴾ يوم القيامة لا إلى أحد سواه لا استقلالاً ولا اشتراكاً، فيفعل يومئذٍ ما يريد.

وفي «الكواشي»: يحصي أعمالكم ثم إلى حسابه ترجعون؛ أي: تردون، فيجازيكم فاحذروا سخطه، واتقوا عذابه، فيا ربح الموحدين يومئذٍ ويا خسارة المشركين. وفي الحديث: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». والمراد: أمة الإجابة، فالكفر أكبر الكبائر وصاحبه مخلد في النار لا شفاعة له.

فإن قلت: الحكم في المكروه أن يستحق مرتكبه حرمان الشفاعة كما ذكر في «التلويح»، فيكون حرمان أهل الكبائر أولى.

قلت: استحقاق حرمانها لا يوجب الحرمان بالفعل. [شيخ علاء الدولة در عروه كويد جميع فرق إسلامية أهل نجاتند ومراد از ناحيه در حديث «ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة والناجية منها واحدة». ناجية بي شفاعتيست].

واعلم أن افتخار الخلق في الدنيا بعشرة، ولا ينفع ذلك يوم القيامة.

الأول: المال، فلو نفع المال لأحد لنفع قارون. قال الله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١].

والثاني: الولد، فلو نفع الولد لأحد لنفع إبراهيم عليه السلام أباه آزر. قال تعالى: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ [هود: ٧٦].

والثالث: الجمال، فلو نفع الجمال لنفع أهل الروم؛ لأن لهم تسعة أعشار الجمال. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

والرابع: الشفاعة، فلو نفعت الشفاعة لنفع الرسول من أحب إيمانه. قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]؛ كأنه قال: أنت شفيعي في الجنايات لا شريكي في الهدايات.

والخامس: الحيلة، فلو نفعت الحيلة لنفع الكفار مكرهم. قال تعالى: ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠].

والسادس: الفصاحة، فلو نفعت الفصاحة لنفعت العرب. قال تعالى: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [النبأ: ٣٨].

والسابع: العز، فلو نفع العز لنفع أبا جهل. قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩].

والثامن: الأصدقاء، فلو نفع الأصدقاء لنفعوا الفساق. قال الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧].

والتاسع: الأتباع، فلو نفع التبع لنفع الرؤساء. قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البقرة: ١٦٦].

والعاشر: الحسب، فلو نفع الحسب لنفع يعقوب اليهود؛ لأنهم أولاد يعقوب. قال تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ٣]. وقال الشيخ سعدي: [خاكسترا كرجه نسب عالى داردكه آتش جوهر علويست وليكن جون بنفس خود هنرى ندارد باخاك برابراست قيمت شكر نه ازنى است كه آن خاصيت ويست]:

جو كنعانرا طبيعت بى هنر بود   بيمبر زادكى قدرش نيفزود
هنر بنماى اكر داری نه كوهر   كل ازخارست وابراهيم از آزر

فإذا عرفت هذه الجملة، فارجع إلى الله تعالى من الأسباب الغير النافعة، وذلك بكمال الإيمان والتقوى.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿**وإذا**﴾ [وجون وآنكاه كه]. ﴿**ذكر الله**﴾ حال كونه ﴿**وحده**﴾؛ أي: منفرداً دون آلهة المشركين. والعامل في إذا قوله: ﴿**اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة**﴾ انقبضت ونفرت قلوب الذين لا يصدقون بيوم القيامة. والشمز: نفور النفس مما تكره وتشمز وجهه تقبض. والاشمئزاز: هو أن يمتلىء القلب غيظاً وغماً ينقبض منه أديم الوجه، وهو غاية ما يمكن من الانقباض، ففيه مبالغة في بيان حالهم القبيحة.

﴿**وإذا ذكر الذين من دونه**﴾؛ أي: من دون الله، يعني: الأوثان فرادى، أو مع ذكر الله. ﴿**إذا هم يستبشرون**﴾ يفرحون ويظهر في وجوههم البشر، وهو أثر السرور لفرط افتتانهم بها ونسيانهم الحق. والاستبشار: هو أن يمتلىء القلب سروراً حتى تنبسط له بشرة الوجه، وهو نهاية ما يمكن من الانبساط، ففيه مبالغة أيضاً في بيان حالهم القبيحة والعامل في إذا هو العامل في إذا المفاجأة، تقديره: وقت ذكر الذين من دونه فاجاؤوا وقت الاستبشار. والمعنى بالفارسية: [آنكاه ايشان تازه وفرحناك شوند بجهت فراموسى از حق ومشغولي بباطل اما كار مؤمن بر عكس اينست ازياد خداى تعالى شادان وبذكر ما سوى غمكين است]:

نامت شنوم دل از فرح زنده شود ... قال من از اقبال تو فرخنده شود
از غير توهر جاسخن آيد بميان ... خاطر بهزاران غم براكنده شود

حكي أن بعض الصلحاء ذكر عند رابعة العدوية الدنيا وذمها، فقالت: من أحب شيئاً أكثر ذكره.

واعلم أن هؤلاء المشركين كأمثال الصبيان فكما أنهم يفرحون بالأفراس الطينية. والأسود الخشبية، وبمذاكرة ما هو لهو ولعب، فكذا أهل الأوثان لكون نظرهم مقصوراً على الصور والأشباح، فكل قلب لا يعرف الله، فإنه لا يأنس بذكر الله، ولا يسكن إليه، ولا يفرح به، فلا يكون مسكن الحق.

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى أتحب أن نسكن معك بيتك فخر لله ساجداً، ثم قال: يا رب وكيف تسكن معي في بيتي، فقال: يا موسى أما علمت أني جليس من ذكرني، وحيث ما التمسني عبدي وجدني. كما في «المقاصد الحسنة»، فعلم أن من ذكر الله، فالله تعالى جليسه ومن ذكر غير الله، فالشيطان جليسه. قال الشيخ:

اكر مرده مسكين زبان داشتى ... بفرياد وزارى فغان داشتى
كه اى زنده جون هست امكان كفت ... لب از ذكر جون مرده برهم مخفت
جو مارا بغفلت بشد روزكار ... توبارى دمى جند فرصت شمار

وفي الحديث: «إذا كان يوم حار، فقال الرجل: لا إلٰه إلا الله ما أشد حر هذا اليوم. اللهم أجرني من حر جهنم. قال الله تعالى لجهنم: إن عبداً من عبيدي استجارني من حرك، فإني أشهدك أني قد أجرته، وإن كان يوم شديد البرد، فقال العبد: لا إلٰه إلا الله ما أشد برد

هذا اليوم، اللهم أجرني من زمهرير جهنم. قال الله تعالى لجهنم: إن عبداً من عبادي استجارني من زمهريرك وإني أشهدك أني قد أجرته». قالوا: وما زمهرير جهنم. قال: «بيت يلقى فيه الكافر فيتميز من شدة برده بعضه من بعض». وفي المثنوي:

در حديث آمدكه مؤمن دردعا جون امان خواهد زدوزح ازخدا
دوزخ ازوى هم امان خواهد زبجان كه خدايا دور دارم از فلان

فعلى العاقل أن لا ينقطع عن الذكر ويستبشر به، فالله تعالى معه معينه.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿قل اللهم﴾: الميم بدل من حرف النداء. والمعنى: قل يا محمد، يا الله **﴿فاطر السماوات والأرض﴾** نصب بالنداء؛ أي: يا خالق السماوات والأرض على أسلوب بديع. **﴿عالم الغيب والشهادة﴾** يا عالم كل ما غاب عن العباد، وكل ما شهدوه؛ أي: التجىء يا محمد إليه تعالى بالدعاء لما تحيرت في أمر الدعوة، وضجرت من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد، فإنه القادر على الأشياء بجملتها، والعالم بأحوالها برمّتها. **﴿أنت﴾** وحدك **﴿تحكم بين عبادك﴾**؛ أي: بيني وبين قومي، وكذا بين سائر العباد. **﴿فيما كانوا فيه يختلفون﴾**؛ أي: يختلفون فيه من أمر الدين؛ أي: تحكم حكماً يسلمه كل مكابر، ويخضع له كل معاند، وهو العذاب الدنيوي أو الأخروي. والثاني أنسب بما بعد الآية.

وفيه إشارة إلى اختلاف بين الموحدين والمشركين، فإن الموحدين باشروا الأمور بالشرع على ما اقتضاه الأمر والمشركين بالطبع على ما استدعاه الشهوة والهوى، والله تعالى يحكم بينهم في الدنيا وفي الآخرة. أما في الدنيا، فبالعفو والفضل والكرم، وتوفيق التوبة والإنابة وإصلاح ذات البين. وأما في الآخرة، فبالعدل والنصفة وانتقام بعضهم من بعض. كان الربيع بكسر الباء من المحدثين لا يتكلم إلا فيما يعنيه، فلما قتل الحسين رضي الله عنه. قيل: الآن يتكلم، فقرأ: قل اللهم إلى قوله: يختلفون.

وروي: أنه قال: قتل من كان يجلسه النبي عليه السلام في حجره ويضع فاه على فيه.

وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا افتتح صلاته من الليل يقول: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بأمرك إنك تهدي من شئت إلى صراط مستقيم».

وفي الآية إشارة إلى أن الحاكم الحقيقي هو الله تعالى، وكل حكمه وقضائه عدل محض وحكمة بخلاف حكم غيره تعالى. وفي الحديث: «ليس أحد يحكم بين الناس إلا جيء يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه فكفه العدل وأسلمه الجور».

وقال في «روضة الأخيار»: كان عمر بن هبيرة أمير العراق وخراسان في أيام مروان بن محمد، فدعا أبا حنيفة إلى القضاء ثلاث مرات فأبى فحلف ليضربنه بالسياط وليسجننه وفعل حتى انتفخ وجه أبي حنيفة ورأسه من الضرب، فقال: الضرب بالسياط في الدنيا أهون عليّ من مقامع الحديد في الآخرة، ونعم ما قال من قال:

بو حنيفة قضا نكرد وبمرد توبميرى اكر قضا نكنى

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً﴾ حال ما؛ أي: لو أن لهم جميع ما في الدنيا من الأموال والذخائر. **﴿ومثله معه﴾**. [وما نند آن همه مالها بآن]. **﴿لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة﴾**. يقال: افتدى إذا بذل المال عن نفسه، فإن الفداء حفظ الإنسان من النائبة بما يبذله عنه؛ أي: لجعلوا كل ذلك فدية لأنفسهم من العذاب الشديد لكن لا مال يوم القيامة، ولو كان لا يقبل الافتداء به، وهذا وعيد شديد وإقناط لهم من الخلاص.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن هذه الجملة لا يقبل يوم القيامة لدفع العذاب، واليوم ها هنا تقبل ذرة من الخير ولقمة من الصدقة، وكلمة من التوبة والاستغفار كما أنهم لو تابوا وبكوا في الآخرة بالدماء لا يرحم بكاؤهم وبدمعة واحدة اليوم يمحى كثير من ذنوبهم. وفي المثنوي:

آخر هركريه آخر خنده ايست — مرد آخر بين مبارك بنده ايست
اشك كان ازبهر أو بارند خلق — كوهراست واشك بندار ند خلق

ألا ترى إلى دموع آدم وحواء عليهما السلام، حيث صارت جواهر في الدنيا، فكيف في العقبى.

﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾. يقال: بدا الشيء بدوّاً وبداء؛ أي: ظهر ظهوراً بيناً. والاحتساب: الاعتداد بالشيء من جهة دخوله فيما يحسبه؛ أي: ظهر لهم يوم القيامة من فنون العقوبات ما لم يكن في حسابهم في الدنيا وفي ظنهم أنه نازل بهم يومئذٍ.

قال الكاشفي: [بنداشت ايشان آن بودكه بوسيله شفاعت بتان رتبة قرب يابند]. **﴿وبدا لهم سيئات ما كسبوا﴾** سيئات أعمالهم أو كسبهم حين تعرض عليهم صحائفهم. **﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾**؛ أي: نزل وأصاب وأحاط بهم وبال استهزائهم، وجزاء مكرهم، وكانوا يستهزئون بالكتاب والمسلمين والبعث والعذاب ونحو ذلك.

وهذه الآية؛ أي: قوله: **﴿وبدا لهم من الله﴾** إلخ. غاية في الوعيد لا غاية وراءها، ونظيره في الوعد قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

وفي «التأويلات النجمية»: وفي سماع هذه الآية حسرة لأصحاب الانتباه. وفي بعض الأخبار: أن قوماً من المسلمين من أصحاب الذنوب يؤمر بهم إلى النار، فإذا وافوها يقول لهم مالك من أنتم؟ فإن الذين جاؤوا قبلكم من أهل النار وجوههم مسودة وعيونهم زرق وإنكم لستم بتلك الصفة، فيقولون: نحن لم نتوقع أن نلقاك، وإنما انتظرنا شيئاً آخر. قال الله تعالى: **﴿وبدا لهم من الله﴾** إلى **﴿يستهزئون﴾**.

وقال أبو الليث: يعملون أعمالاً يظنون أن لهم ثواباً فيها، فلم تنفعهم مع شركهم، فظهرت لهم العقوبة مكان الثواب.

وفي «كشف الأسرار»: [از حضرت رسالت عليه السلام تفسير آيت. **﴿وبدا لهم من الله﴾** إلخ برسيدند فر مود]. هي الأعمال حسبوها حسنات فوجدوها في كفة السيئات.

وقال بعضهم: ظاهر الآية يتعلق بأهل الرياء والسمعة افتضحوا يوم القيامة عند المخلصين.

وعن سفيان الثوري رحمه الله أنه قرأها، فقال: ويل لأهل الرياء ثلاثاً:

بنداشت مرايى كه عملهاى نكوست مغزى كه بود خلاصه كاز زدوست

جون برده زروى كار برداشته كشت بر خلق عيان شدكه نبود الابوست

[يكى ازمشايخ يعنى محمد بن المنكدر بوقت حلول أجل جزع ميكرد برسيدند كه سبب جيست فرمود كه مى ترسم جيزى ظاهر كردد كه من آنرا در حساب نمى داشتم].

قال سهل: أثبتوا لأنفسهم أعمالاً فاعتمدوا عليها، فلما بلغوا إلى المشهد الأعلى رأوها هباء منثوراً، فمن اعتمد على الفضل نجا، ومن اعتمد على أفعاله بدا له منها الهلاك.

وفي «عرائس البقلي» رحمه الله: هذه الآية خير من الله للذين فرحوا بما وجدوا في البدايات مما يغترّ به المغترون، وقاموا به وظنوا أن لا مقام فوق مقامهم، فلما رأوا بخلاف ظنونهم ما لأهل معارفه وأحبابه وعشاقه من درجات المعرفة وحقائق التوحيد ولطائف المكاشفات وغرائب المشاهدات ماتوا حسرة.

فانظر إلى هذه المعاني الشريفة في هذا المقام، فإن كلاً منها يحتمله الكلام، بل وأزيد منها على ما لا يخفى عى ذوي الأفهام، واجتهد في أن يبدو لك من الثواب ما لم يكن يخطر ببالك أن تكون مثاباً به، وذلك بالإخلاص والفناء التام حتى يكون الله عندك عوضاً عن كل شيء.

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾﴾.

﴿فإذا مس الإنسان ضر دعانا﴾ إخبار عن الجنس بما يفعله غالب أفراده. والفاء: لترتيب ما بعدها على ما قبلها؛ أي: أن المشركين ليشمئزون عن ذكر الله وحده، ويستبشرون بذكر الآلهة، فإذا مسهم ضر؛ أي: أصابهم سوء حال من مرض وفقر ونحوهما دعوا لدفعه من اشمأزوا عن ذكره، وهو الله تعالى لمناقضتهم وتعكيسهم في التسبب حيث جعلوا الكفر سبباً في الالتجاء إلى الله بأن أقاموه مقام الإيمان مع أن الواجب أن يجعل الإيمان سبباً فيه.

﴿ثم إذا خولناه نعمة منا﴾ أعطيناه إياها تفضلاً، فإن التخويل مختص بما كان بطريق التفضل لا يطلق على ما أعطي بطريق الجزاء. **﴿قال إنما أوتيته على علم﴾**؛ أي: على علم مني بوجوه كسبه. يعني: [وجوه كسب وتحصيل آنرا دانستم وبكياست وكفايت من حاصل شد]. أو بأني سأعطاه لما لي من الفضل والاستحقاق، أو على علم من الله باستحقاقي. يعني: [خدا دانست كه من مستحق اين نعمتم]. والهاء: لما أن جعلت موصولة بمعنى أن الذي أوتيته، وللنعمة إن جاءت كافة، والتذكير لما أن المراد شيء من النعمة وقسم منها، ثم قال تعالى: رداً لما قاله: **﴿بل﴾** [نه جنين است ميكويد]. **﴿هي﴾**؛ أي: النعمة، ويجوز أن يكون تأنيث الضمير باعتبار الخبر، وهو قوله: **﴿فتنة﴾** للإنسان؛ أي: محنة وابتلاء له أيشكر أم

يكفر تقول: فتنت الذهب إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته وتختبره. ﴿ولكن أكثرهم﴾؛ أي: أكثر الناس. ﴿لا يعلمون﴾ أن التخويل استدراج وامتحان.

﴿قد قالها﴾؛ أي: تلك الكلمة، أو الجملة، وهي قوله: ﴿إنما أوتيته على علم﴾. ﴿الذين من قبلهم﴾. وهم قارون وقومه حيث قال: إنما أوتيته على علم عندي، وهم راضون به يعني لما رضي قومه بمقالته جمعوا معه.

وقال بعضهم: يجوز أن يكون جميع من تقدمنا من الخيار والشرار، فيجوز أن يوجد في الأمم المتقدمة من يقول تلك الكلمة غير قارون أيضاً، ممن أبطرته النعمة واغتر بظاهرها. ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ من متاع الدنيا، ويجمعون منه يعني: أن النعمة لم تدفع عنهم النقمة والعذاب، ولم ينفعهم ذلك، يقال: أغنى عنه. كذا إذا كفاه كما في «المفردات».

﴿فأصابهم﴾ [بس رسيد ايشانرا]. ﴿سيئات ما كسبوا﴾ جزاء سيئات أعمالهم وأجزية ما كسبوا وتسميتها سيئات؛ لأنها في مقابلة سيئاتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها.

ففيه رمز إلى أن جميع أعمالهم من قبيل السيئات. والمعنى: أنهم ظنوا أن ما آتيناهم لكرامتهم علينا، ولم يكن كذلك؛ لأنهم وقعوا في العذاب ولم تنفعهم أموالهم، وهذا كما قال اليهود: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]. فقال تعالى خطاباً لحبيبه عليه السلام: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة: ١٨]. يعني: أن المكرم المقرب عند الله لا يعذبه الله، وإنما يعذب الخائن المهين المهان. ثم أوعد كفار مكة، فقال: ﴿والذين ظلموا من هؤلاء﴾ المشركين المعاصرين لك يا محمد، ومن للبيان أو للتبعيض؛ أي: أفرطوا في الظلم والعتوّ. ﴿سيصيبهم سيئات ما كسبوا﴾ من الكفر والمعاصي كما أصاب أولئك والسين للتأكيد وقد أصابهم؛ أي: أصابهم حيث قحطوا سبع سنين وقتل أكابرهم يوم بدر. ﴿وما هم بمعجزين﴾ الله تعالى عن تخلي ذاتهم بحسب أعمالهم وأخلاقهم.

وقال الكاشفي: [عاجز كنند كان مارا از تعذيب يا بيشي كيرند كان برعذاب]. يعني: يدركهم العذاب ولا ينجون منه بالهرب.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿أولم يعلموا﴾. أقالوا ذلك، ولم يعلموا أو أغفلوا، ولم يعلموا. ﴿أن الله يبسط الرزق لمن يشاء﴾ أن يبسط له؛ أي: يوسعه، فإن بسط الشيء نشره وتوسيعه. يعني: [نه براى رفعت قدر او بلكه بمحض مشيت]. ﴿ويقدر﴾ لمن يشاء أن يقدره له؛ أي: يقتر ويضيق له من غير أن يكون لأحد مدخل ما في ذلك، حيث حبس عنهم الرزق سبعاً ثم بسط لهم سبعاً.

وقال الكاشفي: [وننك ميكند برهركه ميخواهد نه براى خوارى وبى مقدارى أو بلكه از روى حكمت].

روي: أنهم أكلوا في سني القحط الجيف والجلود والعظام والعلهز، وهو الوبر بأن يخلط الدم بأوبار الإبل ويشوى على النار، وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء، كالدخان من الجوع، فلم ينفعهم ذلك، حيث أصروا على الكفر والعناد. ﴿إن في ذلك﴾ الذي ذكر من القبض والبسط. ﴿لآيات﴾ دالة على أن الحوادث كافة من الله تعالى بوسط عادي أو غيره. ﴿لقوم يؤمنون﴾ إذ هم المستدلون بتلك الآيات على مدلولاتها.

وفي الآيات فوائد:

منها: إن من خصوصية نفس الإنسان أن تضطرّ إلى الله تعالى بالدعاء والتضرع في الشدة والضر والبلاء، فلا عبرة بهذا الرجوع بالاضطرار إلى الله تعالى؛ لأنه إذا أنعم الله عليه بالخلاص والعافية من تلك الشدة والبلاء أعرض عن الله، ويكفر بالنعمة، ويقول: إن ما أوتيته على علم عندي، وإنما العبرة بالرجوع إلى الله والتعرف إليه في الرخاء كما قال عليه السلام: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

ومنها: أن المدعين يقولون: نحن أهل الله، فإذا وصل إليهم بلاؤه فزعوا إليه ليرفع عنهم البلاء طلباً لراحة أنفسهم، ولا يرون المبلي في البلاء، وهم مشركون في طريق المعرفة، فإذا وصل إليهم نعمة ظاهرة احتجبوا بها، فإذا هم أهل الحجاب من كلا الطرفين احتجبوا بالبلاء عن المبلي وبالنعمة عن المنعم.

قال الجنيد رضي الله عنه: من يرى البلاء ضراً، فليس بعارف، فإن العارف من يرى الضر على نفسه رحمة والضر على الحقيقة ما يصيب القلوب من القسوة والرين والنعمة إقبال القلوب على الله تعالى، ومن رأى النعمة على نفسه من حيث الاستحقاق فقد جحد النعمة.

ومنها: إن أكثر أهل النعمة لا يعلمون فتنة النعمة وسوء عاقبتها وببطر النعمة والاغترار بها تقسو قلوبهم، وتستولي عليهم الغفلة، وتطمئن نفوسهم بها وتنسى الآخرة والمولى.

ومنها: إن نعمة الدنيا والآخرة وسعادتهما، وكذا نقمتهما وشقاوتهما مبنية على مشيئة الله تعالى لا على مشيئة العباد، فالأوجب للمؤمنين أن يخرجوا عن مشيئتهم ويستسلموا لمشيئة الله وحكمه وقضائه:

كليد قدر نيست دردست كس ... توانای مطلق خدايست وبس

قال بعضهم:

هرجه بايد بهر كه ميشايد ... تودهی آنجنا نكه می بايد
توشناسی صلاح كار همه ... كه تويی آفريد كار همه

ومنها: أن ضيق حال اللبيب وسعة حال الأبله دليل على الرزاق وتقديره.

ويرد بهذه الآية على من يرى الغنى من الكيس والفقر من العجز أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: أتدري لم رزقت الأحمق قال: يا رب لا، قال: ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاحتيال، فالكل بيد الله ألا إلى الله تصير الأمور، وبه ظهر فساد قول ابن الراوندي:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة ... وصير العالم النحرير زنديقا

أي: كافراً نافياً للصانع العدل الحكيم قائلاً: لو كان له الوجود لما كان الأمر كذلك، ولقد أحسن من قال:

كم من أديب فهم عقله ... مستكمل العقل مقل عديم
ومن جهول مكثر ماله ... ذلك تقدير العزيز العليم

يعني: أن من نظر إلى التقدير علم أن الأمور الجارية على أهل العالم كلها على وفق الحكمة، وعلى مقتضى المصلحة. ففيه إرشاد إلى إثبات الصانع الحكيم لا إلى نفي وجوده.

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾

﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾.

قال الراغب: السرف تجاوز الحدّ في كل ما يفعله الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر، وقوله تعالى: **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾**. يتناول الإسراف في الأموال، وفي غيرها. انتهى.

وتعدية الإسراف بعلى لتضمين معنى الجناية، والمعنى: أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي وارتكاب الكبائر والفواحش.

قال البيضاوي ومن تبعه: إضافة العباد تخصصه بالمؤمن على ما هو عرف القرآن.

يقول الفقير: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: ٥]. ينادى على خلافه؛ لأن العباد، فسر ها هنا ببخت نصر وقومه، وكانوا كفاراً بالاتفاق إلا أن يدعي الفرق بين الإضافة بالواسطة وبغيرها.

وقال في «الوسيط»: المفسرون كلهم. قالوا: إن هذه الآية نزلت في قوم خافوا إن أسلموا أن لا يغفر لهم ما جنوا من الذنوب العظام كالشرك وقتل النفس والزنا، ومعاداة النبي عليه السلام، والقتال معه، فأنزل الله هذه الآية، وفرح النبي عليه السلام بهذه الآية، ورآها أصحابه من أوسع الآيات في مغفرة الذنوب، انتهى.

وقال في «التكملة» روي: أن وحشياً قاتل حمزة رضي الله عنه كتب إلى النبي عليه السلام يسأله: هل له من توبة؟ وكتب أنه كان قد سمع فيما أنزل الله بمكة من القرآن آيتين أيأستاه من كل خير، وهما قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى قوله: ﴿مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩] فنزلت ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ [مريم: ٦٠] إلخ، فكتب بها رسول الله عليه السلام، فخاف وحشي. وقال لعلي لا أبقى حتى أعمل صالحاً، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ٤٨] الخ. فقال وحشي: إني أخاف أن لا أكون من مشيئة الله، فأنزل الله تعالى: **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾** إلخ، فأقبل وحشي وأسلم. انتهى.

وعلى كل تقدير فخصوص السبب لا ينافي عموم اللفظ، فدخل فيه كل مسرف. **﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾**. القنوط: أعظم اليأس.

وفي «المفردات»: اليأس من الخير. وبالفارسية: [نوميدشدن از خير]. والرحمة من الله تعالى الإنعام والإعطاء والتفضل. وبالفارسية: [بخشايش]، وهو لا يكون في الترتيب الوجودي إلا بعد المغفرة التي هي أن يصون الله عبده من أن يمسه العذاب دل عليه قوله: **﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾**. ولذا قالوا في المعنى: لا تيأسوا من مغفرته أولاً وتفضله ثانياً:

نوميد مشوكه نا اميدى كفراست

[در معالم التنزيل آورده كه ابن مسعود رضي الله عنه در مسجد در آمد ديد كه واعظى ذكر آتش دوزخ وسلاسل وأغلال ميكند فرمود كه اى مذكر جرا نوميد مى كردانى مردمانرا مكر نخواندى آنرا كه ميفرمايد]. **﴿قل يا عبادي الذين﴾** الخ.

واعلم أن القنوط من رحمة الله علامة زوال الاستعداد، والسقوط عن الفطرة بانقطاع الوصلة بين الحق والعبد إذ لو بقي شيء في العبد من نوره الأصلي لأدرك أثر رحمته الواسعة السابقة على غضبه، فرجاء وصول ذلك الأثر إليه لاتصاله بعالم النور بتلك البقية، وإن أسرف وفرط في جنب الله. وأما اليأس، فدليل الاحتجاب الكلي واسوداد الوجه، فالله تعالى يغفر الذنوب جميعاً بشرط بقاء نور التوحيد في القلب، فإذا لم يبق دخل في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]. فالقنوط: من أعظم المصائب. وقد أمهل تعالى عباده تفضلاً منه إلى وقت الغرغرة، فلو رجع العبد إلى الله قبل آخر نفس يتنفسه قبل. ﴿**إن الله يغفر الذنوب**﴾ حال كونها ﴿**جميعاً**﴾؛ كأنه قيل: ما سبب النهي عن القنوط من الرحمة فأجيب بأن سبب النهي هو ﴿**إن الله يغفر الذنوب جميعاً**﴾ عفواً لمن يشاء، ولو بعد حين بتعذيب في الجملة وبغيره حسبما يشاء، فهو وعد بغفران الذنوب، وإن كثرت، وكانت صغائر، أو كبائر بعدد الرمال والأوراق والنجوم ونحوها.

والعموم بمعنى الخصوص؛ لأن الشرك ليس بداخل في الآية إجماعاً، وهي أيضاً في العاصي مقيدة بالمشيئة؛ لأن المطلق محمول على المقيد وسيجيء بقية الكلام على الآية. قال عليه السلام: «إن الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم». وقال عليه السلام: «إن تغفر اللهم، فاغفر جماً، وأي عبد لك لا ألما». يعني: [جون آمر زى خداوندا همه بيامرز وآن كدام بنده است كه او كناه نكرده است].

والفرق بين العفو والمغفرة هو أن حقيقة العفو هو المحو كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]. والتبديل الذي أشير إليه بقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ [الفرقان: ٧٠] هو من مقام المغفرة قاله الشيخ الكبير رضي الله عنه في «شرح الأربعين» حديثاً ثم قال في مقام التعليل. ﴿**إنه**﴾ تعالى ﴿**هو**﴾ وحده ﴿**الغفور الرحيم**﴾. الأول: إشارة إلى محو ما يوجب العقاب. والثاني: إلى التفضل بالثواب وصيغة المبالغة راجعة إلى كثرة الذنوب، وكثرة المغفور والمرحوم.

قال الأستاذ القشيري قدس سره: التسمية بيا عبادي مدح. والوصف بأنهم أسرفوا ذم، فلما قال: يا عبادي طمع المطيعون أن يكونوا هم المقصودين بالآية، فرفعوا رؤوسهم ونكس العاصي رأسه وقال: من أنا، حتى يقول لي هذا، فقال الله تعالى: ﴿**الذين أسرفوا على أنفسهم**﴾، فانقلب الحال، فهؤلاء الذين نكسوا رؤوسهم انتعشوا وزالت زلتهم، والذين رفعوا رؤوسهم أطرقوا وزالت صولتهم، ثم قوي رجاؤهم بقوله على أنفسهم. يعني: إن أسرفت لا تقنط من رحمة الله، بعدما قطعت اختلافك إلى بابنا، فلا ترفع قلبك عناء، والألف واللام في الذنوب للاستغراق، والعموم جميعاً تأكيد له؛ فكأنه قال: أغفر ولا أترك وأعفو ولا أبقي، فإن كانت لكم جناية كثيرة عميمة، فلي بشأنكم عناية قديمة.

وفي «كشف الأسرار»: [بدانكه از آفريد كان حق تعالى كمال كرامت دوكروه راست يكى فرشتكان وديكر آدميان «ولهذا جعل الأنبياء والرسل منهم دون غيرهم» وغايت شرف إنساني دردو جيزاست در عبوديت ودرمحبت عبوديت محض صفت فرشتكانست وعبوديت ومحبت هر دوصفت آدميان است فرشتكانرا عبوديت محض دادكه صفت خلق است وآدميانرا بعد از عبوديت خلعت محبت داد كه صفت حق است تا از بهر اين امت ميكويد ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾

[المائدة: ٥٤] ودر عبوديت نيز آدميانرا فضل داد برفر شتكانكه عبوديت فرشتكان بى اضافت كفت ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] وعبوديت آدميان باضافت كفت ﴿يا عبادي﴾ آنكه بر مقتضاى محبت فضل خود برايشان تمام كرد وعيبها ومعصيتهاى ايشان بأنوار محبت بيوشيد وبرده ايشان ندريد نه بينى كه زلت برايشان قضا كرد وبآن همه زلات نام عبوديت از ايشان نيفكند وباذ كرزلت ومعصيت تشريف اضافت از ايشان باز نستد كفت ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ وآنكه برده ايشان نكاه داشت كه عين كناهان اظهار نكرد بلكه مجمل ياد كرد سربسته وعين آن بوشيده كفت ﴿أسرفوا﴾ إسراف كردند كزاف كردند از بهر آنكه درارادت وى مغفرت ايشان بودنه برده دريد نه اسم عبوديت بيفكد «سبحانه ما أرأفه بعباده» موسى عليه السلام كفت «إلٰهي تريد المعصية من العباد وتبغضها» كفت «يا موسى ذاك تأسيس لعفوي» يعني: معصيت بندكان بارادت تست آنكه آنرا دشمن ميدارى وبنده را بمعصيت دشمن ميكيرى حق جل جلاله كفت آن بنياد عفو وكرم خويش است كه مى نهم خزينه رحمت ما براست اكر عاصيان نباشند ضايع ماند].

قال الكاشفي: [بيمارستان جرم وعصيا نرا شربت راحت جز درين دار الشفا حاصل نشود وسر كردانان بيابان نفس وهوارا زاد طريق نجات جز بمدد آن آيت ميسر نكردد]:

ندارم هيج كونه توشه راه ... بجز لا تقنطوا من رحمة الله
تو فر مودى كه نوميدى مياريد ... زمن لطف وعنايت جشم داريد
بدين معنى بسى اميد واريم ... ببخشا زانكه بس اميد داريم
اميد دردمندانرا دوا كن ... دل اميد وارنرا روا كن

وقال المولى الجامي قدس سره:

بلى نبود درين ره نا اميدى ... سياهى را بود رو در سفيدى
زصد دردى كراميدت نيابد ... بنو ميدى جكر خوردن نشايد
درديكر ببايد زدكه نا كاه ... ازان در سوى مقصود آورى راه

قال عليه السلام: «ما أحب أن تكون لي الدنيا وما فيها بها»؛ أي: ما أحب أن أملك الدنيا وما فيها، بدل هذه الآية، فالباء في بها للبدلية والمقابلة. وبالفارسية: [دوست نمى دارم كه دنيا وما فيها مرا باشد بعوض اين آيت جه اين آيت ازدنيا وهرجه دردنيا باشد بهتر است].

وذلك لأن الله تعالى منّ على من أسرف من عباده، ووعد لهم مغفرة ذنوبهم جميعاً ونهاهم أن يقنطوا من رحمته الواسعة.

واعلم أن الآية لا تدل على غفران جميع الذنوب لجميع الناس، بل على غفران جميع ذنوب من شاء الله غفران ذنوبه، فلا تنافي الأمر بالتوبة وسبق تعذيب العصاة، والأمر بالإخلاص في العمل والوعيد بالعذاب، فالله تعالى لا يغفر الشرك إلا بالتوبة والرجوع عنه، ويغفر ما دون ذلك من الصغائر والكبائر بالتوبة وبدونها لمن يشاء لا لكل أحد من أهل الذنوب.

روي: أن ابن مسعود رضي الله عنه. قرأ هذه الآية إن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء، فحمل المطلق على المقيد، وذلك لأنه لا يجري في ملكه إلا ما يشاء.

يقول الفقير: إن أهل السنة لم يشترطوا التوبة في غفران الذنوب مطلقاً؛ أي: سواء كانت

صغائر أو كبائر سوى الشرك ودل عليه آثار كثيرة.

روي: أن الله تعالى يقول يوم القيامة لبعض عصاة المؤمنين: سترتها عليك في الدنيا؛ أي: الذنوب وأنا أغفرها لك اليوم، فهذا وأمثاله يدل على المغفرة بلا توبة.

والفرق بين الشرك وسائر المعصية هو أن الكافر لا يطلب العفو والمغفرة لمعاصيه. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٧]. إنما هو بالنسبة إلى حال الغرغرة، فالشرك وسائر المعاصي لا يغفر في تلك الحال، وإن وجدت التوبة. وهذا لا ينافي المغفرة بدون التوبة بالنسبة إلى المعاصي سوى الشرك، فإن مغفرته مخالفة للحكمة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها، وهو يمص أن تصيبه»، فهذا مما يدل على كمال الرجاء والبشارة للمسلمين؛ لأنه حصل في هذه الدار من رحمة واحدة ما حصل من النعم الظاهرة والباطنة، فما ظنك بمائة رحمة في الدار الآخرة.

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: في كتاب الله كنوز موجبة للعفو عن جميع المؤمنين. منها: قوله تعالى: **﴿قل يا عبادي﴾** إلخ.

ولذا قال العلماء: أرجى آية في القرآن لأهل التوحيد هذه الآية. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. وقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥]، وذلك أن كل نبي مرسل مظهر لبعض أحكام الرحمة، ولذا كانت رسالته مقيدة ومقصورة على طائفة مخصوصة، ولما كان نبينا عليه السلام مظهر حقيقة الرحمة كانت بعثته عامة. وقيل فيه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وتم ظهور حكم رحمانيته بالشفاعة التي بها تظهر سيادته على جميع الناس حتى أن من يكون له درجة الشفاعة من الملائكة والأنبياء والمؤمنين لايشفعون إلا بعده، فلا تقنطوا أيتها الأمة المرحومة من رحمة الله المطلقة، إن الله يغفر الذنوب جميعاً بشفاعة من هو مظهر تلك الرحمة. قال الجامي:

زمهجورى بر آمد جان عالم ... ترحم يا نبي الله ترحم
اكرجه غرق دريای كناهم ... فتاده خشك لب برخاك راهيم
توابر رحمتى آن به كه كناهى ... كنى درحال لب خشكان نكاهى

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٥٥﴾.

﴿وأنيبوا﴾ يا عبادي **﴿إلى ربكم﴾**؛ أي: ارجعوا إلى ربكم بالتوبة من المعاصي. **﴿وأسلموا له﴾**؛ أي: أخلصوا العمل لوجهه، فإن السالم بمعنى الخالص. **﴿من قبل أن يأتيكم العذاب﴾** في الدنيا والآخرة. **﴿ثم لا تنصرون﴾** لا تمنعون من عذاب الله إن لم تتوبوا قبل نزوله.

يعني: [هيجكس دردفع عذاب شما نصرت ندهد].

والظاهر من آخر الآية أن الخطاب للكفار، فالمعنى: فارجعوا أيها الناس من الشرك إلى الإيمان وأخلصوا له تعالى التوحيد.

قال سيد الطائفة الجنيد قدس سره: انقطعوا عن الكل بالكلية، فما يرجع إلينا بالحقيقة أحد وللغير عليه أثر، وللأكوان على سره خطر، ومن كان لنا حراً مما سوانا.

وفي «الأسئلة المقحمة»: الفرق بين التوبة والإنابة أن التائب يرجع إلى الله خوفاً من العقوبة والمنيب يرجع حياء منه وشوقاً إليه.

قال إبراهيم بن أدهم قدس سره: إذا صدق العبد في توبته صار منيباً؛ لأن الإنابة ثاني درجة التوبة.

وفي «التأويلات النجمية»: التوبة لأهل البداية، وهي الرجوع من المعصية إلى الطاعة، ومن الأوبة للمتوسط، وهي الرجوع من الدنيا إلى الآخرة. ومن الإنابة لأهل النهاية، وهي الرجوع مما سوى الله إلى الله بالفناء في الله.

قال في «كشف الأسرار». [انابت برسه قسم است. يكى انابت بيغمبران كه نشانش سه جيزاست بيم داشتن با بشارت آزادى وخدمت كردن باشرف بيغمبرى وباز بلاكشيدن باد لهاى برشادى وجز از بيغمبران كس را طاقت اين انابت نيست. دوم انابت عارفا نست كه نشانش سه جيزاست از معصيت بدر بودن واز طاعت خجل بودن ودرخلوت باحق انس داشتن رابعة عدوية درحالت انس بجايى رسيدكه ميكفت «حسبي من الدنيا ذكرك ومن الآخرة رؤيتك» عزيزى كفت از سرحالت آتش خويش وديكرا نرا بندمى داد]:

اكر در قصر مشتاقان ترا يك روز بارستى ترابا اند هان عشق اين جاد وجه كارستى
وكر رنكى زكلزار حديث أوبديدى تو بجشم توهمه كلها كه درباغست خارستى

[سوم انابت توحيداست كه دشمنانرا وبيكا نكانرا با آن خواند كفت **﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له﴾** ونشان اين انابت آنست كه باقرار زبان وإخلاص دل خدايرا يكى داند ودر ذات بى شبيه ودر قدر بى نظير ودر صفات بيهمتا. كفته اند توحيد دوبابست توحيد اقراركه عامة مؤمنا نراست بظاهر آيد تازبان ازو خبر دهد واهل اين توحيدرا دنيا منزل وبهشت مطلوب ودوم توحيد معرفت كه عارفان وصديقا نراست بجان آيد تاوقت وحال ازو خبر دهد واهل اين توحيدرا بهشت منزل ومولى مقصود]:

وأسكر القوم دور كأس وكان سكرى من المدير

[آن كس راكه كاربا كل افتد كل بويد وآنكس كه كارش باباغبان افتد بوسه برخار زند جنانكه جوانمرد كفت].

از براى آنكه كل شاكر درنك روى اوست كر هزارت بوسه شد بر شريك خارزن

﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾؛ أي: القرآن كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، أو العزائم دون الرخص.

قال البيضاوي ومن تبعه: ولعله ما هو أنجى وأسلم، كالإنابة والمواظبة على الطاعة.

وقال الحسن: الزموا طاعته واجتنبوا معصيته، فإن الذي أنزل عليكم من ثلاثة أوجه: ذكر القبيح لتجتنبوه، وذكر الأحسن لتؤثروه، وذكر الأوسط لئلا يكون عليكم جناح في الإقبال عليه، أو الإعراض عنه، وهو المباحات.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن ما أنزل الله منه ما يكون حسناً، وهو ما يدعو به إلى الله. قال الله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤٦]. ﴿**من قبل أن يأتيكم العذاب**﴾؛ أي: البلاء والعقوبة. ﴿**بغتة**﴾. [ناكهان].

قال الراغب: البغتة مفاجأة الشيء من حيث لا يحتسب، ويجوز أن يكون المراد بالعذاب الآتي بغتة هو الموت؛ لأنه مفتاح العذاب الأخروي، وطريقه ومتصل به. ﴿**وأنتم**﴾ لغفلتكم. ﴿**لا تشعرون**﴾ لا تدركون بالحواس مجيئه لتتداركوا وتتأهبوا. وبالفارسية: [وشما نمى دانيد آمدن اورا تادر مقام تدارك وتأهب آييد].

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿**أن تقول نفس**﴾. مفعول له للأفعال السابقة التي هي الإنابة والإخلاص، واتباع القرآن والتنكير؛ لأن القائل بعض الأنفس، أو للتكثير والتعميم ليشيع في كل النفوس. والمعنى: افعلوا ما ذكر من المأمورات، يعني: أمرتكم به كراهة أن تقول كل نفس. وبالفارسية: [ومباداكه هركس كويا فردا ازشما]. ﴿**يا حسرتا**﴾ بالألف بدلاً من ياء الإضافة إذ أصله: يا حسرتي. تقول العرب: يا حسرتي، يا لهفي، ويا حسرتا، ويا لهفا، ويا حسرتاي، ويا لهفاي بالجمع بين العوضين. تقول هذه الكلمة في نداء الاستغاثة كما في «كشف الأسرار».

والحسرة: الغم على ما فاته والندم عليه؛ كأنه انحسر الجهل عنه الذي حمله على ما ارتكبه.

وقال بعضهم: الحسرة أن تأسف النفس أسفاً تبقى منه حسيراً؛ أي: منقطعة. والمعنى: يا حسرتي وندامتي احضري، فهذا أوان حضورك. وبالفارسية: [اى بشيمانى من]. ﴿**على ما فرطت**﴾؛ أي: على تفريطي وتقصيري، فما مصدرية.

قال الراغب: الإفراط أن يسرف في التقدم. والتفريط أن يقصر فإن الفرط المتقدم. ﴿**في جنب الله**﴾ في جانبه، وهو طاعته وإقامة حقه وسلوك طريقه.

قال في «كشف الأسرار» العرب تسمي الجانب جنباً. [اين كلمه برزبان عرب بسيار بود وجنانست كه مردمان كويند در جنب فلان توانكر شدم از بهلوى فلان مال بدست آوردم].

وقال الراغب: أصل الجنب الجارحة جمعه جنوب، ثم استعير في الناحية التي تليها كاستعارة سائر الجوارح لذلك نحو اليمين والشمال. وقيل: جنب الحائط وجانبه. وقوله: في جنب الله؛ أي: في أمره وحده الذي حده لنا. انتهى.

﴿**وإن كنت لمن الساخرين**﴾: إن هي المخففة واللام هي الفارقة. والسخر: الاستهزاء، ومحل الجملة النصب على الحال. والمعنى فرطت، والحال: أني كنت في الدنيا من المستهزئين بدين الله وأهله.

قال قتادة: لم يكفهم ما ضيعوا من طاعة الله حتى سخروا بأهل طاعته. در سلسلة الذهب فرمود:

روز آخر كه مرك مردم خوار ... كند از خواب غفلتش بيدار
يادش آيدكه در جوار خداى ... سالها زد بجرم وعصيان واى
هرجه درشصت سال يا هفتاد ... كرده از خير وشربيش افتاد

يك بيك بيش جشم او آرند آشكارا بروى اودارنند
بكذرانند زكنبد والا بانك واحسرتا ووا ويلا
حسرت ازجان اوبر آرد دود وان زمان حسرتش ندارد سود

قال الفارسي: يقول الله تعالى: من هرب مني أحرقته؛ أي: من هرب مني إلى نفسه أحرقته بالتأسف على فوتي إذا شهد غداً مقامات أرباب معارفي يدل عليه قوله: يا حسرتا إلخ إذ لا يقوله إلا متحرق.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿أو تقول لو أن الله هداني﴾ بالإرشاد إلى الحق. **﴿لكنت من المتقين﴾** من الشرك والمعاصي. وفي الخبر: «ما من أحد من أهل النار يدخل النار حتى يرى مقعده من الجنة، فيقول: لو أن الله هداني لكنت من المتقين». فيكون عليه حسرة.

﴿أو تقول حين ترى العذاب﴾. عياناً ومشاهدة. **﴿لو أن لي﴾**. لو: للتمني [اى كاشكى مرابودى]. **﴿كرة﴾** رجعة إلى الدنيا يقال: كر عليه عطف، وعنه رجع. والكرة المرة. والجملة كما في «القاموس». **﴿فأكون﴾** بالنصب جواب التمني، يعني: [تاباشم آنجا]. **﴿من المحسنين﴾**. في العقيدة والعمل وأو للدلالة على أنها لا تخلو عن هذه الأقوال تحيراً وتعللاً بما لا طائل تحته وندماً، حيث لا ينفع. وقيل: إن قوماً يقولون: هذا. وقوماً يقولون: ذاك.

﴿بلى﴾ يعني: [ترا ارشاد كردند].

إن قلت: كلمة بلى مختصة بإيجاب النفي، ولا نفي في واحدة من تلك المقالات.

قلت: إنها رد للثانية، وكلمة لو تتضمن النفي، لأنها لامتناع الثاني لامتناع الأول؛ أي: لو أن الله هداني لكنت من المتقين، ولكن ما هداني، فقال تعالى: بلى، قد هديتك و**﴿قد جاءتك آياتي﴾**: آيات القرآن، وهي سبب الهداية، وفصله عن قوله: **﴿لو أن الله هداني﴾** لما أن تقديمه على الثالث يفرق القرائن الثلاث التي دخلها، أو وتأخير لو أن الله هداني. إلخ. يخل بالترتيب الوجودي؛ لأنه يتحسر بالتفريط عند تطاير الكتب، ثم يتعلل بفقد الهداية عند مشاهدة أحوال المتقين واغتباطهم، ثم يتمنى الرجعة عند الاطلاع على النار، ورؤية العذاب، وتذكير الخطاب باعتبار المعنى، وهو الإنسان.

وروي: أن النبي عليه السلام قرأ قد جاءتك بالتأنيث، وكذا ما بعدها خطاباً للنفس. **﴿فكذبت بها﴾**. قلت: إنها ليست من الله. **﴿واستكبرت﴾** تعظمت عن الإيمان بها. **﴿وكنت من الكافرين﴾** بها.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿بلى قد جاءتك آياتي﴾** من الأنبياء ومعجزاتهم والكتب وحكمها ومواعظها وأسرارها وحقائقها ودقائقها وإشاراتها. **﴿فكذبت بها واستكبرت﴾** عن اتباعها والقيام بشرائطها. **﴿وكنت من الكافرين﴾**؛ أي: كافري النعمة بما أنعم الله به عليك من نعمة وجود الأنبياء، وإنزال الكتب وإظهار المعجزات.

قالت المعتزلة: هذه الآيات الثلاث تدل على أن العبد مستقل بفعله من وجوه:

الأول: أن المرء لا يتحسر بما سبق منه إلا إذا كان يقدر على أن يفعل.

والثاني: أن من لا يكون الإيمان بفعله لا يكون مفرطا فيه.

والثالث: أنه لا يستحق الذم بما ليس من فعله.

والجواب: أن هذه الآيات لا تمنع تأثير قدرة الله تعالى في فعل العبد ولا ما فيه إسناد الفعل إلى العبد حيث قال: ﴿بلى قد جاءتك﴾ إلخ. ونحو قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النحل: ٩٣] يدل على بطلان مذهبهم.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿**ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله**﴾؛ بأن وصفوه بما لا يليق بشأنه كاتخاذ الولد والصاحبة والشريك. ﴿**وجوههم مسودة**﴾ مبتدأ وخبر. والجملة حال قد اكتفي فيها بالضمير عن الواو على أن الرؤية بصرية، أو مفعول ثان لها على أنها عرفانية.

والمعنى: تراهم حال كونهم أو تراهم مسودة الوجوه بما ينالهم من الشدة، أو بما يتخيل من ظلمة الجهل. وبالفارسية: [رويهاى ايشان سياه كرده شد بيش از دخول دوزخ وآن علامت دوز خيانست كه]. ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ﴾ [الرحمٰن: ٤١].

سئل الحسن عن هذه الآية. ﴿**ويوم القيامة**﴾ إلخ. فقال: هم الذين يقولون الأشياء إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن يوم القيامة تكون الوجوه بلون القلب، فالقلوب الكاذبة لما كانت مسودة بسواد الكذب وظلمته تلونت وجوههم بلون القلوب.

قال يوسف بن الحسين رحمه الله: أشد الناس عذاباً يوم القيامة من ادعى في الله ما لم يكن له ذلك، أو أظهر من أحواله ما هو خال عنها. ﴿**أليس في جهنم**﴾ . [آيانيست در دوزخ يعنى هست]. ﴿**مثوى**﴾ مقام. ﴿**للمتكبرين**﴾ عن الإيمان والطاعة.

وفي «التأويلات النجمية»؛ أي: الذين تكبروا على أولياء الله، وامتنعوا عن قبول النصح والموعظة.

﴿**وينجي الله الذين اتقوا**﴾ الشرك والمعاصي؛ أي: من جهنم. ﴿**بمفازتهم**﴾ مصدر ميمي بمعنى الفوز: من فاز بالمطلوب؛ أي: ظفر به.

قال الراغب: الفوز الظفر مع حصول السلامة. والباء: متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمفازة تنجيتهم من العذاب لنيل الثواب؛ أي: ينجيهم من مثوى المتكبرين حال كونهم ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذي هو الجنة. ﴿**لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون**﴾ . حال أخرى من الموصول مفيدة لكون نجاتهم وفوزهم بالجنة غير مسبوقة بمساس العذاب والحزن.

قال في «كشف الأسرار» لا يمس أبدانهم أذى. وقلوبهم حزن، ويجوز أن تكون المفازة من فاز منه؛ أي: نجا منه. والباء للملابسة. وقوله تعالى: ﴿**لا يمسهم**﴾ إلخ. تفسير وبيان

لمفازتهم؛ أي: ينجيهم بسبب مفازتهم التي هي تقواهم، كما يشعر به إيراده في حيز الصلة، وإما على إطلاق المفازة على سببها الذي هو التقوى، فليس المراد نفي دوام المساس، والحزن بل دوام نفيهما.

وفي الآية إشارة إلى أن الذين اتقوا بالله عما سوى الله لا يمسهم سوء القطيعة والهجران ولا هم يحزنون على ما فاتهم من نعيم الدنيا والآخرة، إذ فازوا بقربة المولى، وهو فوز فوق كل فوز، فالمتقون فازوا بسعادة الدارين اليوم عصمة وغداً رؤية واليوم عناية وغداً كفاية وولاية. نسأل الله سبحانه أن يعصمنا مما يؤدي إلى الحجاب، ويجعلنا في حمايته في كل باب.

وفي الآية ترغيب للتقوى؛ فإنها سبب للنجاة وبها تقول جهنم: جز يا مؤمن، فإن نورك أطفأ ناري، وبها يخاف الخلائق من المتقي. ألا ترى أن رسول الروم لما دخل على أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أخذته الرعدة والخوف. قال في المثنوي:

هيبت حقست اين از خلق نيست هيبت اين مرد صاحب دلق نيست
هركه ترسيد ازحق وتقوى كزيد ترسد ازوى جن وانس وهركه ديد

وفي «البستان»:

توهم كردن از حكم داور مبيج كه كردن نبيجد زحكم توهيج
محالست جون دوست داردترا كه دردست دشمن كذار دترا

وجاء إلى ذي النون المصري رحمه الله بعض الوزراء وطلب الهمة، وأظهر الخشية من السلطان، فقال له: لو خشيت أنا من الله كما تخشى أنت من السلطان، لكنت من جملة الصديقين:

كرنبودى اميد راحت ورنج باى درويش بر فلك بودى
ور وزير از خدا بترسيدى همجنان كز ملك ملك بودى

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا مخلصين له.

﴿**الله خالق كل شيء**﴾. من خير وشر وإيمان وكفر، لكن لا بالجبر، بل بمباشرة الكاسب لأسبابها.

قال في «التأويلات النجمية»: دخل أفعال العباد وأكسابهم في هذه الجملة، ولا يدخل هو، وكلامه فيها، لأن المخاطب لا يدخل تحت الخطاب، ولأنه تعالى يخلق الأشياء بكلامه، وهو كلمة كن. ﴿**وهو على كل شيء وكيل**﴾ يتولى التصرف فيه كيفما يشاء. والوكيل: القائم على الأمر الزعيم بإكماله، والله تعالى هو المتكفل بمصالح عباده، والكافي لهم في كل أمر، ومن عرف أنه الوكيل اكتفى به في كل أمره، فلم يدبر معه، ولم يعتمد إلا عليه.

وخاصية هذا الاسم نفي الحوائج والمصائب، فمن خاف ريحاً، أو صاعقة، أو نحوهما، فليكثر منه، فإنه يصرف عنه، ويفتح له أبواب الخير والرزق.

﴿**له مقاليد السماوات والأرض**﴾. جمع مقليد أو مقلاد، وهو المفتاح، أو جمع إقليد على الشذوذ كالمذاكير جمع: ذكر، وإلا ينبغي أن يجمع على أقاليد. والإقليد: بالكسر معرب كليد، وهو في الفارسي بمعنى: المفتاح في العربي، وإن كان شائعاً بين الناس، بمعنى الفعل.

والمعنى: له تعالى وحده مفاتيح خزائن العالم العلوي والسفلي لا يتمكن من التصرف

فيها غيره. وبالفارسية: [مرور است كليدهاى خزائن آسمان وزمين يعني مالك أمور علوى وسفلى است وغير اورا تصر في در آمن ممكن نيست همجنانكه دخل در خزينها متصور نيست مكر كسى راكه مفاتيح آن بدست اوست].

وعن عثمان رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن المقاليد، فقال: «تفسيرها: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، وأستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، بيده الخير يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير».

والمعنى: على هذا أن لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد بها، وهي مفاتيح خير السماوات والأرض من تكلم بها أصابه. يعني: [اين كلمات مفاتيح خيرات آسمان وزمينست هركه بدان تكلم كند بنقود فيوض آن خزائن برسد وكفته اند خزائن آسمان بارانست وخزائن زمين كياه وكليد اين خزينها بدست تصرف اوست هركاه خواهد باران فرستد وهرجه خواهد ازنباتات برو‌ياند].

وفي الخبر أن رسول الله عليه السلام، قال: أتيت بمفاتيح خزائن الأرض، فعرضت عليّ، فقلت: لا بل أجوع يوماً وأشبع يوماً». قال الصائب:

افتد هماى دولت اكر در كمندما   از همت بلند رها ميكنيم ما

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن له مفاتيح خزائن لطفه، وهي مكنونة في سماوات القلوب، وله مفاتيح خزائن قهره، وهي مودعة في أرض النفوس، يعني: لا يملك أحد مفاتيح خزائن لطفه وقهره، إلا هو، وهو الفتاح، وبيده المفتاح يفتح على من يشاء خزائن لطفه في قلبه، فيخرج ينابيع الحكمة منه، وجواهر الأخلاق الحسنة، ويفتح على من يشاء أبواب خزائن قهره في نفسه، فيخرج عيون المكر والخدع والحيل منها، وفنون الأوصاف الذميمة، ولهذا السر قال ﷺ: «مفتاح القلوب لا إله إلا الله». ولما سأله عثمان رضي الله عنه عن تفسير مقاليد السماوات والأرض، قال: «لا إله إلا الله، والله أكبر» إلخ.

﴿**والذين كفروا بآيات الله**﴾ التنزيلية والتكوينية المنصوبة في الآفاق والأنفس. ﴿**أولئك هم الخاسرون**﴾، خسراناً لا خسار وراءه؛ لأنهم اختاروا العقوبة على الثواب وفتحوا أبواب نفوسهم بمفتاح الكفر والنفاق، نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن ربحت تجارته لا ممن خسرت صفقته.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿**قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون**﴾؛ أي: أبعد مشاهدة هذه الآيات، فغير الله أعبد تأمرونني بذلك أيها الجاهلون، وتأمروني اعتراض للدلالة على أنهم أمروه عقيب ذلك، بأن يعبد غير الله وقالوا: استلم آلهتنا نؤمن بإلهك لفرط غباوتهم، وأصله تأمرونني بإظهار النونين، ثم أدغمت أولاهما، وهي علم الرفع في الثانية، وهي للوقاية. وقد قرأ ابن عامر على الأصل؛ أي: بإظهارها، ونافع بحذف الثانية؛ فإنها تحذف كثيراً.

﴿**ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك**﴾؛ أي: من الرسل عليهم السلام. ﴿**لئن أشركت**﴾ فرضاً. وبالفارسية: [اكر شرك آرى] وإفراد الخطاب باعتبار كل واحد ﴿**ليحبطن**

عملك﴾؛ أي: ليبطلن ثواب عملك وإن كنت كريماً عليَّ **﴿ولتكونن من الخاسرين﴾** في صفقتك بسبب حبوط عملك واللام الأولى موطئة للقسم، والأخريان للجواب، وهو كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج الرسل وإقناط الكفرة والإيذان بغاية شناعة الإشراك وقبحه، وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن أن يباشره، فكيف بمن عداه.

قال التفتازاني: فالمخاطب هو النبي عليه السلام، وعدم إشراكه مقطوع به لكن جيء بلفظ الماضي إبرازاً للإشراك في معرض الحاصل على سبيل الفرض، والتقدير: تعريضاً لمن صدر عنهم الإشراك بأنه قد حبطت أعمالهم، وكانوا من الخاسرين.

وقال في «كشف الأسرار» هذا خطاب مع الرسول عليه السلام، والمراد به غيره.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا أدب من الله لنبيه عليه السلام وتهديد لغيره؛ لأن الله تعالى قد عصمه من الشرك ومداهنة الكفار.

وقال الكاشفي: [واضح آنست كه مخاطب بحسب ظاهر بيغمبر انند وازروى حقيقت افراد مسلمانان امت ايشان هريك رامى فرمايد كه اكر شرك آرى هر آينه تباه كردد كردار توكه دروقت ايمان واقع شده وهر آينه باشى از زيانكاران كه بعد ازوقت دولت دين بنكبت شرك مبتلى كردد].

قال ابن عطاء: هذا شرك الملاحظة والالتفات إلى غيره، وإطلاق الإحباط من غير تقييد بالموت على الكفر يحتمل أن يكون من خصائصهم؛ لأن الإشراك منهم أشد وأقبح، وأن يكون مقيداً بالموت كما صرح به في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧]، فيكون حملاً للمطلق على المقيد، فمذهب الشافعي أن نفس الكفر غير محبط عنده، بل المحبط الموت على الكفر. وأما عند غيره، فنفس الكفر محبط سواء مات عليه أم لم يمت.

وفي «المفردات»: حبط العمل على أضرب:

أحدها: أن تكون الأعمال دنيوية، فلا تغني عن الآخرة غناء كما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

والثاني: أن تكون أعمالاً أخروية لكن لم يقصد صاحبها بها وجه الله تعالى كما روي: «يؤتى برجل يوم القيامة، فيقال له: بم كان اشتغالك، فيقول بقراءة القرآن، فيقال له: كنت تقرأ ليقال: فلان قارىء. وقد قيل ذلك، فيؤمر به إلى النار».

والثالث: أن تكون أعمالاً صالحة، لكن بإزائها سيئات تربى عليها. وذلك هو المشار إليه بخفة الميزان. انتهى.

وعطف الخسران على الحبوط من عطف المسبب على السبب.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الإنسان، ولو كان نبياً لئن وكل إلى نفسه ليفتحن بمفتاح الشرك والرياء أبواب خزائن قهر الله على نفسه، وليحبطن عمله بأن يلاحظ غير الله بنظر المحبة، ويثبت معه في الإبداع سواه.

﴿بل الله فاعبد﴾. رد لما أمروه، ولولا دلالة التقديم على القصر، لم يكن كذلك، والفاء: جواب الشرط المحذوف، تقديره: لا تعبد ما أمرك الكفار بعبادته، بل إن عبدت، فاعبد الله، فحذف الشرط وأقيم المفعول مقامه. **﴿وكن من الشاكرين﴾** إنعامه عليك. ومن

جملته التوحيد والعبادة، وكذا النبوة والرسالة الحاصلتان بفضله وكرمه لا بسعيك وعملك.

واعلم أن الشكر على ثلاث درجات:

الأولى: الشكر على المحاب، وقد شاركت المسلمين في هذا الشكر اليهود والنصارى والمجوس.

والثانية: الشكر على المكاره. وهذا الشاكر أول من يدعى إلى الجنة؛ لأن الجنة حفت بالمكاره.

والثالثة: أن لا يشهد غير المنعم، فلا يشهد النعمة والشدة. وهذا الشهود والتلذذ به أعلى اللذات؛ لأنه في مقام السر.

فالعاقل يجتهد في الإقبال على الله، والتوجه إليه من غير التفات إلى يمين وشمال.

روي: أن ذا النون المصري قدس سره: أراد التوضؤ من نهر فرأى جارية حسناء، فقالت لذي النون: ظننتك أولاً عاقلاً، ثم عالماً، ثم عارفاً، ولم تكن كذلك؛ أي: لا عاقلاً ولا عالماً ولا عارفاً. قال ذو النون: ولم قالت: فإن العاقل لا يكون بغير وضوء لعلمه بفضائله، والعالم لا ينظر إلى الحرام، فإن العالم لا بد وأن يكون عاملاً، والعارف لا يميل إلى غير الله، فإن مقتضى العرفان أن لا يختار على المحبوب الحقيقي سواه لكون حسنه من ذاته، وحسن ما سواه مستفاداً منه، والغير وإن كان مظهراً لتجليه، ولكن النظر إليه قيد والحضور في عالم الإطلاق هو التفريد الذي هو تقطيع الموحد عن الأنفس والآفاق:

خداست درد وجهان هست جاودان جامى   ومـا سـواه خـيـال مـزخـرف بـاطـل

نسأل الله سبحانه هذا التوحيد الحقيقي.

روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن حبراً من اليهود أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: يا محمد أشعرت أن الله يضع يوم القيامة السماوات على أصبع والأرضين على أصبع. والجبال على أصبع. والماء والثرى والشجر على أصبع وجميع الخلائق على أصبع ثم يهزهنّ. ويقول: أنا الملك اين الملوك، فضحك رسول الله عليه السلام تعجباً منه وتصديقاً له، فأنزل الله هذه الآية، وهي قوله تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾. القدر بمعنى: التعظيم، كما في «القاموس». فالمعنى: ما عظموا الله حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكاً بما لا يليق بشأنه العظيم.

ويقال: قدر الشيء قدره من التقدير كما في «المختار». فالمعنى: ما قدروا عظمته تعالى في أنفسهم حق عظمته.

وقال الراغب في «المفردات»: ما عرفوا كنهه.

يقول الفقير: هذا ليس في محله، فإن الله تعالى، وإن كان لا يعرف حق المعرفة بحسب كنهه، ولكن تتعلق به تلك المعرفة بحسبنا. فالمعنى ها هنا: ما عرفوا الله حق معرفته بحسبهم لا بحسب الله إذ لو عرفوه بحسبهم ما أضافوا إليه الشريك ونحوه فافهم.

وفي «التأويلات النجمية»: ما عرفوا الله حق معرفته وما وصفوه حق وصفه، وما عظموه حق

تعظيمه، فمن اتصف بتمثيل أو جنح إلى تعطيل حاد عن ألسنة المثلى، وانحرف عن الطريقة الحسنى وصفوا الحق بالأعضاء، وتوهموا في نعته الأجزاء، فما قدروا الله حق قدره، انتهى.

﴿والأرض جميعاً﴾: حال لفظاً وتأكيد معنى، ولذا قال أهل التفسير: تأكيد الأرض بالجميع؛ لأن المراد بها: الأرضون السبع، أو جميع أبعاضها البادية. والغائرة؛ أي: الظاهرة وغير الظاهرة من باطنها وظاهرها ووسطها. قوله: والأرض مبتدأ خبره قوله: **﴿قبضته يوم القيامة﴾**. القبضة المرة من القبض، أطلقت بمعنى القبضة، وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضته.

وفي «المفردات»: القبض التناول بجمع الكف نحو قبض السيف، وغيره ويستعار القبض لتحصيل الشيء، وإن لم يكن فيه مراعاة الكف، كقولك: قبضت الدار من فلان؛ أي: حزتها. قال الله تعالى: **﴿والأرض جميعاً قبضته﴾**؛ أي: في حوزه حيث لا تمليك للعبد. انتهى.

تقول للرجل: هذا في يدك، وفي قبضتك؛ أي: في ملكك، وإن لم يقبض عليه بيده.

والمعنى: والأرض جميعاً مقبوضة يوم القيامة؛ أي: في ملكه وتصرفه من غير منازع يتصرف فيها تصرف الملاك في ملكهم؛ وأنها؛ أي: جميع الأرضين، وإن عظمن، فما هن بالنسبة إلى قدرته تعالى إلا قبضة واحدة.

ففيه تنبيه على غاية عظمته، وكمال قدرته وحقارة الأفعال بالنسبة إلى قدرته ودلالة على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة حقيقة، ولا مجازاً على ما في «الإرشاد» ونحوه. وعلى هذه الطريقة قوله تعالى: **﴿والسماوات﴾** مبتدأ **﴿مطويات﴾** خبره **﴿بيمينه﴾** متعلق بمطويات؛ أي: مجموعات ومدرجات من طويت الشيء طياً؛ أي: أدرجته إدراجاً، أو مهلكات من الطي بمعنى مضى العمر، يقال: طوى الله عمره. وقوله: بيمينه؛ أي: بقوته واقتداره، فإنه يعبر بها عن المبالغة في الاقتدار؛ لأنها أقوى من الشمال في عادة الناس كما في «الأسئلة المقحمة».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما السماوات السبع والأرضون السبع في يد الله إلا كخردلة في يد أحدكم.

قال بعضهم: الآية من المتشابهات، فلا مساغ لتأويلها وتفسيرها غير الإيمان بها كما قال تعالى: **﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾** [آل عمران: ٧].

وقال أهل الحقيقة: المراد بهذه القبضة، هي: قبضة الشمال المضاف إليها القهر والغضب ولوازمهما وعالم العناصر، وما يتركب ويتولد منها. ومن جملة ذلك صورة آدم العنصرية، وأما روحانيته، فمضافة إلى القبضة المسماة باليمين. ودل على ما ذكر ذكر اليمين في مقابل الأرض، وصح عن النبي عليه السلام إطلاق الشمال على إحدى اليدين اللتين خلق الله بهما آدم عليه السلام، كما في «شرح الأربعين» حديثاً للشيخ الكبير قدس سره الخطير.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «يقبض الله السماوات بيمينه والأرضين بيده الأخرى ثم يهزهنّ ويقول أنا الملك أين ملوك الأرض». كما في «كشف الأسرار».

وفيه إشعار بإطلاق الشمال على اليد الأخرى، فالشمال في حديثه عليه السلام، والقبضة في هذه الآية واحدة.

فإن قلت: كيف التوفيق بينه وبين قوله عليه السلام: «كلتا يدي ربي يمين مباركة».

وقول الشاعر:

له يمينان عدلاً لا شمال له وفي يمينيه آجال وأرزاق

قلت: كون كل من اليدين يميناً مباركة بالإضافة إليه تعالى، ومن حيث الآثار فيمين وشمال إذ لا تخلو الدنيا والآخرة من اللطف والقهر والجمال والجلال والبسط والقبض والروح والجسم والطبيعة والعنصر، ونحو ذلك. وظهر مما ذكرنا كون السماوات خارجة عن حدّ الدنيا لإضافتها إلى اليمين، وإن كانت من عالم الكون والفساد، اللهم إلا أن يقال: العناصر مطلقاً مضافة إلى الأرض المقبوضة بالشمال، وأما ملكوتها، وهو باطنها كباطن آدم، وباطن السماوات كالأرواح العلوية، فمضاف إلى السماوات المقبوضة باليمين، فالسماوات من حيث عناصرها داخلة في حدّ الدنيا.

﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ ما أبعد وما أعلى من هذه قدرته وعظمته عن إشراكهم ما يشركونه من الشركاء، فما على الأول مصدرية، وعلى الثاني موصولة.

سئل الجنيد قدس سره عن قوله: **﴿والسماوات مطويات﴾**، فقال: متى كانت منشورة حتى صارت مطوية سبحانه نفى عن نفسه ما يقع في العقول من طيها، ونشرها إذ كل الكون عنده كالخردلة، أو كجناح بعوضة، أو أقل منها.

قال الزروقي رحمه الله: إذا أردت استعمال حزب البحر للسلامة من عطبه فقدم عند ركوبه: **﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [هود: ٤١]، **﴿وما قدرها الله حق قدره﴾** إلى قوله: **﴿عما يشركون﴾**. إذ قد جاء في الحديث: «إنه أمان من الغرق»، ومن الله الخلاص.

يقول الفقير: التخصيص: هو أن من عرف الله حق معرفته، قد لا يحتاج إلى ركوب السفينة بأن يمشي على الماء، كما وقع لكثير من أهل التصرف، ففيه تنبيه على العجز وتعريف للقصور.

وأيضاً: أن الأرض إذا كانت في قبضته، فالبحر الذي فوقها متصلاً بها يكون أيضاً في قبضته فينبغي أن يخاف من سطوته في كل مكان، ويشتغل بذكره في كل آن بخلوص الجنان وصدق الإيقان.

يقال: إن الشرك جلي وخفي، فالجلي من العوام الكفر والخفي منهم التوحيد باللسان مع اشتغال القلب بغير الله تعالى، وهو شرك جلي من الخواص، والخفي منهم الالتفات إلى الدنيا وأسبابها، وهو جلي من أخص الخواص والخفي منهم الالتفات إلى الآخرة.

يقال: إن السبب لانشقاق زكريا عليه السلام في الشجرة كان التفاته إلى الشجرة حيث قال: اكتميني أيتها الشجرة كما أن يوسف عليه السلام قال لساقي الملك: اذكرني عند ربك، فلبث في السجن بضع سنين، فاقطع نظرك عما سوى الله، وانظر إلى حال الخليل عليه السلام؛ فإنه لما ألقي في النار أتاه جبرائيل. وقال: ألك حاجة يا إبراهيم؟ فقال: أما إليك، فلا فجعل الله له النار برداً وسلاماً، وكان قطباً وإماماً:

نكر تاقضا ازكجا سير كرد كه كورى بود تكيه برغير كرد

قال عبد الواحد بن زيد لأبي عاصم البصري رحمه الله: كيف صنعت حين طلبك

الحجاج. قال: كنت في غرفتي، فدقوا عليَّ الباب ودخلوا، فدفعت بي دفعة، فإذا أنا على أبي قبيس بمكة، فقال عبد الواحد: من أين كنت تأكل. قال: كانت تأتي إليّ عجوز وقت إفطاري بالرغيفين اللذين كنت آكلهما بالبصرة. قال عبد الواحد: تلك الدنيا أمرها الله أن تخدم أبا عاصم هكذا حال من توكل على الله وانقطع إليه عما سواه، فالله لا يخيب عبداً لا يرجو إلا إياه.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿**ونفخ في الصور**﴾. المراد: النفخة الأولى التي هي للإماتة بقرينة النفخة الآتية التي هي للبعث والنفخ نفخ الريح في الشيء. وبالفارسية: [دميدن]. يقال: نفخ بفمه، أخرج منه الريح.

والنفخ في القرآن على خمسة أوجه:

الأول: نفخ جبريل عليه السلام في جيب مريم عليها السلام كما قال تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١]؛ أي: نفخ جبرائيل في الجيب بأمرنا فسبحان من أحبل رحم امرأة وأوجد فيها ولداً بنفخ جبرائيل.

والثاني: نفخ عيسى عليه السلام في الطين كما قال تعالى: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]. وهو الخفاش، فسبحان من حول الطين طيراً بنفخ عيسى.

والثالث: نفخ الله تعالى في طين آدم عليه السلام كما قال تعالى: ﴿**ونفخت فيه من روحي**﴾؛ أي: أمرت الروح بالدخول فيه، والتعلق به فسبحان من أنطق لحماً وأبصر شحماً، وأسمع عظماً وأحيا جسداً بروح منه.

والرابع: نفخ ذي القرنين الحديد في النار كما قال تعالى حكاية عنه. ﴿قَالَ ٱنفُخُواْ﴾ [الكهف: ٩٦] الآية، فسبحان من حول قطعة حديد ناراً بنفخ ذي القرنين.

والخامس: نفخ إسرافيل عليه السلام في الصور، كما قال تعالى: ﴿**ونفخ في الصور**﴾، فسبحان من أخرج الأرواح من الأبدان بنفخ واحد كما يطفأ السراج بنفخ واحد، وتوقد النار بنفخ واحد وسبحان من رد الأرواح إلى الأبدان بنفخ واحد. وهذا كله دليل على قدرته التامة العامة. والصور: قرن من نور ألقمه الله إسرافيل، وهو أقرب الخلق إلى الله تعالى، وله جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، والعرش على كاهله، وإن قدميه قد خرجتا من الأرض السفلى حتى بعدتا عنها مسيرة مائة عام على ما رواه وهب وعظم دائرة القرن مثل ما بين السماء والأرض.

وفي «الدرة الفاخرة» للإمام الغزالي رحمه الله: الصور قرن من نور له أربع عشرة دائرة. الدائرة الواحدة كاستدارة السماء والأرض فيه ثقب بعدد أرواح البرية وباقي ما يتعلق بالنفخ. والصور قد سبق في سورة الكهف والنمل فارجع. ﴿**فصعق من في السماوات ومن في الأرض**﴾. يقال: صعق الرجل إذا أصابه فزع، فأغمي عليه وربما مات منه، ثم استعمل في الموت كثيراً كما في «شرح المشارق» لابن الملك.

قال في «المختار» صعق الرجل بالكسر صعقة غشي عليه. وقوله تعالى: ﴿**فصعق من**﴾ إلخ. أي: مات. انتهى.

فالمعنى: خروا أمواتاً من الفزع وشدة الصوت. ﴿**إلا من شاء الله**﴾ جبرائيل وإسرافيل

وميكائيل وملك الموت عليهم السلام، فإنهم يموتون من بعد.

قال السدي: وضم بعضهم إليهم ثمانية من حملة العرش، فيكون المجموع اثني عشر ملكاً وآخرهم موتاً ملك الموت.

وروى النقاش: إنه جبرائيل كما جاء في الخبر أن الله تعالى يقول حينئذٍ: يا ملك الموت خذ نفس إسرافيل. ثم يقول: من بقي؟، فيقول: بقي جبرائيل وميكائيل وملك الموت. فيقول: خد نفس ميكائيل حتى يبقى ملك الموت وجبرائيل، فيقول تعالى: مت يا ملك الموت، فيموت. ثم يقول: يا جبرائيل من بقي؟ فيقول: تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام وجهك الدائم الباقي، وجبرائيل الميت الفاني، فيقول: يا جبرائيل لابد من موتك، فيقع ساجداً يخفق بجناحيه، فيموت، فلا يبقى في الملك حي من إنس وجن وملك وغيرهم، إلا الله الواحد القهار.

وقال بعض المفسرين: المستثنى الحور والولدان وخزنة الجنة والنار وما فيهما؛ لأنهما وما فيهما خلقاً للبقاء والموت لقهر المكلفين ونقلهم من دار إلى دار، ولا تكليف على أهل الجنة، فتركوا على حالهم بلا موت.

وهذا الخطاب بالصعق متعلق بعالم الدنيا والجنة والنار عالمان بانفرادهما خلقاً للبقاء فهما بمعزل عما خلق للفناء، فلم يدخل أهلهما في الآية، فتكون آية الاستثناء مفسرة لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]: و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وغيرهما من الآيات فلا تناقض.

يقول الفقير: يرد عليه أنه كيف يكون هذا الخطاب بالصعق متعلقاً بعالم الدنيا، وقد قال الله تعالى: ﴿من في السماوات﴾، وهي أي: السماوات خارجة عن حدّ الدنيا، ولئن سلم بناء على أن السماوات السبع كالأرض من عالم الكون والفساد، فيبقى الفلك الثامن الذي هو الكرسي والتاسع الذي هو العرش خارجين عن حدّ الآية، فيلزم أن لا يفنى أهلهما عموماً وخصوصاً من الملائكة الذين لا يحصي عددهم إلا الله على أنهم من أهل التكليف أيضاً.

قال الإمام النسفي في «بحر الكلام»: قال أهل الحق؛ أي: أهل السنة والجماعة سبعة لا تفنى العرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار وأهلهما من ملائكة الرحمة والعذاب والأرواح؛ أي: بدلالة هذه الآية.

وقال شيخ العلماء الحسن البصري قدس سره: المراد بالمستثنى هو الله تعالى وحده، ويؤيده ما قاله الغزالي رحمه الله: حدثني من لا أشك في علمه أن الاستثناء واقع عليه سبحانه خاصة.

يقول الفقير: فيه بعد من حيث الظاهر؛ لأنه يلزم أن يشاء الله نفسه، فيكون شائياً ومشيئاً، وقد أخرجوه في نحو قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]: و﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وغيرهما. والله ليس من أهل السماوات والأرض، وإن كان إلٰهاً، فهي كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤].

وقال بعض المحققين: الصعق أعم من الموت، فلمن لم يمت الموت، ولمن مات الغشية، فإذا نفخ الثانية، فمن مات حي ومن غشي عليه أفاق، وهو القول المعوّل عليه عند ذوي التحقيق.

يقول الفقير: فيدخل إدريس عليه السلام، فإنه مات ثم أحيي وأدخل الجنة، فتعمه الغشية دون الموت إلا أن يكون ممن شاء الله، وأما موسى عليه السلام، فقد جزي بصعقته وغشيته في الطور، فالموت عام لكل أحد إذ لو بقي أحد لأجاب الله تعالى، حيث يقول: لمن الملك اليوم، فقال: لله الواحد القهار.

قال في «أسئلة الحكم»، وأما قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، فمعناه عند المحققين قابل للهلاك، فكل محدث قابل لذلك، بل هالك دائم وعدم محض بالنسبة إلى وجه نفسه إذ لكل شيء وجهان: وجه إلى نفسه، ووجه إلى ربه. فالوجه الأول هالك، وعدم والثاني عين ثابت في علمه قائم بربه، وإن كان له ظل ظاهر، فكل محدث قابل للهلاك، والعدم، وإن لم يهلك وينعدم بخلاف القديم الأزلي. ويؤيد ذلك المعنى أن العرش لم يرو فيه خبر بأنه يهلك، فلتكن الجنة مثله.

يقول الفقير: أما ما روي عن رسول الله ﷺ أنه سأل جبرائيل عن هذه الآية من الذين لم يشأ الله أن يصعقهم. قال: هم الشهداء المتقلدون أسيافهم حول العرش»، كما في «كشف الأسرار»، وكذا ما قال جعفر الصادق رضي الله عنه أهل الاستثناء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأهل بيته وأهل المعرفة. وما قال بعضهم: هم أهل التمكين والاستقامة. كل ذلك وما شاكله، فمبني على تفسير الصعق بالغشي إذ الشهداء ونحوهم من الصديقين، وإن كانوا أحياء عند ربهم لكنهم لا يذوقون الموت مرة أخرى، وإلا لتحققوا بالعدم الأصلي، وهو مخالف لحكمة الله تعالى، وإنما شأنهم الفزع والغشيان، فيحفظهم الله تعالى عن ذلك، فالأرواح والأحياء مشتركون في ذلك إلا من شاء الله.

حكي أن واحداً رؤي في المنام ذا شيب، وكان قد مات وهو شاب، فقيل له في ذلك، فقال: لما قبر المرسي القائل بخلق القرآن في قبره في هذه المقبرة هجمت عليه جهنم بغيظ وزفير، فشاب شعري من ذلك الفزع والهول، وله نظائر كثيرة، ودخل في الأرواح من يقال لهم: الأرواح العالية المهيمة، فإنهم لا يموتون لكونهم أرواحاً، ولا يغشى عليهم، إذ ليس لهم خبر عما سوى الله تعالى، بل هم المستغرقون في بحر الشهود، فعلى هذا يكون المراد بالنفخة في الآية نفخة غير نفخة الإماتة، وسيأتي البيان في النفخات. فإن قلت: فما الفرق بين الصعق الذي في هذه الآية، وبين الفزع الذي في آية النمل، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧].

قلت: لا شك أن الصعق بمعنى الموت غير الفزع، وكذا بمعنى الغشي إذ ليس كل من له فزع مغشياً عليه، هذا ما تيسر لي في هذا المقام، وحقيقة العلم عند الله الملك العلام. **﴿ثم نفخ فيه أخرى﴾** نفخة أخرى هي النفخة الثانية على الوجه الأول وأخرى. يحتمل النصب على أن يكون الظرف قائماً مقام الفاعل، وأخرى صفة لمصدر منصوب على المفعول المطلق والرفع على أن يكون المصدر المقدر قائماً مقام الفاعل. **﴿فإذا هم﴾**؛ أي: جميع الخلائق. **﴿قيام﴾** جمع: قائم؛ أي: قائمون من قبورهم على أرجلهم أو متوقفون، فالقيام بمعنى الوقوف والجمود في مكانهم لتحيرهم. **﴿ينظرون﴾** يقلبون أبصارهم في الجوانب كالمبهوتين، أو ينتظرون ماذا يفعل بهم، ويقال: ينظرون إلى السماء كيف غيرت، وإلى الأرض كيف بدلت، وإلى الداعي كيف يدعوهم إلى الحساب، وإلى الآباء والأمهات كيف ذهبت شفقتهم عنهم،

واشتغلوا بأنفسهم، وإلى خصمائهم ماذا يفعلون بهم.

وفي الحديث: «أنا أول من ينشق عنه القبر»، وأول من يحيا من الملائكة إسرافيل لينفخ في الصور». «وأول من يحيا من الدواب براق النبي عليه السلام». «وأول من يستظل في ظل العرش رجل أنظر معسراً ومحا عنه». «وأول من يرد الحوض فقراء الأمة والمتحابون في الله»، «وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل عليه السلام؛ لأنه ألقي في النار عرياناً». «وأول من يكسى حلة من النار إبليس»، «وأول من يحاسب جبرائيل؛ لأنه كان أمين الله إلى رسله»، «وأول ما يقضى بين الناس في الدماء». «وأول ما يحاسب به الرجل صلاته»، «وأول ما تسأل المرأة عن صلاتها، ثم بعلها»، «وأول ما يسأل العبد يوم القيامة عن النعيم؛ بأن يقال له: ألم أصحح جسمك وأروك من الماء البارد». «وأول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن»، «وأول ما يوضع في الميزان العبد نفقته على أهله»، «وأول ما يتكلم من الآدمي، فخذه وكفه». «وأول خصمين جاران»، «وأول من يشفع يوم القيامة الأنبياء»، ثم العلماء، ثم الشهداء، «وأول من يدخل الجنة من هذه الأمة أبو بكر رضي الله عنه»، «وأول من يسلم عليه الحق، ويصافحه عمر رضي الله عنه»، «وأول من يدخل من الأغنياء عبد الرحمٰن بن عوف من العشرة المبشرة».

قال في «المدارك»: دلت الآية على أن النفخة اثنتان: الأولى للموت، والثانية: للبعث.

والجمهور على أنها ثلاث:

الأولى: للفزع كما قال: ﴿يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ﴾ [النمل: ٨٧].

والثانية: للموت.

والثالثة: للإعادة. انتهى.

فإن كانت النفخة اثنتين يكون معنى صعق خروا أمواتاً، وإن كانت ثلاثاً، يكون معناه مغشياً عليهم، فتكون هذه النفخة؛ أي: الثالثة بعد نفخة الإحياء يوم القيامة كما ذهب إليه البعض.

وقال سعد المفتي: دل ظاهر الأحاديث على أن النفخات أربع المذكورتان في سورة يٰس للإماتة، ثم الإحياء. ونفخة للإرعاب والإرهاب، فيغشى عليهم، ثم للإفاقة والإيقاظ، والذي يفهم من خريدة العجائب: أن نفخة الفزع هي أولى النفخات، فإنه إذا وقعت أشراط الساعة، ومضت أمر الله صاحب الصور أن ينفخ نفخة الفزع، ويديمها ويطولها، فلا يبرح كذا عاماً يزداد الصوت كل يوم شدة، فيفزع الخلائق وينحازون إلى أمهات الأمصار، وتعطل الرعاة السوائم، وتأتي الوحوش والسباع، وهي مذعورة من هول الصيحة، فتختلط بالناس، ويؤول الأمر إلى تغير الأرض والسماء عما هما عليه، وبين نفخة الفزع. والنفخة الثانية: أربعون سنة، ثم تقع نفخة الثانية، والثالثة: وبينهما أربعون سنة، أو شهراً، أو يوماً، أو ساعة.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: اختلف الناس في أمد المدة الكائنة بين النفختين، فاستقر جمهورهم على أنها أربعون سنة. وحدثني من لا أشك في علمه: أن أمد ذلك لا يعلمه إلا الله تعالى؛ لأنه من أسرار الربوبية، فإذا أراد الله إحياء الخلق يفتح خزانة من خزائن العرش فيها بحر الحياة، فتمطر به الأرض، فإذا هو كمنيّ الرجال بعد أن كانت عطشى فتحيا وتهتز، ولا يزال المطر عليها حتى يعمها، ويكون الماء فوقها أربعين ذراعاً، فإذا الأجسام تنبت من عجب الذنب، وهو أول ما يخلق من الإنسان بدىء منه. ومنه يعود وهو عظم على قدر الحمصة،

وليس له مخ، فإذا نبت كما نبت البقل تشتبك بعضها في بعض، فإذا رأس هذا على منكب هذا، ويد هذا على جنب هذا، وفخذ هذا على حجر هذا لكثرة البشر، والصبي صبي، والكهل كهل، والشيخ شيخ، والشاب شاب، ثم تهب ريح من تحت العرش فيها نار، فتنسف ذلك عن الأرض، وتبقى الأرض بارزة مستوية؛ كأنها صحيفة واحدة، ثم يحيي الله إسرافيل، فينفخ في الصور من صخرة بيت المقدس، فتخرج الأرواح لها دويّ كدويّ النحل، فتملأ الخافقين، ثم تذهب كل نفس إلى جثتها بإعلام الله تعالى حتى الوحش والطير، وكل ذي روح، فإذا الكل قيام ينظرون، ثم يفعل الله بهم ما يشاء. قال الشيخ سعدي قدس سره:

جودرخا كدان لحد خفت مرد قيامت بيفشانند از موى كرد
سرازجيب غفلت براور كنون كه فردا نماند بحسرت نكون
بران ازدوسر جشمه ديده جوى ور آلايشي دارى ازخود بشوى

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿**وأشرقت الأرض**﴾: صارت عرصات القيامة مشرقة ومضيئة. وذلك حين ينزل الله على كرسيه لفصل القضاء بين عباده. ﴿**بنور ربها**﴾: النور: الضوء المنتشر المعين على الإبصار؛ أي: بما أقام فيها من العدل. استعير له النور؛ لأنه يزين البقاع، ويظهر الحقوق كما يسمى الظلم ظلمة.

وفي الحديث: «الظلم ظلمات يوم القيامة» يعني: شدائده يعني: الظلم سبب لشدائد صاحبه، أو الظلم سبب لبقاء الظالم في الظلمة حقيقة، فلا يهتدي إلى السبيل حين يسعى نور المؤمنين بين أيديهم، ولكون المراد بالنور العدل أضيف الاسم الجليل إلى ضمير الأرض، فإن تلك الإضافة إنما تحسن إذا أريد به تزين الأرض بما ينشر فيها من الحكم والعدل، أو المعنى: أشرقت بنور خلقه الله في الأرض يوم القيامة بلا توسط أجسام مضيئة كما في الدنيا، يعني: يشرق بذلك النور وجه الأرض المبدلة بلا شمس ولا قمر، ولا غيرهما من الأجرام المنيرة، ولذلك؛ أي: ولكون المعنى ذلك. أضيف؛ أي: النور إلى الاسم الجليل.

وقال سهل: قلوب المؤمنين يوم القيامة تشرق بتوحيد سيدهم والاقتداء بسنة نبيهم.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**وأشرقت الأرض**﴾: أرض الوجود ﴿**بنور ربها**﴾ إذا تجلى لها.

وقال بعضهم: هذا من المكتوم الذي لا يفسر، كما في «تفسير أبي الليث». ﴿**ووضع الكتاب**﴾؛ أي: الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه، أو صحائف الأعمال في أيدي العمال في الإيمان والشمائل، واكتفى باسم الجنس عن الجمع إذ لكل أحد كتاب على حدة.

والكتاب في الأصل: اسم للصحيفة مع المكتوب فيه. وقيل: وضع الكتاب في الأرض بعدما كان في السماء.

يقول الفقير: هذا على إطلاقه غير صحيح؛ لأن كتاب الأبرار في عليين، وكتاب الفجار في سجين، فالذي في السماء يوضع في الأرض حتى اللوح المحفوظ، وأما ما في الأرض

فعلى حاله. ﴿وجيء بالنبيين﴾: الباء للتعدية. ﴿والشهداء﴾ للأمم وعليهم من الملائكة والمؤمنين.

وفيه إشارة إلى أن النبيين والشهداء، إذا دعوا للقضاء والحكومة والمحاسبة، فكيف يكون حال الأمم وأهل المعاصي والذنوب.

دران روز كز فعل برسند وقول   أولو العزم را تن بلرزد زهول
بجايى كه دهشت خورد انبيا   تو عذر كنه را جه دارى بيا

﴿وقضي﴾. [حكم كرده شود]. ﴿بينهم﴾؛ أي: بين العباد. ﴿بالحق﴾: بالعدل. ﴿وهم لا يظلمون﴾ بنقص ثواب، وزيادة عقاب على ما جرى به الوعد، وكما فتح الآية بإثبات العدل ختمها بنفي الظلم.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿ووفيت﴾ [وتمام داده شود]. ﴿كل نفس﴾ من النفوس المكلفة. ﴿ما عملت﴾؛ أي: جزاء ما عملت من الخير والشر والطاعة والمعصية. ﴿وهو﴾ تعالى ﴿أعلم﴾ منهم ومن الشهداء ﴿بما يفعلون﴾ إذ هو خالق الأفعال، فلا يفوته شيء من أفعالهم، وإنما يدعو الشهداء لتأكيد الحجة عليهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا كان يوم القيامة بدل الله الأرض غير الأرض، وزاد في عرضها وطولها كذا وكذا، فإذا استقر عليها أقدام الخلائق برّهم وفاجرهم أسمعهم الله كلامه يقول: إن كتابي كانوا يكتبون ما أظهرتم، ولم يكن لهم علم بما أسررتم، فأنا عالم بما أظهرتم وبما أسررتم، ومحاسبكم اليوم على ما أظهرتم، وعلى ما أسررتم، ثم أغفر لمن شاء منكم.

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: الملك لا سبيل له إلى معرفة باطن العبد في قول أكثرهم.

وقال في «ريحان القلوب»: الذكر الخفي ما خفي عن الحفظة لا ما يخفض به الصوت، وهو خاص به ﷺ، ومن له به أسوة حسنة. انتهى.

يقول الفقير: لا شك أن الحفظة تستملي من خزنة اللوح المحفوظ، فيعرفون كل ما وقع من العبد من فعل ظاهر وعزم باطن، ولكن يجوز أن يكون من الأسرار ما لا يطلع عليه غيره سبحانه وتعالى.

واعلم أنه إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى: أين اللوح المحفوظ؟ فيؤتى به وله صوت شديد، فيقول الله: أين ما سطرت فيك من توراة وزبور وإنجيل وفرقان؟ فيقول: يا رب، نقله مني الروح الأمين، فيؤتى به، وهو يرعد وتصطك ركبتاه، فيقول الله تعالى: يا جبريل، هذا اللوح يزعم أنك نقلت منه كلامي ووحيي أصدق؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول: فما فعلت فيه؟ فيقول: أنهيت التوراة إلى موسى والزبور إلى داود والإنجيل إلى عيسى والقرآن إلى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم أجمعين. وأنهيت إلى كل رسول رسالته، وإلى أهل الصحف صحائفهم، فإذا النداء: يا نوح، فيؤتى به ترعد فرائصه وتصطك ركبتاه، فيقول: يا نوح زعم جبرائيل أنك من المرسلين.

قال: صدق يا رب، فقال: فما فعلت مع قومك؟ قال: دعوتهم ليلاً ونهاراً، فلم يزدهم دعائي إلا فراراً، فإذا النداء: يا قوم نوح، فيؤتى بهم زمرة واحدة، فيقول لهم: هذا نوح زعم أنه بلغكم الرسالة، فيقولون: يا رب كذب ما بلغنا شيئاً، ثم ينكرون الرسالة، ثم يقول الله تعالى: يا نوح ألك بينة عليهم؟ فيقول: نعم يا رب، بيّنتي عليهم محمد ﷺ وأمته، فيقولون: كيف ذلك ونحن أول الأمم وهم آخر الأمم، فيؤتى بالنبي عليه السلام، فيقول الله تعالى: يا محمد هذا نوح يستشهد بك، فيشهد له بتبليغ الرسالة، ويتلو: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [نوح: ١] إلى آخر السورة، فيقول الله تعالى: قد وجب عليكم الحق وحقت كلمة العذاب على الكافرين، فيؤمر بهم زمرة واحدة إلى النار من غير وزن أعمال ووضع حساب، وهكذا يفعل بسائر الأمم أجمعين، فإن القرآن نطق بهم وبأحوالهم.

وقد جاء: أن رجلاً يقف بين يدي الله، فيقول: يا عبد السوء كنت مجرماً عاصياً، فيقول: لا، والله ما فعلت! فيقال له: عليك بينة، فيؤمر بحفظته، فيقول: كذبوا عليّ، فتشهد جوارحه عليه ويؤمر به إلى النار، فيجعل يلوم جوارحه، فيقولون: ليس من اختيارنا، أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء. وهكذا يشهد الزمان والمكان ونحوهما، فطريق الخلاص أن لا تشهد اليوم غير الله وتشتغل بذكره وطاعته عما سواه. قال الشيخ سعدي:

دريغست كه فر موده ديو زشت ... كه دست ملك برتو خواهد نوشت
روا داری از جهل ونا باكيت ... كه باكان نويسند نا باكيت
طريقي بدست آر وصلحى بجوى ... شفيعى برانكيز وعذرى بكوى
كه يك لحظه صورت نبندد امان ... جو بيمانه برشد بدور زمان

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم﴾ مع إمامهم حال كونهم **﴿زمراً﴾**: جماعة جماعة، وبالفارسية: [كروه كروه]، جمع زمرة، وهي الجمع القليل. ومنه قيل: شاة زمرة قليلة الشعر، واشتقاقها من الزمر، وهو الصوت إذ الجماعة لا تخلو عنه. والسوق بالفارسية: [راندن]؛ أي: سيقوا إليها بعد إقامة الحساب بأمر يسير من قبلنا. وذلك بالعنف والإهانة حال كونهم أفواجاً متفرقة بعضها في إثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة والشرارة وتتلقاهم جهنم بالعبوسة، كما تلقوا الأوامر والنواهي والآمرين والناهين بمثل ذلك. **﴿حتى إذا جاؤوها﴾** حتى هي التي تحكى بعد الجملة. يعني: [تاجون بيايند بدوزخ بر صفت ذلت وخوارى]. وجواب إذا قوله: **﴿فتحت أبوابها﴾** السبعة ليدخلوها كما قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ [الحجر: ٤٤]، وفائدة إغلاقها إلى وقت مجيئهم تهويل شأنها، وإيقاد حرها.

قال في «أسئلة الحكم»: أهل النار يجدونها مغلقة الأبواب كما هي حال السجون، فيقفون هناك حتى يفتح لهم إهانة لهم وتوبيخاً.

يقول الفقير: هذا من قبيل العذاب الروحاني، وهو أشد من العذاب الجسماني، فليس

وقوفهم عند الأبواب أولى لهم من تعجيل العذاب يؤيده أن الكافر حين يطول قيامه في شدة وزحمة وهول، يقول: يا رب أرحني ولو كان بالنار.

وفيه إشارة إلى الأوصاف الذميمة النفسانية السبعة: وهي الكبر والبخل والحرص والشهوة والحسد والغضب والحقد، فإنها أبواب جهنم وكل من يدخل فيها لا بد له من أن يدخل من باب من أبوابها، فلا بد من تزكيتها وتخلية النفس عنها. ﴿**وقال لهم خزنتها**﴾ تقريعاً وتوبيخاً في الإيلام والتوجيع واحدها خازن، وهو حافظ الخزانة وما فيها. والمراد: حفظة جهنم وزبانيتها وهم: الملائكة الموكلون بتعذيب أهلها.

﴿**ألم يأتكم رسل منكم**﴾ من جنسكم آدميون مثلكم ليسهل عليكم مراجعتهم وفهم كلامهم. ﴿**يتلون عليكم آيات ربكم**﴾، وهو ما أنزل الله على الأنبياء. ﴿**وينذرونكم**﴾ يخوفونكم. ﴿**لقاء يومكم هذا**﴾؛ أي: وقتكم هذا، وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة. وذلك لأن الإضافة اللامية تفيد الاختصاص، ولا اختصاص ليوم القيامة بالكفار. وقد جاء استعمال اليوم والأيام مستفيضاً في أوقات الشدة، فلذلك حمل على الوقت.

وفيه دليل على أنه لا تكليف قبل الشرع من حيث إنهم عللوا توبيخهم بإتيان الرسل وتبليغ الكتب. ﴿**قالوا بلى**﴾. قد أتونا وتلوا علينا. وأنذرونا فأقرّوا في وقت لا ينفعهم الإقرار والاعتراف. ﴿**ولكن حقت**﴾: وجبت ﴿**كلمة العذاب**﴾، وهي قوله تعالى لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٥]. ﴿**على الكافرين**﴾: وقد كنا ممن تبع إبليس، فكذبنا الرسل. وقلنا: ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا تكذبون.

امروز قدر بند عزيزان شناختيم

﴿**قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها**﴾؛ أي: مقدراً خلودكم فيها وإبهام القائل لتهويل المقول.

وفيه إشارة إلى أن الحكمة الإلهية اقتضت إظهاراً لصفة القهر أن يخلق النار، ويخلق لها أهلاً، كما أنه تعالى خلق الجنة وخلق لها أهلاً إظهاراً لصفة اللطف، فلهذه الحكمة. قيل في الأزل قهراً وقسراً: ادخلوا أبواب جهنم. وهي الصفات الذميمة السبع التي مرّ ذكرها خالدين فيها بحيث لا يمكن الخروج من هذه الصفات الذميمة بتبديلها كما يخرج المتقون منها.

﴿**فبئس مثوى المتكبرين**﴾؛ أي: بئس منزل المتكبرين عن الإيمان والطاعة والحق جهنم. وبالفارسية: [بد آرا مكاهست متكبرا نرا دوزخ]. واللام: للجنس، ولا يقدح ما فيه من الإشعار بأن كونهم مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق في أن دخولهم النار بسبق كلمة العذاب عليهم، فإنها إنما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم فتكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عن ذلك السبق.

وفيه إشارة إلى أن العصاة صنفان: صنف منهم متكبرون، وهم المصرون متابعو إبليس فلهم الخلود في النار. وصنف منهم متواضعون، وهم التائبون متابعو آدم، فلهم النجاة. وبهذا الدليل ثبت أن ليس ذنب أكبر بعد الشرك من الكبر، بل الشرك أيضاً يتولد من الكبر كما قال تعالى: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]. وهذا تحقيق قوله تعالى: (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما ألقيته في النار). ولهذا المعنى قال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر»، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله

حسناً. قال: «إن الله جميل يحب الجمال». الكبر: بطر الحق وغمط الناس؛ أي: تضييع الحق في أوامر الله ونواهيه، وعدم تقاته واستحقار الناس وتعييبهم.

ذكر الخطابي في تأويل الحديث وجهين:

أحدهما: أن المراد التكبر عن الإيمان. والثاني: أن ينزع عنه الكبر بالتعذيب، أو بالعفو، فلا يدخل الجنة مع أن يكون في قلبه مثقال ذرة منه كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ويمكن أن يقال: معناه أن الكبر مما لو جازى الله بأدنى مقداره لكان جزاؤه عدم دخول الجنة، ولكن تكرم بأن لا يجازي به، بل يدخل كل موحد الجنة كذا في «شرح المشارق» لابن الملك.

يقول الفقير: إن الحديث واقع بطريق التغليظ والتشديد. والوجه الثاني للخطابي بعيد لكون جميع الخطايا كذلك، فلا معنى حينئذٍ للتخصيص. قال المولى الجامي:

جمعست خيرها همه درخانه ونيست ... آن خانه راكليد بغير از فروتني

شرها بدين قياس بيك خانه است جمع ... وانرا كليد نيست بجز مائي ومني

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة﴾ حال كونهم. ﴿زمراً﴾ جماعات متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة، وذلك قبل الحساب أو بعده يسيراً، أو شديداً، وهو الموافق لما قبل الآية من قوله: ﴿ووضع الكتاب﴾ والسائقون: هم الملائكة بأمر الله تعالى يسوقونهم مساق إعزاز وتشريف بلا تعب ولا نصب، بل بروح وطرب للإسراع بهم إلى دار الكرامة.

والمراد: المتقون عن الشرك، فهؤلاء عوام أهل الجنة وفوق هؤلاء من قال الله تعالى فيهم: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الشعراء: ٩٠]. وفوقهم من قال فيهم: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥]. وفرق بين من يساق إلى الجنة وبين من قرب إليه الجنة. وفي الحقيقة أهل السوق هم الظالمون وأهل الزلفة المقتصدون، وأهل الوفاء السابقون.

واعلم أنه إذا نفخ في الصور نفخة الإعادة واستوى كل واحد من الناس على قبره يأتي كل منهم عمله، فيقول له: قم وانهض إلى المحشر، فمن كان له عمل جيد يشخص له عمله بغلاً. ومنهم من يشخص له عمله حماراً. ومنهم من يشخص له عمله كبشاً تارة يحمله وتارة يلقيه، وبين يدي كل واحد منهم نور شعشعاني كالمصباح وكالنجم وكالقمر وكالشمس بقدر قوة إيمانهم وصلاح حالهم، وعن يمينه مثل ذلك النور، وليس عن شمائلهم نور، بل ظلمة شديدة يقع فيها الكفار والمرتابون والمؤمن يحمد الله تعالى على ما أعطاه من النور، ويهتدي به في تلك الظلمة. ومن الناس من يسعى على قدميه وعلى طرف بنانه.

قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: كيف يحشر الناس يا رسول الله، قال: «اثنان على بغير وخمسة على بغير وعشرة على بعير». وذلك أنهم إذا اشتركوا في عمل يخلق الله لهم من أعمالهم بعيراً يركبون عليه كما يبتاع جماعة مطية يتعاقبون عليها في الطريق، فاعمل هداك الله عملاً يكون لك بعيراً خالصاً من الشرك. ومنه يعلم حال التشريك في ثواب

العمل، فالأولى أن يهدى من المولى لكل ثواب على حدة من غير تشريك الآخر فيه.

روي: أن رجلاً من بني إسرائيل ورث من أبيه مالاً كثيراً، فابتاع بستاناً، فحبسه على المساكين. وقال: هذا بستاني عند الله وفرق دراهم عديدة في الضعفاء. وقال: اشترى بها من الله جواري وعبيداً وأعتق رقاباً كثيرة، وقال: هؤلاء خدمي عند الله والتفت يوماً إلى رجل أعمى يمشي تارة ويكب أخرى، فابتاع له مطية يسير عليها. وقال: هذه مطيتي عند الله أركبها. قال عليه السلام في حقه: «والذي نفسي بيده لكأنني أنظر إليها، وقد جيء بها إليه مسرجة ملجمة يركبها ويسير بها إلى الموقف»:

در خير بازست وطاعت وليك نه هركس تواناست بر فعل نيك

﴿حتى إذا جاؤوها﴾. [تاجون بيايند به بهشت]. ﴿وفتحت أبوابها﴾؛ أي: والحال أنه قد فتحت أبوابها الثمانية لئلا يصيبهم وصب الانتظار مع أن دار الفرح والسرور لا تغلق للأضياف والوافدين باب الكرم.

فإن قلت: يرد على كون أبواب الجنان مفتحة لهم عند مجيئهم إليها قوله عليه السلام: «أنا أول من يستفتح باب الجنة».

قلت: قد حصل الفتح المقدم على الوصول بدعوته عليه السلام بالاستفتاح، ولو لم يكن دعاؤه قد سبق لما فتحت، ثم تبقى الأبواب بدعائه مفتوحة إلى أن يفرغ من الحساب، فإذا جاء أهل الجنة بعد الحساب والصراط يجدونها مفتوحة ببركة دعائه المقدم على ذلك.

وفي الحديث: «أنا أول من يقرع باب الجنة، «والجنة محرمة على جميع الأمم حتى أدخلها أنا وأمتي الأول، فالأول».

يقول الفقير: أولية الاستفتاح والقرع تمثيل لأولية الدخول، فلا حاجة إلى توجيه آخر.

وعرف كون أبواب الجنة ثمانية بالأخبار كما قال عليه السلام: «إن للجنة لثمانية أبواب ما منها بابان إلا بينهما سير الراكب سبعين عاماً وما بين كل مصراعين من مصارع الجنة مسيرة سبع سنين». وفي رواية: «مسيرة أربعين سنة». وفي رواية: «كما بين مكة وبصرى».

وقيل: عرف بواو الثمانية، وفيه أن واو الثمانية غير مطردة. وقد سبق ما يتعلق بهذه الواو في آخر سورة التوبة.

قال بعضهم: كون أبواب النار سبعة وأبواب الجنة ثمانية؛ لأن الجنة منه تعالى فضل، والنار عدل والفضل أكثر من العدل، والجنة من الرحمة والنار من الغضب والرحمة سابقة وغالبة على الغضب.

وقيل: ليس في النار إلا الجزاء، والزيادة في العذاب جور، وفي الثواب كرم. وقيل: لأن الأذان سبع كلمات، والإقامة ثمان. كذلك أبواب جهنم سبعة وأبواب الجنة ثمانية، فمن أذن وأقام غلقت عنه أبواب النيران السبعة، وفتحت له أبواب الجنة الثمانية. وجواب إذا محذوف؛ أي: كان ما كان مما يقصر عنه البيان. وقال بعضهم: وفتحت جواب إذا، والواو زائدة للإيذان بأنها كانت مفتحة عند مجيئهم. ﴿وقال لهم﴾؛ أي: للمتقين عند دخولهم الجنة. ﴿خزنتها﴾ حفظة الجنة رضوان وغيره من الملائكة. ﴿سلام عليكم﴾ من جميع المكاره والآلام، فهو خبر لا تحية.

وقال الكاشفي: [درود برشما باسلامتى وايمنى لازم حال شما]. وهذا لعوام أهل الجنة

وأما لخواصهم، فيقول الله: ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ۝٥٨﴾ [يس: ٥٨]، فإن السلام في الجنة من وجوه: فالسلام الأول، وإن كان سلام الله، ولكن بالواسطة. والثاني: سلام خاص بلا واسطة بعد دخولهم في الحضرة. ﴿طبتم﴾ طهرتم من دنس المعاصي أو طبتم نفساً، بما أتيح لكم من النعيم [واز حضرت مرتضى كرم الله وجهه منقولست كه جون بهشتيان بدير بهشت رسند انجادر ختى بينندكه ارزيران دو جشمه بيرن مى آيدبس دريك جشمه غسل كنند ظاهر ايشان يا كيزه شود واز ديكرى بياشامند باطن ايشان منور ومطهر كردد ودرين حال ملائكة كويند باك شديد بظاهر وباطن] ﴿فادخلوها﴾؛ أي: الجنة ﴿خالدين﴾. والفاء: للدلالة على أن طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم سواء كان طيباً بعفو أو بتعذيب إذ كل منهما مطهر، وإنما طهر ظاهرهم لحسن إقرارهم وأعمالهم البدنية وباطنهم لحسن نياتهم وعقائدهم، وفي «عرائس البقلي»: ذكر الله وصف غبطة الملائكة على منازل الأولياء والصديقين. وذلك قوله ﴿سلام عليكم طبتم﴾ أي: أنتم في مشاهدة جماله أبداً طيبين بلذة وصاله سالمين عن الحجاب، وذلك أن الله تعالى قد أحسن إلى النبيين والمرسلين وأفاضل المؤمنين بالمعارف والأحوال والطاعات والإذعان ونعيم الجنان ورضى الرحمٰن، والنظر إلى الديان مع سماع تسليمه وكلامه وتبشيره بتأييد الرضوان، ولم يثبت للملائكة مثل ذلك:

ملائك راجه سوداز حسن طاعت جو فيض عشق بر آدم فروريخت

ومن آثار العشق كونه مأموراً بالجهاد والصبر على البلايا والمحن والرزايا؛ أي: المصائب وتحمل مشاق العبادات لأجل الله تعالى، وليس للملائكة العشق ولا الابتلاء الذي هو من أحكامه، وإن كانوا يسبحون الليل والنهار لا يفترون فرب عمل يسير أفضل من تسبيح كثير، وكم من نائم أفضل من قائم وكون أجسادهم من نور، وأجساد البشر من لحم وشحم ودم لا يفضلهم عليهم في الحقيقة، فإن الله تعالى لا ينظر إلى الصور فرب ماء حياة في ظلمات. قال الصائب:

فروغ كوهر من از نزاد خورشيد ست بتيركى نتوان كرد بايمال مراد

وقال:

بر بساط بوريا سير دو عالم ميكنيم با وجودنى سوارى برق جولا نيم ما

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝٧٤﴾

﴿وقالوا﴾: [وكويند مؤمنان جون به بهشت درايند]. ﴿الحمد لله﴾: جميع المحامد مخصوص به تعالى. ﴿الذي صدقنا وعده﴾ [راست كرد باما وعده خود رابه بعث وثواب].

قال جعفر الصادق رضي الله عنه: هو حمد العارفين الذين استقروا في دار القرار مع الله. وقوله: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن حمد الواصلين، قال سهل رضي الله عنه: منهم من حمد الله على تصديق وعده. ومنهم: من حمد الله لأنه يستوجب الحمد في كل الأحوال لما عرف من نعمه وما لا يعرفه وهو أبلغ لكونه حال الخواص. ﴿وأورثنا الأرض﴾ يريدون المكان الذي استقروا فيه من أرض الجنة على الاستعارة وإيراثها إعطاؤها وتمليكها مخلفة عليهم من أعمالهم، أو تمكينهم من التصرف فيما فيها تمكين الوارث فيما يرثه.

وفي «التأويلات النجمية»: صدق وعده للعوام بقوله: وأورثنا الأرض إلى آخره وصدق وعده للخواص بقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وصدق وعده لأخص الخواص بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤-٥٥] فنعم أجر العاملين العاشقين.

﴿نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾. قال في «تاج المصادر»: [التبوء كرفتن جاى]. أخذ من المباءة، وهي المحلة ويتعدى إلى مفعول واحد، وقال أبو علي: يتعدى إلى مفعولين أيضاً. انتهى.

وبوأت له مكاناً سويته وهيأته. والمعنى بالفارسية: [جاي ميكريم از بهشت هركجامى خواهيم ونزول وقرار ميكنيم]؛ أي: يتبوأ كل واحد منا في أي مكان أراده من جنة الواسعة لا من جنة غيره على أن فيها مقامات معنوية لا يتمانع واردوها كما قال في «التفسير الكبير». قال حكماء الإسلام: الجنة نوعان: الجنات الجسمانية والجنات الروحانية. فالجنات الجسمانية لا تحتمل المشاركة. وأما الروحانية، فحصولها لواحد لا يمنع حصولها لآخرين. وفي تفسير الفاتحة للفناري رحمه الله: اعلم أن الجنة جنتان: جنة محسوسة، وجنة معنوية. والعقل يعقلهما معاً، كما أن العالم عالمان: لطيف وكثيف وغيب وشهادة، والنفس الناطقة المخاطبة المكلفة لها نعيم بما تحمله من العلوم والمعارف من طريق نظرها، ونعيم بما تحمله من اللذات والشهوات، مما تناله بالنفس الحيوانية من طريق قواها الحسية من أكل وشرب ونكاح ولباس وروائح ونغمات طيبة وجمال حسي في نساء كاعبات ووجوه حسان، وألوان متنوعة وأشجار وأنهار. كل ذلك تنقله الحواس إلى النفس الناطقة، فتلتذ به، ولو لم يلتذ إلا الروح الحساس الحيواني لا النفس الناطقة، لكان الحيوان يلتذ بالوجه الجميل من المرأة، أو الغلام بالألوان.

واعلم أن الله خلق هذه الجنة المحسوسة بطالع الأسد الذي هو الإقليد وبرجه، وهو الأسد. وخلق الجنة المعنوية التي هي روح هذه الجنة المحسوسة من الفرح الإلهي من صفة الكمال والابتهاج والسرور، فكانت الجنة المحسوسة كالجسم والمعقولة كالروح وقواه. ولهذا سماها الحق الدار الحيوان لحياتها وأهلها يتنعمون فيها حساً. ومعنى الجنة أيضاً، أشد تنعماً بأهلها الداخلين فيها، وكذا تطلب ملئها من الساكنين. وقد ورد خبر عن النبي عليه السلام: «إن الجنة اشتاقت إلى بلال وعلي وعمار وسليمان». انتهى ما في «التفسير» المذكور. وفي الخبر: «إن الجنان تستقبل إلى أربعة نفر: صائمي رمضان، وتالي القرآن وحافظي اللسان ومطعمي الجيران».

يقول الفقير: على هذا السر يدور قوله عليه السلام في حق جبل أحد بالمدينة: «أحد يحبنا ونحبه». وذلك لأنه ملحق بالجنان كسائر المواضع الشريفة، فله الحياة والإدراك، وإن كان خارجاً عن دائرة العقل الجزئي. وقال في «الأسئلة المقحمة»: كيف قال: حيث نشاء، ومعلوم أن بعضهم لا ينزل مكان غيره إلا بإذن صاحبه.

والجواب: أن هذا وأمثاله مبالغات يعبر بها عن أحوال السعة والرفاهية، ثم قد قيل: لا يخلق الله في قلوب أهل الجنة خاطراً يخالف أحكامهم التي كانوا مكلفين بها في دار الدنيا. انتهى.

وفي «الكواشي»: هذه إشارة إلى السعة والزيادة على قدر الحاجة؛ لا أن أحداً ينزل في

غير منزله. وفي «فتح الرحمٰن» روي: أن أمة محمد تدخل أولاً الجنة، فتنزل حيث تشاء منها، ثم يدخل سائر الأمم. ﴿**فنعم أجر العاملين**﴾: الجنة يعني: [بس نيكوست ثواب فرمان برندكان].

قال بعض الكبار: ما من فريضة ولا نافلة ولا فعل خير، ولا ترك محرم، ولا مكروه إلا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص يناله من دخلها، وما من عمل إلا وله جنة يقع التفاضل فيها بين أصحابها. والتفاضل على مراتب، فمنها بالسن، ولكن في الطاعة والإسلام، فيفضل كبير السن على صغير السن إذا كانا على مرتبة واحدة من العمل. ومنها: بالزمان، فإن العمل في رمضان. وفي يوم الجمعة، وفي ليلة القدر. وفي عشر ذي الحجة وفي عاشوراء أعظم من سائر الزمان.

ومنها: بالمكان، فالصلاة في المسجد الحرام أفضل منها في مسجد المدينة، وهي من الصلاة في المسجد الأقصى، وهي منها في سائر المساجد.

ومنها: بالأحوال، فإن الصلاة بالجماعة أفضل من صلاة الشخص وحده.

ومنها: بنفس الأعمال، فإن الصلاة أفضل من إماطة الأذى.

ومنها: في العمل الواحد، فالمتصدق على رحمه صاحب صلة رحم وصدقة، وكذا من أهدى هدية لشريف من أهل البيت أفضل من أن يهدي لغيره، أو أحسن إليه. ومن الناس من يجمع في الزمن الواحد أعمالاً كثيرة، فيصرف سمعه وبصره ويده، فيما ينبغي في زمان صومه وصدقته، بل في زمان صلاته في زمان ذكره في زمان نيته من فعل وترك، فيؤجر في الزمن الواحد من وجوه كثيرة، فيفضل غيره ممن ليس له ذلك نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الجامعين بين صالحات الأعمال والمسارعين إلى حسنات الأفعال:

جـــواز جـــايـــكـــاه دويـــدن كـــرو نـــبـــردى هـــم افـــتـــان وحـــيـــران بـــرو
كـــران بـــاد بـــايـــان بـــر فـــتـــنـــدتـــيـــز تـــوبـــى دســـت وبـــا ازنـــشـــســـتـــن بـــخـــيـــز

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿**وترى الملائكة**﴾ يا محمد يوم القيامة بعد أن أحياهم الله.

وقال الكاشفي: يعني: [وقتى كه در مقعد صدق ورتبة قرب باشى بينى ملائكة را] ﴿**حافين**﴾: محدقين ﴿**من حول العرش**﴾؛ أي: حوله. ومن مزيدة أو لابتداء الحفوف. يقال: حفوا حوله حفوفاً طافوا به واستداروا. ومنه الآية؛ أي: محيطين بأحفة العرش؛ أي: جوانبه وبالفارسية: [حلقه كرفته كرد عرش وطواف كنند كان بجوانب آن]. ﴿**يسبحون بحمد ربهم**﴾. الجملة حال ثانية أو مقيدة للأولى؛ أي: ينزهونه تعالى عما لا يليق به حال كونهم ملتبسين بحمده ذاكرين له بوصفي جلاله وإكرامه تلذذاً به يعني: يقولون: سبحان الله وبحمده.

[به تسبيح نفي ناسرا ميكنند ازذات إلٰهي وبحمد إثبات صفات سزا ميكنند ويرا وفيه اشعار بان اعلى اللذائذ].

هو الاستغراق في شؤون الحق وصفاته.

يقول الفقير: كما أن العرش يطوفه الملائكة مسبحين حامدين. كذلك الكعبة يطوفها

المؤمنون ذاكرين شاكرين، وسر الدوران: أن عالم الوحدة لا قيد فيه ولا جهات كقلب العارف. ولما كانت الكعبة صورة الذات الأحدية أمر بطوافها ودورانها، فالفرق بين الطواف وبين الصلاة، أن الطواف: إطلاق ظاهراً وباطناً والصلاة قيد ظاهراً، وإطلاق باطناً، وإنما قلنا بكونها قيداً في الظاهر، لأنه لا بد فيها من التقييد بجهة من جهات الكعبة. **﴿وقضي بينهم﴾**؛ أي: بين الخلق. **﴿بالحق﴾** بالعدل بإدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة، أو بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم. وفي «آكام المرجان»: الملائكة، وإن كانوا معصومين جميعاً، فبينهم تفاضل في الثواب حسب تفاضل أعمالهم، وكما أن رسل البشر يفضلون على أفراد الأمة في المراتب. كذلك رسل الملائكة على سائرهم.

﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾؛ أي: على ما قضي بيننا بالحق، وأنزل كلامنا منزلته التي هي حقه. والقائلون: هم المؤمنون ممن قضي بينهم، أو الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم.

وفي «التأويلات النجمية»: وقضي بينهم بالحق، يعني: بين الملائكة وبين الأنبياء والأولياء بما أعطي كل فرقة منهم من المراتب والمنازل ما أعطي. وقيل: يعني: وقال كل فريق منهم الحمد لله رب العالمين على ما أنعم علينا به.

وقال الكاشفي: [همجنانكه درابتدآى خلق آسمان زمين شتايش خود فرمودكه] الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض بوقت استقرار أهل آسمان وزمين درمنازل خويش همان ستايش كرد تادانندكه در فاتحه وخاتمه مستحق حمدوثنا اوست]، يعني: ينبغي أن يحمد في أول كل أمر وخاتمته:

درخور ستايش نبود غير توكس جاكه ثنا ييست ترازيبد وبس

فإذا كان كل شيء يسبح بحمده، فالإنسان أولى بذلك، لأنه أفضل. قال بعض العارفين:

ثنا كونا ثنا يابى شكر كونا عطايابى رضاده تارضايابى وراجوتا ورايابى

وقال عليه السلام: إذا أنعم الله على عبده نعمة، فيقول العبد الحمد لله، فيقول الله: انظروا إلى عبدي أعطيته ما قدر له، فأعطاني ما لا قيمة له معناه أن الإنعام أحد الأشياء المعتادة كإطعام الجائع وإرواء العطشان وكسوة العاري. وقوله: الحمد لله معناه: أن كل حمد أتى به أحد، فهو لله، فيدخل فيه محامد ملائكة العرش والكرسي وأطباق السماء والأنبياء والأولياء والعلماء، وما سيذكرونه إلى وقت قوله. وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين، وهي بأسرها متناهية، وما لا نهاية له مما سيأتونها أبد الآباد. ولذلك قال: أعطيته نعمة واحدة لا قدر لها، فأعطاني من الشكر ما لا حد له.

قال كعب الأحبار: عوالم الله تعالى لا تحصى لقوله تعالى، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، فهو تعالى مربي الكل بما يناسب لحاله ظاهراً وباطناً نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لحمده على نعمه الظاهرة والباطنة أولاً وآخراً.

تمت سورة الزمر بعون الله الخالق القوي والقادر
في يوم السبت السابع والعشرين من شعبان المنتظم في شهور سنة ١١١٢

٤٠ ـ سورة المؤمن

مكية وآيها خمس أو ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾.

﴿حم﴾: اسم للسورة ومحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هذه السورة مسماة بـ﴿حم﴾: نزلت منزلة الحاضر المشار إليه لكونها على شرف الذكر والحضور.
وقال ﷺ: «حم، اسم من أسماء الله تعالى، وكل اسم من أسماء الله تعالى مفتاح من مفاتيح خزائنه تعالى»، فمن اشتغل باسم من الأسماء الإلٰهية يحصل بينه وبين هذا الاسم؛ أي: بين سره وروحه مناسبة بقدر الاشتغال، ومتى قويت تلك المناسبة بحسب قوة الاشتغال يحصل بينه وبين مدلوله الحقيقي مناسبة أخرى، فحينئذٍ يتجلى له الحق سبحانه من مرتبة ذلك الاسم، ويفيض عليه ما شاء بقدر استعداده، وكل أسمائه تعالى أعظم عند الحقيقة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الر، وحم، ون، حروف الرحمٰن مقطعة في سور.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى القسم بسر بينه وبين حبيبه محمد عليه السلام لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل. وذلك أن الحاء والميم هما: حرفان من وسط اسم الله، وهو رحمٰن وحرفان من وسط اسم نبيه وحبيبه محمد عليه السلام، فكما أن الحرفين سر اسميهما، فهما يشيران أن القسم بسر كان بينهما أن تنزيل الكتاب إلخ.

وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله في ﴿حم﴾: الحي الملك. وزاد بعضهم: بأن قال: ﴿حم﴾ فواتح أسمائه: الحليم الحميد الحق الحي الحنان الحكيم الملك المنان المجيد.

وقال الكاشفي: [حا اشارت بحكم حق كه خط ومنع ورد بروكشيده نشودوميم اما نيست بملك او كه كرد زوال وفنا كرد سر اوقات آن راه نيابد].

وقال البقلي: الحاء حياة الأزل، والميم: منهل المحبة، فمن خصه الله تعالى بقربه سقاه من عين حياته، حتى يكون حياً بحياته لا يعتريه الفناء بعد ذلك، وينطق من حاء الحياة بعبارة الحكمة، ومن ميم المحبة من إشارات العلوم المجهولة ما لا يعرفها إلا الواردون على مناهل القدم والبقاء.

وفي «شرح حزب البحر»: ﴿حم﴾: إشارة إلى الحماية، ولذلك قال عليه السلام يوم أحد: «ليكن شعاركم حم لا ينصرون»؛ أي: بحماية الله لا ينصرون؛ أي: الأعداء؛ لأن الله تعالى مولى الذين آمنوا ولا مولى للكافرين، فتحصل العناية بالحماية، والحماية من حضرة الأفعال. ويقال: ﴿حم﴾ الأمر بضم الحاء وتشديد الميم؛ أي: قضي وقدر، وتم ما هو كائن

أو ﴿حم﴾: أمر الله؛ أي: قرب أو يوم القيامة. قال: قد حم يومي فسر قوم.

قوم بهم غفلة ونوم.

قال في «كشف الأسرار»: [حا اشارتست بمحبت وميم اشارتست بمنت ميكويد اى بحاى محبت من دوست كشته نه به هنر خود اى بميم منت من مرا يافته نه بطاعت خود اى من ترا دوست كرفته وتومرا نشاخته اى من ترا خواسته وتومرا نادانسته اى من ترابوده وتومرا بوده صد هزار كس بردر كاه ما ايستاده مارا خواستند ودعاها كردند بايشان التفات نكرديم وشمارا اى امت أحمد بى خواست شما كفت]. أعطيتكم قبل أن تسألوني، وأجبتكم قبل أن تدعوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني. [آن رغبت وشوق أنبياء كذشته بتوتا خليل مى كفت].

واجعل لي لسان صدق في الآخرين. [وكليم ميكفت]. اجعلني من أمة محمد. [نه ازان بودكه افعال توبا ايشان شرح داديم كه اكر افعال شما با ايشان كفتيم همه دامن ازشما درجيدندى ليكن أزان بود كه افضال وانعام خود باشما ايشانرا شرح داديم بيش از شما وهركرا بر كزيديم يكان يكان بركزيديم جنانكه اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران جون نوبت شمارا رسيد على العموم والشمول كفتيم كنتم خير أمة همه بركزيد كان ما آيد جاى ديكر كفت اصطفينا من عبادنا در تحت اين خطاب هم زاهد وهم عابداست هم ظالم وهم مظلوم].

روى موسى عليه السلام قال: يا رب هل أكرمت أحداً مثل ما أكرمتني، أسمعتني كلامك، فقال تعالى: إن لي عباداً أخرجهم في آخر الزمان وأكرمهم بشهر رمضان، وأنا أكون أقرب إليهم منك، فإني كلمتك بيني وبينك سبعون ألف حجاب، فإذا صامت أمة محمد وابيضت شفاههم واصفرت ألوانهم أرفع تلك الحجب وقت إفطارهم:

روزى كه سراز برده برون خواهى كرد ... دانم كه زمانه رازبون خواهى كرد

كرزيب وجمال ازين فزون خواهى كرد ... يا رب جه جكر هاست كه خون خواهى كرد

يا موسى طوبى لمن عطش كبده وجاع بطنه في رمضان، فإني لا أجازيهم دون لقائي، وخلوف فمهم عندي أطيب من ريح المسك، ومن صام يوماً استوجب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قال موسى: أكرمني بشهر رمضان. قال تعالى: هذه لأمة محمد عليه السلام، فانظر لإكرامه تعالى وحمايته لهذه الأمة المرحومة، فإنها بين الأمم بهذه الكرامة موسومة، بل كلها منها محرومة.

﴿تنزيل الكتاب﴾: خبر بعد خبر على أنه مصدر أطلق على المفعول؛ أي: المنزل مبالغة.

﴿من الله﴾: صلة للتنزيل. والأظهر أن تنزيل مبتدأ، ومن الله خبره، فيكون المصدر على معناه. وقوله: من الله؛ أي: لا كما يقوله الكفار من أنه اختلقه محمد.

﴿العزيز العليم﴾: لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن من الإعجاز وأنواع العلم الدالين على القدرة الكاملة والعلم البالغ.

وفي «فتح الرحمٰن»: الذي لا مثل له العليم بكل المعلومات.

وقال الكاشفي: [العزيز خداى تعالى غالب كه قادر است به تنزيل آن العليم دانا بهر جه فرستاد بهركس در هر وقت].

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾

﴿**غافر الذنب**﴾: صفة أخرى للجلالة والإضافة حقيقية؛ لأنه لم يرد به زمان مخصوص؛ لأن صفات الله أزلية منزهة عن التجدد والتقيد بزمان دون زمان، وإن كان تعلقها حادثاً بحسب حدوث المتعلقات كالذنب في هذا المقام، واسم الفاعل يجوز أن يراد به الاستمرار بخلاف الصفة المشبهة. والغافر: الساتر والذنب: الإثم. يستعمل في كل فعل يضر في عقباه اعتباراً بذنب الشيء؛ أي: آخره. ولم يقل غافر الذنوب بالجمع إرادة للجنس، كما في الحمد لله.

والمعنى: ساتر جمع الذنوب صغائرها وكبائرها بتوبة وبدونها، ولا يفضح صاحبها يوم القيامة، كما يقتضيه مقام المدح العظيم.

﴿**وقابل التوب**﴾: [القبول بذير فتن]. والقابل: الذي يستقبل الدلو من البئر، فيأخذها. والقابلة: التي تقبل الولد عند الولادة. وقبلت عذره وتوبه وغير ذلك. والتوب: مصدر كالتوبة، وهو ترك الذنب على أحد الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه: إما أن يقول المعتذر: لم أفعل أو يقول: فعلت لأجل كذا، أو فعلت وأسأت. وقد أقلعت ولا رابع لذلك. وهذا الثالث: هو التوبة. والتوبة في الشرع: هو ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربعة، فقد كملت شرائط التوبة، فالتوبة: هي الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود في الدين. والاستغفار: عبارة عن طلب المغفرة بعد رؤية قبح المعصية، والإعراض عنها، فالتوبة: مقدمة على الاستغفار. والاستغفار لا يكون توبة بالإجماع ما لم يقل معه: تبت وأسأت، ولا أعود إليه أبداً، فاغفر لي يا رب، وتوسيط الواو بين الغافر والقابل، لإفادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة في موصوف واحد بالنسبة إلى طائفة هي طائفة المذنبين التائبين، فالمغفرة بمحو الذنوب بالتوبة والقبول بجعل تلك التوبة طاعة مقبولة يثاب عليها، فقبول التوبة كناية عن أنه تعالى يكتب تلك التوبة للتائب طاعة من الطاعات، وإلا لما قبلها؛ لأنه لا يقبل إلا ما كان طاعة، أو لتغاير الوصفين إذ ربما يتوهم الاتحاد، بأن يذكر الثاني لمجرد الإيضاح والتفسير، أو التغاير موقع الفعلين ومتعلقهما؛ لأن الغفر هو الستر مع بقاء الذنب، وذلك لمن لم يتب من أصحاب الكبائر، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والقبول بالنسبة إلى التائبين عنها.

وفي «الأسئلة المقحمة»: قدم المغفرة على التوبة رداً على المعتزلة، ليعلم أنه تعالى ربما يغفر من غير توبة. وفي «كشف الأسرار»: [توبه مؤخر آمد وغفران مقدم بر مقتضاى فضل وكرم اكر من كفتى توبه بذيرم بس كناه آمر زم خلق بنداشتنديكه تا از بنده توبة نبود از الله مغفرت نيايد نخست بيا مرزم وآنكه توبه بذيرم تا عالميان دانند جنانكه بتوبه آمرزم اكر توبه مقدم غفرن بودى توبه علت غفران بودى وغفران مارا علت نيست وفعل ما بحيلة نيست نخست بيامرزم وبزلال افضال بنده را باك كردانم تا جون قدم بربساط ما نهد برباكى نهد جون كر ما آيد بصفت باكى آيدهما نست كه جاى ديكر كفت «ثم تاب عليهم ليتوبوا» غافرم آن عاصى راكه توبه نكرد قابلم آنراكه توبه كرد مراد از غفران ذنب درين موضع غفران ذنب غير تائبست بدليل آنكه واو عطف درميان آورد ومعطوف ديكر باشد ومعطوف عليه ديكر ليكن

هردورا حكم يكسان باشد جنانكه كويى جاءني زيد وعمرو زيد ديكرست وعمرو ديكر لكن هر دورا حكم يكيست در آمدن اكر حكم مخالف بودى عطف خطا بودى واكر هر دويكى بودى هر دو غلط بودى ﴿شديد العقاب﴾]. اسم فاعل كما قبله مشدد العقاب كأن ذين بمعنى مؤذن، فصحّ جعله نعتاً للمعرفة حيث يراد به الدوام والثبوت، وليس بصفة مشبهة حتى تكون الإضافة لفظية بأن يكون من إضافة الصفة إلى فاعلها، ولئن سلم، فالمراد: الشديد عقابه باللام، فحذفت للازدواج مع غافر الذنب وقابل التوب في الخلو عن الألف واللام.

قال في «كشف الأسرار»: [أول صفت خود كرد وكفت غافر الذنب وقابل التوب وصفت أو محل تصرف نيست بذيرنده تغيير وتبديل نيست بس جون حديث عقوبت كرد شديد العقاب كفت شديد صفت عقوبت نهاد وعقوبت محل تصرف هست وبذيرنده تبديل وتغيير هست كفت سخت عقوبتهم لكن اكر خواهم سست كنم وآنرا بكر دانم كه دران تصرف كنجد تغيير وتبديل بذيرد].

﴿ذي الطول﴾: الطول بالفتح: الفضل يقال: لفلان على فلان طول؛ أي: زيادة وفضل. وأصل هذه الكلمة من الطول الذي هو خلاف القصر؛ لأنه إذا كان طويلاً، ففيه كمال وزيادة، كما أنه إذا كان قصيراً، ففيه قصور ونقصان وسمي الغنى أيضاً طولاً؛ لأنه ينال به من المرادات ما لا ينال عند الفقر، كما أنه بالطول ينال ما لا ينال بالقصر كذا في تفسير الإمام في سورة النساء.

والمراد ها هنا الفضل بترك العقاب المستحق، وإيراد صفة واحدة في جانب الغضب بين صفات الرحمة دليل سبقها ورجحانها.

وفي «عرائس البقلي»: غافر الذنب يستر ذنوب المؤمنين بحيث ترفع عن أبصارهم حتى ينسوها، ويقبل عذرهم حين افتقروا إليه بنعت الاعتذار بين يديه شديد العقاب لمن لا يرجع إلى المآب؛ بأن عذبه بذل الحجاب ذي الطول، لأهل الفناء بكشف الجمال.

وفي «الوسيط»: نقلاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: الذنب لمن يقول: لا إلٰه إلا الله، وهم أولياؤه وأهل طاعته، وقابل التوب من الشرك، شديد العقاب لمن لا يوحده ذي الطول ذي الغنى عما لا يوحده، ولا يقول: لا إلٰه إلا الله.

وفي «كشف الأسرار»: [سنت خداوندست بنده رابآيت وعيد ترساند تابنده دران شكسته وكوفته كردد سوزى وكذا رى در بندكى بنمايد زارى وخوارى برخود نهد آنكه رب العزة بنعت رأفت ورحمت بآيت وعد تدارك دل وى كند وبفضل ورحمت خود اورا بشارت دهد بنده در سماع شديد العقاب بسوزد وبكدازد وبزبان انكسار كويد]:

برز آب دو ديده وبر آتش جكرم   يرباد دو دستم وبر از خاك سرم

[باز در سماع ذي الطول بنازد ودل بيفر وزد بزبان افتخار كويد]:

جه كند عرش كه اوغاشيه من نكشد   جون بدل غاشيه حكم قضاى تو كشم

[أبو بكر الشبلي قدس سره يكروز جون مبارزان دست أندازان همى رفت ومى كفت]، لو كان بيني وبينك بحار من نار لخضتها [اكر درين راه صدر هزار درياى آتشست همه بديده كذاره كنم وباك ندارم ديكر روز أورا ديدند كه مى آمد سر فرو افكنده جون محرومى درمانده نرم ميكفت المستغاث منك بك فرياد از حكم توزنهار از قهر تونه باتو امر آرام نه بى توكارم بنظام نه روى آنكه باز آيم نه زهره آنكه بكريزم]:

وكرباز آيم همى نه بينم جاهى   وربكر يزم همى نه دانم راهى

[كفتند اى شبلى آن دى جه بود امر وزجيست كفت آرى جغدكه طاوس رانه بيندلاف جمال زند لكن جغد جغدست وطاوس طاوس ﴿لا إله إلا هو﴾ هيج خداى نيست كه مستحق برستش باشد مكروا]. فيجب الإقبال الكلي على طاعته في أوامره ونواهيه.

﴿إليه﴾ تعالى فحسب لا إلى غيره لا استقلالاً ولا اشتراكاً. ﴿المصير﴾؛ أي: رجوع الخلق في الآخرة، فيجازي كلاً من المطيع والعاصي.

وفي «التأويلات النجمية» غافر الذنب لأوليائه بأن يتوب عليهم وقابل التوب؛ بأن يوفقهم للإخلاص في التوبة؛ لأنهم مظاهر صفات لطفه شديد العقاب لمن لا يؤمن ولا يتوب؛ لأنهم مظاهر صفات قهره ذي الطول لعموم خلقه بالإيجاد من العدم وإعطاء الحياة والرزق. وأيضاً: غافر الذنب لظالمهم وقابل التوب لمقتصدهم شديد العقاب لمشركهم ذي الطول لسابقهم. ولما كان من سنة كرمه أن سبقت رحمته غضبه غلبت ها هنا أسامي صفات لطفه على اسم صفة قهره، بل من عواطف إحسانه ومراحم طوله وإنعامه جعل اسم صفة قهره بين ثلاثة أسماء من صفات لطفه، فصار ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾ [الرحمان: ١٩ـ٢٠]، فإذا هبت رياح العناية من مهب الهداية وتموج البحران، فيتلاشى البرزخ باصطكاك البحرين، ويصير الكل بحراً واحداً، وهو بحر: لا إله إلا هو، إليه المصير، فإذا كان إليه المصير، فقد طاب المسير.

[عمر بن الخطاب رضي الله عنه دوستى داشت باوى برادر كفته وردين مردى عاقل بارسا ومتعبد رفتى آن دوست بشام بودوكسى از نزديك وى آمده بود عمر رضي الله عنه حال آن دوست ازوى برسيد كفت جه ميكندان برادرما وحال وى جيست اين مرد كفت أو برادر إبليس است نه برادر تو يعنى كه فترنى درراه وى آمده وسر نهاده در خمر وزمرو انواع فساد عمر كفت جون باز كردى مرا خبر كن تابوى نامة نويسم بس اين نامه نوشت].

بسم الله الرحمٰن الرحيم من عبد الله عمر إلى فلان ابن فلان سلام عليك إني أحمد إليك الله الذي لا إله، إلا هو غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب ذا الطول لا إله إلا هو إليه المصير. [جون آن نامه بوى رسيد صدق الله ونصح عمر كلام خدارا ستست ونصيحت عمر نيكو بسيار بكريست وتوبه كرد وحال وى نيكوشد بعد ازان عمر ميكفت هكذا افعلوا بأخيكم إذا زاغ سددوه]. ولا تكونوا عليه عوناً للشيطان. وفيه إشارة إلى أنه لا يهجر الأخ بذنب واحد بل ينصح.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٤﴾.

﴿ما يجادل في آيات الله﴾.

الجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، ومعنى المفاوضة بالفارسية [كارى راندن باكسى].

وأصله من جدلت الحبل أحكمت فتله فكأنه المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه.

قال أبو العالية: نزلت في الحارث بن قيس أحد المستهزئين. [يعنى از جمله مستهزيان بود وسخت خصومت بباطل درانكار وتكذيب قرآن].

والمعنى: ما يخاصم في آيات الله بالطعن فيها بأن يقول في حقها سحراً وشعراً وأساطير

الأولين، أو نحو ذلك وباستعمال المقدمات الباطلة لإدحاضه وإزالته وإبطاله لقوله تعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ [غافر: ٥]، فحمل المطلق على المقيد وأريد الجدال بالباطل.

﴿**إلا الذين كفروا**﴾ بها، وأما الذين آمنوا، فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلاً عن الطعن فيها، وأما الجدال فيها لحلّ مشكلاتها واستنباط حقائقها، وإبطال شبه أهل الزيغ والضلال، فمن أعظم الطاعات كجهاد في سبيل الله. ولذلك قال عليه السلام: إن جدالاً في القرآن كفر بتنكير جدالاً. الدال على التنويع للفرق بين جدال وجدال. ومما حرره حضرة شيخي وسندي في مجموعة من مجموعات هذا الفقير في ذيل هذه الآية، قوله: فكفار الشريعة يجادلون في آيات القرآن الرسمي، فيكون جدالهم رسمياً لكونه في الآيات الرسمية، فهم كفار الرسوم كما أنهم كفار الحقائق وكفار الحقيقة يجادلون في آيات القرآن الحقيقي. فيكون جدالهم حقيقياً لكونه في الآيات الحقيقية، فهم كفار الحقائق فقط لا كفار الرسوم، فعليك يا ولدي الحقي سمي الذبيح بترك الكفر والجدال مطلقاً حتى تكون عند الله، وعند الناس مؤمناً حقاً ومسلماً صدقاً هذا سبيل الصواب والرشاد، وإليه الدعوة والإرشاد وعلينا وعليكم القبول والاسترشاد، وهو الفرض الواجب على جميع العباد. انتهى.

﴿**فلا يغررك تقلبهم في البلاد**﴾. الفاء: جواب شرط محذوف والغرة غفلة في اليقظة والتقلب بالفارسية: [كرديدن].

قال في «المفردات» التقلب: التصرف والبلاد شهرها. قال الراغب: البلد المكان المحدود المتأثر باجتماع قطانه وإقامتهم فيه وجمعه بلاد وبلدان.

والمعنى: فإذا علمت أنهم محكوم عليهم بالكفر فلا يغررك إمهالهم وإقبالهم في دنياهم وتقلبهم في بلاد الشام واليمن للتجارات المربحة، وهي رحلة الشتاء والصيف.

يعني: [بدل مبارك ايشانرا فرصتى ومهلتى هست].

فإنهم مأخوذون عما قريب بسبب كفرهم أخذ من قبلهم من الأمم، كما قال: كذبت. إلخ.

قال في «عين المعاني»: فلا يغررك أيها المغرور. والمراد: غيره صلى الله تعالى عليه وسلم خطاب للمقلدين من المسلمين. انتهى. وفي الآية إشارة إلى أن أهل الحرمان من كرامات أولياء الله وذوق مشاربهم ومقاماتهم يصرون على إنكارهم تخصيص الله عباده بالآيات، ويعترضون عليهم بقلوبهم، فيجادلون في جحد الكرامات، وسيفتضحون كثيراً، ولكنهم لا يميزون بين رجحانهم ونقصانهم، فلا يغررك تقلبهم في البلاد لتحصيل العلوم، فإن تحصيل العلوم، إذا كان مبنياً على الهوى والميل إلى الدنيا، فلا يكون له نور يهتدي به إلى ما خصص به عباده المخلصين. قال المولى الجامي:

بيجاره مدعى كند اظهار علم وفضل   نشاخته قبول ودرجيـ ازردى

﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾

﴿كذبت قبلهم﴾ ؛ أي: قبل قريش. ﴿قوم نوح والأحزاب من بعدهم﴾ ؛ أي: الذين تحزبوا على الرسل وعادوهم وحاربوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود وأضرابهم. وبدأ بقوم نوح إذ كان أول رسول في الأرض؛ لأن آدم إنما أرسل إلى أولاده. ﴿وهمت﴾ قصدت عند الدعاء والهم عقد القلب على فعل شيء قبل أن يفعل من خير أو شر. ﴿كل أمة﴾ من تلك الأمم المعاتبة. ﴿برسولهم﴾ .

قال في «الأسئلة المقحمة»: لم يقل برسولها؛ لأنه أراد بالأمة ها هنا الرجال دون النساء وبذلك فسروه. وقال في «عين المعاني»: برسولهم تغليب للرجال ﴿ليأخذوه﴾ من الأخذ بمعنى الأسر. والأخيذ: الأسير؛ أي: ليأسروه ويحبسوه ليعذبوه أو يقتلوه. بالفارسية: [تانكيرند اورا وهر آزاركه خواهند بوى رسانند].

وفيه إشارة إلى أن كل عصر يكون فيه صاحب ولاية لا بد له من أرباب الجحود والإنكار وأهل الاعتراض كما كانوا في عهد كل نبي ورسول. ﴿وجادلوا﴾ : [وخصومت كردند با بيغمبران خود]. ﴿بالباطل﴾ : الذي لا أصل ولا حقيقة له أصلاً. قال في «فتح الرحمٰن»: الباطل ما كان فائت المعنى من كل وجه مع وجود الصورة، إما لانعدام الأهلية، أو لانعدام المحلية كبيع الخمر وبيع الصبي.

﴿ليدحضوا به الحق﴾ ؛ أي: ليزيلوا بذلك الباطل الحق الذي لا محيد عنه كما فعل هؤلاء. ﴿فأخذتهم﴾ بالإهلاك جزاء لهمهم بالأخذ. ﴿فكيف كان عقاب﴾ ؛ أي: عقابي الذي عاقبتهم به فإن آثار دمارهم كما ترونها حين تمرون على ديارهم عبرة للناظرين، ولآخذن هؤلاء أيضاً لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في الجريمة كما ينبىء عنه قوله:

﴿وكذلك حقت كلمة ربك﴾ ؛ أي: كما وجب وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب على أولئك الأمم المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لإدحاض الحق به وجب أيضاً.

﴿على الذين كفروا﴾ ؛ أي: كفروا ربك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا، فالمقصود عبارة عن كفار قومه عليه السلام، وهم قريش لا عن الأمم المهلكة. ﴿أنهم أصحاب النار﴾ في حيز النصب بحذف لام التعليل، وإيصال الفعل؛ أي: لأنهم مستحقو أشد العقوبات وأفظعها التي هي عذاب النار وملازموها أبداً لكونهم كفاراً معاندين متحزبين على الرسول عليه السلام كدأب من قبلهم من الأمم المهلكة، فهم لسائر فنون العقوبات أشد استحقاقاً وأحق استيجاباً فعلة واحدة تجمعهم، وهي أنهم أصحاب النار. وقيل: في محل الرفع على أنه بدل من كلمة ربك بدل الكل.

والمعنى: مثل ذلك الوجوب، وجب على الكفرة المهلكة كونهم من أصحاب النار؛ أي: كما وجب إهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة. فالتشبيه واقع حالتيهم، والجامع للطرفين إيجاب العذاب ومحل الكاف على التقديرين النصب على أنه نعت لمصدر محذوف في الآية إشارة إلى أن الإصرار مؤدي إلى الأخذ والانتقام في الدنيا والآخرة، فعلى العاقل أن يرجع إلى الله ويتوب ويتعظ بغيره قبل أن يتعظ الغير به:

جو بر كشته بختى درافتد به بند — ازونيك بختان بكير ند بند
تو بيش از عقوبت در عفو كوب — كه سودى ندارد فغان زيرجوب

عصمنا الله وإياكم من أسباب سخطه.

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧﴾

﴿الذين يحملون العرش﴾. العرش: هو الجسم المحيط بجميع الأجسام سمي به لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك في ممكنه عليه عند الحكم لنزول أحكام قضائه وقدره منه، ولا صورة ولا جسم ثمة، وهو الفلك التاسع خلقه الله من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام.

والمراد: أن حملة العرش أفضل كما أن خادم أشرف الكائنات مطلقاً، وهو جبرائيل الخادم للنبي عليه السلام أشرف. وفي الحديث: «إن الله أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلاً لهم على سائرهم. وهم: أربعة من الملائكة يسترزق أحدهم لبني آدم، وهو في صورة رجل. والثاني: للطيور، وهو في صورة نسر. والثالث: للبهائم، وهو في صورة ثور. والرابع: للسباع، وهو في صورة أسد وبينهم وبين العرش سبعون حجاباً من نور، وإذا كان يوم القيامة يكون حملته ثمانية، دل عليه قوله تعالى، ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٧].

وفي بعض الروايات: كلهم في صورة الأوعال، والعرش على قرونهم أو على ظهورهم، لما أخرجه الترمذي وأبو داود في حديث طويل آخره، ثم فوق السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء وفوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء وفي الحديث: «أذن لي ربي أن أحدث عن ملك من حملة عرشه ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام. وروي: أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم، وهم أشد خوفاً من أهل السماء السابعة. وكل أهل سماء أشد خوفاً من أهل السماء التي دونها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما خلق الله تعالى حملة العرش قال لهم: احملوا عرشي، فلم يطيقوا، فخلق كل ملك من أعوانهم مثل جنود من في السماوات والأرض من الملائكة والخلق، فلم يطيقوا، فخلق مثل ما خلق عدد الحصى والثرى، فلم يطيقوا، فقال جلّ جلاله: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما قالوا: استقلوا العرش فنفذت أقدامهم في الأرض السابعة على متن الثرى، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «لا تتفكروا في عظمة ربكم ولكن تفكروا في خلقه، فإن خلقاً من الملائكة يقال له: إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الأرض السفلى، فإنه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كالوصع ـ وهو بالصاد المهملة الساكنة ـ وتحرك طائر أصغر من العصفور»، كما في القاموس. وإن الله خلق العرش من جوهرة خضراء له ألف ألف رأس وستمائة ألف رأس، في كل رأس ألف ألف وستمائة ألف لسان يسبح بألف ألف لغة، ويخلق الله بكل لغة من لغات العرش خلقاً في ملكوته يسبحه ويقدسه بتلك اللغة، والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من نور لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله، والأشياء كلها في العرش كحلقة ملقاة في فلاة، واحتجب الله بين العرش وحامليه سبعين حجاباً من نار وسبعين حجاباً من ماء وسبعين حجاباً

من ثلج وسبعين حجاباً من درّ أبيض وسبعين حجاباً من زبرجد أخضر، وسبعين حجاباً من ياقوت أحمر، وسبعين من نور، وسبعين من ظلمة، ولا ينظر أحدهم إلى العرش مخافة أن يصعق.

يقول الفقير: دل ما ذكر من الروايات على أن حملهم إياه؛ أي: العرش محمول على حقيقته، وليس بمجاز عن حفظهم وتدبيرهم كما ذهب إليه بعض المفسرين، ولعمري كونه مع سعة دائرته، وعظم محله على قرون الملائكة، أو على ظهورهم أو على كواهلهم أدل على كمال عظمة الله وجلال شأنه، فالملائكة الأربعة اليوم، والثمانية يوم القيامة، كالأسطوانات له، فكما أن القصر محمول على الأسطوانات، فكذا العرش محمول على الملائكة، فلا ينافي ذلك ما صحّ من قوائمه، وكونه بحيث يحيط الأجسام؛ لأنه يجوز أن يكون معلقاً في الحقيقة وأن الملائكة تحمله بالكلية. ﴿**ومن حوله**﴾: في محل الرفع بالعطف على قوله: الذين. وحول الشيء جانبه الذي يمكنه أن يحول إليه ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره.

قوله: ﴿**يسبحون بحمد ربهم**﴾؛ أي: ينزهونه عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل ملتبسين بحمده على نعمائه التي لا تتناهى.

وفي «فتح الرحمٰن»: يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الملك الحي الذي لا يموت، سبوح قدوس، رب الملائكة والروح. وجعل التسبيح أصلاً والحمد حالاً؛ لأن الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح؛ لأنه إنما يحتاج إليه لعارض الرد على من يصفه بما لا يليق به. قيل: حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين، ومن ورائهم سبعون ألف صف قياماً، قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير، ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا أيمانهم على شمائلهم ما منهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر. وما وراءهم من الملائكة لا يعلم حدهم إلا الله ما بين جناحي أحدهم مسيرة ثلاثمائة عام.

[در معالم از شهر بن حوشب نقل ميكند كه حملة عرش هشت اند جهار ميكويند سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وجهار ديكر ميكويند سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وكوييا ايشان بنسبت كرم الهى با ذنوب بني آدم ابن كلمات ميكويند].

وفي بعض التفاسير: كأنهم يرون ذنوب بني آدم وفي هذه الكلمات فوائد كثيرة: [بير طريقت أبو القاسم بشر ياسين كه از جملة مشاهير علما ومشايخ دهر بود شيخ أبو السعيد الخير راكفت اين كلمات از ما ياد كيرو بيوسته ميكوى أبو سعيد كفت اين كلمات يا ذكر فتم وبيوسته ميكفتم وازان منتفع شدم].

﴿**ويؤمنون به**﴾؛ أي: بربهم إيماناً حقيقياً بحالهم، والتصريح به مع إغناء ما قبله عن ذكره لإظهار فضيلة الإيمان، وإبراز شرف أهله. وقد قيل: أوصاف الأشراف أشراف الأوصاف.

يقول الفقير: أشار بالإيمان إلى أنهم في مرتبة الإدراك بالبصائر محجوبون عن إدراكه تعالى بالأبصار؛ كحال البشر ما داموا في موطن الدنيا. وأما في الجنة، فقيل: لا يراه الملائكة. وقيل: يراه منهم جبريل خاصة مرة واحدة، ويراه المؤمنون من البشر في الدنيا بالبصائر. وفي

الآخرة بالأبصار؛ لأن قوله: لا تدركه الأبصار قد استثني منه المؤمنون فبقي على عمومه في الملائكة والجن، وذلك لأن استعداد الرؤية إنما هو لمؤمني البشر لكمالهم الجامع.

﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾: استغفارهم، شفاعتهم وحملهم على التوبة وإلهامهم ما يوجب المغفرة، وفيه إشعار بأنهم يطلعون على ذنوب بني آدم وتنبيه على أن المشاركة في الإيمان توجب النصح والشفقة، وإن تخالفت الأجناس؛ لأنها أقوى المناسبات وأتمها كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] ولذلك قال الفقهاء: قتل الأعوان والسعاة والظلمة في الفترة مباح، وقاتلهم مثاب وإن كانوا مسلمين؛ لأن من شرط الإسلام الشفقة على خلق الله، والفرح بفرحهم والحزن بحزنهم، وهم على عكس ذلك، وقلما يندفع شرهم بالحبس. ونحوه قال الإمام: قد ثبت أن كمال السعادة مربوط بأمرين: التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله. ويجب أن يكون الأول مقدماً على الثاني، فقوله: يسبحون بحمد ربهم، ويؤمنون به مشعر بالتعظيم لأمر الله ويستغفرون للذين آمنوا بالشفقة على خلق الله. انتهى.

قال مجاهد: يسألون ربهم مغفرة ذنوب المؤمنين من حين علموا أمر هاروت وماروت، أو لقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠].

قال الراغب: المغفرة من الله أن يصون العبد عن أن يمسه العذاب، والاستغفار طلب ذلك بالمقال والفعال، فإن الاستغفار بالمقال فقط فعل الكاذبين، ثم لا يلزم من الآية أفضلية الملائكة على البشر حيث اشتغلوا بالاستغفار للمؤمنين من غير أن يتقدم الاستغفار لأنفسهم لاستغنائهم وذلك لأن هذا بالنسبة إلى عوام المؤمنين، وأما خواصهم، وهم الرسل فهم أفضل منهم على الإطلاق، وإنما يصلون عليهم بدل الاستغفار لهم تعظيماً لشأنهم، ونعم ما قال أبو الليث رحمه الله في الآية بيان فضل المؤمنين؛ لأن الملائكة مشتغلون بالدعاء لهم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الملائكة كما أمروا بالتسبيح والتحميد والتمجيد لله تعالى، فكذلك أمروا بالاستغفار والدعاء لمذنبي المؤمنين؛ لأن الاستغفار للمذنب، ويجتهدون في الدعاء لهم، فيدعون لهم بالنجاة، ثم برفع الدرجات كما قال: ﴿ربنا﴾ على إرادة القول؛ أي: يقولون: ربنا على أنه بيان لاستغفارهم أو حال؛ أي: قائلين: **﴿وسعت كل شيء رحمة وعلماً﴾** نصب على التمييز. والأصل: وسعت رحمتك وعلمك لا ذاتك لامتناع المكان في حقه، فأزيل عن أصله للإغراق في وصفه بالرحمة والعلم، كأن ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء وتقديم الرحمة، وإن كان العلم أشمل وأقدم تعلقاً من الرحمة؛ لأنها المقصودة بالذات ها هنا.

وفي «عين المعاني»: ملأت كل شيء نعمة وعلماً به.

يقول الفقير: دخل في عموم الآية الشيطان ونحوه؛ لأن كل موجود فله رحمة دنيوية البتة وأقلها الوجود وللشيطان إنظار إلى يوم الدين، ويكون من الرحمة الدنيوية إلى غير ذلك.

﴿فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك﴾: الفاء: لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم، فما بعد الفاء مسبب عن كل واحد من الرحمة والعلم، إذ المعنى، فاغفر للذين علمت منهم التوبة من الكفر والمعاصي واتباع سبيل الإيمان والطاعة. وفيه إشارة إلى أن الملائكة لا يستغفرون إلا لمن تاب ورجع عن اتباع الهوى، واتبع بصدق الطلب وصفاء النية سبيل الحق تعالى.

وفي «الأسئلة المقحمة» قوله: فاغفر إلخ. صيغة دالة على أن الشفاعة للتائبين. والجواب: أن الشفاعة للجميع، ولكن لما كانت حاجة التائب إليها أظهر قرنوه بالذكر، ثم لا يجب على الله قبول توبة التائب، عندنا انتهى والأظهر أن التخصيص للحث على التوبة والاتباع، وهو اللائح بالبال، ومن أعجب ما قيل في هذا المقام قول البقلي في «تأويلاته»: عجبت من رحمة الملائكة كيف تركوا المصرين على الذنوب عن استغفارهم هذه قطعة زهد وقعت في مسالكهم أين هم من قول سيد البشر عليه السلام حين آذاه قومه، اللهم اهد قومي؛ فإنهم لا يعلمون عمموا الأشياء بالرحمة، ثم خصوا منها التائبين، يا ليت لو بقوا على القول الأول، وسألوا الغفران لمجموع التائبين والعاصين. انتهى.

يقول الفقير: العاصي إما مؤمن أو كافر، والثاني: لا تتعلق به المغفرة؛ لأنها خاصة بالمؤمنين مطلقاً، فلما علم الملائكة أن الله لا يغفر أن يشرك به خصوها بالتائبين ليخرج المشركون.

﴿وقهم عذاب الجحيم﴾: أمر من وقى يقي وقاية، وهي حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره؛ أي: واحفظهم من عذاب جهنم، وهو تصريح بعد إشعار للتأكيد، وذلك لأن معنى الغفران إسقاط العذاب، وفيه إشارة إلى أنه بمجرد التوبة لا تحصل النجاة، فلا بد من الثبات عليها وتخليص العمل من شوب الرياء والسمعة وتصفية القلب عن الأهواء والبدع.

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾

﴿ربنا وأدخلهم﴾: عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما للمبالغة في الجؤار، وهو رفع الصوت بالدعاء والتضرع والاستغاثة. **﴿جنات عدن﴾**: [در بوستانهاى اقامت]. **﴿التي وعدتهم﴾**؛ أي: وعدتهم إياها وقد وعد الله بأن يدخل من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، جنات عدن، إما ابتداء أو بعد أن يعذبهم بقدر عصيانهم.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الأحبار: ما جنات عدن. قال: قصور من ذهب في الجنة يدخلها النبيون وأئمة العدل، فعلى هذا يكون جنات عدن. موضع أهل الخصوص لا أهل العموم ومثلها الفردوس، إذ لكل مقام عمل يخص به، فإذا كان العمل أخص وأرفع كان المقام أرقى وأعلى.

﴿ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾: في محل النصب عطف على الضمير في وأدخلهم. والمعنى: وأدخل معهم من صلح من هؤلاء صلاحاً مصححاً لدخول الجنة في الجملة، وإن كان دون صلاح أصولهم وذلك ليتم سرورهم، ويتضاعف ابتهاجهم، وفيه إشارة إلى أن بركة الرجل التائب تصل إلى آبائه وأزواجه وذرياته لينالوا بها الجنة ونعيمها.

قال سعيد بن جبير: يدخل المؤمن الجنة، فيقول: أين أبي، أين ولدي، أين زوجي، فيقال: إنهم لم يعملوا مثل عملك، فيقول: إني كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم الجنة:

اميد است از آنان كه طاعت كنند كه بى طاعتا نرا شفاعت كنند

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نودي

في أطفال المسلمين أن اخرجوا من قبوركم، فيخرجون من قبورهم، فينادى فيهم: أن امضوا إلى الجنة زمراً، فيقولون: يا ربنا ووالدينا معنا، فينادى فيهم. الثانية: أن امضوا إلى الجنة زمراً، فيقولون: ووالدينا معنا، فيبتسم الرب تعالى، فيقول: ووالديكم معكم، فيثب كل طفل إلى أبويه، فيأخذون بأيديهم، فيدخلونهم الجنة، فهم أعرف بآبائهم وأمهاتهم يومئذٍ من أولادكم الذين في بيوتكم».

وفي «الواقعات المحمودية»: نقلاً عن حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره: من كان من أهل الجنة وزوجته لم تكن كذلك يخلق الله تعالى مثل زوجته في الجنة، فيتسلى بها، فإن قلت: كيف يكون التسلي بمثلها. قلت: لا يعلم أنها مثلها، فلو ظن أنها مثلها لا عينها لا يتسلى، بل يحزن، والجنة دار السرور لا دار الحزن، ولذلك أرسل آدم عليه السلام إلى الدنيا لئلا يحزن في الجنة.

﴿إنك أنت العزيز﴾ الغالب الذي لا يمتنع عليه مقدوره. يعني: [از هيج مقدور عاجز نشوى]. ﴿الحكيم﴾: الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الأمور التي من جملتها إنجاز الوعد والوفاء به.

وفي «التأويلات النجمية»: أنت العزيز تعز التائبين وتحبهم، وإن أذنبوا الحكيم فيما لم تعصم محبيك عن الذنوب ثم تتوب عليهم:

زمن سر زحكمت بدرمى برم   كه حكمت جنين ميرود بر سرم

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.

﴿وقهم السيئات﴾؛ أي: احفظهم عما يسوؤهم يوم القيامة وادفع عنهم العقوبات؛ لأن جزاء السيئة سيئة، فتسميتها سيئة إما لأن السيئة اسم للملزوم، وهو الأعمال السيئة، فأطلق على اللازم وهو جزاؤها أو المعنى قهم جزاء السيئات على حذف المضاف على أن السيئات، بمعنى الأعمال السيئة، وهو تعميم بعد تخصيص لقوله: وقهم عذاب الجحيم وعذاب القبر، وموقف القيامة والحساب والسؤال والصراط ونحوها، أو مخصوص بمن صلح من الأتباع. والأول دعاء للأصول.

﴿ومن تق السيئات يومئذٍ﴾؛ أي: يوم القيامة. ﴿فقد رحمته﴾؛ لأن المعافى من العذاب مرحوم، ويجوز أن يكون المراد بالسيئات الأول: المعاصي في الدنيا، فمعنى قوله: ومن تق إلخ. ومن تقه المعاصي في الدنيا فقد رحمته في الآخرة؛ كأنهم طلبوا لهم السبب بعدما سألوا المسبب.

وفي «التأويلات النجمية»: وقهم السيئات يعني بعد أن تابوا لئلا يرجوا إلى المعاصي والذنوب، ومن تق السيئات يومئذٍ، فقد رحمته يحيلون الأمر فيه على رحمته وبرحمته لم يسلط على المؤمن أراذل خلقه، وهم الشياطين، وقد قيض لشفاعته أفاضل من خلقه وهم الملائكة المقربون. قال مطرف: أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين الشياطين.

﴿وذلك﴾: المذكور من الرحمة والوقاية. ﴿هو الفوز العظيم﴾: الفوز: الظفر مع حصول السلامة؛ أي: هو الظفر العظيم الذي لا مطمع وراءه لطامع. وبالفارسية: [آن بيروزى

بزر كست جه هركه امروز دربناه عصمت الهيست فردا درساية رحمت نامتناهى خواهد بود ودرين باب كفته اند]:

امروز كسى را در آرى به بناه فردا بمقام قريتش بخشى راه
وانراكه رهش نداده بر دركاه فردا جه كند كه نكند ناله وآه

يقول الفقير: ظهر من الآيات العظام ومن استغفار الملائكة الكرام أن بناء الإنسان محتاج إلى المعاونة لكونه تحت ثقل حمل الأمانة العظمى، وهو المنور بنور لطفه وجماله تعالى، وهو المحترق بنار قهره وجلاله سبحانه، فطريقه طريق صعب، وليس مثله أحد وما أشبه حاله مع الملائكة بحال الديك مع البازي، قال للديك: ما أعرف أقل وفاء منك، لأن أهلك يربونك من البيضة، ثم إذا كبرت لا يدنو منك أحد إلا طرأت ها هنا وها هنا، وأنا أؤخذ من الجبال، فيحبسون عيني ويجيعونني ويجعلونني في بيت مظلم، وإذا أطلقوني على الصيد فآخذه، وأعود إليهم، فقال الديك: لأنك ما رأيت بازياً في سفود، وهي الحديدة التي يشوى بها اللحم، وكم قد رأيت ديوكاً في سفافيد، ثم يجيب على من يطلب الفوز أن يناله من طريقه، فكل سعادة في الآخرة، فبذرها مزروع في الدنيا، ولا بد للعاقل من التقديم لنفسه.

قال لقمان رحمه الله: يا بني لا تكن الذرة أيسر منك تجمع في صيفها لشتائها قبل اشتداد الشتاء، وطلب ضفدع من الذرة ذخيرة، فقالت: لم ترنمت في الصيف في أطراف الأنهار وتركت الادخار للشتاء. قال الشيخ سعدي:

كنون باخرد بايد انباز كشت كه فردا نما ندره باز كشت

أي: لا يبقى يوم القيامة طريق للرجوع إلى الدنيا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿إن الذين كفروا ينادون﴾: المناداة والنداء: الدعوة ورفع الصوت، وذلك أن الكفار يمقتون في جهنم أنفسهم الأمارة بالسوء التي وقعوا فيما وقعوا من العذاب المخلد باتباع هواها؛ أي: يغضبون عليها حتى يأكلون أناملهم ويبغضونها أشد البغض وينكرونها أشد الإنكار، ويظهرون ذلك على رؤوس الأشهاد، فعند ذلك تناديهم الملائكة، وهم خزنة جهنم من مكان بعيد تنبيهاً على بعدهم عن الحق. وبالفارسية: [بوقتى كه كفار بدوزخ درايند وبانفسها دشمن آغاز كرده روبان عتاب وملامت بكشايند كه جرادر زمان اختيار ايمان نياوردند ملائكه آواز ميدهند ايشانرا وكويند].

﴿لمقت الله﴾: جواب قسم محذوف والمقت البغض الشديد لمن يراه متعاطياً والبغض: نفار النفس من الشيء ترغب عنه، وهو ضد الحب، وهو انجذاب النفس إلى الشيء الذي ترغب فيه ومقت الله غضبه وسخطه، وهو مصدر مضاف إلى فاعله وحذف مفعوله لدلالة المقت الثاني عليه.

والمعنى: والله لمقت الله أنفسكم الأمارة بالسوء. **﴿أكبر﴾** [بزركترست]. **﴿من مقتكم أنفسكم﴾**: اذكروا. **﴿إذ تدعون﴾** في الدنيا من جهة الأنبياء **﴿إلى الإيمان﴾**، فتأبون قبوله **﴿فتكفرون﴾** بالله تعالى وتوحيده اتباعاً لأنفسكم ومسارعة إلى هواها، ويجوز أن يتعلق إذ

بالمقت الأول، ولا يقدح فيه وجود الخبر في البين، لأن في الظروف اتساعاً، فالمعنى: غضب الله تعالى حين أغضبتموه في الدنيا حين كفرتم أكبر مقتكم أنفسكم اليوم.

يقول الفقير: دل قوله: إذ تدعون إلخ على أن سبب المقت هو الكفر؛ كأنه قال: اذكروا ذلك، فهو سبب المقت في الدنيا والآخرة. والدخول في النار المحرقة القاهرة، كما قال فيما سيأتي ذلكم بأنه إذا دعي الله إلخ وحقيقته أن الله تعالى أحب المحبين في الحقيقة، كما أن النفس أعدى الأعداء، فمن صرف محبة أحب المحبين إلى أعدى الأعداء، وجرى على حكمه صرف الله نظره عنه وأبغضه. كما قال الشيخ سعدي:

نظر دوست نادر كند سوى تو ... جودر روى دشمن بود روى تو
كرت دوست بايد كزو برخورى ... نبايدكه فرمان دشمن برى
نداني كه كمتر نهد دوست باى ... جوبيند كه دشمن بود در سراى

ومقت الله على الكفر أزلي خفي لم يظهر أثره إلا في وقت وجود الكفر من الكافر وأبدي؛ لأنه لا ينقطع بانقطاع الدنيا، فالكافر مغضوب في الدنيا والآخرة، وإنما كان مقت الله أكبر من مقت العبد، لأن مقت العبد مأخوذ من مقت الله إذ لو لم يأخذه الله بجريمته لما وقع في مقت نفسه، ولأن أشد العقوبات آثار سخط الله وغضبه على العباد، كما أن أجل النعم آثار رضاه عنهم، فإذا عرف الكافر في الآخرة أن ربه عليه غضبان، فلا شيء أصعب على قلبه منه على أنه لا بكاء ينفعه ولاغناء يزيل عنه ما هو فيه، ويدفعه، ولا يسمع منه تضرع ولا يرجى له حيلة. نسأل الله عفوه وعطاه، وهو حسبنا مما سواه.

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾.

﴿قالوا﴾؛ أي: الكفرة حين خوطبوا بهذا الخطاب. **﴿ربنا﴾**؛ أي: [برور دكار مارا]. **﴿أمتنا﴾**: إماتتين. **﴿اثنتين وأحييتنا﴾** إحياءتين. **﴿اثنتين﴾**: فهما صفتان لمصدر الفعلين المذكورين. وفي الإماتتين والإحياءتين وجوه:

الأول: ما قال الكاشفي نقلاً من «التبيان»: [ذريت آدم راكه از ظهر او بيرون آورد وميثاق ازايشان فرا كرفت بميرانيد إماتة نخستين آنست ودر رحم كه نطفه بودند زنده كرد بس دردنيا بميرانيد ودر آخرت زنده كردانيد]. **﴿فاعترفنا﴾**: أقررنا بسبب ذلك. **﴿بذنوبنا﴾**: لا سيما إنكار البعث يعني الأنبياء دعونا إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، وكنا نعتقد كالدهرية أن لا حياة بعد الموت، فلم نلتفت إلى دعوتهم ودمنا على الاعتقاد الباطل حتى متنا وبعثنا، فشاهدنا ما نحن ننكره في الدنيا، وهو الحياة بعد الموت، فالآن نعترف بذنوبنا. **﴿فهل إلى خروج﴾**: نوع خروج من النار سريع أو بطيء أو نوع من الأعمال. **﴿من سبيل﴾**: من طريق فنسلكه، ونتخلص من العذاب أو هل إلى خروج إلى الدنيا من سبيل، فنعمل غير الذي كنا نعمل كما قال: هل إلى مرد من سبيل، فيقال: فحذف الجواب، كما في «عين المعاني»، أو الجواب ما بعده من قوله: ذلكم إلخ، كما في غيره.

والثاني: أنهم أرادوا بالإماتة الأولى خلقهم أمواتاً، وذلك في الرحم قبل نفخ الروح كما قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، وبالثانية: إماتتهم عند انقضاء آجالهم على أن الإماتة: جعل الشيء عادم الحياة، وأرادوا بالإحياء الأول: الإحياء قبل الخروج من البطن،

وبالثاني: إحياء البعث، ولا يلزم منه أن لا عذاب في القبر، ولا حياة ولا موت؛ فإنهم إنما لم يذكروها؛ لأن حياة القبر ليست كحياة الدنيا، ولا كحياة الآخرة، كما في «الأسئلة المقحمة».

وقد ثبت بالتواتر أن النبي عليه السلام استعاذ من عذاب القبر، وأجمع السلف على ذلك قبل ظهور أهل البدع، حتى قال بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، أنه أراد في القبر لأنا نشاهد كثيراً منهم عيشهم أرغد في الدنيا من عيش كثير من المؤمنين.

والثالث: أنهم أرادوا بالإماتة الأولى ما بعد حياة الدنيا. وبالثانية: ما بعد حياة القبر. وبالإحياءتين ما في القبر، وما عند البعث، قال في «الإرشاد»: وهو الأنسب بحالهم. وأما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق حياة الدنيا، فمدفوع لكن لا بما قيل من عدم اعتدادهم بها، لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها وأحكامها، بل بأن مقصودهم إحداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه في الدنيا والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوسلوا بذلك إلى الرجوع إلى الدنيا، وهو الذي أرادوه بقولهم، فهل إلى خروج من سبيل مع نوع استبعاد له واستشعار يأس منه لا أنهم قالوه بطريق القنوط المحض، ولا ريب في أن الذي كانوا ينكرونه ويفرعون عليه فنون الكفر والمعاصي ليس إلا الإحياء بعد الموت، وأما الإحياء الأول، فلم يكونوا لينظموه في سلك ما اعترفوا به، وزعموا أن الاعتراف يجديهم نفعاً، وإنما ذكروا الموتة الأولى لترتبها عليهما ذكراً حسب ترتبهما عليهما وجوداً.

والرابع: على ما في «التأويلات النجمية»: أنهم أرادوا إماتة القلوب وإحياء النفوس، ثم إماتة الأبدان وإحياءها بالبعث.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾

﴿ذلكم﴾: قال في «الإرشاد»: جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من أعمالهم السيئة؛ أي: ذلكم الذي أنتم فيه من العذاب، وهو مبتدأ خبره. قوله: **﴿بأنه﴾**؛ أي: بسبب أن الشأن **﴿إذا دعي الله﴾** في الدنيا؛ أي: عبد **﴿وحده﴾**؛ أي: حال كونه منفرداً، فهو في موضع الحال من الجلالة. **﴿كفرتم﴾**؛ أي: بتوحيده. **﴿وإن يشرك به﴾**؛ أي: إن يجعل له شريك. **﴿تؤمنوا﴾**؛ أي: بالإشراك به وتصدقوه وتسارعوا فيه. ولفظ الاستقبال تنبيه على أنهم لو ردوا لعادوا إلى الشرك.

وفي «الإرشاد» في إيراد إذا. وصيغة الماضي في الشرطية الأولى، وإن وصيغة المضارع في الثانية: ما لا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم، وحيث كان حالكم كذلك.

﴿فالحكم لله﴾: الذي لا يحكم إلا بالحق. **﴿العلي الكبير﴾** عن أن يشرك به إذ ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. وقد حكم بأنه لا مغفرة للمشرك، ولا نهاية لعقوبته، فلا سبيل لكم إلى الخروج أبداً. قيل: كأن الحرورية أخذوا قولهم: لا حكم إلا لله من هذا.

وقيل: للخوارج حرورية لتجليتهم بحروراء واجتماعهم فيها، وهي كحلولاء. وقد تقصر قرية بالكوفة. والخوارج قوم من زهاد الكوفة خرجوا عن طاعة عليّ رضي الله عنه عند التحكيم

بينه وبين معاوية، وذلك أنه لما طالت محاربة عليّ ومعاوية اتفق الفريقان على التحكيم إلى أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما في أمر الخلافة، وعلي ارتضى بما يريانه، فقال القوم: المذكور إن الحكم إلا لله، فقال عليّ رضي الله عنه: كلمة حق أريد بها باطل. وكانوا اثني عشر ألف رجل أنكروا الخلافة، واجتمعوا ونصبوا راية الخلاف، وسفكوا الدماء وقطعوا السبيل، فخرج إليهم علي رضي الله عنه وأمرهم بالرجوع، فأبوا إلا القتال، فقاتلهم بالنهروان، هي كزعفران بليدة قديمة بالقرب من بغداد، فقتلهم واستأصلهم، ولم ينج منهم إلا قليل. وهم الذين قال عليه السلام في حقهم: يخرج قوم من أمتي في آخر الزمان يحقر أحدكم صلاته في جنب صلاتهم وصومه في جنب صومهم، ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم».

وقال عليه السلام: الخوارج كلاب النار». والحاصل: أن الخوارج من الفرق الضلالة لفسادهم في الاعتقاد وبإنكار الحق وفساد الاعتقاد ساء حال أكثر العباد في أكثر البلاد، خصوصاً في هذه الأعصار، فعلى العاقل أن يجيب دعوة الله ودعوة رسوله، قولاً وعملاً وحالاً واعتقاداً، حتى يفوز بالمرام ويدخل دار السلام، ولا يكون كالذين أرادوا أن يتداركوا الحال بعد مضي الفرصة:

ملوث مكن دامن از كرد شوى ... كه ناكه زبالا ببندند جوى

مكو مرغ دولت زقيدم بجست ... هنوزش سر رشته دارى بدست

وكردير شد كرم روباش وجست ... زدير آمدن غم ندارد درست

المراد: الترغيب في التوبة، ولو في الشيب وقرب الموت.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿هو﴾: تعالى وحده **﴿الذي يريكم آياته﴾**. دلائل قدرته وشواهد وحدته في الأنفس والآفاق رعاية لمصالح أديانكم. وفيه إشارة إلى أنه ليس للإنسان أن يرى ببصيرته حقائق الأشياء إلا بإراءة الحق تعالى إياه. **﴿وينزل لكم من السماء رزقاً﴾**؛ أي: سبب رزق، وهو المطر مراعاة لمصالح أبدانكم، فإن آيات الحق بالنسبة إلى حياة الأديان بمنزلة الأرزاق بالنسبة إلى حياة الأبدان. **﴿وما يتذكر﴾**: التذكير: [بند كرفتن]؛ أي: ما يتعظ وما يعتبر بتلك الآيات الباهرة، ولا يعمل بمقتضاها **﴿إلا من ينيب﴾**: يرجع إلى الله تعالى عن الإنكار، ويتفكر فيما أودعه في تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة ونعمته الشاملة الظاهرة والباطنة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى، ومن ليس كذلك، وهو المعاند، فهو بمعزل عن التذكر والاتعاظ، فإذا كان الأمر كذلك؛ أي: كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب.

﴿فادعوا الله﴾: فاعبدوه أيها المؤمنون. **﴿مخلصين له الدين﴾**؛ أي: حال كونكم مخلصين له دينكم وطاعتكم من الشرك والالتفات إلى ما سواه بموجب إنابتكم إليه وإيمانكم به. **﴿ولو كره الكافرون﴾**: ذلك وغاظهم إخلاصكم.

قال الكاشفي: [واكرچه كار هند كافران واخلاص شمادر توحيد اوزيرا كه ايشان بنعمت ايمان كافر ند وشما بران نعمت شاكر بس ميان شما منافر تست واعمال واقوال شما مرغوب ومحبوب ايشان نيست جنانچه كردار وكفتار ايشان نيز در نزدشما مكروه ومبغوض است]:

زاهدى در سماع رندان بود   زان ميان كفت شاهد بلخى
كر ملولى زما ترش منشين   كه توهم درميان ما تلخى

وفي الآية إشارة إلى أن المدعو من الله تعالى ينبغي أن يكون لذاته تعالى مخلصاً غير مشوب بشيء من مقاصد الدنيا والآخرة، ولو كان على كراهة كافر النفس، فإنها تميل إلى مشاربها:

خلاف طريقت بود كاوليا   تمنا كنند از خدا جز خدا

فلا بد من الإخلاص مطلقاً، فاعمل لربك خالصاً طيباً، فإنه طيب لا يقبل إلا الطيب وفي الحديث: «يؤجر ابن آدم في نفقته كلها إلا شيئاً وضعه في الماء والطين». قال حضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره في كشف سر هذا الحديث، وإيضاح معناه: اعلم أن صور الأعمال أعراض جواهرها مقاصد العمال وعلومهم واعتقاداتهم ومتعلقات هممهم. وهذا الحديث وإن كان من حيث الصيغة مطلقاً، فالأحوال والقرائن تخصصه وذلك، أن بناء المساجد والرباطات ومواضع العبادات يؤجر الباني لها عليها بلا خلاف:

جون بود قصدش از ريا منفك   مزديابد بران عمل بيشك

فالمراد بالمذكور هنا إنما هو البناء الذي لم يقصد صاحبه التنزه. والانفساح والاستراحة والرياء والسمعة، وإذا كان كذلك، فمطمح همة الباني ومقصده لا يتجاوز هذا العلم، فلا يكون لبنائه ثمرة ونتيجة في الآخرة؛ لأنه لم يقصد أمراً وراء هذه الدار، فأفعاله أعراض زائلة لا موجب لتعديها من هنا إلى الآخرة، فلا إثمار لها، فلا أجر. وبالفارسية:

هر كه ميخواهد از عمارت كل   فسحت دار ونزهت منزل
يا تفاخر ميانة أقران   كه بنا كرد مسجدى ويران
جون باخلاص همت عامل   متجاوز نشد ز عالم كل
نفقاتش درآب وكل موضوع   ماند واوزا جران بود مقطوع
بلكه در حج وعمره وصلوات   جون بود بهر عاجلت نفقات
همه ماند درآب وكل مرهون   ندهد اجر صانع بيجون
هر كرا از عمارت كل وآب   هست مقصود كسب قرب وثواب
جون زكل در كذشت همت وى   نفقاتش همه رود دربى
نفقاتش جو قطع كرد اين راه   عندكم بود كشت عند الله
كل ما كان عندكم ينفد   دام ما عنده إلى السرمد

قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]. والمرجو من الله تعالى أن يجعلنا من أهل الاختصاص بفيض كمال الإخلاص.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾.

﴿رفيع الدرجات﴾: خبر آخر لقوله: هو والرفيع صفة مشبهة أضيفت إلى فاعلها بعد النقل إلى فعل بالضم كما هو المشهور، وتفسيره بالرفع ليكون من إضافة اسم الفاعل إلى المفعول بعيد في الاستعمال، كما في «الإرشاد» والدرجة: مثل المنزلة، لكن يقال للمنزلة

درجة إذا اعتبرت بالصعود دون الامتداد على نحو درجة السطح والسلم، قاله الراغب. وفي «أنوار المشارق»: الدرجة إن كانت بمعنى المرقاة فجمعها درج وإن كانت بمعنى المرتبة، والطبقة، فجمعها درجات.

واختلف العلماء في تفسير هذه الآية، ففي «الإرشاد»: هو تعالى رفيع الدرجات ملائكته؛ أي: مرتفعة معارجهم ومقاعدهم إلى العرش. وفي «تفسير أبي الليث»: خالق السماوات ورافعها مطلقاً بعضها فوق بعض من طبق إلى طبق خمسمائة عام.

وفي «كشف الأسرار»: [بر دارنده درجهاى بند كانست وبريكديكر جه دردنيا جه در عقبا در دنيا آنست كه كفت]. ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥] يعني: [بر داشت شمارا زير يكديكر درجهاى افزونى يكى را بدانش يكى رابنسب يكى را بمال يكى را بشرف يكى را بصورت يكى را بقوت جاى ديكر كفت]. ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]، يعني: [برداشتيم ايشانرا بريكديكر در عز ومال در رزق ومعيشت يكى مالك يكى مملوك يكى خادم يكى مخدوم يكى فرمانده يكى فرمانبر اما درجات آنست كفت]. ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١] [هركه دردنيا بمعرفت وطاعت افزو نتردر عقبى بحق نزد يكتر وكرامت وى بيشتر]. فهو رافع الدرجات في الدنيا بتفاوت الطبقات. وفي العقبى بتباين المراتب والمقامات.

روي أن أسفل أهل الجنة درجة ليعطى مثل ملك الدنيا كلها عشر مرار؛ وأنه ليقول: أي رب لو أذنت لي أطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص ذلك، مما عندي شيئاً، وإن له من الحور العين ثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا.

وقال بعضهم: رافع درجات [انبياست عليهم السلام درجة آدم را بصفوت بر داشت ونوح را بدعوت وإبراهيم رابخلت وموسى را بقربت وعيسى رابزهادت ومحمد را بشفاعت].

وقال بعضهم: رافع درجات العصاة بالنجاة والمطيعين بالمثوبات وذي الحاجات بالكفايات والأولياء بالكرامات، والعارفين بالارتقاء عن الكونين، والمحبين بالفناء عن المحبية، والبقاء بالمحبوبية. [عزيزى فرموده كه]. لا يوجد البقاء إلا بالفناء [تا شربت فنا ننوشى]:

بنوش درد فنا كر بقاهمى خواهى كه زاد راه بقاى دردى خراباتست
زحال خويش فنا شود درين ره اى عطار كه باقى ره عشاق فانى الذاتست

يقول الفقير: حقيقة الآية عند السادات الصوفية قدس الله أسرارهم أنه تعالى رفيع درجات أسمائه وصفاته، وطبقات ظهوراته في تنزلاته واسترسالاته، فإنه تعالى خلق العقل الأول، وهو أول ما وجد من الكائنات، وهو آدم الحقيقي الأول، والروح الكلي المحمدي، والعلم الأعلى، وهو أول موجود تحقق بالنعم الإلٰهية وآخر الموجودات تحققاً بهذه النعم هو عيسى عليه السلام؛ لأنه لا خليفة لله بعده إلى يوم القيامة، بل لا يبقى بعد انتقاله، وانتقال من معه مؤمن على وجه الأرض فضلاً عن ولي كامل.

وفي الحديث: «لا تقوم الساعة وفي الأرض من يقول: الله، الله»؛ أي: الملازم الذكر لا الذاكر في الجملة، فلا بدّ للمصلي من أن يستحضر عند قوله: صراط الذين أنعمت عليهم جميع من أنعم الله عليه من العلم الأعلى إلى عيسى، ثم خلق الله النفس الكلية التي منها وجدت النفوس الناطقة كلها، وهي حواء الحقيقية الأولى، ثم أوجد الطبيعة الكلية التي في

الأجسام الجزئية وبواسطتها ظهر الفعل، والانفعال في الأشياء، ثم الهباء، ثم الشكل الكلي، وهو الهيولى الجسمية، ثم جسم الكلي، ثم الفلك الأطلس الذي هو العرش الكريم، ثم الكرسي على ما ذكره داود القيصري، وأما حضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره، فلم يجعل الفلك الأطلس هو العرش بعينه، فالترتيب عنده العرش ثم الكرسي، ثم فلك الأطلس سمي به لخلوه عن الكواكب، كخلو الأطلس عن النقش، ثم المنازل، ثم سماء كيوان، ثم سماء المشتري، ثم سماء المريخ، ثم سماء الشمس، ثم سماء الزهرة، ثم سماء عطارد، ثم سماء القمر، ثم عنصر النار، ثم عنصر الهواء، ثم عنصر الماء، ثم عنصر التراب، ثم المعدن، ثم النبات، ثم الحيوان، ثم الملك، ثم الجن، ثم الإنسان الذي هو مظهر الاسم الجامع، ثم ظهر في مرتبته التي هي مظهر الاسم الرفيع، فتم الملك والملكوت.

وهذه الحقائق كلها درجات إلٰهية ومراتب رحمانية دل عليها قوله تعالى: **﴿رفيع الدرجات﴾**. **﴿ذو العرش﴾**: خبر آخر لقوله: هو؛ أي: هو تعالى مالك العرش العظيم المحيط بأكناف العالم العلوي والسفلي. وله أربعمائة ركن من الركن إلى الركن أربعمائة ألف سنة خلقه فوق السماوات السبع وفوق الكرسي إظهاراً لعظمته وقدرته لا مكاناً لذاته، فإنه الآن على ما كان عليه، وإنما ذكره على حدّ العقول؛ لأن المعقول لا تصل إلا إلى مثله، وإلا فهو أقل من خردلة في جنب جلاله تعالى وعظمته أيضاً خلقه ليكون مطافاً لملائكته، وليكون قبلة الدعاء، ومحل نزول البركات؛ لأنه مظهر لاستواء الرحمة الكلية، ولذا ترفع الأيدي إلى السماء وقت الدعاء؛ لأنه بمنزلة أن يشير سائل إلى الخزانة السلطانية، ثم يطلب من السلطان أن يفيض عليه سجال العطاء من هذه الخزانة.

قال العلماء: يكره النظر إلى السماء في الصلاة، وأما في غيرها فكرهه بعض، ولم يكرهه الأكثرون؛ لأن السماء قبلة الدعاء، وأيضاً خلقه ليكون موضع كتاب الأبرار. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨]، وليكون مرآة للملائكة، فإنهم يرون الآدميين من تلك المرآة، ويطلعون على أحوالهم، كي يشهدوا عليهم يوم القيامة، وليكون ظلة لأهل المحشر من الأبرار والمقربين يوم تبدل السماوات والأرض، وليكون محلاً لإظهار شرف محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، كما قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وهو مقام تحت العرش فيه يظهر أثر الشفاعة العظمى للمؤمنين.

ويقال: إن الله تعالى رفع من كل شيء شيئاً، المسك من الطيب، والعرش من الأماكن، والياقوت من الجواهر، والشمس من الأنوار، والقرآن من الكتب، والعسل من الحلوى، والحرير من اللباس، والزيتون من الأشجار، والأسد من السباع، وشهر رمضان من الشهور، والجمعة من الأيام، وليلة القدر من الليالي، والتوحيد من المقال، والصلاة من الفعال، ومحمداً عليه السلام من الرسل، وأمته من الأمم.

هذا إذا كان العرش بمعنى الجسم المحيط، ويقال: العرش الملك، والبسطة، والعز. يقال: فلان ثل عرشه؛ أي: زالت قوته ومكنته.

وروي أن عمر رضي الله عنه: رؤي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك قال: لولا أن تداركني الله لثل عرشي، فيكون معنى ذو العرش على ما في «التأويلات النجمية»: ذو الملك العظيم؛ لأنه تعالى خلقه أرفع الموجودات وأعظمها جثة إظهاراً للعظمة، وأيضاً: ذو عرش

القلوب، فإنها العرش الحقيقي؛ لأن الله تعالى استوى على العرش بصفة الرحمانية، ولا شعور للعرش به، واستوى على قلوب أوليائه بجميع الصفات، وهم العلماء بالله مستغرقين في بحر معرفته، فإذا كان العرش الصوري، والمعنوي في قبضة قدرته، وهو مستولٍ عليه، ومتصرف فيه لا مالك ولا متصرف له غيره، لا يصح أن يشرك به مطلقاً، بل يجب أن يعبد ظاهراً وباطناً حقاً وصدقاً. ﴿**يلقي الروح**﴾: بيان لإنزال الرزق المعنوي الروحاني من الجانب العلوي بعد بيان إنزال الرزق الجسماني منه، ولذا وصف نفسه بكونه رفيع الدرجات وذا العرش؛ لأن آثار الرحمة مطلقاً، إنما تظهر من جانب السماء خصوصاً العرش مبدأ جميع الحركات.

والمعنى: ينزل الوحي الجاري من القلوب منزلة الروح من الأجساد، فكما أن الروح سبب لحياة الأجسام، كذلك الوحي سبب لحياة القلوب، فإن حياة القلوب إنما هي بالعارف الإلهية الحاصلة بالوحي، فاستعير الروح للوحي؛ لأنه يحيا به القلب بخروجه من الجهل والحيرة إلى المعرفة والطمأنينة، وسمي جبرائيل روحاً؛ لأنه كان يأتي الأنبياء بما فيه حياة القلوب وسمي عيسى روح الله؛ لأنه كان من نفخ جبرائيل وأضيف إلى الله تعظيماً.

واعلم أن ما سوى الله تعالى إما جسماني، وإما روحاني. والقسمان مسخران تحت تسخيره تعالى. أما الجسماني، فأعظمه العرش، فقوله: ذو العرش يدل على استيلائه على جميع عالم الأجسام كله، وقوله: يلقي الروح يدل على أن الروحانيات أيضاً مسخرات لأمره، فإن جبرائيل إذا كان مسخراً له في تبليغ الوحي إلى الأنبياء، وهو من أفاضل الملائكة، فما ظنك بغيره. وأما الوحي نفسه، فهو من الأمور المعنوية، وإنما يتصور بصورة اللفظ عند الإلقاء ﴿**من أمره**﴾: بيان للروح الذي أريد به الوحي، فإنه أمر بالوحي وبعث للمكلف عليه، فيما يأتيه ويذره، فليس المراد بالأمر هنا ما هو بمعنى الشأن، أو حال منه أي حال كونه ناشئاً، ومبتدأ من أمره تعالى: ﴿**على ما يشاء من عباده**﴾. وهو الذي اصطفاه لرسالته وتبليغ الأحكام إليهم.

وقال الضحاك: الروح جبرائيل؛ أي: يرسله إلى من يشاء من أجل أمره يخاطب بهذا من كره نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم.

وفي «التأويلات النجمية»: روح الدراية للمؤمنين، وروح الولاية للعارفين، وروح النبوة للنبيين. وفي الآية دليل على أن النبوة عطائية لا كسبية. وكذا الولاية في الحقيقة إذ لا ينظر إلى الأسباب الخارجة بل إلى الاختصاص الإلهي. ﴿**لينذر**﴾ غاية للإلقاء؛ أي: لينذر الله تعالى أو الملقى عليه، أو الروح. والإنذار: دعوة إبلاغ مع تخويف ﴿**يوم التلاق**﴾. إما ظرف للمفعول الثاني؛ أي: لينذر الناس العذاب يوم التلاق، وهو يوم القيامة، أو هو المفعول الثاني اتساعاً، أو أصالة، فإنه من شدة هوله وفظاعته حقيق بالإنذار أصالة. وسمي يوم القيامة يوم التلاق؛ لأنه تتلاقى فيه الأرواح والأجساد، وأهل السماوات والأرض والعابدون والمعبودون والعاملون والأعمال والأولون والآخرون والظالمون والمظلومون، وأهل النار مع الزبانية.

﴿يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ١٦﴾

﴿**يوم هم بارزون**﴾: بدل من يوم التلاق يقال: برز بروزاً: خرج إلى البراز؛ أي: الفضاء كتبرز وظهر بعد الخفاء كبرز بالكسر؛ أي: خارجون من قبورهم، أو ظاهرون لا يسترهم شيء

من جبل، أو أكمة، أو بناء لكون الأرض يومئذٍ مستوية، ولا عليهم ثياب، إنما هم عراة مكشوفون، كما في الحديث: «يحشرون حفاة عراة غرلاً جمع حافٍ وهو من لا نعل له، وجمع عارٍ، وهو من لا لباس عليه، وجمع أغرل، وهو الأقلف الذي لم يختن؛ أي: غير مختونين إلا قوماً ماتوا في الغربة مؤمنين لم يزنوا؛ فإنهم يحشرون، وقد كسوا ثياباً من الجنة، وقوماً أيضاً من أمة محمد عليه السلام، فإنه عليه السلام، قال يوماً: بالغوا في أكفان موتاكم؛ فإن أمتي يحشر بأكفانها وسائر الأمم حفاة عراة».

﴿**لا يخفى على الله منهم شيء**﴾ ما من أعيانهم وأعمالهم الجلية والخفية السابقة واللاحقة مع كثرتهم كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: ١٨]، وكانوا في الدنيا يتوهمون أنهم إذا استتروا بالحيطان والحجب فإن الله لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم فهم يومئذٍ لا يتوهمون ذلك أصلاً. ﴿**لمن الملك اليوم**﴾؛ أي: يقال: حين بروزهم وظهور أحوالهم؛ أي: ينادي منادٍ لمن الملك اليوم، فيجيب؛ أي: ذلك المنادي بعينه، ويقول: ﴿**لله الواحد القهار**﴾، أو يجيبه أهل المحشر مؤمنهم وكافرهم لحصول العلم الضروري بالوحدانية للكافر أيضاً، لكن الكافر يقوله: صغاراً، وهو أنا وعلى سبيل التحسر والندامة والمؤمن ابتهاجاً وتلذذاً إذ كان يقوله في الدنيا أيضاً، وهذا يسمى سؤال التقرير.

وقيل: إن المجيب إدريس عليه السلام، فإن قلت: كيف خص ذلك بيوم مخصوص، والملك لله في جميع الأوقات. قلت: هو وإن كان لله في جميع الأيام إلا أنه سبحانه ملك عباده في الدنيا، ثم تكون دعاويهم منقطعة يوم القيامة، لا يدعي مدع ملكاً، ولا ملكاً، يومئذٍ، ولذا قال: لمن الملك اليوم.

قال في «كشف الأسرار»: [دران روز رازها آشكار شود بردهاى متواريان درند توانكران بى شكررا در مقام حساب بدارند ودرويشان بى صبر را جامة نفاق از سر بركشند آتش فضيحت در طيلسان عالمان بى عمل زنند خاك ندامت بر فرق قراء مرائى ريزند يكى از خاك وحشت بيرون مى آيد جنانكه خا كستر ازميان آتش يكى جنانكه درازميان صدف يكى ميكويد اين الفرار من الله يكى ميكويد]. أين الطريق إلى الله؟. [يكى ميكويد]. ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩]: [يكى ميكويد]. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]: [آن روز بادشاهان روى زمين رامى آرند ودست سلطنت ايشان برشتة عزل بربسته ندا آيد كه بادشاهى كراسز دمكرس واحد قهار راكه برهمه شاهان بادشاهست وبادشاهى وى نه بحشم وسباهست سلطان جهان بملك ومال وبنعمت وسوار وبياده ودركاه فخر كنند وملك إلهي بر خلاف اينست كه او جل جلاله رسوم كون را آتش بينيازى درزند وعالم را هباء منثور كرداند وتيغ قهر برهيا كل أفلاك زند نداد هد كه لمن الملك اليوم كراز هرة آن بود كه اين خطاب را جواب دهد جزاو اى مسكين قيامت كه سران وسر هنكان دين را دربناه كرم إلهي جاى دهد ندانم كه ترابان سينة آلوده وعمل شوريده كجانسانند ورختت كجا نهند اي مسكين اكر بى مارى آخر ناله كو وا كر درباطنت آتشيست دودى كو واكر مرد بازركانى سالها برامد سودى كو طيلسان موسى ونعلين هارونت جه سود جون بزير رداء فرعون دارى صد هزار].

ويجوز أن يكون قوله: لمن الملك اليوم. إلخ. حكاية لما دل عليه ظاهر الحال في ذلك

اليوم من زوال الأسباب، وارتفاع الوسائط إذ لولا الأسباب لما ارتاب المرتاب، وأما حقيقة الحال، فناطقة بذلك دائماً، وقيل: السائل، والمجيب هو الله تعالى وحده، وذلك بعد فناء الخلق، فيكون ابتداء كلام من الله تعالى. وها هنا لطيفة، وهي أن سورة الفاتحة نصفها ثناء لله ونصفها دعاء للعبد، فإذا دعا واحد يجب على الآخر التأمين، فإذا قلت: ولا الضالين؛ كأنه يقول: ينبغي أن أقول: آمين. فكن أنت يا عبدي نائباً عني، وقل آمين، وإذا كان يوم القيامة، وأقول: أنا لمن الملك اليوم، يجب عليك أن تقول: لله الواحد القهار، وأنت في القبر، فأكون أنا نائباً عنك، وأقول: لله الواحد القهار.

قال ابن عطاء: لولا سوء طبائع الجهالة وقلة معرفتهم لما ذكر الله قوله: لمن الملك اليوم، فإن الملك لم يزل ولا يزال له، وهو المالك على الحقيقة، وذلك لما جهلوا حقه وحجبوا عن معرفته وشاهدوا الملك وحقيقته في الآخرة ألجأهم الاضطرار إلى أن قالوا: لله الواحد القهار، فالواحد الذي بطل به الأعداد. والقهار: الذي قهر الكلّ على العجز بالإقرار له بالعبودية طوعاً وكرهاً.

قال شيخي وسندي روح الله روحه في قوله: لله الواحد القهار، ترتيب أنيق، فإن الذات الأحدية تدفع بوحدتها الكثرة وبقهرها الآثار، فيضمحل الكل، فلا يبقى سوى الله تعالى.

وفي «التأويلات النجمية»: يومهم بارزون؛ أي: خارجون من وجودهم بالفناء لا يخفى على الله منهم شيء من وجودهم عند إفنائه حتى لا يبقى له غير الله، فيقول الله تعالى: لمن الملك اليوم، يعني: ملك الوجود. وهذا المقام الذي أشار إليه الجنيد قدس سره بقوله: ما في الوجود سوى الله، فإذا لم يكن لغير الله ملك الوجود يكون هو الداعي، والمجيب، فيقول: لله الواحد القهار؛ لأنه تعالى تجلى بصفة القهارية، فما بقي الداعي ولا المجيب غير الله:

جامى معاد ومبدأ ما وحدتست وبس ... ما درميانه كثرت موهوم والسلام

﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٧﴾.

﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾: إما من تتمة الجواب، أو حكاية لما سيقوله تعالى يومئذٍ عقيب السؤال. والجواب: أي: تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة من خير أو شر. **﴿لا ظلم اليوم﴾**، بنقص ثواب أو زيادة عذاب، يعني: [نه از ثواب كسى كم كنند ونه بر عقاب كسى افزايند ونه كسى رابكناه كسى بكير ند ونه نيكى راباداش بدى دهند].

﴿إن الله سريع الحساب﴾؛ أي: سريع حسابه تماماً إذ لا يشغله تعالى شأن عن شأن، فيحاسب الخلائق مع كثرتهم في أقرب زمان، ويصل إليهم ما يستحقونه سريعاً، فيكون تعليلاً لقوله تعالى: اليوم تجزى. إلخ.

فإن كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاق، ويوم البروز ربما يودهم استبعاد وقوع الكل فيه. وعن ابن عباس رضي الله عنه: إذا أخذ في حسابهم لم يقل: أهل الجنة إلا فيها ولا أهل النار إلا فيها، قوله: لم يقل من قال يقيل قيلولة، وهي النوم في نصف النهار.

قال في «كشف الأسرار»: [هركه اعتقاد كرد كه اورا روزى دربيش است كه دران روز باوى سؤالي وجوابي وحسابي وعتابي هست وشب وروز بيقرار بود دمبدم مشغول ومستغرق كار بود ميزان تصرف ازدست فرونهد بعيب كس ننكرد همه عيب خودرا مطالعه كند همه

حساب خود كند در خبر است]. حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتهيؤوا للعرض الأكبر. [يكى از بزركان دين روزى نامة نوشت ودرخانة عاريتى بود كفتا خواستم كه آن راخاك بر كنم تاخشك شود بر خاطرم كذشت نبايدكه فردا از عهدة اين مظلمه بيرون نتوانم آمدها نفى آو از داد]، سيعلم المستخف بترتيب الكتاب ما يلقى عند الله غداً من طول الحساب. [آرى فردا روز عرض وحساب بداندكه جه كرد آنكس كه نامة خويش بخاك خانة كسان خشك كرد].

وفي الحديث: يقول الله: «أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وعنده مظلمة حتى أقتص منه»، وتلا عليه السلام هذه الآية. وفي بعض الروايات لأقتص من القرناء للجماء؛ أي: قصاص مقابلة لا تكليف:

در وعده أهل ظلم حالى عجبست ورزيدن ظلم را وبالى عجبست
از ظلم برهيز كه درروز جزا لا ظلم اليوم كو شمالى عجبست

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾

﴿وأنذرهم﴾: خوفهم يا محمد، يعني أهل مكة. **﴿يوم الآزفة﴾**: منصوب على أنه مفعول به لأنذرهم؛ لأنه المنذر به والآزفة: فاعلة من أزف الأمر على حدّ علم إذا قرب. والمراد: القيامة ولذا أنث ونظيره: أزفت الآزفة؛ أي: قربت القيامة، وسميت بالآزفة لأزوفها، وهو القرب لأن كل آتٍ قريب، وإن استبعد اليائس أمده.

وفي الحديث: «بعثت أنا والساعة كهاتين إن كادت لتسبقني». والإشارة بهاتين إلى السبابة والوسطى، يعني: أن ما بيني وبين الساعة بالنسبة إلى ما مضى من الزمان مقدار فضل الوسطى على السبابة شبه القرب الزماني بالقرب المساحي، لتصوير غاية قرب الساعة، ثم في الأزوف إشعار بضيق الوقت، ولذا عبّر عن القيامة بالساعة. وقيل: أتى أمر الله، فعبر عنها بلفظ الماضي تنبيهاً على قربها، وضيق وقتها كما في «المفردات».

وقال بعضهم: أنذرهم يوم الخطة الآزفة؛ أي: وقتها، وهي مشارقة أهل النار دخولها والخطة بالضم الأمر، والقصة وأكثر ما يستعمل في الأمور العصبة التي تستحق أن تخط وتكتب لغرابتها، كما في حواشي سعدي المفتي: **﴿إذ القلوب لدى الحناجر﴾**: جمع حنجرة، وهي الحلقوم، وهي بالفارسية: [كلو].

والجملة: بدل من يوم الآزفة، فإن القلوب ترتفع عن أماكنها من شدة الفزع، فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيستروحوا ويتنفسوا، ولا تخرج فيستريحوا بالموت. وقيل: يلتفح السحر خوفاً؛ أي: الرئة، فيرتفع القلب إلى الحنجرة.

﴿كاظمين﴾: حال من أصحاب القلوب على المعنى إذ الأصل: إذ قلوبهم لدى حناجرهم بناء على أن التعريف اللامي بدل من التعريف الإضافي يقال: كظم غيظه؛ أي: رد غضبه وحبسه في نفسه بالصبر وعدم إظهار الأثر.

والمعنى: كاظمين على الغم والكربة ساكتين حال امتلائهم بهما يعني: لا يمكنهم أن ينطقوا ويصرحوا بما عندهم من الحزن والخوف من شدة الكربة، وغلبة الغم عليهم، فقوله:

إذ القلوب لدى الحناجر تقرير للخوف الشديد. وقوله: كاظمين تقرير للعجز عن الكلام، فإن الملهوف إذا قدر على الكلام وبث الشكوى حصل له نوع خفة وسكون، وإذا لم يقدر عظم اضطرابه واشتد حاله.

﴿ما للظالمين﴾؛ أي: الكافرين **﴿من حميم﴾**؛ أي: قريب مشفق، يعني: [هيج خويشى مشفق ويار مهربان عذاب ايشان را دفع كند]. **﴿ولا شفيع يطاع﴾**: وشفيع مشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة معاً، وعلى أن يطاع مجاز عن يجاب وتقبل شفاعته؛ لأن المطيع في الحقيقة يكون أسفل حالاً من المطاع، وليس في الوجود من هو أعلى حالاً من الله تعالى حتى يكون مطاعاً له تعالى. وفي الآية بيان أن لا شفاعة في حق الكفار؛ لأنها وردت في ذمهم، وإنما قيل للظالمين موضع للكافرين، وإن كان أعم منهم ومن غيرهم من العصاة، بحسب الظاهر تسجيلاً لهم بالظلم، ودلالة على اختصاص انتفاء كل واحد من الحميم والشفيع المشفع بهم فثبت أن لعصاة المسلمين حميماً وشفيعاً ومشفعاً، وهو النبي عليه السلام، وسائر الأنبياء والمرسلين والأولياء المقربين والملائكة أجمعين.

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾.

﴿يعلم﴾: [ميداند خداى تعالى]. **﴿خائنة الأعين﴾**؛ أي: النظرة الخائنة للأعين وإسناد الخيانة إلى النظرة مجاز لأن الخائن هو الناظر أو يعلم خائنة الأعين على أنها مصدر كالعافية كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]. والخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر ونقيضها الأمانة. والمراد هنا: استراق النظر إلى غير المحرم كفعل أهل الريب. والنظرة الثانية إليه. وفي الخبر «يا ابن آدم لك النظرة الأولى» معفوة لوقوعها مفاجأة دون الثانية لكونها مقارنة للقصد، وهي من قبيل زنا النظر. وفي المثنوي:

كرزناى جشم حظى مى برى ... نى كباب از بهلوى خود ميخورى

وذلك لأن النظر سهم مسموم من سهام إبليس. والنظرة تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة. قال الكاشفي:

جشم نظر بانجة حرامست ... يا غمز كرده بمعايب مردم

أي: الرمز بالعين على وجه العيب:

دو جشم از بى صنع باري نكوست ... زعيب برادر فروكير ودوست

[يا كذب در رؤيت وعدم رؤيت]. يعني: يدعي الرؤية كذاباً، أو ينكرها.

وفي «التأويلات النجمية»: خائنة أعين المحبين استحسانهم شيئاً غير المحبوب، والنظر إلى غير المحبوب. وفي معناها قيل:

فعيني إذا استحسنت غيركم ... أمرت الدموع بتأديبها

حكي: أن بعضهم مرَّ بدكان. وفيه نطاق معلق فتعلق به نظره، فاستحسنه، ثم لما تباعد عن الدكان. فقد النطاق من محله، فاتبعه صاحب الدكان، ففتش عنه، فوجده على وسطه. وكان ذلك عقوبة من الله عليه لاستحسانه ذلك النطاق حتى اتهم بسرقته وعوقب عليه.

قال أبو عثمان: خيانة العين، هو أن لا يغضها عن المحارم ويرسلها إلى الهوى والشهوات.

وقال أبو بكر الوراق: يعلم من يمد عينيه إلى الشيء معتبراً، ومن يمد عينيه لإرادة

الشهوة. وقال أبو جعفر النيسابوري: زنا العارف نظره بالشهوة إمام قشيري: [فر مود كه خيانت جشمهاى محبان آنست كه در أوقات مناجات خواب را بيرا من آن كذا رند جنانكه در زبور آمده كه دروغ كويد هركه دعوى محبت من كند وجون شب در آيد جشم از بخواب رود (ع) ومن نام عينا نام عنه وصالنا]:

خـواب رابـا ديـده عـاشـق جـه كـار   جـشـم او جـون شـمـع بـاشـد اشـكـبـار
جـشـمـهـاى عـاشـقـا نـرا خـواب نـيـسـت   يـك نـفـس ان جـشـمـهـابـى آب نـيـسـت

﴿وما تخفي الصدور﴾: من الضمائر والأسرار مطلقاً خيراً كانت أو شراً، ثبت بهذا أن أفعال القلوب معلومة لله تعالى. وكذا أفعال الجوارح تكون؛ لأن أخفاها، وهي خائنة الأعين إذا كانت معلومة لله تعالى، فعلمه تعالى سائر أفعال الجوارح يكون أولى، والحاكم إذا بلغ في العلم إلى هذا الحد، وجب أن يكون خوف المجرم منه أشد وأقوى، فقوله تعالى: يعلم. إلخ. في قوة التعليل للأمر بالإنذار.

وفي «التأويلات النجمية»: وما تخفي الصدور من متمنيات النفوس ومستحسنات القلوب ومرغوبات الأرواح، فالحق به خبير، ويكون السالك موقوفاً بها، حتى يخرج من تعلقها.

وقال بعضهم: خيانته في الصدور أن لا يصير في مقام القبض ليجري عليه أحكام الحقيقة، ثم ينكشف له عالم البسط، فقد وصف الله خيانة العيون وخفايا الصدور. وقال: لا يخفى عليه شيء من ذلك، وذلك أن العين باب من أبواب القلب، فإذا رأت شيئاً يكون حظ القلب منه يعلم ذلك نفسه، فيطلب الحظ منه، ومن القلب إلى العين باب يجري عليها حركة هواجس النفس تحثها على النظر إلى شيء فيه لها نصيب، فإذا تحققت ذلك علمت أن خيانة الأعين متعلقة بما تخفي الصدور، وإذا كان العارف عارفاً بنفسه وراضها برياضات طويلة وطهرها بمجاهدات كثيرة وزمها بزمام الخوف وآداب الشريعة، صارت صافية من حظوظها، ولكن بقيت في سرها جبلتها على الشهوات، ففي كل لحظة يجري في سرها طلب حظوظها، ولكنها سترتها عن العقل وأخفتها عن الروح من خوفها، فإذا وجدت الفرصة خرجت إلى رؤية العين، فتنظر إلى مرادها، فتسرق حظها من النظر إلى المحارم، وذلك النظر خفي، وتلك الشهوة خفية وصفهما الله سبحانه في هذه الآية، واستعاذ منهما النبي عليه السلام، حيث قال: أعوذ بك من شهوة خفية، ثم إن الروح العاشق إذا احتجب عن مشاهدة جمال الأزل ينقبض ويطلب حظه، ولا يقدر أن ينظر إلى الحق، فيطلب ذلك من الصورة الإنسانية التي فيها آثار الروحانية، فينظر من منظره إلى منظر العقل، ومن منظر العقل إلى منظر القلب، ومن منظر القلب إلى منظر النفس، ومن منظر النفس إلى منظر الصورة، وينظر من العين إلى جمال المستحسنات، لينكشف له ما استتر عنه من شواهد الحق، فتذهب النفس معه وتسرق بحثه حظها، من النظر بالشهوة، فذلك النظر منها غير مرضي في الشرع، والطريقة والحقيقة، وكذا نظر الروح إلى الحق بالوسائط خيانة، فيلزم عليه أن يصبر على الانقباض إلى أن يتجلى له جمال الحق بغير واسطة. قال الشيخ سعدي:

جـرا طـفـل يـك روزه هـو شـش نـبـرد   كـه در صـنـع ديـدن جـه بـالـغ جـه خـرد
مـحـقـق هـمـي بـيـنـد انـدر ابـل   كـه درخـو بـرويـان جـيـن وجـكـل

ومن الله التوفيق لنظر التحقيق.

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾

﴿والله يقضي﴾ يحكم. ﴿بالحق﴾؛ أي: بالصدق والعدل في حق كل محسن ومسيء؛ لأنه المالك الحاكم على الإطلاق، فلا يقضي بشيء إلا وهو حق وعدل يستحقه المكلف، ويليق به ففيه تشديد لخوف المكلف. ﴿والذين يدعون﴾؛ أي: يعبدونهم.

﴿من دونه﴾ تعالى، وهم: الأصنام. وبالفارسية: [وآنانهم را كه مى برستند مشركان بدون خدا]. ﴿لا يقضون بشيء﴾: [حكمى نمى كنند ايشان بجيزى زيرا كه اكر جماداند ايشانرا قدرت بدان نيست واكر حيوانند مخلوق ومملوك اند ومخلوق راقوت حكم وفرمان نيست].

وفي «الإرشاد»: هذا تهكم بهم؛ لأن جماداً، لا يقال في حقه يقضي ولا يقضى. ﴿إن الله هو السميع البصير﴾: تقرير لعلمه تعالى بخائنة الأعين وقضائه بالحق، فإن من يسمع ما يقولون، ويبصر ما يفعلون إذا قضى قضي بالحق ووعيد لهم على ما يفعلون، ويقولون وتعريض بحال ما يدعون من دونه، فإنهم عريانون عن التلبس بهاتين الصفتين، فكيف يكونون معبودين.

وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى يقضي للأجانب بالبعاد وبالوصال لأهل الوداد، ويخرج السالكين من تعلقات أوصافهم على ما قضى به، وقدر في الأزل، وإن كان بواسطة إيمانهم وأعمالهم الصالحة، أن الله قد سمع سؤال الحوائج في الأزل، وهم بعد في العدم، وكذا سمع أنين نفوس المذنبين وحنين قلوب المحبين وأبصر بحاجاتهم، ثم إنه لما بالغ في تخويف الكفار بأحوال الآخرة أردفه بالتخويف بأحوال الدنيا، فقال:

﴿۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿أولم يسيروا في الأرض﴾: [آيا سفر نميكنند مشركان مكه درزمين شام ويمن براى تجارت].

﴿فينظروا﴾: يجوز أن يكون منصوباً بالعطف على أن يسيروا، وأن يكون منصوباً على أنه جواب الاستفهام. ﴿كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم﴾؛ أي: مآل حال من قبلهم من الأمم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود وأضرابهم، وكانت ديارهم ممر تجار قريش. ﴿كانوا هم أشد منهم قوة﴾، قدرة وتمكناً من التصرفات، وإنما جيء بضمير الفصل مع أن حقه التوسط بين معرفتين كقوله: أولئك هم المفلحون لمضاهاة أفعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه.

﴿وآثاراً في الأرض﴾: مثل القلاع الحصينة والمدن المتينة. ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ عاقبهم وأهلكهم بسبب كفرهم وتكذيبهم. ﴿وما كان لهم من الله﴾ من عذاب الله ﴿من واقٍ﴾ يقيهم ويحفظهم.

﴿ذلك﴾؛ أي: ما ذكر من الأخذ. ﴿بأنهم﴾؛ أي: بسبب أنهم ﴿كانت تأتيهم رسلهم البينات﴾؛ أي: بالمعجزات أو بالأحكام الظاهرة. ﴿فكفروا﴾ بها وكذبوا رسلهم، ﴿فأخذهم

الله﴾ أخذاً عاجلاً. ﴿إنه قوي﴾ متمكن مما يريد غاية التمكن. ﴿شديد العقاب﴾ لأهل الشرك لا يعتبر عقاب دون عقابه، فهؤلاء قد شاهدوا مصارعهم وآثار هلاكهم، فبأي وجه امنوا أن يصيبهم مثل ما أصابهم من العذاب.

واعلم أن أهل السعادة قد شكروا الله على نعمة الوجود، فزادهم نعمة الإيمان، فشكروا نعمة الإيمان، فزادهم نعمة الولاية، فشكروا نعمة الولاية، فزادهم نعمة القرب والمعرفة في الدنيا ونعمة الجوار في الآخرة، وأهل الشقاوة قد كفروا نعمة الوجود، فعذبهم الله بالكفر والبعاد والطرد واللعن في الدنيا وعذبهم في الآخرة بالنار وأنواع التعذيبات. وفي قوله: ذلك بأنهم. إلخ. إشارة إلى بعض السالكين والقاصدين إلى الله تعالى إن لم يصل إلى مقصوده يعلم أن موجب حجابه وحرمانه اعتراض خامر قلبه على شيخه، أو على غيره من المشايخ في بعض أوقاته، ولم يتداركه بالتوبة والإنابة، فإن الشيوخ بمحل الأنبياء للمريدين. وفي الخبر: الشيخ في قومه كالنبي في أمته». . وفي المثنوي:

كفت بيغمبر كه شيخي رفته بيش   جو نبي باشد ميان قوم خويش

إنه قوي على الانتقام من الأعداء للأولياء شديد العقاب في الانتقام من الأعداء. وفي «شرح الأسماء» للزروقي القوي هو الذي لا يلحقه ضعف في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فلا يمسه نصب ولا تعب ولا يدركه قصور ولا عجز في نقض ولا إبرام، ومن عرف أن الله تعالى هو القوي، رجع إليه عن حوله وقوته وخاصيته ظهور القوة في الوجود، فما تلاه ذو همة ضعفة إلا وجد القوة ولا ذو جسم ضعيف إلا كان له ذلك، ولو ذكره مظلوم يقصد إهلاك الظالم ألف مرة كان له ذلك وكفى أمره.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ ملتبساً **﴿بآياتنا﴾**، وهي المعجزات التسع. **﴿وسلطان مبين﴾**؛ أي: وحجة قاهرة ظاهرة كالعصا أفردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات تفخيماً لشأنها، فهو من قبيل عطف الخاص على العام.

﴿إلى فرعون﴾: [بسوى فرعون كه أعظم عمالقة مصر بود ودعواى ربوبيت ميكرد]. **﴿وهامان﴾**: [وزير او بود]. وخصهما بالذكر؛ لأن الإرسال إليهما إرسال إلى القوم كلهم لكونهم تحت تصرف الملك، والوزير تابعين لهما، والناس على دين ملوكهم. **﴿وقارون﴾**: خصّ بالذكر لكونه بمنزلة الملك من حيث كثرة أمواله وكنوزه، ولا شك أن الإرسال إلى قارون متأخر عن الإرسال إلى فرعون وهامان؛ لأنه كان إسرائيلياً ابن عم موسى مؤمناً في الأوائل أعلم بني إسرائيل حافظاً للتوراة، ثم تغير حاله بسبب الغنى، فنافق كالسامري، فصار ملحقاً بفرعون وهامان في الكفر والهلاك، فاحفظ هذا ودع ما قاله أكثر أهل التفسير في هذا المقام.

﴿فقالوا﴾ في حق ما أظهره من المعجزات خصوصاً في أمر العصا أنه **﴿ساحر﴾**: [او ساحرست كه خارق عادت مى نمايد ازروى سحر]، وقالوا فيما ادعاه في رسالة رب العالمين

أنه ﴿كذاب﴾: [دروغ كويست درانكه مى كويد خداى هست ومن رسول اويم]، والكذاب الذي عادته الكذب بأن يكذب مرة بعد أخرى، ولم يقولوا: سحار؛ لأنهم كانوا يزعمون أنه ساحر، وأن سحرتهم أسحر منه كما قالوا: يأتوك بكل سحار عليم. وفيه تسلية لرسول الله عليه السلام، وبيان عاقبة من هو أشد من قريش بطشاً وأقربهم زماناً.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بقوله: ولقد أرسلنا. إلخ. إلى أنه تعالى من عواطف إحسانهم يرسل أفضل خلقه في وقته إلى من هو أرذل خلقه ويبعث أخص عباده إلى أخس عباده ليدعوه إلى حضرة جلاله لإصلاح حاله بفضله ونواله، والعبد من خسة طبعه وركاكة عقله يقابله بالتكذيب وينسبه إلى السحر، والله تعالى إظهاراً لحكمه وكرمه لا يعجل عقوبته ويمهله إلى أوان ظهور شقوته، فيجعله مظهر صفة قهره ويبلغ موسى كمال سعادته، فيجعله مظهر صفة لطفه:

نر دبان خلق اين ما ومنيست عاقبت زين نردبان افتاد نيست
هر كه سر كش بود او مقهور شد هركه خالى بود او منصور شد

﴿فلما جاءهم بالحق من عندنا﴾، وهو ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة. ﴿قالوا﴾: لاستكمال شقاوتهم. ﴿اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه﴾؛ أي: تابعوه في الإيمان، والقائل: فرعون وذوو الرأي من قومه أو فرعون وحده؛ لأنه بمنزلة الكل، كما قال: سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم. ﴿واستحيوا نساءهم﴾؛ أي: أبقوا بناتهم أحياء، فلا تقتلوهن وبالفارسية: [وزنده بكذارد دختران ايشابرا تا خدمت زنان قبط كنند].

والمعنى: أعيدوا عليهم القتل، وذلك أنه قد أمر بالقتل قبيل ولادة موسى عليه السلام بإخبار المنجمين بقرب ولادته، ففعله زماناً طويلاً ثم كف عنه مخافة أن تفنى بنو إسرائيل، وتقع الأعمال الشاقة على القبط، فلما بعث موسى وأحس فرعون بنبوته أعاد القتل غيظاً وحنقاً [وتادلهاى بني إسرائيل بشكنند وموسى را يارى ندهند]. ظناً منهم أنه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملك فرعون على يده. ﴿وما كيد الكافرين﴾ فرعون وقومه، أو غيرهم؛ أي: وما مكرهم وسوء صنيعهم. وبالفارسية: [بنسبت انبيا ومؤمنان]، ﴿إلا في ضلال﴾: [مكر دركم راهى وبيهود كى]؛ أي: في ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئاً وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم.

وفي «التأويلات النجمية»: عزم على إهلاك موسى وقومه واستعان على ذلك بجنده وخيله ورجله إتماماً لاستحقاقهم العذاب، ولكن من حفظ الحق تعالى كان كما قال: ﴿وما كيد الكافرين إلا في ضلال﴾ أي: في ازدياد ضلالتهم بربهم. يشير إلى أن من حفر بئر الولي من أوليائه ما يقع فيه إلا حافره، وبذلك أجرى الحق سنته. انتهى.

حكي أن مفتي الشام أفتى بقتل الشيخ محيي الدين بن العربي قدس سره، فدخل الحوض للغسل، فظهرت يد فخنقته، فأخرج من الحوض، وهو ميت، وحكي: أن شاباً كان يأمر وينهى فحبسه الرشيد في بيت وسدّ المنافذ ليهلك فيه، فبعد أيام رؤي في بستان يتفرج، فأحضره الرشيد، فقال: من أخرجك؟ قال: الذي أدخلني البستان، فقال: من أدخلك البستان؟ قال: الذي أخرجني من البيت، فتعجب الرشيد، فبكى وأمر له بالإحسان وبأن يركب فرساً وينادي بين يديه: هذا رجل أعزه الله وأراد الرشيد إهانته، فلم يقدر إلا على إكرامه واحترامه.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وقال فرعون﴾: لملئه **﴿ذروني﴾**: خلوا عني واتركوني يقال: ذره؛ أي: دعه. يذره تركاً ولا تقل وذرا وأصله وذره يذره كوسعه يسعه، لكن ما نطقوا بماضيه ولا بمصدره ولا باسم الفاعل كما في «القاموس».

﴿أقتل موسى﴾، فإني أعلم أن صلاح ملكي في قتله، وكان إذا هم بقتل موسى عليه السلام كفه ملأه بقولهم: ليس هذا بالذي تخافه، فإنه أقل من ذلك وأضعف، وما هو إلا بعض السحرة وبقولهم: إذا قتلته أدخلت على الناس شبهة، واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة، وعدلت إلى المقارعة بالسيف، وأوهم اللعين أنهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله، وما كان الذي يكفه إلا ما في نفسه من الفزع الهائل. وذلك أنه تيقن نبوة موسى، ولكن كان يخاف إن همّ بقتله أن يعاجل بالهلاك. **﴿وليدع ربه﴾**: الذي يزعم أنه أرسله كي يمنعه مني، يعني: [تا قتل من ازوبازدارد]. وهو يخاف منه ظاهراً ويخاف من دعاء ربه باطناً، وإلا فما له يقيم له وزناً ويتكلم بذلك.

﴿إني أخاف﴾: إن لم أقتله **﴿أن يبدل دينكم﴾**؛ أي: بغير ما أنتم عليه من الدين الذي هو عبارة عن عبادته وعبادة الأصنام لتقربهم إليه. **﴿أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾** ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج إن لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية، فمعنى أو وقوع أحد الشيئين.

وفي الآية إشارة إلى أن فرعون من عمي قلبه ظن أن الله يذره أن يقتل موسى بحوله وقوته أو يذره قومه، ولم يعلم أن الله يهلكه ويهلك قومه وينجي موسى وقومه. وقد خاف من تبديل الدين، أو الفساد في الأرض، ولم يخف هلاك نفسه وهلاك قومه وفساد حالهم في الدارين.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وقال موسى﴾؛ أي: لقومه حين سمع بما يقوله اللعين من حديث قتله عليه السلام. **﴿إني عذت﴾**: [من بناه كرفتم وفرياد وزنهار خواستم]. والعوذ: الالتجاء إلى الغير والتعلق به. **﴿بربي وربكم﴾**: خص اسم الرب؛ لأن المطلوب هو الحفظ والتربية وإضافته إليه وإليهم للحث على موافقته في العياذ به تعالى، والتوكل عليه، فإن في تظاهر النفوس تأثيراً قوياً، وفي استجلاب الإجابة، وهو السبب الأصلي في اجتماع الناس لأداء الصلوات الخمس والجمعة والأعياد والاستسقاء ونحوها. **﴿من كل متكبر﴾** متعظم عن الإيمان. وبالفارسية: [از هر كردن كشى]. ولم يسم فرعون، بل ذكره بوصف يعمه وغيره من جبابرة أركانه وغيرهم لتعميم الاستعاذة والإشعار بعلة القساوة والجراءة على الله، وهي التكبر وما يليه من عدم الإيمان بالبعث.

يقول الفقير: وأما قول الرازي وتبعه القاضي لم يسم فرعون رعاية لحق التربية التي كانت من فرعون له عليه السلام في صغره، فمدخول بأن موسى عليه السلام قد شافهه باسمه في غير هذا الموضع، كما قال: وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً وهذا أشد من قوله: من فرعون على

تقدير التسمية من حيث صدوره مشافهة وصدوره من فرعون مغايبة. ﴿لا يؤمن بيوم الحساب﴾ صفة لما قبله عقبه به؛ لأن طبع المتكبر القاسي وشأنه إبطال الحق وتحقير الخلق لكنه، قد ينزجر إذا كان مقراً بالجزاء وخائفاً من الحساب. وأما إذا اجتمع التكبر، والتكذيب بالبعث كان أظلم وأطغى، فلا عظيمة إلا ارتكبها، فيكون بالاستعاذة أولى وأحرى. وسئل الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه؛ أي ذنب أخوف على سلب الإيمان. قال: ترك الشكر على الإيمان وترك خوف الخاتمة، وظلم العباد فإن من كان فيه هذه الخصال الثلاث، فالأغلب أن يخرج من الدنيا كافراً إلا من أدركته السعادة. وفي الخبر: «إن الله تعالى سخر الريح لسليمان عليه السلام، فحملته وقومه على السرير حتى سمعوا كلام أهل السماء، فقال ملك لآخر إلى جنبه: لو علم الله في قلب سليمان مثقال ذرة من كبر لأسفله في الأرض مقدار ما رفعه من الأرض إلى السماء».

وفي الحديث: «ما من أحد إلا وفي رأسه سلسلتان: إحداهما: إلى السماء السابعة، والأخرى إلى الأرض السابعة، فإذا تواضع رفعه الله بالسلسلة التي في السماء السابعة»، وإذا تكبر وضعه الله بالسلسلة التي في الأرض السابعة، فالمتكبر أياً كان مقهور لا محالة كما يقال: أول ما خلق الله درة بيضاء، فنظر إليها بالهيبة، فذابت وصارت ماء وارتفع زبدها، فخلق منه الأرض، فافتخرت الأرض. وقالت: من مثلي، فخلق الله الجبال، فجعلها أوتاداً في الأرض، فقهر الأرض بالجبال، فتكبرت الجبال، فخلق الحديد، وقهر الجبال به، فتكبر الحديد فقهره بالنار، فتكبرت النار، فخلق الماء، فقهرها به، فتكبر الماء فخلق السحاب، ففرق الماء في الدنيا، فتكبر السحاب، فخلق الرياح، ففرقت السحاب، فتكبرت الرياح، فخلق الآدمي حتى جعل لنفسه بيتاً وكناً من الحر والبرد والرياح، فتكبر الآدمي، فخلق النوم، فقهره به، فتكبر النوم، فخلق المرض، فقهره به فتكبر المرض، فخلق الموت، فتكبر فقهره بالذبح يوم القيامة، حيث يذبح بين الجنة والنار، كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [مريم: ٣٩]. يعني: إذ ذبح الموت فالقاهر فوق الكل هو الله تعالى، كما قال. ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، ثم إن الكبر من أشد صفات النفس الأمارة، فلا بد من إزالته. قال المولى الجامي:

لاف بى كبرى مزن كان از نشان باى مور   درشب تاريك برسنك سيه بنهان ترسب
وزدرون كردن برون آسان مكيرانرا كزان   كوه را كندن بسوزن از زمين آسان ترست

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿وقال رجل﴾: [جون خبر قتل موسى فاش شد ودستان اندو هكير ودشمنان شادمان كشتند]. ولكن لما استعاذ موسى عليه السلام بالله واعتمد على فضله ورحمته، فلا جرم صانه الله من كل بلية وأوصله إلى كل أمنية وقيض له إنساناً أجنبياً حتى ذب عنه بأحسن الوجوه في تسكين تلك الفتنة كما حكى الله عنه بقوله: وقال رجل: ﴿مؤمن﴾ كائن ﴿من آل فرعون﴾، فهو صفة ثانية لرجل، وقوله: ﴿يكتم إيمانه﴾ صفة ثالثة قدم الأول أعني مؤمن لكونه أشرف الأوصاف، ثم الثاني لئلا يتوهم خلاف المقصود، وذلك لأنه لو أخر عن أن يكتم إيمانه لتوهم

أن من صلته، فلم يفهم أن ذلك الرجل كان من آل فرعون وآل الرجل خاصته الذين يؤول إليه أمرهم للقرابة، أو الصحبة، أو الموافقة في الدين. وكان ذلك الرجل المؤمن من أقارب فرعون؛ أي: ابن عمه، وهو منذر موسى بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: ٢٠] كما سبق في سورة القصص واسمه شمعان بالشين المعجمة، وهو أصح ما قيل فيه. قاله الإمام السهيلي.

وفي «تاريخ الطبري»: اسمه جبر. وقيل: حبيب النجار، وهو الذي عمل تابوت موسى حين أرادت أمه أن تلقيه في اليم، وهو غير حبيب النجار صاحب يٰس. وقيل: خربيل بن نوحائيل أو حزقيل. ويدل عليه قوله عليه السلام سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يٰس وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهو رضي الله عنه أفضلهم كما في إنسان العيون نقلاً عن «العرائس».

وقال ابن الشيخ في «حواشيه» روي عن النبي عليه السلام: أنه قال الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل يٰس ومؤمن آل فرعون الذي قال: أتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله. والثالث: أبو بكر الصديق، وهو أفضلهم». انتهى.

يقول الفقير: يمكن أن يقال: لا مخالفة بين هاتين الروايتين لما أن المراد تفضيل أبي بكر في الصديقية، وتفضيل علي في السبق وعدم صدور الكفر عنه، ولو لحظة فأفضلية كل منهما من جهة أخرى، ثم إن الروايتين دلتا على كون ذلك الرجل قبطياً، وأيضاً أن فرعون أصغى إلى كلامه، واستمع منه، ولو كان إسرائيلياً لكان عدواً له، فلم يكن ليصغي إليه.

قال في «التكملة»: فإن قلت: الآل قد يكون في غير القرابة بدليل قوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، ولم يرد إلا كل من كان على دينه من ذوي قرابته وغيرهم. فالجواب: أن هذا الرجل لم يكن من أهل دين فرعون، وإنما كان مؤمناً، فإذا لم يكن من أهل دينه، فلم يبق لوصفه بأنه من آله إلا أن يكون من عشيرته. انتهى.

وقيل: كان إسرائيلياً، ابن عم قارون أو أبوه من آل فرعون وأمه من بني إسرائيل فيكون من آل فرعون صلة يكتم وفيه أنه لا مقتضى هنا لتقديم المتعلق وأيضاً أن فرعون كان يعلم إيمان بني إسرائيل ألا ترى إلى قوله: ﴿أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ [غافر: ٢٥]، فكيف يمكنهم أن يفعلوا كذلك مع فرعون؟ وقيل: كان عربياً موحداً ينافقهم لأجل المصلحة. ﴿يكتم إيمانه﴾؛ أي: يستره ويخفيه من فرعون وملئه لا خوفاً بل ليكون كلامه بمحل من القبول، وكان قد آمن بعد مجيء موسى أو قبله بمائة سنة وكتمه، فلما بلغه خبر قصد فرعون بموسى. قال:

﴿أتقتلون رجلا﴾ أتقصدون قتله ظلماً بلا دليل. والاستفهام إنكاري. ﴿أن يقول﴾؛ أي: لأن يقول أو كراهة أن يقول: ﴿ربي الله﴾ وحده لا شريك له، والحصر مستفاد من تعريف طرفي الجملة مثل صديقي زيد لا غير. ﴿وقد جاءكم بالبينات﴾؛ أي: والحال أنه قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة التي شاهدتموها. ﴿من ربكم﴾ لم يقل من ربه لأنهم إذا سمعوا أنه جاءهم بالبينات من ربهم دعاهم ذلك إلى التأمل في أمره، والاعتراف به وترك المكابرة معه، لأن ما كان من قبل رب الجميع يجب اتباعه وإنصاف مبلغه.

وعن عروة بن الزبير، قال: قلت لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: حدثني: بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله عليه السلام. قال: أقبل عقبة بن أبي معيط ورسول الله يصلي عند

الكعبة، أو لقيه في الطواف، فأخذ بمجامع ردائه عليه السلام، فلوى ثوبه على عنقه وخنقه خنقاً شديداً. وقال له: أنت التي تنهانا عما يعبد آباؤنا، فقال عليه السلام: أنا ذاك، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه، فأخذ بمنكبيه عليه السلام، والتزمه من ورائه ودفعه عن رسول الله. وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعاً صوته وعيناه تسفحان دمعاً؛ أي: تجريان حتى أرسلوه. وفيه بيان أن ما تولى أبو بكر من رسول الله كان أشد مما تولاه الرجل المؤمن من موسى؛ لأنه كان يظهر إيمانه. وكان بمجمع طغاة قريش.

وحكى ابن عطية في «تفسيره» عن أبيه: أنه سمع أبا الفضل بن الجوهري على المنبر يقول: وقد سئل أن يتكلم في شيء من فضائل الصحابة رضي الله عنهم، فأطرق قليلاً ثم رفع رأسه، فقال:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

ماذا ترون من قوم قرنهم الله تعالى بنبيه وخصهم بمشاهدته وتلقي الروح. وقد أثنى الله على رجل مؤمن من آل فرعون كتم إيمانه وأسره فجعله في كتابه، وأثبت ذكره في المصاحف لكلام قاله في مجلس من مجالس الكفر، وأين هو من عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ جرد سيفه بمكة. وقال: والله لا أعبد الله سراً بعد اليوم، فكان ما كان من ظهور الدين بسيفه ثم أخذهم الرجل المؤمن بالاحتجاج من باب الاحتياط بإيراده في صورة الاحتمال من الظن بعد القطع بكون قتله منكراً، فقال: **﴿وإن يك كاذباً فعليه كذبه﴾** لا يتخطاه وبال كذبه وضرره، فيحتاح في دفعه إلى قتله، يعني: أن الكاذب إنما يقتل إذا تعدى ضرر كذبه إلى غيره كالزنديق الذي يدعو الناس والمبتدع الذي يدعو الناس إلى بدعته. وهذا لا يقدر على أن يحمل الناس على قبول ما أظهره من الدين لكون طباع الناس آبية عن قبوله ولقدرتكم على منعه من إظهار مقالته ودينه. **﴿وإن يك صادقاً﴾** في قوله: فكذبتموه وقصدتم له بسوء، **﴿يصبكم بعض الذي يعدكم﴾**؛ أي: إن لم يصبكم كله، فلا أقل من إصابة بعضه.

وفي بعض ذلك كفاية لهلاكهم، فذكر البعض ليوجب الكل، لا أن البعض هو الكل، وهذا كلام صادر عن غاية الإنصاف وعدم التعصب، ولذلك قدم من شقي الترديد كونه كاذباً وصرح بإصابة البعض دون الجميع مع أن الرسول صادق في جميع ما يقوله: وإنما الذي يصيب بعض ما يعده دون بعض هم الكهان والمنجمون، ويجوز أن يكون المعنى: يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا، وهو بعض ما يعدهم؛ لأنه كان يتوعدهم بعذاب الدنيا والآخرة؛ كأنه خوفهم بما هو ظهر احتمالاً عندهم. وفي «عين المعاني»: لأنه وعد النجاة بالإيمان والهلاك بالكفر، وقد يكون البعض بمعنى الكل كما في قوله:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقوله تعالى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الزخرف: ٦٣]؛ أي: جميعه. وفي قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٩]؛ أي: بكلها كما في «كشف الأسرار». وقال أبو الليث: بعض هنا صلة يريد يصبكم الذي يعدكم. **﴿إن الله لا يهدي من هو مسرف﴾**، وهو الذي يتجاوز الحد في المعصية، أو هو السفاك للدم بغير حق. **﴿كذاب﴾**، وهو الذي يكذب مرة بعد أخرى. وقيل: كذاب على الله؛ لأن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره، وهو احتجاج آخر ذو وجهين:

أحدهما: أنه لو كان مسرفاً كذاباً، لما هداه الله تعالى إلى البينات، ولما أيده بتلك المعجزات.

وثانيهما: أنه إن كان كذلك خذله الله وأهلكه، فلا حاجة لكم إلى قتله، ولعله أراهم وهو عاكف على المعنى الأول لتلين شكيمتهم. وقد عرض به لفرعون؛ لأنه مسرف حيث قتل الأبناء بلا جرم كذاب حيث ادعى الألوهية لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة، بل يفضحه ويهدم أمره.

﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿يا قوم﴾؛ أي: كروه من **﴿لكم الملك﴾** والسلطنة **﴿اليوم﴾**: حال كونكم **﴿ظاهرين﴾** غالبين عالين على بني إسرائيل، والعامل في الحال. وفي قوله: اليوم ما تعلق به لكم. **﴿في الأرض﴾**؛ أي: أرض مصر لا يقاومكم أحد في هذا الوقت. **﴿فمن﴾**: [بس كيست كه]. **﴿ينصرنا من بأس الله﴾** من أخذه وعذابه. **﴿إن جاءنا﴾**؛ أي: فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله، فإنه إن جاءنا لم يمنعنا منه أحد وإنما نسب ما يسرهم من الملك والظهور في الأرض إليهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوؤهم من مجيء بأس الله تطميناً لقلوبهم وإيذاناً بأنه مناصح لهم ساعٍ في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه في حق نفسه ليتأثروا بنصحه.

﴿قال فرعون﴾: بعدما سمع نصحه إضراباً عن المجادلة. وبالفارسية: [كفت فرعون مرآن مومن راكه از قتل موسى نهى كرد وجمعى ديكر را كه نزدوى حاضر بودند]. **﴿ما أريكم﴾**؛ أي: ما أشير عليكم. **﴿إلا ما أرى﴾** واستصوبه من قتله قطعاً لمادة الفتنة. **﴿وما أهديكم﴾** بهذا الرأي. **﴿إلا سبيل الرشاد﴾**؛ أي: الصواب، فهو من الرأي يقال رأى فيه رأياً اعتقد فيه اعتقاداً وراءيته شاورته. ولما نقل رأى من الرأي إلى باب أفعل عدي إلى الضمير المنصوب، ثم استثني استثناء مفرغاً، فقيل: إلا ما أرى، ويجوز أن يكون من الرؤية بمعنى العلم. يقال: رآه بعينه؛ أي: أبصره ورآه بقلبه؛ أي: علمه، فيتعدى إلى مفعولين ثانيهما إلا ما أرى. والمعنى: لا أعلمكم إلا ما أعلم ولا أسر عنكم خلاف ما أظهره. ولقد كذب حيث كان مستشعراً للخوف الشديد، ولكنه كان يظهر الجلادة وعدم المبالاة ولولاه لما استشار أحداً أبداً. وفي المثنوي: إن الاستشارة كانت من عادته حتى أنه كان يلين قلبه في بعض الأوقات من تأثير كلام موسى عليه السلام، فيميل إلى الإيمان ويستشير امرأته آسية، فتشير عليه بالإيمان، ومتابعة موسى ويستشير وزيره هامان، فيصده عن ذلك. وفي المثنوي:

بس بكفتى تا كنون بودى خديو ... بنده كردى زنده بوشى را بريو
همجو سنك منجنيقى آمدى ... آن سخن برشيشه خانة أوزدى
هر جه صدروز آن كليم خوش خصاب ... ساختى دريكدم أو كردى خراب
عقل تود ستور مغلوب هواست ... درو جودت زهزن راه خداست
واى آن شه كه وزير شن اين بود ... جاى هردو دوزخ بركين بود
مرهوا را تو وزير خود مساز ... كه برارد جان باكت ازنماز

شاد آن شاهى كه اوراد ستكير باسداندر كارجون آصف وزير
شاه عادل جون قرين اوشود نام او نور على نور بود
شاه جون فرعون وهامانش وزير هردورا نبود زبد بختى كزير
پس بود ظلمات بعضا فوق بعض نى خرد يارونى دولت روز عرض

نسأل الله زكاء الروح وصفاء القلب.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾.

﴿**وقال الذي آمن**﴾ من آل فرعون مخاطباً لقومه واعظاً لهم.

وفي الحديث: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر». وذلك من أجل علة الخوف والقهر؛ ولأن الجهاد بالحجة والبرهان أكبر من الجهاد بالسيف والسنان.

﴿**يا قوم**﴾؛ أي: كروه من ﴿**إني أخاف عليكم**﴾، في تكذيب موسى عليه السلام، والتعرض له بسوء كالقتل والأذى. ﴿**مثل يوم الأحزاب**﴾: مثل أيام الأمم الماضية، يعني: وقائعهم العظيمة وعقوباتهم الهائلة على طريق ذكر المحل وإرادة الحال فإن قلت: الظاهر أن يقال: مثل أيام الأحزاب إذ لكل حزب يوم على حدة قلت: جمع الأحزاب مع «تفسيره» بالطوائف المختلفة المتباينة الأزمان والأماكن أغنى عن جمع اليوم إذ بذلك ارتفع الالتباس، وتبين أن المراد: الأيام.

﴿**مثل دأب قوم نوح**﴾: الدأب: العادة المستمر عليها، والشأن ومثل بدل من الأول. والمراد: بالدأب، واليوم واحد إذ المعنى مثل حال قوم نوح وشأنهم في العذاب. وبالفارسية: [ما نند حال كروه نوح كه بطوفان هلاك شدند]. ﴿**وعاد**﴾: [وكروه عاد كه بباد صرصر مستأصل كشتند]. ﴿**وثمود**﴾: [وقوم ثمود كه بيك صيحه مردند]. ﴿**والذين من بعدهم**﴾: [وما نند حال آنانكه از بس ايشان بودند جون أهل مؤتفكه كه شهر ايشان زود بركشت وجون أصحاب أيكه كه بعذاب يوم الظلة كرفتار شدند].

﴿**وما الله يريد ظلماً للعباد**﴾، فلا يهلكهم قبل ثبوت الحجة عليهم، ولا يعاقبهم بغير ذنب، ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام [بس شماهم ظلم مكنيد تا معذب نكرديد].

﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾﴾

﴿**ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد**﴾. أصله: يوم التنادي بالياء على أنه مصدر تنادى القوم بعضهم بعضاً تنادياً بضم الدال، ثم كسر لأجل الياء وحذف الياء حسن في الفواصل، وهو بالفارسية: [يكديكررا آو ازدادن].

ويوم: نصب على الظرف؛ أي: من ذلك اليوم لما فيه من العذاب على المصرين والمؤذين، أو على المفعول به؛ أي: عذاب يوم التناد حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، فاعرف إعرابه. والمراد بيوم التناد يوم القيامة؛ لأنه ينادي فيه بعضهم بعضاً للاستغاثة كقولهم: فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا. [وهيج كس بفرياد كس نمى رسد]. أو يتصايحون بالويل والثبور بنحو قولهم: يا ويلنا من بعثنا، وما لهذا الكتاب، أو يتنادى أصحاب الجنة

وأصحاب النار، يعني: أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا من الجنة والنعيم المقيم حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم من عذاب النار حقاً، قالوا: نعم، ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء، أو مما رزقكم الله.

قال الكاشفي: [يا بعداز ذبح موت ندا كنند كه يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت يا در آنروز منادى ندا كنند كه فلان نيك بخت شدكه هر كزبد بخت نشودو فلان بد بختى كشت كه تا ابد نيك بختى نيابد].

﴿**يوم تولون**﴾: بدل من يوم التناد، يعني: [روزى كه بركردانيده شويد از موقف حساب وبرويد]. ﴿**مدبرين**﴾: حال كونكم منصرفين عنه إلى النار، يعني: [باز كشتكان ازانجا بسوى دوزخ]، وحال كونكم. ﴿**ما لكم من الله من عاصم**﴾؛ أي: ما لكم من عاصم يعصمكم من عذابه تعالى، ويحفظكم. ﴿**ومن يضلل الله**﴾: [وهر كرا خدا فرود كذا رد در ضلالت]. ﴿**فما له من هاد**﴾: يهديه إلى طريق النجاة. قاله لما أيس من قبولهم.

وفي الآيات إشارة إلى أن الله تعالى إذا شاء بكمال قدرته إظهاراً لفضله ومنته، يخرج الحي من الميت كما أخرج من آل فرعون مؤمناً حياً قلبه بالإيمان من بين كفار أموات قلوبهم بالكفر ليتحقق قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣]، وإذا شاء إظهاراً لعزته وجبروته يعمى ويصم الملوك والعقلاء مثل: فرعون وقومه، لئلا يبصروا آيات الله الظاهرة، ولا يسمعوا الحجج الباهرة مثل ما نصحهم بها مؤمن آلهم ليتحقق قوله تعالى: ﴿**ومن يضلل الله فما له من هادٍ**﴾. وقوله: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣] الآية كما في «التأويلات النجمية». وأسند الإضلال إلى الله تعالى؛ لأنه خالق الضلالة، وإنما الشيطان ونحوه من الوسائط، فالجاهل يرى القلم مسخراً للكاتب والعارف يعلم أنه مسخر في يده لله تعالى؛ لأنه خالق الكاتب والقلم، وكذا فعل الكاتب.

وفي قوله تعالى: ﴿**فما له من هادٍ**﴾ إشارة إلى أن التوفيق والاختيار للواحد القهار، فلو كان لآدم لاختار قابيل، ولو كان لنوح لاختار كنعان، ولو كان لإبراهيم لاختار آزر، ولو كان لموسى لاختار فرعون، ولو كان لمحمد عليه وعليهم السلام لاختار عمه أبا طالب.

يقال: سبعة عام وسبعة في جنبها خاص الأمر عام، والتوفيق خاص والنهي عام، والعصمة خاص والدعوة عام، والهداية خاص، والموت عام والبشارة خاص، والحشر يوم القيامة عام، والسعادة خاص، وورود النار عام، والنجاة منها خاص، والتخليق عام، والاختيار خاص، يعني ليس كل من خلقه الله اختاره، بل خص منه قوماً، وكذا خلق أموراً وأشياء فخص منها البعض ببعض الخواص، ثم العجب أن مثل موسى عليه السلام يكون وسط قومه لا يهتدون به، وذلك لأن صاحب المرة لا يجد حلاوة العسل، والضرير لا يرى الشمس، وليس ذلك إلا من سوء المزاج، وفساد الحال، وفقدان الاستعداد:

عنكبوت از طبع عنقا داشتى ... از لعابى خيمه كى افراشتى

ثم قال مؤمن آل فرعون بطريق التوبيخ.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿ولقد جاءكم﴾ يا أهل مصر **﴿يوسف﴾** بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام. **﴿من قبل﴾**؛ أي: من قبل موسى **﴿بالبينات﴾** بالمعجزات الواضحة التي من جملتها تعبير الرؤيا وشهادة الطفل على براءة ذمته، وقد كان بعث إلى القبط قبل موسى بعد موت الملك. وكان فرعون هو فرعون موسى عاش إلى زمانه. وذلك لأن فرعون موسى عمر أكثر من أربعمائة سنة، وكان بين إبراهيم وموسى تسعمائة سنة على ما رواه ابن قتيبة في كتاب «المعارف»، فيجوز أن يكون بين يوسف وموسى مدة عمر فرعون تقريباً، فيكون الخطاب لفرعون وجمع لأن المجيء إليه بمنزلة المجيء إلى قومه، وإلا فأهل عصر موسى لم يروا يوسف بن يعقوب.

والأظهر على نسبة أحوال الآباء إلى الأولاد وتوبيخ المعاصرين بحال الماضين؛ أي: ولقد جاء أيها القبط آباءكم الأقدمين. وهذا كما قال الله تعالى: **﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾** [البقرة: ٩١]، وإنما أراد به آباءهم؛ لأنهم هم القاتلون، ثم لا يلزم من هذا أن يكون فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف على ما ذهب إليه البعض.

وقيل: المراد يوسف بن إفرائيم بن يوسف الصديق أقام نبياً عشرين سنة. **﴿فما زلتم﴾** من زال ضد ثبت؛ أي: دمتم. **﴿في شك مما جاءكم به﴾** من الدين الحق. **﴿حتى إذا هلك﴾** بالموت، يعني: [تا آنكاه كه بمرد]. **﴿قلتم﴾**: ضماً إلى تكذيب رسالته، تكذيب رسالة من بعده. **﴿لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾**.

وقال الكاشفي: [جون سخن اين رسول نشنيديم ديكرى نخو اهد آمد از ترس آنكه در قول او تردد كنيم]. وفي الآية إشارة إلى أن في الإنسان ظلومية وجهولية لو خلي وطبعه لا يؤمن بنبي من أنبيائه ولا بمعجزاتهم أنها آيات الحق تعالى، وهذه طبيعة المتقدمين والمتأخرين منهم، وإنما المهتدي من يهديه الله بفضله وكرمه ومن إنكارهم الطبيعي أنهم ما آمنوا بنبوة يوسف، فلما هلك أنكروا أن يكون بعده رسول الله، وذلك من زيادة شقاوة الكافرين، كما أن من كمال سعادة المؤمنين أن يؤمنوا بالأنبياء قبل نبيهم. **﴿كذلك﴾**؛ أي: مثل ذلك الإضلال الفظيع. **﴿يضل الله﴾**: [كمراه سازد خداى تعالى در بوادى طغيان].

﴿من هو مسرف﴾ في عصيانه. **﴿مرتاب﴾**: في دينه، شاكّ في معجزات أنبيائه لغلبة الوهم والتقليد.

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾

﴿الذين يجادلون في آيات الله﴾ بدل من الموصول الأول؛ لأنه بمعنى الجمع إذ لا يريد مسرفاً واحداً، بل كل مسرف. والمراد بالمجادلة رد الآيات. والطعن فيها **﴿بغير سلطان﴾** متعلق بيجادلون؛ أي: بغير حجة وبرهان صالحة للتمسك بها في الجملة. **﴿أتاهم﴾** صفة سلطان **﴿كبر﴾** عظم من هو مسرف مرتاب، أو الجدال. **﴿مقتاً﴾**؛ أي: من جهة البغض الشديد والنفور القوي **﴿عند الله وعند الذين آمنوا﴾**.

قال ابن عباس رضي الله عنه: بمقتهم الذين آمنوا بذلك الجدال. **﴿كذلك﴾**؛ أي: مثل ذلك الطبع الفظيع. **﴿يطبع الله﴾**: [مهر مى نهد خداى تعالى واز هدى محجوب ميكند].

﴿على كل قلب متكبر جبار﴾: [برهردل شخص متكبر كه سر كش انداز فرمان بردارى خو دكامه كه خودرا ازديكران بر تردانند]. فيصدر عنه أمثال ما ذكر من الإسراف والارتياب والمجادلة بالباطل.

قال الراغب: الجبار في صفة الإنسان. يقال: لمن جبر نقيصته؛ أي: أصلحها بادعاء منزلة من التعالي لا يستحقها. وهذا لا يقال إلا على طريقة الذم ويسمى السلطان جبار لقهره الناس على ما يريده، أو لإصلاح أمورهم، فالجبر تارة، يقال في الإصلاح المجرد وتارة في القهر المجرد.

وقال أبو الليث: ﴿على قلب كل متكبر جبار﴾ ومثله في «كشف الأسرار» حيث قال بالفارسية: [بردل هر كردن كشى]. فقوله: قلب بغير تنوين بإضافته إلى متكبر؛ لأن المتكبر هو الإنسان. وقرأ بعضهم بالتنوين بنسبة الكبر إلى القلب على أن المراد صاحبه؛ لأنه متى تكبر القلب تكبر صاحبه، وبالعكس والخبر زنا العينين النظر يعني زنا صاحبهما.

قال في «الكواشي»، وكل على القراءتين لعموم الطبع جميع القلب لا لعموم جميع القلوب.

يقول الفقير: اعلم أن الطابع هو الله تعالى، والمطبوع هو القلب وسبب الطبع هو التكبر والجبارية وحكمه أن لا يخرج من القلب ما فيه من الكفر والنفاق والزيغ والضلال، فلا يدخل فيه ما في الخارج من الإيمان والإخلاص والسداد والهدى، وهو أعظم عقوبة من الله عليه، فعلى العاقل أن يتشبث بالأسباب المؤدية إلى شرح الصدر لا إلى طبع القلب.

قال إبراهيم الخواص قدس سره: دواء القلب خمسة: قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل، والتضرع إلى الله عند السحر، ومجالسة الصالحين.

وقال الحسن البصري: حادثوا هذه القلوب بذكر الله، فإنها سريعة الدثور، وهو بالفارسية: [زنك أفكندن كارد وشمشير والمحادثة بزدودن]. وهذا بالنسبة إلى القلب القابل للمحادثة إذ رب قلب لا يقبل ذلك:

آهـنـى راكـه مـوريـانـه بـخـورد نـتـوان بـرد ازو بـصـيـقـل زنـك
بـاسـيـه دل جـه سـود كـفـتـن وعـظ نـرود مـيـخ آهـنـيـن درسـنـك

وفي الحديث: «إني ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة». وقد تكلموا في تأويله عن الجنيد البغدادي قدس سره أن العبد، قد ينتقل من حال إلى أرفع منها. وقد يبقى من الأولى بقية يشرف عليها من الثانية، فيصححها. ويقال: بين العبد والحق ألف مقام أو مائة من نور وظلمة، فعلى هذا كان عليه السلام، كلما جاز عن مقام استغفر، فهو يقطع جميع الحجب كل يوم، وذلك يدل على نهاية بلوغه إلى حد الكمال وجلالة قدره عند الملك المتعال.

يقول الفقير: لعل الغين إشارة إلى لباس البشرية والماهية الإمكانية الساتر للقلب عن شهود حضرة الأحدية، ولما كان عليه السلام بحيث يحصل له الانكشاف العظيم كل يوم من مائة مرتبة. وهي مراتب الأسماء الحسنى بأحديتها لم يكن على قلبه اللطيف غين أصلاً. وأشار بالاستغفار إلى مرتبة التبديل؛ أي: تبديل الغين بالمعجمة عيناً بالمهملة والعلم شهوداً، فصار المقام بحيث كان له غين فأزاله بالاستغفار إرشاداً للأمة، وإلا فلا غين في هذا المقام.

والاستغفار: وإن وهمه العامي قليل الاستبصار. وفي الآية ذم للمتكبر والجبار.

وقال عليه السلام: «يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صورة الذر يطأهم الناس لهوانهم على الله، وذلك لأن الصورة المناسبة لحال المتكبر الجبار صورة الذر، كما لا يخفى على أهل القلب».

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿وقال فرعون﴾ لوزيره قصداً إلى صعود السماوات لغاية تكبره وتجبره.

قال الكاشفي: [بس در اثناى مواعظ خربيل فرعون انديشه كردكه ناكاه سخن در مستمعان اثر نكند وزير خود را طلبيد وخودرا ومردم يجيز ديكر مشغول كردانيد].

﴿يا هامان﴾: قال في «كشف الأسرار»: كان هامان وزير فرعون، ولم يكن من القبط، ولا من بني إسرائيل. يقال: إنه لم يغرق مع فرعون وعاش بعده زماناً شقياً محزوناً يتكفف الناس. ﴿ابن﴾ أمر من بنى يبني، يعني: بنا كن ﴿لي﴾: [براى من]. ﴿صرحاً﴾؛ أي: بناء مكشوفاً ظاهراً على الناظر عالياً مشيداً بالآجر، كما قال في القصص: ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾ [القصص: ٣٨]، ولهذا كره الآجر في القبور كما في «عين المعاني»؛ أي لأن فرعون أول من اتخذه وهو من صرح الشيء بالتشديد إذا ظهر، فإنه يكون لازماً أيضاً.

﴿لعلي﴾: [شايدكه]. من ﴿أبلغ﴾: [برسم وصعود مينكم]. ﴿الأسباب﴾؛ أي: الطرق. ﴿أسباب السماوات﴾ بيان لها، يعني: [راهها از آسمانى بآسمانى]. وفي إبهامها ثم إيضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع إلى معرفتها. ﴿فأطلع إلى إله موسى﴾ بقطع الهمزة ونصب العين على جواب الترجي؛ أي: أنظر إليه.

قال في «تاج المصادر»: الاطلاع ديده ورشدن. وفي «عين المعاني»: الاستعلاء على شيء لرؤيته. ﴿وإني لأظنه﴾؛ أي: موسى. ﴿كاذباً﴾ فيما يدعيه من الرسالة.

يقول الفقير: لم يقل كذاباً كما قال عند إرساله إليه؛ لأن القائل هنا هو فرعون وحده، وحيث قال: كذاب. رجع المبالغة إلى فرعون وهارون وقارون، فافهم.

اعلم أن أكثر المفسرين حملوا هذا الكلام على ظاهره، وذكروا في كيفية بناء ذلك الصرح حكاية سبقت في القصص. وقال بعضهم: إن هذا بعيد جداً من حيث إن فرعون إن كان مجنوناً لم يجز حكاية كلامه ولا إرسال رسول يدعوه، وإن كان عاقلاً، فكل عاقل يعلم بديهة أنه ليس في قوة البشر وضع بناء أرفع من الجبل، وأنه لا يتفاوت في البصر حال السماء بين أن ينظر من أسفل الجبل، ومن أعلاه، فامتنع إسناده إلى فرعون، فذكروا لهذا الكلام توجهين يقربان من العقل الأول، أنه أراد أن يبني له هامان رصداً في موضع عال ليرصد منه أحوال الكواكب التي هي أسباب سماوية تدل على الحوادث الأرضية، فيرى هل فيها ما يدل على إرسال الله إياه، والثاني: أن يرى فساد قول موسى عليه السلام؛ بأن إخباره من إله السماء، ويتوقف على اطلاعه عليه ووصوله إليه، وذلك لا يتأتى إلا بالصعود إلى السماء، وهو مما لا يقوى عليه الإنسان، وإن كان أقدر أهل الأرض كالملوك، فإذا لم يكن طريق إلى رؤيته

وإحساسه وجب نفيه وتكذيب من ادعى أنه رسول من قبله، وهو موسى فعلى هذا التوجيه الثاني يكون فرعون من الدهرية الزنادقة، وشبهته فاسدة؛ لأنه لا يلزم من امتناع كون الحس طريقاً إلى معرفة الله امتناع معرفته مطلقاً، إذ يجوز أن يعرف بطريق النظر والاستدلال بالآثار، كما قال ربكم: ﴿ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦]. وقال: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ [الشعراء: ٢٨]، ولكمال جهل اللعين بالله، وكيفية استنبائه أورد الوهم المزخرف في صورة الدليل.

وقال الكلبي: اشتغل فرعون بموسى، ولم يتفرغ لبنائه. وقال بعضهم: قال فرعون: ذلك تمويهاً. وبعضهم قال: لغلبة جهله. والظاهر أن الله تعالى إذا شاء يعمي ويصم من شاء فخلى فرعون ونفسه ليتفرغ لبناء الصرح ليرى منه آية أخرى له، وتتأكد العقوبة، وذلك لأن الله تعالى هدمه بعد بنائه على ما سبق في القصص، وأيضاً هذا من مقتضى التكبر والتجبر الذي نقل عنه، كما مثله عن بخت نصر؛ فإنه أيضاً لغاية عتوه واستكباره، بنى صرحاً ببابل على ما سبقت قصته، وأيضاً: كيف يكون من الدهرية والمنقول المتواتر عنه أنه كان يتضرع إلى الله تعالى في خلوته لحصول مهامه، ومن الله الفهم والعناية والدراية، ويدل على ما ذكرنا أيضاً، قوله تعالى: ﴿**وكذلك**﴾؛ أي: ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط. ﴿**زين**﴾: [آرايش داده شد]. ﴿**لفرعون سوء عمله**﴾؛ أي: عمله السيِّىء، فانهمك فيه انهماكاً لا يرعوي عنه بحال.

﴿**وصد**﴾: صرف ومنع. ﴿**عن السبيل**﴾؛ أي: سبيل الرشاد، والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى، وبالتوسط هو الشيطان. ولذا قال: زين لهم الشيطان أعمالهم، وهذا عند أهل السنة. وأما عند المعتزلة، فالمزين والصاد هو الشيطان. ﴿**وما كيد فرعون**﴾: [ونبود مكر فرعون درساختن قصر ودر ابطال آيات]. ﴿**إلا في تباب**﴾؛ أي: خسار وهلاك.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من ظن أن الله سبحانه وتعالى في السماء كما ظن فرعون؛ فإنه فرعون وقته ولو لم يكن من المضاهاة بين من يعتقد أن الله سبحانه في السماء، وبين الكافر إلاهذا لكفى به في زيغ مذهبه، وغلط اعتقاده؛ فإن فرعون غلط إذ توهم أن الله في السماء، ولو كان في السماء لكان فرعون مصيباً في طلبه من السماء.

وقوله: وكذلك. إلخ. يدل على أن اعتقاده بأن الله في السماء خطأ، وأنه بذلك مصدود عن سبيل الله، وما كيد فرعون في طلب الله من السماء إلا في تباب؛ أي: خسران وضلال. انتهى.

وعن النبي عليه السلام: «أن الله تعالى احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار، وأن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم»، يعني: لو كان في السماء لما طلبه أهل السماء، ولو كان في الأرض لما طلبه أهل الأرض، فإذا هو الآن على ما كان عليه قبل من التنزه عن المكان، وفي «هدية المهديين»: إذا قال الله في السماء وأراد به المكان يكفر اتفاقاً؛ لأنه ظاهر في التجسيم، وإن لم يكن له نية يكفر عند أكثرهم، وإن أراد به الحكاية عن ظاهر الإخبار لا يكفر، وعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه: أنه قال: أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله إن جارية لي كانت ترعى غنماً لي فجئتها، وفقدت شاة من الغنم فسألتها عنها، فقالت: أكلها الذئب، فأسفت عليها، وكنت من بني آدم فلطمتها؛ أي: على وجهها وعلى رقبتها، أفأعتقها عنها، فقال لها رسول الله: «أين الله؟»، فقالت: في

السماء، فقال: «من أنا؟»، فقالت: أنت رسول الله، فقال عليه السلام: «أعتقها فإنها مؤمنة».

اعلم أنه قد دل الدليل العقلي على استحالة حصر الحق في أينية، والشارع لما علم أن الجارية المذكورة ليس في قوتها أن تتعقل موجدها إلا على تصوير في نفسها خاطبها بذلك، ولو أنه خاطبها بغير ما تصورته في نفسها لارتفعت الفائدة المطلوبة، ولم يحصل القبول فكان من حكمته عليه السلام؛ أن سأل مثل هذه الجارية بمثل هذا السؤال، وبمثل هذه العبارة، ولذلك لما أشارت إلى السماء. قال فيها: «إنها مؤمنة» يعني: مصدقة بوجود الله تعالى، ولم يقل إنها عالمة؛ لأنها صدقت قول الله، وهو الله في السماوات، ولو كانت عالمة لم تقيده بالسماء، فعلم أن للعالم أن يصحب الجاهل في جهله تنزلاً لعقله، والجاهل لا يقدر على صحبته العالم بغير تنزل. كذا في «الفتوحات المكية». وفيه أيضاً: أنه لا يلزم من الإيمان بالفوقية الجهة، فقد ثبتت، فانظر ماذا ترى وكن أهل السنة من الورى. انتهى. وفي المثنوي:

قرب نى بالانه يستى رفتن است　　　قرب حق از حبس هستى رستن است

نيست راجه جاى بالا است وزير　　　نيست را زود ونه دورست ونه دير

يقول الفقير: يعرف من هذا الكلام أن وجود الأشياء وماهياتها الممكنة اعتباري. والاعتباري لا وجود له حقيقة، وإنما يقوم بوجود الله تعالى لقيام الظل بذي الظل، فإذا كان وجود الموجودات في حكم العدم، فما معنى كون وجود الله تعالى متقيداً بالعدم؛ بأن يظهر في أينية مخصوصة دون غيرها سبحانه، فافهم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿وقال الذي آمن﴾؛ أي: مؤمن آل فرعون. **﴿يا قوم اتبعون﴾** فيما دللتكم عليه أصله يا قومي اتبعوني. **﴿أهدكم سبيل الرشاد﴾**؛ أي: سبيلاً يصل سالكه إلى المقصود والرشد والرشاد الاهتداء لمصالح الدين والدنيا. وفيه تعريض بأن ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغي والضلال.

وفيه إشارة إلى أن الهداية مودعة في اتباع الأنبياء والأولياء وللولي أن يهدي سبيل الرشاد بتبعية النبي عليه السلام كما يهدي النبي إليه، ومن الهداية قوله: **﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾**: اسم بمعنى المتعة، وهي التمتع والانتفاع لا بمعنى السلعة؛ لأن وقوعه خبراً عن الحياة الدنيا يمنع منه؛ أي: تمتع يسير، وانتفاع قليل لسرعة زوالها؛ لأن الدنيا بأسرها ساعة، فكيف عمر إنسان واحد. وبالفارسية: [بساط عيش او باندك فرصتى در نور دند ونامة معاشرت أورا رقم ابطال درسر كشند]:

بباغ دهر كه بس تازه رنك وخوش بويست　　　مباش غره كه رنج خزان زبى دارد

زمان زمان بد مدريح نكبت وادبار　　　جه رنك وبوكه نشانى ازان نكذارد

قال محمد بن علي الترمذي قدس سره: لم تزل الدنيا مذمومة في الأمم السالفة عند العقلاء منهم، وطالبوها مهانين عند الحكماء الماضية، وما قام داع في أمة إلا حذر متابعة الدنيا وجمعها والحب لها، ألا ترى إلى مؤمن آل فرعون كيف قال: **﴿اتبعون أهدكم سبيل الرشاد﴾**؛ كأنهم قالوا: وما سبيل الرشاد، قال: إنما هذه. إلخ.

يعني: لن تصل إلى سبيل الرشاد، وفي قلبك محبة للدنيا وطلب لها. **﴿وإن الآخرة هي**

دار القرار﴾. لخلودها ودوام ما فيها فالدائم خير من المنقضي. قال بعض العارفين: لو كانت الدنيا ذهباً فانياً، والآخرة خزفاً باقياً، لكانت الآخرة خيراً من الدنيا، فكيف والدنيا خزف فانٍ، والآخرة ذهب باقٍ.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نام على حصير، فقام وقد أثر في جسده، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: يا رسول الله لو أمرتنا أن نبسط لك لنفعل، فقال: ما لي وللدنيا وما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها». وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي عليه السلام. قال: «يا بني أكثر ذكر الموت، فإنك إذا أكثرت ذكر الموت زهدت في الدنيا، ورغبت في الآخرة، وإن الآخرة دار قرار والدنيا غرارة، والمغرور من اغتر بها»:

تو غافل در انديشه سود مال   كه سرماية عمر شد بايمال
جه خوش كفت باكودك آموزكار   كه كارى نكرديم وشد روزكار

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾.

﴿من﴾: [هر كه]. ﴿عمل﴾ في الدنيا ﴿سيئة﴾: [كردارى بد]. ﴿فلا يجزى﴾ في الآخرة ﴿إلا مثلها﴾ عدلاً من الله سبحانه، فخلود الكافر في النار مثل لكفره، ولو ساعة لأبدية اعتقاده. وأما المؤمن الفاسق، فعقابه منقطع إذ ليس على عزم أن يبقى مصراً على المعصية.

وفي الآية دليل على أن الجنايات سواء كانت في النفوس أو الأعضاء أو الأموال تغرم بأمثالها، والزائد على الأمثال غير مشروع. ﴿ومن عمل صالحاً﴾، وهو ما طلب به رضا الله تعالى؛ أي عمل كان من الأعمال المشروعة. ﴿من ذكر أو أنثى﴾ ذكرهما ترغيباً لهما في الصالحات. ﴿وهو﴾؛ أي: والحال أنه ﴿مؤمن﴾ بالله واليوم الآخر جعل العمل عمدة، والإيمان حالاً للإيذان؛ بأنه لا عبرة بالعمل بدون الإيمان إذ الأحوال مشروطة على ما تقرر في علم الأصول.

﴿فأولئك﴾ الذين عملوا ذلك ﴿يدخلون الجنة يرزقون فيها﴾: [روزى داده شو نداز فواكه با كيزه ومطاعم لذيذه]. ﴿بغير حساب﴾؛ أي: بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافاً مضاعفة فضلاً من الله ورحمة.

وفي «التأويلات النجمية»: بغير حساب؛ أي: مما لم يكن في حساب العبد أن يرزق مثله. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: أخبرني رسول الله عليه السلام: أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم؛ أي: بأعمالهم الفاضلة، ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيبرزون ويبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم، وما هو دني على كثبان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً.

قال أبو هريرة رضي الله عنه، قلت: يا رسول الله، وهل يرى ربنا؟ قال: «نعم، هل

تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر»، قلنا: لا، قال: كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم تبارك وتعالى، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم: يا فلان بن فلان: أتذكر يوم قلت كذا وكذا، فيذكره بعض عثراته في الدنيا، فيقول: أو لم تغفر لي، فيقول: بلى. فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه، فبينما هم على ذلك إذ غشيتهم سحابة، فأمطرت عليهم طيباً، لم يجدوا مثل ريحه قط. ويقول: ربنا قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة، فخذوا ما اشتهيتم فنأتي سوقاً قد حفت بالملائكة، لم تنظر العيون إلى مثلها، ولم تسمع الأذان، ولم يخطر على القلوب، فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولايشترى. وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً.

قال: فيقبل الرجل ذو المنة المرتفعة، فيلقى من هو دونه، وما فيهم دني فيروعه ما عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل عليه ما هو أحسن منه. وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا، فيتلقانا أزواجنا، فيقلن مرحباً وأهلاً، لقد جئت وإن ربك من الجمال ما هو أفضل مما فارقتنا عليه، فيقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار، ويحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا».

﴿**ويا قوم**﴾: قال الكاشفي: [آل فرعون از سخنان خربيل فهم كردند كه ايما آورده است زبان ملامت بكشادندكه شرم ندارى كه از برستش فرعون روى بعبادت ديكرى مى آرى خربيل تكرار ندا كرداز روى تنبيه تا شايد از خواب غفلت بيدار شوند بس كفت اى كروه من]. ﴿**ما لي**﴾: الاستفهام للتوبيخ. ﴿**أدعوكم إلى النجاة**﴾ من النار بالتوحيد. ﴿**وتدعونني إلى النار**﴾ بالإشراك.

قوله: أدعوكم في موضع الحال من المنوي في الخبر وتدعونني عطف عليه ومدار التعجب دعوتهم إياه إلى النار لا دعوته إياهم إلى النجاة؛ كأنه قيل: أخبروني كيف هذا الحال أدعوكم إلى الخير، وتدعونني إلى الشر، وقد جعله بعضهم من قبيل ما لي أراك حزيناً؛ أي: ما لك تكون حزيناً، فيكون المعنى: ما لكم أدعوكم. إلخ.

﴿تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿**تدعونني لأكفر بالله**﴾ بدل والدعاء كالهداية بإلى، واللام. ﴿**وأشرك به ما ليس لي به**﴾؛ أي: بشركته له تعالى في المعبودية. ﴿**علم**﴾. والمراد: نفي المعلوم، وهو ربوبية ما يزعمون إياه شريكاً بطريق الكناية، وهو من باب نفي الشيء بنفي لازمه، وفيه إشعار، بأن الألوهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها. ﴿**وأنا أدعوكم إلى العزيز**﴾ الذي لم يكن له كفواً أحد، وأما المخلوقات، فبعضها أكفاء بعض. وأيضاً: إلى القادر على تعذيب المشركين. ﴿**الغفار**﴾ لمن تاب ورجع إليه القادر على غفران المذنبين. ﴿**لا جرم**﴾: [هر آينه]. قاله الكاشفي، وقال غيره كلمة لا رد لما دعوه إليه من الكفر والإشراك وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى: ﴿**أنما تدعونني إليه**﴾؛ أي: إلى عبادته وإشراكه.

﴿**ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة**﴾؛ أي: حق ووجب عدم دعوة آلهتكم إلى عبادة

نفسها أصلاً، ومن حق المعبود أن يدعو الناس إلى عبادته بإرسال الرسل، وإنزال الكتب. وهذا الشأن منتف عن الأصنام بالكلية؛ لأنها في الدنيا جمادات لا تستطيع دعاء غيرها.

وفي الآخرة إذا أنشأها الله حيواناً ناطقاً تبرأ من عبدتها، أو المعنى حق وثبت عدم استجابة دعوة لها؛ أي: ليس لها استجابة دعوة لا في الدنيا بالبقاء، والصحة والغنى ونحوها، ولا في الآخرة بالنجاة ورفعة الدرجات وغيرهما، كما قال تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، فكيف تكون الأصنام رباً، وليس لها قدرة على إجابة دعاء الداعين، ومن شأن الرب استجابة الدعوات وقضاء الحاجات.

وقيل: جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه؛ أي: كسب ذلك الدعاء إلى الكفر والإشراك بطلان دعوته؛ أي: بطلان دعوة المدعو إليه بمعنى ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته؛ كأنه قيل: إنكم تزعمون أن دعاءكم إلى الإشراك يبعثني على الإقبال عليه، وأنه سبب الإعراض وظهور بطلانه.

وقيل: جرم فعل من الجرم، وهو القطع كما أن بد من لا بد فعل من التبديد.

والمعنى: لا قطع لبطلان ألوهية الأصنام؛ أي: لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقاً، فيكون جرم اسم لا مبنياً على الفتح لا فعلاً ماضياً، كما هو على الوجهين الأولين.

وفي «القاموس»: لا جرم؛ أي: لا بد أو حقاً أو لا محالة، أو هذا أصله، ثم كثر حتى تحول إلى معنى القسم، فذلك يجاب عنه باللام. يقال: لا جرم لآتينك. **﴿وأن مردنا﴾** مرجعنا **﴿إلى الله﴾**؛ أي: بالموت ومفارقة الأرواح. [الأجساد ومارا جزا خواهد داد]، وهو عطف على أن ما تدعونني داخل في حكمه، وكذا قوله تعالى: **﴿وأن المسرفين﴾**؛ أي: في الضلال والطغيان كالإشراك وسفك الدماء. **﴿هم أصحاب النار﴾**؛ أي: ملازموها.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿فستذكرون﴾؛ أي: فسيذكر بعضكم بعضاً عند معاينة العذاب. **﴿ما أقول لكم﴾** من النصائح، ولكن لا ينفعكم الذكر حينئذ. **﴿وأفوض أمري إلى الله﴾**: أرده إليه ليعصمني من كل سوء قاله لما أنهم كانوا توعدوه بالقتل.

قال في «القاموس»: فوض إليه الأمر رده إليه، انتهى. وحقيقة التفويض تعطيل الإرادة في تدبير الله تعالى كما في «عين المعاني»، وكمال التفويض أن لا يرى لنفسه ولا للخلق جميعاً قدرة على النفع والضر، كما في «عرائس البقلي».

قال بعضهم: التفويض قبل نزول القضاء والتسليم بعد نزوله. **﴿إن الله بصير بالعباد﴾** يعلم المحق من المبطل، فيحرس من يلوذ به من المكاره، ويتوكل عليه.

وفي «كشف الأسرار»: معنى تفويض: [كار باخداوندكار كذا شتن است درسه جيز دردين ودر قسم ودر حساب خلق اما تفويض دردين آنست كه بتكلف خود در هرجه الله ساخته نياميزى وجنانكه ساخته وى ميكردد با آن ميسازى وتفويض در قسم آنست كه بهانة دعا باحكم او معارضه نكنى وباستقصاى طلب تعيين خودرا متهم نكنى وتفويض در حساب آنست كه اكر ايشانرا بدى بينى آنرا شقاوت نشمرى وبترسى واكر برنيكى بينى آنرا سعادت نشمرى واميد دارى وبر ظاهر هر كس فرو آيى وبصدق ايشانرا مطالبت نكنى].

ويقرب من هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «إن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين أحدهما مجتهد في العبادة والآخر كان يقول: مذنب، فجعل المجتهد يقول: أقصر أقصر، عن ما أنت فيه. قال: فيقول: خلني وربي، فإنما على ذنب استعظمه، فقال: أقصر، فقال: خلني وربي أبعثت علي رقيباً، فقال: والله لا يغفر الله لك أبداً، ولا يدخلك الجنة أبداً. قال: فبعث الله إليهما ملكاً، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عنده، فقال للمذنب: ادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي، فقال: لا يا رب. قال: اذهبوا به إلى النار».

قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت بدنياه وآخرته. ودلت الآية على أن الله تعالى مطلع على العباد وأحوالهم، فلا بد من تصحيح الحال، ومراقبة الأحوال.

روي أن ابن مسعود رضي الله عنه: خرج مع بعض الأصحاب رضي الله عنهم إلى الصحراء، فطبخوا الطعام، فلما تهيؤوا للأكل رأوا هنالك راعياً يرعى أغناماً، فدعوه إلى الطعام، فقال الراعي: كلوا أنتم، فإني صائم، فقالوا له بطريق التجربة: كيف تصوم في مثل هذا اليوم الشديد الحرارة، فقال لهم: إن نار جهنم أشد حراً منه، فأعجبهم كلامه، فقالوا له: بع لنا غنماً من هذه الأغنام نعطك ثمنه مع حصة من لحمه، فقال لهم: هذه الأغنام ليست لي، وإنما هي لسيدي ومالكي، فكيف أبيع لكم مال الغير، فقالوا له: قل لسيدك إنه أكله الذئب أو ضاع. فقال الراعي: أين الله، فأعجبهم كلامه زيادة الإعجاب، ثم لما عادوا إلى المدينة اشتراه ابن مسعود من مالكه مع الأغنام، فأعتقه ووهب الأغنام له، فكان ابن مسعود يقول له في بعض الأحيان بطريق الملاطفة: أين الله.

وروي: أن نبياً من الأنبياء كان يتعبد في جبل، وكان في قربه عين جارية، فجاز بها فارس وشرب منها ونسي عندها صرة فيها ألف دينار، فجاء آخر فأخذ الصرة، ثم جاء رجل فقير على ظهره حزمة حطب، فشرب واستلقى ليستريح فرجع الفارس لطلب الصرة، فلم يرها، فأخذ الفقير، فطلبها منه، فلم يجدها عنده، فعذبه حتى قتله، فقال ذلك النبي: إلٰهي ما هذا أخذ الصرة، بل أخذها ظالم آخر وسلطت هذا الظالم عليه حتى قتله، فأوحى الله تعالى إليه أن اشتغل بعبادتك، فليس معرفة مثل هذا من شأنك، إن هذا الفقير قد قتل أبا الفارس، فمكنته من القصاص، وإن أبا الفارس قد كان أخذ ألف دينار من مال آخذ الصرة، فرددته إليه من تركته.

ذكره الغزالي رحمه الله. قال الحافظ:

دركاه خانة كه ره عقل وفضل نيست فهم ضعيف وراى فضولي جرا كنند

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿فوقاه الله﴾: [آورده اندكه فرعون فرمود تاخربيل رابكشندوى كريخته روى بكو هى نهاد وبنماز مشغول شد حق سبحانه تعالى لشكر سباع را برانكيخت تابكر دوى در آمده آغازبا سبانى كردند نتيجة تفويض بزودى دروى رسيد]. يعني: فوض أمره إلى الله فكفاه الله [در كشف الأسرار آمده كه فرعون از خواص خود جمعي را از عقب او فر ستاد جون بوى رسيدند

ونمازوى ونكهبانى سباع مشاهده كرده بترسيدند ونزد فرعون آمده صورت حال باز كفتند همه راسياست كرد تا ان سخن فاش نكردد].

قال بعضهم: منهم من أكلته السباع، ومنهم من رجع إلى فرعون، فاتهمه وصلبه، فأخبر الله عن الحال خربيل بقوله: فوقاه الله؛ أي: حفظه من ﴿سيئات ما مكروا﴾: شدائد مكرهم وما هموا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم. وبالفارسية: [بس نكاه داشت اوراخداى از بديهاى آنجه اند يشيد ند درراه او].

وقيل: نجا خربيل مع موسى عليه السلام. ﴿وحاق﴾ نزل وأصاب ﴿بآل فرعون﴾؛ أي: بفرعون وقومه، وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة أنه أولى منهم بذلك من حيث كونه متبوعاً لهم ورئيساً ضالاً مضلاً. ﴿سوء العذاب﴾؛ أي: الغرق. وهذا في الدنيا ثم بيّن عذابهم في البرزخ بقوله:

﴿النار يعرضون﴾؛ أي: فرعون وآله. ﴿عليها﴾؛ أي: على النار. ومعنى عرضهم على النار إحراق أرواحهم وتعذيبهم بها من قولهم عرض الأسارى على السيف إذا قتلوا به.

قال في «القاموس»: عرض القوم على السيف قتلهم وعلى السوط ضربهم. ﴿غدواً وعشياً﴾؛ أي: في أول النهار وآخره. وذكر الوقتين إما للتخصيص، وإما فيما بينهما، فالله تعالى أعلم بحالهم. إما أن يعذبوا بجنس آخر، أو ينفس عنهم، وإما للتأبيد كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]؛ أي: على الدوام.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن أرواح آل فرعون في أجواف طير سود يعرضون على النار مرتين، فيقال: يا آل فرعون هذه داركم.

قال ابن الشيخ في «حواشيه» هذا يؤذن بأن العرض ليس بمعنى التعذيب والإحراق، بل بمعنى الإظهار والإبراز، وأن الكلام على القلب كما في قولهم: عرضت الناقة على الحوض، فإن أصله عرضت الحوض على الناقة بسوقها إليه وإيرادها عليه، فكذا هنا أصل الكلام تعرض عليهم؛ أي: على أرواحهم بأن يساق الطير التي أرواحهم فيها؛ أي: في أجوافها إلى النار.

وفي الحديث: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة، فمن الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن النار. يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة». يعني: [اينست جاى توتا كه برانكيز دترا خداى بسوى وى درروز قيامت].

يقول الفقير: أما كون أرواحهم في أجواف طير سود، فليس المراد ظرفية الأجواف للأرواح حتى لا يلزم التناسخ، بل هو تصوير لصور أرواحهم البرزخية. وأما العرض بمعنى الإظهار، فلا يقتضي عدم التعذيب، فكل روح. إما معذب، أو منعم وللتعذيب والتنعيم مراتب، ولأمر ما ذكر الله تعالى عرض أرواح آل فرعون على النار، فإن عرضها ليس كعرض سائر الأرواح الخبيثة.

قال في «عين المعاني»: قال رجل للأوزاعي رأيت طيراً لا يعلم عددها إلا الله تخرج من البحر بيضاء، ثم ترجع عشياً سوداء، فما هي قال: أرواح آل فرعون تعرض وتعود والسواد من الإحراق هذا ما دامت الدنيا. ﴿ويوم تقوم الساعة﴾: وتعود الأرواح إلى الأبدان يقال للملائكة: ﴿أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾؛ أي: عذاب جهنم، فإنه أشد مما كانوا فيه؛ فإنه للروح والجسد جميعاً، وهو أشد مما كان للروح فقط كما في البرزخ. وذلك أن الأرواح بعد

الموت ليس لها نعيم، ولا عذاب حسي جسماني. ولكن ذلك نعيم، أو عذاب معنوي روحاني حتى تبعث أجسادها، فترد إليها، فتعذب عند ذلك حساً، ومعنى، أو تنعم ألا ترى إلى بشر الحافي قدس سره لما رؤي في المنام. قيل له: ما فعل الله بك. قال: غفر لي وأباح لي نصف الجنة؛ أي: نعيم الروح. وأما النصف الآخر الذي هو نعيم الجسد، فيحصل بعد الحشر ببدنه والأكل الذي يراه الميت بعد موته في البرزخ هو كالأكل الذي يراه النائم في النوم، فكما أنه تتفاوت درجات الرؤيا حتى أن منهم من يستيقظ، ويجد أثر الشبع، أو الري، فكذا تختلف أحوال الموتى، فالشهداء أحياء عند ربهم، كحياة الدنيا ونعيمهم قريب من نعيم الحس، فافهم جداً، ويجوز أن يكون المعنى: أدخلوا آل فرعون أشد عذاب جهنم، فإن عذابها ألوان بعضها أشد من بعض.

وفي الحديث: «أهون أهل النار عذاباً رجل في رجليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه.

وفي «التأويلات النجمية»: ويوم تقوم الساعة يشير إلى مفارقة الروح البدن بالموت، فإن من مات فقد قامت قيامته أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، وذلك فإن أشد عذاب فرعون النفس ساعة المفارقة؛ لأنه يفطم عن جميع مألوفات الطبع دفعة واحدة. والفطام عن المألوف شديد، وقد يكون الألم بقدر شدة التعلق به. انتهى. قال الحافظ:

غلام همت آنم كه زير جرخ كبود زهر جه رنك تعلق بدير آزا دست

وقال غيره:

الفت مكير همجوالف هيج باكسى تابسته الم نشوى وقت انقطاع

ثم في الآية دليل على بقاء النفس وعذاب القبر؛ لأن المراد بالعرض التعذيب في الجملة، وليس المراد: أنهم يعرضون عليها يوم القيامة لقوله بعده ويوم تقوم الساعة. إلخ. وإذا ثبت في حق آل فرعون ثبت في حق غيرهم إذ لا قائل بالفصل.

وكان عليه السلام لا يصلي صلاة إلا وتعوذ بعدها من عذاب القبر. قال عليه السلام: «من كف أذاه عن الناس كان حقاً على الله أن يكف عنه أذى القبر». وروي عن سالم بن عبد الله: أنه قال: سمعت أبي يقول: أقبلت من مكة على ناقة لي وخلفي شيء من الماء حتى إذا مررت بهذه المقبرة مشيراً إلى مقبرة مخصوصة بين مكة والمدينة. خرج رجل من المقبرة يشتعل من قرنه إلى قدمه ناراً، وإذا في عنقه سلسلة تشتعل ناراً، فوجهت الدابة نحوه. أنظر إلى العجب، فجعل يقول: يا عبد الله صب علي من الماء، فخرج رجل من القبر أخذ بطرف السلسلة، فقال: لا تصب عليه الماء، ولا كرامة، فمد يده حتى انتهى به إلى القبر، فإذا معه سوط يشتعل ناراً، فضربه حتى دخل القبر.

قال وهب بن منبه: من قرأ باسم الله، وبالله وعلى ملة رسول الله، رفع الله العذاب عن صاحب القبر أربعين سنة. كذا في «زهرة الرياض»: قال العلماء: عذاب القبر هو عذاب البرزخ أضيف إلى القبر؛ لأنه الغالب، وإلا فكل ميت أراد الله تعذيبه ناله ما أراد به قبر، أو لم يقبر بأن صلب أو غرق في «البحر»، أو أحرق حتى صار رماداً وذري في الجو. قال إمام الحرمين: من تفرقت أجزاؤه يخلق الله الحياة في بعضها، أو كلها، ويوجه السؤال عليها، ومحل العذاب والنعيم؛ أي: في القبر هو الروح والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة.

قال اليافعي: وتختص الأرواح دون الأجساد بالنعيم والعذاب ما دامت في عليين أو

سجين. وفي القبر: يشترك الروح والجسد.

قال الفقيه أبو الليث: الصحيح، عندي أن يقر الإنسان بعذاب القبر، ولا يشتغل بكيفيته.

وفي «الأخبار الصحاح»: أن بعض الموتى لا ينالهم فتنة القبر كالأنبياء والأولياء والشهداء.

قال الحكيم الترمذي: إذا كان الشهيد لا يسأل، فالصديق أولى بأن لا يفتن هو المنخلع عن صفات النفس، والشهيد هو أهل الحضور. والصحيح: هو أهل الاستقامة في الدين، ورؤي بعضهم بعد موته على حال حسنة فسئل عن سببها، فقال: كنت أكثر قول: لا إله إلا الله، فأكثر منها؛ أي: من هذه المقالة الحسنة، والكلمة الطيبة اللهم اختم لنا بالخير والحسنى.

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿**وإذ يتحاجون في النار**﴾: التحاج بالتشديد التخاصم، كالمحاجة؛ أي: واذكر يا محمد لقومك وقت تخاصم أهل النار في النار سواء كانوا آل فرعون، أو غيرهم، ثم شرح خصومتهم بقوله: ﴿**فيقول الضعفاء**﴾: منهم في القدر والمنزلة والحال في الدنيا، يعني: [بيجاركان وزبونان قوم]. ﴿**للذين استكبروا**﴾؛ أي: أظهروا الكبر باطلاً وهم رؤساؤهم ولذا لم يقل للكبراء؛ لأنه ليس الكبرياء صفتهم في نفس الأمر. ﴿**إنا كنا لكم**﴾ في الدنيا ﴿**تبعاً**﴾: جمع تابع كخدم في جمع خادم.

قال في «القاموس»: التبع محركة التابع يكون واحد، أو جمعاً؛ أي: إتباعاً في كل حال خصوصاً فيما دعوتمونا إليه من الشرك والتكذيب، يعني: [سبب دخول مادر دوزخ بيدى شما]. ﴿**فهل أنتم**﴾: [بس آياهستيد شما]. ﴿**مغنون عنا نصيباً من النار**﴾، بالدفع أو بالحمل، يقال: ما يغني عنك هذا؛ أي: ما يجزيك وما ينفعك ونصيباً، وهو الحظ المنصوب؛ أي: المعين كما في «المفردات»: منصوب بمضمر يدل عليه مغنون، فإن أغنى إذا عدي بكلمة عن لا يتعدى إلى مفعول آخر بنفسه؛ أي: رافعون عنا نصيباً؛ أي: بعضاً وجزءاً من النار باتباعنا إياكم، فقد كنا ندفع المؤونة عنكم في الدنيا.

﴿**قال الذين استكبروا**﴾: [جه جاى اين سخن است]. ﴿**إنا كل**﴾؛ أي: كلنا نحن وأنتم. وبهذا صحّ وقوعه مبتدأ. ﴿**فيها**﴾: خبر؛ أي: في النار، فكيف نغني عنكم، ولو قدرنا لأغنينا عن أنفسنا. ﴿**إن الله قد حكم بين العباد**﴾، بماهية كل أحد فأدخل المؤمنين الجنة على تفاوتهم في الدرجات، والكافرين النار على طبقاتهم في الدركات، ولا معقب لحكمه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿**وقال الذين في النار**﴾ من الضعفاء والمستكبرين جميعاً، لما ذاقوا شدة العذاب وضاقت حيلهم. ﴿**لخزنة جهنم**﴾؛ أي: القوام بتعذيب أهل النار. جمع خازن. والخزن: حفظ الشيء في الخزانة، ثم يعبر به عن كل حفظ كحفظ السر ونحوه.

قاله الراغب: ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل والتفظيع. وهم اسم لنار الله

الموقدة. ﴿**ادعوا ربكم**﴾ شافعين لنا. ﴿**يخفف عنا يوماً**﴾؛ أي: في مقدار يوم واحد من أيام الدنيا. ﴿**من العذاب**﴾؛ أي: شيئاً منه، فقوله: يوماً، ظرف ليخفف، ومفعوله محذوف. ومن العذاب بيان لذلك المحذوف، واقتصارهم في الاستدعاء على تخفيف قدر يسير من العذاب في مقدار قصير من الزمان دون رفعه رأساً، أو تخفيف قدر كثير منه في زمان مديد لعلمهم بعدم كونه في حيز الإمكان. ﴿**قالوا**﴾: أي الخزنة بعد مدة. ﴿**أو لم تك**﴾: الهمزة للاستفهام، والواو للعطف على مقداري ألم تنبهوا على هذا ولم تك ﴿**تأتيكم رسلكم**﴾ في الدنيا على الاستمرار. ﴿**بالبينات**﴾ بالحجج الواضحة الدالة على سوء عاقبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصي، أرادوا بذلك إلزامهم وتوبيخهم على إضاعة أوقات الدعاء، وتعطيل أسباب الإجابة.

﴿**قالوا بلى**﴾؛ أي: أتونا بها، فكذبناهم كما في سورة الملك. ﴿**قالوا**﴾: إذا كان الأمر كذلك، يعني: [جون كاربرين منوالست]. ﴿**فادعوا**﴾: أنتم، فإن الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستخيل صدوره عنا، ولم يريدوا بأمرهم بالدعاء اطماعهم في الإجابة، بل إقناطهم منها، وإظهار حقيقتهم حسبما صرحوا به في قولهم.

﴿**وما دعاء الكافرين**﴾ لأنفسهم، فالمصدر مضاف إلى فاعله، أو وما دعاء غيرهم لهم بتخفيف العذاب عنهم، فالمصدر مضاف إلى مفعوله. ﴿**إلا في ضلال**﴾؛ أي: في ضياع وبطلان لا يجاب؛ لأنهم دعوا في غير وقته. اختلف العلماء في أنه هل يجوز أن يقال: يستجاب دعاء الكافرين، فمنعه الجمهور لقوله تعالى: ﴿**وما دعاء الكافرين إلا في ضلال**﴾؛ ولأن الكافر لا يدعو الله؛ لأنه لا يعرفه؛ لأنه وإن أقر به لما وصفه بما لا يليق به نقض إقراره. وما روي في الحديث «أن دعوة المظلوم وإن كان كافراً تستجاب»، فمحمول على كفران النعمة وجوزه بعضهم لقوله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي﴾ [الأعراف: ١٤]؛ أي: أمهلني ولا تمتني سريعاً، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥]، فهذه إجابة وبالجواز يفتى.
قال الشيخ سعدي:

مغى در بروى از جهان بسته بود ... بتى را بخدمت ميان بسه بود
بس از جند سال آن نكوهيده كيش ... قضا حالتى صعبش آورد بيش
ببای بت آمد باميد خبر ... بغلطيد بيجاره برخاك دير
كه درما نده ام دست كيراى صنم ... بجان آمدم رحم كن برتنم
بزاريد در خدمتش بارها ... كه هيجش بسامان نشد كارها
بتى جون برارد مهمات كس ... كه نتواند از خود براند مكس
برآشفت كاى باى بند ضلال ... بباطل برستيدمت جند سال
مهمى كه دربيش دارم برآر ... وكرنه نخواهم زيرور دكار
هنوز ازبت آلوده رويش بخاك ... كه كامش برآورد يزدان باك
حقائق شناسى درين خيره شد ... سرو قت صافى بروتيره شد
كه سر كشته دون باطل برست ... هنوزش سراز خمر تبخانه مست
دل از كفر ودست از خيانت نشست ... خدايش برآورد كامى كه جشد
فرورفت خاطر درين مشكلش ... كه بيغامى آمد درون دلش

که بیش صنم بیر ناقص عقول بسی کفت وقولش نیامد قبول
کرازدرکه ما شود نیرزد بس آنکه چه فرن از صنم تا صمد
دل اندر صمد بایدای دوست بست که عاجز ترنداز صنم هر که هست
محالست اکر سر برین درنهی که باز آیدت دست حاجت تهی

فإذا ثبت أن الله تعالى يجيب الدعوات لا ما سواه من الأصنام ونحوها، فلا بد من توحيده، وإخلاص الطاعة والعبادة له، وعرض الافتقار إليه إذ لا ينفع الغير لا في الدنيا، ولا في الآخرة جعلنا الله، وإياكم من التابعين للهدى والمحفوظين من الهوى.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿**إنا**﴾: نون العظمة، أو باعتبار الصفات، أو المظاهر. ﴿**لننصر رسلنا**﴾ النصر: العون. ﴿**والذين آمنوا**﴾؛ أي: أتباعهم. ﴿**في الحياة الدنيا**﴾ بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال والقتل والسبي. وغير ذلك من العقوبات، ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم من صورة المغلوبية امتحاناً إذ العبرة إنما هي بالعواقب، وغالب الأمر. وأيضاً: ما يقع في بعض الأحيان من الانهزام، إنما كان بعارض كمخالفة أمر الحاكم، كما في غزوة أحد، وكمطلب الدنيا والعجب والغرور، كما في بعض وقائع المؤمنين. وأيضاً: إن الله تعالى ينتقم من الأعداء، ولو بعد حين كما بعد الموت، ألا ترى أن الله تعالى انتقم ليحيى عليه السلام بعد استشهاده من بني إسرائيل بتسليط بخت نصر حتى قتل به سبعون ألفاً.

قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: ما قتلت أمة نبياً إلا قتل به منهم سبعون ألفاً، ولا قتلوا خليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفاً. وأما قصة الحسنين رضي الله عنهما، فكثرة القتلى لهما باعتبار جدهما عليه السلام. وحاصله: أن علماء هذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل، فإذا انضم إلى شرفهم شرف الانتساب إلى النبي عليه السلام بالسيادة الصورية قرباً، أو بعداً تضاعف قدرهم، فكان الإكرام إليهم بمنزلة الإكرام إلى النبي عليه السلام. وكذا الإهانة. والظاهر: في دفع التعارض بين قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١] وبين قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١] ما قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن رضي الله عنه: من أنه لم يقتل من الأنبياء إلا من لم يؤمر بقتال، وكل من أمر بقتال نصر، كما في «تفسير القرطبي» في البقرة. وكان زكريا ويحيى وشعيب ونحوهم عليهم السلام ممن لم يؤمر بالقتال.

يقول الفقير: حقيقة النصرة للخواص إنما هي بالإمداد الملكوتي. وقد يجيء الإمداد من جهة البلاء الصوري، فالقتل ونحوه كله من قبيل الإمداد بالترقي. والحمد لله الذي بيده الخير.

قال شيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره: كان النبي عليه السلام قادراً على تخليص الحسنين رضي الله عنهما بالشفاعة من الله تعالى، لكنه رأى كمالهما بالشهادة راجحاً على الخلاص.

وفي «التأويلات النجمية»: كمال النصرة في الظفر على أعدى عدوك، وهي نفسك التي بين جنبيك هو الجهاد الأكبر، ولا يمكن الظفر على النفس إلا بنصرة الحق تعالى للقلب إذا تحقق عند العبد أن الخلق أشباح يجري عليهم أحكام القدر، فالولي لا عدو له، ولا صديق إلا

الله. ولهذا قال عليه السلام أعوذ بك منك. ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ : جمع شاهد كصاحب وأصحاب؛ أي: لننصرنهم في الدنيا والآخرة، وعبر عن يوم القيامة بذلك للإشعار بكيفية النصرة، وأنها تكون عند جمع الأولين والآخرين بشهادة الأشهاد للرسل بالتبليغ، وعلى الكفرة بالتكذيب، وهم الملائكة والمؤمنون من أمة محمد عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾ . بدل من اليوم الأول والمعذرة بمعنى العذر، وقد سبق معناه في أول السورة؛ أي: لا ينفعهم عذرهم عن كفرهم لو اعتذروا في بعض الأوقات؛ لأن معذرتهم باطلة، فيقال لهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. ويجوز أن يكون عدم نفع المعذرة؛ لأنه لا يؤذن لهم، فيعتذرون، فيكون من نفي المقيد والقيد لا معذرة ولا نفع يومئذٍ.

وفي «عرائس البيان»: ظلمهم عدولهم عن الحق إلى الخلق واعتذارهم في الآخرة لا في الدنيا. وفيه إشارة إلى أن المؤثر هو سوابق العنايات لا الأوقات. ﴿ولهم اللعنة﴾ ؛ أي: البعد عن الرحمة. ﴿ولهم سوء الدار﴾ ؛ أي: جهنم بخلاف المؤمنين العارفين؛ فإنها تنفعهم لتنصلهم. يعني: [از كناه بيرازى نمودن]. لكونه في وقته ولهم من الله الرحمة، ولهم حسن الدار، وإنما قال: سوء الدار، فإن جهنم حرها شديد وقعرها بعيد وحليها حديد وشرابها صديد، وكلامها هل من مزيد؟ وأسوأ الظالمين المشركون كما قال تعالى حكاية عن لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] وأسوأ المشركين المنافقون كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] لاستهزائهم بالمؤمنين، فليحذر العاقل عن الظلم سواء كان لنفسه بالإشراك والمعصية أو لغيره، بكسر العرض وأخذ المال، ونحوهما. وليتذكر الإنسان يوماً يقول فيه الظالمون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧]، فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

وروي أن أهل النار يبكون بكاء شديداً حتى الدم، فيقول مالك: ما أحسن هذا البكاء لو كان في الدنيا. قال الشيخ سعدي:

كنونت كه جشمست اشكى بيار زبان دردهانست عذرى بيار
كنون بايدت عذر تقصير كفت نه جون نفس ناطق زكفتن بخفت
كنون باىداى خفته بيدار بود جو مرك اندر آيدز خوابت جه سود
كنون وقت تخمست اكر بدروى كراميد دارى كه خرمن برى

فعلم أنه لا تنفع المعذرة والبكاء في الآخرة، فليتدارك العاقل تقصيره في الدنيا بالندامة والصلاح والتقوى، ليستريح في الآخرة، ويصل إلى الدرجات العلى مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصلحاء، فمن أراد اللحوق بزمرتهم، فليكن على حالهم وسيرتهم، فإن الله ينصرهم في دنياهم وآخرتهم، فإن طاعة الله وطاعة الرسول توصل العبد إلى المرام، وإلى حيز القبول.

روي: أن بعض الصحابة رضي الله عنهم. قال للنبي عليه السلام: «كيف نراك بالجنة وأنت في الدرجات العلى، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ

عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩] فلا بد من الإطاعة، وعلى تقدير المخالفة، فباب التوبة مفتوح.

عن كعب الأحبار: أن رجلاً من بني إسرائيل أراد الاغتسال من فاحشة في نهر فناداه النهر: أما تستحي من الله تعالى، فتاب الرجل ثم عبد الله تعالى مع اثني عشر رجلاً، فبعد زمان أرادوا العبور عن النهر المذكور، فتخلف صاحب الاغتسال استحياء. فقال النهر: إن أحدكم إذا غضب على ولده، فتاب هو قبل توبته، فاعبدوا الله على شاطىء، فأقاموا هناك زماناً، فمات صاحب الاغتسال، فناداهم النهر: أن ادفنوه على شاطىء، فدفنوه، وأصبحوا وقد أنبت الله على قبره اثني عشر سرواً على عدد العابدين. وكان ذلك أول سرو أنبت الله في الأرض، وكل من مات دفنوه هناك، وكان بنو إسرائيل يزورون قبورهم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿**ولقد آتينا**﴾ بمحض فضلنا ﴿**موسى**﴾ بن عمران ﴿**الهدى**﴾ ما يهتدي به من المعجزات والصحف والشرائع. ﴿**وأورثنا بني إسرائيل الكتاب**﴾: [الا يراث ميراث دادن].

والمراد بالكتاب: التوراة، ولما كان الإيراث الحقيقي إنما يتعلق بالمال تعذر حمله على معناه هنا، فأريد التبرك مجازاً إشعاراً بأن ميراث الأنبياء ليس إلا العلم والكتاب الهادي في باب الدين. والمعنى: وتركنا عليهم من بعد موسى التوراة إذ سائر ما اهتدي به في أمر الدين قد ارتفع بموت موسى عليه السلام. وبالفارسية: [ميراث داديم بني إسرائيل را يعني فرزندان يعقوب راتورات يعنى باقى كذاشتيم درميان ايشان تورات را].

فهم ورثوا التوراة بعضهم من بعض قرناً بعد قرن.

﴿**هدى**﴾: مفعوله؛ أي: هداية وبياناً من الضلالة، أو مصدر بمعنى اسم الفاعل على أنه حال؛ أي: هادياً. يعني: [راه نما ينده]. ﴿**وذكرى**﴾ تذكرة وعظة أو حال كونه مذكراً. يعني: [يند دهنده]. ﴿**لأولي الألباب**﴾ لذوي العقول السليمة العاملين بما في تضاعيفه دون الذين لا يعقلون. والفرق بين الهدى والذكرى: أن الهدى ما يكون دليلاً على شيء آخر، وليس من شرطه أن يذكر شيئاً آخر كان معلوماً، ثم صار منسياً، وأما الذكرى، فليس من ذلك. وكتب الأنبياء مشتملة على هذين القسمين، فإن بعضها دلائل في أنفسها، وبعضها مذكرات لما ورد في الكتب الإلٰهية المتقدمة.

﴿**فاصبر**﴾ مترتب على قوله: إنا لننصر رسلنا، وقوله: ولقد آتينا. إلخ. فالجملة المعترضة للبيان والتأكيد لنصرة الرسل؛ كأنه قيل: إذا سمعت ما وعدت به من نصرة الرسل، وما فعلناه بموسى، فاصبر على ما أصابك من أذية المشركين، فهو غير منسوخ بآية السيف إذ الصبر محمود في كل المواطن. ﴿**إن وعد الله**﴾ بالنصرة وظهور الإسلام على الأديان كلها، وفتح مكة ونحوها. ﴿**حق**﴾ لا يحتمل الإخلاف أصلاً واستشهد بحال موسى وفرعون. ﴿**واستغفر لذنبك**﴾ تداركاً لما فرط منك من ترك الأولى في بعض الأحيان؛ فإنه تعالى كافيك في نصرة دينك وإظهاره على الدين كله.

وفي «عين المعاني»: واستغفر من ذنب إن كان منك. وقيل: هذا تعبد من الله لرسوله ليزيد به درجة وليصير ذلك سنة، لمن بعده.

وفي «عرائس البقلي»: واستغفر لما جرى على قلبك من أحكام البشرية وأيضاً استغفر لوجودك في وجود الحق فإن كون الحادث في كون القديم ذنب. وقيل: واستغفر لذنب أمتك. وفيه أن هذا لا يجري في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، كما سيأتي في سورة محمد. وقال ابن الشيخ في «حواشيه». والظاهر أنه تعالى يقول: ما أراد أن يقوله، وإن لم يجر لنا أن نضيف إليه عليه السلام ذنباً، انتهى.

يقول الفقير: كلام ابن الشيخ شيخ الكلمات، وذلك لأن مرتبة النبوة أرفع من مرتبة الولاية، فإن أحداً من الأمة، وإن كان واصلاً إلى أقصى الغايات بحسب مرتبته، فهو لا يدري حال النبي فوقه إذ لا ذوق له من مرتبته، فكيف يضيف إليه ذنباً لا يعرفه، فلا يطيع على حقيقة الذنب المضاف إليه عليه السلام إلا الله كالتصلية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]؛ فإنها سر غامض بينه تعالى وبين رسوله، فليس لأحد سبيل إلى معرفته. ومن هذا القبيل سهوه عليه السلام في بعض المواضع، فإنه ليس من قبيل السهو الذي تعرفه الأمة:

ندانم كدامين سخن كويمت ... كه وألا ترى زانجه من كويمت

﴿وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾؛ أي: ودم على التسبيح ملتبساً مقروناً وبحمده تعالى، أو على قوله: سبحان الله وبحمده. فالمقصود من ذكر العشي والإبكار الدلالة على المداومة عليهما في جميع الأوقات بناء على أن الإبكار عبارة عن أول النهار إلى نصفه، والعشي عبارة عن نصف النهار إلى أول النهار من اليوم الثاني. فيدخل فيهما كل الأوقات.

وفي الآية إشارة إلى قلب الطالب الصادق بالتصبر على أذى النفس والهوى والشيطان، إن وعد الله حق في نصرة القلب المجاهد مع كافر النفس وظفره عليها، واستغفر لذنبك أيها القلب؛ أي: مما سرى إليك من صفات النفس وتخلقت بأخلاقها، فاستغفر لهذا الذنب، فإنه صدأ مرآة القلب ودم على الطاعات، وملازمة الأذكار؛ فإنه تصفو مرآة القلب عن صدأ الأخلاق الذميمة. قالوا: ظاهر البدن من عالم الشهادة والقلب من عالم الملكوت وكما ينحدر من معارف القلب آثار الجوارح كذلك، قد يرتفع من أحوال الجوارح التي هي من عالم الشهادة آثار إلى القلب، فإذاً لا بد من الاشتغال بظواهر الأعمال إصلاحاً للحال، وتنويراً وتصفية للبال، فمن ليس له في الدنيا شغل، وقد ترك الدنيا على أهلها، فما له لا يتنعم بخدمة الله تعالى فيلزم أن يديم العمل لله من غير فتور إما ظاهراً أو باطناً قلباً وقالباً وإلا فباطناً، وترتيب ذلك أنه يصلي ما دام منشرحاً، والنفس مجيبة؛ فإن سئم تنزل من الصلاة إلى التلاوة، فإن مجرد التلاوة أخف على النفس من الصلاة، فإن سئم التلاوة أيضاً، يذكر الله بالقلب واللسان، فهو أخف من القراءة، فإن سئم الذكر أيضاً. يدع ذكر اللسان، ويلازم المراقبة، والمراقبة علم القلب بنظر الله تعالى إليه، فما دام هذا العلم ملازماً للقلب، فهو مراقب والمراقبة عين الذكر، وأفضله وإن عجز عن ذلك أيضاً، وتملكته الوساوس وتزاحم في باطنه حديث النفس، فلينم. وفي النوم السلامة، وإلا فكثرة حديث النفس تقسي القلب ككثرة الكلام؛ لأنه كلام من غير لسان، فيحترز من ذلك فيقيد الباطن بالمراقبة والرعاية، كما يقيد الظاهر بالعمل، وأنواع الذكر

والتسبيح، وبدوام الإقبال على الله ودوام الذكر بالقلب واللسان يرتقي القلب إلى ذكر الذات، ويصير حينئذٍ بمثابة العرش، فالعرش قلب الكائنات في عالم الخلق والحكمة.

والقلب: عرش في عالم الأمر والقدرة، فإذا اكتحل القلب بنور ذكر الذات وصار بحراً مواجاً من نسيمات القرب جرى في جداول أخلاق النفس صفاء النعوت والصفات. وتحقق التخلق بأخلاق الله تعالى:

غير ذكر خداجه سرجه جهر نيست دلرا نصيب وجانرا بهر
نور حق جون زدل ظهور كند ظلمت تن جه شر وشور كند

وفي الحديث: «رأيت رجلاً من أمتي يتقي وهج النار وشررها عن وجهه بيده، فجاءته صدقته، فصارت ستراً على وجه. ورأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه بينه وبين الله حجاب، فجاء حسن خلقه وأخذ بيده وأدخله على الله. ورأيت رجلاً من أمتي غلقت أبواب الجنة له، فجاءت شهادة أن لا إلٰه إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة». جعلنا الله وإياكم من أهل الأخلاق والأحوال وصالحات الأعمال.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿إن الذين﴾: [آورده اندكه كفار مكه درباب قرآن وبعث مجادله مبكر دندكه قرآن سخن خدانيست نعوذ بالله وبعث محالست حق سبحانه وتعالى آيت فرستادكه].

﴿إن الذين يجادلون في آيات الله﴾ ويجحدون بها. ﴿بغير سلطان﴾ حجة قاهرة. ﴿أتاهم﴾ في ذلك من جهته تعالى وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة إتيانه للإيذان بأن التكلم في أمر الدين لا بدّ من استناده إلى سلطان مبين البتة. ﴿إن﴾ نافية. ﴿في صدورهم إلا كبر﴾ خبر لإن عبر بالصدر عن القلب لكونه موضع القلب. وفي الحصر إشعار بأن قلوبهم قد خلت عن كل شيء سوى الكبر؛ أي: ما في قلوبهم إلا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم أو إلا إرادة الرياسة والتقدم على النبي والمؤمنين، أو إلا إرادة أن تكون النبوة لهم دونك يا محمد حسداً وبغياً. ولذلك يجادلون فيها؛ لأن فيها موقع جدال ما أو أن لهم شيئاً يتوهم أن يصلح مداراً لمجادلتهم في الجملة. واعتبرت الإرادة في هذين الوجهين؛ لأن نفس الرياسة والنبوة ليستا في قلوبهم.

﴿ما هم ببالغيه﴾: صفة كبر، فالضمير راجع إلى الكبر بتقدير المضاف؛ أي: ما هم ببالغي مقتضى كبرهم، وهو دفع الآيات، فإني أنشر أنوارها في الآفاق، وأعلي قدرك أو ما هم بمدركي مقتضى ذلك الكبر، وهو ما أرادوه من الرياسة والنبوة. ﴿فاستعذ بالله﴾؛ أي: التجيء إليه في السلامة من كيد من يحسد ويبغي عليك. ﴿إنه هو السميع﴾ لأقوالكم ﴿البصير﴾ لأفعالكم.

وقيل: المجادلون هم اليهود، وكانوا يقولون لرسول الله عليه السلام لست صاحبنا المذكور في التوراة، بل هو المسيح بن داود.

وفي «تفسير الكاشفي»: [بلكه او ابو يوسف بن مسيح بن داود است]. يريدون: أن

الدجال يخرج في آخر الزمان، ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار، وهو آية من آيات الله، فيرجع إلينا الملك، فسمى الله تمنيهم ذلك كبراً ونفى أن يبلغوا متمناهم، فإن الدجال، وإن كان يخرج في آخر الزمان لكنه، ومن تبعه من اليهود يقتلهم عيسى والمؤمنون بحيث لا ينجو منهم واحد، فمعنى قوله: فاستعذ بالله؛ أي: من فتنة الدجال؛ فإنه ليس فتنة أعظم من فتنته. قال عليه السلام تعوذوا بالله من عذاب النار، فقالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، ثم قال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، فقالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، ثم قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها، وما بطن، فقالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها، وما بطن، ثم قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال، فقالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال».

وقال الكاشفي: [ببايد دانست كه دجال آدمى است زآدميان ديكر بقد بلندتر وبحثه بزر كتر ويك جشم است وظهور او يكى از علامات قيامتست وبيغمبرامارات ظهور او بيان كرد كه مردم بسه سال بيش از خروج وى بقحط وغلا مبتلا شوند سال اول آسمان از آنجه باريدى ثلثي باز كيرد يعنى امساك ميكند وزمين از آنجه ازو روييدى ثلثى نكاه دارد سال دوم دو ثلث باز كيرند ودرسال سوم نه از آسمان باران آيد ونه از زمين كياه رويد ويكون غذاء المؤمنين يومئذ التسبيح والتقديس كأهل السماء بس دجال بيرون آيد وباوى سحر وتمويه بسيار بود وبيشتر خلق متابعت وى كنند إلا من عصمه الله تعالى وديوان دارد كه متمثل شوند بصورت آدميان بسى يكى را كويد اكر بدر ومادر ترازنده كنم اقرار كنى بربو بيت من كويد آرى في الحال ديوان بصورت ابوين أو متشكل شوند واورا كويند اى فرزند متابعت وى كن كه آفريد كارتست القصة همه شهر هارا بكيرد الا مكة ومدينة راكه ملائكه باسبانى كنند وجون كار بر مؤمنان به تنك آيد حق سبحانه وتعالى عيسى عليه السلام را از آسمان فرو فرستد تاد جال را بكشد ولشكر او كه اغلب يهود باشند بتمامى مستأصل كرداند وشمة از نزول عيسى در سورة زخرف مذكور خواهد شد].

وفي الحديث: «لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه لرسول الله». وقال عليه السلام: «إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم» كما في «المصابيح» وهم الأئمة المضلون نعوذ بالله من فتنة الدجاجلة، ومن كل فتنة مضلة».

قال المفسرون: قوله: ﴿إن الذين يجادلون﴾ الآية، وإن نزل في مشركي مكة، لكنه عام لكل مجادل مبطل، فإن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، ففيه إشارة إلى مدعي أهل الطلب ومجادلتهم مع أرباب الحقائق فيما آتاهم الله من فضله بغير حجة وبرهان، بل حسداً من عند أنفسهم، وليس مانعهم في قبول الحق وتصديق الصديقين وتسليمهم فيما يشيرون إليه من الحقائق والمعاني الأكبر، مما كان من وصف إبليس إذ أبى واستكبر. وقال: أنا خير منه. وهذه الصفة مركوزة في النفوس كلها. ولهذا المعنى بعض الجهلة المغترين بالعلوم ينكرون على بعض مقالات المشايخ الراسخين في العلوم، فهؤلاء المدعون المنكرون لا يصلون إلى مرادهم، ولا يدركون رتبة أهل الحقائق. ولهذا قال بعضهم: لا تنكر، فإن الإنكار شؤم، والمنكر من هذا الحديث محروم فيا أيها الطالب المحق استعذ بالله من شر نفسك، والنفوس المتمردة وجميع آفات تعوقك عن الحق وتقطع عليك طريق الحق.

قال في «كشف الأسرار»: [كفته اند اين مجادلان داعيان بدعت اند ومنكر ان صفات حق

واين مجادلت اقتحام مكلفاً نست وخوض معترضان وجدال مبتدعان وتأويل جهميان وساخته اشعريان وتزوير فلسفيان وقانون طبايعيان در هر عصرى قوم فراديد آمدند جون غيلان قدرى وبشر مرسى وشيطان الطاق وابن أبي داود وجهم صفوان وعمر وعبيد وأمثال ايشان كه صفات حق را منكر شدند ودين قديم بكذا شتند وكتاب وسنت سست ديدند وراى وقياس محكم داشتد مقصود ايشان آنست كه كتاب وسنت باز بس دارند ومعقول فرا بيش اين آرزوى بزر كست كه دردل دارند وهر كز نخوا هند رسيد بآن آرزوى خويش]. وفي المثنوي:

شمع حق رايف كنى تواى عجوز ... هم تو سوزى هم سرت اى كنده بوز
كى شود در ياز بوسك نجس ... كى شود خورشيد از بف منطمس
هر كه بر شمع خدا آرد تفو ... شمع كى ميرد بسوزد بوز او
جون تو خفا شن بسى بينند خواب ... كين جهان ماند يتيم از آفتاب
اى بريده آن لب وحلق ودهان ... كى كند تف سوى مه ايا آسمان
تف بر ويش باز كردد بى شكى ... تف سوى كردون نيابد مسلكى
تا قيامت تف برو بارد زرب ... همجو تبت بر روان بو لهب

﴿لخلق السماوات والأرض﴾: تحقيقاً للحق وتبيين لأشهر ما يجادلون فيه، وهو أمر البعث. ﴿أكبر﴾ أعظم في القدرة. ﴿من خلق الناس﴾ مرة ثانية، وهي الإعادة، فمن قدر على خلق الأعظم الأقوى بلا أصل ولا مادة وجب أن يقدر على خلق الأذل، الأضعف من الأصل والمادة بطريق الأولى، فكيف يقرون بأن الله خلق السماوات والأرض، وينكرون الخلق الجديد يوم البعث. ﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني: الكفار. ﴿لا يعلمون﴾ أن الإعادة أهون من البداية لقصورهم في النظر والتأمل لفرط غفلتهم واتباعهم لأهوائهم.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾؛ أي: الغافل والمستبصر، فالمراد بالأعمى من عمي قلبه عن رؤية الآيات والاستدلال بها والبصير من أبصرها. قال الشاعر:

أيها المنكح الثريا سهيلاً ... عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت ... وسهيل إذا استقل يماني

أي: فكما لا تساوي بينهما، فكذلك بين المؤمن والكافر، والعالم والجاهل. ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾: قدمه لمجاورة البصير، وهو باب من أبواب البلاغة. والمراد بهم المحسنون. ﴿ولا المسيء﴾ اسم جنس يعم المسيئين.

والمعنى: وما يستوي المحسن والمسيء؛ أي: الصالح والطالح، فلا بد أن يكون لهم حالة أخرى يظهر ما بين الفريقين من التفاوت، وهي فيما بعد البعث، وهو احتجاج آخر على حقيقة البعث والجزاء وزيادة ولا في المسيء لتأكيد النفي لطول الكلام بالصلة؛ لأن المقصود نفي مساواته للمحسن؛ لأنه كما لا يساوي المحسن المسيء فيما يستحقه المسيء من الحقارة والهوان، كذلك لا يساوي المسيء المحسن فيما يستحقه المحسن من الفضل والكرامة والعاطف في قوله: والذين: عطف الموصول بما عطف عليه على الأعمى والبصير مع أن

المجموع؛ أي: مجموع الغافل والمستبصر هو مجموع المسيء والمحسن لتغاير الوصفين. يعني: أن المقصود في الأولين إلى العلم، فإن العمى والبصيرة في القلب. وفي الآخرين إلى العمل؛ لأن الإيمان والأعمال في الجوارح، وإلا ففي الحقيقة المراد: بالبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات واحد وبالأعمى والمسيء واحد، ويجوز أن يراد الدلالة بالصراحة والتمثيل على أن يتحد الوصفان في المقصود؛ بأن يكون المراد بالأولين أيضاً المحسن والمسيء، فالصراحة بالنسبة إلى الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والتمثيل بالنسبة إلى ما قبله؛ فإن الأعمى والبصير من قبيل التمثيل. ﴿قليلاً ما تتذكرون﴾ . قوله: قليلاً صفة مصدر محذوف. وما تأكيد معنى القلة، وتذكرون على الخطاب بطريق الالتفات على أن يكون الضمير للكفار وفائدة الالتفات في مقام التوبيخ هو إظهار العنف الشديد، والإنكار البليغ.

والمعنى: تذكراً قليلاً تتذكرون أيها الكفار المجادلون، يعني: وإن كنتم تعلمون أن التبصر خير من الغفلة، ولا يستويان، وكذا العمل الصالح خير من العمل الفاسد لكنكم لا تتذكرون إلا تذكراً قليلاً، أو تتذكرون أصلاً، فإنه قد يعبر بقلة الشيء عن عدمه مثل: أن يقال فلان قليل الحياء؛ أي: لا حياء له.

قال في «تاج المصادر»: [التذكر ياد كردن ويا ياد آوردن وبند كرفتن].

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿إن الساعة﴾: إن القيامة ومر وجه التسمية بها مراراً. ﴿لآتية﴾ أكد باللام؛ لأن المخاطبين هم الكفار وجرد في طه حيث قال: إن الساعة آتية لكون المخبر ليس بشاك في الخبر. كذا في «برهان القرآن». ﴿لا ريب فيها﴾ ؛ أي: في مجيئها لوضوح شواهدها. ومنها ما ذكر بقوله: لخلق السماوات. إلخ.

﴿ولكن أكثر الناس﴾ ، يعني: الكفار ﴿لا يؤمنون﴾ لا يصدقون بها لقصور أنظارهم على الظواهر وقوة الفهم بالمحسوسات. وهذا الكفر والتكذيب طبيعة النفوس إلا من عصمه الله تعالى، ونظر إلى قلبه بنظر العناية.

روي: أن الصراط سبع قناطر، فيسأل العبد عند القنطرة الأولى عن الإيمان، وهو أصعب القناطر وأهواها قراراً فإن أتى بالإيمان نجا، وإن لم يأت به تردى إلى أسفل السافلين، ويسأل في الثانية عن الصلاة، وفي الثالثة عن الزكاة، وفي الرابعة عن صيام شهر رمضان، وفي الخامسة عن الحج، وفي السادسة عن الأمر بالمعروف، وفي السابعة عن النهي عن المنكر، فإن أجاب في الكل نجا، وإلا تردى في النار:

كرد بعث محمد عربي ... تابود خلق رارسول ونبي
هر جه ثابت شود بقول ثقات ... كه محمد عليه ألف صلات
دادمارا خبر بموجت آن ... واجب آمد بان زما ايمان

فالأساس هو الإيمان والتوحيد، ثم يبنى عليه سائر الواجبات. قال مالك بن دينار رحمه الله: رأيت جماعة في البصرة يحملون جنازة، وليس معهم أحد ممن يشيع الجنازة، فسألتهم عنه، فقالوا: هذا من كبار المذنبين، قال: فصليت عليه وأنزلته في قبره، ثم انصرفت إلى الظل، فنمت، فرأيت ملكين نزلا من السماء، فشقا قبره ونزل أحدهما في القبر، وقال: اكتبه

من أهل النار؛ لأنه لم تسلم جارحة منه عن الذنب، فقال الآخر: لا تعجل، ثم نزل هو، فقال لصاحبه: قد اختبرت قلبه، فوجدته مملوءاً بالإيمان، فاكتبه مرحوماً، فإذا صلح القلب بالتوحيد والإيمان بالله واليوم الآخر يرجى أن يتجاوز الله عن سيئاته، ثم إن الساعة ارتاب فيها المرتابون مع وضوح شواهدها، وأما أهل الإيمان والعيان فرأوها كأنها حاضرة.

روي: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سأل حارثة كيف أصبحت يا حارثة. قال: أصبحت مؤمناً حقاً، قال: يا حارثة إن لكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك. قال: عزفت نفسي عن الدنيا؛ أي: زهدت وانصرفت، فأظمأت نهارها وأسهرت ليلها واستوى عندي حجرها وذهبها، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون، وإلى أهل النار يتضاغون؛ أي: يصوتون باكين؛ وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، فقال عليه السلام: أصبت فالزم. ومن كلمات أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»:

حال خلد وجحيم دانستم بيقين آنجنانكه مى بايد
كر حجاب ازميانه بر كيرند آن يقين ذرة نيفزايد

فظهر أن هذا حال أهل العيان فأين المحجوب عن هذا، فلما كانا لا يستويان في الدنيا علماً ومعرفة وشهوداً، كذلك لا يستويان في الآخرة درجة وقربة وجوداً نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الصالحين المحسنين الفائزين بمطالب الدنيا والدين والآخرة.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿وقال ربكم﴾ أيها الناس. **﴿ادعوني﴾** وحدوني واعبدوني. **﴿أستجب لكم﴾**؛ أي: أثبكم بقرينة قوله تعالى: **﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾** يتعظمون عن طاعتي **﴿سيدخلون جهنم﴾** حال كونهم **﴿داخرين﴾**؛ أي: صاغرين أذلاء فإن الدخور بالفارسية: [خوارشدن. من دخر كمنع وفرح صغر وذل].

وإن فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلاً منزلة الاستكبار عن العبادة، فأقيم الثاني مقام الأول للمبالغة. أو المراد بالعبادة الدعاء، فإنه من أفضل أبوابها، فأطلق العام على الخاص مجازاً.

قال الكاشفي: [مراد از دعا سؤالست يعني بخواهيد كه خزانة من مالا مالست وكرم من بخشنده آمال كدام كداست نياز بيش آورده كه نقد مراد بركف اميدش ننهادم وكدام محتاج زبان سؤال كشاد كه رقعة حاجتش رابتو قيع اجابت موشح نساحتم]:

برآستان ارادت كه سر نهادشبى كه لطف دوست برويش دريجة نكشود

يقال: ادعوني بلا غفلة أستجب لكم بلا مهلة ادعوني بلا خفاء أستجب لكم بالوفاء ادعوني بلا خطأ، أستجب لكم بالعطاء، ادعوني بشرط الدعاء، وهو الأكل من الحلال.

قيل: الدعاء مفتاح الحاجة وأسنانه لقمة الحلال. قال الحكيم الترمذي قدس سره: من دعا الله، ولم يعمر قبل ذلك سبيل الدعاء بالتوبة والإنابة وأكل الحلال واتباع السنن ومراعاة السر، كان دعاؤه مردوداً، وأخشى أن يكون جوابه الطرد واللعن. يقال: كل من دعاه استجاب له إما بما سأله، أو بشيء آخر هو خير له منه. ويقال: الكافر ليس يدعوه حقيقة؛ لأنه إنما

يدعو من له شريك، والله تعالى لا شريك له. وكذا المعطلة؛ لأنهم إنما يعبدون إلٰهاً لا صفات له في الحياة والسمع والبصر والكلام والقدرة والإرادة بزعمهم، فهم لا يعبدون الله تعالى، وكذا المشبهة إنما يدعون إلٰهاً له جوارح وأعضاء، والله تعالى منزه عن ذلك؛ فإنه ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

قال الشافعي رحمه الله: من انتهض لطلب مدبره؛ فإن اطمأن إلى موجود ينتهي إليه فكره، فهو مشبه، وإن اطمأن إلى نفي محض، فهو معطل، وإن اطمأن إلى موجود واعتراف بالعجز عن إدراكه، فهو موحد، فأهل السنة يثبتون لله تعالى صفات ثبوتية وينزهونه عما لا يليق به، فهم إنما يدعون الله تعالى، فما من مؤمن يدعو الله ويسأله شيئاً إلا أعطاه إما في الدنيا وإما في الآخرة. ويقول له: هذا ما طلبت في الدنيا، وقد ادخرته لك إلى هذا اليوم حتى يتمنى العبد أنه ليته لم يعط شيئاً في الدنيا. ويقال: لم يوفق العبد للدعاء إلا لإرادة الله إجابته، لكن وقوع الإجابة حقيقة، إنما يكون في الزمان المتعين للدعاء كالسلطان إذا كان في وقت الفرح والاستبشار لا يرد السائل البتة.

قال الفضيل بن عياض والناس وقوف بعرفات: ما تقولون لو قصد هؤلاء الوفد بعض الكرماء يطلبون منه دانقاً أكان يردهم، فقالوا: لا. فقال: والله للمغفرة في جنة كرم الله أهون على الله من الدانق في جنة كرم ذلك الرجل، فعرفات وزمان الوقوف من مظان الإجابة. وكذا جميع أمكنة العبادات وأوقات الطاعات؛ لأن الله تعالى إذا رأى عبده حيث أمر رضي عنه واستجاب دعاءه، ونعم ما قال سفيان حيث قال بعضهم: ادع الله، فقال: ترك الذنوب هو الدعاء.

قال بعض العارفين بالله: الصلاة أفضل الحركات والصوم أفضل السكنات والتضرع في هياكل العبادات يحل ما عقدته الأفلاك الدائرات. ولا بد من حسن الظن بالله.

حكي عن بعض البله، وهو في طواف الوداع أنه قال له رجل وهو يمازحه: هل أخذت من الله براءتك من النار، فقال الأبله له: وهل أخذ الناس ذلك، فقال: نعم، فبكى ذلك الأبله، ودخل الحجر وتعلق بأستار الكعبة، وجعل يبكي ويطلب من الله أن يعطيه كتابه بعتقه من النار، فجعل أصحابه والناس يطوفون يعرفونه أن فلاناً مزح معك، وهو لا يصدقهم، بل بقي مستمراً على حاله، فبينما هو كذلك سقطت عليه ورقة من طرف الميزاب فيها براءته وعتقه من النار فسر بها وأوقت الناس عليها، وكان من آية ذلك الكتاب أنه يقرأ من كل ناحية على السواء، لا يتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها، فعلم الناس أنه من عند الله. [وكفته اند دعا لفظي جامع است بيست خصلت از خصال حسنات در ضمن آن مجتمع همجون معجوني ساخته ازا خلاط متفرق وآن عبادتست واخلاص وحمد وشكر وثنا وتهليل وتوحيد وسؤال ورغبت ورهبت وندا وطلب مناجات وافتقار وخضوع وتذلل ومسكنت واستعانت واستكانت والتجاء رب العالمين باين كلمات مختصر جه كفت] ادعوني أستجب لكم. [ترابا اين بيست خصلت تراميد هد تابدانى كه اين قرآن جوامع الكلم است].

قال في «ترويح القلوب»: الأدب في ابتداء كل توجه أو دعاء أو اسم التوبة. وذكر محامد الله، والثناء عليه والتشفع بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والصلاة عليه، وهو مفتاح باب السعادة، وأكل الحلال، وهو الترياق المجرب والتبري من الحول والقوة وترك الالتجاء

لغير الله وحسن الظن بالله، وجمع الهمة وحضور القلب وغاية الدعاء، إظهار الفاقة، وإلا فالله يفعل ما يريد:

جز خضوع وبندكى واضطرار اندرين حضرت ندارد اعتبار

في الحديث: «إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها، وإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم»، «وما سئل الله شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية». كما في «كشف الأسرار»: ومنه عرف أن مسح اليدين على الوجه عقيب الدعاء سنة، وهو الأصح كما في «القنية».

قال في «الأسرار المحمدية»: كان عليه السلام يأمر أصحابه بمسح الوجه باليدين بعد الفراغ من الدعاء، ويحرض عليه. وسر ذلك أن الإنسان حال دعائه متوجه إلى الله تعالى بظاهره وباطنه، ولذا يشترط حضور القلب فيه، وصحة الاستحضار فسر الرفع والمسح أن اليد الواحدة تترجم عن توجهه بظاهره، واليد الأخرى عن توجهه بباطنه، واللسان مترجم عن جملته ومسح الوجه هو التبرك، والتنبيه على الرجوع إلى الحقيقة الجامعة بين الروح والبدن؛ لأن وجه الشيء حقيقة، والوجه الظاهر مظهرها، والمستحب أن يرفع يديه عند الدعاء إلى حذاء صدره. كذا فعله النبي عليه السلام.

كما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، والأفضل أن يبسط كفيه ويكون بينهما فرجة، وإن قلت: ولا يضع إحدى يديه على الأخرى، فإن كان وقت عذر أو برد، فأشار بالمسبحة قام مقام بسط كفيه، والسنة أن يخرج بدنه حين الدعاء من كميه.

قال سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي قدس سره: دعوت الله ليلة، فأخرجت إحدى يدي، والأخرى ما قدرت على إخراجها من شدة البرد، فنعست، فرأيت في منامي أن يدي الظاهر مملوءة نوراً، والأخرى فارغة، فقلت: ولم ذلك يا رب، فنوديت: أن اليد التي خرجت للطلب ملأناها، والتي توارت حرمت. ثم إن قوله: ادعوني أستجب لكم. يشير إلى أن معنى ادعوني: اطلبوا مني؛ أي: لا تطلبوا من غيري، فإن من كنت له يكون له ما كان لي. وإن من يطلبني يجدني. كما قال: إن من طلبني وجدني. قال الشيخ سعدي:

خلاف طريقت بودكا وليا تمنا كنند از خدا جز خدا

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الداعين العابدين له بالإخلاص.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿الله الذي جعل﴾: [بيا فريد]. **﴿لكم﴾**: [براى منفعت شما]. **﴿الليل﴾**: [شب تيره را]. **﴿لتسكنوا فيه﴾** ولتستريحوا، فإن الليل لكونه بارداً رطباً تضعف فيه القوى المحركة، ولكونه مظلماً يؤدي إلى سكون الحواس، فتستريح النفس والقوى والحواس بقلة أشغالها وأعمالها، كما قال ابن هيصم: جعل الليل مناسباً للسكون من الحركة؛ لأن الحركة على وجهين: حركة طبع من الحرارة، وحركة اختيار من الخطرات المتتابعة بسبب الحواس، فخلق الليل مظلماً لتنسد الحواس وبارداً لتسكن الحركة، ولذا قيل للبرد القر؛ لأجل أن البرد يقتضي السكون والحر الحركة.

﴿والنهار مبصراً﴾؛ أي: مبصراً فيه أو به، يعني: يبصر به المبصرون الأشياء. ولكونه حاراً يقوي الحركات في اكتساب المعاش، فإسناد الإبصار إلى النهار مجاز فيه مبالغة، ولقصد المبالغة عدل به عن التعليل إلى الحال؛ بأن قال: مبصراً دون لتبصروا فيه أو به، يعني: أن نفس النهار لما جعل مبصراً فهم أن النهار لكمال سببيته للإبصار وكثرة آثار القوة الباصرة فيه، جعل كأنه هو المبصر، فإن قيل: فلم لم يسلك هناك سبيل المبالغة.

قلنا: لأن نعمة النهار لشبهها بالحياة أتم، وأولى من نعمة الليل التي تشبه الموت، فكانت أحق بالمبالغة إذ المقام مقام الامتنان؛ ولأن الليل يوصف بالسكون لسكون هوائه وصفا مجازياً متعارفاً، فسلوك سبيل المبالغة فيه يوقع الاشتباه، كما أشير إليه في «الكشاف»، ثم إذا حملت الآية على الاحتباك. وقيل: المراد جعل لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه، والنهار مبصراً لتنتشروا فيه ولتبتغوا من فضل الله، فحذف من الأول بقرينة الثاني. ومن الثاني بقرينة الأول،لم يحتج إلى ما ذكر. كذا أفاده سعدي المفتي.

قال بعضهم: جعل الليل لتسكنوا فيه إلى روح المناجاة والنهار مبصراً لتبصروا فيه بوادي القدرة. وفيه إشارة إلى ليل البشرية ليسكن أهل الرياضات والمجاهدات فيه إلى استرواح القلوب ساعة فساعة، لئلا يمل من مداومة الذكر. والتعبد وحمل أعباء الأمانة، وإلى نهار الروحانية لجعله مظهراً للجد والاجتهاد في الطلب والتصبر على التعب، وسكون الناس في الليل على أقسام.

أهل الغفلة يسكنون إلى استراحة النفوس والأبدان. وأهل الشهوة يسكنون إلى أمثالهم من الرجال والنسوان. وأهل الطاعة يسكنون إلى حلاوة أعمالهم وبسطهم واستقلالهم وأهل المحبة يسكنون إلى أنين النفوس وحنين القلوب، وضراعة الأسرار واشتعال الأرواح بنار الشوق، وهم يعدمون القرار في ليلهم ونهارهم، أولئك أصحاب الاشتياق أبداً في الاحتراق:

هر كه از درد خدا آكاه شد ذكر وفكرش دائما الله شد

﴿إن الله لذو فضل﴾ عظيم. ﴿على الناس﴾ بخلق الليل والنهار لا يوازيه فضل ولا يدانيه. ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾: تكرير الناس لتنصيص تخصيص الكفران أن بهم بإيقاعه على صريح اسمهم الظاهر الموضوع موضع الضمير الدال على أن ذلك كان شأن الإنسان، وخاصته في الغالب؛ أي: لا يشكرون فضل الله وإحسانه لجهلهم بالمنعم وإغفالهم مواضع النعم؛ أي: رفعة شأنها وعلو قدرها، وإذا فقدوا شيئاً منها يعرفون قدرها مثل أن يتفق لبعض. والعياذ بالله أن يحسبه بعض الظلمة في بئر عميق مظلم مدة مديدة؛ فإنه حينئذ يعرف قدر نعمة الهواء الصافي وقدر نعمة الضوء:

يكى راعسس دست بربسته بود همه شب بريشان ودلخسته بود
بكوش آمدش درشب تيره رنك كه شخصى همى نالد ازدست تنك
شنيد اين سخن دزد مسكين وكفت زبيجاركى جند نالى بخفت
بروشكر يزدان كن اى تنك دست كه دستت عسس تنك برهم بنست

يعني فلك القدرة على الكسب:

نداند كسى قدر روز خوشى مكر روزى افتد بسختى كشى
زمستان درويش بس تنك سال جه سهلست بيش خداوند مال

جـه دانـنـد جـيـحـو نـيـان قـدر آب زوامـانـد كـان بـرس در آفـتـاب
كـسـى قـيـمـت تـنـدرسـتـى شـنـاخـت كه يـكـجـنـد بـيـجـاره در تـب كـداخـت
بـبـانـك دهـل خـواجـه بـيـدار كـشـت جـه دانـد شـب بـاسـبـان جـون كـذشـت

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿ذلكم﴾ المتفرد بالأفعال المقتضية للألوهية والربوبية. ﴿الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو﴾: أخبار مترادفة تخصص السابقة منها اللاحقة وتقررها.

قال في «كشف الأسرار»: كل ها هنا بمعنى البعض. وقيل: عام خص منه ما لا يدخل في الخلق. ﴿فأنى تؤفكون﴾، فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته خاصة إلى عبادة غيره.

﴿كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون﴾؛ أي: مثل ذلك الإفك للعجب الذي لا وجه له، ولا مصحح، أصلاً؛ أي: كما صرف قومك، وهم قريش عن الحق وحرموا من التحلي به مع قيام الدلائل يؤفك، ويصرف عنه كل جاحد قبلهم، أو بعدهم بآياته؛ أي آية كانت لا إفكاً آخر له وجه، ومصحح في الجملة.

قال الراغب: الإفك كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه، ومنه قيل للرياح العادلة عن المهاب المؤتفكات. وقوله: أنى تؤفكون؛ أي: تصرفون من الحق في الاعتقاد إلى الباطل، ومن الصدق في المقال إلى الكذب، ومن الجميل في الفعل إلى القبيح. ورجل مأفوك؛ أي: مصروف عن الحق إلى الباطل والجحود نفي ما في القلب إثباته وإثبات ما في القلب نفيه وتجحد تخصص بفعل ذلك، فعلى العبد أن يقر بمولاه، وبآياته، فإنه خالقه ورازقه.

وجاء في أحاديث المعراج: قل لأمتك إن أحببتم أحداً لإحسانه إليكم، فأنا أولى به لكثرة نعمي عليكم، وإن خفتم أحداً من أهل السماء والأرض، فأنا أولى بذلك لكمال قدرتي، وإن أنتم رجوتم أحداً، فأنا أولى به؛ لأني أحب عبادي، وإن أنتم استحييتم من أحد لجفائكم إياه، فأنا أولى بذلك؛ لأن منكم الجفاء، ومني الوفاء، وإن أنتم آثرتم أحداً بأموالكم وأنفسكم، فأنا أولى به؛ لأني معبودكم، وإن صدقتم أحداً وعده، فأنا أولى بذلك؛ لأني أنا الصادق، ففي العبودية والمعرفة شرف عظيم.

قال علي رضي الله عنه: ما يسرني أن لو مت طفلاً وأدخلت الجنة، ولم أكبر، فأعرف، وذلك لأن الإنسان خلق للعبادة والمعرفة، فإذا ساعده العمر والوقت يجب عليه أن يجتهد إلى أن يترقى إلى ذروة المطالب، ويصل إلى مرتبة استعداده، فإذا أهمل وتكاسل، فمات كان كالصبي الذي مات في صباه خالياً عن حلية الكمالات والسعادات نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المجتهدين.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿الله الذي جعل لكم﴾ لمصالحكم وحوائجكم. ﴿الأرض قراراً﴾ مستقراً؛ أي: موضع قرار ومكان ثبات وسكون، فإن القرار كما يجيء بمعنى الثبات والسكون يجيء بمعنى ما قر

فيه، وبمعنى المطمئن من الأرض كما في «القاموس».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قراراً؛ أي: منزلاً في حال الحياة وبعد الممات.

﴿والسماء بناء﴾: البناء بمعنى المبنى؛ أي: قبة مبنية مرفوعة فوقكم، ومنه أبنية العرب لمضاربهم، وذلك لأن السماء في نظر العين كقبة مضروبة على فضاء الأرض.

وفي «التأويلات النجمية»: خلق الأرض لكم استقلالاً ولغيركم طفيلياً، وتبعاً لتكون مقركم، والسماء أيضاً خلق لكم لتكون سقفكم مستقلين به، وغيركم تبع لكم فيه.

وقال بعضهم: جعل الأرض قراراً لأوليائه، والسماء بناء لملائكته. وفيه إشارة إلى قوله: أوليائي تحت قبابي؛ أي: مستورون تحت قباب الملكوت، لا تنكشف أحوالهم إلا لمن عرفه الله تعالى. وفي الآية بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان.

وقوله تعالى: ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾: بيان لفضله المتعلق بأنفسهم، والفاء: في فأحسن تفسيرية، فإن الإحسان عين التصوير، كما قوله عليه السلام: «إن الله أدبني فأحسن تأديبي»، فإن الإحسان عين التأديب، فإن تأديب الله لمثله لا يكون إلا حسناً، بل أحسن. والمعنى: صوركم أحسن تصوير حيث خلقكم منتصبي القامة بادي البشرة متناسبي الأعضاء والتخطيطات متهيئين لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: خلق ابن آدم قائماً معتدلاً يأكل، ويتناول بيده وغير ابن آدم بفيه. وفيه إشارة إلى أنه تعالى جعل أرض البشرية مقراً للروح وجمع سماء الروحانية في عالم صوركم، ولم يجمعها في صورة شيء آخر من الملائكة والجن والشياطين والحيوانات. وإلى هذا المعنى أشار بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين: ٤]. وأيضاً: فأحسن صوركم إذ جعلها مرآة جماله، كما قال عليه السلام: «كل جميل من جمال الله»، وإنما جعلكم جميلاً ليحبكم، كما قال عليه السلام: «إن الله جميل يحب الجمال». وبالفارسية: [حسن صورت انساني در آنست كه از مرآت جهان نماست بهمه حقائق علوى وسفلى ومجموع دقائق صورى ومعنوى را جامعست وأنوار معرفت ذات آثار شناخت صفات ازآينه جامعة أو لا مع]:

اى صورت تو آينة سر وجود   روشن زرخت برتو انوار شهود
مجموعة هر دو كونى ونيست جوتو   در مملكت صورت ومعنى موجود

وفيه إشارة إلى تخطئة الملائكة فيما قبحوا الإنسان، وقالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، فإن الحسن ليس ما يستحسنه الناس، بل ما يستحسنه الحبيب؛ كأن الله يقول: إن الواشين قبحوا صورتكم عندنا، بل الملائكة كتبوا في صحيفتكم قبيح ما ارتكبتم ومولاكم أحسن صوركم عنده بأن محا من ديوانكم الزلات، وأثبت في ذلك الحسنات، كما قال تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]. وقال: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠]، فحسن الصورة، والمعنى: مخصوص بالإنسان، وهو المدار، وما سواه دائر عليه. قال الصائب:

اسرار جار دفتر ومضمون نه كتاب   در نقطة تو ساخته ايزد نهان همه
وزبهر خدمت تو فلكها جو بندكان   زا خلاص بسته اند كمر برميان همه
بيش تو سر بخاك مذلت نهاده اند   با آن علوم ومر تيه روحانيان همه

﴿**ورزقكم من الطيبات**﴾: من المأكولات اللذيذة. [ومتميز كر دانيد روزى شما از روزى حيوانات].

قال في «التأويلات النجمية»: ليس الطيب ما يستطيبه الخلق، بل الطيب ما يستطيبه الحق، فإنه طيب لا يقبل إلا طيباً، فالطيب الذي يقبله الله من العبد، وهو من مكاسبه الكلم الطيب، وهي كلمة لا إله إلا الله، كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، والطيب الذي هو من مواهب الله تعالى هو تجلي صفات جماله وجلاله. وإليهما أشار بقوله: ورزقكم من الطيبات.

والحاصل: أن الطيب أنواع طيب الأرزاق، وطيب الأذكار وطيب الحالات. ﴿**ذلكم**﴾ الذي نعت بما ذكر من النعوت الجليلة. ﴿**الله**﴾ خبر لذلكم، ﴿**ربكم**﴾ الذي يستوجب منكم العبادة خبر آخر. ﴿**فتبارك الله**﴾ صفة خاصة بالله تعالى؛ أي: تقدس وتنزه وتعالى بذاته عن أن يكون له شريك في العبادة إذ لا شريك له في شيء من تلك النعم. ﴿**رب العالمين**﴾: [برورد كار عالميان از انس وجن وجزآن]؛ أي: مالكهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقر إليه في ذاته، ووجوده وسائر أحواله جميعاً، بحيث لو انقطع فيضه عنه آناً لانعدم بالكلية.

﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿**هو الحي**﴾: [اوست زنده]. أي: المنفرد بالحياة الذاتية الحقيقية لا يموت ويميت الخلق. ﴿**لا إله إلا هو**﴾ إذ لا موجود يدانيه في ذاته وصفاته وأفعاله.

﴿**فادعوه**﴾: فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى: ﴿**مخلصين له الدين**﴾؛ أي: الطاعة من الشرك الجلي والخفي، قائلين: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «من قال: لا إله إلا الله، فليقل على أثرها: الحمد لله رب العالمين».

وفي «التأويلات النجمية»: هو الحي؛ أي: له الحياة الحقيقية الأزلية الأبدية، ومن هو حي بإحيائه من نور صفاته، كما قال تعالى: ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، ويشير بقوله: لا إله إلا هو بعد قوله: هو الحي إلى أن الذي يحيا بحياته ونور صفاته لن يبلغ رتبة الإلهية، فادعوه بالإلهية مخلصين له الدين؛ أي: مقرين له بالعبودية من غير دعوى بالربوبية كمن ادعى بها بقوله: أنا الحق، وقول من قال: سبحاني ما أعظم شاني، الحمد لله رب العالمين، يعني: فيما أنزلكم وبلغكم مقام الوحدة بفضله ورحمته؛ لأنها مقام لا يسع للإنسان بلوغه بمجرد سعيه من دون فضل ربه. قال الصائب:

نيستم از كشش جذبة رحمت نوميد   كر جه از قلزم وحدت بكنار افتادم

واعلم أنه كما لا يصل العبد إلى مقام الوحدة إلا بفضل الله، كذلك لا ينجو من دعوى هذا المقام إلا بفضله تعالى، إما بتربية من عنده بلا سبب صوري، وإما بإرشاد مرشد كامل قد وصل إلى غاية الغايات، فإذا لم يساعده شيء من ذلك، بقي سكران، ووقع فيما وقع كما نقل عن بعض أهل الوله من السلف.

﴿۞ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿**قل**﴾: روي: أن كفار قريش قالوا: يا محمد ألا تنظر إلى ملة أبيك عبد الله وملة جدك عبد المطلب، فتأخذ بهما، فأنزل الله تعالى: يا محمد ﴿**إني نهيت**﴾: النهي الزجر عن الشيء.

﴿**أن أعبد الذين تدعون من دون الله**﴾؛ أي: الأصنام. ﴿**لما جاءني البينات من ربي**﴾؛ أي: وقت مجيء الآيات القرآنية من ربي، وذلك لأنه لا نهي ولا وجوب عند أهل السنة إلا بعد ورود الشرع. ويجوز أن يقال: كان منهياً عن عبادتها عقلاً بحسب دلالة الشواهد على التوحيد، فأكد النهي بالشرع، ويجوز أنه نهي له عليه السلام والمراد غيره. وفي قوله: من ربي إشارة إلى أن دلائل التوحيد وشواهد أنوار الحقيقة لا تطلع إلا من مطلع الهداية الأزلية، ولكن ينبغي للملتمسين أن يتوجهوا إلى ذلك الجانب بالإعراض عن السوي وترك أصنام البدع والهوى:

ددر كعبة دلست شب وروز روى دل جون آفتاب سجده بهر در نميكنم

﴿**وأمرت أن أسلم لرب العالمين**﴾: بأن أنقاد له وأخلص له ديني.

قال ابن الشيخ: يقال: أسلم أمره لله؛ أي: أسلم وذلك إنما يكون بالرضا والانقياد لحكمه وأسلمت له الشيء إذا جعلته سالماً خالصاً له، وعلى التقديرين يكون مفعول أسلم محذوفاً؛ أي: أن أسلم أمري وأخلص توحيدي وطاعتي له.

قال في «برهان القرآن»: مدح سبحانه نفسه وختم ثلاث آيات على التوالي بقوله: رب العالمين، وليس له في القرآن نظير.

وفي الإشارة إشارة إلى أنه عليه السلام مع كمال نبوته ورسالته وقربه بربه وعظم قدره عنده وريه من أصفى الشراب الطهور الذي هو تجلي ذاته وصفاته، لو لم يسلم لرب العالمين بالعبودية وترك الربوبية له، لم يكن مسلماً، فعلى العاشق أن يضبط نفسه القدسية عن إثبات الإلٰهية لغيره تعالى في مقام الوحدة عند غلبات السكر من لذاذة شراب التجلي، فإن الرب رب، والعبد عبد والأدب مع الله مقبول. [بزركى كفت اى اهل معنى بنكر يدكه با منصور حلاج جه كردند تابا مدعيان جه خواهند كردن بزركى كفت جون منصور أنا الحق كفت واورا در بغداد بردار مى كردند آن شب تا روز بزير آن دار بودم نماز ميكر دم جون روز شد هاتفي آواز دادكه].

أطلعناه على سر من أسرارنا، فأفشى سرنا، فهذا جزاء من يفشي سر الملوك. قال بعض العارفين الملوك لا يعفون عمن تعرض لمملكتهم أو لحرمهم، أو أفشى سرهم. قال الجامي:

رسيد جان بلب ودم نميتوانم زد كه سر عشق همى ترسم آشكار شود

قيل للشيخ أبي سعيد قدس سره: أن فلاناً يمشي على الماء. قال: إن السمك والضفدع كذلك، فقيل: إن فلاناً يطير في الهواء، فقال: إن الطيور كذلك، فقيل: فلاناً يصل إلى الشرق والغرب في آن واحد، فقال: إن إبليس كذلك، فقيل: فما الكمال عندك. قال: أن تكون في الظاهر مع الخلق وفي الباطن مع الحق. وهذا مقام الاستقامة، فإن أهله راسخ في التمكين، بل وفي تلوين التمكين، فلا يصدر عنه إفشاء الأسرار ودعوى ما يقع به الفتنة بين الناس، فطوبى لمن وقف عند الأدب وعامل جميعاً، مع الرب. قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندي قدس سره، في حق السيد نسيمي: قد فهم فهماً حسناً، ولكنه أظهر بعض شيء كان للستر. انتهى.

وقد جعله الشيخ بالي الصوفي من زمرة الزنادقة والملاحدة، فلا بدّ من رعاية الشرع المطهر في كل مقام.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿هو الذي خلقكم﴾ يا بني آدم. **﴿من تراب﴾**؛ أي: في ضمن خلق أبيكم آدم. **﴿ثم من نطفة﴾**؛ أي: ثم خلقكم خلقاً تفصيلياً من مني. قال الراغب: النطفة الماء الصافي، ويعبر بها عن ماء الرجل؛ أي: ماء الصلب يوضع في الرحم كما قال ابن سينا:

لا تكثرن من الجماع فإنه ماء الحياة يصب في الأرحام

والمعنى: خلق أصلكم آدم من تراب، ثم خلقكم من نطفة نسلاً بعد نسل، أو خلق كل واحد منكم من التراب، بمعنى أن كل إنسان مخلوق من المني، وهو من الدم، وهو من الأغذية الحيوانية والنباتية والحيوانية لا بد أن تنتهي إلى النباتية، وإلا لزم أن يتسلسل الحيوانات إلى غير النهاية، والنبات إنما يتولد من الماء والتراب، أو خلق قالبكم في بدء أمركم من الذرة الترابية التي استخرجها من صلب آدم، ثم أودعها في قطرة نطفة بنيه. **﴿ثم من علقة﴾**، وهي الدم الجامد؛ لأن المني يصير على هذا الشكل بعد أربعين يوماً في بطن الأم. **﴿ثم يخرجكم طفلاً﴾**: الطفل الولد ما دام ناعماً كما في «المفردات» والصغير من كل شيء أو المولود كما في «القاموس»: وحد الطفل من أول ما يولد إلى أن يستهل صارخاً إلى انقضاء ستة أعوام كما في تفسير الفاتحة للفناري، والطفل مفرد لا جمع، كما وهم.

وقوله: أو الطفل ﴿الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا﴾ [النور: ٣١] الآية محمول على الجنس، وكذا هو في هذا المقام جنس وضع موضع الجمع؛ أي: الأطفال، أو المعنى، ثم يخرج كل واحد منكم من رحم الأم حال كونه طفلاً لتكبروا شيئاً فشيئاً. **﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾**، كمالكم في القوة والعقل. وبالفارسية: [بغايت قوت خود كه منتهاى شبابست].

قال في «القاموس»: الأشد واحد جاء على بناء الجمع، بمعنى القوة، وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين.

وفي «كشف الأسرار»: يقال: إذا بلغ الإنسان إحدى وعشرين سنة دخل في الأشد، وذلك حين اشتد عظامه وقويت أعضاؤه. **﴿ثم لتكونوا شيوخاً﴾**؛ أي: تصيروا إلى حالة الشيخوخة، والشيخ يقال لمن طعن في السن واستبانت فيه، أو من خمسين، أو إحدى وخمسين إلى آخر عمره، أو إلى ثمانين، كما في «القاموس». قال في «كشف الأسرار»: يقال: إذا ظهر البياض بالإنسان فقد شاب، وإذا دخل في الهرم، فقد شاخ. قال الشاعر:

فمن عاش شب ومن شب شاب ومن شاب شاخ ومن شاخ مات

روي: أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، قد شبت فقال: «شيبتني هود وأخواتها»، يعني: سورة هود، وكان الشيب برسول الله ﷺ قليلاً، يقال: كان شاب منه إحدى وعشرون شعرة بيضاء، ويقال: سبع عشرة شعرة. وقال أنس رضي الله عنه: لم يكن في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وقال بعض الصحابة: ما شاب رسول الله وسئل آخر منهم فأشار إلى عنفقته يعني كان البياض في عنفقته؛ أي: في شعيرات بين الشفة السفلى والذقن، وإنما اختلفوا لقلتها. يقال: كان إذا ادهن خفي شيبه.

﴿ومنكم من يتوفى﴾: يقبض روحه ويموت. ﴿من قبل﴾؛ أي: من قبل الشيخوخة بعد

بلوغ الأشد، أو قبله أيضاً. ﴿ولتبلغوا﴾: متعلق بفعل مقدر بعده؛ أي: ولتبلغوا. ﴿أجلاً مسمى﴾ وقتاً محدوداً معيناً لا تتجاوزونه هو وقت الموت، أو يوم القيامة يفعل ذلك؛ أي: ما ذكر من خلقكم من تراب، وما بعده من الأطوار المختلفة، ولكون المعنى على هذا لم يعطف على ما قبله من لتبلغوا ولتكونوا، وإنما قلنا، أو يوم القيامة؛ لأن الآية تحتوي على جميع مراتب الإنسان من مبدأ فطرته إلى منتهى أمره فجاز أن يراد أيضاً: يوم الجزاء؛ لأنه المقصد الأقصى، وإليه كمية الأحوال.

﴿ولعلكم تعقلون﴾ ولكي تعقلوا ما في ذلك الانتقال من طور إلى طور من فنون الحكم والعبر وتستدلوا به على وجود خالق القوى والقدر.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿هو الذي يحيي﴾ الأموات كما في الأرحام وعند البعث. ﴿ويميت﴾: الأحياء كما عند انقضاء الأجل. وفي القبر بعد السؤال، وأيضاً: يحيي القلوب الميتة بنور ربوبيته ولطفه، ويميت القلوب بنار قهره، فإذا حيي القلب مات النفس، وإذا مات القلب حيي النفس.

قال الحسين النوري قدس سره: هو الذي أحيا العالم بنظره، فمن لم يكن به وبنظره حياً، فهو ميت، وإن نطق أو تحرك (ع): [خوشادلى كه زنور خدابود روشن]. ﴿فإذا قضى أمراً﴾: القضاء بمعنى التقدير عبر به عن لازمه الذي هو إرادة التكوين؛ كأنه قيل: إذا قدر شيئاً من الأشياء، وأراد كونه. ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ من غير توقف على شيء من الأشياء أصلاً: يعني: [تكوين اورا احتياج بآلتى وعدتى وفرصتى نيست]:

فعل اوراكه عيب وعلت نيست — متوقف بهيج آلت نيست
ازخم زلف كاف وطره نون — هرزمان شكلى آورد بيرون

وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى في المقدورات عند تعلق إرادته بها، وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير أن يكون هناك أمر أو مأمور حقيقة.

وذهب بعضهم: إلى أنه حقيقة، وأن الله تعالى مكون الأشياء بهذه الكلمة، فيقول بكلامه الأزلي لا بالكلام الحادث الذي هو المركب من الأصوات والحروف كن؛ أي: احدث فيكون؛ أي: فيحدث، ولما لم يتعلق خطاب التكوين بالفهم، واشتمل على أعظم الفوائد، وهو الوجود جاز تعلقه بالمعدوم.

وفي «كشف الأسرار»: فيكون مرة واحدة لا يثنى قوله.

وفي «التكملة» قوله: كن لا يخلو إما أن يكون قبل وجود المأمور، أو بعد وجوده، فإن قيل: قبل وجوده أدى ذلك إلى مخاطبة المعدوم، ولا يصح في العقل، وإن قيل: بعد وجوده أدى ذلك إلى إبطال معنى: كن؛ لأن المأمور إذا كان موجوداً قبل الأمر، فلا معنى للأمر بالكون.

والجواب: أن الأمر مقارن للمأمور لا يتقدم ولا يتأخر عنه، فمع قوله: كن، يوجد المأمور، وهذه كمسألة الحركة والسكون في الجوهر، فإنه إذا قدرنا جوهراً ساكناً بمحل، ثم انتقل إلى محل آخر، فإنما انتقل بحركة، فلا تخلو الحركة من أن تطرأ عليه في المحل الأول، أو في الثاني، فإن قيل في الأول، فقد اجتمعت مع السكون، وإن قيل في الثاني، فقد انتقل

بغير حركة، وإن قيل: لم تطرأ في هذا، ولا في هذا فقد طرأت عليه في غير محل، وكل هذا محال.

والجواب: أن الحركة هي معنى خصصه بالمحل الثاني، فنفس إخلائه للمحل الأول، هي نفس شغله للمحل الثاني.

واعلم أن الله تعالى أنزل الحروف الثمانية والعشرين، وجعل حقائقها الثمانية والعشرين منزلاً على ما فصل عند قوله تعالى: ﴿رفيع الدرجات﴾، وجعل مفاصل اليدين أيضاً ثمانية وعشرين. أربعة عشر في يد واحدة وأخرى في أخرى على أن يكون لكل أصبع ثلاثة مفاصل إلا الإبهام وجعل كل أصبع مظهر الأصل من الأصول الخمسة، فالإبهام مظهر القدرة والمسبحة مظهر الحياة والوسطى مظهر العلم، والبنصر مظهر الإرادة، والخنصر مظهر القول، ولما كان العلم أعم حيطة جعل متوسطاً بين الأصلين اللذين في يمينه، وهي الحياة والقدرة، وبين الأصلين اللذين في يساره، وهي الإرادة والقول، وإنما سقط عن أصل القدرة المفصل الثالث؛ لأن كل واحد من الأربعة عام التعلق بخلاف القدرة؛ فإنها محجورة الحكم غير مطلقة؛ لأنه لا يتعلق حكمها إلا بالممكن، فلم يعم نفوذه، ولعدم عموم حكم القدرة جعل مظهرها الذي هو الإبهام ذا مفصلين، ولكون أمر القدرة مبهماً وكيفية تعلقها بالمقدور شيئاً غامضاً سمي المظهر بالإبهام، فلا يجوز البحث عن كيفية تعلق القدرة بالمقدور، كما لا يجوز البحث عن كيفية وجود الباري، وعن كيفية العذاب بعد الموت، ونحو ذلك، مما هو من الغوامض. قال المولى الجامي في الإرادة والقدرة:

فعلهايى كه از همه اشيا ... نوبنو درجهان شود بيدا
كرارادى بود جو فعل بشر ... ور طبيعي بود جوميل بشر
منبعث جمله از مشيت اوست ... مبتنى بر كمال حكمت اوست
نخلد بى ارادتش خارى ... نكساد بى مشيتش تارى
في المثل كرجهانيان خواهند ... كه سرمويى از جهان كاهند
كر نباشد جنان ارادت او ... نتوان كاستن سريك مو
ور همه در مقام آن آيند ... كر برآن ذره بيفزايند
ندهد بى ارادت او سود ... نتوانند ذره افزود
بعد ازان قدرتش بود كامل ... مر مرادات را همه شامل
اثر آن بهر عدم كه رسيد ... رخت باخطة وجود كشيد

وحقيقة الإحياء والإماتة ترجع إلى الإيجاد، ولكن الوجود إذا كان هو الحياة سمي فعله إحياء، وإذا كان هو الموت سمي فعله إماتة، ولا خالق للموت والحياة إلا الله، ولا مميت ولا محيي إلا الله تعالى، فهو خالق الحياة ومعطيها لكل من شاء حياته على وجه يريده ومديمها، لمن أراد دوامها له كما شاء بسبب، وبلا سبب، وكذا خالق الموت ومسلطه على من شاء من الأحياء متى شاء، وكيف شاء بسبب، وبلا سبب، ومن عرف أنه المحيي المميت لم يهتم بحياة، ولا موت، بل يكون مفوضاً مستسلماً في جميع أحواله لمن بيده الحياة والموت، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨﴾ [الشعراء: ٧٨] الآية.

وخاصية المحيي وجود الألفة، فمن خاف الفراق، أو الحبس، فليقرأه على جسده عدده.

وخاصية الاسم المميت أن يكثر منه المسرف الذي لم تطاوعه نفسه على الطاعة، فإنها تفعلها وتموت عن أوصافها المانعة عن القيام بأمر الله تعالى، ثم إن الماء مظهر الاسم المحيي، والتراب مظهر الاسم المميت، وهكذا الموجودات مع أسماء الله تعالى.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (٦٩) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠)﴾

﴿ألم تر﴾ : [آيانمى نكرى]. **﴿إلى الذين يجادلون في آيات الله﴾** في دفعها وإبطالها. **﴿أنى يصرفون﴾** ؛ أي: انظر يا محمد إلى هؤلاء المكابرين المجادلين في آياته تعالى الواضحة الموجبة للإيمان بها الزاجرة عن الجدال فيها، وتعجب من أحوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة كيف يصرفون عن تلك الآيات القرآنية، والتصديق بها إلى تكذيبها مع تعاضد الدواعي إلى الإقبال عليها بالإيمان، وانتفاء الصوارف عنها بالكلية.

وتكرير ذم المجادلة في أربعة مواضع في هذه السورة، إما لتعدد المجادل بأن يكون في أقوام مختلفة، أو المجادل فيه بأن يكون في آيات مختلفة، أو للتأكيد.

﴿الذين كذبوا بالكتاب﴾ ؛ أي: بكل القرآن. والجملة في محل الجر على أنها بدل من الموصول.

قال في «الإرشاد»: إنما وصل الموصول الثاني، بالتكذيب دون المجادلة؛ لأن المعتاد وقوع المجادلة في بعض المواد لا في الكل وصيغة الماضي للدلالة على التحقق كما أن صيغة المضارع في الصلة الأولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها. **﴿وبما أرسلنا به رسلنا﴾** من سائر الكتب. **﴿فسوف يعلمون﴾** كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته، وهي جملة مستأنفة مسوقة للتهديد.

﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (٧٤)﴾.

﴿إذ الأغلال في أعناقهم﴾ : ظرف ليعلمون، وهو اسم للزمن الماضي ويعلمون مستقبل لفظاً، ومعنى: وأما المكان، فظاهر مثل قولك: سوف أصوم أمس، وذا لا يجوز.

وجوابه: إن وقت العلم مستقبل تحقيقاً وماضٍ تنزيلاً وتأويلاً؛ لأن ما سيعلمونه يوم القيامة؛ فكأنهم علموه في الزمن الماضي لتحقق وقوعه، فسوف بالنظر إلى الاستقبال التحقيقي وإذ بالنظر إلى المضي التأويلي.

والأغلال: جمع غلّ بالضم، وهو ما يقيد به، فيجعل الأعضاء وسطه. وغل فلان: قيد به؛ أي: وضع في عنقه، أو يده الغل والأعناق جمع عنق وبالفارسية: [كردن].

والمعنى: على ما في «كشف الأسرار»: [آنكاه كه غلها كه دردستهاى ايشان در كرد نهاى ايشان كنند]. يعني: تغل أيديهم إلى أعناقهم مضمومة إليها. **﴿والسلاسل﴾** : عطف على الأغلال والجار في نية التأخير، وهو جمع سلسلة بالكسر. بالفارسية: [زنجير]. وذلك لأن السلسلة بالفتح: إيصال الشيء بالشيء، ولما كان في السلسلة بالكسر: إيصال بعض الخلق بالبعض سميت بها. **﴿يسحبون في الحميم﴾** : السحب: الجر بعنف، ومنه السحاب؛ لأن الريح

تجره وسحبه كمنعه، جره على وجه الأرض، فانسحب. والحميم: الماء الذي تناهى حره.

قال في «القاموس»: الحميم الماء الحار والماء البارد ضد. والقيظ: والعرق؛ أي: على التشبيه كما في «المفردات».

والجملة حال من فاعل يعلمون، أو من ضمير أعناقهم؛ أي: حال كونهم مسحوبين؛ أي: مجرورين تجرهم على وجوههم خزنة جهنم بالسلاسل إلى الحميم؛ أي: الماء المسخن بنار جهنم، ولا يكون إلا شديد الحرارة جداً؛ لأن ما سخن بنار الدنيا التي هي جزء واحد من سبعين جزءاً من نار جهنم إذا كان لا يطاق حرارته، فكيف ما يسخن بنار جهنم. وفي كلمة في إشعار بإحاطة حرارة الماء لجميع جوانبهم كالظرف للمظروف، حتى كأنهم في عين الحميم ويسحبون فيها.

وقال مقاتل: يسحبون في الحميم؛ أي: في حر النار كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٨]. والظاهر أن معنى يسحبون في النار؛ أي: يجرون إلى النار على وجوههم كما في هذا المقام.

حكي: أنه توفيت النوار امرأة الفرزدق، فخرج في جنازتها وجوه أهل البصرة، وخرج فيها الحسن البصري. فقال الحسن للفرزدق: يا أبا فراس ما أعددت لهذا اليوم قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ثمانين سنة، فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها، وأنشد هذه الأبيات:

أخاف وراء القبر إن لم يعافني ... أشد من القبر التهاباً وأضيقا
إذ جاءني يوم القيامة قائد ... عنيف وسواق يسوق فرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى ... إلى النار مغلول القلادة أزرقا

فبكى وأبكى الحاضرين.

﴿ثم﴾؛ أي: بعد الجر بالسلاسل إلى الحميم. ﴿في النار يسجرون﴾: يحرقون بالنار، وهي محيطة بهم من سجر التنور إذا ملأه بالوقود، ومن كانوا في النار، وكانت هي محيطة بهم وصارت أجوافهم مملوءة بها لزم أن يحرقوا بها على أبلغ الوجوه، فهم يملؤون بالنار كائنين فيها ويحرقون.

والمراد: بيان أنهم يعذبون بأنواع العذاب، وينقلون من لون إلى لون.

قال في «كشف الأسرار»: [عذاب دوزخيان انوا عست يكى ازآن سلاسل است دردست زبانيه زنجيرهاى آتشين كه دوز خيانرا بدان ببندند هر زنجيرى هفتاد كز هر كزى هفتاد حلقه اكريك حلقه آن بركوههاى دنيا نهند جون از زير بكذارد آن زنجيرها بدن كافران فرو كنند وبزيرش بيرون كشند زنجير ايشانرا در حميم كشند حميم آب كرمست جوشان اكريك قدح ازآن بدرياهاى دنيا فرو ريزند همه زهر شود قدحى ازآن بدست كافران دهند هرجه برروى ويست ازبوست وكوشت وجشم وبينى همه اندران قدح افتد اينست كه رب العزة كفت].

﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]: [جون حميم بشكم رسد هرجه اندرشكم بود بزير بيرون شود]. فذلك قوله: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]. [وازآن حميم برسر ايشان مير يزند تابوست وكوشت وبى ورك ازايشان فرو ريزند استخوان بماند سوخته ندا آيدكه].

يا مالك جدد لهم العذاب فإني مجدد لهم الأبدان. [كفته اند كه عاصيان مؤمنا نرا ده جيز نباشد روى ايشان سياه نبود جشم ايشان ازرق نبود در كردن غل نبود دردست ايشان

زنجير نبود نوميدى نبود جاويد فرقت وقطيعت ولعنت نبود جون حرارت وزبانة آتش بايشان رسد ندا آيدكه].

يا نار كفي عن وجوه من سجد لي فلا سبيل لك على مساجدهم. اللهم أجرنا من نارك إنا عائذون بجوارك.

﴿**ثم**﴾؛ أي: بعد الإحراق. ﴿**قيل لهم**﴾؛ أي: يقال لهم على سبيل التوبيخ والتقريع، وصيغة الماضي للدلالة على التحقق. ﴿**أين**﴾ [كجاأند]. ﴿**ما**﴾: [آنا نكه]. يعني: أصنام. ﴿**كنتم**﴾ في الدنيا على الاستمرار. ﴿**تشركون من دون الله**﴾ [انباز آورديد وكرفتيد بجز الله معبود بحق]؛ أي: رجاء شفاعتهم ادعوهم ليشفعوا لكم ويعينوكم، وهو نوع آخر من تعذيبهم. ﴿**قالوا**﴾؛ أي: يقولون: ﴿**ضلوا**﴾ غابوا؛ أي: الشركاء ﴿**عنا**﴾ عن أعيننا، وإن كانوا قائمين؛ أي: غير هالكين من قول العرب ضل المسجد والدار؛ أي: لم يعرف موضعهما، وكذلك كل شيء قائم، أو غيرها لك لكنك لا تهتدي إليه، وذلك قبل أن يقرن بهم آلهتهم، فإن النار فيها أمكنة متعددة، وطبقات مختلفة، فلا مخالفة بينه وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، أو ضاعوا عنا، فلم نجد ما كنا نتوقع منهم على أن يكون ضل بمعنى: ضاع وهلك تنزيلاً لوجودهم منزلة الضياع والهلاك لفقدهم النفع الذي يتوقعونه منهم، وإن كانوا مع المشركين في جميع الأوقات. ﴿**بل**﴾ تبين لنا أنا ﴿**لم نكن ندعو**﴾ نعبد ﴿**من قبل**﴾؛ أي: في الدنيا بعبادتهم ﴿**شيئاً**﴾، لما ظهر لنا اليوم أنهم لم يكونوا شيئاً يعتد به كقولك: حسبته شيئاً، فلم يكن. وبالفارسية: [يعنى برماروشن شد كه جيزى را نمى برستيده ايم بلكه ايشانرا كه عبادت مى كرديم هيج جيزى نبوده اند معتبر وما ايشانرا جيزى نمى بنداشتيم].

﴿**كذلك**﴾؛ أي: مثل ذلك الضلال الفظيع، وهو ضلال آلهتهم عنهم على التفسيرين المذكورين لقوله: ضلوا. ﴿**يضل الله الكافرين**﴾، حيث لا يهتدون في الدنيا إلى شيء من العقائد والأعمال ينفعهم في الآخرة، فهو ناظر إلى التفسير الثاني، أو كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يصادفوا؛ أي: لم يجد أحدهم الآخر، فهو ناظر إلى التفسير الأول، وإضلال الحق عبده هو عدم عصمته إياه مما نهاه عنه، وعدم معونته وإمداده بما يتمكن به من الإتيان بما أمره به، أو الانتهاء عما نهاه عنه، كما في تفسير الفاتحة للشيخ صدر الدين القنوي قدس سره. وفي نسخة الطيبي: ﴿**كذلك**﴾؛ أي: مثل ذلك الإضلال، وهو الأوفق لما عرف من العادة القرآنية، وهو أن تكون الإشارة إلى مصدر الفعل المتأخر.

قال سعدي المفتي، قلت: بل الآية؛ أي: بل لم نكن إلخ. كقوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] يفرغون إلى الكذب لحيرتهم واضطرابهم ومعنى قوله: ﴿**كذلك يضل الله الكافرين**﴾ أنه تعالى يحيزهم في أمرهم حتى يفزعون إلى الكذب مع علمهم؛ بأنه لا ينفعهم.

﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿**ذلكم**﴾ الإضلال أيها الكفار، والالتفات للمبالغة في التوبيخ.

وفي «تفسير الجلالين»؛ أي: العذاب الذي نزل بكم، وهو العذاب المذكور بقوله: **﴿إِذِ الأغلال﴾**. إلخ.

قال ابن الشيخ: ولا يخلو عن بعد **﴿بما﴾** الباء: للسببية. **﴿كنتم تفرحون في الأرض﴾** في الدنيا. **﴿بغير الحق﴾**، وهو الشرك والطغيان. والباء: صلة الفرح.

قال في «القاموس»: الفرح السرور والبطر. انتهى.

والبطر: النشاط والأشر وقلة احتمال النعمة والأشر شدة البطر، وهو بلغ من البطر. والبطر أبلغ من الفرح.

وفي «المفردات»: الفرح: انشراح الصدر بلذة عاجلة، ولم يرخص إلا في الفرح بفضل الله وبرحمته، وبنصر الله والبطر دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة، وقلة القيام بحقها وصرفها إلى غير وجهها. **﴿وبما كنتم تمرحون﴾**: المرح شدة الفرح والنشاط والتوسع فيه؛ أي: تتوسعون في البطر والأشر. وبالفارسية: [مى نازيديد از خود وبتكبر مى خراميديد].

قال أرسطو من افتخر ارتطم يعني: [دركل افاد]. قال الصائب:

بست وبلند بيش سموم فنا يكيست جون تاك بردرخت دويدن جه فائدة

﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾؛ أي: أبوابها السبعة المقسومة لكم: يعني: [هرطائفة بدركه درآييد]. **﴿خالدين فيها﴾** مقدار خلودكم في الآخرة. **﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾**؛ أي: عن الحق جهنم. وبالفارسية: [بس بد آرامكاهيست كردن كشانرا دوزخ]. وكان مقتضى النظم، فبئس مدخل المتكبرين ليناسب عجز الكلام صدره كما يقال: زر بيت الله، فنعم المزار، فصل في المسجد الحرام، فنعم المصلى، لكن لما كان الدخول المقصود بالخلود سبب الثواء؛ أي: الإقامة عبر بالمثوى الذي هو محل الإقامة فاتحد آخر الكلام بأوله.

وفي الآية إشارة إلى أن كل شهوة من شهوات الدنيا وزينة من زينها باب من أبواب جهنم النفس في الدنيا وباب من أبواب جهنم النار في العقبى وجب ترك الشهوات والزين، والافتخار بالدنيا وبزخارفها حتى تغلق أبواب جهنم مطلقاً، وهكذا يضل الله من ليس له استعداد للهداية حيث يريهم شيئاً مجازياً في صورة وجود حقيقي وزينته، فيضلون به عن الصراط المستقيم، ولا يدرون أن الدنيا سراب وخيال ومنام:

غافل مشو زبرده نيرنك روزكار سير خزان در آيينه نو بهار كن

وفي الآية ذم الكبر، فلا بد من علاجه بضده، وهو التواضع.

وعن بعض الحكماء افتخر الكلأ في المفازة على الشجر، فقال: أنا خير منه يرعاني البهائم التي لا تعصي الله طرفة عين، فقال: أنا خير منك يخرج مني الثمار ويأكلها المؤمنون، وتواضع القصب، قال: لا خير فيّ لا أصلح للمؤمنين ولا للبهائم، فلما تواضع رفعه الله وخلق فيه السكر الذي هو أحلى شيء، فلما نظر إلى ما وضع الله فيه من الحلاوة تكبر، فأخرج الله منه رأس القصب حتى اتخذ منه الآدميون المكنسات، فكنسوا بها القاذورات، فهذا حال كبر غير المكلف، فكيف حال المكلف.

واعلم أن فرعون علا في الأرض حتى ادعى الربوبية، فأخذه الله نكال الآخرة، والأولى؛ أي: بالغرق في الدنيا والإحراق في الآخرة، وعلا قارون بكثرة ماله، فخسف الله به وبداره وعلا إبليس حين امتنع عن السجدة فلعنه الله لعنة أبدية، وعلا قريش على المؤمنين حتى قتلوا

وألقى جيفهم في بئر ذليلين، وهكذا حال كل متكبر بغير الحق إلى يوم القيامة، فإنه ما نجا أحد من المتكبرين ولا ينجو. وفي المثنوي:

آنجه در فرعون بود اندر توهست ليك ازدرهات محبوس جهست
نفس ازدر هاست اوكى مرده است از غم بى آلتى افسرده است
كر بيابد آلت فرعون او كه بامر او همى رفت آب جو
آنكه او بنياد فرعوني كند راه صد موسى وصد هارون زند
كرمكست آن ازدها ازدست فقر بشة كردد ز جاه ومال صقر
هر خسى را اين تمناكى رسد موسى بايدكه ازدرها كشد
صد هزاران خلق ز ازدرهاى او در هزيمت كشته شد از راى او

يعني: أن النفس كثعبان عظيم وقتلها عن أوصافها ليس بسهل، بل يحتاج إلى همة عالية، وإلى جهاد كثير بلا فتور.

﴿**فاصبر**﴾ يا محمد على أذية قومك لك بسبب تلك المجادلات وغيرها إلى أن يلاقوا ما أعد لهم من العذاب. ﴿**إن وعد الله حق**﴾؛ أي: وعده بتعذيبهم حق كائن لا محالة. ﴿**فإما نرينك**﴾؛ أي: فإن نرك. وبالفارسية: [بس اكر بنماييم بتو]. وما مزيدة لتأكيد الشرطية، ولذا لحقت النون الفعل ولا تلحقه مع أن وحدها فلا تقول: إن تكرمني أكرمك بنون التأكيد، بل أما تكرمني أكرمك.

﴿**بعض الذي نعدهم**﴾: وهو القتل والأسر وجوابه محذوف؛ أي: فذاك. ﴿**أو نتوفينك**﴾ قبل أن تراه. وبالفارسية: [اكر بميرانيم ترابيش از ظهور آن عذاب]. ﴿**فإلينا يرجعون**﴾، وهو جواب نتوفينك؛ أي: يردون إلينا يوم القيامة لا إلى غيرنا، فنجازيهم بأعمالهم. [بس هيج وجه ايشانرا فرو نخواهيم كذاشت وحق سبحانه وتعالى درين دنيا بعضى ازعذاب كفار بسيد إبرار عليه السلام نمود از قتل واسر وقحط وجزآن وباقى عقوبات ايشان در عقبى خواهد بود]:

دوستان هر دو عالم شاد وخرم مى زيند دشمنان در مخت وغم اين سر او آن سرا

أما سرور الأولياء في الآخرة، فظاهر، وأما سرورهم في الدنيا، فإن الحق بأيديهم، وهم راضون عن الله على كل حال في الفقر والغنى والصحة والمرض، فلا يكدّرهم شيء من الأكدار لشهودهم المبلى في البلاء وتهيئهم لنعيم الآخرة، وأما غم الأعداء في الدنيا، فمما لا حاجة إلى بيانه إذ من كان مع النفس في الدنيا كيف يستريح، ومن كان مع سخط الله في الآخرة كيف يضحك.

وفي الآية إشارة إلى كيفية القدوم على الله، فإن كان العبد عاصياً، فيقدم على مولاه، وهو عليه غضبان، وإن كان مطيعاً، فيقدم عليه قدوم الحبيب المشتاق على الحبيب:

بهار عمر ملاقات دوستان باشد

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

﴿ولقد أرسلنا﴾. روي: أن الذين كانوا يجادلون في آيات الله اقترحوا معجزات زائدة على ما أظهره الله على يده عليه السلام من تفجير العيون وإظهار البساتين وصعود السماوات ونحوها مع كون ما أظهره من المعجزات كافية في الدلالة على صدقه، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً﴾ ذوي عدد كثير إلى قومهم. ﴿من قبلك﴾؛ أي: من قبل بعثتك يا محمد، أو من قبل زمانك. ﴿منهم من قصصنا عليك﴾. قوله: منهم خبر مقدم لقوله: من قصصنا عليك.

والجملة صفة لرسلاً، وقص عليه بين؛ أي: بيناهم وسميناهم لك في القرآن، فأنت تعرفهم. ﴿ومنهم من لم نقصص عليك﴾: لم نسمهم لك ولم نخبرك بهم.

قال الكاشفي: [بعضى از ايشان آنها اندكه خوانده ايم قصهاى ايشان برتوكه آن بيست ونه بيغمبراند].

وفي «عين المعاني»: هم ثمانية عشر: [وبعضى آنا نندكه قصة ايشان نخوانده ايم برتو اما نام ايشان دانسته اليسع وغير او وبعضى آنست كه نه نام ايشان دانسته ونه قصة ايشان شنيده ودرايمان بديشان تعيين عدد ومعرفت ايشان بانساب واسامى شرط نيست].

وعن عليّ رضي الله عنه: «إن الله بعث نبياً أسود». وفي «التكملة»: عبداً حبشياً، وهو ممن لم يقصص الله عليه.

يقول الفقير: «لعل معناه أن الله بعث نبياً أسود إلى السودان»، فلا يخالف ما ورد «من أن الله تعالى ما بعث نبياً إلا حسن الاسم حسن الصورة حسن الصوت»، وذلك لأن في كل جنس حسناً بالنسبة إلى جنسه.

والحاصل: أن المذكور قصصهم من الأنبياء أفراد معدودة، وقد قيل: عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفاً.

قال في «شرح المقاصد»: روي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال: قلت لرسول الله عليه السلام: كم عدد الأنبياء؟. فقال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً». فقلت: فكم الرسل، فقال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً». لكن ذكر بعض العلماء أن الأولى أن لا يقتصر على عددهم؛ لأن خبر الواحد على تقدير اشتماله على جميع الشرائط لا يفيد إلا الظن، ولا يعتبر إلا في العمليات دون الاعتقاديات وها هنا حصر عددهم يخالف ظاهر.

قوله تعالى: ﴿منهم من قصصنا﴾ إلخ. ويحتمل أيضاً مخالفة الواقع وإثبات من ليس بنبي إن كان عددهم في الواقع أقل مما يذكر ونفي النبوة عمن هو نبي إن كان أكثر، فالأولى عدم التنصيص على عدد.

وفي رواية: مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفاً. كما في «شرح العقائد» للتفتازاني.

قال ابن أبي شريف في «حاشيته»: لم أر هذه الرواية.

وقال المولى محمد الرومي في «المجالس»: ومما يجب الإيمان به الرسل. والمراد من الإيمان بهم العلم بكونهم صادقين فيما أخبروا به عن الله؛ فإنه تعالى بعثهم إلى عباده ليبلغوهم أمره ونهيه ووعده ووعيده، وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم أولهم آدم وآخرهم محمد عليه السلام، فإذا آمن بالأنبياء السابقة، فالظاهر أنه يؤمن بأنهم كانوا أنبياء في الزمان الماضي لا في الحال إذ ليست شرائعهم بباقية، وأما الإيمان بسيدنا محمد عليه السلام، فيجب بأنه

رسولنا في الحال، وخاتم الأنبياء والرسل فإذا آمن بأنه رسول ولم يؤمن بأنه خاتم الرسل لا نسخ لدينه إلى يوم القيامة لا يكون مؤمناً، ومن قال: آمنت بجميع الأنبياء، ولا أعلم آدم نبي أم لا، فقد كفر ثم إنه لم يبين في القرآن عدد الأنبياء، كم هم، وإنما المذكور فيه باسم العلم على ما ذكر بعض المفسرين ثمانية وعشرون وهم: آدم ونوح وإدريس وصالح وهود وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويوسف ولوط ويعقوب وموسى وهارون وشعيب وزكريا ويحيى وعيسى وداود وسليمان وإلياس واليسع وذو الكفل وأيوب ويونس ومحمد وذو القرنين وعزير ولقمان على القول بنبوة هذه الثلاثة الأخيرة. وفي «الأمالي»:

وذو القرنين لم يعرف نبيا كذا لقمان فاحذر عن جدال

وذلك لأن ظاهر الأدلة يشير إلى نفي النبوة عن الأنثى وعن ذي القرنين ولقمان ونحوهما، كتبع فإنه عليه السلام: قال: «لا أدري أهو نبي أم ملك»، وكالخضر فإنه قيل: نبي، وقيل: ولي، وقيل: رسول. فلا ينبغي أن يقطع بنفي أو إثبات؛ فإن اعتقاد نبوة من ليس بنبي كفر كاعتقاد نفي نبوة نبي من الأنبياء، يعني: إذا كان متفقاً على نبوته، أو عدم نبوته. وأما إذا كان فيه خلاف، فلا يكفر؛ لأنه كالدليل الظني والكفر في القطعي.

وفي «فتح الرحمٰن»: في سورة البقرة والمذكورون في القرآن باسم العلم ستة وعشرون نبياً، وهم: محمد وآدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وذو الكفل وشعيب وموسى وهارون وداود وسليمان وعزير ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس واليسع صلوات الله عليهم أجمعين. وأشير إلى أشمويل بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وأشير إلى أرميا بقوله: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩] وأشير إلى يوشع بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف: ٦٠]. وأشير إلى إخوة يوسف بقوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾ [يوسف: ٧].

والأسباط ذكروا إجمالاً وهم من ذرية أولاد يعقوب الاثني عشر نبياً، وكان فيهم أنبياء، وفي لقمان وذي القرنين خلاف كالخضر، انتهى.

قال بعض الحكماء: يجب على المؤمن أن يعلم صبيانه ونساءه وخدمه أسماء الأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه حتى يؤمنوا بهم، ويصدقوا بجميعهم، ولا يظنوا أن الواجب عليهم الإيمان بمحمد عليه السلام فقط لا غير، فإن الإيمان بجميع الأنبياء سواء ذكر اسمه في القرآن، أو لم يذكر واجب على المكلف، فمن ثبت تعينه باسمه يجب الإيمان به تفصيلاً، ومن لم يعرف اسمه يجب الإيمان به إجمالاً.

وحكى ابن قتيبة في «المعارف» أن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر، منهم خمسة عبرانيون، وهم: آدم وشيث وإدريس ونوح وإبراهيم. وخمسة من العرب: هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد عليه السلام.

قال في «التكملة»: هذا الذي ذكر ابن قتيبة لا يصح؛ لأنه قد روي: أنه كان من العرب نبي آخر، وهو خالد بن سنان بن غيث، وهو من عبس بن بغيض. روي: عن النبي عليه السلام أنه قال فيه: «ذلك نبي أضاعه قومه». وردت ابنته على رسول الله عليه السلام، فسمعته يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١]. فقالت: كان أبي يقول هذا.

قال ابن قتيبة: وأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى.

قال في «التكملة»: صاحبها، وهذا عندي غير صحيح؛ لأنه إن أراد أول الرسل فقد قال الله تعالى حكاية عن قول الرجل المؤمن من آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر: ٣٤]، فقد أخبر أنه أرسل إليهم يوسف، وهو إما ابن يعقوب، أو ابن إفراييم بن يوسف بن يعقوب على الخلاف المتقدم، وإن أراد النبوة خاصة، فيوسف وإخوته أنبياء، وهم: بنو إسرائيل؛ لأن يعقوب عليه السلام هو إسرائيل، وأول الأنبياء آدم وآخرهم محمد عليهم السلام.

وروى ابن سلام وغيره عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لا تقولوا: لا نبي بعد محمد. وقولوا: خاتم النبيين»؛ لأنه ينزل عيسى ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً، فيقتل الدجال ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتضع الحرب أوزارها.

قال في «التكملة»: وقول عائشة: لا تقولوا لا نبي بعد محمد إنما ذكر، والله أعلم لئلا يتوهم المتوهم رفع ما روي من نزول عيسى ابن مريم في آخر الزمان، وعلى الحقيقة، فلا نبي بعد رسول الله عليه السلام؛ لأن عيسى وإن نزل بعده، فهو موجود قبله حي إلى أن ينزل، وإذا نزل، فهو متبع لشريعته مقاتل عليها، فلا يخلق نبي بعد محمد، ولا تجدد شريعة بعد شريعته، فعلى هذا يصح ولا نبي بعده.

وقد روي في أسماء النبي عليه السلام في كتاب «الشمائل» وغيره والعاقب الذي ليس بعده نبي»، فهذه زيادة وإن لم يذكرها مالك، فهي موجودة في غير «الموطأ»، ويحتمل أن تكون من قبل النبي، أو من قبل الراوي، فإن كانت من قبل النبي عليه السلام، فحسبك بها حجة، وإن كانت من قبل الراوي، فقد صح بها أن إطلاق هذا اللفظ غير ممتنع ولا معارضة بينه وبين حديث عائشة كما ذكرنا. والمراد به: لا تقولوا: لا نبي بعده يعني: لا يوجد في الدنيا نبي، فإن عيسى ينزل إلى الدنيا ويقاتل على شريعة النبي عليه السلام.

والمراد بقوله عليه السلام في الحديث، والعاقب الذي ليس بعده نبي، ولا يبعث بعده نبي ينسخ شريعته. وهذا معنى قوله: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]؛ أي: الذي ختمت النبوة والرسالة به؛ لأن نبوة عيسى قبله فنبوته عليه السلام ختمت النبوات وشريعته ختمت الشرائع. انتهى ما في «التكملة».

وفي «التأويلات النجمية»: تشير الآية إلى أن الحكمة البالغة الأزلية اقتضت أنا نبعث قبلك رسلاً، ونجزي عليهم وعلى أممهم أحوالاً، ثم نقص عليك من أنبائهم ما نثبت به فؤادك ونؤدبك بتأدبهم لتتعظ بهم، ولا نقدمك بالرسالة عليهم ليتعظوا بك فإن السعيد من يتعظ بغيره:

هر طبيدن قاصدى باشد دل آكاهرا

﴿ومنهم من لم نقصص عليك﴾ لاستغنائك عن ذلك تخفيفاً لك عما لا يعنيك. وهذا أمارة كمال العناية فيما قص عليه وفيما لم يقصص عليه. ﴿وما كان لرسول﴾؛ أي: وما صح وما استقام لرسول منهم. ﴿أن يأتي بآية﴾ تقترح عليه. [يعنى بيارد معجزة كه نشانة نبوت أو باشد]. ﴿إلا بإذن الله﴾، فإن المعجزات تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته المبنية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار في إيثار بعضها ولااستبداد بإتيان المقترح بها.

وفيه تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؛ كأنه قيل: ما من رسول من قبلك سواء كان مذكوراً أو غير مذكور أعطاه الله آيات معجزات إلا جادله قومه فيها وكذبوه عناداً وعبثاً، فصبروا وظفروا، فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا. وفي المثنوي:

صد هزاران كيميا حق آفريد كيميايى همجو صبر آدم نديد

﴿فإذا جاء أمر الله﴾ بالعذاب في الدنيا والآخرة. ﴿قضي بالحق﴾ حكم بين الرسل ومكذبيهم بإنجاء المحق وإهلاك المبطل وتعذيبه. ﴿وخسر﴾: هلك، أو تحقق وتبين أنه خسر ﴿هنالك﴾ أي: وقت مجيء أمر الله وهو اسم مكان استعير للزمان. ﴿المبطلون﴾ أي: المتمسكون بالباطل على الإطلاق، فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولاً أولياً.

قال في «القاموس»: الباطل ضد الحق وأبطل جاء بالباطل، فالمبطل صاحب الباطل والمتمسك به كما أن المحق صاحب الحق والعامل به ولم يقل، وخسر هنالك الكافرون لما سبق من نقيض الباطل الذي هو الحق كما في «برهان القرآن».

وفي الآية إشارة إلى أنه يجب الرجوع إلى الله قبل أن يجيء أمره وقضاؤه بالموت والعذاب، فإنه ليس بعده إلا الأحزان:

تو بيش از عقوبت در عفو كوب كه سودى ندارد فغان زير جوب
جه سود از بشيمانى آيد بكف جو سرماية عمر كردى تلف
كسى كرجه بد كردهم بدنكرد كه بيش از قيامت غم خويش خورد

يعني: [بيش از قيامت موت زيراكه مرد قيامت او برخاست].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿الله الذي جعل لكم الأنعام﴾؛ أي: خلق الإبل لأجلكم ومصلحتكم جمع نعم بفتحتين، وهو في الأصل الراعية والكثير استعماله في الإبل. ﴿لتركبوا منها ومنها تأكلون﴾ من لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والأكل منها؛ أي: تعلقهما بها، أو للتبعيض؛ أي: لتركبوا وتأكلوا بعضها لا على أن كلاً من الركوب، والأكل مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر، بل على أن كل بعض منها صالح لكل منهما، وتغيير النظم في الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الإشعار بأصالة الركوب؛ لأن الغرض إنما يكون في المنافع والركوب متعلق بالمنفعة؛ لأنه إتلاف المنفعة بخلاف الأكل؛ فإنه متعلق بالعين؛ لأنه إتلاف العين ولا يقدح في ذلك كون الأكل أيضاً من المنافع، ولهذا جاء: ﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: ١٤].

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾.

﴿ولكم فيها منافع﴾ اخر غير الركوب والأكل؛ كألبانها وأوبارها وجلودها. ﴿ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم﴾؛ أي: في قلوبكم بحمل أثقالكم عليها من بلد إلى بلد.

وقال الكاشفي: [تابر سيد بمسافرت برآن بحاجتى كه در سينهاى شماست از سود ومعامله]. وهو عطف على قوله: لتركبوا منها وحاجة مفعول لتبلغوا. ﴿وعليها﴾؛ أي: على الإبل في البر. ﴿وعلى الفلك﴾؛ أي: السفن في البحر. ﴿تحملون﴾ نظيره. ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠].

قال في «الإرشاد»: ولعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج، وهو السر في فصله عن الركوب والجمع بينهما وبين الفلك لما بينهما من المناسبة التامة حتى تسمت سفائن البر، وإنما قال: وعلى الفلك، ولم يقل: في الملك. كما قال: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ [هود: ٤٠] للمزاوجة؛ أي: ليزاوج ويطابق قوله: ﴿وعليها﴾، فإن محمولات الأنعام مستعلية عليها، فذكرت كلمة الاستعلاء في الفلك أيضاً للمشاكلة.

وفي «المدارك»: الإيعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم؛ لأن الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها، فلما صح المعنيان صحت العبارتان.

وقال بعض المفسرين: المراد بالأنعام في هذا المقام: الأزواج الثمانية، وهي الإبل والبقر والضأن والمعز باعتبار ذكورتها وأنوثتها، فمعنى الركوب والأكل منها تعلقهما بالكل، لكن لا على أن كلاً منهما يجوز تعلقه بكل منها، ولا على أن كلا منهما مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر على أن بعضها يتعلق به الأكل فقط كالغنم، وبعضها يتعلق به كلاهما كالإبل والبقر والمنافع تعمّ الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر.

وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى خلق النفس البهيمية الحيوانية لتكون مركباً لروحكم العلوي. ﴿ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم﴾ من مشاهدة الحق ومقامات القرب، ولكم في صفاتها منافع، وهي الشهوة الحيوانية ومنفعتها أنها مركب العشق والغضب، وأن مركب الصلابة في الدين والحرص مركب الهمة، وبهذا المركب يصل السالك إلى المراتب العلية كما قال. ﴿وعليها وعلى الفلك﴾؛ أي: صفات القلب ﴿تحملون﴾ إلى جوار الحق تعالى.

جون بيخبر ان دامن فرصت مده از دست   تاهست بروبال زعالم سفرى كن

﴿ويريكم آياته﴾: دلائله الدالة على كمال قدرته وفور رحمته. ﴿فأي آيات الله تنكرون﴾. فإن كلاً منها من الظهور بحيث لا يكاد يجرؤ على إنكارها من له عقل في الجملة، وهو ناصب لأي. وإضافة الآيات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل إنكارها.

فإن قلت: كان الظاهر أن يقال: فأية آيات الله بتاء التأنيث لكون؛ أي: عبارة عن المؤنث لإضافته إليها.

قلت: تذكير؛ أي: هو الشائع المستفيض والتأنيث قليل؛ لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة، وإنسان وإنسانة غريب، وهي في أي أغرب لإبهامه، فإن قصد التمييز والتفرقة ينافي الإبهام. وهذا في غير النداء، فإن اللغة الفصيحة الشائعة أن تؤنث أياً الواقعة في نداء المؤنث كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧﴾ [الفجر: ٢٧]، ولم يسمع أن يقال: يا أيها المرأة بالتذكير.

اعلم أن جميع أجزاء العالم آيات بينات وحجج واضحات ترشدك إلى وحدانية الله تعالى وكمال قدرته، لكن هداية الله تعالى إلى جهة الإرشاد وكيفيته أصل الأصول.

قال بعض الكبار في سبب توبته: كنت مستلقياً على ظهري، فسمعت طيوراً يسبحن، فأعرضت عن الدنيا وأقبلت على المولى وخرجت في طلب المرشد، فلقيت أبا العباس الخضر، فقال لي: اذهب إلى الشيخ عبد القادر، فإني كنت في مجلسه، فقال: إن الله جذب عبداً إليه، فأرسله إليّ إذا لقيته، قال: فلما جئت إليه، قال: مرحباً بمن جذبه الرب بألسنة الطير، جمع له كثيراً من الخير، فإذا أراد الله بعبده خيراً يجذبه إليه بما شاء، ولا تفرقة بين

شيء وشيء، فمن له بصيرة يرى في مرائي الأشياء جمال الوحدة.

محقق همى بيند اندر ابل   كه در خوب رويان جين وجكل

ثم إن أعظم الآيات أنبياء الله وأولياؤه إذ تجلى الحق من وجوههم بنعت العزة والكبرياء للعالمين، وأي منكر أعظم ممن ينكر على هذه الآيات الساطعة والبراهين الواضحة.

قال سهل: أظهر آياته في أوليائه، وجعل السعيد من عباده من صدقهم في كراماتهم وأعمى أعين الأشقياء عن ذلك، وصرف قلوبهم عنهم، ومن أنكر آيات أوليائه، فإنه ينكر قدرة الله، فإن القدرة الإلهية أظهر على الأولياء الأمارات لا هم بأنفسهم يظهرونها، والله تعالى يقول: ﴿ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون﴾، ثم إن الإنكار بعد التعريف والإعلام أشد منه قبله، فطوبى لمن أخذ بإشارة المرشد وإرشاده، ولا يكون في زمرة المنكرين الضالين.

قال حجة الإسلام: العجب منك أنك تدخل بيت غني فتراه مزيناً بأنواع الزين، فلا ينقطع تعجبك منه، ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك، وأنت تنظر إلى بيت عظيم، وهو العالم لم يخلق مثله لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك، ولا تتفكر في عجائبه وذلك لعمى القلب المانع عن الشهود والرؤية ونعم ما قيل:

برك درختان سبز در نظر هو شيار   هر ورقى دفتريست معرفت كردكار

ولا بد لتحصيل هذه المرتبة من التوسل بالأسباب وأعظمها الذكر في جميع الأوقات إلى أن يفتح مفتح الأبواب.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿أفلم يسيروا﴾: الهمزة للاستفهام التوبيخي، والفاء: للعطف على مقدر؛ أي: أقعدوا؛ أي: قومك، وهم قريش، فلم يسيروا ولم يسافروا ﴿في الأرض﴾. [در زمين عاد وثمود]. ﴿فينظروا﴾ ويعتبروا جواب الاستفهام. وبالفارسية: [تابنكر ندكه]. ﴿كيف كان﴾: [جه كونه بود]. ﴿عاقبة الذين من قبلهم﴾ من الأمم المهلكة، يعني: أنهم قد ساروا في أطراف الأرض، وسافروا إلى جانب الشام واليمن وشاهدوا مصارع المكذبين من الأمم السالفة وآثارهم، فليحذروا من مثل عذابهم، فلا يكذبوك يا محمد.

ثم بين مبادىء أحوال الأمم المتقدمة وعواقبها، فقال: ﴿كانوا﴾؛ أي: تلك الأمم. ﴿أكثر﴾ عدداً ﴿منهم﴾؛ أي: من قومك. ﴿وأشد قوة﴾ في الأبدان والعدد. ﴿وآثاراً في الأرض﴾ باقية بعدهم من الأبنية والقصور والمصانع، وهي جمع مصنعة بفتح النون وضمها شيء كالحوض يجمع فيها ماء المطر، ويقال له: الصهريج أيضاً، وتغلط فيه العامة من الأتراك، فيقولون صارنج، وأكثر بلاد العرب محتاجة إلى هذا لقلة الماء الجاري والآبار.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وآثاراً في الأرض﴾ بطول الأعمار. وقيل: هي آثار أقدامهم في الأرض بعظم إجرامهم.

وحكي عن الشيخ محيي الدين بن العربي قدس سره: أنه قال: قد اجتمعت بجماعة من قوم يونس عليه السلام سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالأندلس حيث كنت فيه، وقست أثر رجل واحد منهم في الأرض، فرأيت طول قدمه ثلاثة أشبار وثلثي شبر. ﴿فما أغنى عنهم﴾:

يقال: أغنى عنه كذا إذا كفاه ونفعه، وهو إذا استعمل بعن يتعدى إلى مفعول كما سبق؛ أي: لم يغن عنهم لم يدفع ولم ينفع. ﴿ما كانوا يكسبون﴾ كسبهم أو مكسوبهم من الأموال والأولاد وترتيب العساكر، فإذا لم تفدهم تلك المكنة العظيمة إلا الخيبة والخسار، فكيف هؤلاء الفقراء والمساكين.

ويجوز أن تكون ما الأولى استفهامية بمعنى؛ أي شيء أغنى عنهم ذلك، وما الثانية على التقديرين، فاعل أغنى. وهذه الفاء: بيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم، وما كانوا يكسبون بذلك زعماً منهم أن ذلك يغني عنهم، فلم يترتب عليه إلا عدم الإغناء، فهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة، وإن كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما في قولك وعظته، فلم يتعظ؛ أي: لم يترتب عليه إلا عدم الاتعاظ مع أنه عكس المتوقع.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿**فلما جاءتهم رسلهم بالبينات**﴾ بالمعجزات والدلالات الواضحة. وهذه الفاء: تفسير وتفصيل لما أبهم وأجمل من عدم الإغناء، فهي تعقيبية وتفسيرية، إذ التفسير يعقب المفسر، وقد كثر في الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على التفسير بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال.

﴿**فرحوا بما عندهم من العلم**﴾، لقوله: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]؛ أي: أظهروا الفرح بذلك واستحقروا علم الرسل. والمراد بالعلم: ما لهم من العقائد الزائغة والشبه الباطلة كما قالوا لا نبعث ولا نعذب وما أظن الساعة قائمة ونحو ذلك وتسميتها علماً مع أن الاعتقاد الغير المطابق للواقع حقه أن يسمى جهلاً للتهكم بهم، فهي علم على زعمهم لا في الحقيقة. أو المراد علم الصنائع والتنجيم والطبائع، وهو أي علم الطبائع علم الفلاسفة، فإن الحكماء كانوا يصغرون علوم الأنبياء ويكتفون بما يكسبونه بنظر العقل، ويقولون: نحن قوم مهتدون، فلا حاجة بنا إلى من يهدينا كما قال سقراط لما ظهر موسى عليه السلام: نحن قوم مهذبون لا حاجة بنا إلى تهذيب غيرنا. قال المغربي:

علم بى دينان رها كن جهل راحكمت مخوان — از خيالات وظنون اهل يونان دم مزن

وكان يكنى في الجاهلية بأبي الحكم لأنهم يزعمون أنه عالم ذو حكمة فكناه النبي في الإسلام بأبي جهل؛ لأنه لو كان له علم حقيقة لآمن بالرسول عليه السلام. قال الحافظ:

سراى ومدرسه وبحث علم وطاق ورواق — جه سود جون دل دانا وجشم بينا نيست

وفي «التأويلات النجمية»: من العلم؛ أي: من شبه المعقولات والمخيلات والموهومات، ويجوز أن يرجع عندهم للرسل على أن المراد هو العلم الذي أظهره رسلهم وبفرح الكفار به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى: ﴿**وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون**﴾؛ أي: نزل بالكفار وأصابهم وبال استهزائهم بالأنبياء واستحقارهم لعلومهم وما أخبروا به من العذاب ونحوه، فلم يعجزوا الله في مراده منهم. وفي المثنوي:

آن دهان كز كرد وزتسخر بخواند — مر محمد را دهانش كز بماند

باز آمد كاى محمد عفو كن — اي ترا الطاف وعلم من لدن

من ترا افسوس ميكردم زجهل … من بدم افسوس را منسوب واهل
جون خداخواهدكه برده كس درد … ميلش اندر طعنة باكان برد
بس سباس اوراكه مارا درجهان … كرد بيدا ازبس بيشسنيان
تا شنيدم آن سياستهاى حق … بر قرون ماضيه اندر سبق
تاكه ما از حال آن كركان بيش … همجو روبه باس خود داريم بيش
امت مرحومه زين رو خواند مان … آن رسول حق وصادق دربيان
استخوان وبشم آن كركان عيان … بنكريد وبند كيريد اى مهان
عاقل از سر بنهد اين هستى وباد … جون شنيد آنجام فرعونان وعاد
ورنه بنهد ديكران از حال او … عبرتى كيرند از اضلال او

نسأل الله التوفيق للعلم الذي يوصل إلى التحقيق:

نتوان بقيل وقال زارباب حال شد … منعم نمى شود كسى از كفت وكوى كنج

فلا بد من الانقياد للحق والاجتهاد في العمل. قال الخجندي:

در علم محققان جدل نيست … از علم مراد جز عمل نيست

قال في «الروضة»: صلى الحجاج في جنب ابن المسيب فرآه يرفع قبل الإمام، ويضع رأسه، فلما سلم أخذ بثوبه حتى فرغ من صلاته ودعائه، ثم رفع نعله على الحجاج، فقال: يا سارق ويا خائن تصلي على هذه الصفة، لقد هممت أن أضرب بها وجهك. وكان الحجاج حاجاً، فرجع إلى الشام وجاء والياً على المدينة، ودخل من فوره المسجد قاصداً مجلس سعيد بن المسيب، فقال له: أنت صاحب الكلمات. قال: نعم أنا صاحبها. قال: جزاك الله مَن معلم ومؤدب خيراً ما صليت بعدك إلا ذاكراً قولك، فلا بد من الحركة بمقتضى العلم.

﴿**فلما رأوا**﴾؛ أي: الأمم السالفة المكذبة.

﴿**بأسنا**﴾: شدة عذابنا في الدنيا ووقعوا في مذلة الخيبة، ومنه قوله تعالى: ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ [الأعراف: ١٦٥]؛ أي: شديد. ﴿**قالوا**﴾: مضطرين ﴿**آمنا بالله وحده**﴾: [بخداى يكبتا]. ﴿**وكفرنا بما كنا به**﴾؛ أي: بسبب الإيمان به يعنون الأصنام. ﴿**مشركين**﴾. يعني: [ازانباز كه ميكفتيم بيزار وبرى كشتيم]. وهذه الفاء لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعاً لما قبلها واقعاً عقيبه؛ لأن مضمون قوله تعالى: ﴿**فلما جاءتهم**﴾. إلخ. هو أنهم كفروا، فصار مجموع الكلام بمنزلة أن يقال: فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿**فلم يك**﴾ أصله: لم يكن حذفت النون لكثرة استعماله. ﴿**ينفعهم إيمانهم**﴾؛ أي: تصديقهم بالوحدانية اضطراراً. وقوله: إيمانهم. يجوز أن يكون اسم كان وينفعهم خبره مقدماً عليه، وأن يكون فاعل ينفعهم واسم كان ضمير الشأن المستتر فيه. ﴿**لما رأوا بأسنا**﴾؛ أي: عند رؤية عذابنا والوقوع فيه لامتناع قبوله حينئذ امتناعاً عادياً، كما يدل عليه قوله: ﴿**سنة الله**﴾. إلخ. [زيرا دروقت معاينة عذاب تكليف مرتفع ميشود وايمان در زمان تكليف مقبولست نه دروقت يأس].

فامتنع القبول؛ لأنهم لم يأتوا به في الوقت المأمور به، ولذلك قيل: فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم، فإنه أبلغ في نفي النفع من لم ينفعهم إيمانهم. وهذه الفاء: للعطف على آمنوا كأنه قيل: فآمنوا، فلم ينفعهم؛ لأن النافع هو الإيمان الاختياري الواقع مع القدرة على خلافه، ومن عاين نزول العذاب لم يبق له القدرة على خلاف الإيمان، فلم ينفعه وعدم نفعه في الدنيا دليل على عدم نفعه في الآخرة. ﴿**سنة الله التي قد خلت في عباده**﴾. قوله: سنة من المصادر المؤكدة، وخلت من الخلوّ يستعمل في الزمان والمكان، لكن لما تصور في الزمان المضي فسر أهل اللغة قولهم: خلا الزمان بقولهم: مضى وذهب؛ أي: سن الله عدم قبول إيمان من آمن وقت رؤية البأس ومعاينته سنة ماضية في عباده مطردة؛ أي: في الأمم السالفة المكذبة كلها، ويجوز أن ينتصب سنة على التحذير؛ أي: احذروا سنة الله المطردة في المكذبين السابقين.

والسنة: الطريقة والعادة المسلوكة وسنة الله طريقة حكمته. ﴿**وخسر هنالك الكافرون**﴾ قوله: هنالك اسم مكان في الأصل موضوع للإشارة إلى المكان قد استعير في هذا المقام للزمان؛ لأنه لما أشير به إلى مدلول قوله ﴿**لما رأوا بأسنا**﴾، ولما للزمان تعين أن يراد به الزمان تشبيهاً له بالمكان في كونه ظرفاً للفعل كالمكان. والمعنى على ما قال ابن عباس رضي الله عنهما: هلك الكافرون بوحدانية الله المكذبون وقت رؤيتهم البأس والعذاب.

وقال الزجاج: الكافر خاسر في كل وقت، ولكنه تبين لهم خسرانهم إذا رأوا العذاب، ولم يرج فلاحهم، ولم يقل: وخسر هنالك المبطلون كما فيما سبق؛ لأنه متصل بإيمان غير مجدد ونقيض الإيمان الكفر كما في «برهان القرآن»؛ أي: فحسن موقعه كما حسن موقع قوله المبطلون على ما عرف سره في موقعه.

اعلم أن في إيمان البأس واليأس تفاصيل أقررها لك، فانظر ماذا ترى قال في «الأمالي»:

وما إيمان شخص حال بأس ... بمقبول لفقد الامتثال

قوله: بأس بالباء الموحدة وبسكون الهمزة لم يقل: يأس بالياء المثناة لموافقة قوله تعالى: ﴿**فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا**﴾، فاشتمل على ما بالموحدة والمثناة، وأصل البأس الشدة والمضرة، وحال البأس، هو وقت معاينة العذاب وانكشاف ما جاءت به الأخبار الإلهية من الوعد والوعيد. وحال اليأس هو وقت الغرغرة التي تظهر عندها أحكام الدار الآخرة عليه بعد تعطيل قواه الحسية، ويستوي في حال البأس بالموحدة الإيمان والتوبة لقوله تعالى: ﴿**فلم يك ينفعهم**﴾. الآية ورجاء الرحمة إنما يكون في وقته وبظهور الوعيد خرج الوقت من اليد، ولم يتصور الامتثال ووقع الإيمان ضرورياً خارجاً عن الاختيار، ألا ترى أن إيمان الناس لا يقبل عند طلوع الشمس من مغربها؛ لأنه إيمان ضروري، فلا يعتبر؛ لأنه يجوز أن يكون إيمان المضطر لغرض النجاة من الهلاك بحيث لو تخلص لعاد لما اعتاد.

وقد قال العلماء: الرغبة في الإيمان والطاعة لا تنفع إلا إذا كانت تلك الرغبة رغبة فيه لكونه إيماناً وطاعة. وأما الرغبة فيه لطلب الثواب وللخوف من العقاب، فغير مفيد كما في «حواشي الشيخ» في سورة الأنعام. وفي المثنوي:

آن ندامت از نتيجه رنج بود ... بى زعقل روشن جون كنج بود
جونكه شد رنج آن ندامت شد عدم ... مى نيرزد خاك آن توبه ندم
ميكند او توبه وبير خرد ... بانك لوردوا لعادوا ميزند

فيكون الإيمان والندم وقت ظهور الوعيد الدنيوي كالإيمان والندم وقت وجود الوعيد الأخروي بلا فرق، فكما لا ينفع هذا كذلك لا ينفع ذاك لأن الآخرة وما في حكمها من مقدماتها في الحكم سواء ولذلك ورد من مات فقد قامت قيامته، وذلك لأن زمان الموت آخر زمان من أزمنة الدنيا، وأول زمان من أزمنة الآخرة، فباتصال زمان الموت بزمان القيامة كان في حكمه فإيمان فرعون وأمثاله عند الغرق ونحوه من قبيل ما ذكر من الإيمان الاضطراري الواقع عند وقوع الوعيد الذي ظهوره في حكم ظهور أحوال الآخرة ومشاهدته في حكم مشاهدة العذاب الأخروي. فحال البأس بالموحدة كحال الغرغرة من غير فرق فكما لا يقبل الإيمان حال الغرغرة، فكذا حال البأس ففرعون مثلاً لم يقبل إيمانه حال الغرق، لكونه حال البأس، وإن كان قبل الغرغرة، فافهم جداً، فإنه من مزالق الأقدام.

وأما إيمان اليأس بالياء المثناة التحتية، وهو الإيمان بعد مشاهدة أحوال الآخرة، ولا تكون إلا عند الغرغرة ووقت نزع الروح من الجسد، ففي كتاب «الفتاوى»: أنه غير مقبول بخلاف توبة اليأس فإنها مقبولة على المختار على ما في «هداية المهديين»؛ لأن الكافر أجنبي غير عارف بالله وابتدأ إيماناً، والفاسق عارف وحاله حال البقاء، والبقاء أسهل من الابتداء. فمثل إيمان اليأس شجر غرس في وقت لا يمكن فيه النماء، ومثل توبة اليأس شجر نابت أثمر في الشتاء عند ملاءمة الهواء.

والدليل على قبول التوبة مطلقاً قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥]، هكذا قالوا، وهو يخالف قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ [النساء: ١٨].

قال البغوي في «تفسيره»: لا تقبل توبة عاصٍ ولا إيمان كافر إذا تيقن بالموت. انتهى. ومراده عند الإشراف على الموت والصيرورة إلى حال الغرغرة، وإلا فقد قال المحققون: قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة، بل المانع من قبولها مشاهدة الأحوال التي عندها يحصل العلم بالله تعالى على سبيل الاضطرار على ما في «حواشي ابن الشيخ» في سورة النساء.

وقرب الموت لا ينافي التيقن بالموت بظهور أسبابه وأماراته دل عليه قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة: ١٨٠] الآية؛ أي: عند حضور أماراته وظهور آثاره من العلل والأمراض إذ لا اقتدار على الوصية عند حضور نفس الموت.

ومن هذا القبيل ما في «روضة الأخبار» من أنه قال عمرو بن العاص رضي الله عنه عند احتضاره لابنه عبد الله: يا بنيّ من يأخذ المال بما فيه من التبعات، فقال: من جدع الله أنفه، ثم قال: احملوه إلى بيت مال المسلمين، ثم دعا بالغل، والقيد فلبسهما، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن التوبة مبسوطة ما لم يغرغر ابن آدم بنفسه». ثم استقبل القبلة، فقال: «اللهم أمرتنا فعصينا ونهيتنا فارتكبنا هذا مقام العائذ بك، فإن تعف، فأهل العفو أنت وإن تعاقب فبما قدمت يداي لاإلٰه إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين». فمات وهو مغلول مقيد، فبلغ الحسن بن علي رضي الله عنهما، فقال: استسلم حين أيقن بالموت. . ولعله ينفعه. انتهى.

وأتي بصيغة الترجي؛ لأنه لا قطع، وهو من باب الإرشاد أيضاً على ما حكي: أنه لما مات عثمان بن مظعون رضي الله عنه، وهو أخوه عليه السلام من الرضاعة وغسل وكفن قبل النبي عليه السلام بين عينيه وبكى. وقالت امرأته: خولة بنت حكيم رضي الله عنها: طبت هنيئاً

لك الجنة يا أبا السائب، فنظر إليها النبي عليه السلام نظرة غضب وقال: «وما يدريك»، فقالت: يا رسول مارسك وصاحبك، فقال عليه السلام: «وما أدري ما يفعل بي»، فأشفق الناس على عثمان رضي الله عنه.

ثم إن السبب في عدم قبول التوبة عند الاحتضار أنا مكلفون بالإيمان الغيبي لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ٣]. وفي ذلك الوقت يكون الغيب عياناً فلا تصح. وأيضاً لا شبهة في أن كل مؤمن عاصٍ يندم عند الإشراف على الموت. وقد ورد: «إن التائب من الذنب كمن لا ذنب له»، فيلزم منه أن لا يدخل أحد من المؤمنين النار، وقد ثبت أن بعضهم يدخلونها. وأما قولهم: إن من شرط التوبة عن الذنب العزم على أن لا يعود إليه. وذلك إنما يتحقق مع ظن التائب التمكن من العود، فيخالفه ما قال الآمدي إنه إذا أشرف على الموت؛ أي: قرب من الاحتضار، فندم على فعله صحت توبته بإجماع السلف، وإن لم يتصور منه العزم على ترك الفعل لعدم تصور الفعل، فهو مستثنى من عموم معنى التوبة، وهو الندم على الماضي والترك في الحال، والعزم على أن لا يعود في المستقبل كما في «شرح العقائد» للمولى رمضان.

وأما إطلاق الآية التي هي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥]، فمقيد بالآية السابقة، وهي قوله: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ﴾ [النساء: ١٨]، الآية. وبقوله عليه السلام: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر». أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وهو يشمل توبة المؤمن والكافر، فالإيمان وكذا التوبة لا يعتبر حالة اليأس بالمثناة بخلافهما قبل هذه الحالة، ولو بقليل من الزمان رحمة من الله تعالى لعباده المذنبين. فمعنى الاحتضار هو وقت الغرغرة، وقرب مفارقة الروح من البدن لا حضور أوائل الموت، وظهور مقدماته مطلقاً، وقس عليه حال البأس بالموحدة.

بقي أنه لما قتل علي رضي الله عنه: من قال: لا إلٰه إلا الله. قال عليه السلام: «لم قتلته يا علي». قال علي: علمت أنه ما قال بقلبه، فقال عليه السلام: «هل شققت قلبه»، فهذا يدل على أن إيمان المضطر والمكره صحيح مقبول، ولعله عليه السلام: اطلع بنور النبوة على إيمان ذلك المقتول بخصوصه، فقال في حقه، ما قال. والعلم عند الله المتعال هذا.

وذهب الإمام مالك إلى أن الإيمان عند اليأس بالمثناة مقبول صحيح، فقالوا: إن الإيمان عند التيقن صحيح عنده لو لم يرد الدليل ذلك الإيمان فإيمان فرعون مثلاً مردود عنده بدليل قوله: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ﴾ [يونس: ٩١]، الآية. وإنما لم يرده مالك مطلقاً لعدم النصوص الدالة عنده على عدم صحة الإيمان في تلك الساعة. هكذا قالوا، وفيه ضعف تام ظاهر وإسناده إلى مالك لا يخلو عن سماحة، كما لا يخفى هذا ما تيسر لي في هذا المقام من الجمع والترتيب والترجيح والتهذيب، ثم أسأل الله لي، ولكم أن يشد عضدنا بقوة الإيمان ويحلينا بحلية العيان والإيقان.

ويختم لنا بالخير والحسنى ويبشرنا بالرضوان والزلفى ويجعلنا من الطائرين إلى جنابه والنازلين عند بابه واللائقين بخطابه بحرمة الحواميم وما اشتملت عليه من السر العظيم.

تمت ﴿حم﴾ المؤمن يوم السبت الثامن والعشرين من ذي القعدة الشريف من شهور سنة اثنتي عشرة ومائة وألف

٤١ ـ سورة فصلت

وآيها ثلاث أو أربع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾.

﴿حم﴾: خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذه السورة مسماة بـ﴿حم﴾ فيكون إطلاق الكتاب عليها في قوله: كتاب. إلخ. باعتبار أنها من الكتاب وجزء من أجزائه.

وقيل: ﴿حم﴾ اسم للقرآن، فيكون إطلاق الكتاب عليه حقيقة، وإنما افتتح السورة بـ﴿حم﴾؛ لأن معنى ﴿حم﴾: بضم الحاء وتشديد الميم على ما قاله سهل قدس سره، قضى ما هو كائن. يعني: [بودنى همه بودم كردنى همه كردم راندنى همه راندم كزيدنى همه كزيدم بذير فتنى همه بذير فتم برداشتنى همه برداشتم افكندنى همه افكندم آنجه خواستم كردم آنجه خواهم كنم آنراكه بذير فتم بدان ننكرم كه از وجفا ديدم بلكه عفو كنم ودر كذارم واز كفته او باز نيايم]. ما يبدل القول.

ولما كانت هذه السورة مصدرة بذكر الكتاب الذي قدرت فيه الأحكام وبينت ناسب أن تفتح بـ﴿حم﴾ رعاية لبراعة الاستهلال.

وإنما سميت هذه السورة السبع بـ﴿حم﴾ لاشتراكها في الاشتمال على ذكر الكتاب والرد على المجادلين في آيات الله والحث على الإيمان بها، والعمل بمقتضاها ونحو ذلك.

قال بعض العرفاء معنى الحاء والميم؛ أي: هذا الخطاب والتنزيل من الحبيب الأعظم إلى المحبوب المعظم.

وأيضاً هو قسم؛ أي: بحياتي ومجدي. هذا تنزيل، أو بحياتك ومشاهدتك يا حبيبي ويا محبوبي، أو بالحجر الأسود والمقام، فإنهما ياقوتتان من يواقيت الجنة وسران عظيمان من أسرار الله، فناسب أن يقسم بهما. أو هذه الحروف تنزيل إلخ نزل بها جبرائيل عليه السلام من عند الله: [ميكويد اين حروف تهجى كه حا وميم ازان جمله است فرو فرستاده رحمانست جنانكه كود كـ را كويى جومى آموزى يا كويى در لوح جه نوشته كيد الف وباء نه خود اين دو حرف خواهد بلكه جمله حروف تهجى خواهد اين همجنان است وحروف تهجى بر آدم عليه السلام نازل بوده وقر آن مشتمل شده برآن جمله]. فهي أصل كل منزل.

وفي الحديث: من قرأ القرآن فأعربه يعني [هركه خواند قرآنرا ولحن نكند درٖوي] فله بكل حرف خمسون حسنة و«من قرأ ولحن فيه، فله بكل حرف عشر حسنات أما أني لا أقول ألم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف».

يقول الفقير: لعل سر العدد أن القراءة في الأصل للصلاة، وكان أصل الصلوات الخمس خمسين، فلذا أجرى الله تعالى على القارىء الفصيح بمقابلة كل حرف خمسين أجراً، وأما العشر، فهي أدنى الحسنات كما قال الله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦].

قال الكاشفي: [اسم اعظم الهى در حروف مقطعة مخفيست وهر كس در استخراج اين قادر نيست]. قال الكمال الخجندي قدس سره:

كرت دانستن علم حروفست آرزو صوفي
نخست افعال نيكو كن جه سوداز خواندن اسما

﴿تنزيل﴾: خبر بعد خبر؛ أي: منزلة؛ لأن التعبير عن المفعول بالمصدر مجاز مشهور؛ كقولهم: هذا الدرهم ضرب الأمير؛ أي: مضروبه ومعنى كونها منزلة أنه تعالى كتبها في اللوح المحفوظ، وأمر جبرائيل أن يحفظ تلك الكلمات ثم ينزل بها على رسول الله عليه السلام ويؤديها إليه فلما حصل تفهيم هذه الكلمات بواسطة نزول جبرائيل سمي ذلك تنزيلاً وإلا، فالكلام النفسي القائم بذات الله تعالى لا يتصور فيه النزول والحركة من الأعلى إلى الأسفل.

﴿من الرحمٰن الرحيم﴾ متعلق بتنزيل مؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية ونسبة التنزيل إلى الرحمٰن الرحيم للإيذان بأن القرآن مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية، وذلك لأن المنزل ممن صفته الرحمة الغالبة لا بد وأن يكون مداراً للمصالح كلها.

وقال الكاشفي: ﴿من الرحمٰن﴾: [ازخداى بخشنده بهداية نفوس عوام] ﴿الرحيم﴾: [مهربان برعايت قلوب خواص].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بالحاء في حم إلى الحكمة وبالميم إلى المنة؛ أي: منّ على عباده بتنزيل حكمة من الرحمٰن الأزلي الذي سبقت رحمته غضبه، فخلق الموجودات برحمانية الرحيم الأبدي الذي وسعت رحمته كل شيء إلى الأبد، وهي كتاب.

قال بعض العارفين: إذا فاض بحر الرحمة تلاشى كل زلة؛ لأن الرحمة لم تزل، ولا تزال والزلة لم تكن، ثم كانت، وما لم يكن ثم كان كيف يقاوم ما لم يزل ولا يزال. قال الصائب:

محيط از جهرة سيلاب كرد راه ميشويد   جه انديشه كسى با عفو حق از كرد زلتها

وقال الشيخ سعدي قدس سره:

همى شرم دارم ز لطف كريم   كه خوانم كنه بيش عفوش عظيم

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤﴾

﴿كتاب﴾: خبر آخر مشتق من الكتب، وهو الجمع فسمي كتاباً؛ لأنه جمع فيه علوم الأولين والآخرين. ﴿فصلت آياته﴾: بينت الأمر والنهي والحلال والحرام والوعد والوعيد والقصص والتوحيد.

قال الراغب في قوله: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: ١]: هو إشارة إلى ما قال: ﴿تِبْيَٰنًا

﴿لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [النحل: ٨٩]، فمن اتصف علم أنه ليس في يد الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة مثل القرآن. ﴿قرآناً عربياً﴾ نصب على المدح؛ أي: أريد بهذا الكتاب المفصل آياته قرآناً عربياً أو على الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة. ويقال لها: الحال الموطئة، وهو اسم جامد موصوف بصفة هي الحال في الحقيقة، وقد سبق غير مرة. والمعنى بالفارسية: [در حالتى كه قرآنيست تازى يعنى بلغت عرب تا بسهولت خوانند وفهم كنند].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن القرآن قديم من حيث إنه كلام الله وصفته والعربية كسوة مخلوقة كساها الله تعالى ومن قال إن القرآن أعجمي يكفر؛ لأنه معارضة لقوله تعالى: ﴿قرآناً عربياً﴾، وبوجود كلمة عجمية فيه معربة لا يخرج عن كونه عربياً؛ لأن العبرة للأكثر. وذلك كالقسطاس، فإنه رومي معرب بمعنى الميزان والسجيل، فإنه فارسي معرب سنك، وكل والصلوات، فإنه عبراني معرب صلوتا بمعنى المصلى والرقيم، فإنه رومي بمعنى الكلب والطور، فإنه الجبل بالسرياني. ﴿لقوم﴾؛ أي: عرب. ﴿يعلمون﴾؛ أي: كائناً لقوم يعلمون معانيه لكونه على لسانهم، فهو صفة أخرى لقرآناً.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿لقوم يعلمون﴾ العربية والعربية بحروفها مخلوقة والقرآن منزه عنها.

﴿بشيراً﴾: صفة أخرى لقرآناً؛ أي: بشيراً لمن صدقه وعرف قدره وأدى حقه بالجنة والوصول. ﴿ونذيراً﴾ لمن كذبه، ولم يعرف قدره، ولم يؤد حقه بالنار والفراق، أو بشيراً لمن أقبل إلى الله بنعت الشوق. ونذيراً لمن أقبل إلى نفسه ونظر إلى طاعته، أو بشيراً لأوليائه بنيل المقامات، ونذيراً لهم يحذرهم من المخالفات لئلا يسقطوا من الدرجات، أو بشيراً بمطالعة الرجاء ونذيراً بمطالعة الخوف، أو بشيراً للعاصين بالشفاعة والغفران، ونذيراً للمطيعين ليستعملوا الأدب والأركان في طاعة الرحمٰن، أو بشيراً لمن اخترناهم واصطفيناهم، ونذيراً لمن أغويناهم.

﴿فأعرض أكثرهم﴾ عن تدبره مع كونه على لغتهم، والضمير لأهل مكة أو العرب أو المشركين دال عليه ما سيجيء من قوله: ﴿وويل للمشركين﴾. ﴿فهم لا يسمعون﴾ سماع تفكر وتأمل حتى يفهموا جلالة قدره، فيؤمنوا به.

وفي «التأويلات النجمية»: فأعرض أكثرهم عن أداء حقه فهم لا يسمعون بسمع القبول والانقياد.

وفيه إشارة إلى أن الأقل هم أهل السماع، وإنما سمعوا بأن أزال الله تعالى بلطفه ثقل الآذان، فامتلأت الأذهان بمعاني القرآن.

سئل عبد الله بن المبارك عن بدء حاله، فقال: كنت في بستان، فأكلت مع إخواني وكنت مولعاً؛ أي: حريصاً بضرب العود والطنبور، فقمت في جوف الليل والعود بيدي وطائر فوق رأسي يصيح على شجرة، فسمعت الطير يقول: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]، الآية. فقلت: بلى، وكسرت العود، فكان هذا أول زهدي.

وقد ورد في التوراة أنه تعالى قال: «يا عبدي أما تستحي مني إذ يأتيك كتاب من بعض إخوانك، وأنت في الطريق تمشي، فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرأه وتتدبره حرفاً حرفاً، حتى لا يفوتك منه شيء. وهذا كتابي أنزلته إليك انظره كم فصلت لك فيه من القول، وكم

كررت فيه عليك لتتأمل طوله وعرضه، ثم أنت معرض عنه أو كنت أهون عليك من بعض إخوانك. يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك، وتصغي إلى حديثه بكل قلبك، فإن تكلم متكلم، أو شغلك شاغل عن حديثه، أو مال إليه أن كف وها أنا مقبل عليك، ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني، أفجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك». كذا في «الإحياء».

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾.

﴿وقالوا﴾؛ أي: المشركون لرسول الله ﷺ عند دعوته إياهم إلى الإيمان والعمل بما في القرآن. **﴿قلوبنا في أكنة﴾** جمع كنان، وهو الغطاء الذي يكنّ فيه الشيء؛ أي: يحفظ ويستر؛ أي: في أغطية متكاثفة. **﴿مما تدعونا إليه﴾**؛ أي: تمنعنا من فهم ما تدعونا إليه وتورده علينا، وحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وحذف متعلق حرف الجر أيضاً شبهوا قلوبهم بالشيء المحوي المحاط بالغطاء المحيط له، بحيث لا يصيبه شيء من حيث تباعدها عن إدراك الحق واعتقاده.

قال سعدي المفتي: ورد هنا كلمة في. وفي الكهف على؛ لأن القصد هنا إلى المبالغة في عدم القبول. والأكنة إذا احتوت عليها احتواء الظرف على المظروف لا يمكن أن يصل إليها شيء، وليست تلك المبالغة في على، والسياق في الكهف للعظمة، فيناسبه أداة الاستعلاء. **﴿وفي آذاننا وقر﴾**؛ أي: صمم.

قال في «القاموس»: الوقر: ثقل في الأذن، أو ذهاب السمع كله شبهوا أسماعهم بآذان بها صمم من حيث إنها تمج الحق، ولا تميل إلى استماعه.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿وفي آذاننا وقر﴾**: ما ينفعنا كلامك قالوه حقاً، وإن قالوا على سبيل الاستهانة والاستهزاء؛ لأن قلوبهم في أكنة حب الدنيا وزينتها مقفولة بقفل الشهوات والأوصاف البشرية، ولو قالوا ذلك على بصيرة لكان ذلك منهم توحيداً، فتعرضوا للمقت لما فقدوا من صدق القلب.

﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ ستر عظيم وغطاء غليظ يمنعنا عن التواصل والتوافق. ومن للدلالة عن أن الحجاب مبتدأ من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة المعبر عنها بالبين، ولم يبق ثمة فراغ أصلاً، فيكون حجاباً قوياً عريضاً مانعاً من التواصل بخلاف ما لو قيل: بيننا وبينك حجاب، فإنه يدل على مجرد حصول الحجاب في المسافة المتوسطة بينهم وبينه من غير دلالة على ابتدائه من الطرفين، فيكون حجاباً في الجملة لا كما ذكر.

شبهوا حال أنفسهم مع رسول الله عليه السلام بحال شيئين بينهما حجاب عظيم يمنع من أن يصل أحدهما إلى الآخر، ويراه ويوافقه، وإنما اقتصروا على ذكر هذه الأعضاء الثلاثة؛ لأن القلب محل المعرفة والسمع والبصر أقوى ما يتوسل به إلى تحصيل المعارف، فإذا كانت هذه الثلاثة محجوبة كان ذلك أقوى ما يكون من الحجاب نعوذ بالله تعالى.

قال بعضهم: قلوبهم في حجاب من دعوة الحق وأسماعهم في صمم من نداء الحق،

وهواتفه وجعل بينهم وبين الحق حجاب من الوحشة والإبانة، ولذا وقعوا في الإنكار ومنعوا من رؤية الآثار:

در جشم اين سياه دلان صبح كاذبست　　در روشنى اكريد بيضا شود كسى

﴿فاعمل﴾ على دينك.

﴿إننا عاملون﴾ على ديننا. ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلٰهكم إلٰه واحد﴾؛ أي: ما إلٰهكم إلا إلٰه واحد لا غيره، وهذا تلقين للجواب عما ذكره المشركون؛ أي: لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بيني وبينكم حجاب، وتباين مصحح لتباين الأعمال والأديان كما ينبىء عنه قولكم، فاعمل إننا عاملون، بل إنما أنا بشر وآدمي مثلكم مأمور بما أمرتم به حيث أخبرنا جميعاً بالتوحيد بخطاب جامع بيني وبينكم، فإن الخطاب في إلٰهكم محكيّ منتظم للكل، لا أنه خطاب منه عليه السلام للكفرة كما في مثلكم.

وفي الآية إشارة إلى أن البشر كلهم متساوون في البشرية مسدود دونهم باب المعرفة؛ أي: معرفة الله بالوحدانية بالآلات البشرية من العقل وغيره، وإنما فتح هذا الباب على قلوب الأنبياء بالوحي، وعلى قلوب الأولياء بالشواهد والكشوف وعلى قلوب المؤمنين بالإلهام والشرح كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢]، كما في «التأويلات النجمية».

قال الحسن رضي الله عنه علمه الله التواضع بقوله: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾. ولهذا كان يعود المريض ويشيع الجنازة ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد، وكان يوم قريظة والنضير على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف من ليف: [عجب كاريست كه كاه مركب وى براق بهشتى وكاه مركب خركى آرى مركب مختلف بود اما درهر دوحالت راكب يك صفت ويك همت ويك ارادت بود اكر بر براق بود درسرش نخوت نبوت واكر بر حمار بود برخسار عز نبوتش غبار مذلت نبود]:

خلق خوش عود بود انجمن مردم را　　جون زنان خود مفكن برسر مجمر دامن

﴿فاستقيموا إليه﴾: من جملة المقول. والفاء: لترتيب ما بعدها على ما قبلها من إيحاء الوحدانية، فإن ذلك موجب لاستقامتهم إليه تعالى بالتوحيد والإخلاص في الأعمال، وعدّي فعل الاستقامة بإلى لما فيه من معنى الاستواء؛ أي: فاستووا إليه بذلك.

والاستقامة: الاستمرار على جهة واحدة. ﴿واستغفروه﴾ مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل. وفي «المقاصد الحسنة» قال ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا»؛ أي: لن تستطيعوا أن تستقيموا في كل شيء حتى لا تميلوا. وقال: «شيبتني هود وأخواتها». لما فيها من قوله: فاستقم.

قال بعضهم: إذا وقع العلم والمعرفة، فاستغفروه من علمكم وإدراككم به ومعاملتكم له ووجودكم في وجوده، فإنه تعالى أعظم من إدراك الخليقة وتلاصق الحدثان بجناب جلاله.

وقال بعضهم: الاستقامة مساواة الأحوال مع الأفعال والأقوال، وهو أن يخالف الظاهر والباطن، والباطن الظاهر، فإذا استقمت استقامت أحوالك، واستغفر من رؤية استقامتك. واعلم أن الله تعالى هو الذي قومك لا أنك استقمت.

﴿وويل﴾: [وسختى عذاب] ﴿للمشركين﴾: ترهيب وتنفير لهم عن الشرك إثر ترغيبهم في التوحيد.

﴿الذين لا يؤتون الزكاة﴾: لا يؤمنون بوجوبها ولا يؤتونها. ﴿وهم بالآخرة هم﴾ أعاد الضمير تأكيداً. ﴿كافرون﴾؛ أي: بالبعث بعد الموت والثوات والعقاب. [وبدان جهتى نفقه نمى كنند كه مكافات آن سراريرا باور ندارند]، وهو عطف على لا يؤتون داخل في حيز الصلة. واختلافهما بالفعلية والاسمية لما أن عدم إيتائها متجدد والكفر أمر مستمر.

قالت الشافعية: في تهديد المشرك على شركه وعدم إيتائه الزكاة دليل على أن المشرك حال شركه مخاطب بإيتاء الزكاة إذ لولاه لما استحق بعدم إيتائها الوعيد المذكور، وإذا كان مخاطباً بإيتاء الزكاة يكون مخاطباً بسائر فروع الإسلام، إذ لا قائل بالفصل، فيعذب على ترك الكل، وإليه ذهب مشايخنا العراقيون.

وذهب غيرهم إلى أنهم مخاطبون باعتقاد وجوبها لا بإيقاعها، فيعاقبون على تركهم اعتقاد الوجوب على ما فصل في الأصول.

ومن أصحابنا من قال: إنهم مخاطبون بالفروع بشرط تقديم الإسلام كما أن المسلم مخاطب بالصلاة بشرط تقديم الوضوء.

وقال المولى أبو السعود في «تفسيره»: وصف الله المشركين بأنهم لا يؤتون الزكاة لزيادة التحذير والتخويف من منع الزكاة حيث جعل من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل: وهم بالآخرة هم كافرون.

يقال: الزكاة قنطرة الإسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك.

قال ابن السائب: كان المشركون يحجون ويعتمرون ولا يزكون أموالهم، وهم كافرون.

قال الكاشفي: [وجه تخصيص منع زكات از سائر اوصاف مشركان آنست كه مال محبوب انسانست وبذل او نفس را سخت تر باشد از اعمال ديكر بس درايراد اين صفت اشارتيست ببخل ايشان وعدم شفقت بر خلق وبخل اعظم رذائل واكبر ذمايم است وكفته اند توانكرى كه اورا سخا نبود جون تنست كه جان ندارد ويا جون درختى كه برندهد]. قال الشيخ سعدي قدس سره:

زر ونعمت اكنون بده كان تست | كه بعد ازتو بيرون زفرمان تست
كسى كوى دولت زدنيا برد | كه باخود نصيبي بعقبى برد
مسلم كسى را بود روزه داشت | كه در مانده را دهد نان جاشت
وكرنه جه حاجت كه زحمت برى | زخود باز كيرى وهم خود خورى
نه بخشنده بر حال بروانه شمع | نكه كن كه جون سوخت دربيش جمع
ببخش اى بسر كآدمى زاده صيد | باحسان توان كرد ووحشى بقيد
كرامت جوا نمردى ونان دهيست | مقالات بيهوده طبل تهيست

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه فسر لا يؤتون الزكاة بقوله: لا يقولون لا إله إلا الله، فإنها زكاة الأنفس.

والمعنى: لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد، فإنما المشركون نجس.

قال في «كشف الأسرار»: [ذكر زكات درقر آن بردو وجهست يا درنماز بيوسته يا منفرد كفته آنجه درنماز بيوسته جنانست كه]. ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المائدة: ٥٥]. هذا وأشباهه [مراد باين زكات مالست كه الله فرض كرده برخداوندان مال وآنجه منفرد كفته

جنانست كه ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً﴾ [مريم: ١٣]: خيراً منه زكاة: وما أوتيتم من زكاة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الأعلى: ١٤]: [مراد باين باكى است وزيادتى وديندارى].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾.

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ ؛ أي: غير ممنون عليهم على طريق الحذف والإيصال.

والمعنى: لا يمن به عليهم فيتكدر بالمنة، يقال: منَّ عليه مناً أنعم ومنة امتن. والمنة في الأصل: النعمة الثقيلة التي لا يطلب معطيها أجراً ممن أعطاها إليه، ثم استعملت بمعنى الامتنان؛ أي: عد النعمة. وبالفارسية: [منت نهادن]، وجميع ما يعطيه الله عباده في الآخرة تفضل منه وكرم، وليس شيء منه بواجب عند أهل السنة والجماعة، وما كان بطريق التفضل، وإن صح الامتنان عليه، لكنه تعالى لا يفعله فضلاً منه وكرماً، أو غير ممنون بمعنى لا ينقطع أجرهم وثوابهم في الآخرة، بل دائم أبدي من مننت الحبل قطعته، أو غير محسوب كما قال تعالى: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢].

قال في «القاموس»: و﴿أجر غير ممنون﴾ محسوب أو مقطوع.

وفي الآية إشارة إلى أن من آمن، ولم يعمل صالحاً لم يؤجر إلا ممنوناً؛ أي: ناقصاً، وهو أجر الإيمان ونقصانه من ترك العمل الصالح، فيدخل النار، ويخرج منها بأجر الإيمان، ويدخل الجنة، ولكنه لا يصل إلى الدرجات العالية المنوطة بالأعمال البدنية مثل الصلاة والصوم والحج ونحوها.

وفي «كشف الأسرار»: سدى رحمه الله: [كفت اين آيت درشان بيماران وزمنان وبيران ضعيف فرو آمد ايشان كه از بيمارى وضعيفى وعاجزى از طاعت وعبادت الله باز مانند وباداى حق وى نرسند وبآن سبب اندو هكين وغمكين باشند رب العالمين ايشانرا دران بيمارى هم آن ثواب ميد هدكه درحال صحت بطاعت وعبادت ميداد مصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم كفت].

«إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض، قيل للملك الموكل به: اكتب له مثل عمله إذا كان «طليقاً حتى أطلقه أو أكفته إليّ». يعني: [دران وقت كه خوش بودتاكه كزارم وى رايا بيش خودش آرم]. وفي رواية أخرى قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «ما من أحد من المسلمين يصاب ببلاء في جسده إلا أمر الله الحافظين اللذين يحفظانه، فقال: اكتبا لعبدي في كل يوم وليلة مثل ما كان يفعل من الخير ما دام في وثاقي». يعني: [دربند من است عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كفت يا رسول خدانشسته بوديم كه رسول برآسمان نكريست وتبسم كرد كفتم يا رسول الله تبسم از جه كردى وجه حال برتو مكشوف كشت كفت عجب آيدمرا از بنده مؤمن كه ازبيمارى بنالد وجزع كند اكر بدانستى كه اورا دران بيمارى جه كرامتست وبالله جه قربت همه عمر خود دران بيمارى خواستى اين ساعت كه براسمان مى نكرستم دو فرشته فرود آمدند وبنده كه بيوسته در محراب عبادت بود اورا طلب كردند دران محراب اورا نيافتند بيمار ديدند آن بنده ازعبادت باز ماند فرشتكان بحضرت عزت باز كشتند كفتند بار خدايا فلان بنده مؤمن هر شبانروزى حسنات وطاعات وى مينو شتيم اكنون كه اورا

در حبس بيمارى كردى هيج عمل وطاعت وى نمى نويسم از حق جل جلاله فرمان آمدكه] «اكتبوا لعبدي العمل الذي كان يعمله في يومه وليلته ولا تنقصوا منه شيئاً فعليّ أجر ما حبسته وله أجر ما كان صحيحاً».

يعني: [برمن است اجر حبس وى ومرا وراست اجر آنكه صحيح بود وتن درست].

قال في «عقد الدرر» إذا علم الله صدق نية عبده في الحج والجهاد والصدقات وغيرها من الطاعات وعجز عن ذلك إعطاء أجره، وإن لم يعمل ذلك العمل كما روي: «إن العبد إذا نام بنية الصلاة من الليل، فلم ينتبه كتب له أجر ذلك وكان عليه نور صدقه». وهكذا روي: «إذا مرض العبد، أو سافر وعجز عما كان يعمل في حال الصحة والإقامة إن الله تعالى يقول للملائكة: اكتبوا لعبدي مثل ما كان يعمل، وهو صحيح مقيم». وقد دل على ذلك القرآن كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾. إلى قوله: ﴿أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩١، ٩٢]، فعلى العبد أن لا يقطع رجاءه عن الله ويرضى بقضائه. وفي المثنوي:

ناخوشى او خوش بود درجان من جان فداى يار دل رنجان من

عاشقم بررنج خويش ودرد خويش بهر خشنودى شاه فرد خويش

﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿**قل أئنكم**﴾: [آياشما]. ﴿**لتكفرون**﴾ إنكار وتشنيع لكفرهم وأن واللام لتأكيد الإنكار. ﴿**بالذي**﴾؛ أي: بالعظيم الشأن الذي ﴿**خلق الأرض**﴾ قدر وجودها؛ أي: حكم بأنها ستوجد ﴿**في يومين**﴾ في مقدار يومين من أيام الآخرة، ويقال: من أيام الدنيا كما في «تفسير أبي الليث»: [واكر خواستى بيك لحظه بيافريدى لكن خواست كه باخلق نمايدكه سكونت وآهستكى به ازشتاب وعجله وبندكانرا نسبتى باشد بسكونت كار كردن وبراه آهستكى رفتن].

وفي «عين المعاني» تعليماً للتأني وإحكاماً لدفع الشبهات عن توهن المصنوعات تحقيقاً لاعتبار الملائكة عند الإحضار وللعباد عند الإخبار وإن أمكن الإيجاد في الحال بلا إمهال. انتهى.

زود درجاه ندامت سر نكون خواهد فتاد هركه باى خود كذارد بى تأمل برزمين

[إمام أبو الليث آورده كه روز يكشنبه بيافريد وروز دوشنبه بكسترانيد]. وسيجيء تحقيقه ويجوز أن يراد خلق الأرض في يومين؛ أي: في نوبتين على أن ما يوجد في كل نوبة يوجد بأسرع ما يكون، فيكون اليومان مجازاً عن دفعتين على طريق ذكر الملزوم وإرادة اللازم.

وقال سعدي المفتي: الظاهر أن اليوم على هذا التفسير بمعنى مطلق الوقت. انتهى.

وجه حمل اليومين على المعنيين المذكورين أن اليوم الحقيقي إنما يتحقق بعد وجود الأرض وتسوية السماوات وإبداع نيراتها وترتيب حركاتها، يعني أن اليوم عبارة عن زمان كون الشمس فوق الأرض، ولا يتصور ذلك قبل خلق الأرض والسماء والكواكب، فكيف يتصور خلق الأرض في يومين.

﴿**وتجعلون له أنداداً**﴾ عطف على تكفرون داخل في حكم الإنكار والتوبيخ، وجمع الأنداد باعتبار ما هو الواقع، لا بأن يكون مدار الإنكار هو التعدد؛ أي: وتجعلون له أنداداً

بمعنى تصفون له شركاء وأشباهاً وأمثالاً من الآلهة، والحال أنه لا يمكن أن يكون له ند واحد فضلاً عن الأنداد، وأمر الله تعالى رسوله عليه السلام بأن ينكر عليهم أمرين.

الأول: كفرهم بالله بإلحادهم في ذاته وصفاته كالتجسم، واتخاذ الصاحبة والولد والقول بأنه لا يقدر على إحياء الموتى، وأنه لا يبعث البشر رسلاً.

والثاني: إثبات الشركاء والأنداد له تعالى، فالكفر المذكور أولاً مغاير لإثبات الأنداد له ضرورة عطف أحدهما على الآخر. ﴿**ذلك**﴾ العظيم الشأن الذي فعل ما ذكر من خلق الأرض في يومين، وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿**رب العالمين**﴾؛ أي: خالق جميع الموجودات ومربيها دون الأرض خاصة، فكيف يتصور أن يكون أخس مخلوقاته نداً له تعالى.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿**وجعل فيها رواسي**﴾ عطف على وخلق داخل في حكم الصلة. والجعل إبداعي والمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل. والمراد بالرواسي: الجبال الثابتة المستقرة.

وبالفارسية: [كوههاى بلنديا يدار]. يقال: رسا الشيء يرسو ثبت وأرساه غيره ومنه المرساة وهو أنجر السفينة وقفت على الأنجر]. بالفارسية: [لنكر]. ﴿**من فوقها**﴾: متعلق بجعل، أو بمضمر هو صفة لرواسي؛ أي: كائنة من فوقها مرتفعة عليها لتكون منافعها ظاهرة للطلاب، وليظهر للناظر ما فيها من وجوه الاستدلال، وإلا فالجبال التي أثبتت فوق الأرض لا تمنعها عن الميلان، ولو كانت تحتها كأساطين الغرف، أو مركوزة فيها كالمسامير لمنعتها عنه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أول ما خلق الله من شيء خلق القلم. وقال له: اكتب. قال: يا رب ما أكتب؟. قال: اكتب القدر، فجرى بما يكون من ذلك إلى يوم القيامة. ثم خلق النون، ثم رفع بخار الماء، ففتق منه السماوات، ثم بسط الأرض على ظهر النون، فاضطرب النون، فمادت الأرض؛ أي: مالت فأوتدت بالجبال؛ أي: أحكمت وأثبتت.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره: لما خلق الله الأرض على الماء تحركت ومالت، فخلق الله من الأبخرة الغليظة الكثيفة الصاعدة من الأرض بسبب هيجانها الجبال، فسكن ميل الأرض، وذهبت تلك الحركة التي لا يكون معها استقرار فطوّق الأرض بجبل محيط بها، وهو من صخرة خضراء وطوق الجبل بحية عظيمة رأسها بذنبها رأيت من الأبدال من صعد جبل قاف، فسألته عن طوله علواً، فقال: صليت الضحى في أسفله والعصر في أعلاه يعني: بخطوة الأبدال، وهي من المشرق إلى المغرب.

يقول الفقير: لعل هذا من قبيل البسط في السير الملكوتي، وإلا فما بين السماء والأرض كما بين المشرق والمغرب، وهي خمسمائة عام على ما قالوا.

وعن وهب: أن ذا القرنين أتى على جبل قاف فرأى حوله جبالاً صغاراً، فقال: ما أنت؟ قال: أنا قاف. قال: فما هذه الجبال حولك؟ قال: هي عروقي، وليست مدينة إلا وفيها عرق منها، فإذا أراد الله أن يزلزل مدينة أمرني، فحركت عرقي ذلك فتزلزلت تلك المدينة. قال: يا قاف أخبرني بشيء من عظمة الله، فقال: إن شأن ربنا لعظيم، وإن من ورائي مسيرة خمسمائة عام من جبال ثلج يحطم بعضها بعضاً لولا ذلك لأحرقت من نار جهنم، والعياذ بالله منها.

وذكر أهل الحكمة أن مجموع ما عرف في الأقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية

وسبعون جبلاً منها ما طوله عشرون فرسخاً. ومنها: مائة فرسخ إلى ألف فرسخ.

وفي «زهرة الرياض»: أول جبل نصب على وجه الأرض أبو قبيس وعدد الجبال ستة آلاف وستمائة وثلاثة وسبعون جبلاً سوى التلول.

وجعل الله في الجبال خصائص منها: أن تجر البرودة إلى نفسها، وجعلها خزائن المياه والثلوج تدفعها بأمر الخالق إلى الخلق بالمقادير لكل أرض قدر معلوم على حسب استعدادها.

ومنها: خلق الأودية لمنافع العباد وأودع فيها أنواع المعادن من الذهب والفضة والحديد، وأنواع الجواهر، وهي خزانة الله وحصنه، ودليل على قدرته وكمال حكمته، وهي سجن الوحوش والسباع ليلاً وشرف الله الجبال بعرض الأمانة عليها. وفيها التسبيح والخوف والخشية وجعلها كراسي أنبيائه عليهم السلام كأحد لنبينا والطور لموسى وسرنديب لآدم والجودي لنوح صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين. وكفى شرفاً بذلك وأنها بمنزلة الرجال في الأكوان. يقال للرجل الكامل: جبل.

رأى بعض الأولياء مناماً في الليلة التي هلك فيها رجال بغداد على يد هولاكو خان أن جبال العراقين ذهبت من وجه الأرض بهبوب الرياح المظلمة على بغداد، فوصل الخبر أن هولاكو خان قد دخل مدينة بغداد، وقتل من الرجال الأولياء والعلماء والصلحاء والأمراء، وسائر الناس ما لا يحصى عدداً، ولذا قال بعضهم: رواسي الجبال أوتاد الأرض في الصورة والأولياء، أوتاد الأرض في الحقيقة، فكما أن الجبال مشرفة على سائر الأماكن، كذلك الأولياء مشرفون على سائر الخلائق دل عليه قوله: ﴿**من فوقها**﴾ يعني: من فوق العامة، فكما أن جبل قاف مشرف على كل جبل كذلك القطب الغوث الأعظم مشرف على كل ولي، وبه قوام الأولياء والرواسي دونه.

ومن خواص الأولياء من يقال لهم الأوتاد، وهم أربعة: واحد يحفظ المشرق بإذن الله تعالى، ويقال له: عبد الحي، وواحد يحفظ المغرب، ويقال له: عبد العليم. وواحد يحفظ الشمال، ويقال له: عبد المريد. وواحد يحفظ الجنوب، ويقال له: عبد القادر.

وكان الشافعي رحمه الله في زمانه من الأوتاد الأربعة على ما نصّ عليه الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في «الفتوحات». وببركات الأولياء يأتي المطر من السماء ويخرج النبات من الأرض وبدعائهم يندفع البلاء عن الخلق، وأن حياتهم ومماتهم سواء، فإنهم ماتوا عن أوصاف وجودهم بالاختيار قبل الموت بالاضطرار فهم أحياء على كل حال ولذا قيل:

مشو بمرك زامداد اهل دل نوميد ... كه خواب مردم آكاه عين بيداريست

﴿**وبارك فيها**﴾؛ أي: قدر بأن يكثر خير الأرض بأن يخلق أنواع الحيوان التي من جملتها الإنسان وأصناف النبات التي منها معايشهم ببذر وغيره. ﴿**وقدر فيها أقواتها**﴾: القوت من الرزق ما يمسك الرمق ويقوم به بدن الإنسان، يقال: قاته يقوته إذا أطعمه قوته، والمقيت: المقتدر الذي يعطي كل أحد قوته.

ومن «بلاغات الزمخشري»: إذا حصلتك ياقوت هان عليّ الدر والياقوت. والمعنى: حكم تعالى بالفعل بأن يوجد فيما سيأتي لأهل الأرض من الأنواع المختلفة أقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة.

فالمراد: بأقوات الأرض: أرزاق سكانها بمعنى قدّر أقوات أهلها على حذف المضاف، بأن

عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به. [ويا براى اهل هر موضعى از زمين روزى مقدر كرد جون كندم وجو وبرنج وخرما وكوشت وامثال آن هريك ازينها غالب اقوات بلداست].

وقال بعض العارفين: كل خلق لهم عنده تعالى رزق مخصوص، فرزق الروحانيين المشاهدة ورزق الربانيين المكاشفة ورزق الصادقين المعرفة ورزق العارفين التوحيد ورزق الأرواح الروح ورزق الأشباح الأكل والشرب. وهذه الأقوات تظهر لهم من الحق في هذه الأرض التي خلقت معبداً للمطيعين ومرقداً للغافلين:

جلوة تقدير درزندان كل دارد مراد ورنه بالا تربود از نه فلك جولان من

﴿في أربعة أيام﴾ من أيام الآخرة، أو من أيام الدنيا كما سبق، وهو متعلق بحصول الأمور المذكورة، لا بتقديرها؛ أي: قدر حصولها في يومين يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء على ما سيأتي.

وإنما قيل: في أربعة أيام؛ أي: تتمة أربعة أيام بالفذلكة، ومجموع العدد؛ لأنه باليومين السابقين يكون أربعة أيام؛ كأنه قيل: نصب الراسيات، وتقدير الأقوات وتكثير الخيرات في يومين آخرين بعد خلق الأرض في يومين، وإنما لم يحمل الكلام على ظاهره، بأن يجعل خلق الأرض في يومين، وما فيها في أربعة أيام؛ لأنه قد ثبت أن خلق السماوات في يومين، فيلزم أن يكون خلق المجموع في ثمانية أيام، وليس كذلك؛ فإنه في ستة أيام على ما تكرر ذكره في القرآن.

وذكر في «البرهان»: إنما لم يذكر اليومين على الانفراد لدقيقة لا يهتدي إليها كل أحد، وهي أن قوله: ﴿خلق الأرض في يومين﴾ صلة الذي ﴿وتجعلون له أنداداً﴾ عطف على تكفرون. ﴿وجعل فيها رواسي﴾ عطف على قوله: ﴿خلق الأرض﴾. وهذا ممتنع في الإعراب لا يجوز في الكلام، وهو في الشعر من أقبح الضرورات لا يجوز أن يقول: جاءني الذي يكتب، وجلس ويقرأ؛ لأنه لا يحال بين صلة الموصول، وما يعطف عليه بأجنبي من الصلة، فإذا امتنع هذا لم يكن بد من إضمار فعل يصح الكلام به ومعه، فتضمن خلق الأرض بعد قوله ذلك رب العالمين خلق الأرض، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام ليقع هذا كله في أربعة أيام. انتهى.

وقال غيره: ﴿وجعل فيها رواسي﴾: عطف على خلق، وحديث لزوم الفصل بجملتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بأن الأولى متحدة بقوله تعالى: ﴿تكفرون﴾، فهو بمنزلة الإعادة له، والثانية: اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التأكيد، فالفصل بهما كلا فصل، فالوجه في الجميع دون الانفراد ما سبق. ﴿سواء﴾ مصدر مؤكد لمضمر هو صفة لأيام؛ أي: استوت تلك الأيام سواء؛ أي: استواء يعني في أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان. ﴿للسائلين﴾ متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر في الأربعة للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها القائلين في كم خلقت الأرض، وما فيها فالسؤال استفتائي، واللام للبيان أو بقدّر.

قال في «بحر العلوم»: وهو الظاهر؛ أي: قدر فيها أقواتها لأجل السائلين؛ أي: الطالبين لها المحتاجين إليها من المقتاتين فإن أهل الأرض كلهم طالبون للقوت محتاجون إليه، فالسؤال استعطائي واللام للأجل.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ، وأنا رديفه يقول: «خلق الله

الأرواح قبل الأجسام بأربعة آلاف سنة وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة سواء لمن سأل، ولمن لم يسأل وأنا من الذين لم يسألوا الله الرزق ومن سأل فهو جهل». وهذا الخبر يشير إلى أن اللام في للسائلين متعلق بسواء وإليه الإشارة في «تأويلات البقلي» حيث قال لا يزيد الرزق بالسؤال ولا ينقص، وفيه تأديب لمن لم يرض بقسمته:

كشاد عقده روزى بدست تقديراست　　مكن زرزق شكايت از ين وآن زنهار

وفي الحديث: «من جاع أو احتاج فكتمه عن الناس كان حقاً على الله أن يفتح له رزق سنة من حلال». فالعمدة الصبر وترك الشكاية والتوكل والاشتغال بالذكر.

قال أنس رضي الله عنه: خرجت مع النبي عليه السلام إلى شعب في المدينة ومعي ماء لطهوره، فدخل النبي عليه السلام وادياً، ثم رفع رأسه وأومأ إليّ بيده أن أقبل فأتيته، فدخلت، فإذا بطير على شجرة، وهو يضرب بمنقاره، فقال عليه السلام: «هل تدري ما يقول». قلت: لا. قال: «يقول اللهم أنت العدل الذي لا تجور حجبت عني بصري، وقد جعت فأطعمني» فأقبلت جرادة، فدخلت بين منقاره، ثم جعل يضرب منقاره بمنقاره، قال عليه السلام: «أتدري ما يقول» قلت: لا فقال: «من توكل على الله كفاه ومن ذكره لا ينساه» فقال عليه السلام: «يا أنس من ذا الذي يهتم للرزق بعد ذلك اليوم الرزق أشد طلباً لصاحبه من صاحبه له». قال الصائب:

رزق اكربر آدمى عاشق نمى باشد جرا　　از زمين كندم كريبان جاك مى آيدجرا

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿ثم استوى إلى السماء﴾ شروع في بيان كيفية التكوين إثر بيان كيفية التقدير، ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالأرض وأهلها لما أن بيان اعتنائه تعالى بأمر المخاطبين، وترتب مبادي معايشهم قبل خلقهم مما يحملهم على الإيمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان.

وبيان ثم يجيء بعد تمام الآيات، والاستواء ضد الاعوجاج من قولهم استوى العود إذا اعتدل واستقام حمل في هذا المقام على معنى القصد والتوجه؛ لأن حقيقته من صفات الأجسام وخواصها، والله تعالى متعال عنها.

والمعنى: ثم قصد نحو السماء بإرادته ومشيئته قصداً سوياً وتوجه إليه توجهاً لا يلوي على غيره؛ أي: من غير إرادة خلق شيء آخر يضاهي خلقها، يقال: استوى إلى مكان كذا كالسهم المرسل إذا توجه إليه توجهاً مستوياً من غير أن يلوي على غيره. وفي ثم إظهار كمال العناية بإبداع العلويات. ﴿وهي دخان﴾: الواو للحال، والضمير إلى السماء؛ لأنها من المؤنثات السماعية والدخان أجزاء أرضية لطيفة ترتفع في الهواء مع الحرارة.

وفي «المفردات»: الدخان العثان المستصحب للهب والبخار أجزاء مائية رطبة ترتفع في الهواء مع الشعاعات الراجعة من سطوح المياه.

والمعنى: والحال أن السماء دخان؛ أي: أمر ظلماني يعد كالدخان، وهو المرتفع من النار، فهو من قبيل التشبيه البليغ وإطلاق السماء على الدخان باعتبار المآل.

قال الراغب قوله تعالى: ﴿وهي دخان﴾؛ أي: هي مثل الدخان إشارة إلى أنها لا تماسك بها انتهى. عبر بالدخان عن مادة السماء يعني: الهيولى والصورة الجسمية، أو عن الأجزاء

المتصغرة التي ركبت هي منها، يعني: الأجزاء التي لا تتجزأ وإظلامها إبهامها قبل حلول المنور كما في «الحواشي السعدية»، ولما كانت أول حدوثها مظلمة صحت تسميتها بالدخان تشبيهاً لها به من حيث إنها أجزاء متفرقة غير متواصلة عديمة النور كالدخان، فإنه ليس له صورة تحفظ تركيبه كما في «حواشي ابن الشيخ».

وقال بعضهم: وهي دخان؛ أي: دخان مرتفع من الماء يعني: السماء بخار الماء كهيئة الدخان. وبالفارسية: [وحال آنكه دخان بود يعني بخار آب بهيآت دخان]. كما في «تفسير الكاشفي».

يروى: أن أول ما خلق الله العرش على الماء، والماء ذاب من جوهرة خضراء، أو بيضاء فإذا بها ثم ألقى فيها ناراً، فصار الماء يقذف بالغثاء، فخلق الأرض من الغثاء، ثم استوى إلى الدخان الذي صار من الماء، فسمكه سماء ثم بسط الأرض، فكان خلق الأرض قبل خلق السماء، وبسط الأرض وإرساء الجبال وتقدير الأرزاق وخلق الأشجار والدواب والبحار والأنهار بعد خلق السماء لذلك قال الله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: ٣٠]. هذا جواب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لنافع بن الأزرق الحروري:

كفى را منبسط سازدكه اين فرشيست بس لايق ... بخاريرا برافرازدكه اين سقفيست بس زيبا

ازان سقف معلق حسن تصويرش بود ظاهر ... بدين فرش مطبق لطف تدبيرش بودبيدا

﴿فقال لها﴾: أي للسماء، ﴿وللأرض﴾ التي قدر وجودها ووجود ما فيها. ﴿ائتيا﴾؛ أي: كونا واحدثا على وجه معين، وفي وقت مقدر لكل منكما هو عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوجودهما تعلقاً فعلياً بطريق التمثيل بعد تقدير أمرهما من غير أن يكون هناك آمر ومأمور كما في قوله: كن بأن شبه تأثير قدرته فيهما وتأثرهما عنها بأمر آمر نافذ الحكم يتوجه نحو المأمور المطيع، فيتمثل أمره، فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن الحالة المشبهة بها.

﴿طوعاً أو كرهاً﴾ مصدران واقعان في موقع الحال. والطوع: الانقياد ويضاده الكره؛ أي: حال كونكما طائعتين منقادتين أو كارهتين؛ أي: شئتما ذلك أو أبيتما، وهو تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما، واستحالة امتناعهما من ذلك لا إثبات الطوع والكره لهما؛ لأنهما من أوصاف العقلاء ذوي الإرادة والاختيار والأرض والسماء من قبيل الجمادات العديمة الإرادة والاختيار. ﴿قالتا أتينا طائعين﴾؛ أي: منقادين، وهو تمثيل لكمال تأثرهما بالذات عن القدرة الربانية، وحصولهما كما أمرتا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جارياً على مقتضى الحكمة البالغة، فإن الطوع منبىء عن ذلك، والكره موهم لخلافه.

فإن قلت: إنما قيل: طائعين على وزن جمع العقلاء الذكور لا طائعتين حملاً على اللفظ، أو طائعات حملاً على المعنى؛ لأنها سماوات وأرضون.

قلت: باعتبار كونهما في معرض الخطاب والجواب، فلما وصفتا بأوصاف العقلاء عوملتا معاملة العقلاء وجمعتا لتعدد مدلولهما ونظيره ساجدين في قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه بالقدرة الكاملة أنطق السماء والأرض المعدومة بعد أن أسمعها خطاب ائتيا طوعاً أو كرهاً، لتجيبا وقالتا: أتينا طائعين، وإنما ذكرهما بلفظ التأنيث في البداية؛ لأنهما كانتا معدومتين مؤنثتين، وإنما ذكرهما في النهاية بلفظ التذكير؛ لأنه أحياهما

وأعقلهما، وهما في العدم، فأجابا بقولهما: أتينا طائعين جواب العقلاء.

وفي حديث: «أن موسى عليه السلام قال: يا رب لو أن السماوات والأرض حين قلت لهما: ائتيا طوعاً أو كرهاً عصتاك ما كنت صانعاً بهما. قال: كنت آمر دابة من دوابي فتبتلعهما. قال: يا رب، وأين تلك الدابة؟. قال: في مرج من مروجي. قال: وأين ذلك المرج؟ قال: في علم من علمي».

قال بعضهم: أجاب ونطق من الأرض أولاً موضع الكعبة، ومن السماء ما بحذائها، فجعل الله تعالى لها حرمة على سائر الأرض حتى كانت كعبة الإسلام. وقبلة الأنام. ويقال: أجابه من الأرض أولاً الأردن من بلاد الشام، فسمي لسان الأرض، وأما أول بلدة بنيت على وجه الأرض، فهي بلخ بخراسان بناها كيومرث، ثم بنى الكوفة ابنه هوسنك وكيومرث من أولاد مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث. كان عمره سبعمائة سنة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أصل طينة النبي عليه السلام من سرة الأرض بمكة، فهذا يشعر بأنه ما أجاب من الأرض إلا ذرة المصطفى، وعنصر طينة المجتبى عليه السلام، فلهذا دحيت الأرض من تحت الكعبة، وكانت أم القرى، فهو عليه السلام أصل الكل في التكوين روحاً وجسداً. والكائنات بأسرها تبع له، ولهذا يقال: النبي الأمي؛ لأنه أم الكل وأسه.

فإن قلت: ورد في الخبر الصحيح: «تربة كل شخص مدفنه»، فكان يقتضي أن يكون مدفنه عليه السلام بمكة حيث كانت تربته منها.

قلت: لما تموج الماء رمى ذلك العنصر الشريف والزبد اللطيف، والجوهر المنيف، فوقع جوهره عليه السلام إلى ما يحاذي تربته بالمدينة المنورة، وفي تاريخ مكة أن عنصره الشريف كان في محله يضيء إلى وقت الطوفان، فرماه الموج في الطوفان إلى محل قبره الشريف لحكمة إلٰهية وغيرة ربانية يعرفها أهل الله تعالى، ولذا لا خلاف بين علماء الأمة في أن ذلك المشهد الأعظم، والمرقد الأكرم أفضل من جميع الأكوان من العرش والجنان، فذهب الإمام مالك واستشهد بذلك. وقال: لا أعرف أكبر فضل لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما من أنهما خلقا من طينة رسول الله عليه السلام لقرب قبرهما من حضرة الروضة المقدسة المفضلة على الأكوان بأسرها. وكان عليه السلام مكياً مدنياً وحنينه إلى مكة لتلك المناسبة وتربته، وبالمدينة الحكمة.

قال الإمام السهروردي رحمه الله: لما قبض عزرائيل عليه السلام قبضة الأرض، وكان إبليس قد وطىء الأرض بقدميه، فصار بعض الأرض بين قدميه وبعضها موضع أقدامه، فخلقت النفوس الأمارة من مماس قدم إبليس، فصارت النفوس الأمارة مأوى الشرور، وبعض الأرض لم يصل إليها قدم إبليس، فمن تلك التربة أصل طينة الأنبياء والأولياء عليهم السلام، وكانت طينة رسول الله موضع نظر الله من قبضة عزرائيل لم تمسها قدم إبليس، فلم يصبه حظ جهل النفس الأمارة، بل صار منزوع الجهل موفراً حظه من العلم فبعثه الله بالعلم والهدى. وانتقل من قلبه الشريف إلى القلوب الشريفة، ومن نفسه القدسية المطمئنة، فوقعت المناسبة في أصل طهارة الطينة، فكل من كان أقرب مناسبة في ذلك الأصل كان أوفر حظاً من القبول والتسليم والكمال الذاتي، ثم بعض من كان أقرب مناسبة إلى النبي عليه السلام في الطهارة

الذاتية، وأوفر حظاً من ميراثه اللدني قد أبعد في أقاصي الدنيا مسكناً ومدفناً، وذلك لا ينافي قربه المعنوي، فإن إبعاده في الأرض كإبعاد النبي عليه السلام من مكة إلى المدينة بحسب المصلحة. قال الحافظ:

كرجه دوريم بياد تو قدح مينو شيم   بعد منزل نبود در سفر روحاني

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

﴿فقضاهنّ سبع سماوات﴾ تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالأمر وجوابه لا أنه فعل مرتب على تكوينها، والضمير للسماء على المعنى، فإنه في معنى الجمع لتعدد مدلوله، فسبع سماوات حال، أو هو؛ أي: الضمير مبهم يفسره سبع سماوات كضمير ربه رجلاً، فسبع سماوات تمييز.

والمعنى: خلقهن حال كونهن سبع سماوات، أو من جهة سبع سماوات خلقاً إبداعياً؛ أي: على طريق الاختراع لا على مثال، وأتقن أمرهن بأن لا يكون فيهن خلل ونقصان حسبما تقضيه الحكمة.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن سماء القلب سبعة أطوار كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح: ١٤]، فالطور الأول من القلب يسمى الكركر، وهو محل الوسوسة. والثاني: الشغاف، وهو مثوى المحبة كما قال تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠]، والسابع: حب القلب، وهو مورد التجلي، وموضع الكشوف، ومركز الأسرار، ومهبط الأنوار. **﴿في يومين﴾** في وقت مقدر بيومين، وهما يوم الخميس ويوم الجمعة خلق السماوات يوم الخميس وما فيها من الشمس والقمر والنجوم في يوم الجمعة، وقد بين مقدار زمان خلق الأرض وخلق ما فيها عند بيان تقديرهما، فكان خلق الكل في ستة أيام حسبما نص عليه في مواضع من التنزيل.

﴿وأوحى في كل سماء أمرها﴾: عطف على فقضاهن. والإيحاء: عبارة عن التكوين كالأمر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت.

قال الراغب: يقال للإبداع أمر، وقد حمل على ذلك في هذه الآية. والمعنى: خلق في كل منها ما فيها من الملائكة والنيرات، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله، وأظهر ما أراده كما قال قتادة والسديّ. أو أوحى؛ أي: ألقى إلى أهل كل منها أوامره وكلفهم ما يليق بهم من التكاليف، فمنهم قيام لا يقعدون إلى قيام الساعة، ومنهم سجود لا يرفعون رؤوسهم أبداً إلى غير ذلك، فهو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور والآمر هو الله والمأمور أهل كل سماء، وأضيف الأمر إلى نفس السماء للملابسة؛ لأنه إذا كان مختصاً بالسماء، فهو أيضاً بواسطة أهلها.

﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ التفات إلى نون العظمة لإبراز مزيد العناية بالأمر؛ أي: بكواكب تضيء في الليل كالمصابيح؛ فإنها ترى كلها متلألئة على السماء الدنيا؛ كأنها فيها. بالفارسية: [وبياراستيم آسمان نزديكتر بجراغها يعنى ستاركان كه جوجراغ درخشان باشند].

فالمراد بالمصابيح جميع الكواكب النيرة التي خلق الله في السماوات من الثوابت

والسيارات، وليس كلها في السماء الدنيا، وهي التي تدنو وتقرب من أهل الأرض، فإن كل واحد من السيارات السبع في فلك، والثوابت مركوزة في الفلك الثامن إلا أن كونها مركوزة فيما فوق السماء الدنيا لا ينافي كونها زينة لها؛ لأنا نرى جميع الكواكب كالسرج الموقدة فيها، وقيل: إن في كل سماء كواكب تضيء. وقيل: بل الكواكب مختصة بالسماء الدنيا.

ويقال: زين السماء بأنوار الكروبيين كما زين الأرض بالأنبياء والأولياء. وزين قلوب العارفين بأنوار المعرفة، وجعل فيها مصابيح الهداية وضياء التوحيد وزين جوارح المؤمنين بالخدمة وزين الجنة بنور مناجاة العارفين وزهرة خدمة العارفين.

نورى از بيشانى صاحب دلان در يوزه كن

شمع خودرا مى برى دل مرده زين محفل جرا

﴿وحفظاً﴾ مصدر مؤكد لفعل معطوف على زينا؛ أي: وحفظنا السماء الدنيا من الآفات، ومن المسترقة حفظاً، وهي الشياطين الذين يصعدون السماء لاستراق السمع فيرمون بشهاب صادر من نار الكواكب منفصل عنها، ولا يرجمون بالكواكب أنفسها لأنها قارة في الفلك على حالها، وما ذلك إلا كقبس يؤخذ من النار والنار باقية بحالها لا ينتقص منها شيء، والشهاب شعلة نار ساقطة.

﴿ذلك﴾ الذي ذكر بتفاصيله. ﴿تقدير العزيز العليم﴾ المبالغ في القدرة، فله بليغ قدرة على كل مقدور، والمبالغ في العلم فله بليغ علم بكل معلوم.

قال الكاشفي: ﴿ذلك﴾: [آنجه ياد كرده از بدائع آفرينش]. ﴿تقدير العزيز العليم﴾: [آفريدن واندازه كردن غالبست كه در ملك خود بقدرت هرجه خواهد كند دانا كه هرجه سازد از روى حكمت است]. فعلى هذا التفصيل لا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب بين إيجاد الأرض وإيجاد السماء، وإنما الترتيب بين التقدير والإيجاد، وإما على تقدير كون الخلق، وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة، فيكون خلق الأرض، وما فيها متقدماً على خلق السماء، وما فيها وعليه إطباق أكثر أهل التفسير ويؤيده قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩].

وقيل: إن خلق جرم الأرض مقدم على خلق السماوات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر لقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: ٣٠]، ثم هذا على تقدير كون كلمة، ثم للتراخي الزماني. وإما على تقدير كونها للتراخي الرتبي على طريق الترقي من الأدنى إلى الأعلى بفضل خلق السماوات على خلق الأرض، وما فيها كما جنح إليه الأكثرون، فلا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب كما في الوجه الأول.

قال الشيخ النيسابوري: خلق السماء قبل خلق الأرض ليعلم أن فعله خلاف أفعال الخلق؛ لأنه خلق أولاً السقف، ثم الأساس ورفعها على غير عمد دلالة على قدرته وكمال صنعه.

وروي: أنه تعالى خلق جرم الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، وخلق السماوات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة، وخلق آدم في آخر ساعة منه، وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة، وسمي الجمعة لاجتماع المخلوقات

وتكاملها، ولما لم يخلق الله في يوم السبت شيئاً امتنع بنو إسرائيل من الشغل فيه كما في «فتح الرحمٰن».

والظاهر أنه ينبغي أن يكون المراد به أنه تعالى خلق العالم في مدة لو حصل فيها فلك وشمس وقمر، لكان مبدأ تلك المدة أول يوم الأحد وآخرها آخر يوم الجمعة كما في «حواشي ابن الشيخ»، وبه يندفع ما قال سعدي المفتي فيه إشكال لا يخفى، فإنه لا يتعين اليوم قبل خلق السماوات والشمس فضلاً عن تعينه وتسميته باسم الخميس والجمعة.

وقال ابن عطية: والظاهر من القصص في طينة آدم أن الجمعة التي خلق فيها آدم قد تقدمتها أيام وجمع كثيرة، وأن هذه الأيام التي خلق الله فيها المخلوقات هي أول الأيام؛ لأنه بإيجاد الأرض والسماء والشمس وجد اليوم. وفي الحديث في خلق يوم الجمعة: «إنه اليوم الذي فرض على اليهود والنصارى فأضلته وهداكم الله تعالى له»؛ أي: أمروا بتعظيمه والتفرغ للعبادة فيه، فاختار اليهود من عند أنفسهم بدله السبت؛ لأنهم يزعمون أنه اليوم السابع الذي استراح فيه الحق من خلق السماوات والأرض، وما فيهن من المخلوقات؛ أي: بناء على أن أول الأسبوع الأحد، وأنه مبدأ الخلق، وهو الراجح.

وفي كلام بعضهم: أول الأسبوع الأحد لغة وأوله السبت عرفاً؛ أي: في عرف الفقهاء في الإيمان ونحوها واختارت النصارى من قبل أنفسهم بدل يوم الجمعة يوم الأحد؛ أي: بناء على أنه أول يوم ابتدأ الله فيه بإيجاد المخلوقات، فهو أولى بالتعظيم. وقد جاء في المرفوع: «يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله» فهو في الأيام كشهر رمضان في الشهور وساعة الإجابة فيه كليلة القدر في رمضان. وجاء: «إن الله تعالى خلق يوماً، فسماه الأحد ثم خلق ثانياً، فسماه الاثنين، ثم خلق ثالثاً، فسماه الثلاثاء، ثم خلق رابعاً، فسماه الأربعاء، ثم خلق خامساً، فسماه الخميس».

وبه يندفع ما قال السهيلي تسمية هذه الأيام طارئة، ولم يذكر الله منها في القرآن إلا يوم الجمعة والسبت، والعرب أخذوا معاني الأسماء من أهل الكتاب، فألقوا عليها هذه الأسماء اتباعاً لهم، فلم يسمها رسول الله عليه السلام بالأحد والاثنين إلى غير ذلك إلا حاكياً للغة قومه لا مبتدأ بتسميتها. هذا كلام السهيلي.

وفي السبعيات أكرم الله موسى بالسبت وعيسى بالأحد وداود بالاثنين وسليمان بالثلاثاء ويعقوب بالأربعاء وآدم بالخميس ومحمداً صلوات الله عليه وعليهم بالجمعة. وهذا يدل على أن اليهود لم يختاروا يوم السبت والنصارى يوم الأحد من عند أنفسهم، فليتأمل الجمع.

وقد سئل ﷺ عن يوم السبت، فقال: «يوم مكر وخديعة»؛ لأنه اليوم الذي اجتمعت فيه قريش في دار الندوة للاستشارة في أمره عليه السلام. وسئل عن يوم الأحد، فقال: «يوم غرس وعمارة»؛ لأن الله تعالى ابتدأ فيه خلق الدنيا وعمارتها. وسئل عن يوم الاثنين، فقال: «يوم سفر وتجارة»؛ لأن فيه سافر شعيب عليه السلام فاتجر فربح في تجارته، وسئل عن يوم الثلاثاء، فقال: «يوم دم»؛ لأن فيه حاضت حواء وقتل ابن آدم أخاه، وفيه قتل جرجيس وزكريا ويحيى ولده وسحرة فرعون وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وبقرة بني إسرائيل. ولهذا نهى النبي عليه السلام عن الحجامة يوم الثلاثاء أشد النهي، وقال: «فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم». وفيه نزل إبليس الأرض، وفيه خلقت جهنم، وفيه سلط الله ملك الموت على أرواح بني آدم،

وفيه ابتلي أيوب عليه السلام». وفي بعض الروايات: ابتلي يوم الأربعاء.

وفي «روضة الأخبار» قيل: كان الرسم في زمن أبي حنيفة أن يوم البطالة يوم السبت في القراءة، لا يقرأ في يوم السبت، ثم في زمن الخصاف كان متردداً بين الاثنين ويوم الثلاثاء.

وسئل عن يوم الأربعاء قال: «يوم نحس أغرق فيه فرعون وقومه وأهلك عاد وثمود وقوم صالح»، وآخر أربعاء في الشهر أشأم. وجاء: «يوم الأربعاء لا أخذ ولا عطاء». وورد في الآثار النهي عن قص الأظفار يوم الأربعاء، وأنه يورث البرص، وقد تردد فيه بعض العلماء، فابتلي نعوذ بالله. وفي حديث: «لا يبدو جذام ولا برص إلا يوم الأربعاء»، وكره بعضهم عيادة المريض فيه ويحمد فيه الاستحمام، والدعاء مستجاب فيه بعد الزوال قبل وقت العصر؛ لأنه عليه السلام استجيب له الدعاء على الأحزاب في ذلك الوقت، وقد بني على موضع الدعاء مسجد في المدينة يقال له مسجد الاستجابة يزار الآن.

وفي الحديث: «ما من شيء بدىء يوم الأربعاء إلا وقد تم»، فينبغي البداءة بنحو التدريس فيه، وكان صاحب الهداية يوقف ابتداء الأمور على الأربعاء. ويروي هذا الحديث، ويقول كان هكذا يفعل أبي ويرويه عن شيخه أحمد بن عبد الرشيد. وسئل عن يوم الخميس، فقال: «يوم قضاء الحوائج»؛ لأن فيه دخل إبراهيم عليه السلام على ملك مصر، فأكرمه وقضى حاجته وأعطاه هاجر، وهو يوم الدخول على السلطان.

وفي الحديث: «من احتجم يوم الخميس فحم مات في ذلك المرض». وسئل عن يوم الجمعة، فقال: «يوم نكاح وخطبة» أيضاً نكح فيه آدم حواء ويوسف زليخا وموسى بنت شعيب وسليمان بلقيس، وصح أنه عليه السلام نكح فيه خديجة وعائشة رضي الله عنهما.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: «من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه داء وأدخل فيه شفاء».

وقال الأصمعي: دخلت على الرشيد يوم الجمعة، وهو يقلم الأظفار، فقال: قلم الأظفار يوم الجمعة من السنة وبلغني أنه ينفي الفقر، فقلت: يا أمير المؤمنين، وأنت تخشى الفقر، فقال: وهل أحد أخشى للفقر مني، وعن عليّ رضي الله عنه رفعه من صام يوم الجمعة صبراً واحتساباً أعطي عشرة أيام غر زهر لا تشاكلهن أيام الدنيا»، ومن سالت من عينه قطرة يوم الجمعة قبل الرواح أوحي إلى ملك الشمال: أطو صحيفة عبدي، فلا تكتب عليه خطيئة إلى مثلها من الجمعة الأخرى. قال بعض العارفين شرف الأزمنة وفضيلتها يكون بحسب شرف الأحوال الواقعة فيها من حضور المحبوب ومشاهدته. قال عمر بن الفارض قدس سره:

وعندي عيدي كل يوم أرى به ... جمال محياها بعين قريره

وكل الليالي ليلة القدر إن دنت ... كما كل أيام اللقا يوم جمعه

وليوم الجمعة خواص تجيء في محلها إن شاء الله تعالى. وفي الحديث: «أكثروا الصلاة عليّ في الليلة الزهراء واليوم الأغر، فإن صلاتكم تعرض عليّ فأدعو لكم وأستغفر. والمراد بالليلة الزهراء ليلة الجمعة لتلألؤ أنوارها، وباليوم الأغر يوم الجمعة لبياضه ونورانيته.

وفي الحديث: «من صلى عليّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الدنيا وثلاثين من حوائج الآخرة، ثم يوكل الله بذلك ملكاً يدخله عليّ في قبري كما تدخل عليكم الهدايا يخبرني بمن صلى عليّ باسمه ونسبه إلى عشيرته، فأثبته

عندي في صحيفة بيضاء»؛ لأن علمي بعد موتي كعلمي في حياتي. [بروز جمعه درود محمد عربي. زروى قدر زايام ديكر افزونست. زاختصاص كه اورا بحضرت نبويست. درو ثواب درود از قياس بيرونست. ثم إن الليل والنهار خزانتان ما أودعتهما اداته]، وأنهما يعملان فيك فاعمل فيهما جعلنا الله وإياكم من المراقبين للأوقات.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾

﴿فإن أعرضوا﴾ : متصل بقوله: قل أئنكم إلخ، فإن أعرض كفار قريش عن الإيمان بعد هذا البيان، وهو بيان خلق الأجرام العلوية والسفلية وما بينهما. **﴿فقل﴾** : لهم **﴿أنذرتكم﴾**؛ أي: أنذركم وأخوفكم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الإنذار المنبىء عن تحقق المنذر.

﴿صاعقة﴾؛ أي: عذاباً هائلاً شديد الوقع كأنه صاعقة يعني أن الصاعقة في الأصل قطعة من النار تنزل من السماء فتحرق ما أصابته استعيرت هنا للعذاب الشديد تشبيهاً له بها في الشدة والهول. وفي «المفردات»: الصاعقة: الصوت الشديد من الجو، ثم يكون فيها نار فقط، أو عذاب أو موت، وهي في ذاتها شيء واحد. وهذه الأشياء تأثيرات منها. وبالفارسية: [صاعقة از عذاب بيهوش سازنده وهلاك كنند]. **﴿مثل صاعقة عاد﴾** : [مانند عذاب قوم عاد كه باد صرصر بود]. **﴿وثمود﴾** : [وعذاب قوم ثمود كه صيحة جبرائيل عليه السلام بوده]؛ أي: لم يبق في حقكم علاج إلا إنزال العذاب الذي نزل عليّ من قبلكم من المعاندين المتمردين المعرضين عن الله وطلبه وطلب رضاه، فهم سلف لكم في التكذيب والجحود والعناد، وقد سلكتم طريقهم، فتكونون كأمثالهم في الهلاك.

قال مقاتل: كان عاد وثمود ابني عم، وموسى وقارون ابني عم وإلياس واليسع ابني عم وعيسى ويحيى ابني خالة. [وتخصيص اين دو قوم بجهت آنست كه درسفر رحلة الشتاء والصيف بر مواضع اين دو كروه كذشته آثار عذاب مشاهده ميكرده اند].

﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿إذ جاءتهم الرسل﴾ : الظاهر أنه من إطلاق الجمع على المثنى، فإن الجائي هود إلى عاد وصالح إلى ثمود. والجملة حال من صاعقة عاد؛ أي: مثل صاعقتهم كائنة في وقت مجيء الرسل إليهم، فكذبوهم.

فالمراد كون متعلق الظرف حالاً منها؛ لأن الصاعقة قطعة نار تنزل من السماء، فتحرق فهي جثة والزمان كما لا يكون صفة للجثة لا يكون حالاً منها. **﴿من بين أيديهم ومن خلفهم﴾** : متعلق بجاءتهم؛ أي: من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة من جهات الإرشاد وطرق النصيحة تارة بالرفق وتارة بالعنف وتارة بالتشويق، وأخرى بالترهيب، فليس المراد الجهات الحسية والأماكن المحيطة بهم، أو من جهة الزمان الماضي بالإنذار عما جرى فيه على الكفار من الوقائع، ومن جهة الزمان المستقبل بالتحذير عما أعد لهم في الآخرة، ويحتمل أن يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [النحل: ١١٢]، فيراد بالرسل ما يعم المتقدمين منهم، والمتأخرين، أو ما يعم رسل الرسل أيضا، وإلا فالجائي

رسولان، كما سبق وليس في الاثنين كثرة.

﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾؛ أي: بأن لا تعبدوا أيها القوم؛ أي: يأمرونهم بعبادة الله وحده، فأن مصدرية ناصبة للفعل وصلت بالنهي كما توصل بالأمر في مثل قوله: أن طهرا.

قال الكاشفي: [در آمدند ودعوت كردند بانكه مبرستيد مكر خدايرا]. ﴿قالوا﴾ استخفافاً برسلهم: ﴿لو شاء ربنا﴾؛ أي: إرسال الرسل، فإنه ليس هنا في أن تقدر المفعول مضمون جواب الشرط كثير معنى. ﴿لأنزل ملائكة﴾؛ أي: لأرسلهم بدلكم ولم يتخالجنا شك في أمرهم فآمنا بهم لكن لما كان إرسالهم بطريق الإنزال. قيل: لأنزل. ﴿فإنا بما أرسلتم به﴾ على زعمكم، فهو ليس إقراراً منهم بالإرسال. ﴿كافرون﴾.

قال في «بحر العلوم»: الفاء وقعت في جواب شرط محذوف تقديره إذا أنتم بشر مثلنا من غير فضلكم علينا، ولستم بملائكة، فإنا لا نؤمن بكم بما جئتم به، ولا يجب أن يكون ما دخلت عليه فعلاً لجواز دخولها على الجملة الاسمية المركبة من مبتدأ وخبر.

وقال سعدي المفتي: إشارة إلى نتيجة قياسهم الفاسد الاستثنائي نقيض تاليه.

قال الكاشفي: [مشركان دربند صورت انبيا مانده از مشاهدة معنى ايشان غافل بودند. جند صورت بينى اى صورت برست. هركه معنى ديد ازصورت برست، ديده صورت برستى را ببند. تاشوى از نور معنى بهره مند].

روي: أن أبا جهل قال في ملأ من قريش: قد التبس علينا أمر محمد عليه السلام، فلو التمستم لنا رجلاً عالماً بالشعر والكهانة والسحر، فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره، فقال عتبة بن ربيعة، والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر، وعلمت من ذلك علماً، وما يخفى عليَّ فأتاه، فقال: أنت يا محمد خير أم هاشم، أنت خير أم عبد المطلب، أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا، فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء، فكنت رئيسنا، وإن كان بك الباءة؛ أي: الجماع والشهوة زوجناك عشر نسوة تختارهن من بنات قريش، وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله عليه السلام ساكت، فلما فرغ عتبة قال عليه السلام: بسم الله الرحمٰن الرحيم، ﴿حم﴾ إلى قوله: ﴿مثل صاعقة عاد وثمود﴾، فأمسك عتبة على فيه عليه السلام وناشده بالرحم. يعني: [عتبه درشنيدن كلام خداى عز وجل جنان مبهوت ومدهوش كشت كه جاى سخن دروى نماند وبا آخر دست بردهن رسول نهاد وكفت بحق رحم كه نيز بخوانى كه طاقتم برسيد ودرين سخن سر كردان وحيران شدم]، ورجع إلى أهله متحيراً من أمره عليه السلام، ولم يرجع إلى قريش، ولم يخرج، وكانوا منتظرين لخبره، فلما احتبس عنهم، قالوا: ما نرى عتبة إلا قد صبا. يعني: [صابى ومائل دين محمد شد].

فانطلقوا إليه، وقالوا: يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك قد صبأت فغضب، ثم قال: والله لقد كلمته فأجابني بشيء، والله ما هو شعر ولا كهانة ولا سحر، ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب. [راى من آنست كه اين مردرا فرو كذا ريد باديىن خويش وتعرض نرسانيدا كر عرب برودست يابند خود شغل شما كفايت كردند واكر اوبر عرب دست يابد ملك او ملك شماست وعز او عزشماست ابو جهل كفت جنان ميدانم كه سخر او برتو اثر كرده وترا ازحال خود بكردانيده عتبه كفت راى من اينست كه شما هرجه ميخواهيد بكنيد].

فكان من أمرهم الإصرار حتى قتلوا في وقعة بدر وأبى الله إلا أن يتم نوره، ويظهر دينه، فما كان إلا ما أراد الله دون ما أرادوا.

﴿**فأما عاد**﴾ لما كان التفصيل مسبباً عن الإجمال السابق أدخل عليه الفاء السببية [بس آماده كرده وعاديان]. ﴿**فاستكبروا في الأرض**﴾: [در زمين احقاق در بلاد يمن]؛ أي: تعظموا فيها على أهلها. ﴿**بغير الحق**﴾؛ أي: بغير الاستحقاق للتعظيم وركنوا إلى قوة نفوسهم. ﴿**وقالوا**﴾ اغتراراً بتلك القوة الموقوفة على عظم الأجسام. ﴿**من**﴾: استفهام. ﴿**أشد منا قوة**﴾، وكان طول كل واحد منهم ثمانية عشر ذراعاً؛ وبلغ من قوتهم أن الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل ويجعلها حيث شاء وكانوا يظنون أنهم يقدرون على دفع العذاب بفضل قوتهم فخانتهم قواهم لما استمكن منهم بلواهم، وقد رد الله عليهم بقوله: ﴿**أولم يروا**﴾: [آياندا نستند مغرور شدكان بقوت خود]؛ أي: أغفلوا ولم يعلموا علماً جلياً شبيهاً بالمشاهدة والعيان.

﴿**أن الله الذي خلقهم**﴾، وخلق الأشياء كلها خصوصاً الأجرام العظيمة كالسماوات والجبال ونحوها، وإنما أورد في حيز الصلة خلقهم دون خلق السماوات والأرض لادعائهم الشدة في القوة. ﴿**هو أشد منهم قوة**﴾؛ أي: قدرة؛ لأن قدرة الخالق لا بد وأن تكون أشد من قدرة المخلوق، إذ قدرة المخلوق مستفادة من قدرة الخالق، والقوة عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف، ولما كانت صيغة التفضيل تستلزم اشتراك المفضل المفضل عليه في الوصف الذي هو مبدأ اشتقاق أفعل، ولا اشتراك بينه تعالى وبين الإنسان في هذه القوة، لكونه منزهاً عنها أريد بها القدرة مجازاً لكونها مسببة عن القوة بمعنى صلابة البنية.

﴿**وكانوا**﴾: [وبودند وقوم عادكه ازروى تعصب]. ﴿**بآياتنا**﴾ المنزلة على الرسل. ﴿**يجحدون**﴾: الجحود الإنكار مع العلم؛ أي: ينكرونها، وهم يعرفون حقيقتها كما يجحد المودع الوديعة، وينكرها فهو عطف على فاستكبروا، وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء.

والمعنى: أنهم جمعوا بين الاستكبار وطلب العلو في الأرض، وهو فسق وخروج عن الطاعة بترك الإحسان إلى الخلق وبين الجحود بالآيات، وهو كفر وترك لتعظيم الحق، فكانوا فسقة كفرة، وهذان الوصفان لما كانا أصلي جميع الصفات الذميمة، لا جرم سلط الله عليهم العذاب، كما قال:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿**فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً**﴾ لتقلعهم من أصولهم؛ أي: باردة تهلك وتحرق بشدة بردها كإحراق النار بحرها من الصر، وهو البرد الذي يصر؛ أي: يجمع ويقبض؛ أي: ريحاً عاصفة تصر صراً؛ أي: تصوت في هبوبها من الصرير. وبالفارسية: [باد صرصر بآ واز مهيب].

قيل: إنها الدبور مقابل القبول؛ أي: الصبا التي تهب من مطلع الشمس، فيكون الدبور ما تهب من مغربها، والصرصر تكرير لبناء الصر. قال الراغب: الصر الشد، والصرة ما يعقد

فيه الدراهم. والصرصر: لفظه من الصر. وذلك يرجع إلى الشد لما في البرودة من التعقيد إذ هي من الفعليات؛ لأنها كشيفة من شأنها تفريق المتشاكلات وجمع المختلفات.

﴿في أيام نحسات﴾: جمع نحسة من نحس نحساً نقيض سعد سعداً كلاهما على وزن علم والنحسان زحل والمريخ. وكذا آخر شباط وآخر شوال أيضاً من الأربعاء إلى الأربعاء. وذلك سبع ليال وثمانية أيام، يعني كانت الريح من صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوال إلى غروب الأربعاء الآخر، وهو آخر الشهر، ويقال لها: أيام الحسوم، وسيأتي تفصيلها في سورة الحاقة، وما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء.

وقال الضحاك: أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين ودامت الرياح عليهم من غير مطر. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه إذا أراد الله بقوم خيراً أرسل عليهم المطر وحبس عنهم كثرة الرياح، وإذا أراد بقوم شراً حبس عنهم المطر وسلط عليهم كثرة الرياح».

والمعنى: في أيام منحوسات مشؤومات ليس فيها شيء من الخير، فنحوستها أن الله تعالى أدام تلك الرياح فيها على وتيرة وحالة واحدة بلا فتور، وأهلك القوم بها لا كما يزعم المنجمون من أن بعض الأيام قد يكون في حدّ ذاته نحساً وبعضها سعداً استدلالاً بهذه الآية؛ لأن أجزاء الزمان متساوية في حدّ ذاتها، ولا تمايز بينها إلا بحسب تمايز ما وقع فيها من الطاعات والمعاصي، فيوم الجمعة سعد بالنسبة إلى المطيع نحس بالنسبة إلى العاصي، وإن كان سعداً في حدّ نفسه. قال رجل عند الأصمعي فسد الزمان، فقال الأصمعي:

إن الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس

وقيل:

نذم زماننا والعيب فينا ولو نطق الزمان إذا هجانا

وقال الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره: الملابس إذا فصلت وخيطت في وقت رديء اتصل بها خواص رديئة. انتهى.

يقول الفقير: لعله أراد عروض الرداءة لها بسبب من الأسباب كيوم الأربعاء بما وقع فيه من العذاب؛ لأن الله خلقه رديئاً، فلا تنافي بين كلامه وبين ما سبق. والظاهر أن الله تعالى خلق أجزاء الزمان والمكان على تفاوت. وكذا سائر الموجودات كما لا يخفى. ﴿لنذيقهم﴾ بالريح العقيم. ﴿عذاب الخزي في الحياة الدنيا﴾، إضافة العذاب إلى الخزي من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة؛ أي: العذاب الخزي؛ أي: الذليل المهان على أن الذليل في الحقيقة أهل العذاب لا العذاب نفسه. ﴿ولعذاب الآخرة﴾: [وهر آينه عذاب آن سرى ا]. ﴿أخزى﴾؛ أي: أذل وأزيد خزياً من عذاب الدنيا، وبالفارسية: [سختراست ازروى رسوايى]. وهو في الحقيقة أيضاً: وصف للمعذب وقد وصف به العذاب على الإسناد المجازي لحصول الخزي بسببه. ﴿وهم لا ينصرون﴾ بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه لا في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأنهم لم ينصروا الله ودينه، وأما المؤمنون؛ فإنهم وإن كانوا ضعفاء فقد نصرهم الله؛ لأنهم نصروا الله ودينه، فعجباً من القوة في جانب الضعف وعجباً من الضعف في جانب القوة.

وفي الحديث: إنكم تنصرون بضعفائكم»؛ أي: الضعفاء الداعين لكم بالنصرة. وقال خالد ابن برمك: اتقوا مجانيق الضعفاء؛ أي: دعواتهم.

يقول الفقير: إنما عذبت عاد بريح صرصر؛ لأنهم اغتروا بطول قاماتهم وعظم أجسادهم وزيادة قوتهم، فظنوا أن الجسم إذا كان في القوة والثقل بهذه المرتبة، فهو يثبت في مكانه ويستمسك، ولا يزيله عن مقره شيء من البلاء، فسلط الله عليهم الريح، فكانت أجسامهم كريشة في الهواء، وكان عليه السلام يجثو على ركبتيه عند هبوب الرياح، ويقول: «اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً. اللهم اجعلها لنا رياحاً؛ أي: رحمة ولا تجعلها ريحاً؛ أي: عذاباً وأراد به أن أكثر ما ورد في القرآن من الريح بلفظ المفرد، فهو عذاب نحو، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [فصلت: ١٦]، و﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]، وإن جاء في الرحمة أيضاً نحو ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢] وكل ما جاء بلفظ الجمع على الرياح، فهو رحمة لا غير، ويقول عليه السلام؛ أي: عند هبوب الرياح، وعند سماع الصوت والرعد والصواعق أيضاً: «اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك».

وفي الحديث: «لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به».

كما في «المصابيح»: [ريح صرصر باد نفس ازدهاست قلب ازودر اضطراب ومكرهاست. هركه بابرجا شود در عهد دين. بايدارش ميكند حق جون زمين].

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿**وأما ثمود**﴾؛ أي: قبيلة ثمود فهو غير منصرف للعلمية والتأنيث، ومن نونه وصرفه جعله اسم رجل، وهو الجد الأعلى للقبيلة. ﴿**فهديناهم**﴾ الهداية هنا عبارة عن الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب سواء ترتب عليها الاهتداء أم لا كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وليست عبارة عن الدلالة المقيدة بكونها موصلة إلى البغية، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

والمعنى: فدللناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية وإرسال الرسل وإنزال الآيات الشريفة ورحمنا عليهم بالكلية. ﴿**فاستحبوا العمى على الهدى**﴾: حقيقة الاستحباب أن يتحرى الإنسان في الشيء أن يحبه واقتضى تعديته بعلى معنى الإيثار والاختيار كما في «المفردات»؛ أي: اختاروا الضلالة من عمى البصيرة، وافتقادها على الهداية والكفر على الإيمان والمعصية على الطاعة.

قال صاحب الكشف: في لفظ الاستحباب ما يشعر بأن قدرة الله تعالى هي المؤثرة، وأن لقدرة العبد مدخلاً ما فإن المحبة ليست اختيارية بالاتفاق، وإيثار العمى حباً، وهو الاستحباب من الاختيارية، واعترض عليه سعدي المفتي في «حواشيه»، بأنه كيف لا تكون المحبة اختيارية، ونحن مكلفون بمحبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ولا تكليف بغير الاختياري ألا يرى إلى قوله عليه السلام لعمر رضي الله عنه: الآن يا عمر، يعني في قول عمر ورسول الله آخذ بيده يا رسول الله، أنت أحب إليّ من كل شيء إلا نفسي، فقال عليه السلام: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك»، فقال عمر: الآن والله أنت أحب إلي

من نفسي. فقال: «الآن يا عمر»؛ أي: صار إيمانك كاملاً.

والجواب: على ما في «شرح المشارق» لابن الملك أن المراد من هذه المحبة محبة الاختيار لا محبة الطبع؛ لأن كل أحد مجبول على حب نفسه أشد من غيرها، فمعنى الحديث لا يكون إيمانك كاملاً حتى تؤثر رضاي على رضا نفسك، وإن كان فيه هلاكك ونظيره قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، فهم مع احتياجهم آثروا أنفسهم على أنفسهم. وكذا المحب آثر رضا المحبوب على رضا نفسه مع كون محبته لنفسه أشد من محبته له.

وقيل: إن ثمود في الابتداء آمنوا وصدقوا، ثم ارتدوا وكذبوا فأجراهم مجرى إخوانهم في الاستئصال، فتكون الهداية بمعنى الدلالة المقيدة.

قال ابن عطاء: ألبسوا لباس الهداية ظاهراً، وهم عواري، فيتحقق عليهم لباس الحقيقة، فاستحبوا العمى على الهدى، فردوا إلى الذي سبق لهم في الأزل، يعني: أن جبلة القوم، كانت جبلة الضلالة، فمالوا إلى ما جبلوا عليه من قبول الضلال، فإن السوابق تؤثر في العواقب بدون العكس، فلا عبرة بالهداية المتوسطة؛ لأنها عارضة.

قال الحافظ: [جون حسن عاقبت نه برندى وزاهديست. آن به كه كار خودبعنايت رها كنند]. ﴿فأخذتهم صاعقة العذاب الهون﴾: الهون: مصدر بمعنى الهوان والذلة. يقال: هان هوناً وهواناً ذل كما في «القاموس»: وصف به العذاب للمبالغة؛ أي: أخذتهم داهية العذاب المهين؛ كأنه عين الهوان. وبالفارسية: [صاعقة عذاب خوار كننده يعني صيحة جبرائيل ايشانرا هلاك كرده فالصاعقة هي العذاب الهون شبه بها لشدته]، وهوله كما بين فيما سبق. وقيل: صاعقة من السماء؛ أي: نار، فأهلكتهم وأحرقتهم، فيكون من إضافة النوع إلى الجنس، بتقدير من أي من جنس العذاب المهين الذي بلغ في إفادة الهوان للمعذب إلى حيث كان عين الهوان. ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من اختيار الضلالة والكفر والمعصية.

قال الكاشفي: [بسبب آنجه بودند كسب كردند از]. تكذيب صالح وعقر ناقة.

يقول الفقير: أما حكمة الابتلاء بالصيحة فلعدم استماعهم الحق من لسان صالح عليه السلام مع أن الاستحباب المذكور صفة الباطن وبالصيحة تنشق المرارة، فيفسد الداخل والخارج، وأما بالنار فلإحراقهم باطن ولد الناقة بعقر أمه، فابتلوا بالإحراق الظاهر ألا ترى أن يعقوب ذبح جدياً بين يدي أمه، فابتلي بفراق يوسف واحتراقه على ما قاله البعض.

﴿ونجينا الذين آمنوا﴾ من تلك الصاعقة وكانوا مائة وعشرة أنفس.

﴿وكانوا يتقون﴾: الشرك أو عقر الناقة وفيه إشارة إلى التنجية من عذاب النار، وهي أنواع، فمنهم من نجاهم من غير أن رأوا النار عبروا القنطرة، ولم يعلموا، وقوم كالبرق الخاطف، وهم الأعلام وقوم كالراكض، وهم أيضاً الأكابر، وقوم على الصراط يسقطون وتردهم الملائكة على الصراط فبعد وبعد وقوم بعد ما دخلوا النار، فمنهم من تأخذه إلى كعبيه، ثم إلى ركبتيه، ثم إلى حقويه، فإذا بلغت القلب.

قال الحق تعالى للنار: لا تحرقي قلبه، فإنه محترق فيّ، وقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا وصاروا حمماً. الامتحاش سوخته شدن. والحمم جمع حممة بالضم، وهو الفحم كما في «القاموس».

وفي الحديث: يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا، فيلقون في نهر الحياة فينبتون، كما تنبت الحبة في جانب السيل وأشارت الآية إلى أن سبب النجاة من النار هو الإيمان والتقوى، وهما من صفات القلب، فإذا هرب العبد من مقام النفس ودخل في مقام القلب، كان آمناً سالماً من أنواع الألم في الدنيا والآخرة، وإلا كان معذباً.

حكي: أن أبا يزيد البسطامي قدس سره: دخل الحمام يوماً فأصابه الحر، فصاح فسمع نداء من الزوايا الأربع: يا أبا يزيد ما لم تسلط عليك نار الدنيا لم تذكرنا، ولم تستغث بنا، وفيه إشارة إلى أن المقبول هو التدارك وقت الاختيار والإيمان وقت التكلف، وإلا خرج الأمر من اليد ولا تفيد الصيحة وقت الوقوع في العذاب. [توبيش از عقوبت در عفو كوب. كه سودى ندارد فغان زبر جوب]. والكافر تنزل عليه ملائكة العذاب والمؤمن تصافحه الملائكة. قال الله تعالى: اسمع يا موسى ما أقول فالحق ما أقول إنه من تكبر على مسكين حشرته يوم القيامة على صورة الذر ومن تواضع لعالم رفعته في الدنيا والآخرة ومن رضي بهتك ستر مسلم هتكت ستره سبعين مرة، ومن أهان مسلماً، فقد بارزني بالمحاربة ومن آمن بي صافحته الملائكة في الدنيا والآخرة جهراً اللهم وفقنا لما ترضى.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿ويوم يحشر أعداء الله﴾ الحشر إخراج الجماعة من مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب وغيرها، ولا يقال: إلا في الجماعة، ويوم منصوب باذكر المقدر.

والمعنى: واذكر يا محمد لقومك يوم يحشر أعداء الله المذكورون من عاد وثمود لا الأعداء من الأولين والآخرين بمعنى أنهم يجمعون إلى النار، كقوله: قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم لما سيأتي من قوله تعالى في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس والتعبير بالأعداء للذم والإيذان بعلة ما يحيق بهم من فنون العذاب. **﴿إلى النار﴾** إلى موقف الحساب إذ هناك تتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم إلى النار والتعبير عنه بالنار إما للإيذان بأنها عاقبة حشرهم، وأنهم على شرف دخولها، وإما لأن حسابهم يكون على شفيرها.

وفي الإشارة إلى أن من لم يمتثل إلى أوامر الله، ولم يجتنب عن نواهيه، ولم يتابع رسوله، فهو عدو الله، وإن كان مؤمناً بالله مقراً بوحدانيته، وأن ولي الله من كان يؤمن بالله ورسله، ويمتثل أوامر الله في متابعة الرسول، ويحشر الأولياء إلى الله وجنته كما يحشر الأعداء إلى نار البعد وجحيمه. **﴿فهم يوزعون﴾**: يقال: وزعته عن كذا كوضع كففته؛ أي: يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا، وهو كناية عن كثرة أهل النار. وفيه إشارة إلى أن في الوزع عقوبة لهم.

﴿حتى إذا ما جاؤوها﴾ غاية ليحشر وليوزعون؛ أي: حتى إذا حضروا النار جميعاً. وبالفارسية: [تاوقتى كه بيابند بآتش]. وما: مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور يعني: أن وقت مجيئهم النار لا بد أن يكون وقت الشهادة عليهم. **﴿شهد عليهم سمعهم﴾**. إلخ؛ لأنهم

كانوا استعملوها في معاصي الله بغير اختيارهم فشهدت الآذان بما سمعت من شر وأفرد السمع لكونه مصدراً في الأصل.

﴿وأبصارهم﴾ بما نظرت إلى حرام ﴿وجلودهم﴾ ظواهر أنفسهم وبشراتهم بما لامست محظوراً والجلد قشر البدن. وقيل: المراد بالجلود الجوارح والأعضاء. [واول عضوى كه تكلم كندزان كف دست راست بود]. ﴿بما كانوا يعملون﴾ في الدنيا. ويقال: تخبر كل جارحة بما صدر من أفاعيل صاحبها؛ لا أن كلاً منها تخبر بجناياتها المعهودة فقط، فالموصول عبارة عن جميع أعمالهم السيئة، وفنون كفرهم ومعاصيهم، وتلك الشهادة بأن ينطقها الله، كما أنطق اللسان إذ ليس نطقها بأغرب من نطق اللسان عقلاً، وكما أنطق الشجرة، والشاة المشوية المسمومة بأن يخلق فيها كلاماً، كما عند أهل السنة، فإن البنية ليست بشرط عندهم للحياة والعقل، والقدرة كما عند المعتزلة.

وفي «حواشي سعدي المفتي» بأن ينطقها لا على أن تكون تلك الأعضاء آلاته، ولا على أن تكون القدرة والإرادة آلة في الإنطاق، وكيف وهي كارهة لما نطقوا به بل على أن تكون الأعضاء هي الناطقة، بالحقيقة موصوفة بالقدرة والإرادة. وفيه تأمل انتهى.

روي: أنه عليه السلام ضحك يوماً حتى بدت نواجذه، ثم قال: لا تسألون مم ضحكت قالوا: مم ضحكت يا رسول الله. قال: عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة. قال: يقول يا رب أليس قد وعدتني أن لا تظلمني. قال: فإن لك ذلك. قال: فإني لا أقبل شاهداً إلا من نفسي، قال الله تعالى: أوليس كفى بي شهيداً، وبالملائكة الكرام الكاتبين، فيقول: أي رب أجرتني من الظلم، فلن أقبل عليّ شاهداً إلا من نفسي. قال: فيختم على فيه وتتكلم الأركان بما كان يعمل. قال عليه السلام: فيقول لهن بعداً، لكن وسحقاً عنكن كنت أجادل.

وهذه الرواية تنطق بأن المراد بالجلود الجوارح. وفيه إشارة إلى أن الجماد في الآخرة يكون حيواناً ناطقاً كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿وقالوا لجلودهم﴾ توبيخاً. ﴿لم شهدتم علينا﴾ وصيغة جمع العقلاء في خطاب الجلود. وكذا في قوله تعالى: ﴿قالوا أنطقنا﴾ إلخ. لوقوعها في موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء، ولعل تخصيص الجلود؛ لأنها بمرأى منهم بخلاف غيرها، أو لأن الشهادة منها أعجب وأبعد إذ ليس شأنها الإدراك بخلاف السمع والبصر.

والمراد: الإدراك اللازم للشهادة، وهو الإبصار أو الإسماع إذ الشهادة لا تكون إلا بالمعاينة، أو السماع والإدراك اللمسي لا مدخل له في الشهادة، فيحصل التعجب والبعد.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج؛ لأنها لا تخلو عن الجلود، والله حي يكني، وهو الأنسب بتخصيص السؤال بها في قوله، ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا﴾ قالوا: ما نشهد به. من الزنا أعظم جناية وقبحاً وأجلب للخزي والعقوبة مما

يشهد به السمع والأبصار من الجنايات المكتسبة بتوسيطها.

﴿قالوا﴾؛ أي: الجلود ﴿أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾. ناطق وأقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها. وفي الآية إشارة إلى أن الأرواح والأجسام متساوية في قدرة الله تعالى إن شاء جعل الأرواح بوصف الأجسام صماً بكماً عمياً فهم لا يعقلون، وإن شاء جعل الأجسام بوصف الأرواح تنطق وتسمع وتبصر وتعقل. ﴿وهو خلقكم أول مرة﴾: [واز عدم بوجود آورد]. ﴿وإليه ترجعون﴾ فإن من قدر على خلقكم وإنشائكم أولاً وعلى إعادتكم ورجعكم؛ أي: ردكم إلى جزائه ثانياً لا يتعجب من إنطاقه لجوارحكم.

وفي «تفسير الجلالين»: هو ابتداء إخبار عن الله تعالى وليس من كلام الجلود، ولعل صيغة المضارع مع أن هذه المحاورة بعد البعث، والرجع لما أن المراد بالرجع ليس مجرد الرد إلى الحياة بالبعث بل ما يعمه، وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع على أن فيه مراعاة الفواصل.

يقول الفقير: قد ثبت في علم الكلام: أن الله تعالى قد خلق كلاً من الحواس لإدراك أشياء مخصوصة كالسمع للأصوات والذوق للطعوم والشم للروائح، لكن ذلك الإدراك بمحض خلق الله تعالى من غير تأثير الحواس، فلا يمتنع أن يخلق عقيب صرف الباصرة إدراك الأصوات مثلاً، وإن لم يكن واقعاً بالفعل، وقد صح أن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى من كل جانب، وقس عليه الرؤية ليلة المعراج، فإنه عليه السلام كان بصراً محضاً في صورة الجسم، وكذلك اللسان، فإنه مخلوق للنطق، لكن الله تعالى إذا أراد كان جميع البدن لساناً مع أن الإنسان لما تشرف بالحياة والنطق كان جميع أجزائه ناطقاً حكيماً كما كان حياً حقيقة، وذلك لإضافته إلى الحي الناطق، بل وسر الحياة والنطق سار في جميع أجزاء العالم فضلاً عن أعضاء بني آدم. وقد ورد «إن كل شيء سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له يوم القيامة»، فهذه الشهادة من باب النطق لا عن علم وتعقل، فليحذر العبد عن شهادة الأعضاء، وكذا المكان والزمان.

وعن علاء بن زياد قال: ليس يوم يأتي من أيام الدنيا إلا يتكلم، ويقول: يا أيها الناس إني يوم جديد وأنا على ما يعمل في شهيد، وإني لو غربت شمسي لم أرجع إليكم إلى يوم القيامة.

قال الصائب: [غبار قابلة عمر جون نمايان نيست. دوا سبه رفتن ليل ونهار را درياب].

﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾. قوله: أن يشهد في موضع النصب بإسقاط الخافض؛ أي: من أن يشهد لأن استتر لا يتعدى بنفسه، أو في موضع الجر على تقدير المضاف؛ أي: مخافة أن يشهد ولا في الموضعين زائدة لتأكيد النفي. وهذه حكاية لما سيقال للأعداء يومئذٍ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريراً لجواب الجلود.

والمعنى: وما كنتم تستترون في الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة أن تشهد عليكم جوارحكم بذلك؛ لأنها كانت أجساماً صامتة غير ناطقة، ولم يكن في حسابكم ما استقبلكم كما كنتم تستترون من الناس بالحيطان والحجب وظلمة الليل مخافة الافتضاح عندهم، بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأساً فضلاً عن شهادة الأعضاء. وفيه تنبيه على أن المؤمن ينبغي أن يتحقق أن لا يمر عليه حال إلا وعليه رقيب، وأن الله معه أينما كان.

وفي الحديث: «أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان». [ياربا تست هر كجاهستى. جاى ديكر جه خواهى اى او باش. باتو در زيريك كليم جو اوست. بس برواى حريف خودرا باش]. فعلى العبد أن يحفظ نفسه ويحاسبها قبل أن تحاسب. قال البقلي في «عرائسه»: من باشر المعصية تظهر آثارها على جوارحه لا يقدر أن يسترها، ولو كان عالماً بنفسه يستغفر في السر عند الله حتى تضمحل آثارها، ولا يرى وجود تلك الآثار صاحب كل نظرة.

قال أبو عثمان رحمه الله: من لم يذكر في وقت مباشرته الذنوب شهادة جوارحه عليه يجترىء على الذنوب، ومن ذكر ذلك حين مباشرتها ربما تلحقه العصمة والتوفيق فيمنعانه عنها وفضوح الدنيا فالنار ولا العار. ﴿**ولكن ظننتم**﴾ عند استتاركم. ﴿**أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون**﴾ من القبائح المخفية، فلا يظهرها في الآخرة على تقدير وقوعها، ولذلك اجترأتم على ما فعلتم يشير إلى معتقد الفلاسفة الزنادقة، فإنهم يعتقدون أن الله لا يكون عالم الجزئيات، وفيه إيذان بأن شهادة الجوارح بإعلامه تعالى حينئذٍ، لا بأنها كانت عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم وأدخل الكثير لكونهم يزعمون أن الله يعلم ما يجهر به دون ما يسر.

عن ابن مسعود رضي الله عنه: كنت مستتراً بأستار الكعبة، فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه بطونهم. قيل: الثقفي عبد يا ليل والقرشيان ختناه ربيعة وصفوان بن أمية، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول: قال الآخر يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا، فذكرت ذلك للنبي عليه السلام، فأنزل الله تعالى: ﴿**وما كنتم تستترون**﴾ إلخ. فالحكم المحكي حينئذٍ يكون خاصاً بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة، ولعل الأنسب أن يراد بالظن معنى مجازي يعم المعنى الحقيقي، وما جرى مجراه من الأعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ [الهمزة: ٣]، فإن معناه يعمل عمل من يظن أن ماله يبقيه حياً، ليعم ما حكي من الحال جميع أصناف الكفرة، فتدبر كذا في «الإرشاد».

﴿**وذلكم**﴾: الظن أيها الأعداء، وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿**ظنكم الذي ظننتم بربكم**﴾، وإلا فالله تعالى عالم بجميع الكليات والجزئيات؛ لأنه متجل بأسمائه وصفاته في جميع الموجودات، وهو خالق الأعمال وسائر الأعراض والجواهر والمطلع على البواطن والسرائر، كما على الظواهر والتغاير بين العنوانين أمر جلي لظهور إن ظن عدم علم الله غير الظن بالرب، فيصح أن يكون خبراً له. ﴿**أرداكم**﴾: خبر آخر له؛ أي: أهلككم وطرحكم في النار. ﴿**فأصبحتم**﴾؛ أي: صرتم بسبب ذلك الظن السوء الذي أهلككم. ﴿**من الخاسرين**﴾: [اززيا نكاران]. إذ صار ما منحوا السعادة الدارين من القوة العاقلة، والأعضاء سبباً لشقاء النشأتين إما كونها سبباً لشقاء الآخرة، فظاهر، وأما كونها سبباً لشقاء الدنيا، فمن حيث إنها كانت مفضية في حقهم بسوء اختيارهم إلى الجهل والمركب بالله سبحانه وصفاته واتباع الشهوات، وارتكاب المعاصي.

وفي «التأويلات النجمية»: من الخاسرين الذين خسروا بذر أرواحهم في أرض أجسادهم، بأن لم يصل إليه ماء الإيمان والعمل الصالح، ففسد حتى صاروا بوصف الأجساد صماً بكماً عمياً، فهم لا يعقلون.

وفي «بحر العلوم»: من الخاسرين؛ أي: الكاملين في الخسران حيث ظننتم بالله ظن السوء وسوء الظن بالله من أكبر الكبائر كحب الدنيا.

وقال الحسن رحمه الله: إن قوماً ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا، وما لهم حسنة يقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي وكذب لو أحسن الظن لأحسن العمل. وتلا قوله تعالى **﴿وذلكم ظنكم﴾** الآية، فالظن اثنان ظن ينجي، وهو ما قارن حسن الاعتقاد، وصالح العمل وظن يردي، وهو ما لم يقارن ذلك، فلا بد من السعي: [درين دركاه سعى هيجكس ضايع نميكر دد. بقدر آنجة فرمان ميبرى فرمان روا كردى].

﴿فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فإن يصبروا﴾ في النار على العذاب وأمسكوا عن الاستغاثة والجزع مما هم فيه انتظاراً للفرج زاعمين أن الصبر مفتاح الفرج. **﴿فالنار مثوى لهم﴾**؛ أي: محل ثواء وإقامة أبدت لهم بحيث لا خلاص لهم منها، فلا ينفعهم صبرهم والالتفات إلى الغيبة للإشعار بأبعدهم عن حيز الخطاب والإبقاء في غاية دركات النار. **﴿وإن يستعتبوا﴾**؛ أي: يسألوا العتبى وهو الرجوع إلى ما يحبونه جزعاً مما هم فيه. **﴿فما هم من المعتبين﴾**؛ أي: المجابين إلى العتبى، فيكون صبرهم وجزعهم سواء في أن شيئاً منهما لا يؤدي إلى الخلاص ونظيره قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١].

قال في «تاج المصادر»: الإعتاب: [خشنود كردن والاستعتاب از كسى حق خواستن كه تراخشنود كندو آشتى خواستن]. وفي «القاموس»: العتبى الرضى واستعتبه أعطاه العتبى كأعتبه وطلب إليه العتبى ضد.

وفي «المفردات»: أعتبته: أزلت عنه عتبه نحو: [اشكيته]. ومنه: **﴿فما هم من المعتبين﴾**. والاستعتاب أن يطلب من الإنسان أن يذكر عتبه، فيعتب. والعتب: الشدة والأمر الكريه والغلظة التي يجدها الإنسان في نفسه على غيره.

﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وقيضنا لهم﴾: التقييض: تقدير [كردن وسبب ساختن]؛ أي: قدرنا وقرنا للكفرة في الدنيا. **﴿قرناء﴾**: جمع قرين؛ أي: أخداناً من شياطين الإنس والجن وأصدقاء يستولون عليه استيلاء القيض على البيض، وهو القشر الأعلى، وفيه حجة على القدرية، فإن هذا على التخلية بينهم وبين التوفيق لأجله صاروا قرناءهم، وهم لا يقولون بموجب الآية: **﴿فزينوا لهم﴾**؛ أي: قرناؤهم **﴿ما بين أيديهم﴾** من أمور الدنيا واتباع الشهوات. **﴿وما خلفهم﴾** من أمور الآخرة حيث أروهم أن لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط جعل أمر الدنيا بين أيديهم، كما يقال: قدمت المائدة بين أيديهم والآخرة، لما كانت تأتيهم بعد هذا جعلت خلفهم، كما يقال لمن يجيء بعد الشخش أنه خلفه.

وهذا هو الذي تقتضيه ملاحظة الترتيب الوجودي. وقيل: ما بين أيديهم الآخرة؛ لأنها قدامهم، وهم متوجهون إليها، وما خلفهم الدنيا؛ لأنهم يتركونها خلفهم.

وفي «عرائس البيان» زينت النفس الشهوات والشياطين التسويف والإمهال. وهذا ما بين

أيديهم وما خلفهم. قال الجنيد: لا تألف النفس الحق أبداً. وقال ابن عطاء: النفس قرين الشيطان، وإلفه ومتبعه فيما يشير إليه مفارق للحق مخالف له لا يألف الحق ولا يتبعه. قال الله تعالى: ﴿**وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم**﴾ من طول الأمل وما خلفهم من نسيان الذنوب.

[در سر اين غافلان طول امل دانى كه جيست آشيان كردست مارى دركبو ترخانة]. ﴿**وحق عليهم القول**﴾؛ أي: ثبت، وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقيق موجبها ومصداقها، وهي قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٥] ونحوه: ﴿**في أمم**﴾: حال من الضمير المجرور؛ أي: كائنين في جملة أمم، وقيل: في بمعنى مع هذا كما ترى صريح في أن المراد بأعداء الله فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الأولين والآخرين، كما قيل: ﴿**قد خلت**﴾: صفة الأمم؛ أي: مضت ﴿**من قبلهم من الجن والإنس**﴾ على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء الكفار. ﴿**إنهم كانوا خاسرين**﴾: تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للأولين والآخرين. [زنقد معرفت امروز مفلس. زسود آخرت فردا تهى دست].

وفي «كشف الأسرار»: إذا أراد الله بعبد خيراً قيض له قرناء خير يعينونه على الطاعة ويدعونه إليها، وإذا أراد الله بعبد سوء قيض له أخدان سوء يحملونه على المخالفات، ويدعونه إليها، ومن ذلك الشيطان، فإنه مسلط على الإنسان بالوسوسة، وشر من ذلك النفس الأمارة بالسوء تدعو اليوم إلى ما فيه هلاكها وهلاك العبد وتشهد غداً عليه بما دعته إليه وأوحى إلى داود عليه السلام، عاد نفسك يا داود، فقد عزمت على معاداتك. ولهذا قال عليه السلام: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر». في الخبر: «من مقت نفسه في ذات الله، أمنه الله من عذاب يوم القيامة» قير أبو علي دقاق: [را قدس سره برسيد ندكه خويشين راجه كونه مى بينى كفت جنان مى بينم كه اكر نيجاه ساله عمر مرا بر طبقى نهندو كردهفت آسمان وهفت زمين بكردانند مرا از هيج ملك مقرب درآسان شرم نبايد داشت واز هيج آفريده در زمين حلالى نبايد خواست اى مرد بدين صفت كه شنيدى بوقت نزع كوزة آب بيش وى داشتند كفتند در حرارت جان داد جكر را تبريدى بده كفت هنكام آن نيست كه اين دشمن اصلى را واين نفس ناكسى را شربتى سازم نبايدكه جون قوت يابد دمار از من بر آرد. نفس ازدرهاست اوكى مرده است. از غم بى آلتى افسر ده است. كربيابد آلتى فرعون او. كه بامر او همى رفعت آب جو. آنكه او بنياد فرعونى كند. راه صد موسى وصد هارون زند].

وإذا كانت النفس بهذه الشقاوة والخسارة، فلا بد من إصلاحها وتزكيتها لئلا يحق عليها القول، وتدخل النار مع الداخلين وأصل الخسارة إفساد الاستعداد الفطري كإفساد بعض الأسباب البيضة، فإنها إذا فسدت لم ينتفع بها. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الرابحين لا من الخاسرين، وأن يكون عوناً لنا على النفس وإبليس وسائر الشياطين.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿**وقال الذين كفروا**﴾ من رؤساء المشركين لأعقابهم وأشقيائهم، أو قال بعضهم لبعض.

﴿**لا تسمعوا**﴾ : [مشنويد وكوش منهيد] ﴿**لهذا القرآن**﴾ لسماعه. ﴿**والغوا فيه**﴾ : اللغو من الكلام ما لا يعتد به، وهو الذي لا عن روية وفكر، فيجري مجرى اللغاء، وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور؛ أي: ائتوا فيه بالباطل من الكلام الذي لا طائل تحته وعارضوه بالخرافات، وهي الهذيان. والأحاديث التي لا أصل لها مثل قصة رستم واسفنديار وبإنشاء الأرجاز والأشعار، وبالتصدية والمكاء؛ أي: التصفيق والصفير، وارفعوا أصواتكم بها لتشوشوا على القارىء، فيختلط عليه ما يقرأه.

﴿**لعلكم تغلبون**﴾ ؛ أي: تغلبونه على قراءته، فيترك القراءة، ولا يتمكن السامع أيضاً من سماعه أرادوا بذلك التلبيس والتشويش الأذية. وأيضاً: خافوا من أنه لو سمعه الناس لآمنوا به. وكان ذلك غالباً شأن أبي جهل وأصحابه. وفيه إشارة إلى أن من شأن النفوس المتمردة إنشاء اللغو والباطل، وحديث النفس على الدوام اشتغالاً للقلوب بها عن استماع الإلهامات الربانية لعلها تغلب عليها، ولم تعلم أن من استغرق في سماع أسرار الغيب، فليس له عما سوى الله خبر، ولا لحديث النفس فيه أثر.

﴿**فلنذيقن الذين كفروا**﴾ ؛ أي: فوالله لنذيقن هؤلاء القائلين واللاغين، أو جميع الكفرة، وهم داخلون فيهم دخولاً أولياً. ﴿**عذاباً شديداً**﴾ ، لا يقادر قدره كما دل التنكير والوصف، وهذا تهديد شديد؛ لأن لفظ الذوق إنما يذكر في القدر القليل يؤتى به؛ لأجل التجربة. وإذا كان ذلك الذوق، وهو قدر قليل عذاباً شديداً، فقس عليه ما بعده. وفيه إشارة إلى أن الله تعالى إذا تجلى للقلوب احترقت النفوس بالفناء عن أوصافها، وهو عذابها، فكانت كأهل الجزية والخراج في أرض الإسلام، فكما كان أهل الإيمان في سلامة من أذاهم، فكذا القلوب مع النفوس إذ لا كفر واعتراض مع الإيمان والتسليم. ﴿**ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون**﴾ ؛ أي: جزاء سيئات أعمالهم التي هي في أنفسها أسوأ، فإذا كانت أعمالهم أسوأ كان جزاؤها كذلك، فالأسوأ قصد به الزيادة المطلقة، وإنما أضيف إلى ما عملوا للبيان، والتخصيص.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: عذاباً شديداً يوم بدر وأسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة. ﴿**ذلك**﴾ المذكور من الجزاء، وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿**جزاء أعداء الله**﴾ ؛ أي: جزاء معد لأعدائه﴿**النار**﴾ عطف بيان للجزاء، أو ذلك خبر مبتدأ محذوف؛ أي: الأمر ذلك على أنه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبنية لما قبلها، أو النار مبتدأ خبره.

قوله: ﴿**لهم فيها دار الخلد**﴾ ؛ أي: هي بعينها دار إقامتهم لا انتقال لهم. منها: على أن في للتجريد لا للظرفية، وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله مبالغة لكماله فيها، كما يقال في البيضة عشرون منا من حديد. وقيل: هي على معناها؛ أي: للظرفية. والمراد: أن لهم في النار المشتملة على الدركات دار مخصوصة هم فيها خالدون.

﴿**جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون**﴾ : منصوب بفعل مقدر؛ أي: يجزون جزاء. والباء الأولى متعلقة بجزاء. والثانية بيجحدون. وقدمت عليه لمراعاة الفواصل؛ أي: بسبب ما كانوا يجحدون بآياتنا الحقة أو يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سبباً للغو.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ (٢٩)﴾.

﴿**وقال الذين كفروا**﴾ : وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب. ﴿**ربنا أرنا الذين أضلانا من**

الجن والإنس﴾ ؛ أي: أرنا الشيطانين اللذين حملانا على الضلال بالتسويل والتزيين من نوعي الجن والإنس؛ لأن الشيطان بين جني وإنسي بدليل قوله: شياطين الإنس والجن.

وقوله: من الجنة والناس. ويقال: أحدهما قابيل بن آدم سنّ القتل بغير حق، والذي من الجن إبليس سن الكفر والشرك، فيكون معنى أضلانا: سنا لنا الكفر والمعصية كما في «عين المعاني». ويشهد لهذا القول الحديث المرفوع «ما من مسلم يقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم كفل من دمه؛ لأنه أول من سن القتل». أخرجه الترمذي.

ويروى أن قابيل شدت ساقاه بفخذيه يدور مع الشمس حيث دارت يكون في الشتاء في حظيرة ثلج. وفي الصيف في حظيرة نار. **﴿نجعلهما تحت أقدامنا﴾** ؛ أي: ندسهما انتقاماً منهما **﴿ليكونا من الأسفلين﴾** ؛ أي: ذلاً ومهانة، أو نجعلهما في الدرك الأسفل من النار تشفياً منهما بذلك، ليكونا من الأسفلين مكاناً وأشد عذاباً منا.

وفي الآية إشارة إلى أن النفوس إذا فنيت عن أوصافها بنار أنوار التجلي وذاقت حلاوة القرب تلتمس من ربها إطلاعها على بقايا الأوصاف الشيطانية والحيوانية التي جبلت النفوس عليها ليمكنها منها، فتجعلها تحت أقدام همتها بإفنائها، فتعلو بها إلى مقامات القرب ليكونا من الأسفلين، وتكون من الأعلون. وهذا إنما يكون في الترقي من مقام إلى مقام إذ بقية المقام الأدنى لا تزول إلا بالترقي إلى المقام الأعلى. وهكذا إلى نهاية المقامات فعلى العبد أن يجتهد، حتى يخرج من الدنيا مع فناء النفس لا مع بقائها؛ فإنه إذا خرج منها بالفناء خلص من الجزع وإلا وقع فيه كما وقع الكفرة، ولا فائدة في الجزع يوم القيامة.

وفي الآية تنبيه على أن الأخلاء يومئذٍ أعداء، فالخليل للمؤمن في الدارين ليس إلا الله. وكان رجل له حبيب فتوفي، فجزع عليه جزعاً شديداً حتى صار مجنوناً، فذكر حاله لأبي يزيد البسطامي قدس سره، فأتى إليه وهو مقيد في دار المرضى، فقال له أبو يزيد: يا هذا غلطت في الابتداء حيث أحببت الحي الذي يموت، وهلا أحببت الحي الذي لا يموت فأفاق المجنون من جنونه وأقبل على عبادة الله حتى صار من جملة الكبراء. وفي المثنوي:

جون زعلت وارهيدى اى رهين	سر كه رابكذار وميخور انكبين
تخت دل معمور شد باك ازهوا	بروى الرحمن على العرش استوى
حكم بردل بعد ازين بى واسطه	حق كند جون يافت دل اين رابطه

يشير إلى أنه لا بد من رياضة النفس إلى أن تتخلص من العلة، فما دامت العلة فلتقنع بالخل، فإذا ذهبت فقد حكم عليها القلب، وليس شأنه إلا إبقاء الحلاوة وإطعام اللذائذ، بل لو طهر السر عما سوى الله استوى الرحمٰن على عرش القلب، فكان دوران العبد مع الله في كل حال، فلا يجد إلا الحضور والسكون نسأل الله ذلك الفوز العظيم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿إن الذين قالوا ربنا الله﴾. اعترافاً بربوبيته وإقراراً بوحدانيته فربنا الله من باب صديقي زيد يفيد الحصر.

﴿ثم استقاموا﴾: أي ثبتوا على الإقرار بقولهم: ربنا الله ومقتضياته بأن لا تزل قدمهم عن طريق العبودية قلباً وقالباً، ولا تتخطاه. وفيه يندرج كل العبادات والاعتقادات بصفة الدوام إلى وقت الوفاة، فثم للتراخي في الزمان، أو في الرتبة، فإن الاستقامة لها الشأن كله، يعني: المنتهى، وهي الاستقامة لكونه مقصوداً أعلى حالاً من المبدأ، وهو الإقرار واستقامة الإنسان لزومه للمنهج المستقيم. وما روي عن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في معناها من الثبات على الإيمان، كما روي عن عمر رضي الله عنه ومن إخلاص العمل، كما روي عن عثمان رضي الله عنه. ومن أداء الفرائض كما روي عن علي رضي الله عنه، فبيان لجزئياتها. أنس بن مالك رضي الله عنه: [كفت آن روزكه اين آيت فرود آمد رسول خدا شاد شد وازشادى كفت امتى ورب الكعبة].

وذلك لأن اليهود والنصارى لم تستقم على دينهم حتى قالوا: عزير ابن الله والمسيح ابن الله ونحو ذلك. وكفروا بنبوة رسول الله عليه السلام، ومن الاستقامة أن لا يرى المرء النفع والضر إلا من الله، ولا يرجو من أحد دون الله، ولا يخاف أحداً غيره.

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قلت: يا رسول الله أخبرني بأمر أعتصم به. قال: «قل ربي الله، ثم استقم». قال: قلت: ما أخوف ما يخاف عليّ. فأخذ رسول الله بلسان نفسه، وقال: «هذا»، وكان الحسن إذا تلا هذه الآية. قال: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة.

صاحب «كشف الأسرار»: [فرمودكه ربنا الله عبارت از توحيد اقرارست كه عائد مؤمنان راست ثم استقاموا اشارت بتوحيد معرفت كه عارفان وصديقان راست توحيد اقرار آنست كه الله رايكتا كويى وتوحيد معرفت آنست كه اورا يكستا شناسى يعنى از همه جهت بوحدت او بينا كردى با آنكه در عالم وحدت جهت نيست. نى جهت مى كنجدا ينجا نى صفت. نى تفكرنى بيان نى معرفت. آتشى از سروحدت برفروخت. غير واحد هرجه بيش آمد بسوخت. أبو يزيد بسطامي قدس سره وقتى برمقام علم ايستاده بود از توحيد اقرار نشان ميداد مريدى كت اى شيخ خدايرا شناسى كفت در كل عالم خود كسى باشدكه خدايرا ننشناسد ياندااند وقتى ديكر غريق بحر توحيد معرفت بود وحريق نار محبت اوراكفتند خدايرا شناسى كفت من كه باشم كه اوراشناسم ودر كل عالم خود كسى باشدكه اوراشناسد. در عشق تومن كيم كه در منزل من. از وصل رخت كلى دمدبر كل من، بير طريقت كفت صحبت باحق دوحر فست اجابت واستقامت اجابت عهدست استقامت وفا اجابت شريعت است واستقامت حقيقت درك شريعت هز ارسال بساعتى در توان يافت ودرك حقيقت ساعتى بهزار سال درنتوان يافت].

وفي «التأويلات النجمية»: تشير الآية إلى يوم الميثاق لما خوطبوا بقوله: ألست بربكم. قالوا: بلى؛ أي: ربنا الله، وهم الذريات المستخرجة من ظهر آدم عليه السلام أقروا بربوبيته، ثم استقاموا على إقرارهم بالربوبية ثابتين على أقدام العبودية لما أخرجوا إلى عالم الصورة، ولهذا ذكر بلفظ، ثم لأنه للتراخي، فأقروا في عالم الأرواح، ثم استقاموا في عالم الأشباح، وهم المؤمنون بخلاف المنافقين والكافرين؛ فإنهم أقروا، ولم يستقيموا على ذلك، فاستقامة العوام في الظاهر بالأوامر والنواهي. وفي الباطن بالإيمان والتصديق، واستقامة الخواص في الظاهر بالتجريد عن الدنيا وترك زينتها وشهواتها. وفي الباطن بالتفريد عن نعيم الجنان شوقاً إلى لقاء الرحمٰن، وطلب العرفان واستقامة الأخص في الظاهر برعاية حقوق المتابعة على وفق المبايعة بتسليم النفس والمال.

وفي الباطن بالتوحيد في استهلاك الناسوتية في اللاهوتية ليستقيم بالله مع الله فانياً عن الأنانية باقياً بالهوية بلا أرب من المحبوب مكتفياً عن عطائه ببقائه، ومن مقتضى جوده بدوام فنائه في وجوده. **﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾** من جهته تعالى يمدونهم فيما يعرض لهم من الأمور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم، ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الإلهام كما أن الكفرة يمدهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح. وكذا تتنزل عند الموت بالبشرى. وفي القبر وعند البعث إذا قاموا من قبورهم **﴿أن﴾** مفسرة بمعنى؛ أي: أو مخففة من الثقيلة. والأصل بأنه والهاء ضمير الشأن؛ أي: يتنزلون ملتبسين بهذه البشارة، وهي **﴿لا تخافوا﴾** ما تقدمون عليه من أمر الآخرة، فلا ترون مكروهاً؛ فإن الخوف غم يلحق لتوقع المكروه. **﴿ولا تحزنوا﴾** على ما خلفتم من أهل وولد؛ فإنه تعالى يخلفكم عليهم بخير ويعطيكم في الجنة أكثر من ذلك وأحسن، ويجمع بينكم وبين أهاليكم وأولادكم المسلمين في الجنة، فإن الحزن غم يلحق من فوات نافع، أو حصول ضار.

وفي «التأويلات النجمية»: الخوف إنما يكون في المستقبل من الوقت، وهو بحلول مكروه، أو فوات محبوب، والملائكة يبشرونهم بأن كل مطلوب لهم سيكون، وكل محذور لهم لا يكون، والحزن من حزونة الوقت والذي هو راضٍ بجميع ما يجري مستسلم للأحكام الأزلية، فلا حزونة في عيشه، بل من يكون قائماً بالله وهائماً في الله دائماً مع الله لا يدركه الخوف والحزن والملائكة يبشرونهم أن لا تخافوا ولا تحزنوا على فوات العناية في السابقة.

﴿وأبشروا﴾؛ أي: سروا. وبالفارسية: [شاد شويد فان الا بشار شادشدن]. **﴿بالجنة التي كنتم توعدون﴾** في الدنيا على ألسنة الرسل هذا من بشارتهم في أحد المواطن الثلاثة. وعن ثابت: بلغنا إذا انشقت الأرض يوم القيامة ينظر المؤمن إلى حافظيه قائمين على رأسه يقولان له: لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة الموعودة وإنك سترى اليوم أموراً لن ترى مثلها، فلا تهولنك، فإنما يراد بها غيرك.

وفي «التأويلات النجمية»: وأبشروا بجنة الوصلة، فإن الوعد صار نقداً، فما بقي الوعد والوعيد. وما هو إلا عيد في القيد فأوعد الله للعوام من جميع الثواب للخواص من حسن المآب نقد لأخص الخواص من أولي الألباب (ع): [جنت نقدست انيجا حالت ذوق وحضور]. ويقال: لا تخافوا من عزل الولاية ولا تحزنوا على ما أسلفتم من الجناية وأبشروا بحسن العناية في البداية لا تخافوا فطالما كنتم من الخائفين، ولا تحزنوا فقد كنتم من العارفين وأبشروا بالجنة فلنعم أجر العاملين.

[فردا هر جه شرايعست همه را قلم نسخ در كشند نماز وروزه حج وجهاد روا باشدكه بيايان رسد ومنسوخ شود اما عقد محبت وعهد معرفت هر كز نشايدكه منسوخ شود جون در بهشت روى هر روزى كه برتو بكزرد از شناخت حق سبحانه وتعالى برتو عالمى كشاده شودكه بيش ازان نبوده اين كاريست كه هركز بسرنيايد ومباداكه بسر آيد. تامن بريم بيشه وكارم اينست. آرام وقرار وغمكسارم اينست. روزم اينست وروز كارم اينست. جوينده صيدم وشكارم اينست].

قال البقلي قدس سره: عجبت ممن استقام مع الله في مشاهدته وإدراك جماله كيف يطيق الملائكة أن يبشروه أين الملك والفلك بين الحبيب والمحب، وليس وراء بشارة الحق بشارة،

فإن بشارة الحق سمعوها قبل بشارة الملائكة بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢] ليس لهم خوف القطيعة ولا حزن الحجاب، وهم في مشاهدة الجبار. وقول الملائكة ها هنا معهم تشريف لهم؛ لأنهم يحتاجون إلى مخاطبة القوم، وهم أحباؤنا في نسب المعرفة وخدامنا من حيث الحقيقة ألا ترى كيف سجدوا لأبينا.

﴿**نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا**﴾. إلخ. من بشاراتهم في الدنيا؛ أي: أعوانكم في أموركم نلهمكم الحق ونرشدكم إلى ما فيه خيركم وصلاحكم بدل ما كانت الشياطين تفعل بالفكرة. ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من أن ذلك بتوفيق الله وتأييده لهم بواسطة الملائكة.

قال جعفر رضي الله عنه: من لاحظ في أعماله الثواب والأغراض كانت الملائكة أولياءه، ومن عملها على مشاهدته تعالى، فهو وليه؛ لأنه يقول: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧]. ﴿**وفي الآخرة**﴾: نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادي والتخاصم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى ولاية الرحمة للعوام وولاية النصرة للخواص وولاية المحبة لأخص الخواص فبولاية الرحمة للعوام في الحياة الدنيا يوفقهم لإقامة الشريعة. وفي الآخرة يجازيهم بالجنة وبولاية النصرة للخواص في الحياة الدنيا يسلطهم على أعدى عدوهم، وهو نفسهم الأمارة بالسوء ليجعلوها مزكاة من أخلاقها الذميمة وأوصافها الدنيئة، وفي الآخرة بجذبة ارجعي إلى ربك، وبولاية المحبة لأخص الخواص في الحياة الدنيا يفتح عليهم أبواب المشاهدات والمكاشفات. وفي الآخرة يجعلهم من أهل القربات والمعاينات. ومن ولاية الله تعالى عفو الزلل، فإن الزلل لا يزاحم الأزل.

أبو يزيد بسطامي قدس سره: [در راهى ميرفت او از جمعى بكوش رى رسيد خواست كه آن حال باز داند فرا رسيدكه كودكى را ديد در كل سياه افتاده وخلقى بنظاره ايستاده ناكاه مادر آن كودك از كوشه در دويد وخودرا درميان كل افكند وآن كودك رابر كرفت وبرفت ابو يزيد جون آن بديد وقتش خوش كشت نعرة بزد ايستاده وميكفت شفقت بيامد آلايش ببرد ومحبت بيامد معصيت ببرد وعنايت بيامد جنايت] ببرد العذر عندي لك مبسوط والذنب على مثلك محطوط.

قال الحافظ: [بيوش دامن عفوى بذلت من مست، كه آب روى شريعت بدين قدر نرود]. ﴿**ولكم**﴾ لا لغيركم من الأعداء. ﴿**فيها**﴾؛ أي: في الآخرة. ﴿**ما تشتهي أنفسكم**﴾ من فنون اللذائذ. ﴿**ولكم فيها ما تدعون**﴾ ما تتمنون. وبالفارسية: [هرجه شما آرزو خواهيد]. افتعال من الدعاء بمعنى الطلب، وهو أعم من الأول إذ لا يلزم أن يكون كل مطلوب مشتهى كالفضائل العلمية، وإن كان الأول أعم أيضاً من وجه بحسب حال الدنيا، فالمريض لا يزيد ما يشتهيه ويضر مرضه إلا أن يقال التمني أعم من الإرادة وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهي بأن يقول، وما تدعون للإشباع في البشارة والإيذان باستقلال كل منهما. ﴿**نزلاً**﴾ رزقاً كائناً. ﴿**من غفور**﴾ للذنوب العظام مبدل للسيئات بالحسنات. ﴿**رحيم**﴾ بالمؤمنين من أهل الطاعات بزيادة الدرجات والقربات قوله: نزلا حال مما تدعون؛ أي: من الموصول، أو من ضميره المحذوف؛ أي: ما تدعونه مفيدة، لكون ما يتمنونه بالنسبة إلى ما يعطون من عظائم

الأمور كالنزل، وهو ما يهيأ للنزيل؛ أي: الضيف من الرزق؛ كأنه قيل: وثبت لكم فيها الذي تدعونه حال كونه كالنزل للضيف، وأما أصل كرامتكم، فمما لا يخطر ببالكم فضلاً عن الاشتهاء، أو التمني.

وفي «التأويلات النجمية» نزلاً؛ أي: فضلاً وعطاء وتقدمة لما سيدوم إلى الأزل من فنون الأعطاف وأصناف الألطاف. وذلك لأن عطاء الله تعالى يتجدد في كل آن خصوصاً لأهل الاستقامة من أكامل الإنسان ويظهر في كل وقت وموطن ما لم يظهر قبله وفي غيره ويكون ما في الماضي كالنزل لما يظهر في الحال، ومن هنا قالوا: ما ازداد القوم شرباً إلا ازدادوا عطشاً. وذلك لأنه لا نهاية للسير إلى الله في الدنيا والآخرة. وفي المثنوي:

هركه جز ما هى زآبش سيرشد هركه بى روزيست روزش ديرشد

وفيه إشارة إلى أن بعض الناس لا نصيب له من العشق والذوق والتجلي ويومه ينقضي بالهموم وتطول حسرته، ولذلك كان يوم القيامة خمسين ألف سنة. قال ابن الفارض في آخر القصيدة الخمرية: على نفسه فليبك من ضاع عمره. وليس له منها نصيب ولا سهم. قال الصائب: [ازين جه سودكه دركلستان وطن دارم. مراكه عمر جونر كس بخواب ميكذرد]. ومن الناس من له نصيب من هذا الأمر لكن لا على وجه الكمال، ومنهم من لم يحصل له الري أصلاً، وهو حال الكمال.

حكي أن يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه: كتب إلى أبي يزيد البسطامي قدس سره سكرت من كثرة ما شربت من كأس حبه فكتب إليه أبو يزيد:

شربت الحب كأساً بعد كأس فما نفد الشراب ولا رويت

أشار إلى أن حصول الري إنما هو للضعفاء، وأما الأقوياء، فإنهم يقولون: هل من مزيد ولو شربوا سبعة أبحر جعلنا الله، وإياك هكذا من فضله.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿ومن﴾ استفهام. والمعنى بالفارسية: [وكيست]. **﴿أحسن﴾** نيكوتر **﴿قولا﴾**: [از جهت سخن]. **﴿مما دعا إلى الله﴾**؛ أي: إلى توحيده وطاعته. **﴿وعمل صالحاً﴾** فيما بينه وبين ربه. **﴿وقال إنني من المسلمين﴾** ابتهاجاً بأنه منهم، أو اتخاذاً للإسلام ديناً ونحلة إذ لا يقبل طاعة بغير دين الإسلام من قولهم هذا قول فلان؛ أي: مذهبه لا أنه تكلم بذلك. وفيه رد على من يقول: أنا مسلم إن شاء الله، فإنه تعالى قال مطلقاً غير مقيد بشرط إن شاء الله. وقال علماء الكلام: إن قاله للشك، فهو كفر لا محالة، وإن كان للتأدب مع الله وإحالة الأمور إلى مشيئة الله أو للشك في العاقبة والمآل لا في الآن. والحال وللتبرك بذكر الله، أو التبري من تزكية نفسه والإعجاب بحاله، فجائز، لكن الأولى تركه لما أنه يوهم الشك وحكم الآية عام لكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة التي هي الدعوة والعمل والقول، وإن نزلت في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، أو في أصحابه رضي الله عنهم، أو في المؤذنين؛ فإنهم يدعون الناس إلى الصلاة، فإن قلت السورة بكاملها مكية بلا خلاف الآذان إنما شرع بالمدينة قلت: يجعل من باب ما تأخر حكمه عن نزوله، وكم في القرآن منه، وإليه ذهب بعض الحفاظ كابن حجر وغيره. اعلم أن للدعوة مراتب، الأولى: دعوة «الأنبياء» عليهم السلام، فإنهم

يدعون إلى الله بالمعجزات والبراهين وبالسيف.

وفي «التأويلات النجمية»: تشير الآية إلى أن أحسن قول قاله الأنبياء والأولياء قولهم بدعوة الخلق إلى الله، وكان عليه السلام مخصوصاً بهذه الدعوة كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، وهو أن يكتفي بالله من الله لم يطلب منه غيره:

خلاف طريقت بود كاوليا تمنا كنند از خدا جز خدا

وقال وعمل صالحاً؛ أي: كما يدعو الخلق إلى الله يأتي بما يدعوهم إليه يعني: سلكوا طريق الله إلى أن وصلوا إلى الله وصولاً بلا اتصال ولا انفصال فبسلوكهم ومناراتهم عرفوا الطريق إلى الله، ثم دعوا بعد ما عرفوا الطريق إليه الخلق إلى الله. ﴿**وقال إنني من المسلمين**﴾ لحكمه الراضين بقضائه وتقديره. والمرتبة الثانية: دعوة العلماء؛ فإنهم يدعون إلى الله تعالى بالحجج والبراهين فقط.

قال الكاشفي: إمام أبو الليث: [فرموده كه مراد يعنى از آيت مذكورة علما اندكه معالم دين بمردم آموزند وعمل صالح ايشان آنست كه هرجه دانند بدان كار كنند بامحتسبا نندكه قواعد امر معروف ونهى منكررا تمهيد دهند وعمل صالح ايشان صبر وتحمل است بر آنجه بديشان رسد از مكاره].

ثم إن العلماء ثلاثة أقسام: عالم بالله غير عالم بأمر الله وعالم بأمر الله غير عالم بالله وعالم بالله وبأمر الله. أما الأول: فهو عبد استولت المعرفة الإلٰهية على قلبه، فصار مستغرقاً في مشاهدة الجلال وصفات الكبرياء، فلا يتفرغ لتعلم علم الأحكام إلا قدر ما لا بد له. وأما الثاني: فهم الذين عرفوا الحلال والحرام ودقائق الأحكام، ولكنهم لا يعرفون أسرار جلال الله وجماله. أما مع الإقرار بأصحاب هذا الشأن، أو بإنكارهم. والثاني: ليس من عداد العلماء، وأما العالم بالله وبأحكامه، فهم الجامعون لفضائل القسمين الأولين، وهم تارة مع الله بالحب والإرادة وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة، فإذا رجعوا إلى الخلق صاروا معهم كواحد منهم؛ كأنهم لا يعرفون الله وإذا خلوا مع ربهم صاروا مشتغلين بذكره؛ كأنهم لا يعرفون الخلق. وهذا سبيل المرسلين والصديقين، فالعارف يدعو الخلق إلى الله ويذكر لهم شمائل القدم ويعرفهم صفات الحق وجلال ذاته، ويحبب الله في قلوبهم، ثم يقول بعد كماله وتمكينه إنني واحد من المسلمين من تواضعه ولطف حاله:

از زنك كبر آينة خويش ساده كن درزير با نظر كن وحج بياده كن

والمرتبة الثالثة: الدعوة بالسيف، وهي للملوك؛ فإنهم يجاهدون الكفار حتى يدخلون في دين الله وطاعته، فالعلماء خلف الأنبياء في عالم الأرواح والملوك خلف الأنبياء في عالم الأجسام.

والمرتبة الرابعة: دعوة المؤذنين إلى الصلاة، وهي أضعف مراتب الدعوة إلى الله، وذلك أن ذكر كلمات الأذان، وإن كان دعوة إلى الصلاة لكنهم يذكرون تلك الألفاظ الشريفة بحيث لا يحيطون بمعناها، ولا يقصدون الدعوة إلى الله، فإذا لم يلتفتوا إلى مال الوقف وراعوا شرائط الأذان ظاهراً وباطناً وقصدوا بذلك مقصداً صحيحاً، كانوا كغيرهم من أهل الدعوة. [فضيل رفيده كفت مؤذن بودم در روزكار أصحاب رضي الله عنهم عبد الله بن مسعود

وعاصم بن هبيرة مراكفت جون زبانك نماز فارغ شوى بكو وأنا من المسلمين نبينى كه رب العالمين كفت].

وقال: «إنني أول المسلمين». وفي الحديث: «الملك في قريش والقضاء للأنصار والأذان للحبشة». وفيه مدح لبلال الحبشي رضي الله عنه. وكذا في الآية تعظيم لشأنه خصوصاً؛ لأنه مؤذن الداعي إلى الله على بصيرة، وهو المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم. صاحب «عين المعاني»: [آورده كه جون بلال بانك نماز آغاز كردى يهود كفتندى كلاغ ندامى كند وبنماز ميخواند وسخنان بيهوده برزبان ايشان كذشتى اين آيت نازل شد وبر تقديرى كه مؤذنان باشند عمل صالح ايشان آنست درميان اذان واقامت دو ركعت نماز كذا رند].

قال عمر رضي الله عنه: لو كنت مؤذناً ما باليت أن لا أحج ولا أجاهد ولا أعتمر بعد حجة الإسلام. صاحب «كشف الأسرار»: [فرموده كه حق جل وعلا مؤذنان امت احمد بنج كرامت كرده]. حسن الثناء وكمال العطاء ومقارنة الشهداء ومرافقة الأنبياء والخلاص من دار الشقاء. [كرامت أول ثناء جميل است وسند خداوند كريم كه در حق مؤذن ميكويد]. ومن أحسن قولاً. إلخ. [أحسن بر لفظ مبالغت كفت همجنانكه تعظيم قرآنرا كفت الله نزل أحسن الحديث قرآن أحسن الآيات است وبانك نماز احسن الكلمات زيرا درو تكبير وتعظيم وإثبات وحدانيت خداوند أعلى وإثبات نبوت مصطفى].

وفي الخبر: «من كثرت ذنوبه، فليؤذن بالأسحار» عمر بن الخطاب رضي الله عنه. [كفت يا رصول الله اين وقت سحررا باين معنى جه خاصيت است كفت]. والذي بعث بالحق محمداً إن النصارى إذا ضربت نواقيسها في أديارها فيثقل العرش على مناكب حملة العرش، فيتوقعون المؤذنين من أمتي، فإذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر. خف العرش على مناكب حملة العرش.

قال الإمام السيوطي رحمه الله: أول ما حدث التسبيح بالأسحار على المنابر في زمن موسى عليه السلام حين كان بالتيه واستمر بعده إلى أن كان زمن داود عليه السلام وبنى بيت المقدس فرتب فيه عدة يقومون بذلك البيت على الآلات وبغيره بلا آلات من الثلث الأخير من الليل إلى الفجر إلى أن خرب بيت المقدس بعد قتل يحيى عليه السلام. وقام اليهود على عيسى عليه السلام، فبطل ذلك في جملة ما بطل من شرائع بني إسرائيل. وأما في هذه الملة المحمدية، فكان ابتداء عمله بمصر. وسببه أن مسلمة بن مخلد الصحابي رضي الله عنه بنى وهو أمير مصر مناراً بجامع عمرو واعتكف فيه، فسمع أصوات النواقيس عالية، فشكا ذلك إلى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين، فقال إني أمد الأذان من نصف الليل إلى قرب الفجر؛ فإنهم لا ينقسون إذا أذنت، ففعل ثم لما كان أحمد بن طولون رتب جماعة نوباً يكبرون ويسبحون ويحمدون ويقولون قصائد زهدية، وجعل لهم أرزاقاً واسعة، ومن ثمة اتخذ الناس قيام المؤذنين في الليل على المنابر، فلما ولي السلطان صلاح الدين بن أيوب أمر المؤذنين في وقت التسبيح أن يعلنوا بذكر العقيدة الأشعرية، فواظب المؤذنون على ذكرها كل ليلة إلى وقتنا هذا، انتهى.

يقول الفقير: آل الأمر في زمننا هذا في بلاد الروم إلى أن السلاطين من ضعف حالهم في الدين صاروا مغلوبين، فانتقل كثير من البلاد الإسلامية إلى أهل الحرب، فجعلوا المساجد

كنائس والمنارات مواضع النواقيس، ولما كان الناس على دين ملوكهم صار الأمر في البلاد الباقية في أيدي المسلمين إلى الوهن والهدم، بحيث تخربت بعض المحلات بالكلية مع المساجد الواقعة فيها، وتعطل بعضها عن العمار من المسلمين بسبب توطن أهل الذمة فيها، وبقيت المساجد بينهم غريبة، فتعالوا نبك على غربة هذا الدين، وأما كمال العطاء، فما روي أن النبي عليه السلام قال: «المؤذنون أمناء المؤمنين على صلاتهم وصيامهم ولحومهم ودمائهم لا يسألون الله شيئاً إلا أعطاهم، ولا يشفعون بشيء إلا شفعوا فيه».

قال: «ويغفر للمؤذن مدى صوته يعني: [آمر زيده ميشويد مؤذن بمقدار آنكه اوازوى رسد]. ويشهد له كل شيء سمع صوته من شجر أو حجر، أو مدر أو رطب، أو يابس، ويكتب للمؤذن بكل إنسان صلى معه في ذلك المسجد مثل حسناته، وأما مقارنة الشهداء، فما روي أن النبي عليه السلام قال: «من أذن في سبيل الله إيماناً واحتساباً جمع بينه وبين الشهداء في الجنة» وأما مرافقة الأنبياء، فما روي: أن رجلاً جاء إلى النبي عليه السلام، فقال: يا رسول الله من أول الناس دخولاً الجنة، قال: «الأنبياء». قال: ثم من؟، قال: «الشهداء». قال: ثم من؟ قال: «مؤذنو مسجدي هذا. قال: ثم من؟. قال: سائر المؤذنين على قدر أعمالهم». وقال عليه السلام: «من أذن عشرين سنة متوالية أسكنه الله تعالى مع إبراهيم عليه السلام في الجنة وأما الخلاص من دار الأشقياء. فما روي أن النبي عليه السلام قال: «إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر أغلقت أبواب النيران السبعة»، وإذا قال: «أشهد أن لا إلٰه إلا الله فتحت أبواب الجنة الثمانية، وإذا قال: أشهد أن محمداً رسول الله أشرفت عليه الحور العين». وإذا قال: «حي على الصلاة تدلت ثمار الجنة، وإذا قال: حي على الفلاح قالت الملائكة أفلحت وأفلح من أجابك، وإذا قال: الله أكبر الله أكبر، قالت الملائكة: كبرت كبيراً وعظمت عظيماً، وإذا قال: لا إلٰه إلا الله قال الله تعالى: حرمت بدنك وبدن من أجابك على النار».

وفي الحديث: «المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة»؛ أي: يكونون سادات وأكثر الناس ثواباً، أو جماعات، أو رجاء؛ لأن من رجا شيئاً أطال إليه عنقه، والناس حين يكونون في الكرب يكون المؤذنون أكثر رجاء بأن يؤذن لهم في دخول الجنة كان ذلك جزاء مد أعناقهم عند رفع أصواتهم، أو طول العنق كناية عن الفرح كما أن خضوعها كناية عن الحزن، أو معناه إذا وصل العرق إلى أفواه الناس يوم القيامة طالت أعناق المؤذنين في الحقيقة لئلا ينالهم ذلك، ومن أجاب دعوة المؤذنين يكون معه.

قال الفقهاء: يقطع سامع الأذان كل عمل باليد والرجل واللسان حتى تلاوة القرآن إن كان في غير المسجد، وإن كان فيه، فلا يقطع ولا يسلم على أحد وأما رده، فقد اختلفوا فيه، فقيل: يجوز. وقيل: لا يجوز ويشتغل بالإجابة، واختلفوا في الوجوب والاستحباب، فقال بعضهم: الإجابة واجبة عند الأذان والإقامة منهم صاحب «التحفة والبدائع».

وقال الآخرون: هي مستحبة وعليه صاحب «الهداية». ويستحب أن يقول عند سماع الأولى من الشهادة الثانية صلى الله تعالى عليك يا رسول الله وعند سماع الثانية قرة عيني بك يا رسول الله، ثم يقول: اللهم متعني بالسمع والبصر بعد وضع ظفر الإبهامين على العينين، كما في «شرح القهستاني»، وفي «تحفة الصلوات» للكاشفي صاحب «التفسير» نقلاً عن الفقهاء الكبار، ويقول بعد الأذان: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة

والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته.

ويقول عند أذان المغرب خصوصاً: اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك، فاغفر لي وأول من أذن في السماء جبرائيل وأم ميكائيل عليهما السلام عند البيت المعمور، وأول من أذن في الإسلام بلال الحبشي رضي الله عنه، وكان أول مشروعيته في أذان الصبح. قالت النوار أم زيد بن ثابت: كان بيتي أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يؤذن فوقه من أول ما أذن إلى أن بنى رسول الله عليه السلام مسجده، فكان يؤذن بعده على ظهر المسجد، وقد رفع له شيء فوق ظهره، وأول من أقام عبد الله بن زيد وزاد بلال في أذان الصبح بعد الحيعلات الصلاة خير من النوم مرتين، فأقرها عليه السلام؛ أي: اليقظة الحاصلة للصلاة خير من الراحة الحاصلة بالنوم، ويقول المجيب عنده: صدقت وبالخير نطقت. وعند قوله في الإقامة: قد قامت الصلاة، أقامها الله وأدامها ويقيم من أذن لا غيره إلا بإذنه. وفي بعض الروايات أنه عليه السلام: «أذن مرة واحدة في السفر على راحلته».

ويروى: أن بلالاً كان يبدل الشين في أشهد سيناً، فقال عليه السلام سين بلال عند الله شين كما في «إنسان العيون». وفي المثنوي:

آن بلال صدق در بانك نماز ... حى راهى هى همى خواند ازنياز
تابكفتنداى بيمبر نيست راست ... اين خطا اكنون كه آغاز بناست
اى نبى واى رسول كردكار ... يك موذن كو بود افصح بيار
عيب باشد اول دين وصلاح ... لحن خواندن لفظ حي على الفلاح
خشم بيغمبر بجوشيد وبكفت ... يك دو رمزى از عنايات نهفت
كاى خسان نزد خداى هي بلال ... بهتر از صد حي حي وقيل وقال
وامشو رانيد تا من را زتان ... وانكويم آخر وآغاز تان

وأول من زاد الأذان الأول في الجمعة عثمان رضي الله عنه زاده ليؤذن أهل السوق، فيأتون إلى المسجد. وكان في زمانه عليه السلام وزمان أبي بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه أذان واحد حين يجلس الإمام على المنبر، والتذكير قبل الأذان الأول الذي هو التسبيح أحدث بعد السبعمائة في زمن الناصر محمد بن قلوون لأجل التبكير المطلوب في الجمعة، وأول ما أحدثت الصلاة والسلام على النبي عليه السلام بعد تمام الأذان في زمن السلطان المنصور الحاجي بن الأشرف شعبان بن حسن بن محمد بن قلوون في أواخر القرن الثامن، وأول من أحدث أذان اثنين معاً بنو أمية، وأول من وضع إحدى يديه عند أذنيه في الأذان ابن الأصم مؤذن الحجاج بن يوسف.

وكان المؤذنون يجعلون أصابعهم في آذانهم، وأول من رقى منارة مصر للأذان شرحبيل المذكور. وفي عرافته بنى مسلمة المنابر للأذان بأمر معاوية، ولم تكن قبل ذلك، وأول من عرف على المؤذنين سالم بن عامر أقامه عمرو بن العاص، فلما مات عرف عليهم أخاه شرحبيل، وأول من رزق المؤذنين عثمان رضي الله عنه، والجهر واجب في الأذان لإعلام الناس، ولذا سن أن يكون في موضع عالٍ، ولو أذن لنفسه خافت، وأما التكبيرات في الصلاة، فالمؤذن يرفع صوته لتبليغ التكبير لمن بعد عن الإمام من المقتدين، فإن كان في صوت الإمام كفاية، فالتبليغ مكروه، كما في «إنسان العيون».

يقول الفقير: أما سر عدد المنارات في الحرم النبوي. وهي اليوم خمس فإشارة إلى الأوقات الخمسة، فهو صورة الدعوات الخمس في الساعات الأربع والعشرين المشتمل عليها الليل والنهار، وأول من قدر الساعات الاثنتي عشرة نوح عليه السلام في السفينة، ليعرف بها مواقيت الصلوات، وأما سر عددها في الحرم المكي، وهي سبع الآن، فإشارة إلى مراتب الدعوة إلى الفناء، وهي سبع عدد الأسماء السبعة التي آخرها القهار، فإن الكعبة إشارة إلى الذات الأحدية ومراتبها عروجاً هي مراتب الفناء، إذ البقاء إنما هو بعد النزول، ولذا أمر عليه السلام بالهجرة إلى المدينة لتتحقق مرتبة البقاء فللكعبة منارة أخرى هي الثامنة من المنارات، وهي منارة البقاء، لكنها في بطن الكعبة مدفونة تحتها، ولم يكن لها ظهور فوق الأرض إلا بحسب المكاشفة كوشفت عنها حين مجاورتي في الحرم وكان للحرم المكي في الأوائل خمسون منارة على ما طالعته في تاريخ القطبي بعضها في الحرم وبعضها على رؤوس الجبال التي هي بينها كل ذلك لإعلام الأوقات، فهي إشارة إلى أصل الصلوات المفروضة ليلة المعراج، وهي خمسون حتى خففها الله تعالى، فبقيت منها خمس، ولله في كل شيء حكمة عجيبة ومصلحة بديعة.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾، بيان لمحاسن الأعمال الجارية بين العبد وبين الرب ترغيباً لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الصبر على أذية المشركين ومقاتلة إساءتهم بالإحسان، ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي؛ أي: لا تستوي الخصلة الحسنة والسيئة في الجزاء وحسن العاقبة، فإنك إذا صبرت على أذيتهم وجهالتهم وتركت الانتقام منهم، ولم تلتفت إلى سفاهتهم، فقد استوجبت التعظيم في الدنيا والثواب في الآخرة، وهم بالضد من ذلك، فلا يكن إقدامهم على تلك السيئة مانعاً لك من الاشتغال بهذه الحسنة، وإذا فسرت الحسنة والسيئة بالجنس على أن يكون المعنى لا تستوي الحسنات إذ هي متفاوتة في أنفسها كشعب الإيمان التي أدناها إماطة الأذى ولا السيئات لتفلوتها أيضاً من حيث إنها كبائر وصغائر لم تكن زيادة لا الثانية لتأكيد النفي على ما أشير إليه في «الكشاف».

﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾: بيان لحسن عاقبة الحسنة؛ أي: ادفع السيئة حين اعترضتك من بعض أعاديك بالتي هي أحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالإحسان إلى من أساء؛ فإنه أحسن من العفو:

بدى رابدى سهل باشد جزا   اكر مردى احسن إلى من اسا

وكان عليه السلام يقول: صل من قطعك واعف عمن ظلمك وأحسن إلى من أساء إليك»، وما أمر عليه السلام غيره بشيء إلا بعد التخلق به، وإخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال: كيف؟ مع أن الظاهر أن يقول: فادفع بالفاء السببية للمبالغة، ولذلك وضع أحسن موضع الحسنة؛ لأنه أبلغ في الدفع بالحسنة، فإن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها.

﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾: بيان لنتيجة الدفع المأمور به؛ أي: فإذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق؛ أي: المخالف مثل الولي الشفيق.

روي: أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب، وذلك أنه لان للمسلمين بعد الشدة؛ أي: شدة عداوته بالمصاهرة التي جعلت بينه وبين النبي عليه السلام، ثم أسلم فصار ولياً بالإسلام حميماً بالقرابة.

[از امام اعظم نقلست كسى بمن رسانندكه مرابدمى كويد من درشان او سخن نيكو ترمى كويم تاوقتى من يابم كه او نيكويى من ميكويد]:

بدى درقفا عيب من كردو خفت ... بترز وقريبى كه آو رد وكفت
عدو را بالطاف كردن ببند ... كه نتوان بريدن بتيغ اين كمند
جود شمن كرم بيند ولطف وجود ... نيايد دكر خبث ازو در وجود
جو بادوست دشوار كيرى وتنك ... نخواهد كه بيند ترا نقش رنك
وكر خواجه بادشمنان نيك خوست ... كسى برنيا يدكه كردند دوست

قال البقلي: بين الله ها هنا أن الخلق الحسن ليس كالخلق السيىء وأمرنا بتبديل الأخلاق المذمومة بالأخلاق المحمودة وأحسن الأخلاق الحلم إذ يكون به العدو صديقاً، والبعيد قريباً حين دفع غضبه بحلمه وظلمه بعفوه وسوء جانبه بكرمه.

قال ابن عطاء: لا يستوي من أحسن الدخول في خدمتنا، والخروج منها، ومن أساء الأدب في الخدمة. فإن سوء الأدب في القرب أصعب من سوء الأدب في البعد، فقد يصفح عن الجهال في الكبائر ويؤاخذ الصديقون باللحظة والالتفات.

﴿**وما يلقاها**﴾ التلقية: [جيزى بيش كسى آوردن]؛ أي: وما يلقى، وما يعطى هذه الخصلة والسجية التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان.

وبالفارسية: [وندهند اين خصلت كه مقابلة بديست بنيكى]. ﴿**إلا الذين صبروا**﴾؛ أي: شأنهم الصبر؛ فإنها تحبس النفس عن الانتقام. ﴿**وما يلقاها**﴾: [وعطا نكنند اين خصلت وصفت]. ﴿**إلا ذو حظ عظيم**﴾ من الفضائل النفسانية والقوة الروحانية، فإن الاشتغال بالانتقام لا يكون إلا لضعف النفس وتأثرها من الواردات الخارجية، فإن النفس إذا كانت قوية بالجوهر لم تتأثر من الواردات الخارجية، وإذا لم تتأثر منها لم يصعب عليها تحمل، ولم تشتغل بالانتقام.

والحاصل: أنه يلزم تزكية النفس حتى يستوي الحلو والمر، ويكون حضور المكروه كغيبته. ففي الآية مدح لهم بفعل الصبر والحظ النصيب المقدر.

قال الجنيد قدس سره في قوله: ﴿**وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم**﴾؛ أي: ما يوفق لهذا المقام إلا ذو حظ من عناية الحق فيه.

وقال ابن عطاء: ذو معرفة بالله وأيامه.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿**وإما ينزغنك من الشيطان نزغ**﴾: أصله إن ما على أن إن شرطية، وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط والاستلزام، فلذا لحقت نون التأكيد بفعل الشرط؛ فإنها لا تلحق الشرط ما لم يؤكد. والنزغ شبه النخس كما في «الإرشاد» شبه به وسوسة الشيطان؛ لأنها بعث على الشر وتحريك على ما لا ينبغي. وجعل نازغاً على طريقة جد جده فمن ابتدائية؛ أي: نزغ صادر من

جهته، أو أريد. وإما ينزغنك نازغ وصفاً للشيطان بالمصدر، فكلمة من تجريدية جرد من الشيطان شيطاناً آخر وسمي نازغاً.

والمعنى: وأن يوسوس إليك الشيطان ويصرفك عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن ودعاك إلى خلافه. ﴿فاستعذ بالله﴾ من شره ولا تطعه. ﴿إنه هو السميع﴾ باستعاذتك ﴿العليم﴾ بنيتك. وفي جعل ترك الدفع بالأحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه.

وفي الآية إشارة إلى أن النبي أو الولي لا ينبغي أن يكون آمناً من مكر الله وأن الشيطان صورة مكر الحق تعالى: بل يكون على حذر من نزغاته، فليستعذ بالله من همزاته، فلا يذرها أن تصل إلى القلب، بل يرجع إليه في أول الخطرة؛ فإنه إن لم يخالف أول الخطرة صار فكرة، ثم بعد ذلك يحصل العزم على ما يدعو إليه الشيطان، ثم إن لم يتدارك ذلك تحصل الزلة، فإن لم يتدارك بحسن الرجعة صار قسوة ويتمادى به الوقت، فهو يخطر كل آفة ولا يتخلص العبد من نزغات الشيطان إلا بصدق الاستعانة بالله، والإخلاص في العبودية. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، فكلما زاد العبد في تبريه من حوله وقوته، وأخلص بين يدي الله تعالى بتضرعه واستعانته زاد الله في حفظه ودفع الله الشيطان عنه، بل يسلط عليه ليسلم على يديه. كذا في «التأويلات النجمية».

قال البقلي: هذا تعليم لأمته إذ كان الشيطان أسلم على يده. قال في «حياة الحيوان»: أجمعت الأمة على عصمة النبي عليه السلام من الشيطان، وإنما المراد تحذير غيره من فتنة القرين ووسوسته له وإغوائه، فأعلمنا أنه معنا لنحترز منه حسب الإمكان:

آدمى را دشمن بنهان بسيست آدمى باحذر عاقل كسيست

وفي الحديث: «ما منكم من أحد إلا ومعه قرينه من الجن وقرينه من الملائكة». قالوا: وإياك قال، وإياي، ولكن الله أعانني عليه، فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير».

قال سفيان بن عيينة معناه، فأسلم من شره، فإن الشيطان لا يسلم.

وقال غيره: هو على صيغة الفعل الماضي ويدل عليه ما قاله عليه السلام «فضلت على آدم بخصلتين كان شيطاني كافراً، فأعانني الله عليه، فأسلم وكن أزواجي عوناً لي وكان شيطان آدم كافراً وزوجته عوناً على خطيئته»، فهذا صريح في إسلام قرين النبي عليه السلام، وإن هذا خاص بقرين النبي عليه السلام، فيكون عليه السلام مختصاً بإسلام قرينه، كذا في «آكام المرجان».

يقول الفقير: لا شك أن الشيطان لا يدخل في دائرة الإسلام حقيقة كما أن النفس لا تتبدل حقيقتها كما قال يوسف الصديق عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] بل تتبدل صفتها، فالنبي والولي والعدو في هذا سواء إلا أن النبي معصوم والولي محفوظ، والعدو موكول، ولذا لم يقولوا: إن النبي والولي ليس لهما نفس أصلاً، بل قالوا: هو معصوم ومحفوظ فدل على أصل النفس. وهذا من مزالق الأقدام، فلا بد من حسن الفهم، وصحة الكشف، فمعنى إسلام شيطان النبي عليه السلام دخوله في السلم كأهل الذمة في دار الإسلام حيث لا يقدرون على أذية المسلمين بحال، ولكن فرق بين إسلام قرين النبي وقرين الولي، كما دل عليه لفظ العصمة، والحفظ، فإن العظمة تعم الذات كلها، والحفظ يتعلق بالجوارح

مطلقاً، ولا يشترط استصحابه في السر فقد تخطر للولي خواطر لا يقتضيها طريق الحفظ، لكن يظهر لها حكم على الجوارح.

صاحب «كشف الأسرار»: [فرموده كه نزغ شيطان سورة غضب ست يعنى تيزى خشم كه از حد اعتدال در كذرد وبتهود كشد وازان خصلتهاى بدخيزد جون كبرو عجب وعداوت اما أصل خشم از خود بيفكندن ممكن نباشد زيراكه آن در خلقت است وجون از حد اعتدال بكاهد بددلى بود وبى حميتى باشد وجون معتدل بود آنرا شجاعت كويند وازان حلم وكرم وكظم غيظ خيزد].

وفي الخبر: «خلق الغضب من النار التي خلق منها إبليس». وفي الحديث: «الغضب من نار الشيطان ألا ترى إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه والمتغاضبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان.

يعني: [دوكس بريكد يكر غضب ميكند باطل ميكويد ودروغ ميسازند فان التهاتر بريكديكر دعوى باطل كردن كما في «تاج المصادر»].

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «إذا غضبت وكنت قائماً فاقعد، وإن كنت قاعداً فقم فاستعذ بالله من الشيطان» عصمنا الله وإياكم من كيده ورد مكره إليه، فلا نتوكل ولا نعتمد إلا عليه.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ۩ ﴿٣٨﴾﴾

﴿ومن آياته﴾: [وازنشانهاى قدرت الهيست]. **﴿الليل والنهار﴾**. قال الإمام المرزوقي: الليل بإزاء النهار، والليلة بإزاء اليوم. **﴿والشمس﴾**: المشتمل عليها النهار يعني: [خورشيد عالم آراى جون جام سيماب]. **﴿والقمر﴾**: المشتمل عليه الليل يعني: [هيكل ماه كاه جون نعل زرين وكاه جون سر سيمين]. كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لأمره يعني: تعاقب الليل والنهار على الوجه الذي يتفرع عليه منافع الخلق ومصالحهم وتذلل الشمس والقمر لما يراد منهما من أظهر العلامات الدالة على وجوده تعالى ووحدانيته وكمال علمه وحكمته:

بر صنع إله بيعدد برهانست ... در برك كلى هزار كون الوانست

روزارجه سبيد وروشن وتابانست ... آنراكه نديد روز شب يكسانست

[رب العزة كفت ربى اكر خواهى كه در ولا يتم نكرى ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ١٢٠] واكر خواهى كه در سباهم نكرى ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفتح: ٧]، ورخواهى كه در صنعم فعلم نكرى]. ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الروم: ٥٠]. [در خواهى كه در صنعم نكرى]. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧]. [وخواهى كه فردا درمن نكرى امروز از صنع من بامن نكر بديده دل]. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] [تافردا بفضل من دو نكرى بديده سر]. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. **﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر﴾**؛ لأنهما من جملة مخلوقاته المسخرة لأوامرة مثلكم. والمراد: الأمر التكويني لا التكليفي إذ لا علم لهما ولا اختيار عند أهل الظاهر. وأما عند أهل الحقيقة، فالأمر بخلافه. ويدل عليه قول الشيخ

سعدي: [همه ازبهر توسر كشته وفرمان بردار شرط انصاف نباشدكه توفرمان نبرى].
﴿واسجدوا لله الذي خلقهن﴾: الضمير للأربعة؛ لأن حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى، وإن كان المناسب تغليب المذكر وهو ما عدا الشمس على المؤنث، وهو الشمس أو لأنها عبارة عن الآيات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للإيذان بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما في سلك الأغراض التي لا قيام لها بذاتها، وهو السر في نظم الكل في آياته تعالى. وفي المثنوي:

آفتاب ازامر حق طباخ ماست ابلهى باشدكه كوييم او خداست
آفتابت كربكيرد جون كنى آن سياهى زونو جون بيرون كنى
نى بدركاه خدا آرى صداع كه سياهى را ببر داده شعاع
كركشندن نيمشب خورشيد كو تا نيابى با امان خواهى ازو
حادثات اغلب بشب واقع شود وان زمان معبود توغايب بود
سوى حق كرراستانه خم شوى وار هى از اختران محرم شوى

﴿إن كنتم إياه﴾ تعالى لا غيره. ﴿تعبدون﴾؛ أي: إن كنتم تعبدون إياه لا تسجدوا لغيره، فإن السجود أقصى مراتب العبادة، فلا بد من تخصيصه به تعالى. ولعل ناساً منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله، فنهوا عن هذه الواسطة، فأمروا أن لا يسجدوا إلا لله الذي خلق الأشياء، فإن قيل: لم لم يجز أن تكون الشمس قبلة للناس عند سجودهم، قلنا: لأنها جوهر مشرق عظيم الرفعة، لها منافع في صلاح أحوال الخلق، فلو أذن في جعلها قبلة في الصلاة بأن يتوجه إليها، ويركع ويسجد نحوها لربما غلب على بعض الأوهام أن ذلك الركوع والسجود للشمس لا لله بخلاف الأحجار المعينة، فإنها ليس في جعلها قبلة ما يوهم الإلهية، وعن عكرمة قال: إن الشمس إذا غربت دخلت بحراً تحت العرش، فتسبح الله حتى إذا هي أصبحت استعفت ربها من الخروج، فقال الرب: ولم ذلك، والرب أعلم أني إذا خرجت عبدت من دونك، فقال لها الرب: اخرجي فليس عليك من ذلك شيء حسبهم جهنم أبعثها إليهم من ثلاثة عشر ألف ملك يقودونها حتى يدخلوهم فيها.

وفي الحديث: «ليس في أمتي رياء إن راءوا فبالأعمال فأما الإيمان فثابت في قلوبهم أمثال الجبال، وأما الكبر فإن أحدهم إذا وضع جبهته لله تعالى ساجداً فقد بريء من الكبر».
﴿فإن استكبروا﴾؛ أي: تعظموا عن امتثال أمرك في ترك السجود لغير الله، وأبوا إلا اتخاذ الواسطة، فذلك لا يقلل عدد من يخلص عبادته لله. ﴿فالذين عند ربك﴾، فإن الملائكة المقربين عند الله، فهو علة للجزاء المحذوف. ﴿يسبحون له﴾ ينزهونه عن الأنداد وسائر ما لا يليق به. ﴿بالليل والنهار﴾؛ أي: دائماً، وفي جميع الأوقات وظهر من هذا التقرير أن تخصيص الملائكة مع وجود غيرهم من العباد المخلصين لكثرتهم. وأيضاً الشمس والقمر عندهم، فيردون العبادة عنهما غيرة بتخصيصها بالله تعالى. ﴿وهم لا يسأمون﴾ السآمة الملالة؛ أي: لا يفترون ولا يملون من التسبيح والعبادة، فإن التسبيح منهم كالتنفس من الناس.

وبالفارسية: [وايشان ملول وسير نمى شوند از كثرت عبادت وبسيارى ستايش وبرستش]. روي: أن لله ملكاً يقال له: حوقبائيل. له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى

الجناح خمسمائة عام، فخطر له خاطر. هل فوق العرش شيء؟، فزاده الله مثلها أجنحة أخرى، فكان له ستة وثلاثون ألف جناح بين الجناح إلى الجناح خمسمائة عام، ثم أوحى الله أيها الملك طر فطار مقدار عشرين ألف سنة، فلم ينل رأس قائمة من قوائم العرش، ثم ضاعف الله له في الجناح والقوة، وأمره أن يطير، فطار مقدار ثلاثين ألف سنة، فلم ينل أيضاً، فأوحى الله إليه أيها الملك لو طرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك وقوتك لم تبلغ ساق عرشي، فقال الملك: سبحان ربي الأعلى، فأنزل الله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١]، فقال عليه السلام: «اجعلوها في سجودكم».

قال عبد العزيز المكي: في هذه الآية سبحان الذي من عرفه لا يسأم من ذكره سبحان الذي من أنس به استوحش من غيره، سبحان الذي من أحبه أعرض بالكلية عما سواه.

وفي «التأويلات النجمية»: لا تتخذوا ما كشف لكم عند تجلي شمس الروح من المعقولات وأنواع العلوم الدقيقة مقصداً ومعبداً كما اتخذت الفلاسفة، ولا تتخذوا أيضاً ما شهدتم عند تجلي شواهد الحق في قمر القلب من المشاهدات ومكاشفات العلوم الدينية مقصداً ومعبداً، كما اتخذ بعض أرباب السلوك، ووقفوا عند عقبات العرفان والكرامات، فشغلوا بالمعرفة عن المعروف وبالكرامات عن المكرم. واتخذوا المقصود والمعبود حضرة جلال الله الذي خلق ما سواه منازل السائرين به إليه إن كنتم من جملة المحبين الصادقين الذين إياه يعبدون طمعاً في وصاله، والوصول إليه لا من الذي يعبدونه خوفاً من النار وطمعاً في الجنة، فإن استكبر أهل الأهواء والبدع ولا يوفقون للسجود بجميع الوجود، فالذين عند ربك من أرواح الأنبياء والأولياء ينزهونه عن احتياجه إلى سجدة أحد من العالمين، وهم لا يسأمون من التسبيح والتنزيه.

قال الكاشفي: [اين سجدة يازدهم است از سجدات قرآنى وحضرة شيخ أكبر قدس سره الأطهر در فتوحات اين را سجدة احتماد كفت وفرموده كه اكر در آخر آيت اولى سجدة ايشان شرط باشد جه مقارنست]. نقول: ﴿**إن كنتم إياه تعبدون**﴾: [واكر بعد از آيت دوم بسجود دروند سجدة نشاط ومحبت بودجه مقرونست باين كلمات].

﴿**وهم لا يسأمون**﴾. والحاصل: أن قوله: تعبدون موضح السجود عند الشافعي ومالك لاقتران الأمر به. يعني: [تاسجدة مقترن امر باشد]. وعند أبي حنيفة وفي وجه عن الشافعي، وعند أحمد آخر الآية، ﴿**وهم لا يسأمون**﴾؛ لأنه تمام المعنى، وكل من الأئمة على أصله في السجود، فأبو حنيفة هو واجب ومالك، وهو فضيلة، والشافعي وأحمد هو سنة.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩﴾.

﴿**من آياته**﴾: دلائل قدرته تعالى. ﴿**أنك**﴾ يا محمد أو يا أيها الناظر. ﴿**ترى الأرض**﴾: حال كونها ﴿**خاشعة**﴾ يابسة لا نبات فيها متطامنة يعني: [فرسوده وخشك شده]. مستعار من الخشوع بمعنى التذلل شبه يبس الأرض وخلوها عن الخير والبركة بكون الشخص خاشعاً ذليلاً عارياً لا يؤبه به الدناءة هيئته، فهي استعارة تبعية بمعنى يابسة جدبة. ﴿**فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت**﴾: الاهتزاز: التحرك؛ أي: تحركت بالنبات يعني: [بحنبش درآيدر ستن كياه ازو].

﴿وربت﴾: وانتفخت؛ لأن النبت إذا دنا أن يظهر ارتفعت له الأرض، وانتفخت ثم تصدعت عن النبات؛ أي: انشقت يقال: ربا ربواً ورباً، زاد ونما. والفرس ربواً انتفخ من عدو أو فزع.

وقال الراغب: وربت؛ أي: زادت زيادة المتربي. ﴿إن الذي أحياها﴾ بما ذكر بعد موتها والإحياء في الحقيقة إعطاء الحياة، وهي صفة تقتضي الحس والحركة، فالمراد بإحياء الأرض تهييج القوى النامية فيها وإحداث نضارتها بأنواع النباتات. ﴿لمحيي الموتى﴾ بالبعث. ﴿إنه على كل شيء﴾ من الأشياء التي من جملتها الإحياء. ﴿قدير﴾ مبالغ في القدرة وقد وعد بذلك من أن يفي به والحكمة في الإحياء هو المجازاة والمكافأة.

وفي الآية إشارة إلى إحياء النفوس وإحياء القلوب. أما الأول فلأن أرض البشرية قد تصير يابسة عند فقدان الدواعي والأسباب، فإذا نزل عليها ماء الابتلاء والاستدراج تراها تهتز بنباتات المعاصي وأشجار المناهي. وفي المثنوي:

آتشت را هيزم فرعون نيست زانكه جون فرعون اوراعون نيست
نفس ازدرهاست اوكى مرده است از غم بى التي افسرده است
كرمك است آن ازدها ازده ست فقر بشه كردد زجاه ومال صقر

ولذا كان أصعب دعاء إليه أن يقال له: أذاقك الله طعم نفسك، فإنه من ذاق طعم نفسه، واستحلى ما عنده وشغل به عن المقصود، فلا يرجى فلاحه أبداً، وأما إحياء القلوب فبنور الإيمان وصدق الطلب وغلبات الشوق، وذلك عند نزول مطر اللطف وماء الرحمة.

وعن بعض الصالحين قال: رأيت سمنون في الطواف، وهو يتمايل، فقبضت على يده. وقلت له: يا شيخ بموقفك بين يديه إلا أخبرتني بالأمر الذي أوصلك إليه، فلما سمع بذكر الموقف بين يديه سقط مغشياً عليه، فلما أفاق أنشد:

ومكتئب لجّ السقام بجسمه كذا قلبه بين القلوب سقيم
يحق له لو مات خوفاً ولوعة فموقفه يوم الحساب عظيم

ثم قال: يا أخي أخذت نفسي بخصال أحكمتها.

فأما الخصلة الأولى أمت مني ما كان حياً، وهو هوى النفس وأحييت مني ما كان ميتاً، وهو القلب.

وأما الثانية: فإني أحضرت ما كان عني غائباً، وهو حظي من الدار الآخرة، وغيبت ما كان حاضراً عندي، وهو نصيبي من الدنيا.

وأما الثالثة: فإني أبقيت ما كان فانياً عندي، وهو التقى، وأفنيت ما كان باقياً عندي، وهو الهوى.

وأما الرابعة: فإني أنست بالأمر الذي منه تستوحشون وفررت من الأمر الذي إليه تسكنون.

أشار إلى الاستئناس بالله وبذكره، وإلى الاستيحاش مما سوى الله، وهو المراد بحسن الخاتمة، وأما التوحش من الله والأنس بما سواه، فهو المراد بسوء العاقبة نعوذ بالله، وربما كان سوء العاقبة بالخروج من الدنيا بغير إيمان. وكان في زمان حاتم الأصم نباش، فحضر مجلس حاتم يوماً، فتاب على يده وأحياه الله بسبب نفس حاتم، فقال له حاتم: كم نبشت من القبور، فقال: سبعة آلاف. قال في كم سنة؟ قال: في عشرين سنة فغشي على حاتم، فلما أفاق. قال

قبور المسلمين أم قبور الكافرين. قال: بل قبور المسلمين، فقال: كم قبراً وجدت صاحبه على غير القبلة. قال: وجدت ثلاثمائة قبر صاحبه على القبلة، والباقون على غير القبلة، فغشي على حاتم. وذلك لأن خوف كل أحد بحسب مقامه من المعرفة، فإذا عرف المرء أن في إمامه موتاً وابتلاء، ثم حشراً وامتحاناً لا يزال في ناحية، وربما يغلب عليه حاله، فيغشى عليه.

قال بعضهم: إذا عرج بروح المؤمن إلى السماء. قالت الملائكة: سبحان الذي نجى هذا العبد من الشيطان، يا ويحه كيف نجا، ولكثرة فتن الشيطان وتشبثها بالقلوب عزت السلامة، فلا بد من الاستقامة في الله وإدامة الذكر والاستعاذة بالله من كل شيطان مضل وفتنة مهلكة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿**إن الذين يلحدون**﴾: الإلحاد في الأصل مطلق الميل والانحراف ومنه اللحد؛ لأنه في جانب القبر، ثم خص في العرف بالانحراف عن الحق إلى الباطل؛ أي: يميلون عن الاستقامة. ﴿**في آياتنا**﴾ بالطعن فيها بأنها كذب، أو سحر، أو شعر وبتحريفها بحملها على المحامل الباطلة.

﴿**لا يخفون علينا**﴾، فنجازيهم بإلحادهم، ثم نبه على كيفية الجزاء، فقال: ﴿**أفمن**﴾: [آيا كسى كه]. ﴿**يلقى في النار**﴾ عل وجهه وهم الكفرة بأنواعهم. ﴿**خير أم من يأتي آمناً**﴾ من النار ﴿**يوم القيامة**﴾، وهم المؤمنون على طبقاتهم قابل الإلقاء في النار بالإتيان آمناً مبالغة في إحماد حال المؤمنين بالتنصيص على أنهم آمنون يوم القيامة من جميع المخاوف، فلو قال: أم من يدخل الجنة، لجاز من طريق الاحتمال أن يبدلهم الله من بعد خوفهم أمناً ولك أن تقول الآية من الاحتباك حذف من الأول مقابل الثاني، ومن الثاني مقابل الأول. والتقدير: أفمن يأتي خائفاً ويلقى في النار خير أم من يأتي آمناً ويدخل الجنة يعني: أن الثاني خير من الأول. ﴿**اعملوا ما شئتم**﴾ من الأعمال المؤدية إلى ما ذكر من الإلقاء في النار والإتيان آمناً وآثروا ما شئتم، فإنكم لا تضرون إلا أنفسكم، وفيه تهديد شديد لظهور أن ليس المقصود الأمر بكل عمل شاؤوا.

قال في «الأسئلة المقحمة»: هو أمر وعيد ومعناه: أن المهلة ما هي لعجز ولا لغفلة، وإنما يعجل من يخاف الفوت وهو أبلغ أسباب الوعيد ﴿**إنه بما تعملون بصير**﴾ فيجازيكم بحسب أعمالكم:

حيل ومكر رها كن كه خدا مى داند نقد مغشوش مياور كه معامل بيناست

وفي الآية: تخويف لأهل الشطح والطامات الذين يريدون العزة عند العامة، ويزعقون ويمزقون ثيابهم ويجلسون في الزوايا ويتزهدون وينظرون في «تصانيف» المشايخ. ويقولون عليها ما يجهلون ويتزخرفون وينتظرون دخول الأمراء عليهم، ويدعون المكاشفة والأحوال والمواجيد لا يخفى على الله كذبهم وزورهم وبهتانهم ونياتهم الفاسدة وقلوبهم الغافلة، وكذا على أوليائه من الصديقين والعارفين الذين يرون خفايا قلوب الخلق بنور الله لو رأيتهم كيف يفتضحون يوم القيامة على رؤوس الأشهاد وترى أهل الحق ينظرون إلى الحق بأبصار نافذة وقلوب عاشقة لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة وقد وصف النبي هؤلاء الملحدين

وشبههم بالفراعنة، وشبه قلوبهم بقلوب الذئاب. كما قال عليه السلام: «يخرج في أمتي أقوام لسانهم لسان الأنبياء وقلوبهم كقلوب الفراعنة».

وقال في موضع آخر: «كقلوب الذئب يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية أفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا».

قال بعضهم: معنى هذه الآية أن الذين يجترئون علينا على غير سبيل الحرمة، فإنه لا يخفى علينا جراءتهم علينا وتعديهم في دعواهم.

وقال ابن عطاء: في هذه الآية أن المدعي عن غير حقيقة سيرى منا ما يستحقه من تكذيبه على لسانه وتفضيحه في أحواله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿إن الذين كفروا بالذكر﴾؛ أي: القرآن، فيكون من وضع الظاهر موضع ضمير الآيات. **﴿لما جاءهم﴾**؛ أي: بادهوه بالكفر والإنكار ساعة جاءهم وأول ما سمعوه من غير إجالة فكر وإعادة نظر وكذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل قوله: إن الذين إلخ، بدل من قوله: إن الذين يلحدون. إلخ. بدل الكل بتكرير العامل وخبر إن هو الخبر السابق، وهو لا يخفون علينا؛ لأن إلحادهم في الآيات كفر بالقرآن، فلهذا اكتفى بخبر الأول عن الثاني إلا أنه غير معهود إلا في الجار والمجرور لشدة الاتصال. قال الرضي: ولا يتكرر في اللفظ في البدل من العوامل إلا حرف الجر لكونه، كبعض حروف المجرور. وقيل: مستأنف وخبرها محذوف مثل ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ٥٦]، وذلك بعد قوله: حميد.

وقال الكسائي: سد مسد الخبر السابق. **﴿وإنه﴾**. إلخ. جملة حالية مفيدة لغاية شناعة الكفر به؛ أي: والحال أن الذكر. **﴿لكتاب عزيز﴾**؛ أي: كثير المنافع عديم النظير، فهو من العز الذي هو خلاف الذل، أو منيع لا يتأتى معارضته وإبطاله وتحريفه، فهو من العزة بمعنى الغلبة، فالقرآن، وإن كان لا يخلو عن طعن باطل من الطاعنين، وتأويل فاسد من المبطلين إلا أنه يؤتى بحفظة، ويقدر له في كل عصر منعة يحرسونه بإبطال شبه أهل الزيغ والأهواء ورد تأويلاتهم الفاسدة، فهو غالب بحفظ الله إياه وكثرة منعته على كل من يتعرض له بالسوء إمام قشيري قدس سره: [فرموده كه قرآن عزيز است زيزا كلام رب عزيز ست كه ملك عزيز بر رسول عزيز آورده براى امت عزيز با آنكه نامه دوست است بنزديك دوست ونامة دوست نزد دوستان عزيز باشد]:

زنام ونامة تويافتم عزو كرامت هزارجان كرامى فداى خامه ونامت

قال ابن عطاء: عزيز؛ لأنه لا يبلغ حد حقيقة حقه لعزه في نفسه وعز من أنزل عليه وعز من خوطب به من أوليائه، وأهل صفوته.

﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾. صفة أخرى لكتاب؛ أي: لا يتطرق إليه الباطل ولا يجد إليه سبيلاً من جهة من الجهات حتى يصل إليه ويتعلق به؛ أي: متى راموا فيه أن يكون ليس حقاً ثابتاً من عند الله وإبطالاً له لم يصلوا إليه ذكر أظهر الجهات، وأكثرها في

الاعتبار، وهو جهة القدام والخلف. وأريد الجهات بأسرها، فيكون قوله: لا يأتيه الباطل من بين إلخ. استعارة تمثيلية شبه الكتاب في عدم تطرق الباطل إليه بوجه من الوجوه بمن هو محمي بحماية غالب قاهر يمنع جاره من أن يتعرض له العدو من جهة من جهاته، ثم أخرجه مخرج الاستعارة بأن عبر عن المشبه بما عبر به عن المشبه به، فقال: لا يأتيه. إلخ. أو لا يأتيه الباطل فيما أخبر عما مضى ولا فيما أخبر عن الأمور الآتية، أو الباطل هو الشيطان لا يستطيع أن يغيره بأن يزيد فيه أو ينقص منه، أو لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء بعده كتاب يبطله أو ينسخه.

﴿**تنزيل**﴾ : أي: هو تنزيل أو صفة أخرى لكتاب مفيده لفخامته الإضافية بعد إفادة فخامته الذاتية وكل ذلك لتأكيد بطلان الكفر بالقرآن. ﴿**من حكيم**﴾ ؛ أي: حكيم مانع عن تبديل معانيه بأحكام مبانيه. ﴿**حميد**﴾ ؛ أي: حميد مستحق للتحميد بإلهام معانيه أو يحمده كل خلق في كل مكان بلسان الحال، والمقال بما وصل إليه من نعمه.

وفي «التأويلات النجمية»: إن من عزة الكتاب لا يأتيه الباطل، يعني: أهل الخذلان من بين يديه بالإيمان به، ولا من خلفه بالعمل به تنزيل من حكيم ينزل بحكمته على من يشاء من عباده لمن يشاء أن يعمل به حميد في أحكامه وأفعاله؛ لأنها صادرة منه بالحكمة. وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله عليه السلام يقول: «إلا أنها» الضمير للقصة «ستكون فتنة»، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار. بيان لمن؟ والجبال إذا أطلق على إنسان يشعر بالصفة المذمومة ينبه بذلك على أن ترك القرآن والإعراض عنه، وعن العمل به، إنما هو الجبر والحماقة. «قصمه الله» كسره وأهلكه دعاء عليه، أو خبر «ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله» دعاء عليه وإخبار بثبوت الضلالة، فإن طلب الشيء في غير محله ضلال.

«وهو حبل الله»؛ أي: عهده وأمانه الذي يؤمن به العذاب. وقيل: هو نور هداه. وفي الحديث: «القرآن كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض»؛ أي: نور ممدود. وقيل: هو السبب القوي والوصلة إلى من يوثق عليه، فيتمسك به من أراد التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار السرور «المتين»؛ أي: القوي يعني: هو السبب القوي المأمون الانقطاع المؤدي إلى رحمة الرب. «وهو الذكر»؛ أي: القرآن ما يتذكر به ويتعظ به. «الحكيم»؛ أي: المحكم آياته؛ أي: قوي ثابت لا ينسخ إلى يوم القيامة، أو ذو الحكمة في تأليفه. «وهو الصراط المستقيم الذي لا تزيغ به الأهواء»؛ أي: لا يميل بسببه أهل الأهواء، يعني: لا يصير به مبتدعاً وضالاً «ولا تلتبس به الألسنة»؛ أي: لا يختلط به غيره بحيث يشتبه كلام الرب بكلام غيره لكونه معصوماً. «ولا يشبع منه العلماء»؛ أي: لا يحيط علمهم بكنهه، بل كلما تفكروا تجلت لهم معانٍ جديدة كانت في حجب مخفية.

«ولا يخلق» خلق الشيء يخلق بالضم فيهما خلوقة إذا بلي؛ أي: لا يزول رونقه ولا يقل طراوته ولذة قراءته واستماعه. «عن كثرة الرد»؛ أي: عن تكرر تلاوته على ألسنة التالين وآذان المستمعين وأذهان المتفكرين مرة بعد أخرى، بل يصير كل مرة يتلوه التالي أكثر لذة على خلاف ما عليه كلام المخلوقين. وهذه إحدى الآيات المشهورة. «ولا تنقضي عجائبه»؛ أي: لا ينتهي أحد إلى كنه معانيه العجيبة وفرائده الكثيرة. «هو الذي لم تنته الجن»؛ أي: لم تقف

إذ سمعته حتى ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١] مصدر وصف به للمبالغة؛ أي: عجيباً لحسن نظمه ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن: ٢]؛ أي: يدل إلى الإيمان والخير. ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ٢] وصدقناه من قال به صدق ومن عمل به رشد»؛ أي: يكون راشداً مهدياً.

(ومن حكم به ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم). كذا في «المصابيح».

وفي الحديث: «يدعى يوم القيامة بأهل القرآن، فيتوج كل إنسان بتاج لكل تاج سبعون ألف ركن ما من ركن إلا وفيه ياقوتة حمراء تضيء من مسيرة كذا من الأيام والليالي، ثم يقال له: أرضيت، فيقول: نعم، فيقول له الملكان اللذان كانا عليه يعني: الكرام الكاتبين: زده يا رب، فيقول الرب اكسوه حلة الكرامة، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقال له: أرضيت؟ فيقول: نعم فيقول ملكاه زده يا رب، فيقول لأهل القرآن أن ابسط يمينك فتملأ من الرضوان؛ أي: رضوان الله، ويقال له: ابسط شمالك فتملأ من الخلد، ثم يقال له: أرضيت؟، فيقول: نعم يا رب، فيقول ملكاه: زده يا رب، فيقول الله: إني قد أعطيته رضواني وخلدي، ثم يعطى من النور مثل الشمس فيشيعه سبعون ألف ملك إلى الجنة، فيقول الرب: انطلقوا به إلى الجنة، فأعطوه بكل حرف حسنة، وبكل حسنة درجة ما بين الدرجتين مسيرة مائة عام».

وفي حديث آخر: «يجاء بأبويه، فيفعل بهما من الكرامة ما فعل بولدهما تكرمة لصاحب القرآن، فيقولان من أين لنا هذا، فيقول بتعليمكما ولدكما القرآن»:

بخردى درش زجر وتعليم كن ... به نيك وبدش وعده وبيم كن
هرآن طفل كو جور آموز كار ... نه بيند جفا بيند از روزكار

﴿**ما يقال لك**﴾. إلخ. تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما يصيبه من أذية الكفار؛ أي: ما يقال في شأنك وشأن ما أنزل إليك من القرآن من جهة كفار قومك. ﴿**إلا ما قد قيل للرسل من قبلك**﴾ إلا مثل ما قد قيل في حقهم، وفي حق الكتب السماوية المنزلة عليهم مما لا خير فيه من الساحر، والكاهن والمجنون والأساطير ونحوها. ﴿**إن ربك لذو مغفرة**﴾ لأنبيائه ومن آمن بهم. ﴿**وذو عقاب أليم**﴾ لأعدائهم الذين لم يؤمنوا بهم وبما أنزل إليهم والتزموا الأذية، وقد نصر من قبلك من الرسل، وانتقم من أعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وبأعدائك أيضاً.

وفيه إشارة إلى حال الأولياء أيضاً؛ فإنهم ورثة الأنبياء فلهم أعداء وحساد يطلقون ألسنتهم في حقهم باللوم والطعن بالجنون والجهل ونحو ذلك. ولكنهم يصبرون على الجفاء والأذى، فيظفرون بمراداتهم كما صبر الأنبياء، فظفروا. وفي آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤]؛ أي: ظاهراً بهلاك القوم، أو بإجابة الدعوة وباطناً بالتخلق بالأخلاق الإلهية مثل الصبر، فإنه نصر؛ أي: نصر إذ به يحصل المرام. وفي المثنوي:

صد هزاران كيميا حق آفريد ... كيميايى همجو صبر آدم نديد

وبذلك ينقلب الإنسان بالصبر من حال إلى حال أخرى أحسن من الأولى، كما ينقلب النحاس بالأكسير فضة، أو ذهباً. ودلت الآية على أنه ليس من الحكمة أن يقطع لسان الخلق بعضهم عن بعض ألا ترى أنه تعالى لم يقطع لسان الخلق عن ذاته الكريمة. حتى قالوا في حقه تعالى إن له صاحبة وولداً، ونحو ذلك، فكيف غيره تعالى من الأنبياء والمرسلين والأولياء

والمقربين، فالنار لا ترتفع من الدنيا إلا يوم القيامة، وإنما يرتفع الاحتراق بها كما وقع لإبراهيم عليه السلام، وغيره من الخواص، فكل البلايا كالنار، فبطون الأولياء وقلوب الصديقين في سلامة من الاحتراق بها؛ فإنه لا يجري إلا ما قضاه الله تعالى، ومن آمن بقضاء الله سلم من الاعتراض والانقباض.

وهكذا شأن الكبار نسأل الله الغفار السلامة من عذاب النار.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿ولو جعلناه﴾؛ أي: الذكر. ﴿قرآناً أعجمياً﴾ منتظماً على لغة العجم مؤلفاً عليها والأعجمي في الأصل يقال: لذات من لايفصح عن مراده بلغة لسانه، وإن كان من العرب ولكلامه الملتبس الذي لا يوضح المعنى المقصود أطلق ها هنا على كلام مؤلف على لغة العجم بطريق الاستعارة تشبيهاً له بكلام من لا يفصح من حيث إنه لا يفهم معناه بالنسبة إلى العرب. وهذا جواب لقول قريش تعنتاً هلا أنزل القرآن بلغة العجم. يعني: [قرآن جرا بلعت عجم فروا نيامد]. ﴿لقالوا﴾: [هرآينه ميكفتند كفار قريش]. ﴿لولا﴾: حرف تحضيض بمعنى هلا وحرف التحضيض إذا دخل على الماضي كان معناه اللوم والتوبيخ على ترك الفعل، فهو في الماضي بمعنى الإنكار. ﴿فصلت آياته﴾؛ أي: بينت بلسان نفقهه من غير ترجمان عجمي، وهو من كان منسوباً إلى أمة العجم فصيحاً كان، أو غير فصيح. ﴿أأعجمي وعربي﴾ إنكار مقرر للتحضيض. فالهمزة الأولى: همزة الاستفهام المعني بها الإنكار. والأعجمي كلام لا يفهم معناه ولغة العجم كذلك بالنسبة إلى العرب كما أشير إليه آنفاً. والياء ليست للنسبة الحقيقة، بل للمبالغة في الوصف كالأحمري.

والمعنى: لأنكروا وقالوا: كلام أو قرآن أعجمي ورسول أو مرسل إليه عربي؛ أي: لقالوا: كيف أرسل الكلام العجمي إلى القوم العرب، فكان ذلك أشد لتكذيبهم على أن الإقرار مع كون المرسل إليهم أمة جمة لما أن المراد بيان التنافي. والتنافي بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحداً، أو جمعاً. وقرأ هشام أعجمي على الإخبار لا على الاستفهام والإنشاء؛ أي: بهمزة واحدة هي من أصل الكلمة، فالتفصيل يجوز أن يكون بمعنى التفريق والتمييز، لا بمعنى التبيين كما في القراءة الأولى. فالمعنى: ولو جعلنا المنزل كله أعجمياً لقالوا: لولا فرقت آياته وميزت بأن جعل بعضها أعجمياً لإفهام العجم وبعضها عربياً لإفهام العرب أعجمي وعربي.

والمقصود بيان أن آيات الله على أي وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتاً يتعللون به؛ لأن القوم غير طالبين للحق، وإنما يتبعون أهواءهم:

در جشم اين سياه دلان صبح كاذبست ... درر وشنى اكر يد بيضا شود كسى

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى إزاحة العلة لمن أراد أن يعرف صدق الدعوة وصحة الشريعة، فإنه لا نهاية للتعليل بمثل هذه التعللات؛ لأنه تعالى لو جعل القرآن أعجمياً وعربياً، لقالوا لولا جعله عبرانياً وسريانياً. ﴿قل هو﴾؛ أي: الذكر. ﴿للذين آمنوا هدى﴾ يهديهم إلى الحق

وإلى طريق مستقيم. ﴿وشفاء﴾ لما في الصدور من شك وشبهة أو شفاء، حيث استراحوا به من كد الفكرة وتحير الخواطر، أو شفاء لضيق صدور المريدين لما فيه من التنعم بقراءته، والتلذذ بالتفكر فيه، أو شفاء لقلوب المحبين من لواعج الاشتياق لما فيه من لطائف المواعيد، أو شفاء لقلوب العارفين لما يتوالى عليها من أنوار التحقيق، وآثار خطاب الرب العزيز.

﴿والذين لا يؤمنون﴾: مبتدأ خبره قوله: ﴿في آذانهم وقر﴾؛ أي: ثقل وصمم على أن التقدير هو أي القرآن في آذانهم وقر على أن وقر خبر للضمير المقدر، وفي آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالاً لوقر لبيان محل الوقر، وهو أوفق لقوله تعالى: ﴿وهو﴾؛ أي: القرآن ﴿عليهم﴾؛ أي: على الكفار المعاندين ﴿عمى﴾، وذلك لتصاممهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات، وهو بفتح الميم المنونة؛ أي: ذوي عمى على معنى عميت قلوبهم عنه، وهو مصدر عمى يعمى كعلم.

وفي «المفردات»: محتمل لعمى البصر والبصيرة جميعاً. وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما بكسر الميم بمعنى: خفي. وبالفارسية: [واين كتاب برايشان بوشيد كيسنت تاجلوه جمال كمال اونه بينند]. ﴿أولئك﴾ البعداء الموصوفون بما ذكر من التصامم عن الحق الذي يسمعونه والتعامي عن الآيات الظاهرة التي يشاهدونها. ﴿ينادون من مكان بعيد﴾: تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم للقرآن بمن ينادي ويصيح به من مسافة بعيدة لا يكاد يسمع من مثلها الأصوات. يعني: [مثل ايشان جون كسيست كه اورا از مسافة دور ودراز بخواندند نه خواننده را بيند ونه آواز اورا شنودبس اورا ازان نداجه نفع رسد]:

نادى اقبال ميكويد كه اي ناقابلان ما بسى نزديك نزديك وشما بس دوردور

قال الشيخ سعدي در جامع بعلبك: [كلمة جندبر طريق وعظ ميكفتم باطائفة افسر ده ودل مرده وراه از عالم صوت بمعنى نبرده ديدم كه نفسم درنمى كيردو آتشم در هيزم ترايشان اثر نمى كنند دريغ آمدم تربية ستوران وآينه دارى در محله كوران وليكن در معنى باز بودو سلسلة سخن دراز ودربيان اين آيت كه كفت خداى تعالى]. ونحن أقرب إليه من حبل الوريد [سخن بجايى رسيده بود كه ميكفتم]:

دوست نزديكتر ازمن بمنست وين عجبتر من ازوى دورم
جه كنم باكه توان كفت كه او در كنار من ومن مهجورم

[من از شرح اين سخن مست وفضلة قدح دردست كه رونده از كنار مجلس كذر كردودور آخر برو اثر كرد نعرة جنان زدكه ديكران درموافقت اودر خروش امدند وخامان مجلس درجوش كفتم سبحان الله دوران با خبر در حضورست ونزديكان بى بصر دور]:

فهم سخن جون نكند مستمع قوت طبع از متكلم مجوى
فسحت ميدان ارادت بيار تابز ندمرد سخن كوى كوى

وعن الضحاك ينادون يوم القيامة بأقبح أسمائهم من مكان بعيد يعني: يقال يا فاسق يا منافق يا كذا، ويا كذا، فيكون ذلك أشد لتوبيخهم وخزيهم.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾؛ لأن النداء إنما يجيء من فوق أعلى عليين، وهم في أسفل السافلين من الطبيعة الإنسانية، وهم أبعد البعداء. وقال ذو النون رحمه الله: من وقر سمعه وصم عن نداء الحق في الأزل لا يسمع نداءه عند الإيجاد،

وإن سمعه كان عليه عمى، ويكون عن حقائقه بعيداً، وذلك أنهم نودوا عن بعد، ولم يكونوا بالقرب نسأل الله القرب على كل حال.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾؛ أي: وبالله لقد آتيناه التوراة، فاختلف فيها، فمن مصدق لها، ومن مكذب وغيروها من بعده بخمسمائة عام. وهكذا حال قومك في شأن ما آتيناك من القرآن، فمن مؤمن به ومن كافر، وإن كانوا لا يقدرون على تحريفه، فإنا له لحافظون، فالاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة للأمم غير مختص بقومك، ففيه تسلية له عليه السلام.

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ في حق أمتك المكذبة، وهي العدة بتأخير عذابهم، والفصل بينهم وبين المؤمنين من الخصومة إلى يوم القيامة بنحو قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [القمر: ٤٦]. وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ٤٥]. **﴿لقضي﴾** في الدنيا وحكم **﴿بينهم﴾** باستئصال المكذبين كما فعل بمكذبي الأمم السالفة.

يقول الفقير: إنما لم يفعل الاستئصال؛ لأن نبينا عليه السلام كان نبي الرحمة؛ ولأن مكة كانت مهاجر الأنبياء والمرسلين ومهبط الملائكة المقربين بأنواع رحمة رب العالمين، فلو وقع فيها الاستئصال لكانت مثل ديار عاد وثمود، ووقعت النفرة لقلوب الناس. وقد دعا إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧] فكان من حكمته أن لا يجعل الحرم المبارك الآمن مصارع السوء، وأن يقيه من نتائج سخطه. **﴿وإنهم﴾**؛ أي: كفار قومك. **﴿لفي شك منه﴾**؛ أي: من القرآن. **﴿مريب﴾**: موجب للاضطراب موقع فيه. وبالفارسية: [كمانى باضطراب آورده]. وتمامه في آخر سورة سبأ، فارجع والشك عبارة عن تساوي الطرفين والتردد فيهما من غير ترجيح والوهم ملاحظة الطرف المرجوح، وكلاهما تصور لا حكم معه؛ أي: لا تصديق معه أصلاً.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿من﴾: [هركه].

﴿عمل صالحاً﴾ بأن آمن بالكتب وعمل بموجبها. **﴿فلنفسه﴾** فعمله أو فنفعه لنفسه لا لغيره. **﴿ومن أساء﴾**: [وهركه بكند عمل بد والاساءة بدى كردن]. **﴿فعليها﴾** ضرره لا على غيرها. **﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾**، فيفعل بهم ما ليس له أن يفعله، بل هو العادل المتفضل الذي يجازي كل أحد بكسبه، وهو اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مبني على تنزيل ترك إثابة المحسن بعمله، أو إثابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير إساءة أو بإساءة غيره منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه سبحانه؛ أي: هو منزه عن الظلم. يقال: من ظلم وعلم أنه يظلم، فهو ظلام.

وقال بعضهم: أصله وما ربك بظالم، ثم نقل مع نفيه إلى صيغة المبالغة، فكانت المبالغة راجعة إلى النفي على معنى أن الظلم منفي عنه نفياً مؤكداً مضاعفاً، ولو جعل النفي داخلاً على صيغة المبالغة بتضعيف ظالم بدون نفيه، ثم أدخل عليه النفي لكان المعنى أن

تضعيف الظلم منفي عنه تعالى، ولا يلزم منه نفيه عن أصله والله تعالى منزه عن الظلم مطلقاً، ويجوز أن يقال: صيغة المبالغة باعتبار كثرة العبيد لا باعتبار كثرة الظلم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وفي الحديث القدسي: «إني حرمت الظلم على نفسي وعلى عبادي ألا فلا تظالموا» ـ بفتح التاء ـ أصله تتظالموا. والظلم هو: التصرف في ملك الغير أو مجاوزة الحد. وهذا محال في حق الله تعالى؛ لأن العالم كله ملك، وليس فوقه أحد يحدّ له حداً، ولا تجاوز عنه. فالمعنى: تقدست وتعاليت عن الظلم، وهو ممكن في حق العباد، ولكن الله منعهم عنه.

وفي الحديث: «من مشى مع ظالم ليعينه، وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام». وفي حديث آخر: «من مشى خلف ظالم سبع خطوات فقد أجرم». قال الله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]. وكان من ديدن السلطان بسمرقند الامتحان بنفسه مرات لطلبة مدرسته المرتبين أعالي وأواسط وأداني بعد تعيين جماعة كثيرة من العدول غير المدرس للامتحان من الأفاضل حذراً من الحيف. وكان يعد الحيف في الرتبة بين المستعدين من قبيل الكفر في الدين وأكثر المستعدين في هذا الزمان على الخذلان والحرمان.

قال الصائب: [تير بختى لازم طبع بلند افتاده است باى خودرا جون تواند داشتن روشن جراغ].

ينبغي للعاقل أن يسارع إلى الأعمال الصالحة دائماً خصوصاً في زمان انتشار الظلم والفساد وغلبة الهوى على النفوس والطباع، فإن الثبات على الحق في مثل ذلك الوقت أفضل وأعظم. قال ابن الماجشون، وهو أي: ابن الماجشون كان من أهل المدينة. وكان مع عمر بن عبد العزيز في ولايته على المدينة لما خرج روح أبي وضعناه على السرير، فدخل عليه غاسل فرأى عرقاً يتحرك في أسفل قدمه فمكث ثلاثة أيام، ثم استوى جالساً. وقال: ائتوني بسويق، فأتوا به فشرب فقلنا له: خبرنا ما رأيت. قال: عرج بروحي فصعد بي الملك حتى أتى إلى السماء الدنيا، فاستفتح ففتح له حتى انتهى إلى السابعة. فقيل له: من معك؟ قال: الماجشون، فقيل: لم يؤذن له بعد يقي من عمره كذا. ثم هبط بي فرأيت النبي ﷺ، وأبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعمر بن عبد العزيز بين يديه، فقلت للملك: إنه لقريب المقعد من رسول الله عليه السلام. قال: إنه عمل بالحق في زمن الجور وأنهما عملا بالحق في زمن الحق [بقومى كه نيكى بسندد خداى]:

دهد خسر وعادل ونيك راى ... جوخواهد كه ويران كند عالمى
كند ملك دربنجه ظالمى ... ومن الله الأمن والسلامه

﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿إليه﴾ تعالى لا إلى غيره. **﴿يرد علم الساعة﴾** إذا سئل عن القيامة يقال: الله يعلم إذ لا يعلمها إلا الله، فإذا جاءت يقضي بين المحسن والمسيء بالجنة والنار. **﴿وما﴾** نافية. **﴿تخرج من ثمرات﴾** من مزيدة للتنصيص على الاستغراق؛ فإنه قبل دخولها يحتمل نفي الجنس ونفي الوحدة.

والمعنى بالفارسية: [وبيرون نيايد هيج ميوه]. ﴿من أكمامها﴾ من أوعيتها يعني الكفرى قبل أن ينشق. وقيل: قشرها الأعلى من الجوز واللوز والفستق وغيرها. جمع كم بالكسر، وهو وعاء الثمرة وغلافها؛ أي: ما يغطي الثمرة كما أن الكم بالضم ما يغطي اليد من القميص. ﴿وما تحمل من أنثى﴾: [وبار نكيرد هيج مادة ازانسان وسائر حيوانات]. ﴿ولا تضع﴾ حملها بمكان على وجه الأرض. ﴿إلا بعلمه﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال، ولم يذكر متعلق العلم للتعميم؛ أي: وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابساً بشيء من الأشياء إلا ملابساً بعلمه المحيط واقعاً حسب تعلقه به، يعلم وقت خروج الثمرة من أكمامها وعددها وسائر ما يتعلق بها من أنها تبلغ أوان النضج أو تفسد قبل ونحوه، ووقت الحمل وعدد أيامه وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والأنوثة. والحسن والقبح وغير ذلك. ووقت الوضع وما يتعلق به، ولعل ذكر هذه الجمل الثلاث بعد ذكر الساعة لاشتمالها على جواز البعث، وإحياء الموتى.

وفي «حواشي ابن الشيخ»: المعنى أن إليه يضاف علم الساعة؛ أي: علم وقت وقوع القيامة، فإذا سئلت عنه فرد العلم إليه، فقل الله أعلم كما يرد إليه علم جميع الحوادث الآتية من الثمار والنبات وغيرهما.

روي: أن منصور الدوانقي أهمه مدة عمره فرأى في منامه شخصاً أخرج يده من البحر وأشار بالأصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتأولوه بخمس سنين وبخمسة أشهر وبغير ذلك حتى قال أبو حنيفة تأويله أن مفاتح الغيب خمسة لا يعلمها إلا الله، وأن ما طلبت معرفته لا سبيل لك إليه أخذه أبو حنيفة رحمه الله من قوله عليه السلام مفاتح الغيب خمسة، وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

يقول الفقير: ظهر من هذا وجه الجمع بين علم الساعة وعلم خروج الثمرات إذ هو داخل في تنزيل الغيث؛ لأنه بالغيث والرياح تخرج النباتات، وتظهر الثمرات. ﴿ويوم يناديهم﴾؛ أي: اذكر يا محمد لقومك يوم يناديهم الله ﴿أين شركائي﴾ بزعمكم كما نص عليه في قوله تعالى: ﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ [الكهف: ٥٢] وبالفارسية كجا اند انبازان بزعم شما. ﴿قالوا آذناك﴾؛ أي: أخبرناك وأعلمناك. ﴿ما منا﴾: [نيست ازما]. ﴿من شهيد﴾ من أحد يشهد لهم بالشركة إذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال، فيكون السؤال عنهم للتوبيخ، والشهيد من الشهادة، أو ما منا من أحد يشهدهم؛ لأنهم ضلوا عنهم حينئذٍ فهم لا يبصرونهم في ساعة التوبيخ، فالشهيد من الشهود.

قال في «حواشي سعدي المفتي»: والظاهر أنه كقولهم، والله ربنا ما كنا مشركين، بل الإشارة بقولهم آذناك إلى هذا القول الذي أجابوا به أولاً متعمدين للكذب. انتهى. وفي «الإرشاد» قولهم: آذناك إما لأن هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب أو لأن معناه الإنشاء لا الإخبار بإيذان قد كان انتهى.

﴿وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل﴾؛ أي: غاب عن المشركين الآلهة التي كانوا يعبدونها من قبل يوم القيامة، أو ظهر عدم نفعهم، فكان حضورهم كغيبتهم. ﴿وظنوا﴾؛ أي: أيقنوا. ﴿ما لهم من محيص﴾ مهرب. وبالفارسية: [ويقين دانندكه اذ عذاب وعقوبت نيست

ايشانرا هيج كريز كاهى]. من حاص يحيص حيصاً ومحيصاً إذا هرب.

وفي «المفردات»: أصله من قولهم: وقع في حيص بيص؛ أي: في شدة وحاص عن الحق يحيص؛ أي: جاد عنه إلى شدة ومكروه.

وفي «القاموس»: حاص عنه عدل وحاد. والمحيص المحيد والمعدل والميل والمهرب والظن معلق عنه بحرف النفي، والتعليق أن يوقع بعده ما ينوب عن المفعولين جميعاً.

وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى ينادي، فيقول: أين شركائي الذين كانوا يرون أنهم يخلقون أفعالهم وأعمالهم. قالوا: آذناك ما منا من شهيد يشهد أنه خالق فعله وكوشفوا بأنه لا خالق إلا الله، وهم المعتزلة، وقد سئل الرستغفني عن المناكحة بين أهل السنة وبين أهل الاعتزال، فقال: لا يجوز كما في «مجمع الفتاوى». وذلك لأن أهل الاعتزال مشركون بقولهم: أن العباد خالقون لأفعالهم. وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ۚ﴾ [البقرة: ٢٢١]؛ أي: يوحدوا ويقولوا: لا خالق إلا الله ولا وجود في الحقيقة إلا الله وضل عنهم يوم القيامة، ما كانوا يدعون من قبل أن له وجوداً وزال وبطل (ع): [جه كونه غير توبيند كسى كه غير تويست]. وأيقنوا ما لهم من مهرب إلى الله عند قيام الساعة بتجلي صفة القهارية، ولو كانوا أرباب اللطف في الدنيا لنالوا لطفه في العقبى، فعلى العاقل أن يهرب ويفر إلى الله تعالى، كما قال: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [الذاريات: ٥٠]، فإذا فر إليه أنس به والأنيس لايخاف من قهر الأنيس إذ هو على الملاطفة معه على كل حال.

قال ذو النون المصري قدس سره: ركبنا مرة في مركب وركب معنا شاب صبيح وجهه مشرق، فلما توسطنا فقد صاحب المركب كيساً فيه مال، ففتش كل من في المركب، فلما وصلوا إلى الشاب ليفتشوه وثب وثبة من المركب حتى جلس على أمواج البحر. وقام له الموج على مثال السرير، ونحن ننظر إليه من المركب.

وقال: يا مولاي إن هؤلاء اتهموني، وإني أقسم عليك يا حبيب قلبي أن تأمر كل دابة في هذا المكان أن تخرج رأسها، وفي أفواهها جواهر.

قال ذو النون: فما تم كلامه حتى رأينا دواب البحر أمام المركب، قد أخرجت رؤوسها، وفي فم كل واحدة منها جوهرة تتلألأ، وتلمع، ثم وثب الشاب من الموج إلى البحر وجعل يتبختر على وجه الماء، ويقول: إياك نعبد وإياك نستعين حتى غاب عن بصري، فحملني هذا على السياحة، وذكرت قوله عليه السلام «لا يزال في أمتي ثلاثون قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن وكلما مات منهم واحد أبدل الله مكانه واحداً» ظهر من هذه الحكاية، أن الله تعالى تجلى لذلك الشاب بصفة اللطف، فسلم من قهر البحر، وذلك لتحققه بحقيقة قوله: إياك نعبد؛ فإنه من اختصاص العبادة يحصل اختصاص التوحيد وبالتوحيد الحقاني يزول كل ما كان من طريق القهر؛ لأن من قهر وجوده لا يقهر مرة أخرى، ولما شاهد ذو النون هذه الحال من الشاب؛ لأنها حال تنافي حال أهل الدنيا. كما قال الشيخ المغربي:

هيج كس كرجه زحالى نيست خالى درجهان
ليكن اين حالى كه ماراهست حال ديكراست

سلك طريق اللطف وساح في الأرض حتى وصل إلى اللطيف الخبير.

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿لا يسأم الإنسان﴾؛ أي: لا يمل ولا يضجر. وبالفارسية: [ملول نميشود كافر]. فهذا وصف للجنس بوصف غالب افراده لما أن اليأس من رحمة الله لا يتأتى إلا من الكافر، وسيصرح به. ﴿من دعاء الخير﴾؛ أي: من دعائه الخير وطلبه السعة في النعمة وأسباب المعيشة، فحذف الفاعل، وأضيف إلى المفعول. والمعنى: أن الإنسان في حال إقبال الخير إليه لا ينتهي إلى درجة إلا ويطلب الزيادة عليها، ولا يمل من طلبها أبداً، وفيه إشارة إلى أن الإنسان مجبول على طلب الخير بحيث لا تتطرق إليه السآمة، فبهذه الخصلة بلغ من بلغ رتبة خير البرية، وبها بلغ من بلغ دركة شر البرية، وذلك لأنه لما خلق لحمل الأمانة التي أشفق منها البرية، وأبين أن يحملنها. وهي عبارة عن الفيض الإلٰهي بلا واسطة. وذلك فيض لا نهاية له، فلحملها احتاج الإنسان إلى طلب غير متناه، فطلب بعضهم هذا الطلب في تحصيل الدنيا وزينتها وشهواتها واستيفاء لذاتها فما سئم من الطلب وصار شر البرية.

قال الحافظ:

تاكى غم دنياى دنى اى دل دانا حيفست زخوبى كه شود عاشق زشتى

﴿وإن مسه الشر﴾؛ أي: العسر والضيق. ﴿فيؤوس قنوط﴾؛ أي: يبالغ في قطع الرجاء من فضل الله ورحمته. وبالفارسية: [واكر برسد ويرابدى جون تنكى وتنكدستى وبيمارى بس نوميدست ازراحت اميد برنده ازرحمت]. والقنوط: عبارة عن يأس مفرط يظهر أثره في الشخص فيتضاءل وينكسر فبهذا ظهر الفرق بين اليأس والقنوط.

وفي «التأويلات النجمية»: وإن مسه الشر، وهو فطامه عن مألوفات نفسه وهواه فيؤوس قنوط لايرجو زوال البلايا والمحن لعدم علمه بربه، وانسداد الطريق على قلبه في الرجوع إلى الله ليدفع عنه ذلك. قال الحافظ:

سروش عالم غيبم بشارتى خوش داد كه كس هميشه بكيتى دزم نخواهد ماند

وفيه إشارة إلى أن الإنسان لا يدعو عارفاً بربه طاعة لربه، بل لتحصيل مراده وأربه، ولهذا وقع في ورطة الفرار واليأس عند ظهور اليأس.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿ولئن أذقناه رحمة منا﴾ من عندنا. ﴿من بعد ضراء مسته﴾؛ أي: أصابته وذلك بتفريج تلك الضراء عنه كالمرض والضيق بالرحمة كالصحة والسعة. ﴿ليقولن هذا﴾ الخير ﴿لي﴾؛ أي: حقي وصل إليَّ لأني أستحقه لما لي من الفضل وعمل البر، فاللام للاستحقاق أولى لا لغيري، فلا يزول عني أبداً، فاللام للاختصاص فيكون إخباراً عن لازم الاستحقاق لا عن نفسه، كما في الوجه الأول، ومعنى الدوام استفيد من لام الاختصاص؛ لأن ما يختص بأحد الظاهر أنه لا يزول عنه، فذلك المسكين لم ير فضل الله وتوفيقه، فادعى الاستحقاق في الصورة الأولى، واشتغل بالنعمة عن المنعم، وجهل أن الله تعالى أعطاه ليبلوه [ايشكرام]. يكفر فلو أراد لقطعها منه، وذلك في الصورة الثانية. ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾؛ أي: تقوم وتحضر وتكون فيما سيأتي كما يزعم محمد. ﴿ولئن رجعت﴾ رددت ﴿إلى ربي﴾ على تقدير

قيامها وبعثت، وهو الذي أرادوا بقولهم إن نظن إلا ظناً، فلا يخالف، وما أظن الساعة قائمة؛ لأن المراد الظن منه الكامل. ﴿**إن لي عنده للحسنى**﴾، وهو جواب القسم لسبقه الشرطية؛ أي: للحالة الحسنى من الكرامة يعني: [استحقاق من مرنعمت وكرمت راثابت است خواه دردنيا خواه در عقبا (ع)].

زهـي تـصـور بـاطـل زهـي خـيـال مـحـال

أعتقد أن ما أصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه لها، وأن نعم الآخرة كذلك؛ لأن سبب الإعطاء متحقق في الآخرة أيضا، وهو استحقاقه إياها، فقاس أمر الآخرة على أمر الدنيا بالوهم المحض والأمنية الكاذبة. وعن بعضهم: للكافر أمنيتان يقول في الدنيا: ولئن رجعت إلخ. وفي الآخرة: يا ليتني كنت تراباً [وهيجكدام ازين معنى وجودى نخواهد كرفت]. وعن بعض أهل التفسير: ﴿**إن لي عنده للحسنى**﴾؛ أي: الجنة يقول ذلك استهزاء. ﴿**فلننبئن الذين كفروا بما عملوا**﴾؛ أي: لنعلمنهم بحقيقة أعمالهم حين أظهرناها بصورها الحقيقية، فيرون أنها مقابح يهان عليها لا محاسن يكرم عليها. ﴿**ولنذيقنهم من عذاب غليظ**﴾ لا يعرف كنهه، ولا يمكنهم التفصي منه؛ كأنه لغلظته يحيط بجميع جهاتهم. وقد كان معذباً في الدنيا بعذاب الطرد والبعد، ولكن لما لم يجد ذوق العذاب وألمه أذاقه الله تعد انتباهه من نومه وغفلته؛ أي: بعد الموت لقول علي كرم الله وجهه الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا.

وفي «بحر العلوم»: غليظ؛ أي: شديد أو عظيم، ومن ابتدائية أو بيانية والمبين محذوف كأنه قيل: ولنذيقنهم عذاباً مهيناً من عذاب كبير بدل ما اعتقدوه لأنفسهم من الإكرام والإعزاز من الله تعالى.

يقول الفقير: يجوز أن يقال: وصف العذاب بالغلظة لغلظة بدن المعذب به. قال حضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره: الغالب على الأشقياء خواص التركيب والكثافة. كما أشار إليه عليه السلام بقوله: إن غلظ جلد الكافر يوم القيامة مسيرة ثلاثة أيام وكما نبه الحق على ذلك بقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾ [المطففين: ٧]، وهو العالم السفلي المضاف إلى اليد المسماة بالقبضة، وبالشمال أيضاً. وقال في أصحاب اليمين: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨﴾ [المطففين: ١٨]. وهذا مثل قوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]. والسر في أن الأبرار وكتابهم في عليين هو أن أجزاء نشأتهم الكثيفة، وقواهم الطبيعة المزاجية تجوهرت وزكت واستحالت بالتقديس والتزكية الحاصلين بالعلم والعمل والتحلية بالصفات المحمودة، والأخلاق السنية قوى وصفات ملكية ثابتة زكية ذاتية لنفوسهم المطمئنة، كما أخبر الحق عن ذلك بقوله: في بيان أحوال النفوس ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس: ٩]، وكما أشار إليه عليه السلام في دعائه: اللهم آتِ نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها. والحال في الأشقياء بعكس ذلك، فإن قواهم وصفاتهم الروحانية لما استهلكت في القوى الطبيعة المتصفة بأحكام اعتقاداتهم وظنونهم الفاسدة وأفعالهم الرديئة وأخلاقهم المذمومة زمان بقائهم السنين الكثيرة في هذه النشأة. وهذه الدار ركبها الحق في النشأة الحشرية بحيث يحصل منها ما اقتضى أن يكون غلظ جلد بدن أحدهم مسيرة ثلاثة أيام عكس ما نبهت عليه من حال الأبرار، ولهذا ورد في شأن النشأة الجنانية أن أصحابها يظهرون في الوقت الواحد في الصور المتعددة منعمين في كل طائفة من أهاليهم منقلبين فيما اشتهوا من الصور، وليس هذا إلا من

أجل ما ذكرنا من استهلاك أجزاء نشأتهم الكثيفة في لطائف جواهرها وانصباغها بصفاتها وغلبة خواص نفوسهم، وقواهم الروحانية على قوى أمزجتهم الطبيعية، فصاروا كالملائكة يظهرون فيما شاؤوا من الصور.

بال بكشا وصفيراز شجر طوبى زن حيف باشد جوتو مرغى كه اسير قفسى

﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ﴿٥١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض﴾؛ أي: عن الشكر على إنعامه، وهذا نوع آخر من طغيان الكافر إذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة؛ وكأنه لم يلق شدة قط فنسي المنعم وكفر بنعمته بترك الشكر. **﴿ونأى بجانبه﴾**: [النأى دور شدن]. ويعدى بنفسه وبعن كما في «تاج المصادر»؛ أي: تباعد بكليته عن الشكر لا بجانبه فقط، ولم يمل إلى الشكر والطاعة تكبراً وتعظماً، فالجانب مجاز عن النفس كما في قوله تعالى: ﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، ويجوز أن يراد به عطفه، فيكون على حقيقته وعبارة عن الانحراف والازورار؛ لأن نأي الجانب عن الشكر يستلزم الانحراف عنه، كما قالوا: ثنى عطفه وتولى بركنه، فالباء للتعدية.

وفي «التأويلات النجمية»: إذا خلناه إلى الطبيعة الإنسانية، وهي الظلومية والجهولية لا يميز بين العطاء والبلاء، فكثير مما يتوهمه عطاء، وهو مكر واستدراج هو يستديمه وكثير مما هو فضل في نقمة وعطاء في الشر، وهو يظنه بلاء، فيكرهه بل إذا أنعمنا عليه صاحبه بالبطر، وإذا أبليناه قابله بالضجر، بل وإذا أنعمنا عليه أعجب بنفسه، فتكبر مختالاً في زهوه لا يشكر ربه، ولا يذكر فضله ويشتغل بالنعمة عن المنعم ويتباعد عن بساط طاعته، فكالمستغني عنا يهيم على وجهه. قال الحافظ:

ببال وبر مرو ازره كه تيربرتابى هو اكرفت زمانى ولى بخاك نشست

﴿وإذا مسه الشر﴾؛ أي: إذا مس هذا الإنسان المعرض المتكبر جنس الشر كالبلاء والمحنة، وإنما جيء بلفظ الماضي، وإذا لأن المراد الشر المطلق الذي حصوله مقطوع به. **﴿فذو دعاء عريض﴾**؛ أي: فهو ذو دعاء كثير كما يقال: أطال فلان الكلام والدعاء، وأعرض؛ أي: أكثر فهو مستعار مما له عرض متسع للإشعار بكثرته، فإن العريض يكون ذا أجزاء كثيرة، وامتداد فمعنى الاتساع يؤخذ من تنكير عريض، فإنه يدل على التعظيم، ومعنى الامتداد يؤخذ من معنى الطول اللازم للعرض، وهو أي عريض أبلغ من طويل إذ الطول أطول الامتدادين فإذا كان عرضه كذلك؛ أي: متسعاً، فما ظنك بطوله، ولعل شأن بعض غير البعض الذي حكي عنه اليأس والقنوط إذ اليأس، والقنوط ينافيان الدعاء؛ لأنه فرع الطمع والرجاء، أو شأن الكل في بعض الأوقات.

وقيل: قنوط من الصنم دعاء لله، أو قنوط بالقلب دعاء باللسان.

﴿قل أرأيتم﴾؛ أي: أخبروني؛ لأن الرؤية سبب للإخبار. **﴿إن كان﴾**؛ أي: القرآن **﴿من عند الله ثم كفرتم به﴾** من غير نظر واتباع دليل مع تعاضد موجبات الإيمان به. **﴿من﴾** استفهام **﴿أضل ممن هو في شقاق بعيد﴾**؛ أي: من أضل منكم، فوضع الموصول موضع الضمير شرحاً لحالهم وتعليلاً لمزيد ضلالهم وخلافهم؛ بأنه لكونهم في شقاق بعيد، فإن من كفر بما

نزل من عند الله، بأن قال: أساطير الأولين، ونحوه. فقد كان مشاقاً لله؛ أي: معادياً ومخالفاً له خلافاً بعيداً عن الوفاق، ومعاداة بعيدة عن الموالاة، ولا شك أن من كان كذا، فهو في غاية الضلال.

وفي الآية إشارة إلى أن كل بلاء وعناء ونعمة ورحمة ومضرة ومسرة ينزل بالعبد، فهو من عند الله، فإن استقبله بالتسليم والرضا صابراً شاكراً للمولى في الشدة والرخاء والسراء والضراء، فهو من المهتدين المقربين، وإن استقبله بالكفر والجزع بالخذلان، فهو من الأشقياء المبعدين المضلين.

وفي الحديث القدسي: «إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله، أو ولده، ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً وأنشر له ديواناً». وفي الحديث: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه إذا أحبه حباً شديداً، افتناه فإن صبر ورضي اجتباه. قيل: يا رسول الله، وما افتناؤه، قال: أن لا يبقى له مالاً ولا ولداً».

قال بعض الكبار: النعمة توجب الإعراض كما قال الله تعالى: **﴿وإذا أنعمنا على الإنسان﴾**، إلخ. ومس الضر يوجب الإقبال على الله كما قال الله تعالى: **﴿وإذا مسه الشر﴾** إلخ. فالله تعالى رحيم على العبد بدفع النعمة والصحة عنه؛ لأنها مظنة الإعراض والبلاء للولاء كاللهب للذهب، فالبلاء كالنار، فكما أن النار لا تبقي من الحطب شيئاً إلا وأحرقته، فكذا البلاء لا يبقي من ضر الوجود شيئاً، فالطريق إلى الله على جادة المحنة أقرب من جادة المنحة إذ الأنبياء والأولياء جاؤوا، وذهبوا من طريق البلاء، وقد ثبت أن النار لا ترتفع من الدنيا أبداً، فكيف يؤمل العاقل الراحة في الدنيا، فهي دار محنة وقد ورد: «الدنيا سجن المؤمن» لا يستريح في الدنيا، ولا يخلو من قلة أو علة، أو ذلة، وله راحة عظمى في الآخرة والكافر خاسر في الدنيا والآخرة، فعلى العبد أن يمشي على الصراط السوي، ويخاف من الزلق ومن مكر الله تعالى. قال الحافظ:

جه جاى من كه بلغزد سبهر شعبده باز   ازين حيل كه در انبانة بهانة يست

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿سنريهم﴾: [زود باشد كه بنما يم ايشانرا يعني كفار قريش را]. **﴿آياتنا﴾**: الدالة على حقيقة القرآن، وكونه من عند الله **﴿في الآفاق﴾**: جمع أفق، وهي الناحية من نواحي الأرض، وكذا آفاق السماء: نواحيها وأطرافها. والآفاق: ما خرج عنك، وهو العالم الكبير من الفرش إلى العرش، والأنفس ما دخل فيك، وهو العالم الصغير، وهو كل إنسان بانفراده. والمراد بالآيات الآفاقية: ما أخبرهم النبي عليه السلام من الحوادث الآتية كغلبة الروم على فارس في بضع سنين، وآثار النوازل الماضية الموافقة لما هو المضبوط المقرر عند أصحاب التواريخ. والحال أنه عليه السلام أمي لم يقرأ، ولم يكتب، ولم يخالط أحداً، أو ما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح، والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة إذ لم يتيسر أمثالها لأحد من خلفاء الأرض قبلهم.

﴿وفي أنفسهم﴾: هو ما ظهر فيما بين أهل مكة من القحط والخوف، وما حل بهم يوم

بدر ويوم الفتح من القتل والمقهورية، ولم ينقل إلينا أن مكة فتحت على يد أحد قبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وكذا قتل أهلها، وأسرهم.

وقيل: في الآفاق؛ أي: في أقطار السماوات والأرض من الشمس والقمر والنجوم، وما يترتب عليها من الليل والنهار، والأضواء والظلال والظلمات، ومن النبات والأشجار والأنهار. وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في تكوين الأجنة في ظلمات الأرحام وحدوث الأعضاء العجيبة والتراكيب الغريبة كقوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١]، واعتذر بأن معنى السين مع أن إراءة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك أنه تعالى سيطلعهم على تلك الآيات زماناً فزماناً ويزيدهم وقوفاً على حقائقها يوماً فيوماً، قالوا: الآفاق هو العالم الكبير والأنفس هو العالم الصغير. [وهرجه از دلائل قدرت در عالم كبيراست نمودار آن عالم صغير است]، وتزعم أنك جرم صغير، وفيك انطوى العالم الأكبر [جميع آنجه در عالم است مفصلا در نشأت إنسان است مجملاً بل إنسان عالم صغير عالم مجملست ازروى صورت وعالم أنسان كبير اما أزروى قدرت مرتبة إنسان كبيرست وعالم إنسان صغير]:

اى آنكه تر است ملك اسكندر وجم ... از حرص مباش دربى نيم درم
عالم همه درتست وليكن از جهل ... بنداشتة تو خويش را در عالم

فجسم الإنسان كالعرش، ونفسه كالكرسي، وقلبه كالبيت المعمور، واللطائف القلبية كالجنان والقوى الروحانية كالملائكة والعينان والأذنان والمنخران والسبيلان والثديان والسرة والفم كالبروج الاثني عشر، والقوة الباصرة والسامعة والذائقة والشامة واللامسة والناطقة والعاقلة، كالكواكب السيارة، وكما أن رياسة الكواكب بالشمس والقمر واحدهما يستمد من الآخر، فكذلك رياسة القوى بالعقل والنطق، وهو أي النطق مستمد من العقل، وكما أن في العالم الكبير ستين وثلاثمائة يوم، فكذا في الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل، وكما أن للقمر ثمانية وعشرين منزلاً يدور فيه في كل شهر، فكذا في الفم ثمانية وعشرون مخرجاً للحروف، وكما أن القمر يظهر في خمس عشرة ليلة، ويخفى في الباقي كذلك التنوين والنون الساكنة يخفيان عند ملاقاتهما خمسة عشر حرفاً، وكما أن في العالم الكبير أرضاً وجبالاً ومعادن وبحاراً، وأنهاراً وجداول وسواقي، فجسد الإنسان كالأرض وعظامه كالجبال التي هي أوتاد الأرض، ومخه كالمعادن وجوفه كالبحار وأمعاؤه كالأنهار وعروقه كالجداول والسواقي وشحمه كالطين وشعره كالنبات، ومنبت الشعر كالتربة الطيبة وأنسه كالعمران وظهره كالمفاوز ووحشته كالخراب وتنفسه كالرياح وكلامه كالرعد وأصواته كالصواعق وبكاؤه كالمطر وسروره كضوء النهار وحزنه كظلمة الليل ونومه كالموت ويقظته كالحياة وولادته كبدء سفره وأيام صباه كالربيع وشبابه كالصيف، وكهولته كالخريف وشيخوخته كالشتاء وموته كانقضاء مدة سفره والسنون من عمره كالبلدان والشهور كالمنازل والأسابيع كالفراسخ وأيامه كالأميال وأنفاسه كالخطى فكلما تنفس نفساً؛ كأنه يخطو خطوة إلى أجله:

هر دم از عمر ميرود نفسى ... جون نكه ميكنم نماندبسى

وله في كل يوم اثنا عشر ألف نفس، وفي كل ليلة كذلك، فيوم القيامة ينظر في كل نفس أخرجه في غفلة عن ذكر الله فيا طول حسرة من مضى نفس من أنفاسه بالغفلة، ثم الأرض سبع طباق أرض سوداء وغبراء وحمراء وصفراء وبيضاء وزرقاء وخضراء، فنظائرها من الإنسان في

جسمه الجلد والشحم واللحم والعروق والعصب والقصب والعظام. وهذه المرة السوداء بمنزلة الأرض ليبسها وبردها، وهذه المرة الصفراء بمنزلة النار ليبسها وحرارتها. وهذا الدم بمنزلة الهواء لحرارته ورطوبته. وهذا البلغم بمنزلة الماء لبرودته ولزوجته، وكما أن المياه مختلفة فمنها الحلو والمالح والمنتن كذلك مياه بدن الإنسان هذا ماء العين ملح؛ لأن العين شحمة ولولا ملوحة مائها لفسدت، وهذا الريق عذب، ولولا ذلك ما استعذب طعام ولا شراب. وهذا الماء الذي في صماخ الأذنين مر؛ لأنهما عضوان مفتوحان لا انطباق لهما حتى أن نتن الماء يصد كل شيء عن أذنه، ولو أن دودة دخلتهما لماتت لمرارة ذلك الماء ونتنه، ولولا ذلك لوصل الديدان إلى دماغه، فأفسده، ثم فيه أخلاق جميع الحيوانات، فهو كالملك من جهة المعرفة والصفاء وكالشيطان من جهة المكر والكدورة، وكالأسد في الجراءة والشجاعة، وكالبهيمة في الجهل، وكالنمر في الكبر، وكالفهد والأسد في الغضب، وكالذئب في الإفساد والإغارة، وكالحمار في الصبر وكذا كالحمار والعصفور في الشهوة وكالثعلب في الحيلة وكالفأرة، والنملة في الحرص والجمع، وكالكلب في البخل، وكذا في الوفاء، والخنزير في الشره، وكالحية في الحقد، وكالجمل في الحلم، وكذا في الحقد، وكالديك في السخاوة، وكالبوم في الصناعة وكالهرة في التواضع والتملق، وكالغراب في البكور، وكالبازي والسلحفاة في الهمة إلى غير ذلك، ويزيد على الجميع بالنظر ووجود التمييز والاستدلال بالشاهد على الغائب، وأنواع الحرف والصناعات، فهذه كلها آيات الله تعالى في أنفسنا، فتبارك الله أحسن الخالقين. قال الصائب:

عجبتر از تو ندارد جهان تماشا كاه ... جرا بجشم تعجب بخود نظر نكنى

وقال:

اى رازنه فلك زو جودت عيان همه ... دردادن تو حاصل دريا وكان همه
بيش توسر بخاك مذلت نهاده اند ... با آن علوم ومرتبه روحانيان همه
در كوش كرده خلقة فرمان بذير يرتست ... خاك وهواو آتش وآب روان همه

﴿حتى يتبين لهم﴾ بذلك ﴿أنه الحق﴾؛ أي: القرآن، أو الرسول فالقصر المستفاد من تعريف المسند حقيقي ادعائي، أو الله، أو التوحيد، فالقصر إضافي تحقيقي؛ أي: لا الشركاء ولا التشريك والضمائر في سنريهم، وفي أنفسهم، ولهم للمشارفين على الاهتداء منهم، أو للجميع على أنه من وصف الكل بوصف البعض كما في «حواشي سعدي المفتي».

[وجمعى ضمير را عائد بآدميان دارند يعني بنمايم مردمانرا دلائل آفاقى وآيات أنفسى].

فعبارة الآية مقام التوحيد وإشارتها مقام التجريد والتفريد وظهور الحق في مظاهر الآفاق والأنفس وتبينه بآيات توحيده المرئية فيهما توحيد واستقطاع التوحيد الموحد عن الالتفات إلى الآفاق تجريد، وعن النظر إلى الأنفس تفريد، لكن هذا التوحيد والتجريد والتفريد كوني لا إلٰهي؛ لأنه باعتبار ظهور الحق في المظاهر الكونية دون الإلٰهية، ففوقها توحيد وتجريد وتفريد إلٰهي باعتبار ظهور الحق في مظاهر الإلٰهية من مراتب التعينات الذاتية والاسمائية والصفاتية والافعالية والكوني من الإلٰهي بمنزلة الظاهر من الباطن فمرتبة التعين ذاتياً أولاً وصفاتياً ثانياً، وإفعالياً ثالثاً مرتبة التوحيد، ومرتبة اللاتعين الذي فوق التعين مطلقاً مرتبة التجريد ومرتبة الجامعية بين المرتبتين: مرتبة التفريد إذ الفرد الحقيقي الأولي جمعية المراتب الثلاث مطلقاً،

وجميع العلوم والأعمال والآثار جمالية، أو جلالية شؤونات ذاتية مستجنة في غيب الذات أولاً وصور وأعيان علمية ثابتة في عرصة العلم ثانياً، وحقائق موجودات عينية متحققة في عرصة العين. ولهذا التحقق العيني، والوجود الخارجي خلق الله الأنفس والآفاق والسماوات والأرضين والملأ الأعلى والأسفل، حتى يكون المعلوم مرئياً ومشاهداً ويتم الأمر الإلهي الجمالي والجلالي والكمالي ويكمل مطلقاً بالوجود العيني الخارجي حكمه الأزلي الأبدي جلاء واستجلاء [سر بحربى كرانراموج بر صحرا نهاد. كنج مخفي آشكارا شد نهان آمد بديد].

﴿أو لم يكف بربك﴾ استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم في شأن القرآن وعنادهم المحوج إلى إراءة الآيات وعدم اكتفائهم بإخباره تعالى، والهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام والباء مزيدة للتأكيد؛ أي: ألم يغن، ولم يكف ربك **﴿أنه على كل شيء شهيد﴾**بدل منه؛ أي: ألم يغنهم عن إراءة الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن، ولم يكفهم في ذلك أنه تعالى شهيد على جميع الأشياء. وقد أخبر بأنه من عنده، فعدم الكفاية معتبر بالنسبة إليهم كما يصرحه قوله تعالى: **﴿ألا﴾** كلمة تنبيه **﴿إنهم﴾**؛ أي: كفار مكة. **﴿في مرية﴾** شك عظيم وشبهة شديدة. **﴿من لقاء ربهم﴾** بالبعث والجزاء، فإنهم استبعدوا إحياء الموتى بعد ما تفرقت أجزاؤهم، وتبددت أعضاؤهم.

وفيه إشارة إلى أن الشك أحاط بجميع جوانبهم إحاطة الظرف بالمظروف لا خلاص لهم منه وهم مستمرون دائمون فيه. **﴿ألا إنه بكل شيء محيط﴾**. الإحاطة: إدراك الشيء بكماله؛ أي: عالم بجميع الأشياء جملها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها، فلا يخفى عليه خافية منهم، وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لا محالة، ومرجع تأكيد العلم إلى تأكيد الوعيد:

علم بى جهل وقدرت بى عجز خاص مر حضرت الهى راست
هرجه بايد در أنفس وآفاق كنداز حكم بادشاهى راست

وإحاطة الله سبحانه وتعالى عند العارفين بالموجودات كلها عبارة عن تجليه بصور الموجودات، فهو سبحانه بأحدية جميع أسمائه سار في الموجودات كلها ذاتاً، وحياة وعلماً وقدرة إلى غير ذلك من الصفات. والمراد بإحاطته تعالى هذه السراية، ولا يعزب عنه ذرة في السماوات والأرض، وكل ما يعزب يلحق بالعدم، وقالوا: هذه الإحاطة ليست كإحاطة الظرف بالمظروف، ولا كإحاطة الكل بأجزائه، ولا كإحاطة الكلي بجزئياته، بل كإحاطة الملزوم بلازمه، فإن التعينات اللاحقة لذاته المطلقة، إنما هي لوازم له بواسطة، أو بغير واسطة، وبشرط، أو بغير شرط، ولا تقدح كثرة اللوازم في وحدة الملزوم، ولا تنافيها. والله أعلم بالحقائق.

واعلم أن الأشياء كلها قد اتفقت على الشهادة بوحدة خالقها وأنه مظهرها من كتم العدم، والمظهر لا يفارق المظهر في معرفة أرباب البصائر، فسبحان من هو عند كل شيء، ومعه وقبله، ومن ها هنا.

قال بعضهم: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله معه. وقال بعضهم: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله بعده. وقال بعضهم: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله، فمنهم من يرى الأشياء به، ومنهم من يراه بالأشياء، وإلى الأول الإشارة بقوله: **﴿أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾**، وإلى الثاني بقوله: **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾**. فالأول: صاحب مشاهدة ودرجة الصديقين.

والثاني: صاحب استدلال ودرجة العلماء الراسخين فما بعدها إلا درجة الغافلين المحجوبين.

وفي الآيات إشارات منها: أن الخلق لا يرون الآيات إلا بإراءة الله إياهم.

ومنها: أن الله تعالى خلق الآفاق ونفس الإنسان مظهر آياته.

ومنها: أنه ليس للآفاق شعور على الآيات وعلى مظهريتها للآيات بخلاف الإنسان.

ومنها: أن نفس الإنسان مرآة مستعدة لمظهرية جميع آيات الله ومظهريتها بإراءة الحق تعالى بحيث يتبين له أنه الحق، ويبين لغيره أنه الحق.

ومنها: أن العوام يتبين لهم باختلاف الليل والنهار والأحداث التي تجري في أحوال العالم واختلاف الأحوال التي تجري عليهم من الطفولة إلى الشيخوخة، واختلاف أحكام الأعيان مع اختلاف جواهرها في التجانس. وهذه هي آيات حدوث العالم، واقتفاء المحدث بصفاته.

ومنها: أن الخواص يتبين لهم ببصائر قلوبهم من شواهد الحق واختلاف الأحوال في القبض والبسط والجمع والفرق والحجب والجذب والستر والتجلي والكشوف والبراهين وأنوار الغيب، وما يجدونه من حقائق معاملاتهم ومنازلاتهم بإراءة الحق تعالى.

ومنها: أن أخص الخواص يتبين لهم بالخروج من ظلمات حجب الإنسانية إلى نور الحضرة الربانية بتجلي صفات الجمال والحلال وكشف القناع الحقيقي عن العين والعيان، ولهذا قال: ﴿**أولم يكف بربك**﴾؛ أي: بإراءة آياته وتعريف ذاته وصفاته بكشف القناع ورفع الأستار أنه على كل شيء شهيد لا يغيب عن قدرته شيء بقوله ﴿**ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم**﴾ يشير إلى أن أهل الصورة لفي شك من تجويز ما يكاشف به أهل الحقيقة من أنواع المشاهدات والمعاينات ﴿**ألا إنه بكل شيء محيط**﴾، وهو قادر على التجلي لكل شيء كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم «إذا تجلى الله لشيء خضع له».

تمت سورة حم السجدة في العشر العاشر من العشر الأول من صفر الخير
من سنة ثلاث عشرة ومائة وألف

٤٢ ـ سورة (حم عسق)

وتسمى سورة الشورى، مكية وهي ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤﴾.

﴿حم عسق﴾: اسمان للسورة، ولذلك فصل بينهما في الكتابة، وعد آيتين بخلاف **﴿كهيعص﴾** و**﴿المص﴾** و**﴿المر﴾** فإنها آية واحدة وأنها اسماً واحداً وآية واحدة فالفصل لتطابق سائر الحواميم وفي «القاموس» آل حاميم وذوات حاميم. السور المفتتحة بها، ولا تقل حواميم. وقد جاء في شعر، وهو اسم الله الأعظم أو قسم أو حروف الرحمٰن مقطعة، وتمامه الرون. انتهى.

روى الطبري: أنه جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما وعنده حذيفة اليماني رضي الله عنه، فسأله عن تفسير **﴿حم عسق﴾**، فأطرق وأعرض عنه حتى أعاد عليه ثلاثاً، فأعرض، فقال له حذيفة: أنا أنبئك بها، قد عرفت لم كرهها وتركها نزلت في رجل من أهل بيته، يقال له: عبد الله، أو عبد الإله ينزل على نهر من أنهار المشرق، فيبني عليه مدينتين، يشق النهر بينهما شقاً، فإذا أراد الله زوال ملكهم، وانقطاع دولتهم، ينزل على إحداهما ناراً ليلاً، فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت؛ كأنها لم تكن مكانها، وتصبح صاحبتها سالمة متعجبة كيف أفلتت، فما هو إلا بياض يومها حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم؛ أي: من أهل المدينتين، ثم يخسف الله بها وبهم جميعاً في الليلة القابلة، فذلك قوله تعالى: **﴿حم عسق﴾**؛ أي: عزمة من عزمات الله وفتنة **﴿حم﴾**؛ أي: قضى وقدر عدلاً منه سيكون واقعاً في هاتين المدينتين، ونظير هذا التفسير ما روى جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «تبنى مدينتان بين دخلة ودجيل وقطربل والصراة يجتمع فيهما جبابرة الأرض يجبى إليهما الخزائن، يخسف بهما».

وفي رواية: «بأهلهما»، فلهما أسرع ذهاباً في الأرض من الوتد الحديد في الأرض الرخوة. قوله: دخلة بالخاء المعجمة على وزن حمزة، قرية كثيرة التمر، ودجيل بالجيم كزبير شعب من دجلة نهر بغداد وقطربل، بالضم وتشديد الباء الموحدة، أو بتخفيفها. موضعان: أحدهما بالعراق ينسب إليه الخمر والصراة، بالفتح: نهر بالعراق.

وقال الضحاك: قضى عذاب سيكون واقعاً، وأرجو أن يكون قد مضى يوم بدر. وذكر الثعلبي والقشيري: أن النبي عليه السلام لما نزلت هذه الآية عرف الكآبة في وجهه؛ أي: أثر

الحزن والملالة، فقيل: يا رسول الله، ما أحزنك. قال: أخبرت ببلايا تنزل بأمتي من خسف ومسخ ونار تحشرهم وريح تقذفهم في البحر، وآيات متتابعات متصلات بنزول عيسى، وخروج الدجال.

[كفته اند حاحرفست وميم مهلكه وعين عذاب وسين مسخ وقاف قذف وثعلبي كويد ابن عباس رضي الله عنهما ﴿حم عسق﴾ خواندى وكفتى علي رضي الله عنه فتنهارا باين دو لفظ دانست].

وروي عن علي رضي الله عنه: أنه كان يستفيد علم الفتن والحروب من هذه الحروف التي في أوائل السور. وقال شهر بن حوشب: ﴿حم عسق﴾ حرب يذل فيها العزيز ويعز فيها الذليل من قريش، ثم تفضي إلى العرب إلى العجم، ثم هي متصلة إلى خروج الدجال.

يقول الفقير: الفتن المتصلة بخروج الدجال بعضها قد مضى وبعضها سيقع فيما بين المائتين بعد الألف، دل عليه ﴿حم﴾، وهو ثمان وأربعون، والعين وهو سبعون، والسين وهو ستون، والقاف وهو مائة؛ لأنه قد صحّ أن الدجال متأخر عن المهدي، وأن المهدي يخرج على رأس المائة الثالثة، أو على أربعة ومائتين، فيقع قبيل ظهور المهدي الطامات الكبرى.

وقال عطاء: الحاء حرب وهو موت ذريع في الناس، وفي الحيوان حتى يبيدهم ويفنيهم. والميم تحويل ملك من قوم إلى قوم، والعين عدو لقريش يقصدهم، ثم ترجع إليهم الدولة لحرمة البيت، والسين: هو استئصال بالسنين؛ كسني يوسف عليه السلام وسبي يكون فيهم. والقاف: قدرة الله نافذة في ملكوت الأرض لا يخرجون من قدرة الله، وهي نافذة فيهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الحاء حكم الله والميم ملك الله، والعين علو الله، والسين سنا الله، والقاف قدرة الله، أقسم الله بها؛ فكأنه يقول: فحكمي وملكي وعلوي وسناي وقدرتي لا أعذب عبداً قال: لا إلٰه إلا الله مخلصاً، فلقيني بها. ومعناه على ما قال أبو الليث في «تفسيره»: لا يعذبه عذاباً دائماً خالداً.

وفي الحديث: «افتتحوا صبيانكم لا إلٰه إلا الله»، و«لقنوا أمواتكم لا إلٰه إلا الله». والحكمة في ذلك أن حال الصبيان حال حسن لا غل ولا غش في قلوبهم. وحال الموتى حال الاضطرار، فإذا قلتم في أول ما يجري عليكم القلم، وآخر ما يجف عليكم القلم. فعسى الله أن يتجاوز ما بين ذلك، ويقال: الحاء من الرحمٰن الرحيم، والميم من المجيد، والعين من العليم، والسين من القدوس، والقاف من القاهر. ويقال: الحاء حلمه والميم من مجده، والعين عظمته، والسين سناه، والقاف قدرته. ويقال: إن القاف، اسم لجبل يحيط بالدنيا.

[در كشف اسرار آورده كه اين حروف ايمانيست بأن عطاياكه حق سبحانه وتعالى بحضرت رسالت ارزانى داشت حاء حوض مورود اوست يعنى حوض كوثر كه تشنه لبان امت را ازان سيراب كردانند وميم ملك ممدود او كه از مشرق تابمغرب بتصرف امت اودر آيدو عين عز موجود اوكه اعز همه اشيا نزد حق سبحانه بوده وسين سناء مشهود اوكه مرتبة هيجكس برتبة رفعت او همه نرسيد وقاف مقام محمود اوكه درشب معراج درجة او ادناست ودر روز ميامت شفاعت كبرى]:

مقام تو محمود ونامت محمد　　بدين سان مقامى ونامى كه دارد

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى القسم بحاء حبه وميم محبوبه محمد، وعين عشقه

على سيده، وقاف قربه إلى سيده بكمال لا يبلغه أحد من خلقه.

يقول الفقير: الحاء هو الحجر الأسود، والميم مقام إبراهيم، والعين عين زمزم، والسين والقاف سقياها، فمن استلم الحجر الأسود ساد سيادة معنوية، ومن صلى خلف المقام أكرمه الله بالخلة، ومن دعا عند زمزم أجابه الله، ومن شرب من زمزم سقاه الله شراباً طهوراً لا يبقي فيه وجعاً ولا مرضاً. ﴿**كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم**﴾. الكاف في حيز النصب على أنه مفعول ليوحي، والجلالة فاعله؛ أي: مثل ما في هذه السورة من المعاني يوحي الله العزيز الحكيم إليك في سائر السور، وإلى من قبلك من الرسل في كتبهم على أن مناط المماثلة هو الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق، وما فيه صلاح العباد في المعاش، ويجوز أن يكون الكاف في حيز النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد ليوحي؛ أي: مثل إيحاء هذه السورة يوحي الله العزيز الحكيم إليك عند إيحاء سائر السور، وإلى سائر الرسل عند إيحاء كتبهم إليهم لا إيحاء مغايراً على أن مدار المثلية كونه بواسطة الملك، وإنما ذكر بلفظ المضارع مع أن مقتضى المقام، أن يذكر بلفظ الماضي ضرورة أن الوحي إلى الذين من قبله قد مضى، دلالة على استمرار الوحي، وتجدده وقتاً فوقتاً، وأن إيحاء مثله عادته تعالى، ويجوز أن يكون إيذاناً أن الماضي والمستقبل بالنسبة إليه تعالى واحد كما في «الكواشي».

والعزيز الحكيم: صفتان مقررتان لعلو شأن الموحى به؛ لأنه أثر من اتصف بكمال القدرة والعلم. ﴿**له ما في السماوات وما في الأرض**﴾؛ أي: أن الله تعالى يختص به جميع ما في العوالم العلوية والسفلية خلقاً وملكاً وعلماً. ﴿**وهو العلي**﴾ الشأن ﴿**العظيم**﴾ الملك والقدرة والحكمة، أو هو العلي؛ أي: المرتفع عن مدارك العقول إذ ليس كذاته ذات، ولا كصفاته صفات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، وهو العظيم الذي يصغر عند ذكره وصف كل شيء سواه. والعظيم من العباد الأنبياء والعلماء الوارثون لهم، فالنبي عظيم في حق أمته، والشيخ عظيم في حق مريده، والأستاذ في حق تلميذه. وإنما العظيم المطلق هو الله تعالى.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾.

﴿**تكاد السماوات**﴾: [نزديك شدكه آسمانها]. ﴿**يتفطرن**﴾: التفطر: [شكافته شدن].

وأصل الفطر: الشق طولاً؛ أي: يتشققن من عظمة الله وخشيته وإجلاله، كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]. ﴿**من فوقهن**﴾؛ أي: يبتدىء التفطر من جهتهن الفوقانية إلى جهتهن التحتانية وتخصيصها لما أن أعظم الآيات وأدلها على العظمة والجلال من تلك الجهة من العرش والكرسي، وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل حول العرش، وما لا يعلم كنهه إلا الله من آثار الملكوت العظمى، فكان المناسب أن يكون تفطر السماوات مبتدأ من تلك الجهة بأن يتفطر أولاً أعلى السماوات، ثم وثم إلى أن ينتهي إلى أسفلها بأن لا تبقى سماء إلا سقطت على الأخرى.

ويقال: تتشققن من دعاء الولد، كما قال تعالى في سورة مريم: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ [مريم: ٩٠-٩١]،

فتخصيصها للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الأولى؛ لأن تلك الكلمة الشنعاء الواقعة في الأرض إذا أثرت في جهة الفوق، فلأن تؤثر في جهة التحت أولى.

وقيل: لنزول العذاب منهن. ﴿**والملائكة يسبحون بحمد ربهم**﴾. ينزهونه تعالى عما لا يليق به من الشريك والولد وسائر صفات الأجسام ملتبسين بحمده تعالى. يعني: تسبيح وحمد [باهم ميكويند جه يكى نفى ناسزاست ويكى إثبات سزا]، فقدم التسبيح على الحمد؛ لأن التخلية مقدمة على التحلية. وهذا جانب الاستفاضة من الله، والقبول، ثم أشارا جانب الإفاضة والتأثير بقوله: ﴿**ويستغفرون لمن في الأرض**﴾؛ أي: للمؤمنين بالشفاعة لقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧]، فالمطلق محمول على المقيد، أو للمؤمن والكافر بالسعي، فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والإلهام، وترتيب الأسباب المقربة إلى الطاعة واستدعاء تأخير العقوبة جمعاً في إيمان الكافر وتوبة الفاسق. وهذا لا ينافي كون الملائكة لاعنين للكفار من وجه آخر، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١].

وفي الحديث: «ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض». وهذا يدل على أن المراد بالملائكة في الآية ملائكة السماوات كلها.

وقال مقاتل حملة العرش وإليه ذهب الكاشفي في «تفسيره»، ويدل عليه قوله تعالى في أوائل حم المؤمن ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧].

يقول الفقير: تخصيص ملائكة العرش لا ينافي من عداهم، فلعله من باب الترقي؛ لأن آية ﴿**حم**﴾ المؤمن مقيدة بحملة العرش واستغفار المؤمنين. وهذه الآية مطلقة في حق كل من الملائكة والاستغفار. ﴿**ألا**﴾ اعلموا ﴿**إن الله هو الغفور**﴾ يغفر ذنوب المقبلين ﴿**الرحيم**﴾ يرحم بأن يرزقهم جنته وقربه ووصاله وبرحمته يأمر الملائكة بالاستغفار لبني آدم مع كثرة عصيانهم، والكفار الذين يرتكبون الشرك والذنوب العظام لا يقطع رزقهم ولا صحتهم ولا تمتعاتهم من الدنيا، وإن كان يريد أن يعذبهم في الآخرة.

يقول الفقير: إن الملائكة وإن كانوا يستغفرون للمؤمنين، فالمؤمنون يسلمون عليهم، كما يقولون في التشهد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، إذ لا يعصون ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فالمنة لله تعالى على كل حال.

وفي الآية إشارة إلى أن قوماً من الجهلة يقولون على الله ما لا يعلمون، ومن عظم افترائهم تكاد السمٰوات تنشق من فوقهم؛ لأن الله تعالى ألبسها أنوار قدرته وأدخلها روح فعله حتى عقلت عبوديته صانعها، وعرفت قدسه وطهارته عن قول الزائغين، وإشارة الملحدين والملائكة يقدسون الله عما يقولون فيه من الزور والبهتان، والدعاوى الباطلة، ويستغفرون للمؤمنين الذين لم يبلغوا حقيقة عبوديته، فإنهم هم القابلون للإصلاح لاعترافهم بعجزهم وقصورهم دون المصرين المبتدعين:

فاسد شده راز روزكار وارون   لايمكن أن يصلحه العطارون

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝٦ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ۝٧﴾

﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ شركاء وأنداداً، وأشركوهم معه في العبادة. ﴿الله حفيظ عليهم﴾ رقيب على أحوالهم وأعمالهم مطلع ليس بغافل فيجازيهم لا رقيب عليهم إلا هو وحده. ومعنى الحفيظ بالفارسية: [نكهبان].

وقال في «المفردات»: معناه محفوظ لا يضيع، كقوله: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]. ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ بموكول إليه أمرهم حتى تسأل عنهم وتؤخذ بهم، وإنما وظيفتك الإنذار وتبليغ الأحكام.

وفيه إشارة إلى أن كل من عمل بمتابعة هواه، وترك لله حداً ونقض له عهداً، فهو متخذ الشياطين أولياء؛ لأنه يعمل بأوامرهم وأفعاله موافقة لطباعهم الله حفيظ عليهم بأعمال سرهم وعلانيتهم إن شاء عذبهم، وإن شاء عفا عنهم، وما أنت عليهم بوكيل لتمنعهم عن معاملاتهم، فعلى العاقل أن لا يتخذ من دون الله أولياء، بل يتفرد بمحبة الله وولايته كما قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١] حتى يتولاه في جميع أموره، وما أحوجه إلى أحد سواه.

وقال الأستاذ أبو علي الدقاق قدس سره: ظهرت علة بالملك يعقوب بن الليث أعيت الأطباء، فقالوا له: في ولايتك رجل صالح يسمى سهل بن عبد الله لو دعا لك لعل الله يستجيب له، فاستحضره، فقال: ادع الله، فقال: كيف يستجاب دعائي فيك. وفي حبسك مظلومون، فأطلق كل من حبسه، فقال سهل: اللهم كما أريته ذل المعصية، فأره عز الطاعة وفرج عنه فعوفي، فعرض مالاً على سهل، فأبى أن يقبله، فقيل له: لو قبلته ودفعته إلى الفقراء، فنظر إلى الحصباء في الصحراء، فإذا هي جواهر، فقال: من يعطي مثل هذا يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث، فالمعطي والمانع والضار والنافع هو: الله الولي الوكيل الذي لا إله غيره:

نقش او كردست ونقاش من اوست ... غير اكر دعوى كند او ظلم جوست

﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً﴾. ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا، ومحل الكاف النصب على المصدرية، وقرآناً عربياً مفعول لأوحينا؛ أي: ومثل ذلك الإيحاء البديع البين المفهم أوحينا إليك إيحاء لا لبس فيه عليك وعلى قومك.

وقال الكاشفي: [وهمجانكه وحى كرديم بهر بيغمبر بزبان او ووحى كرديم بتو قرآني بلغت عرب كه قوم تواند تاكه فهم حاصل شود]. ﴿لتنذر أم القرى﴾؛ أي: لتخوف أهل مكة بعذاب الله على تقدير إصرارهم على الكفر والعرب تسمي أصل كل شيء بالأم، وسميت مكة أم القرى تشريفاً لها وإجلالاً لاشتمالها على البيت المعظم، ومقام إبراهيم، ولما روي من أن الأرض دحيت من تحتها، فمحل القرى منها محل البنات من الأمهات. ﴿ومن حولها﴾ من العرب، وهذا؛ أي: التبيين بالعرب لا ينافي عموم رسالته؛ لأن تخصيص الشيء بالذكر لا ينافي حكم ما عداه، وقيل: من أهل الأرض كلها، وبذلك فسره البغوي، فقال: قرى الأرض كلها وكذا القشيري حيث قال العالم محدق بالكعبة ومكة؛ لأنهما سرة الأرض:

بس همه أهالي بلاد برحوالي وينند

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى إنذار نفسه الشريفة؛ لأنها أم قرى نفوس آدم وأولاده؛ لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم هو الذي تعلقت القدرة بإيجاده قبل كل شيء، كما قال أول ما خلق الله روحي، ومنه تنشأ الأرواح والنفوس. ولهذا المعنى قال آدم: ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة، فالمعنى: كما يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم لينذروا الأمم. كذلك أوحينا قرآناً عربياً لتنذر نفسك الشريفة بالقرآن العربي؛ لأن نفسك عربية ومن حولها من نفوس أهل العالم؛ لأنها محدقة بنفسك الشريفة، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وقال عليه السلام: «بعثت إلى الخلق كافة».

مه طلعتى كه برقد قدرش بريده اند ديباى قم فانذر واستبرق دنا

﴿وتنذر﴾ أهل مكة ومن حولها. ﴿يوم الجمع﴾؛ أي: بيوم القيامة وما فيه من العذاب؛ لأنه يجمع فيه الخلائق من الأولين والآخرين وأهل السماوات وأهل الأرض، والأرواح والأشباح والأعمال والعمال، فالباء محذوف من اليوم، كما قال: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: ٢]، أي: ببأس شديد كما قاله أبو الليث، فيكون مفعولاً به لا ظرفاً، كما في «كشف الأسرار»، وقد سبق غير ذلك في ﴿حم﴾ المؤمن عند قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥] ﴿لا ريب فيه﴾ اعتراض لا محل له؛ أي: لا بد من مجيء ذلك اليوم، وليس بمرتاب فيه في نفسه وذاته؛ لأنه لا بد من جزاء العاملين من المنذرين والمنذرين، وأهل الجنة وأهل النار وارتياب الكفار فيه لا يعتد به، أو لا شك في الجمع أنه كائن، ولا بد من تحققه. ﴿فريق﴾ وهم المؤمنون ﴿في الجنة﴾ وفريق، وهم الكافرون ﴿في السعير﴾؛ أي: سميت بها لالتهابها، وذلك بعد جمعهم في الموقف؛ لأنهم يجمعون فيه أولاً ثم يفرقون بعد الحساب، والتقدير منهم فريق على أن فريق مبتدأ حذف خبره، وجاز الابتداء بالنكرة لأمرين تقديم خبرها، وهو الجار والمجرور المحذوف ووصفها بقوله في الجنة والضمير المجرور في منهم للمجموعين لدلالة لفظ الجمع عليه فإن المعنى يوم يجمع الخلائق في موقف الحساب.

وفي «التأويلات النجمية»: وتنذر يوم الجمع بين الأرواح والأجساد لا شك في كونه، وكما أنهم اليوم فريقان: فريق في جنة القلوب وراحات الطاعات وحلاوات العبادات، وتنعمات القربات.

وفريق في سعير النفوس وظلمات المعاصي وعقوبات الشرك والجحود، فكذلك غدا فريق هم: أهل اللقاء، فريق هم: أهل الشقاء والبلاء.

وفي الحديث: «إن الله خلق للجنة خلقاً، وهم في أصلاب آبائهم»، وعنه عليه السلام أن الله خلق الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء، فأهل الجنة أهلها وأهل النار أهلها».

وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه. قال: خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. وفي يده كتابان.

وفي رواية: خرج ذات يوم قابضاً على كفيه، ومعه كتابان، فقال: أتدرون ما هذان الكتابان؟. قلنا: لا يا رسول الله، فقال: «للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفاً في الأصلاب وقبل أن يستقروا نطفاً في الأرحام إذ هم في الطينة منجدلون، فليس بزائد فيهم ولا بناقص منهم

إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة»، فقال عبد الله بن عمرو: ففيم العمل إذاً؟ فقال: «اعملوا وسددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار، وإن عمل أي عمل، ثم قال: فريق في الجنة، وفريق في السعير عدل من الله تعالى قوله: سددوا وقاربوا؛ أي: اقصدوا السداد؛ أي: الصواب، ولا تفرطوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة لئلا يفضي ذلك بكم إلى الملال، فتتركوا العمل» كما في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي ونظيره قوله عليه السلام: «إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه» يعني: أن الدين يشتمل على أعمال سهلة، فمن تكلف والتزم في عبادات شاقة وتكلفات لربما لم يتيسر إقامتها عليه، فتغلب عليه، فالكسب طريق الجنة، ولا بد منه، وإن علم أنه من أهل الجنة:

كسب را همجون زراعت دان عمو تا نكارى دخل نبود آن تو

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾.

﴿ولو شاء الله لجعلهم﴾؛ أي: في الدنيا، والضمير لجميع الناس المشار إليهم بالفريقين **﴿أمة واحدة﴾**: فريقاً واحدا وجماعة واحدة مهتدين، أو ضالين، وهو تفصيل لما أجمله ابن عباس رضي الله عنهما في قوله على دين واحد. **﴿ولكن يدخل من يشاء﴾** أن يدخله **﴿في رحمته﴾** وجنته، ويدخل من يشاء أن يدخله في عذابه ونقمه، ولا ريب في أن مشيئته تعالى لكل من الإدخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله، ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعاً، فلم يشأ جعل الكل أمة واحدة، بل جعلهم فريقين.

﴿والظالمون﴾؛ أي: المشركون **﴿ما لهم من ولي﴾**؛ أي: ما لهم ولي ما يلي أمرهم ويغنيهم وينفعهم، فمن مزيدة لاستغراق النفي. **﴿ولا نصير﴾**: يدفع العذاب عنهم ويخلصهم منه، وفيه إيذان بأن الإدخال في العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم، لا من جهته تعالى، كما في الإدخال في الرحمة.

قال سعدي المفتي في «حواشيه»: لعل تغيير المقابل حيث لم يأت المقابل، ويدخل من يشاء في نقمته، بل عدل إلى ما في النظم للمبالغة في الوعيد، فإن في نفي من يتولاهم وينصرهم في دفع العذاب عنهم دلالة على أن كونهم في العذاب أمر معلوم مفروغ عنه، وأيضاً فيه سلوك طريق، وإذا مرضت، فهو يشفين، وأيضاً ذكر السبب الأصلي في جانب الرحمة ليجتهدوا في الشكر. والسبب الظاهري في جانب النقمة ليرتدعوا عن الكفر.

وفي «التأويلات النجمية»: ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة كالملائكة المقربين ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ [التحريم: ٦] الآية، أو جعلهم كالشياطين المبعدين المطرودين المتمردين، ولكن الحكمة الإلهية اقتضت أن يجعلهم مركبين من جوهر الملكي والشيطاني، ليكونوا مختلفين بعضهم الغالب عليه الوصف الملكي مطيعاً لله تعالى، وبعضهم الغالب عليه الوصف الشيطاني متمرداً على الله تعالى، ليكونوا مظاهر صفات لطفه وقهره مستعدين لمرآتية صفات جماله وجلاله متخلقين بأخلاقه. وهذا سر قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]،

ومن ها هنا قالت الملائكة: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢]، ويدل على هذا التأويل قوله: ﴿ولكن يدخل من يشاء في رحمته﴾؛ أي: ليكون مظهر صفات لطفه، والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير؛ أي: ليكونوا مظاهر صفات قهره.

﴿أم اتخذوا من دونه أولياء﴾، أم منقطعة مقدرة ببل، والهمزة، وما فيها من بل للانتقال من بيان ما قبلها إلى بيان ما بعدها، والهمزة لإنكار الوقوع ونفيه على أبلغ وجه وأكده لا لإنكار الواقع واستقباحه، كما قيل: إذ المراد بيان أن ما فعلوا ليس من اتخاذ الأولياء في شيء؛ لأن ذلك فرع كون الأصنام أولياء، وهو أظهر الممتنعات؛ أي: بل اتخذوا متجاوزين الله أولياء من الأصنام وغيرها:

ءلاف دوستى ايشان مى زنند هيهات

﴿فالله هو الولي﴾: جواب شرط محذوف؛ كأنه قيل: بعد إبطال ولاية ما اتخذوه أولياء إن أرادوا أولياء في الحقيقة فالله هو الولي الذي يجب أن يتولى، ويعتقد أنه المولى والسيد لا ولي سواه، وهو متولي الأمور من الخير والشر والنفع والضر.

قال في «كشف الأسرار»: [الله اوست كه يار فرياد رس است]. قال سعد المفتي: ولك أن تحمل الفاء على السببية الداخلة على السبب لكون ذكره مسبباً عن ذكر السبب فانحصار الولي في الله سبب لإنكار اتخاذ الأولياء من دون الله كما يجوز أن يقال: أتضرب زيداً، فهو أخوك على معنى: لا ينبغي أن تضربه فإنه أخوك. ﴿وهو يحيي الموتى﴾؛ أي: من شأنه ذلك ليس في السماء والأرض معبود يحيي الموتى غيره، وهو قول إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ولما نزل العذاب بقوم يونس عليه السلام لجؤوا إلى عالم فيهم كان عنده من أهل العلم شيء، وكان يونس ذهب مغاضباً، فقال لهم: قولوا: يا حي حين لا حي يا حي محيي الموتى يا حي لا إله إلا أنت، فقالوها، فكشف عنهم العذاب.

يقول الفقير قدس سره: إن الله تعالى إنما يرسل العذاب للإماتة والإهلاك. وفي الحي والمحيي ما يدفع ذلك إذ لا تجتمع الحياة والموت في محل واحد.

وفيه إشارة إلى غلبة الرحمة والشفقة. ﴿وهو على كل شيء قدير﴾، فهو الحقيق بأن يتخذ ولياً فليتحصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شيء:

اوست قادر بحكم كن فيكون غير أو جمله عاجز ند وزبون
عجز را سوى قدرتش ره نيست عقال ازين كارخانه آكه نيست

وفي «التأويلات النجمية»: وهو يحيي الموتى؛ أي: النفوس والقلوب الميتة، ويميت النفوس والقلوب اليوم وغداً، وهو على كل شيء قدير من الإيجاد والإعدام.

وقال الواسطي رحمه الله: يحيي القلوب بالتجلي ويميت الأنفس بالاستتار. وقال سهل لا يحيي النفوس حتى تموت؛ أي: من أوصافها.

وقال بعضهم: فيه شكاية من المشغولين بغيره الباقين في حجاب الوسائط بعرض نفسه بالجمال والجلال على المقصرين ليجذب بحسنه وجماله قلوبهم إلى محبته وعشقه ويحييها بنور أنسه وسنا قدسه، فلا بد للمرء من الاجتهاد والتضرع إلى رب العباد ليصل إلى المطلوب ويعانق المحبوب. قال في المثنوي:

بيش يوسف نازش وخوبى مكن جزنياز واه يعقوبى مكن

ازبهاران كى شود سر سبزسنك خاك شوبا كل بروى رنك رنك
سالها توسنك بودى دلخراش آزمون رايك زمانى خاك باش

ففي هذا الفناء حياة عظيمة ألا ترى أن الأرض تموت عن نفسها وقت الخريف فيحييها الله تعالى وقت الربيع بما لا مزيد عليه.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾.

﴿وما اختلفتم فيه من شيء﴾. حكاية لقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للمؤمنين لقوله بعده ﴿ذلكم الله ربي﴾ إلخ؛ أي: ما خالفكم الكفار فيه من أمور الدين، فاختلفتم أنتم وهم ﴿فحكمه﴾ راجع ﴿إلى الله﴾، وهو إثابة المحقين وعقاب المبطلين يوم الفصل والجزاء، فعلى هذا لا يجوز أن يحمل على الاختلاف بين المجتهدين؛ لأن الاجتهاد بحضرته عليه السلام لا يجوز.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى اختلاف العلماء في شيء من الشرعيات والمعارف الإلهية، فالحكم في ذلك إلى كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام، وإجماع الأمة وشواهد القياس، أو إلى أهل الذكر، كما قال تعالى، ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]، ولا يرجعون إلى العقول المشوبة بآفة الوهم والخيال، فإن فيها للنفس والشيطان مدخلاً بإلقاء الشبهات، وأدنى الشبهة في التوحيد كفر، وقد زلت أقدام جميع أهل الأهواء والبدع والفلاسفة عن الصراط المستقيم، والدين القويم بهذه المزلة. ﴿ذلكم﴾ الحاكم العظيم الشأن، وهو مبتدأ ﴿الله﴾ خبر ﴿ربي﴾ ومالكي لقب لله. ﴿عليه﴾ خاصة لا على غيره ﴿توكلت﴾ في كل أموري التي من جملتها رد كيد أعداء الدين ﴿وإليه﴾ لا إلى أحد سواه ﴿أنيب﴾ أرجع في كل ما يعن لي من معضلات الأمور التي منها كفاية شرهم والنصر عليهم، وحيث كان التوكل أمراً واحداً مستمراً والإنابة متعددة متجددة حسب تجدد موادها أوثر في الأول صيغة الماضي. وفي الثاني: صيغة المضارع. وفيه إشارة إلى أنه إذا اشتغلت قلوبكم بحديث نفوسكم لا تدرون أبالسعادة جرى حكمكم أم بالشقاوة مضى اسمكم، فكلوا الأمر فيه إلى الله، واشتغلوا في الوقت بأمر الله دون التفكر فيما ليس لعقولكم سبيل إلى معرفته وعلمه من عواقبكم.

﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾

﴿فاطر السماوات والأرض﴾ خبر آخر لذلكم؛ أي: خالق الآفاق من العلويات والسفليات، ويدخل فيه بطريق الإشارة: الأرواح والنفوس. ﴿جعل لكم من أنفسكم﴾؛ أي: من جنسكم ﴿أزواجاً﴾ نساء وحلائل. وبالفارسية: [جفتال].

﴿ومن الأنعام﴾؛ أي: وجعل للأنعام من جنسها ﴿أزواجاً﴾، أو خلق لكم من الأنعام أصنافاً يعني: [خلق كرد از جهار بايان صنفهاى كونا]. كون إكراماً لكم لترتفقوا بها إذ يطلق الزوج على معنى الصنف كما في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾﴾ [الواقعة: ٧] أو ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ [الشورى: ٥٠] فإنه يطلق على مجموع الزوجين، وهو خلاف الفرد. ﴿يذرؤكم﴾ يكثركم أيها الناس. والأنعام من الذرء، وهو البث.

قال في «القاموس»: ذرأ كجعل خلق. والشيء كثره ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين.

﴿فيه﴾؛ أي: في هذا التدبير، وهو جعل الناس والأنعام أزواجاً يكون بينهم توالد فاختير فيه على به مع أن التدبير ليس ظرفاً للبث والتكثير، بل هو سبب لهما؛ لأن هذا التدبير كالمنبع والمعدن لهما، ففيه تغليبان: تغليب المخاطب على الغائب حيث لم يقل يذرؤكم وإياهن؛ لأن الأنعام ذكرت بلفظ الغيبة، وتغليب العقلاء على غيرهم حيث لم يقل يذرأها وإياكم، فإن كم مخصوص بالعقلاء. ﴿ليس كمثله شيء﴾: المثل كناية عن الذات كما في قولهم: مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه؛ فإنه إذا نفى عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى. وهذا لا يتوقف على أن يتحقق مثل في الخارج، بل يكفي تقدير المثل، ثم سلكت هذه الطريقة في شأن من لا مثل له، والشيء عبارة عن الموجود، وهو اسم لجميع المكونات عرضاً كان أو جوهراً. وعند سيبويه: الشيء ما يصح أن يعلم ويخبر عنه موجوداً أو معدوماً. والمعنى: ليس كذاته شيء من شأن من الشؤون التي من جملتها هذا التدبير البديع؛ لأن ذاته لا يماثل ذات أحد بوجه من الوجوه، ولا من جميع الوجوه؛ لأن الأشياء كلها إما أجسام أو أعراض تعالى ربنا عن ذلك ولا كاسمه اسم كما قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ والمحال كل المحال أن تكون الذات القديمة مثلاً للذات الحادثة، وأن يكون لها صفة حادثة، كما استحال أن تكون للذات المحدثة صفة قديمة:

ذات تراصورت اوبيوندند   توبكس وكس بتو مانند ند
جل المهيمن أن تدرى حقيقته   من لإله المثل لا تضرب له مثلا

وفي المثنوي:

ذات أورا در تصور كنج كو   تادر آيى در تصور مثل أو

هذا ما عليه المحققون والمشهور عند القوم أن الكاف زائدة في خبر ليس، وشيء اسمها، والتقدير: ليس مثله شيء وإلا كان المعنى: ليس مثل مثله شيء، وهو محال.

قال بعضهم: لعل من قال: الكاف زائدة أراد أنه يعطي مغني ليس مثله شيء غير أنه آكد لما ذكر من أنه إذا نفى عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى. وقال بعضهم: كلمة مثل هي الزائدة. والتقدير: ليس كهو شيء، ودخول الكاف على الضمائر لا يجوز، فالوجه الرجوع إلى طريق الكناية؛ لأن القول بزيادة ماله فائدة جليلة وبلاغة مقبولة بعيد كل البعد.

قال في «بحر العلوم»: ومما يجب التنبه له أن المثل عبارة عن المساواة في بعض الصفات لا في جميعها كما زعم كثير من المحققين، فإنه سهو بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الكهف: ١١٠]، الآية. فإنه ثبت مماثلته بالاشتراك والمساواة في وصف البشرية فقط لا في جميع الأوصاف كما لا يخفى للقطع بأن بينه وبينهم مخالفة بوجوه كثيرة من اختصاصه بالنبوة والرسالة والوحي إلى غير ذلك. ألا ترى إلى قوله: يوحى إلي كيف أثبت المخالفة بأن خصصه بالإيحاء إليه ذكراً، فظهر أن ما ذكره الإمام الغزالي رحمه الله من أن المثل عبارة عن المساوي في جميع الصفات ليس كما ينبغي، انتهى.

يقول الفقير: إنما جاء التخصيص من قبل قوله: بشر كما في قوله: زيد مثل عمرو في النحو، وإلا فلو قال: أنا مثلكم لأفادت المماثلة في جميع الصفات، كما في قوله: زيد مثل عمرو أي من كل الوجوه.

قال الإمام الراغب في «المفردات»: المثل عبارة عن المشابه لغيره في معنى من المعاني؛

أي: معنى كان. وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة، وذلك أن الند يقال: لما يشارك في الجوهر فقط والشبه يقال: فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط. والمثل عام في جميع ذلك. ولهذا لما أراد الله سبحانه وتعالى نفي التشبيه من كل وجه خصه بالذكر، فقال تعالى: **﴿ليس كمثله شيء﴾**. انتهى.

وحيث ترى في مرآة القلب صورة أو خطر بالخاطر مثال، وركنت النفس إلى كيفيته، فليجزم بأن الله بخلافه إذ كل ذلك من سمات الحدوث لدخوله في دائرة التحديد والتكييف اللازمين للمخلوقين المنزه عنهما الخالق، ولقد أقسم سيد الطائفة الجنيد قدس سره بأنه ما عرف الله إلا الله.

وقال بعض سادات الصوفية قدس الله أسرارهم: المثل ليس بزائد عند أهل الحقيقة، فإن الهاء كناية عن الهوية الذاتية، والمثل إشارة إلى التجلي الإلهي. والمعنى: ليس كالتجلي الإلهي الذي هو أول التجليات شيء إذ هو محيط بكل التجليات الباقية المرتبة عليه.

قال الواسطي قدس سره: أمور التوحيد كلها خرجت من هذه الآية **﴿ليس كمثله شيء﴾**؛ لأنه ما عبر عن الحقيقة بشيء إلا والعلة مصحوبة والعبارة منقوضة؛ لأن الحق تعالى لا ينعت على إقداره؛ لأن كل باعث مشرف على المنعوت وجل أن يشرف عليه المخلوق. قال الشيخ سعدي:

نه براوج ذاتش برد مرغ وهم نه در ذيل وصفش رسد دست فهم
توان در بلاغت بسحبان رسيد كنه در نه بيجون سبحان رسيد
جه خاصان درين ره فرس رانده اند بلا احصى از تك فرومانده اند

﴿وهو السميع البصير﴾: المبالغ في العلم بكل ما يسمع ويبصر. قال الزروقي: السميع الذي انكشف كل موجود لصفة سمعه، فكان مدركاً لكل مسموع من كلامه وغيره والبصير الذي يدرك كل موجود برؤيته. والسمع والبصر صفتان من صفاته المنعوتة نابتتان له تعالى كما يليق بوصفه الكريم ورده بعضهم للعلم، ولا يصح. انتهى.

قال الغزالي رحمه الله: السمع في حقه عبارة عن صفة ينكشف بها كمال صفات المسموعات والبصر عبارة عن الوصف الذي به ينكشف كمال نعوت، والمبصرات وسمع العبد قاصر، فإنه يدرك ما قرب لا ما بعد بجارحة، وربما بطل السمع بعظم الصوت؛ وإنما حظ العبد منه أمران أحدهما أن يعلم أن الله سميع، فيحفظ لسانه. والثاني: أن يعلم أن الله لم يخلق له السمع إلا ليسمع كلامه، وحديث رسوله، فيستفيد به الهداية إلى طريق الله، فلا يستعمل سمعه إلا فيه، واستماع صوت الملاهي حرام، وإن سمع بغتة، فلا إثم عليه والواجب عليه أن يجتهد حتى لا يسمع؛ لأنه عليه السلام «أدخل أصبعه في أذنه»، كما في البزازية.

وفي الحديث: «استماع صوت الملاهي معصية والجلوس عليها فسق، والتلذذ بها كفر» على وجه التهديد وبصر العبد قاصر إذ لا يمتد إلى ما بعد، ولا يتغلغل إلى باطن ما قرب منه وحظه الديني أمران أن يعلم أنه خلق له البصر، لينظر إلى الآيات الآفاقية والأنفسية، وأن يعلم أنه بمرأى من الله ومسمع؛ أي: بحيث يراه ويسمعه، فمن قارف معصية، وهو يعلم أن الله يراه، فما أجسره وأخسره، ومن ظن أنه لا يراه فما أكفره.

قال في «كشف الأسرار»: ثم قال: وهو السميع البصير لئلا يتوهم أنه لا صفات له كما

لا مثل له، فقد تضمنت الآية إثبات الصفة ونفي التشبيه والتوحيد كله بين هذين الحرفين إثبات صفة من غير تشبيه ونفي تشبيه من غير تعطيل، فمن نزل عن الإثبات، وادعى اتقاء التشبيه وقع في التعطيل، ومن ارتقى عن الظاهر، وادعى اتقاء التعطيل حصل على التشبيه، وأخطأ وجه الدليل، وعلى الله قصد السبيل.

وفي «التأويلات النجمية»: أن قوماً وقعوا في تشبيه ذاته بذات المخلوقين، فوصفوه بالحد والنهاية والكون والمكان، وأقبح قولاً منهم من وصفه بالجوارح والآلات، وقوم وصفوه بما هو تشبيه في الصفات، فظنوا أن بصره في حدقة وسمعه في عضو وقدرته في يد إلى غير ذلك وقوم قاسوا حكمه على حكم عباده، فقالوا: ما يكون من الحق قبيحاً فمنه قبيح وما يكون من الخلق حسناً، فمنه حسن، فهؤلاء كلهم أصحاب التشبيه والحق تعالى مستحق التنزيه لا التشبيه محقق بالتحصيل دون التعطيل والتمثيل مستحق التوحيد دون التحديد موصوف بكمال الصفات مسلوب عن العيوب والنقصان.

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾.

﴿له مقاليد السماوات والأرض﴾ قال الجواليقي في كتابه «المعرب» المقليد المفتاح فارسي معرب لغة في الإقليد، والجمع مقاليد، فالمقاليد: المفاتيح. وهي كناية عن الخزائن وقدرته عليها وحفظه لها. وفيه مزيد دلالة على الاختصاص؛ لأن الخزائن لا يدخلها، ولا يتصرف فيها إلا من بيده مفاتيحها.

وقال الكاشفي: [كليد هاى آسمانها وزمينها يعني: مفاتيح رزق جه خزانة آسمان مطراست وكنجينة زمين نبات].

قال ابن عطاء: مقاليد الأرزاق صحة التوكل ومقاليد القلوب صحة المعرفة بالله ومقاليد العلوم في الجوع:

نـدارنـد تـن بـروران آكـهـى ... كـه بـرمـعـده بـاشـدز حـكـمـت تـهـى

وقال بعضهم: مقاليد سماواته ما في قلوب ملائكته من أحكام الغيوب، ومقاليد أرضه ما أودع الحق صدور أوليائه من عجائب القلوب. **﴿يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾** يوسع ويضيق **﴿إنه بكل شيء عليم﴾** مبالغ في الإحاطة به، فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغي أن يفعل عليه، فلا يوسع الرزق إلا إذا علم أن سعته خير للعبد. وكذا التضييق. وفي «التأويلات النجمية»: له مفاتيح سماوات القلوب، وفيها خزائن لطفه ورحمته وأرض النفوس، وفيها خزائن قهره، وعزته، فكل قلب مخزن لنوع من ألطافه، فبعضها مخزن المعرفة وبعضها مخزن المحبة، وبعضها مخزن الشوق وبعضها مخزن الإرادة. وغير ذلك من الأحوال كالتوحيد والتفريد والهيبة والأنس والرضا. وغير ذلك، وكل نفس مخزن لنوع من أوصاف قهره، فبعضها مخزن النكرة، وبعضها مخزن الجحود وبعضها مخزن الإنكار، وغير ذلك من الأخلاق الذميمة كالشرك والنفاق، والحرص والكبر والبخل والشره والغضب والشهوة، وغير ذلك وفائدة التعريف أن

المقاليد له قطع أفكار العباد من الخلق إليه في جلب ما يريدونه، ودفع ما يكرهونه، فإنه تعالى يوسع ويضيق رزق النفوس ورزق القلوب، والخلق بمعزل عن هذا الوصف.

وفي الحديث: «لا إلٰه إلا الله مفتاح الجنة»، ولا شك أن الجنة جنتان: جنة صورية هي دار النعيم، وجنة معنوية هي: القلب. ومفتاح كلتيهما هو التوحيد، وهو بيد الله يعطيه من يشاء من عباده ويجعله من أهل النعيم مطلقاً، ثم إن الرزق الصوري هي المأكولات والمشروبات الحسية والرزق المعنوي، هي العلوم الحقيقية، والمعارف الإلٰهية، فالأول داخل في الآية بطريق العبارة. والثاني: بطريق الإشارة. وفي المثنوي:

فهم نان كردن نه حكمت اى رهى — زانكه حق كفتت كلو من رزقه
رزق حق حكمت بود در مرتبت — كان كلو كيرت نباشد عاقبت
اين دهان بستى دهانى بازشد — كه خورنده لقمهاى رازشد
كر زشير ديوتن را وا برى — در فطام او بسى حكمت خورى

نسأل الله فيضه وعطاه بحق مصطفاه.

﴿شرع لكم من الدين﴾ شرع بمعنى سن وجعل سنة وطريقاً واضحاً؛ أي: سن الله لكم يا أمة محمد من التوحيد ودين الإسلام وأصول الشرائع والأحكام. وبالفارسية: [وراه روشن ساخت شمار ازدين]. ﴿ما وصى به نوحا﴾ التوصية وصيت: [كردن وفرمودن]، والوصية: التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترناً بوعظه؛ أي: أمر به نوحاً أمراً مؤكداً، فإن التوصية معربة عن تأكيد الأمر والاعتناء بشأن المأمور به قدم نوح عليه السلام؛ لأنه أول أنبياء الشريعة؛ فإنه أول من أوحى إليه الحلال والحرام وأول من أوحي إليه تحريم الأمهات والأخوات والبنات وسائر ذوات المحارم، فبقيت تلك الحرمة إلى هذا الآن.

﴿والذي أوحينا إليك﴾؛ أي: وشرع لكم الذي أوحينا إلى محمد عليه السلام، وتغيير التوصية إلى الإيحاء في جانب النبي صلى الله عليه وسلم للتصريح برسالته القامع لإنكار الكفرة، والالتفات إلى نون العظمة لإظهار كمال الاعتناء بإيحائه، وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زماناً، وتقديم توصية نوح للمسارعة إلى بيان كون المشروع لهم ديناً قديماً، والتعبير بالأصل في الموصولات، وهو الذي للتعظيم وتوجيه الخطاب إليه عليه السلام بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على أنه تعالى شرعه لهم على لسانه.

﴿وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى﴾ وجه تخصيص هؤلاء الخمسة بالذكر، أنهم أكابر الأنبياء ومشاهيرهم من أولي العزم وأصحاب الشرائع العظيمة والأتباع الكثيرة. ﴿أن أقيموا الدين﴾ محله النصب على أنه بدل من مفعول شرع، والمعطوفين عليه أو رفع على الاستئناف؛ كأنه قيل: وما ذلك المشروع المشترك بين هؤلاء الرسل، فقيل: هو إقامة الدين؛ أي: دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والإيمان بكتبه ورسله، وباليوم الآخر وسائر ما يكون الرجل به مؤمناً.

والمراد: بإقامته تعديل أركانه وحفظه من أن يقع فيه زيغ، أو المواظبة عليه والتشمر له.

﴿ولا تتفرقوا فيه﴾ في الدين الذي هو عبارة عن الأصول والخطاب متوجه إلى أمته عليه السلام، فهذه وصية لجميع العباد.

واعلم أن الأنبياء عليهم السلام مشتركون ومتفقون في أصل الدين وجميعهم أقاموا الدين

وقاموا بخدمته وداموا بالدعوة إليه، ولم يتخلفوا في ذلك، وباعتبار هذا الاتفاق والاتحاد في الأصول. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] من غير تفرقة بين نبي ونبي ومختلفون في الفروع والأحكام. قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وهذا لاختلاف الناشيء من اختلاف الأمم وتفاوت طبائعهم لا يقدح في ذلك الاتفاق، ثم أمر عباده بإقامة الدين والاجتماع عليه ونهاهم عن التفرق فيه، فإن يد الله ونصرته مع الجماعة، وإنما يأكل الذئب الشاة البعيدة النافرة والمنفردة عن الجماعة.

أوصى حكيم أولاده عند موته، وكانوا جماعة، فقال لهم: ائتوني بعصى، فجمعها، فقال لهم: اكسروها، وهي مجموعة، فلم يقدروا على ذلك، ثم فرقها، فقال: خذوا واحدة واحدة، فاكسروها فكسروها، فقال لهم: هكذا أنتم بعدي لن تغلبوا ما اجتمعتم، فإذا تفرقتم تمكن منكم عدوكم، فأهلككم، وكذا القائمون بالدين إذا اجتمعوا على إقامته، ولم يتفرقوا فيه لم يقهرهم عدو. وكذا الإنسان في نفسه إذا اجتمع في نفسه على إقامة الدين لم يغلبه شيطان من الإنس والجن، بما يوسوس به إليه مع مساعدة الإيمان والملك بإقامته له. قال علي رضي الله عنه: لا تتفرقوا، فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب، وكونوا عباد الله إخواناً.

قال سهل: الشرائع مختلفة وشريعة نوح هو الصبر على أذى المخالفين. انتهى. فعلى هذا فشريعة إبراهيم عليه السلام هو الانقياد والتسليم وشريعة موسى عليه السلام هو الاشتياق إلى جمال الرب الكريم وشريعة عيسى عليه السلام هو الزهد والتجرد العظيم وشريعة نبينا عليه السلام هو الفقر الحقيقي المغبوط عند كل ذي قلب سليم كما قال: «اللهم أغنني بالافتقار إليك»، وهذه الشرائع الباطنة باقية أبداً ومن أصول الدين التوجه إلى الله تعالى بالكلية في صدق الطلب، وتزكية النفس عن الصفات الذميمة وتصفية القلب عن تعلقات الكونين وتخلية الروح بالأخلاق الربانية ومراقبة السر لكشف الحقائق وشواهد الحق، وكان نبينا عليه السلام قبل البعثة متعبداً في الفروع بشرع من قبله مطلقاً آدم وغيره وفي كلام الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر تعبده عليه السلام قبل نبوته كان بشريعة إبراهيم عليه السلام، حتى جاءه الوحي وجاءته الرسالة، ولم يكن على ما كان عليه قومه باتفاق الأئمة، وإجماع الأمة، فالولي الكامل يجب عليه متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله له في قلبه عين الفهم عنه، فيلهم معاني القرآن، ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يصير إلى إرشاد الخلق. وفي المثنوي:

لوح محفوظست اورا بيشوا ازجه محفوظست محفوظ از خطا
نى نجومست ونه رملست ونه خواب وحى حق والله أعلم بالصواب

﴿كبر على المشركين﴾؛ أي: عظم وشق عليهم ﴿ما تدعوهم إليه﴾ يا محمد من التوحيد ورفض عبادة الأصنام واستبعدوه حيث قالوا: أجعل الآلهة إلٰهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب. وقال قتادة: شهادة أن لا إلٰه إلا الله وحده، ضاق بها إبليس وجنوده، فأبى الله إلا أن يظهرها على من ناوأها؛ أي: عادها. ﴿الله يجتبي إليه من يشاء﴾.

قال الراغب: جبيت الماء في الحوض جمعته والحوض الجامع له جابية، ومنه استعير جبيت الخراج جباية. والاجتباء: الجمع على طريق الاصطفاء، وهو هنا مأخوذ من الجباية، وهي جلب الخراج وجمعه لمناسبة النهي عن التفرق في الدين؛ ولأن الاجتباء بمعنى الاصطفاء لا يتعدى بإلى إلا باعتبار تضمين معنى الضم والصرف، والمعنى: الله يجتلب إلى ما تدعوهم

إليه من يشاء أن يجتلبه إليه، وهو من صرف اختياره إلى ما دعي إليه. ﴿ويهدي إليه﴾ بالإرشاد والتوفيق وإمداد الالطاف. ﴿من ينيب﴾ يقبل إليه، ويجوز أن يكون الضمير لله في كلا الموضعين، فالمعنى: الله يجمع إلى جنابه على طريق الاصطفاء من يشاء من عباده بحسب استعداده ويهدي إليه بالعناية من ينيب، واجتباء الله تعالى العبد تخصصه إياه بفيض إلٰهي يتحصل منه أنواع من النعم، بلا سعي من العبد، وذلك للأنبياء عليهم السلام، ولبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء.

قال الكاشفي: [يعني هركه از همه اعراض كند وحق راخواهد حق سبحانه راء راست بد ونمايد]:

نخست از طالبى از جمله بكذر روبدو آور

كرآن حضرت ندا آردكه اى سر كشته راه اينك

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بقوله ﴿الله يجتبي إليه﴾ الآية إلى مقامي المجذوب والسالك، فإن المجذوب من الخواص اجتباه الله في الأزل، وسلكه في سلك من يحبهم واصطنعه لنفسه وجذبه عن الدارين بجذبة توازي عمل الثقلين في مقعد صدق عند مليك مقتدر، والسالك من العوام الذين سلكهم في سلك من يحبونه موفقين للهداية على قدمي الجهد والإنابة إلى سبيل الرشاد من طريق العناد انتهى. والإنابة: نتيجة التوبة فإذا صحت التوبة حصلت الإنابة إلى الله تعالى.

قال بعض الكبار: من جاهد في إقامة الدين في مقام الشريعة والطبيعة يهديه الله إلى إقامته في مقام الطريقة والنفس، ومن أقامه في هذا المقام يهديه الله إلى إقامته في مقام المعرفة والروح، ومن أقامه في هذا المقام يهديه الله إلى إقامته في مقام الحقيقة والسر، ومن أقامه في هذا المقام، تم أمره وكمل شأنه في العلم والعرفان والذوق والوجدان والشهود والعيان، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فعليك بإتيان جميع القرب قدر الاستطاعة في كل زمان وحال، فإن المؤمن لن تخلص له معصية أبداً من غير أن تخالطها طاعة؛ لأنه مؤمن بها أنها معصية، فإن أضاف إلى هذا التخليط استغفاراً وتوبة، فطاعة على طاعة وقربة على قربة، فيقوى جزاء الطاعة التي خالطها العمل السَّيِّىء، وهو الإيمان بأنها معصية، والإيمان من أقوى القرب وأعظمها عند الله؛ فإنه الأساس الذي ابتني عليه جميع القرب.

وقال تعالى في الخبر الصحيح: «وإن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت منه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»، وكان قربه تعالى من العبد ضعف قرب العبد منه، وعلى كل حال لا يخلو المؤمن من الطاعة والقرب والعمل الصالح يمحو الخطايا، فإن العبد إذا رجع عن السيئة وأناب إلى الله وأصلح عمله أصلح الله شأنه، وأعاد عليه نعمه الفائتة.

عن إبراهيم بن أدهم قدس سره: بلغني أن رجلاً من بني إسرائيل ذبح عجلاً بين يدي أمه فيبست يده فبينما هو جالس إذ سقط فرخ من وكره، وهو يتبصبص فأخذه ورده إلى وكره، فرحمه الله تعالى لذلك ورد عليه يده بما صنع، والوكر بالفتح عشر الطائر. وبالفارسية: [آشيان].

والتبصبص: التملق وتحريك الذنب. وفي الآية إشارة إلى أهل الوحدة والرياء والسمعة، فكما أن المشركين بالشرك الجلي يكبر عليهم أمر التوحيد فكذا المشركون بالشرك الخفي يكبر عليهم أمر الوحدة والإخلاص، نسأل الله سبحانه أن يجذبنا إليه بجذبة عنايته، ويشرفنا بخاص هدايته.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

﴿وما تفرقوا﴾؛ أي: وما تفرق اليهود والنصارى في الدين الذي دعوا إليه، ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم في حال من الأحوال، أو في وقت من الأوقات. **﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾**؛ أي: إلا حال جيء العلم أو إلا وقت مجيء العلم بحقية ما شاهدوا في رسول الله، والقرآن من دلائل الحقية حسبما وجدوه في كتابهم، أو العلم بمبعثه. **﴿بغياً بينهم﴾** من بغى بمعنى طلب وحقيقة البغي، الاستطالة بغير حق كما في «المفردات»؛ أي: لابتغاء طلب الدنيا وطلب ملكها وسياستها وجاهها وشهرتها، وللحمية الجاهلية لا؛ لأن لهم في ذلك شبهة. **﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾**، وهي العدة بتأخير العقوبة. **﴿إلى أجل مسمى﴾**؛ أي: وقت معين معلوم عند الله هو يوم القيامة وآخر أعمارهم المقدرة. **﴿لقضي بينهم﴾** لأوقع القضاء بينهم باستئصالهم لاستيجاب جنايتهم لذلك قطعاً.

﴿وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم﴾؛ أي: والمشركين الذين أوتوا الكتاب؛ أي: القرآن من بعدما أوتي أهل الكتاب كتابهم والإيراث في الأصل: ميراث دادن. **﴿لفي شك منه﴾**؛ أي: من القرآن، والشك اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما. و**﴿مريب﴾** موقع في القلق؛ أي: الاضطراب، ولذلك لا يؤمنون إلا لمحض البغي والمكابرة بعدما علموا بحقيته كدأب أهل الكتابين. والريبة: قلق النفس واضطرابها، ويسمى الشك بالريب؛ لأنه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة، والظاهر أن شك مريب من باب جد جده؛ أي: وصف الشك بمريب بمعنى ذي ريب مبالغة فيه.

وفي «القاموس»: أراب الأمر صار ذا ريب.

﴿فلذلك﴾؛ أي: فلأجل ما ذكر من التفرق والشك المريب، أو فلأجل أنه شرع لهم الدين القويم القديم الحقيق، بأن يتنافس فيه المتنافسون. **﴿فادع﴾** الناس كافة إلى إقامة ذلك الدين والعمل بموجبه، فإن كلاً من تفرقهم وكونهم في شك مريب، ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله تعالى عليه والسلام، سبب للدعوة إليه، والأمر بها، وليس المشار إليه ما ذكر من التوصية والأمر بالإقامة، والنهي عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار.

وفيه إشارة إلى افتراق أهل الأهواء والبدع ثنتين وسبعين فرقة ودعوتهم إلى صراط مستقيم السنة لإبطال مذاهبهم.

وفي الحديث: «من انتهر»؛ أي: منع بكلام غليظ «صاحب بدعة» سيئة مما هو عليه من

سوء الاعتقاد والفحش من القول والعمل. «ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم القيامة من الفزع الأكبر». وهو حين الانصراف إلى النار كما قال ابن السماك إن الخوف المنصرف للمتفرقين قطع نياط قلوب العارفين.

وقال في «البزازية»: روي أن ابن المبارك رؤى في المنام، فقيل له ما فعل ربك بك، فقال: عاتبني وأوقفني ثلاثين سنة بسبب أني نظرت باللطف يوماً إلى مبتدع، فقال: إنك لم تعاد عدوي في الدين، فكيف حال القاعد بعد الذكر مع القوم الظالمين. ﴿واستقم﴾ عليه وعلى الدعوة إليه. ﴿كما أمرت﴾ وأوحي إليك من عند الله تعالى. والمراد: الثبات والدوام عليهما؛ لأنه كان مستقيماً في هذا المعنى.

وفي الحديث: «شيبتني هود وأخواتها»، فقيل له: لم ذلك يا رسول الله؟ فقال: «لأن فيها فاستقم كما أمرت»، وهذا الخطاب له عليه السلام بحسب قوته في أمر الله. وقال هو لأمته بحسب ضعفهم استقيموا، ولن تحصوا؛ أي: لن تطيقوا الاستقامة التي أمرت بها فحقيقة الاستقامة لا يطيقها إلا الأنبياء، وأكابر الأولياء؛ لأنها الخروج من المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الحق على حقيقة الصدق.

قال الكاشفي: [درتبيان آورده كه وليد مغيره بآن حضرت كفت ازدين ودعوى كه داري رجوع كن تا من نصفى ازا موال خود بتودهم وشيبه وعده كرده كه اكر بدين بدران باز آيى دختر خود در عقد توارم اين آيت نازل شدكه بردعوت خود مقيم ودر دين وملت خود مستقيم باش]. ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ المختلفة الباطلة والضمير للمشركين، وكانوا يهوون أن يعظم عليه السلام آلهتهم، وغير ذلك. وفي الخبر: «لكل شيء آفة وآفة الدين الهوى»:

هو اوهوس رانماند ستيز ... جو بيند سر يجة عقل تيز

﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾؛ أي كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها، وكفروا ببعض، وذلك فإن كلمة ما من ألفاظ العموم. وفيه إشارة إلى وجوب الإيمان بجميع الحقائق، وإن اختلف مظاهرها، فإن كلها إلهام صحيح من الله تعالى. ﴿وأمرت﴾ بذلك ﴿لأعدل بينكم﴾ بين شريفكم ووضيعكم في تبليغ الشرائع والأحكام، وفصل القضايا عند المحاكمة والمخاصمة إلي، فاللام على حقيقتها، والمأمور به محذوف أو زائدة، والباء محذوفة؛ أي: أمرت بأن أعدل وأسوي بين شريفكم ووضيعكم، فلا أخص البعض بأمر أو نهي.

قوله: وقل آمنت. إلخ. تعليم من الله لاستكمال القوة النظرية. وقوله: وأمرت، إلخ. لاستكمال القوة العملية.

روي: أن داود عليه السلام قال: «ثلاث خصال من كن فيه، فهو الفائز القصد في الغنى، والفقر والعدل في الرضا، والغضب والخشية في السر والعلانية، وثلاث من كن فيه أهلكته شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه، وأربع من أعطيهن، فقد أعطي خير الدنيا والآخرة لسان ذا ذكر وقلب شاكر وبدن صابر وزوجة مؤمنة».

وفي «التأويلات النجمية»: لأعدل بينكم؛ أي: لأسوي بين أهل الأهواء، وبين أهل السنة بترك البدعة ولزوم الكتاب والسنة ليندفع الافتراق ويكون الاجتماع. ﴿الله ربنا وربكم﴾؛ أي: خالقنا جميعاً، ومتولي أمورنا لا الأصنام والهوى. ﴿لنا أعمالنا﴾ لا يتخطانا جزاؤها ثواباً

كان أو عقاباً. ﴿ولكم أعمالكم﴾ لا يجاوزكم آثارها، لا نستفيد بحسناتكم ولا نتضرر بسيئاتكم. ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾: الحجة في الأصل: البرهان والدليل، ثم يقال: لا حجة بيننا وبينكم؛ أي: لا إيراد حجة بيننا ويراد به لا خصومة بيننا بناء على أن يراد الحجة من الجانبين لازم للخصومة، فيكنى بذكر اللازم عن الملزوم، فالمعنى لا محاجة ولا خصومة؛ لأن الحق قد ظهر، ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة محمل سوى المكابرة.

وفيه إشارة إلى أنه لا خصومة بالإهداء والمعصية. ﴿الله يجمع بيننا﴾ يوم القيامة. ﴿وإليه المصير﴾: مرجع الكل لفصل القضاء، فيظهر هناك حالنا وحالكم، وليس في الآية إلا ما يدل على المتاركة في المقاولة لا مطلقاً، حتى لا تكون منسوخة بآية القتال. يعني: هذه الآية إنما تدل على المتاركة القولية لحصول الاستغناء عن المحاجة القولية معهم؛ لأنهم قد عرفوا صدقه من الحجج، وإنما كفروا عناداً وبعد ما ظهر الحق وصاروا محجوجين كيف يحتاج إلى المحاجة القولية، فلا يبقى بعد هذا إلا السيف أو الإسلام، وقد قوتلوا بعد ذلك، فعلى العبد، قبول الحق بعد ظهوره والمشي خلف النصح بعد إضاءة نوره، فإن المصير إلى الله، والدنيا دار عبور، وأن الحضور في الآخرة، والدنيا دار التفرق والفتور، فلا بد من التهيؤ للموت.

قال إبراهيم بن أدهم قدس سره لرجل في الطواف: اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات:

أولاها: تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة.

والثانية: تغلق باب العز وتفتح باب الذل.

والثالثة: تغلق باب الراحة، وتفتح باب الجهد.

والرابعة: تغلق باب النوم وتفتح باب السهر.

والخامسة: تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر.

والسادسة: تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت. وأنشدوا:

إن لله عباداً فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

وفي المثنوي:

ملك برهم زن تو آدم وارزود ... تابيابى همجو او ملك خلود
اين جهان خود حبس جانهاى شماست ... هين رويدان سوكه صحراى شماست

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾.

﴿والذين يحاجون في الله﴾؛ أي: يخاصمون في دين نبيه، وهو مبتدأ ﴿من بعد ما استجيب له﴾؛ أي: من بعدما استجاب له الناس ودخلوا فيه لظهور حجته ووضوح محجته، والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم إليه.

وفيه إشارة إلى أنهم استجابوا له تعالى يوم الميثاق بقولهم: بلى، حين قال لهم: ﴿ألست بربكم﴾؟ ثم لما نزلوا من عالم الأرواح إلى عالم الأجسام نسوا الإقرار والعهد،

فأخذوا في المحاجة والإنكار بخلاف المؤمنين، فإنهم ثبتوا على التصديق والإقرار. قال الحافظ:

ازدم صبح ازل تا آخر شام ابد　　دوستى ومهر بريك عهد ويك ميثاق بود

﴿حجتهم﴾: مبتدأ ثان ﴿داحضة عند ربهم﴾: خبر الثاني، والجملة خبر الأول؛ أي: زالة زائلة باطلة. يعني: [ناجيز ونابر جاى]، بل لا حجة لهم أصلاً، وإنما عبر عن أباطيلهم بالحجة مجاراة معهم على زعمهم الباطل والمجاراة بالفارسية: [رفتن وبا كسى جيزى واراندن]. ﴿وعليهم غضب﴾ عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره. ﴿ولهم عذاب شديد﴾ على كفرهم الشديد وضلالهم البعيد لا يعرف كنهه، وهو عذاب النار.

يقول الفقير: وجه الغضب والعذاب أن الدين الحق، وما جاء من القرآن سبب الرحمة والنعمة، فإذا أعرضوا عنهما وجدوا عند الله الغضب والنقمة بدلهما نعوذ بالله من ذلك، وهذا من نتائج أحوالهم وثمرات أعمالهم:

ابرا كرآب زندكى بارد　　هركز ازشاخ بيد بر نخورى

بافر ومايه روز كار مبر　　كزنى بور يا شكر نخورى

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾

﴿الله الذي أنزل الكتاب﴾؛ أي: جنس الكتاب حال كونه ملتبساً. ﴿بالحق﴾ في أحكامه وأخباره بعيداً من الباطل، أو بما يحق إنزاله من العقائد والأحكام. ﴿والميزان﴾؛ أي: وأنزل الميزان؛ أي: الشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوي بين الناس على أن يكون لفظ الميزان مستعاراً للشرع تشبيهاً له بالميزان العرفي من حيث يوزن به الحقوق الواجبة الأداء سواء كان من حقوق الله، أو من حقوق العباد، أو أنزل نفس العدل والتسوية، بأن أنزل الأمر به في الكتب الإلهية، فيكون تسمية العدل بالميزان تسمية المسمى باسم آلته، فإن الميزان آلة العدل، أو أنزل آلة الوزن. والوزن: معرفة قدر الشيء. يعني: [منزل كردانيد ترازورا كه موزونات رابان سنجد تادر بارئه خزنده وفروشنده ستم نرود].

فيكون المراد بالميزان معناه الأصلي وإنزاله إما حقيقة لما روي أن جبرائيل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام، فقال له: مر قومك يزنوا به. وقيل: نزل آدم عليه السلام بجميع آلات الصنائع، وإما مجازاً عن إنزال الأمر به واستعماله في الإيفاء والاستيفاء.

[ودر عين المعاني آورده كه مراد از ميزان حضرت بهتر كائنات محمد است صلى الله تعالى عليه وسلم قانون عدل بدل وتمهيد مى بايد ونزال وإرسال اوست].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى كتاب الإيمان الذي كتب الله في القلوب وميزان العقل يوزن به أحكام الشرع. والخير والشر والحسن والقبح، فإنهما قرينان متلازمان لا بد لأحدهما من الآخر وسماهما البصيرة، فقال: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٤]، فمن أبصر، فلنفسه، ومن عمي فعليها، ففي انتفاء أحدهما انتفاء الآخر، كما قال تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، فنفي العقل والبصيرة بانتفاء الإيمان.

﴿وما يدريك﴾: الإدراء بمعنى الإعلام؛ أي: أي شيء يجعلك دارياً؛ أي: عالماً بحال الساعة التي هي من العظم والشدة والخفاء بحيث لا يبلغه دراية أحد، وإنما يدرى ذلك بوحي منا. وبالفارسية: [وجه جيز دانا كرد براوجه دانى].

قال الراغب: كل موضع ذكر في القرآن، وما أدراك فقد عقب ببيانه نحو: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة: ١٠ ـ ١١] وكل موضع ذكر فيه، وما يدريك لم يعقبه بذلك نحو: **﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾**. **﴿لعل الساعة﴾** التي يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق. **﴿قريب﴾**؛ أي: شيء قريب، أو قريب مجيئها وإلا فالفعيل بمعنى الفاعل لا يستوي فيه المذكر والمؤنث عند سيبويه، فكان الظاهر أن يقال: قريبة لكونه مسند إلى ضمير الساعة إلا أنه قد ذكر لكونه صفة جارية على غير من هي له. وقيل: القريب بمعنى ذات قرب على معنى النسب، وإن كان على صورة اسم الفاعل كلابن وتامر بمعنى ذو لبن وذو تمر؛ أي: لبنى وتمرى لا على معنى الحدث كالفعل، فلما لم يكن في معنى الفعل حقيقة لم يلحقه تاء التأنيث، أو الساعة بمعنى البعث تسمية باسم ما حل فيه.

وقال الزمخشري: لعل مجيء الساعة قريب بتقدير المضاف. والمعنى: أن القيامة على جناح الإتيان، فاتبع الكتاب يا محمد واعمل به، وواظب على العدل قبل أن يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه الأعمال، ويوفى جزاؤها: [امام زاهدى فرموده كه لعل براى تحقيق است يعني البتة ساعتى كه بدان قيامت قائم شود نزديكست]. وفيه زجرهم عن طول الأمل وتنبيههم على انتظار الأجل، وهجومه نبهنا الله تعالى إياكم أجمعين آمين.

﴿يستعجل بها﴾: [شتاب ميكنند بساعت يعنى بامداو]. **﴿الذين لا يؤمنون بها﴾** استعجال إنكار واستهزاء، ولا يشفقون منها، ويقولون متى هي ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق أهو الذي نحن عليه أم الذي عليه محمد وأصحابه، فإنهم لما لم يؤمنوا بها لم يخافوا ما فيها، فهم يطلبون وقوعها استبعاداً لقيامها، والعجلة طلب الشيء وتحريه قبل آوانه.

﴿والذين آمنوا﴾ بها **﴿مشفقون منها﴾** خائفون منها مع اعتنائها لتوقع الثواب، فإن المؤمنين يكونون أبداً بين الخوف والرجاء، فلا يستعجلون بها. يعني: [ترسانندازا قيامت جه ميدا نندكه خداى تعالى باايشان جه كند ومحاسبه ومجازات برجه وجه بود]. فالآية من الاحتباك ذكر الاستعجال أولاً دليلاً على حذف ضده ثانياً والإشفاق ثانياً دليلاً على حذف ضده أولاً. **﴿ويعلمون أنها الحق﴾**؛ أي: الكائن لا محالة. وفيه إشارة إلى أن المؤمنين لا يتمنون الموت خوف الابتلاء بما بعده، فيستعدون له وإذا ورد لم يكرهوه وذلك أن الموت لا يتمناه إلا جاهل أو مشتاق. **﴿ألا إن الذين يمارون في الساعة﴾** يجادلون فيها وينكرون مجيئها عناداً من المرية، فمعناه في الأصل تداخلهم المرية والشك، فيؤدي ذلك إلى المجادلة، ففسر المماراة بلازمها.

قال الراغب: المرية التردد في الأمر، وهو أخص من الشك والمماراة المحاجة فيما فيه مرية. انتهى.

ويجوز أن يكون من مريت الناقة إذا مسحت ضرعها بشدة الحلب، فيكون تفسيره بيجادلون حملاً له على الاستعارة التبعية بأن شبه المجادلة بمماراة الحالب للضرع لاستخراج ما فيه من اللبن من حيث إن كلاً من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة. **﴿لفي**

ضلال بعيد﴾ عن الحق، فإن البعث أشبه الغائبات بالمحسوسات؛ لأنه كإحياء الأرض بعد موتها، فمن لم يهتد إلى تجويزه، فهو من الاهتداء إلى ما وراءه أبعد وأبعد. وصف الضلال بالبعد من المجاز العقلي؛ لأن العبد في الحقيقة للضال؛ لأنه هو الذي يتباعد عن الطريق، فوصف به فعله، ويحتمل أن يكون المعنى في ضلال ذي بعد أو فيه بعد؛ لأن الضال قد يضل عن الطريق مكاناً قريباً وبعيداً.

وفي «التأويلات النجمية»: لفي ضلال بعيد؛ لأنه أزلي. وفي الآية أمور:

الأول: ذم الاستعجال، ولذا قيل: العجلة من الشيطان إلا في ستة مواضع أداء الصلاة إذا دخل الوقت ودفن الميت إذا حضر وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب وإطعام الضيف إذا نزل وتعجيل التوبة إذا أذنب.

والثاني: الإيمان والتصديق؛ فإنه الأصل، وذلك بجميع ما يكون به المرء مؤمناً خصوصاً الساعة، وكذا الاستعداد لها بالأعمال الصالحات.

روي: أن رجلاً من الأعراب قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم: متى الساعة؟ فقال عليه السلام: «وما أعددت لها»، قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، فقال: «أنت مع من أحببت»، ولا شك أن من أحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحب الاقتداء به في جميع الأحوال، فإذا كان محباً لرسول الله والاقتداء به. كان رسول الله محباً له، كما قال عليه السلام متى ألقى أحبائي فقال أصحابه: بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله أولسنا أحباءك فقال: «أنتم أصحابي أحبائي قوم لم يروني وآمنوا بي أنا إليهم بالأشواق وخصهم بالأخوة في الحديث الآخر، فقال أصحابه: نحن إخوانك يا رسول الله. قال: لا أنتم أصحابي وإخواني الذين يأتون بعدي آمنوا بي ولم يروني. وقال: للعامل منهم أجر خمسين منكم، قالوا: بل منهم يا رسول الله. قال: بل منكم رددها ثلاثاً، ثم قال: لأنكم تجدون على الخير أعوانا والثالث مدح العلم، لكن إذا قرن بالخوف والخشية والعمل كان أمدح، فإن العلم ليس جالباً للسؤدد إلا من حيث طرده الجهل، فلا تعجب بعلمك، فإن فرعون علم بنبوة موسى وإبليس علم حال آدم، واليهود علموا بنبوة محمد وحرموا التوفيق للإيمان.

والرابع: ذم الشك والتردد، فلا بد من اليقين الصريح، بل من العيان الصحيح كما قال عليّ كرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً.

حال خلد وجحيم دانستم بيقين آنجنانكه مي بايد
كر حجاب ازميانه بر كيرند آن يقين ذرة نيفزايد

والخامس: أن السعادة والشقاوة أزليتان، وإنما يشقى السعيد لكون سعادته عارضة، وإنما يسعد الشقي لكون شقاوته عارضة، فكل يرجع إلى أصله فنسأل الله الهدى ونعوذ به من الهوى.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾﴾.

﴿الله لطيف بعباده﴾؛ أي: بر بليغ البر بهم، يفيض عليهم من فنون ألطافه ما لا يكاد يناله أيدي الأفكار والظنون قوله: من فنون ألطافه يؤخذ ذلك من صيغة لطيف، فإنها للمبالغة، وتنكيره أيضاً.

وقوله: ما لا يكاد. إلخ. مأخذه مادة الكلمة، فإن اللطف إيصال نفع فيه دقة. ﴿يرزق من يشاء﴾ أن يرزقه كيفما يشاء فيخص كلاً من عباده الذين عمهم جنس لطفه بنوع من البر على ما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة، فلا مخالفة بين عموم الجنس، وخصوص النوع، يعني أن المخصوص بمن يشاء هو نوع البر وصنفه، وذلك لا ينافي عموم جنس بره بجميع عباده على ما أفادته إضافة العباد إلى ضميره تعالى حتى يلزم التناقض بين الكلامين، فالله تعالى يبرهم جميعاً لا بمعنى: أن جميع أنواع البر وأصنافه يصل إلى كل أحد، فإنه مخالف للحكمة الإلٰهية إذ لا يبقى الفرق حينئذٍ بين الأعلى والأدنى، بل يصل بره إليهم على سبيل التوزيع، بأن يخص أحد بنعمة، وآخر بأخرى، فيرجع بذلك كل واحد منهم إلى الآخر فيما عنده من النعمة، فينتظم به أحوالهم، ويتم أسباب معاشهم وصلاح دنياهم وعمارتها، فيؤدي ذلك إلى فراغهم لاكتساب سعادة الآخرة.

وقال بعضهم: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢] إذ الآيات القرآنية يفسر بعضها بعضاً. ﴿وهو القوي﴾ الباهر القدرة على كل شيء، وهو يناسب عموم لطفه للعباد والقوة في الأصل صلابة البنية وشدتها المضادة للضعف، ولما كانت محالاً في حق الله تعالى حملت على القدرة لكونها مسببة عن القوة. ﴿العزيز﴾ المنيع الذي لا يغلب، وهو يلائم تخصيص من يشاء بما يشاء.

قال بعض الكبار: لطفه بعباده لطف الفطرة التي فطر الناس عليها في أحسن تقويم مستعدة لقبول الفيض الإلٰهي بلا واسطة ولطف الجذبة للوصلة، وأيضاً لطيف بعباده بأن جعلهم عباده لا عباد الدنيا، ولا عباد النفس والهوى والشيطان خاطب العابدين بقوله: لطيف بعباده؛ أي: يعلم غوامض أحوالكم من دقيق الرياء والتصنع لئلا يعجبوا بأحوالهم وأعمالهم وخاطب العصاة بقوله: لطيف لئلا ييأسوا من إحسانه، وخاطب الفقراء بقوله: لطيف؛ أي: أنه محسن بكم لا يقتلكم جوعاً، فإنه محسن بالكافرين، فكيف بالمؤمنين:

أديم زمين سفره عام اوست ... بر ين خوان يغماجه دشمن جه دوست

وخاطب الأغنياء بقوله: لطيف ليعلموا أنه يعلم دقائق معاملاتهم في جميع المال من غير وجه بنوع تأويل، ومن لطفه بعباده أنه جعلهم مظهر صفات لطفه، ومن لطفه بعباده أنه عرفهم أنه لطيف، ولولا لطفه ما عرفوه، ومن لطفه بعباده أنه زين أسرارهم بأنوار العرفان وكاشفهم بالعين والعيان. [در فصول آورده كه لطيف جند معنى دارداول مهربان امام قشيري فرموده كه لطف اوست كه بيشتر از كفايت بدهد وكمتر از قوت كار فرمايد دوم توازنده وكذا نوازندكى سوم بوشيده كار كسى بر قضا وقدر اوراه نبرد ودركاه اوجه وجون دخل ندارد]:

كسى زجون وجرادم نمى تواندزد ... كه نقش كار حوادث وراى جون وجراست

جرامكوكه جرادست بسته قدرست ... زجون ملاف كه جون تير بايمال قضاست

[در موضح آورده كه لطيف آنست كه غوامض امور را بعلم داند وجرائم مجهور را بحلم كذا راند در كشف الأسرار آورده كه لطيف آنست كه نعمت بقدر خود داد وشكر بقدر بنده خواست].

وقال بعضهم: اللطيف الذي ينسي العباد ذنوبهم في الآخرة لئلا يتشوشوا. وقال أبو سعيد الخراز قدس سره: لطيف بعباده موجود في الظاهر والباطن والأشياء كلها موجودة به. لكن يوجد ذكره في قلب العبد مرة ويفقد مرة ليجدد بذلك افتقاره إليه.

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: لطفه في الرزق الحلال وتقسيمه على الأحوال، يعني: أنه رزقك من الطيبات، ولم يدفعه إليك مرة واحدة.

وقال علي بن موسى رضي الله عنه: هو تضعيف الأجر، وقال الجنيد قدس سره: هو الذي لطف بأوليائه، فعرفوه، ولو لطف بأعدائه ما جحدوه. وقيل: هو الذي ينشر المناقب ويستر المثالب. وقال بعضهم: [لطف وى بوداز توطاعات موقت خواست ومثوبات مؤبد داد خدايرا لطف است وهم قهر بلطف او كعبه ومسجدها رابنا كردند وبقهرا وكلبيساها وبتكدها برآوردند بس بعضى بطريق لطف سلوك ميكند بسبب توفيق وبعضى بطريق قهر ميرود بمقتضاى خذلان مؤذنى بود جندين سال بانك نماز كفته روزى برمنارة رفت ديده وى برزنى ترسا افتاد تعشق كرد جون ازمناره فرو آمد بدرسرايش رفت قصة باوى بكفت آن زن كفت اكر دعوى راستست ودر عشق صادقى موافقت شرطست زنار بر ميان بايدبست آن بدبخت بطمع آن زن زنار ترسايي بربست وخمر خورد وجون مست كشف قصد آن زن كرد زن بكر يخت ودرخانة شدآن بدبخت بربام رفت تا بحيلتى خويشتزا در ان خانه افكند بخذلان أزلي ازبام درفتاد وبترسايى هلاك شد جندين سال مؤذنى كرد در شرائع اسلام ورزيد وبعاقبت بترسايى هلاك وبمقصود نرسد].

قال الحافظ:

حكم مستورى ومستى همه برخاتمتست كس نداست كه آخربجه حالت برود

وقال الإمام الغزالي رحمه الله: اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضها، وما دق منها وما لطف، ثم يسلك في إيصالها إلى المستصلح سبيل الرفق دون العنف، وإذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في العلم والإدراك، ثم معنى اللطف، ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل إلا الله وحده، ومن لطفه خلقه الجنين في بطن أمه في ظلمات ثلاث وحفظه فيها وتغذيته بواسطة السرة إلى أن ينفصل فيستقل بالتناول للغذاء بالفم، ثم إلهامه إياه عند الانفصال التقام الثدي وامتصاصه، ولو في ظلمات الليل من غير تعليم ومشاهدة، بل تتفتق البيضة عن الفرخ، وقد ألهمه التقاط الحب في الحال، ثم تأخير خلق السن من أول الخلقة إلى وقت إنباته للاستغناء باللبن عن السن، ثم إنباته السن بعد ذلك عند الحاجة إلى طحن الطعام، ثم تقسيم الأسنان إلى عريضة للطحن، وإلى أنياب للكسر، وإلى ثنايا حادة الأطراف للقطع، ثم استعمال اللسان الذي الغرض الأظهر منه النطق ورد الطعام إلى المطحن كالمجرفة، فيكون الإنسان في زمرة الجمادات، وأول نعمة عليه أن الله تعالى كرمه فنقله من عالم الجماد إلى عالم النبات، ثم عظم شأنه فنقله من عالم النبات إلى عالم الحيوان، فجعله حساساً متحركاً بالإرادة، ثم نقله إلى عالم الإنسان، فجعله ناطقاً، وهي نعمة أخرى أعظم مما سبق، ومن لطفه أنه يسر لهم الوصول إلى سعادة الأبد، بسعي خفيف في مدة قصيرة، وهو العمر القليل، ومن لطفه إخراج اللبن الصافي من بين فرث ودم، وإخراج الجواهر النفيسة من الأحجار الصلبة، وإخراج العسل من النحل والابريسم من الدود والدر من الصدف إلى غير ذلك وحظ العبد من هذا الوصف

الرفق بعباد الله والتلطف بهم في الدعوة إلى الله والهداية إلى سعادة الآخرة من غير إزراء، وعنف ومن غير تعصب وخصام.

وأحسن وجوه اللطف فيه: الجذب إلى قبول الحق بالشمائل والسير المرضية والأعمال الصالحة، فإنها أوقع وألطف من الألفاظ المزينة، ولذلك قال عليه السلام: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، ولم يقل: «صلوا كما قلت لكم»؛ لأن الفعل أرجح في نفس المقتدي من القول. وفي المثنوي:

بند فعلى خلق را جذاب تر كه رسدد رجان هربا كوش كر

ثم إن الأرزاق صورية ومعنوية فالصورية ظاهرة، والمعنوية هي: علم التوحيد والمعارف الإلٰهية التي تتغذى بها الأرواح يقال: غذاء الطبيعة الأكل والشرب، وغذاء النفس التكلم بما لا يعني، وغذاء القلب: الفكر وغذاء الروح: علم التوحيد من حيث الأفعال والصفات والذات، وسائر المعارف الإلٰهية مما لا نهاية لها والمنظر الإلٰهي في الوجود الإنساني هو: القلب، فإذا صلح هو بالتوحيد، والذكر ونور الإيمان والعرفان صلح سائر الأحوال، ومن الله البر واللطف والإحسان والنوال والإفضال.

﴿من﴾: [هركه]. ﴿كان يريد حرث الآخرة﴾: الحرث في الأصل: إلقاء البذر في الأرض يطلق على الزرع الحاصل منه، ويستعمل في ثمرات الأعمال ونتائجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الأعمال بالبذور من حيث إنها فائدة تحصل بعمل الدنيا. ولذلك قيل: الدنيا مزرعة الآخرة، والمعنى: من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة. ﴿نزد له في حرثه﴾: نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة إلى سبعمائة فما فوقها.

قال الكاشفي: [جنانكه كشت دانه مى افزايد تايكى ازان بسيار ميشود همجنين عمل مؤمن روز بروز افزونى ميكيرد تاحدى كه يك ذره برابر كوه احد ميشود]، ولم يقل في حقه، وله في الدنيا نصيب مع أن الرزق المقسوم له يصل إليه لا محالة للاستهانة بذلك والإشعار بأنه في جنب ثواب الآخرة ليس بشيء، ولذلك قال سليمان عليه السلام: لتسبيحة خير من ملك سليمان [كفته اندكه بر سليمان عليه السلام مال وملك وعلم عرضه كردندكه زين سه يكى اختيار كن سليمان علم اختيار كرد مال وملك فرا فرودنداد]:

دنيا طلبى بهرة دنيات دهند عقبى طلبى هر دوبيك جات دهند

فإن قيل ظاهر اللفظ يدل على أن من صلى لأجل طلب الثواب، أو لأجل دفع العقاب، فإنه تصح صلاته وأجمعوا على أنها لا تصح؛ لأن الرغبة في الإيمان والطاعة لا تنفع إلا إذا كانت تلك الرغبة رغبة فيه لكونه إيماناً وطاعة. وأما الرغبة فيه لطلب الثواب وللخوف من العقاب، فغير مفيد؛ لأنه يكون عليلاً مريضاً.

والجواب: أن الحرث لا يتأتى إلا بإلقاء البذر الصحيح في الأرض والبذر الصحيح الجامع للخيرات والسعادات ليس إلا عبودية الله تعالى، فلا يكون العمل أخروياً إلا بأن يطلب فيه رضا الله. ﴿ومن كان يريد﴾ بأعماله ﴿حرث الدنيا﴾، وهو متاعها وطيباتها.

والمراد: الكافر أو المنافق حيث كانوا مع المؤمنين في المغازي وغرضهم الغنيمة، ودخل فيه أصحاب الأغراض الفاسدة جميعاً. ﴿نؤته منها﴾؛ أي: شيئاً منها حسبما قسمنا له لا ما لا يريده ويبتغيه، فمنها متعلق بكائناً المحذوف الواقع صفة للمفعول الثاني. ويجوز أن يكون

كلمة من للتبعيض؛ أي: بعضها ومآل المعنى واحد دلت الآية على أن طالب الدنيا لا ينال مراده من الدنيا.

وفي الحديث: «من كانت نيته الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا، وهي راغمة، ومن كانت نيته الدنيا فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له». ﴿وما له في الآخرة من نصيب﴾: من مزيدة للاستغراق؛ أي: ما له نصيب ما في الآخرة إذ كانت همته مقصورة على الدنيا، ولكل امرىء ما نوى، فيكون محروماً من ثواب الآخرة بالكلية.

وقال الإمام الراغب: إن الإنسان في دنياه حارث وعمله حرثه، ودنياه محرثه، ووقت الموت وقت حصاده والآخرة بيدره ولا يحصد إلا ما زرعه، ولا يكيل إلا ما حصده.

حكي: أن رجلاً ببلخ أمر عبده أن يزرع حنطة فزرع شعيراً فرآه وقت الحصاد وسأله، فقال العبد: زرعت شعيراً على ظن أن ينبت حنطة، فقال مولاه: يا أحمق، هل رأيت أحداً زرع شعيراً، فحصد حنطة؟ فقال العبد: فكيف تعصي أنت وترجو رحمته وتغتر بالأماني، ولا تعمل العمل الصالح؟:

ازرباط تن جوبكذشتى دكر معموره نيست   زاد راهى بر نميدارى ازين منزل جرا

وكما أن في البيدر مكيالاً وموازين وأمناء وحفاظاً وشهوداً كذلك في الآخرة مثل ذلك، وكما أن للبيدر تذرية وتمييزاً بين النفاوة والحطام كذلك في الآخرة تمييز بين الحسنى والآثام فمن عمل لآخرته بورك له في كيله ووزنه، وجعل له منه زاد الأبد، ومن عمل لدنياه خاب سعيه وبطل عمله، فأعمال الدنيا كشجرة الخلاف بل كالدفلى والحنظل في الربيع يرى غض الأوراق حتى إذا جاء حين الحصاد لم ينل طائلاً، وإذا حضر مجتناه في البيدر لم يفد نائلاً، ومثل أعمال الآخرة كشجرة الكرم والنخل المستقبح المنظر في الشتاء، فإذا حان وقت القطاف والاجتناء أفادتك زاداً، وادخرت عدة وعتاداً، ولما كانت زهرات الدنيا رائقة الظاهر خبيثة الباطن نهى الله تعالى عن الاغترار بها، فقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١]، فالقذر قذر وإن كان في ظرف من الذهب، فالعاقل لا يتناوله.

وفي «التأويلات النجمية»: من كان يريد حرث الآخرة بجهده وسعيه نزد له في حرثه بهدايتنا وتوفيق مزيد طاعتنا وصفاء الأحوال في المعارف بعنايتنا اليوم ونزيده في الآخرة قربة ومكانة ورفعة في الدرجات وشفاعة الأصدقاء والقرابات، ومن كان يريد حرث الدنيا مكتفياً به نؤته منها؛ أي: من آفات حب الدنيا من عمى القلب وبكمه وصممه وسفهه والحجب التي تتولد منها الأخلاق الذميمة النفسانية، والأوصاف الرديئة الشيطانية والصفات السبعية والبهيمية الحيوانية وما له في الآخرة من نصيب؛ أي: في الأوصاف الروحانية والأخلاق الربانية.

وفي «عرائس البيان» حرث الآخرة مشاهدته ووصاله وقربه وهذا للعارفين وحرث الدنيا الكرامات الظاهرة، ومن شغلته الكرامات احتجب بها عن الحق، وما يريد من حرث الدنيا، فهو معرفة الله ومحبته وخدمته، وإلا فلا يزن الكون عند أهل المعرفة ذرة.

قال بعضهم: في هذه الآية من عمل لله محبة له لا طلباً للجزاء صغر عنده كل شيء دون الله، ولا يطلب حرث الدنيا ولا حرث الآخرة بل يطلب الله عن الدنيا والآخرة.

وقال سهل: حرث الدنيا القناعة وحرث الآخرة الرضا. وقال أيضاً: حرث الآخرة القناعة في الدنيا والمغفرة في الآخرة والرضا من الله في كل الأحوال. وحرث الدنيا قضاء الوطر منها، والجمع منها والافتخار بها، ومن كان بهذه الصفة، فما له في الآخرة من نصيب. قال الشيخ العطار قدس سره:

همجو طفلان منكراندر سرخ وزرد جون زنان مغرور رنك وبو مكرد

فالدنيا امرأة عجوز ومن افتخر بزينتها وزخارفها، فهو في حكم المرأة، فعلى العاقل تحصيل الجاه الأخروي بالأعمال الصالحة الباقية، فإن الدنيا وما فيها بأسرها زائلة فانية كما قال لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

والمراد: نعيم الدنيا.

﴿أم لهم شركاء﴾ : أم منقطعة مقدرة ببل، والهمزة قيل: للاضطراب عن قوله: ﴿شرع لكم من الدين﴾ والهمزة للتقرير والتحقيق وشركاؤهم شياطينهم من الإنس والجن، والضمير للمشركين من قريش، والإضافة على حقيقتها. والمعنى: بل لهم شركاء من الشياطين؛ أي: نظراء يشاركونهم في الكفر والعصيان ويعاونونهم عليه بالتزيين والإغراء. ﴿شرعوا لهم﴾ بالتسويل. وبالفارسية: [نهاده اندبر اى ايشان يعنى بيار استه اند دردل ايشان].

﴿من الدين﴾ الفاسد. ﴿ما لم يأذن به الله﴾ كالشرك وإنكار البعث، والعمل للدنيا وسائر مخالفات الشريعة، وموافقات الطبيعة؛ لأنهم لا يعلمون غيرها، وتعالى الله عن الإذن في مثل هذا، والأمر به والدين للمشاكلة؛ لأنه ذكر في مقابلة دين الله، أو للتهكم. وقيل: شركاؤهم أوثانهم، فالهمزة للإنكار، فإن الجماد الذي لا يعقل شيئاً كيف يصح أن يشرع ديناً، والحال أن الله تعالى لم يشرع لهم ذلك الدين الباطل، وإضافتها إليهم؛ لأنهم الذين جعلوها شركاء لله، وإسناد الشرع إليها مع كونها بمعزل عن الفاعلية إسناد مجازي من قبيل إسناد الفعل إلى السبب لأنها سبب ضلالتهم وافتنانهم كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

﴿ولولا كلمة الفصل﴾ ؛ أي: القضاء السابق بتأخير العذاب، أو العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة، والفصل القضاء بين الحق والباطل، كما في «القاموس»، ويوم الفصل اليوم الذي فيه يبين الحق من الباطل، ويفصل بين الناس بالحكم كما في «المفردات».

﴿لقضي بينهم﴾ : [حكم كرده شده بودى ميان كافران ومؤمنان ياميان مشركان وشركاء وهريك جزا بسزا يافته بودندى اما وعده فصل ميان ايشان درقيا متست].

﴿وإن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ في الآخرة؛ أي: نوع من العذاب متفاقم ألمه. وبالفارسية: [عذابى درونان دائم وبى انقطاع بود]. وأقام المظهر مقام المضمر تسجيلاً عليهم بالظلم ودلالة على أن العذاب الأليم الذي لا يكتنه كنهه، إنما يلحقهم بسبب ظلمهم، وانهماكهم فيه.

وفي الآية إشارات منها:

أن كفار النفوس شرعوا عند استيلائهم على الدين بالهوى للأرواح والقلوب ما لم يرض به الله من مخالفات الشريعة وموافقات الطبيعة كأهل الحرب شرعوا لأسارى المسلمين عند استيلائهم عليهم ما ليس في دينهم من أكل لحم الخنزير وشرب الخمر وعقد الزنار ونحوها،

فلا بد من التوجه إلى الله ليندفع الشر وينعكس الأمر.

روي: أن سالم بن عوف رضي الله عنه أسره العدو، فشكاه أبوه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال عليه السلام: اتق الله وأكثر قول لا حول ولا قوة إلا بالله، ففعل فجاء ابنه ومعه مائة من الإبل. قال الحافظ:

سروش عالم غيبم بشارتى خوش داد   كه كس هميشه بكيتى دزم نخواهد ماند

ومنها: أن الله تعالى لم يقض بين الخلق بالتكاليف والمجاهدات قبل البلوغ لضعف البشرية وثقل حمل الشريعة وأخر بحكمته تكاليف الشرع تربية للقالب ليحصل القوة لقمع الطبع. قال الصائب:

تاجه آيدروشن است ازدست اين يك قطعه خاك

جرخ نتوانست كردن زه كمان عشق را

ومنها: أن من ظلم نفسه بمتابعة الهوى، فله عذاب أليم بعد البلوغ من الفطام عن المألوفات الطبيعية بالأحكام الشرعية، وهذا العذاب للنفس والطبيعة رحمة عظيمة للقلب والروح. ولذا من قال: هذه الطاعات جعلها الله عذاباً علينا من غير تأويل كفر؛ فإن أول مراده بالتعب لا يكفر، ولو قال: لو لم يفرض الله لكان خيراً لنا بلا تأويل كفر؛ لأن الخير فيما اختاره الله إلا أن يؤول ويريد بالخير الأهون والأسهل. وفي القصيدة البردية:

وراعها وهي في الأعمال سائمة   وإن هي استحلت المرعى فلا تسم

أي: راع النفس في اشتغالها بالأعمال عما هو مفسد ومنقص للكمال من الرياء والعجب والغفلة والضلال، وإن عدت النفس بعض التطوعات حلواً واعتادت به، وألفت، فاجتهد في أن تقطع نفسك عنها، واشتغل بما هو أشق عليها؛ لأن اعتبار العبادة، إنما هو بامتيازها عن العادة، وإنما ترتفع الكلفة مطلقاً عن العارفين:

كم حسنت لذة للمرء قاتلة   من حيث لم يدر أن السم في الدسم

يعني: كثيراً من المرات زينت النفس لذة للمرء من اللذات قاتلة للمرء كالدسم والمرء لا يدري أن السم في الدسم، لا سيما إذا كان المرء من أهل المحبة والوداد، فهلاكه في لذة الطعم، وطيب الرقاد، ومن الله التوفيق لإصلاح النفس وتزكيتها.

﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿ترى الظالمين﴾؛ أي: المشركين يوم القيامة يأمن بصلح للرؤية. **﴿مشفقين﴾** خائفين **﴿مما كسبوا﴾**؛ أي: إشفاقاً ناشئاً من السيئات التي عملوها في الدنيا، ومن أجلها، فكلمة من للتعليل وليست صلة مشفقين حتى يحتاج إلى تقدير المضاف هنا مع أنه أيضاً معنى صحيح؛ لأن الأول أبلغ وأدخل في الوعيد. **﴿وهو واقع بهم﴾**؛ أي: وباله وجزاؤه لاحق بهم لا محالة أشفقوا، أو لم يشفقوا. والجملة حال من ضمير مشفقين، أو اعتراض.

قال سعدي المفتي، يعني: ينعكس الحال في الآخرة فالآمنون في الدنيا يشفقون في الآخرة، والمشفقون في الدنيا يأمنون في الآخرة. وفي المثنوي:

لا تخافوا هست نزل خائفان   هست درخوراز براى خائف آن

هركه ترسد مرورا ايمن كنند هردل ترسنده راسا كن كنند
آنكه خوفش نيست جون كويى مبرس درس جه دهى نيست او محتاج درس

وفيه إشارة إلى أن عذاب أهل الهوى والشهوات واقع بهم، إما في الدنيا بكثرة الرياضات، وأنواع المجاهدات لتزكية النفس من أوصافها وتحليتها بأضدادها. وإما في الآخرة بورودها النار لتنقيتها، وعذاب الدنيا أهون فلا بد من الاجتهاد قبل فوات الوقت. ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾؛ أي: استعملوا تكاليف الشرع لقمع الطبع وكسر الهوى وتزكية النفس وتصفية القلب وتحلية الروح. ﴿**في روضات الجنات**﴾: مستقرون في أطيب بقاعها وأنزهها، فإن روضة الأرض تكون كذلك.

وبالفارسية: [اندر مر غزار هاى بهشت اند يعنى خوشترين بقعها ونزهت فزاى ترين آن]. قال في «حواشي الكشاف»: الروضة: اسم لكل موضع فيه ماء وعشب.

وفي «كشف الأسرار»: هي الأماكن المتسعة المونقة ذات الرياحين والزهر. انتهى.

وفي الحديث: «ثلاث يجلون البصر: النظر إلى الخضرة، وإلى الماء الجاري وإلى الوجه الحسن».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: والإثمد عند النوم.

وقال الراغب: قوله في روضات الجنات إشارة إلى ما أعد لهم في العقبى من حيث الظاهر. وقيل: إشارة إلى ما أهلهم له من العلوم والأخلاق التي من تخصص بها طاب قلبه. ﴿**لهم ما يشاؤون عند ربهم**﴾؛ أي: ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم على أن عند ربهم ظرف للاستقرار العامل في لهم. وقيل: ظرف ليشاؤون على أن يكون عبارة عن كونهم عند الله والآية من الاحتباك أنبت الإشفاق أولاً دليلاً على حذف الأمن ثانياً، والجنات ثانياً دليلاً على حذف النيران أولاً. ﴿**ذلك**﴾ المذكور من أجر المؤمنين. ﴿**هو الفضل الكبير**﴾ الذي يصغر دونه ما لغيرهم من الدنيا، أو تحقر عنده الدنيا بحذافيرها من أولها إلى آخرها. وهذا في حق الأمة. وأما النبي عليه السلام، فمخصوص بالفضل العظيم، كما قال تعالى، ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣].

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿**ذلك**﴾؛ أي: الفضل الكبير، وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿**الذي**﴾؛ أي: الثواب الذي ﴿**يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾؛ أي: يبشرهم به على لسان النبي عليه السلام، فحذف الجار، ثم العائد إلى الموصول؛ لأنهم لا يجوزون حذف المفعول الجار والمجرور إلا على التدريج بخلاف مثل السمن منوان بدرهم؛ أي: منه.

قال الكاشفي: [وتقديم خبربابن كرامتها جهت ازدياد سرور مؤمنانست وآنكه دانندكه عمل ايشان ضائع نيست بس در مراسم عبوديت اجتهاد نمايند وبر وظائف عبادت بيفزايند]:

كار نيكوكن اكر مردنكو ميطلبى كز جراهر كه نكوتر بنكو كار دهند
كارا كرنيست ترادر طمع اجر مباش مزد مزدور باندازه كردار دهند

يقول الفقير: وجه تخصيص الروضة وتعميم المشيئة أن أكثر بلاد العرب خالية عن

الأنهار الجارية والروضات، وأنهم لا يجدون كل المشتهيات فيشوقهم بذلك، ليكونوا على أهبة وتدارك ولا يقيسوا الآخرة على الدنيا، فإن الدنيا محل البلاء والآفات، والآخرة دار النعيم والضيافات وتدارك كل ما فات، فمن أحب مولاه اجتهد في طريق رضاه.

قال شقيق البلخي قدس سره: رأيت في طريق مكة مقعداً يزحف على الأرض، فقلت له: من أين أقبلت؟ قال: من سمرقند، قلت: كم لك في الطريق، فذكر أعواماً تزيد على العشرة، فرفعت طرفي أنظر إليه متعجباً، فقال لي: يا شقيق ما لك تنظر إلي، فقلت: متعجباً من ضعف مهجتك وبعد سفرتك، فقال لي: يا شقيق، أما بعد سفرتي، فالشوق يقربها، وأما ضعف مهجتي، فمولاها يحملها يا شقيق أتعجب من عبد ضعيف، يحمله المولى اللطيف، فمن وصل إليه بشارة الله بفضله وجوده هان عليه بذل وجوده. ﴿قل لا أسألكم عليه﴾.

روي: أنه اجتمع المشركون في مجمع لهم، فقال بعضهم: أترون محمداً يسأل على ما يتعاطاه أجراً؟ يعني: هيج دريافته آيدكه محمد عملى كه مباشر آنست از ابلاغ مزدى ميخوا هديانى، فنزلت.

والمعنى: لا أطلب منكم على ما أنا عليه من التبليغ، والبشارة، كما لم يطلب الأنبياء من قبلي. ﴿أجراً﴾؛ أي: نفعاً.

قال سعدي المفتي: فسر الأجر بالنفع ليظهر جعل استثناء المودة منه متصلاً مع أن ادعاء كونها من أفراد الأجر يكفي في ذلك، كما في قوله:

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

وفي «التأويلات النجمية»: قل يا محمد لا أسألكم على التبشير أجراً؛ لأن الله ليس يطلب منكم على الفضل عوضاً، فأنا أيضاً لا أسألكم على التبشير أجراً، فإن المؤمن أخذ من الله خلقاً حسناً، فكما أن الله تعالى بفضله يوفق العبد للإيمان ويعطي الثواب لمن آمن به، وليس يرضى بأن يعطيك فضله مجاناً، بل يعطيك عليه أجراً كذلك ليس يرضى لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، بأن يطلب منك أجراً على التبليغ والتبشير، بل يشفع لك أيضاً. ﴿إلا المودة في القربى﴾ المودة، مودة الرسول عليه السلام، والقربى مصدر كالزلفى، بمعنى القرابة التي هي بمعنى الرحم. وفي للسببية وبمعنى اللام متعلقة بالمودة، ومودته كناية عن ترك أذيته والجري على موجب قرابته سمى عليه السلام المودة أجراً، واستثناها منه تشبيهاً لها به، والاستثناء من قبيل قول من قال:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وذلك لأنه لا يجوز من النبي عليه السلام أن يطلب الأجر أياً كان على تبليغ الرسالة؛ لأن الأنبياء لم يطلبوه، وهو أولى بذلك؛ لأنه أفضل؛ ولأنه صرح بنفيه في قوله: ﴿قُلْ مَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧]؛ ولأن التبليغ واجب عليه لقوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٦٧] وطلب الأجر على أداء الواجب لا يليق؛ ولأن متاع الدنيا أخس الأشياء، فكيف يطلب في مقابلة تبليغ الوحي الإلهي الذي هو أعز الأشياء؛ لأن العلم جوهر ثمين، والدنيا خزف مهين؛ ولأن طلب الأجر يوهم التهمة، وذلك ينافي القطع بصحة النبوة، فمعنى الآية: لا أسألكم على التبليغ أجراً أصلاً إلا أن تودوني لأجل قرابتي منكم، وبسببها وتكفوا عني الأذى، ولا تعادوني إن كان ذلك أجراً يختص بي لكنه ليس بأجر؛ لأنه لم يكن بطن من

بطونكم يا قريش إلا وبيني وبينها قرابة، فإذا كانت قرابتي قرابتكم فصلتي، ودفع الأذى عني لازم لكم في الشرع والعادة والمروءة سواء كان مني التبليغ أو لا. وقد كنتم تتفاخرون بصلة الرحم، ودفع الأذى عن الأقارب، فما لكم تؤذونني. والحال ما ذكر، ويجوز أن يراد بالقربى أهل قرابته عليه السلام على إضمار المضاف وبالمودة مودة أقربائه، وترك أذيتهم، فكلمة في على هذا للظرفية، والظرف حال من المودة.

والمعنى: إلا أن تودوا أهل قرابتي مودة ثابتة متمكنة فيهم. روي: أنها لما نزلت. قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم. قال علي وفاطمة وابناي؛ أي: الحسن والحسين رضي الله عنهم، ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه، أنه قال: شكوت إلى رسول الله عليه السلام حسد الناس لي، فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة؛ أي: في الخلافة أول من يدخل الجنة أنا، وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذرياتنا خلف أزواجنا».

قال سعدي المفتي: فيه أن السورة مكية من غير استثناء منها، ولم يكن لفاطمة حينئذٍ أولاد. وعنه عليه السلام: «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي، ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه، فأنا أجازيه عليها غداً، إذا لقيني يوم القيامة».

وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: من مات على حب آل محمد مات شهيداً ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها. ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة».

وآل محمد هم الذين يؤول أمرهم إليه عليه السلام، فكل من كان مآل أمرهم إليه أكمل وأشد كانوا هم الآل، ولا شك أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله أشد التعلقات بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل.

[در تفسير ثعلبى آورده كه خويشان حضرت رسول الله بنو هاشم اند وبنو المطلب كه خمس برايشان قسمت بايد كرد].

وفي «الكواشي»: قرابته عليه السلام فاطمة وعلي وابناهما، أو آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس، أو من حرمت عليهم الصدقة، وهم بنو هاشم وبنو المطلب. وقيل: آل الرسول أمته الذين قبلوا دعوته.

قال ابن عطاء: لا أسألكم على دعوتكم أجراً إلا أن تتوددوا إليّ بتوحيد الله وتتقربوا إليه بدوام طاعته وملازمة أوامره. وقال الحسين: كل من تقرب إلى الله بطاعته وجبت عليكم محبته، فإن المحب يحب المحب لكونهما محبين لمحبوب واحد، وكذا المطيع مع المطيع

لشركتهما في الإطاعة والانقياد.

حكي عن الشيخ ابن العربي قدس سره أنه قال: قد بلغني عن رجل أنه يبغض الشيخ أبا مدين، فكرهت ذلك الشخص لبغضه الشيخ أبا مدين، فرأيت رسول الله في المنام، فقال لي: لم تكره فلاناً، فقلت لبغضه في أبي مدين، فقال: أليس يحب الله ورسوله، فقلت له: بلى يا رسول الله، فقال لي: «فلم تبغضه لبغضه أبا مدين وما تحبه لحبه الله ورسوله»، فقلت له: يا رسول الله إلى الآن: إني والله زللت وغفلت، فأما الآن، فأنا تائب، وهو من أحب الناس إليّ، فلقد نبهت ونصحت صلى الله عليك وسلم، فلما استيقظت جئت إلى منزله، فأخبرته بما جرى، فبكى واعتد الرؤيا تنبيهاً من الله، فزال بغضه أبا مدين وأحبه. ﴿**ومن يقترف حسنة**﴾؛ أي: يكتسب؛ أي: حسنة كانت سيما حب آل رسول الله.

قال الراغب: أصل القرف والاقتراف: قشر اللحاء عن الشجرة والجليدة عن الجذع، وما يؤخذ منه قرف واستعير الاقتراف للاكتساب حسنياً كان أو سوئياً، وفي الإساءة أكثر استعمالاً. ولهذا يقال: الاعتراف يزيل الاقتراف. ﴿**نزد له فيها**﴾؛ أي: في الحسنة يعني: [براى آن حسنة]، كما قال الكاشفي: ﴿**حسناً**﴾ بمضاعفة. والتوفيق لمثلها والإخلاص فيها وبزيادة لا يصل العبد إليها بوسعه مما لا يدخل تحت طوق البشر. ﴿**إن الله غفور**﴾ لمن أذنب ﴿**شكور**﴾ لمن أطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة، فالشكر من الله مجاز عن هذا المعنى؛ لأن معناه الحقيقي، وهو فعل ينبىء عن تعظيم المنعم لكونه منعماً لا يتصور من الله لامتناع أن ينعم عليه أحد حتى يقابل بالشكر شبهت الإثابة والتفضل بالشكر من حيث إن كل واحد منهما يتضمن الاعتداد بفعل الغير، وإكراماً لأجله.

وفي «بحر العلوم»: أو معتد بالحسنة القليلة حتى يضاعفها، فإن القليل عند الله كثير. وفي الحديث: «إن عيسى ابن مريم، قال: أخبرني يا رب عن هذه الأمة المرحومة، فأوحى الله إليه أنها أمة محمد حكماء علماء؛ كأنهم من الحكمة والعلم أنبياء يرضون باليسير من العطاء، وأرضى منهم باليسير من العمل أدخل أحدهم الجنة، بأن يقول: لا إله إلا الله».

قال الإمام الغزالي رحمه الله: العبد يتصور أن يكون شاكراً في حق عبد آخر مرة بالثناء عليه بإحسانه إليه وأخرى بمجازاته أكثر مما صنعه إليه، وذلك من الخصال الحميدة. قال رسول الله عليه السلام: «ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله» وأما شكره لله تعالى، فلا يكون إلا بنوع من المجاز والتوسع؛ فإنه إن أثنى فثناؤه قاصر؛ لأنه لا يحصي ثناء عليه، فإن أطاع، فطاعته نعمة أخرى من الله عليه، بل عين شكره نعمة أخرى وراء النعمة المشكورة، وإنما أحسن وجوه الشكر لنعم الله أن لا يستعملها في معاصيه، بل في طاعته. وذلك أيضاً بتوفيق الله وتيسيره:

عطايست هرموى ازو برتنم   جه كونه بهرموى شكرى كنم
تراآنكه جشم ودهان دادو كوش   اكر عاقلى در خلافش مكوش

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿**أم يقولون**﴾: أم منقطعة؛ أي: بل أيقولون: يعني كفار مكة على أنه إضراب على

قوله: ﴿أم لهم شركاء﴾ إلخ. ﴿افترى﴾ محمد ﴿على الله كذباً﴾ بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على أن الهمزة للإنكار التوبيخي؛ كأنه قيل: أيتمالكون أن ينسبوا مثله عليه السلام، وهو هو إلى الافتراء لا سيما الافتراء على الله الذي هو أعظم الفرى وأفحشها. والفرق بين الافتراء والكذب؛ أن الافتراء هو افتعال الكذب من قول نفسه، والكذب قد يكون على وجه التقليد للغير فيه. ﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾ استشهاد على بطلان ما قالوا: ببيان أنه عليه السلام، لو افترى على الله لمنعه من ذلك قطعاً وتحقيقه، أن دعوى كون القرآن افتراء على الله قول منهم؛ بأنه تعالى لا يشأ صدوره عن النبي، بل يشأ عدم صدوره عنه، ومن ضرورته منعه عنه قطعاً، فكأنه قيل: لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنه، وإن يشأ ذلك يختم على قلبك، بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه، ولم تنطق بحرف من حروفه، وحيث لم يكن الأمر كذلك، بل تواتر الوحي حيناً فحيناً تبين أنه من عند الله.

كما قال في «التأويلات النجمية»: يعني: أنك إن افتريته ختم الله على قلبك، ولكنك لم تكذب على ربك، فلم يختم على قلبك. يعني: [مهرنهد بردل تو وبيغام خويش ازان ببرد].

وفيه إشارة إلى أن الملائكة والرسل والورثة محفوظون عن المغالطة في بيان الشريعة والافتراء على الله في شيء من الأشياء. [در حقائق سلمى از سهل بن عبد الله التستري قدس سره نقل مكيندكه مهر شوق ازلي ومحبته لم يزلى بردلى تونهدتا التفات بغير نكنى وازاجابت واباي خلق فارغ كردى]. ﴿ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته﴾: استئناف مقرر لنفي الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبىء عنه إظهار الاسم الجليل، وصيغة المضارع للاستمرار، وكتبت يمح في المصحف بحاء مرسلة، كما كتبوا ويدع الإنسان، ويدع الداع وسندع الزبانية، مما ذهبوا فيه إلى الحذف، والاختصار نظراً إلى اللفظ وحملاً للوقف على الوصل، يعني: أن سقوط الواو لفظاً لالتقاء الساكنين حال الوصل وخطاً أيضاً حملاً للخط على اللفظ؛ أي: على أنه خلاف القياس، وليس سقوطها منه، لكونه مجزوماً بالعطف على ما قبله لاستحالة المعنى؛ لأنه تعالى يمحو الباطل مطلقاً لا معلقاً بالشرط.

والمعنى: ومن عادته تعالى أن يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه، أو بقضائه، فلو كأنه افتراء، كما زعموا لمحقه ودفعه. ويجوز أن يكونه عدة لرسول الله عليه السلام؛ بأنه تعالى يمحو الباطل الذي هم عليه عن البهت والتكذيب، ويثبت الحق الذي هو عليه بالقرآن، أو بقضائه الذي لا مرد له بنصرته عليم فالصيغة على هذا للاستقبال. ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ بما تضمره القلوب، فيجري عليها أحكامها اللائقة بها من المحو والإثبات. قال الكاشفي:

راستى تو ومظنه افتراى ... ايشان بتوبر ومخفى نيست

ولم يقل: ذوات الصدور لإرادة الجنس وذات ها هنا تأنيث ذي بمعنى صاحب، فحذف الموصوف، وأقيمت صفته مقامه؛ أي: عليم بالمضمرات صاحبة الصدور، وهي الخواطر القائمة بالقلب من الدواعي والصوارف الموجودة فيه، وجعلت صاحبة للصدور بملازمتها وحلولها فيها، كما يقال: للبن ذو الإناء، ولولد المرأة هو جنين ذو بطنها.

وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى يتصرف في عباده بما يشاء من إبعاد قريب وإدناء بعيد.

روي: أن رجلاً مات فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام مات ولي من أوليائي، فاغسله، فجاء موسى عليه السلام، فوجده قد طرحه الناس في المزابل لفسقه، فقال موسى

عليه السلام: يا رب أنت تسمع مقالة الناس، فقال الله: يا موسى إنه تشفع عند موته بثلاثة أشياء لو سأل مني جميع المذنبين لغفرت لهم الأول أنه قال: يا رب أنت تعلم أني وإن كنت أرتكب المعاصي بتسويل الشيطان وقرين السوء، ولكني كنت أكرهها بقلبي.

والثاني: أني وإن كنت من الفسقة بارتكاب المعاصي، ولكن الجلوس مع الصالحين أحب إلي.

والثالث: لو استقبلني صالح وفاجر كنت أقدم حاجة الصالح، فبهذه الثلاثة أدناه الله منه، وجعله من المقربين عنده بعدما أبعده هو والناس، فعلى العاقل إصلاح الصدر والسريرة. وفي الخبر: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، بل إلى قلوبكم وأعمالكم»، يعني: إن كانت لكم قلوب وأعمال صالحة تكونوا مقبولين مطلقاً، وإلا فلا، وربما يهتدي إلى الطريق المستقيم من مضى عمره في الضلال، وذلك لأن شقاوته كانت شقاوة عارضة والعبرة للحكم الأزلي والسعادة الأصلية، فإذا كان كذلك، فيمحو الله الباطل، وهو الكفر ويثبت الحق، وهو الإسلام، وربما يختم على قلب من مضى وقته على الطاعة، فيصير عاقبة إلى المعصية، بل إلى الكفر كبلعام وبرصيصا ونحوهما، مما كانت شقاوته أصلية وسعادته عارضة. قال الحافظ:

جون حسن عاقبت نه برندى وزاهديست   آن به كه كار خود بعنايت رها كنند

والله المعين.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ بالتجاوز عما تابوا عنه؛ لأنه إن لم يقبل كان إغراء بالمعاصي عدي القبول بعن لتضمنه معنى التجاوز.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي عامة للمؤمن والكافر والولي والعدو، ومن تاب منهم قبل الله توبته. والتوبة هي الرجوع عن المعاصي بالندم عليها والعزم أن لا يعاودها أبداً.

وقال السري البوشنجي: هو أن لا تجد حلاوة الذنب في القلب عند ذكره.

وروى جابر رضي الله عنه: أن أعرابياً دخل مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال: اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك وكبر، فلما فرغ من صلاته. قال له عليّ رضي الله عنه: يا هذا، إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج إلى التوبة، فقال: يا أمير المؤمنين، وما التوبة؟ قال: التوبة اسم يقع على ستة معانٍ: على الماضي من الذنوب بالندامة، وتضييع الفرائض بالإعادة، ورد المظالم، وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية، وإذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته.

وفي الأثر: لله تعالى أفرح بتوبة العبد من المضل الواجد، ومن العقيم الوالد، ومن الظمآن الوارد فمن تاب إلى الله توبة نصوحاً أنسى الله حافظيه وبقاع الأرض خطاياه».

روى عبد العزيز بن إسماعيل، قال: يقول الله تعالى: ويح ابن آدم يذنب الذنب، ثم يستغفر، فأغفر له، لا هو يترك ذنوبه، ولا هو ييأس من رحمتي أشهدكم أني قد غفرت له».

وفي «التأويلات النجمية»: إذا أراد الله تعالى أن يتوب على عبد من عباده ليرجع من أسفل سافلين البعد إلى أعلى عليين. القرب يخلصه من رق عبودية ما سواه بتصرف جذبات

العناية، ثم يوفقه للرجوع بالتقرب إليه، كما قال: «من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً»؛ أي: من تقرب إليّ شبراً بالتوبة تقربت إليه ذراعاً بالقبول، ولو لم يكن القبول سابقاً على التوبة لما تاب، كما قال بعضهم لبعض المشايخ: إن أتب إلى الله، هل يقبل: قال: إن يقبل الله تتوب.

وفي الخبر: «أن بعض مواضع الجنة تبقى خالية، فيخلق الله تعالى خلقاً جديداً فيملؤها بهم». [اكر روا باشد ازروى كرم كه خلقى آفريند عبادت نابرده ورنج نا برده درجات جنت بايشان دهدا وبرسرو سزا واربركه بندكان ديرينه را ودرويشان دلخسته رازدر بيرون نكند وازثواب وعطاى خود محروم نكرداند].

فكيف بالتائبين منهم والمستغفرين. ﴿ويعفو عن السيئات﴾ صغيرها وكبيرها غير المشرك لمن يشاء بمحض رحمته وشفاعة شافع، وإن لم يتوبوا، وهو مذهب أهل السنة.

وفي «التأويلات النجمية»: ويعفو عن كثير من الذنوب التي لا يطلع العبد عليها ليتوب عنها، وأيضاً، ويعفو عن كثير من الذنوب قبل التوبة، ليصير العبد به قابلاً للتوبة وإلا لما تاب. ﴿ويعلم ما تفعلون﴾ كائناً ما كان من خير وشر، فيجازي التائب ويتجاوز عن غير التائب حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح.

وفي «التأويلات النجمية»: ويعلم ما تفعلون من السيئات والحسنات مما لا تعلمون أنها من السيئات والحسنات، فبتلك الحسنات يعفو عن السيئات.

وعن «عرائس البقلي»: يقبل توبتهم حين خرجوا من النفس والكون وصاروا أهلاً له مقدسين بقدسه ويعفو عن سيئاتهم ما يخطر بقلوبهم من غير ذكره، ويعلم ما تفعلون من التضرع بين يديه في الخلوات.

وفي صحف إبراهيم عليه السلام: على العاقل أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، ويفكر في صنع الله، وساعة يحاسب نفسه فيما قدم وأخّر، وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال في المطعم والمشرب وغيرهما.

وروي: أن رجلاً قال للدينوري رحمه الله: ما أصنع؟ فكلما وقفت على باب المولى صرفني البلوى، فقال: كن كالصبي مع أمه، فكلما ضربته يجزع بين يديها، ويتضرع، فلا يزال كذلك حتى تضمه إليها.

وفي الخبر: «إن بعض المذنبين يرفع يده إلى جناب الحق، فلا ينظر إليه؛ أي: بعين الرحمة، ثم يدعو ثانياً، فيعرض عنه، ثم يدعو ويتضرع ثالثاً، فيقول: يا ملائكتي قد استحييت من عبدي، وليس له رب غيري، فقد غفرت له واستحيت؛ أي: حصلت مرامه، فإني أستحيي من تضرع العباد»:

كرم بين ولطف خداوندكار كنه بنده كردست واو شرمسار

ومعنى استحيائه تعالى: تركه تخييب العبد في رجائه.

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾: الفاعل ضمير اسم الله والموصول مفعول به على إضمار المضاف؛ أي: ويستجيب الله دعاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ أي:

المؤمنين الصالحين إذا دعوه ويثيبهم على طاعاتهم، يعني: يعطيهم الثواب في الآخرة والإثابة معنى مجازي للإجابة؛ لأن الطاعة لما شبهت بدعاء ما يترتب عليها من الثواب كانت الإثابة عليها بمنزلة إجابة الدعاء، فعبر بها عنها. ومنه قوله عليه السلام: «أفضل الدعاء الحمد لله»، يعني: أطلق الدعاء على الحمد لله لشبهه به في طلب ما يترتب عليه، ويجوز أن يكون التقدير، ويستجيب الله لهم، فحذف اللام، كما في قوله: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ [المطففين: ٣]؛ أي: كالوا لهم.

قال سعدي المفتي: الأظهر حمل الكلام على إضمار المضاف. فإنه كالمنقاس بخلاف حذف الجار. **﴿ويزيدهم من فضله﴾** على ما سألوا منه تفضلاً وكرماً، ويجوز أن يكون الموصول فاعل الاستجابة. والاستجابة، فعلهم لا فعل الله تعالى واستجاب بمعنى أجاب، أو على أن يكون السين للطلب على أصلها، فعلى هذا الوجه يكون **﴿ويزيدهم من فضله﴾** معطوفاً على مقدر.

والمعنى: ويستجيبون لله بالطاعة ويزيدهم على ما استحقوه من الثواب تفضلاً، ويؤيد هذا الوجه ما روي عن إبراهيم بن أدهم قدس سره: أنه قيل: ما لنا ندعو فلا نجاب. قال: لأنه دعاكم، فلم تجيبوه، ثم قرأ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥]، فأشار بقراءته ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ إلى أن الله تعالى دعا عباده وبقراءته ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إلى أنه لم يجب إلى دعائه إلا البعض.

قال في «بحر العلوم»: هذا الجواب مع سؤاله ليس بمرضي عند أهل التحقيق من علماء الأخبار، بل الحق الصريح أن الله يجيب دعاء كل عبد مؤمن بدليل قول النبي عليه السلام: «إن العبد لا يخطئه من الدعاء أحد ثلاث: إما ذنب يغفر، وإما خير يدخر، وإما خير يعمل.

رواه أنس رضي الله عنه، وقوله عليه السلام: «ما من مسلم ينصب وجهه لله في مسألة إلا أعطاه إياها، إما أن يعجلها له، وإما أن يدخرها له». وقوله عليه السلام: «إن المؤمن ليؤجر في كل شيء حتى في الكظ عند الموت». وقوله عليه السلام: «إن الله يدعو بعبده يوم القيامة، فيقول: إني قلت ادعوني أستجب لكم، فهل دعوتني، فيقول: نعم، فيقول: أرأيت يوم نزل أمر كذا وكذا، مما كرهت فدعوتني، فجعلت لك في الدنيا، فيقول: نعم، ويقول: دعوتني يوم نزل بك كذا. فلم تر فرجاً فقد ادخرته لك في الجنة حتى يقول العبد ليته لم يستجب لي في الدنيا دعوة».

رواه جابر عنه، وبدليل قوله عليه السلام: «من أعطي الدعاء لم يحرم من الإجابة».

وقال عليّ رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إذا أحب الله عبداً صب عليه البلاء صباً وثجه عليه ثجاً، فإذا دعا العبد ربه قال جبريل: أي رب، اقض حاجته، فيقول تعالى: دعه فإني أحب أن أسمع صوته، فإذا دعا يقول تعالى: لبيك عبدي، وعزتي لا تسألني شيئاً إلا أعطيك، ولا تدعوني بشيء إلا أستجيب، فإما أن أعمل لك، وإما أن أدخر لك أفضل منه».

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وإن الله يجيب الدعوات كلها من عبده المؤمن، ولا يخيبه في شيء من دعواته. وكيف يخيب ولا يجيب من إذا لم يسأله عبده يغضب عليه.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال النبي عليه السلام: «إن الله يغضب على من لم يسأله، ولا يفعل ذلك أحد غيره». انتهى. ما في «بحر العلوم».

يقول الفقير: هذا كله مسلم مقبول، فإنه يدل على أن دعاء المؤمن المطيع لربه مستجاب على كل حال، ولكن لا يلزم منه أن يستجاب لكل مؤمن، فإن بعضاً من الذنوب يمنع الاستجابة، ويرد الدعوة كما إذا كان الملبوس والمشروب حراماً، والقلب لاهياً غافلاً، وعلى الداعي مظالم وحقوق للعباد، ونحو ذلك. ويدل على ما ذكرنا ما قال عليه السلام لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حين قال له: يا رسول الله، ادع الله أن يستجيب دعائي. يا سعد اجتنب الحرام، فإن كل بطن دخل فيه لقمة من حرام لا تستجاب دعوته أربعين يوماً، وأيضاً، ما قال عليه السلام: «الرجل يطيل السفر؛ أي: في طريق الحق أشعث أغبر يمد يده إلى السماء قائلاً: يا رب، يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك الرجل دعاؤه».

وأيضاً ما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «وأنت يا عم لو أطعته أطاعك إطاعتي حين قال له عمه أبو طالب: ما أطوعك ربك يا محمد، وغير ذلك، ثم إن الزيادة في الآية مفسرة بالشفاعة لمن وجبت له النار، وبالرؤية، فإن الجنان ونعيمها مخلوقة تقع في مقابلة مخلوق مثلها، وهو عمل العبد والرؤية مما يتعلق بالقديم، ولا تقع إلا في مقابلة القديم، وهو الفضل الرباني.

وفي «كشف الأسرار»: [بنده كه بديدار الله رسد بفضل الله ميرسد نه ازطاعت خود].

وفي الخبر الصحيح: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيكشف الحجاب، فينظرون إليه». أبو بكر الشبلي قدس سره: [وقتى در غلبات وجد وخروش كفت اى بارخدا فردا همه رانابينا انكيز تاجز من تراكس نبيند باز وقتى ديكر كفت بارخدا باشبلي رانا بينا انكيز كه دريغ بودكه جون منى ترابينند وآن سخن اول غيرت بود بر جمال ازديده اغيار وآن سخن ديكر غيرت بود بر جمال ازديده خودو در راه جوانمردان اين قدم ازان قدم تما مترست وعزيز تر]:

از رشك تو بر كنم دل وديده خويش تا اين تونه بيند ونه آن رابيش

[وجون حق تعالى ديدار خود را دوستانرا كرامت كند بتقاضاى جمال خود كندنه بتقاضاى بنده كه بشر محض راهر كز زهرة آن نبودكه با اين تقاضا بيدا آيد]. ﴿**والكافرون لهم عذاب شديد**﴾: بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد.

قال الكاشفي: [مرايشا نراست عذابى سخت كه ذل حجاب ودوام عقابست وهيج عقاب بدترا زمذلت حجاب نيست]:

زهيج رنج ثو مطلق دلم نتابد روى جزآنكه بند كنى در حجاب حرمانش

وفي «التأويلات النجمية»: لما ذكر أنه تعالى يقبل توبة التائبين، ومن لم يتب يغفر زلتهم والمطيعون يدخلهم الجنة، فلعله يخطر ببال أحدهم، أن هذه النار لمن هي؟. قال الله تعالى: ﴿**والكافرون لهم عذاب شديد**﴾، فلعله خطر ببالهم أن العصاة من المؤمنين لا عذاب لهم. فقال: والكافرون لهم عذاب شديد، فدليل الخطاب: أن المؤمنين لهم عذاب، ولكن ليس بشديد، ثم إن العبد لو لم يتب خوفاً من النار، ولا طمعاً في الجنة، لكان من حقه أن يتوب ليقبل الحق سبحانه توبته، ثم إن العاصي أبداً منكسر القلب، فإذا علم أن الله يقبل الطاعة من المطيعين يتمنى أن له طاعة ميسرة ليقبلها الله، فيقول الحق: عبدي إن لم يكن لك طاعة تصلح

للقبول، فلك توبة إن أتيت بها تصلح لقبولها.

﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ولو بسط الله الرزق لعباده﴾، لو وسعه عليهم. ﴿لبغوا في الأرض﴾ لطغوا في الأرض وعصوا، فمن العصمة أن لا تجد، أو لظلم بعضهم على بعض؛ لأن الغنى مبطرة مأشرة؛ أي: داع إلى البطر، والأشر، أو البغي بمعنى الكبر، فيكون كناية عن الفساد.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بغيهم في الأرض طلبهم منزلة بعد منزلة ومركباً بعد مركب وملبساً بعد ملبس.

وقال بعضهم: لو أن الله تعالى رزق العباد من غير كسب لتفرغوا للفساد في الأرض، ولكن شغلهم بالكسب حتى لا يتفرغوا للفساد ونعم ما قيل:

إن الشباب والفراغ والجده   مفسدة للمرء أي مفسده

أي: داعية إلى الفساد ومعنى الفراغ عدم الشغل ولزوم البغي على بسط الرزق على الغالب، وإلا فقد يكون الفقير مستكبراً وظالماً، يعني أن البغي مع الفقر أقل؛ لأن الفقر مؤدٍ إلى الانكسار والتواضع غالباً، ومع الغنى أكثر وأغلب؛ لأن الغنى مؤدٍ إلى البغي غالباً، فلو عم البسط كل واحد من العباد لغلب البغي، وانقلب الأمر إلى عكس ما عليه الآن.

قال الكاشفي: [واين در غالبست جه ذى النورين رضي الله عنه مالدارترين مردم بودند وهركز ازايشان بغى وطغيان ظاهر نشد وكفته اندمال دنيا بمثال بارانست كه برتمام زمين بارد واز هرقطعه ازان كياه ديكر رويد]:

باران كه در لطافت طبعش خلاف نيست   درباغ لا له رويد ودرشوره بوم خس

[وجون اغلب طباع خلق بجانب هوى وهوس مائلست وبرورش صفات سبعى وبهيمى وبرايشان غالب ومال دنيا درين ابواب قوى ترين اسبابست بس اكر حق سبحانه وتعالى روزى بر خلق فراخ كرداند اكثر باغى وطاغى كردند]. وكفى بحال فرعون وهامان وقارون ونحوهم عبرة. قال عليه السلام: «إن أخوف ما أخاف على أمتي زهرة الدنيا وكثرتها». قال الصائب:

نفس رابد خوبناز ونعمت دنيا مكن   آب ونان وسير كاهل ميكند مزدور را

﴿ولكن ينزل بقدر﴾ أي: بتقدير. يعني: [باندازه]، كما في «كشف الأسرار». وقال الكاشفي: [بتقدير أزلى].

وفي «القاموس»: قدر الرزق: قسمه، والقدر قياس الشيء بالشيء. وفي «بحر العلوم»: يقال: قدره قدراً وقدراً. وقوله عليه السلام: «فإن غمّ عليكم، فاقدروا» بكسر الدال والضم خطأ. رواية: أي: فقدروا عدد الشهر حتى تكملوه ثلاثين يوماً. ﴿ما يشاء﴾: أن ينزله مما تقتضيه مشيئته، وهو مفعول ينزل. ﴿إنه بعباده خبير بصير﴾: محيط بخفايا أمورهم وجلاياها، فيقدر لكل واحد منهم في كل وقت من أوقاتهم ما يليق بشأنهم، فيفقر ويغني ويمنع ويعطي، ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية، ولو أغناهم جميعاً لبغوا، ولو أفقرهم لهلكوا.

روى أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي عليه السلام، عن جبرائيل، عن الله تعالى أنه قال: «من أهان لي ولياً بارزني بالمحاربة، وإني لأسرع شيء إلى نصرة أوليائي، وإني

لأغضب لهم كما يغضب الليث الجريء، وما تقرب إلي عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه، وما زال عبدي المؤمن يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً مؤيداً، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته، وما ترددت في شيء أنا فاعله، ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه، وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة، فأكفه عنه لئلا يدخله عجب، فيفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده، ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم، ولو أصححته لأفسده ذلك، إني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم، إني بعبادي خبير بصير.

وكان يقول أنس رضي الله عنه: اللهم إني من عبادك المؤمنين الذين لا يصلحهم إلاالغنى، فلا تفقرني برحمتك.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى قلب الفقير؛ كأنه إنما لم أبسط أيها الفقير، عليك الدنيا لما كان لي من المعلوم، إني لو وسعت عليك لطغوت، وسعيت في الأرض بالفساد. ويشير أيضاً إلى وعيد الحريص على الدنيا لينتبه من نوم الغفلة، ويتحقق له أن لو بسط الله له الرزق بحسب الطلب لكان سبب بغيه وطغيانه، وفساد حاله ولتسكن نائرة حرصه على الدنيا، ثم قال بطريق الاستدراك إن لم أوسع عليك الرزق لصلاح حالك لم أمنع عنك الكل، ولكن ينزل بقدر ما يشاء لعلمه بصلاح ذلك، وهو قوله: ﴿إنه بعباده خبير بصير﴾.

روي: أن أهل الصفة رضي الله عنهم تمنوا الغنى، فنزلت: [يعني أصحاب صفه كه بفقر فاقه ميكذرانيد ند روزى در خاطر ايشان كذشت كه جه باشدكه ماتوا نكر شويم ومال خود بفلان وفلان جيز صرف كنيم اين آيت آمد]. قال خباب بن الأرت رضي الله عنه فينا نزلت هذه الآية، وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع، فتمنيناها، فأنزل الله تعالى الآية.

قال سعدي المفتي: وفيه أن الآية حينئذٍ مدنية، فكان ينبغي أن يستثني. وقيل: نزلت في العرب. كانوا إذا أخصبوا تحاربوا وإذا أجدبوا؛ أي: أصابهم الجدب والقحط انتجعوا؛ أي: طلبوا الماء والكلأ وتضرعوا وفي ذلك يقول الشاعر:

قوم إذا نبت الربيع بأرضهم نبتت عداوتهم مع البقل

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿وهو الذي ينزل الغيث﴾؛ أي: المطر الذي يغيث الناس من الجدب، ولذلك خص بالنافع منه، فإن المطر قد يضر، وقد لا يكون في وقته.

قال الراغب: الغيث: يقال في المطر والغوث في النصرة. ﴿من بعد ما قنطوا﴾؛ أي: يئسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه أيضاً، لتذكير كمال النعمة، فإن حصول النعمة بعد اليأس والبلية أوجب لكمال الفرح، فيكون أدعى إلى الشكر. ﴿وينشر﴾: [وبراكنده كند]. ﴿رحمته﴾؛ أي: بركات الغيث ومنافعه في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان.

وفي «فتح الرحمٰن»: ﴿وينشر رحمته﴾، وهي الشمس، وذلك تعديد نعمة غير الأولى، وذلك أن المطر إذا جاء بعد القنوط حسن موقعه، فإذا دام سئم وتجيء الشمس بعده عظيمة الوقع. ﴿وهو الولي﴾: المالك السيد الذي يتولى عباده بالإحسان ونشر الرحمة.

قال الكاشفي: [واوست دوست مؤمنان وسازنده كار ايشان بفرستادن باران ونشر رحمت واحسان]:

تواز فشاندن تخم اميد دست مدار   كه در كرم نكند ابر نوبهار امساك

﴿الحميد﴾: المستحق للحمد على ذلك وغيره لا غيره.

وقال بعضهم: وهو الولي؛ أي: مولى المطر ومتصرفه يرسله مرة بعد مرة الحميد؛ أي: الأهل لأنه يحمد على صنعه إذ لا قبح فيه؛ لأنه بالحكمة ودل الغيث على الاحتياج وعند الاحتياج تتقوى العزيمة، والله تعالى يجيب دعوة المضطر. وقيل لعمر رضي الله عنه اشتد القحط وقنط الناس، فقال: مطروا إذن وأراد هذه الآية. وفي المثنوي:

تا فرود آيد بلاى دافعى   جون نباشد از تضرع شافعى

تا سقاهم ربهم آيد خطاب   تشنه باش الله أعلم بالصواب

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن تحت العرش بحراً ينزل منه أرزاق الحيوانات يوحي الله إليه، فيمطر ما شاء من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى سماء الدنيا، ويوحي إلى السماء أن غربليه فتغربله، فليس من قطرة تقطر إلا ومعها ملك يضعها موضعها، ولا ينزل من السماء قطرة إلا بكيل معلوم، ووزن معلوم إلا ما كان من يوم الطوفان من ماء، فإنه نزل بغير كيل ووزن.

وروي: أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام؛ لأنه لا يختلف فيه البلاد، وفي الحديث: «ما من سنة بأمطر من أخرى، ولكن إذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم، فإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار».

وفي الحديث القدسي: «لو أن عبادي أطاعوني سقيتهم المطر بالليل، وأطلعت الشمس عليهم بالنهار، وما أسمعتهم صوت الرعد».

قال سفيان رحمه الله: ليس الخائف من عصر عينيه، وبكى إنما الخائف من ترك الأمر الذي يخاف منه. وروي مرفوعاً: «ما من ساعة من ليل ولا نهار إلا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء». وفيه إشارة إلى دوام فيضه تعالى ظاهراً وباطناً، وإلا لانتقل الوجود إلى العدم.

وفي الآية إشارة إلى أن العبد إذا ذبل غصن وقته وتكدر صفو ورده وكسف شمس أنسه وبعد بالحضرة وساحات القرب عهده، فربما ينظر الحق بنظر رحمته، فينزل على سره أمطار الرحمة ويعود عوده طرياً، وينبت من مشاهد أنسه ورداً جنياً.

وفي «عرائس البيان»: يكشف الله لهم أنوار جماله بعد أن أيسوا من وجدانهم في مقام القبض، وينشر عليهم لطائف بسط القرب؛ لأن وليهم وحبيبهم محمود بلسان افتقارهم.

قال ابن عطاء: إن الله تعالى يربي عباده بين طمع ويأس، فإذا طمعوا فيه أيأسهم بصفاتهم، وإذا أيسوا أطمعهم بصفاته، وإذا غلب على العبد القنوط، وعلم العبد ذلك وأشفق منه أتاه من الله الفرج، ألا تراه يقول: وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا معناه: ينزل

غيث رحمته على قلوب أوليائه، فينبت فيها التوبة والإنابة والمراقبة والرعاية: [ابر جود باران وجود ريزد سحاب افضال دراقبال فشاندكل وصال درباغ نوال شكفته كردد آخر كار باول كار بازشود].

يقول الفقير: لا شك أن القبض والبسط يتعاقبان، وإن الإنسان لا يضحك دائماً، ولا يبكي دائماً، ومن أعاجيب ما وقع لي في هذا الباب هو أنه أغار العرب على الحجاج في طريق الشام في سنة الألفات الأربعة، وكنت إذ ذاك معهم فتجردت باختياري عن جميع ما معي غير القميص والسراويل، ومشيت على وجهي، فقيل لي: في باطني على يمينك، فأخذت اليمين حتى لم يبق لي طاقة على المشي من الجوع والعطش، فوقعت على الرمل فأيست من الحياة وليس معي أحد إلا الله، فقيل لي: في سمعي قول الشاعر:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

ثم إن الله تعالى فرج عني بعد ساعات بما يطول بيانه، بل يجب خفاؤه، وهو الولي الحميد.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ومن آياته﴾، أي: دلائل قدرته تعالى: ﴿خلق السماوات والأرض﴾ على ما هما من تعاجيب الصنائع فإنها بذاتها أو صفاتها تدل على شؤونه العظيمة. قال في «الحواشي السعدية» قوله: فإنها إشارة إلى ما تقرر في الكلام من المسالك الأربعة في الاستدلال على وجود الصانع تعالى حدوث الجواهر وإمكانها، وحدوث الأعراض القائمة بها، وإمكانها أيضاً.

وفيه إشارة إلى أن خلق السماوات من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: السماوات المخلوقة. انتهى.

﴿وما بث فيهما﴾ عطف على السماوات أو الخلق. ومعنى بث فريق يعني: [براكنده كرده].

وقال الراغب: أصل البث إثارة الشيء وتفريقه كبث الريح التراب وبث النفس ما انطوت عليه من الغم والسرور. وقوله: وبث إشارة إلى إيجاده تعالى ما لم يكن موجوداً وإظهاره إياه.

﴿من دابة﴾ حي على إطلاق اسم المسبب على السبب، أي: الدبيب مجازاً أريد به سببه، وهوالحياة فتكون الدابة بمعنى الحي، فتتناول الملائكة أيضاً، لأن الملائكة ذوو حركة طيارون في السماء، وإن كانوا لا يمشون على الأرض ويجوز أن يكون المعنى مما ندب على الأرض، فإن ما يختص بأحد الشيئين المجاورين يصبح نسبه إليهما. يعني: ما يكون في أحد الشيئين يصدق أنه فيهما في الجملة، كما في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن: ٢٢]، إنما يخرج من الملح. وقد جوز أن يكون للملائكة مشي مع الطيران، فيوصفون بالدبيب، وأن يخلق الله في السماء حيوانات يمشون فيها مشي الأناسي على الأرض كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل: ٨]. وقد روي عن النبي عليه السلام قال: «فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض، ثم فوقه العرش العظيم».

يقول الفقير: إن للملائكة أحوالاً شتى وصوراً مختلفة لا يقتضي موطنهم الحصر في

شيء من المشي والطيران، فطيرانهم إشارة إلى قوتهم في قطع المسافة، وإن كان ذلك لا ينافي أن يكون لهم أجنحة ظاهرة، فلهم أجنحة يطيرون بها، ولهم أرجل يمشون بها، والله أعلم.

﴿وهو﴾ تعالى ﴿على جمعهم﴾، أي: حشر الأجسام بعد البعث للمحاسبة. ﴿إذا يشاء﴾ في أي وقت يشاء ﴿قدير﴾ متمكن منه.

[يعني تواناست ومتمكن ازان وغير عاجز دران]. قوله: هو مبتدأ وقدير خبره وعلى جمعهم متعلق بقدير وإذا منصوب بجمعهم لا بقدير لفساد المعنى، فإن المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته، وإذا عند كونها بمعنى الوقت، كما تدخل على الماضي تدخل على المضارع. قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ [الليل: ١].

وفي الآية إشارة إلى سماوات الأرواح وأرض الأجساد. وما بث فيهما من دابة النفوس والقلوب، فلا مناسبة بين كل واحد منهم، فإن بين الأرواح والأجساد بوناً بعيداً، لأن الجسد من أسفل سافلين، والروح من أعلى عليين، والنفس تميل إلى الشهوات الحيوانية الدنيوية، والقلب يميل إلى الشواهد الروحانية الأخروية الربانية، وهو على جمعهم على طلب الدنيا وزينتها، وعلى طلب الآخرة ودرجاتها، وعلى طلب الحضرة وقرباتها إذا يشاء قدير. والحشر على أنواع: عام، وهو خروج الأجساد من القبور إلى المحشر يوم النشور. وخاص، وهو خروج الأرواح الأخروية من قبور الأجسام الدنيوية بالسير والسلوك في حال حياتهم إلى عالم الروحانية، يحرق الحجب الظلمانية وأخص. وهو خروج الأسرار من القبور الروحانية إلى عالم الهوية بقطع الحجب النورانية. فعند ذلك يرجع الإنسان إلى أصله رجوعاً اختيارياً مرضياً ليس فيه شائبة غضب أصلاً، ونعم الرجوع والقدوم، وهو قدوم الحبيب على الحبيب والخلوة معه.

خلوت كزيده را بتماشا جه حاجتست جون روى دوست هست بصحراجه حاجتست

ولا يمكن الخروج من النفس إلا بالله. وكان السلف يجهدون في إصلاح نفوسهم وكسر مقتضاهم وقمع هواها.

(حكي) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر وعلى ظهره قربة ماء، فقيل له: في ذلك فقال: ليس لي حاجة إلى الماء، وإنما أردت به كسر نفسي لما حصل لها من إطاعة ملوك الأطراف، ومجيء الوفود فكما أنه لا بعث إلى المحشر إلا بعد فناء ظاهر الوجود، فكذا لا حشر إلى الله إلا بعد فناء باطنه. نسأل الله سبحانه أن يوصلنا إلى جنابه.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ۝٣١﴾

﴿وما أصابكم﴾ [وهرجه شمارا رسدا اى مؤمنان]. فما شرطية. وقال بعضهم: موصول مبتدأ دخلت الفاء في خبره لتضمنه معنى الشرط، أي: الذي وصل إليكم أيها الناس. ﴿من مصيبة﴾، أي: مصيبة كانت من الآلام والأسقام والقحط والخوف، حتى خدش العود وعثرة القدم، واختلاج العرق وغير ذلك من البدن أو في المال أو في الأهل والعيال، ويدخل فيها الحدود على المعاصي، كما أنه يدخل في قوله: ﴿ويعفو عن كثير﴾ ما لم يجعل له حد.

﴿فبما كسبت أيديكم﴾ أي فهو بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها، فإن ذكر الأيدي لكون أكثر الأعمال مما يزاول بها، فكل نكد لاحق إنما هو بسبب ذنب سابق أقله التقصير. وفي المثنوي:

هرجه برتو آيد از ظلمات غم آن ربى باكى وكستاخيست هم

وفي الحديث: «لا يرد القدر إلا بالدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر، وأن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه قوله لا يرد» إلخ. لأن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لدفع البلاء وجلب الرحمة كما أن الترس سبب لدفع السلاح والماء سبب لخروج النباتات من الأرض. قال الضحاك: ما تعلم رجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب، وأي معصية أقبح من نسيان القرآن. وتلا الآية: ﴿ويعفو عن كثير﴾ من الذنوب، فلا يعاقب عليها، ولولا عفوه وتجاوزه ما ترك على ظهرها من دابة.

وفي الآية تسلية لقلوب العباد وأهل المصائب يعني: إن أصابتكم مصيبة الذنوب والمعاصي الموجبة للعفو الأخروية الأبدية تداركناها بإصابة المصيبة الدنيوية الفانية لتكون جزاء لما صدر منكم من سوء الأدب، وتطهير لما تلوثتم به من المعاصي، ثم إذا كثرت الأسباب من البلايا على عبد وتوالى عليه ذلك فليفكر في أفعاله المذمومة لم حصلت منه، حتى يبلغ جزاء ما يفعله مع عفو الكثير هذا المبلغ، فعند هذا يزداد حزنه وأسفه وخجلته لعلمه بكثرة ذنوبه وعصياته. وغاية كرم ربه وعفوه وغفرانه. قيل لأبي سليمان الداراني قدس سره: ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم. قال: لأنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم. وقرأ هذه الآية: ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾ فائتين ما قضى عليكم من المصائب وإن هربتم من أقطار الأرض كل مهرب، يعني: إذا أراد الله ابتلاءكم وعقوبتكم، فلا تفوتونه حيثما كنتم، ولا تسبقونه، ولا تقدرون أن تمنعوه من تعذيبكم. وبالفارسية: [ونيستيد عاجز كنندكان خدا يرا از انفاذ امريا از عذاب كردن مستحق].

قال أهل اللغة: أعجزته؛ أي: صيرته عاجزاً. وأعجزته فيه سبقته قال في تفسير «المناسبات» لما كان من يعاقب بما دون الموت ربما ظن أنه عاجز، قال: وما أنتم؛ أي: أجمعون العرب وغيرهم بمعجزين في الأرض لو أريد محقكم بالكلية ولا في شيء أراده منكم كائناً ما كان. ﴿وما لكم﴾؛ أي: عند الاجتماع، فكيف عند الانفراد. ﴿من دون الله﴾: المحيط بكل شيء عظمة وكبراً وعزة. ﴿من ولي﴾: يكون متولياً لشيء من أموركم بالاستقلال يحميكم من المصائب. ﴿ولا نصير﴾: يدفعها عنكم.

وهذه الآية الكريمة داعية لكل أحد إلى المبادرة عند وقوع المعصية إلى محاسبة النفس ليعرف من أين أتى، فيبادر إلى التوبة عنه لينقذ نفسه من الهلكة، وفائدة ذلك، وإن كان الكل بخلقه وإرادته إظهار الخضوع والتذلل واستشعار الحاجة والافتقار إلى الله الواحد القهار، ولولا ورود الشريعة لم يوجد سبيل إلى هذه الكمالات البديعة، ومثل هذه التنبيهات تستخرج من العبد ما أودع في طبيعته، وركز في غريزته كغرس وزرع سيق إليه ماء وشمس لاستخراج ما في طبيعته من المعلومات الإلهية والحكم العلية.

قال الإمام الواحدي رحمه الله: هذه الآية أرجى آية في كتاب الله؛ لأن الله جعل ذنب المؤمن صنفين صنفاً كفر عنه بالمصائب وصنفاً عفا عنه في الدنيا، وهو كريم، ولا يرجع في الآخرة في عفوه، فهذه سنة الله مع المؤمنين، وأما الكافر، فلا يعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة.

قال بعضهم: إذا كسب العبد شيئاً من الجرائم، فهو من أسباب القهر، ويكون محجوباً

به. فإذا كان أهلاً لله تعالى يعاقبه الله في الدنيا ببعض المصائب ويخرجه من ذلك الحجاب، وإلا فيمهله في ضلالته، والآية مخصوصة بالمجرمين، فإن ما أصاب غيرهم من الأنبياء وكمل الأولياء والأطفال والمجانين، فلأسباب أخر لا بما كسبت أيديهم؛ لأنهم معصومون محفوظون. منها التعريض للأجر العظيم بالصبر عليه.

قال بعضهم: شوهد منه عليه السلام كرب عند الموت ليحصل لمن شاهده من أهله، ومن غيرهم من المسلمين الثواب لما يلحقهم عليه من المشقة، كما قيل: بمثل ذلك في حكمة ما يشاهد من حال الأطفال من الكرب الشديد.

وفي «نوادر الأصول» للحكيم الترمذي قدس سره: البلاء على ثلاثة أضرب:

منها: تعجيل عقوبة للعبد كمثل ما نزل بيوسف عليه السلام من لبثه في السجن بالهم الذي هم به، ومن لبثه بعد مضي المدة في السجن بقوله: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢].

ومنها: امتحانه ليبرز ما في ضميره، فيظهر لخلقه درجته أين هو من ربه كمثل ما نزل بأيوب عليه السلام. قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

ومنها: كرامته ليزداد عنده قربة وكرامة كمثل ما نزل بيحيى بن زكريا عليهما السلام، ولم يعمل خطيئة قط، ولم يهم بها، فذبح ذبحاً، وأهدى رأسه إلى بغي من بغايا بني إسرائيل. وقد سأل النبي عليه السلام العافية من كل ذلك حيث قال: «واسأل الله العافية من كل بلية» والعافية أن يكون في كل وجه من هذه الوجوه، إذا حل به شيء من ذلك أن لا يكله إلى نفسه ولا يخذله؛ أي: يكلؤه ويرعاه في كل من هذه الوجوه هذا وجه، والوجه الآخر أن يسأله أن يعافيه من كل شيء فيه شدة، فإن الشدة إنما يحل أكثرها من أجل الذنوب، فكأنه يسأل أن يعافيه من البلاء، ويعفو عنه الذنوب التي من أجلها تحل الشدة بالنفس، فقد قال عز وجل: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١]، فعلى العاقل أن يسأل العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، فإذا ابتلي بشيء من البلايا صبر عليه ليكون مأجوراً ومكفراً عنه ذنوبه ومصححاً له حاله ومصفى باله ونعم ما قيل:

نرى الناس دهناً في القوارير صافيا ... ولم تدر ما يجري على رأس سمسم

وقال الحافظ:

شكر كمال حلاوت بس از رياضت يافت ... نخست درشكن تنك ازان مكان كيرد

وما قال:

كويند سنك لعل شود در مقام صبر ... آرى شود وليك بخون جكر شود

نسأل الله العافية.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿ومن آياته﴾: دلائل وحدته تعالى وقدرته وعظمته وحكمته. ﴿الجوار﴾: السفن الجارية، وهي بالياء في الأصل حذفت للكسر الدال عليها. ﴿في البحر﴾: [در دريا].

﴿كالأعلام﴾ جمع علم بفتحتين بمعنى الجبل، وكل مرتفع علم؛ أي: كالجبال على الإطلاق لا التي عليها النار للاهتداء خاصة. وبالفارسية: [مانند كوها در عظمت]. فقوله: جوار جمع جارية، بمعنى سائرة صفة للسفن المقدرة.

وفي البحر: متعلق بالجوار، وحال منه إن كانت الجارية جامدة اسماً للسفينة بالغلبة سميت بها لجريها وكالأعلام حال منه على التقديرين.

﴿إن يشأ﴾؛ أي: الله تعالى، وهو شرط جوابه. قوله: ﴿يسكن الريح﴾ التي تجريها يعني ساكن: [كرداندبادى راكه سبب رفتن كشتى است]. ﴿فيظللن رواكد على ظهره﴾ عطف على قوله: يسكن وظل بمعنى صار وركدت السفينة إذا سكنت وثبتت؛ أي: فيصرن تلكن السفن ثوابت بعدما كانت جواري برياح طيبة. وحاصل المعنى فيبقين ثوابت على ظهر البحر غير جاريات لا غير متحركات أصلاً.

[وجون آن كشتيها ساكن شوند بسبب سكون باد اهل كشتى در كرداب اضطراب افتد].

﴿إن في ذلك﴾ الذي ذكر من السفن اللاتي يجرين تارة ويركدن تارة أخرى على حسب مشيئة الله تعالى. ﴿لآيات﴾ عظيمة في أنفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شؤونه. ﴿لكل صبار﴾ بليغ الصبر على احتمال البلايا في طاعة الله تعالى. ﴿شكور﴾ بليغ الشكر له على نعمائه باستعمال كل عضو من الأعضاء فيما خلق له.

وقال الكاشفي: [مر هر صبر كننده رادر كشتى سباس درانده برقت خروج از كشتى]. ويجوز أن يكون مجموع صبار شكور كناية عن الآتي بجميع ما كلف به من الأفعال والتروك. فالمعنى: لكل مؤمن كامل في خصائل الإيمان وثمراتها ترجع كلها إلى الصبر والشكر، فإن الإيمان نصفه صبر عن المعاصي ونصفه شكر، وهو الإتيان بالواجبات.

﴿أو يوبقهن بما كسبوا﴾ عطف على يسكن يقال: أوبقه: أهلكه كما في «القاموس»، والإيباق بالفارسية: [هلاك كردن]، كما في «تاج المصادر».

والمعنى: إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يرسلها، فتغرق بعضها؛ أي: السفن بعدله وإيقاع الإيباق عليهن مع أنه حال أهلهن للمبالغة والتهويل. يعني: أن المراد إهلاك أهلها بسبب ما كسبوا من الذنوب موجبات الهلاك على إضمار المضاف، أو التجوز بعلاقة الحلول.

قال سعدي المفتي: والظاهر أنه لا منع من إبقاء الكلام على حقيقته، فالآية مثل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. إلخ.

أي: يوبق سفائنهم بشؤم ما كسبوا. ﴿ويعف عن كثير﴾، فلا يوبق أموالهم. انتهى.

وإجراء حكمه على العفو في قوله تعالى: ﴿ويعف عن كثير﴾ لما أن المعنى، أو يرسلها فيوبق ناساً، وينجي آخرين بطريق العفو عنهم.

﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿ويعلم الذين يجادلون في آياتنا﴾ عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم، وليعلم الذين يكذبون ويسعون في دفعه وإبطاله وقرىء بالرفع على الاستئناف عطفاً على الشرطية وبالجزم عطفاً على يعف، فيكون المعنى: وإن يشأ يجمع بين إهلاك قوم وإنجاء قوم، وتحذير قوم.

﴿ما لهم من محيص﴾؛ أي: من مهرب من العذاب، والجملة معلق عنها الفعل فكما لا مخلص لهم إذا وقفت السفن، أو عصفت الرياح، كذا لا مهرب لهم من عذابه بعد البعث، فلا بد من الاعتراف بأن الضار والنافع ليس إلا الله، وإن كل أمر عرض، فإنما هو بتأثيره.

وفي الآيات إشارات منها: أن الله تعالى حثهم على الفكرة المنبهة لهم في السفن التي تجري في البحار، فيرسل الله الرياح تارة ويسكنها أخرى، وما يريهم من السلامة والهلاك. والإشارة في هذا إلى إمساك الناس في خلال فتن الوقت عن الأنواع المختلفة، ثم حفظ العبد في إيواء السلامة، وذلك يوجب خلوص الشكر الموجب له جزيل المزيد.

ومنها: كما أن السفن تجري في البحر بالريح الطيبة، فتصل إلى الساحل كذلك بعض الهمم تجري في الدنيا بريح العناية، فتصل إلى الحضرة، وكما أن لبعض السفن وقفة لانقطاع الريح، فكذا لبعض الهمم بانقطاع الفيض، وكما أن بعضها تهلك، فكذا بعض النفوس في بحر الدنيا نعوذ بالله تعالى.

ومنها: أن الريح لا تتحرك بنفسها، بل لها محرك إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا محرك له، وهو الله تعالى، فلا يجوز الاعتماد على الريح في استواء السفينة وسيرها، وإلا فقد جاء الشرك في توحيد الأفعال، والجهل بحقائق الأمور.

ومنها: أن الصابر من صبره الله والشكور من شكره الله، فإن الصبر الحقيقي والشكر الحقيقي لا يكون إلا لمن كان صبره بالله وشكره بالله، فإنه تعالى هو الصبور الشكور.

ومنها: أن علم الله قديم ليس بحادث وأما علم الخلق، فحادث متأخر، ولذلك قال: ويعلم إلخ. فالعاقل يرى عاقبة الأمر فيحذر كما قيل (ع): [درانتهاى كر خوداز ابتدا ببين].

﴿فما أوتيتم﴾: [بس آنجه داده شده آيد]. ﴿من شيء﴾ مما ترغبون أيها الناس وتتنافسون فيه من مال ومعاش وأولاد. ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾؛ أي: فهو متاعها ومنفعتها وتتمتعون وتنتفعون به مدة حياتكم القليلة فيزول ويفنى، فما موصولة متضمنة لمعنى الشرط من حيث إن إيتاء ما أوتوا سبب للتمتع به في الحياة الدنيا، ولذا دخلت الفاء في جوابها. وقدر المبتدأ؛ لأن الجواب لا يكون إلا جملة، يعني أن سببيته مقصود فيها الإعلام لتضمنها الترغيب في الشكر بخلاف الثانية، وهي قوله تعالى: ﴿وما عند الله﴾ إلخ. فإن المقصود فيها بيان حال أن ما عند الله سبب للخيرية والدوام وقد يقال: إن ما شرطية على أنها مفعول ثان لأوتيتم بمعنى أعطيتم، والأول، وهو ضمير المخاطبين قائم مقام الفاعل. ومن شيء بيان لها لما فيها من الإبهام. ﴿وما عند الله﴾ من ثواب الآخرة أشير إليه آنفاً. ﴿خير﴾: ذاتاً لخلوص نفعه وهو خبر ما. ﴿وأبقى﴾: زمان حيث لا يزول ولا يفنى بخلاف ما في أيدي الناس.

وفيه إشارة إلى أن الرحات في الدنيا لا تصفو، ومن الشوائب لا تخلو، وإن اتفق لبعضهم: منها في الأحايين، فإنها سريعة الزوال، وشيكة الارتحال، وما عند الله من الثواب الموعود خير وأبقى من هذا القليل الموجود، بل ما عند الله من الألطاف الخفية والمقامات العلية، والمواهب السنية خير وأبقى مما في الدنيا والآخرة. ﴿للذين آمنوا﴾: أخلصوا في الإيمان، وهو متعلق بأبقى.

وفي «الحواشي السعدية» الظاهر أن اللام للبيان؛ أي: للبيان من له هذه النعمة، وقد بينه أبو الليث في «تفسيره» بقوله: ثم بين لمن يكون ذلك الثواب، فقال للذين آمنوا. ﴿وعلى ربهم

يتوكلون﴾ لا على غيره تعالى؛ أي: خصوا ربهم بالتوكل عليه فيما يعرض لهم من الأمور لا يسندون أمراً إلا إليه، ولا يعتمدون إلا عليه وعن علي رضي الله عنه أنه تصدق أبو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جميع المسلمين، فنزلت:

مستغرق كار خود جنانم كه دكر بروای ملا متكربی كارم نيست

بيّن أن ثواب الآخرة مع كونه خيراً مما في الدنيا وأبقى يحصل لمن اتصف بصفات وجمع بينهما، وهو الإيمان والتوكل، وما ذكر بعدهما، فالمؤمن والكافر يستويان في أن الدنيا متاع لهما يتمتعان بها كما قال في «البستان»:

اديم زمين سفرة عام اوست برين خوان يغماجه دشمن جه دوست

وإذا صار إلى الآخرة كان ما عند الله خيراً للمؤمن، فمن عرف فناء متاع الدنيا، وتيقن أن ما عند الله خير وأبقى. ترك الدنيا واختار العقبى، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

حكي: أنه كان لهارون الرشيد ابن في سن ست عشرة، فزهد في الدنيا وتجرد واختار العبادة، فمر يوماً على الرشيد، وحوله وزراؤه، فقالوا: لقد فضح هذا الولد أمير المؤمنين بين الملوك بهذه الهيئة الدنية فدعاه هارون الرشيد. وقال: يا بني فضحتني بحالك هذه، فلم يجبه الولد، ثم التفت فرأى طائراً على حائط، فقال: أيها الطائر بحق خالقك إلا جئت على يدي، فقعد الطائر على يده، ثم قال: ارجع إلى مكانك، فرجع، ثم دعاه إلى يد أمير المؤمنين، فلم يأت، فقال لأبيه، بل أنت فضحتني بين الأولياء بحبك للدنيا، وقد عزمت على مفارقتك. ثم خرج من بلده، ولم يأخذ إلا خاتماً ومصحفاً ودخل البصرة، وكان يعمل يوم السبت عمل الطين، ولا يأخذ إلا درهماً ودانقاً للقوت.

قال أبو عامر الواعظ البصري رحمه الله: استأجرته يوماً، فعمل عمل عشرة، وكان يأخذ كفاً من الطين ويضعه على الحائط ويركب الحجارة بعضها على بعض، فقلت: هذه أفعال الأولياء، فإنهم معانون، ثم طلبته يوماً فوجدته مريضاً في خربة، فقال:

يا صاحبي لا تغترر بتنعم فالعمر ينفذ والنعيم يزول
وإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول

ثم وصاني بالغسل والتكفين في جبته، فقلت: يا حبيبي ولم لا أكفنك في الجديد، فقال: الحي أحوج إلى الجديد من الميت يا أبا عامر: الثياب تبلى والأعمال تبقى، ثم قال: ادفع هذا المصحف والخاتم إلى الرشيد، وقل له: يقول لك ولدك الغريب لا تدومن على غفلتك.

قال أبو عامر: فلما غسلته وكفنته بما أوصى ودفنته. دفعت المصحف والخاتم إلى الرشيد وحكيت ما جرى، فبكى وقال: فيم استعملت قرة عيني وقطعة كبدي؟. قلت: في الطين والحجارة. قال: استعملته في ذلك، وله اتصال برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت: ما عرفته، قال: ثم أنت غسلته، قلت: نعم، فقبل يدي وجعلها على صدره، ثم زار قبره، ثم رأيته في المنام على سرير عظيم في قبة عظيمة، فسألته عن حاله، فقال: صرت إلى رب راض أعطاني ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وآلى على نفسه الشريفة؛ أي: قال: والله الذي خلقني لا يخرج عبد من الدنيا كخروجي إلا أكرمه مثل كرامتي.

قال بعضهم: ما ظهر من أفعالك وطاعتك لا يساوي أقل نعمة من نعيم الدنيا من سمع

وبصر، وكيف ترجو بها نجاة الآخرة، فالنعيم كله بالفضل لا بالاستحقاق. ودخل ابن السماك على بعض الخلفاء، وفي يده كوز ماء، وهو يشربه، فقال: عظني، فقال: لو لم تعد هذه الشربة إلا ببذل جميع أموالك وإلا بقيت عطشاناً فهل كنت تعطيه قال: نعم فقال: لو لم تعط إلا بملكك كله، فهل كنت تتركه، قال: نعم، فقال: لا تفرح بملك لا يستوي بشربة ماء. يعني: فشربة ماء عند العطش أعظم من ملك الأرض كلها، بل كل نفس كذلك، فلو أخذ لحظة، ثم انقطع الهواء عنه مات، ولو حبس في بيت حمام حار، أو بئر عميق مات، فعلى العبد التوغل في العبادة شكراً لنعم الله تعالى، ومن أفضل الطاعات التوكل، وهو ترك التدبير والانخلاع عن الحول والقوة.

قال الجنيد قدس سره: حقيقة التوكل أن يكون العبد مع الله بعد وجوده كما كان قبل وجوده، وهو مقتضى الحال، كما أن الكسب مقتضى العلم.

روي: أن النوري قدس سره تعبد مع عالم في مسجد، وكان النوري يجمع ما نبذه الناس في آخر النهار، ويغسله ويأكل معه فسأله سائل، فأعطاه، فقال له رفيقه: العالم قد قنعنا من الدنيا بما يطرحه الناس وأنت تنفقه أيها العابد لو كان معك علم، فبعد ساعة جاء طعام من غني فأكلا، ثم قال النوري أيها العالم لو كان معك حال، فانظر حال التوكل واليقين والاتكال على الملك المتعال من خصائص توحيد الأفعال الحاصل بإصلاح الطبيعة في مقام الشريعة:

باك وصافى شوواز جاه طبيعت بدراى   كه صفايى ندهد آب تراب آلوده

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿والذين﴾. الخ. في موضع الجر عطفاً على الذين آمنوا عطف الصفة على الصفة؛ لأن الذات واحدة، والعطف إنما هو بين الصفات. ﴿يجتنبون﴾: الاجتناب: [بايك سوشدن وترك كردن]. ﴿كبائر الإثم﴾: الإثم: الذنب كما في «القاموس».

وقال الراغب: الإثم والآثام اسم للأفعال المبطئة عن الثواب. وقوله تعالى: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩]؛ أي: في تناولهما إبطاء عن الخيرات وتسمية الكذب إثماً، كتسمية الإنسان حيواناً لكونه من جملتهم، والكبيرة ما أوجب الله عليه الحد في الدنيا والعذاب في الآخرة.

وفي «المفردات» الكبيرة متعارفة في كل ذنب تعظم عقوبته. والمعنى: يجتنبون الكبائر من هذا الجنس، فالإضافة بمعنى من ولكون المراد جنس الإثم، لم يقل كبائر الآثام.

قال في «كشف الأسرار»: أضاف الكبائر إلى الإثم، فإن إثم الصغيرة مغفور إذا اجتنب الكبيرة، كما قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١].

قرأ حمزة والكسائي وخلف: كبير الإثم على التوحيد إرادة الجنس. قال الراغب: قوله: ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم﴾. وقوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ قيل: أريد بهما الشرك لقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

قال ابن عباس: كبير الإثم هو الشرك. قال الإمام الرازي: هو عندي ضعيف؛ لأن ذكر الإيمان يغني عنه.

يقول الفقير: لا يغني؛ فإنه بالإيمان يحصل الاجتناب عن مطلق الشرك الشامل للجلي والخفي، بل عن الجلي فقط. وقد أطلق عليه السلام: «الشرك على الرياء حيث قال: اتقوا الشرك الأصغر». فالقول ما قال ترجمان القرآن رضي الله عنه. وقرأ الباقون كبائر الإثم على إرادة جميع المعاصي الموبقة، وهو الشرك بالله؛ أي: الكفر مطلقاً، وإن لم يعبد الصنم، وقتل النفس بغير حق سواء قتل نفسه، أو غيره وقذف المحصنة؛ أي: شتم الحرة المكلفة المسلمة العفيفة التي أحصنها الله عن القبائح والزنا، وهو وطء في قبل المرأة خال عن ملك وشبهة فوطء البهيمة، واللواطة ليس بزنا، والسحر ويقتل الساحر ذكراً كان أو أنثى، إذا كان سعيه بالإفساد والإهلاك في الأرض، وأما إذا كان سعيه بالكفر، فيقتل الذكر وتضرب الأنثى وتحبس، وأكل مال اليتيم إلا بجهة الشرع، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وأما ما أخذه قضاة الزمان حقاً للقسمة، فأصله مشروع إذا لم يعين له من بيت المال حق وكميته مشكلة وعقوق الوالدين المسلمين إذا كان مؤدياً إلى إضاعة الحقوق، وإلا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وأما إذا كانا كافرين قال الله تعالى في حقهما: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت: ٨]، والإلحاد في الحرم؛ أي: الذنب فيه، ولو صغيرة، فالكبيرة فيه كبيرتان. وقيل: الإلحاد فيه منع الناس عن عمارته، ومن عمارته الحج، فالأعراب الذين يقطعون طريق الحجاج في هذه الزمان إن استحلوا ذلك كفروا، وإلا أثموا إثماً كبيراً، وأكل الربا؛ أي: الانتفاع بالربا سواء كان أكلاً أو غيره، وإنما ذكر أكله لكونه معظم منافعه، والسرقة ونصابها عند أبي حنيفة قدر عشرة دراهم عيناً، أو قيمة، وهذا نصاب السرقة في حق القطع، وأما في حق العيب، فأخذ ما دون عشر يعد سرقة أيضاً شرعاً، ويعد عيباً حتى يرد العبد به على بائعه وشرب الخمر، وقطع الطريق خصوصاً إذا كان مع أخذ المال، فإنه فوق السرقة وشهادة الزور واليمين الغموس وسوء الظن بالله وحب الدنيا ولعن الرجل، الدية سواء كان بوسط أو بغيره، ومعنى بوسط أن يسب أبا رجل وأمه، فيسب هو أباه وأمه وأذية الرسول عليه السلام؛ فإنها فوق عقوق الوالدين وسب الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

قال القهستاني: سب أحد من الصحابة ليس بكفر كما في «خزانة المفتين» وغيرها، لكن في «مجموع النوازل» لو قال أحد: من يسب الشيخين، أو يلعنهما رضي الله عنهما، لم يقتص منه؛ فإنه كافر؛ لأن سبهما يصرف إلى سب النبي عليه السلام، وسب الختنين ليس بكفر كما في «الخلاصة»، وهو مشكل؛ لأن سب أهل العلم على وجه الإهانة إذا كان كفراً، فكيف لا يكون سب الختنين كفراً، وسب العالم بالعلوم الدينية على وجه المزاح، فإنه يعزر والإصرار على الصغيرة، فإنه عليه السلام قال: «لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار».

وقد قال الإمام علاء الدين التركستاني الحنفي رحمه الله في «منظومته»: عدد الكبائر سبعون:

فمنها: الغناء، بالكسر والمد، وقد يقصر، وهو رفع الصوت بالأشعار والأبيات على نحو مخصوص. قال الإمام الغزالي رحمه الله في «الإحياء»: واحتجوا على حرمة الغناء بما رواه أبو أمامة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «ما رفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك».

قال بعضهم: المراد به الغناء الذي يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة ومحبة المخلوقين لا ما يحرك الشوق إلى الله، ويرغب في الآخرة.

ومنها: الظلم والغيبة والتجسس والتطفيف في الكيل والوزن والكبر والعجب والحسد وترك الوفاء بالعهد والخيانة في نسوة الجيران وترك الصلاة والصوم والزكاة والحج إذا كان له استطاعة. وفي الطريق أمن ونسيان القرآن، وكتم الشهادة، وقطع الرحم والسعي بين اثنين بالفساد والحلف بغير الله والسجدة لمخلوق، فإنها كعبادة الصنم وترك الجمعة، والجماعة، وأن يقول لمسلم يا كافر ومصادقة الأمير الجائر ونكاح الكف.

وفي الحديث: «ناكح الكف ملعون»، وهو من يعالج ذكره بيده حتى يدفق، كما في «شرح المنار» لابن الملك.

وقال الرهاوي: لم أجده في كتب الحديث، وإنما ذكره المشايخ في كتب الفقه، وفي «حواشي البخاري»: والاستمناء باليد حرام بالكتاب والسنة. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ إلى قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٧]؛ أي: الظالمون المتجاوزون الحلال إلى الحرام.

قال ابن جريج: سألت عطاء عنه. قال: سمعت أن قوماً يحشرون وأيديهم حبالى وأظنهم هؤلاء نعم يباح عند أبي حنيفة وأحمد، إذا خاف على نفسه الفتنة وأراد تسكين الشهوة. وكذلك يباح الاستمناء بيد امرأته وجاريته عند الضرورة.

ومنها: تعييب أحد من الناس والقصاص بغير عدل وترك العدل في القسم وترك الشكر في القسم واللواطة، وإتيان المرأة في الحيض والسرور بالغلاء والخلوة بالأجنبية، وإتيان البهيمة. وقد كان بعض الجهال من الزهاد يفعله تسكيناً للشهوة، ثم علم حرمته وتاب.

وفي «نوادر أبي يوسف» ويطأ بهيمة نفسه تذبح وتحرق إن لم تكن مأكولة، وإن كانت مما يؤكل تذبح ولا تحرق، وإن كانت لغيره تدفع إلى الفاعل على القيمة، وتذبح وتحرق.

وقال بعضهم: تؤكل وفي الأجناس من أصحابنا من قال: تذبح وتحرق على وجه الاستحباب أما بهذا الفعل لا يحرم أكل الحيوان المأكول. كذا في «خزانة الفتاوى».

ومنها: تصديق الكاهن، وهو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب واللعب بالنردشير.

وفي الحديث: «من لعب بالشطرنج والنردشير فكأنما غمس يده في دم الخنزير. الشطرنج معرب [صدرنك ورنك] في الفارسية: الحيلة والنردشير اللعب المعروف بالنرد. قال صاحب «الهداية» يكره اللعب بالنرد والشطرنج، والأربعة عشر، وكل لهو؛ لأنه إن قامر بها فالميسر حرام بالنص، وهو اسم لكل قمار، وإن لم يقامر، فهو عبث.

ومنها: النياحة واستباحتها وإظهار الصلاح وإخفاء الفسق وتعييب الطعام واستماع الملاهي.

وفي الحديث: «استماع صوت الملاهي معصية، والجلوس عليها فسق، والتلذذ بها كفر، وهو على وجه التهديد، ولو أمسك شيئاً من المعازف كالطنبور والمزمار ونحوهما يأثم، وإن كان لا يستعملهما؛ لأن إمساكهما يكون للهو عادة.

ومنها: الرقص بالرباب ونحوه، ودخول بيت الغير بغير إذنه، والنظر فيه، والنظر إلى

الوجه المليح عن شهوة، فإن الصبيح في حكم النساء بل أشد، ولذا قيل: إن مع كل امرأة شيطانين، ومع كل غلام ثمانية عشر شيطاناً، وكان محمد بن الحسن صبيحاً، وكان أبو حنيفة رحمه الله يجلسه في درسه خلف ظهره، أو خلف سارية المسجد حتى لا يقع عليه بصره مخافة من خيانة العين مع كمال تقواه. وفي «بستان الفقيه»، ويكره مجالسة الأحداث والصبيان والسفهاء؛ لأنه يذهب بالمهابة ورؤي واحد في المنام بعد موته، وقد اسود وجهه، فسئل عن ذلك، فقال: نظرت إلى غلام، فاحترق وجهي في النار.

ومنها: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسخرية وأخذ الصلة والعطاء من أهل الجور. وقال قوم: إن صلات السلاطين تحل للغني والفقير إذا لم يتحقق أنها حرام، وإنما التبعة على المعطي.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: إذا كان ظاهر الإنسان الصلاح والستر، فلا حرج عليك في قبول صلاته وصدقته، ولا يلزمك البحث، بأن تقول فسد الزمان، فإن هذا سوء ظن بذلك الرجل المسلم. ﴿والفواحش﴾: [وازكار هازشت]. جمع فاحشة، وهي القبيحة أو المفرطة في القبح.

قال في «القاموس»: الفاحشة الزنا، وما يشتد قبحه من الذنوب، فيكون عطف الفواحش على الكبائر من عطف البعض على الكل إيذاناً بكمال شناعته. وقيل: هما واحد والعطف لتغاير الوصفين؛ كأنه قيل: يجتنبون المعاصي، وهي عظيمة عند الله في الوزن وقبيحة في العقل والشرع.

وفي «التأويلات النجمية»: كبائر الإثم حب الدنيا ومتابعة الهوى؛ فإنها رأس كل خطيئة ومنشؤها، والفواحش هي الاشتغال بطلب الدنيا وصرفها في اتباع الهوى. ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾: إذا ظرفية عمل فيها يغفرون. والجملة الاسمية: هي المعطوفة على الصلة، وهي يجتنبون عطف اسمية على فعلية، والتقدير: والذين يجتنبون وهم يغفرون لا أنها شرطية، والاسمية جوابها لخلوها عن الفاء، وما زائدة مع إذا فإنها وإن كانت تزاد مع إذا التي للشرط، لكن في إذا الزمانية معنى الشرط، وهو ترتب مضمون جملة على أخرى، فتضمنت معنى حرف الشرط، فلذلك اختير بعدها الفعل لمناسبة الفعل الشرط، وإذا الزمانية للمستقبل، وإن كانت داخلة على المضي كما عرف في النحو والغضب ثوران دم القلب إرادة الانتقام. ولذلك قال عليه السلام: «اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد في قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه».

وقوله: هم مبتدأ ويغفرون خبره. والمغفرة هنا، بمعنى العفو والتجاوز والحلم وكظم الغيظ.

والمعنى: وهم يعفون ويتجاوزون ويحلمون ويكظمون الغيظ وقت غضبهم على أحد ويتجرعون كاسات الغضب النفسانية بأفواه القلوب الروحانية الربانية، ويسكنون صورة الصفة الشيطانية. وبالفارسية: [ووقتى كه خشم كيربد بر مردمان بيست رنجى وزيانى ومكروهى كه بديشان رسانند ايشان در ميكذر اندانرا وعفو ميكنند].

وفيه دلالة على أنهم الأخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها لا يزيل الغضب أخلاقهم كسائر الناس، وذلك؛ لأن تقديم الفاعل المعنوي، أو التقديم مطلقاً يفيد الاختصاص، ثم يجوز في النظم أن يكون هم تأكيداً للفاعل في قوله: غضبوا وعلى هذا فيغفرون جواب الشرط كذا في «الحواشي السعدية».

قال بعض الكبار في قوله: ﴿للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ إشارة إلى مقام الرضا وتوحيد الأفعال، والصفات، فتوحيد الأفعال بإصلاح الطبيعة وتوحيد الصفات بإصلاح النفس بالاجتناب عن كبائرالإثم، وفواحش الشرك والسيئات، والاحتراز عن الغضب، وسائر رذائل الصفات. قيل لبعض الأنبياء: إذا خرجت من بيتك غداً، فكل من استقبلك أولاً واستر الثاني، وأعرض عن الثالث، فلما كان الغد استقبله جبل عظيم، فقصد إلى أكله امتثالاً للأمر، فصار تفاحة، فأكلها فوجدها ألذ الأشياء، ثم وجد طشتاً من ذهب، فكلما ستره خرج، ثم رأى مزابل، فأعرض عنها، فقيل: أما الجبل فالشدة والغضب، فعند ظهورها ترى كالجبل، فبالصبر وقصد الهضم تصير حلواً:

تحمل نما يد جو زهرت نحست ولى شهد كردد جودر طبع رست

وأما الطشت، فالحسنات وحسن الحال، فكلما قصد صاحبها إلى سترها انكشفت:

اكر مسك خالص نداري مكوى وكرهست خود فاش كردد ببوى

وأما المزابل، فالدنيا:

جاى روح باك عليين بود كرم باشد كش وطن سركين بود

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿والذين استجابوا لربهم﴾: نزلت في الأنصار دعاهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الإيمان، فاستجابوا له؛ أي: لرسول الله من صميم القلب، كما هو المفهوم من إطلاق الاستجابة. وفيه إشارة إلى أن الاستجابة للرسول استجابة للمرسل، فهو من عطف الخاص على العام لمزيد التشريف، وذلك لأن الاستجابة داخلة في الإيمان، فما وجه العطف مع عدم التغاير بين الوصفين، ولا يلزم فيه أن تكون الآية مدنية، فإن كثيراً منهم أسلموا بمكة قبل الهجرة.

وفي الآية إشارة إلى استجابة خطاب ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٨]، فإنها استجابة مخصوصة بالنفس حاصلة لها بالسلوك. ﴿وأقاموا الصلاة﴾ من أوصاف الأنصار أيضاً، والمراد: الصلوات الخمس، فإنهم يجدون أوقاتها، وإن كان تفاوت قليل في ساعات الليل والنهار في الحرمين الشريفين على ما جربناه. قال العلماء من الناس من لم يجد وقت المغرب والعشاء؛ لأنه يطلع الفجر حين تغرب الشمس، فيسقط عنهم ما لا يجدون وقته، وهذا كما أن رجلاً إذا قطع يداه مع المرفقين أو رجلاه مع الكعبين، ففرائض وضوئه ثلاثة لفوات محل الرابعة، وإنما ذكر إقامة الصلاة، ولم يذكر غيرها من العبادات، كإيتاء الزكاة والصوم مثلاً؛ لأنه ما بين العبد والإيمان إلا إقامة الصلاة، كما أنه ما بينه وبين الكفر إلا ترك الصلاة، فإذا أقام الصلاة فقد آمن وأقام الدين كما إذا تركها، فقد كفر وهدم الدين.

وفي الحديث: «أول ما يحاسب العبد يوم القيامة بصلاته، فإن صلحت أفلح وأنجح، وإن فسدت، فقد خاب وخسر». وقال عليه السلام: «أول ما يحاسب الرجل على صلاته، فإن كملت وإلا أكملت بالنافلة»، ثم يأخذ الأعمال على قدر ذلك. ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ مصدر كالفتيا بمعنى التشاور وأصله: من الشور وهو الإخراج تسمى به؛ لأن كل واحد من

المتشاورين في الأمر يستخرج من صاحبه ما عنده. والمعنى: وأمرهم ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه. وبالفارسية: [كار ايشان بامشور تست ميان ايشان].

قال سعدي المفتي: فإن قلت: لا حاجة إلى إضمار المضاف لظهور صحته وشأنهم تشاور، قلت: المصدر المضاف من صيغ العموم، فيكون المعنى جميع أمورهم تشاور ولا صحة له إلا أن يقصد بالمبالغة في كثرة ملابستهم به وعلى هذا، فيجوز أن يكون قوله: ذو شورى لبيان حاصل المعنى. انتهى، وكانوا قبل الهجرة، وبعدها إذا حزبهم أمر اجتمعوا وتشاوروا، وذلك من فرط تدبرهم وتفقههم في الأمور:

مشورت بهر آن صواب آمد   در همه كار مشورت بايد

وفي «عين المعاني»: وأمرهم شورى بينهم حين سمعوا بظهوره عليه السلام، فاجتمع رأيهم في دار أبي أيوب على الإيمان به والنصر له. وقيل لها: العموم؛ أي: لا يستبدون برأيهم فيما لا وحي فيه من أمر الدين، بل يشاورون الفقهاء. وقيل: في كل ما يعرض من الأمور. انتهى.

قال علي رضي الله عنه: نعم الموازنة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد. قال حكيم: اجعل سرك إلى واحد ومشورتك إلى ألف. وقيل: إن من بدأ بالاستخارة وثنى بالاستشارة لحقيق أن لا يضل رأيه. قال الإسكندر: لا يستحقر الرأي الجزيل من الرجل الحقير، فإن الدرة لا يستهان بها لهوان غائصها. يقال: أعقل الرجال لا يستغني عن مشاورة أولي الألباب، وأفره الدواب لا يستغني عن السوط وأورع النساء لا يستغني عن الزوج.

وفي الآية إشارة إلى التمسك بذيل إرادة المشايخ في السلوك إلى الحضرة ليتسلكوا بمشاورتهم وإرشادهم لا باسترسال النفس والهوى وتلقين الشيطان، كما قال الجنيد قدس سره: من لم يكن له أستاذ، فأستاذه الشيطان. ﴿ومما رزقناهم﴾ من الأموال ﴿ينفقون﴾؛ أي: في سبيل الخير ولا التفات إلى إنفاق الكافر؛ فإنه لم يستجب لربه بالإيمان والطاعة، فخيره محبط بكفره ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات كما في «الإرشاد».

وقال سعدي المفتي: ثم إن إدخال هذه الجملة في مرهم العين، لعله لمزيد الاهتمام بشأن التشاور للمبادرة إلى التنبيه على أن استجابتهم للإيمان كانت عن بصيرة ورأي سديد. انتهى.

وفي الآية دلالة على فضيلة الإنفاق والتوكل على الغني الخلاق.

حكي: أن بعض الشيوخ أخذه الناس ليشهدوا عند سلطان المغرب بفسقه وبكونه واجب القتل، فمر الشيخ في الطريق بخباز، فاستقرض منه نصف خبز فتصدق به، فلما حضر وافى الديوان شهدوا له بالخير، ولم يقدروا على خلافه، وذلك ببركة الصدقة، كما قال عليه السلام: اتقوا النار، ولو بشق تمرة، فإذا كان نصف تمرة وقاية من النار الكبرى، فكيف لا يكون نصف خبز وقاية من النار الصغرى رسول الله. [فرموده است كه صدقة نهاني خشم حق رابنشاند ودر موقف قيامت صدقة راساية است كه از حرارت آفتاب آن روزنكاه داردو دوساية صدقة خود آسوده باشد تاحكم خلق بآخر رسد]. قال الصائب:

زمان خويش بإحسان تمتعى بردار   مشو جو كنج بنامى جوازدها قانع

سئل الشبلي قدس سره عن الزكاة، فقال: أما عليك ففي عشرين درهماً، خمسة دراهم وأما علي ففي عشرين درهماً عشرون درهماً، يعني: أن مذهب الصوفية بذل الكل، والتوجه من الأسباب إلى المسبب، فقال: هذا مذهب من؟ فقال: مذهب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك أن الصديق رضي الله عنه أنفق جميع ماله للتجرد والخلاص من الشح، ولم يبق له شيء يتستر به، فأرسلت إليه فاطمة رضي الله عنها خرقة فتستر بها، وعزم إلى مجلس النبي عليه السلام، فنزل جبرائيل عليه السلام على زي أبي بكر، فسأله النبي، فقال: «إن ملائكة السماء كلهم على هذا الزي اتباعاً لأبي بكر»، ثم قال: «إن الله تعالى يسلم عليك، ويقول: قل لأبي بكر رضي الله عنه هل رضي مني؟ فقد رضيت عنه»، وعلم منه أن ترك الدنيا وسيلة إلى رضا الله تعالى. كما أن ترك ما سوى الله موصل إلى الله، ثم إن الإنفاق لا ينحصر في المال، بل يتناول كل بر ومعروف، كما قال عليه السلام: «كل معروف صدقة»، والمراد: ما عرف فيه رضى الله تعالى من الأموال والأقوال والأفعال، وإنفاق الواصلين إلى التوحيد والمعرفة أشرف وأفضل؛ لأن نفع الأموال للأجساد، ونفع المعارف للقلب والأرواح.

[در كشف الأسرار فرموده كه أبو بكر شبلي بيش ازانكه قدم دركوى طريقت نهاد بيش از ايشان ببغداد مير سيد عادت داشت كه دزديده بمجلس جنيد رفتى روزى برزبان جنيد برفت كه اكر همه بت برستان وناكسان عالم رابفردوس أعلى فرود آرد هنوز حق سبحانه وتعالى كرم خود رانكزارده باشد شبلي ازجاى برجست نعره زنان وجامه درآن كفت منم ازنا كسان جه كويى مرابذيرد درين حال جنيد كفت اى جوان بمراسلت موسى وهارون جندين سال فرعون مدبر راميخواندند تابيذيرد اكر سوخته موحد كه به باى خود آيد أوراجون نبذير دشبلي دركار آمد وهرجه داشت از ضياع وأثواب وأموال جمله درباخت ومجرد ماندانكه كفت اى شيخ مراجه بايد كرد كفت دربازار بايد شد ودريوزه بايد كرد همجنان كرد تاجنان كشت كه كس بوى خبرى ندارد بس جنيد تازيانه بوى داد وكفت درين سردابة شودرد راباندوه وخشم باب حسرت سبار وهركاه كه خبر حق بر خاطر كذر كند باين تازيانه اندامهاى خويش درهم شكن شبلي سه سال دران سردابه آب حسرت ازديدكان همى ريخت وبروز كار كذشته دريغ وتحسر همى خورد بعد ازسه سال سكرى دروى بديد آمد همجو مستان واله وسر كردان ازان سردابه برون آمد كاردى بدست كرفت ودر بغداد همى كشت وميكفت بجلال قدر حق كه هركه نام دوست بردباين كارد سرش ازتن جدا كنم آن خبر بجنيد رسيد جنيد كفت اورا شربتى داده اند مست كشته ازمستى وبيخودى ميكويد آنجه ميكويد جون باخود آيدسا كن شود يكسال دران مقامش بداشتند جون ازان مقام در كذشت دامن خويش براز شكر كرده بكرد محلها ميكشت وميكفت هركه بكويد الله دهانش براز شكر كنم بس عشق وى روى درخر أبى نهاد بيوسته درهمه اوقات همى كفت الله تاروزى كه جنيد كفت يا أبا بكر اكردوست غايبست اين غيب كردن جراست واكر حاضراست اين كستاخى وترك أدب از كجاست سخن جنيد أورا ساكن كرد بس جنيد بفرمود تا أورا بحمام بردند وموى جند ساله از سروى فرو كردند آنكه دست وى كرفت وبمسجد شونيزيه برد هشتاد كس از جوا نمردان طريقت وسلاطين حقيقت حاضر بودند جون أبو الحسين نورى وابو علي رود بارى وسمنون المحب ورويم بغدادي وجعفر خلدى وامثال ايشان جنيد كفت اي مشايخ وأصحاب هرجه بير سرى سقطى از رياضت ومجاهده

ازمابديد ما ازين كودك بديديم اكر اجازت فرماييد بالباس بكرداند باشدكه بركات اين لباس اورا بر استقامت دين بداردو اكر حق اين لباس فرو نهد لباس خود ازوى دادخود بستاند جنيد برباى خاست ومرقع از سر خود بركشيد ودر كردن شبلي افكند].

يقول الفقير: في هذه الحكاية إشارات:

منها: أن الشبلي قدس سره خرج من جميع ماله، فصار نظير الصديق رضي الله عنه من هذه الأمة:

صائب حريف سيلى باد خزان نه   بيش از خزان خود بفشان برك وباررا

ومنها: أن الجنيد قدس سره: انفق على الشبلي من معارفه وأنعم عليه حال إرشاده من عوارفه؛ لأن الغنى مأمور بإنفاق بعض ماله عند وجدان مصارفه. قال الحافظ:

اي صاحب كرامت شكرانه سلامت   روزى تفقدى كن درويش بى نوارا

ومنها: أن المريد لا يصلح لخرقة المشايخ إلا بعد الاستعداد لها بمدة، وأن الخرقة من شأن أهل التجرد. قال الجامي:

وصلش مجوى در اطلس شاهى كه دوخت عشق

اين جامه برتنى كه نهان زيرزنده بود

ومنها: أن ابتداء الأمر من الله وانتهاءه أيضاً إلى الله ألا إلى الله تصير الأمور، والله خير وأبقى:

جند بويد بهواى تو بهر سو حافظ   يسر الله طريقاً بك يا ملتمسي

﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ معطوف على ما قبله من الموصول والإصابة. بالفارسية: [برسيدن]. والبغي: الظلم والتجاوز عن الحد والقصر المفهوم من تقديم هم إضافي والانتصار طلب النصرة.

وفي «تاج المصادر»: [دادستدن].

والمعنى: إذا وصل إليهم الظلم والتعدي من ظالم متعد ينتقمون ويقتصون ممن بغى عليهم على الوجه الذي جعله الله، ورخصة لهم لا يتجاوزون ذلك الحد المعين، وهو رعاية المماثلة، وأما غيرهم، فليسوا كذلك، فهذا هو معنى التخصيص هنا. وبه أيضاً تندفع المخالفة بين وصفين كل منهما على طريق القصر، وهذا وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر أمهات الفضائل من الدين، والتيقظ والحلم والسخاء. وذلك لأن البغي إنما يصيبهم من أهل الشوكة والغلبة، وإذا انتقموا منهم على الحد المشروع كراهة التذلل باجتراء الفساق عليهم وردعاً للجاني عن الجراءة على الضعفاء، فقد ثبت شجاعتهم وصلابتهم في دين الله.

وكان النخعي رحمه الله إذا قرأ هذه الآية يقول: كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فتجترىء عليهم السفهاء. قال الشاعر:

ولا يقيم على ضيم يراد به   إلا الأذلان غير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته   وذا يشج فلا يرثي له أحد

أي: لا يصبر على ظلم يراد في حقه إلا الأذلان اللذان هما في غاية الذل، وهما: الحمار المربوط على الذل بقطعة حبل بالية، والوتد الذي يدق ويشق رأسه، فلا يرحم له

أحد، ولفظ البيت خبر. والمعنى: نهي عن الصبر على الظلم وتحذير وتنفير للسامعين عنه، فإن قلت: لما كان عطف الذين استجابوا من عطف الخاص تضمن وصف المعطوف عليه، وصف المعطوف.

قلت: هذا الانتصار لا ينافي وصفهم بالغفران، فإن كلاً منهما فضيلة محمودة في موقع نفسه ورزيلة مذمومة في موقع صاحبه، فإن الحلم عن العاجز وعورات الكرام محمود، وعن المتغلب وهفوات اللئام مذموم، فإنه إغراء على البغي، وعليه قول من قال:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندا في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندا

فالعفو على قسمين:

أحدهما: أن يصير العفو سبباً لتسكين الفتنة ورجوع الجاني عن بغايته فآيات العفو محمولة على هذا القسم، فزال التناقض، فمن أخذ حقه من ظالم غير عاد لأمر الله، فهو مطيع. وقال ابن زيد وبعض المالكية: جعل الله المؤمنين صنفين صنفاً يعفون عن ظالميهم، فبدأ بذكرهم في قوله: ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ وصنفاً ينتصرون من ظالميهم.

وقال بعضهم: الأول وصف الخواص. وهذا وصف العوام. وقال الكاشفي: [جون برسد ايشانرا ستمى از كافران ايشان از دشمنان خود انصاف بستانند بشمشير يعني از ايشان انتقام كشند زيرا كه انتقام از كفار فرض است وجهاد كردن با ايشان لازم].

وأشارت الآية إلى أن الظالم مغلوب قال علي كرم الله وجهه: لا ظفر مع البغي.

هركه ازراه بغى خيرى جست ظفر ازواه او عنان برتافت
و رظفر يافت منفعت نكرفت بس جنانست آن ظفر كه بتافت

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وجزاء سيئة﴾ [وباداش كرداريد] ﴿سيئة مثلها﴾ كرداريست مانند آن.

وهو بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع كونه في نفسه إساءة إلى الغير بالإشارة إلى أن البادي هو الذي فعله لنفسه، فإن الأفعال مستتبعة لأجزيتها حتماً إن خيراف فخير وإن شراً فشر. وفيه تنبيه على حرمة التعدي وإطلاق السيئة على الثانية مع أنها جزاء مشروع مأذون فيه، وكل مأذون حسن لا سيىء، لأنها تسوء من نزلت به، أو للازدواج. يعني: المشاكلة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ [النحل: ١٢٦]، وعلى هذا فالسيئة مقابل الحسنة بخلافها في الوجه الأول. والمعنى: أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة.

قال الحسن: إذا قال: لعنك الله أو أخزاك الله، فلك أن تقول: أخزاك الله أو لعنك الله، وإذا شتمك، فلك أن تشتمه بما شتم ما لم يكن فيه حد، كلفظ الزنا، أو كلمة لا تصلح، فلا تجري المقابلة في الكذب والبهتان.

قال في التنوير: قال لآخر: يا زاني، فقال له الآخر: لا بل أنت الزاني حداً بخلاف ما لو قال له مثلاً: يا خبيث، فقال: أنت تكافئا ولو لم يجب، بل رفع الأمر إلى القاضي ليؤدبه

جاز. وعن بعض الفقهاء في هذه الآية. وقد قيل: إنه الشافعي رحمه الله أن للإنسان أن يأخذ من مال من خانه مثل ما خانه من غير علمه، واستشهد في ذلك بقول النبي عليه السلام: «لهند زوجة أبي سفيان: خذي من ماله ما يكفيك وولدك»، فأجاز لها أخذ ذلك بغير إذنه. كذا ذكره القرطبي في «تفسيره».

﴿فمن عفا﴾ عن المسيء إليه جنايته، أي: ترك القصاص. وقال الكاشفي: [بس هركه عفو كند از ستكار خودكه مسلمان باشد وترك انتقام نمايد ازوى]. ﴿وأصلح﴾ بينه وبين من يعاديه بالعفو والإغضاء. قال في «الحواشي السعدية»: الفاء للتفريع، أي: إذا كان الواجب في الجزاء رعاية المماثلة من غير زيادة، وهي عسرة جداً، فالأولى العفو والإصلاح إذا كان قابلاً للإصلاح بأن لم يصر على البغي وفي الحديث: ما زاد الله عبد العفو إلا عزاً. ﴿فأجره على الله﴾ عدة مبهمة منبئة عن عظمة شأن الموعود وخروجه عن الحد المعهود ﴿إنه لا يحب الظالمين﴾ البادئين بالسيئة والمتعدين في الانتقام، وهو استئناف تعليلي متعلق بقوله وجزاء. إلخ.

وقوله: فمن عفا إلخ. اعتراض يعني: إنما شرعت المجازاة وشرطت المساواة، لأنه لا يحب الظالمين وذكر أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان عند النبي ﷺ ورجل من المنافقين يسبه وأبو بكر لم يجبه ورسول الله ساكت يتبسم، فأجابه أبو بكر، فقام النبي عليه السلام، وذهب، فقال أبو بكر: يا رسول الله ما دام يسبني كنت جالساً، فلما أجبته قمت، فقال النبي عليه السلام: «إن ملكاً كان يجيبه عنك، فلما أجبته ذهب الملك وجاء الشيطان، وأنا لا أكون في مجلس يكون هناك الشيطان، فنزل ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾». وفي الحديث: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أين العافون عن الناس هلموا إلى ربكم وخذوا أجوركم وحق لكل مسلم إذا عفا أن يدخله الجنة».

عفو از كناه سيرث اهل فتوتست بي حلم وعفو كار فتوت نمام نيست

وعنه عليه السلام: «إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى منادٍ: أين أهل الفضل، فيقوم ناس وهم قليلون فينطلقون سراعاً إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة، فيقولون: إنا نراكم سراعاً إلى الجنة، فمن أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الفضل، فيقولون وما كان فضلكم فيقولون كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا اغتفرنا وإذا جهل علينا حلمنا، فيقولون لهم: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين».

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن أرباب القلوب الذين أصابهم الظلم من قبل أنفسهم هم ينتصرون من الظالم، وهو نفسهم بكبح عنانها عن الركض في ميدان المخالفة وجزاء سيئة صدرت من النفس من قبل الحرص والشهوة أو الغضب أو البخل، أو الجبن أو الحسد أو الكبر أو الغل. سيئة تصدر من القلب مثل ما يصادف علاجها، أي: بضد تلك الأوصاف، فإن العلاج بأضداد هاو لا يجاوز عن حد المعالجة في رياضة النفس وجهادها، فإن لنفسك عليك حقاً، فمن عفا عن المبالغة في رياضة النفس وجهادها بعد أن أصلح النفس بعلاج أضداد أوصافها فأجره على الله تعالى، بأن يتصف بصفاته فإن من صفاته العفو وهو عفو يحب العفو فيكون العبد عفواً محبوباً لله تعالى إنه لا يحب الظالمين الذين يضعون شدة الرياضة مع النفس موضع العفو.

﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ اللام لام الابتداء. ومن شرطية لدخول الفاء في جوابها، وهو

فأولئك أو موصولة. ودخلت الفاء لشبه الموصول بالشرط. وقوله بعد ظلمه من إضافة المصدر إلى المفعول، أي: بعد ما ظلم وقرىء به وتذكير الضميرين باعتبار لفظ من. والمعنى: ولمن انتقم واقتص بعد ظلم الظالم إياه يعني في الحقوق المالية. والجزاء فيما إذا ظفر بالجنس عندنا وعند الشافعي بغير الجنس أيضاً.

﴿فأولئك﴾ المنتصرون، فهو إشارة إلى من والجمع باعتبار المعنى. ﴿ما عليهم من سبيل﴾ بالمعاتبة أو المعاقبة، لأنهم فعلوا ما أبيح لهم من الانتصار. [يا ايشانرا كناهى نيست]. والسبيل: الطريق الذي فيه سهولة. والآية دفع لما تضمنه السياق من إشعار سد باب الانتصار ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس﴾، أي: يبتدئونهم بالإضرار أو يعتدون في الانتقام ﴿ويبغون في الأرض بغير الحق﴾، أي: يتكبرون فيها تجبراً وإفساداً. ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغي بغير الحق. ﴿لهم عذاب أليم﴾ بسبب ظلمهم وبغيهم. ﴿ولمن صبر﴾ على الأذى واللام للابتداء. ومن موصولة مبتدأ ﴿وغفر﴾ لمن ظلمه، ولم ينتصر، وفوض أمره إلى الله تعالى وعن علي رضي الله عنه الجزع أتعب من الصبر:

در حوادث بصبر كوش كه صبر برضاى خداى مقرونست

﴿إن ذلك﴾ منه لأنه لا بد من العائد إلى المبتدأ، فحذف ثقة بغاية ظهوره كما في قوله: السمن منوان بدرهم. وفي «حواشي سعدي المفتي» قد يقال: لا حاجة إلى تقدير الراجح، لأن ذلك إشارة إلى صبره لا إلى مطلق الصبر، فهو متضمن للضمير فإن قلت: إن دلالة الفعل إنما هي على الزمان، ومطلق الحدث، كما قرر فالظاهر رجوع الضمير إليه، قلت: نعم، ولكن إسناده إلى ضمير من يفيده. ﴿لمن عزم الأمور﴾، أي: من معزومات الأمور، أي: مما يجب العزم عليه من الأمور بإيجاب العبد على نفسه لكونه من الأمور المحمودة عند الله تعالى. والعزم عند القلب على إمضاء الأمر. والعزيمة الرأي الجد. كما في المفردات، وبالفارسية [ازمهم ترين كارها اسب واين].

في الحقيقة: [ازكار مردانست كه همه كس راقوت اين نباشدكه جفا كشد ووفاكند]. قال الحافظ:

جفا خوريم وملامت كشيم وخوش باشيم كه در طريقت ما كافريست رنجيدن

قال في «برهان القرآن»: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]. وفي لقمان: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]؛ لأن الصبر على الوجهين صبر على مكروه ينال الإنسان ظلماً، فمن قتل بعض أعزته وصبر على المكروه ليس كمن مات بعض أعزته، فالصبر على الأول أشد. والعزم عليه أوكد، وكان ما في هذه السورة من الجنس الأول لقوله: ولمن صبر وغفر، فأكد الخبر باللام. والآية في المواد التي لا يؤدي العفو فيها إلى الشر، كما أشير إليه، فإن العفو مندوب إليه، ثم قد ينعكس الأمر في بعض الأحوال، فيرجع ترك العفو مندوباً إليه، وذلك إذا احتيج إلى كف زيادة البغي، وقطع مادة الأذى.

يحكى: أن رجلاً سب رجلاً في مجلس الحسن رحمه الله، فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق، ثم قام فتلا هذه الآية، فقال الحسن: عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون.

قال أبو سعيد القرشي رحمه الله: الصبر على المكاره من علامات الانتباه، فمن صبر على مكروه يصيبه، ولم يجزع أورثه الله تعالى حالة الرضا، وهو أجل الأحوال، ومن جزع من

المصائب وشكاها وكله الله إلى نفسه، ثم لم ينفعه شكواه.

وقال بعضهم: من صبر في البلوى من غير شكوى، وعفا بالتجاوز عن الخصم، فلا يبقى لنفسه عليه دعوى، بل يبرأ خصمه من جهة ما عليه من كل دعوى في الدنيا والعقبى أن ذلك لمن عزم الأمور. وروي: أن أزواج النبي عليه السلام: اجتمعن، فأرسلن فاطمة رضي الله عنها إليه يطلبن منه أن يحبهن كعائشة، فدخلت عليه، وهو مع عائشة في مرطها، وهو بالكسر كساء من صوف أو خز، فقالت: ما قلن رضي الله عنهن، فقال عليه السلام لفاطمة: «أتحبينني» فقالت: نعم. قال: فأحبيها؛ أي: عائشة، فرجعت إليهن، فأخبرتهن بما قال لها؛ أي: لفاطمة، فقلن: لم تصنعي شيئاً، فأردن أن يرسلنها ثانياً، فلم ترض فأرسلن زينب بنت جحش رضي الله عنها، وكانت أزهد أزواجه، حتى قالت عائشة في حقها: لم أر قط امرأة خيراً في الدين من زينب، وكان لها منزلة عنده عليه السلام تضاهي منزلة عائشة، فقالت: إن نساءك يسألنك العدل في بنت ابن أبي قحافة، يعني: يسألنك التسوية بينهن وبين عائشة في المحبة، ثم أقبلت على عائشة فشتمتها، فلما استطالت عليها استقبلتها عائشة وعارضتها بالمدافعة حتى قهرتها وأسكتتها.

وفي «الكشاف»: إن زينب أسمعت بحضرته، وكان ينهاها فلا تنتهي، فقال لعائشة دونك، فانتصري؛ أي: تقدمي واقربي فانتقمي من زينب، فأفحمتها، فقال عليه السلام: «إنها ابنة أبي بكر» إشارة إلى كمال فهمها وحسن منطقها.

قال ابن الملك: وفي الحديث دلالة على جواز الانتقام بالحق لكن العفو أفضل لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]. قال الصائب:

درجنك ميكندلب خاموش كارتيغ دادن جواب مردم نادان جه لازمست

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿ومن يضلل الله﴾ يخلق فيه الضلالة من الهوى أو بتركه على ما كان عليه من ظلم الناس.

﴿فما له من ولي من بعده﴾ من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تعالى إياه. وبالفارسية: [وهركرا كمراه سازد خداى تعالى بس نيست مراورا هيج دوستى كه كار سازى كنديس از فرو كذشتن خداى تعالى مراورا].

﴿وترى الظالمين﴾: الخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية البصرية والظالمون المشركون والعاصون. ﴿لما رأوا العذاب﴾؛ أي: حين يرونه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق. ﴿يقولون﴾. إلخ. في موضع الحال من الظالمين؛ لأن الرؤية بصرية. ﴿هل﴾: [آيا هست]. ﴿إلى مرد﴾: بمعنى الرد؛ أي: الرجعة إلى الدنيا. ﴿من سبيل﴾: [هيج راهى يا جادة تابرويم وتدارك ما فات كنيم ازايمان وعمال صالح]. وقد سبق بيانه في قوله في ﴿حمٓ ﴿١﴾﴾ [غافر: ١] المؤمن، فهل إلى خروج من سبيل.

﴿وتراهم﴾ تبصرهم أيها الرائي حال كونهم.

﴿يعرضون عليها﴾؛ أي: على النار المدلول عليها بالعذاب. وقد سبق معنى العرض في ﴿حم﴾ المؤمن عند قوله: ﴿النار يعرضون عليها﴾. ﴿خاشعين من الذل﴾ من للتعليل متعلق بخاشعين؛ أي: حال كونهم خاضعين حقيرين بسبب ما لحقهم من الذل والهوان. وقد يعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين. ﴿ينظرون من طرف خفي﴾: الطرف مصدر في الأصل، ولهذا لم يجمع، وهو تحريك الجفن وعبر به عن النظر إذ كان تحريك الجفن يلازم النظر، كما في «المفردات».

والمعنى: حال كونهم يبتدىء نظرهم إلى النار من تحريك لأجفانهم ضعيف. يعني: يسارقون النظر إلى النار خوفاً منها، وذلة في أنفسهم، كما ينظرون إلى المقتول إلى السيف، فلا يقدر أن يملأ عينيه منه، وهكذا نظر الناظر إلى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها، كما يفعل في نظره إلى المحاب.

وقال الكلبي: ينظرون بأبصار قلوبهم، ولا ينظرون بأبصار ظواهرهم؛ لأنهم يسحبون على وجوههم، أو لأنهم يحشرون عمياً، فينظرون كنظر الأعمى إذا خاف حساً.

يقول الفقير: لا حاجة إلى حمل الآية على ما ذكر من الوجهين؛ لأن لهم يوم القيامة أحوالاً شتى بحسب المواطن، فكل من النظر والسحب والحشر أعمى ثابت صحيح.

وفي الآية إشارة إلى أن النفوس التي لم تقبل الصلاح بالعلاج في الدنيا تتمنى الرجوع إلى الدنيا يوم القيامة لتقبل الصلاح بعلاج الرياضات الشرعية والمجاهدات الطريقية، وتخشع إذ لم تخشع في الدنيا من القهار، فلا تنفعها ندامة، ولا تسمع منها دعوة، ولها نظر من طرف خفي من خجالة المؤمنين، إذ يعيرونها بما ذكروها، فلم تسمع، وهي نفوس الظالمين. كما قال السعدي:

تراخود بماند سراز تنك بيش   كه كردت برآيد عملهاى خويش
برادرز كار بدان شرم دار   كه درروى نيكان شوى سرمسار

﴿وقال الذين آمنوا﴾، وجاهدوا في الله تعالى حق جهاده وربحوا على ربهم. ﴿إن الخاسرين﴾؛ أي: المتصفين بحقيقة الخسران، وهو انتقاص رأس المال، وينسب إلى الإنسان، فيقال: خسر فلان وإلى الفعل، فيقال: خسرت تجارته ويستعمل ذلك في القنيات الخارجة كالمال، والجاه في الدنيا، وهو الأكثر. وفي «القنيات النفيسة» كالصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب، وهو الذي جعله الله الخسران المبين، وكل خسران ذكره الله في القرآن، فهو على هذا المعنى الأخير دون الخسران المتعلق بالقنيات الدنيوية والتجارات البشرية وخبر إن قوله تعالى: ﴿الذين خسروا أنفسهم وأهليهم﴾: [آنانندكه زيان كردند بنفسهاى خويش وكسان خود].

بالتعريض للعذاب الخالد. ﴿يوم القيامة﴾: إما ظرف لخسروا، والقول في الدنيا أو لقال؛ أي: يقولون لهم حين يرونهم على تلك الحالة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه.

وقال الكاشفي: [زيان در نفسها آنست آنرا بعبادت بتان مستوجب آتش دوزخ كردا نيدند وزمان زيان در اهالي اكرد وزخى اندبا نكه ايشانرا از ايمان بازد اشتندو اكر بهشتى اندبانكه ازديد از ايشان محروم ماندند].

قال ابن الملك في «شرح المشارق»: الأهل يفسر بالأزواج والأولاد، وبالعبيد والإماء وبالأقارب وبالأصحاب وبالمجموع.

وفي «التأويلات النجمية»: إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم بإبطال استعدادهم إذ صرفوه في طلب الدنيا وزخارفها والالتذاذ بها وخسروا أهليهم إذ لم يقوا أنفسهم وأهليهم ناراً بقبول الإيمان وأداء الشرائع. ﴿ألا﴾ : [بدانيد]. ﴿إن الظالمين﴾ ؛ أي: المشركين الذين كانوا في جهنم شهوات النفس جثياً في الدنيا. ﴿في عذاب مقيم﴾ في الآخرة إلى الأبد. وبالفارسية: [در عذابي بيوسته اند يعني باقى وبي انقطاع]. إما من تمام كلامهم أو تصديق من الله لهم.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿وما كان لهم من أولياء ينصرونهم﴾ بدفع العذاب عنهم. ﴿من دون الله﴾ حسبما كانوا يرجون ذلك في الدنيا. ﴿ومن يضلل الله﴾ : [وهر كرا كمراه سازد خداى تعالى]. ﴿فما له من سبيل﴾ يؤدي سلوكه إلى النجاة.

وفي «التأويلات النجمية»: ومن يضلل الله بأن يشغله بغيره فما له من سبيل يصل به إلى الله تعالى. قال ذو النون المصري قدس سره: رأيت جارية في جبل أنطاكية، فقالت لي: ألست ذا النون؟. قلت: كيف عرفت!. قالت: عرفتك بمعرفة الحبيب، ثم قالت: ما السخاء؟، قلت: البذل والعطاء، قالت: ذاك سخاء الدنيا فما سخاء الدين، قلت: المسارعة إلى طاعة رب العالمين. قالت: تريد شيئاً، قلت: نعم. قالت: تأخذ العشرة بواحد لقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فأين السخاء؟ قلت: فما السخاء عندك؟. قالت: إنما هو أن يطلع على قلبك، فلا يرى فيه غيره. ويحك يا ذا النون، إني أريد أن أسأل شيئاً منذ عشرين سنة وأستحيي منه مخافة أن أكون كأجير السوء إذا عمل طلب الأجرة، فلا تعمل إلا تعظيماً لهيبته، فعلم أن إخراج الغير من القلب والاشتغال بالله تعالى من أوصاف الخواص، فمن اهتدى به ربح، ومن ضل عنه خسر، وهو بيد الله تعالى، إذ هو الولي، فعلى العبد أن يسأل الهداية، ويطلب العناية حتى يخرجه الله من ظلمات نفسه الأمارة إلى أنوار تجليات الروحانية، ويجعل له إليه سبيلاً ينجو به من المهالك.

حكي: أن شيخاً حج مع شاب، فلما أحرم، قال: لبيك، فقيل له: لا لبيك، فقال الشاب للشيخ: ألا تسمع هذا الجواب، فقال: كنت أسمع هذا الجواب منذ سبعين سنة. قال: فلأي شيء تتعب، فبكى الشيخ، فقال: فإلى أي باب ألتجىء، فقيل له: قد قبلناك. فهذا من هداية الله الخاصة، فافهم جداً.

قال الصاحب:

بنو ميدى مده تن كرجه دركام نهنك افتى   كه دارد دردل كرداب بحر عشق ساحلها

﴿استجيبوا لربكم﴾ إذ دعاكم إلى الإيمان على لسان نبيه عليه السلام. ﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله﴾؛ أي: لا يرده الله بعدما حكم به على أن من صلة مرد؛ أي: من قبل أن يأتي من الله يوم لا يمكن رده. وفي تعليق الأمر بالاستجابة باسم الرب، ونفي المراد

والإتيان بالاسم الجامع نكتة لا تخفى كما في «حواشي سعدي المفتي».

﴿ما لكم من ملجأ يومئذ﴾؛ أي: مفر تلتجئون إليه؛ أي: ما لكم مخلص ما من العذاب على ما دل عليه تأكيد النفي بمن استغراقية، والملجأ. بالفارسية: [بناه وكريز كاه]. ﴿وما لكم من نكير﴾؛ أي: إنكار ما لما اقترفتموه؛ لأنه مدون في صحائف أعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم، وهو مصدر أنكر على خلاف.

ولعل المراد: الإنكار المنجي وإلا فهم يقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٨]. وغير ذلك، ولذلك تشهد عليهم أعضاؤهم. قال الجنيد قدس سره: استجابة الحق، لمن يستمع هواتفه وأوامره وخطابه فيتحقق له الإجابة بذلك السماع، ومن يستمع الهواتف كيف يجيب، وأنى له محل الجواب.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بقوله: ﴿استجيبوا لربكم﴾ للعوام إلى الوفاء بعهده، والقيام بحقه والرجوع عن مخالفته إلى موافقته، وللخواص إلى الاستسلام للأحكام الأزلية والإعراض عن الدنيا وزينتها وشهواتها إجابة لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥]، ولأخص الخواص من أهل المحبة إلى صدق الطلب بالإعراض عن الدارين متوجهاً لحضرة الجلال ببذل الوجود في نيل الوصول والوصال مجيباً لقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤٦]، والطريق اليوم إلى الاستجابة مفتوح، وعن قريب سيغلق الباب على القلوب بغتة، ويأخذ فلتة. وذلك قوله تعالى: ﴿من قبل أن يأتي﴾ إلخ. ونعم ما قال الشاعر:

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

أي: استمتع بشم عرار نجد، وهي وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة، فإنا نعدمه إذا أمسينا لخروجنا من أرض نجد ومنابته، فالإشارة إلى شم عرار الحقيقة، فإنه إنما يكون ما دام الروح الإنساني في نجد الوجود الشهودي وحده، فإن انتقل منه إلى حدّ البرزخ بزوال شمس الحياة والانتهاء إلى عشية العمر، فلا يمكن شمه أصلاً.

جون بى خبران دامن فرصت مده ازدست تاهست بروبال زعالم سفرى كن

﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾

﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾، تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد أمرهم بالاستجابة، وتوجيه له إلى الرسول عليه السلام؛ أي: فإن لم يستجيبوا وأعرضوا عما تدعوهم إليه، فما أرسلناك رقيباً ومحاسباً عليهم، وحافظاً لأعمالهم. وبالفارسية: [نكهبانى كه از عمل بد ايشانرا نكاه دارى]. وفيه تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾؛ أي: ما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة، وقد فعلت فلا يهمنك إعراضهم.

وفي «التأويلات النجمية»: فإن أعرضوا عن الله بالإقبال على الدارين، ولم يجيبوا، فما أرسلناك عليهم حفيظاً تحفظهم من الالتفات إلى الدارين؛ لأن الحفظ من شأني لا من شأنك، فإني حفيظ، فليس عليك إلا تبليغ الرسالة، ثم نحن نعلم بما نعاملهم بالتوفيق، أو بالخذلان.

قال الغزالي رحمه الله في شرح الأسماء: الحفيظ من العباد من يحفظ جوارحه وقلبه

ويحفظ دينه من سطوة الغضب وخلابة الشهوة وخداع النفس وغرور الشيطان، فإنه على شفا جرف هار، وقد اكتنفته هذه المهلكات المفضية إلى النار. وقد عرف كلها من لسان الشارع صلى الله تعالى عليه وسلم، فليسارع العبد إلى دفع الموبقات، وجلب المنجيات بإصلاح النفس والتخلق بالأخلاق الإلٰهية، فإن النفس طاغية مؤدية إلى الإفلاس والخسار.

وفي الحديث: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع». قال عليه السلام: «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا، أو سفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى أخذ من خطاياهم وطرحت عليه ثم يطرح في النار»، فلا ينبغي للعاقل أن يبقى مع النفس، فإنه إذا نزل عليه العذاب غضباً للنفس لا يجد ولياً يتولاه، ولا نصيراً ينصره ولا ملجأ يفر إليه، فهذه حال المعرضين، وأما حال المقبلين القابلين للبلاغ والإرشاد، فالله تعالى يحفظهم مما يخافونه يوم المعاد:

خجل آنكس كه رفت وكار نساخت   كوس رحلت زدند وبار نساخت

﴿وإنا إذا أذقنا الإنسان منا﴾: [از نزديك خود]. ﴿رحمة﴾؛ أي: نعمة من الصحة والغنى والأمن. ﴿فرح بها﴾ بطر لأجلها.

وقال الكاشفي: [خوش شود بدان وشادى كند]. اعلم أن نعمة الله وإن كانت في الدنيا عظيمة إلا أنها بالنسبة إلى سعادات الآخرة كالقطرة بالنسبة إلى البحر، فلذلك سمي الإنعام بها إذاقة. وبالفارسية: [جشانيدن]. فالإنسان إذا حصل له هذا القدر الحقير في الدنيا فرح به ووقع في العجب والكبر وظن أنه فاز بكل المنى ودخل في قصر السعادات، ولذا ضعف اعتقاده في سعادات الآخرة وإلا لاختار الباقي على الفاني؛ لأن الفاني كالخزف مع أنه قليل، والباقي كالذهب مع أنه كثير. [افتد هماى دولت اكردر كمندما. ازهمت بلند رها ميكنيم ما]. ﴿وإن تصبهم﴾؛ أي: الإنسان؛ لأن المراد به الجنس. ﴿سيئة﴾؛ أي: بلاء من مرض وفقر وخوف مما يسوؤهم.

﴿بما قدمت أيديهم﴾ بسبب ما عملت أنفسهم من كفرانهم بنعم الله وعصيانهم فيها، وذكر الأيدي؛ لأن أكثر الأعمال تباشر بها، فجعل كل عمل كالصادر بالأيدي على طريق التغليب. ﴿فإن الإنسان كفور﴾.

قال الراغب: كفر النعمة وكفرانها سترها بترك أداء شكرها وأعظم الكفر جحودهم الوحدانية، أو النبوة، أو الشريعة والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً، والكفر في الدين أكثر والكفور فيهما جميعاً.

والمعنى: فإن الإنسان بليغ الكفر ينسى النعمة بالكلية ويذكر البلية ويستعظمها، ولا يتأمل سببها، بل يزعم أنها أصابته بغير استحقاق لها، وإسناد هذه الخصلة إلى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الأفراد، يعني: أنه حكم على الجنس بحال أغلب أفراده للملابسة على المجاز العقلي وتصدير الشرطية الأولى بإذا مع إسناد الإذاقة إلى نون العظمة، للتنبيه على أن إيصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع، وأنه مقتضى الذات كما أن تصدير الثانية بأن وإسناد الإصابة إلى السيئة وتعليلها بأعمالهم للإيذان بندرة وقوعها، وأنها بمعزل عن الانتظام في سلك الإرادة بالذات، ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على أن هذا الجنس مرسوم بكفران النعم.

[امام ابو منصور ماتريدي رحمه الله فرموده كه كفران مؤمن آنست كه ترك شكر كند].
قال بعض الكبار: (ع): [درشكر همجو جشمه ودر صبر خاره ايم].

وعن عليّ رضي الله عنه: إذا وصلت إليكم أطراف النعمة، فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر. يعني: من لم يشكر النعم الحاصلة لديه الواصلة إليه حرم النعمة الغائبة منه القاصية عنه. [جون بيابى تو نعمتى درجند. خرد باشد جو نقطة موهوم. شكران يافته فرومكزار. كه زنا يافته شوى محروم].

وعنه رضي الله عنه أيضاً أقل ما يلزمكم لله أن لا تستعينوا بنعمه على معاصيه. قال الحسن: إذا استوى يوماك فأنت ناقص قيل: كيف ذاك، قال: إن الله زادك في يومك هذا نعماً فعليك أن تزداد فيه شكراً، وقد مد الله عمر بعض الإنسان وأكثر عليه فضله كنمرود وفرعون ونحوهما إنهم لم يزدادوا كل يوم إلا كفراناً فعاملهم الله بالعدل حتى هلكوا أقبح الهلاك.

وفي الآية إشارة إلى أن من خصوصية الإنسان إذا وكله الله إلى نفسه أن لا يشكر على ما فتح الله عليه من المواهب الإلهية، وفتوحات الغيب، وأنواع الكرامات التي تربى بها أطفال الطريقة ليزيده الله، بل ينظر إلى نفسه بالعجب ويفشي سره على إلحاق إراءة وسمعة، فيغلق الله أبواب الفتوحات بعد فتحها. قال الصائب:

نجام بت برست بودبه زخود برست   درقيد خود مباش وبقيد فرنك باش

ومن الله العون.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿لله ملك السماوات والأرض﴾؛ أي: يختص به ملك العالم كله لا يقدر أن يملكه أحد سواه، فله التصرف فيه وقسمة النعمة، والبلية على أهله، وليس عليهم إلا الشكر في النعمة والصبر في البلية والرضا والتسليم للأحكام الأزلية. وبالفارسية: [وخداير است بادشاهى آسمانها وزمينها]. ﴿يخلق ما يشاء﴾ مما يعلمونه ومما لا يعلمونه على أي صورة شاء. ﴿يهب لمن يشاء إناثاً﴾ من الأولاد. يعني: [مى بخشد هر كرامى خواهد دختران]. فلا يجعل معهن ذكوراً، يعني: [بسران]. مثل ما وهب لشعيب ولوط عليهما السلام والهبة أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض والوهاب هو الله تعالى؛ لأنه يعطي كلاً على قدر استحقاقه، ولا يريد عوضاً، والإناث جمع أنثى خلاف الذكر.

والجملة بدل من يخلق بدل البعض قدم الإناث؛ لأنها أكثر لتكثير النسل، أو لتطييب قلوب آبائهن إذ في التقديم تشريف لهن وإيناس بهن، ولذلك جعلن من مواهب الله تعالى مع ذكر اللام الانتفاعية أو لرعاية الترتيب الواقع، أولاً في الهبة بنوع الإنسان، فإنه تعالى وهب أولاً لآدم زوجته حواء عليهما السلام بأن ولدها منه وخلقها من قصيراه، وهي أسفل الأضلاع، أو آخر ضلع في الجنب كما في «القاموس».

قال في «الكواشي»: ويجوز أنهن قدمن توبيخاً لمن كان يئدهن ونكرن إيماء إلى ضعفهن ليرحمن، فيحسن إليهن. قال في «الشرعة وشرحه»، ويزداد فرحاً بالبنات مخالفة لأهل الجاهلية؛ فإنهم يكرهونها بحيث يدفنونها في التراب في حال حياتها.

وفي الحديث: «من بركة المرأة تبكيرها بالبنات»؛ أي: يكون أول ولدها بنتاً. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿يهب لمن يشاء إناثاً﴾، الآية. حيث بدأ بالإناث. وفي الحديث: «من ابتلي من هذه البنات بشيء، فأحسن إليهن؛ أي: بالتزويج بالأكفاء ونحوه كن له ستراً من النار». والنبي عليه السلام سماهن المجهزات المؤنسات؛ أي: المهيأ جهازهن سماهن بها تفاؤلاً وتيمناً. والمؤنسات للوالدين والأزواج.

وفي الحديث: «سألت الله أن يرزقني ولداً بلا مؤونة، فرزقني البنات». وفي الحديث القدسي خطاباً للبنت حين ولدت: «انزلي وأنا عون لأبيك». وفي الحديث: «لا تكرهوا البنات، فإني أبو البنات».

يقول الفقير: معناه أن كونه عليه السلام أبا البنات يكفي في عدم كراهة البنات، إذ لا يختار الله له إلا ما هو خير، ومن لم يرض بما اختاره له تعرض لسخط الله، وكم ترى في هذا الزمان من السخط على البنات اقتداء بأهل الجاهلية، ولو كان لهم أسوة حسنة في رسول الله لأحبوا ما أحبه، وكان لهم في ذلك شرف عظيم. ﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾ من الأولاد يعني: [بسران].

ولا يكون فيهم إناث كما وهب إبراهيم عليه السلام من غير أن يكون في ذلك مدخل لأحد ومجال اعتراض:

با اختيار حق نبود اختيار ما   بانور آفتاب جه باشد شرار ما

والذكور جمع ذكر ضد الأنثى عرف الذكور للمحافظة على الفواصل، أو لجبر التأخير. يعني: أن الله تعالى أخر الذكور مع أنهم أحقاء بالتقديم، فتدرك تأخيرهم بتعريفهم؛ لأن في التعريف العهدي تنويهاً وتشهيراً؛ كأنه قيل: ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام الذين لا يخفون عليكم.

وفي الحديث: «إن أولادكم هبة الله لكم يهب لمن يشاء إناثاً، ويهب لمن يشاء الذكور وأموالهم لكم إن احتجتم إليها». ﴿أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً﴾. معنى التزويج هنا: [جفت قرين كردن]، كما في «تاج المصادر»، والذكران جمع ذكر.

والمعنى: يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعاً، بأن يولد له الذكور والإناث مثل ما وهب لنبينا صلى الله عليه وسلم إذ كان له من البنين ثلاثة على الصحيح: قاسم وعبد الله وإبراهيم. ومن البنات أربع زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهن.

وقال بعضهم: معنى يزوجهم أن تلد غلاماً، ثم جارية، ثم غلاماً، أو تلد ذكراً وأنثى توأمين. ﴿ويجعل من يشاء عقيماً﴾: [بى فرزندو نازاينده]. فلا تلد ولا يولد له كعيسى ويحيى عليهما السلام، فإنهما ليسا لهما أولاد. وأما عيسى فلم يتزوج، وإن كان يتزوج حين نزوله في آخر الزمان، ويكون له بنات، وأما يحيى فقد تزوج، ولكن لم يقرب لكونه عزيمة في شريعته وبعضهم لم يكن له أولاد، وإن حصل له قربان النساء.

وأصل العقم: اليبس المانع من قبول الأثر. والعقيم من النساء التي لا تقبل ماء الفحل.

وفي «القاموس»: العقم بالضم: هرمة تقع في الرحم، فلا تقبل الولد، ورجل عقيم لا يولد له، فالعقم كما يقع صفة للمرأة يقع صفة للرجل بأن يكون في مائه ما يمنع العلوق من الأعذار، وتغيير العاطف في الثالث؛ لأنه قسيم المشترك بين القسمين، وهو أي المشترك بينهما

مفهوم الصنف الواحد، فالثالث: جامع بين الصنفين، فلو ذكر أيضاً بالواو، لربما توهم من أول الأمر أنه قسيم لكل من القسمين لا للمشترك بينهما؛ لأنه حال عما في الرابع من الإفصاح. يعني: أنه لا حاجة إليه في الرابع لإفصاحه، بأنه قسيم المشترك بين الأقسام المتقدمة، وهو هبة الولد ولا يشتبه على أحد أن العقم يقابلها، فلا حاجة إلى التنبيه على ذلك.

﴿إنه﴾ تعالى ﴿عليم﴾ بليغ العلم بكل شيء مما كان وما يكون. ﴿قدير﴾ بليغ القدرة على كل مقدور، فيفعل ما فيه حكمه ومصلحة.

وقال الكاشفي: [داناست بانجه مى دهد تواناست بانجه ميسازد دانايى اواز جهل مقدس ومبراست وتوانايى او از عجز منزه ومعرا علم او بر طرف از شائبة جهل فتور وقدرتش باك از آلايش نقصان وقصور].

وعلم أن الإنسان إما أن لا يكون له ولد، أو يكون له ولد ذكر أو أنثى، أو ذكر وأنثى. وقد استوفى في الآية جميع الأقسام. فالمعنى: أن الله تعالى يجعل أحوال العباد في حق الأولاد مختلفة على ما تقتضيه المشيئة فيهن، فيهب لبعض إما صنفاً واحداً من ذكر أو أنثى، وإما صنفين ويعقم آخرين، فلا يهب لهم ولد قط، فالأولاد ذكوراً وإناثاً من مواهب الله تعالى وعطاياه. ولذا سن لمن يبشر بالمولود أنه يستبشر به ويراه نعمة أنعم الله بها عليه.

ففي الحديث: «ريح الولد من ريح الجنة». وقال عليه السلام: «الولد في الدنيا نور وفي الآخرة سرور»، وقد ورد: «سوداء ولود خير من حسناء عقيم». وذلك لأن التناسل إنما هو بالولود، ويعرف كونها ولوداً بالصحة والشباب، ولا ينفي الولد الذي يولد على فراشه، فإن الله تعالى يفضحه يوم القيامة ويكتب عليه من الذنب بعدد النجوم والرمال والأوراق.

وقيل: معنى الآية ﴿يهب لمن يشاء إناثاً﴾؛ أي: الدنيا، ﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾؛ أي: الآخرة، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً؛ أي: الدنيا والآخرة، ويجعل من يشاء عقيماً؛ أي: لا دنيا ولا عقبى. كذا في «كشف الأسرار». وفيه إشارة إلى أنوثة الدنيا وذكورة الآخرة. قال أمير خسرو دهلوى:

بـهـران مـردار جـنـدب كـاه زارى كـاه زور
جون غيلواجى كه شش مه ماده وشش مه تراست

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أرباب الولاية من المشايخ المستكملين يهب لبعضهم من المريدين الصادقين الأتقياء الصلحاء، وهم بمثابة الإناث لا تصرف لهم في غيرهم بالتزويج والتسليك، ويهب لبعضهم من المريدين الصديقين المحبين الواصلين الكاملين المستكملين المخرجين. وهم بمثابة الذكور لاستعداد تصرفهم في الطالبين، ويهب لبعضهم من الجنسين المذكورين المتصرفين في الغير وغير المتصرفين ويجعل بعض المشايخ عقيماً لا مريد له أنه عليم بمن يجعله متصرفاً وغير متصرف في المريد قدير على ما يشاء أن يجعله متصرفاً، أو غير متصرف.

يقول الفقير: هذا التفاوت بينهم إما راجع إليهم لحكمة أخفاها الله تعالى، وإما إلى أهالي زمانهم؛ فإنهم متفاوتون كتفاوت الأمم، فماذا يصنع الكاملون المكملون إذا لم يكن في الناس استعداد. قال الحافظ:

كـوهـر بـاك بـبـايـدكـه شـود قـابـل فـيـض   ورنه هرسنك كلى لؤلؤ ومرجان نشود

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿وما كان لبشر﴾؛ أي: وما صح لفرد من أفراد البشر يا محمد. **﴿أن يكلمه الله﴾** بوجه من الوجوه. **﴿إلا وحياً﴾** أصل الوحي الإشارة السريعة، وإنما سمي الوحي وحياً لسرعته، فإن الوحي عين الفهم. عين الأفهام، عين المفهوم منه، كما يذوقه أهل الإلهام من الأولياء. وقد عرف بعضهم الوحي؛ بأنه ما تقع به الإشارة القائمة مقام العبارة في غير عبارة.

وقال الراغب: ويقال للكلمة الإلٰهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحي. يقول الفقير: يعلم منه أن الوحي والإلهام واحد في الحقيقة، وإنما قيل: الوحي في الأنبياء والإلهام في الأولياء تأدباً، كما قيل: دعوة الأنبياء والإرشاد الأولياء، فاستعملوا الدعوة في الأنبياء والإرشاد في الأولياء مع أنهما أمر واحد، فالوحي إما بإلقاء في الروع، كما ذكر عليه السلام: «إن روح القدس نفث في روعي»، وإما بإلهام نحو قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، وإما بتسخير نحو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، أو بمنام كقوله عليه السلام، «انقطع الوحي وبقيت المبشرات رؤيا المؤمن»، فهذه الأنواع دل عليها قول إلا وحياً، فمعناه إلا بأنه يوحي إليه ويلهمه، ويقذف في قلبه، كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم في ذبح ولده وإلى داود الزبور في صدره. قاله مجاهد، وسيأتي تحقيق الآية إن شاء الله تعالى.

﴿أو من وراء حجاب﴾ بأن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه، فهو تمثيل له بحال الملك المحتجب الذي يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته، ولا يرى شخصه وإلا فالله تعالى منزه عن الاستتار بالحجاب الذي هو من خواص الأجسام، فالحجاب يرجع إلى المستمع لا إلى الله تعالى المتكلم. وذلك كما كلم الله تعالى موسى في طوى والطور. ولذا سمي كليم الله؛ لأنه سمع صوتاً دالاً على كلام الله من غير أن يكون ذلك الصوت مكتسباً لأحد من الخلق، بل تولى الله تخليقه إكراماً له، وغيره يسمعون صوتاً مكتسباً للعباد، فيفهمون به كلام الله هذا مذهب إمامنا أبي منصور. ذكره في كتاب «التأويلات».

وذهب أبو الحسن الأشعري إلى أن موسى سمع كلام الله من غير واسطة صوت أو قراءة، وإلى هذا ذهب ابن فورك من الأشعرية. قال في «كشف الأسرار» كلمه وبينهما حجاب من نار.

وقال الكاشفي: [يا موسى سخن كفت واودر بس حجاب نور بود در موضح آورده كه خداى تعالى بابيغمبر عليه السلام سخن كفت از وراى حجابين يعني حضرت رسالت بناه عليه السلام وراى دو حجاب بودكه سخن خداى تعالى شنيد حجابى از زر سرخ وحجابى از مروا ريد سفيد مسيرة ميان هردو حجاب هفتاد سال راه بود].

يقول الفقير: هذا من غوامض العلوم، فإن نبينا عليه السلام أعلى كعباً من موسى عليه السلام، فما معنى: أن الله تعالى كلم موسى من وراء حجاب واحد وكلم نبينا من وراء حجابين، وإن حصل فرق بين حجاب وحجاب. ولعل المراد بالحجابين: حجاب الياقوتة الحمراء الذي يلي جانب الخلق وحجاب الدرة البيضاء الذي يلي عالم الأمر، وكلاهما عبادة

عن الروح المحمدي. والحقيقة الأحمدية بكون مسافة ما بين الحجابين مسيرة سبعين ألف حجاب بين الرب والعبد، فمعنى: أن النبي عليه السلام سمع كلام الله من وراء هذين الحجابين أن الله تعالى كلمه وبينهما الحقيقة الجامعة البرزخية، وليس ذلك بحجاب في الحقيقة، كما أن المرآة ليست بحجاب للناظر، وكذا القناع بالنسبة إلى العروس، فافهم جداً.

﴿أو يرسل رسولاً﴾؛ أي: ملكاً من الملائكة إما جبريل أو غيره. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم ير جبرائيل إلا أربعة من الأنبياء: موسى وعيسى وزكريا ومحمد عليه السلام.

قال في «عين المعاني»: عسى أنه أراد برؤيته كما هو، وإلا فهو سفير الوحي. انتهى.

﴿فيوحي﴾ ذلك الرسول إلى المرسل إليه الذي هو الرسول البشري ﴿بإذنه﴾؛ أي: بأمره تعالى وتيسيره. ﴿ما يشاء﴾ أن يوحيه إليه، وهذا هو الذي جرى بينه تعالى وبين الأنبياء عليهم السلام في عامة الأوقات من الكلام، فيكون إشارة إلى التكلم بواسطة الملك.

روي: أن النبي عليه السلام قال: «من الأنبياء من يسمع الصوت فيكون بذلك نبياً ومنهم من ينفث في أذنه وقلبه، فيكون بذلك نبياً، وإن جبرائيل يأتيني فيكلمني كما يكلم أحدكم صاحبه».

وعن عائشة رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال. وأحياناً يتمثل الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول». قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً». والتفصد والانفصاد: [فرود ويدن]. ﴿إنه علي﴾ متعال عن صفات المخلوقين لا يأتي جريان المفاوضة بينه تعالى، وبينهم إلا بأحد الوجوه المذكورة. ﴿حكيم﴾ يجري أفعاله على سنن الحكمة، فيكلم تارة بواسطة وأخرى بدونها إما إلهاماً، أو خطاباً.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن البشر مهما كان محجوباً بصفات البشرية موصوفاً بأوصاف الخلقية الظلمانية الإنسانية لايكون مستعداً أن يكلمه الله إلا بالوحي أو بالإلهام في النوم واليقظة، أو من وراء حجاب بالكلام الصريح، أو يرسل رسولاً من الملائكة، فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي بعلو القدم لا يجانسه محدث حكيم فيما يساعد البشر بإفناء أنانيته بهويته، فإذا أفنيت البشرية وارتفعت الحجب وتبدلت كينونته بكينونة الحق، حتى به يسمع وبه يبصر وبه ينطق، فيكلمه الله تعالى شفاهاً وبه يسمع العبد كلامه كفاحاً، كما كان حال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سر فأوحى إلى عبده ما أوحى. انتهى.

يعني: [مصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم شب معراج از حق سخت شنيد بى واسطة]. وكان آمن الرسول مما شافهه به الحق تعالى من غير حجاب، وكذا قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣] إلخ. وكذا بعض سورة الضحى، وبعض سورة: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ﴾ [الشرح: ١] ولزوم من سماع كلامه مشافهة رؤيته بلا حجاب، وكذا حال المؤمنين يوم القيامة، فإنهم يرون ربهم كما يرون القمر ليلة البدر، ويسمعون كلامه بلا حجاب. فالوحي إذاً قسمان مشافهة وغير مشافهة، وعليه يحمل ما روي أن اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى ونظر إليه فإنا لن نؤمن حتى تفعل ذلك. فقال عليه السلام: «لم ينظر موسى إلى الله» فنزلت فأشار إلى أن الكلام حصل لموسى، ولكن

من وراء حجاب دون النظر، وكذا للنبي عليه السلام ما دام على حال البشرية.

وكذا ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، ثم قالت: أولم تسمعوا ربكم يقول، وتلت هذه الآية: ﴿وما كان لبشر﴾» إلخ. فأشارت إلى مرتبة الحجاب وسره أن الله تعالى قال: ﴿وما كان لبشر﴾، فعبر بعنوان البشرية، وليس من حد البشر أن يرى ربه عياناً، وهو في حد الدنيا باقٍ على بشريته، أو يكلمه الله كفاحاً.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره: الأظهر في «تلقيح الأذهان» تكليم الله البشر في ثلاث مراتب، كما قال سبحانه: ﴿وما كان لبشر﴾ إلخ. فالكل وحي. ولكن بعضه بلا واسطة عند خروجه عن حد البشرية إلا أنك إن كنت أنت السامع لم تحصل على هذه المشاهدة الذاتية حتى تكون أنت المسمع فمشاهدة الذات لا تتم مع المناجاة وبعضه بواسطة عند الرجوع إلى البشرية، ولا تزال هكذا حتى تفنى عن نفس السماع، وتبقى مشاهداً للحق لتسمع نفسه بنفسه، فإنه من تحقق بالإنفاق حتى يسمع وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه. سمع قوله ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ [المزمل: ٩]. انتهى. قال الشيخ روز بهان البقلي في «عرائس البيان» كانت لي واقعة في ابتداء الأمر. وذلك أني شاهدت الحق بالحق وكاشف لي مشاهدة جماله، وخاطبني من حيث الأرواح لا من حيث الأشباح، فغلب على سكر ذلك، وأفشيت حالي بلسان السكر، فتعرض لي واحد من أهل العلم وسألني كيف تقول ذلك، وأن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بأنه لم يخاطب أحداً من الأنبياء والرسل إلا من وراء حجاب، كما قال، ﴿وما كان لبشر﴾ إلخ.

فقلت: صدق الله هذا إذا كانوا في حجاب البشرية، فإذا خرجوا بشرط الأرواح إلى عالم الغيب ورأوا الملكوت ألبسهم الله أنواراً قربه وكحل عيونهم بنور ذاته، وألبس أسماعهم قوة من قوى الربوبية وكشف لهم سر الغيرة، وحجاب المملكة وخاطبهم كفاحاً وعياناً. ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أخص خاصية إذ هو مصطفى في الأزل بالمعارج والمشاهدة، فإذا صار جسمه روحه وكان واحداً من كل الوجوه صعد إلى الملكوت. ورأى الحق بنور الجبروت وسمع خطابه بلا واسطة، ورأى الحق بلا حجاب إذ الحجاب وصف المخلوقين، والحق منزه عن أن يحجبه شيء.

وحكي: أن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه قال له شخص: أرني ربي، فقال: أولم تسمع أن الله تعالى يقول لموسى: لن تراني، مع أنه نبي عظيم. قال: إن من هذه الملة الأحمدية من يقول: رأى قلبي ربي، ومنهم من يقول: لا أعبد رباً لم أره، فلما لم يمسك عن مسألته أمر جعفر بأن يلقي ذلك الشخص في الدجلة، ففعلوا، فقال: يا ابن رسول الله الغياث. قال الصادق: يا ماء اغمسه حتى فعل ذلك مراراً يعني: استغاث بالصادق، فلما انقطع رجاؤه عن الخلق قال: إلٰهي الغياث.

[صادق كفت بياوريدش بركر فتند وبياوردند وآبى كه مانده بودازكوش وبينى اوريختند جون باخود آمد كفت بآن حق راديدى كفت يا خيال اغيار مى مانده دست در غير مى زدم حجاب مى بود جون بناه بكلى بوى آوردم ومضطر نشدم روزنه دردل من كشاده شد وبدا نجا نكريستم آنجه مى جستم ديدم وتا اضطرار نبود آن نبود صادق كفت تا صادق را مى خواند مى صديق نبودى اكنون آن كوجه روزنه راه نكاه داركه جهان خدا بدنيجا فروست]، فقد علمت

من هذا التقرير أن الآية تدل على جواز الرؤية لا على امتناعها، وإنما تدل على الامتناع حال البشرية وبقائها وجود [عين غبار يست درره ديداره غبار مانع ديدار ميشود هش دار].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿وكذلك﴾؛ أي: مثل ذلك الإيحاء البديع، أو كما أوحينا إلى سائر رسلنا. **﴿أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾**: هو القرآن الذي هو للقلوب بمنزلة الروح للأبدان حيث يحييها حياة طيبة؛ أي: يحصل لها به ما هو مثل الحياة، وهو العلم النافع المزيل للجهل الذي هو كالموت.

وقال الراغب سمي القرآن روحاً لكونه سبباً للحياة الأخروية الموصوفة في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. ومعنى من أمرنا. بالفارسية: [بفرمان ما او]. روحاً ناشئاً ومبتدأ من أمرنا، وقد سبق في ﴿حمٓ ﴿١﴾﴾ [غافر: ١] المؤمن. وقيل: هو جبرائيل، ومعنى إيحائه إليه عليه السلام إرساله إليه بالوحي، فإن قلت: كيف علم الرسول عليه السلام في أول الأمر أن الذي تجلى له جبرائيل، وأن الذي سمعه كلام الله تعالى. قلت: خلق الله تعالى له علماً ضرورياً علم به ذلك، والعلم الضروري يوجب الإيمان الحقيقي، ويتولد من ذلك اليقين والخشية، فإن الخشية على قدر المعرفة.

﴿ما كنت تدري﴾ قبل الوحي في أربعين سنة والمراد وحي النبوة. **﴿ما الكتاب﴾**؛ أي: أي شيء هو، يعني: [جون قرآن منزل نبود ندانستى آنرا]. والنفي معلق للفعل عن العمل وما بعده ساد مسد المفعولين ومحل ما كنت. إلخ. حال من كاف إليك، كما في «تفسير الكواشي». **﴿ولا الإيمان﴾**؛ أي: الإيمان بتفاصيل ما في تضاعيف الكتاب من الأمور التي لا تهتدي إليها العقول لا الإيمان بما يستقل به العقل والنظر، فإن درايته عليه السلام له مما لا ريب فيه قطعاً، فإن أهل الوصول اجتمعوا على أن الرسل عليهم السلام، كانوا مؤمنين قبل الوحي معصومين من الكبائر ومن الصغائر الموجبة لنفرة الناس عنهم قبل البعثة وبعدها فضلاً عن الكفر، وهو مراد من قال: لا يعرف القرآن قبل الوحي ولا شرائع الإيمان ومعالمه، وهي إيمان كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي: صلاتكم سماها إيماناً؛ لأنها من شعب الإيمان، ويدل عليه أنه عليه السلام قيل له: هل عبدت وثناً قط قال: لا قيل: هل شربت خمراً قط. قال: لا وما زلت أعرف أن الذين هم عليه كفر، وما كنت أدري ما الكتاب؟ ولا الإيمان؛ أي: الإيمان الشرعي المتعلق بتفاصيل الأحكام. ولذلك أنزل في الكتاب: **﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾**.

قال ابن قتيبة: لم تزل العرب على بقايا من دين إسماعيل من الحج والختان والنكاح وإيقاع الطلاق والغسل من الجنابة، وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والمصاهرة. وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما كانوا عليه في مثل هذه الشرائع، وكان يوحد ويبغض اللات والعزى ويحج ويعتمر ويتبع شريعة إبراهيم عليه السلام، ويتعبد بها حتى جاءه الوحي وجاءته الرسالة، فقول البيضاوي. وهو دليل على أنه لم يكن متعبداً قبل النبوة بشرع ممنوع، فإن عدم الدراية لا يلزمه عدم التعبد بل يلزمه سقوط الإثم إن لم يكن تقصير، فالحق إن المراد هو الإيمان بما لا طريق إليه إلا السمع.

وقال بعضهم: هذا تخصيص بالوقت، يعني: كان هذا قبل البلوغ حين كان طفلاً، وفي المهد ما كان يعرف الإيمان، وهو ضعيف؛ لأنه عليه السلام أفضل من يحيى وعيسى عليهما السلام، وقد أوتي كل الحكم والعلم صبياً.

وقال بعضهم: هو من باب حذف المضاف؛ أي: ولا أهل الإيمان، يعني: من الذي يؤمن ومن الذي لا يؤمن قبل أن يظهر إيمان من آمن وكفر من كفر، كما قال ابن الفضل أهله؛ لأنه ظن أن أبا طالب يؤمن كما قال عليه السلام: «أردنا إسلام أبي طالب، وأراد الله إسلام العباس، فكان ما أراد الله دون ما أردنا»، وهو ضعيف أيضاً؛ لأنه عليه السلام: لا يدري بعد الوحي أيضاً جميع من يؤمن، ومن يصر إلى آخر العمر. ﴿ولكن جعلناه﴾؛ أي: الروح الذي أوحينا إليك والجعل بمعنى: التصيير لا بمعنى الخلق وحقيقته أنزلناه. ﴿نوراً نهدي به من نشاء﴾ هدايته بالتوفيق للقبول والنظر فيه. ﴿من عبادنا﴾، وهو الذي يصرف اختياره نحو الاهتداء به. ﴿وإنك لتهدي﴾: تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدي محذوف ثقة بغاية الظهور؛ أي: وإنك لتهدي بهذا النور وترشد من نشاء هدايته. ﴿إلى صراط مستقيم﴾ هو الإسلام وسائر الشرائع والأحكام والصراط من السبيل ما لا التواء فيه؛ أي: لا اعوجاج، بل يكون على سبيل القصد.

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

﴿صراط الله﴾ بدل من الأول. ﴿الذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾ خلقاً وملكاً وإضافة الصراط إلى الاسم الجليل ووصفه بالذي. إلخ لتفخيم شأنه وتقرير استقامته وتأكيد وجوب سلوكه، فإن كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقاً وملكاً وتصرفاً مما يوجب ذلك أتم إيجاب.

قال بعضهم: دعونا أقواماً في الأزل، فأجابوا، فأنت تهديهم إلينا وتدلهم علينا، وإنما كان عليه السلام هادياً؛ لأنه نور كالقرآن ولمناسبة نوره مع نور الإيمان والقرآن. قيل: كان خلقه القرآن:

أي نور إلٰهي زجبين توهويدا ... سر ازل از نور جمالت شده بيدا

﴿ألا﴾ كلمة تذكرة لتبصرة أو تنبيه لحجة وبالفارسية بدانيدكه ﴿إلى الله﴾ لا إلى غيره. ﴿تصير الأمور﴾؛ أي: أمور ما فيهما قاطبة بارتفاع الوسائط والتعلقات. يعني: يوم القيامة، فيحمل تصير على معنى الاستقبال، ففيه من الوعد للمهتدين إلى الصراط المستقيم والوعد للضالين عنه ما لا يخفى.

وقال في «بحر العلوم» إلى الله تصير أمور الخلائق كلها في الدنيا والآخرة، فلا يدبرها إلا هو حيث لا يخرج أمر من الأمور من قضائه وتقديره [ونزد محققان باز كشت همه امور درهمه اوقات وأحوال بحضرت اوست وبارتفاع حجب ووسائط مشاهده اين معنى دست دهد. صورت كثرت حجب وحدتست. غيبت ما مانع نور حضور. ديده دل باز كشاويبين، سر إلى الله تصير الأمور]. وذلك لأن الله مبدأ كل ومرجعه ومصيره إما بالفناء الاختياري، أو بالفناء الاضطراري. [يكبار حسن بصري رحمه الله بجنازة رفت جون مرده را در كور نهادند وخاك راست كردند حسن برسرآن خاك نشست وجندان بدان كريست كه خاك كل شد بس كفت اي

مردمان أول آخر بحدست آخر دنيا نكرى كورست واول اخرت نكرى كورست كه القبر منزل من منازل الآخرة جه مى نازيد بعالمى كه آخرش اينست يعني: كور وجون نمى ترسيد از عالمى كه او لش اينست يعني: كور جون اول آخرش اينست اى أهل غفلت كار اول وآخر بسازيد. شب كور خواهى منور جو روز. ازبنجا جراغ عمل برفروز. بران خورد سعدي كه بيخى نشاند. كسى برد خر من كه نخمى فشاند].

وعن سهل بن أبي الجعد: احترق مصحف، فلم يبق إلا قوله تعالى: ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ وغرق مصحف فانمحى كل شيء إلا ذلك كذا في «عين المعاني» للسجاوندي.

تمت سورة الشورى في أواخر شهر ربيع الآخر المنتظم
في شهور سنة ثلاث عشرة مائة وألف

٤٣ ـ سورة الزخرف

تسع وثمانون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾.

﴿حم﴾؛ أي: القرآن مسمى بـ﴿حم﴾، أو هذه السورة مسماة به.

يقول الفقير أمده الله القدير: ﴿حم﴾ إشارة إلى الاسمين الجليلين من أسمائه تعالى، وهما: الحنان والمنان، فالحنان هو الذي يقبل على من أعرض عنه. وفي «القاموس»: الحنان كشداد اسم لله تعالى، ومعناه: الرحيم. انتهى.

والمنان: هو الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال، كما قال في «القاموس»: المنان من أسماء الله تعالى، المعطي ابتداءً. انتهى.

وقد جعل في داخل الكعبة ثلاث أسطوانات:

الأولى: أسطوانة الحنان.

والثانية: أسطوانة المنان.

والثالثة: أسطوانة الديان، وإنما أضيفت إلى الله تعالى تعظيماً كما قيل: بيت الله وناقة الله، فأشار بهذه الأسماء الثلاثة حيث جعلت في داخل الكعبة المشار بها إلى الذات الأحدية إلى أن مقتضى الذات هو الرحمة والعطاء في الدنيا والمجازاة والمكافأة في الآخرة وبرحمته أنزل القرآن كما قال مقسماً به.

﴿والكتاب﴾ بالجر على أنه مقسم به إما ابتداء أو عطف على ﴿حم﴾ على تقدير كونه مجروراً بإضمار باء القسم على أن مدار العطف المغايرة في العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة في تأكيد مضمون الجملة القسمية. ﴿المبين﴾؛ أي: البين لمن أنزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى أساليبهم، فيكون من أبان بمعنى بان؛ أي: ظهر، أو المبين لطريق الهدى من طرق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج إليه في أبواب الديانة، فيكون من أبان بمعنى أظهر وأوضح. وقال سهل: بين فيه الهدى من الضلالة والخير من الشر وبين سعادة السعداء وشقاوة الأشقياء.

وقال بعضهم: المراد بالكتاب الخط والكتابة يقال: كتبه كتباً وكتاباً خطه أقسم به تعظيماً لنعمته فيه، إذ فيه كثرة المنافع، فإن العلوم إنما تكاملت بسبب الخط فالمتقدم إذا استنبط علماً، وأثبته في كتاب وجاء المتأخر، وزاد عليه تكاثرت به الفوائد.

يقول الفقير: لعل السبب في حمل الآية على هذا المعنى الغير الظاهر لزوم اتحاد المقسم به والمقسم عليه على تقدير حملها على القرآن، وليس بذلك كما يأتي.

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾ إن قلت: هذا يدل على أن القرآن مجعول والمجعول مخلوق. وقد قال عليه السلام: «القرآن كلام الله غير مخلوق». قلت: المراد بالجعل هنا تصيير الشيء على حالة دون حالة. فالمعنى: أنا صيرنا ذلك الكتاب قرآناً عربياً بإنزاله بلغة العرب ولسانها، ولم نصيره أعجمياً بإنزاله بلغة العجم مع كونه كلامنا وصفتنا قائمة بذاتنا عرية عن كسوة العربية منزهة عنها وعن توابعها. ﴿لعلكم تعقلون﴾ كلمة لعل مستعارة لمعنى كي، وهو التعليل وسببية ما قبلها لما بعدها لكون حقيقة الترجي والتوقع ممتنعة في حقه تعالى لكونها مختصة بمن لا يعلم عواقب الأمور. وحاصل معناها: الدلالة على أن الملابسة بالأول لأجل إرادة الثاني من شبه الإرادة بالترجي.

فقوله: ﴿لعلكم تعقلون﴾ في موضع النصب على المفعول له، وفعل الله تعالى، وإن كان لا يعلل بالغرض لكن فيه مصلحة جليلة وعاقبة حميدة، فهي كلمة علة عقلاً وكلمة مصلحة شرعاً مع أن منع التعليل بالغرض العائد إلى العباد بعيد عن الصواب جداً، لمخالفته كثيراً من النصوص.

والمعنى: لكي تفهموا القرآن العربي وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق، والمعنى الفائق وتقفوا على ما تضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلك وتنقطع أعذاركم بالكلية إذ لو أنزلناه بغير لغة العرب ما فهمتموه، فقوله: ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾ جواب للقسم، لكن لا على أن مرجع التأكيد جعله كذلك، كما قيل: بل ما هو غايته التي يعرب عنها قوله تعالى: ﴿لعلكم تعقلون﴾، فإنها المحتاجة للتأكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بأمرهم وإتمام النعمة عليهم وإزاحة أعذارهم. كذا في «الإرشاد».

وقال بعضهم: أقسم بالقرآن على أنه جعله قرآناً عربياً، فالقسم والمقسم عليه من بدائع الإقسام لكونهما من واحد، فالمقسم به ذات القرآن العظيم، والمقسم عليه وصفه، وهو جعله قرآناً عربياً، فتغايرا؛ فكأنه قيل: والقرآن المبين أنه ليس بمجرد كلام مفترى على الله وأساطير، بل هو الذي تولينا إنزاله على لغة العرب، فهذا هو المراد بكونه جواباً لا مجرد كونه عربياً إذ لا يشك فيه وإنما جعله مقسماً به إشارة إلى أنه ليس عنده شيء أعظم قدراً وأرفع منزلة منه حتى يقسم به، فإن المحب لا يؤثر على محبوبه شيئاً، فأقسم به، ليكون قسمه في غاية الوكادة. وكذا لا أهم من وصفه، فيقسم عليه.

﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾﴾.

﴿وإنه﴾؛ أي: ذلك الكتاب. ﴿في أم الكتاب﴾؛ أي: في اللوح المحفوظ، فإنه أصل الكتاب؛ أي: جنس الكتب السماوية، فإن جميعها مثبتة فيه على ما هي عليه عند الأنبياء ومأخوذة مستنسخة منه.

قال الراغب: قوله ﴿في أم الكتاب﴾؛ أي: في اللوح المحفوظ. وذلك لكون كل منسوباً إليه ومتولداً فيه، والكتاب اسم للصحيفة مع المكتوب فيها. ﴿لدينا﴾؛ أي: عندنا. ﴿لعلي﴾ رفيع القدر بين الكتب شريف. ﴿حكيم﴾ ذو حكمة بالغة أو محكم لا يتطرق إليه

نسخ بكتاب آخر، ولا تبديل، وهما؛ أي: علي وحكيم خبران؛ لإن وما بينهما بيان لمحل الحكم؛ كأنه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا في أم الكتاب الذي هو أشرف مكان وأعزه لدينا.

والجملة استئناف لا محل لها من الإعراب. وهذا كما قال في «الجلالين» يريد أنه يثبت عند الله في اللوح المحفوظ بهذه الصفة. واعلم أن اللوح المحفوظ خلقه الله تعالى من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور عرضه كما بين السماء والأرض ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق بكل نظرة ويحيي ويميت، ويعز ويذل ويفعل ما يشاء.

وفي الخبر أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ: كل حرف منها بقدر جبل قاف وإن تحت كل حرف معاني لا يحيط بها إلا الله تعالى، ولذا لم يقم لفظ مقام لفظه ولا حرف مقام حرفه، فهو معجز من حيث اللفظ.

والمعنى: ولما كان القلب الإنساني هو اللوح الحقيقي المعنوي نزل على قلبه عليه السلام القرآن، واستقر فيه إلى الأبد دنيا وآخرة، وكذا نزل من حيث المعنى على قلوب ورثته عليه السلام كما أخبر عنه أبو يزيد قدس سره، وكما أن الله تعالى ينظر كل يوم في اللوح المحفوظ ثلاثمائة وستين نظرة كذلك ينظر في لوح القلب ذلك العدد، فيمحو ما يشاء ويثبت. والمراد باليوم هو اليوم الآتي المنبسط عند الله إلى ألف سنة وأشير إليها بعدد أيام السنة، فافهم جداً، فإن كان القلب لوح الله تعالى، فينبغي للعبد أن يمحو عنه آثار الغير ويزينه بما يليق به، فإنه المنظر الإلهي.

قال بعض الكبار: إذا كان ميل المرء إلى الشهوة، والصورة والخلق يشتغل بتزيين ظاهره باللباس المعتبر عند الناس، وإذا كان ميله إلى المحبة والحقيقة والحق يشتغل بتزيين باطنه بما يعتبر عند الله، ولا يلتفت إلى ظاهره، بل يكتفي بما يحفظه من الحر والبرد؛ أي: شيء كان.

وقال بعض الكبار: تتبع كتاب الله في الليل والنهار يوصلك إلى مقام الأحرار؛ لأن كل ما يؤدي إلى ذكر الله تعالى، فهو علاج القلوب المريضة؛ لأن أعظم الأمراض القلبية هو نسيان الله تعالى، كما قال: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] ولا شك أنه علاج أمر بضده، وهو ذكر الله. كما قال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]:

دلت آيينه خداى نماست روى آيينه توتيره جراست
صيقلى دارى صيقلى ميزن تاكه آيينه ات شود روشن
صيقل آن اكرنه آكاه نيست جز لا إلٰه إلا الله

﴿أفنضرب عنكم الذكر﴾ بعد ما بين علو شأن القرآن العظيم وحقق أن إنزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بإنكار أن يكون الأمر بخلافه، فقيل: أفنضرب عنكم الذكر. والفاء: للعطف على محذوف يقتضيه المقام. والمعنى: أنهملكم فنحي القرآن عنكم، ونبعده ونترك الأمر والنهي والوعد والوعيد مجاز من قولهم: ضرب الغرائب عن الحوض استعارة تمثيلية شبه حال الذكر وتنحيته بحال غرائب الإبل وذودها، ثم استعمل ما كان مستعملاً في تلك القصة، ها هنا. والمراد بالغرائب البعران الأجانب والإبل إذا وردت الماء ودخلت بينها ناقة غريبة من غيرها ذيدت وطردت عن الحوض.

وفيه إشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر إليهم بملازمته لهم؛ كأنه يتهافت عليهم. **﴿صفحاً﴾** الصفح: الإعراض يقال: صفح كمنع أعرض وترك وعنه عفا والسائل رده كأصفحه وسُمي العفو صفحاً لأنه إعراض عن الانتقام من صفحة الوجه؛ لأن من أعرض عنك، فقد أعطاك صفحة وجهه. والمعنى: إعراضاً عنكم على أنه مفعول له للمذكور أو صافحين على أنه حال، أو مصدر من غير لفظه، فإن تنحية الذكر عنهم إعراض. **﴿أن كنتم قوماً مسرفين﴾** السرف: تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان؛ أي: لأن كنتم منهمكين في الإسراف في المعاصي مصرين عليه على معنى أن حالكم، وإن اقتضى تخليتكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة، وتبقوا في العذاب الخالد لكنا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك، بل نهديكم إلى الحق بإرسال الرسول الأمين وإنزال الكتاب المبين.

[در تبيان كفته كه بسبب شرك شما قرآنرا بآسمان نخواهيم بردكه دانسته ايم كه زود بيايند قومى كه بدو بكروند وباحكام آن عمل كنند].

وإنما يرتفع القرآن في آخر الزمان. قال قتادة: والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا، أو لكن عاد بعائدته ورحمته، فكرره عليهم عشرين سنة، أو ما شاء الله [كفتا والله كه اكر در صدر آن امت رب العزت قرآن از زمين برداشتى بكفر كافران ورد ايشان خلق همه هلاك كردندى ويك كس نماندى لكن حق تعالى بانكار وكفر ايشان ننكريست بفضل ورحمت خود نكريست همجنان قرآن روز بروز مى فرستاد تمامى بيست سال يازياده تاكار دين تمام كشف واسلام قوى شد].

وفيه إشارة إلى أن من لم يقطع اليوم خطابه عمن تمادى في عصيانه وأسرف في أكثر شأنه كيف يمنع غداً لطائف غفرانه وكرائم إحسانه عمن لم يقصر في إيمانه، ولم يدخل خلل في عرفانه، وإن تلطخ بعصيانه.

[دارم از لطف ازل جنت فردوس طمع كرجه درباني ميخانه فراوان كردم بير طريقت درمناجات خويش كفته إلٰهي توانى كه از بنده ناسزامى بينى وبعقوبت نشتابى از بنده كفر مى شنوى ونعمت ازوى بازنكيرى ثواب وعفو بروى عرضه ميكنى وبيغام وخطاب خود اوراباز خوانى واكرباز آيد وعده مغفرت ميدهى كه]. ﴿إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

جون بادشمن بدكر دار جنينى جه كويم كه دوست نكوكار راجونى. دوستا نراكجا كنى محروم. توكه بادشمنان نظر دارى.

﴿وكم أرسلنا من نبي في الأولين﴾. كم خبرية في موضع النصب على أنه مفعول مقدم لأرسلنا، ومن نبي تمييز. وفي الأولين متعلق بأرسلنا، أو بمحذوف مجرور على أنه صفة لنبي. والمعنى: كثيراً من الأنبياء أرسلنا في الأمم الأولين والقرون الماضية.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾.

﴿وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون﴾ ضمير يأتيهم إلى الأولين، وهو حكاية حال ماضية مستمرة؛ لأن ما إنما تدخل على مضارع في معنى الحال، أو على ماضٍ قريب منها: أي: كانوا على ذلك.

والمعنى بالفارسية: [ونيايد بايشان هيج بيغمبرى مكر افسوس كردند برو]. يعني: أن عادة الأمم مع الأنبياء الذين يدعونهم إلى الدين الحق هو التكذيب والاستهزاء، فلا ينبغي لك أن تتأذى من قومك بسبب تكذيبهم واستهزائهم؛ لأن المصيبة إذا عمت خفت. **﴿فأهلكنا أشد منهم﴾**؛ أي: من هؤلاء القوم المسرفين وهم: قريش. **﴿بطشاً﴾**: تمييز وهو الظاهر، أو حال من فاعل أهلكنا؛ أي: باطشين.

قال الراغب: البطش تناول الشيء بصولة، والأخذ بشدة. يعني: [اقرباى ايشانرا اهلاك كرديم وشدت وشوكت ايشان مارا عاجز نداشت]. فهو وعد له عليه السلام ووعيد لهم بمثل ما جرى على الأولين ووصفهم بأشدية البطش لإثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الأولوية. **﴿ومضى مثل الأولين﴾**؛ أي: سلف في القرآن غير مرة ذكر قصتهم التي حقها أن تسير مسير المثل، وهم: قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم.

وفي الآية إشارة إلى كمال ظلومية نفس الإنسان وجهوليته وكمال حلم الله وكرمه وفضل ربوبيته بأنهم وإن بالغوا في إظهار أوصافهم الذميمة وأخلاقهم اللئيمة بالاستهزاء مع الأنبياء والمرسلين والاستخفاف بهم إلى أن كذبوهم وسعوا في قتلهم من أهل الأولين والآخرين. وكذلك يفعلون أهل كل زمان مع ورثة الأنبياء من العلماء المتقين والمشايخ السالكين الناصحين لهم، والداعين إلى الله والهادين لهم، فالله تعالى لم يقطع عنهم مراحم فضله وكرمه. وكان يبعث إليهم الأنبياء وينزل عليهم الكتب، ويدعوهم إلى جنابه وينعم عليهم بعفوه وبغفرانه.

ومن غاية إفضاله وإحسانه تأديباً وترهيباً بعباده أهلك بعض المتمردين المتمادين في الباطل ليعتبر المتأخرون من المتقدمين:

جو بركشته بختى در افتد به بند ... از ونيك بختان بكيرند بند

قال في «كشف الأسرار»: [عجب كاريست هركجاكه حديث دوستان دركيرند آستان بيكانكان دران بيوند دد وهركجاكه لطافتى وكرامتى نمايد قهرى وسياستى در برابرآن نهد هركجاكه حقيقى است مجازى آفريده تا برروى حقيقت تمرد افشاند وهر حجتى شبهتى آميخت تا رخسارة حجت مى خراشد هركجاكه علمى است جهلى بيدا آورده تابر سلطان علم برمى آو يزد هركجاكه توحيد ست شركى بديد آورد تا باتوحيد طريق منازعت مى سبرد وبعدد هردوستى هزار دشمن آفريده بعدد هر صديقى هزار زنديق آورده هركجا مسجد است كليسايى در برابر او بنا كرده هركجا صومعة خراباتى هركجا طيلسانى زنارى هركجا اقرارى انكارى هركجا عابدى جاحدى هركجا دوستى دشمنى هركجا صادقى فاسقى. جور دشمن جه كند كرنكشد طالب دوست. كنج ومار وكل وخار وغم وشادى بهمند. از شرق تاغرب بر زينت ونعمت كرده ودرهر نعمتى تعبيه محنتى دربيش ساخته من نكد الدنيا مضرة الزرنيخ ومنفعة الهليلج بير طريقت كفت آدمي راسه حالتست سربيان مشغولست يا طاعات است كه اورا ازان سودمندى است يا معصيت كه اورا ازان بشيمانى است يا غفلت است كه اورا ايانكارى است بند نيكوتر از قرآن جيست وناصح مهربان ترا زمولى كيست سرمايه فراح ترا زايمان جيست رابح ترا زتجارت بالله جيست مكر كه آدمي را بزبان خرسندى ويقطيعت رضا دادنى واورا از مولى بيزارى بيداران روز كردد كه بيود بوى هرجه بودنى است بندانكه بذيردكه باو رسد آنجه رسيدنى است اين صفت آن قوم كه رب العزة ميكيويد].

﴿فأهلكنا أشد منهم بطشاً ومضى مثل الأولين﴾ نسأل الله العصمة.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿ولئن سألتهم﴾: يعني: قومك وهم قريش، ﴿من﴾: استفهام بمعنى كه بالفارسية. ﴿خلق السماوات والأرض﴾؛ أي: الأجرام العلوية والسفلية. ﴿ليقولن﴾: اعترافاً بالصانع. ﴿خلقهن العزيز﴾ في حكمه وملكه. ﴿العليم﴾، بأحوال خلقه [جه اين نوع آفرينش كار جاهل وعاجز نتواند بود بس درين آيت اخبار ميكند ازغايت جهل انسانكه مقرند بآفريننده قوي ودانا وعبادت غير أو ميكويد].

قال في «الإرشاد»: ليسندن خلقها إلى من هذا شأنه في الحقيقة. وفي نفس الأمر لا أنهم يعبرون عنه، بهذا العنوان. وقد جوز أن يكون ذلك عين عبارتهم، وفي «فتح الرحمٰن»، ومقتضى جواب قريش أن يقولوا خلقهن الله، فلما ذكر الله تعالى المعنى: جاءت العبارة عن الله بالعزيز العليم، ليكون ذلك توطئة لما عدده بعد من أوصافه التي ابتدأ الإخبار بها، وقطعها عن الكلام الذي حكي معناه عن قريش، وهو قوله الذي.

وفي الآية إشارة إلى أن في جبلة الإنسان معرفة لله مركوزة، وذلك لأن الله تعالى ذرأ ذريات بني آدم من ظهورهم وأشهدهم على أنفسهم بخطاب: ألست بربكم، فأسمعهم خطابه وعرفهم ربوبيته وفقهم لإجابته حتى قالوا: بلى. فصار ذلك الإقرار بذر ثمرة إقرارهم بخالقية الله تعالى في هذا العالم، لكن الله تعالى لعزته لا يهتدي إلى سرادقات عزته إلا من أعزه الله تعالى بجذبات عنايته، وهو العليم الذي يعلم حيث يجعل رسالاته. اسم أعظم [بكند كار خود اى دل خوش باش. كه بتلبيس وحيل ديو سليمان نشود].

﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً﴾ استئناف من جهته تعالى. والجعل بمعنى تصيير الشيء على حاله دون حالة والمهد والمهاد المكان الممهد الموطأ لقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [البقرة: ٢٢]؛ أي: بسطها لكم تستقرون فيها. وبالفارسية: [ساخت براى شما زمين را بساطى كسترده تاقراركاه شما باشد].

وفي «بحر العلوم»: جعل الأرض مسكناً لكم تقعدون عليها وتنامون وتنقلبون كما ينقلب أحدكم على فراشه ومهاده. ﴿وجعل لكم فيها سبلاً﴾ تسلكونها في أسفاركم لأمور الدين والدنيا جمع سبيل، وهو من الطرق ما هو معتاد السلوك.

وقال الراغب: السبيل الطريق الذي فيه سهولة. ﴿لعلكم تهتدون﴾؛ أي: لكي تهتدوا لسلوكها إلى مقاصدكم. يعني: [بسوى بلاد ودياري كه خواهيد]. أو بالتفكر فيها إلى التوحيد الذي هو المقصد الأصلي.

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾ بمقدار ووزن ينفع العباد والبلاد، ولا يضرهم

وبالفارسية: [آبى باندازه حاجت ومصلحت يعنى نه بسيار غرق شدن باشد جون طوفان ونه اندك كه مهمات زراعت وغير اورا كفايت نكند]. وهذه عادة الله في عامة الأوقات، وقد ينزل بحسب الحكمة ما يحصل به السيول، فيضرهم، وذلك في عشرين أو ثلاثين سنة مرة ابتلاء منه لعباده وأخذاً بهم بما اقترفوا. ﴿**فأنشرنا به**﴾؛ أي: أحيينا بذلك الماء والإنشار إحياء الميت. بالفارسية: زنده كردن مرده را.

﴿**بلدة ميتاً**﴾ مخفف من الميت بالتشديد؛ أي: خالية عن النماء والنبات بالكلية شبه زوال النماء عنها بزوال الحياة عن البدن وتذكير ميتاً؛ لأن البلدة في معنى البلد، والمكان والفضاء.

وقال سعدي المفتي: لا يبعد والله تعالى أعلم أن يكون تأنيث البلد وتذكير الميت إشارة إلى بلوغ ضعف حاله الغاية والالتفات إلى نون العظمة لإظهار كمال العناية بأمر الإحياء والإشعار بعظم خطره. ﴿**كذلك**﴾؛ أي: مثل ذلك الإحياء الذي هو في الحقيقة إخراج النبات من الأرض. ﴿**تخرجون**﴾؛ أي: تبعثون من قبوركم إحياء تشبيه إحيائهم بإحياء البلدة الميت كما يدل على قدرة الله تعالى وحكمته مطلقاً، فكذلك يدل على قدرته على القيامة والبعث. وفي التعبير عن إخراج النبات بالإنشار الذي هو إحياء الموتى، وعن إحيائهم بالإخراج تفخيم لشأن الإنبات وتهوين لأمر البعث لتقويم سند الاستدلال وتوضيح منهاج القياس.

وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى: نزل من سماء الروح ماء الهداية، فأحيا به بلدة القلب الميت كذلك يخرج العبد من ظلمات أرض الوجود إلى نور الله تعالى، فإنه ما دام لم يحيا قلبه بماء الهداية، لم يخرج من ظلمات أرض الوجود، كما أن البذر ما لم يحيا في داخل الأرض بالمطر لم يظهر في ظاهرها، فكان الفيض سبب النور.

روي: أن أم الحسن البصري رضي الله عنه كانت مولاة أم سلمة رضي الله عنها زوجة النبي ﷺ وربما غابت لحاجة، فيبكي فتعطيه أم سلمة ثديها، فيشربه، فنال الحكمة والفصاحة من بركة ذلك. وأيضاً حياة القلب بأسباب منها: الغذاء الحلال. [نقلست كه اويس القرنى رضي الله عنه يكبارسه شبا نروز هيج نخورده بود بيرون آمد برراه يك دينار افتاده بود كفت ازكسى افتاده باشد روى كردانيد تاكياه اززمين برجيند وبخورد ناكاه ديدكه كوسفندى مى آيد وكرده كرم دردهان كرفته بيش وى بنهاد واو كفت مكر ازكسى ربوده باشد روى بكر دانيد كو سفند بسخن درآمد كفت من بنده آن كسم توبنده وى بستان روزى از بنده خداى كفت دست دراز كردم تاكرده بر كيرم كرده دردست خويش ديدم وكوسفند نابديدشد].

يقول الفقير: لعله كان من الأرواح العلوية، وإنما تمثل بصورة الغنم من حيث إن أويس كان الراعي، ومن حيث إن الغنم كان صورة الانقياد والاستسلام.

وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى جعل للناس طرقاً مختلفة من الهداية والضلالة، فأما طريق الهداية فبعدد أنفاس الخلائق وكلها موصلة إلى الله تعالى، وأما طريق الضلالة، فليس شيء منها موصلاً إلى الرحمة، بل إلى الغضب، فليسارع العبد إلى قبول دعوة داعي الرحمة كما قيل: خواص هذه الأمة وأفضل الطرق طريق الذكر والتوحيد. ولذا أمر الله بالذكر الكثير:

بيش روشن دلان بحر صفا ... ذكر حق كوهرست ودن دريا
برورش ده بقعر آن كهرى ... كه نيايد بلب ازان اثرى
تاخدا سازدش بنصرت وعون ... كوهرى قيمتش فزون زدو كون

﴿والذي خلق الأزواج كلها﴾؛ أي: أصناف المخلوقات بأسرها كما قال: **﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾** [يس: ٣٦] لا يشذ شيء منها عن إيجاده واختراعه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الأزواج: الضروب والأنواع كالحلو والحامض والأبيض والأسود والذكر والأنثى.

وقيل: كل ما سوى الله فهو زوج كفوق وتحت ويمين وشمال وقدام وخلف، وماض ومستقبل، وذات وصفات وأرض وسماء وبحر وشمس وقمر وليل ونهار وصيف وشتاء وجنة ونار إلى غير ذلك مما لا يحصى، وكونها أزواجاً يدل على أنها ممكنة الوجود وإن محدثها فرد منزه عن المقابل والمعارض. **﴿وجعل لكم من الفلك﴾**؛ أي: السفن الجارية في البحر. **﴿والأنعام﴾**؛ أي: الإبل والدواب يعني: [جهارپايان]. **﴿ما تركبون﴾**؛ أي: ما تركبونه في البحر والبر على تغليب أحد اعتباري الفعل لقوته على الآخر فإن ركب يعدى إلى الأنعام بنفسه. يقال: ركبت الدابة وإلى الفلك بواسطة حرف الجر. يقال: ركبت في الفلك. وتقديم البيان على المبين للمحافظة على الفاصلة النونية، وتقديم الفلك على الأنعام؛ لأن الفلك أدل دليل على القدرة الباهرة والحكمة البالغة.

﴿لتستووا على ظهوره﴾؛ أي: لتستعلوا على ظهور ما تركبونه من الفلك والأنعام والظهور للأنعام حقيقة لا للفلك، فدل على تغليب الأنعام على الفلك. وإيراد لفظ ظهور بصيغة الجمع مع أن ما أضيف مفرد إليه للمعنى؛ لأن مرجع الضمير جمع في المعنى، وإن كان مفرداً في اللفظ. **﴿ثم تذكروا نعمة ربكم﴾** عليكم **﴿إذا استويتم عليه﴾**.

المراد الذكر بالقلوب؛ لأنه هو الأصل. وله الاعتبار فقد ورد «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم بل إلى قلوبكم ونياتكم». وبه يظهر وجه إيثار تذكروا على تحمدوا.

والمعنى: ثم تذكروا نعمة ربكم بقلوبكم إذا استعليتم عليه معترفين بها مستعظمين لها، ثم تحمدوا عليها بألسنتكم. **﴿وتقولوا﴾** متعجبين من ذلك. **﴿سبحان الذي سخر لنا هذا﴾**: المركوب يعني: [پاكست آن خداى كه رام ونرم كردانيد وزيردست ساخت براى ما اين كشتى واين حيوانرا تابمدد ركوب برايشان قطع بر وبحر ميكنيم].

﴿وما كنا له مقرنين﴾؛ أي: مطيقين بتذليلها يعني: ليس عندنا من القوة والطاقة أن نقرن هذه الدابة والفلك، وأن نضبطها، فسبحان من سخر لنا هذا بقدرته وحكمته. وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى إذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولاحق المنعم بها. قال في «القاموس»: أقرن الأمر أطاقه وقوي عليه، كاستقرن وعن الأمر ضعف ضد، انتهى.

والإقران بالفارسية: [طاقت جيزى داشتن]. وفي «كشف الأسرار»: تقول: أقرنت الرجل إذا ضبطته وساويته في القوة وصرت له قرناً. وقال غيره: أصله وجده قرينه؛ لأن الصعب لا يكون قريناً للضعيف، يعني: أن من وجد شيئاً قرينه لم يصعب عليه، وهو معنى أطاقه. **﴿وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾**؛ أي: راجعون بالموت. وبالفارسية: [باز كردنده كايم در آخر برمركبى كه جنازه كويند وآخر مركبى از مراكب دنيا آنست. هش دار وعنان كشيده رو آخر كار. بر مركب جوبين زجهان خواهى رفت].

وفيه إيذان بأن حق الراكب أن يتأمل فيما يلابسه من المسير، ويتذكر منه المسافرة

العظمى التي هي الانقلاب إلى الله تعالى فيبني أموره في مسيره ذلك على تلك الملاحظة، ولا يخطر بباله في شيء مما يأتي ويذر أمراً ينافيها، ومن ضرورته أن يكون ركوبه لأمر مشروع كالحج وصلة الرحم وطلب العلم. ونحو ذلك. وأيضاً: إن الركوب موقع في الخطر والخوف من حيث إن راكب الدابة لا يأمن من عثارها أو شموسها مثلاً. والهلاك بذلك.

وكذا راكب السفينة لا يأمن انكسارها وانقلابها وغرقها، فينبغي للراكب أن لا يغفل عن الله لحظة ويستعد للقائه، ويعلم أن الموت أقرب إليه من شراك نعله وإن كل نفس يتنفسه؛ كأنه آخر الأنفاس. قال بعضهم: أجل نعمة الله على العباد أن يقويهم على نفوسهم الأمارة وينصرهم عليها، حتى يركبوا عليها ويميتوها بالمجاهدات حتى تستقيم في طاعة الله، وإذا استقامت وجب عليهم شكر النعمة، ومن لم يعرف نعم الله عليه إلا في مطعمه ومشربه ومركبه فقد صغر نعم الله عليه، ثم إن تسخير النفوس بعد استوائها في إطاعة الله يكون بتسخير الله لا بالكسب والمجاهدة. ولذا قال سبحان الذي. إلخ. وإنما ذكر الانقلاب في الآخر؛ لأن رجوع النفس إلى الله إنما هو بعد تسخيرها المذكور.

وقال بعضهم: **﴿وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾** كما جئنا أول مرة. كما قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]؛ أي: كما بدأ خلقنا بإشارة أمر كن وإخراج أرواحنا من كتم العدم إلى عالم الملكوت بنفخته الخاصة ردنا إلى أسفل سافلين. القالب: وهو عالم الملك، ثم بجذبة، ارجعي إلى ربك، أعادنا على مركب النفوس من عالم الملك إلى ساحل بحر الملكوت، ثم سخر لنا فلك القلوب وسيرنا في بحر الملكوت إلى عالم الربوبية.

روي عن ابن أبي ربيعة: أنه شهد علياً رضي الله عنه تعالى حين ركب، فلما وضع رجله في الركاب. قال: باسم الله، فلما استوى قال: الحمد لله، ثم قال: **﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾**، ثم حمد ثلاثاً وكبر ثلاثاً، ثم قال: لا إلٰه إلا أنت، ظلمت نفسي، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، فقيل له: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟. قال: رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعل مثل ما فعلت، وقال مثل ما قلت. ثم ضحك، فقلنا: مم ضحكت يا رسول الله، قال: «يعجب ربنا عز وجل من عبده إذا قال: لا إلٰه إلا أنت، ظلمت نفسي، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. ويقول: علم عبدي أن لا يغفر الذنوب غيري».

وفي «عين المعاني»: كان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا ركب هلل وكبر ثلاثاً، ويقال: قبل هذا الحمد لله الذي حملنا في البر والبحر ورزقنا من الطيبات وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً، ومنّ علينا بالإيمان والقرآن وبنبينا محمد ﷺ. **﴿سبحان الذي سخر لنا﴾**، الآية.

وفي «كشف الأسرار»: كان الحسن بن علي رضي الله عنهما يقولها. ويروى عن الحسن رضي الله عنه أنه كان إذا ركب دابة، قال: الحمد لله الذي هدانا للإسلام، والحمد لله الذي أكرمنا بالقرآن، والحمد لله الذي منّ علينا بنبينا محمد ﷺ، والحمد لله الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين. قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «ما من أحد من أمتي استوى على ظهر دابة، فقال كما أمره الله إلا غفر له». وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إذا ركب العبد الدابة، فلم يذكر اسم الله عليها ردفه الشيطان وقال له: تغن فإن قال: لا أحسن أي الغناء، قال له: تمن، يعني: تكلم بالباطل، فلا يزال في أمنيته حتى ينزل».

وروي: أن قوماً ركبوا في سفر، وقالوا: ﴿سبحان الذي﴾، الآية. وفيهم رجل على ناقة رازمة، لا تتحرك هزالاً، فقال: أما أنا فمقرن مطيق لهذه فسقط عنها بوثبتها واندقت عنقه.

وروي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: أنه كان إذا عثرت دابته. قال: اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك، ولا ملجأ، ولا منجا منك إلا إليك، ولا حول ولا قوة إلا بك هذا إذا ركب الدابة، وأما إذا ركب في السفينة، فيقول: باسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿وجعلوا له من عباده جزءاً﴾ الجاعلون هم: قبائل من العرب، قالوا: إن الله صاهر الجن فولدت له الملائكة. وقال بعضهم: هو رد على بني مليح حيث قالوا: الملائكة بنات الله. ومليح بالحاء المهملة كزبير حي من خزاعة والجعل هنا بمعنى الحكم بالشيء، والاعتقاد به جعلت زيداً أفضل الناس؛ أي: حكمت به ووصفته.

والمراد بالعباد: الملائكة، وهو حال من جزءاً. قال في «القاموس»: الجزء: البعض وأجزأت الأم ولدت الإناث، وجعلوا له من عباده جزءاً؛ أي: إناثاً. انتهى.

ولذا قال الزجاج والمبرد والماوردي الجزء عند أهل العربية: البنات. يقال: أجزأت المرأة إذا ولدت البنات. ولذا قال الراغب: جزء الشيء ما تتقوم به جملته، وجعلوا له من عباده جزءاً قيل: ذلك عبارة عن الإناث من قولهم: أجزأت المرأة: أتت بأنثى. وقال جار الله: ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث وادعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للإناث، وما هو إلا كذب على العرب، ووضع مستحدث، ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه أجزأت المرأة، ثم صنعوا بيتاً، وقالوا: إن أجزأت حمده يوماً، فلا عجب.

زوجتها من بنات الأوس مجزئة

انتهى.

يقول الفقير: لم يكن الجزء في الأصل بمعنى الإناث، وإنما ذكره أهل اللغة أخذاً من الآية؛ لأنه فيها بمعنى الولد المفسر بالإناث، فذكره في اللغات لا ينافي حدوثه، وإنما عبر عن الولد بالجزء؛ لأنه بعض أبيه وجزء منه كما قال عليه السلام: «إن فاطمة مني»؛ أي: قطعة مني. وقال: «فاطمة بضعة مني»، والبضعة بالفتح: القطعة من اللحم وإثبات الولد له تعالى مستلزم للتركيب المستلزم للإمكان المنافي للوجوب الذاتي، فالله تعالى يستحيل أن يكون له ولد هو جزء من والده؛ لأنه واحد وحدة حقيقية، ومعنى الآية، واعتقد المشركون وحكموا وأثبتوا له تعالى ولداً حال كون ذلك الولد من الملائكة الذين هم عباده، فقالوا: الملائكة بنات الله بعد اعترافهم بألسنتهم واعتقادهم أن خالق السماوات والأرض هو الله، فكيف يكون له ولد. والولادة من صفات الأجسام، وهو خالق الأجسام كلها. ففيه تعجيب من جهلهم وتنبيه على قلة عقولهم حيث وصفوه بصفات المخلوقين، وإشارة إلى أن الولد لا يكون عبد أبيه، والملائكة عباد الله، فكيف تكون البنات عباداً.

وقيل: الجزء ها هنا بمعنى النصيب، كما في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]؛ أي: نصيب، ومعنى الآية: معنى قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦]. وذلك أنهم جعلوا البنات لله والبنين لأنفسهم كم يجيء. ﴿إن الإنسان لكفور مبين﴾: ظاهر الكفر مبالغ فيه، أو مظهر لكفره، ولذلك يقولون ما يقولون، سبحانه عما يصفون:

بـى زن وفـرزنـد شـد ذات احـد   از ازل فـردو صـمـد شـدنـا ابـد

﴿أم اتخذ مما يخلق بنات﴾: مفعول اتخذوا البنات. بالفارسية: [دختران]. ﴿وأصفاكم بالبنين﴾: [وشمارا خالص كرد وبركز يدبه بسران]: أم منقطعة مقدرة ببل. والهمزة على أنها للإنكار، والتوبيخ والتعجيب من شأنهم وتنكير بنات لتربية الحقارة كما أن تعريف البنين لتربية الفخامة، وقدم البنات لكون المنكر عليهم نسبتهن إلى الله، فكان ذكرهن أهم بالنظر إلى مقصود المقام، والالتفات إلى خطابهم لتأكيد الإلزام وتشديد التوبيخ والإصفاء: الإيثار. وبالفارسية: [بر كزيدن يقال اصفيت فلاناً بكذا]؛ أي: آثرته به.

والمعنى: بل اتخذ من خلقه البنات التي هي أخس الصنفين، واختار لكم البنين الذين هم أفضلهما على معنى هبوا أنكم اجترأتم على إضافة جنس الولد إليه سبحانه وتعالى، مع ظهور استحالته وامتناعه أما كان لكم شيء من العقل، ونبذة من الحياء حتى اجترأتم على ادعاء أنه تعالى آثركم على نفسه بخير الصنفين وأعلاهما وترك لنفسه شرهما وأدناهما، فإن الإناث كانت أبغض الأولاد عندهم. ولذا وأدوهن، ولو اتخذ لنفسه البنات وأعطى البنين لعباده لزم أن يكون حال العبد أكمل وأفضل من حال الله، ويدفعه بديهة العقل.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾

﴿وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمٰن مثلاً﴾: الالتفات للإيذان باقتضاء ذكر قبائحهم أن يعرض عنهم. ويحكى لغيرهم تعجباً منها، وضرب هنا بمعنى: جعل المتعدي إلى مفعولين حذف الأول منهما لا بمعنى بين ومثلاً بمعنى شبيه لا بمعنى القصة العجيبة، كما في قولهم: ضرب له المثل بكذا، والمعنى: وإذا أخبر أحد المشركين بولادة ما جعله مثلاً له تعالى وشبيهاً إذ الولد لا بد أن يجانس الوالد ويماثله. ﴿ظل وجهه مسوداً﴾: الظلول هنا بمعنى الصيرورة؛ أي: صار أسود في الغاية من سوء ما بشر به، ولذا من رأى في المنام أن وجهه أسود ولدت له بنت، ويجوز أن يكون اسوداد الوجه عبارة عن الكراهة.

﴿وهو كظيم﴾؛ أي: والحال أنه مملوء من الكرب والكآبة، يقال: رجل كظيم ومكظوم؛ أي: مكروب كما في «القاموس».

يقول الفقير: هذه صفة المشركين؛ فإنهم جاهلون بالله غافلون عن خفي لطفه تحت جلي قهره، وأما الموحدون، فحالهم الاستبشار بما ورد عن الله أياً كان إذ لا يفرقون بين أحد من رسله، كما أن الكريم لا يغلق بابه على أحد من الضيفان والفاني عما سوى الله تعالى ليس له مطلب، وإنما مطلبه ما أراد الله: [كذشتم ازسر مطلب تمام شد مطلب نقاب جهره مقصود بود مطلبها].

﴿أو من ينشأ في الحلية﴾: تكرير للإنكار. والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه، ومن منصوب بمضمر معطوف على جعلوا. والتنشئة: التربية. وبالفارسية: [بروردن]. والحلية: ما يتحلى به الإنسان ويتزين. وبالفارسية: [آرايش]. والجمع حلي بكسر الحاء وضمها وفتح اللام.

والمعنى: أو جعلوا من شأنه أن يربى في الزينة، وهو عاجز عن أن يتولى لأمره بنفسه. يعني: البنات. وقال سعدي المفتي: لعل القدير اجترؤوا على مثل هذه العظيمة وجعلوا.

وقال الكاشفي: [آيا كسى كه برورده كردد در ببرايه يعني: بناز برورش يابد و اورا قوت حرب ميدان داى نباشد]. ﴿وهو﴾ مع ما ذكر من المقصود. ﴿في الخصام﴾ مع من يخاصمه ويجادله؛ أي: في الجدال الذي لا يكاد يخلو الإنسان منه في العادة. ﴿غير مبين﴾ غير قادر على تقرير دعواه وإقامة حجته. كما يقدر الرجل عليه لنقصان عقله وضعف رأيه، وربما يتكلم عليه، وهو يريد أن يتكلم له. وهذا بحسب الغالب، وإلا فمن الإناث من هو أهل الفصاحة، والفاضلات على الرجال.

قال الأحنف: سمعت كلام أبي بكر رضي الله عنه حتى مضى، وكلام عمر رضي الله عنه حتى مضى، وكلام عثمان رضي الله عنه حتى مضى، وكلام علي رضي الله عنه حتى مضى. لا والله ما رأيت أبلغ من عائشة رضي الله عنها. وقال معاوية رضي الله عنه: ما رأيت أبلغ من عائشة ما أغلقت باباً، فأرادت فتحه إلا فتحته، ولا فتحت باباً فأرادت إغلاقه إلا غلقته. ويدل عليه قوله عليه السلام في حقها «إنها ابنة أبي بكر» إشعاراً بحسن فهمها وفصاحة منطقها كما سبق.

قال الكاشفي: [عرب راشجاعت وفصاحت فخر بودى واغلب زنان ازين دو حليه عاطل مى باشد حق تعالى فرمود كه آيا كسى انجينين باشد خداى تعالى اورا بفرزندى ميكيرد].

قال أهل التفسير: إضافة غير لا تمنع عمل ما بعده في الجار المتقدم؛ لأنه بمعنى النفي؛ كأنه قال: وهو لا يبين في الخصام ومثله مسألة الكتاب أنا زيداً غير ضارب. قال في «كشف الأسرار»: في الآية تحليل لبس الذهب والحرير للنساء وذم لتزيين الرجال بزينة النساء.

وقال في «بحر العلوم»: وفي الآية دلالة بينة لكل ذي عقل سليم على ترك النشو في الزينة والنعومة والحذر عنه؛ لأنه تعالى جعله من المعايب والمذام، ومن صفات الإناث ويعضده قول النبي عليه السلام لمعاذ «إياك والتنعم، فإن عباد الله ليسوا بمتنعمين». والتنعم: استعمال ما فيه النعومة واللين من المأكولات والملبوسات. [غدا كر لطيفست وكر سرسرى. جو ديرت بدست اوفتد خوش خورى]. ومن الكلمات الحكيمة: نم على أوطأ الفراش؛ أي: وقت غلبة النوم، وكل ألذ الطعام؛ أي: وقت غلبة الجوع والعجب كل العجب من علماء عصرك ومتفقهة زمانك يتلون هذه الآية ونحوها. والأحاديث المطابقة لها في المعنى، ثم لا يتأملونها تأملاً صحيحاً، ولا يتبعون فيها نبيهم الكريم في ترك الزينة والتنعم. [همجو طفلان منكر اندر شرخ وزرد. جون زنان مغرور رنك وبومكرد].

وقال بعضهم: [خويشتن آراى مشوجون بهار. تانبود برتو طمع روزكار]. وفيه إشارة إلى أن المرء المتزين كالمرأة، فالعاقل يكتفي بما يدفع الحر والبرد ويجتهد في تزيين الباطل، فإنه المنظر الإلهي، ولو كانت للنساء عقول راجحة لما ملن إلى التزين بالذهب والفضة والحلي والحلل، أما يكفي للمرء. والمرأة مضمون ما قيل:

نشد عزيز تر از كعبه اين لباس برست ... بجامة كه بسالى رسد قناعت كن

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾
وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ
كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم
مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمٰن إناثاً﴾ بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتقريع لهم بذلك، وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله أنقصهم رأياً وأخسهم صنفاً. يعني: [ملائكة كه مجاو أن صوامع عبادت وملازمان مجامع عبوديت اند دختران نام مى نهند]. والبنات لا تكن عباداً والولد لا يكون عبد أبيه، ففيه تكذيب لهم في قولهم الملائكة بنات الله. **﴿أشهدوا خلقهم﴾** من الشهود بمعنى الحضور لا من الشهادة؛ أي: أحضروا خلق الله تعالى إياهم فشاهدوهم إناثاً حتى يحكموا بأنوثتهم، فإن ذلك إنما يعلم بالمشاهدة، وهو تجهيل لهم وتهكم بهم، فإنهم إنما سمعوه من آبائهم، وهم أيضاً: كذابون جاهلون، وفيه تخطئة للمنجمين وأهل الحكمة المموهة في كثير من الأمور، فإنهم بعقولهم القاصرة حكموا على الغيب.

[منجمي بخانة خود در آمد مرد بيكانه راديد بازن خود بهم نشسته دشنام داد وسقط كفت وفتنة واشوب بر خاست صاحب دلى برين حال واقف شدوكفت. تو براوج فلك جه دانى جيست. جو ندانى كه درسراى توكيست]. قال العماد الكاتب: أجمع المنجمون في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة في جميع البلاد على خراب العالم في شعبان عند اجتماع الكواكب الستة في الميزان بطوفان الريح، وخوفوا بذلك ملوك الأعاجم والروم، فشرعوا في حفر مغارات ونقلوا إليها الأزواد والماء، وتهيؤوا، فلما كانت الليلة التي عينها المنجمون بمثل ريح عاد ونحن جلوس عند السلطان، والشموع تتوقد، فلا تتحرك، ولم نر ليلة في ركودها مثلها.

﴿ستكتب شهادتهم﴾ هذه في ديوان أعمالهم يعني: يكتب الملك ما شهدوا بها على الملائكة. **﴿ويسألون﴾** عنها يوم القيامة وهو وعيد.

قال سعدي المفتي: السين في ستكتب للتأكيد ويحتمل أن يكون للاستعطاف إلى التوبة قبل كتابة ما قالوه، ولا علم لهم به.

وفي الحديث: «كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل». وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشراً، وإذا عمل سيئة. قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبح الله، أو يستغفر».

قال ابن جريج: هما ملكان: أحدهما عن يمينه. والآخر عن يساره، والذي عن يمينه يكتب الحسنات بغير شهادة صاحبه، والذي عن يساره لا يكتب إلا بشهادة صاحبه إن قعد، فأحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، وإن مشى، فأحدهما أمامه والآخر خلفه، وإن نام، فأحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه. والكفار لهم كتاب وحفظة كما للمؤمنين. فإن قيل: فالذي يكتب عن يمينه إذا أي شيء يكتب، ولم يكن لهم حسنة. يقال له الذي عن شماله: يكتب بإذن صاحبه، ويكون شاهداً على ذلك، وإن لم يكتب.

قال بعض المحدثين: تجتنب الملائكة بني آدم في حالين عند الغائط، وعند الجماع. وفي «شرح الطريقة» يكره الكلام في الخلاء، وعند قضاء الحاجة أشد كراهة؛ لأن الحفظة تتأذى بالحضور في ذلك الموضع الكريه لأجل كتابة الكلام، فلا بد للمرء من الأدب والمراقبة، والمسارعة إلى الخير دون الشر.

وفي الحديث: «عند الله خزائن الخير والشر مفاتيحها الرجال، فطوبى لمن جعله مفتاحاً للخير ومغلاقاً للشر، وويل لمن جعله مفتاحاً للشر ومغلاقاً للخير». ثم في الآية إشارة إلى أن الله تعالى أمهل عباده، ولم يأخذهم بغتة في الدنيا ليرى العباد أن العفو والإحسان أحب إليه من الأخذ والانتقام، وليتوبوا من الكفر والمعاصي [بياتا براريم دستى زدل. كه نتوان برآورد فردازكل. نريزد خدا آب روى كسى. كه ريزد كناه آب جشمش بسى]. ومن الله التوفيق لما يحبه ويرضاه.

﴿**وقالوا لو شاء الرحمٰن ما عبدناهم**﴾: بيان لفن آخر من كفرهم؛ أي: قال المشركون العابدون للملائكة لو شاء الرحمٰن عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم أرادوا بذلك أن ما فعلوه حق مرضي عنده تعالى، وأنهم إنما يفعلونه بمشيئة الله تعالى لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بأنه بمشيئة الله إياه منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلاً للمعتزلة ومبنى كلامهم بالباطل على مقدمتين:

إحداهما: أن عبادتهم لهم بمشيئة الله تعالى.

والثانية: أن ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى. ولقد أخطؤوا في الثانية حيث جهلوا أن المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائناً ما كان من غير اعتبار الرضا والسخط في شيء من الطرفين، ولذلك جهلوا بقوله: ﴿**ما لهم بذلك**﴾؛ أي: بما أرادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه بمشيئة الارتضاء لا بمطلق المشيئة، فإن ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى من الآيات الكريمة. ﴿**من علم**﴾: يستند إلى سند ما ﴿**إن هم**﴾؛ أي: ما هم ﴿**إلا يخرصون**﴾ يكذبون، فإن الخرص الكذب. وكل قول بالظن والتخمين سواء طابق الواقع، أم لا؟

قال الراغب: كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له: خرص سواء كان ذلك مطابقاً للشيء أو مخالفاً له من حيث إن صاحبه لم يقله عن علم ولا غلبة ظن ولا سماع، بل اعتمد فيه على الظن والتخمين كفعل الخارص في خرصه، وكل من قال قولاً على هذا النحو يسمى كاذباً، وإن كان مطابقاً للقول المخبر به، كما حكي عن قول المنافقين في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

يقول الفقير: إسناد المشيئة إلى الله إيمان وتوحيد إن صدر من المؤمن وإلا فكفر وشرك؛ لأنه من العناد والعصبية والجهل بحقيقة الأمر، فلا يعتبر، ثم أضرب عنه إلى إبطال أن يكون لهم سند من جهة النقل. فقيل:

﴿**أم آتيناهم**﴾: [آيا داده ايم ايشانرا]. ﴿**كتاباً من قبله**﴾؛ أي: من قبل القرآن أو الرسول، أو من قبل ادعائهم، ينطق بصحة ما يدعونه من عبادة غير الله وكون الملائكة بناته.

﴿**فهم به**﴾؛ أي: بذلك الكتاب ﴿**مستمسكون**﴾ وعليه معولون. [ومقرر است كه ايشانرا كتابي نداده ايم بس ايشانرا حجتى نقلا وعقلا نيست]. ويقال: استمسك به إذا اعتصم به. قال في «تاج المصادر»: [الاستمساك جنك در زدن]. ويعدى بالباء.

وفي «المفردات» إمساك الشيء التعلق به وحفظه، واستمسكت بالشيء إذا تحريت الإمساك.

﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾: الأمة الدين والطريقة التي تؤم؛ أي: تقصد.

قال الراغب: الأمة كل جماعة يجمعهم أمر إما دين واحد أو زمان واحد، أو مكان واحد سواء كان الأمر الجامع تسخيراً، أو اختياراً. وقوله: إنا وجدنا آباءنا على أمة؛ أي: على دين مجتمع عليه. انتهى.

﴿وإنا على آثارهم مهتدون﴾: مهتدون خبر إن والظرف صلة لمهتدون قدم عليه للاختصاص ويستعمل بعلى لتضمنه معنى الثبوت والأثر بفتحتين بقية الشيء والآثار الأعلام. وسنن النبي عليه السلام آثاره.

قال الراغب: أثر الشيء حصول ما يدل على وجوده، ومن هذا يقال للطريق المستدل به على من تقدم آثار. والآثار بالفارسية: [بيها].

والمعنى: لم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية، بل اعترفوا بأن لا سند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم:

جه قدررا بتقليد توان بيمودن رشته كوتاه بود مرغ نوآه موخته را

وفيه ذم للتقليد، وهو قبول قول الغير بلا دليل، وهو جائز في الفروع والعمليات، ولا يجوز في أصول الدين والاعتقادات، بل لا بد من النظر والاستدلال، لكن إيمان المقلد صحيح عند الحنفية والظاهرية، وهو الذي اعتقد جميع ما وجب عليه من حدوث العالم ووجود الصانع، وصفاته وإرسال الرسل، وما جاؤوا به حقاً من غير دليل؛ لأن النبي عليه السلام قبل إيمان الأعراب والصبيان والنسوان والعبيد والإماء من غير تعليم. الدليل ولكن المقلد يأثم بترك النظر والاستدلال لوجوبه عليه، والمقصود من الاستدلال هو الانتقال من الأثر إلى المؤثر، ومن المصنوع إلى الصانع تعالى بأي وجه كان لا ملاحظة الصغرى والكبرى، وترتيب المقدمات على قاعدة المعقول، فمن نشأ في بلاد المسلمين وسبح الله عند رؤية صنائعه، فهو خارج عن حد التقليد، كما في فصل الخطاب والعلم الضروري أعلى من النظري إذ لا يزول بحال، وهو مقدمة الكشف والعيان، وعند الوصول إلى الشهود لا يبقى الاحتياج إلى الواسطة (ع) ساكنان حرم [از قبله نما آزادند]. وفي المثنوي:

جون شدى بربامهاى آسمان سرد باشد جست وجوى نردبان

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿وكذلك﴾؛ أي: والأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد. ﴿ما أرسلنا من قبلك في قرية﴾: [دردهى ومجتمعى]. ﴿من نذير﴾ نبي منذر قوم من عذاب الله ﴿إلا قال مترفوها﴾: جبابرتها ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾: طريقة ودين. ﴿وإنا على آثارهم﴾ سننهم وأعمالهم ﴿مقتدون﴾ قوله: ما أرسلنا. إلخ. استئناف دال على أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لأسلافهم أيضاً سند غيره وتخص المترفين بتلك المقالة للإيذان بأن التنعم

وحب البطالة هو الذي صرفهم عن النظر إلى التقليد، يقال: أترفته النعمة؛ أي: أطغته. والمراد بالمترفين: الأغنياء والرؤساء الذين أبطرتهم النعمة وسعة العيش في الدنيا وأشغلتهم عن نعيم الآخرة، ويدخل فيهم كل من يتمادى في الشهوات ويتبالغ في النفرة من لوازم الدين من الشرائع والأحكام.

وفي الحديث: «ما بال أقوام يشرفون المترفين، ويستخفون بالعابدين يعملون بالقرآن ما وافق أهواءهم وما خالف أهواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، يسعون فيما يدرك بغير سعي من القدر المحتوم والرزق المقسوم، والأجل المكتوب، ولا يسعون فيما لا يدرك إلا بالسعي من الأجر الموفور والسعي المشكور والتجارة التي لا تبور».

قال بعضهم: إن الله تعالى ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة، فليته طلب منا الدنيا وضمن لنا الآخرة، فعلى العاقل الاقتفاء على آثار المهتدين وعمارة الآخرة كما عليه أرباب اليقين. قال الصائب:

برنمى آيى بنعمتهاى الوان زينهار   تاتوان غم خورد فكر نعمت الوان مكن
كار عاقل نيست بند خويش محكم ساختن   عمر خودرا صرف در تعمير اين زندان مكن

﴿**قال**﴾؛ أي: كل نذير من أولئك المنذرين لأممهم عند تعللهم بتقليد آبائهم. ﴿**أولو جئتكم**﴾؛ أي: أتقتدون بآبائكم، ولو جئتكم ﴿**بأهدى**﴾؛ أي: بدين أهدى وأرشد ﴿**مما وجدتم عليه آباءكم**﴾؛ أي: من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء، وإنما عبر عنها بذلك مجاراة معهم على مسلك الإنصاف. ﴿**قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون**﴾؛ أي: قال: كل أمة لنذيرها إنا بما أرسلت به كافرون، وإن كان أهدى مما كنا فيه؛ أي: ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه، وقد أجمل عند الحكاية للإيجاز، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وفيه إقرار منهم بتصميمهم على تقليد آبائهم في الكفر والضلال، وإقناط للنذير من أن ينظروا ويتفكروا فيه:

خلق را تقليد شان بربادداد   كه دوصد لعنت برين تقليد باد
كرجه عقلش سوى بالاميبرد   مرغ تقليدش به بستى مى برد

﴿**فانتقمنا منهم**﴾: [بس ما انتقام كشيديم از مقلدان معاند باستئصال ايشان]. إذ لم يبق لهم عذر أصلاً. ﴿**فانظر كيف كان عاقبة المكذبين**﴾ من الأمم المذكورين، فلا تكترث بتكذيب قومك، فإن الله ينتقم منهم باسمه المنتقم القاهر القابض. قال علي رضي الله عنه السعيد من وعظ بغيره.

يعني: [نيكبخت آن بودكه جون ديكر يرا بند دهند واذكار ناشايسته وكفتار نا بسنديده بازدارند اوازان بند عبرت كيرد].

روي عن الشعبي أنه قال: خرج أسد وذئب وثعلب يتصيدون، فاصطادوا حمار وحش وغزالاً وأرنباً فقال الأسد للذئب اقسم، فقال: حمار الوحش للملك والغزال لي والأرنب للثعلب، قال: فرفع الأسد يده وضرب رأس الذئب ضربة، فإذا هو منجدل بين يدي الأسد، ثم قال للثعلب اقسم هذه بيننا، فقال الحمار يتغدى به الملك والغزال يتعشى به والأرنب بين ذلك، فقال الأسد: ويحك ما أقضاك من علمك هذا القضاء، فقال: القضاء الذي نزل برأس الذئب، فالإنسان مع كونه أعقل الموجودات لا يعتبر.

وفي بعض الكتب سأل بعض الملوك بنته البكر عن ألذ الأشياء، فقالت: الخمر والجماع والولاية، فهم بقتلها، فقالت: والله ما ذقتها، ولكني أرى ما فيك من الخمار والصداع، ثم أراك تعاودها، وأرى ما تلاقي أمي من نصب الولادة والألم والإشراف على الموت، ثم أراها في فراشك إذا طهرت من نفاسها وأسمع ما يجري على عمالك عند انعزالهم من الضرب والحبس والمصادرة، ثم أراهم يطلبون الأعمال بأتم حرص، ولا يعتبرون بما جرى عليهم وعلى غيرهم، فعرفت أن هذه الثلاث ألذ الأشياء فعفا الملك عنها.

قال الشيخ سعدي:

ندانستى كه بينى بند برباى جودر كوشت نيايد بند مردم

دكرره كرندارى طاقت بيش مكن انكشت در سوراخ كزدم

وجاء في الأمثال المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين. وفيه إشارة إلى حال النفس الناسية القاسية، فإنها مع ما تذوق في الدنيا من وبال سيئاتها تعود إلى ما كانت عليه نسأل الله العصمة والتوفيق والعفو والعافية.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿**وإذ قال إبراهيم**﴾؛ أي: واذكر يا محمد لقومك قريش وقت قول إبراهيم عليه السلام بعد الخروج من النار ﴿**لأبيه**﴾: [تارخ الشهير بآزر. وكان ينحت الأصنام]. ﴿**وقومه**﴾ المكبين على التقليد وعبادة الأصنام كيف تبرأ مما هم فيه بقوله: ﴿**إنني براء مما تعبدون**﴾ وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلك الاستدلال، أو ليقتدوا به إن لم يكن لهم بد من التقليد، فإنه أشرف آبائهم وبراء بفتح الباء مصدر نعت به مبالغة، ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث، والواحد والمتعدد يقال: نحن البراء، أما البريء فهو يؤنث ويجمع يقال: بريء وبريئون وبريئة وبريئات.

والمعنى: بريء من عبادتكم لغير الله إن كانت مصدرية، أو من معبودكم إن كانت موصولة حذف عائدها.

﴿**إلا الذي فطرني**﴾ استثناء منقطع إن كانوا عبدة الأصنام؛ أي: لكن الذي خلقني لا أبرأ منه، والفطر ابتداء خلق من غير مثال من قولهم: فطرت البئر إذا أنشأت حفرها من غير أصل سابق، أو متصل على أن ما نعم أولى العلم وغيرهم، وأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام، أو صفة على أن ما موصوفة؛ أي: إني بريء من آلهة، تعبدونها غير الذي فطرني فإن إلا بمعنى غير لا يوصف بها إلا جمع منكور غير محصور وهو هنا آلهة كما هو مذهب ابن الحاجب.

﴿**فإنه سيهدين**﴾؛ أي: سيثبتني على الهداية، أو سيهديني إلى ما وراء الذي هداني إليه إلى الآن، ولذا أورد كلمة التسويف هنا بعدما قال في الشعراء، فهو يهدين بلا تسويف. والأوجه أن السين للتأكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار؛ أي: دوام الهداية حالاً واستقبالاً.

﴿**وجعلها**﴾؛ أي: جعل إبراهيم كلمة التوحيد التي كان ما تكلم به من قوله: إنني إلى

سيهدين عبارة عنها، يعني: أن البراءة من كل معبود سوى الله توحيد للمعبود بالحق، وقول بلا إله إلا الله. ﴿كلمة باقية في عقبه﴾؛ أي: في ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ﴾ [البقرة: ١٣٢]. الآية. فالقول المذكور بعد الخروج من النار، وهذا الجعل بعد حصول الأولاد الكبار، فلا يزال فيهم نسلاً بعد نسل من يوحد الله ويدعو إلى توحيده وتفريده إلى قيام الساعة.

قال الراغب: العقب مؤخر الرجل واستعير للولد وولد الولد. انتهى.

فعقب الرجل ولده الذكور والإناث وأولادهم وما قيل: من أن عقب الرجل وأولاده الذكور، كما وقع في أجناس الناطفي، أو أولاده البنات، كما نقل عن بعض الفقهاء، فكلا القولين ضعيف جداً مخالف للغة لا يوثق به. ﴿لعلهم يرجعون﴾: علة للجعل والضمير للعقب وإسناد الرجوع إليهم من وصف الكل بحال الأكثر والترجي راجع إلى إبراهيم عليه السلام؛ أي: جعلها باقية في عقبه وخلفه رجاء أن يرجع إليها من أشرك منهم بدعاء الموحد.

قال بعضهم في سبب تكريم وجه علي بن أبي طالب، بأن يقال: كرم الله وجهه أنه نقل عن والدته فاطمة بنت أسد بن هاشم أنها كانت إذا أرادت أن تسجد للصنم، وهو في بطنها يمنعها من ذلك ونظر فيه البعض بأن قال عبادة قريش صنماً وإن كانت مشهورة عند الناس، لكن الصواب خلافه لقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وقول الله في حقه ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨]. وجوابه في سورة إبراهيم، ﴿فارجع﴾.

وفي الآية إشارة إلى أن كل من ادعى معرفة الله، والوصول إليه بطريق العقل والرياضة والمجاهدة من غير متابعة الأنبياء وإرشاد الله من الفلاسفة والبراهمة والرهابنة، فدعواه فاسد ومتمناه كاسد.

قال الشيخ سعدي:

دريـن بـحـر جـز مـرد راعـى نـرفـت كـم آن شـدكـه دمـبـال داعـى نـرفـت
كـسـانـى كـزيـن راه بـركـشـتـه انـد بـرفـتـنـد وبـسـيـار سـركـشـتـه انـد
خـلاف بـيـمـبـر كـسـى ره كـزيـد كـه هـركـز بـمـنـزل نـخـواهـد رسـيـد

وإشارة أخرى أن بعد أهل العناية يهتدون إلى معرفة الله بإرشاد الله، وإن لم يبلغه دعوة نبي، أو إرشاد ولي أو نصح ناصح ولا يتقيد بتقليد آبائه، وأهل بلده من أهل الضلالة والأهواء والبدع، ولا تؤثر فيه شبههم ودلائلهم المعقولة المشوبة بالوهم والخيال، ولا يخاف في الله لومة لائم، كما كان حال إبراهيم عليه السلام كذلك، فإن الله تعالى أرشده من غير أن يبلغه دعوة نبي، أو إرشاد ولي، أو نصح ناصح، فلما آتاه الله رشده دعا قومه إلى التوحيد ووصى به بنيه لعلهم يرجعون عن الشرك.

وفيه إشارة إلى أن الرجوع إلى الله على قدمي اعتقاد أهل السنة والجماعة والأعمال الصالحة على قانون المتابعة بنور هذه الكلمة الباقية.

﴿بل متعت هؤلاء﴾: إضراب عن محذوف؛ أي: فلم يحصل ما رجاه، بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول من أهل مكة. ﴿وآباءهم﴾ بالمد في العمر والنعمة، فاغتروا بالمهلة وانهمكوا في الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد. ﴿حتى جاءهم﴾؛ أي: هؤلاء

﴿الحق﴾؛ أي: القرآن. ﴿ورسول﴾؛ أي: رسول ﴿مبين﴾: ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة، أو مبين للتوحيد بالآيات البينات والحجج، فحتى ليست غاية للتمتع، بل لما تسبب عنه من الاغترار المذكور وما يليه.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾.

﴿ولما جاءهم الحق﴾ لينبههم عما هم فيه من الغفلة، ويرشدهم إلى التوحيد ازدادوا كفراً وعتواً وضموا إلى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث ﴿قالوا هذا﴾ الحق والقرآن ﴿سحر﴾، وهو إراءة الباطل في صورة الحق، وبالفارسية: [جادويى]. ﴿وإنا به كافرون﴾: [بارر نداريم كه آن من عند الله است]. فسموا القرآن سحراً وكفروا به. وفيه إشارة إلى أرباب الدين وأهل الحق، فإن أهل الأهواء والبدع والضلالة ينظرون إلى الحق وأهله كمن ينظر إلى السحر وساحره وينطقون بكلمة الكفر بلسان الحال، وإن كانوا يمسكون بلسان المقال.

واعلم أن الكفر والتكذيب والإنكار من أوصاف أهل الجحيم؛ لأنه كما أن الجحيم مظهر قهر الله تعالى، فكذا الأوصاف المذكورة من أمارات قهر الله تعالى، فمن وجد فيه شيء من ذلك فقد اقتضت المناسبة أن يدخل النار، وأن الإيمان والتصديق والإقرار من أوصاف أهل الجنة؛ لأنه كما أن الجنة مظهر لطف الله تعالى، فكذا الأوصاف المذكورة من آثار لطف الله تعالى، فمن وجد فيه شيء من ذلك فقد اقتضت المناسبة أن يدخل الجنة، ولكن التصديق على أقسام:

فقسم باللسان، وهو الذي يشترك فيه المطيع والعاصي والخواص والعوام، وهو مفيد في الآخرة إذ لا يخلد صاحبه في النار.

وقسم بالأركان والطاعات والأذكار وأسباب اليقين، فذلك تصديق الأنبياء والأولياء والصديقين والصالحين. وبه يسلم صاحبه من الآفات مطلقاً.

وفي الحديث: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى». أراد عليه السلام: «من أطاعني وصدقني فيما جئت به من الاعتقاد والعلم والعمل، ومن عصاني في ذلك، فيكون المراد بالأمة، أمة الدعوة والإجابة جميعاً. استثنى منه أمة الدعوة. وذلك فإن الأمة تطلق تارة على كافة الناس، وهم أمة الدعوة، وأخرى على المؤمنين، وهم أمة الإجابة، فأمة الإجابة أمة دعوة، ولا ينعكس كلياً، فاحذر الإباء والزم البقاء تنعم في جنة المأوى، فإن طريق النجاة هي الطاعات والأعمال الصالحات، فمن غرته الأماني واعتاد أملاً طويلاً فقد خسر خسراناً مبيناً نسأل الله سبحانه أن يجعلنا كما أمر في كتابه المبين، آمين.

﴿وقالوا﴾ أهل مكة ﴿لولا﴾ حرف تحضيض ﴿نزل هذا القرآن على رجل من القريتين﴾ من إحدى القريتين مكة والطائف. ﴿عظيم﴾ بالمال والجاه كالوليد بن المغيرة المخزومي بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف، فهو على نهج قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٢]؛ أي: من أحدهما، وذلك لأن من للابتداء وكون الرجل الواحد من القريتين بعيد، فقدر المضاف، ومنهم من لم يقدر مضافاً.

وقال: أراد على رجل كائن من القريتين كلتيهما. والمراد به عروة المذكور؛ لأنه كان يسكن مكة والطائف جميعاً، وكان له في مكة أموال يتجر بها، وكان له في الطائف بساتين وضياع، فكان يتردد إليهما، فصار كأنه من أهلهما.

يقول الفقير: هنا وجه خفي، وهو أن النسبة إلى القريتين قد تكون بالمهاجرة من إحداهما إلى الأخرى، كما يقال: المكي المدني والمصري الشامي، وذلك بعد الإقامة في إحداهما أربع سنين صرح بذلك أهل أصول الحديث، ثم إنهم لم يتفوهوا بهذه الكلمة العظيمة حسداً على نزوله على الرسول عليه السلام دون من ذكر من عظمائهم من اعترافهم بقرآنيته بل استدلالاً على عدمها بمعنى أنه لو كان قرآناً لنزل على أحد هذين الرجلين بناء على ما زعموا من أن الرسالة منصب جليل لا يليق به إلا من له جلالة من حيث المال والجاه، ولم يدروا أن العظيم من عظمة الله وأعلى قدره في الدارين لا من عظمة الناس، إذ رب عظيم عندهم حقير عند الله. وبالعكس وإن الله يختص برحمته من يشاء، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، وفي قولهم: عظيم تعظيم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعظم شأنه وفخم.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ إنكار فيه تجهيل لهم وتعجيب من تحكمهم. والمراد بالرحمة النبوة. يعني: أبيدهم مفاتيح الرسالة والنبوة، فيضعونها حيث شاؤوا، يعني: تابر هركه خواهند در نبوت بكشايند. **﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم﴾**؛ أي: أسباب معيشتهم. والمعيشة ما يعيش به الإنسان ويتغذى به ويجعله سبباً في قرام بنيته إذ العيش الحياة المختصة بالحيوان، وهو يعم الحلال والحرام عند أهل السنة والجماعة.

﴿في الحياة الدنيا﴾: قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح، ولم نفوض أمرنا إليهم علماً منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية، كما دل عليه تقديم المسند إليه، وهو نحن إذ هو للاختصاص.

والحاصل: نحن قسمنا أرزاقهم فيما بينهم، وهو أدنى من الرسالة، فلم نترك اختيارها إليهم، وإلا لضاعوا وهلكوا فما ظنهم في أمر الدين؛ أي: فكيف نفوض اختيار ما هو أفضل وأعظم، وهو الرسالة. **﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض﴾** في الرزق وسائر مبادي المعاش. **﴿درجات﴾** نصب بنزع الخافض؛ أي: إلى درجات متفاوتة بحسب القرب والبعد، حسبما تقتضيه الحكمة، فمن ضعيف وقوي وفقير وغني وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم. **﴿ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾** من التسخير والاستخدام، ولكون المراد هنا الاستخدام دون الهزء؛ لأنه لا يليق التعليل به أجمع القراء على ضم السين في الرواية المشهورة عنهم، فما كان من التسخير، فهو مضموم، وما كان من الهزء، فهو مكسور.

والمعنى: ليستعمل بعضهم بعضاً في مصالحهم، ويسخر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل، فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش هذا بماله، وهذا بعمله، فيتم قوام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر. **﴿ورحمة ربك﴾**؛ أي: النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين. **﴿خير﴾** لأهلها. **﴿مما يجمعون﴾**؛ أي: يجمع هؤلاء الكفار من حطام الدنيا الدنية

الفانية، والعظيم من رزق من تلك الرحمة العظيمة لا مما يجمعون من الدنيء الحقير يظنون أن العظمة به. وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يعطي لفقير من فقراء البلد لا يؤبه به ما لا يعطي لعلمائه وأفاضله من حقائق القرآن وأسراره، فإن قسمة الولاية بيده كقسمة النبوة، فما لا يحصل بالدرس قد يحصل بالوهب، وكما أن في صورة المال تسخير بعضهم لبعض لأجل الغنى، فكذا في صورة العالم والولاية تسخير بعضهم لبعض للتربية وكل من العلم والولاية والنبوة خير من الدنيا وما فيها من الأموال والأرزاق.

قال بعضهم: المعيشة أنواع إيمان وصدق وإرادة وعلم وخدمة وتوبة وإنابة ومحبة وشوق وعشق ومعرفة وتوحيد وفراسة وكرامة ووارد وقناعة وتوكل ورضا وتسليم. فتفاوت أصحاب هذه المقامات، كما تتفاوت أرباب الرزق وكذلك يتفاوتون في المعرفة مثلاً.

فإن بعضهم أعلى في المعرفة من بعض، وإن اشتركوا في نفس المعرفة وقس عليه صاحب المحبة ونحوها، هذا للمقبلين إليه وللمدبرين كمن يأكل النعم اللذيذة والحشرات المضرة.

وقال بعضهم: باين الله بينهم بمعرفة كيد النفس ووسوسة الشيطان، فالأعرف أفضل من العارف وطريقه الذكر.

قال سهل: الذكر لله خير من كثرة الأعمال؛ أي: إذا كان خالصاً.

[ودر حقائق سلمى اورده كه تفاوت درجات باخلاق حسنة است خوى هركه نيكوتر درجة او بلندتر. يكى خوب كردار وخوش خوى بود. كه بدسيرتا نرا نكو كوى بود. بخوابش كسى ديدجون در كذشت. كه بارى حكايت كن از سر كذشت. دهانى بخنده جو كل باز كرد. جو بلبل بصوت خوش آغار كرد. كه بر من نكردند سختى بسى. كه من سخت نكرفتمى بركسى].

قالت الفلاسفة: إن الكمالات البشرية مشروطة بالاستعداد والمذهب الحق أن جميع المقامات كالنبوة والولاية. وغيرهما وكذا السلطنة والوزارة ونحوهما اختصاصية عطائية غير كسبية ولا مشروطة بشيء من الاستعداد ونحوه. فإن الاستعداد أيضاً عطاء من الله تعالى كما قيل:

داد حق راقابليت شرط نيست   بلكه شرط قابليت داد حق

وظهوره بالتدريج بحصول شرائطه وأسبابه يوهم المحجوب، فيظن أنه كسبي بالتعمل. وحاصل بالاستعداد، وليس كذلك في الحقيقة، فالله تعالى هو الولي يتولى أمر عباده، فيفعل ما تقتضيه حكمته، ولا دخل لشيء من ذلك نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن رفعهم إلى درجات الكمال بحرمة أكامل الرجال.

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾. بتقدير المضاف مثل كراهة أن يكون الناس، فإن لولا لانتفاء الثاني لوجود الأول، ولا تحقق لمدلول لولا ظاهراً.

والمعنى: ولولا كراهة أن يرغب الناس في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا، وتوهم أن ذلك الفضيلة في الكفار، فيجمعوا، ويكونوا في الكفر أمة واحدة. ﴿لجعلنا﴾ لحقارة الدنيا، وهو أنها عندنا. ﴿لمن يكفر بالرحمٰن﴾؛ أي: لشر الخلائق وأدناهم منزلة، كما قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

﴿لبيوتهم﴾ بدل اشتمال من لمن، أو اللام بمعنى على وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن إفراد المستكن في يكفر باعتبار لفظها، والبيوت والأبيات جمع بيت، وهو اسم لمبنى مسقف مدخله من جانب واحد بني للبيتوتة.

قال الراغب: أصل البيت مأوى الإنسان بالليل، ثم قد يقال من غير اعتبار الليل فيه والبيوت بالمسكن أخص، والأبيات بالشعر، ويقع ذلك على المتخذ من حجر ومدر ومن صوف ووبر وبه شبه بيت الشعر. ﴿سقفاً﴾ متخذة ﴿من فضة﴾ جمع سقف، وهو سماء البيت، والفضة جسم ذائب صابر منطرق أبيض رزين بالقياس إلى باقي الأجساد. وبالفارسية: [نقره].

سميت فضة لتفضضها وتفرقها في وجوه المصالح. ﴿ومعارج﴾ عطف على سقفاً جمع معرج بفتح الميم وكسرها، بمعنى السلم، وبالفارسية: [نردبان].

قال الراغب: العروج ذهاب في صعود، والمعارج المصاعد. والمعنى: وجعلنا لهم مصاعد ومراقي من فضة حذف لدلالة الأول عليه. ﴿عليها﴾؛ أي: على المعارج. ﴿يظهرون﴾ يقال: ظهر عليه إذا علاه وارتقى إليه وأصل ظهر الشيء أن يحصل شيء على ظهر الأرض، فلا يخفى، ثم صار مستعملاً في كل بارز للبصر والبصيرة، والمعنى: يعلون السطوح والعلالي. وبالفارسية: [ونردبانها كه بدان بربام آن خانها برايند وخودرا بنمايند].

﴿ولبيوتهم﴾؛ أي: وجعلنا لبيوتهم لعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير. ﴿أبواباً﴾ درها. والباب: يقال لمدخل الشيء وأصل ذلك مداخل الأمكنة كباب المدينة والدار والبيت. ﴿وسرراً﴾ تحتها؛ أي: من فضة جمع سرير.

قال الراغب: السرير الذي يجلس عليه من السرور إذا كان ذلك لأولي النعمة وسرير الميت تشبيه به في الصورة، وللتفاؤل بالسرور الذي يلحق الميت برجوعه إلى الله وخلاصه من السجن المشار إليه بقوله عليه السلام: «الدنيا سجن المؤمن». ﴿عليها﴾؛ أي: على السرر. ﴿يتكئون﴾: [تكيه كنند]. والاتكاء: الاعتماد.

﴿وزخرفاً﴾ هو في الأصل بمعنى الذهب، ويستعار لمعنى الزينة، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ [يونس: ٢٤].

قال الراغب: الزخرف: الزينة المزوقة. ومنه قيل: للذهب زخرف، كما قال تعالى: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾ [الإسراء: ٩٣]؛ أي: ذهب مزوق. قال في «تاج المصادر»: الزخرفة: [آراستن]. وزوق البيت زينه وصور فيه من الزئبق، ثم قيل: لكل منقش ومزين مزوق، وإن لم يكن فيه الزئبق.

والمعنى: وزينة عظيمة من كل شيء عطفاً على سقفاً، أو ذهباً عطفاً على محل من فضة، فيكون أصل الكلام سقفاً من فضة وزخرف، يعني بعض السقف من فضة، وبعضها من ذهب، ثم نصب عطفاً على محله.

وفي الحديث: «يقول الله تعالى: لولا أن يجزع عبدي المؤمن لعصبت الكافر بعصابة من حديد ولصببت عليه الدنيا صباً»، وإنما أراد بعصابة الحديد كناية عن صحة البدن، يعني لا يصدع رأسه. وفي بعض الكتب الإلٰهية عن الله تعالى: لولا أن يحزن العبد المؤمن لكللت رأس الكافر بالأكاليل، فلا يصدع ولا ينبض منه عرق بوجع. ﴿وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا﴾: إن نافية، ولما بالتشديد بمعنى إلا أي وما كان ذلك المذكور من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة إلا شيء يتمتع به في الحياة الدنيا لا دوام له، ولا حاصل إلا الندامة والغرامة. وقرىء: بتخفيف لما على أن إن هي المخففة، واللام: هي الفارقة بينها وبين الناصبة، وما صلة. والتقدير: أن الشأن كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا. ﴿والآخرة﴾ بما فيها من فنون النعم التي يقصر عنها البيان. ﴿عند ربك﴾ يعني: [در حكم]، أو ﴿للمتقين﴾؛ أي: عن الكفر والمعاصي:

هركس كه رخ از متاع فانى برنافت واندر طلب دولت باقى بشتافت
آنجا كه كمال همتش بود رسيد وآنجيز كه مقصود دلس بود بيافت

فإن قيل: قد بيّن الله تعالى أنه لو فتح على الكافر أبواب النعم لصار ذلك سبباً لاجتماع الناس على الكفر فلم لم يفعل ذلك بالمسلمين حتى يصير ذلك سبباً لاجتماع الناس على الإسلام فالجواب لأن الناس على هذا التقدير كانوا يجتمعون على الإسلام لطلب الدنيا، وهذا الإيمان إيمان المنافقين، فكان من الحكمة أن يضيق الأمر على المسلمين حتى أن كل من دخل في الإسلام، فإنما يدخل لمتابعة الدليل، ولطلب رضا الله، فحينئذٍ يعظم ثوابه بهذا السبب؛ لأن ثواب المرء على حسب إخلاصه ونيته، وإن هجرته إلى ما هاجر إليه.

قال في «شرح الترغيب»: فإن قيل: ما الحكمة في اختيار الله تعالى لنبيه الفقر، واختياره إياه لنفسه؛ أي: مع قوله: لو شئت لدعوت ربي عز وجل، فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر. فالجواب من وجوه: **أحدها**: أنه لو كان غنياً لقصده قوم طمعاً في الدنيا، فاختار الله له الفقر حتى أن كل من قصده علم الخلائق أنه قصده طلباً للعقبى.

والثاني: ما قيل: إن الله اختار الفقر له نظراً لقلوب الفقراء حتى يتسلى الفقير بفقره، كما يتسلى الغني بماله.

والثالث: ما قيل: إن فقره دليل على هوان الدنيا على الله تعالى، كما قال ﷺ: لو كانت الدنيا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء». انتهى.

ومعنى: هوان الدنيا على الله أنه سبحانه لم يجعلها مقصودة لنفسها، بل جعلها طريقاً موصلاً إلى ما هو المقصود لنفسه، وأنه لم يجعلها دار إقامة، ولا جزاء، وإنما جعلها دار رحلة وبلاء، وأنه ملكها في الغالب الجهلة والكفرة وحماها الأنبياء والأولياء والأبدال، وأبغضها وأبغض أهلها، ولم يرض العاقل فيها إلا بالتزود للارتحال عنها. قال الصائب:

از رباط تن جوبكذشتي ذكر معمورة نيست زادر هى برنمى دارى ازين منزل جرا

تداركنا الله وإياكم بفضله.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٧﴾.

﴿ومن يعش عن ذكر الرحمٰن﴾ من شرطية. وبالفارسية بمعنى: [وهركه]. ويعش بضم

الشين من عشا يعشو عشاً إذا تعاشى بلا آفة، وتعامى؛ أي: نظر نظر العشا ولا آفة في بصره.

ويقال: عشي يعشى كرضي إذا كان في بصره آفة مخلة بالرؤية.

قال الراغب: العشا بالفتح والقصر ظلمة تعرض في العين. يقال رجل أعشى وامرأة عشواء.

وفي «القاموس»: العشا: سوء البصر بالليل والنهار وخبطه خبط عشواء ركبه على غير بصيرة من الناقة العشواء التي لا تبصر أمامها.

والمراد بالذكر القرآن وإضافته إلى الرحمٰن إشارة إلى كونه رحمة عامة من الله، أو هو مصدر مضاف إلى المفعول.

والمعنى: ومن يتعامى ويعرض عن القرآن، أو عن أن يذكر الرحمٰن. وبالفارسية: [وهركه جشم بوشد از قرآن ويا ازياد كردن خداى]. لفرط اشتغاله بزهرة الحياة الدنيا وانهماكه في الحظوظ والشهوات الفانية. **﴿نقيض له شيطاناً﴾**. نسلطه عليه ونضمه إليه ليستولي عليه استيلاء القيض على البيض، وهو القشر الأعلى اليابس. **﴿فهو﴾**؛ أي: ذلك الشيطان. **﴿له﴾**؛ أي: لذلك العاشي والمعرض. **﴿قرين﴾** بالفارسية: [همنشين ودمساز]. ومصاحب لا يفارقه، ولا يزال يوسوسه ويغويه ويزين له العمى على الهدى والقبيح بدل الحسن.

قال عليه السلام: «إذا أراد الله بعبد شراً قيض له شيطاناً قبل موته بسنة، فلا يرى حسناً إلا قبحه عنده حتى لا يعمل به، ولا يرى قبيحاً إلا حسنه حتى يعمل به» وينبغي أن يكون هذا الشيطان غير قرينه الجني الكافر، وإلا فكل أحد له شيطان هو قرينه، كما قال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: «وإياي، ولكن الله أعانني عليه، فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير» [در نفحات الأنس آوردكه شيخ أبو القاسم مصري قدس سره بايكى از مؤمنان جن دوستى داشت وقتى در مسجدي نشسته بود جنى كفت اي شيخ اين مردم راجه كونه مى بينى كفت بعضى را در خواب وبعضى رابى خواب كفت آنجه برسر هاى ايشانست مى بينى كفتم نه جشمهاى مرا بماليد ديدم كه برسر هركسى بعضى رابالها بجشم فرو كذاشته وبعضى راكاهى فرو كذاريد وكاهى بالامى برد كفتم اين جيست كفت نشنيده كه].

﴿ومن يعش عن ذكر الرحمٰن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾: [اينها شياطين اندبر سرهاى ايشان نشسته وبر هريكى بقدر غفلت وى استيلا يافته، دريغ ودردكه بانفس بد قرين شده ايم. وزين معامله باد بو همنشين شده ايم. بباركاه فلك بوده ايم رشك ملك، زجور نفس جفابيشه اينجنين شده ايم].

وفيه إشارة إلى أن من داوم على ذكر الرحمٰن لم يقربه الشيطان بحال.

قال بعضهم: من نسي الله وترك مراقبته ولم يستح منه، أو أقبل على شيء من حظوظ نفسه قيض الله له شيطاناً يوسوس له في جميع أنفاسه، ويغري نفسه إلى طلب هواها حتى يتسلط على عقله وعلمه، وبيانه وهذا كما قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: الشهوة والغضب يغلبان العقل والعلم والبيان، وهذا جزاء من أعرض عن متابعة القرآن، ومتابعة السنة.

وقال بعضهم: من أعرض عن الله بالإقبال على الدنيا يقيض له شيطاناً، وإن أصعب الشياطين نفسك الأمارة بالسوء، فهو له ملازم لا يفارقه في الدنيا والآخرة، فهذا جزاء من ترك

المجالسة مع الله بالإعراض عن الذكر، فإنه يقول: «أنا جليس من ذكرني»، فمن لم يذكر، ولم يعرف قدر خلوته مع الله وحاد عن ذكره، واختلف إلى خواطر النفسانية الشيطانية سلط الله عليه من يشغله عن الله، وإذا اشتغل العبد في خلوته بذكر ربه بنفي ما سوى الله، وإثبات الحق بلا إلٰه إلا الله، فإذا تعرض له من يشغله عن ربه صرفته سطوات الإلٰهية عنه، ومن لم يعرف قدر فراغ قلبه، واتبع شهوته، وفتح بابها على نفسه بقي في يد هواه أسيراً غالباً عليه أوصاف شيطنة النفس.

روي عن سفيان بن عيينة أنه قال: ليس مثل من أمثال العرب إلا وأصله في كتاب الله. قيل له: من أين قول الناس: أعط أخاك تمرة، فإن أبى فجمرة، قال من قوله: ومن يعش الآية. ﴿**وإنهم**﴾؛ أي: الشياطين الذين قيض كل واحد منهم لواحد ممن يعشو. ﴿**ليصدونهم**﴾؛ أي: يمنعون قرناءهم فمدار جمع الضميرين اعتبار معنى من كما أن مدار إفراد الضمائر السابقة اعتبار لفظها.

﴿**عن السبيل**﴾ عن الطريق المستبين الذي من حقه أن يسبل، وهو الذي يدعو إليه القرآن. ﴿**ويحسبون**﴾؛ أي: والحال أن العاشين يظنون. ﴿**أنهم**﴾؛ أي: الشياطين. ﴿**مهتدون**﴾؛ أي: السبيل المستقيم، وإلا لما اتبعوهم، أو يحسبون أن أنفسهم مهتدون؛ لأن اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾

﴿**حتى إذا جاءنا**﴾ حتى ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية، ومع هذا غاية لما قبلها، فإن الابتدائية لا تنافيها.

والمعنى: يستمر العاشون على ما ذكر من مقارنة الشياطين والصدق والحسبان الباطل حتى إذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيامة. ﴿**قال**﴾ مخاطباً له. ﴿**يا ليت بيني وبينك**﴾ في الدنيا ﴿**بعد المشرقين**﴾ بعد المشرق والمغرب؛ أي: تباعد كل منهما عن الآخر، فغلب المشرق وثنى وأضيف البعد إليهما، يعني: أن حق النسبة أن يضاف إلى أحد المنتسبين؛ لأن قيام معنى واحد بمحلين ممتنع، بل يقوم بأحدهما، ويتعلق بالآخر، لكن لما ثنى المشرق بعد التغليب لم يبق مجال للإضافة إلى أحدهما، فأضيف إليهما على تغليب القيام على التعلق.

والمعنى بالفارسية: [اى كاشكى ميان من وتو بودى روى ميان مشرق ومغرب يعنى كاش تو ازمن ومن ازتو دور بودى]. ﴿**فبئس القرين**﴾؛ أي: أنت. وبالفارسية:

بـس بـد هـمـنـشـيـنـي تـو

يعني بئس الصاحب كنت أنت في الدنيا، وبئس الصاحب اليوم.

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: إذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشيطان، فلا يفارقه حتى يصير إلى النار، كما أن الملك لا يفارق المؤمن حتى يصير إلى الجنة، فالشيطان قرين للكافر في الدنيا والآخرة، والملك قرين المؤمن فيهما، فبئس القرين الأول، ونعم القرين الثاني.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

﴿**ولن ينفعكم اليوم**﴾: حكاية لما سيقال لهم حينئذٍ من جهة الله تعالى توبيخاً وتقريعاً؛

أي: لن ينفعكم اليوم تمنيكم لمباعدتهم ﴿إذ ظلمتم﴾؛ أي: لأجل ظلمكم أنفسكم في الدنيا باتباعكم إياهم في الكفر والمعاصي، وإذ للتعليل متعلق بالنفي، كما قال سيبويه: إنها بمعنى التعليل حرف بمنزلة لام العلة. ﴿أنكم في العذاب مشتركون﴾ تعليل لنفي النفع؛ أي: لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وشياطينكم القرناء في العذاب، كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا. ويجوز أن يسند الفعل إليه بمعنى لن يحصل لكم التشفي بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم: ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً، ونظائره لتشفوا بذلك.

وفي الآية إشارة إلى حال التابع والمتبوع من أهل الأهواء والبدع، فإن المتبوع منهم كان شيطان التابع في الإضلال عن طريق السنة، فلما فات الوقت وأدرك المقت وقعوا في التمني الباطل. قيل:

فضل اليوم على الغد أن للتأخير آفات

فعلى العاقل تدارك حاله، وتفكر ما له والهرب من الشيطان الأسود والأبيض قبل أن يهرب هو منه.

حكي: أن عابداً عبد الله تعالى في صومعته دهراً طويلاً، فولدت لملكهم ابنة حلف الملك أن لا يمسها الرجال، فأخرجها إلى صومعته وأسكنها معه لئلا يشعر أحد مكانها ولا يستخطبها. قال: وكبرت الابنة، فحضر إبليس على صورة شيخ وخدعه بها حتى واقعها الزاهد وأحبلها، فلما ظهر بها الحبل رجع إليه، وقال له: إنك زاهدنا وأنها لو ولدت يظهر زناك، فتصير فضيحة، فاقتلها قبل الولادة، وأعلم والدها أنها قد ماتت، فيصدقك، فتنجو من العذاب والشين، فقتلها الزاهد، فجاء الشيطان إلى الملك في زي العلماء، فأخبره بصنع الزاهد بابنته من الإحبال والقتل. وقال له: إن أردت أن تعرف حقيقة ما أخبرتك، فانبش قبرها وشق بطنها، فإن خرج منها ولد، فهو صدق مقالتي، وإن لم يخرج فاقتلني. فعل ذلك الملك، فإذا الأمر كما قال، فأخذ الزاهد فأركبه جملاً وحمله إلى بلده، فصلبه، فجاء الشيطان، وهو مصلوب، فقال له: زنيت بأمري وقتلت بأمري فآمن بي أنجك من عذاب الملك، فأدركته الشقاوة فآمن به، فهرب الشيطان منه ووقف من بعيد، فقال الزاهد: نجني. قال: إني أخاف الله رب العالمين، فالنفس والشيطان قرينان للإنسان يغويانه إلى أن يهلك:

دانسته ام كه دزد من اذخانة منست وزيستى وبلندى ديوار فارغم

﴿أفأنت تسمع الصم﴾؛ أي: من فقد سمع القلوب. ﴿أو تهدي العمي﴾ من فقد البصائر جمع أصم وأعمى. وبالفارسية: [آيا تو اى محمد سخن حق توانى شنوانيد آنانراكه كوش دل كرانت يا كورد لانرا طريق حق توانى نمود]. يشير إلى أن من سددنا بصيرته ولبسنا عليه رشده ومن صببنا في مسامع قلبه رصاص الشقاء والحرمان لا يمكنك يا محمد مع كمال نبوتك هدايته وإسماعه من غير عنايتنا السابقة، ورعايتنا اللاحقة. كان عليه الصلاة والسلام يتعب نفسه في دعاء قومه، وهم لا يزيدون الأغيار إلا تعامياً عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاماً عما يسمعونه من بينات القرآن، فنزلت. وهو إنكار تعجيب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر، واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقروناً بالصمم فتنزل منزلة من يدعي أنه قادر على ذلك لإصراره على دعائهم. قائلاً: أنا أسمع وأهدي

على قصد تقوى الحكم لا التخصيص، فعجب تعالى منه.

قال ابن الشيخ: وما أحسن هذا الترتيب. فإن الإنسان لاشتغاله بطلب الدنيا والميل إلى الحظوظ الجسمانية يكون كمن بعينه رمد ضعيف، ثم إنه كلما ازداد اشتداده بها، واشتد إعراضه عن النعيم الروحاني ازداد رمده، فينتقل من أن يكون أعشى إلى أن يكون أعمى.

﴿**ومن كان في ضلال مبين**﴾ لا يخفى على أحد؛ أي: ومن كان في علم الله أنه يموت على الضلالة. وبالفارسية: [وانراكه هست در كمراهى هويدا يعنى تو قادر نوستى برهدايت كمراهان بس بسيار تعب بر نفس خود منه]. وهو عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين ومدار الإنكار هو التمكن والاستقرار في الضلال المفرط بحيث لا ارعواء لهم عنه لا توهم القصور من قبل الهادي، ففيه رمز إلى أنه لا يقدر على ذلك إلا الله وحده بالقسر والإلجاء، يعني لا يقدر على إسماع الصم وهداية العمى، وجعل الكافر مؤمناً إلا الله وحده لعظم قدرته وإحاطة تعلقها بكل مقدور (ع): [آن به كه كار خود بعنايت رها كنيم].

﴿**فإما نذهبن بك**﴾: أصله إن ما على أن إنْ للشرط وما: مزيدة للتأكيد بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكدة؛ أي: فإن قبضناك وأمتناك قبل أن نبصرك عذابهم، ونشفي بذلك صدرك وصدر المؤمنين. وبالفارسية: [بس اكر ما ببريم ترابا جوار رحمت خود بيش ازانكه عذاب ايشان بتو بنمايم دل خوش دار].

﴿**فإنا منهم منتقمون**﴾ لا محالة في الدنيا والآخرة:

مكن شادمانى بمرك كسى ... كه دهرت نماند بس ازوى بسى

قال ابن عطاء: أنت أمان فيما بينهم، فإن قبضناك انتقمنا منهم، فليغتنم العقلاء وجود الصلحاء، وليجتنبوا من معاداتهم، فإن في ذلك الهلاك.

قال يحيى بن معاذ رحمة الله عليه: لله على عباده حجتان: حجة ظاهرة: هي الرسول. وحجة باطنة: هي العقول.

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿**أو نرينك الذي وعدناهم**﴾ أو إن أردنا أن نريك العذاب الذي وعدناهم. ﴿**فإنا عليهم مقتدرون**﴾: لا يفوتوننا لأنهم تحت قهرنا وقدرتنا.

وفي الآية تسلية للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم، بأنه تعالى ينتقم من أعدائه ومنكريه. إما في حال حياته، وإما بعد وفاته، وأنه قادر على انتقامهم بواسطته، كما كان يوم بدر، أو بغير واسطة، كما كان في زمن أبي بكر رضي الله عنه وغيره. فبذلك أثبته على حد الخوف والرجاء، ووقفه على حد التجويز لاستبداده بعلم الغيب. وكذلك المقصود في الأمر من كل أحد أن يكون من جملة نظارة التقدير، ويفعل الله ما يريد.

قال المولى الجامي:

اى دل تاكى فضولى وبو العجبى ... از من نشان عاقبت مى طلبى

سر كشته بود خواه ولى خواه نبى ... دروادى ما أدري ما يفعل بى

وفي الحديث: «إذا أراد الله بأمة خيراً قبض الله نبيها قبلها، فجعله لها فرطاً وسلفاً، وإذا

أراد الله بأمة عذاباً عذبها ونبيها حي لتقر عينه لما كذبوه وعصوه». قالوا: كل نبي قد رأى النقمة في أمته غير نبينا عليه السلام، فإن الله أكرمه، فلم ير في أمته إلا الذي تقر به عينه، وأبقى النقمة بعده، وهي البلايا الشديدة.

روي: أنه عليه السلام «أري ما يصيب أمته بعده، فما رؤي مستبشراً ضاحكاً حتى قبض».

وفي الحديث: «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم» قالوا: هذا خيرنا في حياتك فما خيرنا في مماتك؟ فقال: «تعرض علي أعمالكم كل عشية الاثنين والخميس، فما كان من خير حمدت الله تعالى، وما كان من شر أستغفر الله لكم، ولذلك استحب صوم يوم الاثنين والخميس. وقد قال عليه السلام: «تفتح أبواب الجنة كل اثنين وخميس». يعني: [مفتوح مى شود ابواب جنت درهر دوشنبه ونيجشنبه]. يعني: لشرفهما لكون يوم الاثنين يوم ولادة النبي عليه السلام، ويوم الخميس يوم عرض الأعمال على الله سبحانه وتعالى.

واعلم أن كل أحد يشرب من كأس الموت يقال: أوحى الله تعالى إلى نبينا عليه السلام، فقال: يا محمد أحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك ملاقيه غداً وعش ما شئت فإنك ميت:

منه دل برين سال خورده مكان ... كه كنبد نيايد بروكر دكان
وكر بهلوانى وكر تيغ زن ... نخواهى بدر بردن الا كفن
فرو رفت جم را يكى نازنين ... كفن كرد جون كرمش ابريشمين
بدخمه در آمد بس از جند روز ... كه بروى بكريد بزارى وسوز
جو بوسيده ديدش حرير كفن ... بفكرت جنين كفت باخويشتن
من از كرم بركنده بودم بزور ... بكندند ازو باز كرمان كور

﴿فاستمسك بالذي أوحي إليك﴾؛ أي: أمسك بالقرآن الذي أنزل عليك بمراعاة أحكامه سواء عجلنا لك المعهود، أو أخرناه إلى يوم الآخرة. ﴿إنك على صراط مستقيم﴾؛ أي: طريق سوي لا عوج له، وهو طريق التوحيد ودين الإسلام.

وفي «التأويلات النجمية»: فاعتصم بالقرآن، فإنه حبل الله المتين بأن تتخلق بخلقه وتدور معه حيث يدور وقف حيث ما أمرت وثق، فإنك على صراط مستقيم تصل به إلى حضرة جلالنا. ﴿وإنه﴾؛ أي: القرآن الذي أوحي إليك. ﴿لذكر﴾ لشرف عظيم. ﴿لك﴾ خصوصاً ﴿ولقومك﴾، وأمتك عموماً، كما قال عليه السلام: إن لكل شيء شرفاً يباهي به وإن بها أمتي وشرفها: القرآن. فالمراد بالقوم: الأمة. كما قال مجاهد، وقال بعضهم: ولقومك من قريش حيث يقال: إن هذا الكتاب العظيم إنزال الله على رجل من هؤلاء.

قال في «الكواشي»: أولاهم بذلك الشرف الأقرب، فالأقرب منه عليه السلام كقريش، ثم بني هاشم وبني المطلب.

قال ابن عطاء: شرف لك بانتسابك إلينا وشرف لقومك بانتسابهم إليك؛ أي: لأن الانتساب إلى العظيم الشريف عظيم شرف، ثم جمع الله النبي مع قومه، فقال: ﴿وسوف تسألون﴾ يوم القيامة عنه، وعن قيامكم بحقوقه وعن تعظيمكم وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين.

وفي «التأويلات النجمية»: وأن القرآن به شرف الوصول لك ولمتابعيك، وسوف تسألون عن هذا الشرف والكرامة، هل أديتم حقه وقمتم بأداء شكره ساعين في طلب الوصول والوصال، أم ضيعتم حقه وجعلتموه وسيلة الاستنزال إلى الدرك بصرفه في تحصيل المنافع الدنيوية، والمطالب النفسانية. انتهى.

قال بعضهم: علوم العارفين مبنية على الكشف والعيان، وعلوم غيرهم من الخواطر الفكرية والأذهان، وبداية طريقهم التقوى والعمل الصالح، وبداية طريق غيرهم مطالعة الكتب والاستمداد من المخلوقين في حصول المصالح، ونهاية علومهم الوصول إلى شهود حضرة الحي القيوم، ونهاية علوم غيرهم تحصيل الوظائف، والمناصب وجمع الحطام الذي لا يدوم:

زيان ميكند مرد تفسير دان ... كه علم وادب مى فروشد بنان

كجا عقل باشرع فتوى دهد ... كه اهل خرد دين بدنيا دهد

فكما أن العالم الغير العامل والجاهل الغير العامل سواء في كونهما مطروحين عن باب الله تعالى. وكذا العارف الغير العامل والغافل الغير العامل سواء في كونهما مردودين عن باب الله تعالى؛ لأن مجرد العلم والمعرفة ليس سبب القبول والقدر ما لم يقارن العمل بالكتاب والسنة، بل كون مجرد هما سبب الفلاح، مذهب الحكماء الغير الإسلامية، فلا بد معهما من العمل حتى يكونا سبباً للنجاة، كما هو مذهب أهل السنة والحكماء الإسلامية. والإنسان إما حيواني، وهم الذين غلبت عليهم أوصاف الطبيعة وأحوال الشهوة من الأكل والشرب والمنام ونحوها، وإما شيطاني. وهم الذين غلبت عليهم أوصاف النفس وأحوال الشيطنة كالكبر والعجب والحسد وغيرها، وإما ملكي وهم الذين غلبت عليهم أوصاف الروح، وأحوال الملكية في العلم والعمل والذكر والتسبيح ونحوها، فمن تمسك بالقرآن، وعمل بما فيه علمه الله ما لم يعلم، وجعله من أهل الكشف والعيان. فيكون من الذين يتلون آيات الله في الآفاق والأنفس ويكاشفون عن حقائق القرآن، فهذا الشرف العظيم لهذه الأمة؛ لأنه ليس لغيرهم: هذا القرآن.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: قال موسى: يا رب هل في الأمم أكرم عليك ممن ظللت عليهم الغمام، وأنزلت عليهم المن والسلوى. قال: يا موسى إن فضل أمة محمد على الأمم، كفضلي على خلقي، فقال موسى: إلهي اجعلني من أمة محمد. قال: يا موسى لن تدركهم، ولكن أتشتهي أن تسمع كلامهم. قال: نعم يا رب فنادى: يا أمة محمد، فقالوا: لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك، والخير كله بيديك، فجعل الله تلك الإجابة من شعائر الحج، ثم قال: يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي، قد غفرت لكم قبل أن تعصوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني، فمن لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أسكنته الجنة، ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر، وعدد القطر، وعدد النجوم وعدد أيام الدنيا.

وفي التوراة في حق هذه الأمة: أناجيلهم في صدورهم؛ أي: يحفظون كتابهم. وفي المثنوي:

تو زقرآن اى بسر ظاهر مبين ... ديو آدم رانه بيند جز كه طين

ظاهر قرآن جو شخص آدميست ... كه نقوشش ظاهر وجانش خفيست

﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿**واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا**﴾. قوله: من أرسلنا في محل النصب على أنه مفعول اسأل، وهو على حذف المضاف لاستحالة السؤال من الرسل حقيقة.

والمعنى: واسأل أممهم وعلماء دينهم، كقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]، وفائدة هذا المجاز التنبيه على أن المسؤول عنه عين ما نطقت به ألسنة الرسل لا ما يقوله أممهم وعلماؤهم من تلقاء أنفسهم. ﴿**أجعلنا من دون الرحمٰن آلهة يعبدون**﴾؛ أي: هل حكمنا بعبادة الأوثان، وهل جاءت في ملة من مللهم.

والمراد به: الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد والتنبيه على أنه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب، ويعادى له، فإنه أقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة.

قال ابن الشيخ: السؤال يكون لرفع الالتباس، ولم يكن رسول الله يشك في ذلك، وإنما الخطاب له. والمراد غيره. قالت عائشة رضي الله عنها: لما نزلت هذه الآية، قال عليه السلام: «ما أنا بالذي أشك، وما أنا بالذي أسأل». وجعل الزمخشري السؤال في الآية مجازاً عن النظر في أديانهم، والفحص عن مللهم على أنه نظير قولهم: سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك، وللآية وجه آخر بحملها على ظاهرها من غير تقدير مضاف، وهو ما روي أنه عليه السلام: لما أسري به إلى المسجد الأقصى حشر إليه الأنبياء والمرسلون من قبورهم، ومثلوا له فأذن جبرائيل، ثم أقام وقال: يا محمد تقدم فصل بإخوانك الأنبياء والمرسلين، فلما فرغ من الصلاة. قال له جبرائيل: زعمت قريش أن لله شريكاً، وزعمت اليهود والنصارى أن لله ولداً، سل يا محمد هؤلاء النبيين، هل كان لله شريك، ثم قرأ: ﴿**واسأل من أرسلنا**﴾ إلخ. فقال عليه السلام: «لا أسأل ولقد اكتفيت ولست بشاك فيه»، فلم يشك فيه، ولم يسأل، وكان أثبت يقيناً من ذلك.

قال أبو القاسم: «المفسر في كتاب التنزيل» له: أن هذه الآية أنزلت على النبي عليه السلام ببيت المقدس ليلة المعراج، فلما أنزلت وسمعها الأنبياء عليهم السلام أقروا لله تعالى بالوحدانية. وقالوا: بعثنا بالتوحيد.

صاحب «عين المعاني»: [آورده كه در آثار آمد كه ميكائيل از جبرائيل برسيدكه سيد عالم عليه السلام اين سؤال كرد از انبيا جبرائيل كفت كه يقين اوازان كاملتر وايمان أو ازان محكمترست كه اين سؤال كنده. آنكه در كشف كرده استقلال]. كي توجه كند باستدلال.

وفي المثنوي:

آينه روشن كه صد صاف وجلى جهل باشد بر نهادر صيقلى

بيش سلطان خوش نشسته دل قبول زشت باشد جستن نامه ورسول

وفي الآية إشارة إلى أن بعثة جميع الرسل كانت على النهي عن عبادة غير الله من النفس والهوى والشيطان، أو شيء من الدنيا والآخرة كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]؛ أي: ليقصدوه، فإنه المقصود، ويطلبوه، فإنه المطلوب والمحبوب والمعبود.

قال بعض الكبار: لا تطلب مولاك مع شيء من الدنيا والآخرة من الظاهر والباطن، ولا من العلم والعرفان، ولا من الذوق والوجدان، ولا من الشهود والعيان، بل اطلبه بلا شيء

حتى تكون طالباً خالصاً مخلصاً له الدين، وإذا كنت طالباً لمولاك بدون شيء تنجو من رق الغير وتكون حراً باقياً، في رق مولاك، فحينئذٍ تكون عبداً محضاً لمولى واحد، فيصلح تسميتك عبد الله والعبد فقير إذ كل ما في يده لمولاه غني بغنى الله إذ كل خزائنه له.

ومن إشارات هذا المقام ما قال عليه السلام: «يؤتى بالعبد الفقير يوم القيامة، فيعتذر الله إليه كما يعتذر الرجل إلى الرجل في الدنيا، ويقول: وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي، ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف، وانظر إلى من أطعمك، أو كساك، وأراد بذلك وجهي فخذ بيده، فهو لك والناس يومئذٍ قد ألجمهم العرق، فيتخلل الصفوف، وينظر من فعل به ذلك في الدنيا، فيأخذ بيده، ويدخله الجنة:

كليد كلشن فردوس دست احسانست   بهشت مى طلبى از سر درم برخيز

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿ولقد أرسلنا موسى﴾: حال كونه ملتبساً **﴿بآياتنا﴾** التسع الدالة على صحة نبوته **﴿إلى فرعون وملئه﴾**؛ أي: أشراف قومه. والإرسال إلى الأشراف إرسال إلى الأرذال؛ لأنهم تابعون لهم. **﴿فقال﴾**: موسى لهم **﴿إني رسول رب العالمين﴾** لكم.

﴿فلما جاءهم بآياتنا﴾ ليسعدوا وينتهوا وينتفعوا بها **﴿إذا﴾**: [همان وقت] **﴿هم﴾**: [ايشان]. **﴿منها﴾**؛ أي: من تلك الآيات **﴿يضحكون﴾**: إذا اسم بمعنى: الوقت. نصب على المفعولية لفاجأوا المقدر ومحل، لما نصب على أنه ظرف له؛ أي: فاجأوا وقت ضحكهم منها؛ أي: استهزؤوا بها وكذبوها أول ما رأوها، ولم يتأملوا فيها. وقالوا: سحر وتخييل ظلماً وعلواً.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿وما نريهم من آية﴾ من الآيات. وبالفارسية: [ننموديم ايشانرا هيج معجزه]. **﴿إلا هي أكبر من أختها﴾**: الأخت تأنيث الأخ، وجعلت التاء فيها، كالعوض عن المحذوف منه؛ أي: أعظم عن الآية التي تقدمتها ليكون العذاب أعظم لما كانت الآية مؤنثاً عبر عنها بالأخت وسماها أختها في اشتراكهما في الصحة والصدق، وكون كل منهما نظيرة الأخرى وقرينتها وصاحبتها في ذلك، وفي كونها آية.

وفي «كشف الأسرار»: [اين آنست كه بارسيان كوبندكه همه از يكديكر نيكوتر مهتر وبهتر]. والمقصود: وصف الكل بالكبر الذي لا مزيد عليه فهو من باب الكناية.

يقول الفقير: الظاهر أن الكلام من باب الترقي وعليه عادة الله تعالى إلى وقت الاستئصال. وقال بعضهم: إلا وهي مختصة بضرب من الإعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها.

يقول الفقير: فالآيات متساوية في أنفسها، متفاوتة بالاعتبار كالآيات القرآنية، فإنها

متساوية في كونها كلام الله تعالى متفاوتة بالنسبة إلى طبقاتها في المعاني. فالمراد على هذا بالأفعل، هي الزيادة من وجه، وهي مجاز؛ لأن المصادر التي تتضمنها الأفعال والأسماء موضوعة للماهية لا للفرد المنتشر.

قال بعض الكبار: إن الله تعالى لم يأتهم بشيء من الآيات إلا كان أوضح مما قبله، ولم يقابلوه إلا بجفاء أوحش مما قبله من ظلومية طبع الإنسان وكفوريته. ﴿**وأخذناهم بالعذاب**﴾؛ أي: عاقبناهم بالسنين والطوفان والجراد والدم والطمس ونحوها. وكانت هذه الآيات دلالات ومعجزات لموسى وزجراً، وعذاباً للكافرين. ﴿**لعلهم يرجعون**﴾؛ أي: لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر، فإن من جهولية نفس الإنسان، أن لا يرجع إلى الله على أقدام العبودية إلا أن يجر بسلاسل البأساء والضراء إلى الحضرة، فكلمة لعل مستعارة لمعنى كي، وهو التعليل كما سبق في أول هذه السورة، وتفسيره بإرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان، كما فسره أهل الاعتزال خطأ محض لا ريب فيه؛ لأن الإرادة تستلزم المراد بخلاف الأمر التكليفي، فإنه قد يأمر بما لا يريد، والذي يريده، فهو واقع البتة.

﴿**وقالوا**﴾؛ أي: فرعون وقومه في كل مرة من العذاب لما ضاق نطاق بشريتهم. ﴿**يا أيه الساحر**﴾ نادوا بذلك في مثل تلك الحالة؛ أي: عند طلب كشف العذاب بدعائه لغاية عتوهم وغاية حماقتهم، أو سبق ذلك إلى لسانهم على ما ألفوه من تسميتهم إياه بالساحر لفرط حيرتهم.

قال سعدي المفتي: والأظهر أن النداء كان باسمه العلم كما في الأعراف، لكن حكى الله تعالى هنا كلامهم لا بعبارتهم، بل على وفق ما أضمرته قلوبهم من اعتقادهم أنه ساحر لاقتضاء مقام التسلية ذلك، فإن قريشاً أيضاً سموه ساحراً وسموا ما أتى به سحراً.

وعن الحسن: قالوه على الاستهزاء. وقال ابن بحر؛ أي: الغالب بالسحر نحو خصمته. وقال بعضهم: قالوه تعظيماً، فإن السحر كان عندهم علماً عظيماً، وصفة ممدوحة. والساحر فيهم عظيم الشأن، فكأنهم قالوا: يا أيها العالم بالسحر الكامل الحاذق فيه ﴿**ادع لنا ربك**﴾ ليكشف عنا العذاب.

قال في «التأويلات النجمية»: ما قالوا مع هذا الاضطرار يا أيها الرسول، وما قالوا: ادع لنا ربنا؛ لأنهم ما رجعوا إلى الله بصدق النية وخلوص العقيدة ليروه بنور الإيمان رسولاً، ويروا الله ربهم، وإنما طمعوا باضطرار لخلاص أنفسهم لا لخلاص قلوبهم. ﴿**بما عهد عندك**﴾ ما: مصدرية، والباء: للسببية. وأصل العهد بمعنى: التوصية أن يتعدى بإلى إلا أنه أورد بدلها لفظ عندك إشعاراً بأن تلك الوصية مرعية محفوظة عنده لا مضيعة ملغاة.

قال الراغب: العهد حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال وعهد فلان إلى فلان بعهد؛ أي: ألقى العهد إليه وأوصاه بحفظه.

والمعنى: بسبب عهده عندك بالنبوة، فإن النبوة تسمى عهد الله. وبالفارسية: [بسبب آن عهدى كه نزديك تونهاده است]. أو من استجابة دعوتك، أو من كشف العذاب عمن اهتدى.

قال بعضهم: الأظهر أن الباء في الوجه الأول للقسم؛ أي: ادع الله بحق ما عندك من النبوة. ﴿**إننا لمهتدون**﴾؛ أي: لمؤمنون على تقدير كشف العذاب عنا بدعوتك وعد منهم معلق بشرط الدعاء، ولذا تعرضوا للنبوة على تقدير صحتها. وقالوا: ربك لا ربنا، فإنه إنما يكون

ربهم بعد الإيمان؛ لأنهم قائلون بربوبية فرعون.

﴿فلما﴾: [بس آن هنكام كه]. ﴿كشفنا﴾: [ببرديم وازاله كرديم]. ﴿عنهم العذاب﴾ بدعاء موسى. ﴿إذا هم﴾: [همان زمان ايشان] ﴿ينكثون﴾: النكث في الأصل نقض الحبل والغزل ونحو ذلك. وبالفارسية: [تابازدادن ريسمان]. واستعير لنقض العهد. والمعنى: فاجأوا وقت نقض عهدهم بالاهتداء، وهو الإيمان؛ أي: بادروا النكث، ولم يؤخروه وعادوا إلى كفرهم، وأصروا عليه، ولما نقضوا عهودهم صاروا ملعونين، ومن آثار لعنهم الغرق، كما يأتي فعلى العاقل الوفاء بالعهد.

حكي: أن النعمان بن المنذر من ملوك العرب جعل لنفسه في كل سنة يومين، فإذا خرج فأول من يطلع عليه في يوم نعمه يعطيه مائة من الإبل ويغنيه. وفي يوم بؤسه يقتله، فلقيه في يوم بؤسه رجل طاقي، فأيقن بقتله. وقال: حيَّ الله الملك إن الاحتياج والضرورة قد حملاني على الخروج في هذا اليوم، ولكن لا يتفاوت الأمر في قتلي بين أول النهار وآخره، فإن رأى الملك أن يأذن لي في أن أوصل إلى أهلي وأولادي القوت وأودعهم، ثم أعود فرق له النعمان. وقال: لا يكون ذلك إلا بضمان رجل منا، فإن لم ترجع قتلناه.

قال شريك بن علي: ضمانه علي، فذهب الطاقي، ثم رجع قريباً من المساء، فلما رآه النعمان أطرق رأسه، ثم رفع وقال: ما رأيت مثلكما، أما أنت أيها الطاقي، فما تركت لأحد في الوفاء مقاماً يفتخر به، وأما أنت يا شريك، فما تركت لكريم سماحة؟ فلا أكون أخس الثلاثة ألا وإني قد رفعت يوم بؤسي عن الناس كرامة لكما، ثم أحسن إلى الطاقي. وقال: ما حملك على ذلك؟ قال: ديني فمن لا وفاء له لا دين له، فظهر أن الوفاء سبب النجاة. وفي المثنوي:

جرعه برخاك وفا آنكس كه ريخت   كى تواند صيد دولت زوكريخت

وأول مراتب الوفاء منا هو الإتيان بكلمتي الشهادة، ومن الله منع الدماء والمال، وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلاً عن غيره، ومن الله الفوز باللقاء الدائم. وعن بعضهم أنه سافر للحج على قدم التجريد وعاهد الله أنه لا يسأل أحداً شيئاً، فلما كان في بعض الطريق مكث مدة لا يفتح عليه بشيء، فعجز عن المشي، ثم قال: هذا حال ضروري تؤدي إلى تهلكة بسبب الضعف المؤدي إلى الانقطاع. وقد نهى الله عن إلقاء النفس إلى التهلكة، ثم عزم على السؤال، فلما هم بذلك انبعث من باطنه خاطر رده عن ذلك العزم. ثم قال: أموت ولا أنقض عهداً بيني وبين الله، فمرت القافلة وانقطع ذلك البعض واستقبل القبلة مضطجعاً ينتظر الموت، فبينما هو كذلك إذ هو بفارس قائم على رأسه معه، إداوة فسقاه وأزال ما به من الضرورة، فقال له: تريد القافلة، فقال: وأين مني القافلة، فقال: قم، وسار معه خطوات، ثم قال: قف ها هنا، والقافلة تأتيك فوقف، وإذا بالقافلة مقبلة من خلفه. وهذا من قبيل طي المكان كرامة من الله تعالى لأهل الشهود والحضور:

نتوان بقيل وقال زار باب حال شد   منعم نميشود كسى از كفت وكوى كنج

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿ونادى فرعون﴾ بنفسه أو بمناد أمره بالنداء ﴿في قومه﴾ في مجمعهم وفيما بينهم بعد أن كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمنوا. ﴿قال﴾: [كفت از روى عظمت وافتخار]. ﴿يا قوم﴾: [اى كروه من يعنى قبطيان]. ﴿أليس لي ملك مصر﴾، وهي أربعون فرسخاً في أربعين.

قال الكاشفي: [آيانيست مرا مملكت مصر از اسكندريه تاسر حد شام]. وفي «فتح الرحمٰن»: وهو من نحو الإسكندرية إلى أسوان بطول النيل. وأسوان بالضم: بلد بصعيد مصر كما في «القاموس». قال في«روضة الأخبار»: مصر بلدة معروفة بناها مصر بن حام بن نوح. وبه سميت مصر مصراً. وفي «القاموس»: مصروا المكان تمصيراً جعلوه مصراً، فتمصر، ومصر للمدينة المعروفة سميت لتمصرها، أو لأنه بناها مصر بن نوح.

وقال بعضهم: مصر بلد معروف من مصر الشيء يمصره إذا قطعه سمي به لانقطاعه عن الفضاء بالعمارة. انتهى. ﴿وهذه الأنهار﴾؛ أي: أنهار النيل، فاللام عوض عن المضاف إليه.

قال في «كشف الأسرار»: [آب نيل بسيصد وشصت جوى منقسم بوده]. والمراد هنا: الخلجان الكبار الخارجة من النيل ومعظمها أربعة أنهر: نهر الملك، وهو نهر الإسكندرية ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس، وهو كسكين بلد بجزيرة من جزائر بحر الروم قرب دمياط ينسب إليها الثياب الفاخرة كما في «القاموس».

﴿تجري من تحتي﴾؛ أي: من تحت قصري أو أمري. قال الكاشفي: [جهار حوى بزرك درباغ او ميرفت واز زير قصر هاى او ميكذست].

والواو إما عاطفة لهذه الأنهار على ملك، فتجري حال منها، أو للحال فهذه مبتدأ، والأنهار صفتها، وتجري خبر للمبتدأ.

قال في «خريدة العجائب»: ليس في الدنيا نهر أطول من النيل؛ لأن مسيرته شهران في الإسلام، وشهران في الكفر، وشهران في البرية، وأربعة أشهر في الخراب ومخرجه من بلاد جبل القمر خلف خط الاستواء، وسمي جبل القمر؛ لأن القمر لا يطلع عليه أصلاً لخروجه عن خط الاستواء، وميله عن نوره وضوؤه يخرج من بحر الظلمة؛ أي: البحر الأسود، ويدخل تحت جبل القمر. وليس في الدنيا نهر يشبه بالنيل إلا نهر مهران، وهو نهر السند.

﴿أفلا تبصرون﴾: ذلك يريد به استعظام ملكه وعن هارون الرشيد لما قرأها قال: لأولينها أخس عبيدي، فولاها الخصيب، وكان على وضوئه وكان أسود أحمق. [عقل وكفايت آن سياه بحدى بودكه طائفة حراث مصر شكايت آور دندش كه ينبه كاشته بوديم بركنار نيل وباران بى وقت آمد وتلف شد كفت بشم بايستى كاشتن تاتلف نشدى دانشمندى اين سخن بشنيد وبخنديه وكفت]:

اكـر روزى بـدانـش بـرفـزودى زنـادان تـنـك روزى تـر نـبـودى
بـنـادانـان جـنـان روزى رسـانـد كـه دانـايـان از وحـيـران بـمـانـد

وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها، فخرج إليها، فلما شارفها، ووقع عليها بصره. قال: أهي القرية التي افتخر فيها فرعون حتى قال: أليس لي ملك مصر، والله لهي أقل عندي من أن أدخلها فثنى عنانه.

قال الحافظ ابن أبي الفرج بن الجوزي يوماً في قول فرعون: وهذه الأنهار تجري من تحتي، ويحه افتخر بنهر ما أجراه ما أجراه:

افتخار از رنك وبو وازمكان هست شادى وفريب كودكان

﴿أم أنا خير﴾: مع هذا الملك والبسط، وأم منقطعة بمعنى: بل أنا خير، والهمزة للتقرير أي لحملهم على الإقرار؛ كأنه قال: إثر ما عدد أسباب فضله ومبادي خيريته أثبت عندكم واستقر لديكم: أني أنا خير، وهذه حال من هذا. إلخ.

وقال أبو الليث: يعني أنا خير وأم للصلة والمحققون على أن أم ها هنا بمعنى: بل التي تكون للانتقال من كلام إلى كلام آخر من غير اعتبار استفهام، كما في قوله تعالى في سورة النمل، ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [النمل: ٨٤].

وقال سعدي المفتي: ويجوز أن يكون النظم من الاحتباك: ذكر الأبصار أولاً دلالة على حذف مثله ثانياً: والخيرية ثانياً دلالة على حذف مثله أولاً.

والمعنى: أهو خير مني فلا تبصرون ما ذكرتكم به، أم أنا خير منه؛ لأنكم تبصرونه.

﴿من هذا الذي هو مهين﴾: ضعيف حقير من المهانة، وهي القلة. ﴿ولا يكاد يبين﴾: الكلام ويوضحه لرتة في لسانه، فكيف يصلح للنبوة والرسالة يريد أنه ليس معه من آيات الملك والسياسة ما يعتضده، ويتقوى به. كما قالت قريش: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١]، وهو في نفسه حال عما يوصف به الرجال من الفصاحة والبلاغة، وكان الأنبياء كلهم فصحاء بلغاء. قاله: افتراء على موسى وتنقيصاً له في أعين الناس باعتبار ما كان في لسانه من نوع رتة حدثت بسبب الجمرة.

وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: ٣٦]. والرتة: غير اللثغة، وهي حبسه في اللسان تمنعه من الجريان وسلاسة التكلم.

يقول الفقير: الأنبياء عليهم السلام سالمون من العيوب والعاهات المنفرة، كما ثبت في محله. وقد كان للشيخ عبد المؤمن المدفون في بروسة عقدة في لسانه، وعند ما ينقل الأحياء في الجامع الكبير تنحل بإذن الله تعالى، فإذا كان حال الولي، هكذا، فكيف حال الموفر حظاً من كل كمال كموسى، وغيره من الأنبياء عليهم السلام حين أداء الوحي الإلهي.

وقد جربنا عامة من كان ألثغ، أو نحوه، فوجدناهم منطيقين عند تلاوة القرآن، وهو من آثار رحمة الله وحكمه البديعة.

وفي «التأويلات النجمية» تشير الآية إلى من تعزز بشيء من دون الله، فحتفه وهلاكه في ذلك، فلما تعزز فرعون بملك مصر وجرى النيل بأمره، فكان فيه هلاكه، وكذلك من استصغر أحداً سلط عليه كما أن فرعون استصغر موسى عليه السلام، وحديثه وعابه بالفقر واللكنة. فقال: أم أنا خير فسلطه الله عليه، وكان هلاكه على يديه.

وفيه إشارة أخرى، وهي أن قوله: أم أنا خير من خصوصية صفة إبليس، فكانت هذه الصفة توجد في فرعون. وكان من صفة فرعون قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ولم توجد هذه الصفة في إبليس ليعلم أن الله تعالى أكرم الإنسان باستعداد يختص به، وهو قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤]، فإذا فسد استعداده استنزل دركة لا يبلغه فيها إبليس وغيره. وهي أسفل السافلين، فيكون شر البرية، ولو استكمل استعداده لنال رتبة في القربة لا يسعه فيها ملك مقرب، ولكان خير البرية.

قال الصائب:

سروری از خلق بد خودرا مصفی کردنست برنمی آیی بخود سر برنمی باید شدن
بادشاه از کشور بیکانه دارد صد خطر یك قدم ازحد خود بر ترنمی باید شدن

فإذا عرفت حال إبليس وحال فرعون، فاجتهد في إصلاح النفس وتزكيتها عن الأوصاف الرذيلة التي بها صار الشيطان شيطاناً وفرعون فرعوناً نسأل الله سبحانه أن يدركنا بعنايته ويتداركنا بهدايته قبل القدوم على حضرته.

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب﴾. قالوه توبيخاً ولوما على ترك الفعل ما هو مقتضى حرف التحضيض الداخل على الماضي وأسورة جمع سوار على تعويض التاء من ياء أساوير، يعني: الياء المقابلة لألف أسوار، ونظيره زنادقة وبطارقة. فالهاء فيهما عوض عن ياء زناديق وبطاريق المقابلة. لياء زنديق وبطريق.

قال في «القاموس»: السوار بالكسر والضم. القلب: كالأسوار بالضم والجمع أسورة وأساور وأساورة.

وفي «المفردات»: سوار المرأة أصله دستواره، فهو فارسي معرب عند البعض، والذهب جسم ذائب صاف منطرق أصفر رزين بالقياس إلى سائر الأجسام.

والمعنى: فهلا ألقي على موسى وأعطي مقاليد الملك إن كان صادقاً في مقالته في رسالته، فيكون حاله خيراً من حالي والملقي هو رب موسى من السماء، وإلقاء الأسورة كناية عن إلقاء مقاليد الملك؛ أي: أسبابه التي هي كالمفاتيح له، وكانوا إذا سودوا رجلاً سوروه وطوقوه بطوق من ذهب علماً على رياسته ودلالة لسيادته.

يعني: [آن زمان جنان بودكه هركرا مهترى وبيشوايى ميدهند دستوانه طلا دردست وطوق زردركردن أو ميكننده فرعون كفت كه اكر موسى راست ميكويد كه بسيادت ورياست قوم نامزد شده جراخداى اورا دستوانه نداده]. **﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾**؛ أي: حال كونهم مقرونين بموسى منضمين إليه يعينونه على أمره وينصرونه ويصدقونه؛ أي: يشهدون له بصدقه.

قال الراغب: الاقتران كالازدواج في كونه اجتماع شيئين، أو أشياء في معنى من المعاني.

﴿فاستخف قومه﴾: الاستخفاف: سبك كردانيدن وسبك داشتن وطلب خفت كردن. أي: فاستفزهم بالقول وطلب منهم الخفة في إطاعته، فالمطلوب بما ذكره من التلبيسات والتمويهات خفة عقولهم حتى يطيعوه فيما أراد منهم، مما يأباه أرباب العقول السليمة لا خفة أبدانهم ففي امتثال أمره، أو فاستخف أحلامهم؛ أي: وجدها خفيفة يغترون بالتلبيسات الباطلة.

وقال الراغب: حملهم على أن يخفوا معه، أو وجدهم خفافاً في أبدانهم وعزائمهم.

وفي «القاموس»: استخفه ضد استثقله وفلاناً عن رأيه حمله على الجهل والخفة وأزاله عما كان عليه من الصواب.

وقال الكاشفي: [بس سبك عقل يافت فرعون بدين مكر كروه خودرا يعنى اين فريب در

ايشان اثر كرد]. ﴿فأطاعوه﴾ فيما أمرهم به لفرط جهلهم وضلالهم. [وبكلى دل از متابعت موسى بر داشتند]. ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾، فلذلك سارعوا إلى طاعة ذلك الفاسق الغوي.

وبالفارسية: [بدرستى كه فرعونيان بودند كروهى بيرون رفته ازدائرة بندكى خداى وفرمان بردارى وى بلكه خارج از طريقه عقل كه بمال وجاه فانى اعتماد كرده باشتد موسى را عليه السلام بنظر حقارت ديدند وندا نستندكه]:

فرعون وعذاب ابدوريش مرصع

موسى كليم الله: [وجوبى وشبانى].

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن كل من استولى على قوم فاستخفهم، فأطاعوه رهبة منه، وإن أمنوا من سطوته، فخالفوه أمناً منه، فإنه يزيد في جهادهم ورياضتهم ومخالفة طباعهم، وأنه استولت النفس الأمارة على قومها. وهم: القلب والروح وصفاتهما، فاستخفتهم بمخالفة الشريعة، وموافقة الهوى والطبيعة، فأطاعوها رهبة إلى أن تخلقوا بأخلاقها، فأطاعوها رغبة. انتهى.

وفيه إشارة إلى أن العدو لا ينقاد بحال، وأما انقياده كرهاً فلا يغتر به، فإنه لو وجد فرصة لقطع اليد بدل التقبيل:

هركز ايمن ززمان ننشستم تابدانستم آنچه خصلت اوست

﴿فلما آسفونا﴾: الإيساف: [أندو هكين كردن وبخشم آوردن]. منقول من أسف يأسف، كعلم يعلم إذا اشتد غضبه.

وفي «القاموس»: الأسف محركة أشد الحزن وأسف عليه غضب وسئل صلى الله عليه وسلم عن موت الفجأة، فقال: «راحة للمؤمن وأخذه أسف»؛ أي: سخط للكافر. ويروى: أسف ككتف؛ أي: أخذة ساخط، يعني: موت الفجأة إثر غضب الله على العبد إلا أن يكون مستعداً للموت.

وقال الراغب: الأسف: الحزن والغضب معاً. وقد يقال لكل منهما على الانفراد وحقيقته ثوران دم القلب إرادة الانتقام، فمتى كان ذلك على من دونه انتشر، فصار غضباً، ومتى كان على من فوقه انقبض، فصار حزناً.

والمعنى: فلما أغضبونا؛ أي: فرعون وقومه أشد الغضب بالإفراط في العناد والعصيان، وغضب الله نقيض الرضا، أو إرادة الانتقام، أو تحقيق الوعيد، أو الأخذ الأليم أو البطش الشديد، أو هتك الأستار والتعذيب بالنار أو تغيير النعمة. ﴿انتقمنا منهم﴾: أردنا أن نعجل لهم انتقامنا وعذابنا، وأن لا نحلم عنهم وفي «كشف الأسرار»: أحللنا بهم النقمة والعذاب.

﴿فأغرقناهم أجمعين﴾، فأهلكناهم المطاع والمطيعين له أجمعين، بالإغراق في اليم لم نترك منهم أحداً.

﴿فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿فجعلناهم سلفاً﴾: إما مصدر سلف يسلف كطلب يطلب بمعنى التقدم وصف به الأعيان للمبالغة، فهو بمعنى متقدمين ماضين، أو جمع سالف كخدم جمع خادم، ولما لم يكن التقدم متعدياً باللام فسروه بالقدوة مجازاً؛ لأن المتقدمين يلزمهم غالباً أن يكونوا قدوة لمن بعدهم.

فالمعنى: فجعلناهم قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم في استيجاب مثل ما حل بهم من العذاب.

وفي «عين المعاني»: فجعلناهم سلفاً في النار. ﴿ومثلاً للآخرين﴾: اللام متعلق بكل من سلفاً ومثلاً على التنازع؛ أي: عظة للكفار المتأخرين عنهم والعظة ليس من لوازمها الاتعاظ، أو قصة عجيبة تسير مسير الأمثال لهم، فيقال: مثلكم مثل قوم فرعون.

وقال الكاشفي: [كردانيديم ايشانرا بندى وعبرتى براى بيشينيان كه در مقام اعتبار باشند جه ملاحظة قصه عجيبة ايشان معتبررا در تقلب احوال كفايتيست واز جمله آنكه جون فرعون باب نازشى كرد اوراهم باب غرقه ساختند وبد آنجه نازيد بفرياد او نرسيد. درسر دارى كه باشدت سردارى هم درسران روى كه در سردارى].

وفي الآية إشارة إلى أن الغضب في الله من الفضائل لا من الرذائل. وعن سماك بن الفضل. قال: كنا عند عروة بن محمد وعنده وهب بن منبه، فجاء قوم فشكوا عاملهم، وأثبتوا على ذلك، فتناول وهب عصاً كانت في يد عروة، فضرب بها رأس العامل، حتى أدماه، فاستهانها عروة، وكان حليماً. وقال: يعيب علينا أبو عبد الله الغضب، وهو يغضب، فقال وهب: وما لي لا أغضب، وقد غضب الذي خلق الأحلام إن الله يقول: فلما آسفونا. إلخ.

وفيها إشارة أيضاً إلى أن إغضاب أوليائه إغضابه تعالى حتى قالوا في آسفونا: آسفوا رسلنا وأولياءنا. أضاف الإيساف إلى نفسه إكراماً لهم.

قال أبو عبد الله الرضي: إن الله لا يأسف كأسفنا، ولكن له أولياء يأسفون ويرضون، فجعل رضاهم رضاه وغضبهم غضبه، فينتقم لأوليائه من أعدائه كما أخبر في حديث رباني: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الجريء لجروه.

قال في «التأويلات النجمية»: هذا أصل في باب الجمع أضاف إيساف أوليائه إلى نفسه. وفي الخبر أنه يقول: «مرضت، فلم تعدني». وقال في صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وفي «عرائس البقلي»: فلما قاموا على دعاويهم الباطلة وكلماتهم المزخرفة وبدعهم الباردة، وأصروا على أذى أوليائنا وأحبائنا غضبنا وسلطنا عليهم جنود قهرياتنا وأمتناهم في أودية الجهالة وأغرقناهم في بحار الغفلة وجردنا قلوبهم عن أنوار المعرفة، وطمسنا أعين أسرارهم حتى لا يروا لطائف برنا على أوليائنا.

قال سهل: لما أقاموا مصرين على المخالفة في الأوامر وإظهار البدع في الدين وترك السنن اتباعاً للآراء والأهواء والعقول نزعنا نور المعرفة من قلوبهم، وسراج التوحيد من إسرارهم، ووكلناهم إلى ما اختاروه فضلوا وأضلوا. ومن الله الهداية لموافقة السنة ومنه المنة.

﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿**ولما ضرب ابن مريم**﴾؛ أي: عيسى. ﴿**مثلاً**﴾؛ أي: ضربه عبد الله بن الزبعرى السهمي كان من مردة قريش قبل أن يسلم.

قال في «القاموس»: الزبعرى بكسر الزاي وفتح الباء والراء. والد عبد الله الصحابي القرشي الشاعر. انتهى. ومعنى: ضربه مثلاً؛ أي: جعله مثالاً ومقياساً في بيان إبطال ما ذكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كون معبودات الأمم دون الله حصب جهنم. الآية قرأه على قريش، فامتعضوا من ذلك امتعاضاً شديداً؛ أي: غضبوا وشق عليهم ذلك. فقال ابن الزبعرى بطريق الجدال هذا لنا ولآلهتنا، أم لجميع الأمم. فقال عليه السلام: «هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم». فقال: خصمتك ورب الكعبة، أليست النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيراً، وبنو مليح الملائكة، فإن كان هؤلاء في النار، فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم، ففرح به قومه، وضحكوا وارتفعت أصواتهم، وذلك قوله تعالى: ﴿**إذا قومك**﴾: [آنكاه قوم تو].

﴿**منه**﴾؛ أي: من ذلك المثل؛ أي: لأجله وسببه ﴿**يصدون**﴾؛ أي: يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحاً وجذلاً لظنهم أن الرسول صار ملزماً به. قال في «القاموس»: صد يصد ويصد صديداً ضج كما قال في «تاج المصادر»: [الصديد بانك كردن].

والغابر: يفعل، ويفعل معاً، وأما الصدود، فبمعنى الإعراض. يقال: صد عنه صدوداً؛ أي: أعرض وفلاناً عن كذا صداً منعه وصرفه؛ كأصده كما قال في «التاج»: [الصد پكر دانيد والصد والصدود بكشتن].

﴿**وقالوا**﴾؛ أي: قومك. ﴿**ءآلهتنا خير**﴾؛ أي: عندك، فإن آلهتهم خير عندهم من عيسى. ﴿**أم هو**﴾؛ أي: عيسى؛ أي: ظاهر أن عيسى خير من آلهتنا، فحيث كان هو في النار، فلا بأس بكوننا مع آلهتنا فيها.

روي: أن الله تعالى أنزل قوله تعالى: جواباً ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١] يدل على أن قوله: وما يعبدون من دون الله خاص بالأصنام.

وروي: أنه عليه السلام رد على ابن الزبعرى بقوله: ما أجهلك بلغة قومك. أما فهمت أن ما لما لا يعقل، فيكون إن الذين سبقت. إلخ. لدفع احتمال المجاز لا لتخصيص العام المتأخر عن الخطاب. وفي هذا الحديث تصريح بأن ما موضوع لغير العقلاء، لا كما يقول جمهور العلماء إنه موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم، كما في «بحر العلوم». وقد بين عليه السلام أيضاً بقوله: «بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك أن الملائكة والمسيح وعزيراً بمعزل عن أن يكونوا معبوديهم» كما نطق به قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ﴾ [سبا: ٤١]، بل كانوا يعبدون الجن، وإنما أظهروا الفرح ورفع الأصوات من أول الأمر لمحض وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد، كما ينطق به قوله تعالى: ﴿**ما ضربوه لك إلا جدلاً**﴾ الجدل: فتل الخصم عن قصده لطلب صحة قوله، وإبطال غيره، وهو مأمور به على وجه الإنصاف، وإظهار الحق بالاتفاق، وانتصاب جدلاً على أنه مفعول له للضرب؛ أي: ما ضربوا لك ذلك المثل إلا لأجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره ببيانك.

قال بعض الكبار: إن قال عليه السلام: «آلهتكم خير من عيسى»، فقد أقر بأنها معبودة، وإن قال عيسى خير من آلهتكم، فقد أقر بأن عيسى يصلح؛ لأن يعبد، وإن قال: ليس واحد منهم خيراً، فقد نفى عيسى فراموا بهذا السؤال أن يجادلوه، ولم يسألوه للاستفادة فبين الله أن جدالهم ليس لفائدة إنما هو لخصومة نفس الإنسان، فقال: ﴿**بل هم قوم خصمون**﴾؛ أي:

الداء شداد الخصومة بالباطل مجبولون على اللجاج والخلاف، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]، وذلك لأنهم قد علموا أن المراد من قوله: **﴿وما يعبدون من دون الله﴾** هؤلاء الأصنام بشهادة المقام، لكن ابن الزبعرى لما رأى الكلام محتملاً للعموم بحسب الظاهر وجد مجالاً للخصومة.

وفي الحديث: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أتوا الجدل»، ثم قرأ: ما ضربوه لك، الآية.

﴿إن هو﴾؛ أي: ما هو؛ أي: ابن مريم وهو عيسى **﴿إلا عبد﴾** مربوب. **﴿أنعمنا عليه﴾** بفضلنا عليه بالنبوة، أو بخلقه بلا أب، أو بقمع شهوته لا ابن الله، والعبد لا يكون مولى وإلهاً كالأصنام.

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: أنعمنا عليه بأن جعلنا ظاهره إماماً للمريدين وباطنه نوراً لقلوب العارفين. **﴿وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل﴾**؛ أي: أمراً عجيباً حقيقاً بأن يسير ذكره كالأمثال السائرة.

قال بعض الكبار: عبرة يعتبرون به بأن يسارعوا في عبوديتنا طمعاً في إنعامنا عليهم، وكل عبد منعم عليه، إما نبي أو ولي.

﴿ولو نشاء﴾: لو للمضي وإن دخل على المضارع. ولذا لا يجزمه ويتضمن لو معنى الشرط؛ أي: قدرنا بحيث لو نشاء. **﴿لجعلنا﴾**: أولدنا؛ أي: لخلقنا بطريق التوالد **﴿منكم﴾**، وأنتم رجال من الإنس ليس من شأنكم الولادة، كما ولد حواء من آدم وعيسى من غير أب، وإن لم تجر العادة. **﴿ملائكة﴾** كما خلقناهم بطريق الإبداع. **﴿في الأرض﴾** مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين في السماء. **﴿يخلفون﴾**؛ يقال: خلف فلان فلاناً إذا قام بالأمر عنه، إما معه وإما بعده؛ أي: يخلفونكم ويصيرون خلفاء بعدكم مثل أولادكم فيما تأتون وتذرون ويباشرون الأفاعيل المنوطة بمباشرتكم مع أن شأنهم التسبيح والتقديس في السماء، فمن شأنهم بهذه المثابة بالنسبة إلى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للمعبودية، أو انتسابهم إليه بالولادة، يعني أن الملائكة مثلكم في الجسمية، واحتمال خلقها توليداً لما ثبت أنها أجسام، وأن الأجسام متماثلة، فيجوز على كل منها ما يجوز على الآخر، كما جاز خلقها إبداعاً، وذات القديم الخالق، لكل شيء متعالية عن مثل ذلك، فقوله: ولو نشاء. إلخ. لتحقيق أن مثل عيسى ليس ببدع من قدرة الله، وأنه تعالى قادر على أبدع من ذلك، وهو توليد الملائكة من الرجال مع التنبيه على سقوط الملائكة أيضاً من درجة المعبودية.

قال سعدي المفتي: لجعلنا منكم؛ أي: ولدنا بعضكم، فمن للتبعيض، وملائكة نصب على الحال، والظاهر أن من ابتدائية؛ أي: نبتدىء التوليد منكم من غير أم عكس حال عيسى عليه السلام، والتشبيه به على الوجهين في الكون على خلاف العادة، وجعل بعضهم من للبدل.

يعني: [شمارا اهلاك كنيم وبدل شما ملائكة آريم كه ايشان در زمين ازبى در آنيد شمارا]. يعمرون الأرض، ويعبدونني كقوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩]، فتكون الآية للتوعد بالهلاك والاستئصال، ولا يلائم المقام.

وفي الآية إشارة إلى أن الإنسان لو أطاع الله تعالى لأنعم الله عليه بأن جعله متخلقاً

بأخلاق الملائكة ليكون خليفة الله في الأرض بهذه الأخلاق ليستعد بها إلى أن يتخلق بأخلاق الله، فإنها حقيقة الخلافة.

حكي: أن هاروت وماروت لما أنكرا على ذرية آدم اتباع الهوى والظلم والقتل والفساد. وقالا: لو كنا بدلاً منهم خلفاء الأرض ما نفعل مثل ما يفعلون، فالله تعالى أنزلهما إلى الأرض وخلع عليهما لباس البشرية، وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق، ونهاهما عن المناهي، فصدر عنهما ما صدر فثبت أن الإنسان مخصوص بالخلافة، وقبول فيضان نور الله، فلو كان للملائكة هذه الخصوصية لم يفتتنا بالأوصاف المذمومة الحيوانية السبعية، كما أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من مثل هذه الآفات والأخلاق، وإن كانت لازمة لصفاتهم البشرية، ولكن بنور التجلي تنور مصباح قلوبهم، واستنار بنور قلوبهم جميع مشكاة جسدهم ظاهراً وباطناً، ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]، فلم يبق لظلمات هذه الصفات مجال الظهور مع استعلاء النور، وبهذا التجلي المخصوص بالإنسان يتخلق الإنسان بالأخلاق الإلهية، فيكون فوق الملائكة، ثم إن الإنسان وإن لم يتولد منه الملائكة ظاهراً، لكنه قد تولدت منه باطناً على وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى خلق من أنفاسه الطيبة وأذكاره الشريفة وأعماله الصالحة ملائكة، كما روي عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: كنا نصلي مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فلما رفع رأسه من الركوع قال: «سمع الله لمن حمده»، فقال رجل وراءه: ربنا لك الحمد، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. فلما انصرف، قال: «من المتكلم آنفاً؟»، قال الرجل: أنا. قال: «لقد رأيت بضعاً وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتب أولاً وسره هو أن مجموع حروف هذه الكلمات الذي ذكره الرجل وراء النبي عليه السلام: ثلاثة وثلاثون حرفاً، لكل حرف روح هو المثبت له والمبقي لصورة ما وقع النطق به، فبالأرواح الصور تبقى وبنيات العمال، وتوجهات نفوسهم ومتعلقات هممهم التابعة لعلومهم واعتقاداتهم، ترتفع حيث منتهى همه العامل:

هركسى ازهمت وآلاى خويش   سود برد درخور كالاى خويش

والثاني: أن الإنسان الكامل قد تتولد منه الأولاد المعنوية التي هي كالملائكة في المشرب والأخلاق، بل فوقهم، فإن استعداد الإنسان أقوى من استعداد الملك. وهؤلاء الأولاد يخلفونه متسلسلين إلى آخر الزمان بأن يتصل النفس النفيس من بعضهم إلى بعض إلى آخر الزمان، وهي السلسلة المعنوية، كما يتصل به النطفة من بعض الناس إلى بعض إلى قيام الساعة. وهي السلسلة الصورية، وكما أن عالم الصورة باق ببقاء أهله وتسلسله، فكذا عالم المعنى.

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿وإنه﴾؛ أي: وإن عيسى عليه السلام بنزوله في آخر الزمان **﴿لعلم للساعة﴾** شرط من أشراطها، يعلم به قربها وتسميته علماً لحصوله به، فهي على المبالغة في كونه مما يعلم به، فكأنه نفس العلم بقربها، أو أن حدوثه بغير أب أو إحياءه الموتى دليل على صحة البعث الذي

هو معظم ما ينكره الكفرة من الأمور الواقعة في الساعة.

وفي الحديث: «إن عيسى ينزل على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها: أفيق، وهو كأمير قرية بين حوران والغور. وعليه ممصرتان يعني: ثوبين مصبوغين بالأحمر، فإن المصر الطين الأحمر، والممصر المصبوغ به، كما في «القاموس». وشعر رأسه دهين وبيده حربة وبها يقتل الدجال، فيأتي بيت المقدس. والناس في صلاة الصبح.

وفي رواية: في صلاة العصر. فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد عليه السلام، ثم يقتل الخنازير، ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به. وفي الحديث: «الأنبياء أولاد علات، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، ليس بيني وبينه نبي، وأنه أول ما ينزل يكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويقاتل على الإسلام ويخرب البيع والكنائس».

وفي الحديث: «ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً وعدلاً، يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام». دل آخر الحديث على أن المراد بوضع الجزية: تركها ورفعها عن الكفار بأن لا يقبل إلا الإسلام. صرح بذلك النووي. ولعل المراد بالكسر والقتل المذكورين ليس حقيقتهما، بل إزالة آثار الشرك عن الأرض.

وفي «صحيح مسلم»: فبينما هو يعني المسيح الدجال إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء بشرقي دمشق بين مهرودتين يعني: ثوبين مصبوغين بالهرد بالضم، وهو طين أحمر واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر. يعني:

جون سردربيش افكند قطرات ازرويش ريزان كردد

وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ يعني:

جون سربالا كند قطر هابر روى وى جون مرواريد روان شود

فلا تحل بكافر يجد ريح نفسه إلا مات يعني:

نفس نهر كافر كه رسد نميرد

ونفسه حين ينتهي طرفه يعني:

برهر جاكه جشم وى افتد نفس وى برسد

«فيطلبه»؛ أي: «الدجال حتى يدركه بباب لد فيقتله». قال في «القاموس»: لد بالضم، قرية بفلسطين، يقتل عيسى عليه السلام الدجال عند بابها. انتهى.

[وآنكه يأجوج ومأجوج بيرون آيند وعيسى عليه السلام ومؤمنان بكوه طور برود وآنجا متحصن كردد]. ويجتمع عيسى والمهدي، فيقوم عيسى بالشريعة والإمامة، والمهدي بالسيف والخلافة. فعيسى خاتم الولاية المطلقة، كما أن المهدي خاتم الخلافة المطلقة.

وفي «شرح العقائد»: ثم الأصح أن عيسى يصلي بالناس ويؤمهم ويقتدي به المهدي؛ لأنه أفضل منه، فإمامته أولى من المهدي؛ لأن عيسى نبي، والمهدي ولي، ولا يبلغ الولي درجة النبي.

يقول الفقير: فيه كلام؛ لأن عيسى عليه السلام لا ينزل بالنبوة، فإن زمان نبوته قد انقضى، وقد ثبت أنه لا نبي بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا مشرعاً كأصحاب الكتب، ولا متابعاً كأنبياء بني إسرائيل، وإنما ينزل على شريعتنا، وعلى أنه من هذه الأمة.

لكن للغيرة الإلٰهية يؤم المهدي، ويقتدي به عيسى؛ لأن الاقتداء به اقتداء بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم. وقد صح أن عيسى اقتدى بنبينا ليلة المعراج في المسجد الأقصى مع سائر الأنبياء، فيجب أن يقتدي بخليفته أيضاً، لأنه ظاهر صورته الجمعية الكمالية.

﴿**فلا تمترن بها**﴾ فلا تشكن في وقوعها. وبالفارسية: [بس شك مكنيد وجدل منماييد بآمدن قيامت]. والامتراء: المحاجة فيما فيه مرية. ﴿**واتبعون**﴾؛ أي: واتبعوا هداي وشرعي أو رسولي. ﴿**هذا**﴾ الذي أدعوكم إليه، وهو الاتباع. ﴿**صراط مستقيم**﴾ موصل إلى الحق. وقال الحسن: الضمير في وإنه لعلم للقرآن لما فيه من الإعلام بالساعة والدلالة عليها، فيكون هذا أيضاً إشارة إلى القرآن.

﴿**ولا يصدنكم الشيطان**﴾؛ أي: لا يمنعنكم الشيطان، ولا يصرفنكم عن صراط اتباعي. ﴿**إنه لكم عدو مبين**﴾ بين العداوة حيث أخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور وعرضكم للبلية.

وحكي: أنه لما خرج آدم عليه السلام من الجنة. قال إبليس: أخرجته من الجنة بالوسوسة، فما أفعل به الآن، فذهب إلى السباع والوحوش، فأخبرهم بخبر آدم، وما يولد منه حتى قالت الوحوش والسباع: ما التدبير في ذلك. قال: ينبغي أن تقتلوه وقتل واحد أسهل من قتل ألف، فأقبلوا إلى آدم وإبليس أمامهم، فلما رأى آدم أن السباع قد أقبلت إليه رفع يده إلى السماء، وتضرع إلى الله، فقال الله: يا آدم! امسح بيدك على رأس الكلب، فمسح فكر الكلب على السباع والوحوش حتى هزمها، ومن ذلك اليوم صار الكلب عدو للسباع التي هي أعداء لآدم ولأولاده. وأصله: أن إبليس بصق على آدم حين كان طيناً، فوقع بصاقه على موضع سرته، فأمر الله جبريل حتى قور ذلك الموضع، فخلق من القوارة الكلب، ولذا أنس بآدم وصار حامياً له. ويقال: المؤمن بين خمسة أعداء: مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وعدو يقتله، ونفس تغويه، وشيطان يضله.

قال بعض الكبار: لما كان تصرف النفس في الصد عن صراط المتابعة أقوى من الشيطان كانت أعدى الأعداء. وقال بعضهم: [هرآن دشمن كه باوى احسان كنى دوست كردد مكر نفس راكه جندان كه مدارا بيش كنى مخالفت زياده كند. مراد هركه برآرى مطيع امر توشد. خلاف نفس كه كردن كشد جويافت مراد].

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿**ولما جاء عيسى**﴾: [وآن هتكام كه عيسى آمد]. ﴿**بالبينات**﴾؛ أي: بالمعجزات الواضحة أو بآيات الإنجيل، أو بالشرائع.

﴿**قال قد جئتكم**﴾: [آمدم شمارا ويا آوردم شمارا]. ﴿**بالحكمة**﴾؛ أي: الإنجيل أو الشريعة لأعلمكم إياها. ﴿**ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه**﴾، وهو ما يتعلق بأمور الدين، وأما ما يتعلق بأمور الدنيا، فليس بيانه من وظائف الأنبياء، كما قال عليه السلام: «أنتم أعلم بأمور دنياكم».

وفي «الأسئلة المقحمة»: كيف قال بعض، وإنما بعث ليبين الكل. والجواب: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أن البعض ها هنا بمعنى الكل. وكذا قال في «عين المعاني»: الأصح أن البعض يراد به الكل كعكسه في قوله: ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وقال بعض أهل المعاني: كانوا يسألون عن أشياء لا فائدة فيها. فقال: ولأبين لكم. إلخ. يعني: أجيبكم عن الأسئلة التي لكم فيها فوائد. وفي الآية إشارة إلى أن الأنبياء، كما يجيئون بالكتاب من عند الله يجيئون بالحكمة مما آتاهم، كما قال ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩]. ولذا قال: ﴿ولأبين لكم﴾. إلخ. لأن البيان عما يختلفون فيه هو الحكمة. ﴿فاتقوا الله﴾ في مخالفتي. ﴿وأطيعون﴾ فيما أبلغه عنه تعالى، فإن طاعتي طاعة الحق، كما قال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

﴿إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه﴾، فخصوه بالعبادة والتوحيد، وهو بيان لما أمرهم بالطاعة فيه، وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع. ﴿هذا﴾؛ أي: التوحيد والتعبد بالشرائع ﴿صراط مستقيم﴾ لا يضل سالكه.

وفي «التأويلات النجمية»: فاعبدوه؛ أي: لا تعبدوني، فإني في العبودية شريك معكم، وأنه متفرد بربوبيته إيانا هذا صراط مستقيم أن تعبده جميعاً.

﴿فاختلف الأحزاب﴾ جمع حزب بالكسر بمعنى جماعة الناس؛ أي: فاختلف الفرق المتحزبة. والتحزب: [كروه كروه شدن].

يقال: حزب قومه، فتحزبوا؛ أي: جعلهم فرقاً وطوائف، فكانوا كذلك. والمراد اختلافهم بعد عيسى عليه السلام بثلاث مائة سنة لا في حياته، لأنهم أحدثوا بعد رفعه. ﴿من بينهم﴾؛ أي: من بين من بعث إليهم من اليهود والنصارى يعني: تحزب اليهود والنصارى في أمر عيسى عليه السلام، فقالت اليهود لعنهم الله: زنت أمه، فهو ولد الزنا. وقال بعض النصارى: عيسى هو الله! وبعضهم: ابن الله! وبعضهم: الله وعيسى وأمه آلهة، وهو ثالث ثلاثة!

وفي «التأويلات النجمية» يعني: قومه تحزبوا عليه حزب آمنوا به أنه عبد الله ورسوله وحزب آمنوا به، أنه ثالث ثلاثة، فعبدوه بالألوهية، وحزب اتخذوه ولداً لله وابناً له تعالى الله عما يقول الظالمون. وحزب كفروا به وجحدوا نبوته وظلموا عليه وأرادوا قتله، فقال الله تعالى في حق الظالمين المشركين. ﴿فويل للذين ظلموا﴾ من المختلفين، وأقام المظهر مقام المضمر تسجيلاً عليهم بالظلم. ﴿من عذاب يوم أليم﴾ هو يوم القيامة. والمراد: يوم أليم العذاب، كقوله ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]؛ أي: عاصف الريح.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿هل ينظرون﴾؛ أي: ما ينتظر الناس.

﴿إلا الساعة أن تأتيهم﴾؛ أي: إلا إتيان الساعة، فهو بدل من الساعة، ولما كانت الساعة تأتيهم لا محالة كانوا كأنهم ينتظرونها. ﴿بغتة﴾ انتصابها على المصدر؛ أي: إتيان بغتة. وبالفارسية: [ناكاه]. والبغت: مفاجأة الشيء من حيث لا يحتسب، كما في «المفردات».

قال في «الإرشاد»: فجأة لكن لا عند كونهم مترقبين لها، بل غافلين عنها مشتغلين بأمور

الدنيا منكرين لها. وذلك قوله تعالى: ﴿وهم لا يشعرون﴾ بإتيانها، فيجازي كل الناس على حسب أعمالهم، فلا تؤدى بغتة مؤدى قوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ حتى لا يستغنى بها عنه؛ لأنه ربما يكون إتيان الشيء بغتة مع الشعور بوقوعه والاستعداد له؛ لأنه إذا لم يعرف وقت مجيئه. ففي أي وقت جاء أتى بغتة، وربما يجيء والشخص غافل عنه منكر له.

والمراد هنا هو الثاني، فلذا وجب تقييد إتيان الساعة بمضمون الجملة الحالية، فعلى العاقل الخروج عن كل ذنب. والتوبة لكل جريمة قبل أن يأتي يوم أليم عذابه، وهو يوم الموت، فإن ملائكة العذاب ينزلون فيه على الظالمين، ويشددون عليهم حتى تخرج أرواحهم الخبيثة بأشد العذاب.

وفي الحديث: «ما من مؤمن إلا وله كل يوم صحيفة جديدة، فإذا طويت وليس فيها استغفار طويت وهي سوداء مظلمة، وإذا طويت وفيها استغفار، طويت ولها نور يتلألأ»، ومن كلمة الاستغفار يخلق الله تعالى ملائكة الرحمة فيسترحمون له ويستغفرون».

واعلم أن القيامة ثلاث: الكبرى، وهو حشر الأجساد والسوق إلى المحشر للجزاء. والقيامة الصغرى: وهي موت كل أحد كما قال عليه السلام: «من مات فقد قامت قيامته». ولذا جعل القبر روضة من رياض الجنان أو حفرة من حفر النيران والقيامة الوسطى. وهي موت جميع الخلائق. وقيام هذه الوسطى لا يعلم وقته يقيناً، وإنما يعلم بالعلامات المنقولة عن الرسول عليه السلام مثل أن يرفع العلم ويكثر الجهل والزنا وشرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد، وعن علي رضي الله عنه: «يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من الدين إلا رسمه، ولا من القرآن إلا درسه. يعمرون مساجدهم، وهي خراب عن ذكر الله شر أهل ذلك الزمان علماؤهم منهم تخرج الفتنة وإليهم تعود».

قال الشيخ سعدي:

كرهمه علم عالمت باشد   بى عمل مدعى وكذابى

وقال: [عالم نابر هيز كار كوريست مشعله دار]. يعني: يهدي به ولا يهتدي، فنعوذ بالله من علم بلا عمل.

﴿الأخلاء﴾ جمع خليل. بالفارسية: [دوست]. والخلة: المودة؛ لأنها تتخلل النفس؛ أي: تتوسطها؛ أي: المتحابون في الدنيا على الإطلاق، أو في الأمور الدنيوية. ﴿يومئذٍ﴾ يوم إذ تأتيهم الساعة، وهو ظرف لقوله عدو والفصل بالمبتدأ غير مانع والتنوين فيه عوض عن المضاف إليه. ﴿بعضهم لبعض عدو﴾ لانقطاع ما بينهم من علائق الخلة والتحاب لظهور كونها أسباباً بالعذاب.

﴿إلا المتقين﴾: فإن خلتهم في الدنيا لما كانت في الله تبقى على حالها، بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار الخلة من الثواب ورفع الدرجات، والاستثناء على الأول متصل، وعلى الثاني منقطع.

قال الكاشفي: [كافران كه دوستى ايشان براى معاونت بوده بر كفر معصيت باهمه دشمن شوند كه ويلعن بعضهم بعضاً ومؤمنان كه محبت ايشان براى خداى تعالى بوده دوستى ايشان مجانا باشد تا يكديكررا شفاعت كنند ودر تأويلات كاشفي مذكور است كه خلت جهار نوع مى

باشد خلت تامة حقيقيه كه محبت روحانية است وآن مستند بود به تناسب أرواح وتعارف آن جون محبت انبيا واوليا واصفيا وشهدا بايكديكر دوم محبت قلبيه واستناد اين به تناسب اوصاف كامله واخلاق فاضله است جون محبت صلحا وابرار باهم ودوستى امم باانبيا وارادت مريدان بمشايخ واين دو نوع از محبت خلل بذير نيست نه در دنيا نه در آخرت ومثمر فوائد نتائج صورى ومعنويست سوم محبت عقليه كه مستند است بتحصيل اسباب معاش وتيسير مصالح دنيويه جون محبت تجار وصناع ودوستى خدام با مخاديم وارباب حاجات باغنياجهارم محبت نفسانيه واستناد آن بلذات حسيه ومشتهيات نفسيه بس در قيامت كه اسباب اين دو نوع از محبت قانى وزائل باشد آن محبت نيز زوال بذيرد بلكه جون متمنى وجود نكيرد وغرض وغايت بحصول نه بيوندد آن دوستى به دشمنى مبدل شود. دوستى كان غرض آميزشد. دوستى دشمنى انكيز شد. مهر كه از هر غرضى كشت باك. راست جو خورشيد شود تابناك].

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن كل خلة وصداقة تكون في الدنيا مبنية على الهوى والطبيعة الإنسانية تكون في الآخرة عداوة يتبرأ بعضهم من بعض. والاخلاء في الله خلتهم باقية إلى الأبد وينتفع بعضهم من بعض، ويشفع بعضهم في بعض، ويتكلم بعضهم في شأن بعض، وهم المتقون الذين استثناهم وشرائط الخلة في الله أن يكونوا متحابين في الله محبة خالصة لوجه الله من غير شوب بعلة دنيوية هوائية متعاونين في طلب الله، ولا يجري بينهم مداهنة، فبقدر ما يرى بعضهم في بعض من صدق الطلب والجد والاجتهاد يساعده ويوافقه ويعاونه، فإذا علم منه شيئاً لا يرضاه الله تعالى لا يرضاه من صاحبه، ولا يداريه فقد قيل: المداراة في الطريقة كفر بل ينصحه بالرفق والموعظة الحسنة، فإذا عاد إلى ما كان عليه وترك ما تجدد لديه يعود إلى صدق مودته وحسن صحبته. كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨]:

هنوزت از سر صلحست بازآى كزان محبوبتر باشى كه بودى

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هذه الآية: كان خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين، فقال: يا رب إن فلاناً كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني أني ملاقيك يا رب، فلا تضله بعدي، واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني، فإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما؛ أي: بين أرواحهما، فيقول كل واحد منهما لصاحبه. نعم الأخ ونعم الصاحب، فيثني عليه خيراً. قال: ويموت أحد الكافرين، فيقول: يا رب إن فلاناً كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشر، وينهاني عن الخير ويخبرني أني غير ملاقيك، فلا تهده بعدي وأضلله كما أضللتني وأهنه كما أهنتني، فإذا مات خليله الكافر جمع بينهما، فيقول كل واحد منهما لصاحبه: بئس الأخ وبئس الخليل، فيثني عليه شراً.

وفي الحديث: «إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم إلا ظل إلى ظلي». وفي رواية أخرى: «المتحابون فيَّ أي: في الله بجلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أحب لله وأبغض لله ووال لله وعاد لله، فإنه إنما ينال ما عند الله بهذا، ولن ينفع أحداً كثرة صومه وصلاته وحجه حتى يكون هكذا. وقد صار الناس

اليوم يحبون ويبغضون للدنيا، ولن ينفع ذلك أهله، ثم قرأ الآية، وقد ثبت أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آخى بين المهاجرين والأنصار بعد قدومه إلى المدينة. وقال: كونوا في الله إخواناً»؛ أي: لا في طريق الدنيا والنفس والشيطان. وقال الصديق رضي الله عنه من ذاق خالص محبة الله منعه ذلك من طلب الدنيا وأوحشه ذلك من جميع البشر. [اكر كسى را دوست دارد از مخلوقات از آنست كه وى بحق تعالى تعلقى دارد يا ازروى دوستى باحق مناسبتى دارد]:

وما عمدى بحب تراب أرض ولكن ما يحل به الحبيب

قال عبيد بن عمر: كان لرجل ثلاثة أخلاء بعضهم أخص به من بعض، فنزلت به نازلة فلقي أخص الثلاثة، فقال: يا فلان إنه قد نزل بي كذا وكذا، وإني أحب أن تعينني. قال له: ما أنا بالذي أعينك وأنفعك، فانطلق إلى الذي يليه، فقال له: أنا معك حتى إذا بلغت المكان الذي تريده رجعت وتركتك، فانطلق إلى الثالث، فقال له: أنا معك حيث ما كنت ودخلت. قال: فالأول: ماله، والثاني: أهله وعشيرته. والثالث: عمله:

بشهر قيامت مرو تنكدست كه وجهى ندارد بحسرت نشست

كرت جشم وعقلست تدبير كور كنون كن كه جشمت نخور دست مور

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

﴿**يا عباد**﴾؛ أي: يا عبادي. ولفظ العباد المضاف إلى الله مخصوص بالمؤمنين المتقين؛ أي: يقال: للمتقين يوم القيامة تشريفاً وتطييباً لقلوبهم يا عبادي. ﴿**لا خوف عليكم اليوم**﴾: من إلقاء المكاره. ﴿**ولا أنتم تحزنون**﴾ من فوت المقاصد، كما يخاف ويحزن غير المتقين.

وقال ابن عطاء: لا خوف عليكم اليوم؛ أي: في الدنيا من مفارقة الإيمان، ولا أنتم تحزنون في الآخرة بوحشة البعد، وذلك لأن خواص العباد يبشرهم ربهم بالسلامة في الدنيا والآخرة، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [يونس: ٦٤]، ولكنهم مأمورون بالكتمان وعلمهم بسلامتهم يكفي لهم، ولا حاجة بعلم غيرهم.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن من أعتقه الله من رق المخلوقات واختصه بشرف عبوديته في الدنيا لا خوف عليه يوم القيامة من شيء يحجبه عن الله، ولا يحزن على ما فاته من نعيم الدنيا والآخرة مع استغراقه في لجج بحر المعارف والعواطف.

﴿**الذين آمنوا بآياتنا**﴾ صفة للمنادى. ﴿**وكانوا مسلمين**﴾ حال من الواو أو عطف على الصلة، أو مخلصين وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا عن مقاتل إذا بعث الله الناس فزع كل أحد فينادي منادٍ: يا عبادي، فترفع الخلائق رؤوسهم على الرجاع، ثم يتبعها الذين آمنوا، الآية. فينكس أهل الأديان الباطلة رؤوسهم.

وفي «التأويلات النجمية»: وكانوا مسلمين في البداية لأوامره ونواهيه في الظاهر. وفي الوسط مسلمين لآداب الطريقة على وفق الشريعة بتأديب أرباب الحقيقة في تبديل الأخلاق في الباطن.

وفي «النهاية»: مسلمين للأحكام الأزلية والتقديرات الإلهية وجريان الحكم ظاهراً وباطناً

في الإخراج من ظلمة الوجود المجازي إلى نور الوجود الحقيقي. انتهى.

ثم في الآية إشارة إلى الإيمان بالآيات التنزيلية والتكوينية إيماناً عيانياً، وحقيقة الإسلام إنما تظهر بعد العيان في الإيمان، ثم إذا حصل الإيمان الصفاتي، وهو الإيمان بالآيات يترقى السالك إلى الإيمان بالله الذي هو الإيمان الذاتي فاعرف جداً.

﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾.

﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم﴾ نساؤكم المؤمنات حال كونكم **﴿تحبرون﴾**: تسرون سروراً يظهر حباره؛ أي: أثره على وجوهكم أو تزينون من الحبرة، وهو حسن الهيئة.

قال الراغب: الحبر الأثر المستحسن. ومنه ما روي: يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره؛ أي: جماله وبهاؤه. والحبر العالم لما يبقى من أثر علومه في قلوب الناس من آثار أفعاله الحسنة المقتدى بها.

قال في «القاموس»: الحبر بالكسر: الأثر أو أثر النعمة والحسن والوشي، وبالفتح السرور وحبره سره. والنعمة والحبرة بالفتح السماء في الجنة، وكل نعمة حسنة، وقد مر في سورة الروم ما يتعلق بالسماع عند قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥].

وفي «التأويلات النجمية»: ادخلوا جنة الوصال أنتم وأمثالكم في الطلب تتنعمون في رياض الأنس.

﴿يطاف عليهم﴾؛ أي: على العباد المؤمنين بعد دخولهم الجنة. وبالفارسية: [بكردانند برسر ايشان].

يدار بأيدي الغلمان والولدان والطائف الخادم، ومن يدور حول البيوت حافظاً والإطافة كالطوف والطواف: [كرد جيزى در آمدن يعنى بكشتن]. **﴿بصحاف من ذهب﴾**: [كاساتهن]. جمع صحفة كجفان جمع جفنة، وهي القصعة العريضة الواسعة.

قال مجاهد: أي: أواني مدورة الأفواه. قال السدي: أي: ليست لها أذان. والمراد: قصاع فيها طعام. **﴿وأكواب﴾** من ذهب فيها شراب. وبالفارسية: [وكوزهاى بى دست بى كوشه براز]: أصناف شراب. جمع: كوب، وهو كوز لا عروة له ولا خرطوم ليشرب الشارب من حيث شاء.

قال سعدي المفتي: قللت الأكواب وكثرت الصحاف؛ أي: كما دل عليهما الصيغة؛ لأن المعهود قلة أواني الشرب بالنسبة إلى أوني الأكل.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: يطاف بسبعين ألف صحفة من ذهب في كل صحفة سبعون ألف لون كل لون له طعم وهذا لأسفل درجة، وأما الأعلى فيؤتى بسبعمائة ألف صحفة كما في «عين المعاني». **﴿وفيها﴾**؛ أي: في الجنة. **﴿ما تشتهيه الأنفس﴾** من فنون الملاذ والمشتهيات النفسانية كالمطاعم والمشارب والمناكح والملابس والمراكب، ونحو ذلك.

قال في «الأسئلة المقحمة»: أهل الجنة هل يعطيهم الله جميع ما يسألونه وتشتهي أنفسهم، ولو اشتهت نفوسهم شيئاً من مناهي الشريعة كيف يكون حاله. والجواب: معنى الآية أن نعيم الجنة كله مما تشتهيه الأنفس، وليس فيها ما لا تشتهيه النفوس، ولا تصل إليه، وقد

قيل: يعصم الله أهل الجنة من شهوة محال أو منهي عنها.

يقول الفقير: دل هذا على أنه ليس في الجنة اللواطة المحرمة في جميع الأديان والمذاهب، ولو في دبر امرأته، فإن الإمام مالكاً رحمه الله رجع عن تجويز اللواطة في دبر امرأته، فليس فيها اشتهاء اللواطة لكونها مخالفة للحكمة الإلهية. وقد جوزها بعضهم في «شرح الأشباح» وغلط فيه غلطاً فاحشاً، وقد بيناه في قصة لوط، وأما الخمر، فليست كاللواطة لكونها حلالاً على بعض الأمم.

والحاصل: أنه ليس في الجنة ما يخالف الحكمة كائناً ما كان. ولذا تستتر فيها الأزواج عن غير محارمهن، وإن كان لا حل ولا حرمة هناك. ﴿وتلذ الأعين﴾ يقال: لذذت الشيء بالكسر لذاذاً ولذاذة؛ أي: وجدته لذيذاً. والمعنى: تستلذه الأعين وتقر بمشاهدته.

قال سعدي المفتي: هذا من باب تنزل الملائكة والروح تعظيماً لنعيمها، فإن منه النظر إلى وجهه الكريم. انتهى. فهذا النظر هو اللذة الكبرى. قال جعفر: شتان بين ما تشتهي الأنفس وبين ما تلذ الأعين؛ لأن ما في الجنة من النعيم والشهوات واللذات في جنب ما تلذ الأعين كأصبع يغمس في بحر؛ لأن شهوات الجنة لها حد ونهاية؛ لأنها مخلوقة، ولا تلذ الأعين في الدار الباقية إلا بالنظر إلى الوجه الباقي الذي لا حد ولا نهاية له. [در وسيط آورده كه بدين دو كلمة اخبار كرد از جملة نعيم اهل بهشت نعيم رياض جنان يا نصيب نفس است يا بهرة عين].

كذا قال في «كشف الأسرار»: هذا من جوامع القرآن؛ لأن جمع بهاتين اللفظتين ما لو اجتمع الخلق كلهم على وصف ما فيهما على التفصيل لم يخرجوا عنه. [درويش فرموده كه اهل نظر ميدانندكه لذت عين درجه جيزاست ميتوانند بود جمعى راكه غشاوة اعتزال بر نظر بصيرت ايشان طارى كشته يالمعات أنوار جمال انكم سترون ربكم برايشان بوشيده ماند با ايشان بكوى كه تلذ الأعين عبارت از جيست بر هر صاحب بصيرتى روشن است كه اهل شوق رالذت عين جز بمشاهدة جمال محبوب متصور نيست. برده ازبيش براندازكه مشتاقانرا. لذت ديده جز از ديدن ديدار تونيست. امام قشيري رحمه الله فرموده كه لذت ديدار فرا خور اشتياق است عاشق راهر جندكه شوق بيشتر بو دلذت ديدار افزو نترباشد واز ذو النون مصري رحمه الله نقل كرده اندكه شوق ثمرة محبت است هركرا دوستى بيشتر شوق بديدار دوست زياده تر ودر زبور آمده كه اى داود بهشت من براى مطيعانست وكفايت من جهت متوكلان وزيادت من براى شاكران وانس من بهرة طالبان ورحمت من ازان محبان ومغفرت من براى تائبان ومن خاصة مشتاقائم]. ألا طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا لهم أشد شوقاً: [دلم از شوق توخونست وندانم جونست. در درون شوق جمالت زبيان بيرونست. درد لم شوق توهر روز فزون ميكردد. دل شوريده من بين كه جه روز افزونست].

قال بعض الكبار: وفيها ما تشتهي أنفس أرباب المجاهدات والرياضات لما قاسوا في الدنيا من الجوع والعطش وتحملوا وجوه المشاق، فيمتازون في الجنة بوجوه من الثواب. ويقال لهم: كلوا من ألوان الأطعمة في صحاف الذهب، واشربوا من أصناف الأشربة من أكواب الذهب هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية. وأما أرباب القلوب وأهل المعرفة والمحبة، فلهم ما تلذ الأعين من النظر إلى الله تعالى لطول ما قاسوه من فرط الاشتياق بقلوبهم وبذل الأرواح في الطلب: [قومى خدايرا برستند بربيم وطمع آنان مردو رانند دربند باداش مانده

وقومى اورا بمهر ومحبت برستند آنان عارفانند].

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود إن أود الأوداء إلى من عبدني لغير نوال، ولكن ليعطي الربوبية حقها يا داود. من أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لو لم أخلق جنة وناراً لم أكن أهلاً لأن أطاع ومر عيسى عليه السلام بطائفة من العباد قد نحلوا: [يعنى از عبادت كداخته بودند].

وقالوا: نخاف النار ونرجو الجنة، فقال: مخلوقاً خفتم ومخلوقاً رجوتم ومر بقوم آخرين كذلك، فقالوا: نعبده حباً له وتعظيماً لجلاله، فقال: أنتم أولياء الله حقاً، أمرت أن أقيم معكم. قال حسن البصري رحمه الله لذاذة شهادة أن لا إله إلا الله في الآخرة كلذاذة الماء البارد في الدنيا. وفي الخبر: أن أعرابياً قال: يا رسول الله هل في الجنة إبل، فإني أحب الإبل؟ فقال: «يا أعرابي إن أدخلك الله الجنة أصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك». وقال آخر: يا رسول الله هل في الجنة خيل، فإني أحب الخيل؟ قال: «إن أدخلك الله الجنة أصبت فيها فرساً من ياقوتة حمراء تطير بك حيث شئت».

وفي الحديث: «إن أدنى أهل الجنة منزلة من أن له سبع درجات، وهو على السادسة وفوقه السابعة، وإن له ثلاثمائة خادم، وإنه يغدى عليه ويراح في كل يوم بثلاثمائة صحفة في كل صحفة لون من الطعام ليس في الأخرى وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، وأن له من الأشربة ثلاثمائة إناء في كل إناء شراب ليس في الآخر وأنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، وأنه ليقول: يا رب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم، ولم ينقص ذلك مما عندي شيئاً وإن له من الحور العين ثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه في الدنيا».

وعن أبي ظبية السلمي. قال: إن أهل الجنة لتظلهم سحابة، فتقول: ما أمطركم، فما يدعو داع من القوم بشيء إلا أمطرته حتى إن القائل منهم ليقول: أمطرينا كواعب أتراباً. وعن أبي أمامة قال: إن الرجل من أهل الجنة يشتهي الطائر، وهو يطير فيقع متفلقاً نضيجاً في كفه، فيأكل منه حتى تنتهي نفسه، ثم يطير ويشتهي الشراب، فيقع الإبريق في يده فيشرب منه ما يريد، ثم يرجع إلى مكانه، وأما الرؤية، فلها مراتب حسب تفاوت طبقات الرائين، وإذا نظروا إلى الله نسوا نعيم الجنان، فإنه أعظم اللذات.

وفي الخبر: «أسألك لذة النظر إلى وجهك». يقول الفقير: في الآية رد على من قال من الفقهاء لو قال: أرى الله في الجنة يكفر، ولو قال: من الجنة لا يكفر. انتهى.

وذلك لأن الحق سبحانه جعل ظرفاً للرؤية، وإنما يلزم الكفر إذا اعتقد أن الجنة ظرف المرئي؛ أي: الله ولا يلزم من تقيد رؤية العبد الرائي بالجنة تقيد المعبود المرئي بها، ألا ترى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأى الله في الدنيا؟ مع أن الله ليس في الدنيا فاعرف، وفوقه مجال للكلام لكن لما كانت الرؤية نصيب أهل الشهود لا أهل القيود كان إلا وجب طي المقال، إذ لا يعرف هذا بالقيل والقال (ع): [نداند لذت اين باده زاهد]. **﴿وأنتم فيها خالدون﴾**: الالتفات للتشريف؛ أي: باقون دائمون لا تخرجون ولا تموتون إذ لولا البقاء والدوام لنغص العيش ونقص السرور والاشتهاء واللذة، فلم يكن التنعم كاملاً والخوف والحسرة زائلاً بخلاف الدنيا، فإنها لفنائها عيشها مشوب بالكدر ونفعها مخلوط بالضرر:

جز حسرت وندامت وافسوس روزكار   از زندكى اكر ثمرى يافتى بكو

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وتلك﴾: مبتدأ إشارة إلى الجنة المذكورة **﴿الجنة﴾**: خبره. **﴿التي أورثتموها﴾**: أعطيتموها وجعلتم ورثتها. والإيراث ميراث [دادن] **﴿بما﴾** الباء للسببية. **﴿كنتم تعملون﴾** في الدنيا من الأعمال الصالحة. والمقصود أن دخول الجنة بمحض فضل الله تعالى ورحمته. واقتسام الدرجات بسبب الأعمال والخلود فيها بحسب عدم السيئات شبه جزاء العمل بالميراث؛ لأن العامل يكون خليفة العمل على جزائه. يعني: يذهب العمل ويبقى جزاؤه مع العامل، فكان العمل كالمورث وجزاؤه كالميراث.

قال الكاشفي: [جزارا بلفظ ميراث ياد فرموده كه خالص است وباستحقاق بدست آيد].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: خلق الله لكل نفس جنة ونار. فالكافر يرث نار المسلم، والمسلم يرث جنة الكافر. قال بعضهم: قارن ثواب الجنة بالأعمال، وأخرج المعرفة واللقاء والمحبة والمشاهدة من العلل؛ لأنها اصطفائية خاصة أزلية يورثها من يشاء من العارفين الصديقين، فالجنة مخلوقة، وكذا الأعمال، فأعطيت للمخلوق بسبب المخلوق، وجعل الرؤية عطاء لا يوازيها شيء.

﴿لكم فيها﴾؛ أي: في الجنة سوى الطعام والشراب. **﴿فاكهة كثيرة﴾** بحسب الأنواع والأصناف لا بحسب الإفراط فقط. والفواكه من أشهى الأشياء للناس وألذها عندهم وأوفقها لطباعهم وأبدانهم. ولذلك أفردها بالذكر **﴿منها تأكلون﴾**؛ أي: بعضها تأكلون في نوبة لكثرتها. وأما الباقي، فعلى الأشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة، فهي مزينة بالثمار أبداً موفرة بها.

وفي الحديث: «لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها إلا نبت مثلاها مكانها» فمن تبعيضية. والتقديم للتخصيص. ويجوز أن تكون ابتدائية وتقدم الجار للفاصلة، أو للتخصيص، كالأول فيكون فيه دلالة على أن كل ما يأكلون للتفكه ليس فيها تفوت إذ لا تحلل حتى يحتاج إلى الغذاء. ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والمشارب والملابس، وتكريره في القرآن، وهو حقير بالإضافة إلى سائر نعم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة، ففيه تحريك لدواعيهم وتشويق لهم. والفاسق من أهل الصلاة آمن بالله وآياته وأسلم، فوجب أن يدخل تحت هذا الوعد. والظاهر أنه خارج، فإنه يخاف ويحزن يوم القيامة، ولا محذور في خروجه.

والحاصل: أن الآية في حق المؤمنين الكاملين، فإنهم الذين أسلموا وجوههم لله تعالى، وأما الناقصون، فإنهم وإن آمنوا لكن إسلامهم لم يكن على الكمال، وإلا لما خصوا الله بترك التقوى، فمقام الامتنان يأبى عن دخولهم تحت حكم الآية. اللهم إلا بطريق الإلحاق، فإن لهم نعيماً بعد انقضاء مدة خوفهم وحزنهم، وانتهاء زمان حبسهم وعذابهم، فعلى العاقل أن يجتهد في الظواهر والبواطن، فإن من اكتفى بالمطاعم والمشارب الصورية حرم من طعام المشاهدات وشراب المكاشفات، ومن لم يطعم في هذه الدار من أثمار أشجار المعارف لم يلتذ في تلك الدار بالأذواق الحقيقية التي هي نصيب الخواص من أهل التقوى.

قال الحافظ:

عشق مى ورزم واميدكه اين فن شريف ... جون هنر هاى دكر موجب حرمان نشود

اللهم اجعلنا من المشتاقين إلى جمالك والقابلين لوصالك بحرمة جلالك.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿إن المجرمين﴾؛ أي: الراسخين في الإجرام وهم الكفار، وحسبما ينبىء عند إيرادهم في مقابلة المؤمنين بالآيات **﴿في عذاب جهنم﴾** متعلق بقوله: **﴿خالدون﴾**؛ أي: لا ينقطع عذابهم في جهنم، كما ينقطع عذاب عصاة المؤمنين على تقدير دخولهم فيها.

﴿لا يفتر عنهم﴾؛ أي: لا يخفف العذاب عنهم ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى إذ سكنت قليلاً ونقص حرها، والتركيب للضعف والوهن.

قال الراغب: الفتر سكون بعد حدة ولين بعد شدة وضعف بعد قوة: [والتفتيرسست كردانيدن]. **﴿وهم فيه﴾**؛ أي: في العذاب. **﴿مبلسون﴾**: آيسون من النجاة والراحة وخفة العقوبات قيل يجعل المجرم في تابوت من النار، ثم يردم عليه، فيبقى فيه خالداً لا يرى ولا يرى.

قال في «تاج المصادر»: الإبلاس [نوميد شدن وشكسته واندوهكين شدن].

وفي «المفردات»: الإبلاس: الحزن المعترض من شدة اليأس ومنه اشتق إبليس، ولما كان المبلس كثيراً ما يلزم السكوت، وينسى ما يعنيه قيل أبلس فلان، إذا سكت وانقطعت حجته.

قال في «التأويلات النجمية»: في الآية إشارة إلى أن أهل التوحيد، وإن كان بعضهم في النار، لكن لا يخلدون فيها، ويفتر عنهم العذاب بدليل الخطاب. وقد ورد في الخبر أنه يميتهم الحق إماتة إلى أن يخرجهم من النار. والميت لا يحس، ولا يألم. وذكر في الآية، وهم مبلسون؛ أي: خائبون. وهذه صفة الكفار والمؤمنون، وإن كانوا في بلائهم فهم على وصف رجائهم يعدون أيامهم إلى أن تنتهي أشجانهم.

وقال بعض الشيوخ: إن حال المؤمن من النار من وجه أروح لقلوبهم من حالهم في الدنيا؛ لأن اليوم خوف الهلاك، وهذا يعين النجاة، ولقد أنشدوا:

عيب السلامة أن صاحبها ... متوقع لقوا صم الظهر
وفضيلة البلوى ترقبه ... عقبى الرجاء ودورة الدهر
هست در قرب همه بيم زوال ... نيست در بعد جزاميد وصال

﴿وما ظلمناهم﴾ بذلك **﴿ولكن كانوا هم الظالمين﴾** لتعريض أنفسهم للعذاب الخالد بالكفر والمعاصي، وهم ضمير فصل عند البصريين من حيث إنه فصل به بين كون ما بعده خبراً ونعتاً وتسمية الكوفيين له عماداً لكونه حافظاً لما بعده، حتى لا يسقط عن الخبرية كعماد البيت، فإنه يحفظ سقفه من السقوط.

﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

﴿ونادوا يا مالك﴾: [درخواه ازخداى تو]. **﴿ليقض علينا ربك﴾**؛ أي: ليمتنا حتى نستريح من قضى عليه إذا أماته.

والمعنى: سل ربك أن يقضي علينا، وهذا لا ينافي ما ذكر من إبلاسهم؛ لأنه جؤار؛ أي: صياح وتمن للموت لفرط الشدة. ﴿قال﴾: مالك مجيباً بعد أربعين سنة، يعني: ينادون ملكاً أربعين سنة، فيجيبهم بعدها أو بعد مائة سنة أو ألف. [در تبيان آورده كه بعد از جهل روز از روزهاى آن سراى]. لأن تراخي الجواب أحزن لهم. ﴿إنكم ماكثون﴾: المكث: ثبات مع انتظار؛ أي: مقيمون في العذاب أبداً لا خلاص لكم منه بموت، ولا بغيره، فليس بعدها إلا جؤار كصياح الحمير أوله زفير وآخره شهيق.

﴿لقد جئناكم بالحق﴾ في الدنيا بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم.

وفي «التأويلات النجمية»: لقد جئناكم بالدين القويم، فلم تقبلوا؛ لأن أهل الطبيعة الإنسانية أكثرهم يميلون إلى الباطل، كما قال ﴿ولكن أكثركم للحق﴾؛ أيَّ: حق كان ﴿كارهون﴾؛ أي: لا يقبلون وينفرون منه لما في طباعه من إتعاب النفس والجوارح، وأما الحق المعهود الذي هو التوحيد، أو القرآن، فكلهم كارهون له مشمئزون منه. هكذا قالوا والظاهر ما أشار إليه في «التأويلات»، فاعرف. والكراهة مصدر كره الشيء بالكسر؛ أي: لم يرده فهو كاره. وفي الآية إشارة إلى أن النفرة عن الحق من صفات الكفار، فلا بد من قبول الحق حلواً ومراً وإلى أن الله تعالى ما ترك الناس سدى، بل أرشدهم إلى طريق الحق بدلالات الأنبياء والأولياء لكن أكثرهم لم يقبلوا العلاج، ثم إن أنفع العلاج هو التوحيد.

حكي عن الشبلي قدس سره: أنه اعتل فحمل إلى البيمارستان وكتب علي بن عيسى الوزير إلى الخليفة في ذلك، فأرسل الخليفة إليه مقدم الأطباء وكان نصرانياً ليداويه، فما أنجحت مداواته، فقال الطبيب للشبلي، والله لو علمت أن مداواتك من قطعة لحم في جسدي ما عسر علي ذلك، فقال الشبلي: دوائي في دون ذلك. قال الطبيب: وما هو؟ قال: في قطعك الزنار، فقال الطبيب: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فأخبر الخليفة بذلك، فبكى. وقال: نفذنا طبيباً إلى مريض، وما علمنا أنا نفذنا مريضاً إلى طبيب.

ونظيره ما حكي: أن الشيخ نجم الدين الأصفهاني قدس سره: خرج مع جنازة بعض الصالحين بمكة، فلما دفنوه وجلس الملقن يلقنه، ضحك الشيخ نجم الدين، وكان من عادته لا يضحك، فسأله بعض أصحابه عن ضحكه فزجره، فلما كان بعد ذلك قال: ما ضحكت إلا لأنه لما جلس على القبر يلقن سمعت صاحب القبر يقول: ألا تعجبون من ميت يلقن حياً أشار إلى أن الملقن وإن كان من زمرة الأحياء صورة، لكنه في زمرة الأموات حقيقة لممات قلبه بالغفلة عن الله تعالى، فهو ماكث في جهنم النفس معذب بعذاب الفرقة، لا ينفع نفسه، فكيف ينفع غيره بخلاف الذي لقنه، فإنه بعكس ذلك، يعني أنه وإن كان في زمرة الأموات صورة لكن في زمرة الأحياء حقيقة؛ لأن المؤمنين الكاملين لا يموتون، بل ينقلبون من دار إلى دار، فهو ماكث في جنة القلب منعم بنعيم الوصال منتفع بأعماله وأحواله. وله تأثير في نفع الغير أيضاً بالشفاعة ونحوها على ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾ [النازعات: ٥]:

مشوبمرك زامداد اهل دل نوميد ... كه خواب مردم آكاه عين بيداريست

فإذا عرفت حال ملقن القبر فقس عليه سائر أرباب التلقين من أهل النقصان وأصحاب الدعوى والرياء، فإن الميت يحتاج في إحيائه إلى نفخ روح حقيقي وأنى ذلك لمن في حكم

الأموات من النافخين، فإن نفخته عقيم إذ ليس من أهل الولادة الثانية. نسأل الله سبحانه أن يجعلنا أحياء بالعلم والمعرفة والشهود ويعصمنا من الجهل والغفلة والقيود.

﴿أم أبرموا أمراً﴾: الإبرام: إحكام الأمر وأصله من إبرام الحبل، وهو ترديد فتله، وهو كلام مبتدأ، وأم منقطعة، وما فيها من معنى، بل للانتقال من توبيخ أهل النار إلى حكاية جناية هؤلاء. والهمزة للإنكار فإن أريد بالإبرام الإحكام حقيقة، فهي لإنكار الوقوع، واستبعاده وإن أريد الإحكام صورة، فهي لإنكار الواقع واستقباحه؛ أي: أبرم وأحكم مشركو مكة أمر من كيدهم ومكرهم برسول الله ﴿فإنا مبرمون﴾ كيدنا حقيقة لا هم أو فإنا مبرمون بهم حقيقة، كما أبرموا كيدهم صورة كقوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الطور: ٤٢] وكانوا يتناجون في أنديتهم، ويتشاورون في أموره عليه السلام.

قال في «فتح الرحمٰن»: كما فعلوا في اجتماعهم على قتله عليه السلام في دار الندوة إلى غير ذلك. وفي الآية إشارة إلى أن أمور الخلق منتقدة عليهم قلما يتم لهم ما دبروه، وقلما يرتفع لهم من الأمور شيء على ما قدروه. وهذه الحال أوضح دليل على إثبات الصانع.

﴿أم يحسبون﴾؛ أي: بل أيحسبون يعني: [بابندار ند نا كران كفار]. ﴿أنا لا نسمع سرهم﴾، وهو ما حدثوا به أنفسهم من الكيد؛ لأنهم كانوا مجاهرين بتكذيب الحق. ﴿ونجواهم﴾؛ أي: بما تكلموا به فيما بينهم بطريق التباهي والتشاور. وبالفارسية: [وآنجه براز بايكديكر مشاورت ميكنند]. يقال: ناجيته؛ أي: ساررته وأصله أن تخلو في نجوة من الأرض؛ أي: مكان مرتفع منفصل بارتفاعه عما حوله. ﴿بلى﴾ نحن نسمعهما ونطلع عليهما. ﴿ورسلنا﴾ الذين يحفظون عليهم أعمالهم ويلازمونهم أينما كانوا ﴿لديهم﴾ عندهم ﴿يكتبون﴾؛ أي: يكتبونهما، أو يكتبون كل ما صدر عنهم من الأفعال والأقوال التي من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم، ثم تعرض عليهم يوم القيامة، فإذا كان خفاياهم غير خفية على الملائكة، فكيف على عالم السر والنجوى.

والجملة عطف على ما يترجم عنه بلى. وفي «التأويلات النجمية»: خوفهم بسماعه أحوالهم وكتابة الملك عليهم أعمالهم لغفلتهم عن الله، ولو كان لهم خبر عن الله لما خوفهم بغير الله، ومن علم أن أعماله تكتب عليه، ويطالب بمقتضاها قل إلمامه بما يخاف أن يسأل عنه.

قال أبو بكر بن طاهر رحمه الله: دل قوماً من عباده إلى الحياء منه، ودل قوماً إلى الحياء من الكرام الكاتبين، فمن استغنى بعلم نظر الله إليه، والحياء منه أغناه ذلك عن الاشتغال بالكرام الكاتبين. وعن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله من ستر من الناس ذنوبه وأبداها لمن لا يخفى عليه شيء في السماوات والأرض فقد جعله أهون الناظرين إليه، وهو من علامات النفاق.

قال الشيخ سعدي: [في كلستانه بخشايش الهى كم شده را در مناهي جراغ توفيق فراراه داشت وبخلقه أهل تحقيق در آمد وبيمن قدم درويشان وصدق نفس ايشان ذمايم اخلاق او بمحامد مبدل شده دست ازهوا وهوس كوتاه كرده بودو زبان طاعنان در حقش در ازكه همجنانكه قاعدة اولست وزهد وصلاحش نا معقول. بعذر توبه توان رستن از عذاب خداى وليك مى نتوان از زبان مردم رست. جون طاقت جورز بانها نياورد شكايت اين حال باببر

طريقت بردشيخ بكريست وكفت شكرآن نعمت كجا كزارى كه بهترازانى كه بندار ندت نيك باشى وبدت كويند خلق به كه بد باشى ونيكت كويند ليكن مرابين كه حسن ظن همكنان در حق من بكمالست ومن درغايت نقصان]:

إني لمستتر من عين جيراني والله يعلم أسراري وإعلاني
دربسته بروى خود زمردم تاعيب نكسترند مارا
دربسته جه سود عالم الغيب داناى نهان وآشكارا

يقول الفقير: دلت الآية على أن الحفظة يكتبون الأسرار والأمور القلبية سئل سفيان بن عيينة رحمه الله: هل يعلم الملكان الغيب، فقال: لا، فقيل له: فكيف يكتبون ما لا يقع من عمل القلب، فقال: لكل عمل سيما يعرف بها كالمجرم يعرف بسيماه، فإذا هم العبد بحسنة فاح من فيه رائحة المسك، فيعلمون ذلك، فيكتبونها حسنة وإذا هم بسيئة استقر قلبه لها فاح منه ريح النتن.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: الملك لا سبيل له إلى معرفة باطن العبد في قول أكثرهم. وقال في شرح الطريقة يكره الكلام في الخلاء، وعند قضاء الحاجة أشد كراهة؛ لأن الحفظة تتأذى بالحضور في ذلك الموضع الكريه؛ لأجل كتابة الكلام، فإن سلم عليه في هذه الحالة. قال الإمام أبو حنيفة يرد السلام بقلبه لا بلسانه لئلا يلزم كتابة الملائكة، فإنهم لا يكتبون الأمور القلبية. وقال في «ريحان القلوب»: الذكر الخفي هو ما خفي عن الحفظة لا ما يخفض به الصوت، وهو خاص به ﷺ، ومن له به أسوة حسنة. انتهى. والله أعلم بتوفيق الأخبار.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿قل﴾ للكفرة **﴿إن كان للرحمٰن ولد﴾** فرضاً كما تقولون الملائكة بنات الله **﴿فأنا أول العابدين﴾** لذلك الولد وأسبقكم إلى تعظيمه والانقياد له، وذلك لأنه عليه السلام أعلم الناس بشؤونه تعالى، وبما يجوز عليه وبما لا يجوز وأولاهم بمراعاة حقوقه، ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده؛ أي: أن يثبت بحجة قطعية كون الولد له تعالى كما تزعمون، فأنا أولكم في التعظيم وأسبقكم إلى الطاعة تعظيماً لله تعالى وانقياداً؛ لأن الداعي إلى طاعته وتعظيمه أول وأسبق في ذلك وكون الولد له تعالى مما هو مقطوع بعدم وقوعه، ولكن نزل منزلة ما لا جزم لوقوعه واللاوقوعه على المساهلة وإرخاء العنان لقصد التبكيت والإسكات والإلزام فجيء بكلمة إن فلا يلزم من هذا الكلام صحة كينونة الولد وعبادته؛ لأنها محال في نفسها يستلزم المحال.

يعني: [اين سخن بر سبيل تمثيل است ومبالغه در نفى ولد]. فليس هناك ولد ولا عبادة له.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى نوع من الاستهزاء بهم وبمقالتهم والاستخفاف بعقولهم، يعني: قل إن كان للرحمٰن ولد كما تزعمون وتعبدون عيسى، بأنه ولده فأنا كنت أول العابدين. قال جعفر الصادق رضي الله عنه: أول ما خلق الله نور محمد ﷺ قبل كل شيء، وأول من وحد الله تعالى ذرية محمد عليه السلام، وأول ما جرى به القلم: لا إله إلا

الله محمد رسول الله. قال: فأنا أول العابدين أحق بتوحيد الله وذكر الله.

﴿**سبحان رب السماوات والأرض**﴾: في إضافة اسم الرب إلى أعظم الأجرام وأقواها تنبيه على أنها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم أن يكون شيء منها جزءاً منه سبحانه. ﴿**رب العرش**﴾ في تكرير اسم الرب تفخيم لشأن العرش ﴿**عما يصفون**﴾؛ أي: يصفونه به، وهو الولد. قال في «بحر العلوم»؛ أي: سبحوا رب هذه الأجسام العظام؛ لأن مثل هذه الربوبية توجب التسبيح على كل مربوب فيها ونزهوه عن كل ما يصفه الكافرون به من صفات الأجسام، فإنه لو كان جسماً لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير أمره.

﴿**فذرهم**﴾؛ أي: اترك الكفرة حيث لم يذعنوا للحق بعدما سمعوا هذا البرهان الجلي. ﴿**يخوضوا**﴾ يشرعوا في أباطيلهم وأكاذيبهم. والخوض هو الشروع في الماء والمرور فيه، ويستعار للأمور وأكثر ما ورد في القرآن فيما يذم الشروع فيه كما في «المفردات». ﴿**ويلعبوا**﴾ في دنياهم، فإن ما هم فيه من الأقوال والأفعال ليست إلا من باب الجهل واللعب والجزم في الفعل لجواب الأمر، يقال: لعب فلان إذا كان فعله غير قاصد به مقصداً صحيحاً، قالوا: كل لعب لا لذة فيه، فهو عبث، وما كان فيه لذة، فهو لعب.

﴿**حتى يلاقوا**﴾ يعاينوا ﴿**يومهم الذي يوعدون**﴾ على لسانك. يعني: [روزى راكه وعده داده شده اند بملاقات آن]. وهو يوم القيامة، فإنهم يومئذٍ يعلمون ما فعلوا، وما يفعل بهم.

قال سعدي المفتي: والأظهر يوم الموت، فإن خوضهم ولعبهم إنما ينتهي به.

يقول الفقير: وفيه أن الموعود هو يوم القيامة؛ لأنه الذي كانوا ينكرونه لا يوم الموت الذي لا يشكون فيه، ولما كان يوم الموت متصلاً بيوم القيامة على ما أشار إليه قوله عليه السلام: «من مات فقد قامت قيامته» جعل الخوض واللعب منتهيين بيوم القيامة.

وفي الآية إعلام بأنهم من الذين طبع الله على قلوبهم، فلا يرجعون عما هم عليه أبداً، وإشارة إلى أن الله خلق الخلق أطواراً مختلفة، فمنهم من خلقه للجنة، فيستعده للجنة بالإيمان والعمل الصالح، وانقياد الشريعة ومتابعة النبي عليه السلام، ومنهم من خلقه للنار، فيستعده للنار برد الدعوة والإنكار والجحود والخذلان، ويكله إلى الطبيعة النفسانية الحيوانية التي تميل إلى اللهو واللعب والخوض فيما لا يعنيه، ومنهم من خلقه للقربة والمعرفة، فيستعده لهما بالمحبة والصدق والتوكل واليقين والمشاهدات والمكاشفات والمراقبات، وبذل الوجود بترك الشهوات وأنواع المجاهدات وتسليم تصرفات أرباب المؤلفات.

عن بهلول رحمه الله: قال بينما أنا ذات يوم في بعض شوارع البصرة إذا الصبيان يلعبون بالجوز واللوز وإذا أنا بصبي ينظر إليهم، ويبكي فقلت هذا الصبي يتحسر على ما في أيدي الصبيان، ولا شيء معه يلعب به، فقلت له: أي بني ما يبكيك؟ أشتري لك من الجوز واللوز ما تلعب به مع الصبيان؟ فرفع بصره إليّ وقال: يا قليل العقل ما للعب خلقنا؟ فقلت: أي بني، فلماذا خلقنا، فقال: للعلم والعبادة، فقلت: من أين لك ذلك بارك الله فيك، قال: من قول الله تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وحكي: أنه كان سبب خروج إبراهيم بن أدهم رحمه الله عن أهله وماله وجاهه ورياسته. وكان من أبناء الملوك أنه خرج يوماً يصطاد، فأثار ثعلباً أو أرنباً، فبينما هو في طلبه هتف به

هاتف. ألهذا خلقت أم بهذا أمرت، ثم هتف به من قربوس سرجه. والله ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت، فنزل عن مركوبه، وصادف راعياً لأبيه، فأخذ جبة للراعي من صوف، فلبسها وأعطاه فرسه وما معه، ثم دخل البادية، وكان من شأنه ما كان.

واعلم أن الاشتغال بما سوى الله تعالى من قبيل اللهو واللعب إذ ليس فيه مقصد صحيح، وإنما المطلب الأعلى هو الله تعالى، ولذا خرج السلف عن الكل ووصلوا إلى مبدأ الكل:

دلا ترك هو اكن قرب حق كر آروز داری كه دور افتد حباب از بحر در كسب هوا كردن

جعلنا الله وإياكم من المشتغلين به.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

﴿وهو الذي في السماء إله﴾؛ أي: مستحق لأن يعبد فيها؛ أي: هو معبود أهل السماء من الملائكة وبه تقوم الساعة، وليس حالاً فيها. **﴿وفي الأرض إله﴾**؛ أي: مستحق لأن يعبد فيها؛ أي: فهو معبود أهل الأرض من الإنس والجن وإله الآلهة، ولا قاضي لحوائج أهل الأرض إلا هو وبه تقوم الأرض وليس حالاً فيها، فالظرفان يتعلقان بإله؛ لأنه بمعنى المعبود بالحق، أو متضمن معناه، كقوله: هو حاتم؛ أي: جواد لاشتهاره بالجود. وكذا فيمن قرأ، وهو الذي في السماء الله. وفي الأرض الله ومنه قوله تعالى: في الأنعام ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]؛ أي: وهو الواجب الوجود المعبود المستحق للعبادة فيهما والراجع إلى الموصول مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر، وهو في السماء والعطف عليه والتقدير. وهو الذي هو في السماء. **﴿وهو الحكيم العليم﴾** كالدليل على ما قبله؛ لأنه المتصف بكمال الحكمة والعلم المستحق للألوهية لا غيره؛ أي: وهو الحكيم في تدبير العالم وأهله العليم بجميع الأحوال من الأزل إلى الأبد.

﴿وتبارك﴾ تعالى عن الولد والشريك وجل عن الزوال والانتقال وعمت بركة ذكره وزيادة شكره. **﴿الذي﴾** إلخ. فاعل تبارك **﴿له ملك السماوات والأرض﴾**: [بادشاهى آسمان وزمين]، **﴿وما بينهما﴾**: إما على الدوام كالهواء، أو في بعض الأوقات كالطير والسحاب.

ومن أخبار الرشيد أنه خرج يوماً للصيد، فأرسل بازياً أشب فلم يزل يعلو حتى غاب في الهواء، ثم رجع بعد اليأس منه، ومعه سمكة، فأحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك، فقال مقاتل: يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضي الله عنهما: أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق سكان فيه، وفيه دواب تبيض وتفرخ فيه شيئاً على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذات ريش فأجاز مقاتلاً على ذلك كذا في «حياة الحيوان». **﴿وعنده علم الساعة﴾**؛ أي: الساعة التي فيها تقوم القيامة لا يعلمها إلا هو. **﴿وإليه ترجعون﴾**: الالتفات للتهديد؛ أي: تردون للجزاء فاهتموا بالاستعداد للقائه.

قال بعض الكبار: وإليه ترجعون بالاختيار والاضطرار، فأهل السعادة يرجعون إليه بالاختيار على قدم الشوق والمحبة والعبودية وأهل الشقاوة يرجعون إليه بالاضطرار بالموت

بالسلاسل والأغلال يسحبون على وجوههم إلى النار.

يقول الفقير: الرجوع بالاضطرار قد يكون نافعاً ممدوحاً مقبولاً، وهو أن يؤخذ العبد بالجذبة الإلهية ويجر إلى الله جراً عنيفاً، ووقع ذلك لكثير من المنقطعين إلى الله تعالى.

حكي عن الجنيد رحمه الله أنه قال: كنت في المسجد مرة، فإذا رجل قد دخل علينا وصلى ركعتين، ثم انتبذ ناحية من المسجد، وأشار إليّ فلما جئته، قال: يا أبا القاسم قد حان لقاء الله تعالى ولقاء الأحباب، فإذا فرغت من أمري، فسيدخل عليك شاب مغن فادفع إليه مرقعتي وعصاي وركوتي، فقلت: إلى مغن، وكيف يكون ذلك. قال: إنه قد بلغ رتبة القيام بخدمة الله في مقامي. قال الجنيد: فلما قضى الرجل نحبه؛ أي: مات وفرغنا من مواراته إذا نحن بشاب مصري قد دخل علينا وسلم وقال: أين الوديعة يا أبا القاسم؟ فقلت: كيف ذاك؟ أخبرنا بحالك، قال: كنت في مشربة بني فلان، فهتف بي هاتف أن قم إلى الجنيد وتسلم ما عنده، وهو كيت وكيت، فإنك قد جعلت مكان فلان الفلاني من الأبدال.

قال الجنيد: فدفعت إليه ذلك فنزع ثيابه، واغتسل ولبس المرقعة، وخرج على وجهه نحو الشام، ففي هذه الحكاية تبين أن ذلك المغني انجذب إلى الله تعالى بصوت الهاتف. وخرج إلى الشام مقام الأبدال؛ لأن المهاجرة سنة قديمة وبها يحصل من الترقيات ما لا يحصل بغيرها، فإذا جاءت الساعة يحصل أثر التوفيق، ويظهر اللحوق بأهل التحقيق:

زيــن جــمــاعــت اكــر جــدا افــتــى در نــخــســتــيــن قــدم زيــا افــتــى

﴿ولا يملك﴾؛ أي: لا يقدر **﴿الذين يدعون﴾**؛ أي: يعبدهم الكفار **﴿من دونه﴾** تعالى **﴿الشفاعة﴾**عند الله كما يزعمون **﴿إلا من شهد بالحق﴾** الذي هو التوحيد والاستثناء، إما متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله، كعيسى وعزير والملائكة وغيرهم، أو منفصل على أنه خاص بالأصنام **﴿وهم يعلمون﴾** بما يشهدون به عن بصيرة وإيقان وإخلاص.

قال الكاشفي: وايشان ميدانند بدل خودكه بزبان خواهى داده اند وايشان شفاعت نخواهند كرد الا مؤمنان كنهكار را. وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن الإفراد أولاً باعتبار لفظها.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

﴿ولئن سألتهم من خلقهم﴾؛ أي: سألت العابدين والمعبودين: من أوجدهم، وأخرجهم من العدم إلى الوجود. **﴿ليقولن الله﴾** لتعذر الإنكار لغاية ظهوره؛ لأن الإنسان خلق للمعرفة وطبع عليها وبها أكرمه الله تعالى، فأما الشأن في معرفة الأشياء، فقبول دعوتهم. والتوفيق لمتابعتهم والتدين بأديانهم **﴿فأنى يؤفكون﴾**. الإفك بركر دانيدن أي: فكيف يصرفون عن عبادة الله تعالى إلى عبادة غيره مع اعترافهم بأن الكل مخلوق له تعالى، فهو تعجيب من جحودهم التوحيد مع ارتكازه في فطرتهم.

قال في «الأسئلة المقحمة»: فإن قلت: هذا دليل على أن معرفة الله ضرورية، ولا تجب بالسمع الضروريات، لأنه تعالى أخبر عن الكفار أنهم كانوا يقرون بوحدانية الله قبل ورود السمع، قلت: إنهم يقولون ذلك تقليداً لا دليلاً وضرورة، ومعلوم أن في الناس من أهل الإلحاد من ينكر الصانع، ولو كان ضرورياً لما اختلف فيه اثنان:

خانه بى صنع خانه سازكه ديد   نقش بى دست خامه زن كه شنيد
هركه شد زآدمى سوى تعطيل   نيست دروى خرد جوقدر فتيل

﴿وقيله﴾ : القول والقيل والقال كلها مصادر قرأ عاصم وحمزة بالجر على أنه عطف على الساعة؛ أي: عنده علم الساعة وعلم قوله عليه السلام شكاية. وبالفارسية: [ونزديك خداست دانستن قول رسول آنجا كه كفت]. ﴿يا رب﴾ ؛ أي: [بروردكار من]. ﴿إن هؤلاء﴾ : [بدرستى كه اين كروه يعنى معاند ان قريش]. ﴿قوم﴾ : [كروهى اندكه از روى عناد مكابره]. ﴿لا يؤمنون﴾ : [نمى كروند]. ولم يضفهم إلى نفسه بأن يقول: إن قومي لما ساءه من حالهم، أو على أن الواو للقسم. وقوله: إن هؤلاء إلخ. جوابه: فيكون إخباراً من الله عنهم لا من كلام رسوله. وفي الإقسام به من رفع شأنه عليه السلام وتفخيم دعائه والتجائه إليه تعالى ما لا يخفى.

وقرأ الباقون بالنصب عطفاً على محل الساعة؛ أي: وعنده أن يعلم الساعة وقيله أو على سرهم ونجواهم، أو على يكتبون المحذوف؛ أي: يكتبون ذلك، وقيله. قال بعضهم: والأوجه أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه، يعني أن الجر على إضمار حرف القسم، كما في قولك: الله لأفعلن. والنصب على حذفه، وإيصال فعله إليه كقولك الله لأفعلن؛ كأنه قيل: وأقسم قيله أو بقيله. والفرق بين الحذف والإضمار أنه في الحذف لا يبقى للذاهب أثر نحو واسأل القرية.

وفي الإضمار يبقى له الأثر نحو انتهوا خيراً لكم. والتقدير: افعلوا ويجوز الرفع في قيله على أنه قسم مرفوع بالابتداء محذوف الخبر كقولهم أيمن الله، ويكون أن هؤلاء. إلخ. جواب القسم؛ أي: وقيله يا رب قسمي أن هؤلاء. إلخ. وذلك لوقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، بما لا يحسن اعتراضاً إن كان مرفوعاً معطوفاً على علم الساعة بتقدير مضاف مع تنافر النظم ورجح الزمخشري احتمال القسم لسلامته عن وقوع الفصل، وتنافر النظم، ولكن فيه التزام حذف وإضمار بلا قرينة ظاهرة في اللفظ الذي لم يشتهر استعماله في القسم، كما في «حواشي المفتي».

﴿فاصفح عنهم﴾ ؛ أي: فأعرض عن دعوتهم واقنط من إيمانهم. ﴿وقل سلام﴾ ؛ أي: أمري تسلم منكم ومن دينكم وتبرٍ ومتاركة، فليس المأمور به السلام عليهم، والتحية بل البراءة كقول إبراهيم عليه السلام: سلامٌ عليك سأستغفر لك. ﴿فسوف يعلمون﴾ حالهم البتة، وإن تأخر ذلك. وبالفارسية: [بس زود باشدكه بدانند عاقبت كفر خودرا وقتى كه عذاب برايشان فرود آيددر دنيا بروز بدر ودر عقبى بدخول درنار سوزان]. وهو وعيد من الله لهم وتسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فعلى العاقل أن يتدارك حاله قبل خروج الوقت بدخول الموت ونحوه. ويقبل على قبول الدعوة ما دام الداعي مقبلاً غير صافح، وإلا فمن كان شفيعه خصماً له لم يبق له رجاء النجاة.

قال ذو النون رحمه الله: سمعت بعض المتعبدين بساحل الشام يقول: إن لله عباداً عرفوه بيقين من معرفته فشمروا قصداً إليه وتحملوا فيه المصائب لما يرجون عنده من الرغائب صحبوا الدنيا بالأشجان، وتنعموا فيها بطول الأحزان، فما نظروا إليها بعين راغب، ولا تزودوا منها إلا كزاد راكب خافوا البيات فأسرعوا ورجوا النجاة، فأزمعوا بذلوا مهج أنفسهم في رضا سيدهم،

نصبوا الآخرة نصب أعينهم، وأصغوا إليها بآذان قلوبهم، فلو رأيتهم لرأيت قوماً ذبلاً شفاههم خمصاً بطونهم خزينة قلوبهم ناحلة أجسادهم باكية أعينهم لم يصحبوا التعليل والتسويف، وقنعوا من الدنيا بقوت خفيف ولبسوا من اللباس أطماراً بالية، وسكنوا من البلاد قفراء خالية هربوا من الأوطان، واستبدلوا الوحدة من الإخوان، فلو رأيتهم لرأيت قوماً قد ذبحهم الليل بسكاكين السهر والنصب وفصل أعضاءهم بخناجر التعب خمص بطول السرى شعث بفقد الكرى قد وصلوا الكلال بالكلال، وتأهبوا للنقلة والارتحال:

جواز جايكان در دويدن كرو بتيزى هم افتان وحيزان برو
كران باد بايان برفتندتيز توبى دست وبا ازنشستن بخيز

تمت سورة الزخرف بعون الله تعالى في أواخر جمادى الآخرة من الشهور المنتظمة في سلك سنة ثلاث عشرة ومائة وألف. وتليها سورة الدخان، وهي سبع أو تسع وخمسون آية مكية إلا قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ﴾ [الدخان: ١٥] **إلخ.**

٤٤ ـ سورة الدخان

وآياتها تسع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾.

﴿حم﴾؛ أي: بحق ﴿حم﴾، وهي هذه السورة أو مجموع القرآن.

﴿والكتاب﴾ عطف على ﴿حم﴾ إذ لو كان قسماً آخر لزم اجتماع القسمين على مقسم عليه واحد ومدار العطف على تقدير كون ﴿حم﴾ اسماً لمجموع القرآن المغايرة في العنوان ﴿المبين﴾؛ أي: البين معانيه لمن أنزل عليهم، وهم: العرب لكونه بلغتهم وعلى أساليبهم، أو المبين لطريق الهدى من طرق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج إليه في أبواب الديانة.

وقال بعضهم: بحق الحي القيوم وبحق القرآن الفاصل بين الحق والباطل، فالحاء: إشارة إلى الاسم الحي، والميم إلى الاسم القيوم وهما أعظم الأسماء الإلٰهية لاشتمالهما على ما يشتمل عليه كل منها من المعاني والأوصاف والحقائق، كما سبق في آية الكرسي.

وفي «عرائس البقلي»: الحاء الوحي الخاص إلى محمد، والميم محمد عليه السلام وذلك ما كان بلا واسطة، فهو سر بين المحب والمحبوب لا يطلع عليه أحد غيرهما، كما قال تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم: ١٠]. وقال بعضهم: حميت المحبين. يعني: [حمايت كردم دوستان خودرا از توجه بما سوى].

يقول الفقير: ويحتمل أن يكون إشارة إلى حمد الله إلى إنزاله القرآن الذي هو أجل النعم الإلٰهية فحم مقصور من الحمد. والمعنى: وحق الحق الذي يستحق الحمد في مقابلة إنزال القرآن.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾

﴿إنا أنزلناه﴾؛ أي: الكتاب المبين الذي هو القرآن، وهو جواب القسم. ﴿في ليلة مباركة﴾: هي ليلة القدر، فإنه تعالى أنزل القرآن في ليلة القدر من شهر رمضان من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا دفعة واحدة وأملاه جبريل على السفرة، ثم كان ينزله على النبي عليه السلام نجوماً؛ أي: متفرقاً في ثلاث وعشرين سنة. والظاهر أن ابتداء تنزيله إلى النبي عليه السلام أيضاً كان في ليلة القدر؛ لأن ليلة القدر في الحقيقة ليلة افتتاح الوصلة، ولا بد في الوصلة من الكلام والخطاب والحكمة في نزوله ليلاً.

إن الليل زمان المناجاة ومهبط النفحات ومشهد التنزلات ومظهر التجليات ومورد الكرامات ومحل الأسرار إلى حضرة الكبرياء. وفي الليل فراغ القلوب بذكر حضرة المحبوب،

فهو أطيب من النهار عند المقربين والأبرار ووصف الليلة بالبركة لما أن نزول القرآن مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية بأجمعها، أو لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة، وإجابة الدعوة ونحوها. وإلا فأجزاء الزمان متشابهة بحسب ذواتها وصفاتها، فيمتنع أن يتميز بعض أجزائه عن بعض بمزيد القدر والشرف لنفس ذواتها وعلى هذا فقس شرف الأمكنة، فإنه لعارض في ذاتها.

قال حضرة الشيخ صدر الدين قدس سره في «شرح الأربعين»: حديثاً وللأزمنة والأمكنة في محو السيئات، وتغليب طرف الحسنات وإمدادها والتكفير والتضعيف مدخل عظيم.

وفي الحديث: «إن الله غفر لأهل عرفات وضمن عنهم التبعات»، وإنه ينزل يوم عرفة إلى السماء الدنيا. وقد وردت أحاديث دالة على فضيلة شهر رمضان وعشر ذي الحجة وليلة النصف من شعبان، وأن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف. وفي مسجد النبي عليه السلام بألف. وفي المسجد الأقصى بخمسمائة. وكلها دالة على شرف الأزمنة والأمكنة. انتهى كلامه.

قال الشيخ المغربي قدس سره: أفضل الشهور عندنا شهر رمضان؛ أي: لأنه أنزل فيه القرآن، ثم شهر ربيع الأول؛ أي: لأنه مولد حبيب الرحمٰن، ثم رجب؛ أي: لأنه فرد الأشهر الحرم. وشهر الله ثم شعبان؛ أي: لأنه شهر حبيب الرحمٰن ومقسم الأعمال والآجال بين شهرين عظيمين: رجب ورمضان، ففيه فضل الجوارين العظيمين، كما أن ليوم الخميس وليوم السبت فضلاً عظيماً لكونها في جوار الجمعة. ولذا ورد: «بارك الله في السبت والخميس»، ثم ذو الحجة؛ أي: لأنه موطن الحج والعشر التي تعادل كل ليلة منها ليلة القدر والأيام المعلومات، أيام التشريق، ثم شوال؛ أي: لكونه في جوار شهر رمضان، ثم ذو القعدة؛ أي: لكونه من الأشهر الحرم، ثم المحرم شهر الأنبياء عليهم السلام، ورأس السنة وأحد الأشهر الحرم.

وقيل: فضل الله الأشهر والأيام والأوقات بعضها على بعض، كما فضل الرسل والأمم بعضها على بعض لتبادر النفوس وتسارع القلوب إلى احترامها وتتشوق الأرواح إلى إحيائها بالتعبد فيها، ويرغب الخلق في فضائلها، وأما تضاعف الحسنات في بعضها، فمن المواهب اللدنية والاختصاصات الربانية ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

قال القاشاني في «شرح التائية»: كما أن شرف الأزمنة وفضيلتها بحسب شرف الأحوال الواقعة فيها من حضور المحبوب ومشاهدته، فكذلك شرف الأعمال يكون بحسب شرف النيات والمقاصد الباعثة وشرف النية في العمل أن يؤدي للمحبوب ويكون خالصاً لوجهه غير مشوب بغرض آخر. قال ابن الفارض:

وعندي عيدي كل يوم أرى به جمال محياها بعين قريره
وكل الليالي ليلة القدر إن دنت كما كل أيام اللقا يوم جمعه

قال بعض الكبار وأشد الليالي بركة وقدراً، ليلة يكون العبد فيها حاضراً بقلبه مشاهداً لربه يتنعم بأنوار الوصلة، ويجد فيها نسيم القربة وأحوال هذه الطائفة في لياليهم مختلفة كما قالوا:

لا أظلم الليل ولا أدعي أن نجوم الليل ليست تزول
ليلى كما شاءت قصير إذا جادت وإن ضنت فليلي طويل

وقال بعض المفسرين: المراد من الليلة المباركة ليلة النصف من شعبان، ولها أربعة أسماء:

الأول: الليلة المباركة لكثرة خيرها وبركتها على العاملين فيها الخير، وإن بركات جماله تعالى تصل إلى كل ذرة من العرش إلى الثرى، كما في ليلة القدر. وفي تلك الليلة اجتماع جميع الملائكة في حظيرة القدس. [ودر كشف الأسرار فرموده كه آنرا مبارك خواند ازبهر آنكه برخير وبر بركت است همه شب دعيا نرا اجابت است وسائلا نرا عطيت ومجتهد انرا معونت ومطيعا نرا مثوبت وغاصبا نرا اقالت ومحبانرا كرامت همه شب درهاى آسمان كشاده جنات عدن وفراديس اعلا درها نهاده ساكنان جنة الخلد بركنكرها نشسته ارواح انبيا وشهدا در عليين فراطرب آمده همه شب نسيم روح ازلي از جانب قربت بدل دوستان ميدمد وبادهواى فردانيث برجان عاشقان مى وزد وازدوست خطاب مى آيدكه]. هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ أي: [درويش بيدار باش درين شب كه همه بساط نزول بيفكنده وكل وصال جانان درباغ را زدارى شكفته نسيم سحر مبارك بهارى از وميدمد وبيغام ملك برمزى باريك وبرازى عجب ميكويد]. ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]:

ألم يأن للهجران أن يتصرما ... وللعود غصن البان أن يتضرما
وللعاشق الصب الذي ذاب وانحنى ... ألم يأن أن يبكي عليه ويرحما

وفي بعض الآثار عجباً لمن آمن بي كيف يتكل على غيري لو أنهم نظروا إلى لطائف بري ما عبدوا غيري. [اى عجب كسى كه مارا شناخت باغير ما آرام كى كيرد كسى كه مارايافت باديكرى جون بردازد كسى كه رنك وبوى وصال ويا دمادارد دل دررنك وبوى دنيا جون بندد. از تعجب هرزمان كوبد بنفشه كاى عجب. هرجه زلف يا ردارد جنك درماجون زند].

والثاني: ليلة الرحمة.

والثالث: ليلة البراءة.

والرابع: ليلة الصك، وذلك لأن البندار إذا استوفى في الخراج من أهله كتب لهم البراءة. كذلك الله يكتب لعباده المؤمنين البراءات في هذه الليلة.

كما حكي: أن عمر بن عبد العزيز لما رفع رأسه من صلاته ليلة النصف من شعبان وجد رقعة خضراء قد اتصل نورها بالسماء مكتوب فيها. هذه براءة من النار من الملك العزيز لعبده عمر بن عبد العزيز، وكما أن في هذه الليلة براءة للسعداء من الغضب، فكذا فيها براءة للأشقياء من الرحمة نعوذ بالله تعالى، ولهذه الليلة خصال:

الأولى: تفريق كل أمر حكيم كما سيأتي.

والثانية: فضيلة العبادة فيها.

وفي الحديث: «من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله تعالى إليه مائة ملك: ثلاثون يبشرونه بالجنة، وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار، وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا، وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان».

قال في «الإحياء»: يصلي في الليلة الخامسة عشرة من شعبان مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة، يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الصمد: ١]: عشر مرات.

وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة: ﴿قل هو الله أحد﴾، فهذه أيضاً؛ أي: كصلاة رجب مروية عن النبي عليه السلام في جملة الصلوات.

كان السلف يصلون هذه الصلاة في هذه الليلة ويسمونها صلاة الخير ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة.

روي عن الحسن البصري: أنه قال: حدثني ثلاثون من أصحاب النبي عليه السلام: «أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة، وقضى الله له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة». انتهى كلام الإحياء.

قال الشيخ الشهير بافتاده قدس سره: أن النبي عليه السلام لما تجلى له جميع الصفات في ثمانية عشر ألف عالم، وأكثر صلى تلك الصلاة بعد العشاء شكراً على النعمة المذكورة.

وروى مجاهد عن علي رضي الله عنه أنه عليه السلام قال: «يا علي من صلى مائة ركعة في ليلة النصف من شعبان، فقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] أحد عشر مرة». قال عليه السلام: «يا علي ما من عبد يصلي هذه الصلاة إلا قضى الله له كل حاجة طلبها تلك الليلة، ويبعث الله سبعين ألف ملك يكتبون له الحسنات ويمحون عنه السيئات، ويرفعون له الدرجات إلى رأس السنة، ويبعث الله في جنات عدن سبعين ألف ملك وسبعمائة ألف يبنون له المدائن والقصور، ويغرسون له الأشجار ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب المخلوقين، وإن مات من ليلته قبل أن يحول الحول، مات شهيداً، ويعطيه الله بكل حرف من ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] في ليلته تلك سبعين حوراء».

كما في «كشف الأسرار» قال بعضهم: أقل صلاة البراءة ركعتان وأوسطها مائة وأكثرها ألف.

يقول الفقير: الألف الذي هو إشارة إلى ألف اسم له تعالى، تفضيل للمائة التي هي إشارة إلى مائة اسم له منتخبة من الألف؛ لأن التسعة والتسعين باعتبار أحديتها مائة، وهي تفصيل للواحد الذي هو الاسم الأعظم، ولما لم تشرع ركعة منفردة ضم إليها أخرى، إشارة إلى الذات والصفات والليل والنهار والجسد والروح والملك والملكوت. ولهذا السر استحب أن يقرأ في الركعتين المذكورتين أربعمائة آية من القرآن، فإن فرض القراءة آية واحدة ومستحبها أربع آيات، والمائة أربع مرات أربعمائة، فالركعتان باعتبار القراءة المستحبة في حكم المائة، فاعرف جداً.

وفي الحديث: «من أحيا الليالي الخمس وجبت له الجنة ليلة التروية وليلة عرفة وليلة النحر وليلة الفطر وليلة النصف من شعبان.

والثالثة: نزول الرحمة. قال عليه السلام: «إن الله ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا»؛ أي: تنزل رحمته. والمراد في الحقيقة تنزل عظيم من تنزلات عالم الحقيقة مخصوص بتلك الليلة. وأيضاً المراد تنزل من أول الليلة؛ أي: وقت غروب الشمس إلى آخرها؛ أي: إلى طلوع الفجر، أو طلوع الشمس.

والرابعة: حصول المغفرة قال عليه السلام: «إن الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا لكاهن، أو ساحر، أو مشاحن، أو مدمن خمر، أو عاق للوالدين، أو مصر على الزنا.

قال في «كشف الأسرار»: فسر أهل العلم المشاحن في هذا الموضع بأهل البدع والأهواء والحقد على أهل الإسلام.

والخامسة: أنه أعطى فيها رسول الله عليه السلام تمام الشفاعة. وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان الشفاعة في أمته، فأعطي الثلث منها، ثم سأل ليلة الرابع عشر، فأعطي الثلثين، ثم سأل ليلة الخامس عشر، فأعطي الجميع إلا من شرد على الله شراد بعير.

وفي رواية أخرى قالت عائشة رضي الله عنها: رأيت النبي ﷺ في ليلة النصف من شعبان ساجداً يدعو، فنزل جبريل، فقال: «إن الله قد أعتق من النار الليلة بشفاعتك ثلث أمتك»، فزاد عليه السلام في الدعاء، فنزل جبريل فقال: إن الله يقرئك السلام، ويقول: «أعتقت نصف أمتك من النار»، فزاد عليه السلام في الدعاء، فنزل جبريل، وقال: إن الله أعتق جميع أمتك من النار بشفاعتك إلا من كان له خصم حتى يرضى خصمه. فزاد عليه السلام في الدعاء، فنزل جبريل عند الصبح. وقال: إن الله قد ضمن لخصماء أمتك أن يرضيهم بفضله ورحمته فرضي النبي عليه السلام.

والسادسة: أن من عادة الله في هذه الليلة أن يزيد ماء زمزم زيادة ظاهرة. وفيه إشارة إلى حصول مزيد العلوم الإلٰهية لقلوب أهل الحقائق. ﴿إنا كنا منذرين﴾ استئناف مبين لما يقتضي الإنزال كأنه قيل: إنا أنزلناه؛ لأن من شأننا الإنذار والتخويف من العقاب.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾﴾.

﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾؛ أي: يكتب ويفصل كل أمر محكم ومتقن من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم إلا السعادة والشقاوة من هذه الليلة إلى الأخرى من السنة القابلة.

وقيل: يبدأ في انتساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة. ويقع الفراغ في ليلة القدر، فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل ونسخة الحروب والزلازل والصواعق والخسف إلى جبرائيل ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا، وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت حتى أن الرجل ليمشي في الأسواق وأن الرجل لينكح ويولد له. ولقد أدرج اسمه في الموتى: [كفته اند درميان فرشتكان فرشته حليم تر ورحيم تر ومهربان تر از ميكائيل نيست وفرشته مهيب ترو باسياست تراز جبرائيل نيست در خبراست كه روزى هردو مناظره كردند جبرائيل كفت مرا عجب مى آيدكه يا اين همه بى حرمتى وجفا كارى بخلق رب العزة بهشت ازبهرجه مى آفريد ميكائيل كفت مرا عجب مى آيدكه باآن همه فضل وكرم ورحمت كه الله را بربند كانست دوزخ راaز بهرجه مى آفريداز حضرت عزت وجناب جبروت ندا آمدكه]. أحبكما إلي: أحسنكما ظناً بي: [ازشما هر دوا آنرا دوستتر دارم كه بمن ظن نيكو ترمى برد يعنى ميكائيل كه رحمت بر غضب فضل مى نهد].

وقد قال الله تعالى: (إن رحمتي سبقت غضبي)، وكما أن في هذه الليلة يفصل كل أمر صادر بالحكمة من السماء في السنة من أقسام الحوادث في الخير والشر والمحن والمنن والمنصرة والهزيمة والخصب والقحط، فكذا الحجب والجذب والوصل والفصل والوفاق والخلاف والتوفيق والخذلان والقبض والبسط والستر والتجلي، فكم بين عبد نزل له الحكم

والقضاء بالشقاء والبعد وآخر ينزل حكمه بالوفاء والرفد.

﴿**أمراً من عندنا**﴾: نصب على الاختصاص؛ أي: أعني بهذا الأمر أمراً حاصلاً من عندنا على مقتضى حكمتنا، وهو بيان لفخامته الإضافية بعد بيان فخامته الذاتية. ﴿**إنا كنا مرسلين**﴾ بدل من إنا كنا بدل الكل.

﴿**رحمة من ربك**﴾ مفعول له للإرسال؛ أي: إنا أنزلنا القرآن؛ لأن عادتنا إرسال الرسل بالكتب إلى العباد؛ لأجل إفاضة رحمتنا عليهم، فيكون قوله: رحمة غاية للإرسال متأخرة عنه على أن المراد منها الرحمة الواصلة إلى العباد، أو لاقتضاء رحمتنا السابقة إرسالهم، فيكون باعثاً متقدماً للإرسال على أن المراد مبدؤها، ووضع الرب موضع الضمير للإيذان بأن ذلك من أحكام الربوبية ومقتضياتها وإضافته إلى ضميره عليه السلام للتشريف:

در دو عالم بخشش بخشايش است خلق را از بخشش آسايش است

خواجه جون در مديح خويش سفت إنما أنا رحمة مهداة كفت

كما قال في «التأويلات النجمية»: إنا كنا مرسلين محمداً عليه السلام رحمة مهداة من ربك ليخرج المشتاقين من ظلمات المفارقة إلى نور المواصلة، وأيضاً إنا كنا مرسلين رحمة لنفوس أوليائنا بالتوفيق ولقلوبهم بالتحقيق.

﴿**إنه هو السميع العليم**﴾ يسمع كل شيء من شأنه أن يسمع خصوصاً أنين المشتاقين، ويعلم كل شيء من شأنه أن يعلم خصوصاً حنين المحبين، فلا يخفى عليه شيء من أقوال العباد وأفعالهم وأحوالهم، وهو تحقيق لربوبيته تعالى، وأنها لا تحق إلا لمن هذه نعوته الجليلة.

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿**رب السماوات والأرض وما بينهما**﴾ بدل من ربك. يقول الفقير: ألهمت بين النوم واليقظة. أن معنى هذه الآية؛ أي: إشارة لا عبارة أن مربي ومبلغي إلى كمالي هو رب السماوات والأرض وما بينهما يعني: جميع الموجودات العلوية والسفلية. وذلك لأنها مظاهر الأسماء والصفات الإلٰهية، ففي كل ذرة من ذرات العالم حقيقة مشهودة هي غذاء الروح العارف فيتربى بذلك الغذاء الشهودي بالغاً إلى أقصى استعداده كما يتربى البدن بالغذاء الحسي بالغاً إلى غاية نمائه ووقوفه. وإلى هذا المعنى أشار صاحب المثنوي بقوله:

آن خيالاتى كه دام أولياست عكس مهرويان مستان خداست

فافهم جداً وقل: لا أعبد إلا الله ولا أقصد سواه. ﴿**إن كنتم موقنين**﴾ بشيء فهذا أولى ما توقنون به لفرط ظهوره أو إن كنتم مريدين لليقين، فاعلموا ذلك. وبالفارسية: [اكر هستيد شمابى كمانان يعنى طلب كنند كان يقين].

﴿**لا إله إلا هو**﴾ إذ لا خالق سواه. جملة مستأنفة مقررة لما قبلها. ﴿**يحيي ويميت**﴾ يوجد الحياة في الجماد، ويوجد الموت في الحيوان بقدرته كما يشاهد ذلك؛ أي: يعلم علماً جلياً يشبه المشاهدة. والظاهر أن المشاهدة تتعلق بالأثر، فإن المعلوم هو الإحياء والإماتة، والمشهود هو أثر الحياة في الحي، وأثر الممات في الميت.

وفي «التأويلات النجمية» يحيي قلوب أوليائه بنور محبته وتجلي صفات جماله، ويميت نفوسهم بتجلي صفات جلاله. ﴿**ربكم**﴾؛ أي: هو ربكم وخالقكم ورازقكم. ﴿**ورب آبائكم الأولين**﴾.

وفي «التأويلات»: رب آدم وأولاده ورب الآباء العلوية. وقال محمد بن علي الباقر قد انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف آدم وأكثر. وذكر الشيخ ابن العربي قدس سره في «الفتوحات المكية» في باب حدوث الدنيا حديثاً ضعيفاً أنه انقضى قبل آدم مائة ألف آدم، وجرى له كشف وشهود في طواف الكعبة أنه شاهد رجالاً تمثلوا له من الأرواح فسألهم من أنتم، فأجابوه أنهم من أجداده الأول قبل آدم بأربعين ألف سنة.

قال الشيخ: فسألت عن ذلك إدريس النبي عليه السلام، فصدقني في الكشف والخبر. وقال: نحن معاشر الأنبياء نؤمن بحدوث العالم كله، ولم نعلم أوله. والحق تعالى متفرد بأوائل الكائنات.

﴿**بل هم في شك**﴾: [بلكه ايشان درشك اند]؛ أي: مما ذكر من شؤونه تعالى غير موقنين في إقرارهم بأنه تعالى رب السماوات والأرض وما بينهما.

﴿**يلعبون**﴾: لا يقولون ما يقولون عن جد وإذعان، بل مخلوطاً بهزء ولعب، وهو خبر آخر. وفي «كشف الأسرار»: [در كمان خويش بازى ميكنند]. فالظرف متعلق بالفعل، أو بل هم حال كونهم في شك مستقر في قلوبهم يلعبون كما في قوله: فهم في ريبهم يترددون. وفيه أشار إلى أن من استولت عليه الغفلة أداه ذلك إلى الشك، ومن لزم الشك كان بعيداً من عين الصواب.

قال بعضهم: وصف أهل الشك والنفاق باللعب، وذلك لترددهم وتحيرهم في أمر الدين واشتغالهم بالدنيا واغترارهم بزينتها. قال أويس القرني رضي الله عنه: أف لهذه القلوب قد خالطها الشك، فما تنفعها العظة. وعن الشيخ فتح الموصلي قدس سره، قال: رأيت في البادية غلاماً لم يبلغ الحنث يمشي ويحرك شفتيه، فسلمت عليه فرد الجواب، فقلت له: إلى أين يا غلام؟ فقال: إلى بيت الله الحرام. قلت: فيماذا تحرك شفتيك؟ قال: بالقرآن. قلت: فإنه لم يجر عليك قلم التكليف. قال: رأيت الموت يأخذ من هو أصغر مني سناً، فقلت: خطوك قصير وطريقك بعيد، فقال: إنما علي نقل الخطا وعلى الله الإبلاغ، فقلت: فأين الزاد والراحلة، فقال: زادي يقيني وراحلتي رجلاي:

سدره توفيق بود كرد علايق   خواهى كه بمنزل برسى راحله بكذار

قلت: أسألك عن الخبز والماء، قال: يا عماه أرأيت لو أن مخلوقاً دعاك إلى منزله أكان يجمل بك أن تحمل معك زادك، فقلت: لا. قال: إن سيدي دعا عباده إلى بيته، وأذن لهم في زيارته، فحملهم ضعف يقينهم على حمل زادهم، وإني استقبحت ذلك، فحفظت الأدب معه افتراه يضيعني، فقلت: كلا وحاشا، ثم غاب عن عيني، فلم أره إلا بمكة، فلما رآني، قال: يا شيخ أنت بعد على ذلك الضعف في اليقين:

سيراب كن زبحر يقين جان تشنه را   زين بيش خشك لب منشين برسراب ريب

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾.

﴿فارتقب﴾: الارتقاب: [جشم داشتن] يعني: [منتظر شدن].

والمعنى: فانتظر يا محمد لكفار مكة على أن اللام للتعليل. وبالفارسية: [بس تو منتظر باش براى ايشان]. ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ ظاهر لا شك فيه ويوم مفعول ارتقب. والباء: للتعدية يعني: [آن روزكه آسمان دودى آرد آشكارا]. ويجوز أن يكون ظرفاً له، والمفعول محذوف؛ أي: ارتقب وعد الله في ذلك اليوم أطلق الدخان على شدة القحط وغلبة الجوع على سبيل الكناية، أو المجاز المرسل.

والمعنى: فانتظر لهم يوم شدة ومجاعة، فإن الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان، إما لضعف بصره أو لأن في عام القحط يظلم الهواء لقلة الأمطار، وكثرة الغبار. ولذا يقال لسنة القحط السنة الغبراء، كما قالوا عام الرمادة. والظاهر أن السنة الغبراء ما لا تنبت الأرض فيها شيئاً. وكانت الريح إذا هبت ألقت تراباً كالرماد، أو لأن العرب تسمي الشر الغالب دخاناً، وإسناد الإتيان إلى السماء؛ لأن ذلك يكفها عن الأمطار، فهو من قبيل إسناد الشيء إلى سببه. وذلك أن قريشاً لما بالغوا في الأذية له عليه السلام. دعا عليهم، فقال: اللهم اشدد وطأتك على مضر؛ أي: عقابك الشديد يعني: خذهم أخذاً شديداً واجعلها عليهم سنيناً كسني يوسف»، وهي السبع الشداد، فاستجاب الله دعاءه فأصابتهم سنة؛ أي: قحط حتى أكلوا الجيف والجلود والعظام والعلهز، وهو الوبر والدم؛ أي: يخلط الدم بأوبار الإبل، ويشوى على النار كان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان من الجوع. وكان يحدث الرجل، ويسمع كلامه، ولا يراه من الدخان. وذلك قوله تعالى:

﴿يغشى الناس﴾؛ أي: يحيط ذلك الدخان بهم ويشملهم من جميع جوانبهم صفة للدخان ﴿هذا عذاب أليم﴾؛ أي: قائلين: هذا الجوع، أو الدخان عذاب أليم فمشى إليه عليه السلام أبو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم؛ أي: قالوا: نسألك يا محمد بحق الله وبحرمة الرحم أن تستسقي لنا ووعدوه إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا. وذلك قوله تعالى:

﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ﴾ [الدخان: ٢١]؛ أي: الجوع، أو عذاب الدخان، ومآلهما واحد، فإن الدخان إنما ينشأ من الجوع.

﴿إنا مؤمنون﴾ بعد رفعه.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿أنى لهم الذكرى﴾ رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالإيمان المنبىء عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية. والمراد بالاستفهام الاستبعاد لا حقيقته، وهو ظاهر؛ أي: كيف يتذكرون، أو من أين يتذكرون ويقولون: بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب عنهم. ﴿وقد جاءهم رسول مبين﴾؛ أي: والحال أنهم شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو أعظم منه في إيجابهما حيث جاءهم رسول عظيم الشأن، وبين لهم مناهج الحق بإظهار آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة تحرك صم الجبال.

﴿ثم﴾: كلمة ثم هنا للاستبعاد. ﴿تولوا﴾ أعرضوا ﴿عنه﴾؛ أي: عن ذلك الرسول فيما شاهدوا منه من العظائم الموجبة للإقبال إليه، ولم يقتنعوا بالتولي. ﴿وقالوا﴾ في حقه. ﴿معلم

مجنون﴾؛ أي: قالوا تارة يعلمه غلام أعجمي لبعض ثقيف واسمه عداس، أو أبو فكهة، أو جبر، أو يسار وأخرى مجنون، أو يقول بعضهم: كذا. وآخرون كذا، فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم أن يتأثروا منه بالعظة والتذكير، وما مثلهم إلا كمثل الكلب إذا جاع ضغا وإذا شبع طغا ﴿إنا كاشفو العذاب﴾: جواب من جهته تعالى عن قولهم: ربنا اكشف الخ؛ أي: إنا نكشف العذاب المعهود عنكم بدعاء النبي عليه السلام، وإنزال المطر كشفاً ﴿قليلا﴾، وهو دليل على كمال خبث سريرتهم، فإنهم إذا عادوا إلى الكفر بكشف العذاب كشفاً قليلاً، فهم بالكشف رأساً أعود، أو زماناً قليلاً، وهو ما بقي من أعمارهم.

﴿إنكم عائدون﴾ تعودون إثر ذلك إلى ما كنتم عليه من العتو والإصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة. وصيغة الفاعل في الفعلين للدلالة على تحققها لا محالة، ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله بدعاء النبي عليه السلام، فما لبثوا أن عادوا إلى ما كانوا فيه من العتو والعناد؛ لأن من مقتضى فساد طينتهم واعوجاج طبيعتهم المبادرة إلى خلف الوعد ونقض العهد والعود إلى الإشراك إذا زال المانع على ما بينه الله تعالى فيمن ركب الفلك إذ أنجاه إلى البر. وفي المثنوي:

آن ندامت از نتيجة رنج بود ... نى زعقل روشن جون كنج بود
جونكه شدرنج آن ندامت شد عدم ... مى نيرز دخاك آن توبة ندم
ميكند او توبة وبير خرد ... بانك لو ردوا لعادوا ميزند

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾.

﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾: البطش تناول الشيء بعنف وصولة؛ أي: يوم القيامة ننتقم ونعاقب العقوبة العظمى. ﴿إنا منتقمون﴾ فيوم ظرف لما دل عليه قوله: إنا منتقمون؛ لا لمنتقمون لأن إنا مانعة عن ذلك.

وقال الكاشفي: [يادكن روزى راكه بكيرم كافرا نرا كرفتن سخت وبزرك يعنى روزقيامت]. وذلك لأنه تعالى أخذهم بالجوع والدخان، ثم أذاقهم القتل والأسر يوم بدر. وكل ذلك من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر، فإذا كان يوم القيامة يأخذهم أخذاً شديداً لا يقاس على ما كان في الدنيا. نسأل الله العصمة من عذابه وجحيمه والتوفيق لما يوصل إلى رضاه ونعيمه.

وقال بعض المفسرين: المراد بالدخان ما هو من أشراط الساعة، وهو دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة، فيدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ؛ أي: المشوي ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام، وتكون الأرض كلها كبيت، أوقد فيه ليس فيه خصاص؛ أي: فرجة يخرج منها الدخان.

وفي الحديث: «أول الآيات: الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن ـ أبين، وهو بفتح الهمزة على ما هو المشهور: اسم رجل بنى هذه البلدة باليمن وأقام بها تسوق الناس إلى المحشر؛ أي: إلى الشام والقدس.

قال حذيفة رضي الله عنه: فما الدخان فتلا الآية، فقال: يملأ ما بين المشرق والمغرب

يمكث أربعين يوماً وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة، وأما الكافر، فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره.

وقال حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه: اطلع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نتذاكر، فقال عليه السلام: «ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال عليه السلام: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها آيات؛ أي: علامات، فذكر الدخان والدجال والدابة، وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم».

وأوّله بعض العلماء بفتنة الأتراك وأول خروج الدجال بظهور الشر والفساد، ونزول عيسى باندفاع ذلك، وظهور الخير والصلاح.

يقول الفقير: إن كان هذا التأويل من طريق الإشارة، فمسلم لأنه لا تخلو الدنيا عن المظاهر الجلالية والجمالية إلى خروج الدجال، ونزول عيسى. وأما إن كان من طريق الحقيقة، فلا صحة له إذ لا بد من ظهور تلك الآيات على حقيقتها على ما أخبر به النبي عليه السلام. فعلى هذا القول، وهو تفسير الدخان: بما هو من أشراط الساعة، معنى قوله: ﴿**ربنا اكشف عنا**﴾. الخ.

وقوله: ﴿**إنا كاشفو العذاب**﴾ إلخ. أنه إذا جاء الدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا: ربنا اكشف عنا العذاب: إنا مؤمنون، فيكشف الله عنهم بعد أربعين يوماً، فريثما يكشف عنهم يرتدون، ولا يتمهلون، وظهور علامات القيامة لا يوجب انقطاع التكليف، ولا يقدح في صحة الإيمان، ولا يجب أيضاً لزومها وعدم انكشافها.

وقال بعض أهل التفسير: المراد بالدخان ما يكون في القيامة إذا خرجوا في قبورهم، فيحتمل أن يراد به معناه الحقيقي، وما يستلزمه فإنه لشدة أهوال يوم القيامة تظلم العين، بحيث لا يرى الإنسان فيه أينما توجه إلا والظلمة مستولية عليه، كأنه مملوء دخاناً، فعلى هذا يبنى الكلام على الفرض والتقدير. ومعناه: أنهم يقولون: ربنا اكشف عنا العذاب؛ أي: ارددنا إلى الدنيا نعمل صالحاً، فيقول الله: ﴿**إنا كاشفو العذاب**﴾، يعني: إن كشفنا ورددناكم إليها تعودوا إلى ما كنتم عليه من الكفر والتكذيب، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]. والتفسير الأول من هذه التفاسير الثلاثة: هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعاً.

وفي «عرائس البقلي» رحمه الله ظاهر الآية دخان الكفرة من الجوع في الظاهر، ودخان بواطنهم. دخان النفس الأمارة والأهواء المختلفة التي تغير سماء قلوبهم بغبار الشهوات وظلمة الغفلات.

وقال سهل قدس سره: الدخان في الدنيا قسوة القلب والغفلة عن الذكر.

وفي «التأويلات النجمية»: في الآية إشارة إلى مراقبة سماء القلب عن تصاعد دخان أوصاف البشرية يغشى الناس عن شواهد الحق. هذا عذاب أليم لأرباب المشاهدة، كما قال السري قدس سره: اللهم مهما عذبتني، فلا تعذبني بذل الحجاب: ربنا اكشف عنا عذاب الحجاب، إنا مؤمنون بأنك قادر على رفع الحجاب وإرخائه، فإذا أخذوا في الاستغاثة يقال لهم: أنى لهم الذكرى. وقد جاءهم رسول مبين بإلهام تقواهم وفجورهم، ثم خالفوه وقالوا: خاطر شيطاني. إنا كاشفو العذاب عن صورتهم في الدنيا قليلاً؛ لأن جميع الدنيا عندنا قليل،

ولكن يوم نبطش البطشة الكبرى نورثهم حزناً طويلاً، ولا يجدون في ضلال انتقامنا مقيلاً.

يقول الفقير: ظهر من هذه التقريرات: أنه لا خير في الدخان في الظاهر والباطن. ألا ترى أن من رآه في المنام يعبر بالهول العظيم والقتال الشديد وبالظلمات والحجب والكدورات، فعلى العاقل أن يجتهد في الخروج من الظلمات إلى النور والدخول في دائرة الصفاء والحضور؛ فإنه إن بقي مع دخان الوجود يظلم عليه وجه المقصود.

﴿**ولقد فتنا قبلهم**﴾: [بيش از كفار مكه]. ﴿**قوم فرعون**﴾؛ أي: القبط. والمعنى: امتحناهم؛ أي: فعلنا بهم، فعل الممتحن بإرسال موسى عليه السلام إليهم ليؤمنوا، ويظهر منهم ما كان مستوراً، فاختاروا الكفر على الإيمان، فالفعل حقيقة أو أوقعناهم في الفتنة بالإمهال، وتوسيع الرزق عليهم، فهو مجاز عقلي من إسناد الفعل إلى سببه؛ لأن المراد بالفتنة حينئذٍ ارتكاب المعاصي، وهو تعالى كان سبباً لارتكابها بالإمهال، والتوسيع المذكورين.

﴿**وجاءهم رسول كريم**﴾ على الله تعالى، وهو موسى عليه السلام بمعنى أنه استحق على ربه أنواعاً كثيرة من الإكرام، أو كريم على المؤمنين، أو في نفسه؛ لأن الله تعالى لم يبعث نبياً إلا من كان أفضل نسباً، وأشرف حسباً على أن الكرم بمعنى الخصلة المحمودة.

وقال بعضهم: لمكالمته مع الله واستماع كلامه من غير واسطة. وفي الآية إشارة إلى أنه تعالى جعل فرعون وقومه فيما فتنهم فداء أمة محمد عليه السلام لتعتبر هذه الأمة بهم، فلا يصرون على جحودهم، كما أصروا، ويرجعوا إلى طريق الرشد ويقبلوا دعوة نبيهم ويؤمنوا بما جاء به لئلا يصيبهم ما أصابهم بعد أن جاءهم رسول كريم.

﴿**أن أدوا إلي عباد الله**﴾: أن مصدرية؛ أي: بأن أدوا إلى بني إسرائيل، وسلموهم وأرسلوهم معي لأذهب بهم إلى موطن آبائهم الشام، ولا تستعبدوهم ولا تعذبوهم؛ أي: جئتكم من الله لطلب تأدية عباد الله إليَّ.

قال في «كشف الأسرار»: فرعون قبطى بود وقوم وى قبط بودند وبني إسرائيل در زمين ايشان غريب بودند از زمين كنعان بايشان افتادند نزاد يعقوب عليه السلام بودند بايدر خويش يعقوب بمصر شدند بر يوسف وآنروز هشتادو دوكس بودند وايشانرا در مصر توالد وتناسل بود بعد از غرق فرعون جون از مصر بيرون آمدند با موسى بقصد فلسطين هزار هزار وششصد هزار بودند فرعون ايشانرا در زمين خويش زبون كرفته بود وايشانرا معذب همى داشت وكارهاى صعب ودشوار همى فرمود تا رب العزة موسى رابه بيغمبرى بايشان فرستاد بدوكار يكى اوردن ايمان بوحدانيت حق تعالى وعبادت وى كردند ديكر بني إسرائيل را موسى دادن وايشانرا از عذاب رها كردن اينست كه رب العالمين فرمود أن أدوا إليّ عباد الله.

يقول الفقير: فتكون التأدية بعد الإيمان، كما قالوا في آية أخرى ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، ونظيره قول نوح عليه السلام لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]؛ أي: آمن واركب، فإن الراكب إنما هو المؤمنون والركوب متفرع على الإيمان.

وقال بعضهم: عباد الله منصوب بحرف النداء المحذوف؛ أي: بأن أدوا إليّ يا عباد الله حقه من الإيمان وقبول الدعوة. ﴿**إني لكم رسول أمين**﴾ على وحيه ورسالته صادق في دعواه بالمعجزات، وهو علة للأمر بالتأدية. وفيه إشارة إلى أن بني إسرائيل كانوا أمانة الله في أيدي

فرعون وقومه، يلزم تأديتهم إلى موسى لكونه أميناً، فخانوا تلك الأمانة حتى آخذهم الله على ذلك.

﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿**وأن لا تعلوا على الله**﴾؛ أي: وبأن لا تتكبروا عليه تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله واستخفاف عباده وإهانتهم. ﴿**إني آتيكم**﴾؛ أي: من جهته تعالى يحتمل أن يكون اسم فاعل، وأن يكون فعلاً مضارعاً. ﴿**بسلطان مبين**﴾: تعليل للنهي؛ أي: آتيكم بحجة واضحة لا سبيل إلى إنكارها. يعني: المعجزات. وبالفارسية: [بدرستى كه من بشما آرنده ام حجتى روشن وبرهانى اشكارا بصدق مدعاى خود].

وفي إيراد الأداء مع الأمين والسلطان مع العلاء من الجزالة ما لا يخفى.

﴿**وإني عذت بربي وربكم**﴾؛ أي: التجأت إليه وتوكلت عليه. ﴿**أن ترجمون**﴾ من أن ترجموني، فهو العاصم من شركم والرجم: [سنكسار كردن]. يعني: الرمي بالرجام بالكسر، وهي الحجارة أو تؤذوني ضرباً، أو شتماً بأن تقولوا: هو ساحر ونحوه، أو تقتلوني. قيل: لما قال، وأن لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل.

وفي «التأويلات النجمية»: وإني عذت بربي من شر نفسي وربكم من شر نفوسكم أن ترجموني بشيء من الفتن.

﴿**وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون**﴾: الإيمان يتعدى باللام باعتبار معنى الإذعان والقبول. والباء: باعتبار معنى الاعتراف وحقيقة آمن به أمن المخبر من التكذيب، والمخالفة.

وقال ابن الشيخ: اللام للأجل بمعنى لأجل ما أتيت به من الحجة والمعنى وإن كابرتم مقتضى العقل ولم تصدقوني، فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي، ولا تتعرضوا لي بشر ولا أذى لا باليد، ولا باللسان، فليس ذلك من جزاء من يدعوكم إلى ما فيه فلاحكم، فالاعتزال كناية عن الترك، ولا يراد به الاعتزال بالأبدان.

قال القاضي عبد الجبار: من متأخري المعتزلة: كل موضع جاء فيه لفظ الاعتزال في القرآن. فالمراد منه الاعتزال عن الباطل. وبهذا صار اسم الاعتزال اسم مدح، وهو منقوض بقوله تعالى: ﴿**فإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون**﴾، فإن المراد بالاعتزال هنا العزلة عن الإيمان التي هي الكفر لا العزلة عن الكفر والباطل. كذا في بعض كتب الكلام أخبر الله بهذه الآية؛ لأن المفارقة من الأضداد واجبة.

قيل: إن بعض أصحاب الجنيد قدس سره وقع له إنكار في مسألة جرت له معه، فكتب إليه ليعارضه فيها، فلما دخل على الجنيد نظر إليه. وقال: يا فلان، وإن لم تؤمنوا لي، فاعتزلون: [نقلست كه امام أحمد حنبل رحمه الله شبى نزد بشر حافى قدس سره رفتى ودر حق او ارادت تمام داشت تابحدى كه شاكر دانش كفتند تو امام عالم باشى ودر فقه وأحاديث وجمله علوم واجتهاد نظير ندارى هردم از بس شوريده بابر هنه مى دوى اين جه لايق بود احمد كفت آن همه علوم كه شمر ديد جنانست من همه به ازان دانم اما او خدارابه از من داند].

فينبغي للمرء أن يعتزل عن الباطل أياً كان لا عن الحق، وربما رأينا بعض أهل الإنكار في الغالب يعتزل عن صحبة الرجال، ثم لا يكتفي باعتزاله حتى يؤذيهم باللسان، فيكون بإهانة الأولياء عدو الله تعالى، ومحروماً من فوائد الصحبة وعوائد المجلس، فلزم على أهل الحق أن يتعوذوا بالله من شرور الظلمة والجبابرة، وأهل الإنكار والمكابرة، كما تعوذ الأنبياء عليهم السلام:

اى خدا كمترين كداى توام جشم برخوان كبرياى توام
از بد ومنكران امانم ده هرجه آنم بهست آنم ده
جونكه توكفتى فاستعذ بالله بتو بردم زشر ديو بناه
باخصوص از بلاى ديو سفيد كه نباشد از وكريز مفيد

﴿فدعا﴾ موسى ﴿ربه﴾ بعدما كذبوه. ﴿أن هؤلاء﴾؛ أي: بأن هؤلاء القبط. ﴿قوم مجرمون﴾ مصرون على كفرهم ومتابعة هواهم وأنت أعلم بهم، فافعل بهم ما يستحقونه.

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿فأسر بعبادي ليلاً﴾: الفاء عاطفة بإضمار القول بعد الفاء لئلا يلزم عطف الإنشاء على الخبر والإسراء بشب رفتن.

يقال: أسرى به ليلاً: إذا سار معه بالليل، وكذا سرى. والسرى وإن كان لا يكون إلا بالليل لكنه أتى بالليل للتأكيد. والمعنى: فأجاب الله دعاءه، وقال له: أسر يا موسى ببني إسرائيل من مصر ليلاً على غفلة من العدو. وبالفارسية: [بس ببر بشب بندكان مرا]. ﴿إنكم متبعون﴾: علة للأمر بالسير؛ أي: يتبعكم فرعون وجنوده بعد أن علموا بخروجكم ليلاً ليقتلكم: [جون بلب دريار سيده باشيد تو عصا بردريا زنى بشكافد ودرو راهها يديد آيد تا بني إسرائيل بكذرند].

﴿واترك البحر﴾؛ أي: بحر القلزم، وهو الأظهر الأشهر، أو النيل حال كونه. ﴿رهواً﴾ مصدر سمي به البحر للمبالغة، وهو بمعنى الفرجة الواسعة؛ أي: ذا رهواً أو راهياً مفتوحاً على حاله منفرجاً، ولا تخف أن يتبعك فرعون وقومه، أو ساكناً على هيئته بعدما جاوزته، ولا تضربه بعصاك لينطبق، ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط، فإذا دخلوا فيه أطبقه الله عليهم يعني: [ساكن وآراميده برآن وجه كه راهها برو ظاهر بود]. فيكون معنى: رهواً ساكناً غير مضطرب. وذلك لأن الماء وقف له كالطود العظيم حتى جاوز البحر.

﴿إنهم جند مغرقون﴾: علة للأمر بترك البحر رهواً، والجند جمع معد للحرب والإغراق: [غرقه كردن]. والغرق: الرسوب في الماء والتسفل فيه.

يقول الفقير: لما كان فرعون يفتخر بالماء وجريان الأنهار من تحت قصره وأشجار بساتينه جاء الجزاء من جنس العمل، ولذا أمر الله تعالى موسى عليه السلام، بأن يسير إلى جانب البحر دون البر، وإلا فالله سبحانه قادر على إهلاك العدو في البر أيضاً، بسبب من الأسباب، كما فعل بأكثر الكفار ممن كانوا قبل القبط.

﴿كم تركوا﴾؛ أي: كثيراً تركوا في مصر فكم في محل النصب على أنه مفعول تركوا

ومن قوله: ﴿من جنات﴾: بيان لإبهامه؛ أي: بساتين كثيرة الأشجار، وكانت متصلة من رشيد إلى أسوان وقدر المسافة بينهما أكثر من عشرين يوماً.

وفي الآية اختصار. والمعنى: فعل ما أمر به بأن ترك البحر رهواً، فدخله فرعون وقومه، فأغرقوا وتركوا بساتين كثيرة. ﴿وعيون﴾ نابعة بالماء. وبالفارسية: [جشمهاى آب روان].

ولعل المراد: الأنهار الجارية المتشعبة من النيل إذ ليس في مصر آبار وعيون، كما قال بعضهم في ذمها: هي بين بحر رطب عفن كثير البخارات الرديئة التي تولد الأدواء وتفسد الغذاء، وبين جبل وبر يابس صلد ولشدة يبسه لا تنبت فيه خضراء، ولا تتفجر فيه عين ماء. انتهى.

﴿وزروع﴾: جمع زرع، وهو ما استنبت بالبذر تسمية بالمصدر من زرع الله الحرث إذا أنبته وأنماه.

قال في «كشف الأسرار» وفنون الأقوات وألوان الأطعمة؛ أي: كانوا أهل ريف وخصب خلاف حال العرب. ﴿ومقام كريم﴾: محافل مزينة ومنازل محسنة.

﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿ونعمة﴾؛ أي: تنعم ونضارة عيش. وبالفارسية: [واسباب تنعم وبر خورداری]. يقال: كم ذي نعمة لا نعمة له؛ أي: كم ذي مال لا تنعم له فالنعمة بالكسر ما أنعم به عليك. والنعمة بالفتح: التنعم، وهو استعمال ما فيه النعومة واللين من المأكولات والملبوسات. وبالفارسية: [بناز زيستن].

﴿كانوا فيها فاكهين﴾: متنعمين متلذذين. ومنه الفاكهة، وهي ما يتفكه به؛ أي: يتنعم ويتلذذ بأكله.

﴿كذلك﴾: الكاف في حيز النصب وذلك إشارة إلى مصدر فعل يدل عليه تركوا؛ أي: مثل ذلك السلب سلبناهم إياها. ﴿وأورثناها قوماً آخرين﴾، فهو معطوف على الفعل المقدر وإيراثها تمليكها مخلفة عليهم أو تمكينهم من التصرف فيها، تمكين الوارث فيما يرثه؛ أي: جعلنا أموال القبط لقوم ليسوا منهم في شيء من قرابة، ولا دين، ولا ولاء، وهم بنو إسرائيل كانوا مسخرين لهم مستعبدين في أيديهم، فأهلكهم الله وأورثهم ديارهم وملكهم وأموالهم.

وقيل: غيرهم لأنهم لم يعودوا إلى مصر. قال قتادة: لم يرو في مشهور التواريخ أنهم رجعوا إلى مصر ولا ملكوها قط، ورد بأنه لا اعتبار بالتواريخ، فالكذب فيها كثير، والله تعالى أصدق قيلاً، وقد جاء في الشعراء التنصيص بإيراثها بني إسرائيل كذا في «حواشي سعدي المفتي».

قال المفسرون عند قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٢٩]؛ أي: يجعلكم خلفاء في أرض مصر، أو في الأرض المقدسة. وقالوا في قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]؛ أي: أرض الشام ومشارقها ومغاربها جهاتها الشرقية والغربية ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة بعد انقضاء مدة التيه، وتمكنوا في نواحيها، فاضطرب كلامهم، فتارة حملوا الأرض

على أرض مصر، وأخرى على أرض الشام. والظاهر الثاني؛ لأن المتبادر استخلاف أنفس المستضعفين لا أولادهم. ومصر إنما ورثها أولادهم؛ لأنها فتحت في زمان داود عليه السلام، ويمكن أن يحمل على أرض الشام ومصر جميعاً. والمراد بالمستضعفين هم وأولادهم، فإن الأبناء ينسب إليهم ما ينسب إلى الآباء. والله أعلم.

وفي الآية إشارة إلى ترك بحر الفضل رهواً؛ أي: مشقوقاً بعصا الذكر؛ لأن فرعون النفس وصفاتها فانون في بحر الوحدة تاركون لجنات الشهوات وعيون المستلذات الحيوانية وزروع الآمال الفاسدة والمقامات الروحانية بعبورهم عليها وسائر تنعمات الدنيا والآخرة بالسير، والإعراض عنها وبقوله كذلك: وأورثنا إلى إلخ. يشير أن الصفات النفسانية، وإن فنيت بتجلي الصفات الربانية فمهما يكن الغالب باقياً بالحياة يتولد منه الصفات النفسانية إلى أن تفنى هذه الصفات بالتجلي أيضاً، ولو لم تكن هذه المتولدات ما كان للسائر الترقي، فافهم جداً، فإنه بهذا الترقي يعبر السائر عن المقام الملكي؛ لأنه ليس للملك الترقي من مقامه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: ١٦٤]، فالكمال الملكي دفعي، لا ترقي بعده، والكمال البشري تدريجي، ولا ينقطع سيره أبداً لا في الدنيا، ولا في الآخرة، والله مفيض الجود.

﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾: مجاز مرسل عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم؛ لأن سبب البكاء على شيء هو المبالاة بوجوده، يعني: أنه استعارة تمثيلية بعد الاستعارة المكنية في السماء والأرض بأن شبهتا بمن يصح منه الاكتراث على سبيل الكناية، وأسند البكاء إليهما. على سبيل التخييل كانت العرب إذا مات فيهم من له خطر وقدر عظيم يقولون: بكت عليه السماء والأرض، يعني: أن المصيبة بموته عمت الخلق، فبكى له الكل حتى الأرض والسماء، فإذا قالوا: ما بكت عليه السماء والأرض، يعنون به: ما ظهر بعد ما يظهر بعده ذوي الأقدار والشرف، ففيه تهكم بالكفار وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده، فيقال له: بكت عليه السماء والأرض.

وقال بعضهم: هو على حقيقته ويؤيده ما روي: أنه عليه السلام قال: «ما من مؤمن إلا وله في السماء بابان: باب يخرج منه رزقه، وباب يدخل منه عمله، وإذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا فما بكت. إلخ. يعني: [جون بنده وفات كند واين دودر از نزول رزق وخروج عمل محروم ماندبر وبكريند].

وفي الحديث: «إن المؤمن يبكي عليه من الأرض مصلاه، موضع عبادته، ومن السماء مصعد عمله». وروي: إذا مات كافر استراح منه السماء والأرض والبلاد والعباد، فلا تبكي عليه أرض ولا سماء.

وفي الحديث: «تضرعوا وابكوا، فإن السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم يبكون من خشية الله. [در معالم آورده جون مؤمن بميرد جمله آسمان وزمين برويكر يند وكفته اندكه كريه آسمان وزمين همجون كريه آدميانست].

يعني: بكاؤهما كبكاء الإنسان والحيوان؛ فإنه ممكن قدرة كما في «الكواشي». وقد ثبت أن كل شيء يسبح الله تعالى على الحقيقة، كما هو عند محققي الصوفية، فمن الجائز أن يبكي ويضحك بما يناسب لعالمه.

قال وهب بن منبه رضي الله عنه: لما أراد الله أن يخلق آدم أوحى إلى الأرض؛ أي: أفهمها وألهمها إني جاعل منك خليفة، فمنهم من يطيعني، فأدخله الجنة، ومنهم: من يعصيني، فأدخله النار، فقالت الأرض: أمتي تخلق خلقاً يكون للنار، قال: نعم، فبكت الأرض، فانفجرت منها العيون إلى يوم القيامة، وعن أنس رضي الله عنه رفعه لما عرج بي إلى السماء بكت الأرض، من بعدي فنبت اللصف من نباتها، فلما أن رجعت قطر عرقي على الأرض، فنبت ورد أحمر ألا من أراد أن يشم رائحتي، فليشم الورد الأحمر، كما في «المقاصد الحسنة».

[وبعضى براندكه علامتى بريشان ظاهر شودكه دليل بود بر حزن وتأسف همجون كريه كه در أغلب دالست برغم واندوه].

قال عطاء والسدي: بكاء السماء حمرة أطرافها وعن زيد بن أبي زياد لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما احمر له آفاق السماء أشهراً، واحمرارها بكاؤها. وعن ابن سيرين رحمه الله: أخبرونا أن الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين رضي الله عنه؛ أي: أنها زادت زيادة ظاهرة، وإلا فإنها قد كانت قبل قتله:

اين سرخى شفق كه برين جرخ بيوفاست هرشام عكس خون شهيد ان كربلاست
كر جرخ خون ببارد ازين غصه در خورست ورخاك خون بكريد ازين ماجرا رواست

والشفق: الحمرة. وقال بعضهم: الشفق شفقان: الحمرة والبياض، فإذا غابت الحمرة حلّت الصلاة.

وفي الحديث: «إذا غاب القمر في الحمرة، فهو لليلة، وإذا غاب في البياض، فهو لليلتين». وكانت العرب يجعلون الخسوف والحمرة التي تحدث في السماء بكاء على الميت، ولما كسفت الشمس يوم موت ابنه عليه السلام إبراهيم، قال الناس: كسفت لموت إبراهيم، فخطبهم، فقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموها فادعوا الله وصلوا حتى تنجلي». وهذا لا ينافي ما سبق، فإن مراده عليه السلام رفع اعتقاد أهل الجاهلية، ولا شك أن كل حادث، فهو دال على أمر من الأمور، ولذا أمر بالدعاء والصلاة وسر الدعاء أن النفوس عند مشاهدة ما هو خارق العادة تكون معرضة عن الدنيا، ومتوجهة إلى الحضرة العليا، فيكون أقرب إلى الإجابة. هذا هو السر في استجابة الدعوات في الأماكن الشريفة، والمزارات.

قال بعضهم: لا تبكي السماوات والأرض على العصاة، وأهل الدعوى والأنانية، فكيف تبكي السماء على من يصعد إليها منه طاعة، وكيف تبكي الأرض على من عصى الله عليها، بل يبكيان على المطيعين خصوصاً على العارفين، إذا فارقوا الدنيا حين لا يصعد إلى السماء أنوار أنفاسهم، ولا يجري على الأرض بركات آثارهم.

وفي الحديث: «إن السماء والأرض تبكيان لموت العلماء». وفي الحديث: «ما مات مؤمن في غربة غابت عنه بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض». ثم قرأ الآية، وقال: إنهما لا تبكيان على كافر. وقال بعض المفسرين: معنى الآية: فما بكت عليهم أهل السماء والأرض، فأقام السماء والأرض مقام أهلهما، كما قال واسأل القرية. وينصره قوله عليه السلام: «إذا ولد مولود من أمتي تباشرت الملائكة بعضهم ببعض من الفرح، وإذا مات من أمتي صغير أو كبير

بكت عليه الملائكة». وكذا ورد في «الخبر»: «أن الملائكة يبكون إذا خرج شهر رمضان، وكذا يستبشرون إذا ذهب الشتاء رحمة للمساكين».

﴿وما كانوا﴾ لما جاء وقت هلاكهم. ﴿منظرين﴾ ممهلين إلى وقت آخر، أو إلى الآخرة، بل عجل لهم في الدنيا، أما الأول فلأن العمر الإنساني عبارة عن الأنفاس، فإذا نفدت لم يبق للتأخير مجال، وأما الثاني: فإنهم مستحقون لنكال الدنيا والآخرة، أما نكال الدنيا فلاشتغالهم بظواهرهم بأذية الداعي مستعجلين فيها، وأما نكال الآخرة فلمحاربتهم مع الله ببواطنهم بالتكذيب والإنكار والدنيا من عالم الظاهر، كما أن الآخرة من عالم الباطن فجوزوا في الظاهر والباطن بما يجري على ظواهرهم وبواطنهم. وهذا بخلاف حال عصاة المؤمنين، فإنهم إذا فعلوا ذنباً من الذنوب ينظرون إلى سبع ساعات ليتوبوا، فلا يكتب في صحائف أعمالهم، ولا يؤاخذون به عاجلاً؛ لأن الله يعفو عن كثير ويجعل بعض المصائب كفارة الذنوب، فلا يؤاخذ آجلاً أيضاً، فلهم الرحمة الواسعة والحمد لله تعالى. ولكن ينبغي للمؤمن أن يعتبر بأحوال الأمم فيطيع الله تعالى في جميع الأحوال، ويجتهد في إحياء الدين لا في إصلاح الطين، ونعم ما قال بعضهم:

خاك دردستش بودجون باد هنكام رحيل　　　هركه اوقات كرامى صرف آب وكل كند

ومن الله العون.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿ولقد نجينا بني إسرائيل﴾: التنجية: [نجات دادن وبرهانيدن]؛ أي: خلصنا أولاد يعقوب بإغراق القبط في اليم ﴿من العذاب المهين﴾: [از عذابى خوار كننده]. يعني: استعباد فرعون إياهم وقتل أبنائهم واستخدام نسائهم وبناتهم وتكليفه إياهم الأعمال الشاقة، فالهوان يكون من جهة مسلط مستخف به، وهو مذموم.

﴿من فرعون﴾ بدل من العذاب، إما على جعله نفس العذاب لإفراطه في التعذيب، وإما على حذف المضاف؛ أي: من عذاب فرعون، أو حال من المهين، بمعنى واقعاً من جهته واصلاً من جانبه. ﴿إنه كان عالياً﴾ متكبراً.

﴿من المسرفين﴾ خبر ثانٍ لكان؛ أي: من الذين أسرفوا على أنفسهم بالظلم والعدوان، وتجاوزوا الحد في الكفر والعصيان.

وقال الكاشفي: [از كافر انكه متجاوزاند از حدود ايمان]. ومن إسرافه أنه على حقارته وخسة شأنه ادعى الإلٰهية، فكان أكفر الكفار وأطغاهم، وهو أبلغ من أن يقال: مسرفاً لدلالته على أنه معدود في زمرتهم مشهور بأنه في جملتهم، وفيه ذم لفرعون، ولمن كان مثله في العلو والإسراف كنمرود وغيره. وبيان أن من أهان المؤمن أهلكه الله وأذله، ومن يهن الله فما له مكرم، وإن النجاة من أيدي الأعداء من نعم الله الجليلة على الأحباب، فإن من نكد الدنيا ومصائبها على الحر أن يكون مغلوباً للأعداء، وأن يرى عدواً له ما من صداقته بد وإن الله إذا أراد للمرء ترقياً في دينه ودنياه يقدم له البلايا ثم ينجيه:

تامرا كعبة مقصود ببالين آمد　　　سالها بستر خودخار مغيلان كردم

﴿ولقد اخترناهم﴾؛ أي: فضلنا بني إسرائيل ﴿على علم﴾ في محل النصب على الحال؛ أي: عالمين بأنهم أحقاء بالاختيار. وبالفارسية: [بردانشى بى غلط يعنى نه بغلط بركزيديم بلكه بعلم باك كزيديم وبدانش تمام دانستيم كه از همه آفريد كان سزاى كزيدن ايشانند ازان كزيديم اختيار ما بعلم وارادات ماست بى علت ونواخت ما بفضل وكرم بى سبب].

أو عالمين بأنهم يريغون في بعض الأوقات وتكثر منهم الفرطات، كما قال الواسطي رحمه الله: اخترناهم على علم منا بجناياتهم، وما يقترفون من أنواع المخالفات، فلم يؤثر ذلك في سوابق علمنا بهم ليعلموا أن الجنايات لا تؤثر في الرعايات، ومن هذا القبيل أولاد يعقوب عليه السلام؛ فإنهم مع ما فعلوا بيوسف من إلقائه في الجب ونحوه. اختارهم الله للنبوة على قول:

كرد عصيال رحمت حق رانمى آرد بشور   مشرب دريانكردد تيره ازسيلابها

ويجوز أن يكون المعنى لعلمهم وفضلهم على أن كلمة على للتعليل. ﴿على العالمين﴾ على عالمي زمانهم، يعني: [برجهانيان روزكار ايشان]. أو على العالمين جميعاً في زمانهم وبعدهم في كل عصر لكثرة الأنبياء فيهم، حيث بعث فيهم يوماً ألف نبي، ولم يكن هذا في غيرهم، ولا ينافيه قوله تعالى في حق أمة محمد عليه السلام: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، الآية لتغاير جهة الخيرية.

يقول الفقير: والحق إن هذه الأمة المرحومة خير من جميع الأمم من كل وجه، فإن خيرية الأمم إن كانت باعتبار معجزات أنبيائهم، فالله تعالى قد أعطى لنبينا عليه السلام جميع ما أعطاه للأولين، وإن كانت باعتبار كثرة الأنبياء في وقت واحد، فعلماؤنا الذين كأنبياء بني إسرائيل أكثر وأزيد. وذلك لأنه لا تخلو الدنيا كل يوم من أيام هذه الأمة إلى قيام الساعة من مائة ألف ولي وأربعة وعشرين ألف ولي، فانظر كم بينهم من الفرق هدانا الله وإياكم أجمعين.

قال في «المفردات»: الاختيار طلب ما هو خير فعله، وقوله تعالى: ﴿ولقد اخترناهم﴾، الآية. يصح أن يكون إشارة إلى إيجاده تعالى إياهم خيراً، وأن يكون إشارة إلى تقديمهم على غيرهم.

وفي «بحرالعلوم»: هذا الاختيار خاص بمن اختاره الله بالنبوة منهم، أو عام لهم، ولمن كانوا مع موسى اختارهم بما خصصهم به.

كما قال الكاشفي: ﴿ولقد اخترناهم﴾: [وبدرستى كه بركز يديم موسى ومؤمنان بني إسرائيل را]. فجعلنا فيهم الكتاب والنبوة والملك.

﴿وآتيناهم من الآيات﴾: [نشانهاى قدرت]. كفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغيرها من عظائم الآيات التي لم يعهد مثلها في غيرهم. ﴿ما فيه بلاء مبين﴾: نعمة جليلة أو اختيار ظاهر لينظر كيف يعملون.

وفي «كشف الأسرار»: ابتلاهم بالرخاء والبلاء، فطالبهم بالشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء: [آدمى كهى خستة بتير بلاست كهى غرقة لطف وعطا وحق تعالى تقاضاى شكر مى كند بوقت راحت ونعمت وتقاضاى صبر مى كند درحال بلا وشدت مصطفى عليه السلام قومى را ديداز انصار كفت شما مؤمنان آيد كفتند آرى كفت نشان ايمان جيست كفتند بر نعمت شكر كنيم ودرمحنث صبر كنيم وبقضاء الله راضى كفت أنتم مؤمنون ورب الكعبة].

قال ابن الشيخ: هو حقيقة في الاختيار، وقد يطلق على النعمة وعلى المحنة مجازاً من حيث إن كل واحد منهما يكون سبباً وطريقاً للاختيار. فإن قلت: إذا كانت الآيات المذكورة نعمة في أنفسها، فما معنى قوله: ما فيه بلاء؛ أي: نعمة.

قلت: كلمة «في» تجريدية فقد يكون نعمة في نعمة، كما يكون نعمة فوق نعمة ومحنة فوق محنة. [كفته انددو برادر توأمان بودند بيك شكم آمده بودند وبشت ايشان يكديكر جسيبده بود جون بزرك شدند دائم زبان بشكر الهى داشتند يكى از ايشان برسيد كه باوجود جنين بلاى كه شمارا واقعست جه جاى شكر كزار يست ايشان كفتند ماميدانيم كه حق تعالى را بلاها ازين صعبتر بسيارست برين بلاشكر ميكوييم مباداكه بيلايى ازين عظيمتر مبتلا شويم ناكاه يكى ازايشان بمردآن دكر كفت اينك بلاى صعبتر بيداشد اكنون اكراين مرده را از من قطع ميكنند من نيزمى ميرم واكر قطع نمى كنند مرا مرده كشى بايدكردنا وقتى كه بدن وى فرسوده شود وبريزد وكفته اند خلاصة درويشى آنست كه از همه كس باركشد وبرهيجكس بارننهد نه بحسب صورت ونه].

بحسب معنى فلا بد من الصبر على البلاء والتحمل على الشدة:

اكر زكوه فروغلطد آسيا سنكى نه عارفست كه ازراه سنك برخيزد

والله الموفق لما يحب ويرضى من الأعمال.

﴿إن هؤلاء﴾؛ أي: كفار قريش؛ لأن الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه للدلالة على تماثيلهم في الإصرار على الضلالة والتحذير عن حلول ما حل بهم من العذاب. **﴿ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى﴾**: لما أخبروا بأن عاقبة حياتهم ونهايتها أمران: الموت ثم البعث. أنكروا ذلك بحصر نهاية الأمر في الموتة الأولى؛ أي: ما العاقبة ونهاية الأمر إلا الموتة الأولى المزيلة للحياة الدنيوية، ولا بعث بعدها. وتوصيفها بالأولى لا يستدعي أن يثبت الخصم موتة ثانية، فيقصدوا بذلك إنكارها؛ لأن كون الشيء أولاً لا يستلزم وجود ما كان آخراً بالنسبة إليه، كما لو قال أول عبد أملكه حر، فملك عبداً عتق سواء كان مالكاً بعده عبداً آخر أو لا؟.

قال سعدي المفتي: وفيه بحث. فإن الأول مضايف الآخر أو الثاني، فيقضي المضايف الآخر بلا شبهة إذ المتضايفان متكافئان وجوداً، وعدماً ثم قال: ويجوز أن يقال مقصود المصنف الإشارة إلى أن المراد بالأولية: عدم المسبوقية بأخرى مثلها على المجاز.

وقال في «الكشاف»: لما قيل لهم إنكم تموتون موتة تعقبها حياة، كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا: ما هي إلا موتتنا الأولى؛ أي: ما الموتة التي تعقبها حياة إلا الموتة الأولى، فالحصر بهذا المعنى راجع إلى معنى أن يقال: ما هي إلا حياتنا الأولى، ولا تكلف في إطلاق الموت على ما كان قبل الحياة الدنيا، كما في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

وقال بعضهم: المعنى ليست الموتة إلا هذه الموتة دون الموتة التي تعقبها حياة القبر، كما تزعمون يكون بعدها البعث والنشور ولا يبعد أن يحمل على حذف المضاف على أن يكون التقدير: إن الحياة، إلا حياة موتتنا الأولى، فالأولى صفة للمضاف، والقرينة عليه قوله: **﴿وما نحن بمنشرين﴾**، فالآية مثل قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنعام: ٢٩]، كما في «حواشي سعدي المفتي».

﴿وما نحن بمنشرين﴾ بمبعوثين بعد الموت يعني: [زنده شد كان وبر انكيختكان بعد از مرك]. من أنشر الله الموتى إذا بعثهم. وغرضهم من هذا القول المبالغة في إنكار حشر الموتى ونشرهم من القبور.

﴿فَأْتُوا بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَـٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿فأتوا بآبائنا﴾: الخطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين. والمعنى بالفارسية: [بس بياريد بدران مارا ازكور وزنده كنيد]. ﴿إن كنتم صادقين﴾: فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى. يعني: إن كان البعث والنشور ممكناً معقولاً، فجعلوا لنا أحياء من مات من آبائنا ليظهر صدق وعدكم.

وقيل: كانوا يطلبون إليهم أن يدعوا الله فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه ويسألوا منه عن أحوال الموت، وكان كبيرهم ومفزعهم في المهمات والملمات.

قال الكاشفي: [اين سخن ازايشان جهل بودزيرا هركه جائز بود وقوع آن ازخداى تعالى بوقتى خاص لازم بود وجود وظهور آن نه بهر وقت كه ديكرى خواهد بس جون وعده بعث در آخرت اكر دردنيا واقع نشود كسى رابرو تحكم نرسد].

وقال في «كشف الأسرار»: وإنما لم يجبهم لأن البعث الموعود إنما هو في دار الجزاء يوم القيامة، والذي كانوا يطلبونه البعث في الدنيا في حالة التكليف وبينهما تغاير.

يقول الفقير: قد صح أن عيسى عليه السلام أحيا الموتى لا سيما سام بن نوح عليه السلام، وكان بينه وبين موته أكثر من أربعة آلاف سنة ونبينا عليه السلام كان أولى بالإحياء؛ لأنه أفضل لكنهم لما طلبوه بالاقتراح لم يأذن الله له فيه لكون غايته الاستئصال على تقدير الإصرار. وقد ثبت عند العلماء الأخيار أن نبينا عليه السلام أحيى أبويه وعمه أبا طالب، فآمنوا به كما سبق تفصيله في محله.

وفي الآية إشارة إلى أن من غلب عليه الحسن، ولم تكن له عين القلب مفتوحة ليطلع ببصره وبصيرته عالم الغيب، وهو الآخرة لا يؤمن إلا بما يريه بصر الحس، ولهذا أنكروا البعث والنشور إذا لم يكن يشاهده نظر حسهم، وقالوا: فائتوا بآبائنا؛ أي: أحيوهم حتى نراهم بنظر الحس ونستخبر منهم أحوالهم بعد الموت إن كنتم صادقين فيما تدعون من البعث.

حكي عن الشيخ أبي علي الروذبادي قدس سره: أنه ورد عليه جماعة من الفقراء، فاعتل واحد منهم وبقي في علته أياماً، فملَّ أصحابه من خدمته وشكوا ذلك إلى الشيخ أبي علي ذات يوم، فخالف الشيخ على نفسه وحلف أن يتولى خدمته بنفسه أياماً، ثم مات الفقير، فغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه، فلما أراد أن يفتح رأس كفنه عند أصحابه في القبر رآه وعيناه مفتوحتان إليه. وقال له: يا أبا علي لأنصرنَّك بجاهي يوم القيامة، كما نصرتني في مخالفتك نفسك.

وقال أبو يعقوب السوسي قدس سره: جاءني مريد بمكة. وقال: يا أستاذ أنا غداً أموت وقت الظهر فخذ هذا الدينار، فأحضر لي بنصفه حنوطاً وكفني بنصفه، فلما كان الغد وقت الظهر جاء، فطاف ثم تباعد ومات فغسلته وكفنته ووضعته في اللحد، ففتح عينيه فقلت له: أحياة بعد الموت، فقال: أنا حي، فكل محب لله حيّ.

يقول الفقير: ففي هاتين الحكايتين إشارات:

الأولى: أن للفقراء الصابرين جاهاً عند الله يوم القيامة، فكل من أطعمهم أو كساهم، أو فعل بهم ما يسرهم، فهم له شفعاء عند الله مشفعون فيدخلونه الجنة بإذن الله.

والثانية: أن حياة الأنبياء والأولياء حياة دائمة في الحقيقة، ولا يقطعها الموت الصوري، فإنه إنما يطرأ على الأجساد بمفارقة الأرواح مع أن أجسادهم لا تأكلها الأرض، فهم بمنزلة الأحياء من حيث الأجساد أيضاً.

والثالثة: أن الإحياء أسهل شيء بالنسبة إلى الله تعالى، فمن تأمل في تعلق الروح بالبدن أولاً لم يتوقف في تعلقه به ثانياً وثالثاً والرابعة أثر الحياة مرئي ومشهود في الميت بالنسبة إلى أرباب البصائر، فإنهم ربما رأوا في بعض الأموات أثر الحياة وتكلموا معه، فمن حرم من البصيرة وقصر نظره على الحس وقع في الإنكار وعلى تقدير رؤيته حمله على أمر آخر من السحر والتخييل، ونحو ذلك كما وقع لبعض الكفار في زمان عيسى عليه السلام وغيره ونعم ما قيل:

در جشم اين سياه دلان صبح كاذبست   در روشنى اكريد بيضا شود كسى

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أهل الحياة الحقانية والنشأة العرفانية.

﴿أهم خير﴾: رد لقولهم وتهديد لهم؛ أي: كفار قريش خير في القوة والشوكة اللتين يدفع بهما أسباب الهلاك لا في الدين حتى يردانه لا خيرية في واحد من الفريقين. ﴿أم قوم تبع﴾ المراد بتبع هنا واحد من ملوك اليمن معروف عند قريش وخصه بالذكر لقرب الدار، وسيأتي بقية الكلام فيه.

﴿والذين من قبلهم﴾؛ أي: قيل قوم تبع عطف على قوم تبع. والمراد بهم: عاد وثمود وأضرابهم من كل جبار عنيد أولي بأس شديد. والاستفهام لتقرير أن أولئك أقوى من هؤلاء. ﴿أهلكناهم﴾: [نيست كرديم ايشانرا]. استئناف لبيان عاقبة أمرهم؛ أي: قوم تبع والذين من قبلهم. ﴿إنهم كانوا مجرمين﴾ كاملين في الإجرام والآثام مستحقين للهلاك، وهو تعليل لإهلاكهم ليعلم أن أولئك حيث أهلكوا بسبب إجرامهم مع ما كانوا في غاية القوة والشدة، فلأن يهلك هؤلاء وهم شركاء لهم في الإجرام وأضعف منهم في الشدة والقوة أولى.

بعض كبار: [فرمود كه تعالى رانسبت بأولياى خود قهرى ظاهر است ولطفى دران مخفى لطف مخفى آنست كه ميخواهد كه بآن قهر ظاهر حقيقت انسانرا از قيود لوازم بشرى باك ومطهر كرداند وباز حق تعالى رانسبت باعداى خود لطفى ظاهر است وقهرى دران مخفى قهر مخفى آنست كه ميخواهد كه بآن لطف ظاهر علاقة باطن ايشانرا بعالم اجسام استحكام دهدتا واسطة كرفتارى بقيود اين عالم از شهود عالم اطلاق ولذات روحانى ومعنوى محروم بمانند وجون قهر ومكردر زير لطف ظاهرى بوشيده است عاقل ببايدكه برحذر باشد وبمال وجاه مغرور نباشد تاكه از هلاك صورى ومعنوى خلاص يابد].

قال الحافظ:

كمين كهست وتوخوش تيز ميروى هش دار   مكن كه كرد برآيد زشهرة عدمت

اعلم أولاً أن تبعاً كسكر واحد التبابعة، ملوك اليمن، ولا يسمى به إلا إذا كانت له حمير وحضرموت وحمير كدرهم موضع غربي صنعاء اليمن. والحميرية: لغة من اللغات الاثنتي

عشرة وواحد من الأقلام الاثني عشر، وهو في الأصل أبو قبيلة من اليمن، وهو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وحضرموت، وهو بضم الميم بلد وقبيلة. كما في «القاموس». وتبع في الجاهلية بمنزلة الخليفة في الإسلام، كما في «كشف الأسرار»: [تبع بادشاهى بود ازبادشاهان از قبيلة قحطان جنانكه دار إسلام ملوك را خليفة كويند ودر روم قيصر ودر فرس كسرى ايشانرا تبع كويند].

فهم الأعاظم من ملوك العرب، والقيل بالفتح والتخفيف: ملك من ملوك حمير دون الملك الأعظم، وأصله: قيل بالتشديد كفيعل، فخفف كميت وميت. قال في «المفردات»: القيل: الملك من ملوك حمير سموه بذلك لكونه معتمداً على قوله، ومقتدى به، ولكونه متقيلاً لأبيه يقال: تقيل فلان أباه إذا تبعه. وعلى هذا النحو سموا الملك بعد الملك تبعاً، فتبع كانوا رؤساء سموا بذلك لاتباع بعضهم بعضاً في الرياسة والسياسة. وفي «إنسان العيون» تبع بلغة اليمن الملك المتبوع. وأصل القيل: من الواو لقولهم في جمعه أقوال نحو ميت وأموات. وإذا قيل: أقيال فذلك نحو أعياد في جمع عيد أصله عود.

وقال بعضهم: قيل الملوك اليمن التبابعة؛ لأنهم يتبعون؛ أي: يتبعهم أهل الدنيا، كما يقال لهم: الأقيال؛ لأنهم يتقيلون والتقيل بالفارسية: [اقتدا كردن]، أو لأن لهم قولاً نافذاً بين الناس.

يقول الفقير: والظاهر أن تبع الأول سمي به لكثرة قومه وتبعه، ثم صار لقباً لمن بعده من الملوك سواء كانت لهم تلك الكثرة والأتباع أم لا، فمن التبابعة الحارث الرائش، وهو ابن همال ذي سدد، وهو أول من غزا من ملوك حمير، وأصاب الغنائم وأدخلها فراش الناس بالأموال والسبي والريش بالكسر الخصب، والمعاش. فلذلك سمي الرائش وبينه وبين حمير خمس عشر أباً ودام ملك الحارث الرائش مائة وخمساً وعشرين سنة، وله شعر يذكر فيه من يملك بعده ويبشر بنبينا صلى الله عليه وسلم فمنه:

ويملك بعدهم رجل عظيم ... نبي لا يرخص في الحرام
يسمى أحمداً يا ليت أني ... أعمر بعد مخرجه بعام

ومنهم أبرهة ذو المنار، وهو ابن الحارث المذكور وسمي ذا المنار؛ لأنه أول من ضرب المنار على طريقه في مغازيه ليهتدي إذا رجع وكان ملكه مائة وثلاثاً وثمانين سنة. ومنهم: عمرو ذو الأذعار، وهو ابن أبرهة لم يملك بعد أبيه، وإنما ملك بعد أخيه إفريقس، وسمي ذا الأذعار؛ لأنه قتل مقتلة عظيمة حتى ذعر الناس منه، وكان ملكه خمساً وعشرين سنة.

ومنهم: شمر بن مالك الذي تنسب اليه سمرقند. وحكي القتيبي أنه شمر بن إفريقس بن أبرهة بن الرائش وسمي بمرعش لارتعاش كان به، ونسبت إليه سمرقند؛ لأنها كانت مدينة للصغد، فهدمها، فنسبت إليه. وقيل: شمركند أي: شمر خربها لأن كند بلسانهم حزب ثم عرب فقيل: سمرقند وقال ابن خلكان في «تاريخه»: إن سمر اسم لجارية إسكندر مرضت فوصف لها الأطباء أرضاً ذات هواء طيب، وأشاروا له بظاهر صفتها، وأسكنها إياها، فلما طابت بنى لها مدينة وكند بالتركي هو المدينة، فكأنه يقول: بلد سمر. انتهى.

ويؤيده تسميتهم القرية الجديدة في تركستان بقولهم: [يكى كنت]. فإن التاء والدال متقاربان. وبه يعرف بطلان قول من قال: إن تبعاً الحميري بناها إلا أن يحمل على بناء ثان وفيه بعد.

وقال ابن السباهي في «أوضح المسالك»: سمرقند بالتركية شمركند؛ أي: بلد الشمس. ومنهم إفريقس بن أبرهة الذي ساق البربر إلى أفريقية من أرض كنعان. وبه سميت إفريقية، وكان قد غزا حتى انتهى إلى أرض طنجة، وملك مائة ونيفاً وستين.

ومنهم تبع بن الأقرن ويقال فيه: تبع الأكبر.

ومنهم: أبو كرب أسعد بن كليكر بن تبع بن الأقرن. واختلفوا في المراد من الآية، فقال بعضهم: هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش وبنى الحيرة ـ بالكسر ـ مدينة بالكوفة.

قال في «كشف الأسرار»: [معروف ازايشان سه بودنديكى مهينة اول بوده يكى ميازيكى كهينة اخربود واوكه نام اودر قرآن است تبع آخر بودنام وى اسعد الحميرى مردى مؤمن صالح بوده وبعيسى عليه السلام ايمان آورده وجون حديث ونعت وصفت رسول ما عليه السلام شنيد ازاهل كتاب بر سالت وى ايمان آورد وكفت]:

شهدت على أحمد أنه ... رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري إلى عمره ... لكنت وزيراً له وابن عم

وفي أوائل السيوطي: أول من كسا الكعبة أسعد الحميري، وهو تبع الأكبر، وذلك قبل الإسلام بتسعمائة سنة كساها الثياب الحبرة، وهي مثل عنبة ضرب من برود اليمن.

وفي رواية كساها الوصائل، وهي برود حمر فيها خطوط خضر تعمل باليمن وعن بعضهم أول من كسا الكعبة كسوة كاملة تبع كساها العصب، وهي ضرب من البرود وجعل لها باباً يغلق. وقال في ذلك:

وكسونا البيت الذي حرم الله ... ملاء معصباً وبرودا
وأقمنا به من الشهر عشرا ... وجعلنا لبابه إقليدا
وخرجنا منه نؤم سهيلا ... قد رفعنا لواءنا معقودا

وكان تبع مؤمناً بالاتفاق، وقومه كافرين، ولذلك ذمهم الله دونه واختلف في نبوته. وقال بعضهم: كان تبع يعبد النار، فأسلم ودعا قومه إلى الإسلام وهم: حمير وكذبوه، وكان قومه كهاناً وأهل كتاب، فأمر الفريقين أن يقرب كل منهما قرباناً، ففعلوا فتقبل قربان أهل الكتاب، فأسلم وذكر ابن إسحاق في كتاب «المبدأ» و«قصص الأنبياء عليهم السلام»: أن تبع بن حسان الحميري، وهو تبع الأول؛ أي: الذي ملك الأرض كلها شرقها وغربها. ويقال: له الرائش؛ لأنه راش الناس بما أوسعهم من العطاء، وقسم فيهم من الغنائم، وكان أول من غنم. ولما عمد البيت يريد تخريبه رمي بداء تمخض منه رأسه قيحاً وصديداً وأنتن حتى لا يستطيع أحد أن يدنو منه قدر رمح.

[يعنى جون تبع بمكه رسيد واهل مكه اورا طاعت نداشتد وخدمت نكردند تبع كفت وزير خودراكه اين جه شهراست وجه قوم اندكه درخدمت وطاعت ما تقصير كردند بعد ازانكه جهانيان سربر خط طاعت مانهاه اند وزير كفت ايشانرا خانة هست كه آنرا كعبه كويند مكر بآن خانة معجب شده اند تبع دردل خويش نيت كردكه آن خانه را خراب كند ومردان شهر رابكشد وزنان را اسير كند هنور هنوز اين انديشه تمام نكرده بودكه رب العزة بدرد سرمبتلا كرد جنانكه اورا بطاقت نماندوآب كندبده از جشم وكوش وبينى وى كشاده كشت كه هيج كس رابنزديك وى قرار نبود واطبا همه از معالجه وى عاجز كشتند كفتند اين بيمارى از جهار طبع بيرون

افتاده كار اسمانيست وما معالجة آن راه ثمى بريم بس دانشمندى فراييش آمد وكفت أيها الملك اكر سرخود بامن بكويى من اين دردرا درمان سازم ملك كفت من دركار اين شهر وابن خانة ك.عبه جنين انديشه كرده ام دانشمند كفت زينهار اي ملك اين انديشه مكن وازين نيت باز كردكه اين خانه را خداوندى است قادر كه آنرا بحفظ خويش ميداردو هركه قصد ابن حانة كند دمار ازوى بر آرد تبع ازان انديشه توبه كرد وتعظيم خانة واهل كعبه ايمان آورد ودردين ابراهيم عليه السلام شد بس كعبه را جامه بوشانيد وقوم خودرا فرمودتا آنرا بزرك دارند وبا اهل وى نيكويى كنند بس از مكه بزمين يثرب شد آنجاكه مدينة مصطفاست صلى الله عليه وسلم ودران وقت شهر وبنانبود جشمة آب بود تبع لشكر بسرآن جشمه فرو آورد ودا نشمندانكه باوى بودند قريب دو هزار مرد عالم در كتاب خوانده بودند كه آن زمين يثرب مهاجر رسول آخر الزمانست ومهبط وحي قرآن جهار صد مرداز ايشانكه عالمتر وفاضلتر بودند بايكديكر بيعت كردندكه ازان بقعة مفارقت نكند وبراميد ديدار رسول آنجا مقام كنند اكر اورا خود دريابند والافر زندان ونسل ايشان ناجار اورادريا بند وبركات ديدار او باعقاب وارواح ايشان برسداين قصة باتبع كفتند وتبع راهمين رغبت افتاده يكسال آنجا مقام كرد وبفرمود تاجهار صد قصر بنا كردند انجايكه هر عالمى راقصرى وهريكى راكنيزكى بخريد وآزاد كرد وبزنى بوى داد با جهاز تمام وايشانرا وصيت كرد كه شما انيجا باشيد تابيغمبر آخر زمان رادر بابيد وخود نامة نبشت ومهر زرين يران نهاد وعالمى راسبر دو كفت اكر محمد رادريابى اين نامة بدورسان واكرنيابى بفرز ندان وصيت كن تابدو رسانند ومضمون آن نامه اين بودكه اي بيغمبر آخر الزمان اى كزيده خداوند جهان اى بروز شمار شفيع بندكان من كه تبعم بنو ايمان آوردم بآن حدا وندكه توبنده وبيغمبر اويى كواه ياش كه برملت توأم وبر ملت بدرتو ابراهيم خليل عليه السلام اكرترابينم واكرنه بينم تامرا فراموش نكنى وروز قيامت مراشفيع باشى آنكه نامه را مهر برنها دوبرال مهر نوشته بود].

لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وعنوان [نامه نوشته] إلى محمد بن عبد الله خاتم النبيين ورسول رب العالمين ﷺ من تبع أمانة الله في يد من وقع إلى أن يوصل إلى صاحبه.

كفته اند مردمان مدينة ايشان كه انصار رسول خدا اند ازنثراد آن جهار صد مرد عالم بودند وأبو أيوب الأنصاري كه رسول خدا بخانة اوفرو آمد از فرزندان آن عالم بودكه تبع را نصيحت كرده بود تا ازان علت شفايافت وخانة أبو أيوب الأنصاري كه رسول خدا آنجا فروآمد از جمله بناها بودكه تبع كرده بود جون رسول خدا هجرت كرد بمدينه نامه تبع بوى رسانيدند رسول خدا نامه بعلى داد تابرخواند رسول سخنان تبع بشنيد واورا دعا كرد وآنكس كه نامه رسانيد نام او أبو ليلى بوداورا بنواخت واكرمى كردو بروايتى تبع مردمى آتش برست بود بر مذهب مجوس از نواحى مشرق درآمد بالشكر عظيم ومدينه مصطفى عليه السلام بكذشت وبسرى ازان خويش آنجارها كرد اهل مدينة آن بسررا بفريب وحيله بكشتند تبع بازكشت بر عزم آنكه مدينة خراب كند وأهل آنرا استئصال كند جماعتى كه انصار رسول الله از نزاد ايشانند همه مجتمع شد وبفتال وى بيرون آمدند بروز باوى جنك ميكردند وبشب اورا مهمان دارى ميكردند تبع را سيرت ايشان عجب آمد كفت أن هؤلاء كرام اينان قومى اندكر يمان وجوانمردان بس دوحبر از احبار بني قريظه نام ايشان كعبه واسد هردو ابن عم يكديكر بودند

برخوا ستند وبيش تبع شدند واورا نصيحت كردند كفتند اين مدينه هجرت كاه بيغمبر آخر زمانست وما در كتاب خداى نعت وى خوانده ايم وبراميد ديداروى انيجانشته ايم ودانيم كه ترا اهل اين شهر دستى نباشد ونصرتى نبود خويشتن را در معرض بلا وعقوبت مكن نصيحت تابشنو ونيت خود بكردان بس آن وعظ بر تبع اثرى عظيم كرد وازايشان عذر خواست ايشان جو أثر قبول دروى ديدند أورا بردين خويش دعوت كردند تبع قبول كرد وبدين ايشان بازكشت وايشانرا اكرام كرد وازمدينه بسوى يمن باز كشت وآن دو حبرو نفرى ديكر از يهود بني قريظة باوى رفتند جمعى از بني هذيل بيش تبع آمدند كفتند أيها الملك أنا أدلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبر جد اكر خواهى بردارى بردست توآسان بود كفت آن كدام خانه است كفتند خانة ايست درمكه ومقصود هذيل هلاك تبع بودكه از نقمت وى مى ترسيدند دانستند كه هر كه قصد خانه كعبه كند هلاك شود تبع با احبار يهود مشورت كرد وآن سخن كه هذيل كفته بودند بايشان كفت احبار كفتند زينهار كه انديشه بدنكنى دركار آن خانه كه درروى زمين خانه ازان عظيم ترنيست آنرا بيت الله كوبند آن قوم ترا اين دلالت كردن جز هلاك تونخوا ستند جون آنجا رسى تعظيم كن تاترا سعادت ابد حاصل شود تبع جون اين سخن بشنيد آن جمع هذيل بكرفت وسياست كرد جون بكعبه رسيد طواف كرد وكعبه درنبود آنرا دربرنهاد وقفل برزدو آنرا جامه بوشيد وشش روز آنجا مقيم شد هرروز درمنحر هزار شتر قربان كرد وازمكه سوى يمن شد قوم وى حمير بودند كاهنان وبت برستان تبع ايشانرا بر دين خويش وبر حكم نورات دعوت كرد ايشان نبذير فتندتا آنكه حكم خويش بر آتش بردند وآن آتشى بودكه فراديد آمدى در دامن كوه وهر كرا خصمى بودى وحكمى كه دران مختلف بودى هر دو خصم بنزديك آتش آمد ندى آنكس كه بر حق بودى اورا از آتش كزند نرسيدى واوكه نه بر حق بودى بسوختى جماعتى از حمير بتان خودرا برد اشتند وبدا من آن كوه آمدند وهمجنين اين دو حبر كه باتبع بودند دفتر تورات بر داشته وبدامن آن كوه آمدند ودرراه آتش نشستند آتش از مخرج خود برآمد وآن قوم حمير را وآن بتانرا همه نيست كرد وبسوخت وآن دو حبر كه تورات داشتند وميخواند نداز آتش ايشانرا هيج رنج وكزند نرسيد مكر از بستانى ايشان عرقى روان كشت وآتش از ايشان در كذشت وبمخرج خويش بازشد آنكه باقى حمير كه بودند همه بدين اخبار باز كشتند].

فمن هناك أصل اليهودية باليمن. كذا في «كشف الأسرار»، وقيل: حفر بئر بناحية حمير في الإسلام، فوجد فيه امرأتان صحيحتان وعند رؤوسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب حبا وتليس أو حبا وتماضرا، وهذا قبر تماضر وقبر حبابنتى تبع على اختلاف الروايات. وهما تشهدان أن لا إلٰه إلا الله ولا تشركان به شيئاً، وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما. [از همه در صفات وذات خدا]. ليس شيء كمثله أبداً:

[كرخدا بودى ازيكى افزون كى بماندى جهان بدين قانون. داند آنكس زعقل باشد بهر. كه دوشه راجوجا شود در شهر. سلك جميعت از نظام افتد. رخنه دركار خاص وعام افتد].
جل من لا إلٰه إلا هو. حسبنا الله لا إلٰه إلا هو.

﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما﴾؛ أي: ما بين الجنسين وقرىء ما بينهن نظراً إلى مجموع السماوات والأرض. ﴿لاعبين﴾ من غير أن يكون في خلقهما غرض صحيح وغاية حميدة. يقال: لعب فلان إذا كان فعله غير قاصد به مقصداً صحيحاً.

وفي «التعريفات»: اللعب فعل الصبيان يعقبه التعب من غير فائدة.

﴿مَا خَلَقْنَاهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿ما خلقناهما﴾، وما بينهما ملتبساً بشيء من الأشياء **﴿إلا﴾** ملتبساً **﴿بالحق﴾**، فهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو ما خلقناهما بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق الذي هو الإيمان والطاعة والبعث، والجزاء فهو استثناء من أعم الأسباب. **﴿ولكن أكثرهم﴾**؛ أي: كفار مكة بسبب الغفلة وعدم الفكرة. **﴿لا يعلمون﴾** أن الأمر كذلك فينكرون البعث والجزاء، والآية دليل على ثبوت الحشر، فإنه لو لم يحصل البعث والجزاء لكان هذا الخلق عبثاً؛ لأنه تعالى خلقهم وما ينتظم به أسباب معايشهم، ثم كلفهم بالإيمان والطاعة ليتميز المطيع من العاصي، بأن يكون الأول متعلق فضله وإحسانه. والثاني: متعلق عدله وعقابه. وذلك لا يكون في الدنيا لقصر زمانها، وعدم الاعتداد بمنافعها لكونها مشوبة بأنواع المضار والمحن، فلا بد من البعث والجزاء لتوفى كل نفس ما عملت، فالجزاء هو الذي سبقت إليه الحكمة في خلق العالم من رأسها إذ لو لم يكن الجزاء، كما يقول الكافرون لاستوت عند الله أحوال المؤمن والكافر، وهو محال.

اعلم أن التجليات الوجودية إنما هي للتجليات الشهودية فكل من السماوات والأرض الصورية، وما بينهما من الموجودات مظاهر صفات الحق، فهي كالأصداف والصفات كالدرر. والمقصود بالذات إنما هو الدرر لا الأصداف، كما أن المقصود من المرآة إنما هو الصورة المرئية فيها، فكان كل موجود كاللباس على سر من الأسرار الإلهية، وكذا كل وضع من أوضاع الشريعة رمز إلى حقيقة من الحقائق، فلا بد من إقامته لتحصيل حقيقته.

وهذا بالنسبة إلى الآفاق، وأما بالنسبة إلى الأنفس فالأرواح كالسماوات والأشباح كالأرض والقلوب والأسرار والنفوس، كما بينهما وكلها مظاهر حق لا سيما القلوب أصداف درر المعارف الإلهية التي لم يخلق الإنس والجن إلا لتحصيلها، ولكن مرآة قلب أكثرهم مكدرة بصدأ صفات البشرية، وهم لا يعلمون أنهم مرآة لظهور صفات الحق، ولهذا قال ﷺ: «من عرف نفسه» يعني بالمرآتية عند صفائها «فقد عرف ربه»؛ أي: بتجلي صفاته فيها فقد عرفت أنه ما في الوجود إلا الحق، وأما الباطل فإضافي لا يقدح في ذلك. ألا ترى إلى الشيطان، فإنه باطل من حيث وجوده الظلي، ومن حيث دعوة الخلق إلى الباطل والضلال، لكنه حق في نفسه؛ لأنه موجود، وكل موجود، فهو من التجليات الإلهية.

حكي: أن رجلاً رأى خنفساء، فقال: ماذا يريد الله من خلق هذه أحسن شكلها أم طيب ريحها فابتلاه الله بقرحة عجز عنها الأطباء حتى ترك علاجها، فسمع يوماً صوت طبيب من الطرقيين ينادي في الدرب، فقال: هاتوه حتى ينظر في أمري، فقالوا: ما تصنع بطرقي، وقد عجز عنك حذاق الأطباء، فقال: لا بد لي منه، فلما أحضروه، ورأى القرحة استدعى بخنفساء، فضحك الحاضرون، فتذكر العليل القول الذي سبق منه، فقال: احضروا ما طلب، فإن الرجل على بصيرة، فأحرقها ووضع رمادها على قرحته فبرئت بإذن الله تعالى.

فقال للحاضرين: إن الله تعالى أراد أن يعرفني أن أخس المخلوقات أعز الأدوية. [يكى از خواجكان نقشبنديه ميفرمودكه شبى در زمان جوانى بداعيه فسادى از خانه بيرون آمدم ودرده

ما عسى بغايت شرير وبد نفس كه بشرارت نفس أو كسى نمى دانستم وهمه اهل ده ازومى ترسيد نددر آن دل شب ديدم جاى دركمين استاده جون اورا بديدم از وبغايت ترسيدم وترك فساد كردم وازان محل دانستم كه بدنيز درين كارخانه دركار بوده است. جون بعض ظهورات حق آمد باطل. بس منكر باطل نشود جز جاهل. در كل وجوهر كه جز حق بيند، باشدز حقيقة الحقايق غافل].

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿إن يوم الفصل﴾؛ أي: يوم القيامة الذي يفصل فيه الحق عن الباطل ويميز المحق من المبطل ويقضي بين الخلائق بين الأب والابن والزوج والزوجة، ونحو ذلك.

قال بعضهم: يوم الفصل يوم يفصل فيه بين كل عامل وعمله، ويطلب بإخلاص ذلك وبصحته، فمن صح له مقامه وأعماله قبل منه وجزي عليه، ومن لم تصح له أعماله كانت أعماله عليه حسرة. وفي المثنوي:

اى دريغا بود مارا بيروباد تا ابد يا حسرة شد للعباد
بركذشته حسرت آوردن خطاست بازنايد رفته يادآن هباست

﴿ميقاتهم﴾؛ أي: وقت موعد الخلائق ﴿أجمعين﴾ يعني: [هنكام جمع شدن همه اولين وآخرين].

فيوم الفصل اسم إن وميقاتهم خبرها وأجمعين تأكيد للضمير المجرور في ميقاتهم، والميقات اسم للوقت المضروب للفعل، فيوم القيامة وقت لما وعدوا به من الاجتماع للحساب والجزاء.

قال في «بحر العلوم»: ميقاتهم؛ أي: حدهم الذي يوقتون به ولا ينتهون إليه، ومنه مواقيت الإحرام على الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرماً. فإن الميقات ما وقت به الشيء؛ أي: حد.

قال ابن الشيخ: الفرق بين الوقت والميقات أن الميقات وقت يقدر؛ لأن يقع فيه عمل من الأعمال وأن الوقت ما يقع فيه شيء سواء قدره مقدر؛ لأن يقع فيه ذلك الشيء أم لا؟

﴿يوم لا يغني﴾ بدل من يوم الفصل ﴿مولى﴾ ولي من قرابة وغيرها. وبالفارسية: [دوستى وخويشاوندى]. ﴿عن مولى﴾؛ أي مولى كان. وبالفارسية: [ازدوست وخويش خود]. ﴿شيئاً﴾؛ أي: شيئاً من الإغناء والإجزاء على أن شيئاً واقع موقع المصدر وتنكيره للتقليل. ويجوز أن يكون منصوباً على المفعول به على أن يكون لا يغني بمعنى لا يدفع بعضهم عن بعض شيئاً من عذاب الله ولا يبعده. فإن الإغناء بمعنى الدفع وإبعاد المكروه.

وبالفارسية: [جيزى را از عذاب مايا سود نرسد كس كسى راهيج جيز]. وتنكير مولى في الموضعين للإبهام، فإن المولى مشترك بين معان كثيرة يطلق على المالك والعبد والمعتق والصاحب والقريب كابن العم ونحوه. والجار والحليف والابن والعم والنزيل والشريك، وابن الأخت والولي والرب والناصر والمنعم والمنعم عليه، والمحب والتابع والصهر. كما في «القاموس»: وكل من ولي أمر واحد فهو وليه ومولاه، فواحد من هؤلاء؛ أي واحد كان لا

يغني عن مولاه؛ أي مولى كان شيئاً من الإغناء؛ أي: إغناء قليلاً، وإذا لم ينفع بعض الموالي بعضاً ولم يغن عنه شيئاً من العذاب بشفاعته كان عدم حصول ذلك ممن سواهم أولى. وهذا في حق الكفار يقال: أغنى عنه كذا إذا كفاه. والإغناء بالفارسية: [بى نياز كردانيدن وواداشتن كسى را از كسى].

﴿**ولا هم ينصرون**﴾: الضمير لمولى الأول باعتبار المعنى: لأنه عام لوقوعه نكرة في سياق النفي، فكأنه جمع؛ أي: لا يمنعون مما نزل بهم من العذاب ولا يملكون أن يشفع لهم غيرهم.

﴿**إلا من رحم الله**﴾ بالعفو عنه وقبول الشفاعة في حقه، وهم المؤمنون ومحله الرفع على البدل من الواو كما هو المختار، أو النصب على الاستثناء. ﴿**إنه هو العزيز**﴾ الذي لا ينصر من أراد تعذيبه كالكفار. ﴿**الرحيم**﴾: لمن أراد أن يرحمه كالمؤمنين.

قال سهل: من رحم الله عليه في السوابق، فأدركته في العاقبة بركة تلك الرحمة حيث جعل المؤمنين بعضهم في بعض شفيعاً.

وفي الآية إشارة إلى أن يوم القيامة يفصل بين أرباب الصفاء، وأصحاب الصدأ ولا يغني مولى عن مولى ولا ناصر عن ناصر، ولا حميم عن حميم، ولا نسيب عن نسيب، ولا شيخ عن مريد شيئاً من الصفاء إذ لم يحصلوا ها هنا في دار العمل، ولا ينصرون في تحصيل الصفاء، ودفع الصدأ إلا من رحم الله عليه بتوفيق تصفية القلب في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [الشعراء: ٨٩]﴾، إنه هو العزيز يعز من يشاء بصفاء القلب الرحيم، يرحم من يشاء بالتجلي لمرآة قلبه.

حكي: أنه كان أخوان فمات أحدهما فرآه الآخر في المنام، وسأله عن حاله، فقال: يا أخي من كان في الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى، فكان هذا سبب توبته وإنابته حتى كان من الصلحاء الكاملين.

واعلم أن المقصود من العلم والعمل تزكية النفس، فإذا حصلت هذه التزكية كان ثواب العمل الصالح كاللباس الفاخر على البدن الحسن الناضر، وإذا لم تحصل كان كالزينة على الجسم القبيح، فمن حسن ذاته في الدنيا بإزالة قبح نفسه جاء في القيامة حسناً بالحسن الذاتي والعارضي، وإلا فبالحسن العارضي فقط، وهو ثواب العمل، فاعرف هذا، فلا بد من الاجتهاد والوقت باقٍ.

[رسول الله ﷺ ابا هريره را رضي الله عنه فرمودكه بر طريق آنهاباش كه جون مردم بترسند ايشانرا هيج ترسى نباشد وجون مردم از آتش امان خواهند ايشان خود آمن باشند ابو هريرة كفت يا رسول الله آنها كدام اند صفت وحليت ايشان بامن بيان فرماى تا ايشانرا بشناسم فرمودكه قومى از امت من در آخر الزمان ايشانرا روز قيامت در محشر انبياء حشر كنند جون مردم بديشان نظر كنند ايشانرا بيغمبران بندارند از غايت علو مرتبت ومنزلت ايشان ناكاه من ايشانرا بشناسم وكويم امت من امت من وخلايق بدانندكه ايشان بيغمبران نيستند بس مانند برق وباد بكذرند وجشمهاى مردم از انوار ايشان خيره شود ابو هريره كفت يا رسول الله مرا بعمل ايشان فرماى باشدكه بديشان ملحق شوم كفت ﷺ اى ابا هريره اين قوم طريق دشوار اختيار كردند تابدرجه انبيا رسيدند حق تعالى ايشانرا بطعام وشراب سير كردانيد وايشان كرسنكى

وتشنكى اختيار كردند ولباس براى بوشيدن داد ايشان برهنكى كزبدند همه باميد رحمت ترك حلال كردند از خوف حساب بابدن خود دردنيا بودند ولكن بوى مشغول انكشتند ملائكة از اطاعت ايشان تعجب نمودند فطوبى لهم فطوبى لهم دوست ميدارم كه حق تعالى ميان من وايشان جمع كند ازان رسول الله عليه السلام كريه كرد در شوق ايشان وفرمودكه جون حق تعالى خواهد كه باهل زمين عقوبتى فرستد بديشان نظر كند عذاب را از اهل زمين بازكرداند اى ابا هريره برتوبادكه طريقه ايشانرا رعايت كنى هركه طريقة انشانرا مخالفت كند درشدت حساب زحمت بيند. روشن دلى كه لذت تجريد بافتست. بيرون رود زخويش جو بيداشود كسى. مى بايدش بخون جكر خورد غولها. تا ازغبار جشم مصفا شود كسى].

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿إن شجرة الزقوم﴾: [بدرستى كه درخت زقوم يعني ميوة آن]. قال في «القاموس»: هي شجرة بجهنم وطعام أهل النار، وفي «عين المعاني»، شجرة في أسفل النار مرتفعة إلى أعلاها وما من دركة إلا وفيها غصن منها. انتهى.

فتكون هي في الأسفل نظير طوبى في الأعلى. وفي «كشف الأسرار»: شجرة الزقوم على صورة شجر الدنيا لكنها من النار والزقوم ثمرها، وهو ما أكل بكره شديد، وقيل: طعام ثقيل، فهو زقوم.

وفي «المفردات»: شجرة الزقوم عبارة عن أطعمة كريهة في النار ومنه استعير زقم فلان وتزقم إذا ابتلع شيئاً كريهاً.

يقول الفقير: وعلى تقدير أن يكون الزقوم بلسان البربر، وهم: جيل بالغرب وأمة أخرى بين الحبش والزنج بمعنى الزبد والتمر، فلعله وارد على سبيل التهكم كالتبشير في قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]؛ لأنه تعالى وصف شجرة الزقوم بأنها تخرج في أصل الجحيم، كما مر في الصافات فكيف يكون زبداً، وفي «إنسان العيون» لا تسلط لجهنم على شجرة الزقوم، فإن من قدر على خلق من يعيش في النار ويلتذ بها، كالسمندل، فهو أقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الإحراق بها. وقد قال ابن سلام رضي الله عنه أنها تحيا باللهب، كما تحيا شجرة الدنيا بالمطر، وثمرة تلك الشجرة مر له زفرة. انتهى.

يقول الفقير: لا حاجة إلى هذا البيان، فإنه كما يشابه ثمر الجنة وشجرها ثمر الدنيا وشجرها وإن وقع الاشتراك في الاسم، وكذا ثمر النار وشجرها، فالشجرية لا تنافي النارية، فكيف تحترق، فما أصله النار، فهو ناري. والناري لا يحترق بالنار، ولذا قيل: في إبليس أنه يعذب بالزمهرير، وإن أمكن الاحتراق بحسب التركيب. وقد رأيت في جزيرة قبرس حجراً يقال له: حجر القطن يدق ويطرق فينعم حتى يكون كالقطن، فيتخذ منه المنديل فحجريته لا تنافي القطنية. وقد مر في يس: أن الله أخرج من الشجر الأخضر ناراً.

﴿طعام الأثيم﴾؛ أي: الكثير الإثم. والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه يعني: أنهم أجمعوا على أن المراد بقوله: ﴿لا يغني مولى عن مولى شيئاً﴾ هم: الكفار. وبقوله: ﴿إلا من رحم الله﴾ المؤمنون. وكذا دل عليه قوله: فيما سيأتي أن هذا ما كنتم به تمترون.

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه لا ينطلق لسانه، فيقول: طعام اليتيم، فقال عليه السلام: «قل طعام الفاجر»، كما في «عين المعاني».

وقال في «الكواشي» عن أبي الدرداء: أنه أقرأ إنساناً طعام الأثيم، فقال: طعام اليتيم مراراً، فقال له: قل طعام الفاجر يا هذا. وفي هذا دليل لمن يجوز إبدال كلمة بكلمة إذا أدت معناها ولأبي حنيفة في تجويز القراءة بالفارسية: إذا أدت المعنى بكماله قالوا: وهذه إجازة كلا إجازة؛ لأن في كلام العرب خصوصاً في القرآن المعجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعنى ما لا يستقل بأدائه لغة ما قال الزمخشري أبو حنيفة ما كان يحسن الفارسية، فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر، وعن أبي الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول صاحبيه في عدم جواز القراءة بالفارسية.

إلى هنا كلام «الكواشي». وقال في «فتح الرحمٰن»: يجوز عند أبي حنيفة أن يقرأ بالفارسية إذا أدت المعاني بكمالها من غير أن يخرم منها شيئاً. وعنه: لا تجوز القراءة بالفارسية إلا لعاجز عن العربية، وهو قول صاحبيه وعليه الاعتماد. وعند الثلاثة لا يجوز بغير العربية. انتهى.

ويروى رجوعه إلى قولهما في الأصح، كما في الفقه والفتوى على قولهما، كما في «عيون الحقائق». وجاء من أحسن أن يتكلم بالعربية، فلا يتكلم بالفارسية. فإنه يورث النفاق، كما في «إنسان العيون».

يقول الفقير: بطلان القراءة بالفارسية ظاهر على تقدير أن يكون كل من النظم. والمعنى: ركناً للقرآن، كما عليه الجمهور ولعل الإمام لم يجعل النظم ركناً لازماً في الصلاة عند العجز، فأقام العبارة الفارسية مقام النظم، كما أن بعضهم لم يجعل الإقرار باللسان ركناً من الإيمان، بل شرطاً لازماً لإجراء أحكام المسلمين عليه، وإن اعترض بأن تحت كل حرف من القرآن ما لا تفي به العبارة من الإشارات، فلا تقوم لغة مقامه، فيرد بأن علماء أصول الحديث جوزوا اختصار الحديث للعالم لا للجاهل مع أنه عليه السلام أوتي جوامع الكلم، وفي كل كلمة من كلامه أسرار ورموز، فاعرف هذا.

﴿**كالمهل**﴾: خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو كالمهل عن النبي عليه السلام في تفسير المهل كعكر الزيت، وهو درديه فإذا قرب إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه وشبه بالمهل في كونه غليظاً أسود.

وقال بعضهم: المهل ما يمهل في النار حتى يذوب كالحديد والرصاص والصفر ونحوها وشبه الطعام بالنحاس، أو الصفر المذاب في الذوب ونهاية الحرارة، لا في الغليان وإنما يغلي ما شبه به.

﴿**يغلي في البطون**﴾؛ أي: حال كون ذلك الطعام يغلي في بطون الكفار.

﴿**كغلي الحميم**﴾ غلياناً كغليان الماء الحار الذي انتهى حره وغليانه لشدة حرارته وكراهية المعدة إياه.

قال بعضهم: [باره باره كند رودهاى ايشان وبكذارد امعا واحشارا]. وفي الحديث: «أيها الناس اتقوا الله حق تقاته، فلو أن قطرة من الزقوم قطرت على الأرض لأمرت على أهل الدنيا معيشتهم، فكيف بمن هو طعامه، وليس له طعام غيره، والغلي والغليان التحرك والارتفاع. وبالفارسية: [جوشيدن].

قال في «المفردات»: الغلي والغليان، يقال: في القدر إذا طفحت؛ أي: امتلأت وارتفعت. ومنه استعير ما في الآية وبه شبه غليان الغضب والحرب. وفي الآية إشارة إلى أن الأثيم، وهو الذي عبد صنم الهوى وغرس شجرة الحرص، فأثمرت الشهوات النفسانية اللذيذة على مذاق النفس في الدنيا يكون طعامه في الآخرة الزقوم الذي مر وصفه:

نفس رابد خوبناز ونعمت دنيا مكن   آب ونان سير كاهل ميكند مذوررا

﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿**خذوه**﴾ على إرادة القول والخطاب للزبانية؛ أي: يقال: للزبانية يوم القيامة خذوا الأثيم، فلا يأخذونه إلا بالنواصي والأقدام. ﴿**فاعتلوه**﴾؛ أي: جروه بالعنف والقهر، فإن العتل الأخذ بمجامع الثوب ونحوه وجره بقهر وعنف. قال في «تاج المصادر»: العتل: [كشيدن] بعنف.

وفي «القاموس»: عتله يعتله ويعتله، فالعتل جره عنيفاً، فحمله، وهو معتل كمنبر قوي على ذلك. ﴿**إلى سواء الجحيم**﴾؛ أي: وسطها ومعظمها الذي تستوي المسافة إليه من جميع جوانبه. وبالفارسية: [وبميانه دوزخ].

﴿**ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم**﴾. صب الماء: إراقته من أعلى، والعذاب ليس بمصبوب، لأنه ليس من الأجسام المائعة، فكان الأصل يصب من فوق رؤوسهم الحميم، فقيل: يصب من فوق رؤوسهم العذاب، وهو الحميم للمبالغة، ثم أضيف العذاب إلى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على أن المصبوب بعض هذا النوع.

وبالفارسية: آنكاه بر بزيد بر زبرسراو از عذاب آب كرم تاتمام بيرون بدن او بريختن آب معذب شود جنانجه درون آو از زقوم معذبست.

يروى: أن الكافر إذا دخل النار يطعم الزقوم، ثم إن خازن النار يضربه على رأسه بمقمعة يسيل منها دماغه على جسده ثم يصب الحميم فوق رأسه، فينفذ إلى جوفه، فيقطع الأمعاء والأحشاء ويمرق من قدميه.

وفي الآية إشارة إلى عذاب الحسرة والحرمان وحرقة الهجران في قعر النيران.

﴿**ذق**﴾ هذا العذاب المذل المهين. ﴿**إنك أنت العزيز**﴾ في نظرك ﴿**الكريم**﴾ عند قومك؛ أي: وقولوا له ذلك استهزاء به، وتقريعاً له على ما كان يزعمه من أنه عزيز كريم، فمعناه: الذليل المهان.

روي: أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ما بين جبلي مكة أعز وأكرم مني، فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل بي شيئاً»، فوردت الآية وعيداً له ولأمثاله عجباً كيف أقسم بالله تعظيماً له، ثم نفى الاستطاعة عنه مع أن الرسول عليه السلام كان لا يدعو رباً سواه، فالكلام المذكور من حيرة الكفر وحكم الجهل وتعصب النفس، كما قالوا: ﴿فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وفي لفظ الذوق إشارة إلى أنه كان معذباً في الدنيا، ولكن لما كان في نوم الغفلة وكثافة الحجاب، لم يكن ليذوق ألم العذاب، فلما مات انتبه وذاق ألم ما ظلم به نفسه.

﴿إن هذا﴾ العذاب ﴿ما كنتم به تمترون﴾ تشكون في الدنيا أو تمارون فيه؛ أي: تجادلون بالباطل. وبالفارسية: [شك مى آورديد تا اكنون معاينه بديديد]. والجمع باعتبار المعنى؛ لأن المراد جنس الأثيم، ثم هذا الامتراء إنما كان بوساوس الشيطان، وهو أجس النفس، فلا بد من دفعهما والاتصاف بصفة القلب، وهو اليقين. ولذا قال عليه السلام ويل للشاكين في الله، وهم الذين لم يؤمنوا به تعالى يقيناً، ومن ذلك إنكار بعض أحكامه وأوامره. وكذا الإصرار على المعاصي بحيث لا يبالي بها، فلو ترك الصلاة متعمداً، ولم ينو القضاء ولم يخف عقاب الله، فإنه يكفر؛ لأن الأمن كفر. وفي المثنوي:

بود كبرى در زمان بايزيد كفت اورا يك مسلمان سعيد
كه جه باشد كرتو اسلام آورى تابيابى صد نجات وسرورى
كفت اين ايمان اكرهست اي مريد آنكه دارد شيخ عالم بايزيد
من ندارم طاقت آن تاب آن كان فزون آمد زكو ششهاى جان
كرجه درايمان ودين ناموقنم ليك در ايمان او بس مؤمنم
مؤمن ايمان اويم درنهان كرجه مهرم هست محكم دردهان
باز ايمان كرخود ايمان شماست نى بدان ميلستم ونى مشتهاست
آنكه صد ميلش سوى ايمان بود جون شمارا ديدزان فاتر شود
زانكه نامى بيند ومغيش نى جون بيابانرا مفازه كفتنى

وفيه إشارة إلى أن المريد إذا كان قوي الإيمان والعلم والمعرفة كان عمله واجتهاده في الظاهر بقدر ذلك وقس عليه حال الضعيف والشاك والمتردد نسأل الله سبحانه أن يسقينا من كأس قوة اليقين إنه هو المفيض المعين.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿إن المتقين﴾؛ أي: عن الكفر والمعاصي، وهم المؤمنون المطيعون. ﴿في مقام﴾ في موضع قيام. والمراد: المكان على الإطلاق، فإنه من الخاص الذي شاع استعماله في معنى العموم، يعني: أنه عام ومستعمل في جميع الأمكنة حتى قيل لموضع القعود مقام، وإن لم يقم فيه أصلاً.

﴿أمين﴾ يأمن صاحبه الآفات والانتقال عنه على أن وصف المقام بالأمن من المجاز في الإسناد، كما في قولهم: جرى النهر فالأمن ضد الخوف والأمين، بمعنى: ذي الأمن. وأشار الزمخشري إلى وجه آخر، وهو أن الأمين من الأمانة التي هي ضد الخيانة، وهي في الحقيقة صفة صاحب المكان، لكن وصف به المكان بطريق الاستعارة التخييلية؛ كأن المكان المخيف يحزن صاحبه ونازله بما يلقي فيه من المكاره، أو كناية؛ لأن الوصف إذا أثبت في مكان الرجل فقد أثبت له لقولهم: المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه كما في «بحر العلوم».

وفي الآية إشارة إلى أن من اتقى الله عما سواه يكون مقامه مقام الوحدة آمناً من خوف الاثنينية، وإلى أن من كان في الدنيا على خوف العذاب ووجل الفراق كان في الآخرة على أمن وأمان.

وقال بعضهم: المقام الأمين مجالسة الأنبياء والأولياء والصديقين والشهداء. يقول الفقير: أما مجالستهم يوم الحشر، فظاهرة؛ لأن فيها الأمن من الوقوع في العذاب إذ هم شفعاء عند الله، وأما مجالستهم في الدنيا فلأن فيها الأمن من الشقاوة إذ لا يشقى بهم جليسهم.

وفي الآية إشارة أخرى لائحة للبال، وهي أن المقام الأمين هو مقام القلب، وهي جنة الوصلة، ومن دخله كان آمناً من شر الوسواس الخناس؛ لأنه لا يدخل الكعبة التي هي إشارة إلى مقام الذات، كما لا يقدر على الوسوسة حال السجدة التي هي إشارة إلى الفناء في الذات الأحدية.

قال أهل السنة: كل من اتقى الشرك صدق عليه أنه متق، فيدخل الفساق في هذا الوعد.

يقول الفقير: الظاهر أن المطلق مصروف على الكامل بقرينة أن المقام مقام الامتنان والكامل هو المؤمن المطيع كما أشرنا إليه في عنوان الآية، نعم يدخل العصاة فيه انتهاء وتبعية لا ابتداء وأصالة، كما يدل عليه الوعيد الوارد في حقهم، وإلا لاستوى المطيع والعاصي. وقد قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨] عفا الله عنا وعنكم أجمعين.

قال الشيخ سعدي:

كسى را كه باخواجة تست جنك بدستش جرا مى دهى جوب وسنك
مع آخر كه باشد كه خوانش نهند بفرماى تا استخوانش نهند

﴿في جنات وعيون﴾: بدل من مقام جيء به دلالة على نزاهته واشتماله على طيبات المآكل والمشارب.

والمراد بالعيون: الأنهار الجارية والتنكير فيهما للتعظيم.

﴿يلبسون من سندس وإستبرق﴾: خبر ثانٍ. وإستبرق بقطع الهمزة. وقرأ الخليل بوصلها.

قال في «كشف الأسرار»: السندس: ما رق من الحرير يجري مجرى الشعار لهم، وهو اللين من الدثار في المعتاد والإستبرق ما غلظ منه، وصفق نسجه يجري مجرى الدثار، وهو أرفع نوع من أنواع الحرير، والحرير نوعان: نوع كلما كان أرق كان أنفس، ونوع كلما كان أرزن بكثرة الإبريسم كان أنفس.

يقول الفقير: يحتمل عندي أن يكون السندس لباس المقربين. والإستبرق لباس الأبرار يدل عليه أن شراب المقربين هو التسنيم الخالص وشراب الأبرار هو الرحيق الممزوج به. وذلك أن المقربين أهل الذات والأبرار أهل الصفات، فكما أن الذات أرق من الصفات، فكذا لباس أهل الذات وشرابهم أرق وأصفى من لباس أهل الصفات وشرابهم، ثم إن الإستبرق من كلام العجم عرب بالقاف.

قال في «القاموس»: الإستبرق الديباج الغليظ معرب استروه وتصغيره أبيرق وستبر بالتاء والطاء، بمعنى: الغليظ. بالفارسية. قال الجواليقي في «المعربات»: نقل الإستبرق من العجمية إلى العربية، فلو حقر، أو كسر لكان في التحقير أبيرق، وبالتكسير أباريق بحذف السين والتاء جميعاً. انتهى.

والتعريب: جعل العجمي بحيث يوافق اللفظ العربي بتغييره عن منهاجه وإجرائه على أوجه الإعراب. وجاز وقوع اللفظ العجمي في القرآن العربي؛ لأنه إذا عرب خرج من أن يكون

عجمياً إذا كان متصرفاً تصرف اللفظ العربي من غير فرق، فمن قال القرآن أعجمي يكفر؛ لأنه معارضة لقوله تعالى قرآناً عربياً، وإذا قال: فيه كلمة أعجمية، ففي أمره نظر؛ لأنه إن أراد وقوع الأعجمي فيه بتعريب، فصحيح وإن بلا تعريب فغلط.

﴿متقابلين﴾؛ أي: حال كونهم متقابلين في المجالس ليستأنس بعضهم ببعض. ومعنى متقابلين متواجهين لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم فهم أتم للأنس. [ودر تفسير سور آبادى آورده كه اين مقابله روز مهمانى باشد در دار الجلال كه حق تعالى همه مؤمنا نرا بر سريك خوان بنشاند وهمه رويهاى يكديكر بينند].

وقال بعضهم: متقابلين بالمحبة غير متدابرين بالبغض والحسد؛ لأن الله ينزع من صدورهم الغل وقت دخولهم الجنة. وهذا التقابل من أوصاف أهل الله في الدارين فطوبى لهم حيث إنهم في الجنة وهم في الدنيا.

﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿كذلك﴾؛ أي: الأمر كذلك أو أثبناهم إثابة مثل ذلك. ﴿وزوجناهم بحور عين﴾؛ أي: قرناهم بهن. وبالفارسية: [وقرين مى سازيم متقيانرا بزنان سفيد روى كشاده جشم].

فيتمتعون تارة بمؤانسة الإخوان ومقابلتهم وتارة بملاعبة النسوان من الحور العين ومزاوجتهن، فليس المعنى حصول عقد التزويج بينهم وبين الحور، فإن التزويج بمعنى العقد لا يتعدى بالباء، كما جاء في التنزيل، ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وإذا لم يكن المراد عقد التزويج. يقال: زوجناك بها بمعنى كنت فرداً فقرناك بها؛ أي: جعلناك شفعاً بها، والله تعالى جعلهم اثنين ذكراً وأنثى.

وقال في «المفردات»: لم يجيء في القرآن زوجناهم حوراً، كما يقال: زوجته بامرأة تنبيهاً على أن ذلك لم يكن على حسب التعارف فيما بيننا من المناكح.

قال سعدي المفتي: ثم لا يكون العقد في الجنة؛ لأن فائدته الحل. والجنة ليست بدار كلفة من تحريم، أو تحليل، انتهى.

يقول الفقير: يرد عليه أن الله تعالى جعل مهر حواء في الجنة عشر صلوات على نبينا عليه السلام، وهو لا يتعين بدون العقد إلا أن يقال: ذلك العقد إن صح ليس كالعقد المعهود، وإنما المقصود منه تعظيم نبينا عليه السلام وتعريفه لا التحليل وجعل عنوان الأمر ما هو في صورة المهر ليسري في أنكحة أولادهما. والظاهر أن المعاملة فيما بين آدم وحواء عليهما السلام في الجنة كانت من قبيل المؤانسة، ولم يكن بينهما مجامعة، كما في الدنيا، وإن ذهب البعض إلى القربان في الجنة مستدلاً بقول قابيل: أنا من أولاد الجنة، وذلك مطعون.

قال الشيخ الشهير بافتاده البرسوي: الشريعة لا ترتفع أبداً حتى أن بعض الأحكام يجري في الآخرة أيضاً مع أنها ليست دار التكليف ألا ترى أن كل واحد من أهل الجنة لا يتصرف إلا فيما عين له من قبل الله، ولذلك قال الله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمٰن: ٧٢]، ولأهل الجنة بيوت الضيافة يعملون فيها للضيافة للأحباب، ويتنعمون. ولكن أهليهم لا يظهرون لغير المحارم كما في «واقعات» الهدائي قدس سره. ثم الحور جمع الحوراء، وهي

البيضاء والعين جمع العيناء، وهي العظيمة العينين. فالحور هي النساء النقيات البياض يحار فيهن الطرف لبياضهن وصفاء لونهن واسعة الأعين حسانها أو الشديدات بياض الأعين الشديدات سوادها.

قال في «القاموس»: الحور بالتحريك أن يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها وتستدير حدقها وترق جفونها ويبيض ما حواليها، أو شدة بياضها وسوادها في شدة بياض الجسد أو اسوداد العين كلها مثل الظباء. ولا يكون في بني آدم، بل يستعار لهم. انتهى.

وفي «المفردات»: قليل ظهور قليل من البياض في العين من بين السواد وذلك نهاية الحسن من البين. واختلف في أنهن نساء الدنيا أو غيرهن، فقال الحسن: إنهن من نساء الدنيا ينشئهن الله خلقاً آخر.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إنهن لسن من نساء الدنيا.

﴿**يدعون فيها بكل فاكهة**﴾؛ أي: يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهونه من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان. وذلك لا يجتمع في الدنيا، يعني: أن فواكه الدنيا لا توجد في كل مكان ولها أزمنة مخصوصة لا تستقدمها ولا تستأخرها ﴿**آمنين**﴾ أي: حال كونهم آمنين من كل ما يسوؤهم أياً كان خصوصاً الزوال والانقطاع وتولد الضرر من الإكثار وحجاب القلب، كما يكون في الدنيا، فيكونون في الصورة مشغولين بالحور العين وبما يشتهون من النعيم، وبالقلوب متوجهين إلى الحضرة مشاهدين لها.

﴿**لا يذوقون فيها**﴾؛ أي: في الجنات.

﴿**الموت إلا الموتة الأولى**﴾ الموت والموتة: مصدران من فعل واحد كالنفخ والنفخة إلا أن الموتة أخص من الموت؛ لأن الموتة للوحدة، والموت للجنس، فيكون بعضاً من جنس الموت، وهو فرد واحد ونفي الوحدة أبلغ من نفي الجنس، فكانت أقوى وأنفى في نفي الموت عن أنفسهم؛ كأنه قال: لا يذوقون فيها شيئاً من الموت. يعني: أقل ما ينطلق عليه اسم الموت، كما في «بحر العلوم»، والاستثناء منقطع؛ أي: لا يذوقون الموت في الجنة لكن الموتة الأولى قد ذاقوها قبل دخول الجنة.

يعني: [مرك اول كه دردنيا جشيدند مؤمنا نرامرك آنست]. ثم إذا بعثوا ودخلوا الجنة يستمرون على الحياة: [جون معهود نزديك مردمان آنست كه هر زندكى را مرك دربى است حق تعالى خبرا دادكه حيات بهشت را مرك نيست بلكه حيات اوجاود انست].

فعيشتهم المرضية مقارنة للحياة الأبدية بخلاف أهل النار، فإنه لا عيشة لهم، وكذا لا يموتون فيها، ولا يحيون. ويقال: ليس في الجنة عشرة أشياء ليس فيها هرم ولا نوم ولا موت ولا خوف ولا ليل ولا نهار ولا ظلمة ولا حر ولا برد ولا خروج. ويجوز أن يكون الاستثناء متصلاً على أن المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الإطلاق؛ كأنه قيل: لا يذوقون فيها الموتة إلا إذا أمكن ذوق الموتة الأولى في المستقبل، وذوق الماضي غير ممكن في المستقبل لا سيما في الجنة التي هي دار الحياة، فهذا من باب التعليق بالمحال، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]. والمقصود أنهم لا يذوقون فيها الموت البتة، وكذا لا ينكحون منكوحات آبائهم قطعاً.

وقيل: إلا بمعنى بعد أو بمعنى سوى؛ فإن قلت: هذا دليل على نفي الحياة والموت في

القبر. قلت: أراد به جنس الموت المتعارف المعهود فيما بين الخلق، فإن الموت المعهود لا يعرى عن الغصص، والموت بعد الإحياء في القبر يكون أخف من الموت المعهود، كما في «الأسئلة المقحمة».

يقول الفقير: دلت الآية على أن الموت وجودي؛ لأنه تعلق به الذوق، وهو الإحساس به إحساس الذائق المطعوم. والأكثرون على أنه عدمي؛ أي: معدوم في الخارج غير قائم بالميت؛ لأن المعدوم لا يحتاج إلى المحل، وسيجيء تحقيقه في محله إن شاء الله تعالى.

وفي الآية إشارة إلى أنهم لا يذوقون فيها موت النفس بسيف المجاهدة، وقمع الهوى وترك الشهوات إلا الموتة الأولى في الدنيا بقتل النفس بسيف الصدق في الجهاد الأكبر، وكما أن السيف لا يجري على المعدوم، فكذا على النفس الفانية إذ لا يموت الإنسان مرتين، وأيضاً: إن الموتة الأولى هي العدم قبل الوجود فبعد الوجود لا يذوق أحد الموت. والعدم المحض؛ لأن الله تعالى قد وهب له الوجود، فلا يرجع عن هبته؛ فإنه غني وما ورد من أن الحيوانات العجم تصير تراباً يوم القيامة حتى يتمنى الكافر أن يكون مثلها، فذلك ليس بإعدام محض، بل إلحاق بتراب أرض الآخرة. ويجوز أن يقال: إن وجودات الأشياء الخسيسة لا اعتبار لها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ووقاهم عذاب الجحيم﴾: الوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره؛ أي: حفظهم من النار وصرفها عنهم. وبالفارسية: [ونكاه ميدارد حق تعالى بهشتيانرا واز ايشان دفع ميكند عذاب دوزخ].

وفيه إشارة إلى عذاب البعد وجحيم الهجران.

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿فضلاً من ربك﴾ منصوب بمقدر على المصدرية أو الحالية؛ أي: أعطي المتقون ما ذكر من نعيم الجنة والنجاة من عذاب الجحيم عطاء وتفضلاً منه تعالى لا جزاء للأعمال المعلولة واحتج أهل السنة بهذه الآية على أن كل ما وصل إليه العبد من الخلاص من النار، والفوز بالجنة ونعيمها، فإنما يحصل بفضل الله وإحسانه؛ وأنه لا يجب عليه شيء من ذلك، ففي إثبات الفضل نفي الاستحقاق، فجميع الكرامات فضل منه على المتقين حيث اختارهم بها في الأول وأخرجها من علل الاكتساب، فإن الاكتساب أيضاً، فضل إذ لو لم يخلق القدرة على كسب الكمالات وتحصيل الكرامات لما وجد العبد إليه سبيلاً.

وفي الحديث: «لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة ولا يجيره من النار ولا أنا إلا برحمة الله»؛ أي: ولا أنا أدخل الجنة بعمل إلا برحمة الله. وليس المراد به توهين أمر العمل، بل نفي الاغترار به وبيان أنه إنما يتم بفضل الله، قال ابن الملك: في الحديث دلالة على مذهب أهل السنة وحجة على المعتزلة حيث اعتقدوا أن دخولها إنما يحصل بالعمل، وأما قوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] ونظائره، فلا ينافي الحديث؛ لأن الآية تدل على سببية العمل والمنفي في الحديث عليته وإيجابه، انتهى.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في مواقع النجوم: الدخول برحمة الله وقسمة

الدرجات بالأعمال والخلود بالنيات، فهذه ثلاثة مقامات، وكذلك في دار الشقاوة دخول أهلها فيها بعدل الله وطبقات عذابها بالأعمال وخلودهم بالنيات، وأصل ما استوجبوا به هذا العذاب المؤبد المخالفة، كما كانت في السعادة الموافقة، وكذلك من دخل من العاصين النار لولا المخالفة لما عذبهم الله شرعاً نسأل الله لنا وللمسلمين أن يستعملنا بصالح الأعمال ويرزقنا الحياء منه تعالى.

﴿ذلك﴾ : [آن صرف عذاب وحيات ابدى دربهشت]. ﴿هو الفوز العظيم﴾ الذي لا فوز وراءه، إذ هو خالص من جميع المكاره، ونيل لكل المطالب والفوز الظفر مع حصول السلامة، كما في «المفردات».

يقول الفقير: لما كان الموت وسيلة لهذا الفوز وباباً له ورد الموت تحفة المؤمن. والموت وإن كان من وجه هلكاً، فمن وجه فوز، ولذلك قيل: ما أحد إلا والموت خير له أما المؤمن، فإنما كان الموت خيراً له؛ لأنه يتخلص به من السجن ويصل إلى النعيم المقيم في روضات الجنات، وأما المعاصي فلأن الإمهال في الدنيا سبب لازدياد المعاصي والإثم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وهو سبب لازدياد العذاب.

قال الشيخ سعدي:

نكو كفت لقمان كه نازيستن به از سالها بر خطا زيستن
هم از با مدادان در كلبه بست به از سود وسرمايه دادن زدست

﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾ : فذلكة للسورة الكريمة ونتيجة لها، واللسان آلة التكلم في الأصل، واستعير هنا لمعنى اللغة، كما في قوله عليه السلام: «لسان أهل الجنة العربية».

والمعنى: إنما سهلنا الكتاب المبين حيث أنزلناه بلغتك. ﴿لعلهم يتذكرون﴾ كي يفهمه قومك ويتذكروا ويعملوا بموجبه وإذا لم يفعلوا ذلك.

﴿فارتقب﴾ فانتظر لما يحل بهم من المقادير، فإن في رؤيتها عبرة للعارفين وموعظة للمتقين. ﴿إنهم مرتقبون﴾ منتظرون لما يحل بك من الدوائر، ولم يضرك ذلك، فعن قريب يتحقق أملك وتخيب آمالهم.

يعني: [ازان تو نصرت الهى خواهد بود وازان ايشان عذاب نامتناهى دوستان را هردم فتحى تازه وخصمان را هرزمان رنجى آبى اندازه. تابعانرا وعده حسن المآب. منكر انرا هيبت ذوقوا العذاب].

وفي «عين المعاني»: أو فارتقب الثواب؛ فإنهم كالمرتقبين العقاب؛ لأن المسيء ينتظر عاقبة الإساءة وعلى كلا التقديرين، فمفعول الارتقاب محذوف في الموضعين.

وفي الآية فوائد منها: أنه تعالى بين تيسير القرآن. والتيسير ضد التعسير. وقد قال في آية أخرى ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: ٥]، فبينهما تعارض. والجواب: هو ميسر باللسان وثقيل من حيث اشتماله على التكاليف الشاقة على المكلفين. ولا شك أن التلاوة باللسان أخف من العمل، ولهذا جاء في بعض اللطائف أنه مرض ابن لبعض العلماء، فقيل له: اذبح قرباناً لعل الله يشفي ولدك، فقال: بل أقرأ قرآناً، فقال بعض العرفاء: إنما أختار القرآن؛ لأنه في لسانه وأعرض عن القربان لكونه في جنانه؛ لأن حب المال مركوز في القلب، ففي إخراجه منه صعوبة. ومنها: أنه تعالى قال بلسانك، فأشار إلى أنه لو أسمعهم كلامه بغير

الواسطة لماتوا جميعاً لعدم تحملهم.

قال جعفر الصادق رضي الله عنه: لولا تيسيره لما قدر أحد من خلقه أن يتلفظ بحرف من القرآن وأنى لهم ذلك، وهو كلام من لم يزل ولا يزال.

وقال ابن عطاء: يسر ذكره على لسان من شاء من عباده، فلا يفتر عن ذكره بحال، وأغلق باب الذكر على من شاء من عباده، فلا يستطيع بحال أن يذكره. ومنها: أن بعض المعتزلة استدل بقوله ﴿**لعلهم يتذكرون**﴾ على أنه أراد من الكل الإيمان، ولم يرد من أحد الكفر وأجيب بأن الضمير في لعلهم إلى أقوام مخصوصين، وهم المؤمنون في علم الله تعالى.

يقول الفقير: في هذا الجواب نظر؛ لأن ما بعد الآية يخالفه، فإنهم لو كانوا مؤمنين في علم الله لآمنوا، ولما أمر عليه السلام بانتظار الهلاك في حقهم، فالوجه أن يكون لعلهم يتذكرون علة بمعنى طلب أن يفهمه قومك، فيتذكروا به، أو لكي يتذكروا ويتعظوا به فيفوا بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب عنهم وتفسيره بالإرادة، كما فعله أهل الاعتزال خطأ؛ لأن الإرادة تستلزم المراد لا محالة.

ومنها: أن انتظار الفرج عبادة على ما جاء في الحديث؛ لأنه من الإيمان وجاء في فضيلة السورة الكريمة آثار صحيحة. قال عليه السلام: «من قرأ ﴿**حم**﴾ الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له»؛ أي: دخل في الصباح حال كونه مغفوراً له، فأصبح فعل تام بمعنى دخل في الصباح؛ لأنه لو جعل ناقصاً يكون المعنى حصل غفرانه وقت الصباح، وليس المراد ذلك نعم لا يظهر المنع عن جعله بمعنى صار، وعنه عليه السلام «من قرأ الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك».

وهذان الحديثان رواهما أبو هريرة رضي الله عنه. والأول أخرجه الترمذي، وقال أبو أمامة: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «من قرأ ﴿**حم الدخان**﴾ ليلة الجمعة، أو يوم الجمعة بنى الله له بيتاً في الجنة»، كما في «كشف الأسرار» و«بحر العلوم»، وإسناد البناء إلى الله مجاز؛ أي: يأمر الملائكة بأن يبنوا له في الجنة بثواب القراءة بيتاً عظيماً عالياً من در وياقوت، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

يقول الفقير: لما كان أصل البيت مأوى الإنسان بالليل، وكان إحياء الليل الذي فيه ترك البيتوتة غالباً، بمثل التلاوة جعل بناء البيت جزاء للقراءة الواقعة في الليلة المبنية على ترك البيتوتة ليكون الجزاء من جنس العمل وحمل النهار عليه، فافهم جداً، والله الموفق لمرضاته وتلاوة آياته وللعمل بحقائق بيناته، وهو المعين لأهل عناياته.

تمت سورة الدخان بعون الملك المنان في خامس شعبان من الشهور المنتظمة في سلك سنة ثلاث عشرة ومائة وألف

٤٥ ـ سورة الجاثية

سبع أو ست وثلاثون آية مكية. والاختلاف في ﴿حم﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ ﴾.

﴿حم﴾؛ أي: هذه السورة مسماة بـ**﴿حم﴾**. وفي «التأويلات النجمية»: يشير بالحاء إلى حياته، وبالميم إلى مودته كائن، قال بحياتي ومودتي لأوليائي لا شيء إليَّ أحب من لقاء أحبائي ولا أعز ولا أحب على أحبابي من لقائي. وفي «عرائس البقلي»: الحاء يدل على أن في بحر حياته حارت الأرواح، والميم تدل على أن في ميادين محبته هامت الأسرار.

يقول الفقير: الحاء إشارة إلى الحب الأزلي المتقدم. ولذا قدمه، والميم إشارة إلى المعرفة الأبدية المتأخرة، ولذا أخره، كما دل عليه قوله تعالى لداود عليه السلام: «كنت كنزاً مخفياً، فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف»، فإن المحبة في هذا الحديث القدسي متقدمة على المعرفة. وذلك نزولاً وبالعكس عروجاً، كما لا يخفى على أهل الذوق.

﴿تنزيل الكتاب﴾؛ أي: القرآن المشتمل على السور مطلقاً خصوصاً هذه السورة الجليلة، وهو مبتدأ خبره قوله: **﴿من الله﴾** فدل على أنه؛ أي: القرآن حق وصدق. **﴿العزيز﴾** فدل على أنه معجز غالب غير مغلوب **﴿الحكيم﴾** فدل على أنه مشتمل على حكم بالغة وعلى أنه يحكم في نفسه بنسخ ولا ينسخ، فليس كما يزعم المبطلون من أنه شعراً أو كهانة، أو تقول من عنده ممكن معارضته، وأنه كأساطير الأولين مثل حديث رستم وإسفنديار وغيرهما، فيجب أن يعرف قدره وأن يكون الإنسان مملوءاً به صدره أبو بكر شبلي قدس سره: [ببازار بغداد بركذشت باره كاغد ديدكه نام دوست بروى رقم بود ودرزير اقدام خلق افتاده شبلي جون آنرا ديد اضطرابي بردل واعضاى وى افتاد آن رقعة برداشت وببوسيد وآنرا معطر ومعنبر كرد وباخود داشت كاه برسينه نهادى ظلمت غفلت بزدودى وكاه برديده نهادى نور جشم بيفزودى تاآن روزكه بقصد بيت الله الحرام از بغداد بيرون آمد روى ببباديه نهادآن رقعه دردست كرفته وآنرا بدرقه روزكار خود ساخته درباديه جوانى راديد فريد وغريب بى زاد وراحله از خاك بستر كرده واز سنك بالين ساخته سرشك از جشم او روان شده وديده در هوا نهاده شبلي بر بالين وى نشست وآن كاغذ بيش ديده او داشت كفت اى جوان برين عهد هستى جوان روى بكردانيد شبلي كفت انا لله مكر اندرين سكرات وغمرات حال اين جوانرا تبديل خواهد شد جوان باز نكريست وكفت اى شبلى دائماً در غلطى آنجه تو دركاغد مى بينى وميخوانى مادر صحيفة دل مى بينيم ومى خوانيم].

يقول الفقير:

سر عشق يار من مخفى بود درجان من   كس نداند سر جانم رابجز جانان من

﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿إن في السماوات والأرض﴾؛ أي: في خلقهما وخلق ما فيهما من آثار القدرة كالكواكب والجبال والبحار ونحوها. **﴿لآيات للمؤمنين﴾** لشواهد الربوبية لأهل التصديق وأدلة الإلٰهية، لأهل التوفيق خص المؤمنين بالذكر لانتفاعهم بتلك الآيات والدلالات، فإنهم يستدلون بالمخلوق على الخالق، وبالمصنوع على الصانع فيوحدونه، وهو أول الباب ولذا قدم الإيمان على الإيقان، ولعل الوجه في طي ذكر المضاف هنا، وهو الخلق وإثباته في الآية الآتية أن خلق السماوات والأرض ليس بمشهود للخلق، وإن كانتا مخلوقتين، كما قال تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٥١] بخلاف خلق الإنسان، وما يلحق به من خلق سائر الدواب، فإنه كما أنه يستدل بخلقه على خالقه، فكذا يشاهد خلقه وتوالده، فتكون المخلوقية فيه أظهر من الأول.

هكذا لاح بالبال والله أعلم بحقيقة الحال، وهنا كلام آخر سيأتي.

﴿وفي خلقكم﴾؛ أي: من نطفة، ثم من علقة متقلبة في أطوار مختلفة إلى تمام الخلق. **﴿وما يبث من دابة﴾** عطف على المضاف دون المضاف إليه، وإلا يكون عطفاً على بعض الكلمة إذ المضاف والمضاف إليه، كشيء واحد كالجار والمجرور.

قال سعدي المفتي رحمه الله: العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار منعه سيبويه وجمهور البصريين، وأجازه الكوفيون ويونس والأخفش.

قال أبو حيان: واختاره الشلوبين، وهو الصحيح، وفصل بعض النحويين، فأجاز العطف على المجرور بالإضافة دون الحرف. انتهى.

والمعنى: وفي خلق ما ينشره الله تعالى ويفرقه من دابة، وهي كل ما يدب على وجه الأرض من الحيوان مع اختلاف صورها وأشكالها وكثرة أنواعها وأضمر ذكر الله لقرب العهد منه بخلافه، في وما أنزل الله كما سيأتي.

﴿آيات﴾ بالرفع على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرة بأن **﴿لقوم يوقنون﴾**؛ أي: من شأنهم أن يوقنوا بالأشياء على ما هي عليه. واليقين علم فوق المعرفة والدراية ونحوهما وبينه وبين الإيمان فروق كثيرة، وحقيقة الإيمان هو اليقين حين باشر الأسرار بظهور الأنوار. ألا ترى كيف سأل عليه السلام بقوله: «اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي ويقيناً ليس بعده كفر».

يقول الفقير: لم يقل للموقنين كما قال للمؤمنين إشارة إلى قلة هذا الفريق بالنسبة إلى الأول، وخص الإيقان بخلق الأنفس؛ لأن ما قبله من الإيمان بالآفاق، وهو ما خرج عنك، وهذا من الإيمان بالأنفس، وهو ما دخل فيك، وهذا أخص درجات الإيمان، فإنه إذا كمل الإيمان في مرتبة الآفاق يترقى العبد إلى المشاهدة في مرتبة الأنفس، فكمال اليقين إنما هو في هذه المرتبة، لا في تلك المرتبة؛ لأن العلم بما دخل فيك أقوى منه، بما خرج عنك إذ لا يكذبه شيء، ولذا جاء العلم الضروري أشد من العلم الاستدلالي وضم خلق الدواب إلى خلق الإنسان لاشتراك الكل في معنى الجنس، فافهم جداً واقنع.

وفي «التأويلات النجمية»: إن العبد إذا أمعن نظره في حسن استعداده ظاهراً وباطناً وأنه

خلق في أحسن تقويم ورأى استواء قده وقامته وحسن صورته وسيرته واستكمال عقله وتمام تمييزه، وما هو مخصوص به في جوارحه وجوانحه، ثم تفكر فيما عداه من الدواب وأجزائها وأعضائها وأوصافها وطباعها وقف على اختصاص وامتياز بني آدم بين البرية من الجن في الفهم والعقل والتمييز، ثم في الإيمان، ومن الملائكة في حمل الأمانة، وتعلم علم الأسماء ووجوه خصائص أهل الصفوة من المكاشفات والمشاهدات والمعاينات. وأنواع التجليات، وما صار به الإنسان خليفة ومسجود الملائكة المقربين وعرف تخصيصهم بمناقبهم وانفرادهم بفضائلهم فاستيقن أن الله كرمهم، وعلى كثير من المخلوقات فضلهم، وأنهم محمولو العناية في بر الملك وبحر الملكوت.

قال الصائب:

اى رازنه فلك زوجودت عيان همه   در دامن تو حاصل دريا وكان همه
اسرار جار دفتر ومضمون نه كتاب   در نقطة تو ساخته ايزد نهان همه
قدوسيان بحكم خداوند امر ونهي   بيش توسركذاشته برآستان همه
روحانيان براى تماشاى جلوه ات   جون كودكان برآمده برآسمان همه

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾﴾.

﴿واختلاف الليل والنهار﴾؛ أي: وفي اختلافهما بتعاقبهما أو بتفاوتهما طولاً وقصراً أو بسواد الليل وبياض النهار **﴿وما أنزل الله من السماء﴾** عطف على اختلاف **﴿من رزق﴾**؛ أي: مطر، وهو سبب الرزق عبر عنه بذلك تنبيهاً على كونه آية من جهتي القدرة والرحمة. **﴿فأحيا به الأرض﴾** بأن أخرج منها أصناف الزروع والثمرات والنباتات.

﴿بعد موتها﴾ يبسها وعرائها عن آثار الحياة وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو أشجارها عن الثمار، ففيه تشبيه للرطوبة الأرضية بالروح الحيواني في كونها مبدأ التوليد والتنمية، وتشبيه زوالها بزوال الروح وموت الجسد، وفيه إشارة إلى أرض القلوب، فإنها عند استيلاء أوصاف البشرية عليها في أوان الولادة إلى حدّ البلوغ محرومة من غذاء تعيش به، وهو أوامر الشريعة ونواهيها المودعة فيها نور الإيمان الذي هو حياة القلوب، فعند البلوغ ينزل غيث الرحمة رزقاً لها، فيحصل لها الحياة المعنوية. **﴿وتصريف الرياح﴾** تحويلها من جهة إلى أخرى، وتبديلها من حال إلى حال إذ منها مشرقية ومغربية وجنوبية وشمالية، وحارة وباردة ونافعة وضارة وتأخيره عن إنزال المطر مع تقدمه عليه في الوجود، إما للإيذان بأنه آية مستقلة حيث لو روعي الترتيب الوجودي لربما توهم أن مجموع تصريف الرياح وإنزال المطر آية واحدة، وإما لأن كون التصريف آية ليس بمجرد كونه مبدأ لإنشاء المطر، بل له ولسائر المنافع التي من جملتها سوق السفن في البحار.

﴿آيات لقوم يعقلون﴾ بالرفع على أنه مبتدأ خبره ما تقدم من الجار والمجرور. والجملة معطوفة على ما قبلها وتنكير آيات في المواضع الثلاثة للتفخيم، كماً وكيفاً والعقل، يقال: للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل، ولهذا قال أمير

المؤمنين علي كرم الله وجهه، فإن العقل عقلان: فمطبوع ومسموع. ولا ينفع مطبوع. إذ لم يك مسموع. كما لا ينفع الشمس، وضوء العين ممنوع.

وإلى الأول أشار النبي عليه السلام بقوله: «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل»، وإلى الثاني أشار بقوله: ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى، أو يرده عن ردى وهذا العقل هو المعنى بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وكل موضع ذم الكفار بعدم العقل، فإشارة إلى الثاني دون الأول، وكل موضع رفع التكليف عن العبد لعدم العقل، فإشارة إلى الأول، كما في «المفردات».

والمعنى: لقوم ينظرون بعيون عقولهم، ويعتبرون؛ لأنها دلائل واضحة على وجود صانعها وعظيم قدرته وبالغ حكمته وخص العقلاء بالذكر؛ لأنه بالعقل يمكن الوقوف على الدلائل.

يقول الفقير: لعل سر تخصيص العقل بهذا المقام وتأخيره عن الإيمان والإيقان أن هذه الآية دائرة بين علوي وسفلي، وما بينهما. وللعقل مدخل تعقل كل ذلك، واشتراك بين الإيمان والإيقان، فافهم جداً. وفيه إشارة إلى أن الله تعالى جعل العلوم الدينية كسبية مصححة بالدلائل وموهبية محققة بالشواهد، فمن لم يستبصر بهما زلت قدمه عن الصراط المستقيم ووقع في عذاب الجحيم فاليوم في الحيرة والتقليد، وفي الآخرة في الوعيد بالتخليد جعلنا الله وإياكم من أهل الدلائل والشواهد وعصمنا من عمى كل منكر جاحد إنه هو الفرد الواحد. ﴿**تلك**﴾ الآيات القرآنية من أول السورة، وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿**آيات الله**﴾ المنبهة على الآيات التكوينية.

﴿**نتلوها عليك**﴾ بواسطة جبرائيل حال كوننا ﴿**بالحق**﴾؛ أي: محقين، أو حال كون الآيات ملتبسة بالحق والصدق بعيدة من الباطل والكذب.

وقال في «بحر العلوم» نتلوها عليك حال عاملها معنى الإشارة؛ كأنه قيل: نشير إليها متلوة عليك تلاوة متلبسة بالحق مقترنة بعيدة من الباطل واللعب والهزل، كما قال ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ [الطارق: ١٤] انتهى.

ويجوز أن تكون تلك إشارة إلى الدلائل المذكورة؛ أي: تلك دلائله الواضحة على وجوده ووحدته وقدرته وعمله وحكمته نتلوها عليك؛ أي: بتلاوة النظم الدال عليها. ﴿**فبأي حديث**﴾ من الأحاديث وخبر من الأخبار ﴿**بعد الله وآياته**﴾؛ أي: بعد آيات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمه، كما في قولهم: أعجبني زيد وكرمه يريدون أعجبني كرم زيد، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١]، فإن اسم الله هنا أيضاً، مذكور بطريق التعظيم، كما سبق. فقول أبي حيان فيه إقحام الأسماء من غير ضرورة غير مفيد أو بعد حديث الله الذي هو القرآن حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، وهو المراد بآياته أيضاً، ومناط العطف التغاير العنواني.

﴿**يؤمنون**﴾: يعني أن القرآن من بين الكتب السماوية معجزة باهرة فحيث لم يؤمنوا به، فبأي كتاب بعده يؤمنون؛ أي: لا يؤمنون بكتاب سواه. وقيل: معناه القرآن آخر كتب الله ومحمد آخر رسله، فإن لم يؤمنوا به؛ فبأي كتاب يؤمنون، ولا كتاب بعده ولا نبي.

وفي الآية إشارة إلى أن الإيمان لا يمكن حصوله في القلب إلا بالله وكتابته في القلوب وبإراءته المؤمنين آياته، وإلا فلا يحصل بالدلائل المنطقية، ولا البراهين العقلية.

قال الإمام الرازي لحضرة الشيخ نجم الدين قدس سره: بم عرفت ربك؟ قال: بواردات ترد على القلوب، فتعجز النفوس عن تكذيبها.

وروى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه السلام قال: «من أعجب الخلق إيماناً؟ قالوا: الملائكة» قال عليه السلام: «وكيف لا تؤمن الملائكة، وهم يعاينون الأمر، قالوا: فالنبيون» قال عليه السلام: وكيف لا يؤمن النبيون، والروح ينزل عليهم بالأمر من السماء»، قالوا: فأصحابك؟ قال عليه السلام: «وكيف لا يؤمن أصحابي وهم يرون ما يرون؟ ولكن أعجب الناس إيماناً قوم يجيئون بعدي يؤمنون بي، ولم يروني ويصدقونني، ولم يروني، فأولئك إخواني».

وفي الحديث إشارة إلى أن الإيمان المبني على الشواهد القلبية أعلى من الإيمان المبني على الدلائل الخارجية. وفي الكل فضل بحسب مقامه، فأهل الإيمان والتوحيد مطلقاً مغفور لهم. وعن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي عليه السلام أنه قال: يا أبا ذر جدد إيمانك بكرة وعشياً»، فإن سريعاً يندرس الإسلام حتى لا يدري أحد ما الصلاة، وما الصيام، وأن واحداً منهم يقول: إن من كان قبلنا يقولون: لا إله إلا الله، ويدخلون هذه البيوت؛ أي: المساجد.

قيل: يا رسول الله إذا لم يصلوا، ولم يصوموا، فما يغني عنهم قولهم: لا إله إلا الله. قال عليه السلام: «بهذه الكلمة ينجون من نار جهنم. وعن حذيفة رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «مات رجل من بني إسرائيل من قوم موسى عليه السلام، فإذا كان يوم القيامة يقول الله لملائكته، انظروا هل تجدون لعبدي من حسنة يفوز بها اليوم، فيقولون: إنا لا نجد سوى أن نقش خاتمه لا إله إلا الله، فيقول الله تعالى: أدخلوا عبدي الجنة فقد غفرت له».

﴿**ويل**﴾ كلمة عذاب بالفارسية: [سختى عذاب]. ﴿**لكل أفاك**﴾: كذاب. والإفك: كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه. ﴿**أثيم**﴾ صيغة مبالغة بمعنى كثير الإثم كعليم بمعنى كثير العلم.

﴿يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

﴿**يسمع آيات الله**﴾ صفة أخرى لأفاك. والمراد: آيات القرآن؛ لأن السماع إنما يتعلق بها. وكذا التلاوة في قوله: ﴿**تتلى عليه**﴾ حال من آيات الله ﴿**ثم يصر**﴾؛ أي: يقيم على كفره ويدوم عازماً عليه عاقداً.

قال في «المفردات»: الإصرار التعقد في الذنب والتشدد فيه والامتناع من الإقلاع عنه وأصله في الصرا؛ أي: الشد والصرة ما يعقد فيها الدراهم ﴿**مستكبراً**﴾ عن الإيمان بما سمعه من آيات الله والإذعان بما نطق به من الحق مزدرياً لها معجباً بما عنده من الأباطيل. وكان النضر بن الحارث بن عبد الدار. وقد قتل صبراً يشتري من أحاديث العجم مثل حديث رستم وإسفنديار، ويشغل بها الناس عن استماع القرآن، فوردت الآية ناعية عليه، وعلى كل من يسير سيرته ما هم فيه من الشر والفساد، وذلك التعميم لكلمة الإحاطة والشمول، وكلمة ثم لاستبعاد

الإصرار والاستكبار بعد سماع الآيات التي حقها أن تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب. فهي محمولة على المعنى المجازي؛ لأنه الأليق بمرام المقام، وإن كان يمكن الحمل على الحقيقة أيضاً، باعتبار منتهى الإصرار.

﴿كأن لم يسمعها﴾؛ أي: يصير كأنه لم يسمعها؛ أي: مشابهاً حاله حال من لم يسمعها، فخفف وحذف ضمير الشأن. والجملة من يصير تشبيهاً بغير السامع في عدم القبول والانتفاع. ﴿فبشره بعذاب أليم﴾؛ أي: أنذره على إصراره واستكباره بعذاب أليم، فإن ذكر العذاب قرينة على الاستعارة استعيرت البشارة التي هي الإخبار بما يظهر سرور في المخبر به للإنذار الذي هو صده بإدخال الإنذار في جنس البشارة على سبيل التهكم، والاستهزاء هذا إذا أريد المعنى المتعارف للبشارة، وهو الخبر السار، ويجوز أن يكون على الأصل، فإنها بحسب أصل اللغة عبارة عن الخبر الذي يؤثر في بشرة الوجه بالتغيير، وهو يعم خبر السرور والحزن. ولذا قال في «كشف الأسرار»؛ أي: أخبره خبراً يظهره أثر على بشرته من الترح.

﴿وإذا علم من آياتنا شيئاً﴾؛ أي: إذا بلغه من آياتنا شيء، وعلم أنه من آياتنا إلا أنه علمه، كما هو عليه، فإنه بمعزل من ذلك الكلام. ﴿اتخذها﴾؛ أي: الآيات كلها. ﴿هزواً﴾؛ أي: مهزواً بها لا ما سمعه فقط، أو الضمير للشيء والتأنيث باعتبار الآية. يعني: [بآن افسوس كندو بصورتى باز نمايدكه از حق وصواب دور باشد]. كالنضر استهزأ بها وعارضها بحديث الفرس يرى العوام أنه لا حقيقة لذلك، وكأبي جهل حيث أطعمهم الزبد والتمر. وقال: تزقموا أفهذا ما يتوعدكم به محمد، فحمل الزقوم على الزبد والتمر. ﴿أولئك﴾: إشارة إلى كل أفاك من حيث الإنصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار شمول كل كما أن الإفراد في الضمائر السابقة باعتبار كل واحد. ﴿لهم﴾ بسبب جناياتهم المذكورة ﴿عذاب مهين﴾ يذلهم ويذهب بعزهم وصف العذاب بالإهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بآيات الله.

﴿من ورائهم جهنم﴾؛ أي: جهنم كائنة من قدامهم؛ لأنهم متوجهون إلى ما أعد لهم أو من خلفهم؛ لأنهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا، فإن الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف، أو قدام؛ أي: يسترها.

وقال بعضهم: وراء في الأصل مصدر جعل ظرفاً ويضاف إلى الفاعل، فيراد به ما يتوارى به، وهو خلفه وإلى المفعول، فيراد به ما يواريه، وهو قدامه، ولذلك عد من الأضداد.

وفي «القاموس»: الوراء يكون خلف وقدام ضد أولاً؛ لأنه بمعنى، وهو ما توارى عنك. ﴿ولا يغني عنهم﴾ ولا يدفع ﴿ما كسبوا﴾ من الأولاد والأموال ﴿شيئاً﴾ من عذاب، فيكون مفعولاً به أو لا يغني عنهم في ذلك شيئاً من الإغناء؛ أي: إغناء قليلاً، فيكون مصدراً، يقال أغنى عنه إذا كفاه؟ ﴿ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء﴾؛ أي: ولا ينفعهم أيضاً ما عبدوه من دون الله من الأصنام وتوسيط حرف النفي بين المعطوفين مع أن عدم إغناء الأصنام أظهر وأجلى من عدم إغناء الأموال والأولاد قطعاً مبني على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في شفاعتهم وفيه تهكم ﴿ولهم﴾ فيما وراءهم من جهنم ﴿عذاب عظيم﴾ لا يعرف كنهه يعني: [شدت آن از حد متجاوزاست].

﴿هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿**هذا**﴾؛ أي: القرآن ﴿**هدى**﴾؛ أي: في غاية الكمال من الهداية؛ كأنه نفسها كقولك ريد عدل ﴿**والذين كفروا بآيات ربهم**﴾ القرآنية ﴿**لهم عذاب من رجز**﴾؛ أي: من شدة العذاب ﴿**أليم**﴾ بالرفع صفة عذاب. وبالفارسية: [ازسخت ترين عذابي ألم رسانيده]. وفي الآيات إشارات:

منها: أن بعض الناس يسمع آيات الله في الظاهر إذ تتلى عليه ولا يسمعها بسمع الباطن ويتصامم بحكم الخذلان والغفلة، فله عذاب أليم لاستكباره عن قبول الحق، وعدم العمل بموجب الآيات، وكذا إذا سمعها وتلاها بغير حضور القلب:

تعتيست اين كه بر لهجه وصوت   شوداز تو حضور خاطر فوت
فكر حسن غنا برد هوشت   متكلم شود فراموشت
نشود بردل توتا بنده   كين كلام خداست يابنده

ومن استمع بسمع الحق والفهم، واستبصر بنور التوحيد، فاز بذخر الدارين وتصدى لعز المنزلين.

ومنها: أن العالم الرباني إذا أفاد شيئاً من العلم ينبغي أن يكون في حيز القبول، ولا يقابل بالعناد والتأول على المراد من غير أن يكون هناك تصحيح بإسناد، وذلك فإن العبد يكاشف أموراً بتعريفات الغيب لا يتداخله فيها ريب، ولا يتخالجه منها شك فمن استهان بها وقع في ذل الحجاب وجهنم البعد، كما عليه أهل الإنكار في كل الأعصار حيث لا يقبلون أكثر ما ذكره مثل الإمام الغزالي. والإمام المكي، فيكونون كمن يؤمن ببعض ويكفر ببعض بموافقة الأهواء والأغراض.

ومنها: أن القرآن هداية لكن للمقرين لا للمنكرين، فمن أقر بعباراته وإشاراته نجا من الخذلان والوقوع في النيران، ومن أنكرها وقع في عذاب عظيم يذل فيه ويهان.

﴿**الله الذي سخر لكم البحر**﴾ بأن جعله أملس السطح يعلو عليه ما شأنه الغوص كالأخشاب، ولا يمنع الغوص والحزق لميعانه فإنه لو جعل خشن السطح بأن كان ذا ارتفاع وانخفاض، لم يتيسر جري الفلك عليه، وكذا لو جعله بحيث لا تطفو عليه الأخشاب ونحوها، بل تسفلت وغرقت فيه، لم يتيسر ذلك أيضاً ولو جعله صلباً مصمتاً يمنع الغوص فيه لم يمكن تحصيل المنافع المترتبة على الغوص.

﴿**لتجري الفلك فيه بأمره**﴾؛ أي: بإذنه وتيسيره وأنتم راكبوها ﴿**ولتبتغوا من فضله**﴾ بالتجارة والغوص على اللؤلؤ والمرجان ونحوها من منافع البحر ﴿**ولعلكم تشكرون**﴾ ولكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك بالإقرار بوحدانية المنعم بها.

وفي الآية إشارة إلى أنه تعالى سخر بحر العدم لتجري فيه فلك الوجود بأمره، وهو أمر كن والحكمة في هذا التسخير مختصة بالإنسان لا بالفلك سخر البحر والفلك له وسخره لنفسه ليكون خليفته، ومظهراً لذاته وصفاته نعمة منه وفضلاً لإظهار الكنز المخفي، فبحسب كل

مسخر من الجزئيات والكليات يجب على العبد شكره، وشكره أن يستعمله في طلب الله بأمره ولا يستعمله في هوى نفسه، وله أن يعتبر من البحر الصوري، والذين يركبون البحر، فربما تسلم سفينتهم، وربما تغرق كذلك العبد في فلك الاعتصام في بحار التقدير يمشي به في رياح المشيئة مرفوع له شراع التوكل مرسي في بحر اليقين، فإن هبت رياح العناية نجت السفينة إلى ساحل السعادة، وإن هبت نكباه الفتنة لم يبق بيد الملاح شيء وغرقت في لجة الشقاوة، فعلى العبد أن يبتغي فضل الله ويسعى في الطلب بأداء شكر النعم، كما في «التأويلات النجمية».

﴿**وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض**﴾ من الموجودات بأن جعلها مداراً لمنافعكم ودلت الآية على أن نسبة الحوادث الأرضية إلى الاتصالات الفلكية جائزة. ﴿**جميعاً**﴾ إما حال من ﴿**ما في السماوات وما في الأرض**﴾ أو تأكيد له. ﴿**منه**﴾ صفة لجميعاً؛ أي: كائناً منه تعالى، أو حال من ما؛ أي: سخر لكم هذه الأشياء كائنة منه مخلوقة له أو خبر لمحذوف؛ أي: هي جميعاً منه تعالى.

وفي «فتح الرحمٰن» جميعاً منه؛ أي: كل إنعام فهو من فضله؛ لأنه لا يستحق عليه أحد شيئاً، بل هو يوجب على نفسه تكرماً. ﴿**إن في ذلك**﴾؛ أي: فيما ذكر من الأمور العظام ﴿**لآيات**﴾ عظيمة الشأن كبيرة القدر دالة على وجود الصانع وصفاته. ﴿**لقوم يتفكرون**﴾ في بدائع صنع الله، فإنهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها، ويوفقون لشكرها: [دبر جمله جهان زمغز تابوست. هر ذره كواه قدرت اوست].

روي: أنه عليه السلام مر على قوم يتفكرون، فقال: تفكروا في الخلق، ولا تتفكروا في الخالق. وفي الحديث: «إن الشيطان يأتي أحدكم، فيقول: من خلق السماوات، فيقول الله، ويقول: من خلق الأرض، فيقول الله ويقول: من خلق الله، فإذا افتتن أحدكم بذلك، فليقل آمنت بالله ورسوله، واعلم أن التفكر على العبادات وأفضلها؛ لأن عمل القلب أعلى وأجل من عمل النفس، ولذلك قال عليه السلام «تفكر ساعة خير من عبادة سنة».

وفي رواية: ستين سنة. وفي رواية: سبعين سنة. وروي: أن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: دخلت على أبي هريرة رضي الله عنه، فسمعته يقول: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «تفكر ساعة خير من عبادة سنة»، ثم دخلت على ابن عباس رضي الله عنهما، فسمعته يقول: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: تفكر ساعة خير من عبادة سبع سنين، ثم دخلت على أبي بكر رضي الله عنه، فسمعته يقول: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة، فقال المقداد: فدخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبرته بما قالوا، فقال: صدقوا، ثم قال: ادعهم إليَّ فدعوتهم، فقال لأبي هريرة: كيف تفكرك؟، وفيما ذا قال في قول لله تعالى، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩]، الآية. قال: تفكرك خير من عبادة سنة.

ثم سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن تفكره، فقال: تفكري في الموت، وهول المطلع، قال: تفكرك خير من عبادة سبع سنين، ثم قال لأبي بكر: كيف تفكرك، قال: تفكري في النار وفي أهوالها، وأقول: يا رب اجعلني يوم القيامة من العظم بحال يملأ النار مني حتى تصدق وعدك، ولا تعذب أمة محمد في النار، فقال عليه السلام: تفكرك خير من عبادة سبعين سنة، ثم قال: أرأف أمتي بأمتي أبو بكر. فالفضل راجع إلى مراتب النيات.

يقول الفقير: وجه التخصيص في الأول أن اختلاف الليل والنهار المذكور في آية التفكر يدور على السنة، فبمقدار بُعد التفكر جاء الثواب. وفي الثاني: أن خوف الموت، وما بعده ينتهي إلى الجنة، أو إلى النار والجنة فوق سبع سماوات كما أن النار تحت سبع أرضين. وفي الثالث: أن بعد قعر جهنم سبعون سنة على ما ورد في الحديث، فلما كان الصديق رضي الله عنه بعيد التفكر بالنسبة إلى الأولين أثيب بما ذكر وجاء أجره مناسباً لتفكره.

وفي الآية إشارة إلى أن السماوات والأرض، وما فيهن خلقت للإنسان، فإن وجودها تبع لوجوده. وناهيك من هذا المعنى أن الله تعالى أسجد ملائكته لآدم عليه السلام. وهذا غاية التسخير وهم أكرم مما في السماوات والأرض، ومثال هذا أن الله تعالى لما أراد أن يخلق ثمرة خلق شجرة، وسخرها للثمرة لتحملها، فالعالم بما فيه شجرة وثمرتها الإنسان ولعظم هذا المعنى.

قال: ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾؛ أي: في هذا المعنى دلالات على شرف الإنسان وكماليته لقوم لهم قلوب منورة بنور الإيمان والعرفان إذ يتفكرون بتفكر سليم، كما في «التأويلات النجمية».

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿**قل للذين آمنوا**﴾: اغفروا يعني: [در كذرانيد وعفو كنيد]. وهو مقول القول حذف لدلالة الجواب عليه، وهو قوله: ﴿يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤]، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣١]؛ أي: قل لهم أقيموا الصلاة يقيموا الصلاة.

قال صاحب «الكشاف»: وجوزوا أن يكون يقيموا بمعنى ليقيموا، ويكون هذا هو المقول، قالوا: وإنما جاز حذف اللام؛ لأن الأمر الذي هو: قل عوض عنه، ولو قيل: يقيموا ابتداء بحذف اللام لم يجز وحقيقة الرجاء تكون في المحبوب، فهو هنا محمول على المجاز، وهو التوقع والخوف.

والمعنى: يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون، ولا يخافون وقائعه تعالى بأعدائه في الأمم الماضية لقولهم أيام العرب لوقائعها كيوم بعاث، وهو كغراب وبعاث موضع بقرب المدينة ويومه معروف، كما في «القاموس». وقيل: لا يأملون الأوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين، ووعدهم الفوز فيها وإضافتها إلى الله كبيت الله. وهذه الآية نزلت قبل آية القتال، ثم نسخت بها، وذلك لأن السورة مكية بالاتفاق إلا أن الماوردي استثنى هذه الآية.

وقال: إنها مدنية، نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعزاه إلى ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة، وذلك أن عمر رضي الله عنه شتمه غفاري فهمَّ أن يبطش به، فنزلت في حقه.

قال في «القاموس»: وبنو غفار ككتاب رهط أبي ذر الغفاري. وقيل: نزلت حين قال رئيس المنافقين عبد الله بن أبيّ ما قال. وذلك أنهم نزلوا في غزوة بني المصطلق على بئر يقال لها: مريسيع مصغر مرسوع، فأرسل ابن أبي غلامه يستقي فأبطأ عليه، فلما أتاه، قال له: ما

حبسك، قال: غلام عمر قعد على طرف البئر، فما ترك أحداً يستقي حتى ملأ قرب النبي عليه السلام. وقرب أبي بكر وعمر، فقال: ابن أبيّ ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل: سمن قلبك يأكلك، فبلغ ذلك عمر، فاشتمل سيفه يريد التوجه إليه، فأنزلها الله. [ودر تفسير امام ثعلبي مذكور است كه بعد از نزول آيت]. ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]: [فنحاص عاذور اليهودي بر سبيل طنز كفت خداى تعالى مكر محتاج است كه قرض ميطلبد ابن خبر يفاروق رضي الله عنه رسيده برجست وشمشير كشيد ورى بجست وجوى او نهاد تاهر جابيند بقتلش رساند حضرت عليه السلام بطلب عمر فرستاد جون حاضر شد كفت اى عمر شمشير بنه كه حق سبحانه وتعالى بعفو فرموده وآيت بروى خواند عمر كفت يا رسول الله بدان خداى كه ترا بحق بخلق فرستاد كه ديكر اثر غضب درروى من نه بيند ودر مقابله كناه جز صفت عفو از من مشاهده نكند. جويد بينى زخلق ودر كذارى. تراز يبد طريق بردبارى اكرجه دامنت رامى دردخار. توكل باش ودهان برخنده ميدار].

﴿ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون﴾ تعليل للأمر بالمغفرة. والمراد بالقوم: المؤمنون والتنكير لمدحهم، والثناء عليهم؛ أي: أمروا بذلك ليجزي الله يوم القيامة قوماً؛ أيَّ قوم لا قوماً مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الأعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على أذية الكفار والمنافقين والإغضاء عنهم بكظم الغيظ، واحتمال المكروه، وما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم، وقد جوز أن يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التي من جملتها ما حكي من الكلمة الخبيثة والتنكير للتحقير، فإن قلت: مطلق الجزاء لا يصلح تعليلاً للأمر بالمغفرة لتحققه على تقديري المغفرة وعدمها. قلت: لعل المعنى: قل للمؤمنين يتجاوزوا عن إساءة المشركين والمنافقين، ولا يباشروا بأنفسهم لمجازاتهم ليجزيهم الله يوم القيامة جزاء كاملاً يكافي سيئاتهم ويدل على هذا المعنى. الآية الآتية. وأيضاً أن الكسب في أكثر ما ورد في القرآن كسب الكفار، ويجوز أن يكون المعنى ليجزيهم الله وقت الجزاء كيون بدر ونحوه.

وفي الآية إشارة إلى أن المؤمن إذا غفر لأهل الجرائم، وإن لم يكونوا أهل المغفرة لإصرارهم على الكفر والأذى يصير متخلقاً بأخلاق الحق، ثم الله تعالى يجزي كل قوم جزاء عملهم من الخير والشر، إما في الدنيا والآخرة، أو في الآخرة.

﴿من﴾: [هركه]. ﴿عمل صالحاً﴾، وهو ما طلب به رضى الله عنه تعالى. ﴿فلنفسه﴾. أي: فنفع ذلك العمل الصالح وثوابه لنفسه عائد إليها. ﴿ومن أساء﴾: [وهركه كارى بدكند] ﴿فعليها﴾؛ أي: فضرر إساءته وعقابها على نفسه لا يكاد يسري عمل إلى غير عامله. ﴿ثم إلى ربكم﴾ مالك أموركم لا إلى غيره. ﴿ترجعون﴾: تردون بالموت، فيجازيكم على أعمالكم خيراً كان أو شراً، فاستعدوا للقائه ففيه ترغيب على اكتساب العمل الصالح وترهيب عن ارتكاب العمل السيىء، فمن الأول العفو والمغفرة للمجرم، وصاحبه متصف بصفات الله تعالى.

ومن الثاني: المعصية والظلم وصاحبه متصف بصفات الشيطان، فمن كان من الأبرار. فإن الأبرار لفي نعيم، ومن كان من الفجار، فإن الفجار لفي جحيم. والفجور نوعان:

فجور صوري، وهو ظاهر. وفجور معنوي، وهو إنكار أهل الله والتعرض لهم بسوء بوجه من التأول، ونحو ذلك مما ظاهره صلاح وباطنه فساد، فرحم الله أهل التسليم والرضا

والقبول، ومن ترك الحرام والشبهة والفضول. وعن بعضهم: أنه كان يمشي في البرية، فإذا هو بفقير يمشي حافي القدمين حاسر الرأس عليه خرقتان متزر بإحداهما مرتدي بالأخرى ليس معه زاد ولا ركوة، قال: فقلت في نفسي: لو كان مع هذا ركوة وحبل إذا أراد الماء توضأ وصلى كان خيراً له، ثم لحقت به، وقد اشتدت الهاجرة، فقلت له: يا فتى لو جعلت هذه الخرقة التي على كتفك على رأسك تتقي بها الشمس كان خيراً لك فسكت ومشى، ولما كان بعد ساعة قلت له: أنت حاف أي شيء ترى في نعل تلبسها ساعة وأنا ساعة، فقال: أراك كثير الفضول، ألم تكتب الحديث؟ فقلت: بلى، قال: فلم تكتب عن النبي عليه السلام من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، فسكت ومشينا فعطشت، ونحن على ساحل، فالتفت إليّ وقال: أنت عطشان، فقلت: لا، فمشينا ساعة، وقد كظني العطش؛ أي: جهدني وأوقعني في الشدة، ثم التفت، وقال: أنت عطشان، فقلت: نعم، وما تقدر تعمل معي في مثل هذا الموضع، فأخذ الركوة مني ودخل البحر وغرف من البحر وجاءني به، وقال: اشرب، فشربت ماء أعذب من النيل وأصفى لوناً، وفيه حشيش، فقلت في نفسي: هذا ولي الله، ولكني أدعه حتى إذا وافينا المنزل سألته الصحبة، فوقف، وقال: أيما أحب إليك أن تمشي أو أمشي، فقلت في نفسي: إن تقدم فاتني، ولكن أتقدم أنا وأجلس في بعض الموضع، فإذا جاء سألته الصحبة، فقال: يا أبا بكر إن شئت تقدم واجلس، وإن شئت تأخر، فإنك لا تصحبني. ومضى وتركني، فدخلت المنزل، وكان به صديق لي وعندهم عليل، فقلت لهم: رشوا عليه من هذا الماء، فرشوا عليه فبرىء وسألتهم عن الشخص فقالوا: ما رأيناه.

ففي هذه الحكاية فوائد فتفطن لها. واعلم أنك لا تصل إلى مثل هذه المرتبة إلا بالإيمان الكامل والعلم النافع والعمل الصالح، فمن فقد شيئاً منها حرم نعوذ بالله.

قال الشيخ سعدي:

يى نيك مردان ببايد شتافت　　　كه هركس كرفت اين سعادت بيافت

ولكن تودنبال ديو خسى　　　ندانم بى صالحا كى رسى

بيمبر كسى راشفاعت كرست　　　كه برجاده شرع بيغمبر ست

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب﴾؛ أي: التوراة. قال سعدي المفتي: ولعل الأولى أن يحمل الكتاب على الجنس حتى يشمل الزبور والإنجيل أيضاً. انتهى.

وذلك لأن موسى وداود وعيسى عليهم السلام كانوا في بني إسرائيل. **﴿والحكم﴾**؛ أي: الحكمة النظرية والعملية والفقه في الدين أو فصل الخصومات بين الناس إذ كان الملك فيهم. **﴿والنبوة﴾** حيث كثر فيهم الأنبياء ما لم تكثر في غيرهم، فإن إبراهيم عليه السلام كان شجرة الأنبياء عليهم. **﴿ورزقناهم من الطيبات﴾** من اللذائذ كالمن والسلوى. **﴿وفضلناهم على العالمين﴾** حيث آتيناهم ما لم نؤت من عداهم من فلق البحر وتظليل الغمام ونظائرهما، ولا

يلزم منه تفضيلهم على غيرهم بحسب الدين والثواب، أو على عالمي زمانهم، فإنه لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله، ولا أحب إليه منهم. وقد سبق تحقيق المقام في السورة السابقة.

﴿**وآتيناهم بينات من الأمر**﴾ دلائل ظاهرة في أمر الدين ومعجزات قاهرة فمن بمعنى في كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو العلم بمبعث النبي عليه السلام، وما بين لهم من أمره، وأنه يهاجر من تهامة إلى يثرب ويكون أنصاره أهل يثرب. ﴿**فما اختلفوا**﴾، فما وقع بينهم الخلاف في ذلك الأمر. ﴿**إلا من بعد ما جاءهم العلم**﴾بحقيقته وحقيته، فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجباً لرسوخه.

﴿**بغياً بينهم**﴾ تعليل؛ أي: عداوة وحسداً حدث بينهم لا شكاً فيه. ﴿**إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة**﴾ بالمؤاخذة والجزاء. ﴿**فيما كانوا فيه يختلفون**﴾ من أمر الدين. ﴿**ثم جعلناك**﴾: [بس بعد از بني إسرائيل ساختيم ترا يعنى مقرر كرديم سلوك تو]. ﴿**على شريعة**﴾؛ أي: سنة وطريقة عظيمة الشأن. ﴿**من الأمر**﴾؛ أي: أمر الدين. ﴿**فاتبعها**﴾ بإجراء أحكامها في نفسك، وفي غيرك من غير إخلال بشيء منها.

وفي «التأويلات النجمية»: إنا أفردناك من جملة الأنبياء بلطائف، فاعرفها وخصصناك بحقائق، فأدركها وسننا لك طرائق، فاسلكها وأثبتنا لك الشرائع فاتبعها، ولا تتجاوز عنها، ولا تحتج إلى متابعة غيرك، ولو كان موسى وعيسى حياً لما وسعهما إلا اتباعك.

قال جعفر الصادق رضي الله عنه: الشريعة في الأمور محافظة الحدود فيها، ومن الله الإعانة. ﴿**ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون**﴾؛ أي: آراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات، وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه السلام: ارجع إلى دين آبائك، فإنهم كانوا أفضل منك.

﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿**إنهم لن يغنوا**﴾ لن يدفعوا ﴿**عنك من الله شيئاً**﴾ مما أراد بك من العذاب إن اتبعتهم. قال بعضهم: يعني: إن أراد الله بك نعمة، فلا يقدر أحد على منعها، وإن أراد بك فتنة، فلا يقدر أحد أن يصرفها عنك، فلا تعلق بمخلوق فكرك، ولا تتوجه بضميرك إلى غيرنا، وثق بنا وتوكل علينا.

﴿**وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض**﴾ لا يواليهم ولا يتبع أهواءهم إلا من كان ظالماً مثلهم؛ لأن الجنسية علة الانضمام. ﴿**والله ولي المتقين**﴾ الذين أنت قدوتهم فدم على ما أنت عليه من تولية خاصة بالتقوى والشريعة، والإعراض عما سواه بالكلية.

وفي «التأويلات النجمية»: سماهم الظالمين لأنهم وضعوا الشيء في غير موضعه وسمى المؤمنين المتقين؛ لأنهم اتقوا عن هذا المعنى، واتخذوا الله الولي في الأمور كلها.

﴿**هذا**﴾: القرآن. ﴿**بصائر للناس**﴾، فإن ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كأنه بمنزلة الروح والحياة، فمن عري من القرآن، فقد عدم بصره وبصيرته وصار كالميت والجماد الذي لا حس له ولا حياة، فحمل البصائر على القرآن، باعتبار أجزائه ونظيره

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٤]؛ أي: القرآن، وآياته. وقوله تعالى في حق الآيات التسع لموسى عليه السلام. قال: لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر والبصائر جمع بصيرة. وهو النور الذي به تبصر النفس المعقولات، كما أن البصر نور به تبصر العين المحسوسات. ويجوز أن يكون هذا إشارة إلى اتباع الشريعة، فحمل البصائر عليه؛ لأن المصدر المضاف من صيغ العموم؛ فكأنه قيل: جميع اتباعاتها.

﴿**وهدى**﴾ من ورطة الضلالة. ﴿**ورحمة**﴾ عظيمة ونعمة كاملة من الله، فإن الفوز بجميع السعادات الدنيوية والأخروية، إنما يحصل به ﴿**لقوم يوقنون**﴾ من شأنهم الإيقان بالأمور. وبالفارسية: [مر كروهى راكه بى كمان شوند يعنى از باديه كمان كذشته طالب سر منزل يقين باشند].

وفي «التأويلات النجمية»: المستعدين للوصول إلى مقام اليقين بأنوار البصيرة، فإذا تلألأت انكشف بها الحق والباطل، فنظر الناس على مراتب من ناظر بنور العقل ومن ناظر بنور الفراسة، ومن ناظر بنور الإيمان، ومن ناظر بنور الإيقان، ومن ناظر بنور الإحسان، ومن ناظر بنور العرفان، ومن ناظر بنور العيان، ومن ناظر بنور العين، فهو على بصيرة شمسها طالعة وسماؤها عن السحاب مصحية. انتهى.

وعن النبي عليه السلام: «القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم. أما داؤكم، فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار» وأعظم الذنوب الشرك وعلاجه التوحيد، وهو على مراتب بحسب الأفعال والصفات والذات، وللإشارة إلى المرتبة الأولى.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، فإن التوكل نتيجة توحيد الأفعال، والتوكل كله الأمر كله إلى مالكه، والتعويل على وكالته. وللإشارة إلى المرتبة الثانية. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨]، فإن الرضا لإرادته الأزلية وترك الاعتراض وسرور القلب بمر القضاء ثمرة توحيد الصفات. ومن هذا المقام قال أبو علي الدقاق رحمه الله: التوحيد هو أن يقرضك بمقاريض القدرة في إمضاء الأحكام قطعة قطعة، وأنت ساكت حامد. وللإشارة إلى المرتبة الثالثة. قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

حكي: أن واحداً من أصحاب أبي تراب النخشبي توجه إلى الحج، فزار أبا يزيد البسطامي قدس سره، فسأله عن شيخه، فقال: إنه يقول: لو صارت السماء والأرض حديداً ما شككت في رزقي فاستقبحه أبو يزيد؛ لأن فيه فناء الأفعال دون الصفات والذات، وقال: كيف تقوم الأرض التي هو عليها فرجع فأخبر القصة لأبي تراب، فقال: قل له: كيف أنت؟ فجاء وسأل، فكتب: بسم الله الرحمٰن الرحيم [بايزيد نيست]، فلما رآه أبو تراب، وكان في الاحتضار قال: آمنت بالله، ثم توفي. قال مولانا قدس سره:

هيج بغضى نيست در جانم زتو　　زانكه اين را من نمى دانم زتو
آلت حقى توفاعل دست حق　　جون زنم بر آلت حق طعن ودق

وقال أيضاً:

آدمى راكى رسد اثبات تو　　اى بخود معروف وعارف ذات تو

فعليك بتدبر الآيات القرآنية والانتفاع بالبصائر النورانية لتكون من العلماء الربانية.

قال بعض الكبار: أربعة عالم حظه من الله، وهو مقام السر والحقيقة. قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]، وعالم حظه من الله العلم والمعرفة بالله، وهو مقام الروح والمعرفة، وعالم حظه علم السير إلى الله، وهو مقام النفس والطريقة وعالم حظه علم السير إلى الآخرة، وهو مقام الطبيعة والشريعة؛ لأنه بالأعمال الصالحة يحصل السير الأخروي، وأعلى الكل هو الأول. قال بعض الكبار: رأيت أبا يزيد قعد في مسجد بعد العشاء إلى الصبح، فقلت: أخبرني عما رأيت، فقال: أراني الله ما في السماوات والأرض، ثم قال ما أعجبك؟ فقلت: ما أعجبني غيرك، فبعضهم طلب منك المشي على الماء وبعضهم كرامة أخرى، وأنا لا أريد غيرك. قال: فقلت له: لم لم تطلب منه معرفته، فقال: مه لا أريد أن يعرفه غيره.

قال بعضهم: مقام التوحيد فوق مقام المعرفة. حكي: أن اثنين من الفقراء التقيا، فتكلما على المعارف الإلٰهية كثيراً، ثم قال أحدهما للآخر: رضي الله عنك إذ حصل لي ذوق عظيم من من صحبتك من المعارف. وقال الآخر: ولا رضي عنك إذا استقطعتني بصحبتك من مقام التوحيد إلى مقام المعرفة، فإذا كملت المعرفة حصل الشهود والفناء والسكون.

قال الشيخ سعدي المفتي:

ای مرغ سحر عشق زبروانه بیاموز ... کان سوخته راجان شد وآوز نیامد
این مدعیان در طلبش بی خبرانند ... کانراکه خبر شد خبری باز نیامد

وقال:

کر کسی وصف او زمن برسد ... بی دل از بی نشان جه کویدباز
عاشقان کشتکان معشوقند ... برنیایدز کشتکان آواز

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الجامعين للمراتب والواصلين إلى أعلى المطالب، فإن له ملك الوجود ومنه الكرم والفيض والوجود والإرشاد إلى حقيقة الفناء السجود.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾: أم منقطعة، وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الأول إلى الثاني. والهمزة لإنكار الحسبان بطريق إنكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه لا بطريق إنكار الوقوع ونفيه، والاجتراح: الاكتساب. ومنه الجوارح للأعضاء الكاسبة.

قال في «المفردات»: سمي الصائد من الكلاب والفهود والطير جارحة، وجمعها جوارح إما لأنها تجرح وإما لأنها تكسب وسميت الأعضاء الكاسبة: جوارح تشبيهاً بها لأحد هذين. انتهى.

والمراد بالسيئات: الكفر والمعاصي. **﴿أن نجعلهم﴾** أن نصيرهم في الحكم والاعتبار مع ما لهم من مساوىء الأحوال، وهو مع ما عمل فيه ساد مسد مفعولي الحسبان. **﴿كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾**: مع ما لهم من محاسن الأعمال ونعاملهم معاملتهم في الكرامة

ورفع الدرجة. و(الكاف): مفعول ثان للجعل. ﴿سواء محياهم ومماتهم﴾؛ أي: محيا الفريقين جميعاً ومماتهم حال من الضمير في الظرف والموصول معاً لاشتماله على ضميريهما على أن السواء بمعنى المستوي، ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية.

والمعنى: أم حسبوا أن نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستوياً محياهم ومماتهم كلا لا يستوون في شيء منهما، فإن هؤلاء في عز الإيمان والطاعة وشرفهما في المحيا، وفي رحمة الله ورضوانه في الممات. ولذا قال عليه السلام لما رأى أصحاب الصفة في المسجد «المحيا محياكم والممات مماتكم»، وأولئك في ذل الكفر والمعاصي، وهوانهما في المحيا وفي لعنة الله، والعذاب الخالد في الممات (ع): [كل وخار وكل وكوهر نه برابر باشد].

وكان كفار قريش يقولون: نحن أحسن حالاً من المؤمنين في الآخرة؛ أي: على تقدير وقوع الساعة، كما قالوا: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبا: ٣٥] أي: فإن العزيز في الدنيا عزيز في الآخرة. وقد قيل: إن المراد إنكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة؛ لأن المسيئين والمحسنين مستوٍ محياهم في الرزق والصحة، وإنما يفترقون في الممات. ﴿ساء ما يحكمون﴾؛ أي: ساء حكمهم هذا على أن (ما) مصدرية والفعل للإخبار عن قبح حكمهم أو بئس شيئاً حكموا به ذلك على أن ساء بمعنى بئس وما نكرة موصوفة بمعنى شيء. والفعل لإنشاء الذم.

وبالفارسية: [بد حكميست كه ايشان ميكنند ونتيجة شرك وتوحيدرا برابر ميدارند (ع) نيست يكسان لاى زهر آميز باآب حيات]. وعن تميم الداري رضي الله عنه: أنه كان يصلي ذات ليلة عند المقام، فبلغ هذه الآية، فجعل يبكي ويردد إلى الصباح. وعن الفضيل رحمه الله أنه بلغها، فجعل يرددها ويبكي ويقول: يا فضيل ليت شعري من أي الفريقين أنت؟ فلا يطمعن البطال في ثواب العمال ولا الجبناء في مقام الأبطال ولا الجاهل في ثواب العالم، ولا النائم في ثواب القائم، فعلى قدر اجتهاد المرء يزيد أجره وبقدر تقصيره ينحط قدره.

وفي بعض الكتب السابقة أن لله منادياً ينادي كل يوم أبناء الخمسين زرع دنا حصاده أبناء الستين هلموا إلى الحساب أبناء السبعين، ماذا قدمتم؟ وما أخرتم؟، ثم أبناء الثمانين لا عذر لكم: ليت الخلق لم يخلقوا، وليتهم إذا خلقوا علموا لماذا خلقوا وتجالسوا بينهم، فتذكروا ما عملوا إلا أتتكم الساعة فخذوا حذركم. وفي الخبر: إذا أراد الله بعبد خيراً بعث إليه ملكاً من عامه الذي يموت فيه فيسدده وييسره، فإذا كان عند موته أتاة ملك الموت، فقعد عند رأسه، فقال: يا أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فذلك حين يحب لقاء الله ويحب الله لقاءه.

وإذا أراد بعبد شراً بعث إليه شيطاناً من عامه الذي يموت فيه، فأغواه، فإذا كان عند موته أتاه ملك الموت فقعد عند رأسه، فيقول: يا أيتها النفس المطمئنة الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتفرق في حسده فذلك حين يبغض لقاء الله ويبغض الله لقاءه. ويقال: إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة آنسه بالوحدة وأغناه بالقناعة وبصره بعيوب نفسه، فمن أعطي ذلك، فقد أعطي خير الدنيا والآخرة، كما أنه فرق بين مطيع وفاسق، فكذا فرق بين مطيع ومطيع وللتفاضل في الإطاعة والنيات تتفاضل المقامات والدرجات.

ولذا يرى بعض أهل الجنة البعض، كما يرى في الدنيا الكوكب الدري، وعن عبيد بن خالد رضي الله عنه: أن النبي آخى بين رجلين، فقتل أحدهما في سبيل الله، ثم مات الآخر بعده بجمعة أو نحوها، فصلوا عليه، فقال عليه السلام: ما قلتم؟ قالوا: دعونا الله أن يغفر له ويرحمه ويلحقه بصاحبه، فقال النبي عليه السلام، فأين صلاته بعد صلاته وعمله بعد عمله، أو قال: صيامه بعد صيامه لما أن بينهما أبعد مما بين السماء والأرض».

وقد ورد في بعض الأخبار أن الموتى يتأسفون على انقطاع الأعمال عنهم حتى يتحسرون على رد السلام وثوابه، فليحذر العاقل من حسرة السباق، وفجيعة الفراق، أما حسرة السباق فإنهم إذا قاموا من قبورهم، وركب الأبرار نجائب الأنوار وقدمت بين أيديهم نجائب المقربين بقي المسبوق في جملة المحرومين. وأما فجيعة الفراق، فإنه إذا جمع الله الخلق في مقام واحد أمر ملكاً ينادي: أيها الناس امتازوا، فإن المتقين قد فازوا. كما قال: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يس: ٥٩]، فيمتاز الولد من والديه، والزوج من زوجته والحبيب من حبيبه، فهذا يحمل مبجلاً إلى رياض النعيم.

وهذا يساق مسلسلاً إلى عذاب الجحيم. قال بعض الأخيار: رأيت الشيخ أبا إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي قدس سره في النوم بعد وفاته وعليه ثياب بيض، وعلى رأسه تاج، فقلت له: ما هذا البياض؟ فقال: شرف الطاعة، قلت: والتاج. قال عز العلم. وعن أبي بكر الوراق قدس سره: طلبنا أربعة فوجدناها في أربعة: وجدنا رضا الله في طاعة الله تعالى، وسعة المعاش في صلاة الضحى، وسلامة الدين في حفظ اللسان ونور القلب في صلاة الليل، فعليك بالتدارك قبل فوت الوقت، فإن الوقت سيف قاطع.

قال الشيخ سعدي:

سر ازجيب غفلت برآوركنون	كه فردانماني بخجلت نكون
قيامت كه نيكان باعلى رسند	زقعر ثرى بر ثريا رسند
تراخود بماند سر ازننك بيش	كه كردت برآيد عملهاى خويش
برادر زكار بدان شرم دار	كه در روى نيكان شوى سر مسار

﴿وخلق الله السماوات والأرض بالحق﴾؛ أي: بسبب الحق ولأجل ظهوره وحقيقته بالأمر الإيجادي والتجلي الحي الأحدي، فما من ذرة من ذرات العالم، إلا والله سبحانه متجل فيها بأسمائه وصفاته، لكنه لا يشاهده إلا أهل الشهود، وبظهور هذا الحق والوجود زهق الباطل والعدم وعليه يدور سر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فإن الله متعال عن الاستواء بنفسه كما يقول الظالمون. ﴿ولتجزى كل نفس بما كسبت﴾ من خير وشر عطف على بالحق؛ لأن فيه معنى التعليل؛ لأن الباء للسببية وبيانه أن الحكمة في خلق العالم هو الجزاء إذ لو لم يكن الجزاء كما يقول الكافرون لاستوى المطيع والعاصي، فالجزاء مترتب على الطاعة والعصيان، وهما موقوفان على وجود العالم إذ التكليف لا يحصل إلا في هذه الدار.

وقد سبق في سورة الدخان عند قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الدخان: ٣٨].

﴿وهم﴾؛ أي: النفوس المدلول عليها بكل نفس. ﴿لا يظلمون﴾ بنقص ثواب المحسن وزيادة عقاب المسيء: [بلكه هر كس رافرا خور عمل اوجز ادهد].

وتسمية ذلك ظلماً مع أنه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة أهل السنة لبيان غاية تنزه

ساحة لطفه تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه تعالى، فهذه الآية إخبار بأن التسوية في الجزاء سفه، والله تعالى خلق العالم بالحق ليتميز المطيع من العاصي لا بالسفه، فلا بد من المجازاة على وفق الأعمال بين عدل وفضل بلا ظلم وجهل، فعليك بالمسارعة إلى الأعمال الصالحة لا سيما التوحيد وذكر الله تعالى إذ به تحصل المعرفة المقصودة من خلق الثقلين ولفضل المعرفة. قال عليه السلام في جواب من قال: أي الأعمال أفضل؟ العلم بالله»، وبين معرفة ومعرفة فرق عظيم. لذلك قال حافظ قبر أبي يزيد البسطامي قدس سره للسلطان محمود الغزنوي إن أبا جهل لم يبصر النبي عليه السلام إلا بأنه يتيم عبد المطلب وأبي طالب، ولو نظر بأنه رسول الله وحبيب رب العالمين وعرف ذلك لآمن به، ولا بد في العبادة من الإخلاص، فمن عبد الله حباً أعلى رتبة ممن عبده خوف العقوبة. يحكى أن محمدياً عبد الله تعالى أربعين سنة يجزى بأكثر من إسرائيلي عبد الله أربعمائة سنة، فيقول الإسرائيلي: يا رب أنت العادل، فيقول الله تعالى أنتم تخافون العقوبة العاجلة وتعبدونني وأمة محمد يعبدونني مع الأمن.

قال المولى الجامي:

جيست اخلاص آنكه كسب وعمل ... باك سازى زشوب نفس ودغل
نه در آن صاحب غرض باشى ... نه ازان طالب عوض باشى
كيسه خود از وبير دازى ... ساية خود برونيندازى

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه﴾، وهو ما تهواه نفسه الخبيثة. وقال الشعبي: إنما سمي الهوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار، وهو تعجيب لحال من ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فكأنه عبده. ففيه استعارة تمثيلية أو حذف أداة التشبيه. وكان الأصل كإلٰهه؛ أي: أنظرت فرأيته، فإن ذلك مما يقتضي التعجب. وسبق تحقيق الآية في سورة الفرقان. وفيه إشارة إلى أن من وقف بنفسه في مرتبة من المراتب دون المشاهدة، فقد صار من أهل الهوى وعبد ما سوى المولى. وفي الحديث: «ما عبد تحت ظل السماء أبغض إلى الله من هوى». قال بعضهم:

نون الهوان من الهوى مسروقة ... فأسير كل هوى أسير هوان

وقال بعضهم:

فاعص هوى النفس ولا ترضها ... إنك إن أسخطتها زانكا
حتى متى تطلب مرضاتها ... وإنما تطلب عدوا نكا

قال الشيخ سعدي:

مراد هر كه برارى مطيع امر توشد ... حلاف نفس كه كردن كشد جويافت مراد

وقال المولى الجامي:

هيج اذاى براه خلق ... نيست بدتر زنفس بدفر ما

﴿**وأضله الله**﴾ وخذله عدلاً منه يعني: [كمراه ساخت وفرو كذاشت]. ﴿**على علم**﴾ حال من الفاعل؛ أي. حال كونه تعالى عالماً بضلاله وتبديله للفطرة الأصلية، ويمكن أن يجعل حالاً من المفعول؛ أي: علم من الضال بطريق الهداية بأن ضلّ عناداً نحو فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ونحوه فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم. ﴿**وختم على سمعه**﴾ بحيث لا يتأثر من المواعظ ولا يسمع الحق. ﴿**وقلبه**﴾بحيث لا يتفكر في الآيات والنذر، ولا يفهم الحق. ﴿**وجعل على بصره غشاوة**﴾ مانعة عن الاستبصار والاعتبار، وهو ما يغشى العين ويغطيها عن الإبصار والإدراك وتنكيرها للتنويع أو للتعظيم.

قال بعض الكبار: ختم الله على سمعه، فحرم من سماع خطابه، وعلى قلبه فحرم من فهم خطابه وعلى عينيه، فحرم من مشاهدة آثار القدرة في صنعه، فلم ير الحق. ﴿**فمن يهديه**﴾: [بس كيست كه راه نمايد اين كس را]. ﴿**من بعد الله**﴾؛ أي: من بعد إضلاله إياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه في الغي؛ أي: لا يقدر أحد أن يهديه ﴿**أفلا تذكرون**﴾ ألا تلاحظون أيها الناس فلا تتذكرون ولا تتفكرون فتعلموا أن الهداية لا يملكها أحد سواه أو أفلا تتعظون. [آيا بند نمى كريد يعنى يند كيريد ومتنبه شويد].

وفي الآية إشارة إلى الفلاسفة والدهرية والطبائعية، ومن لم يسلك سبيل الاتباع، ولم يستوف أحكام الرياضة بتأديب أرباب الطريقة على قانون الشريعة، ولم ينسلخ عن هواه بالكلية، ولم يؤد به ويسلكه إمام مقتدي في هذا الشأن من أرباب الوصال والوصول، بل اقتدى بأئمة الكفر والضلالة، واقتفى آثارهم بالشبهات العقلية وحسبان البراهين القطعية، فوقع في شبكة الشيطان، فأخذه بزمام هواه وأضله في تيه مهواه، وربما دعاه إلى الرياضة وترك الشهوات لتصفية العقل وسلامة الفكر فيمنيه إدراك الحقائق حتى يوبقه في وهدات الشبهات، فيهيم في كل ضلالة ويضل في كل فج عميق، وأصبح خسرانه أكثر من ربحه ونقصانه أوفر من رجحانه، فهم في ضلال بعيد يعملون القرب على ما يقع لهم من نشاط نفوسهم زمامهم بيد هواهم أولئك أهل المكر استدرجوا من حيث لا يشعرون.

وفي المثنوي:

جيست حبل الله رها كردن هوا كين هواشد صرصرى مر عادرا
خلق درزندان نشسته از هواست روح را در غيب خود اشكنجهاست
ليك تانجهى شكنجه در خفاست جون رهيدى بينى اشكنج ودمار
زانكه ضد از ضد كردد آشكار... جون رها كردى هوى از بيم حق
در رسد سغراق از تسنيم حق

﴿**وقالوا**﴾: يعني: منكري البعث من غاية غيهم وضلالهم، وهم كفار قريش ومشركو العرب. وفي «كشف الأسرار»: هذا من قول الزنادقة الذين قالوا: الناس كالحشيش. ﴿**ما هي**﴾؛ أي: ما الحياة؟. ﴿**إلا حياتنا الدنيا**﴾ التي نحن فيها. ﴿**نموت ونحيا**﴾؛ أي: يصيبنا الموت والحياة فيها، وليس وراء ذلك حياة، وتأخير نحيا؛ لأن فيها شبه مراعاة الفاصلة؛ ولأن الواو لمطلق الجمع. وقد جوّز أن يريدوا به التناسخ، فإنه عقيدة أكثر عبدة الأوثان، يعني: [احتمال داردكه] قائلان: أين مذهب [تناسخ داشته باشند ونزد ايشان آنست كه هركه مى ميرد روح أو بجسد ديكر تعلق ميكيرد وهم دردنيا ظهور ميكند تا ديكر بميرد وديكر باز آيد وازشا كمونى كه

برعم ايشان بيغمبر ست نقل كرده اندكه كفت من خودرا هزار وهفتصد قالب ديده ام].

قال الراغب: القائلون بالتناسخ قوم ينكرون البعث على ما أثبتته الشريعة، ويزعمون أن الأرواح تنتقل من الأجساد على التأبيد؛ أي: إلى الأجساد أخر. وفي «التعريفات»: التناسخ عبارة عن تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر من غير تخلل زمان بين التعلقين للتعشق الذاتي بين الروح والجسد. ﴿**وما يهلكنا إلا الدهر**﴾؛ أي: مرور الزمان، وهو مدة بقاء العالم من مبدأ وجوده إلى انقضائه، ثم يعبر به عن كل مدة كبيرة، وهو خلاف الزمان، فإن الزمان يقع على المدة القليلة والكثيرة.

قال في «القاموس»: الدهر الزمان الطويل والأبد الممدود، وألف سنة. والدهر عند الصوفية هو الآن الدائم، الذي هو امتداد الحضرة الإلهية، وهو باطن الزمان وبه يتجدد الأزل والأبد، وكانوا يزعمون أن المؤثر في هلاك الأنفس، هو مرور الأيام والليالي وينكرون ملك الموت وقبضه للأرواح بأمر الله. ويضيفون الحوادث إلى الدهر والزمان ويسبونه ويذمونه ويشتكون منه، كما نطقت بذلك أشعارهم، فنهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك بقوله: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»؛ أي: فإن الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر.

قال الكاشفي: [مقلب دهور ومصرف آن حضرت عزت است جبل شانه ودهوررا در هيج كار اختيارى نيست]:

دهر ترادهر يناهى ترا ... حكم ترا زيبد وشاهى ترا
دور زان كار نسازد بخوذ ... جرخ فلك برنفرازد بخود
اين همه فرمان ترابنده اند ... درره امرتو شتابنده اند

قال بعضهم:

يا عالماً يعجب من دهره ... لا تلم الدهر على غدره
فإنه مأموله آمر ... قد ينتهي الدهر إلى أمره
كم كافر أمواله جمة ... يزداد أضعافاً على كفره
ومؤمن ليس له درهم ... يزداد إيماناً على فقره

قال في «المفردات»: قوله عليه السلام: لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر قد قيل: معناه أن الله فاعل ما يضاف إلى الدهر من الخير والشر والمسرة والمساءة، فإذا سببتم الذي تعتقدون أنه فاعل ذلك، فقد سببتموه تعالى. وقال بعضهم: الدهر الثاني في الخبر غير الأول، وإنما هو مصدر بمعنى الفاعل، ومعناه أن الله تعالى هو الدهر؛ أي: المصرف المدبر لكل ما يحدث والأول أظهر.

وفي الحديث: «قال الله لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر، فإني أنا الدهر أرسل الليل والنهار، فإذا شئت قبضتهما». وهذا والحديث الأول سهل على تفسير الصوفية كما سبق، فاعرف تفز. ﴿**وما لهم بذلك**﴾؛ أي: بما ذكر من اقتصار الحياة على ما في الدنيا وإسناد الحياة والموت إلى الدهر. ﴿**من علم**﴾، فأسند إلى عقل أو نقل. ومن: مزيدة لتأكيد النفي. ﴿**إن هم إلا يظنون**﴾؛ أي: ما هم إلا قوم قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يكون لهم شيء يصح أن يتمسك به في الجملة هذا معتقدهم الفاسد في أنفسهم. وأما المؤمنون فقد أخذوا بالنصوص وسلكوا طريق اليقين وتجاوزوا عن برازخ الظن والتخمين. وأثبتوا الحشر

الصوري والمعنوي؛ أي: الحشر المحسوس والصراط المحسوس والجنة والنار المحسوستين. وكذا جمع النفوس الجزئية إلى النفس الكلية والجمع بين المعقول والمحسوس أعظم في القدرة من نعيم وعذاب محسوسين بأكل وشرب ونكاح ولباس محسوسات، وأتم في الكمال الإلٰهي ليستمر له سبحانه في كل صنف من الممكنات حكم عالم الغيب والشهادة، ويثبت حكم الاسم الظاهر والباطن في كل صنف.

وهذا معتقد الأنبياء والرسل ومؤمنيهم، فمن اعتقد كاعتقادهم نجا وإلا هلك. ومن لوازم هذا الاعتقاد والتوحيد إسناد كل حادثة إلى الله العزيز الحميد، فإنه المؤثر في الكل ولذا نهى عن سب الريح إذ هي بيد ملك، وهو بيد الله تعالى، فجميع التصرفات راجع إليه.

حكي أن الحجاج: أرسل عبد الله الثقفي إلى أنس بن مالك رضي الله عنه يطلبه، فقال: أجب أمير المؤمنين، فقال له: أذله الله. فإن العزيز من اعتز بطاعة الله، والذليل من ذل بمعصيته، ثم قام معه، فلما حضر، قال: أنت الذي تدعو علينا؟ قال: نعم. قال: ومم ذلك؟ قال: لأنك عاصٍ لربك تخالف سنة نبيك تعز أعداء الله وتذل أولياءه. فقال: أقتلك شر قتلة، فقال أنس: لو عَلمت أن ذلك بيدك لعبدتك. قال: ولم ذلك؟ قال: لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علمني دعاء. وقال: من دعا به كل صباح لم يكن لأحد عليه سبيل؛ أي: لم يضرّ به سم ولا سحر ولا سلطان ظالم. وقد دعوت به في صباحي. فقال الحجاج: علمنيه، فقال: معاذ الله أن أعلمه ما دمت حياً، وأنت حي، فقال الحجاج: خلوا سبيله، فقيل له: في ذلك، فقال: رأيت على عاتقيه أسدين عظيمين قد فتحا أفواههما، فدل هذا على أن التأثير بيد الله القدير لا في يد السلطان والوزير. وإنما هو وهم المحجوب الناظر إلى جانب الأسباب والوسائل، ثم إن أنساً رضي الله عنه لما حضره الموت، قال لخادمه: إن لك علي حقاً، حق الخدمة، فعلمه الدعاء، وقال له: «بسم الله الرحمٰن الرحيم، بسم الله خير الأسماء، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء». وأنس رضي الله عنه من خدام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خدمه عشر سنين، وانتقل إلى البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة سنة إحدى وتسعين وله مائة وثلاث سنين، وهو أحد الستة المشهورين برواية الحديث.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وإذا تتلى عليهم﴾؛ أي: على منكري البعث. **﴿آياتنا﴾** الناطقة بالحق الذي من جملته البعث. **﴿بينات﴾** واضحات الدلالة على ما نطقت أو مبينات له نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩]. وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [فصلت: ٣٩] وغير ذلك. **﴿ما كان حجتهم﴾** جواب إذا. وبه استدل أبو حيان على أن العامل في إذا ليس جوابها؛ لأن ما النافية لها صدر الكلام واعتذر عن عدم دخول الفاء في الجواب بأنها خالفت أدوات الشرط في ذلك وحجتهم بالنصب على أنه خبر كان، أي ما كان متمسكاتهم بشيء من الأشياء يعارضونها به. وبالفارسية: [نباشد حجت ايشان]. **﴿إلا أن قالوا﴾** عناداً واقتراحاً **﴿ائتوا بآبائنا﴾**: [بياريد بدران ما]. يعني: أحيوهم وابعثوهم من قبورهم. **﴿إن كنتم صادقين﴾** في أنا

نبعث بعد الموت. وقد سبق في سورة الدخان؛ أي: إلا هذا القول الباطل الذي يستحيل أن يكون من قبيل الحجة؛ لأنها إنما تطلق على الدليل القطعي وتسميته حجة إما لسوقهم إياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم، أو لتنزيل التقابل منزلة التناسب للمبالغة، فأطلق اسم الحجة على ما ليس بحجة من قبيل (تحية بينهم ضرب وجيع)؛ أي: سماه حجة لبيان أنهم لا حجة لهم البتة؛ لأن من كانت حجته هذا لا يكون له حجة البتة، كما أن من ابتدأ بالضرب الوجيع في أول التلاقي لا يكون بينهم تحية البتة، ولا يقصد بهذا الأسلوب إلا هذا المعنى؛ كأنه قيل: ما كان حجتهم إلا ما ليس بحجة.

﴿قل الله يحييكم﴾ ابتداء **﴿ثم يميتكم﴾** عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من أنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر. **﴿ثم يجمعكم﴾** بعد البعث منتهين **﴿إلى يوم القيامة﴾** للجزاء. **﴿لا ريب فيه﴾**؛ أي: في جمعكم، فإن من قدر على البدء قدر على الإعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالمعجزات دل على وقوعها حتماً، والإتيان بآبائهم حيث كان مزاحماً للحكمة التشريعية امتنع إيقاعه.

قال الكاشفي: [إحياء موتى موقتست بوقتى خاص بروجهى كه مقتضاى حكمت است بس اكر وقت اقتراح وجود نكيرد حمل بر عجز نبا يد كرد]. وقد سبق منا تعليله بغير هذا الوجه في سورة الدخان فارجع. **﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** ذلك استدراك من قوله تعالى: **﴿لا ريب فيه﴾** بأن فيه شائبة ريب ما. وفيه إشارة إلى أن الله يحييكم بالحياة الإنسانية، ثم يميتكم عن صفة الإنسانية الحيوانية ثم يجمعكم بالحياة الربانية إلى يوم القيامة، وهي النشأة الأخرى لا ريب في هذا عند أهل النظر، ولكن أكثر الناس لا يعلمون لأنهم أهل النسيان والغفلة:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرأ لم يحيا بالعلم ميت وليس له حين النشور نشور

وفي الحديث: «أنتم على بينة من ربكم ما لم تظهر منكم سكرتان سكرة الجهل وسكرة حب الدنيا»، فعلى العاقل أن يتنبه، ويكون على يقين من ربه ويصدق الكتاب فيما نطق به، ولصعوبة الإيمان بالغيب وقع أكثر الناس في ورطة التكذيب ولانغلاق أبواب البرزخ والمعاد كثر الرد والإنكار.

حكي: أن الشيخ الإمام مفتي الأنام عز الدين بن عبد السلام سئل بعد موته في منام رآه السائل ما تقول فيما كنت تنكر من وصول ما يهدى من قراءة القرآن للموتى، فقال: هيهات وجدت الأمر بخلاف ما كنت أظن، فالله تعالى قادر على كل شيء: [نقلست كه بير خراسان أحمد حربى قدس سره همساية كبرداشت بهرام نام مكرش يكى بتجارت فرستاده بود در رآه آن مال برده بودند مال بسيار بودآن خبر بشيخ أحمد رسانيد ند يارانرا كفت اين همسايه مارا جنين كار افتاده است بر خيزند تابرويم واوراغم خواركى كنيم اكرجه كبراست همسايه است جون بدر سراى اورسيدند واورا ديدند آتشى مى سوخته ومتوجه كشته بهرام برخاست واستقبال كرد وبوسه برآستين شيخ داد واعزاز واكرام نمود ودر بند آن شدكه سفره بنهد بنداشت كه مكر از بهر جيزى خوردن آمده أندكه قحط بود شيخ احمد كفت خاطر فارغ داركه مابغم خواركى توآمده ايم كه شنيده ايم دزدان مال توبرده اند بهرام كفت مراسه شكر واجب است يكى آنكه

ديكران ازمن بردند ومن از ديكران نبردم دوم آنكه يك نيمه برده اندونيمة ديكر بامنست سوم آنكه دين بامنست دنيا خود آيد ورود. هنر بايد وفضل ودين وكمال. كه كاه آيدوكه رود جاه ومال احمد كفت ازين سخن توبوى آشنايى مى آيد بس شيخ كفت اى بهرام جرا آتش رامى برستى كفت تافردا مارا نسوزد وبا من بى وفايى نكندكه جندين هيزم درخورد او داده ام تامرا بخداى رساند شيخ كفت غلط كرده كه آتش ضعيف است وجاهل وبى وفاست هر حسابى كه ازو بر كرفته باطلست اكر طفلى باره آب برووريزد يا مشتى خاك برو افكنداو از خود دفع نكند، وبميرد از ضعف كسى كه جنين ضعيف بودتر ابجنان قوى جكونه تواند رسانيد كسى قوت ندارد كه بارة خاك رادفع كند تراواسطه جون بود حق تعالى راديكر نادانست اكر مشك واكر نجاست درو اندازى هردور ابسوز دونداندكه يكى بهترست وازهيزم تاعود فرق نكند وبى وفاست اينك هفتاد سالست تو آتش مى برستى ومن هركز نيرستيده ام بيا تاهر دودست درآتش كنيم تاتو مشاهده كنى كه هر دور ابسوزد ووفانكند كبررا سخن او خوش آمد وكفت تراجهار مسألة برسم اكر جواب دهى ايمان آورم احمد كفت بكو كفت خداى تعالى خلق راجرا آفريدو جون آفريد جرا رزق داد وجون رزق داد جرا ميرانيد وجون ميرانيد جرا برانكيزد احمد كفت آفريد تااورا شناسند ورزق دادتا اورا برازقى بداند وميرانيد تا اورا بقهارى شناسند وزنده كردانيد تااورا بقادرى بدانند بهرام كبرجون اين سخن راشنود بى خود انكشت بر آوردو شهادت برزبان راند جون شيخ ديد نعرة زد وبيهوش شد جون بهواش آمد بهرام كفت يا شيخ سبب نعرة زدن وبيهوش شدن جه بود كفت درين ساعت كه توانكشت بر داشتى بدر ونم خطاب كردند كه هان اى احمد بهرام كبر راكه هفتاد سال در كبرى كذشت ايمان آورد تا تراكه هفتاد سال در مسلمانى كذشت عاقبت جه خواهد آورد].

ومن الله العصمة والتوفيق لمرضاته والاستبصار بآياته وبيناته.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿ولله ملك السماوات والأرض﴾؛ أي: الملك المطلق والتصرف الكلي فيهما وفيما بينهما مخصوص بالله تعالى، وهو تعميم للقدرة بعد تخصيصها. **﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون﴾** العامل في يوم يخسر ويومئذٍ بدل منه. قال العلامة التفتازاني: مثل هذا بالتأكيد أشبه وأنى يتأتى أن هذا مقصود بالنسبة دون الأول، قلت: اليوم في البدل بمعنى الوقت.

والمعنى: وقت إذ تقوم الساعة ويحشر الموتى فيه، وهو جزء من يوم تقوم الساعة، فإنه يوم متسع مبدؤه من النفخة الأولى، فهو بدل البعض والعائد مقدر، ولما كان ظهور خسرهم وقت حشرهم يكون هو المقصود بالنسبة. كذا في «حواشي سعدي المفتي»، يقال: أبطل جاء بالباطل. وقال شيئاً لا حقيقة له. والمراد الذين يبطلون الحق ويكذبون بالبعث ومعنى يخسر المبطلون يظهر خسرانهم ثمة. وبالفارسية: [زيان كنند تباه كاران وزيان ايشان آن بودكه بدوزخ باز كزدند].

قال في «الكبير» إن الحياة والعقل والصحة؛ كأنها رأس المال والتصرف فيها لطلب

سعادة الآخرة يجري مجرى تصرف التاجر في رأس المال لطلب الربح والكفار قد أتعبوا أنفسهم في طلب الدنيا، فخسروا ربح الآخرة. وفيه إشارة إلى إبطال الاستعداد الفطري (ع) على نفسه فليبك من ضاع عمره.

﴿وترى﴾ رؤية عين ﴿كل أمة﴾ من الأمم المجموعة ومؤمنيهم وكافريهم حال كونها ﴿جاثية﴾ باركة على الركب من هول ذلك اليوم غير مطمئنة؛ لأنها خائفة فلا تطمئن في جلستها عند السؤال والحساب يقال: جثا يجثو ويجثي جثواً وجثياً بضمهما جلس على ركبتيه. أو قام على أطراف أصابعه.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: جاثية؛ أي: مجتمعة بمعنى أن كل أمة لا تختلط بأمة أخرى، يقال: جثوت الإبل وجثيتها جمعتها. والجثوة بالضم الشيء المجتمع، فإن قيل الجثو على الركب إنما يليق بالكافرين، فإن المؤمنين لا خوف عليهم يوم القيامة، فالجواب أن الآمن قد يشارك المبطل في مثل هذا إلى أن يظهر كونه محقاً مستحقاً للأمن. قال كعب لعمر أمير المؤمنين رضي الله عنه: إن جهنم تزفر زفرة يوم القيامة، فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه حتى يقول خليل الرحمٰن عليه السلام: يا رب لا أسألك اليوم إلا نفسي.

قال الشيخ سعدي:

دران روز كز فعل برسند وقول اولو العزم راتن بلرزد زهول
بجايى كه دهشت خورد انبيا تو عذر كنه راجه دارى بيا

﴿كل أمة﴾ كرر كل أمة؛ لأنه موضع الإغلاظ والوعيد. ﴿تدعى إلى كتابها﴾ أي إلى صحيفة أعمالها فالإضافة مجازية للملابسة؛ لأن أعمالهم مثبتة فيه. وفيه إشارة إلى عجز العباد وأن لا حول ولا قوة لهم فيما كتب الله لهم في الأزل وأنهم لا يصيبهم في الدنيا والآخرة، إلا ما كتب الله لهم على مقتضى أعيانهم الثابتة، فلا يجرون في الأفعال إلا على القضاء.

قال الحافظ:

درين جمن نكنم سرزنش بخود رويى جنانكه برور شم ميد هند ميرويم

﴿اليوم﴾: معمول لقوله: ﴿تجزون ما كنتم تعملون﴾؛ أي: يقال لهم ذلك، فمن كان عمله الإيمان جزاه الله بالجنة، ومن كان عمله الشرك والكفر جزاه بالنار، كما قال النبي عليه السلام «إذا كان يوم القيامة جاء الإيمان والشرك فيجثيان بين يدي الرب تعالى، فيقول الله للإيمان انطلق أنت وأهلك إلى الجنة، ويقول للشرك: انطلق أنت وأهلك إلى النار».

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿هذا كتابنا﴾ إلخ من تمام ما يقال حينئذٍ، وحيث كان كتاب كل أمة مكتوباً بأمر الله أضيف إلى نون العظمة تفخيماً لشأنه وتهويلاً لأمره، وإلا فالظاهر أن يضاف إلى الأمة بأن يقال: كتابها كما فيما قبلها. ﴿ينطق عليكم﴾؛ أي: يشهد عليكم. ﴿بالحق﴾؛ أي: من غير زيادة ولا نقص. والجملة خبر آخر لهذا وبالحق حال من فاعل ينطق. ﴿إنا كنا نستنسخ﴾ إلخ تعليل لنطقه عليهم بأعمالهم من غير إخلال بشيء منها؛ أي: كنا فيما قبل نستكتب الملائكة. ﴿ما كنتم تعملون﴾ في الدنيا من الأعمال حسنة كانت أو سيئة صغيرة أو كبيرة؛ أي: نأمر

الملائكة بكتب أعمالكم وإثباتها عليكم؛ لأن السين للطلب والنسخ في الأصل هو النقل من أصل، كما ينسخ كتاب من كتاب، لكن قد يستعمل للكتبة ابتداء.

وقال بعضهم: ما من صباح ولا مساء إلا وينزل فيه ملك من عند إسرافيل إلى كاتب أعمال كل إنسان ينسخ عمله الذي يعمله في يومه وليلته، وما هو لاق فيها كما قال عليه السلام: أول ما خلق الله القلم وكتب ما يكون في الدنيا من عمل معمول بر أو فجور وأحصاه في الذكر واقرؤوا: **﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾**، فهل يكون النسخ إلا من شيء قد فرغ منه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله وكل ملائكة يستنسخون من ذلك الكتاب المكتوب عنده كل عام في شهر رمضان ما يكون في الأرض من حدث إلى مثلها من السنة المقبلة فيعارضون به حفظة الله على عباده كل عشية خميس فيجدون ما رفع الحفظة موافقاً لما في كتابهم. ذلك ليس فيه زيادة ولا نقصان، فإذا أفني الورق مما قدر وانقطع الأمر وانقضى الأجل أتت الحفظة الخزنة، فيطلبون عمل ذلك اليوم، فتقول لهم الخزنة: ما نجد لصاحبكم عندنا شيئاً، فترجع الحفظة فيجدونه قد مات. ثم قال ابن عباس رضي الله عنهما: ألستم قوماً عرباً؟ هل يكون الاستنساخ إلا من أصل، وهو اللوح المحفوظ من التغير والتبدل والزيادة والنقصان على ما عليه كان مما كتبه القلم الأعلى، وفيه دليل على أن الحفظة يعلمون ما يقع في ذلك اليوم من العبد، ويفعله قبل أن يفعله، فإن قلت: إذا علمت الحفظة أعمال العبد من اللوح المحفوظ، فما فائدة ملازمتهم العبيد وكتابتهم أعمالهم قلت: إلزام الحجة لا يحصل إلا بشهودهم فعل العبد في وقته المخصوص وكتابتهم على ما وقع.

قال بعضهم: إن الحفظة يكتبون جميع ما يكون من العبد يقابلونه بما في أم الكتاب فما فيه ثواب وعقاب أثبت، وما لم يكن فيه ثواب ولا عقاب محي. وذلك قوله تعالى: **﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾** [الرعد: ٣٩]، فعلى العبد أن يتدارك الحال قبل حلول الآجال، فإنه سوف ينفذ العمر وينقلب الأمر.

قال الشيخ سعدي:

دريغست فرموده ديوزشت	كه دست ملك برتو خواهد نوشت
روا داری از جهل ونایاکیت	كه باكان نويسند نايا كيت
طريقى بدست آر وصلحى بجوى	شفيعى برانكيز وعذرى بكوى
كه يك لحظه صورت نه بندداما ن	جو بيمانه برشد بدور زمان

جعلنا الله وإياكم من المسارعين إلى أسباب رضاه والمسابقين إلى قبول أمره وهداه.

﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ من الأمم؛ لأنه تفصيل لما قبله: **﴿فيدخلهم ربهم في رحمته﴾**؛ أي: في جنته؛ لأن الدخول حقيقة في الجنة دون غيرها من أقسام الرحمة، فهو تسمية الشيء باسم حاله يعني: لما كانت الجنة محل الرحمة أطلق عليها الرحمة بطريق المجاز المرسل. **﴿ذلك﴾** الذي ذكر من الإدخال في رحمته تعالى.

﴿هو الفوز المبين﴾: الظاهر كونه فوزاً إلا فوز وراءه. يقول الفقير: وما الفوز العظيم؟ فهو دخول جنة القلب ولقاؤه تعالى في الدنيا والآخرة، ولكن لما كان هذا الفوز غير ظاهر بالنسبة إلى العامة، وكان الظاهر عندهم الفوز بالجنة قيل: هو الفوز المبين، وإن اشتمل الفوز المبين على الفوزالعظيم؛ لأن الجنة محل أنواع الرحمة.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿**وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم**﴾؛ أي: فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع ألم تكن تأتيكم رسلي؟ أفلم تكن آياتي تتلى عليكم، فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه.

﴿**فاستكبرتم**﴾ عن الإيمان به. ﴿**وكنتم قوماً مجرمين**﴾؛ أي: قوماً عادتهم الإجرام. قال الشيخ السمرقندي في «بحر العلوم»، فإن قلت: أهذه الآية تشمل الذي في أقاصي الروم والترك والهند من الذين لم تبلغهم الدعوة، ولم يتل عليهم شيء من آيات الله؟ وهم أكثر عدداً من رمال الدهناء. وما قولك فيهم؟ قلت: لا بل الظاهر عندي بحكم الآية أن هؤلاء معذورون مغفورون شملتهم رحمة الله الواسعة، بل أقول: تشمل كل من مات في الفترة، وكل أحمق وهرم وكل أصم أبكم.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «أربعة كلهم نزل على الله بحجة وعذر: رجل مات في الفترة، ورجل أدرك الإسلام هرماً، ورجل أصم أبكم معتوه، ورجل أحمق». فاستوسع أيها السائل رحمة الله، فإن صاحب الشرع هو الذي استوسع رحمة الله تعالى قبلنا، ولم يضيق على عباده ولا تشغل بالتكفير والتضليل لسانك وقلبك كطائفة بضاعتهم مجرد الفقه يخوضون في تكفير الناس وتضليلهم، وطائفة من المتكلمين كفروا عوام المسلمين، وزعموا وقد كذبوا وفي غمرتهم عمهوا أن من لم يعرف العقائد الشرعية بأدلتنا المحررة في كتبنا، فهو كافر، فأولئك عليهم العويل والنياحة أيام حياتهم ومماتهم حيث ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده، وجعلوا الجنة حصراً ووقفاً على طائفة الفقهاء وشرذمة المتكلمين، وكفروا وضللوا الذين هم براء من الكفر والضلالة، وقد ذهلوا أو جهلوا بقول النبي عليه السلام أمتي كلها في الجنة إلا الزنادقة».

وقد روي أيضاً: «الهالك منها واحدة»، ويقول عبد الله بن مسعود وأبو هريرة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد بعد ما يلبثون فيها أحقاباً، وبما قال أنس رضي الله عنه، قال النبي عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة يغفر الله لأهل الأهواء أهواءهم وحوسب الناس بأعمالهم إلا الزنادقة، انتهى كلام السمرقندي في «تفسيره».

والزنديق هو من يقول ببقاء الدهر؛ أي: لا يؤمن بالآخرة، ولا الخالق؛ أي: لا يعتقد إلٰهاً ولا بعثاً ولا حرمة شيء من الأشياء ويعتقد أن الأموال والحرم مشتركة. وفي قبول توبته روايتان، والذي ترجح عدم قبول توبته كما في «فتاوى قارىء الهداية» وفي «الأصول» من لم تبلغه الدعوة، فهو غير مكلف بمجرد العقل، فإذا لم يعتقد إيماناً ولا كفراً كان معذوراً إذا لم يصادف مدة يتمكن فيها من التأمل والاستدلال بأن بلغ في شاهق الجبل، ومات في ساعته، وإذا أعانه الله بالتجربة وأمهله لدرك العواقب لم يكن معذوراً، وإن لم تبلغه الدعوة؛ لأن الإمهال وإدراك مدة التأمل بمنزلة دعوة الرسل في حق تنبيه القلب من نوم الغفلة، فإذا قصر في النظر لم يكن معذوراً وليس على حد الإمهال دليل يعتمد عليه، وما قيل إنه مقدر بثلاثة أيام اعتباراً بالمرتد فإنه يمهل ثلاثة أيام ليس بقوي: لأن هذه التجربة تختلف باختلاف الأشخاص؛

لأن العقول متفاوتة فرب عاقل يهتدي في زمان قليل إلى ما لا يهتدي إليه غيره في زمان طويل، فيفوض تقديره إلى الله إذ هو العالم بمقدارها في حق كل شخص، فيعفو عنه قبل إدراكها، أو يعاقبه بعد استيفائها، وعند الأشعرية إن غفل عن الاعتقاد حتى هلك، أو اعتقد الشرك، فلم تبلغه الدعوة كان معذوراً؛ لأن المعتبر عندهم هو السمع دون العقل، ومن قتل من لم تبلغه الدعوة ضمنه؛ لأن كفرهم معفو عندهم، فصاروا كالمسلمين في الضمان، وعندنا لم يضمن وإن كان قتله حراماً قبل الدعوة ضمنه؛ لأن غفلتهم عن الإيمان بعد إدراك مدة التأمل لا يكون عفواً، وكان قتلهم مثل قتل نساء أهل الحرب، فلا يضمن، ثم الجهل في دار الحرب من مسلم لم يهاجر إلينا يكون عذراً حتى لو لم يصل ولم يصم مدة، ولم تبلغ إليه الدعوة لا يجب عليه قضاؤهما؛ لأن دار الحرب ليس بمحل لشهرة أحكام الإسلام بخلاف الذمي إذا أسلم في دار الإسلام يجب عليه قضاء الصلاة، وإن لم يعلم بوجوبها؛ لأنه متمكن من السؤال عن أحكام الإسلام وترك السؤال تقصير منه، فلا يكون عذراً.

يقول الفقير: والذي تحرر من هذه التقريرات أن من لم تبلغه الدعوة، فهو على وجهين: إما أن يمهل له قدر ما يتأمل في الشواهد ويعرف التوحيد أولاً، فالثاني: معذور دون الأول، وتكفي المعرفة المجردة وإن لم يكن هناك إيمان شرعي. ولذا ورد في الخبر من مات، وهو يعرف، ولم يقل، وهو يؤمن، فدل على أن من عرف الله تعالى معرفة خالصة ليس فيها شرك نجا من النار. ومعنى الإيمان الشرعي هو المتابعة لنبي من الأنبياء عليهم السلام. وقس على هذا أحوال أهل الفترة، فإنهم إن لم يخلوا بالتوحيد وبالأصول كانوا معذورين، فقول من قال: ليأتين على جهنم زمان إلخ. حق فإن الطبقة العالية من جهنم التي هي مقر عصاة المؤمنين تبقى خالية بعد مرور الأحقاب، يعني: من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان؛ أي: معرفة الله تعالى سواء سمي ذلك إيماناً شرعياً، أم لا يخرج من النار، فإذا لم يكفر أهل المعرفة المجردة، فكيف أهل القبلة من المؤمنين بالإيمان الشرعي ما لم يدل دليل ظاهر أو خفي على كفره.

قال المولى الجامي في سلسلة الذهب:

هركه شد زاهل قبله برتوبديد	كه به آورده نبي كرويد
كرجه صد بدعت وخطا وخلل	بيني اورا زروى علم عمل
مكن اورا زسرزنش تكفير	مشمارش زاهل نار سعير
وربببني كسى زاهل اصلاح	كه رود راه دين صباح ورواح
بيفين زاهل جنتش مشمار	ايمن از روز آخرش مكذار
مكر آنكس كه از رسول خدا	شد مبشر بجنة المأوى

قال الشيخ علاء الدولة في كتاب «العروة»: جميع الفرق الإسلامية أهل النجاة. والمراد من الناجية في حديث «ستفترق أمتي». إلخ الناجية بلا شفاعة.

﴿**وإذا قيل إن وعد الله**﴾ أن ما وعده من الأمور الآتية، فهو بمعنى الموعود. ﴿**حق**﴾ واقع لا محالة ﴿**والساعة**﴾؛ أي: القيامة التي هي أشهر ما وعده. ﴿**لا ريب فيها**﴾؛ أي: في وقوعها لكونها مما أخبر به الصادق، ولقيام الشواهد على وجودها. ﴿**قلتم**﴾ من غاية عتوكم يا منكري البعث من الكفار والزنادقة. ﴿**ما ندري ما الساعة**﴾؛ أي: أي شيء هي استغراباً لها. ﴿**إن نظن إلا ظناً**﴾؛ أي: ما نفعل فعلاً إلا ظناً فإن ظاهره استثناء الشيء من نفسه.

وفي «فتح الرحمٰن»؛ أي: لا اعتقاد لنا إلا الشك والظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان ويجيء بمعنى اليقين. انتهى. ومقابل الظن المطلق هو الاستيقان ولذا قال: ﴿**وما نحن بمستيقنين**﴾؛ أي: لإمكان الساعة، يعني: [مارا يقينى نيست در قيام قيامت]. ولعل هؤلاء غير القائلين: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ [الجاثية: ٢٤]، فمنهم من يقطع بنفي البعث والقيامة، وهم المذكورون في الآية الأولى. ومنهم: من يشك لكثرة ما سمعوه من الرسول عليه السلام من دلائل صحة وقوعه. وهم المذكورون في هذه الآية.

قال في «التعريفات»: الظن هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك. انتهى. واليقين إيقان العلم ينفي الشك والشبهة عنه نظراً واستدلالاً، ولذلك لا يوصف به علم القديم ولا العلوم الضرورية إذ لا يقال: تيقنت أن السماء فوقي، فعلى العاقل أن يرفع الشك عن الأمور التي أخبر الله بها، ويكون على يقين تام منها.

وفي المثنوي:

وعدها باشد حقيق دلبذير وعدها باشد مجازى تاسه كير
وعده أهل كرم كنج روان وعده نا اهل شد رنج روان

ولا شك أن ليس من الله أصدق قيلاً، فوعده للمؤمنين الموقنين يورث الفرح والسرور، فإنهم وإن كانوا يخافون القيامة وأهوالها لكنهم يرجون رحمة الله الواسعة، ولا يصلون إلى كمال تلك الرحمة إلا بوقوع القيامة، فإنه هو الذي توقف عليه دخول الجنة ودرجاتها ونعيمها ولليقين مراتب الأولى: علم اليقين، وهو العلم الحاصل بالإدراك الباطني بالفكر الصائب والاستدلال. وهذا للعلماء الذين يوقنون بالغيب ولا تزيد هذه المرتبة العلمية إلا بمناسبة الأرواح القدسية، فإذا بكون العلم عيناً، وهي المرتبة الثانية التي يقال لها عين اليقين، ولا مرتبة للعين إلا اليقين الحاصل، من مشاهدة المعلوم ولا تزيد هذه المرتبة إلا بزوال حجاب الاثنينية، فإذا بكون العين حقاً، وهي المرتبة الثالثة التي يقال لها: حق اليقين وزيادة هذه المرتبة عدم ورود الحجاب بعده، وعينه للأولياء حقه للأنبياء، وأما باطن حق اليقين، وهو حقيقة اليقين، فهو لنبينا عليه السلام، وهذه المراتب لا تحصل إلا بالمجاهدة مثل دوام الوضوء وقلة الأكل وكثرة الذكر والسكوت بالفكر في ملكوت السماوات والأرض وبأداء السنن والفرائض، وترك ما سوى الحق والفرض وتقليل المنام والعرض وأكل الحلال وصدق المقال، والمراقبة بقلبه إلى الله، فهذه مفاتيح المعاينة والمشاهدة، وكلها من الشريعة النبوية، فلا بد من المتابعة له في قوله وفعله.

[بايزيد بسطامي قدس سره كفت روح من بهمه ملكوت بر كذشت وبهشت ودوزخ بد ونمود وبجيزى التفات نكرد وبجان هيج بيغمبر نرسيد الإسلام كردجون بروح باك مصطفى عليه السلام رسيدم آنجاصد هزاران درياى آتشين ديدم بى نهايت وهزاران حجاب ازنور ديدم اكر باول دريا قدم نهادمى بسوختمى لا جرم زان هيبت جنان مدهوش شدم كه هيج نماندم با آنكه بحق رسيدم زهره نداشتم بمحمد عليه السلام رسيدن يعنى هركس بقدر خويش بخدا تواند رسيدكه حق باهمه است اما محمد عليه السلام دربيش شان درصدر خاص است تالاجرم وادى لا إلٰه إلا الله قطع نكنى بوادى محمد رسول الله نتوانى رسيد وبحقيقت هرد ووادى يك انديس بايزيد كفت الهي هرجه ديدم همه من بوسم بامن بتوراه نيست وازخودى خود مرادر مكذارى

مراجه بايدكرد فرمان آمد كه يا أبا يزيد خلاصى توازثوبى نواتدر متابعت دوست ما محمد عليه السلام بسته است ديده را بخاك قدم او اكتحال كن وبر متابعت أو مداومت نماى].

فظهر أنه كلما كان التصديق أقوى والمتابعة أوفر كان القرب أكثر، ومن هذا عرف حال الكفار وأهل الإنكار في البعد والفراق نعوذ بالله الخلاق.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿وبدا لهم﴾؛ أي: ظهر للكفار في الآخرة. **﴿سيئات ما عملوا﴾** من إضافة الصفة إلى موصوفها؛ أي: أعمالهم السيئة على ما هي عليه من الصورة المنكرة الهائلة، وعاينوا وخامة عاقبتها. والمراد الشرك والمعاصي التي كانت تميل إليها الطبائع والنفوس وتشتهيها وتستحسنها، ثم تظهر يوم القيامة في الصور القبيحة، فالحرام في صورة الخنزير، والحرص في صورة الفأرة والنملة والشهوة في صورة الحمار والعصفور والغضب في صورة الفهد والأسد والكبر في صورة النمر والبخل في صورة الكلب والحقد في صورة الجمل والأذية بلسانه في صورة الحية وشره الطعام والشراب، والمنام في صورة الجاموس والبقر والعجب في صورة الدب واللواطة في صورة الفيل والحيلة في صورة الثعلب وسرقة الليل في صورة الدلق، وابن عرس والرباء والدعوى في صورة الغراب، والعقعق والبومة واللهو بالملاهي في صورة الديك، والفكر بلا قاعدة في صورة القمل والبرغوث والنوح في صورة ما يقال بالفارسية: [شغال].

والعلم بلا عمل كالشجرة اليابسة والرجوع من الطريقة الحقة في صورة تحول الوجه إلى القفا إلى غير ذلك من الصور المتنوعة بحسب الأعمال المختلفة، فكل ما أثمر لهم في الآخرة إنما هو في زرع زرعوه في مزرعة الدنيا بأعمالهم السيئة، ويجوز أن يراد بسيئات ما عملوا جزاؤها، فإن جزاء السيئة سيئة، فسميت باسم سببها. **﴿وحاق بهم﴾** أحاط ونزل.

قال أبو حيان: لا يستعمل إلا في المكروه. يقال: حاق به يحيق حيقاً وحيوقاً وحيقاناً، أحاط به كأحاق والحيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله. **﴿ما كانوا به يستهزئون﴾** من الجزاء والعقاب.

﴿وقيل﴾ من جانب الحق **﴿اليوم﴾**، وهو يوم القيامة **﴿ننساكم﴾** نترككم في العذاب ترك المنسي، ففي ضمير الخطاب استعارة بالكناية بتشبيههم بالأمر المنسي في تركهم في العذاب وعدم المبالاة بهم وقرينتها النسيان. **﴿كما نسيتم﴾** في الدنيا **﴿لقاء يومكم هذا﴾**؛ أي: كما تركتم عدته، ولم تبالوا بها، وهي الإيمان والعمل الصالح وإضافة اللقاء إلى اليوم إضافة المصدر إلى ظرفه؛ أي: نسيتم لقاء الله وجزاءه في يومكم هذا فأجري اليوم مجرى المفعول به، وجعل ملقياً. وفيه إشارة إلى أنهم زرعوا في مزرعة الدنيا بذر النسيان فأثمرهم في الآخرة ثمرة النسيان:

اكر بدكنى جشم نيكى مدار	كه هركز نيارد كز انكوربار
درخت زقوم اربجان بروری	مبندار هركز كز وبر خوری
رطب ناورد جوب خرز هره بار	جه تخم افكنى برهمان جشم دار

﴿ومأواكم النار﴾ ومرجعكم ومكانكم جهنم. وبالفارسية: [وجايكاه شما آتش است].

لأنها مأوى من نسينا، كما الجنة مأوى من ذكرنا. ﴿وما لكم من ناصرين﴾ ؛ أي: ما لأحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿ذلكم﴾ لعذاب ﴿بأنكم﴾ ؛ أي: بسبب أنكم ﴿اتخذتم آيات الله هزواً﴾ ؛ أي: مهزواً بها، ولم ترفعوا لها رأساً بالتفكر والقبول. ﴿وغرتكم الحياة الدنيا﴾ ، فحسبتم أن لا حياة سواها:

نوشته اندبر ايوان جنة المأوى   كه هركه عشوه دنيا خريد واى بوى

﴿فاليوم لا يخرجون منها﴾ ؛ أي: من النار والتفات إلى الغيبة للإيذان بإسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم أو بنقلهم من مقام الخطاب إلى غيابة النار. ﴿ولا هم يستعتبون﴾ ؛ أي: يطلب منهم أن يعتبوا ربهم؛ أي: يرضوه بالطاعة لفوات أوانه. وفيه إشارة إلى أن الله تعالى أظهر على مخلصي عباده بعض آياته، فلما رآها أهل الإنكار اتخذوها هزواً على ما هو عادتهم في كل زمان وغرتهم الحياة الدنيا إذ ما قبلوا وصية الله إذ قال: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [لقمان: ٣٣]، فاليوم لا يخرجون من نار القهر الإلهي؛ لأنهم دخلوا فيها على قدمي الحرص والشهوات، ولا هم يستعتبون في الرجوع إلى الجنة على قدمي الإيمان والعمل الصالح.

﴿فللّه الحمد﴾ خاصة ﴿رب السماوات ورب الأرض رب العالمين﴾ كلها من الأرواح والأجسام والذوات والصفات، فلا يستحق الحمد أحد سواه وتكرير الرب للتأكيد والإيذان بأن ربيته تعالى لكل منها بطريق الأصالة.

﴿وله الكبرياء في السماوات والأرض﴾ ؛ أي: العظمة والقدرة والسلطان والعز لظهور آثارها وأحكامها فيهما وإظهارهما في موقع الإضمار لتفخيم شأن الكبرياء. ﴿وهو العزيز﴾ الذي لا يغلب. ﴿الحكيم﴾ في كل ما قضى وقدر، فاحمدوه؛ أي: لأن له الحمد وكبروه؛ أي: لأن له الكبرياء وأطيعوه؛ أي: لأنه غالب على كل شيء. وفي كل صنعه حكمة جليلة.

وفي الحديث: «إن لله ثلاثة أثواب اتزر بالعزة وارتدى بالكبرياء وتسربل بالرحمة، فمن تعزز بغير الله أذله الله» فذلك الذي يقول الله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩]. ومن تكبر فقد نازع الله، إن الله تعالى يقول: لا ينبغي لمن نازعني أن أدخله الجنة، ومن يرحم الناس يرحمه الله، فذلك الذي سربله الله سرباله الذي ينبغي له.

وفي الحديث القدسي يقول الله: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم، فللعبد أن يتخلق بأخلاق الحق تعالى، ولكنه محال أن يتخلق بهذين الخلقين؛ لأنهما أزليان أبديان لا يتطرق إليهما التغير. وفي خلق العبد تغيير، وله بداية ونهاية، وله مبدىء ومعيد.

قال بعض الكبار: وصف الحق سبحانه وتعالى نفسه بالإزار والرداء دون القميص والسراويل؛ لأن الأولين غير مخطيين، وإن كانا منسوجين فهما إلى البساطة أقرب والثانيين مخيطان، ففيهما تركيب، ولهذا السر حرم المخيط على الرجل في الإحرام دون المرأة؛ لأن

الرجل وإن كان خلق من مركب فهو إلى البساطة أقرب، وأما المرأة فقد خلقت من مركب محقق هو للرجل، فبعدت عن البسائط والمخيط تركيب، فقيل للمرأة أبقي على أصلك لا تلحقي الرجل. وقيل للرجل: ارتفع عن تركيبك.

وفي تقديم الحمد على الكبرياء إشارة إلى أن الحامدين إذا حمدوه وجب أن يعرفوا أنه أعلى وأكبر من أن يكون الحمد الذي ذكروه لائقاً بإنعامه، بل هو أكبر من حمد الحامدين وأياديه أجل من شكر الشاكرين.

قال بعض العارفين: اعلم أن التكبير تنزيه ربك عن قيد الجهات والتحولات المختلفة، وعن قيد التعينات العلمية والاعتقادية المتنوعة بحسب المراتب. وعن سائر أحكام الحصر ما ظهر من ذلك المذكور وما بطن مما لا يتحقق بمعرفته إلا من عرف سر العبادات المشروعة وسر التوجهات الكونية إلى الحضرة الربانية، فمعنى كل تكبير صلاتي الله أكبر من أن يتقيد بهذه التحولات العبادية، والمراتب والتعينات الكونية.

وقال شيخ الإسلام: [خواهر زاده]: معنى الله أكبر؛ أي: من يؤدي حقه بهذا القدر من الطاعة، بل حقه الأعلى، كما قالت الملائكة: ما عبدناك حق عبادتك. وفي «جامع المضمرات»: ليس المعنى على أنه أكبر من غيره حتى يقال: أكبر منه، بل كل ما سواه، فهو نور من أنوار قدرته كما حكي أنه عطس رجل عند الجنيد، فقال: الحمد لله، فقال الجنيد: الحمد لله رب العالمين، موافقاً للقرآن، فقال الرجل: وهل للعالم وجود حتى يذكر مع الله، فمعنى الله أكبر؛ أي: أكبر من أن يناله الحواس ويدرك جلاله بالعقل والقياس، بل أكبر من أن يدرك كنه جلاله غيره، بل أكبر من أن يعرفه، فإنه لا يعرف الله إلا الله.

قال بعض الفضلاء: الصحيح ما عليه المحققون من أن اسم التفضيل إذا أطلق على الله تعالى فهو بمنزلة المعرف باللام في المعنى، فهو بمعنى الله هو الأكبر ولا يسوغ فيه تقدير من فإنه حينئذٍ يقتضي أن يشاركه غيره في أصل الكبرياء، وهو سبحانه منزه عن أن يشاركه غيره في شيء من صفاته، كيف يتصور ذلك؟ ولا كبرياء في غيره تعالى، بل شعار ما سواه كمال الصغار والاحتياج إلى جنابه تعالى فضلاً عن الاتصاف بالكبرياء والعظمة والكبر في حق ما سواه من أسوء الأخلاق الذميمة وتعالى الله أن يشاركه غيره في صفة هي كمال لخلقه تعالى فضلاً عن صفة هي ذميمة لهم، بل اسم التفضيل في حقه تعالى دال على زيادة المبالغة والكمال المطلق الذي لا يتصور أن يشاركه فيه أحد مما سواه. انتهى.

وكان عليه السلام: يزيد في تكبيرات صلاة العيدين، فتارة يجعل الزوائد ستاً وأخرى أكثر، وسره أن العرب يجتمعون في الأعياد من القبائل ويزاحمون على مطالعة جماله ويعظمونه أشد التعظيم، فكان ينفي الكبرياء عن نفسه فيثبتها لله تعالى بما يحصل له كمال الاطمئنان من الأعداد.

قال في «كشف الأسرار»: [بسمع عمر بن عبد العزيز رسانيد ندكه بسرتو انكشترى ساخته است ونكينى بهزار درم خريد وبروى نشانده نامه نوشته بوى كه اى بسر شنيدم كه انكشترى ساخته ونكينى بهزاردرم خريده ودروى نشانده اكر رضاى من ميخواهى آن نكين بفروش وازبهاى آن هزار كرسنه راطعام ده واز باره سيم خودرا انكشترى ساز وبر آن نقش كن كه:

رحم الله امرأً عرف قدر نفسه:

زيرا كبربا صفت خداوند ذي الجلالست	مرورا سزد كبريا ومنى
كه ملكش قديمست وذاتش غنى	يكى رابسر بر نهد تاج بخت
يكى رابخاك اندر آرد زتخت	بتهديد اكر بر كشد تيغ حكم
بما نندكر وبيان صم وبكم	بدر كاه لطف وبز ركيش بر
بزركان نهاده بزركى زسر	بدرد يقين بردهاى خيال
نماند سرا برده الاجلال

أي: لا يبقى من الحجب إلا حجاب العظمة ورداء الكبرياء، فإنه لا يرتفع أبداً، وإلا لتلاشى وجود الإنسان، والتحق بالعدم في ذلك الآن، فاعرف هذا بالذوق والوجدان.

تمت سورة الجاثية في الرابع عشر من شهر رمضان المنتظم
في سلك شهور سنة ثلاث عشرة ومائة وألف

٤٦ ـ سورة الأحقاف

أربع أو خمس وثلاثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾.

﴿حم﴾ ؛ أي: هذه السورة مسماة بـ﴿حم﴾. وقال بعضهم: الحاء إشارة إلى حماية أهل التوحيد. والميم إلى مرضاته منهم مع المزيد، وهو النظر إلى وجهه الكريم. وقال بعضهم: معناه حميت قلوب أهل عنايتي فصنتها عن الخواطر والهواجس فلاح فيها شواهد الدين وأشرقت بنور اليقين.

يقول الفقير: فيه إشارة إلى أن القرآن حياة الموتى، كما قال أو كلم به الموتى. وكذا حياة الموتى من القلوب، فإن العلوم والمعارف والحكم حياة القلوب والأرواح والأسرار. وأيضاً إلى الأسماء الحسنى، فإن حاء وميم من حساب البسط تسعة وتسعون وأيضاً إلى الصفات السبع التي خلق الله آدم عليها، وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام. فالحاء حاء الحياة والميم ميم الكلام، فأشير بالأول والآخر إلى المجموع، يعني أن الله تعالى أنزل القرآن لتحصى أسماؤه الحسنى، وتعرف صفاته العليا ويتخلق بأخلاقه العظمى.

﴿تنزيل الكتاب﴾ ؛ أي: القرآن المشتمل على هذه السورة، وعلى سائر السور الجليلة. وبالفارسية: [فردستان كتاب بعضى از بى بعض]. وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿من الله﴾ وما كان من الله فهو حق وصدق، فإنه قال: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٢] ﴿العزيز﴾ وما كان من العزيز، فهو عزيز غالب على جميع الكتب بنظمه ومعانيه، ودليل ظاهر لأرباب الظواهر والباطن.

﴿الحكيم﴾: وما كان من الحكيم، ففيه حكمة بالغة؛ لأن الله تعالى لا يفعل إلا ما فيه مصلحة كما قال: ﴿مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الأحقاف: ٣] بما فيهما من حيث الجزئية منهما، ومن حيث الاستقرار فيهما.

﴿وما بينهما﴾ من المخلوقات كالنار والهواء والسحاب والأمطار والطيور المختلفة ونحوها. ﴿إلا﴾ خلقاً ملتبساً ﴿بالحق﴾ ؛ أي: بالغرض الصحيح والحكمة البالغة، وإن جعلها مقراً للمكلفين ليعملوا، فيجازيهم يوم القيامة لا بالعبث والباطل؛ فإنه ما وجد شيء إلا لحكمة، والوجود كله كلمات الله ولكل كلمة ظهر هو الصورة وبطن هو المعنى إلى سبعة أبطن، كما ورد في الخبر «لكل حق حقيقة»، فالوجود كله حق حتى أن النطق بكلمات لا معاني لها حق، فإنها قد وجدت. والباطل هو المعنى الذي تحتها، كقول من يقول: مات زيد، ولم يمت، فإن حروف الكلمة حق، فإنها قد وجدت. والباطل هو أن زيداً مات. وهو

المعنى الذي تحتها فالدنيا حق وحقيقتها الآخرة، والبرزخ وصل بينهما وربط. ومن ها هنا يعرف قول علي رضي الله عنه: الناس نيام إذا ماتوا تيقظوا، فالرؤيا حق. وكذا ما في الخارج من تعبيرها لكن كلاً منهما خيال بالنسبة إلى الآخرة لكونه من الدنيا، وكونه خيالاً، ومن الدنيا لا ينافي كونه حقاً، وإنما ينافي كونه حقيقة.

ولذا قال يوسف الصديق عليه السلام: يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً. وقال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: إنما الكون خيال، وهو حق في الحقيقة. وفي الآية إشارة إلى أن المخلوقات كلها ما خلقت إلا لمعرفة الحق تعالى، كما قال قائل: فخلقت الخلق لأعرف.

وفي الحديث: «لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال، ولهذه المعرفة خلقت سماوات الأرواح وأراضي النفوس، وما بينهما من العقول والقلوب والقوى. ﴿وأجل مسمى﴾ عطف على الحق بتقدير المضاف؛ أي: وبتقدير أجل معين ينتهي إليه أمور الكل، وهو يوم القيامة، وذلك لأن اقتران الخلق ليس إلا به لا بالأجل نفسه. وفيه إيذان بفناء العالم وموعظة وزجر؛ أي: فانتبهوا أيها الناس، وانظروا ما يراد بكم ولم خلقتم؟

وإشارة بأن لكل عارف أجل مسمى لمعرفته وأكثره في هذه الأمة أربعون سنة، فإنها منتهى السلوك، فلا يغتر العبد بعلمه وعرفانه، فإنه فوق كل ذي علم عليم، ولكل حد نهاية، والأمور مرهونة بأوقاتها وأزمانها. وهذا بالنسبة إلى من سلك على الفطرة الأصلية وعصم من غلبة أحكام الإمكان، وإلا فمن الناس من يجتهد سبعين سنة، ثم لا يقف دون الغاية، ثم إنه فرق بين أوائل المعرفة وأواخرها، فإن حصول أواخرها يحتاج إلى مدة طويلة بخلاف أوائلها إذ قد تحصل للبعض في أدنى مدة، بل في لحظة كما حصلت لسحرة فرعون؛ فإنهم حيث رأوا معجزة موسى عليه السلام. قالوا: آمنا برب العالمين.

وحكي: أن إبراهيم بن أدهم قدس سره لما قصد هذا الطريق لم يك إلا مقدار سيره من بلخ إلى مرو الروذ حتى صار بحيث أشار إلى رجل سقط من القنطرة في الماء الكثير هنالك، فوقف الرجل مكانه في الهواء، فتخلص وإن رابعة البصرية كانت أمة كبيرة يطاف بها في سوق البصرة، ولا يرغب فيها أحد لكبر سنها، فرحمها بعض التجار، فاشتراها بنحو مائة درهم وأعتقها، فاختارت هذا الطريق وأقبلت على العبادة، فما تمت لها سنة حتى زارها زهاد البصرة وقراؤها وعلماؤها لعظم منزلتها، فهذه من العناية القديمة والإرادة الأزلية الغير المعللة بشيء من العلل:

فيض روح القدس اربـاز مـدد فرمايد ديكران هم بكنند آنجه مسيحا ميكرد

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: لم يكن يتخلص عندي أحد الجانبين في مسألة خلق الأعمال وتعسر عندي الفصل بين الكتب الذي يقول به قوم، وبين الخلق الذي يقول به قوم، فأوقفني الله تعالى بكشف بصري على خلقة المخلوق الأول الذي لم يتقدمه مخلوق، وقال: هل هنا أمر يورث اللبس والحيرة. قلت: لا يا رب، فقال لي: هكذا جميع ما نراه من المحدثات ما لأحد فيه أثر ولا شيء من المخلوق، فأنا الذي أخلق الأشياء عند الأسباب لا بالأسباب، فتكون على أمري خلقت النفخ في عيسى وخلقت التكون في الطائر.

﴿والذين كفروا﴾؛ أي: مشركو أهل مكة ﴿عما أنذروا﴾ به وخوفوا من يوم القيامة، وما

فيه من الأهوال ﴿معرضون﴾ بترك الاستعداد له بالإيمان والعمل.

وفيه إشارة إلى أن الإعراض عما أنذروا به كفر. قال الفقهاء: إذا وصف الله أحد بما لا يليق به كالإمكان والحدوث والجسمية والجهات والظلم والنوم والنسيان والتأذي ونحو ذلك، أو استهزأ باسم من أسمائه أو أمر من أوامره أو أنكر شيئاً من وعده ووعيده وما ثبت بدليل قطعي يكفر ولو زنى رجل، أو عمل عمل قوم لوط، فقال له الآخر: مكن، فقال: [كنم ونيك أرم]. فهذا كفر، ولو قيل لرجل: لا تعص الله، فإن الله يدخلك النار، فقال: [من از دوزخ نه انديشم يكفر]. ولو قيل الرجل: [بسيار مخور وبسيار مخسب أو بسيار مخد]، فقال: [جندان خورم وخسم وخندم كه خود خواهم يكفر]. لكون كل من الأكل والنوم والضحك الكثير منهياً عنه مميتاً للقلب فرد القول فيه رد للنص حقيقة.

وفي آخر «فتاوى الظهيرية»: سئل الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن الفضل، عمن يقول: أنا لا أخاف النار، ولا أرجو الجنة، وإنما أخاف الله وأرجوه، فقال قوله: لا أخاف النار، ولا أرجو الجنة غلط، فإن الله تعالى خوف عباده بالنار بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾ [آل عمران: ١٣١]، ومن قيل له: خف مما خوفك الله، فقال: لا أخاف رداً لذلك كفر، انتهى.

يقول الفقير: صرح العلماء بأن الإيمان من أجل خوف النار ورجاء الجنة لا يصح؛ لأنه إيمان غير خالص لله، فلو كان مراده من نفي الخوف والرجاء، أن إيماني ليس بمبني عليهما لم يكفر، بل أصاب حقيقة الإيمان على أن المراد من اتقاء النار في الحقيقة اتقاء الله تعالى، فإن الله هو الذي يدخله النار بمقتضى وعيده على تقدير عصيانه، فيؤول المعنى في الآية إلى قولنا: فاتقوا الله ولا تعصوه حتى لا يدخلكم النار، نعم رد ظاهر النص كفر إذا لم يقدر على الخروج عن عهدته بتأويل مطابق للشرع، ومن أكبر الذنوب أن يقول الرجل لأخيه: اتق الله، فيقول في جوابه: عليك نفسك؛ أي: الزم نفسك وأنت تأمرني بهذا.

روي: أن يهودياً قال لهارون الرشيد في سيره مع عسكره: اتق الله، فلما سمع هارون قول اليهودي نزل من فرسه، وكذا العسكر نزلوا تعظيماً لاسم الله العظيم، وجاء في كتب الأصول إذا حلف على مس السماء انعقد اليمين لتوهم البر؛ لأن السماء ممسوسة، كما قال تعالى حكاية عن الجن، ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ [الجن: ٨]، ثم يحنث ويلزمه موجب الحنث، وهو الكفارة، فيكون آثماً؛ لأن المقصود باليمين تعظيم المقسم به، وها هنا هتك حرمة الاسم. انتهى.

فعلى العاقل أن يقبل قول الناصح ويخاف من الله ويعظم اسمه حتى يكون مظهر صفات لطفه ويعرف أنه تعالى لطيف، فإذا كفر وأعرض يكون مظهر صفات قهره، فيعرف أن الله تعالى قهار نسأل الله عفوه وعطاه ولطفه الواسع ورضاه.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ٦﴾.

﴿قل﴾ للكافرين توبيخاً وتبكيتاً. ﴿أرأيتم﴾: أخبروني. وبالفارسية: [خبر ميد هيد مرا]

﴿ما تدعون﴾ ؛ أي: ما تعبدون ﴿من دون الله﴾ من الأصنام والكواكب وغيرها.

﴿أروني﴾ : [بنما ييد بمن]. وهو تأكيد لأرأيتم. ﴿ماذا خلقوا من الأرض﴾ ؛ أي: كانوا آلهة وهو بيان الإبهام في ماذا؛ أي: أي جزء من أجزاء الأرض تفردوا بخلقه دون الله، فالمفعول الأول لأرأيتم قوله: ما تدعون. والثاني: ماذا خلقوا ومآله أخبروني عن حال آلهتكم. ﴿أم لهم شرك﴾ ؛ أي: شركة مع الله تعالى. ﴿في السماوات﴾ ؛ أي: في خلقها أو ملكها وتدبيرها حتى يتوهم أن يكون لهم شائبة استحقاق للعبودية، فإن ما لا مدخل له في وجود شيء من الأشياء بوجه من الوجوه، فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالكلية، وإن كانوا من الأحياء العقلاء، فما ظنكم بالجماد.

[وجون ظاهر ست كه معبودان شما عاجزاند وايشان را درزمين وآسمان تصرفى نيست بس جرا دربرستش بامن شريك مى سازيد]. فإن قلت: فما تقول في عيسى عليه السلام، فإنه كان يحيي الموتى ويخلق الطير، ويفعل ما لا يقدر عليه غيره.

قلت: هو بإقدار الله تعالى وإذنه. وذلك لا ينافي عجزه في نفسه وذكر الشرك في الجهات العلوية دون السفلية؛ أي: دون أن يعم بالأرض أيضاً؛ لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على اختصاص الله تعالى بخلقها لعلوها وكونها مرفوعة بلا عمد وأوتاد، أو للاحتراز عما يتوهم أن للوسائط شركة في إيجاد الحوادث السفلية، يعني: لو قال أم لهم شرك في الأرض لتوهم أن للسماوات دخلاً وشركة في إيجاد الحوادث السفلية هذا على تقدير أن تكون أم منقطعة.

والأظهر أن تجعل الآية من حذف معادل، أم المتصلة لوجود دليله. والتقدير: ألهم شرك في الأرض، أم لهم شرك في السماوات؟ كما في «حواشي سعدي المفتي». ﴿ائتوني بكتاب﴾ إلخ. تبكيت لهم بتعجيزهم عن الإتيان بسند نقلي بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الإتيان بسند عقلي، والباء للتعدية؛ أي: ائتوني بكتاب إلٰهي كائن. ﴿من قبل هذا﴾ ؛ أي: الكتاب أي: القرآن الناطق بالتوحيد وإبطال الشرك دال على صحة دينكم، يعني: أن جميع الكتب السماوية ناطقة بمثل ما نطق به القرآن.

﴿أو أثارة من علم﴾ ؛ أي: بقية كائنة من علم بقيت عليكم من علوم الأولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة من قولهم: سمنت الناقة على أثارة من لحم وشحم؛ أي: على بقية لحم وشحم كانت بها من لحم وشحم ذاهب ذائب. ﴿إن كنتم صادقين﴾ في دعواكم، فإنها لا تكاد تصح ما لم يقم عليها برهان عقلي أو نقلي، وحيث لم يقم عليها شيء منهما، وقد قامت على خلافها أدلة العقل والنقل تبين بطلانها:

واحد اندر ملك اورا يارنى بنكانش را جزا وسالارنى
نيست خلقش راد كركس مالكى شركتش دعوى كند جز هالكى

وفيه إشارة إلى أن كل ما يعبد من دون الله من الهوى والشيطان وغيرهما لا يقدر على شيء في أرض النفوس وسماوات الأرواح، فإن الله هو الخالق. ومنه التأثير وبيده القلوب يقلبها كيف يشاء، فإن شاء أقامها للحق وإن شاء أزاغها للباطل، وليس لعبادة غير الله دليل من المعقول والمنقول، ولم يجوزها أحد من أولي النهى والمكاشفة، ومن ثمة اتفق العلماء من أهل الظاهر والباطن على وجوب الإخلاص حتى قالوا: الرغبة في الإيمان والطاعة لطلب

الثواب والخوف من العقاب غير مقيدة فإن فيها ملاحظة غير الله فالعبادة إنما هي لله لا للجنة ولا للنار.

﴿ومن﴾ استفهام خبره قوله: **﴿أضل﴾**: [كمراه ترست]. **﴿ممن يدعو﴾** ويعبد **﴿من دون الله﴾**؛ أي: حال كونه متجاوزاً دعاء الله وعبادته. **﴿من لا يستجيب له﴾**: الجملة مفعول بدعواى هم أضل من كل ضلل حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير إلى عبادة مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة والاستجابة.

يعني: [اكر مشرك معبود باطل خودرا بخواند اثر استجابت از وظاهر نخواهد شد].

﴿إلى يوم القيامة﴾: غاية لنفي الاستجابة؛ أي: ما دامت الدنيا، فإن قيل: يلزم منه أن منتهى عدم الاستجابة يوم القيامة للإجماع على اعتبار مفهوم الغاية. قلنا: لو سلم فلا يعارض المنطوق. وقد دل قوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾ [الأحقاف: ٦] الآية على معاداتهم إياهم، فأنى الاستجابة، وقد يجاب بأن انقطاع عدم الاستجابة حينئذٍ لاقتضائه سابقة الدعاء ولا دعاء ويرده قوله تعالى: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾ [الكهف: ٥٢] إلا أن يخص الدعاء بما يكون عن رغبة، كما في «حواشي سعدي المفتي».

وقال ابن الشيخ: وإنما جعل ذلك غاية مع أن عدم استجابتهم أمر مستمر في الدنيا والآخرة إشعاراً بأن معاملتهم مع العابدين بعد قيام الساعة أشد وأفظع مما وقعت في الدنيا إذ يحدث هناك العداوة والتبري ونحوه، وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين، فإن اللعنة على الشيطان، وإن كانت أبدية لكن يظهر يوم الدين أمر أفظع منها تنسى عنده؛ كأنها تنقطع.

﴿وهم﴾؛ أي: الأصنام. **﴿عن دعائهم﴾**؛ أي: عن دعاء الداعين المشركين وعبادتهم، فالضمير الأول لمفعول يدعو، والثاني: لفاعله. والجمع فيهما باعتبار معنى من، كما أن الإفراد فيما سبق باعتبار لفظها. **﴿غافلون﴾** لكونهم جمادات لا يعقلون، فكيف يستجيبون. وعلى تقدير كون معبوديهم أحياء كالملائكة ونحوهم، فهم عباد مسخرون مشغولون بأحوالهم وضمائر العقلاء لإجرائهم الأصنام مجرى العقلاء ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة. والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها:

بى بهره كسى كه جشمه آب حيات بكذا رد وورونهد بسوى ظلمات

﴿وإذا حشر الناس﴾ عند قيام القيامة، والحشر الجمع كما في «القاموس».

قال الراغب: الحشر إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب وغيرها، ولا يقال: إلا في الجماعة وسمي القيامة يوم الحشر، كما سمي يوم البعث ويوم النشر. **﴿كانوا﴾**؛ أي: الأصنام. **﴿لهم﴾**؛ أي: لعابديهم. **﴿أعداء﴾** يضرونهم ولا ينفعونهم. [خلاف آنجه كمان مى بردند بديشان ازشفاعت ومدد كارى]. **﴿وكانوا﴾**؛ أي: الأصنام **﴿بعبادتهم﴾**؛ أي: بعبادة عابديهم. **﴿كافرين﴾**؛ أي: مكذبين بلسان الحال أو المقال على ما يروى أنه تعالى يحيي الأصنام فتتبرأ من عبادتهم وتقول: إنما عبدوا في الحقيقة أهواءهم؛ لأنها الآمرة بالإشراك، فالآية نظير ما تقدم في يونس.

وقال شركاؤهم: ما كنتم إيانا تعبدون. وفي الآية إشارة إلى النشور عن نوم الغفلة، فإنه عنده يظهر أن جميع ما سوى الله أعداء، كما قال إبراهيم الخليل عليه السلام، ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٧].

وقال: إني بريء مما تشركون: [نقلست كه ابو يزيد بسطامي قدس سره درراه حج شترى داشت زاد وذخيره خودرا وازان عديلان خودرا برآنجانهاده بودكسى كفت بيجاره آن اشترك را بار بسيارست واين ظلمى تمامست بايزيد جون اين سخن ازو بشنود كفت اى جوا نمرد بردارنده بارا شترنيست فرونكرتا بارهيج بريشت اشترهست فرونكر بست باربيك كذا ربشت اشتر بر ترديد واورا از كرانى هيج خبر نبود مرد كفت سبحان الله جه عجب كارست بايزيد كفت اكر حقيقت حال خود از شما بنهان دارم زبان ملامت دراز كنيد واكر شمارا مكشوف كردانيم طاقت نداريد باشما جه بايد كرديس جون برفت وبمدينه زيارت كرد امرش آمدكه بخدمت ما در باز كشتن بايدبا جماعتى روى به بسطام نهاد خبر در شهر افتاد همه أهل بسطام تابد ووجايى استقبال اوشدند جون نزديك اورسيدند شيخ قرصى راز آستين بكرفت وشهر رمضان بود بخوردن يستاد جمله آن بديدند ازوى بركشتند شيخ أصحاب را كفت نديديدكه بمسئلة از شريعت كار بستم همه خلق مرارد كردند].

يقول الفقير: كان مراد أبي يزيد تنفير الناس حتى لا يشغلوه عن الله تعالى إذ كل ما يشغل السالك عن الله، فهو عدو له، ولا بد من اجتناب العدو بأي وجه كان من وجوه الحيل، فجعل الإفطار في نهار رمضان وسيلة لهذا المقصد، فإن قلت: كيف جاز له هتك حرمة الشهر بما وقع له من الإفطار في نهاره. قلت: له وجهان:

الأول: أنه لم يجد عند ملاقاتهم ما يدفعهم عنه سوى هذه الحيلة، فأفطر وكفر تحصيلاً للأمر العظيم الذي هو القبول عند الله والأنس معه على الدوام على أنه إن كان مسافراً لا كفارة عليه إذ هو مرخص في الإفطار. وبعضهم في مثل هذا المقام ارتكب أمراً بشيعاً عند العادة، وهو الأوجب عند الإمكان؛ لأنه يجب أن يكون ظاهر الشرع محفوظاً.

والوجه الثاني: أنه أفطر صورة لا حقيقة، إذ كان قادراً على الإعدام والإفناء، كما هو حال الملامية ونظيره شرب الخمر، فإنها تنقلب عسلاً عند الوصول إلى الحلقوم؛ أي: بالنسبة إلا من كان قادراً على الاستحالة بإقدار الله تعالى، لكن يعد أمثال هذا من أحوال الضعفاء دون الأقوياء من الكمل فإنهم لا يفعلون ما يخالف ظواهر الشرع جداً نسأل الله العصمة.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾.

﴿وإذا تتلى عليهم﴾؛ أي: على الكفار. **﴿آياتنا﴾** حال كونها **﴿بينات﴾** واضحات الدلالة على مدلولاتها من حلال وحرام وحشر ونشر وغيرها.

وقال الكاشفي: [در حالتى كه ظاهر باشد دلائل إعجازان]. **﴿قال الذين كفروا للحق﴾**؛ أي: لأجله وشأنه، ويجوز أن يكون المعنى: كفروا به والتعدية باللام من حمل النقيض على النقيض، فإن الإيمان يتعدى بها كما في قوله: آمنتم له وغيره، وهو عبارة عن الآيات المتلوة وضع موضع ضميرها تنصيصاً على حقيتها ووجوب الإيمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلاً بكمال الكفر والضلالة.

﴿لما جاءهم﴾؛ أي: في أول ما جاءهم من غير تدبر وتأمل. ﴿هذا سحر مبين﴾؛ أي: ظاهر كونه سحراً وباطلاً لا حقيقة له، وإذا جعلوه سحراً، فقد أنكروا ما نطق به من البعث والحساب والجزاء، وصاروا أكفر من الحمير؛ أي: أجهل؛ لأن الكفر من الجهل والعياذ بالله.

﴿أم يقولون افتراه﴾ بل: أيقولون افترى محمد القرآن؟ أي: اختلقه وأضافه إلى الله كذباً، فقولهم: هذا منكر ومحل تعجب، فإن القرآن كلام معجز خارج عن حيز قدرة البشر، فكيف بقوله عليه السلام: ويفتريه.

واعلم أن كلاً من السحر والافتراء كفر لكن الافتراء على الله أشنع من السحر. ﴿قل إن افتريته﴾ على الفرض والتقدير. ﴿فلا تملكون لي من الله شيئاً﴾؛ أي: فلا تقدرون أن تدفعوا عني من عذاب الله شيئاً إذ لا ريب في أن الله تعالى يعاقبني حينئذٍ، فكيف أفتري على الله كذباً وأعرض نفسي للعقوبة التي لا خلاص منها.

﴿هو﴾ تعالى: ﴿أعلم بما تفيضون فيه﴾. يقال: أفاضوا في الحديث: إذا خاضوا فيه وشرعوا؛ أي: تخوضون في قدح القرآن وطعن آياته وتسميته سحراً تارة وفرية أخرى. ﴿كفى به﴾؛ أي: الله والباء صلة. ﴿شهيداً بيني وبينكم﴾ حيث يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود، وهو وعيد بجزاء إفاضتهم. ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وآمن وإشعار بحلم الله عليهم مع عظم جراءتهم.

وفيه إشارة إلى أن الذين عموا عن رؤية الحق وصموا عن سماع الحق رموا ورثة الرسل بالسحر وكلامهم بالافتراء، وخاضوا فيهم، ولما كان شاهد الحال الكل جازى الصادق في الدنيا والآخرة بالمزيد، والكاذب بالخذلان والعذاب الشديد: [أبو يزيد بسطامي را قدس سره برسيدندكه قومى كويند كه كليد بهشت كلمة لا إلٰه إلا الله است كفت بلى وليكن كليد بى دندان در باز نكشايد ودندان اوجهار جيزست زبان از دروغ وبهتان وغيبت دور ودل از مكر وخيانت صافى وشكم از حرام وشبهت خالى وعمل از هوا وبدعت باك].

فظهر أنه لا بد من تطهير الظاهر والباطن من الأنجاس والأرجاس بمتابعة ما جاء به خير الناس، فإنما يفترق السحر والكرامة بهذه المتابعة، كما قالوا: إن السحر يظهر على أيدي الفساق والزنادقة والكفار الذين هم على غير الالتزام بالأحكام الشرعية ومتابعة السنة، فأما الأولياء فهم الذين بلغوا في متابعة السنة وأحكام الشريعة وآدابها الدرجة العليا.

قال الشيوخ قدس الله أسرارهم: أقل عقوبة المنكر على الصالحين أن يحرم بركتهم، وقالوا: ويخشى عليه سوء الخاتمة نعوذ بالله من سوء القضاء.

قال الأستاذ أبو القاسم الجنيد قدس سره: التصديق بعلمنا هذا ولاية، يعني: الولاية الصغرى دون الكبرى والعجب من الكفار كفروا بآيات الله مع وضوح برهانها، فكيف يؤمنون بغيرها من آثار الأولياء نعم إذا كان من الله تعالى توفيق خاص يحصل المرام.

حكي عن أبي سليمان الداراني قدس سره أنه قال: اختلفت إلى مجلس بعض القصاص فأثر كلامه في قلبي، فلما قمت لم يبق في قلبي منه شيء، فعدت ثانياً فسمعت كلامه فبقي في قلبي أثر كلامه في الطريق، ثم ذهب ثم عدت ثالثاً، فبقي أثر كلامه في قلبي حتى رجعت إلى منزلي، فكسرت آلات المخالفة ولزمت الطريق، ولما حكى هذه الحكاية للشيخ العارف الواعظ يحيى بن معاذ الرازي قدس سره قال: عصفور اصطاد كركياً يعني: بالعصفور القاص،

وبالكركي أبا سليمان الداراني، فباب الموعظة مفتوح لكل أحد لكن لا يدخل بالقبول إلا من رحمه الله تعالى وأعظم المواعظ مواعظ القرآن.

قال المولى الجامي:

حق ازان حبل خواند قرآنرا تابكيرى بسان حبل آنرا
بدرآيى زجاه نفس وهوى كنى آهنك عالم بالا

﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل﴾: البدع بالكسر بمعنى البديع، وهو من الأشياء ما لم ير مثله كانوا يقترحون عليه ﷺ آيات عجيبة ويسألونه عن المغيبات عناداً ومكابرة، فأمر عليه السلام بأن يقول لهم: ﴿ما كنت بدعاً من الرسل﴾؛ أي: لست بأول مرسل أرسل إلى البشر، فإنه تعالى قد بعث قبلي كثيراً من الرسل وكلهم قد اتفقوا على دعوة عباد الله إلى توحيده وطاعته، ولست داعياً إلى غير ما يدعون إليه، بل أدعو إلى الله بالإخلاص في التوحيد والصدق في العبودية وبعثت لأتمم مكارم الأخلاق، ولست قادراً على ما لم يقدروا عليه حتى آتيكم بكل ما تقترحونه، وأخبركم بكل ما تسألون عنه من الغيوب، فإن من قبلي من الرسل ما كانوا يأتون إلا بما آتاهم من الآيات، ولا يخبرون قومهم إلا بما أوحي إليهم، فكيف تنكرون مني إن دعوتكم إلى ما دعا إليه من قبلي من الأنبياء، وكيف تقترحون علي ما لم يؤته الله إياي.

﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ ما: الأولى نافية ولا تأكيد لها. والثانية: استفهامية مرفوعة بالابتداء خبرها يفعل، وجوز أن تكون الثانية موصولة منصوبة بأدري، والاستفهامية أقضى لحق مقام التبري من الدراية.

والمعنى: وما أعلم أي شيء يصيبنا فيما يستقبل من الزمان، وإلى من يصير أمري وأمركم في الدنيا، فإنه قد كان في الأنبياء من يسلم من المحن.

ومنهم: من يمتحن بالهجرة من الوطن.

ومنهم: من يبتلى بأنواع الفتن، وكذلك الأمم.

منهم: من أهلك بالخسف.

ومنهم: من كان هلاكه بالقذف وكذا بالمسخ وبالريح وبالصيحة وبالغرق وبغير ذلك، فنفى عليه السلام علم ما يفعل به وبهم من هذه الوجوه، وعلم من هو الغالب المنصور منه ومنهم، ثم عرفه الله بوحيه إليه عاقبة أمره وأمرهم، فأمره بالهجرة ووعده العصمة من الناس وأمره بالجهاد وأخبر أنه يظهر دينه على الأديان كلها، ويسلط على أعدائه ويستأصلهم. وقيل: يجوز أن يكون المنفي هي الدراية المفصلة؛ أي: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدارين على التفصيل إذ لا علم لي بالغيب كان الإجمال معلوماً، فإن جند الله هم الغالبون، وأن مصير الأبرار إلى النعيم، ومصير الكفار إلى الجحيم.

وقال المولى أبو السعود رحمه الله: والأظهر الأوفق لما ذكر من سبب النزول أن ما عبارة عما ليس في علمه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية دون ما سيقع في الآخرة، فإن العلم بذلك من وظائف النبوة. وقد ورد به الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين.

هذا وقد روي عن الكلبي أن النبي عليه السلام رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر، فأخبر أصحابه، فحسبوا أنه وحي أوحي إليه فاستبشروا:

سعد يا حب وطن كرجه حديث است صحيح نتوان مرد بسختى كه من انيجازادم

ومكثوا بذلك ما شاء الله فلم يروا شيئاً مما قال لهم، فقالوا له عليه السلام وقد ضجروا من أذية المشركين حتى متى نكون على هذا؟ فقال عليه السلام: إنها رؤيا رأيتها كما يرى البشر، ولم يأتني وحي من الله، فنزل قوله: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم؛ أي: أؤترك بمكة أم أؤمر بالخروج إلى ما رأيتها في المنام.

يقول الفقير: وعلى هذا يلزم أن يكون خطاب في بكم للمؤمنين، وهو بعيد لما دل عليه ما قبل الآية، وما بعدها من أنه للكفار.

وفي الآية إشارة إلى فساد أهل القدر والبدع حيث قالوا: إيلام البرايا قبيح في العقل، فلا يجوز؛ لأنه لو لم يجز ذلك لكان يقول: أعظم البرايا أعلم قطعاً أني رسول الله معصوم، فلا محالة يغفر لي، ولكنه قال: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ليعلم أن الأمر أمره والحكم حكمه له أن يفعل بعباده ما يريد ولا يسأل عما يفعل.

وفي «عين المعاني»: وحقيقة الآية البراءة من علم الغيب. قال المولى الجامي:

اي دل تاكى فضولى وبو العجبى ازمن جه نشان عافيت مى طلبى

سركوشته بود خواه ولى خواه نبى در وادى ما أدري ما يفعل بى

﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾؛ أي: ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلي على معنى قصر أفعاله عليه السلام على اتباع الوحي لا قصر اتباعه على الوحي، كما هو المتسارع إلى الأفهام، وهو جواب عن اقتراحهم الإخبار عما لم يوح إليه من الغيوب. وقيل: عن استعجال المسلمين أن يتخلصوا من أذية المشركين. والأول هو الأوفق لقوله تعالى: ﴿وما أنا إلا نذير﴾: أنذركم عقاب الله حسبما يوحى إلي ﴿مبين﴾ بين الإنذار لكم بالمعجزات الباهرة، ففيه أنه عليه السلام أرسل مبلغاً وليس إليه من الهداية شيء، ولكن الله يهدي من يشاء، وإن علم الغيوب بالذات مختص بالله تعالى، وأما إخبار الأنبياء والأولياء عليهم السلام، فبواسطة الوحي والإلهام وتعليم الله سبحانه.

ومن هذا القبيل إخباره عليه السلام عن أشراط الساعة، وما يظهر في آخر الزمان من غلبة البدع والهوى وإخباره عن حال بعض الناس كما قال عليه السلام: إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة، فدخل عبد الله بن سلام، فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله، فأخبروه بذلك، وقالوا: لو أخبرتنا بأوثق عملك الذي ترجو به، فقال: إني ضعيف، وإن أوثق ما أرجو به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني، وعن سيد الطائفة الجنيد البغدادي قدس سره قال لي خالي السري السقطي: تكلم على الناس؛ أي: عظهم وكنت أتهم نفسي في استحقاق ذلك، فرأيت النبي عليه السلام في المنام.

وكان ليلة الجمعة، فقال: تكلم على الناس، فانتبهت وأتيت باب خالي، فقال: لم تصدقنا حتى قيل لك: أي من جانب الرسول عليه السلام، فقعدت من غد للناس فقعد على غلام نصراني متنكراً أي في صورة مجهولة.

وقال: أيها الشيخ: ما معنى قوله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله»، قال: فأطرقت رأسي ورفعت، فقلت: أسلم فقد حان وقت إسلامك، فأسلم الغلام، فهذا إنما وقع بتعريف الله تعالى؛ أي: للشبلي والجنيد.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

﴿**قل أرأيتم**﴾: أخبروني أيها القوم. ﴿**إن كان**﴾ ما يوحى إليّ من القرآن في الحقيقة ﴿**من عند الله**﴾ لا سحراً ولا مفترى كما تزعمون.

وفي «كشف الأسرار»: إن هنا ليس بشك كقول شعيب، ولو كنا كارهين لو هناك ليس بشك، بل هما من صلات الكلام. ﴿**وكفرتم به**﴾؛ أي: والحال أنكم قد كفرتم به، فهو حال بإضمار قد من الضمير في الخبر وسط بين أجزاء الشرط مسارعة إلى التسجيل عليهم بالكفر. ويجوز أن يكون عطفاً على كان، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ [فصلت: ٥٢]، لكن لا على أن نظمه في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار حاله في نفسه، بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم، فإن كفرهم به متحقق عندهم أيضاً، وإنما ترددهم في أن ذلك كفر بما عند الله أم لا، وكذا الحال في قوله تعالى: ﴿**وشهد شاهد من بني إسرائيل**﴾ وما بعده من الفعلين، فإن الكل أمور متحققة عندهم، وإنما ترددهم في أنها شهادة وإيمان بما عند الله واستكبار منهم أم لا ﴿**وشهد شاهد**﴾ عظيم الشأن ﴿**من بني إسرائيل**﴾ الواقفين على شؤون الله وأسرار الوحي بما أوتوا من التوراة ﴿**على مثله**﴾؛ أي: مثل القرآن من المعاني المنطوية في التوراة المطابقة لما في القرآن من التوحيد والوعد والوعيد، وغير ذلك، فإنها عين ما فيه في الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الشعراء: ١٩٦].

وقيل: المثل صلة، يعني عليه؛ أي: وشهد شاهد على أنه من عند الله. ﴿**فآمن**﴾: الفاء للدلالة على أنه سارع في الإيمان بالقرآن لما علم أنه من جنس الوحي الناطق بالحق، وليس من كلام البشر.

﴿**واستكبرتم**﴾: عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف. والمعنى: أخبروني إن كان من عند الله. وشهد على ذلك أعلم بني إسرائيل فآمن به من غير تلعثم واستكبرتم عن الإيمان به بعد هذه المرتبة من أضل منكم بقرينة قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ [فصلت: ٥٢]. ﴿**إن الله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ الذين يضعون الجحد والإنكار موضع الإقرار والتسليم وصفهم بالظلم للإشعار بعلية الحكم، فإن تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم وعنادهم بعد وضوح البرهان.

وفيه إشارة إلى أنه لا عذر لهم بحال إذ عند وجود الشاهد على حقية الدعوى تبطل الخصومة، وذلك الشاهد في الآية عبد الله بن سلام بن الحارث حبر أهل التوراة، وكان اسمه الخصين، فسماه رسول الله عبد الله رضي الله عنه لما سمع بمقدم رسول الله ﷺ المدينة أتاه، فنظر إلى وجهه الكريم، فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه النبي المنتظر، فقال له: إني أسألك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة والولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه، فقال عليه السلام: أما أول أشراط الساعة، فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد

فإن سبق ماء الرجل نزعه، وإن سبق ماء المرأة نزعته. فقال: أشهد أنك رسول الله حقاً، فقام ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، فإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك، فجاء اليهود، وهم خمسون، فقال لهم النبي عليه السلام: «أي رجل عبد الله فيكم» قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: «أرأيتم إن أسلم عبد الله» قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج إليهم عبد الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه. قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر.

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ما سمعت رسول الله عليه السلام يقول لأحد يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام. وفيه نزل ﴿**وشهد شاهد**﴾ إلخ. وقال مسروق رضي الله عنه، والله ما نزلت في عبد الله بن سلام، فإن آل حم نزلت بمكة وإنما أسلم عبد الله بالمدينة وأجاب الكلبي بأن الآية مدنية، وإن كانت السورة مكية، فوضعت في السورة المكية على ما أمر رسول الله عليه السلام.

وفي الآية إشارة إلى التوفيق العام، وهو التوفيق إلى الإيمان بالله وبرسوله، وما جاء به، وأما التوفيق الخاص، فهو التوفيق إلى العمل بالعلم المشروع الذي ندبك الشارع إلى الاشتغال بتحصيله سواء كان العمل فرضاً أم تطوعاً وغاية العمل والمجاهدات والرياضات تصفية القلب والتخلق بالأخلاق الإلهية والوصول إلى العلوم الذوقية، فالإيمان بالله وبالأنبياء والأولياء أصل الأصول، كما أن الإنكار والاستكبار سبب الحرمان والخذلان، فإن أقل عقوبة المنكر على الصالحين أن يحرم بركتهم.

قال أبو تراب النخشبي قدس سره: إذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة:

جـون خـدا خـواهـدكـه بـرده كـس درد
ميـلـش انـدر طـعـنـة بـاكـان بـرد

وقال الشيخ العارف شاه شجاع الكرماني قدس سره: ما تعبد متعبد بأكبر من التحبب إلى أولياء الله تعالى؛ لأن محبة أولياء الله دليل على محبة الله، والله يهدي من يشاء إلى مقام المحبة والرضا ولا يهدي الظالمين المعاندين؛ لأنهم من أهل سوء القضاء.

﴿**وقال الذين كفروا**﴾؛ أي: كفار مكة من كمال استكبارهم ﴿**للذين آمنوا**﴾؛ أي: لأجلهم، فليس الكلام على المواجهة والخطاب حتى يقال: ما سبقونا ﴿**لو كان**﴾؛ أي: ما جاء به محمد عليه السلام من القرآن والدين ﴿**خيراً**﴾ حقاً ﴿**ما سبقونا إليه**﴾، فإن معالي الأمور لا ينالها أيدي الأرذال، وهم سقاط عامتهم فقراء وموالي ورعاة.

وبالفارسية: [بيشى نكر فتندى برماو مسارعت نكردندى بسوى آن دين ادانى قبائل وفقراء ناس بلكه مادران سابق بودمى جه رتبة ما ازان بزر كترو بزركى وشهرت ما بيشتر]. قالوه زعماً منهم أن الرياسة الدينية مما ينال بأسباب دنيوية وزل عنهم أنها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الإعراض عن زخارف الدنيا الدنية، والإقبال على الآخرة بالكلية، وأن من فاز بها، فقد حازها بحذافيرها، ومن حرمها، فما له منها من خلاق.

يقول الفقير: الأولى في مثل هذا المقام أن يقال: إن الرياسة الدينية فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء بغير علل وأسباب، فإن القابلية أيضاً إعطاء من الله تعالى ﴿**وإذ لم يهتدوا به**﴾ ظرف

لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده لا لقوله، فسيقولون، فإنه للاستقبال. وإذ للمضي؛ أي: وإذا لم يهتدوا بالقرآن، كما اهتدى به أهل الإيمان قالوا ما قالوا: ﴿**فسيقولون**﴾ غير مكتفين بنفي خيريته ﴿**هذا**﴾ القرآن.

﴿**إفك قديم**﴾ كما قالوا أساطير الأولين. وبالفارسية: [ابن دروغ كهنه است يعنى بيشينيان نيز مثل اين كفته اند]. فقد جهلوا بلب القرآن وعادوه؛ لأن الناس أعداء ما جهلوا:

تـوز قـرآن اى بـسـر ظـاهـر مـبـيـن ديـو آدم رانـبـيـنـد جـزكـه طـيـن

ظـاهـر قـرآن جـو شـخـص آدمـيـسـت كه نقوشش ظاهر وجانش خفيست

ومن كان مريضاً مر الفم يجد الماء الزلال مراً، فلا ينبغي لأحد أن يستهين بشيء من الحق إذا لم يهتد عقله به، ولم يدركه فهمه، فإن ذلك من محض الضلالة والجهالة، بل ينبغي أن يطلب الاهتداء من الهادي، وبجد فيه.

قال بعض الكبار: قولهم: لو كان خيراً ما سبقونا إليه نوع من أنواع مكر النفس ليتوهم براءة ذمتها من إنكار الحق، والتمادي في الباطل، وإذا لم يهتدوا بما ليس من مشاربهم، وما هم من أهل ذوق الإيمان بالقرآن وبالمواهب الربانية، فسيقولون: هذا إفك قديم. وعن بعض الفقهاء أنه قال: لو عاينت خارق عادة على يدي أحد لقلت: إنه طرأ فساد في دماغي، فانظر ما أكثف حجاب هذا وما أشد إنكاره وجهله.

قال المولى الجامي:

كلى كه بهر كليم ازدرخت طور شكفت توقع از خس وخاشاك ميكنى حاشاك

وقال: [مسكين فقيه ميكند انكار حسن دوست بااو بكوكه ديده جانرا جلى كند].

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿**ومن قبله**﴾؛ أي: من قبل القرآن، وهو خبر لقوله تعالى: ﴿**كتاب موسى**﴾: رد لقولهم: هذا إفك قديم، وإبطال له، فإن كونه مصدقاً لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعاً، يعني: كيف يصح هذا القول منهم. وقد سلموا لأهل كتاب موسى أنهم من أهل العلم وجعلوهم حكماً يرجعون لقولهم في هذا النبي، وهذا القرآن مصدق له أو له ولسائر الكتب الإلهية.

﴿**إماماً**﴾ حال من كتاب موسى؛ أي: إماماً يقتدى به في دين الله ﴿**ورحمة**﴾ لمن آمن به وعمل بموجبه. ﴿**وهذا**﴾ الذي يقولون في حقه ما يقولون ﴿**كتاب**﴾ عظيم الشأن ﴿**مصدق**﴾؛ أي: لكتاب موسى الذي هو إمام ورحمة، أو لما بين يديه من جميع الكتب الإلهية. ﴿**لساناً عربياً**﴾: حال من ضمير كتاب في مصدق؛ أي: ملفوظاً به على لسان العرب ليكون القوم عرباً.

﴿**لينذر الذين ظلموا**﴾ متعلق بمصدق، وفيه ضمير الكتاب، أو الله أو الرسول.

﴿**وبشرى للمحسنين**﴾ في حيز النصب عطفاً على محل لينذر؛ لأنه مفعول له؛ أي: للإنذار والتبشير، ومن الظالمين اليهود والنصارى، فإنهم قالوا: عزير ابن الله، والمسيح ابن الله وغيروا ذكر محمد ﷺ ونعمته في التوراة والإنجيل، وحرفوا الكلم عن مواضعه، فكان عليه السلام

نذيراً لهم، وبشيراً للذين آمنوا بجميع الأنبياء والكتب المنزلة، وهدوا إلى الصراط المستقيم وثبتوا على الدين القويم أما الإنذار فبالنار وبالفراق الأبدي، وأما التبشير فبالجنة وبالوصل السرمدي. ولذا قال للمحسنين، فإن الإحسان عبادة الله بطريق المشاهدة، وإذا حصل الشهود حصل الوصل، وبالعكس نسأل الله من فضله:

[يكى را از صالحان برادرى وفات كرده بود اورا در خواب ديد وبرسيد كه حق تعالى باتوجه كرد كفت مرادر بهشت آورده است ميخورم ومى آشامم ونكاح ميكنم كفت ازين معنى نمى برسم ديدار برورد‌كار ديدى يانه كفت نى كسى كه آنجا أورا نشناخته است انيجا اورانمى بيند آن عزيز جون بيدار شد بر بهيمة خود سوار شد وبيش شيخ أكبر قدس سره الأطهر آمد در اشبيلية واين خواب را باز كفت وملازمت خدمت او كردتا آن مقدار كه ممكن بود از طريق كشف وشهود نه از طريق دليل أهل نظر حق تعالى راشناخت وبعد ازان بمقام خود باز كشت سيد شريف جرجانى ميكفته كه تامن بصحبت شيخ زين الدين كلاله كه از مشايخ شيراز است نرسيدم از رفض نرستم وتا بصحبت خواجه علاء الدين عطار نيبوستم خدايرا نشناختم].

فعلى العاقل أن يجتهد في طريق الحق حتى يستعد بسعادة الشهود، ويكون من أهل البشرى، وعلى هذا جرى العلماء المخلصون وعباد الله الصالحون.

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾؛ أي: جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم، والاستقامة في أمور الدين التي هي منتهى العمل، وثم للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاهتداء به على التوحيد.

قال ابن طاهر: استقاموا على ما سبق منهم من الإقرار بالتوحيد، فلم يروا سواه منعماً، ولم يشكروا سواه في حال، ولم يرجعوا إلى غيره وثبتوا معه على منهاج الاستقامة. **﴿فلا خوف عليهم﴾** من لحوق مكروه. **﴿ولا هم يحزنون﴾** من فوات محبوب.

والمراد بيان دوام نفي الحزن.

﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين **﴿أصحاب الجنة﴾** ملازموها **﴿خالدين فيها﴾** حال من المستكن في أصحاب **﴿جزاء﴾** منصوب إما بعامل مقدر؛ أي: يجزون جزاء أو بمعنى ما تقدم، فإن قوله تعالى: **﴿أولئك أصحاب الجنة﴾** في معنى: جازيناهم. **﴿بما كانوا يعملون﴾** من الحسنات العلمية والعملية.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أنهم قالوا: **﴿ربنا الله﴾** من بعد استقامة الإيمان في قلوبهم، ثم استقاموا بجوارحهم على أركان الشريعة وبأخلاق نفوسهم على آداب الطريقة بالتزكية وبأوصاف القلوب على التصفية وبتوجه الأرواح على التحلية بالتخلق بأخلاق الحق، فقالوا: ربنا الله باستقامة الإيمان، ثم استقاموا بالنفوس على أداء الأركان، وبالقلوب على الإيقان وبالأسرار على العرفان وبالأرواح على الإحسان وبالإخفاء على العيان وبالحق تعالى على الفناء من أنانيتهم، والبقاء بهويته، فلا خوف عليهم بالانقطاع، ولا هم يحزنون على ما فات لهم من حظ الدارين أولئك أصحاب جنة الوحدة باقين فيها آمنين من الاثنينية جزاء بما كانوا يعملون في استقامة الأعمال مع الأقوال.

قال الشيخ سعدي:

كر همه علم عالمت باشد ... بى عمل مدعى وكذابى

وقال بعضهم (ع):

كـرامـت نـيـابـى مـكـر زاسـتـقـامـت

قال بعض الكبار: كلما قرب العبد من الكمال اشتد عليه التكليف وعادت عليه البركات بالتعريف حتى يستغفر له الأملاك والأفلاك والسماوات والأرضون والحيتان في بحارها، والوحش في قفارها، والأوراق في أشجارها.

ولذلك قيل: ويل للجاهل إن لم يتعلم مرة، وويل للعالم إن لم يعمل ألفاً، قال عليه السلام: «فرض عليّ قيام الليل، ولم يفرض عليكم، ففيه تشديد الطاعة من حيث أكمليته، فلا بد من العبودية والاستقامة عليها. [بيرابو على سيادة قدس سره كفت اكرا ترا كويند بهشت خواهى ياد وركعت نماز نكر تابهشت اختيار نكنى دو ركعت نماز اختيار كن زيراكه بهشت نصيب تواست ونماز حق اوجل جلاله وهر كجا نصيب تودرميان آمدا كرجه كرامت بود روا باشدكه كمين كاه مكر كردد وكزارد حق أو بى غائلة ومكراست موسى عليه السلام جون بنزديك حضر عليه السلام آمد دوبار بروى اعتراض كرد يكى در حق آن غلام ديكر از جهت شكستن كشتى جون نصيب خود درميان نبود خضر صبر ميكرد امادر سوم حالت جون نصيب خود بيدا آمدكه لو شئت لاتخذت عليه أجراً خضر كفت مارابا توروى صحبت نماند هذا فراق بيني وبينك بس حذر كن كه جيزى از اغراض نفسانى وزينت دنيا با عبادت آميخته كنى جمعى از ابدال در هوامى رفتند ممر ايشان برمر غزارى سبزه وخرم افتاد وجشمه آب صافى يكى از يشان را بخاطر كذشت وتمناى آن كرد كه ازان جشمه وضو سازدودران روضه نماز كزارد في الحال ازميان آن جماعت بزمين افتاد وديكران اورار ها كردند ورفتند واو از مرتبة خود بازماند باين مقدار وبدانكه ابن سرى بغابت عجيب است ومعنى دقيق وحق تعالى ترابااين حكايت بنداد اكر فهم كنى].

فالعبودية ترك التدبير وشهود التقدير وباقي ما يتعلق بالآية سبق في نظيرها في ﴿حم السجدة﴾ نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أرباب الاستقامة، ومن أصحاب دار المقامة إنه ذو الفضل والعطاء في الأولى والآخرة.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿ووصينا الإنسان﴾ عهدنا إليه وأمرناه بأن يحسن ﴿بوالديه إحساناً﴾، فحذف الفعل واقتصر على المصدر دالاً عليه. ﴿حملته أمه﴾ الأم بإزاء الأب، وهي الوالدة القريبة التي ولدته، والوالدة البعيدة التي ولدت من ولدته. ولهذا قيل لحواء عليها السلام هي أمنا، وإن كان بيننا وبينها وسائط. ويقال: لكل ما كان أصلاً لوجود الشيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدؤه أم ﴿كرهاً﴾: حال من فاعل حملته: أي: حال كونها ذات كره، وهو المشقة والصعوبة بريد حالة ثقل الحمل في بطنها لا في ابتدائها، فإن ذلك لا يكون فيه مشقة، أو حملته حملاً ذاكره وكذا قوله: ﴿ووضعته﴾؛ أي: ولدته. ﴿كرهاً﴾ وهي شدة الطلق.

وفي الحديث: «اشتدي أزمة تنفرجي» قال عليه السلام لامرأة مسماة بأزمة حين أخذها الطلق؛ أي: «تصبري يا أزمة حتى تنفرجي» عن قريب بالوضع. كذا في «المقاصد الحسنة». ﴿**وحمله**﴾؛ أي: مدة حمله في البطن. ﴿**وفصاله**﴾ وهو الفطام؛ أي: قطع الولد عن اللبن. والمراد به الرضاع التام المنتهى به، فيكون مجازاً مرسلاً عن الرضاع التام بعلاقة أن أحدهما بغاية الآخر ومنتهاه، كما أراد بالأمد المدة من قال:

كل حي مستكمل مدة العمر ومردى إذا انتهى أمده

أي: هالك إذا انتهت مدة عمره ونظيره التعبير عن المسافة بالغاية في قولهم من لابتداء الغاية وإلى لانتهاء الغاية. ﴿**ثلاثون شهراً**﴾ تمضي عليها بمقاساة الشدائد لأجله. والشهر مدة معروفة مشهورة بإهلال الهلال، أو باعتبار جزء من اثني عشر جزءاً من دوران الشمس من نقطة إلى تلك النقطة سمي به لشهرته. وهذا دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لما أنه إذا حط منها للفصال حولان لقوله تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] يبقى للحمل ذلك. وبه قال الأطباء.

وفي الفقه: مدة الرضاع ثلاثون شهراً عند أبي حنيفة وسنتان عند الإمامين. وهذا الخلاف في حرمة الرضاع أما استحقاق أجر الرضاع، فمقدر بحولين لهما قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. وله قوله تعالى: ﴿**وحمله وفصاله ثلاثون شهراً**﴾: ذكر شيئين وهما: الحمل والفصال. وضرب لهما مدة ثلاثين شهراً، وكان لكل واحد منهما بكمالها كالأجل المضروب لدينين، لكن مدة الحمل انتقصت بالدليل، وهو قول عائشة رضي الله عنها: الولد لا يبقى في بطن أمه أكثر من سنتين، ولو بقدر ظل مغزل. والظاهر أنها قالته سماعاً؛ لأن المقادير لا يهتدي إليها بالرأي، فبقي مدة الفصال على ظاهرها، ويحمل قوله تعالى: ﴿يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] على مدة استحقاق أجرة الرضاع حتى لا يجب نفقة الإرضاع على الأب بعد الحولين.

والمراد: السنة القمرية على ما أفادته الآية، كما قال: شهراً لا الشمسية.

وقال في «عين المعاني»: أقل مدة الحمل ستة أشهر، فبقي سنتان للرضاع. وبه قال أبو يوسف ومحمد. وقال أبو حنيفة: المراد منه الحمل على اليد لو حمل على حمل البطن كان بيان الأقل مع الأكثر انتهى.

قيل: ولعل تعيين أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع؛ أي: في الآية لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما، فإن من ولدت لستة أشهر من وقت التزوج يثبت نسب ولدها، كما وقع في زمان علي كرم الله وجهه، فحكم بالولد على أبيه، فلو جاءت بولد لأقل من ستة لم يلزم الولد للزوج ويفرق بينهما، ومن مص ثدي امرأة في أثناء حولين من مدة ولادته تكون المرضعة أماً له، ويكون زوجها الذي لبنها منه أباً له.

قال في «الحقائق» الفتوى في مدة الرضاع على قولهما. وفي «فتح الرحمٰن»: اتفق الأئمة على أن مدة الحمل ستة أشهر، واختلفوا في أكثر مدته، فقال أبو حنيفة سنتان. والمشهور عن مالك خمس سنين.

وروي عنه أربع وسبع، وعند الشافعي وأحمد أربع سنين وغالبها تسعة أشهر. انتهى. وفي «إنسان العيون» ذكر: أن مالكاً رضي الله عنه مكث في بطن أمه سنتين. وكذا الضحاك بن

مزاحم التابعي. وفي «محاضرات السيوطي»: إن مالكاً مكث في بطن أمه ثلاث سنين وأخبر سيدنا مالك أن جارة له ولدت ثلاثة أولاد في اثنتي عشرة سنة تحمل أربع سنين.

﴿حتى إذا بلغ أشده﴾ غاية لمحذوف؛ أي: أخذ ما وصيناه به حتى إذا بلغ وقت أشده بحذف المضاف وبلوغ الأشد أن يكتهل، ويستوفي السن الذي تستحكم فيه قوته وعقله وتمييزه وسن الكهولة ما بين سن الشباب وسن الشيخوخة.

قال في «فتح الرحمٰن»: أشده كمال قوته وعقله ورأيه وأقله ثلاث وثلاثون وأكثره أربعون. ﴿وبلغ أربعين سنة﴾؛ أي: تمام أربعين بحذف المضاف. قيل: لم يبعث نبي قبل أربعين، وهو ضعيف جداً، يدل على ضعفه أن عيسى ويحيى عليهما السلام بعثا قبل الأربعين، كما في «بحر العلوم» وجوابه أنه من إقامة الأكثر الأغلب مقام الكل، كما في «حواشي سعد المفتي».

قال ابن الجوزي قوله: ما من نبي نبىء إلا بعد الأربعين موضوع؛ لأن عيسى نبىء ورفع إلى السماء، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فاشتراط الأربعين في حق الأنبياء ليس بشيء، انتهى.

وكذا نبىء يوسف عليه السلام، وهو ابن ثماني عشرة سنة، كما في التفاسير، وقس على النبوة الولاية وقوة الإيمان والإسلام. ﴿قال رب﴾ : [كفت برورد‌كار من]. ﴿أوزعني﴾ ؛ أي: ألهمني. وبالفارسية: [الهام ده مرا وتوفيق بخش]. وأصله: الإغراء بالشيء من قولهم: فلان موزع بكذا؛ أي: مغرى به.

وقال الراغب: وتحقيقه أولعني بذلك والإيلاع سخت حريص شدن. أو اجعلني بحيث أزع نفسي عن الكفران؛ أي: أكفها. ﴿أن أشكر﴾ : [تاشكر كنم]. ﴿نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي﴾ ؛ أي: نعمة الدين والإسلام؛ فإنها النعمة الكاملة، أو ما يعمها وغيرها وجمع بين شكري النعمة عليه، وعلى والديه؛ لأن النعمة عليهما نعمة عليه.

﴿وأن أعمل صالحاً ترضاه﴾ ؛ أي: تقبله، وهي الفرائض الخمس وغيرها من الطاعات والتنوين للتفخيم والتنكير. وقال بعضهم: العمل الصالح المقرون بالرضا بذل النفس لله، والخروج مما سوى الله إلى مشاهدة الله. وفيه إشارة إلى أنه لا يمكن للعبد أن يعمل عملاً يرضي به ربه إلا بتوفيقه وإرشاده. ﴿وأصلح لي في ذريتي﴾ ذرأ الشيء كثر. ومنه الذرية لنسل الثقلين، كما في «القاموس»؛ أي: واجعل الصلاح سارياً في ذريتي راسخاً فيهم، ولذا استعمل بفي، وإلا فهو يتعدى بنفسه، كما في قوله: وأصلحنا له زوجه.

قال سهل: اجعلهم لي خلف صدق ولك عبيداً حقاً. وقال محمد بن علي: لا تجعل للشيطان والنفس والهوى عليهم سبيلاً. وفيه إشارة إلى أن صلاحية الآباء تورث صلاحية الأبناء.

قال الكاشفي: [اكثر مفسران برانندكه اين آيت خاص است بابي بكر الصديق رضي الله عندكه شش ماه درشكم مادر بوده ودوسال تمام شير خورده وهجده سال بملازمت حضرت بيغمبر عليه السلام رسيد وآن حضرت بيست ساله بود ودرسفر وحضر رفيق وقرين وى بود وجون سال مبارك آن حضرت رسالتبناه بجهل رسيد مبعوث كشت وصديق سى وهشت ساله بودبوى ايمان آورد جون جهل ساله شد كفت رب أوزعني]. إلخ.

فأجاب الله تعالى دعاءه، فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله. منهم: بلال الحبشي بن رباح [غلامى بود در بني مذحج مولد ايشان وعامر بن فهيرة از قبيلة از دبود مولد ايشان]. ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه، ولم يكن له ولد إلا آمنوا جميعاً [ودخترش] عائشة رضي الله عنها بشرف [فراش حضرت أشرف رسل مشرف شد وبسرش عبد الرحمٰن مسلمان كشت وبسر عبد الرحمٰن أبو عتيق محمد نبز مسلمان كشت وبدولت خدمت حضرت بيغمبر سرافرازى يافت].

وأدرك أبوه أبو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد رسول الله عليه السلام وآمنا به، ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة رضي الله عنهم [وسى قبائل نيزاز أولاد صديق در عالم هستند اغلب ايشان بشرف علم وصلاح آراسته].

﴿**إني تبت إليك**﴾ عما لا ترضاه أو عما يشغلني عن ذكرك ﴿**وإني من المسلمين**﴾ الذين أخلصوا لك أنفسهم.

﴿**أولئك**﴾ إشارة إلى الإنسان والجمع؛ لأن المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه؛ أي: أولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة. ﴿**الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا**﴾ من الطاعات واجبة، أو مندوبة، فإن المباحات حسن لا يثاب عليها. وفي «ترجمة الفتوحات»: [وهر حركت كه كنى بايدكه بنيت قربت بحق تعالى باشد واكرجه اين حركت در امرى مباح باشد نيت قربت كن بحق تعالى ازين جهت كه تو اعتقاد دارىٰ كه آن مباحست واكر مباح نمى بودبدان مشغول نمى شدى بدين نيت دران امر مباح مستحق ثواب شوى].

يقول الفقير: عندي وجه آخر في الآية، وهو أن إضافة أحسن من إضافة الصفة إلى موصوفها، كما في قوله: سيئات ما عملوا. والتقدير: أعمالهم الحسنى ولا يلزم منه أن لا يتقبل منهم الأعمال الحسنة بل يكون فيه إشارة إلى كل أعمالهم أحسن عند الله تعالى بموجب فضله.

﴿**ونتجاوز عن سيئاتهم**﴾؛ أي: ما فعلوا قبل التوبة، ولا يعاقبون عليها. قال الحسن: من يعمل سوءاً يجز به إنما ذلك من أراد الله هوانه، وأما من أراد كرامته، فإنه يتجاوز عن سيئاته ﴿**في أصحاب الجنة**﴾؛ أي: حال كونهم كائنين في عداد أصحاب الجنة منتظمين في سلكهم. ﴿**وعد الصدق**﴾ مصدر مؤكد لما أن قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد من الله لهم بالتفضل والتجاوز.

﴿**الذي كانوا يوعدون**﴾ في الدنيا على ألسنة الرسل. قال الشيخ نجم الدين قدس سره في «تأويلاته». في الآية إشارة إلى رعاية حق الوالدين على جهة الاحترام لما عليه لهما من حق التربية والإنعام، ليعلم أن رعاية حق الحق تعالى على جهته التعظيم لما عليه له من حق الربوبية، وإنعام الوجود أحق وأولى.

وقال بعضهم: دلت الآية على أن حق الأم أعظم؛ لأنه تعالى ذكر الأبوين معاً، ثم خص الأم بالذكر وبين كثرة مشقتها بسبب الولد زمان حملها ووضعها وإرضاعها مع جميع ما تكابده في أثناء ذلك.

قال في «فتح الرحمٰن»: عدد تعالى على الأبناء منن الأمهات وذكر الأم في هذه الآيات في أربع مراتب. والأب في واحدة جمعهما الذكر في قوله: بوالديه، ثم ذكر الحمل للأم، ثم الوضع لها، ثم الرضاع الذي عبر عنه بالفصال، فهذا يناسب ما قال رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم حين جعل للأم ثلاثة أرباع البر، والرابع للأب. وذلك إذ قال له رجل: يا رسول الله من أبر؟ قال: «أمك»، ثم قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك»، ثم قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك»، ثم قال: ثم من؟ قال: «ثم أباك».

قال بعض الأولياء، وهو إبراهيم الخواص قدس سره: كنت في تيه بني إسرائيل، فإذا رجل يماشيني فتعجبت منه وألهمت أنه الخضر عليه السلام، فقلت له: بحق الحق من أنت؟ قال: أخوك الخضر، فقلت له: أريد أن أسألك، قال: سل، قلت: ما تقول في الشافعي؟ قال: هو من الأوتاد؛ أي: من الأوتاد الأربعة المحفوظ بهم الجهات الأربع من الجنوب والشمال والشرق والغرب، قلت: فما تقول في أحمد بن حنبل إمام السنة؟، قال: هو رجل صديق، قلت: فما تقول في بشر بن الحارث؟ قال: رجل لم يخلف بعده مثله، يعني: [ازبس اومثل اونبود]. قتلت، فبأي: وسيلة رأيتك؟ قال: ببرك أمك.

قال الإمام اليافعي: حكي أن الله سبحانه أوحى إلى سليمان بن داود عليهما السلام أن اخرج إلى ساحل البحر تبصر عجباً، فخرج سليمان، ومن معه من الجن والإنس، فلما وصل إلى الساحل التفت يميناً وشمالاً، فلم ير شيئاً، فقال لعفريت غص في هذا البحر، ثم ائتني بعلم ما تجد فيه فغاص فيه، ثم رجع بعد ساعة. وقال: يا نبي الله إني ذهبت في هذا البحر مسيرة كذا وكذا، فلم أصل إلى قعره ولا أبصرت فيه شيئاً، فقال لعفريت آخر: غص في هذا البحر وائتني بعلم ما تجد فيه، فغاص ثم رجع بعد ساعة. وقال مثل قول الأول: إلا إنه غاص مثل الأول مرتين، فقال لآصف بن برخيا، وهو وزيره الذي ذكره الله تعالى في القرآن بقوله: حكاية عنه. قال الذي عنده علم من الكتاب ائتني بعلم ما في هذا البحر، فجاءه بقبة من الكافور الأبيض لها أربعة أبواب باب من در وباب من جوهر وباب من زبرجد أخضر وباب من ياقوت أحمر، والأبواب كلها مفتحة، ولا يقطر فيها قطرة من الماء، وهي في داخل البحر في مكان عميق مثل مسيرة ما غاص فيه العفريت الأول ثلاث مرات، فوضعها بين يدي سليمان عليه السلام، وإذا في وسطها شاب حسن الشباب نقي الثياب، وهو قائم يصلي، فدخل سليمان القبة وسلم على ذلك الشاب، وقال له: ما أنزلك؟ في قعر هذا البحر، فقال: يا نبي الله إنه كان أبي رجلاً مقعداً، وكانت أمي عمياء، فأقمت في خدمتهما سبعين سنة، فلما حضرت وفاة أمي، قالت: اللهم أطل حياة ابني في طاعتك، فلما حضرت وفاة أبي، قال: اللهم استخدم ولدي في مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل، فخرجت إلى هذا الساحل بعدما دفنتهما، فنظرت هذه القبة موضوعة، فدخلتها لأنظر حسنها، فجاء ملك من الملائكة، فاحتمل القبة وأنا فيها، وأنزلني في قعر هذا البحر. قال سليمان: ففي أي زمان كنت أتيت هذا الساحل؟ قال: في زمن إبراهيم الخليل عليه السلام، فنظر سليمان في التاريخ، فإذا له ألفا سنة وأربعمائة سنة، وهو شاب لا شيبة فيه، قال: فما طعامك وشرابك في داخل هذا البحر؟ قال: يا نبي الله يأتيني كل يوم طير أخضر في منقاره شيء أصفر مثل رأس الإنسان، فآكله فأجد فيه طعم كل نعيم في دار الدنيا، فيذهب عني الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والنعاس والفترة والوحشة. فقال سليمان: أتقف معنا أم نردك إلى موضعك، فقال: ردني يا نبي الله، فقال: رده يا آصف فرده، ثم التفت، فقال: انظروا كيف استجاب الله دعاء الوالدين، فأحذركم عقوق الوالدين رحمكم الله.

قال الإمام السخاوي عن ابن عمر رضي الله عنه رفعه: إني سألت الله أن لا يقبل دعاء حبيب على حبيبه، ولكن قد صح أن دعاء الوالد على ولده لا يرد، فيجمع بينهما، وجاء رجل إلى النبي عليه السلام ليستشيره في الغزو، فقال: ألك والدة؟ قال: نعم، قال: فالزمها فإن الجنة تحت قدميها:

جنت كه سراى مادرانست زير قدمات مادرانست
روزى بكن اى خداى مارا جيزى كه رضاى مادرانست

ومنه: الإعانة والتوفيق للخدمة المرضية بالنفوس الطيبة الراضية.

﴿وَالَّذِى قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿**والذي**﴾ مبتدأ خبره قوله: أولئك؛ لأن المراد به؛ أي: بالموصول الجنس. ﴿**قال لوالديه**﴾ عند دعوتهما له إلى الإيمان، ويدخل فيه كل عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه.

﴿**أف لكما**﴾: [كراهيت وننك مرشمارا]. وهو صوت يصدر عن المرء عند تضجره وكراهيته، واللام لبيان المؤفف له كما في هيث لك؛ أي: هذا التأفيف لكما خاصة. وقال الراغب: أصل الأف كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر، وما يجري مجراهما، ويقال ذلك: لكل مستخف به استقذاراً له. ﴿**أتعدانني**﴾: [آيا وعدمى دهيد مرا]. ﴿**أن أخرج**﴾: أبعث من القبر بعد الموت ﴿**وقد خلت القرون من قبلي**﴾؛ أي: وقد خلت أمة بعد أمة من قبلي، ولم يبعث منهم واحد، ولم يرجع، والقرن القوم المقترنون في زمن واحد والخلو المضي.

﴿**وهما يستغيثان الله**﴾ ويسألانه أن يغيثه ويوفقه للإيمان. ﴿**ويلك**﴾؛ أي: قائلين له: ويلك ومعناه بالفارسية: [واى برتو]. وهو في الأصل دعاء عليه بالهلاك أريد به الحث والتحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك وانتصابه على المصدر بفعل مقدر بمعناه لا من لفظه، وهو من المصادر التي لم تستعمل أفعالها. وقيل: هو مفعول به؛ أي: ألزمك الله ويلك. ﴿**آمن**﴾؛ أي: صدق بالبعث والإخراج من الأرض. ﴿**إن وعد الله**﴾؛ أي: موعوده، وهو البعث أضافه إليه تحقيقاً للحق وتنبيهاً على خطاه في إسناد الوعد إليهما. ﴿**حق**﴾ كائن لا محالة؛ لأن الخلف في الوعد نقص يجب تنزيه الله عنه.

﴿**فيقول**﴾: مكذباً لهما ﴿**ما هذا**﴾ الذي تسميانه وعد الله ﴿**إلا أساطير الأولين**﴾ أباطيلهم التي يسطرونها في الكتب من غير أن يكون لها حقيقة كأحاديث رستم وبهرام وإسفنديار.

﴿**أولئك**﴾ القائلون هذه المقالات الباطلة ﴿**الذين حق عليهم القول**﴾، وهو قوله تعالى لإبليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين، كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿**في أمم**﴾ حال من اغجرور في عداد أمم. ﴿**قد خلت من قبلهم من الجن والإنس**﴾ بيان للأمم ﴿**إنهم**﴾ جميعاً أي: هم والأمم ﴿**كانوا خاسرين**﴾ قد ضيعوا فطرتهم الأصلية الجارية مجرى الأم رؤوس أموالهم باتباع الشيطان.

والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف التحقيقي.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ

طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿**ولكل**﴾ من الفريقين المذكورين ﴿**درجات مما عملوا**﴾ مراتب من أجزية ما عملوا من الخير والشر، فمن نعت للدرجات، ويجوز أن تكون بيانية، وما موصولة، أو من أجل أعمالهم، فما مصدرية، ومن متعلق بقوله: لكل. والدرجات في مراتب المثوبة وإيرادها هنا بطريق التغليب. ﴿**وليوفيهم أعمالهم**﴾ وليعطيهم أجزية أعمالهم وافية تامة من وفاه حقه إذا أعطاه إياه وافياً تاماً.

﴿**وهم لا يظلمون**﴾ بنقص ثواب الأولين وزيادة عقاب الآخرين، واللام متعلقة بمحذوف مؤخر؛ كأنه قيل: وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الأجزية على مقادير أعمالهم، فجعل الثواب درجات والعقاب دركات. وفي الآية ذم لمن اتصف في حق الوالدين في التأفيف. وفي ذلك تنبيه على ما وراءه من التعنيف، فحكم أن صاحبه من أهل الخسران. والخسران نقصان في الإيمان، فكيف بمن خالف مولاه وبالعصيان آذاه.

وفي الحديث: «إن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام، ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم. وقيل: لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم له، فأوحى الله إليه، أتتعاظم أن تقوم لأبيك؟ وعزتي لا أخرجت من صلبك نبياً، كما في «الإحياء» قيل: إذا تعذر مراعاة حق الوالدين جميعاً بأن يتأذى أحدهما بمراعاة الآخر يرجح حق الأب فيما يرجع إلى التعظيم والاحترام؛ لأن النسب منه، ويرجح حق الأم فيما يرجع إلى الخدمة والإنعام حتى لو دخلا عليه يقوم للأب، ولو سألا منه شيئاً يبدأ في الإعطاء بالأم، كما في «منبع الآداب».

قال الإمام الغزالي: أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة في الشبهات، ولم تجب في الحرام المحض حتى إذا كانا ينتقصان بانفرادك عنهما بالطعام، فعليك أن تأكل معهما؛ لأن ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم. وكذلك ليس لك أن تسافر في مباح أو نافلة، إلا بإذنهما، والمبادرة إلى الحج الذي هو فرض الإسلام نفل؛ لأنه على التأخير والخروج لطلب العلم نفل إلا إذا كان خروجك لطلب علم الفرض من الصلاة والصوم، ولم يكن في بلدك من يعلمك، وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيه من يعلمه شرع الإسلام، فعليه الهجرة، ولا يتقيد بحق الوالدين، ويثبت بولاية الحسبة للولد على الوالد، والعبد على السيد، والزوجة على الزوج، والتلميذ على الأستاذ، والرعية على الوالي لكن بالتعريف. ثم الوعظ والنصح باللطف لا بالسب والتعنيف والتهديد، ولا بمباشرة الضرب، ويجب على الأبوين أن لا يحملا الولد على العقوق بسوء المعاملة والجفاء، ويعيناه على البر.

قال عليه السلام: رحم الله والداً أعان ولده على البر؛ أي: لم يحمله على العقوق بسوء عمله. قال الحسن البصري: من عقل الرجل أن لا يتزوج وأبواه في الحياة. انتهى. فإنه ربما لا يرضى أحدهما عنه بسبب زوجته، فيقع في الإثم.

قال الحافظ:

هيج رحمى نه برادر به برادر دارد هيج شوقي نه بدر رابه بسر مى بينم
دخترا نرا همه جنكست وجدل بامادر بسرا نرا همه بدخواه بدر مى بينم

وفي الحديث: «حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالدين على ولدهما، ومن مات والداه وهو لهما غير بار، فليستغفر لهما ويتصدق لهما، حتى يكتب باراً بوالديه، ومن دعا لأبويه في كل يوم خمس مرات فقد أدى حقهما، ومن زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة كتب باراً». كما في الحديث ودعاء الأحياء للأموات واستغفارهم هدايا لهم، والموتى يعلمون بزوارهم عشية الجمعة ويوم الجمعة، وليلة السبت إلى طلوع الشمس لفضل يوم الجمعة. وينوي بما يتصدق من ماله عن والديه إذا كانا مسلمين؛ فإنه لا ينقص من أجره شيء، ويكون لهما مثل أجره.

وقال بعض الكبراء: يرمي الحجر في الطريق عن يمينه مرة وينوي عن أبيه وبآخر عن يساره، وينوي عن أمه، وكان يكظم غيظه يريد برهما، ففيه دليل على أن جميع حسنات العبد يمكن أن تجعل من بر والديه إذا وجدت النية، فعلى الولد أن يبرهما حيين وميتين، ولكن لا يطيعهما في الشرك والمعاصي:

جون نبود خويش را ديانت وتقوى قطع رحم بهتر از مودت قربى

كما قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [لقمان: ١٥]:

هزار خويش كه بيكانه از خدا باشد فداى يك تن بيكانه كاشنا باشد

﴿**ويوم يعرض الذين كفروا على النار**﴾؛ أي: يعذبون بها فالعرض محمول على التعذيب مجازاً من قولهم عرض الأسارى على السيف؛ أي: قتلوا وإلا فالمعروض عليه يجب أن يكون من أهل الشعور والاطلاع والنار ليست منه. وقيل: تعرض النار عليهم بأن يوقفوا بحيث تبدو لهم النار ومواقعهم فيها، وذلك قبل أن يلقوا فيها، فيكون من باب القلب مبالغة بادعاء كون النار مميزاً ذا قهر وغلبة.

يقول الفقير: لا حاجة عندي إلى هذين التأويلين، فإن نار الآخرة لها شعور وإدراك بدليل أنها تقول: هل من مزيد؟ وتقول للمؤمنين جز يا مؤمن، فإن نورك أطفأ ناري وأمثال ذلك. وأيضاً لا بعد في أن يكون عرضهم على النار باعتبار ملائكة العذاب، فإنهم حاضرون عندها بأسباب العذاب، وأهل النار ينظرون إليهم، وإلى ما يعذبونهم به عياناً، والله أعلم.

﴿**أذهبتم طيباتكم**﴾؛ أي: يقال لهم ذلك على التوبيخ، وهو الناصب للظرف؛ أي: اليوم. والمعنى: أصبتم وأخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها. وبالفارسية: [ببرديد وبخورديد جيزهاى لذيذ خودرا]. ﴿**في حياتكم الدنيا**﴾: [در زندكانى آن جهان خويش] ﴿**واستمتعتم بها**﴾، فلم يبق لكم بعد ذلك شيء منها؛ لأن إضافة الطيبات تفيد العموم، وبالفارسية: [وبرخوردارى يافتيد بآن لذائذ يعني استيفاى لذات كرديد وهيج براى آخرت نكذاشتيد].

قال سعدي المفتي قوله: واستمتعتم بها كأنه عطف تفسيري لأذهبتم. ﴿**فاليوم تجزون عذاب الهون**﴾؛ أي: الهوان والحقارة؛ أي: العذاب الذي فيه ذل وخزي ﴿**بما كنتم**﴾ في الدنيا ﴿**تستكبرون في الأرض بغير الحق**﴾ بغير استحقاق لذلك وفيه إشارة إلى أن الاستكبار إذا كان بحق كالاستكبار على الظلمة لا ينكر. ﴿**وبما كنتم تفسقون**﴾؛ أي: تخرجون من طاعة الله؛ أي: بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين. علل سبحانه ذلك العذاب بأمرين أحدهما: الاستكبار عن قبول الدين الحق والإيمان بمحمد عليه السلام، وهو ذنب القلب. والثاني:

الفسق والمعصية بترك المأمورات وفعل المنهيات، وهو ذنب الجوارح. وقدم الأول على الثاني؛ لأن ذنب القلب أعظم تأثيراً من ذنب الجوارح.

قال الكاشفي: [تنبيه است مر طالبان تجات راكه قدم از اندازه شرع بيرون تنهند. باى از حدود شرع برون مى نهى منه. خودرا اسير نفس وهو اميكنى مكن.

وفي الآية إشارة إلى أن للنفس طيبات من الدنيا الفانية وللروح طيبات من الآخرة الباقية، فمن اشتغل باستيفاء طيبات نفسه في الدنيا يحرم في الآخرة من استيفاء طيبات روحه؛ لأن في طلب استيفاء طيبات النفس في الدنيا إبطال استعداد الروح في استيفاء طيبات في الآخرة موعودة، وفي ترك استيفاء طيبات النفس في الدنيا كمالية استعداد الروح في استيفاء طيبات في الآخرة موعودة، فلهذا يقال لأرباب النفوس، فاليوم تجزون عذاب الهون بأنكم استكبرتم في قبول دعوة الأنبياء في ترك شهوات النفس واستيفاء طيباتها لئلا تضيع طيبات أرواحكم، وبما كنتم تخرجون من أوامر الحق ونواهيه، ويقال للروح وأرباب القلوب: كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية، وبما كانت نفوسهم تاركة لشهواتها بتبعية الروح، يقال لهم ولكم فيها ما تشتهيه الأنفس؛ أي: من نعيم الجنة؛ فإنها من طيباتها وتلذ الأعين، وهو مشاهدة الجمال والجلال، وهي طيبات الروح. كذا في «التأويلات النجمية». والآية منادية بأن استيفاء الحظ من الدنيا ولذاتها صفة من صفات أهل النار، فعلى كل مؤمن ذي عقل وتمييز أن يجتنب ذلك اقتداء بسيد الأنبياء وأصحابه الصالحين، حيث آثروا اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة.

قال الصائب:

افتد هماى دولت اكر در كمندما   از همت بلند رها ميكنيم ما

قال الواسطي: من سره شيء من الألوان الفانية دق أو جل دخل تحت هذه الآية. روي عن عمر رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو على سرير، وقد أثر بجنبيه الشريط، فبكى عمر، فقال: «ما يبكيك يا عمر؟»، فقال: ذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من الدنيا وأنت رسول رب العالمين قد أثر بجنبيك الشريط، فقال عليه السلام: «أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا ونحن قوم أخرت لنا طيباتنا في الآخرة».

قالت عائشة رضي الله عنها: ما شبع محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وأول بدعة حدثت بعده الشبع، وقالت أيضاً: وقد كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه ناراً، وما هو إلا الماء والتمر غير أنه جزى الله عنا نساء الأنصار خيراً. كن ربما أهدين لنا شيئاً من اللبن.

قال في «كشف الأسرار»: [ملك زمين برسول الله عرض كردند واو بندكى اختيار كرد واز ملكى اعراض كرد وكفت]. أجوع يوماً وأشبع يوماً. قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لحماً معلقاً في يدي، فقال: ما هذا يا جابر؟ قلت: اشتهيت لحماً فاشتريته، فقال عمر: أو كل ما اشتهيت يا جابر اشتريت، أما تخاف هذه الآية؟ ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾.

نفس را بدخوا بناز ونعمت دنيا مكن   آب ونان سير كاهل ميكند مزدوررا

قال أبو هريرة رضي الله عنه: لقد رأيت سبعين نفساً من أصحاب الصفة رضي الله عنهم

ما منهم رجل عليه رداء إما إزار أو كساء قد ربطوه في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها: ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته.

وفي الحديث: «من قضى نهمته في الدنيا حيل بينه وبين شهوته في الآخرة، ومن مد عينه إلى زينة المترفين كان مهيناً في ملكوت السماوات، ومن صبر على الفوت الشديد أسكنه الله الفردوس حيث شاء.

قال الشيخ سعدي:

ميرورتن ار مردراى وهشى ... كه اورا جومى بروری مى كشى
خور وخواب تها طريق ددست ... بربن بودن آيين تانجر دست
قناعت توانكر كند مردرا ... خبركن حريص جهان كردرا
غدا كر لطيفست وكز سرسرى ... جوديرت بدست اوفتد خوش خورى
كر ازاده برزمين خسب وبس ... مكن نهر قالى زمين بوس كس
مكن خانه برراه سيل اى غلام ... كه كس رانكشت اين همارت تمام

ومن الله العون في طريقه والوصول إليه بإرشاده وتوفيقه.

﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿واذكر أخا عاد﴾؛ أي: واذكر يا محمد لكفار مكة هوداً عليه السلام ليعتبروا من حال قومه. وبالفارسية: [وياد بن برادر عاد يعنى بيغمبرى كه از قبيلة عاد بود]. فمعنا أخا عاد واحداً منهم في النسب لا في الدين، كما في قولهم: يا أخا العرب وعاد هم ولد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وهود هو ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد **﴿إذ أنذر قومه﴾** بدل اشتمال منه؛ أي: وقت إنذاره إياه **﴿بالأحقاف﴾** بموضع يقال له: الأحقاف: [وآن ريكستاني بود نزديك حضرموت بولايت يمن].

جمع: حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوج، وإنما أخذ الحقف من احقوقف مع أن الأمر ينبغي أن يكون بالعكس؛ لأن احقوقف أجلى معنى وأكثر استعمالاً، فكانت له من هذه الجهة أصالة، فأدخلت عليه كلمة الابتداء للتنبيه على هذا، كما في «حواشي سعدي المفتي». وعن بعضهم: كانت عاد أصحاب عمد سيارة في الربيع، فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا من قبيلة إرم يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بأرض يقال لها: الشحر من بلاد اليمن، وهو بكسر الشين وسكون الحاء، وقيل: بفتح الشين ساحل البحر بين عمان وعدن، وقيل: يسكنون بين عمان ومهرة وعمان بالضم والتخفيف بلد باليمن، وأما الذي بالشام، فهو عمان بالفتح والتشديد ومهرة موضع ينسب إليه الإبل المهرية.

قال في «فتح الرحمن»: الصحيح من الأقوال أن بلاد عاد كانت في اليمن ولهم كانت إرم ذات العماد، والأحقاف جمع: حقف، وهو الجبل المستطيل المعوج من الرمل، وكثيراً ما تحدث هذه الأحقاف في بلاد الرمل في الصحارى؛ لأن الريح تصنع ذلك. انتهى. وعن علي رضي الله عنه شر وادٍ بين الناس وادي الأحقاف ووادٍ بحضرموت يدعى برهوت تلقى فيه أرواح

الكفار وخير وادٍ: وادي مكة، وواد نزل به آدم بأرض الهند. وقال: خير بئر في الناس بئر زمزم، وشر بئر في الناس بئر برهوت، كذا في «كشف الأسرار».

﴿**وقد خلت النذر**﴾؛ أي: الرسل جمع نذير بمعنى: المنذر. ﴿**من بين يديه**﴾؛ أي: من قبله ﴿**ومن خلفه**﴾؛ أي: من بعده والجملة اعتراض بين المفسر والمفسر أو المتعلق والمتعلق مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الإنذار وسط بين إنذار قومه وبين قوله: ﴿**أن لا تعبدوا إلا الله**﴾ مسارعة إلى ما ذكر من التقرير والتأكيد وإيذاناً باشتراكهم في العبادة المحكية.

والمعنى: واذكر لقومك إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم. وقد أنذر من تقدمه من الرسل، ومن تأخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم.

قال في «بحر العلوم»: أن مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه يعني أن الشأن، والقصة لا تعبدوا إلا الله، أو مفسرة بمعنى؛ أي: لا تعبدوا إلا الله، أو مصدرية بحذف الباء تقديره: بأن لا تعبدوا إلا الله والنهي عن الشيء إنذار عن مضرته. انتهى.

﴿**إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**﴾؛ أي: هائل بسبب شرككم وإعراضكم عن التوحيد واليوم العظيم يوم نزول العذاب عليهم فعظيم مجاز عن هائل؛ لأنه يلزم العظم ويجوز أن يكون من قبيل الإسناد إلى الزمان مجازاً، وأن يكون الجر على الجوار.

﴿**قالوا أجئتنا لتأفكنا**﴾؛ أي: تصرفنا من الأفك بالفتح مصدر أفكه يأفكه افكاً قلبه وصرفه عن الشيء ﴿**عن آلهتنا**﴾ عن عبادتها إلى دينك. وهذا مما لا يكون ﴿**فائتنا بما تعدنا**﴾ من العذاب العظيم والباء للتعدية.

﴿**إن كنت من الصادقين**﴾ في وعدك بنزوله بنا.

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿**قال**﴾؛ أي: هود ﴿**إنما العلم**﴾؛ أي: بوقت نزوله، أو العلم بجميع الأشياء التي من جملتها ذلك. ﴿**عند الله**﴾ وحده لا علم لي بوقت نزوله، ولا مدخل لي في إتيانه وحلوله، وإنما علمه عند الله تعالى، فيأتيكم به في وقته المقدر له. ﴿**وأبلغكم ما أرسلت به**﴾ من مواجب الرسالة التي من جملتها بيان نزول العذاب إن لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله. ﴿**ولكني أراكم قوماً تجهلون**﴾ حيث يقترحون علي ما ليس من وظائف الرسل من الإتيان بالعذاب وتعيين وقته.

وفي «التأويلات النجمية»: تجهلون الصواب من الخطأ والصلاح من الفساد حين أدلكم على الرشاد. وفي الآية إشارة إلى أن الأصنام ظاهرة وباطنة، فالأصنام الظاهرة ظاهرة. وأما الأصنام الباطنة، فهي النفس وهواها وشهواتها الدنيوية الفانية، والنهي عنها مطلقاً من وظائف الأنبياء عليهم السلام؛ لأنهم بعثوا لإصلاح النفوس وتهييج الأرواح إلى الملك القدوس ويليهم ورثتهم، وهم الأولياء الكرام قدس الله أسرارهم، فهم بينوا أن عبادة الهوى تورث العذاب العظيم وعبادة الله تعالى تورث الثواب العظيم، بل رؤية الوجه الكريم، ولكن القوم من كمال شقاوتهم قابلونا بالرد والعناد، وزادوا في الضلال والفساد، فحرموا من الثواب مع ما لحقهم من العذاب.

وهذا من كمال الجهالة إذ لو كان للمرء عقل تام ومعرفة كاملة لما تبع الهوى وعبد المولى. قال بعضهم: يجب عليك أولاً أن تعرف المعبود، ثم تعبده وكيف تعبد من لا تعرفه بأسمائه وصفات ذاته، وما يجب له، وما يستحيل في نعته، فربما تعتقد شيئاً في صفاته يخالف الحق، فتكون عبادتك هباء منثوراً ألا ترى أن بعضهم رأى الشيطان بين السماء والأرض فظنه الحق، واستمر عليه مقدار عشرين سنة، ثم لما تبين له خطأه في ذلك قضى صلوات تلك المدة.

وكذلك يجب عليك علم الواجبات الشرعية لتؤديها كما أمرت بها، وكذا علم المناهي لتتركها: [شخصى بود صالح اما قليل العلم در حانة خود منقطع بود ناكاه بهيمة خريد واورابدان حاجتى ظاهرنه بعد ازجند سال كسى ازوى برسيدتوا اين راجه ميكنى وترابوى شغلى وحاجتى نيست كفت دين خودرا باين محافظت مى كنم اوخود بااين بهيمة جمع مى آمده است تا از زنا معصوم ماند اورا اعلام كردندكه آن حرام است وصاحب شرع نهى فرموده است بسيار كريست وتوبه كرد وكفت ندا نستم بس برتو فرض عين است كه ازدين خود بازجويى وحلال وحرام را تمييز كنى تا تصرفات تو بر طريق استقامت باشد].

ويجب عليك أيضاً معرفة الأحوال والأخلاق القلبية والتحرز عن مذموماتها كالحسد والرياء والعجب والكبر وحب المال والجاه ونحو ذلك. وتتخلق بممدوحاتها من التوكل والقناعة والرضا والتسليم واليقين ونحو ذلك، ولا بد في هذا الباب من المعلم والمرشد خصوصاً في إصلاح الباطن:

دra بحلقة روشنند لان عالم خاك كه تاز جاجه دلرا كنى ز حادثه باك

﴿فلما رأوه﴾: الفاء فصيحة؛ أي: فأتاهم العذاب الموعود به، فلما رأوه حال كونه ﴿عارضاً﴾؛ أي: سحاباً يعرض في أفق السماء، أو يبدو في عرض السماء. ﴿مستقبل أوديتهم﴾؛ أي: متوجهاً تلقاء أوديتهم. والإضافة فيه لفظية، ولذا وقع صفة للنكرة. ﴿قالوا هذا عارض ممطرنا﴾؛ أي: يأتينا بالمطر، والإضافة فيه أيضاً لفظية.

روي أنه خرجت عليهم سحابة سوداء من وادٍ لهم، يقال له: المغيث وكانوا قد حبس عنهم المطر، فلما شاهدوها قالوا ذلك مستبشرين بها مسرورين ﴿بل هو﴾؛ أي: قال هود: ليس الأمر كذلك، بل هو ﴿ما استعجلتم به﴾ من العذاب. وبالفارسية: [اين نه ابر باران دهنده است بلكه او آن جيزيست كه تعجيل مزكر ريد بدان]. ﴿ريح﴾: خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: [حوريح]. ﴿فيها عذاب أليم﴾ صفة لريح وكذا قوله: ﴿تدمر﴾؛ أي: تهلك. ﴿كل شيء﴾ مرت به من نفوسهم وأموالهم، فالاستغراق عرفي، والمراد: المشركون منهم. ﴿بأمر ربها﴾ إذ لا حركة ولا سكون إلا بمشيئته تعالى.

وأضاف الرب إلى الريح مع أنه تعالى رب كل شيء لتعظيم شأن المضاف إليه. وللإشارة إلى أنها في حركتها مأمورة، وأنها من أكابر جنود الله، يعني: ليس ذلك من باب تأثيرات الكواكب والقرانات، بل هو أمر حدث ابتداء بقدرة الله تعالى لأجل التعذيب. ﴿فأصبحوا﴾؛ أي: صاروا من العذاب بحال ﴿لا يرى إلا مساكنهم﴾: الفاء فصيحة؛ أي: فجأتهم الريح فدمرتهم، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم، يعني: [بس كشتند بحالى كه اكر كسى بديار ايشان رسيدى ديده نشدى مكر جايكاههاى ايشان يعني همه هلاك شدند وجايكا ايشان خالى بماند].

﴿**كذلك**﴾: الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الجزاء الفظيع، يعني: الهلاك بعذاب الاستئصال. ﴿**نجزي القوم المجرمين**﴾ قيل: أوحى الله تعالى إلى خزان الريح أن أرسلوا مقدار منخر البقر، فقالوا: يا رب إذاً ننسف الأرض ومن عليها، فقال تعالى مثل حلقة الخاتم، ففعلوا، فجاءت ريح باردة من قبل المغرب، وأول ما عرفوا به أنه عذاب أن رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والأرض، وترفع الظعينة في الجو حتى ترى كأنها جرادة، فتدمغها بالحجارة، فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم، فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم، فأمال الله الأحقاف عليهم، فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين، ثم كشفت الريح عنهم الأحقاف، فاحتملتهم فطرحتهم في البحر. وقد قالوا: من أشد منا قوة؟ فلا تستطيع الريح أن تزيل أقدامنا فغلبت عليهم الريح بقوتها، فما أغنت عنهم قوتهم.

وفي المثنوي:

جمله ذرات زمين وآسمان لشكر حقندكاه امتحان

بادرا ديدى كه با عادان جه كرد آب را ديدى كه با طوفان جه كرد

روي: أن هوداً عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطاً إلى جنب عين تنبع ماء لا يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود، وتلذ الأنفس وعمر هود بعدهم مائة وخمسين سنة. وقد مرّ تفصيل القصة في سورة الأعراف، فارجع، والآية وعيد لأهل مكة على إجرامهم بالتكذيب، فإن الله تعالى قادر على أن يرسل عليهم ريحاً مثل ريح عاد أو نحوها، فلا بد من الحذر.

وعن عائشة رضي الله عنها: كان النبي عليه السلام إذا رأى ريحاً مختلفة تلون وجهه وتغير ودخل وخرج وأقبل وأدبر، فذكرت ذلك له، فقال: وما تدرون لعله، كما قال الله تعالى: ﴿**فلما رأوه عارضاً**﴾ إلخ. فإذا أمطرت سري عنه، ويقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وفي الآية إشارة إلى أنه يعرض في سماء القلوب تارة عارض، فيمطر مطر الرحمة يحيي به الله أرض البشرية فينبت منها الأخلاق الحسنة والأعمال الصالحة، وتارة يعرض عارض ضده بسوء الأخلاق وفساد الأعمال، فتكون أشخاصهم خالية عن الخير كالأخلاق والآداب والأعمال الصالحة وقلوبهم فارغة من الصدق والإخلاص والرضا والتسليم، وهو جزاء القوم المعرضين عن الحق المقبلين على الباطل.

يقول الفقير: وفيه إشارة أيضاً إلى قوم ممكورين مقهورين يحسبون أنهم من أهل اللطف والكرم، فيأمرون برفع القباب على قبورهم بعد موتهم، أو يفعل بهم ذلك من جهة الجهلة، فصاروا بحيث لا يرى إلا القبور. والقباب وليس فيها أحد من الأحباب، بلى من أهل العذاب، ونعم ما قالوا لا تهيىء لنفسك قبراً وهيىء نفسك للقبر نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ويحفظنا مما يوجب أذاه، ويخالف رضاه.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿**ولقد مكناهم**﴾: [لتمكين دست دادن وجاى دادن].

والمعنى: أقدرنا عاداً وملكناهم. وبالفارسية: [ايشان را قدرت وقوت داديم]. ﴿**فيما**﴾؛ أي: في الذي ﴿**إن**﴾ نافية؛ أي: ما. ﴿**مكناكم**﴾؛ أي: يا أهل مكة. ﴿**فيه**﴾ من السعة والبسطة وطول الأعمار وسائر مبادي التصرفات، ومما يحسن موقع إن دون ما ها هنا التفصي عن تكرار لفظة ما، وهو الداعي إلى قلب ألفها هاه في مهما، وجعلها زائدة أو شرطية على أن يكون الجواب: كان بغيكم أكثر مما لا يليق بالمقام. ﴿**وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة**﴾ ليستعملوها فيما خلقت له، ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم، ويستدلوا بها على شؤون منعمها عز وجلّ، ويدوموا على شكرها. ولعل توحيد السمع؛ لأنه لا يدرك به إلا الصوت، وما يتبعه بخلاف البصر حيث يدرك به أشياء كثيرة بعضها بالذات وبعضها بالواسطة، والفؤاد يعم إدراك كل شيء، والفؤاد من القلب كالقلب من الصدر سمي به لتفؤده؛ أي: لتوقده تحرقاً.

﴿**فما**﴾ نافية ﴿**أغنى عنهم سمعهم**﴾ حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل يقال: أغنى عنه. كذا إذا كفاه. قال في «تاج المصادر»: [الإغناء بى نيلز كردانيدن ووداشتن كسى را از كسى]. ﴿**ولا أبصارهم**﴾ حيث لم يجتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة في صحائف العالم. ﴿**ولا أفئدتهم**﴾ حيث لم يستعملوها في معرفة الله سبحانه. ﴿**من شيء**﴾؛ أي: شيئاً من الإغناء ومن مزيدة للتأكيد.

قال الكاشفي: [همين كه عذاب فرود آيد بش دفع نكرد از ايشان كوش وديدها ودلهاى ايشان جيزبرا از عذاب خداى]. ﴿**إذ كانوا**﴾: [ازروى تقليد وتعصب]. ﴿**يجحدون بآيات الله**﴾ قوله: إذ متعلق بما أغنى، وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث إن الحكم مرتب على ما أضيف إليه، فإن قولك: أكرمته إذ أكرمني في قوة قولك: أكرمته لإكرامه؛ لأنك إذا أكرمته وقت إكرامه، فإنما أكرمته فيه لوجود إكرامه فيه. وكذا الحال في حيث.

﴿**وحاق بهم**﴾: نزل وأحاط. ﴿**ما كانوا به يستهزئون**﴾ من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء، فيقولون، فائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين. وفي الآية تخويف لأهل مكة ليعتبروا.

وفي المثنوي:

بس سباس اوراكه مارا درجهان ... كرد بيدا از بس بيشينيان
تاشنيديم ازسياستهاى حق ... بر قرون ماضيه اندر سبق
استخوان وبشم آن كركان عيان ... بنكريد وبند كيريد اى مهان
عاقل از سر بنهد اين هستى وباد ... جون شنيد انجام فرعونان وعاد
ورنه بنهد ديكران از حال او ... عبرتى كيرند از اضلال او

وفي الآية إشارة إلى أن هذه الآلات التي هي السمع والبصر والفؤاد أسباب تحصيل التوحيد، وبدأ بالسمع؛ لأن جميع التكليف الوارد على القلب، إنما يوجد من قبل السمع وثنى بالبصر؛ لأنه أعظم شاهد بتصديق المسموع منه، وبه حصول ما به التفكر والاعتبار غالباً تنبيهاً

على عظمة ذلك، وإن كان المبصر هو القلب. ثم رجع إلى الفؤاد الذي هو العمدة في ذلك فتقديمهما على جهة التعظيم له، كما يقال: الجناب والمجلس، وهما المبلغان إليه. وعنه: وإنما شاركه هذان في الذكر تنبيهاً على عظم مشاركتهما إياه في الوزارة ولولاهما لما أمكن أن يبلغ قلب في القالب قلباً في هذا العالم ما يريد إبلاغه إليه، فالسمع والبصر مع الفؤاد في عالم التكليف كالجسد والنفس مع الروح في عالم الخلافة، ولا يتم لأحدهما ذلك إلا بالآخرين، وإلا نقص بقدره.

والمراد: في جميع التكليف سلامة القلب والخطاب إليه من جهة كل عضو، فعلى العاقل سماع الحق والتخلق بما يسمع والمبادرة إلى الانقياد للتكليفات في جميع الأعضاء، وفعل ما قدر عليه من المندوبات، واجتناب ما سمع من المنهي عنه من المحرمات والتعفف عن المكروهات، وترك فضلات المباحات، فإن الاشتغال بفضول المباحات يحرم العبد من لذة المناجاة، وفكر القلب في المباحات يحدث له ظلمة، فكيف تدبير الحرام إذا غير المسك الماء منع الوضوء منه؟، فكيف ولوغ الكلب، وكل عضو يسأل عنه يوم القيامة، فليحاسب العبد نفسه قبل وقت المحاسبة.

وروي: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابياً لم يتعمده، فأتى جبرائيل، فقال: يا محمد إن الله لم يبعثك جباراً ولا متكبراً. فدعا النبي عليه السلام الأعرابي، فقال: «اقتص مني»! فقال الأعرابي: قد أحللتك بأبي أنت وأمي، وما كنت لأفعل ذلك أبداً، ولو أتيت على نفسي، فدعا له بخير، فكما يجب ترك الظلم باليد ونحوها، فكذا ترك معاونة الظلمة.

وطلب بعض الأمراء من بعض العلماء المحبوسين عنده أن يناوله طيناً ليختم به الكتاب، فقال: ناولني الكتاب أولاً حتى أنظر ما فيه، فهكذا كانوا يحترزون عن معاونة الظلمة، فمن أقر بآيات الله الناطقة بالحلال والحرام، كيف يجترىء على ترك العمل، فيكون من المستهزئين بها، فالتوحيد والإقرار أصل الأصول، ولكن قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، ولا كلام في شرف العلم والعمل خصوصاً الذكر.

قال موسى عليه السلام: يا رب أقريب أنت، فأناجيك أم بعيد؟ فأناديك، فقال: أنا جليس من ذكرني، قال: فإنا نكون على حال نجلك أن نذكرك عليها كالجنابة والغائط، فقال: اذكرني على أي حال.

قال الحسن البصري: إذا عطس على قضاء الحاجة يحمد الله في نفسه، كما في «إحياء العلوم». **﴿ولقد أهلكنا ما حولكم﴾** : يا أهل مكة. وبالفارسية: [بدرستى كه نيست كرديم آنجه كردا كرد شمابود]. وحول الشيء جانبه الذي يمكنه أن يحول إليه **﴿من القرى﴾** كحجر ثمود، وهي منازلها، والمؤتفكات، وهي قرى قوم لوط والظاهر من أهل القرى، فيدخل فيهم عاد فإنهم أهلكوا، وبقيت مساكنهم كما سبق.

﴿وصرفنا الآيات﴾ التي يعتبر بها؛ أي: كررنا عليهم الحجج وأنواع العبر. وفي «كشف الأسرار»: وصرفنا الآيات بتكرير ذكرها وإعادة أقاصيص الأمم الخالية بتكذيبها وشركها. **﴿لعلهم يرجعون﴾** لكي يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي؛ لأنها أسباب الرجوع إلى التوحيد والطاعة، ولم يرجع أحد منهم ليعلم أن الهداية بيد الله يؤتيها من يشاء، قالوا: لعل

هذا تطميع لهم وتأميل للمؤمنين، وإلا فهو تعالى يعلم أنهم لا يرجعون.

يقول الفقير: هذا من أسرار القدر، فلا يبحث عنه، فإن الله تعالى خلق الجن والإنس ليعبدوه، فما عبده منهم إلا أقل من القليل، ولما كان تصريف الآيات، والدعوة بالمعجزات من مقتضيات أعيانهم فعله الله تعالى والأنبياء عليهم السلام. والفرق بين الأمر التكليفي والأمر الإرادي أن الأول لا يقتضي حصول المأمور به بخلاف الثاني، وإلا لوقع التخلف بين الإرادة والمراد، وهو محال.

﴿**فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة**﴾: القربان ما يتقرب به إلى الله واحده: مفعولي اتخذوا ضمير المفعول المحذوف. والثاني: آلهة وقرباناً حال. والتقدير: فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة حال كونها متقرباً بها إلى الله تعالى حيث كانوا يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. وهؤلاء شفعاؤنا عند الله، وفيه تهكم بهم.

﴿**بل ضلوا عنهم**﴾؛ أي: غابوا عنهم، وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرتهم لغيبتهم، أو ضاعوا عنهم؛ أي: ظهر ضياعهم عنهم بالكلية. ﴿**وذلك**﴾؛ أي: ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرتهم. ﴿**إفكهم**﴾؛ أي: أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة ونتيجة شركهم. ﴿**وما كانوا يفترون**﴾: عطف على إفكهم؛ أي: وأثر افترائهم على الله أو أثر ما كانوا يفترونه عليه تعالى: [روى از تو هر كه تافت دكر آب رو نيافت].

وفي الآية إشارة إلى أن الأسباب والوسائل نوعان:

أحدهما: ما أذن الله تعالى في أن يتوسل العبد به إليه كالأنبياء والأولياء، وما جاؤوا به من الوحي والإلهام. فهذه أسباب الهدى كما قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

والثاني: ما لم يأذن فيه الله، كعبادة الأصنام ونحوها، فهذه أسباب الهوى، كما نطقت بها الآيات، ثم إن الله تعالى إنما يفعل عند الأسباب لا بالأسباب ليعلم العبد أن التأثير من الله تعالى، فيستأنس بالله لا بالأسباب:

حق تعالى موسى را فرمودكاى موسى جون مرغ باش كه از سر درختان مى خورد وآب صافى بكارمى بدد وجون شب درآمد در شكافى مأوى مى سازد وبامن انس ميكيرد واز خلق مستوحش ميكرد واى موسى هركه بغير من اميد دارد هر آينه اميد او قطع كنم وهركه باغير من تكيه كند بشت اوراشكسته كنم وهركه باغير من انس كيرد وحشت اودراز كردانم وهركه غير مرا دوست دارد هر آينه ازوى اعراض نمايم.

وفي الآية أيضاً تهديد وتخويف حتى لا يغفل المرء عن الله، ولا يتكل على غيره، بل يتأمل العاقبة، ويقبل الدعوة: [حق تعالى به بني إسرائيل خطاب فرمودكه شمارا بآخرت ترغيب كرديم رغبت نكرديد ودردنيا بزهد فرموديم زاهد نشديد وبا آنش ترسانيديم ترس دردل نكر فتيد وبه بهشت تشويق كرديم آرزومند نشديد برشما نوحه كردن داديم نكرستيد بشارت باد كشتكا نرا كه حق تعالى شمشير بست كه در نيام نيامد وان دار جهنم است].

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ

قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن﴾: أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك والنفر دون العشرة وجمعه أنفار. قال الراغب: النفر عدة رجال يمكنهم النفر؛ أي: إلى الحرب ونحوها والجن بعض الروحانيين. وذلك أن الروحانيين ثلاثة أخيار: وهم الملائكة وأشرارهم، وهم الشياطين وأوساط فيهم أخيار وأشرار وهم الجن.

قال سعيد بن المسيب: الملائكة ليسوا بذكور ولا إناث، ولا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون. والشياطين ذكور وإناث يتوالدون ولا يموتون، بل يخلدون في الدنيا كما خلد إبليس. والجن يتوالدون، وفيهم ذكور وإناث ويموتون.

يقول الفقير: يؤيده ما ثبت أن في الجن مذاهب مختلفة كالإنس حتى الرافضي ونحوه، وإن بينهم حروباً وقتالاً، ولكن يشكل قولهم: إبليس هو أبو الجن، فإنه يقتضي أن لا يكون بينهم وبين الشياطين فرق إلا بالإيمان والكفر فاعرف. ﴿يستمعون القرآن﴾: حال مقدرة من نفراً لتخصيصه بالصفة، أو صفة أخرى له؛ أي: واذكر لقومك وقت صرفنا إليك نفراً كائناً من الجن مقدراً استماعهم القرآن. ﴿فلما حضروه﴾؛ أي: القرآن عند تلاوته. ﴿قالوا﴾: أي قال بعضهم لبعض. ﴿انصتوا﴾: الإنصات هو الاستماع إلى الصوت مع ترك الكلام؛ أي: اسكتوا لسمعه.

وفيه إشارة إلى أن من شأنهم فضول الكلام واللغط كالإنس ورمز إلى الحرص المقبول. قال بعض العارفين: هيبة الخطاب وحشمة المشاهدة حبست ألسنتهم، فإنه ليس في مقام الحضرة إلا الخمول والذبول. ﴿فلما قضي﴾: أتم وفرغ من تلاوته. ﴿ولوا إلى قومهم منذرين﴾ انصرفوا إلى قومهم مقدرين إنذارهم عند رجوعهم إليه، يعني: آمنوا به، وأجابوا إلى ما سمعوا ورجعوا إلى قومهم منذرين، ولا يلزم من رجوعهم بهذه الصفة أن يكونوا رسل رسول الله عليه السلام إذ يجوز أن يكون الرجل نذيراً، ولا يكون نبياً أو رسولاً من جانب أحد، فالنذارة في الجن من غير نبوة. وقد سبق بقية الكلام في سورة الأنعام عند قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، الآية.

روي: أن الجن كانت تسترق السمع، فلما حرست السماء ورجموا بالشهب، قالوا: ما هذا إلا لنبأ حدث، فنهض سبعة نفر أو ستة نفر من أشراف جن نصيبين ورؤسائهم. ونصيبين: بلد قاعدة ديار ربيعة، كما في «القاموس».

وقال في «إنسان العيون»: هي مدينة بالشام. وقيل: باليمن. أثنى عليها رسول الله عليه السلام بقوله: «رفعت إلى نصيبين حتى رأيتها، فدعوت الله أن يعذب نهرها وينضر شجرها ويكثر مطرها». وقيل: كانوا من ملوك جن نينوى بالموصل وأسماؤهم على ما في «عين المعاني»: [شاصر ناصر دس مس از دادنان احقم وكفته اندنه عدد بود وهشتم عمرو ونهم سرق وزوبعة بفتح الزاي المعجمة، والباء الموحدة از ايشان بوده واوبسر ابليس است].

وقال في «القاموس»: الزوبعة: اسم شيطان، أو رئيس الجن، فتكون الأسماء عشرة، لكن الأحقم بالميم أو الأحقب بالباء وصف لواحد منهم لا علم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: [تسعة سليط شاصر ماصر حاصر حسا مسا عليم ارقم ادرس]، فضربوا في الأرض حتى بلغوا تهامة، وهي بالكسر مكة شرفها الله تعالى، وأرض معروفة لا بلد، كما في «القاموس»: ثم اندفعوا إلى وادي نخلة عند سوق عكاظ، ونخلة محلة بين مكة والطائف، ونخلة الشامية واليمانية واديان على ليلة من مكة وعكاظ، كغراب سوق بصحراء بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذي القعدة، وتستمر عشرين يوماً تجتمع قبائل العرب فيتعاكظون؛ أي: يتفاخرون ويتناشدون، ومنه: الأديم العكاظي، فوافوا؛ أي: نفر الجن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؛ أي: صادفوه ووجدوه، وهو قائم في جوف الليل يصلي؛ أي: في وسطه، وكان وحده أو معه مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه.

وفي رواية: يصلي صلاة الفجر إذ كان إذ ذاك مأموراً بركعتين بالغداة وبركعتين بالعشي، فهي غير صلاة الفجر التي هي إحدى الخمس المفترضة ليلة الإسراء إذ الحيلولة بين الجن وبين خبر السماء بالشهب. كانت في أوائل الوحي وليلة الإسراء كانت بعد ذلك بسنين عديدة، فاستمعوا لقراءته عليه السلام، وكان يقرأ طه وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج إليهم يستنصرهم على الإسلام، والقيام على من خالفه من قومه، فلم يجيبوه إلى مطلوبه وأغروا به سفهاءهم، فآذوه عليه السلام أذى شديداً ودقوا رجليه بالحجارة حتى أدموها، كما سبق. نبذة منه في آخر التوبة، وكان أقام بالطائف يدعوهم، عشرة أيام وشهراً وأقام بنخلة أياماً، فلما أراد الدخول إلى مكة قال له زيد: كيف تدخل عليهم يعني: قريشاً، وهم قد أخرجوك؛ أي: كانوا سبباً لخروجك، وخرجت لتستنصرهم، فلم تنصر، فقال: يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه، فسار عليه السلام إلى جبل حراء وبعث إلى مطعم بن عدي، وقد مات كافراً قبل بدر بنحو سبعة أشهر، يقول له: إني داخل مكة في جوارك، فأجابه إلى ذلك، فدخل عليه السلام مكة، ثم تسلح مطعم وبنوه، وهم ستة أو سبعة وخرجوا حتى أتوا المسجد الحرام، فقام مطعم على راحلته، فنادى يا معشر قريش: إني قد أجرت محمداً، فلا يؤذيه أحد منكم، ثم بعث إلى رسول الله عليه السلام أن ادخل، فدخل وطاف بالبيت وصلى عنده، ثم انصرف إلى منزله ومطعم وولده مطيفون به.

وكان من عادة العرب حفظ الجوار. ولذا قال أبو سفيان لمطعم أجرنا من أجرت، ثم إن مرور الجن به عليه السلام في هذه القصة، ووقوفهم مستمعين لم يشعر به عليه السلام، ولكن أنبأه الله باستماعهم وذكر اجتماعهم به عليه السلام في مكة مراراً، فمن ذلك ما روي: أن النفر السبعة من الجن لما انصرفوا من بطن نخلة جاؤوا إلى قومهم منذرين، ثم جاؤوا مع قومهم وافدين إلى رسول الله عليه السلام، وهو بمكة وهم ثلاثمائة أو اثنا عشر ألفاً، فانتهوا إلى الحجون، وهو موضع فيه مقابر مكة، فجاء واحد من أولئك النفر إلى رسول الله، فقال: إن قومنا قد حضروا بالحجون يلقونك، فوعده عليه السلام ساعة من الليل، ثم قال لأصحابه: إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة، وأنذرهم، فمن يتبعني قالها: ثلاثاً، فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فقام معه، قال: فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون خط لي خطاً برجله. وقال لي: لا تخرج منه حتى أعود إليك، فإنك إن خرجت لن تراني إلى يوم القيامة.

وفي رواية: لم آمن عليك أن يخطفك بعضهم، ثم جلس وقرأ عليهم: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾

[العلق: ١]، أو سورة الرحمٰن، وسمعت لغطاً شديداً، حتى خفت على رسول الله، واللغط بالغين المعجمة والطاء المهملة اختلاط أصوات الكلام حتى لا يفهم وغشيته عليه السلام، ثم انقطعوا كقطع السحاب، فقال لي عليه السلام: «هل رأيت شيئاً»؟ قلت: نعم، رجالاً سوداً؛ كأنهم رجال الزط وهم طائفة من السودان، الواحد منه زطي، فقال: أولئك جن نصيبين، قلت: سمعت منهم لغطاً شديداً، حتى خفت عليك إلى أن سمعتك تفرعهم بعصاك وتقول: اجلسوا؛ أي: فما سببه، فقال: «إن الجن تداعت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا إليّ، فحكمت بينهم بالحق».

وقال أبو الليث، فلما رجع إليه، قال: يا نبي الله، سمعت هدتين؛ أي: صوتين. قال عليه السلام: إما أحداهما، فإني سلمت عليهم وردوا عليّ السلام. وأما الثانية: فإنهم سألوا الرزق، فأعطيتهم عظماً وأعطيتهم روثاً رزقاً لدوابهم؛ أي: أن المؤمنين منهم لا يجدون عظماً ذكر اسم الله عليه إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثة إلا وجد فيها حبها يوم أكلت أو يعود البعر خضراً لدوابهم. ولهذا نهى عليه السلام عن الاستنجاء بالعظم والروث، وأما الكافرون منهم: فيجدون اللحم على العظم الذي لم يذكر اسم الله عليه.

وعن قتادة: لما أهبط إبليس، قال: أي رب لقد لعنته فما علمه، قال: السحر، قال: فما قراءته، قال: الشعر:

در قيامت نرسد شعر بفرياد كسى كر سراسر سخنش حكمت يونان كردد

قال: فما كتابته، قال: الوشم وهو غرز الإبر في البدن، وذر النيلج عليه، قال: فما طعامه؟ قال: كل ميتة، وما لم يذكر اسم الله عليه؛ أي: من طعام الإنس يأخذه سرقة، قال: فما شرابه؟ قال: كل مسكر، قال: فأين مسكنه؟ قال: الحمام، قال: فأين محله؟ قال: في الأسواق، قال: فما صوته، قال: المزمار، قال: فما مصايده؟ قال: النساء فالحمام أكثر محل إقامته والسوق محل تردده في بعض الأوقات. والظاهر أن كل من لم يؤمن من الجن مثل إبليس فيما ذكر، قال في «إنسان العيون» في أكل الجان ثلاثة أقوال: يأكلون بالمضغ والبلع ويشربون بالازدراد؛ أي: الابتلاع. والثاني: لا يأكلون ولا يشربون، بل يتغذون بالشم، والثالث: أنهم صنفان: صنف يأكل ويشرب وصنف لا يأكل ولا يشرب، وإنما يتغذون بالشم، وهو خلاصتهم.

وفي «آكام المرجان»: أن العمومات تقتضي أن الكل يأكلون ويشربون، وكون الرقيق رقيقاً. واللطيف لطيفاً لا يمنع عن الأكل والشرب، وأما الملائكة فهم أجسام لطيفة لكنهم لا يأكلون ولا يشربون لإجماع أهل الصلاة على ذلك وللأخبار المروية في ذلك. قال العلماء إنه عليه السلام بعث إلى الجن قطعاً، وهم مكلفون. وفيهم العصاة والطائعون، وقد أعلمنا الله أن نفراً من الجن رأوه عليه السلام، وآمنوا به وسمعوا القرآن فهم صحابة فضلاء من حيث رؤيتهم وصحبتهم، وحينئذٍ يتعين ذكر من عرف منهم في الصحابة رضي الله عنهم. كذا في «شرح النخبة» لعلي القاري.

﴿قالوا﴾؛ أي: عند رجوعهم إلى قومهم. **﴿يا قومنا إنا سمعنا كتاباً﴾** فيه إطلاق الكتاب على بعض أجزائه إذ لم يكن القرآن كله منزلاً حينئذٍ.

﴿أنزل من بعد﴾ كتاب **﴿موسى﴾**، قيل: قالوه لأنهم كانوا على اليهودية وأسلموا. وقال

سعدي المفتي في «حواشيه». قلت: الظاهر أنه مثل قول ورقة بن نوفل: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، فقد قالوا في وجهه إنه ذكر موسى مع أنه كان نصرانياً تحقيقاً للرسالة؛ لأن نزوله على موسى متفق عليه بين اليهود والنصارى بخلاف عيسى، فإن اليهود ينكرون نبوته أو؛ لأن النصارى يتبعون أحكام التوراة، ويرجعون إليها، وهذان الوجهان متأتيان هنا أيضاً.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام، فلذا قالوا: من بعد موسى.

قال سعدي المفتي: لعله لا يصح عن ابن عباس، فإنه في غاية البعد إذ النصارى أمة عظيمة منتشرة في مشارق الأرض ومغاربها، فكيف يجوز أن لا يسمعوا بأمر عيسى. وقال في «إنسان العيون» قولهم: من بعد موسى بناء على أن شريعة عيسى مقررة لشريعة موسى لا ناسخة، انتهى.

يقول الفقير: قد صح أن التوراة أول كتاب اشتمل على الأحكام والشرائع بخلاف ما قبله من الكتب، فإنها لم تشتمل على ذلك، إنما كانت مشتملة على الإيمان بالله وتوحيده. ومن ثمة قيل لها: صحف. وإطلاق الكتب عليها مجاز كما صرح به في «السيرة الحلبية»، فلما كان القرآن مشتملاً على الأحكام والشرائع أيضاً، صارت الكتب الإلٰهية كلها في حكم كتابين التوراة والقرآن، فلذا خصصوا موسى بالذكر، وفيه بيان لشرف الكتابين وجلالتهما.

﴿**مصدقاً لما بين يديه**﴾؛ أي: موافقاً لما قبله من التوراة والكتب الإلٰهية في الدعوة إلى التوحيد والتصديق وحقية أمر النبوة والمعاد وتطهير الأخلاق ونحو ذلك. ﴿**يهدي إلى الحق**﴾ من العقائد الصحيحة. ﴿**وإلى طريق مستقيم**﴾ موصل إليه لا عوج فيه، وهو الشرائع والأعمال الصالحة.

قال ابن عطاء: يهدي إلى الحق في الباطن، وإلى طريق مستقيم في الظاهر.

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿**يا قومنا أجيبوا داعي الله**﴾ يعني: محمداً ﷺ أو أرادوا ما سمعوه من الكتاب، فإنه كما أنه هاد كذلك، هو داع إلى الله تعالى. ﴿**وآمنوا به يغفر لكم**﴾؛ أي: الله تعالى ﴿**من ذنوبكم**﴾؛ أي: بعض ذنوبكم، وهو ما كان في خالص حق الله، فإن حقوق العباد لا تغفر بالإيمان بل برضى أربابها، يعني: إذا أسلم الذمي لا يغفر عنه حقوق العباد بإسلامه، وكذا لا تغفر عن الحربي إذا كان الحق مالياً، قالوا: ظلامة الكافر وخصومة الدابة أشد؛ لأن المسلم إما أن يحمل عليه ذنب خصمه بقدر حقه، أو يأخذ من حسناته. والكافر لا يأخذ من الحسنات، ولا ذنب للدابة، ولا يؤهل لأخذ الحسنات، فتعين العقاب. ﴿**ويجركم من عذاب أليم**﴾ معد للكفرة، وهو عذاب النار.

﴿**ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض**﴾؛ أي: فليس بمعجز له تعالى بالهرب، وإن هرب كل مهرب من أقطارها، أو دخل في أعماقها. ﴿**وليس له من دونه أولياء**﴾ بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير إثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الأولياء باعتبار معنى من، فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد إلى الآحاد. ﴿**أولئك**﴾ الموصوفون بعدم إجابة الداعي.

﴿في ضلال مبين﴾ ؛ أي: ظاهر كونه ضلالاً بحيث لا يخفى على أحد حيث أعرضوا عن إجابة من هذا شأنه.

وفي الحديث: «ألا أخبركم عني وعن ملائكة ربي البارحة حفوا بي عند رأسي وعند رجلي وعن يميني وعن يساري»، فقالوا: يا محمد تنام عينك ولا ينام قلبك، فلتعقل ما نقول، فقال بعضهم لبعض: اضربوا لمحمد مثلاً، قال قائل: مثله كمثل رجل بنى داراً وبعث داعياً يدعو، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل مما فيها، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار، ولم يأكل مما فيها وسخط السيد عليه، ومحمد الداعي، فمن أجاب محمداً دخل الجنة، ومن لم يجب محمداً لم يدخل الجنة، ولم يأكل مما فيها، ويسخط السيد عليه.

وفي الآية دليل بيّن على أنه عليه السلام مبعوث إلى الجن والإنس جميعاً، ولم يبعث قبله نبي إليهما وأما سليمان عليه السلام، فلم يبعث إلى الجن، بل سخروا له. وفي «فتح الرحمٰن»: ولم يرسل عليه السلام إلى الملائكة صرح به البيهقي في الباب الرابع من «شعب الإيمان». وصرح في الباب الخامس عشر بانفكاكهم من شرعه. وفي «تفسير الإمام الرازي»، و«البرهان النسفي» حكاية الإجماع.

قال ابن حامد: من أصحاب أحمد: ومذهب العلماء إخراج الملائكة عن التكليف والوعد والوعيد، وهم معصومون كالأنبياء بالاتفاق إلا من استثني كإبليس وهاروت وماروت على القول بأنهم من الملائكة. انتهى.

وفي الحديث: «أرسلت إلى الخلق كافة» والخلق يشمل الإنس والجن والملك والحيوانات والنبات والحجر. قال الجلال السيوطي: وهذا القول؛ أي: إرساله للملائكة رجحته في كتاب «الخصائص» وقد رجحه قبلي الشيخ تقي الدين السبكي، وزاد أنه مرسل لجميع الأنبياء والأمم السابقة من لدن آدم إلى قيام الساعة، ورجحه أيضاً البارزي، وزاد أنه مرسل إلى جميع الحيوانات والجمادات، وأزيد على ذلك أنه مرسل لنفسه.

يقول الفقير: اختلف أهل الحديث في شأن الملائكة، هل هم من الصحابة أو لا؟ فقال البلقيني: ليسوا داخلين في الصحابة، وظاهر كلامهم كالإمام الرازي أنهم داخلون، ففيه أن الإمام كيف يعد الملائكة من الصحابة؟ وقد حكي الإجماع على عدم الإرسال وبعيد أن يكونوا من صحابته وأمته عليه السلام من غير أن يرسل إليهم. واختلف في حكم مؤمني الجن، فقيل: لا ثواب لهم إلا النجاة من النار لقوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١] حيث صرح باقتصارهم على المغفرة والإجارة.

وبه قال الحسن البصري رحمه الله حيث قال: ثوابهم أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل البهائم.

قال الإمام النسفي في «التيسير» توقف أبو حنيفة في ثواب الجن ونعيمهم. وقال: لا استحقاق للعبد على الله، وإنما ينال بالوعد ولا وعد في حق الجن إلا المغفرة والإجارة، فهذا يقطع القول به، وأما نعيم الجنة، فموقوف على قيام الدليل. انتهى.

قال سعدي المفتي: وبهذا تبين أن أبا حنيفة متوقف لا جازم بأنه لا ثواب لهم، كما زعم البيضاوي، يعني أن المروي عن أبي حنيفة أنه توقف في كيفية ثوابهم لا أنه قال: لا ثواب لهم. وذلك أن في الجن مسلمين ويهوداً ونصارى ومجوساً وعبدة أوثان، فلمسلميهم ثواب لا

محالة، وإن لم نعلم كيفيته، كما أن الملائكة لا يجازون بالجنة، بل بنعيم يناسبهم على أصح قول العلماء، وأما رؤية الله تعالى، فلا يراه الملائكة والجن في رواية كما في «إنسان العيون».

والظاهر أن رؤيتهم من وادٍ ورؤية البشر من وادٍ، فمن نفى الرؤية عنهم نفاها بهذا المعنى، وإلا فالملائكة أهل حضور وشهود، فكيف لا يرونه، وكذا مؤمنو الجن وإن كانت معرفتهم دون معرفة الكمل من البشر على ما صرح به بعض العلماء. وفي «البزازية»: ذكر في التفاسير توقف الإمام الأعظم في ثواب الجن؛ لأنه جاء في القرآن فيهم يغفر لكم من ذنوبكم، والمغفرة لا تستلزم الإثابة.

قالت المعتزلة: أوعد لظالميهم، فيستحق الثواب صالحوهم. قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن: ١٥]، قلنا: الثواب فضل من الله تعالى لا بالاستحقاق، فإن قيل قوله تعالى: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمٰن: ١٣] بعد عد نعم الجنة خطاب للثقلين، فيرد ما ذكرتم، قلنا: ذكر أن المراد منه التوقف في المآكل والمشارب والملاذ، والدخول فيه كدخول الملائكة للسلام والزيارة والخدمة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب الآية، انتهى.

والصحيح كما في «بحر العلوم»: والأظهر كما في «الإرشاد»: أن الجن في حكم بني آدم ثواباً وعقاباً لأنهم مكلفون مثلهم، ويدل عليه قوله تعالى في هذه السورة ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٣٢]، والاقتصار؛ لأن مقصودهم الإنذار، ففيه تذكير بذنوبهم: [واز حمزة بن حبيب رحمه الله برسيدندكه مؤمنان جن را ثواب هست فرمودكه آرى وآيت ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمان: ٥٦] بخواند وكفت الانسيات للإنس والجنيات للجن]. فدل على تأني الطمث من الجن؛ لأن طمث الحور العين إنما يكون في الجنة.

وفي «آكام المرجان»: في أحكام الجان اختلف العلماء في مؤمني الجن، هل يدخلون الجنة على أقوال أحدها؟ إنهم يدخلونها، وهو قول جمهور العلماء. ثم اختلف القائلون بهذا القول إذا دخلوا الجنة هل يأكلون فيها ويشربون؟ فعن الضحاك: يأكلون ويشربون، وعن مجاهد أنه سئل عن الجن المؤمنين أيدخلون الجنة؟ قال: يدخلونها، ولكن لا يأكلون ولا يشربون، بل يلهمون التسبيح والتقديس، فيجدون فيه ما يجده أهل الجنة من لذة الطعام والشراب، وذهب الحارث المحاسبي إلى أن الجن الذين يدخلون الجنة يكونون يوم القيامة بحيث نراهم ولا يروننا عكس ما كانوا عليه في الدنيا.

والقول الثاني: إنهم لا يدخلونها، بل يكونون في ربضها؛ أي: ناحيتها وجانبها يراهم الإنس من حيث لا يرونهم.

والقول الثالث: إنهم على الأعراف كما جاء في الحديث: «أن مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب، وليسوا من أهل الجنة مع أمة محمد هم على الأعراف حائط الجنة تجري فيه الأنهار وتنبت فيه الأشجار والثمار». ذكره صاحب «الفردوس الكبير».

وقال الحافظ الذهبي: هذا حديث منكر جداً. وفي الحديث: «خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنفاً حيات وعقارب وخشاش الأرض وصنفاً كالريح في الهواء وصنفاً عليه الثواب والعقاب، وخلق الله الإنس ثلاثة أصناف: صنفاً كالبهائم، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] الآية. وصنفاً أجسادهم كأجساد بني آدم وأرواحهم

كأرواح الشياطين وصنفاً في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله». رواه أبو الدرداء رضي الله عنه.

والقول الرابع: الوقف. واحتج أهل القول الأول بوجوه الأول العمومات كقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الشعراء: ٩٠]، وقوله عليه السلام من شهد أن لا إله إلا الله خالصاً دخل الجنة، فكما أنهم يخاطبون بعمومات الوعيد بالإجماع، فكذلك يخاطبون بعمومات الوعد بالطريق الأولى، ومن أظهر حجة في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ﴾ [الرحمن: ٤٦-٤٧] إلى آخر السورة. والخطاب للجن والإنس فامتن عليهم بجزاء الجنة ووصفها لهم وشوقهم إليها، فدل ذلك على أنهم ينالون ما امتن عليهم به إذا آمنوا.

وقد جاء في حديث: أن رسول الله عليه السلام قال لأصحابه لما تلا عليهم هذه السورة: «الجن كانوا أحسن رداً منكم ما تلوت عليهم من آية إلا قالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب». والثاني: ما استدل به ابن حزم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ﴾ [البينة: ٧-٨] إلى آخر السورة. قال: وهذه صفة تعم الجن والإنس عموماً لا يجوز البتة أن يخص منها أحد النوعين، ومن المحال أن يكون الله يخبرنا بخبر عام، وهو لا يريد إلا بعض ما أخبرنا به ثم لا يبين لنا ذلك هذا هو ضد البيان الذي ضمنه الله لنا، فكيف، وقد نص على أنهم من جملة المؤمنين الذين يدخلون الجنة.

والثالث: ما سبق من خبر الطمث.

والرابع: ما قال ابن عباس رضي الله عنهما: الخلق أربعة، فخلق في الجنة كلهم، وخلق في النار كلهم وخلقان في الجنة والنار، فأما الذين في الجنة كلهم، فالملائكة، وأما الذين في النار كلهم، فالشياطين، وأما الذين في الجنة والنار، فالإنس والجن لهم الثواب، وعليهم العقاب.

والخامس: أن العقل يقوي ذلك وإن لم يوجبه، وذلك أن الله سبحانه قد أوعد من كفر منهم وعصى بالنار، فكيف لا يدخل من أطاع منهم الجنة، وهو سبحانه الحكم العدل، فإن قيل: قد أوعد الله من قال من الملائكة: إني إله من دونه بالنار، ومع هذا ليسوا في الجنة في الجواب أن المراد بذلك إبليس دعا إلى عبادة نفسه، فنزلت الآية فيه، وهي ومن يقل منهم إني إله من دونه، فذلك نجزيه جهنم، وأيضاً أن ذلك وإن سلمنا إرادة العموم منه، فهذا لا يقع من الملائكة، بل هو شرط، والشرط لا يلزم وقوعه، وهو نظير قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، والجن يوجد منهم الكافر، فيدخل النار. واحتج أهل القول الثاني بقوله تعالى: ﴿يغفر لكم﴾ إلخ. حيث لم يذكر دخول الجنة، فدل على أنهم لا يدخلونها.

والجواب: أنه لا يلزم من سكوتهم أو عدم علمهم بدخول الجنة نفيه. وأيضاً: إن الله أخبر أنهم ولوا إلى قومهم منذرين فالمقام مقام الإنذار لا مقام بشارة. وأيضاً: إن هذه العبارة لا تقتضي نفي دخول الجنة؛ لأن الرسل المتقدمين كانوا ينذرون قومهم بالعذاب، ولا يذكرون دخول الجنة؛ لأن التخويف بالعذاب أشد تأثيراً من الوعد بالجنة، كما أخبر عن نوح في قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: ٢٦]، وعن هود ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٣٥]، وعن شعيب ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ [هود: ٨٤]، وكذلك غيرهم، وأيضاً: إن ذلك يستلزم دخول الجنة؛ لأن من غفر ذنوبه وأجير من العذاب، وهو مكلف بشرائع الرسل، فإنه يدخل الجنة.

وقد سبق دليل القول الثالث والرابع والعلم عند الله الملك المتعال وإليه المرجع والمآل.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿أولم يروا﴾: الهمزة للإنكار، والواو: للعطف على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية؛ أي: ألم يتفكروا، ولم يعلموا علماً جازماً، في حكم المشاهدة والعيان. ﴿أن الله الذي خلق السماوات والأرض﴾ ابتداء من غير مثال ﴿ولم يعي بخلقهن﴾؛ أي: لم يتعب ولم ينصب بذلك أصلاً، أو لم يعجز عنه يقال: عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه وأعييت تعبت.

وفي «القاموس»: أعيى الماشي كلَّ. وفي «تاج المصادر»: العي بكسر العين: [اندر ماندن]. والماضي: عيى وعي والنعت: عيي على فعيل وعى على فعل بالفتح، والإعياء: [درماندن ومانده شدن ودررفتن ومانده كردن]. وأعيى عليه الأمر. انتهى.

وحكي في سبب تعلم الكسائي النحو على كبره أنه مشى يوماً حتى أعيى، ثم جلس إلى قوم ليستريح، فقال: قد عييت بالتشديد بغير همزة، فقالوا له: لا تجالسنا وأنت تلحن. قال الكسائي: وكيف قالوا إن أردت من التعب؟ فقل: أعييت وإن أردت من انقطاع الحيلة والتعجيز في الأمر، فقل: عييت مخففاً، فقام من فوره وسأل عمن يعلم النحو، فأرشدوه إلى معاذ، فلزمه حتى نفد ما عنده، ثم خرج إلى البصرة إلى الخليل بن أحمد.

يقول الفقير: الظاهر أن المراد بالعي هنا اللغوب الواقع في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: ٣٨] والقرآن يفسر بعضه بعضاً فالإعياء مرفوع محال؛ لأنه لو كان لاقتضى ضعفاً واقتضى فساداً ﴿بقادر﴾ خبر أن ووجه دخول الباء اشتمال النفي الوارد في صدر الآية على أن وما في حيزها؛ كأنه قيل: أوليس الله بقادر ﴿على أن يحيي الموتى﴾ ولذا أجيب عنه بقوله: ﴿بلى إنه على كل شيء قدير﴾ تقريراً للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود يعني أن الله تعالى إذا كان قادراً على كل شيء كان قادراً على إحياء الموتى؛ لأنه من جملة الأشياء وقدرته تعالى لا تختص بمقدور دون مقدور فبلى يختص بالنفي ويفيد إبطاله على ما هو المشهور، وإن حكى الرضي عن بعضهم أنه جاز استعمالها في الإيجاب.

﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾؛ أي: يعذبون بها، كما سبق في هذه السورة، ويوم ظرف عامله قول مضمر؛ أي: يقال لهم يومئذٍ ﴿أليس هذا﴾ العذاب الذي ترونه ﴿بالحق﴾؛ أي: حقاً وكنتم تكذبون به، وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الشعراء: ١٣٨] ﴿قالوا بلى﴾؛ أي: إنه الحق ﴿وربنا﴾ وهو الله تعالى أكدوا جوابهم بالقسم؛ لأنهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيته، كما في الدنيا وأنى لهم ذلك. ﴿قال﴾ الله تعالى، أو خازن النار ﴿فذوقوا العذاب﴾؛ أي: أحسوا به إحساس الذائق المطعوم ﴿بما كنتم تكفرون﴾ به في الدنيا. والباء للسببية، ومعنى الأمر الإهانة بهم والتوبيخ لهم على ما كان في الدنيا من الكفر والإنكار لوعد الله ووعيده.

قال ابن الشيخ: الظاهر أن صيغة الأمر لا مدخل لها في التوبيخ، وإنما هو مستفاد من قوله: ﴿بما كنتم تكفرون﴾. وفي الآية إشارة إلى أنهم كانوا في الدنيا معذبين بعذاب البعد

والقطيعة، وإفساد الاستعداد الأصلي لقبول الكمالات وبلوغ القربات، ولكن ما كانوا يذوقون مرارة ذلك العذاب وحرقته لغلبة الحواس الظاهرة، وكلالة الحواس الباطنة، كما أن النائم لا يحس قرص النملة وعض البرغوث، وهنا ورد: «الناس نيام فإذا ماتوا تيقظوا».

واعلم كما أن الموت حق واقع لا يستريبه أحد، فكذا الحياة بعد الموت ولا عبرة بإنكار المنكر، فإنه من الجهل وإلا فقد ضرب الله له مثلاً بالتيقظ بعد النوم، ولذا ورد النوم أخو الموت. ثم إن الحياة على أنواع: حياة في الأرحام بنفخ الله الروح، وحياة في القبور بنفخ إسرافيل في الصور وحياة للقلوب بالفيض الروحاني وحياة للأرواح بالسر الرباني ولن يتخلص أحد من العذاب الروحاني والجسماني إلا بدخول جنة الوصل الإلهي الرباني، وهو إنما يحصل بمقاساة الرياضات والمجاهدات، فإن الجنة حفت بالمكاره: [نقلست كه يكروز حسن بصري ومالك بن دينار وشقيق بلخي نزد رابعه عدوية شدند واو رنجور بود حسن كفت ليس بصادق في دعواه من لم يصبر على ضرب مولاه شقيق كفت] ليس بصادق في دعواه من لم يشكر على ضرب مولاه مالك [كفت] ليس بصادق في دعواه من لم يتلذذ بضرب مولاه [رابعة را كفتند تو بكو كفت] ليس بصادق في دعواه من لم ينس الضرب في مشاهدة مولاه [وابن عجب نبودكه زنان مصر در مشاهده مخلوق درد زخم نيافتند اكركسى در مشاهده خالق بدين صفت بود عجب نبود] فعلم من هذا أن المرء إذا كان صادقاً في دعوى طلب الحق، فإنه لا يتأذى من شيء مما يجري على رأسه، ولا يريد من الله إلا ما يريد الله منه:

عاشقانرا كردر آتش مى نشاند قهر دوست ... تنك جشمم كرنظر در جشمة كوثر كنم

وإن الصادق لا يخلو من تعذيب النفس في الدنيا بنار المجاهدة، ثم من إحراقها بالكلية بالنار الكبرى التي هي العشق والمحبة، فإذا لم يبق في الوجود ما يتعلق بالإحراق كيف يعرض على النار يوم القيامة لتخليص الجوهر ونفسه مؤمنة مطمئنة، ومن الله العون والإمداد.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾: الفاء: جواب شرط محذوف. والعزم في اللغة: الجد والقصد مع القطع؛ أي: إذا كان عاقبة أمر الكفرة ما ذكر، فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر أولو الثبات والحرم من الرسل، فإنك من جملتهم بل من عليهم، ومن للتبيين، فيكون الرسل كلهم أولي عزم وجد في أمر الله.

قال في «التكملة». وهذا لا يصح لإبطال معنى تخصيص الآية، وقيل: من للتبعيض على أنهم صنفان أولو عزم وغير أولي عزم. والمراد بأولي العزم أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها، وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وقد نظمهم بعضهم بقوله:

أولو العزم نوح والخليل بن آزر ... وموسى وعيسى والحبيب محمد

قال في «الأسئلة المقحمة»: هذا القول هو الصحيح، وقيل: هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على أذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه، وإبراهيم صبر على النار، وعلى ذبح ولده، والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد، ويوسف على الجب والسجن وأيوب

على الضر وموسى، قال قومه: إنا لمدركون، قال: كلا، إن معي ربي سيهدين، ويونس على بطن الحوت وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة. وقال: إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها صلوات الله عليهم أجمعين.

وقال قوم: الأنبياء كلهم أولو العزم إلا يونس لعجلة كانت منه ألا يرى أنه قيل للنبي عليه السلام، ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨] ولا آدم لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: ١١٥].

قال في «حواشي ابن الشيخ»: ليس بصحيح؛ لأن معنى قوله: ولم نجد له عزماً قصداً إلى الخلاف، ويونس لم يكن خروجه بترك الصبر لكن توقياً عن نزول العذاب، انتهى. وفيه ما فيه كما لا يخفى على الفقيه. قال بعضهم: أولو العزم اثنا عشر نبياً أرسلوا إلى بني إسرائيل بالشام فعصوهم فأوحى الله إلى الأنبياء: إني مرسل عذابي على عصاة بني إسرائيل، فشق ذلك على الأنبياء، فأوحى الله إليهم اختاروا لأنفسكم إن شئتم أنزلت بكم العذاب وأنجيت بني إسرائيل، وإن شئتم أنجيتكم، وأنزلت العذاب ببني إسرائيل، فتشاوروا بينهم، فاجتمع رأيهم على أن ينزل بهم العذاب وينجي بني إسرائيل، فسلط الله عليهم ملوك الأرض، فمنهم من نشر بالمنشار، ومنهم من سلخ جلدة رأسه ووجهه، ومنهم من صلب على الخشب حتى مات، ومنهم من أحرق بالنار. وقيل غير ذلك، والله تعالى أعلم وأحكم.

يقول الفقير: لا شك أن الله تعالى فضل أهل الوحي بعضهم على بعض ببعض الخصائص، وإن كانوا متساوين في أصل الوحي والنبوة، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وكذا باين بينهم في مراتب الابتلاء، وإن كان كل منهم لا يخلو عن الابتلاء من حيث إن أمر الدعوة مبني عليه، فأولو العزم منهم فوق غيرهم من الرسل، وكذا الرسل فوق الأنبياء، وأما نبينا عليه السلام، فأعلى أولي العزم دل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤]، فإن كونه على خلق عظيم يستدعي شدة البلاء. وقد قال: «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت»، ففرق بين عزم وعزم. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨] مع قوله: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧] دل على أن يونس عليه السلام قد صدر منه الضجرة. وقول يوسف عليه السلام فاسأله: ﴿مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ﴾ [يوسف: ٥٠]؟ دل على أنه صدر منه التزكية، وقول لوط عليه السلام: ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] دل على أنه ذهل عن أن الله تعالى كان ركنه الشديد، وقس على هذا المذكور قول عزيز ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ونحو ذلك، فظهر أن الأنبياء عليهم السلام متفاوتون في درجات المعارف ومراتب الابتلاء، وطبقات العزم.

قال بعضهم: أولو العزم من لا يكون في عزمه فسخ، ولا في طلبه نسخ كما قيل لبعضهم بم وجدت ما وجدت. قال: بعزيمة كعزيمة الرجال؛ أي: الرجال البالغين مرتبة الكمال. ﴿**ولا تستعجل لهم**﴾؛ أي: لكفار مكة بالعذاب، فإنه على شرف النزول بهم وأمهلهم ليستعدوا بالتمتعات الحيوانية للعذاب العظيم، فإني أمهلهم رويداً، كأنه ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال. ﴿**كأنهم يوم يرون ما يوعدون**﴾ من العذاب ﴿**لم يلبثوا**﴾؛ أي: لم يمكثوا في الدنيا والتمتع بنعيمها ﴿**إلا ساعة**﴾ يسيرة وزماناً قليلاً ﴿**من نهار**﴾ لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته، يعني: أن هول ما

ينزل بهم ينسيهم مدة اللبث، وأيضاً: إن ما مضى وإن كان دهراً طويلاً لكنه يظن زماناً قليلاً، بل يكون كأن لم يكن فغاية التنعم الجسماني هو العذاب الروحاني، كما في البرزخ، والعذاب الجسماني أيضاً، كما في يوم القيامة.

غبار قافلة عمر جون نمايان نيست دواسبه رفتن ليل ونهار را درياب

﴿بلاغ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة، أو تبليغ من الرسول، فالعبد يضرب بالعصا. والحر يكفيه الإشارة ﴿فهل يهلك﴾؛ أي: ما يهلك. وبالفارسية: [بس آيا هلاك كرده خواهند شد بعذاب واقع كه نازل شود يعني نخوا هند شد]. ﴿إلا القوم الفاسقون﴾؛ أي: الخارجون عن الاتعاظ به أو عن الطاعة. وقال بعض أهل التأويل؛ أي: الخارجون من عزم طلبه إلى طلب ما سواه. وفي هذه الألفاظ وعيد محض وإنذار بيّن. وفي «الفردوس» قال ابن عباس رضي الله عنهما، قال النبي عليه السلام: إذا عسر على المرأة ولادتها أخذ إناء نظيف وكتب عليه؛ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥] إلخ. ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ [النازعات: ٤٦] إلخ.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١] إلخ. ثم يغسل وتسقى منه المرأة وينضح على بطنها وفرجها كما في «بحر العلوم». وقال في «عين المعاني» قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا عسر على المرأة الولادة، فليكتب هاتان الآيتان في صحيفة، ثم تسقى، وهي هذه: بسم الله الرحمٰن الرحيم، لا إلٰه إلا الله، الحكيم، الكريم، لا إلٰه إلا الله العلي العظيم، سبحان الله رب السماوات السبع، ورب العرش العظيم، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٦].

وفي شرعة الإسلام المرأة التي عسرت عليها الولادة يكتب لها في جام، وهو طبق أبيض من زجاج أو فضة، ويغسل ويسقى ماؤه: باسم الله الذي لا إلٰه إلا هو العليم الحكيم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين؛ كأنهم يوم يرون إلخ. ومر عيسى ابن مريم ببقرة اعترض ولدها في بطنها، فقالت: يا كلمة الله ادعو الله أن يخلصني، فقال عيسى: يا خالق النفس من النفس خلصها، فألقت ما في بطنها، فإذا عسرت على المرأة الولادة، فليكتب لها هذا، وكذا إذا عسرت على الفرس والبقر وغيرهما.

قال في «آكام المرجان»: يجوز أن يكتب للمصاب وغيره من المرضى شيء من كتاب الله، وذكره بالمداد المباح، ويغسل ويسقى كما نص على ذلك الإمام أحمد وغيره. انتهى. واحترز بكتاب الله وذكره عما لا يعرف معناه من لغات الملل المختلفة، فإنه يحتمل أن يكون فيه كفر واحترز بالمداد المباح عن الدم ونحوه من النجاسات، فإنه حرام بل كفر، وكذا تقليب حروف القرآن وتعكيسها.

نعوذ بالله ثم من لطائف القرآن الجليل ختم السورة الشريفة بالعذاب القاطع لدابر الكافرين، والحمد لله حمداً كثيراً إلى يوم الدين وإلى أبد الآبدين.

تمت سورة الأحقاف بعون ذي الألطاف في عاشر شوال المنتظم في سلك شهور سنة ثلاث عشرة بعد المائة ويليها سورة محمد ﷺ وتسمى سورة القتال أيضاً. مدنية، وقيل: مكية، وآيها تسع أو ثمان وثلاثون.

٤٧ ـ سورة محمد

وآياتها ثمان وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝١ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢﴾

﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾؛ أي: أعرضوا عن الإسلام وسلوك طريقه من صد صدوداً، فيكون التأكيد والتفسير لما قبله أو منعوا الناس عن ذلك من صده صداً كالمطعمين يوم بدر، فإن مترفيهم أطعموا الجنود يستظهرون على عداوة النبي عليه السلام والمؤمنين، فيكون مخصصاً لعموم قوله: ﴿الذين كفروا﴾. والظاهر أنه عام في كل من كفر وصد.

﴿أضل أعمالهم﴾؛ أي: أبطلها وأحبطها وجعلها ضائعة لا أثر لها أصلاً، لا بمعنى أنه أبطلها وأحبطها بعد أن لم تكن بذلك، بل بمعنى أنه حكم ببطلانها وضياعها. فإن ما كانوا يعملونه من أعمال البر، كصلة الأرحام، وقري الأضياف وفك الأسارى وغيرها من المكارم ليس لها أثر من أصلها لعدم مقارنتها للإيمان وأبطل ما عملوه من الكيد لرسول الله عليه السلام والصد عن سبيله بنصر رسوله، وإظهار دينه على الدين كله، وهو الأوفق بقوله: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٨]، وقوله تعالى: ﴿فإذا لقيتم﴾، إلخ.

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يعلم كل من آمن وعمل صالحاً من المهاجرين وأهل الكتاب وغيرهم، وكذا يعم الإيمان بجميع الكتب الإلهية. ﴿وآمنوا بما نزل على محمد﴾ خص بالذكر الإيمان بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويهاً بشأن المنزل عليه، كما في عطف جبرائيل على الملائكة وتنبيهاً على سمو مكانه من بين سائر ما يجب الإيمان به، وأنه الأصل في الكل، ولذلك أكد بقوله تعالى: ﴿وهو﴾؛ أي: ما نزل على محمد ﴿الحق﴾ حال كونه ﴿من ربهم﴾ بطريق حصر الحقية فيه والحق مقابل الباطل ﴿كفر عنهم سيئاتهم﴾؛ أي: سترها بالإيمان والعمل الصالح ﴿وأصلح بالهم﴾؛ أي: حالهم في الدين والدنيا بالتأييد والتوفيق.

قال الراغب في «المفردات» البال التي يكترث لها، ولذلك يقال: ما باليت بكذا؛ أي: ما اكترثت، ويعبر عن البال بالحال الذي ينطوي عليه الإنسان، فيقال: ما خطر كذا ببالي. وفي «القاموس»: البال: الحال.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۝٣ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً

حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما مر من إضلال الأعمال وتكفير السيئات وإصلاح البال، وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿بأن الذين كفروا﴾؛ أي: كائن بسبب أن الكافرين ﴿اتبعوا الباطل﴾؛ أي: الشيطان ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد، فبيان سببية اتباعه للإضلال المذكور متضمن لبيان مسببيتهما لكونه أصلاً مستتبعاً لهما قطعاً.

﴿وأن الذين آمنوا﴾؛ أي: وبسبب أن المؤمنين ﴿اتبعوا الحق﴾ الذي لا محيد عنه كائناً ﴿من ربهم﴾ ففعلوا ما فعلوا من الإيمان به وبكتابه، ومن الأعمال الصالحة، فبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والإصلاح بعد الإشعار بسببية الإيمان والعمل الصالح له متضمن لبيان مسببيتهما له لكونه مبدىء ومنشىء لهما حتماً، فلا تدافع بين الإشعار والتصريح في شيء من الموضعين. ﴿كذلك﴾؛ أي: مثل ذلك الضرب البديع. ﴿يضرب الله﴾؛ أي: يبين.

قال الراغب: قيل ضرب الدراهم اعتباراً بضربها بالمطرقة، ومنه ضرب المثل، وهو ذكر شيء أثره يظهر في غيره. ﴿للناس أمثالهم﴾؛ أي: أحوال الفريقين وأوصافهما الجارية في الغرابة مجرى الأمثال، وهي اتباع الأولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم، واتباع الآخرين الحق، وفوزهم وفلاحهم. وفي الخبر: «اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه». والحق يقال على أوجه:

الأول: يقال: لموجد الشيء بحسب ما تقضيه الحكمة. ولذا قيل: في الله تعالى هو الحق.

والثاني: يقال: للموجد بحسب مقتضى الحكمة، ولذلك قيل: فعل الله تعالى كله حق نحو قولنا الموت حق، والبعث حق، ويدخل فيه جميع الموجودات، فإنه لا عبث في فعل الحكيم تعالى وبطلان بعض الأشياء إضافي لا حقيقي حتى الشيطان ونحوه.

والثالث: يقال للاعتقاد في الشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه كقولنا اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق.

والرابع: يقال للفعل. والقول الواقع بحسب ما يجب وقدر ما يجب في الوقت الذي يجب كقولنا: فعلك حق وقولك حق. والباطل نقيض الحق في هذه المعاني، فالإيمان حق؛ لأنه مما أمر الله به، والكفر باطل، لأنه مما نهى الله عنه وقس عليه الأعمال الصالحة والمعاصي. والإيمان عبارة عن قطع الإشراك بالله مطلقاً، والعمل الصالح ما كان لله تعالى خالصاً، وكان الكبار يبذلون مقدورهم فيه؛ لأن ما كان لرضى الله تعالى مفتاح السعادة في الدارين.

قال موسى عليه السلام: يا رب فأي عبادك أعجز، قال: الذي يطلب الجنة بلا عمل والرزق بلا دعاء، قال: وأي عبادك أبخل، قال: الذي يسأله سائل، وهو يقدر على إطعامه، ولم يطعمه والذي يبخل بالسلام على أخيه:

كويند باز كشت بخيلان بود بخاك حاشا كه هيج خاك بذيرد بخيل را

يقول الفقير: مجرد الإنفاق والإطعام لا يعتبر إلا إذا كان مقارناً بالخلوص، وطلب الرضا

ألا ترى أن قريشاً أطعموا الكفار في وقعة بدر، فعاد إنفاقهم خيبة وخساراً؛ لأنه كان في طريق الشيطان لا في طريق الله تعالى، فأحبط أعمالهم، وكذا مجرد الإمساك لا يعد بخلاً إلا إذا كان ذلك إمساكاً عن المستحق ألا ترى كيف قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء: ٥]، فحذرهم في غير محل الإسراف، ولا سرف في الخير، ثم إن أعمال المبتدعة باطلة أيضاً؛ لأنها على زيغ وانحراف عن سننها، وإن كانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، فالكفر والبدعة والمعاصي أقبح الأشياء، كما أن الإيمان والسنة والطاعة أحسن الأشياء.

[بشر حافى قدس سره كفت رسول الله را عليه السلام بخواب ديدم مرا كفت اى بشر هيج دانى كه جرا خداى تعالى ترا بر كزيد ازميان اقران وبلند كردانيد كفتم نه يا رسول الله كفت بسبب آنكه متابعت سنت من كردى وصالحا نرا حرمت نكاه داشتى وبرادرانر نصيحت كردى وأصحاب وأهل بيت مرا دوست داشتى حق تعالى ترابدين سبب بمقام ابرار رسانيد].

ثم إن طريق اتباع الحق إنما يتيسر باتباع أهل الحق، فإنهم ورثة النبي ﷺ في التحقق بالحق والإرشاد إليه، فمن اتبع أهل الحق اهتدى، ومن اتبع أهل الباطل ضل، فالأول أهل جمال الله تعالى والملك خادمه. والثاني: أهل جلال الله تعالى، والشيطان سادنه، فعلى العاقل الرجوع إلى الحق وصحبة أهله، كما قال تعالى: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الذين يخدمون الحق بالحق، ويعصمنا من البطالة والبطلان والزيغ المطلق إنه هو الحق الباقي وإليه التلاقي.

﴿**فإذا لقيتم الذين كفروا**﴾: اللقاء: [ديدن وكار زار كردن ورسيدن]. قال الراغب: اللقاء: يقال في الإدراك بالحس بالبصر والبصيرة؛ أي: فإذا كان الأمر كما ذكر من ضلال أعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح أحوال المؤمنين وفلاحهم، فإذا لقيتموهم في المحاربة يا معشر المسلمين. ﴿**فضرب الرقاب**﴾ أصله: فاضربوا الرقاب ضرباً، فحذف الفعل وقدم المصدر وأنيب منابه مضافاً إلى المفعول والألف واللام بدل من الإضافة؛ أي: فاضربوا رقابهم بالسيف.

والمراد: فاقتلوهم، وإنما عبر عن القتل بضرب الرقاب تصويراً له بأشنع صورة، وهو جز الرقبة وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه، وإرشاداً للغزاة إلى أيسر ما يكون منه. وفي الحديث: «أنا لم أبعث لأعذب بعذاب الله وإنما بعثت بضرب الرقاب وشد الوثاق». ﴿**حتى إذا أثخنتموهم**﴾.

قال في «الكشاف»: الإثخان كثرة القتل، والمبالغة فيه من قولهم: أثخنته الجراحات إذا أثبتته حتى تثقل عليه الحركة وأثخنه المرض إذا أثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة. وفي «المفردات» يقال: ثخن الشيء فهو ثخين إذا غلظ، ولم يستمر في ذهابه، ومنه استعير قولهم: أثخنته ضرباً واستخفافاً. والمعنى حتى إذا أكثرتم قتلهم وأغلظتموه على حذف المضاف أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض. ﴿**فشدوا الوثاق**﴾: الوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به ويشد من القيد. قال في «الوسيط»: الوثاق اسم من الإيثاق، يقال: أوثقه إيثاقاً ووثاقاً إذا شد أسره كيلا يفلت. فالمعنى: فأسروهم واحفظوهم. وبالفارسية: [بس استوار كنيد بندرا يعنى بكيريد ايشانرا باسيرى وبند كنيد محكم تابكر يزيد].

وقال أبو الليث: يعني إذا قهرتموهم وأسرتموهم فاستوثقوا أيديهم من خلفهم كيلا

يفلتوا، والأسر يكون بعد المبالغة في القتل. ﴿فإما مناً﴾؛ أي: تمنون مناً، وهو أن يترك الأمير الأسير الكافر من غير أن يأخذ منه شيئاً ﴿بعد﴾؛ أي: بعد شد الوثاق. ﴿وإما فداء﴾؛ أي: تفدون فداء هو أن يترك الأمير الأسير الكافر، ويأخذ مالاً أو أسيراً مسلماً في مقابلته. يقال: فداه يفديه فدى وفداء وفداه وافتداه وفاداه: أعطي شيئاً، فأنقذه. والفداء: ذلك المعطي، ويقصر كما في «القاموس».

وقال الراغب: الفدى والفداء حفظ الإنسان عن النائبة بما يبذله عنه، كما يقال: فديته بمالي وفديته بنفسي، وفاديته بكذا. انتهى. قال الشيخ الرضي: المطلوب من شد الوثاق إما قتل أو استرقاق، أو من أو فداء، فالإمام يتخير في الأسارى البالغين من الكفار بين هذه الخصال الأربع، وهذا التخيير ثابت عند الشافعي، ومنسوخ عندنا بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] قالوا: نزل ذلك يوم بدر، ثم نسخ، والحكم إما القتل أو الاسترقاق.

قال في «الدرر»: وحرم منهم فداؤهم وردهم إلى دارهم؛ لأن رد الأسير إلى دار الحرب تقوية لهم على المسلمين في الحرب، فيكره كما يكره بيع السلاح لهم. وفي المن خلاف الشافعي، وأما الفداء، فقبل الفراغ من الحرب جاز بالمال لا بالأسير المسلم، وبعده لا يجوز بالمال عند علمائنا، وبالنفس عند أبي حنيفة، ويجوز عند محمد وعن أبي يوسف روايتان، وعن مجاهد: ليس اليوم من ولا فداء إنما الإسلام أو ضرب العنق.

وعن الصديق رضي الله عنه: لا أفادي وإن طلبوا بمدين من ذهب، وكتب إليه في أسير التمسوا منه الفداء، فقال: اقتلوه؛ لأن أقتل رجلاً من المشركين أحب إليّ من كذا وكذا، وقد قتل عليه السلام يوم فتح مكة ابن الأخطل، وهو متعلق بأستار الكعبة بعدما وقع في منعة المسلمين، فهو كالأسير. ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ أوزار الحرب: آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها من السلاح والكراع، يعني الخيل أسند وضعها إليها، وهو لأهلها إسناداً مجازياً وأصل الوزر بالكسر: الثقل وما يحمله الإنسان، فسمى الأسلحة أوزاراً؛ لأنها تحمل، فيكون جعل مثل الكراع من الأوزار من التغليب وحتى غاية عند الشافعي لأحد الأمور الأربعة، أو للمجموع.

والمعنى: أنهم لا يتركون على ذلك أبداً إلى أن لا يكون مع المشركين حرب بأن لا يبقى لهم شوكة، وأما عند أبي حنيفة، فإنه حمل الحرب على حرب بدر، فهي غاية للمن والفداء. والمعنى: يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها، وتنقضي وإن حملت على الجنس، فهي غاية للضرب والشد. والمعنى: أنهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب أوزارها بأن لا يبقى للمشركين شوكة.

وقال الكاشفي: [تابنهد اهل حرب سلاح حرب را يعنى دين اسلام بهمه جار سد وحكم قتال نماند وآن نزديك نزول عيسى عليه السلام خواهد بود جه در خبر آمده كه آخر قتال امت من بادجال است]. فما دام الكفر فالحرب قائمة أبداً ﴿ذلك﴾، أي: الأمر ذلك أو افعلوا ذلك ﴿ولو يشاء الله﴾ لو للمضي وإن دخل على المستقبل ﴿لانتصر منهم﴾: لانتقم منهم بغير قتال بأن يكون ببعض أسباب الهلكة والاستئصال من خسف أو رجفة أو حاصب أو غرق أو موت ذريع ونحو ذلك. ويجوز أن يكون الانتقام بالملائكة بصيحتهم أو بصرعهم أو بقتالهم من

حيث لا يراهم الكفار، كما وقع في بدر ﴿ولكن﴾ لم يشأ ذلك ﴿ليبلو﴾: [تابيازمايد]. ﴿بعضكم ببعض﴾ فأمركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد، والكافرين بكم ليعاجلهم على أيديكم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر.

وفي الآية إشارة إلى كافر النفس حيثما وجدتموه، وهو يمد رأسه إلى مشرب من مشارب الدنيا ونعيمها، فاضربوا عنق ذلك الرأس وادفعوه عن ذلك المشرب حتى إذا غلبتموهم؛ أي: النفوس وسخرتموهم، فشدوهم بوثاق أركان الشريعة وآداب الطريقة، فإنه بهذين الجناحين يطير صاحب الهمم العلية إلى عالم الحقيقة، فإما مناً على النفوس بعد الوصول بترك المجاهدة، وإما فداء بكثرة العبادة عوضاً عن ترك المجاهدة بعد الظفر بالنفوس، وإما قتل النفوس بسيف المخالفة، فإنه في مذهب أرباب الطلب يجوز كل ذلك بحسب نظر كل مجتهد، فإن كل مجتهد منهم مصيب. وذلك إلى أن يجد الطالب المطلوب، ويصل العاشق إلى المعشوق، بأن جرى على النفس بعد الظفر بها مسامحة في إغفاء ساعة وإفطار يوم ترويحاً للنفس من الكد وإجماعاً للحواس قوة لها على الباطل، فيما يستقبل من الأمر، فذلك على ما يحصل به استصواب من شيخ المريد، أو فتوى لسان القوم، أو فراسة صاحب الوقت، ولو شاء الله لقهر النفوس بتجلي صفات الجلال بغير سعي المجاهد في القتال، ولكن إلخ.

﴿والذين قتلوا في سبيل الله﴾؛ أي: استشهدوا يوم بدر ويوم أحد وسائر الحروب. ﴿فلن يضل أعمالهم﴾؛ أي: فلن يضيعها بل يثيب عليها.

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾.

﴿سيهديهم﴾ في الدنيا إلى أرشد الأمور، وفي الآخرة إلى الثواب. وعن الحسن بن زياد يهديهم إلى طريق الثواب في جواب منكر ونكير، وفيه أن أهل الشهادة لا يسألون ﴿ويصلح بالهم﴾؛ أي: شأنهم وحالهم بالعصمة والتوفيق، والظاهر أن السين للتأكيد، والمعنى: يهديهم الله البتة إلى مقاصدهم الأخروية، ويصلح شأنهم بإرضاء خصمائهم لكرامتهم على الله بالجهاد والشهادة.

﴿ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾: الجملة مستأنفة؛ أي: عرفها لهم في الدنيا بذكر أوصافها بحيث اشتاقوا إليها، أو بينها لهم بحيث يعلم كل أحد منزله ويهتدي إليه، كأنه كان ساكنه منذ خلق.

وفي الحديث: «لأحدكم بمنزله في الجنة أعرف منه بمنزله في الدنيا». وفي «المفردات»: عرفه جعل له عرفاً؛ أي: رائحة طيبة، فالمعنى زينها لهم وطيبها. وقال بعضهم: حددها لهم وأفرزها من عرف الدار، فجنة كل منهم محددة مفرزة، ومن فضائل الشهداء أنه ليس أحد يدخل الجنة، ويحب أن يخرج منها، ولو أعطي ما في الدنيا جميعاً إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرده الله إلى الدنيا مراراً، فيقتل في سبيل الله، كما قتل أولاً، لما يرى من عظيم كرامة الشهداء على الله تعالى، ومن فضائلهم أن الشهادة في سبيل الله تكفر ما على العبد من الذنوب التي بينه وبين الله تعالى.

وفي الحديث: «يغفر للشهيد كل شيء إلا الدين». والمراد بالدين: كل ما كان من حقوق الآدميين كالغصب وأخذ المال بالباطل، وقتل العمد، والجراحة وغير ذلك من التبعات، وكذلك الغيبة والنميمة والسخرية، وما أشبه ذلك، فإن هذه الحقوق كلها لا بد من استيفائها لمستحقها.

وقال القرطبي: الدين الذي يحبس صاحبه عن الجنة هو الذي قد ترك له وفاء، ولم يوص به أو قدر على الأداء، فلم يؤده، أو أدانه على سفه أو سرف ومات، ولم يوفه وأما من أدان في حق واجب كفاقة وعسر، ومات ولم يترك وفاء، فإن الله لا يحبسه عن الجنة شهيداً كان أو غيره ويقضي عنه ويرضي خصمه، كما قال عليه السلام: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله». وفي الآية حث على الجهادين الأصغر والأكبر. ومن قتله العدو الظاهر صار شهيداً، ومن قتله العدو الباطن، وهو النفس صار طريداً كما قيل:

وآنكه كشت كافران باشد شهيد كشته نفس است نزد حق طريد

نسأل الله العون على محاربة النفس الأمارة والشيطان.

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله﴾؛ أي: دينه ورسوله ﴿ينصركم﴾ على أعدائكم ويفتح لكم. ﴿ويثبت أقدامكم﴾ في مواطن الحرب ومواقفها أو على حجة الإسلام. واعلم أن النصرة على وجهين:

الأول: نصرة العبد، وذلك بإيضاح دلائل الدين وإزالة شبهة القاصرين وشرح أحكامه، وفرائضه وسننه وحلاله وحرامه، والعمل بها، ثم بالغزو والجهاد لإعلاء كلمة الله وقمع أعداء الدين، إما حقيقة كمباشرة المحاربة بنفسه، وإما حكماً بتكثير سواد المجاهدين بالوقوف تحت لوائهم، أو بالدعاء لنصرة المسلمين وخذلان الكافرين، بل يقول: اللهم انصر من نصر الدين واخذل من خذل المسلمين، ثم بالجهاد الأكبر بأن يكون عوناً لله على النفس حتى يصرعها ويقتلها، فلا يبقى من هواها أثر.

والثاني: نصرة الله تعالى، وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب وإظهار الآيات والمعجزات وتبيين السبل إلى النعيم والجحيم، وحضرة الكريم والأمر بالجهاد الأصغر والأكبر والتوفيق للسعي فيهما طلباً لرضاه لا تبعاً لهواه وبإظهاره على أعداء الدين وقهرهم في إعلاء كلمة الله العليا، وإيتاء رشده في إفناء وجوده الفاني في الوجود الباقي بتجلي صفات جماله وجلاله.

قال بعض الكبار: زلل الأقدام بثلاثة أشياء: بشرك الشرك لمواهب الله، والخوف من غير الله، والأمل في غيره، وثبات الأقدام بثلاثة أشياء: بدوام رؤية المفضل والشكر على النعم، ورؤية التقصير في جميع الأحوال، والخوف منه والسكون إلى ضمان الله فيما ضمن من غير انزعاج، ولا احتياج، فعلى العاقل نصرة الدين على مقتضى العهد المتين.

قال الحافظ:

بيمان شكن هرآينه كردد شكسته حال إن العهود لدى أهل النهى ذمم

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾.

﴿**والذين كفروا فتعساً لهم**﴾: خوارى ورسوايى وهلاك وناامیدى مرايشان راست.

قال في «كشف الأسرار»: أتعسهم الله فتعسوا تعساً، والإتعاس هلاك [كردن وبرروى افكند]. وفي «الإرشاد»: وانتصابه بفعل واجب حذفه سماعاً؛ أي: فقال: تعساً لهم، والتعس: الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط، ورجل تاعس وتعس والفعل كمنع وسمع وتعسه الله وأتعسه. ﴿**وأضل أعمالهم**﴾ عطف عليه داخل معه في حيز الخبرية للموصول. يعني: [كم ونابود وباطل كرد الله تعالى عملهاى ايشانرا].

﴿**ذلك**﴾؛ أي: ما ذكر من التعس وإضلال الأعمال ﴿**بأنهم**﴾؛ أي: بسبب أنهم ﴿**كرهوا ما أنزل الله**﴾ من القرآن لما فيه من التوحيد وسائر الأحكام المخالفة لما ألفوه واشتهته أنفسهم الأمارة بالسوء. ﴿**فأحبط**﴾ الله ﴿**أعمالهم**﴾ لأجل ذلك؛ أي: أبطلها كرره إشعاراً بأنه يلزم الكفر بالقرآن، ولا ينفك عنه بحال. والمراد بالأعمال طواف البيت وعمارة المسجد الحرام وإكرام الضيف وإغاثة الملهوفين وإعانة المظلومين ومواساة اليتامى والمساكين ونحو ذلك مما هو في صورة البر، وذلك بالنسبة إلى كفار قريش، وقس عليهم أعمال سائر الكفرة إلى يوم الدين.

﴿**أفلم يسيروا**﴾ كفار العرب ﴿**في الأرض**﴾؛ أي: أقعدوا في أماكنهم، ولم يسيروا فيها إلى جانب الشام واليمن والعراق. ﴿**فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم**﴾ من الأمم المكذبة كعاد وثمود وأهل سبأ، فإن آثار ديارهم تنبىء عن أخبارهم ﴿**دمر الله عليهم**﴾ استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام؛ كأنه قيل: كيف كان عاقبتهم، فقيل: استأصل الله عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم. يقال: دمره أهلكه ودمر عليه أهلك عليه ما يختص به.

قال الطيبي: كأن في دمر عليهم تضمين معنى أطبق، فعدي بعلى، فإذا أطبق عليهم دماراً لم يخلص مما يختص بهم أحد. وفي «حواشي سعدي المفتي»: دمر الله عليهم؛ أي: أوقع التدمير عليهم. ﴿**وللكافرين**﴾؛ أي: ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم ﴿**أمثالها**﴾؛ أي: أمثال عواقبهم، أو عقوباتهم لكن لا على أن لهؤلاء أمثال ما لأولئك وأضعافه، بل مثله وإنما جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الأمم المعذبة.

وفي الآية إشارة إلى أن النفوس السائرة لتلحق نعيم صفاتها الذميمة كرهوا ما أنزل الله من موجبات مخالفات النفس والهوى وموافقات الشرع، ومتابعة الأنبياء، فأحبط أعمالهم لشوبها بالشرك والرياء والتصنع والهوى، أو لم يسلكوا في أرض البشرية، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من القلوب والأرواح لما تابعوا الهوى، وتلوثوا بحب الدنيا أهلكهم الله في أودية الرياء وبوادي البدعة والضلال. وللكافرين من النفوس اللئام في طلب المرام أمثالها من الضلال والهلاك.

﴿**ذلك**﴾ إشارة إلى ثبوت أمثال عقوبة الأمم السابقة لهؤلاء. وقال بعضهم: ذلك المذكور من كون المؤمنين منصورين مظفرين ومن كون الكافرين مقهورين مدمرين. ﴿**بأن الله**﴾؛ أي: بسبب أنه تعالى: ﴿**مولى الذين آمنوا**﴾؛ أي: ناصر لهم على أعدائهم في الظاهر

والباطن بسبب إيمانهم ﴿وأن الكافرين﴾؛ أي: بسبب أنهم ﴿لا مولى لهم﴾؛ أي: لا ناصر لهم، فيدفع عنهم العذاب الحال بسبب كفرهم، فالمراد ولاية النصرة لا ولاية العبودية، فإن الخلق كلهم عباده تعالى، كما قال: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢]؛ أي: مالكهم الحق وخالقهم، أو المعنى لا مولى لهم في اعتقادهم حيث يعبدون الأصنام، وإن كان مولاهم الحق تعالى في نفس الأمر، ويقال: أرجى آية في القرآن هذه الآية؛ لأن الله تعالى، قال: مولى الذين آمنوا، ولم يقل مولى الزهاد والعباد وأصحاب الأوراد والاجتهاد، والمؤمن، وإن كان عاصياً، فهو من جملة الذين آمنوا. ذكره القشيري قدس سره.

واعلم أن الجند جندان جند الدعاء وجند الوغى، فكما أن جند الوغى منصورون بسبب أقويائهم في باب الديانة والتقوى، ولا يكونون محرومين من ألطاف الله تعالى، كذلك جند الدعاء مستجابون بسبب ضعفائهم في باب الدنيا، وظاهر الحال، ولا يكونون مطرودين عن باب الله، كما قال عليه السلام: «إنكم تنصرون بضعفائكم».

قال الشيخ سعدي: [دعاء ضعيفان أميدوار. زبازوى مردى به آيد بكار]. ثم اعلم أن الله تعالى هو الموجود الحقيقي، وما سواه معدوم بالنسبة إلى وجوده الواجب، فالكفار لا يعبدون إلا المعدوم كالأصنام والطاغوت، فلذا لا ينصرون، والمؤمنون يعبدون الموجود الحقيقي، وهو الله تعالى، فلذا ينصرهم في الشدائد، وأيضاً إن الكفار يستندون إلى الحصون والسلاح والمؤمنون يتوكلون على القادر القوي الفتاح، فالله معينهم على كل حال.

روي: أن النبي عليه السلام كان بعد غزوة تحت شجرة وحيداً، فحمل عليه مشرك بسيف، وقال: من يخلصك مني، فقال النبي عليه السلام: «الله»، فسقط المشرك والسيف، فأخذه النبي عليه السلام، فقال: «من يخلصك مني»؟ فقال: لا أحد، ثم أسلم».

وروي: أن زيد بن ثابت رضي الله عنه خرج مع رجل من مكة إلى الطائف، ولم يعلم أنه منافق، فدخلا خربة وناما، فأوثق المنافق يد زيد وأراد قتله، فقال زيد: يا رحمٰن أعني، فسمع المنافق قائلاً، يقول: ويحك لا تقتله، فخرج المنافق، ولم ير أحداً، ثم وثم، ففي الثالثة قتله فارس، ثم حل وثاقه. وقال: أنا جبريل كنت في السماء السابعة حين دعوت الله فقال الله تعالى: أدرك عبدي فالله ولي الذين آمنوا قال الله تعالى في التوراة في حق هذه الأمة لا يحضرون قتالاً إلا وجبريل معهم، وهو يدل على أن جبريل يحضر كل قتال صدر من الصحابة للكفار، بل ظاهره كل قتال صدر من جميع الأمة، يعني إذا كانوا على الحق والعدل، ثم إن المجلس الذي تحضره الملائكة، وكذا المعركة يقشعر فيه الجلد، وتذرف فيه العينان، ويحصل التوجه إلى الحضرة العليا، فيكون ذلك سبباً لاستجابة الدعاء، وحصول المقصود من النصرة وغيرها. نسأل الله المعين أن يجعلنا من المنصورين آمين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَـٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾.

﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ بيان لحكم ولايته تعالى للمؤمنين وثمرتها الأخروية. **﴿والذين كفروا يتمتعون﴾**؛ أي: ينتفعون في

الدنيا بمتاعها أياماً قلائل ويعيشون ﴿ويأكلون﴾ حريصين غافلين عن عواقبهم ﴿كما تأكل الأنعام﴾ في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح. والأنعام جمع نعم بفتحتين، وهي الإبل والبقر والضأن والمعز. ﴿والنار مثوى لهم﴾؛ أي: منزل ثواء وإقامة، والجملة إما حال مقدرة من واو يأكلون أو استئناف، فإن قلت: كيف التقابل بينه وبين قوله: إن الله يدخل، إلخ.

قلت: الآية والله أعلم من قبيل الاحتباك ذكر الأعمال الصالحة، ودخول الجنة أولاً دليلاً على حذف الفاسدة ودخول النار ثانياً، والتمتع والمثوى ثانياً، دليلاً على حذف التمتع والمأوى أولاً.

قال القشيري: الأنعام تأكل بلا تمييز من أي موضع وجد كذلك الكافر لا تمييز له أمن الحلال وجد أم من الحرام؟، وكذلك الأنعام ليس لها وقت، بل في كل وقت تقتات وتأكل كذلك الكافر أكول، كما قال عليه السلام: «الكافر يأكل في سبعة أمعاء، والمؤمن يأكل في معى واحد»، والأنعام تأكل على الغفلة فمن كان في حالة أكله ناسياً لربه فأكله كأكل الأنعام. قال الحدادي: الفرق بين أكل المؤمن والكافر، أن المؤمن لا يخلو أكله عن ثلاث الورع عند الطلب واستعمال الأدب والأكل للسبب، والكافر يطلب للنهمة ويأكل للشهوة وعيشه في غفلة. وقيل: المؤمن يتزود، والمنافق يتزين ويتريد الكافر يتمتع ويتمنع. وقيل: من كانت همته ما يأكل فقيمته ما يخرج منه.

قال الكاشفي: في الآية يعني: [همت ايشان مصرو فست بخوردن وعاقل بايدكه خوردن اوبراى زيستن باشد يعنى بجهت قوام بدن وتقويت قواى نفسانى طعام خورد ونظر اوبرانكه بدن تحمل طاعت داشته باشد وقوتهاى نفسانى در استدلال بقدرت ربانى ممد ومعان بودنه آنكه عمر خود طفيل خوردن شناسد ودر مرعاى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا مانند جهار بايان جز خوردن وخواب مطمح نظرش نباشد ونعم ما قيل. خوردن براى زيستن وذكر دنست. تو معتقد كه زيستن از بهر خوردنست].

والحاصل ليس للذين كفروا هم إلا بطونهم وفروجهم، ولا يلتفتون إلى جانب الآخرة فهم قد أضاعوا أيامهم بالكفر والآثام وأكلوا وشربوا في الدنيا كالأنعام، وأما المؤمنون فقد جاهدوا في الله بالطاعات، واشتغلوا بالرياضيات والمجاهدات، فلا جرم أحسن الله إليهم بالجنات العاليات، ومن هنا يظهر سر قوله عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فلما عرف المؤمن أن الدنيا سجن ونعيمها زائل حبس نفسه على طاعة الله، فكان عاقبته الجنات والنعيم الباقي، ولما كان الكافر منكر الآخرة اشتغل في الدنيا باللذات، فلم يبق له في الآخرة إلا الحبس في الجحيم وأكل الزقوم، وكان الكبار يقنعون بيسير من الغذاء، كما حكي أن أويساً القرني رضي الله عنه كان يقتات ويكتسي مما وجد في المزابل، فرأى يوماً كلباً يهتر، فقال: كل ما يليك وأنا آكل ما يليني، فإن دخلت الجنة، فأنا خير منك، وإن دخلت النار، فأنت خير مني.

قال عليه السلام: «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش، فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهدة في سبيل الله، وأنه ليس من عمل أحب إلى الله تعالى من جوع وعطش، كما في «مختصر الإحياء». وفي المثنوي:

زين خورشها اندك اندك بازبر | زين غذاى خربود نى آن حر
تا غذاى اصل را قابل شوى | لقمهاى نور را آكل شوى

وقال الجامي:

جوع باشد غذاى اهل صفا | محنت وابتلاى اهل هوا
جوع تنوير خانة دل تست | اكل تعمير خانه كل تست
خانة دل كذاشتى بى نور | خانة كل جه ميكنى معمور

وقال الشيخ سعدي:

باندازه خورزادا كر مردمى | جنين برشكم آدمى يا خمى
درون جاى قوتست وذكر ونفس | توبندارى از بهر نانست وبس
ندارند تن برووران آكهى | كه بر معده باشد زحكمت تهى

ومن أوصاف المريدين المجاهدة، وهو حمل النفس على المكاره البدنية من الجوع والعطش والعري، ولا بد من مقاساة الموتات الأربع: الموت الأبيض، وهو الجوع، والموت الأحمر: وهو مخالفة الهوى، والموت الأسود، وهو تحمل الأذى، والموت الأخضر وهو طرح الرقاء بعضها على بعض؛ أي: لبس الخرقة المرقعة هضماً للنفس ما لم تكن لباس شهرة، فإن النبي عليه السلام نهى عن الشهرتين في اللباس اللين الأرفع والغليظ الأقوى، لأنه اشتهار بذلك وامتياز عن المسلمين له قد، وقال عليه السلام: كن في الناس كواحد من الناس قال إبراهيم بن أدهم قدس سره للقمة تتركها من عشائك مجاهدة لنفسك خير لك من قيام ليلة هذا اذا كان حلالاً، وأما إذا كان حراماً فلا خير فيه البتة، فما ملىء وعاء شر من بطن ملىء بالحلال وبالجوع يحصل الصمت، وقلة الكلام والذلة والانكسار من جميع الشهوات، ويذهب الوساوس، وكل آفة تطرأ عليك من نتائج الشبع، وأنت لا تدري قديماً كان أو حديثاً، فإن المعدة حوض البدن يسقي منه هذه الأعضاء التي هي مجموعة، فالغذاء الجسماني هو ماء حياة الجسم على التمام.

ولذلك قال سهل قدس سره: إن سر الخلوة في الماء، وأنت لا تشك أن صاحب الزراعة لو سقاها فوق حاجتها، وأطلق الماء عليها جملة واحدة هلكت، ولو منعها الماء فوق الحاجة أيضاً هلكت سواء كان من الأرض، أو من السماء وقس عليه الامتلاء من الطعام، ولو كان حلالاً. نسأل الله الحماية والرعاية.

﴿**وكأين**﴾ كلمة مركبة من الكاف وأي بمعنى كم الخبرية.

قال المولى الجامي في «شرح الكافية»: إنما بنى كأين لأن كاف التشبيه دخلت على أي، وأي في الأصل كان معرباً، لكنه انمحى عن الجزءين معناهما الإفرادي، فصار المجموع كاسم مفرد، بمعنى كم الخبرية، فصار كأنه اسم مبني على السكون آخره نون ساكنة كما في من لا تنوين تمكن، ولهذا يكتب بعد الياء نون مع أن التنوين لا صورة له في الخط. انتهى. ومحلها الرفع بالابتداء. ﴿**من قرية**﴾ تمييز لها. ﴿**هي أشد قوة من قريتك**﴾ صفة لقربة ﴿**التي أخرجتك**﴾: صفة لقريتك، وهي مكية، وقد حذف منهما المضاف، وأجرى أحكامه عليهما، كما يفصح عنه الخبر الذي هو قوله تعالى: ﴿**أهلكناهم**﴾؛ أي: وكم من أهل قرية هم أشد قوة من أهل قريتك الذين كانوا سبباً لخروجك من بينهم، ووصف القرية الأولى بشدة القوة للإيذان

بأولوية الثانية منها بالإهلاك لضعف قوتها، كما أن وصف الثانية بإخراجه عليه السلام للإيذان بأولويتها به لقوة جنايتها.

﴿فلا ناصر لهم﴾ بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الأعوان والأنصار إثر بيان عدم خلاصهم منه بأنفسهم، والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات، وهو حكاية حال ماضية.

وقال ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم: لما خرج رسول الله عليه السلام من مكة إلى الغار التفت إلى مكة. وقال: أنت أحب البلاد إلى الله ولي، ولولا أن المشركين أخرجوني ما خرجت منك، فأنزل الله هذه الآية، فتكون الآية مكية وضعت بين الآيات المدنية.

وفي الآية إشارة إلى الروح وقريته، وهي الجسد فكم من قالب هو أقوى وأعظم من قالب قد أهلكه الله بالموت، فلا ناصر لهم في دفع الموت، فإذا كان الروح خارجاً من القالب القوي بالموت، فأولى أن يخرج من القالب الضعيف، كما قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]؛ أي: في أجسام ضخمة ممتلئة:

سيل بى زنهاررا در زيل بل آرام نيست ما بغفلت زير طاق آسمان اسوده ايم

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾.

﴿أفمن كان﴾: [آيا هركه باشد]. ﴿على بينة من ربه﴾: الفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام، ومن عبارة عن المؤمنين المتمسكين بأدلة الدين؛ أي: أليس الأمر كما ذكر، فمن كان مستقراً على حجة ظاهرة، وبرهان نير من مالك أمره ومربيه، وهو القرآن وسائر المعجزات والحجج العقلية. ﴿كمن زين له سوء عمله﴾ من الشر وسائر المعاصي مع كونه في نفسه أقبح القبائح، يعني: شيطان ونفس [اورا آرايش كرده است]. والمعنى: لا مساواة بين المهتدي والضال. ﴿واتبعوا﴾ بسبب ذلك التزيين. ﴿أهواءهم﴾ الزائغة، وانهمكوا في فنون الضلالات من غير أن يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلاً عن حجة تدل عليها وجمع الضمير باعتبار معنى من، كما أن إفراد الأولين باعتبار لفظها. وفي الآية إشارة إلى أهل القلب، وأهل النفس، فإن أهل القلب بسبب تصفية قلوبهم عن صدأ الأخلاق الذميمة رأوا شواهد الحق، فكانوا على بصيرة من الأمر، وأما أهل النفس فزين لهم البدع، ومخالفات الشرع واتبعوا أهواءهم في العقائد القلبية والأعمال القالبية، فصاروا أضل من الحمير حيث لم يهتدوا لا إلى الله تعالى ولا إلى الجنة.

وقال أبو عثمان: البينة هي النور الذي يفرق المرء بين الإلهام والوسوسة، ولا يكون إلا لأهل الحقائق في الإيمان وأصل البينة للنبي عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ٨١]، وقال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١]. قال بعض الكبار: إنما لم يجمع لنبي من الأنبياء عليهم السلام ما جمع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من العلوم؛ لأن مظهره عليه السلام [رحماني]. والرحمٰن: أول اسم صدر بعد

الاسم العليم، فالمعلومات كلها يحتوي عليها الاسم الرحمٰن، ومن هنا تحريم زينة الدنيا عليه ﷺ لكونها زائلة، فمنع من التلبس بها؛ لأن مظهره الرحماني ينافي الانقضاء ويلائم الأبد:

از ما مجوى زينت ظاهر كه جون صدف ما اندرون خانه بكوهر كرفته ايم

﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ عبر عن المؤمنين بالمتقين إيذاناً بأن الإيمان والعمل الصالح من باب التقوى الذي هو عبارة عن فعل الواجبات بأسرها، وترك السيئات عن آخرها ومثلها وصفها العجيب الشأن، وهو مبتدأ محذوف الخبر؛ أي: مثل الجنة الموعودة للمؤمنين وصفتها العجيبة الشأن ما تسمعون فيما يتلى عليكم. وقوله:﴿فيها﴾؛ أي: في الجنة الموعودة إلى آخره مفسر له. ﴿أنهار﴾ جمع نهر بالسكون، ويحرك مجرى الماء الفائض.

﴿من ماء غير آسن﴾ من أسن الماء بالفتح من باب ضرب، أو نصر أو بالكسر إذا تغير طعمه وريحه تغيراً منكراً في «عين المعاني» من أسن غشي عليه من رائحة البئر. وفي «القاموس»: الآسن من الماء الأجن؛ أي: المتغير الطعم واللون. والمعنى: من ماء غير متغير الطعم والرائحة واللون، وإن طالت إقامته بخلاف ماء الدنيا، فإنه يتغير بطول المكث في مناقعه، وفي أوانيه مع أنه مختلف الطعوم مع اتحاد الأرض ببساطتها وشدة اتصالها، وقد يكون متغيراً بريح منتنة من أصل خلقته، أو من عارض عرض له من منبعه أو مجراه كذا في المناسبات.

يقول الفقير: قد صح أن المياه كلها تجري من تحت الصخرة في المسجد الأقصى، فهي ماء واحد في الأصل عذب فرات سائغ للشاربين، وإنما يحصل التغير من المجاري، فإن طباعها ليست متساوية دل عليها قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ [الرعد: ٤] وتجاور أجزائها لا يستلزم اتحادها في نفس الأمر، بل هي متجاورة مختلفة، ومثلها العلوم، فإنها إذا مرت بطبع غير مستقيم تتغير عن أصلها، فتكون في حكم الجهل، ومن هذا القبيل علوم جميع أهل الهوى والبدع والضلال.

﴿وأنهار من لبن لم يتغير طعمه﴾ بأن كان قارصاً، وهو الذي يقرص اللسان ويقبضه أو حازراً بتقديم الزاي، وهو الحامض أو غير ذلك، كألبان الدنيا. والمعنى: لم يتغير طعمه بنفسه عن أصل خلقته، ولو أنهم أرادوا تغييره بشهوة اشتهوها تغير. ﴿وأنهار من خمر﴾ وهو ما أسكر من عصير العنب، أو عام أي لكل مسكر، كما في «القاموس».

﴿لذة للشاربين﴾ : إما تأنيث لذ بمعنى لذيذ كطب وطبيب، أو مصدر نعت به؛ أي: لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار، كما في خمر الدنيا، وإنما هي تلذذ محض.

قال الحافظ:

مادر بياله عكس رخ يار ديده ايم اى بى خبرز لذت شرب مدام ما

يقول الفقير:

باده جنت مثال كوثرست اى هوشيار نيست اندر طبع كوثر آفت سكر وخمار

﴿وأنهار من عسل﴾ هو لعاب النحل وقيئه، كما قال ظهير الفارابي:

بدان غرض كه دهن خوش كنى زغايت حرص نشسته مترصد كه قى كندزنبور

وعن علي رضي الله عنه أنه قال في تحقير الدنيا: أشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة وأشرف شرابه رجيع نحلة وظاهر هذا أنه من غير الفم.

قال في «حياة الحيوان»: وبالجملة أنه يخرج من بطون النحل، ولا ندري أمن فمها أم من غيره، وقد سبق جملة النقل في سورة النحل. ﴿مصفى﴾ لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها خلقه الله مصفى لا أنه كان مختلطاً، فصفي. قال بعضهم في الفرق بين الخالص والصافي: إن الخالص ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصافي قد يقال لما لا شوب فيه فقد حصل بهذا غاية التشويق إلى الجنة بالتمثيل بما يستلذ من أشربة الدنيا؛ لأنه غاية ما نعلم من ذلك مجرداً عما ينقصها، أو ينغصها مع الوصف بالغزارة والاستمرار، وبدأ بأنهار الماء لغرابتها في بلاد العرب وشدة حاجتهم إليها، ولما كان خلوها عن تغير أغرب نفاه بقوله: ﴿غير آسن﴾، ولما كان اللبن أقل، فكان جريه أنهاراً أغرب ثنى به، ولما كان الخمر أعز ثلث به، ولما كان العسل أشرفها وأقلها ختم به.

قال كعب الأحبار: نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة. ونهر الفرات: نهر لبنهم. ونهر مصر: نهر خمرهم، ونهر سيحان: نهر عسلهم. وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس هنا مما في الجنة سوى الأسامي. قال كعب: قلت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: كيف أنهار الجنة، فقال: على حافاتها كراسي وقباب مضروبة وماؤها أصفى من الدمع، وأحلى من الشهد وألين من الزبد، وألذ من كل شيء، فيه حلاوة عرض كل نهر مسيرة خمسمائة عام، تدور تحت القصور والحجال لا يرطب ثيابهم، ولا يوجع بطونهم، وأكبر أنهارها: نهر الكوثر، طينه المسك الأذفر وحافتاه الدر والياقوت.

قال الكاشفي: [ارباب اشارات كفته اندكه جنانجه أنهار اربعة درزمين بهشت بزير شجرة طوبى روانست جهار جوى نيزدر زمين دل عارف درزير شجرة طيبه أصلها ثابت وفرعها في السماء جاريست ازمنبع قلب آب انابت واز ينبوع صدر لبن صفوت واز خمخانة سر خمر محبت واذ حجر روح عسل مودت]. وفي المثنوي:

آب صبرت جوى آب خلد شد جوى شير خلد مهر تست وود
ذوق طاعت كشت جوى انكبين مستى وشوق توجوى خمر بين
اين سببها جون بفرمان توبود جارجوهم مرترا فرمان نمود

[ودر بحر الحقائق فرموده كه آب اشارت بحيات دل است ولبن بفطرت اصليه كه بحموضت هوى وتفاهت بدعت متغير نكشته وخمر جوشش محبت الهى وعسل مصفى حلاوت قرب].

يقول الفقير: يفهم من هذا وجه آخر لترتيب الأنهار، وهو أن تحصل حياة القلب بالعلم أولاً، ثم تظهر صفوة الفطرة الأصلية، ثم يترقى السالك من محبة الأكوان إلى محبة الرحمٰن، ثم يصل إلى مقام القرب والجوار الإلٰهي. وقيل: التجلي العلمي لا يقع إلا في أربع صور: الماء واللبن والخمر والعسل. فمن شرب الماء يعطى العلم اللدني، ومن شرب اللبن يعطى العلم بأمور الشريعة، ومن شرب الخمر يعطى العلم بالكمال، ومن شرب العسل يعطى العلم بطريق الوحي والعلم إذا حصل بقدر استعداد القابل أعطاه الله استعداد العلم الآخر، فيحصل له عطش آخر. ومن هذا قيل: طالب العلم كشارب ماء البحر، كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً، ومن هذا الباب ما نقل عن

سيد العارفين أبي يزيد البسطامي قدس سره من أنه قال:

شربت الحب كأساً بعد كأس فما نفد الشراب ولا رويت

وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وأما الري في العلم فإضافي لا حقيقي. قال بعض العارفين: من شرب بكأس الوفاء لم ينظر في غيبته إلى غيره ومن شرب بكأس الصفاء خلص من شوبه وكدورته، ومن شرب بكأس الفناء عدم فيه القرار، ومن شرب في حال اللقاء أنس على الدوام ببقائه، فلم يطلب مع لقائه شيئاً آخر لا من عطائه ولا من لقائه لاستهلاكه في علائه عند سطوات جلاله وكبريائه، ولما ذكر ما للشرب ذكر ما للأكل، فقال: ﴿ولهم﴾؛ أي: للمتقين ﴿فيها﴾؛ أي: في الجنة الموعودة مع ما فيها من فنون الأنهار.

﴿من كل الثمرات﴾؛ أي: صنف من كل الثمرات على وجه لا حاجة معه من قلة، ولا انقطاع. وقيل: زوجان انتزاعاً من قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢﴾ [الرحمٰن: ٥٢]، وهي جمع ثمرة، وهي اسم لكل ما يطعم من أحمال الشجر، ويقال لكل نفع يصدر عن شيء ثمرة، كقولك: ثمرة العلم العمل الصالح، وثمرة العمل الصالح الجنة. ﴿ومغفرة﴾ عظيمة كائنة. ﴿من ربهم﴾؛ أي: المحسن إليهم بمحو ذنوبهم السالفة أعيانها وآثارها بحيث لا يخشون لهما عاقبة بعقاب ولا عتاب، وإلا لتنغص العيش عليهم يعني: [ببوشد ذنوب ايشانرا نه بران معاقبه كندونه معاتبه نمايد].

وفيه تأكيد لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية. قال في «فتح الرحمٰن»: قوله: ومغفرة عطف على الصنف المحذوف؛ أي: ونعيم أعطته المغفرة وسببته، وإلا فالمغفرة إنما هي قبل الجنة.

وفي «الكواشي»: عطف على أصناف المقدرة للإيذان بأنه تعالى راضٍ عنهم مع ما أعطاهم، فإن السيد قد يعطي مولاه مع ما سخطه عليه. قال بعض العارفين: الثمرات عبارة عن المكاشفات والمغفرة عن غفران ذنب الوجود كما قيل:

وجودك ذنب لا يقاس به ذنب بندار وجود ماكنا هيست عظيم

لطفى كن واين كنه زما در كذران

﴿كمن هو خالد في النار﴾: خبر لمبتدأ محذوف تقديره أمن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد الكريم، كمن هو خالد في النار التي لا يطفأ لهيبها، ولا يفك أسيرها، ولا يؤنس غريبها، كما نطق به قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢]. وبالفارسية: [آيا هركه درجنين نعمتى باشد مانند كسى است كه اوجاودانست درآتش دوزخ]. ﴿وسقوا﴾ الجمع باعتبار معنى من؛ أي: سقوا بدل ما ذكر من أشربة أهل الجنة. ﴿ماء حميماً﴾ حاراً غاية الحرارة.

﴿فقطع﴾: [بس باره باره ميكند آب از فرط حرارت]. ﴿أمعاءهم﴾: [رودهاى ايشانرا]. جمع معى: بالكسر والقصر، وهو من أعفاج البطن؛ أي: ما ينتقل الطعام إليه بعد المعدة قيل: إذا دنا منهم شوى وجوههم، وانمازت فروة رؤوسهم؛ أي: انعزلت وانفرزت، فإذا شربوه قطع أمعاءهم، فخرجت من أدبارهم، فانظر بالاعتبار أيها الغافل عن القهار، هل يستوي الشراب العذب البارد والماء الحميم المر، وإنما ابتلاهم الله بذلك، لأن قلوبهم كانت خالية

عن العلوم والمعارف الإلٰهية ممتلئة بالجهل والغفلة، ولا شك أن اللذة الصورية الأخروية إنما تنشأ من اللذة المعنوية الدنيوية، كما أشار إليه مالك بن دينار قدس سره بقوله: خرج الناس من الدنيا، ولم يذوقوا أطيب الأشياء.

قيل: وما هو؟ قال: معرفة الله تعالى، فبقدر هذا الذوق في الدنيا يحصل الذوق في الآخرة، فمن كمل له الذوق كمل له النعيم. قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: حلاوة المعرفة الإلٰهية خير من جنة الفردوس وأعلى عليين.

واعلم أن الإنسان لو حبس في بيت حمام حار لا يتحمله، بل يؤدي إلى موته، فكيف حاله إذا حبس في دار جهنم التي حرارتها فوق كل حرارة، لأنها سجرت بغضب القهار، وكيف حاله إذا سقي مثل ذلك الماء الحميم. وقد كان في الدنيا بحيث لا يدفع عطشه كل بارد، فلا ينبغي الاغترار بنعيم الدنيا إذا كان عاقبته الجحيم والحميم.

وفي الخبر: أن مؤمناً وكافراً في الزمان الأول انطلقا يصيدان السمك، فجعل الكافر يذكر آلهته ويأخذ السمك حتى أخذ سمكاً كثيراً، وجعل المؤمن يذكر الله كثيراً فلا يجيء شيء، ثم أصاب سمكة عند الغروب، فاضطربت ووقعت في الماء، فرجع المؤمن وليس معه شيء، ورجع الكافر، وقد امتلأت شبكته، فأسف ملك المؤمن الموكل عليه، فلما صعد إلى السماء أراه الله مسكن المؤمن في الجنة، فقال: والله ما يضره ما أصابه بعد أن يصير إلى هذا وأداه مسكن الكافر في جهنم، فقال: والله ما يغني عنه ما أصابه من الدنيا بعد أن يصير إلى هذا:

نعيم هر دو جهان بيش عاشقان بدوجو   كه آن متاع قليلست واين بهاى كثير

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾.

﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ يقال: استمع له، وإليه؛ أي: أصغى، وهم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاوناً منهم. **﴿حتى إذا خرجوا من عندك﴾** جمع الضمير باعتبار معنى من كما أن إفراده فيما قبله باعتبار لفظه **﴿قالوا للذين أوتوا العلم﴾** يعني: علماء الصحابة كعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وابن عباس وأبي الدرداء رضي الله عنهم.

﴿ماذا قال آنفاً﴾؛ أي: ما الذي قال الساعة على طريق الاستهزاء، وإن كان بصورة الاستعلام. وبالفارسية: [جه كفت بيغمبر اكنون يعنى ما فهم نكرديم سخن اورا واين بروجه سخريت ميكفتند]. وآنفاً من قولهم أنف الشيء، لما تقدم منه مستعار من الجارحة.

قال الراغب: استأنفت الشيء أخذت آنفه؛ أي: مبدأه. ومنه: ماذا قال آنفاً؛ أي: مبتدأ انتهى. قال بعضهم: تفسير الآنف بالساعة يدل على أنه ظرف حالي لكنه اسم للساعة التي قبل ساعتك التي أنت فيها، كما قاله صاحب «الكشاف»، وفي «القاموس»، قال: آنفاً كصاحب وكتف وقرىء بهما؛ أي: مذ ساعة؛ أي: في أول وقت يقرب منا. انتهى. وبه يندفع باعتراض البعض، فإن الساعة ليست محمولة على الوقت الحاضر في مثل هذا المقام، وإنما يراد بها ما في تفسير صاحب «القاموس». ومن هنا قال بعضهم: يقال: مر آنفاً؛ أي: قريباً أو هذه الساعة؛ أي: إن شئت قل هذه الساعة، فإنه بمعنى الأول، فاعرف **﴿أولئك﴾** الموصوفون بما

ذكر ﴿الذين طبع الله على قلوبهم﴾ ختم عليها لعدم توجهها نحو الخير أصلاً، ومنه الطابع للخاتم.

قال الراغب: الطبع أن يصور الشيء بصورة ما كطبع السكة وطبع الدراهم، وهو أعم من الختم وأخص من النقش والطابع والخاتم، ما يطبع به ويختم. والطابع فاعل ذلك ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ الباطلة، فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه.

﴿والذين اهتدوا﴾ إلى طريق الحق وهم المؤمنون ﴿زادهم﴾؛ أي: الله تعالى ﴿هدى﴾ بالتوفيق والإلهام. ﴿وآتاهم تقواهم﴾؛ أي: خلق التقوى فيهم، أو بين لهم ما يتقون منه.

قال ابن عطاء قدس سره: الذين تحققوا في طلب الهداية أوصلناهم إلى مقام الهداية وزدناهم هدى بالوصول إلى الهادي.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾

﴿فهل ينظرون﴾؛ أي: المنافقون والكافرون. ﴿إلا الساعة﴾؛ أي: ما ينتظرون إلا القيامة ﴿أن تأتيهم بغتة﴾، وهي المفاجأة بدل اشتمال من الساعة؛ أي: تباغتهم بغتة. والمعنى: أنهم لا يتذكرون بذكر أحوال الأمم الخالية ولا بالأخبار بإتيان الساعة، وما فيها من عظائم الأمور، وما ينتظرون للتذكر إلا إتيان نفس الساعة بغتة. ﴿فقد جاء أشراطها﴾ تعليل لمفاجأتها لا لإتيانها مطلقاً على معنى أنه لم يبق من الأمور الموجبة للتذكر أمر مترقب ينتظرونه سوى إتيان نفس الساعة إذا جاء أشراطها، فلم يرفعوا لها رأساً، ولم يعدوها من مبادىء إتيانها، فيكون إتيانها بطريق المفاجأة لا محالة، والأشراط جمع شرط بالتحريك، وهو العلامة.

والمراد بها: مبعثه عليه السلام وأمته آخر الأمم فمبعثه يدل على قرب انتهاء الزمان.

﴿فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم﴾ حكم بخطئهم وفساد رأيهم في تأخير التذكر إلى إتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذٍ كقوله ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣]؛ أي: وكيف لهم ذكراهم إذا جاءتهم الساعة على أن أنى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ وإذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزاً إلى غاية سرعة مجيئها وإطلاق المجيء عن قيد البغتة لما أن مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئه مطلقاً لا مقيداً بقوله: البغتة.

وروي عن مكحول عن حذيفة، قال: سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن لها أشراط تقارب الأسواق»، يعني: كسادها ومطر لا نبات، يعني: مطر في غير حينه وتفشو الفتنة وتظهر أولاد البغية، ويعظم رب المال، وتعلو أصوات الفسقة في المساجد، ويظهر أهل المنكر على أهل الحق.

وفي الحديث: «إذا ضيعت الأمانة، فانتظر الساعة، فقيل: كيف إضاعتها، فقال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة:

بقومى كه نيكى بسندد خداى ... دهد خسرو عادل نيك راى
جو خواهدكه ويران كند عالمى ... كند ملك دربنجه ظالمى

وقال الكلبي: أشراط الساعة كثرة المال والتجارة وشهادة الزور، وقطع الأرحام، وقلة الكرام، وكثرة اللئام.

وفي الحديث: «ما ينتظر أحدكم إلا غنى مطغياً أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً». والدجال: شر غائب ينتظر، والساعة أدهى وأمر انتهى، وقيامة كل أحد موته، فعليه أن يستعد لما بعد الموت قبل الموت، بل يقوم بالقيامة الكبرى التي هي قيامة العشق والمحبة التي تهلك عندها جميع ما سوى الله، ويزول تعيين الوجود المجازي، ويظهر سر الوجود الحقيقي. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المسارعين إلى مرضاته والأعضاء والقوى تساعد لا من المسوفين في أمره والأوقات تمر وتباعد.

﴿فاعلم أنه﴾؛ أي: الشأن الأعظم **﴿لا إله إلا الله﴾**؛ أي: انتفى انتفاء عظيماً أن يكون معبوداً بحق غير الملك الأعظم؛ أي: إذا علمت أن مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الإشراك والعصيان، فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه كقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]؛ أي: ثبتنا على الصراط المستقيم وقدم العلم على العمل تنبيهاً على فضله واستبداده بالمزية عليه لا سيما العلم بوحدانية الله تعالى، فإنه أول ما يجب على كل أحد والعلم أرفع من المعرفة، ولذا قال: فاعلم دون فاعرف؛ لأن الإنسان قد يعرف الشيء ولا يحيط به علماً، فإذا علمه وأحاط به علماً، فقد عرفه والعلم بالألوهية من قبيل العلم بالصفات؛ لأن الألوهية صفة من الصفات، فلا يلزم أن يحيط بكنهه تعالى أحد، فإنه محال إذ لا يعرف الله إلا الله.

قال بعض الكبار: لما كان ما تنتهي إليه معرفة كل عارف مرتبة الألوهْية، ومرتبة أحديتها المعبر عنها بتعين الأول لا كنه ذاته وغيب هويته، ولا إحاطة صفاته أمر في كتابه العزيز نبيه، لذا هو أكمل الخلق قدراً ومنزلة، وقابلية، فقال: فاعلم أنه لا إله إلا الله تنبيهاً له، ولمن يتبعه من أمته على قدر ما يمكن معرفته من جناب قدسه، ويمكن الظفر به، وهو مرتبة الألوهية وما وراءها من حضرة الغيب المطلق وغيب الهوية خارج عن طوق الكون إذ ليس وراءها اسم ولا رسم ولا نعت ولا وصف ولا حكم، وليس في قوة الكون المقيد أن يعطي غير ما يقتضيه تقييده، فكيف يمكن له أن يدرك حضرة الغيب المطلق، وغيب الهوية، ولما كان حصول التوحيد الذي هو كمال النفس موجباً للإجابة. قال تعالى معلماً أنه يجب على الإنسان بعد تكميل نفسه السعي في تكميل غيره، ليحصل التعاون على ما خلق العباد له من العبادة.

﴿واستغفر﴾؛ أي: اطلب الغفران من الله **﴿لذنبك﴾** وهو كل مقام عالٍ ارتفع عليه السلام عنه إلى أعلى وما صدر عنه عليه السلام من ترك الأولى، وعبر عنه بالذنب نظراً إلى منصبه الجليل، كيف لا وحسنات الأبرار سيئات المقربين، وإرشاداً له عليه السلام إلى التواضع وهضم النفس واستقصاء العمل **﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾**؛ أي: لذنوب أمتك بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعي غفرانهم؛ لأنهم أحق الناس بذلك منك؛ لأن ما عملوا من خير كان لك مثل أجره إذ لمكمل الغير مثل أجر ذلك الغير، وفي إعادة صلة الاستغفار على اختلاف متعلقيه جنساً. وفي حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه إشعار بعراقتهم في الذنب وفرط افتقارهم إلى الاستغفار، وهو سؤال المغفرة وطلب الستر، إما من إصابة الذنب، فيكون حاصله العصمة والحفظ، وإما من إصابة عقوبة الذنب، فيكون حاصله العفو والمحو.

قال بعضهم للنبي عليه السلام أحوال ثلاثة:

الأول: مع الله، فلذا قيل وحده.

والثاني: مع نفسه ولذا أمر بالاستغفار لذنبه.

والثالث: مع المؤمنين ولذا أمر بالاستغفار لهم، وهذه أرجى آية في القرآن، فإنه لا شك أنه عليه السلام ائتمر بهذا الأمر وأنه لا شك أن الله تعالى أجابه فيه، فإنه لو لم يرد إجابته فيه لما أمره بذلك:

هركرا جون توبيشوا باشد نا اميد ازخدا جراباشد
جون نشان شفاعت كبرى يافت برنام ناميت طغرا
امتان با كناهكا ريها بتودارند اميد واريها

﴿**والله يعلم متقلبكم**﴾؛ أي: مكانكم الذي تتقلبون عليه في معاشكم ومتاجركم في الدنيا، فإنها مراحل لا بد من قطعها. وبالفارسية: [وخداى ميداند جاى رفتن وكرديدن شمادر دنيا كه جون ميكرديد از حال بحال]. ﴿**ومثواكم**﴾ في العقبى، فإنها موطن إقامتكم. وبالفارسية: [وآرامكاه شمادر عقبى بهشت است يا دوزخ]. فلا يأمركم إلا بما هو خير لكم في الدنيا والآخرة، فبادروا إلى الامتثال بما أمركم به، فإنه المهم لكم في المقامين.

قال في «بحر العلوم»: الخطاب في قوله: فاعلم واستغفر للنبي عليه السلام، وهو الظاهر، أو لكل من يتأتى منه العلم والاستغفار من أهل الإيمان وينصره الخطاب بلفظ الجمع في قوله: ﴿**والله يعلم متقلبكم ومثواكم**﴾. انتهى.

وفي «كشف الأسرار»: يعني: [يا محمد آنجه بنظر واستدلال دانسته از توحيد ما بخير نيز بدان ويقين باش كه الله تعالى يكانه ويكتاست درذات وصفات ودر حقايق سلمى آورده كه جون عالمى را كويند اعلم مرادبان ذكر باشد يعني يادكن آنجه دانسته].

وقال أبو الحسين النوري قدس سره: والعلم الذي دعي إليه المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم هو علم الحروف وعلم الحروف في لام ألف وعلم لام ألف في الألف وعلم الألف في النقطة وعلم النقطة في المعرفة الأصلية، وعلم المعرفة الأصلية، في علم الأول وعلم الأول في المشيئة، وعلم المشيئة في غيب الهوية، وهو الذي دعاه إليه، فقال: فاعلم، فالهاء راجع إلى غيب الهوية. انتهى.

[اكر كسى كويد ابراهيم خليل را عليه السلام كفتند اسلم جواب دادكه اسلمت مصطفى حبيب را كفتند فاعلم نكفت علمت جواب آنست كه خليل رونده بود درراه كه انى ذاهب إلى ربى در وادى تفرقت مانده لا جرم جوابش خود بايست داد وحبيب ربوده حق بوددر نقطه جمع نواخته اسرى بعبده حق اورا بخود باز نكذاشت از بهر او جواب دادكه آمن الرسول].

والإيمان هو العلم وإخبار الحق تعالى عنه أنه آمن وعلم أتم من إخباره بنفسه علمت قوله، واستغفر لذنبك؛ أي: إذا علمت أنك علمت فاستغفر لذنبك هذا، فإن الحق على جلال قدره لا يعلمه غيره:

تراكه داندكه تراتو دانى تو ترانداندكس تراتو دانى كس

وفي «التأويلات النجمية»: فاعلم بعلم اليقين أنه لا إله بعلم اليقين إلا الله بحق اليقين، فإذا تجلى الله بصفة علمه الذاتي للجهولية الذاتية للعبد تفنى ظلمة جهوليته بنور علمه، فيعلم بعلم الله أن لا موجود إلا الله، فهذه مظنة حسبان العبد أن العالم يعلم أنه لا إله إلا الله، فقيل له: واستغفر لذنبك بأنك علمت وللمؤمنين والمؤمنات بأنهم يحسبون أن يحسنوا علم لا إله إلا

الله، فإن من وصفه ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]، والله يعلم متقلب كل روح من العدم بوصف خاص إلى عالم الأرواح في مقام مخصوص به ومثوى كل روح إلى أسفل سافلين قالب خاص بوصف خاص، ثم متقلبه من أسفل سافلين القالب بالإيمان، والعمل الصالح، أو بالكفر والعمل الطالح إلى الدرجات الروحانية، أو الدركات النفسانية، ثم مثواه إلى عليين القرب المخصوص به، أو إلى سجين البعد المخصوص به مثاله، كما أن لكل حجر ومدر وخشب يبنى به دار متقلباً مخصوصاً به وموضعاً من الدار مخصوصاً به ليوضع فيه لا يشاركه فيه شيء آخر كذلك لكل روح منقلب مخصوص به لا يشاركه فيه أحد. انتهى.

وقال البقلي: واستغفر من وجودك في مطالعتي ووجود وصالي، فإن بقاء الوجود الحدثاني في بقاء الحق أعظم الذنوب. وفي «الأسئلة المقحمة»: المراد الصغائر والعثرات التي هي من صفات البشرية، وهذا على قول من جوز الصغائر على الأنبياء عليهم السلام: [ودر معالم آورده كه آن حضرت مأمور شد باستغفار با آنكه مغفورست نا امت درين سنت بوى قندا كنند]. يعني: واستغفر لذنبك ليستن بك غيرك: [ودر تبيان آوورده كه مراد آنست كه طلب عصمت كن ازخداى تاترا از كاهان نكاه دارد].

وقيل: من التقصير في حقيقة العبودية التي لا يدركها أحد، وقال بعض الكبار: الذنب المضاف إلى الرسول الأكرم ﷺ هو ما أشير إليه في قوله: فاعلم ولا يفهمه إلا أهل الإشارة. يقول الفقير: لعله ذنب نسبة العلم إليه في مرتبة الفرق إذ هو الحق في مرتبة الجمع، لذا قيل في الروضة المنيفة عند رأسه الشريف عليه السلام: لا تجوز السجدة لمخلوق إلا لباطن رسول الله فإنه الحق. والذنب المضاف إلى المؤمنين والمؤمنات هو قصورهم في علم التوحيد بالنسبة إلى النبي المحترم ﷺ، ثم هذه الكلمة كلمة التوحيد، فالتوحيد لا يماثله ولا يعادله شيء، وإلا لما كان واحداً، بل كان اثنين فصاعداً وإذا أريد بهذه الكلمة التوحيد الحقيقي، لم تدخل في الميزان؛ لأنه ليس له مماثل ومعادل، فكيف تدخل فيه؟

وإليه أشار الخبر الصحيح عن الله تعالى، قال الله تعالى: لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع وعامرهن غيري في كفة، ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله. فعلم من هذه الإشارة أن المانع من دخولها في ميزان الحقيقة هو عدم المماثل والمعادل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وإذا أريد بها التوحيد الرسمي تدخل في الميزان؛ لأنه يوجد لها ضد بل أضداد كما أشير إليه بحديث صاحب السجلات التسعة والتسعين، فما مالت الكفة إلا بالبطاقة التي كتبها الملك فيها فهي الكلمة المكتوبة المنطوقة المخلوقة، فعلم من هذه الإشارة أن السبب لدخولها في ميزان الشريعة، هو وجود الضد والمخالف، وهو السيئات المكتوبة في السجلات، وإنما وضعها في الميزان ليرى أهل الموقف في صاحب السجلات فضلها، لكن إنما يكون ذلك بعد دخول من شاء الله من الموحدين النار، ولم يبق في الموقف إلا من يدخل الجنة؛ لأنها لا توضع في الميزان لمن قضى الله أن يدخل النار، ثم يخرج بالشفاعة، أو بالعناية الإلهية، فإنها لو وضعت لهم أيضاً لما دخلوا النار أيضاً، ولزم الخلاف للقضاء، وهو محال ووضعها فيه لصاحب السجلات اختصاص إلهي يختص برحمته من يشاء.

واعلم أن الله تعالى ما وضع في العموم إلا أفضل الأشياء وأعمها نفعاً؛ لأنه يقابل به

أضداداً كثيرة، فلا بد في ذلك الموضع من قوة ما يقابل به كل ضد، وهو كلمة لا إلٰه إلا الله، ولهذا كانت أفضل الأذكار، فالذكر بها أفضل من الذكر بكلمة الله، الله وهو هو عند العلماء بالله؛ لأنها جامعة بين النفي والإثبات وحاوية على زيادة العلم والمعرفة، فعليك بهذا الذكر الثابت في العموم، فإنه الذكر الأقوى، وله النور الأضوى، والمكانة الزلفى، وبه النجاة في الدنيا والعقبى، والكل يطلب النجاة وإن جهل البعض طريقها، فمن نفى بلا إلٰه عين الخلق حكماً، لا علماً فقد أثبت كون الحق حكماً وعلماً، والإلٰه من جميع الأسماء، ما هو إلا عين واحد هي مسمى الله الذي بيده ميزان الرفع والخفض. ثم اعلم أن التوحيد لا ينفع بدون الشهادة له ﷺ بالرسالة وبين الكلمتين مزيد اتفاق يدل على تمام الاتحاد والاعتناق. وذلك أن أحرف كل منهما إن نظرنا إليها خطأ كانت اثني عشر حرفاً على عدد أشهر السنة يكفر كل حرف منها شهراً، وإن نظرنا إليها نطقاً، كانت أربعة عشر تملأ الخافقين نوراً، وإن نظرنا إليها بالنظرين معاً كانت خمسة عشر لا يوقفها عن ذي العرش موفق، وهو سر غريب دال على الحكم الشرعي الذي هو عدم انفكاك إحداهما عن الأخرى، فمن لم يجمعهما اعتقاده لم يقبل إيمانه وإسلام اليهود والنصارى مشروط بالتبري من اليهودية والنصرانية بعد الإتيان بكلمتي الشهادة وبدون التبري لا يكونان مسلمين، ولو أتيا بالشهادتين مراراً؛ لأنهما فسرا بقولهما بأنه رسول الله إليكم لكن هذا في الذين اليوم بين ظهراني أهل الإسلام، أما إذا كان في دار الحرب، وحمل عليه رجل من المسلمين فأتى بالشهادتين، أو قال: دخلت في دين الإسلام، أو في دين محمد عليه السلام، فهذا دليل توبته، ولهذه الكلمة من الأسرار ما يملأ الأقطار منها أنها بكلماتها الأربع مركبة من ثلاثة أحرف إشارة إلى الوتر الذي هو الله تعالى، والشفع الذي هو الخلق أنشأه الله تعالى أزواجاً، ومنها: أن أحرفها اللفظية أربعة عشر حرفاً على عدد السماوات والأرض الدالة على الذات الأقدس الذي هو غيب محض، والمقصود منها، مسمى الجلالة الذي هو الإلٰه الحق والجلالة الدالة عليه خمسة أحرف على عدد دعائم الإسلام الخمس ووتريته ثلاثة أحرف دلالة على التوحيد.

ومنها أنه إن لم يفعل فيها شيئاً شفهياً ليمكن ملازمتها لكونها أعظم مقرب إلى الله، وأقرب موصل إليه مع الإخلاص، فإن الذاكر بها يقدر على المواظبة عليها، ولا يعلم جليسه بذلك أصلاً؛ لأن غيرك لا يعلم ما في وراء شفتيك إلا بإعلامك.

ومنها: أن هذه الكلمة مع قرينتها الشاهدة بالرسالة سبع كلمات، فجعلت كل كلمة منها مانعة من باب من أبواب جهنم السبعة.

ومنها: أن عدد حروفها مع قرينتها أربعة وعشرون وساعات اليوم والليلة كذلك فمن قالها فقد أتى بخير ينجيه من المكاره في تلك الآيات.

قال المولى الجامي: [نقطه بصورت مكس است وكلمة شهادت از نقطه معراست يعنى اين شهد از آلايش مكس طبعان معراست]. وقال بعض العارفين: لا يجوز لشخص أن يتصدر في مرتبة الشيخوخة إلا إن كان عالماً بالكتاب والسنة عارفاً بأمراض الطريق عارفاً بمقامات التوحيد الخمسة والثمانين نوعاً عارفاً باختلاف السالكين وأوديتهم حال كونهم مبتدئين وحال كونهم متوسطين، وحال كونهم كاملين، ويجمع كل ذلك قولهم ما اتخذ الله ولياً جاهلاً قط، ولو اتخذه لعلمه.

قال الشيخ الشهير بافتاده قدس سره: ليس في طريق الشيخ الحاجي بيرام الرقص حال التوحيد وليس في طريقنا أيضاً، بل نذكر الله قياماً وقعوداً، ولا نرقص وفق قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٩١]. وقال: الرقص والأصوات كلها إنما وضعت لدفع الخواطر، ولا شيء في دفعها أشد تأثيراً من التوحيد فطريقنا طريق الأنبياء عليهم السلام، فنبينا عليه السلام لم يلقن إلا التوحيد. وقال في «إحياء العلوم»: الكامل هو الذي لا يحتاج أن يروح نفسه بغير الحق، ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين، ومن أحاط بعلم علاج القلوب ووجوه التلطف بها للسياقة إلى الحق علم قطعاً أن ترويحها بأمثال هذه الأمور دواء نافع لا غنى عنه انتهى.

وأراد بأمثال هذه الأمور السماع والغناء واللهو المباح ونحو ذلك. وقال حضرة الشيخ افتاده قدس سره: إذا غلبت الخواطر واحتجت إلى نفيها فاجهر بذكر النفي وخافت الإثبات، أما إذا حصلت الطمأنينة وغلب الإثبات على النفي، فاجهر بالإثبات، فإنه المقصود الأصلي وخافت النفي.

يقول الفقير: قال حضرة شيخي وسندي روح الله روحه: ينبغي أن يبدأ النفي من جانب اليسار ويحول الوجه إلى اليمين، ثم يوقع الإثبات على اليسار أيضاً، وذلك لأن الظلمة في اليسار فبابتداء النفي منه تطرح تلك الظلمة إلى طرف اليمين، وهو التخلية التي هي سر الخلوتية والنور في اليمين، فبتحويل الوجه إلى جانبها، ثم الميل في الإثبات إلى اليسار يطرح ذلك النور إلى جانب اليسار الذي هو موضع الإيمان؛ لأنه في يسار الصدر، وهي التجلية التي هي سر الجلوتية، وهذا لأننا في قولهم النفي في طرف اليمين، والإثبات إلى طرف اليسار؛ لأن النفي من طرف اليمين حقيقة، وإنما الابتداء من اليسار، وهذا الابتداء لا ينافي كون النفي من طرفها، فاعرف.

ومن آداب الذكر أن يكون الذاكر في بيت مظلم وأن ينظر بعين قلبه إلى ما بين حاجبيه، وفي ذلك سر ينكشف لمن ذاقه. قال بعض الأكابر: من قال في الثلث الأخير من ليلة الثلاثاء: لا إله إلا الله ألف مرة بجمع همة وحضور قلب وأرسلها إلى ظالم عجل الله دماره وخرب دياره وسلط عليه الآفات وأهلك بالعاهات. ومن قال: ألف مرة لا إله إلا الله، وهو على طهارة في كل صبيحة يسر الله عليه أسباب الرزق وكذا من قالها عند منامه العدد المذكور باتت روحه تحت العرش تتغذى من ذلك العالم حسب قواها، وكذلك من قالها عند وقوف الشمس ضعف منه شيطان الباطن.

وفي الحديث: «لو يعلم الأمير ما له في ذكر الله لترك إمارته، ولو يعلم التاجر ما له في ذكر الله لترك تجارته، ولو أن ثواب تسبيحه قسم على أهل الأرض لأصاب كل واحد منهم عشرة أضعاف الدنيا». وفي حديث آخر: «للمؤمنين حصون ثلاثة ذكر الله وقراءة القرآن، والمسجد، والمراد بالمسجد: مصلاه سواء كان في بيته، أو في الخارج. كذا أوله بعض الكبار.

قال الحسن البصري: حادثوا هذه القلوب بذكر الله؛ فإنها سريعة الدثور والمحادثة. بالفارسية: [بزدودن والدثور زنك افكندن كارد وشمشير]. وقال الجامي:

يادكن آنكه درشب اسرى باحبيب خدا خليل خدا

كفت كوى ازمن اى رسول كرام — امت خويش راز بعد سلام
كه بودباك وخوش زمين بهشت — ليك آنجا كسى درخت نكشت
خاك او باك وطيب افتاده — ليك هست از درختها ساده
غرس أشجار آن بسعى جميل — بسمله حمد له است بس تهليل
هست تكبير نيزازان أشجار — خوش كسى كش جزاين نباشد كار
باغ جنات تحتها الأنهار — سبز وخرم شودازان اشجار

وفي الحديث: «استكثروا من قوله: لا إلٰه إلا الله والاستغفار، فإن الشيطان، قال: قد أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إلٰه إلا الله، والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء حتى يحسبون أنهم مهتدون، فلا يستغفرون». وفي الحديث: «جددوا إيمانكم»، قالوا: يا رسول الله كيف نجدد إيماننا، قال: «أكثروا من قول لا إلٰه إلا الله»، ولما بعث عليه السلام معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن أوصاه. وقال: «إنكم ستقدمون على أهل الكتاب، فإن سألوكم عن مفتاح الجنة فقولوا: لا إلٰه إلا الله».

وفي الحديث: إذا قال العبد المسلم: لا إلٰه إلا الله خرقت السماوات حتى تقف بين يدي الله، فيقول الله: اسكني اسكني، فتقول: كيف أسكن، ولم تغفر لقائلها، فيقول: ما أجريتك على لسانه إلا وقد غفرت له»، وفي طلب المغفرة للمؤمنين والمؤمنات تحصيل لزيادة الحسنة لقوله عليه السلام: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة».

وفي الخبر: من لم يكن عنده ما يتصدق به فليستغفر للمؤمنين والمؤمنات، فإنه صدقة. وكان عليه السلام: يستغفر الله في كل يوم سبعين مرة. وفي رواية: مائة مرة، ويستغفر للمؤمنين خصوصاً للشهداء ويزور القبور، ويستغفر للموتى ويعرف من الآية أنه يلزم الابتداء بنفسه، ثم بغيره. قال في ترجمة «الفتوحات»: [بعد از رسل هيجكس را آن حق نيست كه مادر وبدررا ومع هذا نوح عليه السلام دردعاى نفس خودرا مقدم داشت]. قال: رب اغفر لي ولوالدي وإبراهيم عليه السلام: [فرمود] واجنبني وبني أن نعبد الأصنام. رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ابتدأ بنفس خود كرد والداعي للغير لا ينبغي أن يراه أحوج إلى الدعاء من نفسه وإلا لداخله العجب، فلذا أمر الداعي بالدعاء لنفسه أولاً، ثم لغيره. اللهم اجعلنا من المغفورين.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾.

﴿ويقول الذين آمنوا﴾ اشتياقاً منهم إلى الوحي وحرصاً على الجهاد؛ لأن فيه إحدى الحسنيين اما الجنة والشهادة وإما الظفر والغنيمة. **﴿لولا نزلت سورة﴾**؛ أي: هلا نزلت تؤمر فيها بالجهاد. وبالفارسية: [جرا فر وفرستاده نمى شود سورة درباب قتال با كفار]. **﴿فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال﴾** بطريق الأمر به؛ أي: سورة مبينة لا تشابه، ولا احتمال فيها بوجه آخر سوى وجوب القتال.

عن قتادة: كل سورة فيها ذكر القتال، فهي محكمة لم تنسخ. ﴿رأيت الذين في قلوبهم مرض﴾؛ أي: ضعف في الدنيا، أو نفاق، وهو الأظهر فيكون المراد الإيمان الظاهري الزعمي، والكلام من إقامة المظهر مقام المضمر. ﴿ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت﴾؛ أي: تشخص أبصارهم جبناً وهلعاً كدأب من أصابته غشية الموت؛ أي: حيرته وسكرته إذا نزل به وعاين الملائكة. والغشي: تعطل القوى المتحركة والحساسة لضعف القلب، واجتماع الروح إليه بسبب يحققه في داخل، فلا يجد منقذاً، ومن أسباب ذلك امتلاء خانق أو مؤذ بارد، أو جوع شديد، أو آفة في عضو مشارك كالقلب والمعدة، كذا في «المغرب».

وفي الآية إشارة إلى أن من أمارات الإيمان تمني الجهاد والموت شوقاً إلى لقاء الله، ومن أمارات الكفر والنفاق كراهة الجهاد وكراهية الموت. ﴿فأولى لهم﴾؛ أي: فويل لهم، وبالفارسية: [بس واى برايشان باد ودوزخ مريشا نراست]. وهو أفعل من الولي، وهو القرب، فمعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه. وقيل: فعلى من آل، فمعناه الدعاء عليهم بأن يؤول إلى المكروه أمرهم.

قال الراغب: أولى كلمة تهدد وتخوف يخاطب به من أشرف على الهلاك، فيحث به على عدم التعرض، أو يخاطب به من نجا منه، فينهى عن مثله ثانياً، وأكثر ما يستعمل مكرراً، وكأنه حث على تأمل ما يؤول إليه أمره ليتنبه المتحرر زمنه.

﴿طاعة وقول معروف﴾ كلام مستأنف؛ أي: أمرهم طاعة لله ولرسوله، وقول معروف بالإجابة لما أمروا به من الجهاد أو طاعة، وقول معروف خير لهم أو حكاية لقولهم ويؤيده قراءة أبي، يقولون: طاعة، وقول معروف؛ أي: أمرنا ذلك، كما قال في النساء، ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِى تَقُولُ﴾ [النساء: ٨١] ﴿فإذا عزم الأمر﴾ العزم والعزيمة: الجد وعقد القلب إلى إمضاء الأمر والعزيمة تعويذ؛ كأنه تصور أنك قد عقدت على الشيطان أن يمضي إرادته منك.

والمعنى: فإذا جدوا في أمر الجهاد وافترض القتال وأسند العزم إلى الأمر وهو لأصحابه مجازاً، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، وعامل الظرف محذوف؛ أي: خالفوا وتخلفوا. وبالفارسية: [بس جون لازم شد امر قتال وعزم كردن اصحاب جهاد ايشان خلاف ورزيده يازنان درخانها نشستند]. ﴿فلو صدقوا الله﴾؛ أي: فيما قالوا من الكلام المنبىء عن الحرص على الجهاد بالجري على موجبه. وبالفارسية: [بس اكر راست كفتندى باخداى در اظهار حرص برجهاد]. ﴿لكان﴾: أي الصدق. ﴿خيراً لهم﴾ من الكذب والنفاق والقعود عن الجهاد، وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكي عنهم من قوله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ [محمد: ٢٠]، فالمراد بهم الذين في قلوبهم مرض.

واعلم أنه كما يلزم الصدق والإجابة في الجهاد الأصغر إذا كان متعيناً عليه كذلك يلزم ذلك في الجهاد الأكبر إذا اضطر إليه، وذلك بالرياضيات والمجاهدات على وفق إشارة المرشد أو العقل السليم، وإلا فالقعود في بيت الطبيعة والنفس سبب الحرمان من غنائم القلب والروح. وفي بذل الوجود حصول ما هو خير منه، وهو الشهود والأصل الإيمان واليقين: [نقلست كه روزى حسن بصري نزد حبيب عجمى آمد بزيارت حبيب دوقرص جوين باياره نمك بيش حسن نهاد حسن خوردن كرفت سائل بدر آمد حبيب آن دو قرص بدان نمك بدان

سائل داد حسن همجنان بماند كفت اى حبيب تومر دشايسته اكر باره علم داشتى مى بودى كه نان ازبيش مهمان بركرفتى وهمه را بسائل دادى باره شايد داد بان وبارة بمهمان حبيب هيج نكفت ساعتى بود غلامى بيامد وخوانى برسر نهاد وترى وحلوى ونان باكيزه وبا نصددرم نقد دربيش حبيب نهاد حبيب درم بدر ويشان داد وخوان بيش حس نهاد وحسن باره نان خورد حبيب كفت اي استاد تونيك مردى اكر باره يقين داشتى به بودى باعلم بهم يقين بايد].

يعني: أن من كان له يقين تام عوضه الله تعالى خيراً من مفقوده وتداركه بفضله وجوده، فلا بد من بذل المال والوجود في الجهاد الأصغر والأكبر.

قال الحافظ:

فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ   كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿**فهل عسيتم**﴾؛ أي: يتوقع منكم يا من في قلوبهم مرض. وبالفارسية: [بس آيا شايد وتوقع هست از شما اي منافقان]. ﴿**إن توليتم**﴾: أمور الناس وتأمرتم عليهم؛ أي: إن صرتم متولين لأمور الناس وولاة وحكاماً عليهم متسلطين، فتوليتم من الولاية. ﴿**أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم**﴾ تحارصاً على الملك وتهالكاً على الدنيا، فإن من شاهد أحوالكم الدالة على الضعف في الدين والحرص على الدنيا حين أمرتم بالجهاد الذي هو عبارة عن إحراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وأنتم مأمورون شأنكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم إذا أطلقت أعنتكم، وصرتم آمرين ما ذكر من الإفساد وقطع الأرحام والرحم رحم المرأة، وهو منبت الولد ووعاؤه في البطن، ثم سميت القرابة، والوصلة من جهة الولاد رحماً بطريق الاستعارة لكونهم خارجين من رحم واحد، وقرأ عليّ رضي الله عنه: إن توليتم بضم تاء وواو وكسر لام؛ أي: ولي عليكم الظلمة ملتم معهم وعاونتموهم في الفتنة، كما هو المشاهد في هذا الإعصار.

وقال أبو حيان: الأظهر أن المعنى إن عرضتم أيها المنافقون عن امتثال أمر الله في القتال أن تفسدوا في الأرض بعدم معونة أهل الإسلام على أعدائهم وتقطعوا أرحامكم؛ لأن من أرحامكم كثيراً من المسلمين، فإذا لم تعينوهم قطعتم أرحامكم.

﴿**أولئك**﴾ إشارة إلى المخاطبين بطريق الالتفات إيذاناً بأن ذكر إهانتهم أوجب إسقاطهم عن رتبة الخطاب، وحكاية أحوالهم الفظيعة لغيرهم، وهو مبتدأ خبره قوله تعالى: ﴿**الذين لعنهم الله**﴾؛ أي: أبعدهم من رحمته ﴿**فأصمهم**﴾ عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم. والإصمام: [كركردن].

﴿**وأعمى أبصارهم**﴾ لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة في الأنفس والآفاق والإعماء: [كور كردن]. قيل: لم يقل أصم آذانهم؛ لأنه لا يلزم من ذهاب الآذان ذهاب السماع، فلم يتعرض لها، ولم يقل أعماهم؛ لأنه لا يلزم من ذهاب الأبصار، وهي الأعين ذهاب الأبصار.

قال سعدي المفتي: إصمام الآذان غير إذهابها، ولا يلزم من أحدهما الآخر والصمم

والعمى يوصف بكل منهما الجارحة، وكذلك مقابلهما من السماع والإبصار، ويوصف به صاحبها في العرف المستمر. وقد ورد التنزيل على الاستعمالين. اختصر في الإصمام، وأطنب في الإعماء مع مراعاة الفواصل.

وفي الآية إشارة إلى أهل الطلب وأصحاب المجاهدة إن أعرضتم عن طلب الحق أن تفسدوا في أرض قلوبكم بإفساد استعدادها لقبول الفيض الإلهي وتقطعوا أرحامكم مع أهل الحب في الله، فتكونوا في سلك أولئك الذين، إلخ. وهذا كما قال الجنيد قدس سره: لو أقبل صديق على الله ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة فإن ما فاته أكثر مما ناله.

يقول الفقير: وقع لي في الحرم النبوي على صاحبه السلام: أني قعدت يوماً عند الرأس المبارك على ما هو عادتي مدة مجاورتي. فرأيت بعض الناس يسيئون الأدب في تلك الحضرة الجليلة، وذلك من وجوه كثيرة، فغلبني البكاء الشديد، فإذا هذه الآية تقرأ على أذني ﴿**أولئك الذين لعنهم الله**﴾، يعني أن المسيئين للأدب في مثل هذا المقام محرومون من درجات أهل الآداب الكرام. وفي المثنوي:

از خدا جوييم توفيق أدب   بى أدب محروم كشت از لطف رب
بى ادب تنها نه خودرا داشت بد   بلكه آتش در همه آفاق زد
هركه بى باكى كند در راه دوست   رهزن مردان شده نامرد اوست

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿**أفلا يتدبرون القرآن**﴾ التدبر النظر في دبر الأمور وعواقبها؛ أي: ألا يلاحظون القرآن، فلا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا في المعاصي الموبقة ﴿**أم على قلوب أقفالها**﴾، فلا يكاد يصل إليها ذكر أصلاً، وبالفارسية: [بلكه بر دلهاى ايشان است قفلهاى آن يعنى جيزى كه دلهارا بمنزلة قفلها باشد وآن ختم]:

وطبع الهيست بران   دركه خدابست بروى عباد
هيج كليدش نتواند كشاد   قفل كه اوبر در دلها زند
كيست كه بردارد ودرواكند

والأقفال: جمع قفل بالضم، وهو الحديد الذي يغلق به الباب، كما في «القاموس». قال في «الإرشاد»: أم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر إلى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير القلوب، إما لتهويل حالها وتفظيع شأنها بإبهام أمرها في الفساد والجهالة؛ كأنه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها، ولا يقادر قدرها في القسوة. وإما لأن المراد قلوب بعض منهم، وهم المنافقون وإضافة الأقفال إليها للدلالة على أنها أقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الأقفال المعهودة التي من الحديد إذ هي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**أفلا يتدبرون القرآن**﴾، فإن فيه شفاء من كل داء ليفضي بهم إلى حسن العرفان ويخلصهم من سجن الهجران ﴿**أم على قلوب أقفالها**﴾، أم قفل الحق على قلوب أهل الهوى، فلا يدخلها زواجر التنبيه ولا ينبسط عليها شعاع العلم، ولا يحصل لهم

فهم الخطاب، وإذا كان الباب متقفلاً فلا الشك، والإنكار الذي فيها يخرج ولا الصدق واليقين الذي هم يدعون إليه يدخل في قلوبهم، انتهى.

[نقلست كه بشرحا في قدس سره بخانه خواهر او بيامد كفت اى خواهر بربام ميشوم وقدم بنهادوباى جند بر آمد وبايستاد وتاروز همجنان ايستاده بود جون روزشد فرود آمد وبنماز جماعت رفت بامداد باز آمد خواهرش برسيدكه ايستادن تراسبب جه بود كفت درخاطرم آمد در بغداد جندين كس اندكه نام ايشان بشرست يكى جهود ويكى ترسا ويكى مغ ومرا نام بشراست وبجنين دولتى رسيده واسلام يافنه درين حيرت مانده بودم كه ايشان جه كرده اندازين دولت محروم ماندند ومن جه كرده ام كه بدين دولت رسيدم].

يعني: أن انفتاح أقفال القلوب من فضل علام الغيوب ولا يتيسر لكل أحد مقام القرب والقبول ورتبة الشهود والوصول وعدم تدبر القرآن إنما هو من آثار الخذلان ومقتضيات الأعيان وإلا فكل طلب ينتهي إلى حصول إرب. قال الصائب: [تواز فشاندن تخم اميد دست مدار. كه دركرم نكند ابرنو بهارا مساك].

﴿**إن الذين ارتدوا على أدبارهم**﴾: الارتداد والردة: الرجوع في الطريق الذي جاء منه. لكن الردة تختص بالكفر والارتداد يستعمل فيه. وفي غيره الأدبار جمع دبر ودبر الشيء خلاف القبل، وكنى بهما عن العضوين المخصوصين، والمعنى: أن الذين رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر، وهم المنافقون الموصوفون بمرض القلوب وغيره من قبائح الأفعال والأحوال، فإنهم قد كفروا به عليه السلام.

﴿**من بعد ما تبين لهم الهدى**﴾ بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة ﴿**الشيطان سول لهم**﴾ جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبراً؛ لأن أي: سهل لهم ركوب العظائم من السول، وهو الاسترخاء. وقال الراغب: السول الحاجة التي تحرص عليها النفس والتسويل تزيين النفس لما تحرص عليه، وتصوير القبيح منه بصورة الحسن. ﴿**وأملى لهم**﴾ وأمد لهم في الأماني والآمال، وقيل: أمهلهم الله، ولم يعاجلهم بالعقوبة.

قال الراغب: الإملاء والإمداد ومنه قيل للمدة الطويلة: ملاوة من الدهر، وملوة من الدهر.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿**ذلك**﴾ الارتداد كائن ﴿**بأنهم**﴾؛ أي: بسبب أن المنافقين المذكورين. ﴿**قالوا**﴾ سراً. ﴿**للذين كرهوا ما نزل الله**﴾؛ أي: لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله عليه السلام مع علمهم، بأنه من عند الله حسداً وطمعاً في نزوله عليهم. ﴿**سنطيعكم في بعض الأمر**﴾، وهو ما أفاده قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ [الحشر: ١١] يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم، ونلا نطيع فيكم أحداً أبداً، وإن قوتلتم لننصرنكم، وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويودونهم، وأرادوا بالبعض الذي أشاروا إلى عدم إطاعتهم فيه إظهار كفرهم وإعلان أمرهم بالفعل قبل قتالهم وإخراجهم من

ديارهم، فإنهم كانوا يأبون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية إليه لما كان لهم في إظهار الإيمان من المنافع الدنيوية.

﴿والله يعلم إسرارهم﴾؛ أي: إخفاءهم لما يقولون لليهود.

﴿فكيف إذا توفتهم الملائكة﴾؛ أي: يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيلة، فكيف يفعلون إذا قبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه؟ ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ بمقامع الحديد وأدبارهم وظهورهم وخلفهم.

قال الكاشفي: [مى زنند رويهاى ايشان كه از حق بكر دانيده اند ويشتهاى ايشان كه بر اهل حق كرده اند]. والجملة حال من فاعل توفتهم، وهو تصوير لتوفيهم على أهوال الوجوه وأفظعها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية إلا تضرب الملائكة وجهه ودبره.

﴿ذلك﴾ التوفي الهائل. وبالفارسية: [اين قبض ارواح ايشان بدين وصف]. ﴿بأنهم﴾؛ أي: بسبب أنهم ﴿اتبعوا ما أسخط الله﴾ من الكفر والمعاصي، يعني: [متابعت كردند آن جيزى راكه بخشم آورد خداى تعالى را يعنى موجب غضب وى كردد].

﴿وكرهوا رضوانه﴾؛ أي: ما يرضاه من الإيمان والطاعة حيث كفروا بعد الإيمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود. ﴿فأحبط﴾ لأجل ذلك ﴿أعمالهم﴾ التي عملوها حال إيمانهم من الطاعات، أو بعد ذلك من أعمال البر التي لو عملوها حال الإيمان لانتفعوا بها، فالكفر والمعاصي سبب لإحباط الأعمال وباعث على العذاب والنكال.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: الفاجر تنسل روحه كالسفود من الصوف المبلول والميت الفاجر يظن أن بطنه قد ملئت شوكاً، وكان نفسه يخرج من ثقب إبرة، وكأنما السماء انطبقت على الأرض، وهو بينهما، ولهذا سئل كعب الأحبار عن الموت، فقال: كغصن شجر ذي شوك أدخل في جوف رجل، فجذبه إنسان شديد البطش ذو قوة فقطع ما قطع، وأبقى ما أبقى.

وقال النبي عليه السلام: «لسكرة من سكرات الموت أمر من ثلاثمائة ضربة بالسيف وعند وقت الهلاك يطعنه الملائكة بحربة مسمومة قد سقيت سماً من نار جهنم، فتفر النفس وتنقبض خارجة فيأخذها الملك في يده، وهي ترعد أشبه شيء بالزئبق على قدر النخلة شخصاً إنسانياً يناولها الملائكة الزبانية، وهي ملائكة العذاب. هذا حال الكافر والفاجر، وأما المؤمن المطيع، فعلى خلاف هذا؛ لأنه أهل الرضا.

قال ميمون بن مهران: شهدت جنازة ابن عباس رضي الله عنهما بالطائف، فلما وضع على المصلى ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى وقع على أكفانه، ثم دخل فيها، فالتمس، ولم يوجد فلما سوي عليه سمعنا صوتاً، وما رأينا شخصاً ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠]، فعلى العاقل أن يتهيأ للموت، ولا يضيع الوقت. قال الصائب:

تراكر صلى هست ازحيات خود غنيمت دان كه من از حاصل دوران غم بى حاصلى دارم

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿**أم حسب الذين في قلوبهم مرض**﴾؛ أي: المنافقون، فإن النفاق مرض قلبي كالشك ونحوه. ﴿**أن لن يخرج الله أضغانهم**﴾، فأم منقطعة وأن مخففة من أن والأضغان جمع ضغن بالكسر، وهو الحقد، وهو إمساك العداوة في القلب والتربص لفرصتها وبه شبه الناقة، فقالوا: ذات ضغن. والمعنى: بل أحسب الذين في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين أن لن يخرج الله أحقادهم، ولن يبرزها لرسول الله وللمؤمنين، فتبقى أمورهم مستورة؛ أي: أن ذلك مما يكاد يدخل تحت الاحتمال. وفي بعض الآثار: لا يموت ذو زيغ في الدين حتى يفتضح، وذلك لأنه كحامل الثوم، فلا بد من أن تظهر رائحته، كما أن الثابت في طريق السنة كحامل المسك إذ لا يقدر على إمساك رائحته.

اكر مسك خالص نداری مكوی وكرهست خودفاش كردد ببوی

﴿**ولو نشاء**﴾ إراءتهم. وبالفارسية: [واكر ماخواهيم]. ﴿**لأريناكهم**﴾ لعرفناكهم بدلائل تعرفهم بأعيانهم معرفة متاخمة للرؤية. ﴿**فلعرفتهم بسيماهم**﴾ بعلامتهم التي نسمهم بها.

قال في «القاموس»: السومة بالضم، والسمية والسيما والسيميا بكسرهن العلامة وذكر في السوم. وعن أنس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم. ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكون فيهم الناس، فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى وجه كل منهم مكتوب هذا منافق.

وفي «عين المعاني»: وعلى جبهة كل واحد مكتوب كهيئة الوشم: هذا منافق واللام لام الجواب كررت في المعطوف للتأكيد والفاء لترتيب المعرفة على الإراءة. ﴿**ولتعرفنهم في لحن القول**﴾: اللام جواب قسم محذوف ولحن القول فحواه، ومعناه وأسلوبه أو إمالته إلى جهة تعريض وتورية، يعني: [بشناسى توايشانرا در كردانيدن سخن از صوب صواب بجهت تعريض وتوريت]. ومنه قيل للمخطىء لاحن لعدله بالكلام عن سمت الصواب.

وفي الحديث: «لعل بعضكم ألحن بحجته من بعض» أي أذهب بها في الجهات. قال في «المفردات»: اللحن صرف الكلام عن سننه الجاري عليه، إما بإزالة الإعراب أو التصحيف، وهو المذموم، وذلك أكثر استعمالاً، وإما بإزالته عن التصريح وصرفه بمعناه إلى تعريض وفحوى، وهو محمود من حيث البلاغة عند أكثر الأدباء، وإليه قصد بقول الشاعر، فخير الأحاديث ما كان لحناً، وإياه قصد بقوله: ﴿**ولتعرفنهم في لحن القول**﴾، ومنه قيل: للفطنة لما يقتضي فحوى الكلام لحن. انتهى.

وفي «المختار»: اللحن: الخطأ في الإعراب، وبابه قطع، واللحن بفتح الحاء الفطنة، وقد لحن من باب طرب. وفي الحديث: «لعل أحدكم ألحن بحجته»؛ أي: أفطن بها. انتهى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو قولهم: ما لنا إن أطعنا من الثواب، ولا يقولون: ما علينا إن عصينا من العقاب. قال بعض الكبار: الأكابر والسادات يعرفون صدق المريد من كذبه بسؤاله وكلامه؛ لأن الله يقول: ﴿**ولتعرفنهم في لحن القول**﴾، ﴿**والله يعلم أعمالكم**﴾، فيجازيكم بحسب قصدكم، وهذا وعد للمؤمنين وإيذان بأن حالهم بخلاف حال المنافقين.

وفي الآية إشارة إلى أن من مرض القلوب الحسبان الفاسد والظن الكاذب، فظنوا أن الله لا يطلع على خبث عقائدهم، ولا يظهره على رسوله، وليس الأمر كما توهموه، بل الله

فضحهم وكشف تلبيسهم بالإخبار والتعريف مع أن المؤمن ينظر بنور الفراسة والعارف ينظر بنور التحقيق، والنبي عليه السلام ينظر بالله، فلا يستتر عليه شيء، فالأعمال التي تصدر بخيانة النيات لها شواهد عليها، كما سئل سفيان بن عيينة رحمه الله، هل يعلم الملكان الغيب؟ فقال: لا، فقيل له: فكيف يكتبان ما لا يقع من عمل القلب؟ فقال: لكل عمل سيما يعرف بها كالمجرم يعرف بسيماه إذا هم العبد بحسنة فاح من فيه رائحة المسك، فيعلمون ذلك، فيكتبونها حسنة، فإذا هم بسيئة استقر عليها قلبه فاح منه ريح النتن، ففي كل شيء شواهد ألا ترى أن الحارث بن أسد المحاسبي رحمه الله كان إذا قدم له طعام فيه شبهة، ضرب عرقه على أصبعه وكأم أبي يزيد البسطامي رحمهما الله ما دامت حاملاً بأبي يزيد لا تمتد يدها إلى طعام حرام، وآخر ينادي، ويقال له: تورع وآخر يأخذه الغثيان، وآخر يصير الطعام أمامه دماً، وآخر يرى عليه سواداً، وآخر يراه خنزيراً إلى أمثال هذه المعاملات التي خص الله بها أولياءه وأصفياءه، فعليك بالمراقبة مع الله والورع في المنطق، فإنه من الحكمة، وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم.

قال مالك بن أنس رضي الله عنه: من عد كلامه من عمله، قل كلامه، والتزم أربعة الدعاء للمسلمين بظهر الغيب وسلامة الصدر وخدمة الفقراء، وكان مع كل أحد على نفسه قال بعض الكبار: انصت لحديث الجليس، ما لم يكن هجراً، فإن كان هجراً، فانصحه في الله إن علمت منه القبول، بألطف النصح، وإلا فالاعتذار في الانفصال، فإن كان ما جاء به حسناً، فحسن الاستماع، ولا تقطع عليه حديثه:

سخن را سرست اى خرد مندوبن ... ميا ور سخن درميان سخن
خداوند تدبير وفرهنك وهوش ... نكويت سخن تا نبيند خموش

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿ولنبلونكم﴾ بالأمر بالقتال ونحوه من التكاليف الشاقة إعلاماً لا استعلاماً أو نعاملكم معاملة المختبر ليكون أبلغ في إظهار العذاب. **﴿حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾** على مشاق الجهاد علماً فعلياً يتعلق به الجزاء. وقد سبق تحقيق المقام بما لا مزيد عليه من الكلام. **﴿ونبلو أخباركم﴾** الإخبار بمعنى المخبر بها؛ أي: ما يخبر به عن أعمالكم، فيظهر حسنها وقبحها؛ لأن الخبر على حسب المخبر عنه إن حسناً فحسن وإن قبيحاً فقبيح. ففيه إشارة إلى أن بلاء الإخبار كناية عن بلاء الأعمال.

قال الكاشفي: [تامى از ماييم خبرها شمارا كه ميكوييد درايمان يعنى تاصدق وكذب آن همه رآشكارا شود]. وكان الفضيل رحمه الله إذا قرأ هذه الآية بكى، وقال: اللهم لا تبلنا، فإنك إن بلوتنا هتكت أستارنا وفضحتنا. وفيه إشارة إلى أنه بنار البلاء يخلص إبريز الولاء. قيل: البلاء للولاء كاللهب للذهب، فإن بالابتلاء والامتحان تتبين جواهر الرجال، فيظهر المخلص ويفتضح المنافق، وعند الامتحان يكرم الرجل، أو يهان، والله تعالى عالم بخصائص جواهر الإنسان من الأزل إلى الأبد؛ لأنه خلقها على أوصافها من السعادة والشقاوة، ألا يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير وبتغير أحوال الجواهر في الأزمان المختلفة لا يتغير علم الله،

فإنه تعالى يراهم في حالة واحدة، وتغيرات الأحوال كلها، كما هي بحيث لا يشغله حالة عن حالة، وإنما يبلو للإعلام والكشف عن حقيقة الحال.

قال بعض الكبار: العارفون يعرفون بالأبصار ما تعرفه الناس بالبصائر، ويعرفون بالبصائر ما لم يدرك أحد في النادر، ومع ذلك، فلا يأمنون على نفوسهم من نفوسهم، فكيف يأمنون على نفوسهم من مقدورات ربهم؟ مما يقطع الظهور، وكان الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره يقول: أعطاني الله تعالى ثلاثين عهداً وميثاقاً أن لا يمكر بي، فقيل له: فهل أمنت مكره بعد ذلك، فقال: حالي بعد ذلك كحالي قبل العهد، والله عزيز حكيم، فإذا كان حال العارف الواقف هكذا فما حال الجاهل الغافل، فلا بد من اليقظة:

بر غفلت سياه دلان خنده مى زند غافل مشو زخنده دندان نماى صبح

﴿إن الذين كفروا وصدوا﴾؛ أي: منعوا الناس ﴿عن سبيل الله﴾؛ أي: عن دين الإسلام الموصل إلى رضا الله تعالى. ﴿وشاقوا الرسول﴾ وعادوه وخالفوه وصاروا في شق غير شقه. والمخالفة أصل كل شر إلى يوم القيامة. ﴿من بعد ما تبين لهم الهدى﴾ بما شاهدوا نعته عليه السلام في التوراة، وبما ظهر على يديه من المعجزات، ونزل عليه من الآيات، وهم قريظة والنضير، أو المطعمون يوم بدر وهم رؤساء قريش.

﴿لن يضروا الله﴾ بكفرهم وصدهم ﴿شيئاً﴾ من الأشياء يعني: [زيانى نتواند رسانيد خدا يرا جيزى يعنى از كفر ايشان اثر ضررى بدين خداى وبيغمبر او نرسد بلكه شررِ آن شر بديشان عائد كردد]. أو شيئاً من الضرر، أو لن يضروا رسول الله بمشاقته شيئاً، وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته. ﴿وسيحبط﴾ السين لمجرد التأكيد ﴿أعمالهم﴾؛ أي: مكايدهم التي نصبوها في إبطال دينه تعالى ومشاقة رسوله، فلا يصلون بها إلى ما كانوا يبغون من الغوائل ولا يتم لهم إلا القتل كما لقريظة وأكثر المطعمين ببدر والجلاء عن أوطانهم كما للنضير.

﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤)﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ في العقائد والشرائع كلها، فلا تشاقوا الله ورسوله في شيء منها. ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾؛ أي: بمثل ما أبطل به هؤلاء أعمالهم من الكفر والنفاق والرياء والمن والأذى والعجب وغيرها.

وفي الحديث: «إن العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»:

در هر عملى كه عجب ره يافت رويش زره قبول بر تافت
اى كشته بكار خويش مغرور وزدركه قرب كشته مهجور
تاجند زعجب وخود نمايى وزد بدبه منى ومايى
معجب مشو از طريق تلبيس كز عجب بجه فتاد إبليس

وليس فيه دليل على إحباط الطاعات بالكبائر على ما زعمت المعتزلة والخوارج، فإن جمهورهم على أن بكبيرة واحدة تحبط جميع الطاعات، حتى أن من عبد الله طول عمره، ثم شرب جرعة من خمر، فهو كمن لم يعبده قط.

وفي الآية إشارة إلى أن كل عمل وطاعة، لم يكن بأمر الله وسنة رسوله، فهو باطل لم

يكن له ثمرة؛ لأنه صدر عن الطبع، والطبع ظلماني، وإنما جاء لشرع، وهو نوراني ليزيل ظلمة الطبع بنور الشرع، فيكون مثمراً وثمرته أن يخرجكم من الظلمات إلى النور؛ أي: من ظلمات الطبع إلى نور الحق فعليك بالإطاعة واستعمال الشريعة وإياك والمخالفة والإهمال: [نقلست كه احمد حنبل وشافعي رضي الله عنها نشسته بودند حبيب عجمى از كوشه در آمد أحمد كفت من اورا سؤالى كنم شافعى كفت ايشانرا سؤال نشايد كردكه ايشان قومى عجب باشند احمد كفت جاره نيست جون حبيب فرا رسيد احمد كفت جه كويى در حق كسى كه ازين بنج نماز يكى ازو فوت شده است ونمى داندكه كدامست حبيب كفت هذا قلب غفل عن الله فليؤدب يعنى اين دل كسى بودكه از خداوند غافل بود اورا ادب بايد كرد در جواب او متحير شد شافعى كفت نكفتم كه ايشانرا سؤال نشايد كرد].

والجواب في الشريعة أن يقضي صلاة ذلك اليوم، فالتي توافقها تكون قضاء لها، والبواقي من النوافل نسأل الله الإطاعة والانقياد في كل حال على الاطراد.

﴿**إن الذين كفروا**﴾ بالله تعالى ورسوله ﴿**وصدوا**﴾ الناس ﴿**عن سبيل الله**﴾ الموصل إلى رضاه ﴿**ثم ماتوا**﴾ وفارقوا الدنيا ﴿**وهم كفار**﴾: الواو: للحال. ﴿**فلن يغفر الله لهم**﴾ في الآخرة؛ لأنهم ماتوا على الكفر، فيحشرون على ما ماتوا عليه، كما ورد: «تموتون كما تعيشون وتحشرون كما تموتون»، وهو حكم يعم كل من مات على الكفر، وإن صح نزوله في أصحاب القليب، وهو كأمير البئر، أو العادية القديمة منها، كما في «القاموس».

والمراد: البئر التي طرح فيها جيف الكفار المقتولين يوم بدر، وأما البئر التي سقي منه المشركون ذلك اليوم، وهي بئر لماء، فهي منتنة الآن، سمعته من بعض أهل بدر حين مروري بها.

﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿**فلا تهنوا**﴾ من الوهن وهو الضعف. والفاء فصيحة؛ أي: إذا تبين لكم بما يتلى عليكم أن الله عدوهم يبطل أعمالهم، فلا يغفر لهم، فلا تهنوا؛ أي: لا تضعفوا فإن من كان الله عليه لا يفلح ﴿**وتدعوا إلى السلم**﴾ مجزوم بالعطف على تهنوا، والسلم بفتح السين وكسرها لغتان بمعنى الصلح؛ أي: ولا تدعوا الكفار إلى الصلح فوراً، فإن ذلك فيه ذلة، يعني: [طلب صلح مكنيد از ايشان كه نشانه ضعف وتذلل شما بود].

﴿**وأنتم الأعلون**﴾ جمع الأعلى بمعنى، الأغلب أصله: أعليون فكرهوا الجمع بين أخت الكسرة والضمة؛ أي: الأغلبون. وقال الكلبي: آخر الأمر لكم، وإن غلبوكم في بعض الأوقات، وهي جملة حالية مقررة لمعنى النهي مؤكدة لوجوب الانتهاء، وكذا قوله تعالى: ﴿**والله معكم**﴾، فإن كونهم الأغلبين وكونه تعالى معهم؛ أي: ناصرهم في الدارين من أقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة، وكذا توفيته تعالى لأجور الأعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى: ﴿**ولن يتركم أعمالكم**﴾: [الوتر كم وضائع كردن]؛ أي: ولن يضيعها من وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً من ولد أو أخ أو حميم، فأفردته منه من الوتر الذي هو الفرد.

وفي «القاموس»: وتر الرجل أفزعه وأدركه بمكروه ووتره ماله نقصه إياه انتهى، وعبر

عن ترك الإثابة في مقابلة الأعمال بالوتر الذي هو إضاعة شيء معتد به من الأنفس والأموال مع أن الأعمال غير موجبة للثواب على قاعدة أهل السنة إبراز الغاية اللطف بتصوير الصواب بصورة الحق المستحق، وتنزيل ترك الإثابة بمنزلة إضاعة أعظم الحقوق وإتلافها.

وفي الحديث القدسي: «إنما هي أعمالكم ثم أؤديكم إياها»، وهي ضمير القصة، يعني ما جزاء أعمالكم إلا محفوظ عندي لأجلكم، ثم أؤديها إليكم وافية كاملة. وعن أبي ذر رضي الله عنه رفعه يقول الله تعالى: إني حرمت الظلم على نفسي وحرمته على عبادي، فلا تظالموا، فإذا كان الله منزهاً عن الظلم ونقص جزاء الأعمال، فليطلب العبد نفساً، بل لا ينبغي له أن يطلب الأجر؛ لأن الله تعالى أكرم الأكرمين، فيعطيه فوق مطلوبه:

توبندكى جو كدايان بشرط مزدمكن كه دوست خود روش بنده بروري داند

وفي المثنوي:

عاشقانرا شادمانى وغم اوست دست مزد واجرت خدمت هم اوست
غير معشوق از تماشايى بود عشق نبود هرزه سودايى بود
عشق آن شعله است كوجون بر فروخت هرجه جز معشوق باقى جمله سوخت

قال أبو الليث رحمه الله في «تفسيره»: وفي الآية دليل على أن أيدي المسلمين إذا كانت عالية على المشركين لا ينبغي أن يجيبوهم إلى الصلح؛ لأن فيه ترك الجهاد، وإن لم تكن يدهم عالية، فلا بأس بالصلح لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١]؛ أي: وإن مالوا إلى الصلح، فمل إليه، وكذا قال غيره. هذا نهي للمسلمين عن طلب صلح الكافرين. قالوا: هو دليل على أنه عليه السلام لم يدخل مكة صلحاً؛ لأنه نهى عن الصلح. وكذا قال الحدادي في «تفسيره» في سورة النساء: لا يجوز مهادنة الكفار وترك أحد منهم على الكفر من غير جزية إذا كان بالمسلمين قوة على القتال وأما إذا عجزوا عن مقاومتهم وخافوا على أنفسهم وذراريهم جاز لهم مهادنة العدو من غير جزية يؤدونها إليهم؛ لأن حظر الموادعة كان بسبب القوة، فإذا زال السبب زال الخطر. انتهى.

والجمهور: على أن مكة فتحت عنوة؛ أي: قهراً لا صلحاً لوقوع القتال بها، ولو كان صلحاً لما قال عليه السلام: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» إلى آخر الحديث. ﴿**إنما الحياة الدنيا**﴾ عند أهل البصيرة ﴿**لعب ولهو**﴾ باطل وغرور لا اعتبار بها ولا ثبات لها إلا أياماً قلائل. وبالفارسية: [جزاين نيست كه زندكانى دنيا بازيست ناپايدار ومشغولى بى اعتبار] يقال: لعب فلان إذا كان فعله غير قاصد به مقصداً صحيحاً، واللهو ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه.

وفي الخبر أن الله تعالى خلق ملكاً وهو يمد لا إلٰه من أول الدنيا، فإذا قال: إلا الله قامت القيامة. وفيه إشارة إلى أن الدنيا وما فيها من أولها إلى آخرها لا وجود لها في الحقيقة، وإنما هي أمر عارض زائل، والله هو الأزلي الأبدي ﴿**وإن تؤمنوا**﴾ أيها الناس بما يجب به الإيمان ﴿**وتتقوا**﴾ عن الكفر والمعاصي ﴿**يؤتكم أجوركم**﴾؛ أي: ثواب إيمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التي يتنافس فيها المتنافسون.

وفي الآية حث على طلب الآخرة العلية الباقية وتنفير عن طلب الدنيا الدنية الفانية:

مكن تكيه بر ملك وجاه وحشم كه بيش از تو بودست وبعد از توهم
بدنيا توانى كه عقبى خرى بخرجان من ورنه حسرت خورى

﴿ولا يسألكم﴾؛ أي: الله تعالى **﴿أموالكم﴾** الجمع المضاف من صيغ العموم، فالمراد: جميع أموالكم بحيث يخل أداؤها بمعاشكم، وإنما اقتصر على شيء قليل منها، وهو ربع العشر، أو العشر تؤدونها إلى فقرائكم، فطيبوا بها نفساً.

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾.

﴿إن يسألكموها﴾؛ أي: أموالكم **﴿فيحفكم﴾**؛ أي: يجهدكم بطلب الكل. وبالفارسية: [بس مبالغه كند درخواستن يعنى كويد همه ارا نفقه كنيد]. وذلك فإن الإحفاء والإلحاف: المبالغة وبلوغ الغاية، يقال: أحفى شاربه؛ أي: استأصله؛ أي: قطعه من أصله. **﴿تبخلوا﴾** بها فلا تعطوا**﴿ويخرج﴾**؛ أي: الله تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة، أو البخل؛ لأنه سبب الأضغان. **﴿أضغانكم﴾**؛ أي: أحقادكم.

وقد سبق تفسيره في هذه السورة. قال في «عين المعاني»؛ أي: يظهر أضغانكم عند الامتناع. وقال قتادة: علم الله أن ابن آدم ينقم ممن يريد ماله. ويقال: ويخرج ما في قلوبكم من حب المال. وهذه المرتبة لمن يوقى شح نفسه، فأما الأحرار عن رق الكونين، ومن علت رتبتهم في طلب الحق، فلا يسامحون في استبقاء ذرة ويطالبون ببذل الروح والتزام الغرامات، فإن المكاتب عبد ما بقي عليه درهم.

﴿ها أنتم﴾ ها: تنبيه بمعنى: [آكاه باشيد وكوش داريد]. وأنتم: كلمة على حدة وهو مبتدأ خبره قوله: **﴿هؤلاء﴾**: أي أنتم أيها المخاطبون، هؤلاء الموصوفون، يعني في قوله تعالى: **﴿إن يسألكموها﴾**، الآية. **﴿تدعون لتنفقوا في سبيل الله﴾** استئناف مقرر لذلك حيث دل على أنهم يدعون لإنفاق بعض أموالهم في سبيل الله، فيبخل ناس منهم أو صلة لهؤلاء على أنه بمعنى الذين؛ أي: ها أنتم الذين تدعون، ففيه توبيخ عظيم وتحقير من شأنهم، والإنفاق في سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما. **﴿فمنكم من يبخل﴾** بالرفع لأن من هذه ليست بشرط أي ناس يبخلون، وهو في حيز الدليل على الشرطية الثانية كأنه قيل: الدليل عليه أنكم تدعون إلى أداء ربع العشر فمنكم ناس يبخلون به **﴿ومن يبخل﴾** بالجزم؛ لأن من شرط **﴿فإنما يبخل عن نفسه﴾** فإن كلا من نفع الإنفاق وضرر البخل عائد إليه، والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الإمساك والتعدي؛ أي: فإنما أمسك الخير عن نفسه بالبخل **﴿والله الغني﴾** عنكم وعن صدقاتكم دون من عداه **﴿وأنتم الفقراء﴾** إليه وإلى ما عنده من الخير، فما يأمركم به فهو لاحتياجكم إلى ما فيه من المنافع، فإن امتثلتم فلكم وإن توليتم فعليكم.

قال الجنيد قدس سره: الفقر يليق بالعبودية والغنى يليق بالربوبية، ويلزم الفقر من الفقر أيضاً، وهو الغنى التام، ولذلك قال ابن مشيش للشيخ أبي الحسن الشاذلي قدس الله سرهما: لئن لقيته بفقرك لتلقينه بالصنم الأعظم، وبتمام الفقر يصح الغنى عن الغير، فيكون متخلقاً بالغنى.

وفي «التأويلات النجمية»: والله الغني لذاته بذاته، ومن غناه تمكنه من تنفيذ مراده واستغناؤه عما سواه وأنتم الفقراء إلى الله في الابتداء ليخلقكم. وفي الوسط ليربيكم، وفي

الانتهاء ليغنيكم عن أنانيتكم ويبقيكم بهويته، فالله غني عنكم من الأزل إلى الأبد، وأنتم الفقراء محتاجون إليه من الأزل إلى الأبد:

مراورا رسد كبريا ومنى كه ملكش قديمست وذاتش غنى

ولما كان الله غنياً جواداً أحب أن يتخلق بأخلاقه فأمرهم بالبذل والإنفاق، فإن السخاء سائق إلى الجنة والرضى والقربة: [در خبر ست كه خالد بن وليد از سفرى بازآمد ازجانب روم وجماعتى ازايشان اسير آورده رسول عليه السلام برايشان اسلام عرضه كرد قبول نكردند بفرمود تاجند كس را ازايشان بكشتند بآخر جوانى را بياوردندكه اورابكشند خالد ميكويد تيغ بركشيدم تابزنم رسول عليه السلام كفت آن يكى رامزان يا خالد كفتم يا رسول الله درميان اين قوم هيج كس در كفر قوى ترازين جوان نبوده است رسول فرمود جبريل امده وميكويد كه اين يكى رامكش كه او درميان قوم خويش جوانمرد بوده است وجوا نمردرا كشتن روانيست آن جوان كفت جه بوده است كه مرابياران خود نرسانيديد كفتند درحق تووحى آمده است اى بشير ترا درين سراى با كافر جوانمرد عتاب نيست ومارا دران سراى با مؤمن جوا نمرد حساب نيست آن جوان كفت اكنون بدانستم كه دين شما حقست وراست ايمان برمن عرضه كنيد كه از جوانمردى من جز قوم من خبر ندا شتند اكنون يقين همى دانم كه اين سيد راست كويست أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله بس رسول خدا فرمودكه آن جوانمرد خلعت ايمان ببركت جوا نمردى يافت]:

جوانمرد اكر راست خواعى وليست كرم بيشه شاه مردان عليست

﴿**وإن تتولوا**﴾ عطف على أن تؤمنوا؛ أي: وإن تعرضوا عن الإيمان والتقوى وعما دعاكم إليه ورغبكم فيه من الإنفاق في سبيله. ﴿**يستبدل قوماً غيركم**﴾؛ أي: يذهبكم ويخلق مكانكم قوماً آخرين ﴿**ثم لا يكونوا أمثالكم**﴾ في التولي عن الإيمان والتقوى والإنفاق، بل يكونوا راغبين فيها وكلمة ثم للدلالة على أن مدخولها مما يستبعده المخاطب لتقارب الناس في الأحوال، واشتراك الجل في الميل إلى المال، والخطاب في تتولوا لقريش والبدل الأنصار، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، أو للعرب والبدل: العجم وأهل فارس.

كما روي أنه عليه السلام سئل عن القوم، وكان سلمان إلى جنبه، فضرب على فخذه، فقال: هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا؛ أي: معلقاً بالنجم المعروف لتناوله رجال من فارس، فدل على أنهم الفرس الذين أسلموا، وفيه فضيلة لهذه القبيلة.

وفي الحديث: «خيرتان من خلقه في أرضه: قريش خيرة الله من العرب، وفارس خيرة الله من العجم»، كما في «كشف الأسرار»: [ودر لباب آورده كه أبو الدرداء رضي الله عنه بعد از قرائت اين آيت مى كفت ابشروا يا بني فروخ ومراد بارسيانند].

قال في «القاموس»: فروخ كتنور أخو إسماعيل وإسحاق أبو العجم الذين في وسط البلاد، انتهى. وفيه إشارة إلى منقبة قوم يعرفون [بخواجكان] ونحوهم من كبار أهل الفرس وعظماء أهل الله منهم، وهم كثيرون. ومنهم: الشيخ سعدي الشيرازي. وقد تقطب من الفجر إلى الظهر ثم تركه باختياره على ما في «الواقعات المحمودية»، ثم هذا يدل على أن الله تعالى قد استبدل بأولئك الكفار غيرهم من المؤمنين. وقيل: معناه: وإن تتولوا كلكم عن الإيمان،

فحينئذٍ يستبدل غيركم. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الزخرف: ٣٣]، الآية.

قال بعضهم: لا يستقر على حقيقة بساط العبودية إلا أهل السعادة ألا تراه يقول: ﴿**وإن تتولوا**﴾، الآية. وفي الآية إشارة إلى أن الإنسان خلق ملولاً غير ثابت في طلب الحق وإن من خواصهم من يرغب في طلب الحق بالجد والاجتهاد من حسن استعداده الروحاني، ثم في أثناء السلوك بمجاهدة النفس ومخالفة هواها بظمأ النهار وسهر الليل تمل النفس من مكايدة الشيطان وطلب الرحمة، فيتولى عن الطلب بالخذلان، ويبتلى بالكفران إن لم يكن معاناً بجذبة العناية وحسن الرعاية، فالله تعالى قادر على أن يستبدل به قوماً آخرين في الطلب صادقين وعلى قدم العبودية ثابتين وقد داركتهم جذبات العناية موفقين للهداية، وهم أشد رغبة وأعز رهبة منكم، ثم لا يكونوا أمثالكم في الإعراض بعد الإقبال والإنكار بعد الإقرار وترك الشكر والثناء، بل يكونوا خيراً منكم في جميع الأحوال إظهاراً للقدرة على ما يشاء والحكمة فيما يشاء كذا في «التأويلات النجمية».

تمت سورة القتال بعون الملك المتعال وقت الضحوة الكبرى
من يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ذي الحجة الشريف
من السنة الثالثة عشرة بعد مائة وألف من هجرة من له العز والشرف

٤٨ ـ سورة الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الفتح سبع وعشرون آية مدنية بلا خلاف نزلت في رجع رسول الله عن مكة عام الحديبية وقال الزهري نزلت سورة الفتح من أولها إلى آخرها بين مكة والمدينة في شأن الحديبية قال البقاعي نزلت بضجنان بفتح الضاد المعجمة والجيم والنونين. في «القاموس»: ضجنان كسكران جبل قرب مكة وفي «إنسان العيون» نزلت بكراع الغميم وهو موضع على ثلاثة أميال من عسفان وهو كعثمان موضع على مرحلتين من مكة فإن قلت: إذا لم تنزل بالمدينة كيف تكون مدنية قلت المدني في الاصطلاح ما نزل بعد الهجرة نزل بالمدينة أو غيرها كما أن المكي ما نزل قبلها كما في «حواشي» سعدي المفتي.

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾.

﴿إنا فتحنا لك﴾ فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة أو صلحاً بحرب أو بدونه فإنه ما لم يظفر منغلق مأخوذ من فتح باب الدار قال في «عين المعاني» الفتح هو الفرج المزيل للهم لأن المطلوب كالمنغلق فإذا نيل انفتح وفي «المفردات»: الفتح إزالة الإغلاق والإشكال وذلك ضربان أحدهما يدرك بالبصر نحو فتح الباب والغلق والغفل والمتاع نحو قوله ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ﴾ [يوسف: ٦٥] والثاني: ما يدرك بالبصيرة كفتح الهم وهو إزالة الغم وذلك ضربان أحدهما في الأمور الدنيوية كغم يفرج وفقر يزال بإعطاء المال ونحوه والثاني فتح المستغلق من العلوم نحو قولك فلان فتح من العلم باباً مغلقاً انتهى وإسناده إلى نون العظمة لاستناد أفعال العباد إليه تعالى خلقاً وإيجاداً والمراد فتح مكة وهو المروي عن أنس رضي الله عنه بشر به رسول الله ﷺ عند انصرافه من الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضي على سنن سائر الأخبار الربانية للإيذان بتحققه لا محالة تأكيداً للتبشير كما أن تصدير الكلام بحرف التحقيق كذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظمة شأن المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وحذف المفعول للقصد إلى نفس الفعل والإيذان بأن مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح قال الإمام الراغب **﴿إنا فتحنا لك﴾** يقال عنى فتح مكة ويقال بل عنى ما فتح على النبي عليه السلام من العلوم والهدايات التي هي ذريعة إلى الثواب والمقام المحمود التي صارت سبباً لغفران ذنوبه انتهى وسيجيء غير هذا **﴿فتحاً مبيناً﴾** أي: بيناً ظاهر الأمر مكشوف الحال أو فارقاً بين الحق والباطل وقال بعضهم المراد بالفتح المبين هو الصلح مع قريش في غزوة الحديبية وهي كدوهية وقد تشدد بئر قرب مكة حرسها الله تعالى أو شجرة حدباء كانت

هنالك كما في «القاموس» سمي المكان باسمها وسببها أنه ﷺ رأى في المنام أنه دخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين أي: بعضهم محلق وبعضهم مقصر وأنه دخل البيت وأخذ مفتاحه وطاف هو وأصحابه واعتمر وأخبر بذلك أصحابه ففرحوا ثم أخبر أصحابه أنه يريد الخروج للعمرة فتجهزوا للسفر وخرج عليه السلام بعد أن اغتسل ببيته ولبس ثوبين وركب راحلته القصوى من عند بابه ومعه ألف وأربعمائة من المسلمين على الصحيح وأبطأ عليه كثير من أهل البوادي خشية قريش وساق عليه السلام معه الهدي سبعين بدنة وكان خروجه يوم الاثنين غرة ذي القعدة من السنة السادسة من الهجرة فلما وصل إلى ذي الحليفة وهو ميقات المدنيين صلى بالمسجد ركعتين وأحرم بالعمرة وأحرم معه غالب أصحابه ومنهم من لم يحرم إلا من الجحفة وهو ميقات أهل الشام وإنما خرج معتمراً ليأمن أهل مكة ومن حولها من حربه وليعلموا أنه عليه السلام إنما خرج زائراً للبيت فلما كان الأصحاب في بعض المحال أقبلوا نحوه عليه السلام وكان بين يديه ركوة يتوضأ منها فقال: ما لكم؟ فقالوا: يا رسول الله ليس عندنا ماء نشرب ولا ماء نتوضأ منه إلا في ركوتك فوضع رسول الله يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه الشريفة أمثال العيون فشربوا وتوضؤوا حتى قال جابر رضي الله عنه: لو كنا مائة ألف لكفانا وهو أعجب من نبع الماء لموسى عليه السلام من الحجر فإن نبعه من الحجر متعارف معهود وأما من بين اللحم والدم فلم يعهد وإنما لم يخرجه عليه السلام بغير ملامسة ماء تأدباً مع الله لأنه المنفرد بإبداع المعدومات من غير أصل وأرسل عليه السلام بشر بن سفيان إلى مكة عيناً له فلما كانوا بعسفان جاء وقال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بخروجك فلبسوا جلود النمر أي: أظهروا العداوة والحقد واستنفروا من أطاعهم من الأحابيش وهي قبيلة عظيمة من العرب ومعهم زادهم ونساؤهم وأولادهم ليكون أدعى لعدم الفرار وقد نزلوا بذي طوى وهو موضع بمكة مثلث الطاء ويصرف كما في «القاموس» يعاهدون الله أن لا ندخلها عليهم عنوة أبداً فقال عليه السلام: «أشيروا علي أيها الناس أتريدون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه؟» وقال المقداد: يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فقال عليه السلام فامضوا على اسم الله فساروا ثم قال: هل من رجل يخرجنا عن طريق إلى غير طريقهم التي هم بها؟ فقال رجل من أسلم وهو ناجية بن جندب: أنا يا رسول الله فسلك بهم طريقاً وعراً ثم أفضوا إلى أرض سهلة ثم أمر رسول الله أن يسلكوا طريقاً يخرجهم على مهبط الحديبية من أسفل مكة فسلكوا ذلك الطريق فلما نزلوا بالحديبية نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة ماء فاشتكى الناس إلى رسول الله العطش وكان الحر شديداً فأخرج عليه السلام سهماً من كنانته ودفعه إلى البراء بن عازب وأمره أن يغرزه في جوف البئر أو تمضمض رسول الله ثم مجه في البئر فجاش الماء ثم امتلأت البئر فشربوا جميعاً ورويت إبلهم وفي التفاسير ولم ينفد ماؤها بعد وفي «إنسان العيون»: فلما ارتحلوا من الحديبية أخذ البراء السهم فجف الماء كأن لم يكن هناك شيء فلما اطمأن رسول الله بالحديبية أتاه بديل بن ورقاء وكان سيد قومه فسأله ما الذي جاء به فأخبره أنه لم يأت يريد حرباً إنما جاء زائراً للبيت فلما رجع إلى قريش لم يستمعوا وأرسلوا الحليس بن علقمة وكان سيد الأحابيش فلم يعتمدوا عليه أيضاً وأرسلوا عروة بن مسعود الثقفي عظيم الطائف ومتمول العرب ولما قام عروة بالخبر

من عنده عليه السلام وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يغسل يديه إلا ابتدروا وضوءه أي: كادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه أي: يدلك به من وقع في يده وجهه وجلده ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ولا يحدون النظر إليه تعظيماً له فقال: يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه أخاف أن لا تنصروا عليه فقالت له قريش: لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور ولكن نرده عامنا هذا ويرجع من قابل فقال: ما أراكم إلا ستصيبكم قارعة ثم انصرف هو ومن معه إلى الطائف وأسلم بعد ذلك ودعا عليه السلام خراش بن أمية الخزاعي فبعثه إلى قريش وحمله عليه السلام على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقر وأجمل رسول الله وأرادوا قتل خراش فمنعه الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله وأخبره بما لقي ثم دعا رسول الله عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وما بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان رضي الله عنه فإن بني عمه يمنعونه فدعا عليه السلام عثمان فبعثه إلى أشراف قريش يخبرهم بالخبر وأمر عليه السلام عثمان أن يأتي رجالاً مسلمين بمكة ونساء مسلمات ويدخل عليهم ويخبرهم أن الله قرب أن يظهر دينه بمكة حتى لا يستخفي فيها بالإيمان فخرج عثمان رضي الله عنه إلى مكة ومعه عشرة رجال من الصحابة بإذن رسول الله ليزوروا أهاليهم هناك فلقي عثمان قبل أن يدخل مكة أبان بن سعيد فأجازه حتى يبلغ رسالة رسول الله وجعله بين يديه فأتى عظماء قريش فبلغهم الرسالة وهم يرددون عليه أن محمداً لا يدخل علينا أبداً فلما فرغ عثمان من تبليغ الرسالة قالوا له: إن شئت فطف بالبيت فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله وكانت قريش قد احتبست عثمان عندها ثلاثة أيام فبلغ رسول الله أن عثمان قد قتل وكذا من معه من العشرة فقال عليه السلام لا نبرح حتى نناجز القوم أي: نقاتلهم فأمره الله بالبيعة فنادى مناديه أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فاخرجوا على اسم الله فثاروا إلى رسول الله وهو تحت شجرة من أشجار السمر بضم الميم شجر معروف فبايعوه على عدم الفرار وأنه إما الفتح وإما الشهادة وبايع عليه السلام عن عثمان أي: على تقدير عدم صحة القول بقتله فوضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال: اللهم إن هذه عن عثمان فإنه في حاجتك وحاجة رسولك وسيجيء معنى المبايعة وقيل لها بيعة الرضوان لأن الله تعالى رضي عنهم وقال عليه السلام: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة وقال أيضاً: لا يدخل النار من شهد بدراً والحديبية» وأول من بايع سنان بن أبي سنان الأسدي فقال للنبي عليه السلام: أبايعك على ما في نفسك؟ قال: وما في نفسي؟ قال: اضرب بسيفي بين يديك حتى يظهرك الله أو أقتل وصار الناس يقولون: نبايعك على ما بايعك عليه سنان.

ـ روي ـ أن عثمان رضي الله عنه رجع بعد ثلاثة أيام فبايع هو أيضاً وكان محمد بن مسلمة على حرس رسول الله فبعث قريش أربعين رجلاً عليهم مكرز بن حفص ليطوفوا بعسكر رسول الله ليلاً رجاء أن يصيبوا منهم أحداً ويجدوا منهم غرة أي: غفلة فأخذهم محمد بن مسلمة إلا مكرزاً فإنه أفلت وأتى بهم إلى رسول الله فحبسوا وبلغ قريشاً حبس أصحابهم فجاء جمع منهم حتى رموا المسلمين بالنبل والحجارة وقتل من المسلمين ابن رسم رمي بسهم فأسر

المسلمون منهم اثني عشر رجلاً وعند ذلك بعثت قريش إلى رسول الله جمعاً فيهم سهيل بن عمرو فلما رآه عليه السلام قال لأصحابه: سهل أمركم وكان يحب الفأل بمثل هذا فقال سهيل: يا محمد إن ما كان من حبس أصحابك أي: عثمان والعشرة وما كان من قتال من قاتلك لم يكن من رأي ذوي رأينا بل كنا كارهين له حين بلغنا ولم نعلم وكان من سفهائنا فابعث إلينا من أصحابنا الذين أسروا أولاً وثانياً فقال عليه السلام: «إني غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابي» فقالوا: نفعل فبعث سهيل ومن معه إلى قريش بذلك فبعثوا من كان عندهم وهو عثمان والعشرة فأرسل رسول الله أصحابهم ولما علمت قريش بهذه البيعة كبرت عليهم وخافوا أن يحاربوا وأشار أهل الرأي بالصلح على أن يرجع ويعود من قابل فيقيم ثلاثاً فبعثوا سهيل بن عمرو ثانياً ومعه مكرز بن حفص وحويط بن عبد العزى إلى رسول الله ليصالحه على أن يرجع من عامه هذا لئلا يتحدث العرب بأنه دخل عنوة ويعود من قابل فلما رآه عليه السلام مقبلاً قال: أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل أي: ثانياً فالتأم الأمر بينهم على الصلح وإن كان بعض الأصحاب لم يرضوا به في أول الأمر حتى قالوا علام نعطي الدنية بفتح الدال وكسر النون وتشديد الياء النقيصة والخصلة المذمومة في ديننا وهم مشركون ونحن مسلمون فأشار عليه السلام بالرضى ومتابعة الرسول ثم دعا عليه السلام علياً فقال: اكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم فقال سهيل: لا أعرف هذا أي: الرحمٰن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم فكتبها لأن قريشاً كانت تقولها ثم قال رسول الله: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو» فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أصدك عن البيت ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه: «امح رسول الله» فقال: والله ما أمحوك أبداً فقال: «أرنيه» فأراه إياه فمحاه رسول الله بيده الشريفة وقال: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو وقال أنا والله رسول الله وإن كذبتموني وأنا محمد بن عبد الله وكان الصلح على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض ومن أتى محمداً من قريش ممن هو على دين محمد بغير إذن وليه رده إليه ذكراً كان أو أنثى ومن أتى قريشاً ممن كان مع محمد أي: مرتداً ذكراً كان أو أنثى لم ترده إليه» وسبب الأول أن في رد المسلم إلى مكة عمارة للبيت وزيادة خير له في الصلاة بالمسجد الحرام والطواف بالبيت فكان هذا من تعظيم حرمات الله وسبب الثاني أنه ليس من المسلمين فلا حاجة إلى رده وشرطوا أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه وأن بيننا وبينكم عيبة مكفوفة أي: صدوراً منطوية على ما فيها لا تبدي عداوة بل منطوية على الوفاء بالصلح وأنه لا إسلال ولا إغلال أي: لا سرقة ولا خيانة قال سهيل: وأنك ترجع عامك هذا فلا تدخل مكة وأنه إذا كان عام قابل خرج منها قريش فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثة أيام معك سلاح الراكب السيوف في القرب والقوس لا تدخلها بغيرهما وكان المسلمون لا يشكون في دخولهم مكة وطوافهم بالبيت ذلك العام للرؤيا التي رآها رسول الله فلما رأوا الصلح وما تحمله رسول الله في نفسه دخلهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون خصوصاً من اشتراط أن يرد إلى المشركين من جاء مسلماً منهم وكانت بيعة الرضوان قبل الصلح وأنها السبب الباعث لقريش عليه ولما فرغ رسول الله من الصلح وأشهد عليه رجالاً من المسلمين قام إلى هديه فنحره وفرق لحم الهدي على الفقراء الذين حضروا

الحديبية وفي رواية بعث إلى مكة عشرين بدنة مع ناجية رضي الله عنه حتى نحرت بالمروة وقسم لحمها على فقراء مكة ثم جلس رسول الله في قبة من أديم أحمر فحلق رأسه خداش الذي بعث إلى قريش كما تقدم ورمى شعره على شجرة فأخذه الناس تبركاً وأخذت أم عمارة رضي الله عنها طاقات منه فكانت تغسلها للمريض وتسقيه فيبرأ بإذن الله تعالى فلما رأوا رسول الله قد نحر رافعاً صوته باسم الله والله أكبر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون وقصر بعضهم كعثمان وأبي قتادة رضي الله عنهما وقال عليه السلام: «اللهم ارحم المحلقين دون المقصرين» قال: لأنهم لم يرجوا أن يطوفوا بالبيت بخلاف المقصرين أي: لأن الظاهر من حالهم أنهم أخروا بقية شعورهم رجاء أن يحلقوا بعد طوافهم وأرسل الله ريحاً عاصفة احتملت شعورهم فألقتها في قرب الحرم وإن كان أكثر الحديبية في الحرم فاستبشروا بقبول عمرتهم وأقام عليه السلام بالحديبية تسعة عشر أو عشرين يوماً ثم انصرف قافلاً إلى المدينة فلما كان بين الحرمين وأتى بكراع الغميم على ما في «إنسان العيون» وغيره أنزلت عليه سورة الفتح وحصل للناس مجاعة هموا أن ينحروا ظهورهم فقال عليه السلام: «ابسطوا أنطاعكم وعباءكم ففعلوا ثم قال: من كان عنده بقية من زاد أو طعام فلينشره» ودعا لهم ثم قال: «قربوا أوعيتكم» فأخذوا ما شاء الله وحشوا أوعيتهم وأكلوا حتى شبعوا وبقي مثله وقال عليه السلام لرجل من أصحابه: «هل من وضوء» بفتح الواو وهو ما يتوضأ به فجاء بأداوة وهي الركوة فيها ماء قليل فأفرغها في قدح ووضع راحته الشريفة في ذلك الماء قال الراوي: فتوضأنا كلنا أي: الألف والأربعمائة نصبه صباً شديداً ولما أنزلت سورة الفتح قال عليه السلام لأصحابه: «أنزلت علي سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس» وفي رواية لقد أنزلت علي سورة ما يسرني بها حمر النعم والحمر بسكون الميم جمع أحمر والنعم بفتحتين تطلق على جماعة الإبل لا واحد لها من لفظها والمراد بحمر النعم الإبل الحمر وهي من أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منها ثم قرأ السورة عليهم وهنأهم وهنؤوه يعني [إيشانرا تهنيه كفت وأصحاب نيزويرا مبارك بادكفتند] وتكلم بعض الصحابة وقال: هذا ما هو بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فقال عليه السلام لما بلغه بئس الكلام بل هو أعظم الفتح لقد رضي المشركون أن يدفعوكم بالبراح عن بلادهم وسألوكم القضية أي: الصلح والتجؤوا إليكم في الأمان وقد رأوا منكم ما كرهوا وظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين فهو أعظم الفتوح أنسيتم يوم أحد وأنا أدعوكم في أخراكم؟ أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا؟ فقال المسلمون: صدق الله ورسوله هو أعظم الفتوح والله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ولأنت أعلم بالله وبأمره منا وقال له عمر رضي الله عنه: ألم تقل إنك تدخل مكة آمناً قال: بلى أفقلت لكم من عامي هذا؟ قالوا: لا قال: فهو كما قال جبريل فإنكم تأتونه وتطوفون به أي: لأنه جاءه الوحي بمثل ما رأى وذكر بعضهم أنه عليه السلام لما دخل مكة في العام القابل وحلق رأسه قال هذا الذي وعدتكم فلما كان يوم الفتح وأخذ المفتاح قال هذا الذي قلت لكم.

يقول الفقير: لا شك أن الأصحاب رضي الله عنهم لم يشكوا في أمر النبي عليه السلام ولم يكن كلامهم معه من قبيل الاعتراض عليه وإنما سألوه استعلاماً لما داخلهم شيء مما لا يخلو عنه البشر فإن الأمر عميق وإلا فأدنى مراتب الإرادة في باب الولاية ترك الاعتراض فكيف

في باب النبوة ولله تعالى حكم ومصالح في إيراد إنا فتحنا بصيغة الماضي فإنه بظاهره ناطق بفتح الصلح وبحقيقته مشير إلى فتح مكة في الزمان الآتي وكل منهما فتح أي: فتح وحاصل ما قال العلماء أنه سمي الصلح فتحاً مع أنه ليس بفتح لا عرفاً لأنه ليس بظفر على البلد ولا لغة لأنه ليس بظفر للمنغلق كيف وقد أحصروا ومنعوا من البيت فنحروا وحلقوا بالحديبية وأي ظفر في ذلك فالجواب أن الصلح مع المشركين فتح بالمعنى اللغوي لأنه كان منغلقاً ومتعذراً وقت نزولهم بالحديبية إلا أنه لما آل الأمر إلى بيعة الرضوان وظهر عند المشركين اتفاق كلمة المؤمنين وصدق عزيمتهم على الجهاد والقتال ضعفوا وخافوا حتى اضطروا إلى طلب الصلح وتحقق بذلك غلبة المسلمين عليهم مع أن ذلك الصلح قد كان سبباً لأمور أخر كانت منغلقة قبل ذلك منها: أن المشركين اختلطوا بالمسلمين بسببه فسمعوا كلامهم وتمكن الإسلام في قلوبهم وأسلم في مدة قليلة خلق كثير كثر بهم سواد أهل الإسلام حتى قالوا دخل في تلك السنة في الإسلام مثل من دخل فيه قبل ذلك وأكثر وفرغ عليه السلام بهذا الصلح لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع خصوصاً خيبر واغتنم المسلمون واتفقت في تلك السنة ملحمة عظيمة بين الروم وفارس غلبت فيها الروم على فارس وكانت غلبتهم عليهم من دلائل النبوة حيث كان عليه السلام وعد بوقوع تلك الغلبة في بضع سنين وهو ما بين الثلاث إلى التسع فكانت كما وعد بها فظهر بها صدقه عليه السلام فكانت من جملة الفتح وسر به عليه السلام والمؤمنون لظهور أهل الكتاب على المجوس إلى غير ذلك من فتوحات الله الجليلة ونعمه العظيمة ﴿ليغفر لك الله﴾ غاية للفتح من حيث إنه مترتب على سعيه عليه السلام في إعلاء كلمة الله بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب قال بعضهم لما لم يظهر وجه تعليل الفتح بالمغفرة جعل الفتح مجازاً مرسلاً عن أسباب الفتح ليغفر لك فالفتح معلول مترتب على الأفعال المؤدية إلى المغفرة وأن المغفرة علة حاملة على تلك الأفعال فصح جعلها علة لما ترتب على تلك الأفعال وهو الفتح وجعل الزمخشري فتح مكة علة للمغفرة وهو أوفق للمذهب الحق لأن أفعال الله تعالى لا تعلل بالأغراض على مذهبهم فليست اللام على حقيقتها بل هي إما للصيرورة والعاقبة أو لتشبيه مدخولها بالعلة الغائية في ترتبها على متعلقها وأيضاً أن العلة الغائية لها جهتا علية ومعلولية على ما تقرر فلا لوم على من نظر إلى جهة المعلولية كالزمخشري لظهور صحته كما في «حواشي» سعدي المفتي والالتفات إلى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للإشعار بأن كل واحد مما انتظم في سلك الغاية من أفعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى قال ابن الشيخ في إظهار فاعل قوله: ﴿ليغفر لك﴾ ﴿وينصرك﴾ إشعار بأن كل واحد من المغفرة والنصرة متفرع على الألوهية وكونه معبوداً بالحق والمغفرة ستر الذنوب ومحوها.

قال بعض الكبار: المغفرة أشد عند العارفين من العقوبة لأن العقوبة جزاء فتكون الراحة عقيب الاستيفاء فهو بمنزلة من استوفى حقه والغفران ليس كذلك فإنك تعرف أن الحق عليك متوجه وأنه أنعم عليك بترك المطالبة فلا تزال خجلاً ذا حياء ولهذا إذا غفر الله تعالى للعبد ذنبه أحال بينه وبين تذكره وأنساه إياه وأنه لو تذكره لاستحيا ولا عذاب على النفوس أعظم من الحياء حتى يود صاحب الحياء أنه لم يكن شيئاً كما قالت مريم الكاملة: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾ [مريم: ٢٣] هذا حياء من المخلوقين فكيف بالحياء من الله تعالى فيما

فعل العبد من المخالفات؟ ومن هذا الباب ما حكي أن الفضيل قدس سره وقف في بعض حجاته ولم ينطق بشيء فلما غربت الشمس قال: واسوأتاه وإن عفوت، قال الصائب:

هركز نداد شرم مرا رخصت نكاه در هجر ووصل روى بديوار داشتم

﴿ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ أي: جميع ما فرط منك من ترك الأولى وتسميته ذنباً بالنظر إلى منصبه الجليل لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين على ما قاله أبو سعيد الخراز قدس سره: وفي «المثنوي»:

آنكه عين لطف باشد برعوام قهر شد برعشق كيشان كرام

قال بعضهم: أي: جميع ما صدر منك قبل النبوة وبعدها مما يطلق عليه الذنب قال في «شرح المواقف»: حمله على ما تقدم على النبوة وما تأخر عنها لا دلالة للفظ عليه إذ يجوز أن يصدر عنه قبل النبوة صغيرتان إحداهما متقدمة على الأخرى انتهى. وفيه أنه يصح أن يطلق على كل من الصغيرتين أنهما قبل النبوة فإن التقدم والتأخر إضافي وهو اللائح قال أهل الكلام: إن الأنبياء معصومون من الكفر قبل الوحي وبعده بإجماع العلماء ومن سائر الكبائر عمداً بعد الوحي وأما سهواً فجوزه الأكثرون وأما الصغائر فتجوز عمداً عند الجمهور وسهواً بالاتفاق وأما قبل الوحي فلا دليل بحسب السمع أو العقل على امتناع صدور الكبيرة وقال عطاء الخراساني: ﴿ما تقدم من ذنبك﴾ أي: ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك روي أن آدم لما اعترف بالخطيئة قال: يا رب بحق محمد أن تغفر لي فقال الله: «يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه قال: لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا اسم أحب الخلق إليك فقال الله: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي فغفرت لك ولولا محمد لما خلقتك» رواه البيهقي في «دلائله» وما تأخر من ذنوب أمتك بدعوتك وشفاعتك: (سلمى قدس سره فرمودكه ذنب آدم رابوى اضافت كردچه در وقت زلت در صلب وى بوده وكناه امت را بوى اسناد فرمودچه أو پيش رودكار ساز ايشانست).

وقال ابن عطاء قدس سره لما بلغ عليه السلام سدرة المنتهى ليلة المعراج قدم هو وأخر جبريل فقال لجبريل تتركني في هذا الموضع وحدي فعاتبه الله حين سكن إلى جبريل فقال: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ فيكون كل من الذنبين بعد النبوة وقال سفيان الثوري رحمه الله ما تقدم ما عملت في الجاهلية وما تأخر ما لم تعمله قال في «كشف الأسرار»: ويذكر مثل ذلك على طريق التأكيد كما يقال أعطى من رآه ومن لم يره وضرب من لقيه ومن لم يلقه انتهى لكن فيه أنه خارج من أدب العبارة فالواجب أن يقال ما تقدم أي: ما عملت قبل الوحي وقيل ما تقدم من ذنب يوم بدر وما تأخر من ذنب يوم حنين حيث قال يوم بدر: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض أبداً» وكرره مراراً فأوحى الله إليه من أين تعلم أني لو أهلكتها لا أعبد أبداً؟ فكان هذا الذنب المتقدم وقال يوم حنين بعد أن هزم الناس ورجعوا إليه «لو لم أرمهم» أي: الكفار بكف الحصى «لم يهزموا فأنزل الله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]» وهو الذنب المتأخر لكن فيه أن المتأخر متأخر عن الوقعة فيكون وعداً بغفران ما سيقع منه قال في «بحر العلوم»: وأبعد من هذا قول أبي علي الروذبادي رحمه الله: لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه لك انتهى.

يقول الفقير: أبو علي قدس سره من كبار العارفين فكيف يصدر عنه ما هو أبعد عند العقول بل كلامه من قبيل قوله: «من عرف الله عرف كل شيء» يعني لو تصورت معرفة الله لأحد وهي لا تتصور حقيقة وكذا لو تصور منه عليه السلام ذنب لغفر له لكنه لا يتصور لأنه في جميع أحواله إما مشتمل بواجب أو بمندوب لا غير فهو كالملائكة في أنه لا يصدر منه المخالفة ولي معنى آخر في هذا المقام وهو أن المراد بالمغفرة الحفظ والعصمة أزلاً وأبداً فيكون المعنى ليحفظك الله ويعصمك من الذنب المتقدم والمتأخر فهو تعالى إنما جاء بما تقدم إشارة إلى أنه عليه السلام محفوظ معصوم في اللاحق كما في السابق فاعرفه.

وفي «الفتوحات المكية»: استغفار الأنبياء لا يكون عن ذنب حقيقة كذنوبنا وإنما هو عن أمر يدق عن عقولنا لأنه لا ذوق لنا في مقامهم فلا يجوز حمل ذنوبهم على ما نتعقله نحن من الذنب انتهى. ومؤاخذة الله عباده في الدنيا والآخرة تطهير لهم ورحمة وفي حق الأنبياء من جهة العصمة والحفظ والعقاب لا يكون إلا في مذنب والعقوبة تقتضي التأخر عن المتقدم لأنها تأتي عقبه فقد تجد العقوبة الذنب في المحل وقد لا تجده إما بأن يقلع عنه وإما أن يكون الاسم العفو والغفور استوليا عليه بالاسم الرحيم فزال فترجع العقوبة حاسرة ويزول عن المذنب اسم الذنب لأنه لا يسمى مذنباً إلا في حال قيام الذنب به كما في كتاب «الجواهر والدرر» للشعراني وقال الشعراني في «الكبريت الأحمر» قلت: ويجوز حمل نحو قوله: ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ على نسبة الذنب إليه من حيث إن شريعته هي التي حكمت بأنه ذنب فلولا أوحي به إليه ما كان ذنباً فجميع ذنوب أمته يضاف إليه وإلى شريعته بهذا التقدير وكذلك ذنب كل نبي ذكره الله وقد قالوا لم يعص آدم وإنما عصى بنوه الذين كانوا في ظهره فما كان قوله ليغفر لك إلخ إلا تطميناً له عليه السلام أن الله قد غفر جميع ذنوب أمته التي جاءت بها شريعته ولو بعد عقوبة بإقامة الحدود عليهم في دار الدنيا كما وقع لماعز ومن الواجب على كل مؤمن انتحال الأجوبة للأكابر جهده وذلك مما يحبه الله ويحبه من أحبنا عنه فافهم هذا اعتقادنا الذي نلقى الله عليه إن شاء الله تعالى انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً يشير إلى فتح باب قلبه عليه السلام إلى حضرة ربوبيته بتجلي صفات جماله وجلاله وفتح ما انغلق على جميع القلوب ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك أي: ليستر لك بأنوار جلاله ما تقدم من ذنب وجودك من بدء خلق روحك وهو أول شيء تعلقت به القدرة كما قال أول ما خلق الله روحي وفي رواية نوري وما تأخر أي: من ذنب وجودك إلى الأبد وذنب الوجود هو الشركة في الوجود وغفره ستره بنور الوحدة لمحو آثار الاثنينية انتهى. وقال بعض الأكابر:

اعلم أن فتوح رسول الله ﷺ ثلاثة: أولها: الفتح القريب وهو فتح باب القلب بالترقي عن مقام النفس وذلك بالمكاشفات الغيبية والأنوار اليقينية وقد شاركه في ذلك أكثر المؤمنين، وثانيها: الفتح المبين بظهور أنوار الروح وترقي القلب إلى مقامه وحينئذٍ تترقى النفس إلى مقام القلب فتستتر صفاتها المظلمة بالأنوار القلبية وتنتفي بالكلية وذلك معنى قوله تعالى: ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ فالسابقة الهيئات المظلمة على فتح باب القلب والمتأخرة الهيئات النورانية المكتسبة بالأنوار القلبية التي تظهر في التلوينات فيخفى حالها ولا تنتفي هذه بالفتح القريب وإن انتفت الأولى لأن مقام القلب لا يكمل إلا بعد الترقي إلى مقام الروح

واستيلاء أنواره على القلب فيظهر تلوين القلب وينتفي تلوين النفس بالكلية ويحصل في هذا الفتح مغانم المشاهدات الروحية والمسامرات السرية، وثالثها: الفتح المطلق المشار إليه بقوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] وهو فتح باب الوحدة بالفناء المطلق والاستغراق في عين الجمع بالشهود الذاتي. وظهور النور الأحدي فمن صحت له متابعة النبي عليه السلام أثابه الله مغانم كثيرة وفتوحات فإن حسن المتابعة سبب لفيضان الأنوار الإلهية بواسطة روحانية النبي عليه السلام.

قال الشيخ سعدي قدس سره:

خلاف پيمبر كسى ره كزيد كه هركز بمنزل نخواهد رسيد
مپندار سعدى كه راه صفا توان رفت جزبرپى مصطفى

وذلك أن الفلاسفة والبراهمة والرهابنة ادعوا معرفة الله والوصول إليه بطريق العقل والرياضة والمجاهدة من غير متابعة الأنبياء وإرشاد الله تعالى فانقطعوا دون الوصول إليه **﴿ويتم نعمته عليك﴾** بإعلاء الدين وضم الملك إلى النبوة وغيرهما مما أفاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية **﴿ويهديك صراطاً مستقيماً﴾** في تبليغ الرسالة وإقامة مراسم الرياسة وأصل الاستقامة وإن كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلاً قبل **﴿وينصرك الله﴾** إظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولإظهار كمال العناية بشأن النصر كما يعرب عنه تأكيده بقوله تعالى: **﴿نصراً عزيزاً﴾** أي: نصراً فيه عزة ومنعة فعزيزاً للنسبة أي: ذا عز.

قال في «فتح الرحمٰن»: النصر العزيز هو الذي معه غلبة العدو والظهور عليه والنصر غير العزيز هو الذي معه الحماية ودفع العدو فقط انتهى أو نصراً قوياً منيعاً على وصف المصدر بوصف صاحبه أي: المنصور مجازاً للمبالغة ولم يجعل وصفاً بوصف الناصر لقلة الفائدة فيه لأن القصد بيان حال المخاطب لا المتكلم أو نصراً عزيزاً صاحبه ثم الظاهر أن المراد من ذلك النصر هو ما ترتب على فتح مكة من النصر على الأعداء كهوازن وغيرهم ونصر أمته على الأكاسرة والقياصرة وكانت الحكمة في قتال بعض الرسل لمن خالفهم إنما هي لمخالفة ما فطروا عليه من التوحيد الموجبة تلك المخالفة لفساد ذلك الفطر الذي هم فيه بأعمالهم وأحوالهم الفاسدة التي لا يحصل منها إلا حل نظام الأسباب وتبديد ما ذلك الشخص مأمور بحفظه عن ذلك كله فالنبي رحمة للخلق ولو بعث بالسيف وقس عليه سائر من تصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ابن عطاء قدس سره: جمع الله لنبيه في هذه السورة نعماً مختلفة من الفتح المبين وهو من أعلام الإجابة والمغفرة وهي من أعلام المحبة وإتمام النعمة وهي من أعلام الاختصاص والهداية وهي من أعلام التحقق بالحق والنصر وهو من أعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب وإتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة والهداية هي الدعوة إلى المشاهدة والنصرة هي رؤية الكل من الحق من غير أن يرجع إلى ما سواه نسأل الله أن ينصرنا ببذل الوجود المجازي في وجوده الحقيقي.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾

﴿هو الذي أنزل السكينة﴾ بيان لما أفاض عليهم من مبادي الفتح من الثبات والطمأنينة

يعني أنزلها ﴿في قلوب المؤمنين﴾ بسبب الصلح والأمن بعد الخوف لأنهم كانوا قليلي العدة بسبب أنهم معتمرون وكان العدو مستعدين لقتالهم مع ما لهم من القوة والشوكة وشدة البأس فثبتوا وبايعوا على الموت بفضل الله تعالى.

وقال الكاشفي ونحوه:

[چون در صلح حديبيه صحابه خالى ازدغدغه وترددى نبودند حق سبحانه وتعالى فرمود هو الذي إلخ]. فالمراد ثبتوا واطمأنوا بعد أن ماجوا وزلزلوا حتى عمر الفاروق رضي الله عنه على ما عرف في القصة وذلك القلق والاضطراب إنما هو لما دهمهم من صد الكفار ورجوعهم دون بلوغ مقصودهم وكانوا يتوقعون دخول مكة في ذلك العام آمنين للرؤيا التي رآها عليه السلام على ما سبق ﴿ليزدادوا﴾ تازيادت كند ﴿إيماناً﴾ مفعول يزدادوا كما في قوله تعالى: ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥] ﴿مع إيمانهم﴾ أي: يقيناً منضماً إلى يقينهم الذي هم عليه برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها ومن ثمة قال عليه السلام: لو وزن إيمان أبي بكر مع الثقلين لرجح وكلمة مع في إيمانهم ليست على حقيقتها لأن الواقع في الحقيقة ليس انضمام يقين إلى يقين لامتناع اجتماع المثلين بل حصول نوع يقين أقوى من الأول فإن له مراتب لا تحصى من أجلى البديهيات إلى أخفى النظريات ثم لا ينفي الأول ما قلنا وذلك كما في مراتب البياض ما حقق في مقامه ففيها استعارة أو المعنى أنزل فيها السكون إلى ما جاء به النبي عليه السلام من الشرائع ليزدادوا إيماناً بها مقروناً مع إيمانهم بالوحدانية واليوم الآخر فكلمة القرآن حينئذٍ على حقيقتها والقرآن في الحقيقة لتعلق الإيمان بزيادة متعلقه فلا يلزم اجتماع المثلين وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن أول ما أتاهم به النبي عليه السلام التوحيد ثم الصلاة والزكاة ثم الحج والجهاد حتى أكمل لهم دينهم كما قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] فازدادوا إيماناً مع إيمانهم فكان الإيمان يزيد في ذلك الزمان بزيادة الشرائع والأحكام وأما الآن فلا يزيد ولا ينقص بل يزيد نوره ويقوى بكثرة الأعمال وقوة الأحوال فهو كالجوهر الفرد فكما لا يتصور الزيادة والنقصان في الجوهر الفرد من حيث هو فكذا في الإيمان وأما قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فالكفر بالطاغوت هو عين الإيمان بالله في الحقيقة فلا يلزم أن يكون الإيمان جزءاً.

قال بعض الكبار: الإيمان الحقيقي هو إيمان الفطرة التي فطر الله الناس عليها لا تبديل لها ويتحقق بالخاتمة وما بينهما يزيد الإيمان فيه وينقص والحكم للخاتمة لأنها عين السابقة فيحمل قول من قال: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص على إيمان الفطرة الذي حقيقته ما مات عليه ويحمل قول من قال: إن الإيمان يزيد وينقص على الحالة التي بين السابقة والخاتمة من حين يتعقل التكاليف فتأمل ذلك فإنه نفيس انتهى وقال حضرة الهدائي قدس سره في «مجالسة المنيفة»: ليزدادوا إيماناً وجدانياً ذوقياً عينياً مع إيمانهم العلمي الغيبي فإن السكينة نور في القلب يسكن به إلى ما شاهده ويطمئن وهو من مبادي عين اليقين بعد علم اليقين كأنه وجدان يقيني معه لذة وسرور وفي «المفردات» قيل إن السكينة ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه كما ورد أن السكينة لتنطق على لسان عمر وقال بعض الكبار: السكينة تطلق على ثلاثة أشياء بالاشتراك اللفظي أو لها ما أعطي بنو إسرائيل في التابوت كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٨] قال المفسرون: هي ريح ساكنة

طبيعة تخلع قلب العدو بصوتها رعباً إذا التقى الصفان وهي معجزة لأنبيائهم وكرامة لملوكهم والثاني: شيء من لطائف صنع الحق يلقي على لسان المحدث الحكمة كما يلقي الملك الوحي على قلوب الأنبياء مع ترويح الأسرار وكشف السر والثالث هي التي أنزلت على قلب النبي عليه السلام وقلوب المؤمنين وهي شيء يجمع نوراً وقوة وروحاً يسكن إليه الخائف ويتسلى به الحزين كما قال تعالى ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦] انتهى.

وقال بعض الكبار: إن الأنبياء والأولياء مشتركون في تنزل الملائكة عليهم ومختلفون فيما نزلت به فإن ملك الإلهام لا ينزل على الأولياء بشرع مستقل أبداً وإنما ينزل عليهم بالاتباع وبإفهام ما جاء به نبيهم مما لم يتحقق الأولياء بالعلم به فكل فيض ونور وسكينة إنما ينزل من الله تعالى بواسطة الملك أو بلا واسطته وإن كان فرق عظيم بين حال النبي والولي فإنه كما أن النبي أفضل وأولى فكذا وارده أقوى وأولى نسأل الله فضله وسكينته.

هرآنكه يافت زفضل خدا سكينت دل   نماند در حرم سينه اش تردد وغل

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الجنود جمع جند بالضم وهو جمع معد للحرب أي: مختص به تعالى جنود العالم يدبر أمرها كيفما يشاء يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينها السلم أخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح.

وقال الكاشفي: ومرخدا يراست لشكرهاى آسمانها از ملائكة وجنود زمين ازمؤمنان مجاهد پس اى أهل إيمان جهاد كنيدربنصرت الهي واثق باشيدكه هركه لشكر آسمان وزمين در حكم وى بود بلكه ذرات كون سپاه وى بوده باشند اولياى خودرا در وقت غزابا عداى خود فرونكذارد.

نصرت از وطلب كه بميدان قدرتش   هرذره بهلواني وهرپشه صفدريست

قال بعضهم: كل ما في السماوات والأرض بمنزلة الجند له لو شاء لانتصر به كما ينتصر بالجند وتأويل الآية لم يكن صد المشركين رسول الله عن قلة جنود الله ولا عن وهن نصره لكن عن علم الله واختياره انتهى وفي «فتح الرحمٰن» ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل وقال بعضهم: هممٍ سمٰوات أرواح العارفين وقصور أرض قلوب المحبين وأنفاسهم جنوده ينتقم بنفس منهم من جميع أعدائه فيقهرهم دعا نوح عليه السلام على قومه فقال: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] فهلك به أهل الأرض جميعاً إلا من آمن ودعا موسى عليه السلام على القبط فقال: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨] فصارت حجارة ولم يؤمنوا حتى رأوا العذاب الأليم وقال سيد البريات عليه أفضل التحيات حين رمى الحصى على وجوه الأعداء شاهت الوجوه فانهزموا بإذن الله تعالى وكذا حال كل ولي وارث قاهر من أهل الأنفاس بل كل ذرة من العرش إلى الثرى جند من جنوده تعالى حتى لو سلط نملة على حية عظيمة لهلكت وقد قيل الدبة إذا ولدت ولدها رفعته في الهواء يومين خوفاً من النمل لأنها تضعه لحمة كبيرة غير متميزة الجوارح ثم تميز أولاً فأولاً وإذا جمع بين العقرب والفأرة في إناء زجاج قرضت الفأرة إبرة العقرب فتسلم منها ويكفي قصة البعوض مع نمرود.

وفي «المثنوي»:

جمله ذرات زمين وآسمان   لشكر حقند كاه امتحان

بادرا ديديكه باعادان چه كرد | آب را ديديكه باطوفان چه كرد
آنچه برفرعون زدآن بحركين | وآنچه باقارون نموداست اين زمين
آنچه باآن پيلبانان پيل كرد | وآنچه پشه كله نمرود خورد
وآنكه سنك انداخت داودى بدست | كشت ششصد پاره ولشكر شكست
سنك مى باريد بااعداى لوط | تاكه درآب سيه خوردند غوط
دست بركافر كواهى مى دهد | لشكر حق مى شود سرمى نهد
كربكويد چشم راكور افشاره | دردچشم از توبرآرد صددمار
كربدندان كويد اوبنما وبال | پس به بينى توزندان كوشمال

فلا بد من التوكل على الله فإنه عون كل ضعيف وحسب كل عاجز قال بعضهم ما سلط الله عليك فهو من جنوده إن سلط عليك نفسك أهلك نفسك بنفسك وإن سلط عليك جوارحك أهلك جوارحك بجوارحك وإن سلط نفسك على قلبك قادتك في متابعة الهوى وطاعة الشيطان وإن سلط قلبك على نفسك وجوارحك زمها بالأدب فألزمها العبادة وزينها بالإخلاص في العبودية ﴿وكان الله﴾ أزلاً وأبداً ﴿عليماً﴾ مبالغاً في العلم بجميع الأمور ﴿حكيماً﴾ في تقديره وتدبيره فكان بمعنى كان ويكون أي: دالة على الاستمرار والوجود بهذه الصفة لا معينة وقتاً ماضياً وقال بعض الكبار ولله جنود السماوات من الأنوار القدسية والإمدادات الروحانية وجنود الأرض من الصفات النفسانية والقوى الطبيعية فيغلب بعضها على بعض فإذا غلب الأولى على الأخرى حصلت السكينة وكمال اليقين وإذا عكس وقع الشك والريب وكان الله عليماً بسرائرهم ومقتضيات استعداداتهم وصفاء فطرة الفريق الأول وكدورة نفوس الفريق الثاني حكيماً فيما فعله.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولله جنود السماوات والأرض﴾ أي: كلها دالة على وحدانيته تعالى وهي جنود الله بالنصرة لعباده في الظفر بمعرفته وكان الله عليماً بمن هو أهل النصرة للمعرفة حكيماً فيما حكم في الأزل لهم.

﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾.

﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السماوات والأرض له تعالى من معنى التصرف والتدبير أي: دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله في ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة ﴿ويكفر عنهم سيئاتهم﴾ هذا بإزاء قوله: ﴿ليغفر لك الله﴾ أي: يغطيها ولا يظهرها قبل أن يدخلهم الجنة ليدخلوها مطهرين من الآثام وتقديم الإدخال على التكفير مع أن الترتيب في الوجود على العكس من حيث إن التخلية قبل التحلية للمسارعة إلى بيان ما هو المطلب الأعلى ﴿وكان ذلك﴾ أي: ما ذكر من الإدخال والتكفير ﴿عند الله فوزاً عظيماً﴾ لا يقادر قدره لأنه منتهى ما يمتد إليه أعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر والفوز الظفر مع حصول السلامة وعند الله حال من فوزاً لأنه صفته في الأصل فلما قدم عليه صار حالاً أي: كائناً عند الله تعالى أي: في علمه

وقضائه ﴿ويعذب المنافقين والمنافقات﴾ من أهل المدينة ﴿والمشركين والمشركات﴾ من أهل مكة عطف على يدخل والتعذيب هو ما حصل لهم من الغيظ بنصر المؤمنين وفي تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على أنهم أحق منهم بالعذاب وقد تثاقل كثير منهم فلم يخرجوا معه عليه السلام ثم اعتذروا فقالوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ولو صدقوا عند الناس فما صدقوا عند الله وقد قال تعالى: ﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩] أي: صدقهم عند الله لا عند الخلق ولذلك قال عليه السلام: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» إشارة إلى مقام التحقيق والتصديق فإن الدعوى بغير برهان كذب.

برهان ببايد صدق را ورنه زدعواها چه سود

﴿الظانين بالله ظن السوء﴾ صفة لطائفتي أهل النفاق وأهل الشرك وظن السوء منصوب على المصدر والإضافة فيه كالإضافة في سيف شجاع من حيث إن المضاف إليه في الحقيقة هو موصوف هذا المجرور والتقدير سيف رجل شجاع فكذا التقدير هنا ظن الأمر السوء وهو أن الله لا ينصر رسوله ولا يرجعهم إلى مكة فاتحين وإلى المدينة سالمين كما قال ﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسل والمؤمنون إلى أهليهم أبداً﴾ وبالفارسية: كمان بردند بخدا كمان بد. وقال في «كشف الكشاف» إن ظن السوء مثل رجل صدق أي: الظن السيىء الفاسد المذموم انتهى وعند البصريين لا يجوز إضافة الموصوف إلى صفته ولا عكسها لأن الصفة والموصوف عبارتان عن شيء واحد فإضافة أحدهما إلى الآخر إضافة الشيء إلى نفسه.

وفي «التأويلات النجمية»: الظانين بالله ظن السوء في ذاته وصفاته بالأهواء والبدع وفي أفعاله وأحكامه بالظلم والعبث قال بعض العارفين مثال من أحسن في الله ظنه مثال من سلط الله عليه الشيطان ليفتنه ويمتحنه فلما جاءه الشيطان أخبره بأنه رسول من عند الله وأنه رسول رحمة وقال: جئتك لأشد عضدك في الخير وألهمك رشدك لتكون عند ربك في درجة العرش فحسن بربه ظنه وخر ساجداً فصير الله له الشيطان ملكاً كما ظن كما روي أن الجن صنعت لسليمان عليه السلام أرضاً وصفحتها بالزمرد الأخضر وخصبتها باللؤلؤ والجواهر لتفتنه بها وهو لا يعلم فرأى أن ذلك من مواهب ربه له في دار الدنيا فخر ساجداً لله فأثبتها الله له أرضاً مقدسة كما ظن إلى أن مات على حسن ظنه بربه ومثال من أساء بربه ظنه مثال من أرسل الله إليه ملك رحمة ليرشده للخير فقال: إنما أنت شيطان حيث تغويني فصير الله له الملك شيطاناً كما ظن وفي الحديث: «أنا عند ظن عبدي بي» وقال عليه السلام قبل موته بثلاثة أيام: «لا يموتن أحد إلا وهو يحسن الظن بالله وهو من أمارات اليقين». در روايت آمده است از بعض صحابه رسول عليه السلام كه رسول اورا خبر داده بودكه تو والى شوى در مصر حكم كنى وقتى قلعه را حصار كرده بودند وآن صحابي نيز در ميان بو دسائر اصحابرا كفت مردار كفه منجنيق نهيدو بسوى كفار در قلعه اندازيد چون من آنجا رسم قتال كنم ودر حصار بكشايم چون از سبب اين جرأت پرسيدند كفت رسول ﷺ مراخبرداده است كه من والى مصر شوم وهنوز نشدم يقين ميدانم كه نميرم تا والى نشوم فهم كن كه قوت ايمان اينست والا ازروى عرف معلوم است كه چون كسى را در كفه منجنيق نهند وبيندازند حال اوچه باشد. ظاهر وباطن ما آينه يكديكرند. سينه صاف ترازاب روانم دادند ﴿عليهم دائرة السوء﴾ أي: ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم لا يتجاوزهم إلى غيرهم فقد أكذب الله ظنهم وقلب ما يظنونه بالمؤمنين

عليهم بحيث لا يتخطاهم ولا يظفرون بالنصرة أبداً وهذا كقوله تعالى: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [التوبة: ٩٨] وبالفارسية: وبرين كمان برند كانست كردش بديعنى ايشان منكوب ومغلوب خواهندشد. قال المولى أبو السعود في التوبة قوله عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما أرادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤] بعد قول اليهود ما قالوا انتهى فإن قلت: كيف يحمل على الدعاء وهو للعاجز عرفاً والله منزه عن العجز؟ قلت: هذا تعليم من الله لعباده أنه يجوز الدعاء عليهم كقوله: ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٠] ونحوه قال ابن الشيخ: السوء بالفتح صفة مشبهة من ساء يسوء بضم العين فيها سوءاً فهو سوء ويقابله من حيث المعنى قولك حسن يحسن حسناً فهو حسن وهو فعل لازم بمعنى قبح وصار فاسداً رديئاً بخلاف ساءه يسوؤه سوءاً ومساءة أي: أحزنه نقيض سره فإنه متعد ووزنه في الماضي فعل بفتح العين ووزن ما كان لازماً فعل بضم العين وفعل يأتي فاعله على فعل كصعب صعوبة فهو صعب والسوء بضم السين مصدر لهذا اللازم والسوء بالفتح مشترك بين اسم الفاعل من اللازم وبين مصدر المتعدي وقيل السوء بالفتح والضم لغتان من ساء بمعنى كالكره والكره والضعف والضعف خلا أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء وأما المضموم فجار مجرى الشر المناقض للخير ومن ثمة أضيف الظن إلى المفتوح لكونه مذموماً وكانت الدائرة محمودة فكان حقها أن لا تضاف إليه إلا على التأويل المذكور وأما دائرة السوء بالضم فلأن الذي أصابهم مكروه وشدة يصح أن يقع عليه اسم السوء كقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧] كما في بعض التفاسير والدائرة عبارة عن الخط المحيط بالمركز ثم استعملت في الحادثة والمصيبة المحيطة لمن وقعت هي عليه فمعنى الآية يحيط بهم السوء إحاطة الدائرة بالشيء أو بمن فيها بحيث لا سبيل إلى الانفكاك عنها بوجه إلا أن أكثر استعمالها أي: الدائرة في المكروه كما أن أكثر استعمال الدولة في المحبوب الذي يتداول ويكون مرة لهذا ومرة لذاك والإضافة في دائرة السوء من إضافة العام إلى الخاص للبيان كما في خاتم فضة أي: دائرة من شر لا من خير وقال أبو السعود في التوبة السوء مصدر ثم أطلق على كل ضرر وشر وأضيفت إليه الدائرة ذماً كما يقال رجل سوء لأن من دارت عليه يذمها وهي من إضافة الموصوف إلى صفته فوصفت في الأرض بالمصدر مبالغة ثم أضيفت إلى صفتها كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم: ٢٨] وقيل معنى الدائرة يقتضي معنى السوء لأن دائرة الدهر لا تستعمل إلا في المكروه فإنما هو إضافة بيان وتأكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه. ﴿وغضب الله عليهم﴾ عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا قال بعضهم غضبه تعالى إرادة العقوبة لهم في الآخرة وكونهم على الشرك والنفاق في الدنيا وحقيقته أن للغضب صورة ونتيجة أما صورة فتغير في الغضبان يتأذى به ويتألم وأما نتيجة فإهلاك المغضوب عليه وإيلامه فعبر عن نتيجة الغضب بالغضب على الكناية بالسبب على المسبب ﴿ولعنهم﴾ طردهم من رحمته ﴿وأعد لهم جهنم﴾ وآماده كرديم براى ايشان دوزخ را. والواو في الفعلين الأخيرين مع أن حقهما الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها إذ اللعن سبب الإعداد والغضب سبب اللعن للإيذان باستقلال كل منهما في الوعيد وأصالته من غير استتباع بعضهما لبعض ﴿وساءت مصيراً﴾ أي: جهنم والمصير المرجع وبالفارسية وبدباز كشتيست دوزخ.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾﴾

﴿ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً﴾ أي: بليغ العزة والقدرة على كل شيء ﴿حكيماً﴾ بليغ الحكمة فيه فلا يفعل ما يفعل إلا على مقتضى الحكمة والصواب وهذه الآية إعادة لما سبق قالوا فائدتها التنبيه على أن لله تعالى جنوداً للرحمة ينزلهم ليدخل بهم المؤمنين الجنة معظماً مكرماً وأن له تعالى جنوداً للعذاب يسلطهم على الكفار يعذبهم بهم في جهنم والمراد هٰهنا جنود العذاب كما ينبىء عنه التعرض لوصف العزة فإن عادته تعالى أن يصف نفسه بالعزة في مقام ذكر العذاب والانتقام.

قال في «برهان القرآن» الأول متصل بإنزال السكينة وازدياد إيمان المؤمنين فكان الموضع موضع علم وحكمة وقد تقدم ما اقتضاه الفتح عند قوله: ﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ وأما الثاني والثالث الذي بعده فمتصلان بالعذاب والغضب وسلب الأموال والغنائم فكان الموضع موضع عز وغلبة وحكمة وفي «كشف الأسرار» يدفع كيد من عادى نبيه والمؤمنين بما شاء من الجنود هو الذي جند البعوض على نمرود والهدهد على بلقيس وروي أن رئيس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول قال: هب أن محمداً هزم اليهود وغلب عليهم فكيف استطاعته بفارس والروم فقال الله تعالى: ﴿ولله جنود السموات والأرض﴾ أكثر عدداً من فارس والروم.

وقال الكاشفي: ومرخد ايراست لشكرهاى آسمان وزمين يعني هركه در آسمانها وزمينهاست همه مملوك ومسخر ويند چنانچه لشكريان مرسردار خودرا تكرار اين سخن جهت وعده مؤمنانست تابنصرت الهي مستظهر باشند وبراى وعيد مشركان ومنافقان تا از تكذيب رباني خائف كردند وفي الآية إشارة إلى ما أعد الله من عظائم فضله وعجائب صنعه في سموات القلوب وأرض النفوس يمد بها أولياءه وينصرهم بها على أنفسهم ليفوزوا بكمال قربه ويخذل بها أعداءه ويهلكهم في أودية الأهوية ليصيروا إلي كما بعده وكان الله عزيزاً أذل أعداءه حكيماً فيما يعز أولياءه كما في «التأويلات النجمية».

واعلم أن الله تعالى قد جعل في النار مائة دركة في مقابلة درج الجنة ولكل دركة قوم مخصوصون لهم من الغضب الإلهي الحال بهم آلام مخصوصة تصل إليهم من أيدي الملائكة الموكلين بهم نعوذ بالله من سخطه وعذابه ونسأله الأولى من نعيمه وثوابه وللغضب درجات منها وقطع الإمداد العلمي المستلزم لتسليط الجهل والهوى والنفس والشيطان والأحوال الذميمة لأنه موقت إلى النفس الذي قبل آخر الأنفاس في حق من يختم له بالسعادة ومنها ما يتصل إلى حين دخولهم جهنم وفتح باب الشفاعة ومنها ما يقتضي الخلود في النار.

قال الحافظ:

دارم از لطف ازل جنت فردوس طمع ... كرچه دربانىء ميخانه فراوان كردم

والله غفور رحيم لمن تاب ورجع إلى الصراط المستقيم.

﴿إنا أرسلناك شاهداً﴾ أي: على أمتك لقوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣] يعني على تصديق من صدقه وتكذيب من كذبه أي: مقبولاً قوله في حقهم يوم القيامة عند الله تعالى سواء شهد لهم أو عليهم كلما يقبل قول الشاهد العدل عند الحاكم وهو

حال مقدرة فإنه عليه السلام إنما يكون شاهداً وقت التحمل والأداء وذلك متأخر عن زمان الإرسال بخلاف غيره مما عطف عليه فإنه ليس من الأحوال المقدرة ﴿**ومبشراً**﴾ على الطاعة بالجنة والثواب وعلى أهل الطلب بالوصول ﴿**ونذيراً**﴾ على المعصية بالنار والعذاب وعلى أهل الإعراض بالقطية وفي التوراة يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح لها أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً سرخيل انبيا وسپهدار اتقيا. سلطان باركاه دنى قائدامم.

﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾

﴿**لتؤمنوا بالله ورسوله**﴾ الخطاب للنبي عليه السلام ولأمته فيكون تعميماً للخطاب بعد التخصيص لأن خطاب أرسلناك للنبي خاصة ومثله قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١] خصه عليه السلام بالنداء ثم عمم الخطاب على طريق تغليب المخاطب على الغائبين وهم المؤمنون فدلت الآية على أنه عليه السلام يجب أن يؤمن برسالة نفسه كما ورد في الحديث أنه عليه السلام قال: «أشهد أني عبد الله ورسوله» قال السهيلي في «الأمالي» إنما عرف نبوة نفسه بعد معرفته بجبريل وإيمانه به أي: بالعلم الضروري فإذا عرف نبوة نفسه وآمن بها وجب عليه أن يؤمن بما أنزل إليه من ربه كما قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ويجوز أن يكون الخطاب للأمة فقط فإن قلت: كيف يجوز تخصيصهم الخطاب الثاني بالأمة في مقام توجيه الخطاب الأول إليه عليه السلام بخصوصه؟ قلت: إن خطاب رئيس القوم بمنزلة خطاب من معه من أتباعه فجاز أن يخاطب الأتباع في مقام تخصيص الرسل بالخطاب لأن المقصود سماعهم ﴿**وتعزروه**﴾ وتقووه تعالى بتقوية دينه ورسوله قال في «المفردات» التعزير النصرة من التعظيم قال تعالى ﴿**وتعزروه**﴾ والتعزير دون الحد وذلك يرجع الأول فإن ذلك تأديب والتأديب نصرة بقهر عدوه فإن أفعال الشر عدو الإنسان فمتى قمعته عنها فقد نصرته وعلى هذا الوجه قال النبي عليه السلام: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فقال: انصره مظلوماً فكيف انصره ظالماً قال: تكفه عن الظلم» انتهى.

وفي «القاموس» التعزير ضرب دون الحد أو هو أشد الضرب والتفخيم والتعظيم ضد والإعانة كالعزر والتقوية والنصر انتهى وقال بعضهم: أصله المنع ومنه التعزير فإنه منع من معاودة القبيح يعني وتمنعوه تعالى أي: دينه ورسوله حتى لا يقوى عليه عدو. ﴿**وتوقروه**﴾ وتعظموه باعتقاد أنه متصف بجميع صفات الكمال منزه عن جميع وجوه النقصان قال في «القاموس»: التوقير التبجيل والوقار كسحاب الرزانة انتهى يعني السكون والحلم فأصله من الوقر الذي هو الثقل في الأذن ﴿**وتسبحوه**﴾ وتنزهوه تعالى عما لا يليق به ولا يجوز إطلاقه عليه من الشريك والولد وسائر صفات المخلوقين أو تصلوا له من السبحة وهي الدعاء وصلاة التطوع قال في «القاموس»: التسبيح الصلاة ومنه ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الصافات: ١٤٣] أي: من المصلين. ﴿**بكرة وأصيلاً**﴾ أي: غدوة وعشياً فالبكرة أول النهار والأصيل آخره

أو دائماً فإنه يراد بهما الدوام وعن ابن عباس رضي الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر وفي «عين المعاني»: البكرة صلاة الفجر والأصيل الصلوات الأربع فتكون الآية مشتملة على جميع الصلوات المفروضة وجوز بعض أهل التفسير أن يكون ضمير وتعزروه وتوقروه للرسول عليه السلام ولا وجه له لأنه تفكيك إذ ضمير رسوله وتسبحوه لله تعالى قطعاً وعلى تقدير أن يكون له وجه فمعنى تعظيم رسول الله وتوقيره حقيقة اتباع سنته في الظاهر والباطن والعلم بأنه زبدة الموجودات وخلاصتها وهو المحبوب الأزلي وما سواه تبع له ولذا أرسله تعالى شاهداً فإنه لما كان أول مخلوق خلقه الله كان شاهداً بوحدانية الحق وربوبيته وشاهداً بما أخرج من العدم إلى الوجود من الأرواح والنفوس والأجرام والأركان والأجسام والأجساد والمعادن والنبات والحيوان والملك والجن والشيطان والإنسان وغير ذلك لئلا يشذ عنه ما يمكن للمخلوق دركه من أسرار أفعاله وعجائب صنعه وغرائب قدرته بحيث لا يشاركه فيه غيره ولهذا قال عليه السلام: «علمت ما كان وما سيكون» لأنه شاهد الكل وما غاب لحظة وشاهد خلق آدم عليه السلام ولأجله قال: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» أي: كنت مخلوقاً وعالماً بأني نبي وحكم لي بالنبوة وآدم بين أن يخلق له جسد وروح ولم يخلق بعد واحد منهما فشاهد خلقه وما جرى عليه من الإكرام والإخراج من الجنة بسبب المخالفة وما تاب الله عليه إلى آخر ما جرى عليه وشاهد خلق إبليس وما جرى عليه من امتناع السجود لآدم والطرد واللعن بعد طول عبادته ووفور علمه بمخالفة أمر واحد فحصل له بكل حادث جرى على الأنبياء والرسل والأمم فهوم وعلوم ثم أنزل روحه في قالبه ليزداد له نور على نور فوجود كل موجود من وجوده وعلوم كل نبي وولي من علومه حتى صحف آدم وإبراهيم وموسى وغيرهم من أهل الكتب الإلهية».

وقال بعض الكبار: إن مع كل سعيد رقيبة من روح النبيّ ﷺ هي الرقيب العتيد عليه فإعراضه عنها بعدم إقباله عليها سبب لانتهاكه ولما قبض الروح المحمدي عن آدم الذي كان به دائماً لا يضل ولا ينسى جرى عليه ما جرى من النسيان وما يتبعه وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم» وإليه ينظر قوله عليه السلام «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» أي: ينزع منه الإيمان ثم يزني.

واعلم أن كل نبي له الولاية والنبوة فإن كان رسولاً فله الولاية والنبوة والرسالة فعالم رسالته هو كونه واسطة بين الله وخلقه وكذلك إن كان رسولاً إلى نفسه أو أهله أو قومه أو إلى الكافة فليس مع الرسول من عالم الرسالة إلا قدر ما يحتاج إليه المرسل إليهم وما عدا ذلك فهو عالم ولايته فيما بينه وبين الله ولما تفاضلت الأمم تفاضلت الرسل ويأتي النبي يوم القيامة ومعه أمته وآخر معه قومه وآخر معه رهطه وهو ما دون العشرة وآخر معه ابنه وآخر معه رجل وآخر استتبع فلم يتبع ودعا فلم يجب لإتيانه في الوقت الشديد الظلمة ولما جاء نبينا عليه السلام نوراً من الله نور العالم ظواهرها وبواطنها فكانت أمته أسعد الأمم وأكثرها ولذا تجيء في ثمانين صفاً وباقي الأمم من لدن آدم عليه السلام في أربعين صفاً وقد قال تعالى في حقه مبشراً فإنه لما أرسله إلى الأحمر والأسود بشرهم بأن لهم في متابعته الرتبة المحبوبية التي هي مخصوصة به من بين سائر الأنبياء والمرسلين فقد قال تعالى ﴿**ونذيراً**﴾ لئلا ينقطعوا عنه تعالى بشيء من الدارين كما انقطع أكثر الأمم ولم يكونوا على شيء.

قال الكمال الخجندي:

مرد تاروى نيارد زدو عالم بخداى مصطفى واركزين همه عالم نشود

نسأل الله أن يجعلنا على حظ وافر من الإقبال إليه والوقوف لديه.

﴿إن الذين يبايعونك﴾ المبايعة [باكسى بيع ويا بيعت وعهد كردن] أي يعاهدونك على قتال قريش تحت الشجرة وبالفارسية: [بدرستى كه آنانكه بيعت ميكنند باتودر حديبية] سميت المعاهدة مبايعة تشبيهاً بالمعاوضة المالية أي: مبادلة المال بالمال في اشتمال كل واحد منهما على معنى المبادلة فهم التزموا طاعة النبي عليه السلام والثبات على محاربة المشركين والنبي عليه السلام وعد لهم بالثواب ورضى الله تعالى قال بعض الأنصار عند بيعة العقبة: تكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت فقال عليه السلام: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم ونساءكم فقال ابن رواحة رضي الله عنه: فإذا فعلنا فما لنا فقال: لكم الجنة قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل» ﴿إنما يبايعون الله﴾ يعني أن من بايعك بمنزلة من بايع الله كأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] وذلك لأن المقصود ببيعة رسوله هو وجه الله وتوثيق العهد بمراعاة أوامره ونواهيه قال ابن الشيخ: لما كان الثواب إنما يصل إليهم من قبله تعالى كان المقصود بالمبايعة منه عليه السلام المبايعة مع الله وأنه عليه السلام إنما هو سفير ومعبر عنه تعالى وبهذا الاعتبار صاروا كأنهم يبايعون الله وبالفارسية جزين نيست كه بيعت ميكنند باخداى چه مقصود بيعت اوست وبراى طلب رضاى اوست.

قال سعدي المفتي: الظاهر والله أعلم أن المعنى على التشبيه أي: كأنهم يبايعون الله وكذا الحال في قوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] أي: كأن يد الله حين المبايعة فوق أيديهم حذف أداة التشبيه للمبالغة في التأكيد وذكر اليد لأخذهم بيد رسول الله حين البيعة على ما هو عادة العرب عند المعاهدة والمعاقدة وفيه تشريف عظيم ليد رسول الله التي تعلو أيدي المؤمنين المبايعين حيث عبر عنها بيد الله كما أن وضعه عليه السلام يده اليمنى على يده اليسرى لبيعة عثمان رضي الله عنه تفخيم لشأن عثمان حيث وضعت يد رسول الله موضع يده ولم ينل تلك الدولة العظمى أحد من الأصحاب فكانت غيبته رضي الله عنه في تلك الوقعة خيراً له من الحضور وقال بعضهم: فيه استعارة تخييلية لتنزهه تعالى عن الجارحة وعن سائر صفات الأجسام فلفظ الله في يد الله استعارة بالكناية عن مبايع من الذين يبايعون بالأيدي ولفظ اليد استعارة تخييلية أريد به الصورة المنتزعة الشبيهة باليد مع أن ذكر اليد في حقه تعالى لاجتماعه مع ذكر الأيدي في حق الناس مشاكلة ازداد بها حسن التخييلية ثم إن قوله يد الله فوق أيديهم على كل من القولين تأكيد لما قبله والمقصود تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما وحقيقته أن الله تعالى لو كان من شأنه التمثيل فتمثل للناس لفعل معه عين ما فعل مع نبيه من غير فرق فكان العقد مع النبي صورة العقد مع الله بل حقيقته كما ستجيء الإشارة إليه وقال الراغب في «المفردات»: يقال: فلان يد فلان أي: وليه وناصره ويقال لأولياء الله هم أيدي الله وعلى هذا الوجه قال الله تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك﴾ الآية ويؤيد ذلك ما روي «لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي

يسمع به ويده التي يبطش بها» انتهى فيكون المعنى قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم كأنه قيل ثق يا محمد بنصرة الله لك لا بنصرة أصحابك ومبايعتهم على النصرة والثبات وقال بعضهم: اليد في الموضعين بمعنى الإحسان والصنيعة فالمعنى نعمة الله عليهم في الهداية إلى الإيمان وإلى بيعة الرضوان فوق ما صنعوا من البيعة كقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧] وقال السدي: يأخذون بيد رسول الله ويبايعونه ويد الله أي: حفظ تلك المبايعة عن الانتقاض والبطلان فوق أيديهم كما أن أحد المتبايعين إذا مد يده إلى الآخر لعقد البيع يتوسط بينهما ثالث فيضع يده على يديهما ويحفظ يديهما إلى أن يتم العقد لا يترك واحداً منهما أن يقبض يده إلى نفسه ويتفرق عن صاحبه قبل انعقاد البيع فيكون وضع الثالث يده على يديهما سبباً لحفظ البيعة فلذلك قال تعالى: ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾ يحفظهم ويمنعهم عن ترك البيعة كما يحفظ المتوسط أيدي المتبايعين وقال أهل الحقيقة: هذه الآية كقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] فالنبي عليه السلام قد فني عن وجوده بالكلية وتحقق بالله في ذاته وصفاته وأفعاله فكل ما صدر عنه صدر عن الله فمبايعته مبايعة الله كما أن إطاعته إطاعة الله [سلمى قدس سره فرموده كه اين سخن در مقام جمعست وحق سبحانه مرتبه جمع را براى هيچ كس تصريح نكرده الا براى آنكه اخص واشرف موجوداتست] ولهذا السر يقول عليه السلام يوم القيامة: «أمتي أمتي» دون نفسي نفسي لأنه لم يبق فيه بقية الوجود أصلاً وفيه أسوة حسنة للكمل من أفراد أمته فاعرف جداً فمعنى ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾ أي: قدرته الظاهرة في صورة قدرة النبي عليه السلام فوق قدرتهم الظاهرة في صور أيديهم لأنه مظهر الاسم الأعظم المحيط الجامع وكل الأسماء تحت حيطة هذا الاسم الجليل فيد النبي عليه السلام مع غيره كيد السلطان مع ما سواه وهو أي: قوله ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾ زيادة التصريح في مقام عين الجمع لحصول هذا المعنى الإطلاقي مما قبله والحاصل أن الله تعالى جعل نبيه ﷺ مظهراً لكمالاته ومرآة لتجلياته ولذا قال عليه السلام: «من رآني فقد رأى الحق» ولما فني عليه السلام عن ذاته وصفاته وأفعاله كان نائباً عن الحق في ذاته وصفاته وأفعاله كما قيل (ع) نائبست ودست اودست خداى. وفي هذا المقام قال الحلاج: أنا الحق وأبو يزيد سبحاني سبحاني ما أعظم شاني وأبو سعيد الخراز ليس في الجبة غير الله قال الواسطي: أخبر الله بهذه الآية أن البشرية في نبيه عارية وإضافة لا حقيقة يعني فظاهره مخلوق وباطنه حق ولذا يجوز السجدة لباطنه دون ظاهره إذ ظاهره من عالم التقييد وباطنه من عالم الإطلاق وإذا كانت الصلاة جائزة على الموتى فما ظنك بالأحياء فاعرف جداً فإنه إنما جازت الصلاة على الموتى لاشتمالهم على حصة من الحقيقة المحمدية الجامعة الكلية.

﴿**فمن نكث**﴾ النكث نقض نحو الحبل والغزل استعير لنقض العهد أي: فمن نقض عهده وبيعته وأزال إبرامه وإحكامه ﴿**فإنما ينكث على نفسه**﴾ فإنما يعود ضرر نكثه على نفسه لأن الناكث هو لا غير ﴿**ومن أوفى بما عاهد عليه الله**﴾ بضم الهاء فإنه أبقى بعد حذف الواو إذ أصله هو توسلاً بذلك إلى تفخيم لام الجلالة أي: ومن أوفى بعهده وثبت عليه وأتمه ﴿**فسيؤتيه أجراً عظيماً**﴾ هي الجنة وما فيها من رضوان الله العظيم والنظر إلى جماله الكريم ويحتمل أن يراد بنكث العهد ما يتناول عدم مباشرته ابتداء ونقضه بعد انعقاده لما روي عن جابر رضي الله عنه أنه قال: بايعنا رسول الله بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا

نفر فما نكث أحد منا البيعة إلا جد بن قيس وكان منافقاً اختبأ تحت إبط بعيره ولم يسر مع القوم أي: إلى المبايعة حين دعوا إليها. در موضح آورده كه سه چيز راجع باهل آن ميشوديكى مكركه ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣] دوم ستم كه ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣] سيوم نقض عهدكه ﴿فمن نكث على نفسه﴾ [الفتح: ١٠] ودر عهد وپيمان كفته اند. پيمان مشكن كه هركه پيمان بشكست. ازپاى درافتاد وبرون رفت زدست. آنرا كه بدردست بوديميان الست. نشكسته بهيچ حال هرعهدكه بست.

كما قال الحافظ:

ازدم صبح ازل تا آخر شام ابد   دوستى ومهر بريك عهد ويك ميثاق بود

وقال:

پيمان شكن هر آينه كردد شكسته حال   ان العهود لدى اهل النهى ذمم

قال بعض الكبار: هذه البيعة نتيجة العهد السابق المأخوذ على العباد في بدء الفطرة فيضرهم النكث وينفعهم الوفاء قال الشيخ إسماعيل بن سودكين في «شرح التجليات الأكبرية» قدس الله سرهما: المبايعون ثلاثة: الرسل والشيوخ والورثة والسلاطين والمبايع في هؤلاء الثلاثة على الحقيقة واحد وهو الله تعالى وهؤلاء الثلاثة شهود الله تعالى على بيعة هؤلاء الأتباع وعلى هؤلاء الثلاثة شروط يجمعها القيام بأمر الله وعلى الأتباع الذين بايعوهم شروط يجمعها المتابعة فيما أمروا به فأما الرسل والشيوخ فلا يأمرون بمعصية أصلاً فإن الرسل معصومون من هذا والشيوخ محفوظون وأما السلاطين فمن لحق منهم بالشيوخ كان محفوظاً وإلا كان مخذولاً وأما هذا فلا يطاع في معصية والبيعة لازمة حتى يلقوا الله تعالى ومن نكث الاتباع من هؤلاء فحسبه جهنم خالداً فيها لا يكلمه الله ولا ينظر إليه وله عذاب أليم هذا كما قال أبو سليمان الداراني قدس سره. هذا حظه في الآخرة وأما في الدنيا فقد قال أبو يزيد البسطامي قدس سره في حق تلميذه لما خالفه: دعوا من سقط من عين الله فرؤي بعد ذلك مع المخنثين وسرق فقطعت يده هذا لما نكث أين هو ممن وفى بيعته مثل تلميذ الداراني قيل له: ألق نفسك في التنور فألقى نفسه فيه فعاد عليه برداً وسلاماً هذه نتيجة الوفاء انتهى. يقول الفقير: ثبت بهذه الآية سنة المبايعة وأخذ التلقين من المشايخ الكبار وهم الذين جعلهم الله قطب إرشاد بأن أوصلهم إلى التجلي العيني بعد التجلي العلمي إذ لا فائدة في مبايعة الناقصين المحجبين لعدم اقتدارهم على الإرشاد والتسليك وعن شداد بن أوس وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما قالا: كنا عند رسول الله عليه السلام فقال: «فيكم غريب» يعني: أهل كتاب قلنا: لا يا رسول الله فأمر بغلق الباب فقال: «ارفعوا أيديكم فقولوا لا إله إلا الله» فرفعنا أيدينا ساعة ثم وضع رسول الله يده ثم قال: «الحمد لله اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة إنك لا تخلف الميعاد» ثم قال: «أبشروا فإن الله قد غفر لكم» كما في «ترويح القلوب» لعبد الرحمٰن البسطامي قدس سره وعن عبد الرحمٰن بن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله وكنا حديثي عهد ببيعته فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله قال: ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا وقلنا: على مم نبايعك؟ قال: «أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس ولقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فلا يسأل أحداً يناوله

إياه» رواه مسلم والترمذي والنسائي كما في «الترغيب والترهيب» للإمام المنذري رحمه الله وعن عبادة بن الصامت قال: أخبرني أبي عن أبيه قال: «بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول بالحق حيث كنا ولا نخاف في الله لومة لائم» كما في «عوارف المعارف» للسهروردي قدس سره وقوله: وأن لا ننازع الأمر أهله أي: إذا فوض أمر من الأمور إلى من هو أهل لذلك الأمر لا ننازع فيه ونسلم ذلك الأمر له وقوله: حيث كنا أي: عند الصديق والعدو والأقارب والأباعد كما في «حواشي» زين الدين الحافي رحمه الله وأخذ من التقرير المذكور أخذ اليد في المبايعة وذلك بالنسبة إلى الرجال دون النساء لما روي أن النساء اجتمعن عند النبي عليه السلام وطلبن أن يعاهدهن باليد فقال: لا تمس يدي يد المرأة ولكن قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة فبايعهن بالكلام ثم طلبن منه البركة فوضع يده الشريفة في الماء ودفعه إليهن فوضعن أيديهن فيه كذا ذكره الشيخ عبد العزيز الديريني في «الروضة الأنيفة» وكذا في «ترجمة الفتوحات» حيث قال ورسول الله عليه السلام وفات كرد ودست او بهيچ زن نا محرم نرسيد وبازنان مبايعه بسخن مى كرد وقول اوبايك زن چنان بودكه باهمه انتهى.

وقال في «إنسان العيون»: بايعه عليه السلام ليلة العقبة الثانية السبعون رجلاً وبايعه المرأتان من غير مصافحة لأنه ﷺ كان لا يصافح النساء إنما كان يأخذ عليهن فإذا أحرزن قال: اذهبن فقد بايعتكن انتهى وفي «الإحياء» ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلاة ولمجالس الذكر إذا خيفت الفتنة إذ منعتهن عائشة رضي الله عنها فقيل لها: «إن رسول الله ما منعهن من الجماعات فقالت: لو علم رسول الله ما أحدثن بعده لمنعهن» انتهى فحضورهن مجالس الوعظ والذكر من غير حائل يمنع من النظر إذا كان محظوراً منكراً فكيف مس أيديهن كما في مشيخة هذا الزمان ومبتدعته وربما يمسون المسك لأجل النساء اللاتي يحضرن مجالسهم ويبايعنهم كما سمعنا من الثقات والعياذ بالله تعالى ولنعد إلى تحرير المقام.

قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان وحكى الأستاذ أبو القاسم القشيري عن شيخه أبي علي الدقاق قدس سرهما أنه قال: الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تتورق ولا تثمر وهو كما قال ويجوز أنها تثمر كالأشجار التي في الأودية والجبال ولكن لا يكون لفاكهتها طعم فاكهة البساتين والغرس إذا نقل من موضع إلى موضع آخر يكون أحسن وأكثر ثمرة لدخول التصرف فيه وقد اعتبر الشرع وجود التعليم في الكلب المعلم وأحل ما يقتله بخلاف غير المعلم وسمعت كثيراً من المشايخ يقولون: من لم ير مفلحاً لا يفلح ولنا في رسول الله أسوة حسنة فأصحاب رسول الله تلقوا العلوم والآداب من رسول الله كما روي عن بعض الصحابة علمنا رسول الله كل شيء حتى الخراءة بكسر الخاء المعجمة يعني قضاء الحاجة فلا بد لطالب الحق من أديب كامل وأستاذ حاذق يبصره بآفات النفوس وفساد الأعمال ومداخل العدو فإذا وجد مثل هذا فليلازمه وليصحبه وليتأدب بآدابه ليسري من باطنه إلى باطنه حال قوى كسراج يقتبس من سراج ولينسلخ من إرادة نفسه بالكلية فإن التسليم له تسليم لله ولرسوله لأن سلسلة التسليم تنتهي إلى رسول الله وإلى الله في «المثنوي»»:

كفت طوبى من رآني مصطفى ... والذي يبصر لمن وجهي رأى
چون چراغى نور شمعى را كشيد ... هركه ديدانرا يقين آن شمع ديد

همچنين تا صد چراغ ارنقل شد ديدن آخر لقاى اصل شد
خواه نوراز واپسين بستان بجان هيچ فرقى نيست خواه ازشمعدان

وفي الحديث: «الحجر الأسود يمين الله في أرضه فمن لم يدرك بيعة رسول الله فمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله» وفي رواية: «الركن يمين الله في الأرض يصافح بها عباده كما يصافح أحدكم أخاه» قال السخاوي: معنى الحديث أن كل ملك إذا قدم عليه قبلت يمينه ولما كان الحاج والمعتمر يتعين لهما تقبيله نزل منزلة يمين الملك ويده ولله المثل الأعلى وكذلك من صافحه كان له عند الله عهد كما أن الملك يعطي الهدية والعهد بالمصافحة انتهى.

يقول الفقير: لا شك أن الكعبة عند أهل الحقيقة إشارة إلى مرتبة الذات الأحدية والذات الأحدية قد تجلت لرسول الله ﷺ بجميع أسمائها وصفاتها فكانت الكعبة صورة رسول الله والحجر الأسود صورة يده الكريمة وأما حقيقة سر الكعبة والحجر فذاته الشريفة ويمينه المباركة ومن هنا نعرف أن الإنسان الكامل أفضل من الكعبة وكذا يده أولى من الحجر ولما انتقل النبي عليه السلام خلفه ورثته بعده فهم مظاهر هذين السرين فلا بد من تقبيل الحجر في الشريعة ومن تقبيل يد الإنسان الكامل في الحقيقة فإنه المبايعة الحقيقة فإنها عين المبايعة مع الله ورسوله ثم إذا وقعت المبايعة للمبايع في ذلك أوان ارتضاع وزمان انفطام فلا يفارق من بايعه إلا بعد حصول المقصود بأن ينفتح له باب الفهم من الله ومتى فارق قبل أوان انفطام يناله من الإعلال في الطريق بالرجوع إلى الدنيا ومتابعة الهوى ما ينال المفطوم لغير أوانه في الولادة الطبيعية وكذا الحال في العلم الظاهر فإنه لا بد فيه من التكميل ثم الإذن من الأستاذ للتدريس قال في «الأشباه»: لما جلس أبو يوسف للتدريس من غير إعلام أبي حنيفة أرسل إليه أبو حنيفة رجلاً فسأله عن مسائل خمس:

الأولى: قصار جحد الثوب ثم جاء به مقصوراً هل يستحق الأجر أو لا؟ فأجاب أبو يوسف: يستحق الأجر فقال له الرجل: أخطأت فقال: لا يستحق فقال: أخطأت ثم قال له الرجل: إن كانت القصارة قبل الجحود استحق وإلا لا.

الثانية: هل الدخول في الصلاة بالفرض أو بالسنة؟ فقال: بالفرض فقال: أخطأت فقال: بالسنة فقال: أخطأت فتحير أبو يوسف فقال الرجل: بهما لأن التكبير فرض ورفع اليدين سنة.

الثالثة: طير سقط في قدر على النار فيه لحم ومرق هل يؤكلان أو لا؟ فقال: يؤكلان فخطأه فقال: لا يؤكلان فخطأه ثم قال: إن كان اللحم مطبوخاً قبل سقوط الطير يغسل ثلاثاً ويؤكل وترمى المرقة وإلا يرمى الكل.

الرابعة: مسلم له زوجة ذمية ماتت وهي حامل منه تدفن في أي المقابر؟ فقال أبو يوسف: في مقابر المسلمين فخطأه فقال: في مقابر أهل الذمة فخطأه فتحير فقال: تدفن في مقابر اليهود ولكن يحول وجهها عن القبلة حتى يكون وجه الولد إلى القبلة لأن الولد في البطن يكون وجهه إلى ظهر أمه.

الخامسة: أم ولد لرجل تزوجت بغير إذن مولاها فمات المولى هل تجب العدة من المولى؟ فقال: تجب فخطأه فقال: لا تجب فخطأه ثم قال الرجل: إن كان الزوج دخل بها لا تجب وإلا وجبت فعلم أبو يوسف تقصيره فعاد إلى أبي حنيفة فقال: تزببت قبل أن تحصرم.

قال الشيخ سعدي: [يكى درصنعت كشتى كيرى بسر آمده بود وسيصد وشصت بند فاخر

درين علم بدانستى وهر روز بنوعى كشتى كرفتى مكر كوشه خاطرش باجمال يكى از شاكردان ميل داشت سيصدو پنجاه ونه بند اورا آموخت مكريك بندكه در تعليم آن دفع انداختى وتهاون كردى في الجملة پسر درقوت وصنعت بسر آمد وكسى را با او مجال مقاومت نماند تا بحدى كه پيش ملك كفت استادرا فضيلتي كه برمنست ازروى بزركيست وحق تر بيت وكرنه بقوت ازوكمتر نيستم وبصنعت بااوبرابر ملك را اين سخن پسنديده نيامد بفرمود تا مصارعه كنند مقامى متسع ترتيب كردند واركان دولت واعيان حضرت وزور آوران آن اقليم حاضر شدند پسر چون پيل مست در آمد بصدمتى كه اكركوه آهنين بودى ازجاى بركندى استاد دانست كه جوان ازو بقوت برترست بدان بند غريب كه ازونهان داشته بود بر اودر آويخت وبدودست بر كرفت از زمين بر بالاى سر بردو بر زمين زدغريو از خلق برخاست ملك فرمود تا استادرا خلعت ونعمت بى قياس دادندو پسررا زجرو ملامت كردكه باپرورنده خويش دعوى مقاومت كردى وبسر نبردى كفت اى خداوند مرا بزور دست ظفر نيافت بلكه ازعلم كشتى دقيقه مانده بودكه زمن دريغ همى داشت امر وزبدان دقيقه برمن دست يافت استاد كفت ازبهر چنين روزنهان داشتم] فعلم أن التلميذ لا يبلغ درجة استاذه في زمانه فللأستاذ العلو من كل وجه. مريدان بقوت زطفلان كمند. مشايخ چو ديوار مستحكمند.

قال في «كشف النور عن أصحاب القبور»: وأما هذا الزي المخصوص الذي اتخذه كل فريق من الصوفية كلبس المرقعات ومآزر الصوف والميلويات فهر أمر قصدوا به التبرك بمشايخهم الماضية فلا ينهون عنه ولا يؤمرون به فإن غالب ملابس هذا الزمان من هذا القبيل كالعمائم التي اتخذها الفقهاء والمحدثون والعمائم التي اتخذها العساكر والجنود والملابس التي يتخذها عوام الناس وخواصهم فإنها جميعها مباحة وليس فيها شيء يوافق السنة إلا القليل ولا نقول إنها بدعة أيضاً لأن البدعة هي الفعلة المخترعة في الدين على خلاف ما كان عليه النبي عليه السلام وكانت عليه الصحابة والتابعون رضي الله عنهم وهذه الهيئات والملابس والعمائم ليست مبتدعة في الدين بل هي مبتدعة في العادة ولا هي مخالفة للسنة ايضاً على حسب ما عرف الفقهاء السنة بأنها كل فعلة فعلها النبي عليه السلام على وجه العبادة لا العادة ولم يكن النبي عليه السلام يلبس العمامة على سبيل العبادة ولا يلبس الثياب المخصوصة على طريق العادة وإنما القصد بذلك ستر العورة ودفع أذية الحر والبرد ولهذا ورد عنه لبس الصوف والقطن وغير ذلك من الثياب العالية والسافلة فليس مخالفته في ذلك لمخالفة سنة وإن كان الاتباع في جميع ذلك أفضل لأنه مستحب انتهى.

قال في «العوارف»: لبس الخرقة أي: من يد الشيخ علامة التفويض والتسليم ودخوله في حكم الشيخ دخوله في حكم الله تعالى وحكم رسوله عليه السلام وإحياء سنة المبايعة مع رسول الله قالت أم خالد: أتى النبي عليه السلام بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة وهي كساء أسود مربع له علمان فإن لم يكن معلماً فليس بخميصة فقال عليه السلام: من ترون أكسو هذه؟ فسكت القوم فقال عليه السلام: «ائتوني بأم خالد» قالت: فأتي بي فألبسنيها بيده فقال: ابلي واخلقي يقولها مرتين وجعل ينظر إلى علم في الخميصة أصفر وأحمر ويقول: يا أم خالد هذا سناء» والسناء هو الحسن بلسان الحبشة ولا خفاء بأن لبس الخرقة على الهيئة التي يعمدها الشيوخ في هذا الزمان لم يكن في زمن رسول الله وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من

استحسان الشيوخ وقد كان طبقة من السلف الصالحين لا يعرفون الخرقة ولا يلبسونها المريدين فمن يلبسها فله مقصد صحيح وأصل من السنة وشاهد من الشرع ومن لا يلبسها فله رأي وله في ذلك مقصد صحيح وكل تصاريف المشايخ محمولة على السداد والصواب ولا تخلو عن نية خالصة فيها انتهى كلام «**العوارف**» باختصار وقال الشيخ زين الدين الحافي في «حواشيه»: قد صح واشتهر بنقل الأولياء كابراً عن كابر على ما هو مسطور في إجازات المشايخ أن رسول الله ألبس علياً الخرقة الشريفة وهو ألبس الحسن البصري وكميل بن زياد رضي الله عنهما وفي «المقاصد الحسنة»: أن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعاً فضلاً عن أن يلبسه الخرقة.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره: الضروري من اللباس الظاهر ما يستر السوءات والرياش ما يزيد على ذلك مما تقع به الزينة والضروري من اللباس الباطن وهو تقوى المحارم مطلقاً ما يواري سوءة الباطن والريش لباس مكارم الأخلاق مثل نوافل العبادات كالصفح والإصلاح فأراد أهل الله أن يجمعوا بين اللبستين ويتزينوا بالزينتين ليجمعوا بين الحسنيين فيثابوا من الطرفين فلبسوا الخرقة وألبسوها ليكون تنبيهاً على ما يريدونه من لباس بواطنهم وجعلوا ذلك أصلاً وأصل هذا اللباس عندي ما ألقي في سري أن الحق لبس قلب عبده فإنه قال: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي» فإن الثوب وسع لابسه وظهر هذا الجمع بين اللبستين في زمان الشبلي وابن حفيف إلى هلم جرا فجرينا على مذهبهم في ذلك فلبسناها من أيدي مشايخ جمة سادات بعد أن صحبناهم وتأدبنا بآدابهم ليصح اللباس ظاهراً وباطناً انتهى باختصار نسأل الله سبحانه أن يجعل لباس التقوى لباساً خيراً لنا وأن يصح نياتنا وعقائدنا وأعمالنا وأحوالنا إنه هو المعين لأهل الدين إلى أن يأتي اليقين.

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾﴾

﴿**سيقول لك المخلفون من الأعراب**﴾ السين للاستقبال يقال خلفتة بالتشديد تركته خلفي وخلفوا أثقالهم تخليفاً خلوها وراء ظهورهم والتخليف بالفارسية: واپس كذشتن ودر اينجا مراد از مخلفون بازپس كردكان خداى يعني ايشان كه باز پس كرده انداز صحبث رسول عليه السلام ازباديه نشينان. خلفهم الله عن رسول الله كما قال ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦] قال في «المفردات»: العرب أولاد اسماعيل عليه السلام والأعراب جمعه في الأصل وصار ذلك اسماً لسكان البادية وقيل في جميع الأعراب أعاريب والأعرابي صار اسماً في التعارف للمنسوبين إلى سكان البادية انتهى وفي «القاموس»: العرب بالضم وبالتحريك خلاف العجم مؤنث وهم سكان الأمصار والأعراب منهم سكان البادية ويجمع على أعاريب انتهى وفي «مختار الصحاح» العرب جيل من الناس والنسبة إليهم عربي وهم أهل الأمصار والأعراب منهم سكان البادية خاصة والنسبة إليهم أعرابي وليس الأعراب جمعاً لعرب بل هو اسم جنس انتهى وقال ابن الشيخ في سورة التوبة: العرب هو الصنف الخاص من بني آدم سواء سكن البوادي أم القرى وأما الأعراب فإنه لا يطلق إلا على من يسكن البوادي

فالأعراب جمع أعرابي كما أن العرب جمع عربي والمجوس جمع مجوسي واليهود جمع يهودي بحذف ياء النسبة في الجمع ويدل على الفرق بين العرب والأعراب قوله عليه السلام: «حب العرب من الإيمان» وقوله تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ [التوبة: ٩٧] حيث مدح العرب وذم الأعراب الذين هم سكان البادية فعلى هذا يكون العرب أعم من الأعراب وقيل العرب هم الذين استوطنوا المدن والقرى والأعراب أهل البدو فعلى هذا القول يكونان متباينين انتهى والمراد هنا هم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم والدئل بالكسر تخلفوا عن رسول الله عليه السلام حين استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه عند إرادته المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً حذراً من قريش أن يتعرضوا له بحرب ويصدوه عن البيت وأحرم عليه السلام وساق معه الهدي ليعلم أنه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج وقالوا: أنذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم فأوحى الله إليه عليه السلام بأنهم سيعتلون أي: عند وصولك إلى المدينة ويقولون: ﴿**شغلتنا**﴾ مشغول كرد مارا. والشغل العارض الذي يذهل الإنسان وقد شغل فهو مشغول ﴿**أموالنا وأهلونا**﴾ ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع والأموال جمع مال وهو كل ما يتملكه الناس من دراهم أو دنانير أو ذهب أو فضة أو حنطة أو خبز أو حيوان أو ثياب أو سلاح أو غير ذلك والمال العين هو المضروب وسمي المال مالاً لكونه بالذات تميل القلوب إليه وفي «التلويح»: المال ما يميل إليه الطبع ويدخر لوقت الحاجة أو ما خلق لمصالح الآدمي ويجري فيه الشح والضنة انتهى. والأهلون جمع أهل وأهل الرجل عشيرته وذوو قرباه وقد يجمع الأهل على أهال وآهال وأهلات ويحرك كأرضات على تقدير تاء التأنيث أي: على أن أصله أهلة كما في أرض فحكمه حكم تمرة حيث يجوز في تمرات تحريك الميم ﴿**فاستغفر لنا**﴾ الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار ﴿**يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم**﴾ تكذيب لهم في الاعتذار وسؤال الاستغفار يعني أنه تكذيب لهم فيما يتضمنه من الحكم من أنا مؤمنون حقاً معترفون بذنوبنا فالشك والنفاق هو الذي خلفهم لا غير وفي الآية إشارة إلى أن القلوب الغافلة عن الله يقولون أي: أهلها بألسنتهم ما ليس له حقيقة ولا شعور لقلوبهم على حقيقة ما يقولون فإنهم يقولون ويريدون به معنى آخر كقولهم ﴿**شغلتنا أموالنا وأهلونا**﴾ مجازاً يريدون به اعتذاراً لتخلفهم ولقولهم شغلتنا حقيقة وذلك أن أموالهم وأهليهم شغلتهم عن ذكر الله والائتمار بأوامره وعن متابعة النبي عليه السلام وهم مأمورون بها.

قال المولى الجامي:

مكن تعلق خاطر بنقش صفحه دهر   جريده وارهمى زى وساده وش مى باش

﴿**قل**﴾ رداً لهم عند اعتذارهم إليك بأباطيلهم ﴿**فمن يملك لكم من الله شيئاً**﴾ أي: فمن يقدر لأجلكم من مشيئة الله وقضائه على شيء من النفع ﴿**إن أراد بكم ضراً**﴾ أي: ما يضركم من هلاك الأهل والمال وضياعهم حتى تتخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما ﴿**أو أراد بكم نفعاً**﴾ أي: ومن يقدر على شيء من الضرر إن أراد بكم ما ينفعكم من حفظ أموالكم وأهليكم فأي حاجة إلى التخلف لأجل القيام بحفظهما ﴿**بل كان الله بما تعملون خبيرا**﴾ أي: ليس الأمر كما تقولون بل كان الله خبيراً بجميع ما تعملون من الأعمال التي من جملتها تخلفكم وما هو من مباديه فمن ترك أمر الله ومتابعة رسوله وقعد طلباً للسلامة دخل في الآية ثم

لم يجد خلاصاً من الضرر والبلاء فإن الله تعالى قادر على إيصال المكروه ولو بغير صورة القتال فلا بد من الصدق والعمل بالإخلاص والتوكل على الله تعالى فإن فيه الخلاص [نقلست كه يكروز كسان حجاج ظالم حسن بصري را رضي الله عنه طلب كردند حسن در صومعه حبيب عجمي قدس سره پنهان شد حبيب را كفتند امروز حسن را ديدى كفت ديدم كفتند كجاست كفث درين صومعه شد در صومعه رفتند چندانكه طلب كردند حسن رانيا فتند چنانكه حسن كفت هفت باردست برمن نهادند ومرانديدند وبيرون آمدند وكفتند اي حبيب آنچه حجاج باشما كند سزاي شماست تاچرا دروغ ميكوييد حبيب كفت او درپيش من درين جاشدا كر شمانمي دانيد ونمى بينيد مراچه جرم عوانان ديكر باره طلب كردند نيا فتند حسن از صومعه بيرون آمد كفت اي حبيب حق استاذي نكاه داشتى ومرابعوانان غمز ميكردى كفت اي استاذ بروكه براست كفتن خلاص يا فتى كه اكر دروغ ميكفتمى هردو كرفتار خواستيم شدن.

قال الحافظ:

بصدق كوش كه خورشيد زايد ازنفست　　كه از دروغ سيه روى كشث صبح نخست

حسن كفت چه كردى كه مرانديدند كفت نه بار آية الكرسي ونه بار آمن الرسول ونه بار قل هو الله أحد بخواندم وباز كفتم كه خدايا حسن را بتو سپردم كه نكاهش دارى] وهكذا يحفظ الله أولياءه الصادقين وينصرهم ويترك أعداءه الكافرين ويخذلهم.

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾.

﴿بل ظننتم﴾ إلخ بدل من كان الله إلخ مفسر لما فيه من الإبهام أي: بل ظننتم أيها المخلفون **﴿أن لن ينقلب﴾** لن يرجع وبالفارسية: بلكه كمان ميبرديد آنكه باز نكردد **﴿الرسول﴾** ﷺ **﴿والمؤمنون﴾** الذين معه وهم ألف وأربعمائة **﴿إلى أهليهم﴾** بسوى أهالى خود بمدينه **﴿أبداً﴾** هركزأي بأن يستأصلهم المشركون بالكلية فخشيتم إن كنتم معهم أن يصيبكم ما أصابهم فلأجل ذلك تخلفكم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة **﴿وزين ذلك في قلوبكم﴾** واراسته شد اين كمان دردلهاى شما يعني شيطان بياراست. وقبلتموه واشتغلتم بشأن أنفسكم غير مبالين بهم **﴿وظننتم ظن السوء﴾** وكمان بر ديد كمان بد. المراد به إما الظن الأول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء وإلا فهو من عطف الشيء على نفسه أو ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم الصحة رسالته عليه السلام فإن الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستئصال فبهذا التعميم لا يلزم التكرار **﴿وكنتم قوماً بوراً﴾** أي: هالكين عند الله مستوجبين سخطه وعقابه على أنه جمع بائر من بار بمعنى هلك كعائذ وعوذ وهي من الإبل والخيل الحديثة النتاج أو فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم فإن البور الفاسد في بعض اللغات وقيل البور مصدر من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذا وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث فيقال رجل بور وقوم بور وفي «المفردات» البوار فرط الكساد ولما كان فرط الكساد يؤدي إلى الفساد كما قيل كسد حتى فسد عبر بالبوار عن الهلاك وكانوا قوماً بوراً أي: هلكى انتهى وفيه إشارة إلى أن كل من ظن أنه يصيبه في الغزو قتل أو جراحة أو ما يكره من المصائب ثم يتخلف عن الغزو فإنه من الهالكين

وقد استولى الشيطان على قلبه فزين في قلبه الحياة الدنيا ليؤثرها على الحياة الأخروية التي أعدت للشهداء والدرجات العلى في الجنة والقربات في جوار الحق تعالى. مكن زغصه شكايت كه در طريق طلب. براحتى نرسيد آنكه زحمتى نكشيد.

﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله﴾ كلام مبتدأ من جهته تعالى ومن شرطية أو موصولة أي: ومن لم يؤمن بهما كدأب هؤلاء المخلفين ﴿فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً﴾ أي: لهم وإنما وضع موضع الضمير العائد إلى من الكافرون إيذاناً بأن من لم يجمع بين الإيمان بالله ورسوله وهو كافر فإنه مستوجب السعير أي: النار الملتهبة وتنكيره للتهويل للدلالة على أنه سعير لا يكتنه كنهها أو لأنها نار مخصوصة كما قال ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤] فالتنكير للتنويع.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾

﴿ولله ملك السمٰوات والأرض﴾ وما فيهما يتصرف في الكل كيف يشاء وبالفارسية: مرخدا يراست پادشاهى آسمانها وزمينها زمام أمور ممالك علوى وسفلى در قبضه قدرت اوست ﴿يغفر لمن يشاء﴾ أن يغفر له وهو فضل منه ﴿ويعذب من يشاء﴾ أن يعذبه وهو عدل منه غير دخل لأحد في شيء منهما وجوداً وعدماً وفيه حسم لأطماعهم الفارغة في استغفاره عليه السلام لهم ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ مبالغاً في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء إلا لمن تقتضي الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله وأما من عداه من الكافرين فهم بمعزل من ذلك قطعاً فالآية نظير قوله تعالى في الأحزاب ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب: ٢٤] أي: يعذب المنافقين إن شاء تعذيبهم أي: إن لم يتوبوا فإن الشرك لا يغفر البتة أو يتوب عليهم أي: يقبل توبتهم إن تابوا فالله تعالى يمحو بتوبة واحدة ذنوب العمر كله ويعطي بدل كل واحدة منها حسنة وثواباً قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أفرح بتوبة عبده المؤمن من الضال الواجد ومن الظمآن الوارد ومن العقيم الوالد ومن تاب إلى الله توبة نصوحاً أنسى الله حافظيه وبقاع أرضه خطاياه وذنوبه».

كرآيينه ازآه كردد تباه ... شود روشن آيينة دل بآه
تو پيش از عقوبت در عفو كوب ... كه سودى ندارد فغان زير چوب

وفي هذا المعنى قال الكمال الخجندي:

تراچه سود بروز جزا وقايه وحرز ... كه از وقاية عفوش حمايتي نرسيد

وفي الآية إشارة إلى أن من أطفأ سعير نفسه وشعلة صفاتها بماء الذكر وترك الشهوات يؤمن قلبه وينجو من سعير النفس وهو حال من آمن بالله ورسوله وإلا فيكون سعير نفسه وشعلة صفاتها مستولية على القلب فتحرقه وما تبقى من آثاره شيئاً وهو حال من لم يؤمن بالله ورسوله ولله ملك سماوات القلوب وأرض النفوس يغفر لنفس من يشاء ويزكيها عن الصفات الذميمة ويجعلها مطمئنة قابلة لجذبة ارجعي ويعذب قلب من يشاء باستيلاء صفات النفس عليه ويقلبه كما لم يؤمن به وكان الله غفوراً لقلب من يشاء رحيماً لنفس من يشاء يؤتي ملك نفس من يشاء لقلبه وينزع ملك قلب من يشاء ويؤتيه لنفسه.

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ

ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَاۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًاۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾.

﴿سيقول المخلفون﴾ المذكورون ﴿إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها﴾ ظرف لما قبله لا شرط لما بعده وانطلقتم أي: ذهبتم يقال انطلق فلان إذا مر متخلفاً وأصل الطلاق التخلية من وثاق كما يقال حبس طلقاً ويضم أي: بلا قيد ولا وثاق والمغانم جمع مغنم بمعنى الغنيمة أي الفيء أي سيقولون عند انطلاقكم إلى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم إياها وخصكم بها عوضاً عما فاتكم من غنائم مكة إذا انصرفوا منها على صلح ولم يصيبوا منها شيئاً فالسين يدل على القرب وخيبر أقرب مغانم انطلقوا إليها فهي هي فإن قيل كيف يصح هذا الكلام وقد ثبت أنه عليه السلام أعطى من قدم مع جعفر رضي الله عنه من مهاجري الحبشة وكذا الدوسيين والأشعريين ولم يكونوا ممن حضر الحديبية قلنا كان ذلك باستنزال أهل الحديبية عن شيء من حقهم ولولا أن بعض خيبر كانت صلحاً لما قال موسى بن عقبة ومن تبعه ما قالوا وكان ما أعطاهم من ذلك كما في «حواشي سعدي المفتي» ﴿ذرونا﴾ بكذاريد مارا. أمر من يذر الشيء أي: يتركه ويقذفه لقلة اعتداده به ولم يستعمل ماضيه ﴿نتبعكم﴾ إلى خيبر ونشهد معكم قتال أهلها ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ بأن يشاركوا في المغانم التي خصها بأهل الحديبية فإنه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم أموالاً كثيرة فخصها بهم حسبما أمره الله تعالى فالمراد بكلام الله ما ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لأهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن تخرجوا معي أبداً فإن ذلك في غزوة تبوك.

﴿قل﴾ إقناطاً لهم ﴿لن تتبعونا﴾ أي: لا تتبعونا فإنه نفي في معنى النهي للمبالغة وقال سعدي المفتي: لن ليس للتأكيد سيما إذا أريد النهي والمراد لن تتبعونا في خيبر أو ديمومتهم على مرض القلوب وقال أبو الليث: لن تتبعونا في المسير إلى خيبر إلا متطوعين من غير أن يكون لكم شركة في الغنيمة ﴿كذلكم قال الله﴾ همچنين كفته است خداي تعالى ﴿من قبل﴾ أي: عند الانصراف من الحديبية ﴿فسيقولون﴾ للمؤمنين عند سماع هذا النهي ﴿بل تحسدوننا﴾ أي: ليس ذلك النهي حكم الله بل تحسدوننا أن نشارككم في الغنائم الحسد تمني زوال النعمة عمن يستحق لها وربما يكون من ذلك سعي في إزالتها وروي المؤمن يغبط والمنافق يحسد.

وقال بعض الكبار: لا يكون الحسد على المرتبة إلا بين الجنس الواحد لا بين الجنسين ولذلك كان أول ابتلاء ابتلى الله به عباده بعثة الرسول إليهم منهم لا من غيرهم لتقوم الحجة على من جحد قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩] يعني لو كان الرسول إلى البشر ملكاً لنزل في صورة رجل حتى لا يعرفوا أنه ملك لأنهم لو رأوه ملكاً لم يقم بهم حسد ﴿بل كانوا لا يفقهون﴾ أي: لا يفهمون قال الراغب الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم والفقه العلم بأحكام الشريعة وفقه أي: فهم فقهاً ﴿إلا قليلاً﴾ أي: إلا فهماً قليلاً وهم فطنتهم لأمور الدنيا وهو وصف لهم بالجهل المفرط وسوء الفهم في أمور الدين وعن علي رضي الله عنه أقل الناس قيمة أقلهم علماً.

واعلم أن العلم إنما يزداد بصحبة أهله ولما تخلف المنافقون عن صحبة رسول الله ﷺ وصفهم الله بعدم الفقه فلا بد من مجالسة العلماء العاملين حتى تكون الدنيا وراء الظهر ويجعل الرغبة في الآخرة وقد قال عليه السلام: «اطلبوا العلم ولو بالصين» فكلما بعد المنزلة كثر الخطى وعن بعضهم قال: رأيت في الطواف كهلاً قد أجهدته العبادة وبيده عصا وهو يطوف معتمداً عليها فسألته عن بلده فقال خراسان ثم قال لي: في كم تقطعون هذا الطريق: قلت في شهرين أو ثلاثة فقال: أفلا تحجون كل عام؟ فقلت له: وكم بينكم وبين هذا البيت؟ قال: مسيرة خمس سنين قلت: هذا والله هو الفضل المبين والمحبة الصادقة فضحك وأنشأ يقول:

زر من هويت وان شطت بك الدار وحال من دونه حجب وأستار
لا يمنعك بعد عن زيارته إن المحب لمن يهواه زوار

وفي الآية إشارة إلى أن الدنيا من مظان الحسد وهو من رذائل النفس وفي الحديث «ولا تحاسدوا» أي: على نعم الله تعالى مالاً أو علماً أو غير ذلك إلا أن يقع الغبطة على المال المبذول في سبيل الله والعلم المعمول به المنشور «ولا تناجشوا» النجش هو أن تزيد في ثمن سلعة ولا رغبة لك في شرائها وقيل هو تحريض الغير على شر «ولا تباغضوا» إلا أن يكون البغض في الله قال الشيخ الكلاباذي: معنى لا تباغضوا لا تختلفوا في الأهواء والمذاهب لأن البدعة في الدين والضلال عن الطريق يوجب البغض عليه «ولا تدابروا» أي: لا تقاطعوا فإن التدابر التقاطع وأن يولي الرجل صاحبه دبره فيعرض عنه كما في «الفائق» أو لا تغتابوا وصفة الأخوة التقابل كما قال تعالى: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] وكما قال عليه السلام: «وكونوا عباد الله إخوانا» قال الحافظ:

هيج رحمى نه برادر ببرادر دارد هيچ شوقى نه پدر رابه پسرمى بينم
دختر انراهمه جنكست وجدل بامادر پسرا نراهمه بدخواه پدر مى بينم

نسأل الله السلامة والعافية.

﴿**قل للمخلفين من الأعراب**﴾ كرر ذكرهم بهذا العنوان لذمهم مرة بعد أخرى فإن التخلف عن صحبة الرسول عليه السلام شناعة أي شناعة ﴿**ستدعون إلى قوم**﴾ بحرب كروهى ﴿**أولي بأس شديد**﴾ أي: أولي قوة في الحرب وبالفارسية: كروهى بازور سخت. وهم بنو حنيفة كسفينة أبو حي كما في «القاموس» والمراد أهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب أو هم غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله والمشركون لقوله تعالى: ﴿**تقاتلونهم أو يسلمون**﴾ استئناف كأنه قيل: لماذا فأجيب ليكون أحد الأمرين إما المقاتلة أبداً أو الإسلام لا غير وأما من عدا المرتدين والمشركين من العرب فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي بالإسلام يعني أن المراد بقوم أولي بأس شديد هم المرتدون والمشركون مطلقاً سواء كانوا مشركي العرب أو العجم بناء على أن من عدا الطائفتين المذكورتين وهم أهل الكتاب والمجوس ليس الحكم فيهم أن يقتلوا إلى أن يسلموا بل تقبل منهم الجزية بخلاف المرتدين ومشركي العرب والعجم فإنه لا تقبل منهم الجزية بل يقاتلون حتى يسلموا وهذا عند الشافعي وأما عند أبي حنيفة رحمه الله فمشركو العجم تقبل منهم الجزية كما تقبل من أهل الكتاب والمجوس والذين لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف إنما هم مشركو العرب والمرتدون فقط عنده وفي الآية دليل على إمامة أبي بكر رضي الله عنه إذ لم يتفق دعوة المخلفين إلى قتال أولي البأس الشديد لغيره من الخلفاء وقد

وعدهم الثواب على طاعته وأوعدهم على مخالفته بقوله فإن تطيعوا إلخ ومن أوجب الله طاعته يكون إماماً حقاً فيكون أبو بكر إماماً حقاً إلا إذا ثبت أن المراد بأولي البأس أهل حنين وهم ثقيف وهوازن فلا دلالة للآية حينئذ على إمامة أبي بكر لأن الدعوة إلى قتالهم كانت في حياته عليه السلام لأنه غزاهم عقيب فتح مكة فيكون المخلفون ممنوعين من خيبر مدعوين إلى قتال أهل حنين أي: فيخص دوام نفي الاتباع بما فيه غزوة خيبر كما قال محيي السنة وقيل: هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون فإن الروم نصارى وفارس مجوس تقبل منهم الجزية فتكون الآية دليلاً على إمامة عمر رضي الله عنه لأنه هو الذي قاتلهم ودعا الناس إلى قتالهم **﴿فإن تطيعوا﴾** پس اكر فرمان بريد كسى راكه خواننده شماست بقتال آن كروه **﴿يؤتكم الله﴾** بدهد شمارا خداى **﴿أجراً حسناً﴾** هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة **﴿وإن تتولوا﴾** أي: تعرضوا عن الدعوة وبالفارسية واكر روى بكردانيد وپشت بر داعى كنيد **﴿كما توليتم من قبل﴾** في الحديبية **﴿يعذبكم عذاباً أليماً﴾** لتضاعف جرمكم وبيان المقام أنه عليه السلام لما قال لهم لن تتبعونا دعت الحاجة إلى بيان قبول توبة من رجع منهم عن النفاق فجعل تعالى لهذا القبول علامة وهو أنهم يدعون بعد وفاته عليه السلام إلى محاربة قوم أولي قوة في الحرب فمن أجاب منهم دعوة إمام ذلك الزمان وحاربهم فإنه يقبل توبته ويعطى الأجر الحسن فلولا هذا الامتحان لاستمر حالهم على النفاق كما استمرت حالة ثعلبة عليه فإنه قد امتنع من أداء الزكاة ثم أتى بها ولم يقبل منه النبي عليه السلام واستمر عليه الحال ولم يقبل منه أحد من الصحابة فلعله تعالى علم من ثعلبة أن حاله لا تتغير فلم يبين لتوبته علامة وعلم من أحوال الأعراب أنها تتغير فبين لتغيرها علامة.

وقال بعضهم: إن عثمان رضي الله عنه قد قبل من ثعلبة وهو مجتهد معذور في ذلك ولعله وقف على إخلاصه والعلم عند الله تعالى ولما حكم داود وسليمان عليهما السلام في الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم والنفش الرعي بالليل فحكم داود بشيء وحكم سليمان بأمر آخر وقال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩] فأخذنا من هنا وأمثاله أن كل مجتهد مصيب وإن لم يكن نصاً في الباب قال بعضهم: لا تنكروا على أحد حاله ولا لباسه ولا طعامه ولا غير ذلك إلا بإجازة الشرع وسلموا لكل أحد حاله وما هو فيه ففيهم سائحون وتائبون وعابدون وحامدون وساجدون ومسبحون ومستغفرون ومحققون فقد يكون الإنكار سبب الإيحاش والوحشة سبب انقطاعهم عن باب الخالق ويرحم البعض بالبعض.

قال الحافظ:

عيب رندان مكن اى زاهد پاكيزه سرشت — كه كناه دكران بر تونخوا هند نوشت
من اكرنيكم وكربد توبرو خودرا باش — هركسى آن درود عاقبت كاركه كشت
نااميدم مكن از سابقه لطف ازل — توچه دانى كه پس پرده كه خوبست كه زشت
بر عمل تكيه مكن زانكه دران روز ازل — توچه دانى قلم صنع بنامت چه نوشت

وفي الآية إشارة إلى أن النفوس المتخلفة عن الطاعات والعبادات من الفرائض والنوافل لو دعيت إلى الجهاد في سبيل الله أو الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس والشيطان والدنيا تقاتلونهم بنهي النفس عن الهوى وترك الدنيا وزينتها فإن أجابوا وأطاعوا فقد استوجبوا الأجر الحسن وإن أعرضوا عن الطاعات والعبادات يعذبهم الله بعذاب أليم يتألمون به في الدنيا والآخرة.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾

﴿**ليس على الأعمى**﴾ لما وعد على التخلف نفى الحرج عن الضعفاء والمعذورين فقال: ليس على الأعمى وهو فاقد البصر ﴿**حرج**﴾ إثم في التخلف عن الغزو لأنه كالطائر المقصوص الجناح لا يمتنع على من قصده والتكليف يدور على الاستطاعة وأصل الحرج والحراج مجتمع الشيء كالشجر وتصور منه ضيق ما بينهما فقيل للضيق حرج وللإثم حرج ﴿**ولا على الأعرج حرج**﴾ لما به من العلة اللازمة إحدى الرجلين أو كلتيهما وقد سقط عمن ليس له رجلان غسلهما في الوضوء فكيف بالجهاد والأعرج بالفارسية لنك. من العروج لأن الأعرج ذاهب في صعود بعد هبوط وعرج كفرح إذا صار ذلك خلقة له وقيل للضبع عرجاء لكونها في خلقتها ذات عرج وعرج كدخل ارتقى وأصابه شيء في رجليه فمشى مشي العارج أي: الذاهب في صعود وليس ذلك بخلقة أو يثلث في غير الخلقة كما في «القاموس» ﴿**ولا على المريض حرج**﴾ لأنه لا قوة به وفي نفي الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بأمرهم وتوسيع لدائرة الرخصة ﴿**ومن**﴾ وهركه ﴿**يطع الله ورسوله**﴾ أي: فيما ذكر من الأوامر والنواهي في السر والعلانية ﴿**يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾ قال بعض الكبار: إنما سميت الجنة جنة لأنها ستر بينك وبين الحق تعالى وحجاب فإنها محل شهوات الأنفس وإذا أراد أن يريك ذاتك حجبك عن شهوتك ورفع عن عينيك سترها فغبت عن جنتك وأنت فيها ورأيت ربك والحجاب عليك منك فأنت الغمامة على شمسك فاعرف حقيقة نفسك ﴿**ومن يتول**﴾ عن الطاعة وبالفارسية: وهركه اعراض كند از فرمان خدا ورسول ﴿**يعذبه عذاباً أليماً**﴾ لا يقادر قدره وبالفارسية عذابي دردناك كه دردان منقطع نكر ددوالم آن منقضى نشود وآن عذاب حرمانست چه بمخالفت امر خدا از دولت لقامهجور وبنافرمانى رسول از سعادت شفاعت محروم خواهدماند. مسوز آتش محروميم كه هيچ عذاب. زروى سوزو الم چون عذاب، حرمان نيست. وفي الآية إشارة إلى أصحاب الأعذار من أرباب الطلب فمن عرض له مانع يعجزه عن السير بلا عزيمة منه وهمته في الطلب ورغبته في السير وتوجهه إلى الحق باق فلا حرج عليه فيما يعتريه فيكون أجره على الله وذلك قوله تعالى: ﴿**ومن يطع الله ورسوله**﴾ يعني بقدر الاستطاعة يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعني يعرض عن الله وينقض عهد الطلب يعذبه عذاباً أليماً كما قال أوحد المشايخ في وقته أبو عبد الله الشيرازي قدس سره: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول: من عرفه طريقاً إلى الله فسلكه ثم رجع عنه عذبه الله بعذاب لم يعذب به أحداً من العالمين وقد قالوا مرتد الطريقة أعظم ذنباً من مرتد الشريعة وقال الجنيد: لو أقبل صديق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فإن ما فاته أكثر مما ناله.

وقال بعضهم في الآية إشارة إلى الأعمى الحقيقي وهو من لا يرى غير الله لا الآخرة التي أشير إليها بالعين اليمنى ولا الدنيا التي أشير إليها بالعين اليسرى وهو معذور باستعمال الرخص والدخول في الرفاهية كما قال بعض الكبار: إن المحقق لا يجوع نفسه إلا اضطراراً سيما إذا كان في مقام الهيبة وكسر الصفات فإنه يكثر أكله لشدة سطوات نيران الحقائق في قلبه بالعظمة وشهودها وهي حالة المقربين ولكن قد يقلل عمداً على قصد المحاق بأهله الأنس بالله فهو

بذلك يجتمع بالسالك انتهى وإلى الأعرج الحقيقي وهو من وصل إلى منزل المشاهدة فضرب بسيوف الوحدة والإطلاق على رجل الاثنينية والتقيد فتعطل آلاته بالفناء فتقاعد هناك وهم الأفراد المشاهدون فلا حرج لهم أن لا ينزلوا إلى مقام المجاهدين أيضاً ومن هنا يعرف سر قولهم الصوفي من لا مذهب له فإن من لا مذهب له لا سير له ومن لا سير له لا يلزم له آلة وإلى المريض الحقيقي وهو الذي أسقمه العشق والمحبة وهو معذور إذا باشر الروحانيات مثل السماع واستعمال الطيب والنظر إلى المستحسنات فإن مداواته أيضاً تكون من قبيل العشق والمحبة لأن العشق أمرضه فيداوى بالعشق أيضاً كما قيل:

تداويت من ليلى بليلى من الهوا كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وقال بعضهم: من كان له عذر في المجاهدة فإن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه فاعرف ذلك.

﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾.

﴿لقد رضي الله عن المؤمنين﴾ رضى العبد عنْ الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه ورضى الله عن العبد هو أن يراه مؤتمراً لأمره منتهياً عن نهيه وهم الذين ذكر شأن مبايعتهم وكانوا ألفاً وأربعمائة على الصحيح وقيل ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين وبهذه الآية سميت بيعة الرضوان وقال بعض الكبار: سميت بيعة الرضوان لأن الرضى فناء الإرادة في إرادته تعالى وهو كمال فناء الصفات وذلك أن الذات العلية محتجبة بالصفات والصفات بالأفعال والأفعال بالأكوان والآثار فمن تجلت عليه الأفعال بارتفاع حجب الأكوان توكل ومن تجلت عليه الصفات بارتفاع حجب الأفعال رضي وسلم ومن تجلت عليه الذات بانكشاف حجب الصفات فني في الوحدة فصار موحداً مطلقاً فاعلاً ما فعل وقارئاً ما قرأ ما دام هذا شهوده فتوحيد الأفعال مقدم على توحيد الصفات وتوحيد الصفات مقدم على توحيد الذات وإلى هذه المراتب الثلاث أشار ﷺ بقوله في سجوده: «وأعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك» فاعلم ذلك فإنه من لباب المعرفة **﴿إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾** منصوب برضي وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به والشجر من النبت ما له ساق والمراد بالشجرة هنا سمرة أي: أم غيلان وهي كثيرة في بوادي الحجاز وقيل سدرة وكان مبايعتهم على أن يقاتلوا قريشاً ولا يفروا وروى علي الموت دونه قال أبو عيسى معنى الحديثين صحيح فبايعه جماعة على الموت أي: لا نزال نقاتلهم بين يديك ما لم نقتل وبايعه آخرون وقالوا: لا نفر. يقول الفقير: عدم الفرار لا يستلزم الموت فلا تعارض [وآن أصحاب را أصحاب الشجرة كويند وكان علامة أصحاب رسول الله معه في الغزاة أن يقول: يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة وآن ساعت كه دست عهد بيعت كرفتند يا رسول فرمان آمد از حق تعالى تادر هاى آسمان بكشادند وفرشتكان از ذروه فلك نظاه كردند واز حق فرمان آمد بطريق مباهات كه أي: مقربان افلاك نظر كنيد بآن كروه كه از بهر اعزاز دين اسلام واعلاى كلمه حق ميكوشند جان بذل كرده وتن سبيل ودل فدا ودر وقت قتال روى نشانه نيزه كرده وسينه سپر ساخته:

شراب ازخون وجام ازكاسه سر بجاى بانك رود آوازاسبان

بجاى دسته كل دشنه وتيغ بجاى قرطه برتن درع وخفتان

[كواه باشيد اى مقربان كه من از ايشان خشنودم ودر قيامت هريكى را ازايشان در امت محمد چندان شفاعت دهم كه ازمن خشنود كردند وازين عهدتا آخر دور هر مؤمنى كه آن بيعت بشنود وبدل بامر ايشان درقبول آن بيعت موافق بود من آن مؤمن راهمان خلعت دهم كه اين مؤمنا نرا دادم].

وعند تلك المبايعة قال لهم رسول الله ﷺ: «أنتم اليوم خير أهل الأرض» واستدل بهذا الحديث على عدم حياة الخضر عليه السلام حينئذ لأنه يلزم أن يكون غير النبي أفضل منه وقد قامت الأدلة الواضحة على ثبوت نبوته كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله.

يقول الفقير: نبوة الخضر منقضية كنبوة عيسى عليهما السلام فعلى تقدير حياته يكون من اتباعه عليه السلام وأمته كما قال عليه السلام: «لو كان أخي موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي» وثبت أن عيسى من أصحابه عليه السلام وعند نزوله في آخر الزمان يكون من أمته فإن قلت بحضور الخضر بين الأصحاب في تلك المبايعة وإن لم يعرفه أحد فالأمر ظاهر وإن قلت بعدم الحضور فلا يلزم رجحان الأصحاب عليه من كل وجه إذ بعض من هو فاضل مفضول من وجه قال في «إنسان العيون»: صارت تلك الشجرة التي وقعت عندها البيعة يقال لها شجرة الرضوان وبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمان خلافته أن ناساً يصلون عندها فتوعدهم وأمر بها فقطعت خوف ظهور البدعة انتهى وروى الإمام النسفي رحمه الله في «التيسير» أنها عميت عليهم من قابل فلم يدروا أين ذهبت.

يقول الفقير: يمكن التوفيق بين الروايتين بأنهم لما عميت عليهم ذهبوا يصلون تحت شجرة على ظن أنها هي شجرة البيعة فأمر عمر رضي الله عنه بقطعها وفي «كشف النور» لابن النابلسي: أما قول بعض المغرورين بأننا نخاف على العوام إذا اعتقدوا ولياً من الأولياء وعظموا قبره والتمسوا البركة والمعونة منه أن يدركهم اعتقاد أن الأولياء تؤثر في الوجود مع الله فيكفرون ويشركون بالله تعالى فننهاهم عن ذلك ونهدم قبور الأولياء ونرفع البنايات الموضوعة عليها ونزيل الستور عنها ونجعل الإهانة للأولياء ظاهراً حتى تعلم العوام الجاهلون أن هؤلاء الأولياء لو كانوا مؤثرين في الوجود مع الله تعالى لدفعوا عن أنفسهم هذه الإهانة التي نفعلها معهم فاعلم أن هذا الصنيع كفر صراح مأخوذ من قول فرعون على ماحكاه الله تعالى لنا في كتابه القديم وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد وكيف يجوز هذا الصنيع من أجل الأمر الموهوم وهو خوف الضلال على العامة انتهى.

يقول الفقير: والتوفيق بين هذا وبين ما فعله عمر رضي الله عنه أن الذي يصح هو اتباع الظن لا الوهم ﴿**فعلم ما في قلوبهم**﴾ عطف على يبايعونك لما عرفت من أنه بمعنى بايعوك لا على رضى فإن رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما في قلوبهم من الصدق والإخلاص عند مبايعتهم له عليه السلام قال بعضهم: إن من الفرق بين علم الحق وعلم عبيده أن علمهم لم يكن لهم إلا بعد ظهورهم وحصول صورتهم وأما علم الحق تعالى فكان قبل وجود الخلق وبعدهم فليس علمه تعالى بعناية من غيره بخلاف العبد ﴿**فأنزل السكينة عليهم**﴾ عطف على رضى أي: فأنزل عليه الطمأنينة وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح

قال البقلي في «عرائسه»: رضى الله عنهم في الأزل وسابق علم القدم ويبقى رضاه إلى الأبد لأن رضاه صفته الأزلية الباقية الأبدية لا تتغير بتغير الحدثان ولا بالوقت والزمان ولا بالطاعة والعصيان فإذا هم في اصطفائيته باقون إلى الأبد لا يسقطون من درجاتهم بالزلات ولا بالشرية والشهوات لأن أهل الرضى محروسون برعايته لا يجري عليهم نعوت أهل البعد وصاروا متصفين بوصف رضاه فرضوا عنه كما رضي عنهم وهذا بعد قذف أنوار الأنس في قلوبهم بقوله: ﴿**فأنزل السكينة عليهم**﴾ قال ابن عطاء رضي الله عنهم فأرضاهم وأوصلهم إلى مقام الرضى واليقين والاطمئنان فأنزل سكينته عليهم لتسكن قلوبهم إليه ﴿**وأثابهم**﴾ وپاداش داد ايشانرا فإن الاثابة بالفارسية پاداش دادن. والثواب ما يرجع إلى الإنسان من جزاء عمل يستعمل في الخير والشر لكن الأكثر المتعارف في الخير والإثابة تستعمل في المحبوب وقد قيل ذلك في المكروه نحو فأثابكم غماً بغم على الاستعارة ﴿**فتحاً قريباً**﴾ وهو فتح خيبر غب انصرافهم من الحديبية ﴿**ومغانم كثيرة يأخذونها**﴾ أي: وأثابهم مغانم خيبر وكانت ذات عقار وأشجار أخذوها من اليهود مع فتح بلدتهم فقسمت عليهم ﴿**وكان الله عزيزاً**﴾ غالباً ﴿**حكيماً**﴾ مراعياً لمقتضى الحكمة في أحكامه وقضاياه وقال ابن الشيخ حكيماً في أمره حكم لهم بالظفر والغنيمة ولأهل خيبر بالسبي والهزيمة.

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿**وعدكم الله مغانم كثيرة**﴾ هي ما يفيئه على المؤمنين إلى يوم القيامة والإفاءة مال كسى غنيمت كردن ﴿**تأخذونها**﴾ في أوقاتها المقدرة لكل واحد منها ﴿**فعجل لكم هذه**﴾ أي: غنائم خيبر ﴿**وكف أيدي الناس عنكم**﴾ أي: أيدي أهل خيبر وهم سبعون ألفاً وحلفاؤهم من بني أسد وغطفان حيث جاؤوا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا والحلفاء بالحاء المهملة جمع حليف وهو المعاهد للنصر فإن الحلف العهد بين القوم وقيل أيدي أهل مكة بالصلح وبالفارسية ودست مردمانرا از شما كوتاه كرد. وقال في «المفردات»: الكف كف الناس وهي ما بها يقبض ويبسط وكففته دفعته بالكف وتعورف الكف بالدفع على أي وجه كان بالكف وبغيرها حتى قيل رجل مكفوف لمن قبض بصره قال سعدي المفتي: إن كان نزولها بعد فتح خيبر كما هو الظاهر لا تكون السورة بتمامها نازلة في مرجعه عليه السلام من الحديبية وإن كان قبله على أنها من الإخبار عن الغيب فالإشارة بهذه تنزيل المغانم منزلة الحاضرة المشاهدة والتعبير بالمضي للتحقق. ﴿**ولتكون آية للمؤمنين**﴾ عطف على علة أخرى محذوفة من أحد الفعلين أي: فعجل لكم هذه أو كف أيدي الناس عنكم لتغتنموها ولتكون آية للمؤمنين يعرفون بها صدق الرسول في وعده إياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من الغنائم وفتح مكة وهو دخول المسجد الحرام ويجوز أن تكون الواو اعتراضية على أن تكون اللام متعلقة بمحذوف مؤخر أي: ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف ﴿**ويهديكم**﴾ بتلك الآية ﴿**صراطاً مستقيماً**﴾ هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه في كل ما تأتون وما تذرون وفي الآية إشارة إلى ما وعد الله عباده من المغانم الكثيرة بقوله: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] فكل واحد

يأخذها بحسب مطمح نظره وعلو همته فمن كانت همته الدنيا فهي له معجلة وما له في الآخرة من خلاق ومن كانت همته الآخرة فله نصيب من حظ الدارين وربما يكف الله أيدي دواعي شهوات النفس عن المؤمنين ليكونوا من أهل الجنة كما قال تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] ولو وكلهم إلى أنفسهم لاتبعوا الشهوات وهي دركات الجحيم إذ حفت النار بالشهوات وفي ترك الدنيا وشهوات النفس آية للمؤمنين حيث يهتدي بعضهم بهدي بعض ويصلون على هذا الصراط المستقيم إلى حضرة ربوبية.

قال الشيخ سعدي:

پي نيك مردان ببايد شتافت ... هران كين سعادت طلب كرديافت
وليكن تودنبال ديو خسي ... ندانم كه در صالحان كي رسي
پيمبر كسى راشفاعت كرست ... كه برجاده شرع پيغمبرست

ثم إن خيبر حصن معروف قرب المدينة على ما في «القاموس» وقال في «إنسان العيون» هو على وزن جعفر سميت باسم رجل من العماليق نزلها يقال له خيبر وهو أخو يثرب الذي سميت باسمه المدينة وفي كلام بعض خيبر بلسان اليهود الحصن ومن ثم قيل لها خيابر لاشتمالها على الحصون وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير بينها وبين المدينة الشريفة ثمانية برد والبريد أربعة فراسخ وكل فرسخ ثلاثة أميال.

يقول الفقير: وكل ميلين ساعة واحدة بالساعات النجومية لأنه عد من المدينة إلى قبا ميلان وهي ساعة واحدة فتكون الثمانية البرد ثماني وأربعين ساعة بتلك الساعات وفي «القاموس»: البريد فرسخان واثنا عشر ميلاً انتهى ولما رجع عليه السلام من الحديبية أقام شهراً أي: بقية ذي الحجة وبعض المحرم من سنة سبع ثم خرج إلى خيبر وقد استنفر من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه وجاءه المخلفون عنه في غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال عليه السلام: «لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد أما الغنيمة فلا»، أي: لا تعطون منها شيئاً ثم أمر منادياً ينادي بذلك فنادى به وأمر أيضاً أنه لا يخرج الضعيف ولا من له مركب صعب حتى أن بعضهم خالف هذا الأمر فنفر مركوبه فصرعه فاندقت فخذه فمات فأمر عليه السلام بلالاً رضي الله عنه أن ينادي في الناس «الجنة لا تحل لعاص ثلاثاً» وخرج معه عليه السلام من نسائه أم سلمة رضي الله عنها ولما أشرف على خيبر وكان وقت الصبح رأى عمالها وقد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم وهي القفف الكبيرة قالوا: محمد والخميس أي: الجيش العظيم معه قيل له: الخميس لأنه خمسة أقسام: المقدمة والساقة والميمنة والميسرة وهما الجناحان والقلب وأدبروا أي: العمال هرباً إلى حصونهم وكانوا لا يظنون أن رسول الله يغزوهم وكان بها عشرة آلاف مقاتل فقال عليه السلام: «الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات: ١٧٧]» وإنما قاله بالوحي كما نطق به قوله تعالى: **﴿فعجل لكم هذه﴾** وابتدأ من حصونهم بحصون النطاة وأمر بقطع نخلها فقطعوا أربعمائة نخلة ثم نهاهم عن القطع ومكث عليه السلام سبعة أيام يقاتل أهل حصون النطاة فلم يرجع من أعطى له الراية بفتح ثم قال: «لأعطين الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبانه يفتح الله على يديه فتطاولها أبو بكر وعمر وبعض الصحابة من قريش فدعا عليه السلام علياً رضي الله عنه وبه رمد فتفل في عينيه ثم أعطاه الراية وكانت بيضاء مكتوب فيها لا إله إلا الله محمد رسول الله بالسواد

فقال علي: علام أقاتلهم يا رسول الله؟ قال: أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم وأموالهم وألبسه عليه السلام درعه الحديد وشد سيفه ذا الفقار في وسطه ووجهه إلى الحصن وقال: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» أي: من الإبل النفيسة التي تصدق بها في سبيل الله فخرج علي رضي الله عنه بالراية يهرول حتى ركزها تحت الحصن فخرج إليه الحارث أخو مرحب وكان معروفاً بالشجاعة فتضاربا فقتله علي وانهزم اليهود إلى الحصن.

صعوه كريا عقاب سازدجنك دهد ازخون خودپرش رارنك

ثم خرج إليه مرحب سيد اليهود وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح البطل المجرب

أي تام السلاح معروف بالشجاعة وقهر الفرسان وارتجز علي رضي الله عنه وقال:

أنا الذي سمتني أمي حيدره ضرغام آجام وليث قسوره

وضرب علياً فطرح ترسه من يده فتناول علي باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل في يده يقاتل حتى قتل مرحباً وفتح الله عليه الحصن وهو حصن ناعم من حصون النطاة وألقى الباب من يده وراء ظهره ثمانين شبراً وذلك بالقوة القدسية وفيه بيان شجاعة علي حيث قتل شجيعاً بعد شجيع ونعم ما قيل:

كرچله شاطر بود خروس بجنك چه زند پيش بازروبين چنك

كربه شيرست در كرفتن موش ليك موشست درمصاف پلنك

ثم انتقل عليه السلام من حصن ناعم إلى حصن العصب من حصون النطاة فأقاموا على محاصرته يومين حتى فتح الله وما بخيبر حصن أكثر طعاماً منه كالشعير السمن والتمر والزيت والشحم والماشية والمتاع ثم انتقلوا إلى حصن قلة وهو حصن بقلة وهو آخر حصون النطاة فقطعوا عنهم ماءهم ففتحه الله ثم سار المسلمون إلى حصار الشق بفتح الشين المعجمة وهو أعرف عند أهل اللغة من الكسر ففتحوا الحصن الأول من حصونه ثم حاصروا حصن البرآء وهو الحصن الثاني من حصني الشق فقاتلوا قتالاً شديداً حتى فتحه الله ثم حاصروا حصون الكثيبة وهي ثلاثة حصون: القموص كصبور والوطيح وسلالم بضم السين المهملة وكان أعظم حصون خيبر القموص وكان منيعاً حاصره المسلمون عشرين ليلة ثم فتحه الله على يد علي رضي الله عنه ومنه سبيت صفية رضي الله عنها وانتهت المسلمون إلى حصار الوطيح بالحاء المهملة سمي باسم الوطيح بن مارن رجل من اليهود وسلالم آخر حصون خيبر ومكثوا على حصارهما أربعة عشر يوماً وهذان الحصنان فتحا صلحاً لأن أهلهما لما أيقنوا بالهلاك سألوا رسول الله عليه السلام الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم وأن لا يصحب أحد منهم إلا ثوباً واحداً على ظهره فصالحهم عليه ووجدوا في الحصنين المذكورين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس عربية بجعابها وأشياء أخر غالية القيمة وهي ما في خزانة أبي الحقيق مصغراً وأرسل عليه السلام إلى أهل فدك وهي محركة قرية بخيبر يدعوهم إلى الإسلام ويخوفهم فتصالحوا معه عليه السلام على أن يحقن دماءهم ويخليهم ويخلون بينه وبين الأموال ففعل ذلك رسول الله وقيل تصالحوا معه على أن يكون لهم النصف في الأرض ولرسول الله النصف الآخر وكان فدك الأول

لرسول الله ﷺ وعلى الثاني كان له نصفها لأنه لم تؤخذ بمقاتلة وكان عليه السلام ينفق منها ويعود منها على صغير بني هاشم ويزوج منها أيمهم ولما مات عليه السلام وولي أبو بكر رضي الله عنه الخلافة سألته فاطمة رضي الله عنها أن يجعل فدك أو نصفها لها فأبى وروي لها أنه عليه السلام قال: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث» أي: لا نكون مورثين «ما تركناه صدقة» أي: على المسلمين ثم إن النبي عليه السلام أمر بالغنائم التي غنمت قبل الصلح فجمعت وأصاب رسول الله ﷺ سبايا منها صفية بنت ملكهم حي بن أخطب من سبط هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام فهداها الله فأسلمت ثم أعتقها رسول الله وتزوجها وكانت رأت أن القمر وقع في حجرها فكان ذلك رسول الله وجعل وليمتها حيساً في نطع الحيس تمر وأقط وسمن ودخل بها رسول الله في منزل الصهباء في العود والصهباء موضع قرب خيبر كما في «القاموس» وبات تلك الليلة أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه متوشحاً سيفه يحرسه ويطوف حول قبته حتى أصبح رسول الله فرأى مكان أبي أيوب فقال مالك: يا أبا أيوب قال: يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة قتلت أباها وزوجها وقومها وهي حديثة عهد بجاهلية فبت أحفظك فقال عليه السلام: «اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني» قال السهيلي رحمه الله: فحرس الله تعالى أبا أيوب بهذه الدعوة حتى أن الروم لتحرس قبره ويستسقون به فيسقون فإنه غزا مع يزيد بن معاوية سنة خمسين فلما بلغوا القسطنطينية مات أبو أيوب هناك فأوصى يزيد أن يدفنه في أقرب موضع من مدينة الروم فركب المسلمون ومشوا به حتى إذا لم يجدوا مساغاً دفنوه فسألتهم الروم عن شأنهم فأخبروهم أنه كبير من أكابر المسلمين الصحابة فقالت ليزيد: ما أحمقك وأحمق من أرسلك آمنت أن ننبشه بعدك فخرق عظامه فحلف لهم يزيد لئن فعلوا ذلك ليهدمن كل كنيسة بأرض العرب وينبش قبورهم فحينئذ حلفوا له بنبيهم ليكرمن قبره وليحرسنه ما استطاعوا.

وقال صاحب «روضة الأخبار»: مات أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه بالقسطنطينية سنة إحدى وخمسين مرابطاً مع يزيد بن معاوية مرض فلما ثقل مرضه قال لأصحابه: إذا أنا مت فاحملوني فإذا صاففتم العدو فادفنوني تحت أقدامكم ففعلوا وقبره قريب من سورها معروف معظم وكان الروم يتعاهدون قبره ويستشفون به انتهى.

يقول الفقير: ثبت أن قبر أبي أيوب إنما تعين بإشارة الشيخ الشهير بآق شمس الدين قدس سره وقد كان مع الفاتح السلطان محمد العثماني في زمان الفتح وهذا يقتضي أن يكون محل قبره المنيف مندرساً بمرور الأيام ولنعد إلى تمام القصة ونهى النبي عليه السلام عن إتيان الحبالى حتى تضع وعن غير الحبالى حتى تستبرأ بحيضة ونهى عن إتيان المسجد لمن أكل الثوم والبصل وعن بعضهم ما أكل نبي قط ثوماً ولا بصلاً.

يقول الفقير: يدخل فيه الدخان الشائع شربه في هذا الزمان بل رائحته أكره من رائحة الثوم والبصل فإذا كان دخول المسجد ممنوعاً مع رائحتهما دفعاً لأذى الناس والملائكة فمع رائحة الدخان أولى وظاهر أن الثوم والبصل من جنس الأغذية ولا كذلك الدخان ومحافظة المزاج بشربه إنما عرفت بعد الإدمان المولد للأمراض الهائلة فليس لشاربه دليل في ذلك أصلاً فكما أن شرب الخمر ممنوع أولاً وآخراً حتى لو تاب منها ومرض لا يجوز أن يشربها ولو مات من ذلك المرض يؤجر ولا يأثم فكذا شرب الدخان وليس استطابته إلا من خباثة الطبع فإن

الطباع السليمة تستقذره لا محالة فتب إلى الله وعد حتى لا يراك حيث نهاك ووقت عليه السلام قص الشارب وتقليم الأظفار واستعمال النورة بأن لا يترك ذلك أربعين يوماً وقدم عليه ﷺ بعد فتح خيبر ابن عمه جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة وقد كان هاجر إليها معه الأشعريون فقام عليه السلام إلى جعفر وقبله بين عينيه واعتنقه وقال: «والله ما أدري بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر» وليس حديث القيام معارضاً لحديث: «من سره أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار» لأن هذا الوعيد إنما توجه للمتكبرين ولمن يغضب أن لا يقام له وكأن من جملة من قدم معهم من الحبشة أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي عليه السلام وذلك أن أم حبيبة كانت ممن هاجر إلى الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش فارتد عن الإسلام هناك وتنصر ومات على ذلك وبقيت هي على إسلامها ورأت في المنام كأن قائلاً يقول لها: «يا أم المؤمنين فعلمت بأن رسول الله يتزوجها فأرسل عليه السلام في المحرم افتتاح سنة سبع إلى النجاشي بالتخفيف ملك الحبشة وكان مؤمناً ليزوجها منه عليه السلام فزوجها وأصدقها أربعمائة دينار ولما قدم رسول الله خيبر كان الثمر أخضر فأكثر الصحابة من أكله فأصابتهم الحمى فشكوا ذلك إلى رسول الله فقال: «بردوا لها الماء في الشنان» أي: في القرب «ثم صبوا منه عليكم بين أذاني الفجر واذكروا اسم الله عليه ففعلوا فذهبت عنهم» وفي هذه الغزوة أراد عليه السلام أن يتبرز فأمر إلى شجرتين متباعدتين حتى اجتمعتا فاستتر بهما ثم قام فانطلقت كل واحدة إلى مكانها وفي خيبر كان أكله من الشاة المسمومة وذلك أن زينب ابنة الحارث أخت مرحب سمتها وأكثرت في الذراعين والكتف لما عرفت أنه عليه السلام كان يحب الذراع والكتف لكونهما أبعد من الأذى وأهدتها له عليه السلام وكان قد صلى المغرب بالناس فلما انتهش من الذراع وازدرد لقمة ازدرد بشر ما في فيه ومات من أكل معه وهو بشر بن البراء واحتجم رسول الله بين الكتفين في ثلاثة مواضع وقال: «الحجامة في الرأس هي المعينة أمرني بها جبرائيل حين أكلت طعام اليهودية» وقد احتجم في غير هذه الواقعة مراراً واحتجم وسط رأسه وكان يسميها منقذاً وذلك أنه لما سحره اليهودي ووصل المرض إلى الذات المقدسة أمر بالحجامة على قبة رأسه المباركة واستعمال الحجامة في كل متضرر بالسحر غاية الحكمة ونهاية حسن المعالجة وفي الحديث: «الحجامة في الرأس شفاء من سبع من الجنون والصداع والجذام والبرص والنعاس ووجع الضرس وظلمة يجدها في عينيه» والحجامة في البلاد الحارة أنفع من الفصد والأولى أن تكون في الربع الثالث من الشهر لأنه وقت هيجان الدم وعن أبي هريرة مرفوعاً «من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين كانت شفاء من كل داء» والحجامة على الريق دواء وعلى الشبع داء ويكره في الأربعاء والسبت ثم أرسل رسول الله إلى تلك اليهودية فقال: أسممت هذه الشاة فقالت: من أخبرك؟ قال: أخبرتني هذه التي في يدي أي: الذراع قالت: نعم قال: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: قتلت أبي وعمي وزوجي ونلت من قومي ما نلت فقلت: إن كان ملكاً استرحنا منه وإن كان نبياً فسيخبر فعفا عنها».

زخوان معجزا وكرنوا له طلبي   حديث بره برياشنوكه ما حضرست

فلما مات بشر أمر بها فقتلت وصلبت وفي الإحياء أطعم عليه السلام السم فمات الذي أكل معه وعاش هو عليه السلام بعده أربع سنين انتهى.

قال الشيخ الشهير بأفتاده قدس سره: إنما لم يؤثر السم في عمر حين جاء من قيصر لأنه

رضي الله عنه إنما شرب بحقيقته لا ببشريته وإنما أثر في النبي عليه السلام بعد تنزله إلى حالة بشريته وذلك إرشاده عليه السلام وإن كان في عالم التنزل غير أن تنزله كان في مرتبة الروح وهي أعدل المراتب فلم يؤثر فيه حتى مضى عليه اثنتا عشرة سنة فلما احتضر عليه السلام تنزل إلى أدنى المراتب لأن الموت إنما يجري على البشرية فلما تنزل إلى تلك المرتبة أثر فيه انتهى فانتقل عليه السلام من الدنيا بالشهادة فأحرز جميع المراتب من النبوة والرسالة والصديقية والشهادة.

يقول الفقير: قوله اثنتا عشرة سنة وهكذا قال صاحب «**المحمدية**» وهو مخالف لما سبق عن «**الإحياء**»، والحق ما في «**الإحياء**» لأن قصة السم كانت في خيبر وقصة خيبر في السنة السابعة من الهجرة فغير هذا وجهه غير ظاهر كما لا يخفى ولما كان زمان خلافة عمر رضي الله عنه ظهر خيانة أهل خيبر فأجلى يهود فدك ونصارى نجران لأنه عليه السلام قال: «لا يبقى دينان في جزيرة العرب» وجزيرة العرب ما أحاط به بحر الهند وبحر الشام ثم دجلة والفرات أو ما بين عدن أبين إلى أطراف الشام طولاً ومن جدة إلى ريف العراق عرضاً كما في «القاموس».

﴿وأخرى﴾ عطف على هذه أي: فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى **﴿لم تقدروا عليها﴾** وهي مغانم هوازن في غزوة حنين فإنهم لم يقدروا عليها إلى عام الحديبية وإنما قدروا عليها عقيب فتح مكة ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة أي: من تكِرار الهزيمة والرجوع إلى القتال قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها يقال جال القوم جولة انكشفوا ثم كروا **﴿قد أحاط الله بها﴾** صفة أخرى لأخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة إلى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة مثالها بالنظر إلى قدرتهم أي: قد قدر الله عليها واستولى وأظهركم عليها وقيل: حفظها عليكم لفتحكم ومنعها من غيركم يعني جميع فتوح المسلمين قال ابن عباس رضي الله عنهما ومنه فتح قسطنطينية ورومية وعمورية ومدائن فارس والروم والشام أما قسطنطينية فمشهورة وهي الآن دار السلطنة للسلاطين العثمانية وأما رومية ويقال لها رومية الكبرى فمدينة عظيمة من مدن الروم مثل قسطنطينية وأما عمورية بفتح العين المهملة وضم الميم المشددة وبالراء فقد قال الإمام اليافعي في «**المرآة**» هي التي يسميها أهل الروم انكورية وهي مدينة كبيرة كانت مقر ملوكهم فتحها المعتصم بالله قال الراغب: الإحاطة على وجهين أحدهما في الأجسام نحو أحطت بمكان كذا وتستعمل في الحفظ نحو كان الله بكل شيء محيطاً أي: حافظاً له في جميع جهاته وتستعمل في المنع نحو إلا أن يحاط بكم أي: إلا أن تمنعوا والثاني في العلم نحو أحاط بكل شيء علماً فالإحاطة بالشيء علماً هو أن يعلم وجوده وجنسه وقدره وكيفيته وغرضه المقصود به وبإيجاده وما يكون به ومنه وذلك ليس يكون إلا لله وقال: بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه فنفى عنهم ذلك **﴿وكان الله على كل شيء قديراً﴾** لأن قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشيء دون شيء أي: منتهية عنده غير متجاوزة عنه لأن علتها لا تنتهي فتأمل.

اعلم أن المغازي غزوة حنين وهو اسم موضع قريب من الطائف ويقال لها لغزوة حنين غزوة هوازن ويقال لها غزوة أوطاس باسم الموضع الذي كانت به الواقعة في آخر الأمر وسببها أنه لما فتح الله على رسوله مكة أطاعت له قبائل العرب إلا هوازن وثقيفاً فإن أهلهما كانوا طغاة

مردة فاجتمعوا إلى حنين فلما وصل خبرهم إلى رسول الله عليه السلام تبسم وقال: «تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله تعالى» فأجمع على السير إلى هوازن وخرج في اثني عشر ألفاً فلما قربوا من محل العدو صفهم وأعطى لواء المهاجرين علياً رضي الله عنه ولواء الخزرج الحباب بن المنذر رضي الله عنه ولواء الأوس أسيد بن حضير رضي الله عنه وركب عليه السلام بغلته الشهباء التي يقال لها فضة قد أهداها له صاحب البلقاء وقيل هي دلدل التي أهداها له المقوقس ولبس درعين والمغفر والدرعان هما ذات الفضول والسغدية بالسين المهملة والغين المعجمة وهي درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت فلما كان بحنين وذلك عند غبش الصبح أي: ظلمته وانحدروا في الوادي خرج عليهم القوم وكانوا كمنوا لهم في شعاب الوادي ومضايقه فحملوا عليهم حملة رجل واحد ورموهم بالنبل وكانوا رماة لا يسقط لهم سهم فأخذ المسلمون راجعين منهزمين لا يلوي أحد على أحد وانحاز رسول الله ذات اليمين ومعه نفر قليل منهم أبو بكر وعمر وعلي والعباس وابنه الفضل فقال عليه السلام: «يا عباس اصرخ يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة» يعني: الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان وكان صيحاً يسمع صوته من ثمانية أميال فأجابوا لبيك لبيك حتى انتهى إليه جمع فاقتتلوا ثم «قبض عليه السلام قبضة من تراب واستقبل بها وجوههم فقال: شاهت الوجوه حم لا ينصرون انهزموا ورب محمد» ورماهم بالتراب فملئت أعينهم من التراب فولوا مدبرين فتبعهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم ولما انهزم القوم عسكر بعضهم بأوطاس فبعث النبي عليه السلام في آثارهم أبا عامر الأشعري رضي الله عنه ورجع رسول الله إلى معسكره يمشي في المسلمين ويقول: «من يدلني على رجل خالد بن الوليد حتى دل عليه فوجده قد أسند إلى مؤخرة رحله لأنه أثقل بالجراحة فتفل عليه السلام في جرحه فبرىء» وأمر عليه السلام بالسبي والغنائم أن تجمع فجمع ذلك كله وأخذوه إلى الجعرانة بالكسر والعين المهملة موضع بين مكة والطائف سمي بريطة بنت سعد وكانت تلقب بالجعرانة وهي المرادة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ [النحل: ٩٢] وكان بها إلى أن انصرف رسول الله من غزوة الطائف ثم لما أتاها قسم تلك الغنائم وكان السبي ستة آلاف رأس والإبل أربعة وعشرين ألفاً والغنم أكثر من أربعين ألفاً والفضة أربعة آلاف أوقية وأحرم من الجعرانة بعمرة بعد أن أقام بها ثلاث عشرة ليلة وقال: «اعتمر منها سبعون نبياً» وقد اعتمر عليه السلام بعد الهجرة أربع عمر أولاها: عمرة الحديبية والثانية: عمرة القضاء من العام المقبل والثالثة: عمرة الجعرانة والرابعة: عمرته عليه السلام مع حجة الوداع وباقي البيان في غزوة حنين وما يتصل بها قد سبق في أوائل التوبة عند قوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٢٥] إلخ.

﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾ أي: أهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر من بني أسد وغطفان **﴿لولوا الأدبار﴾** أي: لانهزموا ولم يكن قتال وبالفارسية هر آينه بر كردانيدندى پشتهارا بكريز يعني هزيمت كردندى. فإن تولية الأدبار كناية عن الانهزام وكذا في الفارسية كما قال. آن نه من باشم كه روز جنك بيني پشت من. ودبر الشيء خلاف القبل كالظهر والخلف **﴿ثم لا يجدون ولياً﴾** يحرسهم **﴿ولا نصيراً﴾** ينصرهم.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

﴿سنة الله التي قد خلت من قبل﴾ أي: سن الله غلبة أنبيائه سنة قديمة فيمن خلا ومضى من الأمم وهو قوله ﴿لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [المجادلة: ٢١] فسنة الله مصدر مؤكد لفعله المحذوف **﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾** أي: تغييراً بنقل الغلبة من الأنبياء إلى غيرهم:

محالست چون دوست داردترا ... كه دردست دشمن كذا ردترا

هرچه در ازل مقر رشده لا محاله كائن خواهد شد ودست تصرف هيچكس رقم تغيير وتبديل بر صفحات آن نخواهد كشيد:

تغيير بحكم ازلي راه نيابد ... تبديل بفرمان قضا كار ندارد

در دائرة أمركم وبيش نكنجد ... باسر قدر جون وچرا كارندارد

وفي الآية إشارة إلى مقاتلة النفوس المتمردة فالله تعالى ناصر السالكين على قتال النفوس وقد قدر النصرة في الأزل فلا تبديل لها إلى الأبد فالمنصور من نصره الله والمقهور من قهره الله ونصرة الله على أنواع فمنها نصرة في الظالم فعن بعضهم كنا في المدينة نتكلم في بعض الأوقات في آيات الله تعالى المنعم بها على أوليائه وكان رجل ضرير بالقرب منا يسمع ما نقول فتقدم إلينا وقال: أنست بكلامكم اعلموا أنه كان لي عيال وأطفال فخرجت إلى البقيع احتطب فرأيت شاباً عليه قميص كتان ونعله في أصبعه فتوهمت أنه تائه فقصدت أن أسلبه ثوبه فقلت له: انزع ما عليك فقال لي: مر في حفظ فقلت له الثانية والثالثة فقال ولا بد قلت: ولا بد فأشار بأصبعيه إلى عيني فسقطتا فقلت: بالله عليك من أنت فقال: أنا ابراهيم الخواص وإنما دعا إبراهيم الخواص على اللص بالعمى ودعا ابراهيم بن أدهم للذي ضربه بالجنة لأن الخواص شهد من اللص أنه لا يتوب إلا بعد العقوبة فرأى العقوبة أصلح له وابن أدهم لم يشهد توبة الضارب في عقوبته فتفضل عليه بالدعاء له فتوة منه وكرماً فحصلت البركة والخير بدعائه للضارب فجاءه مستغفراً معتذراً فقال له إبراهيم: الرأس الذي يحتاج إلى الاعتذار تركته ببلخ يعني أن نخوة الشرف وكبر الرياسة الواقعة في رأسي حين كنت ببلخ قد استبدلت بها تواضع المسكنة والانكسار ومنها نصرة في الباطن فعن أحمد بن أبي الحواري رحمه الله قال: كنت مع أبي سليمان الداراني قدس سره في طريق مكة فسقطت مني السطيحة أي: المزادة فأخبرت أبا سليمان بذلك فقال: يا راد الضالة فلم ألبث حتى أتى رجل يقول: من سقطت منه سطيحته فإذا هي سطيحتي فأخذتها فقال أبو سليمان: حسبت أن يتركنا بلا ماء يا أحمد فمشينا قليلاً وكان برد شديد وعلينا الفراء فرأينا رجلاً عليه طمران رثان وهو يترشح فقال له أبو سليمان: نواسيك ببعض ما علينا فقال الحر والبرد خلقان من خلق الله تعالى إن أمرهما غشياني وإن أمرهما تركاني وأنا أسير في هذه البادية منذ ثلاثين سنة ما ارتعدت ولا انتفضت يلبسني فيحاً من محبته في الشتاء ويلبسني في الصيف مذاق برد محبته:

جمعى كه پشت كرم بعشق نيند ... ناز سمور ومنت سنجاب مى كشند

يا داراني تشير إلى ثوب وتدع الزهد تجد البرد ياداراني تبكي وتصيح وتستريح إلى الترويح فمضى أبو سليمان وقال: لم يعرفني غيره قيل في هذه الحكاية ما معناه أنه لما حقق

الله يقين أبي سليمان في رد السطيحة صانه من العجب بما رآه من حال هذا الرجل حتى صغر في عينيه حال نفسه وتلك سنة الله في أوليائه يصونهم من ملاحظة الأعمال ويصغر في أعينهم ما يصفو لهم من الأحوال وينصرهم في تذكية نفوسهم عن سفساف الأخلاق رضي الله عنهم ونفعنا بهم وسلك بنا مسالك طريقتهم إنه هو الكريم المحسان.

﴿**وهو الذي كف أيديهم**﴾ أي: أيدي كفار مكة ﴿**عنكم**﴾ أي: بأن حملهم على الفرار منكم مع كثرة عددهم وكونهم في بلادهم بصدد الذب عن أهليهم وأولادهم ﴿**وأيديكم عنهم**﴾ بأن حملكم على الرجوع عنهم وتركهم ﴿**ببطن مكة**﴾ أي: في داخلها ﴿**من بعد أن أظفركم**﴾ أي: جعلكم ظافرين غالبين ﴿**عليهم**﴾ وبالفارسية: پس ازانكه ظفر داد شمار او غالب ساخت.

مع أن العادة المستمرة فيمن ظفر بعدوه أن لا يتركه بل يستأصله، والظفر الفوز وأصله من ظفر، أي: نشب ظفره وذلك أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة إلى الحديبية فبعث رسول الله عليه السلام خالد بن الوليد على جند وسماه يومئذ سيف الله فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد ذكره الطبراني وابن أبي حاتم في «**تفسيريهما**» قال سعدي المفتي: لم يصح هذا والمذكور في كتب السير وغيرها من الصحاح أن خالد بن الوليد كان يوم الحديبية طليعة للمشركين أرسلوه في مائتي فارس فدنا في خيله حتى نظر إلى أصحاب رسول الله فأمر رسول الله عباد بن بشر رضي الله عنه فتقدم في خيله فقام بإزائه وصف أصحابه وحانت العصر فصلى رسول الله بأصحابه صلاة الخوف فكيف يصح ما ذكره وقد صح أن إسلام خالد بن الوليد كان بعد الحديبية في السنة الثامنة أو قبلها انتهى وكذا قال في «إنسان العيون» خالد بن الوليد أسلم بعد وقعة الحديبية وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى أظهر المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت يعني أن جماعة من أهل مكة خرجوا يوم الحديبية يرمون المسلمين فرماهم المسلمون بالحجارة حتى أدخلوهم بيوت مكة فلما كان الكف عن الوجه المذكور في غاية البعد قال تعالى وهو الذي إلخ على طريق الحصر استشهاداً به على ما تقدم من قوله ولو قاتلكم إلخ أو هم ثمانون رجلاً طلعوا على رسول الله من قبل التنعيم عند صلاة الصبح ليأخذوه بغتة ويقتلوا الأصحاب فأخذهم رسول الله فخلى سبيلهم فيكون المراد ببطن مكة وادي الحديبية لأن بعضها من الحرم وفي «المفردات»: أصل البطن الجارحة ويقال للجهة السفلى بطن وللجهة العليا ظهر وبه شبه بطن الأمر وبطن الوادي والبطن من العرب اعتباراً بأنهم شخص واحد فإن كل قبيلة منهم كعضو بطن وفخد وكاهل انتهى.

يقول الفقير: لا شك أن وادي الحديبية واقع في الجهة السفلى من مكة لأنه في جانب جدة المحروسة فيكون المراد بالبطن تلك الجهة لا داخل مكة والمعنى والله تعالى أعلم أن الله هو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم من الحديبية التي هي الجهة السفلى من مكة من بعد أن أقدركم عليهم بحيث لو قاتلتموهم غلبتهم عليهم بإذنه تعالى على ما كان في علمه كما قال ولو قاتلكم إلخ وسيأتي سر الكف في الآية التي تلي هذه ﴿**وكان الله بما تعملون**﴾ من مقاتلتكم وهزمكم إياهم أولاً طاعة لرسوله وكفكم عنهم ثانياً لتعظيم بيته الحرام وصيانة أهل الإسلام ﴿**بصيراً**﴾ عالماً لا يخفى عليه شيء فيجازيكم بذلك وقال بعض العلماء ﴿**من بعد أن أظفركم عليهم**﴾ يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن مكة فتحت عنوة لا صلحاً وأما أن

السورة نزلت قبله فلا يخالف لأنه من الإخبار عن الغيب كقوله: إنا فتحنا لك نعم يرد عليه منع دلالته على العنوة فقد يكون الظفر على البلد بالصلح وكذلك قال الزمخشري في أول السورة الفتح الظفر بالبلد عنوة أو صلحاً بحرب أو بغير حرب كما في «**حواشي سعدي المفتي**» وقال في «بحر العلوم»: ويدل على أنها فتحت عنوة قوله تعالى: ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾ لأن لفظ الفتح إذا ورد مطلقاً لا يقع إلا على ما فتح عنوة انتهى.

يقول الفقير: هذا ليس من قبيل الفتح المطلق ولو سلم فالفتح المطلق لا يدل عليه ولذا قارنه تعالى بالنصرة في سورة النصر فإن النصر يقتضي القهارية لا الفتح وقال في «عين المعاني»: وقد فتحت صلحاً عند الشافعي قلنا بل عنوة لقوله عليه السلام لأصحابه: «احصدوهم بالسيف حصداً» إلا أنه لم يضع الجزية على أهلها ولا الخراج على أراضيها كما هو مذهبنا فيما يفتح عنوة لأن مشركي العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف عندنا وأما سواد الكوفة أرض العجم انتهى وقصة فتح مكة على الإجمال أن الفتح كان في شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة وكان السبب في ذلك نقض عهد وقع من جانب قريش وذلك أن شخصاً من بني بكر هجا رسول الله ﷺ وصار يتغنى به فسمعه غلام من خزاعة وكانوا مسلمين فضربه فشجه فثار الشر بين الحيين وأمد قريش لبني بكر على خزاعة فبيتوا خزاعة أي: أتوهم ليلاً على غفلة فقتلوا منهم عشرين ولم يكن ذلك برأي أبي سفيان رئيس قريش وعند ما بلغه الخبر قال حدثتني زوجتي هند أنها رأت رؤيا كرهتها رأت دماً أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة بالخاء المعجمة جبل بمكة والحجون بالحاء المهملة جبل بمعلاة مكة وقال: والله ليغزونا محمد فكره القوم ذلك وخرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم المدينة وقص على رسول الله القصة فقال عليه السلام: «نصرت يا عمرو بن سالم» ودمعت عينا رسول الله وكان يقول: «خزاعة مني وأنا منهم» قالت عائشة رضي الله عنها: أترى قريشاً تجترىء على نقض العهد الذي بينك وبينهم فقال عليه السلام: «ينقضون العهد لأمر يريده الله» فقلت: «خير» قال: خير ولما ندمت قريش على نقض العهد أرسلوا أبا سفيان ليشدّ العقد ويزيد في المدة فقال عليه السلام: «نحن على مدتنا وصلحنا» ولم يقبل ذلك من أبي سفيان ولا أحد من أصحابه فرجع إلى مكة وأخبر القصة وقال: والله قد أبى علي وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوماً لملك عليهم أطوع منهم له ثم إن رسول الله تشاور مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في السير في مكة وأخفى الأمر عن غيرهما فقال أبو بكر هم قومك يا رسول الله فأشار إلى عدم السير وحضه عمر حيث قال: هم رأس الكفرة زعموا أنك ساحر وأنك كذاب وذكر له كل سوء كانوا يقولونه وأيم الله لا تذل العرب حتى تذل أهل مكة فعند ذلك ذكر عليه السلام أن أبا بكر كإبراهيم وكان في الله ألين من اللبن وأن عمر كنوح وكان في الله أشد من الحجر» وأن الأمر أمر عمر وأشار عليه السلام بطي السر وأمر أصحابه بالجهاز وأرسل إلى أهل البادية ومن حوله من المسلمين في كل ناحية يقول لهم: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة ولما قدموا قال عليه السلام: «اللهم خذ العيون والأخبار من قريش حتى نبغتها في بلادها» ثم مضى لسفره لعشر خلون من رمضان أو غير ذلك وكان العسكر عشرة آلاف فيهم المهاجرون والأنصار جميعاً وأفطر عليه السلام في هذا السفر بالكديد وهو كأمير محل بين عسفان وقديد كزبير مصغراً وأمر بالإفطار وعد مخالفته في ذلك عصياناً لحرارة الهواء ولما فيه من القوة على

مقاتلة العدو وفي قديد عقد عليه السلام الألوية والرايات ودفعها للقبائل ثم سار حتى مر بمر الظهران وهو موضع على مرحلة من مكة وقد أعمى الله الأخبار عن قريش إجابة لدعائه فلم يعلموا بوصوله وكان ذلك منه عليه السلام شفقة على قريش حتى لا يضنوا بالمقاتلة وأمر عليه السلام أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار وجعل على الحرس عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان العباس عم النبي عليه السلام قد خرج قبل ذلك بعياله مسلماً أي: مظهراً للإسلام مهاجراً فلقي رسول الله بالجحفة وهو بتقديم الجيم ميقات أهل الشأم فرجع معه إلى مكة وأرسل أهله وثقله إلى المدينة وقال له عليه السلام: «هجرتك يا عم آخر هجرة كما أن نبوتي آخر نبوة» وبعث قريش أبا سفيان يتجسس الأخبار وقالوا: إن لقيت محمداً فخذ لنا منه أماناً فلما وصل إلى مر الظهران ليلاً قال: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً هذا كنيران عرفة وكان بينه وبين العباس مصادقة فلما لقيه أخذ بيده وذهب به إلى رسول الله ليأخذ منه أماناً له فلما أتاه قال عليه السلام: اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فائتني به فلما أتى به عرض النبي عليه السلام عليه الإسلام فتوقف فقال العباس له: ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن يضرب عنقك فهداه الله فشهد شهادة الحق فأسلم ثم قال: يا رسول الله أرأيت إن اعتزلت قريش فكفت أيديها آمنون هم قال عليه السلام: نعم من كف يده وأغلق داره فهو آمن فقال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان يحب الفخر فاجعل له شيئاً قال: «نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام وهو من أشراف قريش في الجاهلية والإسلام فهو آمن» وعقد عليه السلام لأبي رويحة الذي آخى بينه وبين بلال رضي الله عنه لواء وأمره أن ينادي: «من دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن» وذلك توسعة للأمان لضيق المسجد ودار أبي سفيان واستثنى عليه السلام جماعة من النساء والرجال أمر بقتلهم وإن وجدوا متعلقين بأستار الكعبة منهم ابن خطل ونجوه لأن الكعبة لا تعيذ عاصياً ولا تمنع من إقامة حد واجب وكانوا طغاة مردة مؤذين لرسول الله عليه السلام أشد الأذى فعفا عمن آمن وقتل من أصر وقال عليه السلام للعباس: احبس أبا سفيان في مضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها فأول من مر خالد بن الوليد في بني سليم مصغراً ثم قبيلة بعد قبيلة براياتهم حتى مر رسول الله ومعه المهاجرون والأنصار وعمر رضي الله عنه يقول: رويداً حتى يلحق أولكم آخركم قال أبو سفيان: سبحان الله يا عباس من هؤلاء فقال: هذا رسول الله في الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية ثم نزعت منه وأعطيت لابنه قيس وكان من دهاة العرب وأهل الرأي والمكيدة في الحرب مع النجدة والنبالة وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلاثمائة فرس وكانت الأنصار أربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس فقال أبو سفيان ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة وقال: يا عباس لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً فقال العباس: إنها النبوة وأمر عليه السلام خالد بن الوليد أن يدخل مع جملة من قبائل العرب من أسفل مكة وقال: لا تقاتلوا إلا من قاتلكم وجمع قريش ناساً بالخندمة ليقاتلوا ولما لقيهم خالد منعوه الدخول ورموه بالنبل فصاح خالد في أصحابه فقتل من قتل وانهزم من لم يقتل حتى وصل خالد إلى باب المسجد وقال عليه السلام في ذلك اليوم: «احصدوهم حصداً حتى توافوني بالصفا» ودخل عليه السلام مكة وهو راكب على ناقته القصواء مردفاً أسامة بن زيد بكرة يوم الجمعة وعن بعضهم يوم الاثنين معتماً بعمامة سوداء وقيل غير ذلك والأول أنسب بمقام المعرفة والفناء واضعاً رأسه الشريف على رحله

تواضعاً لله تعالى حين رأى ما رأى من فتح الله مكة وكثرة المسلمين ثم قال: اللهم إن العيش عيش الآخرة وعن عائشة رضي الله عنها: دخل رسول الله يوم الفتح من كداء وهو كسماء جبل بأعلى مكة واغتسل لدخول مكة وسار وهو يقرأ سورة الفتح حتى جاء البيت وطاف به سبعاً على راحلته ومحمد بن مسلمة آخذ بزمامها واستلم الحجر بمحجن في يده وهو العصا المعوجة ولم يطف ماشياً لتعليم الناس كيفية الطواف وصلى عليه السلام بالمقام ركعتين وهو يومئذ لاصق بالكعبة في جانب الباب ثم أخره إلى المحل المعروف الآن بمقام إبراهيم والظاهر أن مقام إبراهيم وهو الحجر الذي انغمس فيه قدم إبراهيم عليه السلام عندما بنى البيت قد محي أثره بكثرة مسح الأيدي ثم فقد ومقام إبراهيم الآن محل ذلك الحجر وأما الحجر الموضوع هناك فموضوع وكان في داخل الكعبة وخارجها وفوقها يومئذ ثلاثمائة وستون صنماً لكل حي من أحياء العرب صنم وكان هبل أعظم الأصنام وكان من عقيق إلى جنب البيت من جهة بابه وهو الآن مطروح تحت باب السلام القديم يطأه الناس إلى يوم القيامة لقول أبي سفيان يوم أحد مفتخراً بذلك اعل هبل اعل هبل وذلك لأن من أعزه الناس أذله الله فجاء عليه السلام ومعه قضيب فجعل يهوي به إلى كل صنم منهم فيخر لوجهه وكان يقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً وأمر علياً رضي الله عنه فصعد الكعبة وكسر ما فوقها ودخل عليه السلام الكعبة بعد أن أرسل بلالاً إلى عثمان بن أبي طلحة يأتي بمفتاح الكعبة فدخلها عليه السلام وصلى ركعتين ودعا في نواحيها كلها وكان في الكعبة صور كثيرة حتى صورة إبراهيم وإسماعيل ومريم وصور الملائكة فأمر عليه السلام عمر رضي الله عنه فمحاها كلها وكانت الكعبة بيت الأصنام ألف سنة ثم صارت مسجد أهل الإسلام ألف سنة أخرى وكانت تشكو إلى الله تعالى مما فعله الناس من الشرك حتى أنجز الله وعده لها وفيه إشارة إلى كعبة القلب فإنها كانت بيت الأصنام قبل الفتح والإمداد الملكوتي وأعظم الأصنام الوجود. قال الشيخ المغربي:

بود وجود مغربي لات ومنات او بود ... نيست بتي چوپود او درهمه سومنات تو

وقال الخجندي:

بشكن بت غرور كه دردين عاشقان ... يك بت كو كنندبه از صد عبادتست

وقال:

مدعى نيست محرم دريار ... خادم كعبه بولهب نبود

وجلس رسول الله يوم الفتح على الصفا يبايع الناس فجاء الكبار والصغار والرجال والنساء فبايعهم على الإسلام أي: على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وعلى سائر الأحكام ودخل الناس في دين الله أفواجاً وعفا عليه السلام عمن كان مؤذياً له منذ عشرين سنة ودعا له بالمغفرة وقال عليه السلام: «يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ويوم خلق الشمس والقمر ووضع هذين الجبلين فهي حرام إلى يوم القيامة فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً ولا يعضد فيها شجرة لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد يكون بعدي ولا تحل لي إلا هذه الساعة أي: من صبيحة يوم الفتح إلى العصر غضباً على أهلها ألا قد رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد منكم الغائب وأقام بمكة بعد فتحها تسعة عشر أو ثمانية عشر يوماً يقصر الصلاة في مدة إقامة» ثم خرج إلى هوازن وثقيف كما مر وولى أمر مكة عتاب بن أسيد رضي الله عنه وعمره إحدى وعشرون سنة وأمره

أن يصلي بالناس وهو أول أمير صلى بمكة بعد الفتح جماعة وترك معاذ بن جبل رضي الله عنه معه معلماً للناس السنن والفقه وبه ثبت الاستخلاف وعليه العمل إلى يومنا هذا فإن النبي إنما يبعث لرفع الجهل وقس عليه الولي جعلنا الله وإياكم من الوارثين.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿هم﴾ أي: قريش ﴿الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام﴾ أي: منعوكم عن أن تطوفوا به ﴿والهدي﴾ أي: وصدوا الهدي وهو بالنصب عطف على الضمير المنصوب في صدوكم والهدي بسكون الدال جمع هدية كتمر وتمرة وجدي وجدية وهو مختص بما يهدى إلى البيت تقرباً إلى الله تعالى من النعم أيسره شاة وأوسطه بقرة وأعلاه بدنة يقال أهديت له وأهديت إليه ويجوز تشديد الياء فيكون جمع هدية ﴿معكوفاً﴾ حال من الهدي أي: محبوساً يقال عكفته عن كذا إذا حبسته ومنه العاكف في المسجد لأنه حبس نفسه ﴿أن يبلغ محله﴾ بدل اشتمال من الهدي أو منصوب بنزع الخافض أي: محبوساً من أن يبلغ مكانه الذي يحل فيه نحره أي: يجب فالمحل اسم للمكان الذي ينحر فيه الهدي فهو من الحلول لا من الحل الذي هو ضد الحرمة.

قال في «المفردات»: حل الدين حلولاً وجب أداؤه وحللت نزلت من حل الإحمال عند النزول ثم جرد استعماله للنزول والمحلة مكان النزول انتهى وبه استدل أبو حنيفة على أن المحصر محل هديه الحرم فإن بعض الحديبية كان من الحرم قال في «بحر العلوم»: الحديبية طرف الحرم على تسعة أميال من مكة وروي أن خيامه عليه السلام كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهناك نحرت هداياه عليه السلام وهي سبعون بدنة والمراد صدها عن محلها المعهود الذي هو منى للحاج وعند الصفا للمعتمر وعند الشافعي لا يختص دم الاحصار بالحرم فيجوز أن يذبح في الموضع الذي أحصر فيه. بين تعالى استحقاق كفار مكة للعقوبة بثلاثة أشياء: كفرهم في أنفسهم وصد المؤمنين عن إتمام عمرتهم وصد هديهم عن بلوغ المحل فهم مع هذه الأفعال القبيحة كانوا يستحقون أن يقاتلوا أو يقتلوا إلا أنه تعالى كف أيدي كل فريق عن صاحبه محافظة على ما في مكة من المؤمنين المستضعفين ليخرجوا منها أو يدخلوها على وجه لا يكون فيه إيذاء من فيها من المؤمنين والمؤمنات كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ [الفتح: ٢٥] لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم وهو صفة الرجال والنساء جميعاً وكانوا بمكة وهم اثنان وسبعون نفساً يكتمون إيمانهم ﴿أن تطأوهم﴾ بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب في تعلموهم أي: توقعوا بهم وتهلكوهم فإن الوطء عبارة عن الإيقاع والإهلاك والإبادة على طريق ذكر الملزوم وإرادة اللازم لأن الوطء تحت الأقدام مستلزم للإهلاك ومنه قوله عليه السلام: «اللهم اشدد وطأتك على مضر» أي: خذهم أخذاً شديداً وفي «المفردات»: أي: ذللهم ووطىء امرأته كناية عن المجامعة صار كالتصريح للعرف ﴿فتصيبكم منهم﴾ أي: من جهتهم معطوف على قوله أن تطأوهم ﴿معرة﴾ مفعلة من عره إذا عراه ودهاه بما يكرهه ويشق عليه وفي «المفردات»: العر الجرب الذي يعر البدن أي: يعترضه ومنه قيل

للمضرة معرة تشبيهاً بالعر الذي هو الجرب والمعنى مشقة ومكروه كوجوب الدية أو الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار وسوء حالتهم والإثم بالتقصير في البحث عنهم قال سعدي المفتي: قلت في المذهب الحنفي: لا يلزم بقتل مثله شيء من الدية والكفارة وما ذكره الزمخشري لا يوافق مذهبه انتهى وقال بعضهم: أوجب الله على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يعلم إيمانه الكفارة فقال تعالى: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] **﴿بغير علم﴾** متعلق بأن تطؤوهم أي: غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف أيديكم عنهم وفي هذا الحذف دليل على شدة غضب الله تعالى على كفار مكة كأنه قيل: لولا حق المؤمنين موجود لفعل بهم ما لا يدخل تحت الوصف والقياس بناء على أن الحذف للتعميم والمبالغة **﴿ليدخل الله في رحمته﴾** متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كأنه قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف المؤدي إلى الفتح بلا محذور في رحمته الواسعة بقسميها **﴿من يشاء﴾** وهم المؤمنون فإنهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التي من جملتها الأمن مستضعفين تحت أيدي الكفرة وأما الرحمة الأخروية فهم وإن كانوا غير محرومين منها بالكلية لكنهم كانوا قاصرين في إقامة مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لإقامتها على الوجه الأتم إدخال لهم في الرحمة الأخروية **﴿لو تزيلوا﴾** الضمير للفريقين أي: لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله فرقه وزيلته فتزيل أي: فرقته فتفرق **﴿لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً﴾** بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها وفي الآية إشارتان إحداهما: أن من خاصية النفس أن تصد وجه الطالب عن الله تعالى وتشوب الخيرات والصدقات التي يتقرب بها إلى الله بالرياء والسمعة والعجب لئلا تبلغ محل الصدق والإخلاص والقبول والثانية أن استبقاء النفوس لاستخلاص الأرواح وقواها مع أن بعض صفات النفس قابلة للفيض الإلهي فيلزم الحذر من إفساد استعدادها لقبول الفيض وعند التزكية فصفة لا يصلح إلا قلعها كالكبر والشره والحسد والحقد وصفة تصلح للتبديل كالبخل بالسخاوة والحرص بالقناعة والغضب بالحلم والجبانة بالشجاعة والشهوة بالمحبة.

قال البقلي: انظر كيف شفقة الله على المؤمنين الذين يراقبون الله في السراء والضراء ويرضون ببلائه كيف حرسهم من الخطرات وكيف أخفاهم بسره عن صدمات قهره وكيف جعلهم في كنفه حتى لا يطلع عليهم أحد وكيف يدفع ببركتهم البلاء عن غيرهم فعلى المؤمن مراعاتهم في جميع الزمان والتوسل بهم إلى الله المنان فإنهم وسائل الله الخفية:

بخود سرفرو برده همچون صدف نه مانند دريا بر آورده كف

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾.

﴿إذ جعل الذين كفروا﴾ منصوب باذكر على المفعولية أي: اذكر وقت جعل الكافرين يعني أهل مكة **﴿في قلوبهم الحمية﴾** أي: الأنفة والتكبر فعيلة من حمى من كذا حمية إذا أنفق منه وفي «المفردات» عبر عن القوة الغضبية إذا ثارت وكثرت بالحمية يقال حميت على فلان أي: غضبت عليه انتهى وذلك لأن في الغضب ثوران دم القلب وحرارته وغليانه والجار والمجرور إما متعلق بالجعل على أنه بمعنى الإلقاء أو بمحذوف أو مفعول ثان على أنه بمعنى

التصيير أي جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم ﴿حمية الجاهلية﴾ بدل من الحمية أي: حمية الملة الجاهلية وهي ما كانت قبل البعثة أو الحمية الناشئة من الجاهلية التي تمنع إذعان الحق قال الزهري: حميتهم أنفتهم من الإقرار للنبي بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمٰن الرحيم أو منعهم من دخول مكة وقال مقاتل: قال أهل مكة قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا فتتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنفنا واللات والعزى لا يدخلون علينا فهذه حمية الجاهلية التي دخلت في قلوبهم.

﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول والمؤمنين بتوفيق الله تعالى وسوء صنيع الكفرة أي: فأنزل الله عليهم الثبات والوقار فلم يلحق بهم ما لحق الكفار فصالحوهم ورضوا أن يكتب الكتاب على ما أرادوا يروى أنه لما أبى سهيل ومن معه أن يكتب في عنوان كتاب الصلح البسملة وهذا ما صالح عليه رسول أهل مكة بل قالوا: اكتب باسمك اللهم وهذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة قال عليه السلام لعلي رضي الله عنه: «اكتب ما يريدون» فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا مع أن أصل الصلح لم يكن عندهم بمحل من القبول في أول الأمر على ما سبق في أول السورة مفصلاً ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ أي: كلمة الشهادة حتى قالوها وهذا إلزام الكرم واللطف لا إلزام الإكراه والعنف وأضيفت إلى التقوى لأنها سببها إذ بها يتوقى من الشرك ومن النار فإن أصل التقوى الاتقاء عنها وقد وصف الله هذه الأمة بالمتقين في مواضع من القرآن العظيم باعتبار هذه الكلمة وبسم الله الرحمٰن الرحيم ومحمد رسول الله من شعار هذه الأمة وخواصها اختارها لهم وصار المشركون محرومين منها حيث لم يرضوا بأن يكتب في كتاب الصلح ذلك وعن الحسن كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد فإن المؤمنين وفوا حيث نقضوا العهد وعاونوا من حارب حليف المؤمنين والمعنى على هذا وألزمهم كلمة أهل التقوى وهي العهد الواقع في ضمن الصلح ومعنى إلزامها إياهم تثبيتهم عليها وعلى الوفاء بها قال أهل العربية الكلمة قد تستعمل في اللفظة الواحدة ويراد بها الكلام الكثير الذي ارتبط بعضه ببعض فصار ككلمة واحدة كتسميتهم القصيدة بأسرها كلمة ومنه يقال كلمة الشهادة قال الرضي وقد تطلق الكلمة مجازاً على القصيدة والجملة يقال كلمة شاعر وقال تعالى ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١١٥] والكلمة عند أهل العربية مشتقة من الكلم بمعنى الجرح وذلك لتأثيرها في النفوس وعند المحققين عبارة عن الأرواح والذوات المجردة عن المواد والزمان والمكان لكون وجودها بكلمة كن في عالم الأمر إطلاقاً لاسم السبب على المسبب والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١] والمراد بكلمة التقوى هٰهنا: حقيقة التقوى وماهيتها فإن الحقيقة من حيث هي مجردة عن اللواحق المادية والتشخصات فالله تعالى ألزم المؤمنين حقيقة التقوى لينالوا بها قوة اليقين والتجرد التام وصفاء الفطرة الأصلية ﴿وكانوا أحق بها﴾ متصفين بمزيد استحقاق لها في سابق حكمه وقدم علمه على أن صيغة التفضيل للزيادة مطلقاً وقيل: أحق بها من الكفار ﴿وأهلها﴾ عطف تفسير أي: المستأهل لها عند الله والمختص بها من أهل الرجل وهو الذي يختص به وينسب إليه قيل: إن الذين كانوا قبلنا لا يمكن لأحد منهم أن يقول لا إله إلا الله في اليوم والليلة إلا مرة واحدة لا يستطيع أن يقولها أكثر من ذلك وكان قائلها يمد بها

صوته حتى ينقطع النفس التماس بركتها وفضلها وجعل الله لهذه الأمة أن يقولوها متى شاؤوا وهو قوله: ﴿وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها﴾ من الأمم السالفة وقال مجاهد ثلاث لا يحجبن عن الرب: لا إله إلا الله من قلب مؤمن، ودعوة الوالدين، ودعوة المظلوم كما في «كشف الأسرار».

وفي «المثنوي»:

بحرو حدانست جفت وزوج نيست كوهر وما هيس غير موج نيست
أي محال وأي محال اشراك أو دورازان دريا وموج پاك أو

﴿وكان الله بكل شيء عليماً﴾ بليغ العلم بكل شيء من شأنه أن يتعلق به العلم فيعلم حق كل شيء فيسوقه إلى مستحقه ومن معلوماته أنهم أحق بها أي: من جميع الأمم لأن النبي عليه السلام كان خلاصة الموجودات وأصلها وهو الحبيب الذي خلقت الموجودات بتبعيته والكلمة هي صورة الجذبة التي توصل الحبيب بالحبيب والمحب بالمحبوب فهي بالنبوة أحق لأنه هو الحبيب لتوصله إلى حبيبه وأمته أحق بها من الأمم لأنهم المحبون لتوصل المحب بالمحبوب وهم أهلها لأن أهل هذه الكلمة من يفنى بذاته وصفاته ويبقى بإثباتها معها بلا أنانيته وما بلغ هذا المبلغ بالكمال إلا النبيّ ﷺ فيقول: «أما أنا فلا أقول أنا» وأمته لقوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وكان الله بكل شيء عليماً في الأزل فبنى وجود كل إنسان على ما هو أهله فمنهم أهل الدنيا ومنهم أهل الآخرة ومنهم أهل الله وخاصته.

كذا في «التأويلات النجمية»: قال أبو عثمان كلمة التقوى كلمة المتقين وهي شهادة أن لا إله إلا الله ألزمها الله السعداء من أولياء المؤمنين وكانوا أحق بها وأهلها في علم الله إذ خلقهم لها وخلق الجنة لأهلها وقال الواسطي: كلمة التقوى صيانة النفس عن المطامع ظاهراً وباطناً وقال الجنيد: من أدركته عناية السبق في الأزل جرى عليه عيون المواصلة وهو أحق بها لما سبق إليه من كرامة الأزل.

وقال بعض العارفين: اعلم أن الله تعالى أسند الفعل في جانب الكفار إليهم فقال: إذ جعل الذين كفروا وفي جنات المؤمنين أسنده إلى نفسه فقال: ﴿فأنزل الله سكينته﴾ إشارة إلى أن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولىً لهم فليس لهم من يدبر أمرهم وأما المؤمنون فالله تعالى وليهم ومدبر أمرهم وأيضاً فالحمية الجاهلية ليست إلا من النفس لأن النفس مقر الأخلاق الذميمة وأما السكينة والوقار والثبات والطمأنينة فمن الله ثم إن الله تعالى قال: فأنزل الله بالفاء لا بالواو إشارة إلى أن أنزل السكينة بمقابلة جعل الحمية كما تقول أكرمني فأكرمته إشارة إلى أن إكرامك بمقابلة إكرامه ومجازاته وفي ذلك تنبيه على أن قوماً إذا طغوا وظلموا فالله تعالى يحسن إلى المظلومين وينصرهم فيعطيهم السكينة والوقار وكمال اليقين وذلك عين النعيم في مقابلة انزعاج الظالمين وحقدهم واضطرابهم وذلك هو العذاب الأليم فهم اختاروا ذلك العذاب لأنفسهم فالله تعالى اختار للمؤمنين النعيم الدائم والمراد بكلمة التقوى كل كلمة تقي النفس عما يضرها من الأذكار كالتوحيد والأسماء الإلهية ولذلك ورد في الحديث من أحصاها دخل الجنة وأفضلها لا إله إلا الله كما قال عليه السلام: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي شهادة أن لا إله إلا الله» ثم إن قوله تعالى: ﴿وكانوا أحق بها وأهلها﴾ إشارة إلى أن الأسماء الإلهية ينبغي أن لا تعلم ولا تلقن إلا أهلها ممن استعد لها واستحقها بالأمانة والديانة

والصلاح روي أن الحجاج أحضر أنساً رضي الله عنه فقال: أنت الذي تسبني؟ قال: نعم لأنك ظالم وقد خالفت سنة رسول الله عليه السلام فقال: كيف لو قتلتك أسوء قتلة قال: لو علمت أن ذلك بيدك لعبدتك ولكنك لا تقدر فإن رسول الله علمني دعاء من قرأه كان في حفظ الله وقد قرأته فقال الحجاج: ألا تعلمني إياه فقال: لا أعلمك ولا أعلمه أحداً في حياتك حتى لا يصل إليك ثم خرج فقالوا: لم لم تقتله فقال: رأيت وراءه أسدين عظيمين فخفت منهما وروي أن عالماً طلب من بعض المشايخ أن يعلمه الاسم الأعظم فأعطاه شيئاً مغطى وقال أوصله إلى مريدي فلان فأخذه ثم إنه فتحه في الطريق لينظر ما فيه فخرج منه فأرة فرجع بكمال الغيظ فلما رآه الشيخ تبسم وقال: يا خائن الآن لم تكن أميناً لفأرة فكيف تكون أميناً للاسم الأعظم فالكبار يحفظون الأسماء والأدعية من غير أهلها لئلا يجعلوها ذريعة إلى الأغراض الفاسدة النفسانية.

قال سعدي:

كسى رابا خواجه تست جنك بدستش جرامى دهى چوب وسنك
سنك آخر كه باشد كه خواش نهند بفرماى تا استخوانش نهند

وفي «المثنوي»:

چند دزدى حرف مردان خدا تا فروشى وستانى مرحبا
چون رخت رانيست در خوبى اميد خواه كلكونه نه وخواهى مديد

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿**لقد صدق الله رسوله الرؤيا**﴾ صدق يتعدى إلى مفعولين إلى الأول بنفسه وإلى الثاني بحرف الجر يقال صدقك في كذا أي: ما كذبك فيه وقد يحذف الجار ويوصل الفعل كما في هذه الآية أي: صدقه عليه السلام في رؤياه وتحقيقه أراه الرؤيا الصادقة وهي ما سبق في أول السورة من أنه عليه السلام رأى قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤوسهم وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم هذا فلما تأخر ذلك قال بعض المنافقين: والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت وهو دليل قاطع على أن الرؤيا حق وليس بباطل كما زعم جمهور المتكلمين والمعتزلة فتباً لهم كما في «بحر العلوم» قالوا: إن خلت الرؤيا عن حديث النفس وكان هيئة الدماغ صحيحة والمزاج مستقيماً كانت رؤيا من الله مثل رؤيا الأنبياء والأولياء والصلحاء وفي الحديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ﴿**بالحق**﴾ أي: صدقاً ملتبساً بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التي هي التمييز بين الراسخ في الإيمان والمتزلزل فيه أو حال كون تلك الرؤيا ملتبسة بالحق ليست من قبيل أضغاث الأحلام لأن ما رآه كائن لا محالة في وقته المقدور له وهو العام القابل وقد جوز أن يكون قسماً بالحق الذي هو من أسماء الله أو بنقيض الباطل وقوله: ﴿**لتدخلن المسجد الحرام**﴾ جواب وهو على الأولين جواب قسم محذوف أي: والله لتدخلنه في العام الثاني ﴿**إن شاء الله**﴾ تعليق للعدة بالمشيئة لتعليم العباد لكي يقولوا في عداتهم مثل ذلك لا لكونه تعالى شاكاً في وقوع الموعود فإنه منزه عن ذلك وهذا معنى ما قال ثعلب استثنى الله فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون وفيه

أيضاً تعريض بأن دخولهم مبني على مشيئته تعالى ذلك لا على جلادتهم وقوتهم كما قال في «الكواشي»: استثنى أعلاماً أنه لا فعال إلا الله انتهى. أو للإشعار بأن بعضهم لا يدخلونه لموت أو غيبة أو غير ذلك فكلمة إن للتشكيك لا للشك وقال الحدادي الاستثناء قد يذكر للتحقيق تبركاً كقولهم قد غفر الله لك إن شاء الله ولا تعلق لمن يصحح الأيمان بالاستثناء لأنه خبر عن الحال فالاستثناء فيه محال كما في «عين المعاني» وروي أن النبي عليه السلام كان إذا دخل المقابر يقول: «السلام عليكم أهل القبور وإنا إنشاء الله بكم لاحقون» فيستثنى على وجه التبرك وإن كان اللحوق مقطوعاً به وقيل معناه لاحقون بكم في الوفاة على الإيمان فإن شرطية ويمكن أن يقال تعليق اللحوق بالمشيئة بناء على ان اللحوق بخصوص المخاطبين ويتحصل من هذا أن الاستثناء من الأمن لا من الدخول لأن الدخول مقطوع لا الأمن حال الدخول وقال بعضهم إن هنا بمعنى إذ كما في قوله ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣] وقال ابن عطية: وهذا أحسن في معناه لكن كون إن بمعنى إذ غير موجود في لسان العرب وفيه وجه آخر وهو أنه حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول الله فقوله لتدخلن الآية تفسير للرؤيا كأنه قيل هو قول الملك له عليه السلام في منامه لتدخلن وإذا كان التعليق من كلام الملك لتبرك فلا إشكال أو حكاية لما قاله عليه السلام لأصحابه كأنه قيل قال النبي بناء على تلك الرؤيا التي هي وحي لتدخلن إلخ يعني لما قص رؤياه على أصحابه استأنف بأن قال لتدخلن إلخ **﴿آمنين﴾** من الأعادي حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض وكذا قوله: **﴿محلقين رؤوسكم﴾** أي: جميع شعورها والتحليق والتحلاق بسيار ستردن سر كما في «تاج المصادر» والحلق العضو المخصوص وحلقه قطع حلقه ثم جعل الحلق لقطع الشعر وجزه فقيل حلق شعره وحلق رأسه أي: أزال شعره **﴿ومقصرين﴾** بعض شعورها والقصر خلاف الطول وقص شعره حز بعضه أي: محلقاً بعضكم ومقصراً آخرون وإلا فلا يجتمع الحلق والتقصير في كل واحد منهم فالنظم من نسبة حال البعض إلى الكل يعني أن الواو ليست لاجتماع الأمرين في كل واحد منهم بل لاجتماعهما في مجموع القوم ثم إن قوله محلقين ومقصرين من الأحوال المقدرة فلا يرد أن حال الدخول هو حال الإحرام وهو لا يجامع الحلق والتقصير وقدم الحلق على التقصير وهو قطع أطراف الشعر لأن الحلق أفضل من التقصير وقد حلق رسول الله ﷺ رأسه بمنىً وأعطى شق شعر رأسه أبا طلحة الأنصاري وهو زوج أم سليم وهي والدة أنس بن مالك فكان آل أنس يتهادون به بينهم» وروي أنه عليه السلام «حلق رأسه أربع مرات» والعادة في هذا الزمان في أكثر البلاد حلق الرأس للرجل عملاً بقوله عليه السلام «تحت كل شعرة نجاسة فخللوا الشعر وأنقوا البشرة» وإنما قلنا للرجل لأن حلق شعر المرأة مثلة وهي حرام كما أن حلق لحية الرجل كذلك **﴿لا تخافون﴾** حال مؤكدة من فاعل لتدخلن أو استئناف جواباً عن سؤال أنه كيف يكون الحال بعد الدخول أي: لا تخافون بعد ذلك من أحد **﴿فعلم ما لم تعلموا﴾** عطف على صدق والفاء للترتيب الذكري فالتعرض لحكم الشيء إنما يكون بعد جري ذكره والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلي المتعلق بأمر حادث بعد المعطوف عليه أي: فعل عقيب ما أراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية إلى تقديم ما يشهد بالصدق علماً فعلياً **﴿فجعل﴾** لأجله **﴿من دون ذلك﴾** أي: من دون تحقق مصداق ما أراه من دخول المسجد الحرام إلخ وبالفارسية پس ساخت براى شما يعني مقرر كرد پيش ازين يعني قبل از دخول در مسجد حرام بجهت عمره قضا **﴿فتحاً قريباً﴾** هو فتح خيبر

مضى عليه السلام بعد خمس عشرة ليلة كما في «عين المعاني» والمراد بجعله وعده وإنجازه من غير تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ﴿**ولتكون آية للمؤمنين**﴾ وأما جعل ما في قوله ﴿**ما لم تعلموا**﴾ عبارة عن الحكمة في تأخير فتح مكة إلى العام القابل كما جنح إليه الجمهور فتأباه الفاء فإن علمه تعالى بذلك متقدم على إراءة الرؤيا قطعاً كما في «الإرشاد»: وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى امتحن المؤمن والمنافق بهذه الرؤيا إذ لم يتعين وقت دخولهم فيه فأخر الدخول تلك السنة فهلك المنافقون بتكذيب النبي عليه السلام فيما وعدهم بدخول المسجد الحرام وازداد كفرهم ونفاقهم وازداد إيمان المؤمنين بتصديق النبي عليه السلام مع إيمانهم وانتظروا صدق رؤياه فصدق الله رسوله الرؤيا بالحق فهلك من هلك عن بينة وحي من حي عن بينة ولذلك قال تعالى ﴿**فعلم ما لم تعلموا**﴾ يعني من تربية نفاق أهل النفاق وتقوية إيمان أهل الإيمان فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً من فتوح الظاهر والباطن فلا بد من الصبر فإن الأمور مرهونة بأوقاتها:

صد هزاران كيميا حق آفريد كيميايى همچو صبر آدم نديد

نيست هر مطلوب از طالب دريغ جفت تابش شمس وجفت آب ميغ

وقد صبر عليه السلام على أذى قومه وهكذا حال كل وارث قال معروف الكرخي قدس سره: رأيت في المنام كأني دخلت الجنة ورأيت قصراً فرشت مجالسه وأرخيت ستوره وقام ولدانه فقلت لمن هذا؟ فقيل: لأبي يوسف فقلت: بم استحق هذا؟ فقالوا: بتعليمه الناس العلم وصبره على أذاهم ثم إن الصدق صفة الله تعالى وصفة خواص عباده وأنه من أسباب الهداية.

ـ حكي ـ عن إبراهيم الخواص قدس سره أنه كان إذا أراد سفراً لم يعلم أحداً ولم يذكره وإنما يأخذ ركوته ويمشي قال حامد الأسود: فبينما نحن معه في مسجد تناول ركوته ومشى فاتبعته فلما وافينا القادسية قال لي: يا حامد إلى أين؟ قلت: يا سيدي خرجت لخروجك قال: أنا أريد مكة إن شاء الله قلت: وأنا أريد إن شاء الله مكة فلما كان بعد أيام إذا بشاب قد انضم إلينا فمشى معنا يوماً وليلة لا يسجد لله سجدة فعرفت إبراهيم وقلت: إن هذا الغلام لا يصلي فجلس وقال: يا غلام ما لك لا تصلي والصلاة أوجب عليك من الحج؟ فقال: يا شيخ ما علي صلاة قلت: ألست بمسلم؟ قال: لا قلت فأي شيء أنت؟ قال: نصراني ولكن إشارتي في النصرانية إلى التوكل وادعت نفسي أنها قد أحكمت حال التوكل فلم أصدقها فيما ادعت حتى أخرجتها إلى هذه الفلاة التي ليس فيها موجود غير المعبود أثير ساكني وامتحن خاطري فقام إبراهيم ومشى وقال: دعه معك فلم يزل يسايرنا حتى وافينا بطن مرو فقام إبراهيم ونزع خلقانه فطهرها بالماء ثم جلس وقال له: ما اسمك؟ قال: عبد المسيح فقال: يا عبد المسيح هذا دهليز مكة يعني الحرم وقد حرم الله على أمثالك الدخول فيه قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨] والذي أردت أن تستكشفه من نفسك قد بان لك فاحذر أن تدخل مكة فإن رأيناك بمكة أنكرنا عليك قال حامد: فتركناه ودخلنا مكة وخرجنا إلى الموقف فبينما نحن جلوس بعرفات إذ به قد أقبل عليه ثوبان وهو محرم يتصفح الوجوه حتى وقف علينا فأكب على إبراهيم يقبل رأسه فقال له: ما وراءك يا عبد المسيح فقال له: هيهات أنا اليوم عبد من المسيح عبده فقال له إبراهيم: حدثني حديثك قال: جلست مكاني حتى أقبلت قافلة الحاج وتنكرت في زي المسلمين كأني محرم فساعة وقعت عيني على الكعبة

اضمحل عندي كل دين سوى دين الإسلام فأسلمت واغتسلت وأحرمت وها أنا أطلبك يومي فالتفت إلي إبراهيم وقال: يا حامد انظر إلى بركة الصدق في النصرانية كيف هداه إلى الإسلام ثم صحبنا حتى مات بين الفقراء ومن الله الهداية والتوفيق.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾.

﴿هو﴾ أي: الله تعالى وحده **﴿الذي أرسل رسوله﴾** يعني أن الله تعالى بجلال ذاته وعلو شأنه اختص بإرسال رسوله الذي لا رسول أحق منه بإضافته إليه **﴿بالهدى﴾** أي: كونه ملتبساً بالتوحيد وهو شهادة أن لا إله إلا الله فيكون الجار متعلقاً بمحذوف أو بسببه ولأجله فيكون متعلقاً بأرسل **﴿ودين الحق﴾** أي: وبدين الإسلام وهو من قبيل إضافة الموصوف إلى صفته مثل عذاب الحريق والأصل الدين الحق والعذاب المحرق ومعنى الحق الثابت الذي هو ناسخ الأديان ومبطلها **﴿ليظهره على الدين كله﴾** اللام في الدين للجنس أي: ليعلي الدين الحق ويغلبه على جنس الدين بجميع أفراده التي هي الأديان المختلفة بنسخ ما كان حقاً من بعض الأحكام المتبدلة بتبدل الأعصار وإظهار بطلان ما كان باطلاً أو بتسليط المسلمين على أهل سائر الأديان ولقد أنجز الله وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام ولا يبقى إلا مسلم أو ذمة للمسلمين وكم ترى من فتوح أكثر البلاد وقهر الملوك الشداد ما تعرف به قدرة الله تعالى وفي الآية فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أنه سيفتح لهم من البلاد ويعطيهم من الغلبة على الأقاليم ما يستقلون إليه فتح مكة وقد أنجز كما أشير إليه آنفاً.

واعلم أن قوله **﴿ليظهره﴾** إثبات السبب الموجب للإرسال فهذه اللام لام الحكمة والسبب شرعاً ولام العلة عقلاً لأن أفعال الله تعالى ليست بمعللة بالأغراض عند الأشاعرة لكنها مستتبعة لغايات جليلة فنزل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له **﴿وكفى بالله﴾** أي: الذين له الإحاطة بجميع صفات الكمال **﴿شهيداً﴾** على أن ما وعده كائن لا محالة أو على نبوته عليه السلام بإظهار المعجزات وإن لم يشهد الكفار وعن ابن عباس رضي الله عنهما شهد له بالرسالة وهو قوله:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾

﴿محمد رسول الله﴾ فمحمد مبتدأ ورسول الله خبره وهو وقف تام والجملة مبينة للمشهود به وقيل محمد خبر مبتدأ محذوف وقوله رسول الله بدل أو بيان أو نعت أي: ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله قال في «تلقيح الأذهان»: أعلم الله سبحانه محمداً عليه السلام أنه خلق الموجودات كلها من أجله أي: من أجل ظهوره أي: من أجل تجليه به حتى قال: ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله غير عاصي الإنس والجن وقال الشيخ الشهير بأفتاده قدس سره: لما تجلى الله وجد جميع الأرواح فوجد

أولاً روح نبينا ﷺ ثم سائر الأرواح فلقن التوحيد فقال: لا إله إلا الله فكرمه الله بقوله: محمد رسول الله فأعطى الرسالة في ذلك الوقت ولذا قال عليه السلام: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين انتهى ومعنى الحديث أنه كان نبياً بالفعل عالماً بنبوته وغيره من الأنبياء ما كان نبياً بالفعل ولا عالماً بنبوته إلا حين بعث بعد وجوده ببدنه العنصري واستكمال شرائط النبوة فكل من بدا بعد وجود المصطفى عليه السلام فهم نوابه وخلفاؤه مقدمين كالأنبياء والرسل أو مؤخرين كأولياء الله الكمل قال عليه السلام: «أنا من نور الله والمؤمنون من فيض نوري» فهو الجنس العالي والمقدم وما عداه التالي والمؤخر كما قال: «كنت أولهم خلقاً وآخرهم بعثاً» فرسول الله هو الذي لا يساويه رسول لأنه رسول إلى جميع الخلق من أدرك زمانه بالفعل في الدنيا ومن تقدمه بالقوة فيها وبالفعل بالآخرة يوم يكون الكل تحت لوائه وقد أخذ على الأنبياء كلهم الميثاق بأن يؤمنوا به إن أدركوه وأخذه الأنبياء على أممهم وفي الحديث أنا محمد وأحمد ومعنى محمد كثير الحمد فإن أهل السماء والأرض حمدوه ومعنى أحمد أعظم حمداً من غيره لأنه حمد الله بمحامد لم يحمد بها غيره كما في «شرح المشارق» لابن الملك.

قال الجامي:

مـحـمـدت چـون بـلا نـهـايـه زحـق يـافـت شـد نـام آواز ان مـشـتـق

واسمه في العرش أبو القاسم وفي السماوات أحمد وفي الأرض محمد قال علي رضي الله عنه: ما اجتمع قوم في مشورة فلم يدخلوا فيها من اسمه محمد إلا لم يبارك لهم فيها وأشار ألف أحمد إلى كونه فاتحاً ومقدماً لأن مخرجه مبدأ المخارج وأشار ميم محمد إلى كونه خاتماً ومؤخراً لأن مخرجها ختام المخارج كما قال: «نحن الآخرون السابقون» وأشار الميم أيضاً إلى بعثته عند الأربعين قال بعضهم: أكرم الله من الصبيان أربعة بأربعة أشياء: يوسف عليه السلام بالوحي في الجب ويحيى عليه السلام بالحكمة في الصبا وعيسى عليه السلام بالنطق في المهد وسليمان عليه السلام بالفهم وأما نبينا عليه السلام فله الفضيلة العظمى والآية الكبرى حيث إن الله أكرمه بالسجدة عند الولادة والشهادة بأنه رسول الله وكل قول يقبل الاختلاف بين المسلمين إلا قول لا إله إلا الله محمد رسول الله فإنه غير قابل للاختلاف فمعناه متحقق وإن لم يتكلم به أحد وكذا أكرمه بشرح الصدر وختم النبوة وخدمة الملائكة والحور عند ولادته وأكرمه بالنبوة في عالم الأرواح قبل الولادة وكفاه بذلك اختصاصاً وتفصيلاً فلا بد للمؤمن من تعظيم شرعه وإحياء سنته والتقرب إليه بالصلوات وسائر القربات لينال عند الله الدرجات وكانت رابعة العدوية رحمها الله تصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وتقول: ما أريد بها ثواباً ولكن ليسر بها رسول الله عليه السلام ويقول للأنبياء: انظروا إلى امرأة من أمتي هذا عملها في اليوم والليلة ومن تعظيمه عمل المولد إذا لم يكن فيه منكر قال الإمام السيوطي قدس سره يستحب لنا إظهار الشكر لمولده عليه السلام انتهى. وقد اجتمع عند الإمام تقي الدين السبكي رحمه الله جمع كثير من علماء عصره فأنشد منشد قول الصرصري رحمه الله في مدحه عليه السلام:

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب على ورق من خط أحسن من كتب
وأن تـنـهـض الأشراف عـند سـمـاعـه قياماً صفوفاً أو جثياً على الركب

فعند ذلك قام الإمام السبكي وجميع من بالمجلس فحصل أنس عظيم بذلك المجلس ويكفي ذلك في الاقتداء وقد قال ابن حجر الهيثمي: إن البدعة الحسنة متفق على ندبها وعمل

المولد واجتماع الناس له كذلك أي: بدعة حسنة قال السخاوي لم يفعله أحد من القرون الثلاثة وإنما حدث بعد ثم لا زال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر من بركاته عليهم كل فضل عظيم قال ابن الجوزي: من خواصه أنه أمان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام وأول من أحدثه من الملوك صاحب إربل وصنف له ابن دحية رحمه الله كتاباً في المولد سماه «التنوير بمولد البشير النذير» فأجازه بألف دينار وقد استخرج له الحافظ ابن حجر أصلاً من السنة وكذا الحافظ السيوطي وردا على الفاكهاني المالكي في قوله: إن عمل المولد بدعة مذمومة كما في «إنسان العيون» ﴿**والذين معه**﴾ أي: مع رسول الله عليه السلام وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿**أشداء**﴾ غلاظ وهو جمع شديد ﴿**على الكفار**﴾ كالأسد على فريسته ﴿**رحماء**﴾ أي: متعاطفون وهو جمع رحيم ﴿**بينهم**﴾ كالوالد مع ولده يعني أنهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم في الدين الرحمة والرأفة كقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] فلو اكتفى بقوله: أشداء على الكفار لربما أوهم الفظاظة والغلظة فكمل بقوله رحماء بينهم فيكون من أسلوب التكميل وعن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمناً إلا صافحه وعانقه وذكر في التوراة في صفة عمر رضي الله عنه قرن من حديد أمين شديد وكذا أبو بكر رضي الله عنه فإنه خرج لقتال أهل الردة شاهراً سيفه راكباً راحلته فهو من شدته وصلابته على الكفار.

قال الشيخ سعدي:

نه چندان درشتى كن كه از توسير كردند ... ونه چندان نرمى كن كه برتود ليرشوند
درشتى ونرمى بهم دربهست ... چور كزن كه جراج ومرهم نهست

وقال بعضهم:

هست نرمى آفت جان سمور ... وزدرشتى ميبردجان خار پشت

وفي الحديث: «المؤمنون هينون لينون» مدح النبي بالسهولة واللين لأنهما من الأخلاق الحسنة فإن قلت: من أمثال العرب لا تكن رطباً فتعصر ولا يابساً فتكسر وعلى وفق ذلك ورد قوله عليه السلام: «لا تكن مراً فتعقى ولا حلواً فتسترط» يقال: أعقيت الشيء إذا أزلته من فيك لمرارته وأسترطه أي: أبتلعه وفي هذا نهي عن اللين فما وجه كونه جهة مدح قلت لا شبهة في أن خير الأمور أوسطها وكل طرفي الأمور ذميم أي: المذموم هو الإفراط والتفريط لا الاعتدال والاقتصاد نسأل الله العمل بذلك ﴿**تراهم ركعاً سجداً**﴾ جمع راكع وساجد أي: تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات فهما حالان لأن الرؤية بصرية وأريد بالفعل الاستمرار والجملة خبر آخر أو استئناف ﴿**يبتغون فضلاً من الله ورضواناً**﴾ إما خبر آخر أو استئناف مبني على سؤال نشأ عن بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كأنه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل: يبتغون فضلاً من الله ورضواناً أي: ثواباً ورضى وقال بعض الكبار قصدهم في الطاعة والعبادة الوصول والوصال وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال الراغب: الرضوان الرضى الكثير ﴿**سيماهم**﴾ فعلى من سامه إذا أعلمه أي: جعله ذا علامة والمعنى علامتهم وسمتهم وقرىء سيمياؤهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة هي السيماء بالمد وهو مبتدأ

خبر قوله: ﴿في وجوههم﴾ أي: ثابتة في وجوههم ﴿من أثر السجود﴾ حال من المستكن في الجار وأثر الشيء حصول ما يدل على وجوده كما في «**المفردات**» أي: من التأثير الذي تؤثره كثرة السجود وما روي عن النبي عليه السلام من قوله: لا تعلموا صوركم أي: لا تسموها إنما هو فيما إذا اعتمد بجبهته على الأرض ليحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث في جبهة السجاد الذين لا يسجدون إلا خالصاً لوجه الله وكان الإمام زين العابدين رضي الله عنه وهو علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم وكذا علي بن عبد الله بن العباس يقال لهما: ذو الثفنات لما أحدثت كثرة سجودهما في مواضعة منهما أشباه ثفنات البعير والثفنة بكسر الفاء من البعير الركبة وما مس الأرض من أعضائه عند الإناخة وثفنت يده ثفناً إذا غلظت عن العمل وكانت له خمسمائة أصل زيتون يصلي عند كل أصل ركعتين كل يوم قال قائلهم:

ديار علي والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذي الثفنات

قال عطاء: دخل في الآية من حافظ على الصلوات الخمس وقال بعض الكبار سيما المحبين من أثر السجود فإنهم لا يسجدون لشيء من الدنيا والعقبى إلا لله مخلصين له الدين وقيل صفرة الوجوه من خشية الله وقيل ندى الطهور وتراب الأرض فإنهم كانوا يسجدون على التراب لا على الأثواب وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال عليه السلام: من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ألا ترى أن من سهر بالليل وهو مشغول بالشراب واللعب لا يكون وجهه في النهار كوجه من سهر وهو مشغول بالطاعة وجاء في باب الإمامة أنه يقدم الأعلم ثم الأقرأ ثم الأورع ثم الأسن ثم الأصبح وجهاً أي: أكثرهم صلاة بالليل لما روي من الحديث قيل لبعضهم: ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهاً قال: لأنهم خلوا بالرحمن فأصابهم من نوره كما يصيب القمر نور الشمس فينور به. در نفحات مذكوراست كه چون ارواح ببركت قرب الهي صافي شد انوار موافقت بر اشباخ ظاهر كردد:

درويش را كواه چه حاجت كه شقست رنك رخش زدوربه بين وبدان كه هست

وقال سهل: المؤمن من توجه لله مقبلاً عليه غير معرض عنه وذلك سيما المؤمنون وقال عامر بن عبد القيس كاد وجه المؤمن يخبر عن مكنون عمله وكذلك وجه الكافر وذلك قوله سيماهم في وجوههم وقال بعضهم: ترى على وجوههم هيبة لقرب عهدهم بمناجاة سيدهم وقال ابن عطاء: ترى عليهم خلع الأنوار لائحة وقال عبد العزيز المكي: ليست هي النحولة والصفرة لكنها نور يظهر على وجوه العابدين يبدو من باطنهم على ظاهرهم يتبين ذلك للمؤمنين ولو كان ذلك في زنجي أو حبشي انتهى ولا شك أن هذه الأمة يقومون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء وبعضهم يكون وجوههم من أثر السجود كالقمر ليلة البدر وكل ذلك من تأثير نور القلب وانعكاسه ولذا قال:

آن سياهى كزپى ناموس حق ناقوس زد در عرب بو الليل بوداندر قيامت بوالنهار

﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما ذكر من نعوتهم الجليلة ﴿مثلهم﴾ أي: وصفهم العجيب الشأن الجاري في الغرابة مجرى الأمثال ﴿في التوراة﴾ حال من مثلهم والعامل معنى الإشارة والتوراة اسم كتاب موسى عليه السلام قال من جوز أن تكون التوراة عربية: إنها تشتق من ورى الزند فوعلة منه على أن التاء مبدلة من الواو سمي التوراة لأنه يظهر منه النور والضياء لبني إسرائيل

وفي «القاموس» وورية النار وريتها ما تورى به من خرقة أو حطبة والتوراة تفعلة منه انتهى وقال بعضهم: فوعلة منه لا تفعلة لقلة وجود ذلك **﴿ومثلهم في الإنجيل﴾** عطف على مثلهم الأول كأنه قيل ذلك مثلهم في التوراة والإنجيل وتكرير مثلهم لتأكيد غرابته وزيادة تقريرها والإنجيل كتاب عيسى عليه السلام يعني بهمين نعمت در كتاب موسى وعيسى مسطور ندتاكه معلوم امم كردند وبايشان مژده ورشوند. والإنجيل من نجل الشيء أظهره سمي الإنجيل إنجيلاً لأنه أظهر الدين بعدما درس أي: عفا رسمه **﴿كزرع أخرج شطأه﴾** يقال زرع كمنع طرح البذر وزرع الله أنبت والزرع الولد والمزروع والجمع زروع وموضعه المزرعة مثلثة الراء وهو إلخ تمثيل مستأنف أي: هم كزرع أخرج أفراخه أي: فروعه وأغصانه وذلك أن أول ما نبت من الزرع بمنزلة الأم وما تفرع وتشعب منه بمنزلة أولاده وأفراخه وفي «المفردات» شطأه فروع الزرع وهو ما خرج منه وتفرع في شاطئيه أي: جانبيه وجمعه أشطاء وقوله: أخرج شطأه أي: أفراخه انتهى وقيل هو أي: الزرع إلخ تفسير لقوله ذلك على أنه إشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى: **﴿ومثلهم في الإنجيل﴾** على أن الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم في التوراة **﴿فآزره﴾** المنوي في آزره ضمير الزرع أي: فقوى الزرع ذلك الشطأ وبالفارسية: پس قوى كرد كشت آن يك شاخ را. إلا أن الإمام النسفي رحمه الله جعل المنوي في آزر ضمير الشطأ قال فآزره أي: فقوى الشطأ أصل الزرع بالتفافه عليه وتكاثفه وهو صريح في أن الضمير المرفوع للشطأ والمنصوب للزرع وهو من الموازرة بمعنى المعاونة فيكون وزن آزر فاعل من الأزر وهو القوة أو من الإيزار وهي الإعانة فيكون وزنه أفعل وهو الظاهر لأنه لم يسمع في مضارعه يوازر بل يوزر **﴿فاستغلظ﴾** فصار غليظاً بعدما كان دقيقاً فهو من باب استحجر الطين يعني أن السين للتحول **﴿فاستوى على سوقه﴾** فاستقام على قصبته جمع ساق وهو أصوله **﴿يعجب الزراع﴾** حال أي: حال كونه يعجب زراعه الذين زرعوه أي: يسرهم بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وطول قامته وبالفارسية بشكفت آردمزارعانرا وهناتم المثل وهو مثل ضربه الله لأصحاب رسول الله قلوا في بدء الإسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم يوماً فيوماً بحيث أعجب الناس وقيل مكتوب في التوراة سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وفي «الأسئلة المقحمة»: كيف ضرب الله المثل لأصحاب النبي عليه السلام بالزرع الذي أخرج شطأه ولماذا لم يشبههم بالخيل والأشجار الكبار المثمرة والجواب لأن أصحاب النبي كانوا في بدء الأمر قليلين ثم صاروا يزدادون ويكثرون كالزرع الذي يبدو ضعيفاً ثم ينمو ويخرج شطأه ويكثر لأن الزرع يحصد ويزرع كذلك المسلمون منهم من يموت ثم يقوم مقامه غيره بخلاف الأشجار الكبار فإنها تبقى بحالها سنين ولأنه تنبت من الحبة الواحدة سنابل وليس ذلك في غير الزرع انتهى فكما أن أعمالهم نامية فكذا أجسادهم ألا ترى أنه قتل مع الإمام الحسين رضي الله عنه عامة أهل بيته لم ينج إلا ابنه زين العابدين علي رضي الله عنه لصغره فأخرج الله من صلبه الكثير الطيب وقيل يزيد بن المهلب وإخوتهم وذراريهم ثم مكث من بقي منهم نيفاً وعشرين سنة لا يولد فيهم أنثى ولا يموت منهم غلام وعن عكرمة أخرج شطأه بأبي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي رضي الله عنهم **﴿ليغيظ بهم الكفار﴾** الغيظ أشد غضب وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه غاظه يغيظه فاغتاظ وغيظه فتغيظ وأغاظه وغايظه كما في «القاموس» وهو علة لما يعرب عنه الكلام من

تشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه أي: جعلهم الله كالزرع في النماء والقوة ليغيظ بهم مشركي مكة وكفار العرب والعجم وبالفارسية: تاالله رسول خويش وياران اوكافر انرا بدرد آرد.

ومن غيظ الكفار قول عمر رضي الله عنه لأهل مكة بعدما أسلم: لا نعبد الله سراً بعد اليوم وفي الحديث: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأقواهم في دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقضاهم علي وأقرؤهم أبي بن كعب وأفرضهم زيد بن ثابت وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح وقيل قوله: ﴿**ليغيظ بهم الكفار**﴾ علة لما بعده من قوله تعالى: ﴿**وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً**﴾ فإن الكفار إذا سمعوا بما أعد للمؤمنين في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك أشد غيظ.

يقول الفقير: نظر الكفار مقصور على ما في الدنيا مما يتنافس به ويتحاسد وكيف لا يغيظهم ما أعد للمؤمنين في الآخرة وليسوا بمؤمنين باليوم الآخر ومنهم للبيان كما في قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: ٣٠] يعني همه ايشانرا وعد فرمود آمر زش كناه ومزدى بزرك. وهو الجنة ودرجاتها فلا حجة فيه للطاعنين في الأصحاب فإن كلهم مؤمنون ولما كانوا يبتغون من الله فضلاً ورضواناً وعدهم الله بالنجاة من المكروه والفوز بالمحبوب وعن الحسن محمد رسول الله والذين معه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأنه كان معه في الغار ومن أنكر صحبته كفر أشداء على الكفار عمر بن الخطاب لأنه كان شديداً غليظاً على أهل مكة رحماء بينهم عثمان بن عفان رضي الله عنه لأنه كان رؤوفاً رحيماً ذا حياء عظيم تراهم ركعاً سجداً علي بن أبي طالب رضي الله عنه تاحدى كه هرشب آوازهزار تكبير احرام ازخلوت وى باسماع خادمان عتبه عليه اش ميرسيد يبتغون فضلاً من الله ورضواناً بقية العشرة المبشرة بالجنة وفي الحديث: «يا علي أنت في الجنة وشيعتك في الجنة وسيجيء بعدي قوم يدعون ولايتك لهم لقب يقال لهم الرافضة فإذا أدركتهم فاقتلهم فإنهم مشركون قال: يا رسول الله ما علامتهم قال: يا علي إنه ليست لهم جمعة ولا جماعة يسبون أبا بكر وعمر» قال مالك بن أنس رضي الله عنه: من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية قال أبو العالية: العمل الصالح في هذه الآية حب الصحابة وفي الحديث: «يا علي إن الله أمرني أن أتخذ أبا بكر والداً وعمر مشيراً وعثمان سنداً وأنت يا علي ظهراً فأنتم أربعة قد أخذ ميثاقكم في الكتاب لا يحبكم إلا مؤمن ولا يبغضكم إلا فاجر أنتم خلائف نبوتي وعقدة ذمتي لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تغامزوا» كما في «كشف الأسرار» وفي الحديث: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» المد ربع الصاع والنصيف نصف الشيء والضمير في نصيفه راجع إلى أحدهم إلا إلى المد والمعنى أن أحدكم لا يدرك بإنفاق مثل أحد ذهباً من الفضيلة ما أدرك أحدهم بإنفاق مد من الطعام أو نصيف له وفي حديث آخر: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه» أي: يأخذه الله للتعذيب والعقاب وفي «الصواعق» لابن حجر وكان للنبي عليه السلام مائة ألف وأربعة عشر ألف صحابي عند موته انتهى وفي حديث الأخوة قال أصحابه: «نحن إخوانك

يا رسول الله قال: لا أنتم أصحابي وإخواني الذين يأتون بعدي آمنوا بي ولم يروني» وقال: «للعامل منهم أجر خمسين منكم قالوا: بل منهم يا رسول الله قال: بل منكم رددوها ثلاثاً ثم قال: لأنكم تجدون على الخير أعواناً» كما في «تلقيح الأذهان».

يقول الفقير: يلزم من هذا الخبر أن يكون الإخوان أفضل من الأصحاب وهو خلاف ما عليه الجمهور قلت: الذي في الخبر من زيادة الأجر للعامل من الإخوان عند فقدان الأعوان لا مطلقاً فلا يلزم من ذلك أن يكونوا أفضل من كل وجه في كل زمان قال في «فتح الرحمٰن»: وقد اجتمع حروف المعجم التسعة والعشرون في هذه الآية وهي محمد رسول الله إلى آخر السورة أول حرف المعجم فيها ميم من محمد وآخرها صاد من الصالحات وتقدم نظير ذلك في سورة آل عمران في قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران: ١٥٤] الآية وليس في القرآن آيتان في كل آية حروف المعجم غيرهما من دعا الله بهما استجيب له وعن النبيّ ﷺ: «من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد رسول الله فتح مكة» وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «بلغني أنه من قرأ سورة الفتح في أول ليلة من رمضان في صلاة التطوع حفظه الله تعالى ذلك العام» ومن الله العون.

تمت سورة الفتح المبين بعون رب العالمين في منتصف صفر الخير
من شهور سنة ألف ومائة وأربع عشرة

٤٩ ـ سورة الحجرات

ثماني عشرة آية مدنية بإجماع من أهل التأويل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝١﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على أن ما في حيزه أمر خطير يستدعي مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالإيمان لتنشيطهم والإيذان بأنه داع إلى المحافظة ورادع عن الإخلال به **﴿لا تقدموا﴾** أمراً من الأمور **﴿بين يدي الله ورسوله﴾** ولا تقطعوه إلا بعد أن يحكما به ويأذنا فيه فتكونوا إما عاملين بالوحي المنزل وإما مقتدين بالنبي المرسل ولفظ اليدين بمعنى الجهتين الكائنتين في سمت يدي الإنسان وبين اليدين بمعنى بين الجهتين والجهة التي بينهما هي جهة الأمام والقدام فقولك جلست بين يديه بمعنى جلست أمامه وبمكان يحاذي يديه قريباً منه وإذا قيل بين يدي الله امتنع أن يراد الجهة والمكان فيكون استعارة تمثيلية شبه ما وقع من بعض الصحابة من القطع في أمر من الأمور الدينية قبل أن يحكم به الله ورسوله بحال من يتقدم في المشي في الطريق مثلاً لوقاحته على من يجب أن يتأخر عنه ويقفو أثره تعظيماً له فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن المشبه بها **﴿واتقوا الله﴾** في كل ما تأتون وما تذرون من الأقوال والأفعال **﴿إن الله سميع﴾** لأقوالكم **﴿عليم﴾** بأفعالكم فمن حقه أن يتقي ويراقب ويجوز أن يكون معنى لا تقدموا لا تفعلوا التقديم بالكلية على أن الفعل لم يقصد تعلقه بمفعوله وإن كان متعدياً قال المولى أبو السعود وهو أوفى بحق المقام لإفادة النهي عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني وقد جوز أن يكون التقديم لازماً بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة منهم ومنه وجه بمعنى توجه وبين بمعنى تبين نهى عن التقدم لأن التقدم بين يدي المرء خروج عن صفة المتابعة واستقلال في الامر فيكون التقدم بين يدي الله ورسوله منافياً للإيمان وقال مجاهد والحسن: نزلت الآية في النهي عن الذبح يوم الأضحى قبل الصلاة كأنه قيل: لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي عليه السلام وذلك أن ناساً ذبحوا قبل صلاة النبي عليه السلام فأمرهم أن يعيدوا الذبح وهو مذهبنا إلا أن تزول الشمس وعند الشافعي يجوز إذا مضى من الوقت ما يسع الصلاة وعن البراء رضي الله عنه خطبنا النبي عليه السلام يوم النحر فقال: «إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل أن نصلي فإنما هو لحم عجله لأهله ليس من النسك في شيء» وعن عائشة رضي الله عنها أنها نزلت في النهي عن صوم يوم الشك أي: لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم

قال مسروق كنا عند عائشة يوم الشك، فأتى بلبن فنادتني وفي «بحر العلوم» قالت للجارية: اسقيه عسلاً فقلت: إني صائم فقالت: قد نهى الله عن صوم هذا اليوم وتلت هذه الآية وقالت: هذه في الصوم وغيره وقال قتادة إن ناساً كانوا يقولون: لو أنزل في كذا أو صنع في كذا ولو نزل كذا وكذا في معنى كذا ولو فعل الله كذا وينبغي أن يكون كذا فكره الله ذلك فنزلت وعن الحسن لما استقر رسول الله بالمدينة أتته الوفود من الآفاق فأكثروا عليه بالمسائل فنهوا أن يبتدئوا بالمسألة حتى يكون المبتدىء والظاهر أن الآية عامة في كل قول وفعل ولذا حذف مفعول لا تقدموا ليذهب ذهن السامع كل مذهب مما يمكن تقديمه من قول أو فعل مثلاً إذا جرت مسألة في مجلسه عليه السلام لا تسبقوه بالجواب وإذا حضر الطعام لا تبدؤوا بالأكل قبله وإذا ذهبتم إلى موضع لا تمشوا أمامه إلا لمصلحة دعت إليه ونحو ذلك مما يمكن فيه التقدم قيل: لا يجوز تقدم الأصاغر على الأكابر إلا في ثلاثة مواضع إذا ساروا ليلاً أو رأوا خيلاً أي: جيشاً أو دخلوا سيلاً أي: ماء سائلاً وكان في الزمان الأول إذا مشى الشاب أمام الشيخ يخسف الله به الأرض ويدخل في النهي المشي بين يدي العلماء فإنهم ورثة الأنبياء دليله ما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: رآني رسول الله عليه السلام أمشي أمام أبي بكر رضي الله عنه فقال: «تمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين خيراً وأفضل من أبي بكر رضي الله عنه» كما في **«كشف الأسرار»** وأكثر هذه الروايات يشعر بأن المراد بين يدي رسول الله وذكر الله لتعظيمه والإيذان بجلالة محله عنده حيث ذكر اسمه تعالى توطئة وتمهيداً لذكر اسمه عليه السلام ليدل على قوة اختصاصه عليه السلام برب العزة وقرب منزلته من حضرته تعالى فإن إيقاع ذكره تعالى موقع ذكره عليه السلام بطريق العطف تفسير للمراد يدل عليها لا محالة كما يقال: أعجبني زيد وكرمه في موضع أن يقال أعجبني كرم زيد للدلالة على قوة اختصاص الكرم به وقال ابن عباس رضي الله عنهما معنى الآية لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة.

يقول الفقير: لعله من باب الاكتفاء والمقصود ولا تفعلوا خلافهما أيضاً فإن كلاً منهما من قبيل التقدم لحدود الله وحدود رسوله وبهذا المعنى في هذه الآية ألهمت بين النوم واليقظة والله أعلم وفي الآية بيان رأفة الله على عباده حيث سماهم المؤمنين مع معصيتهم فقال: يا أيها الذين آمنوا ولم يقل يا أيها الذين عصوا وهذا نداء مدح كما في «تفسير أبي الليث» وأيضاً فيها وعيد لمن حكم بخاطره بغير علم بالفرق بين الإلهام والوسواس ويقول: إنه الحق فالزموه ومقصوده الرياء والسمعة ومن شرط المؤمن أن لا يرى رأيه وعقله واختياره فوق رأي النبي والشيخ ويكون مستسلماً لما يرى فيه مصلحة ويحفظ الأدب في خدمته وصحبته ومن أدب المريد أن لا يتكلم بين يدي الشيخ فإنه سبب سقوطه من أعين الأكابر قال سهل: لا تقولوا قبل أن يقول وإذا قال فاقبلوا منه منصتين له مستمعين إليه واتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمته إن الله سميع لما تقولون عليم بما تعملون وقال بعضهم: لا تطلبوا وراء منزلته منزلة فإنه لا يوازيه أحد بل لا يدانيه. چشم اواز حيا كوش اواز حكمت زبان اواز ثنا وتسبيح ودل اواز رحمت دست اواز سخاوى اواز مشك بويا.

قيمت عطار ومشك اندر جهان كاسد شود چون برافشاند صبا زلفين عنبر ساى تو

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ شروع في النهي عن التجاوز في كيفية القول عند النبي عليه السلام بعد النهي عن التجاوز في نفس القول والفعل والصوت هو الهواء المنضغط عن قرع جسمين فإن الهواء الخارج من داخل الإنسان إن خرج بدفع الطبع يسمى نفساً بفتح الفاء وإن خرج بالإرادة وعرض له تموج بتصادم جسمين يسمى صوتاً والصوت الاختياري الذي يكون للإنسان ضربان ضرب باليد كصوت العود وما يجري مجراه وضرب بالفم فالذي بالفم ضربان نطق وغيره فغير النطق كصوت الناي والنطق إما مفرد من الكلام وإما مركب كأحد الأنواع من الكلام والمعنى لا تبلغوا بأصواتكم وراء حد يبلغه عليه السلام بصوته والباء للتعدية وقال في «المفردات»: تخصيص الصوت بالنهي لكونه أعم من النطق والكلام ويجوز أنه خصه لأن المكروه رفع الصوت لا رفع الكلام وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أن الأقرع بن حابس من بني تميم قدم على النبيّ عليه السلام فقال أبو بكر رضي الله عنه: استعمله على قومه أي: بتقديمه عليهم بالرياسة فقال عمر رضي الله عنه: لا تستعمله يارسول الله بل القعقاع بن معبد فتكلما عند النبي عليه السلام حتى ارتفعت أصواتهما فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي فقال: ما أردت خلافك فنزلت هذه الآية فكان عمر بعد ذلك إذا تكلم عند النبي لم يسمع كلامه حتى يستفهمه وقال أبو بكر: آليت على نفسي أن لا أكلم النبي أبداً إلا كأخي السرار يعني سوكند ياد كردم كه بعد ازين هركز بارسول خدا سخن بلند نكويم مكر چنانكه باهمرازي پنهان سخن كويند **﴿ولا تجهروا له بالقول﴾** إذا كلمتموه وتكلم هو أيضاً والجهر يقال لظهور الشيء بإفراط لحاسة البصر نحو رأيته جهاراً أو حاسة السمع نحو: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ [الحجرات: ٢] **﴿كجهر بعضكم لبعض﴾** أي: جهراً كائناً كالجهر الجاري فيما بينكم بل اجعلوا صوتكم أخفض من صوته وتعهدوا في مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة جلالة النبوة فنهوا عن جهر مخصوص مقيد وهو الجهر المماثل لجهر اعتادوه فيما بينهم لا عن الجهر مطلقاً حتى لا يسوغ لهم إلا أن يتكلموا بالهمس والمخافتة فالنهي الثاني أيضاً مقيد بما إذا نطق ونطقوا والفرق المدلول النهي الأول حرمة رفع الصوت فوق صوته عليه السلام ومدلول الثاني حرمة أن يكون كلامهم معه عليه السلام في صفة الجهر كالكلام الجاري بينهم ووجوب كون أصواتهم أخفض من صوته عليه السلام بعد كونها ليست بأرفع من صوته وهذا المعنى لا يستفاد من النهي الأول فلا تكرار والمفهوم من «الكشاف» في الفرق بينهما أن معنى النهي الأول أنه عليه السلام إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم فوق الحد الذي يبلغ إليه صوته عليه السلام وأن تغضوا من أصواتكم بحيث يكون صوته عالياً على أصواتكم ومعنى الثاني أنكم إذا كلمتموه وهو عليه السلام ساكت فلا تبلغوا بالجهر في القول الجهر الدائر بينكم بل لينوا القول ليناً يقارب الهمس الذي يضاد الجهر **﴿أن تحبط أعمالكم﴾** تا

باطل نشود عملهاى شما بسبب اين جرأت. وهو علة إما للنهي على طريق التنازع فإن كل واحد من قوله لا ترفعوا ولا تجهروا يطلبه من حيث المعنى فيكون علة للثاني عند البصريين وللأول عند الكوفيين كأنه قيل انتهوا عما نهيتم عنه لخشية حبوط أعمالكم أو كراهته كما في قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء: ١٧٦] فحذف المضاف ولام التعليل وأما علة للفعل المنهي كأنه قيل انتهوا عن الفعل الذي تفعلونه لأجل حبوط أعمالكم فاللام فيه لام العاقبة فإنهم لم يقصدوا بما فعلوه من رفع الصوت والجهر حبوط أعمالهم إلا أنه لما كان بحيث قد يؤدي إلى الكفر المحبط جعل كأنه فعل لأجله فأدخل عليه لام العلة تشبيهاً لمؤدى الفعل بالعلة الغائية وليس المراد بما نهى عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فإن ذلك كفر بل ما يتوهم أن يؤدي إليه مما يجري بينهم في أثناء المحاورة من الرفع والجهر خلا أن رفع الصوت فوق صوته عليه السلام لما كان منكراً محضاً لم يقيد بشيء يعني أن الاستخفاف به عليه السلام كفر لا الاستخفاف بأمر الرفع والجهر بل هو المؤدي إلى المنكر لأنهم إذا اعتادوا الرفع والجهر مستخفين بأمرهما ربما انضم إلى هذا الاستخفاف قصد الإهانة به عليه السلام وعدم المبالاة وكذا ليس المراد ما يقع الرفع والجهر في حرب أو مجادلة معاند أو إرهاب عدو أو نحو ذلك فإنه مما لا بأس به إذ لا يتأذى به النبي عليه السلام فلا يتناوله النهي ففي الحديث أنه قال عليه السلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين «اصرخ بالناس» وكان العباس أجهر الناس صوتاً.

ـ يروى ـ أن غارة أتتهم يوماً أي: في المدينة فصاح العباس: يا صباحاه فأسقط الحوامل لشدة صوته وكان يسمع صوته من ثمانية أميال كما مر في الفتح وعن ابن العباس رضي الله عنهما نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في أذنه وقر وكان جهوري الصوت أي: جهيره ورفيعه وربما كان يكلم رسول الله فيتأذى بصوته وعن أنس لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقده عليه السلام فأخبر بشأنه فدعاه عليه السلام فسأله فقال: يا رسول الله لقد أنزلت إليك هذه الآية وأنا رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط فقال عليه السلام: «لست هناك إنك تعيش بخير وتموت بخير وإنك من أهل الجنة» وصدق رسول الله فإن ثابتاً مات بخير حيث قتل شهيداً يوم مسيلمة الكذاب وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام فقال له: اعلم أن فلاناً لرجل من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهو في ناحية من العسكر وعنده فرس مشدود يرعى وقد وضع على درعي برمة فائت خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعي وائت أبا بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله وقل له إن علي ديناً لفلان حتى يقضي ديني وفلان من عبيدي حر فأخبر الرجل خالداً فوجد درعه والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن أنس رضي الله عنه: لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه الوصية **﴿وأنتم لا تشعرون﴾**» حال من فاعل تحبط أي: والحال أنكم لا تشعرون بحبوطها والشعور العلم والفطنة والعشر العلم الدقيق. ودانستن از طريق حس. وفيه مزيد تحذير لما نهوا عنه استدل الزمخشري بالآية على أن الكبيرة تحبط الأعمال الصالحة إذ لا قائل بالفصل والجواب أنه من باب التغليظ والمراد أنهم لا يشعرون أن ذلك بمنزلة الكفر المحبط وليس كسائر المعاصي وأيضاً أنه من باب ولا تكونن ظهيراً للكافرين يعني أن المراد وهو الجهر والرفع المقرونان بالاستهانة والقصد إلى التعريض بالمنافقين قال الراغب:

حبط العمل على أضرب أحدها أن تكون الأعمال دنيوية فلا تغني في القيامة غناء كما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] والثاني أن تكون أعمالاً أخروية لكن لم يقصد صاحبها بها وجه الله كما روي يؤتى برجل يوم القيامة فيقال له: بم كان اشتغالك قال: بقراءة القرآن فيقال له: كنت تقرأ ليقال فلان قارىء وقد قيل ذلك فيؤمر به إلى النار والثالث أن تكون أعمالاً صالحة لكن بإزائها سيئات توفي عليها وذلك هو المشار إليه بخفة الميزان انتهى وحبط عمله كسمع وضرب حبطاً وحبوطاً بطل وأحبطه الله أبطله كما في «القاموس» وقال الراغب: أصل الحبط من الحبط وهو أن تكثر الدابة من الكلأ حتى تنتفخ بطنها فلا يخرج منها شيء قال البقلي في «العرائس»: أعلمنا الله بهذا التأديب أن خاطر حبيبه من كمال لطافته ومراقبة جمال ملكوته كان يتغير من الأصوات الجهرية وذلك من غاية شغله بالله وجمع همومه بين يدي الله فكان إذا جهر أحد عنده يتأذى قلبه ويضيق صدره من ذلك كأنه يتقاعد سره لحظة عن السير في ميادين الأزل فخوفهم الله من ذلك فإن تشويش خاطره عليه السلام سبب بطلان الأعمال ومن العرش إلى الثرى لا يزن عند خاطره ذرة واجتماع خاطر الأنبياء والأولياء في المحبة أحب إلى الله من أعمال الثقلين وفيه حفظ الحرمة لرسول الله وتأديب المريدين بين يدي أولياء الله.

يقول الفقير: ولكمال لطافته عليه السلام كان الموت عليه أشد إذ اللطيف يتأثر مما لا يتأثر الكثيف كما قال بعضهم قد شاهدنا أقواماً من عرب البوادي يسلخ الحكام جميع جلد أحدهم ولا يظهر ضجراً ولو سلخ أكبر الأولياء لصاح إلا أن يؤخذ عقله بمشاهدة تمنع إحساسه انتهى ومن هنا عرف أن لكل من الجهر والخفاء محلاً فشديد النفس له الجهر ولينه له الإخفاء كما في حال الذكر وليس كل أحد صاحب مشاهد.

وقال سهل: لا تخاطبوه إلا مستفهمين ثم إن الأصحاب رضي الله عنهم كانوا بعد هذه الآية لا يكلمونه عليه السلام إلا جهراً يقرب من السر والهمس وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره عليه السلام لأنه حي في قبره وكذا القرب منه عليه السلام في المواجهة عند السلام بحيث كان بينه وبينه عليه السلام أقل من أربعة أذرع وكره بعضهم رفع الصوت في مجالس الفقهاء تشريفاً لهم إذ هم ورثة الأنبياء قال سليمان بن حرب ضحك إنسان عند حماد بن زيد وهو يحدث بحديث عن رسول الله فغضب حماد وقال: إني أرى رفع الصوت عند حديث رسول الله وهو ميت كرفع الصوت عنده وهو حي وقام وامتنع من الحديث ذلك اليوم وحاصله أن فيه كراهة الرفع عند الحديث وعند المحدث مع أن الضحك لا يخلو من السخرية والهزل ومجلس الجد لا يحتمل مثل ذلك ولو دخل السلف مجالس هذا الزمان من مجلس الوعظ والدرس واجتماع المولد ونحو ذلك خرجوا من ساعتهم لما رأوا من كثرة المنكرات وسوء الأدب. بزركان كفته اند من ترك الاداب رد عن الباب نهصد هزار ساله طاعت ابليس بيك بي ادبى ضايع شد:

نكاه دار ادب در طريق عشق ونياز	كه كفته اند طريقت تمام آدابست

نسأل الله الكريم أن يجعلنا متحلين بحلية الأدب العظيم.

﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله﴾ إلخ ترغيب في الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب من الإخلال به والغض النقصان من الطرف والصوت وما في الإناء يقال غض طرفه

خفضه وغض السقاء نقص مما فيه والمعنى إن الذين يخفضون أصواتهم عند رسول الله مراعاة للأدب وخشية من مخالفة النهي ﴿أولئك﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾ أخلصها للتقوى من امتحن الذهب إذا أذابه وميز إبريزه من خبثه فهو من إطلاق المقيد وهو إخلاص الذهب وإرادة المطلق:

دربوته امتحان كرم بكدازى ... منت دارم كه بي غشم ميسازى

وقال في «الأساس»: محن الأديم مدده حتى وسعه وبه فسر قوله تعالى: ﴿امتحن الله قلوبهم﴾ أي: شرحها ووسعها وعن عمر رضي الله عنه: أذهب عنها الشهوات أي: نزع عنها محبة الشهوات وصفاها عن دنس سوء الأخلاق وحلاها بمكارمها حتى انسلخوا عن عادات البشرية ﴿لهم﴾ في الآخرة ﴿مغفرة﴾ عظيمة لذنوبهم ﴿وأجر عظيم﴾ التنكير للتعظيم أي: ثابت لهم غفران وأجر عظيم لا يقادر قدره لغضهم وسائر طاعاتهم فهو استئناف لبيان جزاء الغاضين مدحاً لحالهم وتعريضاً بسوء حال من ليس مثلهم وفي الآية إشارة إلى غض الصوت عند الشيخ المرشد أيضاً لأنه الوارث وله الخلافة ولا يقع الغض إلا من أهل السكينة والوقار.

وقال الحسين قدس سره: من امتحن الله قلبه بالتقوى كان شعاره القرآن ودثاره الإيمان وسراجه التفكر وطيبه التقوى وطهارته التوبة ونظافته الحلال وزينته الورع وعلمه الآخرة وشغله بالله ومقامه مع الله وصومه إلى الممات وإفطاره من الجنة وجمعه الحسنات وكنزه الإخلاص وصمته المراقبات ونظره المشاهدات قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر التقوى كل عمل يقيك من النار وإذا وقاك من النار وقاك من الحجاب وإذا وقاك من الحجاب شاهدت العزيز الوهاب روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يزال قلب ابن آدم ممتلئاً حرصاً إلا الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى» قال الراوي فلقد رأيت رجلاً من أصحاب رسول الله لا يركب إلى زراعة له وأنها منه على فراسخ وقد أتى عليه سبعون سنة وروي أنه عليه السلام قال: «لا يزال قلب ابن آدم جديداً في حب الشيء وإن التفت ترقوتاه من الكبر إلا الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وهم قليل». يعني هميشه دل آدم نومى باشد درجب چيزى واكرچه نكرسته باشد هردو چنبر كردنش ازپيرى وبزركى مكر آنانكه امتحان كرداست خدا قلوب ايشان ازبراى تقوى واند كند ايشان:

وجود تو شهريست پرنيك وبد ... تو سلطان ودستور دانا خرد
همانا كه دونان كردن فراز ... درين شهر كبرست وسودا وآز
چو سلطان عنايت كند بابدان ... كجا ماند آسايش بخردان

﴿إن الذين ينادونك﴾ المناداة والنداء خواندن ﴿من وراء الحجرات﴾ أي: من خارجها من خلفها أو قدامها لأن وراء الحجرة عبارة عن الجهة التي يواريها شخص الحجرة بجهتها أي: من أي ناحية كانت من نواحيها ولا بد أن تكون تلك الجهة خارج الحجرة لأن ما في داخلها لا يتوارى عمن فيها بجثة الحجرة واشتراك الوراء في تينك الجهتين معنوي لا لفظي لكن جعله الجوهري وغيره من الأضداد فيكون اشتراكه لفظياً ومن ابتدائية دالة على أن المناداة نشأت من جهة الوراء وأن المنادى داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدأ والمنتهى بحسب الجهة وإذا جرد الكلام عن حرف الابتداء جاز أن يكون المنادى أيضاً في الخارج لانتفاء مقتضى اختلافهما بالجهة والمراد حجرات أمهات المؤمنين وكانت لكل واحدة منهما حجرة

فتكون تسعاً عددهن جمع حجرة بمعنى محجورة كقبضة بمعنى مقبوضة وهي الموضع الذي يحجره الإنسان لنفسه بحائط ونحوه ويمنع غيره من أن يشاركه فيه من الحجر وهو المنع وقيل للعقل حجر لكون الإنسان في منع منه مما تدعو إليه نفسه ومناداتهم من ورائها إما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه عليه السلام من ورائها أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه السلام لأنهم لم يتحققوا إمكانه فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فأسند فعل الإبعاض إلى الكل وقيل الذي ناداه عيينة بن حصين الفزاري وهو الأحمق المطاع وكان من الجرارين يجر عشرة آلاف قناة أي: تتبعه والأقرع بن حابس وهو شاعر بني تميم وفدا على رسول الله في سبعين رجلاً من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا: يا محمد اخرج إلينا فنحن الذين مدحنا زين وذمنا شين فاستيقظ فخرج وقال لهم: «ويحكم ذلكم» أي: الله الذي مدحه زين وذمه شين وإنما أسند النداء إلى الكل لأنهم رضوا بذلك أو أمروا به أو لأنه وجد فيما بينهم وقال سعدي المفتي: إنما يحتاج إلى التأويل إذا أريد باستغراق الجمع الاستغراق الإفرادي وأما لو أريد الاستغراق المجموعي فلا ولذلك قالوا مقابلة الجمع بالجمع تفيد انقسام الآحاد بالآحاد وسئل رسول الله ﷺ عنهم فقال: «هم جفاة بني تميم لولا أنهم من أشد الناس قتالاً للأعور الدجال لدعوت الله أن يهلكهم» فنزلت الآية ذماً لهم وبقي هذا الذم إلى الأبد وصدق رسول الله في قوله ﴿ذلكم الله﴾ ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾ قال في «بحر العلوم» في قوله أكثر دلالة على أنه كان فيهم من قصد بالمحاشاة وهو بالفارسية استثنا كردن. وعلى قلة العقلاء فيهم قصداً إلى نفي أن يكون فيهم من يعقل إذا القلة تجري مجرى النفي في كلامهم ويؤيده الحديث السابق فيكون المعنى كلهم لا يعقلون إذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الأدب بل تأدبوا معه بأن يجلسوا على بابه حتى يخرج إليهم كما قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾.

﴿ولو أنهم صبروا﴾ الصبر حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها ﴿حتى تخرج إليهم﴾ لو مختص بالفعل على ما ذهب إليه المبرد والزجاج والكوفيون فما بعد لو مرفوع على فاعلية لا على الابتداء على ما قاله سيبويه والمعنى ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج إليهم وحتى تفيد أن الصبر ينبغي أن يكون مغياً بخروجه عليه السلام فإنها مختصة بما هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول: أكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها وثلثها بخلاف إلى فإنها عامة وفي إليهم إشعار بأنه لو خرج لا لأجلهم ينبغي أن يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام أو يتوجه إليهم ﴿لكان﴾ أي: الصبر المذكور ﴿خيراً لهم﴾ من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الأدب وتعظيم الرسول الموجبين للثواب والثناء والإسعاف بالمسؤول إذ روي أنهم وفدوا شافعين في أسارى بني العنبر قال في «القاموس»: العنبر أبو حي من تميم قال ابن عباس رضي الله عنهما: بعث رسول الله عليه السلام سرية إلى حي بني العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصين فلما علموا أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله قائلاً في أهله فلما رأتهم الذراري أجهشوا إلى آبائهم يبكون والإجهاش كريستن راساختن. يقال: أجهش إليه إذا فزع إليه وهو يريد البكاء كالصبي يفزع إلى أمه وكان لكل امرأة من نساء رسول الله بيت وحجرة فجعلوا ينادون يا محمد اخرج إلينا حتى أيقظوه من نومه فخرج إليهم فقالوا: يا محمد فادنا عيالنا فنزل

جبرائيل فقال: إن الله يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلاً فقال عليه السلام لهم: «أترضون أن يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا: نعم قال سبرة: أنا لا أحكم بينهم وعمي شاهد وهو أعور بن بشامة بن ضرار فرضوا به» فقال الأعور: فأنا أرى أن تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال عليه السلام: «قد رضيت ففادى نصفهم وأعتق نصفهم» وقال مقاتل: لكان خيراً لهم لأنك كنت تعتقهم جميعاً وتطلقهم بلا فداء ﴿**والله غفور رحيم**﴾ بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن تضيق ساحتهما عن هؤلاء المسيئين للأدب إن تابوا وأصلحوا قال الكاشفي: والله غفور وخداى تعالى آمرزنده است كسى راكه توبه كند ازبى ادبى رحيم مهربانست باهل ادب كه تعظيم سيد اولوا الألباب ميكنند چه ادب جاذب رحمتست وحرمت جالب نعمت:

سرمايه ادب بكف آوركه اين متاع آنراكه هست سوء ادب نايدش بكف

وفي هذا المقام أمور:

الأول: أن في هذه الآية تنبيهاً على قدره عليه السلام والتأدب معه بكل حال فهم إنما نادوه لعدم عقل يعرفون به قدره ولو عرفوا قدره لكانوا كما في الخبر يقرعون بابه بالأظافير وفي المناداة إشارة إلى أنهم رأوه من وراء الحجاب ولو كانوا من أهل الحضور والشهود لما نادوه كما قال بعضهم:

كارنادان كوته انديش است يا دكردن كسى كه درپيش است

قال أبو عثمان المغربي قدس سره: الأدب عند الأكابر وفي مجلس السادات من الأولياء يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلى والخير في الأولى والعقبى فكما لا بد من التأدب معه عليه السلام فكذا مع من استن بسنته كالعلماء العالمين وكان جماعة من العلماء يجلسون على باب غيرهم ولا يدقون عليه بابه حتى يخرج لقضاء حاجته احتراماً.

قال أبو عبيدة القاسم بن سلام: ما دققت الباب على عالم قط كنت أصبر حتى يخرج إلي لقوله تعالى: ﴿ولو أنهم﴾ إلخ وفي الحديث: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» أي أدبني أحسن تأديب فالفاء تفسير لما قبله قال بعض الكبار من الحكمة توقير الكبير ورحمة الصغير ومخاطبة الناس باللين وقال إن كان خليلك فوقك فاصحبه بالحرمة وإن كان كفؤك ونظيرك فاصحبه بالوفاء وإن كان دونك فاصحبه بالمرحمة وإن كان عالماً فاصحبه بالخدمة والتعظيم وإن كان جاهلاً فاصحبه بالسياسة وإن كان غنياً فاصحبه بالزهد وإن كان فقيراً فاصحبه بالجود وإن صحبت صوفياً فاصحبه بالتسليم قال بعض الحكماء عاشروا الناس معاشرة إن متم بكوا عليكم وإن غبتم حنوا إليكم.

والثاني: ذم الجهل ومدح العقل والعلم فإن شرف العقل مدرك بضرورة العقل والعلم والحسن حتى أن أكبر الحيوانات شخصاً وأقواها أبداناً إذا رأى الإنسان احتشمه وخاف منه لإحساسه بأنه مستول عليه بحيلته وأقرب الناس إلى درجة البهائم أجلاف العرب والترك تراهم بالطبع يبالغون في توقير شيوخهم لأن التجربة ميزتهم عنهم بمزيد علم ولذلك روي في الأثر الشيخ في قوله كالنبي في أمته نظراً إلى قوة علمه وعقله لا بقوة شخصه وجماله وشوكته وثروته.

وفي «المثنوي»:

كشتى بى لنكر آمد مردشر كه زباد كژنيابد او حذر
لنكر عقلست عاقل را امان لنكرى دريوزه كن از عاقلان

قال بعض الكبار العاقل كلامه وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم به أمره على قلبه فينظر فيه فإن كان له أي: لنفعه أمضاه وإن كان عليه أي: لضره أمسكه والأحمق كلامه على طرف لسانه وعقله في حجره إذا قام سقط قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لسان العاقل في قلبه وقلب الأحمق في فمه والأدب صورة العقل ولا شرف مع سوء الأدب ولاداء أعيا من الجهل وإذا تم العقل نقص الكلام:

هركرا اندكست مايه عقل بيهده كفتنش بودبسيار
مردرا عقل چون بيفزايد درمجامع بكاهدش كفتار

وفي الحديث: «كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمر بمعروف أو نهي عن منكر» وفي حديث آخر: «وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم».

والثالث ما قال بعض الكبار تدبر سر قوله تعالى ﴿ولو أنهم صبروا﴾ الآية ولا تنظر إلى سبب النزول وانتظر خروجه مرة ثانية لقيام الساعة وفتح باب الشفاعة في هذه الدار نوماً أو يقظة في الآخرة وهو الشافع فيهما وفي الحافرة وقد ثبت أن الناس يلتجئون يوم القيامة إلى الأنبياء ثم وثم إلى أن يصلوا إليه فلا يصلون إلى المراد إلا عنده وفي الحديث «أنا أول ولد آدم خروجاً إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وخطيبهم إذا أنصتوا وأنا مبشرهم إذا أبلسوا وأنا شفيعهم إذا حشروا ولواء الكرم بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر يطوف على ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون».

سرخيل انبياء وسپهدار اتقيا سلطان باركاه دنى قائد الأمم

وإنما كان خدامه ألفاً لتحققه بألف اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾

﴿يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق﴾ أي فاسق كان ﴿بنبأ﴾ أي نبأ كان والنبأ الخبر. يعني خبري بياردكه موحش بود وموجب تألم خاطر. فالتنكير للتعميم وفيه إيذان بالاحتراز عن كل فاسق وإنما قال إن جاءكم بحرف الشك دون إذا ليدل على أن المؤمنين ينبغي أن يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في مكالمتهم بكذب ما وقال ابن الشيخ: إخراج الكلام بلفظ الشرط المحتمل الوقوع لندرة مثله فيما بين أصحابه عليه السلام ﴿فتبينوا﴾ أي: إن جاءكم فاسق بخبر يعظم وقعه في القلوب فتعرفوا وتفحصوا حتى يتبين لكم ما جاء به أصدق هو أم كذب ولا تعتمدوا على قوله المجرد لأن من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه روي أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخا عثمان لأمه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعاً ثم قال: هل أزيدكم فعزله عثمان عنهم بعثه عليه السلام مصدقاً إلى بني المصطلق أي: آخذاً وقابضاً لصدقاتهم

وزكاتهم وكان بينه وبينهم إحنة أي: حقد وبغض كامن في الجاهلية بسبب دم فلما سمعوا بقدومه استقبلوه ركباناً فحسب أنهم مقاتلوه فرجع هارباً وقال لرسول الله عليه السلام: قد ارتدوا ومنعوا الزكاة وهموا بقتلي فهم عليه السلام بقتالهم فنزلت وقيل: بعث إليهم خالد بن الوليد بعد رجوع الوليد بن عقبة عنهم في عسكر وقال له: أخف عنهم قدومك إليهم بالعسكر وادخل عليهم ليلاً متجسساً هل ترى شعائر الإسلام وآدابه فإن رأيت منهم ذلك فخذ منهم زكاة أموالهم وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يفعل بالكفار ففعل ذلك خالد وجاءهم وقت المغرب فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء ووجدهم مجتهدين باذلين وسعهم ومجهودهم في امتثال أمر الله فأخذ منهم صدقاتهم وانصرف إلى رسول الله وأخبره الخبر فنزلت ﴿**أن تصيبوا**﴾ حذار أن تصيبوا ﴿**قوماً بجهالة**﴾ حال من ضمير تصيبوا أي: ملتبسين بجهالة بحلهم وكنه قصتهم ﴿**فتصبحوا**﴾ أي: فتصيروا بعد ظهور براءتهم مما أسند إليهم ﴿**على ما فعلتم**﴾ في حقهم ﴿**نادمين**﴾ مغتمين غماً لازماً متمنين أنه لم يقع فإن تركيب هذه الأحرف الثلاثة يدور مع الدوام مثل أدمن الأمر إذا أدامه ومدن المكان إذا أقام به ومنه المدينة يعني أن الندم غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام على ما وقع مع تمني أنه لم يقع ولزومه قد يكون لقوته من أول الأمر وقد يكون لعدم غيبة موجبه وسببه عن الخاطر وقد يكون لكثرة تذكره ولغير ذلك من الأسباب وفي الآية دلالة على أن الجاهل لا بد أن يصير نادماً على ما فعله بعد زمان وفي ترتيب الأمر بالتبين على فسق المخبر إشارة إلى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد ورد عليه السلام شهادة رجل في كذبة واحدة وقال: إن شاهد الزور مع العشار في النار وقال عليه السلام: من شهد شهادة زور فعليه لعنة الله ومن حكم بين اثنين فلم يعدل بينهما فعليه لعنة الله وما شهد رجل على رجل بالكفر إلا باء به أحدهما إن كافراً فهو كما قال وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إياه» كما في «كشف الأسرار» وفي الآية أيضاً إشارة إلى ترك الاستماع إلى كلام الساعي والنمام والمغتاب للناس:

كسى پيش من درجهان عاقلست ... كه مشغول خود وز جهان غافلست
كسى راكه نام آمد اندرميان ... به نيكوترين نام ونعتش بخوان
ازان همنشين تاتوانى كربز ... كه مرفتنه خفته را كفت خيز
ميان دوكس جنك چون آتش است ... سخن چين بدبخت هيزم كش است
ميان دوتن آتش آفروختن ... نه عقلست خود درميان سوختن

فلا بد من التبيّن والتفحص ليظهر حقيقة الحال ويسلم المرء من الوبال ويفتضح الكذاب الدجال وفي الحديث: «التبين من الله والعجلة من الشيطان» وفيها أيضاً إشارة إلى تسويلات النفس الفاسقة الأمارة بالسوء ومجيئها كل ساعة بنبأ شهوة من شهوات الدنيا فتبينوا ربحها وخسرانها من قبل أن تصيبوا قوماً من القلوب وصفاتها بجهالة ما فيها من شفاء النفوس وحياتها ومرض القلوب ومماتها فتصبحوا صباح القيامة وأنتم على ما فعلتم نادمون

﴿**واعلموا أن فيكم رسول الله**﴾ وبدانيدكه درميان شماست رسول الله.

وفائدة الأمر الدلالة على أنهم نزلوا منزلة الجاهلين لمكانه لتفريطهم فيما يجب من تعظيم شأنه فيكون قوله تعالى: ﴿**لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم**﴾ استئنافاً وقال بعضهم: إن بما في حيزها ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما بعده من قوله تعالى ﴿**لو يطيعكم**﴾ إلخ فإنه حال

من أحد الضميرين في فيكم الأول المرفوع المستتر فيه العائد إلى رسول الله المنتقل إليه من عامله المحذوف لأن التقدير كائن فيكم أو مستقر والثاني المجرور البارز والمعنى أي: على الحال أن فيكم رسول الله كائناً على حالة يجب عليكم تغييرها أو كائنين على حالة إلخ وهي أنكم تريدون أن يتبع عليه السلام رأيكم في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد والهلاك فعلى هذا يكون قوله: ﴿**لو يطيعكم**﴾ إلخ دليل وجوب تغيير تلك الحال أقيم مقام الحال وفيه إيذان بأن بعضهم زينوا لرسول الله الإيقاع ببني المصطلق تصديقاً لقول الوليد وأنه عليه السلام لم يطع رأيهم والعنت محركة الفساد والإثم والهلاك ودخول المشقة على الإنسان كما في «القاموس»: يقال عنت فلان إذا وقع في أمر يخاف منه التلف كما في «**المفردات**» فهو من الباب الرابع مثل طرب يطرب طرباً وقال الزمخشري: هو الكسر بعد الجبر كما في «تاج المصادر» العنت بزه مند شدن ودركارى افتيدن كه ازان بيرون نتواند آمد وشكسته شدن استخوان پس ازچبر وقوله: ﴿لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْۚ﴾ [النساء: ٢٥] يعني الفجور والزنى ومنه الأسير من المسلمين في دارالحرب إذا خشي العنت على نفسه والفجور لا بأس بأن يتزوج امرأة منهم والتركيب يدل على مشقة وصيغة المضارع في لو يطيعكم للدلالة على أن امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عليه السلام لأن عنتهم إنما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الأمور إذ فيه اختلال أمر الإيالة وانقلاب الرئيس مرؤوساً لا من إطاعته في بعض ما يرونه نادراً بل فيها استمالتهم بلا معرة قال في علم البلاغة: لو للشرط في الماضي أي: لتعليق حصول مضمون الجزاء بحصول مضمون الشرط فرضاً مع القطع بانتفاء الشرط فيلزم انتفاء الجزاء فيلزم عدم الثبوت والمضي في جملتها إذا الثبوت ينافي التعليق والاستقبال ينافي الماضي فلا يعدل في جملتيها عن الفعلية الماضوية إلا لنكتة فدخولها على المضارع نحو لو يطيعكم إلخ لقصد استمرار الفعل فيما مضى وقتاً فوقتاً والفعل هو الإطاعة يعني أن امتناع عنتكم بسبب امتناع استمراره على إطاعتكم فإن المضارع يفيد الاستمرار ودخول لو عليه امتناع الاستمرار ﴿**ولكن الله حبب إليكم الإيمان**﴾ إلخ تجريد للخطاب وتوجيه له إلى بعضهم بطريق الاستدراك بياناً لبراءتهم من أوصاف الأولين وإحماداً لأفعالهم وهم الكاملون الذين لا يعتمدون على كل ما سمعوه من الأخبار والتحبيب دوست كردانيدن. أي ولكنه تعالى جعل الإيمان محبوباً لديكم ﴿**وزينه**﴾ وحسنه ﴿**في قلوبكم**﴾ حتى رسخ حبه فيها ولذلك أتيتم بما يليق به من الأقوال والأفعال وفي «عين المعاني»: في قلوبكم دون ألسنتكم مجردة رداً على الكرامية وقيل دون جوارحكم رداً على الشفعوية ﴿**وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان**﴾ ولذلك اجتنبتم ما لا يليق بها مما لا خير فيه من آثارها وأحكامها والتكريه هنا بمعنى التبغيض والبغض ضد الحب فالبغض نفار النفس عن الشيء الذي ترغب عنه والحب انجذاب النفس إلى شيء الذي ترغب فيه ولما كان في التحبيب والتكريه معنى إنهاء المحبة والكراهة وإيصالهما إليهم استعملا بكلمة إلى قال في «فتح الرحمٰن»: معنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والإمداد بالتوفيق والكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد أي: العدل بظلم نفسه والعصيان الامتناع من الانقياد وهو شامل لجميع الذنوب والفسوق مختص بالكبائر ﴿**أولئك**﴾ المستثنون بقوله ولكن الله إلخ ﴿**هم الراشدون**﴾ أي: السالكون إلى الطريق السوي الموصل إلى الحق وفي الآية عدول وتلوين حيث ذكر أولها على وجه المخاطبة وآخرها على المغايبة حيث قيل: ﴿**أولئك**

هم الراشدون﴾ ليعلم أن جميع من كان حاله هكذا فقد دخل في هذا المدح كما قال أبو الليث ﴿فضلاً من الله ونعمة﴾ أي: وإنعاماً تعليل لحبب وكره وما بينهما اعتراض لا للراشدين فإن الفضل فعل الله والرشد وإن كان مسبباً عن فعله وهو التحبيب والتكريه مسند إلى ضميرهم يعني أن المراد بالفاعل من قام به الفعل وأسند هو إليه لا من أوجده ومن المعلوم أن الرشد قائم بالقوم والفضل والإنعام قائمان به تعالى فلا اتحاد ﴿والله عليم﴾ مبالغ في العلم فيعلم أحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل والتمايز ﴿حكيم﴾ يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة.

وقال الكاشفي: والله عليم وخداى تعالى داناست بصدق وكذب حكيم محكم كارست درامور بند كان وازحكمتهاى اوست كه بتحقيق اخبار ميفر ما يدكه از خبرهاى ناراست انواع فتنهامى زايد:

هركز سخنان فتنة انكيزمكو وآن راست كه هست فتنه ان نيزمكو
خامش كن وكرچاره نداری زسخن شوخى مكن وتند مشو تيزمكو

وفي الآية دليل على أن من كان مؤمناً لا يحب الفسق والمعصية وإذا ابتلي بالمعصية فإن شهوته وغفلته تحمله على ذلك لا لحبه للمعصية بل ربما يعصي حال الحضور لأن فيه نفاذ قضائه تعالى. شيخ أكبر قدس سره الأطهرمى فرمايدكه بعضى ازصالحان مراخبر دادكه بفلان عالم در آمدم واو عظيم برنفس خود مسرف بود شيخ فرمودكه من آن عالم مسرف رانيزمى دانم وباوى اجتماع اتفاق افتاده بودآن عزيز صالح ميكويدكه چون بدر خانه اورسيدم ابا كردازان سبب كه برصورتى نا مشروع نشسته بود كفتم چاره نيست ازديدن او كفت بكوييدكه من برچه حالم كفتم لا بداست دستورى داد در آمدم وآن خمرايشان تمام شده بود بعضى ازحاضران كفت بفلاني رقعه بنويس كه قدرى بفرستدآن عالم كفت نكنم ونمى خواهم برمعصيت حق تعالى مصر باشم والله كه هيچ كاسه نمى خورم الاكه درعقب آن توبه ميكنم ومنتظر كاس ديكر نباشم وبانفس خوددر ان باب سخن نمى كويم چوق بارديكر دورمى رسد وساقى مى آيد در نفس خودنكاه ميكنم اكرراى من بران قرار ميكيردكه بكيرم مى ستانم وچوق فارغ شدم باز بحق رجوع ميكنم وتوبه مى آدم در مرور اوقات درخاطر من نيست كه عصيان كنم آن عزيز مى كويدكه باوجود عصيان واسراف او تعجب نمودم كه چكونه ازمثل اين حضور غافل نشد پس حذر كنى ازاصرار كردن بركناه بلكه درهر حالت توبه كنى وبحق تعالى بازكرد وبراثر هرعصيانى عذرى بخواه:

طريقى بدست آروصلحى بجوى شفيعى برانكيز وعذرى بكوى
كه يكلحظه صورت نبندد امان چوپيمانه پرشد بدور زمان

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٞ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ أي: تقاتلوا والجمع حيث لم يقل اقتتلتا على التثنية والتأنيث باعتبار المعنى فإن كل طائفة جمع والطائفة من الناس جماعة منهم لكنها دون الفرقة كما دل عليه قوله تعالى ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٖ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٞ﴾ [التوبة: ١٢٢] وطائفتان فاعل فعل

محذوف وجوباً لا مبتدأ لأن حرف الشرط لا يدخل إلا على الفعل لفظاً أو تقديراً والتقدير وإن اقتتل طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فحذف الأول لئلا يلزم اجتماع المفسر والمفسر وأصل القتل إزالة الروح عن الجسد ﴿**فأصلحوا بينهما**﴾ ثنى الضمير باعتبار اللفظ والصلاح الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والإصلاح جعل الشيء على تلك الحالة وبالفارسية بإصلاح آوردن. أي: فأصلحوا بين تينك الطائفتين بالنصح والدعاء إلى حكم الله قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: من وصل أخاه بنصيحة في دينه ونظر له في صلاح دنياه فقد أحسن صلته وقال مطرف: وجدنا أنصح العباد لله الملائكة ووجدنا أغش العباد لله الشياطين يقال: من كتم السلطان نصحه والأطباء مرضه والإخوان بثه فقد خان نفسه والإصلاح بين الناس إذا تفاسدوا من أعظم الطاعات وأتم القربات وكذا نصرة المظلوم وفي الحديث: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال: «إصلاح ذات البين» وقال لقمان يا بني كذب من يقول إن الشر يطفي الشر فإن كان صادقاً فليوقد نارين ثم لينظر هل تطفىء إحداهما الأخرى وإنما يطفىء الماء النار وفي الحديث: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح إلا بإذنه ولا يؤذيه بقتار قدره إلا أن يغرف له منها ولا يشتري لبنيه الفاكهة فيخرجون بها إلى صبيان جاره ولا يطعمونهم منها» وقال بعض العارفين: سعي الإنسان في مصالح غيره من أعظم القربات إلى الله تعالى وتأمل في موسى عليه السلام لما خرج يمشي في الظلمة في حق أهله ليطلب لهم ناراً يصطلون بها ويقضون بها الأمر الذي لا يقضى إلا بها في العادة كيف أنتج له ذلك الطلب سماع كلام ربه من غير واسطة ملك فكلمه الله في عين حاجته وهي النار ولم يكن يخطر له هذا المقام بخاطر فلم يحصل له إلا في وقت السعي في مصالح العيال وذلك ليعلمه الله بما في قضاء حوائج العائلة من الفضل فيزيد حرصاً في سعيه في حقهم لأنهم عبيده على كل حال وكذلك لما وقع لموسى الفرار من الأعداء الذين طلبوا قتله أنتج له ذلك الفرار الحكم والرسالة كما قال ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ [الشعراء: ٢١]﴾ وذلك لأن فراره كان سعياً في حق الغير الذي هو النفس الناطقة المالكة تدبير هذا البدن فإن فرار الأكابر دائماً إنما يكون في حق الغير لا في حق أنفسهم فكان الفار من موسى النفس الحيوانية وكذلك لما خرج الخضر عليه السلام يرتاد الماء للجيش الذي كان معه حين فقدوا الماء فوقع بعين الحياة فشرب منها عاش إلى زمننا هذا والحال أنه كان لا يعرف ما خص الله به شارب ذلك الماء من الحياة فلما عاد وأخبر أصحابه بالماء سارعوا إلى ذلك الموضع ليستقوا منه فأخذ الله بأبصارهم عنه فلم يهتدوا إلى موضعه كما قال الحافظ:

سكندر را نمى بخشند آبى ... بزور وزر ميسر نيست اين كار

فانظر ما أنتج له سعيه في حق الغير واعمل عليه والآية نزلت في قتال أحدث بين الأوس والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف وهي أغصان النخل إذا يبست والنعال فقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن النبي عليه السلام مر يوماً على ملأ من الأنصار فيهم عبد الله بن أبي المنافق ورسول الله عليه السلام على حماره فوقف عليهم يعظهم فبال حماره أو راث فأمسك عبد الله بن أبي أنفه وقال: نح عنا نتن حمارك فقد آذيتنا بنتنه فمن جاءك منا فعظه فسمع ذلك عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فقال: ألحمار رسول الله تقول هذا؟ والله إن بول حمار

رسول الله أطيب رائحة منك فمر عليه السلام وطال الكلام بين عبد الله بن أبي المنافق الخزرجي وعبد الله بن رواحة الأوسي حتى استبا وتجالدا وجاء قوم كل واحد منهما من الأوس والخزرج وتجالدوا بالعصي أو بالنعال والأيدي أو بالسيف أيضاً فنزلت الآية فرجّع إليهم رسول الله فقرأها عليهم وأصلح بينهم فإن قيل عبد الله بن أبي كان منافقاً والآية في طائفتين من المؤمنين قلنا إحدى الطائفتين هي عبد الله بن أبي وعشيرته ولم يكن كلهم منافقين فالآية تتناول المؤمنين منهم أو المراد بالمؤمنين من أظهر الإيمان سواء كان مؤمناً حقيقة أو ادعاء وقيل في سبب النزول غير هذا ويحتمل أن تكون الروايات كلها صحيحة ويكون نزول الآية عقيب جميعها وقال ابن بحر: القتال لا يكون بالنعال والأيدي وإنما هذا في المنتظر من الزمان انتهى. يقول الفقير: فسروا القتل بفعل يحصل به زهوق الروح كالضرب بآلة الحرب والمحدد ولو من خشب ونحو ذلك مما يفرق الأجزاء ولا شك أن السعف من قبل الخشب المحدد وأما النعال فإن بعضها يعمل عمل الخشب المحدد كما شاهدنا في نعال بعض الأعراب على أن القتال قد يستعمل مجازاً في المحاربة والمضاربة فقد وقع القتال مطلقاً في زمن النبي عليه السلام وأما حرف الشرط فإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يصدر القتال من المؤمنين إلا فرضاً مع أن خصوص السبب لا ينافي عموم الحكم فالآية عامة في جميع المسلمين إلى يوم القيامة على تقدير القتال فاعرف ﴿**فإن بغت**﴾ أي: تعدت يقال بغى عليه بغياً علا وظلم وعدل عن الحق واستطال كما في «القاموس»: وأصل البغي طلب ما ليس بمستحق فإن البغي الطلب ﴿**إحداهما**﴾ وكانت مبطلة ﴿**على الأخرى**﴾ وكانت محقة ولم تتأثر أي: الباغية بالنصيحة ﴿**فقاتلوا التي تبغي**﴾ أي: قاتلوا الطائفة الباغية ﴿**حتى تفيء**﴾ أي: ترجع فإن الفيء الرجوع إلى حالة محمودة ﴿**إلى أمر الله**﴾ أي: إلى حكمه الذي حكم به في كتابه العزيز وهو المصالحة ورفع العداوة أو إلى ما أمر به وهو الإطاعة المدلول عليها بقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] فأمر الله على الأول واحد الأمور وعلى الثاني واحد الأوامر وإنما أطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس أي: إزالتها إياه فإن الشمس كلما ازدادت ارتفاعاً ازداد الظل انتساخاً وزوالاً وذلك إلى أن توازي الشمس خط نصف النهار فإذا زالت عنه وأخذت في الانحطاط أخذ الظل في الرجوع والظهور فلما كان الزوال سبباً لرجوع ما انتسخ من الظل أضيف الظل إلى الزوال فقيل فيء الزوال وأطلق أيضاً على الغنيمة لرجوعها من الكفار إلى المسلمين وتلك الأموال وإن لم تكن أولاً للمسلمين لكنها لما كانت حقهم ليتوسلوا بها إلى طاعته تعالى كانت كأنها لهم أولاً ثم رجعت.

ومر الأصمعي بحي من أحياء العرب فوجد صبياً يلعب مع الصبيان في الصحراء ويتكلم الفصاحة فقال الأصمعي: أين أباك يا صبي فنظر إليه الصبي ولم يجب ثم قال: أين أبيك فنظر إليه ولم يجب كالأول ثم قال أين أبوك فقال: فاء إلى الفيفاء لطلب الفيء فإذا فاء الفيء فاء أي: رجع ﴿**فإن فاءت**﴾ إليه وأقلعت عن القتال حذاراً من قتالكم ﴿**فأصلحوا بينهما بالعدل**﴾ والإنصاف بفصل ما بينهما على حكم الله ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى أن يكون بينهما قتال في وقت آخر. قال الحافظ:

جويبار ملك راآب سر شمشيرتست   خوش درخت عدل نشان بيخ بدخواهان بكن

قال كيخسرو: أعظم الخطايا محاربة من يطلب الصلح وتقييد الإصلاح بالعدل هٰهنا دون

الأول لأنه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وهي تورث الإحن في الغالب وقد أكد ذلك حيث قيل: ﴿**وأقسطوا**﴾ أي: واعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون من أقسط إذا أزال القسط بالفتح أي: الجور يقال إذا جاء القسط بالكسر أي: العدل زال القسط بالفتح أي: الجور وقال بعضهم: الإقساط أن يعطي قسط غيره أي: نصيبه وذلك إنصاف﴿**إن الله يحب المقسطين**﴾ أي: العادلين الذين يؤدون لكل ذي حق حقه فيجازيهم بأحسن الجزاء.

قال الكاشفي:

عدل راشكر هست جان افزاى عدل مشاطه ايست ملك اراى

عدل كن زانكه در ولايت دل در پيغمبرى زند عادل

وقال الحافظ:

شاه رابه بود از طاعت صد ساله وزهد قدر يكساعته عمرى كه درو داد كند

قال بعض الكبار: كل من كان فيه صفة العدل فهو ملك وإن كان الحق ما ستخلفه بالخطاب الإلهي فإن من الخلفاء من أخذ المرتبة بنفسه من غير عهد إلهي إليه بها وقام بالعدل في الرعايا استناداً إلى الحق كما قال عليه السلام: ولدت في زمان الملك العادل يعني كسرى فسماه ملكاً ووصفه بالعدل ومعلوم أن كسرى في ذلك العدل على غير شرع منزل لكنه نائب للحق من وراء الحجاب وخرج بقولنا وقام بالعدل في الرعايا من لم يقم بالعدل كفرعون وأمثاله من المنازعين لحدود الله والمغالبين لجنابه بمغالبة رسله فإن هؤلاء ليسوا بخلفاء الله تعالى كالرسل ولا نواباً له كالملوك العادلة بل هم إخوان الشياطين قال بعضهم:

شه كسرى از ظلم ازان ساده است كه در عهد او مصطفى زاده است

أي: كان عدله من انعكاس نورانيته ﷺ فاعرف جداً وفي الآية دلالة على أن الباغي لا يخرج بالبغي عن الإيمان لأن إحدى الطائفتين فاسقة لا محالة إذ اقتتلتا وقد سماهما مؤمنين وبه يظهر بطلان ما ذهب إليه المعتزلة والخوارج من خروج مرتكب الكبيرة عن الإيمان ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه أنه سئل وهو القدوة في قتال أهل البغي أعلمنا أهل الجمل وصفين أمشركون هم؟ فقال: لا من الشرك فروا فقيل: أمنافقون هم؟ فقال: لا إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً قيل: فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا وأيضاً فيها دلالة على أن الباغي إذا أمسك عن الحرب ترك لأنه فاء إلى أمر الله وأنه يجب معاونة من بغى عليهم بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة بدلالة قوله:﴿**فأصلحوا بينهما**﴾ فإن النصح والدعاء إلى حكم الله إذا وجب عند وجود البغي من الطائفتين فلأن يجب عند وجوده من إحداهما أولى لأن ظهور أثره فيها أرجى.

واعلم أن الباغي في الشرع هو الخارج على الإمام العادل وبيانه في الفقه في باب البغاة قال سهل رحمه الله في هذه الآية: الطائفتان هما الروح والقلب والعقل والطبع والهوى والشهوة فإن بغى الطبع والهوى والشهوة على العقل والقلب والروح فيقاتل العبد بسيوف المراقبة وسهام المطالعة وأنوار الموافقة ليكون الروح والعقل غالباً والهوى والشهوة مغلوباً وقال بعضهم: النفس إذا ظلمت على القلب باستيلاء شهواتها واستعلائها في فسادها يجب أن تقاتل حتى تثخن بالجراحة بسيوف المجاهدة فإن استجابت بالطاعة فيعفى عنها لأنها هي المطية إلى باب الله ولا بد من العدل بين القلب والنفس لئلا يظلم القلب على النفس كما لا يظلم النفس

على القلب لأن لنفسك عليك حقاً نسأل الله إصلاح البال واعتدال الحال ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ جمع الأخ وأصله المشارك الآخر في الولادة من الطرفين أو من أحدهما أو من الرضاع ويستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة أو في الدين أو في صنعة أو في معاملة أو في مودة أو في غير ذلك من المناسبات والفرق بين الخلة والأخوة أن الصداقة إذا قويت صارت أخوة فإن ازدادت صارت خلة كما في «إحياء العلوم» وسئل الجنيد قدس سره عن الأخ فقال: هو أنت في الحقيقة إلا أنه غيرك في الشخص قال بعض أهل اللغة: الإخوة جمع الأخ من النسب والإخوان جمع الأخ من الصداقة ويقع أحدهما موقع الآخر وفي الحديث وكونوا عباد الله إخواناً والمعنى إنما المؤمنون منتسبون إلى أصل واحد هو الإيمان الموجب للحياة الأبدية كما أن الإخوة من النسب منتسبون إلى أصل واحد هو الأب الموجب للحياة الفانية فالآية من قبيل التشبيه البليغ المبتنى على تشبيه الإيمان بالأب في كونه سبب الحياة كالأب ﴿**فأصلحوا بين أخويكم**﴾ الفاء للإيذان بأن الأخوة الدينية موجبة للإصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافاً إلى المأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب الإصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوق ذلك بطريق الأولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه ﴿**واتقوا الله**﴾ في كل ما تأتون وما تذرون من الأمور التي من جملتها ما أمرتم به من الإصلاح وفي «التأويلات النجمية»: واتقوا الله في إخوتكم في الدين بحفظ عهودهم ورعاية حقوقهم في المشهد والمغيب والحياة والممات ﴿**لعلكم ترحمون**﴾ راجين أن ترحموا على تقواكم كما ترحمون.

واعلم أن أخوة الإسلام أقوى من أخوة النسب بحيث لا تعتبر أخوة النسب إذا خلت عن أخوة الإسلام ألا ترى أنه إذا مات المسلم وله أخ كافر يكون ماله للمسلمين لا لأخيه الكافر وكذا إذا مات أخ الكافر وذلك لأن الجامع الفاسد لا يفيد الأخوة وأن المعتبر الأصلي الشرعي ألا يرى أن ولدي الزنى من الرجل واحد لا يتوارثان وهذا المعنى يستفاد من الآية أيضاً لأن إنما للحصر فكأنه قيل: لا أخوة إلا بين المؤمنين فلا أخوة بين المؤمن والكافر وكسب المرتد حال إسلامه لوارثه المسلم لاستناده إلى ما قبل الردة فيكون توريث المسلم من المسلم وأما كسبه حال ردته فهو فيء يوضع في بيت المال لأنه وجد بعد الردة فلا يتصور إسناده إلى ما قبلها وفي الحديث كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي. مراد باين نسب دين وتقواست نه نسب آب وكل والا ابو لهب رادر ان نصيب بودى.

كما في «كشف الأسرار» قال بعض الكبار: القرابة من رسول الله ﷺ على ثلاثة أقسام لأنها إما قرابة في الصورة فقط أو في المعنى فقط أو في الصورة والمعنى فأما القرابة في الصورة فلا يخلو إما أن تكون بحسب طينته كالسادات الشرفاء أو بحسب دينه وعلمه كالعلماء والصالحين والعباد وسائر المؤمنين وكل منهما نسبة صورية وأما قرابته عليه السلام في المعنى فهم الأولياء لأن الولي هو ولده الروحي القائم بما تهيأ لقبوله من معناه ولذلك قال ﷺ: «سلمان منا أهل البيت» إشارة إلى القرابة المعنوية وأما القرابة في الصورة والمعنى معاً فهم الخلفاء والأئمة القائمون مقامه سواء كان قبله كأكابر الأنبياء الماضين أو بعده كالأولياء الكاملين وهذه أعلى مراتب القرابة وتليها القرابة الروحية ثم القرابة الصورية الدينية ثم قرابة الطينية فإن جمعت ما قبلها فهي الغاية وقال بعضهم: إن الله خلق الأرواح من عالم الملكوت والأشباح من

عالم الملك ونفخ فيها تلك الأرواح وجعل بينها النفوس الأمارة التي ليست من قبيل الأرواح ولا من قبيل الأشباح وجعلها مخالفة للأرواح ومساكنها أي: الأشباح فأرسل عليها جند العقول ليدفع بها شرها وهي العقول المجردة والأخروية وإلا فالعقول الغريزية والدنيوية لا تقدر على الدفع بل هي معينة للنفس فإذا امتحن الله عباده المؤمنين هيج نفوسهم الأمارة ليظهر حقائق درجاتهم من الإيمان والأخوة وأمرهم أن يعينوا العقل والروح والقلب على النفس حتى تنهزم لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً فهم كنفس واحدة لأن مصادرهم مصدر واحد وهو آدم عليه السلام ومصدر روح آدم نور الملكوت ومصدر جسمه تربة الجنة في بعض الأقوال ولذلك يصعد الروح إلى الملكوت والجسم إلى الجنة ما قال عليه السلام: «كل شيء يرجع إلى أصله».

وفي «التأويلات النجمية»: اعلم أن أخوة النسب إنما تثبت إذا كان منشأ النطف صلباً واحداً فكذلك أخوة الدين منشأ نطفها صلب النبوة وحقيقة نطفها نور الله فإصلاح ذات بينهم برفع حجب أستار البشرية عن وجوه القلب ليتصل النور بالنور من روزنة القلب ليصيروا كنفس واحدة كما قال عليه السلام: «المؤمنون كنفس واحدة إن اشتكى عضو واحد تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر».

بني آدم أعضاي يكديكرند كه در آفرينش زيك جوهرند
چو عضوى بدر دآورد روزكار دكر عضوها رانماند قرار

ومن حق الأخوة في الدين أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك ويسرك ما سره ويسوؤك ما ساءه وأن لا تحوجه إلى الاستعانة بك وإن استعان تعنه وتنصره ظالماً أو مظلوماً فمنعك إياه عن الظلم فذلك نصرك إياه وفي الحديث: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» ومن حقه أن لا تقصر في تفقد أحواله بحيث يشكل عليك موضع حاجته فيحتاج إلى مسألتك وأن لا تلجئه إلى الاعتذار بل تبسط عذره فإن أشكل عليك وجهه عدت باللائمة على نفسك في خفاء عذره وتتوب عنه إذا أذنب وتعوده إذا مرض وإذا أشار إليك بشيء فلا تطالبه بالدليل وإيراد الحجة كما قالوا:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا
إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهمو لأية حرب أم بأي مكان

والاستنجاد يارى خواستن.

قيل لفيلسوف: ما الصديق؟ فقال: اسم بلا مسمى وقال فضيل لسفيان: دلني على من أركن إليه فقال: ضالة لا توجد وقال أبو إسحاق الشيرازي:

سألت الناس عن خل وفيّ فقالوا ما إلى هذا سبيل
تمسك إن ظفرت بود حر فإن الحر في الدنيا قليل

قيل: أبعد الناس سفراً من كان سفره في طلب أخ صالح قال أعرابي: اللهم احفظني من الصديق فقيل له في ذلك قال الحذر منه أكثر من الحذر من العدو قال علي رضي الله عنه: إخوان هذا الزمان جواسيس العيوب وقد أحسن من قال: الأخ الصالح خير لك من نفسك لأن النفس أمارة بالسوء والأخ لا يأمرك إلا بخير وقيل: الدنيا بأسرها لا تسع متباغضين وشبر بشبر

يسع المتحابين كما قال الحكماء: ده درويش در كليمى بخسبند ودو پادشاه در اقليمي نكنجند.

واعلم أن المواخاة أمر مسنون من لدن النبي عليه السلام فإنه آخى بين المهاجرين والأنصار.

﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٌ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرًا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرًا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾

﴿ياأيها الذين آمنوا لا يسخر﴾ السخرية أن يحقر الإنسان أخاه ويستخفه ويسقطه عن درجته ويعده ممن لا يلتفت إليه أي: لا يستهزىء **﴿قوم﴾** أي: منكم وهو اسم جمع لرجل **﴿من قوم﴾** آخرين أيضاً منكم والتنكير إما للتعميم أو للتبعيض والقصد إلى نهي بعضهم عن سخرية بعض لما أنها مما يجري بين بعض وبعض فإن قلت: المنهي عنه هو أن يسخر جماعة من جماعة فيلزم أن لا يحرم سخرية واحد من واحد قلت: اختيار الجمع ليس للاحتراز عن سخرية الواحد من الواحد بل هو لبيان الواقع لأن السخرية وإن كانت بين اثنين إلا أن الغالب أن تقع بمحضر جماعة يرضون بها ويضحكون بسببها بدل ما وجب عليهم من النهي شركاء الساخر في تحمل الوزر والإنكار ويكونون بمنزلة الساخرين حكماً فنهوا عن ذلك يعني أنه من نسبة فعل البعض إلى الجميع لرضاهم به في الأغلب أو لوجوده فيما بينهم والقوم مختص بالرجال لأنهم قوامون على النساء ولهذا عبر عن الإناث بما هو مشتق من النسوة تفتح النون وهو ترك العمل ويؤيده قول زهير:

وما أدري ولست أخال أدري ... أقوم آل حصن أم نساء

﴿عسى﴾ شايد **﴿أن يكونوا﴾** باشند **﴿خيراً منهم﴾** تعليل للنهي أي: عسى أن يكون المسخور منهم خيراً عند الله من الساخرين ولا خبر لعسى لإغناء الاسم عنه **﴿ولا نساء﴾** أي: ولا تسخر نساء من المؤمنات وهو اسم جمع لامرأة **﴿من نساء﴾** منهن وإنما لم يقل امرأة من رجل ولا بالعكس للإشعار بأن مجالسة الرجل المرأة مستقبح شرعاً حتى منعوها عن حضور الجماعة ومجلس الذكر لأن الإنسان إنما يسخر ممن يلابسه غالباً **﴿عسى أن يكن﴾** أي: المسخور منهن **﴿خيراً منهن﴾** أي: من الساخرات فإن مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والأشكال ولا الأوضاع والأطوار التي عليها يدور أمر السخرية غالباً بل إنما هو الأمور الكامنة في القلوب فلا يجترىء أحد على استحقار أحد فعله أجمع منه لما نيط به من الخيرية عند الله فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله واستهانة من عظمه الله.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه لا عبرة بظاهر الخلق فلا تنظر إلى أحد بنظر الإزراء والاستهانة والاستخفاف والاستحقار لأن في استحقار أخيك عجب نفسك مودع كما نظر إبليس بنظر الحقارة إلى آدم عليه السلام فأعجبه نفسه فقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٌ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] فلعن إلى الأبد لهذا المعنى فمن حقر أخاه المسلم وظن أنه خير منه يكون إبليس وقته وأخوه آدم وقته ولهذا قال تعالى: **﴿عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾** فبالقوم يشير إلى أهل المحبة وأرباب السلوك فإنهم مخصوصون بهذا الاسم كما قال تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] يعني: لا ينظر المنتهي من أرباب الطلب

بنظر الحقارة إلى المبتدىء والمتوسط عسى أن يكونوا خيراً منهم فإن الأمور بخواتيمها ولهذا قال: أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري وقال عليه السلام: «رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره» قال معروف الكرخي يوماً لتلميذه السري السقطي قدس الله سرهما: إذا كانت لك إلى الله حاجة فأقسم عليه بي ومن هنا أخذوا قولهم على ظهر المكاتيب بحرمة معروف الكرخي والله أعلم. يقول البغداديون: قبر معروف ترياق مجرب وبالنساء يشير إلى عوام المسلمين لأنه تعالى عبر عن الخواص بالرجال في قوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ﴾ [النور: ٣٧] وقوله: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] يعني لا ينبغي لمسلم ما أن ينظر إلى مسلم ما بنظر الحقارة عسى أن يكن خيراً منهن إلى هذا المعنى يشير. ثم نقول إن للملائكة شركة مع إبليس في قولهم لآدم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] كان في نظرهم إليه بالحقارة إعجاب أنفسهم مودعاً ولكن الملائكة لم يصروا على ذلك الإعجاب وتابوا إلى الله ورجعوا مما قالوا فعالجهم الله تعالى بإسجادهم لآدم لأن في السجود غاية الهوان والذلة للساجد وغاية العظمة والعزة للمسجود فلما كان في تحقير آدم هوانه وذلته وعزة الملائكة وعظمتهم أمرهم بالسجود لأن علاج العلل بأضدادها فزال عنهم علة العجب وقد أصر إبليس على قوله وفعله ولم يتب فأهلكه الله بالطرد واللعن فكذلك حال من ينظر إلى أخيه المسلم بنظر الحقارة. قال الحافظ:

مكن بچشم حقارت نكاه بر من مست   كه نيست معصيت وزهدبى مشيت او

قال ابن عباس رضي الله عنه: نزلت الآية في ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه: كان في إذنه وقر فكان إذا أتى مجلس رسول الله عليه السلام وقد سبقوه بالمجلس وسعوا له حتى يجلس إلى جنبه عليه السلام يسمع ما يقول فأقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي عليه السلام من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لأحد فكان الرجل إذا جاء لا يجد مجلساً فيقوم على رجليه فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله يتخطى رقاب الناس وهو يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون حتى انتهى إلى رسول الله بينه وبينه رجل فقال له: تفسح فلم يفعل فقال: من هذا؟ فقال له الرجل: أنا فلان فقال: بل أنت ابن فلانة يريد أمّاً له كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل ونكس رأسه فأنزل الله هذه الآية.

ـ وروي ـ أن قوله تعالى ﴿ولا نساء من نساء﴾ نزل في نساء النبي عليه السلام عيرن أم سلمة بالقصر أو أن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أم سلمة جميلة لولا أنها قصيرة وقيل: إن الآية نزلت في عكرمة بن أبي جهل حين قدم المدينة مسلماً بعد فتح مكة فكان المسلمون إذا رأوه قالوا: هذا ابن فرعون هذه الأمة فشكا ذلك للنبي عليه السلام فقال عليه السلام: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات» ونزلت الآية:

هميشه در صدد عيب جويى خويشم   نبوده ايم پى عيب ديكران هركز

قال أبو الليث: ثم صارت الآية عامة في الرجال والنساء فلا يجوز لأحد أن يسخر من صاحبه أو من أحد من خلق الله وعن ابن مسعود «البلاء موكل بالقول»، وإني لأخشى لو سخرت من كلب أن أحول كلباً وذلك لأن المؤمن ينبغي أن ينظر إلى الخالق فإنه صنعه لا إلى المخلوق فإنه ليس بيده شيء في الحسن والقبح ونحوهما قيل للقمان: ما أقبح وجهك فقال:

تعيب بهذا على النقش أو على النقاش نسأل الله الوقوف عند أمره ونعوذ به من قهره. قال الحافظ:

نظر كردن بدرويشان منافى بزركى نيست سليمان باچنان حشمت نظرها كرد بامورش

يشير إلى التواضع والنظر إلى الأداني بنظر الحكمة **﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾** اللمز الطعن باللسان وفي «تاج المصادر»: عيب كردن. والإشارة بالعين ونحوه والغابر يفعل ويفعل ولم يخص السخرية بما يكون باللسان فالنهي الثاني من عطف الخاص على العام بجعل الخاص كأنه جنس آخر للمبالغة ولهذا قيل:

جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان

والمعنى أو لا يعب بعضكم بعضاً فإن المؤمنين كنفس واحدة والأفراد المنتشرة بمنزلة أعضاء تلك النفس فيكون ما يصيب واحداً منهم كأنه يصيب الجميع إذا اشتكى عضو واحد من شخص تداعى سائر الأعضاء إلى الحمى والسهر فمتى عاد مؤمناً فكأنما عاب نفسه كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ [النساء: ٢٩] (ع) عيب هركس كه كنى هم بتومى كردد باز.

وفي «التأويلات النجمية»: إنما قال أنفسكم لأن المؤمنين كنفس واحدة إن عملوا شراً إلى أحد فقد عملوا إلى أنفسهم وإن عملوا خيراً إلى أحد فقد عملوا إلى أنفسهم كما قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ﴾ [الإسراء: ٧]. قال الحافظ:

عيب رندان مكن اى زاهد پاكيزه سرشت كه كناه دكران برتو نخوا هند نوشت

ويجوز أن يكون معنى الآية ولا تفعلوا ما تلمزون به فإن من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه أي: تسبب للمز نفسه وإلا فلا طعن باللسان لنفسه منه فهو من إطلاق المسبب وإرادة السبب وقال سعدي المفتي: ولا يبعد أن يكون المعنى لا تلمزوا غيركم فإن ذلك يكون سبباً لأن يبحث الملموز عن عيوبكم فيلمزكم فتكونوا لامزين أنفسكم فالنظم حينئذ نظير ما ثبت في الصحيحين من قوله عليه السلام: «من الكبائر شتم الرجل والديه» قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه» انتهى.

يقول الفقير: هو مسبوق في هذا المعنى فإن الإمام الراغب قال في «المفردات»: اللمز الاغتياب وتتبع المعايب أي: لا تلمزوا الناس فيلمزوكم فتكونوا في حكم من لمز نفسه انتهى ولا يدخل في الآية ذكر الفاسق لقوله عليه السلام: «اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس». .

يقول الفقير: أشار التعليل في الحديث إلى أن ذكر الفاجر بما فيه من العيوب إنما يصح بهذا الغرض الصحيح وهو أن يحذر الناس منه ومن عمله وإلا فالإمساك مع أن في ذكره تلويث اللسان الطاهر ولذا نقل عن بعض المشايخ أنه لم يلعن الشيطان إذ ليس فيه فائدة سوى اشتغال اللسان بما لا ينبغي فإن العداوة له إنما هي بمخالفته لا بلعنته فقط وفي الحديث: «طوبى لمن يشغله عيبه عن عيوب الناس» وفي الآية إشارة إلى أن الإنسان لا يخلو عن العيب قيل لسقراط: هل من إنسان لا عيب فيه قال: لو كان إنسان لا عيب فيه لكان لا يموت ولذا قال الشاعر:

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب

أي لا مهذب في الرجال يخلو من التفرق والعيوب فمن أراد أخاً مهذباً وطلب صديقاً منقحاً لا يجده فلا بد من الستر. قال الصائب:

زديدن كرده ام معزول چشم عيب بينى را اكر برخارمى پيچم كل بيخارمى بينم

وقال:

بعيب خويش اكرراه بردمى صائب بعيب جويى مردم چه كارداشتمى

﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ النبز بسكون الباء مصدر نبزه بمعنى لقبه وبالفارسية لقب نهادن. وتنابزوا بالألقاب لقب بعضهم بعضاً فإن التنابز بالفارسية يكد يكررا بقلب خواندن. وبفتحها اللقب مطلقاً أي: حسناً كان أو قبيحاً ومنه قيل في الحديث: «قوم نبزهم الرافضة» أي: لقبهم ثم خص في العرف باللقب القبيح وهو ما يكره المدعو أن يدعى به واللقب ما سمي به الإنسان بعد اسمه العلم من لفظ يدل على المدح أو الذم لمعنى فيه والمعنى ولا يدع بعضكم بعضاً بلقب السوء قالوا: وليس من هذا قول المحدثين لسليمان الأعمش وواصل الأحدب ونحوه مما تدعو الضرورة إليه وليس فيه قصد استخفاف ولا أذى وفيه إشارة إلى أن اللقب الحسن لا ينهى عنه مثل محيي الدين وشمس الدين وبهاء الدين وفي الحديث من حق المؤمن على أخيه أن يسميه بأحب أسمائه إليه ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ الاسم هنا ليس ما يقابل اللقب والكنية ولا يقابل الفعل والحرف بل بمعنى الذكر المرتفع لأنه من السمو يقال: طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم أي: ذكره والفسوق هو المخصوص بالذم وفي الكلام مضاف مقدر وهو اسم الفسوق أي: ذكره والمعنى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الإيمان واشتهارهم به.

وفي «التأويلات النجمية»: بئس الاسم اسم يخرجهم من الإيمان والمراد به إما تهجين نسبة الكفر والفسوق إلى المؤمنين خصوصاً إذ روي أن الآية نزلت في صفية بنت حيي رضي الله عنها أتت رسول الله باكية فقالت: إن النساء يقلن لي وفي «عين المعاني» قالت لي عائشة رضي الله عنها: يا يهودية بنت يهوديين فقال عليه السلام: هلا قلت: «إن أبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد عليه السلام» أو الدلالة على أن التنابز مطلقاً لا بالكفر والفسوق خصوصاً فسق الجمع بينه وبين الإيمان قبيح فدخل فيه زيد اليهودي وعمرو النصراني وبكر الكافر وخالد الفاسق ونحو ذلك والعجب من العرب يقولون للمؤمنين من أهل الروم نصارى فهم داخلون في الذم ولا ينفعهم الافتخار بالأنساب فإن التفاضل بالتقوى كما سيجيء ونعم ما قيل:

وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهله

وما قيل:

چه غم زمنقصت صورت اهل معنى را چو جان زروم بود كوتن ازحبش مى باش

وفي الحديث: «من عير مؤمناً بذنب تاب منه كان حقاً على الله أن يبتليه به ويفضحه فيه في الدنيا والآخرة» وفي الفقه: لو قال رجل لصالح: يا فاسق ويا ابن الفاسق ويا فاجر ويا خبيث ويا مخنث ويا مجرم ويا مباحي ويا جيفة ويا بليد ويا ابن الخبيثة ويا ابن الفاجرة ويا سارق ويا لص ويا كافر ويا زنديق ويا ابن القحبة ويا ابن قرطبان ويا لوطي ويا ملاعب الصبيان ويا آكل الربا ويا شارب الخمر وهو بريء منه ويا ديوث ويابي نماز ويا منافق ويا خائن ويا مأوى الزواني ويا مأوى اللصوص ويا حرام زاده يعزر في هذا كله، في «الفتاوى الزينية» سئل عن رجل قال لآخر يا فاسق وأراد أن يثبت فسقه بالبينة ليدفع التعزير عن نفسه هل تسمع بينته

بذلك انتهى وهو ينافي ظاهر ما قالوا من أن المقول له لو لم يكن رجلاً صالحاً وكان فيه ما قيل فيه من الأوصاف لا يلزم التعزير ﴿ومن لم يتب﴾ عما نهى عنه ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب والظالم أعم من الفاسق والفاسق أعم من الكافر.

وفي «التأويلات النجمية»: ومن لم يتب يعني من مقالة إبليس وفعاله بأن ينظر إلى نفسه بالعجب وإلى غيره بالحقارة ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ فيكونون منخرطين في سلك اللعنة والطرد مع إبليس كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] انتهى وفيه دلالة بينة على أن الرجل بترك التوبة يدخل مدخل الظلمة فلا بد من توبة نصوح من جميع القبائح والمعاصي لا سيما ما ذكر في هذا المقام. قال الصائب:

سرمايه نجات بودتوبه درست ... باكشتى شكسته بدرياچه ميروى

ومن أصر أخذ سريعاً لأن أقرب الأشياء صرعة الظلوم وأنفذ السهام دعوة المظلوم وتختلف التوبة على حسب اختلاف الذنب فبعض الذنوب يحتاج إلى الاستغفار وهو ما دون الكفر وبعضها يحتاج معه إلى تجديد الإسلام والنكاح إن كانت له امرأة وكان بعض الزهاد يجدد عند كل ذنب إيماناً بالله وتبرئاً من الكفر احتياطاً كما في «زهرة الرياض».

يقول الفقير يشير إليه القول المروي عن رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم» ولا شك أن الأنبياء معصومون من الكفر قبل الوحي وبعده بإجماع العلماء ومن سائر الكبائر عمداً بعد الوحي فاستغفارهم لا يكون إلا عما لا يليق بشأنهم من ترك الأولى ونحوه على ما فصل في أول سورة الفتح فدل قوله: «وأستغفرك لما لا أعلم» على أنه قد يصدر من الإنسان الذنب وهو لا يشعر وذلك بالنسبة إلى الأمة قد يكون كفراً وقد يكون غيره فكما لا بد من الاستغفار بالنسبة إلى عامة الذنوب فكذا لا بد من تجديد الإسلام بالنسبة إلى الكفر وإن كان ذلك احتياطاً إذ باب الاحتياط مفتوح في كل شأن إلا نادراً وقد صح أن إتيان كلمة الشهادة على وجه العادة لا يرفع الكفر فلا بد من الرجوع قصداً عن قول وفعل ليس فيهما رضى الله وهو باستحضار الذنب إن علم صدوره منه أو بالاستغفار مطلقاً إن صدر عنه ولو كان ذلك كفراً على أنا نقول إن إمكان صدور الكفر عام للعوام والخواص ما داموا لم يصلوا إلى غاية الغايات وهي مرتبة الذات الأحدية وإليه يشير قول سهل التستري قدس سره ولوصلوا ما رجعوا ألا ترى أن إبليس كفر بالله مع تمكن يده في الطاعات خصوصاً في العرفان فإنه أفحم كثيراً من أهل المعرفة لكنه كان من شأنه الكفر والرجوع إلى المعصية لأنه لم يدخل عالم الذات ولو دخل لم يتصور ذلك منه إذ لا كفر بعد الإيمان العياني ولهذا قال عليه السلام: «اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي ويقيناً ليس بعده كفر» فاعرف.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن﴾ أي: كونوا على جانب منه وابعدوا عنه فإن الاجتناب بالفارسية بايك سوشدن. والظن اسم لما يحصل من أمارة ومتى قويت أدت إلى العلم ومتى ضعفت جداً لم تتجاوز حد التوهم وإبهام الكثير لإيجاب الاحتياط والتأمل في كل

ظن ظن حتى يعلم أنه من أي قبيل وتوضيح المقام أن كثيراً لما بين بقوله من الظن كان عبارة عن الظن فكان المأمور باجتنابه بعض الظن إلا أنه علق الاجتناب بقوله كثيراً لبيان أنه كثير في نفسه ولا بد لنا من الفرق بين تعريف الظن الكثير وتنكيره فلو عُرِّف وقيل اجتنبوا الظن الكثير يكون التعريف للإشارة إلى ما يعرفه المخاطب بأنه ظن كثير غير قليل، ولو نُكِر يكون تنكيره للإفراد والبعضية ويكون المأمور باجتنابه بعض أفراد الظن الموصوف بالكثرة من غير تعيينه أي بعض هو وفي التكليف على هذا الوجه فائدة جليلة وهي أن يحتاط المكلف ولا يجترىء على ظن ما حتى يتبين عنده أنه مما يصح اتباعه ولا يجب الاجتناب عنه ولو عرف لكان المعنى اجتنبوا حقيقة الظن الموصوف بالكثرة أو جميع أفراده لا ما قل منه وتحريم الظن المعرف تعريف الجنس والاستغراق لا يؤدي إلى احتياط المكلف لكون المحرم معيناً فيجتنب عنه ولا يجتنب عن غيره وهو الظن القليل سواء كان ظن سوء وظن صدق ومن المعلوم أن هذا المعنى غير مراد بخلاف ما لو نكر الظن الموصوف بالكثرة فإن المحرم حينئذ اتباع الفرد المبهم من أفراد تلك الحقيقة وتحريمه يؤدي إلى احتياط المكلف إلى أن يتبين عنده أن ما يخطر بباله من الظن من أي نوع من أنواع الظن فإن من الظن ما يجب اتباعه كحسن الظن بالله تعالى وفي الحديث: «إن حسن الظن من الإيمان» والظن فيما لا قاطع فيه من العمليات كالوتر فإنه لما ثبت بخبر الواحد لم يكن مقطوعاً به فقلنا بالوجوب فلا يكفر جاحده بل يكون ضالاً ومبتدعاً لرده خبر الواحد ويقتص لكونه فرضاً عملياً وفي «الأشباه» ويكفر بإنكار أصل الوتر والأضحية انتهى ومن الظن ما يحرم كالظن في الإلهيات أي: بوجود الإله وذاته وصفاته وما يليق به من الكمال وفي النبوات فمن قال آمنت بجميع الأنبياء ولا أعلم آدم نبي أم لا يكفر وكذا من آمن بأن نبينا عليه السلام رسول ولم يؤمن بأنه خاتم الرسل لا نسخ لدينه إلى يوم القيامة لا يكون مؤمناً وكالظن حيث يخالفه قاطع مثل الظن بنبوة الحسنين أو غيرهما من خلفاء هذه الأمة وأوليائها مع وجود قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقوله عليه السلام: «لا نبي بعدي» أي: لا مشرعاً ولا متابعاً فإن مثل هذا الظن حرام ولو قطع كان كفراً وكظن السوء بالمؤمنين خصوصاً بالرسول عليه السلام وبورثته الكمل وهم العلماء بالله تعالى قال تعالى: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢] وقال عليه السلام: «إن الله حرم من المسلم عرضه ودمه وأن يظن به ظن السوء» والمراد بعضه جانبه الذي يصونه من نفسه وحسبه ويتحامى أن ينتقص. قال الصائب:

بدكمانى لازم بد باطنان افتاده است كوشه از خلق جا كردم كمين پند اشتند

ومن الظن ما يباح كالظن في الأمور المعاشية يعني ظن درامور دنيا ومهمات معاش ودرين صورت بدكمانى موجب سلامت وانتظام مهام است واز قبيل حزم شمرده اند كما قيل:

بدنفس مباش وبد كمان باش وزفتنه ومكردر امان باش

وفي «كشف الأسرار»: المباح كالظن في الصلاة والصوم والقبلة أمر صاحبه بالتحري فيها والبناء على غلبة الظن وفي «تفسير الكاشفي» تحردرى أمر قبله وبنا نهادن بر غلبه ظن در امور اجتهاديه مندوبست. ومعنى التحري لغة الطلب وشرعاً طلب شيء من العبادات بغالب الرأي عند تعذر الوقوف على حقيقته ﴿**إن بعض الظن إثم**﴾ يستحق العقاب عليه وذلك البعض كثير وهو تعليل للأمر بالاجتناب بطريق الاستئناف التحقيقي والإثم الذنب يستحق العقوبة عليه

وهمزته منقلبة من الواو كأنه يثم الأعمال أي: يكثرها فإن قلت أليس هذا ميلاً إلى مذهب الاعتزال؟ قلت: بلى لولا التشبيه أي: في كأنه قاله سعدي المفتي وقال أيضاً تبع المصنف في ذلك الزمخشري واعترض عليه بأن تصريف هذه الكلمة لا تنفك عنه الهمزة بخلاف الواوي وأنها من باب علم والواوي من باب ضرب قلت والزمخشري نفسه ذكرها في «الأساس» في باب الهمزة انتهى ودلت الآية على أن أكثر الظنون من قبيل الإثم لأن الشيطان يلقي الظنون في النفس فتظن النفس الظن الفاسد وعلى أن بعض الظن ليس بإثم بل هو حقيقته وهو ما لم يكن من قبيل النفس بل كان بالفراسة الصحيحة بأن يرى القلب بنور اليقين ما جرى في الغيب وفي الحديث إن في كل أمة محدثين أو مروعين على الشك من الراوي فإن يكن في هذه الأمة فإن عمر منهم والمحدث المصيب في رأيه كأنما حدث بالأمر المروع الذي يلقى الأمر في روعه أي: قلبه وفي «فتح الرحمٰن»: ولا يقدم على الظن إلا بعد النظر في حال الشخص فإن كان موسوماً بالصلاح فلا يظن به السوء بأدنى توهم بل يحتاط في ذلك ولا تظنن السوء إلا بعد أن لا تجد إلى الخير سبيلاً. قال الصائب:

سيلاب صاف شدزهم آغوشيء محيط ... باسينه كشاده كدورت چه ميكند

وأما الفساق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم وفي «منهاج العابدين» للإمام الغزالي قدس سره: إذا كان ظاهر الإنسان الصلاح والستر فلا حرج عليك في قبول صلاته وصدقته ولا يلزمك البحث بأن تقول قد فسد الزمان فإن هذا سوء ظن بذلك الرجل المسلم بل حسن الظن بالمؤمنين مأمور به انتهى وفي الحديث من أتاه رزق من غير مسألة فرده فإنما يرده على الله قال الحسن: لا يرد جوائز الأمراء إلا مرائي أو أحمق وكان بعض السلف يستقرض لجميع حوائجه ويأخذ الجوائز ويقضي بها دينه والحيلة فيه أن يشتري بمال مطلق ثم ينقد ثمنه من أي مال شاء وعن الإمام الأعظم أن المبتلي بطعام السلطان والظلمة يتحرى إن وقع في قلبه حله قبل وأكل وإلا لا لقوله عليه السلام استفت قلبك قال الشيخ أبو العباس قدس سره: من كان من فقراء هذا الزمان أكالاً لأموال الظلمة مؤثراً للسماع ففيه نزغة يهودية قال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢] قال سفيان الثوري رضي الله عنه: الظن ظنان أحدهما إثم وهو أن تظن وتتكلم به والآخر ليس بإثم وهو أن تظن ولا تتكلم به والمراد بأن بعض الظن إثم ما أعلنته وتكلمت به من الظن وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام فيه وأنت اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت أي: لأنهم أهل لذلك والمظنون موجود فيهم وعنه أيضاً: إن صحبة الأشرار تورث حسن الظن بالأخيار وطلب المتوكل جارية الدقاق بالمدينة وكان من أقران الجنيد ومن أكابر مصر فكاد يزول عقله لفرط حبها فقالت لمولاها: أحسن الظن بالله وبي فإني كفيلة لك بما تحب فحملت إليه فقال لها المتوكل: اقرئي فقرأت ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [ص: ٢٣] ففهم المتوكل ما أرادت فردها.

- وروي - عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كلم إحدى نسائه فمر به رجل فدعاه رسول الله فقال: «يا فلان هذه زوجتي صفية» وكانت قد زارته في العشر الأول من رمضان فقال: يا رسول الله إن كنت أظن بغيرك فإني لم أكن أظن بك فقال عليه السلام: «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم» كما في «الإحياء» وفيه إشارة إلى الحذر من مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولألسنتهم من الغيبة وإلى الاتقاء عن تزكية النفس فإن

النفس والشيطان لهما شأن عجيب في باب المكر والإغواء وإلقاء الفتنة والفساد نسأل الله المنان أن يجعلنا في أمان ﴿ولا تجسسوا﴾ أصله لا تتجسسوا حذف منه إحدى التاءين أي: ولا تبحثوا عن عورات المسلمين وعيوبهم تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب فإن جس الخبر طلبه والتفحص عنه فإذا نقل إلى باب التفعل يحدث معنى التكلف منضماً إلى ما فيه من معنى الطلب يقال جسست الأخبار أي: تفحصت عنها وإذا قيل تجسستها يراد معنى التكليف كالتلمس فإنه تفعل من اللمس وهو المس باليد لتعرف حال الشيء فإذا قيل تلمس يحدث معنى التكلف والطلب مرة بعد أخرى وقد جاء بمعنى الطلب في قوله: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ [الجن: ٨] وقرىء بالحاء من الحس الذي هو أثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفي «المفردات»: أصل الجس مس العرق وتعرف نبضه للحكم به على الصحة والسقم ومن لفظ الجس اشتق الجاسوس وهو أخص من الحس لأنه تعرف ما يدرك الحس والجس تعرف حال ما من ذلك وفي «الإحياء» التجسس بالجيم في تطلع الأخبار وبالحاء المهملة في المراقبة بالعين وفي «إنسان العيون»: التحسس للإخبار بالحاء المهملة أن يفحص الشخص عن الأخبار بنفسه وبالجيم أن يفحص عنها بغيره وجاء تحسسوا ولا تجسسوا انتهى. وفي «تاج المصادر»: التجسس والتحسس خبر جستن.

وفي «القاموس»: الجس تفحص الأخبار كالتجسس ومنه الجاسوس والجسيس لصاحب سر الشر ولا تجسسوا أي: خذوا ما ظاهر ودعوا ما ستر الله تعالى أو لا تفحصوا عن بواطن الأمور أو لا تبحثوا عن العورات والحاسوس الجاسوس أو هو في الخير وبالجيم في الشر انتهى وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته. قال الصائب:

خيانتهاى پنهان ميكشد آخر برسوايى   كه دزد خانكى راشحنه در يازار ميكيرد

وعن جبرائيل قال: يا محمد لو كانت عبادتنا على وجه الأرض لعملنا ثلاث خصال: سقي الماء للمسلمين وإعانة أصحاب العيال وستر الذنوب على المسلمين وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود رضي الله عنه: هل لك في الوليد بن عقبة بن أبي معيط يعني چه ميكويى در حق او. تقطر لحيته خمراً فقال ابن مسعود رضي الله عنه: إنا قد نهينا عن التجسس فإن يظهر لنا شيء نأخذه به وفي الحديث: «اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا» والعورات بالتسكين جمع عورة وهي عورة الإنسان وما يستحي منه من العثرات والعيوب وفي الحديث: «اللهم لا تؤمنا مكرك ولا تنسنا ذكرك ولا تهتك عنا سترك ولا تجعلنا من الغافلين» وعنه عليه السلام: «من قال عند منامه هذا الدعاء بعث الله إليه ملكاً في أحب الساعات إليه فيوقظه» كما في «المقاصد الحسنة» قال في «نصاب الاحتساب»: ويجوز للمحتسب أن يتفحص عن أحوال السوقية من غير أن يخبره أحد بخيانتهم فإن قيل ينبغي أن لا يجوز لأنه تجسس منهي فنقول التجسس طلب الخير للشر والأذى وطلب الخير للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس كذلك فلا يدخل تحت النهي.

يقول الفقير: وهو مخالف لما سبق عن ابن مسعود رضي الله عنه فإن قلت: ذلك لكونه غير آمر ومأمور قلت: دل قوله: تأخذوه به على ولايته من أي وجه كان إذ لا يأخذه إلا الوالي أو وكيله ويجوز أن يقال: لو طلب ابن مسعود خبر الوليد بنفسه للنهي عن المنكر لكان له وجه

فلما جاء خبره في صورة السعاية والهتك أعرض عنه أو رأى الستر في حق الوليد أولى فلم يستمع إلى القائل وكان عمر رضي الله عنه يعس ذات ليلة فنظر إلى مصباح من خلل باب فاطلع فإذا قوم على شراب لهم فلم يدر كيف يصنع فدخل المسجد فأخرج عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه فجاء به إلى الباب فنظر وقال له: كيف ترى أن نعمل فقال: أرى والله أنا قد أتينا ما نهانا الله عنه لأنا تجسسنا واطلعنا على عورة قوم ستروا دوننا وما كان لنا أن نكشف ستر الله فقال: ما أراك إلا قد صدقت فانصرفا فالمحتسب لا يتجسس ولا يتسور ولا يدخل بيتاً بلا إذن فإن قيل ذكر في باب من يظهر البدع في البيوت أنه يجوز للمحتسب الدخول بلا إذن فنقول ذلك فيما ظهر وأما إذا خفي فلا يدخل فإن ما ستره الله لا بد وأن يستره العبد هذا في عيوب الغير وأما عيوب النفس فالفحص عنها لازم للإصلاح والتزكية وقد عدوا انكشاف عيوب النفس أولى من الكرامات وخوارق العادات فإنه ما دام لم تحصل التزكية للنفس لا تفيد الكرامة شيئاً بل ربما يوقعها في الكبر والعجب والتطاول فنعوذ بالله تعالى من شرورها وفجورها وغرورها ﴿**ولا يغتب بعضكم بعضاً**﴾ الاغتياب غيبت كردن والغيبة بالكسر اسم من الاغتياب وفتح الغين غلط إذ هو بفتحها مصدر بمعنى الغيبوبة والمعنى ولا يذكر بعضكم بعضاً بالسوء في غيبته وخلفه وسئل رسول الله ﷺ عنها فقال: «أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته» أي: قلت عليه ما لم يفعله والحاصل أن الغيبة والاغتياب هو أن يتكلم إنسان خلف إنسان مستور بما فيه من عيب أي: بكلام صادق من غير ضرورة قوية إلى ذكره ولو سمعه لغمه وإن كان ذلك الكلام كذباً يسمى بهتاناً وهو الذي يترك الديار بلاقع أي: خراباً ﴿**أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً**﴾ انتصاب ميتاً على الحالية من اللحم واللحم المنفصل عن الحي يوصف بأنه ميت لقوله عليه السلام ما أبين من حي فهو ميت وقيل من الأخ على مذهب من يجوز الحال من المضاف إليه مطلقاً وشدده نافع أي: قرأ ميتاً بالتشديد والكلام تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على أفحش وجه وأشنعه طبعاً وعقلاً وشرعاً يعني شبه الاغتياب من حيث اشتماله على تناول عرض المغتاب بأكل لحم الإنسان ميتاً تشبيهاً تمثيلياً وعبر بالهيئة المشبه بها عن الهيئة المشبهة ولا شك أن الهيئة المشبه بها أفحش جنس التناول وأقبحه فيكون التمثيل المذكور تصويراً للاغتياب بأقبح الصور وذلك أن الإنسان يتألم قلبه من قرض عرضه كما يتألم جسمه من قطع لحمه بل عرضه أشرف من لحمه ودمه فإذا لم يحسن للعاقل أكل لحوم الناس لم يحسن له قرض عرضهم بالطريق الأولى خصوصاً أن أكل الميتة هو المتناهي في كراهة النفوس ونفور الطباع ففيه إشارة إلى أن الغيبة عظيمة عند الله وفي قوله ميتاً إشارة إلى دفع وهم وهو أن يقال الشتم في الوجه يؤلم فيحرم وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلمه فكيف يحرم فدفعه بأن أكل لحم الأخ وهو ميت أيضاً لا يؤلمه ومع هذا هو في غاية القبح لكونه بمراحل عن رعاية حق الأخوة كذا في «حواشي» ابن الشيخ.

يقول الفقير: يمكن أن يقال: إن الاغتياب وإن لم يكن مؤلماً للمغتاب من حيث عدم اطلاعه عليه لكنه في حكم الإيلام إذ لو سمعه لغمه على أنا نقول: إن الميت متألم وإن لم يكن فيه روح كما أن السن وهو الضرس متألم إذا كان وجعاً وإن لم يكن فيه حياة فاعرف ﴿**فكرهتموه**﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كأنه قيل وحيث كان الأمر كما

ذكر فقد كرهتموه فأضمر كلمة قد لتصحيح دخول الفاء في الجزاء فالمقصود من تحقيق استكراههم وتقذرهم من المشبه به الترغيب والحث على استكراه ما شبه به وهو الغيبة كأنه قيل إذا تحققت كراهتكم له فليتحقق عندكم كراهة نظيره الذي هو الاغتياب ﴿واتقوا الله﴾ بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل وهو عطف على ما تقدم من الأوامر والنواهي ﴿إن الله تواب رحيم﴾ مبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وإن كثرت ذنوبهم فصيغة المبالغة باعتبار المتعلقات.

ـ روي ـ أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم لهما إلى المنزل فيهيىء لهما طعامهما وشرابهما فضم سلمان الفارسي إلى رجلين في بعض أسفاره فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيىء لهما شيئاً؟ فلما قدما قالا له: ما صنعت شيئاً فقال: لا غلبتني عيناي قالا له: انطلق إلى رسول الله فاطلب لنا منه طعاماً فجاء سلمان إلى رسول الله وسأله طعاماً فقال عليه السلام: انطلق إلى أسامة بن زيد وقل له إن كان عنده فضل من طعام فليعطك وكان أسامة خازن رسول الله على رحله وطعامه فأتاه فقال: ما عندي شيء فرجع سلمان إليهما فأخبرهما فقالا: كان عند أسامة شيء ولكن بخل به فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئاً فلما رجع قالوا: لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها» وسميحة كجهينة بالحاء المهملة بئر بالمدينة غزيرة الماء على ما في «القاموس» ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله من الطعام فلما جاءا إلى رسول الله قال لهما: «ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما» والعرب تسمي الأسود أخضر والأخضر أسود وخضرة اللحم من قبيل الأول كأنه عليه السلام أراد باللحم لحم الميت وقد اسود بطول المكث تصويراً لاغتيابهما بأقبح الصور ويحتمل أنه عليه السلام أراد بالخضرة النضارة أي: نضارة اللحم أو نضارة تناوله وفي الحديث «الدنيا حلوة خضرة نضرة» أي: غضة طرية ناعمة قالا: والله يا رسول ما تناولنا يومنا هذا لحماً قال عليه السلام «ظللتما تأكلان لحم أسامة وسلمان» أي: أنكما قد اغتبتماهما فأنزل الله الآية.

آنكس كه لواء غيبت افراخته است   از كوشت مردكان غدا ساخته است
وانكس كه بعيب خلق پرداخته است   زانست كه عيب خويش نشناخته است

وفي الحديث: الغيبة أشد من الزنى قالوا: وكيف؟ قال: إن الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه» كما في «كشف الأسرار» وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيبة إدام كلاب الناس وكان أبو الطيب الطاهري يهجو بني سامان فقال له نصر بن أحمد: إلى متى تأكل خبزك بلحوم الناس فخجل ولم يعد. قال الصائب:

كسى كه پاك نسازد دهن زغيبت خلق   همان كليتد در دوزخست مسواكش

قال الشيخ سعدي في كتاب «الكلستان»: ياد دارم كه در عهد طفوليت متعبد بودم وشب خيز ومولع زهد ويرهيز تاشبي درخدمت پدر نشسته بودم وهمه شب ديده بهم نبسته ومصحف عزيز دركنار كرفته وطائفة كردما خفته پدر را كفتم كه ازاينان يكى سر برنمى آردكه دو ركعت نماز بكزارد ودر خواب غفلت چنان رفته اندكه كويى نخفته اند بلكه مرده كفت اى جان پدرا كر تونيز بحفتى به كه درپوستين خلق افتى:

نبيند مدعى جز خويشتن را كه دارد برده پندار درپيش
اكر چشم دلت را بركشايى نه بينى هيچ كس عاجز تراز خويش

وعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل فقال: هم الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» وفي الحديث: «خمس يفطرون الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة» رواه أنس وأول من اغتاب إبليس اغتاب آدم وكان ابن سيرين رحمه الله قد جعل على نفسه إذا اغتاب أن يتصدق بدينار ومما يجب التنبيه له أن مستمع الغيبة كقائلها فوجب على من سمعها أن يردها كيف وقد قال النبي عليه السلام: «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة» وقال عليه السلام: «المغتاب والمستمع شريكان في الإثم» وعن ميمون أنه أتى بجيفة زنجي في النوم فقيل له: كل منها فقال: لم قيل: لأنك اغتبت عبد فلان فقال: ما قلت فيه شيئاً قيل: لكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب أحداً ولا يدع أحداً أن يغتاب عنده أحداً وعن بعض المتكلمين ذكره بما يستخف به إنما يكون غيبة إذا قصد الإضرار والشماتة به أما إذا ذكره تأسفاً لا يكون غيبة وقال بعضهم: رجل ذكر مساوىء أخيه المسلم على وجه الاهتمام ومثله في «الواقعات» وعلل بأنه إنما يكون غيبة أن لو أراد به السب والنقص قال السمرقندي في «تفسيره» قلت: فيما قالوه خطر عظيم لأنه مظنة أن يجر إلى ما هو محض غيبة فلا يؤمن فتركها رأساً أقرب إلى التقوى وأحوط انتهى. وفي «هدية المهديين» رجل لو اغتاب فريقاً لا يأثم حتى يغتاب قوماً معروفين ورجل يصلي ويؤذي الناس باليد أو اللسان لا غيبة له إن ذكر بما فيه وإن أعلم به السلطان حتى يزجره لا يأثم انتهى وفي «المقاصد الحسنة» ثلاثة ليست لهم غيبة الإمام الجائر والفاسق المعلن بفسقه والمبتدع الذي يدعو الناس إلى بدعته انتهى وعن الحسن لا حرمة لفاجر.

ـ وروي ـ «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له» واذكر الفاجر بما فيه ليحذره الناس كما في «الكواشي»: وإذا جاز نقص عرض الفاسق بغيبته فأولى أن يجوز نقص عرض الكافر كما في «شرح المشارق» لابن الملك وسلك بعضهم طريق الاحتياط فطرح عن لسانه ذكر الخلق بالمساوي مطلقاً كما حكي أنه قيل لابن سيرين: ما لك لا تقول في الحجاج شيئاً؟ فقال: أقول فيه حتى ينجيه الله بتوحيده ويعذبني باغتيابه ومن هنا أمسك بعضهم عن لعن يزيد وكان فضيل يقول: ما لعنت إبليس قط أي: وإن كان ملعوناً في نفس الأمر كما نطق به القرآن فكيف يلعن من اشتبه حاله وحال خاتمته وعاقبته.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ أي: من آدم وحواء عليهما السلام أو خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فالكل سواء في الانتساب إلى ذكر وأنثى أياً كانا فلا وجه للتفاخر بالنسب:

الناس من جهة التمثال اكفاه ابو همو آدم والام حواء

فان يكن لهمو من أصلهم نسب يفاخرون به فالطين والماء
از نسب آدمياني كه تفاخر ورزند ازره دانش وانصاف چه دور افتادند
نرسد فخر كسى رابنسب برد كرى چونكه دراصل زيك آدم وحوازادند

نزلت حين أمر النبي عليه السلام بلالاً رضي الله عنه ليؤذن بعد فتح مكة فعلا ظهر الكعبة فأذن فقال عتاب بن أسيد وكان من الطلقاء: «الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم» وقال الحارث بن هشام: أما وجد رسول الله سوى هذا الغراب يعني بلالاً وخرج أبو بكر بن أبي داود في تفسير القرآن أن الآية نزلت في أبي هند حين أمر رسول الله بني بياضة أن يزوجوه امرأة منهم فقالوا: يا رسول الله تتزوج بناتنا مواليها فنزلت وفيه إشارة إلى أن الكفاءة في الحقيقة إنما هي بالديانة أي: الصلاح والحسب والتقوى والعدالة ولو كان مبتدعاً والمرأة سنية لم يكن كفؤاً لها كما في «النتف» وسئل الرستغفني عن المناكحة بين أهل السنة وبين أهل الاعتزال فقال: لا يجوز كما في «مجمع الفتاوى». ﴿**وجعلناكم شعوباً وقبائل**﴾ وشمارا شاخ شاخ كرديم وخاندان خاندان. والشعب بفتح الشين الجمع العظيم المنتسبون إلى أصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة بكسر العين تجمع البطون والبطون تجمع الأفخاذ والفخذ تجمع الفصائل والفصيلة تجمع العشائر وليس بعد العشيرة حي يوصف به كما في «كشف الأسرار» فخزيمة شعب وكنانة وقبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لأن القبائل تتشعب منها كتشعب أغصان الشجرة وسميت القبائل لأنها يقبل بعضها على بعض من حيث كونها من أب واحد وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب والأسباط من بني إسرائيل والشعوب من قحطان والقبائل من عدنان. ﴿**لتعارفوا**﴾ أصله لتتعارفوا حذفت إحدى التاءين أي: ليعرف بعضكم بعضاً بحسب الإنسان فلا يعتزي أحد إلى غير آبائه لا لتفاخروا بالآباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الأنساب.

وقال الكاشفي: يعني دوكس كه بنام متحد باشند بقبيله متميز ميشوند چنانچه زيد تميمي از زيد قرشي ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ تعليل للنهي عن التفاخر بالأنساب المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف التحقيقي كأن قيل إن الأكرم عنده تعالى هو الأتقى وإن كان عبداً حبشياً أسود مثل بلال فإن فاخرتم ففاخروا بالتقوى وبفضل الله ورحمته بل بالله تعالى ألا ترى إلى قوله عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أي: ليس الفخر لي بالسيادة والرسالة بل العبودية فإنها شرف أي: شرف وكفى شرفاً تقديم العبد على الرسول في قوله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

ـ وروي ـ أن رسول الله عليه السلام مر في سوق المدينة فرأى غلاماً أسود يقول: من اشتراني فعلى شرط أن لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله فاشتراه رجل فكان رسول الله يراه عند كل صلاة ففقده فسأل عنه صاحبه فقال: محموم فعاده ثم سأل عنه بعد أيام فقيل هو كابه أي: متهيىء للموت الذي هو لاحق به فجاءه وهو في بقية حركته وروحه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والأنصار أمر عظيم فنزلت الآية ﴿**إن الله عليم**﴾ بكم وبأعمالكم ﴿**خبير**﴾ ببواطن أحوالكم قال ابن الشيخ في «حواشيه»: والنسب وإن كان معتبراً عرفاً وشرعاً حتى لا تتزوج الشريفة بالنبطي قال في «القاموس»: النبط محركة جيل ينزلون بالبطائح بين العراقين وهو نبطي محركة انتهى إلا أنه لا عبرة به عند ظهور ما هو أعظم قدراً منه

وأعز وهو الإيمان والتقوى كما لا تظهر الكواكب عند طلوع الشمس فالفاسق وإن كان قرشي النسب وقارون النشب لا قدر له عند المؤمن التقي وإن كان عبداً حبشياً والأمور التي يفتخر بها في الدنيا وإن كانت كثيرة لكن النسب أعلاها من حيث إنه ثابت مستمر غير مقدور التحصيل لمن ليس له ذلك بخلاف غيره كالمال مثلاً فإنه قد يحصل للفقير مال فيبطل افتخار المفتخر به عليه وكذا الأولاد والبساتين ونحوها فلذلك خص الله النسب بالذكر وأبطل اعتباره بالنسبة إلى التقوى ليعلم منه بطلان اعتبار غيره بطريق الأولى انتهى وفي الحديث «إن ربكم واحد وأبوكم واحد لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى» وعلى هذا إجماع العلماء كما في «بحر العلوم» هركرا تقوى بيشتر قدم أودر مرتبه فضل پيشتر. الشرف بالفضل والأدب لا بالأصل والنسب:

بـــاادب بـــاش تـــا بـــزرك شـــوى   كـــه بـــزركـــى نـــتـــيـــجـــة ادبـــســـت

قال بعض الكبار: المفاضلة بين الخلق عند الله لنسبهم لا لنسبتهم فهم من حيث النسبة واحد ومن حيث النسب متفاضلون إن أكرمكم عند الله أتقاكم ولا يصح التفاضل بالأعمال فقد يسبق التابع المتبوع ولو كان الشرف للأشياء من حيث شأنها أو مواطنها لكان الشرف لإبليس على آدم في قوله: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦] ولكن لما كان الشرف اختصاصاً إلهياً لا يعرف إلا من جانب الحق تعالى جهل إبليس في مقالته تلك وصح الشرف لآدم عليه السلام والخيرية وسئل عيسى عليه السلام: أي الناس أشرف فقبض قبضتين من تراب ثم قال: أي هذين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال: الناس كلهم من تراب وأكرمهم عند الله أتقاهم قال سليمان الفارسي رضي الله عنه:

أبـــي الإســـلام لا أب لـــي ســـواه   إذا افـــتـــخـــروا بـــقـــيـــس أو تـــمـــيـــم

وفي الحديث إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم.

ره راســـت بـــايـــدنـــه بـــالاى راســـت   كه كافر هم از روى صورت چوماست

وقال عليه السلام: «يا أيها الناس إنما الناس رجل مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله» وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى.

- وروي - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس يحشرون يوم القيامة ثم يوقفون ثم يقول الله لهم: طالما كنتم تكلمون وأنا ساكت فاسكتوا اليوم حتى أتكلم إني رفعت نسبي وأبيتم إلا أنسابكم قلت: إن أكرمكم عندي أتقاكم وأبيتم أنتم فقلتم لا بل فلان ابن فلان وفلان ابن فلان فرفعتم أنسابكم ووضعتم نسبي فاليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم سيعلم أهل الجمع اليوم من أصحاب الكرم أين المتقون كما في «كشف الأسرار» قال الكاشفي: أربعة لا يعبأ الله بهم يوم القيامة: زهد خصي وتقوى جندي وأمانة امرأة وعبادة صبي وهو محمول على الغالب كما في «المقاصد الحسنة».

قال في «التأويلات النجمية»: يشير بقوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى**﴾ إلى خلق القلوب أنها خلقت من ذكر وهو الروح وأنثى وهي النفس وجعلناكم شعوباً وقبائل أي: جعلناها صنفين: صنف منها شعوب وهي التي تميل إلى أمها وهي النفس والغالب عليها صفات النفس وصنف منها قبائل وهي التي تميل إلى أبيها وهو الروح والغالب عليها

صفات الروح لتعارفوا أي: لتتعارفوا أصحاب القلوب وأرباب النفوس لا لتتكاثروا وتتنافسوا وتباهوا بالعقول والأخلاق الروحانية الطبيعية فإنها ظلمانية لا يصلح شيء منها للتفاخر به ما لم يقرن به الإيمان والتقوى فإن تنورت الأفعال والأخلاق والأحوال بنور الإيمان والتقوى فلم تكن الأفعال مشوبة بالرياء ولا الأخلاق مصحوبة بالأهواء ولا الأحوال منسوبة إلى الإعجاب فعند ذلك تصلح للتفاخر والمباهاة بها كما قال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ وقال عليه السلام: «الكرم التقوى» فأتقاهم من يكون أبعدهم من الأخلاق الإنسانية وأقربهم إلى الأخلاق الربانية والتقوى هو التحرز والمتقي من يتحرز عن نفسه بربه وهو أكرم على الله من غيره» انتهى.

﴿قالت الأعراب آمنا﴾ الأعراب أهل البادية وقد سبق تفصيله في سورة الفتح وإلحاق التاء بالفعل المسند إليهم مع خلوه عنها في قوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ [يوسف: ١٢] للدلالة على نقصان عقلهم بخلافهن حيث لمن امرأة العزيز في مراودتها فتاها وذلك يليق بالعقلاء نزلت في نفر من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدب فأظهروا الشهادتين فكانوا يقولون لرسول الله عليه السلام: أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وأتيناك بالأثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يرون الصدق ويمنون عليه عليه السلام ما فعلوا ﴿قل﴾ رداً لهم ﴿لم تؤمنوا﴾ إذ الإيمان هو التصديق بالله وبرسوله المقارن للثقة بحقيقة المصدق وطمأنينة القلب ولم يحصل لكم ذلك وإلا لما مننتم على ما ذكرتم من الإسلام وترك المقاتلة كما ينبىء عنه آخر السورة يعني أن التصديق الموصوف مسبوق بالعلم بقبح الكفر وشناعة المقاتلة وذلك يأبى المن وترك المقاتلة فإن العاقل لا يمن بترك ما يعلم قبحه. ﴿ولكن قولوا أسلمنا﴾ أسلم بمعنى دخل في السلم كأصبح وأمسى وأشتى أي: قولوا دخلنا في السلم والصلح والانقياد مخافة أنفسنا فإن الإسلام انقياد ودخول في السلم وإظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به أي: بالانقياد والدخول المذكور وإيثار ما عليه النظم الكريم على أن يقال لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أولم تؤمنوا ولكن أسلمتم ليتقابل جملتا الاستدراك للاحتراز عن النهي عن التلفظ بالإيمان فإن ظاهره مستقبح سيما ممن بعث للدعوة إلى القول به وللتفادي عن إخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به مع كونه تقولاً محضاً قال سعدي المفتي والظاهر أن النظم من الاحتباك حذف من الأول ما يقابل الثاني ومن الثاني ما يقابل الأول والأصل قل لم تؤمنوا فلا تقولوا آمنا ولكن أسلمتم فقولوا أسلمنا وهذا من اختصارات القرآن ﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ حال من ضمير قولوا أي: ولكن قولوا أسلمنا حال عدم مواطأة قلوبكم لألسنتكم وما في لما من معنى التوقع مشعر بأن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد ﴿وإن تطيعوا الله ورسوله﴾ بالإخلاص وترك النفاق ﴿لا يلتكم من أعمالكم شيئاً﴾ أي: لا ينقصكم شيئاً من أجورها من لات يليت ليتاً إذا نقص قال الإمام معنى قوله لا يلتكم أنكم إن أتيتم بما يليق بضعفكم من الحسنة المقرونة بالإخلاص وترك النفاق فهو تعالى يأتكم بما يليق بفضله من الجزاء لا ينقص منه نظراً إلى ما في حسناتكم من النقصان والتقصير وهذا لأن من حمل إلى ملك فاكهة طيبة يكون ثمنها في السوق درهماً مثلاً وأعطاه الملك درهماً أو ديناراً انتسب الملك إلى قلة العطاء بل إلى البخل فليس معنى الآية أن يعطي من الجزاء مثل عملكم من غير نقص بل المعنى يعطي ما تتوقعون بأعمالكم من غير نقص ويؤيد ما قاله قوله تعالى: ﴿إن الله غفور﴾ لما فرط من المطيعين ﴿رحيم﴾ بالتفضل عليهم قال في «بحر العلوم»: في الآية إيذان بأن

حقيقة الإيمان التصديق بالقلب وأن الإقرار باللسان وإظهار شرائعه بالإيذان ليس بإيمان.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن حقيقة الإيمان ليست مما يتناول باللسان بل هو نور يدخل القلوب إذا شرح الله صدر العبد للإسلام كما قال تعالى ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢] وقال عليه السلام في صفة ذلك النور «إذا وقع في القلب انفسخ له واتسع» قيل يا رسول الله هل لذلك النور علامة يعرف بها؟ قال: «بلى التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله» ولهذا قال تعالى: **﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾** فهذا دليل على أن محل الإيمان القلب انتهى.

وفي علم الكلام ذهب جمهور المحققين إلى أن الإيمان التصديق بالقلب وإنما الإقرار شرط لا جزؤه لإجراء الأحكام في الدنيا كالصلاة عليه في وقت موته لما أن تصديق القلب أمر باطن لا يطلع عليه أحد لا بد له من علامة فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه فهو مؤمن عند الله لوجود التصديق القلبي وإن لم يكن مؤمناً في أحكام الدنيا لانتفاء شرطه وأما من جعل الإقرار ركناً من الإيمان فعنده لا يكون تارك الإقرار مؤمناً عند الله ولا يستحق النجاة من خلود النار ومن أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق هو مؤمن في أحكام الدنيا وإن لم يكن مؤمناً عند الله وهذا المذكور من أن الإيمان هو التصديق القلبي والإقرار باللسان لإجراء الأحكام هو اختيار الشيخ أبي منصور رحمه الله والنصوص معاضدة لذلك قال الله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢] وقال الله تعالى ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] وقال الله تعالى: **﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾** وقال عليه السلام: «اللهم ثبت قلبي على دينك» أي: على تصديقك وقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه حين قتل: من قال لا إله إلا الله «هل شققت قلبه» وفي «فتح الرحمٰن»: حقيقة الإيمان لغة التصديق بما غاب وشرعاً عند أبي حنيفة رحمه الله تصديق بالقلب وعمل باللسان وعند الثلاثة عقد بالجنان ونطق باللسان وعمل بالأركان فدخل كل الطاعات انتهى قال ابن الملك في «شرح المشارق» ثم الإقرار باللسان ليس جزءاً من الإيمان ولا شرطاً له عند بعض علمائنا بل هو شرط لإجراء أحكام المسلمين على المصدق لأن الإيمان عمل القلب وهو لا يحتاج إلى الإقرار وقال بعضهم: إنه جزء منه لدلالة ظواهر النصوص عليه إلا أن الإقرار لما كان جزءاً له شائبة العرضية والتبعية اعتبروا في حالة الاختيار جهة الجزئية حتى لا يكون تاركه مع تمكنه منه مؤمناً عند الله وإن فرض أنه مصدق وفي حالة الاضطرار جهة العرضية فيسقط وهذا معنى قولهم الإقرار ركن زائد إذ لا معنى لزيادته إلا أن يحتمل السقوط عند الإكراه على كلمة الكفر فإن قيل ما الحكمة في جعل عمل جارحة جزءاً من الإيمان ولم عين به عمل اللسان دون أعمال سائر الأركان قلنا لما اتصف الإنسان بالإيمان وكان التصديق عملاً لباطنه جعل عمل ظاهره داخلاً فيه تحقيقاً لكمال اتصافه به وتعين له فعل اللسان لأنه مجبول للبيان أو لكونه أخف وأبين من عمل سائر الجسد نعم يحكم بإسلام كافر لصلاته بجماعة وإن لم يشاهد إقراره لأن الصلاة المسنونة لا تخلو عنه وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام المقدسي: النطق بكلمتي الشهادة واجب فمن علم وجوبهما وتمكن من النطق بهما فلم ينطق فيحتمل أن يجعل امتناعه من النطق بهما كامتناعه من الصلاة فيكون مؤمناً غير مخلد في النار لأن الإيمان هو التصديق المحض بالقلب واللسان ترجمانه وهذا هو الأظهر إذ قال رسول الله ﷺ: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من

الإيمان» ولا يعدم الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا يعدم بترك الفعل الواجب انتهى. وقال سهل رضي الله عنه: ليس في الإيمان أسباب إنما الأسباب في الإسلام والمسلم محبوب للخلق والمؤمن غني عن الخلق وقال بعض الكبار: المسلم في عموم الشريعة من سلم الناس من لسانه ويده وفي خصوصها من سلم كل شيء من لسانه بما يعبر عنه ويده فيما له فيه نفوذ الاقتدار والمؤمن منور الباطن وإن عصى والكافر مظلم الباطن وإن أتى بمكارم الأخلاق ومن قال أنا مؤمن إن شاء الله فما عرف الله كما ينبغي وقال بعض الكبار: كل من آمن عن دليل فلا وثوق بإيمانه لأنه نظري لا ضروري فهو معرض للشبه القادحة فيه بخلاف الإيمان الضروري الذي يجده المؤمن في قلبه ولا يقدر على دفعه وكذا القول في كل علم حصل عن نظر وفكر فإنه مدخول لا يسلم من دخول الشبه عليه ولا من الحيرة فيه ولا من القدح في الأمر الموصل إليه ولا بد لكل محجوب من التقليد فمن أراد العلم الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فليكثر من الطاعات والنوافل حتى يحبه الحق فيعرف الله بالله ويعرف جميع أحكام الشريعة بالله لا بعقله ومن لم يكثر مما ذكر فليقلد ربه فيما أخبر ولا يؤول فإنه أولى من تقليد العقل.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾.

﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا**﴾أي: آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بأن الحق معه من ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك في الخبر مع التهمة للمخبر فظهر الفرق بين الريب والشك فإن الشك تردد بين نقيضين لا تهمة فيه وفيه إشارة إلى أن فيهم ما يوجب نفي الإيمان عنهم وهو الارتياب وثم للإشعار بأن اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الإيمان ليس في حال إنشائه فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠] ﴿**وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله**﴾في طاعته على تكثير فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معاً كالحج والجهاد ﴿**أولئك**﴾الموصوفون بما ذكر من الأوصاف الجميلة ﴿**هم الصادقون**﴾ أي: الذين صدقوا في دعوى الإيمان لا غيرهم فهو قصر إفراد وتكذيب لأعراب بني أسد حيث اعتقدوا الشركة وزعموا أنهم صادقون أيضاً في دعوى الإيمان.

واعلم أن الآية الكريمة شاملة لمجامع القوى التي وجب على كل أحد تهذيبها وإصلاحها تطهيراً لنفسه الحاصل به الفوز بالفلاح والسعادة كلها كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾ [الشمس: ٩] وهي قوة التفكر وقوة الشهوة وقوة الغضب اللاتي إذا أصلحت ثلاثتها وضبطت حصل العدل الذي قامت به السماوات والأرض فإنها جميع مكارم الشريعة وتزكية النفس وحسن الخلق المحمود ولأصالة الأولى وجلالتها قدمت على الأخيرتين فدل بالإيمان بالله ورسوله مع نفي الارتياب على العلم اليقيني والحكمة الحقيقية التي لا يتصور حصولها إلا بإصلاح قوة التفكر ودل بالمجاهدة بالأموال على العفة والجود التابعين بالضرورة لإصلاح قوة الشهوة وبالمجاهدة بالأنفس على الشجاعة والحلم التابعين لإصلاح قوة الحمية الغضبية وقهرها وإسلامها للدين وعليه دل قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

[الأعراف: ١٩٩] فإن العفو عمن ظلم هو كمال الحلم والشجاعة وإعطاء من حرم كمال العفة والجود ووصل من قطع كمال الفضل والإحسان.

واعلم أيضاً أن جميع كمالات النفس الإنسانية محصورة في القوى الثلاث وفضائلها الأربع إذ العقل كماله العلم والعفة كمالها الورع والشجاعة كمالها المجاهدة والعدل كماله الإنصاف وهي أصول الدين على التحقيق وفي الآية رد للدعوى وحث على الاتصاف بالصدق قال بعضهم: لولا الدعاوى ما خلقت المهاوي فمن ادعى فقد هوى فيها وإن كان صادقاً ألا تراه يطالب بالبرهان ولو لم يدع ما طولب بدليل. قال الحافظ:

حديث مدعيان وخيال همكاران همان حكايت زرد وزو بور يابافست

وفي الحديث يا أبا بكر عليك بصدق الحديث والوفاء بالعهد وحفظ الأمانة فإنها وصية الأنبياء. قال الحافظ:

طريق صدق بياموز ازاب صافي دل بر استى طلب آزادكى چوسر وچمن

وأتى رسول الله التجار فقال: «يا معشر التجار إن الله باعثكم يوم القيامة فجاراً إلا من صدق ووصل وأدى الأمانة» وفي الحديث: «التجار هم الفجار قيل ولم يا رسول الله وقد أحل الله البيع فقال: لأنهم يحلفون فيأثمون ويتحدثون فيكذبون» قال الصائب:

كعبه دركام نخستين كند استقبالت از سر صدق اكر همنفس دل باشى

فإذا صدق الباطن صدق الظاهر إذ كل إناء يترشح بما فيه وكل أحد يظهر ما فيه بفيه.

﴿قل﴾ - روي - أنه لما نزلت الآية السابقة جاء الأعراب وحلفوا أنهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى: قل يا محمد لهم: **﴿أتعلمون الله بدينكم﴾** دخلت الباء لأن هذا التعليم بمعنى الإعلام والإخبار أي: أتخبرون الله بدينكم الذي أنتم عليه بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم والاستفهام فيه للتوبيخ والإنكار أي: لا تعرفوا الله بدينكم فإنه عالم به لا يخفى عليه شيء وفيه إشارة إلى أن التوقيف في الأمور الدينية معتبر واجب وحقيقتها موكولة إلى الله فالأسامي منه تؤخذ والكلام منه يطلب وأمره يتبع **﴿والله يعلم ما في السمٰوات والأرض﴾** حال من فاعل تعلمون مؤكدة لتشنيعهم **﴿والله بكل شيء عليم﴾** لا يحتاج إلى إخباركم تذييل مقرر لما قبله أي: مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها ما أخفوه من الكفر عند إظهارهم الإيمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم حيث كانوا يجتهدون في ستر أحوالهم وإخفائها.

وفي «التأويلات النجمية»: والله يعلم ما في سماوات القلوب من استعدادها في العبودية وما في أرض النفوس من تمردها عن العبودية والله بكل شيء جبلت القلوب والنفوس عليه عليم لأنه تعالى أودعه فيها عند تخمير طينة آدم بيده انتهى.

قال بعض الكبار: لا تضف إلى نفسك حالاً ولا مقاماً ولا تخبر أحداً بذلك فإن الله تعالى كل يوم هو في شأن في تغيير وتبديل يحول بين المرء وقلبه فربما أزالك عما أخبرت به وعزلك عما تخليت ثباته فتخجل عند من أخبرته بذلك بل احفظ ذلك ولا تعلمه إلى غيرك فإن كان الثبات والبقاء علمت أنه موهبة فلتشكر الله ولتسأله التوفيق للشكر وإن كان غير ذلك كان فيه زيادة علم ومعرفة ونور وتيقظ وتأديب انتهى فظهر من هذا أن الإنسان يخبر غالباً بما ليس فيه أو بما سيزول عنه والعياذ بالله من سوء الحال ودعوى الكمال.

قال بعضهم: إياكم ثم إياكم والدعوات الصادقة والكاذبة فإن الكاذبة تسود الوجه

والصادقة تطفىء نور الإيمان أو تضعفه وإياكم والقول بالمشاهدات والنظر إلى الصور المستحسنات فإن هذا كله نفوس وشهوات ومن أحدث في طريق القوم ما ليس فيها فليس هو منا ولا فينا فاتبعوا ولا تبتدعوا وأطيعوا ولا تمرقوا ووحدوا ولا تشركوا وصدقوا الحق ولا تشكوا واصبروا ولا تجزعوا واثبتوا ولا تتفرقوا واسألوا ولا تسأموا وانتظروا ولا تيأسوا وتواخوا ولا تعادوا واجتمعوا على الطاعة ولا تفرقوا وتطهروا من الذنوب ولا تلطخوا وليكن أحدكم بواب قلبه فلا يدخل فيه إلا ما أمره الله به وليحذر أحدكم ولا يركن وليخف ولا يأمن وليفتش ولا يغفل.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿**يمنون عليك أن أسلموا**﴾ أي: يعدون إسلامهم منة عليك وهي النعمة التي لا يطلب موليها ثواباً ممن أنعم بها عليه من المن بمعنى القطع لأن المقصود به قطع حاجته مع قطع النظر أن يعوضه المحتاج بشيء وقيل: النعمة الثقيلة من المن الذي يوزن به وهو رطلان يقال منَّ عليه منة أي: أثقله بالنعمة قال الراغب: المنة النعمة الثقيلة ويقال ذلك على وجهين: أحدهما أن يكون ذلك بالفعل فيقال منَّ فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وذلك في الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى والثاني أن يكون ذلك بالقول وذلك مستقبح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة ولقبح ذلك قيل: المنة تهدم الصنيعة ولحسن ذكرها عند الكفران قيل إذا كفرت النعمة حسنت المنة وقوله تعالى: ﴿**يمنون عليك**﴾ إلخ فالمنة منهم بالقول ومنة الله عليهم بالفعل وهو هدايته إياهم ﴿**قل لا تمنوا علي إسلامكم**﴾ أي: لا تعدوا إسلامكم منة علي أو لا تمنوا علي بإسلامكم فنصبه بنزع الخافض ﴿**بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان**﴾ على ما زعمتم من أنكم أرشدتم إليه وبالفارسية بلكه خداي تعالى منت مينهد برشما كه راه نموده است شمارا بايمان ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ في ادعاء الإيمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله أي: فلله المنة عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فإنهم لما سمعوا ما صدر عنهم إيماناً ومنوا به نفى كونه إيماناً وسماه إسلاماً فقال: يمنون عليك بما هو في الحقيقة إسلام أي: دخول في السلم وليس بجدير بالمن لأنه ليس له اعتداد شرعاً ولا يعد مثله نعمة بل لو صح ادعاؤهم للإيمان فلله المنة عليهم بالهداية إليه لا لهم وسئل بعض الكبار عن قوله تعالى: ﴿**بل الله يمن عليكم**﴾ مع أنه تعالى جعل المن إذا وقع منا على بعضنا من سفساف الأخلاق فقال في جوابه: هذا من علم التطابق ولم يقصد الحق به المن حقيقة إذ هو الكريم الجواد على الدوام على من أطاع وعلى من عصى وفي الحديث: «ما كان الله ليدلكم على مكارم الأخلاق ويفعل معكم خلاف ذلك» وفي الحديث أيضاً «ما كان الله لينهاكم عن الرياء ويأخذه منكم» قال ذلك لمن قال له يا رسول الله إني صليت بالتيمم ثم وجدت الماء أفأصلي ثانياً فمعنى الآية إذا دخلتم في حضرة المن على رسولكم بإسلامكم فالمن لله لا لكم وإن وقع منكم شيء من سفساف الأخلاق رد الحق أعمالكم عليكم لا غير.

وفي «التأويلات النجمية»: يمنون عليك أن استسلموا لك ظاهرهم قل لا تمنوا علي إسلامكم أي: تسليم ظاهركم لي لأنه ليس هذا من طبيعة نفوسكم المتمردة بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إذا كتب في قلوبكم الإيمان فانعكس نور الإيمان من مصباح قلوبكم إلى

مشكاة نفوسكم فتنورت واستضاءت بنور الإسلام فإسلامكم في الظاهر من فرع الإيمان الذي أودعته في باطنكم إن كنتم صادقين أي: إن كنتم صادقين في دعوى الإيمان انتهى قال الجنيد رحمه الله: المن من العباد تقريع وليس من الله تقريعاً وإنما هو من الله تذكير النعم وحث على شكر المنعم. قال الشيخ سعدي:

شكر خداى كن كه موفق شدى بخير   زانعام وفضل اونه معطل كذاشتت
منت منه كه خدمت سلطان همي كنى   منت شناس ازوكه بخدمت بداشتت

﴿إن الله يعلم غيب السمٰوات والأرض﴾ أي: ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه ﴿والله بصير بما تعملون﴾ في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقال بعض الكبار: والله بصير بما تعملون في الظاهر أنه من نتائج ما أودعه في باطنكم:

درزمين كرنى شكرور خودنى است   ترجمان هرزمين نبت وى است

فمن لاحظ شيئاً من أعماله وأحواله فإن رآها من نفسه كان شركاً وإن رآها لنفسه كان مكراً وإن رآها من ربه بربه لربه كان توحيداً وفقنا الله لذلك بمنه وجوده قال البقلي: ليس لله غيب إذ الغيب شيء مستور وجميع الغيوب عيان له تعالى وكيف يغيب عنه وهو موجده يبصره ببصره القديم والعلم والبصر هناك واحد قال في «كشف الأسرار» إز سورة الحجرات تا آخر قرآن مفصل كويند. وبه قال النبيّ ﷺ: «إن الله أعطاني السبع الطول مكان التوراة» والسبع الطول كصرد من البقرة إلى الأعراف والسابعة سورة يونس أو الأنفال وبراءة جميعاً لأنهما سورة واحدة عنده كما في «القاموس»: وأعطاني المئين مكان الإنجيل وأعطاني مكان الزبور المثاني وفضلني ربي بالمفصل وفي رواية أخرى قال عليه السلام: «إني أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه السلام وأعطيت فواتح الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش والمفصل ناقلة» أي: عطية.

وفي «فتح الرحمٰن». سورة الحجرات أول المفصل على الراجح من مذهب الشافعي وأحد الأقوال المعتمدة عن أبي حنيفة وعنه قول آخر معتمد أن أوله قوله ق قاله عليه السلام: «فضلني ربي بالمفصل» والمفصل من القرآن ما هو بعد الحواميم من قصار السور إلى آخر القرآن وسميت مفصلاً لكثرة المفصولات فيها بسطر بسم الله الرحمٰن الرحيم لأنها سور قصار يقرب تفصيل كل سورة من الأخرى فكثر التفصيل فيها انتهى وقال بعضهم: المفصل السبع السابع سمي به لكثرة فصوله وهو من سورة محمد أو الفتح أو ق إلى آخر القرآن وطوال المفصل إلى البروج والأوساط منها إلى لم يكن والقصار منها إلى الآخر وقيل:

طوال از لا تقدم تا عبس دان   پس اوسط از عبس تالم يكن خوان
قصار از لم يكن تا آخر آيد   بخوان اين نظم را تا كردد آسان

والذي عليه الجمهور أن طوال المفصل من سورة الحجرات إلى سورة البروج والأوساط من سورة البروج إلى سورة لم يكن والقصار من سورة لم يكن إلى آخر القرآن.

ـ روي ـ أن القراء لما قسموا القرآن في زمن الحجاج إلى ثلاثين جزءاً قسموه أيضاً إلى سبعة أقسام وعن السلف الصالحين من ختم على هذا الترتيب الذي نذكره ثم دعا تقبل حاجته وهو الترتيب الذي كان يفعله عثمان رضي الله عنه يقرأ يوم الجمعة من أوله إلى سورة الأنعام ويوم السبت من سورة الأنعام إلى سورة يونس ويوم الأحد من سورة يونس إلى سورة طه ويوم

الاثنين من سورة طه إلى سورة العنكبوت ويوم الثلاثاء من سورة العنكبوت إلى سورة الزمر ويوم الأربعاء من سورة الزمر إلى سورة الواقعة ويوم الخميس من سورة الواقعة إلى آخره وقيل أحزاب القرآن سبعة الحزب الأول ثلاث سور والثاني خمس سور والثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس إحدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع المفصل من ق وفي «فتح الرحمٰن»: وأحزاب القرآن ستون قيل إن الحجاج لما جد في نقط المصحف زاد تحزيبه وأمر الحسن ويحيى بن يعمر بذلك وأما وضع الأعشار فيه فحكي أن المأمون العباسي أمر بذلك وقيل إن الحجاج فعل ذلك وكانت المصاحف العثمانية مجردة من النقط والشكل فلم يكن فيها إعراب وسبب ترك الإعراب فيها والله أعلم استغناؤهم عنه فإن القوم كانوا عرباً لا يعرفون اللحن ولم يكن في زمنهم نحو وأول من وضع النحو وجعل الإعراب في المصاحف أبو الأسود الدؤلي التابعي البصري.

ـ حكي ـ أنه سمع قارئاً يقرأ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٣] بكسر اللام فأعظمه ذلك وقال عز وجه الله أن يبرأ من رسوله ثم جعل الإعراب في المصاحف وكانت علاماته نقطاً بالحمرة غير لون المداد فكانت علامة الفتحة نقطة فوق الحرف وعلامة الضمة نقطة في نفس الحرف وعلامة الكسرة نقطة تحت الحرف وعلامة الغنة نقطتين ثم أحدث الخليل بن أحمد الفراهيدي بعد هذا هذه الصور الشدة والمدة والهمزة وعلامة السكون وعلامة الوصل ونقل الإعراب من صورة النقط إلى ما هو عليه الآن وأما النقط فأول من وضعها بالمصحف نصر بن عاصم الليثي بأمر الحجاج بن يوسف أمير العراق وخراسان وسببه أن الناس كانوا يقرؤون في مصحف عثمان نيفاً وأربعين سنة إلى يوم عبد الملك بن مروان ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق فأمر الحجاج أن يضعوا لهذه الأحرف المشتبهة علامات فقام بذلك نصر المذكور فوضع النقط أفراداً وأزواجاً وخالف بين أماكنها وكان يقال له نصر الحروف وأول ما أحدثوا النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به هو نور له ثم أحدثوا نقطاً عند منتهى الآي ثم أحدثوا الفواتح والخواتم فأبو الأسود هو السابق إلى إعرابه والمبتدىء به ثم نصر بن عاصم وضع النقط بعده ثم الخليل بن أحمد نقل الإعراب إلى هذه الصورة وكان مع استعمال النقط والشكل يقع التصحيف فالتمسوا حيلة فلم يقدروا فيها إلا على الأخذ من أفواه الرجال بالتلقين فانتدب جهابذة علماء الأمة وصناديد الأئمة وبالغوا في الاجتهاد وجمعوا الحروف والقراءات حتى بينوا الصواب وأزالوا الإشكال رضي الله عنهم أجمعين وأول من خط بالعربية يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وأول من استخرج الخط المعروف بالنسخ ابن مقلة وزير المقتدر بالله ثم القاهر بالله فإنه أول من نقل الخط الكوفي إلى طريقة العربية ثم جاء ابن البواب وزاد في تعريب الخط وهذب طريقة ابن مقلة وكساها بهجة وحسناً، ثم ياقوت المستعصمي الخطاط وختم فن الخط وأكمله ثم جاء الشيخ حمد الله الأماسيوي فأجاد الخط بحيث لا مزيد عليه إلى الآن ولله در القائل:

خط حسن جمال مرأى إن كان لعالم فأحسن
الدر من النبات أحلى والدر مع البنات أزين

ومن الله التوفيق للكمالات والختم بأنواع السعادات.

تمت سورة الحجرات بعون ذي الفضل والبركات

في أوائل شهر ربيع الآخر من شهور عام ألف ومائة وأربعة عشر

٥٠ ـ سورة ق

خمس وأربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣﴾.

﴿قٓ﴾ أي: هذه سورة ق أي مسماة بق وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو قسم وهو اسم من أسماء الله تعالى وقال محمد بن كعب هو مفتاح أسماء الله تعالى مثل القادر والقدير والقديم والقاهر والقهار والقريب والقابض والقاضي والقدوس والقيوم أي: أنا القادر إلخ وقيل: اسم من أسماء القرآن وقيل قسم أقسم الله به أي: بحق القائم بالقسط وقيل معناه قل يا محمد والقرآن المجيد وقيل قف يا محمد على أداء الرسالة وعند أمرنا ونهينا ولا تتعداهما والعرب تقتصر من كلمة على حرف قال الشاعر: قلت لها قفي فقالت: ق أي: وقفت وقيل هو أمر من مفاعلة قفا أثره أي: تبعه والمعنى اعمل بالقرآن واتبعه وقيل معناه قضي الأمر وما هو كائن كما قالوا في حم وقيل المراد بحق القلم الذي يرقم القرآن في اللوح المحفوظ وفي الصحائف.

وقال الكاشفي: حروف مقطعه جهت فرقت است ميان كلام منظوم ومنثور أمام علم الهدى فرموده كه سامع بمجرد استماع اين حروف استدلال ميكند برآنكه كلامى كه بعد ازومى آيد منثورست نه منظوم پس در ايراد اين حروف رد جما عتيست كه قرآنرا شعر كفتند.

وقال الأنطاكي: ق عبارة عن قربه لقوله: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ﴾ [ق: ١٦] يعني قسم است بقرب الهي كه سر ونحن أقرب إليه بدين سوره ازان خبر ميدهد. وقال ابن عطاء: أقسم بقوة قلب حبيبه حيث تحمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله أي: بخلاف موسى عليه السلام فإنه خر صعقاً في الطور من سطوة تجلي النور.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن لكل سالك من السائرين إلى الله تعالى مقاماً في القرب إذا بلغ إلى مقامه المقدر له يشار إليه بقوله ق أي: قف مكانك ولا تجاوز حدك والقسم قوله: ﴿**والقرآن المجيد**﴾ أي: قف فإن هذا مكانك والقرآن المجيد فلا تجاوز عنه وقال بعض الكبار ق إشارة إلى قول هو الله أحد أي: إلى مرتبة الأحدية التي هي التعين الأول وص إشارة إلى الصمد أي: إلى مرتبة الصمدية التي هي التعين الثاني والصافات إشارة إلى التعينات الباقية التابعة للتعين الثاني. يقول الفقير أشار بقوله ق إلى قيامه عليه السلام بين يدي الله تعالى في الصف الأول قبل كل شيء مفارقاً لكل تركيب منفرداً عن كل كون منقطعاً عن كل وصف ثم

إلى قدومه من ذلك العالم الغيبي الروحاني إلى هذا المقام الشهادي الجسماني كما أشار إليه المجيء الآتي وقد جاء في حديث جابر رضي الله عنه حين خلقه: أي: نور نبيك يا جابر أقامه قدامه في مقام القرب اثني عشر ألف سنة وهو تفصيل عدد حروف لا إله إلا الله وحروف محمد رسول الله فإن عدد حروف كل منهما اثنا عشر وكذا أفاد أنه أقامه في مقام الحب اثني عشر ألف سنة وفي مقام الخوف والرجاء والحياء كذلك ثم خلق الله اثني عشر ألف حجاب فأقام نوره في كل حجاب ألف سنة وهي مقامات العبودية وهي حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والعلم والحلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين فعبد ذلك النور في كل حجاب ألف سنة فكل هذا العدد من طريق الإجمال اثنان وسبعون وإذا انضم إليه المنازل الثماني والعشرون على ما أشير إليه في الجلد الأول يصير المجموع مائة وإليه الإشارة بالقاف فهو مائة رحمة ومائة درجة في الجنة اختص بها الحبيب عليه السلام في الحقيقة إذ كل من عداه فهو تبع له فكما أنهم تابعون له عليه السلام في مقاماته الصورية الدورية المائة لأنه أول من خلقه الله ثم خلق المؤمنين من فيض نوره فكذلك هم تابعون له في الدرجات العلوية المبنية على المراتب السلوكية السيرية وفي كل هذه المنازل دار بالقرآن لأن الكلام النفسي تنزل إليه مرتبة بعد مرتبة إلى أن أنزله روح القدس على قلبه في هذا العالم الشهادي تشريفاً له من الوجه العام والخاص وإلى كل هذه المقامات رقى بالقرآن كما يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا وإن منزلك عند آخر آية تقرؤها ولا شك أنه كان خلقه القرآن فلذا مجد وشرف بمجد القرآن وشرفه فاعرف هذا فإنه من مواهب الله تعالى ويجوز أن يكون معنى ق من طريق الإشارة احذروا قاف العقل والزموا شين العشق كما قال بعضهم:

قفل در نشاط وسرورست قاف عقل   دندانه كليد بهشت است شين عشق

وقال جماعة من العلماء: قاف جبل محيط بالأرض كإحاطة العين بسوادها وهو أعظم جبال الدنيا خلقه الله من زمرد أخضر أو زبرجد أخضر منه خضرة السماء والسماء ملتزقة به فليست مدينة من المدائن وقرية من القرى إلا وفيها عرق من عروقه وملك موكل به واضع يديه على تلك العروق فإذا أراد الله بقوم هلاكاً أوحى إلى ذلك الملك فحرك عرقاً فخسف بأهلها والشياطين ينطلقون إلى ذلك الزبرجد فيأخذون منه فيبثونه في الناس فمن ثم هو قليل. وفي «المثنوي»:

رفت ذو القرنين سوى كوه قاف   ديداورا كز زمرد بود صاف
كرد عالم حلقه كشته او محيط   ماند حيران اندران خلق بسيط
كفت توكوهى دكرها چيستند   كه به پيش عظم توبازيستند
كفت ركهاى من اندان كوهها   مثل من نبوند در حسن وبها
من بهر شهرى ركى درام نهان   بر عروقم بسته اطراف جهان
حق چو خواهد زلزل شهر مرا   كويد أو من برجهانم عرق را
پس بجنبانم من آن رك را بقهر   كه بدان رك متصل كشتست شهر
چون بكويد بس شود ساكن ركم   ساكنم وزروى قفل اندرتكم
همچو مرهم ساكن بس كاركن   چون خردساكن وزوجنبان سخن
نزد آنكس كه نداند عقلش اين   زلزله هست از بخارات زمين

قال أبي بن كعب الزلزلة لا تخرج إلا من ثلاثة إما لنظر الله بالهيبة إلى الأرض وإما لكثرة ذنوب بني آدم وإما لتحريك الحوت الذي عليه الأرضون السبع تأديباً للخلق وتنبيهاً، قال ذو القرنين: يا قاف أخبرني بشيء من عظمة الله تعالى فقال: إن شأن ربنا لعظيم وإن من ورائي مسيرة خمسمائة عام من جبال ثلج يحطم بعضها بعضاً لولا ذلك لاحترقت من نار جهنم والعياذ بالله تعالى منها يعني اسكندر كفت يا قاف از عظمة الله باما چيزى بكوى كفت ياذا القرنين كار خداوند ما عظيم است واز اندازه وهم وفهم بيرونست بعظمت او خبر كجارسد وكدام عبارت بوصف اورسد كفت آخر آنچه كمتراست ودرتحت وصف آيد چيزى بكوى كعفت وراى من زميني است آفريده پانصد ساله راه طول آن وپانصد ساله راه عرض آن همه كوهها اندربران برف واكرنه آن برف بودى من از حرارت دوزخ چون ارزيز بكدا ختمى ذو القرنين كفت ردنى يا قاف نكته ديكر بكوى ازعظمت وجلال او كفت جبريل امين كمر بسته در حجب هيبت ايستاده هرساعتى ازعظمت وسياست دركاه جبروت برخود بلرز درعده بروى افتد رب العالمين ازان رعده وى صد هزار ملك بيافريند صفها بركشيده در حضرت بنعت هيبت سردرپيش افكنده وكوش برفرمان نهاده تايكبار از حضرت عزت ندا آيدكه سخن كوييد همه كويند لا إله إلا الله وبيش ازاين نكويند اينست كه رب العالمين كفت يوم يقوم الروح والملائكة صفاً إلى قوله وقال صواباً يعني لا إله إلا الله، وقيل: خضرة السماء من الصخرة التي تحت الأرض السفلى تحت الثور وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ﴾ [لقمان: ١٦] الآية وجعل الله السماء خضراء لتكون أوفق للأبصار لأن النظر إلى الخضرة يقوي البصر في الحكمة وكل صنع الله لحكمة فائدة لأهل العالم وفي الحديث «ثلاث يجلون البصر: النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجاري وإلى الوجه الحسن» قال ابن عباس رضي الله عنهما: والإثمد عند النوم وبالجملة أن الألوان سوى البياض مما يعين البصر على النظر وعن خالد بن عبد الله أن ذا القرنين لما بنى الاسكندرية رخمها بالرخام الأبيض جدرها وأرضها فكان لباسهم فيها السواد من نصوع بياض الرخام فمن ذلك لبس الرهبان السواد كما في «أوضح المسالك» لابن سپاهى قال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: لمأ خلق الله الأرض على الماء تحركت ومالت فخلق الله تعالى من الأبخرة الغليظة الكثيفة الصاعدة من الأرض بسبب هيجانها الجبال فسكن ميل الأرض وذهبت تلك الحركة التي لا يكون معها استقرار فطوق الأرض بجبل محيط بها وهو من صخرة خضراء وطوق الجبل بحية عظيمة رأسها بذنبها رأيت من الأبدال من صعد جبل قاف فسألته عن طوله علواً فقال: صليت الضحى في أسفله والعصر في أعلاه يعني بخطوة الأبدال فالخطوة عند الأبدال من المشرق إلى المغرب.

يقول الفقير: لعل هذا من قبيل البسط في السير وإلا فقد ثبت أن السماء الدنيا متصلة به وما بين السماء والأرض كما بين المشرق والمغرب وهي مسيرة خمسمائة عام فكيف تسع هذه المسيرة تلك الخطوات المتضاعفة وفي الخبر: «إن لقاف في السماء سبع شعب لكل سماء شعبة منها فالسمٰاوات السبع مقببة على شعبه وخلق الله ستة جبال من وراء قاف وقاف سابعها وهي موتودة بأطراف الأرض على الصخرة وقاف وراءها على الهواء وقيل خلق الله جبل قاف كالحصن المشرف على الملك ليحفظ أهل الأرض من فيح جهنم التي تحت الأرض السابعة.

يقول الفقير: فيه إشارة إلى حال قطب الأقطاب رضي الله عنه فإنه مشرف على جميع

الرجال من حيث جمعية اسمه وعلو رتبته وبه يحفظ الله العالم من الآفات الصورية والمعنوية كما أن جبل قاف مشرف على سائر الجبال وبه يحفظ الله أهل الأرض بالغدو والآصال ومن خلف ذلك الجبل بحر محيط بجبل قاف وحوله جبل قاف آخر والسماء الثانية مقببة عليه وكذلك من وراء ذلك بحار محدقات بجبل قاف على عدد السمٰاوات وأن كل سماء منها مقببة عليه وأن في هذه البحار وفي سواحلها ويبسها المحدقة بها ملائكة لا يحصي عددهم إلا الله ويعبدون الله حق عبادته ومن جبل قاف ينفجر جميع عيون الأرض فيشرب منه كل بر وفاجر فيجده العبد حيث توجه وفي البعض مثل ذلك وما وراء جبل قاف فهو من حكم الآخرة لا من حكم الدنيا وقال بعض المفسرين: إن لله سبحانه من وراء جبل قاف أرضاً بيضاء كالفضة المجلاة طولها مسيرة أربعين يوماً للشمس وبها ملائكة شاخصون إلى العرش لا يعرف الملك منهم من إلى جانبه من هيبة الله تعالى ولا يعرفون ما آدم وما إبليس هكذا إلى يوم القيامة وقيل إن يوم القيامة تبدل أرضنا هذه بتلك الأرض.

ـ وروي ـ أن الله تعالى خلق ثمانية آلاف عالم الدنيا منها عالم واحد وأن الله تعالى خلق في الأرض ألف أمة سوى الجن والإنس ستمائة في البحر وأربعمائة في البر وكل مستفيض منه تعالى.

چنان پهن خوان كرم كسترد   كه سيمرغ درقاف قسمت خورد

﴿**والقرآن المجيد**﴾ أي ذي المجد والشرف على سائر الكتب على أن يكون للنسب كلابن وتامر أو لأنه كلام المجيد يعني أن وصف القرآن بالمجد وهو حال المتكلم به مجاز في الإسناد أو لأن من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وشرف على أن يكون مثل بنى الأمير المدينة في الإسناد إلى السبب قال الإمام الغزالي رحمه الله: المجيد هو الشريف ذاته الجميل أفعاله الجزيل عطاؤه ونواله فكان شرف الذات إذا قارنه حسن الفعال سمي مجيداً وهو الماجد أيضاً ولكن أحدهما أدل على المبالغة وجواب القسم محذوف أي: إنك يا محمد لنبي منذر أي: مخوف من عذاب الله تعالى.

﴿**بل عجبوا**﴾ أي: فراعنة قريش ومتعنتوهم ﴿**أن جاءهم منذر منهم**﴾ أي: لأن جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك وهو إضراب عما ينبىء عنه الجواب أي: أنهم شكوا فيه ولم يكتفوا بالشك والتردد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الأمور العجيبة وقال بعضهم: جواب القسم محذوف ودليل ذلك قوله بل لأنه لنفي ما قبله فدل على نفي مضمر وتقديره أقسم بجبل قاف الذي به بقاء دنياكم وبالقرآن الذي به بقاء دينكم ما كذبوك ببرهان وبمعرفة بكذبك بل عجبوا إلخ والعجب نظر النفس لأمر خارج عن العادة ﴿**فقال الكافرون هذا شيء عجيب**﴾ تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارناً لغاية الإنكار وهذا إشارة إلى كونه عليه السلام منذراً بالقرآن وحاصله كون النذير منا خصص بالرسالة من دوننا وكون ما أنذر به هو البعث بعد موت كل شيء بليغ في الخروج عن عادة أشكاله وهو من فرط جهلهم لأنهم عجبوا أن يكون الرسول بشراً وأوجبوا أن يكون الإله حجراً وأنكروا البعث مع أن أكثر ما في الكون مثل ذلك من إعادة كل من الملوين بعد ذهابه وإحياء الأرض بعد موتها وإخراج النبات والأشجار والثمار وغير ذلك ثم إن إضمار الكافرين أولاً للإشعار بتعينهم بما أسند إليهم من المقال وأنه إذا ذكر شيء خارج عن سنن الاستقامة انصرف إليهم إذ لا يصدر إلا عنهم فلا

حاجة إلى إظهار ذكرهم وإظهارهم ثانياً للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه.

﴿أئذا متنا وكنا تراباً﴾ أي أحين نموت فتفارق أرواحنا أشباحنا ونصير تراباً لا فرق بيننا وبين تراب الأرض نرجع ونبعث كما ينطق به النذير والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبين الحياة حينئذ والهمزة للإنكار أي: لا نرجع ولا نبعث ﴿ذلك﴾ إشارة إلى محل النزاع أي: مضمون الخبر برجوعها ﴿رجع﴾ الرجع متعد بمعنى الرد بخلاف الرجوع أي: رد إلى الحياة وإلى ما كنا عليه ﴿بعيد﴾ جداً عن الأوهام أو العادة أو الإمكان أو عن الصدق غير كائن لأنه لا يمكن تمييز ترابنا من بقية التراب.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾

﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾ رد لاستبعادهم وإزاحة له أي: نحن على ذلك في غاية القدرة فإن من عم علمه ولطفه حتى انتهى إلى حيث علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه إياهم أحياء كما كانوا عبر بمن لأن الأرض لا تأكل عجب الذنب فإنه كالبذر لأجسام بني آدم وفي الحديث: «كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب فمنه خلق وفيه يركب» والعجب بفتح العين وسكون الجيم أصل الذنب ومؤخر كل شيء وهو هٰهنا عظم لا جوف له قدر ذرة أو خردلة يبقى من البدن ولا يبلى فإذا أراد الله الإعادة ركب على ذلك العظم سائر البدن وأحياه أي: غير أبدان الأنبياء والصديقين والشهداء فإنها لا تبلى ولا تتفسخ إلى يوم القيامة على ما نص به الأخبار الصحيحة قال ابن عطية: وحفظ ما تنقص الأرض إنما هو ليعود بعينه يوم القيامة وهذا هو الحق وذهب بعض الأصوليين إلى أن الأجساد المبعوثة يجوز أن تكون غير هذه قال ابن عطية وهذا عندي خلاف لظاهر كتاب الله ولو كانت غيرها فكيف كانت تشهد الجلود والأيدي والأرجل على الكفرة إلى غير ذلك مما يقتضي أن أجساد الدنيا هي التي تعود وسئل شيخ الإسلام ابن حجر: هل الأجساد إذا بليت وفنيت وأراد الله تعالى إعادتها كما كانت أولاً هل تعود الأجسام الأول أم يخلق الله للناس أجساداً غير الأجساد الأول؟ فأجاب أن الأجساد التي يعيدها الله هي الأجساد الأول لا غيرها قال: وهذا هو الصحيح بل الصواب ومن قال غيره عندي فقد أخطأ فيه لمخالفته ظاهر القرآن والحديث قال أهل الكلام إن الله تعالى يجمع الأجزاء الأصلية التي صار الإنسان معها حال التولد وهي العناصر الأربعة ويعيد روحه إليه سواء سمي ذلك الجمع إعادة المعدوم بعينه أولم يسم فإن قيل البدن الثاني ليس هو الأول لما ورد في الحديث من أن أهل الجنة جرد مرد وأن الجهنمي ضرسه مثل أحد فيلزم التناسخ وهو تعلق روح الإنسان ببدن إنسان آخر وهو باطل قلنا إنما يلزم التناسخ أن لو لم يكن البدن الثاني مخلوقاً من الأجزاء الأصلية للبدن الأول.

يقول الفقير: البدن معاد على الأجزاء الأصلية وعلى بعض الفضلة أيضاً وهو العجب المذكور فكأنه البدن الأول فلا يلزم التناسخ جداً والتغاير في الوصف لا يوجب التغاير في الذات فقد ثبت أن الخضر عليه السلام يصير شاباً على كل مائة سنة وعشرين سنة مع أن البدن هو البدن الأول وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن إبليس إذا مرت عليه الدهور وحصل له الهرم عاد ابن ثلاثين سنة واختلف القائلون بحشر الأجسام فمنهم من ذهب إلى أن الإعادة

تكون في الناس مثل ما بدأهم بنكاح وتناسل وابتداء بخلق من طين ونفخ كما جرى من خلق آدم وحواء وخلق البنين من نسل ونكاح إلى آخر مولود في العالم البشري كل ذلك في مدة قصيرة على حسب ما يقدره الحق تعالى وإليه ذهب الشيخ أبو القاسم بن قسي في كتاب «خلع النعلين» له في قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩] ومنهم من قال وهو القول الأصح بالخبر المروي «أن السماء تمطر مطراً شبه المني فينشأ منه النشأة الآخرة كما أن النشأة الدنيا من نقطة تنزل من بحر الحياة إلى أصلاب الآباء ومنها إلى أرحام الأمهات فيتكون من قطر بحر الحياة تلك النقطة جسد في الرحم»، وقد علمنا أن النشأة الأول أوجدها الله تعالى على غير مثال سبق وركبها في أي: صورة شاء وهكذا النشأة الآخرة يوجدها الحق على غير مثال سبق مع كونها محسوسة بلا شك فينشىء الله النشأة الآخرة على عجب الذنب الذي يبقى من هذه النشأة الدنيا وهو أصلها فعليه تتركب النشأة الآخرة فقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ راجع إلى عدم مثال سابق كما في النشأة الأولى مع كونها محسوسة بلا شك إذ ذكر رسول الله ﷺ من صفة نشأة أهل الجنة والنار ما يخالف هذه النشأة الدنيا وقوله وهو أهون عليه لا يقدح فيما قلنا لأن البدء إن كان عن اختراع فكر وتدبير كانت إعادته إلى أن يخلق خلقاً آخر مما يقارب ذلك ويزيد عليه أقرب إلى الاختراع في حق من يستفيد الأمور بفكره والله متعال عن ذلك علواً كبيراً فهو الذي يفيد العالم ولا يستفيد ولا يتجدد له علم بشيء بل هو عالم بتفاصيل ما لا يتناهى بعلم كلي فعلم التفصيل في عين الإجمال وهكذا ينبغي لجلاله أن يكون قال أبو حامد الغزالي رحمه الله: إن العجب المذكور في الخبر والنفس وعليها ينشأ النشأة الآخرة أي كما يتكون شجر كثير الأصول والأغصان من الحبة الصغيرة في الطين كذلك جسد الإنسان من حبة العجب الذي لا يقبل البلى فعبر عنه الإمام بالنفس لأنه مادتها وعنصرها هكذا أوله البعض.

وقال غيره مثل أبي يزيد الرقراقي: المراد من العجب جوهر فرد وجزء واحد لا يقبل القسمة والبلى فيه قوة القابلية الهيولانية بل هو صورة هيولى النفس الحيوانية الحاملة لأجزاء العناصر التي في الهيكل المحسوس فيبقيه الخالق ويعصمه من التغير والبلى في عالم الكون والفساد بل خلقه من أول خلق النشأة الدنيوية إلى الأبدان الجنانية وعليه مدار الهيكل يبقى من هذه النشأة الدنيا لا يتغير وعليه ينشأ النشأة الآخرة وكل ذلك محتمل لا يقدح في شيء من الأصول الشرعية في الأحكام الأخروية وتوجيهات معقولة يحتمل أن يكون كل منها مقصود الشارع بقوله: عجب الذنب.

وقال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر والذي وقع لي به الكشف الذي لا أشك فيه أن المراد بعجب الذنب هو ما يقوم عليه النشأة وهو لا يبلى أي: لا يقبل البلى والفناء فإن الجواهر والذوات الخارجة إلى الوجود من العدم لا تنعدم أعيانها ولكن تختلف عليها الصور الشهادية والبرزخية بالامتزاجات التي هي أعراض تعرض لها بتقدير العزيز العليم فإذا تهيأت هذه الصور بالاستعداد لقبول الأرواح كاستعداد الحشيش بالنارية التي هي فيه لقبول الاشتعال والصور البرزخية كالسرج مشتعلة بالأرواح التي فيها فينفخ إسرافيل نفخة واحدة فتمر تلك النفخة على تلك الصور البرزخية فتطفئها وتمر النفخة التي تليها وهي الأخرى إلى الصور المستعدة للاشتعال وهي النشأة الأخرى فتشعل بأرواحها فإذا هم قيام ينظرون نسأل الله تعالى أن يبعثنا آمنين بجاه النبي الأمين ﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾ بالغ في الحفظ لتفاصيل الأشياء كلها

أو محفوظ من التغير والمراد إما تمثيل علمه تعالى بكليات الأشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شيء أو تأكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده.

﴿بل كذبوا بالحق﴾ إضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة إلى بيان ما هو أشنع منه وأفظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة فالأفظعية لكون الثاني تكذيباً للأمر الثابت من غير تدبر بخلاف الأول فإنه تعجب ﴿لما جاءهم﴾ من غير تأمل وتفكر تقليداً للآباء وبعد التأمل تمرداً وعناداً وجاء بكلمة التوقع إشعاراً بأنهم علموا بعد علو شأنه وإعجازه الشاهد على حقيته فكذبوا به بغياً وحسداً ﴿فهم في أمر مريج﴾ من مرج الخاتم في أصبعه إذا جرج بالجيمين كفرح أي: قلق وجال واضطرب من سعته بسبب الهزال أي: في أمر مضطرب لا قرار له من غلبات آفات الحس والوهم والخيال على عقولهم فلا يهتدون إلى الحق ولذا يقولون تارة إنه شاعر وتارة ساحر وأخرى كاهن ومرة مفتر لا يثبتون على شيء واحد وهذا اضطرابهم في شأن النبي عليه السلام صريحاً ويتضمن اضطرابهم في شأن القرآن أيضاً فإن نسبتهم إياه إلى الشعر ونحوه إنما هي بسببه واعلم أن الاضطراب موجب للاختلاف وذلك أدل دليل على البطلان كما أن الثبات والخلوص موجب للاتفاق وذلك أدل دليل على الحقيقة فقال الحسن ما ترك قوم الحق إلا مرج أمرهم وكذا قال قتادة وزاد والتبس عليهم دينهم وعن علي رضي الله عنه قال له يهودي ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم؟ فقال: إنما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة وسئل بزرجمهر الحكيم: كيف اضطربت أمور آل ساسان وفيهم مثلك؟ قال: استعانوا بأصاغر العمال على أكابر الأعمال فآل أمرهم إلى ما آل. كما قال الشيخ سعدي:

پندم اكر بشنوى اى پادشاه درهمه دفتر به ازين پند نيست

جز بخرمند مفر ما عمل كرچه عمل كار خردمند نيست

واضطربوا في حق الحلاج رضي الله عنه وكذبوا بالحق فأفتوا بالقتل فمرج أمرهم حيث أحرقت دار الوزير وقتل ثم دار الأمر على الخليفة ففعل به ما فعل واضطربوا في شأن سلطان العلماء والد المولى جلال الدين الرومي فنفوه من بلخ ثم نفاهم الله من الأرض وأوقعهم في ويل طويل من تسلط عدو مستأصل وكان فيهم صاحب «التفسير الكبير» فاختفى لكنه ظهر أمر الله عليه أيضاً وما نفع الاختفاء وفيه يقول المولى جلال الدين قدس سره:

درچنان ننكى وانكه اين عجب فخر دين خواهد كه كويندش لقب

واضطربوا في شأن الرسول عليه السلام حتى قتلهم الله تعالى وجعل مكة خالصه للمؤمنين.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾.

﴿أفلم ينظروا﴾ أي: أغفلوا فلم ينظروا حين كفروا بالبعث ﴿إلى السماء فوقهم﴾ بحيث يشاهدونها كل وقت أي: إلى آثار قدرة الله في خلق العالم وإيجاده من العدم إلى الوجود وفوقهم ظرف لينظروا أو حال من السماء ﴿كيف بنيناها﴾ أي: رفعناها بغير عمد ﴿وزيناها﴾ بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع ﴿وما لها من فروج﴾ من فتوق لملاستها وسلامتها

من كل عيب وخلل كما قال: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣] وهذا لا ينفي وجود الأبواب والمصاعد فإنها ليست من قبيل العيب والخلل ولعل تأخير هذا لمراعاة الفواصل والفروج جمع فرج وهو الشق بين الشيئين كفرجة الحائط والفرج ما بين الرجلين وكنى به عن السوءة وكثر حتى صار كالصريح فيه واستعير الفرج للثغر وكل مخافة وسمي القباء المشقوق فروجاً ولبس رسول الله عليه السلام فروجاً من حرير ثم نزعه.

﴿**والأرض مددناها**﴾ أي: بسطناها وفرشناها على وجه الماء مسيرة خمسمائة عام من تحت الكعبة وهذا دليل على أن الأرض مبسوطة وليست على شكل الكرة كما في «كشف الأسرار» وفيه أنه لا منافاة بين بساطتها وكريتها لسعتها كما عرف في محله ﴿**وألقينا فيها رواسي**﴾ جبالاً ثوابت أرسيت بها الأرض إذ لو لم تكن لكانت مضطربة مائلة إلى الجهات المختلفة كما كانت قبل إذ روي أن الله لما خلق الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة: ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت من رسا الشيء أي: ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للإيذان بأن إلقاءها لإرساء الأرض بها وفيه إشارة إلى رجال الله فإنهم أوتاد الأرض والعمد المعنوية للسماء فإذا انقرضوا ولم يوجد في الأرض من يقول الله الله فسدت السموات والأرض ﴿**وأنبتنا**﴾ وأخرجنا ﴿**فيها من كل زوج**﴾ صنف وقوله ﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: ٥٣] أي: أنواعاً متشابهة ﴿**بهيج**﴾ حسن طيب من الثمار والنباتات والأشجار كما قال في موضع آخر ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: ٦٠] أي: يبتهج به لحسنه أي: يسر والبهجة حسن اللون وظهور السرور فيه وابتهج بكذا أي: سر به سروراً بان أثره على وجهه كما في «المفردات».

﴿**تبصرة وذكرى**﴾ علتان للأفعال المذكورة معنى على التنازع وإن انتصبتا عن الفعل الأخير أو بفعل مقدر بطريق الاستئناف أي: فعلنا ما فعلنا تبصيراً وتذكيراً. يعني از براى بينايى يعني بنظر اعتبار واستدلال نكرستن واز براى ياد كردن وپندكر فتن ويجوز أن يكونا نصبا على المصدرية من فعلهما المقدر أي: نبصرهم ونذكرهم ﴿**لكل عبد منيب**﴾ أي: راجع إلى ربه متفكر في بدائع صنائعه وفيه إشارة إلى أن الوصول إلى مقام التبصرة والذكرى إنما هو بالعبودية والإنابة التي هي مبنى الطريقة وأساسها قال بعضهم: التبصرة معرفة منن الله عليه والذكرى عدها على نفسه في كل حال ليشتغل بالشكر فيما عومل به عن النظر إلى شيء من معاملته. [كفته اند تبصرة وذكرى دونام اند شريعت وحقيقت را تبصره حقيقت است وذكرى شريعت بواسطه وحقيقت بمكاشفه شريعت خدمت است بر شريطه وحقيقت غربت است بر مشاهده شريعت بى يدي است وحقيقت بي خورى اهل شريعت فريضه كزاران ومعصيت كدازان أهل حقيقت از خويشتن كريزان وبيكى تازان قبله اهل شريعت كعبه است قبله أهل حقيقت فوق العرش ميدان حساب أهل شريعت موقف است وميدان حساب أهل حقيقت حضرة سلطان ثمره اهل شريعت بهشت ثمره اهل حقيقت لقا ورضاى رحمن] فعلى العاقل أن يتبصر بالذكر الحكيم ويتفكر في صنعه العظيم ويوحده توحيداً يليق بجنابه الكريم وينيب إليه إنابة لا رجوع بعدها إلى يوم مقيم. [نقلست كه پيرى پيش شقيق بلخى رحمه الله آمد وكفت كناه بسياردارم وميخوا هم كه توبه بكنم وى كفت دير آمدى پير كفت زود آمدم كفتاچرا كفت از بهر آنكه هركه پيش ازمرك بيايد بتوبه زود امده باشد شقيق كفت نيك آمدى ونيك كفتى].

بارهاى خويش راچيزى سبك كردان كه نيست تنكناى مرك را كنجايى اين بارها
وقال الشيخ سعدى:
بيا تا بر آريم دستى زدل كه نتوان بر آورد فردا زكل
أيقظنا الله تعالى وإياكم من نوم الغفلة.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿ونزلنا من السماء ماء مباركاً﴾ أي: كثير المنافع حياة الأناسي والدواب والأرض الميتة وفي «كشف الأسرار» مطراً يثبت في أجزاء الأرض فينبع طول السنة **﴿فأنبتنا به﴾** أي: بذلك الماء **﴿جنات﴾** كثيرة أي: أشجاراً ذوات ثمار فذكر المحل وأراد الحال كما قال: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٢٧] وبالفارسية بوستانها مشتمل بر اشجار وأثمار **﴿وحب الحصيد﴾** من حذف الموصوف للعلم به على ما هو اختيار البصريين في باب مسجد الجامع لئلا يلزم إضافة الشيء إلى نفسه وأصل الحصيد قطع الزرع والحصيد بمعنى المحصود وهو هنا مجاز باعتبار الأول والمعنى وحب الزرع الذي شأنه أن يحصد من البر والشعير وأمثالهما مما يقتات به وتخصيص إنبات حبه بالذكر لأنه المقصود بالذات.

﴿والنخل﴾ عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها على سائر الأشجار وقد سبق بعض أوصافها في سورة يس وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل **﴿باسقات﴾** طوالاً في السماء عجيبة الخلق وهو حال مقدرة فإنها وقت الإنبات لم تكن طوالاً يقال بسقت الشجرة بسوقاً إذا طالت وفي «المفردات»: الباسق هو الذاهب طولاً من جهة الانقطاع ومنه بسق فلان على أصحابه علاهم ويجوز أن يكون معنى باسقات حوامل من أبسقت الشاة إذا حملت فيكون من باب أفعل فهو فاعل **﴿لها طلع نضيد﴾** أي: منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل يقال نضدت المتاع بعضه على بعض ألقيته فهو منضود ومنضد والمنضد السرير الذي ينضد عليه المتاع ومنه استعير طلع نضيد كما في «المفردات» والنضد والتنضيد وبالفارسية برهم نهادن. والطلع شيء يخرج كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود والطرف محدد أو ما يبدو من ثمرته في أول ظهورها وقشره يسمى الكفرى بضم الكاف والفاء معاً وتشديد الراء وما في داخله الاغريض لبياضه كما في «القاموس» قال في «بحر العلوم»: الطلع ما يطلع من النخلة وهو الكم قبل أن يشق ويقال لما يظهر من الكم طلع أيضاً وهو شيء أبيض يشبه بلونه الأسنان وبرائحته المني.

﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَـٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾﴾.

﴿رزقاً للعباد﴾ أي: لرزقهم علة لقوله تعالى فأنبتنا وفي تعليله بذلك بعد تعليل أنبتنا الأول بالتبصرة والتذكرة تنبيه على أن الواجب على العبد أن يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار أهم وأقدم من تمتعه به من حيث الرزق:

خوردن براى زيستن وذكر كردنست تو معتقدكه زيستن از بهر خوردنست

يقول الفقير المقصود من الآية الأولى هو الاستدلال على القدرة بأعظم الأجرام كما دل عليه النظر وذكر الإنبات فيها بطريق التبع فناسب التعليل بالتبصرة والتذكير ومن الثانية بيان الانتفاع بمنافع تلك الأجرام فناسب التعليل بالرزق ولذا أخرت عن أولى لأن منافع الشيء مترتبة على خلقه قال أبو عبيدة: نخل الجنة نضيد ما بين أصلها إلى فرعها بخلاف نخل الدنيا فإن ثمارها رؤوسها كلما نزعت رطبة عادت ألين من الزبد وأحلى من العسل فنخل الدنيا تذكير لنخل الجنة وفي كل منهما رزق للعباد كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢].

﴿**وأحيينا به**﴾ أي: بذلك الماء ﴿**بلدة ميتاً**﴾ تذكير ميتاً باعتبار البلد والمكان أي: أرضاً حدبة لا نماء فيها أصلاً بأن جعلناها بحيث ربت وأنبتت أنواع النبات والأزهار فصارت تهتز بها بعدما كانت جامدة هامدة.

- روى - أبو هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءهم المطر فسالت الميازيب قال: «لا محل عليكم العام»، أي: لا جدب. يعني تنكى نيست بر شما امسال ﴿**كذلك الخروج**﴾ جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك إشارة إلى الحياة المستفادة من الإحياء إلى مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شيء مخالف لها وقد روي أن الله يمطر السماء أربعين ليلة كمني الرجال يدخل في الأرض فينبت لحومهم وعروقهم وعظامهم ثم يحييهم ويخرجهم من تحت الأرض وفي التعبير عن إخراج النبات من الأرض بالإحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشأن الإنبات وتهوين لأمر البعث وتحقيق للمماثلة بين إخراج النبات وإحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه إلى أفهام الناس. قال الكاشفي: واكر كسى تأمل كند در احياى دانه ما نند مرده درخاك مدفونست وظهور او بعد ازخفا دور نيست كه بشمه از حيات اموات يى تواند برد:

كدام دانه فروشدكه برنيا مدباز چرابدانه انسانيت كمان باشد
فروشدن چوبديدى بر آمدن بنكر غروب شمس وقمر راچرا زيان باشد

وفي الآية إشارة إلى تنزيل ماء الفيض الإلهي من سماء الأرواح فإن الله ينبت به حبات القلوب وحب المحبة المحصود به محبة ما سوى الله من القلوب وشجرة التوحيد لها طلع نضيد من أنواع المعارف رزقاً للعباد الذي يبيتون عند ربهم يطعمهم ويسقيهم ويحيي بذلك الفيض بلدة القلب الميت من نور الله كما قال ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ [الأنعام: ١٢٢] الآية كذلك الخروج من ظلمات الوجود إلى نور واجب الوجود فافهم جداً.

﴿**كذبت قبلهم**﴾ أي: قبل أهل مكة ﴿**قوم نوح**﴾ قوم نوح كه بني شيث وبني قابيل بودند تكذيب كردند مز نوح را ﴿**وأصحاب الرس**﴾ قيل كانت الرس بئراً بعدن لأمة من بقايا ثمود وكان لهم ملك عدل حسن السيرة يقال له العليس كزبير وكانت البئر تسقي المدينة كلها وباديتها وجميع ما فيها من الدواب والغنم والبقر وغير ذلك لأنها كانت بكرات كثيرة منصوبة عليها جمع بكرة بالفتح وهي خشبة مستديرة في وسطها محز يستقى عليها ورجال كثيرون موكلون بها وأبازن بالزاي والنون من رخام وهي تشبه الحياض كثيرة تملأ للناس قال في «القاموس»: الإبزن مثلثة الأول حوض يغتسل فيه وقد يتخذ من نحاس معرب آب زن انتهى وآخر للدواب وآخر للبقر والغنم والهوام يستقون عليها بالليل والنهار يتداولون ولم يكن لهم ماء غيره فطال

عمر الملك فلما جاءه الموت طلي بدهن لتبقى صورته ولا تتغير وكذلك كانوا يفعلون إذا مات منهم الميت وكان ممن يكرم عليهم فلما مات شق ذلك عنهم ورأوا أن أمرهم قد فسد وضجوا جميعاً بالبكاء واغتنمها الشيطان منهم فدخل في جثة الملك بعد موته بأيام كثيرة فكلمهم وقال: إني لم أمت ولكني قد تغيبت عنكم حتى أرى صنيعكم بعدي ففرحوا أشد الفرح وأمر لخاصته أن يضربوا حجاباً بينه وبينهم ويكلمهم من ورائه كيلا يعرف الموت في صورته فنصبوه صنماً من وراء حجاب لا يأكل ولا يشرب وأخبرهم أنه لا يموت أبداً وأنه إله لهم وذلك كله ويتكلم به الشيطان على لسانه فصدق كثير منهم وارتاب بعضهم وكان المؤمن المكذب منهم أقل من المصدق فكلما تكلم ناصح منهم زجر وقهر فاتفقوا على عبادته فبعث الله لهم نبياً كان الوحي ينزل عليه في النوم دون اليقظة وكان اسمه حنظلة بن صفوان فأعلمهم أن الصورة صنم لا روح له وأن الشيطان فيه وقد أضلهم الله وأن الله تعالى لا يتمثل بالخلق وأن الملك لا يجوز أن يكون شريكاً لله وأوعدهم ونصحهم وحذرهم سطوة ربهم ونقمته فآذوه وعادوه وهو يتعدهم بالموعظة والنصيحة حتى قتلوه وطرحوه في بئر وعند ذلك حلت عليهم النقمة فباتوا شباعى رواء من الماء وأصبحوا والبئر قد غار ماؤها وتعطل رشاؤها وهو بالكسر الحبل فصاحوا بأجمعهم وضج النساء والولدان وضجت البهائم عطشاً حتى عمهم الموت وشملهم الهلاك وخلفهم في أرضهم السباع وفي منازلهم الثعالب والضباع وتبدلت لهم جناتهم وأموالهم بالسدر والشوك شوك العضاة والقتاد الأول بالكسر أم غيلان أو نحوه والثاني كسحاب شجر صلب شوكه كالإبر فلا تسمع فيها إلا عزيف الجن أي: صوتهم وهو جرس يسمع في المفاوز بالليل وإلا زئير الأسد أي: صوته من الصدر نعوذ بالله من سطواته ومن الإصرار على ما يوجب نقماته كذا في «التكملة» نقلاً عن «تفسير المقري» وقيل الرس بئر قرب اليمامة أو بئر بأذربيجان او واد كما قال الشاعر:

فهن لوادي الرس كاليد للفم

وقد سبق بعض الكلام عليه في سورة الفرقان فارجع ﴿**وثمود**﴾ وقوم ثمود صالح را وهو ثمود بن عاد وهو عاد الآخرة وعاد هو عاد إرم وهو عاد الأولى ﴿**وعاد**﴾ وقوم عاد هودرا ﴿**وفرعون**﴾ وفرعون موسى را وهٰرون را والمراد هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده من الجماعة ﴿**وإخوان لوط**﴾ يعني اصهار او مراورا والصهر زوج بنت الرجل وزوج أخته وقيل إخوانه قومه لاشتراكهم في النسب لا في الدين قال عطاء ما من أحد من الأنبياء إلا ويقوم معه قومه إلا لوطاً عليه السلام يقوم وحده.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

﴿**وأصحاب الأيكة**﴾هم من بعث إليهم شعيب عليه السلام غير أهل مدين وكانوا يسكنون أيكة أي: غيضة تنبت السدر والأراك وقد مر في سورة الحجر ﴿**وقوم تبع**﴾ الحميري ملك اليمن وقد سبق شرح حالهم في سورة الدخان ﴿**كل كذب الرسل**﴾ أي: فيما أرسلوا به من الشرائع التي من جملتها البعث الذي أجمعوا عليه قاطبة أي: كل قوم من الأقوام المذكورين كذبوا رسلهم وكذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور، وإفراد الضمير باعتبار لفظ الكل أو كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على التوحيد والإنذار بالبعث والحشر

فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر وأما على تقدير عدمها وهو الأظهر فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم لمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث إلى ذلك كان يدعوهم تبع ﴿فحق وعيد﴾ أي: فوجب وحل عليهم وعيدي وهي كلمة العذاب والوعيد يستعمل في الشر خاصة بخلاف الوعد فإنه يكون في الخير والشر وفي الآية تسلية لرسول الله ﷺ يعني لا تحزن بتكذيب الكفار إياك لأنك لست بأول نبي كذب وكل أمة كذبت رسولها واصبر على أذاهم كما صبروا تظفر بالمراد كما ظفروا وتهديد لأهل مكة يعني: احذروا يا أهل مكة من مثل عذاب الأمم الخالية فلا تكذبوا رسول الله فإن الاشتراك في العمل يوجب الاشتراك في الجزاء.

واعلم أن عموم أهل كل زمان الغالب عليهم الهوى والطبيعة الحيوانية فهم أهل الحس لا أهل العقل ونفوسهم متمردة بعيدة عن الحق قريبة إلى الباطل كلما جاء إليهم رسول كذبوه وعلى ما جاء به قاتلوه فحق عليهم عذاب ربهم بما كفروا بأنعم الله فما أعياه إهلاكهم وفيه تسلية للأولياء أيضاً من طريق الإشارة وتهديد لأهل الإنكار ولعمري إنهم في أيديهم كالأنبياء في أيدي الكفار ولكن الصبر مفتاح الفرج فكما أن الكفار مسخوا وخسفوا وأخذوا بأنواع النكال فكذا أهل الإنكار مسخ الله بواطنهم وخسف بهم الأرض يعني أرض البشرية الكثيفة الظلمانية وأخذوا بأصناف الخذلان وهم لا يدرون أنهم كذلك بل يحسبون أنهم ناجون من كل المهالك لزيادة عماهم وحيرتهم نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المصدقين ويثبتنا على طريق أهل اليقين ويفيض علينا من بركاتهم ويشرفنا بآثار حركاتهم.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٥﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴿١٧﴾ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾﴾.

﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾ العي بالأمر العجز عنه يقال عي بالأمر وعيى به إذا لم يهتد لوجه عمله وقد مرّ في قوله: ﴿وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ﴾ [الأحقاف: ٣٣] والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر ينبيء عنه العي من القصد والمباشرة كأنه قيل أقصدنا الخلق الأول وهو الإبداء فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الخلق الثاني وهو الإعادة وبالفارسية: أياماً عاجز شده ايم ورنج يافته بآفرينش اول خلق تافرومانيم از آفرينش ثاني. وفي عين المعاني الخلق الأول آدم عليه السلام وهم يقرون به.

وفي «التأويلات النجمية»: أفاعتاص علينا فعل شيء حتى نعيى بالبعث أو يشق علينا البعث أي: ليس كذلك ﴿بل هم في لبس من خلق جديد﴾ يقال جددت الثوب إذا قطعته على وجه الإصلاح وثوب جديد أصله المقطوع ثم جعل لكل ما أحدث إنشاؤه وخلق جديد إشارة إلى النشأة الثانية وقوبل الجديد بالخلق لما كان المقصود بالجديد القريب العهد بالقطع من الثواب ومنه قيل لليل والنهار الجديدان والأجدان كما في «المفردات» والجملة عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كأنه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الأول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة إذ لم تجر العادة بالإعادة في هذه الدار وهذا قياس فاسد كما لا يخفى.

وقال الكاشفي: مشركان مكه معترف بودند بانكه حق تعالى مبدع خلق است در اول پس ميفر ما يدكه كسى كه قادر بودبر آفرينش جمعى بي ماده ومددى چراتوا ناتوا نانبود بر اعاده ايشان بجمع مواد ورد حيات بآن وبي شبهه ما بران قوت داريم بلكه كافران درشك وشبهه اند بسبب وساوس شيطاني از آفريدن نويعنى بعث وحشرچه آنرا مخالف عادت مى بينند. وتنكير خلق لتفخيم شأنه والإشعار بخروجه عن حدود العادات أو الإيذان بأنه حقيق بأن يبحث عنه ويهتم بمعرفته ولا يقعد على لبس.

واعلم أن هذا الخلق الجديد حاصل في الدنيا أيضاً سواء كان في الأعراض أو في الأجسام وهو مذهب الصوفية ومذهب المتكلمين فإنهم جوزوا انتفاء الأجسام في كل آن ومشاهدة بقائها بتجدد الأمثال أي: الأجسام الأخر كما جوزوا انتفاء الأعراض في كل آن ومشاهدة بقائها بتجدد الأمثال أي: الأعراض الأخرى كما أنه جائز في الأعراض التي هي غير قائمة بذواتها كذلك جائز في الجواهر التي هي قائمة بذواتها وفي هذا المعنى. قال في «المثنوي»:

صورت از معنى چو شيراز پيشه دان ... ياچوآ واز وسخن زانديشه دان
اين سخن وآوازاو نديشه خواست ... تونداني بحر انديشه كجاست
ليك چون موج سخن ديدى لطيف ... بحرآن داني كه باشدهم شريف
چون زدانش موج انديشه بتاخت ... از سخن وآوازاو صورت بساخت
از سخن صورت بزاد وبازمرد ... موج خودرا بازانـدر بحر برد
صورت از بى صورتى آمد برون ... بازشدكه انا اليه راجعون
پس ترا هر لحظه مرك ورجتيست ... مصطفى فرمود دنيا ساعتيست
فكر ماتيريست ازهودر هوا ... درهواكى پايه آيد تاخدا
هر نفس نومى شود دنيا وما ... بى خبر ازنوشدن اندربقا
عمر همچون جوى نونوميرسد ... مستمرى مى نمايد درجسد
آن زتيزى مستمر شكل آمدست ... چون شرركش تيز چنبانى بدست
شاخ آتش را بچنبانى بساز ... درنظر آتش نما يدپس دراز
اين درازى مدت ازتيزى صنع ... مى نمايد سرعت انكيزى صنع

قال الإمام الشعراني رضي الله عنه في «كتاب الجواهر»: تقليب العالم واقع في كل نفس من حال إلى حال فلا يثبت على حالة واحدة زماناً فرداً لكن التغيير إنما يقع في الصفات لا في الأعيان فلم يزل الحق تعالى خلاقاً على الدوام انتهى ومنه يعرف طواف الكعبة ببعض الرجال واستقبالها لهم كما وقع ذلك لرابعة العدوية رضي الله عنها وغيرها وحقيقة هذا المقام لا تتضح إلا بالكشف التام ومن الله الملك العلام الفيض والإلهام.

﴿**ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه**﴾ أي: ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي والخطرة الرديئة ومنه وساوس الحلي وبالفارسية وميدانيم آن چيزى راكه وسوسه ميكندمر اورابدان نفس اوار انديشهاى بد. والضمير لما أن جعلت موصولة والباء كما في صوت بكذا وهمس به يعني أنها صلة أو للإنسان إن جعلت مصدرية والباء للتعدية أي: ما تجعله موسوساً فإن النفس تجعل الإنسان قائماً به الوسوسة قال في «الكشاف»:

ما مصدرية لأنهم يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه وفيه إشارة إلى أن الله تعالى كما يعلم حال الإنسان قبل خلقه علماً ثبوتياً كذلك يعلمه بعد خلقه علماً فعلياً ودخل فيه ما توسوس به نفسه فإنه مخلوق الله أيضاً لا يخفى عليه مخلوقه مطلقاً ودخل فيما توسوس به نفسه شهواته المطلوب الاستيفاؤها وسوء خلقه واعتقاده الفاسد وغير ذلك من أوصاف النفس توسوس بذلك لتشوش عليه قلبه ووقته وفيه دخل آدم عليه السلام فإن الله تعالى خلقه وعلم ما وسوست به نفسه في أكل الشجرة وذلك بإلقاء الشيطان.

قال بعض الكبار: ليس للشيطان على باطن الأنبياء من سبيل فخواطرهم لا حظ للشيطان فيها فهو يأتيهم في ظاهر الحس فقط ولا يعملون بما يقول لهم ثم إن من الأولياء من يحفظ من الشيطان في علم الله تعالى فيكون بهذه المثابة في العصمة مما يلقى لا في العصمة من وصول ذلك إلى قلبه لأن الأولياء ليسوا بمشرعين بخلاف الأنبياء عصمت بواطنهم لكونهم أصحاب الشرائع.

قال بعض الكبار: ما من شخص من بني آدم إلا ويخطر له كل يوم وليلة سبعون ألف خاطر لا تزيد ولا تنقص عدد الملائكة الذين يدخلون البيت المعمور كل يوم فما من شخص إلا ويخلق من خواطره كل يوم سبعون ألف ملك ثم يرتفعون إلى جهة البيت المعمور فإذا خرج السبعون ألفاً من البيت المعمور كل يوم يجتمعون بالملائكة المخلوقين من الخواطر فيكون ذكرهم استغفاراً لأصحابهم إلى يوم القيامة ولكن من كان قلبه معموراً بذكر الله دائماً فالملائكة المخلوقون من خواطره يمتازون عن الملائكة الذين خلقوا من خواطر قلب ليس له هذا المقام وسواء كان الخاطر فيما ينبغي أو فيما لا ينبغي فالقلوب كلها من هذا البيت المعمور خلقت فلا تزال معمورة دائماً وكل ملك يتكون من الخاطر يكون صورة صالحة في علم الله لما نظر وإن كان هو في نفسه ملكاً سبح وقد لا يعلم ما خطر ﴿**ونحن أقرب إليه**﴾ أي: إلى الإنسان ﴿**من حبل الوريد**﴾ ازرك جان وى بوى. أي: أعلم بحاله ممن كان أقرب إليه من حبل الوريد وعبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزاً لأنه موجب له فأطلق الملزوم على اللازم وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقولهم هو مني بمعقد الإزار والحبل العرق شبه بواحد من الحبال من حيث الهيئة وإضافته بيانية وجوز الزمخشري كونها بمعنى اللام ويجوز أن تكون كإضافة لجين الماء على أن يكون الحبل على حقيقته والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين وهو عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه يردان من الرأس إليه فالوريد بمعنى الوارد وقيل سمي وريداً لأن الروح الحيواني يرده فالوريد حينئذ بمعنى المورود وفي «المفردات» الوريد عرق متصل بالكبد والقلب وفيه مجاري الروح وقوله: ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾ أي: من روحه انتهى. ما وردى فرموده كه حبل الوريد ركيست متصل بدل وعلم خداى تعالى ببنده نزديكتر نيست ازعلم دل وى.

وفي «التأويلات النجمية» حبل الوريد أقرب أجزاء نفسه إلى نفسه يشير به إلى أنه تعالى أقرب إلى العبد من نفس العبد إلى العبد فكما أنه كل وقت يطلب نفسه يجدها لأنها قريب منه فكذلك كل وقت يطلب ربه يجده لأنه قريب منه كما قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦] وفي الزبور: ألا من طلبني وجدني.

نحن أقرب كفت من حبل الوريد   توبكندى بئر فكرت را بعيد

أي كمان تيرها پرساخته صيد نزديك وتودور انداخته

وقال الشيخ سعدي:

دوست نزديكتر ازمن بمنست وين عجبتركه من ازوى دورم
چكنم باكه توان كفت كه او دركنار من ومن مهجورم

قال بعض الكبار: شدة القرب حجاب كما أن غاية البعد حجاب وإذا كان الحق أقرب إلينا من حبل الوريد فأين السبعون ألف حجاب التي بيننا وبينه فتأمل وقال البقلي: ولو يرى الإنسان نفسه لرأى هوان نفسه ألا ترى كيف أخبر عن كمال قربه بنعت الاتحاد بقوله: ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾ ولذلك قال عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» إذ لا نفس إلا هو إن فهمت ما قلت وإلا فاعلم أن الفعل قائم بالصفة والصفة قائمة بالذات فمن حيث عين الجمع ما هو إلا هو ولا تظن الحلول فإنه بذاته وصفاته منزه عن أن يكون له محل في الحوادث هذا رمز العاشقين ألا ترى إلى قول المجنون:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

وقال الواسطي: أي: نحن أولى به وأحق إنا جمعناه بعد الافتراق وأنشأناه بعد العدم ونفخنا فيه الروح فالأقرب إليه من هو أعلم به منه بنفسه وقال أيضاً: بي عرفت روحك بي عرفت نفسك كل ذلك لإظهار النعوت على قدر طاقة الخلق فأما الحقيقة فلا يتحملها العبد سماعاً.

وقال الكاشفي: وببايد دانست كه قرب حق تعالى بى چون وچكونه باشد أي: عزيز كيفيت قرب جانراكه پيوسته است بتن درنمى توان يافت قرب حق راكه پيوسته از كيفيت مقدس ومنزه است چكونه ادراك توان كرد وهمين در مثنوى معنوي مذكوراست:

قرب بيچونست جانترابتو قرب حق راچون بدانى اي عمو
قرب نى بالاوپستي رفتن است قرب حق ازحبس هستى رستن است

دركشف الاسرار آورده كه قرب حق بحق آنست كه فرمود واسجد واقترب ودر احاديث قدسية واردست كه لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل وأين قرب أول بايمانست وتصديق وآخر باحسانست وتحقيق يعني مقام مشاهده كه أن تعبد الله كأنك تراه وقرب حق تعالى مر بنده را دوقسمست يكى كافه خلق رابعلم وقدرت كقوله وهو معكم أينما كنتم ديكر خواص دوكاه را بخصائص برو شواهد لطف كه ونحن أقرب إليه أول اورا قربتي دهد غيبى تا ازجهانش برها ندپس قرب بحد حقيقى تا ازآب وكلش باز برداز هستى موهوم بنده مى كاهد وازنيستى اصلى زياده ظهور ميكند تاچنانچه در اول خود بود درآخر خود باشد انجا علايق مرتفع كردد واسباب منقطع ورسوم باطل وحدود متلاشى وإشارات متناهى وعبارات منتفى وخبر منمحق وحق يكتا بخود باقي والله خير وأبقى:

رأيت حبي بعين قلبي فقال من أنت قلت أنتا
أنا الذي جزت كل حد بمحو أيني فأين أنتا
موج بحر لمن الملك برايد نا كاه غرقه كردند دران بحرچه درويش وچه شاه
خرمن هستى موهوم چنان سوزاند آتش عشق كه نه دانه بماند نه كاه

قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها فنظرت فإذا أنا هو أي: إن من انسلخ من شهوات نفسه وهواها وهمها فلا يبقى فيه متسع لغير الله ولا يكون له هم سوى الله تعالى وإذا لم يحل في القلب إلا جلال الله وجماله حتى صار مستغرقاً يصير كأنه هو لا أنه هو تحقيقاً وفرق بين قولنا كأنه هو وبين قولنا هو هو لكن قد يعبر بهو هو عن قولنا كأنه هو كما يقال زيد أسد في مقام التشبيه مبالغة في الشجاعة فإن قلت: ما معنى السلوك وما معنى الوصول؟ قلت: معنى السلوك هو تهذيب الأخلاق والأعمال والمعارف وذلك اشتغال بعمارة الظاهر والباطن والعبد في جميع ذلك مشغول بنفسه عن ربه إلا أنه مشتغل بتصفية باطنه ليستعد للوصول وإنما الوصول هو أن ينكشف له جلية الحق ويصير مستغرقاً به فإن نظر إلى معرفته فلا يعرف إلا الله وإن نظر إلى همه فلا هم له سواه فيكون كله مشغولاً بكله مشاهدة وهماً لا يلتفت في ذلك إلى نفسه ليعمر ظاهره بالعبادة وباطنه بتهذيب الأخلاق وكل ذلك طهارة وهي البداية وإنما النهاية أن ينسلخ عن نفسه بالكلية ويتجرد له فيكون كأنه هو وذلك هو الوصول كما في «شرح الأسماء الحسنى» للإمام الغزالي رحمه الله.

﴿**إذ يتلقى المتلقيان**﴾ منصوب باذكر وهو أولى لبقاء قوله ﴿**ونحن**﴾ إلخ على إطلاقه أو بما في أقرب من معنى الفعل والتلقي الأخذ والتلقن بالحفظ والكتابة والمعنى: أنه لطيف يتوصل علمه إلى ما لا شيء أخفى منه وهو أقرب إلى الإنسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن ويأخذ الحفيظان أي: الملكان الموكلان بالإنسان ما يتلفظ به وفيه أي: على الوجه الثاني إيذان بأنه تعالى غني عن استحفاظهما لإحاطة علمه بما يخفى عليهما وإنما ذلك لما في كتبهما وحفظهما لأعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الأشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه بإحاطته تعالى بتفاصيل أحواله خبراً من زيادة اللطف له في الكف عن السيئات والرغبة في الحسنات وعنه عليه السلام «إن مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما» وأنت تجري فيما لا يعنيك لا تستحي من الله ولا منهما وقد جوز أن يكون تلقي الملكين بياناً للقرب على معنى أنا أقرب إليه مطلعون على أعماله لأن حفظتنا وكتبتنا موكلون به.

﴿**عن اليمين**﴾ هو أشرف الجوارح وفيه القوة التامة ﴿**وعن الشمال**﴾ هو مقابل اليمين ﴿**قعيد**﴾ أي: عن جانب اليمين قعيد أي: مقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظاً ومعنى فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما في قوله ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

﴿**ما يلفظ من قول**﴾ ما يرمي به من فيه من خير أو شر والقول أعم من الكلمة والكلام ﴿**إلا لديه**﴾ مكر نزديك أو ﴿**رقيب**﴾ ملك يرقب قوله ذلك ويكتبه فإن كان خيراً فهو صاحب اليمين بعينه وإلا فهو صاحب الشمال ﴿**عتيد**﴾ أي معد مهيأ لكتابة ما أمر به من الخير أو الشر فهو حاضر أينما كان وبالفارسية رقيب نكهباني وديده بانى بود عتيد آماده في الحال نويسد. والإفراد حيث لم يقل رقيبان عتيدان مع وقوفهما معاً على ما صدر عنه لما أن كلاً منهما رقيب لما فوض إليه لا لما فوض إلى صاحبه كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿**عتيد**﴾ وتخصيص القول بالذكر لإثبات الحكم في الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه، فقيل: يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه وقيل إنما يكتبان ما فيه أجر ووزر وهو الأظهر كما ينبىء عنه قوله عليه السلام: «كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات

أمير أمين على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشراً وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر» قيل: إن الملائكة يجتنبون الإنسان عند غائطه وعند جماعه لذا كره الكلام في الخلاء وعند قضاء الحاجة أشد كراهة لأن الحفظة تتأذى بالحضور في ذلك الموضع الكريه لأجل كتابة الكلام فإن سلم عليه في هذه الحالة قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: يرد السلام بقلبه لا بلسانه لئلا يلزم كتابة الملائكة فإنهم لا يكتبون الأمور القلبية وكذا يحمد الله بقلبه عند العطاس في بيت الخلاء وكذا يكره الكلام عند الجماع وكذا الضحك في هذه الحالة فلا بد من حفظ اللسان وفي الحديث: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

ابلهى از صرفه زر ميكنى صرفه كفتار كن ار ميكنى

مصلحت تست زبان زيركام تيغ پسنديده بود درنيام

وفي الحديث: «إن ملائكة الليل وملائكة النهار يصلون معكم العصر فتصعد ملائكة النهار وتمكث ملائكة الليل فإذا كان الفجر نزل ملائكة النهار ويصلون الصبح فتصعد ملائكة الليل وتمكث ملائكة النهار وما من حافظين يرفعان إلى الله ما حفظا فيرى الله في أول الصحيفة خيراً وفي آخرها خيراً إلا قال للملائكة اشهدوا أني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة» كما في «كشف الأسرار» وفي الحديث: «نظفوا لثاتكم» جمع لثة بالكسر وفتح الثاء المخففة وهي اللحمة التي فوق الأسنان ودون الأسنان وهي منابتها والعمور اللحمة القليلة بين السنين واحدها عمر بفتح العين فأمر بتنظيفها لئلا يبقى فيها وضر الطعام فتتغير منه النكهة وتتنكر الرائحة ويتأذى المكان لأنه طريق القرآن ومقعد الملكين عند نابيه.

- وروي - في الخبر في قوله ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ قال عند نابيه كما في «تفسير القرطبي» في سورة البقرة وفي الحديث: «نقوا براجمكم» وهي مفاصل الأصابع والعقد التي على ظهرها يجتمع فيها من الوسخ واحدها برجمة بضمتي الباء والجيم وسكون الراء بينهما وهو ظهر عقدة كل مفصل فظهر العقدة يسمى برجمة وما بين العقدتين يسمى راجبة وجمعها رواجب وذلك مما يلي ظهرها وهو قصبة الأصابع فلكل أصبع برجمتان وثلاث رواجب إلا الإبهام فإن له برجمة وراجبتين فأمر بتنقيته لئلا يدرن فيبقى فيه الجنابة ويحول الدرن بين الماء والبشرة والجنب لا تقربه ملائكة الرحمن إلى أن يتطهر وعن مجاهد قال: أبطأ جبريل عليه السلام على النبي عليه السلام ثم أتاه فقال له عليه السلام: ما حبسك يا جبريل؟ قال: «وكيف آتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تأخذون من شواربكم ولا تنقون براجمكم ولا تستاكون ثم قرأ ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤]» كما في «سفينة الأبرار» وفي الخبر النبوي قال عليه السلام: «نقوا أفواهكم بالخلال فإنها مجلس الملكين الكريمين الحافظين وإن مدادهما الريق وقلمهما اللسان وليس عليهما شيء أمر من بقايا الطعام بين الأسنان» كما في «أسئلة الحكم» قال الإمام حجة الإسلام: أليس الله منع الجنب والمحدث عن الدخول إلى بيته ومس كتابه فقال عز من قائل: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ [النساء: ٤٣] وقال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٩] مع أنهما أثر مباح فكيف بمن هو منغمس في قذر الحرام ونجاسة السحت والشبهة مع من يدعى إلى خدمة الله العزيز وذكره الشريف وصحبته الطاهرة سبحانه كلا لا يكون ذلك أبداً كما في «الأسرار المحمدية» إخواني فكر القلب في

المباحات يحدث له ظلمة فكيف تدابير الحرام إذا غير المسك الماء منع الوضوء به فكيف ولوغ الكلب كما في «درياق الذنوب» لأبي الفرج بن الجوزي وفي الحديث: «إن لله ملكاً على بيت المقدس ينادي كل ليلة ألا كل من أكل حراماً لم يقبل منه صرف ولا عدل» فالصرف النافلة والعدل الفريضة كما في «الإحياء» وإطلاق الآية يدل على أن للكفار كتاباً وحفظة فإن قيل فالذي يكتب عن يمينه إذاً أي شيء يكتب ولم يكن لهم حسنات؟ يقال له: الذي عن شماله يكتب بإذن صاحبه ويكون شاهداً على ذلك وإن لم يكتب كما في «بستان العارفين» وفائدة حضور صاحب اليمين احتمال الإيمان وهو اللائح بالبال وفي الحديث: «إن الله تبارك وتعالى وكل بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله فإذا مات قال الملكان اللذان وكلا به يكتبان عمله قد مات فلان فتأذن لنا فنصعد إلى السماء فيقول الله تعالى «سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحون فيقولان فأين فيقول قوما على قبر عبدي فكبراني وهللاني واكتبا ذلك لعبدي إلى يوم القيامة».

قال بعض الكبار: من أهل البرزخ من يخلق الله تعالى من همتهم من يعمل في قبورهم بغالب أعمالهم في الدنيا ويكتب الله تعالى لعبده ثواب ذلك العمل إلى آخر البرزخ كما وقع لثبات المنائي قدس سره فإنهم وجدوا في قبره شخصاً في صورته يصلي فظنوا أنه هو وإنما هو مخلوق من همته وكذلك المثالات المتخيلة في صور أهل البرازخ لأهل الدنيا في النوم واليقظة فإذا رؤي مثال أحدهم فهو إما ملك خلقه الله تعالى من همة ذلك الولي وإما مثال أقامه الله تعالى على صورته لتنفيذ ما شاء الله من حوائج الناس وغيرها فأرواح الأولياء في البرزخ ما لها خروج منه أبداً وأما أرواح الأنبياء عليهم السلام فإنها مشرفة على وجود الدنيا والآخرة كما في «كتاب الجواهر» للشعراني ومن ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ضرب بعض الصحابة خباءه على قبر وهو لا يشعر أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك فأتى النبي عليه السلام فأخبره فقال عليه السلام: «هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر» كما في «حل الرموز».

يقول الفقير: بعض الآثار يدل على أن بعض الأرواح يطوف في الأرض كالصديق والفاروق رضي الله عنهما كما أشار إليه قوله عليه السلام: «إن لي وزيرين في الأرض: أبا بكر وعمر» وأيضاً إن المهدي رضي الله عنه إذا خرج يستصحب أصحاب الكهف وروحانية شخصين من كمل هذه الأمة وأيضاً قد اشتهر في الروايات خروج بعض الأرواح من القبور في بعض الأيام والليالي والشهور بإذن الملك الغفور إلا أن يؤول كل ذلك والعلم عند الله تعالى.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير أن من لم يعرف قدر قربي إليه ويكون بعيداً مني بخصاله الذميمة وفعاله الرديئة ولم أرض بأن أكون رقيبه أوكل عليه رقيبين **﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾** يكتب بقلم حركاته ومداد نيته على صحيفة قلبه فإن كانت حركاته شرعية ونيته صافية تجيء كتابته نورانية وإن كانت حركاته طبيعية حيوانية ونيته هوائية شهوانية تجيء كتابته ظلمانية نفسانية فمن هنا تبيض وجوه وتسود وجوه وفيه أيضاً إشارة إلى كمال عنايته في حق عباده إذ جعل على كل واحد رقيبين من الملائكة المقربين ليحفظوه بالليل والنهار إذا كان قاعداً فواحد عن يمينه وواحد عن شماله وإذا نام فواحد عن رأسه وواحد عن قدمه وإذا كان ماشياً فواحد بين يديه وآخر خلفه ويقال هما اثنان بالليل لكل واحد واثنان بالنهار ويقال بل الذي يكتب الخيرات كل يوم آخران والذي يكتب الشر والزلة كل يوم هو الذي كان بالأمس ليكثر

شهود الطاعة غداً وتقل شهود المعصية ويقال بل الذي يكتب المعصية كل يوم اثنان آخران لئلا يعلم من مساويك إلا القليل منهم فيكون علم المعاصي متفرقاً فيهم انتهى.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق**﴾ السكرة استعارة لشدة الموت وغمرته الذاهبة بالعقل إنما لم يجعل الموت استعارة بالكناية ثم إثبات السكرة له تخييلاً لأن المقام أدعى للاستعارة التحقيقية وعبر عن وقوعها بالماضي إيذاناً بتحققها وغاية اقترابها حتى كأنها قد أتت وحضرت كما قيل: قد أتاكم الجيش: أي قرب إتيانه والباء إما للتعدية كما في قولك: جاء الرسول بالخبر والمعنى حضرت سكرة الموت أي: شدته التي تجعل الإنسان كالسكران بحيث تغشاه وتغلب على عقله حقيقة الأمر الذي نطق به كتاب الله ورسله أو حقيقة الأمر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وإما للملابسة كالتي في قوله تعالى ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] أي: ملتبسة بالحق أي: بحقية الأمر أو بالحكمة والغاية الجميلة وقال بعضهم: أتت وحضرت بأمر الله الذي هو حق.

ـ وحكي ـ أن رجلاً أتى عمر رضي الله عنه فقال: إني أحب الفتنة وأكره الحق وأشهد بما لم أره فحبسه عمر رضي الله عنه فبلغت قصته علياً رضي الله عنه فقال: يا عمر حبسته ظلماً فقال: كيف ذلك قال: لأنه يحب المال والولد قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] ويكره الموت وهو الحق قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩] ويشهد بأن الله الواحد لم يره فقال عمر: لولا علي لهلك عمر ﴿**ذلك**﴾ أي: يقال للميت بلسان الحال وإن لم يكن بلسان القال أو تقول ملائكة ذلك الموت يا إنسان ﴿**ما**﴾ موصولة أي: الأمر الذي ﴿**كنت**﴾ في الدنيا ﴿**منه**﴾ متعلق بقوله: ﴿**تحيد**﴾ من حاد عنه يحيد حيداً إذا مال عنه أي: تميل وتهرب منه وبالفارسية مى كريختى ومى ترسيدى واورا مكروه ميداشتى. بل تحسب أنه لا ينزل عليك بسبب محبتك الحياة الدنيا كما في قوله: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤] أي: أقسمتم بألسنتكم بطراً وأشراً وجهلاً وسفهاً أو بألسنة الحال حيث بنيتم مشيداً وأملتم بعيداً ولم تحدثوا أنفسكم بالانتقال منها إلى هذه الحالة فكأنكم ظننتم أنكم ما لكم من زوال مما أنتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنيوية فالخطاب في الآية للإنسان المتقدم على طريق الالتفات فإن النفرة عن الموت شاملة لكل فرد من أفراده طبعاً ويعضده ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أخذت أبا بكر غشية من الموت فبكيت عليه فقلت:

من لا يزال دمعه مقنعاً ... لا بد يوماً أنه مهراق

فأفاق أبو بكر رضي الله عنه فقال: بل جاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد وما روي أنها قالت: «إن من نعم الله علي أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وبين سحري ونحري وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته» ودخل عبد الرحمٰن بن أبي بكر رضي الله عنه علي وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك فقلت: آخذه لك فأشار برأسه أن نعم فتناوله فاشتد عليه فقلت: ألينه لك فأشار برأسه أن نعم فلينته فأمره وبين يديه ركوة فيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده» وجوز في

«الكشاف» أن تكون الإشارة إلى الحق والخطاب للفاجر وهذا هو الظاهر لأن الكلام في الفجار قاله سعدي المفتي وفي الحديث القدسي: «وما رددت في شيء أنا فاعله» بتشديد الدال يعني ما رددت ملائكتي الذين يقبضون الأرواح «ما رددت في قبض نفس عبدي المؤمن» أي: مثل ترديدي إياهم في قبض أرواح المؤمنين بأن أقول اقبضوا روح فلان ثم أقول لهم أخروه وفي بعض النسخ ما ترددت ولما كان التردد وهو التحير بين الشيئين لعدم العلم بأن الأصلح أيهما محالاً في حق الله تعالى حمل على منتهاه وهو التوقف يعني ما توقفت فيما أفعله مثل توقفي في قبض نفس المؤمن فإني أتوقف فيه وأريه ما أعددت له من النعم والكرامات حتى يميل قلبه إلى الموت شوقاً إلى لقائي يكره الموت استئناف عمن قال ما سبب ترددك أراد به شدة الموت لأن الموت نفسه يوصل المؤمن إلى لقاء الله فكيف يكرهه المؤمن «وأنا أكره مساءته» أي أذاه بما يلحقه من صعوبة الموت وكربه «ولا بد منه» أي: للعبد من الموت لا أنه مقدر لكل نفس كذا في «شرح المشارق» لابن الملك قال في «كشف الأسرار»: هر جندكه حالت مرك بظاهر صعب مى نمايد لكن دوستانرا اندران حال درباطن همه عزوناز باشد وازدوست هر لمحه راحتى ودر هر ساعتى خلعتى آيد مصطفى عليه السلام زينجا كفته «تحفة المؤمن الموت» هيج صاحب صدق از مرك نترسد حسين بن علي رضي الله عنهما بدررا ديدكه پيراهن حرب ميكرد كفت ليس هذا زي المحاربين على كفت ما يبالي أبوك أسقط على الموت أم سقط الموت عليه صدق زاد سفر مرك است ومرك راه بقاست وبقا سبب لقاست من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه عمار بن ياسر رضي الله عنه عمروى به نودسال رسيدنيزه دردست كرفتى ودستش مى لرزيدى مصطفى عليه السلام اورا كفته بود آخر قوت تواز طعام دنيا شربتى شير باشددر حرب صفين عمار حاضر بودنيزه دردست كرفته وتشنكى بروى افتاده شربتى آب خواست قدحى شيربوى دادندپادش آمد حديث مصطفى كه امروز روز دولت عمارست آن شربت بكشيد وپيش رفت وميكفت اليوم نلقى الأحبة محمداً وحزبه. وفي «المثنوي»:

همچنين باد اجل باعارفان نرم وخوش همچون نسيم يوسفان
آتش ابراهيم را دندان نزد چون كزيده حق بود چونش كزد
پس رجال ازنقل عالم شادمان وزبقايش شادمان اين كود كان
چونكه آب خوش نديدآن مرغ كور پيش اوكوثر نمايد آب شور

وعن صاحب «المثنوي» أنه لما حضره الموت ورأى ملك الموت عند الباب قال:

پيش تراپيش ترجان من پيك در حضرت سلطان من

قالوا ينزل عند الموت أربعة من الملائكة: ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى، وملك يجذبها من قدمه اليسرى، وملك يجذبها من يده اليمنى، وملك يجذبها من يده اليسرى فيجذبونها من أطراف البنان ورؤوس الأصابع، ونفس المؤمن المطيع تنسل انسلال القطرة من السقاء وأما الفاجر فينسل روحه كالسفود من الصوف المبلول وهو يظن أن بطنه قد ملئت شوكاً وكأن نفسه تخرج من ثقب إبرة وكأن السماء انطبقت على الأرض وهو بينهما فإن قلت مع وجود هذه السكرات لم لا يصيح المحتضر كما يصيح من به ألم من الضرب وغيره قلت إنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وإنما ينقطع صوت الميت وصياحه مع شدته لأن الكرب قد بولغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل موضع منه أعني البدن فهدّ كل

قوة وأضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة.

قال وهب بن منبه: بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يرى الملكين اللذين كانا يحفظان عمله في الدنيا فإن صحبهما بخير قالا: جزاك الله خيراً فرب مجلس خير قد أجلستنا وعمل صالح قد أحضرتنا وإن كان رجل سوء قالا جزاك الله شراً فرب مجلس قد أجلستنا ورب كلام سوء قد أسمعتنا قال فذلك الذي يشخص بصر الميت ثم لا يرجع إلى الدنيا أبداً. قال الشيخ سعدي:

دريغست فرموده ديوزشت   كه دست ملك برتو خواهد نوشت
روا داري از جهل وناپاكيت   كه پاكان نويسند ناپاكيت

وربما كشف للميت عن الأمر الملكوتي قبل أن يغرغر فعاين الملائكة على حقيقة عمله أي: على صور هي حقائق أعماله فإن كانت أعماله حسنة يراهم على صورة حسنة وإن كانت سيئة فعلى صور قبيحة ثم مراتب الحسن والقبح متفاوتة بحسب حسن الأعمال وقبحها وبحسب أنواعها فالملائكة لا يراهم البشر على ما يتحيزون إليه من عالمهم إلا ما كان من النبي عليه السلام من رؤية جبريل مرتين على صورته الأصلية.

وفي «التأويلات النجمية»: إذا أشرف الناس على الخروج من الدنيا فأحوالهم تختلف فمنهم من يزداد في ذلك الوقت خوفه ولا يتبين حاله إلا عند ذهاب الروح ومنهم من يكاشف قبل خروجه فيسكن روعه ويحفظ عليه قلبه ويتم له حضوره وتمييزه فيسلم الروح على مهل من غير استكراه وعبوس ومنهم ومنهم وفي معناه يقول بعضهم:

أنا إن مت فالهوى حشو قلبي   وابتداء الهوى بموت الكرام

قال بعض الكبار: إن السيد عبد القادر الجيلي قدس سره لما حضرته الوفاة وضع خده على الأرض وقال: هذا هو الحق الذي كنا عنه في حجاب فشهد على نفسه بأن مقام الإدلال الذي كان فيه نقص بالنسبة إلى حاله الذي ظهر له عند الموت وتمم الله حاله عند الموت ومات على الكمال وعكس هذا ما حكي أن مولانا حميد الدين أخذه اضطراب عظيم في مرض موته فقيل له: أين علومك ومعارفك؟ فقال: يطلبون منا القلب وأحوال القلب وذلك غير موجود عندنا فالاضطراب من تلك الجهة.

- وروي - لبعضهم كلمات عالية ثم رؤي حالة الرحلة في غاية التشوش وقد ذهب عنه التحقيقات وذلك لأن الأمر الحاصل بالتكلف لا يستقر حال المرض والهرم فكيف حال مفارقة الروح فلذا انتقل البعض في مقام القبض والهيبة وقد روي أن بعضهم ضحك عند الموت وقال ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٦١] وبعضهم بكى وقال: ما لهذا نسعى طول عمرنا وأراد تجلي الله تعالى عند ذلك فإذا كان حال أرباب الأحوال هكذا فما ظنك بأحوال غيرهم وقد قالوا: إن سكرات الموت بحسب الأعمال والأحوال وقد تظهر صفات حسنها وقبحها عند الموت فالمغتاب تقرض شفاهه بمقاريض من نار والسامع للغيبة يسلك في أذنيه نار جهنم وآكل الحرام يقدم له الزقوم كذلك إلى آخر أعمال العبد كل ذلك يظهر عند سكرات الموت فالميت يجوزها سكرة بعد سكرة فعند آخرها يقبض روحه وكان عليه السلام يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت وإنما لا يستعيذ أكثر الناس من الموت ومن أهواله وسكراته لما غلب عليهم من الجهل فإن الأشياء قبل وقوعها إنما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف

الأنبياء والأولياء من الموت:

يا من بدنياه اشتغل وغره طول الأمل
الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

قال الحافظ:

سپهر برشده پرويزنيست خون افشان كه ريزه اش سركسرى وتاج پرويزست
بدان اي جوانمردكه از عهد آدم تافناى عالم كس ازمرك نرست تونيز نخواهى رست

الموت كاس وكل الناس شاربه:

خانه پر كندم ويك جو نفرستاده بكور غم مركت چوغم برك زمستانى نيست

﴿ونفخ في الصور﴾ هي النفخة الثانية وهي نفخة البعث والنشور والنافخ إسرافيل عليه السلام وقد سبق الكلام في الصور ﴿ذلك﴾ أي: وقت ذلك النفخ على حذف المضاف ﴿يوم الوعيد﴾ أي: يوم إنجاز الوعيد الواقع في الدنيا وتحقيقه والوعيد التهديد أو يوم وقوع الوعيد على أنه عبارة عن العذاب الموعود وتخصيص الوعيد بالذكر مع أنه يوم الوعد أيضاً لتهويله ولذا بدىء ببيان حال الكفرة

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿وجاءت﴾ ومى آيد دران روز بعرصه محشر ﴿كل نفس﴾ من النفوس البرة والفاجرة ﴿معها﴾ إلخ محله النصب على الحالية من كل لإضافته إلى ما هو في حكم المعرفة كأنه قيل كل النفوس ﴿سائق وشهيد﴾ وإن اختلف كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملاً أي: معها ملكان أحدهما يسوق إلى المحشر والآخر يشهد بعملها خيراً أو شراً وفي «كشف الأسرار»: يسوق الكافر سائقه إلى النار ويشهد الشهيد عليه بمعصيته ويسوق السائق المؤمن إلى الجنة ويشهد الشهيد له بطاعته انتهى وهل الملكان الكاتبان في الدنيا هما اللذان ذكرهما الله في قوله سائق وشهيد أو غيرهما فيه خلاف كما في «فتح الرحمٰن» أو معها ملك جامع بين الوصفين كأنه قيل معها ملك يسوقها ويشهد لها أو عليها وقال الواسطي سائقها الحق وشهيدها الحق أي: بالنظر إلى الحقيقة في الدنيا والآخرة.

﴿لقد كنت في غفلة من هذا﴾ الغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور وفي «المفردات» سهو يعتري من قلة التحفظ والتيقظ والمعنى يقال له يوم القيامة أو وقت النشور أو وقت العرض لقد كنت أيها الشخص في الدنيا في غفلة من هذا اليوم وغوائله وفي «فتح الرحمٰن» من هذا النازل بك اليوم وقال ابن عباس رضي الله عنهما من عاقبة الكفر وفي «عين المعاني» أي: من السائق والشهيد وخطاب الكل بذلك لما أنه ما من أحد إلا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرىء كنت بكسر التاء على اعتبار تأنيث النفس وكذا الخطابات الآتية ﴿فكشفنا﴾ أي: أزلنا ورفعنا ﴿عنك غطاءك﴾ الذي كان على بصرك والغطاء الحجاب المغطى لأمور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والإلفة بها وقصر النظر عليها قال في «المفردات»: الغطاء ما يجعل فوق الشيء من لباس ونحوه كما أن الغشاء كذلك وقد استعير للجهالة قال تعالى: فكشفنا الآية. يعني برداشتيم ازديده توپوشش جهل وغفلت

تراتا هرچه شنوده بودى معاينه بيني وحقيقتش ادراك ميكنى. وفي «الكواشي» أو الغطاء القبر أي: أخرجناك منه ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ أي: نافذ وبالفارسية تيزست. تبصر ما كنت تنكره وتستبعده في الدنيا لزوال المانع للإبصار ولكن لا ينفعك وهذا كقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم: ٣٨] يقال: حددت السكين رققت حدها ثم يقال لكل حاذق في نفسه من حيث الخلقة أو من حيث المعنى كالبصر والبصيرة حديد فيقال هو حديد النظر وحديد الفهم ويقال لسان حديد نحو لسان صارم وماض وذلك إذا كان يؤثر تأثير الحديد وفي الآية إشارة إلى أن الإنسان وإن خلق من عالمي الغيب والشهادة فالغالب عليه في البداية الشهادة وهي العالم الحسي فيرى بالحواس الظاهرة العالم المحسوس مع اختلاف أجناسه وهو بمعزل عن إدراك عالم الغيب فمن الناس من يكشف الله غطائه عن بصر بصيرته فيجعل بصره حديداً يبصر رشده ويحذر شره وهم المؤمنون من أهل السعادة ومنهم من يكشف الله عن بصر بصيرته يوم القيامة يوم لا ينفع نفساً إيمانها وهم الكفار من أهل الشقاوة:

كرت رفت ازاندازه بيرون بدى ... چو كفتى كه بدرفت نيك آمدى
فراشو چو بينى در صلح باز ... كه ناكه درتوبه كردد فراز
كنون باخردبايد انباز كشت ... كه فردا نماند ره باز كشت

ومن كلمات أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً:

حال خلد وجحيم دانستم ... بيقين آنچنانكه مى بايد
كر حجاب ازميانه بركيرند ... آن يقين ذره نيفزايد

يعني أن عين اليقين الحاصل لأهل الحجاب في الآخرة حاصل لأهل الكشف في الدنيا فإنهم ترقوا من علم اليقين إلى عين اليقين في هذه الدار فطابوا وقتاً فكأنهم في الجنان في الحال وكل يوم لهم يوم المزيد وفيه إشارة إلى سر عظيم وهو أن أهل النار يزول عن أبصارهم الحجب المانعة عن اليقين والعيان وذلك بعد احتراق ظواهرهم وبواطنهم أحقاباً كثيرة فيرون إذ ذاك من أثر الجمال ما رآه العارفون في هذه الدار فحينئذ لا يبقى للعذاب خطر إذ الاحتراق على الشهود سهل ألا ترى إلى النسوة اللاتي قطعن أيديهن كيف لم يكن لهن حس بالقطع على شهود يوسف ولكن ليس لأهل النار نعيم كأكل وشرب ونكاح فاعرف.

﴿وقال قرينه﴾ وكويد همنشين او. يعني الشيطان المقيض له مشيراً له ﴿هذا ما لدي عتيد﴾ أي: هذا ما عندي وفي ملكتي ومقدوري عتيد لجهنم قد هيأته لها بإغوائي وإضلالي وقيل: قال الملك الموكل به يعني الرقيب الذي سبق ذكره مشيراً إلى ما هو من كتاب عمله هذا مكتوب عندي عتيد مهيأ للعرض فإن كان العبد من أهل الإيمان والجنة أحضر كتاب حسناته لأن سيئاته قد كفرت وإن كان من أهل الكفر والنار أحضر كتاب سيئاته لأن حسناته حبطت بكفره وما إن جعلت موصوفة فعتيد صفتها وإن جعلت موصولة فهي بدل منها أو خبر بعد خبر أو خبر لمبتدأ محذوف فعلى العاقل أن لا يطع الشيطان ولا يلتفت إلى إغوائه في كل زمان ومكان فإنه يدعو إلى النار وقهر الجبار.

ـ روي ـ أن النبي عليه السلام سار ليلة المعراج فرأى عجوزاً على جنب الطريق فقال: ما هذه يا جبريل؟ فقال: سر يا محمد فسار ما شاء الله فإذا بشيء يدعوه متنحياً عن الطريق يقول: هلم يا محمد وأنه عليه السلام مر بجماعة فسلموا عليه وقالوا: السلام عليك يا أول السلام

عليك يا آخر فقال جبريل اردد عليهم السلام» فرد ثم قال جبريل أما العجوز فالدنيا ولم يبق من الدنيا إلا ما بقي من عمر تلك العجوز أما لو أجبتها لاختار أمتك الدنيا على الآخرة وأما الذي دعاك فإبليس وأما الذين سلموا عليك فإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام قال بعض العارفين: خلق الله إبليس ليميز به العدو من الحبيب والشقي من السعيد فخلق الله الأنبياء ليقتدي بهم السعداء وخلق إبليس ليقتدي به الأشقياء ويظهر الفرق بينهما فإبليس دلال وسمسار على النار والخلاف وبضاعته الدنيا ولما عرضها على الكافرين قيل ما ثمنها قال: ترك الدين فاشتروها بالدين وتركها الزاهدون وأعرضوا عنها والراغبون فيها لم يجدوا في قلوبهم ترك الدين ولا ترك الدنيا فقالوا له: أعطنا مذاقة منها حتى ننظر ما هي فقال إبليس: أعطوني رهناً فأعطوه سمعهم وأبصارهم ولذا يحب أرباب الدنيا استماع أخبارها ومشاهدة زينتها لأن سمعهم وأبصارهم رهن عند إبليس فأعطاهم المذاقة بعد قبض الرهن فاستمعوا من الزهاد عيب الدنيا ولم يبصروا قبائحها بل استحسنوا زخارفها ومتاعها فلذلك قيل: حبك الشيء يعمي ويصم وقال بعضهم: خلق الله إبليس ليكون المؤمن في كنف رعاية المولى وحفظه لأنه لولا الذئب لم يكن للغنم راع وخلق الله إبليس من ظلمة وخبث وطبعه على العداوة نسأل الله الحفظ والعصمة منه.

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿ألقيا في جهنم﴾ خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد أو لملكين من خزنة النار أو لواحد وهو الملك الجامع للوصفين أو خازن النار على تنزيل تثنية الفاعل تثنية الفعل وتكريره للتأكيد كأنه قيل ألق ألق حذف الفعل الثاني ثم أتى بفاعله وفاعل الفعل الأول على صورة ضمير الاثنين متصلاً بالفعل الأول أو على أن الألف بدل من نون التأكيد على إجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده أنه قرىء ألقين بالنون الخفيفة مثل ﴿لَنَسْفَعًا﴾ [العلق: ١٥] فإنه إذا وقف على النون تنقلب ألفاً فتكتب بالألف على الوقف ووجه آخر هو أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان يعني أدنى الأعوان في السفر اثنان فكثر في ألسنتهم أن يقولوا خليلي وصاحبي وقفا وأسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين كما قال امرؤ القيس:

خليلي مرا بي على أم جندب ... لتقضي حاجات الفؤاد المعذب
ألم تر أني كلما جئت طارقاً ... وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

فثنى في البيت الأول ووحد في البيت الثاني **﴿كل كفار﴾** كل مبالغ في الكفر بالمنعم والنعم جاحد بالتوحيد معرض عن الإيمان وقيل كل كافر حامل غيره على الكفر **﴿عنيد﴾** معاند للحق يعرف الحق فيجحده والعناد أقبح الكفر وقال قتادة منحرف عن الطاعة وقال السدي مشتق من العند وهو عظم يعترض في الحلق أو معجب بما عنده كأنه من قولهم عندي كذا كما في «عين المعاني» وقال في «المفردات» العنيد المعجب بما عنده والمعاند المتباهي بما عنده والعنود الذي يعند عن القصد أي: يميل عن الحق ويرده عارفاً به.

﴿مناع للخير﴾ كثير المنع للمال عن حقوقه مفروضة زكاة أو غيرها إن طبع على الشر والإمساك كما أن الكافر طبع على الكفر والعنيد طبع على العناد ومناع لجنس الخير أن يصل إلى أهله يحول بينه وبينهم والمنع ضد العطية يقال: رجل مانع ومناع أي: بخيل وقد يقال في

الحماية ومنه مكان منيع وقيل المراد بالخير الإسلام فإن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني أخيه منه وكان يقول: من دخل منكم فيه لم أنفعه بخير ما عشت ﴿معتد﴾ الاعتداء مجاوزة الحق أي: ظالم متخطٍ للحق معاد لأهله ﴿مريب﴾ شاك في الله وفي دينه فهو صيغة نسبة بمعنى ذي شك وريب أي: موقع في الريبة وقيل متهم.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿الذي جعل مع الله إلهاً آخر﴾ مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره قوله: **﴿فألقياه في العذاب الشديد﴾** أو بدل من كل كفار وقوله فألقياه تكرير للتوكيد والفاء للإشعار بأن الإلقاء للصفات المذكورة وفي الحديث بينما الناس ينتظرون الحساب إذ بعث الله عنقاً من النار يتكلم فيقول: أمرت بثلاثة بمن دعا مع الله إلهاً آخر وبمن قتل بغير حق وبجبار عنيد فيلقطهم من الناس كما يلقط الطير الحب ثم يصيرهم في نار جهنم وفي «تفسير الفاتحة» للفناري يخرج عنق من النار أي: قبل الحساب والناس وقوف قد ألجمهم العرق واشتد الخوف وتصدعت القلوب لهول المطلع فإذا أشرف على الخلائق له عينان ولسان فصيح يقول يا أهل الموقف إني وكلت منكم بثلاثة وذلك ثلاث مرات إني وكلت بكل جبار عنيد فيلقطهم من بين الصفوف كما يلقط الطائر حب السمسم فإذا لم يترك أحداً منهم في الموقف نادى نداء ثانياً يا أهل الموقف إني وكلت بمن آذى الله ورسوله فيلقطهم كما يلقط الطائر حب السمسم بين الخلائق فإذا لم يترك منهم أحداً نادى ثالثاً يا أهل الموقف إني وكلت بمن ذهب يخلق كخلق الله فيلقط أهل التصاوير وهم الذين يصورون الكنائس لتعبد تلك الصور والذين يصورون الأصنام وهو قوله: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات: ٩٥] وكانوا ينحتون لهم الأخشاب والأحجار ليعبدوها من دون الله فيلقطهم من بين الصفوف كما يلقط الطائر حب السمسم فإذا أخذهم الله عن آخرهم وبقي الناس وفيهم المصورون الذين لا يقصدون بتصويرهم عباداتها حتى يسألوا عنها لينفخوا فيها أرواحاً تحيا بها وليسوا بنافخين كما ورد في الخبر في المصورين فيقفون ما شاء الله ينتظرون ما يفعل الله بهم والعرق قد ألجمهم» وفي الآية إشارة إلى الهوى والدنيا فمن عبدهما وجعلهما إلهين آخرين مع الله عذب بطلب الدنيا بالحرص والغفلة.

قال العطار قدس سره:

چشم كرسنه سير زنعمت نمى شود غربال را زكثرت حاصل چه فائده

﴿قال قرينه﴾ بغير واو لأن الأول خطاب للإنسان من قرينه ومتصل بكلامه والثاني استئناف خاطب الله سبحانه من غير اتصال بالمخاطب وهو قوله **﴿ربنا ما أطغيته﴾** وكذلك الجواب بغير واو وهو قال **﴿لا تختصموا لدي﴾** وكذلك **﴿ما يبدل القول لدي﴾** فجاء الكل على نسق واحد كما في «برهان القرآن» أي: قال الشيطان المقيض للكافر. قال الكاشفي: چون خواهندكه كافر را در دوزخ افكنند كويد مراچه كناهست كه ديوبرمن مسلط بود ومراكمراه كردانيد دبورا حاضر سازند تكذيب ميكند. ودل على هذا التقاول والسؤال المحذوف قوله **﴿لا تختصموا﴾** **﴿ربنا﴾** أي: بروكارما **﴿ما أطغيته﴾** أي: ما جعلته طاغياً وما أوقعته في الطغيان وهو تجاوز الحد في العصيان **﴿ولكن كان﴾** هو بالذات **﴿في ضلال بعيد﴾** من الحق طويل لا

يرجع عنه فأعنته عليه بالإغواء والدعوة إليه من غير قسر وإلجاء كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢] وذلك فإن إغواء الشيطان إنما يؤثر فيمن كان مختل الرأي مائلاً إلى الفجور ضالاً عن طريق الحق واقعاً دونه بمراحل وفي الحديث إنما أنا رسول وليس إلي من الهداية شيء ولو كانت الهداية إلي لآمن كل من في الأرض وإنما إبليس مزين وليس له من الضلالة شيء ولو كانت الضلالة إليه لأضل كل من في الأرض ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

﴿قال﴾ كأنه قيل فماذا قال الله لابن آدم وشيطانه المقيض له في الدنيا فقيل قال تعالى. ﴿لا تختصموا لدي﴾ أي: في موقف الحساب والجزاء إذ لا فائدة في ذلك قال بعضهم: هذا الخطاب في الكفار وأما قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣١] ففي المؤمنين في المظالم فيما بينهم لأن الاختصام في الظالم مسموع وهذا في الموقف وأما قوله ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾ [ص: ٦٤] ففي جهنم فظهر التوفيق بين الآيات ﴿وقد قدمت إليكم بالوعيد﴾ على الطغيان في دار الكسب والتكليف في كتبي وألسنة رسلي فما تركت لكم حجة علي فلا تطمعوا في الخلاص منه بما أنتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل للنهي على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم وعلمتم أني قدمت إليكم بالوعيد حيث قلت لإبليس ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥] فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام في هذا الوقت وإنما قدر المعنى هكذا ليصح جعله حالاً فإن مقارنة الحال لديها في الزمان واجبة ولا مقارنة بين تقديم الوعيد في الدنيا والاختصام في الآخرة والباء مزيدة أو معدية على أن قدم بمعنى تقدم.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿ما يبدل القول لدي﴾ أي: لا يغير قولي في الوعد والوعيد فما يظهر في الوقت هو الذي قضيته في الأزل لا مبدل له والعفو عن بعض المذنبين لأسباب داعية إليه ليس بتبديل فإن دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد يعني ولا مخصص في حق الكفار فالوعيد على عمومه في حقهم قال الجلال الدواني في «شرح العضد»: ذهب بعض العلماء إلى أن الخلف في الوعيد جائز على الله تعالى لا في الوعد وبهذا وردت السنة حيث قال عليه السلام: «من وعد لأحد على عمله ثواباً فهو منجز له ومن أوعده على عمله عقاباً فهو بالخيار والعرب لا تعد عيباً ولا خلفاً أن يعد شراً ثم لا يفعله بل ترى ذلك كرماً وفضلاً وإنما الخلف أن يعد خيراً ثم لا يفعله» كما قال:

وإنـــي إذا أوعـــدتـــه أو وعـــدتـــه ... لـمـخـلـف إيـعـادي ومـنـجـز مـوعـدي

وأحسن يحيى بن معاذ رضي الله عنه في هذا المعنى حيث قال: الوعد والوعيد حق فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم إذا فعلوا ذلك أن يعطيهم كذا ومن أولى بالوفاء من الله والوعيد حقه على العباد قال: لا تفعلوا كذا فأعذبكم ففعلوا فإن شاء عفا وإن شاء أخذ لأنه حقه وأولاهما العفو والكرم لأنه غفور رحيم فالله تعالى لا يغفر أن يشرك به فينجز وعيده في حق المشركين ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فيجوز أن يخلف وعيده في حق المؤمنين ولأهل الحقائق كلام آخر مذكور في محله عافانا الله وإياكم من بلائه ﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾ أي: وما

أنا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلاً عن كونه ظلماً مفرطاً لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من الظلم وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بإبراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على أنها مبالغة كماً لا كيفاً.

وقال بعضهم: يفهم من ظاهر العبارة جواز الظلم المحال منه تعالى إذا النفي مسلط على القيد الذي هو الظلامية والجواب على ما اختاره كثير من المحققين أن المبالغة مسلطة على النفي لا على القيد كما في قوله «ما أنا بكذوب» يعني: أن أصله ليس بظالم ثم نقل مع نفيه إلى صيغة المبالغة فكانت المبالغة راجعة إلى النفي على معنى أن الظلم منفي عنه نفياً مؤكداً مضاعفاً ولو جعل النفي داخلاً على صيغة المبالغة بأن ضعف ظالم بدون نفيه ثم أدخل عليه النفي لكان المعنى أن ضعف الظلم منفي عنه تعالى ولا يلزم منه نفي أصله والله تعالى منزه عن الظلم مطلقاً يقول الله تعالى: «إني حرمت الظلم على نفسي وحرمته على عبادي فلا تظالموا» ويقول الله تعالى: «اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصراً غيري»، وعن بعض السلف دعوتان أرجو إحداهما كما أخشى الأخرى: دعوة مظلوم أعنته ودعوة ضعيف ظلمته وكان من ديدن السلطان بسمرقند الامتحان بنفسه مرات لطلبة مدرسته المرتبين أعالي وأواسط وأداني بعد تعيين جماعة كثيرة من العدول غير المدرس للامتحان من الأفاضل حذراً من الحيف وكان يعد الحيف في الرتبة بين المستعدين من قبيل الكفر في الدين.

قال الشيخ سعدي:

چوخواهى كه فردا برى مهترى   مكن دشمن خويشتن كهترى
كه چون بكذرد برتواين سلطنت   بكيرد بقهرآن كدا دامنت

وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى قال: «هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي» فلا يبدل قوله تعالى فلا بد للجنة من أهلها وللنار من أهلها ولو عكس وجعل أهل الجنة في النار وأهل النار في الجنة لكان مخالفاً للحكمة لأن الجنة دار الجمال فهي مقر للمؤمنين والنار دار الجلال فهي مقر للكافرين كما أن القلب مقر الأوصاف الحميدة والنفس مقر الأوصاف الذميمة ولذا لا يدخل أهل النفس جنة القلب لأن النور والظلمة لا يجتمعان فاعرف.

﴿يوم﴾ أي: اذكر يا محمد لقومك ويشمل كل من شأنه الذكر يوم ﴿نقول﴾ بما لنا من العظمة ﴿لجهنم﴾ دار العذاب وسجن الله للعصاة ﴿هل امتلأت﴾ بمن ألقي فيك وهل أوفيك ما وعدتك وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨] وقوله: «لكل واحدة منكما ملؤها» فهذا السؤال من الله لتصديق خبره وتحقيق وعده والتقريع لأهل عذابه والتنبيه لجميع عباده ﴿وتقول﴾ جهنم مجيبة بالاستفهام تأدباً وليكون الجواب وفق السؤال ﴿هل من مزيد﴾ أي: من زيادة من الجن والإنس فيكون مصدراً كالمحيد أو من يزاد فيكون مفعولاً كالمبيع ويجوز أن يكون يوم ظرفاً لمقدر مؤخر أي: يكون من الأحوال والأهوال ما يقصر عنه المقال واختلف الناس في أن الخطاب والجواب هل هما على الحقيقة أو لا، فقال بعضهم: هما على الحقيقة فينطقها الله بذلك كما ينطق الجوارح وهو المختار فإن الله على كل شيء قدير وأمور الآخرة كلها أو جلها على خلاف ما تعورف في الدنيا وقد دلت الأحاديث على تحقق الحقيقة فلا وجه للعدول إلى

المجاز كما روي من زفرتها وهجومها على الناس يوم الحشر وجرها الملائكة بالسلاسل وقولها «جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ لهبي» ونحو ذلك مما يدل على حياتها الحقيقية وإدراكها فإن مطلق الجمادات لها تلك الحياة في الحقيقة فكيف بالدارين المشتملين على الشؤون العجيبة والأفعال الغريبة وإن الدار الآخرة لهي الحيوان.

وقال بعضهم: سؤال وجواب جيء بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل أمرها يعني أن المقصود تصوير المعنى في القلب وتبيينه فهي بحيث لو قيل لها ذلك وهي ناطقة لقالت ذلك وأيضاً دلت بحالها على النطق كقولهم:

امتلأ الحوض وقال قطني ... مهلاً رويداً قد ملأت بطني

يعني أنها مع اتساعها وتباعد أطرافها وأقطارها يطرح فيها الجنة والناس فوجاً بعد فوج حتى تمتلىء بهم وتصير بحيث لا يسعها شيء ولا يزاد فيها فالاستفهام على معنى التقرير ونفي المزيد أي: وهل عندي موضع يزاد فيه شيء أي: قد امتلأت وحصل في موعودك وصرت بحيث لا أسع إبرة وبالفارسية لا مزيد پرشدم وزيادتي را كنجايش نيست. فالمعنى الممثل هو الامتلاء وهو كقوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾ [المائدة: ١١٦] فإنه سؤال تقرير لا سؤال استفهام وكقوله عليه السلام يوم فتح مكة «هل أبقى لنا عقيل داراً» أي: ما أبقى لنا داراً ويجوز أن يكون المعنى أنها لغيظها على الكفار والعصاة كأنها تطلب زيادتهم وتستكثرهم ويجوز أن يكون السؤال استدعاء للزيادة في الحقيقة لأن ما يلقى فيها كحلقة تلقى في اليم. يعني زيادتي كن وحق تعالى ديكر كافر بوى فرستاد تا پرشود. ويجوز أن يكون المعنى أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ وموضع زيادة فإن قلت هذا يخالف قوله تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨] قلت: ورد في الحديث: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فيزوي بعضها إلى بعض يعني فيحصل الامتلاء» وبه تندفع المخالفة:

اين قدم حق را بود كورا كشد ... غير حق را كه كمان او كشد

وفي رواية حتى يضع فيها رب العزة أو رب العرش قدمه فتقول قط قط أي: حسبي حسبي وعزتك. قوله ويزوي بالزاي المعجمة على بناء المجهول أي: يضم ويجمع من غاية الامتلاء وآخر الحديث ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشىء الله لها خلقاً» فيسكنهم فضل الجنة كما في «كشف الأسرار» وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه السلام: تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم فقال الله تعالى للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار فإنهم يلقون فيها وتقول هل من مزيد فلا تمتلىء حتى يضع الله فيها رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلىء ويزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحداً وأما الجنة فينشىء الله لها خلقاً وفي «القاموس» حتى يضع رب العزة فيها قدمه أي: الذين قدمهم من الأشرار فهم قدم الله للنار كما أن الأخيار قدمه إلى الجنة أو وضع القدم مثل للردع والقمع أي: يأتيها أمر يكفها عن طلب المزيد انتهى كما قال في «بحر العلوم»: وضع القدم على الشيء مثل للردع والكف وقال بعضهم: يضربها من جبروته بسوط إهانة ويستمرون بين دولتي الحر والزمهرير

وعامة عذاب إبليس بالزمهرير لأنه يناقض ما هو الغالب عليه في أصل خلقته وقال ابن ملك وضعها كناية عن دفعها وتسكين سورتها كما تقول وضعت رجلي على فلان إذا قهرته وفي «الكواشي»: قدمه أي: ما قدمه في قوله: «سبقت رحمتي على غضبي» أي: يضع رحمته انتهى أو المراد من القدم قوم مسمى بهذا الاسم وأيضاً المراد بالرجل جماعة من الناس وهو وإن كان موضوعاً لجماعة كثيرة من الجراد لكن استعارته لجماعة من الناس غير بعيدة ومنهم من يقول المراد به قدم بعض مخلوقاته أضافها إلى الله تعظيماً كما قال: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢] وكان النافخ جبريل وفي «عين المعاني» القدم جمع قديم كأديم وأدم أي: على كل ما تقدم أو قوم قدمهم إلى النار ويروى قدمه بكسر القاف أي: قوماً قدموا بني آدم في الدنيا وروي رجلي وهو الجماعة من الناس وقيل قدمه أهل قدمه الذين لهم قدم صدق عند ربهم يعني العاصين من أهل التوحيد انتهى ومنهم من قال القدم اسم لقوم يخلقهم الله لجهنم قال القاضي عياض هذا أظهر التأويلات لعل وجهه أن أماكن أهل الجنة تبقى خالية في جهنم ولم ينقل أن أهلها يرثون تلك الأماكن ويقال لهم إن الله يختص بنقمته من يشاء كما يرث أهل الجنة أماكن أهل النار في الجنة غير جنة أعمالهم ويقال لهم إن الله يختص برحمته من يشاء وهذا من نتائج قوله تعالى سبقت رحمتي على غضبي فيخلق الله خلقاً على مزاج لو دخلوا به الجنة لعذبوا فيضعهم فيها فإن قلت: إذا لاءم مزاجهم النار فأنى يتصور التعذيب قلنا: الموعود ملؤها لا تعذيب كل من فيها وقال بعض الأكابر ليس في النار دركات اختصاص إلهي ولا عذاب اختصاص إلهي من الله فإن الله ما عرفنا قط أنه اختص بنقمته من يشاء كما أخبرنا أنه يختص برحمته من يشاء فأهل النار معذبون بأعمالهم لا غير وأهل الجنة ينعمون بأعمالهم وبغير أعمالهم في جنات الاختصاص فلأهل السعادة ثلاث جنات جنة الأعمال كما لأهل الشقاوة جحيم الأعمال ولهم خاصة جنات الاختصاص وجنات الميراث وهي التي كانت لأهل النار لو دخلوا الجنة كما قال تعالى ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣] وذلك أنه ما من شخص من الجن والإنس إلا وله في الجنة موضع وفي النار موضع وذلك لا مكانه الأصلي فإنه قبل كونه يمكن أن يكون له البقاء في العدم أو يوجد فمن هذه الحقيقة له قبول النعمة وقبول العذاب قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩] أي: أنتم قابلون لذلك ولكن حقت الكلمة وسبق العلم ونفذت المشيئة فلا راد لأمره ولا معقب لحكمه ولم يقل في أهل النار أنهم يرثون من النار أماكن أهل الجنة لو دخلوا النار وهذا من سبق الرحمة بعموم فضله سبحانه فما نزل من نزل في النار إلا بأعمالهم ولهذا يبقى فيها أماكن خالية وهي الأماكن التي لو دخلها أهل الجنة عمروها فيخلق الله خلقاً يعمرونها على مزاج لو دخلوا به الجنة لعذبوا وهو قوله عليه السلام: «فيضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط أي: حسبي حسبي فإنه تعالى يقول لها: هل امتلأت وتقول هل من مزيد وقد قال للجنة والنار لكل واحدة منكما ملؤها فما اشترط لهما إلا أن يملأهما خلقاً وما اشترط عذاب من يملؤها بهم ولا نعيمهم وأن الجنة أوسع من النار بلا شك فإن عرضها السماوات والأرض فما ظنك بطولها فهي للنار كمحيط الدائرة والنار عرضها قدر الخط الذي يميز قطري دائرة فلك الكواكب الثابتة فأين هذا الضيق من تلك السعة وسبب هذا الاتساع جنات الاختصاص الإلهي فورد في الخبر أنه يبقى أيضاً في الجنة أماكن ما فيها أحد فيخلق الله خلقاً للنعيم يعمرها بهم وهو أن يضع الرحمن فيها

قدمه أي: آخر وجود يعطيه وليس ذلك إلا في جنات الاختصاص فالحكم لله العلي الكبير فمن كرمه أنه ما أنزل أهل النار إلا على أعمالهم خاصة وأما قوله تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨] فذلك لطائفة مخصوصة هم الأئمة المضلون ثم لا بد لأهل النار من فضله ورحمته في نفس النار بعد انقضاء مدة موازنة أزمان العمل فيفقدون الإحساس بالآلام في نفس النار فتتخلد جوارحهم بإزالة الروح الحساس منها إذ ليسوا بخارجين منها فلا يموتون فيها ولا يحيون وثم طائفة يعطيهم الله بعد انقضاء موازنة المدد بين العذاب والعمل نعيماً خيالياً مثل ما يراه النائم ونضج جلودهم خدرها فزمان النضج والتبديل يفقدون الآلام لخمود النار في حقهم فيكونون في النار كالأمة التي دخلتها وليست من أهلها فأماتهم الله فيها إماتة فلا يحسون بما تفعله النار في أبدانهم الحديث بكماله ذكره مسلم في صحيحه وهذا من فضل الله ورحمته.

يقول الفقير للإنسان الكامل قدمان قدم الجلال وقدم الجمال وبالأولى تمتلىء جهنم وبالثانية تمتلىء الجنة وبيان ذلك أن جهنم مقام أهل الطبيعة والنفس يعني أنها مظهر قدم الجلال والجنة مقام أهل الروح والسر يعني أنها مظهر قدم الجمال والأعراف مقام أهل القلب لمناسبة بين الأعراف والقلب من حيث إنه مقام بين الجنة والنار كما أن القلب برزخ بين الطبيعة والنفس وبين الروح والسر وللإنسان الكامل نشأة جنانية روحانية ونشأة دنيوية جسمانية فهو لا يدخل الجنة إلا بمرتبة الروح والسر فتبقى صورته الطبيعية والنفسية المتعلقة بنشأته العنصرية فيملأ الله سبحانه جهنم بهذه البقية يعني: يظهر مظاهر جلاليته من تلك البقية فيملؤها بها حتى تقول قط قط فما دام لم يظهر هذا التجلي من الإنسان الكامل لا تزال جهنم تقول هل من مزيد وهو المراد بقدم الجبار كذا في الحديث وإليه أشار الشيخ الكبير رضي الله عنه في «الفكوك» بقوله وأخبرت من جانب الحق أن القدم الموضوع في جهنم هو الباقي في هذا العالم من صور الكمل مما لا يصحبهم في النشأة الجنانية وكنى عن ذلك الباقي بالقدم لمناسبة شريفة لطيفة فإن القدم من الإنسان آخر أعضائه صورة فكذلك نفس صورته العنصرية آخر أعضاء مطلق الصورة الإنسانية لأن صور العالم بأجمعها كالأعضاء لمطلق صورة الحقيقة الإنسانية وهذه النشأة آخر صورة ظهرت منها الحقيقة الإنسانية وبها قامت الصور كلها التي قلت إنها كالأعضاء انتهى وقال أيضاً: إن الجنة لا تسع إنساناً كاملاً وإنما منه في الجنة ما يناسب الجنة وفي كل عالم ما يناسب ذلك العالم وما يستدعيه ذلك العالم من الحق من حيث ما في ذلك العالم من الإنسان بل أقول ولو خلت جهنم منه لم تبق وبه امتلأت وإليه الإشارة بقدم الجبار المذكور في الحديث انتهى أيضاً.

وقال الشيخ روزبهان البقلي في «عرائس البيان» إن جهنم لتشتاق إلى الله كما تشتاق إليه الجنة فإذا رأى سبحانه حالها من الشوق إليه يضع أثقال سطوات قهر القدم عليها بنعت التجلي فتملأ من العظمة وتصير عند عظمة الله كلا شيء ورب طيب في قلوب الجهنميين في تلك الساعة من رؤية جلال عظمته ومن رؤية أنوار قدم القدم فتصير نيرانها ورداً وريحاناً من تأثير بركة ظهوره لها انتهى وفي الآية إشارة إلى أن جهنم صورة النفس الإنسانية فكما أن النفس لا يشبعها شيء وهي في طلب المزيد مطلقاً فكذا صورتها دار العذاب تطلب المزيد فهما على نسق واحد كاللفظ والمعنى يعني أن النفس الإنسانية حريصة على الدنيا وشهواتها فكلما ألقي فيها نوع منها ويقال لها هل امتلأت تقول هي هل من مزيد من أنواع الشهوات فلا يملأ جوف

ابن آدم إلا التراب:

آن شنيد ستى كه در صحراى غور بارسالارى درافتاد ازستور

كفت چشتم تنك دنيا داررا ياقناعت پركند ياخاك كور

وأيضاً إن الحرص الإنساني قشر محبة الله بل هو عين المحبة إذا كان متوجهاً إلى الدنيا وشهواتها يسمى الحرص وإذا كان متوجهاً إلى الله وقربانه يسمى محبة فاعلم أن ما زاد في الحرص نقص في المحبة وما نقص من الحرص زاد في المحبة وإذا اشتعلت نار المحبة فلا تسكن نائرتها بما يلقى فيها من محبوبات الدنيا والآخرة بل يكون حطبها وتزيد بعضها إلى بعض وتقول قط قط كما في «التأويلات النجمية».

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿وأزلفت الجنة﴾ الإزلاف نزديك كردانيدن اى قربت ﴿للمتقين﴾ عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فتون المحاسن فيبتهجون بأنهم محشورون إليها فائزون بها ﴿غير بعيد﴾ تأكيد للإزلاف أي: مكاناً غير بعيد بحيث ينظرون إليها قبل دخولها فيكون انتصابه على الظرفية أو هو حال مؤكدة أي: حال كونها غير بعيد أي: شيئاً غير بعيد كقولك هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل إلى غير ذلك من أمثلة التوكيد فالإزلاف تقريب الرؤية وغير بعيد تقريب الدخول فإنهم يحاسبون حساباً يسيراً ومنهم من لا يحاسب أصلا ويجوز أن يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذي يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث كالزئير والصليل أو لتأويل الجنة بالبستان وفيه إشارة إلى جنة قلوب خواص المتقين أنها قربت لهم في الدنيا بالأجساد وهم في الآخرة بالقلوب. جنت نقدست اينجا عشرت وعيش وحضور. ويقال: إن الجنة تقرب من المتقين كما أن النار تجر بالسلاسل إلى المحشر للمجرمين ويقال بل تقرب الجنة بأن يسهل على المتقين مسيرهم إليها ويراد بهم الخواص من المتقين ويقال هم ثلاثة أصناف قوم يحشرون إلى الجنة مشاة وهم الذين قال فيهم ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣] وهم عوام المؤمنين وقوم يحشرون إلى الجنة ركباناً على طاعاتهم المصورة لهم بصورة حيوان وهؤلاء هم الخواص وأما خاص الخاص فهم الذين قال فيهم ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ فقرب الجنة منهم غير بعيد أي: الجنة غير بعيد عنهم وهم البعداء عن الجنة في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

﴿هذا ما توعدون﴾ أي: حال كون أولئك المتقين مقولاً لهم من قبل الله أو على ألسنة الملائكة عندما شاهدوا الجنة ونعيمها هذا المشاهد أو هذا الثواب أو الإزلاف والتذكير لتذكير الخبر أو إشارة إلى الجنة والتذكير لما أن المشار إليه هو المسمى من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلاً عن تذكيره وتأنيثه فإنهما من أحكام اللفظ العربي كما في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام: ٧٨] وقوله ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وفي «التأويلات النجمية»: هذا إشارة إلى مقعد صدق ولو كانت الإشارة إلى الجنة لقال هذا ﴿لكل أواب﴾ بدل من المتقين بإعادة الجار أي: رجاع إلى الله فأولاً يرجع من الشرك إلى

التوحيد وثانياً من المعصية إلى الطاعة وثالثاً من الخلق إلى الحق قال ابن عمر رضي الله عنهما: لا يجلس مجلساً فيقوم حتى يستغفر وفي «المفردات» الأواب كالتواب وهو الراجع إلى الله بترك المعاصي وفعل الخيرات ومنه قيل للتوبة أوبة والفرق بين الأوب والرجوع أن الأوب ضرب من الرجوع وذلك أنه لا يقال إلا في الحيوان الذي له إرادة والرجوع يقال فيه وفي غيره آب أوباً وإياباً ومآباً والمآب مصدر منه واسم الزمان والمكان ﴿**حفيظ**﴾ حافظ لتوبته من النقض ولعهده من الرفض.

قال في «التأويلات النجمية»: مقعد صدق هو في الحقيقة موعود للمتقين الموصوفين بقوله ﴿**لكل أواب حفيظ**﴾ وهو الراجع إلى الله في جميع أحواله لا إلى ما سواه حافظاً لأنفاسه مع الله لا يصرفها إلا في طلب الله يعني درهر نفس از حق تعالى غافل نباشد:

اكر تو پاس دارى پاس انفاس بسلطاني رسانندت ازين پاس
ترا يك پند بس درهر دو عالم كه برنايد زجانت بى خدادم

وقال سهل رضي الله عنه هو الراجع إلى الله تعالى بقلبه من الوسوسة إلى السكون إلى الله الحفيظ المحافظ على الطاعات والأوامر وقال المحاسبي الأواب الراجع بقلبه إلى ربه والحفيظ الحافظ قلبه في رجوعه إليه أن لا يرجع منه إلى أحد سواه وقال الوراق هو المحافظ لأوقاته وخطراته أي: الخطرات القلبية والإلهامات وفي الحديث من حافظ على أربع ركعات في أول النهار كان أواباً حفيظاً.

﴿**من**﴾ هركه. وهو وما بعده بدل بعد بدل ﴿**خشي الرحمن**﴾ الخشية خوف يشوبه تعظيم وفي «عين المعاني» انزعاج القلب عند ذكر السيئة وموجبها وقال الواسطي الخشية أرق من الخوف لأن الخوف للعامة من العقوبة والخشية من نيران الله في الطبع فيها نظافة الباطن للعلماء ومن رزق الخشية لم يعدم الإنابة ومن رزق الإنابة لم يعدم التفويض والتسليم ومن رزق التفويض والتسليم لم يعدم الصبر على المكاره ومن رزق الصبر على المكاره لم يعدم الرضى وقال بعضهم: أوائل العلم الخشية ثم الإجلال ثم التعظيم ثم الهيبة ثم الفناء وعن بعضهم الخشية من الرحمن خشية الفراق ومن الجبار والقهار خشية العقوبة ﴿**بالغيب**﴾ متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشي أو من مفعوله أو صفة لمصدره أي: خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب عنه أو العقاب بعد غيب يعني ناديده اورا وعذاب اورا. أو هو غائب عن الأعين لا يراه أحد يعني نهان واشكار اي او يكى باشد. وقال بعض الكبار بالغيب أي: بنور الغيب يشاهد شواهد الحق فيخشى منه والتعرض لعنوان الرحمانية للإشعار بأنهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته أو بأن علمهم بسعة رحمته لا يصدهم عن خشيته وأنهم عاملون بموجب قوله ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

﴿**وجاء**﴾ وبياورد ﴿**بقلب منيب**﴾ وصف القلب بالإنابة مع أنها وصف المكلف لما أن العبرة برجوعه إلى الله تعالى أي: لا عبرة للإنابة والرجوع إلا إذا كان من القلب والمراد بها الرجوع إلى الله تعالى بما يحب ويرضى.

قال في «المفردات» النوب رجوع الشيء مرة بعد أخرى والإنابة إلى الله الرجوع إليه بالتوبة وإخلاص العمل.

وفي «التأويلات النجمية»: بقلب منيب إلى ربه معرض عما سواه مقبل عليه بكلية.

﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾

﴿ادخلوها﴾ بتأويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من ﴿بسلام﴾ متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها أي: ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم وحلول النقم أو بسلام من جهة الله وملائكته ﴿ذلك﴾ إشارة إلى الزمان الممتد الذي وقع في بعض منه ما ذكر من الأمور ﴿يوم الخلود﴾ والبقاء في الجنة إذ لا انتهاء له أبداً قال الراغب: الخلود هو تبري الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي هو عليها وكل ما يتباطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود كقولهم الأيام خوالد وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها والخلود في الجنة بقاء الأشياء على الحالة التي هي عليها من غير اعتراض الكون والفساد عليها وقال سعدي المفتي ولا يبعد والله أعلم أن تكون الإشارة إلى زمان السلم فتحصل الدلالة على أن السلامة من العذاب وزوال النعم حاصلة لهم مؤبداً مخلداً لا أنها مقتصرة على وقت الدخول.

﴿لهم ما يشاؤون﴾ من فنون المطالب كائناً ما كان سوى ما تقتضي الحكمة حجره وهو ما كان خبيثاً في الدنيا أبداً كاللواطة ونحوها فإنهم لا يشاؤونها كما سبق من أن الله يعصم أهل الجنة من شهوة محال أو منهي عنه ﴿فيها﴾ متعلق بيشاؤون أو حال من الموصول قال القشيري: يقال لهم: قد قلتم في الدنيا ما شاء الله كان فاليوم ما شئتم كان وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴿ولدينا﴾ وعندنا ﴿مزيد﴾ أي: زيادة في النعيم على ما يشاؤون وهو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من أنواع الكرامات التي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فإنهم يسألون الله حتى تنتهي مسألتهم فيعطيهم ما شاؤوا ثم يزيدهم من عنده ما لم يسألوه ولم تبلغه أمانيهم وقيل إن السحاب تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال تعالى ﴿ولدينا مزيد﴾ وقال الراغب: الزيادة أن ينضم إلى ما عليه الشيء من نفسه شيء آخر وروي من طرق مختلفة أن هذه الزيادة النظر إلى وجه الله إشارة إلى أنعام وأحوال لا يمكن تصورها في الدنيا انتهى وكذا قال غيره المختار أن المزيد هو النظر إلى وجه الله الكريم فيجتمعون في كل يوم جمعة فلا يسألون شيئاً إلا أعطاهم وتجلى لهم ويقال ليوم الجمعة في الجنة يوم المزيد وفي الحديث «إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

قال بعض الكبار هي المشاهدة الذاتية وما ينتج من دخول الجنة في الدار الآخرة نتيجة الطاعات في هذه الدار لمن اختصه الله فنتيجتنا في هذه الدار طاعات ومجاهدات توصل إلى تجليات ومشاهدات.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من يريدنا ويعبر عن نعيم الجنة للوصول إلينا فيصل إلينا ولدينا يجد بالمزيد ما يشاء أهل الجنة منها وهذا كما قال: من كان لي كنت له ومن كنت له يكون له ما كان لي وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ﴾ [الشورى: ٢٠] فإن قيل الزيادة في الدنيا تكون أقل من رأس المال قلت المراد بالزيادة في الآية الكريمة هو الزيادة على موعود الجنة لا من درجات الجنة لأن الزيادة هنا ليست من جنس المزيد عليه حتى يلزم ذلك بخلافه في قوله عليه السلام: «إن الله زادكم صلاة ألا وهي الوتر» فإن الزيادة هنا من جنس المزيد عليه وقضيته الفرضية إلا أنه لما ثبت بخبر الواحد لم يكن

مقطوعاً به فقيل بالوجوب فالزيادة من الله العزيز الأكبر أكبر وأعز كما أن الرضوان من الكريم الأجود أكبر وأجل والنظر إلى وجهه الكريم كمال الرضى ومزيد فضل وعناية وقال الحسن البصري: إن الله ليتجلى لأهل الجنة فإذا رأوه نسوا نعيم الجنة ثم يقول الله لملائكته ردوهم إلى قصورهم إذ لا يهتدون بأنفسهم لأمرين لما طرأ عليهم من سكر الرؤية ولما زاد من الخير في طريقهم فلم يعرفوها فلولا أن الملائكة تدل بهم ما عرفوا منازلهم فإذا وصلوا إلى منازلهم تلقاهم أهلهم من الحور والولدان فيرون جميع ملكهم قد اكتسب بهاء وجمالاً ونوراً من وجوههم أفاضوه إفاضة ذاتية على ملكهم فيقولون لهم لقد زدتم نوراً وبهاء وجمالاً على ما تركناكم عليه فيقول لهم أهلهم وكذلك أنتم قد زدتم من البهاء والجمال ما لم يكن فيكم فافهم أسرار تسمية الرؤية بالزيادة لأنها تورث زيادة الجمال والعلوم والكمال ويتفاوت الناس بالرؤية تفاوتاً عظيماً على قدر عملهم.

قال بعض الكبار إذا أخذ الناس منازلهم في الجنة استدعاهم الحق تعالى إلى رؤيته على مقام الكثيب وهو مسك أبيض في جنة عدن وجعل في هذا الكثيب منابر وأسرة وكراسي ومراتب فيسارعون إلى قدر هممهم ومراكبهم ومشيهم هنا في طاعة ربهم فمنهم السريع والبطيء والمتوسط فيجتمعون في الكثيب فكل شخص يعرف مرتبته علماً ضرورياً يهوي إليها ولا ينزل إلا فيها كما يهوى الطفل إلى الثدي والحديد إلى المغناطيس لو رام أن ينزل في غير مرتبته لما قدر ولو رام أن يتعشق بغير منزلته ما استطاع بل يرى في منزلته أنه قد بلغ منتهى أمله وقصده فهو يتعشق بما فيه من النعيم تعشقاً طبيعياً ذاتياً لا يقوم بنفسه بما هو عنده أحسن من حاله ولولا ذلك لكانت دار ألم وتنغيص ولم تكن جنة ولا نعيماً فكل شخص مقصور عليه نعيمه:

بعلم نظر كوش جامى كه نيست زتحصيل علم دكر حاصلي

وقال المغربي:

نخست ديده طلب كن پس آنكهى ديدار ازانكه يار كند جلوه بر اولوا الابصار

وقال الخجندي:

باروى توچيست جنت وحور هرچيز نكو نمايد ازدور

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿وكم أهلكنا﴾ كم للتكثير هنا وهي خبرية وقعت مفعول أهلكنا ومن قرن مميزها ومبين لإبهامها **﴿قبلهم من قرن﴾** القرن القوم المقترنون أي: وكثيراً من القرون الذين كذبوا رسلهم أهلكنا قبل قومك وهم كفار مكة وبالفارسية وبس كسان كه هلاك كرده ايم پيش ازقوم تواز اهل قرن وكروه كروه جهانيان كه بحسب واقع **﴿هم﴾** ايشان **﴿أشد منهم﴾** سخت تربودنداز كفار مكه **﴿بطشاً﴾** ازروى قوت وعظيم تر بودند از روى جسد چون عاد وثمود وفرعون ومحل الجملة النصب على أنها صفة لكم وفيه إشارة إلى إهلاك النفوس المتمردة في القرون الماضية إظهاراً لكمال القدرة والحكمة البالغة لتتأدب به النفوس القابلة للخير وتتعظ به القلوب السليمة **﴿فنقبوا في البلاد﴾** قال في «القاموس» نقب في الأرض ذهب كأنقب ونقب وعن الأخبار بحث

عنها أو أخبر بها والنقب الطريق في الجبل وفي «تاج المصادر»: التنقيب شب در راهها كرديدن وفي المصادر شدن اندر شهرها. والمعنى خرقوا فيها أي: أوقعوا الخرق فيها والجوب وقطع المفازة ودوخوا أي: أذلوها وقهروا أهلها واستولوا عليهم وتصرفوا في أقطارها أو جالوا في أكناف الأرض كل مجال حذار الموت فالفاء على الأول للتسبب والدلالة على أن شدة بطشهم أبطرتهم وأقدرتهم على التنقيب وعلى الثاني لمجرد التعقيب وأصل التنقيب والنقب التنقير عن الأمر والبحث والطلب ولذا قال في «كشف الأسرار»: أي أبعدوا فيها السير وبحثوا عن الأمور والأسباب قال امرؤ القيس:

لـقـد نـقـبـت فـي الآفـاق حـتـى رضـيـت مـن الـغـنـيـمـة بـالإيـاب

وبالفارسية پس دور شدند وفراوان رفتند درزمين وراه بريدند درشهرها يعني رفتند تجارت وسفرها كردند ومال ومتاع بسيار بدست آوردند. وفي «فتح الرحمٰن» أي: طافوا في نقوبها أي: طرقها **﴿هل من محيص﴾** حال من واو نقبوا وأصله من قولهم وقع في حيص بيص أي: في شدة وحاص عن الحق يحيص أي: حاد عنه إلى شدة ومكروه وفي «القاموس» المحيص المهرب أي: فنقبوا في البلاد قائلين هل من محيص أي: هل لهم من مفر ومخلص من أمر الله وعذابه أو من الموت فمحيص مبتدأ خبره مضمر وهو لهم ومن زائدة وبالفارسية هيچ بودمر ايشانرا كريز كاهى ازمرك ياپناهى از قضاى خداى تعالى كه حكم فنا نازل شد هيچ چيز دستكيرىء ايشان نكرد. ويجوز أن تكون الجملة كلاماً مستأنفاً وارد النفي أن يكون لهم محيص يعني نكريد تاهيچ ازمرك رستند يعني نرستند واز عقوبت حق خلاص نشدند. فإن أصر أهل مكة فليحذروا من مثل ما حل بالأمم الماضية فإن الغاية هو الهلاك والنهاية هو العذاب روز كارى كه آدم را وفانداشت تراكى وفا دارد عمرى كه برنوح بپايان رسيد باتوكى بقادارد اجلى كه برنوح بپايان رسيد باتوكى بقادارد اجلى كه بر خليل تاختن آورد تراكى فرو كذارد مركى كه بر سليمان كمين ساخته بانوكى مساحت كند:

نـه بـربـاد رفـتـى سـحـر كـاه وشـام سـريـر سـلـيـمـان عـلـيـه الـسـلام
بـآخـر نـديـدى كـه بـربـاد رفـت خـنـك آنـكـه بـادانـش ودادرفـت

مؤكلى كه جان مصطفى را ﷺ تقاضا كرد باتوكى مدارا كند اكر عمر نوح ومال قارون وملك سليمان بدست آرى بدرد مرك سودندارد وباتو محابا نكند هفت هزار سال كه كسرى كذشت تا آدميان اندرين سفرنداز اصلاب بارحام مى آيند واز ارحام به پشت زمين وان پشت زمين بشكم زمين ميروندهمه عالم كور ستانست زيرا وهمه حسرت زبرا وهمه درحيرت سر برآور از آسمان بپرس كه چند پادشاه ياد دارى چشم بر زمين افكن وباز پرس كه درشكم چند نازنين دارى:

سل الطارم العالي الذرى عن قطينه نجا ما نجا من بؤس عيش ولينه
فلما استوى في الملك واستعبد الورى رسـول الـمـنـايـا تـلـه لـجـبـيـنـه
جـهـان اى پـسـر مـلـك جـاويـد نـيـسـت زدنـيـا وفـادارى امـيـد نـيـسـت

أي سخره امل أي: غافل از اجل كارى كه لا محاله بودنيست ازان نه انديشى وراهى كه على الحقيقة رفتنيست زاد آن راه برنكيرى شغل دنيا راست ميدارى وبرك مرك مى نسازى أي: مسكين مركت درقفاست ازو ياد دار منزلت كورست آباد دار حطام دنيا جمع ميكنى واز مستحق منع ميكنى چه طمع دارى كه جاويد بان بمانى باش تا ملك الموت در آيد وجانت

غارت كند و وارث درآيد مالت غارت كند وخصم درآيد طاعت غارت كند وكرم در آيد پوست وكوشت غارت كند وآه اكر باين غفلت دشمن درآيد وايمان غارت كند نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المتيقظين ومن الثابتين على الدين واليقين ومن رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين.

﴿**إن في ذلك**﴾ أي: فيما ذكر من قصتهم أو فيما ذكر في هذه السورة من العبر والأخبار وإهلاك القرى ﴿**لذكرى**﴾ لتذكرة وعظة وبالفارسية پند ﴿**لمن كان له قلب**﴾ أي: قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الأمور ويتفكر فيها كما ينبغي فإن من كان له ذلك يعلم أن مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير قال الراغب قلب الإنسان سمي به لكثرة تقلبه ويعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به من الروح والعلم والشجاعة وسائر ذلك وقوله ﴿**لمن كان له قلب**﴾ أي: علم وفهم انتهى وفسره ابن عباس رضي الله عنهما بالعقل وذلك لأن العقل قوة من قوى القلب وخادم من خدامه كما في «كتاب الجواهر» للشعراني فمن له أدنى عقل فله ذكرى كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤ وغيرها] أي: أدنى تعقل وقال أبو الليث ﴿**لمن كان له قلب**﴾ أي: عقل لأنه يعقل بالقلب فكنى عنه انتهى وفي «الأسئلة المقحمة» كيف قال ﴿**لمن كان له قلب**﴾ ومعلوم أن لكل إنسان قلباً؟ قلت: إن المراد هٰهنا بالقلب عقل كنى بالقلب عن العقل لأنه محله ومنبعه كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧] وسمعت بعض الشيوخ يقول لمن كان له قلب مستقر على الإيمان لا ينقلب بالسراء والضراء انتهى.

وفي «تفسير الكاشفي»: آنكس راكه اورا دلى زنده است وفي كشف الأسرار دلى متفكر در حقايق اخبار يا عقلى بيدار كننده از خواب غفلت شبلى قدس سره فرمود موعظه قرآنرا دلى بايد باخداى تعالى كه طرفة العيني غافل نباشد ﴿**أو ألقى السمع**﴾ أي: إلى ما يتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى عليهم فإن من فعله يقف على جلية الأمر فينزجر عما يؤدي إليه من الكفر فكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع فإن إلقاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله ﴿**وهو**﴾ أي: والحال أن ذلك الملقى فهو حال من الفاعل ﴿**شهيد**﴾ من الشهود بمعنى الشاهد أي: حاضر بذهنه ليفهم معانيه لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب أو شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وقال سعدي المفتي أو لتقسيم المتفكر إلى التالي السامع أو إلى الفقيه والمتعلم وبعبارة أخرى إلى العالم المجبول على الاستعداد الكامل فهو بحيث يحتاج إلى التعليم فيتذكر بشرط أن يقبل بكليته ويزيل الموانع كلها وقال بعض الكبراء من العارفين: إن في ذلك أي: القرآن الناطق بإثبات أمور متخالفة للحق سبحانه من التنزيه والتشبيه لذكرى أي: تذكراً لما هو الحق عليه في نفسه من التقلب في الشؤون لمن كان له قلب سمي به لتقلبه في أنواع الصور والصفات المتخالفة لاختلاف التجليات ولم يقل لمن كان له عقل فإن العقل قيد لغة وحقيقة أما لغة فإنه يقال عقل البعير بالعقال أي: قيده وعقل الدواء البطن أي: عقده وأما حقيقة فلأن العقل يقيد العاقل بما يؤدي نظره وفكره إليه فيحصر الأمر في نعت واحد والحقيقة تأبى الحصر فليس القرآن ذكرى لمن كان له عقل يقيده بما يؤديه الكفر إليه فإنه ليس ممن يتذكر بما وقع في القرآن من الآيات الدالة على التنزيه والتشبيه جميعاً بل يؤول ما وقع على خلاف ما يؤديه فكره إليه كالآيات الدالة على التشبيه مثلاً وهم أي: من كان له عقل هم أصحاب

الاعتقادات الجزئية التقييدية الذين يكفر بعضهم الذي يؤديه فكره إلى عقد مخصوص بعضاً آخر يؤديه فكره إلى خلاف ما أدى إليه فكر البعض الأول ويلعن بعضهم بعضاً والحق عند العارف الذي يتقلب قلبه في أنواع الصور والصفات لأنه يعرف أن لا غير في الوجود وصور الموجودات كلها صورته فلاختصاص معرفة الحق في جميع الصور في الدنيا والآخرة بالعارف الناتج معرفته عن تقلب قلبه قال تعالى ﴿**لمن كان له قلب**﴾ فإنه قد تقلب قلبه في الأشكال فعلم تقلب الحق في الصور وهذا النوع من المعرفة الذي لا يعقبه نكرة حظ من عرف الحق من التجلي والشهود أي: من تجليه في الصور وشهوده فيها حال كونه مستقراً في عين مقام الجميع بحيث لا يشغله صور التفرقة عن شهوده وأما أهل الإيمان الاعتقادي الذين لم يعرفوا الحق من التجلي والشهود فهم المقلدة الذين قلدوا الأنبياء والرسل فيما أخبروا به عن الحق من غير طلب دليل عقلي لا من قلد أصحاب الأفكار والمتأولين للأخبار الواردة الكاشفة عن الحق كشفاً مبيناً يحملها على أدلتهم العقلية وارتكاب احتمالاتها البعيدة فهؤلاء الذين قلدوا الرسل عليهم السلام حق التقليد هم المرادون بقوله: ﴿**أو ألقى السمع**﴾ لاستماع ما وردت به الأخبار الإلهية على ألسنة الأنبياء وهو حاضر بما يسمعه مراقب له في حضرة خياله يعني ينبغي لملقي السمع أن يجهد في إحضار ما يسمعه في خياله لعله يفوز بالتجليات المثالية لا أن يكون صاحب تلك التجليات بالفعل وإلا بقي بعض مقلدة الانبياء خارجاً عن هذا الحكم فليس المراد بالشهود هٰهنا الرؤية البصرية بل ما يشابهها كمال المشابهة وهو مشاهدة الصور المتمثلة في حضرة الخيال ليس إلا ومن قلد صاحب نظر فكري فليس هو الذي ألقى السمع وهو شهيد فالمقلدون لأصحاب الأفكار هم الذين قال الله فيهم ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البقرة: ١٦٦] لأن المتبوعين دعوا التابعين إلى خلاف الواقع فتبعوهم ورجع نكال متابعتهم إلى متبوعيهم فتبرؤوا منهم والرسل لا يتبرؤون من أتباعهم الذين اتبعوهم لأنهم دعوهم إلى الحق والصدق فتبعوهم فانعكست أنوار متابعيهم إليهم فلم يتبرؤوا منهم فاعرف. درلباب آورده كه صاحب قلب مؤمن عربست وشهيد مؤمن أهل كتاب كه كواهى دارد بركفت حضرت پيغمبر عليه السلام شيخ أبو سعيد خراز قدس سره فرموده كه القاى سمع بوقت شنيدن قرآن چنان بايدكه كويا از حضرت پيغمبر مى شنود پس در فهم بالاتر رود وچنان داندكه از جبرائيل استماع ميكند پس فهم را بلند ترسازد وچنان داندكه از خداى تعالى مى شنود شيخ الاسلام قدس سره فرموده كه اين سخن تامست وبرو در قرآن كواهى هست وآن لفظ شهيدست وشهيد از كوينده شنودنه ازخبر دهنده چه غائب ازمخبر مى شنود وحاضر بامتكلم واز امام جعفر رضي الله عنه منقولست كه تكرار ميكردم قرء آنرا تا وقتى كه از متكلم آن شنودم.

وفي «التأويلات النجمية»: القلوب أربعة: قلب يائس وهو قلب الكافر وقلب مقفول وهو قلب المنافق وقلب مطمئن وهو قلب المؤمن وقلب سليم من تعلقات الكونين وهو قلب المحبين المحبوبين الذي هو مرآة صفات جمال الله وجلاله كما قال لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن وقوله ﴿**أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾ يعني من لم يكن له قلب بهذه الصفة يكون له سمع يسمع بالله وهو حاضر مع الله فيعتبر مما يشير إليه الله في إظهار اللطف أو القهر وقال ابن عطاء قلب لاحظ الحق بعين التعظيم فذاب له وانقطع عما سواه وإذا لاحظ القلب الحق بعين التعظيم لان وحسن وقال بعضهم: القلب مضغة وهو محل

الأنوار ومورد الزوائد من الجبار وبه يصح الاعتبار جعل الله القلب للجسد أميراً وقال: ﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب**﴾ ثم جعله لربه أسيراً فقال ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤] وقال بعضهم: للقلوب مراتب: فقلوب في قبضة الحق مأسورة وقلوب والهة وقلوب طائرة بالشوق إليه وقلوب إلى ربها ناظرة وقلوب صاحبت الآمال في الله وقلوب تبكي من الفراق وشدة الاشتياق وقلوب ضاقت في دار الفناء وقلوب خاطبها في سرها فزال عنها مرارة الأوجاع وقلوب سارت إليه بهمتها وقلوب صعدت إليه بعزائم صدقها وقلوب تقدمت لخدمته في الخلوات وقلوب شربت بكأس الوداد فاستوحشت من جميع العباد إلى غير ذلك ويدل على شرف القلب قوله عليه السلام: «تفكر ساعة خير من عبادة الثقلين». چون بنده بدركاه آيد ودل اوكرفتار شغل دنيا رقم خذلان بران طاعت كشند وبروى اوباز زنندكه كفته اند من لم يحضر قلبه في الصلاة فلا تقبل صلاته ومن لم يحصل درجة الرؤية في الصلاة فما بلغ غايتها ولا كان له فيها قرة عين لأنه لم ير من يناجيه فإن لم يسمع ما يرد عليه من الحق في الصلاة من الواردات الغيبية فما هو ممن ألقى سمعه ومن لم يحضر فيها مع ربه مع كونه لم يسمع ولم ير فليس بمصل ولا هو ممن ألقى السمع وهو شهيد يعني أدنى مرتبة الصلاة الحضور مع الرب فمن لا يرى ربه فيها ولا يشهده شهوداً روحانياً أو رؤية عيانية قلبية أو مثالية خيالية أو قريباً منها المعبر عنه بقوله عليه السلام: «أن تعبد الله كأنك تراه» ولا يسمع كلامه المطلق بغير واسطة الروحانيات أو بواسطة منهم ولا حصل له الحضور القلبي المعبر عنه بقوله فإن لم تكن تراه فاعلم أنه يراك فليس بمصل وصلاته أفادت له الخلاص من القتل لا غير وبقدر خوف المرء من ربه وقربه منه يكون حضوره:

نزديكانرا بيش بود حيرانى كايشان دانند سياست سلطانى

آن وزير پيوسته از مراقبت سلطان هراسان بود وآن ستوردار راهراسى نه زيرا كه سينه وزير خزينه اسرار سلطانست ومهر خزينه شكستن خطرناك بود «وكان عليه السلام يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء» والأزيز الغليان وقيل صوته والمرجل قدر من النحاس:

خوشا نماز ونياز كسى كه از سردرد بآب ديده وخون جكر طهارت كرد

حذيفه يماني رضي الله عنه صاحب سر رسول الله عليه السلام بود كفتا روزى شيطانرا ديدم كه مى كريست كفتم أي: لعين اين ناله وكريه توچيست كفت ازبراى دومعنى يكى آنكه دركاه لعنت برما كشاده ديكر آنكه دركاه دل مؤمنان برمابسته بهر وقتى كه قصد دركاه دل مؤمن كنم بآتش هيبت سوخته كردم بداود عليه السلام وحى آمدكه يا داود زبانت دلالى است برسربازار دعوى اورا در صدر دار الملك دين محلى نيست محلى كه هست دلراست كه ازو بوى اسرار أحديت وأزليت آيد عزيز مصر بابرادران كفت رخت برداريد وبوطن وقراركاه خود باز شويدكه ازدلهاى شما بوى مهر يوسفى مى نيايد اينست سر آنچه رب العالمين فرمود ﴿**إن في ذلك لذكرى**﴾ الآية قال بعض الكبار حقيقة السمع الفهم عن الله فيما يتلوه عليك في الأنفس والآفاق فإن الحق تارة يتلو عليك الكتاب من الكبير الخارج وتارة من نفسك فاسمع وتأهب لخطاب مولاك إليك في أي مقام كنت وتحفظ من الوقر والصمم فالصمم آفة تمنعك عن إدراك تلاوته عليك من الكتاب الكبير المعبر عنه بالفرقان والوقر آفة تمنعك من إدراك تلاوته عليك من نفسك المختصرة وهو الكتاب المعبر عنه بالقرآن إذ الإنسان محل الجمع لما تفرق في العالم الكبير.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما﴾ من أصناف المخلوقات **﴿في ستة أيام﴾** درشش روز آن يكشنبه تاشنبه الأرض. في يومين ومنافعها في يومين والسماوات في يومين ولو شاء لكان ذلك في أقل من لمح البصر ولكنه سن لنا التأني بذلك فإن العجلة من الشيطان إلا في ستة مواضع أداء الصلاة إذا دخل الوقت ودفن الميت إذا حضر وتزويج البكر إذا أدركت وقضاء الدين إذا وجب وحل وإطعام الضيف إذا نزل وتعجيل التوبة إذا أذنب قال بعض العارفين: إذا فتح الله عليك بالتصريف فائت البيوت من أبوابها وإياك والفعل بالهمة من غير آلة وانظر إلى الحق سبحانه كيف خمر طينة آدم بيديه وسواه وعدله ثم نفخ فيه الروح وعلمه الأسماء فأوجد الأشياء على ترتيب ونظام وكان قادراً أن يكون آدم ابتداء من غير تخمير ولا شيء مما ذكر.

وفي «التأويلات النجمية» ولقد خلقنا سماوات الأرواح وأرض الأشباح وما بينهما من النفوس والقلوب والأسرار وسر الأسرار في ستة أيام أي: في ستة أنواع من المخلوقات وهي محصورة فيما ذكرناه من الأرواح والأشباح والنفوس والقلوب والأسرار وسر الأسرار فلا مخلوق إلا وهو داخل في جملتها فافهم جداً **﴿وما مسنا﴾** بذلك مع كونه مما لا تفي به القوى والقدر وبالفارسية ونرسيد مارا از آفرينش آنها **﴿من لغوب﴾** قال الراغب اللغوب: التعب والنصب يقال أتانا ساعياً لاغياً خائفاً تعباً وفي «القاموس» لغب لغباً ولغوباً كمنع وسمع وكرم أعيا أشد الإعياء وفي «تاج المصادر» اللغوب مانده شدن. وفعل يفعل فعولاً وفعلاً أيضاً لغة ضعيفة والمعنى من إعياء ولا تعب في الجملة وبالفارسية هيچ رنجى وماندكى. فإنه لو كان لاقتضى ضعفاً فاقتضى فساداً فكان من ذلك شيء على غير ما أردناه فكان تصرفنا فيه غير تصرفنا في الباقي وأنتم تشاهدون الكل على حد سواء من نفوذ الأمر وتمام التصرف.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿وما مسنا من لغوب﴾** لأنها خلقت بإشارة أمرِ كُن كما قال تعالى ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠] فأنى يمسه اللغوب وإنه صمد لا يحدث في ذاته حادث انتهى وهذا رد على جهلة اليهود في زعمهم أن الله بدأ خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه عما يقولون علواً كبيراً قال العلماء: إن الذي وقع من التشبيه لهذه الأمة إنما وقع من اليهود ومنهم أخذ.

يقول الفقير: هذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٣] يدل عليه ما بعد الآية وهو قوله: **﴿فاصبر على ما يقولون﴾** أي: ما يقوله المشركون في شأن البعث من الأباطيل المبنية على الإنكار واستبعاد فإن من فعل هذه الأفاعيل بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم أو ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه وغيرهم وفي «تفسير المناسبات» لما دل سبحانه على شمول العلم وإحاطة القدرة وكشف فيهما الأمر أتم كشف وكان علم الحبيب القادر بما يفعل العدو أعظم نذارة للعدو وبشارة للولي سبب عن ذلك قوله **﴿فاصبر على ما يقولون﴾** أي: على جميع الذي يقوله الكفرة وغيرهم انتهى وفيه إشارة إلى تربية النفوس بالصبر على ما يقول الجاهلون من كل

نوع من المكروهات وتزكيتها من الصفات المذمومات ملازمة للذكر والتسبيحات والتحميدات كما قال ﴿**وسبح بحمد ربك**﴾ أي: نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف في أخباره التي من جملتها الإخبار بوقوع البعث وعن وصفه بما يوجب التشبيه حال كونك ملتبساً بحمده على ما أنعم عليك من إصابة الحق وغيرها قال سهل في «الأمالي»: سر اقتران الحمد بالتسبيح أبداً كما في الآية وفي قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] أن معرفة الله تنقسم قسمين: معرفة ذاته ومعرفة أسمائه وصفاته، ولا سبيل إلى إثبات أحد القسمين دون الآخر وإثبات وجود الذات من مقتضى العقل وإثبات الأسماء والصفات من مقتضى الشرع فبالعقل عرفت المسمى وبالشرع عرفت المسمى ولا يتصور في العقل إثبات الذات إلا مع نفي سمات الحدوث عنها وذلك هو التسبيح ومقتضى العقل مقدم على مقتضى الشرع وإنما جاء الشرع المنقول بعد حصول النظر والعقول فنبه العقول على النظر فعرفت ثم علمها ما لم تكن تعلم من الأسماء فانضاف لها إلى التسبيح الحمد والثناء فما أمرنا إلا بتسبيحه بحمده ﴿**قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**﴾ هما وقتا الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة فالتسبيح فيهما بمكان وفي طه ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠] راعى القياس لأن الغروب للشمس كما أن الطلوع لها.

﴿**ومن الليل فسبحه**﴾ أي: وسبحه بعض الليل فقوله من الليل مفعول لفعل مضمر معطوف على ﴿**سبح بحمد ربك**﴾ يفسره فسبحه ومن للتبعيض ويجوز أن يعمل فيه المذكور أيضاً ولا تمنع الفاء عن عمل ما بعدها فيما قبلها كما يجيء في سورة قريش وقال بعض الكبار قبل طلوع الشمس يعني من أول النهار وقبل الغروب يعني إلى آخر النهار ومن الليل فسبحه يعني من جميع الليل بقدر الوسع والطاقة.

يقول الفقير: ثبت أن بعض أهل الرياضة لم ينم سنين فيمكن له دوام الذكر والتسبيح كما قال تعالى ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣] ويمكن أن يقال: إن ذلك حال القلب لا حال القالب فإن أكثر أهل الله ينامون ويقومون على ما فعله النبي عليه السلام لكن قلوبهم يقظى وصلاتهم أي: توجههم دائمة فهم في الذكر في جميع آناء الليل والنهار ﴿**وأدبار السجود**﴾ وأعقاب الصلوات وأواخرها جمع دبر من أدبرت الصلاة إذا انقضت والركوع والسجود يعبر بهما عن الصلاة لأنهما أعظم أركانها كما يعبر بالوجه عن الذات لأنه أشرف أعضائها وفي «تفسير المناسبات»: وسبح ملتبساً بحمد ربك قبل طلوع الشمس بصلاة الصبح وما يليق به من التسبيح وغيره وقبل الغروب بصلاة العصر والظهر كذلك فالعصر أصل في ذلك الوقت والظهر تبع لها ولما ذكر ما هو أدل على الحب في المعبود لأنه وقت الانتشار إلى الأمور الضرورية التي بها القوام والرجوع لقصد الراحة الجسدية بالأكل والشرب واللعب والاجتماع بعد الانتشار والانضمام مع ما في الوقتين من الدلالة الظاهرة على طي الخلق ونشرهم أتبعه ما يكون وقت السكون المراد به الراحة بلذيذ الاضطجاع والمنام فقال: ﴿**ومن الليل**﴾ أي: في بعض أوقاته فسبحه بصلاتي المغرب والعشاء وقيام الليل لأن الليل وقت الخلوات وهي ألذ المناجاة ولما ذكر الفرائض التي لا مندوحة عنها على وجه يشمل النوافل من الصلاة وغيرها أتبعها النوافل المقيدة بها فقال ﴿**وأدبار السجود**﴾ أي: الذي هو الأكمل في بابه وهو صلاة الفرض بما يصلي بعده من الرواتب والتسبيح بالقول أيضاً والمعنى والله أعلم أن الاشتغال استمطار من المحمود المسبح للنصر على المكذبين وأن الصلاة أعظم ترياق للنصر

وإزالة النصب ولهذا كان النبي عليه السلام «إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة» انتهى.

يقال حزبه الأمر نابه واشتد عليه أو ضغطه وفزع إليه لجأ وعن عمر وعلي رضي الله عنهما أدبار السجود الركعتان بعد صلاة المغرب وأدبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وعليه جمهور المفسرين وعن النبي عليه السلام: «من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم كتبت صلاته في عليين» وعنه عليه السلام «ركعتا الفجر» أي: سنة الصبح «خير من الدنيا وما فيها» «وكان عليه السلام يقرأ في الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلاة الفجر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد» قاله ابن مسعود وعن مجاهد ﴿وأدبار السجود﴾ هو التسبيح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبة وفي الحديث: «من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وكبر الله ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين فذلك تسع وتسعون ثم قال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر».

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الوفور بالدرجات والنعيم المقيم قال: وكيف ذلك؟ قالوا: صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال: أفلا أخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله تسبحون في دبر كل صلاة عشراً وتحمدون عشراً وتكبرون عشراً كما في «كشف الأسرار».

يقول الفقير: لعل سر التثليث في بيانه عليه السلام دائر على التثليث في بيانهم فإنهم قالوا صلوا وجاهدوا وأنفقوا فقال عليه السلام: تسبحون وتحمدون وتكبرون وفي تخصيص العشر في هذا الحديث رعاية لسر قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] فإن كل عشر إذا ضوعف أفرادها بعشرة الأمثال تبلغ إلى المائة المشيرة إلى الأسماء الحسنى التسعة والتسعين مع أحديتها فإذا كان كل عشر مائة يكون المجموع ثلاثمائة لكنه عليه السلام أراد أن يبلغ الأعداد المضاعفة إلى الألف لتكون إشارة إلى ألف اسم من أسمائه تعالى فزاد في كل من التسبيح والتحميد والتكبير باعتبار أصوله حتى جعله ثلاثاً وثلاثين وجعل تمام المائة القول المذكور في الحديث الأول فيكون أصول الأعداد مائة بمقابلة المائة المذكورة وفروعها وهي المضاعفات ألفاً ليكون بمقابلة الألف المذكور فإن قلت فأهل الوفور لا يخلو من أن يقولوا ذلك في أعقاب الصلوات فإذاً لا فضل للفقراء عليهم قلت: جاء في حديث آخر إذا قال الفقير: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مخلصاً وقال الغني مثل ذلك لم يلحق الغني الفقير في فضله وتضاعف الثواب وإن أنفق الغني معها عشرة آلاف درهم» وكذلك أعمال البر كلها فظهر فضلهم عليهم والحمد لله تعالى وفي الآية بيان فضيلة النوافل قال عليه السلام: خطاباً لأبي الدرداء رضي الله عنه: يا عويمر اجتنب مساخط الله وأد فرائض الله تكن عاقلاً ثم تنفل بالصالحات من الأعمال تزدد من ربك قرباً وعليه عزاً وفي الحديث حسنوا نوافلكم فبها تكمل فرائضكم وفي المرفوع النافلة هدية المؤمن إلى ربه فليحسن أحدكم هديته وليطبها وفي الحديث «ازدلفوا إلى الله بركعتين» أي: تقربوا وفي الحديث القدسي «ما تقرب عبد إلي بمثل أداء ما افترضت عليه وإنه ليتقرب إلي بعد ذلك بالنوافل حتى أحبه» والمراد بالنوافل نوافل الصلوات وغيرها ومنها سلوك الصوفية فإنه يتقرب به السالك إلى الله بإزالة الحجب المانعة عن النظر إلى وجه الله الكريم.

قال الراغب: القرب إلى الله قرب روحاني بإزالة الأوساخ من الجهل والطيش والغضب والحاجات البدنية بقدر طاقة البشر والتخلق بالأخلاق الإلهية من العلم والحكمة والرحمة وفي «ترجمة الفتوحات المكية»: درداد أي: فرائض عبوديت اضطرارست ودر نوافل عبوديت اختبار ونفل در ركعت زائد را كويند وتودر اصل خود زائدي بر وجود حق تعالى چه اوبودوتو نبودى وبوجود تووجود حادث زياده شدپس عمل نفل أشارت بوجود تست كه زائدست واصل تست وعمل فرض اشارت بوجود حق است كه اصل كلى است پس درداد اى فرائض بنده براى اوست ودر اداى نوافل براى خود وقتى كه دركار اوباشى هرآينه دوسترازان داردكه دركار خود باشى وثمرة اين حب كه دركار خودى است كه كنت سمعه وبصره ثمره آن حب كه دركار او باشى اعني اعمال فرائض قياسى كن كه چه كونه باشد وبدان كه درنفس نفل فرائض ونوافل هست اكر در فرض نقصانى واقع شده باشد بدان فرائض كه درضمن نفل است تمام كرده شود در خبر صحيح آمده است كه حق تعالى فرمايد كه درنماز بنده نكاه كنيد اكر تمام باشد تمام نويسند واكر ناقص باشد فرمايدكه ببينيدكه اين بنده را هيچ تطوعى هست اكر باشد فرمايدكه فريضه بنده رابدان تطوعات تمام سازيد چون ركوع وسجود وسائر افعال كه نفل بى آن درست نيست كه سادمسد فرض شود حق تعالى اين فروض را درميانه نوافل نهاد تاجبر فرض بفرض باشد انتهى. قال بعض الكبار: من أراد العلم الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فليكثر من الطاعات والنوافل حتى يحبه الحق فيعرف الله بالله ويعرف جميع الأحكام الشرعية بالله لا بعقله ومن لم يكثر مما ذكر فليقلد ربه فيما أخبر أولاً بأول فإنه أولى من تقليد العقل.

يقول الفقير: دخل في أدبار السجود والنوافل مثل صلاة الرغائب وصلاة البراءة وصلاة القدر فإن صلاة الرغائب تصلى بعد المغرب في ليلة الجمعة الأولى من شهر الله رجب والثانية بعد العشاء في ليلة النصف من شعبان والثالثة بعد العشاء أيضاً في ليلة القدر وتلك الصلوات من مستحسنات المشايخ المحققين لأنها نوافل أي: زوائد على الفرائض والسنن وهذا على تقدير أن لا يكون لها أصل صحيح في الشرع وقد تكلم المشايخ عليها والأكثر على أنه عليه السلام صلاها فلها أصل صحيح لكن ظهورها حادث ولا يقدح هذا الحدوث في أصالتها على أن عمل المشايخ يكفي سنداً فإنهم ذوو الجناحين وقد أفردت لهذا الباب جزءاً واحداً شافياً

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿واستمع﴾ يا محمد لما يوحى إليك من أحوال القيامة وفي حذف مفعول استمع وإبهامه ثم تفسيره بقوله يوم إلخ تهويل وتفظيع للمخبر به كما يروى عن النبي عليه السلام أنه قال سبعة أيام لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: يا معاذ اسمع ما أقول لك ثم حدثه بعد ذلك والسمع إدراك المسموع بالإصغاء والفرق بين المستمع والسامع أن المستمع من كان قاصداً للسماع مصغياً إليه والسامع من اتفق سماعه من غير قصد إليه فكل مستمع سامع من غير عكس **﴿يوم يناد المناد﴾** أصله ينادي المنادي قرأ أبو عمرو ونافع وابن كثير المنادي بالياء في الوصل وهو الأصل في اللغة والباقون بغير ياء لأن الكسر يدل عليه واكتفي به والمنادي هو الملك النافخ في الصور وهو إسرافيل عليه السلام والنداء نفخه سمي نداء من حيث إنه جعله علماً للخروج وللحشر

وإنما يقع ذلك النداء كأذان المؤذن وعلامات الرحيل في العساكر وقيل هو النداء حقيقة فيقف على الصخرة ويضع أصبعه في أذنيه وينادي أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل إسرافيل ينفخ وجبرائيل ينادي بالحشر ﴿من مكان قريب﴾ إلى السماء وهو صخرة بيت المقدس فإن بيت المقدس أقرب من جميع الأرض إلى السماء باثني عشر ميلاً أو ثمانية عشر ميلاً وهو وسط الأرض كما قاله علي رضي الله عنه أو من مكان قريب يصل نداؤه إلى الكل على سواء. يعني آواز او بهمه جا برسد واز هيچ موضعى دور نبود. وفي «كشف الأسرار» سمي قريباً لأن كل إنسان يسمعه من طرف أذنه وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك في الإعادة مثل كن في البدء.

﴿يوم﴾ الخ بدل من يوم ينادي الخ ﴿يسمعون﴾ أي: الأرواح وقيل الأجساد لأنه يمدها أربعين سنة كما في «عين المعاني» ﴿الصيحة﴾ وهي صيحة البعث التي هي النفخة الثانية والصيحة والصياح الصوت بأقصى الطاقة ﴿بالحق﴾ متعلق بالصيحة على أنه حال منها والعامل في الظرف ما يدل عليه قوله تعالى ﴿ذلك﴾ أين روز ﴿يوم الخروج﴾ من القبور وهو من أسماء يوم القيامة وسمي يوم العيد يوم الخروج أيضاً تشبيهاً به والمعنى يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذي هو البعث يخرجون من القبور إلى المحاسبة ثم إلى إحدى الدارين إما إلى الجنة وإما إلى النار قال في «كشف الأسرار»: چون اين ندا درعالم دهد در خلق اضطرار افتدآن كوشتهاى وپوستهاى پوسيده واستخوانها ريزيده وخاك كشسته وذره ذره بهم برآميخته بعضى بشرق بعضي بغرب بعضي به بر بعضي به بحر بعضي كركان خورده وبعضي مرفان پرده همه باهم مى آيد وذره ذره بجاى خود باز ميشود هرچه درهفت اقليم خاكى جانور بوده از ابتداء دور عالم تاروز رستا خيز همه باهم آيدتنها راست كردد وصورتها پيدا شود اعضا واجزاى مرتب ومركب كردد ذره كم نه وذره پيش نه موى ازين بان نياميزد وذره ازان به اين نه پيوندد آه صعب روزى كه حشر ونشرست روز جزاء خير وشرست ترازوى راستى آو يخته كرسى قضا نهاده بساط هيبت باز كسترده همه خلق بزانو در آمده كه ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: ٢٨] دوزخ مى غردكه ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨] زبانيه در عاصى آو يخته كه ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١﴾ [الحاقة: ٣٠، ٣١] صلوه هركس بخود درمانده واز خويش وپيوند بكريخته ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ [عبس: ٣٧] آورده اندكه پيش از آمدن خلق ازخاك جبريل وميكائيل بزمين آيند براق مى آرندو حله وتاج ازبهر مصطفى صلوات الله عليه واز هول آن روز نداننده روضه سيد كجاست اززمين مى برسند وزمين ميكويد من ازهول رستا خيز ندانم كه دربطن خود چه دارم جبريل بشرق وغرب همى نكرد از آنجا كه خوابكاه سيدست نورى برآيد جبريل آنجا شتابد سيد عالم صلوات الله عليه ازخاك بر آيد چنانكه درخبرست انا اول من تنشق عنه الأرض أول سخن اين كويد اى جبرائيل حال امتم چيست خبر چه دارى كويد اى سيد اول تو برخاسته ايشان درخاك اند اى سيد توحله درپوش وتاج بر سرنه وبر براق نشين وبمقام شفاعت رو تاامت در رسند مصطفى عليه السلام همى رودتا بحضرت عزت سجده آرد وحق راجل جلاله بستايد وحمد كويد از حق تعالى خطاب آيدكه اى سيد امروزنه روز خدمت است كه روز عطا ونعمت است نه روز سجود است كه روز كرم وجودست سر بردار وشفاعت كن هرچه

توخواهى آن كنم تودر دنياهمه آن كردى كه ما فرموديم ما امروز ترا آن دهيم كه توخواهى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥] قال المولى الجامي في «سلسلة الذهب»:

سويم افكن زمر حمت نظري ... باز كن بر رخم زفضل درى
لب بچنبان پى شفاعت من ... منكر دركناه وطاعت من
مانده ام زير بار عصيان پست ... افتم ازپاى اكر نكيرى دست
رحم كن برمن وفقيرىء من ... دست ده بهر دستكيرىء من

﴿إنا نحن نحيي ونميت﴾ في الدنيا من غير أن يشاركنا في ذلك أحد فتكرير الضمير بعد إيقاعه اسما للتأكيد والاختصاص والتفرد.

قال الكاشفي: يعني نطفه مرده راحيات مي دهيم وميرانيم ايشانرا دردنيا ﴿وإلينا المصير﴾ للجزاء في الآخرة لا إلى غيرنا لا استقلالاً ولا اشتراكاً فليستعدوا للقائنا وفيه إشارة إلى مراقبة القلوب بعد انقضاء أوقات الذكر لاستماع نداء الهواتف الغيبية والإلهامات الربانية والإشارات الإلهية من مكان قريب وهو القلب يوم يسمع النفوس الصيحة من جانب الحق بتجلي صفاته ذلك يوم الخروج من ظلمات البشرية إلى نور الروحانية والربانية إنا نحن نحيي القلوب الميتة ونميت النفوس الحية وإلينا المصير لمن ماتت نفسه وحيي قلبه.

واعلم أن الحشر حشر عام وهو خروج الأجساد من القبور إلى المحشر يوم النشور وحشر خاص وهو خروج الأرواح الأخروية من قبور الأجسام الدنيوية بالسير والسلوك في حال حياتهم إلى العالم الروحاني وذلك بالموت بالإرادة عن الصفات الحيوانية النفسانية قبل الموت بالاضطرار عن الصورة الحيوانية وحشر أخص وهو الخروج من قبور الأنانية الروحانية إلى الهوية الربانية وكما أن الموت نوعان: اضطراري واختياري فكذا الولادة الاضطرارية بخلق الله تعالى لا مدخل فيها لكسب العبد واختياره وأما الاختيارية فإنما تحصل بالكسب وهو الذي أشار إليه عيسى عليه السلام بقوله: لن يلج ملكوت السماوات من لم يولد مرتين.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۝٤٤ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾

﴿يوم تشقق الأرض عنهم﴾ بحذف إحدى التاءين من تتشقق أي: تتصدع قال في «تاج المصادر» التشقق شكافته شدن والمعنى بالفارسية بياد آر روزى راكه بشكافد زمين ودور شود ز آدميان يعني مردكان پس بيرون آبيد ازقبرها ﴿سراعاً﴾ حال من المجرور وهو جمع سريع والسرعة ضد البطء ويستعمل في الأجسام والأفعال ويقال سرع فهو سريع وأسرع فهو مسرع والمعنى حال كونهم مسرعين إلى إجابة الداعي من غير التفات يميناً وشمالاً هذا كقوله مهطعين إلى الداع ﴿ذلك﴾ أين إحياي ايشان ازقبور ﴿حشر﴾ بعث وجمع وسوق ﴿علينا يسير﴾ أي: هين علينا نقول له ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١٧٧] وهو كلام معادل لقول الكفرة ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣] وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسر به تعالى فإن ذلك لا يتيسر إلا على العالم القادر لذاته الذي لا يشغله شأن من شأن كما قال ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۚ﴾ [لقمان: ٢٨].

﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ من نفي البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه وهو تسلية لرسول الله عليه السلام وتهديد لهم ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ بمسلط

تقسرهم على الإيمان أو تفعل بهم ما تريد وإنما أنت مذكر هذا كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢] أي: لست بمتسلط عليهم تجبرهم بما تريد وأصل الجبر إصلاح الشيء بضرب من القهر والجبار في اسم الله تعالى هو الذي جبر العباد على ما أراد.

﴿فذكر﴾ پس پندكوى **﴿بالقرآن من يخاف وعيد﴾** أي: عظهم بمواعظه فإنهم المنتفعون به كما قال ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] وأما من عداهم فنفعل بهم ما يوجبه أقوالهم وتستدعيه أعمالهم من ألوان العقاب وفنون العذاب كقوله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يس: ١١] والوعيد التخويف بالعذاب ويستعمل في نفس العذاب كما مر.

قال بعض العارفين أمر الله نبيه عليه السلام أن يذكر الخاشعين من عظمته والخائفين من كبريائه بالقرآن لأنهم أهله وأهل القرآن أهل الله وخاصته هم يعرفون حقائق الخطاب بنعت العبودية وهم بالقرآن يرتقون إلى معادنه فيرون الحق بالحق بلا حجاب ويصعدون به إلى الأبد وقال أحمد بن همدان رحمه الله: لا يتعظ بمواعظ القرآن إلا الخائفون على إيمانهم وإسلامهم وعلى كل نفس من أنفاسهم وقال بعضهم: إنما يؤثر التخويف والإنذار والتذكير في الخائفين فأما من لا يخاف فلا ينجح فيه ذلك وطير السماء على أوكارها تقع وقال بعضهم: **﴿وما أنت عليهم بجبار﴾** هذا خطاب مع القلب يعني ما أنت على النفس وصفاتها بمتسلط بنفسك إلا بنا فذكر بالقرآن أي: بدقائق معانيه وحقائق أسراره من يخاف وعيد يعني بعض النفوس القابلة لتذكير القرآن ووعيده فإنه ليس لك نفس قابلة له. قال الشيخ سعدي:

درخير بازست هركز وليك ... نه هركس تواناست برفعل نيك
كسى راكه پندار درسر بود ... مپندار هركز كه حق بشنود
زعلمش ملال آيداز وعظ ننك ... شقايق بباران نرويد زسنك
بكوشش نرويد كل ازشاخ بيد ... نه زنكى به كرمابه كرد دسفيد
نيايد نكوكارى از بدر كان ... محالست دوزندكى از سكان
توان پاك كردن زرنك آينه ... وليكن نيايد زسنك آينه

كان رسول الله عليه السلام يخطب بسورة ق في كثير من الأوقات لاشتمالها على ذكر الله تعالى والثناء عليه ثم على علمه بما توسوس به النفوس وما تكتبه الملائكة على الإنسان من طاعة وعصيان ثم تذكير الموت وسكرته ثم تذكير القيامة وأهوالها والشهادة على الخلائق بأعمالهم ثم تذكير الجنة والنار ثم تذكير الصيحة والنشور والخروج من القبور ثم بالمواظبة على الصلوات قال السيوطي في كتاب «الوسائل»: أول من قرأ في آخر الخطبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] الآية عمر بن عبد العزيز ولزمها الخطباء إلى عصرنا هذا وكان النبي عليه السلام يقرأ ق وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ إذا الشمس كورت إلى قوله ما أحضرت وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقرأ آخر سورة النساء يستفتونك الآية وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقرأ الكافرون والإخلاص ذكر ذلك ابن الصلاح وفي الحديث «من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته» قيل تارات الموت إفاقاته وغشياته كما في «حواشي سعدي المفتي» رحمه الله.

تمت سورة ق بعون ذي الألطاف في أوائل جمادى الأولى
من سنة أربع عشرة ومائة وألف

٥١ ـ سورة الذاريات

ستون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤﴾.

﴿والذاريات ذرواً﴾ الواو للقسم والذاريات وما بعدها صفات حذفت موصوفاتها وأقيمت هي مقامها والتقدير والرياح الذاريات وذرواً مصدر عامله الذاريات يقال ذرت الريح الشي ذرواً وأذرته أطارته وأذهبته قال في «تاج المصادر»: الذرى داميدن. والمراد الرياح التي تذرو التراب وغيره ودانه را ازكاه جدا كنند كما في «تفسير الكاشفي» روي عن كعب الأحبار قال: لو حبس الله الريح عن الأرض ثلاثة أيام ما بقي على الأرض شيء إلا نتن وعن العوام بن حوشب قال: تخرج الجنوب من الجنة فتمر على جهنم فغمها منها وبركاتها من الجنة وتخرج الشمال من جهنم فتمر على الجنة فروحها من الجنة وشرها من النار وقيل الشمال تمر بجنة عدن فتأخذ من عرف طيبها فتمر على أرواح الصديقين وعن عبد الله بن شداد قال: إن الريح من روح الله فإذا رأيتموها فاسألوا الله خيرها وتعوذوا من شرها وعن جابر رضي الله عنه قال: هاجت ريح كادت تدفن الراكب من شدتها فقال عليه السلام: «هذه ريح أرسلت لموت منافق فقدمنا المدينة فإذا رأس من رؤوس المنافقين قد مات».

ـ وروي ـ عن علي رضي الله عنه أن مساكن الريح تحت أجنحة الكروبيين حملة الكرسي فتهيج من ثمة فتقع بعجلة الشمس ثم تهيج من عجلة الشمس فتقع برؤوس الجبال فتقع في البر فتأخذ الشمال وحدها من كرسي بنات النعش إلى مغرب الشمس والنعش أربعة كواكب على شكل مربع مستطيل وخلفها ثلاثة كواكب تسمى البنات وتأتي الدبور وحدها من مغرب الشمس إلى مطلع سهيل وتأتي الجنوب وحدها من مطلع سهيل إلى مطلع الشمس وتأتي الصبا وحدها من مطلع الشمس إلى كرسي بنات النعش فلا تدخل هذه في حد هذه ولا هذه في حد هذه.

قال ابن عمر: الرياح ثمان أربع منها عذاب وأربع منها رحمة أما الرحمة فالناشرات والمبشرات والذاريات والمرسلات وأما العذاب فالعاصفات والقاصف والصرصر والعقيم وأراد ابن عمر ما في القرآن من ألفاظ الرياح وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه السلام: «ليبيتن قوم من أمتي على أكل وشرب ولهو ولعب ثم ليمسخن قردة وخنازير وليصيبن أقواماً من أمتي خسف وقذف باتخاذهم القيان وشربهم الخمور وضربهم بالدف ولبسهم الحرير ولتنسفن أحياء من أمتي الريح كما نسفت عاداً» كما في كتاب «الإمتاع في أحكام السماع» والنسف بركندن بنا وكياه وداميدن چيزى. وفي الآية إشارة إلى الرياح الصبحية بحمل أنين

المشتاقين المتعرضين لنفحات الألطاف إلى ساحات العزة ثم تأتي بتنسم نفحات الحق إلى مشام أسرار المحبة فيجدون راحة من غلبات اللوعة وفي معناه أنشدوا:

وإني لأستهدي الرياح نسيمكم إذا أقبلت من أرضكم بهبوب
وأسألها حمل السلام إليكمو فإن هي يوماً بلغت فأجيبي

قال المولى الجامي:

نسيم الصبح زر مني ربي نجدو قبلها كه بوى دوست مى آيد ازان پاكيزه منزلها

وقال الكمال الخجندي:

صبا زدوست پيامى بسوى ما اورد بهمد مان كهن دوستى بجا آورد
براى چشم ضعيف رمد كرفته ما زخاك مقدم محبوب توتيا آورد

وقال بعضهم: المراد بالذاريات النساء الولود فإنهن يذرين وهو بضم الياء بمعنى يذرون.

يقول الفقير: من لطف هذا المعنى مجاورته للفظ الحاملات والجاريات على أن من وجوه الحاملات النساء الحوامل وفيه بيان لفضل المولود على العقيم كما قال عليه السلام: «سوداء ولود خير من حسناء عقيم» ودل لفظ السوداء على سيادة الولود كسواد الحجر الأسود فإنه من السيادة وذلك أن الولود مظهر الآثار ومطلع الأنوار وكذلك ولود الإنسان وهو الإنسان الكامل وهو كالمصدر للأفعال والجامد وهو الإنسان الناقص لا يصلح إلا لأن يكون آية يستدل بها كسائر الآيات التكوينية ومثاله لفظ إنما فإنه للتأكيد والحصر لا غير وذلك باعتبار الكف عن العمل فافهم الإشارة.

﴿**فالحاملات وقراً**﴾ الوقر بالكسر اسم لما توقر أي: تحمل والمراد هنا المطر ووقراً مفعول الحاملات والمعنى فالسحب الحاملة للمطر وبالفارسية: پس بردارندكان باركران يعني ابرها كه ببارند.

ـ روي ـ عن خالد بن معدان قال: إن في الجنة شجرة تثمر السحاب فالسوداء التي نضجت تحمل المطر والبيضاء النبيء لا تحمل المطر وقال كعب: السحاب غربال المطر ولولا السحاب لأفسد المطر ما أصاب من الأرض وعن الحسن أنه كان إذا نظر إلى السحاب قال لأصحابه: فيه والله رزقكم ولكن تحرمونه بخطاياكم وأعمالكم وعن عكرمة قال: ما أنزل الله من السماء قطرة إلا أنبت بها في الأرض عشبة أو في البحر لؤلؤة وفي المطر حياة الأرض فكأنه روحها وكذا في الفيض الإلهي حياة القلب والروح وفيه إشارة إلى أن سحاب ألطاف الربوبية تحمل أمطار مراحم الألوهية فتمطر على قلوب الصديقين.

﴿**فالجاريات يسراً**﴾ يسراً صفة لمصدر محذوف أي: فالسفن الجارية في البحر جرياً يسيراً أي ذا يسر وسهولة وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: البحر رزق بيد ملك لم يغفل عنه ولو غفل عنه الملك لطم على الأرض يعني دريا خيكى است بدست فرشته غافل نمنى شودازوى فرشته واكر غافل شود برمى كند زمين را وفرومي كيرد وفي الحديث لا يركبن رجل البحر إلا غازياً أو حاجاً أو معتمراً فإن تحت البحر ناراً وإن تحت النار بحراً وإن تحت البحر ناراً وقال كعب: ما من ليلة إلا والبحار تشرف على الخلائق فتقول: يا رب ائذن لنا حتى نغرق الخطائين فيأمرها تعالى بالسكون فتسكن وسأل سليمان بن داود عليهما السلام عن ملك البحر فخرجت إليه دابة من البحر فجعلت تنسل من حيث طلعت الشمس حتى انتصف النهار تقول

هذا ولما يخرج نصفي بعد فتعوذ بالله من البحر ومن ملكه يعني برسيد سليمان بن داود ازفرشته بحر پس بيرون آمد بسوى وى جانورى ازبحر بشتاب ازان زمان كه آفتاب برآمد تانيم روز كفت هنوز نيم من بيرون نيامده است پس پناه كرفت سليمان بخدا ازبحر ازملك وى.

وفيه إشارة إلى أن سفن وجود المحبين المحبوبين شراعها مرفوعة إلى مهب رياح العناية فتجري بها في بحر التوحيد على أيسر حال.

﴿**فالمقسمات أمراً**﴾ الأمر واحد الأمور أريد به معنى الجمع وهو منصوب على المفعولية والمراد بالمقسمات الملائكة وإيراد جمع المؤنث السالم فيهم بتأويل الجماعات أي: فالملائكة التي تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها وفي «كشف الأسرار» هذا كقوله ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥] قال عبد الرحمٰن بن سابط يدبر أمر الأرض أربعة من الملائكة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام فجبريل على الجنود والرياح وميكائيل على القطر والنبات وملك الموت على قبض الأرواح وإسرافيل يبلغهم ما يؤمرون به وأضاف هذه الأفعال إلى هذه الأشياء لأنها أسباب لظهورها كقوله تعالى خبراً عن جبريل ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩] وإنما الله هو الواهب الغلام لكن لما كان جبريل سبب ظهوره أضاف الهبة إليه والفاء لترتيب الأقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة يعني أن المقصود من الأقسام بها ظاهراً هو تأكيد المحلوف عليه وهو البعث وكونه محقق الوقوع والمقصود الأصلي تعظيم هذه الأشياء لما فيها من الدلالة على كمال قدرته فيكون في المعنى استدلالاً على المحلوف عليه فكأنه قيل: فمن قدر على إنشاء هذه الأشياء ألا يقدر على إعادة ما أنشأه أولاً كقول القائل لمن أنعم عليه وحق نعمك الكثيرة إني لا أزال أشكرك أتى بصورة القسم الدال على تعظيم النعم استدلالاً به على أنه مواظب لشكرها فإذا كان كذلك فالمناسب أن يقدم ما هو أدل على كمال القدرة والرياح أدل عليه بالنسبة إلى السحب لكون الرياح أسباباً لها والسحب لغرابة ماهيتها وكثرة منافعها ورقة حاملها الذي هو الريح أدل عليه من السفن وهذه الثلاث لكونها من قبيل المحسوسات أدل عليه من الملائكة الغائبين عن الحس لأنه كلام من المنكر فربما ينكر وجود من هو غائب عن الحس فلا يتم الاستدلال.

وقال سعدي المفتي في بيان التفاوت المذكور فأما على التنزل كما في قوله عليه السلام: «رحم الله المحلقين والمقصرين» بأن يقال الرياح أظهر في الدلالة على كمال القدرة من السحب وهي من السفن والثلاث من الملائكة المقسمة لأنه كلام مع الجاحد ويمكن أن ينكرها فكيف يجعلها أظهر مما هو محسوس على ما اختاره صاحب «الكشف» وأما على الترقي والقول بأن كلاً منها آخره أدل على كمال القدرة مما قبله ولا اعتبار بإنكار من لا عبرة به فالمقسمات يدل على أقدار الروحانيات مع لطافتها على التصرف في الجسمانيات مع كثافتها ثم الجاريات المتألفة من جميع العناصر على ما فيها من الصنعة البديعة والأمور العجيبة من حمل الأثقال مع خفة الحامل ورقة المحمل وقطع المسافة الشاسعة في زمان يسير بهبوب الرياح العاصفة ثم الحاملات تتألف من الأجزاء المائية والهوائية وقليل من الأجزاء النارية والأرضية وفيها غرائب من الآثار العلوية ولا تتم إلا بواسطة الرياح وعليك بالتأمل انتهى.

يقول الفقير: سر الترتيب هو أن الرياح فوق السحاب الحاملة للمطر وهي فوق الماء الحامل للسفن وهو فوق الأرض الظاهر أثر تدبير الملائكة فيها فأشار تعالى إلى أن كل أمر إنما

ينزل من السماء وكل تأثير في الأرض إنما يظهر من جانب العلو ومن ذلك وقوع البعث من القبور فمن قدر على إظهار الآثار في الأرض بالتأثيرات العلوية كان قادراً على البعث لأنه من الآثار الأرضية أيضاً والله أعلم وفيه إشارة إلى من ينزل من الملائكة المقربين لتفقد أهل الوصلة والقيام بأنواع من الأمور لأهل هذه القصة فهؤلاء القوم يسألونهم عن أحوالهم هل عندهم خبر من فراقهم ووصالهم ويقولون:

بربكما يا صاحبي قفا ليا   أسائلكما عن حالكم فاسألانيا

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦﴾

﴿إنما توعدون لصادق﴾ جواب للقسم وما موصولة والعائد محذوف أي: إن الذي توعدونه من البعث والحساب أو من الثواب والعقاب لصادق. يعني هرآينه راست ودرست است ودران هيچ خلافى نيست قال في «الإرشاد» ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضى في أن اسم الفاعل مسند إلى المفعول به إذا الوعد مصدوق والعيشة مرضية وقال ابن الشيخ أي: لذو صدق على أن البناء للنسب كتامر لأن الموعود لا يكون صادقاً بل الصادق هو الوعد ويجوز أن تكون ما مصدرية أي: وعدكم أو وعيدكم إذ يحتمل توعدون أن يكون مضارع وعد وأوعد والثاني هو المناسب للمقام فالكلام مع المنكرين **﴿وإن الدين لواقع﴾** أي: وإن الجزاء على الأعمال لحاصل وكائن لا محالة فإن من قدر على هذه الأمور البديعة المخالفة لمقتضى الطبيعة فهو قادر على البعث الموعود.

قال بعضهم: قد وعد الله المطيعين بالجنة والتائبين بالمحبة والأولياء بالقربة والعارفين بالوصلة والطالبين بالوجدان كما قال ألا من طلبني وجدني ووعد الله واقع البتة ومن أوفى بعهده من الله وأوعد الفاسقين بالنار والمصرين بالبغضاء والأعداء بالبعد والجاهلين الغافلين بالفراق والبطالين بالفقدان قال بعضهم: ما الحكمة في معنى القسم من الله تعالى فإنه إن كان لأجل المؤمن فالمؤمن يصدق بمجرد الإخبار من غير قسم وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده والجواب أن القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمراً والحكم يفصل باثنين إما بالشهادة وإما بالقسم فذكر الله في كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٨] الآية ولا يكون القسم إلا باسم معظم وقد أقسم الله بنفسه في القرآن في سبعة مواضع والباقي من القسم القرآني قسم بمخلوقاته كما في عنوان هذه السورة ونحوه والتين والزيتون والصافات والشمس والليل والضحى وغير ذلك فإن قلت ما الحكمة في أن الله تعالى قد أقسم بالخلق وقد ورد النهي عن القسم بغير الله تعالى قال في «ترجمة الفتوحات»: حذركن كه بغير دين إسلام بديني ديكر سوكند يادكنى ياكويى اكر چنين باشد از دين اسلام بيزارم ودرين صورت ازبهر احتياط تجديد ايمان كن ونهى آمده است ازانكه كسى بغير الله سوكند يادكند انتهى.

قلت: فيه وجوه الأول أنه على حذف المضاف أي: ورب الذاريات ورب التين ورب الشمس والثاني أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفون والثالث أن الإقسام إنما يكون بما يعظمه المقسم أو يجله وهو فوقه والله تعالى ليس شيء فوقه فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لأنها تدل على بارىء وصانع حكيم وقال بعضهم: القسم

بالمصنوعات يستلزم بالصانع لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل وقال بعضهم: إن الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وليس لأحد أن يقسم إلا بالله وقال بعضهم: القسم إما لفضيلة أو منفعة ولا تخلو المصنوعات عنهما.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾.

﴿والسماء ذات الحبك﴾ جمع حباك أو حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق والمراد بالحبك الطرائق أي: الطرائق المحسوسة التي هي مساير الكواكب أو المعقولة التي يسلكها النظار ويتوصل بها إلى المعارف كما قال الراغب الحبك هي الطرائق فمن الناس من تصور منها الطرائق المحسوسة بالنجوم والمجرة وهي بالفارسية كهكشان. وعن علي رضي الله عنه أن السماء تنشق من المجرة يوم القيامة ومنهم من اعتبر ذلك بما فيه من الطرائق المعقولة المدركة بالبصيرة وإلى هذا أشار بقوله ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ إلى قوله: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩١] وعن ابن عباس رضي الله عنهما ذات الخلق الحسن المستوي. درتبيان از ابن عمر رضي الله عنهما نقل ميكندكه مراد آسمان هفتم است وحق تعالى يد وسوكند ياد كند.

﴿إنكم﴾ يا أهل مكة **﴿لفي قول مختلف﴾** في القرآن أي: متخالف متناقض وهو قولهم: إنه شعر وسحر وافتراء وأساطير الأولين وفي الرسول شاعر وساحر ومفتر ومجنون وفي القيامة فإن من الناس من يقطع القول بإقرار ومنهم من يقطع القول بإنكار ومنهم من يقول إن نظن إلا ظناً وهذا من التحير والجهل الغليظ فيكم وفي هذا الجواب تأييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك أن قول الكفرة لا يكون مستوياً إنما هو مناقض مختلف.

يقول الفقير: لعل الوجه في هذا القسم أن القرآن نازل من السماء وأن النبوة أمر سماوي فهم اختلفوا في هذا الأمر السماوي وظنوا أنه أمر أرضي مختلف وليس كذلك وفي الآية إشارة إلى سماء القلب ذات الطريق إلى الله إنكم أيها الطالبون الصادقون لفي قول مختلف في الطلب فمنكم من يطلب منا ما عندنا من كمالات القربات ومنكم من يطلب منا ما لدينا من العلوم والمعارف ومنكم من يطلبنا بجميع صفاتنا فلو استقمتم على الطريقة وتبتم ملازمين في طلبه لبلغ كل قاصد مقصده.

﴿يؤفك عنه من أفك﴾ يقال أفكه عنه يأفكه إفكاً صرفه وقلبه أو قلب رأيه كما في «القاموس» ورجل مأفوك مصروف عن الحق إلى الباطل كما في «المفردات» أي: يصرف عن القرآن أو الرسول من صرف إذ لا صرف أفظع منه وأشد فكأنه لا صرف بالنسبة إليه يعني أن تعريف مصدر أفك للحقيقة وكلمة من للعموم فالمعنى كل من اتصف بحقيقة المصروفية يصرف عنه ويلزمه بعكس النقيض كل من لم يصرف عنه لم يتصف بتلك الحقيقة فكان كل صرف يغايره لا صرف بالقياس إليه لكماله وشدته وقال بعضهم: يصرف عنه من صرف في علم الله وقضائه يعني هركه در علم خداى محروم باشد ازايمان بكتاب وپيغمبر هرآينه محرومست:

دلهاهمه محزون وحكرها خونست تاحكم ازل درحق هركس چونست

وفيه إشارة إلى أن في قطاع الطريق على أرباب الطلب لكثرة فمن يصرفه عن طلبه قاطع من القطاع من النفس والهوى والدنيا وزينتها وشهواتها وجاهها ونعيمها فصرف فقد حرم من متمناه وأهلكه هواه كما قيل نعوذ بالله من الحور بعد الكور وينادي عليه منادي العزة وكم مثلها فارقتها وهي تصفر.

﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿قتل الخراصون﴾ دعاء عليهم كقوله ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾﴾ [عبس: ١٧] وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح والخرص تقدير القول بلا حقيقة ومنه خرص الثمار أي: تقديرها مثلاً تقدير ما على النخل من الرطب تمراً وكل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له خرص سواء كان ذلك مطابقاً للشيء أو مخالفاً له من حيث إن صاحبه لم يقله عن علم ولا غلبة ظن ولا سماع بل اعتمد فيه على الظن والتخمين كفعل الخارص في خرصه وكل من قال قولاً على هذا النحو يسمى كاذباً وإن كان قوله مطابقاً للقول المخبر به كما قال تعالى في شهادة المنافقين ﴿لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨ وغيرها] فالخراصون الكذابون المقدرون ما لا صحة له وهم أصحاب القول المختلف كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون فاللام للعهد إشارة إليهم وعن مجاهد هم الكهنة.

﴿الذين هم﴾ لفظ هم مبتدأ وخبره قوله **﴿في غمرة﴾** من الجهل والضلال تغمرهم وتغشاهم عن أمر الآخرة قال الراغب أصل الغمر إزالة أثر الشيء ومنه قيل للماء الكثير الذي يزيد أثر مسيله غمر وغامر وبه شبه الرجل السخي والفرس الشديد العدو فقيل لهما غمر كما شبها بالبحر والغمرة معظم الماء الساترة لمقرها وجعلت مثلاً للجهالة التي تغمر صاحبها وإلى نحوه أشار بقوله ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ [يس: ٣٦] وقيل للشدائد غمرات قال تعالى ﴿فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ [الأنعام: ٩٣] وقال الشاعر:

قال العواذل إنني في غمرة ... صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي

﴿ساهون﴾ خبر بعد خبر أي: غافلون عما أمروا به قال بعضهم: الغمرة فوق الغفلة والسهو دون الغفلة قال الراغب: السهو خطأ عن غفلة وذلك ضربان أحدهما أن لا يكون من الإنسان جوالبه ومولداته كمجنون سب إنساناً والثاني أن يكون مولداته كمن شرب خمراً ثم ظهر منه منكر لا عن قصد إلى فعله فالأول معفو عنه والثاني مأخوذ به وعلى الثاني ذم الله تعالى فقال **﴿الذين هم في غمرة ساهون﴾** وفي «كشف الأسرار» الخراصون هم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول في النبي عليه السلام ليصرفوا الناس عن دين الإسلام يعني أن أهل مكة أقاموا رجالاً على عقاب مكة يصرفون الناس يعني بوقت ورود قوافل برعقاب مكة نشستندى وهريك درحق مصطفى عليه السلام بآينده ورونده دروغ كفتندى ومرد مانرا ازصحبت شريف وى باز داشتندى حق تعالى ايشانرا لعنت كرد. قال ابو الليث فمنهم من يأخذ بقولهم ويرجع ومنهم من لا يرجع وفي الآية إشارة إلى أهل الدعوى الذين هم في غمرة الحسبان والغرور وهم ملعونون أي: مطرودون عن مقامات أهل الطلب فإنه ليس لهم طلب ولو طلبوا لوجدوا ما وجد أهل الطلب قال سهل رضي الله عنه: توضأت في يوم الجمعة فمضيت إلى الجامع في أيام البداية فوجدته قد امتلأ بالناس وهم الخطيب أن يرقى المنبر فأسأت الأدب ولم أزل أتخطى رقاب الناس حتى وصلت إلى الصف الأول فجلست فإذا هو

عن يميني شاب حسن المنظر طيب الرائحة عليه أطمار صوف فلما نظر إلي قال: كيف نجدك يا سهل؟ قلت: بخير أصلحك الله وبقيت متفكراً في معرفته لي وأنا لم أعرفه فبينما أنا كذلك إذ أخذني حرقان بول فأكربني فبقيت على وجل خوفاً أن أتخطى رقاب الناس وإن جلست لم تكن لي صلاة فالتفت إلي وقال: يا سهل أخذك حرقان بول؟ قلت: أجل فنزع إحرامه عن منكبه فغشاني به ثم قال اقض حاجتك وأسرع فالحق الصلاة قال: فغمي علي وفتحت عيني وإذا بباب مفتوح وسمعت قائلاً يقول: لج الباب يرحمك الله فولجت وإذا بقصر مشيد عالي البناء شامخ الأركان وإذا بنخلة قائمة وإلى جنبها مطهرة مملوءة ماء أحلى من الشهد ومنزل إراقة الماء ومنشفة معلقة وسواك فحللت لباسي وأرقت الماء ثم اغتسلت وتنشفت بالمنشفة فسمعته يناديني فيقول: إن كنت قضيت أربك فقل نعم فقلت: نعم فنزع الإحرام عني فإذا أنا جالس في مكاني ولم يشعر بي أحد فبقيت متفكراً في نفسي وأنا مكذب نفسي فيما جرى فقامت الصلاة وصلى الناس فصليت معهم ولم يكن لي شغل إلا الفتى لأعرفه فلما فرغ تبعت أثره فإذا به قد دخل على درب فالتفت إلي وقال: يا سهل كأنك ما أيقنت بما رأيت قلت: كلا فقال: لج الباب يرحمك الله فنظرت الباب بعينه فولجت القصر فنظرت النخلة والمطهرة والحال بعينه والمنشفة مبلولة فقلت: آمنت بالله فقال: يا سهل من أطاع الله أطاعه كل شيء يا سهل اطلبه تجده فتغرغرت عيناي بالدموع فمسحتهما وفتحتهما فلم أر الفتى ولا القصر فبقيت متحسراً على ما فاتني منه ثم أخذت في العبادة.

﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿**يسألون**﴾ أي: الكفار فيقولون ﴿**أيان يوم الدين**﴾ بحذف المضاف من اليوم وإقامة المضاف إليه مقامه فلا يرد أن ظرف الزمان لا يقع خبراً إلا عن الحدث وفي النظم أخبر به عن الزمان أي: متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء

﴿**يوم هم على النار يفتنون**﴾ جواب للسؤال وانتصب يوم يفعل مضمر دل عليه السؤال أي: يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون بها كما يفتن الذهب بالنار يقال: فتنت الشيء أي: أحرقت خبثه لتظهر خلاصته فالكافر كله خبث فيحرق كله ويجوز أن يكون خبر المبتدأ محذوف أي: هو يوم هم والفتح لإضافته إلى غير متمكن.

﴿**ذوقوا فتنتكم**﴾ أي: مقولاً لهم هذا القول إذا عذبوا والقائل خزنة النار أو ذوقوا جزاء تكذيبكم كما في قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٣] أي: كفرهم مراداً به عاقبته قال الراغب أصل الفتن إدخال الذهب النار ليظهر جودته من رداءته ويستعمل في إدخال الإنسان النار وقوله تعالى ﴿**ذوقوا فتنتكم**﴾ أي: عذابكم وتارة يسمون ما يحصل منه العذاب فيستعمل فيه نحو قوله تعالى ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة: ٤٩] وتارة في الاختبار نحو قوله: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠] ﴿**هذا الذي كنتم به تستعجلون**﴾ جملة من مبتدأ وخبر داخلة تحت القول المضمر وهذا إشارة إلى ما في الفتنة من معنى العذاب أي: هذا العذاب ما كنتم تستعجلون به في حياتكم الدنيا وتقولون متى هذا الوعد بطريق الاستهزاء ويجوز أن يكون هذا بدلاً من فتنتكم بتأويل العذاب والذي صفته وفيه إشارة إلى أهل المكر والدعوى الذين استبطؤوا حصول

المرام فيسألون أيان يوم الدين وهم في ظلمة ليل الدنيا مستعجلين في استبلاج نهار الدين فأجابتهم عزة الجبروت عن الكبرياء والعظموت يوم هم على نار الشهوات يفتنون بعذاب البعد والقطيعة يعذبون ذوقوا عذاب فتنتكم التي قطعت عليكم طريق الطلب هذا الذي كنتم به تملون من الطلب وتستعجلون الظفر بالمقصود. قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: كنت أنا وصاحب لي قد أوينا إلى مغارة نطلب الدخول إلى الله وأقمنا فيها ونقول يفتح لنا غداً أو بعد غد فدخل علينا يوماً رجل ذو هيبة علمنا أنه من أولياء الله فقلنا له: كيف حالك؟ فقال: كيف يكون حال من يقول يفتح لنا غداً أو بعد غد يا نفس لم لا تعبدين الله لله فتيقظنا وتبنا إلى الله فبعد ذلك فتح علينا ففيه إشارة إلى ترك الاستعجال في طريق الطلب وإلى الأخذ بالإخلاص وإلى العمل وفق إشارة المرشد ودلالة الأنبياء حتى يتخلص الطالب من عذاب الوجود ويرتفع الحجاب ويحصل الشهود بكمال الفيض والجود وأما العمل بالنفس فيزيد في وجودها:

واقف نمى شوندكه كمكرده اندراه تارهروان براهنمايى نمى رسند

فالمرشد إذاً لا بد منه فإن المريد ضعيف والشيخ كالحائط المستحكم. كما قال الشيخ سعدي:

مريدان زطفلان بقوت كمند مشايخ چو ديوار مستحكمند

وقال الصائب:

برهدف دستى ندارد تيربى زور كمان همت پيران جوانانرا بمنزل ميبرد

نسأل الله سبحانه أن يدلنا على سلوك طريقه ويوصلنا إلى جنابه بتوفيقه إنه هو الكريم الرحيم.

﴿**إن المتقين**﴾ عن الكفر والمعصية والجهل والميل إلى ما سوى المولى والمتصفين بالإيمان والطاعة والمعرفة والتوجه إلى الحضرة العليا ﴿**في جنات**﴾ أي: بساتين لا يعرف كنهها فالتنكير للتعظيم ويجوز أن يكون للتكثير كما في قوله إن له لإبلاً وإن له لغنماً والعرب تسمي النخيل جنة ﴿**وعيون**﴾ أي: أنهار جارية أي: تكون الأنهار بحيث يرونها وتقع عليها أبصارهم لا أنهم فيها وعن سهل رضي الله عنه التقي في الدنيا في جنات الرضى يتقلب وفي عيون الناس يسبح وقال بعضهم في جنات قلوبهم وعيون الحكمة في عاجلهم وفي جنات الفضل وعيون الكرم فغدا تجلي ودرجات واليوم مناجاة وقربات ﴿**آخذين ما آتاهم ربهم**﴾ حال من الضمير في الجار أي: قابلين لكل ما أعطاهم من الثواب راضين به على معنى أن كل ما أعطاهم حسن مرضى متلقى بالقبول ليس فيه ما يرد لأنه في غاية الجودة ومنه قوله ويأخذ الصدقات أي: يقبلها ويرضاها قال بعضهم: آخذين ما آتاهم ربهم اليوم بقلوب فارغة إلى الله من أصناف ألطافه وغداً يأخذون وما يعطيهم ربهم في الجنة من فنون العطاء والرفد ثم علل استحقاقهم ذلك بقوله: ﴿**إنهم كانوا قبل ذلك محسنين**﴾ قبل دخول الجنة أي: في الدنيا.

﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

﴿**كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون**﴾ الهجوع النوم بالليل دون النهار وما مزيدة لتأكيد معنى التقليل فإنها تكون لإفادة التقليل كما في قولك أكلت أكلاً ما وقليلاً ظرف ويهجعون خبر كانوا أي: كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل أو صفة مصدر محذوف أي: كانوا يهجعون

هجوعاً قليلاً من أوقات الليل يعني يذكرون ويصلون أكثر الليل وينامون أقله ولا يكونون مثل البطالين الغافلين النائمين إلى الصباح وقال بعض أهل الإشارة فيه إشارة إلى أن أهل الإحسان وهم أهل المحبة والمشاهدة لا ينامون بالليل لأن القلة عبارة عن العدم ومعنى عدم نومهم ما أشار إليه ﷺ بقوله: «نوم العالم عبادة» فمن يكون في العبادة لا يكون نائماً قيل: نزلت الآية في شأن الأنصار رضي الله عنهم حيث كانوا يصلون في مسجد النبي عليه السلام ثم يمضون إلى قبا وبينهما ميلان وهما ساعة واحدة بالساعة النجومية.

وقال الكاشفي: اشهر آنست كه خواب نكردندى تا نماز خفتن ادا نفر مودندى ووقت آنرا دراز كشيدندى. وعن جعفر بن محمد أنه قال: من لم يهجع ما بين المغرب والعشاء حتى يشهد العشاء فهو منهم وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي: «صلاة الليل أفضل قال في نصف الليل وقليل فاعله». قال بعضهم:

نركس اندر خواب غفلت يافت بلبل صد وصال خفته نابينا بوددولت به بيداران رسد

وفي «المثنوي»:

درد پشتم داد حق تامن زخواب برجهم درنيم شب باسوز وتاب

درد دها بخشيد حق ازلطف خوبش تانخسبم جمله شب چون كاو ميش

قال داود بن رشيد من أصحاب محمد بن الحسن قمت ليلة فأخذني البرد فبكيت من العري فنمت فرأيت قائلاً يقول: يا داود أنمناهم وأقمناك فتبكي علينا فما نام داود بعد تلك الليلة. روزى شاكردى از شاكردان ابو حنيفة رحمه الله اوراكفت مردمان مى كويندكه ابو حنيفه هيچ بشب نمى خسبد كفت نيت كردم كه هركز ديكر نخسبم لما قال تعالى ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ [آل عمران: ١٨٨] ومن نخواهم كه ازان قوم باشم كه ايشانرا بچيزى كه نكرده باشند ياد كنند بعد ازان سى سال نماز بامداد بطهارت نماز خفتن كزارد. قال الشيخ أبو عمرو في سبب توبته: سمعت ليلة حمامة تقول: يا أهل الغفلة قوموا إلى ربكم رب كريم يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم فلما سمعت ذلك ذهبت عني ثم لما جئت إلي وجدت قلبي خالياً عن حب الدنيا فلما أصبحت لقيت الخضر عليه السلام فدلني على مجلس الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه فدخلت عليه وسلمت نفسي إليه ولازمت بابه حتى جمع الله لي كثيراً من الخير.

﴿**وبالأسحار هم يستغفرون**﴾ السحر السدس الأخير من الليل لاشتباهه بالضياء كالسحر يشبه الحق وهو باطل أي: هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في الأسحار كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم. واين دليل آنست كه بعمل خود معجب نبوده اند وازان حساب نداشته:

طاعت ناقص ما موجب غفران نشود راضيم كر مدد علت عصيان نشود

وفي بناء الفعل على الضمير المفيد للتخصيص إشعار بأنهم الأحقاء أن يوصفوا بالاستغفار كأنهم المختصون به لاستدامتهم له وإطنابهم فيه وفي «بحر العلوم» تقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفاصلة وعن الحسن كانوا لا ينامون من الليل إلا أقله وربما نشطوا فمدوا إلى السحر ثم أخذوا بالأسحار في الاستغفار.

وفي «التأويلات النجمية» يستغفرون من رؤية عبادات يعملونها في سهرهم إلى الأسحار

بمنزلة العاصين يستغفرون استصغاراً لقدرهم واستحقاراً لفعلهم:

عـذر تـقـصـيـر خـدمـت آوردم كـه نـدارم بـطـاعـت اسـتـظـهـار
عـاصـيـان ازكـنـاه تـوبـه كـنـنـد عـارفـان ازعـبـادت اسـتـغـفـار

أي من التقصير في العبادة أو من رؤيتها قيل: يا رسول الله كيف الاستغفار؟ قال: «قولوا اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم» وقال عليه السلام: «توبوا فإني أتوب إلى الله في كل يوم مائة مرة» وفي الحديث «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح فيقول: يا رب أنى لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك» أي بأن قال: رب اغفر لي ولوالدي وفي بعض الأخبار إن أحب أحبائي إلي الذين يستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض شيئاً ذكرتهم فصرفت بهم عنهم. قال الحافظ:

هر كنج سعادت كه خداداد بحافظ ازيمن دعاى شب وورد سحرى بود

وقال:

دركوى عشق شوكت شاهى نمى خرند اقرار بندكى كن ودعوى چاكرى

وفي «المثنوي»:

كفت آنكه هست خورشيد راه او حرف طوبى هركه زلت نفسه
ظل ذلت نفسه خوش مضجعست مستعدان صفارا مهجعست
كرازين سايه روى سوى منى زود طاغى كردى وره كم كنى

وقال الكلبي ومجاهد وبالأسحار هم يصلون وذلك أن صلاتهم بالأسحار لطلب المغفرة وفي الحديث: «من تعار من الليل» هذا من جوامع الكلم لأنه يقال تعار من الليل إذا استيقظ من نومه مع صوت كذا في «الصحاح» وهذه اليقظة تكون مع كلام غالباً فأحب النبي عليه السلام أن يكون ذلك الكلام تسبيحاً وتهليلاً ولا يوجد ذلك إلا ممن استأنس بالذكر فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا» أي بدعاء آخر غير قوله اللهم اغفر لي: «استجيب له». هذا الجزاء مترتب على الشروط المذكورة والمراد بها الاستجابة اليقينية لأن الاحتمالية ثابتة في غير هذا الدعاء ولو لم يدع المتعار بعد هذا الذكر كان له ثواب لكنه عليه السلام لم يتعرض له. قال: توضأ وصلى قبلت صلاته. فريضة كانت أو نافلة وهذه المقبولية اليقينية مترتبة على الصلاة المتعقبة لما قبلها وفي الخبر الصحيح ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول: أنا الملك من الذي يدعوني فأستجيب له من الذي يسألني فأعطيه من الذي يستغفرني فأغفر له وكان النبي عليه السلام إذا قام من الليل يتهجد قال: «اللهم لك الحمد أنت الحق ووعدك حق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك» قال داود عليه السلام: يا جبرائيل أي: الليل أفضل؟ قال: لا أدري إلا أن العرش يهتز وقت السحر ولا يهتز العرش إلا لكثرة تجليات الله إما تلقياً وفرحاً لأهل السهر وإما طرباً لأنين المذنبين والمستغفرين في ذلك الوقت وإما تعجباً لكثرة عفو الله ومغفرته وإجابته للأدعية في ذلك الوقت وإما تعجباً من حسن

لطف الله في تحننه على عباده الآبقين الهاربين منه مع غناه عنهم وكثرة احتياجهم إليه تعالى ثم مع ذلك هم غافلون في نومهم وهو يتوجه إليهم ويدعوهم بقوله: «هل من سائل هل من مستغفر هل من تائب هل من نادم» وقوله: «من يقرض غير عدوم ولا ظلوم» وإما تعجباً من غفلات أهل الغفلة بنومهم في مثل ذلك الوقت وحرمانهم من البركة وإما لأنواع قضاء الله وقدره في ذلك الوقت من الخيرات والشرور والليل إما للأحباب في أنس المناجاة وإما للعصاة في طلب النجاة والسهر لهم في لياليهم دائم أو لفرط أسف ولشدة لهف وإما للاشتياق أو للفراق كما قالوا:

كم ليلة فيك لا صباح لها ... أفنيتها قابضاً على كبدي
قد غصت العين بالدموع وقد ... وضعت خدي على بنان يدي

وإما لكمال أنس وطيب روح كما قالوا:

سقى الله عيشاً نضيراً مضى ... زمان الهوى في الصبي والمجنون
لياليه تحكي انسداد اللحا ... ظ للعين عند ارتداد الجفون

واعلم أن الله سبحانه أمر نبيه ﷺ بإحياء الليل لأن هذه الطريقة أقرب طريق إلى الله للمقبل الصادق وما يطيقها إلا المتمكن الصابر العابر من كل عائق وفي الحديث فرض علي قيام الليل ولم يفرض عليكم وذلك لأنه روح العالم ومداره فكيف يكون ولي الله بخيل بنفسه على الله متكاسل وبتكاسله يخرب العالم ويشتد جهل أهله كما أن الروح إذا ضعف اختل الجسد وقواه ومن هنا عرفت شدة توغل الأتقياء في العبادات وكلما قرب الإنسان من الكمال اشتد تكليفه فاعرف هذا.

ـ وروي ـ أن إلياس النبي عليه السلام أتى إليه ملك الموت ليقبضه فبكى فقال له: أتبكي وأنت راجع إلى ربك فقال: بل أبكي على ليالي الشتاء ونهار الصيف الأحباب يقومون ويصومون ويخدمون ويتلذذون بمناجاة محبوبهم وأنا رهين التراب فأوحى الله إليه قد أجلناك إلى يوم القيامة لحبك خدمتنا فتمتع.

قال الحافظ: دع التكاسل تغنم. فقد جرى مثل كه زاد را هروان جستيست وچالاكى.

﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وفي أموالهم حق﴾ أي: نصيب وافر يستوجبونه على أنفسهم أي: يعدونه واجباً عليهم ويلزمونه تقرباً إلى الله وإشفاقاً على الناس فليس المراد بالحق ما أوجبه الله عليهم في أموالهم فاندفع به ما عسى يقال كيف يمدح المرء بأنه يثبت في ماله حق للفقراء فمن يمنع الزكاة من الأغنياء يوجد فيهم هذا المعنى ولا يستحقون المدح **﴿للسائل﴾** لحاجة المستجدي أي: طالب الجدوى والنفع **﴿والمحروم﴾** أي: المتعفف الذي يحسبه الناس غنياً فيحرم الصدقة وفي «القاموس» المحروم الممنوع من الخير ومن لا ينمى له مال وفي «المفردات» أي: الذي لم يوسع عليه في الرزق كما وسع على غيره بل منع من جهة الخير وفي «بحر العلوم» وإنما خصصه بالسائل والمحروم ولم يذكر سائر المستحقين لأن ذلك حق سوى الصدقة المفروضة بدليل قوله عليه السلام «إن في المال حقاً سوى الزكاة» انتهى يعني في المال حق واجب سوى الزكاة وهو الحقوق التي تلزم عندما يعرض من الأحوال من النفقة على الوالدين إذا كانا فقيرين

وعلى ذي الرحم المحرم وما يجب من طعام المضطر وحمل المنقطع ونحو ذلك وفي الحديث «ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا فيقول الله لأقربنكم اليوم ولأبعدنهم وتلا الآية» فلا بد من الإنفاق وهو من أحسن الأخلاق. قال الحافظ:

چه دوزخى چه بهشتى چه آدمى چه ملك بمذهب همه كفر طريقتست امساك

وقال الشيخ سعدي:

از زر وسيم راحتى برسان خويشتن هم تمتعى بركير
چونكه اين خانه ازتو خواهد ماند خشتى ازسيم وخشتى اززر كير

وفي الحديث: «إن لله ثلاثمائة وستين خلقاً من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة قال أبو بكر رضي الله عنه هل فيّ منها يا رسول الله قال: كلها فيك يا أبا بكر وأحبها إلى الله السخاء».

ـ حكي ـ أن الشيخ الشبلي قدس سره أشار إلى أصحابه بالتوكل فلم يفتح عليهم بشيء ثلاثة أيام ثم قال لهم: إن الله تعالى قد أباح الكسب بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: ١٥] فخرج واحد منهم فأعياه الجوع وجلس عند حانوت طبيب نصراني فعرف الطبيب جوعه من نبضه فأمر غلامه بالطعام فقال الفقير: قد ابتلي بهذه العلة أربعون رجلاً فأمر غلامه بحمل الطعام إليهم ومشى خلفه فلما وصل الطعام إليهم قال الشبلي: لا ينبغي أن تأكلوا قبل المكافأة بالدعاء فدعوا له فلما سمع الطبيب دعاءهم دخل وأسلم فظهر معنى قوله ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمن: ٦٠] فجزاء إحسان الطبيب النصراني بالطعام الإحسان من عباد الله بالدعاء ومن الله بتوفيق الإسلام وفي الآية إشارة إلى ما آتاهم الله من فضله من المقامات والكمالات أنه فيها حق للطالبين الصادقين إذا قصدوهم من أطراف العالم في طلبها إذا عرفوا قدرها والمحروم من لم يعرف قدر تلك المقامات والكمالات فما قصدوهم في طلبها فلهم في ذمة كرم هؤلاء الكرام حق التفقد والنصح فإن الدين النصيحة فإنهم بمنزلة الطبيب والمحروم بمنزلة المريض فعلى الطبيب أن يأتي إلى المريض ويرى نبضه ويعرف علته ويعرفه خطره ويأمره بالاحتماء من كل ما يضره ويعالجه بأدوية تنفعه إلى أن يزيل مرضه وتظهر صحته كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾ الإيقان بي كمان شدن. أي: دلائل واضحة على وجود الصانع وعلمه وقدرته وإرادته ووحدته وفرط رحمته من حيث إنها مدحوة كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين في أقطارها والسالكين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن متفننة وأنها تلقح بألوان النبات وأنواع الأشجار وأصناف الثمار المختلفة الألوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وقال الكلبي عظات من آثار من تقدم.

وفي «التأويلات النجمية» منها أي: من تلك الآيات أنها تحمل كل شيء فكذا الموقن العارف يحمل كل حمل من كل أحد ومن استثقل حملاً أو تبرم برؤية أحد ساقه الله إليه فلغيبته عن الحقيقة ومطالعته الحق بعين التفرقة وأهل الحقائق لا يتصفون بهذه الصفة ومنها أنها يلقى عليها قذارة وقمامة فتنبت كل زهر ونور وورد وكذلك العارف يتشرب ما يسقى من الجفاء ولا يترشح إلا بكل خلق على وشيمة زكية ومنها أن ما كان منها سبخاً يترك ولا يعمر لأنه لا

يحتمل العمارة كذلك من الإيمان له بهذه الطريقة يهمل فإن مقابلته بهذه القصة كإلقاء البذر في الأرض السبخة انتهى قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر ولا تبذر السمراء في الأرض عميان. يعني بيان الحقائق الذي هو غذاء القلب والروح كالسمراء يعني الحنطة للجسم وقوله في الأرض عميان يعني في أرض استعداد هذه الطوائف الذين لا يبصرون الحق ولا يشاهدونه في جميع الأشياء وفي «حقائق البقلي» آيات الأرض ظهور تجلي ذاته وصفاته في مرآة الأكوان كما ظهر من الطور لموسى عليه السلام وما ظهر من المصيصة لعيسى عليه السلام وهي بكسر الميم مدينة على ساحل البحر الرومي بجوار طرسوس والسيس وما ظهر لمحمد ﷺ من جبال مكة ألا ترى إلى قوله عليه السلام «جاء الله من سينا واستعين بساعة وأشرق من جبال فاران» أي: جبال مكة وفي «القاموس» فاران جبال مذكورة في التوراة منها بكر بن القاسم.

﴿**وفي أنفسكم**﴾: أي في أنفسكم آيات إذ ليس في العالم شيء إلا وفي الأنفس له نظير يدل دلالته على ما سبق تطبيق العالم الصغير بالكبير في أواخر حم السجدة عند قوله ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [فصلت: ٥٣] إلخ مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الأفعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة وفي «بحر العلوم» وفي الأرض دلائل من أنواع الحيوان والأشجار والجبال والأنهار وفي أنفسكم آيات لهم من عجائب الصنع الدالة على كمال الحكمة والقدرة والتدبير والإرادة فيكون تخصيصاً بعد تعميم لأن أنفس الناس مما في الأرض كأنه قيل في الأرض آيات للموحدين العاقلين وفي أنفسكم خصوصاً آيات لهم لأن أقرب المنظور فيه من كل عاقل نفسه ومن ولد منها وما في بواطنها وظواهرها من الدلائل الواضحة على الصانع وفي نقلها من هيئة وحال إلى حال من وقت الميلاد إلى وقت الوفاة قال بعضهم:

ففي كل شيء له آية — تدل على أنه واحد

وذلك لأن كل شيء بجسمه واحد وكذا بروحه ولا عبرة بكثرة الأجزاء والأعضاء وما من عدد إلا ويصح وصفه بالوحدة فيقال عشرة واحدة ومائة واحدة على أن كل جسم فهو منتهى إلى الجزء الذي لا يتجزى وهو النقطة وكل ألف فهو إما مركب من نقاط ثلاث أو خمس أو سبع وقس عليه سائر التركيبات الحروفية والفعلية.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن نفس الإنسان مرآة جميع صفات الحق ولهذا قال عليه السلام: من عرف نفسه فقد عرف ربه فلا يعرف أحد نفسه إلا بعد كمالها وكمالها في أن تصير مرآة تامة مصقولة قابلة لتجلي صفات الحق لها فيعرف نفسه بالمرآتية ويعرف ربه بالمتجلي فيها كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

جهان مرآت حسن شاهد ماست — فشاهد وجهه في كل ذرات

﴿**أفلا تبصرون**﴾ أي: ألا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة حتى تعتبروا وتستدلوا بالصنعة على الصانع وبالنقش على النقاش وكذا على صفاته. قال الكاشفي: استفهام بمعنى امرست يعني بنظر عبرت درنكريد وعلامات كمال صنع درذات خود مشاهده كنيددر حقايق سلمى مذكور است كه هركه اين آيتها در نفس خودبيند ودر صفحه وجود آثار قدرت مطالعه ننمايد حظ خودرا ضايع كرده باشد واز زندكانى هيچ بهره نيابد:

نظري بسود خودكن كه توجان دلربايى مفكن بخاك خودراكه تواز بلند جايى
تو زچشم خود نهانى توكمال خود چه دانى چودراز صدف برون آكه توبس كران بهايى

قال الواسطي: تعرف إلى قوم بصفاته وأفعاله وهو قوله ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ وتعرف إلى الخواص بذاته فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الفرقان: ٤٥].

ـ روي ـ أن علياً رضي الله عنه صعد المنبر يوماً فقال: سلوني عما دون العرش فإن ما بين الجوانح علم جم هذا لعاب رسول الله ﷺ في فمي هذا ما رزقني الله من رسول الله رزقاً فوالذي نفسي بيده لو أذن للتوراة والإنجيل أن يتكلما فأخبرت بما فيهما لصدقاني على ذلك وكان في المجلس رجل يماني فقال: ادعى هذا الرجل دعوى عريضة لأفضحنه فقام وقال: يا علي أسأل قال: سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً فقال: أنت حملتني على ذلك هل رأيت ربك يا علي قال: ما كنت أعبد رباً لم أره فقال: كيف رأيت قال: لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأت القلوب بحقيقة الإيمان ربي واحد لا شريك له أحد لا ثاني له فرد لا مثل له لا يحويه مكان ولا يداوله زمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالقياس فسقط اليماني مغشياً عليه فلما أفاق قال: عاهدت الله أن لا أسأل تعنتاً.

ـ وحكي ـ عن بعض الصالحين أنه رأى في المنام معروفاً الكرخي شاخصاً بصره نحو العرش قد اشتغل عن حور الجنة وقصورها فسألت رضوان: من هذا قال معروف الكرخي مات مشتاقاً إلى الله فأباح له أن ينظر إليه وهذا النظر هناك من نتائج النظر بالقلب في الدنيا لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء: ٧٢] وأما النظر بالبصر في الدنيا فلما لم يحصل لموسى عليه السلام لم يحصل لغيره إذ ليس غيره أكمل قابلية منه إلا ما حصل لرسول الله ﷺ وقد كان في خارج حد الدنيا إذ كان فوق العرش والعرش من العالم الطبيعي وملاق لعالم الأرواح.

واعلم أن رؤية العوام في مرتبة العلم ورؤية الخواص في مرتبة العين ولهم مراتب في التوحيد كالأفعال والصفات والذات فليجتهد العاقل في الترقي من مرتبة العلم إلى مرتبة العين ومن الاستدلال إلى الشهود والحضور.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿وفي السماء رزقكم﴾ أي: أسباب رزقكم على حذف المضاف يعني به الشمس والقمر وسائر الكواكب واختلاف المطالع والمغارب التي يترتب عليه اختلاف الفصول التي هي مبادي حصول الأرزاق. كما قال الشيخ سعدي:

ابر وباد ومه وخورشيد وفلك دركارند تاتونانى بكف آرى وبغفلت نخورى
همه از بهر توسر كشته وفرمان برادر شرط انصاف نباشدكه توفرمان نبرى

أو في السماء تقدير رزقكم وقال ابن كيسان يعني على رب السماء رزقكم كقوله تعالى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] ﴿وما توعدون﴾ من الثواب لأن الجنة على ظهر السماء السابعة تحت العرش قرب سدرة المنتهى أو أراد أن كل ما توعدون من الخير والشر والثواب والعقاب والشدة والرخاء وغيرها مكتوب مقتدر في السماء. ودرتبيان كفته مكتوبست درلوحى كه در آسمان چهارم است. يقول الفقير: أمر العقاب ينزل من السماء ونفسه أيضاً كالصيحة والقذف والنار والطوفان على ما وقع في الأمم السالفة.

﴿فورب السماء والأرض﴾ أقسم الله بنفسه وذكر الرب لأنه في بيان التربية بالرزق ﴿إنه﴾ أي: ما توعدون أو ما ذكر من أمر الآيات والرزق على أنه مستعار لاسم الإشارة ﴿لحق﴾ هر آينه راستست. وفي الحديث «أبى ابن آدم أن يصدق ربه حتى أقسم له فقال: فورب» إلخ وقال الحسن في هذه الآية بلغني أن رسول الله عليه السلام قال: «قاتل الله أقواماً أقسم الله لهم بنفسه فلم يصدقوه» انتهى ولو وعد يهودي لإنسان رزقه وأقسم عليه لاعتمد بوعده وقسمه فقاتله الله كيف لا يعتمد على الرزق قال هرم بن سنان لأويس القرني رضي الله عنه: أين تأمرني أن أكون فأومأ إلى الشام فقال هرم: كيف المعيشة بها؟ قال أويس: أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها العظة ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ أي: كما أنه لا شك لكم في أنكم تنطقون ينبغي أن لا تشكوا في حقيقته وبالفارسية همچنانكه شك نيست شمارادر سخن خودشك نيست در روزى دادن من وغير او. ونصبه على الحالية من المستكن في الحق أو على أنه وصف لمصدر محذوف أي: إنه لحق حقاً مثل نطقكم فإنه لتوغله في الإبهام لا يتعرف بإضافته إلى معرفته وما زائدة أو عبارة عن شيء على أن يكون ما بعدها صفة لها بتقدير المبتدأ أي هو أنكم تنطقون.

وفي «التأويلات النجمية» كما نطقكم الله فتنطقون بقدرته بلا شك كذلك حق على الله أن يرزقكم ما وعدكم وإنما اختص التمثيل بالنطق لأنه مخصوص بالإنسان وهو أخص صفاته انتهى وفي الآية دليل للتوكل على الله وحث على طلب الحوائج منه وأحالهم على رؤية الوسائط ولو كانوا على محل التحقيق لما أحالهم على السماء ولا على الأرض فإنه لو كأنه السماء من حديد والأرض من نحاس فلم تمطر ولم تنبت وكان رزق جميع العباد على رقبة ولي من أولياء الله الكمل ما يبالي لأنه خرج من عالم الوسائط ووصل إلى صاحب الوسائط والله تعالى إنما يفعل عند الأسباب لا بالأسباب ولو رفع الأسباب لكان قادراً على إيصال الرزق فإنه إنما يفعل بأمر كُن وبيده الملكوت وهذا مقام عظيم قلما سلمت النفوس فيه من الاضطراب والقلق لعل الفتاح أدخلنا في دائرة الفتوح آمين وعن الأصمعي أقبلت في البصرة من الجامع بعد الجمعة فطلع أعرابي على قعود وهو بالفتح من الإبل ما يقتعده الراعي في كل حاجة فقال: من الرجل؟ قلت: من بني أصمع قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن أي: من بيت الله الحرام قال: اتل علي فتلوت ﴿والذاريات﴾ فلما بلغت قوله ﴿وفي السماء رزقكم﴾ قال: حسبك فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت دقيق فالتفت فإذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفر فسلم فاستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح فقال: قد وجدنا ما وعد ربنا حقاً ثم قال: وهل غير هذا فقرأت ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق﴾ فصاح وقال: يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الخليل حتى حلف لم يصدقوه بالقول حتى ألجؤوه اليمين قالها ثلاثاً وخرجت معه نفسه نسأل الله التوكل والاعتماد.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾

﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم﴾ تفخيم لشأن الحديث لأنه استفهام معناه التعجب والتشويق إلى استماعه ومثله لا يكون إلا فيما فيه فخامة وعظيم شأن وتنبيه على أنه ليس مما علمه رسول الله عليه السلام بغير طريق الوحي إذ هو أمي لم يمارس الخط وقراءته ولم

يصاحب أصحاب التواريخ ففيه إثبات نبوته قال ابن الشيخ الاستفهام للتقرير أي: قد أتاك وقيل إن لم يأتك نحن نخبرك والضيف في الأصل مصدر ضافه إذا نزل به ضيفاً ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وقد يجمع فيقال أضياف وضيوف وضيفان قال الراغب أصل الضيف الميل يقال ضفت إلى كذا وأضفت كذا إلى كذا والضيف من مال إليك نزولاً بك وصارت الضيافة متعارفة في القرى كانوا اثني عشر ملكاً منهم جبرائيل وميكائيل وزقائيل وتسميتهم ضعيفاً لأنهم كانوا في صورة الضيف حيث أضافهم إبراهيم أو لأنهم كانوا في حسبانه كذلك ﴿المكرمين﴾ صفة للضيف أي: المكرمين عند الله بالعصمة والتأييد والاصطفاء والقربة والسفارة بين الأنبياء كما قال ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] أو عند إبراهيم بالخدمة حيث خدمهم بنفسه وبزوجته وأيضاً بطلاقة الوجه وتعجيل الطعام وبأنهم ضيف كريم لأن إبراهيم أكرم الخليقة وضيف الكريم لا يكون إلا كريماً وفي الحديث «من آمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» قيل إكرامه تلقيه بطلاقة الوجه وتعجيل قراه والقيام بنفسه في خدمته وقد جاء في الرواية أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم عليه السلام أكرم أضيافك فأعد لكل منهم شاة مشوية فأوحى إليه أكرم فجعله ثوراً فأوحى إليه أكرم فجعله جملاً فأوحى إليه أكرم فتحير فيه فعلم أن إكرام الضيف ليس في كثرة الطعام فخدمهم بنفسه فأوحى إليه الآن أكرمت الضيف وقال بعض الحكماء لا عار للرجل ولو كان سلطاناً أن يخدم ضيفه وأباه ومعلمه ولا تعتبر الخدمة بالإطعام. قال الشيخ سعدي:

شنيدم كه مرديست پاكيزه بوم شناسا ورهرو دراقصاى روم
من وچند سالوك صحرا نورد برفتيم قاصد بديدار مرد
سروچشم هريك ببوسيد ودست بتميكن وعزت نشاند ونشست
زرش ديدم وزرع وشاكر دورخت ولي بي مروت چوبى بردرخت
بخلق ولطف كرم رومرد بود ولي ديكدانش قوي سرد بود
همه شب نبودش قرار وهجوع زتسبيح وتهليل ومار از جوع
سحر كه ميان بست ودر باز كرد همان لطف دوشينه آغاز كرد
يكى بدكه شيرين وخوش طبع بود كه باما مسافر دران ربع بود
مرا بوسه كفته بتصحيف ده كه درويش را توشه ازبوسه به
بخدمت منه دست بر كفش من مرا نان ده وكفش بر سربزن

﴿إذ دخلوا عليه﴾ ظرف للحديث فالمعنى هل أتاك حديثهم الواقع في وقت دخولهم عليه ﴿فقالوا سلاماً﴾ أي: نسلم عليك سلاماً والفاء هناك إشارة إلى أنهم لم يخلوا بأدب الدخول بل جعلوا السلام عقيب الدخول ﴿قال﴾ إبراهيم ﴿سلام﴾ أي: عليكم سلام يعني سلام برشماباد. فهو مبتدأ خبره محذوف وترك العطف قصداً إلى الاستئناف فكأن قائلاً قال: ماذا قال إبراهيم في جواب سلامهم فقيل: ﴿قال سلام﴾ أي: حياهم بتحية أحسن من تحيتهم لأن تحيتهم كانت بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث حيث نصبوا سلاماً وتحيته بالاسمية الدالة على دوام السلام وثباته لهم حيث عدل به إلى الرفع بالابتداء ﴿قوم منكرون﴾ يقال نكرت الرجل بكسر الكاف نكراً وأنكرته واستنكرته إذا لم تعرفه فالكل بمعنى وأصله أن يرد على القلب ما لا يتصوره وذلك ضرب من الجهل قال تعالى ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨] كما في «المفردات»

أي: قال إبراهيم في نفسه من غير أن يشعرهم بذلك هؤلاء قوم لا نعرفهم فهم منكرون عند كل أحد وقوله فنكرهم أي: بنفسه فقط فأحدهما غير الآخر وكانوا على أوضاع وأشكال خلاف ما عليه الناس وقال أبو العالية: أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض لأن السلام لم يكن تحيتهم لأنه كان بين أظهر قوم كافرين لا يحيي بعضهم بعضاً بالسلام الذي هو تحية المسلمين. وقال الكاشفي: يعني هركز چون شما قومى نديدم در صورت وقامت مرا بكوييد چه كسانيد ايشان كفته اند مهما نانيم.

﴿فراغ إلى أهله﴾ يقال راغ إلى كذا أي: مال إليه سراً فالاختفاء معتبر في مفهوم الروغ أي: ذهب إليهم على خفية من ضيفه فإن من أدب المضيف أن يبادر بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذراً من أن يكفه الضيف ويعذره أو يصير منتظراً.

ـ وحكي ـ أنه نزل ببعض المشايخ ضيف فأشار إلى مريد له بإحضار الطعام فاستبطأ فلما جاء سأله عن وجهه فقال المريد: وجدت على السفرة نملاً فتوقفت إلى أن خرجت منها فقال الشيخ: أصبت الفتوة ولما اطلع على هذه الحال بعض من هو أعلى حالاً من ذلك الشيخ قال: لم يصب الفتوة فإن الأدب تعجيل القرى وحق الضيف أحق من حق النمل فكان الواجب على المريد أن يلقيها على الأرض ويجيء بالسفرة مستعجلاً ﴿فجاء بعجل سمين﴾ الفاء فصيحة مفصحة عن جمل محذوفة والباء للتعدية والعجل ولد البقرة لتصور عجلته التي تعدم منه إذا صار ثوراً أو بقرة والسمن لكونه من جنس السمن وتولده عنه والمعنى فذبح عجلاً سميناً لأنه كان عامة ماله البقر واختار السمين زيادة في إكرامهم فحنذه أي: شواه فجاء به يعني پس بياورد كوساله فربه بريان كرده.

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةً ۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٍ مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿فقربه إليهم﴾ بأن وضعه لديهم حسبما هو المعتاد ليأكلوا فلم يأكلوا ولما رأى منهم ترك الأكل ﴿قال ألا تأكلون﴾ منه إنكاراً لعدم تعرضهم للأكل وحثاً عليه.

ـ وروي ـ أنهم قالوا: نحن لا نأكل بغير ثمن قال إبراهيم: كلوا وأعطوا ثمنه قالوا: وما ثمنه قال: إذا أكلتم فقولوا بسم الله وإذا فرغتم فقولوا الحمد لله فتعجب الملائكة من قوله فلما رآهم لا يأكلون.

﴿فأوجس منهم﴾ الوجس الصوت الخفي كالإيجاس وذلك في النفس أي: أضمر في نفسه ﴿خيفة﴾ أي: خوفاً فتوهم أنهم أعداء جاؤوا بالشر فإن عادة من يجيء بالشر والضرر أن لا يتناول من طعام من يريد إضراره قال في «عين المعاني»: من لم يأكل طعامك لم يحفظ ذمامك.

يقول الفقير: يخالفه سلامهم فإن المسلم لا بد وأن يكون من أهل السلم وقيل وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا لعذاب ﴿قالوا﴾ حين أحسوا بخوفه ﴿لا تخف﴾ إنا رسل الله وقيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يمشي حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم ﴿وبشروه﴾وبشارت ومژده دادند مراورا. وفي سورة الصافات وبشرناه أي: بواسطتهم ﴿بغلام﴾ هو إسحاق والغلام

الطار الشارب والكهل ضده أو من حين يولد إلى أن يشب كما في «القاموس» ﴿عليم﴾ عند بلوغه واستوائه ولم تلد له سارة غيره.

﴿فأقبلت امرأته﴾ سارة لما سمعت بشارتهم إلى بيتها وكانت في زاوية تنظر إليهم قال ابن الشيخ فأقبلت إلى أهلها وكانت مع زوجها في خدمتهم فلما تكلموا بولادتها استحيت وأعرضت عنهم فذكر الله ذلك بلفظ الإقبال على الأهل ولم يذكره بلفظ الإدبار عن الملائكة قال سعدي المفتي كذا في «التفسير الكبير» ولا يناسبه قوله ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ ﴾ [مريم: ٩] فإنه يقتضي كونها عندهم فالإقبال إليهم ﴿في صرة﴾ حال من فاعل أقبلت والصرة الصيحة الشديدة يقال صر يصر صريراً إذا صوت ومنه صرير الباب وصرير القلم أي: حال كونها في صيحة وهو صوت شديد وقيل صرتها قولها أوه أو يا ويلتي أو رنتها. وقال الكاشفي: درفرياد وميكفت الليلاء الليلاء اين كلمه بود در كفت ايشان كه وقت تعاظم أمور برزبان راندندى. والصرة أيضاً الجماعة المنضم بعضها إلى بعض كأنهم صروا أي: جمعوا في إناء وبها فسرها بعضهم أي: أقبلت في جماعة من النساء كنّ عندها وهي واقفة متهيئة للخدمة ﴿فصكت وجهها﴾ الصك ضرب الشيء بالشيء العريض يقال صكه أي: ضربه شديداً بعريض أو عام كما في «القاموس» أي: لطمته من الحياء لما أنها وجدت حرارة دم الحيض وقيل ضربت بأطراف أصابعها جبينها كما يفعله المتعجب وهي عادة النساء إذا أنكرن شيئاً. وقال الكاشفي: بس طبانچه زدروى خودرا چنانچه زنان در وقت تعجب كنند ﴿وقالت عجوز عقيم﴾ أي: أنا عجوز عاقر لم ألد قط في شبابي فكيف ألد الآن ولي تسع وتسعون سنة سميت العجوز عجوزاً لعجزها عن كثير من الأمور وأصل العقم اليبس المانع من قبول الأثر والعقيم من النساء التي لا تقبل ماء الفحل قال في «القاموس»: العقم بالضم هزمة تقع في الرحم فلا تقبل الولد وفي «عين المعاني» العقيم من سد رحمها ومنه الداء العقام الذي لا يرجى برؤه وبمعناه العاقر وهي المرأة التي لا تحبل ورجل عاقر أيضاً لمن لا يولد له وكانت سارة عقيماً لم تلد قط فلما لم تلد في صغرها وعنفوان شبابها ثم كبر سنها وبلغت سن الإياس استبعدت ذلك وتعجبت فهو استبعاد بحكم العادة لا تشكك في قدرة الله سبحانه وتعالى.

﴿قالوا كذلك﴾ أي: مثل ذلك الذي بشرناه ﴿قال ربك﴾ وإنما نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى لا أنا نقول من تلقاء أنفسنا فالكاف في كذلك منصوب المحل على أنه صفة لمصدر قال الثانية أي: لا تستبعدي ما بشرناه به ولا تتعجبي منه فإنه تعالى قال مثل ما أخبرناك به ﴿إنه هو الحكيم العليم﴾ فيكون قوله حقاً وفعله محكماً لا محالة:

كسى كوبكار تودانا بود ... براتمام اوهم توانا بود
بجزدر كهش رومكن سوى كس ... مراددل خويش از وجوى وبس

روي أن جبريل عليه السلام قال لها: انظري إلى سقف بيتك فنظرت فإذا جذوعه مورقة مثمرة فأيقنت ولم تكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع إبراهيم أيضاً حسبما شرح في سورة الحجر وإنما لم يذكر هنا اكتفاء بما ذكر هناك كما أنه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر هٰهنا وفي سورة هود وفي الآية إشارة إلى أنه لا يجوز اليأس من فضل الله تعالى فإن المقدور كائن ولو بعد حين وقد أورقت وأثمرت شجرة مريم عليها السلام أيضاً وكانت يابسة كما مر في سورة مريم وقد اشتغل أفراد في كبرهم ففاقوا على أقرانهم في العلم فبعض محرومي البداية

مرزوقون في النهاية فمنهم إبراهيم بن أدهم وفضيل بن عياض ومالك بن دينار قدس الله أسرارهم فإنهم وإن بعدوا عن الفطرة الأصلية بسبب الأحوال العارضة لكنهم لما سبقت العناية في حقهم انجذبوا إلى الله فتقربوا لديه وأزالوا عن الفطرة الغواشي فمن استعجز قدرة الله تعالى فقد كفر وأما قولهم: «الصوفي بعد الأربعين بارد»، فهو يحسب الغالب لأن المزاج بعد الأربعين في الانحطاط لغلبة اليبوسة والبرودة لكن الله يحيي ويميت فيحيي في الكبر ما أماته في الصغر أي: في حال الشباب ويميت في الكبر ما أحياه في الصغر بأن يميت النفس في الكبر بعدما كانت حية في الشباب ويحيي القلب في الكبر بعدما كان ميتاً في الشباب ومن الله نرجو جزيل الفيض والعطاء.

﴿قال﴾ إبراهيم عليه السلام لما علم أنهم ملائكة أرسلوا لأمر ﴿فما خطبكم﴾ أي: شأنكم الخطير الذي لأجله أرسلتم سوى البشارة فإن الخطب يستعمل في الأمر العظيم الذي يكثر في التخاطب وقلما يعبر به عن الشدائد والمكاره حتى قالوا خطوب الزمان ونحو هذا والفاء فيه للتعقيب المتفرع على العلم بكونهم ملائكة ﴿أيها المرسلون﴾ أي: فرستاده شد كان.

﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ متمادين في إجرامهم وآثامهم مصرين عليها وفي «فتح الرحمن» المجرم فاعل الجرم آثم وهي صعاب المعاصي والمراد بهم قوم لوط

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿لنرسل عليهم﴾ أي: بعدما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل في سائر السور الكريمة ﴿حجارة من طين﴾ أي: طين متحجر وهو ما طبخ فصار في صلابة الحجارة وهو السجيل يعني أن السجيل حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب عليها أسماء القوم ولو لم يقل من طين لتوهم أن المراد من الحجارة البرد بقرينة إرسالها من السماء فلما قيل من طين اندفع ذلك الوهم.

﴿مسومة﴾ مرسلة من سومت الماشية أي: أرسلتها لترعى لعدم الاحتياج إليها قال سعدي المفتي فيه أن الظاهر حينئذ من عند ربك بإثبات من الجارة انتهى أو معلمة للعذاب من السومة وهي العلامة أو معلمة ببياض وحمرة أو بسيما تتميز بها عن حجارة الأرض أو باسم من يرمي بها ويهلك ﴿عند ربك﴾ في خزائنه التي لا يتصرف فيها غيره تعالى ﴿للمسرفين﴾ أي: المجاوزين الحد في الفجور إذ لم يقنعوا بما أبيح لهم من النسوان للحرث بل أتوا الذكران وعن ابن عباس أي: للمشركين فإن الشرك أسرف الذنوب وأعظمها.

﴿فأخرجنا﴾ الفاء فصيحة مفصحة عن محذوف كأنه قيل فباشروا ما أمروا به فأخرجنا بقولنا ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [هود: ٨١، الحجر: ٦٥] إلخ فهو إخبار من الله وليس بقول جبريل. قال الكاشفي: چون إبراهيم معلوم فرمودكه بمؤتفكه مى روند بهلاك كردن قوم لوط دل مباركش بجهت برادر زاده متألم شدكه آيا حال او دران بلا چكونه كذرد ملائكه كفتند غم مخوركه لوط عليه السلام ودختران او نجات خواهند يافت. وذلك قوله تعالى: ﴿فأخرجنا من كان فيها﴾

أي: في قرى قوم لوط وهي خمس على ما في «تفسير الكاشفي» وإضمارها بغير ذكرها لشهرتها ﴿من المؤمنين﴾ من آمن بلوط.

﴿فما وجدنا فيها غير بيت﴾ أي: غير أهل بيت ﴿من المسلمين﴾ قيل هم لوط وابنتاه وأما امرأته فكانت كافرة وإليه الإشارة بقول الشيخ سعدي:

بابدان يار كشت همسر لوط خاندان نبوتش كم شد
سك اصحاب كهف روزى چند پى نيكان كرفت ومردم شد

وقيل كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر. وكفته انديك كس ازان قوم بلوط ايمان آورده بود درمدت بيست سال.

قال العلماء يأتي النبي يوم القيامة ومعه أمته وآخر معه قومه وآخر معه رهطه وآخر معه ابنه وآخر معه رجل وآخر استتبع ولم يتبع ودعا فلم يجب وذلك لإتيانه في الوقت الشديد الظلمة وفي الآية إشارة إلى أن المسلم والمؤمن متحدان صدقاً وذاتاً لا مفهوماً والمسلم أعم من المؤمن فإنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم من غير عكس والعام والخاص قد يتصادقان في مادة واحدة وقال بعضهم: الإيمان هو التصديق بالقلب أي: إذعان لحكم المخبر وقبوله وجعله صادقاً والإسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى قبول الأحكام والإذعان وهذا حقيقة التصديق كما لا يخفى على من له أدنى عقل وتأمل وإنكار ذلك مكابرة.

﴿وتركنا فيها﴾ أي: في تلك القرى ﴿آية﴾ علامة دالة على ما أصابهم من العذاب هي تلك الحجارة أو ماء أسود منتن خرج من أرضهم ﴿للذين يخافون العذاب الأليم﴾ أي: من شأنهم أن يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوي القلوب القاسية فإنهم لا يعتدون بها ولا يعدونها آية كما شاهدنا أكثر الحجاج حين المرور بمدائن صالح عليه السلام وكان عليه السلام يبكي حين المرور بمثل هذه المواضع وينكس رأسه ويأمر بالبكاء والتباكي ودلت الآية على كمال قدرته تعالى على إنجاء من يؤيد دينه والانتقام من أعدائه ولو بعد حين وعلى أن المعتبر في باب النجاة والحشر مع أهل الفلاح والرشاد هو حبهم وحسن اتباعهم وهو الاتصال المعنوي لا الاختلاط الصوري وإلا لنجت امرأة نوح ولوط وقد قال تعالى في حقهما ﴿ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠] فعلى العاقل باتباع الكامل والاحتراز عن أهل الفساد والقصور سيما الناقصات في العقل والدين والشهادة والميراث والنفسانية والشيطانية غالبة فيهن فإذا اقترن بمضل آخر فسدن، وفي الآية إشارة إلى أن القوم المجرمين المسرفين هم النفس وصفاتها الذميمة والأذكار والأوراد والمجاهدات والرياضات مهلكة للنفس وأوصافها وليس في مدينة الشخص الإنساني من المسلمين إلا القلب السليم وأوصافه الحميدة فهي سالمة من الهلاك وإذا أهلكت النفس وأوصافها بما ذكر يكون تزكيتها وتهذيب أخلاقها آية وعبرة للذين يخافون العذاب الأليم بوعيد ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩ ـ ١٠] ثم هذه التزكية وإن كان حصولها في الخارج بالأسباب والوسائط لكنها في الحقيقة فضل من الله سبحانه وإلا لنالها كل من تشبث بالأسباب نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أهل النفوس المطمئنة الراضية المرضية الصافية.

﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٣٨﴾

﴿وفي موسى﴾ عطف على قوله: **﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾** فقصة إبراهيم ولوط عليهما السلام معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه تسلية لرسول الله عليه السلام من تكذيبهم ووعداً له بإهلاك أعدائه الأفاكين كما أهلك قوم لوط أو على قوله **﴿وتركنا فيها آية﴾** على معنى وجعلنا في إرسال موسى إلى فرعون وإنجائه مما لحق فرعون وقومه من الغرق آية كقول من قال: «علفتها تبناً وماء بارداً» أي: وسقيتها ماء بارداً وإلا فقوله في موسى: لا يصح كونه معمولاً لتركنا إذ لا يستقيم أن يقال تركنا في موسى آية كما يصح أن يقال تركنا في تلك القرية آية لأن الترك ينبىء عن الإبقاء فإذا لم يبق موسى كيف يبقى ما جعل فيه **﴿إذ أرسلناه﴾** منصوب بآية محذوفة أي: كائنة وقت أرسلنا وعلى الثاني ظرف لجعلنا المقدر **﴿إلى فرعون﴾** صاحب مصر **﴿بسلطان مبين﴾** هو ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة كالعصا واليد البيضاء وغيرهما والسلطان مصدر يطلق على المتعدد.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿فتولى بركنه﴾ أي: ثنى عطفه وهو كناية عن الإعراض أي: فأعرض عن الإيمان به وازور فالتولي بمعنى الإعراض والباء في بركنه للتعدية كما في قوله **﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾** [الإسراء: ٨٣] فإنها معدية لنأى بمعنى بعد فيكون الركن بمعنى الطرف والجانب والمراد بهما نفسه فإنه كثيراً ما يعبر بطرف الشيء وجانبه عن نفسه وفي «الصحاح» ركن الشيء جانبه الأقوى كالمنكب بالنسبة إلى الإنسان وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره فإن الركن اسم لما يركن إليه الإنسان وليكن من مال وجند وقوة فالركن مستعار لجنوده تشبيهاً لهم بالركن الذي يتقوى به البنيان وعلى هذه الباء للسببية أو للملابسة والمصاحبة **﴿وقال﴾** هو أي: موسى **﴿ساحر﴾** جادوست بچشم بندى خوارق عادات مينمايد **﴿أو مجنون﴾** أو ديوانه است عاقبت كار خود نمى انديشد. والمجنون ذو الجنون وهو زوال العقل وفساده كأنه نسب ما ظهر على يديه من الخوارق العجيبة إلى الجن وتردد في أنه حصل باختياره وسعيه أو بغيرهما وقال أبو عبيدة أو بمعنى الواو إذ نسبوه إليهما جميعاً كقوله إلى مائة ألف أو يزيدون محققان كفته اندطعن وى بر موسى دليل كمال جهل اوست چه اورابد وچيز متضاد طعن زد ومقررست كه سحررا عقلي تمام وذهني دراك وحذاقتي وافربايد وديوانكى دليل زوال عقلست وكمال عقل وزوال أن ضدانند.

﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم﴾ النبذ إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به أي: فطرحناهم في بحرالقلزم مع كثرتهم كما يطرح أحدكم فيه حصيات أخذهن في كفه لا يبالي بها وبزوالها عنه **﴿وهو مليم﴾** أي: أخذناه والحال أنه آت بما يلام عليه صغيرة أو كبيرة إذ كل صاحب ذنب ملوم على مقدار ذنبه. قال الكاشفي: مليم مستحق ملامت بوديا ملامت كنند خودراكه چرا اعراض كردم ازموسى وبر وطعنه زدم وبدين سبب كفت آمنت انه الخ:

بكوى آنچه دانى سخن سود مند وكر هيچ كس رانيايد پسند
كه فردا پشيمان بر آرد خروش كه آوخ چرا حق نكردم بكوش

وفي الآية إشارة إلى موسى القلب إذ أرسله الله إلى فرعون النفس بسلطان وهو عصا لا إله إلا الله مبين إعجازها بأن تلقف ما يأفكون من بحر تمويهات سحرة صفات فرعون النفس

فأعرض عن رؤية الإعجاز والإيمان بجميع صفاته فأهلكه الله في يم الدنيا والقهر والجلال ونعوذ بالله من غضب الملك المتعال وقد كان ينسب موسى القلب إلى السحر أو الجنون فإن من خالف أحداً فهو عنده مجنون وليس موسى القلب مجنوناً بل مجذوباً والفرق بينهما أن المجنون ذهب عقله باستعمال مطعوم كوني أو غير ذلك والمجذوب ذهل عقله لما شاهد من عظم قدرة الله تعالى فعقله مخبوء عند الحق منعم بشهوده عاكف بحضرته متنزه في جماله فهم أصحاب عقول بلا عقول وهم في ذلك على ثلاث مراتب: منهم من يكون وارده أعظم من القوة التي يكون في نفسه عليها فيحكم الوارد عليه فيغلب عليه الحال فيكون تحت تصرف الحال ولا تدبير له في نفسه ما دام في ذلك الحال ومنهم من يمسك عقله هناك ويبقى عليه عقل حيوانيته فيأكل ويشرب ويتصرف من غير تدبير ولا رؤية ويسمى هذا من عقلاء المجانين لتناوله العيش الطبيعي كسائر الحيوانات ومنهم من لا يدوم له حكم الوارد فيزول عنه الحال فيرجع إلى الناس بعقله فيدبر أمره ويعقل ما يقول ويقال له ويتصرف عن تدبير وروية مثل كل الإنسان وذلك هو صاحب القدم المحمدي فإنه ﷺ كان يؤخذ عن نفسه عند نزول الوحي ثم يسري عنه فيلقي ما أوحي به إليه على الحاضرين.

واعلم أن المجاذيب لا يطالبون بالآداب الشرعية لذهاب عقولهم بما طرأ عليها من عظيم أمر الله تعالى:

هركه كرد ارجام حق يكجرعه نوش نـه ادب مـانـد درونـه عـقـل وهـوش

وحكمهم عند الله حكم من مات على حالة شهود ونعت استقامة وحالهم في الدنيا حكم الحيوان ينال جميع ما يطلب حكم طبيعته من أكل وشرب ونكاح من غير تقييد ولا مطالبة عليه عند الله مع وجود الكشف وبقائه عليهم كما تكشف البهائم وكل دابة حياة الميت على النعش وهو يحور ويقول: قدموني إن كان سعيداً ويقول: أين تذهبون بي إن كان شقياً فذاهب العقل معدود في الأموات لذهاب عقله معدود في الأحياء بطبعه فهو من السعداء الذين رضي الله عنهم وأكثر المجانين من غلبة المكاشفات والمشاهدات يعني أنهم يكاشفون الأمور الغيبية والأحوال الملكوتية ويشاهدون ما خفي عن أعين العامة وذلك من غير سبق المجاهدة منهم فبذلك يخرجون عن دائرة العقل إذ لا يتحملون الفتح الفجائي لعدم تهيئهم قبله ثم يتعسر إدخالهم في دائرة العقل إلا إن أراد الله تعالى ذلك فالمقبول البقاء على العقل وأن يكون المرء غالباً على حاله لا أن يكون الحال غالباً والأول من أحوال أهل النهاية والثاني من أحوال أهل البداية والله الغالب على أمره.

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وفي عاد﴾ أي: وفي قوم هود آيات إن كان معطوفاً على وفي الأرض أو وجعلنا فيهم آية على تقدير كونه معطوفاً على قوله **﴿وتركنا فيها آية﴾** **﴿إذ أرسلنا عليهم﴾** أي: على أنفسهم أصالة وعلى دورهم وأموالهم وأنعامهم تبعاً **﴿الريح العقيم﴾** العقم بالضم هزمة تقع في الرحم فلا تقبل الولد كما في «القاموس» وصفت بالعقم لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم فالعقيم بمعنى المعقم أو العاقم وفيه استعارة تبعية شبه إهلاكهم وقطع دابرهم بإعقام النساء التي لا يلدن ولا يعقبن ثم أطلق المشبه به على المشبه واشتق منه العقيم أو وصفت به لأنها لم تتضمن خيراً ما

من إنشاء مطر أو إلقاح شجره يعني شبه عدم تضمنها منفعة بعقم المرأة ثم أطلق عليه فالعقيم بمعنى الفاعل من اللازم وفي «بحر العلوم» ولعله سماها عقيماً لأنها كانت سبب قطع الأرحام من الولادة بإهلاكها إياهم وقطعها دابرهم وهي من رياح العذاب والهلاك وهي النكباء على قول علي رضي الله عنه وهي التي انحرفت ووقعت بين ريحين أو بين الصبا والشمال وهي الدبور على قول ابن عباس رضي الله عنهما ويؤيده قوله عليه السلام: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور» وهي ريح تقابل الصبا أي: ريح تجيء من جانب المغرب فإن الصبا تجيء من جانب المشرق وقال ابن المسيب: الريح العقيم هي الجنوب مقابل الشمال وهي ريح تجيء من شمال من يتوجه إلى المشرق.

﴿ما تذر﴾ أي: ما تترك يقال ذره أي: دعه يذره تركاً ولا تقل وذراً وأصله وذره يذره نحو وسعه يسعه لكن ما نطقوا بماضيه ولا بمصدره ولا باسم الفاعل **﴿من شيء أتت عليه﴾** أي: جرت عليه من أنفسهم ودورهم وأموالهم وأنعامهم **﴿إلا جعلته كالرميم﴾** كالشيء البالي المتفتت فهو كل ما رم وبلي وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك وبالفارسية مثل كياه خشك يا استخوان كهنه شده ريزيده. وفي «القاموس» رم العظم يرم رمة بالكسر ورماً ورميماً وارم بلي فهو رميم وفي «المفردات»: الرمة بالكسر تختص بالعظم والرمة بالضم بالحبل البالي والرم بالكسر بالفتات من الخشب والحشيش والتبن وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما أرسل على عاد من الريح إلا مثل خاتمي هذا يعني أن الريح العقيم تحت الأرض فأخرج منها مثل ما يخرج من الخاتم من الثقب فأهلكهم الله به وفيه إشارة إلى شدة تلك الريح وأشير بكونها تحت الأرض إلى ريح الهوى التي تحت أرض الوجود فهي أيضاً شديدة جداً فإنها حيث هبت تركت الديار بلاقع وأيضاً هي ريح جلال الله تعالى وقهره فإنها إذا هبت تميت النفوس عن أوصافها فلا يبقى منها شيء فالعقيم في بر الجسد والعاصف والقاصف في بحر الروح وكان عليه السلام يتعوذ بالله تعالى حين تهب الرياح الشديدة فليتعوذ العاقل من المهلكات فإنه إذا هلكت النفس بالهلاك الصوري قبل الكمال خسرت التجارة وكذا إذا هلك القلب فإن حياة المرء حينئذ لا فائدة فيها. سؤال كردنداز حسن بصري رحمه الله كه يا شيخ دلهاى ما خفته است سخن تودروى كار واثر نمى كندچه كنيم كفت كاشكى خفته بودى كه خفته رابجنبانى بيدار شود امادلهاى شما مرده است كه هرجند مى جنبانى بيدار نمى كردد. قال المولى الجامي:

أي بمهد بدن چو طفل صغير مانده دردست خواب غفلت اسير
پيش ازان كت اجل كند بيدار كرنمردى زخواب سر بردار

قال محمد بن حامد رحمه الله: وكان جالساً عند أحمد بن حضرويه وهو في النزع وقد أتى عليه خمس وتسعون سنة: هو ذا يفتح لي الساعة لا أدري أيفتح بالسعادة أم بالشقاوة وعن خلف بن سالم رحمه الله قال: قلت لأبي علي بن المعتوه: أين مأواك؟ قال: دار يستوي فيها العزيز والذليل قلت: وأين هذه الدار؟ قال: المقابر قلت: أما تستوحش في ظلمة الليل قال: إني أذكر ظلمة اللحود ووحشتهن فتهون علي ظلمة الليل قلت له: فربما رأيت في المقابر شيئاً تنكره قال: ربما ولكن في هول الآخرة ما يشغل عن هول المقابر ووجد مكتوباً على بعض القبور:

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه لقاؤك لا يرجى وأنت قريب
يزيد بلاء كل يوم وليلة ويبلى كما تبلى وأنت حبيب

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿**وفي ثمود**﴾ أي: وفي قوم صالح آيات أو وجعلنا فيهم آية ﴿**إذ قيل لهم تمتعوا**﴾ أي: انتفعوا بالحياة الدنيا ﴿**حتى حين**﴾ إلى وقت نزول العذاب وهو آخر ثلاثة أيام: الأربعاء، والخميس، والجمعة، فإنهم عقروا الناقة يوم الأربعاء وهلكوا بالصيحة يوم السبت وقد فسر بقوله: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥] قيل: قال لهم صالح عليه السلام: تصبح وجوهكم غداً مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فكان كذلك وإنما تبدلت ألوانهم بما ذكر لأنهم كانوا كل يوم في الترقي إلى سوء الحال ولا شك أن الأبيض يصير أصفر ثم أحمر ثم أسود والسواد من ألوان الجلال والقهر وأيضاً لون جهنم فإنها سوداء مظلمة فعند الهلاك صاروا إلى لون جهنم لأنها مقرهم ونعوذ بالله منها.

﴿**فعتوا عن أمر ربهم**﴾ أي: فاستكبروا عن الامتثال به وبالفارسية پس سر كشيدند ازفرمان آفريد كار خود وبتدارك كارخود مشغول نكشتند. يقال عتا عتواً وعتياً استكبر وجاوز الحد فهو عات وعتي وأمر ربهم هو ما أمروا به على لسان صالح عليه السلام من قوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [النمل: ٤٥] وقوله: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٧٣] أو شأن ربهم وهو دينه أو صدر عتوهم عن أمر ربهم وبسببه كان أمر ربهم بعبادته وترك الناقة كان هو السبب في عتوهم كما في «بحر العلوم» والفاء ليست للعطف على قيل لهم فإن العتو لم يكن بعد التمتع بل قبله وإنما هو تفسير وتفصيل لما أجمله في قوله وفي ثمود إلخ فإنه يدل إجمالاً على أنه تعالى جعل فيهم آية ثم بين وجه الآية وفصلها قال في «شرح الرضي» إن الفاء العاطفة للجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاماً مرتباً على ما قبلها في الذكر لأن مضمونها عقيب مضمون ما قبلها في الزمان.

﴿**فأخذتهم الصاعقة**﴾ قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا إلى قتله عليه السلام فنجاه الله إلى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم صيحة جبريل عليه السلام كما صرح بها في قوله ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٦٧] فهلكوا فالمراد بالصاعقة الصيحة لا حقيقتها وهي نار تنزل من السماء فتحرق ما أصابته وقيل: أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وقال بعضهم: أهلكوا بالصاعقة حقيقة بأن جاءت نار من السماء فأهلكتهم جميعاً ﴿**وهم ينظرون**﴾ إليها ويعاينونها لأنها جاءتهم معاينة بالنهار فينظرون من النظر بالعين وفيه ترجيح لكون المراد بالصاعقة حقيقة النار لأنها حين ظهرت رأوها بأعينهم والصيحة لا ينظر إليها وإنما تسمع بالأذن والظاهر أن الصاعقة لا تنافي أن يكون معها صيحة جبريل وقيل هو من الانتظار أي: ينتظرون ما وعدوا به من العذاب حيث شاهدوا علامات نزوله من تغير ألوانهم في تلك الأيام ويقال سمعوا الصيحة وهم ينظرون أي: يتحيرون.

﴿**فما استطاعوا من قيام**﴾ كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨] أي: لاصقين بمكانهم من الأرض لا يقدرون على الحركة والقيام فضلاً عن الهرب فالقيام ضد القعود ﴿**وما كانوا منتصرين**﴾ بغيرهم كما لم يمتنعوا بأنفسهم قال في «تاج المصادر» الانتصار داد بستدن.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وقوم نوح﴾ أي: وأهلكنا قوم نوح فإن ما قبله يدل عليه ويجوز أن يكون منصوباً باذكر المقدر ﴿من قبل﴾ أي: من قبل هؤلاء المهلكين ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصي وهو علة لإهلاكهم.

واعلم أن الله تعالى قد أرسل الرسل وشرع الشرائع وحد الحدود فمتى تعديت الحد الذي حد لك الشارع صرت فاسقاً وأطعت الشيطان وتنحى عنك عند العصيان الملك المؤيد للمؤمنين فإذا وكل العبد إلى نفسه وإلى الشيطان فقد هلك وكل نار وعذاب وبلاء فإنما يأتي من الداخل لا من الخارج إذ لا خارج من وجود الإنسان فالعذاب صورة أوصافه وأفعاله وأخلاقه عادت إليه حين عصى الله تعالى وكذا الثواب صورة ذلك عادت إليه حين أطاع الله تعالى فإن قلت كل ذلك إذا كان من أحوال العين الثابتة للعبد فكل عبد فإنما يمر على طريقه في الهداية والضلالة فما معنى دعوة الأنبياء وإرشاد الأولياء قلت تلك الدعوة أيضاً من أحوال أعيان المدعوين فخلاف المخالفين وإن كان من التجلي لكن حقائق الأنبياء اقتضت التجلي بموافقة التجلي من وجه والرد عليه من آخر فكان أمرهم حيرة فلو كانوا يخدمون التجلي مطلقاً لما ردوا على أحد فإذا ورد الأمر التكليفي فإما أن يوافقه الأمر الإرادي أو لا فإن وافقه فالمكلف منتقل من دائرة الاسم المضل إلى دائرة الاسم الهادي وذلك الانتقال من أحوال عينه وإن لم يوافقه فمعنى التكليف أنه من أحوال عينه ولا بد وأيضاً فيه تمييز الشقي من السعيد وبالعكس فاعرف هذه الجملة تسعد واجتهد حتى ينقلك الله من دائرة الجانب إلى دائرة الأحباب ولا تغتر بكثرة الدنيا وطول العمر كما فعل الكفار والفساق حتى لا يحل بك ما حل بهم من الصاعقة والطوفان مع أن صاعقة الموت وطوفان الحوادث لا بد وأن تحل بكل أحد بحيث لا يستطيع القيام من مكانه فيموت في مقامه.

قال الشيخ سعدي في «البستان»:

كهن سالى آمد بنزد طبيب — زنا ليدنش تابمردن قريب
كه دستم برك برنه اى نيك راى — كه پايم همى برنيايد زجاى
بدان ماند اين قامت جفته ام — كه كويى بكل در فرو رفته ام
بدو كفت دست ازجهان دركسل — كه پايت قيامت برايد زكل
نشاط جوانى زپيران مجوى — كه آب روان بازنايد بجوى
اكر درجوانى زدى دست وپاى — درايام پيرى بهش باش وراى
چودوران عمر از چهل در كذشت — مزن دست وپا كابت از سر كذشت
نشاط ازمن آنكه رميدن كرفت — كه شامم سپيده ،میدن كرفت
ببايد هوس كردن از سر بدر — كه روز هو سبازى آمد بسر
بسبزى كجا تازه كردد دلم — كه سبزه بخواهد دميد از كلم
تفرج كنان درهوا وهوس — كذشيتم برخاك بسيار كس
كسايكه ديكر بغيب اندراند — بيايند وبرخاك ما بكذرند
دريغا كه فصل جواني برفت — بلهو ولعب زند كانى برفت

ريغا چنين روح پرور زمان | كه بگذشت بر ما چو برق يمان
زسود اى آن پوشم واين خورم | نپردا ختم تاغم دين خورم
دريغا كه مشغول باطل شديم | زحق دور مانديم وغافل شديم
چه خوش كفت با كودك آموزكار | كه كارى نكرديم وشد روز كار

أي ضاع زماننا ومضى بلا فائدة.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿**والسماء بنيناها**﴾ نصب السماء على الاشتغال أي: وبنينا السماء بنيناها حال كوننا ملتبسين ﴿**بأيد**﴾ أي: بقوة فهو حال من الفاعل أو ملتبسة بقوة فيكون حالاً من المفعول ويجوز أن تكون الباء للسببية أي: بسبب قدرتنا فتتعلق ببنيناها لا بالمحذوف والقوة هنا بمعنى القدرة فإن القوة عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف والله تعالى منزه عن ذلك والقدرة هي الصفة التي بها يتمكن الحي من الفعل وتركه بالإرادة.

قال الكاشفي: بقوت الوهيت وكفته اند بقدرتي بر آفر ينش داشتيم يقال آد يئيد أيدا أي: اشتد وقوي قال في «القاموس» الآد الصلب والقوة كالأيد وآيدته مؤايدة وأيدته تأييداً فهو مؤيد قويته انتهى قال الراغب ولما في اليد من القوة قيل أنا يدك وأيدتك قويت يدك ﴿**وإنا لموسعون**﴾ لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الاتفاق قال في «تاج المصادر»: الإيساع توانكر شدن وتمام فراسيدن ويقال أوسع الله عليك أي: أغناك انتهى فيكون قوله: ﴿**وإنا لموسعون**﴾ حالاً مؤكدة أو تذييلاً إثباتاً لسعة قدرته كل شيء فضلاً عن السماء أو لموسعون السماء أي: جاعلوها واسعة أو ما بينها وبين الأرض أو الرزق على خلقنا لقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ [الذاريات: ٢٢] وفيه إشارة إلى أن وسعة البيت والرزق من تجليات الاسم الواسع.

﴿**والأرض**﴾ أي: وفرشنا الأرض ﴿**فرشناها**﴾ مهدناها وبسطناها من تحت الكعبة مسيرة خمسمائة عام ليستقروا عليها ويتقلبوا كما يتقلب أحدهم على فراشه ومهاده ﴿**فنعم الماهدون**﴾ أي: نحن وهو المخصوص بالمدح المحذوف أي: هم نحن فحذف المبتدأ والخبر من غير أن يقوم شيء مقامهما وقد اختلف القدماء في هيئة الأرض وشكلها فذكر بعضهم أنها مبسوطة مستوية السطح في أربع جهات: المشرق والمغرب والجنوب والشمال وزعم آخرون أنها كهيئة المائدة ومنهم من زعم أنها كهيئة الطبل وذكر بعضهم أنها تشبه نصف الكرة كهيئة القبة وأن السماء مركبة على أطرافها وزعم قوم أن الأرض مقعرة وسطها كالجام والذي عليه الجمهور أن الأرض مستديرة كالكرة وأن السماء محيطة بها من كل جانب إحاطة البيضة بالمخ فالصفرة بمنزلة الأرض وبياضها بمنزلة السماء وجلدها بمنزلة السماء الأخرى غير أن خلقها ليس فيه استطالة كاستطالة البيضة بل هي مستديرة كاستدارة الكرة المستوية الخرط حتى قال مهندسوهم: لو حفر في الوهم وجه الأرض لأدى إلى وجه الآخر ولو ثقب مثلاً ثقب بأرض الأندلس لنفذ الثقب بأرض الصين واختلف في كمية عدد الأرضين فروي في بعض الأخبار أن بعضها فوق بعض وغلظ كل أرض مسيرة خمسمائة عام حتى عد بعضهم لكل أرض أهلاً على

صفة وهيئة عجيبة وسمى كل أرض باسم خاص كما سمى كل سماء باسم خاص وزعم بعضهم أن في الأرض الرابعة حيات أهل النار وفي الأرض السادسة حجارة أهل النار وعن عطاء بن يسار في قوله تعالى ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] قال في كل أرض آدم كآدمكم ونوح مثل نوحكم وإبراهيم مثل إبراهيمكم وليس هذا القول بأعجب من قوله الفلاسفة إن الشموس شموس كثيرة والأقمار أقمار كثيرة ففي كل إقليم شمس وقمر ونجوم وقالت القدماء الأرض سبع على المجاورة والملاصقة وافتراق الأقاليم لا على المطابقة والمكابسة وأهل النظر من المسلمين يميلون إلى هذا القول ومنهم من يقول سبع على الانخفاض والارتفاع كدرج المراقي ويزعم بعضهم أن الأرض مقسومة لخمس مناطق وهي المنطقة الشمالية والجنوبية والمستوية والمعتدلة والوسطى واختلفوا في مبلغ الأرض وكميتها فروي عن مكحول أنه قال ما بين أقصى الدنيا إلى أدناها مسيرة خمسمائة سنة مائتان من ذلك في البحر ومائتان ليس يسكنها أحد وثمانون فيها يأجوج ومأجوج وعشرون فيها سائر الخلق وعن قتادة قال: الدنيا أربعة وعشرون ألف فرسخ فملك السودان منها اثنا عشر ألف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك العجم والترك ثلاثة آلاف فرسخ وملك العرب ألف فرسخ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ربع من لا يلبس الثياب من السودان أكثر من جميع الناس وقال بطليموس بسيط الأرض كلها مائة واثنان وثلاثون ألف ألف وستمائة ألف ميل فتكون مائتي ألف وثمانية وثمانين ألف فرسخ فإن كان حقاً فهو وحي من الحق أو إلهام وإن كان قياساً واستدلالاً فهو قريب من الحق أيضاً وأما قوله قتادة ومكحول فلا يوجب العلم اليقيني الذي يقطع على الغيب به كذا في «خريدة العجائب».

﴿ومن كل شيء﴾ أي: من أجناس الموجودات فالمراد بالشيء الجنس وقيل من الحيوان ﴿خلقنا زوجين﴾ صنفين ونوعين مختلفين كالذكر والأنثى والسماء والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والصيف والشتاء والبر والبحر والسهل والجبل والإنس والجن والنور والظلمة والأبيض والأسود والدنيا والآخرة والإيمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والمر والموت والحياة والرطب واليابس والجامد والنامي والمدر والنبات والناطق والصامت والحلم والقهر والجود والبخل والعز والذلة والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والصحة والسقم والغنى والفقر والضحك والبكاء والفرح والغم والفوق والتحت واليمين والشمال والقدام والخلف والحرارة والبرودة وهلم جرا.

قال الراغب: يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوان المتزاوج زوج ولكل قرينين فيها وفي غيرها زوج كالخف والنعل ولكل ما يقترن بالآخر مماثلاً له أو مضاداً زوج وفي قوله ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ تنبيه على أن الأشياء كلها مركبة من جوهر وعرض ومادة وصورة وأن لا شيء يتعرى منها إذ الأشياء كلها مركبة من تركيب يقتضي كونه مصنوعاً وأنه لا بد له من صانع تنبيهاً على أنه تعالى هو الفرد فبين بقوله ومن كل شيء إلخ أن كل ما في العالم فإنه زوج من حيث إن له ضداً ما أو مثلاً ما أو تركيباً ما بل لا ينفك من وجه من تركب وإنما ذكر هٰهنا زوجين تنبيهاً على أنه وإن لم يكن له ضد ولا مثل فإنه لا ينفك من تركب صورة ومادة وذلك زوجان قال الخراز قدس سره: أظهر معنى الربوبية والوحدانية بأن خلق الأزواج ليخلص له الفردانية. ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي: فعلنا ذلك كله من

البناء والفرش وخلق الأزواج كي تتذكروا فتعرفوا أنه خالق الكل ورازقه وأنه المستحق للعبادة وأنه قادر على إعادة الجميع فتعلموا بمقتضاه وبالفارسية باشد كه شما بند بذير شويد ودانيد كه وجدانيت از خواص ممكنات نيست ومن واجب بالذاتم وواجب قابل تعدد وانقسام نيست:

ذاتش از قسمت وتعدد پاك وحدت او مقدس از اشراك

از عدد دم مزن كه او فردست كى عدد بهر فردد رخوردست

احدست وشمار از ومعزول صمدست وتبار از ومخذول

وفيه إشارة إلى أنه تعالى خلق لكل شيء من عالم الملك وهو عالم الأجسام زوجاً من عالم الملكوت وهو عالم الأرواح ليكون ذلك الشيء الجسماني قائماً بملكوته وملكوته قائماً بيد القدرة الإلهية لعلكم تذكرون أنكم بهذا الطريق جئتم من الحضرة وبهذا الطريق ترجعون إلى الله سبحانه.

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾﴾

﴿ففروا إلى الله﴾ أي: قل لقومك يا محمد إذا كان الأمر كذلك فاهربوا إلى الله الذي هذه شؤونه بالإيمان والطاعة كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه يعني أن في الأمر بالإيمان وملازمة الطاعة بلفظ الفرار تنبيهاً على أن وراء الناس عقاباً يجب أن يفروا منه.

قال بعض الكبار: ياأيها الذين فررتم من الله بتعلقات الكونين ففروا بنعت الشوق والمحبة والتجرد إلى الله بقطع التعلقات عن الوجود وعما سواه تعالى مطلقاً ومن صح فراره إلى الله صح قراره مع الله وأيضاً ففروا منه إليه حتى تفنوا فيه قال: فإن الحادث لا يثبت عند رؤية القديم وقال سهل رضي الله عنه: ففروا مما سوى الله إلى الله ومن المعصية إلى الطاعة ومن الجهل إلى العلم ومن العذاب إلى رحمته ومن سخطه إلى رضوانه وقال محمد بن حامد رحمه الله حقيقة الفرار ما روي عن النبي عليه السلام أنه قال: وألجأت ظهري إليك وما روي عنه في حديث عائشة رضي الله عنها «وأعوذ بك منك» فهذه غاية الفرار منه إليه وقال الواسطي رحمه الله ففروا إلى الله معناه لما سبق لهم من الله لا إلى علمهم وحركاتهم وأنفسهم وسئل بعضهم عن قول النبي عليه السلام «سافروا تصحوا» قال: سافروا إلينا تجدونا في أول قدم ثم قرأ ففروا إلى الله هيچكس درتونيا ويخت كه ازخود نكريخت. هيچكس باتونه پيوست كه ازخود نبريد وفي «كشف الأسرار»: فرار مقامي است از مقامات روندكان ومنزلي از منازل دوستى كسى راكه اين مقام درست شود نشانش آنست كه همه نفس خود غرامت بيند همه سخن خود شكايت بيندهمه كرده خودجنايت بيند اميد از كردار خوديير دوبر اخلاص خودتهمت نهدوا كر دولتى آيد در راه وى از فضل حق بيند واز حكم ازل نه از جهد وكردار خود وهذا موت عن نفسه وهمه خلق زنده ازمرده ميراث برد مكر اين طائفه كه مرده از زنده ميراث برد. وفي الحديث: «من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر» **﴿إني لكم منه نذير مبين﴾** أي: إني لكم من جهته تعالى منذر بين كونه منذراً منه تعالى بالمعجزات الباهرة أو مظهر لما يجب إظهاره من العذاب المنذر به وفي أمره للرسول عليه السلام بأن يأمرهم بالهرب إليه من عقابه وتعليله بأنه عليه السلام ينذرهم من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه

وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب.

﴿ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر﴾ نهي موجب للفرار من سبب العقاب بعد الأمر بالفرار نفسه كأنه قيل وفروا من أن تجعلوا معه تعالى اعتقاداً أو تقولوا إلهاً آخر **﴿إني لكم منه﴾** أي: من الجعل المنهي عنه **﴿نذير مبين﴾** وفيه تأكيد لما قبله من الفرار من العقاب إليه تعالى لكن لا بطريق التكرير بل بالنهي عن سببه وإيجاب الفرار منه قال في «برهان القرآن»: الأول متعلق بترك الطاعة والثاني متعلق بالشرك بالله فلا تكرار.

وفي «التأويلات النجمية» ولا تجعلوا مع الله في المعرفة بوحدانيته إلهاً آخر من النفوس والهوى والدنيا والآخرة فتعبدونها بالميل إليها والرغبة فيها فإن التوحيد في الإعراض عنها وقطع تعلقاتها والفرار إلى الله منها لأن من صح فراره إلى الله صح قراره مع الله وهذا كمال التوحيد إني لكم نذير مبين أخوفكم أليم عقوبة البعد وعذاب الاثنينية إذا أشركتم به في الوجود فإنه لا يغفر أن يشرك به.

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿كذلك﴾ أي: الأمر وهو أمر الأمم السالفة بالنسبة إلى رسلهم من ما ذكر من تكذيب قريش ومشركي العرب الرسول ﷺ وتسميتهم له ساحراً أو مجنوناً ثم فسره بقوله: **﴿ما أتى الذين من قبلهم من رسول﴾** من رسل الله **﴿إلا قالوا﴾** في حقه هو **﴿ساحر أو مجنون﴾** يعني اكر معجزه بديشان نمود عمل اورا سحر خواندند واكر ازبعث وحشر خبرداد قول اورا بسخن اهل جنون تشبيه كردند أي: فلا تأس على تكذيب قومك إياك **﴿أتواصوا به﴾** إنكار وتعجيب من حالهم وإجماعهم على تفرق أزمانهم على تلك الكلمة الشنيعة التي لا تكاد تخطر ببال أحد من العقلاء فضلاً عن التفوه بها في حق الأنبياء أي: أوصى الأولون الآخرين بعضهم بعضاً بهذا القول حتى اتفقوا عليه **﴿بل هم قوم طاغون﴾** إضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك لبعد الزمان وعدم تلاقيهم في وقت واحد وإثبات لكونه أمراً أقبح من التواصي وأشنع منه وهو الطغيان الشامل للكل الدال على أن صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير أن يكون ذلك مقتضى طباعهم وفيه إشارة إلى أن أرباب النفوس المتمردة من الأولين والآخرين مركوزة في جبلتهم طبيعة الشيطنة من التمرد والإباء والاستكبار فما أتاهم رسول من الأنبياء في الظاهر أو من الإلهامات الربانية في الباطن إلا أنكروا عليه وقالوا ساحر يريد أن يسحرنا أو مجنون لا عبرة بقوله كأن بعضهم أوصى بعضهم بالتمرد والإنكار والجحود لأنهم خلقوا على طبيعة واحدة **﴿بل هم قوم طاغون﴾** بأنهم وجدوا أسباب الطغيان من السعة والتنعم والبطر والغنى.

قال الشاعر:

إن الشباب والفراغ والجده   مفسدة للمرء أي مفسده

فعكسوا الأمر وكان ينبغي لهم أن يصرفوا العمر والشباب والغنى في تحصيل المطلوب الحقيقي. كما قال الحافظ:

عشق وشباب ورندى مجموعه مرادست   چون جمع شد معاني كوى بيان توان زد

﴿فتول عنهم﴾ فأعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فأبوا إلا الإباء والاستكبار

وبالفارسية پس روى بكردان از مكافات ايشان تاوقتى كه مأمور شوى بقتال وفي «فتح الرحمٰن» فتول عن الحرص المفرط عليهم وذهاب النفس حسرات وقال الواسطي ردهم إلى ما سبق عليهم في الأزل من السعادة والشقاوة ﴿فما أنت بملوم﴾ على التولي بعدما بذلت المجهود وجاوزت في الإبلاغ كل حد معهود واللوم والملامة العذل وبالفارسية نكوهيدن.

وقال بعض الكبار فتول عنهم فإنك لا تهدي من أحببت منهم فما أنت بملوم بالعجز عن هدايتهم لأنك مبلغ وليس إليك من الهداية شيء وقال بعضهم فتول عنهم بسيرك إلينا فما أنت بملوم في إبلاغ رسالتك واشتغالك في الظاهر بهم وإعلامهم بأسباب نجاتهم فأنت مستقيم لا يحجبنك إبلاغ الرسالة عن شهود العين.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وذكر﴾ أي: افعل التذكير والموعظة ولا تدعهما بالكلية أو فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الأمر ﴿فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ أي: الذين قدر الله إيمانهم أو الذين آمنوا بالفعل فإنها تزيدهم بصيرة وقوة في اليقين يعني بعناد كافران وجحود ايشان دست از تربيت مسلمانان بازمدار وهمچنان بر تذكير خود ثابت باش كه وعظ را فوائد بسيارست ومنافع بي شمار فإن النصيحة تلين القلوب القاسية وفي الحديث «ما من مؤمن إلا وله ذنب قد اعتاده الفينة بعد الفينة» أي: الساعة بعد الساعة والحين بعد الحين «إن المؤمن خلق مفتوناً ناسياً فإذا ذكر ذكر» وقال بعضهم: ذكر المطيعين جزيل ثوابي وذكر العارفين ما صرفت عنهم من بلائي وقال بعضهم: ذكر العاصين منهم عقوبتي ليرجعوا عن مخالفة أمري وذكر المطيعين جزيل ثوابي ليزدادوا طاعة وعبادة لي وذكر المحبين ما شاهدوا من أنوار جمالي وجلالي في الغيب وغيب الغيب ليزيدوا في بذل الوجود وطلب المفقود. ودر فصول آورده كه كلام مذكور بايدكه برده خير مشتمل باشد تاسا معانرا سودمند بود اول نعمت خداى باياد مردم دهد تاشكر كزارى نمايند دوم ثوابي محنت وبلا ذكر كند تادران شكيبايى ورزند سوم عقوبت كناهان برشمرد تا ازان باز ايستند وتوبه كنند چهارم مكائد ووساوس شيطاني بيان فرما يدتا ازان حذر نما يندپنجم فنا وزوال وبي اعتباري دنيا بر ايشان روشن كرداند تادل درونه بندند ششم مركرا پيوسته ياد كند تارفتن را آماده شوند هفتم قيامت را آماده وذكر آن بسيار كويد تاكار آنروز بسازند هشتم دركات دوزخ وانواع عقوبتهاى آن بيان كندتا ازآن بترسند نهم درجات بهشت واقسام نعمتهاى آنرا بر شمارد تابدان راغب كردند دهم بناى كلام برخوف ورجانهد يعني كاهى ازعظمت وكبريا وهيبت الهي سخن راندتا ازوى بترسند ووقتى از رحمت ومغفرت مهربانى او تقرير كند تابوى اميدوار شوند پس هر موعظه كه مشتمل برين سخنانست منفعت مؤمنانست خصوصا اذا كان المذكر عاملاً بما ذكرهم به غير ناس نفسه فإن تأثيره أشد من تأثير تذكير الغافلين:

عالم كه كامرانى وتن پرورى كند ... او خويشتن كم است وكرا رهبرى كند

وإنما قلنا من تأثيره فإنهم قالوا:

مرد بايدكه كيردانـدر كوش ... ورنوشتست پند برديوار

فلا كلام إلا في الاستعداد والتهيؤ للاستماع ولذا قال تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧].

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ قرأ يعقوب ليعبدوني وكذا يطعموني ويستعجلوني كما سيأتي بإثبات ياء المتكلم فيهن وصلاً ووقفاً وحذفها الباقون في الحالين والعبادة أبلغ من العبودية لأن العبودية إظهار التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال.

قال بعض الكبار العبادة ذاتية للمخلوق لأنها ذلة في اللغة العربية وإنما وقع التكليف بالأفعال المخصوصة التي هي العبادة الوصفية للتنبيه على تلك الذلة الذاتية حتى يتذللوا ويتخضعوا لربهم وخالقهم بالوجه المشروع ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الإنس في الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها أتم استعداد ومتمكنين منها أكمل تمكين مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتيب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الفرض على ما هو غرض له فإن استتباع أفعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعاً كيف لا وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وإنما الذي لا يليق بجنابه تعالى تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعل لإفضائه إلى استكماله بفعل وهو الكامل بالفعل من كل وجه وأما بمعنى نهاية كمالية يفضي إليها فعل الفاعل الحق فغير منفي من أفعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدر وصفه تعالى بالحكمة ويكفي في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه أهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام وأما إرادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الإرادة فإن تعوق البعض عن الوصول إلى الغاية مع تعاضد المبادي وتأخر المقدمات الموصلة إليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١] ونظائره كذا في «الإرشاد» قال سعدي المفتي: فاللام حينئذ على حقيقتها فتأمل انتهى والحاصل أن قوله: ﴿إلا ليعبدون﴾ إثبات السبب الموجب للحق فهذه اللام لام الحكمة والسبب شرعاً ولام العلة عقلاً قال المولى رمضان في «شرح العقائد» واستكماله تعالى بفعل نفسه جائز بل واقع فإنه تعالى حين أوجد العالم قد استكمل بكمال الموجدية والمعروفية على ما نطق به قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ أي: ليعرفون وهو كمال إضافي يجوز الخلو عنه انتهى مقصود إلهي ازهمه كمال جلا واستجلاست كه در انسان كامل جمعاً وتفصيلاً بظهور آمد ودر عالم تفصيلاً فقط سؤال طلب ابن مقصودنه استكمالست كه مستدعى سبق نقصاً نست چنانكه اهل كلام ميكويندكه افعال الله معلل بأغراض نشايد بودن جواب آنچه محذورست استكمال بغير است واين استكمال بصفات خوداست نه بغير كذا في «تفسير الفاتحة» للشيخ صدر الدين القنوي قدس سره وكذا قال في بعض «شروح الفصوص» إن للحق سبحانه كمالاً ذاتياً وكمالاً أسمائياً وامتناع استكماله بالغير إنما هو في الكمال الذاتي لا الأسمائي فإن ظهور آثار الأسماء ممتنع بدون المظاهر الكونية انتهى.

قال المولى الجامي:

وجود قابل شرط كمال اسمائيست وكرنه ذات نباشد بغير مستكمل

وقال أيضاً:

أي ذات رفيع تونه جوهر نه عرض فضل وكرمت نيست معلل بغرض

يعني حق سبحانه وتعالى بحسب كمال ذاتي ازوجود عالم وعالميان مستغنيست كما قال

تعالى ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ [فاطر: ١٥] وچون ظهور كمال اسمائي موقوفست بروجود اعيان ممكنات پس آنرا ايجاد كرد:

تاخود كردد بجمله اوصاف عيان	واجب باشد كه ممكن آيد بميان
ورنه بكمال ذاتي از آدميان	فردست وغنى چنانكه خود كرد بيان

والأشاعرة أنكروا صحة توجيه تعليل أفعال الله تعالى معنى وإن كان واقعاً لفظاً تمسكاً بأن الله تعالى مستغن عن المانع فلا يكون فعله لمنفعة راجعة إليه ولا إلى غيره لأنه تعالى قادر على إيصال تلك المنفعة من غير توسيط العمل فلا يصلح أن يكون غرضاً فعندهم لام التعليل يكون استعارة تبعية تشبيهاً لعبادة العباد بما يفرض علة لخلقه في الترتب عليه وأكثر الفقهاء والمعتزلة قالوا بصحته لمنفعة عائدة إلى عباده تمسكاً بأن الفعل الخالي عن الغرض عبث والعبث من الحكيم محال كما في «شرح المشارق» لابن الملك رحمه الله قال ابن الشيخ: استدلت المعتزلة بقوله تعالى ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ على أن أفعال الله معللة بالأغراض وعلى أن مراد الله جائز أن يتخلف عن إرادته إذا كان المراد من الأفعال الاختيارية للعباد وجه دلالته عليها هو أن وضع اللام لأن تدخل على ما هو غرض من الفعل فتكون العبادة غرضاً من خلق الجن والإنس والغرض يكون مراداً فينتج أن العبادة غرض من جميع الجن والإنس وظاهر أن بعضاً منهم لم يعبده فتخلف مراده عن إرادته وهو المطابق والجواب عن الأول أنه لما دل الدليل القطعي على أنه تعالى لا يفعل فعلاً لغرض وجب أن يؤول اللام في مثل هذه المواضع بأن يقال إن الحكم والمصالح التي تترتب على فعله تعالى وتكون هي غاية له لما كانت بحيث لو صدر ذلك الفعل من غيره تعالى لكانت هي غرضاً لفعله شبهت بالغرض الحقيقي فدخلت عليها اللام الدالة على الغرض لأجل ذلك التشبيه وأطلق عليها اسم الغرض لذلك حتى قيل الغرض من خلق ما في الأرض انتفاع الناس به لقوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] وهذا الجواب إنما يتأتى في اللام الداخلة على ما هو غاية مترتبة على الفعل ولا ينفع في قوله تعالى ﴿**إلا ليعبدون**﴾ لأن العبادة لم تكن غاية مترتبة على خلق كثير من الجن والإنس حتى يقال إنها شبهت بالغرض من حيث كون الفعل مؤدياً إليها وكونها مترتبة عليه فأطلق عليها اسم الغرض ودخل عليها لام الغرض لذلك ولكنه لو تم لكان جواباً عن الاستدلال الثاني لأنه مبني على كون مدلول اللام غرضاً في نفس الأمر وما كان غرضاً على طريق التشبيه لا يكون مراداً فلا يلزم من عدم ترتبه على الفعل تخلف المراد عن الإرادة فلا يتم الاستدلال وأشار المصنف إلى جوابه بقوله لما خلقهم على صورة متوجهة إلى العبادة مستعدة لها جعل خلقهم مغياً بها وتقريره أن العبادة ليست غاية مترتبة على خلقهما فضلاً عن أن تكون غرضاً ومراداً حتى يلزم من عدم ترتبها على خلقهما تخلف المراد عن الإرادة وإنما دخلت عليها اللام التي حقها أن تدخل على الغرض أو على ما شبه به في كونه مترتباً على الفعل وحاملاً عليه في الجملة تشبيهاً لها بالغاية المترتبة من حيث إن الجن والإنس خلقوا على صورة متوجهة إلى العبادة أي: صالحة قابلة لها مغلبة أي: قادرة عليها متمكنة منها وقد انضم إلى خلقهم على تلك الصورة أن هدوا إلى العبادة بالدلائل السمعية والعقلية فصاروا بذلك كأنهم خلقوا للعبادة وأنها غاية مترتبة على خلقهم فلذلك أطلق عليها

اسم الغاية ودخلت عليها لام الغاية مبالغة في خلقهما على تلك الصورة ولما وجه الآية بإخراج اللام عن ظاهر معناها بجعلها للمبالغة في خلقهم بحيث تتأتى منهم العبادة أشار إلى وجه العدول عن الظاهر بقوله ولو حمل على ظاهره لتطرق إليه المنع والإبطال وللزم تعارض الآيتين لأن من خلق منهم لجهنم لا يكون مخلوقاً للعبادة انتهى ما في «حواشي ابن الشيخ» وقال في «بحر العلوم» أي: وما خلقت هذين الفريقين إلا لأجل العبادة وهي قيام العبد بما تعبد به وكلف من امتثال الأوامر والنواهي أو إلا لأطلب العبادة منهم وقد طلب من الفريقين العبادة في كتبه المنزلة على أنبيائه وهذا التقدير صحيح لا تقدير الإرادة لأن الطلب لا يستلزم المطلوب بخلاف الإرادة كما تقرر في موضعه فيكون حاصله ما قال بعضهم في تصوير المعنى إلا ليؤمروا بعبادتي كما في قوله تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ [التوبة: ٣١] وهذا مستمر على مذهب أهل السنة فلو أنهم خلقوا للعبادة ما عصوا طرفة عين لكنهم خلقوا للأمر التكليفي الطلبي دون الأمر الإرادي وإلا لم يتخلف المراد عن الإرادة ولما كان لعين العاصي الثابتة في الحضرة العلمية استعداد التكليف توجه إليها الأمر التكليفي ولما لم يكن لتلك العين استعداد الإتيان بالمأمور به لم يتحقق منها المأمور به ولهذا تقع المخالفة والمعصية فإن قلت ما فائدة التكليف والأمر بما يعلم عدم وقوعه قلت فائدة تمييز من له استعداد القبول ممن ليس له استعداد ذلك لتظهر السعادة والشقاوة وأهلهما وقيل المراد سعداء الجنسين كما أن المراد بقوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ﴾ [الأعراف: ١٧٩] أشقياؤهما ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والإنس المؤمنين بدليل أن الصبيان والمجانين مستثنون من عموم الآية بدليل قوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ﴾ [الأعراف: ١٧٩] قال ابن الملك فإن قلت كيف تكون العبادة علة للخلق ولم تحصل تلك في أكثر النفوس قلنا يجوز أن يراد من النفوس نفوس المؤمنين لقراءة ابن عباس رضي الله عنهما وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون وأن يراد مطلقها بأن يكون المراد بالعبادة قابلية تكليفها كما قال عليه السلام: ما من مولود يولد إلا على الفطرة وأما إن أريد منها المعرفة فلا إشكال لأنها حاصلة للكفرة أيضاً كما قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [لقمان: ٢٥] انتهى وقال مجاهد واختاره البغوي معناه إلا ليعرفون ومداره قوله عليه السلام فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف» ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق إطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على أن المعتبر هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة كما في «الإرشاد» وقال بعضهم: لم أخلقهم إلا لأجل العبادة باختيارهم لينالوا الشرف والكرامة عندي ولم أقسرهم عليها إذ لو قسرتهم عليها لوجدت منهم وأنا غني عنهم وعن عبادتهم والحاصل أنهم خلقوا للعبادة تكليفاً واختياراً لا جبلة وإجباراً فمن وفقه وسدده أقام العبادة التي خلق لها ومن خذله وطرده حرمها وعمل بما خلق له وفي الحديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له كما في «عين المعاني» وقال الشيخ نجم الدين دايه في تأويلاته ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ لأن ذرة معرفتي مودعة في صدف عبوديتي وإن معرفتي تنقسم قسمين: معرفة صفة جمالي ومعرفة صفة جلالي ولكل واحد منهما مظهر والعبودية مشتملة على المظهرين بالانقياد لها والتمرد عنها فمن انقاد لها بالتسليم والرضى كما أمر به فهو مظهر صفات جمالي ولطفي ومن تمرد عليها بالإباء

والاستكبار فهو مظهر صفات جلالي وقهري فحقيقة معنى قوله ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ أي: خلقت المقبولين منهم ليعبدوا الله فيكونوا مظهر صفات لطفه وخلقت المردودين منهم ليعبدوا الهوى فيكونوا مظهر صفات قهره هذا المعنى الذي أردت من خلقهم انتهى والحكمة لا تقتضي اتفاق الكل على التوحيد والعبادة والإخلاص والإقبال الكلي على الله فإن ذلك مما يخل بأمر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا ولا بد من الغضب لتكميل مرتبة قبضة الشمال فإنه وإن كان كلتا يديه يميناً مباركة لكن حكم كل واحدة يخالف الأخرى فالأرض جميعاً قبضته والسموات مطويات بيمينه فاقتضت الحكمة الإلهية ظهور ما أضيف إليه كل من اليدين فللواحدة المضاف إليها عموم السعداء الرحمة والجنان والأخرى القهر والغضب ولوازمهما وقد وجد كلا المقتضيين والمقصود الأصلي وجود الإنسان الكامل الذي هو مرآة جماله تعالى وكماله وقد وجد والسواد الأعظم هو الواحد على الحق وقال الواحدي مذهب أهل المعاني في الآية إلا ليخضعوا لي ويتذللوا ومعنى العبادة في اللغة الذل والانقياد وكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله تعالى مذلل لمشيئته خلقه على ما أراد ورزقه كما قضى لا يملك أحد لنفسه خروجاً عما خلق عليه وقال ابن عباس رضي الله عنهما إلا ليقروا بالعبودية طوعاً أو كرهاً يعني أن المؤمنين يقرون له طوعاً والكافرون يقرون له بما جبلهم عليه من الخلقة الدالة على وحدانية الله وانفراده بالخلق واستحقاق العبادة دون غيره فالخلق كلهم بهذا له عابدون وعلى هذا قوله تعالى ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦] على معنى ما يوجد منهم من دلائل الحدوث الموجبة لكونها مربوبة مخلوقة مسخرة كما في «التيسير» فهذه جملة الأقوال في هذا الباب وفي خلقهم للعبادة بطريق الحصر إشارة إلى أن الربوبية لله تعالى كما أن العبودية للمخلوقين وهي أخص أوصافهم حتى قالوا إنها إفضل من الرسالة ولذا قال تعالى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] لا برسوله وقدم العبد في أشهد أن محمداً عبده ورسوله فمن ادعى الربوبية من المخلوق فليحذر من تهديد الآية وجميع الكمالات لله تعالى وإن ظهرت من العبد فالعبد مظهر فقط والظاهر هو الله وكماله والعبادات عشرة أقسام: الصلاة والزكاة والصوم والحج وقراءة قرآن وذكر الله في كل حال وطلب الحلال والقيام بحقوق المسلمين وحقوق الصحبة والتاسع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعاشر اتباع السنة وهو مفتاح السعادة وأمارة محبة الله كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] قال المولى الجامي:

يا نبي الله السلام عليك	إنما الفوز والفلاح لديك
كرنرفتم طريق سنت تو	هستم از عاصيان امت تو
مانده ام زير بار عصيان پست	افتم ازپاى اكر نكيرى دست

فينبغي للعبد أن يعبد ربه ويتذلل لخالقه بأي وجه كان من الفرائض والواجبات والسنن والمستحبات على الوجه الذي أمره أن يقوم فيه فإذا كملت فرائضه وكمالها فرض عليه فيتفرغ فيما بين الفرضين لنوافل الخيرات كانت ما كانت ولا يحقر شيئاً من عمله فإن الله ما احتقره حين خلقه وأوجبه فإن الله ما كلفك بأمر إلا وله بذلك الأمر اعتناء وعناية حتى كلفك به وإذا واظب على أداء الفرائض فإنه يتقرب إلى الله بأحب الأمور المقربة إليه وورد في الخبر الصحيح

عن الله تعالى: «ما تقرب من عبد بشيء أحب إلي مما افترضته وما يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر ويده التي بها يبطش ورجله بها يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته» فالقرب الأول هو قرب الفرائض والقرب الثاني هو قرب النوافل فانظر إلى ما تنتجه محبة الله من كون الحق تعالى قوي العبد من السمع والبصر واليد والرجل فواظب على أداء ما يصح به وجود هذه المحبة الإلهية من الفرائض والنوافل ولا يصح نفل إلا بعد تكملة الفرائض وفي النفل عينه فروض ونوافل فبما فيه من الفروض تكمل الفرائض ورد في الخبر الصحيح أنه تعالى يقول: «انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة وإن كان انتقص منها شيء قال: انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال الله تعالى: أكملوا لعبدي فريضته من تطوعه ثم يؤخذ الأعمال على ذاكم» وليست النوافل إلا ما لها أصل في الفرائض وما لا أصل له في فرض فذلك إنشاء عبادة مستقلة يسميها علماء الظاهر بدعة قال الله تعالى ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧] وسماها رسول الله ﷺ سنة حسنة والذي سنها له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء ولما لم يكن في قوة النفل أن يسد مسد الفرض جعل في نفس النفل فروض ليجبر الفرائض بالفرائض كصلاة النفل بحسب حكم الأصل ثم إنها تشتمل على فرائض من ذكر وركوع وسجود مع كونها في الأصل نافلة وهذه الأقوال والأفعال فرائض فيها ثم اعلم أن أمرنا بالاقتداء بالنبي سنة حسنة فإن لنا أجرها وأجر من عمل بها وإذا تركنا تسنينها اتباعاً لكون رسول الله عليه السلام لم يسنها فإن أجرك في اتباعك له في ترك التسنين أعظم من أجرك في التسنين فإن النبي عليه السلام كان يكره كثرة التكليف على أمته ومن سن فقد كلف وكان النبي عليه السلام أولى بذلك ولكن تركه تخفيفاً فلهذا قلنا الاتباع في الترك أولى وأعظم أجراً من التسنين فاجعل حالك كما ذكرنا لك ولقد روي عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه ما أكل البطيخ فقيل له في ذلك فقال: ما بلغني كيف كان رسول الله عليه السلام يأكله فلما لم تبلغ إليه الكيفية في ذلك تركه وبمثل هذا يقدم علماء هذه الأمة على علماء سائر الأمم فهذا الإمام علم وتحقق قوله تعالى عن نبيه عليه السلام ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وقوله ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] والاشتغال بما سن من فعل وقول وحال أكثر من أن نحيطه به ونحصيه فكيف أن نتفرغ لنسن فلا نكلف الأمة أكثر مما ورد.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾

﴿ما أريد منهم﴾ أي: من الجن والإنس في وقت من الأوقات **﴿من رزق﴾** لي ولا لأنفسهم ولا لغيرهم يحصلونه بكسبهم **﴿وما أريد أن يطعمون﴾** ولا أنفسهم ولا غيرهم وأصله أن يطعموني بياء المتكلم وهو بيان لكون شأنه تعالى مع عباده متعالياً عن أن يكون كسائر السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وتهيئة أرزاقهم فإن منهم من يحتاج إلى كسب عبده في نيل الرزق ومنهم من يكون له مال وافر يستغني به عن حمل عبده على الاكتساب لكنه يطلب من العبد قضاء حوائجه من طبخ الطعام وإصلاحه وإحضاره

بين يديه وهو تعالى مستغن عن جميع ذلك ونفع العباد وغيره إنما يعود عليهم والمعنى ما أريد أن أصرفهم في تحصيل رزقي ولا رزقهم ولا في تهيئة بل أتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندي فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي وفي الآية تعريض بأصنامهم فإنهم كانوا يحضرون لها المأكل فربما أكلتها الكلاب ثم بالت على الأصنام ثم لا يصدهم ذلك وهذه الآية دليل على أن الرزق أعم من الأكل كما في «تفسير المناسبات» وقال بعضهم معنى أن يطعمون أن يطعموا أحداً من خلقي وإنما أسند الإطعام إلى نفسه لأن الخلق عيال الله ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه كما جاء في الحديث يقول الله: «استطعمتك فلم تطعمني» أي: لم تطعم عبدي وذلك أن الاستطعام وسؤال الرزق يستحيل في وصف الله.

﴿**إن الله هو الرزاق**﴾ تعليل لعدم إرادة الرزق منهم وهو من قصر الصفة على الموصوف أي: لا رزاق إلا الله الذي يرزق كل ما يفتقر إلى الرزق وفيه تلويح بأنه غني عنه ﴿**ذو القوة**﴾ على جميع ما خلق تعليل لعدم إرادته منهم أن يعملوا ويسعوا في إطعامه لأن من يستعين بغيره في أموره يكون عاجزاً لا قوة له ﴿**المتين**﴾ الشديد القوة لأن القوة تمام القدرة والمتانة شدتها وهو بالرفع على أنه نعت للرزاق أو لذو أو خبر بعد خبر.

وفي «التأويلات النجمية» إن الله هو الرزاق لجميع الخلائق ذو القوة المتين في خلق الأرزاق والمرزوقين وفي «المفردات» القوة تستعمل تارة في معنى القدرة وتارة للتهيؤ الموجود في الشيء وتارة في البدن وفي القلب وفي المعاون من خارج وفي القدرة الإلهية وقوله ﴿**ذو القوة المتين**﴾ عام فيما اختص الله به من القدرة وما جعله للخلق انتهى..

يقول الفقير: قد سبق أن القوة في الأصل عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف والله تعالى منزه عن ذلك فهي في حقه تعالى بمعنى القدرة التامة ويجوز أن يعتبر قوي مظاهر أسمائه وصفاته أياً ما كانت والمتنان مكتنفا الصلب وبه شبه المتن من الأرض ومتنته ضربت متنه ومتن قوي متنه فصار متيناً ومنه قيل حبل متين. ودر ترجمة رشف در معنى قوى ومتين آورده كه قدرت قاهره اش دليل قوت بالغه كشسته وشدت قوتش حجت متانت قدرت شده نه دركار سازى متانتش رافتورى ونه در روزى وبنده نوازى قدرتش راقصورى:

رساند رزق بر وجهى كه شايد — بسازد كارها نوعى كه بايد
بروزى بى نوا يا نرا نوازد — برحمت بى كسانرا كارسازد

قال بعضهم رزق الله بالتفاوت رزق بعضهم الإيمان وبعضهم الإيقان وبعضهم العرفان وبعضهم البيان وبعضهم العيان فهؤلاء أهل اللطف والسعادة وبعضهم الخذلان وبعضهم الحرمان وبعضهم الطغيان وبعضهم الكفران فهؤلاء أهل القهر والشقاوة وقال بعضهم: اعتبروا باللبيب الطالب الأرزاق وحرمانه وبالطفل العاجز وتواتر الأرزاق عليه لتعلموا أن الرزق طالب وليس بمطلوب.

قال الإمام الغزالي رحمه الله في «شرح الأسماء»: الرزاق هو الذي خلق الأرزاق والمرتزقة وأوصلها إليهم وخلق لهم أسباب التمتع بها والرزق رزقان ظاهر وهي الأقوات والأطعمة وذلك للظاهر وهي الأبدان وباطن وهي المعارف والمكاشفات وذلك للقلوب والأسرار وهذا أشرف الرزقين فإن ثمرتها حياة الأبد وثمرة الرزق الظاهر قوة الجسد إلى مدة

قريبة الأمد والله تعالى هو المتولي لخلق الرزقين والمتفضل بالإيصال إلى كلا الفريقين ولكنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وغاية حظ العبد من هذا الوصف أمران:

أحدهما أن يعرف حقيقة هذا الوصف وأنه لا يستحقه إلا الله تعالى فلا ينتظر الرزق إلا منه ولا يتوكل فيه إلا عليه كما روي عن حاتم الأصم أنه قال له رجل: من أين تأكل؟ فقال: من خزانته فقال الرجل يلقي عليك الخبز من السماء؟ فقال: لو لم تكن الأرض له لكان يلقيه من السماء فقال الرجل: أنتم تقولون الكلام فقال: لم ينزل من السماء إلا الكلام فقال الرجل: أنا لا أقوى لمجادلتك فقال: لأن الباطل لا يقوم مع الحق.

والثاني أن يرزقه علماً هادياً ولساناً مرشداً ويداً منفقة متصدقة ويكون سبباً لوصول الأرزاق الشريفة إلى القلوب بأقواله وأعماله وإذا أحب الله تعالى عبداً أكثر حوائج الخلق إليه ومهما كان واسطة بين الله وبين العباد في وصول الأرزاق إليهم فقد نال حظاً من هذه الصفة قال رسول الله ﷺ: «الخازن الأمين الذي يعطي ما أمر به طيبة به نفسه أحد المتصدقين» وأيدي العباد خزائن الله فمن جعلت يده خزانة أرزاق الأبدان ولسانه خزانة أرزاق القلوب فقد أكرم بشوب من هذه الصفة انتهى كلام الغزالي فعبد الرزاق هو الذي وسع الله رزقه فيؤثر به على عباده ويبسط على من يشاء الله أن يبسط له لأن الله جعل في قدمه السعة والبركة فلا يأتي إلا حيث يبارك فيه ويفيض الخير وخاصية هذا الاسم لسعة الرزق أن يقرأ قبل صلاة الفجر في كل ناحية من نواحي البيت عشراً يبدأ باليمين من ناحية القبلة ويستقبلها في كل ناحية إن أمكن وفي «الأربعين الإدريسية» سبحانك يا رب كل شيء ووارثه ورازقه قال السهروردي المداوم عليه تقضي حاجته من الملوك وولاة الأمر فإذا أراد ذلك وقف مقابلة المطلوب وقرأه سبع عشرة مرة ومن تلاه عشرين يوماً على الريق رزق ذهناً يفهم به الغوامض وقال الغزالي في شرح الاسمين القوي المتين القوة تدل على القدرة التامة والمتانة تدل على شدة القوة والله تعالى من حيث إنه بالغ القدرة تامها قوي ومن حيث إنه شديد القوة متين وذلك يرجع إلى معنى القدرة انتهى وعبد القوي هو الذي يقوى بقوة الله على قهر الشيطان وجنوده التي هي قوى نفسه من الغضب والشهوة والهوى ثم على قهر أعدائه من شياطين الإنس والجن فلا يقاويه شيء من خلق الله إلا قهره ولا يناويه أحد إلا غلبه وعبد المتين هو القوي في دينه الذي لم يتأثر ممن أراد إغواءه ولم يكن لمن أزله عن الحق بشدته لكونه أمتن كل متين فعبد القوي هو المؤثر في كل شيء وعبد المتين هو الذي لم يتأثر من شيء.

وقال أبو العباس الزروقي: القوي هو الذي لا يلحقه ضعف في ذاته ولا صفاته ولا في أفعاله فلا يمسه نصب ولا تعب ولا يدركه قصور ولا عجز في نقض ولا إبرام وقال بعض المشايخ القوى من القوة وهي وسط ما بين حال باطن الحول وظاهر القدرة لأن أول ما يوجد في الباطن من منة العمل يسمى حولاً ثم يحس به في الأعضاء مثلاً يسمى قوة وظهور العمل بصورة البطش والتناول يسمى قدرة ولذلك كان في كلمة لا حول ولا قوة إلا بالله وهو تمثيل للتقريب إلى الفهم وإلا فالله تعالى منزه عن صفات المخلوقين ومن عرف أنه القوي رجع بحوله وقوته في كل شيء إلى حوله وقوته والتقريب بهذا الاسم تعلقاً من حيث إسقاط التدبير وترك منازعة المقادير ونفي الدعوى ورؤية المنة له تعالى ونفي خوف الخلق وهموم الدنيا وتخلقاً أن

يكون قوياً في ذات الله حتى لا يخاف فيه لومة لائم ولا يضعف عن أمره بحال وخاصية هذا الاسم ظهور القوة في الوجود فما تلاه ذو همة ضعيفة إلا وجد القوة ولا ذو جسم ضعيف إلا كان له ذلك ولو ذكره مظلوم بقصد إهلاك الظالم ألف مرة كان له ذلك وكفى أمره والمتين هو الذي له كمال القوة بحيث لا يعارض ولا يشارك ولا يداني ولا يقبل الضعف في قوته ولا يمانع في أمره بل هو الغالب الذي لا يغالب ولا يغلب ولا يحتاج في قوته لمادة ولا سبب ومن عرف عظمة قوته ومتانتها لم يخف من شيء ولم يقف بهمته على شيء دونه استناداً إليه واعتماداً عليه وخاصية هذا الاسم ظهور القوة لذاكره مع اسمه القوي ولو ذكر على شابة فاجرة عشر مرات وكذلك الشاب لتابا.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿فإن للذين ظلموا﴾ أي: ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله ﷺ أو وضعوا مكان التصديق تكذيباً وهم أهل مكة **﴿ذنوباً﴾** أي: نصيباً وافراً من العذاب **﴿مثل ذنوب أصحابهم﴾** مثل أنصباء نظرائهم من الأمم المحكية وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء قال: لنا ذنوب ولكم ذنوب. فإن أبيتم فلنا القليب. قال في «المفردات»: الذنوب الدلو الذي ذنب واستعير للنصيب كما استعير السجل وهو الدلو العظيم وفي «القاموس» الذنوب الفرس الوافر الذنب ومن الأيام الطويل الشر والدلو أو فيها ماء أو الملأى أو دون الملأى والحظ والنصيب والجمع أذنبة وذنائب وذناب انتهى **﴿فلا يستعجلون﴾** أصله يستعجلوني بياء المتكلم أي: لا يطلبوا مني أن أعجل في المجيء به لأن له أجلاً معلوماً فهو نازل بهم في وقته المحتوم يقال استعجله أي: حثه على العجلة وأمره بها ويقال استعجله أي: طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١] وهو جواب لقولهم ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨] وكان النضر بن الحارث يستعجل بالعذاب فأمهل إلى بدر ثم قتل في ذلك اليوم وصار إلى النار فعذب أولاً بالقتل ثم بالنار.

﴿فويل للذين كفروا﴾ پس واى مرانا نراكه كافر شدند والويل أشد من العذاب والشقاء والهم ويقال واد في جهنم وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بما في حيز الصلة من الكفر وإشعاراً بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على أن لهم عذاباً عظيماً كما أن الفاء الأولى لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك **﴿من يومهم الذي يوعدون﴾** من للتعليل أي: يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيامة وهو الأنسب لما في صدر السورة الآتية والأول هو الأوفق لما قبله من حيث إنهما من العذاب الدنيوي وأياً ما كان فالعذاب آت وكل آت قريب كما قالوا. كرچه قيامت دير آيدولى مى آيد عمر اكرچه دراز بود چون مرك روى نمود ازان درازى چه سود نوح هزار سال درجهان يسر برده است امروز چند هزار سالست كه مرده است فعلى العاقل أن يتعجل في التوبة والإنابة حتى لا يلقى الله عاصياً ولا يتعجل في الموت فإنه آت البتة وفي الحديث لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً أي: فإنه إن كان محسناً فلعله إن يزداد خيراً وإن كان مسيئاً فلعل الله يرزقه الإنابة:

أي كـه پـنـجـاه رفـت ودر خـوابـى مـكـر ايـن پـنـج روز دريـابـى

وفي «التأويلات النجمية» فإن للذين ظلموا من أهل القلوب على قلوبهم بأن جعلوها ملوثة بحب الدنيا بعد أن كانت معدن محبة الله ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم من أرباب النفوس بجميع صفاتها يعني أن فساد القلب بمحبة الدنيا يوازي فساد النفس بجميع صفاتها لأن القلب إذا صلح صلح به سائر الجسد وإذا فسد فسد به سائر الجسد فلا تستعجلون في إفساد القلب فويل للذين كفروا بنعمة ربهم في إفساد القلب من يومهم الذي يوعدون بإفساد سائر صفات الجسد ومن الله العصمة والحفظ.

تمت سورة الذاريات بعون خالق البريات
في أواخر جمادى الآخرة من سنة أربع عشرة ومائة وألف

٥٢ ـ سورة الطور

مكية وآيها تسع وأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾﴾.

﴿والطور﴾ الواو للقسم والطور بالسريانية الجبل وقال بعضهم: هو عربي فصيح ولذا لم يذكره الجواليقي في المعربات وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الطور كل جبل ينبت قال:

لو مر بالطور بعض ناعقة ... ما أنبت الطور فوقه ورقه

كويند مراد اينجا مطلق كوهست كه اوتاد ارض اند. وفيه منابع ومنافع وقيل بل هو جبل محيط بالأرض والأظهر الأشهر أنه اسم جبل مخصوص هو طور سينين يعني الجبل المبارك وهو جبل بمدين واسمه زبير سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى ولذا أقسم الله تعالى به لأنه محل قدم الأحباب وقت سماع الخطاب وورد على محل القدم كثير من الأولياء فظهر عليهم الحال تلك الساعة وقال في «خريدة العجائب» جبل طور سينا هو بين الشام ومدين قيل إنه بالقرب من أيلة وهو المكلم عليه موسى عليه السلام كان إذا جاءه موسى للمناجاة ينزل عليه غمام فيدخل في الغمام ويكلم ذا الجلال والإكرام وهو الجبل الذي دك عند التجلي وهناك خر موسى صعقاً وهذا الجبل إذا كسرت حجارته يخرج من وسطها شجرة العوسج على الدوام وتعظيم اليهود لشجرة العوسج لهذا المعنى ويقال لشجرة العوسج شجرة اليهود انتهى كلام «الخريدة» والعوسج جمع عوسجة وهي شوك كما في «القاموس».

﴿وكتاب مسطور﴾ مكتوب على وجه الانتظام فإن السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن أو ألواح موسى وهو الأنسب بالطور أو ما يكتب في اللوح وآخر سطر في اللوح المحفوظ سبقت رحمتي على غضبي من أتاني بشهادة أن لا إله إلا الله أدخلته الجنة أو ما يكتبه الحفظة يخرج إليهم يوم القيامة منشوراً فآخذ بيمينه وآخذ بشماله نظيره قوله تعالى ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣] **﴿في رق منشور﴾** الرق الجلد الذي يكتب فيه شبه كاغد استعير لما يكتب فيه الكتابة من الصحيفة وسمي رقاً لأنه مرقق وقد غلب الاستعمال على هذا الذي هو من جلود الحيوان كما في «فتح الرحمن» وقال في «القاموس» الرق ويكسر جلد رقيق يكتب فيه وضد الغليظ كالرقيق الصحيفة البيضاء انتهى والمنشور المبسوط وهو خلاف المطوي.

قال الراغب نشر الثوب والصحيفة والسحاب والنعمة والحديث بسطها وقيل منشور مفتوح لا ختم عليه وتنكيرهما للتفخيم أو الإشعار بأنهما ليسا مما يتعارفه الناس والمعنى

بالفارسية وسوكند بكتاب نوشته در صحيفه كه كشاده كردد بوقت خواندن وعلى تقدير أن يكون ما يكتب في اللوح يكون الرق المنشور مجازاً لأن اللوح خلقه الله من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور عرضه كما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق الله بكل نظرة يحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء ﴿والبيت المعمور﴾ أي: الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين أو الضراح يعني اسم البيت المعمور الضراح قال السهيلي رحمه الله وهو في السماء السابعة واسمها عروبا قال وهب بن منبه: من قال سبحان الله وبحمده كان له نور يملأ ما بين عروبا وحريبا وحريبا هي الأرض السابعة انتهى وهو خيال الكعبة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة يزوره كل يوم سبعون ألف ملك بالطواف والصلاة ولا يعودون إليه أبداً وحرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض وهو عدد خواطر الإنسان في اليوم والليلة ومنه قيل إن القلب مخلوق من البيت المعمور وقيل باطن الإنسان كالبيت المعمور والأنفاس كالملائكة دخولاً وخروجاً وفي أخبار المعراج رأيت في السماء السابعة البيت المعمور وإذا أمامه بحر وإذا يؤمر الملائكة فيخوضون في البحر يخرجون فينفضون أجنحتهم فيخلق الله من كل قطرة ملكاً يطوف فدخلته وصليت فيه وسمي بالضراح بضم الضاد المعجمة لأنه ضرح أي: رفع وأبعد حيث كان في السماء السابعة والضرح هو الإبعاد والتنحية يقال ضرحه أي: نحاه ورماه في ناحية وأضرحه عنك أي: أبعده والضريح البعيد وقيل: كان بيتاً من ياقوتة أنزله الله موضع الكعبة فطاف به آدم وذريته إلى زمان الطوفان فرفع إلى السماء وكان طوله كما بين السماء والأرض وذهب بعضهم إلى أنه في السماء الرابعة ولا منافاة فقد ثبت أن في كل سماء بحيال الكعبة في الأرض بيتاً.

يقول الفقير: والذي يصح عندي من طريق الكشف أن البيت المعمور في نهاية السماء السابعة فإنه إشارة إلى مقام القلب فكما أن القلب بمنزلة الأعراف فإنه برزخ بين الروح والجسد كما أن الأعراف برزخ بين الجنة والنار فكذا البيت المعمور فإنه برزخ بين العالم الطبيعي الذي هو الكرسي والعرش وبين العالم العنصري الذي هو السماوات السبع وما دونها وهذا لا ينافي أن يكون في كل سماء بيت على حدة هو على صورة البيت المعمور كما أنه لا ينافي كون الكعبة في مكة أن يكون في كل بلدة من بلاد الإسلام مسجد على حدة على صورتها فكما أن الكعبة أم المساجد وجميع المساجد صورها وتفاصيلها فكذا البيت المعمور أصل البيوت التي في السماوات فهو الأصل في الطواف والزيارة ولذا رأى النبي عليه السلام ليلة المعراج إبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور الذي هو بإزاء الكعبة وإليه تحج الملائكة وقال بعضهم: المراد بالبيت المعمور قلب المؤمنين وعمارته بالمعرفة والإخلاص فإن كل قلب ليس فيه ذلك فهو خراب ميت فكأنه لا قلب.

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦﴾

﴿والسقف المرفوع﴾ يعني السماء المرفوع عن الأرض مقدار خمسمائة عام قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢]. قال الكاشفي: يعني آسمان كه مجمع انوار حكمت ومخزن اسرار فطرتست ويا عرش عظيم. وذلك لأن العرش سقف الجنة وهو محيط بعالم الأجسام كما أن سقف البيت محيط بالجدران ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور من

حيث اجتماع السقف مع البيت ومن حيث إن العرش على التقدير الثاني والبيت المعمور متقاربان تقارب السقف بالبيت.

﴿والبحر المسجور﴾ أي: المملوء وهو البحر المحيط الأعظم الذي منه مادة جميع البحار المتصلة والمنقطعة وهو بحر لا يعرف له ساحل ولا يعلم عمقه إلا الله تعالى والبحار التي على وجه الأرض خلجان منه وفي هذا البحر عرش إبليس لعنه الله وفيه مدائن تطفو على وجه الماء وهي آهلة من الجن في مقابلة الربع الخراب من الأرض وفيه قصور تظهر على وجه الماء طافية ثم يغيب وتظهر فيه الصور العجيبة والأشكال الغريبة ثم تغيب في الماء وفي هذا البحر ينبت شجر المرجان كسائر الأشجار في الأرض وفيه من الجزائر المسكونة والخالية ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

قال في «القاموس» سجر التنور أحماه والنهر ملأه والمسجور الموقد والساكن ضد والبحر الذي ماؤه أكثر منه انتهى وقال بعض المفسرين والبحر المسجور أي: الموقد من قوله تعالى ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾ [التكوير: ٦] والمراد به الجنس وعدد البحار العظيمة سبعة كما أن عدد الأنهار العظيمة كذلك وكل ماء كثير بحر.

ـ روي ـ أن الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة ناراً يسجر بها نار جهنم وفي الحديث: «لا يركبن رجل بحراً إلا غازياً أو معتمراً أو حاجاً» فإن تحت البحر ناراً أو تحت النار بحراً والبحر نار في نار وهذا على أن يكون البحر بحر الدنيا وبحر الأرض وقال علي وعكرمة رضي الله عنهما: هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سماوات إلى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان وهو بحر مكفوف أي: عن السيلان يمطر منه على الموتى ماء كالمني بعد النفخة الأولى أربعين صباحاً فينبتون في قبورهم وحمله بعض المشايخ على صورة إحياء الله تعالى يعني كما أنه ينبت النبات بماء المطر فيظهر من الأرض فكذا الموتى يخلقهم الله خلقاً جديداً فيظهرون من الأرض كالنبات ولكن هذا لا ينافي أن يكون هناك ماء صوري فإن الإنسان من المني خلق وبصورة ماء كالمني سينبت ولله في كل شيء حكمة بديعة وقيل هو بحر سماء الدنيا وهو الموج المكفوف لولاه لأحرقت الشمس الدنيا. ونزد أرباب تحقيق مراد طور نفس است كه موسى القلب بران باحق سبحانه مناجاة ميكند وكتاب مسطور ايمانست كه دررق منشور قلب بقلم رحمت ازلي نوشته شده كه كتب في قلوبهم الإيمان وبيت سرعا رفانست كه بنظرات تجليات سبحاني آباداني يافته وسقف مرفوع روح رفيع القدر والدرجات إلى الحضرة است كه سقف خانه دلست وبحر مسجور دلى است بآتش محبت تافته.

وقال عبد العزيز المكي قدس سره: أقسم الله بالطور وهو الجبل وهو النبي ﷺ كان في أمته كالجبال في الأرض استقرت به الأمة على دينهم إلى يوم القيامة كما تستقر الأرض بالجبال وأقسم بالكتاب المسطور وهو الكتاب المنزل عليه المسطور في اللوح المحفوظ في رق منشور هو المصاحف وأقسم بالبيت المعمور وهو النبي عليه السلام كان والله بيتاً بالكرامة معموراً وعند الله مسروراً مشكوراً وأقسم بالسقف المرفوع وهو رأس النبي عليه السلام كان والله سقفاً مرفوعاً وفي الدارين مشهوراً وعلى المنابر مذكوراً وأقسم بالبحر المسجور وهو قلب محمد عليه السلام كان والله من حب الله مملوءاً فأقسم بنفس محمد عموماً وبرأسه خصوصاً وبقلبه ضياء ونوراً وبكتابه حجة وعلى المصاحف مسطوراً فأقسم الحبيب بالحبيب فلا وراءه قسم

وقال شيخي وسندي روح الله روحه في كتاب «اللائحات البرقيات» له والطور أي: طور الهوية الذاتية الأحدية الفردية المجردة عن الكل والحقيقة الجمعية الصمدية المطلقة عن الجميع وكتاب أي: كتاب الوجود مسطور فيه حروف الشؤون الذاتية الكمالية الوجودية والإمكانية وكلمات الأعيان العلمية الجلالية والجمالية الوجوبية والإمكانية وآيات الأرواح والعقول المجردة القهرية واللطيفة وسور الحقائق والصور المثالية الحية المقربة والمبعدة في رق أي: رق النفس الرحماني والأمر الرباني منشور على ماهيات الممكنات وحقائق الكائنات مبسوط على أعيان المجردات وصور الممثلات بالفيض الأقدس والتجلي الذاتي أولاً الحاصل به كليات التعينات والظهورات وبالفيض المقدس والتجلي الصفاتي والأفعالي ثانياً المتحقق به جزئيات التشخصات والتميزات والقرآن والفرقان اللفظي الرسمي بجميع حروفه وكلماته وآياته وسوره إن هو إلا ذكر وقرآن مبين وهذا مكتوب بيد المخلوق ومسطور بخطه وذلك مكتوب بيد الخالق ومسطور بخطه فلذا كان واجب التعظيم ولازم التكريم بحيث لا يمسه إلا المطهرون من الحدث مطلقاً فيا شقاوة من عقل الكتاب الإلهي الرسمي وأقبل عليه بالتعظيم والتوقير وغفل عن الكتاب الإلهي الحقيقي وأهمله عن التعظيم والتوقير بل أقدم عليه بالإهانة والتحقير ويا سعادة من عقلهما ولم يغفل عن واحد منهما ولم يهمل شأنهما بل أقبل على كل منهما بالتعظيم والتكريم انقياداً للشريعة في تكريم القرآن والفرقان اللفظي وإذعاناً للحقيقة في تحريم القرآن والفرقان الوجودي أداء لحق كل مرتبة وقضاء لدين كل منزلة قائماً في كل مقام بالعدل والإنصاف مجانباً في كل حال عن الجور والاعتساف.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾.

يقول الفقير: في ذلك الكتاب تفصيل عريض آخر لكل من الكتابين الحقيقي والمجازي واقتصرت هنا على شيء يسير مما ذكره لمناسبة المقام والمسؤول من الله الجامع الانتفاع بعلمه النافع **﴿إن عذاب ربك لواقع﴾** أي: لنازل حتماً وهو جواب للقسم قال في «فتح الرحمن» المراد عذاب الآخرة للكفار لا العذاب الدنيوي وإليه الإشارة في «الإرشاد» في آخر السورة المتقدمة **﴿ماله من دافع﴾** يدفعه وهو كقوله تعالى ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٤٣] وبالفارسية نيست مران عذاب را هيچ دفع كننده بلكه بهمه حال واقع خواهد بود. وهو خبر ثان لأن قال بعضهم: الفرق بين الدفع والرفع أن الدفع بالدال يستعمل قبل الوقوع والرفع بالراء يستعمل بعد الوقوع وتخصيص هذه الأمور بالإقسام بها لما أنها من أمور عظام تنبىء عن عظم قدرة الله وكمال علمه وحكمته الدالة على إحاطته بتفاصيل أعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق إخباره التي من جملتها الجملة المقسم عليها وقال جبير بن مطعم: قدمت المدينة لأكلم رسول الله عليه السلام في أسارى بدر فلقيته في صلاة الفجر يقرأ سورة الطور وصوته يخرج من المسجد فلما بلغ إلى قوله: **﴿إن عذاب ربك لواقع﴾** فكأنما صدع قلبي حين سمعته فكان أول ما دخل في قلبي الإسلام فأسلمت خوفاً من أن ينزل العذاب وما كنت أظن أن أقوم من مقامي حتى يقع بي العذاب ومثل هذا التأثير وقع لعمر رضي الله عنه حين بلغ دار الأرقم فسمع النبي عليه السلام

يقرأ سورة طه فلان قلبه وأسلم فالقلوب المتهيئة للقبول تتأثر بأدنى شيء خصوصاً إذا كان الواعظ هو القرآن العظيم أو التالي هو الرسول الكريم أو وارثه المستقيم وأما القلوب القاسية فلا ينجع فيها الوعظ كما لم ينجع في قلب أبي جهل ونحوه. قال الشيخ سعدي:

آهنى راكه موريانه بخورد نتوان برداز وبصيقل زنك
باسيه دل چه سود كفتن وعظ نرود ميخ آهنين درسنك

وفي «التأويلات النجمية»: العذاب لأهل العذاب واقع بالفقد لأن أشد العذاب ذل الحجاب وكان من دعاء السري السقطي قدس سره: اللهم مهما عذبتني بذل الحجاب والحجاب واقع فإن أعظم الحجاب حجاب النفس ﴿ما له من دافع﴾ من قبل العبد بل دافع حجاب النفس هو رحمة الله تعالى كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٥٣] عبد الله المغاوري مردى بوداز نواحي اشبيليه دربلاد غرب دربعضى اوقات تشويش وپرا كندكى بخلق راه يافته بود زنى نزدوى آمد وكفت البتة مرا باشبيليه رسان وازدست اين قوم خلاص كن اوزن را بر كردن كرفت وبيرون آمد واو ازشطار بود وقوتى عظيم داشت چون بجاى خلوت رسيد واين زن بغاية جميله بود شيطان اورا بمجامعت با آن زن وسوسه داد ونفس تقاضا كرفت. فكان حال المرأة حينئذ نظير الحكاية التي قال الشيخ سعدي فيها:

شنيدم كوسفندى را بزركى رها نيداز دهان ودست كركى
شبانكه كارد بر حلقش بماليد روان كوسفند ازوى بناليد
كه ازچنكال كركم درر بودى چوديدم عاقبت كركم تو بودى

عبد الله باخود كفت اي نفس اين بدست من أمانت است وخيانت كردن روانمى دارم ونفس البته بر عصيان حرص مى نمود واو ترسيدكه نفس غالب شود وكارى ناشايست در وجود آيد آلت مردى خودرا درميان دوسنك بكوفت وكفت النار ولا العارى سبب رجوع او بطريق حق اين بودودر همان وقت روى بحج نهاد ودر عهد خود يكانه روز كار بود فقد رحمه الله تعالى رحمة خاصة حيث نجاه من يد النفس الأمارة ولو وكله إلى نفسه لصدر عنه ذلك القبيح وكان سبباً لوقوعه في العذاب في الدنيا والآخرة أما في الآخرة فظاهر وأما في الدنيا فلأن التلبس بسبب الشيء تلبس به وكل فعل قبيح ووصف ذميم فهو عذاب حكمي ونار معنوية والعذاب الصوري أثر ذلك فليس من خارج عن الإنسان.

﴿يوم تمور السماء موراً﴾ ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبىء عن كمال هوله وفظاعته لا لدافع لأنه يوهم أن أحداً يدفع عذابه في غير ذلك اليوم والغرض أن عذاب الله لا يدفع في كل وقت والمور الاضطراب والتردد في المجيء والذهاب والجريان السريع أي: تضطرب وتجيء وتذهب وبالفارسية در اضطراب آيد آنكاه بشكافد. قيل: تدور السماء كما تدور الرحى وتتكفأ بأهلها تكفأ السفينة وقيل: يختلج أجزاؤها بعضها في بعض ويموج أهلها بعضهم في بعض ويختلطون وهم الملائكة وذلك من الخوف.

﴿وتسير الجبال سيراً﴾ أي: تزول عن وجه الأرض فتصير هباء وقال بعضهم: تسير الجبال كما تسير السحاب ثم تنشق أثناء السير حتى تصير آخره كالعهن المنفوش لهول ذلك اليوم ومثله وجود السالك عند تجلي الجلال بالفناء فإنه لا يبقى منه أثر وتأكيد الفعلين بمصدريهما للإيذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة أي: موراً عجيباً وسيراً بديعاً لا يدرك كنههما.

﴿فويل يومئذ للمكذبين﴾ الفاء فصيحة والجملة جواب شرط محذوف أي: إذا وقع ذلك المور والسير أو إذا كان الأمر كما ذكر فويل وشدة عذاب يوم إذ يقع لهم ذلك وهو لا ينافي تعذيب غير المكذبين من أهل الكبائر لأن الويل الذي هو العذاب الشديد إنما هو للمكذبين بالله ورسوله وبيوم الدين لا لعصاة المؤمنين.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿الذين هم في خوض﴾ أي: اندفاع عجيب في الأباطيل والأكاذيب وبالفارسية در شروع كردن بأقوال باطلة كه استهزا بقرء آنست وتكذيب نبي عليه السلام وإنكار بعث. قال في «فتح الرحمن»: الخوض التخبط في الأباطيل شبه بخوض الماء وغوصه وفي «حواشي الكشاف» الخوض من المعاني الغالبة فإنه يصلح في الخوض في كل شيء إلا أنه غلب في الخوض في الأباطيل كالإحضار لأنه عام في كل شيء ثم غلب استعماله في الإحضار للعذاب قال: ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥٧] وقوله ﴿الذين هم في خوض﴾ ليس صفة قصد بها تخصيص المكذبين وتمييزهم وإنما هو للذم كقولك الشيطان الرجيم ﴿يلعبون﴾ يلهون ويتشاغلون بكفرهم.

﴿يوم يدعون إلى نار جهنم دعا﴾ الدع الدفع الشديد وأصله أن يقال للعاثر دع دع أي: يدفعون إليها دفعاً عنيفاً شديداً بأن تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم فيدفعون إلى النار دفعاً على وجوههم وفي أقفيتهم حتى يردوها ويوم إما بدل من يوم تمور أو ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى.

﴿هذه النار﴾ أي: يقال لهم من قبل خزنة النار هذه النار ﴿التي كنتم﴾ في الدنيا وقوله ﴿بها﴾ متعلق بقوله: ﴿تكذبون﴾ أي: تكذبون الوحي الناطق بها ﴿أفسحر هذا﴾ توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحراً وتقديم الخبر لأنه محط الإنكار ومدار توبيخ كأنه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا المصداق أي: النار سحر أيضاً وبالفارسية آيا سحرست اين كه مى بينيد. فالفاء سببية لا عاطفة لئلا يلزم عطف الإنشاء على الإخبار فهذا الاستفهام لم يتسبب عن قولهم للوحي هذا سحر والمصداق ما يصدق الشيء وأحوال الآخرة ومشاهدتها تصدق أقوال الأنبياء في الإخبار عنها يعني أن الذي ترونه من عذاب النار حق ﴿أم أنتم لا تبصرون﴾ أي: أم أنتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عمياً عن الخبر أو أم سدت أبصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٥].

﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾.

﴿اصلوها﴾ أي: ادخلوها وقاسوا حرها وشدائدها ﴿فاصبروا أو لا تصبروا﴾ فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه فإنه لا خلاص لكم منها وهذا على جهة قطع رجائهم ﴿سواء عليكم﴾ خبر مبتدأ محذوف دل عليه اصبروا أو لا تصبروا وسواء وإن كان بمعنى مستو لكنه في الأصل مصدر بمعنى الاستواء والمعنى سواء عليكم الأمر أن أجزعتم أم صبرتم في عدم النفع لا بدفع

العذاب ولا بتخفيفه إذ لا بد أن يكون الصبر حين ينفع وذلك في الدنيا لا غير فمن صبر هنا على الطاعات لم يجزع هناك إذ الصبر وإن كان مراً بصلاً لكن آخره حلو عسل **﴿إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾** تعليل للاستواء فإن الجزاء على كفرهم وأعمالهم القبيحة حيث كان واجب الوقوع حتماً بحسب الوعيد لامتناع الكذب على الله كان الصبر وعدمه سواء في عدم النفع.

وفي «التأويلات النجمية» إنما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا من الخير والشر لا الذي تعملون في الآخرة من الصبر والخضوع والخشوع والتضرع والدعاء فإنه لا ينفع شيء منها والحاصل أن يقال ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] انتهى ثم النار ناران النار الصورية لأهل الشرك الجلي ومن لحق بهم من العصاة والنار المعنوية لأهل الشرك الخفي ومن اتصل بهم من أهل الحجاب فويل لكل من الطائفتين يوم يظفر الطالب بالمطلوب ويصل المحب إلى المحبوب من عذاب جهنم وعذاب العبد والقطيعة والحرمان من السعادة العظمى والرتبة العليا فليحذر العاقل من الخوض في الدنيا واللعب بها فإن الغفلة عن خالق البريات توقد نيران الحسرات وفي الآية إشارة إلى مرتبة الخوف كما أن الآية التي تليها إشارة إلى مرتبة الرجاء فإن الأمن والقنوط كفر. زيراكه امن از عاجزان بود واعتقاد عجز در الله كفرست وقنوط ازلئيمان بود واعتقاد لؤم در الله كفرست چراغى كه درو روغن نباشد روشنايى ندهد وچون روغن باشد وآتش نباشد ضياندهد پس خوف بر مثال آتش است ورجاء بر مثال روغن وايمان برمثال فتيله ودل بر شكل چراغ دان چون خوف ورجا مجتمع كشت چراغى حاصل آمدكه دروى هم روغن است كه مدد بقاست هم آتش است كه ماده ضياست آنكه ايمان ازميان هردو مدد ميكير دازيكى ببقا وازيكى بضياء ومؤمن ببدرقه ضياراه ميرود وبمدد بقاقدم مى زند والله ولي التوفيق.

﴿إن المتقين﴾ عن الكفر والمعاصي **﴿في جنات ونعيم﴾** النعيم الخفض والدعة والتنعم الترفه والاسم النعمة بالفتح.

قال الراغب: النعيم النعمة الكثيرة وتنعم تناول ما فيه النعمة وطيب العيش ونعمه تنعيماً جعله في نعمة أي: لين عيش وفي «البحر» التنعم استعمال ما فيه النعومة واللين من المأكولات والملبوسات والمعنى في جنات ونعيم أي: في آية جنات وأي نعيم بمعنى الكامل في الصفة على أن التنوين للتفخيم أو في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على أنه للتنويع والجنة مع كونها أشرف المواضع قد يتوهم أن من يدخلها إنما يدخلها ليعمل فيها ويصلحها ويحفظها لصاحبها كما هو شأن ناطور الكرم أي: مصلحه وحافظه كما قال في «القاموس» الناطور أي: بالطاء المهملة حافظ الكرم والنخل أعجمي انتهى فلما قال ونعيم أفاد أنهم فيها متنعمون كما هو شأن المتفرج بالبستان لا كالناطور والعمال.

﴿فاكهين﴾ ناعمين متلذذين وبالفارسية شادمان ولذات يابندكان.

وفي «القاموس»: الفاكة صاحب الفاكهة وطيب النفس الضحوك والناعم الحسن العيش كما أن الناعمة والمنعمة الحسنة العيشة **﴿بما آتاهم ربهم﴾** از كرا متهاى جاودانى وفي «فتح الرحمن» من إنعامه ورضاه عنهم وذلك أن المتنعم قد يستغرق في النعم الظاهرة وقلبه مشغول بأمر ما فلما قال فاكهين تبين أن حالهم محض سرور وصفاء وتلذذ ولا يتناولون شيئاً من النعيم إلا تلذذاً لا لدفع ألم جوع أو عطش **﴿ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾** الوقاية حفظ الشيء مما

يؤذيه ويضره والجحمة شدة تأجج النار ومنه الجحيم أي: جهنم لأنه من أسمائها وهو عطف على آتاهم على أن ما مصدرية أي: متلذذين بسبب إيتاء ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم فإنها إن جعلت موصولة يكون التقدير بالذي وقاهم ربهم عذاب الجحيم فيبقى الموصول بلا عائد وإظهار الرب في موضع الإضمار مضافاً إلى ضميرهم للتشريف والتعليل.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿كلوا واشربوا﴾ أي: يقال لهم من قبل خزنة الجنة دائماً كلوا واشربوا أكلاً وشرباً ﴿هنيئا﴾ فهنيئاً صفة لمصدر محذوف أو طعاماً وشراباً هنيئاً فهو صفة مفعول به محذوف فإن ترك ذكر المأكول والمشروب دلالة على تنوعهما وكثرتهما والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا كان سائغاً يعني كوارنده لا تكدير فيه أي: كان بحيث لا يورث الكدر من التخم والسقم وسائر الآفات كما يكون في الدنيا قال ابن الكمال ومنه يهنى المشتهر في اللسان التركي باللحم المطبوخ ﴿بما كنتم تعملون﴾ بسببه أو بمقابلته قال في «فتح الرحمن» معناه أن رتب الجنة ونعيمها هي بحسب الأعمال وأما نفس دخولها فهو برحمة الله وتغمده والأكل والشرب والتهني ليس من الدخول في شيء وأعمال العباد الصالحة لا توجب على الله التنعيم إيجاباً لكنه قد جعلها أمارة على من سبق في علمه تنعيمه وعلق الثواب والعقاب بالتكسب الذي في الأعمال. إمام زاهد رحمه الله فرمود كه هرچند وعده بكردار بنده است أما أصل فضل الهيست واكرنه پيداست كه فردامز دكر دار ماچه خواهد بود:

نـدارد فـعـل مـن از زور بـازو كـه بـافـضـل تـو كـرددهـم تـرازو
بـفـضـل خـويـش كـن فـضـل مـرايـار بـعـدل خـود بـكـن بـافـعـل مـن كـار

قال سهل جزاء الأعمال الأكل والشرب ولا يساوي أعمال العباد أكثر من ذلك وأما شراب الفضل فهو قوله ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] وهو شراب على رؤية المكاشفة والمشاهدة.

﴿متكئين﴾ حال من الضمير في ﴿كلوا واشربوا﴾ أي: معتمدين ومستندين ﴿على سرر﴾ جمع سرير وهو الذي يجلس عليه وهو من السرور إذا كان ذلك لأولي النعمة وسرير الميت تشبيه به في الصورة وللتفاؤل بالسرور الذي يلحق الميت برجوعه إلى الله وخلاصة من سجنه المشار إليه بقوله عليه السلام: «الدنيا سجن المؤمن» ﴿مصفوفة﴾ مصطفة قد صف بعضها إلى جنب بعض أو مرمولة أي: مزينة بالذهب والفضة والجواهر وبالفارسية بر تختهاى بافته بزر. والظاهر أن جمع السرر مبني على أن يكون لكل واحد منهم سرر متعددة مصطفة معدة لزائريهم فكل من اشتاق إلى صديقه يزوره في منزله قال الكلبي: صف بعضها إلى بعض طولها مائة ذراع في السماء يتقابلون عليها في الزيارة وإذا أراد أحدهم القعود عليها تطامنت واتضعت فإذا قعد عليها ارتفعت إلى أصل حالها ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ واحد الحور حوراء وواحد العين عيناء وإنما سمين حوراً لأن الطرف يحار في حسنهن وعيناً لأنهن الواسعات الأعين مع جمالها والباء للتعدية مع أن التزويج مما يتعدى إلى مفعولين بلا واسطة قال تعالى:

﴿زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] لما فيه من معنى الوصل والإلصاق أو للسببية والمعنى صيرناهم أزواجاً بسببهن فإن الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهن إليهم يعني أن التزويج حينئذ ليس على أصل معناه وهو النكاح وعقد النكاح بل بمعنى تصييرهم أزواجاً فلا يتعدى إلى مفعولين وبالفارسية وجفت كردانيم ايشانرا برنان سفيد روى كشاده چشم.

قال الراغب وقرناهم بهن ولم يجيء في القرآن زوجناهم حوراً كما يقال زوجته امرأة تنبيهاً على أن ذلك لم يكن على حسب التعارف فيما بيننا من المناكح انتهى قال في «فتح الرحمن» وقرناهم وليس في الجنة تزويج كالدنيا انتهى يعني أن الجنة ليست بدار تكليف فشأن تزويج أهل الجنة بالحور بقبول بعضهم بعضاً لا بأن يعقد بينهم عقد النكاح قال في «الواقعات المحمودية»: إن لأهل الجنة بيوت ضيافة يعملون فيها الضيافة للأحباب ويتنعمون ولكن أهليهم لا يظهرن لغير المحارم انتهى.

يقول الفقير: الظاهر أن عدم ظهورهن ليس من حيث الحرمة بل من حيث الغيرة يعني أن أهل الرجل إشارة إلى سره المكتوم فاقتضت الغيرة الإلهية أن لا تظهر لغير المحارم كما أن السر لا يفشى لغير الأهل وإلا فالحل والحرمة من توابع التكليف ولا تكليف هنالك وإنما كان ذلك ونحوه من باب التلذذ.

﴿والذين آمنوا﴾ مبتدأ خبره ألحقنا بهم ﴿واتبعتهم ذريتهم﴾ عطف على آمنوا أي: نسلهم ﴿بإيمان﴾ متعلق بالاتباع والتنكير للتقليل أي: بشيء من الإيمان وتقليل الإيمان ليس مبنياً على دخول الأعمال فيه بل المراد قلة ثمراته ودناءة قدره بذلك فالتقليل فيه بمعنى التحقير والمعنى واتبعتهم ذريتهم بإيمان في الجملة قاصرين عن رتبة إيمان الآباء واعتبار هذا القيد للإيذان بثبوت الحكم في الإيمان الكامل أصالة لا إلحاقاً ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ أي: أولادهم الصغار والكبار في الدرجة كما روي أنه عليه السلام قال: «إنه تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه لِتقرَّ بهم عينه» أي: يكمل سروره ثم تلا هذه الآية وفيها دلالة بينة على أن الولد الصغير يحكم بإيمانه تبعاً لأحد أبويه وتحقيقاً للحوقه به فإنه تعالى إذا جعلهم تابعين لآبائهم ولاحقين بهم في أحكام الآخرة فينبغي أن يكونوا تابعين لهم ولاحقين بهم في أحكام الدنيا أيضاً قال في «فتح الرحمن»: إن المؤمنين اتبعتهم أولادهم الكبار والصغار بسبب إيمانهم فكبارهم بإيمانهم بأنفسهم وصغارهم بأن اتبعوا في الإسلام بآبائهم بسبب إيمانهم لأن الولد يحكم بإسلامه تبعاً لأحد أبويه إذا أسلم وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد وقال مالك: يحكم بإسلامه تبعاً لإسلام أبيه دون أمه وأما إذا مات أحد أبويه في دار الإسلام فقال أحمد يحكم بإسلامه وهو من مفردات مذهبه خلافاً للثلاثة واختلفوا في إسلام الصبي المميز وردته فقال الثلاثة يصحان منه وقال الشافعي لا يصحان وفي «هدية المهديين»: إسلام الصبي العاقل وهو من كان في البيع سالباً وفي الشراء جالباً صحيح استحساناً حتى لا يرث من أقاربه الكفار ويصلى عليه إذا مات وارتداده ارتداد استحساناً في قول أبي حنيفة ومحمد إلا أنه يجبر على أحسن الوجوه ولا يقتل لأنه ليس من أهل العقوبة وفي الأشباه إن قيل أي مرتد لا يقتل فقل من كان إسلامه تبعاً أو فيه شبهة وأي رضيع يحكم بإسلامه بلا تبعية فقل لقيط في دار الإسلام وفي «الهدية» أيضاً صبي وقع من الغنيمة في سهم رجل في دار الحرب أو بيع به فمات يصلى عليه لأنه يصير مسلماً حكماً تبعاً لمولاه بخلاف ما قبل القسمة فإنه حينئذ يكون على دين أبويه وفي

«الفتوحات المكية» الطفل المسبي في دار الحرب إذا مات ولم يحصل منه تمييز ولا عقل يصلى عليه فإنه على فطرة الإسلام وهذا أولى ممن قال لا يصلى عليه لأن الطفل مأخوذ من الطفل وهو ما ينزل من السماء غدوة وعشية وهو أضعف من الرش والوبل فلما كان بهذا الضعف كان مرحوماً والصلاة رحمة فالطفل يصلى عليه إذا مات بكل وجه انتهى وإن دخل الصبي في دار الإسلام فإن كان معه أبواه أو أحدهما فهو على دينهما وإن مات الأبوان بعد ذلك فهو على ما كان كما في الهدية وإن لم يكن معه واحد منهما حين دخل الإسلام يصير مسلماً تبعاً للدار وللمولى ولو أسلم أحد الأبوين في دار الحرب يصير الصبي مسلماً بإسلامه وكذا لو أسلم أحد الأبوين في دار الإسلام ثم سبي الصبي بعده من دار الحرب فصار في دار الإسلام كان مسلماً بإسلامه ﴿وما ألتناهم﴾ وما نقصنا الآباء بهذا الإلحاق وإلا لأبغضوهم في الدنيا شحاً كما في عين المعاني من ألت يألت كضرب يضرب قال في «القاموس» ألته حقاً يألته نقصه كآلته إيلاتاً ﴿من عملهم﴾ من ثواب عملهم ﴿من شيء﴾ من الأولى متعلقة بألتناهم والثانية زائدة والمعنى ما نقصناهم من عملهم شيئاً بأن أعطينا بعض مثوباتهم أبناءهم فتنتقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وإنما رفعناهم إلى درجتهم ومنزلتهم بمحض التفضل والإحسان. يعني بلكه بفضل وكرم خود اولاد را رفعت درجه ارزاني فرمودم شيخ الإسلام حسين مروزي از استاد خود احمد بن أبي علي سرخسي رحمهما الله نقل ميكند كه ايمان وعمل جز بفضل لم يزلي نيست:

در فضل خدا بند دل خويش مدام تا فضل نباشد نبود كار تمام

وسألت خديجة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن ولدين لها ماتا في الجاهلية فقال عليه السلام: «هما في النار» فكرهت فقال عليه السلام: «لو رأيت مكانهما لأبغضتهما قالت: فالذي منك قال في الجنة إن المؤمنين وأولادهم في الجنة وإن المشركين وأولادهم في النار» كما في «عين المعاني» وقال الإمام محمد: إن الإمام الأعظم توقف في أطفال المشركين والمسلمين والمختار أن أطفال المسلمين في الجنة وأما ما روي أنه توفي صبي من الأنصار فدعي النبي عليه السلام إلى جنازته فقالت عائشة رضي الله عنها: طوبى له عصفور من عصافير الجنة فقال عليه السلام: «أو غير ذلك أتعتقدين ما قلت» والحق غير الجزم به إن الله خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلاً فإنما نهاها عن الحكم على معين بدخول الجنة كما في «شرح المشارق» لابن الملك وقال مولى رمضان في «شرح العقائد» ولا يشهد بالجنة والنار لأحد بعينه بل يشهد بأن المؤمنين من أهل الجنة والكافرين من أهل النار وكذا أطفالهم تبعاً لهم وقيل هم في الجنة إذ لا إثم لهم وقيل هم في الأعراف ووجهه أن عدم التيقن لعدم العلم بخاتمته وإذا مات ولد المؤمن طفلاً فخاتمته الإيمان لا محالة تبعاً لأبيه إلا أن يكون تابعاً لخاتمة أبيه وهي غير معلومة انتهى واختار البعض في أطفال المشركين كونهم خدام أهل الجنة كما في هدية المهديين والأكثرون على أنهم في النار تبعاً لآبائهم وقال آخرون إنهم في الجنة لكونهم غير مكلفين وتوقف فيه طائفة وهو الظاهر كما في «شرح المشارق» لابن الملك وبقي قول آخر وهو أن الصبيان والمجانين وأهل الفترة يرسل إليهم يوم القيامة رسول من جنسهم ويدعون إلى الإيمان ويمتحن المؤمن بإيقاع نفسه في نار هناك فمن قبل الدعوة ولم يمتنع عن الإيقاع المذكور خلص لأنها ليست بنار حقيقة وإلا دخل النار أي: جهنم وقال الشيخ روز بهان البقلي في

«عرائس البيان» عند الآية هذا إذا وقعت فطرة الذرية من العدم سليمة طيبة طاهرة صالحة لقبول معرفة الله ولم تتغير من تأثير صحبة الأضداد لقوله عليه السلام: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه» فإذا بقيت على النعت الأول ووصل إليها فيض مباشرة نور الحق ولم تتم عليها الأعمال يوصلها الله إلى درجة آبائهم وأمهاتهم الكبار من المؤمنين إذ هناك تتم أرواحهم وعقولهم وقلوبهم ومعرفتهم بالله عند كشف مشاهدته وبروز أنوار جلاله ووصاله وكذلك حال المريدين عند العارفين يبلغون إلى درجات كبرائهم وشيوخهم ما آمنوا بأحوالهم وقبلوا كلامهم كما قال رويم قدس سره: من آمن بكلامنا هذا من وراء سبعين حجاباً فهو من أهلنا وقال عليه السلام: «من أحب قوماً فهو منهم» وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النساء: ٦٩] ولا تعجب من ذلك فإنه تعالى مبلغهم إلى أعلى الدرجات فإذا كانوا في منازل الوحشة يصلون إلى الدرجات العلية فكيف لا يصلون إليها في مقام الوصلة انتهى.

يقول الفقير: يظهر من هذا أن لحوق الأبناء الصورية والمعنوية بالآباء في درجاتهم مشروط بالإيمان الشرعي والتوحيد العقلي وليس لأطفال المشركين شيء من ذلك فكيف يلتحقون بأهل الجنة مطلقاً فإنما يلتحق المؤمن بالمؤمن لمجانستهما وأما الإيمان الفطري فلا يعتبر في دار التكليف وكذا في دار الجزاء والله أعلم بالأسرار ومنه نرجو الالتحاق بالأخيار ﴿كل امرىء﴾ هر مردى بالغ عاقل مكلف ﴿بما كسب﴾ بانچه كرده باشد ازخير وشر ﴿رهين﴾ در كروست روز قيامت يعني وابست است بپاداش كردار خود وزان رهايى ندارد ويعمل ديكرى مؤاخذه نيست وزن مكلفه نيز همين حكم دارد. كما في «تفسير الكاشفي» والرهن ما يوضع وثيقة للدين ولما كان الرهن يتصور منه حبسه استعير ذلك للمحتبس أي شيء كان وقال ابن الشيخ: ما مصدرية والفعيل بمعنى المفعول والعمل الصالح بمنزلة الدين الثابت على المرء من حيث إنه مطالب به ونفس العبد مرهونة به فكما أن المرتهن ما لم يصل إليه الدين لا ينفك منه الرهن كذلك العمل الصالح ما لم يصل إلى الله لا تتخلص نفس العبد المرهونة فالمعنى كل امرىء مرهون عند الله بالعمل الصالح الذي هو دين عليه فإن عمله واداه كما هو المطلوب منه فك رقبته من الرهن وإلا أهلكها وفي هذا المعنى قال عليه السلام لكعب بن عجرة رضي الله عنه: «لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت النار أولى به» يا كعب بن عجرة «الناس صنفان فمبتاع نفسه فمعتقها وبائع نفسه فموبقها» وقال مقاتل: كل امرىء كافر بما عمل من الشرك مرهون في النار والمؤمن لا يكون مرتهناً لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٩﴾ [المدثر: ٣٨، ٣٩] وفي الآية وجه آخر وهو أن يكون الرهين فعيلاً بمعنى الفاعل فيكون المعنى كل امرىء بما كسب رهين أي: دائم ثابت مقيم إن أحسن ففي الجنة مؤبداً وإن أساء ففي النار مخلداً لأن في الدنيا دوام الأعمال بدوام الأعيان فإن العرض لا يبقى إلا في جوهر ولا يوجد إلا فيه وفي الآخرة دوام الأعيان بدوام الأعمال فإن الله يبقي أعمالهم لكونها عند الله من الباقيات الصالحات وما عند الله باق والباقي من الأعيان يبقى ببقاء عمله.

قال في «الإرشاد»: وهذا المعنى أنسب بالمقام فإن الدوام يقتضي عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته أن لا ينقص من ثواب الآباء شيء فالجملة تعليل لما قبلها انتهى.

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿وأمددناهم﴾ أصل المد الجر وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب والمد في المكروه والإمداد بالفارسية مدد كردن ومدد دادن.

وفي «القاموس» الإمداد تأخير الأجل وأن تنصر الأجناد بجماعة غيرك والإعطاء والإغاثة ﴿بفاكهة﴾ هي الثمار كلها ﴿ولحم مما يشتهون﴾ وإن لم يصرحوا بطلبه والمعنى: وزدناهم على ما كان من مبادي التنعم وقتا فوقتا مما يشتهون من فنون النعماء وضروب الآلاء. وذلك أنه تعالى لما قال ﴿وما ألتناهم﴾ ونفي النقصان يصدق بإيصال المساوي دفع هذا الاحتمال بقوله ﴿وأمددناهم﴾ أي: ليس عدم النقصان بالاقتصار على المساوي بل بالزيادة على ثواب أعمالهم والإمداد وتنوين فاكهة للتكثير أي: بفاكهة لا تنقطع كلما أكلوا ثمرة عاد مكانها مثلها وما في ﴿مما يشتهون﴾ للعموم لأنواع اللحمان وفي الخبر أنك لتشتهي الطير في الجنة فيخر بين يديك مشوياً وقيل يقع الطائر بين يدي الرجل في الجنة فيأكل منه قديداً ومشوياً ثم يطير إلى النهر.

﴿يتنازعون فيها﴾ نزع الشيء جذبه من مقره كنزع القوس من كبدها والتنازع والمنازعة المجاذبة ويعبر بها عن المخاصمة والمجادلة والمراد بالتنازع هنا التعاطي والتداول على طريق التجاذب يعني تجاذب الملاعبة لفرط السرور والمحبة وفيه نوع لذة إذ لا يتصور في الجنة التنازع بمعنى التخاصم والمعنى يتعاطون في الجنات ويتداولون هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبىء عنه التعبير بالتنازع وبالفارسية بايكديكر داد وستد كنند دربهشت يعني بهم دهند وازهم ستانند ﴿كأساً﴾ كأسه مملو ازخمر بهشت. والكأس قدح فيه شراب ولا يسمى كأساً ما لم يكن فيه شراب كما لا تسمى مائدة ما لم يكن عليها طعام والمعنى كأساً أي: خمراً تسمية لها باسم محلها ولما كانت الكأس مؤنثة مهموزة أنث الضمير في قوله ﴿لا لغو فيها﴾ أي: في شربها حيث لا يتكلمون في أثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام قال ابن عطاء أي لغو يكون في مجلس محله جنة عدن والساقي فيها الملائكة وشربهم ذكر الله وريحانهم تحية من عند الله مباركة طيبة والقوم أضياف الله.

قال الراغب: اللغو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذي يورد لا عن روية وفكر فيجري مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور ﴿ولا تأثيم﴾ ولا يفعلون ما يأثم به فاعله أي: ينسب إلى الإثم لو فعله في دار التكليف من الكذب والسب والفواحش كما هو ديدن المنادمين في الدنيا وإنما يتكلمون بالحكم وأحاسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام لأن عقولهم ثابتة غير زائلة وذلك كسكارى المعرفة في الدنيا فإنهم إنما يتكلمون بالمعارف والحقائق. قال البقلي: وصفهم الله في شربهم لكاسات شراب وصله بالمنازعة والشوق إلى مزيد القرب ثم وصف شرابهم أنه يورثهم التمكين والاستقامة في السكر لا يؤول حالهم إلى الشطح والعربدة وما يتكلم به سكارى المعرفة في الدنيا عند الخلق ولا يشابه حال أهل الحضرة حال أهل الدنيا من جميع المعاني ثم إنه قد يقع الأكل والشرب في المنام فيسري حكمه إلى الجسد لغلبة الروحانية كما قال بعض الكبار: العيش مع الله هو القوت الذي من أكله لا يجوع وإليه أشار

عليه السلام بقوله: «إني لست كهيئتكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» والمراد بذلك الشبع والري الذي يعود من ثمرة الأكل والشراب يعني يبيت جائعاً فيرى في منامه أنه يأكل فيصبح شبعاناً وقد اتفق ذلك لبعضهم بحكم الإرث وبقي رائحة ذلك الطعام حين استيقظ نحو ثلاثة أيام والناس يشمونها منه وأما غير النبي وغير الوارث فإذا رأى أنه يأكل استيقظ وهو جيعان مثل ما نام فصح قوله ﷺ «إن المبشرات جزء من أجزاء النبوة» انتهى.

يقول الفقير: فرب شبعان في دعواه جيعان في نفس الأمر ألا ترى حال من أكل في منامه حتى شبع ثم استيقظ وهو جائع وكذلك حال أهل التلوين فإن من شرب شراباً من هذه المعرفة يقع في الدعاوى العريضة كما شاهدناه في بعض المعاصرين ولا يدري أن حاله بالنسبة إلى حال أهل التمكين كحال النائم فمن سكر من رائحة الخمر ليس كمن سكر من شرب نفسها فأين أنت من الحقيقة فاعرف حدك ولا تتعد طورك فإن التعدي من قبيل اللغو والتأثيم.

قال الخجندي: از عشق دم مزن چونكشتى شهيد عشق. دعواي اين مقام درست از شهادتست.

﴿ويطوف عليهم﴾ الطواف المشي حول الشيء ومنه الطائف لمن يدور حول البيوت حافظاً أي: ويدور على أهل الجنة بالكأس وقيل بالخدمة ﴿غلمان لهم﴾ جمع غلام وهو الطار الشارب أي: مماليك مخصوصون بهم لم يضفهم بأن يقول غلمانهم لئلا يظن أنهم الذين كانوا يخدمونهم في الدنيا فيتفق كل من خدمه أحداً في الدنيا أن يكون خادماً له في الجنة فيحزن لكونه لا يزال تابعاً وأفاد التنكير أن كل من دخل الجنة وجد له خدم لم يعرفهم كما في حواشي سعدي المفتي ﴿كأنهم لؤلؤ مكنون﴾ حال من غلمان لأنهم قد وصفوا أي: كأنهم في البياض والصفاء لؤلؤ مصون في الصدف لأنه رطباً أحسن وأصفى إذ لم تمسه الأيدي ولم يقع عليه غبار وبالفارسية كويا ايشان در صفا ولطافت مرواريد پوشيده اندر صدف كه دست كس بديشان نرسيده. أو مخزون لأنه لا يخزن إلا الثمين الغالي القيمة قيل لقتادة: هذا الخادم فكيف المخدوم فقال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وأقبل بعضهم على بعض﴾ وروي مي آرند بعضي ازبهشتيان بربعض ديكر ﴿يتساءلون﴾ أي: يسأل كل بعض منهم بعضاً آخر عن أحواله وأعماله وما استحق به نيل ما عند الله من الكرامة وذلك تلذذاً واعترافاً بالنعمة العظيمة على حسب الوصول إليها على ما هو عادة أهل المجلس يشرعون في التحادث ليتم به استئناسهم فيكون كل بعض سائلاً ومسؤولاً لا أنه يسأل بعض معين منهم بعضاً آخر معيناً.

﴿قالوا﴾ أي: المسؤولون وهم كل واحد منهم في الحقيقة ﴿إنا كنا قبل﴾ أي: قبل دخول الجنة ﴿في أهلنا﴾ درميان اهل خود يعني بوديم دردنيا ﴿مشفقين﴾ أرقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته أو وجلين من العاقبة قيد بقوله في أهلنا فإن كونهم بين

أهليهم مظنة الأمن فإذا خافوا في تلك الحال فلأن يخافوا في سائر الأحوال والأوقات أولى وقال سعدي المفتي: ولعل الأولى أن يجعل إشارة إلى معنى الشفقة على خلق الله كما أن قوله ﴿إنا كنا من قبل ندعوه﴾ إشارة إلى التعظيم لأمر الله وترك العاطف لجعل الثاني بياناً للأول ادعاء للمبالغة في وجوب عدم انفكاك كل منهما عن الآخر انتهى.

يقول الفقير: الظاهر أن هذا الكلام وارد على عرف الناس فإنهم يقولون شأننا بين قومنا وقبيلتنا كذا فهم كانوا في الدنيا بين قبائلهم وعشائرهم على صفة الإشفاق وفيه تعريض بأن بعض أهلهم لم يكونوا على صفتهم ولذا صاروا محرومين ويدل على هذا أن الأهل يفسر بالأزواج والأولاد وبالعبيد والإماء وبالأقارب وبالأصحاب وبالمجموع كما في «شرح المشارق» لابن الملك ﴿فمن الله﴾ أي: أنعم ﴿علينا﴾ بالرحمة والتوفيق للحق.

يقول الفقير: الظاهر أن المن والإنعام إنما هو بالجنة ونعيمها كما دل عليه قوله: ﴿ووقانا عذاب السموم﴾ أي: حفظنا من عذاب النار النافذة في المسام أي: ثقب الجسد كالمنخر والفم والأذن نفوذ السموم وهي الريح الحارة التي تدخل المسام فأطلق على جهنم لنفوذ حرها في المسام كالسموم وفي «المفردات» السموم الريح الحارة التي تؤثر تأثير السم وقال البقلي: هذا شكر من القوم في رؤية الحق سبحانه أي: كنا مشفقين من الفراق في الدنيا والبعد في يوم التلاق فمن الله علينا ووقانا من ذلك العذاب المحرق المفني هذا في أوائل الرؤية أما إذا استقاموا في الوصال نسوا ما كان فيهم من ذكر الإشفاق وغيره والإشفاق وصف الأرواح والخوف صفة القلوب وقال الجنيد قدس سره: الإشفاق أرق من الخوف والخوف أصلب وقال بعضهم: الإشفاق للأولياء والخوف لعامة المؤمنين وقال الواسطي قدس سره: لاحظوا دعاءهم وشفقتهم ولم يعلموا أن الوسائل قطعت المتوسلين عن حقيقة وحجبت من إدراك من لا وسيلة إلا به.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿إنا كنا من قبل﴾ أي: من قبل لقاء الله والمصير إليه يعنون في الدنيا ﴿ندعوه﴾ أي: نعبده أو نسأله الوقاية ﴿إنه هو البر﴾ أي: المحسن ﴿الرحيم﴾ الكثير الرحمة الذي إذا عبد أثاب وإذا سئل أجاب قال الراغب: البر خلاف البحر وتصور منه التوسع فاشتق منه البر أي: التوسع في فعل الخير وينسب ذلك تارة إلى الله تعالى نحو أنه هو البر الرحيم وإلى العبد تارة فيقال بر العبد ربه أي: توسع في طاعته فمن الله الثواب ومن العبد الطاعة وذلك ضربان: ضرب في الاعتقاد وضرب في الأعمال الفرائض والنوافل وبر الوالدين التوسع في الإحسان إليهما وضده العقوق قال في «شرح الأسماء»: من عرف أنه هو البر الرحيم رجع إليه بالرغبة في كل حقير وعظيم فكفاه ما أهمه ببره ورحمته وقد قال في حكم ابن عطاء: متى أعطاك أشهدك بره وإحسانه وفضله ومتى منعك أشهدك قهره وجلاله وعظمته فهو في كل ذلك متعرف إليك تارة بجماله وأخرى بجلاله ومقبل بوجود لطفه عليك اذ وجه لك ما يوجب توجهك إليه ولكن إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه إذ لو فهمت عنه كنت تشكره على ما واجهك منه فقد قال ابو عثمان المغربي قدس سره: الخلق كلهم مع الله في مقام الشكر وهم يظنون

أنهم في مقام الصبر وقال ابراهيم الخواص قدس سره: لا يصح الفقر للفقير حتى يكون فيه خصلتان: إحداهما الثقة بالله والثانية الشكر له فيما زوي عنه في الدنيا مما ابتلي به غيره ولا يكمل الفقير حتى يكون نظر الله له في المنع أفضل من نظره له في العطاء وعلامة صدقه في ذلك أن يجد للمنع من الحلاوة ما لا يجد للعطاء والتقرب باسم البر تعلقاً وجود محبته لإحسانه وترك التدبير معه لما توجه من إكرامه وكثرة الدعاء كما قال: **﴿إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم﴾** وتخلقاً بالنفع لعباد الله والشفقة عليهم فإن البر هو الذي لا يؤذي الذر.

وفي «التأويلات النجمية» وأقبل بعضهم يعني القلب والروح على بعض يعني النفس يتساءلون قالوا: إنا كنا قبل أي: قبل السير والسلوك في أهلنا أي: في عالم الإنسانية مشفقين أي: خائفين من سموم الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية والشهوات الدنيوية فإنها مهب سموم قهر الحق فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم أي: سموم قهره ولولا فضله ما تخلصنا منه بجهدنا وسعينا بل إنا كنا من قبل ندعوه ونتضرع إليه بتوفيقه في طلب النجاة وتحصيل الدرجات إنه هو البر بمن يدعوه الرحيم بمن ينيب إليه.

﴿فذكر﴾ قال ابن الشيخ: لما بين الله أن في الوجود قوماً يخافون الله ويشفقون في أهلهم والنبي عليه السلام مأمور بتذكير من يخاف الله فرع عليه قوله فذكر بالفاء.

وقال الكاشفي: آورده اندكه جماعتى مقتسمان برعقبات مكه حضرت رسول را عليه السلام نزد قبائل عرب بكهانت وجنون وسحر وشعر منسوب ميساختند وآن حضرت اندوهناك ميشد آيت آمدكه فذكر أي: فاثبت على ما أنت عليه من تذكير المشركين بما أنزل إليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الأباطيل **﴿فما أنت بنعمة ربك﴾** نعمت رسمت بالتاء ووقف عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب أي: بسبب إنعامه بصدق النبوة وزيادة العقل.

وقال الكاشفي: بإنعام پروردكار خود يعني بحمد الله ونعمته أو ما أنت بكاهن حال كونك منعماً عليك به فهو حال لازمة من المنوي في كاهن لأنه عليه السلام لم يفارق هذه الحال فتكون الباء للملابسة والعامل هو معنى النفي ويجوز أن يجعل الباء للقسم **﴿بكاهن﴾** كما يقولون قاتلهم الله وهو من يبتدع القول ويخبر عما سيكون في غد من غير وحي وفي «المفردات» الكاهن الذي يخبر بالأخبار الماضية الخفية بضرب من الظن كالعراف الذي يخبر بالأخبار المستقبلة على نحو ذلك ولكون هاتين الصناعتين مبنيتين على الظن الذي يخطىء ويصيب قال عليه السلام: من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل الله على محمد ويقال كهن فلان كهانة إذا تعاطى ذلك وكهن إذا تخصص بذلك وتكهن تكلف ذلك وفي «القاموس» كهن له كجعل ونصر وكرم كهانة بالفتح وتكهن تكهناً وتكهيناً قضى له بالغيب فهو كاهن والجمع كهنة وكهان وحرفته الكهانة بالكسر انتهى قال ابن الملك في قوله عليه السلام: «من سأل عرافاً لم تقبل صلاته أربعين ليلة» العراف من يخبر بما أخفى من المسروق أو الكاهن وأما من سألهم لاستهزائهم أو لتكذيبهم فلا يلحقه ما ذكر في الحديث بقرينة حديث آخر «من صدق كاهناً لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة» فإن قلت هذا مخالف لقوله عليه السلام: «من صدق كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد» قلت: اللائح لي في التوفيق أن يقال مصدق الكاهن يكون كافراً إذا اعتقد أنه عالم بالغيب وأما إذا اعتقد أنه ملهم من الله أو أن الجن يلقون مما

يسمعون من الملائكة فصدقه من هذا فلا يكون كافراً انتهى كلام ابن الملك وفي «هدية المهديين» من قال: أعلم المسروقات يكفر ولو قال أنا أخبر عن أخبار الجن يكفر أيضاً لأن الجن كالإنس لا يعلم غيباً ﴿ولا مجنون﴾ وهو من به جنون وهو زوال العقل أو فساده وفي «المفردات» الجنون الحائل بين النفس والعقل وفي «التعريفات» الجنون هو اختلال العقل بحيث يمنع جريان الأفعال والأقوال على نهج العقل إلا نادراً وهو عند أبي يوسف إن كان حاصلاً في أكثر السنة فمطبق وما دونه فغير مطبق.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن طبيعة الإنسان متنفرة من حقيقة الدين مجبولة على حب الدنيا وزينتها وشهواتها وزخارفها والجوهر الروحاني الذي جبل على فطرة الإسلام في الإنسان مودع بالقوة كالجوهر في المعدن فلا يستخرج إلى الفعل إلا بجهد جهيد وسعي تام على قانون الشريعة ومتابعة النبي عليه السلام وإرشاده وبعده بإرشاد ورثة علمه وهم العلماء الربانيون الراسخون في العلم من المشايخ المسلكين وفي زمان كل واحد منهم والخلق مع دعوى إسلامهم ينكرون على سيرهم في الأغلب ويستبعدون ترك الدنيا والعزلة والانقطاع عن الخلق والتبتل إلى الله وطلب الحق إلا من كتب الله في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه وهو الصدق في الطلب وحسن الإرادة المنتجة من بذر يحبهم ويحبونه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وإلا فمن خصوصية طبيعة الإنسان أن يمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية وإن كانوا يصلون ويصومون ويزعمون أنهم مسلمون ولكن بالتقليد لا بالتحقيق اللهم إلا من شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه انتهى.

يقول الفقير: في الآية تشريف للنبي عليه السلام جداً حيث إن الله تعالى ناب عنه في الجواب ورد الكافرين بنفسه وهو أيضاً تصريح بما علم التزاماً فإن الأمر بالتذكير الذي هو متعلق بالوحي وإن كان مقتضاه كمال العقل والصدق في القول يقتضي أن لا يكون عليه السلام كاهناً ولا مجنوناً فهذا النفي بالنسبة إلى ظاهر الحال فإنه لا يخلو من دفع الوهم وتمكين التصديق ونظيره كلمة الشهادة فإن قوله لا إله نفي للوجود المتوهم الذي يتوهمونه وإلا فلا شيء غير الإثبات فافهم والله المعين:

سيدى كزو هم قدرش بر ترست خاك پايش چرخ را تاج سرست

﴿أم يقولون﴾ بلكه مى كويند درحق تو، أم المكررة في هذه الآيات منقطعة بمعنى بل والهمزة ومعنى الهمزة فيها الإنكار ونقل البغوي عن الخليل أنه قال: ما في سورة الطور من ذكر أم كله استفهام وليس بعطف يعني ليست بمنقطعة وقال في برهان القرآن: أعاد أم خمس عشرة مرة وكلها إلزامات وليس للمخاطبين بها عنها جواب وفي «عين المعاني» أم هٰهنا خمسة عشر وكله استفهام أربعة للتحقيق على التوبيخ بمعنى بل أم يقولون شاعر أم يقولون تقوله وقد قالوهما وأم هم قوم طاغون وأم يريدون كيداً وقد فعلوهما وسائرهما للإنكار وفي «فتح الرحمٰن» جميع ما في هذه السورة من ذكر أم استفهام غير عاطفة واستفهم تعالى مع علمه بهم تقبيحاً عليهم وتوبيخاً لهم كقول الشخص لغيره: أجاهل أنت مع علمه بجهله ﴿شاعر﴾ أي: هو شاعر وقد سبق معنى الشعر والشاعر في أواخر سورة يس مفصلاً قال الإمام المرزوقي شارح الحماسة: تأخر الشعراء عن البلغاء لتأخر المنظوم عند العرب لأن ملوكهم قبل الإسلام وبعده يتحجون بالخطابة ويعدونها أكمل أسباب الرياسة ويعدون الشعر دناءة ولأن الشعر كان

مكسبة وتجارة وفيه وصف اللئيم عند الطمع بصفة الكريم والكريم عند تأخر صلته بوصف اللئيم ومما يدل على شرف النثر أن الإعجاز وقع في النثر دون النظم لأن زمن النبي عليه السلام زمن الفصاحة كذا ذكره صاحب «روضة الأخبار» فإن قلت فإذا كان الإعجاز واقعاً في النثر فكيف قالوا في حق القرآن شعر وفي حقه عليه السلام شاعر قلت ظنوا أنه عليه السلام كان يرجو الأجر على التبليغ ولذا قال تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧] فكان عليه السلام عندهم بمنزلة الشاعر حيث إن الشاعر إنما يستجلب بشعره في الأغلب المال وأيضاً لما كانوا يعدون الشعر دناءة حملوا القرآن عليه ومرادهم عدم الاعتداد به فإن قلت كيف كانوا يعدون الشعر دناءة وقد اشتهر افتخارهم بالقصائد حتى كانوا يعلقونها على جدار الكعبة قلت: كان ذلك من كمال عنادهم أو جرياً على مسلك أهل الخطابة من الأوائل فاعرف فإن هذا زائد على ما فصل في سورة يس وقد لاح بالبال في هذا المقام قال ابن الشيخ قوله أم يقولون الخ من باب الترقي إلى قولهم فيه أنه شاعر لأن الشاعر أدخل في الكذب من الكاهن والمجنون وقد قيل أحسن الشعر أكذبه وكانوا يقولون: لا نعارضه في الحال مخافة أن يغلبنا بقوة شعره وإنا نصبر ونتربص موته وهلاكه كما هلك من قبله من الشعراء وحينئذ تتفرق أصحابه وأن أباه مات شاباً ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه وذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿**نتربص به ريب المنون**﴾ التربص الانتظار والريب ما يقلق النفوس أي: يورث قلقاً واضطراباً لها من حوادث الدهر وتقلبات الزمان فهو بمعنى الرائب من قولهم رابه الدهر وأرابه أي: أقلقه وقيل سميت ريباً لأنها لا تدوم على حال كالريب وهو الشك فإنه لا يبقى بل هو متزلزل وفي «المفردات» ريب الدهر صروفه وإنما قيل ريب لما يتوهم فيه من المنكر وفيه أيضاً الريب أن تتوهم بالشيء أمراً ما فينكشف عما توهمته ولهذا قال تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] والإرابة أن تتوهم فيه أمراً فلا ينكشف عما تتوهمه وقوله ﴿**نتربص به ريب المنون**﴾ سماه ريباً لا من حيث إنه مشكك في كونه بل من حيث إنه يشكك في وقت حصوله فالإنسان أبداً في ريب المنون من جهة وقته لا من جهة كونه وعلى هذا قال الشاعر:

الناس قد علموا أن لا بقاء لهم ... لو أنهم عملوا مقدار ما علموا

انتهى.

والمنون الدهر والموت والكثير الامتنان كالمنونة والتي تزوجت لمالها فهي تمن على زوجها كالمنانة انتهى وقيل في الآية المنون الموت وريبه أوجاعه وهو في الأصل فعول من منه إذا قطعه لأن الدهر يقطع القوى والموت يقطع الأماني والعمر وفي «المفردات» قيل: المنون للمنية لأنها تنقص العدد وتقطع المدد انتهى وريب منصوب على أنه مفعول به والمعنى بل أيقولون ننتظر به نوائب الدهر فيهلك كما هلك غيره من الشعراء زهير والنابغة وطرفة وغيرهم أو ننتظر أوجاع الموت كما مات أبوه شاباً وذلك كما تتمنى الصبيان في المكتب موت معلمهم ليتخلصوا من يده فويل لمن أراد هلاك معلمه في الدين وكان محروماً من تحصيل اليقين.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿**قل تربصوا فإني معكم من المتربصين**﴾ أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي والأمر

بالتربص للتهديد قال الراغب: التربص انتظار الشخص سلعة كان يقصد بها غلاء أو رخصاً أو أمراً ينتظر زواله أو حصوله انتهى وفيه عدة كريمة بإهلاكهم وجاء في التفسير أن جميعهم ماتوا قبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد وقع في زماننا أن بعض الوزراء أهان بعض الأولياء فأجلاه وكان ينتظر هلاكه فهلك قبله هلاكاً هائلاً حيث قتل وقتل معه ألوف وفي الآية إشارة إلى التربص في الأمور ودعوة الخلق إلى الله والتوكل على الله فيما يجري على عباده والتسليم لأحكامه في المقبولين والمردودين إذ كل يجري على ما قضاه الله.

﴿**أم تأمرهم أحلامهم**﴾ أي: دع تفوههم بهذه الأقوال الزائغة المتناقضة وفيهم ما هو أقبح من ذلك وهو أنهم سفهاء ليسوا من أهل التمييز والأحلام العقول قال الراغب: وليس الحلم في الحقيقة هو العقل لكن فسروه بذلك لكونه من مسببات العقل والحلم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب ﴿**بهذا**﴾ أي: بهذا التناقض في المقال فإن الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر في الأمور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع هؤلاء في واحد وأمر الأحلام بذلك مجاز عن أدائها إلى التناقض بعلاقة السببية كقوله: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ [هود: ٨٧] لا أنه جعلت الأحلام آمرة على الاستعارة المكنية وفي «الكواشي» جعلت الحلوم آمرة مجازاً ولضعفها جمعت جمع القلة قال في «القاموس»: الحلم بالضم وبضمتين الرؤيا والجمع أحلام والحلم بالكسر الأناة والعقل والجمع أحلام وحلوم ومنه أم تأمرهم أحلامهم وهو حليم والجمع حلماء وأحلام انتهى.

وكان قريش يدعون أهل الأحلام والنهى فأزرى الله بعقولهم حين لم تثمرهم معرفة الحق من الباطل وقيل لعمرو بن العاص رضي الله عنه: ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله بالعقول فقال تلك عقول كادها الله أي: لم يصحبها التوفيق وفي الخبر: أن الله لما خلق العقل قال له: أدبر فأدبر ثم قال له: أقبل فأقبل. يعني كفت بوى پشت بركن پشت بركرد پس كفت روي بازكن روي بازكرد. «فإني لم أخلق خلقاً أكرم علي منك بك أعبد وبك أعطي وبك آخذ» قال أبو عبد الله المغربي لما قال له ذلك تداخله العجب فعوقب من ساعته فقيل له: التفت فلما التفت نظر إلى ما هو أحسن منه فقال: من أنت؟ قال أنا الذي لا تقوم إلا بي قال: ومن أنت؟ قال التوفيق. وفي «المثنوي»:

جز عنايت كي كشايد چشم را ... جز محبت كي نشاند خشم را
جهد بي توفيق خودكس را مباد ... در جهان والله أعلم بالرشاد

روي أن صفوان بن أمية فخر على رجل فقال: أنا صفوان بن أمية بن خلف ابن فلان فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فأرسل إليه وغضب فلما جاء قال: ثكلتك أمك ما قلت فهاب عمر أن يتكلم فقال عمر: إن كان لك تقوى فإن لك كرماً وإن كان لك عقل فإن لك أصلاً وإن كان لك خلق حسن فإن لك مروءة وإلا فأنت شر من الكلب ﴿**أم هم قوم طاغون**﴾ مجاوزون الحدود في المكابرة والعناد مع ظهور الحق لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الأكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون. قال ابن الشيخ: ثم قيل لا بل ذلك من طغيانهم لأنه أدخل في الذم من نقصان العقل وأبلغ في التسلية لأن من طغى على الله فقد باء بغضبه ﴿**أم يقولون تقوله**﴾ هو ترق إلى ما هو أبلغ في كونه منكراً وهو أن ينسبوا إليه عليه السلام أنه يختلق القرآن من تلقاء نفسه ثم يقول: إنه من عند الله افتراء عليه والتقول تكلف

القول ولا يستعمل إلا في الكذب والمعنى اختلق القرآن من تلقاء نفسه وليس الأمر كما زعموا ﴿بل لا يؤمنون﴾ البتة لأن الله ختم على قلوبهم وفي «الإرشاد» فلكفرهم وعنادهم يرمونه بهذه الأباطيل التي لا يخفى على أحد بطلانها كيف لا وما رسول الله إلا واحد من العرب أتى بما عجز عنه كافة الأمم من العرب والعجم وفي كون ذلك مبنياً على العناد إشارة إلى أنهم يعلمون بطلان قولهم وتناقضه.

﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿**فليأتوا بحديث مثله**﴾ أي: إذا كان الأمر كما زعموا من أنه كاهن أو مجنون أو شاعر ادعى الرسالة وتقول القرآن من عند نفسه فليأتوا بكلام مثل القرآن في النعوت التي استقل بهم من حيث النظم ومن حيث المعنى قال في «التكملة»: المشهور في القرآن بحديث مثله بالتنوين فيكون الضمير راجعاً إلى القرآن.

- وروي - عن الجحدري أنه قرأ بحديث مثله بالإضافة فيكون الضمير راجعاً إلى النبي عليه السلام ﴿**إن كانوا صادقين**﴾ فيما زعموا فإن صدقهم في ذلك يستدعي قدرتهم على الإتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والأشعار وكثرة المزاولة لأساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والأيام ولا ريب في أن القدرة على الشيء من موجبات الإتيان به ودواعي الأمر بذلك.

واعلم أن الإعجاز إما أن يتعلق بالنظم من حيث فصاحته وبلاغته أو يتعلق بمعناه ولا يتعلق به من حيث مادته فإن مادته ألفاظ العرب وألفاظه ألفاظهم قال تعالى: ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] تنبيهاً على اتحاد العنصر وأنه منظم من عين ما ينظمون به كلامهم والقرآن معجز من جميع الوجوه لفظاً ومعنى ومتميز من خطبة البلغاء ببلوغه حد الكمال في اثني عشر وجهاً إيجاز اللفظ والتشبيه الغريب والاستعارة البديعة وتلاؤم الحروف والكلمات وفواصل الآيات وتجانس الألفاظ وتعريف القصص والأحوال وتضمين الحكم والأسرار والمبالغة في الأسماء والأفعال وحسن البيان في المقاصد والأغراض وتمهيد المصالح والأسباب والأخبار عما كان وما يكون.

﴿**أم خلقوا من غير شيء**﴾ من لابتداء الغاية أي: أم أحدثوا وقدروا هذا التقدير البديع والشكل العجيب من غير محدث ومقدر وقيل أم خلقوا من أجل لا شيء من عبادة وجزاء فمن للسببية.

وقال الكاشفي: آيا آفريده شده اند ايشان بى چيزى يعني بى پدر ومادر مراد آنست كه ايشان آدمى انداز آدميان زاده شده نه جمادندكه تعقل خود نكند ﴿**أم هم الخالقون**﴾ لأنفسهم فلذلك لا يعبدون الله تعالى.

﴿**أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون**﴾ أي: إذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والأرض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا وإلا لما أعرضوا عن عبادته تعالى والإيقان بي كمان شدن.

﴿**أم عندهم خزائن ربك**﴾ جمع خزانة بالكسر وهو مكان الخزن يقال خزن المال أحرزه

وجعله في الخزانة وهو على حذف المضاف أي: خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا ويمسكوها عمن شاؤوا أي: أعندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره ﴿أم هم المسيطرون﴾ أي: الغالبون على الأمور يدبرونها كيفما شاؤوا حتى يدبروا أمر الربوبية وبينوا الأمور على إرادتهم ومشيئتهم وفي «عين المعاني» أي: الأرباب المسلطون على الناس فيجبرونهم على ما شاؤوا من السطر كأنه يخط للمسلط عليه خطاً لا يجاوزه وفي «كشف الأسرار» المسيطر المسلط القاهر الذي لا يكون تحت أمر أحد ونهيه ويفعل ما يشاء يقال تصيطر على فلان بالسين والصاد أي: سلط انتهى قال في «القاموس»: المسيطر الرقيب الحافظ والمتسلط والسطر الصف من الشيء الكتاب والشجر وغيره والخط والكتابة ويحرك في الكل والصطر بالصاد ويحرك السطر وتصيطر تسيطر

﴿أم لهم سلم﴾ منصوب إلى السماء وبالفارسية آيامر ايشانراست نردبانى كه بدان با آسمان بروند قال الراغب: السلم ما يتوصل به إلى الأمكنة العالية فيرجى به السلامة ثم جعل اسماً لما يتوصل به إلى كل شيء رفيع كالسبب قال ابن الشيخ: لما أبطل من الاحتمالات العقلية جميع ما يتوهم أن يبنوا عليه تكذيبهم وإنكارهم لم يبق لهم إلا المشاهدة والسماع منه تعالى وهو أظهر استحالة فتهكم بهم وقال بل ألهم سلم ﴿يستمعون فيه﴾ ضمن يستمعون معنى الصعود فاستعمل بفي وفيه متعلق بمحذوف هو حال من فاعل يستمعون أي: يستمعون صاعدين في ذلك السلم ومفعول يستمعون محذوف أي: إلى كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من الأمور التي يتقولون فيها رجماً بالغيب ويعلقون بها أطماعهم الفارغة وفي «كشف الأسرار» فيه أي: عليه كقوله: ﴿فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي: عليها.

﴿فليأت﴾ پس بيايد كه بيارد. فالباء الآتي للتعدية وهو أمر تعجيز ﴿مستمعهم﴾ شنونده ايشان كه بر آسمان برفتند وپيغام غيب شنيدند ﴿بسلطان مبين﴾ بحجة واضحة تصدق استماعه وبالفارسية حجتي روشن كه كواه باشد بر صدق استماع وى.

﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿أم له البنات ولكم البنون﴾ هذا إنكار عليهم حيث جعلوا لله ما يكرهون أو تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وإيذان بأن من هذا رأيه لا يكاد يعد من العقلاء فضلاً عن الترقي بروحه إلى عالم الملكوت والتطلع على الأسرار الغيبية وذلك أن من جعل خالقه أدون حالاً منه بأن جعل له ما لا يرضى لنفسه كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النحل: ٥٨] فإنه لم يستبعد منه أمثال تلك المقالات الحمقاء والالتفات إلى الخطاب لتشديد ما في أم المنقطعة من الإنكار والتوبيخ.

﴿أم تسألهم أجراً﴾ رجوع إلى خطابه عليه السلام وإعراض عنهم أي: بل أتسألهم أجراً على تبليغ الرسالة تاتاوان زده شدند ﴿فهم﴾ لأجل ذلك ﴿من مغرم﴾ من التزام غرامة فادحة فالمغرم مصدر ميمي بمعنى الغرم والمضاف مقدر وفي «الكشاف» المغرم أن يلتزم الإنسان ما ليس عليه وفي «الفتح الرحمن» المغرم ما يلزم أداؤه وفي «المفردات» الغرم ما ينوب الإنسان

من ماله من ضرر بغير جناية منه وكذا المغرم والغريم يقال لمن له الدين ولمن عليه الدين انتهى ﴿مثقلون﴾ محملون الثقل وبالفارسية كران بارشوند فلذلك لا يتبعونك يعني لا عذر لهم أصلاً والدين لا يباع بالدنيا:

زبان ميكنند مرد تفسيردان ... كه علم وادب ميفروشد بنان

فالأجر على الله تعالى كما قال ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢] وقد سبق تحقيقه في مواضع متعددة ﴿أم عندهم الغيب﴾ أي: اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب ﴿فهم يكتبون﴾ ما فيه حتى يتكلموا في ذلك بنفي أو إثبات.

وقال الكاشفي: پس ايشان مى نويسند ازان كه خبر پيغمبر عليه السلام از امر قيامت وبعث باطلست يا كتابت كنندكه موت توكى خواهد بود.

﴿أم يريدون كيداً﴾ أي: لا يكتفون بهذه المقالات الفاسدة ويريدون مع ذلك أن يكيدوا بك كيداً وإساءة وهو كيدهم برسول الله عليه السلام في دار الندوة ومكرهم بالقتل والحبس والإخراج فإن الكيد هو الأمر الذي يسوء من نزل به سواء كان في نفسه حسناً أو قبيحاً فالاستفهام في المعطوف للتقرير وفي المعطوف عليه للإنكار وقال بعضهم: الكيد ضرب من الاحتيال وفي «التعريفات» الكيد إرادة مضرة الغير خفية وهو من الخلق الحيلة السيئة ومن الله التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق وقال سعدي المفتي: الظاهر أنه من الإخبار بالغيب فإن السورة مكية وذلك الكيد كان وقوعه ليلة الهجرة فإن قيل فليكن نزول الطور في تلك الليلة قلنا قد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نزل بعدها بمكة تبارك الملك وغيرها من السور ﴿فالذين كفروا هم المكيدون﴾ القصر إضافي أي: هم الذين يحيق بهم كيدهم أو يعود عليهم وباله لا من أرادوا أن يكيدوه فإنه المظفر الغالب عليهم قولاً وفعلاً حجة وسيفاً أو هم المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته والمراد ما أصابهم يوم بدر من القتل يعني عند انتهاء سنين عدتها عدة كلمة أم وهي خمس عشرة فإن غزوة بدر كانت في الثانية من الهجرة وهي الخامسة عشرة من النبوة.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿أم لهم إله غير الله﴾ يعينهم ويحرسهم من عذابه ﴿سبحان الله﴾ نزهه تعالى ﴿عما يشركون﴾ أي: عن إشراكهم فما مصدرية أو عن شركة ما يشركونه فما موصول والمضاف مقدر وكذا العائد:

بر ذيل عزتش ننشيند غبار شرك ... با وحدتش كسى دم شركت چه سان زند

هركاه افكنند بوصفش خيال را ... دست كمالش آتش غيرت دران زند

﴿وإن يروا كسفاً﴾ أي: قطعة ﴿من السماء ساقطاً﴾ عليهم لتعذيبهم وفي «عين المعاني» قطعة من العذاب أو من السماء أو جانباً منها من الكسف وهو التغطية كالكسوف وفي «القاموس» الكسفة بالكسر القطعة من الشيء والجمع كسف وكسف وفي «المختار» وقيل الكسف والكسفة واحد ﴿يقولوا﴾ من فرط طغيانهم وعنادهم ﴿سحاب مركوم﴾ غليظ أو

متراكب أي: هم في طغيان بحيث لو أسقطناه عليهم حسبما قالوا ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الإسراء: ٩٢] لقالوا: هذا سحاب تراكم أي: ألقي بعضها على بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب.

وفي «التأويلات النجمية» يعني أنهم وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحجر: ١٤] حتى شاهدوا بالعين ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ [الحجر: ١٥] وليس هذا عياناً ومشاهدة ﴿**فذرهم**﴾ پس دست بدار از ايشان يعني حرب مكن با ايشان كه هنوز بقتال مأمور نيستي ومكافات ايشان بكذار ﴿**حتى يلاقوا**﴾ يعاينوا وبالفارسية تا وقتى كه بينند معاينه ﴿**يومهم**﴾ مفعول به لا ظرف ﴿**الذي فيه يصعقون**﴾ أي: يهلكون وبالفارسية هلاك كرده شوند وهو على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة أو من أصعقته أماتته وأهلكته قال في المختار: صعق الرجل بالكسر صعقة غشي عليه وقوله تعالى ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨] أي: مات وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الأولى كما قيل إذ لا يصعق بها إلا من كان حياً حينئذٍ قال ابن الشيخ المقصود من الجواب عن الاقتراح المذكور بيان أنهم مغلوبون بالحجة مبهوتون وإن طعنهم ذلك ليس إلا للعناد والمكابرة حتى لو أجبناهم في جميع مقترحاتهم لم يظهر منهم إلا ما يبتنى على العناد والمكابرة فلذلك رتب عليه قوله فذرهم بالفاء.

﴿**يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً**﴾ أي: شيئاً من الإغناء في رد العذاب وبالفارسية روزى كه نفع نكند وباز ندارد از ايشان مكر ايشان چيزى را از عذاب. وهو بدل من يومهم ﴿**ولا هم ينصرون**﴾ من جهة الغير في رفع العذاب عنهم.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿**وإن للذين ظلموا**﴾ أي: وإن لهؤلاء الظلمة أبي جهل وأصحابه ﴿**عذاباً**﴾ آخر ﴿**دون ذلك**﴾ غير ما لاقوه من القتل أي: قبله وهو القحط الذي أصابهم سبع سنين كما مر في سورة الدخان أو وراءه وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة ﴿**ولكن أكثرهم لا يعلمون**﴾ أن الأمر كما ذكر لفرط جهلهم وغفلتهم أو لا يعلمون شيئاً أصلاً وفيه إشارة إلى أن منهم من يعلم ذلك وإنما يصر على الكفر عناداً فالعالم غير العامل والجاهل سواء فعلى العاقل أن يحصل علوم الآخرة ويعمل بها.

قال بعض الكبار: العلم علمان علم تحتاج منه مثل ما تحتاج من القوت فينبغي الاقتصاد والاقتصار على قدر الحاجة منه وهو علم الأحكام الشرعية فلا ينبغي النظر فيه إلا بقدر ما تمس الحاجة إليه في الوقت فإن تعلق تلك العلوم إنما هو بالأحوال الواقعة في الدنيا لا غير وعلم ليس له حد يوقف عنده وهو العلم المتعلق بالله ومواطن القيامة إذ العلم بمواطنها يؤدي العالم بها إلى الاستعداد لكل موطن بما يليق به لأن الحق تعالى بنفسه هو المطالب في ذلك اليوم بارتفاع الوسائط وهو يوم الفصل فينبغي للإنسان العاقل أن يكون على بصيرة من أمره معداً للجواب عن نفسه وعن غيره في المواطن التي يعلم أنه يطلب منه الجواب فيها فلهذا ألحقنا علم مواطن القيامة بالعلم بالله انتهى وفي الآية إثبات عذاب القبر فإن الله تعالى يحيي العبد

المكلف في قبره ويرد الحياة إليه ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه ليعقل ما يسأل عنه وما يجيب به ويفهم ما أتاه من ربه وما أعد له من كرامة وهوان ولقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أخبر عليه السلام بفتنة الميت في قبره وسؤال منكر ونكير وهما الملكان: يا رسول الله أيرجع إلي عقلي؟ قال: نعم قال: «إذاً أكفيكهما والله لئن سألاني لأسألنهما وأقول لهما أنا ربي الله فمن ربكما أنتما» وأنكرت الملحدة ومن تمذهب من الإسلاميين بمذهب الفلاسفة عذاب القبر وأنه ليس له حقيقة وقد رؤي أبو جهل في جانب مصرعه في بدر أنه خرج من الأرض وفي عنقه سلسلة من نار يمسك أطرافها أسود وهو يطلب الماء حتى أدخله الأسود في الأرض بجذب شديد واختلاف أحوال العصاة في عذاب القبر بحسب اختلاف معاصيهم وأكثر عذاب القبر في البول فلا بد من التنزه عنه وسمع البهائم عذاب القبر وإنما لم يسمع من يعقل من الجن والإنس وكان عليه السلام يدعو ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال» وينجي المؤمن من أهوال القبر وفتنته وعذابه خمسة أشياء:

الأول: الرباط في سبيل الله ولو يوماً وليلة.

والثاني: الشهادة بأن يقتل في سبيل الله.

والثالث: سورة الملك فإن من قرأها كل ليلة لم يضره الفتان.

الرابع: الموت مبطوناً فإنه لا يعذب في قبره والمراد بالمبطون صاحب الإسهال والاستطلاق.

والخامس: الوقت ففي الحديث: من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقي فتنة القبر نسأل الله سبحانه أن يعصمنا من الزلل ويحفظنا من الخلل ويجعلنا في القبر والقيامة من الآمنين ويبشرنا عند الموت برحمة منه وفضل مبين بجاه النبي الأمين والأنبياء المرسلين والملائكة المقربين.

﴿**واصبر لحكم ربك**﴾ بإمهالهم إلى يومهم الموعود وإبقائك فيما بينهم مع مقاساة الأحزان والشدائد ولا تكن في ضيق مما يمكرون.

يقول الفقير: أمر الله تعالى نبيه عليه السلام بالصبر لحكمه لا لأذى الكفار وجفائهم تسهيلاً للأمر عليه لأن في الصبر لحكمه حلاوة ليست في الصبر للأذى والجفاء وإن كان الصبر له صبراً للحكم فاعرف ﴿**فإنك بأعيننا**﴾ أي: في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والإيذان بغاية الاعتناء في الحفظ وبكثرة أسبابه إظهاراً للتفاوت بين الحبيب والكليم حيث أفرد فيه العين والضمير كما قال ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩].

وفي «التأويلات النجمية»: أي لا حكم لك في الأزل فإنه لا يتغير حكمنا الأزلي إن صبرت وإن لم تصبر ولكن إن صبرت على قضائي فقد جزيت ثواب الصابرين بغير حساب فإنك بأعيننا نعينك على الصبر لأحكامنا الأزلية كما قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: ١٢٧] وفي «عرائس البيان» للبقلي ذكر قوله ربك بالغيبة لأنه في مقام تفرقة العبودية والرسالة تقتضي حالة المشقة ولذلك أمره بالصبر ولما ثقل عليه الحال نقله من الغيبة إلى المشاهدة بقوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨] أي: نحفظك من الاعوجاج والتغير في جريان أحكامنا عليك حتى تصير مستقيماً بنا لنا فينا ونحن نراك بجميع عيون الصفات والذات بنعت

المحبة والعشق ننظر بها إليك شوقاً إليك وحراسة لك نحرسك بها حتى لا يغيرك غيرها من الحدثان عنا ونرفع بها عنك طوارق قهرنا فإنك في مواضع عيون محبتنا وأنت في أكناف لطفنا انظر كيف ذكر الأعين وليس في الوجوه أشرف من العيون ومن احتصن بالله كان في حفظه ومن كان في حفظه كان في مشاهدته ومن كان في مشاهدته استقام معه ووصل إليه ومن وصل إليه انقطع عما سواه ومن انقطع عما سواه عاش معه عيش الربانيين قال بعضهم: كنا مع إبراهيم بن أدهم قدس سره فأتاه الناس فقالوا: يا أبا إسحٰق إن الأسد وقف على طريقنا فأتى إبراهيم إلى الأسد وقال له: يا أبا الحارث إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به وإن لم تؤمر بشيء فتنح عن طريقنا فأدبر الأسد وهو يهمهم والهمهمة ترديد الصوت في الصدر فقال إبراهيم: وما على أحدكم إذا أصبح وأمسى أن يقول: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام واحفظنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا وقال الخواص قدس سره: كنت في طريق مكة فدخلت إلى خربة بالليل وإذا فيها سبع عظيم فخفت فهتف بي هاتف اثبت فإن حولك سبعين ألف ملك يحفظونك يقول الفقير: يحتمل أن يكون هذا الحفظ الخواصي بسبب بعض الأدعية وكان يلازمه وقد روي عن رسول الله ﷺ أن من قال «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثلاث مرات وقرأ ثلاث آيات آخر سورة الحشر هو الله الذي لا إله إلا هو إلى آخر السورة حين يصبح وكل الله به سبعين ألف ملك يحرسونه» وكذلك إذا قرأها حين يمسي وكل الله به سبعين ألف ملك يحرسونه ويحتمل أن يكون ذلك بسبب أن الخواص من أحباب الله والحبيب يحرس حبيبه كما «روي أنه ينزل على قبر النبي عليه السلام كل صباح سبعون ألف ملك ويضربون أجنحتهم عليه ويحفظونه إلى المساء ثم ينزل سبعون ألفاً غيرهم فيفعلون به إلى الصباح كما يفعل الأولون وهكذا إلى يوم القيامة» ﴿**وسبح**﴾ أي: نزهه تعالى عما لا يليق به حال كونك ملتبساً ﴿**بحمد ربك**﴾ على نعمائه الفائتة للحصر ﴿**حين تقوم**﴾ من أي: مقام قمت قال سعيد بن جبير وعطاء أي: قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك أي: سبح الله ملتبساً بحمده فإن كان ذلك المجلس خيراً ازددت إحساناً وإن كان غير ذلك كان كفارة له وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من جلس مجلساً فكثر فيه لغطه وهو بالغين المعجمة والطاء المهملة الكلام الرديء القبيح واختلاط أصوات الكلام حتى لا يفهم فقال قبل أن يقوم: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك كان كفارة لما بينهما وفي «فتح القريب» «فقد غفر له» يعني من الصغائر ما لم تتعلق بحق آدمي كالغيبة.

وقال الضحاك والربيع: إذا قمت إلى الصلاة فقل: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وقال الكلبي: هو ذكر الله باللسان حين يقوم من الفراش إلى أن يدخل في الصلاة لما روي عن عاصم بن حميد أنه قال: سألت عائشة رضي الله عنها: «بأي شيء يفتتح رسول الله عليه السلام قيام الليل؟ فقالت: كان إذا قام كبر عشراً وحمد الله عشراً وسبح وهلل عشراً واستغفر عشراً وقال: اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة» ﴿**ومن الليل فسبحه**﴾ أفراد بعض الليل بالتسبيح والصلاة لأن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل.

يقول الفقير: ولأن الليل زمان المعراج والصلاة هو المعراج المعنوي فمن أراد أن يلتحق

برسول الله عليه السلام في معراجه فليصل بالليل والناس نيام أي: في جوفه حين غفلة الناس ولشرف ذلك الوقت كان معراجه عليه السلام فيه لا قرب الصباح لأن في قربه قد يستيقظ بعض النفوس للحاجات وإن كان السحر الأعلى مما له خواص كثيرة ﴿وإدبار النجوم﴾ بكسر الهمزة مصدر أدبر والنجوم جمع نجم وهو الكوكب الطالع يقال نجم نجوماً ونجماً أي: طلع والمعنى ووقت إدبارها من آخر الليل أي: غيبتها بضوء الصباح وقيل: التسبيح من الليل صلاة العشاءين وإدبار النجوم صلاة الفجر وفي الآية دليل على أن تأخير صلاة الفجر أفضل لأنه أمر بركعتي الفجر بعدما أدبر النجوم وإنما أدبر النجوم بعدما يسفر قاله أبو الليث في «تفسيره» وقال أكثر المفسرين: إدبار النجوم يعني الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم بضوء الصبح وفي الحديث ركعتا الفجر أي: سنة الصبح خير من الدنيا وما فيها وفيها بيان عظم ثوابهما.

يقول الفقير: في قولهم وذلك حين الخ نظر لأن السنة في سنة الفجر أنه يأتي بها في أول الوقت لأن الأحاديث ترجحه فالتأخير إلى قرب الفرض مرجوح وأول وقتها هو وقت الشافعي وليس للنجوم ادبار إذ ذاك وإنما ذلك عند الأسفار جداً وقال سهل قدس سره صل المكتوبة بالإخلاص لربك حين تقوم إليها ولا تغفل صباحاً ولا مساء عن ذكر من لا يغفل عن برك وحفظك في كل الأوقات.

وفي «التأويلات النجمية» قوله: وسبح الخ يشير إلى مداومته على الذكر وملازمته له بالليل والنهار انتهى وقد سبق بيانه في آخر سورة ق قال بعض الكبار: من سوء أدب المريد أن يقول لشيخه: اجعلني في بالك فإن في ذلك استخداماً للشيخ وتهمة له وانظر إلى قوله ﷺ لمن قال له أسألك مرافقتك في الجنة حيث قال للسائل: أعني على نفسك بكثرة السجود فحوله إلى غير ما قصد من الراحة فعلم الرياضة واجب تقديمه على الفتح في طريق السالكين لا المجذوبين والله عليم حكيم انتهى وفي الحديث: «من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل فإن صلاة آخر الليل مشهودة» وذلك أفضل.

يقول الفقير: كان التهجد فرضاً على رسول الله ﷺ وإنما كان يؤخر الوتر إلى آخر الليل إما لما ذكر من شهود الملائكة في ذلك الوقت وإما لأن الوتر صلاها عليه السلام أولاً ليلة المعراج بعد المنام فناسب فصلها عن العشاء وتأخيرها وفي ختم هذه السورة بالنجوم وافتتاح السورة الآتية بالنجم أيضاً من حسن الانتهاء والابتداء ومن الأسرار ما لا يخفى على أهل التحقيق.

تمت سورة الطور بعون الله الغفور في أواخر رجب الفرد
من سنة أربع عشرة ومائة وألف

٥٣ ـ سورة النجم

مكية وآيها إحدى أو ثنتان وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾.

﴿والنجم﴾ سورة النجم أول سورة أعلن بها رسول الله ﷺ وجهر بقراءتها في الحرم والمشركون يستمعون نزلت في شهر رمضان من السنة الخامسة من النبوة ولما بلغ عليه السلام السجدة سجد معه المؤمنون والمشركون والجن والإنس غير أبي لهب في رواية فإنه رفع حفنة من تراب إلى جبهته وقال: يكفيني هذا في رواية كان ذلك الوليد بن المغيرة فإنه رفع تراباً إلى جبهته فسجد عليه لأنه كان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود وفي رواية وصححت أمية بن خلف وقد يقال: لا مانع أن يكونوا فعلوا ذلك جميعاً بعضهم فعل ذلك تكبراً وبعضهم فعل ذلك عجزاً وممن فعل ذلك تكبراً أبو لهب ولا يخالف ذلك ما نقل عن ابن مسعود رضي الله عنه ولقد رأيت الرجل أي: الفاعل لذلك قتل كافراً لأن يجوز أن يكون المراد بقتل مات وإنما سجد المشركون لأن النبي عليه السلام لما بلغ إلى قوله: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ ألحق الشيطان به قوله تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى كما سبق في سورة الحج فسمعه المشركون وظنوا أنه من القرآن فسجدوا لتعظيم آلهتهم ومن ثم عجب المسلمون من سجود المشركين من غير إيمان إذ هم لم يسمعوا ما ألقى الشيطان في آذان المشركين وأرادوا بالغرانيق العلى الأصنام شبهت الأصنام بالغرانيق التي هي طائر الماء جمع غرنوق بكسر الغين المعجمة وإسكان الراء ثم النون المفتوحة أو غرنوق بضم الغين والنون أيضاً أو غرنيين بضم الغين وفتح النون وهو طير طويل العنق وهو الكركي أو ما يشبهه ووجه الشبه بين الأصنام وتلك الطيور أن تلك الطيور تعلو وترفع في السماء فالأصنام مشبهة بها في علو القدر وارتفاعه.

قال بعضهم: والنجم أول سورة نزلت جملة كاملة فيها سجدة فلا ينافي أن اقرأ باسم ربك أول سورة نزلت فيها سجدة لأن النازل منها أوائلها لا مجموعها دفعة والواو للقسم. أصحاب معاني كفتند قسم درقرآن بردو وجه است يكى قسم بذات وصفات خالق جل جلاله چنانكه فوربك فبعزتك والقرآن المجيد وهمچنين حروف تهجي در أوائل سور هر حرفي أشارتست بصفتي از صفات حق وقسم بران يا دكرد وجه دوم قسمست بمخلوقات وآن برچهار ضربست يكى إظهار قدرت راچنانكه والذاريات والمرسلات والنازعات هذا وأمثاله نبه العباد على معرفة القدرة فيها ديكر قسم برستاخيز اظهار هيبت را كقوله ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ

ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١﴾ [القيامة: ١] أقسم بها ليعلم هيبته فيها سوم قسم ياد ميكند إظهار نعمت را تا بندكان نعمت خود از الله بشناسند وشكر آن بكذارند كقوله ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ [التين: ١] چهارم قسم است ببعض مخلوقات بيان تشريف راتا خلق عز وشرف آن چيز بدانندكه قسم بوى ياد كرده كقوله ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾ [البلد: ١] يعني مكة وكذلك قوله ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [البلد: ٢، ٣] ومن ذلك قوله للمصطفى عليه السلام: لعمرك وهذا على عادة العرب فإنها تقسم بكل ما تستعظمه وتريد إظهار تعظيمه وقيل كل موضع أقسم فيه بمخلوق فالرب فيه مضمر كقوله والنجم ورب النجم ورب الذاريات وأشباه ذلك والمراد بالنجم إما الثريا فإنه اسم غالب عليها ومنه قوله عليه السلام: «ما طلع النجم قط وفي الأرض من العاهة شيء إلا رفع» يريد بالنجم الثريا باتفاق العلماء وقال السهيلي رحمه الله وتعرف الثريا بالنجم أيضاً وبألية الحمل لأنها تطلع بعد بطن الحمل وهي سبعة كواكب ولا يكاد يرى السابع منها لخفائه وفي الحقيقة إنها اثنا عشر كوكباً وإن رسول الله ﷺ كان يراها كلها لقوة جعلها الله في بصره وقال في «عين المعاني» وهي سبعة أنجم ظاهرة والسابع تمتحن به الأبصار وكانت قريش تبجلها وتقول أحسن النجم في السماء الثريا والثريا في الأرض زين السماء وكانت رحلتاها عند طلوعها وسقوطها فإذا طلعت بالغداة عدوها من الصيف وإذا طلعت بالعشي عدوها من الشتاء قال الشاعر:

طلع النجم غديه ابتغى الراعي شكيه

وأما جنس النجم وهويه كما قال تعالى: ﴿إذا هوى﴾ غربه وطلوعه يقال هوى يهوى من الثاني هويا بوزن قبول إذا غرب فإن الهوي سقوط من علو إلى أسفل وهوياً بوزن دخول إذا علا وصعد والعامل في إذا القسم أي: أقسم فإنه بمعنى مطلق الوقت منسلخ عن معنى الاستقبال كما في قولك آتيتك إذا احمر البسر فلا يلزم عمل فعل الحال في المستقبل يعني أن فعل القسم إنشاء والإنشاء خال وإذا لما يستقبل من الزمان فيكون المعنى أقسم الآن بالنجم وقت هوى بعد هذا الزمان ثم إن الله تعالى أقسم بالنجم حين هوى أي: وقت هويه لأن شأنه أن يهتدى به الساري إلى مسالك الدنيا كأنه قيل والنجم الذي يهتدي به السابلة في البر والجارية في البحر إلى سواء السبيل والسمت.

﴿ما ضل صاحبكم﴾ هو جواب القسم أي: ما عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الآخرة وهذا دليل على أن قوله ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ [الضحى: ٧] ليس من ضلال الغي فإنه عليه السلام قبل الوحي وبعده لم يزل يعبد ربه ويوحده ويتوقى مستقبحات الأمور وفيه بيان فضل النبي عليه السلام حيث إن الله تعالى قال في حق آدم عليه السلام ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] وقال في حقه ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ الغي هو الجهل المركب قال الراغب الغي جهل من اعتقاد فاسد وذلك أن الجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقد أصلاً لا صالحاً ولا فاسداً وقد يكون من اعتقاد شيء فاسد وهذا الثاني يقال له غي فعطفه على ما ضل من عطف الخاص على العام للاهتمام بشأن الاعتقاد بمعنى أنه فرق بين الغي والضلال وليسا بمعنى واحد فإن الغواية هي الخطأ في الاعتقاد خاصة والضلال أعم منها يتناول الخطأ في الأقوال والأفعال والأخلاق والعقائد التي شرعها الله وبينها لعباده فالمعنى وما اعتقد باطلاً قط أي: هو في غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية في شيء أصلاً وكانوا يقولون ضل محمد عن دين آبائه وخرج عن الطريق وتقول شيئاً من تلقاء نفسه فرد الله عليهم

بنفسه بتنزيل هذه السورة تعظيماً له والخطاب لقريش وإيراده عليه السلام بعنوان صاحبيته لهم للإيذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله وإحاطتهم خبراً ببراءته عليه السلام مما نفي عنه بالكلية وباتصافه بغاية الهدى والرشاد فإن طول صحبتهم له ومشاهدتهم محاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتماً كما في «الإرشاد» وقال «الكاشفي»:

وتسميه صاحب بجهت آنست كه حضرت پيغمبر عليه السلام مأمور بود بصحبت كافران جهت دعوت ايشان. ويؤيد ما في «الإرشاد» قول الراغب في «المفردات» لا يقال الصاحب في العرف إلا لمن كثرت ملازمته وقوله تعالى ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ: ٤٦] سمي النبي عليه السلام صاحبهم تنبيهاً أي: أنكم صحبتموه وجربتموه وعرفتم ظاهره وباطنه ولم تجدوا به خبلاً وجنة وتقييد القسم بوقت الهوى لأن النجم لا يهتدي به الساري عند كونه في وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وإنما يهتدي به عند هبوطه أو صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلي جبريل من الأفق الأعلى ودنوه منه عليهما السلام وقال سعدي المفتي ثم التقييد بوقت الهوى أي: الغروب لكونه أظهر دلالة على وجود الصانع وعظيم قدرته كما قال الخليل عليه السلام: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] قال ابن الشيخ في «حواشيه» وفيه لطيفة وهي أن القسم بالنجم يقتضي تعظيمه وقد كان فيهم من يعبده فنبه بهويه على عدم صلاحيته للإلهية بأفوله وقيل خص الهوى دون الطلوع فإن لفظة النجم دلت على طلوعه فإن أصل النجم الكوكب الطالع وقال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: أراد بالنجم محمداً عليه السلام إذا نزل ليلة المعراج والهوى النزول. كفته اند آن روزكه اين آيت فرو آمد ورسول خدا بر قريش آشكارا كرد عتبة بن أبي لهب كفت كفرت برب النجم إذا هوى وبالذي دنا فتدلى ودختر رسول عليه السلام زن او بود طلاق داد رسول خدا دعا كرد وكفت اللهم سلط عليه كلباً من كلابك بعد ازان عتبه بتجارت شام رفت باپدر خويش ابو لهب در منزلى ازمنازل راه فرو آمدند وآنجا ديرى بود راهبى ازدير فر وآمد وكفت هذه أرض مسبعة درين منزل سباع فراوان بود نكريد تا خويش را از سباع نكاه داريد ابو لهب أصحاب خويش را كفت اين پسر مرا نكاه داريد كه من مى ترسم كه دعاى محمد دروى رسد ايشان همه كردوى در آمدند واورا درميان كرفتند وپاس اومى داشتند درميانه شب رب العالمين خواب برايشان افكند وشير بيامد وبايشان در كذشت ولطمه برعتبه زد واورا هلاك كرد. ولم يأكله لنجاسته ويحتمل من التأويل المصلي إذا سجد والغازي إذا قتل شهيداً والعالم إذا مات ووضع في قبره فإن هؤلاء نجوم والأخبار ناطقة بها قال عليه السلام علماء أمتي كالنجوم بها يهتدي في البر والبحر وقال الإمام الغزالي رحمه الله هم الصحابة إذا ماتوا لقوله عليه السلام أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وعلماء الإسلام لقوله عليه السلام العلماء نجوم الأرض وقال بعضهم: هو قسم بنور المعرفة إذا وقع في القلب قال تعالى ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥] وقال «الكاشفي»: ونزد محققان سوكند ياد كرده بستاره دل حضرت محمد عليه السلام برفلك توحيد منقطع شد ازما سوى الله تعالى. وأيضاً أقسم الله بنجم الإلهام حين سقط من صحائف الغيوب إلى معادن القلوب.

وفي «التأويلات النجمية» قال الأخفش: النجم نبت لا ساق له فيكون هويه سقوطه على الأرض كما قال ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ [الرحمن: ٦] يشير إلى أن الله تعالى ينبت حبة

المحبة الدائمة المنزهة عن التغير المقدسة عن التبدل التي وقعت وسقطت من روض سماء ذاته المطلقة الكلية الجمعية الإحاطية في أرض قلب نبيه وحبيبه القابل لإنبات نباتات الولاية والنبوة والرسالة الموجبات لظهور رياحين الحقائق القرآنية وشقائق التجليات الربانية وأزهار التنزلات الحقانية وغرار اللطائف الإحسانية العرفانية كالمشاهدات والمكاشفات والمعاينات وأمثالها وجواب القسم ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ وبه يشير إلى أن وجود النبي عليه السلام لما كان أول نور وحداني بسيط علوي لطيف شعشعاني تجلى به الحق وتعلقت به القدرة القديمة الأزلية من غير واسطة كما أخبر عنه بقوله «أنا من الله والمؤمنون مني» وليست فيه ظلمة الوسائط الإمكانية الموجبة للضلالة المنتجة للغي بل هو على نوريته الأصلية البسيطة الشعشعانية المقتضية للهدى والتقوى المستدعية للرشد والنهي باق كما هو ما أثرت فيه مصاحبتكم الطبيعية ولا مخالطتكم الصورية العنصرية وما ضل بأمر الطبيعة وما غوى بحكم البشرية فإنه ﷺ قائم بالحق خارج عن الطبع كما أخبر عن نفسه الشريفة القدسية بقوله: «لست كأحدكم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» وهذا يدل على قيامه بالحق وخروجه عن الطبع وأحكامه انتهى.

يقول الفقير أمده الله القدير: لفظ النجم نون هي خمسون بحساب أبجد وجيم هي ثلاثة فالمجموع ثلاثة وخمسون وميم هي أربعون فأشار إلى أن النبي عليه السلام بعث عند الأربعين وجعل خاتم الأنبياء والمرسلين ومكث في مكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة والمجموع ثلاثة وخمسون وقد سماه الله تعالى بالنجم في هذه الآية كما سماه سراجاً منيراً في آية أخرى لأنه يستضاء بنور وجهه وضياء علمه وهداه وهوى هذا النجم العالي غروبه من مكة بعد المدة المذكورة وهجرته إلى المدينة ولذا أقسم الله على عدم ضلاله وغيه لأنه في غروبه ذلك وحركته راشد مهدي حيث كان بأمر الله تعالى وإذنه فلما غرب من مكة أظلمت الدنيا على قريش وصاروا في ظلمة شديدة ولما طلع على المدينة أشرقت الأرض على المؤمنين حتى أنهم وقعوا في البدر التام في السنة الثانية من الهجرة حيث نورهم الله تحت لواء حبيبه بنور النصرة على الأعداء ببدر وصار حال الأعداء إلى ظلمة العدم وبهذا يظهر سر قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣] وسر قوله عليه السلام: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله» أي: ينقطع أهل الذكر المتصل وكان هو النبي عليه السلام في مكة وبخروجه عنها بمفارقته عن أرضها وإصرار القوم على الشرك والعناد وقع عليهم الطامة الكبرى ببدر كما تقوم الساعة عند انقطاع أهل الذكر الدائم من الأرض ففيه الناس يعني الناسين لا يعرفون قدر أهل الذكر والحضور فيما بينهم بل يعادونهم ويؤذونهم مع أن في ذلك هلاكهم لأنهم ملكوتهم وبانقطاع الملكوت والأرواح عن الملك والأجسام يزول الملك وتخرب الأجسام لانقطاع سبب البقاء ومن هنا قالوا إن لله رجالاً متصرفين في أقطار الدنيا ولو في دار الحرب فإنه لا بد للوجود من فيض البقاء والإمداد أمدنا الله وإياكم بمزيد فضله وجوده وشرفنا بوصاله وشهوده بحرمة النجم وهويه وسجوده آمين آمين.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾

﴿وما ينطق عن الهوى﴾ يقال نطق ينطق نطقاً ومنطقاً ونطوقاً تكلم بصوت وحروف

يعرف بها المعاني كما في «القاموس» فلا يستعمل في الله تعالى لأن التكلم بالصوت والحروف من خواص المخلوق والهوى مصدر هويه من باب علم إذا أحبه واشتهاه ثم غلب على الميل إلى الشهوات والمستلذات من غير داعية الشرع ومنه قيل صاحب الهوى للمبتدع لأنه مائل إلى ما يهواه في أمر الدين فالهوى هو الميل المخصوص المذموم ولهذا نهى الله أنبياءه فقال لداود عليه السلام ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [ص: ٢٦] ولنبينا عليه السلام ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٨] ولم يمل أحد من الأنبياء إليه بدليل قوله عليه السلام ما أطلى نبي قط يقال أطلى الرجل إذا مال إلى هواه.

ـ حكي ـ عن بعض الكبار أنه قال: كنت في مجلس بعض الغافلين فتكلم إلى أن قال لا مخلص لأحد من الهوى ولو كان فلاناً عنى به النبي عليه السلام حيث قال حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة فقلت له: أما تستحيي من الله تعالى فإنه ما قال أحببت بل قال حبب فكيف يلام العبد على ما كان من عند الله تعالى ثم حصل لي غم وهم فرأيت النبي عليه السلام في المنام فقال لا تغتم فقد كفينا أمره ثم سمعت أنه خرج إلى ضيعة له فقتل في الطريق نعوذ بالله من الإطالة على الأنبياء وورثتهم الأولياء وضمن ينطق معنى الصدور فتعدى بكلمة عن فالمعنى وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه أصلاً فإن المراد استمرار نفي النطق عن الهوى لا نفي استمرار النطق عنه وقد يقال عن هنا بمعنى الباء أي: وما ينطق بالهوى كما يقال رميت عن القوس أي: بالقوس وفي التنزيل ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ [هود: ٥٣] أي: بقولك قال ابن الشيخ قال أولاً «ما ضل وما غوى» بصيغة الماضي ثم قال ﴿**وما ينطق عن الهوى**﴾ بصيغة المستقبل بياناً لحاله قبل البعثة وبعدها أي: ما ضل وما غوى حين اعتزلكم وما تعبدون قبل أن يبعث رسولاً وما ينطق عن الهوى الآن حين يتلو عليكم آيات ربه انتهى.

يقول الفقير: فيه بعد كما لا يخفى والظاهر أن صيغة الماضي باعتبار قولهم قد ضل وغوى إشارة إلى تحقق ذلك في زعمهم وأما صيغة المضارع فباعتبار تجدد النطق في كل حال والله أعلم بكل حال.

﴿**إن هو**﴾ أي: ما الذي ينطق به من القرآن ﴿**إلا وحي**﴾ من الله تعالى ﴿**يوحى**﴾ إليه بواسطة جبريل عليهما السلام وهو صفة مؤكدة لوحي رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددي يعني أن فائدة الوصف التنبيه على أنه وحي حقيقة لا أنه يسمى به مجازاً والوحي قد يكون اسماً بمعنى الكتاب الإلهي وقد يكون مصدراً وله معان الإرسال والإلهام والكتابة والكلام والإشارة والإفهام وفيه إشارة إلى أن النبي عليه السلام قد فني عن ذاته وصفاته وأفعاله في ذات الله وصفاته وأفعاله بحيث لم يبق منه لا اسم ولا رسم ولا أثر ولا عين فكان ناطقاً بنطق الحق لا بنطق البشرية فلا يتوهم فيه أن يجري عليه الخطرات الشيطانية والهواجس النفسانية ولذا قالوا ما يصدر عن الواصل شريعة إذ هو محفوظ كما أن النبي عليه السلام معصوم.

قال بعض الكبار: من وضع من الفقراء وردا من غير الوارد في السنة فقد أساء الأدب مع الله ورسوله إلا أن يكون ذلك بتعريف من الله تعالى فيعرفه خصائص كلمات يجمعها فيكون حينئذ ممتثلاً لا مخترعاً وذلك مثل حزب البحر للشاذلي قدس سره فإنه سافر في بحر القلزم مع نصراني يقصد الحج فتوقف عليهم الريح أياماً فرأى النبي عليه السلام في مبشرة فلقنه إياه

فقرأه وأمر النصراني بالسفر فقال وأين الريح فقال: افعل فإنه الآن يأتيك فكان الأمر كما قال وأسلم النصراني بعد ذلك وقس عليه الإلهام والتعريف في اليقظة وقد أخبر أبو يزيد البسطامي قدس سره أنه يولد بعد وفاته بمدة طويلة نفس من أنفاس الله وهو الشيخ أبو الحسن الخرقاني قدس سره فكان كما قال. وكذا قال صاحب «المثنوي»:

لوح محفوظست اورا پيشوا ... ازچه محفوظست محفوظ ازخطا
نى نجومست ونى رملست ونه خواب ... وحى حق والله أعلم بالصواب
ازپى روپوش عامه در بيان ... وحى دل كويند اورا صوفيان
وحى دل كيرش كه منظر كاه اوست ... چون خطا باشد چو دل آكاه اوست
مؤمنا ينظر بنور الله شدى ... از خطا وسهو ايمن آمدى

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾﴾.

﴿علمه﴾ أي: القرآن الرسول أي نزل به عليه وقرأه عليه وبينه له هذا على أن يكون الوحي بمعنى الكتاب وإن كان بمعنى الإلهام فتعليمه بتبليغه إلى قلبه فيكون كقوله ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] **﴿شديد القوى﴾** من إضافة الصفة إلى فاعلها مثل حسن الوجه والموصوف محذوف أي: ملك شديد قواه وهو جبريل فإنه الواسطة في إبداء الخوارق ويكفيك دليلاً على شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط من الماء الأسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فأصبحوا جاثمين ورأى إبليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقبات الأرض المقدسة فنفخه نفخة بجناحه يعني بادزد ويرا بجناح خود بادى وألقاه في أقصى جبل في الهند وكان هبوطه على الأنبياء عليهم السلام وصعوده في أسرع من رجعة الطرف **﴿ذو مرة﴾** أي: حصافة يعني استحكام في عقله ورأيه ومتانة في دينه.

قال الراغب: أمررت الحبل إذا فتلته والمرير والممر المفتول ومنه فلان ذو مرة كأنه محكم الفتل وفي «القاموس» المرة بالكسر قوة الخلق وشدة والجمع مرر وامرار والعقل والأصالة والإحكام والقوة وطاقة الحبل كالمريرة وذو مرة جبريل عليه السلام والمريرة الحبل الشديد الفتل **﴿فاستوى﴾** عطف على علمه بطريق التفسير فإنه إلى قوله **﴿ما أوحي﴾** بيان لكيفية التعليم أي: فاستقام جبريل واستقر على صورته التي خلقه الله عليها وله ستمائة جناح موشحاً أي: مزيناً بالجواهر دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي كصورة دحية أمير العرب وكما أتى إبراهيم عليه السلام في صورة الضيف وداود عليه السلام في صورة الخصم وذلك أن رسول الله ﷺ أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها وكان رسول الله ﷺ بجبل حراء وهو الجبل المسمى بجبل النور في قرب مكة فقال: «إن الأرض لا تسعني ولكن انظر إلى السماء فطلع له جبريل من المشرق فسد الأرض من المغرب وملأ الأفق فخر رسول الله كما خر موسى في جبل الطور فنزل جبريل في صورة الآدميين فضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه» وذلك فإن الجسد وهو في الدنيا لا يتحمل رؤية ما هو خارج عن طور العقل فمنها رؤية الملك على صورة جبل عليها وأعظم منها رؤية الله تعالى في هذه الدار قيل ما رآه أحد من الأنبياء في صورته غير نبينا عليه السلام فإنه رآه فيها مرتين: مرة في الأرض ومرة في

السماء ليلة المعراج عند سدرة المنتهى لما سيأتي.

- وروي - أن حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: يا رسول الله أرني جبرائيل في صورته فقال: «إنك لا تستطيع أن تنظر إليه قال: بلى يا رسول الله أرنيه فقعد ونزل جبرائيل على خشبة في الكعبة كان المشركون يضعون ثيابهم عليها إذا طافوا فقال عليه السلام: ارفع طرفك يا حمزة فانظر فرفع عينيه فإذا قدماه كالزبرجد الأخضر فخر مغشياً عليه».

- وروي - أنه رآه على فرس والدنيا بين كلكلها وفي وجهه أخدود من البكاء لو ألقيت السفن فيه لجرت وإنما رآه عليه السلام مرتين ليكمل له الأمر مرة في عالم الكون والفساد وأخرى في المحل الأنزه الأعلى وإنما قام بصورته ليؤكد أن ما يأتيه في صورة دحية هو هو فإنه إذا رآه في صورة نفسه عرفه حق معرفته ولم يبق عليه اشتباه بوجه ما وفي «كشف الأسرار» فإن قيل: كيف يجوز أن يغير الملك صورة نفسه وهل يقدر غير الله على تغيير صورة المخلوقين وقد قلتم إن جبرائيل أتى رسول الله مرة في صورة رجل ومرة في صورته التي ابتدأه الله عليها وأن إبليس أتى قريشاً في صورة شيخ من أهل نجد فالجواب عنه تغيير الصور الذي هو تغيير التركيب والتأليف لا يقدر عليه إلا الله وأما صفة جبرائيل ففعل الله تعالى تنبيهاً للمصطفى عليه السلام وليعلم أنه أمر من الله إذ رآه في صور مختلفة فإن ذلك لا يقدر عليه إلا الله وهو أن يراه مرة قد سد الأفق وأخرى يجمعه مكان ضيق وأما إبليس فكان ذلك منه تخييلاً للناظرين وتمويهاً دون التحقيق كفعل السحرة بالعصي والحبال قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] انتهى ما في «الكشف» وقال في «آكام المرجان» قال القاضي أبو يعلى ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال في الصور أي: صور الإنس والبهائم والطير وإنما يجوز أن يعلمهم الله تعالى كلمات وضرباً من ضروب الأفعال إذا فعله وتكلم به نقله الله من صورة إلى صورة فيقال إنه قادر على التصور والتخييل على معنى أنه قادر على قول إذا قاله أو على فعل إذا فعله نقله الله من صورته إلى صورة أخرى بجري العادة وأما يصور نفسه فذلك محال لأن انتقالها من صورة إلى صورة إنما يكون بنقض البنية وتفريق الأجزاء وإذا انتقضت بطل الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة فكيف ينقل نفسه قال والقول في تشكيل الملائكة من ذلك انتهى. وقال والهى الاسكوبي فيه: أن من قال تمثل جبريل وتصور إبليس ليس مراده أنهما أحدثا تلك الصورة والمثال عن قدرة أنفسهما بل بإقدار الله على التمثيل والتصوير كيف يشاء فلا منافاة بين القولين غاية ما في الباب أن العامل عن طريق إقدار الله به من الأسباب المخصوصة انتهى وقال في «إنسان العيون»: فإن قيل: إذا جاء جبريل على صورة الآدمي دحية أو غيره بل هي الروح تتشكل بذلك الشكل وعليه يصير جسده الأصلي حياً من غير روح أو ميتاً أجيب بأن الجائي يجوز أن لا يكون هو الروح بل الجسد لأنه يجوز أن الله تعالى جعل في الملائكة قدرة على التطور والتشكل بأي شكل أرادوه كالجن فيكون الجسد واحداً ومن ثمة قال الحافظ ابن حجر: إن تمثل الملك رجلاً ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلاً بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيساً لمن يخاطبه والظاهر أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائي فقط وأخذ من ذلك بعض غلاة الشيعة أنه لا مانع ولا بعد أن الحق تعالى يظهر في صورة علي وأولاده الاثني عشر رضي الله عنهم ويجوز أن يكون الجسد للملك متعدداً وعليه فمن الممكن أن يجعل الله لروح الملك قوة يقتدر بها على التصرف في جسد آخر غير جسدها

المعهود مع تصرفها في ذلك الجسد المعهود كما هو شأن الأبدال لأنهم يرحلون إلى مكان ويقيمون في مكانهم شبحاً آخر شبيهاً لشبحهم الأصلي بدلاً منه.

وقد ذكر ابن السبكي في الطبقات أن كرامات الأولياء أنواع وعد منها أن يكون له أجساد متعددة قال وهذا هو الذي يسميه الصوفية بعالم المثال ومنه قصة قضيب البان وغيره أي: كواقعة الشيخ عبد القادر الطبحطوطي فقد ذكر الجلال السيوطي أنه رفع إليه سؤال في رجل حلف بالطلاق إن ولي الله الشيخ عبد القادر الطبحطوطي بات عنده ليلة كذا فحلف آخر بالطلاق أنه بات عنده تلك الليلة بعينها فهل يقع الطلاق على أحدهما فأرسلت قاصدي إلى الشيخ عبد القادر فسأله عن ذلك فقال: لو قال أربعون إني بت عندهم لصدقوا فأفتيت بأنه لا حنث على واحد منهما لأن تعدد الصور بالتخيل والتشكل ممكن كما يقع ذلك للجان قال الشعراني وأخبرني من صحب الشيخ محمد الخضري أنه خطب في خمسين بلدة في يوم واحد خطبة الجمعة وصلى بهم إماماً وأما الشيخ حسين أبو علي المدفون بمصر المحروسة فأخبرني عنه أصحابه أن التطور كان دأبه ليلاً ونهاراً حتى في صور السباع والبهائم ودخل عليه بعض أعدائه ليقتلوه فوجدوه فقطعوه بالسيوف ليلاً ورموه في كوم بعيد ثم أصبحوا فوجدوه قائماً يصلي وفي «جواهر الشعراني» وصورة التطور أن يقدر الله الروح على تدبير ما شاءت من الأجسام المتعددة بخلعة كن فللأولياء ذلك في الدنيا بحكم خرق العادة وأما في الآخرة فإن نفس نشأة أهل الجنة تعطي ذلك فيدبر الواحد الأجسام المتعددة كما يدبر الروح الواحد سائر أعضاء البدن فتكون تسمع وأنت تبصر وتبطش وتمشي ونحو ذلك وفي «الفتوحات المكية» والذي أعطاه الكشف الصحيح أن أجسام أهل الجنة تنطوي في أرواحهم فتكون الأرواح ظروفاً للأجسام عكس ما كانت في الدنيا فيكون الظهور والحكم في الدار الآخرة للجسم لا للروح ولهذا يتحولون في أي: صورة شاؤوا كما هو اليوم عندنا للملائكة وعالم الأرواح انتهى وفي «إنسان العيون» عالم المثال عالم متوسط بين عالم الأجساد والأرواح ألطف من عالم الأجساد وأكثف من عالم الأرواح فالأرواح تتجسد وتظهر في صور مختلفة من عالم المثال وهذا الجواب أولى من جواب ابن حجر بأن جبرائيل كان يندمج بعضه في بعض وهل مجيء جبرائيل في صورة دحية كان في المدينة بعد إسلام دحية وإسلامه كان بعد بدر فإنه لم يشهدها وشهد المشاهد بعدها إذ يبعد مجيئه على صورة دحية قبل إسلامه قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه: دحية الكلبي كان أجمل أهل زمانه وأحسنهم صورة فكان الغرض من نزول جبريل على سيدنا محمد في صورته إعلاماً من الله تعالى أنه ما بيني وبينك يا محمد سفير إلا صورة الحسن والجمال وهي التي عندي فيكون ذلك بشرى له عليه السلام ولا سيما إذا أتى بأمر الوعيد والزجر فتكون تلك الصورة الجميلة تسكن منه ما يحرك ذلك الوعيد والزجر هذا كلامه وهو واضح لو كان لا يأتيه إلا على تلك الصورة إلا أن يدعي أنه من حين أتاه على صورة دحية لم يأته على صورة آدمي غيره بقي هنا كلام وهو أن السهيلي رحمه الله ذكر أن المراد بالأجنحة في حق الملائكة صفة ملكية وقوة روحانية وليست كأجنحة الطير ولا ينافي ذلك وصف كل جناح منها بأنه يسد ما بين المشرق والمغرب انتهى.

يقول الفقير: هذا كلام عقلي ولا منع من أن يجمع الملك بين قوة روحانية وبين جناح يليق بعالمه سواء كان ذلك كجناح الطير أو غيره فإن المعقولات مع المحسوسات تدور

والجمع أنسب بالحكمة وألصق بالقدرة وقد أسلفنا مثل هذا في أوائل سورة الملائكة فلا كلام فيه عند أولي الألباب وإنما يقتضي المقام أن يبين وجه كون جناح جبريل ستمائة لا أزيد ولا أنقص ولم أظفر ببيانه لا في كلام أهل الرسوم ولا في إشارات أهل الحقائق والذي يدور بالبال إلهاماً من الله تعالى لا تعملاً وتأملاً أن النبي عليه السلام إنما عرج ليلة الإسراء بالفناء التام ولذا وقع الإسراء في الليل الذي هو مظهر الفناء دون النهار الذي هو مظهر البقاء وكان مراتب الفناء سبعاً على مراتب الأسماء السبعة التي آخرها القيوم القهار وللإشارة إلى هذه جعلت منارات الحرم المكي سبعاً لأن سر البقاء إنما ظهر في حرم النبي عليه السلام ولذا جعلت مناراته خمساً على عدد مراتب البقاء التي أشير إليها بالأسماء الخمسة الباقية من الاثني عشر التي آخرها الأحد الصمد وكل واحد من تلك الأسماء السبعة مائة على حسب تفصيلها إلى الأسماء الحسنى مع أحدية جمعها فيكون مجموعها بهذا الحساب سبعمائة ولما كان جبريل دون النبي عليه السلام في الفناء لم يتجاوز تلك الليلة مقامه الذي هو سدرة المنتهى حتى قال: لو دنوت أنملة لاحترقت وتجاوزه النبي عليه السلام إلى مستوى العرش وقهره وغلب عليه في ذلك فانتهى سير جبريل إلى الاسم القيوم فصار مقهوراً تحت سير النبي عليه السلام وقائماً في مكانه وقائماً بوحيه للقلوب ولذا سمي بروح القدس لحياة القلوب بوحيه كحياة الأجساد بالأرواح فله من تلك الأجنحة السبعمائة ستمائة صورة ومعنى وانتهى سير النبي عليه السلام إلى الاسم القهار فصار ما حصر الكل من دونه فله سبعمائة جناح معنوية فظهر أن القوة النبوية أزيد من القوة الملكية لأنها القوة الإلهية وقد قال تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ﴾ [الفتح: ١٠] وإن جبريل لكونه من الأيدي إنما يستفيد اليد والقوة من يد النبي عليه السلام وقوته فاعرف ذلك وكن من الموقنين.

﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ حال من فاعل استوى والأفق هي الدائرة التي تفصل بين ما يرى من الفلك وما لا يرى والأفق الأعلى مطلع الشمس كما أن الأفق الأدنى مغربها والمعنى والحال أن جبريل بأفق الشمس أي: أقصى الدنيا عند مطلع الشمس وبالفارسية وبكناره بلند تربود از آسمان يعني نزديك مطلع آفتاب. ومنه يعلم أن مطلع الشمس ومغربها كرأس الإنسان ورجله وإن كانت الدنيا كالكرة على ما سلف وأيضاً مثل روح الإنسان وجسده فإن الروح علوي والجسد سفلي وقد طلع من عالم الأرواح وغرب في عالم الأجساد.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾

﴿ثم دنا﴾ أي: أراد الدنو من النبي عليه السلام حال كونه في جبل حراء والدنو القرب بالذات أو بالحكم ويستعمل في الزمان والمكان والمنزلة كما في «المفردات» ﴿فتدلى﴾ التدلي استرسال مع تعلق أي: استرسل من الأفق الأعلى مع تعلقه به فدنا من النبي عليه السلام يقال: تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وفي الحديث: لو دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله أي: على علمه وقدرته وسلطانه في كل مكان وأدلى دلوه والدوالي الثمر المعلق وبالفارسية أونك.

﴿فكان﴾ أي: مقدار امتداد ما بينهما وهو المسافة ﴿قاب قوسين﴾ من قسي العرب أي: مقدارهما في القرب وذكر القوس لأن القرآن نزل بلغة العرب والعرب تجعل مساحة الأشياء

بالقوس وفي «معالم التنزيل» معنى قوله كان بين جبرائيل ومحمد عليهما السلام مقدار قوسين أنه كان بينهما مقدار ما بين الوتر والقوس كأنه غلب القوس على الوتر وهذا إشارة إلى تأكيد القرب وأصله أن الحليفين من العرب كانا إذا أرادا عقد الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما يريدان بذلك أنهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقيل قدر ذراعين ويسمى الذراع قوساً لأنه يقاس به المذروع أي: يقدر فلم يكن قريباً قرب التصاق ولا بعيداً بحيث لا يتأتى معه الإفادة والاستفادة وهو الحد المعهود في مجالسة الأحباء المتأدبين ﴿أو أدنى﴾ أي: على تقديركم أيها المخاطبون كما في قوله أو يزيدون فإن التشكيك لا يصح على الله فأو للشك من جهة العباد كما أن كلمة لعل كذلك في مواضع من القرآن أي: لو رآهما راىء منكم لقال هو قدر قوسين في القرب أو أدنى أي: لاالتبس عليه مقدار القرب والمراد أي: من قوله ﴿ثم دنا﴾ إلى قوله ﴿أو أدنى﴾ تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحي إليه بنفي البعد الملبس وحمله بعضهم على حقيقته حيث قال فكلما دنا جبريل من النبي عليهما السلام انتقص فلما قرب منه مقدار قوسين رآه على صورته التي كان يراه عليها في سائر الأوقات حتى لا يشك أنه جبريل وهنا كلام آخر يجيء بعد تمام الآيات.

﴿فأوحى﴾ أي: جبرائيل ﴿إلى عبده﴾ أي: عبد الله تعالى وإضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما في قوله تعالى ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥] أي: على ظهر الأرض والمراد بالعبد المشرف بالإضافة إلى الله هو الرسول عليه السلام كما في قوله تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] ﴿ما أوحى﴾ أي: من الأمور العظيمة التي لا تفي بها العبارة أو فأوحى الله حينئذ بواسطة جبريل ما أوحى.

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾.

﴿ما كذب الفؤاد﴾ أي: فؤاد محمد عليه السلام وما نافية ﴿ما رأى﴾ ما موصولة وعائدها محذوف أي: ما رآه ببصره من صورة جبريل أي ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذباً لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصره قال بعضهم: كذب مخففاً ومشدداً بمعنى واحد وقال بعضهم: من خفف كذب جعل ما في موضع النصب على نزع الخافض وإسقاطه أي: ما كذب فؤاده فيما رآه ببصره أي: لم يقل فيه كذباً وإنما يقول ذلك أن لو قال له لا أعرفك ولا أعتقد بك.

﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ أي: أتكذبون محمداً عليه السلام فتجادلونه على ما يراه معاينة من صورة جبريل فالفاء للعطف على محذوف أو أبعد ما ذكر من أحواله المنافية للمماراة فتمارونه فالفاء للتعقيب وذلك أن النبي عليه السلام لما أخبر برؤية جبريل تعجبوا منه وأنكروا والمماراة والمراء المجادلة بالباطل فكان حقه أن يتعدى بفي يقال جادلته في كذا لكنه ضمن معنى الغلبة فتعدى تعديتها لأن المماري يقصد بفعله غلبة الخصم واشتقاقه من مري الناقة كأن كلا من المجادلين يمري ما عند صاحبه يقال مريت الناقة مرياً مسحت ضرعها لتدر ومريت الفرس إذا استخرجت ما عنده من الجري أو غيره.

يقول الفقير: كان الظاهر أن يقال على ما رأى وجوابه أنه لما كان أثر الرؤية باقياً صح أن يقال يرى وأيضاً أن رؤية جبريل مستمرة إلى وقت الانتقال ولو على غير صورته الأصلية.

وقال الحسن البصري رحمه الله وجماعة ﴿علمه شديد القوى﴾ أي: علمه الله وهو

وصف من الله نفسه بكمال القدرة والقوة ذو مرة أي: ذو أحكام الأمور والقضايا وبين المكان الذي فيه علمه بلا واسطة فاستوى أي: محمد عليه السلام وهو بالأفق الأعلى أي: فوق السماوات ثم دنا. پس نزديك شد حضرت محمد بحضرت احديث يعني مقرب دركاه الوهيت كشت بمكانت ومنزلت نه بمنزل ومكان فتدلى پس فروتنى كرد يعني سجده خدمت آورد خدايرا وچون اين مرتبه بواسطه خدمت يافته بود ديكر باره در وظيفه خدمت افزود ودر سجده وعده قرب نيزهست كه اقرب ما يكون العبد من ربه أن يكون ساجداً ﴿**فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾ كنايتست از تأكيد قربت وتقرير محبت وبواسطة تقرب بإفهام در صورت تمثيل مؤدي شده چه عادت عظماى عرب آن مى بوده كه چون تأكيد عهدي وتوثيق عهدي خواستندى كه بغض بدان راه نيابد هريك از متعاقدان كمان خود حاضر ساخته بايكديكر انضمام دادندى وهردو بيكبار قبضتين راكرفته وبيكبار كشيده باتفاق يك تيرازان بيند اختندى واين صورت ازايشان اشارت بدان معنى بودى كه موافقت كلي ميان ما تحقق پذيرفت ومصادقت واتحاد أصلي بر وجهى ثبوت يافت كه بعد ازان رضا وسخط يكى عين رضا وسخط آن ديكرست پس كوييا درين آيت باعنايت آن معنى مؤدي شده كه محبت وقربت حضرت پيغمبر باحق سبحانه وتعالى بمثابه تأكيد يافته كه مقبول رسول مقبول خداوندست ومردود مصطفى مردود دركاه خداست وعلى هذا القياس ونزد محققان دنا اشارت نفس مقدس اوست وتدلى بمنزله دل مطهراو فكان قاب قوسين مقام روح مطيب او أدنى بمرتبه سر منوراو ونفس او در مكان خدمت بود ودل او در منزل محبت وروح او درمقام قربت وسر او در مرتبه مشاهدت شيخ ابو الحسين نورى را قدس سره از معنى اين آيت پرسيدند جواب داد جايى كه جبرائيل نكنجند نورى كيست كه ازان سخن تواند كفت:

خيمه برون زد ز حدود وجهات ... پرده او شد تتق نور ذات
تيركى هستى ازو دور كشت ... پردكى پرده آن نور كشت
كيست كزان پرده شود پرده ساز ... زمزمه كويد ازان پرده باز

ويدل على أن ضمير دنا يعود إليه عليه السلام أنه قال في رواية «لما أسري بي إلى السماء قربني ربي حتى كان بيني وبينه كقاب قوسين أو أدنى قيل لي قد جعلت أمتك آخر الأمم لأفضح الأمم عندهم» أي بوقوفهم على أخبارهم ولا أفضحهم عند الأمم لتأخرهم عنهم.

وقال بعض الكبار: ثم دنا إشارة إلى العروج والوصول وقوله فتدلى إلى النزول والرجوع وقوله فكان قاب قوسين بمنزلة النتيجة إشارة إلى الوصول إلى عالم الصفات المشار إليه بقوله تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ٢] وقوله أو أدنى إشارة إلى الوصول إلى عالم الذات المشار إليه بقوله تعالى ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] في صورة الإخلاص فحاصل المعنى ثم دنا أي: إلى الحق من الخلق فتدلى إلى الخلق من الحق فكان قاب قوسين في مرتبة الوحدة الواحدية الجامعة بين شهادة الصفات والخلق وبين غيب الذات والحق أو أدنى في الوحدة الأحدية المختصة بغيب ذات الحق وإذن هنا أمران:

الأول: الوصول إلى مرتبة قاب قوسين وذلك بفناء في الصفات فقط.

والثاني: الوصول إلى مرتبة أو أدنى وذلك بفناء في الصفات والذات معاً فإن يسر الله النزول والبقاء يكمل الأمر في هاتين الجهتين ولعمري عزيز أهل هذا المقام جداً وقال بعضهم:

ضمير دنا إلى آخره يعود إلى الله تعالى قال في «كشف الأسرار» دنو الله من العبد على نوعين: أحدهما بإجابة الدعوة وإعطاء المنية ورفع المنزلة كما في قوله ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] والثاني بمعنى القرب في الحقيقة دون هذه المعاني كقوله ﴿ثم دنا فتدلى﴾ انتهى فالمعنى ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى أي: زاد في القرب حتى كان من محمد عليه السلام قاب قوسين أو أدنى فمعنى الدنو والتدلي الواقعين من الله تعالى كمعنى النزول منه إلى السماء الدنيا كل ليلة في ثلث الليل الأخير وهو أن ذلك عند أهل الحقائق من مقام التنزل بمعنى أنه تعالى يتلطف بعباده ويتنزل في خطابه لهم فيطلق على نفسه ما يطلقونه على أنفسهم فهو في حقهم حقيقة وفي حقه تعالى مجاز كما في «إنسان العيون» قال القاضي أبو الفضل في كتاب الشفاء اعلم أن ما وقع في إضافة الدنو والقرب من الله أو إلى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وإنما دنو النبي من ربه وقربه منه إبانة عظيم منزلته وتشريف رتبته وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ومن الله له مبرة وتأنيس وبسط وإكرام قال في فتح الرحمن: فمن جعل الضمير عائداً إلى الله لا إلى جبريل على هذا كان قوله فكان الخ عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة والإشراف على الحقيقة من محمد عليه السلام وعبارة إجابة الرغبة وقضاء المطالب قرب بالإجابة والقبول وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ قال في «الأسئلة المقحمة» أجمل ولم يفسره لأنه كان يطول ذكر جميع ما أوحى إليه فذكره جملة من غير تعرض إلى التفصيل فقال: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ وقالت الشيوخ: ستر الله بعض ما أوحى إلى عبده محمد عليه السلام عن الخلق ستراً على حاله لئلا يطلع عليه غيره فإن ذلك لا يتعلق بغيره وإنما ذلك من خواص محبته ومعرفته وعلو درجاته إذ بين الأحباب يجري من الأسرار ما لا يطلع عليه الأجانب والأغيار قال عليه السلام: «لي وقت مع الله لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل» وسمعت الشيخ أبا علي الفارسي رحمه الله يقول في هذه الآية قولاً يطول شرحه وقصاراه يرجع إلى أنه تعالى ستر بعض ما أوحى إلى نبيه عن الخلق لما علم أن علمهم بذلك يفتر عن السير في صراط العبودية اتكالاً على محض الربوبية ولهذا قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال معاذ أأخبر الناس بذلك يا رسول الله؟ فقال: لا تخبرهم بذلك لئلا يتكلوا انتهى.

لا يكتم السر إلا كل ذي خطر ... والسر عند كرام الناس مكتوم
والسر عندي في بيت له غلق ... قد ضاع مفتاحه والباب مختوم

وقيل:

بين المحبين سر ليس يفشيه ... قول ولا عمل للخلق يحكيه
سر يمازجه إنس يقابله ... نور تحير في بحر من التيه

وقيل:

دردى كه من از عشق تو دارم حاصل ... دل داند ومن دانم ومن دانم ودل

قال الكاشفي: بعض عليما كويند كه اولى آنست كه تعرض آن وحي نكنيم ودر پرده بكذا ريم وجمعي كويند آنچه ازان وحي درچيزى ويا اثري بما رسيده ذكر أن هيچ نقصان ندارد ودامانت بسيار واقع شده ودر تفسير جواهر بسطى تمام يافته اينجابسه وجه اختصاص مى يابد

اول آنكه مضمون وحي اين بودكه يا محمد لولا أني أحب معاتبة أمتك لما حاسبتهم يعني اكرنه آنست كه دوست ميدارم معاتبه با امت تو والابساط محاسبه ايشان طى مى كردم دوم آنكه اى محمد أنا وأنت وما سوى ذلك خلقته لأجلك آن حضرت عليه السلام در جواب فرمودند أنت وأنا وما سوى ذلك تركته لأجلك سوم آنكه امت تو طاعت من بجاى مى آرند وعصان نيزمى ورزند طاعت ايشان برضاى منست ومعصيت ايشان بقضاى من پس آنچه برضاى من از ايشان ثابت شود اكرچه اندك وبا قصور بود قبول كنم زيراكه كريمم وآنچه بقضاى من از ايشان در وجود آيد اكرچه بزرك وبسيار باشد عفو كنم زيرا كه رحيمم. وقيل: أوحي إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك وقيل كن آيسا من الخلق فليس بأيديهم شيء واجعل صحبتك معي فإن مرجعك إلي ولا تجعل قلبك معلقاً بالدنيا فإني ما خلقتك لها وقيل أوحي إليه ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضحى: ٦] إلى قوله ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح: ٤] وقيل أوحي إليه ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] الخ بغير واسطة جبريل وقيل أوحي إليه عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزى به.

ـ وروي ـ أنه عليه السلام قال: «شكا إلي الله ليلة المعراج من أمتي شكايات:

الأولى: لم أكلفهم عمل الغد وهم يطلبون مني رزق الغد.

والثاني: لا أدفع أرزاقهم إلى غيرهم وهم يدفعون عملهم إلى غيري.

والثالثة: أنهم يأكلون رزقي ويشكرون غيري ويخونون معي ويصالحون خلقي.

والرابعة: أن العزة لي وأنا المعز وهم يطلبون العزة من سواي.

والخامسة: أني خلقت النار لكل كافر وهم يجتهدون أن يوقعوا أنفسهم فيها قال: قل لأمتك إن أحببتم أحداً لإحسانه إليكم فأنا أولى به لكثرة نعمي عليكم وإن خفتم أحداً من أهل السماء والأرض فأنا أولى بذلك لكمال قدرتي وإن أنتم رجوتم أحداً فأنا أولى به لأني أحب عبادي وإن أنتم استحييتم من أحد لجفائكم إياه فأنا أولى به لأن منكم الجفاء ومني الوفاء وإن آثرتم أحداً بأموالكم وأنفسكم فأنا أولى بذلك لأني معبودكم وإن صدقتم أحداً في وعده فأنا أولى بذلك لأني أنا الصادق وقيل أوحى الله إليه يا محمد لم أكثر مال أمتك لئلا يطول حسابهم في القيامة ولم أطل أعمارهم لئلا تقسو قلوبهم ولم أفجأهم بالموت لئلا يكون خروجهم من الدنيا بدون التوبة وأخرتهم في الدنيا عن الآخرين لئلا يطول في القبور حبسهم.

قال بعضهم: إن ما أوحي إليه مفسر في الأخبار ونطقت به الروايات من أهوال القيامة وغيرها ولهذا قال عليه السلام: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» قال جعفر الصادق رضي الله عنه: ﴿فأوحي إلى عبده ما أوحى﴾ بلا واسطة فيما بينه وبينه سراً إلى قلبه لا يعلم به أحد سواه بلا واسطة أي: في العقبى حين يعطيه الشفاعة لأمته وقال البقلي: أبهم الله سر ذلك الوحي الخفي على جميع فهوم الخلائق من العرش إلى الثرى بقوله: ما أوحى لأنه لم يبين أي: شيء أوحي إلى حبيبه لأنه بين المحب والمحبوب سراً لا يطلع عليه غيرهما وأظن أنه لو بين كلمة من تلك الأسرار لجميع الأولين والآخرين لماتوا جميعاً من ثقل ذلك الوارد الذي ورد من الحق على قلب عبده احتمل ذلك المصطفى عليه السلام بقوة ربانية ملكوتية لاهوتية ألبسه الله إياها ولولا ذلك لم يحتمل ذرة منها لأنها أنباء عجيبة وأسرار أزلية لو ظهرت كلمة منها لتعطلت الأحكام ولفنيت الأرواح والأجسام واندرست الرسوم واضمحلت العقول والفهوم والعلوم.

يقول الفقير: لا شك أن ما أوحي إليه عليه السلام تلك الليلة على أقسام قسم أداه إلى الكل وهو الأحكام والشرائع وقسم أداه إلى الخواص وهو المعارف الإلهية وقسم أداه إلى أخص الخواص وهو الحقائق ونتائج العلوم الذوقية وقسم آخر بقي معه لكونه مما خصه الله به وهو السر الذي بينه وبين الله المشار إليه بقوله: «لي مع الله وقت» الخ فإنه تحل مخصوص وسر مكتوم لا يفشى وهكذا كل ورثته فإن لهم نصيباً من هذا المقام حيث إن بعض علومهم يرتحل معهم إلى الآخرة ولا يوجد له محل يؤدي إليه إما لكونه من خصائصهم وإما لفقدان من يستعد لأدائه وذلك بحسب الزمان ولذا جاء نبي في الأولين وبقي معه الرسالة ولم يقبلها أحد من أمته لعدم الاستعداد فيهم.

وفي «التأويلات النجمية» في هذه الآية يشير إلى أن الله تعالى من مقام جمعيته الجامعة لجميع المظهريات من غير واسطة جبريل وواسطة ميكائيل أوحى أو تجلى في صورة الوحي لعبده المضاف إلى هاء هويته المطلقة بحقائق من مقتضى حكم الوحدة والموحى به هو أن وجودك يا محمد عين وجود المتعين بأحدية جمع جميع الأعيان الظاهرة المشهودة والحقائق الباطنة الغيبية المفقودة في عين كونها موجودة مطلقاً عن هذا التعين والجمع والإطلاق **﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾**.

اعلم أن المرئي إن كان صورة جبريل عليه السلام فالرؤية من رؤية العين وإن كان هو الله تعالى على ما ذهب إليه البعض فقد اختلفوا في أنه عليه السلام رأى الله تعالى ليلة الإسراء بقلبه أو بعين رأسه فقال بعضهم: جعل بصره في فؤاده فرآه في فؤاده فيكون المعنى ما كذب الفؤاد ما رآه الفؤاد أي: لم يقل فؤاده له أن ما رأيته هاجس شيطاني وأنه ليس من شأنه أن ترى الرب تعالى بل تيقن أن ما رآه بفؤاده حق صحيح وقال بعضهم: رآه بعينه لقوله عليه السلام: «إن الله أعطى موسى الكلام وأعطاني الرؤية» وقوله عليه السلام: «رأيت ربي في أحسن صورة» أي: صفة. قال في «الكواشي»: هذا لا حجة فيه لأنه يجوز أنه أراد الرؤية بالقلب بأن زاده معرفة على غيره.

يقول الفقير: إيراد الرؤية في مقابلة الكلام يدل على رؤية العين لأن موسى عليه السلام قد سألها ومنع منها فاقتضى أن يفضل النبي عليه السلام عليه بما منع منه وهو الرؤية البصرية ولا شك أن الرؤية القلبية الحاصلة بالانسلاخ يشترك فيها جميع الأنبياء حتى الأولياء وقد صح أن موسى رأى ربه بعين قلبه حين خر في الطور مغشياً عليه وحملها على زيادة المعرفة لا يجدي نفعاً وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: من زعم بأن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله قال في «كشف الأسرار» قول عائشة نفي وقول ابن عباس بأنه رأى إثبات والحكم للمثبت لا للنافي فالنافي إنما نفاه لأنه لم يسمعه والمثبت إنما أثبته لأنه سمعه وعلمه انتهى وقول أبي ذر رضي الله تعالى عنه للنبي عليه السلام: «هل رأيت ربك؟ قال: نوراني أراه» بالنسبة إلى تجرد الذات عن النسب والإضافات أي: النور المجرد لا يمكن رؤيته على ما سبق تحقيقه وقال في «عين المعاني»: ولا يثبت مثل هذا أي: الرؤية بالعين إلا بالإجماع وفي «كشف الأسرار» قال بعضهم: رآه بقلبه دون عينه وهذا خلاف السنة والمذهب الصحيح أنه عليه السلام رأى ربه بعين رأسه انتهى. وفي «الكواشي»: يستحيل رؤيته هنا عقلاً ومعتقد رؤية الله هنا بالعين لغير محمد غير مسلم أيضاً انتهى. قال ابن الشيخ: اعلم أن رؤية الله تعالى جائزة

لأن دليل الجواز غير مخصوص بالآخرة ولأن مذهب أهل السنة الرؤية بالإراءة لا بقدرة العبد فإذا حصل العلم بالشيء من طريق البصر كان رؤية بالإراءة وإن حصل من طريق القلب كان معرفة والله تعالى قادر على أن يحصل العلم بخلق مدرك المعلوم في البصر كما قدر أن يحصله بخلق مدرك المعلوم في القلب والمسألة مختلف فيها بين الصحابة والاختلاف في الوقوع مما ينبيء عن الاتفاق على الجواز انتهى وكان الحسن البصري رحمه الله يحلف بالله أن محمداً رأى ربه ليلة المعراج.

ـ وحكى ـ النقاش عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس رضي الله عنهما بعينه رآه رآه حتى انقطع نفس الإمام أحمد. كلام سرمدي بي نقل بشنيد خداوند جهانرا بي جهت ديد:

دران ديدن كه حيرت حاصلش بود — دلش درچشم وچشمش در دلش بود

قال بعض الكبار: الممنوع من رؤية الحق في هذه الدار إنما هو عدم معرفتهم له وإلا فهم يرونه ولا يعرفون أنه هو على غير ما يتعقل البصر فالخلق حجاب عليه دائماً فإنه تعالى جل عن التكييف دنيا وأخرى فافهم فهم يرونه ولا يرونه وأكثر من هذا الإفصاح لا يكون انتهى.

يقول الفقير: نعم إن الله جل عن الكيفية في الدارين لكن فرق بين الدنيا والآخرة كثافة ولطافة فإن الشهود في الدنيا بالسر المجرد لغير نبينا عليه السلام بخلافه في الآخرة فإن القلب ينقلب هناك قالباً فيفعل القالب هناك ما يفعله القلب والسر في هذه الدار فإذا كانت لطافة جسم النبي عليه السلام تعطي الرؤية في الدنيا فما ظنك بلطافته ورؤيته في الآخرة فيكون شهوده أكمل شهود في الدارين حيث رأى ربه بالسر والروح في صورة الجسم.

قال في «التأويلات النجمية»: اتحد بصر ملكوته وبصر ملكه فرأى ببصر ملكوته باطن الحق من حيث اسمه الباطن ورأى ببصر ملكه ظاهر الحق من حيث اسمه الظاهر ورأى بأحدية جمع القوتين الملكوتية والملكية الحقيقة الجمعية المتعينة بجميع التعينات العلوية الروحانية والسفلية الجسمانية مع إطلاقه في عين تعينه المطلق عن التعين واللاتعين والإطلاق واللا إطلاق انتهى هذا وليس وراء عبادان قرية وقال البقلي رحمه الله: ذكر الله رؤية فؤاده عليه السلام ولم يذكر العين لأن رؤية العين سر بينه وبين حبيبه فلم يذكر ذلك غيرة عليه لأن رؤية الفؤاد عام ورؤية البصر خاص أراه جماله عياناً فرآه ببصره الذي كان مكحولاً بنور ذاته وصفاته وبقي في رؤيته عياناً ما شاء الله فصار جسمه جميعه أبصاراً رحمانية فرأى الحق بجميعها فوصلت الرؤية إلى الفؤاد فرأى فؤاده جمال الحق ورأى ما رأى عينه ولم يكن بين ما رأى بعينه وبين ما رآه بفؤاده فرق فأزال الحق الإبهام وكشف العيان بقوله: ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾ حتى لا يظن الظان أن ما رأى الفؤاد ليس كما رأى بصره أي: صدق قلبه فيما رآه من لقائه الذي رآه بصره بالظاهر إذ كان باطن حبيبه هناك ظاهراً وظاهراً باطناً بجميع شعراته وذرات وجوده وليس في رؤية الحق حجاب للعاشق الصادق بأن يغيب عن الرؤية شيء من وجوده فبالغ الحق في كمال رؤية حبيبه وكذلك قال عليه السلام: «رأيت ربي بعيني وبقلبي» رواه مسلم في صحيحه. قال ابن عطاء: ما اعتقد القلب خلاف ما رأته العين وقال: ليس كل من رأى سكن فؤاده من إدراكه إذ العيان قد يظهر فيضطرب السر عن حمل الوارد عليه والرسول

عليه السلام كان محمولاً فيها في فؤاده وعقله وحسه ونظره وهذا يدل على صدق طويته وحمله فيما شوهد به.

﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ آيا مجادله ميكنيد با محمد برآنچه ديد درشب معراج ومجادله آن بودكه صفت بيت المقدس وخبر كاروان خود پرسيدند. وقال بعضهم: أفتجادلونه على رؤية الله تعالى أي: أن رسول الله عليه السلام رأى الله وهم يجادلونه في ذلك وينكرونها.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى مماراة المحتجبين عن الحق بالخلق ومجادلتهم في شهود الخلق من دون الحق لقيامهم في مقام الكثرة الاعتبارية من غير شهود الوحدة الحقيقية أعاذنا الله وإياكم من عذاب جحيم الاحتجاب ومن شدة لهب النار والالتهاب.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾

﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ الضمير البارز في رآه لجبريل ونزلة منصوب نصب الظرف الذي هو مرة لأن الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها والمعنى وبالله لقد رأى محمد جبريل عليهما السلام على صورته الحقيقية مرة أخرى من النزول وذلك أنه كان للنبي عليه السلام في ليلة المعراج عرجات لمسألة التخفيف من أعداد الصلوات المفروضة فيكون لكل عرجة نزلة فرأى جبريل في بعض تلك النزلات.

﴿عند سدرة المنتهى﴾ وهو مقام جبرائيل وكان قد بقي هناك عند عروجه عليه السلام إلى مستوى العرش وقال: لو دنوت أنملة لاحترقت قال عليه السلام: «رأيته عند سدرة المنتهى عليه ستمائة جناح يتناثر منه الدر والياقوت» وعند يجوز أن يكون متعلقاً برأى وأن يكون حالاً من المفعول المراد به جبرائيل لأن جبرائيل لكونه مخلوقاً يجوز أن يراه النبي عليه السلام في مكان مخصوص وهو سدرة المنتهى وهي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيلة نبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً لا يقطعها والمنتهى مصدر ميمي بمعنى الانتهاء كما قال الزمخشري أو اسم مكان بمعنى موضع الانتهاء كأنها في منتهى الجنة وقيل: ينتهي إليها الملائكة ولا يتجاوزونها لأن جبرائيل رسول الملائكة إذا لم يتجاوزها فبالحري أن لا يتجاوزها غيره فأعلاها لجبرائيل كالوسيلة لنبينا عليه السلام فكما أن خواص الأمة يشتركون مع النبي عليه السلام في جنة عدن بدون أن يتجاوزوا إلى مقامه المخصوص به فكذا الملائكة يشتركون مع جبرائيل في السدرة بدون أن يتعدوا إلى ما خص به من المكان وقيل إليها ينتهي علم الخلائق وأعمالهم ولا يعلم أحد ما وراءها وذلك لأن الأعمال الصالحة في عليين ولا تعرج إليه إلا على يد الملائكة فتقف عندها كوقوف الملائكة هذا بالنسبة إلى أعمال الأمة وأما خواص الأمة فلهم من الأعمال ما لا يقف عندها بل يتجاوز إلى عالم الأرواح فوق مستوى العرش بل إلى ما وراءه حيث لا يعلمه إلا الله فمثل هذه الصالحات الناشئة عن خلوص فوق خلوص العامة ليست بيد الملائكة إذ لا يدخل مقامها أحد وقيل: ينتهي إليها أرواح الشهداء لأنها في أرض الجنان أو ينتهي إليها ما يهبط من فوقها من الأحكام ويصعد من تحتها من الآثار وعن أبي هريرة رضي الله عنه لما أسري بالنبي عليه السلام انتهى إلى السدرة فقيل له: هذه السدرة ينتهي إليها كل أحد خلا من أمتك على سنتك يعني ميرسد بدين هركس از امت توكه رفته باشد برسنت تو. وقال كعب:

إنها سدرة في أصل العرش على رؤوس حملة العرش وإليها ينتهي الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله وبالجملة هي شجرة طوبى وقال مقاتل السدرة هي شجرة طوبى ولو أن رجلاً ركب نجيبه وطاف على ساقه حتى أدركه الهرم لما وصل إلى المكان الذي ركب منه تحمل لأهل الجنة الحلي والحلل وجميع ألوان الثمار ولو أن ورقة منها وضعت في الأرض لأضاءت أهلها قيل: إضافة السدرة إلى المنتهى إما إضافة الشيء إلى مكانه كقولك أشجار البستان فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك أو إضافة المحل إلى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى العلوم أو إضافة الملك إلى المالك على حذف الجار والمجرور أي: سدرة المنتهى إليه وهو الله تعالى قال إلى ربك المنتهى وإضافة السدرة إليه كإضافة البيت إليه للتشريف والتعظيم وقال بعضهم: المرئي هو الله تعالى يعني أن محمداً عليه السلام رأى ربه مرة أخرى يعني مرتين كما كلم موسى مرتين وفيه إشعار بأن الرؤية الثانية كانت كالرؤية الأولى بنزول ودنو فقوله عند لا يجوز أن يكون حالاً من المفعول المراد به الله تعالى لأن الله تعالى منزه عن أن يحل في زمان أو مكان، فهو متعلق برأى يعني أنه عليه السلام رأى ربه رؤية ثانية عند سدرة المنتهى على أن يكون الظرف ظرفاً لرأى ورؤيته لا للمرئي كما إذا قلت رأيت الهلال فقيل لك أين رأيت فتقول عند الشجرة الفلانية وجعل ابن برجان الإسراء مرتين:

الأولى بالفؤاد وهذه بالعين ولما كان ذلك لا يتأتى إلا بتنزل يقطع مسافات البعد التي هي الحجب ليصير به بحيث يراه البشر عبر بقوله ﴿**نزلة أخرى**﴾ وعين الوقت بتعيين المكان فقال ﴿**عند سدرة المنتهى**﴾ كما في «تفسير المناسبات».

- وروي - عن وكيع عن كعب الأحبار أنه قال: رأى ربه مرة أخرى فقال: إن الله تعالى كلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين عليهما السلام فلما بلغ ذلك عائشة رضي الله عنها قالت: قد اقشعر جلدي من هيبة هذا الكلام فقيل لها: «يا أم المؤمنين أليس يقول الله تعالى ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾ فقالت: أنا سألت النبي عليه السلام عن ذلك فقال: رأيت جبرائيل نازلاً في الأفق على خلقته وصورته» انتهى وقال بعضهم: رآه بفؤاده مرتين.

يقول الفقير: لما كان هذا المقام لا يخلو عن صعوبة واحتمال وتأويل كفروا من أنكر المعراج إلى المسجد الأقصى لثبوته بالنص القطعي وهو قوله تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] الخ وضللوا من أنكره إلى ما فوقه لثبوته بالخبر المشهور. قال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: إن معراجه عليه السلام أربع وثلاثون مرة: واحدة بجسده والباقي بروحه رؤيا رآها.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى رد استعجاب أهل الحجاب شهود النبي عليه السلام الحضرة الإلهية في المظاهر الكونية والمجالي الغيبية وأنى لهم هذا الاستعجاب والاستغراب وما قيده في حضرة دون حضرة وفي مشهد دون مشهد بل شهرة وعلانية مرة بعد مرة وساعة بعد ساعة بل ما احتجب لحظة منه تعالى وما غاب عنه لمحة مرة شاهده به في مقام أحديته بفنائه عنه ونزلة عاينه في مقام واحديته بالبقاء به عند نزوله من المشهد الأحدي إلى المشهد الواحدي المسمى سدرة المنتهى التي هي شجرة الكثرة لابتداء الكثرة منها وانتهاء مظاهرها إليها بحسب الأعمال والأقوال والأفعال والأحوال شبهت السدرة بشجرة الكثرة لكثرة إظلالها وأغصانها كما في شجرة الكثرة التي هي الواحدية لظهور التعينات والتكثرات منها واستظلال

المتعينات بها بالوجود العيني الخارجي انتهى.

وقال البقلي: ما الرؤية الثانية بأقل كشفاً من الرؤية الأولى ولا الأولى بأكشف من الرؤية الثانية أين أنت لو كنت أهلاً لقلت لك إنه عليه السلام رأى ربه في لحافه بعد أن رجع من الحضرة أيضاً في تلك الساعة وما غاب قلبه من تلك الرؤية لمحة وما ذكر سبحانه بيان أن ما رأى في الأولى في المكان وما رأى عند سدرة المنتهى كان واحداً لأن ظهوره هناك ظهور القدم والجلال وليس ظهوره يتعلق بالمكان ولا بالزمان إذ القدم منزه عن المكان والجهات وكان العبد في المكان والرب في الإمكان وهذا غاية في كمال تنزيهه وعظيم لطفه إذ تتجلى نفسه لقلب عبده وهو في الإمكان والعبد في مكان والعقل هٰهنا مضمحل والعلم متلاشٍ لأن العقول عاجزة والأوهام متحيرة والقلوب والهة والأرواح حائرة والأسرار فانية وفي هذه الآية بيان كمال شرف حبيبه إذ رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ظن عليه السلام أن ما رآه في الأولى لا يكون في الكون لكمال علمه بتنزيه الحق فلما رآه ثانية علم أنه لا يحجبه شيء من الحدثان وعادة الكبراء إذا زارهم أحد يأتون معه إلى باب الدار إذا كان كريماً فهذا من الله إظهار كمال حب لحبيبه وحقيقة الإشارة أنه سبحانه أراد أن يعرف حبيبه مقام التباس فلبس الأمر وأظهر المكر بأن بان الحق من شجرة سدرة المنتهى كما بان من شجرة العناب لموسى ليعرف حبيبه بكمال المعرفة إذ ليس بعارف من لم يعرف حبيبه في ألبسة مختلفة انتهى ولما أراد سبحانه أن يعظم السدرة ويبين شرفها قال:

﴿عندها﴾ أي: عند السدرة ﴿جنة المأوى﴾ والجملة حالية قيل: الأحسن أن يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به بالفاعلية وإضافة الجنة إلى المأوى مثل إضافة مسجد الجامع أي: الجنة التي يأوي إليها المتقون أي: تنزل فيها وتصير وتعود إليها أرواح الشهداء وبالفارسية بهشتى كه آرامكاه متقيان يا مأوى ومكان أرواح شهداست او اوى إليها آدم وحواء عليهما السلام يقال: أويت منزلي وإليه أويا وأويا عدت وأويته نزلته بنفسي والمأوى المكان.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: آدم عليه السلام أنزل من جنة المأوى التي هي اليوم مقام الروح الأمين جبريل عليه السلام وهي اليوم برزخ لذرية آدم ونزل إليها جبرائيل من السدرة بنزول آدم وهذه الجنة لا تقتضي الخلود لذاتها فلذلك أمكن خروج آدم منها ولذلك تأثر بالاشتياق إلى أن يكون ملكاً بعد سجود الملائكة له بغرور إبليس إياه ووعده في الخلود رغبة في الخلود والبقاء مع جبرائيل والجنة التي عرضها السماوات والأرض تقتضي الخلود لذاتها يعلم من دخلها أنه لا يمكن الخروج منها إذ لا سبيل للكون والفساد إليها قال تعالى في وصف عطائها أنه ﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] أي: غير منقطع انتهى فالجنة التي عرضها السماوات والأرض أرضها الكرسي الذي وسع السماوات والأرض وسقفها العرش المحيط فهي محيطة بالجنان الثمان وليست هي الجنة التي أنزل منها آدم كذا قاله الشيخ أيضاً في كتاب «تلقيح الأذهان».

وقال نجم الدين رحمه الله في تأويلاته يشير إلى أن الجنة العلية التي يسجن بها المجانين العاشقون عن أنانيتهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر وفي قوله عندها إشارة إلى الهوية الظاهرة بالشجرة الواحدية المسماة بسدرة المنتهى لانتهاء أرواح الشهداء المقتولين بسيف الصدق والإخلاص ورمح الرياضات والمجاهدات إليها.

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾.

﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ زيادة في تعظيم السدرة وإذ ظرف زمان لرآه لما بعده من الجملة المنفية فإن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشي وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً لصورتها البديعة أو للإيذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد والمعنى ولقد رأى محمد جبرائيل عند السدرة وقت ما غشيها وغطاها ما لا يكتنهه الوصف ولا يفي به البيان كيفا ولا كما وفي الحديث «وغشيها ألوان لا أدري ما هي فليس أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها» وعنه عليه السلام: «رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكاً قائماً يسبح الله» وعنه عليه السلام «يغشاها رفرف» أي: جماعة من طيور خضر وقيل: يغشاها فراش أو جراد من ذهب. كما قال الكاشفي: وكويند بر حوالى آن فرشتكان طيران ميكردند چون پروانهاى زرين. وقيل: يغشاها سبحات أنوار الله حين تجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت أقوى من الجبل حيث لم يصبها ما أصابه من الدك وذلك لأن الجبل كان في عالم الملك الضعيف والسدرة في عالم الملكوت القوي ولذا لم يخر عليه السلام هناك مغشياً عليه حين رأى جبرائيل كما غشي عليه حين رآه في الأفق الأعلى لقوة التمكين وغاية لطافة الجسد الشريف وقيل: يغشاها الجم الغفير من الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجر يعبدون الله تعالى عندها أو يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل: يغشاها الملائكة النازلون للقاء النبي عليه السلام فإنهم استأذنوا للقائه فأذن لهم وقيل: لا تأتوه بغير نثار فجاء كل واحد منهم بطبق من أطباق الجنة عليه من اللطائف ما لا يحصى فنثروه بين يديه تقرباً إليه وفي الحديث: «إنه أعطى رسول الله عندها يعني السدرة ثلاثاً» يعني سه چيز. الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن مات من أمته لا يشرك بالله شيئاً».

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى تعظيم المظاهر الأسمائية والصفاتية الجمالية اللطفية والجلالية القهرية الغاشية الساترة شجرة الواحدية المسماة بسدرة المنتهى بحيث لا تعد ولا تحصى لعدم نهاية مصادرها لأن الأسماء بحسب الجزئيات غير متناهية وإن كانت من حيث كلياتها متناهية وكان حقيقة السدرة وعمودها مغشية مستورة بكثرة أغصانها وأوراقها وأزهارها وهذا الوصف يدل على عظمة شأن الشجرة عينها وجلالة قدرها وكيف لا والواحدية من حيث الحقيقة عين الأحدية ومن حيث الاعتبار العقلي وغيرها فافهم جداً لا يفوتك الحقيقة بل الطريقة والشريعة انتهى.

وقال البقلي رحمه الله: أبهم ما غشيها لأن العقول لا تدرك حقائق ما يغشاها وكيف يغشاها والقدم منزه عن الحلول في الأماكن وكانت الشجرة مرآة لظهوره سبحانه ما ألطف ظهوره لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون بعد عرفانهم به آمنا به.

﴿ما زاغ البصر﴾ الزيغ الميل عن الاستقامة أي: ما مال بصر رسول الله عليه السلام أدنى ميل عما رآه ﴿وما طغى﴾ وما تجاوز مع ما شاهد هناك من الأمور المذهلة مما لا يحصى بل أثبته إثباتاً صحيحاً متيقناً أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها واستدل على أن رؤية الله كانت بعين بصره عليه السلام يقظة بقوله ﴿ما زاغ البصر﴾ الخ لأن

وصف البصر بعدم الزيغ يقتضي أن ذلك يقظة ولو كانت الرؤية قلبية لقال ما زاغ قلبه وأما القول بأنه يجوز أن يكون المراد بالبصر بصر قلبه فلا بد له من القرينة وهي هنها معدومة. قال الكاشفي في معنى الآية: ميل نكرد چشم محمد عليه السلام ويچپ وراست ننكريست ودرنكذشت از حديكه مقرر بود نكريستن ويرا درين آيت ستايش آن حضرتست بحسن أدب وعلو همت كه دران شب پرتو التفات بر هيچ ذره از ذرات كائنات نيفكند وديده دل بجز مشاهده جمال بي زوال الهي نكشود:

دردیده کشیده کحل ما زاغ — نی راغ نکاه کردونی باغ
میراند براق عرش پرواز — تا حجله ناز وپرده راز
پس پرده زپیش دیده برخاست — پی پرده بدید آنچه دل خواست

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى تحقق النبي عليه السلام بمقام حقيقة الفقر الكلي الذي هو الخلو المطلق عما سواه لأنه قال: «الفقر فخري» وأي فقر أعظم وأفخم من أن يخرج العبد عن وجوده الكلي المجازي ويقوم بالوجود الحقيقي ويظهر بصفات سيده حتى يقال له عبد الله أي: لا عبد غيره يعني ما مال بصر ملكه الجسماني إلى ملك الدنيا وزينتها وزخارفها وجاهها ومالها وما طغى نظر ملكوته الروحاني إلى عالم الآخرة ونعيمها ودرجاتها وقرباتها وغرفاتها بل اتحدا واجتمعا اتحاداً كلياً واجتماعاً حقيقياً من غير فتور وقصور على شهود الحق وأسمائه وصفاته وعجائب تجلياته الذاتية وغرائب تنزلاته الصفاتية وأيضاً ما زاغ عين ظاهره إلى الكثرة الأسمائية قائمة بالوحدة الذاتية وغرائب تنزلاته بكمال قيامه بشهود المرتبتين ولإحاطة علمه بوجود المرتبتين فافهم وإلا تندم.

وقال البقلي رحمه الله: هذه الآية في الرؤية الثانية لأن في الرؤية الأولى لم يكن شيء دون الله ولذلك ما ذكر هناك غض البصر وهذا من كمال تمكين الحبيب في محل الاستقامة وشوقه إلى مشاهدة ربه إذ لم يمل إلى شيء دونه وإن كان محل الشرف والفضل وفي «كشف الأسرار» موسى عليه السلام چون ديدار خواست كه ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] اورا بصمصام غيرت لن تراني جواب دادند پس چون تاوان زده آن سؤال كشت بغرامت تبت اليك واديد آمد باز چون نوبت بمصطفى عليه السلام رسيد ديده ويرا توتياى غيرت ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ﴾ [الحجر: ٨٨] در كشيدند كفتند اى محمد ديده كه بآن ديده مارا خواهى ديكر نكر تابعاريت بكس ندهى مهتر عصابه عزت ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ برديده خود بست بزبان حال كفت:

بربندم چشم خویش ونکشایم نیز — تاروز زیارت توای یار عزیز

تالا جرم چون حاضر حضرت كشت جمال وجلال ذو الجمال والجلال برديده او كشف كردند كه ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ :

همه تنم ذكر كردد چون بانو راز كنم — همه كمال توبينم چو ديده باز كنم
ان تذكرته فكلي قلوب — أو تأملته فكلي عيون

وكفته اند موسى عليه السلام چون از حضرت مناجات باز كشت باوى نور هيبت بود وعظمت لا جرم هركه دروى ناديست تابينا كشت باز مصطفى عليه السلام چون از حضرت مشاهدات باز كشت باوى نوارنس بود تاهركه بروى نكريد بينايي او بيفزود آن مقام أهل تكوين است واين مقام ارباب تمكين.

﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ أي: وبالله لقد رأى محمد عليه السلام ليلة المعراج الآيات التي هي كبراها وعظماها فأرى من عجائب الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة فقوله: ﴿من آيات ربه﴾ حال قدمت على ذيها وكلمة من للبيان لأنه المناسب لمرام المقام وهو التعظيم والمبالغة ولذا لم تحمل على التبعيض على أن يكون هو المفعول ويجوز أن يكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف أي: شيئاً عظيماً من آيات ربه وأن يكون من مزيدة يعني على مذهب الأخفش وكان الإسراء ليلة السابع والعشرين من رجب على ما عليه الأكثر في السنة الثانية عشرة من النبوة قبل الهجرة بقليل كما في «تفسير المناسبات» وفيه إشكال فإن هذه السورة نزلت في السنة الخامسة من النبوة على ما مر في أول السورة قال المفسرون: رأى عليه السلام أي: أبصر تلك الليلة رفرفاً أخضر سد أفق السماء فجلس عليه وجاوز سدرة المنتهى والرفرف البساط وهو صورة همته البسيطة العريضة المحيطة بالآفاق مطلقاً لأنه عليه السلام في سفر العالم البسيط ولا يصل إليه إلا من له علو الهمة مثله وقد قال حسان رضي الله عنه في نعته عليه السلام:

له هـمـم لا مـنـتـهـى لـكـبـارهـا وهمته الصغرى أجل من الدهر

ورأى تلك الليلة طوائف الملائكة وسدرة المنتهى وجنة المأوى وما في الجنان لأهل الإيمان وما في النيران لأهل الطغيان والظلم والأنوار وما يعجز عنه الأفكار وتحار فيه الأبصار ومن ذلك ما رآه في السماوات من الأنبياء عليهم السلام إشارة بكل نبي إلى أمر دقيق جليل وحالة شريفة قال الإمام أبو القاسم السهيلي رحمه الله في «الروض الأنف»: والذي أقول في هذا إن مأخذ فهمه من علم التعبير فإنه من علم النبوة وأهل التعبير يقولون: من رأى نبياً بعينه في المنام فإن رؤياه تؤذن بما يشبه من حال ذلك النبي في شدة أو رخاء أو غير ذلك من الأمور التي أخبر بها عن الأنبياء في القرآن والحديث مثلاً من رأى آدم عليه السلام في مكان على حسنه وجماله وكان للولاية أهلاً ملك ملكاً عظيماً لقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ومن رأى نوحاً عليه السلام فإنه يعيش عيشاً طويلاً ويصيبه شدة وأذى من الناس ثم يظفر بهم ومن رأى إبراهيم عليه السلام فإنه لا يعق أباه ويرزق الحج وينصر على أعدائه ويناله هول وشدة من ملك جائر ثم ينصر ومن رأى يوسف عليه السلام فإنه يكذب عليه ويظلم وينال شدة ويحبس ثم يملك ملكاً ويظفر ومن رأى موسى وهارون عليهما السلام فإن الله يهلك على يده جباراً عنيداً ومن رأى سليمان عليه السلام فإنه يلي القضاء أو الملك أو يرزق الفقه ومن رأى عيسى عليه السلام فإنه يكون رجلاً مباركاً نفاعاً كثير الخير كثير السفر في رضى الله ومن رأى نبينا ﷺ وليس في رؤياه مكروه لم يزل خفيف الحال وإن رآه في أرض جدب أخصبت أو في أرض قوم مظلومين نصروا ومن رآه عليه السلام فإن كان مغموماً ذهب غمه وإن كان مديوناً قضى الله دينه وإن كان مغلوباً نصر وإن كان محبوساً أطلق وإن كان عبداً أعتق وإن كان غائباً رجع إلى أهله سالماً وإن كان معسراً أغناه الله وإن كان مريضاً شفاه الله تعالى وحديث الإسراء كان بمكة ومكة حرم الله وأمنه وقطانها جيران الله لأن فيها بيته فأول من رآه عليه السلام من الأنبياء كان آدم عليه السلام الذي كان في أمن الله وجواره فأخرجه إبليس عدوه منها وهذه القصة تشبهها الحالة الأولى من أحوال النبي عليه السلام حين أخرجه أعداؤه من حرم الله وجوار بيته وكربه ذلك وغمه فأشبهت قصته في هذا قصة آدم مع أن آدم تعرض عليه أرواح

ذريته البر والفاجر منهم فكان في السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لأن أرواح أهل الشقاء لا تلج في السماء ولا تفتح لهم أبوابها ثم رأى في الثانية عيسى ويحيى عليهما السلام وهما الممتحنان باليهود أما عيسى عليه السلام فكذبته اليهود وآذته وهموا بقتله فرفعه الله وأما يحيى عليه السلام فقتلوه ورسول الله عليه السلام بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان وكانت محنته فيها باليهود آذوه وظاهروا عليه وهموا بإلقاء الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله كما نجى عيسى منهم ثم سموه في الشاة فلم تزل تلك الأكلة تعاوده حتى قطعت أبهره كما قال عند الموت. وفي «المثنوي»:

چون سفيها نراست اين كار وكيا لازم آمد يقتلون الأنبيا

ومما يؤثر عن سعيد ابن المسيب رحمه الله الدنيا بذلة تميل إلى الإبذال ومن استغنى بالله افتقر إليه الناس وأما لقاؤه ليوسف عليه السلام في السماء الثالثة فإنه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حالة يوسف عليه السلام وذلك أن يوسف ظفر بإخوته بعدما أخرجوه من بين ظهرانيهم فصفح عنهم وقال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢] الآية وكذلك نبينا عليه السلام أسر يوم بدر جملة من أقاربه الذين أخرجوه فيهم عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من أطلق ومنهم من فداه ثم ظهر عليهم بعد ذلك عام الفتح فجمعهم فقال لهم: «أقول ما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم» ثم لقاؤه لإدريس عليه السلام في السماء الرابعة وهو المكان الذي سماه الله مكاناً علياً وإدريس أول من آتاه الله الخط بالقلم فكان ذلك مؤذناً بحالة رابعة وهو علو شأنه عليه السلام حتى أخاف الملوك وكتب إليهم يدعوهم إلى طاعته حتى قال أبو سفيان وهو عند ملك الروم حين جاءه كتاب النبي عليه السلام ورأى ما رأى من خوف هرقل كسبحل وزبرج لقد أمر أمر ابن أبي كبشة حين أصبح يخافه ملك ابن أبي الأصفر وكتب عليه بالقلم إلى جميع ملوك الأرض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشي بالتخفيف وملك عمان ومنهم من هادنه وأهدى إليه وأتحفه كهرقل والمقوقس سلطان مصر ومنهم من تعصى عليه فأظفره الله به فهذا مقام علي وخط بالقلم جلي نحو ما أوتي إدريس ولقاؤه في السماء السادسة لموسى عليه السلام يؤذن بحالة تشبه حالة موسى حين أمر بغزوة الشام وظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها وأدخل بني إسرائيل البلد الذي خرجوا منه بعد إهلاك عدوهم وكذلك غزا رسول الله عليه السلام تبوك من أرض الشام وظهر على صاحب دومة الجندل حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به أسيراً وافتتح مكة وأدخل أصحابه البلد الذي خرجوا منه ثم لقاؤه في السماء السابعة لإبراهيم عليه السلام لحكمتين إحداهما أنه رآه عند البيت المعمور مسنداً ظهره إليه والبيت المعمور حيال الكعبة أي: بإزائها ومقابلتها وإليه تحج الملائكة كما أن إبراهيم هو الذي بنى الكعبة وأذن في الناس بالحج إليها والحكمة الثانية أن آخر أحوال النبي عليه السلام حجه إلى البيت الحرام وحج معه ذلك العام نحو من سبعين ألفاً من المسلمين ورؤية إبراهيم عليه السلام عند أهل التأويل تؤذن بالحج لأنه الداعي إليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة.

قال الإمام: إن هذه الآية تدل على أن محمداً عليه السلام لم ير الله ليلة المعراج وإنما رأى آيات الله وفيه خلاف ووجه الدلالة أنه ختم قصة المعراج هٰهنا برؤية الآيات وقال في موضع آخر: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] إلى أن قال: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١] ولو كان رآه لكان ذلك أعظم ما يمكن من الكرامة فكان حقه أن يختم به قصة المعراج انتهى.

يقول الفقير: رؤية الآيات مشتملة على رؤية الله تعالى كما قال الشيخ الكبير رضي الله عنه في الفكوك إنما تتعذر الرؤية والإدراك باعتبار تجرد الذات عن المظاهر والنسب والإضافات فأما في المظاهر ومن وراء حجابية المراتب فالإدراك ممكن كما قيل:

كالشمس تمنعك اجتلاءك وجهها فإذا اكتست برقيق غيم أمكنا

انتهى.

وأما اشتمال إراءة الآيات على إراءة الله تعالى فلما كانت تلك الآيات الملكوتية فوق الآيات الملكية أشهده تعالى في تلك المشاهد ليكمل له الرؤية في جميع المراتب والمشاهد ومن المحال أن يدعو كريم كريماً إلى داره ويضيف حبيب حبيباً في قصره ثم يتستر عنه ولا يريه وجهه.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن لله تعالى آيات كبرى وصغرى أما الآيات الكبرى فهي الصفات القديمة الأزلية المسماة عند القوم بالأئمة السبعة كالحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام والآيات الصغرى هي الأسماء الإلهية التي قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وإنما سميت الأولى بالكبرى والثانية بالصغرى لأن الصفات مصادر الأسماء مراجعها كما أن الحي يرجع في الوجود إلى الحياة والعليم إلى العلم والقادر إلى القدرة ولأن الأسماء مظاهر الصفات كما أن الحي يرجع في الوجود إلى الأفعال والأفعال مظاهر الأسماء والآثار مظاهر الأفعال وأما التخصيص بالكبرى دون الصغرى وإن كانت من آيات الله كما قال تعالى ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] لأن شهود الآيات الكبرى يستلزم شهود الآيات الصغرى لأن الله تعالى إذا تجلى لعبده بصفة الحياة والعلم والقدرة لا بد للعبد أن يصير حياً بحياته عليماً بعلمه قديراً بقدرته تلخيص المعنى أن النبي ﷺ لما عرج به إلى سماء الجمعية الوحدانية وأدرج في نور الفردانية تجلى الحق سبحانه أولاً بصورة هذه الصفات الكبرى التي هي مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو بحيث صارت حياته مادة حياة العالم كله علوية وسفلية روحانية وجسمانية معدنية ونباتية وحيوانية وإنسانية كما قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقال: لولاك لما خلقت الأفلاك وقال عليه السلام: «أنا من الله والمؤمنون مني» وكذا صار علمه محيطاً بجميع المعلومات الغيبية الملكوتية كما جاء في حديث اختصام الملائكة أنه قال: فوضع كفه على كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت علم الأولين والآخرين وفي رواية علم ما كان وما سيكون وكذا قدرته كسر بها أعناق الجبابرة وضرب بالسيف رقاب الأكاسرة وخرب حيطانهم وحصونهم فما بقين ولا بقوا وببركة هذا التجلي الجمعي الكلي الإحاطي صار آدم بتبعيته وخلافته خليفة العالم كما أخبر في كتابه العزيز ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وأسجد الله الملائكة لتلألؤ نوره الوحداني في وجه آدم هذا تحقيق قوله: ﴿**لقد رأى من آيات ربه الكبرى**﴾ اللام جواب القسم ومن مزيدة انتهى.

وقال البقلي رحمه الله: أراه سبحانه من آياته العظام ما لا يقوم برؤيتها أحد سواه أي: المصطفى عليه السلام وذلك بأن ألبسه قوة الجبارية الملكوتية كما قال: ﴿**لقد رأى من آيات ربه الكبرى**﴾ وذلك ببروز أنوار الصفات في الآيات وتلك الآيات لو رآها أحد لاستغرق في رؤيتها فكان من كمال استغراقه في بحر الذات والصفات لم يكبر عليه رؤية الآيات قال ابن

عطاء: رأى الآيات فلم تكبر في عينه لكبر همته وعلو محله ولاتصاله بالكبير المتعال قال جعفر: شاهد من علامات المحبة ما كبر عن الإخبار عنها.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾

﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ هي أصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف أصله لوية فأسكنت الياء وحذفت لالتقاء الساكنين فبقيت لوة فقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت لاة فهي فعلة من لوى لأنهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وكانت على صورة آدمي.

قال سعدي المفتي: فإن قلت هذا يختص بقراءة الكسائي فإنه يقف على اللاة بالهاء وأما الباقون فيقفون عليها بالتاء فلا يجوز أن تكون من تلك المادة قلت: لا نسلم ذلك فإنهم إنما يقفون بهاء مراعاة لصورة الكتابة لا غير انتهى والعزى تأنيث الأعز كانت لغطفان وهي سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها وهو يقول: «يا عزى كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك فخرجت من أصلها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهي تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فأخبر رسول الله عليه السلام فقال: تلك لن تعبد أبداً» وفي «القاموس»: العزى صنم أو سمرة عبدتها غطفان أول من اتخذها ظالم بن أسعد فوق ذات عرق إلى البستان بتسعة أميال بنى عليها بيتاً وسماه بساً وكانوا يسمعون فيها الصوت فبعث إليها رسول الله خالد بن الوليد فهدم البيت وأحرق السمرة انتهى ومناة صخرة لهذيل وخزاعة سميت مناة لأن دماء المناسك تمنى عندها أي: تراق ومنه منى وفي «إنسان العيون» مناة صنم كان للأوس والخزرج أرسل رسول الله عليه السلام سعد بن زيد الأشهلي رضي الله عنه في عشرين فارساً إلى مناة ليهدم محلها فلما وصلوا إلى ذلك الصنم قال السادن لسعد؟ ما تريد؟ قال: هدم مناة قال: أنت وذاك فأقبل سعد إلى ذلك الصنم فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل تضرب صدرها فقال لها السادن: مناة دونك بعض عصاتك فضربها سعد فقتلها وهدم محلها انتهى. ووصف مناة بالثالثة تأكيداً لأنها لما عطفت عليهما علم أنها ثالثتهما والأخرى صفة ذم لها وهي المتأخرة الوضيعة المقدار أي: مناة الحقيرة الذليلة لأن الأخرى تستعمل في الضعفاء كقوله تعالى: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٨] أي: ضعفاؤهم لرؤسائهم قال ابن الشيخ: الأخرى تأنيث الآخر بفتح الخاء وهو في الأصل من التأخر في الوجود نقل في الاستعمال إلى المغايرة مع الاشتراك مع موصوفه فيما أثبت له ولا يصح حمل الأخرى في الآية على هذا المعنى العرفي إذ لا مشاركة لمناة في كونها مناة ثالثة حتى توصف بالأخرى احترازاً عنها فلذلك حمل على المعنى المذكور انتهى وقد جوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى فتكون مناة من التأخر الرتبي يعني أن العزى شجرة وهي لكونها من أقسام النبات أشرف من مناة التي هي صخرة وجماد فهي متأخرة عنها رتبة ويقال إن المشركين أرادوا أن يجعلوا لآلهتهم من الأسماء الحسنى فأرادوا أن يسموا واحداً منها الله فجرى على ألسنتهم اللات وأرادوا أن يسموا واحداً منها العزيز فجرى على ألسنتهم العزى وأرادوا أن يسموا واحداً منها المنان فجرى على ألسنتهم المناة.

وقال الراغب: أصل اللات اللاه فحذفوا منها الهاء وأدخلوا التاء فيه فأنثوه تنبيهاً على

قصوره عن الله وجعلوه مختصاً بما يتقرب به إلى الله في زعمهم وقال السهيلي: أصل هذا الاسم أي: اللات لرجل كان يلت السويق للحجاج بسمن وأقط إذا قدموا وكانت العرب تعظم ذلك الرجل بإطعامه في كل موسم فلما مات اتخذ مقعده الذي كان يلت فيه السويق منسكاً ثم سنح الأمر بهم إلا أن عبدوا تلك الصخرة التي كان يقعد عليها ومثلوها صنماً وسموها اللات أعني ملت السويق ذكر ذلك كثير ممن ألف في الاخبار والتفسير انتهى وهذا على قراءة من يشدد اللات أي: التاء منه وقد قرأ به أي: بالتشديد ابن عباس وعكرمة وجماعة كما في «القاموس» ثم إنهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون: إن الملائكة وتلك الأصنام بنات الله فقيل لهم توبيخاً وتبكيتاً: أفرأيتم والهمزة للإنكار والفاء لتوجيهه إلى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤون الله المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية ومفعولها الثاني محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى أعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته وأحكام قدرته ونفاذ أمره في الملأ الأعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الأصنام مع غاية حقارتها بنات له تعالى قال بعضهم: كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله وهذه الأصنام استوطنها جنيات هي بناته تعالى أو هذه الأصنام هياكل الملائكة التي هن بناته تعالى.

وفي «التأويلات النجمية» يخاطب عبدة الأصنام صنم لات النفس وصنم عزى الهوى ومناة الدنيا الدنية الخسيسة الحقيرة الواقعة في أدنى المراتب لخسة وضعها ودناءة قدرها ويستفهم منهم إنكاراً لهم ورداً عليهم أخبروني عن حال آلهتكم التي اتخذتموها معبودات وتمكنتم على عبوديتها هل وجدتم فيها صفة من صفات الإلهية من الإيجاد والإعدام والنفع والضر وأمثالها لا والله بل اتخذتموها آلهة لغاية ظلوميتكم على أنفسكم ونهاية جهوليتكم بالإله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد.

قال المغربي رحمه الله:

بود وجود مغربي لات ومنات أوبود   نيست بتى چو بود او درهمه سو منات تو

﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾ توبيخ مبني على التوبيخ الأول والمعنى بالفارسية آيا شمارا فرزندان نرباشند ومرخدايرا ماده.

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿تلك﴾ إشارة إلى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية ﴿إذاً﴾ آنهنكام كه چنين باشد ﴿قسمة ضيزى﴾ أي: جائرة معوجة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور يعني أن أصله ضيزى بضم الضاد من ضاز في الحكم يضيز ضيزاً أي: جار وضازه حقه يضيزه أي: بخسه ونقصه لكن كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في البيض فإن أصله بيض بضم الباء لأنه جمع أبيض كحمر في جمع أحمر وذلك لأن فعلى بالكسر لم يأت في الوصف وفيه إشارة إلى استنكار شركهم وتخصيصهم الشرك ببعض الظاهر دون بعض يعني أتخصصون ذكر الروح لكم وإن كان ميتاً باستيلاء ظلمة نفوسكم الظلمانية عليه وتجعلون أنثى

النفس في عبوديتها واتباع مراداتها وانقياد أوامرها ونواهيها شركاً له تعالى الله عما يقول الظالمون الذين وضعوا الجور موضع العدل وبالعكس ما هذا إلا قسمة الجور والجائر لا قسمة العدل والعادل.

﴿إن هي﴾ الضمير للأصنام أي: ما الأصنام باعتبار الألوهية التي تدعونها أي: باعتبار إطلاق اسم الإله ﴿إلا أسماء﴾ أي: أسماء محضة ليس تحتها مسميات أي: ما تنبىء هي عنه من معنى الألوهية شيء ما أصلاً كما إذا أردت أن تحقر من هو ملقب بما يشعر بالمدح وفخامة الشان تقول ما هو إلا اسم. قال المولى الجامي:

مرد جاهل جاه كيتى را لقب دولت نهد همچنان آماس بيند طفل كويد فربهست

وقال في ذم أبناء الزمان:

شكل ايشان شكل إنسان فعل شان فعل سباع هم ذئاب في ثياب أو ثياب في ذئاب

ويجوز الحمل على الادعاء ﴿سميتموها﴾ صفة لأسماء وضميرها لها لا للأصنام والمعنى جعلتموها أسماء لا جعلتم لها أسماء فإن التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فإذا قيست إلى الاسم فمعناها جعله اسماً للمسمى وإذا قيست إلى المسمى فمعناها جعله مسمى للاسم وإنما اختير هٰهنا المعنى الأول من غير تعرض للمسمى لتحقيق أن تلك الأصنام التي يسمونها آلهة أسماء مجردة ليس لها مسميات قطعاً كما في قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ [يوسف: ٤٠] لأن هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية أي: ما هي إلا أسماء خالية من المسميات وضعتموها ﴿أنتم وآباؤكم﴾ بمقتضى أهوائكم الباطلة ﴿ما أنزل الله بها﴾ أي: بصحة تسميتها ﴿من سلطان﴾ برهان تتعلقون به جميع القرآن أنزل بالألف إلا في الأعراف فإنه نزل بالتشديد ﴿إن يتبعون﴾ التفات إلى الغيبة للإيذان بأن تعداد قبائحهم اقتضى الإعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها ﴿إلا الظن﴾ إلا توهم أن ما هم عليه حق توهماً باطلاً ﴿وما تهوى الأنفس﴾ أي: تشتهيه أنفسهم الأمارة بالسوء فما موصولة ويجوز كونها مصدرية والألف واللام بدل الإضافة وهو معطوف على الظن.

وفي «التأويلات النجمية»: يقول ليست هذه الأصنام التي تعبدونها بضلالة نفوسكم الدنية الشهوانية وجهالة عقولكم السخيفة الهيولانية إلا أسماء صور وهمية لا مسميات لها أوجدتها أوهامكم الضعيفة وأدركتها عقولكم المريضة المشوبة بالوهم والخيال التي هي بمرتبة آبائكم ليس لها عند أصحاب الطلب وأرباب الكشف والقرب وجود ولا نمو بل هي خشب مسندة ما جعل الله في تلك الأصنام النفسية والهوائية والدنيوية ولا ركب فيها التصرف في الأشياء في الإيجاد والإعدام والقهر واللطف والنفع والضر والأشياء علويها وسفليها جمادها ونباتها حيوانها وإنسانها كلها مظاهر الأسماء الإلهية ومجالي الصفات الربانية الجمالية والجلالية أي: اللطيفة والقهرية تجلى الحق في الكل بحسب الكل لا بحسبه إلا الإنسان الكامل فإنه تجلى فيه بحسب الكلية المجموعية وصار خليفة الله في الأرض وأنتم أيها الجهلة الظلمة ما تتبعون تلك الصفات الإلهية وما تشهدون في الأشياء تلك الحقائق الروحانية والأسرار الربانية المودعة في كل حجر ومدر بل أعرضتم باتباع الشهوات الحيوانية وملازمة الجسمانية الظلمانية عن إدراك تلك اللطائف الروحانية وشهود تلك العواطف الرحمانية واتبعتم مظنونات ظنكم الفاسد وموهومات وهمكم الكاسد وآثرتم هوى النفس المشؤومة على رضى الحق وذلك هو الخسران المبين وإن

الظن لا يغني من الحق شيئاً انتهى.

وقال الجنيد قدس سره: رأيت سبعين عارفاً قد هلكوا بالتوهم أي: توهموا أنهم عرفوه تعالى فالكل معزولون عن إدراك حقيقة الحق وما أدركوه فهو اقدارهم وجل قدر الحق عن إدراكهم قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] ولذلك اجترأ الواسطي رحمه الله في حق سلطان العارفين أبي يزيد البسطامي قدس سره بقوله: كلهم ماتوا على التوهم حتى أبو يزيد مات على التوهم وقال البقلي: يا عاقل احذر مما يغوي أهل الغرة بالله من الأشكال والمخاييل التي تبدو في غواشي أدمغتهم وهم يحسبون أنها مكاشفات الغيوب ونوادر القلوب ويدعون أنها عالم الملكوت وأنوار الجبروت وما يتبعون إلا أهواء نفوسهم ومخاييل شياطينهم التي تصور عندهم أشكالاً وتمثالاً ويزينون لهم أنها الحق والحق منزه عن الأشكال والتمثال إياك يا صاحبي وصحبة الجاهلين الحمقى الذين يدعون في زماننا مشاهدة الله ومشاهدة الله حق للأولياء وليست بمكشوفة للأعداء ﴿**ولقد جاءهم من ربهم الهدى**﴾ حال من فاعل يتبعون أو اعتراض وأياً ما كان ففيه تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فإن اتباعهما من أي شخص كان قبيح وممن هداه الله بإرسال الرسول وإنزال الكتاب أقبح فالهدى القرآن والرسول ولم يهتدوا بهما وفيه إشارة إلى إفساد استعدادهم الفطري الغير المجعول بواسطة تلبسهم بملابس الصفات الحيوانية العنصرية وانهماكهم في الغواشي الظلمانية الطبيعية فإنهم مع أن جاءهم من ربهم أسباب الهدى وموجباته وهو النبي عليه السلام والقرآن وسائر المعجزات الظاهرة والخوارق الباهرة الدالة على صدق نبوته وصحة رسالته اشتغلوا بمتابعة النفس وموافقة الهوى وأعرضوا عن التوجه إلى الولي والمولى وذلك لأن هداهم ما جاءهم إلا في يوم الدنيا لا في يوم الأزل ومن لم يجعل الله له نوراً في يوم الأزل فما له من نور إلى يوم الأبد.

واعلم أن الهدى ضد الهوى فلا بد من المتابعة للهدى قال بعض الكبار: ليس لولي كرامة إلا بحكم الإرث لمن ورثه من الأنبياء عليهم السلام ولذلك لم يقدر من هو وارث عيسى عليه السلام أن يمشي في الهواء والماء ومن هو وارث لمحمد عليه السلام له المشي على الهواء والماء لعموم مقامه وفي الحديث: «لو ازداد عيسى يقيناً لمشى في الهواء» أي: بموجب قوة يقينية لا بموجب صدق اتباعي ولا نشك أن عيسى عليه السلام أقوى يقيناً من سائر الأولياء الذين يمشون في الهواء بما لا يتقارب فإنه من أولي العزم من الرسل فعلمنا قطعاً أن مشي الولي منا في الهواء إنما هو بحكم صدق التبعية لا بزيادة اليقين على يقين عيسى عليه السلام وعيسى أصدق في تبعيته لمحمد عليه السلام من جميع الأولياء فله القدرة بذلك على المشي على الهواء وإن ترك ذلك من نفسه وبالجملة فلا يمشي في الهواء إلا من ترك الهوى:

هوى وهوس را نماند ستيز چو بيند سر پنچه عقل تيز

﴿**أم للإنسان ما تمنى**﴾ أم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان أن ما هم عليه غير مستند إلا إلى توهمهم وهوى نفسهم إلى بيان أن ذلك مما لا يجدي نفعاً أصلاً والهمزة للإنكار والنفي والتمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون عن رؤية وبناء على أصل لكن لما كان أكثره عن تخمين صار الكذب له أملك فأكثر التمني تصوير ما لا حقيقة له والمعنى ليس للإنسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الأمور التي

من جملتها أطماعهم الفارغة في شفاعة الآلهة ونظائرها التي لا تكاد تدخل تحت الوجود:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وقال الكاشفي: آياهست مر انسان را يعني كافررا آنچه آرزو برداز شفاعت بتان يا آنكه كويد چرا نبوت بفلان وفلان ندادند. وقيل: أم للإنسان ما اشتهى من طول الحياة وأن لا بعث ولا حشر وفي الآية إشارة إلى أن للإنسان استعداد الكمال وهو الفناء عن أنانيته والبقاء بهوية الله تعالى لكن بسبب اشتغاله باللذات الجسمانية والروحانية يحصل له في بعض الأوقات آفات العلائق الجسمانية وفترات العوائق الروحانية فيحرم من بلوغ مطلوبه ولا يتهيأ له كل ما تمناه إذ كل ميسر لما خلق له فمن خلق مظهر اللطف بيده اليمنى لا يقدر أن يجعل نفسه مظهر القهر ومن خلق مظهر القهر بيده اليسرى لا يمكن أن يجعل نفسه مظهر اللطف:

توان پاك كردن زژنك آينه وليكن نيايد زسنك آينه

وإنما تمنى لما ليس له مخلوقية على صورة من جمع الضدين بقوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] أي: هو الأول في عين آخريته والظاهر في عين باطنيته وسئل الخراز قدس سره: بم عرفت الله؟ قال: بالجمع بين الضدين لأن الحقيقة متوحدة والتعين والظهور متعدد وتنافي التعينات لا يقدح في وحدة الهوية المطلقة كما أن تنافي الزوجية والفردية لا يقدح في العدد وتضاد السواد والبياض لا يقدح في اللون المطلق قال الحسين رحمه الله: الاختيار طلب الربوبية والتمني الخروج من العبودية وسبب عقوبة الله عباده ظفرهم بمنيتهم **﴿فلله الآخرة والأولى﴾** تعليل لانتفاء أن يكون للإنسان ما يتمناه حتماً فإن اختصاص أمور الآخرة والأولى جميعاً به تعالى مقتض لانتفاء أن يكون له أمر من الأمور.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى قهرمانية الحق تعالى على العالم كله ملكه وملكوته الأخروي والدنيوي يعني لا يملك الإنسان شيئاً حتى يتمكن من تحصيل ما تتمناه نفسه بل ملك الآخرة تحت تصرف يده اليمنى المقتضية لموجبات حصول الآخرة من الأعمال الصالحة والأفعال الحسنة يهبه بالاسم الواهب لمن يشاء أن يكون مظهر لطفه وجماله وملك الدنيا تحت تصرف يده اليسرى المستدعية لأسباب حصول الدنيا من حب الدنيا الدنية المنتجة للخطيئة ومتابعة النفس الخبيثة وموافقة الطبيعة اللئيمة يجعله باسمه المقسط لمن يشاء أن يكون مظهر صفة قهره وجلاله ولا ذلك يزيد في ملكه ولا هذا ينقص من ملكه وكلتا يدي الرحمن ملأى سحاء **﴿وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً﴾** إقناط لهم مما علقوا به أطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لإقناطهم عن شفاعة الأصنام بطريق الأولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هي الجملة المنفية وجمع الضمير في شفاعتهم مع إفراد الملك باعتبار المعنى أي: وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم عند الله شيئاً من الإغناء في وقت من الأوقات أي: لا تنفع شيئاً من النفع وهو القليل منه أو شيئاً أي: أحداً وليس المعنى أنهم يشفعون فلا تنفع شفاعتهم بل معناه أنهم لا يشفعون لأنه لا يؤذن لهم كما قال تعالى: **﴿إلا من بعد أن يأذن الله﴾** لهم في الشفاعة **﴿لمن يشاء﴾** أن يشفعون له **﴿ويرضى﴾** ويراه أهلاً للشفاعة من أهل التوحيد والإيمان وأما من عداهم من أهل الكفر والطغيان فهم من إذن الله بمعزل من الشفاعة بألف منزل فإذا كان حال الملائكة في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الأصنام وفي الآية إشارة إلى أن ملك الروح يشفع في حق

النفس الأمارة بالسوء رجاء الانسلاخ عن أوصافها الذميمة والترقي إلى مقام الفناء والبقاء ولكن لا تنفع شفاعته في حقها لعلمه القديم الأزلي بعدم استعدادها للترقي من مقامها اللهم إلا أن تقبل شفاعته في حق نفس رقيق الحجاب مستعد لقبول الفيض الإلهي لصفاء فطرته الأولى وبقاء قابليته الكبرى للترقي في المقامات العلية بالخروج من موافقة الطبع ومخالفة الشرع والدخول في موافقة الشريعة ومخالفة الطبيعة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾.

﴿**إن الذين لا يؤمنون بالآخرة**﴾ وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي ﴿**ليسمون الملائكة**﴾ المنزهين عن سمات النقصان على الإطلاق أي: كل يسمون كل واحد منهم ﴿**تسمية الأنثى**﴾ منصوب على أنه صفة مصدر محذوف أي: تسمية مثل تسمية الأنثى فإن قولهم الملائكة بنات الله قول منهم بأن كلاً منهم بنته سبحانه وهي التسمية بالأنثى فاللام في الملائكة للتعريف الاستغراقي وفي تعليقها بعدم الإيمان بالآخرة إشعار بأنها في الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة في الآخرة بحيث لا يجتري عليها إلا من لا يؤمن بها رأساً قال ابن الشيخ فإن قيل كيف يصح أن يقال إنهم لا يؤمنون بالآخرة مع أنهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكان من عادتهم أن يربطوا مركوب الميت على قبره ويعتقدون أنه يحشر عليه أجيب بأنهم ما كانوا يجزمون به بل كانوا يقولون: لا نحشر فإن كان فلنا شفعاء بدليل ما حكى الله عنهم ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠] وأيضاً ما كانوا يعترفون بالآخرة على وجه الذي ورد به الرسل فهم لا يؤمنون بها على وجهها.

واعلم أن الملائكة ليسوا بذكور ولا إناث وفي الحديث: «جبرائيل أتاني في أول ما أوحي إلى فعلمني الوضوء والصلاة فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من الماء فنضح بها فرجه» أي: رش بها فرجه أي: محل الفرج من الإنسان بناء على أنه لا فرج له وكون الملك لا فرج له لو تصور بصورة الإنسان دليل على أنه ليس ذكراً ولا أنثى وفيه نظر لأنه يجوز أن يكون له آلة ليست كآلة الذكر وكآلة الأنثى كما قيل بذلك في الخنثى ويقال لذلك فرج وبعضهم حمل الفرج على ما يقابل الفرج من الإزار.

﴿**وما لهم به من علم**﴾ حال من فاعل يسمون أي: يسمونهم والحال أنه لا علم لهم بما يقولون أصلاً ﴿**إن يتبعون**﴾ أي: ما يتبعون في ذلك ليس بتكرار لأن الأول متصل بعبادتهم اللات والعزى ومناة والثاني بعبادتهم الملائكة ﴿**إلا الظن**﴾ الفاسد ﴿**وإن الظن**﴾ أي: جنس الظن كما يلوح به الإظهار في موقع الإضمار ﴿**لا يغني من الحق شيئاً**﴾ من الإغناء فإن الحق الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء لا يدرك إدراكاً معتبراً إلا بالعلم والظن لا اعتداد به في شأن المعارف الحقية وإنما يعتد به في العمليات وما يؤدي إليها كمسائل علم أصول الفقه وفيه ذم للظن ودلالة على عدم إيمان المقلد وقيل: الحق بمعنى العلم أي: لا يقوم الظن مقام العلم وقيل الحق بمعنى العذاب أي: إن ظنهم لا ينقذهم من العذاب وحقيقة هذه الآية العزيزة تحريض السالكين والطالبين على السعي والاجتهاد في السير إلى الله بقطع المنازل السفلية وتصحيح المقامات العلوية إلى أن يصلوا إلى عين الجمع ويغرقوا في بحر التوحيد ويشهدوا

الحقائق والمعاني المجردة بنور الوحدة الحقيقة الذاتية الدافعة ظلمة الكثرة النسبية لأسماء الله تعالى ثم إن الافراد يتفاوتون في حضرة الشهود مع كونهم على بساط الحق الذي لا نقص فيه لأنهم إنما يشهدون في حقائقهم ولو شهدوا عين الذات لتساووا في الفضيلة.

قال بعض الكبار: أصحاب الكشف الخيالي غلطهم أكثر من إصابتهم لأن الخيال واسع والذي يظهر فيه يحتمل «التأويلات المختلفة» فلا يقع القطع بما يحصل منه إلا بعلم آخر وراء ذلك وإنما كان الخيال بهذا الحكم لكونه ليست له حقيقة ونفسه بل هو أمر برزخي بين حقيقتين وهما المعاني المجردة والمحسوسات فلهذا يقع الغلط في الخيال لكونه ليست له حقيقة في نفسه وانظر إلى إشارته عليه السلام في الكشف الخيالي وكونه يقبل الإصابة والغلط لما أتاه جبرائيل بصورة عائشة رضي الله عنها في سرقة من حرير وقال له: هذه زوجتك فقال عليه السلام: إن يكن من عند الله يمضه بخلاف ما لو أتاه ذلك بطريق الوحي المعهود المحسوس له أو بطريق المعاني المجردة الموجبة لليقين وللعلم فإنه إذا لا يمكنه الجواب بمثل ذلك الجواب الذي يشعر بالتردد المحتمل الذي يقتضيه حضرة الخيال بحقيقتها:

سيراب كن زبحر يقين جان تشنه را زين بيش خشك لب منشين برسراب ريب

﴿فأعرض عمن تولى عن ذكرنا﴾ أي فأعرض يا محمد عن دعوة من أعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني ولم يؤمن به وهو القرآن المنطوي على علوم الأولين والآخرين المذكر لأمور الآخرة ولا تتهالك على إسلامه أو عن ذكرنا كما ينبغي فإن ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الأمور المرغوب فيها والمهروب عنها ﴿ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾ راضياً بها قاصراً نظره على جمع حطامها وجلب منافعها فالمراد النهي عن دعوته والاعتناء بشأنه فإن من أعرض عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته وقصارى سعيه لا تزيده الدعوة إلى خلافها إلا عناداً وإصراراً على الباطل والنهي عن الدعوة لا يستلزم نهي الآية بآية القتال بل الإعراض عن الجواب والمناظرة شرط لجواز المقاتلة فكيف يكون منسوخاً بها فالمعنى أعرض عنهم ولا تشتغل بإقامة الدليل والبرهان فإنهم لا ينتفعون به وقاتلهم واقطع دابرهم قال بعضهم: ضيع وقته من اشتغل بموعظة طالبي الدنيا والراغبين فيها لأن أحداً لا يقبل على الدنيا إلا بعد الإعراض عن الله:

باسيه دل چه سود كفتن وعظ نرود ميخ آهنين درسنك

قال ابن الشيخ: اعلم أن النبي عليه السلام كالطبيب للقلوب فأمره الله تعالى في معالجة القلوب بما عليه الأطباء في معالجة المرضى فإن المرض إذا أمكن علاجه بالغذاء لا يستعملون في إزالته الدواء وإذا أمكن إزالته بالدواء الضعيف لا يستعملون الدواء القوي والكي فلذلك أمر عليه السلام بالذكر الذي هو غذاء القلوب حيث قال: قولوا لا إله إلا الله فإن بذكر الله تطمئن القلوب كما أن بالغذاء تطمئن النفوس فانتفع به أبو بكر ومن كان مثله رضي الله عنهم: ومن لم ينتفع بالحمل على الذكر والأمر به ذكر لهم الدليل وقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾ [الروم: ٨] قل: انظروا أفلا ينظرون فلما لم ينتفعوا أتى بالوعيد والتهديد فلما لم ينفعهم قال: أعرض عن المعالجة واقطع الفاسد لئلا يفسد الصالح فقوله: عمن تولى الخ إشارة إلى ما قلنا فإن التولي عن ذكره كناية عن ملزمه الذي هو ترك النظر في دلائل وجوده ووحدته وسائر صفاته وقوله: ولم يرد الخ إشارة

إلى إنكارهم الحشر ومن لم يقل بالحشر والحساب لا يخاف ولا يرجع عما هو عليه ترك النظر في دلائل الله لا يعرفه فلا يتبع رسوله فلا ينفعه كلامه فلا يبقى في الدعاء فائدة فلم يبق إلا ترك المعالجة والمسارعة إلى المقاتلة انتهى كلامه.

ثم اعلم أن كل ما يبعد البعد عن حضرة سيده فهو من الحياة الدنيا فمن قصد بالزهد والورع والتقى والكشف والكرامات وخوارق العادات قبول الناس والشهرة عندهم وحصول الجاه والمال فهو ممن لم يرد إلا الحياة الدنيا فضاع جميع أحواله وكسد جملة أقواله وأفعاله إذ لا ربح له عند الله ولا ثمرة:

زعمرو اى پسر چشم اجرت مدار — چو درخانه زيد باشى بكار

ولا يغترن هذا بحصول بعض الكشوف وإقبال أهل الدنيا عليه فإنه ثمرة عاجلة له وما له في الآخرة من خلاق ألا ترى أن إبليس عبد الله تعالى تسعة آلاف سنة ثم لما كفر وقال: ﴿أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤] أمهله الله تعالى فكانت تلك المهلة ثمرة عاجلة له في حياته الدنيوية.

﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾

﴿**ذلك**﴾ أي: أمر الدنيا وفي «بحر العلوم» أي: إرادة الدنيا وإيثارها على الآخرة وفي «الإرشاد» أي: ما أداهم إلى ما هم فيه من التولي وقصر الإرادة على الحياة الدنيا ﴿**مبلغهم من العلم**﴾ لا يكادون يجاوزونه إلى غيره حتى يجديهم الدعوة و«الإرشاد» كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم: ٧] فمبلغ اسم مكان وجمع الضمير في مبلغهم باعتباره معنى من كما أن إفراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الإدراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لقصر همتهم على الدنيا الدنية التي هي أبغض الخلق إلى الله تعالى بشهادة قوله عليه السلام: «إن الله لم يخلق خلقاً هو أبغض إليه من الدنيا وما نظر إليها منذ خلقها بغضاً لها» رواه أبو هريرة رضي الله عنه ومعنى هوان الدنيا على الله سبحانه أنه تعالى لم يجعلها مقصودة لنفسه بل جعلها طريقاً موصلة إلى ما هو المقصود لنفسه ولذلك قال عليه السلام: «الدنيا قنطرة فاعبروها لا تعمروها» فما ورد من إباحة لعن الدنيا فباعتبار ما كان منها مبعداً عن الله تعالى وشاغلاً عنه كما قال بعض أهل الحقيقة: ما ألهاك عن مولاك فهو دنياك ومشؤوم عليك وأما ما يقرب إلى الله ويعين إلى عبادته فممدوح كما قال عليه السلام: «لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر، إن العبد إذا قال: لعن الله الدنيا قالت الدنيا: لعن الله أعصانا لربه» وفي «المثنوي»:

چيست دنيا از خدا غافل بدن — نى قماش ونقره وميزان وزن
مال را كزبهر دين باشى حمول — نعم مال صالح خواندش رسول
آب در كشتى هلاك كشتى است — آب اندر زير كشتى پشتى است
چونكه مال وملك را ازدل برانند — زان سليمان خويش جر مسكين نخواند

قال بعض الكبار: من ذم الدنيا فقد عق أمه لأن جميع الأنكاد والشرور التي ينسبها الناس إلى الدنيا ليس هو فعلها وإنما هو فعل أولادها لأن الشر فعل المكلف لا فعل الدنيا فهي مطية

العبد عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فهي تحب أن لا يشقى أحد من أولادها لأنها كثيرة الحنو عليهم وتخاف أن تأخذهم الضرة الأخرى على غير أهبة مع كونها ما ولدتهم ولا تعبت في تربيتهم فمن عقوق أولادها كونهم ينسبون جميع أفعال الخير إلى الآخرة ويقولون: أعمال الآخرة والحال أنهم ما عملوا تلك الأعمال إلا في الدنيا فللدنيا أجر المصيبة التي في أولادها ومن أولادها فما أنصف من ذمها بل هو جاهل بحق أمه ومن كان كذلك فهو بحق الآخرة أجهل انتهى.

واعلم أن الإرادة والنية واحد وهو قصد قلبي ينبعث إلى قلب الإنسان بالبعث الإلهي فهذا البعث الإلهي إن كان بالفجور على ما قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٨] فهو من اسم المضل وقبضة الجلال ويد القهر وسادنه هو الشيطان وإن كان بالتقوى فهو من اسم الهادي وقبضة الجمال ويد اللطف وسادنه هو الملك والأول من عالم العدل والثاني من عالم الفضل ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] ثم إن نية الإنسان لا تخلو إما أن يكون متعلقها في لسانه وجنانه هو الدنيا فهو سيىء نية وعملاً وإما أن يكون متعلقها في لسانه هو الآخرة وفي جنانه هو الدنيا فهو أسوء نية وعملاً وإما أن يكون متعلقها في لسانه وجنانه هو الآخرة فهو حسن نية وعملاً وإما أن يكون متعلقها في لسانه وجنانه هو وجه الله فهو أحسن نية وعملاً فالأول حال الكفار والثاني حال المنافقين والثالث حال الأبرار والرابع حال المقربين وقد أشار الحق سبحانه وتعالى إلى أحوال المقربين عبارة وإلى أحوال غيرهم إشارة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف: ٧] والمقربون قد فروا إلى الله من جميع ما في أرض الوجود ولم يلتفتوا إلى شيء سوى وجهه الكريم ولم يريدوا من المولى غير المولى فكانوا أحسن نية وعملاً هذا صراط مستقيم اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين **﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾** تعليل للأمر بالإعراض وتكرير قوله وهو أعلم لزيادة التقرير والإيذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من أصر عليه ولم يرجع إلى الهدى أصلاً وبمن اهتدى من من شأنه الاهتداء في الجملة أي: هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوي عن الضلال أبداً وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غيره فلا تتعب نفسك في دعوتهم فإنه من القبيل الأول وفيه إشارة إلى النفس الكافرة ويهود صفاتها فإنهم لا يقبلون الدعوة لانتفاء استعدادهم لقبولها فمن كان مظهر القهر في الأزل لا يكون مظهر اللطف في الأبد وبالعكس وفي الحديث القدسي: «خلقت الجنة وخلقت لها أهلاً وخلقت النار وخلقت لها أهلاً فطوبى لمن جعلته أهلاً للجنة وويل لمن جعلته أهلاً للنار».

قال بعض الكبار: النفس لا تفعل الشر إلا لجاجة من القرين واللجاج ممن لا قدرة على منعه ومخالفته بمنزلة الإكراه والمكره غير مؤاخذ بالشرع والعقل ولذا قال عليه السلام: «الخير عادة والشر لجاجة» فهو بشارة عظيمة من العالم بالأمور عليه السلام فإنه أخبر أن النفس خيرة بالذات لأن أباها الروح القدسي الطاهر وما تقبل الشر إلا لجاجة من القرين فلم يجعل عليه السلام الشر من ذاتها **﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾** أي: خلقاً وملكاً لا لغيره أصلاً لا استقلالاً ولا اشتراكاً **﴿ليجزي﴾** الخ متعلق بما دل عليه أعلم الخ وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فإن كون الكل مخلوقاً له تعالى مما يقرر علمه تعالى بأحوالهم ألا يعلم من خلق كأنه

قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما ليجزي ﴿الذين أساؤوا﴾ بد كردند ﴿بما عملوا﴾ أي: بعقاب ما عملوا من الضلال الذي عبر عنه بالإساءة بياناً لحاله أو بسبب ما عملوا شبه نتيجة علمه بكل واحد من الفريقين وهي مجازاته على حسب حاله بعلته الغائية فأدخل لام العلة عليها وصح بذلك تعلقها بقوله اعلم:

هين مراقب باش كردل بايدت كزپى هرفعل چيزى زايدت

﴿ويجزي الذين أحسنوا﴾ أي: اهتدوا ﴿بالحسنى﴾ أي: بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة فالحسنى للزيادة المطلقة والباء لتعدية الجزاء أو بسبب أعمالهم الحسنى فالباء للسببية والمقابلة.

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم﴾ صفة للذين أحسنوا أو بدل منه لكن قال سعدي المفتي: لا حسن في جعل الذين الخ مقصوداً بالنسبة وجعل الذين أحسنوا في حكم المتروك ولو كان النظم على العكس لكان لها وجه انتهى.

يقول الفقير: الاجتناب من باب التخلية بالمعجمة وهي أقدم فلذا جعلت مقصودة بالنسبة وصيغة الاستقبال في صلته دون صلة الموصوف أو المبدل منه للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره يعني للإشعار بأن ترك المعصية سواء كانت بارتكاب المحرمات أو بترك الواجبات ينبغي أن يستمر عليه المؤمن ويجعل الاجتناب عنها دأباً له وعادة حتى يستحق المثوبة الحسنى فإن من اجتنب عنها مرة وانهمك عليها في باقي الأزمان لا يستحقها بخلاف الحسنات المتطوع بها فإن من أتى بها ولو مرة يؤجر عليها وكبائر الإثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه كالشرك والزنى مطلقاً خصوصاً بحليلة جاره وقتل النفس مطلقاً لا سيما الأولاد وهي الموؤودة وقال ابن جبير: هي ما لا يستغفر منه لقوله عليه السلام: «لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار» وفي الحديث: «إياكم والمحقرات من الذنوب» قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي إلى سبعين أقرب وتمام التفصيل سبق في حمعسق في نظير الآية ﴿والفواحش﴾ وما فحش من الكبائر خصوصاً الزنى والقتل بغير حق وغيرهما فهو من قبيل التخصيص بعد التعميم قال الراغب: الفحش والفحشاء والفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال ﴿إلا اللمم﴾ اللمم مقاربة المعصية ويعبر به عن الصغيرة من قولك ألممت بكذا أي: نزلت به وقاربته من غير مواقعة وألم الغلام قارب البلوغ والاستثناء منقطع لأن المراد باللمم الصغائر وهي لا تدخل في الكبائر والمعنى إلا ما قل وصغر فإنه مغفور ممن يجتنب الكبائر يعني أن الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنب الكبائر قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤] وقال: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء: ٣١] وقيل: هي النظر بلا تعمد فإن أعاد النظر فليس بلمم وهو مذنب والغمزة والقبلة كما روي أن نبهان التمار أتته امرأة لتشتري التمر فقال لها: ادخلي الحانوت فعانقها وقبلها فقالت المرأة: خنت أخاك ولم تصب حاجتك فندم وذهب إلى رسول الله عليه السلام فنزلت وقيل: هي الخطرة من الذنب أي: ما خطره من الذنب على القلب بلا عزم. وازقوت بفعل نيايد. وقيل: كل ذنب لم يذكر الله عليه حداً ولا

عذاباً وقال بعضهم: اللمم والإلمام ما يعمله الإنسان الحين بعد الحين ولا يكون له عادة ولا إقامة عليه قال محمد ابن الحنفية: كل ما هممت به من خير وشر فهو لمم دليله قوله عليه السلام: «إن للشيطان وللملك لمة فلمة الشيطان الوسوسة ولمة الملك الإلهام» وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه إلا أن يلمم بالفاحشة مرة ثم يتوب ولم يثبت عليها فإن الله يقبل توبته ويؤيده قوله عليه السلام: «أن تغفر اللهم فاغفر جما وأي عبد لك لا ألماً» فالاستثناء على هذا متصل وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما نقله أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله عليه السلام: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى فزنى العينين النظر وزنى الشفتين القبلة وزنى اليدين البطش وزنى الرجلين المشي والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه فإن تقدم فرجه كان زانياً وإلا فهو اللمم» وفي «الأسئلة المقحمة» الذنوب كلها كبائر على الحقيقة لأن الكل تتضمن مخالفة أمر الله تعالى لكن بعضها أكبر من بعض عند الإضافة ولا كبيرة أعظم من الشرك وأما اللمم فهو من جملة الكبائر والفواحش أيضاً إلا أن الله تعالى أراد باللمم الفاحشة التي يتوب عنها مرتكبها ومجترحها وهو قول مجاهد والحسن وجماعة من الصحابة منهم أبو هريرة رضي الله عنه ﴿إن ربك واسع المغفرة﴾ حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على أن إخراجه من حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية.

وفي «التأويلات النجمية»: كبائر الإثم ثلاث مراتب: محبة النفس الأمارة بالسوء ومحبة الهوى النافخ في نيران النفس ومحبة الدنيا التي هي رأس كل خطيئة ولكل واحدة من هذه المحبات الثلاث فاحشة لازمة غير منفكة عنها أما فاحشة محبة النفس الأمارة بالسوء فموافقة الطبيعة ومخالفة الشريعة وأما فاحشة محبة الهوى فحب الدنيا وشهواتها وأما فاحشة محبة الدنيا فالإعراض عن الله والإقبال على ما سواه قوله: ﴿إلا اللمم﴾ أي: الميل اليسير إلى النفس والهوى والدنيا بحسب الضرورة البشرية من استراحة البدن ونيل قليل من حظوظ الدنيا بحسب الحقوق لا بحسب الحظوظ فإن مباشر الحقوق مغفور ومبادر الحظوظ مغرور كما قال: إن ربك واسع المغفرة ومن سعة غفرانه ستر ظلمة الوجود المجازي بنور الوجود الحقيقي بالفناء عن ناسوتيته والبقاء بلا هويته انتهى.

قال بعض الكبار: من استرقه الكون بحكم مشروع كالسعي في مصالح العباد والشكر لأحد من المخلوقين من جهة نعمة أسداها إليه فهو لم يبرح عن عبوديته لله تعالى لأنه في أداء واجب أوجبه الحق عليه وأما تعبد العبد فمخلوق عن أمر الله لا يقدح في العبودية بخلاف من استرقه الكون لغرض نفسي ليس للحق فيه رائحة أمر فإن ذلك يقدح في عبوديته لله تعالى ويجب عليه الرجوع إلى الحق تعالى وقال بعض العارفين: من المحال أن يأتي مؤمن معصية توعد الله عليها بالعقوبة فيفزع منها إلا ويجد في نفسه الندم على وقوعها منه وقد قال ﷺ: «الندم توبة» وقد قام بهذا المؤمن الندم فهو تائب بلا شك فسقط حكم الوعيد لهذا الندم فإنه لا بد للمؤمن أن يكره المخالفة ولا يرضى بها فهو من كونه كارهاً لها ومؤمناً بأنها معصية ذو عمل صالح وهو من كونه فاعلاً لها ذو عمل سيىء فهو من الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً وقد قال تعالى فيهم: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢] يعني ليتوبوا والله غفور رحيم انتهى فعلى العاقل أن يندم على المعاصي الواقعة منه ولا يغتر بالرب الكريم وإن كان الله واسع المغفرة فإنه

تعالى أيضاً شديد البطش والأخذ نسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ﴿هو﴾ تعالى ﴿أعلم﴾ منكم ﴿بكم﴾ أي: بأحوالكم يعلمها ﴿إذ أنشأكم﴾ أي: خلقكم في ضمن إنشاء أبيكم آدم عليه السلام ﴿من الأرض﴾ إنشاء إجمالياً ﴿وإذ أنتم أجنة﴾ ووقت كونكم أجنة ﴿في بطون أمهاتكم﴾على أطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من أحوالكم وعمل من أعمالكم التي من جملتها اللمم الذي لولا المغفرة الواسطة لأصابكم وباله وضروره والأجنة جمع جنين مثل أسرة وسرير والجنين الولد ما دام في البطن وهو فعيل بمعنى مفعول أي: مدفون مستتر والجنين الدفين في الشيء المستتر فيه من جنه إذا ستره وإذا خرج من بطن أمه لا يسمى إلا ولداً أو سقطاً وفي «الأشباه» هو جنين ما دام في بطن أمه فإذا انفصل ذكراً فصبي ويسمى رجلاً كما في آية الميراث إلى البلوغ فغلام إلى تسعة عشر فشاب إلى أربعة وثلاثين فكهل إلى أحد وخمسين فشيخ إلى آخر عمره هذا في اللغة وفي الشرع يسمى غلاماً إلى البلوغ وبعده شاباً وفتى إلى ثلاثين فكهل إلى خمسين فشيخ وتمامه في أيمان «البزازية» فإن قيل الجنين إذا كان اسماً له ما دام في البطن فما فائدة قوله تعالى ﴿في بطون أمهاتكم﴾ قلنا فائدته المبالغة في بيان كمال علمه وقدرته فإن بطون الأمهات في غاية الظلمة ومن علم حال الجنين فيها لا يخفى عليه شيء من أحواله ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ الفاء لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من أن عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم أي: إذا كان الأمر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة من المعصية بالكلية أو بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته وبالفارسية پس ستايش مكنيد نفسهاى خودرا به بى كناهى وبسيارى خير وخوبى اوصاف. وقال الحسن رحمه الله: علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة فلا تزكوا أنفسكم ولا تطهروها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الأعمال لأن كل واحد من التخلية والتحلية إنما يعتد به إذا كان خالصاً لله تعالى وإذا كان هو أعلم بأحوالكم منكم فأي حاجة إلى التزكية:

همان به كر آبستن كوهرى كه همچون صدف سر بخود در برى
اكر مسك خالص ندارى مكوى وكرهست خود فاش كردد ببوى
منه آب زر جان من برپشيز كه صراف دانا نكيرد بچيز

وأما من زكاه الغير ومدحه فقد ورد فيه: احثوا في وجه المداحين أي: الذين يمدحون بما ليس في الممدوح التراب على حقيقته أو هو مجاز عن ردهم عن المدح لئلا يغتر الممدوح فيتجبر وقيل: المراد به أن لا يعطوهم شيئاً لمدحهم أو معناه الأمر بدفع المال إليهم لينقطع لسانهم ولا يشتغلوا بالهجو وفيه إشارة إلى أن المال حقير في الواقع كالتراب قال ابو الليث في تفسيره: المدح على ثلاثة أوجه: الأول أن يمدحه في وجهه فهو الذي نهى عنه والثاني أن يمدحه بغير حضرة ويعلم أنه يبلغه فهذا أيضاً ينهى عنه ومدح يمدحه في حال غيبته وهو لا يبالي بلغه أو لم يبلغه ومدح يمدحه بما هو فيه فلا بأس بهذا انتهى. وفي «المثنوي»:

خلق ما در صورت خود كرد حق وصف ما از وصف او كيرد سبق
چونكه آن خلاق شكر وحمد جوست آدمي را مدح جويى نيز خوست
خاصه مرد حق كه در فضلست چست پرشود زان باد چون خيك درست
ورنه باشد اهل زان باد دروغ خيك بدريدست كى كيرد فروغ

وأما المدح بعد الموت فلا بأس به إذا لم يجاوز الحد كالروافض في مدح أهل البيت ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ المعاصي جميعاً وهو استئناف مقرر للنهي ومشعر بأن فيهم من يتقيها بأسرها وقيل: كان ناس يعملون أعمالاً حسنة ثم يقولون: صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا إذا كان بطريق الإعجاب أو الرياء فأما من اعتقد أن ما عمله من الأعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين أنفسهم فإن المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر.

وفي «التأويلات النجمية» يشير به إلى أن علم الإنسان بنفسه علم إجمالي وعلمه تعالى به تفصيلي والعلم التفصيلي أكمل وأشمل من العلم الإجمالي وأيضاً علم الإنسان بنفسه علم مقيد بقواه البشرية وهو متناه بحسب تناهي قواه البشرية وعلمه تعالى به علم مطلق إذ علمه عين ذاته في مقام الواحدية غير ذاته في مقام الواحدية والعلم المطلق أحوط وأجمع من العلم المقيد وأيضاً الإنسان مخلوق على صورة الله كما قال عليه السلام: «إن الله خلق آدم على صورته» وفي رواية أخرى على صورة الرحمن والله تعالى عالم بصورته المنزهة عن الشكل المقدسة عن الهيئة والإنسان غير عالم بها على كيفية علم الله إذ لا يعلم الله إلا الله كما قال ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] اللهم إلا أن يفنى عن علمه المقيد ويبقى بعلمه المطلق هذا هو تحقيق أعلمية الحق تعالى وقوله ﴿وهو أعلم بمن اتقى﴾ أي: بمن اتقى بالله عما سواه بحيث جعل الله تعالى وقاية نفسه لينسب كل ما يصدر عنه من العلم والعمل إليه فإنه هو المؤثر في الوجود ومنه كل فيض وفضل وخير وجود.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾

﴿أفرأيت الذي تولى﴾ أي: أعرض عن اتباع الحق والثبات عليه وبالفارسية آيا ديدى آن كسى راكه از پيروىء حق روى بكردانيد ﴿وأعطى قليلا﴾ أي: شيئاً قليلاً من ماله وأعطاه قليلاً وبالفارسية وبداداندكى ازمال خود براى رشوت تحمل عذاب ازو ﴿وأكدى﴾ أي: قطع عطيته وأمسك بخلاً من قولهم أكدى الحافر أي: حافر البئر إذا بلغ الكدية أي: الصلابة كالصخرة فلا يمكنه أن يحفر ثم استعمل في كل من طلب شيئاً فلم يصل إليه ولم يتممه ولم يبلغ آخره وفي «القاموس» أكدى بخل أو قل خيره أو قلل عطاءه وفي «تاج المصادر» قوله تعالى: ﴿وأكدى﴾ أي: قطع القليل قالوا: نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله عليه السلام يعني دربى حضرت رسالت ميرفت واستماع كلام وى ميكند در مجلس او. وطمع النبي عليه السلام في إسلامه فعيره بعض المشركين وعاتبه وقال له: تركت دين الأشياخ وضللتهم فقال: أخشى عذاب الله فضمن أن يتحمل عنه العذاب وكل شيء يخافه في الآخرة إن أعطاه بعض ماله فارتد وتولى عن الوعظ واستماع الكلام النبوي وأعطاه بعض المشروط وبخل بالباقي فالذم آيل إلى سبب القطع وهو البخل فلا يتوهم أن الآية مسوقة لذم فعل المتولي وقطع العطاء عن المتحمل المذكور ليس بمذموم. وقال الكاشفي: واكدى وبازداشت باقى را پس جهل وبخل بايكديكر جمع كرد.

يقول الفقير: الظاهر أن الآية مسوقة لذم التولي وسوء الاعتقاد في نفع التحمل يوم القيامة

كما دلت عليه الآية الآتية وقوله: ﴿وأعطى قليلاً وأكدى﴾ مجرد بيان الحال المتولي والمعطي فيما جرى بينه وبين المتحمل لا ذم لبخله في ذلك لكن لا يخلو عن التهكم حيث إنه بخل فيما اعتقد نفعه وقال مقاتل: أنفق الوليد على أصحاب محمد عليه السلام نفقة قليلة ثم انتهى عن ذلك انتهى ولا يخفى أنه ليس لهذا المعنى ارتباط بما بعد من الآيات وفيه إشارة إلى السالك المنقطع في أثناء السلوك الراجع من السير إلى الله إلى نفسه البشرية واستيفاء لذاتها الحيوانية بسبب سآمته المشؤومة من المجاهدات البدنية والرياضات النفسانية بعد أن صرف في طريق السير والسلوك فلساً من رأس مال عمره ثم بخل به وقطعه عن الصرف في طريق السعي والاجتهاد في الله وصرف بقية رأس مال عمره في تحصيل لذات النفس الحيوانية البشرية واستيفاء شهواتها وحب الدنيا الدنية الخسيسة وهذا كله لعدم استعداده للوصول والوصال نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن النكرة بعد المعرفة:

اندرين ره مى تراش ومى خراش تادم آخر دمى فارغ مباشى

﴿أعنده﴾ آيا نزديك اوست ﴿علم الغيب فهو يرى﴾ الفاء للسببية والرؤية قلبية أي: أعنده علم بالأمور الغيبية التي من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيامة فهو يعلم أن صاحبه يتحمل عنه قال ابن الشيخ: أرأيت بمعنى أخبرت وأعنده علم الغيب مفعوله الثاني أي: أخبرت أن هذا المعطي المكدي هل عنده علم ما غاب عنه من أحوال الآخرة فهو يعلم أن صاحبه يتحمل أوزاره على أن قوله يرى بمعنى يعلم حذف مفعولاه لدلالة المقام عليهما.

﴿أم﴾ أهو جاهل ﴿لم ينبأ﴾ لم يخبر ﴿بما في صحف موسى﴾ أي: أسفار التوراة قال الراغب: الصحيفة المبسوطة من كل شيء كصحيفة الوجه والصحيفة التي كان يكتب فيها وجمعها صحائف وصحف والمصحف ما جعل جامعاً للصحف المكتوبة وقال القهستاني: المصحف مثلث الميم ما جمع فيه قرآن والصحف.

﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ عطف على موسى أي: وبما في صحف ابراهيم الذي وفى أي: وفر وأتم ما ابتلي به من الكلمات كما مر في سورة البقرة أو أمر به من غير إخلال وإهمال يقال: أوفاه حقه ووفاه بمعنى أي: أعطاه تاماً وافياً ويجوز أن يكون التشديد فيه للتكثير والمبالغة في الوفاء بما عاهد الله أي: بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمل غيره كالصبر على نار نمرود حتى أنه أتاه جبريل حين ألقي في النار فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا وعلى ذبح الولد وعلى الهجرة وعلى ترك أهله وولده في واد غير ذي زرع ويروى أنه كان يمشي كل يوم فرسخاً يرتاد ضيفاً فإن وجده أكرمه وإلا نوى الصوم ونعم ما قيل وفى ببذل نفسه للنيران وقلبه للرحمن وولده للقربان وماله للإخوان وعن النبي عليه السلام وفى عمل كل يوم بأربع ركعات وهي صلاة الضحى وفي الحديث القدسي: ابن آدم اركع إلي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره وروي ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول: «إذا أصبح وأمسى ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الروم: ١٧] حتى يختم الآيتين ذكره أحمد في مسنده الآيات الثلاث في «عين المعاني» وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله كم من كتاب أنزل الله؟ قال: مائة كتاب وأربعة كتب أنزل الله على آدم عشر صحائف وعلى شيت خمسين صحيفة وعلى إدريس ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف وأنزل الله التوراة والإنجيل والزبور والفرقان قلت: يا رسول الله ما

كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالاً منها أيها الملك المبتلى المغرور إني لم أبعثك فتجمع الدنيا بعضها إلى بعض ولكن بعثتك كيلا ترد دعوة المظلوم فإني لا أردها» وإن كانت من كافر وكان فيها أمثال منها وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه ويفكر في صنع الله وساعة يحاسب نفسه فيما قدم وأخر وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال في المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه ويأتي ما نقل من صحف موسى في آخر سورة سبح اسم ربك الأعلى كذا في «فتح الرحمن» وتقديم موسى لما أن صحفه التي هي التوراة أشهر عندهم وأكثر.

يقول الفقير: وأيضاً هو من باب الترقي من الأقرب إلى الأبعد لكون الأقرب أعرف وأيضاً أن موسى صاحب كتاب حقيقة بخلاف إبراهيم.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾

﴿**ألا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ أصله أن لا تزر على أن أن هي المخففة من الثقيلة وضمير الشأن هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على أنها بدل مما في صحف موسى أو الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما في صحفهما فقيل: هو أنه أي: الشأن لا تحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس أخرى من حيث تتعرى منه المحمول عنها ولا يؤاخذ أحد بذنب غيره ليتخلص الثاني من عقابه فالمراد بالوازرة هي التي يتوقع منها الوزر والحمل لا التي وزرت وحملت ثقلاً وإلا فكان المقام أن يقال لا تحمل فارغة وزر أخرى إذ لا تحمل مثقلة بوزرها غير الذي عليها وفي هذا إبطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة أن يحمل عنه الإثم ولا يقدح في ذلك قوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢] إذ ليس المعنى أن عليه إثم مباشرة سائر القاتلين بل المعنى أن عليه فوق إثم مباشرته للقتل المحظور إثم دلالته وسببيته لقتل هؤلاء وهما ليستا إلا من أوزاره فهو لا يحمل إلا وزر نفسه وكذا قوله عليه السلام: «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» فإن ذلك وزر الإضلال الذي هو وزره.

﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾ أن مخففة من الثقيلة كأختها معطوفة عليها وللإنسان خبر ليس وإلا ما سعى اسمها مصدرية ويجوز أن تكون موصولة والسعي المشي الذريع وهو دون العدو ويستعمل للجد في الأمر خيراً كان أو شراً والمعنى وأنه أي: الشأن ليس للإنسان في الآخرة إلا سعيه في الدنيا من العمل والنية أي: كما لا يؤاخذ أحد بذنب الغير لا يثاب بفعله فهو بيان لعدم انتفاع الإنسان بعمل غيره من حيث جلب النفع أثر بيان عدم انتفاعه من حيث دفع الضرر عنه وظاهر الآية يدل على أنه لا ينفع أحداً عمل أحد واختلفوا في تأويلها فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عدم إثابة الإنسان بسعي غيره وفعله وهذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] فيدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء ويجعل الولد الطفل يوم القيامة في ميزان أبيه ويشفع الله الآباء في الأبناء والأبناء في الآباء يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء: ١١] قال

عكرمة: كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى وأما هذه الأمة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روي أن امرأة رفعت صبياً لها من محفة وقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ قال: نعم ولك أجر وقال رجل للنبي عليه السلام: «إن أمي افتلتت نفسها أي: ماتت فجأة فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: نعم» وقال الربيع بن أنس ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾ يعني الكافر وأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره وكثير من الأحاديث يدل على هذا القول ويشهد له أن المؤمن يصل إليه ثواب العمل الصالح من غيره.

ـ روي ـ أن عائشة رضي الله عنها اعتكفت عن أخيها عبد الرحمن رضي الله عنه بعد موته وأعتقت عنه وقال سعد للنبي عليه السلام: «إن أمي توفيت أفأتصدق عنها: قال: نعم قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال: سقي الماء فحفر بئراً وجعلها في سبيل الله» وقال القرطبي في تذكرته: ويحتمل أن يكون قوله ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾ خالصاً في السيئة بدليل قوله عليه السلام: قال الله: «إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها عشراً إلى سبعمائة ضعف وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبتها سيئة واحدة» والقرآن دال على هذا قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠] وهذا ونحوه تفضل من الله وطريق العدل ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾ إلا أن الله يتفضل عليه بما لم يجب له كما أن زيادة الأضعاف فضل منه كتب لهم بالحسنة الواحدة عشراً إلى سبعمائة ضعف إلى ألف ألف حسنة وقد تفضل الله على الأطفال بإدخالهم الجنة بغير عمل والحاصل ما كان من السعي فمن طريق العدل والمجازاة وما كان من غير السعي فمن طريق الفضل والتضعيف فكرامة الله تعالى أوسع وأعظم من ذلك فإنه يضاعف الحسنات ويتجاوز عن السيئات فمرتبة النفس والطبيعة وكذا الشريعة والطريقة من الطريق الأولى ومرتبة الروح والسر وكذا المعرفة والحقيقة من الطريقة الثانية قال في: «الأسئلة المقحمة» أشارت الآية إلى أصل النجاة المعهودة في حكم الشريعة فإن النجاة الأصلية الموعودة في الكتاب والسنة بالعمل الصالح وهي النجاة بشرط المجازاة والمكافأة فأما التي هي من غير طريق المجازاة والمكافأة فهي بطريق تفضل الله وبطوله وعميم رحمته وكريم لطفه وقد فسرها رسول الله عليه السلام حيث قال: «ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي أترونها للمؤمنين المتقين لا ولكنها للخطائين الملوثين» وبيان الكتاب إلى الرسول عليه السلام وسمعت الإمام أبا بكر الفارسي بسمرقند يقول: سمعت الأستاذ أبا إسحاق الإسفرائيني يقول: إن عبد الله بن طاهر أمير خراسان قال للحسن بن الفضل البجلي: أشكلت علي ثلاث آيات: أريد أن تكشف عني وتشفي العليل أولاها قوله تعالى في قصة ابن آدم ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١] وصح الخبر بأن الندم توبة ولم يكن هذا الندم توبة في حق قابيل وثانيتها قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩] وصح الخبر بأن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة وثالثتها قوله تعالى: ﴿أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ﴾ [آل عمران: ١٣٠] فأجابه وقال: أما الآية الأولى فالندم لم يكن توبة في شريعة من الشرائع وإنما صار توبة في شريعة محمد عليه السلام تخصيصاً له على أن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل وإنما كان على حمله حين حمله على عاتقه أياماً فلم يعلم ماذا يعمل به لأنه كان أول قتل حتى بعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه وأما الآية الثانية فإن الشأن المذكور فيها ما هو التقدير بطريق الابتداء وإنما هو سوق المقادير إلى المواقيت وأما الآية الثالثة فهو أنه ليس للإنسان إلا ما سعى من

طريق العدل والمجازاة وله أن يجزيه بواحدة عشراً وأضعافاً مضاعفة بطريق الفضل والطول لا على سبيل العدل والجزاء فقام عبد الله بن طاهر وقبل رأسه وسوغ خراجه وكان خمسين ألف درهم وقد ذكر الخرائطي في «كتاب الثبور» قال سنة في الأنصار إذا حملوا الميت أن يقرؤوا معه سورة البقرة.

يقول الفقير: فيه دليل على سنية الذكر عند حمل الجنازة لأن الذكر من القرآن ولذا كان على الذاكر أن ينوي التلاوة والذكر معاً حتى يثاب بثواب التلاوة فحيث سن القرآن سن الذكر المأخوذ منه ولقد أحسن من قال في أبيات:

زر والديك وقف على قبريهما فكأنني بك قد حملت إليهما

إلى أن قال في آخرها:

وقرأت من آي الكتاب بقدر ما تستطيعه وبعثت ذاك إليهما

قال الشيخ تقي الدين أبو العباس: من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة أحدها: أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير. والثاني: أن النبي عليه السلام يشفع لأهل الموقف في الحساب ثم لأهل الجنة في دخولها ولأهل الكبائر في الإخراج من النار وهذا الانتفاع بسعي الغير والثالث: أن كل نبي وصالح له شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير والرابع: أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض وذلك منفعة بعمل الغير والخامس: أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيراً قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم والسادس: أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير وكذا الميت بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والإجماع وهو من عمل غيره وأن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه عنه بنص السنة وكذا تبرأ ذمة الإنسان من ديون الخلق إذا قضاها عنه قاض كما قال الشافعي: إذا أنا مت فليغسلني فلان أي: من الدين وذلك انتفاع بعمل الغير وكذا من عليه تبعات ومظالم إذا حلل منها سقطت عنه وأن الجار الصالح ينتفع بجواره في الحياة والممات كما جاء في الأثر وأن جليس أهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس معهم لذلك بل لحاجة أخرى والأعمال بالنيات وكذا الصلاة على الميت والدعاء له فيها ينتفع بها الميت مع أن جميع ذلك انتفاع بعمل الغير ونظائر ذلك كثيرة لا تحصى والآيات الدالة على مضاعفة الثواب كثيرة أيضاً فلا بد من توجيه قوله تعالى: ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾ فإنه لاشتماله على النفي والاستثناء يدل على أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمل نفسه ولا يجزى على عمله إلا بقدر سعيه ولا يزداد وهو يخالف الأقوال الواردة في انتفاعه بعمل غيره وفي مضاعفة ثواب أعماله ولا يصح أن يؤول بما يخالف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة فأجابوا عنه بوجوه: منها أنه منسوخ ومنها أنه في حق الكافر ومنها أنه بالنسبة إلى العدل لا الفضل وقد ذكرت ومنها أن الإنسان إنما ينتفع بعمل غيره إذا نوى الغير أن يعمل له حيث صار بمنزلة الوكيل عنه القائم مقامه شرعاً فكان سعي الغير بذلك كأنه سعيه وأيضاً إن سعي الغير إنما لم ينفعه إذا لم يوجد له سعي قط فإذا وجد له سعي بأن يكون مؤمناً صالحاً كان سعي الغير تابعاً لسعيه فكأنه سعى بنفسه فإن علقة الإيمان وصلة وقرابة كما قال عليه السلام مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وقال عليه السلام: «المؤمن للمؤمن

كالبنيان يشد بعضه بعضاً» ثم شبك بين أصابعه فإذا سعى أحد في الإيمان والعمل الصالح فكأنه سعى بتأييد عضو أخيه وسد ثلمته فكان سعيه سعيه والحاصل أنه لما كان مناط منفعة كل ما ذكر من الفوائد عمله الذي هو الإيمان والصالح ولم يكن لشيء منه نفع ما بدونهما جعل النافع نفس عمله وإن كان بانضمام غيره إليه وفي أول باب الحج عن الغير من «الهداية» الإنسان له أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة أو صوماً أو صدقة أو غيرها عند أهل السنة والجماعة وفي «فتح الرحمن» واختلف الأئمة فيما يفعل من القرب كالصلاة والصيام وقراءة القرآن والصدقة ويهدي ثوابه للميت المسلم فقال أبو حنيفة وأحمد يصل ذلك إليه ويحصل له نفعه بكرم الله ورحمته وقال مالك والشافعي: يجوز ذلك في الصدقة والعبادة المالية وفي الحج وأما غير ذلك من الطاعات كالصلاة والصوم وقراءة القرآن وغيره لا يجوز ويكون ثوابه لفاعله وعند المعتزلة ليس للإنسان جعل ثواب عمله مطلقاً لغيره ولا يصل إليه ولا ينفعه لقوله تعالى ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾ ولأن الثواب الجنة وليس في قدرة العبد أن يجعلها لنفسه فضلاً عن غيره واختلفوا فيمن مات قبل أن يحج فقال أبو حنيفة ومالك يسقط عنه الحج بالموت ولا يلزم الحج عنه إلا أن يوصي بذلك وقال الشافعي وأحمد لا يسقط عنه ويلزم الحج عنه من رأس ماله واختلفوا فيمن لم يحج عن نفسه هل يصح أن يحج عن غيره فقال أبو حنيفة ومالك يصح ويجزي عن الغير مع الكراهة وقال الشافعي وأحمد: لا يصح ولو فعل وقع عن نفسه وأما الصلاة فهي عبادة بدنية لا تصح فيها النيابة بمال ولا بدن بالاتفاق وعند أبي حنيفة إذا مات وعليه صلوات يعطى لكل صلاة نصف صاع من بر أو صاع من تمر أو شعير أو قيمة ذلك فدية تصرف للمساكين وليس للمدفوع إليه عدد مخصوص فيجوز أن يدفع لمسكين واحد الفدية عن عدة صلوات ولا يجوز أن تدفع فدية صلاة لأكثر من مسكين ثم لا بد من الإيصاء بذلك فلو تبرع الورثة بذلك جاز من غير لزوم وذلك عند أبي حنيفة خلافاً للثلاثة.

- وروي - أن رجلاً سأل النبي عليه السلام فقال: كان لي أبوان أبرهما حال حياتهما فكيف أبرهما بعد موتهما؟ فقال: «إن من البر بعد الموت أن تصلي لهما مع صلاتك وتصوم لهما مع صومك» رواه الدارقطني عن علي رضي الله عنه وهذا الحديث حجة لأبي حنيفة في تجويزه جعل العبادة البدنية أيضاً لغيره خلافاً للشافعي كما مر.

- وروي - أيضاً من مر على المقابر قرأ «قل هو الله أحد عشر مرات ثم وهب أجرها للأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات» رواه الدارقطني عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً فهذا أيضاً حجة له في تجويزه جعل ثواب التلاوة للغير خلافاً للشافعي.

- وروي - عن النبي عليه السلام «أنه ضحى بكبشين أملحين أحدهما عن نفسه والآخر عن أمته المؤمنين» متفق عليه أي: جعل ثوابه لها وهذا تعليم منه عليه السلام بأن الإنسان ينفعه عمل غيره والاقتداء به عليه السلام هو الاستمساك بالعروة الوثقى وكذا قال الحسن البصري رحمه الله: رأيت علياً رضي الله عنه يضحي بكبشين وقال: إن رسول الله أوصاني أن أضحي عنه وكان الشيخ الفقيه القاضي الإمام مفتي الأنام عز الدين بن عبد السلام يفتي بأنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ ويحتج بقوله ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾ فلما توفي رآه بعض أصحابه ممن يجالسه وسأله عن ذلك وقال له: إنك كنت تقول: لا يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ ويهدى إليه فكيف الأمر فقال له: كنت أقول ذلك في دار الدنيا والآن قد رجعت عنه لما

رأيت من كرم الله في ذلك أنه يصل إليه ذلك وقد قيل: إن ثواب القرآن للقارىء وللميت ثواب الاستماع ولذلك تلحقه الرحمة قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤] قال القرطبي: ولا يبعد من كرم الله أن يلحقه ثواب القرآن والاستماع جميعاً ويلحقه ثواب ما يهدى من قراءة القرآن وإن لم يسمعه كالصدقة والاستغفار ولأن القرآن دعاء واستغفار وتضرع وابتهال وما تقرب المتقربون إلى الله بمثل القرآن انتهى.

يقول الفقير: فيه حجة على من أنكر من أهل عصرنا جهر آية الكرسي أعقاب الصلوات وأوجب إخفاءها وتلاوتها لكل واحد من الجماعة وذلك لأن استماع القرآن أثوب من تلاوته فإذا قرأ المؤذن واستمع الحاضرون كانوا كأنهم قرأوا جميعاً وإذا جاز وصول ثواب القراءة والاستماع جميعاً إلى الميت فما ظنك بالحي أصلحنا الله وإياكم.

ـ وروي ـ أن بعض النساء توفيت فرأتها في المنام امرأة كانت تعرفها وإذا عندها تحت السرير آنية من نور مغطاة فسألتها ما في هذه الأوعية فقالت: فيها هدية أهداها إلي أبو أولادي البارحة فلما استيقظت المرأة ذكرت ذلك لزوج الميتة فقال: قرأت البارحة شيئاً من القرآن وأهديته إليها وفي الحديث: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» قال القرطبي: القراءة في معنى الدعاء وذلك صدقة من الولد ومن الصاحب والصديق والمؤمنين قال ابن الملك في شرح الحديث: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله» أي: تجدد الثواب له «إلا من ثلاث صدقة جارية» كالأوقاف «أو علم ينتفع به» قيل هو الأحكام المستنبطة من النصوص والظاهر أنه عام متناول ما خلفه من تصنيف أو تعليم في العلوم الشرعية وما يحتاج إليه في تعلمها قيد العلم بالمنتفع به لأن ما لا ينتفع به لا يثمر أجراً «أو ولد صالح يدعو له».

قيد بالصالح لأن الأجر لا يحصل من غيره وأما الوزر فلا يلتحق بالأب من سيئة ولده إذا كانت نيته في تحصيل الخير وإنما ذكر الدعاء له تحريضاً للولد لأن الأجر يحصل للوالد من ولده الصالح كلما عمل عملاً صالحاً سواء دعا لأبيه أو لا كمن غرس شجرة يحصل له من أكل ثمرتها ثواب سواء دعا له من أكلها أو لم يدع وكذلك الأم.

قال بعض الكبار: النكاح سنة نبيك فلا ترغب عنه واطلب من الله من يقوم مقامك بعد موتك حتى لا ينقطع عملك بموتك فإن ابن آدم إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم بثه في الناس أو ولد صالح يدعو له وفي لفظ الصدقة الجارية إشارة إلى أفضلية الماء ولذا حفر سعد بئراً لأمه فإن قلت ما التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله عليه السلام: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة» وقوله عليه السلام: «من مات يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة» قلنا: السنة المسنونة من جملة العلم المنتفع به ومعنى حديث المرابط أن ثواب عمله الذي قدمه في حياته ينمو إلى يوم القيامة وأما الثلاثة المذكورة في الحديث فإنها أعمال تحدث بعد وفاته لا تنقطع عنه لأنه سبب لها فيلحقه منها ثواب والحاصل أن المراد بهذا الحديث عمله المضاف إلى نفسه فهو منقطع وأما العمل المضاف إلى غيره فلا ينقطع فللغير أن يجعل ما له من أجر عمله إلى من أراد وقال بعضهم في الآية: ليس كل عمل للإنسان إنما بعضه لله مثل الصوم كما قال: «الصوم لي وأنا أجزي به» فثوابه فضل الله وهو رؤيته وتمسك بعض العلماء

بهذا الحديث وظن أن الصيام مختص بعامله موفر له أجره لا يؤخذ منه شيء لمظلمة ظلمها وهذا القول مردود فإن الحقوق تؤخذ من جميع الأعمال صياماً كان أو غيره وقيل: إن الصوم إذا لم يكن معلوماً لأحد ولا مكتوباً في الصحف هو الذي يستره الله ويخبأه لعامله حتى يكون له جنة من العذاب فتطرح أولئك عليه سيئاتهم فتنصرف عنهم ويقيه الصوم فلا تضر بأصحابها لزوالها عنهم ولا به لأن الصوم جنته وهذا تأويل حسن دافع للتعرض قال البقلي رحمه الله في تأويل الآية ليس للصورة الإنسانية إلا ما سعت من الأعمال الزكية عن الرياء والسمعة يؤول ثوابها إليها من درجات الجنان أما ما يتعلق بفضل الله وجوده من مشاهدته وقربته فهو للروح والروحاني الذي في تلك الصورة فإنه إذا استوفى درجات الجنان التي هي جزاء أعماله الصالحة تمتع أيضاً بما يجد روحه من فضل الله المتعلق بكشف حجاب جماله وأيضاً ليس للإنسان إلا ما يليق بالإنسان من الأعمال وأما الفضل كالمشاهدة والقربة فهو لله يؤتيه من يشاء فإذا وصل إلى مشاهدة الله وتمتع بها فليس ذلك له إنما ذلك الله وإن كان هو متمتعاً به وقال ابن عطاء ليس للإنسان من سعيه إلا ما نواه إن كان سعيه لرضى الرحمن فإن الله يرزقه الرضوان وإن كان سعيه للثواب والعطاء والاعواض فله ذلك وقال النصر ابادي سعي الإنسان في طريق السلوك لا في طريق التحقيق فإذا تحقق يسعى به ولا يسعى هو بنفسه وأما قول العارف الجامي.

سالكان بي كشش دوست بجايى نرسند سالها كرجه درين راه تك وبوى كنند

فقد لا ينافيه فإنه لا فائدة في السعي بدون الجذبة الإلهية فالسعي منسوب إلى السالك والجذبة مضافة إلى الله تعالى وأما المنتهي فالسعي والجذبة بالنسبة إليه كلاهما من الله تعالى إذ ليس بمتحقق من لم يكن حركاته وسكناته بالله ثم إن الطريق قد يثني كطريق الحج من البر والبحر وأما طريق الحق فمفرد أي من حيث الجمعية الوحدانية وإلا فالطرق إلى الله المنتهى مع أنه فرق بين وصول ووصول كالناظرين كل ينظر بحسب قوة نور بصره وضعفه وإن كان المرئي واحداً ثم إن الله يوصل السالك بعد موته إلى محل همته لأنه كأنه حاصل بسعيه وقد مر تحقيقه في محله نسأل الله الوصول إلى غاية المطالب بحرمة اسمه الواهب.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾

﴿وأن سعيه﴾ أي سعي الإنسان وهو عمله كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾ [الليل: ٤] وهو مع خبره معطوف على ما قبله من ألا تزر إلخ على معنى أن المذكورات كلها في الصحف ﴿سوف يرى﴾ أي يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة في صحيفته وميزانه من أريته الشيء عرضته عليه وفيه إشارة إلى أن الإنسان له مراتب في السعي وبحسب كل مرتبة يجد سعيه في الحال لا يزيد ولا ينقص وأيضاً في المآل وأول مراتبه في السعي مرتبة النفس وسعيه في هذه المرتبة تزكية النفس عن المخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية بالموافقات الشرعية والمخالفات الطبيعية إذ العلاج بضدها وأثر هذا السعي ونتيجته حصول الجنات التي تجري من تحتها الأنهار والحور والقصور والغلمان كما أخبر الكتاب العزيز في غير موضع والمرتبة الثانية والسعي فيها تصفية القلب عن صدأ الظلمات البشرية وغطاء الكدورات الطبيعية وأثر هذا السعي ونتيجته ترك حب الدنيا وشهواتها ولذاتها وزخارفها ومالها وجاهها والمرتبة الثالثة والسعي فيها تحلية السر بالصفات الإلهية والأخلاق الربانية وأثر هذا السعي ونتيجته حصول شواهد التحليات

الصفاتية والاسمائية والمرتبة الرابعة والسعي فيها تحلية الروح بالتجليات الذاتية والمشاهدات الحقانية وأثر هذا السعي ونتيجته هو الفناء عن أنانيته والبقاء بهويته الأحدية المطلقة عن التقييد والإطلاق واللاتقييد واللاإطلاق.

وقال الواسطي في الآية: إنه لم يكن مما يستجلب به شيء من الثواب وقال سهل: سوف يرى سعيه فيعلم أنه لا يصلح للحق ويعلم ما الذي يستحق بسعيه وأنه لو لم يلحقه فضل ربه لهلك بسعيه ﴿ثم يجزاه﴾ أي: يجزي الإنسان بسعيه أي: جزاء عمله يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله بحذف الجار وإيصال الفعل ﴿الجزاء الأوفى﴾ أي: الأوفر الأتم إن خيراً فخير وإن شراً فشر وهو مفعول مطلق مبين للنوع قال الوراق: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ ذلك في بدايته وأن سعيه سوف يرى ذلك في توسط أموره ثم يجزاه الجزاء الأوفى ذلك في نهاياته وله نهايتان باعتبار الفناء والبقاء ففي الفناء يحصل الجزاء الذي هو الشهود وفي البقاء يحصل الجزاء الذي هو تربية الجسد والوجود وذلك باستيفاء ما ترك في بداية سلوكه من المباحات المشروعة من الأكل والشرب والملبس والمنكح والتوسعة في معايش الدنيا وأسبابها فبعد تحققه بعالم الوحدة يرد إلى عالم الكثرة ولكن لا تضره الكثرة إذا أصلا.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ مصدر بمعنى الانتهاء أي: انتهاء الخلق في رجوعهم إلى الله تعالى بعد الموت لا إلى غيره لا استقلالاً ولا اشتراكاً فيجازيهم بأعمالهم وفي الحقيقة انتهاء الخلق إليه تعالى في البداية والنهاية ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣] إذ لا إله إلا هو. وفي «المثنوي»:

دست بر بالاى دست اين تاكجا   تا بيزدان كه اليه المنتهى
كان يكى درياست بى غور وكران   جمله درياها چو سيلى پيش آن
حيلها وچارها كر ازدهاست   پيش إلا الله إنها جمله لاست

قال ابن عطاء: من كان منه مبدأه كان إليه منتهاه وإذا وصل العبد إلى معرفة الربوبية ينحرف عنه كل فتنة ولا يكون له مشيئة غير اختيار الله له قيل للحسين ما التوحيد قال أن تعتقد أنه معلل الكل بقوله هو الأول وعند ذلك تطلب المعلولات منه الابتداء وإليه الانتهاء ذهبت المعلولات وبقي المعلل بها.

قال بعض الكبار: من أدل دليل على توحيد الله تعالى عند من لا كشف عنده كونه تعالى عند النظار والفلاسفة علة العلل وهذا توحيد ذاتي ينتفي معه الشريك بلا شك غير أن إطلاق هذا اللفظ عليه تعالى لم يرد به الشرع فلا ندعوه به ولا نطلقه عليه فاعلم ذلك.

﴿وأنه﴾ تعالى ﴿هو﴾ وحده ﴿أضحك وأبكى﴾ الضحك انبساط الوجه وتكشر الأسنان من سرور النفس ولظهور الأسنان عنده سميت مقدمات الأسنان الضواحك والبكاء بالمد سيلان الدمع عن حزن وعويل يقال: إذا كان الصوت أغلب كالرغاء وسائر هذه الأبنية الموضوعة للصوت وبالقصر يقال إذا كان الحزن أغلب وقوله: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢] إشارة إلى الفرح والترح وإن لم يكن مع الضحك قهقهة ولا مع البكاء إسالة دمع كما في

«المفردات» والمعنى هو خلق قوتي الضحك والبكاء في الإنسان منهما ينبعث الضحك والبكاء والإنسان لا يعلم ما تلك القوة أو هما كنايتان عن السرور والحزن كأنه قيل: أفرح وأحزن لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء أو عما يسر ويحزن وهو الأعمال الصالحة والأعمال الصالحة أو أضحك في الدنيا أهل النعمة وأبكى أهل الشدة والمصيبة أو أضحك في الجنة أهلها وأبكى في النار أهلها واضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر أو الأشجار بالأنوار والسحاب بالأمطار أو القراطيس بالأرقام والأقلام بالمداد أو أضحك القرد وأبكى البعير أو أضحك بالوعد وأبكى بالوعيد أو أضحك المطيع بالرضى وأبكى العاصي بالسخط أو أضحك قلوب العارفين بالحكمة وأبكى عيونهم بالحزن والحرقة أو أضحك قلوب أوليائه بأنوار معرفته وأبكى قلوب أعدائه بظلمات سخطه أو أضحك المستأنسين بنرجس مودته وياسمين قربته وطيب شمال جماله وأبكى المشتاقين بظهور عظمته وجلاله أو أضحك بالإقبال على الحق وأبكى بالإدبار عنه أو أضحك الأسنان وأبكى الجنان أو بالعكس قال الشاعر:

السن تضحك والأحشاء تحترق ... وإنما ضحكها زور ومختلق
يا رب باك بعين لا دموع لها ... ورب ضاحك سن ما به رمق

أو أضحك بتجليه اللطفي الجمالي القلب المنور بنور اللطف والجمال وأبكى بتجليه القهري الجلالي النفس المظلمة بظلمة القهر والجلال أو أضحك بتجليه الجلالي النفس على القلب عند استيلاء ظلمة النفس على القلب وأبكى بتجليه الجمالي القلب على النفس عند غلبة أنوار القلب على النفس وفي الآية دلالة على أن كل ما يعمله الإنسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء قالت عائشة رضي الله عنها: مر النبي عليه السلام على قوم يضحكون فقال: «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً» فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال: إن الله تعالى يقول: «﴿**وأنه هو أضحك وأبكى**﴾ فرجع إليهم» فقال: «ما خطوت أربعين خطوة حتى أتاني جبريل فقال: ائت هؤلاء فقل لهم: إن الله يقول: هو أضحك وأبكى» وسئل طاهر المقدسي أتضحك الملائكة؟ فقال: ما ضحك من دون العرش منذ خلقت جهنم وقال النبي عليه السلام لجبرائيل: «ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط؟ قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار» وقيل لعمر رضي الله عنه: هل كان أصحاب رسول الله عليه السلام يضحكون؟ قال: نعم والله والإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وعن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة رضي الله عنه: أكنت تجالس النبي عليه السلام؟ قال: نعم وكان أصحابه يجلسون فيتناشدون الشعر ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم معهم إذا ضحكوا يعني النبي عليه السلام ولقي يحيى عيسى عليهما السلام فتبسم عيسى في وجه يحيى فقال: ما لي أراك لاهياً كأنك آمن فقال: ما لي أراك عابساً كأنك آيس فقالا: لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي فأوحى الله تعالى أحبكما إلي أحسنكما ظناً بي.

ـ وروي ـ أحبكما إلي الطلق البسام وقال الحسن يا ابن آدم تضحك ولعل كفنك خرج من عند القصار وبكى نوح عليه السلام ثلاثمائة سنة بقوله: ﴿إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود: ٤٥] وقال كعب لأن أبكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي أحب إلي من أن أتصدق بجبل ذهب والنافع بكاء القلب لا العين فقط.

بران ازدوسر چشمه ديده جوى ... ور الايشى دارى ازخود بشوى

﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾ لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره لا خلقاً ولا كسباً فإن أثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال وإنما يحصل الموت عنده بفعل الله على العادة فللعبد نقض البنية كسباً دون الإماتة وبالفارسية قادر براماته واحيا اوست وبس مى ميراند بوقت أجل دردنيا وزنده ميسازد درقبر يا او سازنده اسباب موت وحياتست وكفته اند مرده ميسازد كافر انرا بنكرت وزنده ميكند مؤمنا نرا بمعرفت وبقول بعض أماته وأحيا بجهل وعلم است يا ببخل وجود يا بعدل وفضل يابه منع وأعطا. وقيل الخصب والجدب أو الآباء والأبناء أو أيقظ وأنام أو النطفة والنسمة. ونزد محققان بهيبت وأنس ياباستتار وتجلي وامام قشيري فرموده كه بميراند نفوس زاهد انرا بآثار مجاهدت وزنده كرداند قلوب عارفانرا بأنوار مشاهدت يا هركه را مرتبه فنا في الله رساند جرعه ازساغر بقا بالله چشاند. أو أمات النفس عن الشهوات الجسمانية واللذات الحيوانية وأحيى القلب بالصفات الروحانية والأخلاق الربانية أو أمات النفس بغلبة القلب عليها وإحيائه أو أمات القلب باستيلاء النفس عليه وإحيائها وهذه الأحكام المختلفة ما دام القلب في مقام التلوين فأما إذا ترقى إلى مقام الإطمئنان والتمكين فلا يصير القلب مغلوباً للنفس بل تكون النفس مغلوبة للقلب أبد الآباد إلى أن تموت تحت قهره بأمر ربه.

يقول الفقير: قدم الإماتة على الإحياء رعاية للفاصلة ولأن النطفة قبل النسمة ولأن موت القلب قبل حياته ولأن موت الجسد قبل حياته في القبر وأيضاً في تقديم الإماتة تعجيل لأثر القهر لينتبه المخاطبون وأيضاً أن العدم قبل الوجود ثم إن مآل الوجود إلى الفناء والعدم فلا ينبغي الاغترار بحياة بين الموتين ووجود بين العدمين والله الموفق.

﴿وأنه﴾ وآنكه خداى تعالى ﴿خلق الزوجين﴾ بيافريد از انسان دو صنف. وفي بعض التفاسير من كل الحيوان وفيه أن كل حيوان لا يخلق من النطفة بل بعضه من الريح كالطير فإن البيضة المخلوقة منها الدجاجة مخلوقة من ريح الديك ﴿الذكر والأنثى﴾ نروماده ﴿من نطفة﴾ هي الماء الصافي ويعبر بها عن ماء الرجل كما في «المفردات» ﴿إذا تمنى﴾ تدفق في الرحم وتصب وبالفارسية ازآب منى وقتى كه ريخته شود دررحم وآدم وحوا وعيسى عليهما السلام ازين مستثنى اند فهو من أمنى يمني إمناء وهو بالفارسية مني آوردن. قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨﴾ [الواقعة: ٥٨] وفي «القاموس» منى وأمنى ومنى بمعنى أو معنى تمنى يقدر منها الولد من مناء الله يمنيه قدره إذ ليس كل مني يصير ولداً وفيه إشارة إلى أنه تعالى خلق زوج ذكر الروح موصوفاً بصفة الفاعلية وخلق زوجة انثى النفس موصوفة بصفة القابلية ليحصل للقلب من مقدمتي الروح والنفس نتيجة صادقة صالحة لحصول المطالب الدنيوية والأخروية من نطفة واقعة كائنة مستقرة في رحم الإرادة الأزلية إذا تمنى إذا تحرك وتدفق في رحم الإرادة القديمة أو إذا قدر المقدر بالحكمة البالغة قدم الذكر رعاية للفاصلة ولشرفه الرتبي وإن كان الأصل في العالم الأنوثة ولذلك سرت فيه بأسره ولكن لما كانت في النساء أظهر حببت للأكابر حتى آجر موسى عليه السلام نفسه في مهر امرأة عشر سنين وحتى أن أعظم ملوك الدنيا يكون عند الجماع كهيئة الساجد فاعلم ذلك فلما كان لا يخلو العوالم عن نكاح صوري أو معنوي كان نصف الخلق الذكر ونصفه الأنثى وإن شئت قلت الفاعل والقابل والإنسان برزخ هاتين الحقيقتين.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾.

﴿وأن عليه﴾ أي: على الله تعالى ﴿النشأة الأخرى﴾ أي: الخلقة الأخرى وهو الإحياء بعد الموت وفاء بوعده لا لأنه يجب على الله كما يوهمه ظاهر كلمة على وفيه تصريح بأن الحكمة الإلهية اقتضت النشأة الثانية الصورية للجزاء والمكافأة وإيصال المؤمنين بالتدريج إلى كمالهم اللائق بهم ولو أراد تعجيل أجورهم في هذه الدار لضاقت الدنيا بأجر واحد منهم فما ظنك بالباقي ومن طلب تعجيل نتائج أعماله وأحواله في هذه الدار فقد أساء الأدب وعامل الموطن بما لا يقتضيه حقيقته وأما إذا استقام العبد في مقام عبوديته وعجل له الحق نتيجة ما أو كرامة فإن من الأدب قبولها إن كانت مطهرة من شوائب الحظوظ وبالجملة فالخير فيما اختاره الله لك ثم إن النشأة الأخرى الصورية مترتبة على كمال الفناء الصوري مع الاستعداد والتهيىء لقبول الروح فكذا النشأة الأخرى المعنوية وهي البقاء والاتصاف بالصفات الإلهية موقوفة على تمام الفناء المعنوي والانسلاخ عن الأوصاف البشرية بالكلية مع الاستعداد والتهيىء لقبول الفيض وبالجملة فلا بد في كلتا النشأتين من صحة المزاج ألا ترى أن الجنين إذا فسد في الرحم سقط بل الرحم إذا فسدت لم تقبل العلوق وإلى الولادة الثانية التي هي النشأة الأخرى أشار عيسى عليه السلام بقوله: لن يلج ملكوت السماوات من لم يولد مرتين ومعنى ملكوت السماوات حقائقها وأنوارها وأسرارها فكل نبي وولي وارث متحقق بهذا الولوج والولادة الثانية ﴿وأنه هو أغنى﴾ أعطى الغنى للناس بالأموال ﴿وأقنى﴾ وأعطى القنية وهي ما يتأثل من الأموال أي: يتخذ أصلاً ويدخر بأن يقصد حفظه استثماراً واستنماء وأن لا يخرج عن ملكه وفي المثل لا تقتن من كلب سوء جرواً يقال قنوت الغنم وغيرها وقنيتها قنية وقنية إذا اقتنيتها لنفسك لا للتجارة وفي «تاج المصادر» الإقناء سرمايه دادن وخشنود كردن. قال بعضهم: أغنى الناس بالكفاية والأموال وأعطى القنية وما يدخرونه بعد الكفاية وقال الضحاك: أغنى بالذهب والفضة والثياب والمسكن وأقنى بالإبل والبقر والغنم والدواب وإفراد القنية بالذكر أي: بعد قوله أغنى لأنها أشرف الأموال وأفضلها أو معنى أقنى أرضى وتحقيقه جعل الرضى له قنية والأوفق لما تقدمه من الآي المشتملة على مراعاة صنعة الطباق أن يحمل على معنى أفقر على أن تكون الهمزة أي: في أقنى للإزالة كما قاله سعدي المفتي.

قال الجنيد قدس سره: أغنى قوماً به وأفقر قوماً منه وقال بعضهم: فيه إشارة إلى إفاضة الفيض الإلهي على القلب السليم المستقيم الثابت على دين الله كما قال عليه السلام: «اللهم ثبت قلبي على دينك» وإبقاء ذلك الفيض الإلهي عليه بحيث لا يستهلك الفيض ولا يضمحل تحت غلبة ظلمة النفس الإمارة بالسوء لتمكن ذلك القلب وعدم تلونه بخلاف القلب المتلون فإنه لعدم تمكنه في بعض الأوقات يتكدر بظلمة النفس ويزول عنه ذلك النور المفاض عليه المضاف إليه وهو المعنى بقوله: ﴿أقنى﴾ أي: جعل فيه ذلك النور قنية ثم إن الآية دلت على إباحة التأثل من الأموال النافعة دون غيرها ولذا نهى عن اقتناء الكلب أي: إمساكه بلا فائدة من جهة حفظ الزرع أو الضرع أو نحو ذلك والنفس الأمارة أشد من الكلب العقور ففي اقتناء الروح النامي مندوحة عن اقتنائها أبتر عقيم لا خير فيها ألا ترى أن مرتبة النفس والطبيعة تبقى

هنا ولا تستصحب الإنسان الكامل في النشأة الجنانية إذ الجنان كالمرعى الطيب والروض الأنف فلا يرعى فيها إلا الروح الطيب والجسد النظيف.

﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ أي: رب معبودهم فاعبدوا الرب دون المربوب والشعرى كوكب نير خلف الجوزاء يقال لها العبور بالمهملة كالصبور وهي أشد ضياء من الغميصاء بالغين المعجمة المضمومة وفتح الميم والصاد المهملة وهي إحدى الشعريين يعني أن الشعرى شعريان أحدهما الشعرى اليمانية وتسمى أيضاً الشعر العبور وثانيتهما الشعرى الشامية وتسمى أيضاً الشعرى الغميصاء فصلت المجرة بينهما تزعم العرب أن الشعريين اختا سهيل وأن الثلاثة كانت مجتمعة فانحدر سهيل نحو اليمين وتبعته العبور فعبرت المجرة ولقيت سهيلاً وأقامت الغميصاء فبكت لفقد سهيل فغمصت عينها أي: كانت أقل نوراً من العبور وأخفى والغمص في العين ما سال من الرمص يقال: غمصت عينه بالكسر غمصاً وكانت خزاعة تعبد الشعرى سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم فقال لقومه: إن النجوم تقطع السماء عرضاً وهذه تقطعها طولاً فليس شيء مثلها فعبدتها خزاعة وخالف أبو كبشة قريشاً في عبادة الأوثان ولذلك كانت قريش يسمون الرسول عليه السلام ابن أبي كبشة لا يريدون بذلك اتصال نسبه إليه وإن كان الأمر كذلك أي: لأن أبا كبشة أحد أجداد النبي عليه السلام من قبل أمه بل يريدون به موافقته عليه السلام له في ترك عبادة الأوثان وإحداث دين جديد فالنبي عليه السلام كما وافق أبا كبشة في مخالفة قريش بترك عبادة الأصنام خالفه أيضاً بترك عبادة الشعرى وهو إشارة إلى شعرى النفس المسماة بكلب الجبار التي عبدها خزاعة أهل الأهواء وأبو كبشة أهل البدع من الفلاسفة والزنادقة.

﴿وأنه أهلك عادا الأولى﴾ هي قوم هود عليه السلام أهلكوا بريح صرصر وعاد الأخرى إرم وقيل الأولى القدماء لأنهم أولى الأمم هلاكاً بعد قوم نوح أي: المراد إبعاد جميع من انتسب إلى عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح ووصفهم بالأولية ليس للاحتراز عن عاد الأخيرة بل لتقدم هلاكهم بحسب الزمان على هلاك سائر الأمم بعد قوم نوح قال في «التكملة» وصف عاد بالأولى يدل على أن لها ثانية فالأولى هي عاد بن إرم قوم هود والثانية من ولدها وهي التي قاتلها موسى عليه السلام بأريحاء كانوا تناسلوا من الهزيلة بنت معاوية وهي التي نجت من قوم عاد مع بنيها الأربعة عمر وعمرو وعامر والعتيد وكانت الهزيلة من العماليق.

﴿وثمود﴾ عطف على عاداً لأن ما بعده لا يعمل فيه لمنع ما النافية عن العمل وهم قوم صالح عليه السلام أهلكهم الله بالصيحة ﴿فما أبقى﴾ أي: أحداً من الفريقين ويجوز أن يكون المعنى فما أبقى عليهما فالإبقاء على هذا المعنى الترحم وهو بالفارسية بخشودن وإنما لم يترحم عليهم لكونهم من أهل الغضب ورحمة الله لأهل اللطف دون القهر وفيه إشارة إلى التربية فأولاً باللطف وثانياً بالعتاب وثالثاً بالعقاب فإن لم يحصل التنبه فبالإزالة والإهلاك وهكذا عادة الله في خلقه فليتنبه العباد وليحافظوا على المراتب في تربية عبيدهم وإمائهم وخدمهم مطلقاً.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿وقوم نوح﴾ عطف عليه أيضاً ﴿من قبل﴾ أي: من قبل إهلاك عاد وثمود ﴿إنهم﴾ أي: قوم نوح ﴿كانوا هم أظلم﴾ لنبيهم ﴿وأطغى﴾ من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه السلام حتى لا يكون به حراك

وما أثرت فيهم دعوته قريباً من ألف سنة وما آمن معه إلا قليل:

باسيه دل چه سود كفتن وعظ نرود ميخ آهنين در سنك

وفيه إشارة إلى إهلاك صفات القلب من قبل أن يتمكن في سفينة التوحيد فإنهم كانوا مذبذبين منقلبين بين القلب وبين النفس ظالمين على القلب بمشاهدة الكثرة طاغين عليه بالميل إلى النفس وصفاتها.

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾

﴿والمؤتفكة﴾ هي قرى قوم لوط عليه السلام يعني شهرستان قوم لوط عليه السلام. ائتفكت بأهلها أي: انقلبت بهم وهو منصوب عطفاً على عادا أي: وأهلك المؤتفكة وقيل هو منصوب بقوله: ﴿أهوى﴾ أي: أسقطها إلى الأرض مقلوبة بعد أن رفعها على جناح جبريل إلى السماء فالأهواء بمعنى انداختن. وقال الزجاج القاها في الهاوية.

﴿فغشاها ما غشى﴾ من فنون العذاب.

وقال الكاشفي: پس بپوشانيد آن شهرها را آنچه بپوشانيد يعني سنكهاى نشان داده بران بارانيد، وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه قوله ما غشى مفعول ثان إن قلنا إن التضعيف للتعدية أي: ألبس الله المؤتفكة ما ألبسها إياه من العذاب كالحجارة المنضودة المسومة فمفعولا الفعل الأول مذكوران والثاني محذوفان وإن قلنا إنه للمبالغة والتكثير فهو فاعل كقوله: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨] وفي الآية إشارة إلى قرية القالب وانقلابها من أعلى الكمال إلى أسفل النقصان ومن اعتدال المزاج إلى انحرافه وذلك سبب ظلم النفس الأمارة عليها باستيفاء الحظوظ والشهوات كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص: ٥٨] الآية ﴿فبأي آلاء ربك تتمارى﴾ الآلاء النعم واحدها إلى وألى والى كما في «القاموس» والتماري والامتراء والمماراة المحاجة فيما فيه مرية أي: شك وتردد قال في «تاج المصادر»: التماري بشك شدن وبايكديكر بستيهبدن. وإسناد فعل التماري إلى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه والخطاب للرسول عليه السلام فهو من باب الإلهاب والتعريض بالغير على طريقة قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] أو لكل واحد وجعل الأمور المعدودة آلاء مع أن بعضها نقم لما أنها أيضاً نعم من حيث إنها نصرة للأنبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين قال في «بحر العلوم» وهلاك أعداء الله والنجاة من صحبتهم وشرهم والعصمة من مكرهم من أعظم آلائه الواصلة إلى المؤمنين قال المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد

وقد أمر نوحاً بالحمد على ذلك في قوله: ﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨] وقد حمد هو بنفسه على ذلك في موضع آخر تعليماً لعباده حيث قال: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥] وقد سجد عليه السلام سجدة الشكر حين رأى رأس أبي جهل قد قطعت في غزوة بدر.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى استحقاق الشكر الجزيل على آلائه التي عددها وسماها آلاء لاشتمالها على نعم المواعظ ونعم الزواجر واستبعاد الشك والمماراة فيها

والخطاب لأفراد الأمة لاشتمال النبي عليه السلام على أمته كما قال ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ [النحل: ١٢٠] انتهى ومعنى الآية إذا عرفت يا محمد هذه المذكورات فبأي نعمة من نعم ربك تتشكك بأنها ليست من عند الله أو في كونها نعمة وبالفارسية پس بكدامين ازنعمتهاى آفريدكار خودشك مى آرى وجدال ميكنى. فكما نصرت إخوانك من الأنبياء الماضين ونصرت أولياءهم وأهلكت أعداءهم فكذلك أفعل بك فلا يكن قلبك في ضيق وحرج مما رأيت من إصرار هؤلاء القوم وعنادهم واستكبارهم.

﴿هذا نذير من النذر الأولى﴾ هذا إما إشارة إلى القرآن والنذير مصدر أي: هذا القرآن الذي تشاهدونه إنذار كائن من قبيل الإنذارات المتقدمة التي سمعتم عاقبتها أو إلى الرسول والنذير بمعنى المنذر أي: هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الأولين والأولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم أحوال قومهم المنذرين.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى القرآن أو إلى الرسول وشبه إنذارهما بإنذار الكتب الماضية والرسول المتقدمة.

يقول الفقير: فيه إشارة إلى نذارة كمل ورثته عليه السلام فإن كل نذير متأخر فهو من قبيل النذر الأولى لاتحاد كلمتهم ودعوتهم إلى الله على بصيرة وكذا ما ألهموا به من الإنذارات بحسب الأعصار والمشارب فطوبى لأهل المتابعة وويل لأهل المخالفة.

بكوى آنچه دانى سخن سودمند وكر هيچ كس را نيايد پسند
كه فردا پشيمان بر آرد خروش كه آوخ چراحق نكردم بكوش
بكمراه كفتن نكو ميروى كناه بزركست وجور قوى
مكو شهد شيرين شكر فايقست كسى را كه سقمونيا لا يقست
چه خوش كفت يكروزدار وفروش شفا بايدت داروى تلخ نوش

﴿أزفت الآزفة﴾ في إيراده عقيب المذكورات إشعار بأن تعذيبهم مؤخر إلى يوم القيامة تعظيماً للنبي عليه السلام وإن كانوا معذبين في الدنيا أيضاً في الجملة واللام للعهد فلذا صح الإخبار بدونها ولو كانت للجنس لما صح لأنه لا فائدة في الإخبار بقرب آزفة ما فإن قلت: الإخبار بقرب الآزفة المعهودة لا فائدة فيه أيضاً قلت: فيه فائدة وهو التأكيد وتقرير الإنذار والأزف ضيق الوقت لقرب وقت الساعة وعلى ذلك عبر عن القيامة بالساعة يقال: أزف الترحل كفرح ازفا وازوفا دنا والأزف محركة الضيق كما في «القاموس» والمعنى دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] أي: في الدلالة على كمال قربها لما في صيغة الافتعال من المبالغة ففي الآية إشارة إلى كمال قربها حيث نسب القرب إلى الموصوف به.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾

﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾ أي: ليس لها أنفس قادرة على كشفها أي: إزالتها وردها عند وقوعها في وقتها المقدر لها إلا الله لكنه لا يكشفها من كشف الضر أي: أزاله بالكلية فالكاشفة اسم فاعل والتاء للتأنيث والموصوف مقدر أوليس لها الآن نفس كاشفة بتأخيرها إلا الله فإنه المؤخر لها يعني لو وقت الآن لم يردها إلى وقتها أحد إلا الله فالكشف بمعنى الإزالة لا بالكلية بل بالتأخير إلى وقتها أو ليس لها كاشفة لوقتها إلا الله أي: عالمة به من كشف الشيء

إذا عرف حقيقته أو مبينة له متى تقوم وفي القرآن: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ٨٧] أوليس لها من غير الله كشف على أن كاشفة مصدر كالعاقبة والخائنة وأما جعل التاء للمبالغة كتاء علامة فالمقام يأباه لإيهامه ثبوت أصل الكشف لغيره وفي الآية إشارة إلى قرب القيامة الكبرى ووقوع الطامة العظمى وهي ظهور الحقيقة المثلى لأهل الفناء عن نفوسهم والإقبال على الله بجميع الهمة وقوة العزيمة ليس لها من دون الله كاشفة بالنسبة إلى أهل الحجاب لأنهم مستغرقون في بحر الغفلة مستهلكون في أسر الشهوة والإنسان فإن في كل آن وزمان وما له شعور بذلك فيا ليته كشف عن غطائه وتشرف برؤية الله ولقائه وقد قالوا قيامة العارفين دائمة أي: لأنهم في شهود الأمر على ما كان عليه ولا يتوقف شهودهم على وقوع القيامة الظاهرة ومن هنا قال الإمام علي كرم الله وجهه: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً» فطوبى لمن زاد يقينه ووصل إلى حق اليقين وتمكن في مقام التحقيق والله المعين.

﴿أفمن هذا الحديث﴾ آيا ازين سخن كه قرأنست ﴿تعجبون﴾ إنكاراً قال الراغب العجب والتعجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه. ﴿وتضحكون﴾ استهزاء مع كونه أبعد شيء من ذلك قال الراغب واستعير الضحك للسخرية فقيل ضحكت منه ﴿ولا تبكون﴾ حزناً على ما فرطتم في شأنه وخوفاً من أن يحيق بكم ما حاق بالأمم المذكورة.

ـ روي ـ أنه عليه السلام لم ير ضاحكاً بعد نزول هذه الآية وعن أبي هريرة رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية بكى أهل الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله عليه السلام حنينهم بكى معهم فبكينا لبكائه فقال عليه السلام: «لا يلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ثم يغفر لهم».

ـ وروي ـ أن النبي عليه السلام نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكي فقال له: من هذا؟ فقال: فلان فقال جبرائيل: «إنا نزن أعمال بني آدم كلها إلا البكاء فإن الله ليطفىء بالدمعة بحوراً من نيران جهنم» وفي الحديث: «إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا» وذلك فإن الحزن يؤدي إلى السرور والبكاء إلى الضحك. قال الصائب:

منال أي: ساكن بيت الحزن ازچشم تاريكى   كه خواهد صيقلى كشت ازجمال روشن يوسف

وقال:

خنده كردن رخنه در قصر حيات افكندنست   خانه در بسته باشد تاغمين باشد كسى

﴿وأنتم سامدون﴾ أي: لاهون أو مستكبرون من سمد البعير في مسيره إذا رفع رأسه قال الراغب السامد اللاهي الرافع رأسه أو مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير وكانوا إذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء واللهو ليشغلوهم عن الاستماع أو خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا أن مضمونها على الوجه الأخير قيد للمنفي والإنكار وارد على نفي البكاء والسمود معاً وعلى الوجوه الأول قيد للنفي والإنكار متوجه إلى نفي البكاء ووجود السمود والأول أوفى بحق المقام فتدبر كما في «الإرشاد». ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾ الفاء لترتيب الأمر أو موجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالإنكار واستهزاء ووجوب تلقيه بالإيمان مع كمال الخضوع والخشوع أي: وإذا كان الأمر كذلك فاسجدوا لله الذي أنزله واعبدوه ولا تعبدوا غيره من ملك

أو بشر فضلاً عن جماد لا يضر ولا ينفع كالأصنام والكواكب قال في «عين المعاني» فاسجدوا أي: في الصلاة والأصح أنه على الانفراد وهي سجدة التلاوة انتهى وهذا محل سجود عند أبي حنيفة والشافعي وأحمد وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأنه صح عن رسول الله عليه السلام أنه سجد بالنجم، يعني بعد تلاوته هذه السورة على قريش سجد وسجد معه المؤمن والمشرك والإنس والجن كما سبق وليس يراها مالك لما روى عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قرأ على النبي عليه السلام والنجم فلم يسجد فيها. قال الكاشفي: أين سجده دوازدهم است ازسجدات قرآني در فتوحات اين را سجده عبادت كفتندكه امر الهى بذلت ومسكنت مقترنست بوى وجز سالكان طريقت عبادت وعبوديت بسر منزل سراين سخن نرسيده اند.

وفي «التأويلات» البقلي أي إذا قرب أيام الوصال فاشتاقوا وسارعوا في بذل الوجود ووضع الخدود على التراب واعبدوا رب الأرباب لوجود كشف النقاب قال شيخي وسندي روح الله روحه في «كتاب البرقيات» له يعني اسجدوا لله واعبدوا الله بالله لا بالنفس إذا سجدتم وعبدتم له بسجدة القالب بالانقياد وعبادته بالإذعان في مرتبة الشريعة وبسجدة القلب بالفناء وعبادته بالاستهلاك في مرتبة الحقيقة حتى تكون سجدتكم وعبادتكم محض قربة إلى الله في المرتبة الأولى وصرف وصلة إلى الله في المرتبة الثانية وتكونوا من المقربين أولاً ومن الواصلين ثانياً هذا شأن عباد الله الموحدين المخلصين الفانين في الله الباقين بالله وأما طاعة من عداهم فبأنفسهم وهواهم لعدم تخلصهم من الشوائب النفسانية في مقام الشريعة ومن الشوائب الغيرية في مقام الحقيقة.

واعلم أن سجدة القالب وعبادته منقطعة لانقطاع سببها ومحلها وموطنها لأنها حادثة فانية زائلة وأما سجدة القلب وعبادته وهي فناؤه في الله أزلاً وأبداً بحسب نفسه وإن كان باقياً بالله بحسب تحلية الوجود فغير منقطعة بل هي دائمة لدوام سببها وباقية لبقاء محلها وموطنها أزلاً وأبداً والمقصود من وضع السجدة والعبادة القالبية هو الوصول إلى شهود السجدة والعبادة القلبية ولذا حبب إلى النبي عليه السلام ثلاث: الطيب والنساء والصلاة أما الأول فلأنه يوجد في نفسه ذوق الإنس والمحاضرة وأما الثاني فلأنه يوجد فيه ذوق القربة والوصلة وأما الثالث فلأنه يوجد فيه ذوق المكاشفة والمشاهدة وهذه الأذواق إنما يتحقق بها من الإنس من هو الإنسان الحقيقي المتحقق بسر الحضرة الأحدية والمتنور بنور الحضرة الواحدية وهو المنتفع بإنسانيته انتفاعاً تاماً وأما الإنسان الحيواني فلا حظ له من ذلك التحقق ولا نصيب له من هذا الانتفاع بل حظه ونصيبه إنما هو الشهوات الطبيعية والإنسان الأول في أعلى عليين والثاني في أسفل السافلين وبينهما بون بعيد كما بين الأوج والحضيض وبكمال علو الأول قد يستغنى عن الأكل والشرب كالملائكة بالأذواق الروحانية والتجليات الربانية وذلك مدة كثيرة كما وقع لبعضهم ولتمام تسفل الثاني يأكل كما تأكل الأنعام فلا يقتنع في اليوم والليلة بمرة من الأكل بل يحتاج إلى مرات منها وإلا يقع في الاضطراب والذبول والنحول وربما تؤدي قلة الأكل إلى هلاكه كما حكي أن شخصين أحدهما سمين والآخر هزيل حبسا في تهمة ومنع عنهما الغذاء أسبوعاً فبعد الأسبوع تبين أن ليس لهما جرم فإذا السمين قد مات والهزيل حي وذلك لأن من اعتاد الأكل إذا لم يجده هلك.

تمت سورة النجم بعون الله تعالى في الحادي عشر من شهر رمضان المنتظم في سلك شهور سنة أربع عشرة ومائة وألف

٥٤ ـ سورة القمر

وآيها خمس وخمسون وهي مكية عند الجمهور والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾.

﴿اقتربت الساعة﴾ الاقتراب نزديك آمدن. والساعة جزء من أجزاء الزمان عبر بها عن القيامة تشبيهاً لها بذلك لسرعة حسابها أو لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لأنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم أو لغير ذلك كما بين فيما سبق والمعنى دنت القيامة وقرب قيامها ووقوعها لأنه ما بقي من الدنيا إلا قليل كما قال عليه السلام: «إن الله جعل الدنيا كلها قليلاً فما بقي منها قليل من قليل ومثل ما بقي مثل الثعب» أي: الغدير شرب صفوه وبقي كدره فالاقتراب يدل على مضي الأكثر ويمضي الأقل عن قريب كما مضى الأكثر وبيانه أنه مضى من يوم السنبلة وهو سبعة آلاف سنة وقد صح أن مدة هذه الأمة تزيد على ألف بنحو أربعمائة سنة إلى خمسمائة سنة ولا يجوز الزيادة إلى خمسمائة سنة بعد الألف لعدم ورود الأخبار في ذلك ولاقتضاء البراهين والشواهد عند أهل الظواهر والبواطن من أهل السنة وقد قال عليه السلام: «الآيات بعد المائتين» والمهدي بعد المائتين فتنتهي دورة السنبلة بظهور عيسى عليه السلام فيكون آدم فاتحها وعيسى خاتمها فعلى هذا فآدم ونبينا عليهما السلام أي: وجودهما من أشراط الساعة كما قال عليه السلام: «مثلي ومثل الساعة كفرسي رهان» فإذا كان وجوده من أشراط الساعة فمعجزاته من انشقاق القمر ونحوه تكون كذلك.

يقول الفقير: فإن قلت فكم عمر الدنيا بأسرها وما قول العلماء فيه قلت: اتفقوا على حدوث الدنيا وما قطعوا بشيء في مدتها والذي يلوح لي والله أعلم بحقيقة المدة أنها ثلاثمائة وستون ألف سنة وذلك لأنه قد مثل دور السنبلة بجمعة من جمع الآخرة أي: سبعة أيام وكل يوم من أيام الآخرة ألف سنة كما قال تعالى ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ [الحج: ٤٧] ولا شك أن بالجمعة أي: الأسبوع يتقدر الشهر وبالشهر تتقدر السنة وعليه يحمل ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة فقد مضى ستة آلاف سنة ومائة سنة وليأتين عليها زمن من سنين ليس عليها من يوحد وقد خاطبت الدنيا آدم عليه السلام فقالت: يا آدم جئت وقد انقضى شبابي يعني انقضى من عمرها ستون ألف سنة تقريباً وهي إجمال ما ذكرنا من المدة ولا شك أن ما بين الستين والسبعين دقاقة الرقاب فآدم إنما جاء إلى الدنيا وقد انقضى عمرها وبقي شيء قليل منها وعلى هذا المعنى يحمل قول من قال إن عمر الدنيا سبعون ألف سنة فاعرف جداً فالساعة مقتربة عند الله وعند الناس لأن كل آت قريب وإن

طالت مدته فكيف إذا قصرت وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: ٦، ٧] فبالنسبة إلى الغافلين المنكرين ولا عبرة بهم والحكمة في ذكر اقتراب الساعة تحذير المكلف وحثه على الطاعة تنبيهاً لعباده على أن الساعة من أعظم الأمور الكونية على خلقه من أهل السمٰوات والأرض وأما تعيين وقت الساعة فقد انفرد الحق تعالى بعلمه وأخفاه عن عباده لأنه أصلح لهم ولذا كان كل نبي قد أنذر أمته الدجال وفي الحديث: «إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم» والمراد بالكذابين الدجاجلة وهم الأئمة المضلون.

يقول الفقير: لا شك أن إنذار الأنبياء عليهم السلام حقيقة من أمثال هؤلاء الدجاجلة من أممهم إذ لم يخل قرن منهم وإلا فهم يعرفون أن الساعة إنما تقوم بعد ظهور ختم النبيين وختم الأمم وأن الدجال الأعور الكذاب متأخر عن زمانه وإنما يخرج في الألف الثاني بعد المائتين والله أعلم فكل كذاب بين يدي الساعة سواء كان قبل مبعث النبي عليه السلام أو بعده فإنما هو من مقدمات الدجال المعروف كما أن كل أهل صدق من مقدمات المهدي رضي الله عنه ﴿**وانشق القمر**﴾ الانشقاق شكافته شدن. دلت صيغة الماضي على تحقق الانشقاق في زمن النبي عليه السلام ويدل عليه قراءة حذيفة رضي الله عنه وقد انشق القمر أي: اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق وقد خطب حذيفة بالمدائن ثم قال ألا إن الساعة قد اقتربت وأن القمر قد انشق على عهد نبيكم وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه صاحب سر رسول الله عليه السلام كابن مسعود رضي الله عنه وعلى هذا القول عامة الصحابة ومن بعدهم وبه أخذ أكثر المفسرين فلا عبرة بقول من قال إنه سينشق يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ [الانشقاق: ١] والتعبير بالماضي للدلالة على تحققه على أنا نقول يجوز أن يكون انشقاقه مرتين: مرة في زمانه عليه السلام إشارة إلى قرب الساعة ومرة يوم القيامة حين انشقاق السماء وفي فتح الباري لابن حجر حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلاً مستفيضاً يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث انتهى وقال الطيبي: أسند أبو إسحاق الزجاج عشرين حديثاً إلا واحداً في تفسيره إلى رسول الله عليه السلام في انشقاق القمر وفي شرح الشريف للمواقف هذا متواتر رواه جمع كثير من الصحابة كابن مسعود وغيره قال سعدي المفتي: فيه أنهم لم يجعلوا حديث: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» وقد رواه ستون أو أكثر من الصحابة وفيهم العشرة من المتواتر فكيف يجعل هذا منه انتهى.

يقول الفقير: قد جعل ابن الصلاح ومن تبعه ذلك الحديث أي: حديث من كذب الخ من المتواتر كما في «أصول الحديث» على أنه يجوز أن لا يكون بعض ما رواه جمع كثير من المتواتر لعدم استجماع شرائطه. إمام زاهد رحمه الله: آورده كه شبى ابو جهل وجهودى بحضرت پيغمبر عليه السلام رسيدند ابو جهل كفت أي: محمد آيتي بمن نماى والاسر توبشمشير برميدارم آن حضرت فرمود كه چه ميخواهى ابو جهل بجب وراست نكريست كه چه خواهد كه وقوع آن متعذر باشد يهودى كفت او ساحرست اورا بكوى كه ماه را بشكافد كه سحر درزمين متحقق ميشود وساحر را در آسمان تصرف نيست ابو جهل كفت أي: محمد ماه را براى ما بشكاف آن حضرت انكشت شهادت بر آورد واشارت فرمود ماه رابشكافت في الحال دونيم شد يك نيم برجاى خود قرار كرفت ويكى ديكر جايى ديكر رفت وباز كفت بكوى تاملتئم شود اشارت كرد هردونيمه بهم پيوستند:

شق كشت ماه چارده برلوح سبز چرخ — چون خامه دبير ز تيغ بنان او

او العطار قدس سره:

ماه را انكشت او بشكافته — مهر ازفرمانش از پس تافته

وفي «المثنوي»:

پس قمركه امر بشنيد وشتافت — پس دونيمه كشت برچرخ وشكافت

وقال الجامي:

چومه را بر سرتير اشارت — زد از سبابه معجز بشارت

دونون شد ميم دور حلقه ماه — چهل راساخت اوشصت از دو پنجاه

بلى چون داشت دستش بر قلم پشت — رقم زد خط شق برمه برانكشت

يهودى ايمان آورد وابو جهل لعين كفت چشم ما بسحر رفته است وقمر را منشق بما نموده.

وقال بعض المفسرين: اجتمع بعض صناديد قريش فقالوا: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين ووعدوا الإيمان وكانت ليلة البدر فرفع عليه السلام أصبعه وأمر القمر بأن ينشق نصفين فانفلق فلقتين أي: شقين فلقة ذهبت عن موضع القمر وفلقة بقيت في موضعه وقال ابن مسعود رضي الله عنه: رأيت حراء بين فلقتي القمر فعلى هذا فالنصفان ذهبا جميعاً عن موضع القمر فقال بعضهم: نصف ذهب إلى المشرق ونصف إلى المغرب وأظلمت الدنيا ساعة ثم طلعا والتقيا في وسط السماء كما كان أول مرة فقال عليه السلام: اشهدوا اشهدوا وعند ذلك قال كفار قريش: سحركم ابن أبي كبشة فقال رجل منهم: إن محمداً إن كان سحر القمر بالنسبة إليكم فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر جميع أهل الأرض فاسألوا من يأتيكم من البلاد هل رأوا هذا. يعني ازجماعت مسافران كه ازاطراف آفاق، برسند سؤال كنيد تا ايشان ديده اند يانه. فسألوا أهل الآفاق فأخبروا كلهم بذلك. يعني چون از آينده ورونده پرسيدند همه جواب دادندكه درفلان شب ماه رادونيمه ديديم. وهذا الكلام كما لا يخفى يدل على أنه لم يختص برؤية القمر منشقاً أهل مكة بل رآه كذلك جميع أهل الآفاق وبه يرد قول بعض الملاحدة لو وقع انشقاق القمر لاشترك أهل الأرض كلهم في رؤيته ومعرفته ولم يختص بها أهل مكة ولا يحسن الجواب عنده بأنه طلبه جماعة فاختصت رؤيته بمن اقترح وقوعه ولا بأنه قد يكون القمر حينئذ في بعض المنازل التي تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض ولا بقول بعضهم إن انشقاق القمر آية ليلية جرى مع طائفة في جنح ليلة ومعظم الناس نيام كما في «إنسان العيون» وقال في «الأسئلة المقحمة» لا يستبعد اختفاؤه عن قوم دون قوم بسبب غيم أو غيره يمنع من رؤيته أي: فكان انشقاق القمر صحيحاً لكنه لم ينقل بطريق التواتر ولم يشترك فيه العرب والعجم في جميع الأقطار القاصية والدانية ولذا وقع فيه الاختلاف كما وقع في المعراج والرؤية وإلى انشقاق القمر أشار الإمام السبكي في تائيته بقوله:

وبدر الدياجي انشق نصفين عندما — أرادت قريش منك إظهار آية

وصاحب القصيدة البردية بقوله — أقسمت بالقمر المنشق أن له

من قلبه نسبة مبرورة القسم

يعني لو أقسم أحد أن للقمر المنشق نسبة وشبهاً بقلبه المنشق يكون باراً وصادقاً وصاحب الهمزية بقوله:

شق عن صدره وشق له البدر ومن شرط كل شرط جزاء

أي: شق عن صدره عليه السلام وشق لأجله القمر ليلة أربع عشرة وإنما شق له لأن من شرط كل شرط جزاء لأنه لما شق صدره جوزي على ذلك بأعظم مشابه له في الصورة وهو شق القمر الذي هو من أظهر المعجزات بل أعظمها بعد القرآن. كما قال الصائب:

هر محنتى مقدمه راحتى بود شد همزبان حق چو زبان كليم سوخت

موسى كليم را انفلاق بحر بود ومصطفى حبيب را انشقاق قمربود چه عجب كر بحر برموسى بضرب عصا شكافته شد كه بحر مركوب وملموس است دست آدمي بدو رسد وقصد آدمي بوى اثر دارد اعجوبه مملكت إنشقاق قمر است كه عالميان ازدر يافت آن عاجز ودست جن وانس از رسيدن بوى قاصر وبيان شق الصدر أنه قالت حليمة أمه عليه السلام من الرضاعة وهي من بنات بني سعد بن بكر أسلمت مع أولادها وزوجها بعد البعثة لما كان يوم من الأيام خرج محمد مع إخوته من الرضاعة وكان يومئذ ابن خمس سنين على ما قال ابن عباس رضي الله عنهما فلما انتصف النهار إذا أنا بابني حمزة يعدو وقد علاه العرق باكياً ينادي يا أماه يا أبتاه أدركا أدركا أخي القرشي فما أراكما تلحقانه إلا ميتاً قلت: وما قصته؟ قال: بينا نحن نترامى بالجلة إذا أتاه رجل فاختطفه من بيننا وعلا به ذروة الجبل وشق صدره إلى عانته فما أراه إلا مقتولاً قالت: فأقبلت أنا وزوجي نسعى سعياً فإذا أنا به قاعد على ذروة الجبل شاخص بعينه نحو السماء يتبسم فانكببت عليه وقبلت بين عينيه فقلت له: فداك نفسي ما الذي دهاك؟ قال: خير يا أمه بينا أنا الساعة قائم مع إخوتي نتقاذف بالجملة إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض وفي رواية فأقبل إلي طيران أبيضان كأنهما نسران وفي رواية كركيان والمراد ملكان وهما جبرائيل وميكائيل وفي رواية أتاني ثلاثة رهط أي: وهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل لأن جبريل ملك الوحي الذي به حياة القلوب وميكائيل ملك الرزق الذي به حياة الأجساد وإسرافيل مظهر الحياة مطلقاً في يد أحدهم إبريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمرد أخضر مملوء ثلجاً وهو ثلج اليقين فأخذوني من بين أصحابي وانطلقوا بي إلى ذروة الجبل وفي رواية إلى شفير الوادي فأضجعني بعضهم على الجبل إضجاعاً لطيفاً ثم شق صدري وأنا أنظر إليه فلم أجد لذلك حساً ولا ألماً ثم أدخل يده في جوفي فأخرج أحشاء بطني فغسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها أي: بالغ في غسلها ثم أعادها مكانها وقام الثاني وقال للأول تنح فقد أنجزت ما أمرك الله فدنا مني فأدخل يده في جوفي فانتزع قلبي وشقه باثنين فأخرج منه علقة سوداء فرمى بها وقال: هذا حظ الشيطان أي: محل غمزه ومحل ما يلقيه من الأمور التي لا تنبغي لأن تلك العلقة خلقها الله في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فأزيلت من قلبه وبعض ورثته الكمل يقيء دماً أسود محترقاً من نور التوحيد فيحصل به شرح الصدر وشق القلب أيضاً ولا يلزم من وجود القابل لما يلقيه الشيطان حصول الإلقاء بالفعل قبل هذا الشق فإنه عليه السلام معصوم على كل حال فإن قلت: فلم خلق الله هذا القابل في هذه الذات الشريفة وكان من الممكن أن لا يخلق فيها قلت لأنه من جملة الأجزاء الإنسانية فخلقت تكملة للخلق الإنساني ثم نزعت تكرمة له أي: لأنه لو خلق خالياً عنها لم تظهر تلك الكرامة وفيه أنه يرد على ذلك ولادته عليه السلام من غير قلفة وهي جلدة الذكر التي يقطعها الخاتن وأجيب بالفرق بينهما لأن القلفة لما كانت تزال ولا بد من كل أحد مع ما يلزم على إزالتها من كشف العورة كان نقص

الخلقة الإنسانية عنها عين الكمال قال عليه السلام: ثم حشا قلبي بشيء كان معه وهو الحكمة والإيمان ورده مكانه ثم ختمه بخاتم من نور يحيا الناظرون دونه وفي رواية أقبل الملك وفي يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه ولا مانع من تعدد الختم فختم القلب لحفظ ما فيه وبين الكتفين مبالغة في حفظ ذلك لأن الصدر وعاؤه القريب وجسده وعاؤه البعيد وخص بين الكتفين لأنه أقرب إليه من القلب من بقية الجسد وهو موضع نفوذ خرطوم إبليس لأن العدو يجيء من وراء ولذا سن الحجامة فيه ثم قال عليه السلام: «أنا الساعة أجد برد الخاتم في عروقي ومفاصلي وقام الثالث فقال: تنحيا فقد أنجزتما ما أمر الله فيه فدنا مني وأمر يده على مفرق صدري إلى منتهى الشق فالتأم وأنا أنظر إليه وكانوا يرونه أثراً كأثر المخيط في صدره وهو أثر مرور يد جبريل ثم أنهضني من الأرض إنهاضاً لطيفاً ثم قال الأول الذي شق صدري: زنه بعشرة من أمته فوزنني فرجحتهم ثم قال: زنه بعشرين فرجحتهم ثم قال: زنه بمائة فرجحتهم ثم قال: زنه بألف فرجحتهم ثم قال: دعه فلو وزنتموه بأمته كلهم لرجحهم».

يقول الفقير: هذا يدل على أنه عليه السلام كما أنه أفضل من كل فرد فرد من أفراد الموجودات فكذا أفضل من المجموع ولا عبرة بقول من قال في كونه أفضل من المجموع توقف لأنه جهل بشأنه العالي وأنه أحدية مجموع الأسماء الإلهية وبرزخيتها فاعرف قال عليه السلام: ثم انكبوا علي وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا: يا حبيباه إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وتركوني قاعداً في مكاني هذا وجعلوا يطيرون حتى دخلوا خلال السماء وأنا أنظر إليهم ولو شئت لأرينك موضع دخولهم.

واعلم أن صدره الشريف شق مراراً مرة لإخراج حظ الشيطان كما مر لأنه لا يليق به وعند مجيء الوحي لتحمل ثقله وعند المعراج لتحمل أسراره ففي شرح الصدر مراراً مزيد تقوية لباطنه وهذا الشرح معنوي لأكامل أمته ولا بد منه في حصول الفيض الإلهي يسره الله لي ولكم ثم إنه بقي هنا معنى آخر كما قاله البعض وهو أن انشقاق القمر مجاز عن وضوح الأمر ولا يبعد أن يحمل بيت «المثنوي» على ذلك وهو:

سايه خواب آرد ترا همچون سمر چون بر آيد شمس انشق القمر

أي وضح الأمر واستبان وذلك لأنه عند اقتراب الساعة ينكشف كل خفي ويظهر كل مستور ويستبين الحق من الباطل من كل وجه ويدل على هذا المعنى قوله عليه السلام: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب» فإن المراد وضوح الأمر في آخر الزمان وظهور حقيقته ولذا يصير الناس بحيث ينكشف لأدنى سالك منهم في مدة قليلة ما لم ينكشف للأمم الماضية في مدة طويلة وذلك لأن الله تعالى قال في حق يوم القيامة ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾ [الطارق: ٩] فإذا قرب الزمان من ذلك اليوم يأخذ حكمه فيكون كشف الأمور أكثر والخفايا أظهر وقال البقلي رحمه الله: علم الله انتظار أرواح الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين والأولياء العارفين وجميع الصالحين كشف جماله وقرب وصاله والدخول في جواره فبشرهم الله تعالى بأنه مقرون بقدوم محمد عليه السلام فلما خرج بالنبوة شك فيه المشركون فأراهم الله صدق وعده بانشقاق القمر حتى يعرفوا أن الله تعالى يريد بالعالمين إتيان الساعة التي فيها كشوف العجائب وظهور الغرائب من آيات الله وصفاته وذاته.

وفي «التأويلات النجمية»: اعلم أن الساعة أي: القيامة ساعتان الكبرى وهي عامة بالنسبة

إلى جميع الخلائق وهي التي اقتربت والصغرى وهي خاصة بالنسبة إلى السالكين إلى الله برفع الأوصاف البشرية وقطع العلائق الطبيعية السائرين في الله بالتجلي بالأوصاف الإلهية والأخلاق الربانية الراجعين من الحق إلى الخلق بالبقاء الحقاني بعد الفناء الخلقاني وبالجمع بعد الفرق وهي أعني الساعة الصغرى واقعة اليوم في كل آن ولله تجلي جلالي يفنى وجمالي يبقى وإليه إشارة قوله عليه السلام: «من مات فقد قامت قيامته» فقد انشق قمر قلب السالك عن ظلمة النفس المظلمة باستيلاء نور شمس فلك الروح عليها فلا جرم وقعت الساعة بالنسبة إلى القلب الحي المنور بالنور الإلهي ووقعت القيامة الخاصة الشاملة على الموت والحشر والنشور فافهم ولا تعجب لئلا تكون ممن قال تعالى فيهم ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠﴾ [النجم: ٥٩، ٦٠] والله الموفق والمعين.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦﴾

﴿وإن يروا﴾ يعني قريشاً ﴿آية﴾ من آيات الله دالة على قدرته وصدق نبوة حبيبه عليه السلام مثل انشقاق القمر ونظائره ومعنى تسمية ما جاءت به الأنبياء معجزة هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها ﴿يعرضوا﴾ عن التأمل فيها ليقفوا على حقيقتها وعلو طبقتها فيؤمنوا ﴿ويقولوا﴾ هذا ﴿سحر مستمر﴾ مطرد دائم يأتي به محمد عليه السلام على ممر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر أنواع السحر فالاستمرار بمعنى الاطراد يقال: اطرد الشيء تبع بعضه بعضاً وجرى وهو يدل على أنهم رأوا قبله آيات أخرى مترادفة حتى قالوا وفيه تأييد أن انشقاق القمر قد وقع لأنه سينشق يوم القيامة كما قاله بعضهم وذلك لأنه لو لم يكن الانشقاق من جنس الآيات لم يكن ذكر هذا القول مناسباً للمقام أو مطرداً بالنسبة إلى جميع الأشخاص والبلاد حيث رأوه منشقاً وقال بعضهم: آن جاد وييست دائم وورونده از زمين تا بآسمان. ويجوز أن يكون مستمر من المرة بالكسر بمعنى القوة أمررته فاستمر إذا أحكمته فاستحكم فالاستمرار بمعنى الاستحكام أي: قوي مستحكم لا يمكن إزالته أو قوي شديد يعلو كل سحر وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى عن قريب تمنية لأنفسهم وتعليلاً فهو من المرور.

﴿وكذبوا﴾ أي: بالنبي عليه السلام وما عاينوه من معجزات التي أظهرها الله على يده ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ التي زينها الشيطان لهم من رد الحق بعد ظهوره أو كذبوا الآية التي هي انشقاق القمر واتبعوا أهواءهم وقالوا: سحر القمر أو سحر أعيننا والقمر بحاله ولم يصبه شيء أو أنه خسوف في القمر وظهور شيء من جانب آخر من الجو يشبه نصف القمر فهذه أهواؤهم الباطلة:

بد كمانى لازم بد باطنان افتاده است كوشه از خلق جا كردم كمين پنداشتند

وذكرهما بلفظ الماضي أي: بعد يعرضوا ويقولوا بلفظ المستقبل للإشعار بأنهما من عادتهم القديمة وفيه إشارة إلى المحجوبين المستغرقين في بحر الدنيا وشهواتها فإنهم إذا ظهر لهم خاطر رحماني بالإقبال على الله ومتابعة الرسول وترك حب الدنيا ورفع شهواتها يعرضوا عن هذا الخاطر الرحماني وينفوه ولا يلتفتوا إليه ولا يعتبروه بل يزدادوا فيما هم عليه من حب

الدنيا ومتابعة النفس وموافقة الهوى ويرموه بالكذب وربما يرى بعضهم في منامه أنه لبس خرقة الفقراء من خارج ولكن تحتها قميص حرير فهذا يدل على أن تجرده ليس من باطنه فتجرده الظاهري وملاحظة الفناء القشري ليس بنافع له جداً ﴿وكل أمر مستقر﴾ أي: وكل أمر من الأمور مستقر أي: منته إلى غاية يستقر عليها لا محالة من جملتها أمر النبي عليه السلام فسيصير إلى غاية يتبين عندها حقيقته وعلو شأنه وإبهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة إلى التصريح به أو كل أمر من أمرهم وأمره عليه السلام مستقر أي: سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة في الدنيا وشقاوة أو سعادة في الآخرة فإن الشيء إذا انتهى إلى غايته ثبت واستقر يعني أن الاستقرار كناية عن ملزومه وهو الانتهاء إلى الغاية فإن عنده يتبين حقيقة كل شيء من الخير والشر والحق والباطل والهوى والحجة وينكشف جلية الحال ويضمحل الشبه والالتباس فإن الحقائق إنما تظهر عند العواقب فهذا وعيد للمشركين ووعد وبشارة للرسول والمؤمنين ونظيره ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنعام: ٦٧] أي: كل نبأ وإن طالت مدته فلا بد أن ينتهي إلى غايته وتنكشف حقيقته من حق وباطل وفي «عين المعاني» وكل أمر وعدهم الله كائن في وقته أي: لا يتغير شيء عن مراد الله ولا يغيره أحد دون الله فهو يمضيه على الخلق في وقته لأنه مستقر لا يزول وفيه إشارة إلى أن أمر محمد الروح وأمر أبي جهل النفس له نهاية وغاية يستقر فيها إما إلى السعادة الأبدية بواسطة التخلق بالأخلاق الإلهية وإما إلى الشقاوة السرمدية بسبب الاتصاف بالصفات البشرية الحيوانية.

﴿ولقد جاءهم﴾ أي: وبالله لقد جاء أهل مكة في القرآن ﴿من الأنباء﴾ جمع نبأ وهو خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة أي: أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار فاللام عوض عن المضاف إليه وهو حال مما بعده ﴿ما فيه مزدجر﴾ أي: ازدجار من تعذيب إن أريد بالأنباء أنباء القرون الخالية أو وعيد إن أريد بها أنباء الآخرة أو موضع ازدجار على أن في تجريدية والمعنى أنه في نفسه موضع ازدجار ومظنة له كقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] أي: هو في نفسه أسوة حسنة وتاء الافتعال تقلب دالاً مع الدال والذال والزاي للتناسب في المخرج أو لتحصيل التناسب فإن التاء مهموسة وهذه الحروف مجهورة يعني أن أصله مزتجر لأنه مفتعل من الزجر قلبت التاء دالاً لأن الزاي حرف مجهور والتاء حرف مهموس والذال تناسب الزاي في الجهر وتناسب التاء في المخرج يقال زجره وازدجره أي: نهاه عن السوء ووعظه غير أن افتعل أبلغ في المعنى من فعل قال الراغب: الزجر طرد بصوت يقال زجرته فانزجر ثم يستعمل في الطرد تارة وفي الصوت تارة وقوله تعالى ﴿مزدجر﴾ أي: طرد ومنع عن ارتكاب المأثم.

﴿حكمة بالغة﴾ غايتها متناهية في كونها حكمة لا خلل فيها أو قد بلغت الغاية في الإنذار والنهي والموعظة وهو بدل من ما أو خبر لمحذوف وفي «القاموس» الحكمة بالكسر العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن وفي «المفردات» الحكمة إصابة الحق بالعلم والفعل فالحكمة من الله معرفة الأشياء أو إيجادها على غاية الأحكام ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات وإذا وصف القرآن بالحكيم فلتضمنه الحكمة وهي علمية وعملية والحكمة المنطوق بها هي العلوم الشرعية والطريقة والحكمة المسكوت عنها هي أسرار الحقيقة التي لا يطلع عليها علماء

الرسوم والعوام على ما ينبغي فتضرهم أو تهلكهم ﴿فما تغني النذر﴾ نفي للإغناء فمفعول تغني محذوف أي: لم تغن النذر شيئاً أو استفهام إنكار فما منصوبة على أنها مفعول مقدم لتغني أي: فأي إغناء تغني النذر إذا خالفوا أو كذبوا أي: لا تنفع كقوله ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] جمع نذير بمعنى المنذر أو مصدر بمعنى الإنذار وفيه إشارة إلى عدم انتفاع النفوس المتمردة بإنذار منذر الروح وإنذار منذر القلب إذ الروح مظهر منذر القرآن والقلب مظهر منذر الحقيقة.

﴿فتول عنهم﴾ لعلمك بأن الإنذار لا يؤثر فيهم البتة ولا ينفع فالفاء للسببية وبالفارسية پس روى بكردان از ايشان تا وقت امر بقتال ومنتظر باش جزاى انشانرا ﴿يوم يدع الداع﴾ أصله يوم يدعو الداعي بالواو والياء لما حذف الواو من يدعو في التلفظ لاجتماع الساكنين حذفت في الخط أيضاً إتباعاً للفظ وأسقطت الياء من الداعي للاكتفاء بالكسرة تخفيفاً قال بعضهم: حذفت الياء من الداعي مبالغة في التخفيف إجراء لأل مجرى ما عاقبها وهو التنوين فكما يحذف الياء مع التنوين كذلك مع ما عاقبه ويوم منصوب بيخرجون أو باذكر والداعي إسرافيل عليه السلام ينفخ في الصور قائماً على صخرة بيت المقدس ويدعو الأموات وينادي قائلاً أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء أو أن إسرافيل ينفخ وجبريل يدعو وينادي بذلك وعلى كلا القولين فالدعاء على حقيقته وقال بعضهم: هو مجاز كالأمر في قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] يعني أن الدعاء في البعث والإعادة مثل كن في التكوين والابتداء بأن لا يكون ثمة داع من إسرافيل أو غيره بل يكون الدعاء عبارة عن نفاذ مشيئته وعدم تخلف مراده عن إرادته كما لا يتخلف إجابة دعاء الداعي المطاع.

يقول الفقير: الأولى بقاؤه على حقيقته لأن إسرافيل مظهر الحياة وبيده الصور والله تعالى ربط الأشياء بعضها ببعض وإن كان الكل بإرادته ومشيئته ﴿إلى شيء نكر﴾ بضمتين صفة على فعل وقرىء بسكون الكاف وكلاهما بمعنى المنكر أي: منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول يوم القيامة ومنه منكر ونكير لفتاني القبر لأنه لم يعهد عند الميت مثلهما.

﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾.

﴿خشعاً أبصارهم﴾ حال من فاعل ﴿يخرجون﴾ والتقديم لأن العامل فعل فعل متصرف أي: يخرجون ﴿من الأجداث﴾ جمع جدث محركة وهو القبر أي: من قبورهم حال كونهم أذلة أبصارهم من شدة الهول خاضعة عند رؤية العذاب والخشوع ضراعة وأكثر ما يستعمل فيما يوجد في الجوارح والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب كما روي «إذا ضرع القلب خشعت الجوارح» وخص الأبصار بالخشوع لأنه فيها أظهر منه في سائر الجوارح وكذلك سائر ما في نفس الإنسان من حياء أو خوف ونحوه إنما يظهر في البصر ﴿كأنهم جراد﴾ أي: يشبهن الجراد وهو بالفارسية ملخ. سمي بذلك لجرده الأرض من النبات يقال: أرض مجرودة أي: أكل ما عليها حتى تجردت كما في «المفردات» ﴿منتشر﴾ في الكثرة والتموج والتفرق في الأقطار ومثله قوله: ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤].

﴿مهطعين إلى الداع﴾ حال أيضاً أي: مسرعين إلى جهة الداعي مادي أعناقهم إليه أو

ناظرين إليه لا يقلعون بأبصارهم يقال هطع الرجل إذا أقبل ببصره على الشيء لا يقلع عنه وأهطع إذا مد عنقه وصوب رأسه وأهطع في عدوه إذا أسرع كما في «الجوهري» وفيه إشارة إلى ذلة أبصار النفوس وعلتها فإنها رمدت من حب الدنيا وانطفاء أبصار القلوب عن شواهد الحق وانطماس أبصار الأرواح عن شهود الحق وإلى أن هذه النفوس الرديئة تخرج من قبور صفاتها الرذيلة كالجراد الحريص على أكل زروع مزارع القلب من الأخلاق الروحانية منتشرين في مزارع الروح ومغارس القلب بالفساد والإفساد وترى هذه النفوس الخبيثة مسرعة إلى إجابة داعي الشهوات النفسانية واللذات الجسمانية راغبة إلى دعوته مقبلة على طلبه ﴿**يقول الكافرون**﴾ استئناف وقع جواباً عما نشأ من وصف اليوم بالأهوال وأهله بسوء الحال كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل: يقول الكافرين: ﴿**هذا يوم عسر**﴾ أي: صعب شديد علينا فيمكثون بعد الخروج من القبور واقفين أربعين سنة يقولون: أرحنا من هذا ولو إلى النار ثم يؤمرون بالحساب وفي إسناد القول المذكور إلى الكفار تلويح بأن المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة بل ذلك اليوم يوم يسير لهم ببركة إيمانهم وأعمالهم بل المطهرون المحفوظون الذين ما تدنست بواطنهم بالشبه المضلة ولا ظواهرهم أيضاً بالمخالفات الشرعية آمنون يغبطهم النبيون في الذي هم عليه من الأمن لما هم والنبيون عليه من الخوف على أممهم يعني أن الأنبياء والرسل عليهم السلام يخافون على أممهم للشفقة التي جبلهم الله عليها للخلق فيقولون في ذلك اليوم سلم سلم وإن كان لا يحزنهم الفزع الأكبر لأنهم آمنون من خوف العاقبة وفيه إشارة إلى كفار النفوس اللئيمة يقولون بلسان الحال ولا ينفعهم المقال يوم قيامة اضطرابهم لما رأوا الفضيحة والقطيعة هذا يوم عسر صعب خلاصنا ومناصنا منه لا نجاة لنا ولا منجاة إلا الاستمساك بعروة وثقى الروح والقلب وما يقدرون على ما يقولون لإفساد استعدادهم بيد الأماني الكاذبة واختيار تلك الأماني الفاسدة الدنيوية على المطالب الصالحة الأخروية فعلى العاقل أن يختار الباقي على الفاني ولا يغتر بالأماني بل يجتهد قبل الموت بأسباب الخلاص والنجاة لكي يحصل له في الآخرة النعيم والدرجات وإلا فإذا خرج الوقت من اليد وبقيت اليد صفراً في الغد فلا ينفع الأسف والويل نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الذين أجابوا داعي الله ورسوله وتشرفوا بالعمل بالقرآن وقبوله وييسر لنا الفناء المعنوي قبل الفناء الصوري ويهيىء لنا من أمرنا رشداً فإنا آمنا به ولم نشرك بربنا أحداً وهو المعين في الآخرة والأولى وبيده الأمور رداً وقبولاً.

﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾

﴿**كذبت قبلهم قوم نوح**﴾ أي: فعل التكذيب قبل قومك يا محمد قوم نوح أو كذبوا نوحاً فالمفعول محذوف وهو شروع في تعداد بعض الأنباء الموجبة للازدجار وتسلية لرسول الله ﷺ ﴿**فكذبوا عبدنا**﴾ نوحاً تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ﴾ [هود: ٤٥] الخ فالمكذب في المقامين واحد والفاء تفسيرية تفصيلية تعقيبية في الذكر فإن التفصيل يعقب الإجمال وفي ذكره بعنوان العبودية مع الإضافة إلى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه فإن تكذيب عبد السلطان أشنع من تكذيب عبد غيره وفيه إشارة إلى أنه لا شيء أشرف من العبودية فإن الذلة الحقيقية التي يقابلها

مقام الربوبية مختصة بالله تعالى فكذا العبودية مختصة بالعبد وهي المرادة بالتواضع وهي غير التملق فإن التملق لا عبرة به وفي الحديث «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أي: ليس الفخر لي بالرسالة وإنما الفخر لي بالعبودية وخصوصاً بالفقر الذي هو الخروج عن الوجود المجازي بالكلية ﴿وقالوا﴾ في حقه هو أو قالوا له إنك ﴿مجنون﴾ أي: لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الجنون واختلال العقل وهو مبالغة في التكذيب لأن من الكاذبين من يخبر بما يوافق العقل ويقبله والمجنون لا يقول إلا ما لا يقبله العقل ويأباه ﴿وازدجر﴾ عطف على قالوا فهو من كلام الله أي: وزجر عن التبليغ بأنواع الأذية مثل الشتم والضرب والخنق والوعيد بالرجم قال الراغب: وازدجر أي: طرد واستعمال الزجر فيه لصياحهم بالمطرود نحو أن يقال أعزب عني وتنح ووراءك وقيل هو من جملة ما قالوه أي: هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته أي: أفسدته وتصرفت فيه وذهبت بلبه وطارت بقلبه وفيه إشارة إلى أن كل داع حق لا بد وأن يكذب لكثرة أهل البطلان وغلبة أهل البدع والأهواء والطغيان وذلك في كل عصر وزمان وأيضاً قوم نوح الروح وهم النفس الأمارة وصفاتها لا يقبلون دعوته إلى الله لانهماكهم في الشهوات واللذات وصعوبة الفطام عن المألوفات والله المعين في جميع الحالات والمقامات:

اين جهان شهوتي بتخانه ايست   انبيا وكافران را لأنه ايست
ليك شهوت بنده پا كان بود   زرنسوزد زانكه نقد كان بود
ذلة الأرواح من أشباحها   عزة الأشباح من أرواحها
كم نشين براسب توسن بي لكام   عقل ودين را پيشوا كن والسلام

﴿فدعا ربه﴾ أي: لما زجروا نوحاً عن الدعوة وبلغ مدة التبليغ تسعمائة وخمسين سنة دعا ربه ﴿أني﴾ أي: بأني ﴿مغلوب﴾ من جهة قومي ما لي قدرة على الانتقام منهم ﴿فانتصر﴾ أي: فانتقم لي منهم وذلك بعد تقرر يأسه منهم بعد اللتيا والتي فقد روي أن الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشياً فيفيق ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون فلما أذن الله له في الدعاء للإهلاك دعا فأجيب كما قال في الصفات ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الصافات: ٧٥] ﴿ففتحنا أبواب السماء﴾ أي: طرقها وبالفارسية پس بكشاديم براى عذاب ايشان درهاء آسمانرا ازطرف مجره كما قال علي رضي الله عنه ﴿بماء منهمر﴾ الهمر صب الدمع والماء يقال همره يهمره ويهمره صب فانهمر هو وانهمر أي: انسكب وسال والمعنى بماء كثير منصب انصباباً شديداً كما ينصب من أفواه القرب لم ينقطع أربعين يوماً وكان مثل الثلج بياضاً وبرداً وهو تمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها سواء جعل الباء في قوله بماء للاستعانة وجعل الماء كالآلة لفتح أبواب السماء وهو ظاهر أو للملابسة.

﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾.

﴿وفجرنا الأرض عيوناً﴾ أي: جعلنا الأرض كلها كأنها عيون منفجرة أي: جارية وكان ماء الأرض مثل الحميم حرارة وأصله وفجرنا عيون الأرض فغير عن المفعولية إلى التمييز قضاء لحق المقام من المبالغة لأن قولنا فجرنا عيون الأرض يكفي في صحة تفجر ما فيها من

العيون ولا مبالغة فيه بخلاف فجرنا الأرض عيوناً فإن معناه فجرنا أجزاء الأرض كلها بجعلها عيون الماء ولا شك في أنه أبلغ ﴿**فالتقى الماء**﴾ أي: ماء السماء وماء الأرض وارتفع على أعلى جبل في الأرض ثمانين ذراعاً والإفراد حيث لم يقل الماآن لتحقيق أن التقاء الماءين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد ﴿**على أمر قد قدر**﴾ أي: كائناً على حال قد قدره الله من غير تفاوت أو على حالة قدرت وسويت وهو أن قدر ما أنزل من السماء على قدر ما أخرج من الأرض أو على أمر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان فكلمة على على هذا للتعليل.

يقول الفقير: إنما وقع العذاب بالطوفان العام لأن الماء إشارة إلى العلم فلما لم ينتفع بعلم نوح عليه السلام في المدة الطويلة ولم تغرق أرواحهم فيه أخذوا بالماء حتى غرقت أجسادهم وتأثير الطوفان يظهر في كل ثلاثين سنة مرة واحدة لكن على الخفة فيقع مطر كثير ويغرق بعض القرى والبيوت من السيل.

﴿**وحملناه**﴾ أي: نوحاً ومن آمن معه ﴿**على ذات ألواح**﴾ أي: سفينة صاحبة أخشاب عريضة فإن الألواح جمع لوح وهو كل صحيفة عريضة خشباً أو عظماً وكانت سفينة نوح من ساج وهو شجر عظيم ينبت في أرض الهند أو من خشب شمشاد ويقال من الجوز ﴿**ودسر**﴾ ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد بقهر يقال دسره بالرمح.

ـ وروي ـ أنه ليس في العنبر زكاة إنما هو شيء دسره البحر سمي به المسمار لأنه يدسر به منفذه أي: يدفع قال في «عين المعاني» دسرت بها السفينة أي: شدت أو لأنها تدسر أي: تدفع بالدق فقوله ﴿**ذات ألواح ودسر**﴾ صفة للسفينة أقيمت مقامها بأنها يكنى بها عنها كما يكنى عن الإنسان بقولهم هو مستوي القامة عريض الأظفار.

﴿**تجري بأعيننا**﴾ أي: تجري السفينة وتسير بمرأى منا أي: محفوظة بحفظنا ومنه قولهم للمودع عين الله عليك وقيل بأوليائنا يقال مات عين من عيون الله أي: ولي من أوليائه ﴿**جزاء لمن كان كفر**﴾ مفعول له لما ذكر من فتح أبواب السماء وما بعده وكفر من كفران النعمة أي: فعلنا ذلك المذكور أجراً وثواباً لنوح لأنه كان نعمة كفروها فإن كل نبي نعمة من الله على أمته ورحمة أي: نعمة ورحمة فكان نوح نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما حكي أن رجلاً قال للرشيد: الحمد لله عليك فقال: ما معنى هذا الكلام؟ فقال: أنت نعمة حمدت الله عليها.

﴿**ولقد تركناها**﴾ أي: السفينة ﴿**آية**﴾ يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة: أبقاها الله بباقردى من بلاد الجزيرة وقيل على الجودي دهراً طويلاً حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة وكم من سفينة كانت بعد قد صارت رماداً وفي «تفسير أبي الليث» قال بعضهم: يعني أن تلك السفينة كانت باقية على الجبل قريباً من خروج النبي عليه السلام وقيل: بقيت خشبة من سفينة نوح هي في الكعبة الآن وهي ساجة غرست حتى ترعرعت أربعين سنة ثم قطعت فتركت حتى يبست أربعين سنة وقيل: بقي بعض خشبها على الجودي إلى هذه الأوقات.

يقول الفقير: لعل بقاء بعض خشبها لكونها آية وعبرة وإلا فهو ليس بأفضل من أخشاب منبر نبينا ﷺ في المدينة وقد احترقت أو أكلتها الأرضة فاتخذت مشطاً ونحوه مما يتبرك به ألا ترى أن مقام إبراهيم عليه السلام مع كونه حجراً صلداً لم يبق أثره بكثرة مسح الأيدي ثم لم يبق نفسه أيضاً على ما هو الأصح والمعروف بالمقام الآن هو مقام ذلك المقام فاعرف وفي

«عين المعاني» ﴿ولقد تركناها﴾ أي: الغرق العام وهو إضمار الآية قبل الذكر كقوله ﴿إنها تذكرة﴾ وقال بعضهم: يعني جنس السفينة صارت عبرة لأن الناس لم يعرفوا قبل ذلك سفينة واتخذوا السفن بعد ذلك في البحر فلذلك كانت آية للناس.

يقول الفقير: كيف يعرفونها ولم يكن في الدنيا قبل الطوفان إلا البحر المحيط وذلك أن الله تعالى أمر الأرض بعد الطوفان فابتلعت ماءها وبقي ماء السماء لم تبتلعه الأرض فهذه البحور على وجه الأرض منها وأما البحر المحيط فغير ذلك بل هو جزر عن الأرض حين خلق الله الأرض من زبده وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] أي: العذب والبحور سبعة: منها البحر المحيط وبعضهم لم يعد المحيط منها بل هو غير السبعة وكان نوح عليه السلام نجاراً فجاء جبريل وعلمه صنعة السفينة ﴿فهل من مدكر﴾ أي: معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار فيخاف من الله ويترك المعصية وأصله مذتكر على وزن مفتعل من الذكر فأدغمت الذال في التاء ثم قلبت دالاً مشددة.

﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ استفهام تعظيم وتعجيب أي: كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الإنذار أصله نذري بالياء حذفت اكتفاء بالكسرة وحد العذاب وجمع الإنذارات إشارة إلى غلبة الرحمة لأن الإنذار إشفاق ورحمة فقال: الإنذارات التي هي نعم ورحمة تواترت عليهم فلما لم تنفع وقع العذاب وقعة واحدة فكانت النعم كثيرة والنقمة واحدة.

﴿ولقد يسرنا القرآن﴾ الخ جملة قسمية وردت في أواخر القصص الأربع تنبيهاً على أن كل قصة منها مستقبلة بإيجاب الادكار كافية في الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة في حيز الاعتبار أي: وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بأن أنزلنا على لغتهم كما قال ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧] ووشحنا بأنواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد ﴿للذكر﴾ أي: للتذكير والاتعاظ [وعن الحسن عن النبي عليه السلام لولا قول الله ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ لما أطاقت الألسن أن تتكلم به] ﴿فهل من مدكر﴾ إنكار ونفي للمتعظ على أبلغ وجه وآكده حيث يدل على أنه لا يقدر أحد أن يجيب المستفهم بنعم وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قرأت على النبي عليه السلام فهل من مذكر بالذال فقال عليه السلام: «فهل من مدكر» بالدال قال في «برهان القرآن» قوله فكيف كان الخ ختم به قصة نوح وعاد وثمود ولوط لما في كل واحدة منها من التخويف والتحذير وما حل بهم فيتعظ به حافظ القرآن وتاليه ويعظ غيره. وفي الآيات إشارة إلى مغلوبية نوح القلب في يد النفس الأمارة بغلبات الصفات البشرية عليه حتى دعا ربه فأجابه الله حتى غلبت صفاته الروحانية النورانية على صفاتها الحيوانية الظلمانية وأفاض من سماء الأرواح العلوية مياه الرأفة والرحمة والكرامة ومن أرض البشرية عيون المعارف والحقائق فأهلك قومه المعبر عنهم بالنفس وصفاتها ونجاه على سفينة صفاته الروحانية وفيه إشارة أخرى وهي أنه إذا زاد الكشف والعيان تستشرف الأرواح على الفناء فيدخلها الله في سفن العصمة ويجريها بشمال العناية وأيضاً أن الأنبياء والأولياء سفن عنايته تعالى يتخلص العباد بهم من الاستغراق في بحار الضلالة وظلمات الشقاوة لأنهم محفوظون بحسن عنايته وعين كلاءته ومن استن بسنتهم نجا من الطغيان والنيران ودخل في جوار الرحمن وفي «المثنوي»:

اينچنين فرمود آن شاه رسل ... كه منم كشتى درين درياى كل
يا كسى كودر بصيرتهاى من ... شد خليفه راستى برجاى من
كشتى نوحيم در دريا كه تا ... رونكردانى ز كشتى اي فتى

نسأل الله سبحانه أن يحفظنا في سفينة الشريعة من الاعتماد على العقل والخيال ويعصمنا من الزيغ والضلال.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿**كذبت عاد**﴾ أي: هوداً عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له روماً للاختصار ومسارعة إلى بيان ما فيه الازدجار من العذاب ﴿**فكيف كان عذابي ونذر**﴾ هو لتوجيه قلوب السامعين نحو الإصغاء إلى ما يلقى إليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كأنه قيل كذبت عاد فهل سمعتهم أو فاسمعوا كيف كان عذابي وإنذاراتي لهم فالنذر جمع نذير بمعنى الإنذار.

﴿**إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً**﴾ استئناف ببيان ما أجمل أولاً وصرصر من الصر وهو البرد أو من صر الباب والقلم أي: صوت أي: أرسلنا وسلطنا عليهم ريحاً باردة أو شديدة الصوت والهبوب وهي ريح الدبور وتقدم تفصيله في فصلت وغيرها ﴿**في يوم نحس**﴾ النحس ضد السعد أي: شؤم ﴿**مستمر**﴾ صفة ليوم أو نحس أي: مستمر شؤمه عليهم أو أبد الدهر فإن الناس يتشاءمون بأربعاء آخر الشهر.

قال ابن الشيخ: واشتهر بين بعض الناس التشاؤم بالأربعاء الذي يكون في آخر الشهر بناء على قوله تعالى: ﴿**في يوم نحس مستمر**﴾ ومعلوم أن ليس المراد أنه نحس على المصلحين بل على المفسدين حيث لم تظهر نحو سنته في حق الأنبياء والمؤمنين وفي «الروضة» الأربعاء مشؤوم عندهم والذي لا يدور وهو آخر أربعاء في الشهر أشأم وعن ابن عباس رضي الله عنهما. يرفعه آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر قال الشاعر:

لقاؤك للمبكر فال سوء ... ووجهك أربعاء لا يدور

وقيل: يحمد في الأربعاء الاستحمام فإنه يقال يخلط في ذلك اليوم ماء من الجنة مع المياه وكذا يحمد ابتداء الأمور والمعنى مستمر عليهم شؤمه ونحو ستة أزمنة ممتدة إلى أن أهلكهم فاليوم بمعنى الحين وإلا فاليوم الواحد لا يمكن أن يستمر سبع ليال وثمانية أيام والاستمرار على هذين الوجهين بحسب الزمان أو المعنى شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم فالمستمر بمعنى المطرد بالنسبة إلى الأشخاص أو مشتد مرارته أي: بشاعته وكان ابتداؤه يوم الأربعاء آخر الشهر يعني كانت أيام العجوز من صبيحة أربعاء آخر الشهر إلى غروب الأربعاء الآخر.

ـ وروي ـ أنه كان آخر أيامهم الثمانية في العذاب يوم الأربعاء وكان سلخ صفر وهي الحسوم في سورة الحاقة.

﴿**تنزع الناس**﴾ صفة لريحا أي: ريحاً تقلعهم روي أنهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك

بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى وقال مقاتل: تنزع أرواحهم من أجسادهم وقال السهلي: دامت عليهم سبع ليال وثمانية أيام كيلا ينجو منهم أحد ممن في كهف أو سرب فأهلكت من كان ظاهراً بارزاً وانتزعت من البيوت من كان في البيوت أو هدمتها عليهم وأهلكت من كان في الكهوف والأسراب بالجوع والعطش ولذلك قال: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ [الحاقة: ٨] أي: فهل يمكن أن يبقى بعد هذه الثمانية الأيام باقية منهم ﴿**كأنهم أعجاز نخل منقعر**﴾ حال من الناس والإعجاز جمع عجز وعجز الإنسان مؤخره وبه شبه مؤخر غيره ومنه العجز لأنه يؤدي إلى تأخر الأمور والنخل من الجنس الذي يفرق بينه وبين واحده بالتاء واللفظ مفرد لكنه كثيراً ما يسمى جمعاً نظراً إلى المعنى الجنسي والمنقعر المنقلع عن أصله يقال قعرت النخلة قلعتها من أصلها فانقعرت أي: انقلعت وفي «المفردات» منقعر أي: ذاهب في قعر الأرض وإنما أراد تعالى أن هؤلاء اجتثوا كما اجتث النخل الذاهب في قعر الأرض فلم يبق لهم رسم ولا أثر انتهى والمعنى منقلع عن مغارسه قيل شبهوا بإعجاز النخل وهي أصولها بلا فروع لأن الريح كانت تقلع رؤوسهم فتبقى أجساداً وجثثاً بلا رؤوس وقال بعضهم: كانت الريح تقلعهم وتصرعهم على رؤوسهم فتدق رقابهم فيبين الرأس من الجسد وفيه إشارة إلى قوتهم وثباتهم في الأرض فكأنهم بحسب قوتهم وجسامتهم يجعلون أرجلهم غائرة نافزة في الأرض ويقصدون به المقاومة على الريح ثم إن الريح لما صرعتهم فكأنها قلعت أعجاز نخل منقعر وقال أبو الليث: صرعتهم وكبتهم على وجوههم كأنهم أصول نخل منقلعة من الأرض فشبههم لطولهم بالنخل الساقطة قال مقاتل: كان طول كل واحد منهم اثني عشر ذراعاً وقال في رواية الكلبي: كان طول كل واحد منهم سبعين ذراعاً فاستهزأوا حين ذكر لهم الريح فخرجوا إلى الفضاء وضربوا بأرجلهم وغيبوا في الأرض إلى قريب من الركبة فقالوا: قل للريح حتى ترفعنا فجاءت الريح فدخلت تحت الأرض وجعلت ترفع كل اثنين وتضرب أحدهما بالآخر بعدما ترفعهما في الهواء ثم تلقيهما في الأرض والباقون ينظرون إليهما حتى رفعتهم كلهم ثم رمت بالرمل والتراب عليهم وكان يسمع أنينهم من تحت التراب كذا وكذا يوماً وتذكير صفة نخل للنظر إلى اللفظ كما أن تأنيثها في قوله: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] للنظر إلى المعنى وكذا قوله: ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢] ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١].

﴿**فكيف كان عذابي ونذر**﴾ تهويل لهما وتعجيب من أمرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار كما في «الإرشاد» وقال في «برهان القرآن» أعاد في قصة عاد ﴿**فكيف كان عذابي ونذر**﴾ مرتين لأن الأول في الدنيا والثاني في العقبى كما قال في هذه القصة ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ [فصلت: ١٦] وقيل الأول لتحذيرهم قبل هلاكهم والثاني لتحذير غيرهم بعد هلاكهم انتهى ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**﴾ الكلام فيه كالذي مر فيما سبق وفيه إشارة إلى أهل النفوس الأمارة فإنهم بواسطة انهماكهم في الشهوات الجسمانية احتجبوا عن الله وموائد كرمه فأرسل الله عليهم صرصر ريح أهوائهم الظلمانية وبدعهم الشيطانية في يوم نحوسة الاحتجاب وسلطها عليهم فسقطوا على أرض الهوان والخذلان كأنهم أعجاز نخل منقلع عن تخوم الأرض ساقط على وجه الأرض مثل أجساد جامدة بلا رؤوس نعوذ بالله من تجليات قهره وتسلط عذابه وغضبه في يومه وشهره فعلى العاقل أن يتذكر بهذه الذكرى ويعتبر بهذه الآية الكبرى:

چو بركشته بختى در افتدبه بند — از ونيكبختان بكيرند پند
توپيش از عقوبت در عفو كوب — كه سودى ندارد فغان زير چوب

فلو آمن إيمان يأس أو تاب توبة يأس لم يقبل

فراشو چوبينى در صلح ياز — كه ناكه در توبه كردد فراز
مرو زير باركناه أي: پسر — كه حمال عاجز بود در سفر

كما ورد خفف الحمل فإن العقبة كؤود:

پى نيك مردان ببايد شتافت — كه هركين سعادت طلب كرد يافت
وليكن تودنبال ديوخسى — ندانم كه در صالحان كى رسى

ثم إن سبب هلاك عاد بالريح اعتمادهم على قوتهم والريح أشد الأشياء قوة فاستأصلهم الله بها حتى يحصل الاعتبار لمن بعدهم من القرون فلا يعتمدوا على قواهم وفيه إشارة إلى أن الريح هو الهواء المتحرك فالخلاص من ذلك الهواء إنما هو بترك الهوى ومتابعة الهدى نسأل الله من فضله ذلك.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ أي: الإنذارات والمواعظ التي سمعوها من صالح عليه السلام أو بالرسل فإن تكذيب أحدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على الشرائع.

﴿فقالوا أبشراً منا﴾ أي: كائناً من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده فأداة الاستفهام داخلة على الفعل وإن كان تقديراً كما هو الأصل **﴿واحداً﴾** أي: منفرداً لا تبع له أو واحد من آحادهم لا من أشرافهم وتأخير هذه الصفة عن منا للتنبيه على أن كلاً من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدمت عليه لفاتت هذه النكتة **﴿نتبعه﴾** في أمره **﴿إنا إذاً﴾** أي: على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن أمة جمة وأيضاً ليس بملك لما كان في اعتقاد الكفرة من التنافي بين الرسالة والبشرية **﴿لفي ضلال﴾** عن الصواب **﴿وسعر﴾** أي: جنون فإن ذلك بمعزل عن مقتضى العقل وقيل: كان يقول لهم إن لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر أي: نيران جمع سعير فعكسوا عليه لغاية عتوهم فقالوا: إن اتبعناك كنا إذن كما تقول:

﴿أألقي الذكر﴾ أي: الكتاب والوحي **﴿عليه من بيننا﴾** وفينا من هو أحق بذلك والاستفهام للإنكار ومن بيننا حال من ضمير عليه أي: أخص بالرسالة منفرداً من بين آل ثمود والحال أن فيهم من هو أكثر مالاً وأحسن حالاً **﴿بل هو كذاب أشر﴾** أي: ليس الأمر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وأشر اسم فاعل مثل فرح بمعنى خود پسند وستيزنده وسبكسار. وبابه علم والأشر التجبر والنشاط يقال فرس أشر إذا كان مرحاً نشيطاً.

﴿سيعلمون غداً من﴾ كيست. فهو استفهام **﴿الكذاب الأشر﴾** حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعداً له ووعيداً لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والغد اليوم

الذي يلي يومك الذي أنت فيه والمراد به وقت نزول العذاب في الزمان المستقبل لا يوم بعينه ولا يوم القيامة لأن قوله ﴿إنا مرسلو الناقة﴾ استئناف لبيان مبادي الموعود حتماً والمعنى: سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الأشر الذي حمله أشره وبطره على الترفع والتجبر أصالح أم من كذبه وفيه تشريف لصالح حيث إن الله تعالى سلب عنه بنفسه الوصف الذي أسنده إليه من الكذب والأشر فإن معناه لست أنت بكذاب أشر بل هم.

﴿إنا مرسلو الناقة﴾ مخرجوها من الهضبة التي سألوا والهضبة الجبل المنبسط على الأرض أو جبل خلق من صخرة واحدة أو الجبل الطويل الممتنع المنفرد ولا يكون إلا في حمر الجبال كما في «القاموس».

- روي - أنهم سألوه متعنتين أن يخرج من صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة ناقة حمراء جوفاء وبراء عشراء وهي التي أتت عليها عشرة أشهر من يوم أرسل عليها الفحل فأوحى الله إليه أنا مخرجو الناقة على ما وصفوا ﴿فتنة لهم﴾ أي: امتحاناً فإن المعجزة محنة واختبار إذ بها يتميز المثاب من المعذب ﴿فارتقبهم﴾ فانتظرهم وتبصر ما يصنعون ﴿واصطبر﴾ على أذيتهم صبراً بليغاً.

﴿ونبئهم﴾ أخبرهم ﴿أن الماء قسمة بينهم﴾ مقسوم لها يوم ولهم يوم فالماء قسمة من قبيل تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير وبينهم لتغليب العقلاء ﴿كل شرب﴾ أي: كل نصيب من الماء ونوبة الانتفاع منه ﴿محتضر﴾ يحضره صاحبه في نوبته فليس معنى كون الماء مقسوماً بين القوم والناقة أنه جعل قسمين: قسم لها وقسم لهم بل معناه جعل الشرب بينهم على طريق المناوبة يحضره القوم يوماً وتحضره الناقة يوماً وقسمة الماء إما لأن الناقة عظيمة الخلق ينفر منها حيواناتهم أو لقلة الماء.

﴿فنادوا﴾ پس بخواندند قوم ثمود ﴿صاحبهم﴾ هو قدار بن سالف بضم القاف والدال المهملة وهو مشؤوم آل ثمود ولذا كانت العرب تسمي الجزار قداراً تشبيهاً له بقدار بن سالف لأنه كان عاقر الناقة كما سيجيء وكان قصيراً شريراً أزرق أشقر أحمر وكان يلقب بأحيمر ثمود تصغير أحمر تحقيراً وفي «كشف الأسرار» يقال له أحمر ثمود وقيل أشأم عاد يعني عاداً الآخرة وهي إرم تشاءم به العرب إلى يوم القيامة ومن هذا يظهر الجواب عما قال السجاوندي في «عين المعاني» وقد ذكره زهير في شعره:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

قيل: هو غلط وهو أحمر ثمود انتهى ﴿فتعاطى فعقر﴾ التعاطي مجاز عن الاجتراء لأن التعاطي هو تناول الشيء بتكلف وما يتكلف فيه لا بد أن يكون أمراً هائلاً لا يباشره أحد إلا بالجراءة عليه وبهذا المجاز يظهر وجه التعقيب بالفاء في فعقر وإلا فالعقر لا يتفرع على نفس مباشرة القتل والخوض فيه والعقر بالفارسية پى كردن. يقال عقر البعير والفرس بالسيف فانعقر أي: ضرب به قوائمه وبابه ضرب والمعنى فاجترأ صاحبهم قدار على تعاطي الأمر العظيم غير مكترث له فأحدث العقر بالناقة.

قال الكاشفي: محرك عقر ناقه دوزن بودند. عنيزة أم غنم وصدوق بنت المختار وفي التفاسير صدقة بدل صدوق وذلك لما كانت الناقة قد أضرب بمواشيها. پس صدوق ابن عم خود مصدع بن دهررا بوصال خود وعده داد وعنيزه يكى ازدختران خودرا نامزد قدار كرده

وهردو براه كذر ناقه كمين كردند چون ناقه از آب باز كشت اول بمصدع رسيده اوتيرى بيفكندكه پايهاى ناقه بهم دوخت قدار نيزاز كمين كاه بيرون آمده بشمشير ناقه رابى كرد فمعنى فنادوا صاحبهم فنبهوه على مجيئها وقربها من مكمنه أو أنه لما هم بها هابها فناداه أصحابه فشجعوه أو نادى مصدع بعدما رماها بسهم دونك الناقة فاضربها فضربها وچون ازپاى در آمداورا قطعه قطعه كردند وميان قوم منقسم ساختند وبچه او حنوبر آمده سه بانك كرد واز آنجابا سمان رفت وكفتند او نيز كشته شد وبعد ازسه روز عذاب ثمود نازل شد.

﴿**فكيف كان عذابي ونذر**﴾ الكلام فيه كالذي مر في صدر قصة عاد.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿**إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة**﴾ هي صيحة جبريل عليه السلام وذلك لأنها هي الجزاء الوفاق لفعلهم فإنهم صاروا سبباً لصيحة الولد بقتل أمه وفي الحديث «لا توله والدة بولدها» أي: لا تجعل والهة وذلك في السبايا بأن يفرق بينها وبين ولدها وفي الحديث «من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة» كما في «المقاصد الحسنة» للسخاوي ﴿**فكانوا**﴾ أي: فصاروا لأجل تلك الصيحة بعد أن كانوا في نضارة وطيب عيش ﴿**كهشيم المحتظر**﴾ الهشم كسر الشيء الرخو كالنبات والهشيم بمعنى المهشوم أي: المكسور وهو اليابس المتكسر من الشجر وغيره والحظر جمع الشيء في حظيرة والمحظور الممنوع والمحتظر بكسر الظاء الذي يعمل الحظيرة ويتخذها قال الجوهري: الحظيرة التي تعمل للإبل من الشجر لتقيها البرد والريح والمعنى: كالشجر اليابس الذي يتخذه من يعمل الحظيرة أو كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء.

﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**﴾ وفي الآيات إشارة إلى ثمود النفس الأمارة بالسوء ومعاملتها مع نذير القلب فإنه يدعوها إلى الانسلاخ عن الصفات البشرية والتلبس بالصفات الروحانية وهي تدعي المجانسة معه إذ النفس والروح بل النفس أخت القلب من جانب أيسر البطن وكذا تدعي تقدم رتبتها على القلب وتصرفها في القالب وما يحتوي عليه من القوى البشرية والطبيعية وتأخر رتبة القلب لأنه حصل بعد ازدواج الروح مع النفس فبسبب تقدم رتبة النفس على القلب استنكفت النفس عن اتباعه وامتثال لأوامره وما عرفت أن تقدم الشرف والحسب أعلى وأفضل من تقدم الشرف والنسب ولذا قالت الحكماء توانكرى بهنرست نه بمال وبزركى بعقلست نه بسال وقال بعضهم:

وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهله

وهي قبيلة عرفت بالدناءة والخساسة جداً فخطأت النفس نذير القلب مع أن الخاطئة نفسها وامتحنته بإخراج الناقة وذلك أن حقيقة النفس واحدة غير متعددة لكن بحسب توارد الصفات المختلفة عليها تسمى بالأسماء المختلفة فإذا توجهت إلى الحق توجهاً كلياً تسمى بالمطمئنة وإذا توجهت إلى الطبيعة البشرية توجهاً كلياً تسمى بالأمارة وإذا توجهت إلى الحق تارة وإلى الطبيعة أخرى تسمى اللوامة فثمود النفس الأمارة طلبت على جهة المكر والاستكبار من صالح رسول القلب المرسل من حضرة الروح أن يظهر ناقة النفس المطمئنة من شاهق جبل

النفس الأمارة بأن يبدل صفتها من الأمارية إلى الاطمئنان، فسأل صالح رسول القلب من حضرة الروح مسؤولها فأجابته إظهاراً للقدرة والحكمة حتى غلبت أنوار الروح وانطمست ظلمة النفس كما ينطمس عند طلوع الشمس ظلام الليل وكان للنفس المطمئنة شرب خاص من المعارف والحقائق كما كان للنفس الأمارة شرب خاص من المشارب الجسمانية فنادى الهوى وأعوانه بعضهم بعضاً باستخلاص النفس الأمارة من استيلاء نور الروح عليها مخافة أن ينغمس الهوى أيضاً تحت هذا النور فتعاطى بعض أصحاب الهوى ذلك وكانت النفس الأمارة ما تمكنت في مقام الاطمئنان تمكناً مستحكماً بحيث لا تتأثر بل كان لها بقية تلوين فقتلوها بإبطال طمأنينتها فرجعت القهقرى فانقهرت النفس والهوى تحت صيحة القهر وصارت متلاشية في حضرة القهر والخذلان محترقة بنار القطيعة والهجران كما قال ﴿**فكيف كان عذابي ونذر**﴾ فمن كان أهل الذكر والقرآن أي: الشهود الجمعي يعتبر بهذا الفراق ويجتهد إلى أن يصل إلى نهاية الاطمئنان على الإطلاق فإن النفس وإن تبدلت صفتها الأمارية إلى المطمئنة لا يؤمن مكرها وتبدلها من المطمئنة إلى الأمارية ولو وكلت إلى نفسها طرفة عين لعادت المشؤومة إلى طبعها وجبلتها كما كان حال بلعام وبرصيصا ولذا قال عليه السلام: «لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك».

وقال الجنيد قدس سره: لا تألف النفس الحق أبداً ألا ترى أن الذمي وإن قبل الخراج فإنه لا يألف المسلم إلفة مسلم وفرخ الغراب وإن ربي من الصغر وعلم فإنه لا يخلو من التوحش فالنفس ليست بأهل الاصطناع والمعروف والملاطفة أبداً وإنما شأنها تضييقها ومجاهدتها ورياضتها إلى مفارقة الروح من الجسد. ولذا قال في «المثنوي»:

اندرين ره مى خراش ومى تراش تادم آخر دمى فارغ مباش

ومنه يعلم سر قولهم إن ورد الاستغفار لا يسقط بحال ولذا قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣] مع ظهور الفتح المطلق نسأل الله تعالى أن يجعلنا من العلماء العاملين والأدباء الكاملين بسر النبي الأمين.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿**كذبت قوم لوط بالنذر**﴾ أي: بالإنذارات أو بالمنذرين كما سبق ﴿**إنا أرسلنا عليهم حاصباً**﴾ أي: ريحاً تحصبهم أي: ترميهم بالحصباء وهي حجارة دون ملء الكف فالحصب الرمي بالحصى الصغار ومنه المحصب موضع الجمار وقول عمر رضي الله عنه «حصبوا المسجد» والحاصب اسم فاعل بمعنى رامي الحصباء وتذكيره مع إسناده إلى ضمير الريح وهي مؤنث سماعي لتأويلها بالعذاب.

يقول الفقير: لعل سر تعذيبهم بالحجارة لأنهم حجروا ومنعوا من اللواطة فلم يمتنعوا بل رموا نطفهم إلى غير محل الحرث فرماهم الله بالحجر ومن ثمة ذهب أحمد بن حنبل رحمه الله إلى أن حكم اللوطي أن يرجم وإن كان غير محصن وأيضاً أنهم يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فإذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فأيهم أصابه كان أولى به وأما الريح فلأنهم كانوا يضرطون في مجالسهم علانية ولا يتحاشون وأما انقلاب قراهم فلأنهم كانوا

يقلبون المرد عند اللواطة فجازاهم الله بحسب أعمالهم وأيضاً قلبوا الحقيقة وعكسوها بأن تركوا محل الحرث وأتوا الأدبار ﴿**إلا آل لوط**﴾ وهم أهل بيته الذين نجوا من العذاب وكانوا ثلاثة عشر وقيل يعني لوطاً وابنتيه وفي «كشف الأسرار» يعني بناته ومن آمن به من أزواجهن ﴿**نجيناهم بسحر**﴾ أي: في سحر من الأسحار وهو آخر الليل أو السدس الأخير منه وفي «المفردات» السحر اختلاط ظلام آخر الليل بصفاء النهار وجعل أسماء لذلك الوقت ويجوز أن يكون حالاً أي: ملتبسين بسحر.

ـ روي ـ أن الله أمره حتى خرج بهم بقطع من الليل فجاء العذاب قومه وقت السحر والاستثناء منقطع لأنه مستثنى من الضمير في عليهم وهو للمكذبين من قوم لوط ولا يدخل فيهم آل لوط لأن المراد به من تبعه على دينه.

﴿**نعمة من عندنا**﴾ أي: إنعاماً كائناً منا وهو علة لنجينا ويجوز أن يكون مصدراً من فعله أو من معنى نجيناهم لأن تنجيتهم إنعام. ﴿**كذلك**﴾ أي: مثل ذلك الجزاء العجيب ﴿**نجزي من شكر**﴾ نعمتنا بالإيمان والطاعة يعني كذلك ننجي المؤمنين.

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾﴾.

﴿**ولقد أنذرهم**﴾ لوط ﴿**بطشتنا**﴾ أي: أخذتنا الشديدة بالعذاب ﴿**فتماروا**﴾ فكذبوا ﴿**بالنذر**﴾ متشاكين فتماروا ضمن معنى التكذيب فعدى تعديته من المرية وأصله تماريوا على وزن تفاعلوا.

﴿**ولقد راودوه عن ضيفه**﴾ المراودة أن تنازع غيرك في الإرادة فترود غير ما يروده وسبق تحقيقها في سورة يوسف والضيف بالفارسية مهمان والمعنى ولقد أرادوا من لوط تمكينهم ممن أتاه من أضيافه وهم الملائكة في صورة الشبان ومعهم جبريل وقصدوا الفجور بهم ظناً منهم أنهم بشر ﴿**فطمسنا أعينهم**﴾ الطمس المحو واستئصال أثر الشيء أي: فمسحناها وسويناها كسائر الوجه بحيث لم ير لها شق.

ـ روي ـ أنهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل بجناحه صفقة فتركتهم يترددون لا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط والصفق الضرب الذي ليس له صوت ﴿**فذوقوا**﴾ أي: فقلنا لهم على ألسنة الملائكة ذوقوا ﴿**عذابي ونذر**﴾ والمراد به الطمس فإنه من جملة ما أنذروه من العذاب وفيه إشارة إلى أن طمس الأبصار كان من نتائج مسح الأبصار ولذا ورد في القرآن ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤] لأنه أعرض عن ذكر الله ولم يلتفت إليه أصلاً.

﴿**ولقد صبحهم بكرة**﴾ التصبيح بإمداد بنزديك كسى آمدن. أي: جاءهم وقت الصبح ﴿**عذاب**﴾ أي: الخسف والحجارة ﴿**مستقر**﴾ يستقر بهم ويثبت لا يفارقهم حتى يفضي بهم إلى النار يعني عذاب دائم متصل بعذاب الآخرة وفي وصفه بالاستقرار إيماء إلى أن ما قبله من عذاب الطمس ينتهي به والحاصل: أن العذاب الذي هو قلب قريتهم عليهم وجعل أعلاها أسفلها ورميهم بالحجارة غير العذاب الذي نزل بهم من طمس الأعين فإنه عذاب دنيوي غير موصول بعذاب الآخرة وأما عذاب الخسف والحجارة فموصول به لأنهم بهذا العذاب ينتقلون

إلى البرزخ الموصول بالآخرة كما أشار إليه قوله عليه السلام: «من مات فقد قامت قيامته» أي: من حيث اتصال زمان الموت بزمان القيامة كما أن أزمنة الدنيا يتصل بعضها ببعض.

﴿فذوقوا عذابي ونذر﴾ حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديداً للعذاب.

﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ مر ما فيه من الكلام وفيه استئناف للتنبيه والإيقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وكذا تكرير قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن: ١٣] و﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المرسلات: ١٥] ونحوهما من الأنباء والقصص والمواعيد والزواجر والقواطع فإن في التكرير تقريراً للمعاني في الأسماع والقلوب وتثبيتاً لها في الصدور وكلما زاد تكرير الشيء وترديده كان أقر له في القلب وأمكن في الصدر وأرسخ في الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان وفي القصة إشارة إلى معاملة لوط الروح مع قوم النفس الأمارة ومعاملة الله بهم من إنجاء لوط الروح بسبب صفاته الروحانية وإهلاك قومه بسبب صفاتهم البشرية الطبيعية وكل من غلب عليه الشهوة البهيمية التي هي شهوة الجماع يجب عليه أن يقهر تلك الصفة ويكسرها بأحجار ذكر لا إله إلا الله ويعالج تلك الصفة بضدها وهو العفة التي هي هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذي هو إفراط هذه القوة والخمود الذي هو تفريطها فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة بخلاف أهل الشهوة فإن الشهوة حركة للنفس طلباً للملائم وحال النفس إما إفراط أو تفريط فلا بد من إصلاحها من جميع القوى والصفات فإنها هي التي حملت الناس على الفجور وإيقاع الفتنة بينهم وتحريك الشرور:

نمى تازد اين نفس سركش چنان ... كه عقلش تواند كرفتن عنان

نسأل الله العون والتوفيق والثبات في طريق التحقيق.

﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾ اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى بالنذر أي: وبالله لقد جاءهم الإنذارات من جهة موسى وهٰرون عليهما السلام كأنه قيل: فماذا فعلوا حينئذ؟ فقيل:

﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾ يعني الآيات التسع وهي اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وحل عقدة من لسانه وانفلاق البحر ﴿فأخذناهم﴾ بالعذاب عند التكذيب ﴿أخذ عزيز﴾ لا يغالب يعني كرفتن غالبي كه مغلوب نكردد در كرفتن ﴿مقتدر﴾ لا يعجزه شيء والمقصود أن الله تعالى هو العزيز المقتدر ولذا أخذهم بتكذيبهم ولم يمنعه من ذلك مانع والمراد بالعذاب هو الإغراق في بحر القلزم أو النيل.

يقول الفقير: لعل سر الغرق أن فرعون وصل إلى موسى بسبب الماء الذي ساقه إليه في تابوته فلم يشكر لا نعمة الماء ولا نعمة موسى فانقلب الحال عليه بضد ذلك حيث أهلكه الله وقومه بالماء الذي هو سبب الحياة لغيرهم ووجه إدخال الطمس في العذاب بالنسبة إلى قوم لوط ودرج الطوفان ونحوه في الآيات بالإضافة إلى آل لوط ظاهر لأن المقصود هو العذاب المتعلق بالوجود والطمس كذلك دون بعض آيات فرعون.

﴿أكفاركم﴾ يا معشر العرب ﴿خير﴾ عند الله قوة وشدة وعدد وعدة ﴿من أولئكم﴾ الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون والمعنى أنه أصابهم ما أصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الأمور فهل تطمعون أن لا يصيبكم مثل ذلك وأنتم شر منهم مكاناً وأسوء حالاً ﴿أم لكم براءة في الزبر﴾ إضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر إلى التبكيت بوجه آخر أي: بل ألكم براءة وأمن من عذاب الله بمقابلة كفركم ومعاصيكم نازلة في الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما أنتم عليه وتأمنون بتلك البراءة والمعنى به الإنكار يعني لم ينزل لكم في الكتب السماوية أن من كفر منكم فهو في أمن من عذاب الله.

﴿أم يقولون﴾ جهلاً منهم ﴿نحن جميع منتصر﴾ تبكيت والالتفات للإيذان باقتضاء حالهم للإعراض عنهم وإسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم يقال نصره من عدوه فانتصر أي: منعه فامتنع أي: بل أيقولون واثقين بشوكتهم نحن أولو حزم ورأي أمرنا مجتمع لا نرام ولا نضام أو منتصر من الأعداء منتقم لا نغلب أو متناصر بنصر بعضنا بعضاً على أن يكون افتعل بمعنى تفعل كاختصم والإفراد في منتصر باعتبار لفظ الجميع قال أبو جهل وقد ركب يوم بدر فرساً كميتاً كان يعلفه كل يوم فرقاً من ذرة وقد حلف أنه يقتل محمداً ﷺ نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه فقتلوه يومئذ وجر رأسه إلى رسول الله ابن مسعود رضي الله عنه وفيه إشارة إلى كفار صفات النفس واختلاف أنواعها مثل البهيمية والسبعية والشيطانية والهوائية والحيوانية وتناصر بعضها بنصر بعض وتعاون بعض بمعاونة بعض.

﴿سيهزم الجمع﴾ رد وإبطال لذلك والسين للتأكيد أي: سيهزم جمع قريش البتة ﴿ويولون الدبر﴾ أي: الأدبار والتوحيد لإرادة الجنس يعني ينصرفون عن الحرب منهزمين وينصر الله رسوله والمؤمنين وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾: كنت لا أدري أي جمع فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله عليه السلام يلبس الدرع ويقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر» فعرفت تأويلها وهذا من معجزات رسول الله عليه السلام لأنه أخبر عن غيب فكان كما أخبر قال ابن عباس رضي الله عنهما كان بين نزول هذه الآية وبين يوم بدر سبع سنين فالآية على هذا مكية.

﴿بل الساعة موعدهم﴾ أي: ليس هذا تمام عقوبتهم بل القيامة موعد أصل عذابهم وهذا من طلائعه ﴿والساعة﴾ إظهارها في موقع إضمارها لتربية تهويلها ﴿أدهى﴾ أعظم داهية وفي أقصى غاية من الفظاعة والداهية الأمر الفظيع لا يهتدى إلى الخلاص منه ﴿وأمر﴾ أشد مرارة وفي أقصى نهاية من المرارة وحاصله: أن موقف القيامة أهول من موقف بدر وعذابها أشد وأعظم من عذابه لأن عذاب الدنيا مثل الأسر والقتل والهزيمة ونحوها أنموذج من عذاب الآخرة كما أن نارها جزء من سبعين جزء من نارها.

﴿إن المجرمين﴾ أي: المشركين من الأولين والآخرين ﴿في ضلال وسعر﴾ أي: في هلاك ونيران مسعرة والتسعير آتش نيك آفروختن وقيل في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحِۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾﴾.

﴿يوم يسحبون﴾ منصوب إما بما يفهم من قوله في ضلال أي: كائنون في ضلال وسعر يوم يجرون ﴿في النار على وجوههم﴾ وإما بقوله مقدر بعده أي: يوم يسحبون يقال لهم: ﴿ذوقوا مس سقر﴾ سقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف وقيل: اسم لطبقتها الخامسة من سقرته النار إذا بوخته أي: غيرته والمس كاللمس وهو إدراك بظاهر البشرة والمعنى قاسوا حرها وألمها فإن مسها سبب للتألم بها فمس سقر مجاز عن ألمها بعلاقة السببية وفي «القاموس» ذوقوا مس سقر أي: أول ما ينالكم منها كقولك وجد مس الحمى انتهى وعن النبي ﷺ: «أول الناس يقضى فيه يوم القيامة رجل استشهد أتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلت في سبيلك حتى استشهدت قال: كذبت إنما أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل فأمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل تعلم العلم وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال: ما عملت فيها فقال: تعلمت العلم وقرأت القرآن وعملت قال: كذبت إنما أردت فلان عالم وفلان قارىء فقد قيل، فأمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل آتاه الله تعالى من أنواع المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال: ما عملت فيها؟ قال: ما تركت من شيء يجب أن ينفق فيه لك قال: كذبت إنما أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل فأمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار» وعن عطاء السلمي قال: خرجت يوماً مع أصحابي نستسقي فلقيني سعدون فقال: يا عطاء هل خرجتم بقلوب سماوية أو بقلوب أرضية قلت: بل بقلوب سماوية فقال: يا عطاء لا تتعوج فإن الناقد بصير فخجلت منه فلما دعونا ولم نمطر قلت له: ادع الله حتى يسقينا فرفع رأسه إلى السماء فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال: بحرمة ما كان بيني وبينك البارحة أن تسقينا فلم يفرغ من كلامه حتى مطرنا ثم بكى ورجع والكلام في تصحيح النية وتطهير القلب عن الغير والإخلاص لله تعالى ومن بقي في صفات نفسه وأعرض عن الحق وأقبل على الدنيا وشهواتها فهو يجر في نار جهنم البعد والطرد ويذوق حر نار الهجران والخذلان.

﴿إنا كل شيء﴾ من الأشياء وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده ﴿خلقناه﴾ حال كون ذلك الشيء ملتبساً ﴿بقدر﴾ متعين اقتضته الحكمة التي عليها يدور أمر التكوين فقدر بمعنى التقدير وهو تسوية صورته وشكله وصفاته الظاهرة والباطنة على مقدار مخصوص اقتضته الحكمة وترتبت عليه المنفعة المنوطة بخلقه أو خلقناه مقدراً مكتوباً في اللوح قبل وقوعه لا يغير ولا يبدل. مصرع:

قضى الله أمراً وجف القلم — سر بر خط لوح ازلي دار وخموش
كز هرچه قلم رفته قلم در نكشند

فالمراد بالقدر: تقديره في علمه الأزلي وكتبه في اللوح المحفوظ وهو القدر المستعمل في جنب القضاء فالقضاء وجود جميع المخلوقات في اللوح المحفوظ مجتمعة والقدر وجودها في الأعيان بعد حصول شرائطها ولذا عبر بالخلق فإنه إنما يتعلق بالوجود الظاهري في الوقت المعين وفي الحديث: «كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء» وعنه عليه السلام: «كل شيء بقدر الله حتى العجز والكيس» وعنه عليه السلام: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره» أي: حلوه ومره قال في «كشف

الأسرار»: مذهب أهل سنت آنست كه نيكى وبدى هرچند فعل بنده است وبنده بدان مثاب ومعاقب است اما بخواست الله است وبقضا وتقدير أو چنانكه رب العزة كفت ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] وقال تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ وقال عليه السلام: «القدر خيره وشره من الله» ففي الآية رد على القدرية والمعتزلة والخوارج.

وفي «التأويلات النجمية»: خلقنا كل شيء أي: موجود علمي وعيني في الأزل بمقدار معين مثل ما قال ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] أي: كل شيء مخلوق على مقتضى استعداده الذاتي وقابليته الأصلية الأزلية لا زائد فيه ولا ناقص كما قال الغزالي رحمه الله: ليس في الإمكان أبدع من هذا الوجود لأنه لو كان ولم يظهر لكان بخيلاً وهو جواد ولكان عاجزاً وهو قادر.

﴿وما أمرنا﴾ لشيء نريد تكوينه ﴿إلا واحدة﴾ أي: كلمة واحدة لا تثنى سريعة التكوين وهو قوله تعالى: ﴿كُن﴾ [البقرة: ١١٧، وغيرها] أو إلا فعلة واحدة وهو الإيجاد بلا معالجة ومعاناة ﴿كلمح البصر﴾ في اليسر والسرعة فإن اللمح النظر بالعجلة فمعنى كلمح كنظر سريع قال في «القاموس» لمح إليه كمنع اختلس النظر كألمح وفي «المفردات» اللمح لمعان البرق ورأيته لمحة برق قال ابن الشيخ: لما اشتملت الآيات السابقة على وعيد كفار أهل مكة بالإهلاك عاجلاً وآجلاً والوعد للمؤمنين بالانتصار منهم جيء بقوله: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ تأكيداً للوعيد والوعد يعني أن هذا الوعيد والوعد حق وصدق والموعود مثبت في اللوح مقدر عند الله لا يزيد ولا ينقص وذلك على الله يسير لأن قضاءه في خلقه أسرع من لمح البصر وقيل: معنى الآية معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧] قال بعض الكبار: ليس المراد بكلمة كن حرف الكاف والنون إنما المراد بها المعنى الذي به كان ظهور الأشياء فكن حجاب للمعنى لمن فهم وكل إنسان له في باطنه قوة كن وما له في ظاهره إلا المعتاد وفي الآخرة يكون حكم كن منه في الظاهر وقد يعطي الله ذلك لبعض الرجال في هذه الدار بحكم الإرث لرسول الله ﷺ فإنه تصرف بها في عدة مواطن: منها قوله في غزوة تبوك «كن أبا ذر» فكان أبا ذر ثم لا يخفى أنه لم يعط أحد من الملائكة وغيرهم حرف كن إنما هي خاصة بالإنسان لما انطوى عليه من الخلافة والنيابة.

وفي «التأويلات النجمية» وما أمر تجلينا للأشياء كلها علويها وسفليها ألا تجعل واحد أي: واحداني الوصف لا كثرة فيه لكن يتكثر بحسب المتجلى له ويظهر فيه بحسبه ظهور الصورة الواحدة في المرائي المتكثرة يظهر في الكبير كبيراً وفي الصغير صغيراً وفي المستطيل مستطيلاً وفي مستدير مستديراً والصورة على حالتها المخلوقة عليها باقية لا تغير ولا تبدل بها كما يلمح الناظر ويرى في اللمحة الواحدة ما يحاذي بصره.

﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ أي: أشباهكم في الكفر من الأمم جمع شيعة وهو من يتقوى به الإنسان وينشر عنه كما في «المفردات» وقال في «القاموس»: شيعة الرجل بالكسر أتباعه وأنصاره والفرقة على حدة ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ﴿فهل من مدكر﴾ متعظ يتعظ بذلك فيخاف وفيه إشارة إلى أنا بقدرتنا الأزلية وحكمتنا البالغة أهلكنا وأفنينا أشباهكم وأمثالكم يا أرباب النفوس الأمارة ويا أصحاب القلوب الجوالة إما بالموت الطبيعي وإما بالموت الإرادي فهل من معتبر يعتبر هذا وهذا يختار لنفسه الأليق والأحرى.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ۝٥٣ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾.

﴿وكل شيء فعلوه﴾ من الكفر والمعاصي مكتوب على التفصيل ﴿في الزبر﴾ أي: في ديوان الحفظة جمع زبور بمعنى الكتاب فهو بمعنى مزبور كالكتاب بمعنى مكتوب وقال الغزالي رحمه الله: كل شيء فعله الأمم في كتب أنبيائهم المنزلة عليهم كأفعال كفار زماننا في كتابنا.

﴿وكل صغير وكبير﴾ من الأعمال ﴿مستطر﴾ مسطور في اللوح المحفوظ بتفاصيله يقال: استطره كتبه كما في «القاموس» قال يحيى بن معاذ رحمه الله: من علم أن أفعاله تعرض عليه في مشهد الصدق وأنه مجازى عليها اجتهد في إصلاح أفعاله وإخلاص أعماله ولزم الاستغفار لما سلف من إفراطه وقد روي أن النبي عليه السلام ضرب لصغائر الذنوب مثلاً فقال: إنما محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بفلاة من الأرض وحضر صنيع القوم فانطلق كل واحد منهم بحطب فجعل الرجل يجيء بالعود والآخر بالعود حتى جمعوا سواداً وأججوا ناراً فشووا خبزهم وإن الذنب الصغير يجتمع على صاحبه فيهلكه إلا أن يغفر الله اتقوا محقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً» ولقد أحسن من قال:

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماش فوق ارض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

﴿إن المتقين﴾ أي: من الكفر والمعاصي ﴿في جنات﴾ أي: بساتين عظيمة الشأن بحيث لا يوصف نعيمها وما أعد فيها لأهلها ﴿ونهر﴾ أي: أنهار كذلك يعني أنهار الماء والخمر والعسل واللبن والأفراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل ﴿في مقعد صدق﴾ خبر بعد خبر وهو من إضافة والصدق بمعنى الجودة والمعنى في مكان مرضي ومجلس حق سالم من اللغو والتأثيم بخلاف مجالس الدنيا فقلّ أن سلمت من ذلك ﴿عند مليك﴾ المراد من العندية قرب المنزلة والمكانة دون قرب المكان والمسافة والمليك أبلغ من المالك وهو بالفارسية پادشاه. والتنكير للتعظيم والمعنى حال كونهم مقربين عند عزيز الملك واسعه لا يقادر قدر ملكه فلا شيء إلا وهو تحت ملكوته فأي منزلة أكرم من تلك وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها ﴿مقتدر﴾ قادر لا يعجزه شيء عال أمره في الاقتدار.

وفي «التأويلات النجمية» يعني المتقين بالله عما سواه في جنات الوصلة وأنهار مياه المعرفة والحكمة ينغمسون فيها ويخرجون منها درر المعارف ولآلىء العوارف في مقعد صدق هو مقام الوحدة الذاتية في مقام العندية كما قال عليه السلام: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» ودر كشف الأسرار آورده كه كلمه عند رقم تقريب وتخصيص دارد يعني أهل قرب فردادران سرايدان اختصاص خواهند داشت وحضرت پيغمبر عليه السلام امروز درين سرا مخصوص بآن بوده كه «أبيت عند ربي» وچون رتبه كه فردا خواص بآن نازند امروز پاى ادناى وى بوده پس از مرتبه اعلاى فرداى اوكه نشان تواند داد:

أي محرم سر لا يزالي مرآت جمال ذي الجلالي
مهمان ابيت عند ربي صاحب دل لا ينام قلبي

از قــربــت حــضــرت الــهــي — هــســتــى بــمــثــابــه كــه خــواهــى
قــربــى عــبــارتــش نــســنــجــد — در حــوصــلــه خــرد نــكــنــجــد
كــم كــشــتــه بــود عــبــارت آنــجــا — بــلــكــه نــرســد عــبــارت آنــجــا

وفي الآية إشارة إلى أن التقوى توصل العبد إلى جنات الدرجات وأنهار العلوم والمعارف الحقيقية الإلهية ثم إلى مقام الصديقين ثم إلى مقام الوحدة الذاتية المشار إليها بالعندية قال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: مدح الله المكان بالصدق فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق وهو المقام الذي يصدق الله فيه وعده لأوليائه بأن يبيح لهم النظر إلى وجهه الكريم قيمت وعز آن بقعه نه بمرغ بريان وجوى روان وحيرات حسان است بلكه بديدار چنانكه قيمت صدف بدر شاهوار كما قيل:

ومــا عــهــدي بــحــب تــراب أرض — ولــكــن مــن يــحــل بــهــا حــبــيــب

أي خوشا عيشا كه مؤمنا نراست دران مجلس انس وحظيره قدس باديه انتظار بريده بكعبه وصال رسيده خلعت رضا پوشيده شربت سرور ازچشمه وفانوشيده عيش بى عتاب ونعمت بي حساب وديدار بى حجاب يافته.

ـ روى ـ صالح بن حبان عن عبد الله بن بريدة أنه قال في هذه الآية: إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار تعالى فيقرؤون عليه القرآن وقد جلس كل امرىء منهم مجلسه الذي له ومجلسي على منابر الدر والياقوت والزمرد والذهب والفضة بأعمالهم فلم تقر أعينهم بشيء قط كما تقر أعينهم بذلك ولم يسمعوا شيئاً أعظم ولا أحسن منه ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد قال بعضهم: المراد بمن في الآية هم الذين لا تحجبهم الجنة ولا النعيم ولا شيء عنه تعالى قال البقلي: يا أخي هؤلاء غرباء الله في الدنيا والآخرة أدخلهم في أغرب المنازل وهو مقام المجالسة معه بحيث لا يطلع عليه إلا أهل الصدق في طلبه وهم فقراء المعرفة الذين قال عليه السلام فيهم «الفقراء جلساء الله». سئل أبو يزيد البسطامي قدس سره عن الغريب قال: الغريب من إذا طالبه الخلق في الدنيا لم يجدوه ولو طالبه مالك في النار لم يجده ولو طالبه رضوان في الجنة لم يجده فقيل: أين يكون يا أبا يزيد؟ فقال: إن المتقين في جنات الخ فلا بد من الصدق وخدمة الصادقين حتى يصل الإنسان إلى هذا المطلب الجليل وهو على وجوه ومراتب أما الصدق في القول فبصون اللسان عن الكذب الذي هو أقبح الذنوب قال عليه السلام: «التجار هم الكفار» فقيل: .أليس الله قد أحل البيع؟ قال: «نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون» وقال عليه السلام: «الكذب ينقص الرزق» وفي الحديث: «أربع من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر» وأما الصدق في الحال فبصون الحال عما ينقصه مثلاً إذا عزم على أمر وحال من التسليم والتوكل وغيرهما فصدقه بالاستمرار على عزيمته والاحتراز عن النقض وأهل السلوك يهتمون في صدق الحال أشد الاهتمام.

ـ روي ـ أن واحداً منهم كان كثير الوجد والزعقات فجاء يوماً وأودع خرقته عند الشيخ في الحرم الشريف وقال: إن صيحتي الآن لامرأة عشقتها فأنا لا أريد أن أكون كاذباً في حالي بأن ألبس لباس العشاق وأنا على تلك الحال ثم إنه بعد أيام جاء وأخذ خرقته وقال: الحمد لله الذي خلصني منها وعدت إلى حالي ومن قبيل الصدق في الحال صدق لمريد في إرادته فإنه إذا

وقع منه حركة مخالفة لإرادة الشيخ فهو كاذب في إرادته فإن المريد من أفنى إرادته في إرادة الشيخ ففي أي مرتبة من القال والحال وجد الصدق كان سبب النجاة وباعثاً لرفع الدرجات.

قال الشاعر:

سيعطي الصادقين بفضل صدق نجاة في الحياة وفي الممات

وسبب هذا الشعر أن ثلاثة إخوة من الشام كانوا يغزون فأسرهم الروم مرة فقال لهم الملك: إني أجعلكم ملوكاً وأزوجكم بناتي إن قبلتم النصرانية فأبوا وقالوا: يا محمداه فأدخل اثنين في الزيت المغلي وأخذ الثالث علج وسلط عليه ابنته وكانت من أجمل النساء فأخذ الشاب في صيام النهار وقيام الليل فآمنت البنت وخرجا إلى الشام فجاء أخواه الشهيدان مع الملائكة ليلة وزوجاه المرأة وسألهما أخوهما عن حالهما فقالا: ما كانت إلا التي رأيت حتى دخلنا في الفردوس وإن الله تعالى أرسلنا إليك نشهد تزويجك بهذه الفتاة وكانا مشهورين بالشام حتى قال الشعراء فيهما أبياتاً منها ما ذكرناه.

ـ وروى ـ جنيد البغدادي قدس سره عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال: الصوف ثلاثة أحرف فالصاد صدق وصبر وصفاء والواو ود وورد ووفاء والفاء فقر وفرد وفناء فإذا لم توجد هذه الصفات فيه لا يكون صوفياً قال سهل رحمه الله: أول خيانة الصديقين حديثهم مع أنفسهم وسئل فتح الموصلي رحمه الله عن الصادق فأدخل يده في كير الحديد وأخرج حديدة محماة ووضعها في كفه وقال: هذا هو الصدق قال جنيد البغدادي رحمه الله: الصادق ينقلب في اليوم أربعين مرة والمرائي يثبت على حالة واحدة أربعين سنة وذلك لأن مطلب العارفين من الله الصدق والعبودية والقيام بحق الربوبية من غير مراعاة حظ النفس وكل من عداهم من العابد والزاهد والعالم لا يفارقون الحظوظ والأغراض نسأل الله العافية.

تمت سورة القمر بعون خالق القوى والقدر في العشر الثالث من العشر الثالث من شوال المنتظم في سلك شهور سنة أربع عشرة ومائة وألف

٥٥ ـ سورة الرحمن

وتسمى عروس القرآن مكية أو مدنية وآيها ست أو سبع أو ثمان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ ﴾.

﴿الرحمن﴾ مبتدأ خبره ما بعده أي: الذي له الرحمة الكاملة كما جاء في بعض الدعاء رحمان الدنيا ورحيم الآخرة لأنه عم الرزق في الدنيا كما قيل:

أديم زمين سفره عام اوست بربن خوان يغما چه دشمن چه دوست

وخص المؤمنين بالعفو في الآخرة وبالفارسية خداوند بخشايش بسياركه رحمت او همه چيز را رسيده. والرحمة في الحقيقة العفو والحنو أعني الميل الروحاني ومنه الرحم لانعطافها الحسي على ما فيها وأريد بها بالنسبة إلى الله تعالى إرادة الخير أو الإنعام لأن عطف على أحد أصابه بأحدهما قال الإمام الغزالي رحمه الله: الرحمن هو العطوف على العباد بالإيجاد أولاً وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السعادة ثانياً والإسعاد بالآخرة ثالثاً والإنعام بالنظر إلى وجه الكريم رابعاً انتهى. ولما كانت هذه السورة الكاملة شاملة لتعداد النعم الدنيوية والأخروية والجسمانية والروحانية طرزها بطراز اسم الرحمن الذي هو اسم الذات المشتمل على جميع الأسماء والصفات ليسند إليه النعم المختلفة بعده ولما كان القرآن أعظم النعم شأناً لأنه مدار جميع السعادات ولذا قال عليه السلام: «أشراف أمتي حملة القرآن» أي: ملازمو قراءته وأصحاب الليل وقال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وفيه جميع حقائق الكتب السماوية وكان تعليمه من آثار الرحمة الواسعة وأحكامها بدأ به فقال:

﴿علم﴾ محمداً ﷺ ﴿القرآن﴾ بواسطة جبريل عليه السلام وبواسطة محمد عليه السلام غيره من الأمة. قال الكاشفي: يعني آسان كردانيده مراورا آموختن وديكر انرا آموزانيدن. قال ابن عطاء رحمه الله: لما قال الله تعالى ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] أراد أن يخص أمة محمد بخاصة مثله فقال: ﴿الرحمن علم القرآن﴾ أي: الذي علم آدم الأسماء وفضله بها على الملائكة هو الذي علمكم القرآن وفضلكم به على سائر الأمم فقيل له: متى علمهم؟ قال: علمهم حقيقة في الأزل وأظهر لهم تعليمه وقت الإيجاد وفيه إشارة إلى أن تعليم القرآن وإن كان في الصورة بواسطة جبريل من الوجه العام لكنه كان بلا واسطة في المعنى من الوجه الخاص على ما سيزيد وضوحاً في محله إن شاء الله تعالى وقال بعضهم: ﴿علم القرآن﴾ أي: أعطى الاستعداد الكامل في الأزل لجميع المستعدين ولذلك قال: علم القرآن ولم يقل علم

الفرقان كما في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الفرقان: ١] فإن الكلام الإلهي قرآن باعتبار الجمع والبداية وفرقان باعتبار الفرق والنهاية فهو بهذا المعنى لا يتوقف على خلق الإنسان وظهوره في هذا العالم وإنما الموقوف عليه تعليم البيان ولذا قدم تعليم القرآن على خلق الإنسان وخلقه على تعليم البيان انتهى وفي الآية إشارة إلى أن التعليم والتسهيل إنما هو من الله تعالى لا من المعلمين والحافظين وقد علم آدم الأسماء ووفقه لتعلمها وسهله بإذنه وعلم داود صنعة الدرع كما قال ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠] وعلم عيسى علم الطب كما قال: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ٤٨] وعلم الخضر العلم اللدني كما قال: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] وعلم نبينا عليه السلام القرآن وأسرار الألوهية كما قال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣] وعلم الإنسان البيان قال في «فتح الرحمن»: ومن الدليل على أن القرآن غير مخلوق إن الله تعالى ذكره في كتابه العزيز في أربعة وخمسين موضعاً ما فيها موضع صرح فيه بلفظ الخلق ولا أشار إليه وذكر الإنسان في ثمانية عشر موضعاً كلها يدل على خلقه وقد اقترنا في هذه السورة على هذا النحو قاله المولى أبو السعود رحمه الله ثم قال:

﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾ تبييناً للمعلم وكيفية التعليم والمراد بخلق الإنسان إنشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما في الضمير قال الراغب: البيان الكشف عن الشيء وهو أعم من النطق لأن النطق مختص بالإنسان وسمي الكلام بياناً لكشفه عن المعنى المقصود وإظهاره انتهى وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الإنسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره أيضاً إذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن والمراد به جنس الإنسان الشامل لجميع أصنافه وأفراده وفي «بحر العلوم» **﴿خلق الإنسان﴾** أي: آدم وعلمه الأسماء واللغات كلها وكان آدم يتكلم بسبعمائة ألف لغة أفضلها العربية انتهى.

يقول الفقير: فيه إشارة إلى أن الله تعالى قد تكلم بجميع اللغات سواء كان التعليم بواسطة أم لا فإن قلت: كيف يتكلم الله باللغات المختلفة والكلام النفسي عار عن جميع الأكسية قلت: نعم ولكنه في مراتب التنزلات والاسترسالات لا بد له من الكسوة فالعربية مثلاً كسوة عارضة بالنسبة إلى الكلام في نفسه وقد ذقنا في أنفسنا أنه يجيء الإلهام والخطاب تارة باللفظ العربي وأخرى بالفارسي وبالتركي مع كونه بلا واسطة ملك لأن الأخذ عن الله لا ينقطع إلا يوم القيامة وذلك بلا واسطة وإن كان الغالب وساطة الملك من حيث لا يرى فاعرف ذلك.

﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ مبتدأ وخبر والحسبان بالضم مصدر بمعنى الحساب كالغفران والرجحان يقال حسبه عده وبابه نصر حساباً بالكسر وحسباناً بالضم وأما الحسبان بالكسر فبمعنى الظن من حسب بالكسر بمعنى ظن والمعنى يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية ويختلف الفصول والأوقات ويعلم السنون والحساب فالسنة القمرية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً والشمسية ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم أو أقل وفيه إشارة إلى شمس فلك البروج وقمر كرة القلب سيرانهما في بروج التجليات الذاتية ومنازل التجليات الأسمائية والصفاتية وكل ذلك السيران بحسب استعداد كل واحد منهما بحساب معلوم وأمر مقسوم.

﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠﴾

﴿والنجم﴾ أي: النبات الذي ينجم أي: يطلع من الأرض ولا ساق له مثل الكرم والقرع ونحو ذلك ﴿والشجر﴾ الذي له ساق وفي «المنتقى» كل نابت إذا ترك حتى يبرز انقطع فليس بشجر وكل شيء يبرز ولا ينقطع من سنته فهو شجر ﴿يسجدان﴾ أي: ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعاً انقياد الساجد من المكلفين طوعاً أو يسجد ظلهما على ما بين في قوله تعالى: ﴿يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ٤٨] وكفته اندمارا بر سجود ايشان وقوف نيست چنانچه بر تسبيح ايشان كما قال تعالى: ﴿وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] ذكر في مقابلة النعمتين السماويتين اللتين هما الشمس والقمر نعمتين أرضيتين وهما النجم والشجر وكلاهما من قبيل النبات الذي هو أصل الرزق من الحبوب والثمار والحشيش للدواب وإخلاء الجمل الأولى عن العطف لورودها على منهاج التعديد تنبيهاً على تقاعده في الشكر كما في قولك زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد وأما عطف جملة والنجم على ما قبلها فلتناسبها من حيث التقابل لما أن الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث إن كلاً من حال علويين وحال السفليين من باب الانقياد لأمر الله تعالى ولما كانت هذه الأربعة مغايرة لجنس الإنسان في ذاته وصفاته غير النظم بإيرادها في صورة الاسمية تحقيقاً للتغاير بينهما وضعاً وطبعاً صورة ومعنى وفيه إشارة إلى سجود نجم العقل الذي به يهتدي إلى معرفة الأشياء واستهلاكه وتلاشيه عند النظر إلى الحقائق الإلهية والمعارف الربانية لعدم قوة إدراكه إياها مستعداً بنفسه غير مستفيض من الفيض الإلهي بطريق الكشف والشهود وإلى سجود شجر الفكر المتشجر بالقوى الطبيعية والقوى الوهمية والخيالية وانحصاره في القوة المزاجية العنصرية وعدم تمكنه من إدراك الحقائق على ما هي عليه كما قيل العقل والفكر جالا حول سرادق الكون فإذا نظرا إلى المكون ذابا وكيف لا وهما مخلوقان محصوران تحت حصر الخلقية والحدوث وأنى للخلق المحدث معرفة الخالق القديم وما ﴿قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١].

﴿والسماء رفعها﴾ انتصابه بمحذوف يفسره المذكور أي: خلقها مرفوعة محلاً كما هو محسوس مشاهد وكذا رتبة حيث جعلها منشأ أحكامه وقضاياه وتنزل أوامره ومحل ملائكته وقال بعضهم: رفعها من السفل إلى العلو سقفاً لمصالح العباد وجعل ما بينهما مسيرة خمسمائة عام وذلك لأن السماء دخان فار به موج الماء الذي كان في الأرض ﴿ووضع الميزان﴾ أي: شرع العدل وأمر به بأن وفر كل مستحق لما استحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم به أمر العالم واستقام كما قال عليه السلام «بالعدل قامت السموات والأرض» قيل فعلى هذا الميزان هو القرآن وقيل هو ما يعرف به مقادير الأشياء من ميزان وميكال ونحوهما فالمعنى خلق كل ما توزن به الأشياء ويعرف مقاديرها موضوعاً مخفوضاً على الأرض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في أخذهم وإعطائهم قال سعدي المفتي: وأنت خبير بأن قوله ﴿أن لا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن﴾ أشد ملاءمة لهذا المعنى ولهذا اقتصر عليه الزمخشري. قال الكاشفي: ووضع الميزان وبيا فريد يا منزل كردانيد ترازورا يا الهام داد خلق را بكيفيت ايجادان. ليتوصل به إلى الإنصاف والانتصاف وكان ذلك في زمان نوح عليه

السلام إذ لم يكن قبله كيل ووزن وذراع قال قتادة في هذه الآية: اعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل عليك وأوف كما تحب أن يوفى لك فإن العدل صلاح الناس.

﴿**أن لا تطغوا في الميزان**﴾ أن ناصبة ولا نافية ولام العلة مقدرة متعلقة بوضع الميزان أي: وضعه لئلا تطغوا فيه ولا تعتدوا ولا تتجاوزوا الإنصاف وبالفارسية ازحد نكذريد در ترازو بوقت داد وستد يعني از عدل تجاوز نكنيد وبراستى معامله نمايد. قال ابن الشيخ: الطغيان مجاوزة الحد فمن قال: الميزان العدل قال: طغيانه الجور ومن قال: إنه الميزان الذي هو آلة التسوية قال: طغيانه البخس أي: النقص.

چون ترازوى توكج بود ودغا راست چون جويى ترازوى جزا

﴿**وأقيموا الوزن بالقسط**﴾ قوموا وزنكم بالعدل أي: اجعلوه مستقيماً به وفي «المفردات» الوزن معرفة قدر الشيء والمتعارف في الوزن عند العامة ما يقدر بالقسطاس والقبان وقوله ﴿**وأقيموا الوزن بالقسط**﴾ إشارة إلى مراعاة المعدلة في جميع ما يتحراه الإنسان من الأفعال والأقوال ﴿**ولا تخسروا الميزان**﴾ يقال: خسرت الشيء بالفتح وأخسرته نقصته وبابه ضرب وأما خسر في البيع فبالكسر كما في «المختار» وقال في «القاموس»: خسر كفرح وضرب ضل والخسر والإخسار النقص أي: لا تنقصوه لأن من حقه أن يسوي لأنه المقصود من وضعه قال سعدي المفتي: المراد لا تنقصوا الموزون في الميزان لا الميزان نفسه أمر أولاً بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديداً للتوصية به وتأكيداً للأمر باستعماله والحث عليه. قال الكاشفي: أين همه تأكيد اهل ترازو راجهت آنست كه بوقت وضع ميزان قيامت شرمنده نشوند:

هرجو وهرحبه كه بازوى تو كم كند از كيد ترازوى تو
هست يكايك همه برجاى خويش روز جزا جمله بيارند پيش
باتو نمايند نهانيت را كم دهى وبيش ستانيت را

- روي - عن مالك بن دينار رحمه الله أنه دخل على جار له احتضر فقال: يا مالك جبلان من نار بين يدي أكلف الصعود عليهما قال: فسألت أهله فقالوا: كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فدعوت بهما فضربت أحدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال: ما يزداد الأمر علي إلا عظماً وفي «المفردات» قوله: ﴿**ولا تخسروا الميزان**﴾ يجوز أن يكون إشارة إلى تحري العدالة في الوزن وترك الحيف فيما يتعاطاه في الوزن ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى تعاطي ما لا يكون ميزانه به يوم القيامة خاسراً فيكون ممن قال فيه﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٩] وكلا المعنيين يتلازمان وكل خسران ذكره الله في القرآن فهو على هذا المعنى الأخير دون الخسران المتعلق بالقنيات الدنيوية والتجارات البشرية.

يقول الفقير وجه توسيط الميزان بين رفع السماء ووضع الأرض هو الإشارة إلى أنه بالعدل قامت السموات والأرض كما ورد في الحديث وإلى أنه لا بد من ميزان العقل بين الروح والجسد حتى يعتدلا ولا يتجاوز أحدهما الآخر والاعتدال الحقيقي هو الوقوف بين طرفي الإفراط والتفريط المذمومين عقلاً وشرعاً وعرفاً والموزونات هي الأمور العلمية والعملية المعدلة بالعقل المبني على الاستعداد الذاتي.

﴿**والأرض وضعها**﴾ أي: خفضها مدحوة على الماء أي: مبسوطة ﴿**للأنام**﴾ أي: لمنافع

الأنام وهو جمع لا واحد له من لفظه بمعنى الخلق والجن والإنس مما على الأرض كما في «القاموس» فهي كالمهاد والفراش لهم يتقلبون عليها ويتصرفون فوقها وقال ابن عباس رضي الله عنهما رب الناس ويدل عليه قوله:

مبارك الوجه يستسقى الغمام به … ما في الأنام له عدل ولا مثل

وقال قتادة: كل ذي روح لأنه ينام وقيل: من ونم الذباب همس وفيه إشارة إلى بسط أرض البشرية لتنتعش كل قبيلة بما يلائم طبعها أما انتعاش أهل النفوس البشرية فباستيفاء الشهوات الحيوانية واللذات الجسمانية وأما انتعاش أصحاب القلوب المعنوية فبالواردات القلبية والإلهامات الغيبية وأما انتعاش أرباب الأرواح العلوية فبالتجليات الروحانية والمحاضرات الربانية وأما انتعاش صناديد الأسرار اللاهوتية القدسية فبالتجليات الذاتية الأحدية المفنية لكل ما سواه.

﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾.

﴿فيها فاكهة﴾ ضروب كثيرة مما يتفكه به ويتلذذ ففاكهة تشعر باختلاف الأنواع **﴿والنخل ذات الأكمام﴾** وهي أوعية الثمر وغلفها قبل التفتق. يعني خوشهاى آن درغلاف. جمع كم بالكسر وهو الغلاف الذي يكون فيه الثمر أول ظهوره. تا ما دامكه مغشق نشده درغلاف باشد ومعنى النخل بالفارسية يعني درخت خرما. أو هو أي: الكم كل ما يكم بضم الكاف من باب نصر أي: يغطي من ليف وسعف وكفرى فإنه مما ينتفع به كما ينتفع من المكموم من ثمره وجماره وجذوعه فالليف يغطي الجذع والسعف الجمار وهو كرمان شحم النخل بالفارسية دل درخت خرما. والكفرى الثمر.

﴿والحب﴾ ودر زمين دانه است. وهو كل ما يتغذى به ويقتات كالحنطة والشعير وغيرهما **﴿ذو العصف﴾** هو ورق الزرع أو ورق النبات اليابس كالتبن. قال الكاشفي: وعصف كياهيست كه ازو دانه جدا ميشود. وفي «المفردات»: العصف والعصيفة الذي يعصف من الزرع قال في «تاج المصادر»: العصف برك كشت ببريدن **﴿والريحان﴾** قال في «المفردات» الريحان ما له رائحة وقيل: الرزق ثم يقال للحب المأكول ريحان كما في قوله **﴿والحب ذو العصف﴾** وقيل لأعرابي إلى أين؟ قال: أطلب ريحان الله أي: رزقه والأصل ما ذكرنا انتهى قال ابن عباس ومجاهد والضحاك هو الرزق بلغة حمير فالمراد بالريحان هنا إما الرزق أو المشموم كما قال الحسن الريحان هو ريحانكم هذا الذي يشم وهو كل ما طابت رائحته من النبات أو الشاهسفرم وعند الفقهاء الريحان ما لساقه رائحة طيبة كما لورقه كالآس والورد ما لورقه رائحة طيبة فقط كالياسمين كذا في «المغرب» قال ابن الشيخ: كل بقلة طيبة الرائحة سميت ريحاناً لأن الإنسان يراح لها رائحة طيبة أي: يشم يقال: راح الشيء يراحه ويريحه وأراح الشيء يريحه إذا وجد ريحه وفي الحديث: «من قتل نفساً معاهدة لم يرح رائحة الجنة» ويروى: لم يرح من راحه يريحه والريحان في الأصل ريوحان كفعيلان من روح فقلبت الواو ياء وأدغم ثم خفف بحذف عين الكلمة كما في ميت أو كفو علان قلبت واوه ياء للتخفيف أو للفرق بينه وبين الروحان وهو ما له روح.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للأنام لعمومه

لهما واشتماله عليهما وسينطق به قوله تعالى: ﴿أيه الثقلان﴾ وكذا في ذكر أبوي الفريقين بقوله: خلق الإنسان وخلق الجان إشعار بأن الخطاب لهما جميعاً والآلاء النعم واحدها إلى والى والو والى والى كما في «القاموس» قال في «بحر العلوم»: الآلاء النعم الظاهرة والباطنة الواصلة إلى الفريقين وبهذا يظهر فساد ما قيل من أن الآلاء هي النعم الظاهرة فحسب والنعماء هي النعم الباطنة والصواب أنهما من الألفاظ المترادفة كالأسود والليوث والفلك والسفن.

وفي «التأويلات النجمية»: الآلاء هي النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة والآيات المتوالية تدل على هذا لأنها نعمة ظاهرة بالنسبة إلى أهل الظاهر ومعنى تكذيبهم بالآلاء كفرهم بها والتعبير عن الكفر بالتكذيب لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الإيمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة أي: فإذا كان الأمر كما فصل فبأي فرد من أفراد آلاء مالككما ومربيكما بتلك الآلاء تكذبان مع أن كلاً منها ناطق بالحق شاهد بالصدق فالاستفهام للتقرير أي: للحمل على الإقرار بتلك النعم ووجوب الشكر عليها.

ـ روي ـ عن جابر رضي الله عنه أنه قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها قال: «ما لي أراكم سكوتاً للجن كانوا أحسن منكم رداً ما قرأت عليهم هذه الآية مرة ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ إلا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد» قال في «بحر العلوم»: وفيه دلالة بينة على أن الآلاء أراد بها النعم المطلقة الشاملة للظاهرة والباطنة لا المقيدة بالظاهرة كما سبق إليه بعض الأوهام انتهى قال في «آكام المرجان»: دلت الآية على أن الجن كلهم مكلفون ولا خلاف فيه بين أهل النظر وزعمت الحشوية أنهم مضطرون إلى أفعالهم وأنهم ليسوا مكلفين والدليل على أنهم مكلفون ما في القرآن من ذم الشياطين ولعنهم والتحذير من غوائلهم وشرهم وذكر ما أعده الله لهم من العذاب وهذه الخصال لا يفعلها الله إلا لمن خالف الأمر والنهي وارتكب الكبائر وهتك المحارم مع تمكنه من أن لا يفعل ذلك وقدرته على فعل خلافه ويدل على ذلك أيضاً أنه كان من دين النبي عليه السلام لعن الشياطين والبيان عن حالهم وأنهم يدعون إلى الشر والمعاصي ويوسوسون بذلك وتكرار هذه الآية في هذه الصورة لطرد الغفلة وتأكيد الحجة وتذكير النعمة وتقرير الكرامة من قولهم كم نعمة كانت لكم كم كم وكم وكقولك لرجل أحسنت إليه بأنواع الأيادي وهو ينكرها: ألم تكن فقيراً فأغنيتك أفتنكر هذا ألم تكن عرياناً فكسوتك أفتنكر هذا ألم تكن خاملاً فعززتك أفتنكر هذا وقال الشاعر:

لا تقطعن الصديق ما طرفت ... عيناك من قول كاشح أشر
ولا تملن من زيارته ... زره وزره زر ثم زر وزر

وقال في «برهان القرآن»: تكررت الآية إحدى وثلاثين مرة ثمان منها ذكرها عقيب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم ثم سبع منها عقيب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم وحسن ذكر الآلاء عقيبها لأن في خوفها ودفعها نعماً توازي النعم المذكورة أو لأنها حلت بالأعداء وذلك يعد من أكبر النعماء وبعد هذه السبع ثمان في وصف الجنات وأهلها على عدد أبواب الجنة وثمان أخرى بعدها للجنتين اللتين دونها فمن اعتقد الثماني الأولى وعمل بموجبها استحق كلتا الثمانيتين من الله ووقاه الله السبع السابقة.

يقول الفقير من لطائف أسرار هذا المقام أن لفظ ال في اول اسم الرحمن المعنون به هذه السورة الجليلة دل على تلك الإحدى والثلاثين.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ۝١٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٦﴾

﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ بيافريد انسانرا از كل خشك مانند سفال پخته كه دست بروى زنى آواز كنده. الصلصال الطين اليابس الغير المطبوخ الذي له صلصلة أي: صوت يسمع من يبسه وصح عن رسول الله عليه السلام أنه قال: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات لصوته صلصلة كصلصلة الجرس على الصفوان والفخار والخزف» أي: الطين المطبوخ بالنار وتشبيهه بالفخار لصوته باليبس إذا نقر كأنه صور بصورة من يكثر التفاخر أو لأنه أجوف وقد خلق الله آدم عليه السلام من تراب جعله طيناً ثم حمأ مسنوناً ثم صلصالاً ثم صب عليه ماء الأحزان فلا ترى ابن آدم إلا يكابد حزناً فلا تنافي بين الآية الناطقة بأحدها وبين ما نطق بأحد الآخرين.

﴿وخلق الجان﴾ أي: الجن أو أبا الجن أو إبليس وبه قال الضحاك وفي «الكشف» الجان أبو الجن كما أن الإنسان أبو الإنس وإبليس أبو الشياطين ﴿من مارج﴾ أي: من لهب صاف من الدخان وقال مجاهد المارج هو المختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا وقدت من مرج أمر القوم إذا اختلط واضطرب فمعنى من مارج من لهب مختلط ﴿من نار﴾ بيان لمارج فإنه في الأصل للمضطرب من مرج إذا اضطرب وفي «كشف الأسرار» خلق الجن من مارج من نار والملائكة من نورها والشياطين من دخانها وقال بعضهم: من النار التي بين الكلة الرقيقة وبين السماء وفيها يكون البرق ولا ترى السماء إلا من وراء تلك الكلة. درباب نهم ازسفر نانىء فتوحات مذكور است كه مارج آتشست ممتزج بهواكه آنرا هواى مشتعل كويند پس جان مخلوقست اذ دو عنصر آتش وهو وآدم آفريده شده ازدو عنصر آب وخاك چون آب وخاك بهم شوند آنرا طين كويند وچون هوا وآتش مختلط كردد آنرا مارج خوانند وچنانكه تناسل دربشر بالقاء آبست در رحم تناسل درجن بالقاء هواست در رحم انثى وميان آفرينش جان وآدم شصت هزار سال بود.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ مما أفاض عليكما في تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم حتى صيركما أفضل المركبات وخلاصة الكائنات وفيه إشارة إلى أن الحق سبحانه تجلى لحقيقة إنسان الروح بصورة صفة صلصال اللطف والجمال ولحقيقة إبليس النفس بصورة صفة مارج القهر والجلال فصار أحدهما مظهراً لصورة لطفه والآخر لصورة قهره فبأي آلاء ربكما تكذبان أيها الروح اللطيف والنفس الخبيثة لأن كل واحد منكما قد ذاق ما جبل عليه من اللطف والقهر والطيب والخبث.

﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ۝١٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٨ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ۝١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ۝٢٢﴾.

﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: الذي فعل ما ذكر من الأفاعيل البديعة رب مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته أن يكون رب بينهما من الموجودات قاطبة يعني أن ذكر غاية ارتفاعهما وغاية انحطاطهما إشارة إلى أن الطرفين يتناولان ما بينهما كما إذا قلت في وصف ملك عظيم الملك له المشرق والمغرب فإنه يفهم منه أن له ما بينهما

أيضاً. قال في «كشف الأسرار»: أحد المشرقين هو الذي تطلع منه الشمس في أطول يوم من السنة والثاني الذي تطلع منه في أقصر يوم وبينهما مائة وثمانون مشرقاً وكذا الكلام في المغربين وقيل أحد المشرقين للشمس والثاني للقمر وكذا المغربان وأما قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما بين المشرق والمغرب قبلة يعني لأهل المشرق وهو أن تجعل مغرب الصيف على يمينك ومشرق الشتاء على يسارك فتكون مستقبل القبلة.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ مما في ذلك من فوائد لا تحصى من اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته إلى غير ذلك **﴿مرج البحرين﴾** أي: أرسلهما من مرجت الدابة إذا أرسلتها وخليتها للرعي والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب وبالفارسية راه داد دو دريا راكه يكى خوش وشيرين ويكى تلخ وشور **﴿يلتقيان﴾** حال من البحرين قريبة من الحال المقدرة أي: يتجاوران ويتماس سطوحهما لا فصل في مرأى العين وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل أرسل بحر فارس والروم يلتقيان في المحيط لأنهما خليجان يتشعبان منه قال سعدي المفتي وعلى هذا فقوله يلتقيان إما حال مقدرة إن كان المراد إرسالهما إلى المحيط أو المعنى اتحاد أصليهما إن كان المراد إرسالهما منه فلكل وجه.

﴿بينهما برزخ﴾ أي: حاجز من قدرة الله أو من الأرض والبرزخ الحائل بين الشيئين ومنه سمي القبر برزخاً لأنه بين الدنيا والآخرة وقيل للوسوسة برزخ الإيمان لأنها طائفة بين الشك واليقين **﴿لا يبغيان﴾** أي: لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصية مع أن شأنهما الاختلاط على الفور بل يبقيان على حالهما زماناً يسيراً مع أن شأنهما الاختلاط وانفعال كل واحد منهما عن الآخر على الفور أو لا يتجاوزان حديهما بإغراق ما بينهما من الأرض لتكون الأرض بارزة يتخذها أهلها مسكناً ومهاداً فقوله **﴿لا يبغيان﴾** إما من الابتغاء وهو الطلب أي: لا يطلبان غير ما قدر لهما أو من البغي وهو مجاوزة كل واحد منهما ما حد له.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وليس من البحرين شيء يقبل التكذيب لما فيه من الفوائد والعبر **﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾** اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الأحمر المشهور يقال يلقيه الجن في البحر وقال في «خريدة العجائب» اللؤلؤ يتكون في بحر الهند وفارس والمرجان ينبت في البحر كالشجر وإذا كلس المرجان عقد الزئبق فمنه أبيض ومنه أحمر ومنه أسود وهو يقوي البصر كحلاً وينشف رطوبة العين انتهى وقيل: اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره.

واعلم أنه إن أريد بالبحرين هنا بحر فارس وبحر الروم فلا حاجة في قوله منهما إلى التأويل إذ اللؤلؤ والمرجان بمعنييه يخرجان منهما لأن كلاً منهما ملح ولا عذب في البحار السبعة إلا على قول من قال في الآية يخرج من مالح بحري فارس والروم ومن عذب بحر الصين وفي «بحر العلوم» أن اللؤلؤ يخرج من بحر فارس والمرجان من بحر الروم يعني لا من كليهما وإن أريد بهما البحر الملح والبحر العذب فنسبة خروجهما حينئذ إلى البحرين مع أنهما إنما يخرجان من البحر الملح أو مع أنهما لا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه كما يقال يخرج الولد من الذكر والأنثى وإنما تلده الأنثى وهو الأظهر أو لأنهما لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب وهذا يحتمل معنيين أحدهما أن الملتقى اسم مكان والخروج بمعنى الانتقال من الباطن إلى الظاهر فإنه قال الجمهور يخرج من الأجاج من المواضع التي يقع فيها

الأنهار والمياه العذبة فناسب إسناد ذلك إليهما وهذا مشهور عند الغواصين والثاني أنه مصدر ميمي بمعنى الالتقاء والخرج بمعنى الحدوث والحدوث بمعنى الوجود فإنه يحدث ويتكون من التقائهما واجتماعهما كما قال الرازي يكون العذب كاللقاح للملح ونقل عن ابن عباس وعكرمة مولاه أن تكون هذه الأشياء في البحر بنزول المطر لأن الصدف تفتح أفواهها للمطر فيكون الأصداف كالأرحام للنطف وماء البحر كالجسد الغاذي ويدل على أنه من المطر ما اشتهر من أن السنة إذا أجدبت هزلت الحيتان وقلّت الأصداف والجواهر وعلى هذا فضمير منهما للبحرين باعتبار الجنس فتأمل.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ زيرا آن جوهرها كه بدان آرايش كنيد واز خريد وفروخت آن فوائد يابيد نعم ظاهره است پس بكدام ازين نعمتهاى پروردكار خود تكذيب مينماييد وكفته اند مراد بحر آسمان وبحر زمين است كه هرسال متلاقى شوند وابر حاجزست كه منع ميكند دريان آسمانرا از نزول ودرياي زمين را از صعود ودرياي فلك قطرات بردرياى زمين ريخته بدهان صدف درمى آيد وازان در منعقد كردد وقيل البحران علي وفاطمة رضي الله عنهما والبرزخ النبيّ ﷺ ويخرج منهما الحسن والحسين رضي الله عنهما وقيل: هما العقل والهوى والبرزخ بينهما لطف الله ويخرج منهما التوفيق والعصمة وقيل: هما المعرفة والمعصية والحاجز العصمة ويخرج منهما الشوق والتوبة لا يبغيان لا تؤثر المعصية في المعرفة وقيل هما الدنيا والآخرة والبرزخ القبر وقيل الحياة والوفاة والبرزخ الأجل وقيل الحجة والشبهة والبرزخ النظر ويخرج منهما الحق والصواب. إمام قشيري رحمه الله فرموده كه بحرين خوف ورجاست يا قبض وبسط وبرزخ قدرت بي علت ولؤلؤ أحوال صافيه ومرجان لطايف وافيه صاحب «كشف الأسرار» شرح ميكند كه بحر خوف ورجا عامه مسلمان راست وازان كوهر زهد وورع وطاعت وتقوى بيرون آيد وبحر قبض وبسط خواص مؤمنا نراست وازان جواهر فقر ووجد زايد وبحر انس وهيبت انبيا وصديقا نراكه ازان كوهر فنا روى نمايد تا صاحبش بمنزل بقا بياسايد:

زقعر بحر فنا كوهر فنا يابى   وكرنه غوطه خورى اين كهر كجا يابى

وقال بعض الكبار: يشير إلى مروج بحر الروح وحركته بالتجليات الذاتية وإلى مروج بحر القلب وحركته بالتجليات الصفاتية والتقائهما في مقام الوحدة مع بقاء برزخ معنوي بين هذين البحرين المشار بهما إلى ما ذكر بحيث لا يبغي بحر الروح على بحر القلب لعدم نزوله بالكلية لئلا يفنى خاصية بحر القلب ولا يغلب بحر القلب على بحر الروح لعدم عروجه بالكلية لئلا يفنى خاصية بحر الروح كما قال ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: ١٦٤] يخرج لؤلؤ التجليات الذاتية من باحة بحر الروح ومرجان التجليات الصفاتية من لجة بحر القلب ويجوز أن يخرجا مجتمعين من اتحاد بحر الروح وبحر القلب مع بقاء امتياز ما بينهما وقال بعضهم: يشير إلى بحر القدم والحدوث وبحر القدم عذب من حيث القدم وبحر الحدوث ملح من حيث علل الحدوثية وبينهما حاجز عزة وحدانيته بحيث لا يختلط أحدهما بالآخر لأنه منزه عن الحلول في الأماكن والاستقرار في المواطن يخرج من بحر القدم القرآن والأسماء والنعوت ومن بحر الحدوث العلم والمعرفة والفطنة وأيضاً يشير إلى بحر القلب الذي هو بحر الأخلاق المحمودة

وبحر النفس الذي هو بحر الأخلاق المذمومة ولا يختلطان بحيث يصير القلب نفساً والنفس قلباً لأن بينهما العقل والعلم والشريعة والطريقة فإذا صارت النفس مطمئنة يخرج منها ومن القلب الإيمان والإيقان والصفاء والنور والطمأنينة وقال ابن عطاء رحمه الله بين العبد وبين الرب بحران عميقان أحدهما بحر النجاة وهو القرآن من تعلق به نجا لأن الله تعالى يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وبحر الهلاك وهو الدنيا من ركن إليها هلك انتهى.

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾

﴿**وله الجوار**﴾ هذه اللام لها معنيان أحدهما أنها لام الملك والثاني أنها لام الاستحسان والتعجب كقولهم لله أنت لله درك كما في «كشف الأسرار» والجوار بكسر الراء أصله الجواري بالياء بمعنى السفن جمع جارية أقيمت الصفة مقام الموصوف قال ابن الشيخ: اعلم أن الأركان أربعة: التراب والماء والهواء والنار فالله تعالى بيّن بقوله: ﴿**خلق الإنسان من صلصال**﴾ أن التراب أصل لمخلوق شريف مكرم عجيب الشان وبيّن بقوله ﴿**وخلق الجان من مارج من نار**﴾ أن النار أيضاً أصل لمخلوق آخر عجيب الشان وبيّن بقوله ﴿**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**﴾ أن الماء أيضاً أصل لمخلوق آخر له قدر وقيمة ثم ذكر أن الهواء له تأثير عظيم في جري السفينة كالأعلام فقال: وله الجوار وخصها بالذكر لأن جريانها في البحر لا صنع للبشر فيه وهم معترفون بذلك فيقولون: لك الفلك ولك الملك وإذا خافوا الغرق دعوا الله خاصة وسميت السفينة جارية لأن شأنها الجري في البحر وإن كانت واقفة في الساحل والمراسي كما تسمى المملوكة أيضاً جارية لأن شأنها الجري والسعي في حوائج سيدها ﴿**المنشآت**﴾ المرفوعات الشرع على أن يكون من أنشأه إذا رفعه والشرع بضمتين جمع شراع وهو الذي يسمى بالفارسية بادبان. ولا يبعد أن يكون المنشآت بمعنى المرفوعات على الماء فتكون جارية على ما هي له كما في «حاشية سعدي المفتي» والمعنى المنشآت المصنوعات أي: المخلوقات على أن يكون من أنشأه الله أي: خلقه ﴿**في البحر كالأعلام**﴾ جمع علم وهو الجبل الطويل أي: كالجبال الشاهقة عظماً وارتفاعاً وهو حال من ضمير المنشآت والسفن في البحر كالجبال في البر كما أن الإبل في البر كالسفن في البحر.

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ من خلق مواد السفن و«الإرشاد» إلى أخذها وكيفية تركيبها وإجرائها في البحر يابسات لقطع المسافات الكثيرة في الأوقات القليلة وحصول المعاملات والتجارات لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه وفيه إشارة إلى جريان سفن الشريعة والطريقة المرفوعات الشرع بأحكام الشريعة وآداب الطريقة في بحر الوحدة الحقيقية كالجبال العظام مشحونات بمنافع كثيرة من الطاعات والعبادات على مقتضى علم الشريعة والواردات القلبية والإلهامات الغيبية على قانون أرباب الطريقة كما في «التأويلات النجمية».

﴿**كل من عليها فان**﴾ الهاء كناية عن غير مذكور كقولهم إذا نهى السفيه جرى إليه والمعنى كل من على الأرض من الحيوانات والمركبات ومن للتغليب على الوجهين أو من الثقلين فان أي هالك لا محالة يعني سر انجام كار فاني شوند. ولما نزلت هذه الآية قالت الملائكة: هلكت بنو آدم فلما نزلت ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] أيقنوا بهلاك

أنفسهم فإن لهم أجساماً لطيفة وأرواحاً متعلقة بتلك الأجسام كأرواح الإنسان وأما الأرواح المجردة المهيمة العالية فلا تفنى.

﴿ويبقى وجه ربك﴾ أي: ذاته ومنه كرم الله وجهه أي: ذاته فالوجه العضو المعروف استعير للذات لأنه أشرف الأعضاء ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر آثار الخشوع قال القاضي: لو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها بأسرها فانية في حد ذاتها إلا وجه الله الذي يلي جهته انتهى قال سعدي المفتي في حاشية هذا المحل: هذا إشارة إلى وجه آخر وهو أن يكون الوجه بمعنى القصد أي: ما يقصد وينوي به الله والجهات بمعنى المقاصد وفي العبارة نوع تسامح وقوله يلي جهته أي: مقصده والإضافة للبيان أي: يتوجه إليه انتهى وقال ابن الشيخ إشارة إلى أن الوجه يجوز أن يكون كناية عن الجهة بناء على أن كل جهة لا تخلو عن وجه يتوجه إليها كما ذكر في قوله ﴿فِي جَنبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] أي: كل من عليها من الثقلين وإما اكتسبوه من الأعمال هالك إلا ما توجهوا به جهة الله وعملوه ابتغاء لمرضاته انتهى وقال الشيخ ابن نور الدين رحمه الله الماهيات تنقسم إلى ثلاثة أقسام: واجب الوجود وممتنع الوجود وممكن الوجود أما الواجب فهو وجود بحت وأما الممتنع فهو عدم محض وأما الممكن فهو مركب منهما وذلك لأن له وجوداً وماهية عارضة على وجوده فماهيته أمر اعتباري معدوم في الخارج لا يقبل الوجود فيه من حيث هو هو ووجوده موجود لا يقبل العدم من حيث هو هو فكان الممكن موجوداً ومخلوقاً من وجود وعدم وهذه الجمعية تقبل الوجود والعدم ومن هذا ظهر حقيقة ما قال البيضاوي ولو استقريت الخ وما قاله الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] حيث قال الضمير راجع إلى الشيء انتهى ﴿ذو الجلال والإكرام﴾ صفة وجه أي: ذو الاستغناء المطلق أو العظمة في ذاته وصفاته وذو الفضل التام وهذه من عظائم صفاته تعالى ولقد قال عليه السلام: «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام» يعني ملازم بكوييد يا ذا الجلال والإكرام وفي «تاج المصادر» الإلظاظ ملازم كرفتن ودائم شدن باران. والإلحاح أيضاً وفي «القاموس» اللظ اللزوم والإلحاح وعنه عليه السلام أنه مر برجل وهو يصلي ويقول: «يا ذا الجلال والإكرام فقال: استجيب لك الدعاء فالدعاء بهاتين الكلمتين مرجو الإجابة» وفي وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى إيذان بأنه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم أيضاً آثار لطفه وكرمه حسبما ينبىء عنه قوله تعالى:

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ فإن إحياءهم بالحياة الأبدية وإثابتهم بالنعيم المقيم أجل النعماء وأعظم الآلاء قال الطيبي: كيف أفرد الضمير في قوله: ﴿وجه ربك﴾ وثناه في ربكما والمخاطب واحد؟ قلت: اقتضى الأول تعميم الخطاب لكل من يصلح للخطاب لعظم الأمر وفخامته فيندرج فيه الثقلان اندراجاً أولياً ولا كذلك الثاني فتركه على ظاهره وفي قوله: ﴿كل من عليها فان﴾ إشارة إلى فناء كل من على الأرض البشرية إما بالموت الطبيعي منغمساً في بحر الشهوات الحيوانية واللذات الجسمانية وإما بالموت الإرادي منسلخاً عن الصفات البشرية ملتبساً بالصفات الروحانية وتغليب من إشارة إلى ذوي العقول السليمة عن آفات القوة الوهمية والخيالية فإنهم بذكاء فطرتهم وبقاء طينتهم يفنون عن الأحكام الطبيعية ويبقون بالتجليات الإلهية وبقوله: ﴿ويبقى وجه﴾ إلخ إشارة إلى فناء الكثرة النسبية الأسمائية وبقاء الوحدة الحقيقية الذاتية الموصوفة بالصفة الجلالية القهرية والجمالية اللطفية ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ مما ذكرنا من

إفناء الحياة المجازية وإبقاء الحياة الحقيقية وإظهار الصفة اللطفية في حق مستحقي اللطف وإظهار الصفة القهرية في حق مستحقي القهر لعلمه المحيط باستحقاقها وقال بعضهم: لو نظرت بنظر التحقيق في الكون وأهله لرأيت حقيقة فنائه وفناء أهله وإن كان في الظاهر على رسم الوجود لأن من يكون قيامه بغيره فهو فان في الحقيقة إذ لا يقوم بنفسه ولا نفس له في الحقيقة فإن الوجود الحقيقي وجود القدم لذلك أثنى على نفسه بقوله ﴿**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾. قال الشيخ المغربي:

سايه هستى مينمايد ليك اندر اصل نيست   نيست را ازهست بشناختى يابى نجات

وقال المولى الجامي:

تو درميانه هيج نه هرچه هست اوست   هم خود الست كويد وهم خود بلى كند

وفي ذكر وجهه الباقي تسلية لقلوب العشاق أي: أنا أبقى لكم أبداً لا تغتموا فإن لكم ما وجدتم في الدنيا من كشف جمالي ويتسرمد ذلك لكم بلا حجاب أبداً وفي ذكر الجلال تهييج لأهل المحبة والهيبة وفي كاف الوحدة إشارة إلى حبيبه عليه السلام يعني كشف الوجه باق لك أبداً أريتك وجهي خاصة ثم العشاق اتباع لك في النظر إلى وجهي فأول الكشف لك ثم للعموم.

واعلم أن وجود الباقي جميعه وجه وبين التجليات تفاوت وفي الحديث «أن الله يتجلى لأبي بكر خاصة ويتجلى للمؤمنين عامة.

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿**يسأله**﴾ ميخواهند اورا يعني ميطلبند ازوى ﴿**من في السموات والأرض**﴾ قاطبة ما يحتاجون إليه في ذواتهم ووجوداتهم حدوثاً وبقاء وسائر أحوالهم سؤالاً مستمراً بلسان المقال وبلسان الحال فإنهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الإلهية من العلائق لم يشموا رائحة الوجود أصلاً فهم في كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وعن ابن عباس رضي الله عنهما فأهل السماء يسألونه المغفرة وأهل الأرض يسألونه الرزق والمغفرة وفي «كشف الأسرار» مؤمنان دوكروه اند عابدان وعارفان هر سؤال بر يكى بر قدر همت او ونواخت هريكى سزاى حوصله او:

هركسى ازهمت والاى خويش   سود برد درخور كالاى خويش

عابدهمه ازخواهد عارف خود اورا خواهد احمد بن أبي الجواري حق را بخواب ديد كفت. جل جلاله يا أحمد كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد فإنه يطلبني:

فسرت إليك في طلب المعالي   وسار سواي في طلب المعاش

﴿**كل يوم**﴾ أي: كل وقت من الأوقات وهو اليوم الإلهي الذي هو الآن الغير المنقسم وهو بطن الزمان في الحقيقة ﴿**هو**﴾ تعالى ﴿**في شأن**﴾ من الشؤون التي من جملتها إعطاء ما سألوا فإنه تعالى لا يزال ينشىء أشخاصاً ويفني آخرين ويأتي بأحوال ويذهب بأحوال من الغنى والفقر والعزة والذلة والنصب والعزل والصحة والمرض ونحو ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح البالغة وفي الحديث: «من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع

قوماً ويضع آخرين» قال الحسين بن الفضل: هو سوق المقادير إلى المواقيت وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: خلق الله تعالى لوحاً من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى ﴿كل يوم هو في شأن﴾ وهو مأخوذ من قوله عليه السلام: «إن الرب لينظر إلى عباده كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يبدىء ويعيد» وذلك من حبه خلقه ويدل على هذا الحب ما يقال من أن الله تعالى يحيي كل يوم ألفاً وواحداً يميت ألفاً فالحياة الفانية إذا كانت خيراً لتحصيل الحياة الباقية فما ظنك بفضيلة الحياة الباقية وعن عيينة الدهر كله عند الله يومان أحدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه الأمر والنهي والإماتة والإحياء والإعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب والثواب والعقاب قال مقاتل: نزلت الآية في اليهود حين قالوا إن الله لا يقضي يوم السبت شيئاً ففيها رد لهم وقوله كل ظرف لما دل عليه هو في شأن أي: يقلب الأمور كل يوم أو يحدثها كل يوم أو نحوه كما في «بحر العلوم».

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ مع مشاهدتكم لما ذكر من إحسانه وفي «بحر الحقائق» يشير إلى تجلي الحق في كل زمن فرد ونفس فرد على حسب المتجلى له واستعداده ولا نهاية للتجليات ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ من تجلي الحق بصور مطلوبكم وإيجاده من كتم العدم ووجود محبوبكم:

كل يوم في شأن چه شانست بدو هرزمان جلوه ديكر شود از پرده عيان
جلوة حسن ترا غايت وپاياني نيست يعني اوصاف كمال تواندرد پايان

قال البقلي: ﴿يسأله من في السموات﴾ من الملائكة كلهم على قدر مقاماتهم يسأله الخائف النجاة من البعد والحجاب ويسأله الراجي الوصول إلى محل الفرج ويسأله المطيع قوة عبادته وثواب طاعته ويسأله المحب أن يصل إليه ويسأله المشتاق أن يراه ويسأله العاشق أن يقرب منه ويسأله العارف أن يعرفه بمزيد المعرفة ويسأله الموحد أن يفنى فيه ويستغرق في بحر شهوده ويسأله الجاهل علم ما يحجبه عنه ويسأله العالم ما يعرفه به وكذا كل قوم على قدر مراتبهم ودرجاتهم وهو تعالى في كل يوم هو في شأن والشان الحال والأمر العظيم.

﴿سنفرغ لكم﴾ أي: سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة عند انتهاء شؤون الخلق المشار إليها بقوله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ فلا يبقى حينئذ إلا شأن واحد هو الجزاء فعبر عنه بالفراغ لهم على المجاز المرسل فإن الفراغ يلزمه التجرد وإلا فليس المراد الفراغ من الشغل لأنه تعالى لا يشغله شأن عن شأن وقيل هو مستعار من قول المهدد لصاحبه سأفرغ لك أي: سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه فالخطاب للمجرمين منهما بخلافه على الأول ﴿أيه الثقلان﴾ قال الراغب الثقل والخفة متقابلان وكل ما يترجح على ما يوزن به أو يقدر به يقال: هو ثقيل وأصله في الأجسام ثم يقال في المعاني: أثقله الغرم والوزر انتهى والمراد هنا الإنس والجن سميا بذلك لأنهما ثقلا الأرض يعني أنهما شبها بثقلي الدابة وفي «حواشي ابن الشيخ»: شبه الأرض بالحمولة التي تحمل الأثقال والإنس والجن جعلا أثقالاً محمولة عليها وجعل ما سواهما كالعلاوة أو لرزانة آرائهما أو لأنهما مثقلان بالتكليف أو لعظم قدرهما في الأرض كما في الحديث: «إني خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» وقال الصادق رضي الله عنه سميا ثقلين لأنهما يثقلان بالذنوب

أو لما فيهما من الثقل وهو عين تأخرهما بالوجود لأن من عادة الثقيل الإبطاء كما أن من عادة الخفيف الإسراع والإنس أثقل من الجن للركن الأغلب عليهم ﴿**فبأي آلاء ربكما**﴾ التي من جملتها التنبيه على ما سيلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدي إلى سوء الحساب ﴿**تكذبان**﴾ بأقوالكما وأعمالكما قال في «كشف الأسرار»: اعلم أن بعض هذه السورة ذكر فيه الشدائد والعذاب والنار والنعمة فيها من وجهين أحدهما في صرفها عن المؤمنين إلى الكفار وتلك النعمة عظيمة تقتضي شكراً عظيماً والثاني أن في التخويف منها والتنبيه عليها نعمة عظيمة لأن اجتهاد الإنسان رهبة مما يؤلمه أكثر من اجتهاده رغبة فيما ينعمه.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾

﴿**يا معشر الجن والإنس**﴾ هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولأن الجن مشهورون بالقدرة على الأفاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبيء عن ذلك لبيان أن قدرتهم لا تفي بما كلفوه والمعشر الجماعة العظيمة سميت به لبلوغه غاية الكثرة فإن العشر هو العدد الكامل الكثير الذي لا عدد بعده إلا بتركيبه بما فيه من الآحاد تقول أحد عشر واثنا عشر وعشرون وثلاثون أي: اثنتا عشرات وثلاث عشرات فإذا قيل معشر فكأنه قيل محل العشر الذي هو الكثرة الكاملة وقدم الجن على الإنس في هذه الآية لتقدم خلقه والإنس على الجن في قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ [الإسراء: ٨٨] لفضله فإن التقديم يقتضي الأفضلية قال ابن الشيخ لما بين الله تعالى أنه سيجيء وقت يتجرد فيه لمحاسبتهم ومجازاتهم وهددهم بما يدل على شدة اهتمامه بها كان مظنة أن يقال فلم ذلك مع ما له من كمال الاهتمام به؟ فأشار إلى جوابه بما محصوله أنهم جميعاً في قبضة قدرته وتصرفه لا يفوته منهم أحد فلم يتحقق باعث يبعثه على الاستعجال لأن ما يبعث المستعجل إنما هو خوف الفوت وحيث لم يخف ذلك قسم الدهر كله إلى قسمين: أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة وجعل المدة الأولى أيام التكليف والابتلاء والمدة الثانية للحساب والجزاء وجعل كل واحدة من الدارين محل الرزايا والمصائب ومنبع البلايا والنوائب ولم يجعل لواحد من الثقلين سبيلاً للفرار منهما والهرب مما قضاه فيهما فقوله: يا معشر الجن متعلق بقوله ﴿**سنفرغ لكم**﴾ فكانا بمنزلة كلام واحد ﴿**إن استطعتم**﴾ لم يقل إن استطعتما لأن كل واحد منهما فريق كقولهم ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل: ٤٥] أي: كل فريق منهم يختصم فجمع الضمير هنا نظراً إلى معنى الثقلين وثناه في قوله ﴿**يرسل عليكما**﴾ كما سيأتي نظراً إلى اللفظ أي: إن قدرتم على ﴿**أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض**﴾ قال في «القاموس»: النفاذ جواز الشيء عن الشيء والخلوص منه كالنفوذ ومخالطة السهم جوف الرمية وخروج طرفه من الشق الآخر وسائره فيه كالنفذ ونفذهم جازهم وتخلفهم كأنفذهم والنافذ الماضي في جميع أموره انتهى والأقطار جمع قطر بالضم وهو الجانب والمعنى أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هاربين من الله فارين من قضائه ﴿**فانفذوا**﴾ فاخرجوا منها وخلصوا أنفسكم من عقابي وهو أمر تعجيز والمراد أنهم لا يفوتونه ولا يعجزونه حتى لا يقدر عليهم ﴿**لا تنفذون**﴾ لا تقدرون على النفوذ ﴿**إلا بسلطان**﴾ أي: بقوة وقهر وأنتم من ذلك بمعزل بعيد.

- روي - أن الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فيهرب الإنس والجن فلا يأتون وجهاً إلا وجدوا الملائكة أحاطت به فتقول لهم الملائكة ذلك فكما لا يقدر أحد على الفرار يوم القيامة كذلك لا يقدر في الدنيا فيدركه الموت والقضاء لا محالة.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أي: من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿يرسل عليكما شواظ﴾ هو لهب خالص لا دخان فيه أو دخان النار وحرها كما في «القاموس» قال سعدي المفتي: والله أعلم أنها استئناف جواباً عن سؤال الداعي إلى الهرب والفرار وإن ذلك حين يساق إلى المحشر كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أي: يرسل عليكما لهب بلا دخان ليسوقكم إلى المحشر **﴿من نار﴾** متعلق بيرسل والتنوين فيهما للتفخيم **﴿ونحاس﴾** أي: دخان أو صفر مذاب يصب على رؤوسهم وفي «المفردات» النحاس اللهب بلا دخان وذلك تشبيه في اللون بالنحاس وفي «القاموس» النحاس مثلثة عن أبي العباس الكواشي: القطر والنار وما سقط من شرار الصفر أو الحديد إذا طرق **﴿فلا تنتصران﴾** أي: لا تمنعان من ذلك العذاب.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ من بيان عاقبة الكفر والمعاصي والتحذير عنها فإنها لطف ونعمة وأي لطف ونعمة.

﴿فإذا انشقت السماء﴾ أي: انصدعت يوم القيامة وانفك بعضها من بعض لقيام الساعة أو انفرجت فصارت أبواباً لنزول الملائكة كقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان: ٢٥] وفي الخبر من نار جهنم إذا كشف عنها **﴿فكانت وردة﴾** كوردة حمراء في اللون وهي الزهرة المعروفة التي تشم والغالب على الورد الحمرة قال:

ولو كنت ورداً لونه لعشقتني ... ولكن ربي شانني بسواديا

وقيل: لأن أصل لون السماء الحمرة وإنما ترى زرقاء للبعد والحوائل ولأن لون النار إذا خالط الأزرق كساه حمرة **﴿كالدهان﴾** خبر ثان لكانت أي: كدهن الزيت فكانت في حمرة الوردة وفي جريان الدهن أي: تذوب وتجري كذوبان الدهن وجريه فتصير حمراء من حرارة جهنم وتصير مثل الدهن في رقته وذوبانه وهو إما جمع دهن أو اسم لما يدهن به كالإدام لما يؤتدم به وجواب إذا محذوف أي: يكون من الأحوال والأهوال ما لا يحيط به دائرة المقال قال سعدي المفتي ناصب إذا محذوف أي: كان ما كان من الأمر الهائل الذي لا يحيط به نطاق العبارة أو رأيت أمراً عظيماً هائلاً وبهذا الاعتبار تتسبب هذه الجملة عما قبلها لأن إرسال الشواظ يكون سبباً لحدوث الأمر الهائل أو رؤيته في ذلك الوقت.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ مع عظم شأنها.

﴿فيومئذ﴾ أي: يوم إذ انشقت السماء حسب ما ذكر **﴿لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾** لأنهم يعرفون بسيماهم فلا يحتاج في تمييز المذنب عن غيره إلى أن يسأل عن ذنبه إن أراد أحد

أن يطلع على أحوال أهل المحشر وذلك أول ما يخرجون من القبور ويحشرون إلى الموقف فوجاً فوجاً على اختلاف مراتبهم وأما قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢] ونحوه ففي موقف المناقشة والحساب وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا فإنه أعلم بذلك منهم ولكن يسألهم لم عملتم كذا وكذا وعنه أيضاً ويسألون سؤال شفاء وراحة وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ وضمير ذنبه للإنس لتقدمه رتبة وإفراده لما أن المراد فرد من الإنس كأنه قيل لا يسأل عن ذنبه إنسي ولا جني وأراد بالجان الجن كما يقال تميم ويراد ولده.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ مع كثرة منافعها فإن الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدي إليه وفيه إشارة إلى شعاشع أنوار الطاعة والعبادة على صفحات وجنات إنس الروح وإلى تراكم ظلمات المعصية والمتمرد وسلاسل الطغيان وأغلال العصيان على صفحات وجوه جن النفس المظلمة وأعناقهم المتمردة الآبية عن الطاعة والانقياد **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾** مما أنعم الله على عباده المنقادين في هذا اليوم ومما انتقم من عباده المتمردين في ذلك اليوم فإن الانتقام من الأعداء نعمة على الأحباب ولذا ورد الحمد عقيبه كما قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥] وكمال الانتقام بإفناء أوصاف النفس الأمارة بالكلية **﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾** السيما والسيماء بالكسر والقصر والمد العلامة والجملة استئناف يجري مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن كما يعرف الصالحون بأضداد ذلك **﴿فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾** النواصي جمع ناصية وهي مقدم الرأس والمراد هنا شعرها والجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال أخذه إذا كان المأخوذ مقصوداً بالأخذ ومنه قوله تعالى: ﴿خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١] ونحوه وأخذ به إذا كان المأخوذ شيئاً من ملابسات المقصود بالأخذ ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ [طه: ٩٤] وقول المستغيث خذ بيدي أخذ الله بيدك والمعنى تأخذ الملائكة بنواصيهم أي: بشعور مقدم رؤوسهم وأقدامهم فيقذفونهم في النار أو تسحبهم الملائكة إلى النار تارة تأخذ بالنواصي وتجرهم على وجوههم أو يجمع بين نواصيهم وأقدامهم في سلسلة من وراء ظهورهم **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾** من المواعظ والزواجر.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون﴾ على إرادة القول أي: يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ **﴿يطوفون بينها﴾** أي: يدورون بين النار يحرقون بها **﴿وبين حميم آن﴾** أي: ماء بالغ من الحرارة أقصاها يصب عليهم أو يسقون منه أي: يطوفون من النار إلى الحميم ومن الحميم إلى النار دهشاً وعطشاً أبداً من أنى يأنى فهو آن مثل قضى يقضي فهو قاض إذا انتهى في الحر والفيح قال أبو الليث يسلط عليهم الجوع فيؤتى بهم إلى الزقوم الذي طلعها كرؤوس الشياطين فأكلوا منها فأخذت في حلوقهم فاستغاثوا بالماء فأوتوا به من الحميم فإذا قربوه إلى وجوههم

تناثر لحم وجوههم ويشربون فتغلي أجوافهم ويخرج جميع ما فيها ثم يلقى عليهم الجوع فمرة يذهب بهم إلى الحميم ومرة إلى الزقوم وقال كعب الأحبار: إن وادياً من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقاً جديداً فيلقون في النار.

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ وقد أشير إلى سر كون بيان أمثال هذه الأمور من قبيل الآلاء مراراً فالآلاء في أمثالها حكايتها فقط للانزجار مما يؤدي الابتلاء بها من الكفر والمعاصي بخلاف ما فصل في أول السورة إلى قوله: ﴿**كل يوم**﴾ الخ فإنها نعم واصلة إليهم في الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث إيجابها للشكر والمثابرة على ما يؤدي إلى استدامتها وفي الآية إشارة إلى الكاسبين بقدم مخالفة الشرع وموافقة الطبع الصفات الذميمة وأخلاق الرذيلة وهم يطوفون بين نار المخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية وبين حميم الجهل فإنه لا يقطع العطش ولا يروي الظمآن وإنما ينفع للإنسان في الدنيا والآخرة العلم القطعي والكشف الصحيح ألا ترى إلى علوم أهل الجدل فإنها في حكم الجهل لأن أهلها منغمسون في الشهوات واللذات مستغرقون في الأوهام والخيالات ولما نبه الله الإمام الغزالي رحمه الله وأيقظه ونظر فإذا علومه التي صرف شطراً من عمره في تعلمها وتعليمها لا تنقذه في الآخرة رجع إلى كتب الصوفية فتيقن أنه ليس أنفع من علومهم لكون معاملاتها ذات الله وصفاته وأفعاله وحقائق القرآن وأسراره فترك التدريس ببغداد وخرج إلى طلب أهل تلك العلوم حتى يكون منها على ذوق بسبب صحبتهم فوفقه الله فكان من أمره ما كان وقد قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت وقال الإمام فخر الدين للشيخ نجم الدين قدس سره: بم عرفت ربك؟ قال: بواردات ترد على القلوب فتعجز النفوس عن تكذيبها فالنفس كجهنم فيها نار الشهوات وحميم الجهالات فمن زكاها في الدنيا عن أوصافها نجا يوم القيامة من الاحتراق والافتراق نعوذ بالله من سوء الحال وسيئات الأعمال وقبائح الأحوال:

نمى تازد اين نفس سركش چنان — كه عقلش تواند كرفتن عنان
كه بانفس وشيطان برآيد بزور — مصلف پلنكان نيايد زمور

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿**ولمن خاف مقام ربه**﴾ وبراى كسى كه بترسد از ايستادن پيش خداى تعالى وهو شروع في تعداد النعم الفائضة عليهم في الآخرة بعد تعداد ما وصل إليهم في الدنيا من الآلاء الدينية والدنيوية والمقام اسم مكان ومقامه تعالى موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب كما قال ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ٦] فالإضافة للاختصاص الملكي إذ لا ملك يومئذ إلا لله تعالى قال في «عين المعاني»: نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين شرب لبناً على ظمأ فأعجبه ثم أخبر أنه من غير حل فاستقاء فقال ﷺ لما سمعه: «رحمك الله لقد أنزلت فيك آية» ودخل فيه من يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله ﴿**جنتان**﴾ جنة للخائف الإنسي وجنة للخائف الجني على طريق التوزيع فإن الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصي أو جنة

يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه أو روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد وقال في «الموضح»: دوباغ دهد ايشانرا دربهشت كه يكى از ايشان صد ساله راه طول وعرض داشته باشد ودرميان هرباغ سراهاى خوش وحوران دلكش. وقال الأستاذ القشيري رحمه الله جنة معجلة هي لذة المناجاة والتلذذ بحقائق المشاهدات وما يرد على قلوبهم من صدقه الواردات وجنة مؤجلة وهي الموعودة في الآخرة وفي «بحر العلوم» قيل جنة للخائف الإنسي وجنة للخائف الجني لأن الخطاب للثقلين وفيه نظر لقوله عليه السلام: «إن مؤمن الجن لهم ثواب وعليهم عقاب وليسوا من أهل الجنة مع أمة محمد هم على الأعراف حائط الجنة تجري فيه الأنهار وتنبت فيه الأشجار والثمار».

يقول الفقير: قد سبق في أواخر الأحقاف أن المذهب أن الجن في حكم بني آدم ثواباً وعقاباً لأنهم مكلفون مثلهم وإن لم نعلم كيفية ثوابهم فارجع إلى التفصيل في تلك السورة.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ قال محمد بن الحسن رحمه الله: بينا كنت نائماً ذات ليلة إذا أنا بالباب يدق ويقرع فقلت: انظروا من هو فقالوا: رسول الخليفة يدعوك فخفت على روحي فقمت ومضيت إليه فلما دخلت عليه قال: دعوتك في مسألة أن أم محمد يعني زبيدة قلت لها إني إمام العدل وإمام العدل في الجنة فقالت: إنك ظالم عاص قد شهدت لنفسك بالجنة فكذبت بذلك على الله تعالى وحرمت عليك فقلت له: يا أمير المؤمنين إذا وقعت في معصية فهل تخاف الله في تلك الحال أو بعدها؟ فقال: أي: والله أخافه خوفاً شديداً فقلت له: أنا أشهد أن لك جنتين لا جنة واحدة قال تعالى: **﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾** فلاطفني وأمرني بالانصراف فلما رجعت إلى داري رأيت البدر متبادرة إلي قال بعضهم: هو المقام الذي يقوم بين يدي ربه يوم القيامة عند كشف الستور وظهور حقائق الأمور وسكوت الكل من الأنبياء والأولياء لظهور القدرة والجبروت فلا بد من الخوف من القيام في ذلك المقام الهائل. مالك بن دينار كفته دلى كه دروخوف نه همچون خانه كه در وخدا وندنه خانه كه درو خداوند نبود عنقريب آن خانه خراب شودودلى كه درو خوف بود علامتش آنست كه خاطر را از حرمت پركند واخلاق را مهذب كرداند وأطراف بادب دارد ابو القاسم حكيم كفته كه ترس از خالق ديكر است وترس از مخلوق ديكر هركه از مخلوق ترسد ازوى بكريزد وهركه از خالق ترسد باوى كريزد يقول الله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠] ترس از الله باشهوت ودينار نسازد هركه اسير شهوت كشت ترس ازدل وى رخت برداشت ودردست ديو افتاد تابهر درى كه ميخواهد اورامى كشت در آثار بيارندكه يحيى عليه السلام برابليس رسيده ودردست ابليس بند هاديد ازهر جنس وهررنك كفت اى شقى اين چه بند هاست كه دردست تومى بينم كفت اين انواع شهوات فرزند آدم است كه ايشانرا باين دربند آدم وبرمراد خويش مى دارم كفت يحيى راهيچ چيز شناسى كه بآن دروى طمع كنى كفت نه مكريك چيزكه هركه كه طعام سير خورد كرانى طعام اورا ساعتى ازنماز وذكر الله مشغول دارد يحيى كفت ازخداى عز وجل پذيرفتم وباوى عهد بستم كه هركز طعام سير نخورم بزركى راپر سيدندكه خداى تعالى با اندوه كنان وترسند كان چه خواهد كفت اكر اندوه براى او دارند ومحمل ترس از بهرا او كشند هنوز نفس ايشان منقطع نشده باشدكه جام رحيق بردستشان نهندبران نبشته كه ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ﴾ [فصلت: ٣٠]:

اندوه غريبان بسر آيد روزى دركار غريبان نظر آيد روزى

ترسند كانرا واندوه كنانرا چهار بهشت است دوبهشت سيمين ودو بهشت زرين. كما قال عليه السلام: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما».

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى من يخاف مقام الشهود إبقاء على نفسه لأن الشهود الحقيقي يفني الشاهد عن شاهديته في المشهود ويبقيه بالمشهود من آخر مراتب المشاهدة إذ لا لذة في أوائل المشاهدة وإليه أشار عليه السلام بقوله: اللهم ارزقنا لذة النظر إلى لقائك وبهذا المعنى كان يقول لعائشة رضي الله عنها حين يغيب عن حسه «كلميني يا حميراء» للتبليغ والإرشاد وقوله جنتان أي: جنة الفناء في نعمة المشهود وجنة البقاء بالمشهود قوله مقام ربه أي مقام شهود ربه بحذف المضاف فبأي آلاء ربكما تكذبان من نعمة الفناء في الله ونعمة البقاء بالله.

﴿**ذواتا أفنان**﴾ صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيهاً على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للإنكار والتوبيخ وذواتا تثنية ذات بمعنى صاحبة وفي تثنيتها لغتان الرد على الأصل فإن أصلها ذوية لأنها مؤنثة ذوي والتثنية على اللفظ أن يقال ذاتا والأفنان جمع فن أي: ذواتا أنواع من الأشجار والثمار أو جمع فنن وهو الغصن المستقيم طولاً أو الذي ينشعب من فروع الشجرة أي: ذواتا أغصان متشعبة من فروع الشجرة وتخصيصها بالذكر لأنها التي تورق وتثمر وتمد الظل وتجتني منها الثمار يعني أن في الوصف تذكيراً لها على سبيل الكناية كأنه قيل ذواتا أوراق وأثمار وأظلال.

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ وليس فيها شيء يقبل التكذيب.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝٥٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥١﴾

﴿**فيهما عينان تجريان**﴾ صفة أخرى لجنتان فصل بينهما بقوله فبأي الخ مع أنه لم يفصل به بين الصفات الكائنة من قبيل العذاب حيث قال ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ [الرحمن: ٣٥] مع أن إرسال النحاس غير إرسال الشواظ أي: في كل واحدة منهما عين من ماء غير آسن تجري كيف يشاء صاحبها في الأعالي والأسافل لما علم من وصف أنهار الجنة لا من حذف المفعول وقيل تجريان من جبل من مسك عن ابن عباس والحسن رضي الله عنهم تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل وقال أبو بكر الوراق رحمه الله: فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله تعالى:

بران ازدوسر چشمه ديده جوى ورآ لا يشى دارى از خود بشوى

نريزد خدا آب روى كسى كه ريزد كناه آب چشمش بسى

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ وفيه إشارة إلى أن في جنة الفناء عينا يجري فيها ماء الحياة وهي البقاء بعد الفناء وفي جنة البقاء عيناً يجري فيها ماء العلم والمعرفة والحكمة والبقاء بعد الفناء يستلزم أنواع المعارف والحكم وأصناف الموائد والنعم ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ يا أصحاب السكر والغيبة ويا أرباب الصحور والحضور كما في «التأويلات النجمية».

﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٣ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۝٥٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٥﴾.

﴿**فيهما من كل فاكهة زوجان**﴾ صنفان معهود وغريب لم يره أحد ولم يسمع أو رطب ويابس أو حلو وحامض ويقال لونان وقيل في المنظر دون المطعم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما في الدنيا حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو وذلك لأن ما في الجنة خلق من حلاوة الطاعات فلا يوجد فيها المر المخلوق من مرارة السيئات كزقوم جهنم ونحوه ولكون الجنة دار الجمال لا يوجد فيها اللون الأسود أيضاً لأنه من آثار الجلال والجملة صفة أخرى لجنتان ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ أي: من هذه النعم اللذيذة.

﴿**متكئين**﴾ حال من الخائفين لأن من خاف في معنى الجمع والمعنى يحصل لهم جنتان متكئين أي: جالسين جلسة الملوك جلوس راحة ودعة معتمدين ﴿**على فرش**﴾ جمع فراش بالكسر وهو ما يفرش ويبسط ويستمهد للجلوس والنوم ﴿**بطائنها**﴾ جمع بطانة وهي بالكسر من الثوب خلاف ظهارته بالفارسية آستر ﴿**من إستبرق**﴾ قرأ ورش عن نافع ورويس عن يعقوب من استبرق بحذف الألف وكسر النون لإلقاء حركة الهمزة عليها والباقون بإسكان النون وكسر الألف وقطعها والإستبرق ما غلظ من الديباج قيل هو استفعل من البريق وهو الإضاءة وقيل من البرقة وهو اجتماع ألوان وجعل اسماً فأعرب إعرابه وقد سبق شرحه في الدخان والمعنى من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظهائرها يعني أن الظهارة كانت أشرف وأعلى كما قال عليه السلام لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذه الحلة فذكر المنديل دون غيره تنبيهاً بالأدنى على الأعلى وقيل ظهائرها من سندس أو من نور أو هو مما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] ﴿**وجنى الجنتين دان**﴾ جنى اسم بمعنى المجني كالقبض بمعنى المقبوض لقول علي رضي الله عنه:

هذا جناي وخياره فيه ... وكل جان يده إلى فيه

ودان من الدنو وهو القرب أصله دانو مثل غازو أي: ما يجتنى من أشجارها من الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع وبالفارسية وميوه درختان آن دوبهشت نزديكست كه دست قائم وقاعد ومضطجع بدان رسد وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تدنو الشجرة حتى يجتبيها ولي الله إن شاء قائماً وإن شاء قاعداً وإن شاء مضطجعاً وقال قتادة: لا يرد يده بعد ولا شوك وكفته اندكسانى كه تكيه دارند وميوه آروز كنند شاخ درخت سرفرو دارد وآن ميوه كه خواهد بدهان وى درآيد.

يقول الفقير: إن البعد إنما نشأ من كثافة الجسم ولا كثافة في الجنة وأهلها أجسام لطيفة نورانية في صور الأرواح وقد قال من قال: «مصرع» بعد منزل نبود درسفر روحاني. وأيضاً إن الطاعات في الدنيا كانت في مشيئة المطيع فثمراتها أيضاً في الجنة تكون كذلك فيتناولها بلا مشقة بل لا تناول أصلاً فإن سهولة التناول تصوير لسهولة الأكل فتلك الثمار تقع في الفم بلا أخذ على ما قال البعض.

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ من هذه الآلاء اللذيذة الباقية.

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾﴾

﴿**فيهن**﴾ أي: في الجنان المدلول عليها بقوله جنتان لما عرفت أنهما لكل خائفين من الثقلين أو لكل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية في قوله متكئين ﴿**قاصرات**

﴿الطرف﴾ من إضافة اسم الفاعل إلى منصوبه تخفيفاً ومتعلق القصر وهو على أزواجهن محذوف للعلم به والمعنى نساء يقصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم وتقول كل منهن لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجك وقصر الطرف أيضاً من الحياء والغنج. وچون قصر الطرف برمعناى حيا وعنج بود معنى قاصرات الطرف آنست كه كنير كان بهشتى نازنينان اندازناز فرو شكسته چشمان اند. وقد يقال المعنى قاصرات الطرف غيرهن عليهن أي: إذا رآهن أحد لم يتجاوز طرفه إلى غيرهن لكمال حسنهن.

﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ الجملة صفة لقاصرات الطرف لأن إضافتها لفظية يقال طمث المرأة من باب ضرب إذا افتضها بالتدمية أي: أخذ بكارتها فالطمث الجماع المؤدي إلى خروج دم البكر ثم أطلق على كل جماع طمث وإن لم يكن معه دم وفي «القاموس» الطمث المس والمعنى لم يمس الإنسيات أحد من الإنس ولا الجنيات أحد من الجن قبل أزواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف يعني حوران كه براى انس مقرر اند دست آدمى بدامن ايشان نرسيده باشد وآنانكه براى جن مقررانداجن نيز درايشان تصرف نكرده باشد. فهن كالرياض الأنف وهي التي لم ترعها الدواب قط وفيه ترغيب لتحصيلهن إذ الرغبة للابكار فوق الرغبة للثيبات ودليل على أن الجن من أهل الجنة وأنهم يطمثون كما يطمث الإنس فإن مقام الامتنان يقتضي ذلك إذ لو لم يطمثوا كمن قبلهم لم يحصل لهم الامتنان به ولكن ليس لهم ماء كماء الإنسان بل لهم هواء بدل الماء وبه يحصل العلوق في أرحام إناثهم كما في «الفتوحات المكية» وهذا يستدعي أن لا تصح المناكحة بين الإنس والجن وكذا العكس وقد ذهب إلى صحتها جم غفير من العلماء منهم صاحب «آكام المرجان».

وأما قول ابن عباس رضي الله عنهما المخنثون أولاد الجن لأن الله ورسوله نهيا أن يأتي الرجل امرأته وهي حائض فإذا أتاها سبقه إليها الشيطان فحملت فجاءت بالمخنث وكذا قول مجاهد إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على احليله فجامع معه فلا يدل دلالة قطعية على أن جماعهم كجماع الإنس وأن من جماعهم الإنس يحصل العلوق بل فيه دلالة على شركة الجن معه بسبب الحيض وعدم التسمية كشركة الشيطان في الطعام الذي لم يسم عليه ونحوه فهو إفساد بالخاصية وإضرار بما يليق بمقامه والعلم عند الله تعالى ثم إن هؤلاء أي: قاصرات من حور الجنة المخلوقات فيها ما يبتذلن ولم يمسسن وهذا قول الجمهور وقال الشعبي والكلبي من نساء الدنيا أي: لم يجامعهن بعد النشأة الثانية أحد سواء كن في الدنيا ثيبات أو أبكاراً.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ من هذه النعم التي هي لتمتع نفوسكم وفيه إشارة إلى أن في الجنات للفانين في الله الباقين به حوراً من التجليات الذاتية والمعارف الإلهية والحكم الربانية مستورات عن عيون الأغيار لا يتبرجن ولا يظهرن على غير أربابهن لم يطلع عليهن إنس الروح ولا جان النفس لبقائهم بهم وظلمة نفسهم وكثافة طينتهم.

﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ ﴾.

﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ صفة لقاصرات الطرف قد سبق بيان المرجان وأما الياقوت

فهو حجر صلب شديد اليبس رزين صاف منه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر وأزرق وهو حجر لا تعمل فيه النار لقلة دهنيته ولا يثقب لغلظة رطوبته ولا تعمل فيه المبارد لصلابته بل يزداد حسناً على مر الليالي والأيام وهو عزيز قليل الوجود سيما الأحمر وبعده الأصفر أصبر على النار من سائر أصنافه وأما الأخضر منه فلا صبر له على النار أصلاً وفي الطب أجود اليواقيت وأغلاها قيمة الياقوت الرماني وهو الذي يشابه النار في لونه ومن تختم بهذه الأصناف أمن من الطاعون وإن عم الناس وأمن أيضاً من إصابة الصاعقة والغرق ومن حمل شيئاً منها أو تختم به كان معظماً عند الناس وجيهاً عند الملوك وأكل معجون الياقوت يدفع ضرر السم ويزيد في القوة ومعنى الآية مشبهات بالياقوت في حمره الوجنة والمرجان أي: صغار الدر في بياض البشرة وصفائها فإن صغار الدر أنصع بياضاً من كباره وقال قتادة في صفاء الياقوت وبياض المرجان.

- روي - عن أبي سعيد في صفة أهل الجنة عن رسول الله ﷺ «لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهن دون لحمها ودمها وجلدها» وعنه عليه السلام: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على أثرهم كأشد كوكب إضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرىء منهم زوجتان كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن يسبحون الله بكرة وعشياً لا يسقمون ولا يمتخطون ولا يبصقون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووجور مجامرهم الألوة وريحهم المسك» وعنه عليه السلام: «أن المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ومخها» إن الله يقول ﴿**كأنهن الياقوت والمرجان**﴾ فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيته من ورائه وقال عمرو بن ميمون: إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من قدامها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء.

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ من النعم المتعلقة بالنظر والتمتع وفيه إشارة إلى أن هذه الحوراء العرفانية والحسناء الإحسانية ياقوت تجليات البسط والانشراح ومرجان تجليات الجمال والكمال من لطافة الوجنة كالياقوت الأحمر ومن طراوة الفطرة كالمرجان الأبيض ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ أبالمشبه أم بالمشبه به.

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾﴾

﴿**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**﴾هل يجيء على أربعة أوجه الأول بمعنى قد كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ [الإنسان: ١] والثاني بمعنى الأمر كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] أي: فانتهوا والثالث بمعنى الاستفهام كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤] والرابع بمعنى ما الجحد كما في هذه الآية أي: ما جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان في الثواب وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: قرأ رسول الله عليه السلام: «هل جزاء الخ ثم قال: هل تدرون ما قال ربكم قالوا: الله ورسوله أعلم قال: يقوله: هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي إلا أن أسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي» قال الكاشفي: حاصل آيت

آنست جزاى نيكى نيكست پس جزا دهند طاعات را درجات ومكافات كنند شكرها بزياده ونفوس را بفرح وتوبه را بقبول ودعا راباجابت وسؤال بعطا واستغفاراً بمغفرت وخوف دنيارا بأمن آخرت وجزاء فنا في الله بقا بالله:

هركه درراه محبت شدفنا ياقت از بحر لقا در بقا

هركرا شمشير شوقش سربريد ميوه وصل ازدرخت شوق چيد

فغاية الإحسان من العبد الفناء في الله والمولى إعطاء الوجود الحقاني إياه فعليك بالإحسان كل آن وحين فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

ـ حكي ـ أن ذا النون المصري قدس سره رأى عجوزاً كافرة تنفق الحبوب للطيور وقت الشتاء فقال: إنه لا يقبل من الجنبي فقالت: افعل قبل أو لم يقبل ثم إنه رآها في حرم الكعبة فقالت: يا ذا النون أحسن إلى نعمة الإسلام بقبضة من الحبة.

ـ وروي ـ أن مخلوقاً مهيباً اعترض في طريق الحج فمنع القافلة عن المرور فقال بعضهم: لعله عطشان فأخذ بيد سيفاً وبيد قربة ماء حتى دنا إليه فصب في فمه قربة الماء حتى ارتوى وغاب ثم إنه نام في الرجوع من الحج فلما استيقظ رأى القافلة قد ذهبت فبقي وحيداً في البرية وفي تلك الحيرة جاءه رجل معه راحلة وأمره بالقيام فركبها حتى لحق الحجاج فأقسم عليه من هو فقال: أنا الذي رفعت عطشي بقربة الماء.

ـ وروي ـ أن امرأة أعطت لقمة للسائل فأخذ ذئب ولدها في الصحراء فظهر شخص فأخرجه من فم الذئب وأعطاها إياه وقال: هذه اللقمة بتلك اللقمة قال الحسن: الإحسان أن يعم ولا يخص فيكون كالمطر والريح والشمس والقمر قال بعض أهل التحقيق: الجنة جزاء الأعمال وأما جزاء التوحيد فرؤية الملك المتعال فذكر الله تعالى أحسن صنوف الإحسان.

ـ يروى ـ أن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت أي هذه الكلمة إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جنبها وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار فقال عليه السلام: «إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فإنها بعشر أمثالها» فقال: يا رسول الله لا إله إلا الله من الحسنات فقال عليه السلام: «هي أحسن الحسنات» ويكفي في شرف التوحيد أن الإيمان الذي هو أصل الطاعات وتنوير القلب الذي هو محل نظر الحق وتصفية الباطن من أكدار السوى إنما يحصل به ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ من نعمه الواصلة في الدنيا والآخرة.

﴿**ومن دونهما جنتان**﴾ مبتدأ وخبر أي: ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان أخريان لا دونهم من أصحاب اليمين فالخائفون قسمان: المقربون وأصحاب اليمين وهم دون المقربين بحسب الفضائل العلمية والعملية فدون بمعنى الأدنى مرتبة ومنزلة لا بمعنى غير فالجنتان الأوليان أفضل من الأخريين كفضل المقربين على الأبرار وقيل ليس دون من الدناءة بل من الدنو وهو القرب أي: ومن دون هاتين الجنتين إلى العرش أي: أقرب إليه وأرفع منهما وحمله بعض المفسرين على معنى الغير. كما قال الكاشفي: ويجزاين بوستان كه مذكورشد دوبوستان ديكرست وكفته اندد وبوستان اول ازززست براى سابقان واين دوبوستان ازنقره براى اصحاب يمين. وأطلقهما صاحب «كشف الأسرار» حيث قال من دون الجنتين الأوليين جنتان أخريان جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما

ولكل رجل وامرأة من أهل الجنة جنتان إحداهما جزاء عمله والأخرى ورثوها عن الكفار وقيل لكل واحد منهم أربع جنان في الجهات الأربع ليتضاعف له السرور بالتنقل من جنة إلى جنة ويكون أمتع لأنه أبعد من الملل فيما طبع عليه البشر وجملة معاني من دونهما فوقهما أو من دون صفتيهما أو من دونهما في الدرج أو أمامهما أو قبلهما «وفلاة من دونها سفر طال وميل يفضي إلى أميال» ويؤيد معنى الأدنى مرتبة قول الشيخ نجم الدين في «تأويلاته» يشير إلى جنتي الأبرار القائمين بالأعمال الصحيحة والأقوال المستقيمة الناظرين إلى المراتب السنية الطالبين للمراتب والمقامات العلية يعني أن لهم جنتين من دون جنتي المذكورين أعني الفانين عن ناسوتيتهم والباقين بلاهوتيته.

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ مما ذكر من الجنتين.

﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿**مدهامتان**﴾ صفة لجنتان يقال ادهام الشيء يدهام ادهيماما فهو مدهام اسود وفي «تاج المصادر» في باب الافعيلال الادهيمام سياه شدن لأن الدهمة بالضم السواد والأدهم الأسود ومنه قوله تعالى: ﴿**مدهامتان**﴾ أي: سوداوان يعني علا لونها دهمة وسواد من شدة الخضرة والري وإن شئت قلت خضراوان تضربان إلى السواد من شدة الخضرة وبالفارسية دوبهشت سبزاز بسيارى سبزى بسياهى رسيده والنظر إلى الخضرة يجلو البصر كما قال عليه السلام: «ثلاث يجلون البصر: النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجاري وإلى الوجه الحسن» قال ابن عباس رضي الله عنهما: والإثمد عند النوم وهو الكحل الأسود وأجوده الأصفهاني وهو بارد يابس ينفع العين اكتحالاً ويقوي أعصابها ويمنع عنها كثيراً من الآفات والأوجاع سيما الشيوخ والعجائز وإن جعل معه شيء من المسك كان غاية في النفع وينفع من حرق النار طلاء مع الشحم ويقطع النزف ويمنع الرعاف إذا كان من أغشية الدماغ وفي الحديث: «خير أكحالكم الإثمد ينبت الشعر ويجلو البصر» كما في «خريدة العجائب» وفي قوله مدهامتان إشعار بأن الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الأرض وعلى الأوليين الأشجار والفواكه ودل هذا على فضل الأوليين على الأخريين.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير به إلى غلبة القوة النباتية على أصحاب هاتين الجنتين وهم أصحاب اليمين وإلى غلبة القوة الروحانية على أصحاب الجنتين الأوليين لأن فيهما كثرة الأشجار والفواكه وهم المقربون.

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ حيث تتمتع أبصاركم بخضرة نباتات هاتين الجنتين وتنتفع أنوفكم بشم رياحينهما قال الفقهاء: إذا قرأ في الصلاة آية واحدة هي كلمة واحدة نحو قوله تعالى: ﴿**مدهامتان**﴾ أو حرف واحد نحو ق وص ون فإن كل حرف منها آية عند البعض فالأصح أنه لا يجزي عن فرض القراءة لأنه لا يسمى قارئاً لأن القراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾

﴿**فيهما عينان نضاختان**﴾ يقال نضخه كمنعه رشه ونضخ الماء اشتد فورانه من ينبوعه كما

في «القاموس» أي: فوارتان بالماء لا تنقطعان وبالفارسية جوشنده بآب يعني هرچندازوير دارند ديكرجوشد. وهذا يدل أيضاً على فضل الأوليين على الأخريين لأنه تعالى قال في الأوليين عينان تجريان وفي الأخريين نضاختان والنضخ دون الجري لأن النضخ هو الفوران وهو يتحقق بأن يكون الماء بحيث كلما أخذ منه شيء فار آخر مكانه ولا يكفي هذا القدر في جريانه فلا شك أن الجري أبلغ منه وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نضاختان بالمسك والعنبر وقال الكلبي بالخير والبركة.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ حيث يحصل لكم الري من شراب تينك العينين.

﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾ عطف الأخيرين على الفاكهة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة بياناً لفضلهما فإن ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان بالفارسية انار. فاكهة ودواء يعني بحسب حال الدنيا وإلا فالكل في الجنة للتفكه ومن هذا قال أبو حنيفة رحمه الله: من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رماناً أو رطباً لم يحنث خلافاً لصاحبيه يعني أن أبا حنيفة لا يجعلهما من الفاكهة بخلاف صاحبيه وغيرهما فلا يحنث من حلف أن لا يأكل فاكهة فأكل تمراً أو رماناً عنده وكذا الحكم عنده في العنب ومن جعلهما من الفاكهة حملهما على التخصيص بذكرهما بياناً لفضلهما كما مر آنفاً وقد سبق بيان النخل مفصلاً قال ابن عباس رضي الله عنهما: نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكربها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال أو الدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى وأنهارها تجري في غير أخدود والرمان من الأشجار التي لا تقوى إلا بالبلاد الحارة.

- روي - عن ابن عباس رضي الله عنهما ما لقحت رمانة قط إلا بحبة من الجنة وقال الإمام علي رضي الله عنه: إذا أكلتم الرمان فكلوه ببعض شحمه فإنه دباغ للمعدة وما من حبة منه تقيم في جوف مؤمن إلا أنارت قلبه وأخرجت شيطان الوسوسة منه أربعين يوماً وفي الحديث «من أكل رماناً أنار الله قلبه أربعين يوماً» ولا يخفى ما في جمع الرمان مع النار من اللطافة وأجوده الكبار الحلو المليس وهو حار رطب يلين الصدر والحلق ويجلو المعدة وينفع من الخفقان ويزيد في الباءة وقشره تهرب منه الهوام.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى ضعف استعداد أصحاب اليمين بالنسبة إلى المقربين لأن الرمان للدواء لا للتفكه وتهيئة الدواء في البيت تدل على ضعف مزاج ساكن البيت.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ حيث هيأ لكم ما به تتلذذون من الفواكه.

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿فيهن خيرات حسان﴾ صفة أخرى لجنتان كالجملة التي قبلها والكلام في جمع الضمير كالذي مر فيما مر وخيرات مخففة من خيرات جمع خيرة لأن خير الذي بمعنى أخير لا يجمع فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات ومعناها بالفارسية زنان بركزيده. وقيل في تفسير الخيرات أي: لسن بدمرات ولا بخرات الدمر النتن والبخر بالتحريك النتن في الفم والإبط وغيرهما ولا متطلعات التطلع چشم داشتن. وقولهم عافى الله من لم يتطلع في فمك أي: لم يتعقب كلامك

«ولا متشوفات» التشوف خويشتن آراستن وچشم داشتن. ويعدى بإلى وفي «القاموس» شفته شوفاً جلوته وشيفت الجارية تشاف زينت وتشوف تزين وإلى الخير تطلع ومن السطح تطاول ونظر وأشرف «ولا ذربات» يقال ذرب كفرح ذربا وذرابة فهو ذرب حد والذربة بالكسر السليطة اللسان «ولا سليطات» السلط والسليط الشديد والطويل اللسان «ولا طماحات» يقال طمح بصره إليه كمنع ارتفع والمرأة طمحت فهي طامح وككتاب النشوز «ولا طوافات في الطرق» أي: دوارات «حسان» جمع حسنة وحسناء أي: حسان الخلق والخلق يعني نيكو رويان ونيكو خويان. وهن من الحور وقيل من المؤمنات الخيرات ويدل على الأول ما بعد الآية وفي الحديث «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت على السموات والأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحاً ولعصابتها على رأسها خير من الدنيا وما فيها». وروي لو أن حوراء بزقت في بحر لعذب ذلك البحر من عذوبة ريقها.

ـ وروي ـ أنهن يقلن نحن الناعمات فلا نبأس يعني ماييم بانعمت كه درويش نمى شويم «الراضيات فلا نسخط» يعني ماييم راضى كه غضب نمى كنيم «نحن الخالدات فلا نبيد» يعني ماييم جاويدكه هلاك نمى شويم «طوبى لمن كنا له وكان لنا» وفي الأثر إذا قلن هذه المقالة أجابتهن المؤمنات من نساء الدنيا نحن المصليات وما صليتن ونحن الصائمات وما صمتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن فغلبنهن والله غلبنهن وفيه بيان أن هاتين الجنتين دون الأوليين لأنه تعالى قال في الأوليين في صفة الحور العين كأنهن الياقوت والمرجان وفي الأخريين فيهن خيرات حسان وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان.

قال في «التأويلات النجمية»: **﴿فيهن خيرات حسان﴾** من المعاملات الفاضلات والمكاشفات العاليات وهذا الوصف أيضاً يدل على أن جنة المقربين أفضل من جنة الأبرار وأصحاب اليمين لأن ثمرة تلك الجنة الفناء والبقاء وثمرة هذه الجنة المعاملات وتحسين الأخلاق.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وقد أنعم عليكم بما به تستمعون من النساء.

﴿حور﴾ بدل من خيرات جمع حوراء وهي البيضاء ووصفت في غير هذه الآية بالعين وهي جمع عيناء بمعنى عظيمة العين وقال بعضهم: شديدة سواد العين يعني سياه چشمان اند **﴿مقصورات في الخيام﴾** قصرن في خدورهن وحبسن. قال الكاشفي: ازچشمهاى بيكانكان نكاه داشته ودرخيمها بداشته. وفيه إشارة إلى أنهن لا يظهرن لغير المحارم وإن لم تكن الجنة دار التكليف وذلك لأنهن من قبيل الإسرار وهي تصان عن الأغيار غيرة عليها يقال امرأة قصيرة وقصورة أي: مخدرة مستورة لا تخرج ومقصورات الطرف على أزواجهن لا يبغين بهم بدلاً والأخيام جمع خيمة وهي القبة المضروبة على الأعواد هكذا جمع خيام الدنيا وهي لا تشبه خيام الجنة إلا بالاسم فإنه قد قيل: إن الخيمة من خيامهن درة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها اهلون ما يرون إلا حين يطوف عليهم المؤمنون وقال ابن مسعود: لكل زوجة خيمة طولها ستون ميلاً. وكفته اندمراد خانهاست يعني مستورات في الحجال. وحجله خانه بود براى داماد وعروس. قال في «القاموس»: الحجلة محركة كالقبة موضع يزين بالثياب والستور للعروس والجمع حجل وحجال قال البقلي رحمه الله وصف الله جواري جنانه التي خلقهن لخدمة أوليائه وألبسهن لباس نوره وأجلسهن على سرير أنسه في حجال قدسه وضرب

عليهن خيام الدر والياقوت ينتظرن أزواجهن من العارفين والمؤمنين المتقين لا يصرفن أبصارهن في انتظارهن عن مسلك الأولياء من أزواجهن إلى غيره وفي الآية إشارة إلى أن الأسماء تنقسم بالقسمة الأولى قسمين بعضها كونية أي: لها مظاهر في الكون وبعضها غير كونية أي: ليس لها مظاهر في الكون بل هي من المستأثرات الغيبية كما جاء في دعاء النبي عليه السلام: «اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً أو استأثرت به في علم غيبك المكنون» وقوله: ﴿**حور مقصورات**﴾ يعني أن من خصائص هاتين الجنتين أن فيهما معاني وحقائق ما ظهرت مظاهرها في هذا العالم بل بعد في خيام الغيب المكنون في جنة السر.

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ وقد خلق من النعم ما هي مقصورة ومحبوسة لكم ﴿**لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان**﴾ كالذي مر في نظيره في جميع الوجوه وقال بعضهم: أي: قبل أصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين قال في «كشف الأسرار»: كرر ذلك زيادة في التشويق وتأكيداً للرغبة وفيه أنه ليس بتكرير لأن الأول في أزواج المقربين وهذا في أزواج الأبرار قال محمد بن كعب: إن المؤمن يزوج ألف ثيب وألف بكر وألف حوراء.

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ مع أنها ليست كنعم الدنيا إذ قد تطمث المرأة في الدنيا ثم يتزوجها آخر ثيباً فهن نعم باكورة فيا لها من طيب وصالها ويا لها من حسنها وبراعة جمالها لا يقدر أحد على حكايتها ولا يبلغ وصف إلى نهايتها والعقول فيها حيارى والقلوب سكارى.

﴿**متكئين**﴾ حال صاحبه محذوف يدل عليه الضمير في قبلهم ﴿**على رفرف**﴾ إما اسم جنس أو اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ما تدلى من الأسرة من عالي الثياب أو ضرب من البسط أو الوسائد قال في «المفردات»: الرفرف ضرب من الثياب مشبه بالرياض انتهى ومن معاني الرفرف الرياض وكان بساط انوشروان ستين ذراعاً في ستين ذراعاً يبسط له في إيوانه منظوماً باللؤلؤ والجواهر الملونة على ألوان زهر الربيع وينشر إذا عدمت الزهور وفي «القاموس» الرفرف ثياب خضر تتخذ منها المحابس وتبسط وفضول المحابس والفرش وكل ما فضل فثنى والفراش والرقيق من الديباج ﴿**خضر**﴾ نعت لرفرف جمع أخضر والخضرة أحد الألوان بين البياض والسواد وهو إلى السواد أقرب فلهذا أسمى الأسود أخضر والأخضر أسود ﴿**وعبقري**﴾ عطف على رفرف والمراد الجنس ولذا وصف بالجمع وهو قوله: ﴿**حسان**﴾ حملاً على المعنى وهو جمع حسن والعبقري منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد كثير الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب وقال قطرب: ليس هو من المنسوب بل هو بمنزلة كرسي وبختى قال في «القاموس»: عبقر موضع كثير الجن وقرية ثيابها في غاية الحسن والعبقري ضرب من البسط كالعباقرى انتهى وفي «المفردات»: قيل هو موضع للجن ينسب إليه كل نادر من إنسان وحيوان وثوب قال الله تعالى ﴿**وعبقري حسان**﴾ وهو ضرب من الفرش جعله الله مثلاً لفرش الجنة وفي «التكملة» عبقر اسم موضع يصنع فيه الوشي كانت العرب إذا رأت شيئاً نسبته إليه فخاطبهم الله على عادتهم وفي «فتح الرحمن» العبقري بسط حسان فيها صور وغير ذلك

والعرب إذا استحسنت شيئاً واستجادته قالت عبقري قال ابن عطية ومنه قول النبي عليه السلام: «رأيت عمر بن الخطاب في المنام يستقي من بئر فلم أر عبقرياً يفري فريه» أي: سيداً يعمل عمله وقيل: عبقر اسم رجل كان بمكة يتخذ الزرابي ويجيدها فنسب إليه كل شيء جيد حسن وبالفارسية وبساطي قيمتي درغايت نيكويى قوله تعالى في الأوليين **﴿متكئين على فرش بطائنها من إستبرق﴾** وترك ذكر الظهارة لرفعة شأنها وخروجها عن كونها مدركة بالعقول والافهام وفي الأخريين متكئين على رفرف خضر وعبقري وبه يعلم تفاوت ما بينهما وقيل الاستبرق ديباج والعبقري موشى والديباج أعلى من الموشى قال ابن الشيخ الرفرف فراش إذا استقر عليه الولي طار به من فرحه وشوقه إليه يميناً وشمالاً وحيثما يريده الولي.

- وروي - في حديث المعراج أن رسول الله عليه السلام لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به إلى سيد العرش فذكر عليه السلام أنه طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي على ربي ولما حان الانصراف تناوله فطار به خفضاً ورفعاً يهوي به حتى أداه إلى جبريل» فالرفرف خادم بين يدي الله من جملة الخدم مختص بخواص الأمور في محل الدنو والقربة كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء مخصوصة بذلك فهذا الرفرف الذي سخره لأهل الجنتين هو متكأهم وفرشهم يرفرف بالولي ويطير به على حافات تلك الأنهار وحيث يشاء من خيامه وأزواجه وقصوره انتهى وهذا التقرير على تقدير أن يكون دون من الدنو ومعنى من دونهما أرفع منهما كما لا يخفى ويدل عليه أن الرفرف أعظم خضرة من الفرش المذكورة في قوله **﴿متكئين على فرش﴾**.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وقد هيأ لكم ما تتكئون عليه فتستريحون.

﴿تبارك اسم ربك﴾ تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر في السورة الكريمة من آلائه الفائضة على الأنام أي: تعالى اسمه الجليل الذي من جملته ما صدرت به السورة من اسم الرحمن المنبىء عن إفاضة الآلاء المفصلة وارتفع عما يليق بشأنه من الأمور التي من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها وإذا كان حال اسمه بملابسة دلالته عليه كذلك فما ظنك بذاته الأقدس الأعلى وقيل: الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم مثل ثم اسم السلام عليكما أي: ثم السلام عليكما قال في «فتح الرحمن»: وهذا الموضع مما أريد فيه بالاسم مسماه.

وفي «التأويلات النجمية» هذا يدل على أن الاسم هو المسمى لأن المتعالي هو المسمى في ذاته لا الاسم وإن كان فتبعيته وكذا الموصوف بالقهر واللطف والجلال والإكرام هو المسمى فحسبه انتهى وفي «الأمالي» وليس الاسم غير المسمى وفي «شرح الأسماء الحسنى» للزروقي الصحيح أن الاسم غير المسمى وأباه قوم وفصل آخرون وتوقف آخرون امتناعاً لكن السلف لم يتكلموا في الاسم والمسمى ولا في الصفة والموصوف ولا في التلاوة والمتلو طلباً للسلامة وحذراً على الغير وهو **﴿ذي الجلال والإكرام﴾** وصف به الرب تكميلاً لما ذكر من التنزيه والتقرير. كفته انداول چيزى كه ازقرآن درمكه برقريش آشكارا خواندند بعضي آيات ازأول اين سوره بود روايت كردند از عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كفت صحابه رسول عليه السلام محتمع شدند كفتندتا اين غايت مردم قريش از قرآن هيچ نشنيدند درميان ما كيست كه ايشانرا قرأن بشنواند آشكارا عبد الله بن مسعود كفت آنكس من باشم كه قرأن آشكارا برايشان خوانم اكرچه از ان رنج وكزند آيدپس بيامد ودر انجمن قريش بيستاد وابتداء سوره رحمن در

كرفت ولختى ازان آيات برخواند قريش چون آن بشنيدند ازسر غيظ وعداوت اورا زخمها كردند ورنجانيدند پس چون بعضي خوانده اورافرا كذاشتند وبنزديك اصحاب باز كذشت. فقالوا: هذا الذي خشينا عليك يا ابن مسعود وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا سلم من الصلاة لم يقعد إلا مقدار ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام» كما في «كشف الأسرار» قال الزروقي ذو الجلال والإكرام هو الذي له العظمة والكبرياء والإفضال التام المطلق من عرف أنه ذو الجلال والإكرام هابه لمكان الجلال وأنس به لمكان الإكرام فكان بين خوف ورجاء وهو اسم الله الأعظم وقال بعضهم: أسماء الله تعالى كلها أعظم لدلالتها على العظيم فإنه إذا عظم الذات والمسمى عظم الأسماء والصفات وإنما الكلام في ذكرها بالحضور والشهود والاستغراق في بحر الجود وهو ذكر الكمل من أفراد الإنسان نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذاكرين له ظاهراً وباطناً أولاً وآخراً:

تمت سورة الرحمن بعون الملك المنان في أواخر ذي القعدة الشريف
من شهور سنة أربع عشرة ومائة وألف

٥٦ ـ سورة الواقعة

مكية وآيها ست وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾.

﴿إذا وقعت الواقعة﴾ انتصاب إذا بمضمر أي: إذا قامت القيامة وحدثت وذلك عند النفخة الثانية يكون من الأهوال ما لا يفي به المقال سماها واقعة مع أن دلالة اسم الفاعل على الحال والقيامة مما سيقع في الاستقبال لتحقق وقوعها ولذا اختير إذا وصيغة الماضي فالواقعة من أسماء القيامة كالصاخة والطامة والآزفة.

﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ قال الراغب يكنى عن الحرب بالوقعة وكل سقوط شديد يعبر عنه بذلك قال أبو الليث سميت القيامة الواقعة لصوتها والمعنى لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله وتفتري بالشريك والولد والصاحبة وبأنه لا يبعث الموتى لأن كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كاذبة مكذبة فاللام للتوقيت والكاذبة اسم فاعل أوليس لأجل وقعتها أو في حقها كذب بل كل ما ورد في شأنها من الإخبار حق صادق لا ريب فيه فاللام للتعليل والكاذبة مصدر كالعاقبة.

﴿خافضة﴾ أي: هي خافضة لأقوام **﴿رافعة﴾** لآخرين وهو تقرير لعظمتها على سبيل الكناية فإن الوقائع العظام يرتفع فيها أناس إلى مراتب ويتضع أناس وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل قال بعضهم: خافضة لأعداء الله إلى النار رافعة لأولياء الله إلى الجنة أو تخفض أقواماً بالعدل وترفع أقواماً بالفضل أو تخفض أقواماً بالدعاوي وترفع أقواماً بالحقائق وعن ابن عباس رضي الله عنهما تخفض أقواماً كانوا مرتفعين في الدنيا وترفع أقواماً كانوا متضعين فيها. آن روز بلال درويش را رضي الله عنه مى آرند باتاج وحله ومركب بردابرد ميزنند تا بفردوس أعلى برند وخواجه اورا امية بن خلف با اغلال وانكال وسلاسل بروى مى كشند تابدرك اسفل برند آن طيلسان پوش منافق راباتش مى برند وآن قبابسته مخلص رابه ببهشب مى فرستندان پير مباحاتي مبتدع را بآتش قهر مى سوزند وآن جوان خراباتى معتقدرا برتخت بخت مى نشانند:

بساپير مباحاتى كه بى مركب فروماند بسارند خراباتى كه زين بر شير نربندد

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾

﴿إذا رجت الأرض رجاً﴾ الرج تحريك الشيء وإزعاجه والرجرجة الاضطراب أي: خافضة رافعة إذا حركت الأرض تحريكاً شديداً بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل ولا تسكن

زلزلتها حتى تلقي جميع ما في بطنها على ظهرها.

﴿**وبست الجبال بساً**﴾ أي: فتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق إذا لته والبسيسة سويق يلت فيتخذ زاداً أو سيقت وسيرت من أماكنها من بس الغنم إذا ساقها.

﴿**فكانت**﴾ أي: فصارت بسبب ذلك ﴿**هباء**﴾ أي: غباراً وهو ما يسطع من سنابك الخيل أو الذي يرى في شعاع الكوة أو الهباء ما يتطاير من شرر النار أو ما ذرته الريح من الأوراق ﴿**منبثاً**﴾ أي: منتشراً متفرقاً وفي التفسير أن الله تعالى يبعث ريحاً من تحت الجنة فتحمل الأرض والجبال وتضرب بعضها ببعض ولا تزال كذلك حتى تصير غباراً ويسقط ذلك الغبار على وجوه الكفار كقوله تعالى ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠] وقال بعضهم: إن هذه الغبرة هي التراب الذي أشار إليه تعالى بقوله: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠] وسيجيء تحقيقه في محله وفي الآية إشارة إلى قيامة العارفين وهي قيامة العشق وسطوته وجذبة التوحيد وصدمته وهي تخفض القوى الجسمانية البشرية المقتضية لأحكام الكثرة وترفع القوى الروحانية الإلهية المستدعية لأنوار الوحدة وصرصر هذه القيامة إذا ضربت على أرض البشرية ومرت على جبال الأنانية الإنسانية جعلت تعينهما متلاشياً فانياً في ذاتهما وصفاتهما لا اسم لهما ولا رسم ولا أثر ولا عين بل هباء منبثاً لا حقيقة له في الجود كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده وإليه الإشارة بقولهم إذا تم الفقر فهو إليه ولا بد في سلوك طريق الحق من إرشاد أستاذ حاذق وتسليك شيخ كامل مكمل حتى تظهر حقيقة التوحيد بتغليب القوى الروحانية على القوى الجسمانية كما قال العارف الرباني أبو سعيد الخراز قدس سره حين سئل عن التوحيد أن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة.

﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ۝٧ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝٩﴾.

﴿**وكنتم**﴾ إما خطاب للأمة الحاضرة والأمم السالفة تغليباً. أو للحاضرة فقط ﴿**أزواجاً**﴾ أي: أصنافاً ﴿**ثلاثة**﴾ اثنان في الجنة وواحد في النار وكل صنف يكون مع صنف آخر في الوجود أو في الذكر فهو زوج فرداً كان أو شفعاً ﴿**فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة**﴾ تقسيم للأزواج الثلاثة فأصحاب الميمنة مبتدأ خبره ﴿**ما أصحاب الميمنة**﴾ على أن ما الاستفهامية مبتدأ ثان ما بعده خبره والأصل ما هم أي: أي شيء هم في حالهم وصفتهم والمراد تعجيب السامع من شأن الفريقين في الفخامة والفظاعة كأنه قيل ما عرفت حالهم أي: شيء فاعرفها وتعجب منها فأصحاب الميمنة في غاية حسن الحال وأصحاب المشأمة في نهاية سوء الحال نحو زيد وما زيد حيث لا يقال إلا في موضع التعظيم والتعجب وأصحاب الميمنة أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المشأمة أصحاب المنزلة الدنية أخذاً من تيمنهم بالميامن أي: بطرف اليمين وتشؤمهم بالشمائل أي: بجانب الشمال كما تقول فلان مني باليمين والشمال إذا وصفته عندك بالرفعة والضعة تريد ما يلزم من جهتي اليمين والشمال من رفعة القدر وانحطاطه أو الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم أو الذي يكونون يوم القيامة على يمين العرش فيأخذون طريق الجنة والذين يكونون على شمال العرش فيفضي بهم إلى النار أو أصحاب اليمن وأصحاب الشؤم فإن السعداء ميامين على

أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم أو أصحاب الميمنة الذين كانوا على يمين آدم يوم الميثاق قال الله تعالى في حقهم هؤلاء من أهل الجنة ولا أبالي وأصحاب المشأمة الذين كانوا على شماله وقال الله تعالى فيهم هؤلاء من أهل النار ولا أبالي وفي «القاموس» اليمن البركة كالميمنة يمن فهو ميمون وأيمن والجمع ميامين وأيامن واليمين ضد اليسار والجمع أيمن وأيمان وأيامن وأيامين والبركة والقوة والشؤم ضد اليمن والمشأمة ضد الميمنة.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾

﴿والسابقون السابقون﴾ هم القسم الثالث من الأزواج الثلاثة أخر ذكرهم ليقترن ببيان محاسن أحوالهم وأصل السبق التقدم في السير ثم تجوز به في غيره من التقدم والجملة مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم كقوله أنا أبو النجم وشعري شعري أو السابقون الأول مبتدأ والثاني تأكيد له كرر تعظيماً لهم والخبر جملة قوله أولئك إلخ، وفي «البرهان» التقدير عند بعضهم السابقون ما السابقون فحذف ما لدلالة ما قبله عليه وهم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان فالمراد بالسبق هو السبق بالزمان أو الذين سبقوا في حيازة الكمالات الدينية والفضائل اليقينية فالمراد بالسبق هو السبق بالشرف ما قال الراغب يستعار السبق لإحراز الفضل وعلى ذلك **﴿والسابقون السابقون﴾** أي: المتقدمون إلى ثواب الله وجنته بالأعمال الصالحة.

﴿أولئك﴾ الموصوفون بذلك النعت الجليل وهو مبتدأ خبره قوله: **﴿المقربون﴾** أي: الذين قربت إلى العرش العظيم درجاتهم وأعليت مراتبهم ورقيت إلى حظائر القدس نفوسهم الزكية.

يقول الفقير: عرف هذا المعنى من قوله عليه السلام: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن» فإنه يظهر منه أن الفردوس مقام المقربين لقربه من العرش الذي هو سقف الجنة ولم يقل أولئك المتقربون لأنهم بتقريب ربهم سبقوا لا بتقرب أنفسهم ففيه إشارة إلى الفضل العظيم في حق هؤلاء يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

﴿في جنات النعيم﴾ متعلق بالمقربون أو بمضمر هو حال من ضميره أي: كائنين في جنات النعيم يعني در بوستانهاى مشتمل بر أنواع نعمت. قيل السابقون أربعة سابق أمة موسى عليه السلام وهو خربيل مؤمن آل فرعون وسابق أمة عيسى وهو حبيب النجار صاحب أنطاكية وسابقا أمة محمد عليه السلام وهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وقال كعب: هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة فإنهم كادوا أن يكونوا أنبياء إلا أنه لا يوحى إليهم والمراد بأهل القرآن الملازمون لقراءته والعاملون به وكان خلق النبي عليه السلام القرآن وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهو السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال وقال حضرة شيخي وسندي قدس سره في بعض تحريراته العباد ثلاثة أصناف: صنف هم أهل النسيان وصنف هم أهل الذكر وصنف هم أهل الإحسان والصنف الأول أهل الفتور مطلقاً وليس فيه بوجه من الحضور شيء أصلاً وهم أهل البعد قطعاً وليس لهم من القرب شيء جداً وهم أصحاب المشأمة وأصحاب

المشأمة ما أصحاب المشأمة وهم أرباب الغضب والقهر والجلال ولهم في نار الجحيم عذاب اليم وماء حميم والصنف الثاني أهل الفتور من وجه وأهل الحضور من وجه وهم أهل البعد بوجه وأهل القرب بوجه وهم أصحاب الميمنة **﴿وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة﴾** وهم أرباب الرحمة واللطف والجمال ولهم في نور النعيم ثواب عظيم وسرور مقيم والصنف الثالث أهل الحضور مطلقاً وليس فيهم بوجه من الفتور شيء أصلاً وهم أهل القرب مطلقاً وليس لهم من البعد شيء أصلاً وهم السابقون **﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾** وهم أصحاب كمال الرضى والاجتباء والاصطفاء ولهم في سر نعيم جنة الوصال دوام الصحبة والمشاهدة والمعاينة وبقاء تجلي الوجه الحق والجمال المطلق وهم أرباب الكمال المتوجه بوجه الجمال والجلال والصنف الأول قفا بلا وجه في الظاهر والباطن والثاني وجه بلا قفا في الظاهر وقفاً بلا وجه في الباطن والثالث وجه بلا قفا في الظاهر والباطن لكونهم على تعين الوجه المطلق وفي «رسالته العرفانية» أصحاب اليمين ممن سوى المقربين وجه بلا قفا في الظاهر لحصول الرؤية لهم وقفا بلا وجه في الباطن أي: لعدم انكشاف البصيرة لهم وأصحاب الشمال قفا بلا وجه في الظاهر أي: باعتبار البداية ووجه بلا قفا في الباطن أي: باعتبار النهاية وقال في «اللائحات البرقيات» له ذكر بعضهم بمجرد اللسان فقط وهم فريق الغافلين من الفجار ولهم رد مطلقاً فإنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم وذكر بعضهم بمجرد اللسان والعقل فقط وهم فريق المتيقظين من الأبرار ولهم قبول بالنسبة إلى من تحتهم لا بالنسبة إلى من فوقهم وذكر بعضهم بمجرد اللسان والعقل والقلب فقط وهم فريق أهل البداية من المقربين وقبولهم نسبي أيضاً وذكر بعضهم بمجرد اللسان والعقل والقلب والروح فقط وهم أهل الوسط من المقربين وقبولهم إضافي أيضاً وذكر بعضهم كان مطلقاً حيث تحقق لهم ذكر اللسان وفكر المذكور ومطالعة الآثار بالعقل وحضور المذكور ومكاشفة الأطوار بالقلب وأنس المذكور ومشاهدة الأنوار بالروح والفناء في المذكور ومعاينة الأسرار بالسر فلهم قبول مطلقاً وليس لهم رد أصلاً لأن كمالهم وتمامهم كان حقيقياً جداً وهم أرباب النهاية من المقربين من الأنبياء والمرسلين وأولياء الكاملين الأكملين وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى مراتب أعاظم المملكة الإنسانية ومقامات أكابرها وصناديدها وهم الروح السابق المقرب وجوداً ورتبة والقلب المتوسط صاحب الميمنة والنفس الأخيرة صاحبة المشأمة أما تسمية الروح بالسابق فلسبقه بالتجليات الذاتية الرحمانية والتنزلات الربانية وبقاء طهارته ونزاهته ابتداء وانتهاء ووصف القلب بصاحب الميمنة ليمنه والتيمن به وغلبة التجليات الصفاتية والأسمائية عليه ووصف النفس بصاحبة المشأمة لشؤمها وميشوميتها وتلعثمها عند إجابة دواعي الحق بالانقياد من غير عناد واعتناد وأما تقديم القلب والنفس على الروح فلسعة الرحمانية الواسعة كل شيء كما قال ورحمتي وسعت كل شيء وقال رحمتي سبقت غضبي إذ جعل النفس برزخاً بين القلب والروح لتستفيد برحمته مرة من هذا وتارة من هذا وتصير منصبغة بنورانيتهما وتؤمن بهما إن شاء الله تعالى كما قال تعالى: **﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾** [الفرقان: ٧٠] وبقوله **﴿في جنات النعيم﴾** يشير إلى جنة الذات وجنة الصفات وجنة الأفعال لأن السابقين المقربين هم الفانون في الله بالذات والصفات والأفعال والباقون بالله بالذات والصفات والأفعال ولصاحب كل مقام من هذه المقامات الثلاثة جنة مختصة به جزاء وفاقاً هذه الجنات كلها شاملة

للنعيم الدنيوي وأخروي إن فهمت الرموز الإلهية فزت بالكنوز الرحمانية.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾.

﴿ثلة من الأولين﴾ أي: هم أمم كثيرة من الأولين غير محصورة العدد وهم الأمم السالفة من لدن آدم إلى نبينا عليهما السلام وعلى من بينهما من الأنبياء العظام وهذا التفسير مبني على أن يراد بالسابقين غير الأنبياء واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر وجماعة السابقين مع كثرتهم مقطوعة مكسورة من جملة بني آدم وقال الراغب: الثلة قطعة مجتمعة من الصوف ولذلك قيل للغنم ثلة ولاعتبار الاجتماع قيل **﴿ثلة من الأولين﴾** أي: جماعة **﴿وقليل من الآخرين﴾** أي: من هذه الأمة ولا يخالفه قوله عليه السلام: «إن أمتي يكثرون سائر الأمم» أي: يغلبونهم بالكثرة فإن أكثرية سابقي الأمم السالفة من سابقي هذه الأمة لا تمنع أكثرية تابعي هؤلاء من تابعي أولئك مثل أن يكون سابقوهم ألفين وتابعوهم ألفاً فالمجموع ثلاثة آلاف ويكون سابقو هذه الأمة ألفاً وتابعوهم ثلاثة آلاف فالمجموع أربعة آلاف فرضاً وهذا المجموع أكثر من المجموع الأول وفي الحديث: «أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة» ولا يرده قوله تعالى في أصحاب اليمين **﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾** لأن كثرة كل من الفريقين في أنفسهما لا تنافي أكثرية أحدهما من الآخر وسيأتي أن الثلثين من هذه الأمة وقد روي مرفوعاً أن الأولين والآخرين ها هنا أيضاً متقدمو هذه الأمة ومتأخروهم وهو المختار كما في بحر العلوم فالمتقدمون مثل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ولما نزلت بكى عمر رضي الله عنه فنزل قوله ثلة من الأولين وثلة من الآخرين يعني كريان شد وكفت يا نبي الله ما بانو كرويديم وتصديق كرديم وازما اهل نجات نيامد مكر اندك اين آيت آمدكه وثلة من الآخرين حضرت ﷺ آيت بروى خواند وعمر فرمودكه رضينا من ربنا وفي الحديث «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قلنا نعم قال أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة يعني كونكم نصف أهلها بسبب أنها لا يدخلها إلا نفس مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود وكالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر» أي: فلا يستبعد دخول كلهم الجنة وقد ترقى عليه السلام في حديث آخر من النصف إلى الثلثين وقال: «إن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً وهذه الأمة منها ثمانون» قال السهيلي رحمه الله في كتاب التعريف والأعلام قال عليه السلام: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة» فهم إذاً محمد ﷺ وأمته وأول سابق إلى باب الجنة محمد عليه السلام وفي الحديث «أنا أول من يقرع باب الجنة فأدخل ومعي فقراء المهاجرين» وأما آخر من يدخل الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها رجل اسمه جهينة فيقول أهل الجنة: تعالوا نسأل جهينة فعنده الخبر اليقين فيسألونه هل بقي أحد في النار ممن يقول لا إله إلا الله:

نماند بزندان دوزخ اسير ... كسى راكه باشد چنين دستكير

يقول الفقير: هذه خلاصة ما أورده أهل التفسير في هذا المقام والذي يلوح لي أن المقربين وإن كانوا داخلين في أصحاب اليمين إلا أن المراد بقوله تعالى: **﴿وثلة من الآخرين﴾** هي الثلة التي من أصحاب اليمين وهم هنا غير المقربين بقرينة تقسيم الأزواج وتبيين كل فريق

منهم على حدة وكلامنا في المقربين خصوصاً أعني السابقين من هذه الأمة هل هم أقل من سابقي الأمم كما يدل عليه ظاهر قوله تعالى ﴿وقليل من الآخرين﴾ أو هم أكثر كما يدل عليه بعض الشواهد والظاهر أنهم أكثر مثل أصحاب اليمين والآية محمولة على مقدمي هذه الأمة ومتأخريها كما أشير إليه سابقاً وذلك لأن النبي عليه السلام شبه علماء هذه الأمة بأنبياء بني إسرائيل ولا شك أن الأنبياء كلهم من المقربين وعلماء هذه الأمة لا نهاية لهم دل عليه أن أولياء في كل عصر من أعصار هذه الأمة عدد الأنبياء وهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً وقد يزيد عددهم على عدد الأنبياء بحسب نورانية الزمان وقد ثبت أن كل أربعين مؤمناً في قوة ولي عرفي فإذا كان صفوف هذه الأمة يوم القيامة ثمانين فظاهر أن عددهم يزيد على عدد الأولين وبزيادة العدد يزيد الأولياء أصحاب اليمين وبزيادتهم يزيد الأولياء المقربين السابقون فإن في العدد المذكور منهم الغوث والأقطاب والكمل فاعرف.

وفي «التأويلات النجمية» يشير بقوله: ﴿ثلة من الأولين﴾ إلى كثرة أرباب القلوب صواحب التجليات الجزئية الصفاتية والأسمائية وكثرة أصحاب اللذات النفسانية الظلمانية وبقوله ﴿وقليل من الآخرين﴾ المحمديين يشير إلى أرباب الأرواح الظاهرة صواحب التجليات الذاتية المقدسة عن كثرة الأسماء والصفات الاعتبارية.

﴿على سرر موضونة﴾ حال أخرى من المقربين والسرر جمع سرير بالفارسية تحت. والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت أو المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع ثم استعير لكل نسج محكم.

﴿متكئين عليها متقابلين﴾ حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر والتقابل أن يقبل بعضهم على بعض إما بالذات وإما بالعناية والمودة أي: مستقرين على سرر متكئين عليها أي: قاعدين قعود الملك للاستراحة متقابلين لا ينظر بعضهم من إقفاء بعض وهو وصف لهم بحسب العشرة وتهذيب الأخلاق والآداب وقال أبو الليث متقابلين في الزيارة. وقال الكاشفي: برابر يكديكر يعني روى باروى تابديدان يكديكر مستأنس ومسرور باشند.

﴿يطوف عليهم﴾ أي: يدور حولهم للخدمة حال الشرب وغيره ﴿ولدان﴾ جمع وليد وخدمة الوليد أمتع من خدمة الكبير يعني خدمت كودك زيبا ترست از خدمت كبار ﴿مخلدون﴾ مبقون أبداً على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها لأنهم خلقوا للبقاء ومن خلق للبقاء لا يتغير قال في «الأسئلة المقحمة»: هؤلاء هل يدخلون تحت قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥] والجواب أنهم لا يموتون فيها بل يلقى عليهم بين النفختين نوم انتهى. وازين معلوم شدكه اين كودكان را حق تعالى بمحض كرم خود آفريده باشد براى خدمت بهشتيان. فهم للخدمة لا غير والحور العين للخدمة والمتعة وقيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابون عليها ولا سيئات فيعاقبون عليها وفي الحديث: «أولاد الكفار خدام أهل الجنة» ولفظ الولدان يشهد لأبي حنيفة رحمه الله في أن أطفال المشركين خدم أهل الجنة لأن الجنة لا ولادة فيها ويجوز أن يكون معنى مخلدون مقرطون. يعني آراستكان بكو شوار هاى زرين. والخلد السوار والقرط كالخلدة محركة والجمع كقردة وولدان مخلدون مقرطون أو مسورون أو لا يهرمون أبداً ولا يجاوزون حد الوصافة كما في «القاموس» وقال في «كشف الأسرار»: الخلادة لغة قحطانية.

﴿بأكواب﴾ من الذهب والجواهر أي: بآنية لا عرى لها ولا خراطيم وهي الأباريق الواسعة الرأس لا خرطوم لها ولا يعوق الشارب منها عائق عن شرب من أي: موضع أراد منها فلا يحتاج أن يحول الإناء من الحالة التي تناوله بها ليشرب ﴿وأباريق﴾ جمع إبريق وهو الذي له عروة وخرطوم يبرق لونه من صفائه وقيل إنها أعجمية معربة آبريز. أي: بآنية ذات عرى وخراطيم ويقال الكوب للماء وغيره والإبريق لغسل الأيدي والكأس لشرب الخمر كما قال: ﴿وكأس من معين﴾ أي: وبكأس من خمر جارية من العيون أخبر أن خمر الآخرة ليست كخمر الدنيا تستخرج بتكلف وعلاج وتكون في أوعية بل هي كثيرة جارية كما قال ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ﴾ [محمد: ١٥] والكأس القدح إذا كان فيها شراب وإلا فهو قدح يقال معن الماء إذا جرى فهو فعيل بمعنى الفاعل أو ظاهرة تراها العيون في الأنهار كالماء المعين وهو الظاهر الجاري فيكون بمعنى مفعول من المعاينة من عانه إذا شخصه وميزه بعينه قال في «القاموس»: المعن الماء الظاهر ومعن الماء أساله وأمعن الماء جرى والمعنان بالضم مجاري الماء في الوادي فإن قلت كيف جمع الأكواب والأباريق وأفرد الكأس فالجواب أن ذلك على عادة أهل الشرب فإنهم يعدون الخمر في الأواني المتعددة ويشربون بكأس واحدة.

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿لا يصدعون عنها﴾ الصدع شق في الأجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما ومنه استعير الصداع وهو الانشقاق في الرأس من الوجع ومنه الصديع للفجر أي: لا ينالهم بسبب شربها صداع كما ينالهم ذلك من خمر الدنيا وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها قال ابن عباس رضي الله عنهما: في الخمر أربع خصال: السكر والصداع والقيء والبول وليست في خمر الجنة بل هي لذة بلا أذى ﴿ولا ينزفون﴾ أي: لا يسكرون يعني لا تذهب عقولهم أو ينفد شرابهم من أنزف الشارب إذا نفد عقله أو شرابه فالنفاد إما للعقل وهو من عيوب خمر الدنيا أو للشراب فإن بنفادها تختل الصحبة ﴿وفاكهة مما يتخيرون﴾ يقال تخيرت الشيء أخذت خيره أي: يختارونه ويأخذون خيره وأفضله من ألوانها وكلها خيار وهو عطف على بأكواب أي: يطوف عليها ولدان بفاكهة وهو ما يؤكل من الثمار تلذذاً لا لحفظ الصحة لاستغنائهم عن حفظ الصحة بالغذاء في الجنة وليس ذلك كقوت الدنيا الذي يتناوله من يضطر إليه ويضيق عليه لتأخره عنه وهو إشارة إلى أنه يتناول المأكولات التي يتنعم بها ثم ذكر اللحم الذي هو سيد الأدام وكانت العرب يتوسعون بلحمان الإبل ويعز عندهم لحم الطير الذي هو أطيب اللحوم ويسمعون بها عند الملوك فوعدوها فقيل: ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ أي: يتمنون مشوياً أو مطبوخاً يتناولونها مشتهين لها لا مضطرين ولا كارهين وآن آن بود كه مؤمنان برخوان نشسته باشند مرغ بيايد ودرپيش ايشان برشاخ طوبى نشيند وآوازدهدكه من آنم كه هيج چشمه نيست دربهشت كه ازان نچشيده ام وهيج درختى نيست كه من از ميوه آن نخورده ام كوشت من خوشترين همه كوشتهاست پس بهشتى كوشت ويرا آرزو كند مرغ ازان شاخ طوبى در كرددو برسرخوان افتدسه قسمت شوديكى پخته ويكى قديدويكى بريان پس بهشتى چندانكه خواهد بخورد ديكر باره بقدرت حق زنده شود وبرپرد. وفي «الأسئلة المقحمة» إنما قال ﴿وفاكهة مما

يتخيرون ولحم طير مما يشتهون﴾ فغاير بين اللفظين والجواب لأن الفواكه كما تكون للأكل تكون أيضاً للنظر والشم وأما لحم الطير فمختلف الشهوات في أكل بعض أجزائه دون البعض ولما لم يكن بعد الأكل والشرب أشهى من الجماع قال:

﴿وحور عين﴾ عطف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أي: وفيها أولهم حور عين أي: نساء وحور جمع حوراء وهي البيضاء أو الشديدة بياض العين والشديدة سوادها وعين جمع عيناء وهي الواسعة الحسنة العين وهن خلقن من تسبيح الملائكة كما في «عين المعاني».

﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ صفة لحور أو حال أي: الدر المخزون في الصدف لم تمسه الأيدي ولم تره الأعين أو المصون عما يضربه ويدنسه في الصفاء والنقاء ولما بالغ في وصف جزائهم بالحسن والصفاء دل على أن أعمالهم كانت كذلك لأن الجزاء من جنس العمل فقال: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ مفعول له أي: يفعل بهم ذلك كله جزاء بأعمالهم الصالحة في الدنيا فما جزاء الإحسان إلا الإحسان فالمنازل منقسمة على قدر الأعمال وأما نفس دخول الجنة فبفضل الله ورحمته لا يعمل عامل فمن طمع في أن يدخل الجنة ويأكل من اللحم اللذيذ ويشرب من الشراب الهنيء ويستمتع بالحور العين آثر وجه زواجها.

ـ ويروى ـ أن الحوراء إذا مشت سمع تقديس الجلاجل من ساقيها وتمجيد الأسورة من ساعديها وإن عقد الياقوت يضحك في نحرها وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ تصران أي: تصوتان بالتسبيح على كل امرأة سبعون حلة ليست منها حلة على لون الأخرى وسبعون لوناً من الطيب ليس منها لون على لون الآخر لكل امرأة سبعون سريراً من ياقوت أحمر منسوجة بالدر على كل سرير سبعون فراشاً بطائنها من استبرق وفوق السبعين فراشاً سبعون أريكة لكل امرأة منهن سبعون وصيفة بيد كل وصيفة صحفتان من ذهب فيهما لون من طعام يجد لآخر لقمة منه لذة لا يجدها لأولها ويعطي زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر عليه سواران من ذهب موشح بياقوت أحمر وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول: اخطب زوجة لا تسلبها منك المنايا وأعرس بها في دار لا يخربها دوران البلايا واسبك لها حجلة لا تحرقها نيران الرزايا.

ـ وروي ـ أنهن خلقن من الزعفران كما في «كشف الأسرار».

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾.

﴿لا يسمعون فيها لغواً﴾ أي: باطلاً قال في «القاموس»: اللغو واللغا السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره وفي «المفردات» اللغو من الكلام ما لا يعتد به هو الذي يورد لا عن روية وفكر فيجري مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور ﴿ولا تأثيماً﴾ ولا نسبة إلى الإثم أي: لا يقال لهم اثمتم أي: لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع والإثم اسم للأفعال المبطئة عن الثواب والجمع آثام.

﴿إلا قيلا﴾ أي: قولا ﴿سلاما سلاما﴾ بدل من قيلا والاستثناء منقطع أي: لكنهم يسمعون فيها قولاً سلاماً سلاماً أو هو من باب ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦] في أنه من التعليق بالمحال ومعنى سماعهم السلام أنهم يفشون السلام فيسلمون سلاماً بعد سلام أو لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه إلا سلام الآخر بدأ أو رداً وفي الآية إشارة إلى أن

جنات السابقين المقربين صافية عن الكدورات المنغصة لساكنيها فارغة عن العاملات المعبسة لقاطنيها لا يقول أهلها إلا مع الحق ولا يسمعون إلا من الحق تجلي الحق لهم عن اسمه السلام المشتمل على السلامة من النقائص والآفات المتضمن للقربات والكرمات.

اعلم أن أعز السلام سلام الله على عباده كما قال ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨] ثم سلام الأرواح العالية كما حكي عن بعض الصالحين أنه قال: كان لي ابن استشهد فلم أره في المنام إلا ليلة توفي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو سابع الخلفاء الاثني عشر تراءى لي تلك الليلة فقلت: يا بني ألم تكن ميتاً؟ فقال: لا ولكني استشهدت وأنا حي عند الله أرزق فقلت له: ما جاء بك؟ فقال: نودي في أهل السماء ألا لا يبقى نبي ولا صديق ولا شهيد إلا ويحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فجئت لأشهد الصلاة ثم جئتكم لأسلم عليكم.

يقول الفقير: شاهدت في الحرمين الشريفين حضور الأرواح للصلوات والطواف وسلام بعضهم على بعض حتى سلمت أنا في السحر الأعلى عند مقام جبرائيل على الخلفاء الأربعة والملائكة أربعة ولله الحمد على ذلك:

سلام من الرحمن نحو جنابه لأن سلامي لا يليق ببابه

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وأصحاب اليمين﴾ شروع في تفصيل ما أجمل عند التقسيم من شؤونهم الفاضلة إثر تفصيل شؤون السابقين وهو مبتدأ خبره جملة قوله: **﴿ما أصحاب اليمين﴾** أي: لا ندري ما لهم من الخير والبركة بسبب فواضل صفاتهم وكوامل محاسنهم.

﴿في سدر﴾ أي: هم في سدر **﴿مخضود﴾** أي: غير ذي شوك لا كسدر الدنيا فإن سدر الدنيا مخلوق بشوك وسدر الجنة بلا شوك كأنه خضد شوكه أي: قطع ونزع عنه فقوله **﴿سدر مخضود﴾** إما من باب المبالغة في التشبيه أو مجاز بعلاقة السببية فإن الخضد سبب لانقطاع الشوك وقيل مخضود أي: مثنى أغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب فمخضود على هذا الوجه من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه والسدر شجر النبق وهو ثمر معروف محبوب عند العرب يتخذون من ورقة الحرض وفي «المفردات» السدر شجر قليل الغذاء عند الأكل وقد يخضد ويستظل به فجعل ذلك مثل لظل الجنة ونعيمها قال بعضهم: ليس شيء من ثمر الجنة في غلف كما يكون في الدنيا من الباقلاء وغيره بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور إليه.

﴿وطلح منضود﴾ قد نضد حمله وتراكب بعضه على بعض من أسفله إلى أعلاه ليست له سوق بارزة وهو شجر الموز وهو شجر له أوراق كبار وظل بارد كما أن أوراق السدر صغار أو هو أم غيلان وله أنوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة يقصد العرب منه النزهة والزينة وإن كان لا يؤكل منه شيء وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل وعن مجاهد كان لأهل الطائف واد معجب فيه الطلح والسدر فقالوا: يا ليت لنا في الجنة مثل هذا الوادي فنزلت هذه الآية وقد قال تعالى: وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين فذكر لكل قوم ما يعجبهم ويحبون مثله وفضل طلح الجنة وسدرها على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا.

﴿وظل ممدود﴾ ممتد لا ينتقص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس والعرب تقول للشيء الذي لا ينقطع ممدود وفي الحديث «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها» وعن ابن عباس رضي الله عنهما شجرة في الجنة على ساق يخرج إليها أهل الجنة فيتحدثون في أصلها ويتذكر بعضهم ويشتهي لهو الدنيا فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا وقال في «كشف الأسرار» ويحتمل أن الظل عبارة عن الحفظ تقول فلان في ظل فلان أي: في كنفه لأنه لا شمس هناك انتهى.

يقول الفقير: بل المراد منه الراحة كما في قوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧] لأنه إنما يجلس المرء في الظل للاستراحة وكانت العرب يرغبون فيه لقلته في بلادهم وغلبة حرارة الشمس ومنه قوله عليه السلام: «السلطان ظل الله في أرضه يأوي إليه كل مظلوم» أي: يستريح عند عدله ومنه قولهم مد الله ظلاله أي: ظلال عدله ورأفته حتى يصل أثر الاستراحة إلى الناس كلهم.

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾.

﴿وماء مسكوب﴾ يسكب لهم ويصب أينما شاؤوا وكيفما أرادوا بلا تعب أو مصبوب سائل يجري على الأرض في غير أخدود لا ينقطع يعني كون الماء مسكوباً كثيراً إما عبارة عن كونه ظاهراً مكشوفاً غير مختص ببعض الأماكن والكيفيات أو عن كونه جارياً وأكثر ماء العرب من الآبار والبرك فلا ينسكب فلا يصلون إلى الماء إلا بالدلو والرشاء فوعدوا بالماء الكثير الجاري حتى يجري في الهواء على حسب الاشتهاء كأنه مثل حال السابقين بأقصى ما يتصور لأهل المدن وحال أصحاب اليمين بأكمل ما يتصور لأهل البواد إيذاناً بالتفاوت بين الحالين فكما أن بينهما تفاوتاً فكذا بين حاليهما.

﴿وفاكهة كثيرة﴾ بحسب الأنواع والأجناس ﴿لا مقطوعة﴾ في وقت من الأوقات كفواكه الدنيا ﴿ولا ممنوعة﴾ عن متناوليها بوجه من الوجوه كبعد المتناول وانعدام ثمن يشترى به وشوك في الشجر يؤذي من يقصد تناولها وحائط يمنع الدخول ونحوها من المحظورات وفي الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة إلا أبدل الله مكانها ضعفين» ﴿وفرش﴾ جمع فراش وهو ما يبسط ويفرش أي: هم في بسط ﴿مرفوعة﴾ أي: رفيعة القدر أو مرتفعة وارتفاعها كما بين السماء والأرض وهو مسيرة خمسمائة عام أو مرفوعة على الأسرة وقيل الفرش هي النساء حيث يكنى بالفراش وباللباس والإزار عن المرأة وفي الحديث: «الولد للفراش» فسمى المرأة فراشاً وارتفاعها كونهن على الأرائك دل عليه قوله تعالى:

﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾ وعلى الأول أضمرهن لدلالة ذكر الفرش التي هي المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديداً من غير ولاد ابداء وإعادة أما الإبداء فكما في الحور لأنهن أنشأهن الله في الجنة من غير ولادة وأما الإعادة فكما في نساء الدنيا المقبوضة عجائز وفي الحديث «هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا» جمع شمطاء والشمط بياض شعر الرأس يخالطه سواد «رمصا» جمع رمصاء والرمص بالتحريك وسخ يجتمع في الموق جعلهن الله تعالى بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد في الاستواء كلما أتاهن أزواجهن

وجدوهن أبكاراً فلما سمعت عائشة رضي الله عنها ذلك قالت: واوجعاه فقال عليه السلام: «ليس هناك وجع» وقد فعل الله في الدنيا بزكريا عليه السلام فقال تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٩٠] سئل الحسن عن ذلك الصلاح فقال: جعلها شابة بعد أن كانت عجوزاً وولوداً بعد أن كانت عقيماً وذلك قوله تعالى:

﴿فجعلناهن﴾ بعد أن كن عجائز ﴿أبكاراً﴾ أي: عذارى جمع بكر والمصدر البكارة بالفتح قال الراغب البكرة أول النهار وتصور منها معنى التعجيل لتقدمها على سائر أوقات النهار فقيل لكل متعجل بكر وسميت التي لم تفتض بكراً اعتباراً بالثيب لتقدمها عليها فيما يراد له النساء قال سعدي المفتي: إن أريد بالإنشاء معنى الإبداء فالجعل بمعنى الخلق وقوله أبكاراً حال وإن أريد به الإعادة فهو بمعنى التصيير وأبكاراً مفعوله الثاني قال بعضهم: دل قوله ﴿فجعلناهن أبكاراً﴾ على أن المراد بهن نساء الدنيا لأن المخلوقة ابتداء معلوم أنها بكر وهن أفضل وأحسن من حور الجنة لأنهن عملن الصالحات في الدنيا بخلاف الحور وعن الحسن رضي الله عنه قالت عجوز عند عائشة رضي الله عنها من بني عامر يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال: «يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز فولت وهي تبكي فقال عليه السلام: أخبروها أنها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية».

﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٣٨ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝٤٠ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝٤٢﴾.

﴿عرباً﴾ جمع عروب كرسل جمع رسول وهي المتحببة إلى زوجها الحسنة التنقل واشتقاقه من أعرب إذا بين والعرب تبين محبتها لزوجها بشكل وغنج وحسن وفي «المفردات» امرأة عروبة معربة بحالها عن عفتها ومحبة زوجها وفي بعض التفاسير عرباً كلامهن عربي ﴿أتراباً﴾ جمع ترب بالكسر وهي اللدة والسن ومن ولد معك وهي تربى أي: مستويات في سن بنت ثلاث وثلاثين سنة وكذا أزواجهن والقامة ستون ذراعاً في سبعة أذرع على قامة أبيهم آدم شباب جرد مكحولون أحسنهم كالقمر ليلة البدر وآخرهم كالكوكب الدري في السماء يبصر وجه في وجهها وتبصر وجهها في وجهه لا يبزقون ولا يتمخطون وما كان فوق ذلك من الأذى فهو أبعد وفي الحديث «إن الرجل ليفتض في الغداة سبعين عذراء ثم ينشئهن الله أبكاراً» وقال عليه السلام: «إن الرجل من أهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف ثيب وثمانية آلاف بكر يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا» ودر تبيان آورده كه جمله رابهبشت آرند بدين سن سازند وبشو هرد هند وعجوزه را نيزرد كنند بدين سن اكر شوهر نداشته باشد دردنيا ببعضي ازاهل بهشت دهند واكر شوهر داشته باشد اما شوهر اواز اهل بهشت نبوده چون امرأة فرعون اورابيكى از بهشتيان دهند واكر زوج او بهشتى بود بازبدو ارزانى دارند واكر زياده ازيك شوهر داشته باشد وهمه بهشتى باشند بزوج اخرين نامزد كنند وفي الحديث «أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء» الجابية بالجيم بلد بالشام وصنعاء بلد باليمن كثيرة الأشجار والمياه تشبه دمشق وفي الحديث «تقول الحوراء لولي الله كم من مجلس من مجالس ذكر الله قد أكرمك به العزيز أشرفت عليك بدلالي وغنجي وأترابي وأنت قاعد بين أصحابك تخطبني إلى الله فترى

شوقك كان يعدل شوقي أو جدك كان يعدل جدي والذي أكرمني بك وأكرمك بي ما خطبتني إلى الله مرة إلا خطبتك إلى الله سبعين مرة فالحمد لله الذي أكرمني بك وأكرمك بي».

﴿لأصحاب اليمين﴾ متعلقة بأنشأنا **﴿ثلة من الأولين﴾**.

﴿وثلة من الآخرين﴾ أي: هم أمة من الأولين وأمة من الآخرين وفي الحديث «هم جميعاً من أمتي» أي: الثلثان من أمتي فعلى هذا التابعون بإحسان ومن جرى مجراهم ثلة أولى وسائر الأمة ثلة أخرى في آخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: خرج رسول الله ﷺ يوماً فقال: عرضت علي الأمم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان معه الرهط والنبي ليس معه رهط والنبي ليس معه أحد ورأيت سواداً كثيراً سد الأفق فقيل لي: انظر هكذا وهكذا فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق فقيل لي: هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب» وفي رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: عرضت علي الأنبياء الليلة بأتباعها حتى أتى علي موسى في كبكبة من بني إسرائيل أي: في جماعة منهم فلما رأيتهم أعجبوني فقلت: أي: رب من هؤلاء قيل هذا أخوك موسى ومن معه من بني إسرائيل فقلت: فأين أمتي قيل: انظر عن يمينك فإذا ظراب مكة قد سدت بوجوه الرجال» وهو جمع ظرب ككتف وهو ما نتأ من الحجارة وحد طرفه والجبل المنبسط أو الصغير كما في «القاموس» قيل هؤلاء أمتك أرضيت قلت رب رضيت رب رضيت قيل انظر عن يسارك فإذا الأفق سد بوجوه الرجال قيل هؤلاء أمتك أرضيت قلت رب رضيت رب رضيت فقيل: إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بلا حساب عليهم فقال نبي الله ﷺ إن استطعتم أن تكونوا من السبعين فكونوا وإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الظراب وإن عجزتم فكونوا من الأفق فإني قد رأيت ثمة أناساً يتهاوشون كثيراً» يعني اكر عاجز آييد پس باشيد از اهل افق كه من ديدم آنجا مردم بسيار مختلط بودند.

قال في «القاموس»: الهوش العدد الكثير والهوشة الاختلاط والهويشة الجماعة المختلطة والهواشات بالضم الجماعات من الناس والتهاوش في الحديث جمع تهواش مقصور من التهاويش تفعال من الهوش وتهوشوا اختلطوا كتهاوشوا وعليه اجتمعوا وهاوشهم وخالطهم.

ـ وروي ـ أنه قال ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ثم تلا **﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾**».

يقول الفقير: الذي يتحصل من هذا أن الأبرار كثير من هذه الأمة في أوائلها وأواخرها وكذا من الأمم السابقة وأما السابقون فكثير من هذه الأمة في أوائلها دون أواخرها كما دلت عليه الآية المتقدمة وكذا قول الحسن البصري رحمه الله حيث قال: رأيت سبعين بدرياً كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم وكانوا بالبلاء أشد منكم فرحاً بالرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا أخياركم قالوا: ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا أشراركم حكموا بأنهم لا يؤمنون بيوم الحساب إن عرض عليهم الحلال من المال تركوه خوفاً من فساد قلوبهم انتهى وأما السابقون من الأمم السالفة فإن انضم إليهم الأنبياء فهم أكثر من سابقي هذه الأمة وإلا فلا كما حققناه سابقاً وذلك أن زهاد الأمم وإن كانوا أكثر من زهاد هذه الأمة لكنهم لعدم استقرار أكثرهم على اليقين قلوا وأما هذه الأمة فمن قلتهم بالنسبة إليهم كثروا لثباتهم على اليقين والاعتقاد والاعتصام بالقرآن كما ورد في بعض الأخبار.

﴿وأصحاب الشمال﴾ شروع في تفصيل أحوالهم وهم الكفار لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [البلد: ١٩، ٢٠] ﴿ما أصحاب الشمال﴾ أي: لا تدري ما لهم من الشر وشدة الحال يوم القيامة.

﴿في سموم﴾ أي هم في حر نار تنفذ في المسام وهي ثقب البدن وتحرق الأجساد والأكباد قال في «القاموس»: السموم الريح الحارة تكون غالباً في النهار والحرور الريح الحارة بالليل وقد تكون بالنهار ﴿وحميم﴾ وهو الماء المتناهي في الحرارة.

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿وظل من يحموم﴾ من دخان أسود بهيم فإن اليحموم الدخان والأسود من كل شيء كما في «القاموس» يفعول من الحمة بالضم وهو الفحم تقول العرب: أسود يحموم إذا كان شديد السود قال الضحاك: النار سوداء وأهلها سود وكل شيء فيها أسود ولذا لا يكون في الجنة الأسود إلا الخال وأشفار العين والحاجب.

يقول الفقير: فيه تحذير عن شرب الدخان الشائع في هذه الأعصار فإنه يرتفع حين شربه ويكون كالظل فوق شاربه مع ما لشربه من الغوائل الكثيرة ليس هذا موضع ذكرها فنسأل الله العافية لمن ابتلي به إذ هو مما يستخبثه الطباع السليمة وهو حرام كما عرف في التفاسير.

﴿لا بارد﴾ كسائر الظلال ﴿ولا كريم﴾ ولا نافع من أذى الحر لمن يأوي إليه نفى بذلك ما أوهم الظل من الاسترواح، يعني أنه سماه ظلاً ثم نفى عنه وصيفة البرد والكرم الذي عبر به عن دفع أذى الحر لتحقيق أنه ليس بظل والكرم صفة لكل ما يرضي ويجري في بابه والظل يقصد لفائدتين لبرودته ودفع أذى الحر وإن لم تحصل الاستراحة بالبرد لعدمه كمن في البيوت المسدودة الأطراف بحيث لا يتحرك فيها الهواء فإن من يأوي إليها يتخلص بها من أذى حر الشمس وإن لم يستروح ببردها وفيه تهكم بأصحاب المشأمة وأنهم لا يستأهلون للظل البارد والكريم الذي هو لأضدادهم في الجنة.

﴿إنهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾ تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب يقال ترف كفرح تنعم وأترفته النعمة أطغته وأنعمته وفلان أصر على البغي والمترف كمكرم المتروك يصنع ما يشاء فلا يمنع كما في «القاموس» أي إنهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا منعمين بأنواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم عذبوا بنقائضها.

﴿وكانوا يصرون على الحنث العظيم﴾ أي: الذنب العظيم الذي هو الشرك ومنه قولهم: بلغ الغلام الحنث أي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث في يمينه خلاف برّ فيها وقال بعضهم: الحنث هنا الكذب لأنهم كانوا يحلفون بالله مع شركهم لا يبعث الله من يموت.

يقول الفقير: يدل على هذا ما يأتي من قوله ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الواقعة: ٥١] والحكمة في ذكر سبب عذابهم مع أنه لم يذكر في أصحاب اليمين سبب ثوابهم فلم يقل: إنهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين التنبيه على أن ذلك الثواب منه تعالى فضل لا تستوجبه

طاعة مطيع وشكر شاكر وإن العقاب منه تعالى عدل، فإذا لم يعلم سبب العقاب يظن أن هناك ظلماً وفي الآية إشارة إلى سموم نار البعد والحجاب وحميم القهر والغضب وظل شجرة الجهل ما فيه برد اليقين كسائر الظلال ولا يسكن حرارة عطشهم من طلب الدنيا ولذاتها وما فيه كرم الهمة أيضاً حتى يعينهم على ترك الدنيا وزينتها وزخارفها بل لا يزالون يطلبون من الدنيا ما ليس فيها من الاستراحة والاستروواح إنهم كانوا قبل ذلك مترفين يعني ما كان استظلالهم بشجرة الجهل المركب التي ليس فيها برد اليقين ولا كرم الهمة إلا بسبب استعداداتهم الذاتية المجبولة على حب الشهوات واللذات قبل دخولهم في الوجود العيني وأيضاً كان استظلالهم بشجرة الجهل لأنهم كانوا في محبة النفس والدنيا متمكنين في الأزل إذ الحنث العظيم هو حب النفس وحب الدنيا كما قال ﷺ: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»:

مر اطاعت نفس شهوت برست — كه هر ساعتش قبله ديكر است
برمرد هشيار دنيا خست — كه هر مدتي جاى ديكر كست

﴿وكانوا﴾ مع شركهم ﴿يقولون﴾ لغاية عتوهم وعنادهم ﴿أئذا متنا﴾ آيا وقتى كه بميريم ﴿وكنا تراباً وعظاماً﴾ أي كان بعض أجزائنا من اللحم والجلد تراباً وبعضها عظاماً نخرة وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الأجزاء البادية وإذا ممحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى: ﴿أئنا لمبعوثون﴾ لا نفسه لأن ما بعد إن واللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها وهو البعث وهو المرجع للإنكار وتقييدها بالوقت المذكور ليس لتخصيص إنكاره به فإنهم منكرون للأحياء بعد الموت وإن كان البدن على حاله بل لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إليه في حالة منافية له بالكلية وليس مدار إنكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم تراباً وعظاماً بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه إلى إنكار البعث بعد تلك الحالة.

﴿أو آباؤنا الأولون﴾ الواو للعطف على المستكن في لمبعوثون. يعني آيا ما دران وپدران پيشين مانيز مبعوث شوند.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿قل﴾ رداً لإنكارهم وتحقيقاً للحق ﴿إن الأولين والآخرين﴾ من الأمم الذين من جملتهم أنتم وآباؤكم. وبالفارسية بدرستى كه پيشينيان از آباى شما وغير آن وپيشينيان از شما وغير شما. وفي تقديم الأولين مبالغة في الرد حيث كان إنكارهم لبعث آبائهم أشد من إنكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي.

﴿لمجموعون﴾ بعد الموت وكأنه ضمن الجمع معنى السوق فعدى تعديته بإلى ولذا قال: ﴿إلى ميقات يوم معلوم﴾ إلى ما وقتت به الدنيا وحدت من يوم معلوم لله معين عنده وهو يوم القيامة والإضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات هو الوقت المضروب للشيء ينتهي عنده أو يبتدأ فيه ويوم القيامة ميقات تنتهي الدنيا عنده وأول جزء منه فالميقات الوقت المحدود وقد يستعار للمكان ومنه مواقيت الإحرام للحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرماً.

﴿ثم إنكم﴾ الخطاب لأهل مكة وأضرابهم عطف على أن الأولين داخل تحت القول وثم للتراخي زماناً أو رتبة ﴿أيها الضالون﴾ عن الحق والهدى ﴿المكذبون﴾ أي: البعث.

﴿لآكلون﴾ بعد البعث والجمع ودخول جهنم ﴿من شجر من زقوم﴾ من الأولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره أي مبتدئون الأكل من شجر هو الزقوم وهو شجر كريه المنظر والطعم حار في اللمس منتن في الرائحة وهي الشجرة الملعونة في القرآن قال أهل الحقيقة: سدرة المنتهى أغصانها نعيم لأهل الجنة وأصولها زقوم لأهل النار فهي مبدأ اللطف والقهر والجمال والجلال.

﴿فمالئون﴾ پس پركنند كان باشيد. يقال ملأ الإناء فهو مملوء من باب قطع والمليء بالكسر مقدار ما يأخذه الإناء إذا امتلأ ﴿منها﴾ أي من ذلك الشجر والتأنيث باعتبار المعنى ﴿البطون﴾ أي بطونكم من شدة الجوع أو بالقسر وفيه بيان لزيادة العذاب وكماله أي لا يكتفي منكم بنفس الأكل كما لا يكتفي من يأكل الشيء تحلة القسم بل تلزمون بأن تملؤوا منها البطون أي يملأ كل واحد منكم بطنه أو بطون الأمعاء والأول أظهر والثاني أدخل في التعذيب ﴿فشاربون عليه﴾ أي على شجر الزقوم أي عقيب ذلك بلا ريٍّ لعطشكم الغالب وتذكير ضمير الشجر باعتبار اللفظ. ﴿من الحميم﴾ أي الماء الحار في الغاية.

﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿فشاربون شرب الهيم﴾ كالتفسير لما قبله أي لا يكون شربكم شرباً معتاداً بل يكون مثل شرب الهيم وهي الإبل التي بها الهيام وهو داء يصيبها يشبه الاستسقاء فتشرب ولا تروى إلى أن تموت أو تسقم سقماً شديداً جمع أهيم وهيماء فأصله هيم كأحمر وحمر فقلبت الضمة كسرة لتصح الياء والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار في أحشائهم ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل فإذا ملؤوا منه بطونهم وهو في غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الإبل العطاش وفيه بيان لزيادة العذاب أيضاً أي لا يكون شربكم أيها الضالون كشرب من يشرب ماء حاراً منتناً فإنه يمسك عنه إذا وجده مؤلماً معذباً بخلاف شربكم فإنكم تلزمون بأن تشربوا منه مثل ما يشرب الجمل الأهيم فإنه يشرب ولا يروى وفي الآية إشارة إلى إفراط النفس والهوى في شرب ماء حميم الجهل والضلال وفي أكل زقوم المشتهيات المورثة للوبال ولغاية حرصها لا تزيد إلا جوعاً وعطشاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب.

كجا ذكر كنجد در انبان آز بسختى نفس ميكند پا دراز

﴿هذا﴾ الذي ذكر من الزقوم والحميم أول ما يلقونه من العذاب. ﴿نزلهم﴾ أي رزقهم المعد لهم أي كالنزل الذي يعد للنازل مما حضر مكرمة له ﴿يوم الدين﴾ أي: يوم الجزاء فإذا كان ذلك نزلهم فما ظنك بحالهم بعدما استقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار في النار وفيه من التهكم ما لا يخفى كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] لأن ما يعد لهم في جهنم ليس مكرمة لهم والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول. ﴿نحن خلقناكم فلولا تصدقون﴾ أي فهلا تصدقون أيها الكفرة بالخلق فإن ما لا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبىء عن خلافه ليس من التصديق في شيء أو بالبعث فإن من قدر على الإبداء قدر على الإعادة.

اعلم أن الله تعالى إذا أخبر عن نفسه بلفظ الجميع يشير به إلى ذاته وصفاته وأسمائه كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] وكما قال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾ [يوسف: ٢] وإذا أخبر عن نفسه بلفظ المفرد يشير إلى ذاته المطلقة كما قال: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] هذا إذا كان القائل المخبر هو الله تعالى وأما إذا كان العبد فينبغي أن يقول: أنت يا رب لا أنتم لإيهامه الشرك المنافي لتوحيد القائل ولذا يقال أشهد أن لا إله إلا الله ليدل على شهادته بخصوصه فيتعين توحيده ويظهر تصديقه.

﴿**أفرأيتم ما تمنون**﴾ أي تقذفونه وتصبونه في أرحام النساء من النطف التي يكون منها الولد فقوله: ﴿**أفرأيتم**﴾ بمعنى أخبروني وما تمنون مفعوله الأول والجملة الاستفهامية مفعوله الثاني يقال: أمنى الرجل يمني لا غير ومنيت الشيء أمنيه إذا قضيته وسمي المني منياً لأن الخلق منه يقضى.

﴿**ءأنتم تخلقونه**﴾ أي تقدرونه وتصورونه بشراً سوياً في بطون النساء ذكراً أو أنثى. ﴿**أم نحن الخالقون**﴾ له من غير دخل شيء فيه وأم قيل منقطعة لأن ما بعدها جملة فالمعنى بل أنحن الخالقون على أن الاستفهام للتقرير وقيل: متصلة ومجيء الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية أصالة وفيه إشارة إلى معنى أن وقوع نطف الأعمال والأفعال وموادها في أرحام قلوبكم ونفوسكم بخلقي وإرادتي لا بخلقكم وإرادتكم ففيه تخصيص مواد لخواطر المقتضية للأفعال والأعمال والأقوال إلى نفسه وقدرته وسلبها عن الخلق.

﴿**نحن قدرنا بينكم الموت**﴾ أي قسمناه عليكم ووقتنا موت كل أحد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة فمنهم من يموت صغيراً ومنهم من يموت كبيراً.

يقول الفقير: قيل لي في بعض الأسحار اصبر ولا يكون إلا ما قدر الله تعالى فمرضت بعد أيام ابنتي أمة الله حتى ماتت جعلها الله فرطاً وذخراً وشافعة ومشفعة. وقد ثبت أن إبراهيم عليه السلام تعلق بإسماعيل فابتلي بذبحه وكذا يعقوب عليه السلام تعلق بيوسف فابتلي بالفراق فهذه كلها مقادير يجب الرضى بها ﴿**وما نحن بمسبوقين**﴾ أي إنا قادرون.

﴿عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ۝٦٤ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦﴾.

﴿**على أن نبدل**﴾ منكم ﴿**أمثالكم**﴾ لا يغلبنا أحد على أن نذهبكم ونأتي مكانكم بأشباهكم من الخلق يقال سبقته على كذا أي غلبته عليه وغلب فلان فلاناً على الشيء إذا أخذه منه بالغلبة. ﴿**وننشئكم فيما لا تعلمون**﴾ من الخلق والأطوار لا تعهدون بمثلها وقال الحسن البصري رحمه الله: أي نجعلكم قردة وخنازير كمن مسخ قبلكم إن لم تؤمنوا برسلنا يعني لسنا عاجزين عن خلق أمثالكم بدلاً منكم ومسخكم من صوركم إلى غيرها ويحتمل أن الآية تنحو إلى الوعيد فالمراد إما إنشاؤهم في خلق لا يعلمونها أو صفات لا يعلمونها يعني كيفيات من الألوان والأشكال وغيرها وفي الحديث: «إن أهل الجنة جرد مرد» «وإن الجهنمي ضرسه مثل أحد» وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى ليس بعاجز عن تبديل الصفات البشرية بالصفات الملكية وجعل السالكين مظهر الصفات غير صفاتهم التي هم عليها إذ توارد الصفات المختلفة المتباينة

على نفس واحدة على مقتضى الحكمة البالغة ليس من المحال ألا ترى إلى الجوهر الواحد فإنه يصير تارة فضة وأخرى ذهباً بطرح الإكسير.

﴿ولقد علمتم النشأة﴾ أي الخلقة **﴿الأولى﴾** هي خلقتهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل: هي فطرة آدم من التراب. **﴿فلولا تذكرون﴾** فهلا تتذكرون أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى حتماً فإنها أقل صنعاً لحصول المواد وتخصص الأجزاء وسبق المثال.

آنكه مارا زخلوت نابود مى كشد تابجلوه كاه وجود
بار ديكركه از سموم هلاك روى پوشيم زير پرده خاك
هم نواند با مركن فيكون كارد از كوشه لحد بيرون

وفي الخبر: «عجباً كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى وعجباً للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور» وفي الآية دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى وترك القياس إذا كان جهلاً كان القياس علماً وكل ما كان من قبيل العلم فهو صحيح. وفي «المثنوي»:

مجتهد هركه كه باشد نص شناس اندر آن صورت نينديشد قياس
چون نيايد نص اندر صورتى از قياس آنجا نمايد عبرتى
اين قياسات وتحرى روز ابر تابشت مر قبله را كردست حبر
ليك با خورشيد وكعبه پيش رو اين قياس واين تحرى مجو

ومنه يعلم بطلان قياس إبليس فإنه قياس على خلاف الأمر عنده وروده. كما قال في «المثنوي»:

أول آنكس كين قياسكها نمود پيش انوار خدا ابليس بود
كفت نار ازخاك بى شك بهترست من ز نار واوز خاك اكدرست
پس قياس فرع براصلش كنيم اوز ظلمت ما زنور روشنيم
كفت حق نى بلكه لا انساب شد زهد وتقوى فضل را محراب شد

وفيه إشارة إلى أنا إذا قدرنا على إنشاء النشأة الأولى البشرية الطبيعية الدنيوية مع عدم مادة من المواد الصفاتية فمن استعجز قدرة الله فقد كفر ألا ترى إلى محرومي البداية مرزوقي النهاية مثل إبراهيم بن أدهم وفضيل بن عياض ومالك بن دينار وغيرهم قدس الله أسرارهم فإن الله تعالى أنشأهم نشأة أخرى ولو بعد حين.

﴿أفرأيتم﴾ أخبروني وبالفارسية إخبار كنيد **﴿ما تحرثون﴾** أي: تبذرونه من الحب وتعملون في أرضه بالسقي ونحوه والحراثة إلقاء البذر في الأرض وتهيئتها للزرع.

﴿ءأنتم تزرعونه﴾ تنبتونه وتردونه نباتاً يربو وينمو إلى أن يبلغ الغاية **﴿أم نحن الزارعون﴾** أي المنبتون لا أنتم والزرع الإنبات وحقيقة ذلك يكون بالأمور الإلهية دون البشرية ولذا نسب الحرث إليهم ونفى عنهم الزرع ونسبه إلى نفسه وفي الحديث: «لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت فإن الزارع هو الله» والحاصل أن الحرث فعلهم من حيث إن اختيارهم له مدخل في الحرث والزرع خالص فعل الله فإن إنبات السنبل والحب لا مدخل فيه لاختيار العبد أصلاً وإذا نسب الزرع إلى العبد فلكونه فاعلاً للأسباب التي هي سبب الزرع والإنبات في «الأسئلة المقحمة» الأصح أن الحرث والزرع واحد كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ [البقرة: ٧١] فهلا

أضاف الحرث إلى نفسه أيضاً والجواب أن إضافة الحرث إلينا إضافة الاكتساب وإضافته إلى نفسه إضافة الخلق والاختراع كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: ١٧] قال الحليمي: يستحب لكل من ألقى في الأرض بذراً أن يقرأ بعد الاستعاذة: ﴿أفرأيتم﴾ إلى قوله: ﴿بل نحن محرومون﴾ ثم يقول: الله الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لأنعمك من الشاكرين ويقال: إن هذا القول أمان لذلك الزرع من جميع الآفات الدود والجراد وغير ذلك وفي الآية امتنان ليشكروا على نعمة الزرع واستدلال بأن من قدر على الإنبات قدر على الإعادة فكما أنه ينبت الحب في الأرض وينبت بذر النطفة في الرحم فكذا ينبت من حب عجب الذنب في القبر فإن كلها حب وذلك لأن بذر النطفة وكذا عظم عجب الذنب شيء كخردلة كما أسلفناه.

﴿لو نشاء﴾ لو للمضي وإن دخل على المضارع ولذا لا يجزمه فهو شرط غير جازم أي لو أردنا ﴿لجعلناه﴾ أي الزرع بمعنى المزروع ﴿حطاماً﴾ الحطم كسر الشيء مثل الهشم ونحوه ثم استعمل لكل كسر متناه والمعنى هشيماً أي يابساً متكسراً متفتتاً بعدما أنبتناه وصار بحيث طمعتم في حيازة غلاله وجمعها. ﴿فظلتم﴾ أي: فصرتم بسبب ذلك ﴿تفكهون﴾ تتعجبون من سوء حاله أثر ما شاهدتموه على أحسن ما يكون من الحال أو تندمون على ما فعلتم فيه من الاجتهاد وأنفقتم عليه أو تندمون على ما أصبتم لأجله من المعاصي فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرىء تفكنون بالنون والتفكن التعجب والتفكر والتندم ومنه الحديث: «مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبينا هم إذ غار ماؤها فانتفع بها قوم يتفكنون» أي يتندمون والحمة العين الحارة من الحميم وهو الماء الحار يستشفي به الأعلاء والمرضى ﴿إنا لمغرمون﴾ حال من فاعل تفكهون أي قائلين: إنا لملزمون غرامة ما أنفقنا والغرامة أن يلزم الإنسان ما ليس في ذمته وعليه كما في «المغرب» أو مهلكون بهلاك رزقنا أو بشؤم معاصينا من الغرام وهو الهلاك.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿بل نحن محرومون﴾ حرمنا رزقنا أو محدودون لا مجدودون أي ممنوعون من الحد وهو المنع لا حظ لنا ولا جد ولا بخت ولو كنا مجدودين لما فسد علينا هذا.

ـ روي ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مرّ رسول الله ﷺ بأرض الأنصار فقال: ما يمنعكم من الحرث قالوا: الجدوبة قال: أفلا تفعلون فإن الله تعالى يقول: أنا الزارع إن شئت زرعت بالماء وإن شئت زرعت بالريح وإن شئت زرعت بالبذر ثم تلا رسول الله عليه السلام ﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾ الآية» ففي الحديث إشارة إلى أن الله تعالى هو الذي يعطي ويمنع بأسباب وبغيرها فالتوحيد هو أن يعتقد أن التأثير من الله تعالى لا من غيره كالكوكب ونحوه فإنه يتهم النفس بالمعصية القاطعة للرزق وفي الحديث: «ما سنة بأمطر من أخرى ولكن إذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم فإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار» وفي الحديث: «دم على الطهارة يوسع عليك الرزق» فإذا كان توسيع الرزق في الطهارة فتضييقه في خلافها والرزق ظاهر وباطن وكذا الطهارة والنجاسة فلا بد لطالب الرزق مطلقاً أن يكون

على طهارة مطلقة دائماً فإن قلت: فما حال أكثر السلف فإنهم كانوا فقراء مع دوام الطهارة؟ قلت: كان السلف في الرزق المعنوي أكثر من الخلف وهو المقصود الأصلي من الرزق وإنما كانوا فقراء في الظاهر لكمال افتقارهم الحقيقي كما قال عليه السلام: «اللهم أغنني بالافتقار إليك» فمنعوا عن الغنى الصوري تطبيقاً لكل من الظاهر والباطن بالآخر فهم أغنى الأغنياء في صورة الفقراء وما عداهم ممن ليس على صفتهم أفقر الفقراء في صورة الأغنياء فالمرزوق من رزق غذاء الروح من الواردات والعلوم والفيوض والمحروم من حرمه فاعرفه. وفي «المثنوي»:

فهم نان كردن نه حكمت اى رهى | زانكه حق كفت كلوا من رزقه
رزق حق حكمت بود در مرتبت | كان كلو كيرت نباشد عاقبت
آن دهان بستى دهانى بازشد | كه خورنده لقمهاى راز شد
كرز شير ديوتن را پرورى | در فطام او بسى نعمت خورى

﴿أفرأيتم﴾ خبر نماييد ﴿الماء الذي تشربون﴾ عذباً فراتاً وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لأن الشرب أهم المقاصد المنوطة به.

﴿ءأنتم أنزلتموه من المزن﴾ أي من السحاب واحده مزنة وقيل: هو السّحاب الأبيض وماؤه أعذب ﴿أم نحن المنزلون﴾ له بقدرتنا والرؤية إن كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام وإن كانت بمعنى الإبصار أو المعرفة فالجملة الاستفهامية استئناف وهذا هو اختيار الرضي.

﴿لو نشاء جعلناه أجاجاً﴾ ملحاً زعاقاً لا يمكن شربه وحذف اللام في الشرطية الأولى للفرق بين المطعوم والمشروب في الأهمية وصعوبة الفقد، يعني أن أمر المطعوم هاهنا مع إثباتها مقدم على أمر المشروب وإن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعاً للمطعوم. ﴿فلولا تشكرون﴾ فهلا تشكرون ما ذكر جميعاً من المطعوم والمشروب بتوحيد منعمه وإطاعة أمره أو ﴿فلولا تشكرون﴾ على أن جعلناه عذباً وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن تحت العرش بحراً تنزل منه أرزاق الحيوانات يوحي الله إليه فيمطر ما شاء من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى سماء الدنيا ويوحي إلى السماء أن غربليه فتغربله فليس من قطرة تقطر إلا معها ملك يضعها موضعها ولا ينزل من السماء قطرة إلا بكيل معلوم ووزن معلوم إلا ما كان من يوم الطوفان فإنه نزل بغير كيل ولا وزن وقال بعض الحكماء: إن المطر يأخذه قوس الله من البحر إلى السحاب ثم ينزل من السحاب إلى الأرض قال بعضهم: هو أدخل في القدرة لأن ماء البحر مرّ فيصعد ملحاً وينزل عذباً، وفي الآية إشارة إلى أن بعض بلاد العرب ليس لها آبار ولا أنهار جارية فلا يشرب أهلها إلا من المطر في المصانع فمنها القدس الشريف وينبع وجدة المحروسة ونحوها وللماء العذب مزيد فضل في هذه البلاد ولذا امتن الله به على العباد وفيها إشارة إلى ماء معرفة والعلم الإلهي فإنه ليس بالكسب والاجتهاد بل بمحض عطاء الله تعالى ولو شاء الله لجعل الماء العذب الجاري من مشرب الكشف والشهود ماء ملحاً جارياً من مشرب الحجاب والاحتجاب والجهالة والضلالة فلا بد من الشكر على نعم المعارف والحقائق والحكم.

واعلم أن من حفر بئراً فإما أن يصل إلى الماء أو لا فإن وصل فإما أن يكون ذلك الماء مالحاً أو عذباً فعلى تقدير كونه عذباً ليس كالمطر الحاصل بلا أسباب فإنه طيب طاهر خالص فهذا مثل علم علماء الرسوم ومثل علم علماء الحقيقة فإن الأنبياء والأولياء ملهمون من عند الله

تعالى ولا خطأ في الوحي والإلهام أصلاً ولذا نقول: إن علم الصوفية هو العلم الصواب كله فعلمهم تذكري ليس لهم احتياج إلى ترتيب المقدمات بخلاف علماء الرسوم فإن علمهم تفكري يحتاج إلى ذلك ولا بد لطالب الفيض من تهيئة المحل قبل وروده ألا ترى إلى صاحب الحرث فإنه يشتغل بتهيئة الأرض وإلقاء البذر ولا يدري من ينزل المطر فإذا نزل أصاب محزه.

ثم اعلم أن الروح ينزل بالمطر وله تعين في كل نشأة بما يناسبه فعند تمام الخلقة في الرحم ينفخ الله تعالى الروح وهو عبارة عن تعين الروح وظهوره لكن عبر عنه بالنفخ لأن العقل قاصر عن دركه وكان عليه السلام يكشف رأسه عند نزول المطر ويقول: «حديث عهد بربه» فالروح أي روح كان سبب للحياة مطلقاً فينبغي تلقي التجليات الواردة من قبل الحق بتهيئة المحل كما أن النبي عليه السلام كشف رأسه وهيأ محل نزول المطر وذلك لأن المطر ينزل من العلو فيلقى على أعلى شيء في الإنسان وهو الرأس.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿أفرأيتم النار التي تورون﴾ الإيراء آتش از آتش زنه بيرون كردن. أي تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الأعلى الزند والأسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة يقال: ناقة طروقة أي بلغت أن يضربها الفحل لأن الطرق الضرب.

﴿ءأنتم أنشأتم شجرتها﴾ التي منها الزناد وهي المرخ والعفار كما مر في سورة يس. **﴿أم نحن المنشئون﴾** لها بقدرتنا.

﴿نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿نحن جعلناها تذكرة﴾ استئناف مبين لمنافعها أي جعلنا نار الزناد تذكيراً لنار جهنم من حيث عقلنا بها أسباب المعاش لينظروا إليها ويذكروا ما أوعدوا به من نار جهنم أو تذكرة وموعظة وأنموذجاً من جهنم لما روي عن النبي عليه السلام: «ناركم هذه التي يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم» وقيل: تبصرة في أمر البعث فإنه ليس أبدع من إخراج النار من الشيء الرطب وفي «عين المعاني»: وهو حجة على منكري عذاب القبر حيث تضمن النار ما لا يحرق ظاهره. **﴿ومتاعاً﴾** ومنفعة وبلغة لأن حمل النار يشق **﴿للمقوين﴾** للذين ينزلون القواء بالفتح وهو القفر الخالي عن الماء والكلاء والعمارة وهم المسافرون وتخصيصهم بذلك لأنهم أحوج إليها ليهرب منها السباع ويسطلوا من البرد ويجففوا ثيابهم ويصلحوا طعامهم فإن المقيمين أو النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين إلى الاقتداح بالزناد وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على أن الأهم هو النفع الأخروي يقال: أقوى الرجل إذا نزل في الأرض القواء كأصحر إذا دخل في الصحراء، وفي الحديث: «قال النبي عليه السلام لجبريل ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط؟ قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار» وعن أنس رضي الله عنه يرفعه «أن أدنى أهل النار عذاباً الذي يجعل له نعلان يغلي منهما دماغه في رأسه» وفيه بيان شدة نار جهنم وأنها ليست كنار الدنيا وقانا الله وإياكم منها، وفي الآية إشارة إلى نار المحبة المشتعلة الموقدة بمقدح الطلب في إحراقة قلب المحب الصادق في سلوك طريق الحق وشجرتها هي العناية

الإلهية السرمدية يدل هذا التأويل قول العارف أبي الحسين المنصور قدس سره حين سئل عن حقيقة المحبة؛ هي العناية الإلهية السرمدية لولاها ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان نحن جعلناها تذكرة لأرباب النفوس البشرية ليهتدوا بنورها إلى سلوك طرق الحق ومتاعاً للمقوين أي غذاء لأرواح المحبين الطاوين أياماً وليالي عن الطعام والشراب. كما حكي عن سهل التستري رحمه الله أنه كان يطوي ثلاثين يوماً وعن أبي عقيل المغربي قدس سره أنه ما أكل سنتين وهو مجاور بمكة وعن كثير من المرتاضين السالكين وإنما رفع إدريس عليه السلام إلى السماء الرابعة لمبالغته في التجريد والترويح حتى أن الروحانية غلبت عليه فخلع بدنه وخالط الملائكة واتصل بروحانية الأفلاك وترقى إلى عالم القدس وقد أقامه ستة عشر عاماً لم ينم ولم يطعم شيئاً ولم يتزوج قط لزوال الشهوة بالكلية حتى صار عقلاً مجرداً من كثرة الرياضة ورفع إلى أعلى الأمكنة وهو المكان الذي يدور عليه رحى عالم الأفلاك وهو فلك الشمس ثم إن نار المحبة أشد النيران قال الجنيد قدس سره: قالت النار: يا رب لو لم أطعك هل كنت تعذبني بشيء هو أشد مني؟ قال: نعم كنت أسلط عليك ناري الكبرى قالت: هل نار أعظم مني؟ قال: نعم نار محبتي أسكنها قلوب أوليائي المؤمنين. كما في «فتح القريب»:

مهرجانان آتش است عشاق را ... مى بسوزد هستى مشتاق را

﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ لم يقل: فسبح ربك لأن سبح منزل منزلة اللازم ولم يعتبر تعلقه بالمفعول ومعناه فأحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى إضمار المضاف شكراً على تلك النعم وإن جحدها الجاحدون أو بذكره على المجاز فإن إطلاق الاسم للشيء ذكر له والباء للاستعانة أو الملابسة والمراد بذكر ربه هنا تلاوة القرآن والعظيم صفة للاسم أو الرب قال ابن عطاء رحمه الله: سبحه إن الله أعظم من أن يلحقه تسبيحك أو يحتاج إلى شيء منك لكنه شرف عبيده بأن أمرهم أن يسبحوه ليطهروا أنفسهم بما ينزهونه به.

﴿فلا أقسم﴾ أي فأقسم ولا مزيدة للتأكيد وتقوية الكلام كما في قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩] وما قيل إن المعنى فلا أقسم إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم خصوصاً إلى مثل هذا القسم العظيم فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن المقسم به. ﴿بمواقع النجوم﴾ أي بمساقطها وهي مغاربها وتخصيصها بالقسم لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير أو لأن ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين إليه تعالى وأوان نزول الرحمة والرضوان عليهم أو بمنازلها ومجاريها فإن له تعالى في ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل: النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها وإليه ذهب ابن عباس رضي الله عنهما وقيل: النجوم الصحابة والعلماء الهادون بعدهم ومواقعهم القبور وقيل غير ذلك.

﴿وإنه﴾ أي القسم بالمذكور ﴿لقسم لو تعلمون عظيم﴾ لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته أن لا يترك عباده سدى بغير كتاب قوله: لو تعلمون اعتراض بين الصفة والموصوف لتأكيد تعظيم المحلوف به وجوابه متروك أريد به نفي علمهم أو محذوف ثقة بظهوره أي لعظمتموه أو لعملتم بموجبه ففيه تنبيه على تقصير المخاطبين في الأمر وعظيم صفة قسم وهذه الجملة أيضاً اعتراض بين القسم وجوابه الذي هو قوله تعالى:

﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿إنه لقرآن كريم﴾ هو المقسم عليه أي لكتاب كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة في صلاح المعاش والمعاد على أن يستعار الكرم ممن يقوم به الكرم من ذوي العقول إلى غيرهم أو حسن مرضي في جنسه من الكتب أو كريم عند الله وقال بعضهم: كريم لأنه يدل على مكارم الأخلاق ومعالي الأمور وشرائف الأفعال وقيل: كريم لنزوله من عند كريم بواسطة الكرام إلى أكرم الخلق.

﴿في كتاب مكنون﴾ أي مصون عن غير المقربين من الملائكة أي لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح المحفوظ.

﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ إما صفة أخرى للكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية وأوضار الأوزار أو للقرآن فالمراد المطهرون من الأحداث مطلقاً فيكون نفياً بمعنى النهي أي لا ينبغي أن يمسه إلا من كان على طهارة من الأدناس كالحدث والجنابة ونحوهما على طريقة قوله عليه السلام: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» أي لا ينبغي له أن يظلمه أو يسلمه إلى من يظلمه فالمراد من القرآن المصحف سماه قرآناً على قرب الجوار والاتساع كما روي أن رسول الله ﷺ «نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو» وأراد به المصحف وفي الفقه: لا يجوز لمحدث بالحدث الأصغر وهو ما يوجب الوضوء مس المصحف إلا بغلافه المنفصل الغير المشرز كالخريطة ونحوها لأن مسه ليس مس القرآن حقيقة لا المتصل في الصحيح وهو الجلد المشرز لأنه من المصحف يعني تبع له حتى يدخل في بيعه بلا ذكر وهذا أقرب إلى التعظيم وكره المس بالكم لأنه تابع للحامل فلا يكون حائلاً ولهذا لو حلف: لا يجلس على الأرض فجلس وذيله بينه وبين الأرض حنث وإنما منع الأصغر عن مس المصحف دون تلاوته لأنه حل اليد دون الفم ولهذا لم يجب غسله في الوضوء. والجنابة كانت حالة كليهما ولا يرد العين لأن الجنب حل نظره إلى مصحف بلا قراءة وكذا لا يجوز المحدث مس درهم فيه سورة إلا بصرته ولا لجنب دخول المسجد إلا لضرورة فإن احتاج إلى الدخول تيمم ودخل لأنه طهارة عند عدم الماء ولا قراءة القرآن ولو دون آية لأن ما دونها شيء من القرآن أيضاً إلا على وجه الدعاء أو الثناء كالبسملة والحمدلة، وفي «الأشباه» لو قرأ الفاتحة في صلاته على الجنازة إن قصد الدعاء والثناء لم يكره وإن قصد التلاوة كره، وفيه إشارة إلى أن حكم القراءة يتغير بالقصد ويجوز للجنب الذكر والتسبيح والدعاء. والحائض والنفساء كالجنب في الأحكام المذكورة ويدفع المصحف إلى الصبي إذ في الأمر بالوضوء حرج بهم وفي المنع تضيع حفظ القرآن إذ الحفظ في الصغر كالنقش في الحجر، وفي «الأشباه» ويمنع الصبي من مس المصحف انتهى والتوفيق ظاهر وفي «كشف الأسرار»: وأما الصبيان فلأصحابنا فيهم وجهان: أحدهما أنهم يمنعون منه كالبالغين والثاني أنهم لا يمنعون لمعنيين أحدهما أن الصبي لو منع ذلك أدى إلى أن لا يتعلم القرآن ولا يحفظه لأن وقت تعلمه وحفظه حال الصغر، والثاني أن الصبي وإن كانت له طهارة فليست بكاملة لأن النية لا تصح منه فإذا جاز أن يحمله على غير طهر كامل جاز أن يحمله محدثاً ودر انوار مذكور است كه جنب وحائض را بقول أبي

يوسف جائزست كتابت قرآن وقتى كه لوح برزمين بودنه بركنار ونزد محمد بهيج وجه روانيست ومحمد بن فضل رحمه الله فرموده كه مراد ازين طهارت توحيدست يعني بايدكه از غير موحدان كسى قرآن نخواند وابن عباس رضي الله عنه نهى ميكرد ازانكه يهود ونصارى را تمكين دهند از قرآءت قرآن. وقال بعضهم: يجوز للمؤمن تعليم القرآن للكافر رجاء هدايته إلى الإسلام. ومحققان كفته اند مراد ازمس اعتقادست يعني معتقد نباشد قرآنرا اكر پاكيزه دلان كه مؤمنانند ويا تفسير وتأويل آن ندانند الا آنها كه سر ايشان پاك باشد از ما سوى الله:

جمال حضرت قرآن نقاب انكه براندازد   كه دار الملك معنى را مجرد بيند از غوغا

ودر «بحر الحقائق» فرموده كه مكاشف نشود باسرار قرآن مكر كسى كه پاكيزه كردد ازلوث توهم غير وبرسد بمقام شهود حق درمر آى خلق واين معنى ميسر نشود جز بفناى مشاهد وشهود در مشهود:

چون تجلى كردد اوصاف قديم   پس بسوزد وصف حادث راكليم

وتحقيقه أن الهاء إشارة إلى الهوية الإلهية فإنه لا يمس سرها إلا المطهرون عن جنابة كل مقام من المقامات الوجودية وهي التعلق به والبعد بواسطته عن الحق المطلق والمطهر بالفتح لا بد له من المطهر بالكسر وهو الله تعالى فالعبد لا يطهر نفسه ولا يزكيها وإنما يطهره الله ويزكيه فإذا طهره الله وزكاه فهم مراد القرآن ولذا قال بعض الكبراء: إن القرآن بكر أي بالنسبة إلى علماء الظاهر والرسم فإن الذي فهموه من القرآن إنما هو ظاهره ومزاياه المتعلقة به وإنما حل عقدته علماء الباطن والحقيقة لأن الله تعالى قال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فهم أهل التقوى الحقيقي ولذا علمهم الله ما لم يعلم أحداً من العالمين وإن كان القرآن لا تنقضي عجائبه وقس عليه الحديث فإن مراد رسول الله عليه السلام على الحقيقة لا يفهمه إلا أهل الحقيقة ومن ثمة اقتصر علماء الحديث وشراحه على بيان الإعراب والمفهوم الظاهري من غير أن يتعرضوا لحقائقه فأين شرح النووي والكرماني وابن حجر ونحوهم من شرح الصدر القنوي ونحوه رضي الله عنهم؟!.

﴿تنزيل من رب العالمين﴾ صفة أخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه يعني أن التنزيل بمعنى المنزل سمي المنزل تنزيلاً على اتساع اللغة كما يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق على قول من يجيزه.

﴿أفبهذا الحديث﴾ الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لإعظامه وإجلاله وهو القرآن الكريم وسماه حديثاً لأن فيه حوادث الأمور كما في «كشف الأسرار» وهو متعلق بقوله: ﴿مدهنون﴾ وجاز تقديمه على المبتدأ لأن عامله يجوز فيه ذلك والأصل أفأنتم مدهنون بهذا الحديث ﴿أنتم﴾ يا أهل مكة ﴿مدهنون﴾ الإدهان في الأصل مثل التدهين لكن جعل عبارة عن المداراة والملاينة وترك الجد والمعنى متهاونون به ومستحقرون كمن يدهن في الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاوناً به، وفي «تاج المصادر»: الإدهان مداهنت كردن وغسل كردن. قال في «الإحياء»: الفرق بين المداهنة والمداراة بالغرض الباعث على الإغضاء فإن أغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من إصلاح أخيك بالإغضاء فأنت مدار وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إنّا لنبش في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو منع شر من يخاف شره.

﴿وتجعلون رزقكم﴾ أي شكر رزقكم بتقدير المضاف ليصح المعنى والرزق في الأصل مصدر سمي به ما يرزق والمراد نعمة القرآن ﴿أنكم تكذبون﴾ أي تضعون التكذيب لرازقه موضع الشكر أو تجعلون شكر رزقكم الصوري أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه إلى الأنواء وكان عليه السلام يقول: «لو حبس الله القطر عن أمتي عشر سنين ثم أنزل لأصبحت طائفة منهم يقولون: سقينا بنوء كذا» وقال عليه السلام: «أخوف ما أخاف على أمتي حيف الأئمة والتكذيب بالقدر والإيمان بالنجوم».

ـ روي ـ «أنه عليه السلام صلى صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال: مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب» وفي الحديث: «ثلاث من أمر الجاهلية: الطعن في الأنساب والنياحة والأنواء» فالطعن معروف والنياحة البكاء على الميت مع تعديد محاسنه والأنواء جمع نوء المنازل الثماني والعشرون للقمر والعرب كانت تعتقد أن الأمطار والخير كله يجيء منها وفي «حواشي ابن الشيخ» في سورة الفرقان: الأنواء النجوم التي يسقط واحد منها في جانب المغرب وقت طلوع الفجر ويطلع رقيبه في جانب المشرق من ساعته والعرب كانت تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها وقيل: إلى الطالع منها انتهى وفي «القاموس»: النوء النجم مال للغروب أو سقوط النجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق انتهى فظهر أن التأثير من الله تعالى في الأشياء فيجب على المؤمن أن يعتقده منه تعالى لا من الأفلاك والنجم والدهر ونحوها، وفي «هدية المهديين»: لو صاحت الهامة أو طير آخر فقال رجل: يموت المريض يكفر ولو خرج إلى السفر ورجع فقال: أرجع لصياح العقعق كفر عند بعضهم وقيل: لا ولو قال عند صياح الطير: غله كران مى خواهد شد. فقد اختلف المشايخ في كفره وجه الكفر ظاهر لأنه ادعى الغيب انتهى والناس يتشاءمون بأصوات بعض الطيور كالهامة والبوم، كما قال الشيخ سعدي:

بلبلا مژده بهار بيار   خبرى بدببوم باز كذار

فإن يكن هناك اعتقاد التأثر منها فذلك كفر وإلا فمجرد التشاؤم لا يوجب الكفر خصوصاً إذا كان القول بطريق الاستدلال من الأمارات والأليق بحال المؤمن حمل مثل ذلك على التنبيهات الإلهية فإن لله في كل شيء حكمة لا القطع على المقدورات والجزم فيما لا يبلغ علمه كنهه فإن الله يحيي ويميت ويوقظ وينيم بأسباب وبغيرها.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

﴿فلولا﴾ پس چرا ﴿إذا بلغت الحلقوم﴾ لولا للتحضيض لإظهار عجزهم وإذا ظرفية والحلقوم مجرى الطعام، وفي «كشف الأسرار»: مجرى النفس والبلعوم مجرى الطعام أي فهلا إذا بلغت النفس أي الروح أو نفس أحدكم وروحه الحلقوم وتداعت إلى الخروج وهو كناية عن غير مذكور، وفي الحديث: «إن ملك الموت له أعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيئاً فشيئاً حتى ينتهي بها إلى الحلقوم فيتوفاها ملك الموت» ﴿وأنتم﴾ الواو للحال من فاعل بلغت

أي والحال أنتم أيها الحاضرون حول صاحبها. ﴿حينئذ﴾ آن هنكام ﴿تنظرون﴾ إلى ما هو فيه من الغمرات ولكم تعطف عليه ووفور رغبة في إنجائه من المهالك.

﴿ونحن أقرب إليه﴾ أي إلى المحتضر علماً وقدرة وتصرفاً قال بعضهم: عبر عن العلم بالقرب الذي هو أقوى سبب الاطلاع ﴿منكم﴾ حيث لا تعرفون حاله إلا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير أن تقفوا على كنهها وكيفيتها وأسبابها ولا أن تقدروا على دفع أدنى شيء منها ونحن المتولون لتفاصيل أحواله بعلمنا وقدرتنا أو بملائكة الموت الذين يقبضون روحه. ﴿ولكن لا تبصرون﴾ لا تدركون كنه ما يجري عليه لجهلكم بشؤوننا فقوله: لا تبصرون من البصيرة لا من البصر والأقرب تفسيره بقوله: لا تدركون كوننا أعلم به منكم كما في «حواشي سعدي المفتي». قال البقلي رحمه الله: قرب الله بالتفاوت قرب بالعلم وقرب بالإحاطة وقرب بالفعل وقرب بالصفة وقرب بالقهر وقرب باللطف والمسافة والمكان منفي على ذاته وصفاته ولكن يتجلى لقلوب من عين العظمة لإذابتها برؤية القهر ولقلوب من عين الجمال ليعرفها الاصطفائية وذلك القرب لا يبصره إلا أهل القرب وشواهده ظاهرة لأهل المعرفة وفي الخطاب تحذير وترهيب ﴿فلولا﴾ بمعنى هلا ﴿إن كنتم غير مدينين﴾ أي: غير مربوبين مملوكين أذلاء من دان السلطان رعيته إذا ساسهم واستعبدهم، وفي «المفردات»: أو غير مجزيين فإن الدين الجزاء أيضاً وهو ناظر إلى قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧﴾ [الواقعة: ٥٧] فإن التحضيض يستدعي عدم المحضض عليه حتماً ﴿ترجعونها﴾ أي: النفس إلى مقرها وتردون روح ميتكم إلى بدنه من الرجع وهو الرد العامل في إذا والمحضض عليه بلولا الأولى والثانية مكررة للتأكيد وهي مع ما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى إن كنتم غير مربوبين كما ينبىء عنه عدم تصديقكم بخلقنا إياكم فهلا ترجعون النفس إلى مقرها عند بلوغها الحلقوم. ﴿إن كنتم صادقين﴾ في اعتقادكم فإن عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم أي فإذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن الأمر إلى غيركم وهو الله تعالى فآمنوا به وهو تكرير للتأكيد لا من اعتراض الشرط إذ لا معنى له هنا.

﴿فأما إن كان من المقربين﴾ هو قرب درجاتهم من العرش لا من الله من حيث الجهة حسبما قال به الحشوية وهو شروع في بيان حال المتوفى بعد الممات إثر بيان حاله عند الوفاة أي فأما إن كان المتوفى من المقربين وهم أجل الأزواج الثلاثة.

﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢﴾.

﴿فروح﴾ أي فله استراحة وقرىء بضم الراء وفسر بالرحمة لأنها سبب لحياة المرحوم فإطلاقه على الرحمة استعارة تصريحية وبالحياة الدائمة التي لا موت فيها، قال بعضهم: الروح يعبر به عن معان فالروح روح الأجسام الذي يقبض عند الممات وفيه حياة النفس والروح جبرائيل لأنه كان يأتي الأنبياء بما فيه حياة القلوب وعيسى روح الله لأنه كان من نفخ جبرائيل وأضيف إلى الله تعظيماً وكلام الله روح لأنه حياة من الجهل وموت الكفر ورحمة الله روح كقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] أي برحمة والروح الرزق لأنه حياة الأجساد وفي «القاموس»: الروح بالضم ما فيه الروح ما به حياة الأنفس وبالفتح الراحة والرحمة ونسيم

الريح ومكان روحاني طيب والروحاني بالضم ما فيه الروح وفي كتاب «الملل والنحل». الروحاني بالضم من الروح والروحاني بالفتح من الروح والروح متقاربان فكأن الروح جوهر والروح حالته الخاصة به انتهى. ﴿وريحان﴾ ورزق أو هو ما يشم وعن أبي العالية: لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى ببعض من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض روحه. وقال الزجاج: الريحان هنا التحية لأهل الجنة. يكى از بزركان دين كفته است كه روح وريحان هم در دنياست هم در عقبى روح در دنياست وريحان در عقبى روح آنست كه دل بنده مؤمن را بنظر خويش بيار ايدتا حق ازباطل واشناسد انكه بعلم فراخ كند تا قدرت دران جاى يابد آنكه بينا كند تابنور منت مى بيند شنوا كند تاپند ازلى مى شنود پاك كند تاهمه صحبت او جويد بعطر وصال خوش كند تادران مهر دوست رويد بنور خويش روشن كند تا از وبار ديكر بصيقل عنايت بزد ايد تادر هرچه نكرد اورا بيند بنده چون بدين صفت بسراى سعادت رود آنجا ريحان كرامت بيند نسيم انس ازباغ قدس دميده زير درخت وجود تخت رضا نهاده بساط انس كسترده شمع عطف افروخته وبر فلك نشسته ودوست ازلى پرده بر كرفته بسمع بنده سلام رسانيده وديدار ذو الجلال نموده. ﴿وجنة نعيم﴾ أي: ذات تنعم فالإضافة لأدنى الملابسة. وقال الكاشفي: بوستان پرنعمت. قال بعض أهل الحقيقة: فله روح الوصال وريحان الجمال وجنة الجلال لروحه روح الإنس ولقلبه ريحان القدس ولنفسه جنة الفردوس أو الروح النظر إلى وجه الجبار والريحان الاستماع لكلامه وجنة النعيم هو أن لا يحجب العبد فيها عن مولاه إذا قصد زيارته وللمقربين ذلك في دار الدنيا وروحهم المشاهدة وريحانهم سرور الخدمة وجنة النعيم السرور بذكره، وقال بعضهم: الروح للعابدين والريحان للعارفين وجنة النعيم لعوام المؤمنين أو فله روح الشهود الذاتي وريحان السرور وجنة نعيم اللذات بالوصول إليها والدخول فيها.

يقول الفقير: الروح للنفوس والأجساد لأنها تستريح بعد الموت برفع التكاليف عنها وإن كان أهل الله على نشاط دائم في باب الخدمة لأن التعب يرتفع بالوصول إلى الله لكونه من آثار النفس والطبيعة ولا نفس ولا طبيعة بعد الوصول والريحان للقلوب والأرواح ولذا حبب إلى النبي عليه السلام الطيب لأنه يوجد فيه ذوق الإنس والمحاضرة وجعل عليه السلام الولد من الريحان لأنه يشم كما يشم المشموم وأنه من تنزلات أبيه كما أن القلوب من تنزلات الأرواح والأرواح من تنزلات الأسرار ووجد عليه السلام نفس الرحمن من قبل اليمن وإنما وجده قلبه وروحه وكان ذلك النفس عصام الدين عم أويس القرني وكان حينئذ قطب الأبدال وكان عليه السلام يستنشق بحس شمه أيضاً روائح الجنة ونحوها وجنة نعيم للأسرار وهي الجنة المضافة إلى الله تعالى في قوله: ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٣٠] وعند دخولهم هذه الجنة لا يراهم أحد أبداً لعلو طبقتهم ورفعة درجتهم فلا يعرفهم أحد لا في الدنيا ولا في العقبى فهم من قبيل المعلوم المجهول.

﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين﴾ عبر عن السابقين بالمقربين لكونه أجل أوصافهم وعبر عن أصحاب اليمين بالعنوان السابق إذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف واحد ينبىء عن شأنهم سواه كما ذكر للفريقين الآخرين واستعير اليمين للتيمن والسعادة قاله الراغب.

﴿فسلام لك﴾ يا صاحب اليمين ﴿من أصحاب اليمين﴾ من إخوانك يسلمون عليك عند الموت وبعده فيكون السلام إشارة له أنه من أهل الجنة قال في «الإرشاد»: هذا إخبار من جهته

تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية لإنشاء سلام بعضهم على بعض وإلا لقيل عليك والالتفات إلى خطاب كل واحد منهم للتشريف. قال سهل رحمه الله: أصحاب اليمين هم الموحدون أي العاقبة لهم بالسلامة لأنهم أمناء الله قد أدوا الأمانة يعني أمره ونهيه لم يحدثوا شيئاً من المعاصي والزلات قد أمنوا الخوف والهول الذي ينال غيرهم وحقيقته أن المقربين أصحاب الشهود الذاتي وأصحاب اليمين أصحاب الشهود الأسمائي والصفاتي فله السلامة من اسمه السلام على لسان إخوانه الأسمائية نسأل الله لي ولكم السلامة والنجاة والأنس والحضور والشهود في أعلى المقامات والدرجات ﴿**وأما إن كان من المكذبين الضالين**﴾ وهم أصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان أحوالهم بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الواقعة: ٥١] ذماً لهم بذلك وإشعاراً بسبب ما ابتلوا به من العذاب وهو تكذيب البعث ونحوه والضلال عن الحق والهدى.

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

﴿**فنزل**﴾ أي فله نزل كائن ﴿**من حميم**﴾ يشرب بعد أكل الزقوم كما فصل فيما قبل وبالفارسية پس مراوراست پيشكش درقبر ازاب كرم كرده دردوزخ بادود آتش دوزخ.

﴿**وتصلية جحيم**﴾ أي: إدخال في النار وقيل: إقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها وقيل: ذلك ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها يقال: أصلاه النار وصلاه أي جعله يصلاها والمصدر هنا مضاف إلى المفعول.

﴿**إن هذا**﴾ أي الذي ذكر في هذه السورة الكريمة. ﴿**لهو حق اليقين**﴾ أي حق الخبر اليقين فهو من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة على الاتساع والمجاز وقيل: الحق الثابت من اليقين أي الحق الثابت الذي لا يطرأ عليه التبدل والتغير وقال أبو الليث: أي يقين حق اليقين انتهى واليقين علم يحصل به ثلج الصدور ويسمى برد اليقين فهو العلم الذي يحصل به اطمئنان النفس ويزول ارتيابها واضطرابها والمراد هنا المعلوم المتيقن به لأن المبتدأ عبارة عن المعلوم فيجب أن يكون الخبر أيضاً كذلك. التقدير: إن هذا لهو ثابت الخبر المتيقن به أي الثابت منه على أن الإضافة بمعنى من، وفي «فتح الرحمن»: هذه عبارة فيها مبالغة لأنها بمعنى واحد كما تقول في أمر تريد توكده: هذا يقين اليقين وصواب الصواب بمعنى أنه نهاية الصواب فهي عبارة مبالغة وتأكيدٌ معناه أن هذا الخبر هو نفس اليقين وحقيقته انتهى.

قال ابن الملك: إضافة العلم إلى اليقين إضافة الشيء إلى مرادفه كما فعلوا مثل ذلك في العطف وفي «شرح النصوص» بالنون العلم اليقيني هو العلم الحاصل بالإدراك الباطني بالفكر الصائب والاستدلال وهذا للعلماء الذين يوقنون بالغيب ولا تزيد هذه المرتبة العلمية إلا بمناسبة الأرواح القدسية فإذاً يكون العلم عيناً ولا مرتبة للعين إلا اليقين الحاصل من مشاهدة المعلوم ولا تزيد هذه المرتبة إلا بزوال حجاب الاثنينية فإذاً يكون العين حقاً ولا مرتبة للحق إلا الإدراك بأحدية جمعك، أي بحقيقتك المشتملة على المدركات الظاهرة والباطنة والجامعة بين روحانيتك وجسمانيتك أي يدركها بها إدراكاً يستوعب معرفة كل ما اشتملت عليه حقيقة المدرك من الأمور الظاهرة والباطنة وهو حال الكامل وصفة من صار قلبه مستوي الحق الذي قد وسعه كما أخبره لأنه حال جمع الجمع وزيادة هذه المرتبة أي حق اليقين عدم ورود الحجاب بعده

وعينه للأولياء وحقه للأنبياء. وأما حقيقة اليقين وهو باطن حق اليقين فهو لنبينا عليه السلام وهذه الدرجات والمراتب لا تحصل إلا بالمجاهدة مثل دوام الوضوء وقلة الأكل والذكر والسكوت بالفكر في ملكوت السموات والأرض وبأداء السنن والفرائض وترك ما سوى الحق والغرض وتقليل المنام والعرض وأكل الحلال وصدق المقال والمراقبة بقلبه إلى الله تعالى فهذه مفاتيح المعاينة والمشاهدة انتهى. وقال ابن عطاء رحمه الله: إن هذا القرآن لحق ثابت في صدور الموقنين وأهل اليقين وهو الحق من عند الحق فلذلك تحقق في قلوب المحققين واليقين ما استقر في قلوب أوليائه، وقد قال سيدنا علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً.

حال خلد وجحيم دانستم بيقين انچنانكه مى بايد
كر حجاب ازميانه بركيرند آن يقين ذره نيفزا يد

يعني اكر احوال آخرت منكشف شود وجمله را معاينه كنم يك ذره در يقين من زياده نشود كه علم اليقين من امروز چوعين اليقين منست در فردا. وقال عليه السلام: «اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي ويقيناً ليس بعده كفر» وهو اليقين الحاصل بالعيان وظهور الحقيقة ولذا نقول: أهل علم اليقين ذو خطر لا يحصل منه الإرشاد بخلاف أهل عين اليقين فإنه قطب إرشاد وبخلاف أهل حق اليقين فإنه قطب الأقطاب فالتجليات ثلاثة: تجلي علمي وتجلي عيني وتجلي حقي فالأول كعلم الكعبة علماً ضرورياً من غير رؤية والثاني مثل رؤيتها من بعيد والثالث كدخولها قال قتادة: إن الله ليس تاركاً أحداً من الناس حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن أما المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه. قال المولى الجامي:

سيراب كن زبحر يقين جان تشنه را زين بيش خشك لب منشين برسراب ريب

﴿فسبح﴾ يا محمد ﴿باسم ربك العظيم﴾ الفاء لترتيب التسبيح أو الأمر به على ما قبلها فإن حقية ما فصل في تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الأمور التي من جملتها الإشراك به والتكذيب بآياته الناطقة بالحق وقال أبو عثمان قدس سره: فسبح شكراً لما وفقنا أمتك إليه من التمسك بسنتك، وفي «فتح الرحمن»: هذه عبارة تقتضي الأمر بالإعراض عن أقوال الكفار وسائر أمور الدنيا المختصة بها وبالإقبال على أمور الآخرة وعبادة الله والدعاء إليه.

ـ روي ـ أنه لما نزل: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ قال عليه السلام: «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزل ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١] قال: «اجعلوها في سجودكم» وكان عليه السلام يقول في ركوعه: «سبحان ربي العظيم» وفي سجوده «سبحان ربي الأعلى» وسر اختصاص سبحان ربي العظيم بالركوع والأعلى بالسجود أن الأول إشارة إلى مرتبة الحيوان والثاني إشارة إلى مرتبة النبات والجماد فلا بد من الترقي في التنزيه والحق سبحانه فوق التحت كما أنه فوق الفوق ونسبة الجهات إليه على السواء لنزاهته عن التقيد بالجهات فلهذا شرع التسبيح في الهبوط واختلف الأئمة في التسبيح المذكور في الصلاة فقال أحمد: هو واجب تبطل الصلاة بتركه عمداً ويسجد لتركه سهواً، والواجب عنده مرة واحدة وأدنى الكمال ثلاث وقال أبو حنيفة والشافعي: هو سنة وقال مالك: يكره لزوم ذلك لئلا يعد واجباً فرضاً، والاسم

هنا بمعنى الجنس أي بأسماء ربك والعظيم صفة ربك. در خبرست كه عثمان بن عفان رضي الله عنه عيادت كرد عبدالله بن مسعود را رضي الله عنه در بيمارى مرك كفت يا عبد الله أين ساعت ازچه مى نالى كفت اشتكى ذنوبي يعني بر كناهان خود مى نالم عثمان كفت چه آرزوست ترا درين وقت كفت رحمة ربي يعني آرزوى من آنست كه الله تعالى برمن رحمت كند وبر ضعف وعجز من ببخشايد عثمان كفت أفلا ندعو الطبيب يعني طبيب را خوانيم تادرد ترا مداوات كند كفت الطبيب امرضني يعني طبيب مرا بروز بيمارى افكند كفت خواهى تاترا عطايى فرمايم كه ببعضي حاجتهاى خود صرف كنى كفت لا حاجة لي به يعني وقتي مرا باين حاجت نيست وهيچ دربايست نيست كفت دستورى هست تابدخترانت دهم ناچار ايشانرا حاجت بود كفت نه كه ايشانرا حاجت نيست واكر حاجت بود به ازين من ايشانرا عطايى داده ام كفته ام كه بوقت حاجت وضرورت سورة الواقعة برخوانيدكه من از رسول خدا شنيدم كه عليه السلام: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً» قال سعدي المفتي: هو حديث صحيح وفي حديث آخر: «من داوم على قراءة سورة الواقعة لم يفتقر أبداً» قال ابن عطية: فيها ذكر القيامة وحظوظ الناس في الآخرة وفهم ذلك غنى لا فقر معه ومن فهمه يشتغل بالاستعداد قال الغزالي رحمه الله في «منهاج العابدين» قراءة هذه السورة عند الشدة في أمر الرزق والخصاصة شيء وردت به الأخبار المأثورة عن النبي عليه السلام وعن الصحابة رضي الله عنهم حتى ابن مسعود رضي الله عنه حين عوتب في أمر ولده إذ لم يترك لهم الدنيا قال: لقد خلفت لهم سورة الواقعة فإن قلت: إرادة متاع الدنيا بعمل الآخرة لا تصح قلت مراده أن يرزقهم الله تعالى قناعة أو قوتاً يكون لهم عدة على عبادة الله تعالى وقوة على درس العلم وهذه من جملة إرادة الخير دون الدنيا فلا رياء انتهى كلامه. وعن هلال بن يساف عن مسروق قال: من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين ونبأ أهل الجنة وأهل النار ونبأ الدنيا ونبأ الآخرة فليقرأ سورة الواقعة.

تمت سورة الواقعة بعون الله تعالى في أوائل صفر الخير
من سنة خمس عشرة ومائة وألف

٥٧ ـ سورة الحديد

مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾.

﴿سبح لله ما في السموات والأرض﴾ التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقاداً وقولاً وعملاً عما لا يليق بجنابه سبحانه، بدأ الله بالمصدر في الإسراء لأنه الأصل ثم بالماضي في الحديد والحشر والصف لأنه أسبق الزمانين ثم بالمستقبل في الجمعة والتغابن ثم بالأمر في الأعلى استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها، ففيه تعليم عباده استمرار وجود التسبيح منهم في جميع الأزمنة والأوقات والحاصل أن كلاً من صيغتي الماضي والمضارع جردت عن الدلالة على مدلولها من الزمان المخصوص فأشعر باستمراره في الأزمنة لعدم ترجيح البعض على البعض فالمكونات من لدن إخراجها من العدم إلى الوجود مسبحة في كل الأوقات لا يختص تسبيحها بوقت دون وقت بل هي مسبحة أبداً في الماضي وتكون مسبحة أبداً في المستقبل وفي الحديث: «أفضل الكلام أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت» وسئل علي رضي الله عنه عن سبحان فقال: كلمة رضي الله لنفسه، وسبح متعد بنفسه كما في قوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح: ٩] واللام إما مزيدة للتأكيد كما في نصحت له وشكرت له في نصحته وشكرته أو للتعليل والفعل منزل منزلة اللازم أي فعل التسبيح وأوقعه وأحدثه لأجل الله تعالى وخالصاً لوجهه والمراد بما في السموات والأرض جميع المخلوقات من حي وجماد وجاء بما تغليباً للأكثر مع أن أكثر العلماء على أن ما يعم العقلاء وغيرهم والمراد بتسبيح الكل تسبيح عبادة ومقال كما قال بعض الكبار: قد أخذ الله بأبصار الإنس والجن عن إدراك حياة الجماد إلا من شاء الله والأشياء كلها إنما خلقت له سبحانه لتسبح بحمده وأما انتفاعنا بها إنما هو بحكم التبعية لا بالقصد الأول.

قال الحسن البصري رحمه الله: لولا ما يخفى عليكم من تسبيح من معكم في البيوت ما تقاررتم ثم، وقال بعضهم: لا يصدر عن الحي إلا حي ولو وجد من العالم موجود غير حي لكان غير مستند إلى حقيقة إلهية وذلك محال فالجماد ميت في نظر المحجوب حي في نفس الأمر لا ميت لأن حقيقة الموت مفارقة حي مدبر لحي مدبر والمدبر والمدبر حي والمفارقة نسبة عدمية لا وجودية فإن الشأن إنما هو عزل عن ولاية وانتقال من دار إلى دار وليس من شرط الحي أن يحس لأن الإحساس والحواس أمر معقول زائد على كونه حياً وإنما هما من شرط العلم وقد لا يحس وقد لا

يحس وتأمل صاحب الآكلة إذا أكل ما يغيب به إحساسه كيف يقطع عضوه ولا يحس به مع أنه حي ليس بميت وقال بعضهم: كل شيء في العالم يسبح الله بحمده الذي أطلعه الله على أنه حمد به نفسه ويختلف ذلك باختلافهم إلا الإنسان خاصة فإن بعضه يسبح بغير حمده ولا يقبل من الحق بعض ما أثنى به على نفسه فهو يؤمن ببعض وهو قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ويكفر ببعض وهو تنزيه الله عما أضافه إلى نفسه ووصف نفسه به من التشبيه بالمحدثات فقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٧] أي بالثناء الذي أثنى به الحق على نفسه وأنزله على ألسنة رسله لا بما ولده العقل فإن الله تعالى قال في حق من سبح الحق بعقله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات: ١٨٠] أعلا ما لنا أنه وراء كل ثناء وأهل الله تعالى لا بد لهم في سلوكهم من سماع تسبيح كل شيء بلسان طلق لا لسان حال كما يعتقده بعضهم ثم إن الله تعالى من رحمته يأخذ أسماعهم بعد تحققهم ذلك ويبقى معهم العلم لأنه لو أسمعهم ذلك على الدوام لطاشت عقولهم وفي الحديث: «إن كل شيء من الجماد والحيوان يسمع عذاب القبر إلا الثقلين» فثبت أن السموات والأرض بجميع أجزائهما وما فيهما من الملك والشمس والقمر والنجوم والإنس والجن والحيوان والنبات والجماد لها حياة وفهم وإدراك وتسبيح وحمد كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ١٧] واعلم أن الله تعالى هو المسبح اسم مفعول في مقام التفصيل والمسبح اسم فاعل في مقام الجمع فالتسبيح تنزيه الحق بحسب مقام الجمع والتفصيل من النقائص الإمكانية ومن الكمالات الإنسانية المختصة من حيث التقيد والتعين. ﴿وهو العزيز﴾ بقدرته وسلطانه لا يمانعه ولا ينازعه شيء. ﴿الحكيم﴾ بلطفه وتدبيره لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة وفيه إشعار بعلية الحكم فإن العزة وهي الغلبة على كل شيء تدل على كمال القدرة والحكمة تدل على كمال العلم والعقل يحكم بأن الموصوف بهما يكون منزهاً عن كل نقص كالعجز والجهل ونحوهما ولذا كان الأمن كفراً لأن فيه نسبة العجز إلى الله تعالى وكذا اليأس لأن فيه نسبة البخل إلى الله الجواد.

﴿له ملك السموات والأرض﴾ أي التصرف الكلي ونفوذ الأمر فيهما وما فيهما من الموجودات من حيث الإيجاد والإعدام وسائر التصرفات مما نعلم وما لا نعلم.

يقول الفقير: فإن قلت: كيف أضاف الملك إلى ما هو متناه وكمال ملكه تعالى غير متناه؟ قلت: إن للسموات والأرض ظاهراً وهو ما كان حاضراً ومرئياً من عالم الملك وهو متناه لأنه من قبيل الأجسام والصور وباطناً وهو ما كان غائباً غير محسوس من أسرارهما وحقائقهما وهو غير متناه لأنه من عالم الملكوت والمعاني فإضافة الملك إلى الله تعالى إضافة مطلقة يندرج تحتها الملك والملكوت وهما غير متناهيين في الحقيقة ألا ترى أن القرآن لا تنقضي عجائبه فهو بحر لا ساحل له من حيث أسراره ومن حيث إن المتكلم به هو الذي لا نهاية له وإن كان أي القرآن متناهياً في الظاهر والحس فالمراد بالملك هو الملك الحقيقي لأن ملك البشر مجاز كما سيتضح بياناً في هذه السورة. ﴿يحيي ويميت﴾ استئناف مبين لبعض أحكام الملك أي يحيي الموتى والنطف والبيض ويميت الأحياء ومعنى الإحياء والإماتة جعل الشيء حياً وجعله ميتاً وقد يستعاران للهداية والإضلال في نحو قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] وهو يحيي القلوب بتجلي اسم المحيي ويميت النفوس بتجلي اسم المميت أو

يحيي النفوس بموت القلوب ويميت القلوب بحياة النفوس على طريق المغالبة، وقال ابن عطاء رحمه الله: هو مالك الكل وله الملك أجمع يميت من يشاء بالاشتغال بالملك ويحيي من يشاء بالإقبال على الملك. ﴿وهو على كل شيء﴾ من الأشياء التي من جملتها ما ذكر من الإحياء والإماتة على مقتضى الحكمة والإرادة ﴿قدير﴾ تام القدرة فإن الصيغة للمبالغة.

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾

﴿هو الأول﴾ السابق على سائر الموجودات بالذات والصفات لما أنه مبدئها ومبدعها فالمراد بالسبق والأولية هو الذاتي لا الزماني فإن الزمان من جملة الحوادث أيضاً. ﴿والآخر﴾ الباقي بعد فنائها حقيقة أو نظراً إلى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فإن جميع الموجودات الممكنة إذا قطع النظر عن علتها فهي فانية.

أول أو أول بــي ابــتــداء   آخــر أو آخــر بــي انــتــهــا
بود ونبود اين چه بلندست وپست   باشد واين نيز نباشد كه هست

﴿والظاهر﴾ وجود الكثرة دلائله الواضحة. ﴿والباطن﴾ حقيقة فلا يحوم العقل حول إدراك كنهه وليس يعرف الله إلا الله وتلك الباطنية سواء في الدنيا والآخرة فاضمحل ما في «الكشاف» من أن فيه حجة على من جوز إدراكه في الآخرة بالحاسة وذلك فإن كونه باطناً بكنه حقيقته لا ينافي كونه مرئياً في الآخرة من حيث صفاته. ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ لا يعزب عن علمه شيء من الظاهر والخفي فإن عليم صيغة مبالغة تدل على أنه تعالى تام العلم بكل شيء جليه وخفيه وفي هذا المقام معان أخر هو الأول الذي تبتدأ منه الأسباب والآخر الذي تنتهي إليه المسببات، أي إذا نظرت إلى سلسلة الموجودات المتكونة بعضها من بعض وجدت الله مبدأ تلك السلسلة ومنتهاها تبتدىء منه سلسلة الأسباب وتنتهي إليه سلسلة المسببات ولذا قالوا: لا تعتمد على الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا شرك في توحيد الأفعال وجهل بحقائق الأمور ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح لا يتحرك بنفسه بل له محرك إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا محرك له ولا يتحرك هو في نفسه أيضاً بل هو منزه عن ذلك وعما يضاهيه والظاهر أي الغالب على كل شيء والباطن أي العالم بباطن كل شيء على أن يكون الظاهر من ظهر عليه إذا علاه وغلب والباطن من بطنه إذا علم باطنه ولم يرتضه الزمخشري لفوات المطابقة بين الظاهر والباطن حينئذ.

- وروي - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخلت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فسألته خادماً فقال لها عليه السلام: «ألا أدلك على ما هو خير لك من ذلك أن تقولي: اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء منزل التوراة والإنجيل والفرقان فالق الحب والنوى أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر» عنى بالظاهر الغالب والباطن العالم ببواطن الأشياء يعني: أنه الغالب الذي يغلب كل شيء ولا يغلب عليه فيتصرف في المكونات على سبيل الغلبة

والاستيلاء إذ ليس فوقه أحد يمنعه والعالم ببواطن الأشياء فهو الملجأ والمنجي يلتجىء إليه كل ملتجيء لا ملجأ ولا منجى دونه أي غيره وقال الإمام: احتج كثير من العلماء في إثبات أن الإله واحد بقوله: ﴿هو الأول﴾ قالوا: الأول هو الفرد السابق ولهذا لو قال أحد: أول مملوك اشتريته فهو حر ثم اشترى عبدين لم يعتقا لأن شرط كونه أولاً حصول الفردية وهنا لم تحصل فلو اشترى بعد ذلك عبداً واحداً لم يعتق لأن شرط الأولية كونه سابقاً وهاهنا لم يحصل فثبت أن الشرط في كونه أولاً أن يكون فرداً فكانت الآية دالة على أن صانع العالم واحد فرد وأيضاً هو الأول خارجاً لأنه موجد الكل والآخر ذهناً كما يدل عليه براهين إثبات الصانع أو بحسب ترتيب سلوك العارفين فإذا نظرت إلى ترتيب السلوك ولاحظت منازل السالكين السائرين إليه تعالى فهو آخر ما يرتقي إليه درجات العارفين وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهي مرقاة إلى معرفته والمنزل الأقصى هو معرفة الله فهو آخر بالإضافة إلى السلوك في درجات الارتقاء في باب المعارف وأول بالإضافة إلى الوجود الخارجي فمنه المبتدأ أولاً وإليه المرجع آخراً، وقال بعض الكمل: هو الأول باعتبار بدء السير نزولاً والآخر باعتبار ختم السير عروجاً والظاهر بحسب النظر إلى وجود الحق والباطن بحسب النظر إلى وجود الخلق وهذا ما قالوا إن ظاهر الحق باطن الخلق وباطن الخلق ظاهر الحق لأن الهوية برزخ بينهما لا يبغيان وبالنظر إلى الحق هوية إلهية وبالنظر إلى الخلق هوية كونية وهذه مرتبة قاب قوسين وفوقها مرتبة أو أدنى وتكلم يوماً عند الشبلي رحمه الله في الصفات فقال: اسكتوا فإن ثمة متاهات لا يخرقها الأوهام ولا تحويها الأفهام وكيف يمكن الكلام في صفات من تجتمع فيه الأضداد من قوله: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ خاطبنا على قدر أفهامنا وقال الراغب: الأول هو الذي يترتب عليه غيره ويستعمل على أوجه أولها: المتقدم بالزمان كقولك: عبد الملك أولاً ثم منصور والثاني: المتقدم بالرياسة في الشيء وكون غيره محتذياً به نحو الأمير أولاً ثم الوزير والثالث: المتقدم بالوضع والنسبة كقولك للخارج من العراق: القادسية أولاً ثم فيد وهي قرية في البادية على طريق الحاج وللخارج من مكة فيد أولاً ثم القادسية والرابع: المتقدم بالنظام الصناعي نحو أن يقال: الأساس أولاً ثم البناء وإذا قيل في صفة الله هو الأول فمعناه: الذي لم يسبقه في الوجود شيء وإلى هذا يرجع قول من قال: هو الذي لا يحتاج إلى غيره ومن قال: هو المستغني بنفسه والظاهر والباطن في صفة الله لا يقال: مزدوجين كالأول والآخر فالظاهر قيل: إشارة إلى معرفتنا البديهية فإن الفطرة تقضي في كل ما نظر إليه الإنسان أنه تعالى موجود كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] ولذلك قال بعض الحكماء: مثل طالب معرفته مثل من طوف الآفاق في طلب ما هو معه والباطن إشارة إلى معرفته الحقيقية وهي التي أشار إليها أبو بكر الصديق رضي الله عنه بقوله: يا من غاية معرفته القصور عن معرفته وقيل: ظاهر بآياته باطن بذاته وقيل: ظاهر بأنه محيط بالأشياء مدرك لها باطن في أن يحاط به كما قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وهو يدرك الأبصار وقد روي عن أمير المؤمنين ما دل على تفسير اللفظين حيث قال: تجلى لعباده من غير أن يروه وأراهم نفسه من غير أن تجلى لهم ومعرفة ذلك تحتاج إلى فهم ثاقب وعقل واقد كما في «المفردات» وأيضاً هو الأول في عين آخريته والآخر في عين أوليته والظاهر في عين باطنيته والباطن في عين ظاهريته من حيثية واحدة وباعتبار واحد في آن واحد لاقتضاء ذاته المطلقة عن هذه الاعتبارات المختلفة

والحيثيات المتنافرة المتباينة لإحاطته بالكل واستغنائه عن الكل قيل للعارف الرباني أبي سعيد الخراز قدس سره: بم عرفت الله؟ قال: بجمعه بين الأضداد فتلا: ﴿**هو الأول والآخر والظاهر والباطن**﴾ ولا يتصور الجمع بين الأضداد إلا من حيثية واحدة واعتبار واحد في آن واحد وهو بكل شيء من الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية عليم إذ علمه عين ذاته وذاته محيط بالأشياء كما قال: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: ٥٤] كما في «التأويلات النجمية» وقال الواسطي رحمه الله: لم يدع للخلق نفساً بعدما أخبر عن نفسه هو الأول والآخر والظاهر والباطن وقال أيضاً: من كان حظه من اسمه الأول كان شغله بما سبق ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مربوطاً بما يستقبل ومن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى في السر من أنواره وقال أيضاً: حظوظ الأنبياء عليهم السلام مع تباينها من أربعة أسماء وقيام كل فريق منهم باسم منها فمن جمعها كلها فهو أوسطهم ومن فني عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام وهي قوله ﴿**هو الأول**﴾ الخ وقال أيضاً: من ألبسه الأولية فالتجلي له في الآخرية محال لأنه لا يتجلى إلا لمن فقده أو كان بعيداً عنه فقربه وقال الجنيد قدس سره: نفي القدم عن كل أول بأوليته ونفي البقاء عن كل آخر بآخريته واضطر الخلق إلى الإقرار بربوبيته بظاهريته وحجب الأفهام عن إدراك كنهه وكيفيته بباطنيته. وقال السدي: هو الأول ببره إذ عرفك بتوحيده والآخر بجوده إذ عرفك التوبة عن ما جنيت والظاهر بتوفيقه إذ وفقك للسجود له والباطن بستره إذا عصيته يستر عليك. وقال ابن عمر رضي الله عنه: هو الأول بالخلق والآخر بالرزق والظاهر بالإحياء والباطن بالإماتة وأيضاً الأول بلا تأويل أحد والآخر بلا تأخير أحد والظاهر بلا إظهار أحد والباطن بلا إبطال أحد والأول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحليم والباطن العليم والأول يكشف أحوال الدنيا حتى لا يرغبوا فيها والآخر يكشف أحوال العقبى حتى لا يشكوا فيها والظاهر على قلوب أوليائه حتى يعرفوه والباطن على قلوب أعدائه حتى ينكروه والأول بالأزلية والآخر بالأبدية والظاهر بالأحدية والباطن بالصمدية والأول بالهيبة والآخر بالرحمة والظاهر بالحجة والباطن بالنعمة والأول بالعطاء والآخر بالجزاء والظاهر بالثناء والباطن بالوفاء والأول بالهداية والآخر بالكفاية والظاهر بالولاية والباطن بالرعاية. صاحب «كشف الأسرار» فرموده كه زبان رحمت ازروى اشارت ميكويد اى فرزند آدم خلق درحق توچهار كروه اند اول كروهى كه در اول حال ترابكار آيند چون پدر ومادر دوم جمعى كه در آخر زندكانى دست كيرند چون اولاد وأحفاد سوم زمره كه آشكارا باتو باشند چون دوستان وياران. چهارم فرفه كه پنهان باتو معاش كنند چون زنان وكنيزان. رب العالمين ميفرمايد كه اعتماد برينها مكن وكار ساز خود ايشانرا مپنداركه اول منم كه ترا از عدم بوجود آوردم آخر منم كه باز كشت توبمن خواهد بود ظاهر منم كه صورت توبخوبتر وجهي بيار استم باطن منم كه اسرار وحقايق درسينه توويعت نهادم:

اول وآخر تويى كيست حدوث وقدم ظاهر وباطن تويى چيست وجود وعدم
اول بى انتقال آخر بي ارتحال ظاهر بي چند وچون باطن بى كيف وكم

ويقال: هو الأول خالق الأولين والآخر خالق الآخرين والظاهر خالق الآدميين وهم ظاهرون والباطن خالق الجن والشياطين وهم لا يظهرون وقال الترمذي: هو الأول بالتأليف والآخر بالتكليف والظاهر بالتصريف والباطن بالتعريف والأول بالإنعام والآخر بالإتمام والظاهر

بالإكرام والباطن بالإلهام وقال بعض المحققين من أهل الأصول: هذا مبالغة في نفي التشبيه لأن كل من كان أولاً لا يكون آخراً وكل من كان ظاهراً لا يكون باطناً فأخبر أنه الأول الآخر الظاهر الباطن ليعلم أنه لا يشبه شيئاً من المخلوقات والمصنوعات وقال بعض المكاشفين: هو الأول إذ كان هو ولم تكن صور العالم كما قال عليه السلام: «كان الله ولا شيء معه» فهو متقدم عليها وهذا التقدم هو المراد بالأولية وهو الآخر إذ كان عين صور العالم عند ظهورها ولها التأخر فهو باعتبار ظهوره بها له الآخرية فالآخر عين الظاهر والباطن عين الأول هذا باعتبار التنزل من الحق إلى الخلق وأما باعتبار الترقي من الخلق إلى الحق فالآخر عين الباطن والظاهر عين الأول وقال الإمام الغزالي رحمه الله: لا تعجبن من هذا في صفات الله فإن المعنى الذي به الإنسان إنسان ظاهر باطن فإنه ظاهر إن استدل عليه بأفعاله المرئية المحكمة باطن إن طلب من إدراك الحس فإن الحس إنما يتعلق بظاهر بشريته وليس الإنسان إنساناً ببشريته المرئية منه بل لو تبدلت تلك البشرية بل سائر أجزائه فهو هو والأجزاء متبدلة ولعل أجزاء كل إنسان بعد كبره غير الأجزاء التي كانت فيه عند صغره، فإنها تحللت بطول الزمان وتبدلت بأمثالها بطريق الاغتذاء وهويته لم تتبدل فتلك الهوية باطنة عن الحواس ظاهرة للعقل بطريق الاستدلال عليها بآثارها وأفعالها.

وقال الزروقي: الأول الآخر هو الذي لا مفتتح لوجوده لا مختتم له بثبوت قدمه واستحالة عدمه وكل شيء منه بدأ وإليه يعود وإنما عطف بالواو لتباعد ما بين موقعي معناهما ومن عرف أنه الأول غاب عن كل شيء به ومن عرف أنه الآخر رجع بكل شيء إليه. وخاصية الأول جمع الشمل فإذا واظب عليه المسافر في كل يوم جمعة انجمع شمله. وخاصية الآخر صفاء الباطن عما سواه تعالى فإذا واظب عليه إنسان في كل يوم مائة مرة خرج من قلبه سوى الحق والظاهر الباطن هو الواضح الربوبية بالدلائل المحتجب عن الكيفية والأوهام فهو الظاهر من جهة التعريف الباطن من جهة التكييف ومجراهما في العطف مجرى الاسمين السابقين ومن عرف أنه الظاهر لم يستدل بشيء عليه ورجع بكل شيء إليه ومن عرف أنه الباطن استدل بكل شيء عليه ورجع به إليه وخاصية الظاهر إظهار نور الولاية على قلب قارئه إذا قرأه عند الإشراق وخاصية الباطن وجود النفس لمن قرأه في اليوم ثلاث مرات في كل ساعة زمانية ومن قال بعد صلاة ركعتين خمساً وأربعين مرة ﴿**هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم**﴾ حصل له ما طلبه أياً كان وقال بعض الكبار: حقيقة الأول هو الذي افتتح وجوده عن عدم وهذا منتف في حق الحق بلا شك فهو الأول لا بأولية تحكم عليه ولأجل ذلك سمى نفسه الآخر ولو كانت أوليته مثل أولية الموجودات لم يصح أن يكون آخراً إذ الآخر عبارة عن انتهاء الموجودات المقيدة فهو الآخر لا بآخرية تحكم عليه إذ آخريته عبارة عن فناء الموجودات كلها ذاتاً وصفة وفعلاً في ذاته وصفاته وأفعاله تعالى بظهور القيامة وأما غير الحق فله أولية تحكم عليه مثل قوله عليه السلام: «أول ما خلق الله العقل» أي أول ما افتتح به من العدم إلى الوجود العقل الذي هو نور محمد ﷺ وله آخرية تحكم عليه مثل قوله عليه السلام: «نحن الآخرون الأولون» وفي رواية «السابقون» يعني الآخرون في الظهور من حيث النشأة العنصرية الجسمانية الأولون في العلم الإلهي من حيث الظهور في النشأة الروحانية ومن صلى في أول الوقت من حيث أولية الحق المنزهة عن أن يتقدمها أولية الشيء فهو المصلي الصلاة لأول وقتها فتنسب

عبادة هذا المصلي من هناك إلى وقت وجود هذا المصلي فمن بادر لأول هذا الوقت فقد حاز الخير بكلتي يديه وهو مشهد نفيس أشاروا فيه بتلك الأولية إلى معنى اصطلحوا عليه لا إلى ما يتبادر لذهن غيرهم كما في كتاب «الجواهر» للشعراني رحمه الله.

يقول الفقير: عمل الشافعي رحمه الله بقوله عليه السلام: «أول الوقت رضوان الله» فصلى الفجر في أول وقته وعمل أبو حنيفة رضي الله عنه بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴿٤٠﴾﴾ [ق: ٤٠] وفي الأولية الآخرية وبالعكس ولكل وجهة بحسب الفناء والبقاء وقد أشير إلي في بعض الأسحار أن الكعبة وضعت عند الفجرة، أي: عند انفجار الصبح الصادق على ما بينت وجهه في كتاب «الواردات الحقية» نسأل الله النور.

﴿**هو الذي خلق السموات والأرض**﴾ بقدرته الكاملة وحكمته البالغة ﴿**في ستة أيام**﴾ من أيام الآخرة أو من أيام الدنيا قال ابن عطية: هو الأصوب أولها الأحد وآخرها الجمعة. تاملائكه مشاهده كنند حدوث انهارا چيزى پس ازچيزى وسنت تدريج وتأنى درهركار حاصل آيد. وكذا وقع الاختلاف في الأربعين التي خمر الله فيها طينة آدم هل هي بأيام الدنيا أو بأيام الآخرة وفيه إشارة إلى مراتب الصفات الست وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر أي هو الذي تجلى للأشياء كلها بذاته الموصوفة بالصفات الست إذ تجلي الوجود لا يكون إلا مع لوازمه ولواحقه كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] والتسبيح يستلزم الحياة وما يترتب عليها من العلم بالتسبيح وبالمسبح ومن القدرة على التسبيح والإرادة بتخصيص المسبح ومن السمع إذ كل مسبح لا بد له من استماع تسبيحه ومن البصر إذ لا بد لكل مسبح أن يشاهد المسبح في بعض مراتب الشهود كما في «التأويلات النجمية». ﴿**ثم استوى**﴾ أي استولى ﴿**على العرش**﴾ المحيط بجميع الأجسام برحمانيته لأن استوى متى عدي بعلى اقتضى معنى الاستيلاء وإذا عدي بإلى اقتضى معنى الانتهاء إليه إما بالذات أو بالتدبير قال بعض الكبار: هو محمول على التمثيل وقد سبق بيانه مراراً. قال الكاشفي: پس قصد كرد بتدبير عرش واجراء امور متعلقه بد وبر وفق ارادت.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني استتم وتمكن تجليه على عرش استعدادات المظاهر السماوية الروحانية والمظاهر الأرضية الجسمانية ما تجلى لعرش استعداد شيء إلا بحسب قابليته وقبوله لا زائد ولا ناقص كما قال العارف:

يكى مومى ازين كم نبايد همى ... وكر بيش باشد نشايد همى

﴿**يعلم ما يلج في الأرض**﴾ كالكنوز والدفائن والموتى والبذور وكالغيث ينفد في موضع وينبع في الآخر ولولوج الدخول في مضيق وفي المناسبات الدخول في الساتر لجملة الداخل ﴿**وما يخرج منها**﴾ كالجواهر من الذهب والفضة والنحاس وغيرها والزروع والحيوانات والماء وكالكنوز والموتى يوم القيامة. وفي «التأويلات النجمية» يعني يعلم بعلمه المحيط ما يدخل في أرض البشرية من بذور النباتات النفسانية مثل مخالفات الشرع وموافقات الطبع وزروع الأحوال القلبية من مخالفات الطبع وموافقات الشرع والواردات القلبية والإلهامات الغيبية وزروع الأذواق والوجدانيات من التجليات الرحمانية التنزلات الربانية لترتب الأعمال على النيات كما قال عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات». وقال أيضاً: «لكل امرىء ما نوى» إذ النية بمرتبة البذر والعمل بمرتبة الزرع والقلب والنفس والروح بمنزلة الأرض المستعدة لكل نوع من البذر وقال بعضهم:

يعلم ما يلج في أرض قلب المؤمن من الإخلاص والتوحيد وفي أرض قلب الكافر من الشك والشرك وما يخرج منها بحسب حالهما. ﴿وما ينزل من السماء﴾ كالكتب والملائكة والأقضية والصواعق والأمطار والثلوج ﴿وما يعرج فيها﴾ كالملائكة الذين يكتبون الأعمال والدعوات والأعمال والأرواح السعيدة والأبخرة والأدخنة وقال بعضهم: وما ينزل من السماء على قلوب أوليائه من الألطاف والكشوف وفنون الأحوال العزيزة وما يعرج من أنفاس الأولياء المشتاقين إذا تصاعدت حسراتهم وعلت زفراتهم. ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ في الأرض وهو تمثيل لإحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما داروا وفي الحديث: «أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان»:

يار باتست هركجا هستى جاى ديكر چه خواهى اي اوباش
باتودر زيرك كليم چاوست پس بر واى حريف خود راباش

قال موسى عليه السلام: أين أجدك يا رب؟ قال: يا موسى إذا قصدت إلي فقد وصلت إلي. في «التأويلات النجمية»: وهو معكم لا بالمعية المفهومة للعوام والخواص أيضاً:

أين معيت مى نكنجد در بيان نى زمان دارد خبر زونى مكان

بل بالمعية المذوقة بالذوق الكشفي الشهودي أي: أنا معكم بحسب مراتب شهوداتكم إن كنتم في مشهد الفعلي فأنا معكم بالتجلي الذاتي ما أتقدم ولا أتأخر عنكم وقال بعض الكبار: تلك المعية ليست هي مثل ما يتصور بالعقل حساً أو ذهناً أو خيالاً أو وهماً تعالى شأنه عن ذلك علواً كبيراً وإنما هي معية تفرد الحق سبحانه بعينها وتحققها وعلمها لا يعلم سرها إلا الله ومن أطلعه عليه من الكمل ويحرم كشفها ترحماً على العقول القاصرة عن درك الأسرار الخفية كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: أبهموا ما أبهم الله وبينوا ما بين الله. يعني إذا اقتضى المقام الإبهام كما إذا طلب بيان المبهم على ما هو عليه في نفسه وعقل الطالب قاصر عن دركه فلا جرم أنه حرام لما فيه من هلاكه وأما إذا طلب بيان المبهم لا على ما هو عليه في نفسه بل على وجه يدركه عقله بضرب تأويل يستحسنه الشرع ففيه رخصة شرعية اعتبرها المتأخرون دفعاً لانقلاب قلب الطالب وترسيخاً على عقيدته حتى تندفع عن صدره الوساوس والهواجس والمراد على هذا إما معية حفظه أو معية أمره أو غير ذلك مما لا اضطراب فيه لا شرعاً ولا عقلاً ولا خارجاً والأين المذكور في الآية متناول لجميع الأينات الأزلية والأبدية من المعنوية والروحانية والمثالية والحسية والدنيوية والبرزخية والنشرية والحشرية والنيرانية والجنانية والغيبية والشادية مطلقاً كلية كانت أو جزئية وهذه الأينية كالمعية من المبهمات والمتشابهات وما يعلم تأويلها إلا الله وما يتذكر سرها إلا أولو الألباب قال بعضهم: في هذه الآية بشارة للعاشقين حيث هو معهم أينما كانوا وتوفيق للمتوكلين وسكينة للعارفين وبهجة للمحبين ويقين للمراقبين ورعاية للمقبلين وإشارة إلى سر الوحدة للموحدين قال الحسين رحمه الله: ما قارب الحق الأكوان ولا فارقها كيف يفارقها وهو موجدها وحافظها وكيف يقارب القدم الحدوث به قوام الكل وهو بائن عن الكل انتهى. ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم عليه ثواباً وعقاباً وهو عبارة عن إحاطته بأعمالهم فتأخيره عن الخلق لما أن المراد ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من أن الخلق دليل على العلم فبالخلق يستدل على العلم والدليل يتقدم على المدلول وفي الآية إيقاظ للغافلين وتنشيط للمتيقظين ودلالة لهم على الخشية والحياء من رب

العالمين وإشارة لهم إلى أن أعمالهم محفوظة وأنهم مجزيون بها إن خيراً فخير وإن شراً فشر قال بعض الكبار: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ لأنه العامل بكم وفيكم ولا بد لكل عامل أن يبصر عمله وما يتعلق به.

﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾.

﴿له ملك السموات والأرض﴾ تكرير للتأكيد وتمهيد لقوله تعالى: ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ على البناء للمفعول من رجع رجعاً أي رد رداً وقرىء على البناء للفاعل من رجع رجوعاً والمعنى إليه تعالى وحده لا إلى غيره استقلالاً واشتراكاً ترد جميع الأمور فاستعدوا للقائه باختيار أرشد الأمور وأحسنها عند الله. پس تكرير كلام جهت آنست كه اول تعلق بابداء دارد وثاني باعاده. ولذا قرن بالأول يحيي ويميت وبالثاني ما يكون في الآخرة من رد الخلق إليه وجزائه إياهم بالثواب والعقاب وفيه إشارة إلى أنه له ملك علوم السموات الروحانية وهي العلوم الكشفية اللدنية الموهوبة بالاسم الوهاب من غير تحصيل الأسباب لعباده المخلصين بإفاضته عليهم وله أيضاً ملك العلوم الرسمية الكسبية الأرضية بالسعي والاجتهاد للعلماء بإفاضة توفيق الكسب والاجتهاد فأمور العلوم الكشفية والكسبية ترجع إلى عناية الله الأزلية والأبدية.

﴿يولج الليل في النهار﴾ الإيلاج الإدخال يعني از زمان شب درروز افزايد. حتى يصير النهار أطول ما يكون خمس عشرة ساعة والليل أقصر ما يكون تسع ساعات ﴿ويولج النهار في الليل﴾ يعني از زمان روز بشب زياده كند باختلاف الفصول وبحسب مطالع الشمس ومغاربها حتى يصير الليل أطول ما يكون خمس عشرة ساعة والنهار أقصر ما يكون تسع ساعات والليل والنهار أبداً أربع وعشرون ساعة، قال في «فتح الرحمن»: فيه تنبيه على العبرة فيما يجاذبه الليل والنهار من الطول والقصر وذلك متشعب مختلف حسب اختلاف الأقطار والأزمان الأربعة وذلك بحر من بحار الكفرة لمن تأمله. ﴿وهو عليم﴾ أي: مبالغ في العلم ﴿بذات الصدور﴾ أي: بمكنوناتها اللازمة لها من الأسرار والمعتقدات وذلك أغمض ما يكون وهو بيان لإحاطة علمه تعالى بما يضمرونه في نياتهم بعد بيان إحاطته بأعمالهم التي يظهرونها وفي الآية إشارة إلى أنه يستهلك ظلمة ليل البشرية والطبيعة في نور نهار الروح بطريق تغليب نور نهار الروح وهو تعالى عالم بكل ما يصدر من أصحاب ليل النفوس من السيئات ومن أرباب نهار الأرواح من الحسنات لا يفوته منهما شيء. قال ابن عباس رضي الله عنهما: اسم الله الأعظم في أول سورة الحديد في ست آيات من أولها فإذا علقت على المقاتل في الصف لم ينفذ إليه حديد كما في «فتح الرحمن».

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾

﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ روي أن الآية نزلت في غزوة ذي العشيرة وهي غزوة تبوك وفي «عين المعاني»: يحتمل الزكاة والنفقة في سبيل الله والمعنى

جعلكم الله خلفاء في التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة عبر عما بأيديهم من الأموال والأرزاق بذلك تحقيقاً للحق وترغيباً لهم في الإنفاق فإن من علم أنها لله وأنه بمنزلة الوكيل والنائب بحيث يصرفها إلى ما عينه الله من المصارف هان عليه الإنفاق أو جعلكم خلفاء من قبلكم فيما كان بأيديهم بتوريثه إياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم وسينتقل منكم إلى من بعدكم فلا تبخلوا به قال الشاعر:

ويكفيك قول الناس فيما ملكته ... لقد كان هذا مرة لفلان

فلا بد من إنفاق الأموال التي هي للغير وستعود إلى الغير فكما أن الإنفاق من مال الغير يهون على النفس إذا أذن فيه صاحبه فكذا من المال الذي على شرف الزوال.

مكن تكيه بر ملك وجاه وحشم ... كه پيش ازتو بودست وبعد ازتوهم
خوروپوش وبخشاى وراحت رسان ... نكه مى چه دارى زبهر كسان
بخيل توانكر بدينار وسيم ... طلسم است بالاى كنجى مقيم
از ان سالهامى بماند زرش ... كه لرزد طلسم چنين بر سرش
بسنك اجل ناكها بشكنند ... بآسودكى كنج قسمت كنند

﴿فالذين آمنوا منكم وأنفقوا﴾ حسبما أمروا به. وقال الكاشفي: ونفقه كردندمال خودرا بزكاة وجهاد وسائر خيرات. ﴿لهم﴾ بسبب ذلك ﴿أجر كبير﴾ مزدى بزرك وثوابي عظيم كه جنت ونعيم است. قال في «فتح الرحمن»: الإشارة فيه إلى عثمان رضي الله عنه وحكمها باق يندب إلى هذه الأفعال بقية الدهر.

وفي «التأويلات النجمية»: يخاطب كل واحد من المشايخ والعلماء ويأمرهم بالإيمان بالله وبرسوله إيماناً كلياً جامعاً شرائط الإيمان الحقيقي الشهودي العياني ويوصيهم بإفاضة علوم الوهب على مستحقيها وتعليم علوم الدراسة المستعد بها إذ العلماء في العلوم الكسبية والمشايخ في المعرفة والحكمة الوهبية خلفاء فيهما فعليهم أن ينفقوا على الطالبين المستحقين الذين ينفق الله ورسوله عليهم كما قال عليه السلام حكاية عن الله تعالى: «أَنفِقْ أُنفِقْ عليك» وقال عليه السلام «لا توك فيوكى عليك» وفي الحديث: «من كتم علماً يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» ويشمل هذا الوعيد حبس الكتب عمن يطلبها للانتفاع بها لا سيما مع عدم التعدد لنسخها الذي هو أعظم أسباب المنع وكون المالك لا يهدي لراجيه منها والابتلاء بهذا كثير كما في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي رحمه الله فالذين آمنوا من روح القلب والإيمان الشهودي وأنفقوا من تلك العلوم الوهبية والكسبية على النفس وصفاتها بالإرشاد إلى موافقات الشرع ومخالفات الطبع وفي التسليك في طريق السير والسلوك بالاتصاف بصفات الروحانية والانسلاخ عن صفات البشرية النفسانية لهم أجر كبير كما قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

﴿وما لكم لا تؤمنون بالله﴾ لا تؤمنون حال من الضمير في لكم لما فيه من معنى الفعل أي: أي شيء ثبت لكم وحصل حال كونكم غير مؤمنين وحقيقته: ما سبب عدم إيمانكم بالله على توجيه الإنكار والنفي إلى السبب فقط مع تحقق المسبب. ﴿والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم﴾ حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه أي: وأي عذر في ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه وينبهكم عليه بالحجج والآيات فإن الدعوة المجردة لا تفيد فلو لم يجب الداعي دعوة مجردة وترك ما

دعاه إليه لم يستحق الملامة والتوبيخ فلام لتؤمنوا بمعنى إلى ولا يبعد حملها على التعليلية أي يدعوكم إلى الإيمان لأجل أن تؤمنوا. ﴿وقد أخذ ميثاقكم﴾ حال من مفعول يدعوكم والميثاق عقد يؤكد بيمين وعهد والموثق الاسم منه أي وقد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان من قبل دعوة الرسول إياكم إليه وذلك بنصب الأدلة والتمكين من النظر وحمله بعض العلماء على المأخوذ يوم الذر أي حين أخرجهم من صلب آدم في صورة الذر وهي النمل الصغير. ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ لموجب ما فإن هذا موجب لا موجب وراءه، وفي «عين المعاني»: أي إن كنتم مصدقين بالميثاق وفي «فتح الرحمن»: أي إن دمتم على ما بدأتم به.

﴿هو الذي ينزل﴾ بواسطة جبرائيل عليه السلام ﴿على عبده﴾ المطلق محمد عليه السلام ﴿آيات بينات﴾ واضحات من الأمر والنهي والحلال والحرام. ﴿ليخرجكم﴾ الله يا قوم محمد أو العبد بسبب تلك الآيات ﴿من الظلمات إلى النور﴾ من ظلمات الكفر والشرك والشك والجهل والمخالفة والحجاب إلى نور الإيمان والتوحيد واليقين والعلم والموافقة والتجلي. ﴿وإن الله بكم لرؤوف رحيم﴾ حيث يهديكم إلى سعادة الدارين بإرسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية. وقال الكاشفي: مهر بانست كه قرآن ميفرستد بخشاينده است كه رسول را بدعوت ميفر مايد. وقال بعضهم: لرؤوف بإفاضة نور الوحي رحيم بإزالة ظلمة النفس البشرية.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾.

﴿وما لكم أن لا تنفقوا في سبيل الله﴾ أي: وأي شيء لكم من أن تنفقوا فيما هو قربة إلى الله ما هو له في الحقيقة وإنما أنتم خلفاؤه في صرفه إلى ما عينه من المصارف فقوله: في سبيل الله مستعار لما يكون قربة إليه وقال بعضهم: معناه لأجل الله. ﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾ حال من فاعل لا تنفقوا أو مفعوله المحذوف، أي وما لكم في ترك إنفاقها في سبيل الله والحال أنه لا يبقى لكم منها شيء بل تبقى كلها لله بعد فناء الخلق وإذا كان كذلك فإنفاقها بحيث تستخلف عوضاً يبقى وهو الثواب كان أولى من الإمساك لأنها إذا تخرج من أيديكم مجاناً بلا عوض وفائدة. قال الراغب: وصف الله نفسه بأنه الوارث من حيث إن الأشياء كلها صائرة إليه وقال أبو الليث: إنما ذكر لفظ الميراث لأن العرب تعرف أن ما ترك الإنسان يكون ميراثاً فخاطبهم بما يعرفون فيما بينهم قال بعض الكبار: أولاً إن القلوب مجبولة على حب المال ما فرضت الزكاة، ومن هنا قال بعضهم: إن العارف لا زكاة عليه والحق إن عليه الزكاة كما أن عليه الصلاة والطهارة من الجنابة ونحوهما لأنه يعلم أن نفسه مجموع العالم ففيها من يحب المال فيوفيه حقه من ذلك الوجه بإخراجها فهو زاهد من وجه وراغب من وجه آخر وقد أخرج رسول الله عليه السلام صدقة ماله فالكامل من جمع بين الوجهين إذ الوجوب حقيقة في المال لا على المكلف لأنه إنما كلف بإخراج الزكاة من المال لكون المال لا يخرج بنفسه فللعارفين المحبة في جميع العالم كله وإن تفاضلت وجوهها، فيحبون جميع ما في العالم بحب الله تعالى في إيجاد ذلك لا من جهة عين ذلك الموجود فلا بد للعارف أن يكون فيه جزء

يطلب مناسبة العالم ولولا ذلك الجزء ما كانت محبة ولا محبوب ولا تصور وجودها وفي كلام عيسى عليه السلام: قلب كل إنسان حيث ماله فاجعلوا أموالكم في السماء تكن قلوبكم في السماء فحث أصحابه على الصدقة لما علم أن الصدقة تقع بيد الرحمن وهو يقول: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] فانظر ما أعجب كلام النبوة وما أدقه وأحلاه وكذلك لما علم السامري أن حب المال ملصق بالقلوب صاغ لهم العجل من حليهم بمرأى منهم لعلمه أن قلوبهم تابعة لأموالهم ولذلك لما سارعوا إلى عبادة العجل دعاهم إليها فعلم أن العارف من حيث سره الرباني مستخلف فيما بيده من المال كالوصي على مال المحجور عليه يخرج عنه الزكاة وليس له فيه شيء ولكن لما كان المؤمن لحجابه يخرجها بحكم الملك فرضت عليه الزكاة لينال بركات ثواب من رزىء في محبوبه والعارف لا يخرج شيئاً بحكم الملك والمحبة كالمؤمن إنما يخرج امتثالاً للأمر ولا تؤثر محبة المال في محبة الله تعالى لأنه ما أحب المال إلا بتحبيب الله ومن هنا قال سليمان عليه السلام: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص: ٣٥] فما طلب إلا من نسبة فاقة فقير إلى غني.

ثم اعلم أن المال إنما سمي مالاً لميل النفوس إليه فإن الله تعالى قد أشهد النفوس ما في المال من قضاء الحاجات المجبول عليها الإنسان؛ إذ هو فقير بالذات ولذلك مال إلى المال بالطبع الذي لا ينفك عنه ولو كان الزهد في المال حقيقة لم يكن مالاً ولكان الزهد في الآخرة أتم مقاماً من الزهد في الدنيا وليس الأمر كذلك، فإن الله تعالى قد وعد بتضعيف الجزاء الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فلو كان القليل منه حجاباً لكان الكثير منه أعظم حجاباً فالدنيا للعارف صفة سليمانية كمالية وما أليق قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨، ص: ٣٥] أتراه عليه السلام سأل ما يحجبه عن الله تعالى أو سأل ما يبعده من الله تعالى كلا ثم انظر إلى تتميم النعمة عليه بدار التكليف بقوله تعالى له: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ [ص: ٣٩] فرفع عنه الحرج في التصرف بالاسم المانع والمعطي واختصه بجنة معجلة في الدنيا وما حجبه ذلك المال عن ربه فانظر إلى درجة العارف كيف جمع بين الجنتين وتحقق بالحقيقتين وأخرج زكاة المال الذي بيده عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧] فجعله مالكاً للإنفاق من حقيقة إلهية فيه في مال هو ملك لحقيقة أخرى فيه هو وليها من حيث الحقيقة الإلهية. ﴿لا يستوي منكم﴾ يا معشر المؤمنين.

- روي - أن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنفقوا نفقات كثيرة حتى قال ناس: هؤلاء أعظم أجراً من كل من أنفق قديماً فنزلت الآية مبينة أن النفقة قبل فتح مكة أعظم أجراً ﴿من أنفق من قبل الفتح﴾ أي فتح مكة الذي أزال الهجرة وقال عليه السلام فيه: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية» وهذا قول الجمهور وقال الشعبي: هو صلح الحديبية فإنه فتح كما سبق في سورة الفتح. ﴿وقاتل﴾ العدو تحت لواء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والاستواء يقتضي شيئين فقسيم من أنفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه أي لا يستوي في الفضل من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعده وقاتل والظاهر أن من أنفق فاعل لا يستوي وقيل: من مبتدأ ولا يستوي خبره ومنكم حال من ضمير لا يستوي لا من ضمير أنفق لضعف تقديم ما في الصلة على الموصول أو الصفة على الموصوف ولضعف تقديم الخبر على منكم لأن حقه أن يقع بعده ثم في أنفق إشارة إلى إنفاق المال وما يقدر عليه من القوى وفي قاتل

إشارة إلى إنفاق النفس فإن الجهاد سعي في بذل الوجود ليحصل بالفناء كمال الشهود ولذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٤] فهذه الحياة حياة أخروية باقية عندية فكيف تساويها الحياة الدنيوية الفانية الخلقية مع أن رزق الحياة الفانية ينفد وما عند الله باق ولذا قال: أكلها دائم وظلها أي راحتها فالإنسان العاقل بترك الراحة الدنيوية اليسيرة لله تعالى يصل إلى الراحة الكثيرة الأخروية فشأنه يقتضي الجهاد والقتال. **﴿أولئك﴾** المنفقون المقاتلون قبل الفتح وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار. **﴿أعظم درجة﴾** وأرفع منزلة عند الله وبعظم الدرجة يكون عظم صاحبها فالدرجة بمعنى المرتبة والطبقة وجمعها درجات وإذا كانت بمعنى المرقاة فجمعها درج. **﴿من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾** لأنهم إنما فعلوا من الإنفاق والقتال قبل عزة الإسلام وقوة أهله عند كمال الحاجة إلى النصرة بالنفس والمال وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه أفواجاً وقلة الحاجة إلى الإنفاق والقتال وقد صرح عليه السلام أيضاً بفضل الأولين بقوله: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» قال في «القاموس»: المد بالضم مكيال وهو رطلان أو رطل وثلث أو ملء كفي الإنسان المعتدل إذا ملأهما ومد يده بهما وبه سمي مداً وقد جربت ذلك فوجدته صحيحاً والنصيف والنصف واحد وهو أحد شقي الشيء والضمير في نصيفه راجع إلى أحدهم لا إلى المد والمعنى أن أحدكم أيها الصحابة الحاضرون لا يدرك بإنفاق مثل جبل أحد ذهباً من الفضيلة ما أدرك أحدهم بإنفاق مد من الطعام أو نصيف له. وفيه إشارة إلى أن صحبة السابقين الأولين كاملة بالنسبة إلى صحبة اللاحقين الآخرين لسبقهم وتقدمهم وفي الحديث: «سيأتي قوم بعدكم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم قالوا: يا رسول الله نحن أفضل أم هم؟ قال: لو أن أحدهم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك فضل أحدكم ولا نصفه فرقت هذه الآية بينكم وبين الناس **﴿لا يستوي منكم﴾** الآية» ذكره أبو الليث في «تفسيره»، وفيه إشارة إلى أن الصحابة متفاوتون في الدرجة بالنسبة إلى التقدم والتأخر وإحراز الفضائل فكذا الصحابة ومن بعدهم فالصحابة مطلقاً أفضل ممن جاء بعدهم مطلقاً فإنهم السابقون من كل وجه. **﴿وكلا﴾** أي كل واحد من الفريقين وهو مفعول أول لقوله: **﴿وعد الله الحسنى﴾** أي: المثوبة الحسنى وهي الجنة لا الأولين فقط ولكن الدرجات متفاوتة. **﴿والله بما تعملون خبير﴾** بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه قال في «المناسبات»: لما كان زكاء الأعمال إنما هو بالنيات وكان التفضيل مناط العلم قال مرغباً في حسن النيات مرهباً من التقصير فيها والله بما تعملون أي تجددون عمله على ممر الأوقات خبير أي عالم بباطنه وظاهره علماً لا مزيد عليه بوجه فهو يجعل جزاء الأعمال على قدر النيات التي هي أرواح صورها:

عبادت بإخلاص نيت نكوست ... وكرنه چه آيد زبى مغز پوست

وقال الكلبي: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفيها دلالة ظاهرة وحجة باهرة على تفضيل أبي بكر وتقديمه فإنه أول من أسلم وذلك فيما روي أن أبا أمامة قال لعمر بن عيينة: بأي شيء تدعي أنك ربع الإسلام؟ قال: إني كنت أرى الناس على الضلالة ولا أرى للأوثان شيئاً ثم سمعت عن رجل يخبر عن أخبار مكة فركبت راحلتي حتى قدمت عليه فقلت: من أنت؟ قال: أنا نبي قلت: وما نبي؟ قال: رسول الله قلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: أوحد الله لا أشرك به شيئاً وأكسر الأوثان وأصل الأرحام قلت: من معك على هذا؟

قال: حر وعبد وإذا معه أبو بكر وبلال فأسلمت عند ذلك فرأيتني ربع الإسلام يعني پس دانستم خودرا ربع اسلام. وإنه أي أبا بكر أول من أظهر الإسلام على ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان أول من أظهر الإسلام رسول الله عليه السلام وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد وإنه أول من قاتل على الإسلام وخاصم الكفار حتى ضرب ضرباً أشرف به على الهلاك على ما قاله ابن مسعود رضي الله عنه، أول من أظهر الإسلام بسيفه النبي عليه السلام وأبو بكر رضي الله عنه وأنه أول من أنفق على رسول الله وفي سبيل الله قال ابن عمر رضي الله عنهما: كنت عند النبي عليه السلام وعنده أبو بكر وعليه عباءة فدكية قد خللها في صدره بخلال، يعني: بروى كليمى بودكه استوار كرده ويرا در سينه خود بخلال.

قال في «القاموس»: خل الكساء شده بخلال وذو الخلال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأنه تصدق بجميع ماله وخل كساءه بخلال انتهى فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال: ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال فقال: أنفق ماله علي قبل الفتح قال: فإن الله تعالى يقول: اقرأ عليه السلام وقل له: أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر: أسخط على ربي إني عن ربي راض إني عن ربي راض ولهذا قدمه الصحابة رضي الله عنهم على أنفسهم وأقروا له بالتقدم والسبق وذلك فيما روى عبد الله بن سلمة عن علي رضي الله عنه قال: سبق رسول الله عليه السلام وثنى أبو بكر وثلث عمر يعني سابقست رسول الله ودر پى وى ابو بكر است وسوم عمر است. فلا أؤتى برجل فضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته جلد المفتري واطرح شهادته يعني طرح شهادت وى كنم ودر صفت وى كفته اند:

صاحب قدم مقام تجريد سر دفتر جمله اهل توحيد
در جمع مقربان سابق حقا كه چواو نبود صادق

وفي الآية إشارة إلى أن من تقدمت مجاهدته على مشاهدته وهو المريد المراد والسالك المجذوب والمحب المحبوب أعلى وأجل وأسبق درجة ومرتبة من درجات المشاهدة ومراتبها ممن تقدمت مشاهدته على مجاهدته وحين يقعد أرباب المشاهدة في مقعد صدق عند مليك مقتدر لمشاهدة وجهه ورؤية جماله في جنة وصاله يفوقه ويسبقه ويتقدمه وهو المراد المريد والمجذوب السالك والمحبوب المحب فإن المجاهدة قدمت على المشاهدة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فيصير سلوك الأول واقعاً على وفق العادة الإلهية والسنة الربانية وسلوك الثاني على خارقها والمعتبر في الترتيب الإلهي تقدماً وتأخراً باعتبار الأكمل إنما هو وفق العادة والسنة الإلهية وهما وإن كانا متحدين باعتبار أصل حسن المشاهدة لكنهما متفاوتان باعتبار قدرها ودرجتها فإنهم الصافون وما منا إلا له مقام معلوم كذا في كتاب «اللائحات البرقيات» لحضرة شيخي وسندي روح الله روحه.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١١﴾ يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾

﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ من مبتدأ خبره ذا والذي صفة ذا أو بدله

والإقراض حقيقة إعطاء العين على وجه يطلب بدله وقرضاً حسناً مفعول مطلق له بمعنى إقراضاً حسناً وهو الإخلاص في الإنفاق أي الإعطاء لله وتحري أكرم المال وأفضل الجهات. والمعنى من ذا الذي ينفق ماله في سبيل الله رجاء أن يعوضه فإنه كمن يقرضه، وقال في «كشف الأسرار»: كل من قدم عملاً صالحاً يستحق به مثوبة فقد أقرض ومنه قولهم: الأيادي قروض وكذلك كل من قدم عملاً سيئاً يستوجب به عقوبة فقد أقرض فلذلك قال تعالى: ﴿قرضاً حسناً﴾ لأن المعصية قرض سيىء قال أمية:

لا تخلطن خبيثات بطيبة ... واخلع ثيابك منها وانج عريانا
كل امرىء سوف يجزى قرضه حسناً ... او سيئاً ومدين مثل ما دانا

وقيل: المراد بالقرض الصدقة انتهى وهاهنا وجه آخر وهو أن القرض في الأصل القطع من قرض الثوب بالمقراض إذا قطعه به ثم سمي به ما يقطعه الرجل من أمواله فيعطيه عيناً بشرط رد بدله فعلى هذا يكون قرضاً حسناً مفعولاً به والمعنى من ذا الذي يقرض الله مالاً حسناً أي حلالاً طيباً فإنه تعالى لا يقبل إلا الحلال الطيب. ﴿فيضاعفه له﴾ بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كأنه قيل: أيقرض الله أحد فيضاعفه له أي فيعطيه أجره أضعافاً من فضله وإنما قلنا: باعتبار المعنى لأن الفاء إنما تنصب فعلاً مردوداً على فعل مستفهم عنه كما قاله أبو علي الفارسي وهاهنا السؤال لم يقع عن القرض بل عن فاعله. ﴿وله أجر كريم﴾ أي وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم حسن مرضي في نفسه حقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون وإن لم يضاعف فكيف وقد ضوعف أضعافاً كثيرة.

ـ وروي ـ أنه لما نزلت هذه الآية جعل أبو الدحداح يتصدق بنصف كل شيء يملكه في سبيل الله حتى أنه خلع إحدى نعليه ثم جاء إلى أم الدحداح فقال: إني بايعت ربي فقالت: ربح بيعك فقال النبي عليه السلام: «كم من نخلة مدلاة عذوقها في الجنة لأبي الدحداح» قال بعضهم: سأل الله منهم القرض ولو كانوا على نعت المروءة لخرجوا من وجودهم قبل سؤاله فضلاً عن المال فإن العبد وما يملكه لمولاه فإذا بذلوا الوجود المجازي وجدوا من الله بدله الوجود الحقيقي وله أجر كريم بحسب الاجتهاد في السير إلى الله والتوجه إلى عتبة بابه الكريم:

هركسى از همت والاي خويش ... سود برد درخور كالاى خويش

وفي الآية إشارة إلى القرض الشرعي لمن يستقرض كما دل عليه قوله تعالى: «عبدي استطعمتك فلم تطعمني» فإعطاء القرض للعبد إعطاء الله تعالى والقرض أفضل من الصدقة لأنه ربما سأل سائل وعنده ما يكفيه وأما المستقرض فلا يستقرض إلا من حاجة وقال بعضهم: هذا القرض هو أن يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وهو أفضل الأذكار. وعن الحسن: هو التطوعات وفي المرفوع: «النافلة هدية المؤمن إلى ربه فليحسن أحدكم هديته وليطيبها» والحاصل أن الكريم يرد القرض بأحسن ما يكون من الرد ويحسن أيضاً في مقابلة الهدية.

﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات﴾ منصوب بإضمار اذكر تفخيماً لذلك اليوم أي اذكر وقت رؤيتهم يوم القيامة على الصراط. ﴿يسعى نورهم﴾ حال من مفعول ترى أي نور إيمانهم وطاعتهم والسعي المشي السريع وهو دون العدو ويستعمل للجد في الأمر خيراً كان أو شراً وأكثر ما يستعمل في الأفعال المحمودة. ﴿بين أيديهم وبأيمانهم﴾ جمع يمين بمعنى الجارحة

والمراد جهة اليمين وبين ظرف للسعي قال أبو الليث: يكون النور بين أيديهم وبأيمانهم وعن شمائلهم إلا أن ذكر الشمال مضمر، وقال في «فتح الرحمن»: وخص بين الأيدي بالذكر لأنه موضع حاجة الإنسان إلى النور وخص ذكر جهة اليمين تشريفاً وناب ذلك مناب أن يقول: وفي جميع جهاتهم وفي «كشف الأسرار»: لأن طريق الجنة يمنة وتجاههم وطريق أهل النار يسرة ذات شمال وفي الحديث: «بينما أنا على حوضي أنادي هلم إذا أناس أخذتهم ذات الشمال فاختلجوا دوني فأنادي ألا هلم فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقاً».

يقول الفقير: ذكر بين الأيدي إشارة إلى المقربين الذين هم وجه بلا قفا ظاهراً وباطناً فلهم نور مطلق يضيء من جميع الجهات وذكر الإيمان إشارة إلى أصحاب اليمين الذين هم وجه من وجه وقفا من وجه آخر فنورهم نور مقيد بأيمانهم وأما أصحاب الشمال فلا نور لهم أصلاً لأنهم الكفرة الفجرة فلذا طوى ذكر الشمال من البين از ابن مسعود منقولست كه نورهركسى بقدر عمل وى بود نور يكى از صنعا باشد تابعدن وادنى نورى آن بود كه صاحبش قدم خود را بيند بارى هيچ مؤمن بى نور نباشد. وقال: منهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نوراً يؤتى نوره على إبهام قدميه فيطفأ مرة ويتقد أخرى فإذا ذهب بهم إلى الجنة ومروا على الصراط يسعى نورهم جنيباً لهم ومتقدماً ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي أعطى نوره على إبهام قدميه يحبو على وجهه ويديه ورجليه ويقف مرة ويمشي أخرى وتصيب جوارحه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص وكما أن لهم يوم القيامة نوراً يسعى بين أيديهم وبأيمانهم فاليوم لهم في قلوبهم نور يهتدون به في جميع الأحوال ويبدو أيضاً في بشرتهم فمن ظهر له ذلك النور انقاد له وخضع وكان من المقربين ومن لم يظهر له ذلك تكبر عليه ولم يستسلم وكان من المنكرين وحين تعلق نظر عبد الله بن سلام إلى وجه النبي عليه السلام آمن به وقال: ما هو بوجه كذا وكذاب أضرابه بخلاف أبي جهل وأحزابه قال بعض الكبار: نور الإيمان كناية عن تمكن اجتهادهم وسعيهم إلى الله بالسير والسلوك وذلك لأن قوة الإنسان في يمينه وبها يعرف اليمين من الشمال. **﴿بشراكم اليوم جنات﴾** أي تقول لهم الملائكة الذين يتلقونهم: بشراكم، أي ما تبشرون به اليوم جنات أو بشراكم دخول جنات فحذف المضاف وأقيم مقامه المضاف إليه في الإعراب. **﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك﴾** أي ما ذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة. **﴿هو الفوز العظيم﴾** الذي لا غاية وراءه لكونهم ظفروا بكل ما أرادوا. قال الكاشفي: رستكارىء بزركست چه از همه اهوال قيامت ايمن شده بدار الجلال ميرسند وديدار ملك متعال مى بينند «مصراع» هزار جان مقدس فداى ديدارت.

﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات﴾ بدل من يوم ترى **﴿للذين آمنوا﴾** أي أخلصوا الإيمان بكل ما يجب الإيمان به **﴿انظرونا﴾** أي: انتظرونا يقولون ذلك لما أن المؤمنين يسرع بهم إلى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة أو انظروا إلينا فإنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذي بين أيديهم فانظرونا على هذا الوجه من باب الحذف والإيصال لأن النظر بمعنى الإبصار لا يتعدى بنفسه وإنما يتعدى بإلى وقرأ حمزة أنظرونا من النظرة وهي الإمهال على أن تأنيهم في المضي ليلحقوا بهم إنظار لهم وإمهال.

﴿نقتبس من نوركم﴾ أي: نستضيء منه ونمش فيه معكم وأصله اتخاذ القبس وهو محركة شعلة نار تقتبس من معظم النار كالمقباس قال الراغب: القبس المتناول من الشعلة والاقتباس طلب ذلك ثم يستعار لطلب العلم والهداية. قال بعضهم: النار والنور من أصل واحد وهو الضوء المنتشر يعين على الإبصار وكثيراً ما يتلازمان لكن النار متاع للمقوين في الدنيا والنور متاع لهم في الدنيا والآخرة ولأجل ذلك استعمل في النور الاقتباس وقيل: نقتبس من نوركم أي نأخذ من نوركم قبساً سراجاً وشعلة وقيل: إن الله يعطي المؤمنين نوراً على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين أيضاً نوراً خديعة لهم وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] فبينما هم يمشون إذ بعث الله ريحاً وظلمة فأطفأ نور المنافقين فذلك قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨] مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب المنافقون وقال الكلبي: بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فإذا سبقهم المؤمنون وبقوا في الظلمة قالوا للمؤمنين: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾. ﴿قيل﴾ طرداً لهم وتهكماً بهم من جهة المؤمنين أو من جهة الملائكة. ﴿ارجعوا وراءكم﴾ أي: إلى الموقف ﴿فالتمسوا نوراً﴾ أي: فاطلبوا نوراً فإنه من ثمة يقتبس أو إلى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الإيمان والأعمال الصالحة:

كالا انيجاكن كه تشويشست در محشر بسى آب ازيجابركه در عقبى بسى شور وشرست

وروي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أنه قال: «بينا العباد يوم القيامة عند الصراط إذ غشيهم ظلمة يقسم الله النور بين عباده فيعطي الله المؤمن نوراً ويبقى المنافق والكافر لا يعطيان نوراً فكما لا يستضيء الأعمى بنور البصير لا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن فيقولون: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ فيقولون لهم: ارجعوا حيث قسم النور فيرجعون فلا يجدون شيئاً فيرجعون وقد ضرب بينهم بسور أو ارجعوا خائبين خاسئين وتنحوا عنا فالتمسوا نوراً آخر وقد علموا أن لا نور وراءهم وإنما قالوه تخييباً لهم أو أرادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكماً بهم» وقال بعض أهل الإشارة: كأن استعداداتهم الفطرية الفائتة عنهم تقول بلسان الحال: ارجعوا إلى استعداداتكم الفطرية التي أفسدتم بحب الدنيا ولذاتها وشهواتها واقتبسوا منها نوراً إذا ما تصلون إلى مطلوباتكم إلا بحسب استعداداتكم وهي فائتة عنكم باشتغالكم بالأمور الدنيوية وإعراضكم عن الأحكام الأخروية والتوجهات المعنوية ﴿فضرب بينهم﴾ أي بين الفريقين وهم المؤمنون والمنافقون يعني ملائكة بحكم الهي بزنند. ولما كان البناء مما يحتاج إلى ضرب باليد ونحوها من الآلات عبر عنه بالضرب ومثله ضرب الخيمة لضرب أوتادها بالمطرقة. ﴿بسور﴾ أي: حائط بين شق الجنة وشق النار فإن سور المدينة حائطها المشتمل عليها والباء زائدة وبالفارسية ديوارى نزديك چون باره شهرى. قال بعضهم: هو سور بين أهل الجنة والنار يقف عليه أصحاب الأعراف يشرفون على أهل الجنة وأهل النار وهو السور الذي يذبح عليه الموت يراه الفريقان معاً. ﴿له﴾ أي: لذلك السور ﴿باب﴾ يدخل فيه المؤمنون فيكون السور بينهم باعتبار ثاني الحال أعني بعد الدخول لا حين الضرب. ﴿باطنه﴾ أي باطن السور أو الباب ﴿فيه الرحمة﴾ لأنه يلي الجنة. ﴿وظاهره من قبله﴾ أي: من جهته وعنده ﴿العذاب﴾ لأنه يلي النار وقال بعضهم: هو سور بيت القدس الشرقي باطنه فيه المسجد الأقصى وظاهره من قبله العذاب وهو واد يقال له: وادي جهنم وكان كعب يقول في

الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس أنه الباب الذي قال الله ﴿فضرب بينهم بسور له﴾ باب الآية يعني إن هذا الموضع المعروف بوادي جهنم موضع السور. قال ابن عطية: وهذا القول في السور بعيد يعني بل المراد بالسور الأعراف.

يقول الفقير لا بعد فيه بالنسبة إلى من يعرف الإشارة وقد روي أن عبادة قام على سور بيت المقدس الشرقي فبكى فقال بعضهم: ما يبكيك يا أبا الوليد؟ فقال: هاهنا أخبرنا رسول الله عليه السلام أنه رأى جهنم، وفي الحديث: «بيت المقدس أرض المحشر والمنشر» فيجوز أن يكون الموضع المعروف بوادي جهنم موضع السور على أنه سور الأعراف بعينه لكن على كيفية لا يعرفها إلا الله لأنه تبدل الأرض غير الأرض يوم القيامة وقد صح أن مواضع العبادات تلتحق بأرض الجنة فلا بعد في أن يكون المسجد الأقصى من الجنة وخارجه من النار وبينهما السور.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

﴿ينادونهم﴾ كأنه قيل: فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب؟ فقيل: ينادي المنافقون المؤمنين من وراء السور. وقال الكاشفي: منافقون چون باز پس نكرند ونورى نه بينند باز متوجه مؤمنان شوند ديوارى بينند ميان حود وايشان حاجز شده اذان در بنكرند مؤمنا نرا مشاهده نمايندكه خرامان متوجه رياض شدند بخوانند ايشانرا بزارى كويند اى مؤمنان. ﴿ألم نكن﴾ في الدنيا ﴿معكم﴾ يريدون به موافقتهم لهم في الأمور الظاهرة كالصلاة والصوم أو المناكحة والموارثة ونحوها. ﴿قالوا بلى﴾ كنتم معنا بحسب الظاهر ﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ محنتموها بالنفاق وأهلكتموها. إضافة الفتنة إلى النفس إضافة الميل والشهوة وإلى الشيطان في قوله: لا يفتننكم الشيطان إضافة الوسوسة وإلى الله تعالى في قوله قال: فإنا قد فتنا قومك إضافة الخلق لأنه خلق الضلال فيه في ليفتنن. ﴿وتربصتم﴾ بالمؤمنين الدوائر والتربص الانتظار وقال مقاتل: وتربصتم بمحمد عليه السلام الموت وقلتم يوشك أن يموت فنستريح منه وهو وصف قبيح لأن انتظار موت وسائل الخير ووسائط الحق من عظيم الجرم والقباحة إذ شأنهم أن يرجى طول حياتهم ليستفاد منهم ويغتنم بمجالستهم. ﴿وارتبتم﴾ وشككتم في أمر الدين أو في النبوة أو في هذا اليوم. ﴿وغرتكم الأماني﴾ الفارغة التي من جملتها الطمع في انتكاس أمر الإسلام جمع أمنية كأضحية بالفارسية آرزو. وفي «عين المعاني»: وغرتكم خدع الشيطان وقال أبو الليث: أباطيل الدنيا. ﴿حتى جاء أمر الله﴾ أي: الموت ﴿وغركم بالله﴾ الكريم ﴿الغرور﴾ أي: غركم الشيطان بأنه عفو كريم لا يعذبكم قال قتادة: ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار قال الزجاج: الغرور على ميزان فعول وهو من أسماء المبالغة يقال: فلان أكول كثير الأكل وكذا الشيطان الغرور لأنه يغر ابن آدم كثيراً قال في «المفردات»: الغرور كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان وقد فسر بالشيطان إذ هو أخبث الغارين بالدنيا لما قيل: الدنيا تغر وتضر وتمر.

﴿فاليوم لا يؤخذ منكم﴾ أيها المنافقون ﴿فدية﴾ أي فداء تدفعون به العذاب عن أنفسكم يعني چيزى كه فداى خود كنيدتا از عذاب برهيد. والفداء حفظ الإنسان من النائبة بما يبذله عنه

من مال أو نفس أي لا يؤخذ منكم دية ولا نفس أخرى مكان أنفسكم ﴿ولا من الذين كفروا﴾ أي ظاهراً وباطناً وفيه دلالة على أن الناس ثلاثة أقسام: مؤمن ظاهراً وباطناً وهو المخلص ومؤمن ظاهراً لا باطناً وهو المنافق وكافر ظاهراً وباطناً ﴿مأواكم﴾ مرجعكم ﴿النار﴾ لا ترجعون إلى غيرها أبداً. ﴿هي﴾ أي: النار ﴿مولاكم﴾ تتصرف فيكم تصرف المولى في عبيده لما أسلفتم من المعاصي أو أولى بكم فالمولى مشتق من الأولى بحذف الزوائد وحقيقته مكانكم الذي يقال فيه: هو أولى بكم كما يقال: هو مئنة الكرم أي مكان لقول القائل: إنه كريم فهو مفعل من أولى كما أن مئنة مفعلة من أن التي للتأكيد والتحقيق غير مشتقة من لفظها لأن الحروف لا يشتق منها بل ربما تتضمن الكلمة حروفها دلالة على أن معناها فيها أو ناصركم على طريقة قوله: (تحية بينهم ضرب وجيع) فإن مقصوده نفي التحية فيما بينهم قطعاً لأن الضرب الوجيع ليس بتحية فيلزم أن لا تحية بينهم البتة فكذا إذا قيل لأهل النار: هي ناصركم يراد به أن لا ناصر لكم البتة أو متوليكم، أي المتصرف فيكم تتولاكم كما توليتم في الدنيا موجباتها ﴿وبئس المصير﴾ أي: المرجع النار.

وفي «التأويلات النجمية»: أي نار القطيعة والهجران مولاكم ومتسلطة عليكم وبئس الرجوع إلى تلك النار وعن الشبلي قدس سره أنه رأى غصناً طرياً قد قطع عن أصله فبكى فقال أصحابه: ما يبكيك؟ فقال: هذا الفرع قد قطع عن أصله وهو طري بعد ولا يدري أن مآله إلى الذبول واليبس. شبلي ديده زنى راكه ميكريد وميكويد يا ويلاه من فراق ولدى شبلي كريست وكفت يا ويلاه من فراق الأخدان زن كفت چرا چنين ميكويى شبلى كفت توكريه ميكنى بر مخلوقى كه هراينه فانى خواهد شد من چرا كريه نكنم برفراق خالقى كه باقى باشد:

أي دوست دل مبند بجز حي لا يموت فرزند وريار چونكه بميرند عاقبت

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ من أنى الأمر يأني أنياً وإناء وأناء إذا جاء أناه أي وقته وحان حينه وأدرك والخشوع ضراعة وذل أي ألم يجىء وقت أن تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا إلى طاعته بالامتثال لأوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور قال بعضهم: الذكر إن كان غير القرآن يكون المعنى أن ترق وتلين قلوبهم إذا ذكر الله فإن ذكر الله سبب لخشوع القلوب أي سبب فالذكر مضاف إلى مفعوله واللام بمعنى الوقت وإن كان القرآن فهو مضاف إلى الفاعل واللام للعلة لمواعظ الله تعالى التي ذكرها في القرآن ولآياته التي تتلى فيه وبالفارسية آيا وقت نيايد مر آنانرا كه كرويده اند آنكه بترسد ونرم شود دلهاى ايشان براى ياد كردن خداى. ﴿وما نزل من الحق﴾ أي: القرآن وهو عطف على ذكر الله فإن كان هو المراد به أيضاً فالعطف لتغاير العنوانين فإنه ذكر وموعظة كأنه حق نازل من السماء وإلا فالعطف كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢] ومعنى الخشوع له: الانقياد التام لأوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الأحكام التي من جملتها ما سبق وما لحق من الإنفاق في سبيل الله. روي أن المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا

الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه من الخشوع فنزلت. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية أربع سنين. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن. وعن الحسن رحمه الله: والله لقد استبطأهم وهم يقرؤون من القرآن أقل مما تقرؤون فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق. وقولي آنست كه مزاح ومضاحك درميان اصحاب بسيار شد آيت نازل. كشت كما قال الإمام الغزالي رحمه الله في «منهاج العابدين»، ثم الصحابة الذين هم خير قرن كان يبدو منهم شيء من المزاح فنزل قوله تعالى: ﴿ألم يأن﴾ إلخ وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديداً فنظر إليهم فقال: هكذا كنا قست القلوب قال السهروردي في «العوارف»: حتى قست القلوب أي تصلبت وأدمنت سماع القرآن وألفت أنواره فما استغربته حتى تتغير والواجد كالمستغرب ولهذا قال بعضهم: حالي قبل الصلاة كحالي في الصلاة إشارة منه إلى استمرار حال الشهود انتهى. فقوله: حتى قست القلوب ظاهره تقبيح للقلوب بالقسوة والتلوين وحقيقته تحسين لها بالشهود والتمكين، قال البقلي رحمه الله، في الآية: هذا في حق قوم من ضعفاء المريدين الذين في نفوسهم بقايا الميل إلى الحظوظ حتى يحتاجوا إلى الخشوع عند ذكر الله وأهل الصفوة احترقوا في الله بنيران محبة الله ولو كان هذا الخطاب للأكابر لقال: أن تخشع قلوبهم لله لأن الخشوع لله موضع فناء العارف في المعروف وإرادة الحق بنعت الشوق إليه فناؤهم في بقائه بنعت الوله والهيمان والخشوع للذكر موضع الرقة من القلب فإذا رق القلب خشع بنور ذكر الله كأنه تعالى دعاهم بلطفه إلى سماع ذكره بنعت الخشوع والخضوع والمتابعة لقوله والاستلذاذ بذكره حتى لا يبقى في قلوبهم لذة فوق لذة ذكره قال أبو الدرداء رضي الله عنه: أستعيذ بالله من خشوع النفاق قيل: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع.

ور آوازه خـواهـی در اقـلـيـم فـاش ... بـرون حـلـه كـن كـو درون حـشـو بـاش
اكـر بـيـخ اخـلاص در يـوم نـيـسـت ... ازين در كسى چون تو محروم نيست
زر انـدود كـانـرا بـآتـش بـرنـد ... پـديـد آيـد آنـكـه كـه مـس يـا زرنـد

﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾ عطف على تخشع والمراد النهي عن مماثلة أهل الكتاب فيما حكي عنهم بقوله: ﴿فطال عليهم الأمد﴾ أي: الأجل والزمان الذي بينهم وبين أنبيائهم أو الأعمار والآمال وغلبهم الجفاء والقسوة وزالت عنهم الروعة التي كانت تأتيهم من التوراة والإنجيل إذا تلوهما وسمعوهما. ﴿فقست قلوبهم﴾ فهي كالحجارة أو أشد قسوة والقسوة غلظ القلب وإنما تحصل من اتباع الشهوة فإن الشهوة والصفوة لا تجتمعان. ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ أي: خارجون عن حدود دينهم رافضون لما في كتابهم بالكلية لفرط الجفاء والقسوة ففيه إشارة إلى أن عدم الخشوع في أول الأمر يفضي إلى الفسق في آخر الأمر. وكفته اند نتيجه سختى دل غفلت است ونشأه نرمى دل توجه بطاعت.

دلـى كـزنـور مـعـنـى نـيـسـت روشـن ... مـخـو انـش دل كه آن سـنـكـسـت وآهـن
دلـى كـز كـرد غـفـلـت ژنـك دارد ... ازان دل سـنـك وآهـن نـنـك دارد

روي أن عيسى عليه السلام قال: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم فإن القلب

القاسي بعيد من الله ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد فإنما الناس رجلان مبتلى ومعافى فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.

﴿**اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها**﴾ تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة بإحياء الأرض الميتة بالغيث للترغيب في الخشوع والتحذير عن القساوة. وقال الكاشفي: بدانيد أي منكران بعث إن الله يحيي الأرض بعد موتها وبهمان منوال زنده خواهد ساخت امواترا ﴿**قد بينا لكم الآيات**﴾ التي من جملتها هذه الآيات. ﴿**لعلكم تعقلون**﴾ كي تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين. سبب توبة فضيل بن عياض رحمه الله ميكويندكه سماع اين آيت يعني ألم يأن الخ بود دربدء كار مردانه راه زدند وبر ناشايسته قدم نهادند وقتى سوداى عشق صاحب جمال درسروى افتاد باوى ميعادى نهاد درميانه شب بسرآن وعده باز شد بديوار برمى شدكه كوينده كفت ﴿**ألم يأن للذين**﴾ الخ أين آيت تيروار درنشانه دل وى نشست دردى وسوزى ازدرون وى سر برزد كمين عنايت برو كشادند اسير كمند توفيق كشت از آنجا بازكشت وهمى كفت بلى والله قد آن بلى والله قد آن از آنجا بركشت ودر خرابه شد جماعتى كاروانيان آنجا بودند وبا يكديكر ميكفتند فضيل در راهست اكر برويم راه برمازند ورخت ببرد فضيل خودرا ملامت كرد كفت اى بد مرداكه منم اين چه شقاوتست كه روى بمن نهاده درميانه شب بقصد معصيت ازخانه بدر آمده وقومى مسلمانان ازبيم من درين كنج كريخته روى سوى آسمان كرد واز دلى صافى توبت نصوح كرد كفت اللهم انى تبت اليك وجعلت توبتي إليك جوار بيتك الحرام الهي ازبد سزاييء خود بدردم وازناكسيء خود بفغان دردمرا درمان سازاى درمان ساز همه درد مندان اى پاك صفت از عيب اي عالى صفت زآشوب اى بى نياز از خدمت من اى بى نقصان از خيانت من من بجاى رحمتم ببخشاى برمن اسير بند هواى خويشم بكشاى مرا ازين بند الله تعالى دعاء ويرا مستجاب كرد وبوى كرامتها كرد از آنجا بركشت وروى بخانه كعبه نهاد سالها آنجا مجاور شد واز جمله اوليا كشت:

كداى كوى تواز هشت خلد مستغنيست ... اسـيـر عـشـق تـوازهـر دون آزادسـت

وقال ابن المبارك رحمه الله: كنت يوماً في بستان وأنا شاب وكان معي أصحابي فأكلنا وشربنا وكنت مولعاً بضرب العود فأخذت العود في الليل لأضرب به فنطق العود وقال: ﴿**ألم يأن للذين**﴾ إلخ فضربته بالأرض وكسرته وتركت الأمور الشاغلة عن الله تعالى. وعن مالك بن دينار رحمه الله أنه سئل عن سبب توبته فقال: كنت شرطياً وكنت منهمكاً عن شرب الخمر ثم إني اشتريت جارية نفيسة ووقعت مني أحسن موقع فولدت لي بنتاً فشغفت بها فلما دبت على الأرض ازدادت في قلبي حباً وألفتني وألفتها فكنت إذا وضعت المسكر جاءت إلي وجاذبتني إياه وأراقته على ثوبي فلما تم لها سنتان ماتت فأكمدني الحزن عليها فلما كانت ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة جمعة بت ثملاً من الخمر ولم أصل صلاة العشاء فرأيت كأن أهل القبور قد خرجوا وحشر الخلائق وأنا معهم فسمعت حساً من ورائي فالتفت فإذا أنا بتنين عظيم أعظم ما يكون أسود أزرق قد فتح فاه مسرعاً نحوي فمررت بين يديه هارباً فزعاً مرعوباً فمررت في

طريق بشيخ نقي الثياب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت له: أجرني وأغثني فقال: أنا ضعيف وهذا أقوى مني وما أقدر عليه ولكن مر وأسرع فلعل الله يسبب لك ما ينجيك منه فوليت هارباً على وجهي فصعدت على شرف من شرف القيامة فأشرفت على طبقات النيران فنظرت إلى أهلها فكدت أهوى فيها من فزع التنين وهو في طلبي فصاح بي صائح ارجع فلست من أهلها فاطمأننت إلى قوله ورجعت ورجع التنين في طلبي فأتيت الشيخ فقلت: يا شيخ سألتك أن تجيرني من هذا التنين فلم تفعل فبكى الشيخ وقال: أنا ضعيف ولكن سر إلى هذا الجبل فإن فيه ودائع للمسلمين فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك فنظرت إلى جبل مستدير فيه كوى مخرقة وستور معلقة على كل خوخة وكوة مصراعان من الذهب الأحمر مفصلان باليواقيت مكللان بالدر وعلى كل مصراع ستر من الحرير فلما نظرت إلى الجبل هربت إليه والتنين ورائي حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة ارفعوا الستور وافتحواالمصاريع وأشرفوا فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه وإذا الستور قد رفعت والمصاريع قد فتحت فأشرف علي أطفال بوجوه كالأقمار وقرب التنين مني فتحيرت في أمري فصاح بعض الأطفال ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه فأشرفوا فوجاً بعد فوج فإذا بابنتي التي ماتت قد أشرفت علي معهم فلما رأتني بكت وقالت: أبي والله ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم حتى مثلت بين يدي فمدت يدها الشمال إلى يدي اليمنى فتعلقت بها ومدت يدها اليمنى فولى هارباً ثم أجلستني وقعدت في حجري وضربت بيدها اليمنى إلى لحيتي وقالت: يا أبت **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾** فبكيت وقلت: يا بنية وأنتم تعرفون القرآن؟ فقالت: يا أبت نحن أعرف به منكم قلت: فأخبريني عن التنين الذي أراد أن يهلكني قالت: ذلك عملك السوء قويته فأراد أن يغرقك في نار جهنم قلت: فأخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريقي قالت: يا أبت ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء قلت: يا بنية وما تصنعون في هذا الجبل؟ قالت: نحن أطفال المسلمين قد أسكنا فيه إلى أن تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم فانتبهت فزعاً فلما أصبحت فارقت ما كنت عليه وتبت إلى الله تعالى وهذا سبب توبتي.

سر از جيب غفلت بر آرر كنون — كه فردا نماند بحجلت نكون
كنون بايد اى خفته بيدار بود — چو مرك اندر آردز خوابت چه سود
زهجران طفلى كه درخاك رفت — چه نالى كه پاك آمد وپاك رفت
توپاك آمدى بزحذر باش وپاك — كه ننكست ناپاك رفتن بخاك

﴿إن المصدقين والمصدقات﴾ أي: المتصدقين والمتصدقات **﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾** عطف على الصلة من حيث المعنى أي إن الناس الذين تصدقوا وتصدقن وأقرضوا الله قرضاً حسناً وأقرضن والإقراض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة ففيه دلالة على أن المعتبر هو التصدق المقرون بالإخلاص فيندفع توهم التكرار لأن هذا تصدق مقيد وما قبله تصدق مطلق وفي الحديث: «يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار» وفيه إشارة إلى زيادة احتياجهن إلى التصدق.

ـ وروى ـ مسلم عن جابر رضي الله عنه أنه قال: «شهدت مع رسول الله عليه السلام صلاة العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ثم قام متوكئاً على بلال رضي الله عنه

فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى إلى النساء فوعظهن وذكرهن فقال: تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم قالت امرأة: لِمَ يا رسول الله؟ فقال: لأنكن تكثرن الشكاية وتكفرن العشير» أي المعاشر وهو الزوج فجعلن يتصدقن من حليهن ويلقين في ثوب بلال حتى اجتمع فيه شيء كثير قسمه على فقراء المسلمين. ﴿**يضاعف لهم**﴾ على البناء للمفعول مسند إلى ما بعده من الجار والمجرور وقيل: إلى مصدر ما في حيز الصلة على حذف مضاف أي ثواب التصدق ﴿**ولهم أجر كريم**﴾ وهو الذي يقترن به رضى وإقبال:

بدنيا توانى كه عقبى خرى بخرجان من ورنه حسرت خورى

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ۖ وَالشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

﴿**والذين آمنوا بالله ورسله**﴾ كافة وهو مبتدأ ﴿**أولئك**﴾ مبتدأ ثان ﴿**هم**﴾ مبتدأ ثالث خبره قوله ﴿**الصديقون والشهداء**﴾ وهو مع خبره خبر للأول أو هم ضمير الفصل وما بعده خبر لأولئك والجملة خبر للموصول، أي: أولئك ﴿**عند ربهم**﴾ بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو المرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا إلى التصديق واستشهدوا في سبيل الله، قال في «فتح الرحمن»: الصديق نعت لمن كثر منه الصدق وهم ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام: أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ألحقه الله بهم وإن تم به الأربعون لما عرف من صدق نيته وقيل: الشهداء على ثلاث درجات الدرجة الأولى الشهيد بين الصفين وهو أكبرهم درجة ثم كل من قضى بقارعة أو بلية وهي الدرجة الثانية مثل الغرق والحرق والهالك في الهدم والمطعون والمبطون والغريب والميتة بالوضع والميت يوم الجمعة وليلة الجمعة والميت على الطهارة والدرجة الثالثة ما نطقت به هذه الآية العامة للمؤمنين.

وقال بعضهم في معنى الآية: هم المبالغون في الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع أخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله بالوحدانية ولهم بالإيمان أو على الأمم يوم القيامة وقال بعض الكبار: يعني الذين آمنوا بالله إيماناً حقيقياً شهودياً عيانياً لا علمياً بيانياً وذلك بطريق الفناء في الله نفساً وقلباً وسراً وروحاً والبقاء به وآمنوا برسله بفناء صفات القلب والبقاء بصفات الروح أولئك هم المتحققون بصفة الصديقية البالغون أقصى مراتب الصدق والشهداء على نفوسهم بالصدق والوفاء بالعهد لترشح رشحات الصدق عنهم لا جرم لهم أجر الصديقين ونور الشهداء مختص بهم لا بمن آمن بالتقليد وصدق وشهد باللسان من غير العيان والعيان يترتب على الفناء وفرقوا بين الصادق والصديق بأن الصادق كالمخلص بالكسر من تخلص من شوائب الصفات النفسانية مطلقاً والصديق كالمخلص بالفتح من تخلص أيضاً عن شوائب الغيرية والثاني أوسع فلكاً وأكثر إحاطة فكل صديق ومخلص بالفتح صادق ومخلص بالكسر من غير عكس قال أبو علي الجرجاني قدس سره: قلوب الأبرار متعلقة بالكون مقبلين ومدبرين وقلوب الصديقين معلقة بالعرش مقبلين بالله لله. ﴿**لهم أجرهم ونورهم**﴾ مبتدأ وخبر والجملة خبر ثانٍ للموصول والضمير الأول على الوجه الأول للموصول والأخيران للصديقين والشهداء ولا بأس بالفك عند الأمن أي لهم مثل أجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف أداة التشبيه

تنبيهاً على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل: هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين ما للفريق الأول من الأجر والنور وبين تمام ما للأخيرين من الأصل بدون الإضعاف ليحصل التفاوت وأما على الوجه الثاني فمرجع الكل واحد والمعنى: لهم الأجر والنور الموعودان لهم.

قال بعض الكبار: لا يكون الأجر إلا مكتسباً فإن أعطاك الحق تعالى ما هو خارج عن الكسب فهو نور وهبات ولا يقال له أجر ولهذا قال تعالى: ﴿**لهم أجرهم ونورهم**﴾ فإن أجرهم ما اكتسبوه ونورهم ما وهبه الحق لهم من ذلك حتى لا ينفرد الأجر من غير أن يختلط به الوهب لأن الأجر فيه شائبة الاستحقاق؛ إذ هو معاوضة عن عمل متقدم يضاف إلى العبد فما تم أجر إلا ويخالطه نور وذلك لتكون المنة الإلهية مصاحبة للعبد حيث كان فإن تسمية العبد أجيراً مشعر بأن له نسبة في الطاعات والأعمال الصادرة عنه فتكون الإجارة من تلك النسبة ولذلك طلب العبد العون على خدمة سيده فإن قلت: من أي جهة قبل العبد الأجرة والعبد واجب عليه الخدمة لسيده من غير أن يأخذ أجرة وإن جعلناه أجنبياً فمن أي جهة تعين الفرض عليه ابتداء قبل الأجرة والأجير لا يفترض عليه إلا حين يؤجر نفسه؟ قلت: الإنسان مع الحق تعالى على حالتين حالة عبودية وحالة إجارة فمن كونه عبداً فهو مكلف بالفرض كالصلاة والزكاة وجميع الفرائض ولا أجر له على ذلك جملة واحدة ومن كونه أجيراً له الأجرة بحكم الوعد الإلهي ولكن ذلك مخصوص بالأعمال المندوبة لا المفروضة فعلى تلك الأعمال التي ندب الحق إليها فرضت الأجور فإن تقرب العبد بها إلى سيده أعطاه إجارته وإن لم يتقرب لم يطلب بها ولا عوتب عليها ومن هنا كان العبد حكمه حكم الأجنبي في الإجارة للفرض الذي يقابله الجزاء إذ هو العهد الذي بين الله وبين عباده وأما النوافل فلها الأجور المنتجة للمحبة الإلهية كما قال: «لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» والحكمة في ذلك أن المتنفل عبد اختياري كالأجير فإذا اختار الإنسان أن يكون عبداً لله لا عبد هواه فقد آثر الله على هواه وهو في الفرائض عبد اضطرار لا عبد اختيار وبين عبودية الاضطرار وعبودية الاختيار ما بين الأجير والعبد المملوك إذ العبد الأصلي ما له على سيده استحقاقاً إلا ما لا بد منه من مأكل وملبس ثم يقوم بواجبات مقام سيده ولا يزال في دار سيده لا يبرح ليلاً ولا نهاراً إلا إذا وجهه في شغل آخر فهو في الدنيا مع الله وفي القيامة مع الله وفي الجنة مع الله لأنها جميعاً ملك لسيده فيتصرف فيها تصرف الملاك والأجير ما له سوى ما عين له من الأجرة منها نفقته وكسوته وما له دخول على حرم سيده ومؤجره ولا له اطلاع على أسراره ولا تصريف في ملكه إلا بقدر ما استؤجر عليه فإذا انقضت مدة إجارته وأخذ أجرته فارق مؤجره واشتغل بأهله وليس له من هذا الوجه حقية ولا نسبة تطلب ممن استأجره إلا أن يمن عليه رب المال بأن يبعث خلفه ويجالسه ويخلع عليه فذلك من باب المنة وقد ارتفعت عنه في الآخرة عبودية الاختيار فإن تفطنت لهذا نبهك على مقام جليل تعرف منه من أي مقام قالت الأنبياء عليهم السلام مع كونهم عبيداً خلصاً لم يملكهم هوى نفوسهم ولا أحد من خلق الله ومع هذا قالوا: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢، وغيرها] وذلك لأن قولهم هذا راجع إلى تحققهم بدخولهم تحت حكم الأسماء الإلهية بخلاف غيرهم ومن هناك وقعت الإجارة فهم في حال الاضطرار والاختيار عبيد للذات وهم لها ملك فإن الأسماء الإلهية تطلبهم لتظهر آثارها فيهم وهم مخيرون في الدخول تحت أي اسم

إلهي شاؤوا وقد علمت الأسماء الإلهية ذلك فعينت لهم الأجور وكل اسم يناديهم ادخلوا تحت أمري وأنا أعطيكم كذا وكذا فلا يزال أحدهم في خدمة ذلك الاسم حتى يناديه السيد من حيث عبودية الذات فيترك كل اسم إلهي ويقوم لدعوة سيده فإذا فعل ما أمر به حينئذ رجع إلى أي اسم شاء ولهذا يتنفل الإنسان ويتعبد بما شاء حتى يسمع إقامة الصلاة المفروضة فيؤمر بها ويترك النافلة فهو دائماً مع سيده بحكم عبودية الاضطرار كذا في كتاب «الجواهر» للإمام الشعراني قدس سره. ﴿**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك**﴾ الموصوفون بالصفات القبيحة. ﴿**أصحاب الجحيم**﴾ بحيث لا يفارقونها أبداً وفيه دليل على أن الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث إن التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفاً وأراد بالكفر الكفر بالله فهو في مقابلة الإيمان بالله وبتكذيب الآيات تكذيب ما بأيدي الرسل من الآيات الإلهية وتكذيبها تكذيبهم فهو في مقابلة الإيمان والتصديق بالرسل وفيه وصف لهم بالوصفين القبيحين اللذين هما الكفر والتكذيب وفيه إشارة إلى أن الذين كفروا بذاتنا وكذبوا بصفاتنا الكبرى كفراً صريحاً بيناً قلباً وسراً وروحاً أولئك أصحاب جحيم البعد والطرد واللعن المخصوص بالخلود وعبر عن الصفات بالآيات لأن الكتب الإلهية صفات الله تعالى وأيضاً الأنبياء عليهم السلام صفات الله من حيث إنهم مظاهر أسمائه الحسنى وصفاته العليا وقست عليهم سائر المجالي والمرائي لكنهم متفاوتون في الظهور بالكمال وإذا كان تكذيب الأنبياء وآياتهم مما يوجب الوعيد فكذا تكذيب الأولياء وآياتهم فإن العلماء العاملين ورثة الأنبياء والمرسلين، والمراد بآيات الأولياء الكرامات العلمية والكونية فالذين من معاصريهم وغير معاصريهم صدقوهم أولئك أصحاب النعيم والذين كذبوهم أولئك أصحاب الجحيم وهذه الآيات وأصحابها لا تنقطع إلى قيام الساعة فإن باب الولاية مفتوح نسأل الله سبحانه أن يتولانا بعميم أفضاله بحرمة النبي وآله.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿**اعلموا**﴾ بدانيد أي طالبان دنيا. ﴿**أنما الحياة الدنيا**﴾ لفظ الحياة زائد والمضاف مضمر أي أمور الدنيا ويجوز أن تجعل الحياة الدنيا مجازاً عن أمورها بعلاقة اللزوم وفي «كشف الأسرار»: الحياة القربى في الدار الأولى وبالفارسية زندكانىء اين سراى. وما صلة فإن المقصود الحياة في هذه الدار فكل ما قبل الموت دنيا وكل ما تأخر عنه أخرى. ﴿**لعب**﴾ أي عمل باطل تتعبون فيه أنفسكم إتعاب اللاعب بلا فائدة.

باز بچه ايست طفل فريب اين متاع دهر   بى عقل مرد مانكه بد ومبتلا شوند

﴿**ولهو**﴾ تلهون به أنفسكم وتشغلونها عما يهمكم من أعمال الآخرة. ﴿**وزينة**﴾ من الملابس والمراكب والمنازل الحسنة تزينون بها. ﴿**وتفاخر بينكم**﴾ بالأنساب والاحساب تتفاخرون بها والفخر المباهاة في الأشياء الخارجة عن الإنسان كالمال والجاه ويعبر عن كل نفيس بالفاخر كما في «المفردات».

﴿**وتكاثر في الأموال والأولاد**﴾ بالعدد والعدد يعني ومباهاتست بكثرت أموال وأولاد لا سيما التطاول بها على أولياء الله. وبدانيد كه در اندك زمانى آن بازى برطرف شود ولهو وفرح

بغم وترح مبدل كردد وريشها از همه فرو ريزد وتفاخر وتكاثر چون شراره آتش نابود شود. وقيل: لعب كلعب الصبيان وزينة كزينة النسوان وتفاخر كتفاخر الأقران وتكاثر كتكاثر الدهقان قال علي لعمار رضي الله عنهما: لا تحزن على الدنيا فإن الدنيا ستة أشياء: مطعوم ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح فأكبر طعامها العسل وهو ريقة ذبابة وأكبر شرابها الماء ويستوي فيه جميع الحيوان وأكبر الملبوس الديباج وهو نسج دودة وأكبر المشموم المسك وهو دم ظبية وأكبر المركوب الفرس وعليها يقتل الرجال وأكبر المنكوح النساء وهو مبال في مبال وفي الحديث: «ما لي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قام في ظل شجرة في يوم صائف ثم راح وتركها».

جهان اى پسر ملك جاويد نيست زدنيا وفادار اميد نيست

﴿كمثل غيث﴾ محل الكاف النصب على الحالية من الضمير في لعب لأن فيه معنى الوصف أي تثبت لها هذه الأوصاف مشبهة غيثاً أو خبر مبتدأ محذوف، أي هي كمثل أو خبر بعد خبر للحياة الدنيا والغيث مطر محتاج إليه بغيث الناس من الجدب عند قلة المياه فهو مخصوص بالمطر النافع بخلاف المطر فإنه عام. ﴿أعجب الكفار﴾ أي: الحراث قال الأزهري: العرب تقول للزراع كافر لأنه يكفر أي يستر بذره بتراب الأرض والكفر في اللغة التغطية ولهذا يسمى الكافر كافراً لأنه يغطي الحق بالباطل والكفر القبر لسترها الناس وفي الحديث «أهل الكفور أهل القبور» والليل كافر لستره الأشخاص. ﴿نباته﴾ أي النبات الحاصل منه، والمراد الكافرون بالله لأنهم أشد إعجاباً بزينة الدنيا ولأن المؤمن إذا رأى معجباً انتقل فكره إلى قدرة صانعه فأعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما أحسن به فيستغرق فيه إعجاباً وقد منع في بعض المواضع عن إظهار الزينة صوناً لقلوب الضعفاء كما في الأعراس ونحوها. ﴿ثم يهيج﴾ أي: يجف بعد خضرته ونضارته بآفة سماوية أو أرضية يقال: هاج النبت يهيج هيجاً وهيجاناً وهياجاً بالكسر يبس والهائجة أرض يبس بقلها أو اصفر وأهاجه أيبسه وأهيجها وجدها هائجة للنبات. ﴿فتراه مصفراً﴾ بعدما رأيته ناضراً مونقاً وإنما لم يقل فيصفر إيذاناً بأن اصفراره مقارن لجفافه وإنما المرتب عليه رؤيته كذلك ﴿ثم يكون﴾ پس كردد بعد از زردى ﴿حطاماً﴾ درهم شكسته وكوفته وريزه ريزه شده. قال في «القاموس»: الحطم الكسر أو خاص باليابس فالآية تحقير لأمور الدنيا أعني ما لا يتوصل به إلى الفوز الآجل ومنه المثل وبيان أنها أمور خيالية أي باطلة لا حقيقة لها وعن علي رضي الله عنه: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا قليلة النفع سريعة الزوال لا يركن إليها العقلاء فضلاً عن الاطمئنان بها وتمثيل لحالها في سرعة تقضيها وقلة نفعها بحال النبات المذكور زينة الحياة الدنيا هي زينة الله إلا أنها تختلف بالقصد وهي محبوبة بالطبع فإذا تحرك العبد إليها بطبعه كانت زينة الحياة الدنيا فذم بذلك وإن كانت غير محرمة شرعاً وإذا تحرك إليها بأمر من ربه كانت زينة الله وحمد بها وذلك لأن أمر الله وكل ما يرجع إليه جد كله والحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر وفخر الإنسان على مثله إنما هو من جهله بحقيقته فهذا سبب الذم قال بعض الكبار: الشهوات سبع وهي ما ذكر في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤] وقد أنزلها الله إلى خمس في هذه الآية وهي ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا﴾ إلخ ثم

أنزل هذه الخمس إلى أمرين في آية أخرى كما قال في سورة محمد ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦] ثم جعل هذين الأمرين أمراً واحداً في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النازعات: ٤٠] فالهوى جامع لأنواع الشهوات فمن تخلص من الهوى من كل قيد وبرزخ بلغ مسالك الوصول إلى المطلب الأعلى والمقصد الأقصى **﴿وفي الآخرة عذاب شديد﴾** لمن أقبل عليها ولم يطلب بها الآخرة وقدم ذكر العذاب لأنه من نتائج الانهماك فيما فصل من أحوال الحياة الدنيا. **﴿ومغفرة﴾** عظيمة كائنة **﴿من الله ورضوان﴾** كثير لا يقادر قدره لمن أعرض عنها وقصد بها الآخرة بل الله تعالى فإن الدنيا والآخرة حرامان على أهل الله:

أي طالب دنيا توبسى مغروری ... وی مائل عقبى تويكى مزدوری
وی آنكه زميل هردو عالم دوری ... تو طالب نور بلكه عين نوری

وفيه إشارة إلى فضل النية الحسنة وأنها تحيل المباح ونحوه طاعة، قال بعض الكبار: من استقامت سريرته وصلحت نيته أدرك جميع ما تمناه من الأعمال الصالحة وفي الخبر: «من نام على طهارة وفي عزمه أنه يقوم من الليل فأخذ الله بنفسه إلى الصباح كتب الله له قيام ليله» وورد مثل ذلك فيمن خرج لجهاد أو حج وتأمل الطباخ والخباز يقوم من الليل يهيىء الطعام والخبز للآكلين وهم نائمون وهو طالب للربح ناسياً حاجة الناس ولو كان ذا بصيرة لفعل ذلك بقصد مصالح العباد وجعل ربحه ونفعه بحكم البيع والحاصل أن أهل الكسب سواء كانوا من أهل السوق أو من غيرهم ينبغي أن تكون نيتهم السعي في مصالح العباد والتقوى بكسبهم على طاعة الله حتى يكونوا مأجورين في ذلك ومن استرقه الكون بحكم مشروع كالسعي في مصالح العباد والشكر لأحد من المخلوقين من جهة نعمة أسداها إليه فهو لم يبرح عن عبوديته لله تعالى؛ لأنه في أداء واجب أوجبه الحق عليه وتعبد العبد لمخلوق عن أمر الله لا يقدح في العبودية بخلاف من استرقه الكون لغرض نفسي ليس للحق فيه رائحة أمر فإن ذلك يقدح في عبوديته لله ويجب عليه الرجوع إلى الحق تعالى. قال بعض الكبار: من ذم الدنيا فقد عق أمه لأن جميع الأنكاد والشرور التي ينسبها الناس إلى الدنيا ليس هو فعلها وإنما هو فعل أولادها لأن الشر فعل المكلف لا فعل الدنيا فهي مطية العبد عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فهي تحب أن لا يشقى أحد من أولادها لأنها كثيرة الحنو عليهم وتخاف أن تأخذهم الضرة الأخرى على غير أهبة مع كونها ما ولدتهم ولا تعبث في تربيتهم فمن عقوق أولادها كونهم ينسبون جميع أفعال الخير إلى الآخرة ويقولون أعمال الآخرة والحال أنهم ما عملوا تلك الأعمال إلا في الدنيا فللدنيا أجر المصيبة التي في أولادها ومن أولادها فمن أنصف من ذمها بل هو جاهل بحق أمه ومن كان كذلك فهو بحق الآخرة أجهل، وفي الحديث: «إذا قال العبد لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه» وقال بعضهم: طلب الثواب على الأعمال بحسن النيات والرغبة فيه لا يختص بالعامة بل لا يتحاشى عنه الكمل لعلمهم أن الله تعالى أنشأهم على أمور طبيعية وروحانية فهم يطلبون ثواب ما وعد الله به ويرغبون فيه إثباتاً للحكم الإلهي فإن المكابرة بالربوبية غير جائزة فهم مشاركون للعامة في طلب الرغبة ويتميزون في الباعث على ذلك فكان طلب العارفين ذلك لإعطاء كل ذي حق حقه ليخرجوا عن ظلم أنفسهم إذا وفوها حقها فمن لم يوف نفسه حقها فقد نزل عن درجة الكمال وكان غاشاً لنفسه. **﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع**

الغرور﴾ أي كالمتاع الذي يتخذ من نحو الزجاج والخزف مما يسرع فناؤه يميل إليه الطبع أول ما رآه فإذا أخذه وأراد أن ينتفع به ينكسر ويفنى.

ـ حكي ـ أنه حمل إلى بعض الملوك قدح فيروزج مرصعاً بالجواهر لم ير له نظير وفرح به الملك فرحاً شديداً فقال لمن عنده من الحكماء: كيف ترى هذا؟ قال: أراه فقراً حاضراً ومصيبة عاجلة قال: وكيف ذلك؟ قال: إن انكسر فهو مصيبة لا جبر لها وإن سرق صرت فقيراً إليه وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة والفقر فاتفق أنه انكسر القدح يوماً فعظمت المصيبة على الملك وقال: صدق الحكيم ليته لم يحمل إلينا ثم كونها متاع الغرور والخدعة إنما هو لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة إلى الآخرة وأما من اشتغل فيها بطلب الآخرة فهي له متاع بلاغ إلى ما هو خير منها وهي الجنة فالدنيا غير مقصودة لذاتها بل لأجر الآخرة وفي الحديث: «نعم المال الصالح للرجل الصالح». وفي «المثنوي»:

مال راكذ بهر حق باشى حمول ... نعم مال صالح كفتش رسول

فما شغل العبد عن الآخرة فهو من الدنيا وما لا فهو من الآخرة قال بعض الكبار: ورد خطاب إلهي يقول فيه: خلقت الخلق لينظروا إلى مفاتيح الدنيا ومحاسن الناس فيؤديهم النظر في مفاتيح الدنيا إلى الزهد فيها ويؤديهم النظر في محاسن الناس إلى حسن الظن بهم فعكسوا القضية فنظروا إلى محاسن الدنيا فرغبوا فيها ونظروا إلى مساوي الناس فاغتابوهم.

ـ حكي ـ أن الشيخ أبا الفوارس شاهين بن شجاع الكرماني رحمه الله خرج للصيد وهو ملك كرمان فأمعن في الطلب حتى وقع في برية مقفرة وحده فإذا هو بشاب راكب على سبع وحوله سباع فلما رأته ابتدرت نحوه فزجرها الشاب عنه فلما دنا إليه سلم عليه وقال له: يا شاه ما هذه الغفلة عن الله اشتغلت بدنياك عن آخرتك وبلذتك وهواك عن خدمة مولاك إنما أعطاك الله الدنيا لتستعين بها على خدمته فجعلتها ذريعة إلى الاشتغال عنه فبينما الشاب يحدثه إذ خرجت عجوز وبيدها شربة ماء فناولتها الشاب فشرب ودفع باقيه إلى الشاه فشربه فقال: ما شربت شيئاً ألذ منه ولا أبرد ولا أعذب ثم غابت العجوز فقال الشاب: هذه الدنيا وكلها الله إلى خدمتي فما احتجت إلى شيء إلا أحضرته إلى حين يخطر ببالي أما بلغك أن الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها: يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه فلما رأى ذلك تاب واجتهد إلى أن كان من أهل الله تعالى فإن قلت إن الله تعالى خلق للإنسان جميع ما في الأرض ولا ينبغي للعروس أن تجمع ما نثر عليها بطريق الإعزاز والإكرام فمن عرف شأنه الجليل ما نظر إلى الأمر الحقير القليل بل كان من أهل المروءة والهمة العالية في الإعراض عما سوى الله تعالى والإقبال والتوجه إلى الله تعالى.

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾

﴿سابقوا﴾ أي: سارعوا مسارعة السابقين لأقرانهم في المضمار وهو الميدان **﴿إلى مغفرة﴾** عظيمة كائنة. **﴿من ربكم﴾** أي: إلى أسبابها وموجباتها كالاستغفار وسائر الأعمال الصالحة أي بحسب وعد الله وإلا فالعمل نفسه غير موجب وفي دعائه عليه السلام: «أسألك عزائم مغفرتك» أي: أن توفقني للأعمال التي تغفر لصاحبها لا محالة ويدخل فيها لمسابقة إلى

التكبيرة الأولى مع الإمام ونحوها. سلمى قدس سره كفت كه وسيله معفرت حضرت رسالت است عليه السلام پس حق سبحانه وتعالى ميفرمايدكه شتاب نماييد بمتابعت اوكه سبب آمرزش است:

پيمبركسى را شفاعت كرست كه بر جاده شرع پيغمبرست

قال الشيخ الشهير بأفتاده قدس سره: إن الله تعالى أرسلنا من عالم الأمر إلى عالم الأرواح ثم منه إلى عالم الأجسام وخلقنا في أحسن تقويم وأعطانا اختياراً جزئياً وقال: إن كنتم صرفتم ذلك الاختيار إلى جانب العبادات والطاعات وإلى طريق الوصول إلى الحسنات أدخلكم الجنة وأيسر لكم الوصال ورؤية الجمال وأمرنا بالإسراع إلى تلك الطريق على وجه المبالغة فإن صيغة المفاعلة للمبالغة وإنما أمر بمبالغة الإسراع لقلة عمر الدنيا وقد ذهب الأنبياء والأولياء ونحن نذهب أيضاً فينبغي أن نسرع في طريق الحق لئلا يفوت الوصول إلى الدرجات العالية بالإهمال والتكاسل وطريق الإسراع في مرتبة الطبيعة الامتثال بالأوامر والاجتناب عن النواهي وفي مرتبة النفس تزكيتها عن الأخلاق الرديئة كالكبر والرياء والعجب والغضب والحسد وحب المال وحب الجاه وتحليتها بالأخلاق المحمودة كالتواضع والإخلاص ورؤية التوفيق من الله والحلم والصبر والرضى والتسليم والعشق والإرادة ونحوها وفي مرتبة الروح بتحصيل معرفة الله تعالى وفي مرتبة السر بنفي ما سوى الله تعالى وقال البقلي قدس سره: دعا المريدين إلى مغفرته بنعت الإسراع ودعا المشتاقين إلى جماله بنعت الاشتياق وقد دخل الكل في مظنة الخطاب لأن الكل قد وقعوا في بحار الذنوب حين لم يعرفوه حق معرفته ولم يعبدوه حق عبادته فدعاهم جميعاً إلى التطهير في بحر رحمته حتى صاروا متطهرين من غرورهم بأنهم عرفوه فإذا وصلوا إلى الله عرفوا أنهم لم يعرفوه فيأخذ الله بأيديهم بعد ذلك ويكرمهم بأنواع ألطافه ثم إن المسابقة إنما تكون بعد القصد والطلب. وفي «المثنوي»:

كر كران وكر شتابنده بود آنكه كوينده است يا بنده بود

﴿وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾ أي: كعرض سبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض على أن يكون اللام في السماء والأرض للاستغراق وإذا كان عرضها كذلك فما ظنك بطولها فإن طول كل شيء أكثر من عرضه، قال إسماعيل السدي رحمه الله: لو كسرت السموات والأرض وصرن خردلاً فبكل خردلة لله جنة عرضها كعرض السموات والأرض ويقال: هذا التشبيه تمثيل للعباد بما يعقلون ويقع في نفوسهم مقدار السموات والأرض وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية. ﴿أعدت﴾ هيئت ﴿للذين آمنوا بالله ورسله﴾ فيه دليل على أن الجنة مخلوقة بالفعل كما هو مذهب أهل السنة وأن الإيمان وحده كاف في استحقاقها إذ لم يذكر مع الإيمان شيء آخر ولكن الدرجات بأعمال وفيه شيء فإن الإيمان بالرسل إنما يكمل بالإيمان بما في أيديهم من الكتب الإلهية والعمل بما فيها. ﴿ذلك﴾ الذي وعد من المغفرة والجنة ﴿فضل الله﴾ وعطاؤه وهو ابتداء لطف بلا علة. ﴿يؤتيه﴾ تفضلاً وإحساناً. ﴿من يشاء﴾ إيتاءه إياه من غير إيجاب لا كما زعمه أهل الاعتزال. ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ ولذلك يؤتي من يشاء مثل ذلك الفضل الذي لا غاية وراءه والمراد منه التنبيه على عطاء أن العظيم عظيم والإشارة إلى أن أحداً لا يدخل الجنة إلا بفضل الله نبياً أو ولياً قال عليه السلام: «خرج منه عندي خليلي جبرائيل عليه السلام آنفاً فقال: يا محمد

والذي بعثك بالحق إن عبداً من عباد الله عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل يحيط به بحر فأخرج الله له عيناً عذبة في أسفل الجبل وشجرة رمان كل يوم تخرج رمانة فإذا أمسى نزل وأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام للصلاة فسأل ربه أن يقبض روحه ساجداً وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء على جسده سبيلاً على أن يبعثه الله وهو ساجد ففعل ونحن ونمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا وهو على حاله في السجود قال جبريل: فنحن نجد في العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله فيقول له الرب: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي فيقول العبد: بل بعملي فيقول الله قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة وبقيت عليه النعم الباقية بلا عبادة في مقابلتها فيقول الله: أدخلوا عبدي النار فيجر إلى النار فينادي ويقول: برحمتك أدخلني الجنة فيقول الله: ردوه إلي فيوقف بين يديه فيقول عبدي: من خلقك ولم تك شيئاً؟ فيقول أنت يا ربّ فيقول: أكان ذلك بعملك أو برحمتي؟ فيقول: بل برحمتك فيقول: من قواك على عبادة خمسمائة سنة؟ فيقول: أنت يا رب فيقول: من أنزلك في جبل وسط البحر وأخرج الماء العذب من بين المالح وأخرج لك رمانة كل ليلة وإنما تخرج في السنة مرة واحدة وسألتني أن أقبضك ساجداً من فعل بك ذلك كله؟ فيقول: أنت يا رب قال: فذلك كله برحمتي وبرحمتي أدخلك الجنة»:

چورويى بخدمت نهى بر زمين خدارا ثنا كوى وخودرا مبين
اميدى كه دارم بفضل خداست كه برسعى خود تكيه كردن خطاست
همين اعتمادم بيارىء حق اميدم بآمر زكارىء حق

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿**ما أصاب من مصيبة في الأرض**﴾ ما نافية والمصيبة أصلها في الرمية يقال: أصاب السهم إذا وصل إلى المرمى بالصواب ثم اختص بالنائبة أي ما حدث من حادثة كائنة في الأرض كجدب وعاهة في الزروع والثمار. ﴿**ولا في أنفسكم**﴾ كمرض وآفة وموت ولد وخوف عدو وجوع ﴿**إلا في كتاب**﴾ أي: إلا مكتوبة مثبتة في علم الله أو في اللوح المحفوظ. ﴿**من قبل أن نبرأها**﴾ نخلق الأنفس أو المصائب أو الأرض فإن البرء في اللغة هو الخلق والبارىء الخالق وذكر ربيع بن صالح الأسلمي قال: دخلت على سعيد بن جبير حين جيء به إلى الحجاج حين أراد قتله فبكى رجل من قومه فقال سعيد: ما يبكيك؟ قال: ما أصابك قال: فلا تبكِ قد كان في علم الله أن يكون هذا ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها**﴾. قال في «الروضة»: رؤي الحجاج في المنام بعد وفاته فقيل: ما فعل الله بك؟ فقال: قتلني بكل قتيل قتلة وبسعيد بن جبير سبعين قتلة. وفي الآية دليل على أن جميع الحوادث الأرضية قبل دخولها في الوجود وكذا جميع أعمال الخلق بتفاصيلها مكتوبة في اللوح المحفوظ ليستدل الملائكة بذلك المكتوب على كونه تعالى عالماً بجميع الأشياء قبل وجودها وليعرفوا حلمه فإنه تعالى مع علمه أنهم يقومون على المعاصي خلقهم ورزقهم وأملهم وليحذروا من أمثال تلك المعاصي وليشكروا الله على توفيقه

إياهم للطاعات وعصمته إياهم من المعاصي وفيها دليل أيضاً أنه تعالى يعلم الأشياء قبل وقوعها لأن إثباتها في الكتاب محال ولو سأل سائل أن الله تعالى هل يعلم عدد أنفاس أهل الجنة؟ يقال له: إن الله يعلم أنه لا عدد لأنفاسهم. ﴿إن ذلك﴾ أي إثباتها في كتاب مع كثرتها. ﴿على الله﴾ متعلق بقوله: ﴿يسير﴾ لاستغنائه فيه عن العدة والمدة وإن كان عسيراً على العباد قال الجنيد قدس سره: من عرف الله بالربوبية وافتقر إليه في إقامة العبودية وشهد بسره ما كشف الله له من آثار القدرة بقوله: ﴿ما أصاب﴾ إلخ فسمع هذا من ربه وشهد بقلبه وقع في الروح والراحة وانشرح صدره وهان عليه ما يصيبه فإن قلت: كان الله قادراً على أن يوصل العباد إليه بلا تعب ولا مصيبة فكيف أوقعهم في المحن والبلايا؟ قلت: أراد أن يعرفهم بامتحان القهر حقائق الربوبية وغرائب الطرق إليه حتى يصلوا إليه من طريق الجلال والجمال ففي الآية توطين للنفوس على الرضى بالقضاء والصبر على البلاء وحمل لها على شهود المبتلى في عين البلايا فإن به يسهل التحمل وإلا فمن كان غافلاً عن مبدأ اللطف والقهر فهو غافل في اللطف والقهر ولذا تعظم عليه المصيبة بخلاف حال أهل الحضور فإنهم يلتذون بالبلاء التذاذهم بالعافية بل ولذة البلاء فوق لذة العافية:

ازدست تومشت بردهانم خوردن ... خوشتركه بدست خويش نانم خوردن

ومن أمثال العرب: ضرب الحبيب زبيب أي لذيذ.

﴿لكيلا تأسوا﴾ يقال: أسى على مصيبته يأسى أسى من باب علم أي حزن أي أخبرناكم بإثباتها وكتابتها في كتاب كيلا يحصل لكم الحزن والألم. ﴿على ما فاتكم﴾ من نعم الدنيا كالمال والخصب والصحة والعافية. ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ أي: أعطاكم الله منها فإن من علم أن كلاً من المصيبة والنعمة مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتي ما قدر إتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت إذ يجوز أن يقدر ذهابه عن قريب وقيل لبرزجمهر: أيها الحكيم ما لك لا تحزن على ما فات ولا تفرح بما هو آت قال: لأن الفائت لا يتلافى بالعبرة والآتي لا يستدام بالحبرة، أي بالحبور والسرور لا التأسف يرد فائتاً ولا الفرح يقرب معدوماً. قال ابن مسعود رضي الله عنه: لأن أمس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إلي من أن أقول لشيء لم يكن ليته كان.

قال الكاشفي: اخبارست بمعنى نهى يعني ازادبار دنيا ملول واز اقبال او مسرور مشويد كه نه آنرا قراريست ونه اين را اعتبارى كردست:

دهد كراى شادى نكند ... ورفوت شود نيرزد بغمى

واز مرتضى رضي الله عنه منقولست كه هركه بدين آيت كار كند هر آيينه فرا كيردزهد اورا بهردو طرف او يعني زاهدي تمام باشد وچه زيبا كفته اند:

پندست پسنديده بكن ياد ازان ... تادني ودينت شود آباد ازان

والمراد بالآية نفي الأسى المانع عن التسليم لأمر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذا عقب بقوله تعالى: ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ فإن من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها لا محالة والمختال المتكبر المعجب وهو من الخيلاء وهو التكبر من تخيل فضيلة تتراءى للإنسان من نفسه ومنها يتأول لفظ الخيل لما قيل: إنه لا يركب أحد فرساً إلا وجد في نفسه نخوة وبالفارسية وخداى تعالى دوست ندارد هر متكبري راكه بر

نعمت دنيا برديكرى تطاول كند فخور نازنده بدنيا وفخر كننده بدان برا كفاء واقران. قال في «بحر العلوم»: المختال ذو الخيلاء والكبر وهو من العام المخصوص بدليل قول النبي عليه السلام: «إن من الخيلاء ما يحبها الله ومنها ما يبغضها الله أما الخيلاء التي يحبها الله فالاختيال عند الصدقة واختيال الرجل بنفسه عند اللقاء وأما الخيلاء التي يبغضها الله فالاختيال في البغي والفجور» أي لا يحب كل متكبر بما أوتي من الدنيا فخور مبالغ في الفخر به على الناس انتهى وصف بعض البلغاء متكبراً فقال: كأن كسرى حامل غاشيته وقارون وكيل نفقته وبلقيس إحدى داياته وكأن يوسف لم ينظر إلا بمقلته ولقمان لم ينطق إلا بحكمته وكأن الخضراء له عرشت والغبراء باسمه فرشت وفي تخصيص التذييل بالنهي عن الفرح المذكور إيذان بأنه أقبح من الأسى وفي الآية إشارة إلا أنه يلزم أن يثبت الإنسان على حال في السراء والضراء فإن كان لا بد له من فرح فليفرح شكراً على عطائه لا بطراً وإن كان لا بد من حزن فليحزن صبراً على قضائه لا ضجراً قال قتيبة بن سعيد: دخلت على بعض أحياء العرب فإذا أنا بفضاء مملوء من الإبل الميتة بحيث لا تحصى ورأيت شخصاً على تل يغزل صوفاً فسألته فقال: كانت باسمي فارتجعها من أعطاها ثم أنشأ يقول:

لا والـذي أنـا عـبـد مـن خـلائـقـه والمرء في الدهر نصب الرزء والمحن
مـا سـرنـي أن أبـلـى فـي مـبـاركـهـا ومـا جـرى مـن قـضـاء الله لـم يـكـن

قال البقلي قدس سره: طالب الله بهذه الآية أهل معرفته بالاستقامة والاتصاف بصفاته أي كونوا في المعرفة بأن لا يؤثر فيكم الفقدان والوجدان والقهر واللطف والاتصال والانفصال والفراق والوصال لأن من شرط الاتصاف أن لا يجري عليه أحكام التلوين والاضطراب في اليقين والاعوجاج في التمكين. قال القاسم رحمه الله: ولا تأسوا على ما فاتكم من أوقاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم من توبتكم وطاعتكم فإنك لا تدري ما قدر الله فيك وقضى وقال الواسطي رحمه الله: الفرح بالكرامات من الاغترارات والتلذذ بالأفضال نوع من الإغفال والخمود تحت جريان الأمور زين لكل مأمور. وقال شيخي وسندي رحمه الله في كتاب «اللائحات والبرقيات»: لا تحزنوا بما فاتكم مما سوى الله ولا تفرحوا بما آتاكم مما عدا الله حتى لا تظلموا الحزن والفرح بوضعهما في غير موضعهما واحزنوا بما فاتكم من الله وافرحوا بما آتاكم من الله حتى تعدلوا فيهما بوضعهما في موضعهما لأن الله تعالى حق وما خلاه باطل فكما أن الحزن والفرح بالحق حق وعدل لهما والفاعل للحق محق وعادل فكذلك إن الحزن والفرح بالباطل باطل وظلم لهما والفاعل بالباطل مبطل وظالم ولا يفرح ولا يحزن بالله إلا المهاجرون إلى الله ولا يحزن ولا يفرح بما سوى الله إلا المعرضون عن الله فعليك بسبيل العادلين في جميع أحوالك وإياك وطريق الظالمين ومما سوى الله المال والملك قال الحسن رضي الله عنه: لصاحب المال في ماله مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما يسلب عن كله ويسأل عن كله.

هـمـه تـخـت ومـلـكـى پـذيـرد زوال بـجـز مـلـك فـرمـان ده لا يـزال
هـنـر بـايـد وفـضـل وديـن وكـمـال كـه كـاه آيـدوكـه رود جـاه ومـال

ـ حكي ـ أن طيراً في عهد سليمان عليه السلام كان له صورة حسنة وصوت حسن اشتراه رجل بألف درهم وجاء طير آخر فصاح صيحة فوق قفصه وطار فسكت الطير وشكا الرجل إلى

سليمان فقال: أحضروه فلما أحضروه وقال سليمان: لصاحبك عليك حق فقد اشتراك بثمن غالٍ فلم سكت؟ قال: يا نبي الله قل له حتى يرفع قلبه عني إني لا أصيح أبداً ما دمت في القفص قال: لم؟ قال: لأن صياحي كان من الجزع إلى الوطن والأولاد وقد قال لي ذلك الطير: إنما حبسك لأجل صوتك فاسكت حتى تنجو فقال سليمان للرجل ما قال الطير فقال الرجل: أرسله يا نبي الله فإني كنت أحبه لصوته فأعطاه سليمان ألف درهم ثم أرسل الطير فطار وصاح سبحان من صورني وفي الهواء طيرني ثم في القفص صيرني ثم قال سليمان: إن الطير ما دام في الجزع لم يفرج عنه فلما صبر فرج عنه وبسببه خلص الرجل من التعلق به ففيه إشارة إلى الفناء عن أوصاف النفس فإذا فني العبد عنها تخلص من الاضطراب وجاز إلى عالم السكون ومعرفة سر القدر وفي الحديث: «الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن» قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم قدس سره: ولقد مرضت في سالف أيامي مرضة فلما شفاني الله منها مثلت نفسي بين ما دبر الله لي من هذه العلة في مقدار هذه المدة وبين عبادة الثقلين في مقدار أيام علتي فقلت: لو خيرت بين هذه العلة وبين أن تكون لي عبادة الثقلين في مقدار مدتها إلى أيهما تميل اختياراً فصح عزمي ودام يقيني ووقعت بصيرتي على أن مختار الله تعالى لي أكثر شرفاً وأعظم خطراً وأنفع عاقبة وهي العلة التي دبرها لي ولا شوب فيه إذ كان فعله فشتان بين فعله بك لتنجو به وبين فعلك لتنجو به فلما رأيت هذا دق في عيني عبادة الثقلين مقدار تلك المدة في جنب ما آتاني الله فصارت العلة عندي نعمة وصارت النعمة منة وصارت المنة أملاً وصار الأمل عطفاً فقلت في نفسي: بهذا كانوا يستمرون في البلاء على طيب النفوس مع الحق وبهذا الذي انكشف كانوا يفرحون بالبلاء انتهى.

قال الصائب:

تـرك هـسـتـى كـن كـه	آسـودسـت از تـاراج سـيـل
هـركـه پـيـش از سـيـل	رخت خود برون از خانه ريخت

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾﴾

﴿**الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل**﴾ بدل من كل مختال فإن المختال بالمال يضن به غالباً ويأمر غيره به وهذا غاية الذم أنه يبخل الإنسان ويأمر غيره بالبخل والمعنى يمسكون أموالهم ولا يخرجون منها حق الله فإن البخل إمساك المقتنيات عما يحق إخراجها فيه ويقابله الجود يقال: بخل فهو باخل وأما البخيل فالذي يكثر منه البخل كالرحيم من الراحم والبخل ضربان بخل بقنيات نفسه وبخل بقنيات غيره وهو أكثرهما وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿**الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل**﴾ كما في «المفردات» وبالفارسية: مختال وفخور آنانند كه باوجود دنيا دارى وجمع أسباب آن بخل كنند ومال خود در راه خدا صرف ننمايند وبا وجود بخل خود امر نمايند مرد ما نرا به بخيلي كردن. وعن النبي عليه السلام: «أنه قال لبني سلمة: من سيدكم؟ قالوا: الجد بن قيس وإنا لنبخله فقال: وأي داء أدوأ من البخل بل سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح» وفي الحديث: «أربعة لا يجدون ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من

مسيرة خمسمائة عام البخيل والمنان ومدمن الخمر والعاق للوالدين» ﴿ومن﴾ وهركه ﴿يتول﴾ يعرض عن الإنفاق ﴿فإن الله هو الغني﴾ عنه وعن إنفاقه ﴿الحميد﴾ المحمود في ذاته لا يضره الإعراض عن شكره ولا ينفعه التقرب إليه بشيء من نعمه وفيه تهديد وإشعار بأن الأمر بالإنفاق لمصلحة المنفق وإشارة إلى أن من أعرض عن الإقبال على الله والإدبار عن الإنفاق فإن الله غني بحسب ذاته عن إقباله وبحسب صفاته عن إدباره بل هو حميد في ذاته وصفاته لا ينفعه إقباله ولا يضره إدباره؛ إذ الضار النافع هو لا غيره وأيضاً إلى النفوس البشرية الأمارة بالسوء بالتقاعد عن الإقدام على الطاعة والعبادة ودعوة القلوب والأرواح إلى الارتكاب للمعاصي والاجتناب عن الطاعات بحسب الغلبة في بعض الأوقات لاستهلاك القوى الروحانية بحسب ظلمات القوى الجسمانية قال بعض الكبار: الإنسان من حيث نشأته الطبيعية سعيد وكذلك من حيث نفسه الناطقة ما دامت كل نشأة منفردة عن صاحبتها فما ظهرت المخالفة إلا بالمجموع ولما جبل الإنسان على الإمساك لأن أصله التراب وفيه يبس وقبض لم يرض بذهاب مال نفسه وغيره فلذا بخل وأمر بالبخل.

زر از بهر خوردن بود اي پدر زبهر نهادن چه سنك وچه زر

﴿لقد أرسلنا رسلنا﴾ أي: الملائكة إلى الأنبياء أو الأنبياء إلى الأمم وهو الأظهر كما في «الإرشاد» ﴿بالبينات﴾ بحجتهاى روشن كه معجز اتست باشريعتهاى واضحه. فإن قلت: المعجزات يخلقها الله على يدي مدعي النبوة كإحياء الموتى وقلب العصا واليد البيضاء وشق القمر من غير نزول الملك بها نعم معجزة القرآن نزل بها الملك ولكن نزوله بها على كل رسول غير ثابت قلت: معنى نزول الملك بها أن الله يخبره على لسانه بوقوع تلك المعجزة على يده. ﴿وأنزلنا معهم الكتاب﴾ أي: جنس الكتب الشامل للكل لتبيين الحق وتمييز صواب العمل أي لتكميل القوة النظرية والعملية. قوله: معهم يجعل على تفسير الرسل بالأنبياء حالاً مقدرة من الكتاب أي مقدراً كونه معهم وإلا فالأنبياء لم ينزلوا حتى ينزل معهم الكتاب فالنزول مع الكتاب شأن الملائكة والإنزال إليهم شأن الأنبياء ولذا قدم الوجه الأول إذ لو كان المعنى لقد أرسلنا الأنبياء إلى الأمم لكان الظاهر أن يقال: وأنزلنا إليهم الكتاب. ﴿والميزان﴾ بالفارسية ترازو ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ ليتعاملوا بينهم بالعدل ايفاء واستيفاء ولا يظلم أحد أحداً في ذلك وإنزاله إنزال أسبابه والأمر بإعداده وإلا فالميزان من مصنوعات البشر وليس بمنزل من السماء.

ـ وروي ـ أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان نفسه فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال: مر قومك يزنوا به يعني تاتسويه حقوق كنند بدان درميان يكديكر بوقت معاملات. وقال الإمام الغزالي رحمه الله: أتظن أن الميزان المقرون بالكتاب هو ميزان البر والشعير والذهب والفضة أم تتوهم أنه هو الطيار والقبان ما أبعد هذا الحسبان وأعظم هذا البهتان فاتق الله ولا تتعسف في التأويل. واعلم يقيناً أن هذا الميزان هو ميزان معرفة الله ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته ليتعلم كيفية الوزن به من أنبيائه كما تعلموا من ملائكته فالله هو المعلم الأول والثاني جبرائيل والثالث الرسول والخلق كلهم يتعلمون من الرسول ما لهم طريق في المعرفة سواه والكل عبارته بلا تغيير وليت شعري ما دليله على ما ذهب إليه من العدول عن الظاهر كذا في «بحر العلوم».

يقول الفقير: لعل دليله قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ

﴿قَآئِمًۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [آل عمران: ١٨] أي حاكماً بالعدل أو مقيماً للعدل في جميع أموره فإذا كان الله قائماً بالعدل في جميع الأمور كان الواجب على العباد أن يقوموا به أيضاً ولن يقوموا به حقيقة إلا بعد العلم الشامل والمعرفة الكاملة وهي معرفة الله فهي الميزان الكلي وما عداه من جميع الأمور مبني عليه وموزون به. ﴿**وأنزلنا الحديد**﴾ قيل: نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد: الأول السندان وهو سندان الحداد بالفتح كما في «القاموس» وإياه عنى الشيخ سعدي في قوله:

چو سندان كسى سخت رويى تبرد كه خايسك تأديب بر سر نخورد

والثاني: الكلبتان وهو ما يأخذ به الحداد الحديد المحمي كما في «القاموس» والثالث الميقعة بكسر الميم بعدها ياء مثناة تحتانية أصله موقعة. قال في «القاموس» الميقعة خشبة القصار يدق عليها والمطرقة والمسن الطويل وقد وقعته بالميقعة فهو وقيع حددته بها والرابع المطرقة وهي آلة الطرق أي الضرب والخامس الإبرة وهي مسلة الحديد وروي ومعه المر والمسحاة، قال في «القاموس»: المر بالفتح المسحاة وهي ما سحى به أي قشر وجرف وفي الحديث: «أن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض أنزل الحديد والنار والماء والملح» وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم عليه السلام الحجر الأسود وكان أشد بياضاً من الثلج وعصا موسى وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع والحديد. وعن الحسن رحمه الله: وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ [الزمر: ٦] وذلك أن أوامره وقضاياه وأحكامه تنزل من السماء قال بعضهم: وأخرجنا الحديد من المعادن لأن العدل إنما يكون بالسياسة والسياسة مفتقرة إلى العدة والعدة مفتقرة إلى الحديد وأصل الحديد ماء وهو منزل من السماء. ﴿**فيه**﴾ أي: في الحديد ﴿**بأس شديد**﴾ وهو القتال به أو قوة شديدة يعني السلاح للحرب لأن آلات الحرب إنما تتخذ منه وبالفارسية كارزار سخت است يعني آلتها كه دركار زار بكار آيداز وسازند خواه از براى دفع دشمن چون سنان ونيزه وشمشبر وپيكان وخنچر وامثال آن وخواه براى حفظ نفس خود چون زره وخود وجوشن وغير آن. وفيه إشارة إلى أن تمشية قوانين الكتاب واستعمال آلة التسوية يتوقفان على دال صاحب سيف ليحصل القيام بالقسط وإن الظلم من شيم النفوس والسيف حجة الله على من عنده ظلم. ﴿**ومنافع للناس**﴾ كالسكين والفأس والمر والإبرة ونحوها وما من صنعة إلا والحديد أو ما يعمل بالحديد آلتها وفيه إشارة إلى أن القيام بالقسط كما يحتاج إلى القائم بالسيف يحتاج أيضاً إلى ما به قوام التعايش من الصنائع وآلات المحترقة وإلى سيف الجذبة المتخذ من حديد القهر إذ لا بد لكل تجلي جلالي من كون التجلي الجمالي فيه وبالعكس وهم الأولياء وهم يميلون إلى الحق بكثرة الألطاف والأعطاف الربانية كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧﴾ [البقرة: ٤٧] ﴿**وليعلم الله من ينصره ورسله**﴾ عطف على محذوف يدل عليه ما قبله فإنه حال متضمنة للتعليل كأنه قيل: ليستعملوه وليعلم الله علماً يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر الأسلحة في مجاهدة أعدائه ﴿**بالغيب**﴾ حال من فاعل ينصر أي غائبين عنه تعالى كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: ينصرونه ولا يبصرونه وإنما يحمد ويثاب من أطاع بالغيب من غير معاينة للمطاع أو من مفعوله أي حال كونه تعالى غائباً عنهم غير مرئي لهم. ﴿**إن الله قوي**﴾ على إهلاك من أراد إهلاكه. ﴿**عزيز**﴾ لا يفتقر إلى

نصرة الغير وإنما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه والقوة عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف وهي في حق الله بمعنى القدرة وهي الصفة التي يتمكن بها الحي من الفعل وتركه بالإرادة والعزة الغلبة على كل شيء قال الزروقي رحمه الله: القوي هو الذي لا يلحقه ضعف في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فلا يمسه نصب ولا تعب ولا يدركه قصور ولا عجز في نقض ولا إبرام وخاصية هذا الاسم ظهور القوة في الوجود فما تلاه ذو همة ضعيفة إلا وجد القوة ولا ذو جسم ضعيف إلا كان له ذلك ولو ذكره مظلوم بقصد إهلاك الظالم ألف مرة كان له ذلك وكفى أمره وخاصية الاسم العزيز وجود الغنى والعز صورة أو معنى فمن ذكره أربعين يوماً في كل يوم أربعين مرة أعانه الله وأعزه فلم يحوجه لأحد من خلقه وفي «الأربعين الإدريسية»: يا عزيز المنيع الغالب على أمره فلا شيء يعادله قال السهروردي رحمه الله: من قرأ سبعة أيام متواليات كل يوم ألفاً أهلك خصمه وإن ذكره في وجه العسكر سبعين مرة ويشير إليهم بيده فإنهم ينهزمون.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿ولقد أرسلنا﴾ أي: وبالله قد بعثنا **﴿نوحاً﴾** إلى قومه وهم بنو قابيل وهو الأب الثاني **﴿وإبراهيم﴾** إلى قومه أيضاً وهم نمرود ومن تبعه ذكر الله رسالتهما تشريفاً لهما بالذكر ولأنهما من أول الرسل وأبوان للأنبياء عليهم السلام فالبشر كلهم من ولد نوح والعرب والعبرانيون كلهم من ولد إبراهيم. **﴿وجعلنا في ذريتهما﴾** أي: في نسلهما **﴿النبوة والكتاب﴾** بأن استنبأنا بعض ذريتهما وأوحينا إليهما الكتب مثل هود وصالح وموسى وهارون وداود وغيرهم فلا يوجد نبي ولا كتاب إلا وهو مدلٍ إليهما بأمتن الأسباب وأعظم الإنسان **﴿فمنهم﴾** أي فمن ذرية هذين الصنفين أو من المرسل إليهم المدلول عليهم بذكر الإرسال والمرسلين يعني پس بعضي از انهاكه أنبياء برايشان آمدند **﴿مهتد﴾** أي: الحق يعني إيمان آورده بكتاب ونبي وثابت شد بردين خود **﴿وكثير منهم فاسقون﴾** خارجون عن الطريق المستقيم فيكونون ضالين لا محالة.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا﴾ أي: ثم أرسلنا بعدهم رسلنا والضمير لنوح وإبراهيم ومن أرسلا إليهم من الأمم يعني بعد از نوح وهود وصالح را وبعد از إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف را. أو من عاصرهما من الرسل ولا يعود إلى الذرية فإن الرسل المقفى بهم من الذرية يقال: قفا أثره اتبعه وقفى على أثره بفلان أي اتبعه إياه وجاء به بعده والآثار جمع أثر بالكسر تقول: خرجت على أثره أي عقبه فالمعنى اتبعنا من بعدهم واحداً بعد واحد من الرسل قال الحريري في «درة الغواص»: يقال: شفعت الرسول بآخر أي جعلتهما اثنين فإذا بعثت بالثالث فوجه الكلام أن يقال: عززت بثالث أي قويت كما قال تعالى: **﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾** [يس: ١٤] فإن واترت الرسل فالأحسن أن يقال: قفيت بالرسل كما قال تعالى: **﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا﴾** **﴿وقفينا بعيسى ابن مريم﴾** أي: أرسلنا رسولاً بعد رسول حتى انتهى إلى عيسى ابن

مريم فأتينا به بعدهم يعني وازيى در آورديم اين رسل راوتمام كرديم انبياء بني إسرائيل را بعيسى ابن مريم. فأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى. ﴿**وآتيناه الإنجيل**﴾ دفعة واحدة ﴿**وجعلنا في قلوب**﴾ المؤمنين ﴿**الذين اتبعوه**﴾ أي: عيسى في دينه كالحواريين وأتباعهم ﴿**رأفة**﴾ وهي اللين ﴿**ورحمة**﴾ وهي الشفقة أي وقفينا رأفة أي أشد رقة على من كان يتسبب إلى الاتصال بهم ورحمة، أي رقة وعطفاً على من لم يكن له سبب في الصلة بهم كما كان الصحابة رضي الله عنهم: رحماء بينهم حتى كانوا أذلة على المؤمنين مع أن قلوبهم في غاية الصلابة فهم أعزة على الكافرين قيل: امروا في الإنجيل بالصفح والإعراض عن مكافأة الناس على الأذى:

بدى را بدى سهل باشد جزا اكر مردى احسن إلى من اسا

وقيل لهم من لطم خدك الأيمن قوله خدك الأيسر ومن سلب رداءك فأعطه قميصك ولم يكن لهم قصاص على جناية في نفس أو طرف فاتبعوا هذه الأوامر وأطاعوا الله وكانوا متوادين ومتراحمين ووصفوا بالرحمة خلاف اليهود الذين وصفوا بالقسوة. ﴿**ورهبانية**﴾ منصوب إما بفعل مضمر يفسره الظاهر أي وابتدعوا أي أتباع عيسى رهبانية. ﴿**ابتدعوها**﴾ أي حملوا أنفسهم على العمل بها وإما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صلة لها أي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم أي وقفيناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها قال في «فتح الرحمن»: المعتزلة تعرب رهبانية على أنها نصب بإضمار فعل يفسره ابتدعوها وليست بمعطوفة على رأفة ورحمة ويذهبون في ذلك إلى أن الإنسان يخلق أفعاله فيعربون الآية على مذهبهم انتهى والرهبانية المبالغة في العبادة بمواصلة الصوم ولبس المسوح وترك أكل اللحم والامتناع عن المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعبد في الغيران ومعناها العفلة المنسوبة إلى الرهبان بالفتح وهو الخائف فإن الرهبة مخافة مع تحزن واضطراب كما في «المفردات» فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرىء بضم الراء كأنها نسبة إلى الرهبان جمع راهب كراكب وركبان ولعل التردد لاحتمال كون النسبة إلى المفتوح والضم من التغيير النسب يعني أن الرهبان لما كان اسماً لطائفة مخصوصة صار بمنزلة العلم وإن كان جمعاً في نفسه فالتحق بأنصار وأعراب وفرائض فقيل: رهباني كما قيل: أنصاري وأعرابي وفرائضي بدون رد الجمع إلى واحده في النسبة وقال الراغب في «المفردات»: الرهبان يكون واحداً وجمعاً فمن جعله واحداً جمعه على رهابين ورهبانية بالجمع أليق انتهى وهي الخصال المنسوبة إلى الرهبان وسبب ابتداعهم إياها أن الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى فقاتلوا ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم إلا قليل فخافوا أن يفتتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية في قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين أنفسهم للعبادة منتظرين البعثة النبوية التي وعدها لهم عيسى عليه السلام كما قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] الآية.

ـ وروي ـ أن الله لما أغرق فرعون وجنوده استأذن الذين كانوا آمنوا من السحرة موسى عليه السلام في الرجوع إلى الأهل والمال بمصر فأذن لهم ودعا لهم فترهبوا في رؤوس الجبال فكانوا أول من ترهب وبقيت طائفة منهم مع موسى عليه السلام حتى توفاه الله ثم انقطعت الرهبانية بعدهم حتى ابتدعها بعد ذلك أصحاب المسيح عليه السلام. ﴿**ما كتبناها عليهم**﴾ جملة مستأنفة والنفي متوجه إلى أصل الفعل أي ما فرضنا عليهم تلك الرهبانية في كتابهم ولا

على لسان رسولهم. ﴿إلا﴾ استثناء منقطع، أي لكن ابتدعوها. ﴿ابتغاء رضوان الله﴾ أي لطلب رضاه تعالى ﴿فما رعوها حق رعايتها﴾ أي: فما رعوا جميعاً حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه السلام ونحوها إليه قال عليه السلام: «من آمن بي وصدقني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون» قال مقاتل: لما استضعفوا بعد عيسى التزموا الغيران فما صبروا وأكلوا الخنازير وشربوا الخمور ودخلوا مع الفساق وفي المناسبات فما رعوها أي لم يحفظها المقتدون بهم بعدهم كما أوجبوا على أنفسهم حق رعايتها أي بكمالها بل قصروا فيها ورجعوا عنها ودخلوا في دين ملوكهم ولم يبق على دين عيسى عليه السلام إلا قليل ذمهم الله بذلك من حيث إن النذر عهد مع الله لا يحل نكثه سيما إذا قصد رضاه تعالى. ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم﴾ أي: من العيسيين إيماناً صحيحاً وهو الإيمان برسول الله عليه السلام بعد رعاية رهبانيتهم لا مجرد رعايتها فإنها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وأنى لها استتباع الأجر قال في «كشف الأسرار»: لما بعث النبي عليه السلام ولم يبق منهم إلا قليل حط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدير وديره فآمنوا به، والصومعة كل بناء متصومع الرأس أي متلاصقه والدير خان النصارى وصاحبه ديار. ﴿أجرهم﴾ أي: ما يحسن ويليق بهم من الأجر وهو الرضوان ﴿وكثير منهم﴾ أي: من العيسيين وهم الذين ابتدعوا فضيعوا وكفروا بمحمد عليه السلام ﴿فاسقون﴾ خارجون عن حد الاتباع وهم الذين تهودوا وتنصروا، قال في «تفسير المناسبات»: وكذلك كان في هذه الأمة فإنه لما توفي رسول الله تبعه خلفاؤه بإحسان فلما مضت الخلافة الراشدة وتراكمت الفتن كما أخبر عليه السلام واشتد البلاء على المتمسكين بصريح الإيمان ورجم البيت بحجارة المنجنيق وهدم، وقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه واستبيحت مدينة رسول الله عليه السلام ثلاثة أيام وقتل فيها خيار المسلمين رأى المؤمنون العزلة واجبة فلزموا الزوايا والمساجد وبنوا الربط على سواحل البحر وأخذوا في الجهاد للعدو والنفوس وعالجوا تصفية أخلاقهم ولزموا الفقر أخذاً من أحوال أهل الصفة وتسموا بالصوفية وتكلموا على الورع والصدق والمنازل والأحوال والمقامات فهؤلاء وزان أولئك انتهى. وفي الحديث: «يا ابن أم معبد أتدري ما رهبانية أمتي؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع».

ـ روي ـ أن نفراً من الصحابة رضي الله عنهم أخذهم الخوف والخشية حتى أراد بعضهم أن يعتزل عن النساء، وبعضهم الإقامة في رؤوس الجبال وبعضهم ترك الأكل والشرب وبعضهم غير ذلك فنهاهم عليه السلام عن ذلك كله وقال: «لا رهبانية في الإسلام» وقال: «رهبانية أمتي في المسجد» يعني المتعبدون من أمتي لا يأخذون مأخذ النصارى بل يعتكفون في المساجد دون رؤوس الجبال وقال في نفي صوم الوصال: «إني لست كهيئتكم إني أبيت لي مطعم يطعمني وساق يسقيني». وفي «المثنوي»:

هين مكن خودرا خصى رهبان مشو زانكه عفت هست شهوت راكرو
بى هوا نهى از هوا ممكن نبود فازيى بر مردكان نتوان نمود
پس كلوا از بهر دام شهوتست بعد ازان لا تسرفوا آن عفتست
چونكه رنج صبر نبود مرترا شرط نبود پس فرونايد جزا

حـبـذا آن شـرط وشـادا آن جـزا آن جـزاى دلـنـواز جـان فـزا

قال الشافعي رحمه الله: أربعة لا يعبأ الله بهم يوم القيامة: زهد خصي وتقوى جندي وأمانة امرأة وعبادة صبي وهو محمول على الغالب كما في «المقاصد الحسنة»، ثم ذكر: لا تنبغي الخلوة والعزلة. قال في الإحياء: لما بنى عروة قصره بالعقيق وهو كأمير موضع بالمدينة لزمه فقيل له: لزمت القصر وتركت معجد رسول الله فقال: رأيت مساجدكم لاهية وأسواقكم لاغية والفاحشة في فجاجكم عالية ومما هنا لكم عما أنتم فيه عافية.

ـ وحكي ـ أن جماعة من السلف مثل مالك وغيره تركوا إجابة الدعوات وعيادة المرضى والجنائز بل كانوا أحلاس بيوتهم لا يخرجون إلا إلى الجمعة وزيارة القبور وبعضهم فارق الأمصار وانحاز إلى قلل الجبال تفرغاً للعبادة وفراراً من الشواغل واختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات في الأسواق والأعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضي لزوم الهجرة. وفي الآية دليل على أن الشروع في نفل العبادة ملزم وأن من شرع فيما ليس عليه ثم تركه استحق اسم الفسق والوعيد فيجب على الناذر رعاية نذره لأنه عهد مع الله لا يحل نكثه.

ـ وروي ـ عن بعض الصحابة رضي الله عنهم عليكم بإتمام هذه التراويح لأنها لم تكن واجبة عليكم وقد أوجبتموها على أنفسكم فإنكم إن تركتم صرتم فاسقين ثم قرأ هذه الآية **﴿وكثير منهم فاسقون﴾**.

يقول الفقير: وهكذا شأن الصلاة المعروفة بالرغائب والبراءة والقدر فإنها ملحقة بالتراويح لكونها من صلاة الليل وقد كانت سنة مسلوكة للعلماء بالله فلا تترك أبداً عند من اعتقد اعتقادهم قال في «فتح الرحمن»: واختلف الأئمة فيما إذا أنشأ صوماً أو صلاة تطوعاً فقال أبو حنيفة: لم يجز له الخروج منه فإن أفسده فعليه القضاء لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣] وقال مالك رحمه الله: كذلك إلا أنه اعتبر العذر فقال: إن خرج منه لعذر فلا قضاء وإلا وجب وقال الشافعي وأحمد رحمهما الله: متى أنشأ واحداً منهما استحب إتمامه فإن خرج منه لم يجب عليه قضاء على الإطلاق وأما إذا كان التطوع حجاً أو عمرة فيلزم إتمامه أفسده وجب قضاؤه لوجوب المضي في فاسده انتهى. قال بعض الكبار: جميع ما ابتدع من السنة الحسنة على طريق القربة إلى الله تعالى داخل في الشريعة التي جاءت بها الرسل عن أمر الله قال تعالى: **﴿ورهبانية﴾** إلخ فأقرهم تعالى عليها ولم يعب عليهم فعلها إنما عاب عليهم عدم رعايتهم لها في دوام العمل فقط وخلع عليها اسم البدعة في حقهم بخلاف هذه الأمة خلع على ما استحسنوه اسم السنة تشريفاً لهم كما قال عليه السلام: «من سن سنة حسنة» وما قال من ابتدع بدعة حسنة فافهم فأجاز لنا ابتداع ما هو حسن وسماه سنة وجعل فيه أجراً لمن ابتدعه ولمن عمل به وأخبر أن العابد لله تعالى بما يعطيه نظره إذا لم يكن على شرع من الله معين أنه يحشر أمة وحده بغير إمام يتبعه كما قال تعالى في إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠] وذلك لنظره في الأدلة قبل أن يوحى إليه وقال عليه السلام: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فمن كان عليها فهو على شرع من ربه وإن لم يعلم وقال بعضهم: جميع ما ابتدعه العلماء والعارفون مما لم تصرح الشريعة بالأمر به لا يكون بدعة إلا إن خالف صريح السنة فإن لم يخالفها فهو محمود وذلك كحلق الرأس ولبس المرقعات والرياضة بقلة الطعام والمنام

والمواظبة على الذكر والجهر به على الهيئة المشهورة ونحو ذلك من جميع أوصافهم فإنها كلها نواميس حكمية لم يجىء بها رسول الله عليه السلام في عموم الناس من عند الله لكونها طريقة أهل الخصوص السالكين طريق الحق وهذه الطريق لا تحتمل العامة الأمر بها ولا تجب هي عليهم فقد علمت أن طريق القوم صادرة عن الله ولكن من غير الطريق الصريح النبوي ولولا أنه عليه السلام فتح لأمته باب الاستنان ما اجترأ أحد منهم على أن يزيد حكماً ولا وضعاً ففي الصحيح: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها» وقال بعضهم: المقصود بالوضع الشرعي الإلهي هو تكميل النفوس علماً أو عملاً وهم أتوا بأمور زائدة على الطريقة النبوية موافقة لها في الغاية والغرض كالأمور التي التزمها الصوفية في هذه الأمة بغير إيجاب من الله كتقليل الطعام وكثرة الصيام والاجتناب عن مخالطة الأنام وقلة المنام والذكر على الدوام وقال بعضهم: ما يصدر عن الواصل من الأفعال شريعة وكذا الباقي فلا بد من الاعتدال ولذلك قال عليه السلام: «الشريعة أقوالي، والطريقة أطواري، والمعرفة رأس مالي والحقيقة نقد حالي» وقال بعضهم: لا تبتدع فيوجب الله ذلك الابتداع عليك وفي شرعنا: من سن سنة حسنة فما سماها بدعة فإن شرعنا قد قررها فليشكر الله صاحب هذه البدعة وليلزمها حيث ألحقه تعالى بأنبيائه ورسله وأباح له أن يسن ما سنته الرسل مما يقرب إلى الله تعالى ولا يخفى أن الكامل من عباد الله من سد باب الابتداع ولم يزد في التكاليف حكماً واحداً موافقة لمراد الله ومراد رسول الله من طلب الرفق والرحمة، وقال بعضهم: لا تجعل وردك غير ما ورد في الكتاب والسنة تكن من العلماء الأدباء لأنك حينئذ تجمع بين الذكر والتلاوة فيحصل لك أجر التالين والذاكرين فما ترك الكتاب والسنة مرتبة يطلبها الإنسان من خير الدنيا والآخرة إلا وقد ذكرها فمن وضع من الفقراء ورداً من غير الوارد في السنة فقد أساء الأدب مع الله ورسوله إلا أن يكون ذلك بتعريف من الله فيعرفه خصائص كلمات يجمعها فيكون حينئذ ممتثلاً لا مخترعاً وذلك مثل حزب البحر للشاذلي رحمه الله ونحوه فإنه رحمه الله صرح بأنه ما وضع حرفاً منه إلا بإذن الله ورسوله وقال: من دعا بغير ما دعا به رسول الله فهو مبتدع، وقال بعضهم: العبد في أداء الفرائض عبد اضطرار وفي فعل النوافل عبد اختيار وعبودية الاضطرار أشرف وأسلم في حقه من عبودية الاختيار لما قد يخطر بباله في عبودية الاختيار من شائبة الامتنان ومن هاهنا ترك أكابر الرجال من الملامية فعل النوافل واقتصروا على أداء الفرائض خوفاً من خطور ذلك على قلوبهم فيجرح عبوديتهم، وفي «الحكم العطائية»: من علامة اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بحقوق الواجبات وهذا حال غالب الخلق إلا من عصمه الله ترى الواحد منهم يقوم بالنوافل الكثيرة ولا يقوم بفرض أحد على وجهه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي: بالرسل المتقدمة **﴿اتقوا الله﴾** فيما نهاكم عنه **﴿وآمنوا برسوله﴾** أي: بمحمد عليه السلام وفي إطلاقه إيذان بأنه علم فرد الرسالة لا يذهب الوهم إلى غيره. **﴿يؤتكم كفلين﴾** نصيبين وأجرين نقل عن الراغب: الكفل الحظ الذي فيه الكفالة كأنه تكفل بأمره والكفلان هما النصيبان المرغوب فيهما بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ

﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١] ﴿من رحمته﴾ از بخشايش خود. وذلك لإيمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل لكن لا على أن شريعتهم باقية بعد البعثة بل على أنها كانت حقاً قبل النسخ وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: الرجل يكون له الأمة فيعلمها فيحسن تعليمها يؤدبها فيحسن تأديبها ثم يعتقها ويتزوجها فله أجران ومؤمن أهل الكتاب الذي كان مؤمناً ثم آمن بالنبي فله أجران والعبد الذي يؤدي حق الله وينصح لسيده» ولذا بكى بعض العبيد حين أعتق لأنه ذهب أجر النصح لسيده وبقي أجر أداء حق الله.

تادلت هست اسير عشق سليم — مسند تخت سلطنت مطلب

وقال الشيخ سعدي:

اسيرش نخواهد رهايى زبند — شكارش نجويد خلاص از كمند

وقال المولى الجامي:

مريض عشق توچون مائل شفا كردد — اسير قيد توكى طالب نجات شود

﴿ويجعل لكم نوراً تمشون به﴾ يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢] فهو الضياء الذي يمشون به على الصراط إلى أن يصلوا إلى الجنة وذلك لأن جهنم خلقت من الظلمة إذ هي صورة النفس الأمارة وهي ظلمانية فنور الإيمان والتقوى يدفعها ويزيلها ﴿ويغفر لكم﴾ ما أسلفتم من الكفر والمعاصي فأما حسنات الكفار فمقبولة بعد إسلامهم على ما ورد في الحديث الصحيح. ﴿والله غفور رحيم﴾ أي مبالغ في المغفرة والرحمة وفيه إشارة إلى مغفرة الذنب الذي هو ملاحظة النفس فإنه من أكبر الذنوب والمعاصي كما قالوا: وجودك ذنب لا يقاس عليه ذنب آخر «مصراع» چومرد راه شدى بكذراز سر ودستار.

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ متعلق بمضموم الجملة الطلبية المتضمنة معنى الشرط إذ التقدير إن تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من أهل الكتاب أي ليعلموا ولا مزيدة كهي في ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] كما ينبىء عنه قراءة ليعلم ولكي يعلم ولأن يعلم بإدغام النون في الياء قال في «كشف الأسرار»: وإنما يحسن إدخالها في كلام يدخل في أواخره أو أوائله جحد ﴿أن لا يقدرون على شيء من فضل الله﴾ أن مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف والجملة في حيز النصب على أنها مفعول يعلم أي ليعلمون أنهم لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذي هو الإيمان برسوله. ﴿وأن الفضل بيد الله﴾ عطف على أن لا يقدرون يعني آفزوني ثواب وجزاء وأمثال آن بدست قدرت خداست. ﴿يؤتيه﴾ عطا كند ﴿من يشاء﴾ هركرا خواهد. وهو خبر ثان لأن ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ والعظيم لا بد أن يكون إحسانه عظيماً. قال الكاشفي: وخداى تعالى خداوند فضل بزركست يعني نعمتي تمام كه خواص وعوام را فرا رسيده.

فيض كرم رسانندة از شرق تا بغرب — خوان نعم نهادة ازقاف تابقاف

هستند بيش وكم زنوال تو بهره مند — دارند نيك وبد بعطاء تو اعتراف

وقد جوز أن يكون الأمر بالتقوى والإيمان لغير أهل الكتاب، فالمعنى: اتقوا الله واثبتوا على إيمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ [القصص: ٥٤] ولا ينقصكم من مثل أجرهم لأنكم مثلهم في الإيمانين لا تفرقون بين أحد من رسله.

ـ وروي ـ أن مؤمني أهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وفي الحديث: «إنما مثلنا ومثل الذين أوتوا الكتاب من قبلنا مثل رجل استأجر أجراء فقال: من يعمل إلى آخر النهار على قيراط قيراط فعمل قوم ثم تركوا العمل نصف النهار ثم قال: من يعمل نصف النهار إلى آخر النهار على قيراط قيراط فعمل قوم إلى العصر على قيراط قيراط ثم تركوا العمل ثم قال: من يعمل إلى الليل على قيراطين قيراطين فعمل قوم إلى الليل على قيراطين قيراطين فقال الطائفتان الأوليان: ما لنا أكثر عملاً وأقل أجراً؟ فقال: هل نقصتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا قال: ذلك فضلي أوتيه من أشاء» ففيه إشارة إلى أن أهل الكتاب أطول زماناً وعمراً وأكثر اجتهاداً وأقل أجراً وهذه الأمة أقصر مدة وأقل سعياً وأعظم أجراً وإلى أن الثواب على الأعمال ليس من جهة الاستحقاق لأن العبد لا يستحق على مولاه بخدمته أجرة بل من جهة الفضل ولله أن يتفضل على من يشاء بما يشاء، قال البقلي رحمه الله: أخرج فضله من الاكتساب وعلل الجهد والطلب يؤتى كراماته من يشاء من عباده المصطفين وهو ذو العطاء في الأزل إلى الأبد والفضل العظيم ما لا ينقطع عن المنعم عليه أبداً.

ـ روي ـ: «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد ويقول: إن فيهن آية أفضل من ألف آية» ويعني بالمسبحات الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن.

يقول الفقير: إنما أخفى عليه السلام تلك الآية ولم يصرح بها لتجتهد الأمة بتلاوة جميع السور كما أخفى الله ساعة الإجابة وليلة القدر ونحوهما بعثاً للعباد على الاجتهاد وإحياء الليالي. قال الشيخ سعدي:

چوهر كوشه تير نياز افكنى ... اميدست نا كه كه صيدى زنى
همه سنكها پاس دار اى پسر ... كه لعل از ميانش نباشد بدر
غم جمله خور در هواى يكى ... مراعات صدكن براى يكى

تمت سورة الحديد بعون الملك المجيد في أواخر شهر ربيع الأول
من سنة خمس عشرة ومائة وألف من الهجرة

٥٨ ـ سورة المجادلة

اثنتان وعشرون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ①﴾.

﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ سمع مجاز مرسل عن أجاب بعلاقة السببية والمجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة يعني كار براندن باكسى بر سبيل نزاع. وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه والمراد هنا المكالمة ومراجعة الكلام أي معاودته والمعنى قد أجاب الله دعاء المرأة التي تكالمك في حق زوجها استفتاء وتراجعك الكلام في شأنه وفيما صدر عنه في حقها من ظهاره إياها بغير وجه مشروع وسبب مقبول. **﴿وتشتكي إلى الله﴾** عطف على تجادلك أي تتضرع إلى الله تعالى وتظهر ما بها من المكروه قال في «المفردات»: الشكاية والشكاة والشكوى إظهار البث يقال: شكوت واشتكيت وأصل الشكوى فتح الشكوة وإظهار ما فيها وهي سقاء صغير يجعل فيه الماء وكان في الأصل استعارة كقولك: بثثت له ما في وعائي ونفضت ما في جرابي إذا أظهرت ما في قلبك وفي «كشف الأسرار»: الاشتكاء إظهار ما يقع بالإنسان من المكروه والشكوى إظهار ما يصنعه غيره به وفي «تاج المصادر»: الاشتكاء كله كردن وشكوه كرفتن. وهي قربة صغيرة والمجادلة هي خولة بنت ثعلب بن مالك بن خزاعة الخزرجية وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة روي أنها كانت حسنة البدن رآها أوس وهي تصلي فاشتهى مواقعتها فلما سلمت راودها فأبت وكان به خفة فغضب عليها بمقتضى البشرية وقال: أنت علي كظهر أمي وكان أول ظهار وقع في الإسلام ثم ندم على ما قال بناء على أن الظهار والإيلاء كانا من طلاق الجاهلية فقال لها: ما أظنك إلي وقد حرمت علي فشق ذلك عليها فأتت رسول الله ﷺ وعائشة رضي الله عنها تغسل شق رأسه فقالت: «يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت أبو ولدي وابن عمي وأحب الناس إلي ظاهر مني وما ذكر طلاقاً وقد ندم على فعله فهل من شيء يجمعني وإياه فقال عليه السلام: ما أراك إلا وقد حرمت عليه فقالت: لا تقل ذلك يا رسول الله وذكرت فاقتها ووحدتها بتفاني أهلها وأن لها صبية صغاراً فقالت إن ضممتهم إلي جاعوا وإن ضممتهم إلى أبيهم ضاعوا فأعاد النبي عليه السلام قوله الأول وهو حرمت عليه فجعلت تراجع رسول الله مقالتها الأولى وكلما قال لها رسول الله حرمت عليه هتفت وقالت: أشكو إلى الله مما لقيت من زوجي حال فاقتي ووحدتي وقد طالت معه صحبتي ونفضت له بطني تريد بذلك

أني قد بلغت عنده سن الكبر وصرت عقيماً لا ألد بعد وكانت في كل ذلك ترفع رأسها إلى السماء على ما هو عادة الناس استنزالاً للأمر الإلهي من جانب العرش وتقول: اللهم أنزل على لسان نبيك فقامت عائشة تغسل الشق الآخر من رأسه عليه السلام وهي ما زالت في مراجعة الكلام مع رسول الله وبث الشكوى إلى الله حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات الأربع سمعاً لدعائها وقبولاً لشكواها فكانت سبباً لظهور أمر الظهار» وفي قد إشعار بأن الرسول والمجادلة كانا يتوقعان أن ينزل الله حكم الحادثة ويفرج عنها كربها لأنها إنما تدخل على ماض متوقع. ﴿**والله يسمع تحاوركما**﴾ أي يعلم تراجعكما الكلام وتخاطبكما وتجاوبكما في أمر الظهار فإن التحاور بمعنى التجاوب وهو رجع الكلام وجوابه يعني يكديكر را جواب دادن. من الحور بمعنى الرجوع وذلك كان برجوع الرسول إلى الحكم بالحرمة مرة بعد أخرى ورجوع المجادلة إلى طلب التحليل كذلك ومثله المحاورة في البحث ومنه قولهم في الدعاء: نعوذ بالله من الحور بعد الكور أي الرجوع إلى النقصان بعد الوصول إلى الزيادة أو إلى الوحشة بعد الأنس، وقال الراغب: الحور التردد إما بالذات وإما بالتفكر وقيل: نعوذ بالله من الحور بعد الكور أي من التردد في الأمر بعد المضي فيه أو من نقصان وتردد في الحال بعد الزيادة فيها وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب مع أفضل البريات تغليب إذ القياس تحاورها وتحاورك تشريفاً لها من جهتين والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فإن إلحافها في المسألة ومبالغتها في التضرع إلى الله ومدافعته عليه السلام إياها بجواب منبىء عن التوقف وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالهما من دواعي الإجابة، وفي «كشف الأسرار»: ليس هذا تكراراً لأن الأول لما حكته عن زوجها والثاني لما كان يجري بينها وبين رسول الله لأن الأول ماض والثاني مستقبل ﴿**إن الله سميع بصير**﴾ مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته أن يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي من جملتها رفع رأسها إلى السماء وسائر آثار التضرع:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع ... أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والمفزع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة ... ولئن رددت فأي باب أقرع
حاشى للطفك أن تقنط عاصياً ... الفضل أجزل والمواهب أوسع

وفي الآية دليل على أن من انقطع رجاؤه عن الخلق ولم يبق له في مهمه أحد سوى ربه وصدق في دعائه وشكواه كفاه الله ذلك ومن كان أضعف فالرب به ألطف:

دعاى ضعيفان اميد وار ... زبازوى مردى به آيد بكار

وفيها أن من استمع الله ورسوله والورثة إلى كلامه فسائر الناس أولى.

ـ روي ـ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بهذه المرأة في خلافته وهو على حمار والناس معه فاستوقفته طويلاً ووعظته وقالت: يا عمر قد كنت تدعى عميراً ثم قيل لك عمر ثم قيل لك أمير المؤمنين فاتقِ الله يا عمر فإنه من أيقن الموت خاف الفوت ومن أيقن الحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له: يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف الطويل؟ فقال: والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره ما زلت إلا للصلاة المكتوبة أتدرون من هذه العجوز؟ هي خولة بنت ثعلب سمع الله قولها من فوق سبع سموات أيسمع

رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر وهذه الفوقية لا يلزم منها الجهة لأن الله هو العلي المتعال فاعرف ثم إنه من أكبر الذنوب أن يقول الرجل لأخيه اتقِ الله فيقول في جوابه عليك نفسك أي الزم نفسك أنت تأمرني بهذا وذلك لأنه إذا ذكر اسم الله يلزم التعظيم له سواء صدر من مسلم أو كافر وأعلم الناس لا يستغني عن تنبيه وإيقاظ:

بكوى آنچه دانى سخن سود مند وكر هيچ كس را نيايد پسند

يقال: اللائق بالعاقل أن يكون كالنحل يأخذ من كل شيء ثم يخرجه عسلاً فيه شفاء من كل داء وشمعاً له منافع لا سيما الضياء فطالب الحكمة يأخذها من كل مقام سواء قعد أو قام «المرء لولا عُرفه فهو الدمى. والمسك لولا عَرفه فهو الدم» العرف الأول بالضم بمعنى المعروف والثاني بالفتح الرائحة والدمى بضم الدال وفتح الميم جمع دمية وهي الصورة المنقشة من رخام أو عاج.

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾

﴿الذين يظاهرون منكم﴾ أيها المؤمنون فلا يلحق بهم الذمي لأنه ليس من أهل الكفارة لغلبة جهة العبادة فيها فلا يصح ظهاره **﴿من نسائهم﴾** هذا شروع في بيان الظهار في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعاً بطريق الاستئناف والظهار لغة مصدر ظاهر الرجل أي قال لزوجته: أنت علي كظهر أمي والظهر العضو والجارحة ويعبر عن البطن بالظهر أي أنت علي حرام كبطن أمي فكنى عن البطن بالظهر الذي هو عمود البطن لئلا يذكر ما يقارب الفرج تأدباً ثم قيل ظاهر من امرأته فعدي بمن لتضمين معنى التجنب لاجتناب أهل الجاهلية من المرأة المظاهر منها إذ الظهار طلاق عندهم كما مر في قولهم: آلى منها لما ضمنه من معنى التباعد من الألية بمعنى الحلف وفي القرآن: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] أي بعدني وإياهم من عبادة الأصنام فمعنى البعد إنما هو في الاجتناب ونحوه المتعدي بمن لأن معنى الابتداء الذي هو معنى من لا يخلو عن البعد فإن من معاني عن لا من ثم إنه ألحق الفقهاء بالظهر نحو البطن والفخذ والفرج مما يحرم النظر إليها من الأم فمن قال أنت علي كبطن أمي أو فخذها أو فرجها كان ظهاراً بخلاف مثل اليد أو الرجل وكذا ألحقوا بالأم سائر المحارم فلو وضع المظاهر مكان الأم ذات رحم محرم منه من نسب كالخالة والعمة أو رضاع أو صهر كان ظهاراً مثل أن يقول: أنت عليه كظهر خالتي أو عمتي أو أختي نسباً أو رضاعاً أو كظهر امرأة ابني أو أبي ولو شبهها بالخمر والخنزير أو الدم أو الميتة أو قتل المسلم أو الغيبة أو النميمة أو الزنى أو الربا أو الرشوة فإنه ظهار إذا نوى وفي أنت علي كأمي صح نية الكرامة أي استحقاق البر فلا يقع طلاق ولا ظهار وصح نية الظهار بأن يقصد التشبيه بالأم في الحرمة فيترتب عليه أحكام الظهار لا غير ونية الطلاق بأن يقصد إيجاب الحرمة فإن لم ينو شيئاً لغا وأنت علي حرام كأمي صح فيه ما نوى من ظهار أو طلاق أو إيلاء ولو قال أنت أمي أو أختي أو بنتي بدون التشبيه فهو ليس بظهار يعني إن قال: إن فعلت كذا فأنت أمي وفعلته فهو باطل وإن نوى التحريم ولو قالت لزوجها: أنت علي كظهر أمي فإنه ليس بشيء وقال الحسن إنه يمين وفي إيراد منكم مع كفاية من نسائهم

مزيد توبيخ للعرب وتقبيح لعادتهم في الظهار فإنه كان من أيمان جاهليتهم خاصة دون سائر الأمم فلا يليق بهم بعد الإسلام أن يراعوا تلك العادة المستهجنة فكأنه قيل منكم على عادتكم القبيحة المستنكرة ويحتمل أن يكون لتخصيص نفع الحكم الشرعي للمؤمنين بالقبول والاقتداء به أي منكم أيها المؤمنون المصدقون بكلام الله المؤتمرون بأمر الله إذ الكافرون لا يستمعون الخطاب ولا يعملون بالصواب وفي من نسائهم إشارة إلى أن الظهار لا يكون في الأمة ومن ذلك قالوا: إن للظهار ركناً وهو التشبيه المذكور وشرطاً وهو أن يكون المشبه منكوحة حتى لا يصح من الأمة وأهلاً وهو من كان من أهل الكفارة حتى لا يصح للذمي والصبي والمجنون وحكماً وهو حرمة الوطء حتى يكفر مع بقاء أصل الملك. ﴿**ما هن أمهاتهم**﴾ خبر للموصول أي ما نساؤهم أمهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت يعني أن من يقول لامرأته أنت علي كظهر أمي ملحق في كلامه هذا للزوج بالأم وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين وكانوا يريدون بالتشبيه الحرمة في المظاهر منها كالحرمة في الأم تغليظاً وتشديداً فإن قيل فحاصل الظهار مثلاً أنت محرمة علي كما حرمت علي أمي وليس فيه دعوى الأمومة حتى تنفي وتثبت للوالدات يقال: إن ذلك التحريم في حكم دعوى الأمومة أو أن المراد نفي المشابهة لكن نفي الأمومة للمبالغة فيه. ﴿**إن**﴾ نافية بمعنى ما ﴿**أمهاتهم**﴾ في الحقيقة والصدق. ﴿**إلا اللائي**﴾ جمع التي أي النساء اللاتي ﴿**ولدنهم**﴾ أي: ولدن المظاهرين فلا تشبه بهن في الحرمة إلا من ألحقها الشرع بهن من أزواج النبي عليه السلام والمرضعات ومنكوحات الآباء لكرامتهن وحرمتهن فدخلن بذلك في حكم الأمهات وأما الزوجات فأبعد شيء من الأمومة فلا تلحق بهن بوجه من الوجوه. ﴿**وإنهم**﴾ أي: وإن المظاهرين منكم ﴿**ليقولون**﴾ بقولهم ذلك. ﴿**منكراً من القول**﴾ على أن مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فإن أمر محقق بل كونه منكراً أي عند الشرع وعند العقل والطبع أيضاً كما يشعر به تنكيره وذلك لأن زوجته ليست بأمه حقيقة ولا ممن ألحقه الشرع بها فكان التشبيه بها إلحاقاً لأحد المتباينين بالآخر فكان منكراً مطلقاً غير معروف. ﴿**وزوراً**﴾ أي: كذباً باطلاً منحرفاً عن الحق فإن الزور بالتحريك الميل فقيل للكذب زور بالضم لكونه مائلاً عن الحق قال بعضهم: ولعل قوله وزوراً من قبيل عطف السبب على المسبب فإن قلت قوله أنت علي كظهر أمي إنشاء لتحريم الاستمتاع بها وليس بخبر والإنشاء لا يوصف بالكذب قلت هذا الإنشاء يتضمن إلحاق الزوجة المحللة بالأم المحرمة أبداً وهذا إلحاق مناف لمقتضى الزوجية فيكون كاذباً وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس وقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يقولها حتى قلت: لا يسكت» رواه البخاري قال بعضهم: لما كان مبنى طلاق الجاهلية الأمر المنكر الزور لم يجعله الله طلاقاً ولم تبق الحرمة إلا إلى وقت التكفير وقال: الظهار الذي هو من طلاق الجاهلية إن كان في الشرع بمقدار من الزمان أولاً طلاقاً كانت الآية ناسخة وإلا فلا لأن النسخ إنما يدخل في الشرائع وما قال عليه السلام إنها حرمت فلا يعين شيئاً من الطرفين إلا أن بعض المفسرين جعله مؤيداً للوجه الأول. ﴿**وإن الله لعفو غفور**﴾ أي مبالغ في العفو والمغفرة لما سلف منه على الإطلاق على المذهب الحق أو بالمناب عنه على مذهب الاعتزال وذلك أن ما دون الشرك حكمه موكول إلى مشيئة

الله إن شاء يغفره وإن لم يتب العبد عنه وإن شاء يغفره بعد التوبة وأما إذا لم يتب عنه فعذبه عليه فإنما يعذبه على حسب ذنبه لكن الظاهر هنا الحث على التوبة لكون الكلام في ذم الظهار وإنكاره.

﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا﴾ اللام وإلى يتعاقبان كثيراً نحو يهدي للحق وإلى الحق فالمعنى والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون إلى ما قالوا وإلى ما فات عنهم بسببه من الاستمتاع بالتدارك والتلافي بالتقرر والتكرر، ومنه قولهم عاد الغيث على ما أفسد أي تداركه بإصلاح فإفساده إمساكه وإصلاحه إحياؤه ففيه إطلاق اسم السبب على المسبب فإن العود إلى الشيء من أسباب التدارك والوصول إليه فيكون مجازاً مرسلاً، قال ابن الشيخ: العود يستعمل على معنيين أحدهما أن يصير إلى شيء قد كان عليه قبل ذلك فتركه فيكون بمعنى الرجوع إلى ما فارق عنه والآخر أن يصير ويتحول إلى شيء وإن لم يكن على ذلك قبل والعود بهذا المعنى لا يلزم أن يكون رجوعاً إلى ما فارق عنه والعود الذي هو سبب للتدارك والوصول هو العود بهذا المعنى وهو العود إلى شيء مطلقاً فحاصل المعنى، ثم يعودون إلى تدارك ما قالوا ودفع ما لزم عليهم به من الفساد من حرمة الحلال ويجوز أن يكون المعنى ثم يريدون العود إلى ما حرموا على أنفسهم بلفظ الظهار من الاستمتاع ففيه تنزيل للقول منزلة المقول فيه. **﴿فتحرير رقبة﴾** التحرير جعل الإنسان حراً وهو خلاف العبد والرقبة ذات مرقوق مملوك سواء كان مؤمناً أو كافراً ذكراً أو أنثى صغيراً أو كبيراً هندياً أو رومياً فالمعنى فتداركه أو فالواجب إعتاق رقبة أي رقبة كانت وإن كان تحرير المؤمن أولى والصالح أحسن فيعتقها مقروناً بالنية وإن كان محتاجاً إلى خدمتها فلو نوى بعد العتق أو لم ينو لم يجزىء وإن وجد ثمن الرقبة وهو محتاج إليه فله الصيام كما في «الكواشي» ولا يجزىء أم الولد والمدبر والمكاتب الذي أدى شيئاً فإن لم يؤد جاز ويجب أن تكون سليمة من العيوب الفاحشة بالإنفاق وعند الشافعي يشترط الإيمان قياساً على كفارة القتل كما قال تعالى ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ [النساء: ٩٢] قلنا حمل المطلق على المقيد إنما هو عند اتحاد الحادثتين واتحاد الحكم أيضاً وهنا ليس كذلك والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار لأن تكرر السبب يوجب تكرر المسبب كقراءة آية السجدة في موضعين فلو ظاهر من امرأته مرتين أو ثلاثاً في مجلس واحد أو مجالس متفرقة لزمه بكل ظهار كفارة. **﴿من قبل أن يتماسا﴾** أي من قبل أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعاً وتقبيلاً ولمساً ونظراً إلى الفرج بشهوة وذلك لأن اسم التماس يتناول الكل وإن وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه أن يستغفر لأنه ارتكب الحرام ولا يعود حتى يكفر وليس عليه سوى الكفارة الأولى بالإنفاق وإن أعتق بعض الرقبة، ثم مس عليه أن يستأنف عند أبي حنيفة رحمه الله ولا تسقط الكفارة بل يأتي بها على وجه القضاء كما لو أخر الصلاة عن وقتها فإنه لا يسقط عنه إتيانها بل يلزمه قضاؤها وفي الآية دليل على أن المرأة لا يسعها أن تدع الزوج أن يقربها قبل الكفارة لأنه نهاهما جميعاً عن المسيس قبل الكفارة، قال القهستاني: لها مطالبة التكفير والحاكم يجبر عليه بالحبس ثم بالضرب فالنكاح باق والحرمة لا تزول إلا بالتكفير وكذا لو طلقها ثم تزوجها بعد العدة أو زوج آخر حرم وطأها قبل التكفير ثم العود الموجب لكفارة الظهار عند أبي حنيفة رحمه الله هو العزم على جماعها فمتى عزم على ذلك لم تحل له حتى يكفر ولو ماتت بعد مدة قبل أن يكفر

سقطت عنه الكفارة لفوت العزم على جماعها. ﴿**ذلكم**﴾ أي: الحكم بالكفارة أيها المؤمنون ﴿**توعظون به**﴾ الوعظ زجر يقترن بتخويف، أي تزجرون به من ارتكاب المنكر المذكور فإن الغرامات مزاجر من تعاطي الجنايات والمراد بذكره بيان أن المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والحاصل أن في المؤاخذة الدنيوية نفعاً لكل من المظاهر وغير المظاهر بأن يحصل للمظاهر الكفارة والتدارك ولغير المظاهر الاحتياط والاجتناب كما قيل:

نـــرود مـــرغ ســـوى دانـــه فـــراز   چـــون دكـــر مـــرغ بـيـنـــداندر بـنـد

﴿**والله بما تعملون**﴾ من جناية الظهار والتكفير ونحو ذلك من قليل وكثير. ﴿**خبير**﴾ أي: عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

﴿**فمن لم يجد**﴾ أي: فالمظاهر الذي لم يجد الرقبة وعجز عنها بأن كان فقيراً وقت التكفير وهو من حين العزم إلى أن تقرب الشمس من الغروب من اليوم الأخير مما صام فيه من الشهرين فلا يتحقق العجز الحقيقي إلا به والاعتبار بالمسكن والثياب التي لا بد منها فإن المعتبر في ذلك هو الفضل والذي غاب ماله فهو واجد: ﴿**فصيام شهرين**﴾ أي: فعليه صيام شهرين ﴿**متتابعين**﴾ ليس فيهما رمضان ولا الأيام الخمسة المحرم صومها أي يوما العيد وأيام التشريق فيصلهما بحيث لا يفصل يوماً عن يوم ولا شهراً عن شهر بالإفطار فإن أفطر فيهما يوماً أو أكثر بعذر أو بغير عذر استأنف ولم يحسب ما صام إلا بالحيض كما سيجيء. ﴿**من قبل أن يتماسا**﴾ ليلاً أو نهاراً عمداً أو خطأ ولو جامع زوجة أخرى ناسياً لا يستأنف ولو أفطرت المرأة للحيض في كفارة القتل أو الفطر في رمضان لا تستأنف لكنها تصل صومها بأيام حيضها ثم إنه إن صام بالأهلة أجزأه وإن صام ثمانية وخمسين بأن كان كل من الشهرين ناقصاً وإن صامها بغيرها فلا بد من ستين يوماً حتى لو أفطر صبيحة تسعة وخمسين وجب عليه الاستئناف. ﴿**فمن لم يستطع**﴾ أي الصيام بسبب من الأسباب كالهرم والمرض المزمن أي الممتد الغير المرجو برؤه فإنه بمنزلة العاجز من كبر السن وإن كان يرجى برؤه واشتدت حاجته إلى وطء امرأته فالمختار أن ينتظر البرء حتى يقدر على الصيام ولو كفر بالإطعام ولم ينتظر القدرة على الصيام أجزأه ومن الأعذار الشبق المفرط وهو أن لا يصبر على الجماع فإنه عليه السلام رخص للأعرابي أن يعطي الفدية لأجله. ﴿**فإطعام ستين مسكيناً**﴾ الإطعام جعله الغير طاعماً ففيه رمز إلى جواز التمليك والإباحة في الكفارة والمسكين ويفتح ميمه من لا شيء له أو له ما لا يكفيه وأسكنه الفقر أي قلل حركته والذليل والضعيف كما في «القاموس» قال القهستاني في «شرح مختصر الوقاية»: قيد المسكين اتفاقي لجواز صرفه إلى غيره من مصارف الزكاة.

يقول الفقير: إنما خص المسكين بالذكر لكونه أحق بالصدقة من سائر مصارف الزكاة كما ينبىء عنه ما سبق آنفاً من تفسير «القاموس» وإطعام ستين مسكيناً يشمل ما كان حقيقياً وحكمياً بأن يطعم واحداً ستين يوماً فإنه في حكم ستين مسكيناً وإن أعطاه في يوم واحد وبدفعات لا

يجوز على الصحيح فيطعم لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاعاً من غيره كما في الفطرة والصاع أربعة أمداد ونصفه مدان ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستأنف إن مس في خلال الإطعام لأن الله تعالى لم يذكر التماس مع الإطعام هذا عند أبي حنيفة رحمه الله وأما عند الآخرين فالإطعام محمول على المقيد في العتق والصيام ويجوز دفع الكفارة لكافر وإخراج القيمة عند أبي حنيفة رحمه الله خلافاً للثلاثة وفي الفقه هذا إذا كان المظاهر حراً فلو كان عبداً كفر بالصوم وإن أعطاه المولى المال وليس له منعه عن الصوم فإن أعتق وأيسر قبل التكفير كفر بالمال ﴿**ذلك**﴾ أي ذلك البيان والتعليم للأحكام والتنبيه عليها واقع أو فعلنا ذلك. ﴿**لتؤمنوا بالله ورسوله**﴾ وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم. إن قيل إذا كان ترك الظهار مفروضاً فما بال الفقهاء يجعلونه باباً في الفقه، أجيب بأن الله وإن أنكر الظهار وشنع على من تعود به من الجاهلين إلا أنه تعالى وضع له أحكاماً يعمل بها من ابتلي به من الغافلين فبهذا الاعتبار جعلوه باباً ليبينوا تلك الأحكام وزادوا قدر ما يحتاج إليه مع أن المحققين قالوا: إن أكثر الأحكام الشرعية للجهال فإن الناس لو احترزوا عن سوء المقال والفعال لما احتيج إلى تكثير القيل والقال، ودلت الآية على أن الظهار أكثر خطأ من الحنث في اليمين لكون كفارته أغلظ من كفارة الحنث واللام في لتؤمنوا للحكمة والمصلحة لأنها إذا قارنت فعل الله تكون للمصلحة لأنه الغني المطلق وإذا قارنت فعل العبد تكون للغرض لأنه المحتاج المطلق فأهل السنة لا يقولون لتلك المصلحة غرضاً إذ الغرض في العرف ما يستكمل به طالبه استدفاعاً لنقصان فيه يتنفر عنه طبعه والله منزه عن هذا بلا خلاف، والمعتزلة يقولون بناء على أنه هو الشيء الذي لأجله يراد المراد ويفعل عندهم ولو قلنا بهذا المعنى لكنا قائلين بالغرض وهم لو قالوا بالمعنى لما كنا قائلين به. ﴿**وتلك**﴾ إشارة الأحكام المذكورة من تحريم الظهار وإيجاب العتق للواجد وإيجاب الصوم لغير الواجد إن استطاع وإيجاب الإطعام لمن لم يستطع. ﴿**حدود الله**﴾ التي لا يجوز تعديها وشرائعه الموضوعة لعباده التي لا يصح تجاوزها إلى ما يخالفها جمع حد وهو في اللغة المنع والحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر وحد الزنى وحد الخمر سمي بذلك لكونه مانعاً لمتعاطيه عن المعاودة لمثله وجميع حدود الله على أربعة أضرب إما شيء لا يجوز أن يتعدى بالزيادة عليه وإلا القصور عنه كأعداد ركعات صلاة الفرض وإما شيء يجوز الزيادة عليه ولا يجوز النقصان منه وإما شيء يجوز النقصان منه ولا يجوز الزيادة عليه وإما شيء يجوز الزيادة عليه والنقصان منه كما في «المفردات». ﴿**وللكافرين**﴾ أي الذين لا يعملون بها ولا يقبلونها ﴿**عذاب أليم**﴾ عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] يعني أن إطلاق الكفر لتأكيد الوجوب والتغليظ على تارك العمل لا لأنه كفر حقيقة كما يزعمه الخوارج قال بعضهم في قوله عليه السلام: «من ترك الصلاة فقد كفر» أي قارب الكفر يقال: دخل البلدة لمن قاربها قال في «برهان القرآن» قوله: ﴿**وللكافرين عذاب أليم**﴾ وبعده ﴿**وللكافرين عذاب مهين**﴾ لأن الأول متصل بضده وهو الإيمان فتوعدهم على الكفر العذاب الأليم هو جزاء الكافرين والثاني متصل بقوله: ﴿**كبتوا**﴾ وهو الإذلال والإهانة فوصف العذاب مثل ذلك فقال: ﴿**وللكافرين عذاب مهين**﴾ انتهى والأليم بمعنى المؤلم أي الموجع كالبديع بمعنى المبدع أو بمعنى المتألم لكن أسند مجازاً إلى العذاب مبالغة كأنه في الشدة بدرجة تتألم بها

نفسه وفي إثبات العذاب للكافرين حث للمؤمنين على قبول الطاعة ولما نزلت هذه الآيات الأربع تلاها عليه السلام فقال لأوس بن الصامت رضي الله عنه: «هل تستطيع عتق رقبة قال: إذن يذهب جل مالي. قال: فصيام شهرين متتابعين قال: يا رسول الله إذا لم آكل اليوم ثلاث مرات كَلَّ بصري وخشيت أن تعشو عيني قال: فإطعام ستين مسكيناً قال: لا إلا أن تعينني عليه قال: أعينك بخمسة عشر صاعاً وأنا داع لك بالبركة وتلك البركة بقيت في آله» كما في «عين المعاني».

يقول الفقير: في وجوه الأحكام المذكورة إما وجه العتق فلأن العاصي استحق النار بعصيانه العظيم فجعل عتق المملوك فداء لنفسه من النار كما قال عليه السلام: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب منها إرباً منه من النار» ودل تقييد الرقبة بالمؤمنة على أفضلية إعتاق المؤمن وأيضاً أن ثمن العبد أكثر غالباً من فدية الإطعام والمال يعد من النفس لشدة علاقة النفس به ففي بذله تخليص لها من رذيلة البخل وتنحية لها عن النار وأما الوجه في الصيام فلأن الأصل فيه صيام شهر رمضان وهو ثلاثون يوماً ففي صيام ستين يوماً تضعيف المشقة وتشديد المحنة على النفس، وأما الوجه في إطعام المساكين أما في نفس الإطعام فلأن الصوم التخلق بوصف الصمدية فإذا فات عنه ذلك لزوم المعالجة بضده وهو الإطعام لأن في بذل المال إذابة النفس كما في الصوم ومن هذا يعرف سر التنزيل من الرقبة إلى الصوم، ثم منه إلى الإطعام وأما في عدد المساكين فلأن الإطعام بدل من الصيام وخلف له فروعي فيه من العدد ما روعي في الصيام ويجوز أن يقال إن الله تعالى خلق آدم عليه السلام من ستين نوعاً من طبقات الأرض فأمر بإطعام ستين مسكيناً من أولاد آدم حتى تقع المكافأة لجميع أولاده لأنه لا يخرج أحد منهم عن هذه الستين نوعاً وأيضاً سر العدد كون عمر هذه الأمة بين الستين والسبعين فمن راعى العدد فكأنما عبد الله ستين سنة التي هي مبلغ عمره ومنتهى أمده بحسب الغالب فيتخلص من النار ولكن فيه إشارة إلى فضيلة الوقت فإنه إذا فات العمل من محله لا ينجبر بالقضاء بكماله الأولى بل يصير ساقطاً عن درجة الكمال الأولى بستين درجة ولذا وجب صيام ستين وإطعامها. قال المولى الجامي:

هردم از عمر كرامى هست كنج بي بدل ميرود كنجى چنين هر لحظه برباد آخ آخ

وقال الشيخ سعدي:

مكن عمر ضايع بافسوس وحيف كه فرصت عزيز ست والوقت سيف

وفي الآية إشارة إلى أن النفس مطية الروح وزوجته فإذا ظاهر زوج الروح من زوجة النفس بقطع الاستمتاع عنها لغلبة الروحانية عليها ثم بحسب الحكمة الإلهية المقتضية لتعلق زوج الروح مع زوجة النفس أراد أن يستمتع منها فعلى زوج الروح يجب من طريق الكفارة تحرير رقبة عن ذلك الاستمتاع والتصرف فيها بأن لا يستمتع ولا يتصرف فيها إلا بأمر الحق ومقتضى حكمته لا بمقتضى طبعه ومشتهيات هواه فإنه لا يجوز له وعلى تقدير شدة اشتباك زوج الروح بزوجة النفس وقوة ارتباطهما الذاتية ارتباط الراكب بالمركوب وارتباط ربان السفينة بالسفينة إن لم يقدر على تحرير رقبة عن هذا الارتباط فيجب على زوج الروح أن يصوم شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا يعني أن يمسك نفسه عن الالتفات إلى الكونين على الدوام والاستمرار من غير تخلل التفات وإن لم يتمكن من قطع هذا التفات لبقاء بقية من بقايا أنانيته

فيه فيجب عليه إطعام ستين مسكيناً من مساكين القوى الروحانية المستهلكة تحت سلطنة النفس وصفاتها ليقيمهم على التخلق بالأخلاق الإلهية والتحقق بالصفات الروحانية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾

﴿**إن الذين يحادون الله ورسوله**﴾ أي: يعادونهما ويشاقونهما وكذا أولياء الله فإن من عادى أولياء الله فقد عادى الله وذلك لأن كلاً من المتعاديين كما أنه يكون في عدوة وشق غيره عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد الآخر غير أن لورود المحادة في أثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية وراءه وبالفارسية مخالفت ميكنند باخدا ورسول او از حدود امر ونهي تجاوز مينمايند. وقال بعضهم: المحادة مفاعلة من لفظ الحديد والمراد المقابلة بالحديد سواء كان في ذلك حديد حقيقة أو كان ذلك منازعة شديدة شبيهة بالخصومة بالحديد وقال بعضهم في معنى الآية يحادون أي يضعون أو يختارون حدوداً غير حدودهما ففيه وعيد عظيم للملوك والأمراء السوء الذين وضعوا أموراً خلاف ما حده الشرع وسموها القانون ونحوه:

پادشاهى كه طرح ظلم افكند   پاى ديوار ملك خويش بكند

﴿**كبتوا**﴾ أي أخزوا يعني خوار ونكو نسار كرده شوند. وفي «المفردات»: الكبت الرد بعنف وتذليل وفي «القاموس»: كبته يكبته صرعه وأخزاه وصرفه وكسره ورد العدو بغيظه وأذله قال ابن الشيخ وهو يصلح لأن يكون دعاء عليهم وإخباراً عما سيكون بالماضي لتحققه أي سيكبتون ويدخل فيهم المنافقون والكافرون جميعاً أما الكافرون فمحادتهم في الظاهر والباطن وأما المنافقون ففي الباطن فقط. ﴿**كما كبت الذين من قبلهم**﴾ من كفار الأمم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام مثل أقوام نوح وهود وصالح وغيرهم. وكان السري رحمه الله يقول: عجبت من ضعيف عصى قوياً فيقال له: كيف ذلك ويقول ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] ﴿**وقد أنزلنا آيات بينات**﴾ حال من واو كبتوا أي كبتوا لمحادتهم والحال إنا قد أنزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الأمم وفيما فعلنا بهم أو آيات بينات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به والسؤال بأن الإنزال نقل الشيء من الأعلى إلى الأسفل وهو إنما يتصور في الأجسام والآيات التي هي من الكلام من الإعراض الغير القارة فكيف يتصور الإنزال فيها مجاب عنه بأن المراد منه إنزال من يتلقف من الله ويرسل إلى عباده تعالى فيسند إليها مجازاً لكونها المقصودة منه أو المراد منه الإيصال والإعلام على الاستعارة. ﴿**وللكافرين**﴾ بتلك الآيات أو بكل ما يجب الإيمان به. ﴿**عذاب مهين**﴾ يذهب بعزهم وكبرهم من الإهانة بمعنى التحقير والمراد عذاب الكبت الذي هو في الدنيا فيكون ابتداء كلام أو عذاب الآخرة فيكون للعطف بمعنى أن لهم الكبت في الدنيا ولهم عذاب مهين في الآخرة فهم معذبون في الدارين قال بعضهم: وصف الله العذاب الملحق بالكافرين أولاً بالإيلام وثانياً بالإهانة لأن الإيلام يلحق بهم أولاً ثم يهانون به وإذا كانت الإهانة ما في الآخرة فالتقديم ظاهر وقد سبق غير هذا، وفي الآية إشارة إلى أن من يعادون مظاهر الله وهم الأولياء المتحققون بالله

المجتمعون بأسماء الله ويشاققون مظاهر رسوله وهم العلماء القائمون بأحكام الشرائع حجوا وأفحموا بأبلغ الحجج وأظهر البراهين من الكرامات الظاهرة ونشر العلوم الباهرة وكيف لا وقد أنزلنا بصحة ولايتهم وآثار وراثتهم آيات بينات فمن سترها بستائر ظلمات إنكاره فله عذاب القطيعة الفظيعة والإهانة من غير إبانة.

﴿يوم يبعثهم الله﴾ منصوب باذكر المقدر تعظيماً لليوم وتهويلاً له والمراد يوم القيامة أي يحييهم الله بعد الموت للجزاء ﴿جميعاً﴾ أي: كلهم بحيث لا يبقى منهم أحد غير مبعوث فيكون تأكيداً للضمير أو مجتمعين في حالة واحدة فيكون حالاً منه. ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ من القبائح ببيان صدورها منهم أو بتصويرها في تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤوس الاشهاد وتخجيلاً لهم وتشهيراً لحالهم وتشديداً لعذابهم وإلا فلا فائدة في نفس الإنباء لينبهوا على ما صدر منهم. ﴿أحصاه الله﴾ كأنه قيل كيف ينبئهم بأعمالهم وهي أعراض منقضية متلاشية فقيل: أحصاه الله أي أحاط به عدداً وحفظه كما عمله لم يفت منه شيء ولم يغب، قال الراغب: الإحصاء التحصيل بالعدد يقال أحصيت كذا وذلك من لفظ الحصى واستعمال ذلك فيه لأنهم كانوا يعتمدون اعتمادنا فيه على الأصابع، وقال بعضهم: الإحصاء عد بإحاطة وضبط إذ أصله العدد بآحاد الحصى للتقوى في الضبط فهو أخص من العد لعدم لزوم الإحاطة فيه ﴿ونسوه﴾ أي والحال أنهم قد نسوه لكثرته أو لتهاونهم حين ارتكبوه لعدم اعتقادهم ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ لا يغيب عنه أمر من الأمور فالشهيد بمعنى الشاهد من الشهود بمعنى الحضور وكفته اندكواهست ومناسب آن مكافات خواهد فرمود وكسى كواهى اورد نتواند كرد.

حاكم ز حكم دم نزندكر كواه نيست   حاكم كه خود كواه بود قصه مشكلست

فلا بد من استحضار الذنوب والبكاء عليها وطلب التوبة من الله الذي يحصي كل شيء ولا ينساه قبل أن يجيء يوم يفتضح فيه المصر على رؤوس الأشهاد ولا يقبل الدعاء والمعذرة من العباد.

واعلم أن القول بأنه تعالى شهيد قول بأنه حاضر لكن بالحضور العلمي لا بالحضور الجسماني فإنه منزه عن ذلك فقول من قال الله حاضر محمول على الحضور العلمي فلا وجه لإكفار قائله مع وجوده في القرآن.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض﴾ استشهاد على شمول شهوده تعالى والهمزة للإنكار المقرر بالرؤية لما أن الإنكار نفي معنى ونفي النفي يقرر الإثبات فتكون الرؤية ثابتة مقررة والخطاب للرسول عليه السلام أو لكل من يستحق الخطاب والمعنى ألم تعلم علماً يقينياً بمرتبة المشاهدة أنه تعالى يعلم ما في السموات وما في الأرض من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما أو بالجزئية منهما.

- روي - عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن أمية كانوا يوماً يتحدثون فقال أحدهم: أترى الله يعلم ما نقول؟ فقال الآخر يعلم

بعضاً وقال الثالث إن كان يعلم بعضه فهو يعلم كله وصدق لأن من علم بعض الأشياء بغير سبب فقط علمها كلها لأن كونه عالماً بغير سبب ثابت له مع كل معلوم فنزلت الآية. ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة**﴾ مانافية ويكون تامة بمعنى يوجع ويقع ومن مقحم ونجوى فاعله وهو مصدر بمعنى التناجي كالشكوى بمعنى الشكاية يقال: نجاه نجوى ونجوى ساره كناجاه مناجاة والنجوى السر الذي يكتم اسم ومصدر كما في «القاموس» وأصله أن تخلو في نجوة من الأرض، أي مكان مرتفع منفصل بارتفاعه عما حوله كأن المتناجي بنجوة من الأرض لئلا يطلع عليه أحد والمعنى ما يقع من تناجي ثلاثة نفر ومسارتهم فالنجوى مصدر مضاف إلى فاعله.

﴿**إلا هو**﴾ أي الله تعالى ﴿**رابعهم**﴾ أي جاعلهم أربعة من حيث إنه تعالى يشاركهم في الاطلاع عليها كما قال الحسين النوري قدس سره: إلا هو رابعهم علماً وحكماً لا نفساً وذاتاً وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي ما يوجد في حال ما إلا في هذه الحال وفي الكلام اعتبار التصيير قال النصر أبادي: من شهد معية الحق معه زجره عن كل مخالقة وعن ارتكاب كل محذور ومن لا يشاهد معيته فإنه متخط إلى الشبهات والمحارم. ﴿**ولا خمسة**﴾ أي: ولا نجوى خمسة نفر ﴿**إلا هو سادسهم**﴾ أي: إلا وهو تعالى جاعلهم ستة في الاطلاع على ما وقع بينهم وتخصيص العددين بالذكر لخصوص الواقعة لأن المنافقين المجتمعين في النجوى كانوا مرة ثلاثة وأخرى خمسة ويقال: إن التشاور غالباً إنما يكون من ثلاثة إلى ستة ليكونوا أقل لفظاً وأجدر رأياً وأكتم سراً ولذا ترك عمر رضي الله عنه حين علم بالموت أمر الخلافة شورى بين ستة أي على أن يكون أمر الخلافة بين ستة ومشاورتهم واتفاق رأيهم وفي الثلاثة إشارة إلى الروح والسر والقلب وفي الخمسة إليها بإضافة النفس والهوى ثم عمم الحكم فقال: ﴿**ولا أدنى من ذلك**﴾ أي أقل مما ذكر كالاثنين والواحد فإن الواحد أيضاً يناجي نفسه وبالفارسية: ونه كمتر باشد ازسه عدد ﴿**ولا أكثر**﴾ كالستة وما فوقها ﴿**إلا هو معهم**﴾ أي الله مع المتناجين بالعلم والسماع يعلم ما يجري بينهم ولا يخفى عليه ما هم فيه فكأنه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المشاهدة والحضور معهم حضوراً جسمانياً ﴿**أينما كانوا**﴾ أي في أي مكان كانوا من الأماكن ولو كانوا تحت الأرض فإن علمه تعالى بالأشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة قرباً وبعداً:

أين معيت درنيابد عقل وهوش   زين معيت دم مزن بنشين خموش
قرب حق بابنده دورست از قياس   بر قياس خود منه آنرا اساس

قال بعض العارفين: اكر مؤمنان امت احمدرا خود اين تشريف يودى كه رب العالمين درين سوره ميكويد كه ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم**﴾ إلى قوله ﴿**هو معهم**﴾ تمام بودى أصحاب كهف را باجلال رتبت ايشان وكمال منزلت ميكويد. ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] فانظر كم من فرق بين من كان الله رابعهم وسادسهم وبين من كان أخس الحيوانات رابعهم وسادسهم وحظية المؤمن من المعية أن يعلم أن الخير في أن يكون جليسه صالحاً وكلامه نافعاً ولا يتكلم بما لا طائل تحته فيكون عيباً في صحيفته وعبثاً في صحبته ومعية الله تعالى على العموم كما صرح به قوله تعالى: ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾ ثم إنه قد يكون له تعالى معية مخصوصة ببعض عباده بحسب فيضه وإيصال لطفه إليه ونحو ذلك ﴿**ثم ينبئهم بما عملوا**﴾ أي يخبرهم بالذي عملوه في الدنيا. ﴿**يوم القيامة**﴾

تفضيحاً لهم وإظهاراً لما يوجب عذابهم ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ لأن نسبة ذاته المقتضية للعلم إلى الكل سواء يعني نسبت علم أو باهمه معلومات يكسانست حالات أهل آسمانرا چنان داندكه حالات اهل زمين را وعلم أو بمخفيات أمور بدان وجه احاطه كندكه بجليات:

نهان وآشكارا هردو يكسانست بر علمت نه اين رازود تربيني نه آنرا ديد ترداني

من عرف أنه العالم بكل شيء راقبه في كل شيء واكتفى بعلمه في كل شيء فكان واثقاً به عند كل شيء ومتوجهاً له بكل شيء قال ابن عطاء الله: متى علمت عدم إقبال الناس عليك أو توجههم بالذم إليك فارجع إلى علم الله فيك فإن كان لا يقنعك علمه فيك فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم انتهى والتخلق بهذا الاسم تحصيل العلم وإفادته للمحتاجين إليه ومن أدمن ذكر يا علام الغيوب بصيغة النداء إلى أن يغلب عليه منه حال فإنه يتكلم بالمغيبات ويكشف ما في الضمائر وترقى روحه إلى أن يرقى في العالم العلوي ويتحدث بأمور الكائنات والحوادث قال الفقهاء: من قال بأن الله عالم بذاته أي لا عالم بعلمه قادر بذاته أي لا قادر بقدرته يعني لا يثبت له صفة العلم القائمة بذاته ولا صفة القدرة كالمعتزلة والجهمية يحكم بكفره لأن نفي الصفات الإلهية كفر قال الرهاوي: من أقر بوحدانية الله وأنكر الصفات كالفلاسفة والمعتزلة لا يكون إيمانه معتبراً كذا قالوا وفيه شيء بالنسبة إلى المعتزلة فإنهم من أهل القبلة ومن ثمة، قال في «شرح العقائد» والجمع بين قولهم لا يكفر أحد من أهل القبلة وقولهم بكفر من قال بخلق القرآن واستحالة الرؤية وسب الشيخين وأمثال ذلك مشكل انتهى.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَـٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَـٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه﴾ نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتحلقون ثلاثة وخمسة ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين يريدون أن يغيظوهم فنهاهم رسول الله عليه السلام ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول والهمزة للتعجب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة قال الخدري رضي الله عنه: «خرج عليه السلام ذات ليلة ونحن نتحدث فقال: هذه النجوى ألم تنهوا عن النجوى فقلنا: تبنا إلى الله إنا كنا في حديث الدجال قال: ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم منه هو الشرك الخفي» يعني المراءاة. ﴿ويتناجون﴾ وراز ميكويند ﴿بالإثم والعدوان ومعصية الرسول﴾ عطف على قوله: يعودون داخل في حكمه وبيان لما نهوا عنه لضرره في الدين أي بما هو إثم في نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول والعدوان الظلم والجور والمعصية خلاف الطاعة. ﴿وإذا جاؤوك﴾ وچون برتو آيند. يعني أهل النجوى ﴿حيوك﴾ ترا تحيت وسلام كنند والتحية في الأصل مصدر حياك على الإخبار من الحياة فمعنى حياك الله جعل لك حياة ثم استعمل للدعاء بها ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام فكل دعاء تحية لكون جميعه غير خارج عن حصول حياة أو سبب حياة إما في الدنيا وإما في الآخرة.

﴿**بما لم يحيك به الله**﴾ أي بشيء لم يقع من الله أن يحييك به فيقولون السام عليك والسام بلغة اليهود. مرك است ياقتل بشمشير. وهم يوهمون أنهم يقولون: السلام عليك وكان عليه السلام يرد عليهم فيقول: عليكم بدون الواو ورواية وعليكم بالواو خطأ كذا في «عين المعاني» أو يقولون: أنعم صباحاً وهو تحية الجاهلية من النعومة أي ليصر صباحك ناعماً ليناً لا بؤس فيه والله سبحانه يقول: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ [الصافات: ١٨١] واختلفوا في رد السلام على أهل الذمة فقال ابن عباس والشعبي وقتادة: هو واجب لظاهر الأمر بذلك وقال مالك: ليس بواجب فإن رددت فقل: عليك وقال بعضهم: يقول في الرد علاك السلام أي ارتفع عنك وقال بعض المالكية: يقول في الرد: السلام عليك بكسر السين يعني الحجارة. ﴿**ويقولون في أنفسهم**﴾ أي: فيما بينهم إذا خرجوا من عندك. ﴿**لولا يعذبنا الله بما نقول**﴾ لولا تحضيضية بمعنى هلا أي هلا يعذبنا الله ويغضب علينا ويقهرنا بجراءتنا على الدعاء بالشر على محمد لو كان نبياً حقاً ﴿**حسبهم**﴾ پس است ايشانرا ﴿**جهنم**﴾ عذاباً مبتدأ وخبر أي محسبهم وكافيهم جهنم في التعذيب من أحسبه إذا كفاه. ﴿**يصلونها**﴾ يدخلونها ويقاسون حرها لا محالة وإن لم يعجل تعذيبهم لحكمة والمراد الاستهزاء بهم والاستخفاف بشأنهم لكفرهم وعدم إيمانهم. ﴿**فبئس المصير**﴾ أي: جهنم قال في «برهان القرآن»: الفاء لما فيه من معنى التعقيب، أي فبئس المصير ما صاروا إليه وهو جهنم انتهى قال بعض المفسرين: وقولهم ذلك من جملة ما غفلوا عما عندهم من العلم فإنهم كانوا أهل كتاب يعلمون أن بعض الأنبياء قد عصاه أمته وآذوه ولم يعجل تعذيبهم لحكمة ومصلحة علمها عند الله تعالى انتهى. ثم إن الله يستجيب دعاء رسول الله عليه السلام كما روي أن عائشة رضي الله عنها سمعت قول اليهود فقالت: عليكم السام والذام واللعن فقال عليه السلام: «يا عائشة ارفقي فإن الله يحب الرفق في كل شيء ولا يحب الفحش والتفحش إلا سمعت ما رددت عليهم فقلت عليكم فيستجاب لي فيهم» وقس عليه حال الورثة الكاملين فإن أنفاسهم مؤثرة فمن تعرض لواحد منهم بالسوء فقد تعرض لسوء نفسه وفي «البستان»:

كزيرى بچاهى در افتاده بود ... كه از هول او شير نرماده بود
همه شب زفرياد وزراى نخفت ... يكى بر سرش كوفت سنكى وكفت
توهر كز رسيدى بفرياد كس ... كه ميخواهى امروز فرياد رس
كه بر جان ريشت نهد مرهمى ... كه جانها بنالد زدستت همى
تومارا همى چاه كندى براه ... بسر لا جرم بر فتادى بچاه

﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ بألسنتهم وقلوبهم ﴿**إذا تناجيتم**﴾ چون راز كوييد بايكديكره يعني في أنديتكم وخلواتكم. ﴿**فلا تتناجوا بالإثم والعدوان**﴾ كما يفعله المنافقون واليهود ﴿**وتناجوا بالبر والتقوى**﴾ أي: بما يتضمن خبر المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول قال سهل رحمه الله بذكر الله وقراءة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ﴿**واتقوا الله الذي إليه تحشرون**﴾ وحده لا إلى غيره استقلالاً أو اشتراكاً فيجازيكم بكل ما تأتون وما تذرون. يعني بسوى أو جمع كرده خواهيد شد پس از موت. دلت الآية على أن التناجي ليس بمنهي عنه مطلقاً بل مأمور به في بعض الوجوه إيجاباً واستحباباً وإباحة على مقتضى المقام إن قيل كيف يأمر الله بالاتقاء عنه وهو المولى الرحيم والقرب منه ألذ المطالب والأنس به أقصى المآرب فالتقوى

توجب الاجتناب والحشر إليه يستدعي الإقبال إليه؟ يجاب بأن في الكلام مضافاً إذا التقدير واتقوا عذاب الله أو قهر الله أو غيرهما فإن قيل إن العبد لو قدر على الخلاص من العذاب والقهر لأسرع إليه لكنه ليس بقادر عليه كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧] والأمر إنما يكون بالمقدور لا يكلف الله نفساً إلا وسعها أجيب بأن المراد الاتقاء عن السبب من الذنوب والمعاصي الصادرة عن العبد العاصي، فالمراد واتقوا ما يفضي إلى عذاب الله ويقتضي قهره في الدارين من الإثم والعدوان ومعصية الرسول التي هي السبب الموجب لذلك فالمراد النهي عن مباشرة الأسباب والأمر بالاجتناب عنها إن قيل إن ذلك الاتقاء إنما يكون بتوفيق الله له فإن وفق العبد له فلا حاجة إلى الأمر به وإن لم يوفقه فلا قدرة له عليه والأمر إنما يحسن في المقدور أجيب بأنه تعالى علمه الحق أولاً ووهب له إرادة جزئية يقدر بها على اختيار شيء فله الاختيار السابق على إرادة الله تعالى ووجود الاختيار في الفاعل المختار أمر يطلع عليه كل أحد حتى الصبيان.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿**إنما النجوى**﴾ المعهودة التي هي التناجي بالإثم والعدوان بقرينة ليحزن. ﴿**من الشيطان**﴾ لا من غيره فإنه المزين لها والحامل عليها فكأنها منه ﴿**ليحزن الذين آمنوا**﴾ خبر آخر من الحزن بالضم بعده السكون متعد من الباب الأول لا من الحزن بفتحتين لازماً من الرابع كقوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف: ٦٨] فيكون الموصول مفعوله وفي «القاموس» الحزن بالضم ويحرك الهم والجمع أحزان وحزن كفرح وحزنه الأمر حزناً بالضم وأحزنه جعله حزيناً وحزنه جعل فيه حزناً وقال الراغب: الحزن والحزن خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيها من الغم ويضاده الفرح ولاعتبار الخشونة بالغم قيل: خشنت بصدره إذا أحزنته والمعنى إنما هي ليجعل الشيطان المؤمنين محزونين بتوهمهم أنها في نكبة أصابهم في سيرتهم يعني أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قتلوا متألمين بذلك فاترين في تدبير الغزو إلى غير ذلك مما يشوش قلوب المؤمنين وفي الحديث: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه» ﴿**وليس**﴾ أي الشيطان أو التناجي ﴿**بضارهم**﴾ بالذي يضر المؤمنين ﴿**شيئاً**﴾ من الأشياء أو شيئاً من الضرر. يعني ضرر رسانند مؤمنان بچيزى ﴿**إلا بإذن الله**﴾ أي بمشيئته وإرادته أي ما أراده من حزن أو وسوسة كما روي «أن فاطمة رضي الله عنها رأت كأن الحسن والحسين رضي الله عنهما أكلا من أطيب جزور بعثه رسول الله إليهما فماتا فلما غدت سألته عليه السلام وسأل هو جبريل ملك الرؤيا فقال: لا علم لي به فعلم أنه من الشيطان» وفي «الكشاف»: إلا بإذن الله أي بمشيئته وهو أن يقضي الموت على أقاربهم أو الغلبة على الغزاة قال في «الأسئلة المقحمة»: أين ضرر الحزن؟ قلت: إن الحزن إذا سلمت عاقبته لا يكون حزناً في الحقيقة وهذه نكتة أصولية إذ الضرر إذا كانت عاقبته الثواب لا يكون ضرراً في الحقيقة وهذه نكتة أصولية إذ الضرر إذا كانت عاقبته الثواب لا يكون ضرراً في الحقيقة والنفع إذا كانت عاقبته العذاب لا يكون نفعاً في الحقيقة. ﴿**وعلى الله**﴾ خاصة ﴿**فليتوكل المؤمنون**﴾ ليفوضوا أمورهم إليه وليثقوا به ولا يبالوا بنجواهم فإنه تعالى

يعصمهم من شرها وضررها. ذكر بما سخن خصم تندخوى مكوى كه اهل مجلس مارا ازان حسابي نيست، وفي الآية إشارة إلى أن الشيطان يناجي النفس الأمارة ويزين لها المعارضات ونحوها ليقع القلب والروح في الحزن والاضطراب وضيق الصدر ويتقاعدان من شؤم المعارضة عن السير والطير في عالم الملكوت ويحرمان من مناجاة الله تعالى في عالم السر لكنهما محروسان برعاية الحق وتأييده ومنه يعلم أن كل مخالفة فهي في النفس والطبيعة والشيطان لأنها ظلمانية وأن كل موافقة فهي في القلب والروح والسر لأنها نورانية إلا أن يغلب عليها ظلمة أهل الظلمة وتختفي أنوارها تحت تلك الظلمة اختفاء نور الشمس تحت ظلمة السحاب الكثيف فليكن العبد على المعالجة دائماً لكن ينبغي له التوكل التام فإن المؤثر في كل شيء هو الله تعالى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ يعني المخلصين **﴿إذا قيل لكم﴾** من أي قائل كان من الإخوان. **﴿تفسحوا﴾** التفسح جاى فراخ كردن وفراخ نشتن در مجلس. وكذا الفسح لكن التفسح يعدى بفي والفسح باللام أي توسعوا ليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح أعني أي تنح وأنت في فسحة من دينك أي في وسعة ورخصة وفلان فسيح الخلق أي واسع الخلق. **﴿في المجالس﴾** قال في «الإرشاد» متعلق بقيل.

يقول الفقير: الظاهر أنه متعلق بقوله: تفسحوا لأن البيهقي صرح في «تاج المصادر» بأن التفسح يعدى بفي على ما أشرنا إليه آنفاً. **﴿فافسحوا﴾** پس جاى كشاده كنيد بر مردم **﴿يفسح الله لكم﴾** أي في كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها فإن الجزاء من جنس العمل والآية عامة في كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر سواء كان مجلس رسول الله ﷺ وكانوا يتضامون تنافساً في القرب منه عليه السلام وحصراً على استماع كلامه أو مجلس حرب وكانوا يتضامون في مراكز الغزاة ويأتي الرجل الصف ويقول: تفسحوا ويأبون لحرصهم على الشهادة أو مجلس ذكر أو مجلس يوم الجمعة وإن كل واحد وإن كان أحق بمكان الذي سبق إليه لكنه يوسع لأخيه ما لم يتأذ لذلك فيخرجه الضيق من موضعه وفي الحديث: «لا يقيمن أحدكم الرجل من مجلسه ثم يخلفه فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا» وفي رواية: «لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل: افسحوا» وقيل: «إن رجلاً من الفقراء دخل المسجد وأراد أن يجلس بجنب واحد من الأغنياء فلما قرب منه قبض الغني إليه ثوبه فرأى رسول الله عليه السلام ذلك فقال للغني: أخشيت أن يعديه غناك ويعديك فقره» وفيه حث على التواضع والجلوس مع الفقراء والتوسعة لهم في المجالس وإن كانوا شعثاً غبراً. **﴿وإذا قيل انشزوا﴾** يقال نشز الرجل إذا نهض وارتفع في المكان نشزاً والنشز كالفلس وكذا النشز بفتحتين المكان المرتفع من الأرض ونشز فلان إذا قصد نشزاً ومنه فلان عن مقره وقلب ناشز ارتفع عن مكانه رعباً والمعنى وإذا قيل لكم قوموا للتوسعة على المقبلين أي على من جاء بعدكم.

﴿فانشزوا﴾ فارتفعوا وقوموا يعني إذا كثرت المزاحمة وكانت بحيث لا تحصل التوسعة بتنحي أحد الشخصين عن الآخر حال قعود الجماعة وقيل: قوموا جميعاً تفسحوا حال القيام فانشزوا ولا تثاقلوا عن القيام أو إذا قيل لكم قوموا عن مواضعكم فانتقلوا منها إلى موضع آخر لضرورة داعية إليه أطيعوا من أمركم به وقوموا من مجالسكم وتوسعوا لإخوانكم ويؤيده أنه عليه السلام كان يكرم أهل بدر فأقبلت جماعة منهم فلم يوسعوا لهم فقال عليه السلام: «قم يا فلان ويا فلان» فأقام من المجلس بعدد المقبلين من أهل بدر فتغامز به المنافقون أنه ليس من العدل أن يقيم أحداً من مجلسه وشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف رسول الله عليه السلام الكراهية في وجوههم فأنزل الله الآية» فالقائل هو الرسول عليه السلام ويقال وإذا قيل انشزوا أي انهضوا عن مجلس رسول الله إذا أمرتم بالنهوض عنه فانهضوا ولا تملوا رسول الله بالارتكان فيه أو انهضوا إلى الصلاة أو إلى الجهاد أو الشهادة أو غير ذلك من أعمال الخير فانهضوا ولا تتنبطوا ولا تفرطوا فالقائل يعم الرسول وغيره. ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم﴾ جواب للأمر، أي من فعل ذلك طاعة للأمر وتوسعة للإخوان يرفعهم الله بالنصر وحسن الذكر في الدنيا والإيواء إلى غرف الجنان في الآخرة لأن من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه فالمراد الرفعة المطلقة الشاملة للرفعة الصورية والمعنوية. ﴿والذين أوتوا العلم﴾ أي ويرفع العلماء منهم خاصة فهو من عطف الخاص على العام للدلالة على علو شأنهم وسمو مكانهم حتى كأنهم جنس آخر. ﴿درجات﴾ أي طبقات عالية ومراتب مرتفعة بسبب ما جمعوا من العلم والعمل فإن العلم لعلو درجته يقتضي للعمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العاري عنه وإن كان في غاية الصلاح ولذا يقتدى بالعالم في أفعاله ولا يقتدى بغيره فعلم من هذا التقرير أنه لا شركة للمعطوف عليه في الدرجات كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ثم الكلام عند قوله منكم وينتصب الذين أوتوا العلم بفعل مضمر أي ويرفعهم درجات وانتصاب درجات إما على إسقاط الخافض أي إلى درجات أو على المصدرية أي رفع درجات فحذف المضاف أو على الحالية من الموصول، أي ذوي درجات. ﴿والله بما تعملون﴾ أي: بعملكم أو بالذي تعملونه ﴿خبير﴾ عالم لا يخفى عليه شيء منه لا ذاته جنساً أو نوعاً ولا كيفيته إخلاصاً أو نفاقاً أو رياء أو سمعة ولا كميته قلة أو كثرة فهو خبير بتفسحكم ونشزكم ونيتكم فيهما فلا تضيع عند الله وجعله بعضهم تهديداً لمن يمتثل لم بالأمر أو استكرهه فلا بد من التفسح والطاعة وطلب العلم الشريف ويعلم من الآية سر تقدم العالم على غيره في المجالس والمحاضر لأن الله تعالى قدمه وأعلاه حيث جعل درجاته عالية وفي الحديث: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» أي فضل العالم الباقي بالله على العابد الفاني في الله كما في «التأويلات النجمية» وقال في «عين المعاني»: المراد علم المكاشفة في ما ورد «فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي» إذ غيره وهو علم المعاملة تبع للعمل لثبوته شرطاً له إذ العمل إنما يتعد به إذا كان مقروناً بعلم المعاملة قال بعضهم: المتعبد بغير علم كحمار الطاحونة يدور ولا يقطع المسافة.

علم چندانكه بيشترى خوانى ... چون عمل در تو نيست نادانى

وحيث يمدح العلم فالمراد به العلم المقرون بالعمل.

رفعت آدمى بعلم بود ... هركرا علم بيش رفعت بيش

قيمت هركسى بدانش اوست ... سازدا فزون بعلم قيمت خويش

وقال بعضهم:

مرا بتجربه معلوم كشت آخر حال　　كه عزمرد بعلم است وعز علم بمال

وعن بعض الحكماء: ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فات من أدرك العلم وكل علم لم يوطد بعمل فإلى ذل يصير وعن الزهري رضي الله عنه: العلم ذكر فلا يحبه إلا ذكورة الرجال قال مقاتل: إذا انتهى المؤمن إلى باب الجنة يقال له: لست بعالم ادخل الجنة بعملك ويقال للعالم: قف على باب الجنة واشفع للناس وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لأن أعلم مسألة أحب إلي من أن أصلي مائة ركعة ولأن أعلم مسألة أحب إلي من أن أصلي ألف ركعة قال أبو هريرة وأبو ذر رضي الله عنهما: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «إذا جاء الموت طالب العلم على هذه الحال مات وهو شهيد». واعلم أن جميع الدرجات إما باعتبار تعدد أصحابها فإن لكل عالم رباني درجة عالية أو باعتبار تعددها لقوله عليه السلام: «بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجة حضر الجواد المضمر سبعين سنة» الحضر بضم الحاء المهملة ارتفاع الفرس في عدوه والجواد الفرس السريع السير وتضمير الفرس أن تعلفه حتى يسمن ثم ترده إلى القوت وذلك في أربعين يوماً والمضمار الموضع يضمر فيه الخيل وغاية الفرس في السباق.

﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ بالإيمان الخالص ﴿**إذا ناجيتم الرسول**﴾ المناجاة باكسى راز كفتن. أي إذا كالمتموه سراً في بعض شؤونكم المهمة الداعية إلى مناجاته عليه السلام ومكالمته سراً بالفارسية: چون خواهيدكه راز كوييد با رسول وفي بعض التفاسير: إذا كالمتموه سراً استفسار الحال ما يرى لكم من الرؤيا ففيه إرشاد للمقتدين إلى عرضها على المقتدى بهم ليعبروها لهم ومن ذلك عظم اعتبار الواقعات وتعبيرها بين أرباب السلوك حتى قيل: إن على المريد أن يعرض واقعته على شيخه سواء عبر الشيخ أو لم يعبر فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] وهي من جملة الأمانة عند المريد لا بد أن يؤديها إلى الشيخ لما فيها من فائدة جليلة له وقوة لسلوكه وفي التعبير أثر قوي على ما قال عليه السلام: «الرؤيا على ما أولت» ﴿**فقدموا بين يدي نجواكم صدقة**﴾ أي: فتصدقوا قبلها على المستحق كقول عمر رضي الله عنه: أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل أمام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته فهو مستعار ممن له يدان على سبيل التخييل فقوله: نجواكم استعارة بالكناية وبين يدي تخييلية، وفي بعض التفاسير: إذا أردتم عرض رؤياكم عليه ليعبرها لكم فتصدقوا قبل ذلك بشيء ليكون ذلك قوة لكم ونفعاً في أموركم والآية نزلت حين أكثر الناس عليه السؤال حتى أسأموه وأملوه فأمرهم الله بتقديم الصدقة عند المناجاة فكف كثير من الناس أما الفقير فلعسرته وأما الغني فلشحه وفي هذا الأمر تعظيم الرسول ونفع الفقراء والزجر عن الإفراط في السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في أنه للندب أو للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى: ﴿**ءأشفقتم**﴾ الآية وهو وإن كان متصلاً به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولاً على ما هو شأن الناسخ واختلف في مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ فقيل: كان ساعة من النهار والظاهر أنه عشرة أيام لما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان لي دينار فصرفته، وفي رواية فاشتريت به عشرة دراهم فكنت إذا ناجيته عليه السلام تصدقت بدرهم

يعني كنت أقدم بين يدي نجواي كل يوم درهماً إلى عشرة أيام وأسأله خصلة من الخصال الحسنة كما قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات سألهن رسول الله عليه السلام وهو على القول بالوجوب محمول على أنه لم يتفق للأغنياء مناجاة في مدته وهي عشرة أيام في بعض الروايات إما لعدم المحوج إليها أو الإشفاق وعلى التقديرين لا يلزم مخالفة الأمر وإن كان للإشفاق وفي بعض التفاسير: ولا يظن ظان أن عدم عمل غيره من الصحابة رضي الله عنهم بهذا لعدم الإقدام على التصدق كلا كيف ومن المشهور صدقة أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما بألوف من الدراهم والدنانير مرة واحدة فهلا يقدم من هذا شأنه على تصدق دينار أو دينارين وكذا غيرهما فلعله لم يقع حال اقتضت النجوى حينئذ وهذا لا ينافي الجلوس في مجلسه المبارك والتكلم معه لمصلحة دينية أو دنيوية بدون النجوى إذ المناجاة تكلم خاص وعدم الخاص لا يقتضي عدم العام كما لا يخفى وعن علي رضي الله عنه قال: «لما نزلت الآية دعاني رسول الله فقال: ما تقول في دينار؟ قلت: لا يطيقونه قال: فنصف دينار قلت: لا يطيقونه قال: فكم قلت حبة أو شعيرة؟ قال: إنك لزهيد» أي رجل قليل المال لزهدك فيه فقدرت على حالك وما في بالك من الشفقة على المؤمنين وقوله حبة أو شعيرة أي مقدارها من ذهب وعن ابن عمر رضي الله عنه كان لعلي رضي الله عنه ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم: تزويجه فاطمة رضي الله عنها وإعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى قوله: حمر النعم بسكون ميم الحمر وهي من أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وإنه ليس هناك أعظم منه قال بعضهم: إن رسم النثارات للملوك والرؤساء مأخوذ من أدب الله تعالى في شأن رسوله حيث قال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة**﴾ ﴿**ذلك**﴾ التصدق ﴿**خير لكم**﴾ أيها المؤمنون من إمساكه وبالفارسية بهترست مرشمارا زيراكه طاعت بيفزايد ﴿**وأطهر**﴾ لأنفسكم من دنس الريبة ودرن البخل الناشىء من حب المال الذي هو من أعظم حب الدنيا وهو رأس كل خطيئة وبالفارسية وپاكيزه تر براى آنكه كناهان محو كند. وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى: ﴿**فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم**﴾ منبىء عن الوجوب لأنه ترخيص لمن لم يجد في المناجاة بلا تصدق والمعنى بالفارسية پس اكر نيابيد چيزى كه صدقه دهيد پس خداى تعالى آمر زنده است مركسى راكه اين كناه كند مهر بانست بنده راكه تكليف ما لا يطاق ننمايد. قال بعض أهل الإشارة: إن الله تعالى أدب أهل الإرادة بهذه الآية أن لا يناجوا شيوخهم في تفسير الإلهام واستفهام علم المكاشفة والأسرار إلا بعد بذل وجودهم لهم والإيمان بهم بشرط المحبة والإرادة فإن الصحة بهذه الصفة خير لقلوبهم وأطهر لنفوسهم فإن ضعفوا عن بعض القيام بحقوقهم ومعهم الإيمان والإرادة وعلموا قصورهم في الحقيقة فإن الله تعالى يتجاوز عن ذلك التقصير وهو رحيم بهم يبلغهم إلى درجة الأكابر. قال المولى الجامي:

چه سود اى شيخ هرساعت فزون خرمن طاعت
چو نتوانى كه يك جواز وجود خويشتن كاهى

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات﴾ الإشفاق الخوف من المكروه ومعنى الاستفهام التقرير كان بعضهم ترك المناجاة للإشفاق ولا مخالفة للأمر وجمع صدقات لجمع المخاطبين قال في بعض التفاسير: أفرد الصدقة أولاً لكفاية شيء منها وجمع ثانياً نظراً إلى كثرة التناجي والمناجى والمعنى أخفتم الفقر يا أهل الغنى من تقديم الصدقات فيكون المفعول محذوفاً للاختصار وأن تقدموا في تقدير لأن تقدموا أو أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر قال الشاعر:

هون عليك ولا تولع بإشفاق فإنما مالنا للوارث الباقي

﴿فإذ لم تفعلوا﴾ ما أمرتم به وشق عليكم ذلك وبالفارسية پس چون نكر ديد اين كاررا ﴿وتاب الله عليكم﴾ بأن رخص لكم في أن لا تفعلوه وأسقط عنكم تقديم الصدقة وذلك لأنه لا وجه لحملها على قبول التوبة حقيقة إذ لم يقع منهم التقصير في حق هذا الحكم بأن وقعت المناجاة بلا تصدق، وفيه إشعار بأن إشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال ما قام مقام توبتهم وإذ على بابها يعني الظرفية والمضي بمعنى إنكم تركتم ذلك فيما مضى وتجاوز الله عنكم بفضله فتداركوه بما تؤمرون به بعد هذا وقيل بمعنى إذا للمستقبل كما في قوله ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ [غافر: ٧١] ومعنى إن الشرطية وهو قريب مما قبله إلا أن يستعمل فيما يحتمل وقوعه واللاوقوعه. ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ مسبب عن قوله ﴿فإذ لم تفعلوا﴾ أي فإذ فرطتم فيما أمرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمواظبة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة المفروضة. ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ في سائر الأوامر فإن القيام بها كالجابر لما وقع في ذلك من التفريط وهو تعميم بعد التخصيص لتتميم النفع. ﴿والله خبير بما تعملون﴾ عالم بالذي تعملون من الأعمال الظاهرة والباطنة لا يخفى عليه خافية فيجازيكم عليه فاعملوا ما أمركم به ابتغاء لمرضاته لا لرياء وسمعة وتضرعوا إليه خوفاً من عقوباته خصوصاً بالجماعة يوم الجمعة ومن الأدعية النبوية: «اللهم طهر قلبي من النفاق وعملي من الرياء ولساني من الكذب وعيني من الخيانة إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور» وفي تخصيص الصلاة والزكاة بالذكر من بين العبادات المرادة بالأمر بالإطاعة العامة إشارة إلى علو شأنهما وإنافة قدرهما فإن الصلاة رئيس الأعمال البدنية جامعة لجميع أنواع العبادات من القيام والركوع والسجود والقعود ومن التعوذ والبسملة والقراءة والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة على النبي عليه السلام ومن الدعاء الذي هو مخ العبادة، ومن ذلك سميت صلاة وهي الدعاء لغة فهي عبادة من عبد الله تعالى بها فهو محفوظ بعبادة العابدين من أهل السموات والأرضين ومن تركها فهو محروم منها فطوبى لأهل الصلاة وويل لتاركها، وإن الزكاة هي أم الأعمال المالية بها يطهر القلب من دنس البخل والمال من خبث الحرمة فعلى هذا هي بمعنى الطهارة وبها ينمو المال في الدنيا بنفسه لأنه يمحق الله الربا ويربي الصدقات وفي الآخرة بأجره لأنه تعالى يضاعف لمن يشاء وفي الحديث: «من تصدق بقدر تمرة من كسب حلال ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل» فعلى هذا هي من الزكاء بمعنى النماء أي الزيادة وفي «البستان»:

بدنيا توانى كه عقبى خرى بخرجان من ورنه حسرت خورى
زر ونعمت آيدكسى رابكار كه ديوار عقبى كند زر نكار

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾﴾

﴿**ألم تر**﴾ تعجيب من حال المنافقين الذين يتخذون اليهود أولياء ويناصحونهم وينقلون إليهم أسرار المؤمنين والخطاب للرسول عليه السلام أو لكل من يسمع ويعقل وتعدية الرؤية بإلى لكونها بمعنى النظر أي ألم تنظر يعني آيانمى نكرى. ﴿**إلى الذين تولوا**﴾ من التولي بمعنى الموالاة لا بمعنى الإعراض أي والوا يعني دوست كرفتند. ﴿**قوماً غضب الله عليهم**﴾ وهم اليهود كما أنبأ عنه قوله تعالى ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠] والغضب حركة للنفس مبدؤها إرادة الانتقام وهو بالنسبة إليه تعالى نقيض الرضى أو إرادة الانتقام أو تحقيق الوعيد أو الأخذ الأليم والبطش الشديد أو هتك الأسرار والتعذيب بالنار أو تغيير النعمة. ﴿**ما هم**﴾ أي: الذين تولوا ﴿**منكم**﴾ في الحقيقة ﴿**ولا منهم**﴾ أي: من القوم المغضوب عليهم لأنهم منافقون مذبذبون بين ذلك فهم وإن كانوا كفاراً في الواقع لكنهم ليسوا من اليهود حالاً لعدم اعتقادهم بما اعتقدوا وعدم وفائهم لهم ومآلاً لأن المنافقين في الدرك الأسفل من النار والجملة مستأنفة ﴿**ويحلفون على الكذب**﴾ الحلف العهد بين القوم والمحالفة المعاهدة والحلف أصله اليمين التي يأخذ بعضهم من بعض بها العهد ثم عبر به عن كل يمين أي يقولون والله إنا لمسلمون فالكذب المحلوف عليه هو ادعاء الإسلام وهو عطف على تولوا وأدخل في حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه ﴿**وهم يعلمون**﴾ أن المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وهو الحلف على فعل أو ترك ماض كاذباً عمداً سمي بالغموس لأنه يغمس صاحبه في الإثم ثم في النار ولم يجعل حلفهم غموساً لأن الغموس حلف على الماضي وحلفهم هذا على الحال والجملة حال من فاعل يحلفون مقيدة لكمال شناعة ما فعلوا فإن الحلف على ما يعلم أنه كذب في غاية القبح وفي هذه التقييد دلالة على أن الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه فيكون حجة على النظام والجاحظ.

ـ وروي ـ «أنه عليه السلام كان في حجرة من حجراته فقال: يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق ـ بتقديم النون على الباء الموحدة كجعفر ـ وكان أزرق فقال له عليه السلام: علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلام: فعلت فانطلق بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت» فالكذب المحلوف عليه على هذه الرواية هو عدم شتمهم.

﴿**أعد الله لهم**﴾ بسبب ذلك ﴿**عذاباً شديداً**﴾ در دنيا بخوارى ورسوايى ودر آخرت بآتش دوزخ والمراد نوع من العذاب عظيم فالنوعية مستفادة من تنكير عذاباً والعظيم من توصيفه بالشدة. ﴿**إنهم ساء ما كانوا يعملون**﴾ أي: تمرنوا عليه وأصروا وتمرنهم، أي اعتيادهم واستمرارهم على مثل ما عملوه في الحال من العمل السوء مستفاد من كان الدالة على الزمان الماضي أي العمل السيىء دأبهم.

﴿**اتخذوا أيمانهم**﴾ الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة واليمين في الحلف مستعار من

اليد اعتباراً بما يفعله المحالف والمعاهد عنده. ﴿جنة﴾ وهي الترس الذي يجن صاحبه أي يستره والمعنى وقاية وسترة يسترون بها من المؤمنين ومن قتلهم ونهب أموالهم يعني پناهى كه خون ومال ايشان درامان ماند. فالاتخاذ عبارة عن إعدادهم لإيمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها إلى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا من المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فإن ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لا بد أن يكون قبل المؤاخذة وعن سببها أيضاً كما تعرب عنه الفاء في قوله ﴿فصدوا﴾ أي منعوا الناس وصرفوهم. ﴿عن سبيل الله﴾ أي: عن دينه في خلال أمنهم وسلامتهم وتثبيط من لقوا عن الدخول في الإسلام وتضعيف أمر المسلمين عندهم. ﴿فلهم﴾ بسبب كفرهم وصدهم ﴿عذاب مهين﴾ مخزٍ بين أهل المحشر وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الأول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة.

﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ
ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله﴾ أي: من عذابه تعالى ﴿شيئاً﴾ قليلاً من الإغناء يقال: أغنى عنه كذا إذا كفاه يعني أنهم يحلفون كاذبين للوقاية المذكورة ولا تنفعهم إذا دخلوا النار أموالهم ولا أولادهم التي صانوها وافتخروا بها في الدنيا أو يقولون: إن كان ما يقول محمد حقاً لندفعن العذاب عن أنفسنا بأموالنا وأولادنا فأكذبهم الله بهذه الآية فإن يوم القيامة يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يكفي أحد أحداً في شأن من الشؤون. ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة، قال في «برهان القرآن»: بغير واو موافقة للجمل التي قبلها ولقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ٢٢] ﴿أصحاب النار﴾ أي ملازموها ومقارنوها أو مالكوها لكونها حاصلهم وكسبهم الذي اكتسبوه في الدنيا بالسيئة المردية المؤدية إلى التعذيب. ﴿هم فيها خالدون﴾ لا يخرجون منها أبداً وضميرهم لتقوية الإسناد ورعاية الفاصلة لا للحصر لخلود غير المنافقين فيها من الكفار.

﴿يوم يبعثهم الله جميعاً﴾ يا دكن روزى راكه برانكيزد خداى تعالى همه منافقان ازقبور وزنده كند پس ازمرك. وجميعاً حال من ضمير المفعول بمعنى مجموعين. ﴿فيحلفون﴾ في ذلك اليوم وهو يوم القيامة. ﴿له﴾ أي: لله تعالى على أنهم مسلمون مخلصون كما قالوا ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ﴿كما يحلفون لكم﴾ في الدنيا ﴿ويحسبون﴾ في الآخرة مصدره الحسبان وهو أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله فيحسبه ويعقد عليه الأصبع ويكون بعرض أن يعتريه فيه شك ويقاربه الظن لكن الظن أن يخطر النقيضين بباله فيغلب أحدهما الآخر. ﴿أنهم﴾ بتلك الأيمان الكاذبة ﴿على شيء﴾ من جلب منفعة أو دفع مضرة كما كانوا عليه في الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم ويستجرون بها فوائد دنيوية ﴿ألا إنهم هم الكاذبون﴾ المبالغون في الكذب إلى غاية لا مطمح وراءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدي علام الغيوب وزعموا أن أيمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين وألا حرف تنبيه والمراد التنبيه على توغلهم في النفاق وتعودهم به بحيث لا

ينفكون عنه موتاً ولا حياة ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾ من حذت الإبل إذا استوليت عليها وجمعتها وسقتها سوقاً عنيفاً أي استولى عليهم الشيطان وملكهم لطاعتهم له في كل ما يريد منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه وهو مما جاء على الأصل كاستصوب واستنوق أي على خلاف قياس فإن القياس أن يقال: استحاذ فهو فصيح استعمالاً وشاذ قياساً.

ـ وحكي ـ أن عمر رضي الله عنه قرأ استحاذ ﴿فأنساهم ذكر الله﴾ المصدر مضاف إلى المفعول أي كان سبباً بالاستيلاء لنسيانه تعالى فلم يذكره بقلوبهم ولا بألسنتهم ﴿أولئك﴾ المنافقون الموصوفون بما ذكر من القبائح ﴿حزب الشيطان﴾ أي جنوده وأتباعه الساعون فيما أمرهم به والحزب الفريق الذي يجمعه مذهب واحد ﴿ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ أي الموصوفون بالخسران الذي لا غاية وراءه حيث فوتوا على أنفسهم النعيم المقيم وأخذوا بدله العذاب الأليم قال بعض المشايخ: بوأه الله الدرجات الشوامخ علامة استحواذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والملابس ويشغل قلبه عن التفكر في آلاء الله ونعمه عليه والقيام بشكرها ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب واللغو والغيبة والبهتان وسمعه عن الحق بسماع اللهو والهذيان قال بعض أهل الإشارة: إذا أراد الشيطان أن ينبت في سبخة أرض النفس الأمارة حنظل الشهوة يثب إليها ويغريها على إنفاذ مرادها فتكون النفس مركبة فيهجم إلى بلد القلب ويخربه بأن يدخل فيه ظلمة الطبيعة فلا ترى عين القلب مسلك الذكر وصفاته فلما احتجب عن الذكر صار وطن إبليس وجنوده وغلب الملعون عليه وهذا يكون بإرادة الله تعالى وسببه استحواذ غرور الملعون وتزيينه بأن يلبس أمر الدين بأمر الدنيا ويغويه من طريق العلم فإذا لم يعرف دقائقه صار قرينه والشيطان دون الملك والرحمن إذ لا يجتمع الحق مع الباطل.

نظر دوست نادر كند سوى تو ... چو در روى دشمن بود روى تو

ندانى كه كمترنهد دوست پاي ... چو بيند كه دشمن بود در سراى

﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ أي: يعادونهما ويخالفون أمرهما ويتعدون حدودهما ويفعلون معهما فعل من ينازع آخر في أرض فيغلب على طائفة منها فيجعل لها حداً لا يتعداه خصمه ولما كانوا لا يفعلون ذلك إلا لكثرة أعوانهم وأتباعهم فيظن من رآهم أنهم الأعزاء الذين لا أحد أعز منهم قال تعالى نفياً لهذا الغرور الظاهر: ﴿أولئك﴾ الأباعد والأسافل بما فعلوا من المحادة. ﴿في الأذلين﴾ أي: في جملة من هو أذل خلق الله من الأولين والآخرين لا ترى أحداً أذل منهم لأن ذلة أحد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك وذلك بالسبي والقتل في الدنيا وعذاب النار في الآخرة سواء كانوا فارس والروم أو أعظم منهم سوقة كانوا أو ملوكاً كفرة كانوا أو فسقة.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿كتب الله﴾ استئناف وارد لتعليل كونهم في الأذلين أي قضى وأثبت في اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم أجيب بما يجاب به. ﴿لأغلبن أنا وَرُسُلي﴾ أكده لما لهم من ظن الغلبة بالكثرة والقوة والمراد الغلبة بالحجة والسيف أو بأحدهما والغلبة بالحجة ثابتة لجميع الرسل لأنهم الفائزون بالعاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة وأما الغلبة بالسيف فهي ليست بثابتة للجميع لأن منهم من لم يأمر بالحرب قال الزجاج: غلبة الرسل على نوعين: من بعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة وإذا انضم إلى الغلبة بالحجة الغلبة بالسيف كان أقوى.

محالست چون دوست دارد ترا كه دردست دشمن كذارد ترا

وعن مقاتل أنه قال المؤمنون: لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا أن يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال رئيس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول: أتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها والله إنهم لأكثر عدداً وأشد بطشاً من أن تظنوا فيهم ذلك فنزل قوله تعالى: ﴿كتب الله﴾ الآية قال البقلي رحمه الله: كتب الله على نفسه في الأزل أن ينصر أولياءه على أعدائه من شياطين الظاهر والباطن ويعطيهم رايات نصرة الولاية فحيث تبدو راياتهم التي هي سطوع نور هيبة الحق من وجوههم صار الأعداء مغلوبين بتأييد الله ونصرته قال أبو بكر بن طاهر رحمه الله: أهل الحق لهم الغلبة أبداً ورايات الحق تسبق رايات غيره جميعاً لأن الله تعالى جعلهم أعلاماً في خلقه وأوتاداً في أرضه ومفزعاً لعباده وعمارة لبلاده فمن قصدهم بسوء كبه الله لوجهه وأذله في ظاهر عزه. ﴿إن الله﴾ تعليل للقهر والغلبة أكده لأن أفعالهم مع أوليائه أفعال من يظن ضعفه. ﴿قوي﴾ على نصر أنبيائه قال بعضهم: القوي هو الذي لا يلحقه ضعف في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا يمسه نصب ولا تعب ولا يدركه قصور ولا عجز نقض ولا إبرام والقوة في الأصل عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف ويراد بها القدرة بالنسبة إلى الله تعالى. ﴿عزيز﴾ لا يغلب عليه في مراده:

حكمي كه آن زباركه كبريا بود كس را دران مجال تصرف كجا بود

فإن قلت: فإذا كان الله قوياً عزيزاً غير عاجز فما وجه انهزام المسلمين في بعض الأحيان وقد وعد النصرة؟ قلت: إن النصرة والغلبة منصب شريف فلا يليق بالكافر لكن الله تعالى تارة يشدد المحنة على الكفار وأخرى على المؤمنين لأنه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الأوقات وأزالها عن المؤمنين في جميع الأوقات لحصل العلم الضروري بأن الإيمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا المعنى تارة يسلط الله المحنة على أهل الإيمان وأخرى على أهل الكفر لتكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل الدالة على صحة الإسلام فيعظم ثوابه عند الله ولأن المؤمن قد يقدم على بعض المعاصي فيكون تشدد المحنة عليه في الدنيا تمحيصاً لذنوبه وتطهيراً لقلبه وأما تشديد المحنة على الكافر فهو من قبيل الغضب ألا ترى أن الطاعون مثلاً رحمة للمؤمنين ورجز للكافرين وما من سابق عدل إلا له لاحق فضل ولا سابق فضل إلا له لاحق عدل غير أن أثري العدل والفضل قد يتعلقان بالبواطن خاصة وقد يتعلق أحدهما بالظاهر والآخر بالباطن وقد يكون اختلاف تعلقهما في حالة واحدة وقد يكون على البدل وعلى قدر تعلق الأثر السابق يكون تعلق الأثر اللاحق وقد أجرى الله سبحانه آثار عدله على ظواهر أصفيائه دون بواطنهم ثم عقب ذلك

بإيراد آثار فضله على بواطنهم وظواهرهم حتى صار من قاعدة الحكمة الإلهية تفويض ممالك الأرض للمستضعفين فيها كالنجاشي حيث بيع في صغره وذلك كثير موجود باستقراء فمن كمال تربية الحكيم لمن يريد إعلاء شأنهم أن يجري على ظاهرهم من آثار العدل ما فيه تكميل لهم وتنوير لمداركهم وتطهير لوجودهم وتهذيب وتأديب إلى غير ذلك من فوائد التربية ومن تتبع أحوال الأكابر من آدم عليه السلام وهلم جرا رأى من أحسن بلاء الله ما يشهد لما قرر بالصحة والمبتلى به يصبر على ذلك بل يتلذذ كما هو شأن الكبار:

هرچه از دست توآيد خوش بود كرهمه درياى پر آتش بود

وفي الآية إشارة إلى أعداء النفوس الكافرة فإنها تحمل القلوب والأرواح على مخالفات الشريعة وموافقات الطبيعة وتمحو الذكر من ألواحها بغلبة محبة الدنيا وشهواتها لكن الله تعالى ينصرها ويؤيدها حتى تغلب على النفوس الكافرة بسطوات الذكر فيحصل لها غاية الذلة كأهل الذمة في بلدة المسلمين وذلك لأن الله تعالى كتب في صحائف الاستعدادات غلبتها على النفوس وذلك من باب الفضل والكرم.

﴿**لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر**﴾ الخطاب للنبي عليه السلام أو لكل أحد وتجد إما متعد إلى اثنين فقوله تعالى: ﴿**يوادون من حاد الله ورسوله**﴾ مفعوله الثاني أو إلى واحد بأن كان بمنى صادف فهو حال من مفعوله لتخصيصه بالصفة وهو يؤمنون والموادة المحابة مفاعلة من المودة بمعنى المحبة وهي حالة تكون في القلب أولاً ويظهر آثارها في القالب ثانياً والمراد بمن حاد الله ورسوله المنافقون واليهود والفساق والظلمة والمبتدعة والمراد بنفي الوجدان نفي الموادة على معنى أنه لا ينبغي أن يتحقق ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال وإن جد في طلبه كل أحد وجعل ما لا ينبغي وجوده غير موجود لشركته في فقد الخير ويجوز أن يقال: لا تجد قوماً كاملي الإيمان على ما يدل عليه سياق النظم فعدم الوجدان على حقيقته، قال في «كشف الأسرار»: أخبر أن الإيمان يفسد بموادة الكفار وكذا بموادة من في حكمهم، وعن سهل بن عبد الله التستري قدس سره: من صحح إيمانه وأخلص توحيده فإنه لا يأنس إلى مبتدع ولا يجالسه ولا يؤاكله ولا يشاربه ولا يصاحبه ويظهر من نفسه العداوة والبغضاء ومن داهن مبتدعاً سلبه الله حلاوة السنن ومن تحبب إلى مبتدع لطلب عز في الدنيا أو عرض منها أذله الله بتلك العزة وأفقره الله بذلك الغنى ومن ضحك إلى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب وأما المعاملة للمبايعة العادية أو للمجاورة أو للمرافقة بحيث لا تضر بالدين فليست بمحرمة بل قد تكون مستحبة في مواضعها.

قال ابن الشيخ: المعنى لا يجتمع الإيمان مع ودادة أعداء الله فإن قيل: اجتمعت الأمة على أن يجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه الموادة المحرمة فالجواب أن الموادة المحرمة هي إرادة منافعه ديناً ودنيا مع كونه كافراً وما سوى ذلك جائز.

ـ روي ـ عن رسول الله ﷺ «أنه كان يقول: اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة فإني وجدت فيما أوحي إلي لا تجد قوماً» إلخ فعلم منه أن الفساق وأهل الظلم داخلون فيمن حاد الله ورسوله أي خالفهما وعاداهما واستدل مالك بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم وهم القائلون بنفي كون الخير والشر كله بتقدير الله ومشيئته يعني هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله وسموا بذلك لمبالغتهم في نفيه وكثرة

مدافعتهم إياه وقيل لإثباتهم للعبد قدرة الإيجاد وليس بشيء لأن المناسب حينئذ القدري بضم القاف. ﴿ولو كانوا﴾ أي من حاد الله ورسوله وبالفارسية: واكر چه باشند از مخالفان خدا ورسول. والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد فيما قبله باعتبار لفظها. ﴿آباءهم﴾ أي: آباء الموادين ﴿أو أبناءهم﴾ قدم الأقدم حرمة ثم الأحكم محبة. ﴿أو إخوانهم﴾ نسباً ﴿أو عشيرتهم﴾ العشيرة أهل الرجل الذين يتكثر بهم أي يصيرون بمنزلة العدد الكامل وذلك أن العشرة هو العدد الكامل فصار العشيرة لكل جماعة من أقارب الرجل يتكثر بهم والعشير المعاشر قريباً أو معارفاً، وفي «القاموس»: عشيرة الرجل بنو أبيه الأدنون أو قبيلته انتهى يعني أن المؤمنين المتصلبين في الدين لا يوالون هؤلاء الأقرباء بعد أن كانوا محادين الله ورسوله فكيف بغيرهم فإن قضية الإيمان بالله أن يهجر الجميع بالكلية بل أن يقتلهم ويقصدهم بالسوء كما روي «أن أبا عبيدة قتل أباه الجراح يوم بدر وأن عبد الله بن أبي ابن سلول جلس إلى جنب رسول الله عليه السلام فشرب رسول الله الماء فقال عبد الله رضي الله عنه: يا رسول الله ابق فضلة من شرابك قال: فما تصنع بها فقال: أسقيها أبي لعل الله يطهر قلبه ففعل فآتاها أباه فقال: ما هذا؟ قال: فضلة من شراب رسول الله جئتك بها لتشربها لعل الله يطهر قلبك فقال له أبوه: هلا جئتني ببول أمك» فرجع إلى النبي عليه السلام فقال: يا رسول الله ائذن لي في قتل أبي فقال عليه السلام: «بل ترفق به وتحسن إليه» وأن أبا قحافة قبل أن أسلم سب النبي عليه السلام فصكه أبو بكر رضي الله عنه صكة أي ضربه ضربة سقط منها فقال عليه السلام: أوفعلته قال: نعم قال: فلا تعد إليه قال: «والله لو كان السيف قريباً مني لقتلته» قال في «التكملة»: في هذه الرواية نظر لأن هذه السورة مدنية أبو بكر مع أبيه الآن بمكة انتهى.

يقول الفقير: لعله على قول من قال: إن العشر الأول من هذه السورة مدني والباقي مكي «وإن أبا بكر رضي الله عنه دعا ابنه عبد الرحمٰن إلى البراز يوم بدر فأمره عليه السلام أن يقعد قال: يا رسول الله دعني أكن في الرعلة الأولى ـ وهي القطعة من الفرسان ـ فقال عليه السلام: «متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم أنك بمنزلة سمعي وبصري».

يقول الفقير: يعلم منه فضل أبي بكر على علي رضي الله عنهما فإن هذا فوق قوله عليه السلام لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» فتفطن لذلك. وإن مصعباً رضي الله عنه قتل أخاه عبيد بن عمير بأحد وإن عمر رضي الله عنه قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وإن علياً وحمزة وعبيد بن الحارث رضي الله عنهم قتلوا يوم بدر عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة وكانوا من عشيرتهم وقرابتهم وكل ذلك من باب الغيرة والصلابة كما قال عليه السلام: «الغيرة من الإيمان والمنية من النفاق ومن لا غيرة له لا دين له».

ـ وروي ـ عن الثوري أنه قال: كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان ففيه زجر عن مصاحبتهم وعن عبد العزيز بن أبي دؤاد أنه لقيه المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وفي الحديث: «من مشى خلف ظالم سبع خطوات فقد أجرم» وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢] ﴿أولئك﴾ إشارة إلى الذين لا يوادونهم وإن كانوا أقرب الناس إليهم وأمسهم رحماً. ﴿كتب﴾ الله سبحانه ﴿في قلوبهم الإيمان﴾ أي: أثبته فيها وهو الإيمان الوهبي الذي وهبه الله لهم قبل خلق الأصلاب والأرحام إذ لا يزال بحال أبداً كالإيمان المستعار وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الإيمان فإن الجزء الثابت في القلب ثابت فيه

قطعاً ولا شيء من أعمال الجوارح يثبت فيه وهو حجة ظاهرة على القدرية حيث زعموا أن الإيمان والكفر يستقل بعملهما العبد. ﴿**وأيدهم**﴾ أي: قواهم وأصله قوى يدهم. ﴿**بروح منه**﴾ أي من عند الله فمن لابتداء الغاية وهو نور القرآن أو النصر على العدو أو نور القلب وهو بإدراك حقيقة الحال والرغبة في الارتقاء إلى المدارج الرفيعة الروحانية والخلاص من درك عالم الطبيعة الدنية وكل ذلك سمي روحاً لكونه سبباً للحياة.

قال سهل رحمه الله: حياة الروح بالتأييد وحياة النفس بالروح وحياة الروح بالذكر وحياة الذكر بالذاكر وحياة الذاكر بالمذكور. ﴿**ويدخلهم**﴾ في الآخرة ﴿**جنات تجري من تحتها**﴾ أي من تحت أشجارها أو قصورها ﴿**الأنهار**﴾ الأربعة يعني جويها أزاب وشير وخمر وعسل ﴿**خالدين فيها**﴾ أبد الآباد لا يقرب منهم زوال ولا موت ولا مرض ولا فقر كما قال عليه السلام: «ينادي مناد آن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وآن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وآن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وآن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً» ﴿**رضي الله عنهم**﴾ خشنود شد خداى ازايشان بطاعتي كه دردنيا كردند. وفي الإرشاد استئناف جار مجرى التعليل لما أفاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة والرضى ترك السخط ﴿**ورضوا عنه**﴾ وخشنود شدند ايشان ازخداى بكرامتى كه وعده كرده ايشانرا در عقبى.

وفي «الإرشاد»: بيان لابتهاجهم بما أوتوه عاجلاً وآجلاً ﴿**أولئك حزب الله**﴾ تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل أي جنده وأنصار دينه قال سهل رضي الله عنه: الحزب الشيعة وهم الأبدال وأرفع منهم الصديقون. ﴿**ألا إن حزب الله هم المفلحون**﴾ الناجون من المكروه والفائزون بالمحبوب دون غيرهم المقابلين لهم من حزب الشيطان المخصوصين بالخذلان والخسران وهو بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشأتين وخير الدارين، وقال بعض أهل الإشارة: حزب الله أهل معرفته ومحبته وأهل توحيده هم الفائزون بنصرة الله من مهالك القهريات ومصارع الامتحانات وجدوا الله بالله إذا ظهر واحد منهم ينهزم المبطلون ويتفرق المغالطون لأن الله تعالى أسبل على وجوههم نور هيبته وأعطى لهم أعلام عظمته يفر منهم الأسود ويخضع لهم الشامخات كلأهم الله بحسن رعايته ونورهم بسنا قدرته ورفع لهم أذكارهم في العالمين وعظم أقدارهم وكتم أسرادهم. وإمام ثعلبي ازجرجاني كه اواز مشايخ خود شنيده كه داود عليه السلام ازحق تعالى پرسيد كه حزب توكيست خطاب آمد از حضرت عزت كه الغاضة أبصارهم والسليمة أكفهم والنقية قلوبهم أولئك حزبي وحول عرشي هركه چشم اواز محارم فروبسته بود ودست او از آزار خلق وأخذ حرام كوتاه باشد ودل حود ازما سوى پاكيزه كرده از جمله حزب حضرت الله است ودرين باب كفته اند.

ازهرچه نار واست برو ديدها ببند   وزهر چه ناپسند بود دست بازدار
لوح دل ازغبار تعلق بشوى پاك   تابا شدت بحلقه أهل قلوب بار

وفي الآية إشارة إلى أبوة الروح بالنسبة إلى السر والخفي والقلب والنفس والهوى وصفاتها لولادة الكل عن مادة ازدواج الروح مع القالب وإلى نبوة الكل إلى الروح وإلى أخوة السر مع النفس وأخوة القلب مع الهوى وعشيرة صفاتهما مع الخفي لكون الكل من واد واحد وأصل متحد هو الروح فمن قطع ارتباط التعلق مع النفس والهوى وصفاتهما الظلمانية الشيطانية بالتوجه الكلي الروحي والسري والقلبي والخلفي إلى الحضرة الإلهية فهم الذين كتب الله في

ألواح قلوبهم وصفاح أسرارهم الإيمان الحقيقي الشهودي العياني وأيدهم بروح الشهود الكلي الجمعي الجامع بين شهود الوحدة الذاتية الحقيقية وبين شهود الكثرة الأسمائية النسبية والجمع بين الشهودين دفعة واحدة من غير تخلل بينهما ومن غير احتجاب أحدهما عن الآخر ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار مياه التجليات الذاتية والصفاتية والأسمائية المشتملة على العلوم والمعارف والحقائق والحكم على الدوام والاستمرار رضي الله عنهم بفنائهم عن الناسوتية ورضوا عنه ببقائهم بلاهوتيته ﴿**أولئك حزب الله**﴾ أي مظاهر ذاته وصفاته وأسمائه ﴿**ألا إن حزب الله هم المفلحون**﴾ لقيامهم بقيومية الحق تعالى.

واعلم أنه كائن الدنيا والآخرة يومان متعاقبان متلاصقان فمن ذلك يعبر عن الدنيا باليوم وعن الآخرة بغد ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإنكم اليوم في دار العمل ولا حساب وأنتم غداً في دار الآخرة ولا عمل ونعيم الدنيا منقطع دون نعيم الآخرة ثم إن هذا شأن الأبرار وأما المقربون فهم أهل الله لا أهل الدارين ونعيمهم ما ذكر من التجليات فهم حزب الله حقيقة لكمال نصرتهم في الدين ظاهراً وباطناً.

تمت سورة المجادلة بعون الله تعالى في أواخر جمادى الأولى
من شهور سنة خمس عشرة ومائة وألف

٥٩ ــ سورة الحشر

مدنية وآيها أربع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)﴾.

﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ التسبيح تبعيد الله عن السوء وتطهيره عما لا يليق بشأن ألوهيته ويكون بالجنان واللسان والحال، والأول اعتقاد العبد بتعاليه عما لا يليق بالألوهية وذلك لأن من معاني التفعيل الاعتقاد بشيء والحكم به مثل التوحيد والتمجيد والتعظيم بمعنى الاعتقاد بالوحدة والمجد والعظمة والحكم بها وعلى هذا المعنى مثل التكفير والتضليل ومثل التجويز والترجيح، والثاني القول بما يدل على تعاليه مثل التكبير والتهليل والتأمين بمعنى أن يقول: الله أكبر ولا إله إلا الله وآمين وهو المشهور عند الناس، والثالث دلالة المصنوعات على أن صانعها متصف بنعوت الجلال متقدس عن الإمكان وما يتبعه والمفسرون فسروا ما في القرآن من أمثال الآية الكريمة على كل من الثاني والثالث ليعم تسبيح الكل كذا في بعض التفاسير وجمهور المحققين على أن هذا التسبيح تسبيح بلسان العبارة والإشارة لا بلسان الإشارة فقط فجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم سبحه تعالى يعني تسبيح ميكويد كه وبه پاكى مستأنس ميكند مرخدايرا كه مستحق ثناست. كما سبق تحقيقه في أول سورة الحديد وفي مواضع أخر من القرآن:

بذكرش هرچه بيني در خروش است   دلى داند درين معنى كه كوش است
نه بلبل بر كلش تسبيح خوانست   كه هر خاري به توحيدش زبانست

وفي الحديث: «إني لأعرف حجراً بمكة كان سلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن» وعن ابن مسعود رضي الله عنه ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل على أن شهادة الجوارح والجلود مما نطق به القرآن الكريم، وقال مجاهد: كل الأشياء تسبح لله حياً كان أو جماداً وتسبيحها سبحان الله وبحمده وهذا على الإطلاق وأما بالنسبة إلى كل موجود فالتسابيح مختلفة فلكل موجود تسبيح مخصوص به من حيث ما يقتضيه نشأته كما قال بعض الكبار فإذا رأيت هؤلاء العوالم مشتغلين بالذكر الذي أنت عليه فكشفك خيالي غير صحيح لا حقيقي وإنما ذلك خيالك أقيم لك في الموجودات فإذا شهدت في هؤلاء تنوعات الأذكار فهو الكشف الصحيح انتهى. **﴿وهو العزيز﴾** ذو العزة القاهرة. **﴿الحكيم﴾** ذو الحكمة الباهرة وفي إيراد الوصفين بعد التسبيح إشارة إلى الباعث له والداعي إليه لأن العزة أثر الجلال والحكمة أثر الجمال فله الاتصاف بصفات الكمال.

وفي «التأويلات النجمية»: سبح لله ما في السماوات العقول عن معقولاتهم المقتنصة بشبكة الفكر بطريق ترتيب المقدمات وتركيب القياسات وإقامة البراهين القطعية والأدلة الفكرية لعدم جدواها في تحصيل المطلوب فإن ذاته منزهة عن التنزيهات العقلية المؤدية إلى التعليل وما في السماوات النفوس من التشبيه بل ذاته المطلقة جامعة للتنزيه العقلي والتشبيه النفسي كما قال ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١] وهو التنزيه ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وهو التشبيه فجمعت ذاته المطلقة بأحدية الجمعية بين التنزيه والتشبيه دفعة واحدة بحيث يكون التنزيه عين التشبيه والتشبيه عين التنزيه كما قال العارف المحقق قدس سره: «فإن قلت بالأمرين كنت مسدداً. وكنت إماماً في المعارف سيدا» فإن التنزيه نتيجة اسمه الباطن والتشبيه نتيجة اسمه الظاهر فافهم جداً وهو العزيز المنيع جنابه أن ينزه من غير التشبيه الحكيم الذي تقتضي حكمته أن لا يشبه من غير التنزيه.

ـ روي ـ أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة صالح بن النضير كأمير وهم رهط من اليهود من ذرية هارون أخي موسى عليه السلام قال السهيلي رحمه الله: ونسبتهم إلى هارون صحيحة لأن النبي عليه السلام قال لصفية رضي الله عنها بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير وقد وجدها تبكي لكلام قيل لها: «أبوك هارون وعمك موسى وبعلك محمد عليهم السلام» والحديث معروف مشهور وفي بعض الكتب من أولاد الكاهن بن هارون ونزلوا قريباً من المدينة في فتن بني إسرائيل انتظاراً لبعثة النبي عليه السلام وكان يقال لهم ولبني قريظة الكاهنان لأنهم من أولاده أيضاً وكان بنو النضير وقريظة وبنو قينقاع في وسط أرض العرب من الحجاز وإن كانوا يهوداً والسبب في ذلك أن بني إسرائيل كانت تغير عليهم العماليق في أرض الحجاز وكانت منازلهم يثرب والجحفة إلى مكة فشكت بنو إسرائيل ذلك إلى موسى عليه السلام فوجه إليهم جيشاً وأمرهم أن يقتلوهم ولا يبقوا منهم أحداً ففعلوا ذلك وترك منهم ابن ملك لهم كان غلاماً حسناً فرقوا له ثم رجعوا إلى الشأم وموسى قد مات فقالت بنو إسرائيل: قد عصيتم وخالفتم فلا نؤويكم فقالوا: نرجع إلى البلاد التي غلبنا عليها ونكون بها فرجعوا إلى يثرب فاستوطنوها وتناسلوا بها إلى أن نزل عليهم الأوس والخزرج بعد سيل العرم فكانوا معهم إلى الإسلام فلما هاجر عليه السلام عاهد بني النضير على أن لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه السلام أي غلب يوم بدر قالوا فيما بينهم: النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية يعني نتوان بودكه كسى بروى ظفر يابد يارايت اقبال وى كسى بيفكند. فلما كان يوم أحد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكباً إلى مكة فحالفوا قريشاً عند الكعبة على قتاله عليه السلام وعاهدوا على الإضرار به ناقضين العهد. كعب أشرف باقوم خود بمدينه باز آمد وجبريل امين رسول را خبرداد ازان عهد وپيمان كه درميان ايشان رفت. فأمر عليه السلام محمد بن مسلمة الأنصاري بفتح الميم وكان أخا كعب من الرضاعة فقتل كعباً غيلة بالكسر أي خديعة فإن الغيلة أن يخدعه فيذهب به إلى موضع فإذا صار إليه قتله وذلك أنه أتاه ليلاً فاستخرجه من بيته بقوله: إني أتيتك لأستقرض منك شيئاً من التمر فخرج إليه فقتله ورجع إلى النبي عليه السلام وأخبره ففرح به لأنه أضعف قلوبهم وسلب قوتهم وفي بعض الأخبار «أنه عليه السلام ذهب إلى بني النضير لاستعانة في دية في نفر من أصحابه أي دون العشرة فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فقالوا له: نعم يا أبا القاسم حتى تطعم وترجع بحاجتك وكان

عليه السلام جالساً إلى جنب جدار من بيوتهم فخلا بعضهم ببعض وقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة فهل من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه فقال أحد ساداتهم وهو عمرو بن جحاش: أنا لذلك فقال لهم أحد ساداتهم وهو سلام بن مشكم: لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به إنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه فلما صعد الرجل ليلقي الصخرة أتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم فقام عليه السلام مظهراً أنه يقضي حاجته وترك أصحابه في مجالسهم ورجع مسرعاً إلى المدينة ولم يعلم من كان معه من أصحابه فقاموا في طلبه لما استبطؤوه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه فقال: رأيته داخل المدينة فأقبل أصحابه حتى انتهوا إليه فأخبرهم بما أرادت بنو النضير فندم اليهود وقالوا: قد أخبر بأمرنا فأرسل عليه السلام إليهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه أن اخرجوا من بلدي أي لأن قريتهم زاهرة كانت من أعمال المدينة فلا تساكنوني بها فلقد هممتم بما هممتم من الغدر فسكتوا ولم يقولوا حرفاً فأرسل إليهم المنافقون أن أقيموا في حصونكم فإنا نمدكم فأرسلوا إلى رسول الله أنا لا نخرج من ديارنا فافعل ما بدا لك وكان المتولي أمر ذلك سيد بني النضير حيي بن أخطب والد صفية أم المؤمنين فاغتر بقول المنافقين فسار رسول الله عليه السلام مع المؤمنين وهو على حمار مخطوم بليف وحمل رايته علي رضي الله عنه حتى نزل بهم وصلى العصر بفنائهم وقد تحصنوا وقاموا على حصنهم يرمون النبل والحجارة وزربوا على الأزقة وحصنوها فحاصرهم النبي عليه السلام إحدى وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم إلا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم إلا السلاح». پس ششنصد شتربار خودرا بر آراستند وإظهار جلادت نموده دفعها ميزدند وسرور كويان از بازار مدينه كذشتند. فجاؤوا الشام إلى أريحا من فلسطين وإلى اذرعات من دمشق إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة وهي بالكسرة بلد بقرب الكوفة ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان أحدهما سفيان بن عمير بن وهب والثاني سعد بن وهب أسلما على أموالهم فأحرزاها فأنزل الله تعالى: **﴿سبح لله﴾** إلى قوله: **﴿والله على كل شيء قدير﴾** قال محمد: جلاء بني النضير كان مرجع النبي عليه السلام من أحد سنة ثلاث من الهجرة وكان فتح بني قريظة مرجعه من الأحزاب في سنة خمس من الهجرة وبينهما سنتان، وفي «إنسان العيون»: كانت غزوة بني النضير في ربيع الأول من السنة الرابعة والجلاء بالفتح الخروج من البلد والتفرق منه يقال: أجليت القوم عن منازلهم وجلوتهم فأجلوا عنها وجلوا أي أبرزتهم عنها فإن أصل الجلو الكشف الظاهر ومنه الطريقة الجلوتية بالجيم فإنها الجلاء والظهور بالصفات الإلهية كما عرف في محله والجلاء أخص من الخروج؛ لأنه لا يقال الجلاء إلا لخروج الجماعة أو لإخراجهم والخروج والإخراج يكون للجماعة والواحد وقيل في الفرق بينهما أن الجلاء كان مع الأهل والولد بخلاف الخروج فإنه لا يستلزم ذلك قال العلماء: مصالحة أهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير شيء لا يجوز الآن وإنما كان ذلك في أول الإسلام ثم نسخ والآن لا بد من قتالهم أو سبيهم أو ضرب الجزية عليهم.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾﴾

﴿**هو الذي**﴾ اوست خداوندى كه ازروى إذلال ﴿**أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب**﴾ بيان لبعض آثار عزته وأحكام حكمته أي أمر بإخراج أهل التوراة يعني: بني النضير. ﴿**من ديارهم**﴾ جمع دار والفرق بين الدار والبيت أن الدار دار وإن زالت حوائطها والبيت ليس ببيت بعدما انهدم لأن البيت اسم مبني مسقف مدخله من جانب واحد بني للبيتوتة سواء كان حيطانه أربعة أو ثلاثة وهذا المعنى موجود في الصفة إلا أن مدخلها واسع فيتناولها اسم البيت والبيوت بالمسكن اسم أخص والأبيات بالشعر كما في «المفردات». ﴿**لأول الحشر**﴾ اللام تتعلق بأخرج وهي للتوقيت أي عند أول حشرهم إلى الشأم وفي «كشف الأسرار»: اللام لام العلة أي أخرجوا ليكون حشرهم الشام أول الحشر والحشر إخراج جمع من مكان إلى آخر وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط إذ كان انتقالهم من بلاد الشام إلى جانب المدينة عن اختيار منهم وهم أول من أخرج به من جزيرة العرب إلى الشام فعلى هذا الوجه ليس الأول مقابلاً للآخر وسميت جزيرة لأنه أحاط بها بحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات قال الخليل بن أحمد: مبدأ الجزيرة من حفر أبي موسى إلى اليمن في الطول ومن رمل يبرين وهو موضع بحذاء الاحساء إلى منقطع السماوة في العرض والسماوة بالفتح موضع بين الكوفة والشأم أو هذا أول حشرهم وآخر حشرهم إجلاء عمر رضي الله عنه إياهم من خيبر إلى الشام وذلك حين بلغه الخبر عن النبي عليه السلام لا يبقين دينان في جزيرة العرب وقيل: آخر حشرهم حشر يوم القيامة لأن المحشر يكون بالشأم. ﴿**ما ظننتم**﴾ أيها المسلمون ﴿**أن يخرجوا**﴾ من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة بأسهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعددهم ﴿**وظنوا**﴾ أي: هؤلاء الكافرون ظناً قوياً هو بمرتبة اليقين فإنه لا يقع إلا بعد فعل اليقين أو ما نزل منزلته. ﴿**أنهم مانعتهم حصونهم من الله**﴾ الحصون جمع حصن بالكسر وهو كل موضع حصين لا يوصل إلى جوفه والقلعة الحصن الممتنع على الجبل، فالأول أعم من الثاني وتحصن إذا اتخذ الحصن مسكناً ثم تجوز به فقيل درع حصينة لكونها حصناً للبدن وفرس حصان لكونه حصناً لراكبه والمعنى ظنوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله وقهره وقدم الخبر وأسند الجملة إلى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالي بسببها فتقديم المسند يفيد قصر المسند إليه على المسند فإن معنى قائم زيد أن زيداً مقصور على القيام لا يتجاوزه إلى القعود وكذا معنى الآية أن حصونهم ليس لها صفة غير المانعية ويجوز أن يكون مانعتهم خبراً لأن وحصونهم مرتفعاً على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ فإن قيل: ما المانع من جعل مانعتهم مبتدأ وحصونهم خبراً فإن كليهما معرفة قلت كون مانعتهم نكرة لأن إضافتها غير مخصصة وأن القصد إلى الإخبار عن الحصون ﴿**فأتاهم الله**﴾ أي أمر الله وقدره المقدور لهم. ﴿**من حيث لم يحتسبوا**﴾ ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف غرة على يد أخيه فإنه مما أضعف قوتهم وقل شوكتهم وسلب قلوبهم الأمن والطمأنينة بما قذف فيها من

الرعب والفاء إما للتعقيب إشارة إلى أن البأس لم يكن متراخياً عن ظنهم أو للسبب إشارة إلى أنهم إنما أخذوا بسبب إعجابهم بأنفسهم وقطعهم النظر إلى قدرة الله وقوته. **﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾** القذف الرمي البعيد والمراد هنا الإلقاء، قال في «الكشاف»: قذف الرعب إثباته وركزه ومنه قالوا في صفة الأسد مقذف لما أن قذف باللحم قذفاً لاكتنازه وتداخل أجزائه والرعب الانقطاع من امتلاء الخوف ولتصور الامتلاء منه قيل رعبت الحوض أي ملأته وباعتبار القطع قيل رعبت السنام أي قطعته، قال بعضهم: الرعب خوف يملأ القلب فيغير العقل ويعجز النفس ويشوش الرأي ويفرق التدبير ويضر البدن والمعنى أثبت فيها الخوف الذي يرعبها ويملؤها لأن المعتبر هو الثابت وما هو سريع الزوال فهو كغير الواقع وقال بعضهم: فلا يلزم التكرار لأن الرعب الذي اشتمله قوله **﴿فأتاهم الله﴾** هو أصل الرعب وفرق بين حصول أصله وبين ثباته ودلت الآية على أن وقوع ذلك الرعب صار سبباً في إقدامهم على بعض الأفعال وبالجملة فالفعل لا يحصل إلا عند حصول داعية متأكدة في القلب وحصول تلك الداعية لا يكون إلا من الله فكانت الأفعال بأسرها مستندة إلى الله بهذا الطريق كذا في «اللباب». **﴿يخربون بيوتهم بأيديهم﴾** الجملة استئناف لبيان حالهم عند الرعب أي يخربونها بأيديهم ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة أفواه الأزقة ولئلا تبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل. والإخراب والتخريب واحد يقال خرب المكان خراباً وهو ضد العمارة وقد أخربه وخربه أي أفسده بالنقض والهدم غير أن في التشديد مبالغة من حيث التكثير لكثرة البيوت وهو قراءة أبي عمرو وفرق أبو عمرو بين الإخراب والتخريب فقال: خرب بالتشديد بمعنى هدم ونقض وأفسد وأخرب بالهمزة ترك الوضع وقال أي أبو عمرو: وإنما اخترت التشديد لأن الإخراب ترك الشيء خراباً بغير ساكن وبنو النضير لم يتركوها خراباً وإنما خربوها بالهدم كما يدل عليه قوله: **﴿بأيديهم وأيدي المؤمنين﴾** إن قيل البيوت هي الديار فلم لم يقل يخربون ديارهم على وفق ما سبق وأيضاً كيف ما كان الإخراج من ديارهم وهي مخربة أجيب بأن الدار ما له بيوت فيجوز إخراب بعضها وإبقاء بعضها على مقتضى الرأي فيكون الخروج من الباقي على أن الإخراج لا يقتضي العمارة إذ يجوز أن يكون بإخراب المساكن والطرح منها قال سهل رحمه الله: يخربون بيوتهم بأيديهم أي قلوبهم بالبدع، وفي «كشف الأسرار»: نخست دين ودل خويش ازروى باطن خراب كردند تا خرابي باطن بظاهر سرايت كرد وخانه خود نيز خراب كردند **﴿وأيدي المؤمنين﴾** حيث كانوا يخربونها إزالة لمتحصنهم ومتمنعهم وتوسيعاً لمجال القتال وإضراراً بهم وإسناد هذا إليهم لما أنهم السبب فيه فكأنهم كلفوهم إياه وأمروهم به وهذا كما في قوله عليه السلام: «لعن الله من لعن والديه» وهو كقوله عليه السلام: «من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه فقالوا: وكيف يسب الرجل والديه؟ فقال: يساب الرجل فيسب أباه فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه».

يقول الفقير: فيه إشارة إلى أن استناد الكفار إلى الحصون والأحجار وأن اعتماد المؤمنين على الله الملك الغفار ولا شك أن من اعتمد على المأمن الحقيقي ظفر بمراده فيه دنياه وآخرته ومن استند إلى ما سوى الله تعالى خسر خسراناً مبيناً في تجارته وأن الإنسان بنيان الرب فربما قتل المرء نفسه وتسبب له فهدم بنيان الله فصار ملعوناً وقس على هذا حال القلب فإنه بيت الله واجتهد حتى لا يغلب عليه النفس والشيطان. قال الحافظ:

من آن نكين سليمان بهيج نستانم كه كاه كاه برودست اهر من باشد

﴿**فاعتبروا**﴾ پس عبرت كيريد ﴿**يا أولي الأبصار**﴾ أي يا أولي الألباب والعقول والبصائر يعني اتعظوا بما جرى عليهم من الأمور الهائلة على وجه لا تكاد تهتدي إليه الأفكار واتقوا مباشرة ما أداهم إليه من الكفر والمعاصي وانتقلوا من حال الفريقين إلى حال أنفسكم فلا تعولوا على تعاضد الأسباب كبني النضير الذين اعتمدوا على حصونهم ونحوها بل توكلوا على الله تعالى، وفي «عين المعاني»: فاعتبروا بها خراب جميع الدنيا:

جهان اي پسر ملك جاويد نيست ز دنيا وفادارى اميد نيست

والاعتبار مأخوذ من العبور وهو المجاوزة من شيء إلى شيء ولهذا سميت العبرة عبرة لأنها تنتقل من العين إلى الخد وسمي أهل التعبير لأن صاحبه ينتقل من المتخيل إلى المعقول وسميت الألفاظ عبارات؛ لأنها تنقل المعاني من لسان القائل إلى عقل المستمع ويقال: السعيد من اعتبر بغيره لأنه ينتقل عقله من حال ذلك الغير إلى حاله نفسه:

چو بركشته بختى در افتد ببند ازونيك بختان بكيرند پند

والبصر يقال للجارحة الناظرة وللقوة التي فيها ويقال القلب المدركة بصيرة وبصر ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة كما في «المفردات»، قال بعض التفاسير: الأبصار جمع بصر وهو ما يكون في الرأس وبه يشاهد عالم الملك وهو عالم الشهادة حتى لو كان بين الرائي والمرئي مقدار عدة آلاف سنة يشاهده في طرفة عين بوصول نور من حدقة العين إلى المرئي حكاية للرائي والبصيرة في القلب كالبصر في الرأس وبها يشاهد عالم الملكوت وهو عالم الغيب حتى لو كان المشاهد في العالم الأعلى وفي اللوح المحفوظ بل في علم الله تعالى مما تتعلق مشيئة الله بمشاهدة أحد إياه من عباده لشاهده في آن واحد وقد يشاهد الممتنع والمحال وغير المتناهي بنوع مشاهدة كما نجده في وجداننا وكل ذلك من غرائب صنع الله وجعل البعض البصر هٰهنا مجازاً عن المشاهدة لأنه كثيراً ما يكون آلة لمشاهدتها ويكون هو معتبراً باعتبارها حتى لولاها يكون هو في حكم المفقود وبهذا الاعتبار أورد الأبصار في مقام البصائر، فقال في «تفسيره»: فاتعظوا وانظروا فيما نزل بهم يا ذوي العقول والبصائر وهذا هو الأليق بشأن الاتعاظ والأوفق لقوله تعالى ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [الطلاق: ١٠] إذ اللب وهو العقل الخالص عن الكدورات البشرية والبصيرة التي هي عين القلب حين ما كانت مجلوة خاصة بالعقلاء اللائقين للخطاب بالأمر بالاعتبار وأما البصر فيوجد في البهائم والبصيرة الغير المجلوة فتوجد في العوام وجعله البعض الآخر على حقيقته فقال في «تفسيره»: فاعتبر يا من عاين تلك الوقائع لكن مآل القولين واحد إذ مجرد البصر المعاين لا يفيد الاعتبار بلا بصيرة صحيحة، وفي «الوسيط» معنى الاعتبار النظر في الأمور ليعرف بها شيء آخر من جنسها قال يحيى بن معاذ رحمه الله: من لم يعتبر بالمعاينة استغنى عن الموعظة وقد استدل بالآية على حجية القياس من حيث إنه أمر بالمجاوزة من حال إلى حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له كما فصل في الكتب الأصولية وأشار بأهل الكتاب إلى يهودي النفس ونصراني الهوى وإنما نسبنا التنصر إلى الهوى والتهود إلى النفس لغلبة عطلة النفس فإن الهوى بالنسبة إلى النفس كالروح بالنسبة إلى الجسم البدني ولهذا المعنى قيل: الهوى روح النفس ينفخ فيها هوى الشهوات الحيوانية ويهوى إلى هاوية الجحيم والله تعالى يستأصلها من ديار صفاتها الظلمانية بالصدمة

الأولى من قتال الحشر الأول وظنوا أن حصون طباعهم الرديئة تمنعهم عن الانسلاخ من صفاتهم الخسيسة فأتاهم الله بالتجلي القهري وقذف في قلوب النفس والهوى رعب المفارقة بينهما فإن كل واحد منهما كان متمسكاً بالآخر تمسك الروح بالبدن وقيام البدن بالروح يخربون بيوت صفاتهم بأيدي أهوائهم المضلة وبقوة أيدي الروح والسر والقلب لغلبة نوريتهم عليها ﴿**فاعتبروا يا أولي الأبصار**﴾ الذين صار الحق تعالى بصرهم كما قال: «فبي يبصر وبي يسمع وبي يبطش» الحديث بطوله.

﴿**ولولا أن كتب الله**﴾ حكم ﴿**عليهم**﴾ أي: على بني النضير ﴿**الجلاء**﴾ أي: الخروج من أوطانهم على ذلك الوجه الفظيع وقد سبق الكلام في الجلاء ولولا امتناعية وما بعدها مبتدأ فإن أن مخففة من الثقيلة اسمها ضمير الشأن المقدر أي ولولا أنه وكتب الله خبرها والجملة في محل الرفع بالابتداء بمعنى ولولا كتاب الله عليهم الجلاء واقع في علمه أو في لوحه ﴿**لعذبهم في الدنيا**﴾ بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة من اليهود قال بعضهم: لما استحقوا بجرمهم العظيم قهراً عظيماً أخذوا بالجلاء الذي جعل عديلاً لقتل النفس لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦] مع أن فيه احتمال إيمان بعضهم بعد مدة وإيمان من يتولد منهم. ﴿**ولهم في الآخرة عذاب النار**﴾ استئناف غير متعلق بجواب لولا إذ لو كان معطوفاً عليه لزم أن ينجو من عذاب الآخرة أيضاً لأن لولا تقتضي انتفاء الجزاء لحصول الشرط وإنما جيء به لبيان أنهم إن نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة.

يقول الفقير: لا يلزم من نجاتهم من عذاب الدنيا أن لا يكون جلاؤهم من قبيل العذاب وإنما لم يكن منه بالنسبة إلى عذاب الاستئصال والوجه في جلائهم أنهم قصدوا قتل النبي عليه السلام وقتله شر من ألف قتل فأخذوا بالجلاء ليموتوا كل يوم ألف مرة لأن انقطاع النفس عن مألوفاتها بمنزلة موتها فجاء الجزاء من جنس العمل قال بعض أهل الإشارة: ولولا أن كتب الله على يهودي النفس ونصراني الهوى جلاء الانسلاخ من ديار وجوداتهم لعذبهم في طلب الدنيا ومحبتها ولهم في آخر الآمر عذاب نار القطيعة عن مألوفاتهم الطبيعية ومستحسناتهم الحسية.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾.

﴿**ذلك**﴾ أي: ما حاق بهم وسيحيق ﴿**بأنهم**﴾ أي بسبب أنهم ﴿**شاقوا الله ورسوله**﴾ خالفوا أمرهما وفعلوا ما فعلوا مما حكي عنهم من القبائح والمشاقة كون الإنسان في شق ومخالفه في شق ﴿**ومن يشاق الله**﴾ كائناً من كان. ﴿**فإن الله شديد العقاب**﴾ له فهو نفس الجزاء بحذف العائد أو تعليل للجزاء المحذوف أي يعاقبه الله فإن الله شديد العقاب فإذا لهم عقاب شديد أيضاً لكونهم من المشاقين وأياً ما كان فالشرطية تحقيق للسببية بالطريق البرهاني وفيه إشعار بأن المخالفة تقتضي المؤاخذة بقدر قوتها وضعفها فليحذر المؤمنون من العصيان مطلقاً.

همينست بسندست اكر بشنوى   كه كر خار كارى سمن ندروى

اعلم أن الله الذي هو الاسم الأعظم جامع لجميع الأسماء الإلهية المنقسمة إلى الأسماء الجلالية القهرية والجمالية اللطفية والتشاقق فيه استدعاء أحد الشقين من التجليين الجمالي والجلالي بأن يطلب الطالب منه اللطف والجمال وهو ممن يستحق القهر والجلال لا ممن

يستحق اللطف والجمال فهو يستدعي من الحق شيئاً لا تقتضي حكمته البالغة إعطاءه إياه وهو من قبيل التحكم الذي لا يجوز بالنسبة إلى الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [الحج: ١١]. قال الحافظ:

درين چمن نكنم سرزنش بخود رويى چنانكه پرورشم ميدهند مى رويم

والمشاقة مع الرسول عليه السلام المنازعة في حكمة أمره ونهيه مثل أسرار الصلوات الخمس واختلاف أعدادها وقراءتها جهراً وسراً ومثل أسرار الزكاة واختلاف أحكامها ومثل أحكام الحج ومناسكه ونحن أمرنا بمحض الامتثال والانقياد وما كلفنا بمعرفة أسرارها وحقائقها والنبي عليه السلام مع كمال عرفانه وجلال برهانه يقول: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠] وقال: «نحن نحكم بالظواهر والله يعلم السرائر» قوله ﴿فإن الله شديد العقاب﴾ ومن شدة عقابه ابتلاء عبده بامتثال هذه الأشياء مع عدم تكليفه إياه بمعرفة حقائقها والمراد بالعقاب الإتعاب وإلا فالأحكام من قبيل الرحمة لا العذاب ولذا من قال هذه الطاعات جعلها الله علينا عذاباً من غير تأويل كفر.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿ما قطعتم من لينة﴾ ما شرطية نصب بقطعتم واللينة فعلة نحو حنطة من اللون على أن أصلها لونة فياؤها مقلوبة عن واو لكسرة ما قبلها نحو ديمة وفيمة وتجمع على ألوان وهي ضروب النخل كلها وقيل من اللين وتجمع على لين وأليان وهي النخلة الكريمة الشجرة بكونها قريبة من الأرض والطيبة الثمرة، قال الراغب في «المفردات»: اللين ضد الخشونة ويستعمل ذلك في الأجسام ثم يستعار للخلق ولغيره من المعاني فيقال: فلان لين وفلان خشن وكل واحد منهما يمدح به طوراً ويذم به طوراً بحسب اختلاف المواضع وقوله ﴿ما قطعتم من لينة﴾ أي من نخلة ناعمة ومخرجه مخرج فعلة نحو حنطة ولا يختص بنوع منه دون نوع انتهى والمعنى أي شيء قطعتم من نخلة من نخيلهم بأنواعها وقيل: اللينة ضروب النخلة كلها ما خلا العجوة والبرنية وهما أجود النخل. ﴿أو تركتموها﴾ الضمير لما وتأنيثه لتفسيره باللينة كما في قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ﴾ [فاطر: ٢] ﴿قائمة﴾ حال من ضمير المفعول. ﴿على أصولها﴾ كما كانت من غير أن تتعرضوا لها بشيء من القطع جمع أصل وهو ما يتشعب منه الفرع. ﴿فبإذن الله﴾ فذاك أي قطعها وتركها بأمر الله فلا جناح عليكم فيه فإن في كل من القطع والترك حكمة ومصلحة. ﴿وليخزي الفاسقين﴾ أي: وليذل اليهود الخارجين عن دائرة الإسلام إذن في قطعها وتركها فهو علة لمحذوف يقال: خزي الرجل لحقه انكسار إما من نفسه وهو الحياء المفرط ومصدره الخزاية وإما من غيره وهو ضرب من الاستخفاف ومصدره الخزي أذن الله في قطعها وتركها لأنهم إذا رأوا المؤمنين يتحكمون في أموالهم كيف أحبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤوا من القطع والترك يزدادون غيظاً ويتضاعفون حسرة وذلك أن رسول الله عليه السلام حين أمر أن تقطع نخيلهم وتحرق قالت اليهود وهم بنو النضير: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض فما بال قطع النخيل وإحراقها فشق ذلك على النبي عليه السلام وكان في أنفس المؤمنين أيضاً من ذلك شيء فنزلت وجعل أمر رسول الله أمره تعالى لأنه عليه السلام ما ينطق عن الهوى واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع أشجارهم مثمرة كانت أو غير مثمرة وإحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع إن كانت من

الألوان ليستبقوا لأنفسهم العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وإن كانت هي الكرام ليكون غيظهم أشد ويقال إن العتيق والعجوة كانتا مع نوح في السفينة والعتيق الفحل وكانت العجوة أصل الإناث كلها فلذا شق على اليهود قطعها وظهر من هذا أن اللون هو ما عدا العجوة والبرني من أنواع التمر بالمدينة والبرني بالفارسية حمل مبارك أو جيد لأن أصله برنيك فعرب ومن أنواع تمر المدينة الصيحاني، وفي «شرح مسلم للنووي» أن أنواع التمر مائة وعشرون وفي «تاريخ المدينة الكبير» للسيد السمنودي أن أنواع التمر بالمدينة التي أمكن جمعها بلغت مائة وبضعاً وثلاثين ويوافقه قول بعضهم اختبرناها فوجدنا أكثر مما ذكره النووي قال: ولعل ما زاد على ما ذكر حدث بعد ذلك وأما أنواع التمر بغير المدينة كالمغرب فلا تكاد تنحصر فقد نقل أن عالم فاس محمد بن غازي أرسل إلى عالم سجلماسة إبراهيم بن هلال يسأله عن حصر أنواع التمر بتلك البلدة فأرسل إليه حملاً أو حملين من كل نوع تمرة واحدة فأرسل إليه هذا ما تعلق به علم الفقير ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وفي «نسق الأزهار» أن بهذه البلدة رطباً يسمى البتوني وهو أخضر اللون وأحلى من عسل النحل ونواه في غاية الصغر وكانت العجوة خير أموال بني النضير لأنهم كانوا يقتاتونها وفي الحديث: «العجوة من الجنة وتمرها يغذي أحسن الغذاء». روي أن آدم عليه السلام نزل بالعجوة من الجنة، وفي «البخاري»: «من تصبح كل يوم على سبع تمرات عجوة لم يصبه في ذلك اليوم سم ولا سحر» وقد جاء في العجوة العالية شفاء وإنها ترياق أول البكرة وفي كلام بعضهم: العجوة ضرب من التمر أكبر من الصيحاني تضرب إلى السواد وهي مما غرسه النبي عليه السلام بيده الشريفة وقد علمت أنها في نخل بني النضير وعن ابن عباس رضي الله عنهما هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء بالآسة وهي سيدة ريحان الدنيا والسنبلة وهي سيدة طعام الدنيا والعجوة وهي سيدة ثمار الدنيا وفي الحديث: «إن العجوة من غرس الجنة وفيها شفاء وإنها ترياق أول البكرة وعليكم بالتمر البرني فكلوه فإنه يسبح في شجره ويستغفر لآكله وإنه من خير تمركم وإنه دواء وليس بداء» وجاء: «بيت لا تمر فيه جياع أهله» قال ذلك مرتين ولما قطعت العجوة شق النساء الجيوب وضربن الخدود ودعون بالويل كما في «إنسان العيون» قال بعض أهل الإشارة: يشير إلى من قطع نخلة محبة الدنيا من أرض قلبه بأمر الله وحكمته المقتضية لذلك الأمر بالقطع وهم المحرمون المنقطعون عن الدنيا ومحبتها وشهواتها ولذاتها المتوجهون إلى طريق السلوك إلى الله بتزكية النفس وتصفية القلب وتخلية السر وتحلية الروح وإلى من ترك الدنيا في أرض قلبه قائمة على أصولها على حالها بإذن الله وحكمته البالغة المقتضية لإبقائها وهم الكاملون المكملون الواصلون المواصلون الذين ليس للدنيا ولا للآخرة عندهم قدر ومقدار ما زاغ نظر ظاهرهم ولا بصر باطنهم إليهما لاشتغالهم بذكر الله أي بذكر ذاته وصفاته وأسمائه كما قال في حقهم: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] **﴿وليخزي الفاسقين﴾** الذين خرجوا من مقام المعرفة والعرفان وما عرفوا أن للحق عباداً ليس للدنيا والآخرة عندهم قدر ومقدار وما زاغ بصر ظاهرهم ولا نظر باطنهم إليهما وطعنوا فيهم بمحبة الدنيا ونسبوا إليهم حب الشهوات الحيوانية واللذات الجسمانية فأخزاهم الله بشؤم هذا الطعن والله يشهد إنهم لكاذبون. قال الحافظ:

پس تجربه كرديم درين دير مكافات ... بادرد كشان هركه در افتاد بر افتاد

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾

﴿وما أفاء الله على رسوله﴾ شروع في بيان حال ما أخذ من أموالهم بعد بيان ما حل بأنفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع وما موصولة مبتدأ وقوله: **﴿فما أوجفتم﴾** خبره ويجوز جعلها شرطية وقوله: **﴿فما أوجفتم﴾** جواباً والفيء في الأصل بمعنى الرجوع وأفاء أعاد وأرجع فهو على أصل معناه هنا والمعنى ما أعاده إليه من مالهم أي جعله عائداً ففيه إشعار بأنه كان حقيقاً بأن يكون له عليه السلام وإنما وقع في أيديهم بغير حق فرجعه الله إلى مستحقه لأنه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به إلى طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين وهو عليه السلام رأسهم ورئيسهم وبه أطاع من أطاع فكان أحق به فالعود على هذا بمعنى أن يتحول الشيء إلى ما فارق عنه وهو الأشهر ويجوز أن يكون معناه صيره له فالعود على هذا بمعنى أن يتحول الشيء إلى ما فارق عنه وإن لم يكن ذلك التحول مسبوقاً بالحصول له والحمل هنا على هذا المعنى لا يحوج إلى تكلف توجيه بخلاف الأول وكلمة على تؤيد الثاني، وقال بعضهم: أفاء الله مبني على أن الفيء الغنيمة فمعنى أفاء الله على رسوله جعله فيئاً له خاصة وقال الراغب: الفيء والفيئة الرجوع إلى حالة محمودة وقيل للغنيمة التي لا يلحق فيها مشقة فيء قال بعضهم: سمي ذلك بالفيء تشبيهاً بالفيء الذي هو الظل تنبيهاً على أن أشرف أعراض الدنيا يجري مجرى ظل زائل والفئة الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التعاضد وقال المطرزي في «المغرب» في الفرق بين الغنيمة والفيء والنفل أن الغنيمة عن أبي عبيد ما نيل من أهل الشرك عنوة والحرب قائمة وحكمها أن تخمس وسائرها بعد الخمس للغانمين خاصة والفيء ما نيل منهم بعدما تضع الحرب أوزارها وتصير الدار دار إسلام وحكمه أن يكون لكافة المسلمين ولا يخمس والنفل ما ينفله الغازي أي يعطاه زائداً على سهمه، وهو أن يقول الإمام أو الأمير: من قتل قتيلاً فله سلبه أو قال للسرية: ما أصبتم فلكم ربعه أو نصفه ولا يخمس وعلى الإمام الوفاء به، وعن علي بن عيسى الغنيمة أعم من النفل والفيء أعم من الغنيمة لأنه اسم لكل ما صار للمسلمين من أموال أهل الشرك قال أبو بكر الرازي: فالغنيمة فيء والجزية فيء ومال أهل الصلح فيء والخراج فيء لأن ذلك كله مما أفاءه الله على المسلمين من المشركين وعند الفقهاء كل ما يحل أخذه من أموالهم فهو فيء. **﴿منهم﴾** أي بني النضير. **﴿فما﴾** نافية **﴿أوجفتم عليه﴾** أي فما أجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة السير يقال أوجفت البعير أسرعته وفي «القاموس» الوجيف ضرب من سير الخيل والإبل وقيل: أوجف فأعجف **﴿من خيل﴾** من زائدة بعد النفي أي خيلاً وهو جماعة الأفراس لا واحد له أو واحده خائل لأنه يختال والجمع أخيال وخيول كما في «القاموس» وقال الراغب: الخيلاء التكبر من تخيل فضيلة تترا أي للإنسان من نفسه ومنها تتأول لفظة الخيل لما قيل: إنه لا يركب أحد فرساً إلا وجد في نفسه نخوة والخيل في الأصل اسم للأفراس والفرسان جميعاً قال تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] ويستعمل في كل واحد منهما منفرداً نحو ما روي: يا خيل الله اركبي فهذا للفرسان وقوله عليه السلام: «عفوت لكم عن صدقة الخيل» يعني: الأفراس انتهى.

والخيل نوعان: عتيق وهجين فالعتيق ما أبواه عربيان سمي بذلك لعتقه من العيوب وسلامته من الطعن فيه بالأمور المنقصة وسميت الكعبة بالبيت العتيق لسلامتها من عيب الرق لأنه لم يملكها ملك قط وإذا ربط الفرس العتيق في بيت لم يدخله شيطان والهجين الذي أبوه عربي وأمه عجمية والفرق أن عظم البرذونة أعظم من عظم الفرس وعظم الفرس أصلب وأثقل والبرذونة أحمل من الفرس والفرس أسرع منه والعتيق بمنزلة الغزال والبرذونة بمنزلة الشاة والفرس يرى المنامات كبني آدم ولا طحال له وهو مثل لسرعته وحركته كما يقال للبعير لامرارة له، أي له جسارة. ﴿**ولا ركاب**﴾ هي ما يركب من الإبل خاصة كما أن الراكب عندهم راكبها لا غير وأما راكب الفرس فإنهم يسمونه فارساً ولا واحد لها من لفظها وإنما الواحدة منها راحلة، قال في «المفردات»: الركوب في الأصل كون الإنسان على ظهر حيوان وقد يستعمل في السفينة والراكب اختص في التعارف بممتطي البعير جمعه رَكب وركبان وركوب واختص الركاب بالمركوب والمعنى ما قطعتم ولها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالاً شديداً وذلك أنه كانت قرى بني النضير على ميلين من المدينة وهي ساعة واحدة بحساب الساعات النجومية فذهبوا إليها مشياً وما كان فيهم راكب إلا النبي عليه السلام وكان يركب حماراً مخطوماً بليف على ما سبق أو جملاً على ما قاله البعض فافتتحها صلحاً من غير أن يجري بينهم مسايفة كأنه قال ﴿**وما أفاء الله على رسوله**﴾ منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين. ﴿**ولكن الله يسلط رسله على من يشاء**﴾ أي: سنته تعالى جارية على أن يسلطهم على من يشاء من أعدائهم تسليطاً خاصاً وقد سلط النبي عليه السلام على هؤلاء تسليطاً غير معتاد من غير أن تقتحموا مضايق الخطوب وتقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم في أموالهم يعني أن الأمر فيه مفوض إليه يضعه حيث يشاء فلا يقسم قسمة الغنائم التي قوتل عليها وأخذت عنوة وقهراً وذلك أنهم طلبوا القسمة كخيبر فنزلت ﴿**والله على كل شيء قدير**﴾ فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة وأخرى على غيرها:

تيغى كه آسمانش از فيض خود دهد آب — تنها جهان بكيرد بى منت سپاهى

اعلم أن الفيض الإلهي الفائض من الله على ساحة قلب السالك على قسمين: إما بالوهب المحض من خزانة اسمه الوهاب من غير تعمل من العامل فيه من ركض خيل النية الصالحة ومن سوق ركاب العمل الصالح من الفرائض والنوافل فهو مقطوع الروابط من جانب السالك العامل فليس للسالك أن يضيف ذلك الفيض والوارد القلبي إلى نفسه بوجه من الوجوه ولا إلى الأعمال الصادرة منه بسبب الأعضاء والجوارح بل يتركه على صرافة الوهب الرباني وطراوة العطاء الامتناني والآية الكريمة دالة هذا القسم وإما مشوب بتعمله فهو من خزانة اسمه الجواد فله أن يضيفه إلى نفسه وأعضائه وجوارحه ليظهر أثره عليها كلها والآية الثالثة الآتية تشير إلى القسم الثاني وقد جمع بينهما قوله تعالى: ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦] فإن الأول إشارة إلى الأول والثاني إلى الثاني وأراد برسوله رسول القلب وإنما سمي القلب بالرسول لأن الرسالة من حضرة الروح إلى النفس الكافرة والهوى الظالم بدعوتهما إلى الحق تعالى بالإيمان والهدى.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾.

﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ بيان لمصارف الفيء بعد بيان إفاءته عليه ﷺ من غير أن يكون للمقاتلة فيه حق ولذا لم يعطف عليه كأنه لما قيل ما أفاء الله على رسوله من أموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة فلا يقسم قسمة الغنائم فكأنه قيل فكيف يقسم فقيل: ما أفاء الله إلخ. قال في «برهان القرآن»: قوله **﴿وما أفاء الله﴾** وبعده ما أفاء الله بغير واو لأن الأول معطوف على قوله **﴿ما قطعتم من لينة﴾** والثاني استئناف وليس له به تعلق وقول من قال بدل من الأول مزيف عند أكثر المفسرين انتهى وإعادة عين العبارة الأولى لزيادة التقرير ووضع أهل القرى موضع ضميرهم للإشعار بشمول ما لعقاراتهم أيضاً فالمراد بالقرى قرى بني النضير. وقال الكاشفي: من أهل القرى از اموال وأملاك أهل دهها وشهرها بحرب كرفته نشود وفي «عين المعاني»: أي قريظة والنضير بالمدينة وفدك وخيبر، وفي «إنسان العيون» وفسرت القرى بالصغرى ووادي القرى أي بثلث ذلك كما في «الإمتاع» وينبع وفسرت بني النضير وخيبر أي بثلاثة حصون منها وهي الكيتية والوطيح والسلالم كما في «الإمتاع» وفدك، أي نصفها. قال العلماء: كانت الغنائم في شرع من قبلنا لله خاصة لا يحل منها شيء لأحد وإذا غنمت الأنبياء عليهم السلام جمعوها فتنزل نار من السماء فتأخذها فخص نبينا عليه السلام من بينهم بأن أحلت له الغنائم قال عليه السلام: «أحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي» **﴿فلله وللرسول﴾** يأمران ما أحبا وقيل ذكر الله للتشريف والتعظيم والتبرك وسهم النبي عليه السلام سقط بموته.

- روي - عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن أموال بني النضير كانت مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه فكانت لرسول الله خالصة وكان ينفق على أهله منها نفقة سنة وما بقي جعله في الخيل والسلاح عدة في سبيل الله. **﴿ولذي القربى﴾** وهم بنو هاشم وبنو المطلب الفقراء منهم لما حرموا الصدقة، أي الزكاة وروى أبو عصمة عن أبي حنيفة رحمه الله أنه يجوز دفع الزكاة إلى الهاشمي وإنما كان لا يجوز في ذلك الوقت ويجوز النفل بالإجماع وكذا يجوز النفل للغني كذا في «فتاوي العتابي» وذكر في «المحيط» بعدما ذكر هذه الرواية:

- وروى - ابن ساعدة عن أبي يوسف رحمه الله أنه لا بأس بصدقة بني هاشم بعضهم على بعض ولا أرى الصدقة عليهم وعلى مواليهم من غيرهم كذا في «النهاية» وقال في «شرح الآثار»: عن أبي حنيفة رحمه الله أن الصدقات كلها جائزة على بني هاشم والحرمة كانت في عهد النبي عليه السلام لوصول خمس الخمس إليهم فلما سقط ذلك بموته حلت لهم الصدقة قال الطحاوي وبالجواز نأخذ كذا في «شرح الوقاية» لابن الملك. **﴿واليتامى﴾** جمع يتيم واليتم انقطاع الصبي عن أبيه قبل بلوغه وفي سائر الحيوانات من قبل أمه. **﴿والمساكين﴾** جمع مسكين ويفتح ميمه وهو من لا شيء له أو له ما لا يكفيه أو أسكنه الفقر أي قلل حركته والذليل الضعيف كما في «القاموس» وهو من السكون فنونه أصلية لا نون جمع ولذلك تجري عليه الأعاريب الثلاثة. **﴿وابن السبيل﴾** أي المسافر البعيد عن ماله وسمي به لملازمة له كما تقول

للص القاطع ابن الطريق وللمعمر ابن الليالي ولطير الماء ابن الماء وللغراب ابن دأية بإضافة الابن إلى دأية البعير لكثرة وقوعه عليها إذا دبرت والدأية الجنب. قال أهل التفسير: اختلف في قسمة الفيء قيل: يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله إلى عمارة الكعبة وسائر المساجد ويصرف ما بقي وهي خمسة أسداس الستة إلى المصارف الخمسة التي يصرف إليها خمس الغنيمة وقيل: يخمس لأن ذكر الله للتعظيم ويصرف كل خمس إلى مصارف خمس الغنيمة ويصرف الآن سهم الرسول عليه السلام إلى الإمام علي قول وإلى العساكر والثغور على قول وهو الأصح عند الشافعية وإلى مصالح المسلمين على قول وقيل: يخمس خمسه كالغنيمة فإنه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الأخماس الأربعة كما يشاء أي كان يقسم الفيء أخماساً ويصرف الأخماس الأربعة لذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ويخمس الخمس الباقي ويختار خمس الخمس لنفسه ويصرف الأخماس الأربعة الباقية كما يشاء والآن على الخلاف المذكور من صرف سهمه عليه السلام إلى الإمام أو العساكر والثغور أو مصالح المسلمين.

وفي «التأويلات النجمية»: ذوو القربى الروح والقلب والسر والخفي وهم مقربو الحق تعالى بقرب الحسب والنسب واليتامى المتولدات من النفس الحيوانية الباقية بعد فناء النفس بحسب سطوات تجليات القهر والمساكين هم الأعضاء والجوارح وابن السبيل القوى البشرية والحواس الخمس المسافرون إلى عوالم المعقولات والمتخيلات والموهومات والمحسوسات بقدم العقل والخيال والوهم والحس وقال بعض أهل الإشارة: ذوو القربى هم الذين شاركوه في بعض مقاماته عليه السلام واليتامى هم الذين انقطعوا عما دون الحق إلى الحق فبقوا بين الفقدان والوجدان طلاب الوصول والمساكين هم الذين ليس لهم بلغة المقامات وليسوا بمتمكنين في الحالات وابن السبيل هم الذين سافروا من الحدثان إلى القدم **﴿كيلا يكون﴾** علة لقوله: **﴿فلله وللرسول﴾** أي تولى الله قسمة الفيء وبين قسمته لئلا يكون أي الفيء الذي حقه أن يكون للفقراء يعيشون به. **﴿دولة﴾** بضم الدال وقرىء بفتحها وهي ما يدول للإنسان أي يدور من الغنى والجد والغلبة أي كيلا يكون جدا. **﴿بين الأغنياء منكم﴾** يتكاثرون به والخطاب للأنصار لأنه لم يكن في المهاجرين في ذلك الوقت غنى كما في «فتح الرحمن» أو كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فإن الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز أي من غلب سلب فيجعلون الاستقلال بمال الغنيمة والانفراد به منوطاً بالغلبة عليه فكل من غلب على شيء منه يستقل به ولا يعطي الفقراء والضعفاء شيئاً منه. قال الكاشفي: در معالم آورده كه اهل جاهليت چون غنيمتي كرفتندى مهتر ايشان ربعى بر داشتي وازباقى نيز بر اى خود تحفه اختيار كردى وانرا صفى كفتندى وباقي را باقوم كذا شتى وتوانكران قوم بردرويشان دران قسمت حيف كردندى جمعى از رؤساى أهل إيمان درغنايم بني النضير همين خيال بسته كفتند يا رسول الله شما ربعي ونصفي مغنم را برداريد وبكذا ريد تاباقي را قسمت كنيم حق سبحانه وتعالى آنرا خاصه حضرت پيغمبر عليه السلام كردانيد وقسمت آنرا بر وجهي كه مذكور شد مقرر ساخت وفرمودكه حكم فيء پيدا كرديم تانباشد آن فيء كردان دست بدست ميان توانكران از شماكه زياده از حق خود بردارند وفقرارا اندك دهند يا محروم سازند چنانكه در زمان جاهليت بوده. وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف أي إن الدولة اسم للشيء

الذي يتداوله القوم بينهم فيكون مرة لهذا ومرة لهذا والتداول بالفارسية: از يكديكر فرا كرفتن. وتداول القوم كذا وداول الله بينهم كذا فالمعنى كيلا يكون الفيء شيئاً يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح مصدر بمعنى التداول وفيه إضمار محذوف فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم أو كيلا يكون إمساكه وأخذه تداولاً لا يخرجونه إلى الفقراء وقيل: هي بالفتح بمعنى انتقال حالة سارة إلى قوم عن قوم وتستعمل في نفس الحالة السارة التي تحدث للإنسان يقال: هذه دولة فلان وقيل: الضم للأغنياء والفتح للفقراء وفي الحديث «اغتنموا دولة الفقراء» كما في «الكواشي» وفي الآية إشارة إلى إعطاء كل ذي حق حقه كيلا يحصل بين الأغنياء والفقراء نوع من الجور والدولة الجاهلية يقال: كان الفقراء في مجلس سفيان الثوري أمراء أي كالأمراء في التقديم والإكرام والعزة. **﴿وما آتاكم الرسول﴾** ما موصولة والعائد محذوف والإيتاء الإعطاء والمناولة أي ما أعطاكموه أيها المؤمنون من الفيء. **﴿فخذوه﴾** فإنه حقكم **﴿وما نهاكم عنه﴾** أي: عن أخذه **﴿فانتهوا﴾** عنه **﴿واتقوا الله﴾** في مخالفته عليه السلام. **﴿إن الله شديد العقاب﴾** فيعاقب من يخالف أمره ونهيه والأولى حمل الآية على العموم فالمعنى وما آتاكم الرسول من الأمر مطلقاً فيئاً أو غيره أصولاً اعتقادية أو فروعاً عملية فخذوه أي فتمسكوا به فإنه واجب عليكم. هرشربتي ازدست او درآيد بستانيد كه حيات شما درآنست وآن لوح راخوانيدكه نويسد زيرا ضروريات شما در صفحه او بيانست وما نهاكم عن تعاطيه أياً كان فانتهوا عنه زيراً أمر ونهى أو بحق است هركه ممتثل امر أو كردد نجات يابد وهركه از نهى أو اجتناب ننمايد در ورطه هلاك افتد:

آنكس كه شد متابع امر توقد نجا وانكو خلاف راى توورزيد قد هلك

وفيه دليل على أن كل ما أمر به النبي عليه السلام أمر من الله تعالى قال العلماء: اتباع الرسول عليه السلام في الفرائض العينية فرض عين وفرض كفاية في الفروض على سبيل الكفاية وواجب في الواجبات وسنة في السنن فما علمنا من أفعاله واقعاً على جهة نقتدي به في اتباعه على تلك الجهة وما لم نعلم على أي جهة فعله فلنا فعله على أدنى منازل أفعاله وهو الإباحة.

ـ روي ـ أن ابن مسعود رضي الله عنه لقي رجلاً محرماً وعليه ثيابه فقال: انزع عنك هذا فقال الرجل: أتقرأ علي بهذا آية من كتاب الله قال: نعم **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**.

ـ وروي ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لعن الله الواشمات» أي: فاعلات الوشم وهو ما يوشم به اليد من نؤور أو نيلج قال في «القاموس»: الوشم كالوعد غرز الإبرة في البدن وذر النيلج عليه والنؤور كصبور النيلج ودخان الشحم وحصاة كالإثمد تدق فيسفها اللثة «والمستوشمات» يقال استوشمت الجارية طلبت أن يوشم بها «والمتنمصات للحسن» وهي أي المتنمصة التي تنتف شعرها يعني بركننده موى از براي حسن. قال في «القاموس»: النمص نتف الشعر ولعنت النامصة وهي مزينة النساء بالنمص والمتنمصة وهي مزينة به «المغيرات خلق الله» آن زنانى كه تغيير كنند آفريده خدارا. ويدخل فيه تحديد الأسنان وإصلاحها ببعض الآلات وثقب الأنف وأما ثقب الأذن فمباح للنساء لأجل التزيين بالقرط وحرام على الرجال كحلق اللحية «فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت» پس آمدآن زن نزد «ابن مسعود

رضي الله عنه فقالت: قد بلغني أنك قلت كيت وكيت» يعني مرا رسيده است كه توكفته چنين وچنين «فقال: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ومن هو في كتاب الله» يعني ابن مسعود كفت چكونه لعنت نكنم آنراكه لعنت كرده است رسول الله وآنراكه در كتاب الله است «فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحتين فما وجدت فيه ما تقول قال: لئن كنت قرأته لقد وجدته أما قرأت ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ قالت: بلى قال: فإنه عليه السلام قد نهى عنه» ولذلك قرأ ابن عباس رضي الله عنه هذه الآية للنهي عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت والدباء بالضم والمد القرعة والحنتم بفتح الحاء والتاء وسكون النون قبلها جرة خضراء والنقير ما نقب من حجر وخشب ونحوهما والمزفت بالضم والتشديد جرة أو خابية طليت ولطخت بالزفت بالكسر أي القار وحل عند الإمام الأعظم اتخاذ نبيذ التمر والذرة ونحوه بأن يلقى في هذه الأوعية وإن حصل الاشتداد بسببها وفي الحديث: «القرآن صعب عسر على من كرهه ميسر على من تبعه وحديثي صعب مستصعب وهو الحكمة فمن استمسك بحديثي وحفظه كان مع القرآن ومن تهاون بحديثي خسر الدنيا والآخرة وأمرتم أن تأخذوا بقولي وتتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن ومن استهزأ بقولي فقد استهزأ بالقرآن قال الله تعالى ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ وسئل سهل رحمه الله عن شرائع الإسلام فقال: ما آتاكم الرسول من خبر الغيب ومكاشفة الرب فخذوه باليقين وما نهاكم عنه من النظر إلى غير الله فانتهوا عنه.

وفي «التأويلات النجمية»: يخاطب به ذوي الحقوق من المراتب الأربع ويقال لهم: ما أعطاكم رسول القلب من الفيض الذي حصل له بمددكم الصوري ومعونتكم المعنوية من قبل قتل النفس الكافرة والهوى الظالم فاقبلوه منه بحسن التلقي ولطف القبول وإنه أعطاكم على حسب استعدادكم وما منع عنه فامتنعوا عن الاعتراض عليه ﴿واتقوا الله﴾ في الاعتراض فـ ﴿إن الله شديد العقاب﴾ بحرمانكم من حسن التوجه إليه ولطف الاستفاضة عنه.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿للفقراء المهاجرين﴾ بدل من لذي القربى وما عطف عليه لا من الله والرسول وإلا يلزم دخول الرسول في زمرة الفقراء وهو لا يسمى فقيراً لأنه يوهم الذم والنقصان لأن أصل الفقر كسر فقار الظهر من قولهم: فقرته ولهذا سميت الحاجة والداهية فاقرة لأنهما تغلبان الإنسان وتكسران فقار ظهره وإذا لم يصح تسمية الرسول فقيراً فلأن لا يصح تسميته تعالى فقيراً أولى مع أن الله تعالى أخرجه عليه السلام من الفقراء هنا بقوله: ﴿وينصرون الله ورسوله﴾ بقي أن ابن السبيل الذي له مال في وطنه لا يسمى فقيراً نص عليه في «التلويح» وغيره ومن أعطى أغنياء ذوي القربى كالشافعي خص الإبدال بما بعده بخلاف أبي حنيفة رحمه الله فإن استحقاق ذوي القربى الفيء مشروط عنده بالفقر وأما تخصيص اعتبار الفقر بفيء بني النضير فتعسف ظاهر كما قال في «الإرشاد» ﴿الذين أخرجوا من ديارهم﴾ از سراهاى ايشان كه درمكه داشتند.

﴿وأموالهم﴾ ودور افتاده انداز مالهاى خود. حيث اضطرهم كفار مكة إلى الخروج وأخذوا أموالهم وكانوا مائة رجل فخرجوا منها وإلا فهم هاجروا باختيارهم حباً لله ورسوله واختاروا الإسلام على ما كانوا فيه من الشدة حتى كان الرجل يعصب الحجر على بطنه ليقيم صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ما له دار غيرها وصح عن رسول الله عليه السلام أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين وقال عليه السلام: «أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة عام» **﴿يبتغون فضلاً من الله ورضواناً﴾** أي حال كونهم طالبين منه تعالى رزقاً في الدنيا ومرضاة في الآخرة وصفوا أولاً بما يدل على استحقاقهم للفيء من الإخراج من الديار وقد أعاد ذلك ثانياً بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكده فهو حال من واو أخرجوا وفي ذكر حالهم ترق من العالي إلى الأعلى فإن رضوان الله أكبر من عطاء الدنيا. **﴿وينصرون الله ورسوله﴾** عطف على يبتغون فهي حال مقدرة أي ناوين نصرة الله بإعلاء دينه ونصرة رسوله ببذل وجودهم في طاعته أو مقارنة فإن خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين إلى المدينة نصرة وأي نصرة **﴿أولئك﴾** المهاجرون الموصوفون بما ذكر من الصفات الحميدة. **﴿هم الصادقون﴾** الراسخون في الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهوراً بيناً كأن الصدق مقصور عليهم لكمال آثاره الصدق صدقة السر يعني صدقه ملك سراست وصداق الجنة يعني صداق سراى سرورست وصديق الحق يعني صديق پادشاه حق است:

راست كارى پيشه كن كاندر مصاف رستخيز نيستند از خشم حق جزر استكاران رستكار

مصطفى عليه السلام كفت ما مهتر كليت عالم ايم وبهتر ذريت آدم ومارا بدين فخرنه شربتهاى كرم بردست ما نهادند وهديتهاى شريف بحجره ما فرستادند ولباسهاى نفيس در ما پوشيدند وطراز اعزاز براستين ما كشيدند ومارا بدان هيچ فخرنه كفتند مهترا پس اختيار توچيست وافتخار توبچيست كفت اختيار ما آنست وافتخار ما بدانست كه روزى ساعتى جوييم وبا اين فقراى مهاجرين چون بلال وصهيب وسلمان وعمار ساعتى حديث اوكييم:

بــردل ذكــر امــتـش نـشـارسـت مـرا وز فــقــر لــبــاس اخــتــيــارســت مــرا
ديــنــار ودرم بــچــه كــارســت مــرا بــاحــق هــمــه كــارچــون بــكــارســت مــرا

بدانكه فقر دواست يكى آنست كه رسول خدا ازان استعاذه كرده وكفته أعوذ بك من الفقر وديكر آنست كه رسول خدا كفته الفقر فخرى آن يكى نزديك بكفر واين يكى نزديك بحق إما آن فقركه بكفر نزديك است فقر دلست كه علم وحكمت وإخلاص وصبر ورضا وتسليم وتوكل ازدل ببرد تادل ازين ولايتها درويش كردد وچون زمين خراب شود دل خراب شود منزل شيطان كردد آنكه چون شيطان فرود آمد سپاه شيطان روى بوى نهند شهوت وغضب وحسد وشرك وشك وشبه ونفاق ونشان اين فقرآن بودكه هرچه بيند همه كژ بيند سمع او همه مجاز شنود زبان همه دروغ وغيبت كويد قدم بكوى همه ناشايست نهد اين آن فقرست كه رسول خدا كفت كاد الفقر أن يكون كفراً اللهم إني أعوذ بك من الفقر والكفر أما آن فقركه كفت الفقر فخرى آنست كه مرداز دنيا برهنه كردد ودرين برهنكى بدين نزديك كردد وفي الخبر الإيمان عريان ولباسه التقوى همانست كه متصوفه آنرا تجريد كويندكه مرد مجرد شوداز رسوم انسانيت چنانكه تيغ مجرد شوداز نيام خويش وتيغ ما دامكه درنيام باشد هنرش آشكارا نكردد وفعل او

پيدا نيايد همچنين دل تادر غلاف انسانيت است هنروى آشكارا نكردد وازوى كارى نكشايد چون از غلاف انسانيت برهنه كردد صورتها وصفتها درو بنمايد. وقال الشيخ نجم الدين الكاشفي رحمه الله: الافتقار على ثلاثة أقسام: افتقار إلى الله دون الغير وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «الفقر سواد الوجه في الدارين» انتهى وفي كل من الأحاديث المذكورة معانٍ أخر جلية على أولي الألباب وطعن أهل الحديث في قوله: «الفقر فخري» لكن معناه صحيح اللهم أغنني بالافتقار إليك وسئل الحسين رحمه الله من الفقراء؟ قال: الذين وقفوا مع الحق راضين على جريان إرادته فيهم وقال بعضهم: هم الذين تركوا كل سبب وعلاقة ولم يلتفتوا من الكونين إلى شيء سوى ربهم فجعلهم الله ملوكاً وخدمهم الأغنياء تشريفاً لهم.

وفي «التأويلات النجمية»: أبدل الله من ذوي القربى المهاجرين إلى الله أي ذوو القربى هم المهاجرون من قرية النفس إلى مدينة الروح والقلب بالسير والسلوك وقطع المفاوز النفسانية والبواد الحيوانية المخرجون من ديار وجوداتهم وأموال صفاتهم وأخلاقهم إلى حضرة خالقهم ورازقهم طالبين من فضله وجوده ونور رضوان صفاته ونعوته ناصرين الله بمظهريتهم لله الاسم الجامع ورسوله بمظهريتهم لأحكامه وشرائعه الظاهرة أولئك هم الصادقون في مقام الفناء عنهم في ذواتهم وصفاتهم وأفعالهم والبقاء به أي بذاته وصفاته وأفعاله جعلنا الله وإياكم هكذا بفضله.

﴿**والذين تبوأوا الدار والإيمان**﴾ كلام مستأنف مسوق لمدح الأنصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفيء بهم أحسن رضى وأكمله والأنصار بنو الأوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نيت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، قال في «القاموس»: قحطان بن عامر بن شالخ أبو حي انتهى وهو أصل العرب العرباء ومن الأنصار غسان كشداد ماء قرب الجحفة نزل عليه قوم من ولد الأزد فشربوا منه فنسبوا إليه وأصل البواء مساواة الأجزاء في المكان خلاف النبو الذي هو منافاة الأجزاء يقال: مكان بواء إذا لم يكن نابياً بنازله وبوأت له مكاناً سويت.

ـ وروي ـ «أنه عليه السلام كان يتبوأ لبوله كما يتبوأ لمنزله» وتبوء المنزل اتخاذه منزلاً والتمكن والاستقرار فيه فالمتبوأ فيه لا بد أن يكون من قبيل المنازل والأمكنة والدار هي المدينة وتسمى قديماً يثرب وحديثاً طيبة وطابة كذلك بخلاف الإيمان فإنه ليس من هذا القبيل فمعنى تبوئهم الدار والإيمان أنهم اتخذوا المدينة والإيمان مباءة وتمكنوا فيهما أشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل: ضمن التبوء معنى اللزوم وقيل تبوؤوا الدار وأخلصوا الإيمان أو قبلوه أو آثروه كقول من قال علفتها تبناً وماء بارداً. أي وسقيتها ماء بارداً فاختصر الكلام وقيل غير ذلك.

يقول الفقير: لعل أصل الكلام والذين تبوؤوا دار الإيمان فإن المدينة يقال لها دار الإيمان لكونها مظهره ومأوى أصله كما يقال لها دار الهجرة وإنما عدل إلى ما ذكر من صورة العطف تنصيصاً على إيمانهم إذ مجرد التبوء لا يكفي في المدح. ﴿**من قبلهم**﴾ أي: من قبل هجرة المهاجرين فقدر المضاف لأن الأنصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين بل منهم من آمن قبل الهجرة ومنهم من آمن بعدها قال بعضهم: مراد أنصار ندكه درديار خود ايمان آوردند وبد وسال پيش

ازقدوم حضرت مساجد ساختند. وربوا الإسلام كما يربي الطير الفرخ قال في «الإرشاد»: يجوز أن يجعل اتخاذ الإيمان مباءة ولزومه وإخلاصه عبارة عن إقامة كافة حقوقه التي من جملتها إظهار عامة شعائره وأحكامه ولا ريب في تقدم الأنصار في ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن إظهار بعضها لا عن إخلاصه قلباً واعتقاداً إذ لا يتصور تقدمهم عليهم في ذلك وفي الآية إشارة إلى دار القلب التي هي دار الصدق والإخلاص وإلى الإيمان الاختصاصي الوهبي بتحقيقه وتثبيته. ﴿**يحبون من هاجر إليهم**﴾ خبر للموصول أي يحبونهم من حيث مهاجرتهم إليهم لمحبتهم الإيمان ولأن الله وحبيبه أحباهم وحبيب الحبيب حبيب وفي «كشف الأسرار» كنايتست از مهمان دوستى أنصار. ﴿**ولا يجدون في صدورهم**﴾ أي: في نفوسهم ﴿**حاجة**﴾ أي شيئاً محتاجاً إليه ﴿**مما أوتوا**﴾ أي: مما أوتي المهاجرون من الفيء وغيره ومن بيانية يقال: خذ منه حاجتك أي ما تحتاج إليه والمراد من نفي الوجدان نفي العلم لأن الوجدان في النفس إدراك علمي وفيه من المبالغة ما ليس في يعلمون وقال بعضهم: طلب محتاج إليه يعني أن نفوسهم لم تبتغ ما أوتوا ولم تطمح إلى شيء منه يحتاج إليه وقيل وجداً على تقديمهم عليهم وغيظاً وحسداً ونحو ذلك قال الراغب: الحاجة إلى الشيء الفقر إليه مع محبته. ﴿**ويؤثرون**﴾ أي: يقدمون المهاجرين فالمفعول محذوف ﴿**على أنفسهم**﴾ في كل شيء من أسباب المعاش جوداً وكرماً حتى أن من كان عنده امرأتان كان ينزل عن إحداهما ويزوجها واحداً منهم والإيثار عطاؤك ما أنت تحتاج إليه وفي الخبر: «لم يجتمع في الدنيا قوم قط إلا وفيهم أسخياء وبخلاء إلا في الأنصار فإن كلهم أسخياء ما فيهم من بخيل» ﴿**ولو كان بهم خصاصة**﴾ أي: حاجة وخلة وأصلها خصاص البيت وهي فرجة شبه حالة الفقر والحاجة ببيت ذي فرج في الاشتمال على مواضع الحاجة، قال الراغب: عبر عن الفقر الذي لا يسد بالخصاصة كما عبر عنه بالخلة والخص بيت من قصب وشجر وذلك لما يرى منه من الخصاصة وكان عليه السلام قسم أموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة نفر محتاجين: أبا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة رضي الله عنهم وروي لم يعط إلا رجلين: سهلاً وأبا دجانة فإن الحارث بن الصمة قتل في بئر معونة وقال لهم: «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها» فنزلت وكان عليه السلام أعطى بعض الأراضي وأبقى بعضها يزرع له ولما أعطى المهاجرين أمرهم برد ما كان للأنصار لاستغنائهم عنهم ولأنهم لم يكونوا ملكوهم وإنما كانوا دفعوا لهم تلك النخيل لينتفعوا بثمرها ويدخل في إيثارهم المهاجرين بالفيء سائر الإيثارات وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: أهدي لرجل من الأنصار رأس شاة وكان مجهوداً فوجه به إلى جار له زاعماً أنه أحوج إليه منه فوجه جاره أيضاً إلى آخر فلم يزل يبعث به واحداً إلى آخر حتى تداول ذلك الرأس سبعة بيوت إلى أن رجع إلى المجهود الأول قال حذيفة العدوي: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من الماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته فإذا أنا به فقلت: أسقيك فأشار برأسه أن نعم فإذا برجل يقول: آه آه فأشار إلي ابن عمي أن انطلق إليه فإذا هو هشام بن العاص فقلت: أسقيك فأشار أن نعم فسمع آخر يقول آه آه فأشار هشام أن انطلق إليه فجئت إليه فإذا هو قد مات فرجعت

إلى هشام فإذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات وهذا من قبيل الإيثار بالنفس وهو فوق الإيثار بالمال:

فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ   كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد

وقال في «التكملة»: الصحيح أن الآية نزلت في أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه حين نزل برسول الله عليه السلام ضيف ولم يكن عنده ما يضيفه به فقال: «ألا رجلاً يضيف هذا رحمه الله فقام أبو طلحة فانطلق به إلى رحله وقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله فنومت الصبية وأطفأت السراج وجعل الضيف يأكل وهما يريان أنهما يأكلان معه ولا يفعلان فنزلت الآية» وكان قناعة السلف أوفر ونفوسهم أقنع وبركتهم أكثر ونحن نؤثر أنفسنا على الغير فإذا وضعت مائدة بين أيدينا يريد كل منا أن يأكل قبل الآخر ويأخذ أكثر مما يأخذ الرفيق ولذلك لم توجد بركة الطعام وينفد سريعاً ويروى أنه وقع بين ملك ووزيره أنه قال الملك إن العلماء أحسن حالاً وأصلح بالاً من الفقراء وقال الوزير بخلاف ذلك ثم قال الوزير نمتحنهما في أمرين فبعث أحداً بعدة آلاف درهم إلى أهل المدرسة فقال: اذهب وقل لهم إن الملك أمرني أن أعطي هذه الدراهم أفضلكم وأكملكم فمن هو فقال واحد منهم أنا وقال الآخر: كذب بل هو أنا وهكذا ادعى كل منهم الأفضلية فقال الرسول: لم يتميز الأفضل عندي ولم أعرفه ولم يعط شيئاً فعاد وأخبر بما وقع ثم أرسل الوزير تلك الدراهم إلى أهل الخانقاه ففعلوا عكس ما فعله العلماء وأعطى بيده سيفاً فقال: اذهب فقل لهم: إن الملك أمرني أن أضرب عنق رئيسكم فمن هو فقال واحد منهم أنا وقال الآخر بل أنا وهكذا قال كل منهم إيثار إبقاء أخيه واختيار فداء رفيقه بنفسه فقال الرسول: لم يتميز ما هو الواقع عندي فرجع وأخبر بما وقع فأرسل السيف إلى العلماء ففعلوا عكس ما فعله الفقراء فحج بذلك الوزير على الأمير وأنت تشاهد أن فقراء زماننا على عكس هؤلاء الفقراء في البلاد والممالك قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: غلبني رجل شاب من أهل بلخ حيث قال لي ما حد الزهد عندكم؟ فقلت: إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا فقال: هذا فعل كلاب بلخ عندنا بل إذا فقدنا شكرنا وإذا وجدنا آثرنا:

كريم كامل آنرامى شناسم اندرين دوران   كه كرنانى رسد از آسياى چرخ كردانش
زاستغناى همت با وجود فقر وبى بركى   زخود واكير دوسازد نثار بى نوا يانش

وفي «العوارف»: من أخلاق الصوفية الإيثار والمواساة وحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعاً وقوة اليقين شرعاً لأنهم يؤثرون الموجود ويصبرون على المفقود قال يوسف بن الحسين رحمه الله: من رأى لنفسه ملكاً لا يصح له الإيثار لأنه يرى نفسه أحق بالشيء برؤية ملكه إنما الإيثار لمن يرى الأشياء للحق فمن وصل إليه فهو أحق به فإذا وصل شيء من ذلك إليه يرى نفسه ويده فيه يد غصب أو يد أمانة يوصلها إلى صاحبها ويؤديها إليه. معاذ بن جبل راديدندكه دربازار مكه ميكر ديد وزيره تره ميجيد وميكفت هذا ملكك مع رضاك وملك الدنيا مع سخطك:

خيز يارا تابميخانه زمانى دم زنيم   آتش اندر ملكت آل بني آدم زنيم
هرچه اسبابست جمع آيم وبس جمع آوريم   پس بحكم حال بيزارى همه برهم زنيم

﴿ومن يوق شح نفسه﴾ وهركه نكاه داشته شود ازبخل نفس أو يعني منع كند نفس را از حب مال وبغض انفاق، والوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره والشح بالضم والكسر بخل مع

حرص فيكون جامعاً بين ذميمتين من صفات النفس وإضافته إلى النفس لأنه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل، أي ومن يوق بتوفيق الله شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الإنفاق. ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه والفلاح اسم لسعادة الدارين والجملة اعتراض وارد لمدح الأنصار والثناء عليهم فإن الفتوة هي الأوصاف المذكورة في حقهم فلهم جلائل الصفات ودقائق الأحوال ولذا قال عليه السلام: «آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار» وقال عليه السلام: «اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار» قال السهروردي في «العوارف»: السخاء صفة غريزية في مقابلة الشح والشح من لوازم صفة النفس حكم الله بالفلاح لمن يوقى الشح أي لمن أنفق وبذل والنبي عليه السلام نبه بقوله: «ثلاث مهلكات وثلاث منجيات» فجعل إحدى المهلكات شحاً مطاعاً ولم يقل مجرد الشح يكون مهلكاً بل إنما يكون مهلكاً إذا كان مطاعاً فأما كونه موجوداً في النفس غير مطاع لا ينكر ذلك لأنه من لوازم النفس مستمد من أصل جبلتها الترابي وفي التراب قبض وإمساك وليس ذلك بالعجب من الآدمي وهو جبلي فيه وإنما العجب وجود السخاء في الغريزة وهو في نفوس الصوفية الداعي لهم إلى البذل والإيثار والسخاء أتم وأكمل من الجود وفي مقابلة الجود البخل وفي مقابلة السخاء الشح والجود والبخل يتطرق إليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء إذ كانا من ضرورة الغريزة، وكل سخي جواد وليس كل جواد سخياً والحق تعالى لا يوصف بالسخاء لأن السخاء من نتيجة الغرائز والله تعالى منزه عن الغريزة والجود يتطرق إليه الرياء ويأتي به الإنسان متطلعاً إلى عوض من الخلق والثواب من الله تعالى والسخاء لا يتطرق إليه الرياء لأنه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الأعواض دنيا وآخرة لأن العوض مشعر بالبخل لكونه معلولاً بالعوض فما تمحض سخاء فالسخاء لأهل الصفاء والإيثار لأهل الأنوار وقال الحسن رحمه الله: الشح هو العمل بالمعاصي كأنه يشح بالطاعة فدخل فيه ما قيل: الشح أن تطمح عين الرجل إلى ما ليس له وقال عليه السلام: «من الشح نظرك إلى امرأة غيرك» وذلك فإن الناظر يشح بالغض والعفة فلا يفلح.

ـ وروي ـ أن رجلاً قال لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إني أخاف أن أكون قد هلكت قال: وما ذاك؟ قال: أسمع الله يقول: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال عبد الله: ليس المراد بالشح الذي ذكر الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلماً ولكن ذاك البخل وبئس الشيء البخل وفسر الشح بغير ذلك وعن الحكيم الترمذي قدس سره: الشح أضر من الفقر لأن الفقير يتسع إذا وجد بخلاف الشحيح وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله عليه السلام يقول: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً» وقال عليه السلام: «من أدى الزكاة المفروضة وقرى الضيف وأعطى في النائبة فقد برىء من الشح والشح أقبح البخل» وقال عليه السلام: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم». قال الحافظ:

أحوال كنج قارون كايام داد بربـاد   با غنچه باز كويد تا زر نهان ندارد

وقال المولى الجامي في ذم الخسيس الشحيح:

هرچند زندلاف كرم مرد درم دوست   دريوزه احسان زدرا ونتوان كرد
ديرين مثلى هست كه از فضله حيوان   نار نج توان ساخت ولى بونتوان كرد

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾ هم الذين هاجروا بعدما قوي الإسلام فالمراد جاؤوا إلى المدينة أو التابعون بإحسان وهم الذين بعد الفريقين إلى يوم القيامة ولذلك قيل إن الآية قد استوعبت جميع المؤمنين فالمراد حينئذ جاؤوا إلى فضاء الوجود وفي الحديث: «مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره» يعني: در منفعت وراحت همچون باران بهارانند بارانرا ندانندكه اول آن بهترست يا آخر نفعي است عامر او عامه خلق را حال امت من همچنين است همان درويشان آخر الزمان آن شكستكان سرافكنده وهمين عزيزان وبزركواران صحابه همه برادرانند ودر مقام منفعت وراحت همه يكدست ويكسانند هم كالقطر حيث ما وقع نفع بر مثال بارانند باران هركجاكه رسد نفع رساندهم در بوستان هم در خارستان هم بريحان وهم برام غيلان همچنين اهل اسلام درراحت يكديكرورأفت بريكديكر يكسانند ويك نشانند **﴿يقولون﴾** خبر للموصول والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الآخرة في الدين والسبق بالإيمان أي يدعون لهم قائلين. **﴿ربنا اغفر لنا﴾** ما فرط منا **﴿ولإخواننا﴾** أي: في الدين الذي هو أعز وأشرف عندهم من النسب. **﴿الذين سبقونا بالإيمان﴾** وصفوهم بذلك اعترافاً بفضلهم:

چو خواهى كه نامت بود جاودان   مكن نام نيك بزركان نهان

قدموا أنفسهم في طلب المغفرة لما في المشهور من أن العبد لا بد أن يكون مغفوراً له حتى يستجاب دعاؤه لغيره وفيه حكم بعدم قبول دعاء العاصين قبل أن يغفر لهم وليس كذلك كما دلت عليه الأخبار فلعل الوجه أن تقديم النفس كونها أقرب النفوس مع أن في الاستغفار إقراراً بالذنب فالأحسن للعبد أن يرى أولاً ذنب نفسه كذا في بعض التفاسير.

يقول الفقير: نفس المرء أقرب إليه من نفس غيره فكل جلب أو دفع فهو إنما يطلبه أولاً لنفسه لإعطاء حق الأقدم وأما غيره فهو بعده ومتأخر عنه وأيضاً إن ذنب نفسه مقطوع بالنسبة إليه وأما ذنب غيره فمحتمل فلعل الله قد غفر له وهو لا يدري وأيضاً تقديمهم في مثل هذا المقام لا يخلو عن سوء أدب وسوء ظن في حق السلف. **﴿ولا تجعل في قلوبنا غلاً﴾** أي: حقداً وهو ذميمة فاحشة فورد: «المؤمن ليس بحقود» يعني كينه كش. قال الراغب: الغل والغلول تدرع الخيانة والعداوة لأن الغلالة اسم ما يلبس بين الشعار والدثار وتستعار للدرع كما تستعار الدرع لها **﴿للذين آمنوا﴾** على إطلاق صحابة أو تابعين وفيه إشارة إلى أن الحقد على غيرهم لائق لغيرة الدين وإن لم يكن الحسد لائقاً. قال الشيخ سعدي:

دلم خانه مهريارست وبس   ازان مى نكنجد درو كين كس

﴿ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ أي مبالغ في الرأفة والرحمة فحقيق بأن تجيب دعاءنا وفي الآية دليل على أن الترحم والاستغفار واجب على المؤمنين الآخرين للسابقين منهم لا سيما لآبائهم ولمعلمهم أمور الدين قالت عائشة رضي الله عنها: أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم وفي

الحديث: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها» وعن عطاء قال: قال عليه السلام: «من حفظني في أصحابي كنت له يوم القيامة حافظاً ومن شتم أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» فالرافضة والخوارج ونحوهم شر الخلائق خارجون من أقسام المؤمنين لأن الله تعالى رتبهم على ثلاثة منازل: المهاجرين والأنصار والتابعين الموصوفين بما ذكر الله فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجاً من أقسامهم.

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله: يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين رضي الله عنه وحكاياته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فإنه يهيج بغض الصحابة والطعن فيهم وهم أعلام الدين وما وقع بينهم من المنازعات فيحمل على محامل صحيحة فلعل ذلك الخطأ في الاجتهاد لا لطلب الرياسة أو الدنيا كما لا يخفى، وقال في «شرح الترغيب والترهيب» المسمى «بفتح القريب». والحذر ثم الحذر من التعرض لما شجر بين الصحابة فإنهم كلهم عدول خير القرون مجتهدون مصيبهم له أجران ومخطئهم له أجر واحد وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في فصل آفات اللسان: الخوض في الباطل هو الكلام في المعاصي كحكاية أحوال الوقاع ومجالس الخمور وتجبر الظلمة وحكاية مذاهب أهل الأهواء وكذا حكاية ما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم:

أي دل از من اكر بچويى پند ... رو بأصحاب مصطفى دل بند

همه ايشان آمده ذيشان ... خواهشى كن شفاعتى زيشان

وقال بعض أهل الإشارة: ﴿ربنا اغفر لنا﴾ أي استر ظلمة وجودنا بنور وجودك واستر وجودات إخواننا الذين سبقونا بالإيمان وهم الروح والسر والقلب السابقون في السلوك من قرية النفس إلى مدينة الروح المؤمنين بأن الفناء الوجودي الإمكاني يستلزم الوجود الواجبي الحقاني ولا تجعل في قلوبنا شك الاثنينية والغيرية للذين آمنوا بإخوانية المؤمنين لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] إنك رؤوف بمن شاهد الكثرة قائمة بالوحدة رحيم بمن شاهد الوحدة ظاهرة بالكثرة وفي تكرير ربنا إظهار لكمال الضراعة وفي الأثر: «من حزبه أمر فقال خمس مرات: ربنا، أنجاه الله مما يخاف» قال الإمام الرازي: اعلم أن العقل يدل على تقديم ذكر الله في الدعاء لأن ذكر الله تعالى بالثناء والتعظيم بالنسبة إلى جوهر الروح كالإكسير الأعظم بالنسبة إلى النحاس فكما أن ذرة من الإكسير إذا وقعت على عالم النحاس انقلب الكل ذهباً ابريزاً فكذا إذا وقعت ذرة من إكسير معرفة جلال الله تعالى على جوهر الروح قوي صفاء وكمل إشراقاً ومتى صار كذلك كانت قوته أقوى وتأثيره أكمل وكان حضور الشيء المطلوب عنده أقوى وأكمل وهذا هو السبب في تقديم الدعاء بالثناء انتهى. والوارد في القرآن من الدعاء مذكور غالباً بلفظ الرب فإن على العبد أن يذكر أولاً إيجاد الله وإخراجه من العدم إلى الوجود الذي هو أصل المواهب ويتفكر في تربية الله إياه ساعة فساعة وأما دعوات رسول الله عليه السلام فأكثرها الابتداء بقوله: اللهم، لأنه مظهر الاسم الجامع وقد كان يجمع بينهما ويقول: اللهم ربنا كما جمع عيسى عليه السلام وقال: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٤] والله سميع الدعاء وقابل الرجاء.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿ألم تر﴾ استئناف لبيان التعجب مما جرى بين الكفرة والمنافقين من الأقوال الكاذبة والأحوال الفاسدة والمعنى آيا نكاه نكرده يا محمد أويا من له حظ من الخطاب. ﴿إلى الذين نافقوا﴾ من أهل المدينة قال الراغب: النفق الطريق النافذ والسرب في الأرض النافذ ومنه نافقاء اليربوع وقد نافق اليربوع ونفق ومنه النفاق وهو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب على هذا نبه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧] أي الخارجون عن الشرع. ﴿يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ اللام للتبليغ والمراد بالإخوان بنو النضير وبإخوتهم إما توافقهم في الكفر فإن الكفر ملة واحدة أو صداقتهم وموالاتهم. ﴿لئن أخرجتم﴾ اللام موطئة للقسم وهي اللام الداخلة على حرف الشرط بعد تمام القسم ظاهراً أو مقدراً ليؤذن أن الجواب له لا للشرط وقد تدخل على غير الشرط والمعنى والله لئن أخرجتم أيها الإخوان من دياركم وقراكم قسراً بإخراج محمد وأصحابه إياكم منها. ﴿لنخرجن معكم﴾ البتة ونذهبن في صحبتكم أينما ذهبتم لتمام المحبة بيننا وبينكم وهو جواب للقسم وجواب الشرط مضمر ولما كان جواب القسم وجواب الشرط متماثلين اقتصر على جواب القسم وأضمر جواب الشرط وجعل المذكور جواباً للقسم بسعة وكذا قوله: لا يخرجون معهم وقوله: لا ينصرونهم كل واحد منهما جواب القسم ولذلك رفعت الأفعال ولم تجزم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه. ﴿ولا نطيع فيكم﴾ أي في شأنكم ﴿أحداً﴾ يمنعنا من الخروج معكم ﴿أبداً﴾ وإن طال الزمان ونصبه على الظرفية وهو لاستغراق المستقبل كما أن الأزل لاستغراق الماضي ولاستعمالهما في طول الزمانين جداً قد يضافان إلى جمعهما فيقال: أبد الآباد وأزل الآزال وأما السرمد فلاستغراق الماضي والمستقبل يعني لاستمرار الوجود لا إلى نهاية في جانبهما. ومنه قول المولى الجامي:

دردت زازل آيد تاروز أبد پايد چوق شكر كزار دكس اين دولت سرمدرا

﴿وإن قوتلتم﴾ أي قاتلكم محمد وأصحابه حذفت منه اللام الموطئة ﴿لننصرنكم﴾ أي لنعاوننكم على عدوكم ولا نخذلكم ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ في مواعيدهم المؤكدة بالأيمان الفاجرة.

﴿لئن أخرجوا﴾ قهراً وإذلالاً ﴿لا يخرجون معهم﴾ إلخ تكذيب لهم في كل واحد من أقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم في الكل على الإجمال ﴿ولئن قوتلوا لا ينصرونهم﴾ وكان الأمر كذلك فإن ابن أبي وأصحابه أرسلوا إلى بني النضير وذلك سراً ثم أخلفوهم يعني أن ابن أبي أرسل إليهم لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصونكم فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون حصنكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يوصل إليكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع بنو النضير فيما قاله اللعين وهو جالس في بيته حتى قال أحد سادات بني النضير وهو سلام بن مشكم لحيي بن أخطب الذي كان هو المتولي لأمر بني

النضير: والله يا حيي إن قول ابن أبي لباطل وليس بشيء وإنما يريد أن يورطك في الهلكة حتى تحارب محمداً فيجلس في بيته ويتركك فقال حيي: نأبى إلا عداوة محمد وإلا قتاله فقال سلام: فهو والله جلاؤنا من أرضنا وذهاب أموالنا وشرفنا وسبي ذرارينا مع قتل مقاتلينا فكان ما كان كما سبق في أول السورة وفيه حجة بينة لصحة النبوة وإعجاز القرآن أما الأول فلأنه أخبر عما سيقع فوقع كما أخبر وذلك لأن نزول الآية مقدم على الواقعة وعليه يدل النظم فإن كلمة أن للاستقبال وأما الثاني فمن حيث الإخبار عن الغيب. ﴿**ولئن نصروهم**﴾ على الفرض والتقدير ﴿**ليولن الأدبار**﴾ فراراً وانهزاماً جمع دبر ودبر الشيء خلاف القبل أي الخلف وتولية الأدبار كناية عن الانهزام الملزوم لتولية الأدبار قال في «تاج المصادر»: التولية روى فرا كردن وپشت بكردانيدن. وهي من الأضداد ﴿**ثم لا ينصرون**﴾ أي: المنافقون بعد ذلك أي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم بنصرهم اليهود أو لينهزمن اليهود ثم لا تنفعهم نصرة المنافقين، وفي الآية تنبيه على أن من عصى الله ورسوله وخالف الأمر فهو مقهور في الدنيا والآخرة وإن كان سلطاناً ذا منعة وما يقع أحياناً من الفرصة فاستدراج وغايته إلى الخذلان.

صعوه كوبا عقاب سازد جنك ... دهد از خون خود پرش رارنك

وإشارة إلى أن الهوى وصفاته كالمنافقين والنفس الكافرة وأتباعها كاليهود وبينهما أخوة وهي الظلمة الذاتية والصفاتية وبين حقائقهما وحقائق الروح والسر والقلب تنافر كتنافر النور والظلمة فالهوى وصفاته يقولون للنفس وصفاتها لإن أخرجكم الروح والسر والقلب من ديار وجوداتكم وأنانيتكم بسبب غلبة أنوارهم على ظلمات وجوداتكم لنخرجن معكم ولا نخالفكم وإن قتلتم بسيف الرياضة ورمح المجاهدة نقويكم بالقوى الشهوانية الحيوانية البهيمية السبعية وهم لا يقدرون على شيء بغير إذن الله فهو كاذبون في قولهم ولا يخرج الهوى وصفاته معهم لأن الهوى والنفس وإن كانا متحدين بالذات لكنهما مختلفان بالصفات كاختلاف زيد وعمرو في الصفات واتحادهما في الذات وهو الإنسانية وارتفاع أحدهما لا يستلزم ارتفاع الآخر والهوى بسبب غلبة روحانية القالب عليه يميل إلى الروح تارة وبسبب غلظته أيضاً يميل إلى النفس أخرى فلا ينصر النفس دائماً ولئن نصرها بنفخ نار الظلمة في حطب وجودها لينهزم بسبب سطوات أشعة أنوار الروح والسر والقلب انهزام النور من الظلمة ونفار الليل من النهار ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿**لأنتم**﴾ يا معشر المسلمين وبالفارسية هرآينه شماكه مؤمنانيد. ﴿**أشد رهبة**﴾ الرهبة مخافة مع تحزن واضطراب وهي هنا مصدر من المبني للمفعول وهو رهب أي أشد مرهوبية وذلك لأن أنتم خطاب للمسلمين والخوف ليس واقعاً منهم بل من المنافقين فالمخاطبون مرهوبون غير خائفين. ﴿**في صدورهم**﴾ أي: صدور المنافقين. ﴿**من الله**﴾ أي: من رهبة الله بمعنى مرهوبيته قال في «الكشاف»: قوله: في صدورهم دال على نفاقهم يعني أنهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وأنتم أهيب في صدورهم من الله فإن قلت: كأنهم كانوا يرهبون من

الله حتى يكون رهبتهم منه أشد قلت: معناه أن رهبتهم في السر منكم أشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون رهبة شديدة من الله.

يقول الفقير: إنما رهبوا من المؤمنين لظهور نور الله فيهم فكما أن الظلمة تنفر من النور ولا تقاومه فكذا أهل الظلمة ينفر من أهل النور ولا يقوم معه ومرادنا بالظلمة ظلمة الشرك والكفر والرياء والنفاق وبالنور نور التوحيد والإيمان والإخلاص والتقوى ولذلك قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤] حيث إن الله تعالى أثبت معيته لأهل التقوى فنصرهم على مخالفيهم. **﴿ذلك﴾** أي ما ذكر من كون رهبتهم منكم أشد من رهبة الله. **﴿بأنهم﴾** أي: بسبب أنهم **﴿قوم لا يفقهون﴾** أي شيئاً حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته قال بعض الكبار: ليس العظمة بصفة للحق تعالى على التحقيق وإنما هي صفة للقلوب العارفة به فهي عليها كالرداء على لابسه ولو كانت العظمة وصفاً للعظيم لعظم كل من رآه ولم يعرفه، وفي الحديث: «إن الله يتجلى يوم القيامة لهذه الأمة وفيها منافقوها فيقول: أنا ربكم فيستعيذون به منه ولا يجدون له تعظيماً وينكرونه لجهلهم به فإذا تجلى لهم في العلامة التي يعرفونه بها وجدوا عظمته في قلوبهم وخروا له ساجدين» والحق إذا تجلى لقلب عبد ذهب منه أخطار الأكوان وما بقي إلا عظمة الحق وجلاله وفيه تنبيه على أن من علامات الفقه أن يكون خوف العبد من الله أشد من خوفه من الغير وتقبيح لحال أكثر الناس على ما ترى وتشاهد قال عليه السلام: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» قال بعض العارفين: الفقيه عند أهل الله هو الذي لا يخاف إلا من مولاه ولا يراقب إلا إياه ولا يلتفت إلى ما سواه ولا يرجو الخير من الغير ويطير في طلبه طيران الطير قال بعض الكبار: لا ينقص الكمل من الرجال خوفهم من سبع أو ظالم أو نحو ذلك لأن الجزع في النشأة الإنسانية أصلي فالنفوس أبداً مجبولة على الخوف ولذة الوجود بعد العدم لا يعدلها لذة وتوهم العدم العيني له ألم شديد في النفوس لا يعرف قدره إلا العلماء بالله فكل نفس تجزع من العدم أن يلحق بها أو بما يقاربها وتهرب منه وترتاع وتخاف على ذهاب عينها فالكامل أضعف الخلق في نفسه لما يشهده من الضعف في تألمه بقرصة برغوث فهو آدم ملآن بذله وفقره مع شهوده أصله علماً وحالاً وكشفاً ولذلك لم يصدر قط من رسول ولا نبي ولا ولي كامل في وقت حضوره أنه ادعى دعوى تناقض العبودية أبداً.

﴿لا يقاتلونكم﴾ أي: اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون على قتالكم ولا يجترئون عليه **﴿جميعاً﴾** أي: مجتمعين متفقين في موطن من المواطن. **﴿إلا في قرى﴾** جمع قرية وهي مجتمع الناس للتوطن. **﴿محصنة﴾** محكمة بالدروب والخنادق وما أشبه ذلك قال الراغب: أي مجعولة بالإحكام كالحصون. **﴿أو من وراء جدر﴾** دون أن يحضروا لكم ويبارزوكم أي يشافهوكم بالمحاربة لفرط رهبتهم جمع جدار وهو كالحائط إلا أن الحائط يقال اعتباراً بالإحاطة بالمكان والجدار يقال اعتباراً بالنتو والارتفاع، ولذا قيل جدر الشجر إذا خرج ورقه كأنه حمص وجدر الصبي إذا خرج جدريه تشبيهاً بجدر الشجر. **﴿بأسهم بينهم شديد﴾** استئناف سيق لبيان أن ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم في أنفسهم فإن بأسهم وحربهم بالنسبة إلى أقرانهم شديد وإنما ضعفهم وجبنهم بالنسبة إليكم بما قذف الله في قلوبهم من الرعب وأيضاً أن الشجاع يجبن والعزيز يذل إذا حارب الله ورسوله قال في «كشف الأسرار»: إذا أراد الله نصرة قوم استأسد أرنبهم وإذا أراد الله قهر قوم استرنب أسدهم:

اكر مردى از مردى خود مكوى نه هرشهسوارى بدر برد كوى

إن قيل: إن البأس شدة الحرب فما الحاجة إلى الحكم عليه بشديد أجيب بأنه أريد من البأس هنا مطلق الحرب فأخبر بشدته لتصريح الشدة أو أريد المبالغة في إثبات الشدة لبأسهم مبالغة في شدة بأس المؤمنين لغلبته على بأسهم بتأييد الله ونصرته لهم عليهم والظرف متعلق بشديد والتقديم للحصر ويجوز أن يكون متعلقاً بمقدر صفة أو حالاً أي بأسهم الواقع بينهم أو واقعاً بينهم فقولهم الظرف الواقع بعد المعرفة يكون حالاً البتة ليس بمرضي فإن الأمرين جائزان بل قد ترجح الصفة. ﴿تحسبهم﴾ يا محمد أو يأكل من يسمع ويعقل ﴿جميعاً﴾ مجتمعين متفقين ذوي إلفة واتحاد ﴿وقلوبهم شتى﴾ أي والحال أن قلوبهم متفرقة لا إلفة بينها فهم بخلاف من وصفهم بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣] جمع شتيت كمرضى ومريض وبالفارسية پرا كنده وپريشان. يقال: شت يشت شتاً وشتاتاً وشتيتاً فرق وافترق كانشت وتشتت وجاؤوا أشتاتاً أي متفرقين في النظام وفي الآية تشجيع لقلوب المؤمنين على قتالهم وتجسير لهم وإن اللائق بالمؤمن الاتفاق والاتحاد صورة ومعنى كما كان المؤمنون متفقين في عهد النبي عليه السلام ويقال: الاتفاق قوة والافتراق هلكة والعدو إبليس يظفر في الافتراق بمراده قال سهل: أهل الحق مجتمعون أبداً موافقون وإن تفرقوا بالأبدان وتباينوا بالظواهر وأهل الباطل متفرقون أبداً وإن اجتمعوا بالأبدان وتوافقوا بالظواهر لأن الله تعالى يقول: ﴿تحسبهم﴾ إلخ. ﴿ذلك بأنهم﴾ أي: ما ذكر من تشتت قلوبهم بسبب أنهم ﴿قوم لا يعقلون﴾ أي: لا يعقلون شيئاً حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون في تيه الضلال وتتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقه وتفرق فنونه وتشتت القلوب يوهن قواهم لأن صلاح القلب يؤدي إلى صلاح الجسد وفساده إلى فساده كما قالوا: كل إناء يترشح بما فيه.

اعلم أن الله تعالى ذم الكفار في القرآن بكل من عدم الفقه والعلم والعقل قال الراغب: الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم والعلم إدراك الشيء بحقيقته وهو نظري وعملي وأيضاً عقلي وسمعي والعقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل ولهذا قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: وأن العقل عقلان، فمسموع ومطبوع، ولا ينفع مطبوع، إذا لم يك مسموع. كما لا تنفع الشمس، وضوء العين ممنوع. وإلى الأول أشار عليه السلام بقوله: «ما خلق الله شيئاً أكرم عليه من العقل» وإلى الثاني أشار بقوله: «ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرده عن ردى» وهذا العقل هو المعني بقوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] وكل موضع ذم الكفار بعدم العقل فإشارة إلى الثاني دون الأول وكل موضع رفع التكليف عن العبد لعدم العقل فإشارة إلى الأول انتهى. وفي الحديث: «العقل نور في القلب يفرق به بين الحق والباطل» وعن أنس رضي الله عنه قيل: «يا رسول الله الرجل يكون حسن العقل كثير الذنوب قال: وما من آدمي إلا وله ذنوب وخطايا يقترفها فمن كان سجيته العقل وغريزته اليقين لم تضره ذنوبه قيل: كيف ذلك يا رسول الله قال: لأنه كلما أخطأ لم يلبث أن يتدارك ذلك بتوبة وندامة على ما كان منه فيمحو ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة» وعنه أيضاً رضي الله عنه: «أثنى قوم على رجل عند رسول الله حتى بالغوا في الثناء بخصال الخير فقال رسول الله: كيف عقل

الرجل فقالوا: يا رسول الله نخبرك عنه باجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله؟ فقال نبي الله: إن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم» قال علي بن عبيدة: العقل ملك والخصال رعية فإذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها فسمعه أعرابي فقال: هذا الكلام يقطر عسله وقال بعضهم: إذا كمل العقول نقص الفضول، أي لأن العقل يعقله ويمنعه عما لا يعنيه كل شيء إذا كثر رخص غير العقل فإنه إذا كثر غلا وقال أعرابي: لو صور العقل لأظلمت معه الشمس ولو صور الحمق لأضاء معه الليل فالعقل أنور شيء والحمق أظلمه وقيل: العاقل يعيش بعقله حيث كان كما يعيش الأسد بقوته أي ففي العقل قوة شجاعة الأسد ويعلم منه بالمقايسة أن في الحمق ضعف حال الأرنب ونحوه.

کشتی بی لنکر آمد مردشر ... که زباد کژ نیابد او حذر

لنکر عقلست عاقل را امان ... لنکری در یوزه کن از عاقلان

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾

﴿كمثل الذين من قبلهم﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره مثلهم، أي مثل المذكورين من اليهود والمنافقين وصفتهم العجيبة وحالهم الغريبة كمثل أهل بدر وهم مشركو أهل مكة أو كمثل بني قينقاع على ما قيل إنهم أخرجوا قبل بني النضير وبنو قينقاع مثلثة النون والضم أشهر كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالاً فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد كبني النضير فأخرجهم رسول الله من المدينة إلى الشام، أي لأن قريتهم كانت من أعمالها ودعا عليهم فلم يدر الحول عليهم حتى هلكوا أجمعون وقد عرفت قصتهم في الجلد الأول. ﴿قريباً﴾ انتصابه بمثل إذ التقدير كوقوع مثل الذين إلخ يعني بدلالة المقام لا لاقتضاء الأقرب أي في زمان قريب قال مجاهد: كانت وقعة بدر قبل غزوة بني النضير بستة أشهر فلذلك قال قريباً فتكون قبل وقعة أحد وقيل بسنتين فتكون تلك الغزوة في السنة الرابعة لأن غزوة بني النضير كانت بعد أحد وهي كانت بعد بدر بسنة. ﴿ذاقوا وبال أمرهم﴾ قال الراغب: الوبل والوابل المطر الثقيل القطار ولمراعاة الثقل قيل للأمر الذي يخاف ضرره وبال وطعام وبيل والأمر واحد الأمور لا الأوامر أي ذاقوا سوء عاقبة كفرهم في الدنيا وهو عذاب القتل ببدر وكانت غزوة بدر في رمضان من السنة الثانية من الهجرة قبل غزوة بني النضير. ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب أليم﴾ مؤلم لا يقادر قدره حيث يكون ما في الدنيا بالنسبة إليه كالذوق بالنسبة إلى الأكل والمعنى أن حال هؤلاء كحال أولئك في الدنيا والآخرة لكن لا على أن حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك وأما حال المنافقين فهو ما نطق به قوله تعالى.

﴿كمثل الشيطان﴾ فإنه خبر ثانٍ للمبتدأ المقدر مبين لحالهم متضمن لحال أخرى لليهود وهي اغترارهم بمقالة المنافقين أوله وخيبتهم آخراً وقد أجمل في النظم الكريم حيث أسند كل من الخبرين إلى المقدر المضاف إلى ضمير الفريقين من غير تعيين ما أسند إليه بخصوصه ثقة بأن السامع يرد كلاً من المثلين إلى ما يماثله كأنه قيل مثل اليهود في حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم ومثل المنافقين في إغرائهم إياهم على القتال حسبما حكي عنهم كمثل

الشيطان. ﴿إذ قال للإنسان اكفر﴾ قول الشيطان مجاز عن الإغواء والإغراء أي أغراه على الكفر إغراء الآمر المأمور على المأمور به. ﴿فلما كفر﴾ الإنسان المذكور إطاعة لإغوائه وتبعاً لأهوائه. ﴿قال﴾ الشيطان ﴿إني بريء منك﴾ أي: بعيد عن عملك وأملك غير راض بكفرك وشركك وبالفارسية من بيزارم ازتو. يقال: برىء يبرأ فهو بريء وأصل البرء والبراءة والتبري التفصي مما يكره مجاورته قال العلماء إن أريد بالإنسان الجنس فهذا التبري من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿إني أخاف الله رب العالمين﴾ وإن أريد أبو جهل على أن يكون اللام للعهد فقوله تعالى: ﴿اكفر﴾ أي دم على الكفر. پس چون برآن ثبات ورزيد ونهال شرك درزمين دل أو استحكام يافت. قال: ﴿إني﴾ إلخ عبارة عن قول إبليس له يوم بدر: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: ٤٨] يعني لما قاتلوا ورأى إبليس جبرائيل مع محمد عليهما السلام خافه فتبرأ منهم وانهزم قال بعضهم: هذا من كذبات اللعين وإنه لو خاف حقيقة وقال صدقاً لما استمر على ما أدى إلى الخوف بعد ذلك كيف وقد طلب الإنظار إلى البعث للإغواء وقال أبو الليث قال ذلك على وجه الاستهزاء ولا بعد أن يقول له ليوقعه في الحسرة والحرقة انتهى.

يقول الفقير: الظاهر أن الشيطان يستشعر في بعض المواد جلال الله تعالى وعظمته فيخافه حذراً من المؤاخذة العاجلة وإن كان منظراً ولا شك أن كل أحد يخاف السطوة الإلهية عند ظهور أماراتها ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [يونس: ٢٢] على أن نحو قاطع الطريق وقاتل النفس ربما فعل ما فعل وهو خائف من الأخذ.

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿فكان عاقبتهما﴾ أي عاقبة الشيطان وذلك الإنسان وهو بالنصب على أنه خبر كان واسمها قوله: ﴿أنهما في النار﴾ وقرىء بالعكس وهو أوضح. ﴿خالدين فيها﴾ مقيمين لا يبرحان وهو حال من الضمير المقدر في الجار والمجرور المستقر وروي خالدان على أنه خبر أن وفي النار لغو لتعلقه بخالدان. ﴿وذلك﴾ أي: الخلود في النار ﴿جزاء الظالمين﴾ على الإطلاق دون هؤلاء خاصة وقال بعض أهل التفسير المراد بالإنسان برصيصا الراهب من بني إسرائيل. در روز كار فترت صومعه ساخته بود هفتاد سال دران صومعه مجاور كشته وخدايرا پرستيده وابليس دركار وى فرومانده روزى مرده شياطين راجمع كرد وكفت من يكفيني أمر هذا الرجل يكى كفت من اين كار كفايت كنم ومراد تو ازوى حاصل كنم بدر صومعه وى رفت برزى راهبان ومتعبدان كفت مرد راهم عزلت وخلوت مى طلبم تراچه زيان اكر من بصحبت توبيايم ودر خلوت خدايرا عبادت كنم برصيصا بصحبت وى تن درنداد وكفت اني لفي شغل عنك يعني مرادر عبادت الله چندان شغلست كه پرواى صحبت تونيست وعادت برصيصا آن بودكه چون درنمازشدى ده روز از نماز بيرون نيامدى وروزه دار بودوهرده روز افطار كردى شيطان برابر صومعه وى درنماز يستاد وجهد وعبادت خود برجهد وعبادت برصيصا بيفزود چنانكه بچهل روز ازنماز بيرون نيامدى وبهر چهل روز افطار كردى آخر برصيصا اورا بخود

راه داد چون آن عبادت وجهد فراوان وی دید وخودرا در جنب وی قاصر دیدآنکه شیطان بعدازيك سال كفت مرا رفيقي ديكر است وظن من چنان بودكه تعبد واجتهاد توازوی زيادتست اكنون كه ترا ديدم نه چنانست كه مى پنداشتم وبا نزديك وى ميروم برصيصا مفارقت وى كراهيت داشت وبصحبت وى رغبتي تمام مى نمود شيطان كفت مرانا چارست رفتن اماترا دعايى آموزم كه بيمار ومبتلى وديوانه كه بروى خوانى در وقت الله تعالى اورا شفادهد وترا اين به باشد ازهزار عبادت كه كنى كه خلق خدا يرا ازتو نفع بودو راحت برصيصا كفت اين نه كار منست كه آنكه از وقت ورد خود بازمانم وسيرت وسريرت من در شغل مردم شود شيطان تا آنكه ميكوشيدكه آن دعا ويرا درآموخت واورا برسرآن شغل داشت شيطان ازوى باز كشت وبا ابليس كفت والله لقد أهلكت الرجل پس برفت ومردى راتحنيق كرد چنانكه ديو بامردم كند آنكه بصورت طبيبي برآمد بردر آن خانه كفت ان بصاحبكم جنونا فأعالجه چون اورادید كفت انى لا أقوى على جنه يعني من باديو او برنيايم لكن شمارا رشاد كنم بكسى كه اورا دعا كند در وقت شفايابد واو برصيصاى راهب است كه درصومعه نشيند اورا بروى بردند ودعا كرد وآن ديو ازوى باشد وصحت يافت پس اين شيطان برفت وزنى را از دختران ملوك بني إسرائيل رنجه وديوانه كرد وآن زن جمال باكمال داشت واوراسه برادر بودند شيطان بصورت طبيب پيش ايشان رفت وآن دختررا بوى نمودند كفت ان الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم إلى من يدعو له يعني بران راهب شويدكه دعا كند وشفايابد كفتند ترسيم كه فرمان مانبرد كفت صومعه سازيد در جنب صومعه وى وزن را دران صومعه بخابابيد وباوى كوييد اين امانت است بنزديك تونهاديم وما رفتيم ازبهر خدا واميد ثواب نظر ازوى بازمكير ودعايى كن تاشفايابد ايشان همچنان كردند وراهب از صومعه خود بزير آمد واورا ديد زنى بغايت جمال واز جمال وى درفتنه افتاد شيطان او را آن ساعت وسوسه كردكه واقعها ثم تب زيراكه درتوبه كشاده ورحمت خدا فراوانست راهب بفرمان شيطان كام خود ازوى برداشت وزن بار كرفت راهب پشيمان كشت واز فضيحت ترسيد همان شيطان دردل وى افكندكه اين زن را بايد كشت وپنهان بايد كرد چون برادران آيند كويم كه ديواورا ببرد وايشان مرا براست دارند واز فضيحت ايمن كردم آنكه از زنا وازقتل توبه كنم برصيصا اورا كشت ودفن كرد چون برادران آمدند وخواهررا نديدند كفت جاء شيطانها فذهب بها ولم أقو عليه ايشان اوراراست داشتند وباز كشتند شيطان آن برادر انرا بخواب نمودكه راهب خواهر شما كشت ودر فلان جايكه دفن كرد سه شب پيايى ايشانرا چنين خواب مى نمودتا ايشان رفتند وخواهر را كشته از خاك برداشتند برادران اورا ازصومعه بزير آوردند وصومعه خراب كردند واورا پيش پادشاه وقت بردند تا بفعل وكناه خود مقر آمد وپادشاه بفرمود تا اورا بردار كنند آن ساعت شيطان برابروى آمد وكفت اين همه ساخته وآراسته منست اكر آنچه من فرمايم بجاى آرى ترانجات وخلاص پديد آيد كفت هرچه فرمايى ترا اطاعت كنم كفت مراسجده بكن آن بدبخت اورا سجده كرد وكافر كشت واورا در كفر بردار كردند وشيطان آنكه كفت انى بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما يعني الشيطان وبرصيصا العابد كان آخر أمرهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين.

خيالات نادان خلوت نشين بهم بركند عاقبت كفر ودين

كـزودسـت بـايـدكـزو بـرخـورى — نـبـايـد كـه فـرمـان دشـمـن بـرى
پـى نـيـك مـردان بـبـايـد شـتـافـت — كه هـركـين سـعـادت طلـب كـرديـافـت
ولـيـكـن تـو دنـبـال ديـو خـسـى — نـدانـم كـه در صـالـحـان كـى رسـى

والمراد من هذا الشيطان هو الشيطان الأبيض الذي يأتي الصلحاء في صورة الحق. قال الكاشفي: آن بى سعادت بعد از عبادت هفتاد سال بورطه شقاوت ابدى كرفتاركشت. غافل مشوكه مركب مردان مردرا. درسنكلاخ وسوسه پيها بريد اند وفي «زهرة الرياض»: غير الله الإيمان على برصيصا بعدما عبد الله مائتين وعشرين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وكان ستون ألفاً من تلامذته يمشون في الهواء ببركته وعبد الله حتى تعجبت الملائكة من عبادته قال الله تعالى لهم: لماذا تتعجبون منه إني لأعلم ما لا تعلمون ففي علمي أنه يكفر ويدخل النار أبداً فسمع إبليس وعلم أن هلاكه على يده فجاء إلى صومعته على شبه عابد وقد لبس المسح فناداه فقال له برصيصا من أنت وما تريد؟ قال: أنا عابد أكون لك عوناً على عبادة الله قال له برصيصا: من أراد عبادة الله فالله يكفيه صاحباً فقام إبليس يعبد الله ثلاثة أيام ولم يأكل ولم يشرب قال برصيصا: أنا أفطر وأنام وآكل وأشرب وأنت لا تأكل ثم قال: إني عبدت الله مائتين وعشرين سنة فلا أقدر على ترك الأكل والشرب قال إبليس: أنا أذنبت ذنباً فمتى ذكرته يتنغص علي النوم والأكل والشرب قال برصيصا ما حيلتي حتى أصير مثلك؟ قال: اذهب واعص الله ثم تب إليه فإنه رحيم حتى تجد حلاوة الطاعة قال: كيف أعصيه بعدما عبدته كذا وكذا سنة قال إبليس: الإنسان إذا أذنب يحتاج إلى المعذرة قال: أي ذنب تشير به؟ قال: الزنى قال: لا أفعله قال: أن تقتل مؤمناً قال: لا أفعله قال: اشرب الخمر المسكر فإنه أهون وخصمك الله قال أين أجده؟ قال: اذهب إلى قرية كذا فذهب فرأى امرأة جميلة تبيع خمراً فاشترى منها الخمر وشربها وسكر وزنى بها فدخل عليهما زوجها فضربه وقتله ثم إن إبليس تمثل في صورة الإنسان وسعى به إلى السلطان فأخذه وجلده للخمر ثمانين جلدة وللزنى مائة وأمر بالصلب لأجل الدم فلما صلب جاء إليه إبليس في تلك الصورة قال: كيف ترى حالك؟ قال: من أطاع قرين السوء فجزاؤه هكذا قال إبليس كنت في بلائك مائتين وعشرين سنة حتى صلبتك فلو أردت النزول أنزلتك قال: أريد وأعطيك ما تريد قال: اسجد لي مرة واحدة قال: كيف أسجد على الخشب؟ قال: اسجد بالإيماء فسجد وكفر فذلك قوله تعالى: **﴿كمثل الشيطان﴾** الخ قال ابن عطية: هذا أي يكون المراد بالإنسان برصيصا العابد ضعيف والتأويل الأول هو وجه الكلام وفي القصة تحذير عن فتنة النساء.

ـ روي ـ «أنه عليه السلام كان يصلي في بيت أم سلمة رضي الله عنها فقام عمر ابن أم سلمة ليمر بين يديه فأشار إليه أن قف فوقف ثم قامت زينب بنت أم سلمة لتمر بين يديه فأشار إليها أن قفي فأبت ومرت فلما فرغ من صلاته نظر إليها وقال: ناقصات العقل ناقصات الدين صواحب يوسف صواحب كرسف يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام» قال الخبازي في «حواشي الهداية»: قال مولانا حميد الدين رحمه الله: كرسف اسم زاهد وقع في الفتنة بسبب امرأة وقال المطرزي في «المغرب» كرسف رجل من زهاد بني إسرائيل كان يقوم الليل ويصوم النهار فكفر بسبب امرأة عشقها ثم تداركه الله بما سلف منه فتاب عليه هكذا في «الفردوس» ومنه الحديث: «صاحبات يوسف صاحبات كرسف» انتهى. قال ابن عباس رضي الله عنهما وكانت الرهبان في

بني إسرائيل لا يمشون إلا بالتقية والكتمان وطمع أهل الفجور والفسق في الأخبار فرموهم بالبهتان والقبيح حتى كان أمر جريج الراهب فلما برأه الله مما رموه به انبسطت بعدها الرهبان وظهروا للناس وفي الحديث: «كان جريج رجلاً عابداً فاتخذ صومعة وكان فيها فأتته أمه وهو يصلي فقالت: يا جريج فقال ـ أي بقلبه ـ أي رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان الغد أتته وهو يصلي فقالت: يا جريج فقال: أي رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان الغد أتته فقالت: يا جريج فقال: أي رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات فتذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها فقالت: إن شئتم لأفتنه لكم قال ـ أي النبي عليه السلام ـ: فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت: هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: زنيت بهذه البغي فولدت منك فقال: أين الصبي فجاؤوا به فقال: دعوني حتى أصلي فصلى فلما انصرف أتى بالصبي فطعن في بطنه وقال: يا غلام من أبوك فقال: فلان الراعي قال ـ أي النبي عليه السلام ـ: فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا له: نبني لك صومعتك من ذهب قال: لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبينا صبي يرضع من أمه فمر رجل راكباً على دابة فارهة وهيئته حسنة فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي وأقبل عليه فنظر إليه فقال: اللهم لا تجعلني مثله ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع ـ قال أي الراوي وهو أبو هريرة رضي الله عنه ـ: فكأني أنظر إلى رسول الله عليه السلام وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها قال ـ أي النبي عليه السلام ـ: ومر بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر إليها فقال: اللهم اجعلني مثلها فهناك تراجعا الحديث فقالت أمه: قد مر رجل حسن الهيئة فقلت: اللهم اجعل ابني مثله فقلت: اللهم لا تجعلني مثله ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون: زنيت سرقت فقلت: اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت: اللهم اجعلني مثلها قال ـ أي الرضيع ـ: إن ذاك الرجل كان جباراً فقلت: اللهم لا تجعلني مثله وإن هذه يقولون لها: زنيت سرقت ولم تزن ولم تسرق فقلت: اللهم اجعلني مثلها انتهى الحديث» وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للمؤمن أن لا يمد عينيه إلى زخارف الدنيا ولا يدعو الله فيما لا يدري أهو خير له أم شر بل ينبغي له أن يطلب منه البراءة من السوء وخير الدارين كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١] نسأل الله سبحانه العفو والعافية مطلقاً. ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ إيماناً خالصاً. ﴿**اتقوا الله**﴾ في كل ما تأتون وما تذرون فتحرزوا عن العصيان بالطاعة وتجنبوا عن الكفران بالشكر وتوقوا عن النسيان بالذكر واحذروا عن الاحتجاب عنه بأفعالكم وصفاتكم بشهود أفعاله وصفاته. ﴿**ولتنظر نفس ما قدمت لغد**﴾ ما شرطية، أي أي شيء قدمت من الأعمال ليوم القيامة. تا اكر تقديم خيرات وطاعات كند شكر كزاري نمايد ودرزيادتى آن كوشد واكر معاصى فرستاده توبه كندوپشيمان شوده عبر عن يوم القيامة بالغد لدنوه لأن كل آت قريب يعني سماه باليوم الذي يلي يومك تقريباً له وعن الحسن رحمه الله: لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤] يريد تقريب الزمان الماضي أو

عبر عنه به لأن الدنيا أي زمانها كيوم والآخرة كغده لاختصاص كل منهما بأحوال وأحكام متشابهة وتعقيب الثاني الأول فقوله: لغد استعارة.

يقول الفقير: إنما كانت الآخرة كالغد لأن الناس في الدنيا نيام ولا انتباه إلا عند الموت الذي هو مقدمة القيامة كما ورد به الخبر فكل من الموت والقيامة كالصباح بالنسبة إلى الغافل كما أن الغد صباح بالنسبة إلى النائم في الليل، ودل هذا على أن الدنيا ظلمانية والآخرة نورانية وتنكيره لتفخيمه وتهويله كأنه قيل: لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه وأصله غدو حذفوا الواو بلا عوض واستشهد عليه بقول لبيد:

وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

إذ جاء به على أصله والبيت من أبيات العبرة وأما تنكير نفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كأنه قيل: ولتنظر نفس واحدة في ذلك قال بعضهم: الاستقلال يكون بمعنى عد الشيء قليلاً وبمعنى الإنفراد في الأمر فعلى الأول يكون المراد استقلال الله النفوس الناطقة كما قال تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٣٦] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١] فكأنه أقيم الأكثر مقام الكل مبالغة فأمر على الوحدة فلا يضره وجود النفس الكاملة العاقلة الناظرة إلى العواقب بالنظر الصائب والرأس الثاقب وعلى الثاني يكون المراد انفراد النفوس في النظر واكتفاءها فيه بدون انضمام نظر الأخرى في الاطلاع على ما قدمت خيراً أو شراً قليلاً أو كثيراً وجوداً أو عدماً وفيه حث عظيم.

جهل من وعلم توفلك راچه تفاوت آنجاكه بصر نيست چه خوبى وچه زشتى

﴿**واتقوا الله**﴾ تكرير للتأكيد والاهتمام في شأن التقوى وإشارة إلى أن اللائق بالعبد أن يكون كل أمره مسبوقاً بالتقوى ومختوماً بها أو الأول في أداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من الأمر بالعمل والثاني في ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله سبحانه. ﴿**إن الله خبير بما تعملون**﴾ أي: عالم بما تعملونه من المعاصي فيجزيكم يوم الجزاء عليها. ودر كشف الأسرار فرمه ده كه اول اشارتست باصل تقوى ودوم بكمال آن يا اول تقواى عوامست وآن پرهيز كرده باشد از محرمات وسوم تقواى خواص وآن اجتناب بود از هرچه ما دون حقست.

اصل تقوى كه زاد اين راهست ترك مجموع ما سوى اللهست

والتقوى هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك وقال بعض الكبار: التقوى وقاية النفس في الدنيا عن ترتب الضرر في الآخرة فتقوى العامة عن ضرر الأفعال وتقوى الخاصة عن ضرر الصفات وتقوى أخص الخواص عن جميع ما سوى الله تعالى. عزيزي كفته است كه دنيا سفالى است وآن نيز در خواب وآخرت نيز جوهري است يافته دربيدارى مردنه آنست كه درسفال بخواب ديده متقى شود مرد مردان آنست كه در كوهر دربيدارى يافته متقى شود فلا بد من التقوى مع وجود العمل. قال الصائب:

بي عمل دامن تقوى زمناهى چيدن احتراز سك مسلخ بود از شاشه خويش

وفي الآية ترغيب في الأعمال الصالحة وفي الأثر أن ابن آدم إذا مات قالت الناس: ما خلف وقالت الملائكة: ما قدم. وعن مالك بن دينار رحمه الله: مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا.

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلى سهر الليالي

ـ وحكي ـ عن مالك بن دينار رحمه الله أيضاً أنه قال: دخلت جبانة البصرة فإذا أنا بسعدون المجنون فقلت له: كيف حالك وكيف أنت؟ فقال: يا مالك كيف حال من أصبح وأمسى يريد سفراً بعيداً بلا أهبة ولا زاد ويقدم على رب عدل حاكم بين العباد ثم بكى بكاء شديداً فقلت: ما يبكيك؟ قال: والله ما بكيت حرصاً على الدنيا ولا جزعاً من الموت والبلى لكن بكيت ليوم مضى من عمري ولم يحسن فيه عملي أبكاني والله قلة الزاد وبعد المسافة والعقبة الكؤود ولا أدري بعد ذلك أصير إلى الجنة أم إلى النار فقلت: إن الناس يزعمون إنك مجنون فقال: وأنت اغتررت بما اغتر به بنو الدنيا زعم الناس أني مجنون وما بي جنة لكن حب مولاي قد خالط قلبي وجرى بين لحمي ودمي فأنا من حبه هائم مشغوف فقلت: يا سعدون فلم لا تجالس الناس ولا تخالطهم فأنشد:

كـن مـن الـنـاس جـانـبـاً وارض بـالله صـاحـبـا

قـلّـب الـنـاس كـيـف شئـ ـت تـجـدهـم عـقـاربـا

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ بالإيمان الحقيقي الشهودي الوجودي اجعلوا الله وقاية نفوسكم في إضافة الكمالات إليه ولتنظر نفس كاملة عارفة بذات الله وصفاته ما هيأت لغد يوم الشهود و﴿**اتقوا الله**﴾ عن الالتفات إلى غيره ﴿**إن الله خبير بما تعملون**﴾ من الإقبال على الله والإدبار عن الدنيا ومن الإدبار عن الله والإقبال على الدنيا انتهى ويدخل في قوله نفس النفوس الجنية لأنهم من المكلفين فلهم من التقوى والعمل ما للإنس كما عرف في مواضع كثيرة.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠)﴾

﴿**ولا تكونوا**﴾ أيها المؤمنون ﴿**كالذين**﴾ أي: كاليهود والمنافقين فالمراد بالموصول المعهودون بمعونة المقام أو الجنس كائناً من كان من الكفار أمواتاً أو أحياء. ﴿**نسوا الله**﴾ فيه حذف المضاف أي نسوا حقوقه تعالى وما قدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب أموره ونواهيه حق رعايتها ﴿**فأنساهم**﴾ بسبب ذلك ﴿**أنفسهم**﴾ أي جعلهم ناسين لها فلم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها فالمضي على أصله أو أراهم يوم القيامة من الأهوال ما أنساهم أنفسهم فالمضي باعتبار التحقق قال الراغب: النسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلبه وإما عن غفلة أو عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره وكل نسيان من الإنسان ذمه الله به فهو ما كان أصله من تعمد وما عذر فيه نحو ما روي عن النبي عليه السلام: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان» فهو ما لم يكن سببه منه فقوله ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [السجدة: ١٤] هو ما كان سببه عن تعمد منهم وتركه على طريق الإهانة وإذا نسب ذلك إلى الله فهو تركه إياهم استهانة بهم ومجازاة لما تركوه كما قال في «اللباب»: قد يطلق النسيان على الترك ومنه: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] أي تركوا طاعة الله ترك الناسي فتركهم الله وقال بعض المفسرين: إن قيل: النسيان يكون بعد الذكر وهو ضد الذكر لأنه السهو الحاصل بعد حصول العلم فهل كان الكفار يذكرون حق الله ويعترفون بربوبيته حتى ينسوا بعد؟ أجيب بأنهم اعترفوا وقالوا بلى يوم الميثاق ثم نسوا ذلك بعدما خلقوا والمؤمنون اعترفوا بها بعد الخلق كما اعترفوا قبله بهداية الله

وراعوا حقها قل أو كثر جل أو صغر سئل ذو النون المصري قدس سره عن سر ميثاق مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] هل تذكره فقال: كأنه الآن في أذني. ودرنفخات مذكورست كه على سهل اصفهاني را كفتندكه روز بلى را ياد دارى كفت چون ندارم كويى دى بود شيخ الإسلام خواجه انصاري فرمود كه درين سخن نقص است صوفى رادى وفردا چه بود آن روز را هنوز شب درنيامده وصوفى درهمان روزست. ويدل عليه قوله الآن أنه على ما كان عليه ثم إن قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا﴾ إلخ تنبيه على أن الإنسان بمعرفته لنفسه يعرف الله فنسيانه هو من نسيانه لنفسه كما قال في «فتح الرحمٰن» لفظ هذه الآية يدل على أنه من عرف نفسه ولم ينسها عرف ربه وقد قال علي رضي الله عنه: اعرف نفسك تعرف ربك. وقال سهل رحمه الله: نسوا الله عند الذنوب فأنساهم الله أنفسهم عند الاعتذار وطلب التوبة. ومن لطائف العرفي.

مالب آلوده بهر توبه بكشاييم ليك بانك عصيان ميزند ناقوس استغفار ما

﴿أولئك﴾ الناسون المخذولون بالإنساء ﴿هم الفاسقون﴾ الكاملون في الفسوق والخروج عن طريق الطاعة وهم للحصر فأفاد أن فسقهم كان بحيث إن فسق الغير كأنه ليس بفسق بالنسبة إليه فالمراد هنا الكافرون لكن على المؤمن الغافل عن رعاية حق ربوبية الله ومراعاة حظ نفسه من السعادة الأبدية والقربة من الحضرة الأحدية خوف شديد وخطر عظيم وفيه إشارة إلى أن الذين نسوا الله هم الخارجون عن شهود الحق في بيع المظاهر الجمالية والجلالية وحضوره الداخلون في مقام شهود أنفسهم فمن اشتغل بقضاء حظوظ نفسه نسي طيب العيش مع الله وكان من الغافلين عن اللذات الحقيقية ومن فني عن شهوات نفسه بقي مع تجليات ربه.

﴿لا يستوي أصحاب النار﴾ الذين نسوا الله فاستحقوا الخلود في النار والنار باللام من أعلام جهنم كالساعة للقيامة ولذا كثيراً ما تذكر في مقابلة الجنة كما في هذا المقام وجاء في الشعر:

الجنة الدار فاعلم إن عملت بما يرضي الإله وإن فرطت فالنار
هما محلان ما للناس غيرهما فانظر لنفسك ماذا أنت تختار

والصحبة في الأصل اقتران الشيء بالشيء في زمان ما قل أو كثر وبذلك يكون كل منهما صاحب الآخر وإن كانت على المداومة والملازمة يكون كمال الصحبة ويكون الصاحب المصاحب عرفاً وقد يطلق على الطرفين حينئذ صاحب ومصاحب أيضاً ومن ذلك يكنى عن زوجة بالصاحبة وقد يقال للمالك لكثرة صحبته بمملوكه كما قيل له الرب لوقوع تربية المالك على مملوكه فيقال صاحب المال كما يقال رب المال فإطلاق أصحاب النار وأصحاب الجنة على أهلهما إما باعتبار الصحبة الأبدية والاقتران الدائم حتى لا يقال للعصاة المعذبين بالنار مقدار ما شاء الله أصحاب النار أو باعتبار الملك مبالغة ورمزاً إلى أنهما جزاء لأهلهما باعتبار كسبهما بأعمالهم الحسنة أو السيئة ﴿وأصحاب الجنة﴾ الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود في الجنة قال في «الإرشاد»: لعل تقديم أصحاب النار في الذكر للإيذان من أول الأمر بأن القصور الذي ينبىء عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فإن مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصاناً وإن جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦] إلى غير ذلك من المواضع وأما قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا

يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر: ٩] فلعل تقديم الفاضل فيه لأن صلته ملكة والإعدام مسبوقة بملكاتها وقال بعضهم: قدم أصحاب النار لذكر الذين نسوا الله قبله ولكثرة أهلها ولأن أول طاعة أكثر الناس بالخوف ثم بالرجاء ثم بالمحبة في البعض ولا دلالة في الآية الكريمة على أن المسلم لا يقتص بالكافر وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر كما هو مذهب الشافعي لأن المراد عدم الاستواء في الأحوال الأخروية كما ينبىء عنه التفسير من الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى: ﴿أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ فإنه استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين فالفوز الظفر مع حصول السلامة أي هم الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه فهم أهل الكرامة في الدارين وأصحاب النار أهل الهوان فيهما وفيه تنبيه للناس بأنهم لفرط غفلتهم ومحبتهم العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار وبين أصحابهما حتى احتاجوا إلى الإخبار بعدم الاستواء كما تقول لمن يعق أباه: هو أبوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبه بذلك على حق الأبوة الذي يقتضي البر والتعطف فكذا نبه الله تعالى الناس بتذكير سوء حال أهل النار وحسن حال أهل الجنة على الاعتبار والاحتراز عن الغفلة ورفع الرأس عن المعاصي والتحاشي من عدم المبالاة قال عليه السلام: «إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣﴾» [القيامة: ٢٢، ٢٣] وقال عليه السلام: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً» ورؤي الشيخ الحجازي ليلة يردد قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ويبكي فقيل له: قد أبكتك آية ما يبكي عند مثلها فقال: فما ينفعني عرضها إذا لم يكن لي فيها موضع قدم. وخرج على سهل الصعلوكي من مسخن حمام يهودي في طمر أسود من دخانه فقال: ألستم ترون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر؟ فقال سهل على البداهة: إذا صرت إلى عذاب الله كانت هذه جنتك وإذا صرت إلى نعيم الله كانت هذه سجني فتعجبوا من كلامه. قال الشيخ سعدي:

چومارا بدنياتو كردى عزيز بعقبي همان چشم داريم نيز

عزيزي وخوارى توبخشى وبس عزيز تو خواري نه بيند زكس

خدايا بعزت كه خوارم مكن بذل كنه شرمسارم مكن

قال بعض أهل الإشارة أصحاب النار في الحقيقة أصحاب المجاهدات الذين احترقوا بنيرانها وأصحاب الجنة أصحاب المواصلات الذين وقعوا في روح المشاهدات وفي الظاهر أصحاب النار أصحاب النفوس والأهواء الذين أقبلوا على الدنيا وأصحاب الجنة أصحاب القلوب والمراقبات قال الحسين النوري قدس سره: أصحاب النار أصحاب الرسوم والعادات وأصحاب الجنة أصحاب الحقائق والمشاهدات والمعاينات.

﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢﴾.

﴿لو أنزلنا هذا القرآن﴾ العظيم الشأن المنزل عليكم أيها الناس المنطوي على فنون

القوارع أو المنزل عليك يا محمد أو على محمد بحسب الالتفات في الخطاب قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن السماء اطت يعني آوازداد من ثقل الألواح لما وضعها الله عليها في وقت موسى فبعث الله لكل حرف منها ملكاً فلم يطيقوا حملها فخففها على موسى وكذلك الإنجيل على عيسى والفرقان على محمد عليهم السلام ثم إنه لا يلزم في الإشارة وجود جملة المشار إليه ذي الأبعاض المترتبة وجوداً بل يكفي وجود بعض الإشارة حقيقة ووجود بعض آخر حكماً ويحتمل أن يكون المشار إليه هنا الآية السابقة من قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ إلخ فإن لفظ القرآن كما يطلق على المجموع يطلق على البعض منه حقيقة بالاشتراك أو باللغة أو مجازاً بالعلاقة فيكون التذكير باعتبار تذكير المشار إليه. ﴿**على جبل**﴾ من الجبال وهي ستة آلاف وستمائة وثلاثة وسبعون جبلاً سوى التلول كما في «زهرة الرياض» وهي محركة كل وتد للأرض عظم وطال فإن انفرد فأكمة وقنة بضم القاف واعتبر معانيه فاستعير واشتق منه بحسبه فقيل فلان جبل لا يتدحرج تصور المعنى الثبات وجبله الله على كذا إشارة إلى ما ركب فيه من الطبع الذي يأبى على الناقل نقله. ﴿**لرأيته**﴾ يا من من شأنه الرؤية أو يا محمد مع كونه علماً في القسوة وعدم التأثر مما يصادمه ﴿**خاشعاً**﴾ خاضعاً ذليلاً وهو حال من الضمير المنصوب في قوله: ﴿**لرأيته**﴾ لأنه من الرؤية البصرية قال بعضهم: الخشوع انقياد الباطن للحق والخضوع انقياد الظاهر له وقال بعضهم: الخضوع في البدن والخشوع في الصوت والبصر قال الراغب: الخشوع ضراعة وأكثر ما يستعمل فيما يوجد في الجوارح والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب ولذلك قيل فيما روي: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح ﴿**متصدعاً من خشية الله**﴾ أي: متشققاً منها أن يصيبه فيعاقبه والصدع شق في الأجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما ومنه استعير الصداع وهو الانشقاق في الرأس من الوجع قال العلماء: هذا بيان وتصوير لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ أريد به توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه والمعنى لو ركب في الجبل عقل وشعور كما ركب فيكم أيها الناس ثم أنزل عليه القرآن ووعد وأوعد حسب حالكم لخشع وخضع وتصدع من خشية الله حذراً من أن لا يؤدي حق الله تعالى في تعظيم القرآن والامتثال لما فيه من أمره ونهيه والكافر المنكر أقسى منه ولذا لا يتأثر أصلاً «مصراع» أي دل سنكين تويك ذره سوهان كيرنيست. وهو كما تقول لمن تعظه ولا ينجع فيه وعظك: لو كلمت هذا الحجر لأثر فيه. ونظيره قول الإمام مالك للشافعي: لو رأيت أبا حنيفة رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقامت حجته:

دلرا اثر روى توكل پوش كند   جانرا سخن خوب تو مدهوش كند
آتش كه شراب وصل تونوش كند   از لطف توسوختن فراموش كند

يقول الفقير: فيه ذهول عن أن الله تعالى خلق الأشياء كلها ذات حياة وإدراك في الحقيقة وإلا لما اندك الجبل عند التجلي ولما شهد للمؤذن كل رطب ويابس سمع صوته ونحو ذلك وقد كاشف عن هذه الحياة أهل الله وغفل عنها المحجوبون على ما حقق مراراً نعم فرق بين الجبل عند التجلي وعندما أنزل عليه القرآن وبينه عند الاستتار وعدم الإنزال فإن أثر الحياة في الصورة الأولى محسوس مشاهد للعامة والخاصة وأما في الصورة الثانية فمحسوس للخاصة فقط فاعرف ﴿**وتلك الأمثال**﴾ إشارة إلى هذا المثل وإلى أمثاله في مواضع من التنزيل أي هذا

القول الغريب في عظمة القرآن ودناءة حال الإنسان وبيان صفتهما العجيبة وسائر الأمثال الواقعة في القرآن فإن لفظ المثل حقيقة عرفية في القول السائر ثم يستعار لكل أمر غريب وصفة عجيبة الشأن تشبيهاً له بالقول السائر في الغرابة لأنه لا يخلو عن غرابة. ﴿نضربها للناس﴾ بيان ميكنيم مرانسانرا قد جاء في سورة الزمر: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الزمر: ٢٧] بالإخبار على المضي مع أنها مكية وقال هنا ﴿نضربها﴾ بالاستقبال مع أن السورة مدنية فلعل الأول من قبيل عد ما سيحقق مما حقق لتحققه بلا خلف والثاني من قبيل التعبير عن الماضي بالمضارع لإحضار الحال أو لإرادة الاستمرار على الأحوال بمعنى أن شأننا أن نضرب الأمثال للناس. ﴿لعلهم يتفكرون﴾ أي: لمصلحة التفكر ومنفعة التذكر. يعني شايدكه انديشه كنند دران وبهره بردارند ازان بإيمان. ولا يقتضي كون الفعل معللاً بالحكمة والمصلحة أن يكون معللاً بالغرض حتى تكون أفعاله تعالى معلة بالأغراض إذ الغرض من الاحتياج والحكمة اللطف بالمحتاج وعن بعض العلماء أنه قال: من عجز عن ثمانية فعليه بثمانية أخرى لينال فضلها من أراد فضل صلاة الليل وهو نائم فلا يعص بالنهار ومن أراد فضل صيام التطوع وهو مفطر فليحفظ لسانه عما لا يعنيه ومن أراد فضل العلماء فعليه بالتفكر ومن أراد فضل المجاهدين والغزاة وهو قاعد في بيته فليجاهد الشيطان ومن أراد فضل الصدقة وهو عاجز فليعلم الناس ما سمع من العلم ومن أراد فضل الحج وهو عاجز فليلتزم الجمعة ومن أراد فضل العابدين فليصلح بين الناس ولا يوقع العداوة ومن أراد فضل الأبدال فليضع يده على صدره ويرضى لأخيه ما يرضى لنفسه قال عليه السلام: «أعطوا أعينكم حظها من العبادة قالوا: ما حظها من العبادة يا رسول الله؟ قال: النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه».

وفي «المثنوي»:

خوش بيان كرد آن حكيم غزنوى بهر محجوبان مثال معنوي

كه ز قرآن كرنه بيند غير قال اين عجب نيودز اصحاب ضلال

كز شعاع آفتاب پرز نور غير كرمى مى نيابد چشم كور

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وعن الحسن البصري رحمه الله من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكراً فهو سهو ومن لم يكن نظره عبرة فهو لهو. وعن أبي سليمان رحمه الله: الفكرة في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية والفكرة في الآخرة تورث الحكمة وتحيي القلب وكثيراً ما ينشد سفيان بن عيينة ويقول:

إذا المرء كانت له فكره ففي كل شيء له عبره

والتفكر إما أن يكون في الخالق أو الخلق والأول إما في ذاته أو في صفاته أو في أفعاله أما في ذاته فممنوع لأنه لا يعرف الله إلا الله إلا أن يكون التفكر في ذاته باعتبار عظمته وجلاله وكبريائه من حيث وجوب الوجود ودوام البقاء وامتناع الإمكان والفناء والصمدية التي هي الاستغناء عن الكل وأما في صفاته فهو فيها باعتبار كمالها بحيث يحيط علمه بجميع المعلومات وقدرته بجميع الأشياء وإرادته بجميع الكائنات وسمعه بجميع المسموعات وبصره بجميع المبصرات ونحو ذلك وأما في أفعاله فهو فيها بحسب شمولها وكثرتها ومتانتها ووقوعها على الوجه الأتم كل يوم هو في شأن والثاني إما أن يكون فيما كان من العلويات والسفليات أو فيما

سيكون من أهوال القيامة وأحوال الآخرة إلى أبد الآباد قال بعض العارفين: الفكر إما في آيات الله وصنائعه فيتولد منه المعرفة وإما في عظمة الله وقدرته فيتولد منه الحياة وإما في نعم الله ومنته فيتولد منه المحبة وإما في وعد الله بالثواب فيتولد منه الرغبة في الطاعة وإما في وعيد الله بالعقاب فيتولد منه الرهبة من المعصية وإما في تفريط العبد في جنب الله فيتولد منه الحياء والندامة والتوبة. ومن مهمات التفكر أن يتفكر المتفكر في أمر نفسه من مبدئه ومعاشه ومن إطاعته لربه ببدنه ولسانه وفؤاده ولو صرف عمره في فكر نفسه نظراً إلى أول أمره وأوسطه وآخره لما أتم وفي الآية إشارة إلى أن الله لو تجلى بصورة القرآن الجمعي المشتمل على حروف الموجودات العلوية وكلمات المخلوقات السفلية على جبل الوجود الإنساني لتلاشى من سطوة التجلي وإلى أن العارف ينبغي أن يذوب تحت الخطاب الإلهي من شدة التأثير وإلى أن هذه الأمة حملوا بهمتهم ما لم تحمله الجبال بقوتها كما قال تعالى: ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب: ٧٢] ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو﴾ هو في أصل وضعه كناية عن المفرد المذكر الغائب وهي كناية عن المفردة المؤنثة الغائبة وكثيراً ما يكنى به عمن لا يتصور فيه الذكورة والأنوثة كما هو ههنا فإنه راجع إلى الله تعالى للعلم به ولك أن تقول: هو موضوع لمفرد ليس فيه تأنيث حقيقة وحكماً وهو لمفرد يكون فيه ذلك وهو مبتدأ خبره لفظة الله بمعنى هو المعبود بالحق المسمى بهذا الاسم الأعظم الدال على جلال الذات وكمال الصفات فلا يلزم أن يتحد المبتدأ والخبر بأن يكون التقدير الله الله، إذ لا فائدة فيه أو الله بدل من هو والموصول مع صلته خبر المبتدأ أو هو إشارة إلى الشأن والله مبتدأ والذي لا إله إلا هو خبره والجملة خبر ضمير الشأن ولا في كلمة التوحيد لنفي أفراد الجنس على الشمول والاستغراق وإله مبني على الفتح بها مرفوع المحل على الابتداء والمراد به جنس المعبود بالحق لا مطلق جنس المعبود حقاً أو باطلاً وإلا فلا يصح في نفسه لتعدد الآلهة الباطلة ولا يفيد التوحيد الحق وإلا هو مرفوع على البدلية من محل المنفي أو من ضمير الخبر المقدر للا والخبر قد يقدر موجود فيتوهم أن التوحيد يكون باعتبار الوجود لا الإمكان فإن نفي وجود إله غير الله لا يستلزم نفي إمكانه وقد يقدر ممكن فيتوهم أن إثبات الإمكان لا يقتضي الوقوع فكم من شيء ممكن لم يقع وقد يقدر لنا فيتوهم أنه لا بد من مقدر فيعود الكلام والجواب أنه إذا كان المراد بالإله المعبود بالحق كما ذكر فهو لا يكون إلا رب العالمين مستحقاً لعبادة المكلفين فإذا نفيت الألوهية على هذا المعنى عن غيره تعالى وأثبتت له سبحانه يندفع التوهم على التقادير كلها إن قيل: إن أراد القائل لا إله إلا الله شمول النفي له تعالى ولغيره فهو مشكل نعوذ بالله مع أن الاستثناء يكون كاذباً وإن أراد شموله لغيره فقط فلا حاجة إلى الاستثناء أجيب بأن مراده في قلبه هو الثاني إلا أنه يرى التعميم ظاهراً في أول الأمر ليكون الإثبات بالاستثناء آكد في آخر الأمر فالمعنى لا إله غيره وهذا حال الاستثناء مطلقاً قال الشيخ أبو القاسم: هذا القول وإن كان ابتداؤه النفي لكن المراد به الإثبات. ونهاية التحقيق فإن قول القائل: لا أخ لي سواك ولا معين لي غيرك آكد من قوله: أنت أخي ومعيني وكل من لا إله إلا الله ولا إله إلا هو كلمة توحيد لوروده في القرآن بخلاف لا إله إلا الرحمن فإنه ليس بتوحيد مع أن إطلاق الرحمٰن على غيره تعالى غير جائز وإطلاق هو جائز نعم إن الأولى كونه توحيداً إلا أنه لم يشتهر به التوحيد أصالة بخلافهما.

اعلم أن هو من أسماء الذات عند أهل المعرفة لأنه بانفراده عن انضمام لفظ آخر إشارة إلى الله مستجمع لجميع الصفات المدلول عليها بالأسماء الحسنى فهو من جملة الأذكار عند الأبرار قال الإمام القشيري رحمه الله: هو للإشارة وهو عند هذه الطائفة إخبار عن نهاية التحقيق فإذا قلت: هو لا يسبق إلى قلوبهم غيره تعالى فيكتفون به عن كل بيان يتلوه لاستهلاكهم في حقائق القرب واستيلاء ذكر الحق على أسرارهم وقال الإمام الفاضل محمد بن أبي بكر الرازي رحمه الله في «شرح الأسماء الحسنى».

اعلم أن هذا الاسم عند أهل الظاهر مبتدأ يحتاج إلى خبر ليتم الكلام وعند أهل الطريق لا يحتاج بل هو مفيد وكلام تام بدون شيء آخر يتصل به أو يضم له لاستهلاكهم في حقائق القرب واستيلاء ذكر الحق على أسرارهم. وقال الشيخ العارف أحمد الغزالي أخو الإمام محمد الغزالي رحمه الله كاشف القلوب بقوله: لا إله إلا الله وكاشف الأرواح بقول: الله وكاشف الأسرار بقول: هو هو لا إله إلا الله قوت القلوب والله قوت الأرواح وهو قوت الأسرار فلا إله إلا الله مغناطيس القلوب والله مغناطيس الأرواح وهو مغناطيس الأسرار والقلب والروح والسر بمنزلة درة في صدفة في حقة فانظر أنه رحمه الله في أي درجة وضع هو. وعن بعض المشايخ: رأيت بعض الوالهين فقلت له: ما اسمك؟ فقال: هو قلت من أنت؟ قال هو قلت: من أين تجيء؟ قال: هو قلت: من تعني بقولك هو؟ قال: هو. فما سألته عن شيء إلا قال هو فقلت: لعلك تريد الله فصاح وخرجت روحه، فكن من الذاكرين بهو ولا تلتفت إلى المخالفين فإنهم من أهل الأهواء ولكل من العقل والنفس والقلب والروح معنيان أما العقل فيطلق على قوة دراكة توجد في الإنسان بها يدرك مدركاته وعلى لطيفة ربانية هي حقيقة الإنسان المستخدمة للبدن في الأمور الدنيوية والأخروية وهي العالم والعارف والعاقل وهي الجاهل والقاصر والغافل إلى غير ذلك وكذا النفس تطلق على صفة كائنة في الإنسان جامعة للأخلاق المذمومة داعية إلى الشهوات باعثة على الأهواء والآفات وتطلق على تلك اللطيفة المذكورة كما قال بعض الأفاضل:

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... وتطلب الربح مما فيه خسران
عليك بالنفس فاستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وكذا القلب يطلق على قطعة لحم صنوبرية تكون في جوف الإنسان وعلى تلك اللطيفة وكذا الروح يطلق على جسم لطيف وعلى اللطيفة الربانية المذكورة فكل من الألفاظ الأربعة يطلق على نفس الإنسان الذي هو المتكلم والمخاطب والمثاب والمعاقب بالأصالة وبتبعيتها يقع الثواب والعقاب للجسد الذي هو القفص لها فالتغاير على هذا اعتباري فإن النفس نفس باعتبار أنها نفس الشيء وذاته وعقل باعتبار إدراكها وقلب باعتبار انقلابها من شيء إلى شيء وروح باعتبار استراحتها بما يلائمها وتستلذ به وعلى المعاني الأخر لهن حقيقي ثم إن النفس إما أن تكون تابعة للهوى فهي الأمارة لمبالغة أمرها للأعضاء بالسيئات فذكر دائرة النفس لا إله إلا الله وإما أن يهب الله له الإنصاف والندامة على تقصيراتها والميل إلى التدارك لما فات من المهمات فهي اللوامة للومها صاحبها بل نفسها على سوء عملها فذكر هذه الدائرة الله الله ويقال لها دائرة القلب لانقلابها إلى جانب الحق وإما أن تطمئن إلى الحق وتستقر في الطاعة وتتلذذ بالعبادة فهي المطمئنة لاطمئنانها تحت أمر الله بحب الله ويقال لهذه الدائرة دائرة الروح

لاستراحتها بعبادة الله وذكره وتلذذها بشكره وذكر هذه الدائرة هو هو وأما ما قال بعض الكبار من أن الذكر بلا إله إلا الله أفضل من الذكر بكلمة الله الله وهو هو من حيث إنها جامعة بين النفي والإثبات ومحتوية على زيادة العلم والمعرفة فبالنسبة إلى حال المبتدي فكلمة التوحيد تظهر مرآة النفس بنارها فتوصل السالك إلى دائرة القلب وكلمة الله تنور القلب بنورها فتوصل إلى دائرة الروح وكلمة هو تجلي الروح فتوصل من شاء الله إلى دائرة السر والسر لفظ استأثره المشايخ للحقيقة التي هي ثمرة الطريقة التي هي خلاصة الشريعة التي هي لازمة القبول لكل مؤمن إما أخذاً مما روي عن النبي عليه السلام أنه قال حكاية عن الله: «بيني وبين عبدي سر لا يسعه ملك مقرب ولا نبي مرسل» وأما لكونه مستوراً عن أكثر الناس ليس من لوازم الشريعة والطريقة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم يشهد الله أينما يبدو أنه لا إله إلا هو:

هست هر ذره بو حدت خويش   پيش عارف كواه وحدت او
پاك كن جامى از غبار دويى   لوح خاطر كه حق يكيست نه دو

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ اللام للاستغراق فيعلم كل غيب وكل شهادة أي ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية وأحوالها وما حضر له من الأجرام وأعراضها ومن المعدوم والموجود فالمراد بالغيب حينئذ ما غاب عن الوجود ومن السر والعلانية ومن الآخرة والأولى ونحو ذلك قال الراغب: ما غاب عن حواس الناس وبصائرهم وما شهدوه بهما والمعلومات إما معدومات يمتنع وجودها أو معدومات يمكن وجودها وإما موجودات يمتنع عدمها أو موجودات لا يمتنع عدمها ولكل من هذه الأقسام الأربعة أحكام وخواص والكل معلوم لله تعالى وقدم الغيب على الشهادة لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به من حيث كونه موجوداً.

واعلم أن ما ورد من إسناد علم الغيب إلى الله فهو الغيب بالنسبة إلينا لا بالنسبة إليه تعالى لأنه لا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء وإذا انتفى الغيب بالنسبة إليه انتفى العلم به أيضاً وأيضاً لما سقطت جميع النسب والإضافات في مرتبة الذات البحت والهوية الصرفة انتفت النسبة العلمية مطلقاً فانتفى العلم بالغيب فافهم. ﴿هو الرحمن الرحيم﴾ كرر هو لأن له شأناً شريفاً ومقاماً منيفاً من اشتغل به ملك من أعرض عنه هلك والله تعالى رحمته الدنيوية عامة لكل إنسي وجني مؤمناً كان أو كافراً:

اديم زمين سفره عام اوست   برين خان يغما چه دشمن چه دوست

على ما قال عليه السلام: «أيها الناس إن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل قادر يحق فيها الحق ويبطل الباطل كونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن كل أم يتبعها ولدها» ولذلك يقال يا رحمن الدنيا لأن ما فيه زيادة حرف يراد به زيادة في المعنى ورحمته الأخروية خاصة بالمؤمنين ولذا يقال يا رحيم الآخرة فعلى هذا في معنى الرحمن زيادة باعتبار المنعم عليه ونقصان باعتبار الأنواع والأفراد وفي تخصيص هذين الاسمين المنبئين عن وفور رحمته في الدارين تنبيه على سبق رحمته وتبشير للعاصين أن لا يقنطوا من رحمة الله وتنشيط للمطيعين بأنه يقبل القليل ويعطي الجزيل وحظ العبد من اسم الرحمن الرحيم أن يكون كثير الرحمة بأن يرحم نفسه أولاً ظاهراً وباطناً ثم يرحم غيره بتحصيل مراده وإرشاده والنظر إليه بعين الرحمة كما قال بعض المشايخ:

وارحم بني جميع الخلق كلهمو وانظر إليهم بعين اللطف والشفقه
وقّر كبيرهمو وارحم صغيرهمو وراع في كل خلق حق من خلقه

قال الزروقي رحمه الله كل الأسماء يصح التخلق بمعانيها إلا الاسم الله فإنه للتعلق فقط وكل الأسماء راجعة إليه فالمعرفة به معرفة بها ولا بد للعبد من قلب مفرد فيه توحيد مجرد وسر مفرد وبه يحصل جميع المقاصد. سئل الجنيد قدس سره كيف السبيل إلى الانقطاع إلى الله تعالى؟ قال: بتوبة تزيل الإصرار وخوف يزيل التسويف ورجاء يبعث على مسالك العمل وإهانة النفس بقربها من الأجل وبعدها من الأمل قيل له بماذا يصل العبد إلى هذا؟ قال: بقلب مفرد فيه توحيد مجرد انتهى وهو عجيب.

وفي «التأويلات النجمية»: تشير الآية إلى هويته الجامعة عالم غيب الوجود المسمى باسم الباطن وعالم شهادة الوجود المسمى باسم الظاهر هو﴿الرحمٰن الرحيم﴾ أي هو المتجلي بالتجلي الرحماني العام وهو المتجلي بالتجلي الرحيمي الخاص وهو المطلق عن العموم والخصوص في عين العموم والخصوص غير اعتباراته وحيثياته.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

﴿هو الله الذي لا إله إلا هو﴾ كرر هو لإبراز الاعتناء بأمر التوحيد يعني اوست خداى كه بهيچ وجه نيست خداى سزاى پرستش مكروى﴿الملك﴾ پادشاهى كه جلال ذاتش ازوجه احتياج مصونست وكمال صفاتش باستغناء مطلق مقرون فمعناه ذو الملك والسلطان والملك بالضم هو التصرف بالأمر والنهي في الجمهور وذلك يختص بسياسة الناطقين ولهذا يقال ملك الناس ولا يقال: ملك الأشياء فقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٤] تقديره الملك في يوم الدين كما في «المفردات» وعبد الملك هو الذي يملك نفسه وغيره بالتصرف فيه بما شاء الله وأمره به فهو أشد الخلق على خليقته قال الإمام الغزالي قدس سره: مملكة العبد الخاصة به قلبه وقالبه وجنده شهوته وغضبه وهواه ورعيته لسانه وعيناه ويداه وسائر أعضائه فإذا ملكها ولم يطعها فقد نال تملكه درجة الملك في عالمه. قال الشيخ سعدي:

وجود توشهريست پرنيك وبد توسلطان ودستور دانا خرد
همانا كه دونان كردن فراز درين شهر كبرست وسودا وآز
چو سلطان عنايت كند بابدان كجا ماند آسايش بخردان

فإن انضم إليه استغناؤه عن كل الناس واحتاج الناس كلهم إليه في حياتهم العاجلة والآجلة فهو الملك في العالم العرضي وتلك رتبة الأنبياء عليهم السلام فإنهم استغنوا في الهداية إلى الحياة الآخرة عن كل أحد إلا عن الله تعالى واحتاج إليهم كل أحد ويليهم في هذا الملك العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وإنما ملكهم بقدر مقدرتهم على إرشاد العباد واستغنائهم عن الاسترشاد وهذا الملك عطية للعبد من الملك الحق الذي لا مثنوية في ملكه وإلا فلا ملك للعبد كما قيل لبعض العارفين: ألك ملك؟ فقال: أنا عبد لمولاي فليس لي نملة فمن أنا حتى أقول: لي شيء هذا كلام من استغرق في ملاحظة ملكية الله ومالكيته فما حكي أن بعض

الأمراء قال لبعض الصلحاء: سلني حاجتك قال: أو لي تقول هذا ولي عبدان هما سيداك؟ قال: من هما؟ قال: الشهوة والغضب وفي بعض الرواية الحرص والهوى غلبتهما وغلباك وملكتهما وملكاك فهو إخبار عن لطف الله وتمليكه من ضبط نفسه واستخدمها فيما يرضاه الله نصحاً لذلك الأمير ولغيره من السامعين شاهدين أو غائبين قال بعضهم لبعض الشيوخ: أوصني فقال: كن ملكاً في الدنيا تكن ملكاً في الآخرة معناه: اقطع طمعك وشهوتك في الدنيا فإن الملك في الحرية والاستغناء ومن مقالات أبي يزيد البسطامي قدس سره في مناجاته: إلهي ملكي أعظم من ملكك وذلك لأن الله تعالى ملك أبا يزيد وهو متناه وأبا يزيد ملك الله وهو باق غير متناه وخاصية اسم الملك صفاء القلب وحصول الفناء والإمرة ونحوها فمن واظب عليه وقت الزوال كل يوم مائة مرة صفا قلبه وزال كدره ومن قرأه بعد الفجر مائة وإحدى وعشرين مرة أغناه الله من فضله إما بأسباب أو بغيرها. ﴿**القدوس**﴾ هو من صيغ المبالغة من القدس وهو النزاهة والطهارة أي البليغ في النزاهة عما يوجب نقصاناً ما وعن كل عيب وهو بالعبري قديساً ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة: سبوح قدوس رب الملائكة والروح.

قال الزمخشري: إن الضفادع تقول في نقيقها: سبحان الملك القدوس قال ثعلب: كل اسم على فعول فهو مفتوح الأول إلا السبوح والقدوس فإن الضم فيهما أكثر وقد يفتحان وقال بعضهم: المفتوح قليل في الصفات كثير في الأسماء مثل التنور والسمور والسفود وغيرها قال بعض المشايخ: حقيقة القدس الاعتلاء عن قبول التغير ومنه الأرض المقدسة لأنها لا تتغير بملك الكافر كما يتغير غيرها من الأرضين واتبع هذا الاسم اسم الملك لما يعرض للملوك من تغير أحوالهم بالجور والظلم والاعتداء في الأحكام وفيما يترتب عليها فإن ملكه تعالى لا يعرض له ما يغيره لاستحالة ذلك في وصفه.

وقال بعضهم: التقديس التطهير وروح القدس جبريل عليه السلام لأنه ينزل بالقدس من الله أي ما يطهر به نفوسنا من القرآن والحكمة والفيض الإلهي والبيت المقدس هو المطهر من النجاسة أي الشرك أو لأنه يتطهر فيه من الذنوب وكذلك الأرض المقدسة وحظيرة القدس الجنة. قال الكاشفي: قدوس يعني پاك از شوائب مناقص ومعايب ومنزه از طرق آفات ونوايب. وقال الإمام الغزالي رحمه الله: هو المنزه عن كل وصف يدركه حس أو يتصوره خيال أو يسبق إليه وهم أو يختلج به ضمير أو يفضي به تفكر ولست أقول: منزه عن العيوب والنقائض فإن ذلك يكاد يقرب من ترك الأدب فليس من الأدب أن يقول القائل: ملك البلد ليس بحائك ولا حجام ولا حذاء فإن نفي الوجود يكاد يوهم إمكان الوجود وفي ذلك الإيهام نقص بل أقول: القدوس هو المنزه عن كل وصف من أوصاف الكمال الذي يظنه أكثر الخلق كمالاً قال الزروقي رحمه الله كل تنزيه توجه الخلق به إلى الخالق فهو عائد إليهم لأن الحق سبحانه في جلاله لا يقبل ما يحتاج للتنزيه منه لاتصافه بعلي الصفات وكريم الأسماء وجميل الأفعال على الإطلاق فليس لنا من تقدسه إلا معرفة أنه القدوس فافهم وعبد القدوس هو الذي قدسه الله عن الاحتجاب فلا يسع قلبه غير الله وهو الذي يسع قلبه الحق كما قال: «لا يسعني أرضي وسمائي ويسعني قلب عبدي» ومن وسع الحق قدس عن الغير إذا لا يبقى عند تجلي الحق شيء غيره فلا يسع القدوس إلا القلب المقدس من الأكوان قال بعضهم: حظ العارف منه أن يتحقق أنه لا يحق الوصول إلا بعد العروج من عالم الشهادة إلى عالم الغيب وتنزيه السر

عن المتخيلات والمحسوسات والتطواف حول العلوم الإلهية والمعارف الزكية عن تعلقات الحس والخيال وتطهير القصد عن أن يحوم حول الحظوظ الحيوانية واللذائذ الجسمانية فيقبل بشراشره على الله سبحانه شوقاً إلى لقائه مقصور الهم على معارفه ومطالعة جماله حتى يصل إلى جناب العز وينزل بحبوحة القدس وخاصية هذا الاسم أنه إذا كتب: سبوح قدوس رب الملائكة والروح على خبز إثر صلاة الجمعة وأكله يفتح الله له العبادة ويسلمه من الآفات وذلك بعد ذكر عدد ما وقع عليه، وفي «الأربعين الإدريسية»: يا قدوس الطاهر من كل آفة فلا شيء يعادله من خلقه قال السهروردي: من قرأه كل يوم ألف مرة في خلوة أربعين يوماً شمله بما يريد وظهرت له قوة التأثير في العالم ﴿السلام﴾ ذو السلامة من كل آفة ونقص وبالفارسية سالم از عيوب وعلل ومبرا از ضعف وعجز وخلل وهو مصدر بمعنى السلامة وصف به للمبالغة لكونه سليماً من النقائص أو في إعطائه السلامة فيكون بمعنى التسليم كالكلام بمعنى التكليم فما ورد من قوله: «أنت السلام» معناه: أنت الذي سلم من كل عيب وبريء من كل نقص وقوله: «ومنك السلام» أي الذي يعطي السلامة فيسلم العاجز من المكاره ويخلصه من الشدائد في الدارين ويستر ذنوب المؤمنين وعيوبهم فيسلمون من الخزي يوم القيامة أو يسلم على المؤمنين في الجنة لقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨] وقوله: «وإليك يرجع السلام» إشارة إلى أن ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧، ٢٨] وقوله: وحينا ربنا بالسلام طلب السلامة منه في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال الإمام الغزالي رحمه الله: هو الذي يسلم ذاته من العيب وصفاته من النقص وأفعاله من الشر يعني ليس في فعله شر محض بل في ضمنه خير أعظم منه فالمقضي بالأصالة هو الخير وهو والقدوس من الأسماء الذاتية السلبية إلا أن يكون بمعنى المسلم.

قال الراغب: السلام والسلامة التعري من الآفات الظاهرة والباطنة قيل: وصف الله بالسلام من حيث لا تلحقه العيوب والآفات التي تلحق الخلق انتهى. وعبد السلام هو الذي تجلى له اسم السلام فسلمه من كل نقص وآفة وعيب فكل عبد سلم من الغش والحقد والحسد وإرادة الشر قلبه وسلم من الآثام والمحظورات جوارحه وسلم من الانتكاس والانعكاس صفاته فهو الذي يأتي الله بقلب سليم وهو السلام من العباد القريب في وصفه من السلام المطلق الحق الذي لا مثنوية في صفاته وأعني بالانتكاس في صفاته أن يكون عقله أسير شهوته وغضبه إذ الحق عكسه وهو أن تكون الشهوة والغضب أسيري العقل وطوعه فإذا انعكس فقد انتكس ولا سلامة حيث يصير الأمير مأموراً والملك عبداً ولن يوصف بالسلام والإسلام إلا من سلم المسلمون من لسانه ويده وخاصية هذا الاسم صرف المصائب والآلام حتى أنه إذا قرىء على مريض مائة وإحدى عشرة مرة برىء بفضل الله ما لم يحضر أجله أو يخفف عنه. ﴿المؤمن﴾ أي: الموحد نفسه بقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] قاله الزجاج أو واهب الأمن وهو طمأنينة النفس وزوال الخوف قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الذي آمن الناس من ظلمه وآمن من آمن من عذابه وهو من الإيمان الذي هو ضد التخويف كما في قوله تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤] وعنه أيضاً أنه قال: إذا كان يوم القيامة أخرج أهل التوحيد من النار وأول من يخرج من وافق اسمه اسم نبي حتى إذا لم يبق فيها من يوافق اسمه اسم نبي قال الله لباقيهم: أنتم المسلمون وأنا السلام وأنتم المؤمنون وأنا المؤمن فيخرجهم من النار ببركة

هذين الاسمين. قال الكاشفي: ايمن كننده مؤمنان ازعقوبت نيران يا داعي خلق بإيمان وأمان يا مصدق رسل باظهار معجزه وبرهان.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: المؤمن المطلق هو الذي لا يتصور أمن وأمان إلا ويكون مستفاداً من جهته وهو الله تعالى وليس يخفى أن الأعمى يخاف أن يناله هلاك من حيث لا يرى فعينه البصيرة تفيد أمناً منه والأقطع يخاف آفة لا تندفع إلا باليد واليد السليمة أمان منها وهكذا جميع الحواس والأطراف والمؤمن خالقها ومصورها ومقومها ولو قدرنا إنساناً وحده مطلوباً من جهة أعدائه وهو ملقى في مضيق لا تتحرك عليه أعضاؤه لضعفه وإن تحركت فلا سلاح معه وإن كان معه سلاح لم يقاوم أعداءه وحده وإن كانت له جنود لم يأمن أن تنكسر جنوده ولا يجد حصناً يأوي إليه فجاء من عالج ضعفه فقواه وأمده بجنود وأسلحة وبنى حوله حصناً فقد أفاده أمناً وأماناً فبالحري أن يسمى مؤمناً في حقه والعبد ضعيف في أصل فطرته وهو عرضة الأمراض والجوع والعطش من باطنه وعرضة الآفات المحرقة والمغرقة والجارحة والكاسرة من ظاهره ولم يؤمنه من هذه المخاوف إلا الذي أعد الأدوية دافعة لأمراضه والأطعمة مزيلة لجوعه والأشربة مميطة لعطشة والأعضاء دافعة عن بدنه والحواس جواسيس منذرة بما يقرب من مهلكاته ثم خوفه الأعظم من هلاك الآخرة ولا يحصنه منها إلا كلمة التوحيد والله هاديه إليها ومرغبه فيها حيث قال: «لا إله إلا الله حصني فمن دخله أمن من عذابي» فلا أمن في العالم إلا وهو مستفاد من أسباب هو منفرد بخلقها والهداية إلى استعمالها وعبد المؤمن هو الذي آمنه الله من العقاب وآمنه الناس على ذواتهم وأموالهم وأعراضهم من المصطلحات فحظ العبد من هذا الوصف أن يأمن الخلق كلهم جانبه بل يرجو كل خائف الاعتضاد به في دفع الهلاك عن نفسه في دينه ودنياه كما قال عليه السلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليؤمن جاره بوائقه» وفي ترجمة وصايا «الفتوحات» واكر خواهى كه از هيچكس نترسى هيچ كس را مترسان تا ازهمه آمن باشى چون همه كس ازتو آمن باشند شيخ اكبر قدس سره الأطهر فرموده كه در عنفوان شباب كه هنوز بدين طريق رجوع نكرده بودم در صحبت والده وجمعى در سفر بودم ناكاه ديدم كله كور خردر مرعى ومن برصيد ايشان عظيم حريص بودم وكو دكان من پاره دوربودند در نفس من اين فكر افتادكه ايشانرا نر نجانم ودل بران نهادم وخاطررا برترك تعرض وايذاى ايشان تسكين كردم وحصانى كه بروى سوار بودم بجانب ايشان ميل ميكرد سر او محكم كردم ونيزه بدست من بود چون بديشان رسيدم ودرميانه ايشان در آمدم وقت بودكه سنان نيزه ببعضى ميرسيد واودر چرا كردن خود بود والله هيچ يكى سر بر نداشت تامن از ميان ايشان كذشتم بعد ازان كود كان وغلامان رسيدند وآن جماعات حمر وحش از ايشان رميدند ومتفرق شدند ومن سبب آن نمى دانستم تا وقتى كه بطريق الله رجوع كردم ومرا در معامله نظر افتاد دانستم كه آن امان كه در نفس من بود در نفوس ايشان سرايت كرد وأحق العباد باسم المؤمن من كان سبباً لأمن الخلق من عذاب الله بالهداية إلى طريق الله والإرشاد إلى سبيل النجاة وهذه حرفة الأنبياء والعلماء ولذلك قال عليه السلام: «إنكم تتهافتون في النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم» لعلك تقول: الخوف من الله على الحقيقة فلا مخوف إلا هو فهو الذي خوف عباده وهو الذي خلق أسباب الخوف فكيف ينسب إليه الأمن فجوابك أن الخوف منه والأمن منه وهو خالق سبب الأمن والخوف جميعاً وكونه مخوفاً لا يمنع كونه مؤمناً كما أن كونه مذلاً لم يمنع كونه

معزاً بل هو المعز والمذل وكونه خافضاً لم يمنع كونه رافعاً بل هو الرافع والخافض فكذلك هو المؤمن المخيف لكن المؤمن ورد التوقيف به خاصة دون المخوف وخاصية هذا الاسم وجود التأمين وحصول الصدق والتصديق وقوة الإيمان في العموم لذاكره ومن ذلك أن يذكره الخائف ستاً وثلاثين مرة فإنه يأمن على نفسه وماله ويزاد في ذلك بحسب القوة والضعف. ﴿المهيمن﴾ قال بعض المشايخ هذا الاسم من أسمائه التي علت بعلو معناها عن مجاري الاشتقاق فلا يعلم تأويله إلا الله تعالى وقال بعضهم: هو المبالغ في الحفظ والصيانة عن المضار من قولهم: هيمن الطائر إذا نشر جناحه على فرخه حماية له، وفي «الإرشاد»: الرقيب الحافظ لكل شيء وقال الزروقي: هو لغة الشاهد ومنه قوله تعالى: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] يعني شاهداً عالماً وقال بعضهم: مفيعل من الأمن ضد الخوف وأصله مؤأمن بهمزتين فقلبت الهمزة الثانية ياء لكراهة اجتماعهما فصار مؤيمن ثم صيرت الأولى هاء كما قالوا في أراق الماء هراقه فيكون في معنى المؤمن.

ـ حكي ـ أن ابن قتيبة لما قال في المهيمن إنه مصغر من مؤمن والأصل مؤيمن فأبدلت الهمزة هاء قيل له: هذا يقرب من الكفر فليتق الله قائله وذلك لأن فيه ترك التعظيم وقال الإمام الغزالي رحمه الله: معنى المهيمن في حق الله أنه القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم وإنما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه وحفظه وكل مشرف على كنه الأمر مستول عليه حافظ له فهو مهيمن عليه والإشراف يرجع إلى العلم والاستيلاء إلى كمال القدرة والحفظ إلى الفعل فالجامع بين هذه المعاني اسمه المهيمن ولن يجمع ذلك على الإطلاق والكمال إلا الله تعالى ولذلك قيل: إنه من أسماء الله تعالى في الكتب القديمة وعبد المهيمن هو الذي شاهد كون الحق رقيباً شهيداً على كل شيء فهو يرقب نفسه وغيره بإيفاء حق كل ذي حق عليه لكونه مظهر الاسم المهيمن يعني حظ العارف منه أن يراقب قلبه ويحفظ قواه وجوارحه ويأخذ حذره من الشيطان ويقوم بمراقبة عباد الله وحفظهم فمن عرف أنه المهيمن خضع تحت جلاله وراقبه في كل أحواله واستحيا من اطلاعه عليه فقام بمقام المراقبة لديه.

ـ حكي ـ أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله كان يصلي قاعداً فجلس ومد رجليه فهتف به هاتف هكذا تجالس الملوك وأن الحريري كان لا يمد رجليه في الخلوة فقيل له: ليس يراك أحد فقال: حفظ الأدب مع الله أحق.

يقول الفقير: يقرب من هذا ما وقع لي عند الكعبة فإني بعدما طفت بالبيت استندت إلى مقام إبراهيم حباً له فقيل لي من قبل الله تعالى ما هذا البعد في عين القرب فعلمت أن ذلك من ترك الأدب في مجالسة الله معي فلم أزل ألازم باب الكعبة في الصف الأول مدة مجاورتي بمكة وخاصية هذا الاسم الإشراف على البواطن والأسرار ومن قرأه مائة مرة بعد الغسل والصلاة في خلوة بجمع خاطر نال ما أراد ومن نسبته المعنوية علام الغيوب عن التأمل وفي «الأربعين الإدريسية»: يا علام الغيوب فلا يفوت شيء من علمه ولا يؤوده قال السهرودي: من داوم عليه قوي حفظه وذهب نسيانه ﴿العزيز﴾ غالب در حكم يا بخشنده عزت. قال بعضهم: من عز إذا غلب فمرجعه القدرة المتعالية عن المعارضة والممانعة أو من عز عزازة إذا قل فالمراد عديم المثل كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقال الإمام الغزالي رحمه الله: العزيز هو الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة إليه ويصعب الوصول إليه فما لم يجمع هذه المعاني الثلاثة لم يطلق عليه العزيز فكم من شيء يقل وجوده ولكن إذا لم

يعظم خطره ولم يكثر نفعه لم يسم عزيزاً وكم من شيء يعظم خطره ويكثر نفعه ولا يوجد نظيره ولكن إذا لم يصعب الوصول إليه لم يسم عزيزاً كالشمس مثلاً فإنها لا نظير لها والأرض كذلك والنفع عظيم في كل واحدة منهما والحاجة شديدة إليهما ولكن لا توصفان بالعزة لأنه لا يصعب الوصول إلى مشاتهما فلا بد من اجتماع المعاني الثلاثة ثم في كل واحد من المعاني الثلاثة كمال ونقصان فالكمال في قلة الوجود أن يرجع إلى الواحد إذ لا أقل من الواحد ويكون بحيث يستحيل وجود مثله وليس هذا إلا الله تعالى فإن الشمس وإن كانت واحدة في الوجود فليست واحدة في الإمكان فيمكن وجود مثلها والكمال في النفاسة وشدة الحاجة أن يحتاج إليه كل شيء في كل شيء حتى في وجوده وبقائه وصفاته وليس ذلك الكمال إلا لله تعالى وعبد العزيز هو الذي أعزه الله بتجلي عزته فلا يغلبه شيء من أيدي الحدثان والأكوان وهو يغلب كل شيء قال الغزالي رحمه الله: العزيز من العباد من يحتاج إليه عباد الله في مهام أمورهم وهي الحياة الأخروية والسعادة الأبدية وذلك مما يقل لا محالة وجوده ويصعب إدراكه وهذه رتبة الأنبياء عليهم السلام ويشاركهم في العز من يتفرد بالقرب منهم أي من درجتهم في عصرهم كالخلفاء وورثتهم من العلماء وعزة كل واحد بقدر علو رتبته عن سهولة النيل والمشاركة وبقدر غنائه في إرشاد الخلق وقال بعضهم: حظ العبد من هذا الاسم أن يعز نفسه فلا يستهينها بالمطامع الدنية ولا يدنيها بالسؤال من الناس والافتقار إليهم قيل: إنما يعرف عزيزاً من أعز أمر الله بطاعته فأما من استهان بأوامره فمن المحال أن يكون متحققاً بعزته وقال الشيخ أبو العباس المرسي رحمه الله: والله ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن المخلوقين فمن عرف أنه العزيز لا يعتقد لمخلوق جلالاً دون جلال الله تعالى فالعزيز بين الناس في المشهور من جعله الله ذا قدر ومنزلة بنوع شرف باق أو فانٍ فمنهم من يكون عزيزاً بطاعة الله تعالى ومنهم من يكون بالجاه ومنهم من يكون عزيزاً بالعلم والمعرفة والكمال ومنهم من يكون بالسطوة والشوكة والمال ثم منهم من يكون عزيزاً في الدارين ومنهم من يكون في الدنيا لا في العقبى ومنهم من يكون على العكس فكم من ذليل عند الناس عزيز عند الله وكم من عزيز عند الناس ذليل عند الله والعزيز عند المولى هو الأصل والأولى قال في «أبكار الأفكار»: غير رسول الله عليه السلام اسم العزيز لأن العزة لله وشعار العبد الذلة والاستكانة وخاصية هذا الاسم وجود الغنى والعز صورة أو حقيقة أو معنى فمن ذكره أربعين يوماً في كل يوم أربعين مرة أعانه الله وأعزه فلم يحوجه إلى أحد من خلقه وفي «الأربعين الإدريسية»: يا عزيز المنيع الغالب على أمره فلا شيء يعادله قال السهروردي رحمه الله: من قرأه سبعة أيام متواليات كل يوم ألفاً أهلك خصمه وإن ذكره في وجه العسكر سبعين مرة ويشير إليهم بيده فإنهم ينهزمون. ﴿**الجبار**﴾ الذي جبر خلقه على ما أراد أي قهرهم وأكرههم عليه أو جبر أحوالهم أي أصلحها فعلى هذا يكون الجبار من الثلاثي لا من الأفعال وجبر بمعنى أجبر لغة تميم وكثير من الحجازيين واستدل بورود الجبار من يقول إن أمثلة مبالغة تأتي من المزيد عن الثلاثي فإنه من أجبره على كذا أي قهره وقال الفراء: لم أسمع فعال من أفعل إلا في جبار ودراك فإنهما من أجبر وأدرك.

قال الراغب: أصل الجبر إصلاح الشيء بضرب من القهر وقد يقال في إصلاح المجرد نحو قول علي رضي الله عنه: يا جابر كل كسير ومسهل كل عسير والإجبار في الأصل حمل الغير على أن يجبر الأمور لكن تعورف في الإكراه المجرد وسمي الذين يدعون أن الله تعالى

يكره العباد على المعاصي في تعارف المتكلمين مجبرة وفي قول المتقدمين جبرية والجبار في صفة الإنسان يقال لمن يجبر نقيصته بادعاء منزلة من المعالي لا يستحقها وهذا لا يقال إلا على طريقة الذم وفي وصف الله لأنه الذي يجبر الناس بفائض نعمه أو يقهرهم على ما يريده من مرض وموت وبعث ونحوها وهو لا يقهر إلا على ما تقتضي الحكمة أن يقهر عليه فالجبار المطلق هو الذي ينفذ مشيئته على سبيل الإجبار في كل أحد ولا ينفذ فيه مشيئة أحد.

ـ روي ـ أن في بعض الكتب الإلهية «عبدي تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد فإن رضيت بما أريد كفيتك ما تريد وإن لم ترض بما أريد أبقيتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد» وعبد الجبار هو الذي يجبر كسر كل شيء ونقصه لأن الحق جبر حاله وجعله بتجلي هذا الاسم جابر الحال كل شيء مستعلياً عليه ومن علم أنه الجبار دق في عينه كل جبار وكان راجعاً إليه في كل أمر بوصف الافتقار بجبر المكسور من أعماله وترك الناقص من آماله فتم له الإسلام والاستسلام وارتفعت همته عن الأكوان فيكون جباراً على نفسه جابراً لكسر عباده وقال بعضهم: حظ العارف من هذا الاسم أن يقبل على النفس ويجبر نقائصها باستكمال الفضائل ويحملها على ملازمة التقوى والمواظبة على الطاعة ويكسر منها الهوى والشهوات بأنواع الرياضات ويترفع عما سوى الحق غير ملتفت إلى الخلق فيتحلى بحلي السكينة والوقار بحيث لا يزلزله تعاور الحوادث ولا يؤثر فيه تعاقب النوافل بل يقوى على التأثير في الأنفس والآفاق بالإرشاد والإصلاح وقال الإمام الغزالي رحمه الله: الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو رتبته بحيث يجبر الخلق بهيئته وصورته على الاقتداء وبمتابعته في سمته وسيرته فيفيد الخلق ولا يستفيد ويؤثر ولا يتأثر ويستتبع ولا يتبع ولا يشاهده أحد إلى ويفنى عن ملاحظة نفسه ويصير مستوفى الهم غير ملتفت إلى ذاته ولا يطمع أحد في استدراجه واستتباعه وإنما حظي بهذا الوصف سيد الأولين والآخرين عليه السلام حيث قال: «لو كان موسى بن عمران حياً ما وسعه إلا اتباعي وأنا سيد ولد آدم ولا فخر» وخاصية هذا الاسم الحفظ من ظلم الجبابرة والمعتدين في السفر والإقامة يذكر بعد قراءة المسبعات عشر صباحاً ومساء إحدى وعشرين مرة ذكره الزروقي في «شرح الأسماء الحسنى». ﴿**المتكبر**﴾ الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصاناً أو البليغ الكبرياء والعظمة يعني أن صيغة التفعل للتكلف بما لم يكن فإذا قيل: تكبر وتسخى دل على أنه يرى ويظهر الكبر والسخاء وليس بكبير ولا سخي والتكلف بما لم يكن كان مستحيلاً في حق الله تعالى حمل على لازمه وهو أن يكون ما قام به من الفعل على أتم ما يكون وأكمله من غير أن يكون هناك تكلف واعتمال حقيقة ومنه ترحمت على إبراهيم بمعنى رحمته كمال الرحمة وأتممتها عليه فإذا قيل: إنه تعالى متكبر كان المعنى إنه البالغ في الكبر أقصى المراتب.

ـ روي ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله عليه السلام قائماً على هذا المنبر يعني منبر رسول الله في المدينة وهو يحكي عن ربه تعالى فقال: «إن الله عز وجل إذا كان يوم القيامة جمع السماوات والأرضين في قبضته تبارك وتعالى ثم قال هكذا وشد قبضته ثم بسطها ثم يقول: أنا الله أنا الرحمن أنا الرحيم أنا الملك أنا القدوس أنا السلام أنا المؤمن أنا المهيمن أنا العزيز أنا الجبار أنا المتكبر أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئاً أنا الذي أعدتها أين الملوك أين الجبابرة»:

قهار بي منازع وغفار بي ملال ديان بي معادل وسلطان بي سپاه
باغير اوصافت شاهى بود چنان بريك دو چوب پاره زشطرنج نام شاه

قال الراغب: التكبر يقال على وجهين أحدهما أن تكون الأفعال الحسنة كثيرة في الحقيقة وزائدة على محاسن غيره وعلى هذا وصف الله بالمتكبر وهو ممدوح والثاني أن يكون متكلفاً لذلك متشبعاً وذلك في وصف عامة الناس والموصوف به مذموم وفي الحديث: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في شيء منهما قصمته» قال بعضهم: الفرق بين المتكبر والمستكبر أن المتكبر عام لإظهار الكبر الحق كما في أوصاف الحق تعالى ولإظهار الكبر الباطل كما في قوله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] والكبر ظن الإنسان أنه أكبر من غيره والتكبر إظهاره ذلك كما في «العوارف» والاستكبار باطلاً كما في قوله تعالى في حق إبليس ﴿ٱسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤] وغير ذلك كما تجده في موارد استعمالاته في القرآن والحديث وقال في «الأسئلة المقحمة» ما معنى المتكبر من أسماء الله فإن التكبر مذموم في حق الخلق والجواب معناه هو المتعظم عما لا يليق به سبحانه وهو من الكبرياء لا من التكبر ومعناه المبالغة في العظمة والكبرياء في الله وهو الامتناع عن الانقياد فلهذا كان مذموماً في حق الخلق وهو صفة مدح في حق الله تعالى انتهى فإن قلت: ما تقول في قوله عليه السلام حين قال له عمه أبو طالب: ما أطوعك ربك يا محمد وأنت يا عم لو أطعته أطاعك؟ قلت: هذه الإطاعة والانقياد للمطيع لا للخارج عن أمره فلا ينافي عدم انقياده لغيره فهو المتكبر للمتكبر كما أنه المطيع للمطيع قال بعضهم: المتكبر هو الذي يرى غيره حقيراً بالإضافة إلى ذاته فينظر إلى الغير نظر المالك إلى عبده وهو على الإطلاق لا يتصور إلا لله تعالى فإنه المتفرد بالعظمة والكبرياء بالنسبة إلى كل شيء من كل وجه ولذلك لا يطلق على غيره تعالى إلا في معرض الذم لما أنه يفيد التكلف في إظهار ما لا يكون قال عليه السلام: «تحاجت النار والجنة فقالت هذه: يدخلني الجبارون المتكبرون وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين فقال الله لهذه: أنت عذابي أعذب بك من أشاء وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها» ومن عرف علوه تعالى وكبرياءه لازم طريق التواضع وسلك سبيل التذلل. قيل: الفقير في خلقه أحسن منه في جديد غيره فلا شيء أحسن على الخدم من لباس التواضع بحضرة السادة قال بعض الحكماء: ما أعز الله عبداً بمثل ما يدل على ذل نفسه وما أذله بمثل ما يدل على عز نفسه.

ـ حكي ـ أن بعضهم قال: رأيت رجلاً في الطواف وبين يديه خادمان يطردان الناس ثم بعد ذلك رأيته يتكفف على جسر فسألته عن ذلك فقال: إني تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله في موضع يترفع فيه الناس وعبد المتكبر هو الذي فني تكبره بتذلله للحق حتى قام كبرياء الله مقام كبره فيتكبر بالحق على ما سواه فلا يتذلل للغير قال الإمام الغزالي قدس سره: المتكبر من العباد هو الزاهد ومعنى زهد العارف أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتكبر في كل شيء سوى الله تعالى فيكون مستقراً للدنيا والآخرة مرتفعاً عن أن يشغله كلتاهما عن الحق وزهد العارف معاملة ومعاوضة فهو إنما يشتري بمتاع الدنيا متاع الآخرة فيترك الشيء عاجلاً طمعاً في أضعافه آجلاً وإنما هو سلم ومبايعة ومن استعبدته شهوته المطعم والمنكح فهو حقير وإنما المتكبر من يستحقر كل شهوة وحظ بتصور أن تشاركه فيها البهائم وخاصية هذا

الاسم الجلالة ظهور الخير والبركة حتى أن من ذكره ليلة دخوله بزوجته عند دخوله عليها وقرأه قبل جماعها عشراً رزق منها ولداً صالحاً ذكراً، وفي «الأربعين الإدريسية»: يا جليل المتكبر على كل شيء فالعدل أمره والصدق وعده قال السهروردي رحمه الله مداومه بلا فترة يجل قدره ويعز أمره ولا يقدر أحد على معارضته بوجه ولا بحال. ﴿**سبحان الله عما يشركون**﴾ تنزيه له تعالى عما يشركون به تعالى أو عن إشراكهم به إثر تعداد صفات لا يمكن أن يشاركه تعالى في شيء منها شيء ما أصلاً أي سبحوا الله تسبيحاً ونزهوه تنزيهاً عما يشركه الكفار به من المخلوقات فالله تعالى أورده لإظهار كمال كبريائه أو للتعجب من إثبات الشرك بعدما عاينوا آثار اتصافه بجلال الكبرياء وكمال العظمة.

وفي «التأويلات النجمية»: قوله سبحانه: ﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو الملك**﴾ إلخ يشير إلى وحدانية ذاته وفردانية صفاته وتصرفه في الأشياء على مقتضى حكمته الأزلية وإلى نزاهته عن النقائص الإمكانية ووصف الأمن بين العدم المحض بسبب التحقق بالوجود المطلق وإلى حفظ الأشياء في عين شيئيته وإعزازه أوليائه وقهره وإذلاله أعدائه وإلى كمال كبريائه بظهوره في جميع المظاهر وإلى نزاهة ذاته عما يشركون معنى في ذاته وفي صفاته وفي «عرائس البقلي»: سبحان الله عما يشركون إليه بالنواظر والخواطر انتهى.

﴿**هو الله الخالق**﴾ أي: المقدر للأشياء على مقتضى حكمته ووفق مشيئته فإن أصل معنى الخلق التقدير كما يقال خلق النعل إذا قدرها وسواها بمقياس وإن شاع في معنى الإيجاد على تقدير واستواء وسواء كان من مادة كخلق الإنسان من نطفة ونحوه أو من غير مادة كخلق السماوات والأرض وعبد الخالق هو الذي يقدر الأشياء على وفق مراد الحق لتجليه له بوصف الخلق والتقدير فلا يقدر إلا بتقديره تعالى وخاصية هذا الاسم أن يذكر في جوف الليل ساعة فما فوقها فيتنور قلب ذاكره ووجهه وفي «الأربعين الإدريسية»: خالق من في السماوات ومن في الأرض وكل إليه معاده قال السهروردي: يذكر لجمع الضائع والغائب البعيد الغيبة خمسة آلاف مرة. ﴿**البارىء**﴾ الموجد للأشياء بريئة من التفاوت فإن البرء الإيجاد على وجه يكون الموجد بريئاً من التفاوت والنقصان عما يقتضيه التقدير على الحكمة البالغة والمصلحة الكاملة وعبد البارىء هو الذي يبرأ عمله من التفاوت والاختلاف فلا يفعل إلا ما يناسب حضرة الاسم البارىء متعادلاً متناسباً بريئاً من التفاوت كقوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣] وخاصية هذا الاسم أن يذكره سبعة أيام متوالية كل يوم مائة مرة للسلامة من الآفات حتى من تعدى التراب عليه في القبر، وفي «الأربعين الإدريسية»: يا بارىء النفوس بلا مثال خلا من غيره قال السهروردي: يفتح لذاكره أبواب الغنى والعز والسلامة من الآفات وإذا كتب في لوح من قير وعلق على المجنون نفعه وكذلك أصحاب الأمراض الصعبة ﴿**المصور**﴾ الموجد لصور الأشياء وكيفياتها كما أراد يعني بحشنده صورت هر مخلوق. كما يصور الأولاد في الأرحام بالشكل واللون المخصوص فإن معنى التصوير تخصيص الخلق بالصور المتميزة والأشكال المتعينة قال الراغب: الصورة ما تتميز به الأعيان عن غيرها وهي محسوسة كصورة الإنسان ومعقولة كالعقل وغيره من المعاني وقوله عليه السلام: «إن الله خلق آدم على صورته» أراد بالصورة ما خص الإنسان به من الهيئة المدركة بالبصر وبالبصيرة وبها فضله على كثير من

خلقه وإضافته إلى الله على سبيل الملك لا على سبيل البعضية والتشبيه بل على سبيل التشريف له كقوله: بيت الله وناقة الله وروح الله.

يقول الفقير: الضمير المجرور في صورته يرجع إلى الله لا إلى آدم والصورة الإلهية عبارة عن الصفات السبع المرتبة وهي الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام وآدم مظهر هذه الصفات بالفعل بخلاف سائر الموجودات وإطلاق الصورة على الله تعالى مجاز عند أهل الظاهر إذ لا تستعمل في الحقيقة إلا في المحسوسات وأما عند أهل الحقيقة فحقيقة لأن العالم الكبير بأسره صورة الحضرة الإلهية فرقاً وتفصيلاً وآدم صورته جمعاً وإجمالاً:

أي زهمه صورت خوب توبه ... صورك الله على صورته
روى تو آينه حق بيني است ... در نظر مردم خود بين منه
بلكه حق آينه وتو صورتى ... وهم توى رابميان ره مده
صورت از آينه نباشد جدا ... انت به متحد فانتبه
هركه سر رشته وحدت نيافت ... پيش وى اين نكته بود مشتبه
رشته يكى دان وكره صد هزار ... كيست كزين نكته كشايد كره
هركه چو جامى بكره بند شد ... كر بسر رشته رود بازبه

والحاصل أن الخالق هنا المقدر على الحكمة الملائمة لنظام العالم والبارىء الموجد على ذلك التقدير والمصور المبدع لصور الكائنات وأشكال المحدثات بحيث يترتب عليها خواصهم ويتم بها كمالهم وبهذا ظهر وجه الترتيب بينهما واستلزام التصوير البرء والبرء الخلق استلزام الموقوف للموقوف عليه كما قال الإمام الغزالي رحمه الله وقدس سره: قد يظن أن هذه الأسماء مترادفة وأن الكل يرجع إلى الخلق والاختراع ولا ينبغي أن يكون كذلك بل كل ما يخرج من العدم إلى الوجود يفتقر إلى التقدير أولاً وإلى الإيجاد على وفق التقدير ثانياً وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثاً والله تعالى خالق من حيث إنه مقدر وبارىء من حيث إنه مخترع موجد ومصور من حيث إنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب وهذا كالبناء مثلاً فإنه محتاج إلى مقدر يقدر ما لا بد منه من الخشب واللبن ومساحة الأرض وعدد الأبنية وطولها وعرضها وهذا يتولاه المهندس فيرسمه ويصوره ثم يحتاج إلى بناء يتولى الأعمال التي عندها تحدث وتحصل أصول الأبنية ثم يحتاج إلى مزين ينقش ظاهره ويزين صورته فيتولاه غير البناء هذه هي العادة في التقدير والبناء والتصوير وليس كذلك في أفعال الله تعالى بل هو المقدر والموجد والمزين فهو الخالق البارىء المصور فقدم ذكر الخالق على البارىء لأن الإرادة والتقدير مقدمة على تأثير القدرة وقدم البارىء على المصور لأن إيجاد الذات متقدم على إيجاد الصفات. وعن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه أنه قرأ البارىء المصور بفتح الواو ونصب الراء الذي يبرأ المصور أي يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات واختلاف الأشكال وعبد المصور هو الذي لا يتصور ولا يصور إلا ما طابق الحق ووافق تصويره لأن فعله يصدر عن مصوريته تعالى ولذا قال بعضهم: حظ العارف من هذه الأسماء أن لا يرى شيئاً ولا يتصور أمراً إلا ويتأمل فيما فيه من باهر القدرة وعجائب الصنع فيترقى من المخلوق إلى الخالق وينتقل من ملاحظة المصنوع إلى ملاحظة الصانع حتى يصير بحيث كلما نظر إلى شيء وجد الله عنده وخاصية الاسم المصور الإعانة على الصنائع العجيبة وظهور الثمار ونحوها حتى أن العاقر إذا ذكرته في كل يوم إحدى

وعشرين مرة على صوم بعد الغروب وقبل الإفطار سبعة أيام زال عقمها وتصور الولد في رحمها بإذن الله تعالى ﴿له الأسماء الحسنى﴾ لدلالتها على المعاني الحسنة كما سبق في سورة طه. قال الكاشفي: مر اوراست نامهاى نيكى كه در شرع وعقل پسنديده ومستحسن باشد والحسنى صيغة تفضيل لأنها تأنيث الأحسن كالعليا في تأنيث الأعلى وتوصيف الأسماء بها للزيادة المطلقة إذ لا نسبة لأسمائه إلى غير الأسماء من أسماء الغير كما لا نسبة لذاته المتعالية إلى غير الذوات من ذوات الغير وأسماء الله تسعة وتسعون على ما جاء في الحديث ونقل صاحب «اللباب» عن الإمام الرازي أنه قال: رأيت في بعض كتب الذكر أن لله تعالى أربعة آلاف اسم ألف منها في القرآن والأخبار الصحيحة وألف في التوراة وألف في الإنجيل وألف في الزبور.

ـ روي ـ أن من دعاء رسول الله عليه السلام: «أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب» فلعل كونها تسعة وتسعين بالنظر إلى الأشهر الأشرف الأجمع وتعدد الأسماء لا يدل على تعدد المسمى لأن الواحد يسمى أباً من وجه وجداً من وجه وخالاً من وجه وعالماً من وجه وذاته متحدة قال عبد الرحمٰن البسطامي قدس سره في «ترويح القلوب»: اعلم أن من السر المكتوم في الدعاء أن تأخذ حروف الأسماء التي تذكر بها مثل قولك: الكبير المتعال ولا تأخذ الألف واللام بل تأخذ كبير متعال وتنظر كم لها من الأعداد بالجمل الكبير فتذكر ذلك العدد في موضع خال من الأصوات بالشرائط المعتبرة عند أهل الخلوة لا تزيد على العدد ولا تنقص منه فإنه يستجاب لك بالوقت وهو الكبريت الأحمر بإذن الله تعالى فإن الزيادة على العدد المطلوب إسراف والنقص منه إخلال والعدد في الذكر بالأسماء كأسنان المفتاح لأنها إن زادت وأنقصت لا تفتح الباب وقس عليه باب الإجابة فافهم السر وصن الدر.

ثم اعلم أن العارفين يلاحظون في الأسماء آلة التعريف وأصل الكلمة والملامية يطرحون منها آلة التعريف لأنها زائدة على أصل الكلمة قال العلماء: الاسم هو اللفظ الدال على المعنى بالوضع والمسمى هو المعنى الموضع له والتسمية وضع اللفظ له أو إطلاقه عليه وإطلاق الاسم على الله تعالى توقيفي عند البعض بحيث لا يصح إطلاق شيء منه عليه إلا بعد أن كان وارداً في القرآن أو الحديث الصحيح وقال آخرون: كل لفظ دل على معنى يليق بجلال الله وشأنه فهو جائز الإطلاق وإلا فلا ومن أدلة الأولين أن الله عالم بلا مرية فيقال له: عالم وعليم وعلام لوروده في الشرع ولا يقال له: عارف أو فقيه أو متيقن إلى غير ذلك مما يفيد معنى العلم ومن أدلة الآخرين أن الأسماء لله وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية والهندية وغيرها مع أنها لم ترد في القرآن والحديث ولا في الأخبار وأن المسلمين أجمعوا على جواز إطلاقها ومنها أن الله تعالى قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] والاسم لا يحسن إلا لدلالته على صفات الكمال ونعوت الجلال فكل اسم دل على هذه المعاني كان اسماً حسناً وأنه لا فائدة في الألفاظ إلا رعاية المعاني فإذا كانت المعاني صحيحة كان المنع من إطلاق اللفظ المفيد غير لائق. غاية ما في الباب أن يكون وضع الاسم علماً له مستحدثاً وذكر ما يوهم معنى غير لائق به تعالى ليس بأدب أما ذكر ما هو دال على معنى حسن ليس فيه إيهام معنى مستنكر مستنفر فليس فيه من سوء الأدب شيء. ﴿يسبح له ما في السموات والأرض﴾ ينطق بتنزهه عن جميع النقائص تنزهاً ظاهراً قال في «كشف الأسرار»: يسبح له جميع الأشياء إما بياناً ونطقاً وإما

برهاناً وخلقاً وقد مر الكلام في هذا التسبيح مراراً وجمهور المحققين على أنه تسبيح عبارة وهو لا ينافي تسبيح الإشارة وكذا العكس ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ الجامع للكمالات كافة فإنها مع تكثرها وتشعبها راجعة إلى الكمال في القدرة والعلم.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: الحكيم ذو الحكمة والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأجل العلوم وأجل الأشياء هو الله تعالى وأجل العلوم هو العلم الأزلي الدائم الذي لا يتصور زواله فليس يعلم الله حقيقة إلا الله ومن عرف جميع الأشياء ولم يعرف الله بقدر الطاقة البشرية لم يستحق أن يسمى حكيماً فمن عرف الله فهو حكيم وإن كان ضعيف القوة في العلوم الرسمية كليل اللسان قاصر البيان فيها إلا أن نسبة حكمة العبد إلى حكمة الله كنسبة معرفته إلى معرفته بذاته وشتان بين المعرفتين فشتان بين الحكمتين ولكنه مع بعده عنه هو أنفس المعارف وأكثرها خيراً ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وعبد الحكيم هو الذي بصره الله بمواقع الحكمة في الأشياء ووفقه للسداد في القول والصواب في العمل وهو لا يرى خللاً في شيء إلا يسده ولا فساداً إلا يصلحه وخاصية هذا الاسم دفع الدواهي وفتح باب الحكمة فمن أكثر ذكره صرف الله عنه ما يخشاه من الدواهي وفتح الله باب الحكمة وإنما مدح الله نفسه بهذه الصفات العظام تعليماً لعباده المدح بصفاته العلى بعد فهم معانيها ومعرفة استحقاقه بذلك طلباً لزيادة تقربهم إليه.

قال أبو الليث في «تفسيره» فإن قال قائل: قد قال الله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢] فما الحكمة في أن الله تعالى نهى عباده عن مدح أنفسهم ومدح نفسه؟ قيل له: عن هذا السؤال جوابان أحدهما أن العبد وإن كان فيه خصال الخير فهو ناقص وإذا كان ناقصاً لا يجوز له أن يمدح نفسه والله تعالى تام الملك والقدرة فيستوجب بهما المدح فمدح نفسه ليعلم عباده فيمدحوه. والجواب الآخر أن العبد وإن كان فيه خصال الخير فتلك إفضال من الله تعالى ولم يكن ذلك بقوة العبد فلهذا لا يجوز أن يمدح نفسه. ونظير هذا أن الله تعالى نهى عباده أن يمنوا على أحد بالمعروف وقد منّ على عباده للمعنى الذي ذكر في المدح قال بعض الكبار: تزكية الإنسان لنفسه سم قاتل وهي من باب شهادة الزور لجهله بمقامه عند الله إلا أن يترتب على ذلك مصلحة دينية فللإنسان ذلك كما قال عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر» أي لا أفتخر عليكم بالسيادة إنما الفخر بالعبودية والفخر بالذات لا يكون إلا لله وحده وأما الفخر في عباده فإنما هو للرتب فيقال: صفة العلم أفضل من صفة الجهل ونحو ذلك ولا يخفى أن الرتب نسبة عدمية فما افتخر من افتخر إلا بالعدم ولذلك أمر الله نبيه أن يقول ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [فصلت: ٦] فلم ير لذاته فضلاً على غيره ثم ذكر شرف الرتبة بقوله ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [فصلت: ٦].

اعلم أن الأولى لك أن تسكت عن بحثين وتكل العلم فيهما إلى الله العليم الخبير أحدهما ما يكون بين العلماء من أن صفات الله الثابتة هل هي موجودات بوجودات مستقلة غير وجوده تعالى أو لا بعد الإيمان باتصافه تعالى بها وكمالها ودوامها والثاني ما يكون بين المشايخ من أن الوجود هل هو واحد والله سبحانه وتعالى هو ذلك الوجود وسائر الموجودات مظاهر له لا وجود لها بالاستقلال أو له تعالى وجود زائد على ذاته واجب لها مقتضية هي إياه ولغيره تعالى من الموجودات وجودات أخر غير الوجود الواجب على ما هو البحث الطويل بينهم وإلى ذلك يرشدك ما قالوا من أن ما اتصف الله به فهو واجب لا يتغير أصلاً وما لم يتصف به فهو

ممتنع لا يكون قطعاً فإذا اختلف اثنان في ذاته وصفاته تعالى فلا جرم أن واحداً منهما إما ينفي الواجب أو يثبت الممتنع وكلاهما مشكل وأن ما أبهم علمه فالأدب فيه السكوت بعد الإيمان بما ظهر من القرآن والحديث واتفاق الصحابة رضي الله عنهم فإن المرء لا يسأل إلا عن علم لزمه في إقامة الطاعة وإدامة العبادة لمولاه قال صاحب «الشرعة»: ولا يناظر أحد في ذات الله وصفاته المتعالي عن القياس والأشباه والأوهام والخطرات، وفي الحديث «إن هلاك هذه الأمة إذا نطقوا في ربهم» وإن ذلك من أشراط الساعة فقد كان عليه السلام يخر ساجداً لله تعالى متى ما سمع ما يتعالى عنه رب العزة ولا يجيب السائل عن الله إلا بمثل ما جاء به القرآن في آخر سورة الحشر من ذكر أفعاله وصفاته ولا يدقق الكلام فيه تدقيقاً فإن ذلك من الشيطان وضرر ذلك وفساده أكثر من نفعه.

قال بعض الكبار: ما في الفرق الإسلامية أسوء حالاً من المتكلمين لأنهم ادعوا معرفة الله بالعقل على حسب ما أعطاهم نظرهم القاصر فإن الحق منزه عن أن يدرك أو يعلم بأوصاف خلقه عقلاً كان أو علماً روحاً كان أو سراً فإن الله ما جعل الحواس الظاهرة والباطنة طريقاً إلا إلى معرفة المحسوسات لا غير والعقل بلا شك منها فلا يدرك الحق بها لأنه تعالى ليس بمحسوس ولا بمعلوم معقول وقد تبين لك بهذا خطأ جميع من تكلم في الحق وصفاته بما لم يعلمه من الحق ولا من رسله عليه السلام وقال بعض العارفين: سبب توقف العقول في قبول ما جاء في الكتاب والسنة من آيات الصفات وأخبارها حتى يؤول ضعفها وعدم ذوقها فلو ذاقوا كإذاقة الأنبياء وعملوا على ذلك بالإيمان كما عملت الطائفة لأعطاهم الكشف ما أجاله العقل من حيث فكره ولم يتوقفوا في نسبة تلك الأوصاف إلى الحق فاعلم ذلك واعمل به تعرف أن علم القوم هو الفلك المحيط الحاوي على جميع العلوم.

ـ حكي ـ أن الفاضل محمد الشهرستاني صاحب كتاب «الملل والنحل» كان من كبار المتكلمين وفحولهم وكان له بحث كثير في علم الكلام ربما لم يسبق إليه سواه حتى جمع في ذلك الكتاب تلك المباحث القطعية ثم انتهى أمره إلى العجز فيه والتحير في ذاته حتى رجع إلى مذهب العجائز فقال عليكم بدين العجائز فإنه من أسنى الجوائز وأنشد:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أرِ إلا واضعاً كف حائر ... على ذقن أو قارعاً سن نادم

ثم قال: والوجه أن يعتقد العبد الدين الذي جاء به محمد عليه السلام ودعا إليه وإليه أناب ولا يدخل في ذلك شيئاً من نظر عقله لا في تنزيه ولا في تشبيه بل يؤمن بكل آية جاءت في ذات الله وصفاته على بابها ويكل علمها إلى الله الذي وصف ذاته بها هذا هو طريق السلامة والدين الصحيح وعلى ذلك كانت الصحابة والسلف الصالحون رضي الله عنهم وإليه ينتهي الراسخون في العلم والعقلاء المحققون عند آخر أمرهم ومن وفقه الله كان عليه وآل نظره إليه ومن بقي على ما أعطاه نظره واجتهاده فليس ذلك بمتبع محمداً عليه السلام فيما جاء به مطلقاً لأنه أدخل فيه حاصل نظره وتأويله واتكل على رأيه وعقله وهذه وصيتي إليكم إن أردتم السلامة وعدم المطالبة ومن أراد غير ذلك لم ينج من السؤال وكان على خطر في المآل لأن القطع بما أراد الله عسير فإنا رأينا العقلاء اختلفت أدلتهم في الله فالمعتزلي يخالف الأشعري وبالعكس وهم يخالفون الحكماء وبالعكس كل طائفة تجهل الأخرى وتكفرها فعلمنا أن سبب

ذلك هو اختلاف نظرهم وعدم عثورهم على الدليل الصحيح إما كلهم أو بعضهم ورأينا الأنبياء عليهم السلام لم يختلف منهم اثنان في الله قط عز وجل وكل دعوا إليه تعالى على باب واحد وكان اختلافهم في فروع الأحكام بحكم الله تعالى لا في أصولها قط قال الله تعالى سبحانه ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] فقوله: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟﴾ [الشورى: ١٣] فيه دليل على اجتماعهم على أمر واحد في الأصول لأن الفروع معلومة بوقوع الاختلاف فيها وذلك لا يضر وإنما يضر الاختلاف في الأصول إذ لو وقع الاختلاف فيها لما وقع الاتفاق ولكانت الدعوة لا تصح لأن الإله الذي يدعو إليه هذا غير الإله الذي يدعو ذلك إليه والله تعالى قال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] وعم الطوائف كلها من آدم عليه السلام بالخطاب وهلم جرا إلى يوم القيامة إلى هنا من كلامه أورده حضرة الشيخ صدر الدين قدس سره في رسالته المعمولة وصية للطالبين وعظة للراغبين.

ثم اعلم أن من شرف هذه الأسماء المذكورة في الآخر ما قال أبو هريرة رضي الله عنه: «سألت حبيبي رسول الله عليه السلام عن اسم الله الأعظم فقال: هو في آخر الحشر» وفي «عين المعاني» قال عليه السلام: سألت جبريل عن اسم الله الأعظم فقال: عليك بآخر الحشر فأكثر قراءته فأعدت عليه فأعاد علي وعنه عليه السلام: «من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه» وفي بعض الروايات «يحرسونه حتى يمسي فإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة» رواه معقل بن يسار رضي الله عنه وإنما جمع بين استعاذة وقراءة آخر الحشر والله أعلم لأن في الاستعاذة الإشعار بكمال العجز والعبودية وفي آخر الحشر الإقرار بجلال القدرة والعظمة والربوبية فالأول تخلية عن العجب والثاني تخلية بالإيمان الحق وبهما يتحقق منزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٣، ٦٤] فيترتب عليه قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧] الآية كما في «تفسير الفاتحة» للمولى الفناري رحمه الله وعن أبي أمامة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ خواتيم الحشر من ليل أو نهار فقبض من ذلك اليوم أو الليلة فقد استوجب الجنة» وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا حجاب ولا السماوات السبع والأرضون السبع والهوام والطير والريح والشجر والدواب والجبال والشمس والقمر والملائكة إلا صلوا عليه فإن مات ـ أي من يومه أو ليلته ـ مات شهيداً» كما في «كشف الأسرار» وقوله: مات شهيداً، أي يثاب ثواب الشهادة على مرتبة وللشهادة مراتب قد مرت.

تمت سورة الحشر في أواخر شهر الله رجب المنتظم
في سلك شهور سنة خمس عشرة ومائة وألف

٦٠ ـ سورة الممتحنة

مدنية وآيها ثلاث عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لعل الممتحنة مأخوذة من قول الله تعالى فيما بعد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠] أمر الله المؤمنين هناك بالامتحان فهم الممتحنون بكسر الحاء مجازاً للمبالغة وأضيفت السورة إليها وسميت بسورة الممتحنة مثل سورة الفاتحة قيل: إن إضافة السورة إلى الفاتحة من قبيل إضافة العام إلى الخاص ولا بعد أن تكون من قبيل إضافة المسمى إلى اسمه مثل كتاب «الكشاف» فإن الفاتحة من جملة أسماء سورة الفاتحة وقس على ذلك سورة الممتحنة ويحتمل أن يكون المراد الجماعة الممتحنة أي المأمور بامتحانها ويؤيده ما روي أنه قد تفتح الحاء فيكون المراد النساء المختبرة فالإضافة بمعنى اللام التخصيصية أي سورة تذكر فيها النساء الممتحنة مثل سورة البقرة وأمثالها ويحتمل أن يكون مصدراً ميمياً بمعنى الامتحان على ما هو المشهور من أن المصدر الميمي وأسماء المفعول والزمان والمكان فيما زاد على الثلاثي تكون على صيغة واحدة أي سورة الامتحان مثل سورة الإسراء وغيرها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١)﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ نزلت في حاطب بن أبي بلتعة العبسي وحاطب بالحاء المهملة قال في «كشف الأسرار»: ولد في زمن رسول الله ﷺ وأصله من الأزد وهو حي باليمن وأعتقه عبيد الله بن حميد بن زهير الذي قتله علي رضي الله عنه يوم بدر كافراً وكان حاطب يبيع الطعام ومات بالمدينة وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان من المهاجرين وشهد بدراً وبيعة الرضوان وعمم الله الخطاب في الآية تعميماً للنصح. والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر أوقع على الجمع إيقاعه على الواحد والمراد هنا كفار قريش وذلك أنه لما تجهز رسول الله ﷺ لغزوة الفتح في السنة الثامنة من الهجرة «كتب حاطب إلى أهل مكة أن رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فإنه قد توجه إليكم في جيش كالليل وأرسل الكتاب مع سارة مولاة بني عبد المطلب أي معتقتهم وأعطاها عشرة دنانير وبردة وكانت سارة قدمت من مكة وكانت مغنية فقال لها عليه السلام لماذا جئت؟ فقالت: جئت لتعطيني شيئاً فقال: ما فعلت بعطياتك من شبان قريش؟ فقالت: مذ قتلتهم ببدر

لم يصل إلي شيء إلا القليل فأعطاها شيئاً فرجعت إلى مكة ومعها كتاب حاطب فنزل جبرائيل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله عليه السلام علياً وعماراً وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ـ موضع بين الحرمين وخاخ بالمعجمتين يصرف ويمنع ـ فإن بها ظعينة ـ وهي المرأة ما دامت في الهودج وإذا لم تكن فيه فهي المرأة ـ معها كتاب حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها فخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها فأدركوها ثمة فجحدت فسل علي رضي الله عنه سيفه فأخرجته من عقاصها أي من ضفائرها».

ـ روي ـ «أن رسول الله عليه السلام أمن جميع الناس يوم فتح مكة إلا أربعة هي أحدهم فأمر بقتلها فاستحضر رسول الله حاطباً فقال: ما حملك على هذا؟ فقال: يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ـ الغش ترك النصح والنصح عبارة عن التصديق بنبوته ورسالته والانقياد لأوامره ونواهيه ـ ولكني كنت امرأ ملصقاً في قريش أي حليفاً ولم أكن من أنفسهم ومن معك من المهاجرين كان له فيهم قرابات يحمون أهاليهم وأموالهم وليس فيهم من يحمي أهلي فأردت أن آخذ عندهم يداً ـ أي أجعل عندهم نعمة ـ ولم أفعله كفراً وارتداداً عن ديني وقد علمت أن كتابي لا يغني عنهم شيئاً فصدقه رسول الله وقبل عذره فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال: يا عمر إنه شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضي الله عنه» وفي القصة إشارة إلى جواز هتك ستر الجواسيس وهتك أستار المفسدين إذا كان فيه مصلحة أو في ستره مفسدة وأن من تعاطى أمراً محظوراً ثم ادعى له تأويلاً محتملاً قبل منه وأن العذر مقبول عند كرام الناس.

ـ روي ـ أن حاطباً رضي الله عنه لما سمع ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ غشي عليه من الفرح بخطاب الإيمان لما علم أن الكتاب المذكور ما أخرجه عن الإيمان لسلامة عقيدته ودل قوله ﴿**وعدوكم**﴾ على إخلاصه فإن الكافر ليس بعدو للمنافق بل للمخلص. ﴿**تلقون إليهم بالمودة**﴾ الود محبة الشيء وتمني كونه ويستعمل في كل واحد من المعنيين أي توصلون محبتكم بالمكاتبة ونحوها من الأسباب التي تدل على المودة على أن الباء زائدة في المفعول كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] أو تلقون إليهم أخبار النبي عليه السلام بسبب المودة التي بينكم وبينهم فيكون المفعول محذوفاً للعلم به والباء للسببية والجملة حال من فاعل لا تتخذوا أي لا تتخذوا حال كونكم ملقين المودة فإن قلت: قد نهوا عن اتخاذهم أولياء مطلقاً في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١] والتقييد بالحال يوهم جواز اتخاذهم أولياء إذا انتفى الحال قلت: عدم جوازه مطلقاً لما علم من القواعد الشرعية تبين أنه لا مفهوم للحال هنا البتة فإن قلت: كيف قال: ﴿**لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء**﴾ والعداوة والمحبة لكونهما متنافيتين لا تجتمعان في محل واحد والنهي عن الجمع بينهما فرع إمكان اجتماعهما قلت إنما كان الكفار أعداء للمؤمنين بالنسبة إلى معاداتهم لله ورسوله ومع ذلك يجوز أن يتحقق بينهم الموالاة والصداقة بالنسبة إلى الأمور الدنيوية والأغراض النفسانية فنهى الله عن ذلك يعني فلم يتحقق وحدة النسبة من الوحدات الثمان وحيث لم يكتف بقوله: ﴿**عدوي**﴾ بل زاد قوله: ﴿**وعدوكم**﴾ دل على عدم مروءتهم وفتوتهم فإنه يكفي في عداوتهم لهم وترك موالاتهم كونهم أعداء الله سواء كانوا أعداء لهم أم لا ﴿**وقد**

كفروا بما جاءكم من الحق﴾ حال من فاعل تلقون والحق هو القرآن أو دين الإسلام أو الرسول عليه السلام. **﴿يخرجون الرسول وإياكم﴾** حال من فاعل كفروا أي مخرجين الرسول وإياكم من مكة والمضارع لاستحضار الصورة. **﴿أن تؤمنوا بالله ربكم﴾** تعليل للإخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب، أي على الرسول والالتفات من التكلم إلى الغيبة حيث لم يقل: أن تؤمنوا بي للإشعار بما يوجب الإيمان من الألوهية والربوبية. **﴿إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي﴾** متعلق بلا تتخذوا كأنه قيل: لا تتولوا أعدائي إن كنتم أوليائي وانتصاب جهاداً وابتغاء على أنهما مفعول لهما لخرجتم أي إن كنتم خرجتم عن أوطانكم لأجل هذين فلا تتخذوهم أولياء ولا تلقوا إليهم بالمودة. والجهاد بالكسر القتال مع العدو كالمجاهدة وفي «التعريفات» هو الدعاء إلى الدين الحق، وفي «المفردات»: الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو وهو جهاد العدو الظاهر وجهاد الشيطان وجهاد النفس ويكون باليد واللسان والمرضاة مصدر كالرضى وفي عطف **﴿وابتغاء مرضاتي﴾** على **﴿جهاداً في سبيلي﴾** تصريح بما علم التزاماً فإن الجهاد في سبيل الله إنما هو لإعلاء دين الله لا لغرض آخر وإسناد الخروج إليهم معللاً بالجهاد والابتغاء يدل على أن المراد من إخراج الكفرة كونهم سبباً لخروجهم بأذيتهم لهم فلا ينافي تلك السببية كون إرادة الجهاد والابتغاء علة له. **﴿تسرون إليهم بالمودة﴾** استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ كأنهم سألوا ماذا صدر عنا حتى عوتبنا؟ فقيل: تلقون إليهم المودة سراً على أن الباء صلة جيء بها لتأكيد التعدية أو الإخبار بسبب المودة ويجوز أن يكون تعدية الإسرار بالباء لحمله على نقيضه الذي هو الجهر. **﴿وأنا أعلم﴾** حال من فاعل تسرون أي والحال أني أعلم منكم **﴿بما أخفيتم وما أعلنتم﴾** من مودة الأعداء والاعتذار وغير ذلك فإذا كان بينهما تساو في العلم فأي فائدة في الإسرار والاعتذار. **﴿ومن﴾** وهركه **﴿يفعله منكم﴾** أي الاتخاذ المنهي عنه أي ومن يفعل ما نهيت عنه من موالاتهم والأقرب من يفعل الإسرار. **﴿فقد ضل سواء السبيل﴾** فقد أخطأ طريق الحق والصواب الموصل إلى الفوز بالسعادة الأبدية وبالفارسية پس بدرستى كه اوازراه راست كم شد. وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف وضل متعد وسواء السبيل مفعوله ويجوز أن يجعل قاصراً وينتصب سواء السبيل على الظرفية قال القرطبي: هذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله ونصيحته لرسول الله وصدق إيمانه فإن المعاتبة لا تكون إلا من حبيب لحبيب كما قيل: إذا ذهب العتاب فليس ود. ويبقى الود ما بقي العتاب. والعتاب إظهار الغضب على أحد لشيء مع بقاء المحبة بالترك وفي الآية إشارة إلى عداوة النفس والهوى والشيطان فإنها تبغض عبادة الله وتبغض عباد الله أيضاً إذا لم يكونوا مطيعين لها في إنفاذ شهواتها وتحصيل مراداتها وأصل عداوة النفس أن تفطمها من مألوفاتها وتحبسها في محبس المجاهدة وعلامة حب الله بغض عدو الله قال عليه السلام: «أفضل الإيمان الحب في الله والبغض في الله» قال أبو حفص رحمه الله: من أحب نفسه فقد اتخذ عدو الله وعدوه ولياً وإن النفس تخالف ما أمرت به وتعرض عن سبيل الرشد وتهلك محبها ومتبعها في أول قدم وجاء في أخبار داود عليه السلام: يا داود عاد نفسك فليس لي في المملكة منازع غيرها وفي «كشف الأسرار»: بلشكر اندك روم از قيصر بتوان ستد وبجمله أولياي روى زمين نفس را از يكى نتوان ستد زيرا نفس راحيل بسيارست احمد حضرويه بلخى رحمه الله كويد نفس خودرا بأنواع رياضات ومجاهدات مقهور كرده بودم روزى

نشاط غزا كرد عجب داشتم كه از نفس نشاط طاعت نيايد كفتم درزير اين كويى چه مكر باشد مكردر كرسنكى طاقت نمى داردكه پيوسته اورا روزه همى فرمايم خواهد درسفر روزه بكشايد كفتم أي نفس اكر اين سفر پيش كيرم روزه نكشايم كفت روا دارم كفتم مكر از انست كه طاقت نماز شب نميدارد ميخواهدكه درسفر بخسبد كفتم درسفر قيام شب كم نكنم جنانكه در حضر كفت روا دارم تفكر كردم كه مكر ازان نشاط سفر غزا كرده كه در حضر باخلق مى نياميزدكه اورا درخلوت وعزلت ميدارم مرادش آنست كه باخلق صحبت كند كفتم أي نفس هرجاكه روم درين سفر ترا بخرابه فروآرم كه هيچ خلق رانه بيني كفت روا دارم از دست وى عاجز ماندم بالله تعالى زاريدم وتضرع كردم تا از مكروى مرا آكاهى دادكه در غزا كشتن يكباركى باشد وبهمه جهان شودكه احمد حضرويه بغزا شهادت يافت كفتم سبحان الله آن خداونديكه نفسي آفريند بدين معيوبي كه بدنيا منافق باشد وبعد ازمرك مرايى باشدنه درين جهان حقيقت اسلام خواهدنه دران جهان آنكه كفتم أي نفس اماره والله كه باين غزا نروم تاتودر زير طاعت زنا ربندى پس در حضرآن رياضات ومجاهدات كه دران بودم زيادت كردم قوله: ﴿بما أخفيتم﴾ أي من دعوى الأنانية و﴿ما أعلنتم﴾ من العبودية كما هو شأن النفس وقال أبو الحسين الوارق رحمه الله: بما أخفيتم في باطنكم من المعصية وما أعلنتم في ظاهركم للخلق من الطاعة انتهى.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾

﴿**إن يثقفوكم**﴾ أي يظفروا بكم ويتمكنوا منكم والثقف الحذق في إدراك الشيء وفعله وثقفت كذا إذا أدركته ببصرك لحذق في النظر ثم قد تجوز به فاستعمل في الإدراك وإن لم يكن معه ثقافة كما في هذا الموضع ونحوه. ﴿**يكونوا لكم أعداء**﴾ أي: يظهروا ما في قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها أحكامها ولا ينفعكم إلقاء المودة إليهم. ﴿**ويبسطوا**﴾ ويطيلوا ﴿**إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء**﴾ أو بما يسوؤكم من القتل والأسر والشتم ﴿**وودوا لو تكفرون**﴾ أي تمنوا ارتدادكم وكونكم مثلهم كقوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] فكلمة لو هنا مصدرية وصيغة الماضي للإيذان بتحقق ودادتهم قبل أن يثقفوهم أيضاً فهو معطوف على يبسطوا.

﴿**لن تنفعكم أرحامكم**﴾ أي قراباتكم قال الراغب: الرحم رحم المرأة وهي في الأصل وعاء الولد في بطن أمه ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة ﴿**ولا أولادكم**﴾ الذين توالون المشركين لأجلهم وتتقربون إليهم محاماة عليهم جمع ولد بمعنى المولود يعم الذكر والأنثى ﴿**يوم القيامة**﴾ بجلب نفع أو دفع ضر ظرف لقوله: ﴿**لن تنفعكم**﴾ فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده ﴿**يفصل بينكم**﴾ استئناف لبيان عدم نفع الأرحام والأولاد يومئذٍ أي يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ﴾ [عبس: ٣٤، ٣٥] الآية فما لكم ترفضون حق الله لمراعاة حق من يفر منكم غداً وقيل: يفرق بين الوالد وولده وبين القريب وقريبه فيدخل أهل طاعته الجنة وأهل معصيته النار ﴿**والله بما تعملون بصير**﴾ فيجازيكم به وهو أبلغ من خبير لأنه جعله

كالمحسوس بحس البصر مع أن المعلوم هنا أكثره المبصرات من الكتاب والإتيان بمن يحمل الكتاب وإعطاء الأجرة للحمل وغيرها وفي الآية إشارة إلى عداوة النفس وصفاتها للروح وأخلاقه فإن النفس ظلمانية سفلية كثيفة والروح وقواه نورانية علوية لطيفة ولا شك أن بين النور والظلمة تدافعاً ولذا تجتهد النفس أن تغلب الروح بظلمانيتها حتى يكون الحكم لها في مملكة الوجود وهو تصرفها باليد وأما بسط لسانها بالسوء فبمدح الأخلاق الذميمة وذم الأخلاق الحميدة فالقالب كبلد فيه أشراف وأرذال كل بطن واحد لأن القوى الخيرة والشريرة إنما حصلت من ازدواج الروح مع القالب فالنفس وصفاتها من الأرذال وعلى مشرب قابيل وكنعان ولدي آدم ونوح عليهما السلام فليست من الأهل في الحقيقة والروح وقواه من الأشراف وعلى مشرب هابيل ونحوه فهي من الأهل في الحقيقة ولذا تنقطع هذه النسبة يوم القيامة فيكون الروح في النعيم والنفس في الجحيم عند تجلي اللطف والجمال والقهر والجلال جعلنا الله وإياكم من أهل الكمال والنوال.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾.

﴿قد كانت لكم﴾ أيها المؤمنون. **﴿أسوة حسنة﴾** قال الراغب: الإسوة والأسوة كالقدوة والقدوة هي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسناً وإن قبيحاً وإن ساراً وإن ضاراً والأسى الحزن وحقيقته اتباع الفائت بالغم والمعنى خصلة حميدة حقيقة بأن يؤتسى ويقتدى بها ويتبع أثرها قوله أسوة اسم كانت ولكم خبرها وحسنة صفة أسوة مقيدة إن عمت الأسوة المحمودة والمذمومة وكاشفة مادحة إن لم تعم **﴿في إبراهيم والذين معه﴾** أي: من أصحابه المؤمنين صفة ثانية لأسوة وقولهم: لي في فلان أسوة أي قدوة من باب التجريد لا أن فلاناً نفسه هو القدوة ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي لي في سنته وأفعاله وأقواله وقيل: المراد الأنبياء الذين كانوا في عصره وقريباً منه قال ابن عطية: وهذا القول أرجح لأنه لم يرد أن إبراهيم كان له أتباع مؤمنون في مكافحة نمرود وفي «البخاري» أنه قال لسارة حين رحل بها إلى الشأم مهاجراً بلاد نمرود: ما على الأرض من يعبد الله غيري وغيرك. **﴿إذ قالوا﴾** ظرف لخبر كان ومعمول له أو لكان نفسها عند من جوز عملها في الظرف وهو الأصح **﴿لقومهم﴾** الكفار **﴿إنا برءاء منكم﴾** جمع بريء كظريف وظرفاء يعني ما بيزاريم ازشما **﴿ومما تعبدون من دون الله﴾** من أصنام أظهروا البراءة أولاً من أنفسهم مبالغة وثانياً من عملهم الشرك إذ المقصود من البراءة أولاً من معبودهم هو البراءة من عبادته ويحتمل أن تكون البراءة منهم أن لا يصاحبوهم ولا يخالطوهم ومن معبودهم أن لا يقربوا منه ولا يلتفتوا نحوه ويحتمل أن تكون البراءة منهم بمعنى البراءة من قرابتهم لأن الشرك يفصل بين القرابات ويقطع الموالاة وحاصل الآية هلا فعلتم كما فعل إبراهيم حيث تبرأ من أبيه وقومه لكفرهم وكذا المؤمنون. **﴿كفرنا بكم﴾** أي: بدينكم على إضمار المضاف والكفر مجاز عن عدم الاعتداد والجحد والإنكار فإن الدين الباطل ليس بشيء إذ الدين الحق عند الله هو الإسلام **﴿وبدا﴾** بدا الشيء بدوا وبداء أي ظهر ظهوراً بيناً والبادية كل مكان يبدو ما يعن فيه أي يعرض **﴿بيننا﴾** ظرف لبدا **﴿وبينكم**

العداوة والبغضاء أبداً﴾ أي: هذا دأبنا معكم لا نتركه والبغض ضد الحب. وقال الكاشفي: وآشكار اشد ميان ما وشماد شمني بدل ودشمني بدست يعني محاربه أبداً هميشه يعني پيوسته دشمنى قائم خواهد بود درميان بدل ودست ﴿حتى﴾ غاية لبدا ﴿تؤمنوا بالله وحده﴾ وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة والمقت مقة والوحشة إلفة فالبغض نفور النفس من الشيء الذي ترغب عنه والحب انجذاب النفس إلى الشيء الذي ترغب فيه فإن قلت: ما وجه قوله: ﴿حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ ولا بد في الإيمان من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؟ قلت: الإيمان بالله في حال وحدته يستلزم الإيمان بالجميع مع أن المراد الوحدة الإلهية رداً للأصنام قال بعض المشايخ أسوة إبراهيم خلة الله والتبري مما دون الله والتخلق بخلق الله والتأوه والبكاء من شوق الله وقال ابن عطاء رحمه الله: الأسوة القدوة بالخليل في الظاهر من الأخلاق الشريفة وهو السخاء وحسن الخلق واتباع ما أمر به على الكرب وفي الباطن الإخلاص في جميع الأفعال والإقبال عليه في كل الأوقات وطرح الكل في ذات الله تعالى وأسوة رسول الله عليه السلام في الظاهر العبادات دون البواطن والأسرار لأن أسراره لا يطيقها أحد من الخلق لأنه باين الأمة بالمكان ليلة المعراج ووقع عليه تجلي الذات:

سپهدار رسل سرخيل دركاه سرير افروز ملك لي مع الله

﴿إلا قول إبراهيم لأبيه﴾ آزر ﴿لأستغفرن لك﴾ يا أبي استثناء من قوله تعالى: ﴿أسوة حسنة﴾ فإن استغفاره عليه السلام لأبيه الكافر وإن كان جائزاً عقلاً وشرعاً لوقوعه قبل تبين أنه من أصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغي أن يؤتسى به أصلاً إذ المراد به ما يجب الائتساء به حتماً لورود الوعيد على الإعراض عنه بما سيأتي من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٢٤] فاستثناؤه من الأسوة إنما يفيد عدم استدعاء الإيمان والمغفرة للكافر المرجو إيمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل وأما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعاً وحمل الأب على العم يخالف العقل والنقل لأن الله تعالى يخرج الحي من الميت والعبرة بالحسب لا بالنسب وعن علي رضي الله عنه شرف المرء بالعلم والأدب لا بالأصل والنسب.

هنر بنماى اكر دارى نه كوهر كل از خارست وابراهيم از آزر

﴿وما أملك لك من الله من شيء﴾ من تمام القول المستثنى فمحله النصب على أنه حال من فاعل لأستغفرن لك أي أستغفر لك وليس في طاقتي إلا الاستغفار دون منع العذاب إن لم تؤمن فمورد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذي هو في نفسه من خصال الخير لكونه إظهاراً للعجز وتفويضاً للأمر إلى الله تعالى وفي هذه الآية دلالة بينة على تفضيل نبيه محمد عليه السلام وذلك أنه حين أمر بالاقتداء به أمر على الإطلاق ولم يستثن فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] وحين أمر بالاقتداء بإبراهيم استثنى وأيضاً قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١] فأطلق الاقتداء ولم يقيده بشيء. قال الصائب:

هلاك حسن خدا داد او شوم كه سراپا چو شعر حافظ شيرازى انتخاب ندارد

﴿ربنا﴾ إلخ من تمام ما نقل عن إبراهيم ومن معه من الأسوة الحسنة ﴿عليك

توكلنا﴾ اعتمدنا يعني از خلق بريديم واعتماد كلي بر كرم تونموديم ﴿وإليك أنبنا﴾ رجعنا بالاعتراف بذنوبنا وبالطاعة ﴿وإليك المصير﴾ أي الرجوع في الآخرة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والإنابة والمصير على الله تعالى:

سوى تو كرديم روى ودل بتو بستيم   زهمه باز آمديم وباتو نشستيم
هرچه نه پيوند يار بود بربديم   هرچه نه پيمان دوست بود كسستيم

قالوه بعد المجاهدة وشق العصا التجاء إلى الله تعالى في جميع أمورهم لا سيما في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾

﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه فالفتنة بمعنى المفعول وربنا بدل من الأول وكذا قوله ربنا فيما بعده وقال بعضهم: ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ فتقتر علينا الرزق وتبسطه عليهم فيظنوا أنهم على الحق ونحن على الباطل ﴿واغفر لنا﴾ ما فرط منا من الذنوب وإلا كان سبباً لظهور العيوب وباعثاً للابتلاء المهروب ﴿ربنا﴾ تكرير النداء للمبالغة في التضرع والجؤار فيكون لاحقاً بما قبله ويجوز أن يكون سابقاً لما بعده توسلاً إلى الثناء بإثبات العزة والحكمة والأول أظهر وعليه ميل السجاوندي حيث وضع علامة الوقف الجائز على ربنا وهو في اصطلاحه ما يجوز فيه الوصل والفصل باعتبارين وتلك العلامة الجيم بمسماه وهو ج. ﴿إنك أنت العزيز﴾ الغالب الذي لا يذل من التجأ إليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه. ﴿الحكيم﴾ لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة وقال بعض أهل الإشارة: تعز أولياءك بالفناء فيك وتحييهم ببقائك بلطائف حكمتك فيكون المراد بالفتنة غلبة ظلمة النفس والهوى وبالمغفرة الستر بالهوية الأحدية عن الأنيات وبالصفات الواحدية عن التعينات.

﴿لقد كان لكم فيهم﴾ أي: في إبراهيم ومن معه ﴿أسوة حسنة﴾ تكرير للمبالغة في الحث على الائتساء به عليه السلام وذلك صدر بالقسم، وجعله الطيبي من التعميم بعد التخصيص، وفي «برهان القرآن» كرر لأن الأول في القول والثاني في الفعل، وفي «فتح الرحمٰن»: الأولى أسوة في العداوة والثانية في الخوف والخشية، وفي «كشف الأسرار»: الأولى متعلقة بالبراءة من الكفار ومن فعلهم والثانية أمر بالائتساء بهم لينالوا من ثوابهم ما نالوا وينقلبوا إلى الآخرة كانقلابهم. ﴿لمن كان يرجو الله﴾ بالإيمان بلقائه ﴿واليوم الآخر﴾ بالتصديق بوقوعه وقيل يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة لأن الرجاء والخوف يتلازمان والرجاء ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة، وفي «المفردات»: الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة والخوف توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، وفي بعض التفاسير الرجاء يجيء بمعنى توقع الخير وهو الأمل وبمعنى توقع الشر وهو الخوف وبمعنى التوقع مطلقاً وهو في الأول حقيقة وفي الأخيرين مجاز وفي الثاني من قبيل ذكر الشيء وإرادة ضده وهو جائز وفي الثالث من قبيل ذكر الخاص وإرادة العام وهو كثير قوله لمن كان إلخ بدل من

لكم، وفائدته الإيذان بأن من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وأن تركه من مخايل عدم الإيمان بهما كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿**ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد**﴾ فإنه مما يوعد بأمثاله الكفرة أي: ومن يعرض عن الاقتداء بهم في التبري من الكفار ووالاهم فإن الله هو الغني وحده عن خلقه وعن موالاتهم ونصرتهم لأهل دينه لم يتعبدهم لحاجته إليهم بل هو ولي دينه وناصر حزبه وهو الحميد المستحق للحمد في ذاته، ومن صحاح الأحاديث القدسية «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك من عندي إلا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» قوله: هي ضمير القصة يعني ما جزاء أعمالكم إلا محفوظ عندي لأجلكم ثم أؤديها إليكم وافية ثم الحميد فعيل بمعنى المفعول، وجوز الإمام القشيري رحمه الله أن يكون بمعنى الفاعل أي حامد لنفسه وحامد للمؤمنين من عباده، قال «شارح المشكاة»: وحظ العبد من اسم الحميد أن يسعى لينخرط في سلك المقربين الذين يحمدون الله لذاته لا لغيره، قال الشيخ أبو القاسم رحمه الله حمد الله الذين هو من شكره يجب أن يكون على شهود المنعم لأن حقيقة الشكر الغيبة لشهود المنعم عن شهود النعمة.

ـ روي ـ أن داود عليه السلام قال في مناجاته: كيف أشكر لك وشكري لك نعمة منك علي؟ فأوحى الله إليه الآن قد شكرتني، وقال بعض أهل الإشارة: لقد كان في إبراهيم الخفي ومن معه من قواه الروحانية المجردة من المواد الحسية والمثالية والعقلية أسوة حسنة وهي البراءة من قومه أي: النفس الأمارة والهوى المتبع فمن تأسى واستمر على ذلك بلغ المطلوب المحبوب، ومن أعرض عن ذلك التأسي فإن الله غني عن تأسيه حميد في ذاته وإن لم يكن حمده انتهى كلامه ﴿**عسى الله أن يجعل**﴾ شايد آنكه خداى تعالى پيدا كند. ﴿**بينكم وبين الذين عاديتم منهم**﴾ أي: من أقاربكم المشركين وعسى من الله وعد على عادة الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج: عسى ولعل فلا يبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك وقال الراغب: ذكر الله في القرآن عسى ولعل تذكرة ليكون الإنسان منه على رجاء لا على أن يكون هو تعالى راجياً أي: كونوا راجين في ذلك والمعاداة والعداء باكسى دشمنى كردن. ﴿**مودة**﴾ أي: بأن يوافقوكم في الدين وعدهم الله بذلك لما رأى منهم من التصلب في الدين والتشدد في معاداة آبائهم وأبنائهم وسائر أقربائهم ومقاطعتهم إياهم بالكلية تطييباً لقلوبهم، ولقد أنجز وعده الكريم حين أباح لهم الفتح فأسلم قومهم كأبي سفيان وسهل بن عمرو وحكيم بن حزام والحارث بن هشام وغيرهم من صناديد العرب وكانوا أعداء أشد العداوة فتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم. ﴿**والله قدير**﴾ أي: مبالغ في القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الأحوال وتسهيل أسباب المودة ﴿**والله غفور رحيم**﴾ فيغفر لمن أسلم من المشركين ويرحمهم بقلب معاداة أقاربهم موالاة، وقيل: غفور لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم، قال ابن عطاء رحمه الله: لا تبغضوا عبادي كل البغض فإني قادر على أن أنقلكم من البغض

إلى المحبة كنقلي من الحياة إلى الموت ومن الموت إلى النشور كان رسول الله ﷺ إذا نظر إلى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل قرأ: «يخرج الحي من الميت» لأنهما من خيار الصحابة وأبواهما أعدى عدو الله ورسوله وكان بعضهم يبغض عكرمة ويسب أباه لما سلف منه من الأذى حتى ورد النهي عنه بقوله عليه السلام: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات فقلب الله ذلك محبة فكانوا إخواناً في الله». وفي الحديث: «من نظر إلى أخيه نظر مودة لم يكن في قلبه أحنة لم يطرف حتى يغفر الله له ما تقدم من ذنبه» وقال سقراط: أثنِ على ذي المودة خيراً عند من لقيت فإن رأس المودة حسن الثناء كما أن رأس العداوة سوء الثناء وعنه لا تكون كاملاً حتى يأمنك عدوك فكيف بك إذا لم يأمنك صديقك؟ قال داود عليه السلام: اللهم إني أعوذ بك من مال يكون على فتنة ومن ولد يكون على ربا ومن حليلة تقرب المشيب وأعوذ بك من جار تراني عيناه وترعاني أذناه إن رأى خيراً دفنه وإن سمع شراً طار به، ومن بلاغات الزمخشري محك المودة والإخاء حال الشدة دون الرخاء. قال الحافظ:

وفا مجوى زكس ورسخن نمى شنوى بهرزه طالب سيمرغ وكيميامى باش

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين﴾ أي: على الدين أو في حق الدين وإطفاء نوره **﴿ولم يخرجوكم من دياركم﴾** أي: لا ينهاكم الله عن مبرة هؤلاء فإن قوله تعالى: **﴿أن تبروهم﴾** بدل من الموصول بدل الاشتمال لأن بينهم وبين البر ملابسة بغير الكلية والجزئية فكان المنهي عنه برهم بالقول وحسن المعاشرة والصلة بالمال لا أنفسهم، وبالفارسية از آنكه نيكويى كنيد با ايشان **﴿وتقسطوا إليهم﴾** تفسير لتبروا وضمن تقسطوا معنى الإفضاء فعدى تعديته أي: تفضوا إليهم بالقسط والعدل ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله المؤمنين أن يستعملوا القسط مع المشركين ويتحاموا ظلمهم مرحمة على حال مسلم يجترىء على ظلم أخيه المسلم كما في «الكشاف» وقال الراغب: القسط النصيب بالعدل كالنصف والنصفة فالمعنى عدل كنيد وبفرستيد قسطى وبهرهء براى ايشان از طعام وغير أو **﴿إن الله يحب المقسطين﴾** أي: العادلين في المعاملات كلها.

ـ روي ـ أن قتيلة بنت عبد العزى على زنة التصغير قدمت في المدة التي كانت فيها المصالحة بين رسول الله عليه السلام وبين كفار قريش مشركة على بنتها أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها بهدايا فلم تقبلها، ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فأمرها رسول الله أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن إليها، وكانت قتيلة زوجة أبي بكر وكان طلقها في الجاهلية. وآورده اندكه قوم خزاعه رابا حضرت رسول الله عليه السلام عهد وپيمان بود وهركز قصد مسلمانان نكردند ودشمنان دين را يارى ندادند حق تعالى در باره ايشان اين آيت فرستاد يامراد زنان وكودكانند كه ايشانرا در قتل واخراج چندان مدخلى نيست. وفي «فتح الرحمٰن»: نسختها ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥] والأكثر على أنها غير منسوخة.

وفي بعض التفاسير: القسوط الجور والعدل عن الحق والقسط بالكسر العدل فالإقساط

إما من الأول بمعنى إزالة القسوط فهمزته للسلب كأشكيته بمعنى أزلت عنه الشكاية وسلبتها فمن أزال الظلم اتصف بالعدل، وإما من الثاني بمعنى أن يصير ذا قسط فهمزته للصيرورة مثل أورق الشجر أي: صار ذا ورق. وفي الآية مدح للعدل لأن المرء به يصير محبوباً لله تعالى، ومن الأحاديث الصحيحة قوله عليه السلام: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمٰن وكلتا يديه يمين للذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا. قال الحافظ:

شاه را به بود از طاعت صد ساله وزهد قدر يكساعته عمرى كه در وداد كند

وقال خطاباً لبعض الملوك:

چويبار ملك را آب ازسر شمشيرتست

خوش درخت عدل بنشان بيخ بدخواها بكن

﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين﴾ وإطفاء نوره ﴿وأخرجوكم من دياركم﴾ وهم عتاة أهل مكة وجبابرتهم ﴿وظاهروا على إخراجكم﴾ وهم سائر أهلها. يعني: معاونت كردند وهم پشت شدند با اعادى. ﴿أن تولوهم﴾ بدل اشتمال من الموصول أي: إنما ينهاكم عن أن تتولوهم والتولي دوستى داشتن باكسى. ﴿ومن يتولهم﴾ وهركه دوست دارد ايشانرا ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ لوضعهم الولاية في موضع العداوة وهم الظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب وحساب المتولي أكبر وفساد التولي أكثر، ولذلك أورد كلمة الحصر تغليظاً وجمع الخبر باعتبار معنى المبتدأ. بكسل زدوستان دغا باز وحيله ساز. يارى طلب كه طالب نقش بقابود. جعلنا الله وإياكم من الذين يطلبون الباقي لا الفاني.

يقول الفقير: كان الظاهر من أمر المقابلة في الآيتين أن يقال في الأولى: إن تولوهم كما في الثانية أو يعكس ويقال في الثانية: أن تبروهم كما في الأولى أو يذكر كل منهما في كل من الآيتين، لكن الدلائل العقلية والشواهد النقلية دلت على أن موالاة الكافر غير جائزة مقاتلاً كان أو غيره بخلاف المبرة فإنها جائزة لغير المقاتل غير جائزة للمقاتل كالموالاة، فحيث أثبت المبرة بناء على أمر ظاهر في باب الصلة نفى الموالاة ضمناً وحيث نفي الموالاة نفى المبرة ضمناً، وإنما لم تجز المبرة للمقاتل لغاية عداوته ونهاية بغضه إن قيل: إن الإحسان إلى من أساء من أخلاق الأبرار، قلنا: إن المبرة تقتضي الإلفة في الجملة والإحسان يقطع اللسان ويثلم السيف فيكون حائلاً بين المجاهد والجهاد الحق وقد أمر الله بإعلاء الدين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ بيان لحكم من يظهر الإيمان بعد بيان حكم فريقي الكافرين ﴿إذا جاءكم المؤمنات﴾ أي بدلالة ظاهر حالهن وإقرارهن بلسانهن أو المشارفات للإيمان ولا بعد أن تكون التسمية بالمؤمنات لكونهن كذلك في علم الله وذلك لا ينافي امتحان غيره تعالى ﴿مهاجرات﴾ من بين الكفار حال من المؤمنات ﴿فامتحنوهن﴾ فاختبروهن بما تغلب به على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن في الإيمان، قيل إنه من أرادت منهن إضرار زوجها قالت:

سأهاجر إلى محمد عليه السلام فلذلك أمر النبي بامتحانهن وكان عليه السلام يقول للتي يمتحنها: «بالله الذي لا إله إلا هو ما خرجت عن بغض زوج» أي: غير بغض في الله لحب الله بالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت عشقاً لرجل من المسلمين بالله ما خرجت لحدث أحدثه بالله ما خرجت إلا رغبة في الإسلام وحب لله ولرسوله فإذا حلفت بالله الذي لا إله إلا هو على ذلك أعطي النبي عليه السلام زوجها مهرها وما أنفق عليها ولا يردها إلى زوجها، قال السهيلي: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهي امرأة عبد الرحمٰن بن عوف، ولدت له إبراهيم بن عبد الرحمٰن وكانت أم كلثوم أخت عثمان بن عفان رضي الله عنه لأمه أروى، وأفادت الآية أن الامتحان في محله حسن نافع ولذا تمتحن المنكوحة ليلة الزفاف وتستوصف الإسلام مع سهولة في السؤال وإشارة إلى الجواب لأنها لو قالت: ما أعرف بانت من زوجها:

خوش بودكر محك تجربه آمد بميان تا سيه روى شود دروغش باشد

﴿الله أعلم بإيمانهن﴾ منكم لأنه المطلع على ما في قلوبهن فلا حاجة له إلى الامتحان وليس ذلك للبشر فيحتاج إليه والجملة اعتراض. ﴿فإن علمتموهن﴾ بعد الامتحان ﴿مؤمنات﴾ العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الأمارات وإنما سماه علماً إيذاناً بأنه جار مجرى العلم في وجوب العلم به ففي علمتموهن استعارة تبعية ﴿فلا ترجعوهن إلى الكفار﴾ من الرجع بمعنى الرد لا من الرجوع، ولذلك عدي إلى المفعول أي: لا تردوهن إلى أزواجهن الكفرة لقوله تعالى: ﴿لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن﴾ فإنه تعليل للنهي عن رجعهن إليهم يعني: لا تحل مؤمنة لكافر لشرف الإيمان ولا نكاح كافر لمسلمة لخبث الكفر، وبالفارسية نه ايشان يعني: زنان حلالند مركافر انرا ونه كافران حلال ميشوند مرين زنا نراچه تباين دارند جدايى افكنده ميان ايشان. والتكرير إما لتأكيد الحرمة وإلا فيكفي نفي الحل من أحد الجانبين، أو لأن الأول لبيان زوال النكاح الأول، والثاني لبيان امتناع النكاح الجديد. ﴿وآتوهم ما أنفقوا﴾ هذا هو الحكم الثاني أي: وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا إليهن من المهور وذلك أي: بيان المراد بما أنفقوا هو المهور أن صلح الحديبية كان على أن من جاءنا منكم رددناه، فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة والنبي عليه السلام بالحديبية فأقبل زوجها مسافر المخزومي طالباً لها فقال: يا محمد اردد علي امرأتي فإنك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا فنزلت لبيان أن الشرط إنما كان في الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وهو المهر بالاتفاق، وتزوج بها عمر رضي الله عنه وإنما رد الرجال دون النساء لضعف النساء عن الدفع عن أنفسهن وعجزهن عن الصبر على الفتنة، وفي «اللباب»: أن المخاطب بهذا هو الإمام ليؤتى من بيت المال الذي لا يتعين له مصرف وأن المقيمة منهن على شركها مردودة عليهم وأن المؤمن يحل له أن ينكح كتابية فإن الرجال قوامون على النساء فليس تسلطه عليها كتسلط الكافر على المسلمة، ولعل المراد بإيتاء ما أنفقوا رعاية جانب المؤمنين بالحث على إظهار المروءة وإيثار السخاء وإلا فمن المسائل المشهورة أن المرأة تملك تمام المهر بخلوة صحيحة في قطعة من اليوم أو الليلة وإن لم يقع استمتاع أصلاً، وأيضاً أن في الإنفاق تأليف القلوب وإمالتها إلى جانب الإسلام وأفادت الآية أن اللائق بالولي كائناً من كان أن يحذر تزويج مؤمنة له ولاية عليها بمبتدع تفضي بدعته إلى الكفر، وللحاكم أن يفرق

بينه وبينها إن ظهرت منه تلك البدعة إلا أن يتوب ويجدد إيمانه ونكاحه، سئل الرستغفني عن المناكحة بين أهل السنة وبين أهل الاعتزال فقال: لا تجوز كما في «مجمع الفتاوي» وقس عليه سائر الفرق الضالة التي لم يكن اعتقادهم كاعتقاد أهل السنة، ولزمهم بذلك الاعتقاد إكفار أو تضليل ولهم كثرة في هذه الأعصار جداً قال في بعض التفاسير: أخاف أن يكون من تلك المبتدعة بعض المتصوفة من أهل زماننا الذي يدعي أن شيخه قطب الزمان يجب الاقتداء به على كل مسلم حتى أن من لم يكن من جملة مريديه كان كافراً، وأن من مات لم يمت مؤمناً فيستدل بقوله عليه السلام: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» ويقول: المراد بالإمام هو القطب وشيخنا هو القطب فمن لم يعرف قطبيته ولم يتبعه مات على سوء الحال، وجوابه أن المراد بالإمام هو الخليفة والسلطان وقريش أصل فيه لقوله عليه السلام: «الإمام من قريش» ومن عداهم تبع لهم كشريف الكعبة مع آل عثمان، فالشريف أحدي الذات ولذا لا قوة له وآل عثمان وأحدي الذات ولذا صار مظهر سر قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢] فاعرف الإشارة وأيضاً المراد من الإمام نبي ذلك الزمان وهو في آخر الزمان رسولنا محمد عليه السلام، ولا شك أن من لم يعرفه ولم يصدقه مات ميتة جاهلية ولئن سلم أن المراد بالإمام هو القطب من طريق الإشارة فلا شك أن للقطبية العظمى شرائط لا يوجد واحد منها في الكذابين، فلا يثبت لهم القطبية أصلاً على أن التصديق بالقطب لا يستلزم صحبته لأن مبنى هذا الأمر على الباطن فالأقطاب لم يهتد إليهم إلا أقل الأفراد فإظهارهم لقطبيتهم خارج عن الحكمة، ولما قربت القيامة وقع أن يتغير أحوال كل طائفة عاماً فعاماً شهراً فشهراً أسبوعاً فأسبوعاً يوماً فيوماً لا يزال هذا التغيير إلى انقراض الأخيار، لأنه لا تقوم الساعة إلا على الأشرار وفي المرفوع: «لا يأتيكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم». قال الحافظ:

روزى اكر غمى رسدت تنك دل مباش روشكركن مبادكه ازبد بترشود

وفي الحديث: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» رواه مسلم وقال عليه السلام: «يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يبالي بهم الله» وأول التغير كان في الأمراء ثم في العلماء ثم في الفقراء، ففي كل طائفة أهل هدى وأهل هوى فكن من أهل الهدى أو المتشبهين بهم فإن من تشبه بقوم فهو منهم، ومن كثر سواد قوم فهو منهم وفي الحديث «من أحب قوماً على عملهم حشر في زمرتهم وحوسب بحاسبهم وإن لم يعمل بعملهم».

﴿**ولا جناح عليكم**﴾ هذا هو الحكم الثالث يقال: جنحت السفينة أي: مالت إلى أحد جانبيها وسمي الإثم المائل بالإنسان عن الحق جناحاً ثم سمي كل إثم جناحاً. ﴿**أن تنكحوهن**﴾ أي: تنكحوا المهاجرات وتتزوجوهن وإن كان لهن أزواج كفار في دار الحرب فإن إسلامهن حال بينهن وبين أزواجهن الكفار. ﴿**إذا آتيتموهن أجورهن**﴾ إذا: ظرفية محضة أو شرطية جوابها محذوف دل عليه ما تقدمها شرط إيتاء المهر في نكاحهن إيذاناً بأن ما أعطي أزواجهن لا يقوم مقام المهر، لأن ظاهر النظم يقتضي إيتائهن إيتاء إلى الأزواج وإيتاء إليهن على سبيل المهر، وفي «التيسير» التزمتم مهورهن ولم يرد حقيقة الأداء كما في قوله تعالى:

﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ﴾ [التوبة: ٢٩] أي: يلتزموها استدل بالآية أبو حنيفة رحمه الله على أن أحد الزوجين إذا خرج من دار الحرب مسلماً أو بذمة وبقي الآخر حربياً وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ولا على الذمية المطلقة ولا على المتوفى عنها زوجها ويبيح نكاحها إلا أن تكون حاملاً، لأنه تعالى نفى الجناح من كل وجه في نكاحهن بعد إيتاء المهور، ولم يقيد بمضي العدة وقالا: عليها العدة وفي «الهداية» قول أبي حنيفة: فيما إذا كان معتقدهم أنه لا عدة، وأما إذا كانت حاملاً فقد قال عليه السلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسقين ماءه زرع غيره» ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ هذا هو الحكم الرابع والإمساك چنك درزدن. ويعدى بالباء، والعصم جمع عصمة وهي ما يعتصم به من عقد وسبب. والكوافر: جمع كافرة والكوافر طائفتان من النساء طائفة قعدت عن الهجرة وثبتت على الكفر في دار الحرب، وطائفة ارتدت عن الهجرة ولحقت بأزواجها الكفار والمعنى لا يكن بينكم وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه كما قال بعض أهل التفسير: المراد بالعصمة هنا النكاح بمعنى من كانت له زوجة كافرة بمكة أو ارتدت ورجعت إليها فلا يعتد بها ويعدها من نسائه لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها منه فجاز له أن يتزوج بأربع سواها، وبرابعة وبأختها من غير تربص وعدة وبالفارسية وما يستيد بنكه داشتن زنان كافره وايشانرا بزنان خود مشمريد. فيكون إشارة إلى حكم اللاتي بقين في دار الكفر وما أسلمن ولا هاجرن بعد إسلام أزواجهن وهجرتهم، وعن النخعي: هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر فيكون قوله: ولا تمسكوا بمقابلة قوله: ﴿إذا جاءكم المؤمنات﴾ يعني: أن قوله ﴿إذا جاءكم﴾ إلخ إشارة إلى حكم اللاتي أسلمن وخرجن من دار الكفر، وقوله: ﴿ولا تمسكوا﴾ إلخ إشارة إلى حكم المسلمات اللاتي ارتددن وخرجن من دار الإسلام إلى دار الكفر وعلى التفسيرين زال عقد النكاح بينهن وبين أزواجهن وانقطعت عصمتهن عنهم باختلاف الدارين، فالعصمة هي المنع أريد بها في الآية عقد النكاح الذي هو سبب لمنع أزواجهن إياهن عن الإطلاق، أي: لا تعتدوا بما كان بينكم وبينهن من العقد الكائن قبل حصول اختلاف الدارين، والفرقة عند الحنفية تقع بنفس الوصول إلى دار الإسلام فلا حاجة إلى الطلاق بعد وقوع الفرقة وكانت زينب بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام امرأة أبي العاص بن الربيع فلحقت بالنبي عليه السلام وأقام أبو العاص بمكة مشركاً ثم أتى المدينة فأسلم فردها عليه رسول الله عليه السلام وإذا أسلم الزوجان معاً أو أسلم زوج الكتابية فهما على نكاحهما بالاتفاق، وإذا أسلمت المرأة فإن كان مدخولاً بها فأسلم في عدتها فهي امرأته بالاتفاق، وإن كانت غير مدخول بها وقعت الفرقة بينهما وكان فسخاً عند الثلاثة، وقال أبو حنيفة يعرض عليه الإسلام فإن أسلم فهي امرأته وإلا فرق القاضي بينهما بإبائه عن الإسلام وتكون هذه الفرقة طلاقاً عند أبي حنيفة ومحمد وفسخاً عند أبي يوسف ولها المهر إن كانت مدخولاً بها وإلا فلا بالاتفاق، وأما إذا ارتد أحد الزوجين المسلمين فقال أبو حنيفة ومالك: تقع الفرقة حال الردة بلا تأخير قبل الدخول وبعده، وقال الشافعي وأحمد: إن كانت الردة من أحدهما قبل الدخول انفسخ النكاح وإن كانت بعده وقعت الفرقة على انقضاء العدة فإن أسلم المرتد منهما في العدة ثبت النكاح وإلا انفسخ بانقضائها، ثم إن كان المرتد الزوجة بعد الدخول فلها المهر وقبله لا شيء لها، وإن كان الزوج فلها الكل بعده والنصف قبله بالاتفاق

كذا في «فتح الرحمٰن» وقال سهل رحمه الله في الآية: ولا توافقوا أهل البدع في شيء من آرائهم ﴿واسألوا ما أنفقتم﴾ هذا هو الحكم الخامس أي: واسألوا الكفار أيها المؤمنون ما أنفقتم يعني آنچه خرج كرده آيد من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار أي: إذا ارتدت امرأة أحدكم ولحقت بدار الحرب فاسألوا مهرها ممن تزوجها ولعل هذا لتطرية قلوب بعض المؤمنين بالمقابلة والمعادلة وإلا فظاهر حال الكرام الاستغناء عنه ﴿وليسألوا﴾ أي: الكفار منكم ﴿ما أنفقوا﴾ من مهور أزواجهم المهاجرات أي: يسأل كل حربي أسلمت امرأته وهاجرت إلينا ممن تزوجها منا مهرها وبالفارسية چون عصمت زوجيه منقطع شد ميان مؤمن وكافره وميان كافر ومؤمنه پس هريك بايدكه رد كند مهريرا كه بصاحبه خود داده اند. وظاهر قوله: وليسألوا يدل على أن الكفار مخاطبون بالأحكام وهو أمر للمؤمنين بالأداء مجازاً من قبيل إطلاق الملزوم وإرادة اللازم كما في قوله تعالى: ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣] فإنه بمعنى واغلظوا عليهم ﴿ذلكم﴾ الذي ذكر في هذه الآية من الأحكام ﴿حكم الله﴾ ما حكم الله به لأن يراعي وقوله تعالى: ﴿يحكم بينكم﴾ كلام مستأنف للتأكيد والحث على الرعاية والعمل به قال في «فتح الرحمٰن»: ثم نسخ هذا الحكم بعد ذلك إلا قوله: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠] ﴿والله عليم﴾ بمصالحكم ﴿حكيم﴾ يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة قال ابن العربي: كان حكم الله هذا مخصوصاً بذلك الزمان في تلك النازلة خاصة وقال الزهري: ولولا هذه الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يرد الصداق وكذا كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد، روي أنه لما نزلت الآية أدى المؤمنون ما أمروا به من مهور المهاجرات إلى أزواجهن المشركين وأبى المشركون أن يؤدوا شيئاً من مهور الكوافر إلى أزواجهن المسلمين وقالوا: نحن لا نعلم لكم عندنا شيئاً فإن كان لنا عندكم شيء فوجهوا به فنزل قوله تعالى:

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

﴿وإن فاتكم﴾ الفوت بعد الشيء عن الإنسان بحيث يتعذر إدراكه وتعديته بإلى لتضمنه معنى السبق أو الانفلات دل عليه قوله: فآتوا الذين ذهبت أزواجهم أي: إلى الكفار والمعنى سبقكم وانفلت منكم أي: خرج وفر منكم فجأة من غير تردد ولا تدبر وبالفارسية: واكرفوت شود از شما اي: مؤمنان ﴿شيء من أزواجكم إلى الكفار﴾ أي: أحد من أزواجكم إلى الكفار ودارهم ومهر أو بدست شمانيابد. وقد قرىء به وايقاع شيء موقعه للتحقير والإشباع في التعميم لأن النكرة في سياق الشرط تفيد العموم والشيء لكونه أعم من الأحد أظهر إحاطة لأصناف الزوجات أي: أي نوع وصنف من النساء كالعربية أو العجمية أو الحرة أو الأمة أو نحوها، أو فاتكم شيء من مهور أزواجكم على حذف المضاف ليتطابق الموصوف وصفته والزوج هنا هي المرأة.

ـ روي ـ أنها نزلت في أم الحكم بنت أبي سفيان فرت فتزوجها ثقفي ولم ترتد امرأة من قريش غيرها وأسلمت مع قريش حين أسلموا وسيأتي غير ذلك ﴿فعاقبتم﴾ من العقبة وهي التوبة والمعاقبة المناوبة يقال: عاقب الرجل صاحبه في كذا أي: جاء فعل كل واحد منهما بعقب فعل الآخر، والمعنى وجاءت عقبتكم ونوبتكم من أداء المهر بأن هاجرت امرأة الكافر

مسلمة إلى المسلمين ولزمهم أداء مهرها إلى زوجها الكافر بعدما فاتت امرأة المسلم إلى الكفار، ولزم أن يسأل مهر زوجته المرتدة ممن تزوجها منهم شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة، وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب ونحوه، أي: يتناوب وإلا فأداء كل واحد من المسلمين والكفار لا يلزم أن يعقب أداء الآخر لجواز أن يتوجه الأداء لأحد الفريقين مراراً متعددة من غير أن يلزم الفريق الآخر شيء وبالعكس فلا يتعاقبون في الأداء. ﴿**فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا**﴾ أي: من المهاجرة التي تزوجتموها ولا تؤتوا زوجها الكافر يعني إن فاتت امرأة مسلم إلى الكفار ولم يعط الكفار مهرها، فإذا فاتت امرأة كافر إلى المسلمين أي: هاجرت إليهم وجب على المسلمين أن يعطوا المسلم الذي فاتت امرأته إلى الكفار مثل مهر زوجته الفائتة من مهر هذه المرأة المهاجرة ليكون كالعوض لمهر زوجته الفائتة، ولا يجوز لهم أن يعطوا مهر هذه المهاجرة زوجها الكافر قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة: أم الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري، وفاطمة بنت أمية كانت تحت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي أخت أم سلمة، وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان، وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبدور، وهند بنت أبي جهل كانت تحت هشام بن العاص، وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر رضي الله عنه، وأعطاهم رسول الله عليه السلام مهور نسائهم من الغنيمة كما في «الكشاف». ﴿**واتقوا الله الذي أنتم به**﴾ لا بغيره من الجبت والطاغوت ﴿**مؤمنون**﴾ فإن الإيمان به تعالى يقتضي التقوى منه تعالى قال بعضهم: حكم اين آيات تابقاى عهد باقي بود چون مرتفع كشت اين أحكام منسوخ كشت. وفي الآية إشارة إلى المكافأة إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

ـ حكي ـ أن أخوين في الجاهلية خرجا مسافرين فنزلا في ظل شجرة تحت صفاة فلما دنا الرواح خرجت لهما من تحت الصفاة حية تحمل ديناراً فألقته إليهما فقالا: إن هذا لمن كنز فأقاما عليه ثلاثة أيام كل يوم تخرج لهما ديناراً فقال أحدهما للآخر: إلى متى ننتظر هذه الحية ألا نقتلها ونحفر عن هذا الكنز فنأخذه فنهاه أخوه وقال: ما ندري لعلك تعطب ولا تدرك المال فأبى عليه فأخذ فأساً معه ورصد الحية حتى خرجت فضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها فبادرت الحية فقتلته ورجعت إلى حجرها فدفنه أخوه وأقام حتى إذا كان الغد خرجت الحية معصوباً رأسها ليس معها شيء فقال: يا هذه إني والله ما رضيت بما أصابك ولقد نهيت أخي عن ذلك فهل لك أن نجعل الله بيننا لا تضرين بي ولا أضر بك وترجعين إلى ما كنت عليه؟ فقالت الحية: لا فقال: ولم؟ قالت: لأني أعلم أن نفسك لا تطيب لي أبداً وأنت ترى قبر أخيك ونفسي لا تطيب لك وأنا أذكر هذه الشجة، فظهر من هذه الحكاية سر المكافأة وشرف التقوى فإنه لو اتقى الله ولم يضع الشر موضع الخير بل شكر صنيع الحية لازداد مالاً وعمراً:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

كرم كن نه پرخاش وجنك آورى — كه عالم بزير نكين آورى
چوكارى برآيد بلطف وخوشى — چه حاجت بتندى وكردن كشى
نمى ترسى أي كرك ناقص خرد — كه روزى پلنكيت برهم درد

﴿يا أيها النبي﴾ نداء تشريف وتعظيم ﴿إذا جاءك المؤمنات﴾ چون بيايند بتوزنان مؤمنه ﴿يبايعنك﴾ أي: مبايعات لك أي: قاصدات للمبايعة فهي حال مقدرة نزلت يوم الفتح فإنه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع في بيعة النساء، سميت البيعة لأن المبايع يبيع نفسه بالجنة فالمبايعة مفاعلة من البيع، ومن عادة الناس حين المبايعة أن يضع أحد المتبايعين يده على يد الآخر لتكون معاملتهم محكمة مثبتة فسميت المعاهدة بين المعاهدين مبايعة تشبيهاً لها بها في الإحكام والإبرام، فمبايعة الأمة رسولهم التزام طاعته وبذل الوسع في امتثال أوامره وأحكامه والمعاونة له، ومبايعته إياهم الوعد بالثواب وتدبير أمورهم والقيام بمصالحهم في الغلبة على أعدائهم الظاهرة والباطنة، والشفاعة لهم يوم الحساب إن كانوا ثابتين على تلك المعاهدة قائمين بما هو مقتضى المواعدة كما يقال: بايع الرجل السلطان إذا أوجب على نفسه الإطاعة له، وبايع السلطان الرعية إذا قبل القيام بمصالحهم وأوجب على نفسه حفظ نفوسهم وأموالهم من أيدي الظالمين. ﴿على أن لا يشركن بالله شيئاً﴾ أي: شيئاً من الأشياء أو شيئاً من الاشراك والظاهر أن المراد الشرك الأكبر ويجوز التعميم له وللشرك الأصغر الذي هو الرياء فالمعنى على أن لا يتخذن إلهاً غير الله ولا يعملن إلا خالصاً لوجهه:

مرايى هركس معبود سازد — مرايى را زان كفتند مشرك

قال الحافظ:

كويا باورنمى دارند روز داورى — كين همه قلب ودغل دركار داور ميكنند

﴿ولا يسرقن﴾ السرقة: أخذ ما ليس له أخذه في خفاء وصار ذلك في الشرك لتناول الشيء من موضع مخصوص وقدر مخصوص أي: لا يأخذن مال أحد بغير حق ويكفي في قبح السرقة أن النبي عليه السلام لعن السارق. ﴿ولا يزنين﴾ الزنى: وطء المرأة من غير عقد شرعي يقصر وإذا مد يصح أن يكون مصدر المفاعلة قال مظهر الدين: الزنى في اللغة عبارة عن المجامعة في الفرج على وجه الحرام ويدخل فيه اللواطة وإتيان البهائم تم كلامه. قال عليه السلام: «يقتل الفاعل والمفعول به». وثبت أن علياً رضي الله عنه أحرقهما، وأن أبا بكر رضي الله عنه هدم عليهما حائطاً وذلك بحسب ما رأيا من المصلحة وقال عليه السلام: «ملعون من أتى امرأته من دبرها» وأما الإتيان من دبرها في قبلها فمباح، قال في «اللباب»: اتفق المسلمون على حرمة الجماع في زمن الحيض واختلفوا في وجوب الكفارة على من جامع فيه فذهب أكثرهم إلى أنه لا كفارة عليه فيستغفر وذهب قوم إلى وجوب الكفارة عليه تم كلامه وقال عليه السلام: «من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه» قيل لابن عباس رضي الله عنهما: ما شأن البهيمة؟ قال: ما سمعت فيها من رسول الله شيئاً ولكن أكره أن يحل لحمها وينتفع بها كذلك ﴿ولا يقتلن أولادهن﴾ أريد به وأد البنات أي دفنهن أحياء خوف العار والفقر كما في الجاهلية قال عليه السلام: «لا تنزع الرحمة إلا من شقي». قال الحافظ:

هيچ رحمى نه برادربه برادر دارد — هيچ شوقى نه پدر رابه پسرمى بينم
دخترانرا همه جنكست وجدل بامادر — پسر انراهمه بدخواه پدرمى بينم

حكي أن هارون الرشيد زوج أخته من جعفر بشرط أن لا يقرب منها فلم يصبر عنها فظهر حملها فدفنهما هارون حيين غضبا عليهما ويقال ولا يشربن دواء فيسقطن حملهن كما في «تفسير أبي الليث»، وفي «نصاب الاحتساب»: تمنع القابلة من المعالجة لإسقاط الولد بعدما استبان خلقه ونفخ فيه الروح ومدة الاستبانة والنفخ مقدرة بمائة وعشرين يوماً، وأما قبله فقيل لا بأس به كالعزل وقيل: يكره لأن مآل الماء الحياة كما إذا أتلف محرم بيضة صيد الحرم ضمن لأن مآلها الحياة فلها حكم الصيد بخلاف العزل، لأن ماء الرجل لا ينفخ فيه الروح إلا بعد صنع آخر وهو الإلقاء في الرحم فلا يكون مآله الحياة، ولعل إسناد الفعل إلى النساء إما باعتبار الرضى به أو بمباشرته بأمر زوجها **﴿ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾** الباء: للتعدية. والبهتان: الكذب الذي يبهت المكذوب عليه أي: يدهشه ويجعله متحيراً فيكون أقبح أنواع الكذب وهو في الأصل مصدر يقال: بهت زيد عمراً بهتاً وبهتاً وبهتاناً أي: قال عليه: ما لم يفعله فزيد باهت وعمرو مبهوت والذي بهت به مبهوت به، وإذا قالت لزوجها: هذا ولدي منك لصبي التقطته فقد بهتته به، أي: قالت: عليه ما لم يفعله جعله نفس البهتان ثم وصفه بكونه مفترى مبالغة في وصفهن بالكذب والافتراء والاختلاق، يقال: فرى فلان كذباً إذا خلقه وافتراه اختلقه قوله: يفترينه إما في موضع جر على أنه صفة لبهتان أو نصب على أنه حال من فاعل يأتين، وقوله: بين أيديهن متعلق بمحذوف هو حال من الضمير المنصوب في يفترينه، أي: يختلقنه مقدراً وجوده بين أيديهن وأرجلهن على أن يكون المراد بالبهتان الولد المبهوت به كما ذهب إليه جمهور المفسرين، وليس المعنى على نهيهن عن أن يأتين بولد من الزنى فينسبنه إلى الأزواج لأن ذلك نهي بقوله: ولا يزنين بل المراد نهيهن عن أن يلحقن بأزواجهن ولداً التقطنه من بعض المواضع وكانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها: هو ولدي منك في بطني الذي بين يدي ووضعته من فرجي الذي هو بين رجلي فكني عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها، لأن بطنها الذي تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها والمعنى ولا يجئن بصبي ملتقط من غير أزواجهن فإنه افتراء وبهتان لهم، والبهتان من الكبائر التي تتصل بالشرك. **﴿ولا يعصينك في معروف﴾** أي: لا يخالفن أمرك فيما تأمرهن به وتنهاهن عنه على أن المراد من المعروف الأمور الحسنة التي عرف حسنها في الدين فيؤمر بها، والشؤون السيئة التي عرف قبحها فيه فينهى عنها كما قيل: كل ما وافق في طاعة الله فعلاً أو تركاً فهو معروف، وكما روي عن بعض أكابر المفسرين: من أنه هو النهي عن النياحة والدعاء بالويل وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونتفه ونشره وخمش الوجه وأن تحدث المرأة الرجال إلا ذا رحم محرم وأن تخلو برجل غير محرم وأن تسافر إلا مع ذي رحم محرم فيكون هذا للتعميم بعد التخصيص، ويحتمل أن يكون المراد من المعروف ما يقابل المنكر فيكون ما قبله للنهي عن المنكر وهذا للأمر بالمعروف لتكون الآية جامعة لهما والتقييد بالمعروف مع أن الرسول عليه‌السلام لا يأمر إلا به للتنبيه على أنه لا تجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق، لأنه لما شرط ذلك في طاعة النبي عليه السلام فكيف في حق غيره، وهو كقوله: ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: ٦٤] كما قال في «عين المعاني» فدل على أن طاعة الولاة لا تجب في المنكر ولم يقل: ولا يعصين الله لأن من أطاع الرسول فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله، وتخصيص الأمور المعدودة بالذكر في حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن، ووجه الترتيب بين هذه

المنهيات أنه قدم الأقبح على ما هو أدنى قبحاً منه ثم كذلك إلى آخرها، ولذا قدم ما هو الأظهر والأغلب فيما بينهن وقال «صاحب اللباب»: ذكر الله تعالى في هذه الآية لرسول الله عليه السلام في صفة البيعة خصالاً ستا هن أركان ما نهي عنه في الدين ولم يذكر أركان ما أمر به وهي أيضاً ست: الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج والاغتسال من الجنابة وذلك لأن النهي عنها دائم في كل زمان وكل حال فكان التنبيه على اشتراط الدائم أهم وآكد ﴿**فبايعهن**﴾ جواب لإذا فهو العامل فيها فإن الفاء لا تكون مانعة وهو أمر من المبايعة أي: فبايعهن على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح أمره وظهور أصالته في المبايعة من الصلاة والزكاة وسائر أركان الدين وشعائر الإسلام، أي: بايعهن إذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الأشياء فإن المبايعة من جهة الرسول هو الوعد بالثواب ومن جهة الآخر التزام طاعته كما سبق، وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة إليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن إليها. ﴿**واستغفر لهن الله**﴾ زيادة على ما في ضمن المبايعة من ضمان الثواب والاستغفار طلب المغفرة للذنوب والستر للعيوب. ﴿**إن الله غفور رحيم**﴾ أي: مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن إذا وفين بما بايعن عليه بزركى فرمود مردمان ميكويند رحمت موقوفست بر ايمان يعني: تابنده ايمان نيارد مستحق رحمت نشود ومن مى كويم كه ايمان موقوفست برحمت يعنى: تا برحمت خود توفيق نبخشد كسى بدولت ايمان نرسد «مصراع» توفيق عزيزست بهركس ندهند.

يقول الفقير: الأمر بالاستغفار لهن إشارة إلى قبول شفاعة حبيبه عليه السلام في حقهن فهو من رحمته الواسعة وقد عمم هذا الأمر في سورة الفتح فاستفاد جميع عباده وإمائه إلى يوم القيامة من بحر هذا الفضل ما يغنيهم ويرويهم وهو الفياض، قال الإمام الطيبي: لعل المبالغة في الغفور باعتبار الكيفية، وفي الغفار باعتبار الكمية كما قال بعض الصالحين: إنه غافر لأنه يزيل معصيتك من ديوانك، وغفور لأنه ينسي الملائكة أفعالك السوء، وغفار لأنه تعالى ينسيك أيضاً ذنبك كيلا تستحيي، وحظ العارف منه أن يستر من أخيه ما يحب أن يستر منه ولا يفشي منه إلا أحسن ما كان فيه ويتجاوز عما يندر عنه ويكافىء المسيء إليه بالصفح عنه والإنعام عليه، نسأل الله سبحانه أن يجعلنا متخلقين بأخلاقه الكريمة ومتصفين بصفاته العظيمة إنه هو الغفور الرحيم، واختلف في كيفية مبايعته عليه السلام لهن يوم الفتح فروي أنه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا وشرع في بيعة النساء ودعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس أيديهن فجاءت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة خوفاً من رسول الله أن يعرفها لما صنعته بحمزة رضي الله عنه يوم أحد من المثلة فلما قال عليه السلام: «أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً رفعت هند رأسها فقالت: والله لقد عبدنا الأصنام وإنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال تبايع الرجال على الإسلام والجهاد فلما قال عليه السلام: ولا يسرقن. قالت: إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصبت من ماله هنات أي: شيئاً يسيراً فما أدري أيحل لي فقال أبو سفيان: ما أصبت فهو لك حلال فضحك عليه السلام وقال: أنت هند قالت: نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فعفا عنها فقال: ولا يزنين فقالت: وهل تزني الحرة؟ فقال عمر رضي الله عنه: لو كان قلب نساء العرب على قلب هند ما زنت امرأة قط فقال: ولا يقتلن أولادهن فقالت: ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً فأنتم وهم أعلم وكان ابنها

حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله فقال: ولا يأتين ببهتان فقالت: والله إن البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق فقال: ولا يعصينك في معروف فقالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء»

ـ وروي ـ أنه عليه السلام بايعهن وبين يديه وأيديهن ثوب قطري والقطر بالكسر ضرب من البرود يأخذ بطرف منه ويأخذن بالطرف الآخر توقياً عن مساس أيدي الأجنبيات.

ـ وروي ـ أنه جلس على الصفا ومعه عمر رضي الله عنه أسفل منه فجعل عليه السلام يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن.

ـ وروي ـ أن عمر رضي الله عنه كان يبايع النساء بأمره عليه السلام ويبلغهن عنه وهو أسفل منه عند الصفا.

ـ وروي ـ أنه عليه السلام كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن وهي أميمة أخت خديجة رضي الله عنها خالة فاطمة رضي الله عنها والأظهر الأشهر ما قالت عائشة رضي الله عنها: والله ما أخذ رسول الله على النساء قط إلا بما أمر الله وما مست كف رسول الله كف امرأة قط وكان يقول: إذا أخذ عليهن قد بايعتك على كلها وكان المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله يمتحنهن بقول الله: يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات الخ فإذا أقررن بذلك من قولهن قال لهن: انطلقن فقد بايعتكن».

يقول الفقير: إنما بايع عليه السلام الرجال مع مس الأيدي دون النساء لأن مقام الشارع يقتضي الاحتياط وتعليم الأمة وإلا فإذا جاز مصافحة عمر رضي الله عنه لهن كما في بعض الروايات جاز مصافحته عليه السلام لهن لأنه أعلى حالاً من عمر من كل وجه، وبالجملة كانت البيعة مع النساء والرجال أمراً مشروعاً بأمر الله وسنته بفعل رسول الله، ومن ذلك كانت عادة مستحسنة بين الفقراء الصوفية حين أرادت التوبة تثبيتاً للإيمان وتجديداً لنور الإيقان على ما أشبعنا الكلام عليه في المبايعة في سورة الفتح وذكرنا كل طرف منها فيها فارجع.

وفي «التأويلات النجمية»: قوله تعالى: ﴿**يا أيها النبي إذا جاءك**﴾ الخ يخاطب نبي الروح ويشير إلى النفوس المؤمنة الداخلة تحت شريعة نبي الروح يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً من حب الدنيا وشهواتها ولذاتها وزينتها وزخارفها ولا يسرقن من أخلاق الهوى المتبع وصفاته الرديئة ولا يزنين؛ أي: مع الهوى بالاتفاق معه والاتباع له ولا يقتلن أولادهن أي: لا يمنعن ولا يرددن أولاد الخواطر الروحانية والإلهامات الربانية ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن يعني: لا يدعين بما لم يحصل لهن من المواهب العلوية من المشاهدات والمعاينات والتجريد والتفريد ولا من العطايا السفلية من الزهد والورع والتوكل والتسليم، لأنهن ما بلغن بعد إليها ولا يعصينك في معروف أي: في كل ما تأمرهن من الأخلاق والأوصاف فبايعهن. أي: فاقبل مبايعتهن بين يديك بالصدق والإخلاص واستغفر لهن الله مما وقع منهن قبل دخولهن في ظل أنوارك من المخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية إن الله غفور يسترها بالموافقات الشرعية رحيم بهن يرحمهن بالمخالفات الطبيعية. ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً**﴾ دوستى مكيند باكروهى كه. فالتولي هنا بمعنى الموالاة والموادة. ﴿**غضب الله عليهم**﴾ صفة لقوماً وكذا قد يئسوا وهم جنس الكفار لأن كلهم مغضوب عليهم لا رحمة لهم من الرحمة الأخروية، وقيل: اليهود لما روي أنها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون

اليهود ليصيبوا من ثمارهم وهو قول الأكثرين وقد قال تعالى في حق اليهود: ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠] والقوم الرجال وربما دخل النساء فيه على سبيل التبع لأن قوم كل نبي رجال ونساء. ﴿**قد يئسوا من الآخرة**﴾ اليأس: انقطاع الطمع يعني: نوميد شدند از آخرت. لكفرهم بها وعدم إيقانهم على أن يراد بقومه عامة الكفرة ومن لابتداء الغاية أو لعلمهم بأنه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات على أن يراد به اليهود والتقدير من ثواب الآخرة، يعني: أنهم أهل الكتاب يؤمنون بالقيامة لكنهم لما أصروا على الكفر حسداً وعناداً يئسوا من ثوابها قال عليه السلام: «يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً وإني جئتكم بحق فأسلموا». ﴿**كما يئس الكفار من أصحاب القبور**﴾ من بيان للكفار أي: كائنين منهم أي: كما يئس منها الذين ماتوا منهم لأنهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الأليم، والمراد وصفهم بكمال اليأس منها قال مقاتل: إن الكافر إذا وضع في قبره أتاه ملك شديد الانتهار ثم يسأله: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري فيقول الملك: أبعدك الله انظر إلى منزلتك من النار فيدعو بالويل والثبور، ويقول: هذا لك فيفتح باب الجنة فيقول هذا لمن آمن بالله فلو كنت آمنت بربك نزلت الجنة فيكون حسرة عليه وينقطع رجاؤه ويعلم أنه لا حظ له فيها وييأس من خير الجنة، وقيل: من متعلقة بيئس فالمعنى كما يئسوا من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا إلى الدنيا أحياء، والإظهار في موضع الإضمار للإشعار بعلة يأسهم وهو الكفر والقبر مقر الميت والمقبرة موضع القبور، وفي الآية إشارة إلى الأبدان المريضة المعتلة النجسة الخبيثة المظلمة فإن الكفار أيسوا من خروج ضيق قبور أخلاقهم السيئة إلى سعة فضاء صفاتهم الحسنة، وكذا سائرهم من أهل الحجب الكثيفة ومن أصحاب القبور من حاله على عكس هذا كما أشار النبي عليه السلام بقوله: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أصحاب القبور». وهم من ماتوا بالاختيار قبل الموت بالاضطرار وذلك بالفناء التام فكانت أجسادهم لأرواحهم كالقبور للموتى نسأل الله الختم بالسعادة بحرمة من له كمال السيادة والدفن في أحب البقاع إليه والقدوم بكمال البشرى عليه والقيام بمزيد الفخر لديه:

خدايا بحق بني فاطمة — كه بر قول ايمان كنم خاتمه
خداوندكار انظركن بجو — كه جرم آيداز بندكان درو جود
چومارا بدنيا توكردى عزيز — بعقبى همين چشم داريم نيز

تمت سورة الممتحنة في العشر الأخير من شهر رمضان المنتظم
في سلك شهور سنة خمس عشرة ومائة وألف

٦١ ـ سورة الصف

مدنية وقيل مكية وآيها أربع عشرة بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾.

﴿سبح لله﴾ نزهه عن كل ما لا يلق بجنابه العلي العظيم **﴿ما في السموات﴾** من العلويات الفاعلة **﴿وما في الأرض﴾** من السفليات القابلة آفاقاً وأنفساً أي: سبحه جميع الأشياء من غير فرق بين موجود وموجود كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] **﴿وهو العزيز﴾** الغالب الذي لا يكون إلا ما يريد. **﴿الحكيم﴾** الذي لا يفعل إلا بالحكمة فلا عزيز ولا حكيم على الإطلاق غيره فلذا يجب تسبيحه قال في «كشف الأسرار»: من أراد أن يصفو له تسبيحه فليصف عن آثار نفسه قلبه ومن أراد أن يصفو له في الجنة عيشه فليصف عن أوضار الهوى دينه. **﴿يا أيها الذين آمنوا﴾** إيماناً رسمياً. **﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾** روي أن المسلمين قالوا: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت تعبيراً لهم بترك الوفاء، ولِمَ: مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت ألفها تخفيفاً لكثرة استعمالهما معاً كما في عَمَّ وفِيمَ ونظائرهما معناها، لأي شيء تقولون: نفعل ما لا تفعلون من الخير والمعروف على أن مدار التعبير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وإنما وجهه إلى قولهم تنبيهاً على تضاعف معصيتهم ببيان أن المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به أيضاً، وقد كانوا يحسبونه معروفاً ولو قيل: لِمَ لا تفعلون ما تقولون لفهم منه أن المنكر هو ترك الموعود فليس المراد من ما حقيقة الاستفهام لأن الاستفهام من الله محال، لأنه عالم بجميع الأشياء بل المراد الإنكار والتوبيخ على أن يقول الإنسان من نفسه ما لا يفعله من الخير، لأنه إن أخبر أنه فعل في الماضي والحال ولم يفعله كان كاذباً وإن وعد أن يفعله في المستقبل ولا يفعله كان خلفاً وكلاهما مذموم، كما قال في «الكشاف»: هذا الكلام يتناول الكذب وإخلاف الموعد وهذا بخلاف ما إذا وعد فلم يف بميعاده لعذر من الأعذار فإنه لا إثم عليه، وفي «عرائس البقلي» حذر الله المريدين أن يظهروا بدعوى المقامات التي لم يبلغوا إليها لئلا يقعوا في مقت الله وينقطعوا عن طريق الحق بالدعوى بالباطل، وأيضاً زجر الأكابر في ترك بعض الحقوق ومن لم يوف بالعهود ولم يأت بالحقوق لم يصل إلى الحق والحقيقة، وأيضاً ليس للعبد فعل ولا تدبير لأنه أسير في قبضة العزة يجري عليه أحكام القدرة وتصاريف المشيئة

فمن قال: فعلت أو أتيت أو شهدت فقد نسي مولاه وادعى ما ليس له، ومن شهد من نفسه طاعة كان إلى العصيان أقرب لأن النسيان من العمى.

وفي «التأويلات النجمية»: يا أيها المؤمنون المقلدون لِمَ تذمون الدنيا بلسان الظاهر وتمدحونها بلسان الباطن شهادة ارتكابكم أنواع الشهوات الحيوانية وأصناف اللذات الجسمانية، أو تمدحون الجهاد بلسانكم وتذمونه بقلوبكم وذلك يدل على إعراضكم عن الحق وإقبالكم على النفس والدنيا وهذا كبر مقتاً عند الله تعالى كما قال: ﴿**كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾ كبر: من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وأن تقولوا: هو المخصوص بالذم والمقت البغض الشديد لمن يراه متعاطياً لقبيح يقال: مقته فهو مقيت وممقوت وكان يسمى تزوج امرأة الأب نكاح المقت وعند الله ظرف للفعل بمعنى في علمه وحكمته والكلام بيان لغاية قبح ما فعلوه، أي: عظم بغضاً في حكمته تعالى هذا القول المجرد فهو أشد ممقوتية ومبغوضية فمن مقته الله فله النار ومن أحبه الله فله الجنة. قال «الكاشفي»: ونزد بعضى علماً آيت عامست يعني هركه سخنى كويد ونكند درين عتاب داخلست ويا آن علما نيزكه خلق رابعمل خير فرمايند وخود ترك نمايند اين سياست خواهد بود:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني وحضرت پيغمبر عليه السلام درشب معراج ديدكه لبهاى چنين كسان بمقراض آتشين مى بريدند.

ازمن بكوى عالم تفسير كوى را كردر عمل نكوشى نادان مفسر

بار درخت علم ندانم بجز عمل باعلم اكر عمل نكنى شاخ بى برى

قيل لبعض السلف: حدثنا فسكت ثم قيل له: حدثنا فقال لهم: أتأمرونني أن أقول ما لا أفعل فأستعجل مقت الله، قال القرطبي رحمه الله: ثلاث آيات منعتني أن أقص على الناس ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤] ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨] ﴿**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون**﴾ وقد ورد الوعيد في حق من يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضاً، أي: كما ورد في حق من يترك العمل فالخوف إذا كان على كل منهما في درجة متناهية فكيف على من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف وأكثر الناس في هذا الزمان هكذا والعياذ بالله تعالى، قال في «اللباب»: إن الآية توجب على كل من ألزم نفسه عملاً فيه طاعة الله أن يفي به فإن من التزم شيئاً لزم شرعاً إذا الملتزم إما نذر تقرب مبتدأ كقوله: لله علي صلاة أو صوم أو صدقة ونحوه من القرب فيلزمه الوفاء إجماعاً، أو نذر مباح وهو ما علق بشرط رغبة كقوله: إن قدم غائبي فعلي صدقة أو بشرط رهبة كقوله: إن كفاني الله شر كذا فعلي صدقة ففيه خلاف فقال مالك وأبو حنيفة: يلزمه الوفاء به، وقال الشافعي في قول: لا يلزم وعموم الآية حجة لنا لأنها بمطلقها تتناول ذم من قال ما لا يفعله على أي وجه كان من مطلق أي: مقيد بشرط ﴿**إن الله يحب الذين يقاتلون**﴾ أعداء الله ﴿**في سبيله**﴾ في طريق مرضاته وإعلاء دينه أي: يرضى عنهم ويثني عليهم. ﴿**صفاً**﴾ صف زده در برابر خصم. وهو بيان لما هو مرضي عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده، وهذا صريح في أن ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال و﴿**صفاً**﴾ مصدر وقع موقع الفاعل أو المفعول ونصبه على الحالية من

فاعل يقاتلون أي: صافين أنفسهم أو مصفوفين والصف أن يجعل الشيء على خط مستو كالناس والأشجار. ﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾ حال من المستكن في الحال الأولى، والبنيان: الحائط وفي «القاموس»: البناء ضد الهدم بناه بنياً وبناء وبنياناً وبنية وبناية والبناء المبني والبنيان واحد لا جمع دل عليه تذكير مرصوص وقال بعضهم: بنيان جمع بنيانة على حد نخل ونخلة وهذا النحو من الجمع يصح تأنيثه وتذكيره، والرص: اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه كما قال في «تاج المصادر» الرص استوار برآوردن بنا. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يوضع الحجر على الحجر ثم يرص بأحجار صغار ثم يوضع اللبن عليه فيسميه أهل مكة المرصوص، والمعنى حال كونهم مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه إلى بعض ورصف حتى صار شيئاً واحداً، وقال الراغب: بنيان مرصوص أي: محكم كأنما بني بالرصاص يعني كوييا ايشان در اسحكام بنا اندريخته ازارزير كنايتست از ثبات قدم ايشان در معركه حرب وبيكديكر باز چسبيدن. وهو قول الفراء: وتراصوا في الصلاة أي تضايقوا فيها كما قال عليه السلام «تراصوا بينكم في الصلاة لا يتخللكم الشيطان» فالرحمة في مثل هذا المقام رحمة فلا بد من سد الخلل أو المحاذاة بالمناكب كالبنيان المرصوص، ولا ينافيه قول سفيان: ينبغي أن يكون بين الرجلين في الصف قدر ثلثي ذراع فذاك في غيره كما في «المقاصد الحسنة»، وعن بعضهم: فيه دليل على فضل القتال راجلاً لأن الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة كما في «الكشاف».

يقول الفقير: الدليل على فضل الراكب على الراجل أن له سهمين من الغنيمة وإنما حث عليه السلام على التراص لأن المسلمين يومئذ كانوا راجلين غالباً ولم يجدوا راحلة ونحوها إلا قليلاً، قال سعيد بن جبير رضي الله عنه: هذا تعليم من الله للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم ولذلك قالوا: لا يجوز الخروج من الصف إلا لحاجة تعرض للإنسان أو في رسالة يرسله الإمام أو منفعة تظهر في المقام المنتقل إليه كفرصة تنتهز ولا خلاف فيها، وفي الخروج عن الصف للمبارزة خلاف لا بأس بذلك إرهاباً للعدو وطلباً للشهادة وتحريضاً على القتال وقيل: لا يبرز أحد لذلك لأن فيه رياء أو خروجاً إلى ما نهى الله عنه، وإنما تكون المبارزة إذا طلبها الكافر كما كانت في حروب النبي عليه السلام يوم بدر وفي غزوة خيبر قال في «فتح الرحمن»: أما حكم الجهاد فهو فرض كفاية على المستطيع بالاتفاق إذا فعله البعض سقط عن الباقين، وعند النفير العام وهو هجوم العدو يصير فرض عين بلا خلاف، ففي الآية زجر عن التباطىء وحث على التسارع ودلالة على فضيلة الجهاد، وروي في الخبر أنه لما كان يوم مؤتة بالضم موضع بمشارف الشام قتل فيه جعفر بن أبي طالب وفيه كانت تعمل السيوف كما في «القاموس» وكان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه أحد الأمراء الذين أمرهم رسول الله ﷺ ناداهم «يا أهل المجلس هذا الذي وعدكم ربكم فقاتل حتى قتل». وكان عبد الله بن رواحة الأنصاري شاعر رسول الله وكان يقص على أصحاب رسول الله في مسجده على حياته وجلس إليه رسول الله يوماً وقال: «أمرت أن أجلس إليكم» وأمر ابن رواحة أن يمضي في كلامه كما في «كشف الأسرار» ثم إن الجهاد إما مع الأعداء الظاهرة كالكفار والمنافقين وإما مع الأعداء الباطنة كالنفس والشيطان وقال عليه السلام: «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر» الخطايا والذنوب وأعظم المجاهدة في الطاعة الصلاة لأن فيها سر الفناء وتشق على النفس.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾.

﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال، وإذ: منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه السلام بطريق التلوين أي: اذكر لهؤلاء المؤمنين المتقاعدين عن القتال وقت قول موسى لبني إسرائيل حين ندبهم إلى قتال الجبابرة بقوله: ﴿يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ [المائدة: ٢١] فلم يمتثلوا بأمره وعصوه أشد عصيان حيث قالوا: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٢ ـ ٢٤] وأصروا على ذلك وآذوه عليه السلام كل الأذية كذا في «الإرشاد».

يقول الفقير: لا شك أن قتل الأعداء من باب التسبيح لأنهم الذين قالوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: ٤] وعبدوا معه الأصنام فكان في مقاتلتهم توسيع ساحة التنزيه، ولذا بدأ الله تعالى في عنوان السورة بالتسبيح وأشار بلفظ الحكيم إلى أن القتال من باب الحكمة وأنه من باب دفع القضاء بالقضاء على ما يعرفه أهل الله، وبلفظ العزيز إلى غلبة المؤمنين المقاتلين ثم إنهم كرهوا ذلك كأنهم لم يثقوا بوعد الله بالغلبة ووقعوا من حيث لم يحتسبوا في ورطة نسبة العجز إلى الله سبحانه، ولذا تقاعدوا عن القتال وبهذا التقاعد حصلت الأذية له عليه السلام لأن مخالفة أولي الأمر أذية لهم فأشار الحق تعالى بقصة موسى إلى أن الرسول حق، وأن الخروج عن طاعته فسق وأن الفاسق مغضوب الله تعالى لأن الهداية من باب الرحمة وعدمها من باب السخط والعياذ بالله تعالى من سخطه وغضبه وأليم عذابه وعقابه. ﴿يا قوم﴾ أي: كروه من. فأصله يا قومي ولذا تكسر الميم ولولا تقدير الياء لقيل: يا قوم بالضم لأنه حينئذ يكون مفرداً معرفة فيبنى على الضم وهو نداء بالرفق والشفقة كما هو شأن الأنبياء ومن يليهم. ﴿لم تؤذونني﴾ چرامى رنجانيد مرا. أي: بالمخالفة والعصيان فيما أمرتكم به، والأذى ما يصل إلى الإنسان من ضرر إما في نفسه أو في جسمه أو قنياته دنيوياً كان أو أخروياً قال في «القاموس» آذى: فعل الأذى وصاحبه أذى وأذاة وأذية ولا تقل: إيذاء انتهى. فلفظ الإيذاء في أفواه العوام من الأغلاط وربما تراه في عبارات بعض المصنفين. ﴿وقد تعلمون أني رسول الله إليكم﴾ جملة حالية مؤكدة لإنكار الأذية ونفي سببها، وقد: لتحقيق العلم لا للتوقع ولا للتقريب ولا للتقليل فإنهم قالوا: إن قد إذا دخلت على الحال تكون للتحقيق، وإذا دخلت على الاستقبال تكون للتقليل وصيغة المضارع للدلالة على استمرار العلم أي: والحال أنكم تعلمون علماً قطعياً مستمراً بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات إني مرسل من الله إليكم لأرشدكم إلى خير الدنيا والآخرة، ومن قضية علمكم بذلك أن تبالغوا في تعظيمي وتسارعوا إلى طاعتي فإن تعظيمي تعظيم لله وإطاعتي إطاعة له، وفيه تسلية للنبي عليه السلام بأن الأذية قد كانت من الأمم السالفة أيضاً لأنبيائهم والبلاء إذا عم خف وفي الحديث: «رحمة الله على أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر» وذلك أنه عليه السلام لما قسم غنائم الطائف قال بعض المنافقين: هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله فتغير وجهه الشريف وقال ذلك:

﴿فلما زاغوا﴾ الزيغ: الميل عن الاستقامة والتزايغ التمايل أي: أصروا على الزيغ عن الحق الذي جاء به موسى واستمروا عليه ﴿أزاغ الله قلوبهم﴾ أي: صرفها عن قبول الحق والميل إلى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال، وقال الراغب: «في المفردات» أي: لما فارقوا الاستقامة عاملهم بذلك، وقال جعفر لما تركوا أوامر الخدمة: نزع الله من قلوبهم نور الإيمان وجعل للشيطان إليهم طريقاً فأزاغهم عن طريق الحق وأدخلهم في مسالك الباطل، وقال الواسطي: لما زاغوا عن القربة في العلم أزاغ الله قلوبهم في الخلقة، وقال بعضهم: لما زاغوا عن العبادة أزاغ الله قلوبهم عن الإرادة.

يقول الفقير: لما زاغوا عن رسالة موسى ونبوته أزاغ الله قلوبهم عن ولايته وجمعيته فهم رأوا موسى على أنه موسى لا على أنه رسول نبي فحرموا من رؤية الحق تعالى ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله من الإزاغة وموذن بعليته أي: لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية موصلة إلى البغية لا هداية موصلة إلى ما يوصل إليها، فإنها شاملة للكل والمراد جنس الفاسقين وهم داخلون في حكمهم دخولاً أولياً ووصفهم بالفسق نظراً إلى قوله تعالى: ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥] وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦] قال الإمام: هذه الآية تدل على عظم أذى الرسول حتى أنه يؤدي إلى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى انتهى. ويتبعه أذى العالمين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر لأن العلماء ورثة الأنبياء فأذاهم في حكم أذاهم فكما أن الأنبياء والأولياء داعون إلى الله تعالى على بصيرة فكذلك رسل القلوب فإنهم يدعون القوى البشرية والطبيعية من الصفات البشرية السفلية إلى الأخلاق الروحانية العلوية، ومن ظلمة الخلقية إلى نور الحقية فمن مال عن الحق وقبول الدعوة لعدم الاستعداد الذاتي ضل بالتوجه إلى الدنيا والإقبال عليها فأنى يجد الهداية إلى حضرة الحق سبحانه.

﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿وإذ قال عيسى ابن مريم﴾ إما: معطوف على إذ الأولى معمول لعاملها وإما معمول لمضمر معطوف على عاملها وابن هنا وفي عزير ابن الله بإثبات الألف خطأ لندرة وقوعه بين رب وعبد وذكر وأنثى. ﴿يا بني إسرائيل﴾ أي: فرزندان يعقوب. ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم إلى تصديقه في قوله: ﴿إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة﴾ فإن تصديقه عليه السلام إياها من أقوى الدواعي إلى تصديقهم إياه أي: أرسلت إليكم لتبليغ أحكامه التي لا بد منها في صلاح أموركم الدينية. والدنيوية در حالتى كه باور دارنده ام من آنچيز را كه پيش منست از كتاب تورات يعني: قبل ازمن نازل شده ومن تصديق كرده ام كه آن ازنزد خداست. وقال أبو الليث يعني أقرأ عليكم الإنجيل موافقاً للتوراة في التوحيد وبعض الشرائع قال القاضي في «تفسيره»: ولعله لم يقل: يا قوم كما قال موسى لأنه لا نسب له فيهم إذ النسب إلى الآباء وإلا فمريم من بني إسرائيل لأن إسرائيل لقب يعقوب ومريم من نسله، ثم إن هذا دل على أن

تصديق المتقدم من الأنبياء والكتب من شعائر أهل الصدق ففيه مدح لأمة محمد عليه السلام حيث صدقوا الكل ﴿ومبشراً﴾ التبشير مژده دادن ﴿برسول يأتي من بعدي﴾ معطوف على مصدقاً داع إلى تصديقه عليه السلام من حيث إن البشارة به واقعة في التوراة، والعامل فيهما ما في الرسول من معنى الإرسال لا الجار فإنه صلة للرسول والصلاة بمعزل عن تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل أي: أرسلت إليكم حال كوني مصدقاً لما تقدمني من التوراة ومبشراً بمن يأتي من بعدي من رسول وكان بين مولده وبين الهجرة ستمائة وثلاثون سنة، وقال بعضهم: بشرهم به ليؤمنوا به عند مجيئه أو ليكون معجزة لعيسى عند ظهوره، والتبشير به تبشير بالقرآن أيضاً وتصديق له كالتوراة. ﴿اسمه أحمد﴾ أي: محمد ﷺ يريد أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعاً ممن تقدم وتأخر فذكر أول الكتب المشهورة الذي يحكم به النبيون، والنبي الذي هو خاتم النبيين وعن أصحاب رسول الله أنهم قالوا: أخبرنا يا رسول الله عن نفسك قال: «أنا دعوة إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي رؤيا حين حملتني أنه خرج منها نور أضاء لها قصور بصرى في أرض الشام» وبصرى كحبلى بلد بالشام وكذا بشر كل نبي قومه بنبينا محمد عليه السلام والله تعالى أفرد عيسى عليه السلام بالذكر في هذا الموضع لأنه آخر نبي قبل نبينا فبين أن البشارة به عمت جميع الأنبياء واحداً بعد واحد حتى انتهت إلى عيسى كما في «كشف الأسرار»: وقال بعضهم: كان بين رفع المسيح ومولد النبي عليه السلام خمسمائة وخمس وأربعون سنة تقريباً وعاش المسيح إلى أن رفع ثلاثاً وثلاثين سنة وبين رفعه والهجرة الشريفة خمسمائة وثمان وتسعون سنة ونزل عليه جبريل عشر مرات وأمته النصارى على اختلافهم ونزل على نبينا عليه السلام أربعة وعشرين مرة وأمته أمة مرحومة جامعة لجميع الملكات الفاضلة قيل: قال الحواريون لعيسى: يا روح الله هل بعدنا من أمة قال: نعم أمة محمد حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل، وأحمد اسم نبينا ﷺ.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في كتاب «تلقيح الأذهان»: سمي من حيث تكرر حمده محمداً ومن حيث كونه حامل لواء الحمد أحمد انتهى. قال الراغب: أحمد إشارة للنبي عليه السلام باسمه تنبيهاً على أنه كما وجد اسمه أحمد يوجد جسمه وهو محمود في أخلاقه وأفعاله وأقواله وخص لفظ أحمد فيما بشر به عيسى تنبيهاً أنه أحمد منه ومن الذين قبله انتهى. ويوافقه ما في «كشف الأسرار» من أن الألف فيه للمبالغة في الحمد وله وجهان: أحدهما: أنه مبالغة من الفاعل أي: الأنبياء كلهم حامدون لله تعالى وهو أكثر حمداً من غيره والثاني أنه مبالغة من المفعول أي الأنبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو أكثر مناقب وأجمع للفضائل والمحاسن التي يحمد بها انتهى:

زصد هزار محمد كه در جهان آيد ... يكى بمزلت وفضل مصطفى نرسد

قال ابن الشيخ في «حواشيه»: يحتمل أن يكون أحمد منقولاً من الفعل المضارع وأن يكون منقولاً من صفة وهي أفعل التفضيل وهو الظاهر، وكذا محمد فإنه منقول من الصفة أيضاً وهو في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فإنه محمود في الدنيا بما هدى إليه ونفع به من العلم والحكمة، ومحمود في الآخرة بالشفاعة، وقال الإمام السهيلي في «كتاب التعريف والإعلام»: أحمد اسم علم منقول من صفة لا من فعل وتلك الصفة أفعل التي يراد بها

التفضيل فمعنى أحمد أحمد الحامدين لربه عز وجل، وكذلك هو في المعنى لأنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم تفتح على أحد قبله فيحمد ربه بها وكذلك يعقد لواء الحمد، وأما محمد فمنقول من صفة أيضاً وهو في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة كما أن المكرم من أكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله تعالى سماه به قبل أن يسمي به نفسه فهذا علم من أعلام نبوته، إذ كان اسمه صادقاً عليه فهو محمود في الدنيا بما هدى إليه ونفع به من العلم والحكمة، وهو محمود في الآخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ثم إنه لم يكن محمداً حتى كان حمد ربه فنبأه وشرفه ولذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى عليه السلام فقال اسمه أحمد ذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه: تلك أمة أحمد فقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد فبأحمد ذكره قبل أن يذكره بمحمد لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس فلما وجد وبعث كان محمداً بالفعل، وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون أحمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فانظر كيف كان ترتب هذا الاسم قبل الاسم الآخر في الذكر وفي الوجود وفي الدنيا وفي الآخرة تلح لك الحكمة الإلهية في تخصيصه بهذين الاسمين؛ وانظر كيف أنزلت عليه سورة الحمد وخص بها دون سائر الأنبياء وخص بلواء الحمد وخص بالمقام المحمود، وانظر كيف شرع له سنة وقرآنا أن يقول عند اختتام الأفعال وانقضاء الأمور: الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥] وقال أيضاً: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] تنبيهاً لنا على أن الحمد مشروع عند انقضاء الأمور وسن عليه السلام الحمد بعد الأكل والشرب، وقال عند انقضاء السفر: «آئبون تائبون لربنا حامدون» ثم انظر لكونه عليه السلام خاتم الأنبياء ومؤذناً بانفصال الرسالة وانقطاع الوحي ونذيراً بقرب الساعة وتمام الدنيا مع أن الحمد كما قدمنا مقرون بانقضاء الأمور مشروع عندها تجد معاني اسمه جميعاً وما خص به من الحمد والمحامد مشاكلاً لمعناه مطابقاً لصفته، وفي ذكره برهان عظيم وعلم واضح على نبوته وتخصيص الله له بكرامته وأنه قدم له هذه المقامات قبل وجوده تكرمة له وتصديقاً لأمره عليه السلام انتهى كلام السهيلي.

يقول الفقير: الذي يلوح بالبال أن تقدم الاسم أحمد على الاسم محمد من حيث إنه عليه السلام كان إذ ذاك في عالم الأرواح متميزاً عن الأحد بميم الإمكان فدل قلة حروف اسمه على تجرده التام الذي يقتضيه موطن عالم الأرواح، ثم إنه لما تشرف بالظهور في عالم العين الخارج وخلع الله عليه من الحكمة خلعة أخرى زائدة على الخلع التي قبلها ضوعف حروف اسمه الشريف فقيل: محمد على ما يقتضيه موطن العين ونشأة الوجود الخارجي ولا نهاية للأسرار، والحمد لله تعالى.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في كتاب «مواقع النجوم»: ما انتظم من الوجود شيء بشيء ولا انضاف منه شيء إلى شيء إلا لمناسبة بينهما ظاهرة أو باطنة فالمناسبة موجودة في كل الأشياء حتى بين الاسم والمسمى، ولقد أشار أبو يزيد السهيلي: وإن كان أجنبياً عن أهل هذه الطريقة إلى هذا المقام في كتاب «المعارف والأعلام» له في اسم النبي عليه السلام محمد وأحمد، وتكلم على المناسبة التي بين أفعال النبي عليه السلام وأخلاقه وبين

معاني اسميه محمد وأحمد انتهى كلام الشيخ. أشار رضي الله عنه إلى ما قدمناه من كلام السهيلي.

وقال بعض العارفين: سمي عليه السلام بأحمد لكون حمده أتم واشتمل من حمد سائر الأنبياء والرسل إذ محامدهم لله إنما هي بمقتضى توحيد الصفات والأفعال، وحمده عليه السلام إنما هو بحسب توحيد الذات المستوعب لتوحيد الصفات والأفعال انتهى. قال في «فتح الرحمن»: لم يسم بأحمد أحد غيره ولا دعي به مدعو قبله وكذلك محمد أيضاً لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده عليه السلام وميلاده أي: من الكهان والأحبار أن نبياً يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو، وهم محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي، ومحمد بن مسلمة الأنصاري ومحمد بن البراء البكري، ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمدان الجعفي، ومحمد بن خزاعة السلمي فهم ستة لا سابع لهم ثم حمى الله كل من تسمى به أن يدعي النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكك أحداً في أمره حتى تحققت السمتان له عليه السلام ولم ينازع فيهما انتهى. واختلف في عدد أسماء النبي عليه السلام فقيل له عليه السلام ألف اسم كما أن لله تعالى ألف اسم وذلك فإنه عليه السلام مظهر تام له تعالى فكما أن أسماءه تعالى أسماء له عليه السلام من جهة الجمع فله عليه السلام أسماء أخر من جهة الفرق على ما تقتضيه الحكمة في هذا الموطن، فمن أسمائه محمد أي: كثير الحمد لأن أهل السماء والأرض حمدوه في الدنيا والآخرة ومنها أحمد أي: أعظم حمداً من غيره لأنه حمد الله تعالى بمحامد لم يحمد بها غيره، ومنها المقفي بتشديد الفاء وكسره لأنه أتى عقيب الأنبياء وفي قفاهم، وفي «التكملة»: هو الذي قفى على أثر الأنبياء أي اتبع آثارهم ومنها نبي التوبة لأنه كثير الاستغفار والرجوع إلى الله أو لأن التوبة في أمته صارت أسهل، ألا ترى أن توبة عبدة العجل كانت بقتل النفس أو لأن توبة أمته كانت أبلغ من غيرهم حتى يكون التائب منهم كمن لا ذنب له لا يؤاخذ به في الدنيا ولا في الآخرة، وغيرهم يؤاخذ في الدنيا لا في الآخرة ومنها نبي الرحمة لأنه كان سبب الرحمة وهو الوجود لقوله تعالى: «لولاك لما خلقت الأفلاك» وفي كتاب «البرهان» للكرماني: لولاك يا محمد لما خلقت الكائنات خاطب الله النبي عليه السلام بهذا القول انتهى. قيل: الأولى أن يحترز عن القول بأنه لولا الأنبياء عليهم السلام لما خلق الله آدم وإن كان هذا شيئاً يذكره الوعاظ على رؤوس المنابر يرون به تعظيم محمد عليه السلام لأن النبي عليه السلام وإن كان عظيم المرتبة عند الله، لكن لكل نبي من الأنبياء مرتبة ومنزلة وخاصية ليست لغيره فيكون كل نبي أصلاً لنفسه كما في «التاتار خانية».

يقول الفقير: كان عليه السلام نبي الرحمة لأنه هو الأمان الأعظم ما عاش وما دامت سنته باقية على وجه الزمان قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣] قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: كان في الأرض أمانان فرفع أحدهما وبقي الآخر فأما الذي رفع فهو رسول الله عليه السلام، وأما الذي بقي فالاستغفار وقرأ بعد هذه الآية ومنها نبي الملحمة أي: الحرب لأنه بعث بالقتال فإن قلت: المبعوث بالقتال كيف يكون رحمة قلت: كان أمم الأنبياء يهلكون في الدنيا إذا لم يؤمنوا بهم بعد المعجزات ونبينا عليه السلام بعث بالسيف ليرتدعوا به عن الكفر ولا يستأصلوا، وفي كونه

عليه السلام نبي الحرب رحمة ومنها الماحي: وهو الذي محا الله به الكفر أو سيئات من اتبعه، ومنها الحاشر: وهو الذي يحشر الناس على قدمه أي: على أثره ويجوز أن يراد بقدمه عهده وزمانه فيكون المعنى أن الناس يحشرون في عهده أي: في دعوته من غير أن تنسخ ولا تبدل، ومنها العاقب: وهو الذي ليس بعده نبي لا مشرعاً ولا متابعاً، أي: قد عقب الأنبياء فانقطعت النبوة قال عليه السلام: «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» أي: بالنبوة العرفية بخلاف النبوة التحقيقية التي هي الإنباء عن الله فإنها باقية إلى يوم القيامة إلا أنه لا يجوز أن يطلق على أهلها النبي لإيهامه النبوة العرفية الحاصلة بمجيء الوحي بواسطة جبرائيل عليه السلام، ومنها الفاتح: فإن الله فتح به الإسلام ومنها الكاف: قيل: معناه الذي أرسل إلى الناس كافة وليس هذا بصحيح لأن كافة لا يتصرف منه فعل فيكون منه اسم فاعل وإنما معناه: الذي كف الناس عن المعاصي كذا في «التكملة».

يقول الفقير: هذا إذا كان الكاف مشدداً، وأما إذا كان مخففاً فيجوز أن يشار به إلى المعنى الأول كما قال تعالى: ﴿يسٓ ①﴾ [يس: ١] أي: يا سيد البشر، ومنها: صاحب الساعة لأنه بعث مع الساعة نذيراً للناس بين يدي عذاب شديد، ومنها: الرؤوف والرحيم والشاهد والمبشر والسراج المنير وطه ويس والمزمل والمدثر وعليه السلام وقثم أي: الجامع للخير ومنها. ن. إشارة إلى اسم النور والناصر، ومنها: المتوكل والمختار والمحمود والمصطفى وإذا اشتقت أسماؤه من صفاته كثرت جداً ومنها الخاتم بفتح التاء أي: أحسن الأنبياء خلقاً وخلقاً فكأنه جمال الأنبياء كالخاتم الذي يتجمل به أي: لما أتقنت به النبوة وكملت كان كالخاتم الذي يختم به الكتاب عند الفراغ منه، وأما الخاتم بكسر التاء فمعناه أنه آخر الأنبياء فهو اسم فاعل من ختم ومنها راكب الجمل سماه به شعيا النبي عليه السلام فإن قلت: لم خص بركوب الجمل وقد كان يركب غيره كالفرس والحمار قلت: كان عليه السلام من العرب لا من غيرهم كما قال: «أحب العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي»، والجمل مركب العرب مختص بهم لا ينسب إلى غيرهم من الأمم ولا يضاف لسواهم ومنها صاحب الهراوة سماه به سطيح الكاهن، والهراوة: بالكسر العصا فإن قلت: لم خص بالعصا وقد كان غيره من الأنبياء يمسكها قلت: العصا كثيراً ما تستعمل في ضرب الإبل وتخص بذلك كما قال به كثير في صفة البعير:

ينوخ ثم يضرب بالهراوي   فلا عرف لديه ولا نكير

فركوبه الجمل وكونه صاحب هراوة كناية عن كونه عربياً، وقيل: هي إشارة إلى قوله في الحديث في صفة الحوض: «أذود الناس عنه بعصاي». ومنها روح الحق سماه به عيسى عليه السلام في الإنجيل وسماه أيضاً المنخنا بمعنى محمد ياخود آنكه خداى بفرستد اورا بعد از مسيح، وفي «التكملة»: هو بالسريانية ومنها حمياطى: بالعبرانية وبر قليطس: بالرومية بمعنى: محمد وماذ ماذ بمعنى طيب طيب وفار قليطا مقصوراً بمعنى أحمد وروى فار قلبط بالباء وقيل معناه: الذي يفرق بين الحق والباطل وروي أن معناه بلغة النصارى ابن الحمد فكأنه محمد وأحمد.

ـ وروي ـ أنه عليه السلام قال: «اسمي في التوراة أحيد لأني أحيد أمتي عن النار واسمي في الزبور: الماحي: محا الله بي عبدة الأوثان، واسمي في الإنجيل: أحمد. وفي القرآن:

محمد لأني محمود في أهل السماء والأرض» فإن قلت قال رسول الله عليه السلام: «لي خمسة أسماء فذكر محمداً وأحمد والماحي والحاشر والعاقب» وقد بلغت أكثر من ذلك قلت: تخصيص الوارد لا ينافي ما سواه فقد خص الخمسة إما لعلم السامع بما سواها فكأنه قال لي: خمسة زائدة على ما تعلم أو لفضل فيها كأنه قال لي: خمسة أسماء فاضلة معظمة أو لشهرتها كأنه قال لي: خمسة أسماء مشهورة أو لغير ذلك مما يحتمله اللفظ من المعاني، وقيل: لأن الموحى إليه في ذلك الوقت كان هذه الأسماء وقيل: كانت هذه الأسماء معروفة عند الأمم السالفة ومكتوبة في الكتب المتقدمة وفيه أن أسماءه الموجودة في الكتب المتقدمة تزيد على الخمسة كما في «التكملة» لابن عسكر ﴿**فلما جاءهم**﴾ أي: الرسول المبشر به الذي اسمه أحمد كما يدل عليه الآيات اللاحقة، وأما إرجاعه إلى عيسى كما فعله بعض المفسرين فبعيد جداً، وكون ضمير الجمع راجعاً إلى بني إسرائيل لا ينافي ما ذكرنا لأن نبينا عليه السلام مبعوث إلى الناس كافة. ﴿**بالبينات**﴾ أي: بالمعجزات الظاهرة كالقرآن ونحوه والباء للتعدية ويجوز أن تكون للملابسة. ﴿**قالوا هذا**﴾ مشيرين إلى ما جاء به أو إليه عليه السلام ﴿**سحر مبين**﴾ ظاهر سحريته بلا مرية وتسميته عليه السلام سحراً للمبالغة ويؤيد قراءة من قرأ هذا ساحر. وفي الآية إشارة إلى عيسى القلب وإسرائيل الروح وبنيه النفس والهوى وسائر القوى الشريرة فإنها متولدة من الروح والقالب منسلخة عن حكم أبيها، فدعاها عيسى القلب من الظلمات الطبيعية إلى الأنوار الروحانية وبشرها بأحمد السر لكونه أحمد من عيسى القلب لعلو مرتبته عليه فلما جاءها بصور التجليات الصفاتية والأسمائية قالت: هذا أمر وهمي متخيل لا وجود له ظاهر البطلان وهكذا براهين أهل الحق مع المنكرين. ﴿**ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب**﴾ وكيست ستمكارتر از أن كس كه دروغ مى سازد بر الله. والفرق بين الكذب والافتراء هو أن الافتراء افتعال الكذب من قول نفسه والكذب قد يكون على وجه التقليد للغير فيه ﴿**وهو**﴾ أي: والحال أن ذلك المفترى ﴿**يدعى**﴾ من لسان الرسول ﴿**إلى الإسلام**﴾ الذي به سلامة الدارين أي: أي الناس أشد ظلماً ممن قد يدعي إلى الإسلام الذي يوصله إلى سعادة الدارين فيضع موضع الإجابة الافتراء على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق هذا سحر، فاللام في الكذب للعهد أي: هو أظلم من كل ظالم وإن لم يتعرض ظاهر الكلام لنفي المساوي، ومن الافتراء على الله الكذب في دعوى النسب والكذب في الرؤيا والكذب في الإخبار عن رسول الله عليه السلام.

واعلم أن الداعي في الحقيقة هو الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥] بأمره الرسول عليه السلام كما قال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥] وفي الحديث عن ربيعة الجرشي قال «أتي نبي الله عليه السلام فقيل له: «لتنم عينك ولتسمع أذنك وليعقل قلبك» قال: فنامت عيناي وسمعت أذناي وعقل قلبي قال: فقيل لي: سيد بنى داراً فصنع مأدبة وأرسل داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ورضي عنه السيد، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة وسخط عليه السيد قال: فالله السيد ومحمد الداعي والدار الإسلام والمأدبة الجنة ودخل في دعوة النبي دعوة ورثته لقوله: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨] ولا بد أن يكون الداعي أميراً أو مأموراً، وفي «المصابيح» في «كتاب العلم» قال عوف بن مالك رضي الله عنه: لا يقص إلا أمير أو مأمور أو

مختال» رواه أبو داود وابن ماجه قوله: أو مختال: هوْ المتكبر والمراد به هنا الواعظ الذي ليس بأمير ولا مأمور مأذون من جهة الأمير ومن كانت هذه صفته فهو متكبر فضولي طالب للرياسة، وقيل: هذا الحديث في الخطبة خاصة كما في «المفاتيح» **﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾** أي لا يرشدهم إلى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم إليه.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)﴾.

﴿يريدون ليطفئوا نور الله﴾ الإطفاء: الإخماد وبالفارسية: فروكشتن آتش وچراغ. أي: يريدون أن يطفئوا دينه أو كتابه أو حجته النيرة، واللام مزيدة لما فيها من معنى الإرادة تأكيداً لها كما زيدت لما فيها من معنى الإضافة تأكيداً لها في لا أبا لك، أو يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله وقال الراغب في «المفردات»: الفرق أن في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٢] يقصدون إخفاء نور الله وفي قوله تعالى: **﴿ليطفئوا﴾** يقصدون أمراً يتوصلون به إلى إطفاء نور الله **﴿بأفواههم﴾** بطعنهم فيه وبالفارسية: بدهنهاى خود يعني: بكفتار ناپسنديده وسخنان بي ادبانه. مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس ليطفئه **﴿والله متم نوره﴾** أي: مبلغه إلى غايته بنشره في الآفاق وإعلائه جملة حالية من فاعل يريدون أو يطفئوا **﴿ولو كره الكافرون﴾** إتمامه إرغاماً لهم وزيادة في مرض قلوبهم ولو بمعنى أن وجوابه محذوف، أي: وإن كرهوا ذلك فالله يفعله لا محالة. قال الكاشفي: وكراهت ايشانرا أثرى نيست در اطفاى چراغ صدق وصواب همچون ارادت خفاش كه غير مؤثر است درنابودن آفتار:

شب پره خواهد كه نبود آفتاب ... تا ببيند ديده اومرزو بوم
دست قدرت هر صباحى شمع مهر ... مى فروزد كورىء خفاش شوم

وفي «المثنوي»:

شمع حق رايف كنى تواى عجوز ... هم توسوزى هم سرت اى كنده پوز
كى شود دريا زپوز سك نجس ... كى شود خورشيد ازيف منطمس
هركه بر شمع خدا آرد پفو ... شمع كى ميرد بسوزد پوز او
چون تو خفاشان بسى بينند خواب ... كين جهان ماند يتيم از آفتاب
اى بريده آن لب وحلق ودهان ... كه كند تف سوى مه يا آسمان
تف برويش باز كردد بى شكى ... تف سوى كردون نيابد مسلكى
تا قيامت تف بر وبار دز رب ... همچون تبت بر روان بو لهب

قال ابن الشيخ: إتمام نوره لما كان من أجل النعم كان استكراه الكفار إياه أي: كافر كان من أصناف الكفرة غاية في كفران النعمة فلذلك أسند كراهة إتمامه إلى الكافرين، فإن لفظ الكافر أليق بهذا المقام، وأما قوله: **﴿ولو كره المشركون﴾** فإنه قد ورد في مقابلة إظهار دين الحق الذي معظم أركانه التوحيد وإبطال الشرك، وكفار مكة كارهون له من أجل إنكارهم للتوحيد وإصرارهم على الشرك فالمناسب لهذا المقام التعرض لشركهم لكونه العلة في كراهتهم الدين الحق.

قال بعضهم: جحدوا ما ظهر لهم من صحة نبوة النبي عليه السلام وأنكروه بألسنتهم

وأعرضوا عنه بنفوسهم فقيض الله لقبوله أنفساً أوجدها على حكم السعادة وقلوباً زينها بأنوار المعرفة وأسراراً نورها بالتصديق، فبذلوا له المهج والأموال كالصديق والفاروق وأجلة الصحابة رضي الله عنهم.

يقول الفقير: هكذا أحوال ورثة النبي عليه السلام في كل زمان فإن الله تعالى تجلى لهم بنور الأزل والقدم فكرهه المنكرون وأرادوا أن يطفئوه لكن الله أتم نوره وجعل لأهل تجليه أصحاباً وإخواناً يذبون عنهم وينفذون أمورهم إلى أن يأتيهم أمر الله تعالى ويقضوا نحبهم، وفي الآية إشارة إلى أن النفس لا بد وأن تسعى في إبطال نور القلب وإطفائه، لأن النفس والهوى من المظاهر القهرية الجلالية المنسوبة إلى اليد اليسرى، والروح والقلب من المظاهر الجمالية اللطفية المنسوبة إلى اليد اليمنى كما جاء في الحديث «الرباني»: «إن الله مسح يده اليمنى على ظهر آدم الأيمن فاستخرج منه ذراري كالفضة البيضاء وقال: هؤلاء للجنة، ومسح يده اليسرى على ظهر آدم الأيسر فاستخرج منه كالحممة السوداء وقال: هؤلاء للنار». فلا بد للنفس من السعي في إطفاء نور القلب وللقلب أيضاً من السعي في إطفاء نار النفس ولو كره الكافرون الساترون القلب بالنفس الزارعون بذر النفس في أرض القلب. **﴿هو الذي أرسل رسوله﴾** محمداً ﷺ **﴿بالهدى﴾** بالقرآن أو بالمعجزة فالهدى بمعنى ما به الاهتداء إلى الصراط المستقيم **﴿ودين الحق﴾** والملة الحنيفية التي اختارها لرسوله ولأمته وهو من إضافة الموصوف إلى صفته مثل عذاب الحريق. **﴿ليظهره على الدين كله﴾** ليجعله ظاهراً أي: عالياً وغالباً على جميع الأديان المخالفة له **﴿ولو كره المشركون﴾** ذلك الإظهار ولقد أنجز الله وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام فليس المراد أنه لا يبقى دين آخر من الأديان بل العلو والغلبة والأديان خمسة: اليهودية والنصرانية والمجوسية والشرك والإسلام كما في «عين المعاني» للسجاوندي، وقال السهيلي في «كتاب الأمالي» في بيان فائدة كون أبواب النار سبعة: وجدنا الأديان كما ذكر في التفسير سبعة: واحد للرحمن وستة للشيطان فالتي للشيطان اليهودية والنصرانية والصابئية وعبادة الأوثان والمجوسية وأمم لا شرع لهم ولا يقولون نبوة وهم الدهرية فكأنهم كلهم على دين واحد أعني الدهرية، وكل من لا يصدق برسول فهؤلاء ستة أصناف؛ والصنف السابع: هو من أهل التوحيد كالخوارج الذين هم كلاب النار وجميع أهل البدع المضلة والجبابرة الظلمة والمصرون على الكبائر من غير توبة ولا استغفار فإن فيهم من ينفذ فيه الوعيد ومنهم من يعفو الله عنه فهؤلاء كلهم صنف واحد غير أنه لا يحتم عليهم بالخلود فيها فهؤلاء سبعة أصناف ستة مخلدون في النار وصنف واحد غير مخلد وهم منتزعون يوم القيامة من أهل دين الرحمن، ثم يخرجون بالشفاعة فقد وافق عدد الأبواب عدد هذه الأصناف وتبينت الحكمة في ذكرها في القرآن لما فيها من التخويف والإرهاب فنسأل الله العفو والعافية والمعافاة، وفي بعض التفاسير الإشراك: هو إثبات الشريك لله تعالى في الألوهية سواء كانت بمعنى وجوب الوجود أو استحقاق العبادة لكن أكثر المشركين لم يقولوا بالأول لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] فقد يطلق ويراد به مطلق الكفر بناء على أن الكفر لا يخلو عن شرك ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ٤٨] فإن من المعلوم في الدين أنه تعالى لا يغفر كفر غير المشركين المشهورين من اليهود والنصارى فيكون المراد لا يغفر أن يكفر به،

وقد يطلق ويراد به عبدة الأصنام وغيرها فإن أريد الأول في قوله: ولو كره المشركون يكون إيراده ثانياً لوصفهم بوصف قبيح آخر، وإن أريد الثاني فلعل إيراد الكافرين أولاً لما أن إتمام الله نوره يكون بنسخ غير الإسلام والكافرون كلهم يكرهون ذلك، وإيراد المشركين ثانياً لما أن إظهار دين الحق يكون بإعلاء كلمة الله وإشاعة التوحيد المنبىء عن بطلان الآلهة الباطلة وأشد الكارهين لذلك المشركون والله أعلم بكلامه.

وفي «التأويلات النجمية»: هو الذي أرسل رسول القلب إلى أمة العالم الأصغر الذي هو المملكة الأنفسية الإجمالية المضاهية للعالم الأكبر، وهو المملكة الآفاقية التفصيلية بنور الهداية الأزلية ودين الحق الغالب على جميع الأديان، وهو الملة الحنيفية السهلة السمحاء ولو كره المشركون الذين أشركوا مع الحق غيره وما عرفوا أن الغير والغيرية من الموهومات التي أوجدتها قوة الوهم وإلا ليس في الوجود إلا الله وصفاته انتهى.

قال الكمال الخجندي:

لـه فـي كـل مـوجـود عـلامـات وآثـار دوعالم پرزمعشوقست كويك عاشق صادق

وقال المولى الجامي:

كـرتـويـى جـمـلـه درفـضـاى وجـود هـم خـود انـصـاف ده بـكـو حـق كـو
درهـمـه اوسـت پـيـش چـشـم شـهـود چـيـسـت پـنـدارى هـسـتـى مـن وتـو

يقول الفقير: هذه الكلمات المنبئة عن وحدة الوجود قد اتفق عليها أهل الشهود قاطبة فالطعن لواحد منهم بأن وجودي طعن لجميعهم، وليس الطعن إلا من الحجاب الكثيف والجهل العظيم وإلا فالأمر أظهر على البصير.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم﴾ آيا دلالت كنم شمارا **﴿على تجارة﴾** سيأتي بيان معناها. **﴿تنجيكم﴾** أن تكون سبباً لإنجاء الله إياكم وتخليصه، وأفادت الصفة المقيدة أن من التجارة ما يكون على عكسها كما أشار إليها قوله تعالى ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩] فإن بوار التجارة وكسادها يكون لصاحبها عذاباً أليماً كجمع المال وحفظه ومنع حقوقه، فإنه وبال في الآخرة فهي تجارة خاسرة، وكذا الأعمال التي لم تكن على وجه الشرع والسنة أو أريد بها غير الله. **﴿من عذاب أليم﴾** أي: مؤلم جسماني وهو ظاهر وروحاني وهو التحسر والتضجر كأنهم قالوا: كيف نعمل أو ماذا نصنع فقيل: **﴿تؤمنون بالله ورسوله﴾** مراد آنست كه ثابت باشيد برايمان كه داريد. **﴿وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم﴾** بما لهاى خودكه زاد وسلاح مجاهدان خريد. **﴿وأنفسكم﴾** وبنفسهاى خود كه متعرض قتل وحرب شويد. قدم الأموال لتقدمها في الجهاد أو للترقي من الأدنى إلى الأعلى، وقال بعضهم: قدم ذكر المال لأن الإنسان ربما يضن بنفسه، ولأنه إذا كان له مال فإنه يؤخذ به النفس لتغزو وهذا خبر في معنى الأمر جيء به للإيذان بوجوب الامتثال فكأنه وقع فأخبر بوقوعه، كما تقول: غفر الله لهم ويغفر الله لهم جعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت ووجدت وقس عليه نحو: سلمكم الله وعافاكم الله وأعاذكم الله وفي الحديث: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» ومعنى الجهاد

بالألسنة إسماعهم ما يكرهونه ويشق عليهم سماعه من هجو وكلام غليظ ونحو ذلك، وأخر الجهاد بالألسنة لأنه أضعف الجهاد وأدناه ويجوز أن يقال إن اللسان أحد وأشد تأثيراً من السيف والسنان قال علي رضي الله عنه:

جراحات السنان لها التئام ولا يلتأم ما جرح اللسان

فيكون من باب الترقي من الأدنى إلى الأعلى، وكان حسان رضي الله عنه يجلس على المنبر فيهجو قريشاً بإذن رسول الله عليه السلام ثم إن التجارة التصرف في رأس المال طلباً للربح والتاجر الذي يبيع ويشتري، وليس في كلام العرب تاء بعدها جيم غير هذه اللفظة، وأما تجاه فأصلها وجاه وتجوب وهي قبيلة من حمير فالتاء للمضارعة.

قال ابن الشيخ: جعل ذلك تجارة تشبيهاً له في الاشتمال على معنى المبادلة والمعاوضة طمعاً لنيل الفضل والزيادة فإن التجارة هي معاوضة المال بالمال لطمع الربح والإيمان والجهاد شبهاً بها من حيث إن فيهما بذل النفس والمال طمعاً لنيل رضى الله تعالى والنجاة من عذابه. قال الحافظ:

فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد

﴿ذلكم﴾ أي: ما ذكر من الإيمان والجهاد بقسميه ﴿خير لكم﴾ على الإطلاق أو من أموالكم وأنفسكم ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أي: إن كنتم من أهل العلم فإن الجهلة لا يعتد بأفعالهم أو إن كنتم تعلمون أنه خير لكم حينئذ لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون، فعلى العاقل تبديل الفاني بالباقي فإنه خير له، وجاء رجل بناقة مخطومة وقال: هذه في سبيل الله فقال عليه السلام: لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة». بزركى فرموده كه اصل مرابحه درين تجارت اينست كه غير حق رابدهى وحق را بستانى ودر نفحات ازابى عبد الله اليسرى قدس سره نقل ميكند كه پسروى آمد وكفت سبوى روغن داشتم كه سرمايه من بود ازخانه بيرون مى آوردم بيفتادوبشكست وسرمايه من ضايع شد كفت أي: فرزند سرمايه خود آن سازكه سرمايه پدرتست والله كه پدر ترا هيچ نيست دردنيا وآخرت غير الله شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري قدس سره فرمودكه سود تمام آن بودكه پدرش هم نبودى اشارت بمرتبة فناست درباختن سود وسرمايه در بازار شوق لقا:

تاچند ببازار خودى پست شوى بشتاب كه از جام فنامست شوى
ازمايه سود دوجهان دست بشوى سود توهمان به كه تهى دست شوى

ودخل في الآية جهاد أهل البدعة وهم ثنتان وسبعون فرقة ضالة آن كافر خرابى حصن اسلام خواهد اين مبتدع ويرانى حصار سنت جويد آن شيطان در تشويش ولايت دل كوشد اين هواى نفس زيرو زبرىء دين توخواهد حق تعالى ترابر هريكى ازين دشمنان سلاحى داده تا اورابدان قهر كنى قتال با كافران بشمشير سياست است وبا مبتدعان بتيغ زبان وحجت وبا شيطان بمداومت ذكر حق وتحقيق كلمه وبا هواى نفس بتير مجاهده وسنان رياضت اينست بهين اعمال بنده وكزيده طاعات رونده چنانچه رب العزة كفت ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ وقال بعض الكبار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الممتحنة: ١٠] بالإيمان التقليدي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الصف: ١٠، ١١] أي: تحقيقاً

ويقيناً استدلالياً، وبعد صحة الاستدلال تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم لأن بذل المال والنفس في سبيل الله لا يكون إلا بعد اليقين.

واعلم أن التوحيد إما لساني وإما عياني، أما التوحيد اللساني: المقترن بالاعتقاد الصحيح فأهله قسمان: قسم بقوا في التقليد الصرف ولم يصلوا إلى حد التحقيق فهم عوام المؤمنين، وقسم تشبثوا بذيل الحجج والبراهين النقلية والعقلية فهؤلاء وإن خرجوا عن حد التقليد الصرف لكنهم لم يصلوا إلى نور الكشف والعيان كما وصف أهل الشهود والعرفان، وأما التوحيد العياني: فعلى مراتب المرتبة الأولى توحيد الأفعال، والثانية توحيد الصفات، والثالثة توحيد الذات فمن تجلى له الأفعال توكل واعتصم، ومن تجلى له الصفات رضي وسلم ومن وصل إلى تجلي الذات فني في الذات بالمحو والعدم.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿يغفر لكم ذنوبكم﴾ في الدنيا وهو جواب الأمر المدلول عليه بلفظ الخبر ويجوز أن يكون جواباً لشرط أو لاستفهام دل عليه الكلام تقديره أن تؤمنوا وتجاهدوا أو هل تقبلون وتفعلون ما دللتكم عليه يغفر لكم، وجعله جواباً لهل أدلكم بعيد لأن مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة **﴿ويدخلكم﴾** في الآخرة **﴿جنات﴾** أي: كل واحد منكم جنة ولا بعد من لطفه تعالى أن يدخله جنات بأن يجعلها خاصة له داخلة تحت تصرفه والجنة في اللغة البستان الذي فيه أشجار متكاثفة مظلة تستر ما تحتها. **﴿تجري من تحتها﴾** أي: من تحت أشجارها بمعنى تحت أغصان أشجارها في أصولها على عروقها أو من تحت قصورها وغرفها **﴿الأنهار﴾** من اللبن والعسل والخمر والماء الصافي. **﴿ومساكن طيبة﴾** أي: ويدخلكم مساكن طيبة ومنازل نزهته كائنة **﴿في جنات عدن﴾** أي: إقامة وخلود بحيث لا يخرج منها من دخلها بعارض من العوارض وهذا الظرف صفة مختصة بمساكن، وهي: جمع مسكن بمعنى المقام والسكون ثبوت الشيء بعد تحرك ويستعمل في الاستيطان يقال: سكن فلان في مكان كذا استوطنه، واسم المكان: مسكن فمن الأول يقال: سكنت ومن الثاني يقال: سكنته قال الراغب: أصل الطيب ما يستلذه الحواس، وقوله: **﴿ومساكن طيبة في جنات عدن﴾** أي: طاهرة زكية مستلذة وقال بعضهم: طيبتها سعتها ودوام أمرها وسئل رسول الله ﷺ عن هذه المساكن الطيبة فقال: «قصر من لؤلؤ في الجنة في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء في كل بيت سبعون وصيفاً ووصيفة قال: فيعطي الله المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله» قال في «الكبير»: أراد بالجنات البساتين التي يتناولها الناظر لأنه تعالى قال بعده **﴿ومساكن طيبة في جنات عدن﴾**، والمعطوف يجب أن يكون مغايراً للمعطوف عليه فتكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات التي هي البساتين ويكون فائدة وصفها بأنها عدن أنها تجري مجرى الدار التي يسكنها الإنسان، وأما الجنات الأخر فهي جارية مجرى البساتين التي قد يذهب الإنسان إليها لأجل التنزه وملاقاة الأحباب، وفي بعض

التفاسير: تسمية دار الثواب كلها بالجنات التي هي بمعنى البساتين لاشتمالها على جنات كثيرة مترتبة على مراتب بحسب استحقاقات العالمين من الناقصين والكاملين، ولذلك أتى بجنات جمعاً منكراً ثم اختلفوا في عدد الجنات المشتملة على جنات متعددة فالمروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها سبع: جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على تفاوت الأعمال والعمال.

ـ وروي ـ عنه أنها ثمان: دار الجلال ودار القرار ودار السلام وجنة عدن وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة الفردوس وجنة النعيم، وقال أبو الليث: الجنان أربع: كما قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦] ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمن: ٦٢] فذلك جنان أربع إحداهن جنة الخلد، والثانية جنة الفردوس، والثالثة جنة المأوى، والرابعة جنة عدن وأبوابها ثمانية بالخبر وخازن الجنة يقال: له رضوان، وقد ألبسه الله الرأفة والرحمة كما أن خازن النار ويقال له: مالك، قد ألبسه الله الغضب والهيبة، وميل الإمام الغزالي رحمه الله إلى كون الجنان أربعاً فلعل الجنات في الآية باعتبار الأفراد لا باعتبار الأسماء وما يستفاد من قلتها بحسب أن الجمع السالم من جموع القلة ليس بمراد فإنها في الوجود الإنساني أربع جنان فالغالب في الجنة الأولى التنعم بمقتضى الطبيعة من الأكل والشرب والوقاع، وفي الثانية التلذذ بمقتضى النفس كالتصرفات، وفي الثالثة التلذذ بالأذواق الروحانية كالمعارف الإلهية، وفي الرابعة التلذذ بالمشاهدات وذلك أعلى اللذات لأنها من الخالق وغيرها من المخلوق، إن قلت لِمَ لم تذكر أبواب الجنة في القرآن وإنها ثمانية كما ذكرت أبواب النار كما قال تعالى ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ [الحجر: ٤٤] قلت: إن الله سبحانه إنما يذكر من أوصاف الجنة ما فيه تشويق إليها وترغيب فيها وتنبيه على عظم نعيمها وليس في كونها ثمانية أو أكثر من ذلك أو أقل زيادة في معنى نعيمها بل لو دخلوا من باب واحد أو من ألف باب لكان ذلك سواء في حكم السرور بالدخول، ولذلك لم يذكر اسم خازن الجنة إذ لا ترغيب في أن يخبر عن أهل الجنة أنهم عند فلان من الملائكة أو في كرامة فلان، وقد قال: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] ولا شك أن من حدثت عنه أنه عند الملك يسقيه أبلغ في الكرامة من أن يقال: هو عند خادم من خدام الملك أو في كرامة ولي من أوليائه بخلاف ذكر أبواب النار، وذكر مالك فإن فيه زيادة ترهيب قال سهل قدس سره: أطيب المساكن ما أزال عنهم جميع الأحزان وأقر أعينهم بمجاورته فهذا الجوار فوق سائر الجوار، وقال بعضهم: ومساكن طيبة برؤية الحق تعالى فإن المساكن إنما تطيب بملاقاة الأحباب ورؤية العاشق جمال المعشوق ووصول المحب إلى صحبة المحبوب وكذا مساكن القلوب إنما تطيب بتجلي الحق ولقاء جماله، جعلنا الله وإياكم من أهل الوصول واللقاء والبقاء ﴿ذلك﴾ أي: ما ذكر من المغفرة وإدخال الجنات المذكورة بما ذكر من الأوصاف الجميلة. ﴿الفوز العظيم﴾ الذي لا فوز وراءه قال بعض المفسرين: الفوز يكون بمعنى النجاة من المكروه وبمعنى الظفر بالبغية والأول يحصل بالمغفرة، والثاني بإدخال الجنة والتنعيم فيها وعظمه باعتبار أنه نجاة لا ألم بعده وظفر لا نقصان فيه شاناً وزماناً ومكاناً لأنه في غاية الكمال على الدوام في مقام النعيم، اعلم أن الآية الكريمة أفادت أن التجارة دنيوية وأخروية فالدنيا موسم التجارة والعمر مدتها والأعضاء والقوى رأس المال والعبد هو المشتري من وجه والبائع من وجه فمن صرف رأس ماله إلى المنافع الدنيوية التي تنقطع عند الموت

فتجارته دنيوية كاسدة خاسرة، وإن كان بتحصيل علم ديني أو كسب عمل صالح فضلاً عن غيرهما فإنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى، ومن صرفه إلى المقاصد الأخروية التي لا تنقطع أبداً فتجارته رائجة رابحة حرية بأن يقال: ﴿فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، ولعل المراد من التجارة هنا بذل المال والنفس في سبيل الله وذكر الإيمان لكونه أصلاً في الأعمال ووسيلة في قبول الآمال وتوصيف التجارة بالإنجاء لأن النجاة يتوقف عليها الانتفاع فيكون قوله تعالى: **﴿يغفر لكم﴾** بيان سبب الإنجاء وقوله: ويدخلهم بما يتعلق به بيان المنفعة الحاصلة من التجارة مع أن التجارة الدنيوية تكون سبباً للنجاة من الفقر المنقطع، والتجارة الأخروية تكون سبباً للنجاة من الفقر الغير المنقطع قال عليه السلام: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» يعني: أن نعمتي الصحة والفراغ كرأس المال للمكلف فينبغي أن يعامل الله بالإيمان به وبرسوله ويجاهد مع النفس لئلا يغبن ويربح في الدنيا والآخرة ويجتنب معاملة الشيطان لئلا يضيع رأس ماله مع الربح. قال الحافظ:

كاري كنيم ورنه خجالت براورد   روزى كه رخت جان بجهان دكر كشيم

وقال أيضاً:

كوهر معرفت اندوزكه يا خود ببرى   كه نصيب دكر انست نصاب زروسيم

وقال أيضاً:

دلا دلالت خيرت كنم براه نجات   مكن بفسق مباهات وزهدهم مفروش

وقال المولى الجامي:

ازكسب معارف شده مشغوف زخارف   در هاى ثمين داده وخرمهره خريده

وقال:

جان فداى دوست كن جامى كه هست   كمترين كارى درين ره بذل روح

﴿وأخرى﴾ أي: ولكم إلى هذه النعم العظيمة نعمة أخرى عاجلة فأخرى مبتدأ حذف خبره والجملة عطف على يغفر لكم على المعنى. **﴿تحبونها﴾** وترغبون فيها وفيه تعريض بأنهم يؤثرون العاجل على الآجل وتوبيخ على محبته وهو صفة بعد صفة لذلك المحذوف. **﴿نصر من الله﴾** بدل أو بيان لتلك النعمة الأخرى يعني نصر من الله على عدوكم قريش وغيرهم. **﴿وفتح قريب﴾** أي: عاجل عطف على نصر. قال «الكاشفي»: مراد فتح مكة است يا فتح روم وفارس ابن عطا فرموده كه نصر توحيد است وفتح نظر بجمال ملك مجيد. وقد بين أنواع الفتوح في سورة الفتح فارجع. أشارت الآية إلى أن الإيمان الاستدلالي اليقيني وبذل المال والنفس بمقتضاه في طريق الجهاد الأصغر وإن كان تجارة رابحة إلا أن أصحابها لم يتخلصوا بعد من الأعواض والأغراض فللسالك إلى طريق الجهاد الأكبر تجارة أخرى فوق تلك التجارة أربح من الأولى هي نصر من الله بالتأييد الملكوتي والكشف النوري وفتح قريب الوصول إلى مقام القلب ومطالعة تجليات الصفات وحصول مقام الرضى؛ وإنما سماه تجارة لأن صفاتهم الظلمانية تبدل هناك بصفات الله النورانية وإنما قال: تحبونها لأن المحبة الحقيقية لا تكون إلا بعد الوصول إلى مقام القلب ومن دخل مقام المحبة بالوصول إلى هذا المقام فقد دخل في أول مقامات الخواص فالمعتبر من المنازل منزل المحبة، وأهله عبيد خلص لا يتوقعون الأجرة بعملهم بخلاف من تنزل عن منزلة المحبة فإنهم أجراء يعملون للأجرة، قال بعض العارفين مَن

عَبَدَ اللَّهَ رجاء للثواب وخوفاً من العقاب فمعبوده في الحقيقة هو الثواب والعقاب، والحق واسطة فالعبادة لأجل تنعم النفس في الجنة، والخلاص من النار معلول ولهذا قال المولى جلال الدين الرومي قدس سره:

هشت جنت هفت دوزخ پيش من هست پيدا همچوبت پيش شمن

وقال بعضهم:

طاعت ازبهر جزا شرك خفيست يا خدا جوباش ويا عقبى طلب

واعلم أن من جاهد فإنما يجاهد لنفسه لأنه يتخلص من الحجاب فيصل إلى الملك الوهاب **﴿وبشر المؤمنين﴾** عطف على محذوف مثل **﴿قل يا أيها الذين آمنوا﴾** وبشرهم يا أكمل الرسل بأنواع البشارة الدنيوية والأخروية فلهم من الله فضل وإحسان في الدارين، وكان في هذا دلالة على صدق النبي لأنه أخبر عما يحصل ويقع في المستقبل من الأيام على ما أخبره.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى تواتر النعم وتواليها وفتح مكة القلب بعد النصر بخراب بلدة النفس وبشر المؤمنين المحبين الطالبين بالنصر على النفس فتح مكة القلب انتهى. وفيه إشارة إلى أن بلدة النفس إنما تخرب بعد التأييد الملكوتي وإمداد جنود الروح بأن تغلب القوى الروحانية على القوى النفسانية كما يغلب أهل الإسلام على أهل الحرب فيخلصون القلعة من أيدي الكفار ويزيلون آثار الكفر والشرك بجعل الكنائس مساجد وبيوت الأصنام معابد ومساكن الكفار مقار المؤمنين المخلصين والله المعين على الفتح المطلق كل حين. **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله﴾** أي: أنصار دينه جمع نصير كشريف وأشراف **﴿كما قال عيسى ابن مريم للحواريين﴾** سيأتي بيانهم **﴿من﴾** كيستند **﴿أنصاري إلى الله﴾** قال بعض المفسرين: من يحتمل أن يكون استفهاماً حقيقة ليعلم وجود الأنصار ويتسلى به ويحتمل العرض والحث على النصرة، وفيه دلالة على أن غير الله تعالى لا يخلو عن الاحتياج والاستنصار وأنه في وقته جائز حسن إذا كان لله في الله، والمعنى من جندي متوجهاً إلى نصرة الله كما يقتضيه قوله تعالى: **﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾** فإن قوله عيسى لا يطابق جواب الحواريين بحسب الظاهر فإن ظاهر قول عيسى يدل على أنه يسأل من ينصره فكيف يطابقه جواب الحواريين بأنهم ينصرون الله، وأيضاً لا وجه لبقاء قول عيسى على ظاهره لأن النصرة لا تتعدى بإلى فحمل الأنصار على الجند لأنهم ينصرون ملكهم ويعينونه في مراده، ومراده عليه السلام نصرة دين الله فسأل من يتبعه ويعينه في ذلك المراد ويشاركه فيه، فقوله: متوجهاً حال من ياء المتكلم في جندي وإلى متعلق به لا بالنصرة والإضافة الأولى: إضافة أحد المتشاركين إلى الآخر لما بينهما من الاختصاص يعني الملابسة المخصصة للإضافة المجازية لظهور أن الاختصاص الذي تقتضيه الإضافة حقيقة غير متحقق في إضافة أنصاري، والإضافة الثانية: إضافة الفاعل إلى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى أي: كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصاره حين قال لهم عيسى: من أنصاري إلى الله أو قل لهم: كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون أصفياؤه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص، وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً قال مقاتل: قال الله لعيسى: إذا دخلت القرية فأت النهر الذي عليه القصارون فاسألهم النصرة فأتاهم عيسى، وقال من أنصاري إلى الله فقالوا: نحن ننصرك فصدقوه ونصروه.

وقال الكاشفي: وفي الواقع نصرت كردند دين عيسى رابعد از رفع وى وخلق را بخدا دعوت نمودند. فالحواريون كانوا قصارين وقيل: كانوا صيادين قال بعض العلماء: إنما سموا

حواريين: لصفاء عقائدهم عن التردد والتلوين، أو لأنهم كانوا يطهرون نفوس الناس بإفادتهم الدين والعلم المشار إليه بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وإنما قيل كانوا قصارين على التمثيل والتشبيه، وإنما قيل: كانوا صيادين لاصطيادهم نفوس الناس وقودهم إلى الحق، وقوله عليه السلام: «الزبير ابن عمتي وحواريي» وقوله يوم الأحزاب: «من يأتيني بخبر القوم فقال الزبير: أنا فقال عليه السلام: إن لكل نبي حوارياً وحواريي الزبير» فشبهه بهم في النصرة، وقال بعض المفسرين: دل الحديث على أن الحواريين ليسوا بمختصين بعيسى إذ هو في معنى الأصحاب الأصفياء، وقال معمر رضي الله عنه: كان بحمد الله لنبينا عليه السلام حواريون نصروه حسب طاقتهم وهم سبعون رجلاً وهم الذين بايعوه ليلة العقبة وقال السهيلي: كونوا أنصاراً لله فكانوا أنصاراً وكانوا حواريين، والأنصار الأوس والخزرج ولم يكن هذا الاسم قبل الإسلام حتى سماهم الله به، وكان له عليه السلام حواريون أيضاً من قريش مثل الخلفاء الأربعة والزبير وعثمان بن مظعون وحمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب ونحوهم. ﴿فآمنت طائفة﴾ أي: جماعة وهي أقل من الفرقة لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٢] ﴿من بني إسرائيل﴾ أي: آمنوا بعيسى وأطاعوه فيما أمرهم به من نصرة الدين ﴿وكفرت طائفة﴾ أخرى به وقاتلوه ﴿فأيدنا الذين آمنوا﴾ أي: قوينا مؤمني قومه بالحجة أو بالسيف وذلك بعد رفع عيسى ﴿على عدوهم﴾ أي: على الذين كفروا وهو الظاهر فإيراد العدو إعلام منه أن الكافرين عدو للمؤمنين عداوة دينية، وقيل: لما رفع عيسى عليه السلام تفرق القوم ثلاث فرق فرقة قالوا: كان الله فارتفع، وفرقة قالوا: كان ابن الله فرفعه الله إليه، وفرقة قالوا: كان عبد الله ورسوله فرفعه الله وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على الفرقة المؤمنة حتى بعث الله محمداً ﷺ فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى: ﴿فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا﴾ صاروا ﴿ظاهرين﴾ غالبين عالين يقال: ظهرت على الحائط علوته، وقال قتادة: فأصبحوا ظاهرين بالحجة والبرهان كم سبق لأنهم قالوا فيما روي: ألستم تعلمون أن عيسى عليه السلام كان ينام والله تعالى لا ينام وأنه يأكل ويشرب والله منزه عن ذلك، وفي الآية إشارة إلى غلبة القوى الروحانية على القوى النفسانية لأن القوى الروحانية مؤمنون متنورون بنور الله متقون عما سوى الله تعالى، والقوى النفسانية كافرون مظلمون بظلمة الأكوان متلوثون بالعلاقات المختلفة، ولا شك أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فبنور الإسلام والإيمان والتقوى والهدى يزيل ظلمة الشرك والكفر والتعلق والهوى مع أن أهل الإيمان وإن كانوا أقل من أهل الكفر في الظاهر لكنهم أكثر منهم في الباطن فهم السواد الأعظم والمظاهرالجمالية.

واعلم أن الجهاد دائم باق ماض إلى يوم القيامة أنفساً وآفاقاً لأن الدنيا مشتملة على أهل الجمال والجلال، وكذا الوجود الإنساني ما دام في هذا الموطن فإذا صار إلى الموطن الآخر فإما أهل جمال فقط وهو في الجنة، وإما أهل جلال فقط وهو في النار والله يحفظنا وإياكم.

تمت سورة الصف بعون الله تعالى في أواسط ذي الحجة
من شهور سنة خمس عشرة ومائة وألف

٦٢ ــ سورة الجمعة

إحدى عشرة آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾﴾.

﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ جميعاً من حي وجامد تسبيحات مستمرة فما في السماوات هي البدائع العلوية وما في الأرض هي الكوائن السفلية فللكل نسبة إلى الله تعالى بالحياة والتسبيح **﴿الملك﴾** پادشاهى كه ملك او دائمست وبى زوال **﴿القدوس﴾** پاك از سمت عيب وصفت اختلال **﴿العزيز﴾** الغالب على كل ما أراد **﴿الحكيم﴾** صاحب الحكمة البديعة البالغة، وقد سبق معاني هذه الأسماء في سورة الحشر، والجمهور على جر الملك وما بعده على أنها صفات لاسم الله عز وجل.

يقول الفقير: بدأ الله تعالى هذه السورة بالتسبيح لما فيها من ذكر البعثة إذا خلا العالم من المرشد منافٍ للحكمة، ويجب تنزيه الله عنه ولما اشتملت عليه من بيان ادعاء اليهود كونهم أبناء الله وأحباءه، ولما ختمت به من ذكر ترك الذكر واستماع الخطبة المشتملة على الدعاء والحمد والتسبيح ونحو ذلك.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني: ينزه ذاته المقدسة ما في سماوات المفهوم من مفهومات العامة ومفهومات الخاصة ومفهومات أخص الخاصة وما في أرض المعلوم من معلومات العامة ومعلومات الخاصة ومعلومات أخص الخاصة، وإنما أضفنا السماوات إلى المفهوم وأضفنا الأرض إلى المعلوم لفوقية رتبة الفهم على رتبة العلم وذلك قوله: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، ويدل على ذلك إصابة سليمان حقيقة المسألة المخصوصة بحسب نور الفهم لا بحسب قوة العلم وهو العزيز الذي يعز من يشاء بخلعة نور الفهم الحكيم الذي يشرف من يشاء بحكمته بلبسه ضياء العلم.

﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾

﴿هو الذي بعث في الأميين﴾ جمع أمي منسوب إلى أمة العرب وهم قسمان فعرب الحجاز من عدنان وترجع إلى إسماعيل عليه السلام وعرب اليمن ترجع إلى قحطان وكل منهم قبائل كثيرة، والمشهور عند أهل التفسير أن الأمي من لا يكتب ولا يقرأ من كتاب وعند أهل

الفقه من لا يعلم شيئاً من القرآن كأنه بقي على ما تعلمه من أمه من الكلام الذي يتعلمه الإنسان بالضرورة عند المعاشرة، والنبي الأمي منسوب إلى الأمة الذين لم يكتبوا لكونه على عادتهم كقولك: عامي لكونه على عادة العامة، وقيل: سمي بذلك لأنه لم يكتب ولم يقرأ من كتاب وذلك فضيلة له لاستغنائه بحفظه واعتماده على ضمان الله له عنه بقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ [الأعلى: ٦]، وقيل: سمي بذلك لنسبته إلى أم القرى، وفي «كشف الأسرار»: سمي العرب أميين لأنهم كانوا على نعت أمهاتهم مذ كانت بلا خط ولا كتاب نسبوا إلى ما ولدوا عليه من أمهاتهم لأن الخط والقراءة والتعليم دون ما جبل الخلق عليه، ومن يحسن الكتابة من العرب فإنه أيضاً أمي لأنه لم يكن لهم في الأصل خط ولا كتابة، قيل: بدئت الكتابة بالطائف تعلمها ثقيف وأهل الطائف من أهل الحيرة بكسر الحاء وسكون المثناة من تحت بلد قرب الكوفة، وأهل الحيرة أخذوها من أهل الأنبار وهي مدينة قديمة على الفرات بينها وبين بغداد عشرة فراسخ، ولم يكن في أصحاب رسول الله عليه السلام كاتب إلا حنظلة الذي يقال له: غسيل الملائكة ويسمى حنظلة الكاتب ثم ظهر الخط في الصحابة بعد في معاوية بن أبي سفيان وزيد بن ثابت وكانا يكتبان لرسول الله عليه السلام وكان له كتاب أيضاً غيرهما، واختلفوا في رسول الله عليه السلام أنه هل تعلم الكتابة بآخرة من عمره أو لا لعلمائنا فيه وجهان وليس فيه حديث صحيح، ولما كان الخط صنعة ذهنية وقوة طبيعية صدرت بالآلة الجسمانية لم يحتج إليه من كان القلم الأعلى يخدمه واللوح المحفوظ مصحفه ومنظره وعدم كتابته مع علمه بها معجزة باهرة له عليه السلام إذ كان يعلم الكتاب علم الخط وأهل الحرف حرفتهم، وكان أعلم بكل كمال أخروي أو دنيوي من أهله ومعنى الآية **﴿هو الذي بعث في الأميين﴾** أي: في العرب لأن أكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الأمم فغلب الأكثر، وإنما قلنا: أكثرهم لأنه كان فيهم من يكتب ويقرأ وإن كانوا على قلة. **﴿رسولاً﴾** كائناً **﴿منهم﴾** أي: من جملتهم ونسبهم عربياً أمياً مثلهم. تارسالت اوازتهمت دور باشد فوجه الامتنان مشاكلة حاله لأحوالهم ونفى التعلم من الكتب فهم يعلمون نسبه وأحواله. ودر كتاب شعيا عليه السلام مذكور است كه إني أبعث أمياً في الأميين وأختم به النبيين. قال الكاشفي: ودر اميت آن حضرت عليه السلام نكتهاست ايجا بسه بيت اختصار ميررد:

فيض ام الكتاب پروردش ... لقب امى ازان خدا كردش
لوح تعليم نا كرفته ببر ... همه زاسرار لوح داده خبر
برخط اوست انس وجانراسر ... كه نخواندست خط ازان چه خطر

والبعث في الأميين لا ينافي عموم دعوته عليه السلام فالتخصيص بالذكر لا مفهوم له ولو سلم فلا يعارض المنطوق مثل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] على أنه فرق بين البعث في الأميين والبعث إلى الأميين فبطل احتجاج أهل الكتاب بهذه الآية على أنه عليه السلام كان رسول الله إلى العرب خاصة ورد الله بذلك ما قال اليهود للعرب طعناً فيه نحن أهل الكتاب وأنتم أميون لا كتاب لكم. **﴿يتلو عليهم آياته﴾** أي: القرآن مع كونه أمياً مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم والفرق بين التلاوة والقراءة أن التلاوة قراءة القرآن متتابعة كالدراسة والأوراد والقراءة أعم لأنها جمع الحروف باللفظ لا اتباعها. **﴿ويزكيهم﴾** صفة أخرى لرسولاً معطوفة على يتلو أي يحملهم على ما يصيرون به أزكياء من خبائث العقائد

والأعمال وفيه إشارة إلى قاعدة التسليك فإن المزكي في الحقيقة وإن كان هو الله تعالى كما قال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩] إلا أن الإنسان الكامل مظهر الصفات الإلهية جميعاً ويؤيد هذا المعنى إطلاق نحو قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ قال في «الإرشاد»: صفة أخرى لرسولاً مترتبة في الوجود على التلاوة وإنما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصلة بالعلم المترتب على التلاوة للإيذان بأن كلاً من الأمور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر، فلو روعي ترتيب الوجود لتبادر إلى الفهم كون الكل نعمة واحدة وهو السر في التعبير عن القرآن تارة بالآيات وأخرى بالكتاب والحكمة رمزاً إلى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة انتهى. وقال بعضهم: ويعلمهم القرآن والشريعة وهي ما شرع الله لعباده من الأحكام أو لفظه ومعناه أو القرآن والسنة كما قاله الحسن أو الكتاب الخط كما قاله ابن عباس أو الخير والشر كما قاله ابن إسحاق والحكمة الفقه كما قاله مالك أو العظة كما قاله الأعمش أو كتاب أحكام الشريعة وأسرار آداب الطريقة وحاصل معانيه الحكمية والحكمية، ولكن تعليم حقائق القرآن وحكمه مختص بأولي الفهم وهم خواص الأصحاب رضي الله عنهم وخواص التابعين من بعدهم إلى قيام الساعة، لكن معلم الصحابة عموماً وخصوصاً هو النبي عليه السلام بلا واسطة ومعلم التابعين قرناً بعد قرن هو عليه السلام أيضاً لكن بواسطة ورثة أمته وكمل أهل دينه وملته ولو لم يكن سوى هذا التعليم معجزة لكفاه.

قال البوصيري في القصيدة البردية:

كفاك بالعلم في الأمي معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتم

أي: كفاك العلم الكائن في الأمي في وقت الجاهلية وكفاك أيضاً تنبيهه على الآداب لعلمه بها في وقت اليتم معجزة. ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ إن: ليست شرطية ولا نافية بل هي المخففة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى: وأن الشأن كان الأميون من قبل بعثته ﷺ ومجيئه لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية لا ترى ضلالاً أعظم منه وهو بيان لشدة افتقارهم إلى من يرشدهم وإزاحة لما عسى يتوهم من تعلمه عليه السلام من الغير، فإن المبعوث فيهم إذا كانوا في ضلال قبل البعثة زال توهم أنه تعلم ذلك من أحد منهم. قال سعدي المفتي: والظاهر أن نسبة الكون في الضلال إلى الجميع من باب التغليب وإلا فقد كان فيهم مهتدون مثل ورقة بن نوفل وزيد بن نفيل وقس بن ساعدة وغيرهم ممن قال رسول الله عليه السلام: في كل منهم يبعث أمة وحده.

يقول الفقير: هو اعتراض على معنى الإزاحة المذكورة لكنه ليس بشيء فإن اهتداء من ذكره من نحو ورقة إنما كان في باب التوحيد فقط فقد كانوا في ضلال من الشرائع والأحكام، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: ٧] مع أنه عليه السلام لم يصدر منه قبل البعثة شرك ولا غيره من شرب الخمر والزنى واللغو واللهو فكونهم مهتدين من وجه لا ينافي كونهم ضالين من وجه آخر دل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿يتلو عليهم﴾ إلخ فإن بالتلاوة وتعليم الأحكام والشرائع حصل تزكية النفس والنجاة من الضلال مطلقاً فاعرفه.

﴿وآخرين منهم﴾ جمع آخر بمعنى غير وهو عطف على الأميين أي: بعثه في الأميين الذين

على عهده وفي آخرين من الأميين أو على المنصوب في يعلمهم، أي: يعلمهم ويعلم آخرين منهم وهم الذين جاؤوا من العرب فمنهم متعلق بالصفة لآخرين أي: وآخرين كائنين منهم مثلهم في العربية والأمية وإن كان المراد العجم فمنهم يكون متعلقاً بآخرين. قال الكاشفي: أصح اقوال آنست كه هركه باسلام در آمده ودرمى آيد بعد از وفات آن حضرت عليه السلام همه درين آخرين داخلند. فيكون شاملاً لكل من أسلم وعمل صالحاً إلى يوم القيامة من عربي وعجمي وفي الحديث: «إن في أصلاب رجال من أمتي رجالاً ونساء يدخلون الجنة بغير حساب» ثم تلا الآية ﴿لما يلحقوا بهم﴾ صفة لآخرين أي: لم يلحقوا بالأميين بعد ولم يكونوا في زمانهم وسيلحقون بهم ويكونون بعدهم عرباً وعجماً وذلك لما أن منفي لما لا بد أن يكون مستمر النفي في الحال. وأن يكون متوقع الثبوت بخلاف منفي لم فإنه يحتمل الاتصال نحو: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤]، والانقطاع مثل ﴿لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] ولهذا جاز لم يكن ثم كان ولم يجز لما يكن ثم كان بل يقال: لما يكن وقد يكون.

ـ روى ـ سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن النبي عليه السلام قال: «رأيتني أسقي غنماً سوداً ثم أتبعتها غنماً عفراً أولها يا أبا بكر فقال: يا نبي الله أما السود فالعرب وأما العفر فالعجم تتبعك بعد العرب فقال عليه السلام: كذلك أولها الملك» يعني جبرائيل عليه السلام يقال: شاة عفراء يعلو بياضها حمرة ويجمع على عفر مثل سوداء وسود وقيل لما يلحقوا بهم في الفضل والمسابقة لأن التابعين لا يدركون شيئاً مع الصاحبة، وكذلك العجم مع العرب ومن شرائط الدين معرفة فضل العرب على العجم وحبهم ورعاية حقوقهم وفي الآية دليل على أن رسول الله ﷺ رسول نفسه وبلاغه حجة لأهل زمانه ومن بلغ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧]. ﴿وهو العزيز﴾ المبالغ في العزة والغلبة ولذلك مكن رجلاً أمياً من ذلك الأمر العظيم﴿الحكيم﴾ المبالغ في الحكمة ورعاية المصلحة ولذلك اصطفاه من بين كافة البشر. ﴿ذلك﴾ الذي امتاز به من بين سائر الأفراد وهو أن يكون نبي أبناء عصره ونبي أبناء العصور الغوابر﴿فضل الله﴾ وإحسانه. ﴿يؤتيه من يشاء﴾ تفضلاً وعطية لا تأثير للأسباب فيه فكان الكرم منه صرفاً لا تمازجه العلل ولا تكسبه الحيل. ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الآخرة وفي «كشف الأسرار» والله ذو الفضل العظيم على محمد وذو الفضل العظيم على الخلق بإرسال محمد إليهم وتوفيقهم لمبايعته انتهى.

يقول الفقير: وأيضاً﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ على أهل الاستعداد من أمة محمد بإرسال ورثة محمد في كل عصر إليهم وتوفيقهم للعمل بموجب إشاراتهم ولولا أهل الإرشاد والدلالة لبقي الناس كالعميان لا يدرون أين يذهبون وإنما كان هذا الفضل عظيماً لأن غايته الوصول إلى الله العظيم؛ وقال بعض الكبار: ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ إذ جميع الفضائل الأسمائية تحت الاسم الأعظم وهو جامع أحدية جميع الأسماء وقيل لرسول الله ﷺ: «ذهب أهل الدثور بالأجور فقال: قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فقالوها: وقالها الأغنياء: فقيل: إنهم شاركونا قال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء». وفي بعض الروايات إذا قال الفقير: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مخلصاً، وقال الغني: مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير في فضله وتضاعف الثواب وإن أنفق الغني معها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها. قال الشيخ سعدي قدس سره:

نقنطار زر بخش كردن زكنج   نباشد چو قيراطى ازدست رنج

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٥﴾.

﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ أي: علموها وكلفوا العمل بها وهم اليهود ومثلهم صفتهم العجيبة **﴿ثم لم يحملوها﴾** أي: لم يعملوا بما في تضاعيفها من الآيات التي من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله عليه السلام واقتنعوا بمجرد قراءتها **﴿كمثل الحمار﴾** الكاف فيه زائدة كما في «الكواشي» والحمار: حيوان معروف يعبر به عن الجاهل كقولهم: هو أكفر من الحمير أي: أجهل لأن الكفر من الجهالة فالتشبيه به لزيادة التحقير والإهانة ولنهاية التهكم والتوبيخ بالبلادة، إذ الحمار يذكر بها والبقر وإن كان مشهوراً بالبلادة إلا أنه لا يلائم الحمل:

تعلم يا فتى فالجهل عار   ولا يرضى به إلا حمار

﴿يحمل أسفاراً﴾ أي: كتباً من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل، إما حال والعامل فيها معنى المثل أو صفة للحمار إذ ليس المراد معيناً فإن المعرف بلام العهد الذهني في حكم النكرة كما في قول من قال: ولقد أمر على اللئيم يسبني، والأسفار: جمع سفر بكسر السين وهو الكتاب كشبر وأشبار. قال الراغب: السفر الكتاب الذي يسفر عن الحقائق أي: يكشف وخص لفظ الأسفار في الآية تنبيهاً على أن التوراة وإن كانت تكشف عن معانيها إذا قرئت وتحقق ما فيها فالجاهل لا يكاد يستبينها كالحمار الحامل لها، وفي «القاموس»: السفر الكتاب الكبير أو جزء من أجزاء التوراة وفي هذا تنبيه من الله على أن ينبغي لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه ويعمل به لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء. قال الشيخ سعدي: مراد از نزول قرآن تحصيل سيرت خوبست نه ترتيل سورة مكتوب:

علم چندانكه بيشتر خوانى   چون عمل درتونيست نادانى
نه محقق بود نه دانشمند   چار پايى برو كتابى چند
آن تهى مغزرا چه علم وخبر   كه برو هيز مست با دفتر

وقال الكاشفي:

كفت ايزد يحمل اسفاره   بار باشد علم كان نبود زهو
علمهاى اهل دل حمالشان   علمهاى اهل تن احمالشان
علم چون بردل زنديارى بود   علم چون كل زندبارى بود
چون بدل خوانى زحق كيرى سبق   چون بكل خوانى سيه سازى ورق

وفي «التأويلات النجمية»: يعني مثل يهود النفس في حمل توراة العلم والمعرفة بصحة رسالة القلب وعدم اتباع رسومه وأحكامه كمثل حمار البدن في حمله أثقال الأمتعة النفسية والأقمشة الشريفة والملابس الفاخرة والطيالس الناعمة، فكما أن حمار البدن لا يعرفها ولا يعرف شرفها ولا كرامتها كذلك يهود النفس لا تعرف رفعة رسول القلب ولا رتبته ونعم ما يحكى عن بعض الظرفاء أنه حضر دعوة لطعام فلم يلتفتوا إليه وأجلسوه في مكان نازل ثم إنه خرج واستعار ألبسة نفيسة وعاد إلى المجلس فلما رأوه على زي الأكابر عظموه وأجلسوه فوق الكل فلما حضر الطعام قال: ذلك الظريف خطابا لكمه كل والكم لا يدري ما الطعام، وما

اللذة لكن نظر أهل الصورة مقصور على الظاهر لا يرون الفضل إلا بالزخارف والزين فما أبعد هؤلاء عن إدراك المعاني والحقائق. ﴿بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله﴾ أي: بئس مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على أن التمييز محذوف والفاعل المفسر له مستتر والمذكور هو المخصوص بالذم وهم اليهود الذين كفروا بما في التوراة من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد عليه السلام. ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الواضعين للتكذيب في موضع التصديق أو الظالمين لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد باختيار الضلالة على الهداية والشقاوة على السعادة والعداوة على العناية كاليهود ونظائرهم، وفيه تقبيح لهم بتشبيه حالهم بحال الحمار والمشبه بالقبيح قبيح وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]، فصوت الجاهل والمدعي منكر كصوت الحمار وأضل وأنزل فهو ضار محض وفي الحمار نفع لأنه يحمل الأثقال ويركبه النساء والرجال وقد قال في حياة الحيوان: إن اتخذ خاتم من حافر الحمار الأهلي ولبسه المصروع لم يصرع ثم إن في الحمار شهوة زائدة على شهوات سائر الحيوانات وهي من الصفات الطبيعية البهيمية، فمن أبدلها بالعفة نجا وسلم من التشبيه المذكور وكم ترى من العلماء الغير العاملين أن أعينهم تدور على نظر الحرام ومع ما لهم من النكاح يتجاوزون إلى الزنى لعدم إصلاح قوتهم الشهوية بالشريعة فإن الشريعة أقوالهم لا أعمالهم وأحوالهم نسأل الله العصمة مما يوجب المقت والنقمة إنه ذو المنة والفضل والنعمة.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ
ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ۝٨﴾

﴿قل يا أيها الذين هادوا﴾ من هاد يهود إذا تهود أي: تهودوا والتهود جهود شدن ودين جهود داشتن وبالفارسية: ايشان كه جهود شديد وازراه راست بكشتيد. فإن المهاداة الممايلة ولذا قال بعض المفسرين: أي: مالوا عن الإسلام والحق إلى اليهودية وهي من الأديان الباطلة كما سبق قال الراغب: الهود الرجوع برفق وصار في التعارف التوبة قال بعضهم: يهود في الأصل من قولهم: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أي: تبنا وكان اسم مدح ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازماً لهم وإن لم يكن فيه معنى المدح، كما أن النصارى في الأصل من قولهم: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤] ثم صار لازماً لهم بعد نسخ شريعتهم ثم إن الله تعالى خاطب الكفار في أكثر المواضع بالواسطة ومنها هذه الآية لأنهم أدخلوا الواسطة بينهم وبين الله تعالى وهي الأصنام، وأما المؤمنون فإن الله تعالى خاطبهم في أغلب المواضع بلا واسطة مثل يا أيها الذين آمنوا لأنهم أسقطوا الوسائط فأسقط الله بينه وبينهم الواسطات. ﴿إن زعمتم﴾ الزعم: هو القول بلا دليل والقول بأن الشيء على صفة كذا قولاً غير مستند إلى وثوق نحو زعمتك كريماً، وفي «القاموس»: الزعم مثلثة القول الحق والباطل والكذب ضد وأكثر ما يقال فيما يشك فيه انتهى. فبطل ما قال بعضهم من أن الزعم بالضم بمعنى اعتقاد الباطل وبالفتح بمعنى قول الباطل، قال الراغب: الزعم: حكاية قول يكون مظنة للكذب ولهذا جاء في القرآن في كل موضع ذم القائلون به وقيل للمتكفل والرئيس: زعيم للاعتقاد في قولهم إنه مظنة للكذب. ﴿أنكم أولياء الله﴾ جمع ولي بمعنى

الحبيب ﴿من دون الناس﴾ صفة أولياء أي: من دون الأميين وغيرهم ممن ليس من بني إسرائيل، وقال بعضهم: من دون المؤمنين من العرب والعجم يريد بذلك ما كانوا يقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨] ويدعون أن الدار الآخرة لهم عند الله خالصة وقالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ [البقرة: ١١١] فأمر رسول الله عليه السلام بأن يقول لهم إظهاراً لكذبهم: إن زعمتم ذلك. ﴿فتمنوا الموت﴾ أي: فتمنوا من الله أن يميتكم من دار البلية إلى دار الكرامة وقولوا: اللهم أمتنا والتمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها، وبالفارسية: آرزو خواستن. قال بعضهم: الفرق بين التمني والاشتهاء أن التمني أعم من الاشتهاء لأنه يكون في الممتنعات دون الاشتهاء ﴿إن كنتم صادقين﴾ جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أي: إن كنتم صادقين في زعمكم واثقين بأنه حق فتمنوا الموت فإن من أيقن أنه من أهل الجنة أحب أن يتخلص من هذه الدار التي هي قرارة إكدار ولا يصل إليها أحد إلا بالموت، قال البقلي: جرب الله المدعين في محبته بالموت وأفرز الصادقين من بينهم لما غلب عليهم من شوق الله وحب الموت فتبين صدق الصادقين هٰهنا من كذب الكاذبين، إذ الصادق يختار اللحوق إليه والكاذب يفر منه قال عليه السلام: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن أبغض لقاء الله أبغض الله لقاءه» قال الجنيد: قدس سره: المحب يكون مشتاقاً إلى مولاه ووفاته أحب إليه من البقاء إذ علم أن فيه الرجوع إلى مولاه فهو يتمنى الموت أبداً. ﴿ولا يتمنونه أبداً﴾ إخبار بما سيكون منهم وأبداً ظرف بمعنى الزمان المتطاول لا بمعنى مطلق الزمان، والمراد به ما داموا في الدنيا وفي البقرة ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ [البقرة: ٩٥] لأن دعواهم في هذه السورة بالغة قاطعة وهي كون الجنة لهم بصفة الخلوص فبالغ في الرد عليهم بلن وهو أبلغ ألفاظ النفي ودعواهم في الجمعة قاصرة مترددة وهي زعمهم أنهم أولياء الله تعالى فاقتصر على لا كما في «برهان القرآن» ﴿بما قدمت أيديهم﴾ الباء متعلقة بما يدل عليه النفي أي: يأبون التمني بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار نحو تحريف أحكام التوراة وتغيير النعت النبوي وهم يعرفون أنهم بعد الموت يعذبون بمثل هذه المعاصي، ولما كانت اليد بين جوارح الإنسان مناط عامة أفاعيله عبر بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة يعني: أن الأيدي هنا بمعنى الذوات استعملت فيها لزيادة احتياجها إليها فكأنها هي. ﴿والله عليم بالظالمين﴾ وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم في كل أمورهم أي: عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية إلى أفانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي إلى ذلك فوقع الأمر كما ذكر فلم يتمن منهم أحد موته، وفي الحديث: «لا يتمنين أحدكم الموت إما محسناً فإن يعش يزدد خيراً فهو خير له وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب» أي: يسترضي ربه بالتوبة والطاعة، وما روي عن بعض أرباب المحبة من التمني فلغاية محبتهم وعدم صبرهم على الاحتراق بالافتراق ولا كلام في المشتاق المغلوب المجذوب كما قال بعضهم:

غافلان ازمرك مهلت خواستند عاشقان كفتند نى نى زود بان

فللتمني أوقات وأحوال يجوز باعتبار ولا يجوز بآخر، أما الحال فكما في الاشتياق الغالب، وأما الوقت فكما أشار إليه قوله عليه السلام: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين فإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون».

ـ روي ـ أنه عليه السلام قال في حق اليهود: «لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه

فمات مكانه وما بقي على وجه الأرض يهودي» ثم إن الموت هو الفناء عن الإرادات النفسانيه والأوصاف الطبيعية كما قال عليه السلام: «موتوا قبل أن تموتوا» فمن له صدق إرادة وطلب يحب أن يموت عن نفسه ولا يبالي سقط عن الموت أم سقط الموت عليه وإن كان ذلك مراً في الظاهر لكنه حلو في الحقيقة وفيه حياة حقيقية وشفاء للمرض القلبي.

چه خوش كفت پكروزدار وفروش شفا بايدت داروى تلخ نوش

وأما من ليس له صدق إرادة وطلب فإنه يهرب من المجاهدة مع النفس ويشفق أن يذبح بقرة الطبيعة فهو عند الموت الطبيعي يقاسي من المرارات ما لا تفي ببيانه العبارات والله الحفيظ ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه﴾ ولا تجسرون على أن تتمنوه مخافة أن تؤخذوا بوبال كفركم ﴿فإنه ملاقيكم﴾ ألبتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه، يعني بكير دشمارا وشربت آن بچشيدوفرار سودى ندارد. والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف أي: باعتبار كون الموصوف بالموصوف في حكم الموصول، أي: إن فررتم من الموت فإنه ملاقيكم كأن الفرار سبب لملاقاته وسرعة لحوقه إذ لا يجد الفار بركة في عمره بل يفر إلى جانب الموت فيلاقيه الموت ويستقبله وقد قيل: إذا أدبر الأمر كان العطب في الحيلة ﴿ثم﴾ أي: بعد الموت الاضطراري الطبيعي. ﴿تردون﴾ الرد صرف الشيء بذاته أو بحالة من أحواله يقال: رددته فارتد والآية من الرد بالذات مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] ومن الرد إلى حالة كان عليها قوله تعالى: ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٩] ﴿إلى عالم الغيب والشهادة﴾ الذي لا يخفى عليه أحوالكم أي ترجعون إلى حيث لا حاكم ولا مالك سواه وإنما وصف ذاته بكونه عالم الغيب والشهادة باعتبار أحوالهم الباطنة وأعمالهم الظاهرة وقد سبق تمام تفسيره في سورة الحشر. ﴿فينبئكم﴾ پس خبر دهد شمارا ﴿بما كنتم تعملون﴾ من الكفر والمعاصي والفواحش الظاهرة والباطنة بأن يجازيكم بها.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى الموت الإرادي الذي هو ترك الشهوات ودفع المستلذات الذي تجتنبون منه لضعف همتكم الروحانية ووهن نهمتكم الربانية فإنه ملاقيكم لا يفارقكم ولكن لا تشعرون به لانهماككم في بحر الشهوات الحيوانية واستهلاككم في تبار مشتهياتكم الظلمانية فإنكم في لبس من خلق جديد ولا تزالون في الحشر والنشر، كما قال: ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [يونس: ٢٢] أي: موج الموت في كل لذة شهية ونعمة نعيمه ثم تردون إلى عالم الغيب غيب النيات وغيب الطويات القلبية السرية والشهادة شهادة الطاعات والعبادات فينبئكم أي: فيجازيكم بما كنتم تعملون بالنية الصالحة القلبية أو بالنية الفاسدة النفسية انتهى. وفيه إشارة إلى أنه كما لا ينفع الفرار من الموت الطبيعي كذلك لا ينفع الفرار من الموت الإرادي لكن ينبغي للعاقل أن يتنبه لفنائه في كل آن ويختار الفناء حباً للبقاء مع الله الملك المنان.

اعلم أن الفرار الطبيعي من الموت بمعنى استكراه الطبع وتنفره منه معذور صاحبه لأن الخلاص منه عسير جداً إلا للمشتاقين إلى لقاء الله تعالى.

ـ حكي ـ أنه كان ملك من الملوك أراد أن يسير في الأرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه بعد مرات، وكذا طلب دابة فلم تعجبه حتى أتى بدواب فركب أحسنها فجاء إبليس فنفخ في منخره فملأه كبراً ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر

إلى الناس كبراً فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال: ارسل اللجام فقد تعاطيت أمراً عظيماً قال: إن لي إليك حاجة قال: اصبر حتى أنزل قال: لا إلا الآن فقهره على لجام دابته قال: اذكرها قال: هو سر فدنا إليه فساره وقال: أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال: دعني حتى أرجع إلى أهلي وأقضي حاجتي فأودعهم قال: لا والله لا ترى أهلك ومالك أبداً فقبض روحه فخر كأنه خشبة ثم مضى فلقي عبداً مؤمناً في تلك الحال فسلم فرد عليه السلام فقال: إن لي إليك حاجة أذكرها في أذنك فقال: هات فساره أنا ملك الموت فقال: مرحباً وأهلاً بمن طالت غيبته فوالله ما كان في الأرض غائب أحب إلي أن ألقاه منك فقال ملك الموت: اقض حاجتك التي خرجت لها فقال: ما لي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله قال: فاختر على أي حالة شئت أن أقبض روحك فقال: أتقدر على ذلك قال: نعم إني أمرت بذلك قال: فدعني أتوضأ وأصلي فاقبض روحي وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد. وفي «المثنوي»:

پس رجال از نقل عالم شادمان وز بقايش شادمان اين كودكان
چونكه آب خوش نديد آن مرغ كور پيش او كوثر نمايد آب شور

وأما الفرار العقلي بمعنى استكراهه الموت أو بمعنى الانتقال من مكان إلى مكان فالأول منهما: إن كان من الانهماك في حظوظ الدنيا فمذموم وإن كان من خوف الموقف فصاحبه معذور، كما حكي أن أبا سليمان الداراني قدس سره قال: قلت لأمي: أتحبين الموت قالت: لا قلت لم؟ قالت: لأني لو عصيت آدمياً ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته وقس عليه الاستكراه رجاء الاستعداد لما بعد الموت، وأما الثاني منهما: فغير موجه عقلاً ونقلاً إذ المشاهدة تشهد أن لا مخلص من الموت فأينما كان العبد فهو يدرك، وأما الفرار من بعض الأسباب الظاهرة للموت كهجوم النار المحرقة للدور والسيل المفرط في الكثرة والقوة وحمل العدو الغالب والسباع والهوام إلى غير ذلك، فالظاهر أنه معذور فيه بل مأمور، وأما الفرار من الطاعون فما يرجحه العقل والنقل عدم جوازه.

أما العقل فما قاله الإمام الغزالي رحمه الله من أن سبب الوباء في الطب الهواء المضر وأظهر طرق التداوي الفرار من المضر ولا خلاف أنه غير منهي عنه إلا أن الهواء لا يضر من حيث إنه يلاقي ظاهر البدن من حيث دوام الاستنشاق له، فإنه إذا كان فيه عفونة ووصل إلى الرئة والقلب وباطن الأحشاء أثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر إلا بعد طول التأثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالباً من الأثر الذي استحكم من قبل، ولكنه يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقي والطيرة وغيرهما وأنه لو رخص للأصحاء في الخروج لما بقي في البلد إلا المرضى الذين أقعدهم الطاعون وانكسرت قلوبهم ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتهم بأنفسهم فيكون ذلك سعياً في إهلاكهم تحقيقاً وخلاصهم منتظر، كما أن خلاص الأصحاء منتظر فلو أقاموا لم تكن الإقامة قاطعة لهم بالموت، ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعاً بالخلاص وهو قاطع في إهلاك الباقين، والمسلمون كالبنيان يشد بعضهم بعضاً والمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى إلى الاشتكاء سائر أعضائه هذا هو الذي يظهر عندنا في تعليل النهي وينعكس هذا فيما إذا لم يقدم بعد على البلد فإنه لم يؤثر الهواء في باطنه وليس له حاجة إليهم.

وأما النقل فقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣] فإنه إنكار لخروجهم فراراً منه وتعجيب بشأنهم ليعتبر العقلاء بذلك ويتيقنوا أن لا مفر من قضاء الله، فالمنهي عنه هو الخروج فراراً فإن الفرار من القدر لا يغني شيئاً وفي الحديث: «الفار من الطاعون كالفار من الزحف والصابر فيه له أجر شهيد» وفي الحديث: «يختصم الشهداء والمتوفون على فراشهم إلى ربنا عز وجل في الذين يتوفون في الطاعون فيقول الشهداء: إخواننا قتلوا كما قتلنا ويقول المتوفون: إخواننا ماتوا على فراشهم كما متنا فيقول ربنا: انظروا إلى جراحهم فإن أشبهت جراحهم جراح المقتولين فإنهم منهم فإذا جراحهم قد أشبهت جراحهم».

يقول الفقير: دل عليه قوله عليه السلام في الطاعون: «إنه وخز أعدائكم من الجن» والوخز طعن ليس بنافذ والشيطان له ركض وهمز ونفث ونفخ ووخز والجني: إذا وخز العرق من مراق البطن أي: مارق منها ولأن خرج من وخزه الغدة وهي التي تخرج في اللحم فيكون وخز الجني سبب الغدة الخارجة فحصل التوفيق بين حديث الوخز وبين قوله عليه السلام «غدة كغدة البعير تخرج من مراق البطن» وباقي ما يتعلق بالطاعون سبق في سورة البقرة وقد تكفل بتفاصيله «رسالة الشفاء لإدواء الوباء» لابن طاش كبرى فارجع.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة﴾ النداء رفع الصوت وظهوره ونداء الصلاة مخصوص في الشرع بالألفاظ المعروفة، والمراد بالصلاة صلاة الجمعة كما دل عليه يوم الجمعة والمعنى فعل النداء لها أي: أذن لها والمعتبر في تعلق الأمر الآتي هو الأذان الأول في الأصح عندنا لأن حصول الإعلام به لا الأذان بين يدي المنبر وقد كان لرسول الله ﷺ مؤذن واحد فكان إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فإذا نزل أقام الصلاة، ثم كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على ذلك حتى إذا كان عثمان رضي الله عنه وكثرت الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذناً آخر فأمر بالتأذين الأول على دار له بالسوق يقال لها: الزوراء ليسمع الناس فإذا جلس على المنبر أذن المؤذن الثاني فإذا نزل أقام للصلاة فلم يعب ذلك عليه﴿من يوم الجمعة﴾ بضم الميم وهو الأصل والسكون تخفيف منه ومن بيان لإذا وتفسير لها أي: لا بمعنى أنها لبيان الجنس على ما هو المتبادر فإن وقت النداء جزء من يوم الجمعة لا يحمل عليه فكيف يكون بياناً له بل المقصود أنها لبيان أن ذلك الوقت في أي يوم من الأيام إذ فيه إبهام فتجامع كونها بمعنى في كما ذهب إليه بعضهم وكونها للتبعيض كما ذهب إليه البعض الآخر وإنما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة فهو على هذا الاسم إسلامي، وقيل: أول من سماه جمعة كعب بن لؤي بالهمزة تصغير لأي سماه بها لاجتماع قريش فيه إليه وكانت العرب قبل ذلك تسميه العروبة بمعنى الظهور وعروبة وباللام يوم الجمعة كما في «القاموس»، وقال ابن الأثير في «النهاية»: الأفصح أنه لا يدخلها الألف واللام وقيل: إن الأنصار قالوا قبل الهجرة لليهود: يوم يجمعون فيه في كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوماً نجتمع فيه فنذكر الله ونصلي، فقالوا: يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم

العروبة فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة رضي الله عنه بضم الزاي فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه، وحين اجتمعوا ذبح لهم شاة فتعشوا وتغذوا منها لقلتهم وبقي في أكثر القرى التي يقال فيها: الجمعة عادة الإطعام بعد الصلاة إلى يومنا هذا فأنزل الله آية الجمعة فهي أول جمعة في الإسلام وأما أول جمعة جمعها رسول الله عليه السلام فهي أنه لما قدم المدينة مهاجراً نزل قبا على بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين امتد الضحى، ومن تلك السنة يعد التاريخ الإسلامي فأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامداً المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجداً فخطب وصلى الجمعة وهي أول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها: «الحمد لله وأستعينه وأستهديه وأومن به ولا أكفره وأعادي من يكفر به وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيداً أوصيكم بتقوى الله فإن خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله، واحذر ما حذركم الله من نفسه فإن تقوى من عمل به ومخافته من ربه عنوان صدق على ما يبغيه من الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي به إلا وجه الله يكون له ذكراً عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد هو الذي صدق قوله وأنجز وعده ولا خلف لذلك فإنه يقول ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩﴾ [ق: ٢٩] فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فإنه ما يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً، وإن تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه، وإن تقوى الله تبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة فخذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم في كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة ولا حول ولا قوة إلا بالله فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فإن من يصلح ما بينه وبين الله يكفر الله ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» انتهت الخطبة النبوية ثم إن هذه الآية رد لليهود في طعنهم للعرب وقولهم: لنا السبت ولا سبت لكم ﴿**فاسعوا إلى ذكر الله**﴾ قال الراغب: السعي المشي السريع وهو دون العدو أي: امشوا واقصدوا إلى الخطبة والصلاة لاشتمال كل منهما على ذكر الله وما كان من ذكر رسول الله والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله، وأما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل كما في «الكشاف»، وبالفارسية: رغبت كنيد بدان وسعى نماييد دران. وعن الحسن رحمه الله أما والله ما هو بالسعي على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة

والوقار ولكن بالقلوب والنيات والخشوع والابتكار، ولقد ذكر الزمخشري في الابتكار: قولاً وافياً حيث قال: وكانت الطرقات في أيام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة أي: مملوءة بالمبكرين إلى الجمعة يمشون بالسرج، وفي الحديث: «إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم فإذا خرج الإمام طويت الصحف واجتمعوا للخطبة والمهجر إلى الصلاة كالمهدي بدنة ثم الذي يليه كالمهدي بقرة ثم الذي يليه كالمهدي شاة حتى ذكر الدجاجة والبيضة» وفي عبارة السعي إشارة إلى النهي عن التثاقل وحث على الذهاب بصفاء قلب وهمة لا بكسل نفس وغمة، وفي الحديث: «إذا أذن المؤذن» أي في الأوقات الخمسة «أدبر الشيطان وله حصاص» وهو بالضم شدة العدو وسرعته وقال حماد بن سلمة قلت لعاصم بن أبي النجود: ما الحصاص، قال: أما رأيت الحمار إذا أصر بأذنيه أي ضمهما إلى رأسه ومصع بذنبه أي: حركه وضرب به وعدا أي: أسرع في المشي فذلك حصاصه وفيه إشارة إلى أن ترك السعي من فعل الشيطان وهذا بالنسبة إلى غير المريض والأعمى والعبد والمرأة والمقعد والمسافر فإنهم ليسوا بمكلفين فهم غير منادين، أي: لا سعي من المرضى والزمنى والعميان وقد قال تعالى: ﴿فاسعوا﴾، وأما النسوان فهن أمرن بالقرار في البيوت بالنص والعبد والمسافر مشغولان بخدمة المولى والنقل قال النصر آبادي: العوام في قضاء الحوائج في الجمعات والخواص في السعي إلى ذكره لعلمهم بأن المقادير قد جرت فلا زيادة ولا نقصان وقال بعضهم: الذكر عند المذكور حجاب والسعي إلى ذكر الله مقام المريدين يطلبون من المذكور محل قربة إليه والدنو منه، وأما المحقق في المعرفة وقد غلب عليه ذكر الله إياه بنعت تجلي نفسه لقلبه. ﴿**وذروا البيع**﴾ يقال: فلان يذر الشيء أي: يقذفه لقلة اعتداده به ولم يستعمل ماضيه وهو وذر أي: اتركوا المعاملة فالبيع مجاز عن المعاملة مطلقاً كالشراء والإجارة والمضاربة وغيرها ويجوز إبقاء البيع على حقيقته ويلحق به غيره بالدلالة، وقال بعضهم: النهي عن البيع يتضمن النهي عن الشراء لأنهما متضايفان لا يعقلان إلا معاً فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر، وأراد الأمر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وإنما خص البيع والشراء من بينها لأن يوم الجمعة يوم تجمع فيه الناس من كل ناحية، فإذا دنا وقت الظهيرة يتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول عن ذكر الله والمضي إلى المسجد قيل لهم: بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا إلى ذكر الله الذي لا شيء أنفع منه وأربح وذروا البيع الذي نفعه يسير وربحه قليل. ﴿**ذلكم**﴾ أي: السعي إلى ذكر الله وترك البيع. ﴿**خير لكم**﴾ من مباشرته فإن نفع الآخرة أجل وأبقى ﴿**إن كنتم تعلمون**﴾ الخير والشر الحقيقيين روي أنه عليه السلام خطب فقال: «إن الله افترض عليكم الجمعة في يومي هذا وفي مقامي هذا فمن تركها في حياتي وبعد مماتي وله إمام عادل أو جائر من غير عذر فلا بارك الله له ولا جمع الله شمله ألا فلا حج له ألا فلا صوم له ومن تاب تاب الله عليه».

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ التي نوديتم لها أي: أديت وفرغ منها ﴿فانتشروا في الأرض﴾ لإقامة مصالحكم والتصرف في حوائجكم أي تفرقوا فيها بأن يذهب كل منكم إلى موضع فيه حاجة من الحوائج المشروعة التي لا بد من تحصيلها للمعيشة، فإن قلت: ما معنى هذا الأمر فإنه لو لبث في المسجد إلى الليل يجوز بل هو مستحب فالجواب أن هذا أمر الرخصة لا أمر العزيمة، أي: لا جناح عليكم في الانتشار بعدما أديتم حق الصلاة. ﴿وابتغوا من فضل الله﴾ أي: الربح يعني اطلبوا لأنفسكم وأهليكم من الرزق الحلال بأي وجه يتيسر لكم من التجارة وغيرها من المكاسب المشروعة دل على هذا المعنى سبب نزول قوله: ﴿وإذا رأوا تجارة﴾ إلخ كما سيأتي فالأمر للإطلاق بعد الحظر أي: للإباحة لا للإيجاب كقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢] وذكر الإمام السرخسي أن الأمر للإيجاب لما روي أنه عليه السلام قال: «طلب الكسب بعد الصلاة هو الفريضة بعد الفريضة» وتلا قوله تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ وقيل: إنه للندب، فعن سعيد بن جبير: إذا انصرفت من الجمعة فساوم بشيء وإن لم تشتره، وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا إنما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ في الله، وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم. كما قال الكاشفي: وكفته اند انتشارهم در زمين مسجداست جهت رفتن بمجلس علما ومذكران. وقيل: صلاة التطوع والظاهر أن مثل هذا إرشاد للناس إلى ما هو الأولى ولا شك في أولوية المكاسب الأخروية مع أن طلب الكفاف من الحلال عبادة وربما يكون فرضاً عند الاضطرار. ﴿واذكروا الله﴾ بالجنان واللسان جميعاً. ﴿كثيراً﴾ أي: ذكراً كثيراً أو زماناً كثيراً ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة.

يقول الفقير: إنما أمر تعالى بالذكر الكثير لأن الإنسان هو العالم الأصغر المقابل للعالم الأكبر وكل ما في العالم الأكبر فإنه يذكر الله تعالى بذكر مخصوص له فوجب على أهل العالم الأصغر أن يذكروا الله تعالى بعدد أذكار أهل العالم الأكبر حتى تتقابل المرآتان وينطبق الإجمال والتفصيل فإن قلت: فهل في وسع الإنسان أن يذكر الله تعالى بهذه المرتبة من الكثرة قلت: نعم إذا كان من مرتبة السر بالشهود التام والحضور الكامل كما قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: الذكر الكثير ليس بالعدد لكنه بالحضور انتهى. وقد يقيم الله القليل مقام الكثير كما روي أن عثمان رضي الله عنه صعد المنبر فقال: الحمد لله فارتج عليه فقال: إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالاً وإنكم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل، ومنه قال إمامنا الأعظم أبو حنيفة رحمه الله: إن اقتصر الخطيب على مقدار ما يسمى ذكر الله كقوله: الحمد لله سبحان الله جاز وذلك لأن الله تعالى سمى الخطبة ذكراً له على أنا نقول: قوله عثمان إن أبا بكر وعمر الخ كلام أي كلام في باب الخطبة لاشتماله على معنى جليل فهو يجامع قول صاحبيه والشافعي لا بد من كلام يسمى خطبة، وهذا مما لا يتنبه له أحد والحمد لله على إلهامه، وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه «الذكر طاعة الله فمن أطاع الله فقد ذكر ومن لم يطعه فليس بذاكر وإن كان كثير التسبيح، والذكر بهذا المعنى يتحقق في جميع الأحوال قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]، والذكر الذي أمر بالسعي إليه أولاً هو ذكر خاص لا يجامع التجارة أصلاً إذ المراد منه الخطبة والصلاة أمر به أولاً ثم قال: إذا فرغتم منه فلا تتركوا طاعته في جميع ما تأتونه وتذرونه. ﴿لعلكم تفلحون﴾ كي تفوزوا بخير الدارين. الحاصل ذكروي موجب جمعيت ظاهر وباطن وسبب نجات دنيا وآخرتست:

از ذكـر خـدا مبـاش يـكـدم غـافـل كـز ذكـر بـود خـيـر دو عـالـم حـاصـل
ذكر است كه اهل شوق رادرهمه حال آسـايـش جـان بـاشـد وآرامـش دل

وفي «التأويلات النجمية»: إذا حصلت لكم يا أهل كمال الإيمان الذوقي العياني صلاة الوصلة والجمعية والبقاء والفناء فسيروا في أرض البشرية بالاستمتاع بالشهوات المباحة والاسترواح بالروائح الفائحة والمراتعة في المراتع الأرضية وابتغوا من فضل الله من التجارات المعنوية الرابحة واذكروا نعم الله عليكم الظاهرة من الفناء من ناسوتيتكم الظلمانية والباطنة من البقاء بلاهوتيته النورانية لعلكم تفوزون بهذه النعم الظاهرة والباطنة بإرشاد الطالبين الصادقين المتوجهين إلى الله بالروح الصافي والقلب الوافي؛ قال في «الأشباه والنظائر»: اختص يوم الجمعة بأحكام لزوم صلاة الجمعة واشتراط الجماعة لها وكونها ثلاثة سوى الإمام والخطبة لها وكونها قبلها شرط وقراءة السورة المخصوصة لها وتحريم السفر قبلها بشرطه واستنان الغسل لها والطيب ولبس الأحسن وتقليم الأظفار وحلق الشعر ولكن بعدها أفضل والبخور في المسجد والتبكير لها والاشتغال بالعبادة إلى خروج الخطيب، ولا يسن الابراد بها ويكره إفراده بالصوم وإفراد ليلته بالقيام وقراءة الكهف فيه ونفي كراهة النافلة وقت الاستواء على قول أبي يوسف المصحح المعتمد وهو خير أيام الأسبوع ويوم عيد وفيه ساعة إجابة وتجتمع فيه الأرواح وتزار فيه القبور ويأمن الميت فيه من عذاب القبر، ومن مات فيه أو في ليلته أمن من فتنة القبر وعذابه ولا تسجر فيه جهنم وفيه خلق آدم وفيه أخرج من الجنة وفيه تقوم الساعة وفيه يزور أهل الجنة ربهم سبحانه وتعالى انتهى. وإذا وقعت الوقفة بعرفة يوم الجمعة ضوعف الحج سبعين لأن حج الوداع كان كذلك ذكره في «عقد الدرر واللآلي». ﴿**وإذا رأوا**﴾ أي: علموا ﴿**تجارة**﴾ هي تجارة دحية بن خليفة الكلبي ﴿**أو**﴾ سمعوا ﴿**لهواً**﴾ هو ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه يقال: ألهى عن كذا إذا أشغله عما هو أهم، والمراد هنا صوت الطبل ويقال له: اللهو الغليظ وكان دحية إذا قدم ضرب الطبل ليعلم به. كما قال الكاشفي: وكاروان چون رسيدي طبل شادى زدندى. كما يرمي أصحاب السفينة في زماننا البنادق وما يقال له. بالتركي: طوپ. أو كانوا إذا أقبلت العير استقبلوها أي: أهلها بالطبول والدفوف والتصفيق وهو المراد باللهو. ﴿**انفضوا إليها**﴾ الفض كسر الشيء وتفريق بين بعضه وبعض كفض ختم الكتاب ومنه استعير انفض القوم أي: تفرقوا وانتشروا كما في «تاج المصادر» الانفضاض شكسته شدن وپرا كنده شدن. وحد الضمير لأن العطف بأولا يثنى معه الضمير وكان المناسب إرجاعه إلى أحد الشيئين من غير تعيين إلى أن تخصيص التجارة برد الكناية إليها، لأنها المقصودة أو للدلالة على أن الانفضاض إليها مع الحاجة إليها والانتفاع بها إذا كان مذموماً فما ظنك بالانفضاض إلى اللهو وهو مذموم في نفسه، ويجوز أن يكون الترديد للدلالة على أن منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته فإذا كان الطبل من اللهو وإن كان غليظاً فما ظنك بالمزمار ونحوه، وقد يقال: الضمير للرؤية المدلول عليها بقوله: رأوا وقرىء إليهما على أن أو للتقسيم.

ـ روي ـ أن دحية بن خليفة الكلبي قدم المدينة بتجارة من الشام وكان ذلك قبل إسلامه وكان بالمدينة مجاعة وغلاء سعر وكان معه جميع ما يحتاج إليه من بر ودقيق وزيت وغيرها، والنبي عليه السلام يخطب يوم الجمعة فلما علم أهل المسجد ذلك قاموا إليه خشية أن يسبقوا

إليه يعني تاپيشى كيرند از يكديكر بخريدن طعام. فما بقي معه عليه السلام إلا ثمانية أو أحد عشر أو اثنا عشر أو أربعون فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمٰن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد وبلال وعبد الله بن مسعود، وفي رواية عمار بن ياسر بدل عبد الله، وذكر مسلم أن جابراً كان فيهم وكان منهم أيضاً امرأة فقال عليه السلام: «والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعاً لأضرم الله عليهم الوادي ناراً» وفي «عين المعاني»: لولا الباقون لنزلت عليهم الحجارة. ﴿**وتركوك**﴾ حال كونك ﴿**قائماً**﴾ أي: على المنبر.

ـ روي ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان النبي عليه السلام يخطب يوم الجمعة خطبتين قائماً يفصل بينهما بجلوس ومن ثمة كانت السنة في الخطبة ذلك وفيه إشعار بأن الأحسن في الوعظ على المنبر يوم الجمعة القيام وإن جاز القعود، لأنه والخطبة من واد واحد لاشتماله على الحمد والثناء والتصلية والنصيحة والدعاء.

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره: إن الخطبة عبارة عن ذكر الله والموعظة للناس وكان عليه السلام مستمراً في ذكر الله تعالى ثم لما أراد التنزل لإرشاد الناس بالموعظة جلس جلسة خفيفة غايته أن ما ذكره الفقهاء من معنى الاستراحة لازم لما ذكرنا، وكان عليه السلام يكتفي في الأوائل بخطبة واحدة من غير أن يجلس إما لأنه لعظم قدره كان يجمع بين الوصال والفرقة، أو لأن أفعاله كانت على وفق الوحي ومقتضى أمر الله فيجوز أن لا يكون مأموراً بالجلسة في الأوائل ثم صار على قياس النسخ، وأيضاً وجه عدم جلوسه عليه السلام في الخطبة في بعض الأوقات هو أنه عليه السلام كان يرشد أهل الملكوت كما يرشد أهل الملك فمتى كان إرشاده في الملكوت لا يتنزل ولا يجلس، ومتى كان في الملك بأن لم يكن في مجلس الخطبة من هو من أهل الملكوت يتنزل ويجلس مجلس الملك فإن معاشر الأنبياء يكلمون الخلق على قدر عقولهم ومراتبهم، وكان عليه السلام متى أراد الانتقال من إرشاد أهل الملك إلى إرشاد أهل الملكوت يقول: «أرحني يا بلال»، ومتى أراد التنزل من إرشاد أهل الملكوت إلى إرشاد الملك يقول لعائشة رضي الله عنها: «كلميني يا حميراء».

اعلم أنه كان من فضل الأصحاب رضي الله عنهم وشأنهم أن لا يفعلوا مثل ما ذكر من التفرق من مجلس النبي عليه السلام وتركه قائماً، فذكر بعضهم وهو مقاتل بن حيان أن الخطبة يوم الجمعة كانت بعد الصلاة مثل العيدين فظنوا أنهم قد قضوا ما كان عليهم وليس في ترك الخطبة شيء فحولت الخطبة بعد ذلك فكانت قبل الصلاة وكان لا يخرج واحد لرعاف أو إحداث بعد النهي حتى يستأذن النبي عليه السلام يشير إليه بأصبعه التي تلي الإبهام فيأذن له النبي عليه السلام يشير إليه بيده، قال الإمام السهيلي رحمه الله: وهذا الحديث الذي من أجله ترخصوا لأنفسهم في ترك سماع الخطبة وإن لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجميل بأصحاب رسول الله عليه السلام موجب لأنه كان صحيحاً.

يقول الفقير: هب أنهم ظنوا أنهم قد قضوا ما كان عليهم من فرض الصلاة فكيف يليق بهم أن يتركوا مجلس النبي عليه السلام ومن شأنهم أن يستمعوا ولم يتحركوا كأن على رؤوسهم الطير، ولعل ذلك من قبيل سائر الهفوات التي تضمن المصالح والحكم الجليلة ولو لم يكن إلا كونه سبباً لنزول هذه الآية التي هي خير من الدنيا، وما فيها لكفى وفيها من

الإرشاد الإلهي لعباده ما لا يخفى. ﴿قل ما عند الله﴾ من الثواب يعني ثواب نماز واستماع خطبه ولزوم مجلس حضرت پيغمبر عليه السلام، وما: موصولة خاطبهم الله بواسطة النبي عليه السلام لأن الخطاب مشوب بالعتاب ﴿خير﴾بهتراست وسود مندتر. ﴿من اللهو﴾ ازاستماع لهو ﴿ومن التجارة﴾ واز نفع تجارت فإن نفع ذلك محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم فنفع اللهو ليس بمحقق ونفع التجارة ليس بمخلد وما ليس بمخلد فمن قبيل الظن الزائل، ومنه يعلم وجه تقديم اللهو فإن للإعدام تقدماً على الملكات، قال البقلي: وفيه تأديب المريدين حيث اشتغلوا عن صحبة المشايخ بخلواتهم وعباداتهم لطلب الكرامات ولم يعلموا أن ما يجدون في خلواتهم بالإضافة إلى ما يجدون في صحبة مشايخهم لهو، قال سهل رحمه الله: من شغله عن ربه شيء من الدنيا والآخرة فقد أخبر عن خسة طبعه ورذالة همته لأن الله فتح له الطريق إليه وأذن له في مناجاته فاشتغل بما يفنى عما لم يزل ولا يزال، وقال بعضهم: ما عند الله للعباد والزهاد غداً خير مما نالوه من الدنيا نقداً وما عند الله للعارفين نقداً من واردات القلوب وبوادر الحقيقة خير مما في الدنيا والعقبى ﴿والله خير الرازقين﴾ لأنه موجد الأرزاق فإليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق.

وقال الكاشفي: وخداى تعالى بهترين روزى دهند كانست يعني: آنانكه وسائط إيصال رزقند وقت باشدكه بخيلى كنند وشايد نيز مصلحت وقت ندانند نقلست كه يكى از خلفاى بعداد بهلول را كفت بياتا روزى هرروز تو مقرر كنم تا وقت متعلق بدان نباشد بهلول جواب دادكه چنين ميكردم اكر چند عيب نبودى اول آنكه توندانى كه مراچه بايد دوم نشناسى كه مراكى بايد سوم معلوم ندارى كه مرا چند بايد وحق تعالى كافل رزق منست اين همه ميداند وازروى حكمت بمن ميرساند وديكر شايد كه برمن غضب كنى وآن وظيفه ازمن باز كيرى وحق سبحانه وتعالى بكناه ازمن روزى باز نميدارد:

خدايى كه اوساخت ازنيست هست   بعصيان در رزق بركس نيست
از وخواه روزى كه بخشنده اوست   بر آرنده كار هر بنده اوست

وقيل لبعضهم: من أين تأكل؟ فقال: من خزانة ملك لا يدخلها اللصوص ولا يأكلها السوس، وقال حاتم الأصم قدس سره لامرأته: إني أريد السفر فكم أضع لك من النفقة؟ قالت: بقدر ما تعلم أني أعيش بعد سفرك فقال: وما ندري كم نعيش؟ قالت: فكله إلى من يعلم ذلك فلما سافر حاتم دخل النساء عليها يتوجعن لها من كونه سافر وتركها بلا نفقة فقالت: إنه كان أكالاً ولم يكن رزاقاً، قال بعضهم قوله تعالى: ﴿خير من اللهو﴾ وقوله: ﴿خير الرازقين﴾ من قبيل الفرض والتقدير إذ لا خيرية في اللهو ولا رازق غير الله فكان المعنى إن وجد في اللهو خير فما عند الله أشد خيرية منه، وإن وجد رازقون غير الله فالله خيرهم وأقواهم قوة وأولاهم عطية والرزق هو المنتفع به مباحاً كان أو محظوراً.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿والله خير الرازقين﴾ لإحاطته على رزق النفس وهو الطاعة والعبادة بمقتضى العلم الشرعي ورزق القلب: وهو المراقبة والمواظبة على الأعمال القلبية من الزهد والورع والتوكل والتسليم والرضى والبسط والقبض والإنس والهيبة ورزق الروح بالتجليات والتنزلات والمشاهدات والمعاينات، ورزق السر برفع رؤية الغير والغيرية ورزق الخفاء بالفناء في الله والبقاء به وهو خير رزق فهو خير الرازقين. وفي «المثنوي»:

هرچه ازيارت جدا اندازد آن / مشنو آنرا كه زيان دارد زيان
كربود آن سود صد درصد مكير / بهر زر مكسل زكنجور اي فقير
آن شنوكه چند يزدان زجر كرد / كفت اصحاب نبي را كرم وسرد
زانكه دربانك دهل درسال تنك / جمعه را كردند باطل بى درنك
تانبايد ديكران ارزان خرند / زان سبب صرفه زما ايشان برند
ماند پيغمبر بخلوت درنماز / بادوسه درويش ثابت برنياز
كفت طبل ولهو وبازركانى / چو نتان ببريد از ربانى
قد فضضتم نحو قمح هائماً / ثم خليتم نبيا قائما
بهر كندم تخم باطل كاشتند / وآن رسول حق را بكذا شتند
صحبت او خير من لهواست ومال / بين كرا بكذا شتى چشمى بمال
خودنشد حرص شمارا اين يقين / كه منم رزاق وخير الرازقين
آنكه كندم راز خودروزى دهد / كى توكلهات را ضايع كند
ازپى كندم جدا كشتى ازان / كه فرستادست كندم زآسمان

وفي «الإحياء»: يستحب أن يقول بعد صلاة الجمعة: اللهم يا غني يا حميد يا مبدي يا معيد يا رحيم يا ودود أغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك، فيقال: من داوم على هذا الدعاء أغناه الله تعالى عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب، وفي الحديث: «من قال يوم الجمعة: اللهم أغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك سبعين مرة لم تمر به جمعتان حتى يغنيه الله» رواه أنس بن مالك رضي الله عنه.

تمت سورة الجمعة في ثاني صفر الخير يوم الخميس
من سنة ست عشرة ومائة وألف

٦٣ ـ سورة المنافقين

إحدى عشرة آية مدنية بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾.

﴿إذا﴾ چون ﴿جاءك المنافقون﴾ أي: حضروا مجلسك وبالفارسية: بتو آيند دو رويان. والنفاق إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب فالمنافق هو الذي يضمر الكفر اعتقاداً ويظهر الإيمان قولاً، وفي «المفردات»: النفاق الدخول في الشرع من باب والخروج منه من باب من النافقاء إحدى جحرة اليربوع والثعلب والضب يكتمها ويظهر غيرها، فإذا أتى من قبل القاصعاء وهو الذي يدخل منه ضرب النافقاء برأسه فانتفق، والنفق: هو السرب في الأرض النافذ. ﴿قالوا﴾ مؤكدين كلامهم بأن واللام للإيذان بأن شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم، والظاهر أنه الجواب لإذا لأن الآية نظير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٤] وقيل: جوابه مقدر مثل أرادوا أن يخدعوك وقيل: استئناف لبيان طريق خدعتهم وقيل: جوابه قوله: فاحذرهم. ﴿نشهد﴾ الآن أو على الاستمرار. ﴿إنك لرسول الله﴾ والشهادة قول صادر عن علم حصل بشهادة بصر أو بصيرة. ﴿والله يعلم إنك لرسوله﴾ اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم لكونه مطابقاً للواقع ولإزالة إيهام أن قولهم: هذا كذب لقوله: ﴿والله يشهد﴾ إلخ وفيه تعظيم للنبي عليه السلام، وقال أبو الليث: والله يعلم أنك لرسوله من غير قولهم وكفى بالله شهيداً محمد رسول الله.

اعلم أن كل ما جاء في القرآن بعد العلم من لفظة أن فهي بفتح الهمزة لكونها في حكم المفرد إلا في موضعين أحدهما: ﴿والله يعلم إنك لرسوله﴾ في هذه السورة، والثاني: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] في سورة الأنعام وإنما كان كذلك في هذين الموضعين لأنه يأتي بعدهما لام الخبر فانكسرا، أي: لأن اللام لتأكيد معنى الجملة ولا جملة إلا في صورة المكسورة وقال بعضهم: إذا دخلت لام الابتداء على خبرها تكون مكسورة لاقتضاء لام الابتداء الصدارة كما يقال: لزيد قائم وتؤخر اللام لئلا يجتمع حرفا التأكيد، واختير تأخيرها الترجيح إن في التقديم لعامليته فكسرت لأجل اللام. ﴿والله يشهد﴾ شهادة حقة ﴿إن المنافقين لكاذبون﴾ أي: أنهم والإظهار في موضع الإضمار لذمهم والإشعار بعلية الحكم أي: لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من أنها صادرة عن اعتقاد وطمأنينة قلب فإن الشهادة وضعت للاخبار الذي طابق فيه اللسان اعتقاد القلب وإطلاقها على الزور مجاز كإطلاق البيع على الفاسد نظيره قولك: لمن

يقول: أنا أقرأ الحمد لله رب العالمين كذبت فالتكذيب بالنسبة إلى قراءته لا بالنسبة إلى المقروء الذي هو الحمد لله رب العالمين، ومن هنا يقال: إن من استهزأ بالمؤذن لا يكفر بخلاف من استهزأ بالأذان فإنه يكفر قال بعضهم: الشهادة حجة شرعية تظهر الحق ولا توجبه فهي الإخبار بما علمه بلفظ خاص، ولذلك صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة بقوله: والله يعلم الخ دلت الآية على أن العبرة بالقلب والإخلاص وبخلوصه يحصل الخلاص وكان عليه السلام يقبل من المنافقين ظاهر الإسلام، وأما حكم الزنديق في الشرع وهو الذي يظهر الإسلام ويسر الكفر فإنه يستتاب وتقبل توبته عند أبي ولا تقبل عند أبي حنيفة والشافعي رحمهما الله، قال سهل رحمه الله: أقروا بلسانهم ولم يعترفوا بقلوبهم فلذلك سماهم الله منافقين ومن اعترف بقلبه وأقر بلسانه ولم يعمل بأركانه ما فرض الله من غير عذر ولا جهل كان كإبليس، وسئل حذيفة: من المنافق؟ قال: الذي يصف الإسلام ولا يعمل به وهم اليوم شر منهم لأنهم كانوا يومئذ يكتمونه، وهم اليوم يظهرونه وفي الآية إشارة إلى أن المنافقين الذامين للدنيا وشهواتها باللسان المقبلين عليها بالقلب وإن كانوا يشهدون بصحة الرسالة لظهور أنوارها عليهم من المعجزات والكرامات لكنهم كاذبون في شهادتهم لإعراضهم عنه عليه السلام ومتابعته وإقبالهم على الدنيا وشهواتها، فحقيقة الشهادة إنما تحصل بالمتابعة وقس عليه شهادة أهل الدنيا عند ورثة الرسول قال الحسن البصري رحمه الله: يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول: المرء مع من أحب فإنك لا تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع كما في «إحياء العلوم»، ولذا قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: المرء مع من أحب في الدنيا بالطاعة والأدب الشرعي، وفي الآخرة بالمعاينة والقرب المشهدي انتهى فإذا كانت المحبة المجردة بهذه المثابة فما ظنك بالنفاق الذي هو هدم الأس والأصل وبناء الفرع فلا اعتداد بدعوى المنافق ولا بعمله.

وفي «التأويلات القاشانية»: المنافقون هم المذبذبون الذين يجذبهم الاستعداد الأصلي إلى نور الإيمان، والاستعداد العارضي الذي حدث برسوخ الهيئات الطبيعية والعادات الرديئة إلى الكفر وإنما هم كاذبون في شهادة الرسالة لأن حقيقة معنى الرسالة، لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم الذين يعرفون الله ويعرفون بمعرفته رسول الله فإن معرفة الرسول لا تمكن إلا بعد معرفة الله وبقدر العلم بالله يعرف الرسول فلا يعلمه حقيقة إلا من انسلخ عن علمه وصار عالماً بعلم الله وهم محجوبون عن الله بحجب ذواتهم وصفاتهم، وقد أطفأوا نور استعداداتهم بالغواشي البدنية والهيئات الظلمانية فأنى يعرفون رسول الله حتى يشهدوا برسالته انتهى. قال الشيخ أبو العباس: معرفة الولي أصعب من معرفة الله فإن الله معروف بكماله وجماله وحتى متى يعرف مخلوقاً مثله يأكل كما يأكل ويشرب كما يشرب.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾

﴿اتخذوا﴾ أي: المنافقون **﴿أيمانهم﴾** الفاجرة التي من جملتها ما حكي عنهم لأن الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد، وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن

أشهد يمين، واليمين في الحلف مستعار من اليمين التي بمعنى اليد اعتباراً بما يفعله المحالف والمعاهد عنده واليمين بالله المصادقة جائزة وقت الحاجة صدرت من النبي عليه السلام كقوله: والله والذي نفسي بيده ولكن إذاً لم يكن ضرورة قوية يصان اسم الله العزيز عن الابتذال. ﴿**جنة**﴾ أي: وقاية وترساً عما يتوجه إليهم من المؤاخذة بالقتل والسبي أو غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن إعدادهم وتهيئتهم لها إلى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا من المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل، فإن ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لا بد أن يكون قبل المؤاخذة وعن سببها أيضاً كما يفصح عنه الفاء في قوله: ﴿**فصدوا عن سبيل الله**﴾ يقال: صده عن الأمر صداً أي: منعه وصرفه وصد عنه صدوداً أي: أعرض والمعنى فمنعوا وصرفوا من أراد الدخول في الإسلام بأنه عليه السلام ليس برسول، ومن أراد الإنفاق في سبيل الله بالنهي عنه كما سيحكي عنهم، ولا ريب في أن هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وأصل الجن ستر الشيء عن الحاسة يقال: جنه الليل وأجنه والجنان القلب لكونه مستوراً عن الحاسة والمجن والجنة: الترس الذي يجن صاحبه والجنة: كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض. ﴿**إنهم ساء ما كانوا يعملون**﴾ أي: ساء الشيء الذي كانوا يعملونه من النفاق والصد والإعراض عن سبيله تعالى، وفي ساء معنى التعجب وتعظيم أمرهم عند السامعين. ﴿**ذلك**﴾ القول الشاهد بأنهم أسوأ الناس أعمالاً، وبالفارسية: أين حكم حق بيدىء أعمال ايشان. ﴿**بأنهم**﴾ أي: بسبب أنهم ﴿**آمنوا**﴾ أي: نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل الإسلام ﴿**ثم كفروا**﴾ أي: ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله من قولهم: إن كان ما يقوله محمد حقاً فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوكٍ أيطمع هذا الرجل أن يفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات فثم للتراخي أو كفروا سراً فثم للاستبعاد، ويجوز أن يراد بهذه الآية أهل الردة منهم كما في «الكشاف» ﴿**فطبع على قلوبهم**﴾ ختم عليها يعني مهر نهاده شد. حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وصارت بحيث لا يدخلها الإيمان جزاء على نفاقهم ومعاقبة على سوء أفعالهم فليس لهم أن يقولوا: إن الله ختم على قلوبنا فكيف نؤمن والطبع أن يصور الشيء بصورة ما كطبع السكة وطبع الدراهم وهو أعم من الختم وأخص من النقش كما في «المفردات». ﴿**فهم لا يفقهون**﴾ حقيقة الإيمان ولا يعرفون حقيقته أصلاً كما يعرفه المؤمنون، والفقه: لغة الفهم واصطلاحاً علم الشريعة لأنه الأصل فيما يكتسب بالفهم والدراية وإن كان سائر العلوم أيضاً لا ينال إلا بالفهم دل الكلام على أن ذكر بعض مساوي العاصي عند احتمال الفائدة لا يعد من الغيبة المنهي عنها، بل قد يكون مصلحة مهمة على ما روي عنه عليه السلام «اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس»، وفي «المقاصد الحسنة» ثلاثة ليست لهم غيبة الإمام الجائر والفاسق المعلن بفسقه والمبتدع الذي يدعو الناس إلى بدعته، وقال القاشاني: ذلك بسبب أنهم آمنوا بالله بحسب بقية نور الفطرة والاستعداد ثم كفروا أي: ستروا ذلك النور بحجب الرذائل وصفات نفوسهم فطبع على قلوبهم برسوخ تلك الهيئات وحصول الرين من المكسوبات فحجبوا عن ربهم بالكلية فهم لا يفقهوا معنى الرسالة ولا علم التوحيد والدين.

﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾.

﴿وإذا رأيتهم﴾ وچون به بيني منافقاً نراچون ابن ابي وأمثال او. الرؤية بصرية ﴿**تعجبك أجسامهم**﴾ بشكفت آرد ترا اجسام ايشان. لضخامتها ويروقك منظرهم لصباحة وجوههم، وأصله من العجب والشيء العجيب هو الذي يعظم في النفس أمره لغرابته والتعجب حيرة تعرض للنفس بواسطة ما يتعجب منه. ﴿**وإن يقولوا**﴾ وچون سخن كويند ﴿**تسمع لقولهم**﴾ لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم وحلاوة كلامهم، واللام: صلة وقيل: تصغي إلى قولهم وكان ابن أبي جسيماً صبيحاً فصيحاً يحضر مجلس رسول الله عليه السلام في نفر من أمثاله وهم رؤساء المدينة، وكان عليه السلام ومن معه يعجبون بهياكلهم ويسمعون إلى كلامهم وأن الصباحة وحسن المنظر لا يكون إلا من صفاء الفطرة في الأصل ولذا قال عليه السلام: اطلبوا الخير عند حسان الوجوه أي: غالباً وكم من رجل قبيح الوجه قضاء للحوائج قال بعضهم:

يدل على معروفه حسن وجهه وما زال حسن الوجه أحد الشواهد

وفي الحديث: «إذا بعثتم إلي رجلاً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم» ثم لما رأى عليه السلام غلبة الرين على قلوب المنافقين وانطفاء نور استعدادهم وإبطال الهيئات الدنية العارضة خواصهم الأصلية أيس منهم وتركهم على حالهم.

ـ وروي ـ عن بعض الحكماء أنه رأى غلاماً حسناً وجهه فاستنطقه لظنه ذكاء فطنته فما وجد عنده معنى فقال: ما أحسن هذا البيت لو كان فيه ساكن، وقال آخر: طشت ذهب فيه خل. ﴿**كأنهم خشب مسندة**﴾ في حيز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: هم كأنهم أو كلام مستأنف لا محل له والخشب بضمتين جمع خشبة كأكم وأكمة أو جمع خشب محركة كأسد وأسد وهو ما غلظ من العيدان، والإسناد: الإمالة ومسندة للتكثير فإن التسنيد تكثير الإسناد بكثرة المحال أي: كأنها أسندت إلى مواضع، والمعنى بالفارسية: كويا ايشان چو بهاى خشك شده اند بديوار بازنهاده. شبهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله مستندين فيها بأخشاب منصوبة مسندة إلى الحائط في كونهم أشباحاً خالية عن العلم والخير والانتفاع، ولذا اعتبر في الخشب التسنيد لأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع، فكما أن مثل هذا الخشب لا نفع فيه فكذا هم لا نفع فيهم، وكما أن الروح النامية قد زالت عنهم فهم في زوال استعداد الحياة الحقيقية والروح الإنساني بمثابتها.

يقول الفقير: فيه إشارة إلى أن الاستناد في مجالس الأكابر أو في مجالس العلم من ترك الأدب ولذا منع الإمام مالك رحمه الله هارون الرشيد من الاستناد حين سمع منه الموطأ.

ـ حكي ـ أن إبراهيم بن أدهم قدس سره كان يصلي ليلة فأعيى فجلس ومد رجليه فهتف به هاتف: أهكذا تجالس الملوك وكان الحريري لا يمد رجليه في الخلوة ويقول: حفظ الأدب مع الله أحق وهذا من أدب من عرف معنى الاسم المهيمن فإن من عرف معناه يكون مستحيياً من إطلاعه تعالى عليه ورؤيته له وهو المراقبة عند أهل الحقيقة، ومعناه علم القلب بإطلاع الرب ودلت الآية وكذا قوله عليه السلام: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» على أن العبرة في الكمال والنقصان بالأصغرين اللسان والقلب لا بالأكبرين الرأس والجلد فإن الله تعالى لا ينظر إلى الصور والأموال بل إلى القلوب والأعمال فرب صورة مصغرة عند الله بمثابة الذهب، والمؤمن لا يخلو من قلة أو علة أو ذلة ولا شك أن بالقلة يكثر الهم الذي يذيب اللحم والشحم، وكذا بالعلة يذوب البدن ويطرأ عليه الذبول، وفي

الحديث: «مثل المؤمن مثل السنبلة يحركها الريح فتقوم مرة وتقع أخرى ومثل الكافر مثل الأرزة لا تزال قائمة حتى تنقعر». قوله: الأرزة بفتح الهمزة وبرآء مهملة ساكنة ثم زاي شجر يشبه الصنوبر يكون بالشأم وبلاد الأرمن وقيل: هو شجر الصنوبر والانقعار. ازبن بركنده شدن يعني: مثل منافق مثل صنوبراست كه بلند واستوار برزمين تاكه افتادن وازبيخ برآمدن. وفيه إشارة إلى أن المؤمن كثير الابتلاء في بدنه وماله غالباً فيكفر عن سيئاته، والكافر ليس كذلك فيأتي بسيئاته كاملة يوم القيامة. ﴿يحسبون﴾ يظنون ﴿كل صيحة﴾ كل صوت ارتفع فإن الصيحة رفع الصوت وفي «القاموس»: الصوت بأقصى الطاقة وهو مفعول أول ليحسبون والمفعول الثاني قوله: ﴿عليهم﴾ أي: واقعة عليهم ضارة لهم. ومراد از صيحه هر فريادى كه برآيد وهرآوازى كه درمدينه بركشند. وقال بعضهم: إذا نادى منادٍ في العسكر لمصلحة أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة أو وقعت جلبة بين الناس ظنوه إيقاعاً بهم لجنبهم واستقرار الرعب في قلوبهم والخائن خائف، وقال القاشاني: لأن الشجاعة إنما تكون من اليقين من نور الفطرة وصفاء القلب وهم منغمسون في ظلمات صفات النفوس محتجبون باللذات والشهوات كأهل الشكوك والارتياب فلذلك غلب عليهم الجبن والخور انتهى وفي هذا زيادة تحقر لهم وتخفيف لقدرهم كما قيل: إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً وقيل: كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم. ﴿هم العدو﴾ أي: هم الكاملون في العداوة الراسخون فيها فإن أعدى الأعادي العدو المكاسر الذي يكاسرك وتحت ضلوعه داء لا يبرح بل يلزم مكانه، ولم يقل: هم الأعداء لأن العدو لكونه بزنة المصادر يقع على الواحد وما فوقه ﴿فاحذرهم﴾ أي: فاحذر أن تثق بقولهم وتميل إلى كلامهم أو فاحذر ممايلتهم لأعدائك وتخذيلهم أصحابك فإنهم يفشون سرك للكفار. ﴿قاتلهم الله﴾ دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى أن يلعنهم ويخزيهم ويميتهم على الهوان والخذلان كما قال ابن عباس رضي الله عنهما أي: لعنهم، قال سعدي المفتي: ولا طلب هناك حقيقة بل عبارة الطلب للدلالة على أن اللعن عليهم مما لا بد منه، قال الطيبي: يعني إنه من أسلوب التجريد كقراءة ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ومن كفر فأمتعه يا قادر، ويجوز أن يكون تعليماً للمؤمنين بأن يدعوا عليهم بذلك ففيه دلالة على أن للدعاء على أهل الفساد محلاً يحسن فيه فقاتل الله المبتدعين الضالين المضلين فإنهم شر الخصماء وأضر الأعداء، وإيراده في صورة الإخبار مع أنه إنشاء معنى للدلالة على وقوعه ومعنى الإنشاء بالفارسية: هلاك كناد خداى ايشانرا يا لعنت كناد برايشان. وقال بعضهم: أهلكهم وهو دعاء يتضمن الاقتضاء والمنابذة وتمني الشر لهم ويقال: هي كلمة ذم وتوبيخ بين الناس وقد تقول العرب: قاتله الله ما أشعره فيضعونه موضع التعجب وقيل: أحلهم محل من قاتله عدو قاهر لكل معاند. ﴿أنى يؤفكون﴾ تعجيب من حالهم أي: كيف يصرفون عن الحق والنور إلى ما هم عليه من الكفر والضلال والظلمة بعد قيام البرهان من الإفك بفتح الهمزة بمعنى الصرف عن الشيء لأن الإفك بالكسر بمعنى الكذب.

قال في «التأويلات النجمية»: إذا رأيتهم من حيث صورهم المشكلة تعجبك أجسام أعمالهم المشوبة بالرياء والسمعة الخالية عن أرواح النيات الخالصة الصافية وإن يقولوا قولاً بالحروف والأصوات مجرداً عن المعاني المصفاة تصغ إلى قولهم المكذوب المردود كان صورهم المجردة عن المعنى المخيلة صورتها القوة الخيالة بصورة الخشب المسندة إلى جدار

الوهم لا روح فيها ولا معنا يحسبون كل صيحة صاح بها صور القهر واقعة عليهم لضعف قلوبهم بمرض النفاق وعلة الشقاق هم الكاملون في العداوة الذاتية والبغضاء الصفاتية فاحذرهم بالصورة والمعنى قاتلهم الله بالخزي والحرمان والسوء والخذلان أنى يعدلون عن طريق الدين الصدق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٦﴾

﴿**وإذا قيل لهم**﴾ عند ظهور جنايتهم بطريق النصيحة. در معالم آورده كه بعد از نزول اين آيتها قوم ابن أبي ويرا كفتند أين آيتها درباره تونازل شده پرو نزديك رسول خداى تابراى توآمر زش طلبد آن منافق كردن تاب داد وكفت مرا كفتند ايمان آور آوردم تكليف كرديدكه زكاة مال بده دادم همين مانده است كه محمد را سجده مى بايد كرد آيت آمدكه. وإذا قيل لهم: ﴿**تعالوا**﴾ أصله تعاليوا فأعل بالقلب والحذف إلا أن واحد الماضي تعالى بإثبات الألف المقلوبة عن الياء المقلوبة عن الواو الواقعة رابعة وواحد الأمر تعال بحذفها وقفاً وفتح اللام وأصل معنى التعالي الارتفاع، فإذا أمرت منه قلت: تعال وتعالوا فتعالوا جمع أمر الحاضر في صورة الماضي ومعناه ارتفعوا فيقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عمم يعني ثم استعمل في كل داع يطلب المجيء في المفرد، وغيره لما فيه من حسن الأدب أي: هلموا وائتوا وبالفارسية: بياييد باعتذار. ومن الأدب أن لا يقال: تعالى فلان أو تعاليت يا فلان أو أنا أو فلان متعال بأي معنى أريد لأنه مما اشتهر به الله فتعالى الله الملك الحق. ﴿**يستغفر لكم رسول الله**﴾ بالجزم جواب الأمر أي: يدع الله لكم ويطلب منه أن يغفر بلطفه ذنوبكم ويستر عيوبكم وهو من أعمال الثاني، لأن تعالوا يطلب رسول الله مجروراً بإلى أي: تعالوا إلى رسول الله، ويستغفر يطلب فاعلاً فأعمل الثاني ولذلك رفعه وحذف من الأول إذ التقدير تعالوا إليه. ﴿**لووا رؤوسهم**﴾ يقال: لوى الرجل رأسه أماله والتشديد للتكثير لكثرة المحال وهي الرؤوس قال في «تاج المصادر»: التلوية نيك پيچانيدن أي: عطفوها استكباراً چنانچه كسى از مكروهى روى بتابد وقال القاشاني: لضراوتهم بالأمور الظلمانية فلا يألفون النور ولا يشتاقون إليه ولا إلى الكمالات الإنسانية لمسخ الصورة الذاتية. ﴿**ورأيتهم يصدون**﴾ من الصدود بمعنى الإعراض أي: يعرضون عن القائل أو عن الاستغفار. وقال الكاشفي: إعراض ميكنند ازرفتن بخدمت حضرت پيغمبر ﷺ. وذلك لانجذابهم إلى الجهة السفلية والزخارف الدنيوية فلا ميل في طباعهم إلى الجهة العلوية والمعاني الأخروية. وفي «المثنوي»:

صورت رفعت بود افلاك را   معنى رفعت روان پاك را

صورت رفعت براى جسمهاست   جسمها درپيش معنى اسمهاست

﴿**وهم مستكبرون**﴾ عن ذلك لغلبة الشيطنة واستيلاء القوة الوهمية واحتجابهم بالأنانية وتصور الخيرية، وفي الحديث: «إذا رأيت الرجل لجوجاً معجباً برأيه فقد تمت خسارته» ﴿**سواء عليهم أستغفرت لهم**﴾ كما إذا جاؤوك معتذرين من جناياتهم وفي «كشف الأسرار» كان عليه السلام يستغفر لهم على معنى سؤاله لهم بتوفيق الإيمان ومغفرة العصيان، وقيل: لما قال الله ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] قال عليه السلام: «لأزيدن على

السبعين» فأنزل الله سواء الخ وهو اسم بمعنى مستو خبر مقدم وعليهم متعلق به وما بعده من المعطوف عليه والمعطوف مبتدأ بتأويل المصدر لإخراج الاستفهام عن مقامه، فالهمزة في أستغفرت للاستفهام ولذا فتحت وقطعت والأصل ءاستغفرت فحذفت همزة الوصل التي هي ألف الاستفعال للتخفيف ولعدم اللبس. ﴿أم لم تستغفر لهم﴾ كما إذا أصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار. ﴿لن يغفر الله لهم﴾ أبداً لإصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر وخروجهم عن دين الفطرة القيم. ﴿إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ الكاملين في الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين في الكفر والنفاق أو الخارجين عن دائرة المحقين الداخلين في دائرة الباطلين المبطلين، وفي الآية إشارة إلى عدم استعدادهم لقبول الاستغفار لكثافة طباعهم المظلمة وغلظة جبلتهم الكدرة، ولو كان لهم استعداد لقبوله لخرجوا عن محبة الدنيا ومتابعة النفس والهوى إلى موافقة الشرع ومتابعة الرسول والهدى ولما بقوا في ظلمة الشهوات الحيوانية والأخلاق البهيمية والسبعية. قال الحافظ:

عاشق كه شدكه يار بحالش نظر نكرد اى خواجه دردنيست وكرنه طبيب هست

ومنه يعلم أن الجذبة من جانب المرشد وإن كان لها تأثير عظيم لكن إذا كان جانب المريد خالياً عن الإرادة لم ينفعه ذلك، ألا ترى أن استغفار النبي عليه السلام ليس فوقه شيء مع أنه لم يؤثر في الهداية وأصل هذا عدم إصابة رشاش النور في عالم الأرواح ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

ـ حكي ـ أن شيخاً مر مع مريد له خدمه عشرين سنة على قرية فيها شيخ فإن يضرب الطبل فأشار إليه الشيخ فطرح الطبل وتبعه حتى إذا كانوا على ساحل البحر ألقى الشيخ سجادته على البحر وقعد عليها مع الطبال وبقي المريد العتيق في الساحل يصيح كيف ذلك فقال الشيخ: هكذا قضاء الله تعالى.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾.

﴿هم الذين يقولون﴾ أي: للأنصار وهو استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم أو لعدم مغفرته تعالى لهم وهو حكاية نص كلامهم. ﴿لا تنفقوا﴾ لا تعطوا النفقة التي يتعيش بها ﴿على من عند رسول الله﴾ يعنون فقراء المهاجرين وقولهم: رسول الله إما للهزؤ والتهكم أو لكونه كاللقب له عليه السلام واشتهاره به فلو كانوا مقرين برسالته لما صدر عنهم ما صدر ويجوز أن ينطقوا بغيره لكن الله تعالى عبر به إكراماً له وإجلالاً. ﴿حتى ينفضوا﴾ أي: يتفرقوا عنه ويرجعوا إلى قبائلهم وعشائرهم. وقال الكاشفي: تا متفرق كردند غلامان بنرد خواجكان روند وپسران پدران پيوندند. والانفضاض شكسته شدن وپرا كنده شدن. وإنما قالوه لاحتجابهم بأفعالهم عن رؤية فعل الله وبما في أيديهم عما في خزائن الله فيتوهمون الإنفاق منهم لجهلهم. ﴿ولله خزائن السموات والأرض﴾ رد وإبطال لما زعموا من أن عدم إنفاقهم يؤدي إلى انفضاض الفقراء من حوله عليه السلام ببيان أن خزائن الأرزاق بيد الله خاصة يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، ومن تلك الخزائن المطر والنبات.

قال الراغب: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧] إشارة منه إلى قدرته تعالى على ما يريد إيجاده أو إلى الحالة التي أشير إليها بقوله عليه السلام: «فرغ ربكم من الخلق والأجل والرزق» والمراد من الفراغ إتمام القضاء فهو مذكور بطريق التمثيل يعني أتم قضاء هذه الكليات في علمه السابق، والخزائن: جمع خزانة بالكسر كعصائب وعصابة وهي ما يخزن فيه الأموال النفيسة وتحفظ، وكذا المخزن بالفتح وقد سبق في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: ٢١]. ﴿ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ ذلك لجهلهم بالله وبشؤونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون:

خواجه پندارد كه روزى اودهد ... لا جرم براين وآن منت نهد
زان سببها او يكى شد پس اكر ... كم شود هستند اسباب دكر
حكم روزى بر سببها مى نهد ... بى سببها نيز روزى ميدهد

قال رجل لحاتم الأصم رحمه الله: من أين تأكل؟ قال: من خزانة ربي فقال الرجل: أيلقي عليك الخبز من السماء فقال: لو لم تكن الأرض له فيها خزائن لكان يلقي علي الخبز من السماء فقد خلق الله في الأرض الأسباب ومنها فتح الأبواب، قال بعض الكبار: مراعاة حق أم الولد من الرضاع أولى من مراعاة أم الولادة لأن أم الولادة حملته على جهة الأمانة فيكون فيها وتغذى بدم طمثها من غير إرادة لها في ذلك فما تغذى إلا بما لو لم يخرج منها لأهلكها وأمرضها فللجنين المنة على أمه في ذلك، وأما المرضعة فإنما قصدت برضاعه حياته وإبقاءه ولهذا المعنى الذي أشرنا إليه جعل الله المرضعة لموسى أم ولادته حتى لا يكون لامرأة عليه فضل غير أمه، فلما كبر وبلغ إقامة الحجة عليه جعله الله كلا على بني إسرائيل امتحاناً له فقلق من تغير الحال عليه وقال: يا رب أغنني عن بني إسرائيل فأوحى الله إليه: أما ترضى يا موسى أن أفرغك لعبادتي وأجعل مؤونتك على غيرك فسكت ثم سأل ثانياً: فأوحى الله إليه: لا يليق بنبي أن يرى في الوجود شيئاً لغير سيده فكل من رزق ربك ولا منة لأحد عليك فسكت، ثم سأل ثالثاً: فأوحى الله إليه يا موسى إذا كانت هذه شكاسة خلقك على بني إسرائيل وأنت محتاج إليه فكيف لو أغنيتك عنهم فما سأل بعد ذلك شيئاً فالله تعالى يوصل الرزق على عبده بيد من يشاء من عباده مؤمناً أو كافراً وكل ذلك من الحلال الطيب إذا لم يسبق إليه خاطرة أو تعرض ما ولا منة لأحد عليه، وإنما يمن الجاهل وابتلاؤه تعالى لأوليائه بالفقر ليس من عدم قدرته على الإعطاء والإغناء من عدم محبته لهم وكرامتهم عنده بل هو من إنعامه عليهم ليكونوا أزهد الناس في الدنيا وأوفر أجراً في الآخرة ولذا قال عليه السلام في حق فقراء المهاجرين: يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً وكان عليه السلام يستفتح بصعاليك المهاجرين، أي: فقرائهم لقدرهم وقبولهم وجاههم عند الله تعالى على أن الأغنياء إن خصوا بوجود الأرزاق فالفقراء خصوا بشهود الرزاق وهو خير منه وصاحبه أنعم، فمن سعد بوجود الرزاق لم يضره ما فاته من وجود الأرزاق.

قال الجنيد قدس سره: خزائنه في السماوات الغيوب وخزائنه في الأرض القلوب فما انفصل من الغيوب وقع على القلوب وما انفصل من القلوب صار إلى الغيوب والعبد مرتهن بشيئين تقصير الخدمة وارتكاب الزلة وقال الواسطي قدس سره: من طالع الأسباب في الدنيا ولم يعلم أن ذلك يحجبه عن التوفيق فهو جاهل.

وفي «التأويلات النجمية»: ولله خزائن الأرزاق السماوية من العلوم والمعارف والحكم والعوارف المخزونة لخواص العباد يرزقهم حيث يشاء ولله خزائن الأرزاق الأرضية من المأكولات والمشروبات والملبوسات والخيول والبغال المخزونة لعوام العباد ينفق عليهم من حيث لا يحتسبون، ولكن المنافقين بسبب إفساد استعداداتهم وعدم نورانيتهم وغلبة ظلمانيتهم ما يفهمون الأسرار الإلهية والإشارات الربانية. ﴿**يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل**﴾ روي أن رسول الله ﷺ حين لقي بني المصطلق وهم بطن من خزاعة على المريسيع مصغر مرسوع وهو ماء لهم في ناحية قديد على يوم من الفرع بالضم موضع من أضخم أعراض المدينة وهزمهم وقتل منهم واستاق ألفي بعير وخمسة آلاف شاة وسبى مائتي أهل بيت أو أكثر، وكانت في السبي جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق أعتقها النبي عليه السلام وتزوجها وهي ابنة عشرين سنة ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد الغفار رضي الله عنه وهو أجير لعمر رضي الله عنه يقود فرسه وسنان الجهني المنافق حليف ابن أبي رئيس المنافقين واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان بالأنصار فأعان جهجاه جعال بالكسر من فقراء المهاجرين ولطم سناناً فاشتكى إلى ابن أبي فقال لجعال: وأنت هناك قال ما صحبنا محمداً إلا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قيل: سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا من هذا السفر إلى المدينة ﴿**ليخرجن الأعز منها الأذل**﴾ عنى بالأعز نفسه وبالأذل جانب المؤمنين، فإسناد القول المذكور إلى المنافقين لرضاهم به ثم قال لقوله: ماذا فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا أن يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد، فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال: أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال ابن أبي اسكت فإنما كنت ألعب فأخبر زيد رسول الله بما قال ابن أبي فتغير وجه رسول الله فقال عمر رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال: إذا ترغم أنوفاً كثيرة بيثرب يعني المدينة ولعل تسميته لها بذلك إن كان بعد النهي لبيان الجواز قال عمر رضي الله عنه: فإن كرهت أن يقتله مهاجري فأمر به أنصارياً فقال: إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه وقال عليه السلام لابن أبي أنت صاحب الكلام الذي بلغني قال: والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك وأن زيداً لكاذب فقال الحاضرون: شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام وعسى أن يكون قد وهم فروي أن رسول الله قال له: لعلك غضبت عليه قال: لا قال: فلعله أخطأك سمعك قال: لا قال: فلعله شبه عليك قال: لا فلما نزلت هذه الآية لحق رسول الله زيداً من خلفه فعرك أذنه وقال: وفت أذنك يا غلام إن الله صدقك وكذب المنافقين ورد الله عليهم مقالتهم بقوله: ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾ أي: ولله الغلبة والقوة ولمن أعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من المنافقين والكافرين، وعن بعض الصالحين وكان في هيئة رثة، ألست على الإسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه، وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رجلاً قال له: إن الناس يزعمون أن فيك تيهاً أي: كبراً فقال: ليس ذلك بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية.

وقال بعض الكبار: من كان في الدنيا عبداً محضاً كان في الآخرة ملكاً محضاً ومن كان

في الدنيا يدعي الملك الشيء ولو من جوارحه نقص من ملكه في الآخرة بقدر ما ادعاه في الدنيا فلا أعز في الآخرة ممن بلغ في الدنيا غاية الذل في جناب الحق ولا أذل في الآخرة ممن بلغ في الدنيا غاية العزة في نفسه ولو كان مصفوعاً في الأسواق؛ ولا أريد بعز الدنيا أن يكون من جهة الملوك فيها إنما أريد أن يكون صفته في نفسه العزة وكذا القول في الذلة وقال الواسطي رحمه الله: عزة الله أن لا يكون شيء إلا بمشيئته وإرادته، وعزة المرسلين أنهم آمنون من زوال الإيمان وعزة المؤمنين أنهم آمنون من دوام العقوبة، وقال: عزة الله العظمة والقدرة، وعزة الرسول النبوة والشفاعة، وعزة المؤمنين التواضع والسخاء والعبودية دل عليه قوله عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أي: لا أفتخر بالسيادة بل أفتخر بالعبودية وفيها عزتي إذ لا عزة إلا في طاعة الله ولا ذل إلا في معصية الله، وقال بعضهم: عزة الله قهره من دونه وعزة رسوله بظهور دينه على سائر الأديان كلها، وعزة المؤمنين باستذلالهم اليهود والنصارى كما قال: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقيل: عزة الله الولاية لقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤] وعزة رسوله الكفاية لقوله تعالى ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر: ٩٥]، وعزة المؤمنين الرفعة لقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

يقول الفقير: أشار تعالى بالترتيب إلى أن العزة له بالأصالة والدوام وصار الرسول عليه السلام مظهراً له في تلك الصفة، ثم صار المؤمنون مظاهر له عليه السلام فيها فعزة الرسول بواسطة عزة الله وعزة المؤمنين بواسطة عزة الرسول سواء أعاصروه عليه السلام أم أتوا بعده إلى ساعة القيام، وجميع العزة لله لأن عزة الله له تعالى صفة وعزة الرسول وعزة المؤمنين لله فعلاً ومنة وفضلاً كما قال القشيري قدس سره: العز الذي للرسول وللمؤمنين هو لله تعالى خلقاً وملكاً وعزه سبحانه له وصفاً فإذا العزة كلها لله وهو الجمع بين قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠] وقوله: ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾ ومن أدب من عرف أنه تعالى هو العزيز أن لا يعتقد لمخلوق إجلالاً ولهذا قال عليه السلام: من تواضع لغني لأجل غناه ذهب ثلثا دينه قال أبو علي الدقاق رحمه الله: إنما قال: ثلثا دينه لأن التواضع يكون بثلاثة أشياء بلسانه وبدنه وقلبه فإذا تواضع له بلسانه وبدنه ولم يعتقد له العظمة بقلبه ذهب ثلثا دينه، فإن اعتقدها بقلبه أيضاً ذهب كل دينه ولهذا قيل إذا عظم الرب في القلب صغر الخلق في العين ومتى عرفت أنه معز لم تطلب العز إلا منه ولا يكون العز إلا في طاعته، قال ذو النون قدس سره: لو أراد الخلق أن يثبتوا لأحد عزاً فوق ما يثبته يسير طاعته لم يقدروا، ولو أرادوا أن يثبتوا لأحد ذلة أكثر مما يثبته اليسير من ذلته ومخالفته لم يقدروا.

ـ حكي ـ عن بعضهم أنه قال: رأيت رجلاً في الطواف وبين يديه خدم يطردون الناس ثم رأيته بعد ذلك على جسر بغداد يتكفف ويسأل فحدقت النظر إليه لأتعرفه هل هو ذلك الرجل أو لا، فقال لي: ما لك تطيل النظر إلي فقلت: إني أشبهك برجل رأيته في الطواف من شأنه كذا وكذا فقال: أنا ذاك إني تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني في موضع يترفع فيه الناس. ﴿**ولكن المنافقين ولا يعلمون**﴾ من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون ولعل ختم الآية الأولى بلا يفقهون والثانية بلا يعلمون للتفنن المعتبر في البلاغة مع أن في الأول بيان عدم كياستهم وفهمهم، وفي الثاني بيان حماقتهم وجهلهم، وفي «برهان القرآن» الأول: متصل

بقوله: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧] وفيه غموض يحتاج إلى فطنة والمنافق لا فطنة له، والثاني: متصل بقوله: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ ولكن المنافقين لا يعلمون أن الله معز أوليائه ومذل أعدائه.

ـ روي ـ أن عبد الله بن أبي لما أراد أن يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان مخلصاً وسل سيفه ومنع أباه من الدخول وقال: لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لأضربن عنقك فقال: ويحك أفاعل أنت؟ قال: نعم فلما رأى منه الجد قال: أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال عليه السلام لابنه: «جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيراً»، ولما كان عليه السلام بقرب المدينة هاجت ريح شديدة كادت تدفن الراكب فقال عليه السلام: «مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة» أي: لأجل ذلك عصفت الريح فكان كما قال: مات في ذلك اليوم زيد بن رفاعة وكان كهفاً للمنافقين وكان من عظماء بني قينقاع وكان ممن أسلم ظاهراً وإلى ذلك أشار الإمام السبكي في تائيته بقوله:

وقد عصفت ريح فأخبر انها ... لموت عظيم في اليهود بطيبة

ولما دخلها ابن أبي لم يلبث إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات واستغفر له رسول الله وألبسه قميصه فنزل ﴿لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦]، وروي أنه مات بعد القفول من غزوة تبوك قال بعض الكبار: ما أمر الله عباده بالرفق بالخلق والشفقة إلا تأسياً به تعالى فيكونون مع الخلق كما كان الحق معهم فينصحونهم ويدلونهم على كل ما يؤدي إلى سعادتهم، وليس بيد العبد إلا التبليغ قال تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [المائدة: ٩٩] فعلى العارف إيضاح هذا الطريق الموصل إلى هذا المقام والإفصاح عن دسائسه، وليس بيده إعطاء هذا المقام فإن ذلك خاص بالله تعالى قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] فوظيفة الرسل والورثة من العلماء إنما هو التبليغ بالبيان والإفصاح لا غير ذلك وجزاؤهم جزاء من أعطى ووهب، والدال على الخير كفاعل الخير.

وفي «التأويلات النجمية»: ولله العزة أي: القوة لله الاسم الأعظم، ولرسول القلب المظهر الأتم الأعم، ولمؤمني القوى الروحانية ولكن منافقي النفس والهوى وصفاتهما الظلمانية الكدرة لا يعلمون لاستهلاكهم في الظلمة وانغماسهم في الغفلة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إيماناً صادقاً ﴿لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ في «الصحاح» لهيت عن الشيء بالكسر ألهى لهياً ولهياناً إذا سلوت وتركت ذكره وأضربت عنه، وفي «القاموس»: لها كدعا سلا وغفل وترك ذكره كتلهى وألهاه أي: شغله ولهوت بالشيء بالفتح ألهو لهواً إذا لعبت به والمعنى: لا يشغلكم الاهتمام بتدبير أمورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره تعالى من الصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود، ففي ذكر الله مجاز أطلق المسبب وأريد السبب قال بعضهم: الذكر بالقلب خوف الله وباللسان قراءة القرآن والتسبيح والتهليل والتمجيد والتكبير وتعلم علم الدين وتعليمه وغيرها وبالأبدان الصلاة وسائر الطاعات، والمراد نهيهم عن التلهي بها، أي: عن ترك ذكر الله بسبب الاشتغال بها

وتوجيه النهي إليها للمبالغة بالتجوز بالسبب عن المسبب كقوله تعالى: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ [الأعراف: ٢] وقد ثبت أن المجاز أبلغ وقال بعضهم: هو كناية لأن الانتقال من لا تلهكم إلى معنى قولنا لا تلهوا انتقال من اللازم إلى الملزوم، وقد كان المنافقون بخلاء بأموالهم ولذا قالوا: ﴿**لا تنفقوا على من عند رسول الله**﴾ ومتعززين بأولادهم وعشائرهم مشغولين بهم وبأموالهم عن الله وطاعته وتعاون رسوله فنهى المؤمنون أن يكونوا مثلهم في ذلك. ﴿**ومن يفعل ذلك**﴾ أي: التلهي بالدنيا عن الدين والاشتغال بما سواه عنه ولو في أقل حين. ﴿**فأولئك هم الخاسرون**﴾ أي: الكاملون في الخسران حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني. قال الكاشفي: مقتضاي ايمان آنست كه دوستى خداى تعالى غالب بود بردوستى همه اشيا تا حدى كه اكر تمام نوال دنيا ومجموع نعم آخرت بروى عرض كنند بنظر در هيچ كدام ننكرد:

چشم دل ازنعيم دوعالم به بسته ايم مقصود مازدنى وعقبي تويى وبس

وفي الحديث: «ما طلعت الشمس إلا بجنبيها ملكان يناديان ويسمعان الخلائق غير الثقلين: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر وألهى». وفي الآية إشارة إلى كمل أرباب الإيمان الحقيقي الشهودي يقول الله لهم لا تشغلكم رؤية أموال أعمالكم الصالحة من الصلاة والزكاة والحج والصوم ولا أولاد الأحوال التي هي نتيجة الأعمال من المشاهدات والمكاشفات والمواهب الروحانية والعطايا الربانية عن ذكر ذاته وصفاته وأسمائه وظهوره في صورة الأعمال والأحوال، ومن يفعل ذلك فإنما يشغل بالخلق ويحتجب بالنعمة عن المنعم فأولئك هم الخاسرون خسروا رأس مال التجارة وما ربحوا إلا الخسران وهو حجاب عن المشهود الحقيقي، قال بعضهم: في الآية بيان أن من لم يبلغ درجة التمكين في المعرفة لا يجوز له الدخول في الدنيا من الأهل والمال والولد فإنها شواغل قلوب الذاكرين عن ذكر الله، ومن كان مستقيماً في المعرفة وقرب المذكور فذكره قائم بذكر الله إياه فيكون محفوظاً من الخطرات المذمومة والشاغلات الحاجبة، وأما الضعفاء فلا يخرجون من بحر هموم الدنيا فإذا باشرت قلوبهم الحظوظ والشهوات لا يكون ذكرهم صافياً عن كدورات الخطرات، وقال سهل قدس سره: لا يشغلكم أموالكم ولا أولادكم عن أداء الفرائض في أول مواقيتها فإن من شغله عن ذكر الله وخدمته عرض من عروض الدنيا فهو من الخاسرين.

﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾.

﴿**وأنفقوا مما رزقناكم**﴾ أي: بعض ما أعطيناكم تفضلاً من غير أن يكون حصوله من جهتكم ادخاراً للآخرة يعني حقوق واجب را اخراج نماييد. فالمراد هو الإنفاق الواجب نظراً إلى ظاهر الأمر كما في «الكشاف» ولعل التعميم أولى وأنسب بالمقام. ﴿**من قبل أن يأتي أحدكم الموت**﴾ بأن يشاهد دلائله ويعاين أماراته ومخايله، وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام بما تقدم والتشويق إلى ما تأخر، ولم يقل: من قبل أن يأتيكم الموت فتقولوا إشارة إلى أن الموت يأتيهم واحداً بعد واحد حتى يحيط بالكل. ﴿**فيقول**﴾ عند تيقنه بحلوله.

﴿رب﴾ أي: آفريد كارمن ﴿لولا أخرتني﴾ هلا أمهلتني فلولا للتحضيض وقيل: لا زائدة للتأكيد، ولو للتمني بمعنى لو أخرتني ﴿إلى أجل قريب﴾ أي: أمد قصير وساعة أخرى قليلة، وقال أبو الليث: يا سيدي ردني إلى الدنيا وأبقني زماناً غير طويل وفي «عين المعاني»: مثل ما أجلت لي في الدنيا. ﴿فأصدق﴾ تا تصدق كنم وزكاة ادانمايم. وهو بقطع الهمزة لأنها للتكلم وهمزته مقطوعة وبتشديد الصاد لأن أصله أتصدق من التصدق فأدغمت التاء في الصاد وبالنصب لأنه مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء في جواب التمني في قوله: ﴿لولا أخرتني﴾ ﴿وأكن من الصالحين﴾ بالجزم عطفاً على محل فأصدق كأنه قيل: إن أخرتني أصدق وأكن، وفيه إشارة إلى أن التصدق من أسباب الصلاح والطاعة كما أن تركه من أسباب الفساد والفسق، والفرق بين التصدق والهدية أن التصدق للمحتاج بطريق الترحم والهدية للحبيب لأجل المودة، ولذا كان عليه السلام يقبل الهدية لا الصدقة فرضاً كانت أو نفلاً، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من كان له مال يجب فيه الزكاة فلم يزكه أو مال يبلغه إلى بيت الله فلم يحج يسأل عند الموت الرجعة فقال رجل: اتق الله يا ابن عباس إنما سألت الكفار الرجعة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إني أقرأ عليك هذا القرآن فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إلى قوله: ﴿فأصدق وأكن من الصالحين﴾ فقال الرجل: يا ابن عباس وما يوجب الزكاة قال: مائتا درهم فصاعداً قال: فما يوجب الحج، قال: الزاد والراحلة فالآية في المؤمنين وأهل القبلة لكن لا تخلو عن تعريض بالكفار، وإن تمنى الرجوع إلى الدنيا لا يختص بالكفار بل كل قاصر مفرط يتمنى ذلك.

قال بعض العلماء: في الآية دلالة على وجوب تعجيل الزكاة لأن إتيان الموت محتمل في كل ساعة، وكذا غيرها من الطاعات إذا جاء وقتها لعل الأولى استحبابه في أغلب الأوقات، ولذا اختار بعض المجتهدين أول الوقت عملاً بقوله عليه السلام: أول الوقت رضوان الله أي: لأن فيه المسارعة إلى رضى الله والاهتمام بالعمل إذ لا يدري المرء أن يدرك آخر الوقت. ﴿ولن يؤخر الله نفساً﴾ أي: ولن يمهلها مطيعة وعاصية صغيرة أو كبيرة ﴿إذا جاء أجلها﴾ أي: آخر عمرها أو انتهى إن أريد بالأجل الزمان الممتد من أول العمر إلى آخره يعني چون عمر بآخر رسيد چيزى بران نيفزايند وازان كم نكنند. «قال الشيخ سعدي»:

كه يك لحظه صورت نه بندد امان ... چو پيمانه پرشد بدور زمان

واستنبط بعضهم عمر النبي عليه السلام من هذه الآية فالسورة رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده.

قال بعضهم: الموت على قسمين اضطراري وهو المشهور في العموم والعرف وهو الأجل المسمى الذي قيل فيه: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، والموت الآخر موت اختياري وهو موت في الحياة الدنيا وهو الأجل المقضي في قوله: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ [الأنعام: ٢] ولا يصح للإنسان هذا الموت في حياته إلا إذا وحد الله تعالى توحيد الموتى الذين انكشفت لهم الأغطية، وإن كان ذلك الكشف في ذلك الوقت لا يعطي سعادة إلا لمن كان من العامة عالماً بذلك، فإذا انكشف الغطاء يرى ما علم عيناً فهو سعيد فصاحب هذا التوحيد ميت لا ميت كالمقتول في سبيل الله نقله الله إلى البرزخ لا عن موت، فالشهيد مقتول

لا ميت وكذلك هذا المعتنى به لما قتل نفسه في الجهاد الأكبر الذي هو جهاد النفس رزقه الله تعالى حكم الشهادة فولاه النيابة في البرزخ في حياته الدنيا فموته معنوي وقتله مخالفة نفسه. ﴿والله خبير بما تعملون﴾ فمجازيكم عليه إن خيراً فخير وإن شراً فشر فسارعوا في الخيرات واستعدوا لما هو آت، القاشاني: قضية الإيمان غلبة حب الله على محبة كل شيء فلا تكن محبتهم ومحبة الدنيا من شدة التعلق بهم وبالأموال غالبة في قلوبكم على محبة الله فتحجبون بهم عنه فتصيرون إلى النار فتخسرون نور الاستعداد الفطري بإضاعته فيما يفنى سريعاً، وتجردوا عن الأموال بإنفاقها وقت الصحة والاحتياج إليها لتكون فضيلة في نفسكم وهيئة نورية لها فإن الانفاق إنما ينفع إذا كان عن ملكة السخاء وهيئة التجرد في النفس، فأما عند حضور الموت فالمال للوارث لا له فلا ينفعه إنفاقه وليس له إلا التحسر والندم وتمنى التأخير في الأجل بالجهل، فإنه لو كان صادقاً في دعوى الإيمان وموقناً بالآخرة لتيقن أن الموت ضروري وأنه مقدر في وقت معين قدره الله فيه بحكمته فلا يمكن تأخره، ولتدارك أمره قبل حلول المنية فإنه لا يدري المرء كيف تكون العاقبة ولذا قيل: لا تغتر بلباس الناس فإن العاقبة مبهمة:

مسكين دل من كرچه فراوان داند   در دانش عاقبت فرومى ماند

وفي الحديث: «لأن يتصدق المرء في حياته بدرهم خير من أن يتصدق بمائة عند موته» وقال عليه السلام: «الذي يتصدق عند موته أو يعتق كالذي يهدي إذا شبع» وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً قال: أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تهمل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان» يعني إهمال نكنى تا آن زمان كه جان بحلقوم رسد كويى فلان را اين وفلانرا اين باشد وخود از ان فلان شود به مرك تو.

ـ روى ـ الإمام الغزالي رحمه الله عن عبد الله المزني أنه قال: جمع رجل من بني إسرائيل مالاً كثيراً فلما أشرف على الموت قال لبنيه: ائتوني بأصناف أموالي فأتي بشيء كثير من الخيل والإبل والدقيق وغيره فلما نظر إليها بكى عليها تحسراً فرآه ملك الموت وهو يبكي فقال: ما يبكيك؟ فوالذي خولك ما خولك ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك قال: فالمهلة حتى أفرقها قال: هيهات انقطع عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك فقبض روحه قال السلطان ولد قدس سره:

بكذار جهان راكه جهان آن تونيست   وين دم كه همى زنى بفرمان تونيست
كرمال جهان جمع كنى شاد مشو   ورتكيه بجان كنى جان آن تونيست

وفي الآية إشارة إلى إنفاق الوجود المجازي الخلقي بالإرادة الروحانية لنيل الوجود الحقيقي من غير أن يأتي الموت الطبيعي بلا إرادة فيموت ميتة جاهلية من غير حياة أبدية، لأن النفس لم تزل جاهلة غير عارفة بربها، ولا شك أن الحياة الطبيعية إنما هي في معرفة الله وهي لا تحصل إلا بموت النفس والطبيعة وحياة القلب والروح فمن لم يكن على فائدة من هذا الموت الإرادي بتمني الرجوع إلى الدنيا عند الموت الطبيعي لتصدق الوجود المجازي بالإرادة والرغبة والكون من الصالحين لقبول الوجود الحقيقي؛ وكل من كان مستعداً لبذل الوجود الإضافي لقبول الوجود الإطلاقي وجاء زمانه باستيفائه أحكام الشريعة الزهراء واستقصائه آداب

الطريقة البيضاء لا يمكن له الوقفة على الحجاب والاحتجاب، كما إذا جاء زمان نفخ الروح في الجنين باستكمال المدة يشتعل بنور الروح البتة اللهم إلا أن تعرض آفة تمنعه عن ذلك، والله خبير بما تعملون من بذل الوجود الإمكاني ونيل الوجود الواجبي الحقاني كما قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾ [الواقعة: ١، ٢] جعلنا الله وإياكم من الباذلين وجوده والمستفيضين منه تعالى فضله وجوده وأن يختم لنا بالخير بأن يوفقنا للإعراض عن الغير.

تمت سورة المنافقين بعون الله المعين في أوائل شهر ربيع الأول
من شهور سنة ست عشرة ومائة وألف
تم المجلد التاسع ويليه المجلد العاشر إن شاء الله تعالى أوله سورة التغابن

٦٤ ـ سورة التغابن

مختلف في كونها مكية أو مدنية وآيها ثمان عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾.

﴿يسبح لله ما في السماوات﴾ من الروحانيات **﴿وما في الأرض﴾** من الجسمانيات أي: ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيهاً مستمراً والمراد إما تسبيح الإشارة الذي هو الدلالة فتعم ما كل حي وجماد أو تسبيح العبارة الذي هو أن يقول سبحان الله فتعمهما أيضاً عند أهل الله وعن بعضهم سمعت تسبيح الحيتان في البحر المحيط يقلن: سبحان الملك القدوس رب الأقوات والأرزاق والحيوانات والنباتات ولولا حياة كل شيء من رطب ويابس ما أخبر عليه السلام أنه يشهد للمؤذن وكم بين الله ورسوله مما جميع المخلوقات عليه من العلم بالله والطاعة له والقيام بحقه فآمن بعضهم وصدق وقبل ما أضافه الله إلى نفسه وما أضاف إليه رسوله وتوقف بعضهم فلم يؤمنوا ولم يسمعوا وتأولوا الأمر بخلاف ما هو عليه وقصدهم بذلك أن يكونوا من المؤمنين وهم في الحقيقة من المكذبين لترجيحهم حسهم على الإيمان بما عرفه لهم ربهم لما لم يشاهدوا ذلك مشاهدة عين وعن بعض العارفين في الآية أي: يسبح وجودك بغير اختيارك وأنت غافل عن تسبيح وجودك له وذلك أن وجودك قائم في كل لمحة بوجوده يحتاج إلى الكينونة بتكوينه إياه أين قلبك ولسانك إذا اشتغل بذكر غيرنا وفي الحقيقة لم يتحرك الوجود إلا بأمره ومشيئته وتلك الحركة إجابة داعي القدم في جميع مراده وذلك محض التقديس ولكن لا يعرفه إلا العارف بالوحدانية. **﴿له الملك﴾** الدائم الذي لا يزول وهو كمال القدرة ونفاذ التصرف وبالفارسية مروراست بادشاهى كه ارض وسما وما بينهما بيافريد **﴿وله الحمد﴾** أي: حمد الحامدين وهو الثناء بذكر الأوصاف الجميلة والأفعال الجزيلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على تأكيد الاختصاص وإزاحة الشبهة بالكلية فإن اللام مشعر بأصل الاختصاص قدم أو أخر أي: له الملك وله الحمد لا لغيره إذ هو المبدىء لكل شيء وهو القائم به والمهيمن عليه المتصرف فيه كيف يشاء وهو المولى لأصول النعم وفروعها ولولا أنه أنعم بها على عباده لما قدر أحد على أدنى شيء فالمؤمنون يحمدونه على نعمه وله الحمد في الأولى والآخرة وأما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وتسليط منه وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده فللبشر ملك وحمد من حيث الصورة لا من حيث الحقيقة.

باغير أو اضافت شاهى بود چنان ... بريك دوچوب پاره زشطرنج نام شاه

﴿وهو على كل شيء قدير﴾ لأن نسبة ذاته المقتضية للقدرة إلى الكل سواء فهو القادر على الإيجاد والإعدام والإسقام والإبراء والإعزاز والإذلال والتبييض والتسويد ونحو ذلك من الأمور الغير المتناهية قال بعضهم: قدرة الله تصلح للخلق وقدرة العبد تصلح للكسب فالعبد لا يوصف بالقدرة على الخلق والحق لا يوصف بالقدرة على الكسب فمن عرف أنه تعالى قادر خشي من سطوات عقوبته عند مخالفته وأمل لطائف نعمته ورحمته عند سؤال حاجته لا بوسيلة طاعته بل بكرمه ومننه وفي «التأويلات النجمية»: ينزه ذاته المسبحة المقدسة عن الأمثال والأضداد والأشكال والأنداد ما في السماوات القوى الروحانية وما في أرض القوى الجسمانية له ملك الوجود المطلق وله الحمد على نعمة ظهوره في الوجود المقيد وهويته المطلقة قادرة على ظهورها بالإطلاق والتقييد وهي في عينها منزهة عنهما وهما نسبتان اعتباريتان ﴿هو الذي خلقكم﴾ خلقا بديعاً حاوياً لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك ﴿فمنكم كافر﴾ أي: فبعضكم أو فبعض منكم مختار للكفر كاسب له حسبما تقتضيه خلقته ويندرج فيه المنافق لأنه كافر مضمر وكان الواجب عليكم جميعاً أن تكونوا مختارين للإيمان شاكرين لنعمة الخلق والإيجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنهم منه بل تشعبتم شعباً وتفرقتم فرقاً قال في «فتح الرحمن»: الكفر فعل الكافر والإيمان فعل المؤمن والكفر والإيمان اكتساب العبد لقول النبي عليه السلام «كل مولود يولد على الفطرة» وقوله ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته فالمؤمن بعد خلق الله إياه يختار الإيمان لأن الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله إياه يختار الكفر لأن الله تعالى قدر عليه ذلك وعلمه منه وهذا طريق أهل السنة انتهى. وفي الآية رد للدهرية والطبيعية فإنهم ينكرون خالقية الله تعالى والخالق هو المخترع للأعيان المبدع لها.

«حكي»: أن سنياً ناظر معتزلياً في مسألة القدر، فقطف المعتزلي تفاحة من شجرة وقال للسني: أليس أنا الذي قطفت هذه فقال له السني إن كنت الذي قطفتها فردها على ما كانت عليه فأفحم المعتزلي وانقطع، وإنما ألزمه بذلك لأن القدرة التي يحصل بها الإيجاد لا بد أن تكون صالحة للضدين، فلو كان تفريق الأجزاء بقدرته لكان في قدرته وصلها ومن أدب من عرف أنه سبحانه هو المنفرد بالخلق والإيجاد أن لا يجحد كسب العبد ولا يطوي بساط الشرع في الابتلاء بالأمر والنهي ولا يعتقد أن للعبد على الله حجة بسبب ذلك.

حكي: أن بعض الأكابر تعجب من تجاسر الملائكة في قولهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] ثم قال: ما عليهم شيء هو أنطقهم فبلغ قوله يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه فقال: صدق هو أنطقهم ولكن انظر كيف أفحمهم بين بذلك أن مجرد الخلق من جهة الحق لا يكون عذراً للعبيد في سقوط اللوم عنهم ﴿ومنكم مؤمن﴾ مختار للإيمان كاسب له ويندرج فيه مرتكب الكبيرة الغير التائب، والمبتدع الذي لا تفضي بدعته إلى الكفر، وتقديم الكفر عليه لأنه الأنسب بمقام التوبيخ والأغلب فيما بينهم ولذا يقول الله في يوم الموقف: يا آدم أخرج بعث النار يعني ميز أهلها المبعوث إليها قال: وما بعث النار أي: عدده قال الله: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وفي التنزيل ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وقليل من عبادي الشكور والإيمان أعظم شعب الشكر.

روي: أن عمر رضي الله عنه سمع رجلاً يقول: اللهم اجعلني من القليل فقال له عمر: ما هذا الدعاء فقال الرجل: إني سمعت الله يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبا: ١٣] فإنما أدعو أن يجعلني من ذلك القليل فقال عمر: كل الناس أعلم من عمر.

يقول الفقير: هذا القول من عمر من قبيل كسر النفس واستقصار العلم والمعرفة واستقلالهما على ما هو عادة الكمل فلا ينافي كماله في الدين والمعرفة حتى يكون ذلك سبباً لجرحه في باب الخلافة كما استدل به الطوسي الخبيث على ذلك في كتاب التجريد له وفي الحديث «ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت كافراً ومنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت كافراً ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً». ومن هنا قال بعضهم: قوم طلبوه فخذلهم وقوم هربوا منه فأدركهم. إبراهيم خواص قدس سره كفت درباديه وقتي بتجريد مي رفتم پيرى راديدم دركوشهٔ نشسته وكلاهي برسر نهاده وبزاري وخواري مي كريست كفتم يا هذا توكيستي كفت من ابو مره ام كفتم چرامى كريى كفت كيست بكريستن سزا وارتراز من چهل هزار سال بدان دركاه خدمت كرده ام ودرافق أعلى ازمن مقدم تركس نبودا كنون تقدير إلهي وحكم غيبي نكركه مرابچه روز آورد آنكه كفت اي خواص نكر تابدين جهد وطاعت خويش غره نباشى كه بعنايت واختيار اوست نه بجهد وطاعت بنده بمن يك فرمان آمدكه آدم راسجده كن نكردم وآدم را فرمان آمدكه ازان درخت مخور خورد ودركار آدم عنايت بود عذرش بنهادند وزلت اودر حساب نياوردند ودركار من عنايت نبود طاعت ديرينهٔ من زلت شمردند.

من لم يكن للوصال أهلا   فكل إحسانه ذنوب

ومن هنا يعرف سر قول الشيخ سعدي:

هركه در سايهٔ عنايت اوست   كنهش طاعتست ودشمن دوست

﴿والله بما تعملون﴾ مطلقاً ﴿بصير﴾ فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الإيمان والطاعة وإياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان قال القاسم رحمه الله: خاطبهم مخاطبة حال كونهم ذراً فسماهم كافرين ومؤمنين في أزله وأظهرهم حين أظهرهم على ما سماهم وقدر عليهم فأخبر بأنه علم ما يعملونه من خير وشر.

واعلم أن الله تعالى يعلم لكنه يحلم ويقدر لكنه يغفر إلا أن من أقصته السوابق لم تدنه السوائل ومن أقعده جده لم ينفعه كده قيل: إن بعض الأكابر بلغه أن يهودياً أوصى أن يحمل من بلده إذا مات ويدفن في بيت المقدس فقال أيكابر الأزل أما علم أنه لو دفن في فراديس العلى لجاءت جهنم بأنكالها وحملته إلى نفسها والناس على أربعة أقسام أصحاب السوابق وهم الذين تكون فكرتهم أبداً فيما سبق لهم من الله لعلمهم أن الحكم الأزلي لا يتغير باكتساب العبيد وأصحاب العواقب وهم الذين يكفرون أبداً فيما يختم به أمرهم فإن الأمور بخواتمها والعاقبة مستورة ولهذا قيل: لا يغرنكم صفاء الأوقات فإن تحتها غوامض الآفات وأصحاب الوقت وهم الذين لا يتفكرون في السوابق ولا في اللواحق أي: العواقب بل يشتغلون بمراعاة الوقت وأداء ما كلفوا من أحكام ولهذا قيل: العارف ابن وقته وقيل: الصوفي من لا ماضي له ولا مستقبل وفي «المثنوي»:

صوفي ابن الوقت باشد أي رفيق   نيست فردا كفتن از شرط طريق

والقسم الرابع هم الذين غلب عليهم ذكر الحق فهم مشغولون بشهود الموقت عن مراعاة الوقت وفي الآية إشارة إلى هويته المطلقة عن النسب والإضافات ﴿خلقكم﴾ أي: تجلى لتعيناتكم الجنسية والنوعية والشخصية من غير تقيد وانحصار فمنكم أي: فمن بعض هذه التعينات كافر يستر الحق المطلق بالخلق المقيد ويقول بالتفرقة دفعاً لطعن الطاعن ومن بعض هذه التعينات مؤمن يؤمن بظهور الحق في الخلق ويستر الخلق بالحق ويقول بالجمعية تأنيساً للمكاشفين بالحقائق ﴿والله بما تعملون بصير﴾ من ستر الحق بالخلق دفعاً للطاعن ومن ستر الخلق بالحق تأنيساً للطالب الواجد.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾

﴿خلق السماوات والأرض بالحق﴾ أي: بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية والمراد السموات السبع والأرضون السبع كما يدل عليه التصريح في بعض المواضع قال تعالى: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] فإن قلت: ما وجه عدم ذكر العرش والكرسي في أمثال هذه المواضع مع عظم خلقهما قلت: إنهما وإن كانا من السماء لأن السماء هو الفلك والفلك جسم شفاف محيط بالعالم وهما أوسع الأفلاك إحاطة إلا أن آثارهما غير ظاهرة مكشوفة بخلاف السماوات والأرض وما بينهما فإنها أقرب إلى المخاطبين المكلفين ومعلوم حالها عندهم ومكشوفة آثارها ومنفعتها ولهذا قالوا: إن الشمس تنضج الفواكه والقمر يلونها والكواكب تعطيها الطعم إلى غير ذلك مما لا يتناهى على أن التغيرات فيها أظهر فهي على عظم القدرة أدل وقد قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] وأكثر هذه الشؤون في عالم الكون والفساد الذي هو عبارة عن السماوات والأرض إذ هما من العنصريات بخلاف العرش والكرسي فإنهما من الطبيعيات ولهذا لا يفنيان ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ الفاء للتفسير أي: صوركم أحسن تصوير وخلقكم في أحسن تقويم وأودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم أنموذج جميع مخلوقاته في هذه النشأة فلكم جمال الصورة وأحسن الأشكال ولذا لا يتمنى الإنسان أن يكون صورته على خلاف ما هو عليه لكون صورته أحسن من سائر الصور ومن حسن صورته امتداد قامته وانتصاب خلقته واعتدال وجوده ولا يقدح في حسنه كون بعض الصور قبيحاً بالنسبة إلى بعض لأن الحسن وهو الجمال في الخلق والخلق على مراتب كما قالت الحكماء: شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان ولكم أيضاً جمال المعنى وكمال الخصال:

بدرون تست مصري كه تويى شكر ستانش   چه غمست اكرزبيرون مدد شكر نداري
شدۀ غلام صورت بمثال بت پرستان   توچو يوسفي وليكن سوى خود نظر نداري
بخدا جمال خود را چو در آينه بيني   بت خويش هم توباشي بكسى كذر نداري

والمعتد به هو الحسن المعنوي لأن الله خلق آدم على صورته أي: على الصورة الإلهية

التي هي عبارة عن صفاته العليا وأسمائه الحسنى وإلا فالحسن الصوري يوجد في الكافر أيضاً:

ره راست بايدنه بالاي راست   كه كافرهم ازروى صورت چوماست

نعم قد يوجد سيرة حسنة وخلق حميد في الكافر كعدل أنوشروان مثلاً لكن المعتد به ما يكون مقارناً بالإيمان الذي هو أحسن السير قال بعض الكبار: كل من كان فيه صفة العدل فهو ملك وإن كان الحق تعالى ما استخلفه بالخطاب الإلهي، فإن من الخلفاء من أخذ المرتبة بنفسه من غير عهد إلهي إليه بها وقام بالعدل في الرعايا استناداً إلى الحق كما قال عليه السلام: «ولدت في زمن الملك العادل» يعني: كسرى فسماه ملكاً ووصفه بالعدل ومعلوم أن كسرى في ذلك العدل على غير شرع منزل لكنه نائب للحق من وراء الحجاب وخرج بقولنا وقام بالعدل في الرعايا من لم يقم بالعدل كفرعون وأمثاله من المنازعين لحدود الله والمغالبين لجنابه بمغالبة رسله فإن هؤلاء ليسوا بخلفاء الله تعالى كالرسل ولا نواباً له، كالملوك العادلة بل هم إخوان الشياطين قال الحسين رحمه الله: أحسن الصور صورة أعتقت من ذل كن وتولى الحق تصويرها بيده ونفخ فيها من روحه وألبسها شواهد النعت وحلاها بالتعليم شفاهاً وأسجد لها الملائكة المقربين وأسكنها في جواره، وزين باطنها بالمعرفة وظاهرها بفنون الخدمة والجمع في قوله **﴿فأحسن صوركم﴾** باعتبار الأنواع لأن صورة الرومي ليست كصورة الهندي إلى غير ذلك والإفراد وهو ظاهر **﴿وإليه المصير﴾** أي: وإلى الله الرجوع في النشأة الأخرى لا إلى غيره استقلالاً أو اشتراكاً فأحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له حتى يجازيكم بالإنعام لا بالانتقام فكم من صورة حسناء تكون في العقبى شوهاء بقبح السريرة والسيرة وكم من صورة قبيحة تكون حسناء بحسنهما.

چه غم زمنقصت صورت أهل معنى را   چوجان زروم بودكوتن ازحبش مى باش

وقد ثبت «أن ضرس الكافر يوم القيامة مثل جبل أحد وإن غلظ جسده مسافة ثلاثة أيام وأنه يسوء خلقه فتغلظ شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته وأن أهل الجنة ضوء وجوههم كضوء القمر ليلة البدر أو على أحسن كوكب دري في السماء وهم جرد مرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين فطوبى لأهل اللطافة وويل لأهل الكثافة.

اعلم أن الله تعالى خلق سماوات الكليات وأرض الجزئيات بمظهرية الحق وظهوره فيهما بحسب استعداد الكل لا بحسبه وتجلى في مظاهر صور الإنسان بحسبه أي: بجميع الأسماء والصفات ولذا قال تعالى: **﴿فأحسن صوركم﴾** أي: جعل صوركم أحدية جمع جميع المظهريات الجامعة لجميع المظاهر السماوية العلوية والأرضية السفلية كما قال عليه السلام: «إن الله خلق آدم على صورته» يعني: أورد الاسم الجامع في عنوان الخلق إشارة إلى تلك الجمعية فكان مصير الإنسان إلى الهوية الجامعة لجميع الهويات لكن حصل التفاوت بين أفراده بحسب التجلي والاستتار والفعل والقوة فليس لأهل الحجاب أن يدعي كمالات أهل الكشف للتفاوت المذكور فيا عجباً من إنسان خفي عليه ما دفن في أرض وجوده من كنز إلهي غيبي من نال إليه لم يفتقر أبداً وكيف قنع بقشر مع إمكان تحصيل اللب وكيف أقام في الحضيض مع سهولة العروج إلى الأوج.

چه شكرهاست درين شهركه قانع شده اند   شاهبازان طريقت بمقا مسكى م

﴿يعلم ما في السماوات والأرض﴾ من الأمور الكلية والجزئية والأحوال الجلية والخفية

﴿ويعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ أي: ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الأمور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لأنه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما قال في «برهان القرآن»: إنما كرر ما في أول السورة لاختلاف تسبيح أهل الأرض وأهل السماء في الكثرة والقلة والبعد والقرب من المعصية والطاعة وكذلك اختلاف ما تسرون وما تعلنون فإنهما ضدان ولم يكرر ما في السماوات والأرض لأن الكل بالإضافة إلى علم الله جنس واحد لا يخفى عليه شيء ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ أي: هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها أصلاً فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه وبالفارسية وخداي تعالى داناست بآنچه درسينهاست ازخواطر وأفكار.

وإنما قيل لها ذات الصدور وصاحبتها لملابستها لها وكونها مخزونة فيها ففي الآية ترقٍ من الأظهر إلى الأخفى لأنه عالم بما في السماوات وما في الأرض وبما يصدر من بني آدم سراً وعلناً وبما لم يصدر بعد بل هو مكنون في الصدور وإظهار الجلالة للإشعار بعلية الحكم وتأكيد استقلال الجملة قبل وتقديم القدرة على العلم لأن دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتفاق والاختصاص ببعض الجهات الظاهرة مثل كون السماء في العلو والأرض في السفل أو الباطنة مثل أن يكون السماء متحركة والأرض ساكنة إلى غير ذلك فإن للمتكلمين مسلكين في إثبات العلم الأول: أن فعله تعالى متقن أي: محكم خال عن وجوه الخلل ومشتمل على حكم ومصالح متكثرة وكل من فعله متقن فهو عالم والثاني: أنه فاعل بالقصد والاختيار لتخصيص بعض الممكنات ببعض الأنحاء ولا يتصور ذلك إلا مع العلم وفي قوله ﴿ما تسرون﴾ إشارة إلى علماء الظاهر من الحكماء والمتكلمين وإلى علومهم الفكرية النظرية وما يسرون فيها من عقائدهم الفاسدة ومقاصدهم الكاسدة وفي قوله ﴿وما تعلنون﴾ إشارة إلى علماء الباطن من المشايخ والصوفية وإلى معارفهم ومواجيدهم الذوقية الكشفية وما يظهرون منها من الكرامات وخوارق العادات والله عليم بصدور عمل كل واحد من صدور قلوبهم بحسب الرياء والإخلاص والحق والباطل.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾

﴿ألم يأتكم﴾ أيها الكفرة والألف للاستفهام ولم للجحد ومعناه التحقيق ﴿نبأ الذين كفروا﴾ أي: خبر قوم نوح ومن بعدهم من الأمم المصرة على الكفر ﴿من قبل﴾ أي: قبلكم فيكون متعلقاً بكفروا أو قبل هذا الوقت أو هذا العصيان والمعاداة فيكون ظرفاً لألم يأتكم ﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾ عطف على كفروا والذوق وإن كان في التعارف لقليل لكنه مستصلح للكثير والوبال الثقل والشدة المترتبة على أمر من الأمور والوبل والوابل المطر الثقيل القطار مقابل الطل وهو المطر الخفيف وأمرهم كفرهم فهو واحد الأمور عبر عنه بذلك للإيذان بأنه أمر هائل وجناية عظيمة والمعنى: فذاقوا في الدنيا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم من الضرر والعقوبة وأحسوه إحساس الذائق المطعوم يعني: پس چشيدن كران بارىء خود ودشوارىء سر انجام خويش وضرر كفر وعقوبت اودردنيا بغرق وريح صرصر وعذاب يوم الظلة وأمثال آن.

وفي إيراد الذوق رمز إلى أن ذلك المذوق العاجل شيء حقير بالنسبة إلى ما سيرون من العذاب الآجل ولذلك قال تعالى: ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب أليم﴾ أي: مؤلم لا يقادر قدره وفيه إخبار بأن ما أصابهم في الدنيا لم يكن كفارة لذنوبهم وإلا لم يعذبوا في الآخرة بخلاف المؤمنين فإن ماأصابهم في الدنيا من الآلام والأوجاع والمصائب كفارة لذنوبهم على ما ورد في الأخبار الصحيحة ﴿ذلك﴾ أي: ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الآخرة ﴿بأنه﴾ أي: بسبب أن الشأن ﴿كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ أي: بالمعجزات الظاهرة والباء إما للملابسة أو للتعدية ﴿فقالوا﴾ عطف على كانت ﴿أبشر﴾ آيا آدميان مثل ما ﴿يهدوننا﴾ راه نمايند مارا.

أي: قال كل قوم من المذكورين في حق رسولهم الذي أتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك أبشر وآدمي مثلنا يهدينا ويرشدنا إلى الدين أو إلى الله والتقرب منه كما قالت ثمود: أبشراً منا واحداً نتبعه أنكروا أن يكون الرسول بشراً ولم ينكروا أن يكون المعبود حجراً وقد أجمل في الحكاية فأسند القول إلى جميع الأقوام وأريد بالبشر الجنس، فوصف بالجمع كما أجمل الخطاب والأمر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون: ٥١] وارتفاع بشر على أنه فاعل فعل مضمر يفسره ما بعده فيكون من باب الاشتغال وهو أولى من جعله مبتدأ وما بعده خبراً لأن أداة الاستفهام تطلب الفعل ظاهراً أو مضمراً قال القاشاني: لما حجبوا بصفات نفوسهم عن النور الذي هو به يفضل عليهم بما لا يقاس ولم يجدوا منه إلا البشرية أنكروا هدايته فإن كان كل عارف لا يعرف معروفه إلا بالمعنى الذي فيه فلا يوجد النور الكمالي، إلا بالنور الفطري ولا يعرف الكمال إلا الكامل ولهذا قيل: لا يعرف الله غير الله وكل طالب وجد مطلوبه بوجه ما وإلا لما أمكنه التوجه نحوه وكذا كل مصدق بشيء فإنه واجد للمعنى المصدق به بما في نفسه من ذلك المعنى فلما لم يكن فيهم شيء من النور الفطري، أصلاً لم يعرفوا منه الكمال فأنكروه ولم يعرفوا من الحق شيئاً ولم يحدث فيهم طلب حتى يحتاجوا إلى الهداية فأنكروا الهداية، وقال بعض العارفين: معرفة مقام الأولياء أصعب من الممكن من معرفة الله تعالى لأن الله تعالى معروف بكماله وجماله وجلاله وقهره بخلاف الولي الكامل فإنه ملآن من شهود الضعف يأكل ويشرب ويبول مثل غيره من الخلق ولا كرامة له تظهر إلا بأن يناجي ربه وأنى للخلق معرفة مقامه ووالله لو كشف للخلق عن حقيقة الولي لعبد كما عبد عيسى عليه السلام ولو كشف لهم عن مشرقات نوره لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات نور قلبه، ولكن في ستر الحق تعالى لمقام الولي حكم وأسرار وأدنى ما في الستر أن لا يتعرض أحد لمحاربة الله تعالى إذا آذاهم بعد أن عرفهم أنهم أولياء الله فكان ستر مقامهم عن الخلق رحمة بالخلق وفتحاً لباب اعتذار من آذاهم من غالب الخلق فإن الأذى لم يزل من الخلق لهم في كل عصر لجهلهم بمقامهم ﴿فكفروا﴾ أي: بالرسل بسبب هذا القول لأنهم قالوه استصغاراً لهم ولم يعلموا الحكمة في اختيار كون الرسل بشراً ﴿وتولوا﴾ عن التدبير فيما أتوا به من البينات وعن الإيمان بهم ﴿واستغنى الله﴾ أي: أظهر استغناءه عن إيمانهم وطاعتهم حيث أهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك وقال سعدي المفتي: هو حال بتقدير قد وهو بمعنى غني الثلاثي والمراد كمال الغنى إذ الطلب يلزمه الكمال ﴿والله غني﴾ عن العالمين فضلاً عن إيمانهم

وطاعته ﴿حميد﴾ يحمده كل مخلوق بلسان الحال ويدل على اتصافه بالصفات الكمالية أو يحمده أولياؤه وإن امتنع أعداؤه والحمد هو ذكر أوصاف الكمال من حيث هو كمال ومن عرف أنه الحميد في ذاته وصفاته وأفعاله شغله ذكره والثناء عليه فإنه العبد وإن كثرت محامده من عقائده وأخلاقه وأفعاله وأقواله فلا يخلو عن مذمة ونقص إلا النبي عليه السلام فإنه محمد وأحمد ومحمود من كل وجه وله المحمدة والكمال وفي «الأربعين الإدريسية» يا حميد الفعال ذا المن على جميع خلقه بلطفه قال السهروردي رحمه الله: من داومه يحصل له من الأموال ما لا يمكن ضبطه ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا﴾ الزعم ادعاء العلم فمعنى أزعم زيداً قائماً أقول إنه كذا ففي تصدير الجملة بقوله أزعم إشعار بأنه لا سند للحكم سوى ادعائه إياه. وقوله به ويتعدى إلى مفعولين تعدي العلم وقد قام مقامهما أن المخففة مع ما في حيزها فأن مخففة لا ناصبة لئلا يدخل ناصب على مثله والمراد بالموصول كفار مكة أي: زعموا وادعوا أن الشان لن يبعثوا بعد موتهم أبداً، ولن يقاموا ويخرجوا من قبورهم وعن شريح رضي الله عنه لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا قال بعض المخضرمين لابنه: هب لي من كلامك كلمتين زعم وسوف انتهى. ويكره للرجل أن يكثر لفظ الزعم وأمثاله فإنه تحديث بكل ما سمع وكفى بذلك كذباً وإذا أراد أن يتكلم تكلم بما هو محقق لا بما هو مشتبه وبذلك يتخلص من أن يحدث بكل ما سمع فيكون معصوماً من الكذب كذا في «المقاصد الحسنة». ﴿قل﴾ رداً لهم وإبطالاً لزعمهم بإثبات ما نفوه ﴿بلى﴾ أي: تبعثون فإن بلى لإيجاب النفي الذي قبله وقوله: ﴿وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم﴾ أي لتحاسبن وتجزون بأعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الأمر واردة لتأكيد ما أفاده كلمة بلى من إثبات البعث وبيان تحقق أمر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تأكيد لتحقق البعث بوجهين فقوله وربي قسم لعل اختياره ههنا لما أن في البعث إظهار كمال الربوبية المفيدة لتمام المعرفة وإيثار دوام التربية بالنعم الجسمانية الظاهرة والنعم الروحانية الباطنة وقوله لتبعثن أصله لتبعثون حذفت واوه لاجتماع الساكنين بمجيء نون التأكيد وإن كان على حده طلباً للخفة واكتفاء بالضمة وهو جواب قسم قبله مؤكد باللام المؤكدة للقسم وثم لتراخي المدة لطول يوم القيامة أو لتراخي الرتبة وظاهر كلام «اللباب» أن يكون وربي قسماً متعلقاً بما قبله قد تم الكلام عنده وحسن الوقف عليه ويجعل لتبعثن بما عطف عليه جواب قسم آخر مقدر مستأنف لتأكيد الأول لعل فائدة الإخبار بالقسم مع أن المشركين ينكرون الرسالة كما ينكرون البعث إبطال لزعمهم بالتشديد والتأكيد ليتأثر من قدر الله له الإنصاف وتتأكد الحجة على من لم يقدر له وكان محروماً بالكلية.

﴿وذلك﴾ أي ما ذكر من البعث والجزاء. ﴿على الله يسير﴾ أي سهل على الله لتحقق القدرة التامة وقبول المادة وإذا كان الأمر كذلك.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾

﴿فآمنوا﴾ بصرف إرادتكم الجزئية إلى أسباب حصول الإيمان ﴿بالله﴾ الباعث من القبور المجازي على كل عمل ظاهر أو مستور ﴿ورسوله﴾ محمد ﷺ الذي أخبر عن شؤون الله تعالى

وصفاته ﴿والنور الذي أنزلنا﴾ أي أنزلناه على رسولنا وهو القرآن بإعجازه بين نفسه أنه حق نازل، من عند الله، مبين لغيره ومظهر للحلال والحرام، كما أن النور كذلك والالتفات إلى نون العظمة لإبراز كمال العناية ﴿والله بما تعملون﴾ من الامتثال بالأمر وعدمه ﴿خبير﴾ فمجازيكم عليه ﴿يوم يجمعكم﴾ ظرف لتنبؤن وما بينهما اعتراض أو مفعول لأذكر الظاهر أن الخطاب لمن خوطب أولاً بقوله ﴿ألم يأتكم﴾ . ﴿ليوم الجمع﴾ ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون من الجن والإنس وأهل السماء والأرض أي لأجل ما فيه من الحساب والجزاء وهو يوم القيامة فاللام للعهد أي جمع هذا اليوم عن النبي ﷺ إذا جمع الله الأولين والآخرين جاء منادٍ ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي بصوت ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعاً إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل: المراد جمع الله بين العبد وعمله وقيل: بين الظالم والمظلوم أو بين كل نبي وأمته ﴿ذلك﴾ اليوم ﴿يوم التغابن﴾ تفاعل من الغبن وهو أن تخسر صاحبك في معاملة بينك وبينه بضرب من الإخفاء والتغابن أن يغبن بعضهم بعضاً ويوم القيامة يوم غبن بعض الناس بعضاً بنزول السعداء منازل الأشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفيه تهكم لأن نزولهم ليس بغبن إن كون نزول الأشقياء منازل السعداء من النار لو كانوا أشقياء غبناً باعتبار الاستعارة التهكمية وإلا فهم بنزولهم في النار لم يغبنوا أهل الجنة وفي الحديث: «ما من عبد يدخل الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً وما من عبد يدخل النار إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة» وتخصيص التغابن بذلك اليوم للإيذان بأن التغابن في الحقيقة هو الذي يقع فيه ما لا يقع في أمور الدنيا فاللام للعهد الذي يشار به عند عدم المعهود الخارجي إلى الفرد الكامل أي: التغابن الكامل العظيم الذي لا تغابن فوقه.

قال القاشاني: ليس التغابن في الأمور الدنيوية فإنها أمور فانية سريعة الزوال ضرورية الفناء لا يبقى شيء منها لأحد فإن فات شيء من ذلك أو أفاته أحد ولو كان حياته فإنما فات أو أفيت ما لزم فواته ضرورة فلا غبن ولا حيف حقيقة وإنما الغبن والتغابن في إفاتة شيء لو لم يفته لبقي دائماً وانتفع به صاحبه سرمداً وهو النور الكمالي والاستعدادي فتظهر الحسرة والتغابن هناك في إضاعة الربح ورأس المال في تجارة الفوز والنجاة كما قال: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] فمن أضاع استعداده أو اكتسب منه شيئاً ولم يبلغ غايته كان مغبوناً بالنسبة إلى الكمال التام وكأنما ظفر ذلك الكامل بمقامه ومرامه وبقي هذا متحسراً في نقصانه انتهى. وقال الراغب: يوم التغابن يوم القيامة لظهور الغبن في المبايعة المشار إليها بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ٢٠٧] وبقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: ١١١] وقوله ﴿ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] فلعلهم غبنوا فيما تركوا من المبايعة وفيما تعاطوا من ذلك جميعاً وسئل بعضهم عن يوم التغابن فقال تبدو الأشياء بخلاف مقاديرها في الدنيا وقال بعضهم: يظهر يومئذٍ غبن الكافر بترك الإيمان وغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان وإذا دخل العارف الجنة ورآه صاحب الحال فإنه يراه كما يرى الكوكب الدري في السماء فيتمنى أن يكون

له مثل مرتبة العارف فلا يقدر عليها فيتحسر على تفويته أسباب ذلك في الدنيا وقد ورد «لا يتحسر أهل الجنة في الجنة إلا ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها» قيل: أشد الناس غبناً يوم القيامة ثلاثة نفر عالم علم الناس فعملوا بعلمه، وخالف هو علمه فدخل غيره الجنة بعلمه ودخل هو النار بعمله وعبد أطاع الله بقوة مال سيده وعصى الله سيده فدخل العبد الجنة بقوة مال مالكه ودخل مالكه النار بمعصية الله، وولد ورث مالاً من أبيه وأبوه شح به وعصى الله فيه فدخل أبوه ببخله النار ودخل هو بإنفاقه في الخير الجنة.

بخور اي نيك سيرت وسره مرد   كان نكون بخت كرد كرد ونخورد

وفي الحديث «لا يلقى الله أحد إلا نادماً إن كان مسيئاً إن لم يحسن وإن كان محسناً إن لم يزدد» وقال بعض العارفين: لا يجوز الترقي في الآخرة إلا في مقام حصله المكلف في هذه الدار فمن عرف شيئاً وتعلقت همته بطلبه كان له إما عاجلاً وإما آجلاً فإن ظفر به في حياته كان ذلك اختصاصاً واعتناء وإن لم يظفر به في حياته معجلاً كان مدخراً له بعد المفارقة يناله ثم ضرورة لازمة ومن لم يتحقق بمقام في هذا الموطن لم يظفر به ثم لذلك سمي يوم التغابن لانقطاع الترقي فيه فاعلم ذلك وقال بعضهم الغبن كل الغبن أن لا يعرف الصفاء في الكدورة واللطف في صورة القهر فتوحش عن الحق بالتفرقة وهو في عين الجمع والإنس وأيضاً يقع الغبن لمن كان مشغولاً بالجزاء والعطاء ورؤية الأعواض وأما من كان مشغولاً بمشاهدة الحق فقد خرج عن حد الغبن وأيضاً يقع الكل في الغبن إذا عاينوا الحق بوصفه وهم وجدوه أعظم وأجل مما وجدوه في مكاشفاتهم في الدنيا فيكونون مغبونين حيث لم يعرفوه حق معرفته ولم يعبدوه حق عبادته وإن كانوا لا يعرفونه أبداً حق معرفته وأي غبن أعظم من هذا إذ يرونه ولا يصلون إلى حقيقة وجوده وقال ابن عطاء رحمه الله: تغابن أهل الحق على مقادير الضياء عند الرؤية والتجلي وقال بعض الكبار يوم شهود الحق في مقام الجمعة يوم غبن أهل الشهود والمعرفة على أهل الحجاب والغفلة فإنهم في نعيم القرب والجمع وأهل الحجاب في جحيم البعد والفراق ﴿**ومن يؤمن بالله**﴾ بالصدق والإخلاص بحسب نور استعداده. ﴿**ويعمل صالحاً**﴾ أي: عملاً صالحاً بمقتضى إيمانه فإن العمل إنما يكون بقدر النظر وهو أي: العمل الصالح ما يبتغي به وجه الله فرضاً أو نفلاً.

روي أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أراد أن يدخل الحمام فطلب الحمامي الأجرة فتأوه وقال: إذا لم يدخل أحد بيت الشيطان بلا أجرة فأنى يدخل بيت الرحمن بلا عمل ﴿**يكفر**﴾ أي: يغفر الله ويمحو ﴿**عنه سيئاته**﴾ يوم القيامة فلا يفضحه بها ﴿**ويدخله**﴾ بفضله وكرمه لا بالإيجاب ﴿**جنات**﴾ على حسب درجات أعماله ﴿**تجري من تحتها**﴾ أي: من تحت قصورها أو أشجارها ﴿**الأنهار**﴾ الأربعة ﴿**خالدين فيها**﴾ حال من الهاء في يدخله وحد أولاً حملاً على لفظ من ثم جمع حملاً على معناه ﴿**أبداً**﴾ نصب على الظرف وهو تأكيد للخلود ﴿**ذلك**﴾ أي: ما ذكر من تكفير السيئات وإدخال الجنات ﴿**الفوز العظيم**﴾ الذي لا فوز وراءه لانطوائه على النجاة من أعظم الهلكات والظفر بأجل الطيبات فيكون أعلى حالاً من الفوز الكبير لأنه يكون بجلب المنافع كما في سورة البروج، والفوز العظيم في الحقيقة هو الانخلاع عن الوجود المجازي والتلبس بلباس الوجود الحقيقي وذلك موقوف على الإيمان الحقيقي الذوقي والعمل الصالح المقارن بشهود العامل فإن نور الشهود حينئذٍ يستر ظلمات وجوده الإضافي وينوره بنور

الوجود الحقيقي ويدخله جنات الوصول والوصال التي تجري من تحتها الأنهار مملوءة من ماء المعارف والحكم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾.

﴿**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا**﴾ تصريح بما علم التزاماً والمراد بالآيات إما القرآن أو المعجزات فإن كلاً منهما آية لصدق الرسول ﴿**أولئك أصحاب النار**﴾ أي: أهلها إما بمعنى مصاحبوها لخلودهم فيها أو مالكوها تنزيلاً لهم منزلة الملاك للتهكم حال كونهم ﴿**خالدين فيها**﴾ أي: أبداً بقرينة المقابلة ﴿**وبئس المصير**﴾ أي: النار كأن هاتين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن وإنما قلنا كأن لأن الواو يمانع الحمل على البيان كما عرف في المعاني وفي الآية إشارة إلى المحجوبين عن الله المحرومين من الإيمان الحقيقي به بأن يكون ذلك بطريق الذوق والوجدان لا بطريق العلم والبرهان المكذبين آيات الله الظاهرة في خواص عباده بحسب التجليات فإنهم أصحاب نار الحجاب وجحيم الاحتجاب على الدوام والاستمرار وبئس المصير هذه النار فعلى العاقل أن يجتهد حتى يكشف الله عمى قلبه وغشاوة بصيرته فيشاهد آثار الله وآياته في الأنفس والآفاق ويتخلص من الحجاب على الإطلاق ففي نظر العارفين عبرة وحكمة وفي حركاتهم شأن ومصلحة.

«حكي» أن أبا حفص النيسابوري رحمه الله خرج مع أصحابه في الربيع للتنزه فمر بدار فيها شجرة مزهرة فوقف ينظر إليها معتبراً فخرج من الدار شيخ مجوسي فقال له: يا مقدم الأخيار هل تكون ضيفاً لمقدم الأشرار فقال: نعم فدخلوا وكان معهم من يقرأ القرآن فقرأ فلما فرغ قال لهم المجوسي: خذوا هذه الدراهم واشتروا بها طعاماً من السوق من أهل ملتكم لأنكم تتنزهون عن طعامنا ففعلوا فلما أرادوا الخروج قال المجوسي للشيخ: لا أفارقك بل أكون أحد أصحابك ثم أسلم هو وأولاده ورهطه وكانوا بضع عشرة نفساً فقال أبو حفص لأصحابه: إذا خرجتم للتنزه فاخرجوا هكذا.

چون نظر ميداشت أرباب شهود مؤمن آمد بي نفاق أهل جحود

﴿**ما**﴾ نافية ولذا زاد من المؤكدة ﴿**أصاب**﴾ الخلق يعني نرسد بهيچ كس ﴿**من مصيبة**﴾ من المصائب الدنيوية في الأبدان والأولاد والأموال ﴿**إلا بإذن الله**﴾ استثناء مفرغ منصوب المحل على الحال أي: ما أصاب مصيبة ملتبسة بشيء من الأشياء إلا بإذن الله أي: بتقديره وإرادته كأنها بذاتها متوجهة إلى الإنسان متوقفة على إذنه تعالى أن تصيبه وهذا لا يخالف قوله تعالى في سورة الشورى ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠] أي: بسبب معاصيكم ويتجاوز عن كثير منها ولا يعاقب عليها إما أولاً فلأن هذا القول في حق المجرمين فكم من مصيبة تصيب من أصابته لأمر آخر من كثرة الأجر للصبر وتكفير السيئات لتوفية الأجر إلى غير ذلك وما أصاب المؤمنين فمن هذا القبيل وإما ثانياً فلأن ما أصاب من ساء بسوء فعله فهو لم يصب إلا بإذن الله وإرادته أيضاً كما قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] أي: إيجاداً وإيصالاً فسبحان من لا يجري في ملكه إلا ما يشاء وكان

الكفار يقولون لو كان ما عليه المسلمون حقاً لصانهم الله عن المصائب في أموالهم وأبدانهم في الدنيا فبين الله أن ذلك إنما يصيبهم بتقديره ومشيئته وفي إصابتها حكمة لا يعرفها إلا هو منها تحصيل اليقين بأن ليس شيء من الأمر في يديهم فيبرؤون بذلك من حولهم وقوتهم إلى حول الله وقوته ومنها ما سبق آنفاً من تكفير ذنوبهم وتكثير مثوباتهم بالصبر عليها والرضا بقضاء الله إلى غير ذلك ولو لم يصب الأنبياء والأولياء محن الدنيا وما يطرأ على الأجسام لافتتن الخلق بما ظهر على أيديهم من المعجزات والكرامات على أن طريان الآلام والأوجاع على ظواهرهم لتحقق بشريتهم لا على بواطنهم لتحقق مشاهدتهم والإنس بربهم فكأنهم معصومون محفوظون منها لكون وجودها في حكم العدم بخلاف حال الكفار والأشرار نسأل العفو والعافية من الله الغفار وفي الآية إشارة إلى إصابة مصيبة النفس الأمارة بالاستيلاء على القلب وإلى إصابة مصيبة القلب السيار بالغلبة على النفس فإنهما بإذن تجلية القهري للقلب الصافي بحسب الحكمة أو بإذن تجليه اللطفي الجمالي للنفس الجانية بحسب النقمة **﴿ومن يؤمن بالله﴾** يصدق به ويعلم أنه لا يصيبه مصيبة إلا بإذن الله والاكتفاء بالإيمان بالله لأنه الأصل **﴿يهد قلبه﴾** عند إصابتها للثبات والاسترجاع فيثبت ولا يضطرب بأن يقول قولاً ويظهر وصفاً يدل على التضجر من قضاء الله وعدم الرضا به ويسترجع ويقول إنا لله وإنا إليه راجعون ومن عرف الله واعتقد أنه رب العالمين يرضى بقضائه ويصبر على بلائه فإن التربية كما تكون بما يلائم الطبع تكون بما يتنفر عنه الطبع وقيل: يهد قلبه أي: يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيرضى بقضائه ويسلم لحكمه وقيل: يهد قلبه أي: يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة، والخير وبالفارسية الله راه نما يددل اورابه پسند كاري ومزيد طاعت.

وقال أبو بكر الوراق رحمه الله: ومن يؤمن بالله عند الشدة والبلاء فيعلم أنها من عدل الله يهد قلبه إلى حقائق الرضا وزوائد اليقين وقال أبو عثمان رحمه الله: من صحح إيمانه بالله يهد قلبه لاتباع سنن نبيه عليه السلام وعلامة صحة الإيمان المداومة على السنن وملازمة الاتباع وترك الآراء والأهواء المضلة وقال بعضهم: ومن يؤمن بالله تحقيقاً يهد قلبه إلى العمل بمقتضى إيمانه حتى يجد كمال مطلوبه الذي آمن به ويصل إلى محل نظره وقال بعضهم: ومن يؤمن بالله بحسب ذاته نور قلبه بنور المعرفة بأسمائه وصفاته إذ معرفة الذات تستلزم معرفة الصفات والأسماء من غير عكس وباعتبار سبق الهداية ولحوقها فإن الإيمان بالله إنما هو بهداية سابقة وهداية القلب إنما هي هداية لاحقة يندفع توهم أن الإيمان موقوف على الهداية فإذا كانت هي موقوفة عليه كما تفيده من الشرطية لما أن الشرط مقدم على المشروط لدار فإن للهداية مراتب تقدماً وتأخراً لا تنقطع ولذلك ندعو الله كل يوم ونقول مراراً اهدنا الصراط المستقيم بناء على أن في كل عمل نريده صراطاً مستقيماً يوصل إلى رضا الله تعالى وقيل: إنه مقلوب ومعناه من يهد قلبه يؤمن بالله.

وروي في يهد سبع قراءات المختار من السبع يهد مفرداً غائباً راجعاً ضميره إلى الله مجزوم الآخر ليكون جواب الشرط المجزوم من الهداية وقرىء نهد بالنون على الالتفات منها أيضاً ويهد مجهولاً برفع قلبه على أنه قائم مقام الفاعل منها أيضاً ويهد بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال ورفع قلبه أيضاً بمعنى يهتد كقوله تعالى: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيَ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ [يونس: ٣٥]

ويهدأ من باب يسأل ويهدا بقلبها ألفاً ويهد بحذفها تخفيفاً فيهما والمعنى يطمئن ويسكن إلى الحق ﴿والله بكل شيء﴾ من الأشياء التي من جملتها القلوب وأحوالها كتسليم من انقاد لأمره وكراهة من كرهه وكآفاتها وخلوصها من الآفات. ﴿عليم﴾ فيعلم إيمان المؤمن وخلوصه ويهدي قلبه إلى ما ذكر ﴿وأطيعوا الله﴾ إطاعة العبد لمولاه فيما يأمره ﴿وأطيعوا الرسول﴾ إطاعة الأمة لنبيها فيما يؤديه عن الله أي: لا يشغلنكم المصائب عن الاشتغال بطاعته والعمل بكتابه وعن الاشتغال بطاعة الرسول واتباع سننه وليكن جل همتكم في السراء والضراء العلم بما شرع لكم قال القاشاني: وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول على حسب معرفتكم بالله وبالرسول فإن أكثر التخلف عن الكمال والوقوع في الخسران والنقصان إنما يقع من التقصير في العمل وتأخر القدم لا من عدم النظر كرر الأمر للتأكيد والإيذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية وتوضيح مورد التولي في قوله ﴿فإن توليتم﴾ أي: أعرضتم عن إطاعة الرسول ﴿فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ تعليل للجواب المحذوف أي: فلا بأس عليه إذ ما عليه إلا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وإظهار الرسول مضافاً إلى نون العظمة في مقام إضماره لتشريفه عليه السلام والإشعار بمدار الحلم الذي هو كون وظيفته عليه السلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولي عنه وفي «التأويلات النجمية» أطيعوا الله بتهيئة الأسباب بمظهرية ذاته وصفاته وأطيعوا الرسول بتحصيل القابلية لمظهرية أحكام شريعته الظاهرة وآداب طريقته الباطنة فإن أعرضتم عن تهيئة الأسباب والاستعداد وتصفية هذين الأمرين الكليين بالإقبال على الدنيا والاستهلاك في بحر شهواتها فإنما على رسولنا البلاغ المبين وعليكم العذاب المهين.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

﴿الله لا إله﴾ في الوجود ﴿إلا هو﴾ جملة من مبتدأ وخبر أي: هو المستحق للمعبودية لا غير وهو القادر على الهداية والضلالة لا شريك له في الإرشاد والإضلال وليس بيد الرسول شيء من ذلك ﴿وعلى الله﴾ أي: عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالاً ولا اشتراكاً ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ في تثبيت قلوبهم على الإيمان والصبر على المصائب وإظهار الجلالة في موضع الإضمار للإشعار بعلية التوكل والأمر به فإن الألوهية مقتضية للتبتل إليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة وفي الآية بعث لرسول الله وللمؤمنين وحث لهم على الثبات على التوكل والازدياد فيه حتى ينصرهم على المكذبين وعلى من تولى عن الطاعة وقبول أحكام الدين.

واعلم أن التوكل من المقامات العالية وهو إظهار العجز والاعتماد على الغير وفي «الحدائق» التوكل هو الثقة بما عند الله واليأس مما في أيدي الناس وظاهر الأمر يفيد وجوب التوكل مع أنه غير موجود في أكثر الناس فيلزم أن يكونوا عاصين ولعل المأمور به هو التوكل العقلي وهو أن يعتقد العبد أنه ما من مراد من مراداته الدنيوية والأخروية إلا وهو يحصل من الله فيثق به في حصوله ويرجو منه وإن كانت النفس تلتفت إلى الغير وتتوقع منه نظراً إلى اعتقاد سببيته والله مسبب الأسباب وأما التوكل الطبيعي الذي لا يكون ثقة صاحبه طبعاً إلا بالله وحده ولا اعتماده إلا عليه في جميع مقاصده مع قطع النظر عن الأغيار كلها رأساً فهو عسير قلما

يوجد إلا في الكمل من الأولياء كما حكي عن بشر الحافي رحمه الله أنه جاءه جماعة من الشأم وطلبوا منه أن يحج معهم فقال: نعم ولكن بثلاثة شروط أن لا نحمل معنا شيئاً ولا نسأل أحداً شيئاً ولا نقبل من أحد شيئاً فقالوا: أما الأول والثاني فنقدر عليه أما الثالث فلا نقدر فقال: أنتم الذين تحجون متوكلين على زاد الحاج وقيل: من ادعى التوكل ثم شبع فقد حمل زاداً وعن بعضهم أنه قال: حججت أربع عشرة مرة حافياً متوكلاً وكان يدخل الشوك فلا أخرجه لئلا ينقص توكلي وعن إبراهيم الخواص رحمه الله بينما أنا أسير في البادية إذ قال لي أعرابي يا إبراهيم: التوكل عندنا فأقم عندنا حتى يصح توكلك أما تعلم أن رجاءك دخول بلد فيه أطعمة يحملك ويقويك اقطع رجاءك عن دخول البلدان فتوكل فإذا كان رجاء دخول البلدان مانعاً عن التوكل التام، فما ظنك بالإقامة في بلاد خصبة ولذا أوقع الله التوكل على الجلالة لأنها جامعة لجميع الأسماء فالتوكل عليه توكل تام والتوكل على الأسماء الجزئية توكل ناقص فمن عرف الله وكل إليه أموره وخرج هو من البين ومن جعل الله وكيله لزمه أيضاً أن يكون وكيلاً لله على نفسه في استحقاق حقوقه وفرائضه وكل ما يلزمه فيخاصم نفسه في ذلك ليلاً ونهاراً أي: لا يفتر لحظة ولا يقصر طرفة فإن الأوقات سريعة المرور.

خاك دردستش بودچون بادهنكام اجل هركه أوقات كرامي صرف آب وكل كند

﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ إيماناً خالصاً ﴿**إن من أزواجكم**﴾ جمع زوج يعم الحليل والحليلة وسيجيء ما في «اللباب» ﴿**وأولادكم**﴾ جمع ولد يعم الابن والبنت ﴿**عدواً لكم**﴾ يشغلونكم عن طاعة الله وإن لم يكن لهم عداوة ظاهرة فإن العدو لا يكون عدواً بذاته وإنما يكون عدواً بفعله فإذا فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدواً ولا فعل أقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة أو يخاصمونكم في أمور الدين أو الدنيا وأشد المكر ما يكون في الدين فإن ضرره أشد من ضرر ما يكون في الدنيا وجاء في الخبر «ليس عدوك الذي لقيته فقتلته وآجرك الله على قتله ولكن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وامرأتك تضاجعك على فراشك وولدك من صلبك» قدم الأزواج لأنها مصادر الأولاد ولأنها لكونها محل الشهوات ألصق بقلوب الناس وأشد إشغالاً لهم عن العبودية ولذا قدمها الله تعالى في قوله ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [آل عمران: ١٤] وفي «اللباب» أن قوله ﴿**إن من أزواجكم**﴾ يدخل فيه الذكر فكما أن الرجل تكون زوجته وولده عدواً له كذلك المرأة يكون زوجها عدواً لها بهذا المعنى فيكون الخطاب هنا عاماً على التغليب ويحتمل أن يكون الدخول باعتبار الحكم لا باعتبار الخطاب ﴿**فاحذروهم**﴾ الحذر احتراز عن مخيف والضمير للعدو فإنه يطلق على الجمع قال بعضهم: احذروهم أي: احفظوا أنفسكم من محبتهم وشدة التعلق والاحتجاب بهم ولا تؤثروا حقوقهم على حقوق الله تعالى وفي الحديث: «إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم أسخياءكم وأمركم شورى بينكم أي: ذا تشاور لا يتفرد أحد برأي دون صاحبه فظهر الأرض خير لكم من بطنها وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها» وفي الحديث: «شاوروهن وخالفوهن» وقد استشار النبي عليه السلام أم سلمة رضي الله عنها كما في قصة صلح الحديبية فصار دليلاً لجواز استشارة المرأة الفاضلة ولفضل أم سلمة ووفور عقلها حتى قال إمام الحرمين: لا نعلم امرأة أشارت برأي فأصابت إلا أم سلمة كذا قال: وقد استدرك بعضهم ابنة شعيب في أمر موسى عليهما السلام.

«حكي» أن خسرو كان يحب أكل السمك فكان يوماً جالساً في المنظرة وشيرين عنده إذ جاء صياد ومعه سمكة كبيرة فوضعها بين يديه فأعجبته فأمر له بأربعة آلاف درهم فقالت شيرين: بئس ما فعلت لأنك إذا أعطيت بعد هذا أحداً من عسكرك هذا القدر احتقره وقال: أعطاني عطية الصياد فقال خسرو: لقد صدقت لكن يقبح على الملوك أن يرجعوا في عطياتهم فقالت شيرين: تدعو الصياد وتقول له هذه السمكة ذكر أو أنثى فإن قال: ذكر فقل إنما أردنا أنثى وإن قال أنثى فقل: إنما أردنا ذكراً فنودي الصياد فعاد فقال له الملك: هذه السمكة ذكر أو أنثى فقال: هذه السمكة خنثى فضحك خسرو من كلامه وأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى فقبض ثمانية آلاف درهم ووضعها في جراب معه وحملها على كاهله وهم بالخروج فوقع من الجراب درهم واحد فوضع الصياد الجراب وانحنى على الدرهم فأخذه والملك وشيرين ينظران إليه فقالت شيرين للملك: أرأيت إلى خسة هذا الرجل وسفالته سقط منه درهم واحد فألقى عن كاهله ثمانية آلاف درهم وانحنى على ذلك الدرهم وأخذه ولم يسهل عليه أن يتركه فغضب الملك وقال: لقد صدقت يا شيرين ثم أمر بإعادة الصياد فقال: يا دنيء الهمة لست بإنسان ما هذا الحرص والتهالك على درهم واحد فقبل الصياد الأرض وقال: إني لم أرفع ذلك الدرهم لخطره عندي وإنما رفعته عن الأرض لأن على أحد وجهيه اسم الملك وعلى الآخر صورته فخشيت أن يأتي أحد بغير علم فيضع عليه قدمه فيكون ذلك استخفافاً بالملك وصورته فتعجب خسرو من كلامه فأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى وكتب وصية للناس بأن لا تطيعوا النساء أصلاً ولا تعملوا برأيهن قطعاً.

«وحكي» أن رجلاً من بني إسرائيل أتى سليمان عليه السلام وقال يا نبي الله: أريد أن تعلمني لسان البهائم فقال سليمان: إن كنت تحب أن تعلم لسان البهائم أنا أعلمك ولكن إذا أخبرت أحداً تموت من ساعتك فقال: لا أخبر أحداً فقال سليمان: قد علمتك وكان للرجل ثور وحمار يعمل عليهما في النهار فإذا أمسى أدخل عليهما علفاً فحط العلف بين يديهما فقال الحمار للثور: أعطني الليلة عشاءك حتى يحسب صاحبنا أنك مريض فلا يعمل عليك ثم إني أعطيك عشائي في الليلة القابلة فرفع الثور رأسه من علفه فضحك الرجل فقالت: امرأته لم تضحك قال: لا شيء فلما جاءت الليلة القابلة أعطى الرجل للحمار علفه وللثور علفه وقال الثور: اقضني السلف الذي عندك فإني أمسيت مغلوباً من الجوع والتعب فقال له الحمار: إنك لا تدري كيف كان الحال قال الثور: وما ذاك قال: إن صاحبنا البارحة ذهب وقال للجزار: ثوري مريض اذبحه قبل أن يعجف فاصبر الليلة وأسلفني أيضاً عشاءك حتى إذا جاءك الجزار صباحاً وجدك عجيفاً ولا يذبحك فتنجو من الموت لو تعشيت يمتلىء بطنك فيخشى عليك أن يحسبك سميناً فيذبحك إني أرد لك ما أسلفتني الليلتين فرفع رأسه عن علفه ولم يأكل فضحك الرجل فقالت المرأة: لم تضحك أخبرني وإلا طلقني فقال الرجل: إذا أخبرتك بما ضحكت أموت من ساعتي فقالت: لا أبالي، فقال: ائتيني بالدواة والقرطاس حتى أكتب وصيتي ثم أخبر ثم أموت، فناولته فبينما هو يكتب إذ طرحت المرأة كسرة من الخبز إلى الكلب، فسبق الديك وأخذها بمنقاره قال الكلب ظلمتني قال الديك: صاحبنا يريد الموت فتكون أنت شبعاناً من وليمة المأتم ولكن نحن نبقى في مبيتنا إلى ثلاثة أيام لا يفتح لنا الباب وإن يمت برضى امرأته أبعده الله وأسخطه فإن لي تسع نسوة لا تقدر واحدة منهن أن تسأل عن سري ولو كنت أنا

مكانه لأضربنها حتى تموت أو تتوب وبعد ذلك لا تسأل عن سر زوجها فأخذ الرجل عصاً ولم يزل يضربها حتى ثابت من ذلك.

زنـي راكـه جـهـلـسـت وبـار اسـتـي   بـلا بـرسـر خـود نـه زن خـواسـتـتـي

وأفادت من التبعيضية في قوله ﴿إن من أزواجكم﴾ الخ أن منها ما ليس بعدو كما قال عليه السلام: «الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» وقال عليه السلام: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله» فإذا كانت المرأة على هذه الأوصاف فهي ميمونة مباركة وإلا فهي مشؤومة منحوسة.

كـرا خـانـه آبـاد وهـمـخـوا بـه دوسـت   خـدارا بـرحـمـت نـظـر سـوى اوسـت

﴿وإن تعفوا﴾ عن ذنوبهم القابلة للعفو بأن تكون متعلقة بأمور الدنيا أو بأمور الدين لكن مقارنة للتوبة ﴿وتصفحوا﴾ بترك التثريب والتعيير يقال: صفحت عن فلان إذا أعرضت عن ذنبه والتثريب عليه ﴿وتغفروا﴾ بإخفائها وتمهيد عذرها ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وهذا كقوله ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان: ١٥] نزلت في عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه كان ذا أهل وولد وكان إذا أراد الغزو بكوه ورققوه وقالوا: إلى من تدعنا فيرق ويقيم.

وأراد الحطيئة وهو شاعر مشهور سفراً فقال لامرأته:

عـدي الـسـنـيـن لـغـيـبـتـي وتـصـبـري   وذري الـشـهـور فـإنـهـن قـصـار

فأجابته:

واذكـر صـبـابـتـنـا إلـيـك وشـوقـنـا   وارحـم بـنـاتـك إنـهـن صـغـار

وقيل: إن ناساً من المؤمنين أرادوا الهجرة من مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم فزينوا لهم القعود قيل: قالوا لهم: أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا: لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على أن يعفوا عنهم ويردوا إليهم البر والصلة قال القاشاني: وإن تعفوا بالمداراة وتصفحوا عن جرائمهم بالحلم وتغفروا جناياتهم بالرحمة لا ذنب ولا حرج إنما الذنب في الاحتجاب بهم وإفراط المحبة وشدة التعلق لا في مراعاة العدالة والفضيلة ومعاشرتهم بحسن الخلق فإنه مندوب بل اتصاف بصفات الله فإن الله غفور رحيم فعليكم بالتخلق بأخلاقه وفي الحث على العفو والصفح إشارة إلى أن ليس المراد من الأمر بالحذر تركهم بالكلية والإعراض عن معاشرتهم ومصاحبتهم كيف والنساء من أعظم نعم الجنة وبها نظام العالم فإنه لولا الأزواج لما وجد الأنبياء والأولياء والعلماء والصلحاء وقد خلق المخلوقات لأجلهم ومنَّ الله على عباده تذكير النعمة حيث قال: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الروم: ٢١] وهذا كما روي عنه عليه السلام أنه كان يقول «اتقوا الدنيا والنساء» فإن الأمر بالاتقاء إنما هو للتحذير عما يضر في معاشرتها لا للترك بالكلية فكما أن الدنيا لا تترك بالكلية ما دام المرء حياً وإنما يحذر من التعلق بها ومحبتها الشاغلة عن محبة الله تعالى فكذا النساء ولأمر ما حبب الله إليه عليه السلام النساء وقال عليه السلام: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» كما سبق بيانه في سورة النجم فقد حث عليه

السلام على وجود الولد الصالح ولم يعده من الدنيا بل عده من الخير الباقي في الدنيا وبه يحصل العمر الثاني وفي الآية إشارة إلى أن النفوس الأمارة أو اللوامة وأولادها وهي صفات تلك النفوس وأخلاقها الشهوانية عدو للإنسان يمنعه عن الهجرة إلى مدينة القلب فلا بد من الحذر عن متابعتها ومخالطتها بالكلية وتصرفاتها في جميع الأحوال وأن تعفوا عن هفواتهم الباطلة الواقعة منهم في بعض الأوقات لكونهم مطية لكم وتصفحوا بعد التوبيخ والتعيير وتغفروا بأن تستروا ظلمتهم بنور إيمانكم وشعاع معرفة قلوبكم فإن الله غفور ساتر لكم يستر بلطفه رحيم بكم بإضافة رحمته عليكم جعلنا الله وإياكم من أهل تقواه ومغفرته وتغمدنا بأنواع رحمته ﴿**إنما أموالكم وأولادكم فتنة**﴾ بلاء ومحنة يوقعونكم في الإثم والعقوبة من حيث لا تحتسبون.

«وقال الكاشفي»: آز مايش است تا ظاهركرددكه كدام از ايشان حق را برايشان ايثار ميكند وكدام دل درمال وولد بسته از محبت الهي كرانه ميكيرد.

وجيء بإنما للحصر لأن جميع الأموال والأولاد فتنة لأنه لا يرجع إلى مال أو ولد إلا وهو مشتمل على فتنة واشتغال قلب وتأخير الأولاد من باب الترقي من الأدنى إلى الأعلى لأن الأولاد ألصق بالقلوب من الأموال لكونهم من أجزاء الآباء بخلاف الأموال فإنها من توابع الوجود وملحقاته ولذا جعل توحيد الأفعال في مقابلة الفناء عن الأولاد وتوحيد الذات في مقابلة الفناء عن النفس ﴿**والله عنده أجر عظيم**﴾ لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الأموال والأولاد والتدبير في مصالحهم زهدهم في الدنيا بأن ذكر عيبها ورغبهم في الآخرة بذكر نعيمها وعن ابن مسعود رضي الله عنه، لا يقولن أحدكم اللهم اعصمني من الفتنة فإنه ليس أحد منكم يرجع إلى مال وولد إلا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن نظيره ما حكي عن محمد بن المنكدر رحمه الله أنه قال: قلت ليلة في الطواف اللهم اعصمني وأقسمت على الله تعالى في ذلك كثيراً فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي إنه لا يفعل ذلك قلت لم قال: لأنه يريد أن يعصي حتى يغفر وهذا من الأسرار المصونة والحكم المسكوت عنها وفي «مشكاة المصابيح» كان رسول الله ﷺ يخطب إذ جاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل عليه السلام من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله: ﴿**إنما أموالكم وأولادكم فتنة**﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ثم أخذ عليه السلام في خطبته قال ابن عطية: وهذه ونحوها هي فتنة الفضلاء فأما فتنة الجهال الفسقة فمؤدية إلى كل فعل مهلك يقال: إن أول ما يتعلق بالرجل يوم القيامة أهله وأولاده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يا ربنا خذ بحقنا منه فإنه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه وتأكل عياله حسناته فلا يبقى له حسنة ولذا قال عليه السلام: «يؤتى برجل يوم القيامة فيقال له: أكل عياله حسناته» وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وهو دود يقع في الطعام والثوب وغيرهما ومن ثم ترك كثير من السلف المال والأهل رأساً وأعرضوا عنهما بالكلية لأن كل شيء يشغل عن الله فهو مشؤوم على صاحبه ولذا كان عليه السلام يقول في دعائه «اللهم من أحبني وأجاب دعوتي فأقلل ماله وولده»، ومن أبغضني ولم يجب دعوتي فأكثر ماله وولده وهذا

للغالب عليهم النفس وأما قوله عليه السلام في حق أنس رضي الله عنه «اللهم أكثر ماله وولده وبارك فيما أعطيته» فهو لغيره.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ أي: ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم قال بعضهم: أي: إن علمتم ذلك وانتصحتم به فاتقوا ما يكون سبباً لمؤاخذة الله إياكم من تدبير أمورهما ولا ترتكبوا ما يخالف أمره تعالى من فعل أو ترك وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] لما اشتد عليهم بأن قاموا حتى ورمت أقدامهم وتقرحت جباههم فنزلت تيسيراً لعباد الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إنها آية محكمة لا ناسخ فيها لعله رضي الله عنه جمع بين الآيتين بأن يقول هنا وهنالك فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم واجتهدوا في الاتصاف به بقدر طاقتكم فإنه لا يكلف الله نفساً إلا وسعها وحق التقوى ما يحسن أن يقال: ويطلق عليه اسم التقوى وذلك لا يقتضي أن يكون فوق الاستطاعة وقال ابن عطاء رحمه الله: هذا لمن رضي عن الله بالثواب فأما من لم يرض عنه إلا به فإن خطابه ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] أشار رضي الله عنه إلى الفرق بين الأبرار والمقربين في حال التقوى فقوله تعالى: **﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾** ناظر إلى الأبرار وقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ ناظر إلى المقربين فإن حالهم الخروج عن الوجود المجازي بالكلية وهو حق التقوى وقال القاشاني: فاتقوا الله في هذه المخالفات والآفات في مواضع البليات ما استطعتم بحسب مقامكم ووسعكم على قدر حالكم ومرتبتكم. قال السري قدس سره: المتقي من لا يكون رزقه من كسبه.

ودر كشف الأسرار آورده كه دريك آيت اشارت ميكند بواجب مر ودر ديكري بواجب حق چون واجب أمر بيامد واجب حق را رقم نسخ بركشيد زيراكه حق بنده راك مطالبت كند بواجب أمر كند تافعل اودر دائرهٔ عفو داخل تواند شد واكر اورا بواجب حق بكيرد طاعت ومعصيت هزار ساله آنجا يكرنك دارد.

بـي نـيـازي بـيـن واسـتـغـنـانـكـر خواه مطرب باش وخواهي نوحه كر

اكر همه انبيا وأوليا بهم آيند آن كيست كه طاقت آن داردكه بحق أو جل جلاله قيام نمايد يا جواب حق او باز دهد أمر او متناهيست أما حق أو متناهي نيست زيراكه بقاي أمر ببقاي تكليف است وتكليف درد نياست كه سراي تكليف است أما بقاي حق ببقاي ذاتست وذات متناهي نست پس حق متناهى نيست واجب أمر برخيز داما واجب حق برتخيزد دنيا دركذرد ونوبت أمر باوي دركذرد أما نوبت حق نفركز در نكذرد امروز هركسى را سودايي درسرست كه درا مر مي نكرند انبيا ورسل بنبوت ورسالت خوتش مي نكرند فرشتكان بطاعت وعبادت خودمي نكرند مؤحدان ومجتهدان ومؤمنان ومخلصان بتوحيد وإيمان وإخلاص خويش مي نكرند فردا چون سرادقات حق ربوبيت باز كشند انبيا باكمال حال خويش حديث علم خود طي كنند كويند لا علم لنا ملائكهٔ ملكوت صومعهاي عبادت خود آتش درزنندكه ما عبدناك حق عبادتك عارفان وموحدان كويند ما عرفناك حق معرفتك **﴿واسمعوا﴾** مواعظه **﴿وأطيعوا﴾** أوامره **﴿وأنفقوا﴾** مما رزقكم في الوجوه التي أمركم بالإنفاق فيها خالصاً لوجهه عن ابن عباس

رضي الله عنهما أن المراد إنفاق الزكاة والظاهر العموم وهو مندرج في الإطاعة ولعل إفراده بالذكر لما أن الاحتياج إليه كان أشد حينئذٍ وأن المال شقيق الروح ومحبوب النفس ومن ذلك قدم الأموال على الأولاد في المواضع حتى قال الإمام الغزالي رحمه الله: إنه قد يكون حب المال من أسباب سوء العاقبة فإنه إذا كان حب المال غالباً على حب الله فحين علم محب المال أن الله يفرقه عن محبوب عقد في قلبه البغض لله نعوذ بالله من ذلك وهذا كما ترى أن أحداً إذا أحب دنياه حباً غالباً على حب ابنه فلو قصد الابن أن يأخذها منه لأبغض الابن وأحب هلاكه ﴿**خيراً لأنفسكم**﴾ خبر لكان المقدر جواباً للأوامر أي: يكن خيراً لأنفسكم أو مفعول لفعل محذوف أي: ائتوا وافعلوا خيراً لأنفسكم واقصدوا ما هو أنفع لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر وبيان لكون الأمور المذكورة خيراً لأنفسهم من الأموال والأولاد وما هم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا ﴿**ومن يوق شح نفسه**﴾ أي: ومن يقه الله ويعصمه من بخل نفسه الذي هي الرذيلة المعجونة في طينة النفس وقد سبق بيانه في سورة الحشر وبالفارسية وهركه نكاه داشت ازبخل نفس خود يعني حق خدا يرا إمساك نكند ودر راه وي بذل مي نمايد.

وهو مجهول مجزوم الآخر بمن الشرطية من الوقاية المتعدية إلى المفعولين وشح مفعول ثان له باق على النصب والأول ضمير من القائم مقام الفاعل ﴿**فأولئك هم المفلحون**﴾ الفائزون بكل مرام وفي الحديث «كفى بالمرء من الشح أن يقول آخذ حقي لا أترك منه شيئاً» وفي حديث الأصمعي أتى أعرابي قوماً فقال لهم: هذا في الحق أو فيما هو خير منه قالوا: وما خير من الحق قال: التفضل والتغافل أفضل من أخذ الحق كله كذا في «المقاصد الحسنة».

روي: عن النبي عليه السلام أنه كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي قال عليه السلام: «وما ذنبك صفه لي قال: هو أعظم من أن أصفه لك قال: ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون قال: بل ذنبي يا رسول الله، قال: ويحك ذنبك أعظم أم الجبال، قال: بل ذنبي يا رسول الله، قال: فذنبك أعظم أم السماوات، قال: بل ذنبي، قال: فذنبك أعظم أم العرش، قال: بل ذنبي أعظم، قال: فذنبك أعظم أم الله، قال: بل الله أعظم وأعلى، قال: ويحك صف لي ذنبك، قال: يا رسول الله إني ذو ثروة من المال وإن السائل ليأتيني ليسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من النار، فقال عليه السلام: عني يعني دورشو ازمن».

لا تحرقني بنارك فو الذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم بكيت ألفي عام حتى تجري من دموعك الأنهار وتسقي بها الأشجار ثم مت وأنت لئيم لكبك الله في النار أما علمت أن البخل كفر وأن الكفار في النار ويحك أما علمت أن الله يقول ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [محمد: ٣٨] ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

فرومانـد كاترا درون شادكن زروز فرو مادنكي يادكن
نه خواهنده بر در ديكران بشكرانه خواهند ازدر مران

وفي الآية إشارة إلى أن الإنفاق على الغير علماً أو مالاً إنفاق على نفسك بالحقيقة والناس كنفس واحدة لانتفاء الغيرية في الأحدية وإن من وفق لإنفاق الوجود المجازي في الله فاز بالموجود الحقيقي من الله تعالى.

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

﴿إن تقرضوا الله﴾ بصرف أموالكم إلى المصارف التي عينها وبالفارسية اكر فرض دهيد خدا يرا يعني صرف كنيد در آنچه فرمايد.

وذكر القرض تلطف في الاستدعاء كما في «الكشاف»، قال في «اللباب»: القرض القطع ومنه المقراض لما يقطع به وانقرض القوم إذا هلكوا وانقطع أثرهم وقيل للقرض قرض لأنه قطع شيء من المال هذا أصل الاشتقاق ثم اختلفوا فيه فقيل: اسم لكل ما يلتمس الجزاء عليه وقيل: أن يعطي أحداً شيئاً ليرجع إليه ثم قيل: لفظ القرض هنا حقيقة على المعنيين وقيل: مجاز على الثاني لأن الراجع ليس مثله بل بدله وإليه يميل ما في «الكشاف» في سورة البقرة إقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب ثوابه لعله الوجه فيكون بقرض استعارة تصريحية تبعية وقوله: **﴿قرضاً حسناً﴾** تصريحية أصلية أي: مقروناً بالإخلاص وطيب النفس قال سهل رضي الله عنه: القرض الحسن المشاهدة بقلوبكم لله في أعمالكم كما قال: أن تعبد الله كأنك تراه وقرضاً إن كان بمعنى إقراضاً كان نصبه على المصدرية وإن كان بمعنى مقرضاً من النفقة كان مفعولاً ثانياً لتقرضوا لأن الإقراض يتعدى إلى مفعولين ففي التعبير عن الإنفاق بالإقراض وجعله متعلقاً بالله الغني مطلقاً والتعبير عن النفقة بالقرض إشارة إلى حسن قبول الله ورضاه وإلى عدم الضياع وبشارة باستحقاق المنفق ببركة إنفاقه لتمام الاستحقاق **﴿يضاعفه لكم﴾** من المضاعفة بمعنى التضعيف أي: التكثير فليس المفاعلة هنا للاشتراك أي: يجعل لكم أجره مضاعفاً ويكتب بالواحد عشرة وسبعين وسبعمائة وأكثر بمقتضى مشيئته على حسب النيات والأوقات والمحال **﴿ويغفر لكم﴾** ببركة الإنفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب **﴿والله شكور﴾** يعطي الكثير بمقابلة اليسير من الطاعة أو يجازي العبد على الشكر وهو الاعتراف بالنعمة على سبيل الخضوع فسمي جزاء الشكر شكراً أو الله شكور بمعنى أنه كثير الثناء على عبده بذكر أفعاله الحسنة وطاعته فالشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه وهذا المعنى مختار الإمام القشيري رحمه الله والشكور مبالغة الشاكر والشاكر من له الشكر سئل بعضهم من أشكر الشاكرين فقال: الطاهر من الذنوب يعد نفسه من المذنبين والمجتهد في النوافل بعد أداء الفرائض يعد نفسه من المقصرين والراضي بالقليل من الدنيا يعد نفسه من الراغبين والقاطع بذكر الله دهره يعد نفسه من الغافلين والراغب في العمل يعد نفسه من المفلسين فهذا أشكر الشاكرين ومن أدب من عرف أنه تعالى شكور أن يجد في شكره ولا يفتر ويواظب على حمده ولا يقصر والشكر على أقسام شكر بالبدل وهو أن لا تستعمل جوارحك في غير طاعته وشكر بالقلب وهو أن لا تشغل قلبك بغير ذكره ومعرفته وشكر باللسان وهو أن لا تستعمله في غير ثنائه ومدحته وشكر بالمال وهو أن لا تنفقه في غير رضاه ومحبته.

نفس مي نيارم زد از شكر دوست ... كه شكري نه دانم كه درخورد اوست
عطاييست هر موي از وبر تنم ... چكونه بهر موي شكري كنم

وأحسن وجوه الشكر لنعم الله أن لا تستعملها في معاصيه بل في طاعته وخاصية اسم الشكور التوسعة ووجود العافية في البدن وغيره بحيث لو كتبه من به ضيق في النفس وتعب في

البدن وإعياء أشد الإعياء وثقل في الجسم وتمسح به وشرب منه برىء بإذن الله تعالى وإن تمسح به ضعيف البصر على عينيه وجد بركة ذلك ويكتب إحدى وأربعين مرة ﴿**حليم**﴾ لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم بالبخل والإمساك ونحوهما فيحلم حتى يظن الجاهل أنه ليس يعلم ويستر حتى يتوهم الغافل أنه ليس يبصر، قال الإمام الغزالي رحمه الله: الحليم هو الذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الأمر ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظه ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٦١].

«حكي» أن إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السماوات والأرض رأى عاصياً في معصيته فقال: اللهم أهلكه فأهلكه الله ثم رأى آخر فدعا عليه فأهلكه الله ثم رأى آخر فدعا عليه فأهلكه الله ثم رأى رابعاً فدعا عليه فأوحى الله إليه أن قف يا إبراهيم فلو أهلكنا كل عاص رأيناه لم يبق أحد من الخلق ولكنا بحلمنا لا نعذبهم بل نمهلهم فإما أن يتوبوا وإما أن يصروا فلا يفوتنا شيء قيل: الحلم حجاب الآفات وقيل: الحلم ملح الأخلاق.

وشتم الشعبي رجل فقال: إن كنت كاذباً غفر الله لك وإن كنت صادقاً غفر الله لي وكان الأحنف يضرب به المثل في الحلم وهو يقول إني صبور ولست بحليم والفرق بين الحليم والصبور أن المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصبور كما يأمنها في صفة الحليم يعني: أن الصبور يشعر بأنه يعاقب في الآخرة بخلاف الحليم كما في «المفاتيح» والتخلق بالاسم الحليم إنما هو بأن يصفح عن جنايات الناس ويسامح لهم فيما يعاملونه به من السيئات بل يجازيهم بالإحسان تحقيقاً للحلم والغفران وفي «الأربعين الإدريسية» يا حليم ذا الأناة فلا يعادله شيء من خلقه قال السهروردي رحمه الله: من ذكره كان مقبول القول وافر الحرمة قوي الجأش بحيث لا يقدر عليه سبع ولا غيره والأناة على وزن القناة هو التثبت والوقار ﴿**عالم الغيب والشهادة**﴾ خبر بعد خبر أي: لا يخفى عليه خافية.

«وقال الكاشفي»: ميداند آنچه ظاهر ميكنند از تصدق وانچه پنهان ميدارند دردلها ازريا واخلاص.

وقد سبق الكلام عليه في أواخر سورة الحشر ولعل تقديم الغيب لأن عالم الغيب أعم والعلم به أتم ﴿**العزيز الحكيم**﴾ البالغ في القدرة والحكمة.

«وقال الكاشفي»: غالبست انتقام تواند كشيد از كسى كه صدقهٔ أو خالص نبود حكم كننده بكرامت آنهاراكه ازروى صدق تصدق نمايند.

والحكم سابق فالعبرة به لا بالصورة ولذا رد بلعم بن باعور وقبل كلب أصحاب الكهف قال أبو علي الدقاق قدس سره: لما صرفوا ذلك الكلب ولم ينصرف أنطقه الله تعالى فقال: لِمَ تصرفونني إن كان لكم إرادة فلي أيضاً إرادة وإن كان خلقكم فقد خلقني أيضاً فازدادوا بكلامه يقيناً ولما سمعوا كلامه اتفقوا على استصحابه معهم إلا أنهم قالوا يستدل علينا بآثار قدمه فالحيلة أن نحمله بالحيلة فحمله الأولياء على أعناقهم وهم يمشون لما أدركه من العناية الأزلية وكذا لم يكن في الملائكة أكبر قدراً ولا أجل خطراً من إبليس إلا أن الحكم الأزلي بشقاوته كان خفياً عن العباد فلما ظهر فيه الحكم الأزلي لعنه من عرفه ومن لم يعرفه.

كليد قدر نيست دردست كس   تواناي مطلق خدايست وبس

ززنبور كرد اين حلاوت بديد همانكس كه در مار زهر آفريد
خدايا بغفلت شكستيم عهد چه زور آورد باقضا دست جهد
چه بر خيزد از دست تدبيرما همين نكته بس عذر تقصير ما
همه هرچه كردم توبرهم زدي چه قوت كندبا خداي خودي
نه من سرز حكمت بدرمي روم كه حكمت چنين مي رود بر سرم

وقال الحافظ الشيرازي رحمه الله:

نقش مستوري ومستي نه بدست من وتست آنچه سلطان ازل كفت بكن آن كردم

(وقال أيضاً):

درين چمن نكنم سرزنش بخود رويى چنانكه پرورشم ميد هندمي رويم

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا في شبابيك رأسه مكتوب خمس آيات من سورة التغابن» يعني نيست هيج مولودي كه مولودمي شود مكركه در مشبكهاهي شرش مكتوبست پنج آيت از سورهٔ تغابن.

والشبابيك جمع شباك بالضم كزنار مثل خفافيش وخفاش أو جمع شباكة بمعنى المشبك وهو ما تداخل بعضه في بعض وفي الحديث «من قرأ سورة التغابن رفع عنه موت الفجاءة» وهي بالمدمع ضم الفاء وبالقصر مع فتح الفاء البغتة دون تقدم مرض ولا سبب.

تمت سورة التغابن بالتيسير من الله والتعاون في تاسع شهر ربيع الآخر من شهور سنة ست عشرة ومائة وألف

٦٥ ـ سورة الطلاق

اثنتا عشرة آية مدنية وتسمى سورة النساء القصرى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾.

﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ التطليق طلاق دادن يعني: عقدة نكاح راحل كردن وكشادن. قال في «المفردات»: أصل الطلاق التخلية من وثاق ويقال: أطلقت البعير من عقاله وطلقته وهو طالق وطلق بلا قيد ومنه استعير طلقت المرأة إذا خليتها فهي طالق أي مخلاة عن حبالة النكاح انتهى. والطلاق اسم بمعنى التطليق كالسلام والكلام بمعنى التسليم والتكليم وفي ذلك قالوا: المستعمل في المرأة لفظ التطليق وفي غيرها لفظ الإطلاق حتى لو قال: أطلقتك لم يقع الطلاق ما لم ينو ولو قال طلقتك وقع نوى أو لم ينو والمعنى إذا أردتم تطليق النساء المدخول بهن المعتدات بالأقراء وعزمتم عليه بقرينة فطلقوهن فإن الشيء لا يترتب على نفسه ولا يؤمر أحد بتحصيل الحاصل ففيه تنزيل المشارف للشيء منزلة الشارع فيه والأظهر أنه من ذكر السبب وإرادة المسبب وتخصيص النداء به عليه السلام مع عموم الخطاب لأمته أيضاً لتحقيق أنه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب بطريق استتباعه عليه السلام إياهم وتغليبه عليهم ففيه تغليب المخاطب على الغائب والمعنى إذا طلقت أنت وأمتك وفي «الكشاف» خص النبي بالنداء وعم بالخطاب لأن النبي إمام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت إظهاراً لتقدمه واعتباراً لترؤسه وأنه لسان قومه فكأنه هو وحده في حكم كلهم لصدورهم عن رأيه كما قال البقلي: إذا خاطب السيد بأن شرفه على الجمهور إذ جمع الجميع في اسمه ففيه إشارة إلى سر الاتحاد وفي «كشف السرار» فيه أربعة أقوال أحدها أنه خطاب للرسول وذكر بلفظ الجمع تعظيماً له كما يخاطب الملوك بلفظ الجمع والثاني: أنه خطاب له والمراد أمته والثالث: أن التقدير يا أيها النبي والمؤمنون إذا طلقتم فحذف لأن الحكم يدل عليه والرابع: معناه يا أيها النبي قل للمؤمنين إذا طلقتم انتهى.

يقول الفقير: هذا الأخير أنسب بالمقام فيكون مثل قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب: ٢٨] ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣٠] ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [النور: ٣١] ولأن النبي عليه السلام وإن كان أصيلاً في المأمورات كما أن أمته أصيل في المنهيات إلا أن الطلاق لما كان أبغض المباحات إلى الله تعالى كما سيجيء كان الأولى أن يسند التطليق إلى أمته دونه عليه السلام مع

أنه عليه السلام قد صدر منه التطليق فإنه طلق حفصة بنت عمر رضي الله عنهما واحدة فلما نزلت الآية راجعها وكانت علامة كثيرة الحديث قريباً منزلتها من منزلة عائشة رضي الله عنها فقيل له عليه السلام «راجعها فإنها صوامة قوامة وإنها من نسائك في الجنة» حكاه الطبري وفي الحديث بيان فضل العلم وحفظ الحديث ومحبة الله الصيام والقيام وكرامة أهلهما عنده تعالى.

وآورده اندكه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما زن خودرا درحال حيض طلاق داد حضرت رسالت فرمود تارجوع كندو آنكاه كه از حيض پاك شود اكرخواهد طلاق دهدو درين باب آيت آمد.

والقول الأول: هو الأمثل والأصح فيه أنه بيان لشرع مبتدأ كما في «حواشي سعدي المفتي» ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ العدة مصدر عده يعده وسئل رسول الله عليه السلام، متى تكون القيامة، قال: «إذا تكاملت العدتان أي عدة أهل الجنة وعدة أهل النار» أي: عددهم وسمي الزمان الذي تتربص فيه المرأة عقيب الطلاق أو الموت عدة لأنها تعد الأيام المضروبة عليها وتنتظر أوان الفرج الموعود لها كما في «الاختيار»، المعنى فطلقوهن مستقبلات لعدتهن متوجهات إليها وهي الحيض عند الحنفية فاللام متعلقة بمحذوف دل عليه معنى الكلام والمرأة إذا طلقت في طهر يعقب القرء الأول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد أن يطلقن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا أحسن الطلاق وأدخله في السنة وأبعده من الندم لأنه ربما ندم في إرسال الثلاث دفعة فالطلاق السني: هو أن يكون في طهر لم يجامعها فيه وأن يفرق الثلاث في الأطهار الثلاثة وأن يطلقها حاملاً فإنها إذا على طهر ممتد فتطليقها حلال وعلى وجه السنة والبدعي على وجوه أيضاً منها: أن يكون في طهر جامع فيه لما فيه من تطويل العدة أيضاً على قول من يجعل العدة بالأطهار وهو الشافعي حيث أن بقية الطهر لا تحتسب من العدة ومنها: ما كان في الحيض أو النفاس لما فيه من تطويل العدة أيضاً على قول من يجعل العدة بالحيض وهو أبو حنيفة رحمه الله لأن بقية الحيض لا تحتسب إلا أن تكون غير مدخول بها فإنه لا بدعة في طلاقها في حال الحيض إذ ليس عليها عدة أو تكون مما لا يلزمها العدة بالأقراء فإن طلاقها لا يتقيد بزمان دون زمان ومنها: ما كان بجمع الثلاث أي: أن يطلقها ثلاثاً دفعة أو في طهر واحد متفرقة ويقع الطلاق المخالف للسنة في قول عامة الفقهاء وهو مسيء بل آثم ولذا كان عمر رضي الله عنه لا يؤتى برجل طلق امرأته ثلاثاً إلا أوجعه ضرباً وطلق رجل امرأته ثلاثاً بين يديه عليه السلام فقال: «أتلعبون بكتاب الله وأنا بين أظهركم» أي مقيم بينكم وفيه إشارة إلى أن ترك الأدب في حضور الأكابر أفحش ينبغي أن يصفع صاحبه أشد الصفع وقال الشافعي: اللام في لعدتهن متعلقة بطلقوهن لأنها للتوقيت بمعنى عند أو في فيكون المعنى في الوقت الذي يصلح لعدتهن وهو الطهر قال أبو حنيفة رحمه الله: الطلاق في الحيض ممنوع بالإجماع فلا يمكن جعلها للتوقيت فإن قلت قوله ﴿إذا طلقتم النساء﴾ عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الأقراء واليائسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الأقراء المدخول بهن قلت لا عموم ثمة ولا خصوص ولكن الأنساء اسم جنس للإناث من الإنس وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي بعضهن فجاز أن يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ علم أنه أطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض فإن قلت الطلاق موقوف على النكاح سابقاً أو لاحقاً والنكاح

موقوف على الرضى من المنكوحة أو من وليها فيلزم أن يكون الطلاق موقوفاً على الرضى بالنكاح وهو واقع غير باطل لا موقوفاً على الرضى نفسه الذي هو الباطل الغير الواقع فتكفر.

واعلم أن النكاح والطلاق أمران شرعيان من الأمور الشرعية العادية لهما حسن موقع وقبح موقع بحسب الأحوال والأوقات وقد طلق عليه السلام حفصة رضي الله عنها تطليقة واحدة رجعية كما سبق وكذا تزوج سودة بنت زمعة بمكة بعد موت خديجة رضي الله عنها وقبل العقد على عائشة رضي الله عنها ثم طلقها بالمدينة حين دخل عليها وهي تبكي على من قتل من أقاربها يوم بدر فاستشفعت إلى النبي عليه السلام ووهبت يومها لعائشة فراجعها فإن قلت: كيف فعل رسول الله ذلك وقد قال: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق» وقال عليه السلام: «يا معاذ ما خلق الله شيئاً على وجه الأرض أحب إليه من العتاق ولا خلق الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق» وذلك لأن النكاح يؤدي إلى الوصال والطلاق يؤدي إلى الفراق والله يحب الوصال ويبغض الفراق لا شمس ليوم الفراق ولا نهار لليلة القطيعة.

رابعة عدوية كفته كه كفر طعم فراق دارد وإيمان لذت وصال.

وقس عليه الإنكار والإقرار.

وآن طعم واين لذت فرداي قيامت بديد آيدكه دران صحراي هيبت وعرصة سياست قومي راكويند فراق لا وصال وقومي راكويند وصال لا نهاية له.

سوختكان فراق همي كويند ... فراق أوززماني هزار روز آرد
بلاي اوزشبي هم هزار سال كند ... افرو ختكان وصال همي كويند
سرا پردة وصلت كشيد روزنواخت ... بطبل رحلت برزد فراق يار دوال

وفي الحديث «تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش» وعنه عليه السلام «لا تطلقوا النساء إلا من ريبة فإن الله لا يحب الذواقين والذواقات» وعنه عليه السلام «أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة» قلت: يحتمل أن يكون في ذلك حكمة لا نطلع عليها بعد أن علمنا أنه عليه السلام نبي حق لا يصدر منه ما هو خلاف الحق وقد دل الحديث الآخر أن النهي إنما يكون عما لا وجه فيه وأن يكون لإظهار جواز الطلاق والرجعة منه كما وجهوا بذلك ما وقع من غلبة النوم عليه وعلى أصحابه ليلة التعريس إلى أن طلعت الشمس وارتفعت بمقدار فإن بذلك علم شرعية القضاء وأن يصلي بالجماعة وأن يصدر منه عليه السلام الأحاديث المذكورة بعد ما وقع قضية حفصة وسودة رضي الله عنهما وأن يكون من قبيل ترك الأولى وقد جوزوا ذلك للأنبياء عليهم السلام فإن قلت لعل ما فعله أولى من وجه وإن كان ما أمر الله به أولى من وجه آخر قلت لا شك أن ما أمر الله به كان أرجح وترك الأرجح ترك الأولى هذا ولعل أرجحية المراجعة في وقت لا تقتضي أرجحية ترك الطلاق على فعله في وقت آخر لأن في كل وقت احتمال أرجحية أمر والله أعلم.

يقول الفقير أمده الله القدير: إن النبي عليه السلام كان قد حبب إليه النساء لما يحب في النكاح من ذوق القربة والوصلة فالنكاح إشارة إلى مقام الجمع الذي هو مقام الولاية كما دل عليه قوله عليه السلام: «أرحني يا بلال» والطلاق إشارة إلى مقام الفرق الذي هو مقام النبوة كما دل قوله عليه السلام: «كلميني يا حميراء» فالأول وصل الفصل والثاني فصل الوصل وإن كان عليه السلام قد جمع بين الفصل والوصل، والفرق والجمع في مقام واحد وهو جمع

الجمع كما دل عليه قوله تعالى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ [الانشراح: ١] ﴿وأحصوا العدة﴾ الإحصاء دانستن وشمردن بر سبيل استقصاء.

أي: وأضبطوها بحفظ الوقت الذي وقع فيه الطلاق وأكملوها ثلاثة أقراء كوامل لا نقصان فيهن أي: ثلاث حيض كما عند الحنفية لأن الغرض من العدة استبراء الرحم وكماله بالحيض الثلاث لا بالأطهار كما يغسل الشيء ثلاث مرات لكمال الطهارة والمخاطب بالإحصاء هم الأزواج لا الزوجات ولا المسلمون وإلا يلزم تفكيك الضمائر ولكن الزوجات داخلة فيه بالإلحاق وقال أبو الليث: أمر الرجال بحفظ العدة لأن في النساء غفلة فربما لا تحفظ عدتها وإليه مال الكاشفي، حيث قال: وشمار كنيد اي مردان عدت زنانراكه ايشان ازضبط عاجزند يا ازاحصاي آن غافل.

فالزوج يحصي ليتمكن من تفريق الطلاق على الأقراء إذا أراد أن يطلق ثلاثاً، فإن إرسال الثلاث في طهر واحد مكروه عند أبي حنيفة وأصحابه وإن كان لا بأس به عند الشافعي وأتباعه حيث قال: لا أعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح وليعلم بقاء زمان الرجعة، ليراجع إن حدثت له الرغبة فيها وليعلم زمان وجوب الإنفاق عليه وانقضائه وليعلم أنها هل تستحق عليه يسكنها في البيت أو له أن يخرجها وليتمكن من إلحاق نسب ولدها به وقطعه عنه قالوا وعلى الرجال في بعض المواضع العدة: منها أنه إذا كان للرجل أربع نسوة فطلق إحداهن لا يحل له أن يتزوج بامرأة أخرى ما لم تنقض عدتها ومنها أنه إذا كان له امرأة ولها أخت فطلق امرأته لا يحل له أن يتزوج أختها ما دامت في العدة، ومنها أنه إذا اشترى جارية لا يحل له أن يقربها ما لم يستبرئها بحيضة، ومنها أنه إن تزوج حربية لا يحل له أن يقربها ما لم يستبرئها بحيضة، ومنها أنه إذا بلغ المرأة وفاة زوجها فاعتدت وتزوجت وولدت ثم جاء زوجها الأول فهي امرأته لأنها كانت منكوحته ولم يعترض شيء من أسباب الرقة فبقيت على النكاح السابق ولكن لا يقربها حتى تنقضي عدتها من النكاح الثاني ووجوب العدة لا يتوقف على صحة النكاح إذا وقع الدخول بل تجب العدة في صورة النكاح الفاسد أيضاً على تقدير الدخول، ومنها: أنه إذا تزوج حربية مهاجرة إلى دارنا بأمان وتركت زوجها في دار الحرب فلا تحل له ما لم يستبرئها بحيضة عند الإمامين وقال أبو حنيفة: لا يجب عليه العدة، ومنها أنه إذا تزوج امرأة حاملاً لا يحل له أن يطأها حتى تضع الحمل، ومنها أنه إذا تزوج بامرأة وهي حائض لا يحل له أن يقربها حتى تتطهر من حيضها ومنها أنه إذا تزوج بامرأة نفساء لا يحل له أن يقربها حتى تتطهر من نفاسها ومنها أنه إذا زنى بمرأة ثم تزوجها لا يحل له أن يقربها ما لم يستبرئها بحيضة ﴿واتقوا الله ربكم﴾ في تطويل العدة عليهم والإضرار بهن بإيقاع طلاق ثان بعد الرجعة فالأمر بالتقوى متعلق بما قبله وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم تأكيد للأمر ومبالغة في إيجاب الاتقاء والتقوى في الأصل اتخاذ الوقاية وهي ما يقي الإنسان مما يكرهه ويؤمل أن يحفظه ويحول بينه وبين ذلك المكروه كالترس ونحوه ثم استعير في الشرع لاتخاذ ما يقي العبد بوعد الله ولطفه من قهره ويكون سبباً لنجاته من المضار الدائمة وحياته بالمنافع القائمة وللتقوى فضائل كثيرة ومن اتقى الله حق تقواه في جميع المراتب كوشف بحقائق البيان فلا يقع له في الأشياء شك ولا ريب ﴿لا تخرجوهن﴾بيرون مكنيد زنان مطلقه ﴿من بيوتهن﴾من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة أي: لا تخرجوهن من مساكنكم عند الفراق إلى أن تنقضي عدتهن وإنما أضيفت

إليهن مع أنها لأزواجهن لتأكيد النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كأنها أملاكهن وفي ذكر البيوت دون الدار إشارة إلى أن اللازم على الزوج في سكناهن ما تحصل المعيشة فيه لأن الدار ما يشتمل البيوت ﴿**ولا يخرجن**﴾ ولو بإذن منكم فإن الإذن بالخروج في حكم الإخراج ولا أثر عندنا لاتفاقهما على الانتقال لأن وجوب ملازمة مسكن الفراق حق الشرع ولا يسقط بإسقاط العبد كما قال في «الكشاف» فإن قلت: ما معنى الإخراج وخروجهن قلت: معنى الإخراج أي: لا يخرجهن البعولة غضباً عليهن وكراهة لمساكنتهن أو لحاجة لهم إلى المساكن وأن لا يأذنوا لهن في الخروج إذا طلبن ذلك إيذاناً بأن إذنهم لاأثر له في دفع الحظر ولا يخرجن بأنفسهن إن أردن ذلك انتهى. فإن خرجت المعتدة لغير ضرورة أو حاجة أثمت فإن وقعت ضرورة بأن خافت هدماً أو حرقاً لها أن تخرج إلى منزل آخر وكذلك إن كانت لها حاجة من بيع غزل أو شراء قطن فيجوز لها الخروج نهاراً لا ليلاً كما في «كشف الأسرار» ﴿**إلا أن يأتين بفاحشة مبينة**﴾ أي: الزنا فيخرجن لإقامة الحد عليهن ثم يعدن وبالفارسية مكر بيارند كردار ناخوش كه روشن كننده حال زنان بود دربد كرداري.

وقال بعضهم: مبينة هنا بالكسر لازم بمعنى بين متبينة كمبين من الإبانة بمعنى بين والفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال وهو الزنا في هذا المقام وقيل: البذآء بالمد وهو القول القبيح وإطالة اللسان فإنه في حكم النشور في إسقاط حقهن فالمعنى إلا أن يبذون على الأزواج وأقاربهم كالأب والأخ فيحل حينئذٍ إخراجهن وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو كل معصية وهو استثناء من الأول أي: لا تخرجوهن في حال من الأحوال إلا حال كونهن آتيات بفاحشة أو من الثاني للمبالغة في النهي عن الخروج ببيان أن خروجها فاحشة أي: لا يخرجن إلا إذا ارتكبن الفاحشة بالخروج يعني: أن من خرجت أتت بفاحشة كما يقال لا تكذب إلا أن تكون فاسقاً يعني: أن تكذب تكن فاسقاً ﴿**وتلك**﴾ الأحكام ﴿**حدود الله**﴾ التي عينها عباده والحد الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر ﴿**ومن يتعد**﴾ أصله يتعدى فحذفت اللام بمن الشرطية وهو من التعدي المتعدي بمعنى التجاوز أي ومن يتجاوز ﴿**حدود الله**﴾ حدوده المذكورُة بأن أخل بشيء منها على أن الإظهار في حين الإضمار لتهويل أمر التعدي والإشعار بعلية الحكم في قوله تعالى: ﴿**فقد ظلم نفسه**﴾ أي أضرَّ بها قال البقلي قدس سره: إن الله حد الحدود بأوامره ونواهيه لنجاة سلاكها فإذا تجاوزوا عن حدوده يسقطون عن طريق الحق ويضلون في ظلمات البعد وهذا أعظم الظلم على النفوس إذ منعوها من وصولها إلى الدرجات والقربى قال بعضهم: التهاون بالأمر من قلة المعرفة بالآمر فلا بد من الخوف أو الرجاء أو الحياة أو العصمة في علم الله فهي أسباب أربعة لا خامس لها حافظة من الوقوع فيما لا ينبغي فمن ليس له واحد من هذه الأسباب وقد وقع في المعصية وظلم النفس فالكامل يعطي نفسه حقها ظاهراً وباطناً ولا يظلمها.

«حكي» أن معروف الكرخي قدس سره رأى جارية من الحور العين قال: لمن أنت يا جارية، فقالت: لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان، وكان قد برد له كوز ماء، ليشربه فتناولت الحوراء الكوز، فضربت به الأرض فكسرته، قال السري السقطي رحمه الله: ولقد رأيت قطعه في الأرض لم ترفع حتى عفا عليها التراب، فكانت الحوراء لمعروف حين امتنع من شرب الماء المبرد وكانت جزاء له في إعطائه نفسه حقها فإن في جسده من يطلب ضد

الجارية ونحوها فلا بد من إعطاء كل ذي حق حقه ﴿لا تدري﴾ تعليل لمضمون الشرطية أي: فإنك أيها المتعدي لا تدري عاقبة الأمر وقال بعضهم: لا تدري نفس ﴿لعل الله﴾ شايد خداي تعالى ﴿يحدث﴾ يوجد في قلبك فإن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء والحدوث كون الشيء بعد أن لم يكن عرضاً كان ذلك أو جوهر أو إحداثه إيجاده ﴿بعد ذلك﴾ الذي فعلت من التعدي ﴿أمراً﴾ يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالإعراض عنها إقبالاً إليها ولا يتسنى تلافيه برجعة أو استئناف نكاح فالأمر الذي يحدثه الله تعالى أن يقلب قلبه عما فعله بالتعدي إلى خلافه فالظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه أو عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والأخروي ويخص التعليل بالدنيوي ليكون احتراز الناس منه أشد واهتمامهم بدفعه أقوى وفي الآية دلالة على كراهة التطليق ثلاثاً بمرة واحدة لأن إحداث الرجعة لا يكون بعد الثلاث ففي الثلاث عون للشيطان وفي تركها رغم له فإن الطلاق من أهم مقاصده كما روى مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول إن عرش إبليس على البحر فيبعث سراياه آي جنوده وأعوانه من الشياطين فيفتنون الناس فأعظمهم عنده الأعظم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئاً ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه ويقول نعم أنت أي نعم المضل أو الشرير أنت فيكون نعم بكسر النون فعل مدح حذف المخصوص به أو نعم أنت ذاك الذي يستحق الإكرام فيكون بفتح النون حرف إيجاب.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾

﴿فإذا بلغن﴾ پس چون برسدزنان ﴿أجلهن﴾ أي: شارفن آخر عدتهن وهي مضي ثلاث حيض ولو لم تغتسل من الحيضة الثالثة وذلك لأنه لا يمكن الرجعة بعد بلوغهن آخر العدة فحمل البلوغ على المشارفة كما قال في «المفردات»: البلوغ والبلاغ الانتهاء إلى أقصى القصد والمبتغى مكاناً كان أو زماناً أو أمراً من الأمور المقدرة، وربما يعبر به عن المشارفة عليه وإن لم ينته إليه مثل ﴿فإذا بلغن﴾ إلخ فإنه للمشارفة فإنها إذا انتهت إلى أقصى الأجل لا يصح للزوج مراجعتها وإمساكها والأجل المدة المضروبة للشيء ﴿فأمسكوهن﴾ أي: فأنتم بالخيار فإن شئتم فراجعوهن والرجعة عند أبي حنيفة تحصل بالقول وكذا بالوطء واللمس والنظر إلى الفرج بشهودة فيهما ﴿بمعروف﴾ بحسن معاشرة واتفاق لائق وفي الحديث «أكمل المؤمنين أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله» ﴿أو فارقوهن﴾ ياجدا شويد از ايشان وبكذاريد ﴿بمعروف﴾ بإيفاء الحق واتقاء الضرار بأن يراجعها ثم يطلقها تطويلاً للعدة ﴿وأشهدوا﴾ كواه كيريد.

أي: عند الرجعة والفرقة قطعاً للتنازع إذ قد تنكر المرأة بعد انقضاء العدة رجعته فيها وربما يموت أحدهما بعد الفرقة فيدعي الباقي منهما ثبوت الزوجية لأخذ الميراث وهذا أمر ندب لا وجوب ﴿ذوي عدل﴾ تثنية ذا منصوب ذو بمعنى الصاحب أي أشهدوا اثنين ﴿منكم﴾ أي من المسلمين كما قال الحسن: أو من أحراركم، كما قاله قتادة يكونون عادلين لا ظالمين ولا فاسقين، والعدالة هي الاجتناب عن الكبائر كلها، وعدم الإصرار على الصغائر، وغلبة الحسنات على السيئات، والإلمام من غير إصرار لا يقدح في العدالة إذ لا يوجد من البشر،

من هو معصوم سوى الأنبياء عليهم السلام كذا في الفروع. ﴿**وأقيموا الشهادة**﴾ أيها الشهود عند الحاجة خالصة ﴿**لله**﴾ تعالى وذلك أن يقيموها للمشهود له وعليه لا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحق ودفع الظلم فلو شهد لغرض لا لله بريء بها من وبال كتم الشهادة لكن لا يثاب عليها لأن الأعمال بالنيات والحاصل أن الشهادة أمانة فلا بد من تأدية الأمانة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] فلو كتمها فقد خان والخيانة من الكبائر دل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣] ﴿**ذلكم**﴾ إشارة إلى الحث على الشهادة والإقامة أو على جميع ما في الآية من إيقاع الطلاق على وجه السنة وإحصاء العدة والكف عن الإخراج والخروج والإشهاد وإقامة الشهادة بأدائها على وجهها من غير تبديل وتغيير ﴿**يوعظ به**﴾ الوعظ زجر يقترن بتخويف ﴿**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر**﴾ إذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره ولم يقل ﴿ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ [المجادلة: ٣] كما في سورة المجادلة لتهييج المؤمنين على الغيرة فإن من لا غيرة له لا دين له ومن مقتضى الإيمان بالله مراعاة حقوق المعبودية والربوبية وباليوم الآخر الخوف من الحساب والعذاب والرجاء للفضل والثواب فالمؤمن بهما يستحي من الخالق والخلق فلا يترك العمل بما وعظ به ودلت الآية على أن للإنسان يومين اليوم الأول هو يوم الدنيا واليوم الآخر هو يوم الآخرة واليوم عرفاً زمان طلوع الشمس إلى غروبها وشرعاً زمان طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس وهذان المعنيان ليسا بمرادين هنا وهو ظاهر فيكون المراد مطلق الزمان ليلاً كان أو نهاراً طويلاً كان أو قصيراً وذلك الزمان إما محدود وهو زمان الدنيا المراد باليوم الأول أو غير محدود وهو زمان الآخرة المراد باليوم الآخر الذي لا آخر له لتأخره عن يوم الدنيا وجوزوا أن يكون المراد من اليوم الآخر ما يكون محدوداً أيضاً من وقت النشور إلى أن يستقر الفريقان مقرهما من الجنة والنار فعلى هذا يمكن أن يكونا مستعارين من اليومين المحدودين بالطلوع والغروب اللذين بينهما زمان نوم ورقدة ويراد بما بين ذينك الزمانين زمان القرار في القبور قبل النشور كما قال تعالى حكاية: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢] وعلى هذا يقال ليوم الآخرة غد كما مر في أواخر سورة الحشر قال بعض الكبار: علمك باليقظة بعد النوم، وعلمك بالبعث بعد الموت، والبرزخ واحد غير أن للبرزخ بالجسم تعلقاً في النوم لا يكون بالموت وكما تستيقظ على ما نمت عليه كذلك تبعث على ما مت عليه فهو أمر مستقر فالعاقل يسعى في اليوم المنقطع ليوم لا ينقطع ويحيا على الإيمان والعمل ليكون موته ونشره عليهما ﴿**ومن يتق الله**﴾ في طلاق البدعة فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الإشهاد وغيره من الأمور ﴿**يجعل له مخرجاً**﴾ مصدر ميمي أي: خروجاً وخلاصاً مما عسى يقع في شأن الأزواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب وبالفارسية بيرون شدن.

وقال بعضهم: هو عام أي: ومن يتق الله في كل ما يأتي وما يذر يجعل له خروجاً من كل ضيق يشوش البال ويكدر الحال وخلاصاً من غموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجاً أولياً وعن النبي عليه السلام أنه قرأها فقال: «مخرجاً من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة» وفي «الجلالين» من الشدة إلى الرخاء ومن الحرام إلى الحلال ومن النار إلى الجنة أو اسم مكان بمعنى يخرجه إلى مكان يستريح فيه وفي «فتح الرحمن» يجعل له مخرجاً إلى الرجعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عمن طلق امرأته ثلاثاً أو

ألفاً هل له من مخرج فقال: لم يتق الله فلم يجعل له مخرجاً، بانت منه بثلاث والزيادة إثم في عنقه ويقال المخرج على وجهين أحدهما: أن يخرجه من تلك الشدة والثاني: أن يكرمه بالرضا والصبر فإنه من قبيل العافية أيضاً كما قال عليه السلام: «واسأل الله العافية من كل بلية»، فالعافية على وجهين: أحدهما: أن يسأله أن يعافيه من كل شيء، فيه شدة فإن الشدة إنما يحل أكثرها من أجل الذنوب، فكأنه سأل أن يعافيه من البلاء ويعفو عنه الذنوب التي من أجلها تخل الشدة بالنفس. والثاني: أنه إذا حل به بلاء أن لا يكله إلى نفسه ولا يخذله وأن يكلأه. ويرعاه وفي هذه المرتبة يصير البلاء ولاء والمحنة منحة والمقت مقة والألم لذة والصبر شكراً ولا يتحقق بها إلا الكمل.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾.

﴿ويرزقه﴾ بعد ذلك الجعل ﴿من حيث لا يحتسب﴾ من ابتدائية متعلقة بيرزقه أي: من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه فيوفي المهر ويؤدي الحقوق ويعطي النفقات قال في «عين المعاني» من حيث لا يرتقب من الخان أو يعتد من الحساب.

از سببها بكذر وتقوى طلب تاخدا روزي رساند بي سبب
حق رجايي بحشدت رزق حلال كه نباشد در كمان ودر خيال

قال عليه السلام: «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها». وعنه عليه السلام، «من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب».

وروي: أن عوف بن مالك الأشجعي رحمه الله أسر المشركون ابنه سالماً فأتى رسول الله فقال: أسر ابني وشكا إليه الفاقة فقال عليه السلام: «اتق الله وأكثر لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ففعل فبينما هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت».

وقال الكاشفي: عوف بازن خود بقول حضرت عليه السلام عمل نمودند ابدك فرصتي راپسر عوف از أهل شرك خلاص يافته وچهار هزار كوسفند ايشانرا رنده بسلامت بمدينة آمد واين آيت نازل شدكه هركه تقوى ورزد روزي حلال يابد.

وفي «عين المعاني» فأفلت ابنه بأربعة آلاف شاة وبالأمتعة وفي «الجلالين» وأصاب إبلاً لهم وغنماً فساقها إلى أبيه.

آورده اندكه درروز كار خلافت عمر رضي الله عنه مردى بيامد وازعمر توليت عمل خواست تادر ديوان خلافت عامل باشد عمر كفت قرآن داني كفت ندانم كه نيا موخته أم عمر كفت ما عمل بكسي ندهيم كه قرآن نداند مردباز كشت وجهدي وربح عظيم برخود نهاد در تعلم قرآن بطمع آنكه عمر اورا عمل دهد چون قرآن بيا موخت وياد كرفت بركات قرآن وخواندن ودانستن اورا بدان جاي رسانيدكه دردل وي نه حرص ولايت ماندنه تقاضاي دبدار عمر پس روزي عمر اورا ديد كفت يا هذا هجرتنا أي جوانمرد چه افتادكه بيكبار كي هجرت ما اختيار كردي كفت يا أمير المؤمنين تونه ازان مردان باشي كه كسي وادارد كه هجرت تواختيار

كند ليكن قرآن بيامو ختم وچنان توانكردل كشتم كه از خلق واز عمل بي نياز شدم عمر كفت آن كدام آيت است كه ترابدين دركاه بي نيازي دركشيد كفت آن آيت كه درسورة الطلاق است ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾. واعلم أن كل واحد من الضيق والرزق يكون دنيوياً وأخروياً جسمانياً وروحانياً وإن أعسر الضيق ما يكون أخروياً وأوفر الرزق ما يكون روحانياً فمن يتق الله حق التقوى يجعل له مخرجاً من مضار الدارين ويرزقه من منافعهما فإن قيل إن أتقى الأتقياء هم الأنبياء والأولياء مع أن أكثرهم ابتلي بالمشقة الشديدة والفاقة المديدة كما قال عليه السلام: «أشد الناس بلاء الأنبياء والأولياء» ثم الأمثل فالأمثل أجيب بأن أشد الشدة وأمد المدة ما يكون أخروياً وهم مأمونون من ذلك بلطف الله وكرمه ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وأما ما أصابهم في الدنيا باختيارهم للأجر الجليل وبغير اختيار للصبر الجميل فله غاية حميدة ومنفعة عظيمة والله عليم حكيم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال بعضهم: شكا إليه عليه السلام، بعض الصحابة الفاقة، فقال عليه السلام: «دم على الطهارة يوسع عليك الرزق فقال: كم من مستديم للطهارة، لا يرتب له كفايته فضلاً عن أن يوسع عليه» ويوجه بأن تخلف الأثر كالتوسيع مثلاً لمانع لا ينافي الاقتضاء أي: اقتضاء العلة لمعلولها وأثرها أما عند القائلين بتخصيص العلة فظاهر وأما عند غيرهم فيجعل عدم المانع جزء العلة ومن المانع الغفلة وغلبة بعض الجنايات وعند غلبة أحد الضدين لا يبقى للآخر تأثير.

يقول الفقير: والذي يقع في قلبي أن أصحاب الطهارة الدائمة مرزوقون بأنواع الرزق المعنوي والغذاء الروحاني من العلوم والمعارف والحكم والحقائق والتضييق لبعضهم في الرزق الصوري والغذاء الجسماني إنما هو لتطبيق الفقر الظاهر بالباطن والفقر الباطن هو الغنى المطلق لقوله عليه السلام اللهم أغنني بالافتقار إليك فأصحاب الطهارة الدائمة مرزوقون أبداً إما ظاهراً وباطناً معاً وإما باطناً فقط على أن لأهلها مراتب من حيث البداية والنهاية ولن ترى من أهل النهاية محروماً من الرزق مطلقاً إلا نادراً والله الغني وفي «التأويلات النجمية» ومن يتق الله أي: يجعل ذاته المطلقة جنة ذاته وصفاته وأفعاله تعالى جنة أفعاله بإضافة الأشياء كلها خلقاً وإيجاداً إلى ذاته وصفاته وأفعاله يجعل له مخرجاً من مضايق ذاته وصفاته وأفعاله إلى وسائع ذاته وصفاته وأفعاله ويرزقه من حيث لا يحتسب من فيض اسمه الوهاب على طريق الوهب لا على طريق الكسب والاجتهاد ﴿ومن يتوكل على الله﴾ التوكل سكون القلب في كل موجود ومفقود وقطع القلب عن كل علاقة والتعلق بالله في جميع الأحوال ﴿فهو﴾ أي الله تعالى ﴿حسبه﴾ بمعنى محسب أي: كاف يعني كافي المتوكل في جميع أموره ومعطيه حتى يقول حسبي فإن قلت إذا كان حكم الله في الرزق لا يتغير فما معنى التوكل قلت معناه أن المتوكل يكون فارغ القلب ساكن الجأش غير كاره لحكم الله فلهذا كان التوكل محموداً قال عليه السلام: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»، ومعناه تذهب أول النهار خماصاً أي: ضامرة البطون من الجوع وترجع آخر النهار بطاناً أي: ممتلئة البطون وليس في الحديث دلالة على القعود على الكسب بل فيه ما يدل على طلب الرزق وهو قوله تغدو تروح وإنما التوكل بعد الحركة في أمر المعاش كتوكل الزارع بعد إلقاء الحب في الأرض وكان السلف يقولون: اتجروا واكتسبوا فإنكم في زمان إذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلاً في جماعة جنازة فقالوا له: اذهب إلى دكانك وفي «المثنوي»:

كـر تـوكـل مـيـكـنـي دركـاركـن كـشـت كـن پس تـكـيـه بـر جـباركـن
رمـز الـكـاسـب حـبـيـب الله شـنـو از تـوكـل درسـبـب كـاهـل مـشـو

وأما الذين قعدوا عن الحركة والكسب وهم الكمل فطريقتهم صعبة لا يسلكها كل ضامر في الدين، ودل الحديث المذكور على أن التوكل الحقيقي أن لا يرجع المتوكل إلى رزق معين وغذاء موظف كالطير، حتى لا ينتقض التوكل، اللهم إلا أن يكون من الكمل فإن المعين وغيره سواء عندهم لتعلق قلوبهم بالله لا بغيره وفي «التأويلات النجمية»: ومن يتوكل في رزق نفسه من الأحكام الشرعية وفي رزق قلبه من الواردات القلبية، وفي رزق روحه من العطايا والمنح الإلهية الروحانية، فالله الاسم الأعظم حسبه من حيث الأسماء الكافية أو التوكل نفسه حسبه فيكون الضمير راجعاً إلى التوكل ﴿إن الله بالغ أمره﴾ بالإضافة أي: منفذ أمره ومتم مراده وممضي قضائه في خلقه فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه إلا من توكل عليه، يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً، وفي «التأويلات النجمية»: إن الله بالغ أمره في كل مأمور بما هو منتهاه وأقصاه وقرىء بتنوين بالغ ونصب أمره أي: يبلغ ما يريد، ولا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب.

كما قال الكاشفي: رساننده است كار خودرا بهر چاخواهد يعني آنچه مراد حق سبحانه باشد از وفوت نشود.

وقرىء بالغ أمره على الفاعلية أي: نافذ أمره وفي «القاموس» أمر الله بلغ أي بالغ نافذ يبلغ أين أريد به ﴿قد جعل الله لكل شيء﴾ من الشدة والرخاء والفقر والغنى والموت والحياة ونحو ذلك ﴿قدراً﴾ أي: تقديراً متعلقاً بنفس ذاته وبزمانه وقومه، وبجميع كيفياته وأوصافه وإنه بالغ ذلك المقدر على حسب ما قدره وبالفارسية اندازه كه ازان درنكذرداو.

مقداراً وحداً معيناً أو وقتاً وأجلاً ونهاية ينتهي إليه لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه ولا يتأتى تغييره يعني بامقداري از زمانكه پيش وپس نيفتد. وفي «التأويلات النجمية»: أي: رتبة وكما لا يليق بذلك الشيء، وقال القاشاني: ومن يتوكل على الله، بقطع النظر عن الوسائط والانقطاع إليه من الوسائل، فهو كافيه يوصل إليه ما قدر له ويسوق إليه ما قسم لأجله من أنصبة الدنيا والآخرة، إن الله يبلغ ما أراد من أمره لا مانع له ولا عائق فمن تيقن ذلك ما خاف أحداً ولا رجا وفوض أمره إليه ونجا قد عين الله لكل أمر حداً معيناً ووقتاً معيناً في الأزل لا يزيد بسعي ساع ولا ينتقص بمنع مانع وتقصير مقصر، ولا يتأخر عن وقته ولا يتقدم عليه، والمتيقن لهذا الشاهد له متوكل بالحقيقة. انتهى.

وفي «المفردات» تقدير الله الأشياء على وجهين: أحدهما: بإعطاء القدرة، والثاني: أن يجعلها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة وذلك أن فعل الله ضربان ضرب أوجده بالفعل ومعنى إيجاده بالفعل أنه أبدعه كاملاً دفعة لا يعتريه الكون والفساد إلى أن يشاء أن يغنيه أو يبدله كالسماوات وما فيها ومنه ما جعل أصوله موجودة بالفعل وأجزائه بالقوة وقدره على وجه لا يتأتى غير ما قدر فيه كتقديره في النواة أن ينبت منها النخل دون التفاح والزيتون وتقدير مني الآدمي أن يكون منه الإنسان دون سائر الحيوان فتقدير الله على وجهين أحدهما بالحكم منه أن يكون كذا ولا يكون كذا إما على سبيل الوجوب، وإما على سبيل الإمكان وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾ والثاني: بإعطاء القدرة عليه. انتهى.

والآية بيان لوجوب التوكل عليه وتفويض الأمر إليه لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق وغيره لا يكون إلا بتقدير الله وتوقيته. لا يبقى إلا التسليم للقدر والتوكل.

قال الكاشفي: بناي اين آيت برتقوى وتوكلست تقوى نفخة بوستان قربست واز رتبة معيت خبر دهدكه إن الله مع الذين اتقوا وتوكل رائحة كلزار كفايتست واز بوي ريحان محبت رسدكه إن الله يحب المتوكلين وبي أين دوصفت قدم در طريق تحقيق نتوان نهاد.

سلوك راه معنى راتوكل بايد وتقوى توكل مركب راهست وتقوى توشة رهرو

قال سهل قدس سره: لا يصح التوكل إلا للمتقين ولا تتم التقوى إلا بالتوكل ولذلك قرن الله بينهما فقال: ﴿ومن يتق الله﴾ إلخ وقال بعضهم: من تحقق في التقوى هون الله على قلبه الإعراض عن الدنيا ويسر له أمره في الإقبال عليه والتزين بخدمته وجعله إماماً لخلقه يقتدي به أهل الإرادة فيحملهم على أوضح السنن، وأوضح المناهج وهو الإعراض عن الدنيا والإقبال على الله تعالى وذلك منزلة المتقين وقال سهل رحمه الله: من يكل أموره إلى ربه فإن الله يكفيه هم الدارين أجمع قال الربيع رحمه الله: إن الله قضى على نفسه أن من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ومن أقرضه جازاه، ومن وثق به أنجاه ومن دعاه أتاه وتصديق ذلك في كتاب الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن يؤمن بالله يهد قلبه من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم أجيب دعوة الداع إذا دعان.

﴿وَالَّـٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّـٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَـٰتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾

﴿واللائي﴾ من الموصولات جمع التي يعني آن زنان كه **﴿يئسن من المحيض من نسائكم﴾** اللاتي دخلتم بهن لكبرهن ويبسهن وقدروه بستين سنة وبخمس وخمسين فلو رأته بعد ذلك لا يكون حيضاً قوله: ﴿يئسن﴾ فعل ماض واليأس القنوط ضد الرجاء يقال: يئس من مراده ييأس يأساً وفي معناه أيس يأيس يأساً وإياساً لا أيساً وفاعلهما آيس لا يائس يقال: امرأة آيس إذا كان يأسها من الحيض دون آيسة لأن التاء إنما زيدت في المؤنث إذا استعملت الكلمة للمذكر أيضاً فرقاً بينهما وإذا لم تستعمل له فأي حاجة إلى الزيادة ومن ذلك يقال: امرأة حائض وطالق وحامل بلا تاء إذا كان حملها من الولد وأما إذا كان يأسها وحملها من غير الحيض وحمل الولد يقال آيسة وحاملة وفي «المغرب» اليأس انقطاع الرجاء وأما الإياس في مصدر الآيسة من الحيض فهو في الأصل ائياس على إفعال حذفت منه الهمزة التي هي عين الكلمة تخفيفاً والمحيض الحيض وهو في اللغة مصدر حاضت الأنثى، فهي حائض وحائضة أي خرج الدم من قبلها ويكون للأرنب والضبع والخفاش كما ذكره الجاحظ وفي «القاموس»: حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً ومحاضاً فهي حائض وحائضاً من حوائض وحيض سال دمها والمحيض اسم ومصدر قيل ومنه الحوض لأن الماء يسيل إليه والحيضة المرة انتهى. وفي الشرع دم ينفضه رحم امرأة بالغة لاداء بها ولا إياس لها أي: يجعلها الشارع منقطعة الرجاء عن رؤية الدم ومن الأولى لابتداء الغاية ومتعلقة بالفعل قبلها والثانية للتبيين ومتعلقة بمحذوف **﴿إن ارتبتم﴾** من الارتياب بالفارسية بشك شدن.

أي: شككتم وأشكل عليكم حكمهن لانقطاع دمهن بكبر السن وجهلتم كيف عدتهن **﴿فعدتهن ثلاثة أشهر﴾** فقوله **﴿واللائي يئسن﴾** إلخ مبتدأ خبره فعدتهن وقوله **﴿إن ارتبتم﴾** اعتراض وجواب الشرط محذوف أي ارتبتم فيها فاعلموا أنها ثلاثة أشهر كذا قالوا والأشهر جمع شهر وهو مدة معروفة مشهورة بإهلال الهلال أو باعتبار جزء من اثني عشر جزءاً من دوران الشمس من نقطة إلى تلك النقطة قال في «القاموس»: الشهر العدد المعروف من الأيام لأنه يشهر بالقمر **﴿واللائي﴾** وآن زنان كه **﴿لم يحضن﴾** أي: ما رأين الدم لصغرهن أي فعدتهن أيضاً كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه والشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها بعذر من الأعذار قبل بلوغها سن الآيسات فعند أبي حنيفة والشافعي لا تنقضي عدتها حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة أقراء أو تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة أشهر وضع السجاوندي الطاء الدالة على الوقف المطلق على وضعه وقانونه في لم يحضن لانقطاعه عما بعده وكان الظاهر أن يضع الميم الدالة على اللازم لأن المتبادر الاتصال الموهم معنى فاسداً لعله نظر إلى ظهور عدم حمل التي لم تحض لصغرها **﴿وأولات الأحمال﴾** واحدتها ذات بمعنى صاحبة والأحمال جمع حمل بالفتح بالفارسية بار.

والمراد الحبل أي: الثقل المحمول في الباطن وهو الولد في البطن والمعنى وذوات الأحمال من النساء والحبالى منهن **﴿أجلهن﴾** أي: منتهى عدتهن **﴿أن يضعن حملهن﴾** سواء كن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن فلو وضعت المرأة حملها أي: ولدت وحطت ما في بطنها يعني ازبالا بزير آورد.

بعد طلاق الزوج أو وفاته بلحظة انقضت عدتها وحلت للأزواج فكيف بعد ساعة أو يوم أو شهر وقد نسخ به عموم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] لتراخي نزوله عن ذلك وقد صح أن سبيعة بنت الحارث الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله عليه السلام، فقال: قد حللت فتزوجي **﴿ومن يتق الله﴾** في شأن أحكامه وحقوقه **﴿يجعل له من أمره يسراً﴾** أي: يسهل عليه أمره ويوفقه للخير ويعصمه من المعاصي والشر بسبب التقوى فمن للبيان قدم على المبين للفواصل أو بمعنى في **﴿ذلك﴾** المذكور من الأحكام وإفراد الكاف مع أن الخطاب للجمع كما يفصح عنه ما بعده لما أنها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي لا لتعيين خصوصية المخاطبين **﴿أمر الله﴾** حكمه الشرعي **﴿أنزله﴾** من اللوح المحفوظ **﴿إليكم﴾** إلى جانبكم، وقال أبو الليث: أنزله في القرآن على نبيكم لتستعدوا للعمل به فإياكم ومخالفته **﴿ومن يتق الله﴾** بالمحافظة على أحكامه **﴿يكفر عنه سيئاته﴾** يسترها لرضاه عنه بإتقانه، وبالفارسية بپوشد خداي تعالى از وبديهاي ويرا.

وربما يبدلها حسنات **﴿ويعظم له أجراً﴾** بالمضاعفة وبالفارسية وبزرك ساز دبراي او مزدرا يعني اورامزد زياده دهددر آخرت.

قال بعضهم: يعطيه أجراً عظيماً أي أجر كان ولذلك نكر فالتنكير للتعميم المنبىء عن التميم قال في «برهان القرآن»: أمر بالتقوى في أحكام الطلاق ثلاث مرات وعد في كل مرة نوعاً من الجزاء فقال أولاً يجعل له مخرجاً يخرجه مما دخل فيه وهو يكرهه ويهيىء له محبوبه من حيث لا يأمل وقال في الثاني: يسهل عليه الصعب من أمره ويفتح له خيراً ممن طلقها

والثالث: وعد عليه الجزاء بأفضل الجزاء وهو ما يكون في الآخرة من النعماء.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾.

﴿أسكنوهن من حيث سكنتم﴾ استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل أسكنوهن **﴿من حيث سكنتم﴾** أي بعض مكان سكناكم والخطاب للمؤمنين المطلقين **﴿من وجدكم﴾** أي: من وسعكم أي مما تطيقونه يعني مسكن ايشان بقدر طاقت وتواناي خويش سازيد والوجد القدرة والغنى يقال: افتقر فلان بعد وجده وهو عطف بيان لقوله **﴿من حيث سكنتم﴾** وتفسير له وفي «عين المعاني»: ومن لتبيين الجنس لما في حيث من الإبهام انتهى. واعترض عليه أبو حيان بأنه لم يعهد في عطف البيان إعادة العامل إنما عهد ذلك في البدل فالوجه جعله بدلاً قال قتادة: إن لم يكن إلا بيت واحد أسكنها في بعض جوانبه. قال صاحب «اللباب»: إن كانت الدار التي طلقها فيها ملكه يجب عليه أن يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وإن كانت بإجارة فعليه الأجرة وإن كانت عارية فرجع المعير فعليه أن يكتري لها داراً تسكنها قال في «كشف الأسرار» وأما المعتدة من وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب أو خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وإن كانت حاملاً **﴿ولا تضاروهن﴾** أي: ولا تقصدوا عليهن الضرر فى السكنى بأي وجه كان فإن المفاعلة قد لا تكون للمشاركة وبالفارسية ورنج مرسانيد مطلقات را **﴿لتضيقوا عليهن﴾** في المسكن بعض الأسباب من إنزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير ذلك وتلجئوهن إلى الخروج وبالفارسية براي آنكه تنك كردانيد برايشان مساكن ايشان.

وفيه حث المروءة والمرحمة ودلالة على رعاية الحق السابق حتى يتيسر لها التدارك في أمر المعيشة من تزوج آخر أو غيره **﴿وإن كن﴾** أي المطلقات **﴿أولات حمل﴾** ذوات حبل وبالفارسية خدا وتدبار.

يعني حاملة وأولات منسوب بالكسر على قانون جمع المؤنث وتنوين حمل للتعميم يعني أي: حمل كان قريب الوضع أو بعيده **﴿فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن﴾** فيخرجن من العدة وتتخلصوا من كلفة الإحصاء ويحل لهن تزوج غيركم اياشئن فالبائن بالطلاق إذا كانت حاملاً لها النفقة والسكنى بالاتفاق وأما البائن الحائل أي: غير الحامل فتستحق النفقة والسكنى عند أبي حنيفة كالحامل إلى أن تنقضي عدتها بالحيض أو بالأشهر خلافاً للثلاثة وأما المتوفى عنهن أزواجهن فلا نفقة لهن من التركة ولا سكنى بل تعتد حيث تشاء وإن كن أولات حمل لوقوع الإجماع على أن من أجبر الرجل على النفقة عليه من امرأة أو ولد صغير لا يجب أن ينفق عليه من ماله بعد موته فكذا المتوفى عنها الحامل وهو قول الأكثرين قال أبو حنيفة: تجب النفقة والسكنى لكل مطلقة سواء كانت مطلقة بثلاث أو واحدة رجعية أو بائنة ما دامت في العدة، أما المطلقة الرجعية فلأنها منكوحة كما كانت وإنما يزول النكاح بمضي العدة وكونه في معرض الزوال بمضي العدة لا يسقط نفقتها كما لو آلى وعلق طلاقها بمضي شهر فالمطلقة الرجعية لها النفقة والسكنى بالإجماع وأما المبتوتة فعندنا لها النفقة والسكنى ما دامت في العدة لقوله

تعالى: ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم﴾ إذا المعنى أسكنوا المعتدات مكاناً من المواضع التي تسكنونها وأنفقوا عليهن في العدة من سعتكم لما قرأ ابن مسعود رضي الله عنه أسكنوهن من حيث سكنتم وأنفقوا عليهن من وجدكم وعند الشافعي لها السكنى لهذه الآية ولا نفقة لها إلا أن تكون حاملاً لقوله تعالى: ﴿وإن كن أولات حمل﴾ الخ فإن قلت: فإذا كانت كل مطلقة عندكم يجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله ﴿وإن كن أولات حمل﴾ الخ قلت: فائدته أن مدة الحمل ربما طالت فظن ظان أن النفقة تسقط إذا مضى مقدار عدة الحامل فنفى ذلك الوهم كما في «الكشاف» ﴿فإن أرضعن لكم﴾ الرضاع لغة شرب اللبن من الضرع أو الثدي وشريعة شرب الطفل حقيقة أو حكماً للبن خالص أو مختلط غالباً من آدمية في وقت مخصوص والإرضاع شيردادن يعني هؤلاء المطلقات إن أرضعن لكم ولداً من غيرهن أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية وعلاقة النكاح قال لكم ولم يقل أولادكم لما قال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] فالأب يجب عليه إرضاع الولد دون الأم وعليه أن يتخذ له ظئراً إذا تطوعت الأم بإرضاعه وهي مندوبة إلى ذلك، ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الأم عند أبي حنيفة رحمه الله ما دامت زوجة معتدة من نكاح ﴿فآتوهن أجورهن﴾، على الإرضاع إن طلبن أجورهن فإن حكمهن في ذلك حكم الاظآر حينئذٍ، قال في «اللباب»: فإن طلقها فلا يجب عليها الإرضاع إلا أن لا يقبل الولد ثدي غيرها فيلزمها حينئذٍ فإن اختلفا في الأجرة، فإن دعت إلى أجرة المثل وامتنع الأب إلا تبرعاً فالأم أولى بأجر المثل إذ لا يجد الأب متبرعة وإن دعا الأب إلى أجر المثل وامتنعت الأم لتطلب شططاً فالأب أولى به فإن أعسر الأب بأجرتها أجبرت على إرضاع ولدها انتهى.

إن قيل إن الولد للأب فلم لا يتبعه في الحرية والرقبة بل يتبع الأم لأنها إذا كانت ملكاً لغير الأب كان الولد ملكاً له وإن كان الأب حراً وإذا كانت حرة كان الولد حراً وإن كان الأب رقيقاً أجيب بأن الفقهاء قالوا في وجهه رجح ماء الأم على ماء الأب في الملكية لأن ماءها مستقر في موضع وماء الأب غير معلوم أفادت هذه المسألة أن المالكية تغلب الوالدية والتحقيق أن الأحكام شرعية لا عقلية والعلم عند شارعها يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿وائتمروا﴾ أيها الآباء والأمهات ﴿بينكم﴾ ميان يكدكر دركار فرزند ﴿بمعروف﴾ أي: تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضاً بجميل في الإرضاع والأجر وهو المسامحة ولا يكن من الأب مماكسة ولا من الأم معاسرة لأنه ولدهما معاً وهما شريكان فيه في وجوب الإشفاق عليه فالائتمار بمعنى التآمر كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا إذا أمر بعضهم بعضاً يعني الافتعال قد يكون بمعنى التفاعل وهذا منه ﴿وإن تعاسرتم﴾ يقال تعاسر القوم إذا تحروا تعسير الأمر أي: تضايقتم وبالفارسية واكر دشوار كنيد ومضايقه نماييد أي پدر ومادر رضاع ومزد دادن يعني شوهر از أجرا باكند يازن شيرندهد ﴿فسترضع له﴾ أي: للأب كما في «الكشاف» وهو الموافق لقوله فإن أرضعن لكم أو للصبي والولد كما في «الجلالين» و«تفسير الكاشفي» ونحوهما وفيه أن الظاهر حينئذٍ أن يقول فسترضعه ﴿أخرى﴾ أي: فستوجد ولا تعوز مرضعة أخرى غير الأم ترضعه يعني مرددايه كيرد براي رضيع خود ومادررا باكراه واجبار نفر مايد.

وفيه معاتبة للأم على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد أن تبق غير مقضية فأنت ملوم قال سعدي المفتي: ولا يخلو عن معاتبة الأب أيضاً حيث

أسقط في الجواب عن حيز شرف الخطاب مع الإشارة إلى أنه إن ضويقت الأم في الأجر فامتنعت من الإرضاع لذلك فلا بد من إرضاع امرأة أخرى وهي أيضاً تطلب الأجر في الأغلب الأكثر والأم أشفق وأحن فهي به أولى وبما ذكرنا يظهر كمال الارتباط بين الشرط والجزاء.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾﴾

﴿**لينفق**﴾ لام الأمر ﴿**ذو سعة**﴾ خداوند فراخي وتوانكري ﴿**من سعته**﴾ ازغناي خود يعني بقدر تواناي خويش بر مطلقه ومرضعة نفقة كنيد.

ومن متعلقة بقوله لينفق ﴿**ومن قدر عليه رزقه**﴾ أي: ضيق وكان بمقدار القوت وبالفارسية وهركه تنك كرده شده است برو روزي أو يعني فقير وتنكدست است.

ومن هذا المعنى اشتق الأقدر أي القصير العنق وفرس أقدر يضع حافر رجله موضع حافر يده وقوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦] أي: ما يليق بحاله مقدراً عليه ﴿**فلينفق مما آتاه الله**﴾ وإن قل أي: لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه ويطيقه ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها**﴾ من المال جل أو قل فإنه تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها وبالفارسية وتكليف نفر مايد خداي تعالى هيچ تني رامكر آنچه بدو عطا كرده است ازمال يعني تكليف ما لا يطاق نفر ما يد.

وقد أكد ذلك بالوعد حيث قال: ﴿**سيجعل الله بعد عسر يسراً**﴾ أي: عاجلاً أو آجلاً إذ ليس في السين دلالة على تعين زمان وكل آت قريب ولو كان الآخرة، وبالفارسية زود باشدكه بديد آرد خداي تعالى بعد ازدشواري وتنكدستي آساني وتوانكري.

فلينتظر المعسر اليسر وفرج الله فإن الانتظار عبادة وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له في بذل مجهوده ووعد لفقراء الأزواج لا لفقراء ذلك الوقت عموماً كما جوزه الزمخشري حيث قال: موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم أو لفقراء الأزواج إن أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا.

يقول الفقير: لا بعد في ذلك من حيث أن القرآن ليس بمحصور ولا التفات في مثل هذا المقام إلى سوق الكلام قال البقلي: سيجعل الله بعد ضيق الصدر من الاهتمام بالرزق وإنفاقه سعة الصدر ويسر السخاء والطمأنينة والرضا بالله وأيضاً سيجعل الله بعد عسر الحجاب للمشتاقين يسر كشف النقاب وفي «التأويلات النجمية» يعني: كل ذي سعة مأمور بإنفاق ما يقدر على إنفاقه فالخفي المنفق عليه من جانب الحق ينفق على الروح من سعته والروح ينفق على السر من سعته والصدر ينفق على القلب من سعته والقلب ينفق على النفس من سعته والنفس ينفق على الصدر من سعته والصدر ينفق على الجسم من سعته ومن قدر عليه رزقه من الفيوض الإلهية فلينفق مما آتاه الله بحسب استعداده ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها**﴾ في استعدادها الأزلي، وقابليتها الغيبية، سيجعل الله بعد عسر انقطاع الفيض يسر اتصال الفيض ﴿**وكأين من قرية**﴾ بمعنى كم الخبرية في كونها للتكثير والقرية اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس والمعنى وكثير من أهل قرية وبالفارسية وبسيار ازاهل ديهي وشهري.

فهو من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ثم وصفه بصفته أو من المجاز العقلي والإسناد إلى المكان وهذه الآية تحذير للناس عن المخالفة في الأحكام المذكورة وتأكيد لإيجابها عليهم ﴿**عتت عن أمر ربها ورسله**﴾ قال في «المفردات»: العتو النبو عن الطاعة وفي «القاموس» عتا عتواً وعتياً وعتياً استكبر وجاوز الحد فهو عات وعتى انتهى. والعتو لا يتعدى بعن وإنما عدي بها لتضمينه معنى الإعراض كأنه قيل أعرضت عن أمر بها وأمر رسل ربها بسبب التجاوز عن الحد في التكبر والعناد وفي إيراده صفة الرب توبيخ لهم وتجهيل لما أن عصيان العبيد لربهم ومولاهم طغيان وجهل بشأن سيدهم ومالكهم وبمرتبة أنفسهم ودوام احتياجهم إليه في التربية قوله ﴿**وكأين**﴾ مبتدأ ومن قرية بيان له وعتت خبر المبتدأ ﴿**فحاسبناها حساباً شديداً**﴾ أي: ناقشناها في الحساب وضيقنا وشددنا عليها في الدنيا وأخذناها بدقائق ذنوبها وجرائمها من غير عفو بنحو القحط والجوع والأمراض والأوجاع والسيف وتسليط الأعداء عليها وغير ذلك من البلايا مقدماً معجلاً على استئصالها وذوقها العذاب الأكبر لترجع إلى الله تعالى، لأن البلاء كالسوط للسوق فلم تفعل ولم ترفع رأساً، فابتلاها الله بما فوق ذلك كما قال: ﴿**وعذبناها عذاباً نكراً**﴾أي نكراً عظيماً هائلاً متنفراً عنه بالطبع لشدته وإيلامه أو غير متوقع فإنهم كانوا لا يتوقعونه ولو قيل لهم لما يصدقونه والقهر الغير المتوقع أشد ألماً واللطف الغير المتوقع أتم لذة وبالفارسية وعذاب كرديم ايشانرا عذابي جنانكه نديده بودند ونشناخته.

وهو العذاب العاجل بالاستئصال بنحو الإغراق والإحراق والريح والصيحة فالنكر الأمر الصعب الذي لا يعرف والإنكار ضد العرفان.

يقول الفقير: أضاف الله المحاسبة والتعذيب إلى نفسه مع أن سببهما كان العتو عن أمره وأمر رسله لأن الرسل كانوا فانين في الله فاتخذوا الله وكيلاً في جميع أمورهم وتركوا التصرف والتعرض للقهر ونحوه وذلك أنهم قد بعثوا بعد رسوخهم ولهذا صبروا على تكذيب أممهم لهم ولو بعثوا قبل الرسوخ ربما بطشوا بمن كذبهم وأهلكوه وقس عليهم أحوال الكمل من الأولياء.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾.

﴿**فذاقت**﴾ پس بچشيدند اهل آن ديه ﴿**وبال أمرها**﴾ أي: ضرر كفرها وثقل عقوبة معاصيها أي: أحسته إحساس الذائق المطعوم ﴿**وكان عاقبة أمرها خسراً**﴾ هائلاً لا خسر وراءه يعني زيانكاري وكدام زيان ازان بدتركه ازحيات ومنافع آن محروم شدند وبعقوبات مبتلى كشتند.

فتجارتهم خسارة لا ربح فيها لتضييعهم بضاعة العمر والصحة والفراغ بصرفها في المخالفات، قال في «المفردات»: الخسر والخسران انتقاص رأس المال وينسب إلى الإنسان فيقال خسر فلان وإلى الفعل فيقال خسرت تجارته ويستعمل ذلك في القنيات الخارجية كالمال والجاه في الدنيا وهو الأكثر وفي النفسية كالصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب وفي الآية إشارة إلى أهل قرية الوجود الإنساني وهو النفس والهوى وسائر القوى فإنها أعرضت عن حكم

الروح فلم تدخل في حكم الشريعة وكذا عن متابعة أمر القلب والسر والخفي فعذبت بعذاب الحجاب واستهلكت في بحر الدنيا وشهواتها ولذاتها وكان عاقبة أمرها خسران الضلالة ونيران الجهالة ﴿**أعد الله لهم**﴾ مع ذلك في الآخرة ولام لهم لام التخصيص لا لام النفع كما في قولهم دعا له في مقابلة دعا عليه ﴿**عذاباً شديداً**﴾ أي: قدره في علمه على حسب حكمته أو هيأ أسبابه في جهنم بحيث لا يوصف كنهه فهم أهل الحساب والعذاب في الدنيا والآخرة لا في الدنيا فقط فإن ما أصابهم، في الدنيا لم يكن كفارة لذنوبهم لعدم رجوعهم عن الكفر فعذبوا بعذاب الآخرة أيضاً، وهذا المعنى من قوله ﴿**فحاسبناها**﴾ إلى هنا هو اللائق بالنظم الكريم هكذا ألهمت به حين المطالعة ثم وجدت في «تفسير الكواشي» و«كشف الأسرار» و«أبي الليث» و«الأسئلة المقحمة» ما يدل على ذلك والحمد لله تعالى فلا حاجة إلى أن يقال فيه تقديماً وتأخيراً وأن المعنى إنا عذبناها عذاباً شديداً في الدنيا ونحاسبها حساباً شديداً في الآخرة على أن لفظ الماضي للتحقيق كأكثر ألفاظ القيامة فإن فيه وفي نحوه تكلفاً بيناً على ما ارتكبه من يعد من أجلاء المفسرين ودل قوله في الأثر «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا» على أن المحاسبة عامة لما في الدارين وأن المراد بها في بعض المواضع هو التضييق والتشديد مطلقاً ﴿**فاتقوا الله يا أولي الألباب**﴾ أي: اعتبروا بحال الأمم الماضين من المنكرين المعاندين وما نزل بهم من العذاب، والوبال فاتقوا الله أوامره ونواهيه إن خلصت عقولكم من شوب الوهم فإن اللب هو العقل الخالص من شوائب الوهم وذلك بخلوص القلب من شوائب صفات النفس والرجوع إلى الفطرة الأولى وإذا خلص العقل من الوهم والقلب من النفس كان الإيمان يقينياً فلذلك وصفهم بقوله: ﴿**الذين آمنوا**﴾ أي: الإيمان التحقيقي اليقيني العياني الشهودي وفيه إشارة إلى أن منشأ التقوى هو الخلوص المذكور ولا ينافي ذلك زيادة الخلوص بالتقوى فكم من شي يكون سبباً لأصل شيء آخر ويكون سبباً في زيادته وقوته على ذلك الآخر وبكمال التقوى يحصل الخروج من قشر الوجود المجازي والدخول في لب الوجود الحقيقي والاتصاف بالإيمان العياني قال بعضهم: الذين آمنوا حقاً وصدقاً ويجوز أن يكون صفة كاشفة لا مقيدة فإنه لا يليق أن يعد غير المؤمنين من أولي الألباب اللهم إلا أن يراد باللب العقل العاري عن الضعف، بأي وجه كان من البلادة والبله والجنون وغيرها فتخصيص الأمر بالتقوى بالمؤمنين من بينهم لأنهم المنتفعون انتهى. والظاهر أن قوله ﴿**الذين آمنوا**﴾ مبتدأ خبره قوله تعالى: ﴿**قد أنزل الله إليكم**﴾ والخطاب من قبيل الالتفات ﴿**ذكراً**﴾ هو النبي عليه السلام كما بينه بأن أبدل منه قوله ﴿**رسولاً**﴾ وعبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن أو تبليغه والتذكير به وعبر عن إرساله بالإنزال بطريق الترشيح أي: للتجوز فيه عليه السلام بالذكر أو لأنه مسبب عن إنزال الوحي إليه يعني: أن رسول الله شبه بالذكر الذي هو القرآن لشدة ملابسته به فأطلق عليه اسم المشبه به استعارة تصريحية وقرن به ما يلائم المستعار منه وهو الإنزال ترشيحاً لها أو مجازاً مرسلاً من قبيل إطلاق اسم السبب على المسبب فإن إنزال الوحي إليه عليه السلام، سبب لإرساله وقال بعضهم: إن التقدير ﴿**قد أنزل الله إليكم ذكراً**﴾ يعني: القرآن وأرسل إليكم رسولاً يعني: محمداً عليه السلام لكن الإيجاز اقتضى اختصار الفعل الناصب للرسول وقد دل عليه القرينة وهو قوله أنزل نظيره قوله علفتها تبناً وماء بارداً أي: وسقيتها ماء بارداً فيكون الوقف في ذكراً تاماً بخلافه، إذا كان بدلاً وقال القاشاني: قد أنزل الله إليكم ذكراً أي: فرقاناً مشتملاً على ذكر

الذات والصفات والأسماء والأفعال والمعاد رسولاً أي: روح القدس الذي أنزله به فأبدل منه بدل الاشتمال لأن إنزال الذكر هو إنزاله بالاتصال بالروح النبوي وإلقاء المعاني في القلب ﴿**يتلو**﴾ يقرأ ويعرض ﴿**عليكم**﴾ يا أولي الألباب أو يا أيها المؤمنون ﴿**آيات الله**﴾ أي: القرآن ﴿**مبينات**﴾ أي: حال كون تلك الآيات مبينات ومظهرات لكم ما تحتاجون إليه من الأحكام أو مبينات بالفتح بمعنى واضحات لإخفاء في معانيها عند الأهالي أو لا مرية في إعجازها عند البلغاء المنصفين وإنما يتلوها أو أنزله ﴿**ليخرج**﴾ الرسول ويخلص أو الله تعالى قال بعضهم: اللام متعلقة بأنزل لا بقوله يتلو لأن يتلو مذكور على سبيل التبعية دون أنزل ﴿**الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ الموصول عبارة عن المؤمنين بعد إنزاله وإلا فإخراج الموصوفين بالإيمان من الكفر لا يمكن إذ لا كفر فيهم حتى يخرجوا منه أي: ليحصل لهم الرسول ما هم عليه الآن من الإيمان والعمل الصالح بإخراجهم عما كانوا عليه أو ليخرج الله من علم، أو قدر أنه سيؤمن ولم يقل ليخرجكم إظهاراً لشرف الإيمان والعمل الصالح وبياناً لسبب الإخراج وحثاً على التحقيق بهما ﴿**من الظلمات إلى النور**﴾ أي: من الضلالة إلى الهدى ومن الباطل إلى الحق ومن الجهل إلى العلم ومن الكفر إلى الإيمان ومن الشبهات إلى الدلالات والبراهين ومن الغفلة إلى اليقظة ومن الأنس بغير الله إلى الأنس بالله على طبقاتهم ودرجاتهم في السعي والاجتهاد بعناية الله تعالى، وفي «التأويلات النجمية»: ليخرج الذين آمنوا بالإيمان العلمي وعملوا الصالحات بمقتضى العلم الظاهر لا بمقتضى الحال من ظلمات التقييد بالأعمال والأحوال إلى نور الإطلاق برؤية فاعلية الحق في الأشياء انتهى.

يقول الفقير: إنما جمع الظلمات لتراكمها وتكاثفها ولكثرة أسبابها وأنواعها ولذا قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٦٣] أي: شدائدهما فإنها كالظلمات وكذا الأعمال السيئة ظلمات يوم القيامة كما ورد في حق الظلم. ﴿**ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً**﴾ خالصاً من الرياء والتصنع والغرض وهو استئناف لبيان شرف الإيمان والعمل الصالح ونهاية أمر من اتصف بهما تنشيطاً وترغيباً لغير أهلهما لهما قال بعض الكبار: لو كان الإيمان بذاته يعطي مكارم الأخلاق لم يقل للمؤمن افعل كذا واترك كذا وقد توجد مكارم الأخلاق بدونه وللإيمان وللمكارم آثار ترجع على أصحابها في أي دار كان كما ورد في حق أبي طالب فإنه قال العباس رضي الله عنه، يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك، قال: نعم «ولولا أنا كان في الدرك الأسفل من النار» وكما رؤي أبو لهب في المنام وهو يمص ماء من إبهامه ليلة الاثنين لعتقه بعض جواريه حين بشرته بولادة رسول الله عليه السلام، وكما قيل: إنه عليه السلام لما عرج به اطلع على النار فرأى حظيرة فيها رجل لا تمسه النار فقال عليه السلام: «ما بال هذا الرجل في هذه الحظيرة لا تمسه النار، فقال جبريل عليه السلام: هذا حاتم طي صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده» كما في «أنيس الوحدة وجليس الخلوة» فإذا كانت المكارم بهذه المرتبة بلا إيمان فكيف مع إيمان وعطف العمل الصالح من الصلاة والزكاة وغيرهما على الإيمان الذي هو تصديق القلب عند المحققين والتصديق مع الإقرار عند البعض يفيد المغايرة على ما هو المذهب الأصح وهو كاف في دخول الجنة بوعد الله وكرمه في القول الحق المثبت بالأدلة القوية فذكر العلم الصالح بعده للاهتمام والحث عليه إخباراً بأن أهله يدخلون ابتداء بلا حساب أو بحساب يسير ﴿**يدخله جنات تجري من تحتها**﴾ أي من تحت

قصورها أو أشجارها ﴿الأنهار﴾ الأربعة المذكورة في سورة محمد عليه السلام ﴿خالدين فيها﴾ مقيمين في تلك الجنات دائمين فيها وهو حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها ﴿أبداً﴾ ظرف زمان بمعنى دائماً غير منقطع فيكون تأكيداً للخلود لئلا يتوهم أن المراد به المكث الطويل المنقطع آخراً ﴿قد أحسن الله له رزقاً﴾ حال أخرى منه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب لأن الجملة الخبرية إذا لم يحصل منها فائدة الخبر ولا لازمها تحمل على التعجب إذا اقتضاه المقام كأنه قيل ما أحسن رزقهم الذي رزقهم الله وما أعظمه فرزقاً ظاهره المفعولية لأحسن والتنوين للتعظيم لإعداده تعالى فيها ما هو خارج عن الوصف أو للتكثير عدداً لما فيه مما تشتهي الأنفس من الرزق والأنفس أو مدداً لأن أكلها دائم لا ينقطع ولا بعد في أن يكون له بمعنى إليه ويكون رزقاً تمييزاً بمعنى قد هيأ له وأعد ما يحسن إليه به من جهة الرزق، قال بعض الكبار: الجزاء على الأعمال في حق العارفين من عين المنة فهو جزاء العمل لا جزاء العامل فافهم قال في «الأسئلة المقحمة»: الظاهر أن الرزق الحسن مال في قدر الكفاية بلا زيادة تطغى ولا حاجة تنسى.

يقول الفقير: هذا التفسير ليس في محله لأن المراد رزق الآخرة كما دل عليه ما قبل الآية لا رزق الدنيا. وفي «التأويلات النجمية»: ومن يؤمن بالله إيماناً حقيقياً عينياً ويعمل عملاً صالحاً منزهاً عن رؤيته مقدساً عن نسبته إلى العامل المجازي يدخله جنات المكاشفات والمشاهدات والمعاينات والمحاضرات من غير الفترة الحجابية قد أحسن الله له رزقاً فرزق الروح بالتفريد ورزق القلب بالتجريد ورزق السر بالتوحيد ورزق الخفي بالفناء والبقاء.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾

﴿الله الذي﴾ الخ. مبتدأ وخبر أي: الملك القادر الذي ﴿خلق سبع سماوات﴾ بيافريد هفت آسمان بعضي بالآي بعض.

نكرها للتعظيم المفيد لكمال قدرة صانعها أو لكفايته في المقصود من إثبات قدرته الكاملة على وفق حكمته الشاملة وذلك يحصل بإخبار خلقه تعالى سبع سماوات من غير نظر إلى التعيين ﴿ومن الأرض﴾ أي وخلق من الأرض ﴿مثلهن﴾ أي مثل السماوات السبع في العدد والطباق وبالفارسية وبيافريد از زمين مانند آسمانها بعضي در تحت بعض.

فقوله مثلهن منصوب بفعل مضمر بعد الواو دل عليه الناصب لسبع سماوات وليس بمعطوف على سبع سماوات لأنه يستلزم الفصل بين حرف العطف وهو صرف واحد وبين المعطوف بالجار والمجرور وصرح سيبويه وأبو علي بكراهيته في غير موضع الضرورة واختلف في كيفية طبقات الأرض فالجمهور على أنها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والأرض وفي كل أرض سكان من خلق الله وقال الضحاك: مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق وفرجة أي سواء كان بالبحار أو بغيرها بخلاف السماوات قال القرطبي: والأول الأصح لأن الإخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره من أن كعباً حلف بالذي فلق البحر لموسى أن صهيباً حدثه أن النبي عليه السلام، لم ير قرية يريد

دخولها إلا قال حين يراها «اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين نسألك من خير هذه القرية وخير أهلها وخير من فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر من فيها».

وروى شيبان بن عبد الرحمن قتادة عن الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما النبي عليه السلام جالس إذا أتى عليهم سحاب، فقال: هل تدرون ما هذا العنان قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذه زوايا الأرض يسوقها الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه، ثم قال: هل تدرون ما الذي فوقكم قالوا الله ورسوله أعلم. قال: فإنها الرقيع سقف محفوظ وبحر مكفوف. ثم قال: هل تدرون ما بينكم وبينها قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فوقها العرش وبينه وبين السماء كبعد ما بين سماءين أو كما قال: ثم قال: هل تدرون ما تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال: الأرض وتحتها أرض أخرى بينهما خمسمائة عام، ثم قال: والذي نفس محمد بيده لو أنكم أدليتم بحبل لهبطتم على الله، ثم قرأ عليه السلام «﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]»، كما في «خريدة العجائب» وفي «المقاصد الحسنة» لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله فسره بعض أهل العلم، فقال: إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف في كتابه انتهى.

قال شيخنا: معناه أن علم الله شمل جميع الأقطار فالتقدير لهبط على علم الله والله تعالى منزه عن الحلول في الأماكن فالله سبحانه كان قبل أن يحدث الأماكن انتهى كلام «المقاصد الحسنة»، قال بعض العارفين: فيه إشارة إلى أنه ما من جوهر في العالم العلوي والسفلي إلا وهو مرتبط بالحق ارتباط الرب بالمربوب وفي الحديث: «اجتمع أملاك عند الكعبة واحد نازل من السماء وواحد صاعد من الأرض السفلى وثالث من ناحية المشرق ورابع من ناحية المغرب فسأل كل واحد صاحبه من أين جئت فكلهم قالوا من عند الله ثم نرجع» ونقول فالأرض بعضها فوق بعض وغلظ كل أرض مسيرة خمسمائة عام وكذا ما بينهما على ما دل عليه حديث أبي هريرة وفي الحديث «من أخذ من الأرض شبراً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين» قال ابن الملك: وفيه إشعار بأن الأرض في الآخرة أيضاً سبع طباق وفي «الكواشي» قيل ما في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه الآية وأن ما بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وكذا غلظ كل سماء والأرضون مثل السماوات فكما أن في كل سماء نوعاً من الملائكة يسبحون الله ويقدسونه ويحمدونه فكذا لكل أرض أهل على صفة وهيئة عجيبة ولكل أرض اسم خاص كما أن لكل سماء اسماً خاصاً وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن نافع بن الأزرق سأله هل تحت الأرضين خلق، قال: نعم، قال: فما الخلق قال إما ملائكة أو جن وعن عطاء بن يسار في هذه الآية في كل أرض آدم كآدمكم ونوح مثل نوحكم وإبراهيم مثل إبراهيمكم وعيسى كعيساكم قالوا: معناه أن في كل أرض خلقاً لله لهم سادة يقومون عليهم مقام آدم ونوح وإبراهيم وعيسى فينا، قال السخاوي في «المقاصد الحسنة»: حديث الأرضون سبع في كل أرض من الخلق مثل ما في هذه حتى آدم كآدمكم وإبراهيم كإبراهيمكم هو مجهول إن صح نقله عن ابن عباس رضي الله عنهما على أنه أخذه عن الإسرائيليات أي: أقاويل بني إسرائيل مما ذكر في التوراة أو أخذه من علمائهم ومشايخهم كما في «شرح النخبة» وذلك

وأمثاله إذا لم يخبر به ويصح سنده إلى معصوم فهو مردود على قائله انتهى كلام «المقاصد» مع تفسير الإسرائيليات وقال في «إنسان العيون» قد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿**ومن الأرض مثلهن**﴾ قال: «سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم وإبراهيم كإبراهيمكم وعيسى كعيساكم» رواه الحاكم في «المستدرك» وقال صحيح الإسناد وقال البيهقي: إسناده صحيح لكنه شاذ بالمرة أي: لأنه لا يلزم من صحة الإسناد صحة المتن فقد يكون فيه مع صحة إسناده ما يمنع صحته فهو ضعيف قال الجلال السيوطي: ويمكن أن يؤول على أن المراد بهم النذر الذين كانوا يبلغون الجن عن أنبياء البشر ولا يبعد أن يسمى كل منهم باسم النبي الذي يبلغ عنه هذا كلامه وحينئذٍ كان لنبينا عليه السلام رسول من الجن اسمه كاسمه ولعل المراد اسمه المشهور وهو محمد فليتأمل انتهى ما في «إنسان العيون» ونظير هذا المقام قول حضرة الشيخ الشهير بأفتاده خطاباً لحضرة محمود الهدائي قدس سرهما: الآن عوالم كثيرة يتكلم فيها محمود وأفتاده كثير قال في «خريدة العجائب» وليس هذا القول أي خبر في كل أرض آدم الخ بأعجب من قول الفلاسفة أن الشموس شموس كثيرة والأقمار أقمار كثيرة ففي كل إقليم شمس وقمر ونجوم وقالت القدماء: الأرض سبع على المجاورة والملاصقة وافتراق الأقاليم لا على المطابقة والمكابسة وأهل النظر من المسلمين يميلون إلى هذا القول ومنهم من يرى أن الأرض سبع على الانخفاض والارتفاع كدرج المراقي.

وحكى الكلبي عن ابن صالح عن أبي عباس رضي الله عنهما أنها سبع أرضين متفرقة بالبحار يعني: الحائل بين كل أرض وأرض بحار لا يمكن قطعها ولا الوصول إلى الأرض الأخرى ولا تصل الدعوة إليهم وتظل الجميع السماء قال الماوردي: وعلى هذا أي وعلى أنها سبع أرضين وفي كل أرض سكان من خلق الله تختص دعوة الإسلام بأهل الأرض العليا دون من عداهم وإن كان فيهن من يعقل من خلق وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان أحدهما: أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها وهذا قول من جعل الأرض مبسوطة والثاني: أنهم لا يشاهدون السماء وأن الله خلق لهم ضياء يشاهدونه وهذا قول من جعل الأرض كرة قال سعدي المفتي: وقد تؤول الآية تارة بالأقاليم السبعة أي: فتكون الدعوة شاملة لجميعها وتارة بطبقات العناصر القوابل بالنسبة إلى الأثيريات فهي أرضها التي ينزل عليها منها الصور الكائنة وهي النار الصرفة والطبقة الممتزجة من النار والهواء المسماة كرة الأثير التي فيها الشهب وذوات الأذناب وغيرها وطبقة الزمهرير وطبقة النسيم وطبقة الصعيد والماء المشحونة بالنسيم الشاملة للطبقة الطينية التي هي السادسة وطبقة الأرض الصرفة عند المركز وإن حملناها على مراتب الغيوب السبعة المذكورة من غيب القوى والنفس والعقل والسر والروح والخفي وغيب الغيوب أي عين جمع الذات فالأرضون هي الأعضاء السبعة المشهورة. وفي «التأويلات النجمية»: هي طبقات القلوب من الصدر والقلب والفؤاد والروع والشغاف والمهجة والروح وأراضي النفوس وهي النفس الأمارة واللوامة والملهمة والمطمئنة والنفس المعدنية والنباتية والحيوانية ﴿**يتنزل الأمر**﴾ أي: أمر الله واللام عوض عن المضاف إليه ﴿**بينهن**﴾ أي: بين السماوات السبع والأرضين السبع والظاهر أن الجملة استئنافية للإخبار عن شمول جريان حكمه ونفوذ أمره في العلويات والسفليات كلها فالأمر عند الأكثرين القضاء والقدر بمعنى: يجري قضاؤه وينفذ حكمه بين السماء السابعة التي

هي أعلى السماوات وبين الأرض السابعة التي هي أسفل الأرضين ولا يقتضي ذلك أن لا يجري في العرش والكرسي لأن المقام اقتضى ذكر ما ذكره والتخصيص بالذكر لا يقتضي التخصيص بالحكم كذا قالوا.

يقول الفقير: تحقيق هذا المقام يستدعي تمهيد مقدمة وهي أنه استوى الأمر الإرادي الإيجادي على العرش كما استوى الأمر التكليفي الإرشادي على الشرع الذي هو مقلوب العرش والتجليات الإيجادية الأمرية المتنزلة بين السماوات السبع والأرضين السبع موقوفة على استواء أمر تمام حصول الأركان الأربعة على العرش وتلك الأمور الأربعة هي الحركة المعنوية الاسمائية والحركة النورية الروحانية والحركة الطبيعية المثالية والحركة الصورية الحسية وهي حركة العرش فالعرش مستوى أمره الإيجادي لا مستوى نفسه تعالى عن ذلك ومنه يتنزل الأمر الإلهي بينهن وهي التجليات الإلهية الدنيوية والبرزخية والحشرية والنيرانية والجنانية وكلها تجليات وجودية أشير إليها بقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] وبقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ﴾ [سبأ: ٢] وأما التجليات الشهودية فما كانت وتكون في الدنيا والآخرة لقلوب أهل الكمال وأرواحهم وأسرارهم من الأنبياء العظام والأولياء الكرام فمعنى الآية يتنزل أمر الله بالإيجاد والتكوين وترتيب النظام والتكميل بين كل سماء وأرض من جانب العرش العظيم أبداً دائماً لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال خالقاً في الدنيا والآخرة فيفني ويعدم عوالم ويوجد ويظهر عوالم أخرى لا نهاية لشؤونه فهو كل يوم وآن في أمر وشأن بحسب مقتضيات استعدادات أهل العصر وموجبات قابليات أصحاب الزمان **﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير﴾** متعلق بخلق أو يتنزل أو بما يعمهما أي: فعل ذلك لتعلموا أن من قدر على ما ذكر قادر على كل شيء ومنه البعث للحساب والجزاء فتطيعوا أمره وتقبلوا حكمه وتستعدوا لكسب السعادة والخلاص من الشقاوة واللام لام المصلحة والحكمة لأن فعله تعالى خال عن العبث.

روي عن الإمام الأعظم أنه قال: إن هذه الآية من أخوف الآيات في القرآن لا لام الغرض فإنه تعالى منزه عن الغرض إذ هو لمن له الاحتياج والله غني عن العالمين **﴿وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾** كما أحاط قدرة لاستحالة صدور الأفاعيل المذكورة ممن ليس كذلك والإحاطة العلم البالغ وبالفارسية وبدرستي كه فراسيده است بهمه چيزازروي علم يعني علم وقدرت أو محيط است بهمه اشيا از موجودات علمي وعيني هيچ چيز ازدائرهٔ علم وقدرت أو خارج نيست.

رمزيست زسرقدرتش كن فيكون ... بادانش أو يكيست بيرون ودرون
درغيب وشهادة ذرهٔ نتوان يافت ... از دائرهٔ قدرت وعلمش بيرون

ويجوز أن يكون العامل في اللام بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الأمر أي أوحى ذلك وبيَّنه لتعلموا بما ذكر من الأمور التي تشاهدونها والتي تتلقونها من الوحي من عجائب المصنوعات أنه لا يخرج عن علمه وقدرته شيء ما أصلاً قوله: **﴿علماً﴾** نصب على التمييز أي: أحاط علمه بكل شيء كما في «عين المعاني» أو على المصدر المؤكد لأن المعنى وأن الله قد علم كل شيء علماً كما في «فتح الرحمن»، قال البقلي قدس سره: لو كان للإنسان قدرة المعرفة

كالأرواح لم يخاطبه بالعلل والاستدلال ليعلم برؤية الأشياء وجود الحق وكان كالأرواح في الخطاب بلا علة في تعريف نفسه إياها يقول ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] إذ هناك خطاب وشهود وتعريف بغير علة فلما علم عجزه وهو في عالم الجسم عن حمل واردات الخطاب الصرف أحاله إلى الشواهد بقوله: ﴿خلق سبع سماوات﴾ الخ. وليس بعارف في الحقيقة من عرفه بشيء من الأشياء أو بسبب من الأسباب فمن نظر إلى خلق الكون يعرف أنه ذو قدرة واسعة وذو إحاطة شاملة ويخاف من قهره ويذوب قلبه بعلمه في رؤية اطلاع الحق عليه قال الشيخ نجم الدين في «تأويلاته» وفي هذه الآية الكريمة غوامض من أسرار القرآن مكنونة ويدل عليه قول ابن عباس رضي الله عنهما لما سئل عن هذه الآية وقال: لو فسرتها لقطعوا حلقومي ورجموني والمعنى الذي أشار إليه رضي الله عنه مما لا يعبر عنه ولا يشار إليه ولكن يذاق.

تمت سورة الطلاق بعون الله الملك الخلاق في خامس عشر جمادى الأولى
من شهور سنة ست عشرة ومائة وألف

٦٦ ـ سورة التحريم

اثنتا عشرة آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١﴾ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾.

﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ أصل لم لما والاستفهام لإنكار التحريم وهو بالفارسية حرام كردن.

كما أن الإحلال حلال كردن.

روي أن النبي عليه السلام خلا بسريته مارية القبطية التي أهداها إليه المقوقس ملك مصر في يوم عائشة رضي الله عنها ونوبتها وعلمت بذلك حفصة رضي الله عنها فقال لها: اكتمي عليّ ولا تعلمي عائشة فقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما يملكان بعدي أمر أمتي فأخبرت به عائشة رضي الله عنها ولم تكتم وكانتا متصادقتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي عليه السلام، قال السهيلي رحمه الله: أمرها أن لا تخبر عائشة ولا سائر أزواجه بما رأت وكانت رأته في بيت مارية بنت شمعون القبطية أم ولده إبراهيم المتوفى في الثدي وهو ابن ثمانية عشر شهراً فخشي أن يلحقهن بذلك غيرة وأسر الحديث إلى حفصة فأفشته وقيل: خلا بها في يوم حفصة كما قال بعض أهل التفسير كان رسول الله عليه السلام يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه استأذنت رسول الله في زيارة أبيها فأذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله إلى أم ولده مارية القبطية قال في «كشف الأسرار»: دربيرون مدينة در نخلستان در سرايي مقام داشت كه زنان رسول نمي خواستندكه درمدينه باايشان نشنيد وكاه كاه رسول خدا ازبره طهارت بيرون شدي واورا ديدي انتهى.

فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقاً فجلست عند الباب فخرج رسول الله ووجهه يقطر عرقاً وحفصة تبكي فقال ما يبكيك فقالت: إنما أذنت لي من أجل هذا أدخلت أمتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي على فراشي فلو رأيت لي حرمة وحقاً ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله: أليس هي جاريتي أحلها الله لي اسكني فهي حرام علي ألتمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهن فلما خرج رسول الله قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت: ألا أبشرك أن رسول الله قد حرم عليه أمته مارية وقد أراحنا الله منها وأخبرت عائشة بما رأت فلم تكتم فطلقها رسول الله بطريق الجزاء على إفشاء سره واعتزل نساءه ومكث تسعاً وعشرين ليلة في بيت مارية قال أبو الليث: أقسم أن لا

يدخل عليهن شهراً من شدة مؤاخذته عليهن حتى نزلت الآية ودخل عمر رضي الله عنه على بنته حفصة وهي تبكي فقال: أطلقكن رسول الله فقالت: لا أدري هو ذا معتزلاً في هذه المشربة» وهي بفتح الراء وضمها الغرفة والعلية كما في «القاموس».

وروي أنه قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك قال عمر: فأتيته عليه السلام فدخلت وسلمت عليه فإذا هو متكىء على رمل حصير قد أثر في جنبه فقلت: أطلقت نساءك يا رسول الله فقال: لا، فقلت: الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم وطفقن نساؤنا يتعلمن من نسائهم فتبسم رسول الله ﷺ وقال عمر للنبي عليه السلام لا تكترث بأمر نسائك والله معك وأبو بكر معك وأنا معك فنزلت الآية موافقة لقول عمر قالت عائشة رضي الله عنها: لما مضت تسع وعشرون ليلة دخل عليَّ رسول الله، فقلت يا رسول الله إنك أقسمت أن لا تدخل علينا وإنك قد دخلت في تسع وعشرين أعدهن فقال: إن الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر كذلك ونزل جبريل فقال لرسول الله: «عن أمر الله راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها لمن نسائك في الجنة» وكان تحته عليه السلام يومئذٍ تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أمية وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش الأسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية.

ونقلست كه حضرت پيغمبر ﷺ عسل وشربت أو وهرچيزكه حلو باشد دوست داشتي وقتي زينب رضي الله عنها مقداري عسل داشت كه بعضي خويشان وي درمكه بطريق هديه فرستاده بودهركاه آن حضرت عليه السلام بخانهٔ وي آمدي زينب شربت فرمودي وآن حضرت راد خانهٔ وي بسبب آن توقف بيشتر واقع شدي آن حال بر بعضي أزواج طاهرات كران آمد عائشة وحفصة اتفاق نمودندكه چون آن حضرت بعد از آشاميدن شربت عسل درخانهٔ وي نزد هركدام ازمادر آيند كوييم ازتوبوي مغافير ميشنويم ومغفور بالضم صمغ درختيست كه عرفط خوانند ازدرختان باديه واكرچه شيرينست ولكن رايحهٔ كريهه دارد وحضرت بوي خوش دوست ميداشت براي مناجات ملك وازروايح ناخوش محترزمي بود پس آن حضرت روزي شربت آشاميد ونزد هركدام آمداز أزواج كفتند يا رسول الله ازشما رايحهٔ مغفور مي آيد وايشان درجواب فرمودندكه مغفور نخورده ام أما درخانهٔ زينب شربت عسل آشاميده ام كفتند جرست النحلة العرفط يعني إن تلك النحلة أكلت العرفط وبالفارسية زنبور آن عسل ازشكوفهٔ عرفط چريده بود والجرس خوردن منج چرارا.

وفي «القاموس» الجرس اللحس باللسان إمام زاهد رحمه الله آورده كه چون اين صورت مكرر وجود كرفت حضرت عليه السلام فرمود حرمت العسل على نفسي فوالله لا آكله أبداً وأين سوكند بدان خورد تاديكر كس ويرا ازان عسل نيارد فنزلت الآية قال ابن عطية: والقول الأول وهو أن الآية نزلت بسبب مارية أصح وأوضح وعليه تفقه الناس في الآية وقال في «كشف الأسرار» قصة العسل أسند كما قال في «اللبابين» إن هذا هو الأصح لأنه مذكور في «الصحيحين» انتهى. وقصة مارية أشبه ومعنى الآية ﴿**لم تحرم ما أحل الله لك**﴾ من ملك اليمين أو من العسل أي: تمتنع من الانتفاع به مع اعتقاد كونه حلالاً لك لأن اعتقاد كونه حراماً بعد ما

أحل الله مما لا يتصور من عوام المؤمنين فكيف من الأنبياء قال الفقهاء: من اعتقد من عند نفسه حرمة شيء قد أحله الله فقد كفر إذ ما أحله الله لا يحرم إلا بتحريم الله إياه بنظم القرآن أو بوحي غير متلو والله تعالى إنما أحل لحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله فإذا حرم العبد كان ذلك قلب المصلحة مفسدة ﴿**تبتغي مرضاة أزواجك**﴾ الابتغاء جستن.

والمرضاة مصدر كالرضا وفي بعض التفاسير: اسم مصدر من الرضوان قلبت واوها ألفاً والأزواج جمع زوج فإنه يطلق على المرأة أيضاً بل هو الفصيح كما قال في «المفردات» وزوجة لغة رديئة وجمع الأزواج مع أن من أرضاها النبي عليه السلام في هذه القصة عائشة وحفصة رضي الله عنهما إما لأن إرضاءهما في الأمر المذكور إرضاء لكلهنَّ أو لأن النساء في طبقة واحدة في مثل تلك الغيرة لأنهن جبلن عليها على أنه مضى ما مضى من قول السهيلي أو لأن الجمع قد يطلق على الاثنين أو للتحذير عن إرضاء من تطلب منه عليه السلام ما لا يحسن وتلح عليه أيتهن كان لأنه عليه السلام كان حيياً كريماً والجملة حال من ضمير تحرم أي: حال كونك مبتغياً وطالباً لرضا أزواجك والحال أنهن أحق بابتغاء رضاك منك فإنما فضيلتهن بك فالإنكار وارد على مجموع القيد والمقيد دفعة واحدة فمجموع الابتغاء والتحريم منكر نظيره قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠] وفيه إشارة إلى فضل مارية والعسل وفي الحديث: «أول نعمة ترفع من الأرض العسل» وقد بين في سورة النحل ﴿**والله غفور**﴾ مبالغ في الغفران قد غفر لك وستر ما فعلت من التحريم وقصدت من الرضا لأن الامتناع من الانتفاع بإحسان المولى الكريم يشبه عدم قبول إحسانه ﴿**رحيم**﴾ قد رحمك ولم يؤاخذك به وإنما عاتبك محافظة على عصمتك.

وقال الكاشفي: مهربان كه كفارت سوكند توفرمود قال في «كشف الأسرار» هذا أشد ما عوتب به رسول الله في القرآن وقال البقلي: أدب الله نبيه أن لا يستبد برأيه ويتبع ما يوحى إليه كما قال بعض المشايخ في قوله ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥] أن المراد به الوحي الذي يوحى به إليه لا ما يراه في رأيه فإن الله قد عاتبه لما حرم على نفسه ما حرم في قصة عائشة وحفصة فلو كان الدين بالرأي لكان رأي رسول الله أولى من كل رأي انتهى كلام ذلك البعض وفيه بيان أن من شغله شيء من دون الله وصل إليه منه ضرب لا تبرأ جراحته إلا بالله لذلك قال عقيب الآية ﴿**والله غفور رحيم**﴾ قال ابن عطاء لما نزلت هذه الآية على النبي عليه السلام كان يدعو دائماً ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من كل قاطع يقطعني عنك».

آزرده است كوشه نشين از وداع خلق — غافل كه اتصال حقست انقطاع خلق

﴿**قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم**﴾ الفرض هنا بمعنى الشرع والتبيين كما دل عليه لكم فإن فرض بمعنى أوجب إنما يتعدى بعلى والتحلة مصدر حلل بتضعيف العين بمعنى التحليل أصله تحللة كتكرمة وتعلة تبصرة وتذكرة من كرم وعلل وبصر وذكر بمعنى التكريم التعليل والتبصير والتذكير إلا أن هذا المصدر من الصحيح خارج عن القياس فإنه من المعتل اللام نحو سمى تسمية أو مهموز اللام مثل جزأ تجزئة والمراد تحليل اليمين كان اليمين عقد والكفارة حل يقال: حلل اليمين تحليلاً، كفرها أي: فعل ما يوجب الحنث وتحلل في يمينه استثنى وقال: إن شاء الله وقوله عليه السلام: «لا يموت لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا تحلة القسم» أي: قدر ما يقول إن شاء الله» كما في «المفردات» أو قدر ما يبر الله قسمه فيه بقوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] قال

في «تاج المصادر»: قوله فعلته تحلة القسم أي: لم أفعله إلا بقدر ما حللت به يميني أن لا أفعله ولم أبالغ ثم قيل لكل شيء لم يبالغ فيه تحليل يقال: ضربته تحليلاً والباب يدل على فتح الشيء ومعنى الكفارة الإطعام أو الكسوة أو العتق أو الصوم على ما مر تفصيله في سورة المائدة ومعنى الآية شرع الله لكم تحليل أيمانكم وبين لكم ما تنحل به عقدتها من الكفارة وهي المرادة هاهنا لا الاستثناء أي: أن يقول إن شاء الله متصلاً حتى لا يحنث فإن الاستثناء المتصل ما كان مانعاً من انعقاد اليمين جعل كالحل فالتحليل لما عقدته الإيمان بالكفارة أو بالاستثناء وبالفارسية بدرستي كه بيان كرد خداي تعالى براي شما فرو كشادن سوكند هاي شمرا بكفارت يعني آنچه بسو كند ببنديد بكفارت توان كشاد.

قال في «الهداية»: ومن حرم على نفسه شيئاً مما يملكه لم يصر محرماً وعليه إن استباحه وأقدم عليه كفارة فتحريم الحلال يمين عند أبي حنيفة رحمه الله ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فإذا حرم طعاماً فقد حلف على أكله أو أمة فعلى وطئها قال ابن عباس رضي الله عنهما: التحريم هو اليمين فلو قال لامرأته أنت علي حرام فلو نوى الطلاق طلقت وإن نوى اليمين كان يميناً وإن أراد الكذب لم يقع شيء وكذا لو حرم طعاماً على نفسه ونوى اليمين كان يميناً خلافاً للشافعي كما في «عين المعاني» وقال بعضهم: لم يثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال لما أحله الله هو حرام عليَّ وإنما امتنع عن مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا أقربها بعد اليوم فقيل له: لم تحرم ما أحل الله لك أي: لم تمنع منه بسبب اليمين يعني أقدم على ما حلفت عليه وكفر عن يمينك وظاهر قوله تعالى: ﴿**قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم**﴾ أنه كانت منه يمين فإن قلت: هل كفر رسول الله لذلك قلت: عن الحسن البصري قدس سره: أنه لم يكفر لأنه كان مغفوراً له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل أنه أعتق رقبة في تحريم مارية وعاودها لأنه لا ينافي كونه مغفوراً له أن يكفر فهو والأمة سواء في الأحكام ظاهراً ﴿**والله مولاكم**﴾ سيدكم ومتولي أموركم ﴿**وهو العليم**﴾ بما يصلحكم فيشرعه لكم.

﴿**الحكيم**﴾ المتقن في أفعاله وأحكامه فلا يأمركم ولا ينهاكم إلا حسبما تقتضيه الحكمة.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾

﴿**وإذ أسرَّ النبي**﴾ الإسرار خلاف الإعلان ويستعمل في الأعيان والمعاني والسر: هو الحديث المكتتم في النفس وأسررت إلى فلان حديثاً أفضيت به إليه في خفية فالإسرار إلى الغير يقتضي إظهار ذلك لمن يفضي إليه بالسر وإن كان يقتضي إخفاءه من غيره فإذا قولهم أسررت إلى فلان يقتضي من وجه الإظهار ومن وجه الإخفاء والنبي رسول الله عليه السلام فإن اللام للعهد وإذ ظرف أي: اذكر الحادث وقت الإسرار والأكثر المشهور أنه مفعول أي: واذكر يا محمد وقت إسرار النبي وإخفائه على وجه التأنيب والتعتب أو واذكروا أيها المؤمنون فالخطاب إن كان له عليه السلام، فالإظهار في مقام الإضمار بأن قيل وإذ أسررت للتعظيم بإيراد وصف ينبىء عن وجوب رعاية حرمته ولزوم حماية حرمه عما يكرهه وإن كان لغيره عموماً على الاشتراك أو خصوصاً على الانفراد فذكره بوصف النبي للإشعار بصدقه في دعوى النبوة ﴿**إلى بعض أزواجه**﴾ وهي حفصة رضي الله عنها تزوجها النبي عليه السلام، في شعبان على رأس

ثلاثين شهراً من الهجرة قبل أحد بشهرين وكان ولادتها قبل النبوة بخمس سنين وقريش تبني البيت وماتت بالمدينة في شعبان سنة خمس وأربعين وصلى عليها مروان بن الحكم وهو أمير المدينة يومئذ وحمل سريرها وحمله أيضاً أبو هريرة وقد بلغت ثلاثاً وستين سنة وأبو حفص أبوها عمر رضي الله عنه كناه به رسول الله عليه السلام، والحفص ولد الأسد ﴿**حديثاً**﴾ قال الراغب: كل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه يقال له حديث والمراد حديث تحريم مارية أو العسل أو أمر الخلافة قال سعدي المفتي فيه أن تحريم العسل ليس مما أسر إلى حفصة بل كان ذلك عند عائشة وسودة وصفية رضي الله عنهن ﴿**فلما نبأت به**﴾ أي: أخبرت حفصة صاحبتها التي هي عائشة بالحديث الذي أسره إليها رسول الله ﷺ وأفشته إليها ﴿**وأظهره الله عليه**﴾ أي: أطلع الله النبي على إفشاء حفصة ذلك الحديث على لسان جبريل فالضمير راجع إلى الحديث بتقدير المضاف وأظهر ضمن معنى أطلع من ظهر فلان السطح إذا علاه وحقيقته صار على ظهره وأظهره على السطح أي: رفعه عليه فاستعير للإطلاع على الشيء وهو من باب الإفعال بمعنى بررسانيدن كسي را برنهاني وديده وركردانيدن.

قال الراغب: ظهر الشيء أصله أن يحصل شيء على ظهر الأرض فلا يخفى وبطن إذا حصل في بطنان الأرض فيخفى ثم صار مستعملاً في كل بارز للبصر والبصيرة ﴿**عرف**﴾ النبي حفصة والتعريف بالفارسية بيا كاهيدن ﴿**بعضه**﴾ أي: بعض الحديث الذي أفشته إلى صاحبتها على طريق العتاب بأن قال لها: ألم أكُ آمرتك أن تكتمي سري ولا تبديه لأحد وهو حديث الإمامة.

روي أنه عليه السلام لما عاتبها قالت: والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحاً بالكرامة التي خص الله بها أباها وبعض الشيء جزء منه ﴿**وأعرض عن بعض**﴾ أي: عن تعريف بعض تكرماً وهو حديث مارية وقال بعضهم: عرف تحريم الأمة وأعرض عن تعريف أمر الخلافة كراهة أن ينتشر ذلك في الناس وتكرماً منه وحلماً وفيه جواز إظهار الشيوخ الفراسة والكرامات لمريديهم لتزيد رغبتهم في الطريقة وفيه حث على ترك الاستقصاء فيما جرى من ترك الأدب فإنه صفة الكرام قال الحسن البصري قدس سره: ما استقصى كريم قط وقال بعضهم: ما زال التغافل من فعل الكرام ﴿**فلما نبأها به**﴾ أي: أخبر النبي حفصة بالحديث الذي أفشته بما أظهره الله عليه من أنها أفشت سره ﴿**قالت من أنبأك هذا**﴾ من أخبرك عني هذا تعني إفشاءها للحديث ظنت أن عائشة أخبرته وفيه تعجب واستبعاد من إخبار عائشة بذلك لأنها أوصتها بالكتم ولم يقل من نبأك ليوافق ما قبله للتفنن ﴿**قال**﴾ النبي عليه السلام ﴿**نبأني**﴾ بفتح ياء المتكلم ﴿**العليم الخبير**﴾ الذي لا يخفى عليه خافية فسكتت وسلمت ونبأ أيضاً من قبيل التفنن يقال: إن أنبأ ونبأ يتعديان إلى مفعولين إلى الأول بنفسهما وإلى الثاني بالباء قد يحذف الأول للعلم به وقد يحذف الجار ويتعدى الفعل إلى الثاني بنفسه أيضاً، فقوله تعالى: ﴿**فلما نبأها به**﴾ على الاستعمال الأول وقوله: فلما نبأت به على الاستعمال الثاني وقوله: من أنبأك على الاستعمال الثالث وقوله: العلم هو العالم والعلام من أسمائه سبحانه ومن أدب من علم أنه سبحانه عالم بكل شيء حتى بخطرات الضمائر ووساوس الخواطر أن يستحيي منه ويكف عن معاصيه ولا يغتر بجميل ستره ويخشى بغتات قهره ومفاجأة مكره وعن بعضهم أنه قال: كنت جائعاً، فقلت لبعض معارفي إني جائع فلم يطعمني شيئاً فمضيت فوجدت درهماً ملقى في الطريق فرفعته فإذا

عليه مكتوب أما كان الله عالماً بجوعك حتى طلبت من غيره والخبير بمعنى العليم، وقال الإمام الغزالي قدس سره: إذا اعتبر العلم المطلق فهو العليم مطلقاً وإذا أضيف إلى الغيب والأمور الباطنة فهو الخبير وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد وإذا علم العبد أنه تعالى خبير بأفعاله مطلع على سره علم أنه تعالى أحصى عليه جميع ما عمله أو أخفى في عمله وإن كان هو قد نسيه فيخجل خجلاً يكاد يهلكه.

حكي أن رجلاً تفكر يوماً فقال عمري كذا كذا سنة يكون كذا كذا شهراً يكون منها كذا كذا يوماً فبلغ عمره من الأيام ألوفاً كثيرة فقال: لو لم أعص الله كل يوم إلا معصية واحدة لكان في ديوان عملي كذا كذا ألف معصية وإني في كل يوم عملت كثيراً من المعاصي ثم صاح وفارق الدنيا.

يقول الفقير:

مذنبم كرچه ولي رب غفوريم كرست   بمن افناده دهد از كرمش شايد دست

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾.

﴿إن تتوبا إلى الله﴾ خطاب لحفصة وعائشة رضي الله عنهما فالالتفات من الغيبة إلى الخطاب للمبالغة في الخطاب لكن العتاب يكون للأولياء كما أن العقاب يكون للأعداء كما قيل:

إذا ذهب العتاب فليس ود   ويبقى الود ما بقي العتاب

ففيه إرادة خير لحفظة وعائشة بإرشادهما إلى ما هو أوضح لهما **﴿فقد صغت قلوبكما﴾** الفاء للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق وإلا فالجزاء يجب أن يكون مرتباً على الشرط مسبباً عنه وصغو قلبيهما كان سابقاً على الشرط وكذا الكلام في **﴿وإن تظاهرا﴾** الخ والمعنى فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه من صغا يصغو صغواً مال وأصغى إليه مال بسمعه قال الشاعر:

تصغي القلوب إلى أغر مبارك   من آل عباس بن عبد المطلب

وجمع القلوب لئلا يجمع بين تثنيتين في كلمة فراراً من اجتماع المتجانسين وربما جمع **﴿وإن تظاهرا عليه﴾** بإسقاط إحدى التاءين وهو تفاعل من الظهر لأنه أقوى الأعضاء أي: تتعاونا على النبي عليه السلام، بما يسوءه من الإفراط في الغيرة وإفشاء سره وكانت كل منكما ظهراً لصاحبتها فيه **﴿فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين﴾** قوله هو مبتدأ ثان جيء به لتقوي الحكم لا للحصر وإلا لانحصرت الولاية له عليه السلام، في الله تعالى فلا يصح عطف ما بعده عليه وقوله وجبريل عطف على موضع اسم إن بعد استكمالها خبرها وكذا قوله **﴿وصالح المؤمنين﴾** وإليه مال السجاوندي رحمه الله إذ وضع علامة الوقف على المؤمنين والظاهر أن صالح مفرد ولذلك كتبت الحاء بدون واو الجمع ومنهم من جوز كونه جمعاً بالواو والنون وحذفت النون بالإضافة وسقطت واو الجمع في التلفظ لالتقاء الساكنين وسقطت في

الكتابة أيضاً حملاً للكتابة على اللفظ نحو يمح الله الباطل ويدع الإنسان وسندع الزبانية إلى غير ذلك والمعنى فلن يعدم هو أي النبي عليه السلام، من يظاهره فإن الله هو ناصره وجبريل رئيس الملائكة المقربين قرينه ورفيقه ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه فيكون جبريل وما بعده أي: على تقدير العطف داخلين في الولاية لرسول الله ويكون جبريل أيضاً ظهيراً له بدخوله في عموم الملائكة ويجوز أن يكون الكلام قد تم عند قوله مولاه ويكون جبريل مبتدأ وما بعده عطفاً عليه وظهير خبر للجميع تختص الولاية بالله قال ابن عباس رضي الله عنهما: أراد بصالح المؤمنين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قال في «الإرشاد» هو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملائكة فإنه جمع بين الظهير المعنوي والظهير الصوري كيف لا وإن جبريل ظهيره يؤيده بالتأييدات الإلهية وهما وزيراه في تدبير أمور الرسالة وتمشية الأحكام ظاهرة ومعاون آن حضرت كه رضاي أو بررضاي فرزندان خود ايثاركنند.

ولأن بيان مظاهرتهما له عليه السلام، أشده تأثيراً في قلوب بنتيهما وتوهيناً لأمرهما فكان حقيقاً بالتقديم بخلاف ما إذا أريد به جنس الصالحين كما هو المشهور وعن بعضهم إن المراد بصالح المؤمنين الأصحاب أو خيارهم وعن مجاهد هو علي رضي الله عنه، يقول الفقير: يؤيده قوله عليه السلام يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى فإن الصالحين الأنبياء هم عليهم السلام، كما قال تعالى: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢] وقال حكاية عن يوسف الصديق عليه السلام، ﴿وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١] فإذا كان علي بمنزلة هارون فهو صالح مثله وقال السهيلي رحمه الله: لفظ الآية عام فالأولى حملها على العموم قال الراغب: الصلاح ضد الفساد الذي هو خروج الشيء عن الاعتدال والانتفاع قل أو كثر وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال وقوبل الصلاح في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة.

وروي أن رجلاً قال لإبراهيم بن أدهم قدس سره: إن الناس يقولون لي صالح فبم أعرف أني صالح فقال: اعرض أعمالك في السر على الصالحين فإن قبلوها واستحسنوها فاعلم أنك صالح وإلا فلا وهذا من كلم الحكمة. ﴿**والملائكة**﴾ مع تكاثر عددهم وامتلاء السماوات من جموعهم.

وقال الكاشفي: وتمام فرشتكان آسمان وزمين ﴿**بعد ذلك**﴾ أي: بعد نصرة الله وناموسه الأعظم وصالح المؤمنين وفيه تعظيم لنصرتهم لأنها من الخوارق كما وقعت في بدر ولا يلزم منه أفضلية الملائكة على البشر ﴿**ظهير**﴾ خبر والملائكة والجملة معطوفة على جملة ﴿**فإن الله هو مولاه**﴾ وما عطف عليه أي: فوج مظاهر له معين كأنهم يد واحدة على من يعاديه فماذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه وما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿**بعد ذلك**﴾ من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث أن نصرة الكل نصرة الله بهم وبمظاهرتهم أفضل من سائر وجوه نصرته يعني: أن نصرة الله إما نصرة ذاتية بلا آلة ولا سبب أو نصرة بتوسط مخلوقاته والثاني: يتفاوت بحسب تفاوت قدرة المخلوقات وقوتهم ونصرة الملائكة أعظم وأبعد رتبة بالنسبة إلى سائر المخلوقات على حسب تفاوت قدرتهم وقوتهم فإنه تعالى مكن الملائكة على ما لم يمكن الإنسان عليه فالمراد بالبعدية ما كان بحسب الرتبة لا الزمان بأن يكون مظاهرة الملائكة أعظم بالنسبة إلى نصرة المؤمنين وجبريل دخل في عموم الملائكة ولا يخفى أن نصرة جميع الملائكة وفيهم جبريل أقوى من نصرة جبريل وحده قال في «الإرشاد»: هذا ما قالوا

ولعل الأنسب أن يجعل ذلك إشارة إلى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهرة الملائكة تداركاً لما يوهمه الترتيب من أفضلية المقدم أي: في نصرة فكأنه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه السلام، إيذاناً بعلو رتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبراً لفصلها عن مظاهرة جبريل، قال بعضهم: لعل ذكر غير الله مع أن الإخبار بكونه تعالى مولاه كافٍ في تهديدهما لتذكير كمال رفعة شأن النبي عليه السلام، عند الله وعند الناس وعند الملائكة أجمعين.

يقول الفقير أيده الله القدير: هذا ما قالوا والظاهر أن الله تعالى مع كفاية نصرته ذكر بعد نفسه من كان أقوى في نصرته عليه السلام، من المخلوقات لكون المقام مقام التظاهر لكون عائشة وحفصة متظاهرتين وزاد في الظهير لكون المقام مقام التهديد أيضاً وقدم جبريل على الصلحاء لكونه أول نصير له عليه السلام، من المخلوقات وسفيراً بينه وبين الله تعالى وقدم الصلحاء على الملائكة لفضلهم عليه في باب النصرة لأن نصرة الملائكة نصرة بالفعل القالبي ونصرة الصلحاء نصرة به وبالهمة وهي أشد وما يفيده البعدية من أفضلية تظاهرهم على تظاهر الصلحاء فمن حيث الظاهر إذ هم أقدر على الأفعال الشاقة من البشر فاقتضى مقام التهديد ذكر البعدية وفي قوله **﴿وصالح المؤمنين﴾** إشارة إلى غريبة أطلعني الله تعالى عليها وهي أن صالحاً اسم النبي عليه السلام، كما في «المفردات»، فإن قلت كيف هو ونصرة النبي لنفسه محال قلت هذه نصرة من مقام ملكيته لمقام بشريته ومن مقام جمعه لمقام فرقه ومن مقام ولايته لمقام نبوته كالتسليم في قوله السلام عليك أيها النبي إن صح أنه عليه السلام، قال في تشهده ونظيره نصرة موسى عليه السلام لنفسه حين فر من القبط كما قال ففررت منكم وذلك لأن فيه نصرة نفسه الناطقة لنفسه الحيوانية وفيه إشارة أيضاً إلى القلب والقوى الروحانية المنصورة على النفس بتأييد الله تعالى وتأييد ملك الإلهام قال بعض الكبار ليس في العالم أعظم قوة من المرأة بسر لا يعرفه إلا من عرف فيم وجد العالم وبأي حركة أوجده الحق تعالى وإنه عن مقدمتين فإنه نتيجة والناتج طالب والطالب مفتقر والمنتوج مطلوب والمطلوب له عزة الافتقار إليه والشهوة في ذلك غالبة فقد بان لك محل المرأة من الموجودات وما الذي ينظر إليها من الخضرة الإلهية وبماذا كانت لها القوة وقد نبه تعالى على ما خصها به من القوة بقوله **﴿وإن تظاهرا﴾** الخ وما ذكر إلا معيناً قوياً من الملائكة الذين لهم الشدة والقوة فإن صالح المؤمنين يفعل بالهمة وهو أقوى من الفعل فإن فهمت فقد رميت بك على الطريق فإنه تعالى نزل الملائكة بعد ذكره نفسه وجبريل وصالح المؤمنين منزلة المعينين ولا قوة إلا بالله وقد أخبر الشيخ أفضل الدين الأحمدي قدس سره: أنه تفكر ذات ليلة في قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] قال فقلت أين المنازع الذي يحتاج في مقاتلته إلى جنود السماوات والأرض وقد قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفتح: ٧] وإذا كان هؤلاء جنوده فمن يقاتلون وما خرج عنهم شخص واحد فإذا بهاتف يقول لي لا تعجب فثمة ما هو أعجب فقلت: وما هو فقال: الذي قصه الله في حق عائشة وحفصة قلت: وما قص فتلا **﴿وإن تظاهرا﴾** الخ فهذا أعجب من ذكر الجنود انتهى. قال: فتحرك خاطري إلى معرفة هذه العظمة التي جعل الله نفسه في مقابلتها وجبريل وصالح المؤمنين فأخبرت بها في واقعة فما سررت بشيء سروري بمعرفة ذلك وعلمت من استندنا إليه ومن يقويهما وعلمت أن الله تعالى لولا ذكر نفسه في النصرة ما استطاعت

الملائكة والمؤمنون مقاومتهما وعلمت أنهما حصل لهما من العلم بالله والتأثير في العالم ما أعطاهما هذه القوة وهذا من العلم الذي كهيئة المكنون فشكرت الله على ما أولى انتهى. وكان الشيخ علي الخواص قدس سره يقول: ما أظن أحداً من الخلق استند إلى ما استند إليه هاتان المرأتان يقول لوط عليه السلام: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] فكان عنده والله الركن الشديد ولكن لم يعرفه وعرفتاه عائشة وحفصة فلم يعرف قدر النساء لا سيما عائشة وحفصة إلا قليل فإن النساء من حيث هن لهن القوة العظيمة حتى إن أقوى الملائكة المخلوقة من أنفاس العامة الزكية من كان مخلوقاً من أنفاس النساء ولو لم يكن في شرفهن إلا استدعاؤهن أعظم ملوك الدنيا كهيئة السجود لهن عند الجماع لكان في ذلك كفاية فإن السجود أشرف حالات العبد في الصلاة ولولا الخوف من إثارة أمر في نفوس السامعين يؤديهم إلى أمور يكون فيها حجابهم عما دعاهم الحق تعالى إليه لأظهرت من ذلك عجباً ولكن لذلك أهل والله عليم وخبير **﴿عسى ربه﴾** سزاست وشايد پروردكار او. يعني النبي عليه السلام **﴿إن طلقكن﴾** اكر طلاق دهدشماراكه زنان اوييد.

وهو شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه محذوف أو متقدم أي: طلقكن فعسى **﴿أن يبدله﴾** أي: يعطيه عليه السلام بدلكن **﴿أزواجاً﴾** مفعول ثان ليبدله وقوله **﴿خيراً منكن﴾** صفة للأزواج وكذا ما بعده من قوله مسلمات إلى ثيبات وفيه تغليب المخاطب على الغائبات فالتقدير إن طلقكما وغيركما أو تعميم الخطاب لكل الأزواج بأن يكن كلهن مخاطبات لما عاتبهما بأنه قد صغت قلوبكما وذلك يوجب التوبة شرع في تخويفهما بأن ذكر لهما أنه عليه السلام يحتمل أن يطلقكما ثم إنه إن طلقكما لا يعود ضرر ذلك إلا إليكما لأنه يبدله أزواجاً خيراً منكما وليس في الآية ما يدل على أنه عليه السلام، لم يطلق حفصة وأن في النساء خيراً منهن فإن تعليق الطلاق للكل لا ينافي تطليق واحدة وما علق بما لم يقع لا يجب وقوعه يعني: إن هذه الخيرية لما علقت بما لم يقع لم تكن واقعة في نفسها وكان الله عالماً بأنه عليه السلام، لا يطلقهن ولكن تأخير عن قدرته على أنه إن طلقهن أبدله خيراً منهن تخويفاً لهن كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨] فإنه إخبار عن القدرة وتخويف لهم لا أن في الوجود من هو خير من أصحاب محمد عليه السلام، قيل: كل عسى في القرآن واجب إلا هذا وقيل هو أيضاً واجب ولكن الله علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقهن فإن المذهب أنه ليس على وجه الأرض نساء خير من أمهات المؤمنين إلا أنه عليه السلام، إذا طلقهن لعصيانهن له وأذاهن إياه كان غيرهن من الموصوفات بهذه الصفات مع الطاعة لرسول الله خيراً منهن وفي «فتح الرحمن» عسى تكون للوجوب في ألفاظ القرآن إلا في موضعين أحدهما: في سورة محمد ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ [محمد: ٢٢] أي علمتم أو تمنيتم والثاني: هنا ليس بواجب لأن الطلاق معلق بالشرط فلما لم يوجد الشرط لم يوجد الإبدال **﴿مسلمات مؤمنات﴾** مقرات باللسان مخلصات بالجنان فليس من قبيل التكرار أو منقادات انقياد ظاهرياً بالجوارح مصدقات بالقلوب **﴿قانتات﴾** مطيعات أي: مواظبات على الطاعة أو مصليات **﴿تائبات﴾** من الذنوب **﴿عابدات﴾** متعبدات أو متذللات لأمر الرسول عليه السلام، **﴿سائحات﴾** صائمات سمي الصائم سائحاً لأنه يسيح في النهار بلا زاد فلا يزال ممسكاً إلى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في إمساكه إلى أن يجيء وقت إفطاره وقال بعضهم: الصوم ضربان صوم حقيقي هو

ترك المطعم والمشرب والمنكح وصوم حكمي وهو حفظ الجوارح من المعاصي كالسمع والبصر واللسان والسائح هو الذي يصوم هذا الصوم دون الأول انتهى أو مهاجرات من مكة إلى المدينة إذ في الهجرة مزيد شرف ليس في غيرها كما قال ابن زيد: ليس في أمة محمد سياحة إلا الهجرة والسياحة في اللغة الجولان في الأرض ﴿ثيبات﴾ شوهر ديدكان ﴿وأبكاراً﴾ ودحتران بكر.

والثيب الرجل الداخل بامرأة والمرأة المدخول بها يستوي فيه المذكر والمؤنث فيجمع المذكر على ثيبين والمؤنث على ثيبات من ثاب إذا رجع سميت به المرأة لأنها راجعة إلى زوجها إن أقام بها وإلى غيره إن فارقها أو إلى حالتها الأولى وهي أنه لا زوج لها فهي لا تخلو عن الثوب أي: الرجوع وقس عليها الرجل وسميت العذراء بالبكر لأنها على أول حالتها التي طلعت عليها قال الراغب: سميت التي لم تفتض بكراً اعتباراً بالثيب لتقدمها عليها فيما يراد له النساء ففي البكر معنى الأولية والتقدم ولذا يقال البكرة لأول النهار والباكورة للفاكهة التي تدرك أولاً وسط بينهما العاطف دون غيرهما لتنافيهما وعدم اجتماعهما في ذات واحدة بخلاف سائر الصفات فكأنه قيل: ﴿أزواجاً خيراً﴾ منكن متصفات بهذه الصفات المذكورة المجودة كائنات بعضها ثيبات تعريضاً لغير عائشة وبعضها أبكاراً تعريضاً لها فإنه عليه السلام، تزوجها وحدها بكراً وهو الوجه في إيراد الواو الواصلة دون أو الفاصلة لأنها توهم الكل ثيبات أو كلها أبكار قال السهيلي رحمه الله: ذكر بعض أهل العلم أن في هذا إشارة إلى مريم البتول وهي البكر وإلى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون وأن الله سيزوجه عليه السلام إياهما في الجنة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال أبو الليث رحمه الله: تكون وليمة في الجنة ويجتمع عليها أهل الجنة فيزوج الله هاتين المرأتين يعني آسية ومريم من محمد عليه السلام وبدأ بالثيب قبل البكر لأن زمن آسية قبل زمن مريم ولأن أزواج النبي عليه السلام كلهن ثيب إلا واحدة وأفضلهن خديجة وهي ثيب فتكون هذه القبلية من قبلية الفضل والزمان أيضاً لأنه تزوج الثيب منهن قبل البكر وفي «كشف الأسرار»:

روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل على خديجة وهي تجود بنفسها يعني وي وفات ميكند.

فقال: أتكرهين ما نزل بك يا خديجة وقد جعل الله في الكره خيراً كثيراً فإذا قدمت على ضراتك فأقرئيهن مني السلام فقالت: يا رسول الله ومن هن قال مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وحليمة أخت موسى فقالت بالرفاء والبنين أي: أعرست ملتبساً بالرفاء وهو الالتئام والاتفاق والمقصود حسن المعاشرة وكان هذا دعاء الأوائل للمعرس واحترز بالبنين عن البنات ثم نهى النبي ﷺ عن هذا القول وأمر بأن يقول من دخل على الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير ثم إن المراد من الإبدال أن يكون في الدنيا كما أفاده قوله تعالى: ﴿إن طلقكن﴾ لأن نساء الجنة يكن أبكاراً سواء كن في الدنيا ثيبات أو أبكاراً وفي الحديث: «إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف ثيب وثمانية آلاف بكر يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا» فإن قلت فإذاً يكون أكثر أهل الجنة النساء وهو مخالف لقوله عليه السلام: «يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار» قلت: لعل المراد بالرجل بعض الرجال لأن طبقات الأبرار والمقربين متفاوتة كما دل عليه قوله عليه السلام:

«أدنى أهل الجنة الذي له اثنتان وسبعون زوجة وثمانون ألف خادم» ولا بعد في كثرة الخادم لما قال بعضهم: إن أطفال الكفار خدام أهل الجنة على أن الخدام لا ينحصرون فيهم بل لأهل الجنة خدام أخر فإن قلت كان عليه السلام يحب الأخف الأيسر في كل شيء فلماذا كثر من النساء ولم يكتف منهن بواحدة أو ثنتين قلت: ذلك من أسرار النبوة ولذا لم يشبع من الصلاة ومن النساء.

روي أنه عليه السلام أعطي قوة أربعين رجلاً في البطش والجماع وكل حلال يكدر النفس إلا الجماع الخلال فإنه يصفيها ويجلي العقل والقلب والصدر ويورث السكون باندفاع الشهوة المحركة على أن شهوة الخواص ليست كشهوة العوام فإن نار الشهوة للخواص بعد نور المحبة وللعوام قبله ثم إن في الآيات المتقدمة فوائد منها أن تحريم الحلال غير مرضي كما أن ابتغاء رضا الزوج بغير وجهه وجه ليس بحسن ومنها أن إفشاء السر ليس في المروءة خصوصاً إفشاء أسرار السلاطين الصورية والمعنوية لا يعفي وكل سر جاوز الاثنين شاع أي: المسر والمسر إليه أو الشفتين ومنها أن من الواجب على أهل الزلة التوبة والرجوع قبل الرسوخ واشتداد القساوة ومنها أن البكارة وجمال الصورة وطلاقة اللسان ونحوها وإن كانت نفاسة جسمانية مرغوبة عند الناس لكن الإيمان والإسلام والقنوت والتوبة ونحوها نفاسة روحانية مقبولة عند الله وشرف الحسب أفضل من شرف النسب والعلم اللدني والأب الشرعي هما الحسب المحسوب من الفضائل فعلى العاقل أن يتحلى بالورع وهو الاجتناب عن الشبهات والتقوى وهو الاجتناب عن المحرمات ويتزين بزين أنواع المكارم والأخلاق الحسنة والأوصاف الشريفة المستحسنة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم﴾ أمر من الوقاية بمعنى الحفظ والحماية والصيانة أصله أو قيوا كاضربوا والمراد بالنفس هنا ذات الإنسان لا النفس الأمارة والمعنى احفظوا وبعدوا أنفسكم وبالفارسية نكاه داريد نفسهاي خودرا ودور كنيد.

يعني بترك المعاصي وفعل الطاعات **﴿وأهليكم﴾** بالنصح والتأديب والتعليم أصله أهلين جمع أهل حذفت النون بالإضافة وقد يجمع على أهالي على غير قياس وهو كل من في عيال الرجل والنفقة من المرأة والولد والأخ والأخت والعم وابنه والخادم ويفسر بالأصحاب أيضاً ودلت الآية على وجوب الأمر بالمعروف للأقرب فالأقرب وفي الحديث «رحم الله رجلاً قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معهم في الجنة» وفي الحديث: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» وهو من الرعاية بمعنى الحفظ يعني كلكم ملتزم بحفظ ما يطالب به من العدل إن كان ولياً ومن عدم الخيانة إن كان مولياً عليه وكلكم مسؤول عما التزم حفظه يوم القيامة فالإمام على الناس راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وعبد الرجل راع على مال سيده والكل مسؤول وقيل أشد الناس عذاباً يوم القيامة من جهل أهله وخص الأهلين بالنصيحة مع أن حكم الأجانب كحكمهم في ذلك

لأن الأقارب أولى بالنصيحة لقربهم كما قال تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] ولأن شرائط الأمر والنهي قد لا توجد في حق الأجانب بخلاف الأقارب لا سيما الأهل فإن الرجل سلطان أهله وقال بعض أهل الإشارة في الآية طهروا أنفسكم عن دنس محبة الدنيا حتى تكون أهاليكم صالحين بمتابعتكم فإذا رغبتم في الدنيا فهم يشتغلون بها فإن زلة الإمام زلة المأمومين وقال القاشاني رحمه الله: الأهل بالحقيقة هو الذي بينه وبين الرجل تعلق روحاني واتصال عشقي سواء اتصل به اتصالاً جسمانياً أم لا، وكل ما تعلق به تعلقاً عشقياً فبالضرورة يكون معه في الدنيا والآخرة فوجب عليه وقايته وحفظه من النار كوقاية نفسه فإن زكى نفسه عن الهيئات الظلمانية وفيه ميل ومحبة لبعض النفوس المنغمسة فيها لم يزكها بالحقيقة لأنه بتلك المحبة ينجذب إليها فيكون معها في الهاوية محجوباً بها سواء كانت قواه الطبيعية الداخلة في تركيبه أم نفوساً إنسانية منتكسة في عالم الطبيعة خارجة عن ذاته ولهذا يجب على الصادق محبة الأصفياء والأولياء ليحشر معه فإن المرء يحشر مع من أحب ﴿ناراً﴾ نوعاً من النار. ﴿وقودها﴾ ما يوقد به تلك النار يعني حطبها وبالفارسية آتش انكيزوي.

فالوقود بالفتح اسم لما توقد به النار من الحطب وغيره والوقود بالضم مصدر بمعنى الاتقاد وقرىء به بتقدير أسباب وقودها أو بالحمل على المبالغة ﴿الناس﴾ كفار الإنس والجن وإنما لم يذكر الجن أيضاً لأن المقصود في الآية تحذير الإنس ولأن كفار الجن تابعة لكفار الإنس لأن التكذيب إنما صدر أولاً من الإنس. ﴿والحجارة﴾ أي: تتقد بها أيضاً اتقاد غيرها بالحطب فيه بيان لغاية إحراقها وشدة قوتها فإن اتقاد النار بالحجارة مكان الحطب من الشجر يكون من زيادة حرها ولذلك قال عليه السلام: ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وعن ابن عباس رضي الله عنهم، هي حجارة الكبريت وهي أشد الأشياء حراً إذا أوقد عليها ولها سرعة الاتقاد ونتن الرائحة وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالأبدان فيكون العذاب بها أشد وقيل وقدها الناس إذا صاروا إليها والحجارة قبل أن يصيروا إليها.

قال الكاشفي:

تابتان سنكين كه كفارمي پرستند

دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] وقرن الناس بالحجارة لأنهم نحتوها واتخذوها أرباباً من دون الله يا كنجهاي زروسيم كه منشأ آن سنكست:

زدوسيمند سنك زرد وسفيد اندرين سنكها ميندا ميد
دلي ازسنك سخت تربايد كه زسنكيش راحت افزايد
دل ازين سنك اكر توبرنكني سرز حسرت بسي بسنك زني

وقيل: أراد بالحجارة الذين هم في صلابتهم عن قبول الحق كالحجارة كمن وصفهم بقوله ﴿فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] كما قال في «التأويلات النجمية»: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ بالإيمان العلمي ﴿قوا أنفسكم وأهليكم﴾ من القوى الروحانية نار حجاب البعد والطرد التي يوقدها حطب وجود الناسين ميثاق ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وحجارة قلوبهم القاسية وهم الصفات البشرية الطبيعية الحيوانية البهيمية السبعية الشيطانية انتهى. وأمر

الله المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة حيث قال ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤] للمبالغة في التحذير ولأن الفساق وإن كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فإنهم تبع للكفار في دار واحدة فقيل للذين آمنوا قوا أنفسكم باجتناب الفسوق مجاورة الذين أعدت لهم هذه النار أصالة ويبعد أن يأمرهم بالتوقي عن الارتداد كما في «التفسير الكبير».

﴿عليها﴾ أي: على تلك النار العظيمة. **﴿ملائكة﴾** تلي أمرها وتعذيب أهلها وهم الزبانية التسعة عشر وأعوانهم فليس المراد بعلى الاستعلاء الحسي بل الولاية والقيام والاستيلاء والغلبة على ما فيها من الأمور قال القاشاني هي القوى السماوية والملكوتية الفعالة في الأمور الأرضية التي هي روحانيات الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر المشار إليها بالزبانية التسعة عشر وغيرها من المالك الذي هو الطبيعة الجسمانية الموكلة بالعالم السفلي وجمع القوى والملكوت المؤثرة في الأجسام التي لو تجردت هذه النفوس الإنسانية عنها ترقت من مراتبها واتصلت بعالم الجبروت وصارت مؤثرة في هذه القوى الملكوتية ولكنها لما انغمست في الأمور البدنية وقرنت أنفسها بالأجرام الهيولانية المعبر عنها بالحجارة صارت متأثرة منها محبوسة في أسرها معذبة بأيديها **﴿غلاظ﴾** غلاظ القلوب بالفارسية سطبر جكران.

جمع غليظ بمعنى خشن خال قلبه عن الشفقة والرحمة **﴿شداد﴾** شداد القوى جمع شديد بمعنى القوي لأنهم أقوياء لا يعجزون عن الانتقام من أعداء الله على ما مروا به وقيل غلاظ الأقوال شداد الأفعال أقوياء على الأفعال الشديدة يعملون بأرجلهم كما يعملون بأيديهم إذا استرحموا لم يرحموا لأنهم خلقوا من الغضب وجبلوا على القهر لا لذة لهم إلا فيه فمقتضى جبلتهم تعذيب الخلق بلا مرحمة كما أن مقتضى الحيوان الأكل والشرب ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة أو كما بين المشرق والمغرب يضرب أحدهم بمقمعته ضربة واحدة سبعين ألفاً فيهوون في النار **﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾** أي: أمره في عقوبة الكفار وغيرها على أنه بدل اشتمال من الله وما مصدرية أو فيما أمرهم به على نزع الخافض وما موصولة أي لا يمتنعون من قبول الأمر ويلتزمونه ويعزمون على إتيانه فليست هذه الجملة مع التي بعدها في معنى واحد وقال الكاشفي:

كأعوان ملوك الدنيا يمتنعون بالرشوة برشوت فريفته نشوند تا مخالفت امربا يدكرد

﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ أي يؤدون ما يؤمرون به من غير تثاقل وتوان وتأخير وزيادة نقصان وقال القاضي: لا يعصون الله ما أمرهم فيما مضى ويستمرون على فعل ما يؤمرون به في المستقبل قال بعضهم: لعل التعبير في الأمر أولاً بالماضي مع نفي العصيان بالمستقبل لما أن العصيان وعدمه يكونان بعد الأمر وثانياً بالمستقبل لما أمرهم بعذاب الأشقياء يكون مرة بعد مرة قال بعض الكبار في هذه الآية دليل على عصمة جميع الملائكة السماوية وذلك لأنهم عقول مجردة بلا منازع ولا شهوة فيهم مطيعون بالذات بخلاف البشر والملائكة الأرضية الذين لا يصعدون إلى السماء فإن من الملائكة من لا يصعد من الأرض إلى السماء أبداً كما أن منهم من لا ينزل من السماء إلى الأرض أبداً وفيها دليل أيضاً على أنه لا نهي عند هؤلاء الملائكة فلا عبادة للنهي عندهم ففاتهم أجر ترك المنهيات بخلاف الثقلين وملائكة الأرض فإنهم جمعوا بين أجر عبادة الأمر وأجر اجتناب النهي قال الكرماني في «شرح البخاري»: إن قلت التروك أيضاً

عمل لأن الأصح أن الترك كف النفس فيحتاج إلى النية. قلت: نعم إذا كان المقصود امتثال أمر الشارع وتحصيل الثواب أما في إسقاط العقاب فلا فالتارك للزنى يحتاج فيه لتحصيل الثواب إلى النية وما اشتهر أن التروك لا تحتاج إليها يريدون به في الإسقاط يعني لو أريد بالتروك تحصيل الثواب وامتثال أمر الشارع لا بد فيها من قصد الترك امتثالاً لأمر الشارع فتارك الزنى إن قصد تركه امتثال ألامر يثاب.

﴿**يا أيها الذين كفروا**﴾ أي يقال لهم عند إدخال الملائكة إياهم النار حسبما أمروا به يعني چون زبانيه كافران رابكناء دوزخ آرند ايشان آغاز اعتذار كرده داعية خلاصي نمايند پس حق تعالى باملائكه كويد ﴿**يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم**﴾ أي: في هذا اليوم يعني عذر مكوييد امر وزكه عذر مقبول نيست وفائده نخواهد داد.

قال القاشاني إذ ليس بعد خراب البدن ورسوخ الهيئات المظلمة إلا الجزاء على أعمال لامتناع الاستكمال ثمة والاعتذار بالفارسية عذر خواستن.

يقال اعتذرت إلى فلان من جرمي ويعدى بمن والمعتذر قد يكون محقاً وغير محق قال الراغب العذر تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه وذلك ثلاثة أضرب أن يقول لم أفعل أو يقول فعلت لأجل كذا فيذكر ما يخرجه عن كونه مذنباً أو يقول فعلت ولا أعود ونحو ذلك وهذا الثالث هو التوبة فكل توبة عذر وليس كل عذر توبة واعتذرت إليه أتيت بعذر وعذرته قبلت عذره ﴿**إنما تجزون ما كنتم تعملون**﴾ في الدنيا من الكفر والمعاصي بعد ما نهيتم عنها أشد النهي وأمرتم بالإيمان والطاعة فلا عذر لكم قطعاً أي حقيقة وأنهى عن الإتيان بما هو عذر صورة وفي حسبانهم وفي بعض التفاسير لا تعذروا اليوم لما أنه ليس لكم عذر يعتد به حتى يقبل فينفعكم وهذا النهي لهم إن كان قبل مجيء الاعتذار منهم فيوافق ظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٦] وإن كان بعده فيؤول هذا القول ويقال لا يؤذن لهم أن يتموا اعتذارهم ولا يسمع إليه وفي «التأويلات النجمية»: قل للذين ستروا الحق بالباطل وحجبوا عن شهود الحق في الدنيا لا تطلبوا مشاهدة الحق في الآخرة إنما تكافؤون بعدم رؤية الحق اليوم لعدم رؤيتكم له في يوم الدنيا كما قال ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء: ٧٢] انتهى.

قال بعض العارفين لا يتحسر يوم القيامة على فوات الأعمال الصالحة إلا العامة أما العارفون فلا يرون لهم عملاً يتحسرون على فواته بل ولا يصح الفوات أبداً إنما هي قسمة عادلة يجب على كل عبد الرضى بها وقول الإنسان أنا مقصر في جنب الله هو من باب هضم النفس لا حقيقة إذ لا يقدر أحد أن ينقص مما قسم له ذرة ولا يزيد عليه ذرة فلا يصح اللوم إلا في أعمال توهم العبد أنها له ثم فوتها وذلك لا يقوله عارف.

مصراع در دائره قسمت من نقطه تسلم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾.

﴿**يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً**﴾ التوبة أبلغ وجوه الاعتذار بأن يقول

فعلت وأسأت وقد أقلت وفي الشرع ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة فمتى اجتمع هذه الأربعة فقد كملت شرائط التوبة كما في «المفردات» والنصح تحري فعل أو قول فيه صلاح صاحبه والنصوح فعول من أبنية المبالغة كقولهم رجل صبور وشكور أي بالغة في النصح وصفت التوبة بذلك على الإسناد المجازي وهو وصف التائبين وهو أن ينصحوا أنفسهم بالتوبة فيأتوا بها على طريقها وذلك أن يتوبوا من القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لا يعودون في قبيح من القبائح إلا أن يعود اللبن في الضرع وكذا لو حزوا بالسيف وأحرقوا بالنار موطنين أنفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف أصلاً وعن علي رضي الله عنه: أنه سمع أعرابياً يقول اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك فقال يا هذا إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال: وما التوبة؟ قال: إن التوبة يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة، وللفرائض الإعادة، أي القضاء صلاة أو صوماً أو زكاة أو نحوها، ورد المظالم واستحلال الخصوم، وأن تعزم على أن لا تعود وأن تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية، وأن تذيقها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعاصي قال سعدي المفتي: والمذهب السني أنه يكفي في تحقق التوبة الندم والعزم على أن لا يعود بخلاف أهل الاعتزال حيث يلزم في تحققها عندهم رد المظالم وهو عندنا غير واجب في التوبة، قال بعض الكبار: ما لم تكن التوبة عامة من جميع المخالفات فهي ترك لا توبة وقيل نصوحاً من نصاحة الثوب بالفتح وهي بالفارسية جامعه دوختن أي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وفي الحديث: «المؤمن واه راقع فطوبى لمن مات على رقعه» ومعناه أن يخرق دينه ثم يرقعه بالتوبة ونحوه «استقيموا ولن تحصوا» أي: لن تستطيعوا أن تستقيموا في كل شيء حتى لا تميلوا ومنه يا حنظلة ساعة فساعة ومن بلاغات الزمخشري ما منع قول الناصح أن يروقك وهو الذي ينصح خروقك شبه فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح إذا خلص من الشمع شبه التوبة في خلوصها بذلك وكذا تخلص قول الناصح من الغش بتخلص العسل من الخلط ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل بمقتضياتها وقال ذو النون المصري قدس سره التوبة إدمان البكاء على ما سلف من الذنوب والخوف من الوقوع فيها وهجران إخوان السوء وملازمة أهل الجنة وقال التستري رحمه الله هي توبة السني لا المبتدع لأنه لا توبة له بدليل قوله عليه السلام: حجر الله على كل صاحب بدعة أن يتوب. وقال الواسطي قدس سره: هي أن يتوب لا لغرض وقال الشيخ أبو عبد الله بن حفيف قدس سره طالب عباده بالتوبة وهو الرجوع إليه من حيث ذهبوا عنه والنصوح في التوبة الصدق فيها وترك ما منه تاب سراً وعلناً وقولاً وفكراً وقال القاشاني رحمه الله: مراتب التوبة كمراتب التقوى فكما أن أول مراتب التقوى هو الاجتناب عن المنهيات الشرعية وآخرها الاتقاء عن الأنانية والبقية فكذلك التوبة أولها الرجوع عن المعاصي وآخرها الرجوع عن ذنب الوجود الذي هو من أمهات الكبائر عند أهل التحقيق:

توبه چون باشد پشيمان آمدن ... بر درحق نو مسلمان آمدن
خدمتي از سر كرفتن بانياز ... باحقيقت روى كردن ازمجاز

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى المؤمنين الذين لم تترسخ أقدامهم في أرض الإيمان ترسخ أقدام الكمل ويحثهم على التوبة إلى الله بالرجوع عن الدنيا ومحبتها والإقبال على الله وطاعته توبة بحيث ترفو جميع خروق وقعت في ثوب دينه بسبب استيفاء اللذات الجسمانية واستقصاء الشهوات الحيوانية ويقال توبة العوام عن الزلات والخواص عن الغفلات والأخص عن رؤية الحسنات وفي الحديث: «أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة» ودخل في الناس الذكور والإناث وهي أي التوبة واجبة على الفور لما في التأخير من الإصرار على المحرم وهو يجعل الصغيرة كبيرة وعلامة قبول التوبة أن لا يذكره الله ذنبه لأن التوبة لا تبقى للذنب وجوداً فمتى ذكر التائب ذنبه فتوبته معلولة وقد تكون التوبة مقبولة عند الله ومع ذلك فلا تدفع عن العاصي العذاب كما لو تاب السارق عند الحاكم لا ترفع توبته عنه حد القطع وفي حديث ماعز كفاية فإنه عليه السلام قال في حقه إنه تاب توبة لو قسمت على أهل مدينة لوسعتهم ومع ذلك فلم تدفع توبته عنه الحد بل أمر عليه السلام برجمه فرجم فاعرف وفي «المثنوي»:

بود مردي پيش ازين نامش نصوح   بدزد لاكئ زن اورا فتوح
بود روى اوچو رخسار زنان   مردئ خودرا همي كرداو نهان
أو بحمام زنان دلاك بود   در دغا وحيله بس چالاك بود
سالها مي كردد لاكي وكس   بونبرد ازحال وسر آن هوس
زانكه آواز ورخش زن وار بود   ليك شهوت كامل وبيدار بود
دختران خسرو انرا زين طريق   خوش همي ماليدومي شست آن عشيق
توبهامي كردو پادرمي كشيد   نفس كافر توبه اش را مي دريد
رفت پيش عارفي آن زشت كار   كفت مارا در دعايي ياد دار
سرا ودانست آن آزاد مرد   ليك چون حلم خدا پيدا نكرد
سست خنديد وبكفت اي بدنهاد   ز انكه داني ازيدت توبه دهاد
آن دعا ازهفت كردون در كذشت   كارآن مسكين بآخر خوب كشت
يك سبب انكيخت صنع ذي الجلال   كه رها نيدش زنفرين ووبال
اندران حمام پرمي كردطشت   كوهري از دخترشه ياوه كشت
كوهري از حلقهاي كوش او   ياوه كشت وهرزني درجست وجو
پس در حمام رابستند سخت   تابجو يند اولش دربيخ رخت
رختها جستند وآن پيدا نشد   دزد كوهر نيزهم رسوا نشد
پس بجد جستن كرفتند ازكزاف   دردهان وكوش واندرهر شكاف
بالك آمدكه همه عريان شويد   هركه هستيد از عجوز وكرنويد
يك بيك راح حاجبه جستن كرفت   تابديد آيدكهر دانه شكفت
آن نصوح ازترس شد درخلوتي   روي زر دولب كبود از خشيتي
كفت يا رب بارها بركشته ام   توبها وعهدها بشكسته ام
كرده ام آنها كه از من مي سزيد   تا چنين سيل سياهي در رسيد
نوبت جستن اكر در من رسد   وه كه جان من چه سختيها كشد

اين چنين اندوه كافر رامباد ... دامن رحمت كرفتم داد داد
كرمرا اين بارستاري كني ... توبه كردم من زهرنا كردني
من اكر اين بار تقصيري كنم ... پس كر مسنودعا وكفتنم
درميان يا رب ويا رب بدو ... بانك آمد ازميان جست وجو
جمله را جستيم پيش آاي نصوح ... كشت بيهوش آن زمان پريد روح
بعد آن خوف وهلاك جان بده ... مژدها آمدكه اينك كم شده
از غريو ونعره ودستك زدن ... پرشده حمام قد زال الحزن
آن نصوح رفته باز آمد بخويش ... ديد چشمش تا بش صدر وزپيش
مي حلالي خواست ازوي هركسي ... بوسه مي دادند بردستش بسي
بد كمان بوديم ما راكن حلال ... لحم تو خورديم اندر قيل وقال
زانكه ظن جمله بروي پيش بود ... زانكه در قربت زجمله پيش بود
كوهرار بردست او بردست وبس ... زملازم تربخا تون نيست كس
أول اورا خواست جستن درنبرد ... بهر حرمت داشتش تأخير كرد
تابود كانرا بيندازد بجا ... اندرين مهلت رهاند خويش را
پس حلاليها ازومي خواستند ... وزبراي عذر برمي خواستند
كفت بد فضل خداي دادكر ... ورنه زانچم كفته شد هستم بتر
آنچه كفتندم زبدازصد يكيست ... برمن اين كشفست اركس راشكيست
آفرنيها برتو بادا اي خدا ... ناكهان كردي مرا ازغم جدا
كر سر هرموي من كردد زبان ... شكر هاي تونيايد دربيان
بعد ازان آمد كسي كز مرحمت ... دختر سلطان ما مي خواندت
ختر شاهت همي خواند بيا ... تا سرش شويي كنون أي پارسا
كفت رور ودست من بي كار شد ... وين نصوح توكنون بيمارشد
روكسي ديكر بجوا شتاب وتفت ... كه مرا والله دست ازكار رفت
بادل خود كفت كز حد رفت جرم ... ازدل من كي رودآن ترس وكرم
من بمردم يك ره وباز آمدم ... من چشيدم تلخئ مرك وعدم
توبهٔ كردم حقيقت با خدا ... نشكتم تاجان شدن ازتن جدا
بعد آن محنت كرا بار دكر ... پارود سوي خطر الاكه خر

﴿عسى ربكم﴾ شايد بروردكار شما وفي «كشف الأسرار» الله برخود واب كرد تائب را از شما **﴿أن يكفر عنكم سيئاتكم﴾** يسترها بل يمحوها ويبدلها حسنات **﴿ويدخلكم جنات﴾** جمع جنات إما لكثرة المخاطبين لأن لكل منهم جنة أو لتعددها لكل منهم من الأنواع **﴿تجري من تحتها الأنهار﴾** قال في «الإرشاد»: وورود صيغة الإطماع والترجية للجري على سنن الكبرياء فإن الملوك يجيبون بلعل وعسى ويقع ذلك موقع القطع والإشعار بأنه تفضل والتوبة غير موجبة له وأن العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء وإن بالغ في إقامة وظائف العبادة.

يقول الفقير: التكفير إشارة إلى الخلاص من الجحيم لأن السيئات هي سبب العذاب فإذا زال السبب زال المسبب وإدخال الجنات إشارة إلى التقريب لأن الجنان موضع القرب والكرامة

وجريان الأنهار إشارة إلى الحياة الأبدية لأن الماء أصل الحياة وعنصرها فلا بد للإنسان في مقابلة هذه الأنهار من ماء العلم ولبن الفطرة وعسل الإلهام وخمر الحال فكما أن الحياة المعنوية في الدنيا إنما تحصل بهذه الأسباب فكذا الحياة الصورية في الآخرة إنما تحصل بصورها.

﴿يوم لا يخزي الله النبي﴾ ظرف ليدخلكم والإخزاء دور كردن ورسوا كردن وخوار كردن وهلاك كردن.

ومعاني هذه الكلمة يقرب بعضها من بعض كما في «تاج المصادر» والنبي المعهود.

يعني روزي كه حجل نكند خداي تعالى پيغمبررا يعني نه نفس اورا عذاب كندونه شفاعت اورا درباره عاصيان مردود سازد.

قال بعض أهل التفسير: يخزي إما من الخزي وهو الفضاحة فيكون تعريضاً للكفرة الذين قال الله تعالى فيهم ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [النحل: ٢٧] أومن الخزاية بمعنى الحياء والخجل وهو الأنسب هنا بالنظر إلى شأن الرسول خصوصاً إذا تم الكلام في النبي وإن أريد المعنى الأول حينئذٍ يجوز أن يكون باعتبار أن خزي الأمة لا يخلو عن إنشاء خزي ما في الرسول على ما يشعر به قوله في دعائه اللهم لا تخزنا يوم القيامة ولا تفضحنا يوم اللقاء بعض الإشعار حيث لم يقل لا تخزني كما قال إبراهيم عليه السلام، ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الشعراء: ٨٧] ليكون دعاؤه عاماً لأمته من قوة رحمته وأدخل فيهم نفسه العالية من كمال مروءته قيل الخزي كناية عن العذاب لملازمة بينهما والأولى العموم لكل خزي يكون سبباً من الأسباب من الحساب والكتاب والعقاب وغيرها ﴿والذين آمنوا معه﴾ عطف على النبي ومعه صلة لا يخزي أي لا يخزي الله معه الذين آمنوا أي يعمهم جميعاً بأن لا يخزيهم أو حال من الموصول بمعنى كائنين معه أو متعلق بآمنوا وهو الموافق لقوله تعالى: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ﴾ [النحل: ٤٤] أي ولا يخزي المؤمنين الذين أتبعوه في الإيمان كما قال ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وذلك بسوء الحساب والتعيير والعتاب وذل الحجاب ورد الجواب فيحاسبهم حساباً يسيراً بل ويرفع الحساب عن بعضهم ويلاطفهم ويكشف لهم جماله ويعطي مأمولهم من الشفاعة لأقاربهم وإخوانهم ونحو لهم وقال داود القيصري رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ﴾ [النحل: ٤٤] أي إسلام سليمان أي أسلمت كما أسلم سليمان ومع في هذا الموضع كمع في قوله ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: ٨] وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح: ٢٨ ـ ٢٩] ولا شك أن زمان إيمان المؤمنين ما كان مقارناً لزمان إيمان الرسول وكذا إسلام بلقيس ما كان عند إسلام سليمان فالمراد كما أنه آمن بالله آمنوا بالله وكما أنه أسلم أسلمت لله انتهى كلام القيصري وتم الكلام عند قوله معه وفيه تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر والفسوق كما سبق واستحماد إلى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم وقيل قوله ﴿والذين﴾ الخ مبتدأ خبره ما بعده من قوله ﴿نورهم﴾ الخ. أو خبره معه والمراد بالإيمان هو الكامل حينئذٍ حتى لا يلزم أن لا يدخل عصاة المؤمنين النار. ﴿نورهم﴾ أي: نور إيمانهم وطاعتهم على الصراط قال في «عين المعاني» نور الإخلاص على الصراط لأهل المعاملة بمنزلة الشمع ونور الصدق لأرباب الأحوال بمنزلة القمر ونور الوفاء لأهل المحبة بمنزلة شعاع الشمس ﴿يسعى﴾ السعي المشي

القوي السريع ففيه إشارة إلى كمال اللمعان ﴿بين أيديهم﴾ أي يضيء بين أياديهم يعني قدامهم جمع يد يراد بها قدام الشيء لتكون بين اليدين غالباً فالجمع إما بإطلاقه على التثنية أو بكثرة أيدي العباد ﴿وبأيمانهم﴾ جمع يمين مقابل الشمال أي وعن أيمانهم وشمائلهم على وجه الإضمار يعني جهة أيمانهم وشمائلهم أو عن جميع جهاتهم وإنما اكتفى بذكرهما لأنهما أشرف الجهات ومن أدعيته عليه السلام، اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً وعن يميني نوراً وعن شمالي نوراً وأمامي نوراً وخلفي نوراً وفوقي نوراً وتحتي نوراً واجعلني نوراً وقال بعضهم: تخصيص الأيدي والأيمان لأن أرباب السعادة يؤتون صحائف أعمالهم منهما كما أن أصحاب الشقاوة يأتون من شمائلهم ووراء ظهورهم فيكون ذلك علامة لذلك وقائداً على الصراط إلى دخول الجنة وزينة لهم فيها وقال القاشاني: نورهم يسعى بين أيديهم أي الذي لهم بحسب النظر والكمال العلمي وبأيمانهم أي الذي لهم بحسب العمل وكماله إذ النور العلمي من منبع الوحدة والعلمي من جانب القلب الذي هو يمين النفس أو نور السابقين منهم يسعى بين أيديهم ونور الأبرار منهم يسعى بأيمانهم وقد سبق تمامه في سورة الحديد وفي الحديث من المؤمنين من نوره أبعد ما بيننا وبين عدن أبين ومنهم من نوره لا يجاوز قدمه.
﴿يقولون﴾ أي: يقول المؤمنون وهو الظاهر أو الرسول لأمته والمؤمنون لأنفسهم إذا طفىء نور المنافقين إشفاقاً أي يشفقون على العادة البشرية على نورهم ويتفكرون فيما مضى منهم من الذنوب فيقولون: ﴿ربنا﴾ أي: پروردكارما ﴿أتمم لنا نورنا﴾ نكاه دار وباقي دار نورما تابسلامت بكذريم.

فيكون المراد بالإتمام هو الإدامة إلى أن يصلوا إلى دار السلام ﴿واغفر لنا﴾ يعني از ظلمت كناه پاك كن ﴿إنك على كل شيء قدير﴾ من الإتمام والمغفرة وغيرهما وقيل يدعون تقرباً إلى الله تعالى مع تمام نورهم كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور له قال في «الكشاف»: كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب؟ قلت: لما كانت حالهم كحال المتقربين يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقرباً وقيل يتفاوت نورهم بحسب أعمالهم فيسألون إتمامه تفضلاً فيكون قوله يقولون من باب بنو فلان قتلوا زيداً وقيل السابقون إلى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبواً وزحفاً وأولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا وقال سهل قدس سره: لا يسقط الافتقار إلى الله عن المؤمنين في الدنيا ولآخرة وهم في العقبى أشد افتقاراً إليه وإن كانوا في دار العز والغنى ولشوقهم إلى لقائه يقولون أتمم لنا نورنا.

واعلم أن ما لا يتم في هذه الدار لا يتم هناك إلا ما كان متعلق النظر والهمة هنا فاعرف ثم أن الأنوار كثيرة نور الذات ونور الصفات ونور الأفعال ونور العبادات مثل الصلاة والوضوء وغيرهما كما قال عليه السلام في حديث طويل «والصلاة نور» والسر فيه أن المصلي يناجي به ويتوجه إليه وقد قال عليه السلام إن العبد إذا قام يصلي فإن الله ينصب له وجهه تلقاءه والله نور وحقيقة العبد ظلمانية فالذات المظلمة إذا واجهت الذات النيرة وقابلتها بمحاذاة صحيحة فإنها تكتسب من أنوار الذات النيرة ألا ترى القمر الذي هو في ذاته جسم أسود مظلم كثيف صقيل كيف يكتسب النور من الشمس بالمقابلة وكيف يتفاوت اكتسابه للنور بحسب التفاوت الحاصل في المحاذاة والمقابلة فإذا تمت المقابلة وصحت المحاذاة كمل اكتساب النور وفي الحديث بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام في يوم القيامة وفيه إشارة إلى أن كل ظلمة

ليست بعذر لترك الجماعة بل الظلمة الشديدة فإن الأعذار التي تبيح التخلف عن الجماعة المرض الذي يبيح التيمم ومثله كونه مقطوع اليد والرجل من خلاف أو مفلوجاً أو لا يستطيع المشي أو أعمى أو المطر والطين والبرد الشديد والظلمة الشديدة للصحيح وكذا الخوف من السلطان أو غيره من المتغلبين وفي الحديث وددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا يا رسول الله ألسنا إخوانك قال أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: أرأيتم لو أن رجلاً له خيل غير محجلة بين ظهراني خيل دهم بهم ألا يعرف خيله قالوا بلى يا رسول الله قال فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض استعار عليه السلام لأثر الوضوء من البياض في وجه المتوضىء ويديه ورجليه بنور الوضوء يوم القيامة من البياض الذي في وجه الفرس ويديه ورجليه فإن الغر جمع الأغر والغرة بالضم بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم والتحجيل بتقديم الحاء المهملة بياض قوائم الفرس كلها ويكون في رجلين ويد وفي رجلين فقط وفي رجل فقط ولا يكون في اليدين خاصة إلا مع الرجلين ولا في يد واحدة دون الأخرى إلا مع الرجلين والدهم جمع الأدهم بمعنى الأسود فإن الدهمة بالضم السواد والبهم جمع الأبهم وفرس بهيم إذا كان على لون واحد لم يشبه غيره من الألوان ومنه استعير ما روي أنه يحشر الناس يوم القيامة بهماً بالضم أي ليس بهم شيء مما كان في الدنيا نحو البرص والعرج والفرط بفتحتين المتقدم لإصلاح الحوض والدلو.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾

﴿يا أيها النبي﴾ أي رسول خبر دهنده يا بلند قدر **﴿جاهد الكفار﴾** بالسيف يعني جهادكن با كافران بشمشير **﴿والمنافقين﴾** بالحجة أو بالوعيد والتهديد أو بإلقائهم بوجه قهر أو بإفشاء سرهم وقال القاشاني جاهد الكفار والمنافقين للمضادة الحقيقية بينك وبينهم قيل النفاق مستتر في القلب ولم يكن للنبي عليه السلام سبيل إلى ما في القلوب من النفاق والإخلاص إلا بعد إعلام من قبل الله فأمر عليه السلام، بمجاهدة من علمه منافقاً بإعلام الله إياه باللسان دون السيف لحرمة تلفظه بالشهادتين وأن يجري عليه أحكام المسلمين ما دام ذلك إلى أن يموت **﴿واغلظ عليهم﴾** واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وفيه إشارة إلى أن الغلظة على أعداء الله من حسن الخلق فإن أرحم الرحماء إذا كان مأموراً بالغلظة عليهم فما ظنك بغيره فهي لا تنافي الرحمة على الأحباب كما قال تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] **﴿ومأواهم جهنم﴾** سيرون فيها عذاباً غليظاً يعني ومقام بازكشت كافران ومنافقان اكرايمان نيارند ومخلص نشوند دوزخست.

قال القاشاني: ما داموا على صفتهم أو دائماً أبداً لزوال استعدادهم أو عدمه **﴿وبئس المصير﴾** أي: جهنم أو مصيرهم وفيه تصريح بما علم التزاماً مبالغة في ذمهم وفيه إشارة إلى نبي القلب المجاهد في سبيل الله فإنه مأمور بجهاد الكفار أي النفس الأمارة بالسوء وصفاتها الحيوانية الشهوانية وبجهاد المنافقين أي الهوى المتبع وصفاته البهيمة والسبعية وبالغلظة عليهم بسيف الرياضة ورمح المجاهدة ومقامهم جهنم البعد والحجاب وبئس المصير إذ ذل الحجاب وبعد الاحتجاب أشد من شدة العذاب.

يقول الفقير: إذا كان الأعداء الظاهرة يحتاجون إلى الغلظة والشدة فما ظنك بأعدى الأعداء وهي النفس الأمارة ففي الغلظة عليها نجاة وفي اللين هلاك ولذا قال بعض الشعراء:

هست نرمي آفت جان سمور وزدرشتي مي برد جان خارپشت

وفي المثل العصا لمن عصا وقول الشيخ سعدي:

درشتي ونرمي بهم در بهست چو فصاد جراح ومرهم نهست

يشير إلى أن للمؤمن صفة الجمال والجلال وبهاء الكمال، فأول المعاملات الجمال لأن الله تعالى سبقت رحمته، ثم الجلال، فلما لم تقبل الكفار الدعوة بالرفق واللين، وكذا المنافقون الإخلاص واليقين أمر الله تعالى نبيه عليه السلام، بالغلظة عليهم، ليظهر أحكام كل من الأسماء المتقابلة ففيه إشارة إلى أن من خلق للرحمة، وهم المؤمنون لا يغضب عليهم ولا يغلظ لأنه قلب الحكمة وعكس المصلحة وإن من خلق للغضب وهم الكفار والمنافقون لا يرحم لهم ولا يرفق بهم لذلك ودخل فيهم أهل البدعة ولذا لا يجوز أن يلقاهم السني بوجه طلق وقد عاتب الله بعض من فعل ذلك فعلى المؤمن أن يجتهد في طريق الحق حتى يدفع كيد الأعداء ومكر الشياطين عن الظاهر والباطن ويديم ذلك لأن به يحصل الترقي الذي هو من خصائص الإنسان ولذا خص الجهاد بالثقلين وأما جهاد الملائكة فبالتبعية أو بتكثير السواد فاعرف.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا﴾ ضرب المثل في أمثال هذه المواضع عبارة عن إيراد حالة غريبة ليعرف بها حالة أخرى مشاكلة لها في الغرابة أي يجعل الله مثالاً لحال هؤلاء الكفرة حالاً ومآلاً على أن مثلاً مفعول ثان لضرب واللام متعلقه به ﴿امرأة نوح وامرأة لوط﴾ أي حالهما مفعوله الأول أخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء وامرأة نوح هي واعلة بالعين المهملة، أو والعة وامرأة لوط، هي واهلة بالهاء ﴿كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين﴾ بيان لحالهما الداعية لهما إلى الخير والصلاح والمراد بكونهما تحتهما كونهما في حكمهما وتصرفهما علاقة النكاح والزواج وصالحين صفة عبدين أي كانتا تحت نكاح نبيين وفي عصمة رسولين عظيمي الشأن متمكنتين من تحصيل خير الدنيا والآخرة وحيازة سعادتهما وإظهار العبدين المراد بهما نوح ولوط لتعظيمهما بالإضافة التشريفية إلى ضمير التعظيم والوصف بالصلاح وإلا فيكفي أن يقول تحتهما وفيه بيان شرف العبودية والصلاح ﴿فخانتاهما﴾ بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق ما ينفيها من صحبة النبي والخيانة ضد الأمانة فهي إنما تقال اعتباراً بالعهد والأمانة أي فخانتاهما بالكفر والنفاق والنسبة إلى الجنون والدلالة على الأضياف ليتعرضوا لهم بالفجور لا بالبغاء فإنه ما بغت امرأة نبي قط فالبغي للزوجة شد في إيراث الأنفة لأهل العار والناموس من الكفر وإن كان الكفر أشد منه في أن يكون جرماً يؤاخذ به العبد يوم القيامة وهذا تصوير لحالهما المحاكية لهؤلاء لكفرة في خيانتهم لرسول الله عليه السلام، بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الإيمان والطاعة ﴿فلم يغنيا﴾ الخ بيان لما أدى إليه خيانتهما أي: فلم يغن النبيان ﴿عنهما﴾ أي عن تينك المرأتين بحق الزواج. ﴿من

الله﴾ أي من عذابه تعالى ﴿شيئاً﴾ من الإغناء أي لم يدفعا العذاب عنهما زن نوح غرق شد بطوفان وبر سرزن لوط سنك باريد ﴿وقيل﴾ لهما عند موتهما أو يوم القيامة وصيغة المضي للتحقق قاله الملائكة الموكلون بالعذاب. ﴿ادخلا النار مع الداخلين﴾ أي: مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الأولياء ذكر بلفظ جمع المذكر لأنهن لا ينفردن بالدخول وإذا اجتمعا فالغلبة للذكور وقطعت هذه الآية طمع من يرتكب المعصية أن ينفعه صلاح غيره من غير موافقة له في الطريقة والسيرة وإن كان بينه وبينه لحمة نسب أو وصلة صهر قال القاشاني الوصل الطبيعية والاتصالات الصورية غير معتبرة في الأمور الأخروية بل المحبة الحقيقية والاتصالات الروحانية هي المؤثرة فحسب والصورية التي بحسب اللحمة الطبيعية والخلقة والمعاشرة لا يبقى له أثر فيما بعد الموت إذ لا أنساب بينهم يوم القيامة وقس عليه النسب الباطني فإن جميع القوى الخيرة والشريرة وإن تولدت من بين زوجي الروح والجسد لكن الشريرة ليست من أهل الروح في الحقيقة مثل ولد نوح فكل من السعداء والأشقياء مفترقون في الدارين.

چه نسبت است برندي صلاح وتقويرا سماع وعظ كجا نغمهٔ رباب كجا

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ أي جعل حالها مثلاً لحال المؤمنين في أن وصلة الكفر لا تضرهم حيث كانت في الدنيا تحت أعداء الله وهي في أعلى غرف الجنة والمراد آسية بنت مزاحم يقال رجل آسي وامرأة آسية من الأسى وهو الحزن قال بعض الكبار: الحزن حلية الأدباء ومن لم يذق طعام الحزن لم يذق لذه العبادة على أنواعها أو من الأسو وهو المداواة والآسي بالمد الطبيب ويقال هذا حث للمؤمنين على الصبر في الشدة حتى لا يكونوا في الصبر عند الشدة أضعف من امرأة فرعون التي صبرت على أذى فرعون كما سيجيء ﴿إذ قالت﴾ ظرف للمثل المحذوف أي ضرب الله مثلاً للمؤمنين حالها إذ قالت ﴿رب﴾ أي برورد كار من ﴿ابن لي﴾ على أيدي الملائكة أو بيد قدرتك فإنه روي أن الله تعالى خلق جنة عدن بيده من غير واسطة وغرس شجرة طوبى بيده ﴿عندك بيتاً في الجنة﴾ أي قريباً من رحمتك على أن الظرف حال من ضمير المتكلم لأن الله منزه عن الحلول في مكان أو ابن لي في أعلى درجات المقربين فيكون عند ظرفاً للفعل وفي الجنة صفة لبيتاً وفي «عين المعاني» عندك أي من عندك بلا استحقاق مني بل كرامة منك.

روي أنها لما قالت ذلك رفعت الحجب حتى رأت بيتها في الجنة من درة بيضاء وانتزع روحها. سئل بعض الظرفاء أين في القرآن مثل قولهم الجار قبل الدار قال قوله ابن لي عندك بيتاً في الجنة فعندك هو المجاورة وبيتاً في الجنة هو الدار ﴿ونجني من فرعون﴾ الجاهل ﴿وعمله﴾ الباطل أي من نفسه الخبيثة وسوء جوارها ومن عمله السيىء الذي هو كفره ومعاصيه ﴿ونجني من القوم الظالمين﴾ أي: من القبط التابعين له في الظلم.

روي أنه لما غلب موسى عليه السلام السحرة آمنت امرأة فرعون وقيل هي عمة موسى

آمنت به فلما تبين لفرعون إسلامها طلب منها أن ترجع عن إيمانها فأبت فأوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد يعني أو راچها ميخ كرد وربطها وألقاها في الشمس حق تعالى ملائكة رابفر مودتا كردوي در آمده ببالها خود اورا سايه كردند.

وأراها الله بيتها في الجنة ونسيت ما هي فيه من العذاب فضحكت فعند ذلك قالوا هي مجنونة تضحك وهي في العذاب وفي هذا بيان أنها لم تمل إلى معصية مع أنها كانت معذبة فلتكن صوالح النساء هكذا وقال الضحاك أمر بأن يلقى عليها حجر رحى وهي في الأوتاد فقالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة فما وصل الحجر إليها حتى رفع روحها إلى الجنة فألقي الحجر عليها بعد خروج فلم تجد ألماً وقيل اشتاقت إلى الجنة وملت من صحبة فرعون فسألت ذلك.

ودر أكثر تفاسير هست كه حق سبحانه ويرا بآسمان ابرد بچسدوي وحالا دربهشت است.

كما قال الحسن البصري قدس سره: رفعت إلى الجنة فهي فيها تأكل وتشرب وتتنعم قال في «الكشاف» وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء إليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الأنبياء والمرسلين وفي «المثنوي»:

تا فرود آيد بلايي دافعي چون نباشد از تضرع شافعي
جز خضوع وبندكي واضطرار اندرين حضرت ندارد اعتبار

فقدم الدعاء بكشف الضر مذموم عند أهل الطريقة لأنه كالمقاومة مع الله ودعوى التحمل لمشاقه كما قال ابن الفارض قدس سره:

ويحسن إظهار التجلد للعدى ويقبح غير العجز عند الأحبة

﴿**ومريم ابنة عمران**﴾ عطف على امرأة فرعون وجمع في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للأرامل وتطبيباً لأنفسهن وسميت مريم في القرآن باسمها في سبعة مواضع ولم يسم غيرها من النساء لأنها أقامت نفسها في الطاعة كالرجل الكامل ومريم بمعنى العابدة وقد سمى الله أيضاً زيداً في القرآن كما سبق في سورة الأحزاب والمعنى وضرب الله مثلاً للذين آمنوا حال مريم ابنة عمران والدة عيسى عليهما السلام، وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفاراً. ﴿**التي أحصنت فرجها**﴾ الإحصان العفاف يعني باز ايستادن اززشتي كما في «تاج المصادر» والفرج ما بين الرجلين وكني به عن السوءة وكثر حتى صار كالصريح فيه والمعنى حفظت فرجها عن مساس الرجال مطلقاً حراماً وحلالاً على آكد الحفظ وبالفارسية آن زناكه نكاه داشت دامن خود را از حرام.

وفاحشه كما في «تفسير الكاشفي» قال بعضهم: صانته عن الفجور كما صان الله آسية عن مباشرة فرعون لأنه كان عنيناً وهو من لا يقدر على الجماع لمرض أو كبر سن أو يصل إلى الثيب دون البكر فالتعبير عن آسية بالثيب كما مر في ثيبات لكونها في صورة الثيب من حيث أن لها بعلاً وقال السهيلي رحمة الله: إحصان الفرج معناه طهارة الثوب يريد فرج القميص أي لم يعلق بثوبها ريبة أي أنها طاهرة الأثواب فكنى بإحصان فرج القميص عن طهارة الثوب من الريبة وفروج القميص أربعة الكمان والأعلى والأسفل فلا يذهبن وهمك إلى غير هذا لأن القرآن أنزه معنى وأوجز لفظاً وألطف إشارة وأحسن عبارة من أن يريد ما ذهب إليه وهم الجاهل انتهى.

قال في «الكشاف»: ومن بدع التفاسير أن الفرج هو جيب الدرع ومعنى أحصنته منعته ﴿**فنفخنا فيه**﴾ الفاء للسببية والنفخ نفخ الريح في الشيء أي فنفخنا بسبب ذلك في فرجها على أن يكون المراد بالفرج هنا الجيب.

كما قال الكاشفي: بس درد ميديم در كريبان جامهء أو وكذا السجاوندي في «عين المعاني» أي: فيما انفرج من جيبها وكذا أبو القاسم في «الأسئلة» لم يقل فيها لأن المراد بالكناية جيب درعها وهو إلى التذكير أقرب فيكون قوله فيه من باب الاستخدام لأن الظاهر أن المراد بلفظ الفرج العضو وأريد بضميره معنى آخر للفرج ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦] وكذا يكون إسناد النفخ إلى الضمير مجازياً أي نفخ جبريل بأمرنا وهو إنما نفخ في جيب درعها ﴿**من روحنا**﴾ أي: من روح خلقناه بلا توسط أصل وأضاف الروح إلى ذاته تعالى تفخيماً لها ولعيسى كقوله وطهر بيتي وفي سورة الأنبياء فنفخنا فيها أي في مريم أي أحيينا عيسى في جوفها من الروح الذي هو من أمرنا وقال بعضهم أحيينا في فرجها وأوجدنا في بطنها ولداً من الروح الذي هو بأمرنا وحده بلا سببية أصل وتوسل نسل على العادة العامة أو من جهة روحنا جبريل لأنه نفخ من جيب درعها فوصل النفخ إلى جوفها أو ففعلنا النفخ فيه وقرىء فيها على وفاق ما في سورة الأنبياء أي في مريم والمآل واحد انتهى.

يقول الفقير: يلوح لي ههنا سر خفي وهو أن النفخ وإن كان في الجيب إلا أن عيسى لما كان متولداً من الماءين الماء المتحقق وهو ماء مريم والماء المتوهم وهو ما حصل بالنفخ كان النفخ في الجيب بمنزلة صب الماء في الفرج فالروح المنفوخ في الجيب كالماء المصبوب في الفرج والماء المصبوب وإن لم يكن الروح عينه إلا أنه في حكم الروح لأنه يخلق منه الروح ولذا قال تعالى: ﴿**فنفخنا فيه**﴾ أي: في الفرج سواء قلت إن فرج القميص أو العضو فاعرف ولا يقبله إلا الألباء الروحانيون ﴿**وصدقت**﴾ معطوف على أحصنت ﴿**بكلمات ربها**﴾ أي بالصحف المنزلة على الأنبياء عليهم السلام، وفي «كشف الأسرار» يعني الشرائع التي شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة ويقال صدقت بالبشارات التي بشر بها جبريل ﴿**وكتبه**﴾ أي بجميع كتبه المنزلة الشاملة للصحف وغيرها من الكتب الإلهية متقدمة أو متأخرة ﴿**وكانت من القانتين**﴾ أي: من عداد المواظبين على الطاعة فمن للتبعيض وفي «عين المعاني»: من المطيعين المعتكفين في المسجد الأقصى والتذكير لتغليب المذكر فإن مريم جعلت داخلة في ذلك اللفظ مع المذكرين والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم أو كانت من القانتين أي من نسلهم لأنها من أعقاب هارون أخي موسى عليه السلام، فمن لابتداء الغاية وعن النبي عليه السلام: كمل من الرجال كثير ولم تكمل من النساء إلا أربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام كان العرب لا يؤثرون على الثريد شيئاً حتى سموه بحبوحة الجنة وذلك لأن الثريد مع اللحم جامع بين الغذاء واللذة وسهولة التناول وقلة المؤونة في المضغ فضرب به مثلاً يؤذن بأنها أعطيت مع حسن الخلق حلاوة المنطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورصانة العقل والتحبب إلى البعل فهي تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس بها والإصغاء إليها وحسبك أنها عقلت من النبي عليه السلام، ما لم يعقل غيرها من النساء ورورت

ما لم يرو مثلها من الرجال وقد قال عليه السلام، في حقها خذوا ثلثي دينكم من عائشة ولذا قال في الأمالي:

وللصديقة الرجحان فاعلم على الزهراء في بعض الخصال

لكن الكمال المطلق إنما هو لفاطمة الزهراء رضي الله عنها، كما دل عليه الحديث المذكور وأيضاً دل تشبيه عائشة بالثريد على تشبيه غيرها من المذكورات باللحم وهو سيد الإدام.

يقول الفقير: رأيت في بعض الليالي المنورة كأن النبي عليه السلام يقول لي عائشة ست النساء اللاتي اجتمعن ومعناه على ما ألهمت وقتئذٍ أن عائشة رضي الله عنها هي السادسة من النساء الست اللاتي اجتمعن في نكاح رسول الله ﷺ كأن الست من التسع متساوية في الفضيلة ومنها عائشة لكن اشتهرت عائشة بالفضل ونودي عليها بذلك وخفيت أحوال الباقيات من الست لحكمة خفية إلهية ولذا لم يعين لي رسول الله ﷺ من بقيت من الست ودل الحديث على كثرة كمال الرجال وقلة كمال النساء فيما بعد عصر النبي عليه السلام، وإن كانت القرون متفاوتة والأعصار متباينة ولذا قال الحافظ:

نشان أهل خدا عاشقيست باخود دار که در مشايخ شهر اين نشان نمي بينم

(وقال المولى الجامي):

أسرار عاشقا نرا بايد زبان ديگر درداكه نيست پيدا درشهر همزباني

والله الهادي:

«تمت سورة التحريم في أوائل شهر الله رجب من الشهور المنتظمة في سلك شهور»
«سنة ست عشرة ومائة

٦٧ ــ سورة الملك

مكية وآيها ثلاثون بالاتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾.

﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ البركة النماء والزيادة حسية أو عقلية ونسبتها إلى الله تعالى باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله يعني أن البركة تتضمن معنى الزيادة وهي تقتضي التعالي عن الغير كما قال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] أي في ذاته لوجوب وجوده وفي صفاته وأفعاله لكل لكماله فيهما وأما قوله تخلقوا بأخلاق الله فباعتبار اللوازم وبقدر الاستعداد لا باعتبار الحقيقة والكنه فإن الاتصاف بها بهذا الاعتبار مخصوص بالله تعالى فأين إحياء عيسى عليه السلام الأموات من إحياء الله تعالى فإنه من الله بدعائه فالمعجزة استجابة مثل هذا الدعاء ومظهريته له بقدر استعداده وبهذا التقرير ظهر معنى قول بعض المفسرين تزايد في ذاته فإن التزايد في ذاته لا يكون إلا باعتبار تعاليه بوجوده الواجب وتنزهه عن الفناء والتغير والاستقلال وصيغة تبارك بالدلالة على غاية الكمال وإنبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ مثل يتبارك في حقه تبارك وتعالى وإسنادها إلى الموصول للاستشهاد بما في حيز الصلة على تحقق مضمونها والموصولات معارف ولا شك أن المؤمنين يعرفونه بكون الملك بيده وأما غيرهم فهم في حكم العارفين لأن الأدلة القطعية لما دلت على ذلك كان في قوة المعلوم عند العاقل واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل لما أن أثرها يظهر في الأكثر من اليد يقال فلان بيده الأمر والنهي والحل والعقد أي له القدرة الغالبة والتصرف العام والحكم النافذ قال الحكيم السنائي: يد اوقدر تست ووجه بقاش.

آمدن حكمش ونزول عطاش　　اصبعينش نفاذ حكم قدر
قد مينش جلال وقهر وخطر

وفي «عين المعاني» اليد صلة والقدرة والمذهب أنها صفة له تعالى بلا تأويل ولا تكييف والملك بمعنى التصرف والسلطنة واللام للاستغراق ولذا قال في «كشف الأسرار»: ملك هجده هزار عالم بدست اوست.

والمعنى تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتاً وصفة وفعلاً الذي بقبضة قدرته

التصرف الكلي في كل الأمور لا بقبضة غيره فيأمر وينهي ويعطي ويمنع ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفقر ويغني ويمرض ويشفي ويقرب ويبعد ويعمر ويخرب ويفرق ويصل ويكشف ويحجب إلى غير ذلك من شؤون العظمة وآثار القدرة الإلهية والسلطنة الأزلية والأبدية وقال بعضهم: البركة كثرة الخير ودوامه فنسبتها إلى الله تعالى باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات أي تكاثر خير الذي بيده الملك وتزايد نعمه وإحسانه كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨] قال الراغب البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء والمبارك ما فيه ذلك الخير ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة وإلى هذه الزيادة أشير بما روي لا ينقص مال من صدقة وقوله ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان: ٦١] تنبيه على ما يفيضه علينا من نعمه بوساطة هذه البروج والنيرات المذكورة وكل موضع ذكر فيه لفظة تبارك فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر تبارك وفي «الكواشي» معنى تبارك تعالى عن صفات المحدثين وجميع المستعمل من «ب ر ك» وبعكسه يشتمل على معنى أي ثبت الثبوت الخير في خرائن الذي وقال سهل قدس سره: تعالى من تعظم عن الأشياء والأولاد والأضداد والأنداد بيده الملك يقلبه بحوله وقوته يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء وقيل يريد به النبوة يعز بها من اتبع ويذل بها من خالف وقال جعفر قدس سره: هو المبارك على من انقطع إليه أو كان له أي فإنه وارث النبي عليه السلام، وخليفة وقد قيل في حقه وبارك عليه وقال القاشاني قدس سره الملك عالم الأجسام كما أن الملكوت عالم النفوس ولذلك وصف ذاته باعتبار تصريفه في عالم الملك بحسب مشيئته بالتبارك الذي هو غاية العظمة ونهاية الازدياد في العلو والبركة وباعتبار تسخيره عالم الملكوت بمقتضى إرادته بالتسبيح الذي هو التنزيه كقوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يس: ٨٣] كلاً بما يناسب لأن العظمة والازدياد والبركة تناسب الأجسام والتنزه يناسب المجردات عن المادة وفي الآية إشارة إلى أن لملك إذا كان بيده فهو المالك وغيره المملوك فلا بد للمملوك من خدمة المالك.

خدمت اوكن مكرشاهان تراخدمت كنند چا كر اوباش تاسلطان ترا كردد غلام

وفي الحديث القدسي: «يا دنيا اخدمي من خدمني».

قال في «كشف الأسرار»: ملك انسانيت جداست وملك دلها جدا وملك جانها جدا زيار انسانيت ملك در دنيا راند ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦] ودل ملك در آخرت راند ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] وجان ملك در عالم حقيقت راند ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] آن عزيز راه كوبد فرداكه علم كبرياي اوبقيامت برايدكه ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] من ازكوشهء دل خويش بدستورى اودري بركشايم ودردي ازدردهاي او بيرون دهم تاكرد قيامت بر آيد وكويم لمن الملك اكر معترضي براه آيد كويم او كه چون ما ضعفا ومساكين دارد ميكويد لمن الملك ماچون أو ملك جبارى داريم چرانكوييم لمن الملك اكر اورا چون ما بندكانست ماز چون او خدا وندانست.

ومن هذا البيان يعرف سر قول عين العارفين أبي يزيد البسطامي قدس سره إلهي ملكي أعظم من ملكك أي فإن ملك العبد هو القديم وملك الرب هو الحادث فاعرف جداً فإن هذا

المقام من مزالق الأقدام. ﴿وهو﴾ تعالى وحده ﴿على كل شيء﴾ من الأشياء وعلى كل مقدور من الأنعام والانتقال وغيرهما ﴿قدير﴾ مبالغ في القدرة عليه ومنتهى إلى أقصاها يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان أحكام ملكه تعالى في جلائل الأمور ودقائقها قال بعضهم: ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ أي ما يمكن أن تتعلق به المشيئة من المعدومات الممكنة لأن الموجود الواجب لا يحتاج في وجوده إلى شيء ويمتنع زواله أزلاً وأبداً والموجود الممكن لايراد وجوده إذ هو تحصيل الحاصل والمعدوم الممتنع لا يمكن وجوده فلا تتعلق به المشيئة فتعلق القدرة بالمعدوم بالإيجاد وبالموجود بالإبقاء والتحويل من حال إلى حال قال القاشاني وهو القادر على كل ما عدم من الممكنات يوجده على ما يشاء فإن قرينة القدرة تخص الشيء بالممكن إذ تعلل القدرة به فيقال إنه مقدور لأنه ممكن.

«وفي التأويلات النجمية»: تعالى وتعاظم في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله الذي بيده المطلقة الملأى السحاء سلطنة الوجود المطلق الفائض على الوجودات المقيدة وهو أي هويته المطلقة ظاهرة في كل شيء قادرة على كل شيء.

﴿الذي خلق الموت والحياة﴾ شروع في تحصيل بعض أحكام الملك وآثار القدرة والموصول بدل من الموصول الأول فلا وقف على القدير والموت عند أهل السنة صفة وجودية مضادة للحياة كالحرارة والبرودة والحياة صفة وجودية زائدة على نفس الذات مغايرة للعلم والقدرة مصححة لاتصاف الذات بهما وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من أن الموت والحياة جسمان وأن الله خلق الموت على صورة كبش أملح لا يمر بشيء ولا يجد رائحته شيء إلا مات وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء وهي التي كان جبريل والأنبياء عليهم السلام يركبونها خطوتها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشيء ولا يجد رائحتها شيء إلا حي وهي التي أخذ السامري من أثرها قبضة فألقاها على العجل فحيي فكلام وارد على سبيل التمثيل والتصوير وإلا فهما في التحقيق من قبيل الصفات لا من قبيل الأعيان هكذا قالوا وجوابه إن كون الموت والحياة صفتين وجوديتين لا ينافي أن يكون لهما صورة محسوسة كالأعيان فإنهما من مخلوقات عالم الملكوت ولكل منهما صورة مثالية في ذلك العام بها يرى ويشاهده يشاهده من يغيب عن عالم الملك وينسلخ عن البدن يؤيده قوله عليه السلام: «يذبح الموت بين الجنة والنار» على صورة كبش ولا شك أن الذبح إنما يتعلق بالأعيان وأيضاً عالم الآخرة عالم الصفة يعني أن كل صفة باطنة في الدنيا تتصور بصورة ظاهرة في العقبى حسنة أو قبيحة فلا شيء من المعاني إلا وهو مجسم مصور فقول ابن عباس رضي الله عنه محمول على هذا نعم إن قولهم إن الحياة فرس أنثى يخالف قولهم إن البراق حقيقة ثالثة لا ذكر ولا أنثى وقال بعضهم: الموت عبارة عن عدم صفة الحياة عن محل يقبلها يعني أن الموت والحياة من باب العدم والملكة فإن الحياة هي الإحساس والحركة الإرادية والاضطرارية كالتنفس والموت عدم ذلك عما من شأنه أن يكون له كما قال صاحب «الكشاف» الحياة ما يصح بوجوده الإحساس والموت عدم ذلك ومعنى خلق الموت والحياة إيجاد ذلك المصحح وإعدامه انتهى.

أي إيجاد أثر الموت بقطع ضوء الروح عن ظاهر الحي وباطنه مع كونه في غاية الاقتدار

على الحركة والتقلب وبجعله جماداً كأن لم تكن به حركة أصلاً وكذا إيجاد أثر الحياة بنفخ الروح وإضاءة ظاهر البدن وباطنه به وبجعله قادراً على التقلب بنفسه بالإرادة وعدم تلك الملكة ليس عدماً محضاً بل فيه شائبة الوجود وإلا لم يعتبر فيه المحل القابل للأمر الوجودي فلذلك صح تعلق الخلق بالموت كتعلقه بالحياة وبهذا التقرير اندفع ما اعترضوا به من أن العدم حال لا يكون مخلوقاً لأن المخلوق حادث وعد الحوادث أزلي ولو كان مخلوقاً لزم وجود الحوادث أزلاً وهو باطل وقال بعضهم: معنى خلق الموت على تقدير أن يكون الموت عبارة عن عدم الحياة قدره فإن الخلق يجيء بمعنى التقدير كما في قوله تعالى ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] ولا يبعد أن يقال إن تعلق الخلق بالموت بمعنى الإيجاد إنما هو بتبعية تعلقه بالحياة بذلك المعنى وقدم على الحياة لأن الموت في عالم الملك ذاتي والحياة عرضية يعني أن الموت أسبق لأن الأشياء كانت مواتاً ثم عرضت لها الحياة كالنطفة على ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨] ولأنه أدعى إلى إحساس العمل وأقرب إلى قهر النفوس فمن جعله نصب عينيه أفلح وفي الحديث: «لولا ثلاث ما طأطأ ابن آدم رأسه الفقر والمرض والموت» وفي «الإرشاد»: الأقرب أن المراد به الموت الطارىء وبالحياة ما قبله وما بعده لظهور مداريتهما كما ينطق به ما بعد الآية ﴿ليبلوكم﴾ الخ فإن استدعاء ملاحظتها لإحسان العمل مما لا ريب فيه مع أن نفس العمل لا يتحقق بدون الحياة الدنيوية انتهى.

وظاهره يخالف قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣] فإن المراد بهذه الحياة هي الحياة الدنيوية بقرينة النشور والقرآن يفسر بعضه بعضاً ثم إن الألف واللام في الموت والحياة عوض عن المضاف إليه أي موتكم وحياتكم أيها المكلفون لأن خلق موت غير المكلفين وحياتهم لابتلاء المكلفين لا معنى له قال بعض العارفين الموت والحياة عرضان والأعراض والجواهر مخلوقة له تعالى وأصل الحياة حياة تجليه وأصل الموت موت استتاره وهما يتعاقبان للعارفين في الدنيا فإذا ارتفعت الحجب يرتفع الموت عنهم بأنهم يشاهدون عياناً بلا استتار أبداً لا يجري عليهم طوارق الحجاب بعد ذلك قال الله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩] خلق الموت والحياة يميت قوماً بالمجاهدات ويحيي قوماً بالمشاهدات يميت قوماً بنعت الفناء في ظهور سطوات القدم ويحيي قوماً بنعت البقاء في ظهور أنوار البقاء لولا التجلي والاستتار لم يظهر شوق المشتاقين وتفاوت درجات الشوق ولا يتبين وله العاشقين وتفاوت درجاتهم في العشق وقال سهل قدس سره الموت في الدنيا بالمعصية والحياة في الآخرة بالطاعة في الدنيا وقال الجنيد قدس سره حياة الأجسام مخلوقة وهي التي قال الله تعالى خلق الموت والحياة وحياة الله دائمة لا انقطاع لها أوصلها إلى أوليائه في قديم الدهر الذي ليس له ابتداء فكانوا في علمه أحياء قبل إيجاده لهم ثم أظهرهم فأعارهم الحياة المخلوقة التي أحيا بها الخلق وأماتهم في سره فكانوا في سره بعد الوفاة كما كانوا ثم أورد عليهم حياة الأبد فكانوا أحياء أبداً وقال الواسطي قدس سره من أحياه الله عند ذكره في أزله لا يموت أبداً ومن أماته في ذلك لا يحيا أبداً وكم حي غافل عن حياته وميت غافل عن مماته ﴿**ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**﴾ اللام متعلقة بخلق وظاهرها يدل على أن أفعال الله معللة بمصالح العباد وأنه تعالى يفعل الفعل لغرض كما ذهب إليه المعتزلة وعند أهل السنة ليس هي على ظاهرها بل معناها أن الله

تعالى فعل فعلاً لو كان يفعله من يراعي المصالح لم يفعله إلا لتلك المصلحة والغرض فمثل هذه اللام لام العلة عقلاً ولام الحكمة والمصلحة شرعاً وأيكم مبتدأ وأحسن خبره وعملاً تمييز والجملة الاسمية سادة مسد المفعول الثاني لفعل البلوى عدي إليه بلا واسطة لتضمنه معنى العلم باعتبار عاقبته وإلا فهو لا يتعدى بلا واسطة إلا إلى مفعول واحد فليس هو من قبيل التعليق المشهور الذي يقتضي عدم إيراد المفعول أصلاً وقد ذكر المفعول الأول هنا وهو كم مع اختصاصه بأفعال القلوب ولا من التضمين المصطلح بل هو مستعار لمعنى العلم البلوى الاختبار وليس هنا على حقيقته لأنه إنما يتصور ممن يخفى عليه عواقب الأمور فالابتلاء من الله أن يظهر من العبد ما كان يعلم منه في الغيب والمعنى ليعاملكم معاملة من يختبركم أيكم أحسن عملاً فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم وأعمالكم فإن العلم غير مختص بعلم الجوارح ولذلك فسره عليه السلام، بقوله «أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله» يعني: أتم عقلاً عند الله فهما لمراده فإن لكل من القلب والقالب عملاً خاصاً به فكما أن الأول أشرف من الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا وعمله معرفة الله الواجبة على العباد أول كل شيء وإنما طريقها النظر والتفكر في بدائع صنع الله والتدبر في آياته المنصوبة في الأنفس والآفاق كما قال عليه السلام: «لا تفضلوني على يونس بن متى فإنه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض قالوا وإنما كان ذلك التفكر في أمر الله الذي هو عمل القلب ضرورة أن أحداً لا يقدر على أن يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل أهل الأرض» كذا في «الإرشاد».

يقول الفقير: لعل حال يونس عليه السلام، إشارة إلى عمل قالبي مفضل على عمل أهل الأرض في زمانه بخواص قلبية فإن أعمال المقربين واحد منها مقابل بمائة ألف بل بغير حساب باعتبار التفاوت في الإحسان والشهود والخلوص ولذا قال تعالى: ﴿أحسن﴾ فإنه بعبارته إشارة إلى أحوال المقربين وبإشارته إلى أحوال غيرهم من الأبرار والكفار والمنافقين وذلك أن نية الإنسان لا تخلو إما أن يكون متعلقها في لسانه وجنانه هو الدنيا فهو سيىء نية وعملاً وهو حال الكفار وإما أن يكون متعلقها في لسانه هو الآخرة وفي جنانه هو الدنيا فهو أسوأ نية وعملاً وهو حال المنافقين وأما أن يكون متعلقها في لسانه وجنانه هو الآخرة فهو حسن نية وعملاً وهو حال الأبرار وأما أن يكون متعلقها في لسانه وجنانه هو وجه الله تعالى فهو أحسن نية وعملاً وهو حال المقربين ولما كان المقصود الأعظم هو تحصيل هذا الأحسن صرح بذكره دون ذكر الحسن فإنه مفهوم بطريق الإشارة وكذا غيره ولقد أصاب من قال في تفسير الآية تابياز مايد شمارا يعني باشما معاملهء آزمايند كان كند تاظاهر شودكه دردار تكليف كدام از شما نيكو ترند ازجهت عمل يعني إخلاص كدام بيشترست.

وكذا من قال أحسن الأعمال ما كان أخلص بأن يكون لوجه الله خالصاً وأصوب بأن يكون موافقاً للسنة أي وارداً على النهج الذي ورد عن الشارع فالعمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ولذا قال عليه السلام للأعرابي: قم صل فإنك لم تصل وكذا إذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل أيضاً ولذا جعل الله أعمال أهل الرياء والنفاق هباء منثوراً وقول من قال من العارفين حسن العمل نسيان العمل ورؤية الفضل هو من مراتب الإخلاص فإن الإخلاص سر عظيم من أسرار الله تعالى لا يناله إلا الخواص وفي «الإرشاد» إيثار صيغة التفضيل مع أن

الابتلاء شامل لهم باعتبار أعمالهم المنقسمة إلى الحسن والقبيح أيضا لا إلى الحسن والأحسن فقط للإيذان بأن المراد بالذات والمقصد الأصلي من الابتلاء هو ظهور كمال إحسان المحسنين مع تحقق أصل الإيمان والطاعة في الباقين أيضاً لكمال تعاضد الموجبات له وأما الإعراض عن ذلك فلكونه بمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلاً عن الانتظام في سلك الغاية للأفعال الإلهية وإنما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب انتهى.

ثم إن المراد أيكم عمله أحسن من عمل غيره ولا معنى لقول السجاوندي في «عين المعاني» استفهام بمعنى الهمزة ولذا لم يعمل فيه الفعل تقديره ءأنتم أحسن عملاً أم غيركم انتهى. فإنه يشعر بأن يكون التفاوت بالنسبة إلى الإنسان وغيره كالملائكة ومؤمني الجن مثلاً وليس بمراد وعبارة القرآن في إسناد الحسن إلى الإنسان تدل على أن من كان عمله أحسن كان هو أحسن ولو أنه أبشع الناس منظراً و من كان عمله أسوأ كان بخلاف ذلك.

رءراست بايدند بالاي راست كه كافرهم ازروى صورت چوماست

ولم يقل أكثر عملاً لأنه لا عبرة بالكثرة مع القبح قالوا والحسن إنما يدرك بالشرع فما حسنه الشرع فهو حسن وما قبحه فهو قبيح وقال بعضهم: ليبلوكم أيكم أحسن أخذاً من حياته لموته وأحسن أهبة في دنياه لآخرته قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما «خذ من صحتك لسقمك ومن شبابك لهرمك، ومن فراغك لشغلك، ومن حياتك لموتك فإنك لا تدري ما اسمك غداً» وسئل عليه السلام، «أي المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم له استعداداً» فالاستعداد للموت وللآخرة بكثرة الأعمال المقارنة للإخلاص سواء كانت صلاة أو صوماً أو زكاة أو حجاً أو نحوها، وإن كان لبعض الأعمال تفاوت بالنسبة إلى البعض الآخر كالصلاة فإنها معراج الشهود وفيها كسر النفس وإتعاب البدن ولذا كان السلف الصالح يكثرون منها حتى أن منهم من يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ونحوها وكالصوم وتقليل الطعام فإنه سبب لورود الحكمة الإلهية إلى القلب ولذا كان بعض السلف يواصلون فمنهم من يطوي ثلاثة أيام ومنهم من يطوي فوق ذلك إلى سبعة إلى ثلاثين إلى أربعين فمن طوى أربعين يوماً انفتح له باب الحكمة العظمى مع أن في الصوم تهذيب الأخلاق أيضاً فإن أكثر المفاسد يجيء من قبل الأكل والشرب فيا أيها المؤمنون سابقوا وسارعوا فالنفس مطية والدنيا مضمار والسابقون السابقون أولئك المقربون وقد قال عليه السلام: «قد سبق المفردون» والتفريد هو تقطيع الموحد عن الأنفس والآفاق وشهود الحق في عالم الإطلاق فلا بد من السير والسلوك ثم الطيران في هواء الوحدة والهوية الذاتية فإن به يحصل الانفصال عن منازل الأكوان السفلية الحادثة ويتحقق العروج إلى عالم الوجوب والقدم نسأل الله من فضله أن يرينا وجهه الكريم إنه هو البر الرحيم. ﴿**وهو**﴾ أي وبحال أنه وحده ﴿**العزيز**﴾ الذي لا يفوته من أساء العمل. ﴿**الغفور**﴾ لمن شاء منهم بالتوبة وكذا بالفضل قال بعضهم لما كان العزيز منا يهلك كل من خالفه إذا علم بمخالفته قال مرغباً للمسيء في التوبة حتى لا يقول مثلي لا يصلح للخدمة لما لي من القاطعة وأين التراب ورب الأرباب الغفور الذي ستر ذنوب المسيء ويتلقى من أقبل إليه أحسن تلقٍ كما قال في الحديث القدسي «ومن أتاني يمشي أتيته هرولة».

﴿**الذي خلق سبع سموات**﴾ أبدعها من غير مثال سبق ﴿**طباقاً**﴾ صفة لسبع سماوات وقولهم الصفة في الإعداد تكون للمضاف إليه كما في قوله: ﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾ [يوسف: ٤٣]

لا يطرد ويجوز جعله حالاً لأن سبع سماوات معرفة لشمولها الكل وهو مصدر بمعنى الفاعل يقال طابقه مطابقة وطباق الشيء مثل كتاب مطابقة بكسر الباء وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما والباب يدل على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطيه، والمعنى مطابقة بعضها فوق بعض وسماء فوق سماء غلظ كل سماء خمسمائة عام وكذا جوها بلا علاقة ولا عماد ولا مماسة فالسماء الدنيا موج مكفوف، أي ممنوع من السيلان والثانية من درة بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس أو صفر والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء وبين السابعة وما فوقها من الكرسي والعرش بحار من نور قال القاشاني: نهاية كمال عالم الملك في خلق السموات أن لا يرى أحكم خلقاً وأحسن نظاماً وطباقاً منها.

قال الجمهور: إن الأرض مستديرة كالكرة وإن السماء الدنيا محيطة بها من كل جانب إحاطة البيضة بالمح فالصفرة بمنزلة الأرض وبياضها بمنزلة الماء وجلدها بمنزلة السماء غير أن خلقها ليس فيه استطالة كاستطالة البيضة بل هي مستديرة كاستدارة الكرة المستديرة الخرط حتى قال مهندسوهم لو حفر في الوهم وجه الأرض لأدى إلى الوجه الآخر ولو ثقب مثلاً بأرض الأندلس لنفذ الثقب بأرض الصين وأن السماء الثانية محيطة بالدنيا وهكذا إلى أن يكون العرش محيطاً بالكل والكرسي الذي هو أقربها إليه بالنسبة إليه كحلقة ملقاة في فلاة فما ظنك بما تحته وكل سماء في التي فوقها بهذه النسبة **﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾** استئناف والخطاب للرسول أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب ووضع خلق الرحمن موضع الضمير إذا المقام مقام أن يقال في خلقه وهي السماوات على أن يكون بمعنى المخلوق والإضافة بمعنى اللام للإشعار بأنه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلاً ومن لتأكيد النفي والمعنى ما ترى فيه شيئاً من اختلاف واضطراب في الخلقة وعدم تناسب بل هو مستوٍ مستقيم قال القاشاني: سلب التفاوت عنها بساطتها واستدارتها ومطابقة بعضها بعضاً وحسن انتظامها وتناسبها وهو من الفوت فإن كلاً من المتفاوتين يفوت منه بعض ما في الآخر فلا يناسبه ولا يلائمه قال الراغب: التفاوت الاختلاف في الأوصاف كأنه يفوت وصف أحدهما الآخر أو وصف كل واحد منهما الآخر وجعل بعض العلماء خلق الرحمن عاماً فسئل بأن المخلوقات بأسرها على غاية التفاوت لأن الليل غير النهار إلى غير ذلك من الأضداد ثم أجاب بأن ليس فيها تناقص أو زيادة غير محتاج إليها أو نقصان محتاج إليه بل الكل مستقيمة مستوية دالة على أن خالقها عالم انتهى وفي الآية إشارة إلى شمول رحمته الرحمانية الواسعة كل شيء كما قال يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لأن الموجودات كلها علوية كانت أو سفلية نورانية كانت أو ظلمانية روحانية كانت أو جسمانية خلقت من نور الرحمن ورحمته من غير تفاوت في الخلقة وأصل الرزق.

اديم زمين سفرهٔ عام اوست   برين خوان يغماچه دشمن چه دوست

﴿فارجع البصر﴾ أي رده إلى رؤية السماء حتى يتضح ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما ورجع يجيء لازماً ومتعدياً يقال رجع بنفسه رجوعاً وهو العود إلى ما منه البدء مكاناً كان أو فعلاً أو قولاً بذاته كان رجوعه أو بجزء من أجزائه أو بفعل من أفعاله ورجعه غيره رجعاً أي رده وأعاده **﴿هل ترى﴾** فيها **﴿من فطور﴾** جمع فطر كما في «القاموس» وهو الشق.

كما قال في «تاج المصادر»: الفطر آفريدن وابتداكردن وشكافتن.

يقال فطره فانفطر أي شقه فانشق والمعنى من شقوق وصدوع لامتناع خرقها والتئامها قاله

القاشاني: ولو كان لها فروج لفاتت المنافع التي رتبت لها النجوم المفرقة في طبقاتها أو بعضها أو كمالها كما في المناسبات فإذا لم ير في السماء فطور وهي مخلوقة فالخالق أشد امتناعاً من خواص الجسمانيات.

﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾

﴿**ثم ارجع البصر كرتين**﴾ أي رجعتين أخريين وأعد النظر مرة بعد مرة في طلب الخلل والعيب.

يعني اكربيك نكريستن معلوم نكردد تكراركن نكريستن را.

والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك يريد إجابات كثيرة وإعانات وفيرة بعضها في أثر بعض وذلك لأن الكلام الآتي لا يقع بالمرتين أي رجعة بعد رجعة وإن كثرت قال الحسن رحمه الله: لو كررته مرة بعد مرة إلى يوم القيامة لم تر فيه فطوراً وقال الواسطي رحمه الله كرتين أي قلباً وبصراً لأن الأول كان بالعين خاصة والحاصل أن تكرار النظر وتجوال الفكر مما يفيد تحقيق الحقائق وإذا كان ذلك النظر فيها عند طلب الخروق والشقوق لا يفيد إلا الكلال والحرمان تحقق الامتناع وما أتعب من طلب وجود الممتنع ﴿**ينقلب**﴾ ينصرف ويرجع وبالفارسية باز كردد ﴿**إليك**﴾ بسوي تو ﴿**البصر**﴾ چشم تو ﴿**خاسئاً**﴾ أي ذليلاً بعيداً محروماً من إصابة ما التمسه من العيب والخلل كأنه يطرد عن ذلك طرد بالصغار والذلة فقوله ينقلب مجزوم على أنه جواب الأمر وخاسئاً حال من البصر وهو مع أنه اسم فاعل من خسأ بمعنى تباعد وهرب ففيه معنى الصغار والذلة فإذا قيل خسأ الكلب خسوءاً فمعناه تباعد من هوانه وخوفه كأنه زجر وطرد عن مكانه الأول بالصغار وخسأ يجيء متعدياً أيضاً يقال خسأت الكلب فخسأ أي باعدته وطردته وزجرته مستهيناً به فانزجر وذلك إذا قيل له اخسأ قال الراغب ومنه خسأ البصر أي انقبض من مهانة وفي «القاموس» الخاسىء من الكلاب والخنازير المبعد لا يترك أن يدنو من الناس ولا يكون خاسئاً في الآية من المتعدي إلا بأن يكون بمعنى المفعول أي مبعداً ﴿**وهو حسير**﴾ أي كليل وبالغ غاية الإعياء لطول المعاودة وكثرة المراجعة وهو فعيل بمعنى الفاعل من الحسور الذي هو الإعياء كما في «تاج المصادر» الحسور رنجه شدن وكندشدن چشم از مسافت دور.

وقال الراغب: يقال للمعيي حاسر ومحسور أما الحاسر فتصور أنه قد حسر بنفسه قواه وأما المحسور فتصور أن التعب قد حسره وقوله تعالى: ﴿**وهو حسير**﴾ يصح أن يكون بمعنى حاسر وبمعنى محسور انتهى. والجملة حال من البصر أو من الضمير المستتر في خاسئاً فيكون من قبيل الأحوال المتداخلة قال بعضهم فإذا كان الحال هذا في بعض المصنوع فكيف عند طلب العلم بالصانع في كماله وجلاله وجماله فكيف بمن يتفوه بالحلول والاتحاد حسبه جهنم وبئس المهاد.

سبحانه من تحير في ذاته سواء ... فهم خرد بكنه كمالش نبرد راه
عمري خرد چو چشمۀ ها چشمها كشاد ... تابر كمال كنه اله افكند نكاه
ليكن كشيد عاقبتش در دوديده ميل ... شكل الف كه حرف نخستست ازاله

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿فارجع بصرك﴾ الظاهر من ظواهر الأشياء إلى بصرك الباطن ومن بصرك الباطن إلى بواطن الأشياء يعني انظر باتحاد بصرك وبصيرتك إلى ظواهر الأشياء وبواطنها هل تر من شقوق الخلاف بحسب استعداد كل واحد من الموجودات لإعطائه كل ذي حق حقه ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير مبعد عن رؤية الخلل ومطالعة الزلل كما قال الإمام حجة الإسلام قدس سره في بعض كلماته ليس في الإمكان أبدع من هذا الوجود لاته لو كان ولم يظهر لكان بخلاً وهو جواد ولكان عجزاً وهو قادر كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] وقال بعضهم إنما لم يكن في الإمكان أبدع مما كان أي أظهر من هذا العالم لأنه ماثم الارتبتان الحق في المرتبة الأولى وهو القدم والعالم في الثانية وهو الإمكان والحدوث فلو خلق ما خلق إلى ما لا يتناهى فلا يزال في المرتبة الثانية الإمكانية.

﴿ولقد زينا السماء الدنيا﴾ بيان لكون خلق السماوات في غاية الحسن والبهاء أثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لإبراز كمال الاعتناء بمضمونها أي وبالله لقد زينا أقرب السماوات إلى الأرض والناس وجملناها فالزين والتزيين بالفارسية آراستن.

وهو ضد الشين بالفارسية معيوب كردن.

والدنيا تأنيث الأدنى بمعنى الأقرب وكون السماء قربى من سائر السموات إنما هو بالإضافة إلى ما تحتها من الأرض لا مطلقاً لأن الأمر بالعكس بالإضافة إلى ما فوقها من العرش ﴿بمصابيح﴾ بچرغها.

جمع مصباح وهو السراج وتنكيره للتعظيم والمدح أي بكواكب مضيئة بالليل إضاءة السرج من السيارات والثوابت تتراءى كلها مركوزة في السماء الدنيا مع أن بعضها في سائر السماوات لأن السماوات إذا كانت شفافة وأجراماً صافية فالكواكب سواء كانت في السماء الدنيا أو في سماوات أخرى فهي لا بد وأن تظهر في السماء الدنيا وتلوح منها فعلى التقديرين تكون السماء الدنيا مزينة بهذه المصابيح ودخل في المصابيح القمر لأنه أعظم نير يضيء بالليل وإذا جعل الله الكواكب زينة السماء التي هي سقف الدنيا فليجعل العباد المصابيح والقناديل زينة سقوف المساجد والجوامع ولا سرف في الخير وذكر أن مسجد الرسول ﷺ كان إذا جاء العشاء يوقد فيه بسعف النخل فلما قدم تميم الداري رضي الله عنه المدينة صحب معه قناديل وحبالاً وزيتاً وعلق تلك القناديل بسواري المسجد وأوقدت فقال عليه السلام: «نورت مسجدنا نور الله عليك أما والله لو كان لي ابنة لأنكحتكها» وسماه سراجاً وكان اسمه الأول فتحاً، ثم أكثرها عمر رضي الله عنه حين جمع الناس على أبي بن كعب رضي الله عنه في صلاة التراويح فلما رآها علي رضي الله عنه تزهر قال: نورت مسجدنا نور الله قبرك يا ابن الخطاب وعن بعضهم قال: أمرني المأمون أن اكتب بالاستكثار من المصابيح في المساجد فلم أدر ما أكتب لأنه شيء لم أسبق إليه فرأيت في المنام اكتب فإن فيه أنساً للمتهجدين ونفياً لبيوت الله عنه وحشة الظلم فانتبهت وكتبت بذلك وفيه إشارة إلى سماء القلب لدنوه منك من سماء الروح وزينة أنوار المعارف والعلوم الإلهية والواردات الرحمانية ﴿وجعلناها﴾ أي المصابيح المعبر بها عن النجوم أي بعضها كما في «تفسير أبي الليث» ﴿رجوماً﴾ جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به ويرمى للطرد ولزجر أو جمع راجم كسجود جمع ساجد ﴿للشياطين﴾ هم كفار الجن يخرجون الإنس

من النور إلى الظلمات وجمع الشياطين على صيغة التكثير لكثرتهم في الواقع فالمعنى وجعلنا لها فائدة أخرى هي رجم أعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من الكواكب لا بالكواكب نفسها فإنها قارة في الفلك على حالها فمنهم من يقتله الشهاب ومنهم من يفسد عضواً من أعضائه أو عقله والشهاب شعلة ساطعة من نار وهو ههنا شعلة نار تنفصل من النجم فأطلق عليها النجم ولفظ المصباح ولفظ الكوكب ويكون معنى جعلناها رجوماً جعلنا منها رجوماً وهي تلك الشهب ومما يؤيد أن الشعلة منفصلة من النجوم ما جاء عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، أن النجوم كلها كالقناديل معلقة في السماء الدنيا كتعليق القناديل في المساجد مخلوقة من نور وقيل إنها معلقة بأيدي الملائكة وينصر هذا القول قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢﴾ [الانفطار: ١ ـ ٢] لأن انتثارها يكون بموت من كان يحملها من الملائكة وقيل: إن هذه ثقب في السماء وينصره قول بعض المكاشفين إن الكواكب ليست مركوزة في هذا التعين وإنما هي بانعكاس الأنوار في بعض عروقه اللطيفة والذي يرى كسقوط النجم فكدفع الشمس من موضع إلى موضع وهذا لا يطلع عليه الحكماء وإنما يعرفه أهل السلوك انتهى. وقال الفلاسفة إن الشهب إنما هي أجزاء نارية تحصل في الجو عند ارتفاع الأبخرة المتصاعدة واتصالها بالنار التي دون الفلك وقد سبق بيان هذا المقام مفصلاً في أوائل الصافات والحجر فلا نعيده والذي يلوح أن مذهب الفلاسفة قريب في هذه المادة من مذهب أهل الحقائق ومر بيان مذهبهم في الصافات والله أعلم بالخفيات **﴿وأعتدنا لهم﴾** أي هيئنا للشياطين في الآخرة بعد الإحراق في الدنيا بالشهب ومنه العتاد أي العدة والأهبة **﴿عذاب السعير﴾** أي: عذاب جهم الموقدة المشعلة فالسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار إذا أوقدتها ولذلك لم يؤت بالتاء في آخره مع أنه اسم للدركة الرابعة من دركات النار السبع وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولكن كل من هذه الأسماء يطلق على الآخر فيعبر عن النار تارة بالسعير وتارة بجهنم وأخرى بآخر.

واعلم أن في كل دركة منها فرقة من فرق العصاة كعصاة أهل التوحيد والنصارى واليهود والصابئة والمجوس والمشركين والمنافقين ولم يذكروا الشياطين في واحدة من الدركات السبع ولعلهم يقسمون على مراتب إضلالهم فيدخل كل قسم منهم مع قسم تبعه في إضلاله فكان سبباً لدخوله في دركة من الدركات الست التحتانية جزاء لضلاله وإضلاله وأذية لمن تبعه فيما دعا إليه بمصاحبته ومقارنته كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ﴾ [إبراهيم: ٤٩] أي: مع شياطينهم وفي الآية إشارة إلى شياطين الخواطر النفسانية والهواجس الظلمانية وعذابها عذاب الرد والانقلاب بغلبة الخواطر الملكية والرحمانية.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠﴾.

﴿وللذين كفروا بربهم﴾ من الشياطين وغيرهم وكفرهم به إما بالتعطيل أو بالإمساك وقال سعدي المفتي: الأظهر حمله على الكفرة غير الشياطين كما يشعر به ما بعده ولئلا يلزم شبه

التكرار. ﴿**عذاب جهنم**﴾ أي: الدركة النارية التي تلقاهم بالتجهم والعبوسة يقال رجل جهم الوجه كالح منقبض وفيه إشارة إلى أن عذابه تعالى وانتقامه خارج عن العادة لكونه ليس بسيف ولا سوط ولا عصا ونحوها بل بالنار الخارجة عن الانطفاء وليس للكافر المعذب من الخلاص رجاء. ﴿**وبئس المصير**﴾ أي جهم وقال بعضهم: جهنم من الجهنام وهي بئر بعيدة القعر ففيه إشارة إلى أن أهل النار مبعدون عن جمال الله تعالى وعن نعيم الجنة محرقون في نار البعد والقطيعة نسأل الله العافية قال في «فتح الرحمن» تضمنت هذه الآية أن عذاب جهنم للكافرين المخلدين وقد جاء في الأثر أنه يمر على جهنم زمن تخفق أبوابها قد أخلتها الشفاعة فالذي في هذه الآية هي جهنم بأسرها أي جميع الطبقات والتي في الأثر هي الطبقة العليا لأنها مقر العصاة انتهى. وهو مراد من قال من كبار المكاشفين يأتي زمان تبقى جهنم خالية عن أهلها وهم عصاة الموحدين ويأتي على جهنم زمان ينبت في قعرها الجرجير وهي بقلة ﴿**إذا ألقوا فيها**﴾ أي الذين كفروا أي في جهنم وطرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة وفي إيراد الإلقاء دون الإدخال إشعار بتحقيرهم وكون جهنم سفلية. ﴿**سمعوا لها**﴾ أي لجهنم نفسها وهو متعلق بمحذوف وقع حالاً من قوله: ﴿**شهيقاً**﴾ لأنه في الأصل صفة فلما قدمت صارت حالاً أي سمعوا كائناً لها شهيقاً أي صوتاً كصوت الحمير الذي هو أنكر الأصوات وأفظعها غضباً عليهم وهو حسيسها المنكر الفظيع كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠٢] قالوا: الشهيق في الصدر والزفير في الحلق أو شهيق الحمار آخر صوته والزفير أوله والشهيق رد النفس والزفير إخراجه ﴿**وهي تفور**﴾ أي والحال أنها تغلي بهم غليان المرجل بما فيها من شدة التلهب والتسعر فهم لا يزالون صاعدين هابطين كالحب إذا كان الماء يغلي به لاقرار لهم أصلاً الفور شدة الغليان ويقال ذلك في النار وفي القدر وفي الغضب وفوارات الماء سميت تشبيهاً بغليان القدر وفعلت كذا من فوري أي من غليان الحال وفارة المسك تشبيهاً به في الهيئة كما في «المفردات» قال بعضهم: نطقت الآية بأن سماعهم يكون وقت الإلقاء على ما هو المفهوم من إذا وعلى المفهوم من قوله وهي تفور أن يكون بعده اللهم إلا أن تغلي بما فيها كائناً ما كان ويؤول إذا ألقوا بإذا أريد الإلقاء أو إذا قربوا من الإلقاء بناء على أن صوت الشهيق يقتضي أن يسمع قبل الإلقاء انتهى. ﴿**تكاد تميز من الغيظ**﴾ الجملة خبر آخر وتميز أصله تتميز بتاءين والتميز الانقطاع والانفصال بين المتشابهات والغيظ أشد الغضب يقال يكاد فلان ينشق من غيظه إذا وصف بالإفراط في الغضب والمعنى تكاد تتفرق جهنم من شدة الغضب عليهم أي قرب أن يتمزق تركيبها.

وينفصل بعضه من بعض وبالفارسية نزديكست كه پاره پاره شود دوزخ از شدت خشم بركافران.

شبه اشتعال النار بهم في قوة تأثيرها فيهم وإيصال الضرر إليهم باغتياظ المغتاظ على غيره المبالغ في إيصال الضرر إليه فاستعير اسم الغيظ لذلك الاستعمال استعاره تصريحية قال الإمام لعل سبب هذا المجاز أن دم القلب يغلي عند الغضب فيعظم مقداره فيزداد امتلاء العروق حتى يكاد يتمزق قال في «المناسبات»: وكان حذف إحدى التاءين إشارة إلى أنه يحصل افتراق واتصال على وجه من السرعة لا يكاد يدرك حق الإدراك وذلك كله لغضب سيدها وتأتي يوم القيامة تقاد إلى المحشر بألف زمام لكل زمام سبعون ألف ملك يقودونها به وهي من شدة

الغيظ تقوى على الملائكة وتحمل على الناس فتقطع الأزمة جميعاً وتحطم أهل المحشر وتقول لأنتقمن اليوم ممن أكل رزق الله وعبد غيره فلا يردها عنهم إلا النبي ﷺ يقابلها بنوره فترجع مع أن لكل ملك من القوة ما لو أمر به أن يقتلع الأرض وما عليها من الجبال ويصعد بها فعل من غير كلفة وهذا كما أطفأها في الدنيا بنفحة كما قال عليه السلام: «لقد أدنيت مني النار حتى جعلت أنفثها خشية أن تغشاكم» قال بعضهم: تلك المهواة لشدة منافاتها بالطبع لعالم النور وأصل فطرة النفس ليشتد غيظها على النفوس كما أن شدة منافرة الطباع بعضها بعضاً تستلزم شدة العداوة والبغض المقتضية لشدة الغيظ.

يقول الفقير: تقرر من هذا البيان ودل سائر الآثار الصحيحة أيضاً أن جهنم لها حياة وشعور كسائر الأحياء ولذا يصدر منها كما يصدر منهم فلا حاجة إلى ارتكاب المجاز عند أهل الله تعالى في أمثال ذلك قال جعفر الطيار رضي الله عنه: كنت مع النبي عليه السلام، في طريق فاشتد علي العطش فعلمه النبي عليه السلام، وكان حذاءنا جبل فقال عليه السلام: «بلغ مني السلام إلى هذا الجبل وقل له يسقيك إن كان فيه ماء» قال: فذهبت إليه وقلت السلام عليك أيها الجبل فقال الجبل ينطق بنطق فصيح لبيك يا رسول رسول الله فعرضت القصة فقال بلغ سلامي إلى رسول الله وقل منذ سمعت قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] بكيت لخوف أن أكون من الحجارة التي هي وقود النار بحيث لم يبق في ماء.

﴿كلما ألقي﴾ الإلقاء بيفكندن ﴿فيها﴾ أي في جهنم ﴿فوج﴾ جماعة من الكفرة بدفع الزبانية لهم الذين هم أغيظ عليهم من النار وهو استئناف مسوق لبيان حال أهلها بعد بيان حال نفسها ﴿سألهم﴾ أي: ذلك الفوج وضمير الجميع باعتبار المعنى ﴿خزنتها﴾ أي خزنة النار وهي مالك وأعوانه من الزبانية بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذاباً فوق عذاب وحسرة أي ليزدادوا العذاب الروحاني على العذاب الجسماني جمع خازن بمعنى الحافظ والموكل يعرف ذلك من قولهم بالفارسية خزينة دار.

قال في «تاج المصادر»: الخزن نكاه داشتن مال وسر ﴿ألم يأتكم﴾ أي: وقالوا لهم أيها الكفرة الفجرة ألم يأتكم في الدنيا ﴿نذير﴾ أي منذر يتلو علكيم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا والإنذار الإبلاغ ولا يكون إلا في التخويف ويعدى إلى مفعولين كما في «تاج المصادر» ﴿قالوا﴾ اعترافاً بأنه تعالى قد أزاح عللهم بالكلية ببعثة الرسل وإنذارهم ما وقعوا فيه وأنهم لم يأتوا من قدره كما تزعم المجبرة وإنما أتوا من قبل أنفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله فأمر به وأوعد على ضده. ﴿بلى﴾ لإيجاب نفي إتيان النذير ﴿قد جاءنا نذير﴾ جمعوا بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف وتحسراً على فوت سعادة التصديق وتمهيداً لبيان التفريط الواقع منهم أي قال كل فوج من تلك الأفواج قد جاءنا نذير أي واحد حقيقة أو حكماً كأنبياء بني إسرائيل فإنهم في حكم نذير واحد فأنذرنا وتلا علينا ما نزل الله عليه من آياته روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال أنا النذير والموت المغير يعني موت عارت كننده است والساعة الموعد يعني قيامت وعده كاهست ﴿فكذبنا﴾ ذلك النذير في كونه نذيراً من جهته تعالى فإن قلت هذا يقتضي أن لا يدخلها الفاسق المصر لأنه لم يكذب النذير قلت قد دلت الأدلة السمعية على تعذيب العصاة مطلقاً والمراد بالفوج هنا بعض من ألقي فيها وهم الكفرة كما سبق. ﴿وقلنا﴾ في حق ما تلاه من الآيات إفراطاً في

التكذيب وتمادياً في الكبر بسبب الاشتغال في الأمور الدنيوية والأحكام الرسومية الخلقية. ﴿ما نزل الله﴾ على أحد ﴿من شيء﴾ من الأشياء فضلاً عن تنزيل الآيات عليكم وقال بعضهم: ما نزل الله من كتاب ولا رسول ﴿إن أنتم﴾ أي ما أنتم يا معشر الرسل في ادعاء أن الله تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها ﴿إلا في ضلال كبير﴾ بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع أن مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على أمثاله مبالغة في التكذيب وتماديا في التضليل كما ينبىء عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فإنه ملوح بعمومه حتماً.

﴿وقالوا﴾ أيضا معترفين بأنهم لم يكونوا ممن يسمع أو يعقل ﴿لو كنا﴾ في الدنيا ﴿نسمع﴾ كلاماً ﴿أو نعقل﴾ شيئاً وفيه دليل على أن العقل حجة التوحيد كالسمع وقدم السمع لأنه لا بد أولاً من سماع ثم تعقل المسموع وقال سعدي المفتي قوله ﴿لو كنا﴾ الخ. يجوز أن يكون إشارة إلى قسمي الإيمان التقليدي والتحقيقي أي الاستدلالي لأنه يحتاج إلى النظر دون التحقيقي العياني لأنه يحصل بالكشف لا العقل ﴿ما كنا﴾ اليوم. ﴿في أصحاب السعير﴾ أي: في عداد أهل النار الموقدة وأتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥] كأن الخزنة قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ ألم تسمعوا آيات ربكم من ألسنة الرسل ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فأجابوا بذلك وفي «التأويلات النجمية» لو كنا نسمع بأسماع قلوبنا أو نعقل بعقول أروحنا ما كنا في أصحاب السعير ولكنا سمعنا بأسماع محتومة وعقول معلولة مقفولة.

﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾.

﴿فاعترفوا﴾ اضطراراً حين لا ينفعهم الاعتراف وهو إقرار عن معرفة وفي «عين المعاني» عرفوا أنفسهم بالجرم. ﴿بذنبهم﴾ اختياراً بصرف قواهم إلى سوء الاقتراف وهو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله وقال بعضهم أفرد الذنب لأنه يفيد فائدة الجمع بكونه اسم جنس شامل للقليل والكثير وأريد به الكفر وهو وإن كان على أنواع فهو ملة واحدة في كونه نهاية الجرم واقتضاء الخلود الأبدي في النار. ﴿فسحقاً﴾ مصدر مؤكد إما لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد أي فأسحقهم الله، أي: أبعدهم من حرمته سحقاً أي إسحاقاً وإبعاداً بسبب ذنبهم أو لفعل مرتب على ذلك الفعل، أي فأسحقهم الله فسحقوا أي بعدوا سحقاً أي بعداً ويقال سحق الشيء مثل كرم فهو سحيق أي بعد فهو بعيد قيل هو تحقيق وقيل هو على الدعاء وهو تعليم من الله لعباده أن يدعوا عليهم به كما في «التيسير» ومعناه بالفارسية پس دور كرد خداي تعالى دور كردني ايشان را از رحمت خود.

قال بعضهم: دعاء عليهم من الله إشعاراً بأن المدعو عليهم مستحقون لهذا الدعاء وسيقع عليهم المدعو به من البعد والهلاك ﴿لأصحاب السعير﴾ اللام للبيان كما في هيت لك والمراد الشياطين والداخلون من الكفرة وفيه إشارة إلى أن الله تعالى بعد أهل الحجاب من جنة القرب وقربهم من جهنم البعد.

﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أي يخافون عذابه وهو عذاب يوم القيامة ويوم الموت ويوم القبر خوفاً وراء عيونهم حال كون ذلك العذاب غائباً عنهم ولم يعاينوه بعد على أن

بالغيب حال من المضاف المقدر أو غائبين عنه تعالى أي عن معاينة عذابه وأحكام الآخرة أو عن أعين الناس لأنهم ليسوا كالمنافقين الذين ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤] على أنه حال من الفاعل وهو ضمير بيخشون أو بما خفي منهم وهو قلوبهم فالباء للاستعانة متعلقة بيخشون والألف واللام اسم موصول وكانوا يشمون من كبد أبي بكر الصديق رضي الله عنه رائحة الكبد المشوي من شد الخوف من الله تعالى وكان عليه السلام يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء والأزيز الغليان وقيل صوته والمرجل قدر من نحاس ﴿**لهم مغفرة**﴾ عظيمة تأتي على جميع ذنوبهم ولما كان السرور إنما يتم بالإعطاء قال ﴿**وأجر كبير**﴾ أي ثواب عظيم في الآخرة فضلاً منه تعالى يكون لهم به من الإكرام ما ينسيهم ما قاسوه في الدنيا من شدائد الآلام وتصغر في جنبه لذائذ الدنيا وهو الجنة ونعميها.

كفته اندايمنى از وشاديد ومكاره يعني مزد ترسندكان امان باشد ازهر چه مي ترسند.

لا تخافوا مژدهٔ ترسنده است ... هركه مي ترسد مبارك بنده است
خوف وخشيت خاص دانايان بود ... هركه دانانيست كي ترسان بود
ترسكاري رستكاري آورد ... هركه درد آرد عوض درمان بود

فلا بد من العقل أولاً حتى يحصل الخوف ثانياً وكان بعض الأكاسرة وكانوا أعقل الملوك يرتب واحداً يكون وراءه بالقرب منه يقول إذا اجتمعت جنوده أنت عبد لا يزال يكرر ذلك والملك يقول له كلما قاله نعم وهكذا حال من يعرف مكر النفس ويخاف الله بقلبه قال مسروق: إن المخافة قبل الرجاء فإن الله تعالى خلق جنة وناراً فلن تخلصوا إلى الجنة حتى تمروا بالنار قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] قال فضيل قدس سره إذا قيل لك أتخاف الله فاسكت فإنك إذا قلت لا فقد جئت بأمر عظيم وإذا قلت نعم فالخائف لا يكون على ما أنت عليه ألا ترى أن الله تعالى لما اتخذ إبراهيم عليه السلام خليلاً ألقى في قلبه الوجل حتى إن خفقان قلبه يسمع من بعيد كما يسمع خفقان الطير في الهواء وقيل لفضيل بم بلغ بك الخوف الذي بلغ قال بقلة الذنوب فللخوف أسباب وأول الأمر العقل السليم ثم يحصل كماله بترك العصيان وذلك أن ترك المعصية وإن كان نتيجة الخوف لكن القلب يترقى في الرقة بترك المعصية فيشتد خوفه فقاسي القلب لا يعرف الخوف لأن عقله ضعيف مغلوب يقال العقل كالبعل والنفس كالزوجة والجسم كالبيت فإذا سلط العقل على النفس أشغلت النفس بمصالح الجسم كما تشتغل المرأة المقهورة بمصالح البيت فصلحت الجملة وإن غلبت النفس كان سعيها فاسداً كالمرأة التي قهرت زوجها ففسدت الجملة.

مبر طاعت نفس شهوت پرست ... كه هرساعتش قبلهٔ ديكرست
كرا جامه پاكست وسيرت پليد ... در دوزخش رانبايد كليد

﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾

﴿**وأسروا قولكم أو اجهروا به**﴾ وپنهان سازيد سخن خودرا درشان پيغمبر عليه السلام، يا آشكارا كنيد مرانرا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما، نزلت في المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء يعني درباب حضرت پيغمبر سخنان ناشايسته كفتندي.

فيظهر الله رسوله عليها، فقال بعضهم لبعض: أسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فيخبره بما تقولون فقيل لهم أسروا ذلك أو اجهروا به فإن الله يعلمه وإسرار الأقوال وإعلانها مستويان عنده تعالى في تعلق علمه والأمر، للتهديد لا للتكليف وتقديم السر على الجهر للإيذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرون من أول الأمر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه أقدم منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فإن علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى أو لأن مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر إذ ما من شيء يجهر به إلا وهو أومباديه مضمر في القلب يتعلق به الإسرار غالباً فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية. ﴿**إنه عليم بذات الصدور**﴾ مبالغ في الإحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها أصلاً فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به ويجوز أن يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى إنه عليم بالقلوب وأحوالها فلا يخفى عليه سر من أسرارها، قال القاشاني ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الأنفال: ٤٣] لكون تلك السرائر عين علمه فيكف لا يعلم ضمائرها من خلقها وسواها وجعلها مرائي أسراره ولم يقل ذوات الصدور لإرادة الجنس وذات هنا تأنيث ذي بمعنى صاحب حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أي عليم بالمضمرات صاحبة الصدور وهي الخواطر القائمة بالقلب من الدواعي والصوارف الموجودة فيه وجعلت صاحبة الصدور بملازمتها لها وحلولها فيها كما يقال للبن ذو الإناء ولولد المرأة وهو جنين ذو بطنها.

﴿**ألا يعلم**﴾ آياناداند ﴿**من خلق**﴾ أي ألا يعلم السر والجهر من أوجد بحكمته جميع الأشياء التي هما من جملتها فهو إنكار ونفي لعدم إحاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر ومن فاعل يعلم ويجوز أن يكون منصوباً على أنه مفعول يعلم والعائد محذوف أي ألا يعلم الله من خلقه ﴿**وهو**﴾ أي والحال أنه تعالى وحده ﴿**اللطيف**﴾ العالم بدقائق الأشياء يرى أثر النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ﴿**الخبير**﴾ العالم ببواطنها قال القاشاني هو المحيط ببواطن ما خلق وظواهره بل هو هو في الحقيقة باطناً وظاهراً لا فرق إلا بالوجوب والإمكان والإطلاق والتقييد واحتجاب الهوية بالعندية والحقيقة بالشخصية فإن قلت: ذكر الخبير بعد اللطيف تكرار قلت لا تكرار فيه فإنه قال الإمام الغزالي رحمه الله: إنما يستحق اسم اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما دق منها وما لطف ثم يسلك في إيصالها إلى المستصلح على سبيل الرفق دون العنف فإذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الإدراك تم معنى اللطف ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل إلا لله تعالى والخبير هو الذي لا يعزب عنه الأخبار الباطنة فلا يجري في الملك والملكوت شيء ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلا ويكون عنده خبرها وهو بمعنى العليم لكن العلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة يسمى خبرة ويسمى صاحبها خبيراً قال بعضهم: كنا جماعة من القراء فأصابتنا فاقة ومجاعة فذهبنا إلى إبراهيم الخواص قدس سره وقلت في نفسي أباسط الشيخ في أحوالي وأحوال هؤلاء الفقراء فلما وقع بصره علي قال لي الحاجة التي جئتني فيها الله عليم بها أم لا؟

فارفعها إليه فسكت ثم انصرفنا فلما وصلنا إلى المنزل فتح علينا بشي وإذا علم العبد أنه مطلع على سره عليم بخفي ما في صدره يكتفي من سؤاله برفع همته إليه وإحضار حاجته في قلبه من غير أن ينطق بلسانه والله لطيف بعباده ومن لطفه بهم أنه يوصل إليهم ما يحتاجون إليه بسهولة فمن قوته رغيف لو تفكر فيه يعلم كم عين سهرت فيه من أول الأمر حتى تم وصلح للأكل من الحارث والباذر للبذر والحاصد والدائس والمذري والطاحن والعاجن والخابز ويتشعب من ذلك الآلات التي تتوقف عليها هذه الأعمال من الأخشاب والحجارة والحديد والحبال والدواب بحيث لا تكاد تنحصر وهكذا كل شيء ينعم به على عبده من مطعوم ومشروب وملبوس فيه مقدمات كثيرة لو احتاج العبد إلى مباشرتها بنفسه لعجز عن ذلك ومن سنة الله سبحانه حفظ كل لطيفة في طي كل كثيفة كصيانة الودائع في المواضع المجهولة ألا ترى أنه جعل التراب الكثيف معدن الذهب والفضة وغيرهما من الجواهر والصدف معدن الدر والذباب معدن الشهد والدود معدن الحرير وكذا جعل قلب العبد محلاً ومعدناً لمعرفته ومحبته وهو مضغة لحم فالقلب خلق لهذا لا لغيره فعلى العبد أن يطهره عن لوث التعلق بما سوى الله فإن الله تعالى لطف به بإيجاده ذلك القلب في جوفه ووصف نفسه بأنه لطيف خبير مطلع على ما في الباطن فإذا كان هو المنظر الإلهي وجب تخليته عن الأفكار والأغيار وتحليته بأنواع المعارف والعلوم والأسرار وتجليته بتجلي الله الملك العزيز الغفار بوجوه أسمائه وصفاته بل بعين ذاته نسأل الله تعالى نواله وأن يرينا جماله.

﴿هو﴾ وحده ﴿الذي جعل لكم﴾ أي لمنافعكم ﴿الأرض﴾ اختلفوا في مبلغ الأرض وكميتها فروي عن مكحول أنه قال ما بين أقصى الدنيا إلى أدناها مسيرة خمسمائة سنة مائتان من ذلك في البحر ومائتان ليس يسكنها أحد وثمانون فيها يأجوج ومأجوج وعشرون فيها سائر الخلق وعن قتادة أنه قال: الدنيا إن بسيطها من حيث يحيط بها البحر المحيط أربعة وعشرون ألف فرسخ فملك السودان منها اثنا عشر ألف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك العجم والترك ثلاثة آلاف فرسخ وملك العرب ألف فرسخ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: ربع من لا يلبس الثياب من السودان أكثر من جميع الناس وقد خرج بطليموس مقدار قطر الأرض واستدارتها في «المجسطي» بالتقريب وهو كتاب له يذكر فيه القواعد التي يتوسل بها في إثبات الأوضاع الفلكية والأرضية بأدلتها التفصيلية قال استدارة الأرض مائة ألف وثمانون ألف اسطاربوس وهي أربعة وعشرون ألف ميل فتكون على هذا الحكم ثمانية آلاف فرسخ والفرسخ ثلاثة أميال والميل ثلاثة آلاف ذراع بالمكي والذراع ثلاثة أشبار وكل شبر اثنتا عشرة أصبعاً والأصبع خمس شعيرات مضمومات بطون بعضها إلى بعض وعرض الشعيرة الواحدة ست شعرات من شعر بغل والاسطاربوس أربعمائة ألف ذراع قال وغلظ الأرض وهو قطرها سبعة آلاف وستمائة وثلاثون ميلاً يكون ألفين وخمسمائة فرسخ وخمسة وأربعين فرسخاً وثلثي فرسخ قال فبسيط الأرض كلها مائة واثنان وثلاثون ألف ألف وستمائة ألف ميل فيكون مائتي ألف وثمانية آلاف فرسخ قال صاحب «الخريدة» فإن كان ذلك حقاً فهو وحي من الحق أو إلهام وإن كان قياساً واستدلالاً فهو قريب أيضاً من الحق وأما قول قتادة ومكحول فلا يوجب العلم اليقيني الذي يقطع على الغيب به انتهى ﴿ذلولاً﴾ أي: لينة منقادة غاية الانقياد لما تفهمه صيغة المبالغة يسهل عليكم السلوك فيها لتتوصلوا إلى ما ينفعكم وبالفارسية نرم ومنقادتا آسان باشد سير شماربران.

ولو جعلها صخرة خشنة تعسر المشي عليها أو جعلها لينة منبتة يمكن فيها حفر الآبار وشق العيون والأنهار وبناء الأبنية وزرع الحبوب وغرس الأشجار ولو كانت صخرة صلبة لتعذر ذلك ولكانت حارة في الصيف جداً وباردة في الشتاء فلا تكون كفاتاً للأحياء والأموات وأيضاً ثبتها بالجبال الراسيات كيلا تتمايل وتنقل بأهلها ولو كانت مضطربة متمايلة لما كان منقادة لنا فكانت على صورة الإنسان الكامل في سكوتها وسكونها وكانت هي وحقائقها في مقابلة القلم الأعلى والملائكة المهيمة والحاصل أن الله تعالى جعل الأرض بحيث ينتفع بها وقسمها إلى سهول وجبال وبراري وبحار وأنهار وعيون وملح وعذب وزرع وشجر وتراب وحجر ورمال ومدر وذات سباع وحيات وفارغة وغير ذلك بحكمته وقدرته.

قال سهل قدس سره: خلق الله الأنفس ذلولاً فمن أذلها بمخالفتها فقد نجاها من الفتن والبلاء والمحن ومن لم يذلها وأتبعها أذلته نفسه وأهلكته يقال دابة ذلول بينة الذل أو هو بالكسر اللين والانقياد وهو ضد الصعوبة فالذلول من كل شي المنقاد الذي يذل لك وبالضم الهوان ضد العز قال الراغب: الذل ما كان عن قهر يقال ذل يذل ذلاً والذل ما كان بعد تصعب وشماس من غير قهر يقال ذل يذل ذلاً وجعلهما البيهقي في «تاج المصادر» من الباب الثاني حيث قال في ذلك الكتاب والباب الذل خورشدن والذل رام شدن.

وكذا في «مختار الصحاح» وجعل صاحب «القاموس» الذل ضد الصعوبة بالضم والكسر والذل بمعنى الهوان بالضم فقط والذلول فعول بمعنى الفاعل ولذا عري عن علامة التأنيث مع أن الأرض مؤنث سماعي ﴿**فامشوا في مناكبها**﴾ الفاء لترتيب الأمر على الجعل المذكور وهو أمر إباحة عند بعض أي فاسلكوا في جوانبها وخبر في صورة الأمر عند آخرين أي تمشون في أطرافها من حيث أي منكبي الرجل جانباه فشبه الجوانب بالمناكب وإذا مشوا وساروا في جوانبها وأطرافها فقد أحاطوا بها وحصل لهم الانتفاع بجميع ما فيها قال الراغب المنكب مجتمع ما بين العضد والكتف ومنه استعير للأرض في قوله ﴿**فامشوا في مناكبها**﴾ كاستعارة الظهر لها في قوله ما ترك على ظهرها انتهى أو في جبالها وشبهت بالمناكب من حيث الارتفاع وكان لبشر بن كعب سرية، فقال لها: إن أخبرتني ما مناكب الأرض فأنت حرة فقالت مناكبها جبالها فصارت حرة فأراد أن يتزوجها فسأل أبا الدرداء رضي الله عنه فقال دع ما يريبك إلى ما لا يريبك وهو مثل لفظ التذليل ومجاوزته الغاية أي تذليل البعير لا مطلقاً كما في «حواشي» سعدي المفتي فإن منكب البعير أرق أعضائه وأنباها عن أن يطاها الراكب بقدمه فإذا جعل الأرض في الذل بحيث يتأتى المشي في مناكبها لم يبق منها شيء لم يتذلل فخرج الجواب عن وجه تخصيص المشي في الجبال على تقدير أن يراد بالمناكب الجبال لكن من الجبال ما يتعذر سلوكها كجبل السد بيننا وبين يأجوج ومأجوج ورد في الحديث أنه تزالق عليه الأرجل ولا تثبت ومنها ما يشق سلوكها وإنما لم تعتبر لندرتها وقلتها في «التأويلات النجمية»: هو الذي جعل لكم أرض البشرية ذلولاً منقادة فخذوا من أرضها بقدر الحاجة من أعاليها وأسافلها من اللذات الجسمانية المباحة لكم بحكم الشرع لتقوية أبدانكم وتهيئة أسباب طاعاتكم وعباداتكم لئلا تضعف بالكلية وتكل عن العبادة ﴿**وكلوا من رزقه**﴾ والتمسوا من نعم الله تعالى فيها من الحبوب والفواكه ونحوها والأمر إن كان أمر إباحة فالرزق ما يكون حلالاً وإن كان خبراً في صورة الأمر بمعنى تأكلون فيجوز أن يكون شاملاً للحرام أيضاً فإنه من رزقه أيضاً وإن كان

التناول منه حراماً ﴿وإليه﴾ أي: إلى الله وحده ﴿النشور﴾ أي: المرجع بعد البعث فبالغوا في شكر نعمه يقال نشر الله الميت نشراً أحياه بعد موته ونشر الميت بنفسه نشوراً فهو يتعدى ولا يتعدى كرجعه رجعاً ورجع بنفسه رجوعاً إلا أن الميت لا يحيا بنفسه بدون إحياء الله إذ هو محال.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾.

﴿ءأمنتم﴾ آيا ايمن شديد اي مكذبان.

وهو استفهام توبيخ فالهمزة الأولى استفهامية والثانية من نفس الكلمة ﴿من﴾ موصولة ﴿في السماء﴾ أي: الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم أو الله سبحانه على تأويل من في السماء أمره وقضاؤه وهو كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] وحقيقته ءأمنتم خالق السماء ومالكها قال في «الأسئلة»: خص السماء بالذكر ليعلم أن الأصنام التي في الأرض ليست بآلهة لا لأنه تعالى في جهة من الجهات لأن ذلك من صفات الأجسام وأراد أنه فوق السماء والأرض فوقية القدرة والسلطنة لا فوقية الجهة انتهى. على أنه لا يلزم من الإيمان بالفوقية الجهة فقد ثبت فانظر ماذا ترى وكن مع أهل السنة من الورى كما في «الكبريت الأحمر» للإمام الشعراني قدس سره وأما رفع الأيدي إلى السماء في الدعاء فلكونها محل البركات وقبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة وجناب الله تعالى قبلة القلب ويجوز أن تكون الظرفية باعتبار زعم العرب حيث كانوا يزعمون أنه تعالى في السماء أي ءأمنتم من تزعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان و«في فتح الرحمن» هذا المحل من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه ونؤمن به ولا نتعرض لمعناه ونكل العلم فيه إلى الله قوله: ﴿من في السماء﴾ في موضع النصب على أنه مفعول أمنتم. ﴿أن يخسف بكم الأرض﴾ بعدما جعلها لكم ذلولاً تمشون في مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة أي يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من أي ءأمنتم من في السماء خسفه والباء للملابسة والخسف بزمين فرو بردن.

والخسوف بزمين فروشدن.

والمشهور أن الباء في مثل هذا الموضع للتعدية أي يدخلكم ويذهبكم فيها وبالفارسية فرو برد شمارا بزمين.

قال الجوهري: خسف المكان يخسف خسوفاً ذهب في الأرض وخسف الله به الأرض خسفاً غاب به فيها، وفي «القاموس» أيضاً خسف الله بفلان الأرض غيبه فيها ﴿فإذا هي﴾ پس آنكاه زمين ايس زفرو بردن شمابوي ﴿تمور﴾ قال في «القاموس»: المور الاضطراب والجريان على وجه الأرض والتحرك أي تضطرب ذهاباً ومجيئاً على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان وقال بعضهم: فإذا الأرض تدور بكم إلى الأرض السفلى وبعضهم تنكشف تارة للخوض فيها وتلتئم أخرى للتعذيب بها.

﴿أم أمنتم﴾ يا ايمن شديد.

وهو انتقال إلى التهديد بوجه آخر ﴿من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً﴾ أي حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل أي أم أمنتم من في السماء إرساله على

أن قوله أن يرسل بدل من من أيضاً والمعنى هل جعل لكم من هذين أمان وإذ لا أمان لكم منهما فما معنى تماديكم في شرككم. ﴿فستعلمون﴾ عن قريب البتة ﴿كيف نذير﴾ أي: إنذاري عند مشاهدتكم للمنذر به أهو واقع أم لا أشديد أم ضعيف يعني حين حققتم المنذر به تعلمون أنه لا خلف لخبري وأن عذابي لشديد وأنه لا دفع عنه ولكن لا ينفعكم العلم حينئذٍ فالنذير وكذا النكير الآتي مصدران بمعنى الإنذار والإنكار وأصلهما نذيري ونكيري بياء الإضافة فحذفت اكتفاء بكسر ما قبلها قال في «برهان القرآن» خوفهم بالخسف أولاً لكونهم على الأرض وأنها أقرب إليهم من السماء ثم بالحاصب من السماء فلذلك جاء ثانياً.

يقول الفقير: أشارت الآية الأولى على ما ألهمت في جوف الليل إلى أن الاستتار تحت اللحاف وعدم النهوض إلى الصلاة والمناجاة وقت السحر عقوبة من الله تعالى على أهل الغفلة كالخسف ولذا لما قام بعض العارفين متهجداً فأخذه البرد وبكى من العري قيل له من قبل الله تعالى: أقمناك وأنمناهم فتبكي علينا يعني أن إقامتك وإنامة الغافلين نعمة لك ونقحة لهم فاشكر عليها ولا تجزع من العري فإن بلاء العري أهون من بلاء الغفلة وأشارت الآية الثانية إلى نزول المطر الشديد من السماء فإنه ربما يمنع المتهجد عن القيام والاشتغال بالوضوء والطهارة فيكون غضباً في صورة الرحمة فعلى العاقل أن لا يضيع الوقت ويغتنم الفراغ قبل الشغل أيقظنا الله وإياكم.

﴿ولقد كذب الذين من قبلهم﴾ أي من قبل كفار مكة من كفار الأمم السالفة كقوم نوح وعاد وأضرابهم والتفات إلى الغيبة لإبراز الإعراض عنهم ﴿فكيف كان نكير﴾ أي إنكاري عليهم بإنزال العذاب أي كان على غاية الهول والفظاعة وهذا مورد التأكيد القسمي لا تكذيبهم فقط وإنكار الله تعالى على عبده أن يفعل به أمراً صعباً وفعلاً هائلاً لا يعرف وفي الآية تسلية للرسول الله ﷺ وتهديد لقومه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أولم يروا﴾ أي أغفلوا ولم ينظروا ﴿إلى الطير﴾ فالرؤية بصرية لأنها تتعدى بإلى وأما القلبية فتعديتها بفي والطير يطلق على جنس الطائر وهو كل ذي جناح يسبح في الهواء إما لكون جمعه في الأصل كركب وراكب أو مصدره جعل اسماً لجنسه فباعتبار تكثره في المعنى وصف بصافات وفي «المفردات» إنه جمع طائر ﴿فوقهم﴾ يجوز أن يكون ظرفاً ليروا وأن يكون حالاً من الطير أي كائنات فوقهم ﴿صافات﴾ حال من الطير والصف أن يجعل الشيء على خط مستو كالناس والأشجار ونحو ذلك ومفعول صافات وكذا يقبضن إنما هو أجنحة الطير لا أنفسها والمعنى باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها فإنهن إذا بسطنها صففن قوادمها صفاً وقوادم الطير مقاديم ريشه وهي عشر في كل جناح الواحدة قادمة ﴿ويقبضن﴾ ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن حيناً فحيناً للاستظهار به على التحرك وهو السر في إيثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات فإن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء فكما أن الأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها فكذا الأصل في الطيران صف الأجنحة وبسطها والقبض إنما يكون تارة بعد تارة للاستظهار المذكور كما في السابح قال ابن الشيخ ويقبضن عطف على

صافات لأنه بمعنى وقابضات وإلا لما عطف الفعل على الاسم ﴿ما يمسكهن﴾ في الجو وما يأخذهن عن السقوط عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع الجسماني فإنه يقتضي الهبوط إلى السفل ﴿إلا الرحمن﴾ الواسع رحمته كل شيء بأن برأهن على أشكال وخصائص وهيأهن للجري في الهواء ﴿إنه بكل شيء بصير﴾ يعلم إبداع المبدعات وتدبير العجائب والبصير هو الذي يشاهد ويرى لا يعزب عنه ما تحت الثرى وهو في حقه تعالى عبارة عن الوصف الذي به ينكشف كمال نعوت المبصرات فالبصر صفة زائدة على علمه تعالى خلافاً للقدرية فمن عرف هذه الصفة كان المراد به دوام المراقبة ومطالبة النفس بدقيق المحاسبة والمراقبة إحدى ثمرات الإيمان.

حكي أن بعض الملوك كان له عبد يقبل عليه أكثر مما يقبل على أمثاله ولم يكن أحسن منهم صورة ولا أكثر منهم قيمة فكانوا يتعجبون من ذلك فركب الملك يوماً إلى الصحراء ومعه أصحابه وعبيده فنظر إلى جبل بعيد عليه قطعة ثلج نظرة واحدة ثم أطرق فركض ذلك العبد فرسه من غير أن ينظر الملك إليه ولا أشار بشيء من ذلك ولم تعلم الجماعة لأي شيء ركض فرسه فما لبث إلا ساعة حتى عاد ومعه شيء من الثلج فقيل له بم عرفت أن الملك أراد الثلج فقال لأنه نظر إليه ونظر الملوك إلى شيء لا يكون عبثاً فقال الملك لهذا أقربه وأقدمه عليكم فإنكم مشغولون بأنفسكم وهو مشغول بمراقبة أحوالي وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى طيران الأرواح العلوية المخلوقة قبل الأجساد بألفي عام الباسطات الأجنحة الروحانية القابضات القوادم الجسمانية من العوالم الهيولانية ما يمسكهن إلا الرحمن المشتمل على الاسم الحفيظ وبه يمسكها في جو سماء القدرة إنه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الأشياء الغريبة وكيف يدبر الأمور العجيبة.

﴿أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن﴾ أصله أم من على أن أم منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله إلى التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد في ذلك والاستفهام متوجه إلى تعيين الناظر لتبكيتهم بإظهار عجزهم عن تعيينه ولا سبيل هنا إلى تقدير الهمزة مع بل لأن ما بعدها من الاستفهامية ولا يدخل الاستفهام على الاستفهام ومن مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفته وإيثار هذا لتحقير المشار إليه وينصركم صفة لجند بالاعتبار لفظه والجند جمع معد للحرب والمعنى بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم وعسكر وعون من آلهتكم وغيرها ينصركم عند نزول العذاب والآفات متجاوزاً نصر الرحمن فمن دون الرحمن حال من فاعل ينصركم ودون بمعنى غير أو ينصركم نصراً كائناً من دون نصره تعالى على أنه نعت لمصدره أو ينصركم من عذاب كائن من عند الله على أنه متعلق بينصركم وقد تجعل من موصولة مبتدأ وهذا مبتدأ ثانياً والموصول مع صلته خبره والجملة صلة من بتقدير القول وينصركم وأم منقطعة أو متصلة والقرينة محذوفة بدلالة السياق على أن يكون المعنى الله الذي هذه الأوصاف الكاملة والقدرة الشاملة ينصركم وينجيكم من الخسف والحصب إن أصابكم أم الذي يشار إليه ويقال في حقه هذا الذي تزعمون أنه جند لكم ينصركم من دون الله وإيثار الرحمن للدلالة على أن رحمة الله هي المنجية من غضبه لا غير قال القاشاني: أي من يشار إليه ممن يستعان به من الأغيار حتى الجوارح والآلات والقوى وكل ما ينسب إليه التأثير

والمعونة من الوسائط فيقال هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن فيرسل ما أمسك من النعم الباطنة والظاهرة أو يمسك ما أرسل من النعم المعنوية والصورية لو يحصل لكم ما منع ولم يقدر لكم أو يمنع ما أصابكم به وقدر عليكم. ﴿**إن الكافرون إلا في غرور**﴾ إن نافية بمعنى ما أي ما هم في زعمهم أنهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط أو أن آلهتهم تحفظهم من بأس الله إلا في غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك شيء يعتد به في الجملة والالتفات إلى الغيبة للإيذان باقتضاء حالهم الإعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والإظهار في موضع الإضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿**أمن هذا الذي يرزقكم**﴾ يعطيكم الرزق ﴿**إن أمسك**﴾ الرحمن وحبس ﴿**رزقه**﴾ بإمساك المطر ومباديه ولو كان الرزق موجوداً أو كثيراً وسهل التناول فوضع الأكلة في فمه فأمسك الله عنه قوة الابتلاع عجز أهل السماوات والأرض عن أن يسوغوه تلك اللقمة وإعرابه كإعراب ما سبق والمعنى على تقدير كون من موصولة الله الرزاق ذو القوة المتين يرزقكم أم الذي يقال في حقه هذا الحقير المهين الذي تدعون أنه يرزقكم قال بعض المفسرين كان الكفار يمتنعون عن الإيمان ويعاندون الرسول عليه السلام، معتمدين على شيئين أحدهما: اعتمادهم بمالهم وعددهم والثاني: اعتقادهم أن الأوثان توصل إليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات فأبطل الله عليهم الأول بقوله ﴿**أمن هذا الذي هو جند لكم**﴾ الخ ورد عليهم الثاني بقوله ﴿**أمن هذا الذي يرزقكم**﴾ الخ ﴿**بل لجوا في عتو ونفور**﴾ منبيء عن مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل أثر التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا في عتو أي عناد واستكبار وطغيان ونفور أي شراد عن الحق وتباعد وإعراض لمضادتهم الحق بالباطل الذي أقاموا عليه فاللجاج التمادي في العناد في تعاطي الفعل المزجور عنه والعتو والتجاوز عن الحد والنفور الفرار ففيه تحقير لهم وإشارة إلى أنهم ﴿حمر مستنفرة فرت من قسورة﴾ [المدثر: ٥١] يعني كوييا ايشان خران وحشي اندر ميدكن كه كريخته باشند از شيريا از صياد ياريسمان دام يا مردم تيرانداز يا آو ازهاي مختلف.

كسى راكه پندار درسر بود مپندار هركزكه حق بشنود

﴿**أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى**﴾ الخ مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحاً لحالهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وتقديم الهمزة عليها صورة إنما هو لاقتضائها الصدارة وأما بحسب المعنى فالأمر بالعكس حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشي مكباً، والمكب الساقط على وجهه وحقيقته صار ذا كب ودخل في الكب وكبه قلبه وصرعه يعني أسقطه على وجهه ولا يقال أكبه فإن أكب لازم وعند صاحب «القاموس» لازم ومتعد ومكباً حال من فاعل يمشي والمعنى فمن يمشي وهو يعثر في كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه أشد هداية ورشداً إلى المقصد الذي يؤمه قال في «المناسبات» لم يسم سبحانه لمشيانه طريقاً لأنه لا يستحق ذلك ولما كان ربما صادف السهل لا عن بصيرة بل عن اتفاق قال أهدى ﴿**أمن**﴾ أي أهو أهدى أم من ﴿**يمشي سوياً**﴾ أي

قائماً سالماً من الخبط والعثار. ﴿على صراط مستقيم﴾ مستوى الأجزاء لا عوج فيه ولا انحراف وقيل المكب كناية عن الأعمى لأنه لا يهتدي إلى الطريق فيتعسف يعني بي راه ميرود فيلزمه أن يكب على وجهه بخلاف البصير السوي.

فرقست ميان آنكه از روى يقين ... باديدهٔ بينا رودانــدرره دين

با آنكه دوچشم بسته بي دست كسى ... هركوشه همي رود بظن وتخمين

وقال قتادة هو الكافر أكب على معاصي الله في الدنيا فحشره الله على وجهه إلى النار في العقبى والمؤمن استقام على أمر الله في الدنيا فحشره الله على قدميه إلى الجنة في الآخرة وقيل للنبي عليه السلام، وكيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يظهر للإنسان يوم القيامة ما أبطن اليوم خيراً أو شراً.

سيرتي كاندر وجودت غالبست ... هم بران تصوير حشرت واجبست

قال القاشاني: أفمن يمشي منتكساً بالتوجه إلى الجهة السفلية والمحبة للملاذ الحسية والانجذاب إلى الأمور الطبيعية أهدى أممن يمشي مستوياً منتصباً على صراط التوحيد الموصوف بالاستقامة التامة التي لا توصف فالجاهل المحجوب الطالب للدنيا المعرض عن المولى الأعمى عن طريق الحق مكبوب على وجه الخجلة بواسطة ظلمة الغفلة والعارف المحقق التارك للدنيا المقبل على المولى المبصر البصير لطريق الحق ماش سوياً بالظاهر والباطن على طريق التوحيد الذي لا فيه أمت ولا عوج.

﴿قل﴾ يا أفضل الخلق ﴿هو﴾ تعالى وحده ﴿الذي أنشاكم﴾ أيها الكفار كما دل عليه السباق والسياق ويندرج فيه الإنسان الغافل أيضاً أي أنشأكم إنشاء بديعاً قابلاً لجمع جميع الحقائق الإلهية والكيانية وابتدأ خلقكم على أحسن خلق بأن صوركم فأحسن صوركم. ﴿وجعل لكم السمع﴾ وأعطى لكم الأذن لتسمعوا آيات الله وتعملوا بموجبها بل لتسمعوا الخطابات الغيبية من ألسنة الموجودات بأسرها فإنها كلها تنطق نطق الإنسان كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] قيل لبرزجمهر من أكمل الناس قال: من لم يجعل سمعه غرضاً للفحشاء وقدم السمع لأنه شرط النبوة ولذلك ما بعث الله رسولاً أصم ولأن فوائد السمع أقوى بالنسبة إلى العوام وإن كانت فوائد البصر أعلى بالنسبة إلى الخواص ولأن السمع مرتبة الخطاب عند انفتاح باب القلب والبصر مرتبة الرؤية ولا شك أن مرتبة الخطاب أقدم بالنسبة إلى مرتبة الرؤية لأن مرتبة الرؤية هي مرتبة التجلي فهي نهاية الأمر ألا ترى أنه عليه السلام، سمع قبل النبوة صوت إسرافيل ولم ير شخصه وأما بعدها فقد رأى جميع الملائكة وأم لهم ليلة المعراج عند السدرة بل ورأى الله تعالى بلا كيف فترقى من مرتبة الخطاب التي هي مرتبة الوحي إلى مرتبة التجلي التي هي مرتبة الموحى.

﴿والأبصار﴾ لتنظروا بها إلى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤون الله تعالى ولتبصروا جميع مظاهره تعالى في غاية الكمال ونهاية الإتقان ﴿والأفئدة﴾ لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا في معارج الإيمان والطاعة بل لتقبلوا بها الواردت القلبية والإلهامات الغيبية قال في «القاموس» التفؤد التحرق والتوقد ومنه الفؤاد للقلب مذكر والجمع أفئدة انتهى. وخص هذه الثلاثة بالذكر لأن العلوم والمعارف بها تحصل كما في «كشف

الأسرار» ولأن القلب كالحوض حيث ينصب إليه ما حصل من طريق السمع والبصر ﴿**قليلاً ما تشكرون**﴾ أي باستعمالها فيما خلقت لأجله من الأمور المذكورة وقليلاً نعت لمحذوف وما مزيدة لتأكيد القلة أي شكراً قليلاً أو زماناً قليلاً تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم قال سعدي المفتي: القلة بمعنى النفي إن كان الخطاب للكفرة أو بمعناها المعروف إن كان للكل يقال قلما أفعل كذا أي لا أفعله قال بعض العارفين:

لو عشت ألف عام ... في سجدة لربي
شكر الفضل يوم ... لم أقض بالتمام
والعام ألف شهر ... والشهر ألف يوم
واليوم ألف حين ... والحين ألف عام

قال بعضهم: من وظائف السمع في الشكر التعلم من العلماء والحكماء والإصغاء إلى الموعظة ونصح العقلاء والتقليد لأهل الحق والصواب ورد أقوال أهل البدعة والهوى ومن وظائف الأبصار فيه النظر إلى المصاحف وكتب الدين ومعابد المؤمنين ومسالك المسلمين وإلى وجوه العلماء والصالحين والفقراء والمساكين بعين الرحمة والتفات المحسنين إلى المصنوعات ونظر أصحاب اليقين وأرباب الشوق والذوق والحنين إلى غير ذلك مما فيه خير.

زبان آمد از بهر شكر وسپاس ... بغيبت نكر داندش حق شناس
كذركاه قرآن وپندست كوش ... به بهتان وباطل شنيدن مكوش
دو چشم ازپى صنع باري نكوست ... زعيب برادر فروكير ودوست
بهايم خموشنده وكويا بشر ... پرا كنده كوى از بهايم بتر
بنطق است وعقل آدمي زاده فاش ... چو طوطي سخن كوى رنادان مباش
ببد كفتن خلق چون دم زدي ... اكر راست كويى سخن هم بدي
ترا آنكه چشم ودهان داد وكوش ... اكر عاقلي درخلافش مكوش
مكن كردن ز شكر منعم مپيچ ... كه روزپسين سر بر آرى بهيچ

ومن وظائف الأفئدة الفكر في جلال الله وكماله وجماله ونواله والخوف والرجاء منه والمحبة له والاشتياق إلى لقائه والمحبة لأنبيائه وأوليائه والبغض لأعدائه والنظر في المسائل والدلائل والاهتمام في حوائج العيال ونحو ذلك مما فيه فائدة.

صيقلي كن دلت بنور جمال ... تاكه حاصل شود جميع كمال

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿**قل**﴾ يا أكمل الخلق ﴿**هو الذي ذرأكم في الأرض**﴾ أي: خلقكم وكثركم فيها لا غيره من الذرء وهو بالفارسية آفريدن قال في «القاموس»: ذرأ كجعل خلق والشيء كثره ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين. ﴿**وإليه**﴾ تعالى لا إلى غيره اشتراكاً أو استقلالاً ﴿**تحشرون**﴾ حشراً جسمانياً أي تجمعون وتبعثون للحساب والجزاء شيئاً فشيئاً إلى البرزخ دفعة واحدة يوم البعث فابنوا أموركم على ذلك ختم الآية بقوله ﴿**وإليه تحشرون**﴾ فبين أن جميع الدلائل المذكورة إنما كان لإثبات هذا المطلوب.

﴿ويقولون﴾ من فرط عنادهم واستكبارهم أو بطريق الاستهزاء كما دل عليه هذا في قوله ﴿متى هذا الوعد﴾ أي الحشر الموعود كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿وإليه تحشرون﴾ فالوعد بمعنى الموعود والمشار إليه الحشر وقيل ما خوفوا به من الخسف والحاصب واختيار لفظ المستقبل إما لأن المقصود بيان ما يوجد من الكفار من هذا القول في المستقبل وإما لأن المعنى وكانوا يقولون ﴿إن كنتم صادقين﴾ يخاطبون به النبي والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه السلام في الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف أي إن كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيء الساعة والحشر فبينوا وقته.

﴿قل﴾ يا أعلم الخلق ﴿إنما العلم﴾ بوقته ﴿عند الله﴾ الذي قدر الأشياء ودبر الأمور لا يطلع عليه غيره ﴿وإنما أنا نذير مبين﴾ مخوف ظاهر بلغة تعرفونها ومظهر للحق كاشف عن الواقع أنذركم وقوع الموعود لا محالة وأما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الإنذار قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه أخفى الله علمه في عباده وعن عباده وكل يتبع أمره على جهة الاشتباه لا يعلم ما سبق له وبماذا يختم له وذلك قوله تعالى: ﴿قل إنما﴾.. الخ.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿فلما رأوه﴾ الفاء فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كأنه قيل وقد أتاهم الموعود فرأوه أي رؤية بصرية فلما رأوه نزل الأمر الغير الواقع منزلة الواقع لتحققه. ﴿زلفة﴾ حال من مفعول رأوا لأن رأى من رؤية البصر كما أشير إليه آنفاً إما بتقدير المضاف أي ذا زلفة وقرب أو على أنه مصدر بمعنى الفاعل أي مزدلفاً وقرب الحشر هو قرب ما دلهم فيه ﴿سيئت﴾ بد كردد وزشت شود ﴿وجوه الذين كفروا﴾ بأن غشيتها الكآبة ورهقها القتر والذلة وخص الوجوه بالذكر لأن الوجه هو الذي يظهر عليه أثر المسرة والمساءة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به وأصل الكلام ساءت رؤية الموعود وجوههم فكانت كوجه من يقاد إلى القتل أو يعرض على بعض العذاب والسياءة من ساءه الشيء يسوءه سوءاً ومساءة نقيض سره كما في «تاج المصادر» السوء غمكين كردن.

ثم بني للمفعول وفي «القاموس» ساءه فعل به ما يكره فيكون متعدياً ويجوز أن يكون لازماً بمعنى قبح ومنه ساء مثلاً وسيء إذا قبح قال بعض المفسرين وأهل اللغة ومنه الآية فالفعل في الحقيقة مسند إلى أصحاب الوجوه بمعنى ساؤوا وقبحوا قال بعضهم المحجوبين مع اعترافهم بالإبداء منكرون للإعادة فلا جرم يسوء وجوههم رؤية ما ينكرونه وتعلوها الكآبة ويأتيهم من العذاب الأليم ما لا يدخل تحت الوصف. ﴿وقيل﴾ توبيخاً لهم وتشديداً لعذابهم بالنار الروحانية قبل الإحراق بالنار الجسمانية والقائلون الزبانية وإيراد المجهول لكون المراد بيان المقول لا بيان القائل ﴿هذا﴾ مبتدأ أشير به إلى ما رأوه زلفة وخبره قوله ﴿الذي كنتم به تدعون﴾ أي تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه إنكاراً واستهزاء على أنه تفتعلون من الدعاء والباء على هذا صلة الفعل يقال دعا بكذا إذا استدعاه وقيل هو من الدعوى أي كنتم بسبب ذكر النبي عليه السلام، والمؤمنين العذاب لكم يوم القيامة تدعون أن لا بعث ولا حشر ولا عذاب، فالباء للسببية ويجوز أن تكون للملابسة وعن بعض الزهاد أنه تلاها في أول الليلة في صلاته فبقي

يكررها وهو يبكي إلى أن نودي لصلاة الفجر هذه معاملة العارفين بجلال الله مع الله عند ملاحظة جبروته وقهره.

﴿قل﴾ يا خير الخلق ﴿أرأيتم﴾ أي أخبروني خبراً أنتم في الوثوق به على ما هو كالرؤية قال بعضهم: لما كانت الرؤية سبباً للإخبار عبر بها عنه وقال بعضهم: لما كان الإخبار قوياً بالرؤية شاع أرأيت في معنى أخبر ﴿إن أهلكني الله﴾ أي أماتني والتعبير عنه بالإهلاك لما كانوا يدعون عليه ﷺ وعلى المؤمنين بالهلاك ويتربصون به ريب المنون ويقولون إن أمر محمد لا يتم ولا يبقى بل يزول عن قريب ﴿ومن معي﴾ ومن المؤمنين وحصل مقصودكم ﴿أو رحمنا﴾ بتأخير آجالنا وحصل مقصودنا فنحن في جوار رحمته متربصون لإحدى الحسنيين إما أن نهلك فننقلب إلى الجنة أو نرحم بالنصرة والإدالة للإسلام كما نرجو فأنتم ما تصنعون وأي راحة لكم في موتنا وأي منفعة وغايتكم إلى العذاب كما قال تعالى ﴿فمن﴾ بس كيست آنكه او ﴿يجير﴾ ينجي ويخلص قال في «تهذيب المصادر» الإجارة زينها دادان.

وفي «القاموس» أجاره أنقذه وأعاذه ﴿الكافرين من عذاب أليم﴾ مؤلم شديد الإيلام أي لا ينجيكم منه أحد إذا نزل بكم سواء متنا أو بقينا إنما النجاة بالإيمان والعمل الصالح ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفي الإنجاء به وقال بعضهم كيف قال إن أهلكني الله الخ بعد أن علم أنه تعالى لا يهلك الأنبياء والمؤمنين قلت فيه مبالغة في التخويف كأنه قيل نحن معاشر الأنبياء والمؤمنين نخاف الله أن يأخذنا بذنوبنا فمن يمنعكم من عذابه وأنتم كافرون وكيف لا تخافون وأنتم بهذه المثابة من الإجرام فيكون معنى أهلكنا عذبنا بعذاب ومعنى رحمنا غفر لنا كما في «الجلالين».

﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قل﴾ يا أشفق الخلق ﴿هو الرحمن﴾ أي: الذي أدعوكم إلى عبادته مولى النعم كلها وموصلها ﴿آمنا به﴾ وحده لما علمنا أن كل ما سواه فإما نعمة أو منعم عليه ولم نكفر به كما كفرتم على أن يكون وقوع آمنا مقدماً علي به تعريضاً للكفار حيث ورد عقيب ذكرهم. ﴿وعليه توكلنا﴾ فوضنا أمورنا لا على غيره أصلاً كما فعلتم أنتم حيث توكلتم على رجالكم وأموالكم لعلمنا بأن ما عداه كائناً ما كان بمعزل من النفع والضر فوقوع عليه مقدماً يدل عى الاختصاص ﴿فستعلمون﴾ يا كفار مكة عن قريب البتة عند معاينة العذاب ﴿من﴾ استفهامية أو موصولة ﴿هو في ضلال مبين﴾ منا ومنكم أي خطأ ظاهر وفي «التأويلات النجمية»: وعلى فيضه الأتم ولطفه الأعم توكلنا بكليتنا لا على غيره فستعلمون من هو في ضلال مبين أي من توجه إليه بالاستفاضة منها أو من أعرض عنه بالإنكار له.

﴿قل﴾ يا أكرم الخلق ﴿أرأيتم﴾ أي أخبروني ﴿إن أصبح﴾ اكر كرد.

فهو بمعنى صار ﴿ماؤكم﴾ وكان ماء أهل مكة من بئرين بئر زمزم وبئر ميمون الحضرمي ﴿غوراً﴾ خبر أصبح وهو مصدر وصف به أي غائراً في الأرض بالكلية ذاهباً ونازلاً فيها وقيل بحيث لا تناله الدلاء ولا يمكن لكم نيله بنوع حيلة كما يدل عليه الوصف بالمصدر وبالفارسية فروورفته بزمين چنانكه دست ودلو بدان نرسد.

يقال غار الماء نضب والنضوب فرودشدن آب درز مين وفي «المفردات» الغور المنهبط من الأرض ﴿فمن يأتيكم﴾ على ضعفكم حينئذٍ ﴿بماء معين﴾ جارو بالفارسية پس كيست آنكه بيارد براي شما آب جاري.

من عان الماء أو معن كلاهما بمعنى جرى أو ظاهر للعيون سهل المأخذ يعني تناله الأيدي فهو على هذا اسم مفعول من العين بمعنى الباصرة كمبيع من البيع لعل تكرير الأمر بقل لتأكيد المقول وتنشيط المقول له فإن قلت كيف خص ذكر النعمة بالماء من بين سائر نعمه؟ قلت: لأن الماء أهون موجود وأعز مفقود كما في «الأسئلة المقحمة».

ودر آثار آمده كه بعد از تلاوت اين آيت بايد كفت كه الله رب العالمين در تفسير زاهدي رحمه الله مذكور است كه زنديقي شنيدكه معلمي شاكرد خودرا تلين مي كرد فمن يأتيكم بماء معين واو جواب دادكه يأتي به المعول والمعين قال في «القاموس» المعول كمنبر الحديدة تنقر بها الجبال انتهى شبانه نابينا شد هاتقي وهو من يسمع صوته ولا يرى شخصه آواز دادكه اينك كه آب چشمهٔ چشم توغائر شد بكوتا بمعول ومعين بازآرند نعوذ بالله من الجراءة على الله وبيناته وترك حرمة القرآن وآياته وإنما عوقب بذهاب ماء عينيه لأن الجزاء من جنس العمل في «المثنوي»:

فلسفيءِ منطقيءِ مستهان   مي كذشت ازسوى مكتب آن زمان
چونكه بشنيد آيت اوزا نا پسند   كفت ما اريم آبى بر بلند
تا بزخم بيل وتيزئ تبر   آب را آريم ازپستي زبر
شب بخفت وديد او يك شير مرد   زد طبانچه هردو چشمش كور كرد
كفت هان زين چشمهٔ چشم أي شقى   باتبر نوري برآر ار صادقي
روز برجست ودوچشمش كورديد   نور فائض ازدو چشمش نابديد

وفي الحديث: «سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شفعت لرجل فأخرجته يوم القيامة من النار وأدخلته الجنة وهي سورة تبارك»، قال في «التيسير»: هي ثلاثون آية وثلاثمائة وثلاث وثلاثون كلمة، وألف وثلاثمائة واحد وعشرون حرفاً، وفي حديث آخر: «وددت أن تبارك الذي بيده الملك في قلب كل مؤمن»، وكان عليه السلام لا ينام حتى يقرأ سورة الملك وألم تنزيل السجدة وقال علي رضي الله عنه: من قرأها يجيء يوم القيامة على أجنحة الملائكة وله وجه في الحسن كوجه يوسف عليه السلام، وعن ابن عباس رضي الله عنهما ضرب بعض الصحابة خباءه على قبر وهو لا يشعر أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك فأتى النبي عليه السلام، فقال: يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وأنا لا أعلم أنه قبر فإذا إنسان يقرأ سورة الملك فقال عليه السلام: «هي المانعة» أي من عذاب الله تعالى «هي المنجية» تنجيه من عذاب القبر وكانوا يسمونها على عهد رسول الله عليه السلام، المنجية وكانت تسمى في التوراة المانعة وفي الإنجيل الواقية قال ابن مسعود رضي الله عنه: يؤتى الرجل في قبره من قبل رأسه فيقال ليس لكم عليه سبيل إنه كان يقرأ على رأسه سورة الملك فيؤتى من قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل إنه كان يقوم فيقرأ سورة الملك فيؤتى من قبل جوفه فيقال ليس لكم عليه سبيل إنه وعى سورة الملك أي حفظها وأودعها في جوفه وبطنه من قرأها في ليلة أو يوم فقد أكثر وأطاب.

يقول الفقير: سورة الملك عند أهل الحقائق هي سورة المام الذي يلي يسار القطب وينظر إلى عالم الشهادة وإليه الإشارة بقوله: ملك الناس فسر هذه السورة في أولها كما أن سر يس في آخرها وهو قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى﴾ [يس: ٨٣]. . الخ. ولذا تقرأ عند المحتضر لأن وقت الموت قبض الملكوت الذي هو الروح وهو بيده تعالى بقي الكلام في قراءة الموتى في قبورهم وهل يصلون وهل يتعلمون العلم بعد الموت فدل حديث ابن عباس رضي الله عنهما على القراءة وكذا ما أخرج السيوطي رحمه الله عن عكرمة رضي الله عنه أنه قال «يعطى المؤمن مصحفاً يقرأ في القبر» وأخرج عن سعيد بن جبير رحمه الله أنه رأى بعينه ثابتاً البناني رحمه الله، يصلي في قبره حين سقطت لبنة من قبره وكانوا يستمعون القرآن كثيراً من قبره وأخرج عنه الحسن البصري قدس سره أنه قال بلغني أن المؤمن إذا مات ولم يحفظ القرآن أمر حفظته أن يعلموه القرآن في قبره حتى يبعثه الله يوم القيامة مع أهله وذكر اليافعي رحمه الله أن مالك بن دينار ماتت له قبل توبته بنت لها سنتان فرآها في المنام وهي تقول له يا أبت ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فبكى وقال يا بنية وأنتم تعرفون القرآن فقالت يا أبت نحن أعرف به منكم فكان ذلك سبب توبته ونقل الإمام الشعراني في «كتاب الجواهر» له عن بعض أهل الله أنه قال من أهل البرزخ من يخلق الله تعالى من همتهم من يعمل في قبورهم بغالب أعمالهم في الدنيا ويكتب الله لعبده ثواب ذلك العمل إلى آخر البزرخ كما وقع لثابت البناني رحمه الله، فإنهم وجدوا في قبره شخصاً على صورته يصلي فظنوا أنه هو وإنما هو مخلوق من همته وكذلك المثالات المتخيلة في صور أهل البرازخ لأهل الدنيا في النوم واليقظة فإذا رأى مثال أحدهم فهو إما ملك خلقه الله تعالى من همة ذلك الولي وإما مثال أقامه الله تعالى على صورة لتنفيذ ما شاء الله تعالى من حوائج الناس وغيرها فأرواح الأولياء في البرزخ ما لها خروج منه أبداً وأما أرواح الأنبياء عليهم السلام، فإنها مشرفة على وجود الدنيا والآخرة انتهى.

وقال السيوطي رحمه الله نقلاً عن بعض المحققين: إن رسول الله عليه السلام رأى ليلة المعراج موسى عليه السلام، قائماً يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة فالروح كانت هناك في مثال البدن ولها اتصال بالبدن بحيث يصلي في قبره ويرد على المسلم عليه وهو في الرفيق الأعلى ولا تنافي بين الأمرين فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان، وقد مثل بعضهم بالشمس في السماء وشعاعها في الأرض، كالروح المحمدي يرد على من يصلي عليه عند قبره دائماً مع القطع بأن روحه في أعلى عليين وهو لا ينفك عن قبره كما ورد عنه قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى والرسول عليه السلام له الخيار في طواف العوالم مع أرواح الصحابة رضي الله عنهم لقد رآه كثير من الأولياء وقال صدر الدين القنوي قدس سره: فمن ثبتت المناسبة بينه وبين الأرواح الكمل من الأنبياء والأولياء الماضيين اجتمع بهم متى شاء وتوجه توجهاً وجدانياً يقظة ومناماً انتهى.

تمت سورة الملك بعونه تعالى في غرة شعبان المبارك
من شهور سنة ست عشرة ومائة وألف

٦٨ ـ سورة القلم

مكية وآيها ثنتان وخمسون بالاتفاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣﴾.

﴿ن﴾ أي هذه سورة ن أو بحق ن وهي هذه السورة أقسم الله بها على سبيل التأكيد في إثبات الحكم على ما عليه عادة الخلق مع ما فيه من بيان عظم شأن المقسم به وإلا فكما أنه تعالى لا يليق القسم بشأنه العالي فكذا لا يصح لغيره أن يكون مقسماً به والنون حرف واحد في الكتابة وثلاثة أحرف في التلفظ وقد قال عليه السلام: «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف» أراد عليه السلام بالحرف ما يتهجى به فيرجى أن يعطى الله بلفظ ن ثلاثين حسنة لأنه مشتمل في التلفظ على نونين بينهما واو، وقال بعضهم هو مفتاح اسم النور والناصر أو قسم بنصرة الله المؤمنين اعتباراً بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] وقال سهل قدس سره: النون اسم من أسماء الله تعالى وذلك أنه اجتمعت أوائل هذه السورة الثلاث ألر وحم ون يكون الرحمن وقيل فيه أنه اسم من أسماء النبي عليه السلام كما في «التكملة» لعل هذه القائل أشار إلى قوله عليه السلام: «أول ما خلق الله نوري» فيكون النور اسمه عليه السلام، فإن قلت فيلزم التكرار لأن القلم أيضاً من أسمائه كما قال أول ما خلق الله القلم قلت التغاير في العنوان بمنزلة التغاير في الذات فسمي عليه السلام، باعتبار نورانيته نوراً وباعتبار أنه صاحب القلم قلماً كما سمي خالد بن وليد رضي الله عنه سيف الله المسلول لكونه صاحب سيف وقال بعضهم: هو لوح من نور أو اسم نهر في الجنة.

وفي «المفردات»: النون الحوت العظيم ولذا قال عكرمة في الآية أقسم الله بالحوت الذي لطخ سهم نمرود بدمه لأن نمرود لما رمى السهم نحو السماء عاد السهم مختضباً بدم سمكة في بحر معلق في الهواء فأكرم الله ذلك الحوت بأن أقسم به وأحل جنسه من غير ذكاة فإنه لا يحل إلا ميتتان السمك والجراد وفي معناهما ما يستحيل من الأطعمة كدود التفاح والجبن فإن الاحتراز عنهما غير ممكن فأما إذا أفردت وأكلت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة ولا سبب في تحريمه إلا الاستقذار ولو لم يكن لكان لا يكره وإن وجد شخص لا يستقذره لا يلتفت إلى خصوص طبعه فإنه التحق بالخبائث لعموم الاستقذار فيكره أكله كما لو جمع المخاط وشربه كره كما في «الإحياء» يقال: لو أريد به معنى الحوت، كانت المناسبة بين المتعاطفين كما في ما بين كم الخليفة وألف باذنجانة.

يقول الفقير: المناسبة بينهما خفية لا يدركها إلا أهل الحقائق وهي أن كبد الحوت غذاء أهل الجنة قبل كل شيء فيجدون بعد أكله حياة أبدية في أبدانهم كما أن القلم يكتب به من العلوم ما فيه حياة باقية لأرواحهم ولذا سمي جبريل روحاً لأنه كان يجيء بالوحي الذي هو سبب لحياة القلوب والأرواح فيكون ن والقلم كالماء والعلم ولا شك في ثبوت المناسبة التامة بينهما فالقياس الذي ذكره القائل باطل وقائل الباطل جاهل وقال بعضهم: هو اسم الحوت الذي احتبس يونس عليه السلام، في بطنه ولذا أسماه الله تعالى ذا النون وقال بعضهم: هو الحوت الذي على ظهره الأرض وهو في بحر تحت الأرض السفلى اسمه ليوثاً أو يهموت بالياء المثناة التحتانية وفي «عين المعاني» لوثيا أو برهوت كما قال علي رضي الله عنه:

مـا لـي أراكـم كـلـكـم سـكـوتـا والله ربـي خـلـق الـبـرهـوتـا

روي: أن الله تعالى لما خلق الأرض كانت تتكفأ كما تتكفأ السفينة أي تضطرب وتميل فبعث الله ملكاً فهبط حتى دخل تحت الأرض فوضعها على كاهله وهو كصاحب ما بين الكتفين ثم أخرج يديه إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب ثم قبض على الأرضين السبع فضبطها فاستقرت فلم يكن لقدمي الملك قرار فأهبط الله ثوراً من الجنة له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة فجعل قرار قدمي الملك على سنامه فلم تستقر قدماه على سنامه فبعث الله ياقوتة خضراء من الجنة غلظها مسيرة كذا ألف عام فوضعها على سنام الثور فاستقرت عليها قدما الملك وقرون الثور خارجة من أقطار الأرض مشبكة إلى تحت العرش ومنخر الثور في ثقبين من تلك الياقوتة الخضراء تحت البحر فهو يتنفس في اليوم نفسين فإذا تنفس مد البحر وإذا رد النفس جزر البحر وهو ضد مد ولم يكن لقوائمه قرار فخلق الله كمكاماً من الرمل كغلظ سبع سماوات وسبع أرضين فاستقر عليه قوائم الثور ثم لم يكن للكمكام مستقر فخلق الله حوتاً يقال له برهو فوضع الكمكام على وبر الحوت والوبر الجناح الذي يكون في وسط ظهره وذلك مزموم بسلسلة من القدرة كغلظ السماوات والأرض مرار وانتهى إبليس لعنه الله إلى ذلك الحوت فقال له ما خلق الله خلقاً أعظم منك فلم لا تزيل الدنيا عن ظهرك فهم بشيء من ذلك فسلط الله عليه بقة في أنفه فشغلته وفي رواية بعث الله دابة فدخلت منخره فوصلت إلى دماغه فعج الحوت إلى الله تعالى منها فأذن لها فخرجت قال كعب فوالله الذي نفسي بيده إنه لينظر إليها وإنها لتنظر إليه إن هم بشيء من ذلك عادت كما كانت قيل وأنبت الله من تلك الياقوتة جبل قاف وهو من زمردة وله رأس ووجه وأسنان وأنبت من جبل قاف الجبال الشواهق كما نبت الشجر من عروق الشجر وزعم وهب أن الحوت والثور يبتلعان ما ينصب من مياه الأرض في البحار فلذلك لا يؤثر في البحار زيادة فإذا امتلأت أجوافهما من المياه قامت القيامة وزعم قوم أن الأرض على الماء والماء على الصخرة على سنام الثور والثور على كمكام من الرمل متلبداً والكمكام على ظهر الحوت والحوت على الريح العقيم والريح على حجاب من ظلمة والظلمة على الثرى وقد انتهى علم الخلائق إلى الثرى ولا يعلم ما وراء ذلك أحد إلا الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وهذه الأخبار مما تزيد المرء بصيرة في دينه وتعظيماً لقدرة ربه وتحيراً في عجائب خلقه فإن صحت فما خلقها على الصانع القدير بعزيز وإن تكن من اختراع أهل الكتاب وتنميق القصاص فكلها تمثيل وتشبيه ليس بمنكر كذا في «خريدة العجائب».

وقال في «كشف الأسرار»: بعض مفسران كفتند ماهيت برآب زير هفت طبقهء زمين ما هي از كرانيء بار زمين خم درخم كرديد بر مثال نون شدشكم بآب فروبرده وسراز مشرق برآورده وذنب ازمغرب وخواست كه ازكران باري بنالد جبريل بانك بروي زد چنان بترسيدكه كران بارىء زمين فراموش كردونا بقيامت نياردكه بجنيد ما هي چون بار برداشت ونناليد رب العالمين او را دو تشريف داديكي آنكه بد وقسم ياد كرد محل قسم خداوند جهان كشت ديكر تشريف آنست كه كارد از حلق او برداشت همه جانور انرا بكارد ذبح كنند واورا نكنند تا عالميان بدانندكه هركه بار كشد رنج او ضياع نكنند اي جوانمرد اكر ماهي بار زمين كشيد بندهء مؤمن بار امانت مولى كشيدكه وحملها الإنسان ما هي كه بار زمين برداشت از كار در عقوبت ايمن كشت چه عجب كه اكر مؤمن بار امانت برداشت از كارد قطيعت ايمن كردد ﴿والقلم﴾ هو ما يكتب به والواو للقسم على التقدير الأول وللعطف على الثاني والمراد قلم اللوح كما جاء في الخبر أن أول ما خلق الله القلم ونظر إليه فانشق بنصفين ثم قال له اجر بما هو كائن إلى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك من الآجال والأعمال والأرزاق وهو القدر الذي يجب أن يؤمن بخيره وشره ثم ختم على القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والأرض وبعدما خلق القلم خلق النون أي السمكة فدحا الأرض عليها فارتفع بخار الماء ففتق منه السماوات واضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال وإن الجبال لتفخر على الأرض إلى يوم القيامة وقد عرفت المناسبة بين القلم وبين النون بمعنى السمكة وفي رواية الواحدي في «الوسيط» أول چيزي كه خداي تعالى بيا فريد قلم بود پس نون را بيا فريدو آن دو اتست وقلم ازان دوات نوشت آنچه بود وهست وبادشو برين تقدير خداي تعالى قسم فرمود بدوات بقلم أعلى كه از نورست كما في «تفسير الكاشفي».

وفي «القاموس»: النون من حروف الزيادة والدواة والحوت انتهى. وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن المراد بالقلم قلم الكرام الكاتبين أو جنس القلم أقسم الله بالدواة والقلم لكثرة منافعهما وعظم فوائدهما فإن التفاهم بالنطق والبيان إنما يكون بين الحاضرين وأما بالنسبة إلى من غاب وبعد من أهل عصر واحد ومن أهل الزمان الآتي فإنما يكون بالكتابة كما قال بعضهم: البيان اثنان بيان اللسان وبيان بنان ومن فضل بيان البنان أن ما تثبته الأقلام باق على الأيام وبيان اللسان تدرسه الأعوام ولو لم يكن للقلم مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله لكفى به فضلاً موجباً لتعظيمه ومن تعظيمه تعظيم برايته فتوضع حيث لا تطأها الأقدام وإلا أورثت الآلام وعن بعض الحكماء قوام أمور الدين والدنيا بشيئين القلم والسيف والسيف تحت القلم لولا القلم ما قام دين ولا صلح عيش قال بعضهم:

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت ... له الرقاب ودانت خوفه الأمم
كذا قضى الله للأقلام مذ بريت ... إن السيوف لها مذ أرهفت خدم

وقال بعضهم:

إذا أقسم الأبطال يوماً بسيفهم ... وعدوه مما يجلب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب فخراً ورفعة ... مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

﴿وما يسطرون﴾ ما موصولة والعائد محذوف والسطر الصف من الكتابة ومن الشجر المغروس ومن القوم الوقوف وسطر فلان كذا أي كتبه سطراً أسطراً وضمير الجمع لأصحاب

القلم المدلول عليه بذكره والمعنى بالفارسية وديكر سوكند ياد فرمود بآنچه أصحاب قلم آسمانيان وزمنينيان مي نويسند از كتاب وكلام درتبيان از ابن هيضم رحمه الله، نقل فرمودكه نون دهنست وقلم زبان وما يسطرون آنچه حفظه ببنده مي نويسند حق تعالى بدينها سوكند فرموده.

قال بعض العارفين: النون نون الذات والقلم قلم الصفات وما يسطرون هي الأفعال والشؤون الإلهية يكتبونها على لوح القدرة والإرادة حرفاً حرفاً.

يقول الفقير: فيه إشارة إلى أن نون الجمع الذاتي أي دواته وهو أصل كتاب الوجود الذي هو أم الكتاب سمي بالنون لكونه مجتمع مداد مواد نقوش العالم وإن شئت قلت إلى نون النقطة التي هي مرتبة الأحدية وقد كان الإمام على رضي الله عنه يقول في خطبته على رؤوس الأشهاد أنا نقطة باء بسم الله الذي فرطتم فيه أنا القلم وأنا اللوح المحفوظ وأنا العرش وأنا الكرسي وأنا السماوات السبع والأرضون فإذا صحا وارتفع عنه تجلي الوحدة أثناء الخطبة يشرع معتذراً ويقر بعبوديته وضعفه وانقهاره تحت الأحكام الإلهية وفي «التأويلات النجمية»: يشير بكلمة ن إلى العلم الإجمالي المندمج في الأحدية الذاتية الجمعية وبالقلم إلى العلم التفصيلي في الوحدة الأسمائية وإنما نسبنا الإجمالي الروحي إلى ن والتفصيلي القلبي إلى القلم لأن هذه الدواة مشتملة بما في بطنها على جميع الحروف المجردة والكلمات المركبة اشتمال النواة على الشجرة واندماج الشجرة المفصلة في النواة المجملة فبالقلم يسطر على لوح القلب بالتفصيل كل ما هو في ضمير الدواة بالإجمال فإذا فهمت المقصود فاعلم أن الله تعالى أقسم بعلمه الإجمالي الكائن في الأحدية وبعلمه التفصيلي الثابت في الواحدية وبالتحقيق أقسم بأحدية ذاته المطلقة وبواحدية أسمائه الجمعية إذ العلم من حيث هو عين ذاته وأقسم إذا بكل ما سطر قلمه الكريم من دواته القديم من الحروف الإلهية المجردة العلوية والكلمات الربانية المركبة السفلية انتهى كما قال بعض الكبار في بيان حروف كتاب الوجود الظلي وكلماته وآياته وسوره إن الشؤون الغيبة حروفه العاليات والأعيان الثابتة العلمية كلماته التامات والحقائق الأرواحية والمثالية آياته المتعاليات والصور الحسية العينية سوره الكاملات وأما كتاب الوجود الحقيقي فحروفه المجردة الأسماء الذاتية الأحدية وكلماته الأسماء الصفاتية الواحدية وآياته الأسماء الأفعاليه الواحدية وصوره الأسماء الآثارية المظهرية وكل منها كتاب مبين انتهى. وهكذا قال بعض الكبار القلم علم التفصيل والنون علم الإجمال وتلك الحروف التي هي مظاهر تفصيل القلم مجملة في مداد الدواة ولا تقبل التفصيل ما دامت فيها فإذا انتقل المداد منها إلى القلم تفصلت الحروف به في اللوح وتفصل العلم بها لا إلى غاية وأما علم الإجمال المعبر عنه بالنون فإن النون في الرقم نصف دائرة محسوسة ونصف دائرة معقولة تشعر نقطتها في الوسط بكونه مراد التتميم الدائرة الذاتية التي هي ظرف مداد الوجود ولذلك كان من الحروف الدورية عكسه كطرده فإن النصف المحسوس ظرف مداد عالم الخلق والنصف المعقول ظرف مداد عالم الأمر والخط الفاصل بينهما وهو خط ألف قام بين تدوير النونين برزخ جامع وهو مستوى الصحف الإلهية والكتب المتفرقة من حيطة الكتاب المحيط بالمحيطات المقول فيه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وهو كتاب ينطوي على العلوم الجمة المنطوي عليها أيضاً مداد النون وتشتمل على مائة وأربع عشرة سورة كما اشتمل النون على عدد يطابقها فإن النونين

والواو والألف الذي انتهى إليه اسم النون مائة وثلاثة عشر وكون مسماه حرفاً واحداً متمم لأربعة عشر فاعلم ذلك فإنه دقيق قل أن تجده في كلام أحد انتهى.

وقال القاشاني: ن هو النفس الكلية والقلم هو العقل الكلي والأول من باب الكناية بالاكتفاء من الكلمة بأول حروفها والثاني من باب التشبيه إذ تنتقش في النفس صور الموجودات بتأثير العقلي كما تنتقش الصور في اللوح بالقلم وما يسطرون من صور الأشياء وما هيأتها وأحوالها المقدرة على ما تقع عليه وفاعل ما يسطرون الكتبة من العقول المتوسطة والأرواح المقدسة وإن كان الكاتب في الحقيقة هو الله تعالى لكن لما كان في حضرة الأسماء نسب إليها مجازاً أقسم بهما وبما يصدر عنهما من مبادي الوجود وصور التقدير الإلهي ومبدأ أمره ومخزن غيره لشرفهما وكونما مشتملين على كل الوجود في أول مرتبة التأثير والتأثر ولمناسبتهما للمقسم عليه وهو قوله: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير في خبر ما وهو مجنون والعامل فيها معنى النفي والجنون حائل بين النفس والعقل وجن فلان أي أصابه الجن أو أصاب جنانه أو حيل بين نفسه وعقله فجن عقله ذلك كأنه قيل انتفى عنك الجنون يا محمد وأنت بريء منه ملتبساً بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة والمراد تنزيهه عليه السلام عما كانوا ينسبونه عليه السلام إليه من الجنون حسداً وعداوة ومكابرة مع جزمهم بأنه عليه السلام، في غاية الغايات من حصافة العقل ورزانة الرأي قال أبو حيان: قوله: ﴿بنعمة ربك﴾ قسم اعترض به بين المحكوم عليه والحكم على سبيل التأكيد والتشديد والمبالغة في انتفاء الوصف الذميم عنه عليه السلام، وذهب إلى القسم أيضاً حضرة الشيخ نجم الدين في «تأويلاته» روي أنه عليه السلام، غاب عن خديجة رضي الله عنها إلى حراء فلم تجده فإذا هو قد طلع ووجهه متغير بلا غبار فقالت له: ما لك؟ فذكر نزول جبرائيل عليه السلام، وأنه قال له ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] فهو أول ما نزل من القرآن قال: ثم نزل بي إلى قرار الأرض فتوضأ وتوضأت ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال هكذا الصلاة يا محمد، فذكر عليه السلام، ذلك لخديجة فذهبت خديجة إلى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد حالف دين قريش ودخل في النصرانية فسألته فقال: أرسليني إلى محمد فأرسلته فأتاه فقال: هل أمرك جبرائيل أن تدعو أحد فقال: لا، فقال: والله لئن بقيت إلى دعوتك لأنصرنك نصراً عزيزاً، ثم مات قبل دعاء الرسول عليه السلام، ووقعت تلك الواقعة في ألسنة كفار قريش فقالوا: إنه مجنون فأقسم الله تعالى على أنه ليس بمجنون وهو خمس آيات من أول هذه السورة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أول ما نزل قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ [الأعلى: ١]، وهذه الآية هي الثانية وفي «التأويلات النجمية»: ما أنت بنعمة ربك بمستور عما كان من الأزل وما سيكون إلى الأبد لأن الجن هو الستر وما سمي الجن جناً إلا لاستتاره من الإنس بل أنت عالم بما كان خبير بما سيكون ويدل على إحاطة علمه قوله عليه السلام، فوضع كفه على كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما كان وما سيكون قال الإمام القشيري قدس سره في «شرح الأسماء الحسنى»: نصرة الحق لعبده أتم من نصرة العبد لنفسه قال تعالى لنبيه عليه السلام: ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ثم انظر بماذا سلاه وبأي شي خفف عليه تحمل أثقال الأذى حيث قال فسبح بحمد ربك يعني إذا تأذيت بسماع السوءة فيك منهم فاسترح بروح ثنائك علينا ولذة التنزيه والذكر لنا فإن ذلك يريحك ويشغلك عنهم ثم إنه عليه السلام، لما قبل هذه النصيحة

وامتثل بأمر ربه تولى نصرته والرد عنه فلما قيل إنه مجنون أقسم على نفي ذلك بقوله ﴿ن والقلم﴾ الخ، تحقيقاً لتنزيهه لما اشتغل عنهم بتنزيه ربه ثم عاب الله القادح فيه بالجنون بعشر خصال ذميمة بقوله: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾ إلى قوله: ﴿أساطير الأولين﴾ وكان رد الله عنه وذبه أتم من رده عن نفسه حيث كان من جملة القرآن باقياً على الألسنة إلى يوم القيامة.

﴿وإن لك﴾ بمقابلة مقاساتك ألوان الشدائد من جهتهم وحملك لأعباء الرسالة ﴿لأجراً﴾ لثواباً عظيماً ﴿غير ممنون﴾ مع عظمه كقوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] أي غير منقوص ولا مقطوع ومنه قيل المنون للمنية لأنها تنقص العدد وتقطع المدد وبالفارسية مزدي بردوا مكه هركز انقطاع بدان راه نيابد.

ويقال أجر النبي مثل أجر الأمة قاطبة غير منقوص ويجوز أن يكون معناه غير مكدر عليك بسبب المنة لأنه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وإنما تمت الفواضل لا الأجور على الأعمال كما في «الكشاف».

وقال الكاشفي: غير ممنون منب نانهاده يعني حق تعالى بي واسطهء كسى كه ازو منت بايد داشد بتو عطاكرد.

وفي إشارة إلى أن أنوار المكاشفات والمشاهدات غير مقطوعة لكونها سرمدية فلا يزال العارف يترقى في الشهود في جميع المواطن ولا ممنونة لأن الفتح والفيض إنما يجيء من عند الله لا من عند غيره فالله يمن على عباده لا العباد بعضهم على بعض وقال بعضهم: أجره قبول شفاعته وهي غير منقطعة عن أهل الكبائر من أمته لا يخيب الله رجاءه عليه السلام، في غفرانهم جميعاً بلا عتاب ولا عذاب.

يقول الفقير: الظاهر أن أجره عليه السلام، هو الله تعالى لأنه عوض عما سواه ولذا جاء اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والله تعالى مان لا ممنون وإلى هذا المقام يشير قول الصديق رضي الله عنه، ورسوله أي أبقيت الله ورسوله حين ما قال له عليه السلام: ما أبقيت لأهلك يا أبا بكر؟ فالله تعالى عوض عن نفس الفاني عن نفسه وعن ولده وماله وهو الأجر العظيم لأنه العظيم.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾﴾

﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ لا يدرك شأوه أحد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر قال بعضهم: لكونك متخلقاً بأخلاق الله وأخلاق كلامه القديم ومتأيد بالتأييد القدسي فلا تتأثر بافترائهم ولا تتأذ بأذاهم إذ بالله تصبر لا بنفسك كما قال: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] ولا أحد أصبر من الله وكلمة على للاستعلاء فدلت على أنه عليه السلام، مشتمل على الأخلاق الحميدة ومستولٍ على الأفعال المرضية حتى صارت بمنزلة الأمور الطبيعية له ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص: ٨٦] أي لست متكلفاً فيما يظهر لكم من أخلاقي لأن المتكلف لا يدوم أمره طويلاً بل يرجع إليه الطبع وللإنسان صورة ظاهرة لها هيئة يشاهدها البصر الذي هو في الرأس وهي عالم الملك وهي الشكل صورة باطنة لها سيرة يشاهدها البصيرة التي هي في القلب وهي من عالم الملكوت وهي الخلق فكما أن لهيئته الظاهرة حسناً أو قبحاً صورياً باعتبار أشكالها وأوضاعها

وألوانها فكذلك لسيرته الباطنة حسن أو قبح معنوي باعتبار شمائلها وطبائعها ومن ذلك قسموا الخلق إلى المحمود والمذموم تارة وإلى الحسن والقبيح أخرى وكثيراً ما يطلق ويراد به المحمود فقط لأنه اللائق بأن يسمى خلقاً ومن هذا قوله تعالى: ﴿خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وعليه قول الإمام الرازي الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة ونفس الإتيان بالأفعال الجميلة شيء وسهولة الإتيان بها شيء آخر فالحالة التي باعتبارها تحصل تلك السهولة الخلق وسمي خلقاً لأنه لرسوخه وثباته صار بمنزلة الخلقة التي جبل عليها الإنسان وإن احتاج في كونه ملكة راسخة إلى اعتمال وطول رياضة ومجاهدة ولذا قالوا الخلق يتبدل بالمصاحبة والمعاملة فيكون الحسن قبيحاً والقبيح حسناً على حال المصاحبين والمعاملين كما في الحديث: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»، وفي حديث آخر: «لا تجالسوا أهل الأهواء والبدع فإن لهم عرة كعرة الجرب» ومن ذلك كانت مصاحبة الأخيار مستحسنة مرغباً فيها ومصاحبة الأشرار مستقبحة مرهباً عنها وكذلك يتبدل بالسعي في أسبابه ولذلك صنف أطباء الأرواح أبواباً في علم الأخلاق لبيان ما هو صحة روحانية وما هو مرض روحاني كما ألف أطباء الأشباح فصولاً في علم الأبدان لبيان سبب كل مرض وعلاجه وإنما أفرد الخلق ووصفه بالعظمة كما وصف القرآن بالعظيم لينبه على أن ذلك الخلق الذي هو عليه السلام عليه، جامع لمكارم الأخلاق اجتمع فيه شكر نوح وخلة إبراهيم وإخلاص موسى وصدق وعد إسماعيل وصبر يعقوب وأيوب واعتذار داود وتواضع سليمان وعيسى وغيرها من أخلاق سائر الأنبياء عليهم السلام، كما قال تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] إذ ليس هذا الهدى معرفة الله تعالى لأن ذلك تقليد وهو غير لائق بالرسول عليه السلام، ولا الشرائع لأن شريعته ناسخة لشرائعهم ومخالفة لها في الفروع والمراد منه الاقتداء بكل منهم فيما اختص به من الخلق الكريم لو كان كل منهم مختصاً بخلق حسن غالب على سائر أخلاقه فلما أمر بذلك فكأنه أمر بجمع جميع ما كان متفرقاً فيهم فهذه درجة عالية لم تتيسر لأحد من الأنبياء عليهم السلام فلا جرم وصفه الله بكونه على خلق عظيم كما قال بعض العارفين:

لكل نبي في الأنام فضيلة وجملتها مجموعة لمحمد

ولم يتصف عليه السلام بمقتضى قوته النظرية إلا بالعلم والعرفان والإيقان والإحسان ولم يفعل بمقتضى قوته العملية إلا ما فيه رضى الله من فرض أو واجب أو مستحب ولم يصدر منه حرام أو مفسد أو مكروه فكان هو الملك بل أعلى منه ويجمع هذا كله قول عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلقه عليه السلام، فقالت: «كان خلقه القرآن» أرادت به أنه عليه السلام، كان متحلياً بما في القرآن من مكارم الأخلاق ومحاسن الأوصاف ومتخلياً عما يزجر عنه من السيئات وسفساف الخصال وفي رواية قالت للسائل ألست تقرأ القرآن ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: ١] يعني اقرأ الآي العشر في سورة المؤمنين فذلك خلقه وفيه تنبه للسامعين على عظيم أخلاقه من الإيمان الذي هو أصل الأخلاق القلبية والصلاة التي هي عماد الأخلاق البدنية والزكاة التي هي رأس الأخلاق المالية إلى آخر ما في الآيات وفي «سلسلة الذهب» للمولى الجامي رحمه الله:

بود هم بحر مكرمت هم كان كوهرش كان خلقه القرآن
وصف خلق كسى كه قرآنست خل را نعت اوچه امكانست

وفي «التأويلات النجمية»: كان خلقه القرآن بل كان هو القرآن كما قال العارف بالحقائق:

أنا القرآن والسبع المثاني وروح الروح لا روح الأواني

محمد بن حكيم الترمذي قدس سره فرموده كه هيچ خلقي بزر كتراز خلق حضرت محمد عليه السلام، نبوده چه زميشت خوددست باز داشت وخودرا كلي باحق كذاشت وإمام قشيري قدس سره كفته كه ازبلا منحرف شد و نه از عطا منصرف كشت وكفته كه آن حضرت راهيچ مقصد ومقصودي جز خداي تعالى نبوده كما قال الجنيد قدس سره: كان على خلق عظيم لجوده بالكونين:

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغر أجلى من الدهر

وقال الحسين النوري قدس سره كيف لا يكون خلقه عظيماً وقد تجلى الله لسره بأنوار أخلاقه.

يقول الفقير: كان خلقه عظيماً لأنه مظهر العظيم فكان خلق العظيم عظيماً فافهم جداً وفي «تلقيح الأذهان» لحضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر أوتي عليه السلام جوامع الكلم لأنه مبعوث لتتميم مكارم الأخلاق كما قال عليه السلام، ولذلك قال الله تعالى: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** وهو عين كونه صراط المستقيم قال ﷺ: «إن لله ثلاثمائة وستين خلقاً من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة»، قال أبو بكر رضي الله عنه: هل فيّ منها يا رسول الله قال: «كلها فيك يا أبا بكر وأحبها إلى الله السخاء» انتهى. ولذلك كان أحسن أخلاق المرء في معاملته مع الحق التسليم والرضى وأحسن أخلاقه في معاملته مع الخلق العفو والسخاء وإنما قال مع التوحيد لأنه قد توجد مكارم الأخلاق ولا إيمان كما أنه قد يوجد الإيمان ولا أخلاق إذ لو كان الإيمان يعطي بذاته مكارم الأخلاق لم يقل للمؤمن افعل كذا واترك كذا وللمكارم آثار ترجع على صاحبها في أي دار كان كما ورد في حق أبي طالب قال بعض الكبار: من أراد أن يرى رسول الله ﷺ، ممن لم يدركه من أمته فلينظر إلى القرآن فإنه لا فرق بين النظر فيه وبين النظر إلى رسول الله فكأن القرآن انتشاء صورة جسدية يقال لها محمد بن عبد الله بن عبد المطلب والقرآن كلام الله وهو صفته فكأن محمداً عليه السلام، خلعت عليه صفة الحق من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال بعضهم: من أراد أن يرى رسول الله فليعمل بسنته لا سيما في مكان أميتت السنة فيه فإن حياة رسول الله بعد موته هي حياة سنته ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً لأنه المجموع الأتم الأكمل ﷺ وقال بعضهم: لم يبق بعد بعثة رسول الله سفساف أخلاق أبداً لأنه ﷺ أبان لنا عن مصارفها كلها من حرص وحسد وشره وبخل وخوف وكل صفة مذمومة فمن أجراها على تلك المصارف عادت كلها مكارم أخلاق وزال عنها اسم الذم قال ﷺ لمن ركع دون الصف: زادك الله حرصاً ولا تعد وقال: لا حسد إلا في اثنتين وقال: أكثروا من ذكر الله وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقال: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٧] وغير ذلك من الآيات. والأخبار فما أمر الله باجتناب بعض الأخلاق إلا لمن يعتقد أنها سفساف أخلاق وجهل معنى قوله عليه السلام: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق فمن الناس من علم ومنهم من جهل فالكامل لا يرى في العالم إلا أخلاق الله تعالى التي به وجدت وفي «كشف الأسرار» في تفسير الآية عرض عليه مفاتيح

العرض فلم يقبلها ورقاه ليلة المعراج وأراه جميع الملائكة والجنة فلم يلتفت إليها قال الله تعالى ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٧] ما التفت يميناً وشمالاً فقال تعالى: ﴿**إنك لعلى خلق عظيم**﴾.

أي جوانمرد قدرآن مهتركه داند وكدام خاطر ببدايت عزا أو رسد صد هذار وبيست وچهار هزار نقطهٔ نبوت كه رفتند در برابر درجات أو كواكب بودند وبا آنكه أو غائب بودهمه نور نبوت ازو كرفتند چنانكه آفتاب اكرچه غائب باشد كواكب نور ازوى كيرند ليكن چون آفتاب پيدا شود كواكب در نور او پيدا شوند همچنين همه انبيا نور ازو كرفتند ليكن چون محمد عليه السلام، بعالم صورت در آمد ايشان هم كم شدند.

كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وفي «القصيدة البردية»:

فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كرم

فإنه شمس فضل هم كواكبها يظهرن أنوارها للناس في الظلم

ومن أخلاقه عليه السلام، ما أشار إليه قوله: صل من قطعك واعف عمن ظلمك وأحسن إلى من أساء إليك فإنه عليه السلام، ما أمر أمته بشيء قبل الائتمار به، وفي الحديث: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار»، وروي عن علي بن موسى الرضى، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، قال قال رسول الله ﷺ: «عليكم بحسن الخلق فإن حسن الخلق في الجنة لا محالة وإياكم وسوء الخلق فإن سوء الخلق في النار لا محالة».

﴿**فستبصر ويبصرون**﴾ يقال: أبصرته وبصرت به علمته وأدركته فإن البصر يقال للجارحة الناظرة ولقوة القلب المدركة ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة وفي «تاج المصادر» الأبصار ديدن بچشم وبدل.

فالمعنى فستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل وقال القاشاني: فستبصر ويبصرون عند كشف الغطاء بالموت، وقال مقاتل: هذا وعيد بعذاب بدر.

ولذا قال الكاشفي: بدان وقت كه عذاب نازل شود برايشان معلوم كرددكه ديوانه تومي يا ايشان.

وهو الأوضح ففيه: وعد لرسول الله عليه السلام بغلبة الإسلام وأهله وبالانتقام من الأعداء ﴿**بأيكم المفتون**﴾ أي: أيكم الذي ابتلي بفتنة الجنون فأيكم مبتدأ والمفتون بمعنى المجنون خبره والباء مزيدة في المبتدأ كما في بحسبك زيد أو بأيكم الجنون على أن المفتون مصدر بمعنى الفتون وهو الجنون كالمجلود بمعنى الجلادة والمعقول بمعنى العقل كما في قوله: «حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحماً ولا لفؤاده معقولاً» والباء للإلصاق نحو به داء أو بأي الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم فالباء بمعنى في والمفتون مبتدأ مؤخر والأمة داخلة في خطاب فستبصر بالتبعية لا يختص به عليه السلام، كالسوابق وهو تعريض بأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأضرابهما كقوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ [القمر: ٢٦] من الكذاب الأشر أي أصالح عليه السلام أم قومه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾.

﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله﴾ تعالى المؤدي إلى سعادة الدارين وهام في تيه الضلال متوجهاً إلى ما يفضيه إلى الشقاوة الأبدية وهذا هو المجنون الذي لا يفرق بين النفع والضر بل يحسب الضر نفعاً فيؤثره والنفع ضراً فيهجره. ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ إلى سبيله الفائزين بكل مطلوب ناجين من كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزي كلاً من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب وإعادة هو أعلم لزيادة التقرير وفي الآية إشعار بأن المجنون في الحقيقة هو العاصي لا المطيع وإشارة إلى الضال عن سبيل الوصول إلى حضرة المولى بسبب محبة الدنيا والميل إلى شهواتها والمهتدي إلى طريق التوحيد والوحدة بنور العناية الأزلية والهداية الأبدية قال بعض الكبار: وهو أعلم بالمهتدين أي القابلين للتوفيق فهداة البيان هم الرسل وهادي التوفيق هو الحق تعالى فللهادي الذي هو الله الإبانة والتوفيق وليس للهادي الذي هو المخلوق إلا الإبانة خاصة ومن لا علم له بالحقائق يظن أن العبد إذا صدق في الإرشاد والوعظ أثر ذلك القبول في نفوس السامعين وإذا لم يصدق في ذلك لم يؤثر وهذا من الوهم الفاسد فإنه لا أقرب إلى الله ولا أصدق في التبليغ عنه ولا أحب للقبول لما جاء من عند الله تعالى من الرسل لغلبة الرحمة على قلوبهم ومع ذلك فأعم القبول فيمن سمعهم بل قال الرسول الصادق في التبليغ ﴿إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ [نوح: ٥ ـ ٦] فلما لم يعم القبول مع تحققنا هذه المهمة العظيمة من أكابر أولي العزم من الرسل علمنا أن الهمة ما لها أثر جملة واحدة في المدعو وأن الذي قبل من السامعين ليس هو من أثر همة الداعي الهادي الذي هو المبلغ وإنما هو قوة الاستعداد في محل القبول من حيث ما وهبه الله تعالى في خلقه من مزاج يقتضي له قبولاً مثل هذا وأمثاله وهو المزاج الخاص الذي لا يعلمه إلا الله الذي خلقهم عليه وهو قوله تعالى: ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ قال الشيخ سعدي قدس سره:

كفت عالم بكوش جان بشنو ور نماند بكفتنش كردار
باطلست آنكه مدعى كويد خفته را خفته كي كند بيدار
مرد بايدكه كيرد اندر كوش ورنوشته است پند برديوار

﴿فلا تطع المكذبين﴾ أي: إذا تبين عندك ما تقدم فدم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم فيما يدعونك إليه من الكف عنهم ليكفوا عنك وتصلب في ذلك أمره عليه السلام، بالتشدد مع قومه وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار فإن هذه السورة من أوائل ما نزل دلت الآية على أن الإطاعة للعاصي عصيان والاقتداء بالطاغي طغيان.

﴿ودوا لو تدهن﴾ لو للتمني والإدهان في الأصل مثل التدهين واشتقاقهما من الدهن لكن جعل عبارة عن الملاينة وترك الجد قال في «تاج المصادر» الإدهان مداهنت كردن.

والتركيب يدل على لين وسهولة وقلة والمعنى أحبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الأمور وترك الدعوة ﴿فيدهنون﴾ أي فهم يداهنونك حينئذٍ بترك الطعن.

كما قال الكاشفي: فرمان مبر مشركان كه راكه ترا بدين آباء دعوت مي نمايند ودوست

مي دارندكه تونرمي كنى باايشان وسرزنشي نكنى برشرك تاايشان نير چرب ونرمي كنند وبردين توطعنه نزنند.

فالفاء للعطف على تدهن فيكون يدهنون داخلاً في حيز لو ولذا لم ينصب يدهنون بسقوط النون جواباً للتمني والفعل للاستقبال أو الفاء للسببية فهو مسبب عن تدهن ويجوز أن يكون الفعل للحال على معنى ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعاً في إدهانك فالتسبب عن التمني وتقدير المبتدأ لأنه لولاه لكان الفعل منصوباً لاقتضاء التسبب عما في حيز التمني ذلك قال بعضهم: لا توافقهم في الظاهر كما لا توافقهم في الباطن فإن موافقة الظاهر أثر موافقة الباطن وكذا المخالفة وإلا كان نفاقاً سريع الزوال ومصانعة وشيكة الانقضاء وأما هم فلانهماكهم في الرذائل وتعمقهم في التلون والاختلاف لتشعب أهوائهم وتفرق أمانيهم يصانعون ويضمون تلك الرذيلة إلى رذيلتهم طمعاً في مداهنتك معهم ومصانعتك إياهم قال بعضهم المداهنة بيع الدين بالدنيا فهي من السيئات والمداراة بيع الدنيا بالدين فهي من الحسنات ويقال الإدهان الملاينة لمن لا ينبغي له ذلك وهو لا ينافي الأمر بالمداراة كما قال عليه السلام: «أمرت بمداراة الناس كما أمرت بالتبليغ» قال الإمام الغزالي رحمه الله في «الإحياء» الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الإغضاء فإن أغضيت للأمة دينك ولما ترى فيه من إصلاح أخيك بالإغضاء فأنت مدار وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إنا لنبش في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو مع من يخاف شره.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾

﴿ولا تطع كل حلاف﴾ كثير الحلف في الحق والباطل لجهله حرمة اليمين وعدم مبالاته من الحنث لسوء عقيدته وتقديم هذا الوصف عى سائر الأوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه أدخل في الزجر قال في «الكشاف»: وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]. . انتهى. ودخل فيه الحلف بغير الله تعالى فإنه من الكبائر وأصل الحلف اليمين الذي يأخذ بعضهم من بعض بها الحلف أي العهد ثم عبر به عن كل يمين. **﴿مهين﴾** حقير الرأي والتدبير لأنه لم يعرف عظمة الله ولذا أقدم على كثرة الحلف من المهانة وهي القلة والحقارة ويجوز أن يراد به الكذاب لأنه حقير عند الناس. **﴿هماز﴾** عياب طعان يعني عيب كننده در عقب مردم ياطعنه زننده در روى باايشان.

قال الحسن رحمه الله: يلوي شدقيه في أقفية الناس وفيه إشارة إلى من يعيب ويطعن في أهل الحق في رياضاتهم ومجاهداتهم وانزوائهم وعزلتهم عن الناس وفي الحديث: «لا يكون المؤمن طعاناً ولا لعاناً». وفي حديث آخر: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس» يعني من ينظر إلى عيب نفسه يكون ذلك مانعاً له عن النظر إلى عيب غيره وتعييبه به وذلك لا يقتضي أن لا ينهى العاصي عن معصيته اقتداء بأمر الله تعالى بالنهي عن المنكر لا إعجاباً بنفسه وازدراء لقدر غيره عند الله فإنه العالم ببواطن الأمور والهماز مبالغة هامز والهمز الطعن والضرب والكسر والعيب ومنه المهمز والمهماز بكسر الميم حديدة تطعن بها الدابة قيل لأعرابي أتهمز

الفأرة قال: السنور يهمزها واستعير للمغتاب الذي يذكر الناس بالمكروه ويظهر عيوبهم ويكسر أعراضهم كأنه يضربهم بأذاه إياهم ﴿مشاءِ بنميم﴾ مضربه نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم فإن النميم والنميمة السعاية وإظهار الحديث بالوشاية وهو من الكبائر أما نقل الكلام بقصد النصيحة فواجب كما قال من قال: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠] وفي «التعريفات» النمام هو الذي يتحدث مع القوم فينم عليهم فيكشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو الثالث وسواء كان الكشف بالعبارة أو بالإشارة أو بغيرهما وفي الحديث: «لا يدخل الجنة نمام»، أي: ماش بالسعاية وهي بالفارسية غمز كردن.

وفي «التأويلات النجمية»: مشاء بنميم يحفظون كلام أهل الحق من هذه الطائفة الكريمة ثم يحكونه عند الجهال من أصحاب الحجب فيضحكون عليهم وينسبون ذلك الكلام إلى السفسفة والسفه ﴿مناع﴾ مبالغة مانع ﴿للخير﴾ أي بخيل والخير المال أو مناع الناس من الخير الذي هو الإيمان والمطاعة والإيقان ولأرباب السلوك من إرشاد الطالبين المسترشدين فذكر الممنوع منه دون الممنوع وكان للوليد بن المغيرة عشرة من البنين وكان يقول لهم ولأقاربه من تبع منكم دين محمد لا أنفعه بشيء أبداً وكان الوليد موسراً له تسعة آلاف مثقال فضة وكانت له حديقة في الطائف ﴿معتد﴾ متجاوز في الظلم أي يتجاوز الحق والحد بأن يظلم على الناس ويمكن حمله على جميع الأخلاق الذميمة فإن جميعها تجاوز عن حد الاعتدال. وفي «التأويلات النجمية»: متجاوز في الظلم على نفسه بانغماسه في بحر الشهوات وانهماكه في ظلمة المنهيات ﴿أثيم﴾ كثير الإثم وهو اسم للأفعال المطبعة عن الثواب.

وقال الكاشفي: بسيار كناهكار زيانكار.

وفي «التأويلات النجمية»: كثير الآثام بالركون إلى الأخلاق الرديئة والرغبة في الصفات المردودة ﴿عتل﴾ جاف غليظ من عتله إذا قاده بعنف وغلظة قال الراغب: العتل الأخذ بمجامع الشيء وجره بقهر كعتل البعير وبالفارسية كشدن بعنف.

وقال الكاشفي: عتل يعني سخت روى وزشت خوى انتهى.

ومن كان جافياً في المعاملة غليظ القلب والطبع بحيث لا يقبل الصفات الروحانية ولا يلين للحق اجترأ على كل معصية قال في «القاموس» العتل بضمتين مشددة اللام الأكول المنيع الجافي الغليظ ﴿بعد ذلك﴾ أي بعدما عد من مقابحه ﴿زنيم﴾ دعي ملصق بالقوم وملحق بهم في النسب وليس منهم فالزنيم هو الذي تبناه أحد أي اتخذه ابناً وليس بابن له من نسبه في الحقيقة، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ﴾ [الأحزاب: ٤] قال الراغب: الزنيم والمزنم الزائد في القوم وليس منهم أي المنتسب إلى قوم وهو معلق بهم لا منهم تشبيهاً بالزنمتين من الشاة وهما المتدليتان من أذنها ومن الحلق وفي «الكشاف» الزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لأنه زيادة معلقة بغير أهله وفي «القاموس» الزنمة محركة شيء يقطع من أذن البعير فيترك معلقاً يفعل بكرامها والظاهر من قول ابن عباس رضي الله عنهما الحقيقة حيث قال إنه لم يعرف حتى قيل زنيم فعرف أنه كان له زنمة أي في حلقه ويقال كان يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال العتبي لا نعلم أن الله وصف أحداً ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فألحق به عاراً لا يفارقه أبداً وفي

قوله بعد ذلك دلالة على أن دعوته أشد معايبه وأقبح قبائحه وكان الوليد دعياً في قريش وليس من نسبهم وسنخهم أي أصلهم ادعاه أبوه المغيرة بعد ثمان عشرة سنة من مولده يعني وليد هژده ساله بودكه مغيره دعوى كردكه من پدر اويم واورا بخود كرفت.

فقوله بعد ذلك ههنا نظير ثم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد: ١٧] من حيث إنها للتراخي رتبة وفي الحديث: «لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل الزنيم»، فالجواظ الجموع المنوع والجعظري الفظ الغليظ والعتل كل رحيب الجوف أكول شروب غشوم ظلم وفي الحديث «ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر» وقيل بغت أم الوليد ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية فمعنى زنيم حينئذٍ ولد الزنى، وبالفارسية حرام زاده كه پدر أو معلوم نباشد قال الشاعر:

زنـيـم لـيـس يـعـرف مـن أبـوه   بـغـي الأم ذو حـسـب لـئـيـم

در تفسير امام زاهد مذكور است گه چون حضرت رسول الله ﷺ اين آيت درانجمن قريش بر وليد خواند بهر عيبي كه رسيد درخود بازيافت مكر حرام زادكي باخود كفت من سيد قريش وپدر من مردي معروفست وميدانم كه محمد دروغ نكويد چكونه اين مهم را بر سر آرم شمشير كشيده نزدما در آمد القصه بعد از تهديد بسياز ازو اقرار كشيدكه پدر تو در قصهٔ زنان جرأتي نداشت واورا برادر زادكان بودند چشم برميراث وى هاده مررشك آمد غلام فلا نرا بمزد كرفتم وتوف زنداويي ودليل روشن بر صدق قول زن شدت خصومت وليدست وستيزهٔ او بآن حضرت ﷺ ودرين باب كفته اند.

جرم وكـنـاه مـدعـى از فـعـل مـادرسـت   كـور اخـطـاي مـادر اوخـا كـسـار كـرد

والغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الولد الناشىء منها ومن ثمة قال رسول الله عليه السلام: «لا يدخل الجنة ولد الزنى ولا ولده ولا ولد ولده» كما في «الكشاف» وفي الحديث: «لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنى فإذا فشا فيهم ولد الزنى أو السكران يعمهم الله بعذابه» وفي حديث آخر: «ولد الزنى شر الثلاثة» قال الرهاوي في «شرح المنار»: هذا في مولود خاص لأنا قد نشاهد ولد الزنى أصلح من ولد الرشدة في أمر الدين والدنيا ويستحق جميع الكرامات من قبول شهادته وعبادته وصحة قضائه وإمامته وغير ذلك فالحديث ليس على عمومه انتهى.

يقول الفقير: إذا كان الرضاع يغير الطباع فإن من ارتضع امرأة فالغالب عليه أخلاقها من خير وشر فما ظنك بالزنى ولا عبرة بالصلاح الظاهر والكرامات الصورية وفي الحديث: «ولدت من نكاح لا من سفاح» وكذا سائر الأنبياء عليهم السلام وجميع الأولياء الكرام قدس الله أسرارهم فالزنى أقبح من الكفر من وجه فإن الله يخرج الحي من الميت أي المؤمن من الكافر بخلاف الرشيد من الزاني فولد الزنى لا يصلح للولاية الحقيقية وإن كان صالحاً للولاية الصورية وقيل نزلت الآية في الأخنس بن شريق واسمه أبي وكان ثقفياً ملصقاً في قريش فلذلك قال زنيم لا على جهة الذم لنسبه ولكن على جهة التعريف به ذكره السهيلي، قال ابن عطية: وظاهر اللفظ عموم من بهذه الصفة والمخاطبة بهذا المعنى مستمرة باقي الزمن لا سيما لولاة الأمور قال في «فتح الرحمن» ثم هذا الترتيب إنما هو في قول الواصف لا في حصول تلك

الصفات في الموصوف وإلا فكونه عتلاً هو قبل كونه صاحب خير يمنعه وفي «برهان القرآن» قوله حلاف إلى قوله﴿زنيم﴾ أوصاف تسعة ولم يدخل بينها واو العطف ولا بعد السابع فدل على أن ضعف القول بواو الثمانية صحيح.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾.

﴿أن كان ذا مال وبنين﴾ متعلق بقوله تعالى: ﴿لا تطع﴾ على حذف الجار أي لا تطع من هذه مثالبة لأن كان مثولاً ذا مال كثير مستظهراً بالبنين.

﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ استئناف جار مجرى التعليل المنهي أي إذا تقرأ عليه آيات كلامنا القديم قال هي أحاديث لا نظام لها اكتتبوها كذباً فيما زعموه لقوله اكتتبها فهي تملى عليه وبالفارسية افسا نهاي پيشينيانست.

وقال السدي: أساجيع الأولين أي جعل مجازاة النعم التي خولناها من المال والبنين الكفر بآياتنا قال المبرد الأساطير جمع أسطورة نحو أحدوثة وأحاديث وقد سبق غير هذا وفي «التأويلات النجمية»: لا تطع الحلاف المهين الحقير في نفسه بسبب ثروة أعماله المنسوبة إلى الرياء والسمعة وبنين الأحوال المطعونة بالعجب والإعجاب إذا تتلى عليه آياتنا من الحقائق والدقائق قال أساطير الأولين ما سطره الصوفية المتقدمون وهي من ترهاتهم وخرافاتهم ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ أصله سنوسمه من الوسم وهو إحداث السمة بالكسر أي العلامة وبالفارسية داغ كردن.

والميسم بالكسر المكواة أي آلة الكي والخرطوم كزنبور الأنف أو مقدمه أو ما ضممت عليه الفكين كالخرطم كقنفذ كما في «القاموس»، والمعنى سنجعل له سمة وعلامة يعرف بها بالكي على أكرم مواضعه لغاية إهانته وإذلاله إذ الأنف أكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الأنفة وقالوا الأنف بالأنف وحمى أنفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع أنفه ورغم أنفه ولقد وسم العباس رضي الله عنه أباعره في وجوهها فقال له رسول الله عليه السلام: «أكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها» أي: في أدبارها وفي التعبير عن الأنف بلفظ الخرطوم استهانة بصاحبه واستقباح له، لأنه لا يستعمل إلا في الفيل وخنزير وكلما كان الحيوان أخبث وأقبح كانت الاستهانة والاستقباح أشد وأكثر قيل: أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها قال صاحب «الكشف»: هو ضعيف فإن الوليد مات قبله فلم يوسم بوسم بقي أثره مدة حياته وقال الراغب: نلزمه عاراً لا ينمحي عنه كما قال صاحب «الكشاف» هو عبارة عن أن يذله غاية الإذلال وذلك لأن الوجه أكرم موضع والأنف أبين عضو منه فالوسم على الأنف غاية الإذلال والإهانة لأن الوسم على الوجه شين فكيف إذا كان على أظهر موضع منه وكما قال العتبي وصف الله الوليد بالحلف والمهانة والهمز والمشي بالنميمة والبخل والظلم والإثم والجفوة والدعوة فألحق به عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة، قال: والذي يدل عى هذا ما روي عن الشعبي في قوله عتل حيث قال العتل الشديد والزنيم الذي له زنمة من الشر، يعرف بها كما تعرف الشاة وقيل: سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يعلم بها من سائر الكفرة بأن نسود وجهه غاية التسويد إذ كان بالغاً في عداوة سيد

المرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام أقصى مراتب العداوة فيكون الخرطوم مجازاً عن الوجه على طريق ذكر الجزء وإرادة الكل.

وفي «التأويلات النجمية»: نكوى خرطوم استعداده بكي نار الحجاب والبعد حتى لا يشم النفحات الإلهية والنسمات الربانية.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿إنا بلوناهم﴾ يقال: بلي الثوب، بلى أي: خلق بلوته اختبرته كأني أخلقته من كثرة اختباري له والبلايا اختبارات والمعنى أنا ابتلينا أهل مكة بالقحط والجوع سبع سنين بدعوة رسول الله ﷺ حتى أكلوا الجيف والجلود والعظام والدم لتمردهم وكفرانهم نعم الله تعالى. **﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾** أي: ابتلاء مثل ابتلاء أصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم، واللام للعهد والكاف في موضع النصب على أنها نعت لمصدر محذوف وما مصدرية والجنة البستان وبالفارسية باغ.

وأصحاب الجنة قوم من أهل صنعاء وفي «كشف الأسرار» سه برادر بودند.

كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين وقال السهيلي: هي جنة بضروان وضروان على فراسخ من صنعاء وفي «فتح الرحمن» الجنة بستان يقال له ضروان باليمن كان أصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى عليه السلام بيسير وكانوا بخلاء وكان أبوهم يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل وما في أسفل الأكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صرمت.

قال الكاشفي: وده ازيك حاصل نزي برايشان قسمت كردي.

فكان يجتمع لهم شيء كثير ويتزودون به أياماً كثيرة فلما مات أبوهم قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن أولو عيال فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى: **﴿إذ أقسموا﴾** ظرف لبلونا والإقسام سوكند خوردن يعني سوكند خوردند وارثان باغ كه پنهان ازفقرا **﴿ليصرمنها﴾** الصرام والصرم قطع ثمار النخيل وبالفارسية بار خرما بريدن.

من صرمه إذا قطعه أي ليقطعن ثمارها من الرطب والعنب ويجمعن محصولها من الحرث وغيره. **﴿مصبحين﴾** أي: داخلين في الصباح مبكرين وسواد الليل باقي قوله ليصرمنها جواب للقسم وجاء على خلاف منطوقهم ولو جاء على منطوقهم لقيل لنصرمنها بنون المتكلم ومصبحين حال من فاعل ليصرمنها. **﴿ولا يستثنون﴾** أي: لا يقولون إن شاء الله وتسميته استثناء مع أنه شرط من حيث أن مؤداه مؤدي الاستثناء فإن قولك لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا إن شاء الله بمعنى واحد والجملة مستأنفة أو حال بعد حال لعل إيراده بعد إيراد أقسامهم على فعل مضمر لمقصودهم مستنكر عند أرباب المروة وأصحاب الفتوة لتقبيح شأنهم بذكر السببين لحرمانهم وإن كان أحدهما كافياً فيه لكن ذكر الأقسام على أمر مستنكر أولاً وجعل ترك الاستثناء حالاً منه يفيد أصالته وقوته في اقتضاء الحرمان والأظهر أن المعنى ولا يستثنون حصة المساكين، أي لا يميزونها ولا يخرجونها كما كان يفعله أبوهم وقال أبو حيان:

ولا ينثنون عما عزموا عليه من منع المساكين، قال في «تاج المصادر»: الاستثناء إن شاء الله كفتن واستثنا كردن.

والباب يدل على تكرير الشيء مرتين أو جعله شيئين متوالين أو متباينين والاستثناء من قياس الباب وذلك أن ذكره يثنى مرة في الجملة ومرة في التفصيل لأنك إذا قلت خرج الناس ففي الناس زيد وعمرو فإذا قلت إلا زيداً فقد ذكرت زيداً مرة أخرى ذكراً ظاهراً انتهى. قال الرغب الاستثناء إيراد لفظ يقتضي رفع بعض ما يوجبه عموم لفظ متقدم أو يقتضي رفع حكم اللفظ كما هو فمن الأول قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ﴾ [الأنعام: ١٤٥] فيما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا يكون ميتة ومن الثاني قوله لأفعلن كذا إن شاء الله وعبده عتيق وامرأته طالق إن شاء الله.

﴿فطاف عليها﴾ أي على الجنة أي أحاط بها **﴿طائف﴾** بلاء طائف كقوله وأحيط بثمره وذلك ليلاً إذ لا يكون الطائف إلا بالليل وأيضاً دل عليه ما بعده من ذكر النوم وكان ذلك الطائف ناراً نزلت من السماء فأحرقتها **﴿من ربك﴾** مبتدىء من جهته تعالى قال الراغب الطوف الدوران حول الشيء ومنه الطائف لمن يدور حول البيت حافظاً ومنه استعير الطائف من الجن والخيال والخادم وغيرها قال تعالى: **﴿فطاف﴾** .. الخ. تعريضاً بما نالهم من النائبة انتهى. **﴿وهم نائمون﴾** غافلون عما جرت به المقادير أو غافلون عن طوافه بالنوم الذي هو أخو الموت وبالفارسية وايشان خفتكان بودند.

والنوم استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد إليه أو أن يتوفى الله النفس من غير موت أي أن يقطع ضوء الروح عن ظاهر الجسد دون باطنه أو النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل وكل هذه التعريفات صحيحة. **﴿فأصبحت﴾** پس كشت جنت ايشان با آن بلا **﴿كالصريم﴾** فعيل بمعنى مفعول أي كالبستان الذي صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شيء لأن النار السماوية أحرقتها وقيل كالليل لأن الليل يقال له الصريم أي صارت سوداء كالليل لاحتراقها.

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿فتنادوا﴾ أي نادى بعضهم بعضاً **﴿مصبحين﴾** حال كونهم داخلين في الصباح **﴿أن اغدوا﴾** أي اغدوا على أن مفسرة أو بأن اغدوا على أنها مصدرية أي أخرجوا غدوة وأول النهار وبالفارسية بامداد بيرون ايید **﴿على حرثكم﴾** بستانكم وضيعتكم وفي «كشف الأسرار» دران بستان هم زرع بودهم درخت انكور انتهى.

يقول الفقير: فالحرث يجوز أن يراد به الحاصل مطلقاً وأن يراد به الزرع خصوصاً لأنه أعز شيء يعيش به الإنسان وتعدية الغدو بعلى لتضمنه معنى الإقبال والاستيلاء وقال بعضهم: إنه يتعدى بعلى كما في «القاموس» غدا عليه غدواً وغدوة بالضم واغتدى بكر قال الراغب: الحرث إلقاء البذر بالأرض وتهيئتها للزرع ويسمى المحروث حرثاً قال تعالى: **﴿أن اغدوا على حرثكم﴾** **﴿إن كنتم صارمين﴾** قاصدين للصرم وقطع الثمرة وجمع المحصول أي فاغدوا فجوابه محذوف.

﴿فانطلقوا﴾ فمضوا إليها وبالفارسية پس برفتند بجانب باغ ﴿وهم يتخافتون﴾ التخافت بايكديكر پنهان راز كفتن.

أي يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة والسر كيلا يسمع أحد ولا يدخل عليهم ﴿أن لا يدخلنها﴾ أي الجنة ﴿اليوم عليكم مسكين﴾ من المساكين فضلاً عن أن يكثروا وبالفارسية امروز برشما يعني درباغ شمادر ويشي تابهره بكيرد وز حصهء ماكم نكردد.

وأن مفسرة لما في التخافت من معنى القول بمعنى أي لا يدخلنها تفسيراً لما يتخافتون والمسكين هو الذي لا شيء له وهو أبلغ من الفقير والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقولهم لا أرينك ههنا فإن دخول المسكين عليهم لازم لتمكينهم إياه من الدخول كما أن رؤية المتكلم المخاطب لازم لحضوره عنده فذكر اللازم لينتقل منه إلى الملزوم.

﴿وغدوا﴾ مشوا بكرة وبالفارسية وبامداد برفتند. ﴿على حرد﴾ الحرد المنع عن حدة وغضب يقال نزل فلان حريداً أي ممتنعاً من مخالطة القوم وحاردت السنة منعت قطرها والناقة منعت درها وحرد غضب. ﴿قادرين﴾ حال مقدرة من فاعل غدوا فإن القدرة مع الفعل عند أهل الحق والمعنى وخرجوا أول الصباح على امتناع من أن يتناول المساكين من جنتهم حال كونهم قادرين على نفعهم أو على الاجتناء والصرم بزعمهم فلم يحصل إلا النكد والحرمان وفي الكشاف وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعني أنهم عزموا أن ينكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها إلا على النكد والحرمان وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة. ﴿فلما رأوها﴾ پس آن هنكام كه ديدنباغ رابخلاف آنچه كذاشته بودند.

﴿قالوا﴾: أي قال بعضهم لبعض ﴿إنا لضالون﴾ أي طريق جنتنا وما هي بها لما رأوا من هلاكها ﴿بل نحن محرومون﴾ قالوه بعد ما تأملوها ووقفوا على حقيقة الأمر وأنها هي مضربين عن قولهم الأول أي لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها ومنعنا نفعها بجنايتنا على أنفسنا بسوء نيتنا وهي إرادة حرمان المساكين وقصد منع حق الفقراء.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿قال أوسطهم﴾ أي رأياً أوسناً وفي «الكشاف» أعدلهم وخيرهم من قولهم فلان من وسطه قومه وأعطني من وسطات مالك ومنه قوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال الكاشفي: كفت فاضلتر ايشان ازروى عقل يا يزر كتربسن يا صائب تريراي.

قال الراغب: الوسط تارة يقال فيما له طرفان مذمومان كالجواد الذي بين البخل والسرف فيستعمل استعمال القصد المصون عن الإفراط والتفريط فيمدح به نحو السواء والعدل ونحو ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] وعلى ذلك قال أوسطهم وتارة يقال فيما له طرف محمود وطرف مذموم كالخير والشر ويكنى به عن الرذل نحو قولهم وسط بين الرجال تنبيهاً على أنه قد خرج من حد الخير ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾ لولا تذكرون الله بالتسبيح

والتهليل وتتوبون إليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا إليه من هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا إلى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم وفي الآية دليل على أن العزم على المعصية مما يؤاخذ به الإنسان لأنهم عزموا على أن يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠] والعزم قوة قصد الفعل والجزم به والمحققون على أنه يؤاخذ به وأما الهم وهو ترجيح قصد الفعل فمرفوع. ﴿**قالوا**﴾ معترفين بالذنب والاعتراف به يعد من التوبة ﴿**سبحان ربنا**﴾ ننزه ربنا عن كل سوء ونقصان سيما عن أن يكون ظالماً فيما فعل بنا ﴿**إنا كنا ظالمين**﴾ بقصد حرمان المساكين اتباعاً لشح النفس كأنهم قالوا نستغفر الله من سوء صنيعنا ونتوب إليه من خبث نيتنا حيث قصدنا عدم إخراج حق المساكين من غلة بستاننا ولو تكلموا بهذه الكلمة قبل نزول العذاب لنجوا من نزوله لكنهم تكلموا بها بعد خراب البصرة ﴿**فأقبل بعضهم على بعض**﴾ پس روى آوردند بعضي ازايشان بر بضعي ديكر ﴿**يتلاومون**﴾ اللوم الملامة وبالفارسية نكوهيدن يعني خوار داشتن.

أي يلوم بعضهم بعضاً على ما فعلوا فإن منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضياً به ومنهم من أنكره وبالفارسية أين آنرامي كفت توچنين انديشيدي وآن عذرمي آوردكه توهم بدين راضي بودي ﴿**قالوا**﴾ يعني بكناه خود اعتراف نمودند وازروى نياز كفتند ﴿**يا ويلنا**﴾ أي وأي برما ودر دزدكي ﴿**إنا كنا طاغين**﴾ متجاوزين حدود الله تعالى وبالفارسية ازحد برندكان دركنهكاري كه درويشانرا محروم ساختيم ﴿**عسى ربنا**﴾ شايد پروردكار ماكه ازكرم اواميد واريم ﴿**أن يبدلنا**﴾ أن يعطينا بدلاً منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة ﴿**خيراً منها**﴾ بهتري ازان باغ ﴿**إنا إلى ربنا راغبون**﴾ راجون العفو طالبون الخير وإلى لانتهاء الرغبة لأن الله منتهى رجائهم وطلبهم أو لتضمنها معنى الرجوع وإلا فالمشهور أن تتعدى الرغبة بكلمة في أو عن دون إلى روي أنهم تعاقدوا وقالوا إن أبدلنا الله خيراً منها لنصنعن كما صنع أبونا فدعوا الله وتضرعوا إليه فأبدلهم الله من ليلتهم ما هو خير منها قالوا إن الله أمر جبريل أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزعر من أرض الشام أي موضع قليل النبات ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضي الله عنه إن القوم لما أخلصوا وعرف الله منهم الصدق أبدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقوداً، قال أبو خالد اليماني: دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم، يعني دران باغ خوشهء انكور ديدم برابر مردي سياه برپاي ايستاده محققان كفته اندهركه ببلايي مبتلاً كردد وثمال أو عرضة تلف شودوا وتأمل نمايدو داندكه باستحقاق برونارل شده پس بكناه اعتراف نموده بحضرت عزت بازشت كندبهترو خوشتر ازآنچه ازوبازستده بدودهد چنانچه بوستان حيون بعوض باغ ضرواني وپيررومي قدس سره ازين معنى خبر ميدهد آنجا ميفرمايد.

أو لم خم شكست وسركه بريخت   من نكويم كه اين زيانم كرد
صدخم شهد صافي ازپى آن   عوضم داد وشادمانم كرد

وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد كلفتني تعباً وعن الحسن رحمه الله قول أصحاب الجنة إنا إلى ربنا راغبون لا أدري إيماناً كان ذلك منهم أو

على حد ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة فتوقف في أمرهم والأكثرون على أنهم تابوا وأخلصوا حكاه القشيري قدس سره.

يقول الفقير: إن كان ذلك القول منهم على حد ما يصدر من المضطر فإبدال الله إياهم جنة خيراً من جنتهم يكون من قبيل الاستدراج وإن كان عن توبة وإخلاص فذلك الإبدال من آثار تحقيق التوبة ونتائج الإخلاص فإن للإخلاص ثمرات عجيبة وعن الشيخ أبي الربيع المالقي رحمه الله، قال: سمعت بامرأة من الصالحات في بعض القرى اشتهر أمرها وكان من دأبنا أن لا نزور امرأة فدعت الحاجة إلى زيارتها للاطلاع على كرامة اشتهرت عنها وكانت تدعى بفضة فنزلنا القرية التي هي بها فذكر لنا أن عندها شاة تحلب لبناً وعسلاً فاشترينا قدحاً جديداً لم يوضع فيه شيء فمضينا إليها وسلمنا عليها ثم قلنا لها نريد أن نرى هذه البركة التي ذكرت لنا عن هذه الشاة التي عندكم فأعطتنا الشاة فحلبناها في القدح فشربنا لبنا وعسلاً فلما رأينا ذلك سألناها عن قصة الشاة فقالت نعم كانت لنا شويهة ونحن قوم فقراء ولم يكن لنا شيء فحضر العيد فقال لي زوجي وكان رجلاً صالحاً نذبح هذه الشاة في هذا اليوم فقلت له لا نفعل فإنه قد رخص لنا في الترك الله يعلم حاجتنا إليها فاتفق أن استضاف بنا في ذلك اليوم ضيف ولم يكن عندنا قراء فقلت له يا رجل هذا ضيف وقد أمرنا بإكرامه فخذ تلك الشاة فاذبحها قالت فخفنا أن يبكي عليها صغارنا فقلت له: أخرجها من البيت إلى وراء الجدار فاذبحها فلما أراق دمها قفزت شاة على الجدار فنزلت إلى البيت فخشيت أن تكون قد انفلتت منه فخرجت لأنظرها فإذا هو سلخ الشاة فقلت له يا رجل عجباً وذكرت له القصة فقال لعل الله قد أبدلنا خيراً منها وكانت تلك الشاة تحلب اللبن والعسل ببركة إكرامنا الضيف ثم قالت يا أولادي إن شويهتنا هذه ترعى في قلوب المريدين فإذا طابت قلوبهم طاب لبنها وإن تغيرت تغير لبنها فطيبوا قلوبكم قال اليافعي عنت بالمريدين نفسها وزوجها ولكن أطلقت لفظاً ظاهرة العموم مع إرادة التخصيص تستراً وتحريضاً للمريدين على تطييب قلوبهم إذ بطيب القلوب حصل كل طيب محبوب من الأنوار والأسرار ولذة العيش بمنادمة الملك الغفار والمعنى لما طابت قلوبنا طاب ما عندنا فطيبوا قلوبكم يطب لكم ما عندكم ولو لم يكن الأمر كذلك بل المراد عموم المريدين لكان بطيب اللبن من سائر الغنم ولو خبث قلبهما لما نفعهما طيب قلوب المريدين وإذا طاباهما لم يضرهما خبث قلوب المريدين.

﴿كذلك العذاب﴾ جملة من مبتدأ وخبر مقدم لإفادة القصر والألف واللام للعهد أي مثل الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا وفي «كشف الأسرار» كذلك أفعل بأمتك إذا لم تعطف أغنياؤهم على فقرائهم بأن أمنعهم القطر وأرسل عليهم الجوائح وأرفع البركة من زروعهم وتجارتهم ففيه وعيد لمانعي الزكاة والصدقة بإهلاك المال وإنزال العذاب بأي طريق كان.

مكن بدكه بدبيني اي يا رينك ... نيايد زتخم بدى بارنيك
كسى نيك بيند بهر دوسراي ... كه نيكي رساند بخلق خداي

﴿ولعذاب الآخرة أكبر﴾ أعظم وأشد وبالفارسية بزركتراست چه اين عذاب زوال يابد وآن باقي باشد ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أنه أكبر لاحترزوا عما يؤديهم إليه ويطرحهم ويرميهم عليه.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿**إن للمتقين**﴾ أي: من الكفر والمعاصي ﴿**عند ربهم**﴾ أي: في الآخرة وذكر عند للتشريف والتكريم وذلك لأنه لا ملك فيها حقيقة وصورة إلا لله فكأنها حاضرة عنده تعالى يتصرف فيها كيف يشاء وإلا فمحال كون عندية الجنة بالنسبة إلى الله تعالى مكانية وهي ظرف معمول للاستقرار الذي تعلق به للمتقين ويجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف منصوب على الحالية من المنوي في قوله ﴿**للمتقين**﴾ ولا يجوز أن يكون حالاً من جنات لعدم العامل والأظهر أن معنى عند ربهم في جوار القدس فالمراد عندية المكانة المنزهة عن الجهة والتحيز لا عندية المكان كما في قوله تعالى: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥] إذ للمقربين قرب معنوي من الله تعالى قال الراغب عند لفظ موضوع للقرب فتارة يستعمل في المكان وتارة يستعمل في الاعتقاد نحو عندي كذا وتارة في الزلفى والمنزلة كقوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وعلى ذلك قيل الملائكة المقربون ﴿**جنات النعيم**﴾ جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا واستفيد الحصر من الإضافة اللامية الاختصاصية فإنها تفيد اختصاص المضاف إليه.

﴿**أفنجعل المسلمين كالمجرمين**﴾ كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالنا وحالهم إلا مثل ما هي في الدنيا وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم أن يساوونا فردهم الله تعالى والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أنحيف في الحكم فنجعل المؤمنين كالكافرين في حصول النجاة والوصول إلى الدرجات فالمراد من المجرمين الكافرون على ما دل عليه سبب النزول وهم المجرمون الكاملون الذين أجرموا بالكفر والشرك وإلا فالإجرام في الجملة لا ينافي الإسلام نعم المسلم المطيع ليس كالمسلم الفاسق فيه وعظ للعاقل وزجر للمتبصر ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده.

﴿**ما لكم كيف تحكمون**﴾ تعجيباً من حكمهم واستبعاداً له وإيذاناً بأنه لا يصدر عن عاقل وما استفهامية في موضع الرفع بالابتداء والاستفهام للإنكار، أي لإنكار أن يكون لهم وجه مقبول يعتد به في دعواهم حتى يتمسك به ولكم خبرها والمعنى أي شيء ظهر لكم حتى حكمتم هذا الحكم القبيح كأن أمر الجزاء مفوض إليكم فتحكمون فيه بما شئتم ومعنى كيف في أي حال أفي حال العلم أم في حال الجهل فيكون ظرفاً أو أعالمين أم جاهلين فيكون حالاً وفي «التأويلات النجمية»: أفنجعل المتقين لأحكام الشريعة وآداب الطريقة ورموز الحقيقة كالكاسبين للأخلاق الرديئة والأوصاف الرذيلة المخالفة للشريعة والطريقة والحقيقة ما لكم كيف تحكمون بهذا الظلم الصريح والقول القبيح.

﴿**أم لكم**﴾ أي بل ألكم وبالفارسية آياشماراست ﴿**كتاب**﴾ نازل من السماء ﴿**فيه**﴾ متعلق بقوله ﴿**تدرسون**﴾ أي تقرؤون قال في «المفردات» درس الشيء معناه بقي أثره ودرست العلم

تناولت أثره بالحفظ ولما كان تناول ذلك بمداومة القراءة عبر عن إدامة القراءة بالدرس ﴿إن لكم فيه لما تخيرون﴾ تخير الشيء واختياره أخذ خيره قال الراغب: الاختيار طلب ما هو خير فعله وقد يقال ما يراه الإنسان خيراً وإن لم يكن خيراً وفي «تاج المصادر» والتخير بركزيدن.

والمعنى ما تتخيرونه وتشتهونه وأصله أن لكم بالفتح لأنه مدروس فيكون مفعولاً واقعاً موضع المفرد فلا يكسر همزة إن ولكن لما جيء باللام كسرت فإن لام الابتداء لا تدخل على ما هو في حيز أن المفتوحة وهذه اللام للابتداء داخلة على اسم إن والمعنى تدرسون في الكتاب أن لكم ما تختارونه لأنفسكم وأن يكون العاصي كالمطيع بل أرفع حالاً منه فائتوا بكتاب إن كنتم صادقين ويجوز أن يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الصافات: ١٢٩] سلام على نوح في العالمين فيكون الموقع من مواقع كسر إن لعدم وقوعها موقع المفرد حكاه الله في القرآن بصورته والفرق بين الوجهين أن المدروس في الأول ما انسبك من الجملة وفي الثاني الجملة بلفظها وقوله فيه لا يستغني عنه بفيه أو لا فقد يكتب المؤلف في كتابه ترغيباً للناس في مطالعته إن في هذا الكتاب كذا وكذا قال سعدي المفتي: لك أن تمنع كون الضمير للكتاب بل الظاهر أنه ليوم القيام المعلوم بدلالة المقام.

﴿أم لكم أيمان علينا﴾ قوله علينا صفة أيمان وكذا بالغة أي عهود مؤكدة بالإيمان ﴿بالغة﴾ أي متناهية في التوكيد والصحة لأن كل شيء يكون في نهاية الجودة وغاية الصحة يوصف بأنه بالغ يقال لفلان علي يمين بكذا إذا ضمنت وكفلت له به وحلفت له على الوفاء به أي بل أضمنا لكم أو أقسمنا بأيمان مغلظة فثبت لكم علينا عهود مؤكدة بالأيمان ﴿إلى يوم القيامة﴾ متعلق بالمقدر في لكم أي ثابتة لكم إلى يوم القيامة لا تخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذٍ ونعطيكم ما تحكمون أو ببالغة أو أيمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهي إليه وافرة لم تبطل منها يمين إلى أن يحصل المقسم عليه الذي هو التحكيم واتباعنا لحكمهم ﴿إن لكم لما تحكمون﴾ جواباً لقسم لأن معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم كما سبق.

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿سلهم﴾ أمر من سأل يسأل بحذف العين وهمزة الوصل وهو تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله ﷺ بإسقاطهم عن رتبة الخطاب أي سلهم مبكتاً لهم يعني بپرس أي محمد مشركا نراكه. ﴿أيهم﴾ كدام ايشان. ﴿بذلك﴾ الحكم الخارج عن العقول ﴿زعيم﴾ أي: قائم يتصدى لتصحيحه كما يقوم زعيم القوم بإصلاح أمورهم فقوله بذلك متعلق بزعيم والزعيم بمعنى القائم بالدعوى وإقامة الحجة عليها قال الراغب: قوله زعيم إما من الزعامة أي الكفالة أو من الزعم بالقول وهو حكاية قول يكون مظنة للكذب وقيل للمتكفل والرئيس زعيم للاعتقاد في قولهم إنه مظنة للكذب.

﴿أم لهم﴾ آياايشا نراست ﴿شركاء﴾ يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم ﴿فليأتوا بشركائهم﴾ پس بكوبياريد شريكان خود.

فالباء للتعدية ويجوز أن تكون للمصاحبة ﴿إن كانوا صادقين﴾ في دعواهم إذ لا أقل من التقليد يعني أنه كما ليس لهم دليل عقلي في إثبات هذا المذهب وهو التسوية بين المحسن والمسيء كما قال ما لكم كيف تحكمون ولا دليل نقلي وهو كتاب يدرسونه ولا عهود موثقة بالأيمان فليس لهم من يوافقهم من العقلاء على هذا القول حتى يقلدونهم وإن كان التقليد لا يفلح من تشبث بذيله فثبت أن ما زعموا باطل من كل الوجوه وفيه إشارة إلى أن اللائق بالحاكم تحري الصواب بقدر الوسع فيما ليس بحاضر عنده وإن حكم بلا تحر فلا يخلو عن خطأ وإن أصاب مصل صلى في أرض لم يعلم القبلة فيها فإنه إن صلى بتحر فصلاته صحيحة وإن أخطأ القبلة وإن صلى فيها بغير تحر فغير صحيحة وإن أصابها وإذا كان الحكم بلا تحر خطأ فكيف الحكم بشيء والأدلة قائمة بخلافه.

﴿يوم يكشف عن ساق﴾ يوم منصوب باذكر المقدر وعن ساق قائم مقام الفاعل ليكشف والمراد يوم القيامة أي اذكر يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك ولا كشف ولا ساق ثمة كما تقول للأقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثمة ولا غل وإنما هو مثل في البخل بأن شبهت حال البخيل في عدم تيسر الإنفاق له بحال من غلت يده وكذا شبهت حال من اشتد عليه الأمر في الموقف بالمخدرات اللاتي اشتد عليهن الأمر فاحتجن إلى تشمير سوقهن في الهرب بسبب وقوع أمر هائل بالغ إلى نهاية الشدة مع أنهن لا يخرجن من بيوتهن ولا يبدين زينتهن لغير محارمهن لغاية خوفهن وزوال عقلهن من دهشتهن وفرارهن لخلاص أنفسهن فاستعمل في حق أهل الموقف من الأشقياء ما يستعمل في حقهن من غير تصرف في مفردات التركيب بل التصرف إنما هو في الهيئة التركيبية فكشف الساق استعارة تمثيلية في اشتداد الأمر وصعوبته.

قال المولى الفناري في «تفسير الفاتحة»: فالساق التي كشفت لهم عبارة عن أمر عظيم من أهوال يوم القيامة تقول العرب كشفت الحرب عن ساقها إذا عظم أمرها وتقول لمن وقع في أمر عظيم شديد يحتاج فيه إلى جهد ومقاساة شمر عن ساقك وكذلك التفت الساق بالساق أي دخلت الأهوال والأمور العظام بعضها في بعض يوم القيامة وقيل ساق الشيء أصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الإنسان فإن ساق الشجر مثلاً أصله والأغصان تنبت على ذلك الأصل وتقوم به فالمعنى حينئذٍ يوم يكشف عن أصل الأمر فتظهر حقائق الأمور وأصولها بحيث تصير عياناً وتنكيره على الوجه الأول للتهويل لأن يوم القيامة يوم يقع فيه أمر فظيع هائل منكر خارج عن المألوف وعلى الثاني للتعظيم. **﴿ويدعون﴾** أي الكفار والمنافقون **﴿إلى السجود﴾** توبيخاً وتعنيفاً على تركهم إياه في الدنيا وتحسيراً لهم على تفريطهم في ذلك لا على سبيل التكليف والتعبد لأن يوم القيامة لا يكون فيه تعبد ولا تكليف وسيأتي غير هذا **﴿فلا يستطيعون﴾** لزوال القدرة الحقيقية عليه وسلامة الأسباب والآلات وفيه دلالة على أنهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه تعقم أصلابهم أي ترد عظاماً بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض فيبقون قياماً على حالهم حتى تزداد حسرتهم وندامتهم على تفريطهم وفي الحديث: «وتبقى أصلابهم طبعاً واحداً» أي فقارة واحدة.

ودر خبرست كه پشت كافر ومنافق چوق سرون كاويك مهره شود (كأن سفافيد الحديد في ظهورهم) عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا

كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدونه في الدنيا فذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون في الدنيا ويبقى أهل التوحيد فيقال لهم كيف بقيتم فيقولون ذهب الناس فيقولون إن لنا رباً كنا نعبده في الدنيا ولم نره فيقال تعرفونه إذا رأيتموه فيقولون نعم فيقال لهم كيف ولم تروه قالوا: لا يشبهه شيء فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فيخرون له سجداً ويبقى أقوام ظهورهم مثل صياصي البقر فيريدون السجود ولا يستطيعون» كقوله تعالى: ﴿**يوم يكشف**﴾ الخ يقول الله يا عبادي ارفعوا رؤوسكم قد جعلت بدل كل رجل منكم رجلاً من اليهود والنصارى في النار، قال أبو بردة فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فقال: والله الذي لا إله إلا هو أحدثك أبوك بهذا الحديث فحلفت له بثلاث أيمان فقال عمر: ما سمعت من أهل التوحيد حديثاً هو أحب إلي من هذا الحديث وفي «تفسير الفاتحة» للفناري رحمه الله يتجلى الحق في ذلك اليوم فيقول لتتبع كل أمة ما كانت تعبد حتى تبقى هذه الأمة وفيها منافقوها فيتجلى لهم الحق في أدنى صورة من الصور التي كان يتجلى لهم فيها قبل ذلك فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك نحن منتظرون حتى يأتينا ربنا فيقول لهم جل وعلا هل بينكم وبينه علامة تعرفونه بها فيقولون نعم فيتحول لهم في الصورة التي عرفوه فيها بتلك العلامة فيقولون أنت ربنا فيأمرهم بالسجود فلا يبقى من كان يسجد لله إلا سجد ومن كان يسجد اتقاء ورياء جعل ظهره طبقة نحاس كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، وذلك قوله تعالى: ﴿**يوم يكشف**﴾ الخ. وقال أيضاً يكون على الأعراف من تساوت كفتا ميزانه فهم ينظرون إلى النار وينظرون إلى الجنة ومالهم رجحان بما يدخلهم إحدى الدارين فإذا دعوا إلى السجود وهو الذي يبقى يوم القيامة من التكليف يسجدون فيرجح ميزان حسناتهم فيدخلون الجنة انتهى.

وكفته اندكه دران روزنوري عظيم بناميد وخلق بسجده در افتند.

فيكون كشف الساق عبارة عن التجلي الإلهي كما ذهب إليه البعض وفي الحديث: «يوم يكشف عن ساق» قيل: عن نور عظيم يخرون له سجداً كما في «كشف الأسرار» وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يأخذ الله عز وجل للمظلوم من الظالم حتى لا يبقى مظلمة عند أحد حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه أن يخلص اللبن من الماء فإذا فرغ من ذلك نادى مناد ليسمع الخلائق كلهم ألا ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله فلا يبقى أحد عبد شيئاً من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه ويجعل الله ملكاً من الملائكة على صورة عزير ويجعل ملكاً من الملائكة على صورة عيسى ابن مريم فيتبع هذا اليهود ويتبع هذا النصارى ثم تلويهم آلهتهم إلى النار وهم الذين يقول الله: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنبياء: ٩٩] وإذا لم يبق إلا المؤمنون وفيهم المنافقون قال الله لهم: ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون فيقولون والله ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره فينصرف الله عنهم فيمكث ما شاء أن يمكث ثم يأتيهم فيقول أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون فيقولون والله ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره فيكشف لهم عن ساق ويتجلى لهم من عظمته ما يعرفون به أنه ربهم فيخرون سجداً على وجوههم ويخر كل منافق على قفاه وتجعل أصلابهم كصياصي البقر ثم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم انتهى.

واعلم أن حديث التحول مجمع عليه وهو من آثار الصفات الإلهية كرؤيته في المنام في الصورة الإنسانية وإلا فالله تعالى بحسب ذاته منزه عن الصورة وما يتبعها ومن مشى على

المراتب لم يعثر ثم إن الآية دلت على جواز ورود الأمر بتكليف ما لا يطاق والقدرية لا يقولون بذلك ففيها حجة عليهم كما في «أسئلة المقحمة» لكن ينبغي أن يعلم أن المراد بما لا يطاق هو المحال العادي كنظر الأعمى إلى المصحف ولا نزاع في تجويز التكليف به وكذا المحال العارضي كإيمان أبي جهل فإنه صار محالاً بسبب عارض وهو إخبار الله تعالى بأنه لا يؤمن وقد أجاز الأشاعرة التكليف به ومنعه المعتزلة وأما المحال العقلي وهو الممتنع لذاته كإعدام القديم فلم يذهب إلى جواز التكليف به أحد.

﴿**خاشعة أبصارهم**﴾ حال من مرفوع يدعون على أن أبصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع إلى الأبصار لظهور أثره فيها وإلا فالأعضاء أيضاً خاشعة ذليلة متواضعة بل الخاشع في الحقيقة هو القلب لكونه مبدأ الخشوع.

وقال الكاشفي: يعني خداوندان أبصار سر درپيش افكنده وشر منده باشد.

قال أبو الليث: وذلك أن المسلمين إذا رفعوا رؤوسهم من السجود صارت بيضاء كالثلج فلما نظر إليهم اليهود والنصارى والمنافقون وهم الذين لم يقدروا على السجود حزنوا واغتموا واسودت وجوههم كما قال تعالى: ﴿**ترهقهم**﴾ تلحقهم وتغشاهم فإن الرهق غشيان الشيء الشيء ﴿**ذلة**﴾ شديدة تخزيهم كأنه تفسير لخشوع أبصارهم يقال ذل يذل ذلاً بالضم وذلة بالكسر وهو ذليل يعني خوار. ﴿**وقد كانوا**﴾ في الدنيا ﴿**يدعون**﴾ دعوة التكليف ﴿**إلى السجود**﴾ أي إليه والإظهار في الموضع الإضمار لزيادة التقرير أو لأن المراد به الصلاة أو ما فيها من السجود وخص السجود بالذكر من حيث أنه أعظم الطاعات قال بعضهم: يدعون بدعوة الله صريحاً مثل قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم: ٦٢] أو ضمناً مثل قوله تعالى: ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [المجادلة: ١٣] فإن الدعوة إلى الصلاة دعوة إلى السجدة وبدعوة رسول الله عليه السلام صريحاً كقوله عليه السلام، «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء» قالوا أي السجود أو ضمناً كقوله عليه السلام صلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم وبدعوة علماء كل عصر ومن أعظم الدعوة إلى السجود أذان المؤذنين وإقامتهم فإن قولهم حي على الصلاة دعوة بلا مرية فطوبى لمن أجاب دعوتهم بطوع لا بإكراه امتثالاً لقوله تعالى: ﴿أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١] والجملة حال من ضمير يدعون ﴿**وهم سالمون**﴾ حال من مرفوع يدعون الثاني أي أصحاء في الدنيا سلمت أعضاؤهم ومفاصلهم من الآفات والعلل متمكنون من أداء السجدة وقبول الدعوة أقوى تمكن أي فلا يجيبون إليه ويأبونه وإنما ترك ذكره ثقة بظهوره وبالفارسية وايشان تندرست بودند وقادر بران چون فرصت فوت كردند درين روز جز حسرت وندامت بهره ندارند.

مد فرصت از دست كر بايدت | كه كوى سعادت زميدان برى
كه فرصت عزيزست چون فوت شد | بسى دست حسرت بدندان برى

وفي الآية وعيد لمن ترك الصلاة المفروضة أو تخلف عن الجماعة المشروعة قال رجل لرسول الله ﷺ: «ادع الله أن يرزقني مرافقتك في الجنة»، فقال: «أعني بكثرة السجود» وكان السلف يعزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتهم التكبير الأول وسبعة إذا فاتهم الجماعة قال أبو سليمان الداراني قدس سره: أقمت عشرين سنة ولم أحتلم فدخلت مكة فأحدثت بها حدثاً فما أصبحت إلا احتلمت وكان الحدث أن فاتته صلاة العشاء بجماعة.

وقال الشيخ أبو طالب المكي قد سره: في «قوت القلوب»: ولا بد من صلاة الجماعة سيما إذا سمع التأذين أو كان في جوار المسجد وحد الجوار أن يكون بينه وبين المسجد مائة دار وأولى المساجد التي يصلي فيها أقربها إليه إلا أن يكون له نية في الأبعد لكثرة الخطى أو لفضل إمام فيه فالصلاة خلف العالم الفاضل أفضل أو يريد أي يعمر بيتاً من بيوت الله بالصلاة فيه وإن بعد وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: من صلى الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة، قال أبو الدرداء رضي الله عنه حالفاً بالله تعالى من أحب الأعمال إلى الله ثلاثة أمر بصدقة وخطوة إلى صلاة جماعة وإصلاح بين الناس وفي الآية إشارة إلى أنه يرفع الحجاب ويبقى المحجوبون في حجاب أنانيتهم ويشتد عليهم الأمر ويدعون إلى الفناء في الله فلا يستطيعون لإفساد استعدادهم الفطري بالركون إلى الدنيا وشهواتها ذليلة أبصارهم متحيرة لذهاب قوتها النورية تلحقهم ذلة الحجاب وهوان الاحتجاب وقد كانوا في زمان استعدادهم يدعون إلى سجود الفناء بترك اللذات والشهوات وهم نائمون في نوم الغفلة لا يرفعون له رأساً لفساد استعداد مزاجهم بالعلل النفسانية والأمراض الهيولانية.

﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾ من منصوب للعطف على ضمير المتكلم أو على أنه مفعول معه وهو مرجوح لإمكان العطف من غير ضعف أي وإذا كان حالهم في الآخرة كذلك فدعني ومن يكذب بالقرآن وخل بيني وبينه ولا تشغل قلبك بشأنه وتوكل علي في الانتقام منه فإني عالم بما يستحقه من العذاب ويطيق له وكافيك أمره يقال ذرني وإياه يريدون كله إلي فإني أكفيك قال في «فتح الرحمن»: وعيد ولم يكن ثمة مانع ولكنه كما تقول دعني مع فلان أي سأعاقبه والحديث القرآن لأن كل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه يقال له حديث. ﴿سنستدرجهم﴾ يقال استدرجه إلى كذا إذا استنزله إليه درجة درجة حتى يورطه فيه وفي «تاج المصادر» الاستدراج اندك اندك نزديك دانيدن خداي بنده را بخشم وعقوبت خود.

والمعنى سنستنزلهم إلى العذاب درجة فدرجة بالإحسان وإدامة الصحة وازدياد النعمة حتى نوقعهم فيه فاستدراج الشخص إلى العذاب عبارة عن هذا الاستنزال والاستدناء. ﴿من حيث لا يعلمون﴾ أي من الجهة التي لا يشعرون أنه استدراج وهو الإنعام عليهم لأنهم يحسبونه إيثاراً لهم وتفضيلاً عل المؤمنين وهو سبب لهلاكهم وفي الحديث: «إذا رأيت الله ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه مستدرج» وتلا هذه الآية وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه من وسع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله.

وروي: أن رجلاً من بني إسرائيل قال: يا رب كم أعصيك ولم أنت لا تعاقبني فأوحى الله إلى نبي زمانه أن قل له كم من عقوبة لي عليك وأنت لا تشعر كونها عقوبة إن جمود عينك وقساوة قلبك استدراج مني وعقوبة لو عقلت قال بعض المكاشفين من المكر الإلهي بالعبد أن يرزق العلم ويحرم العمل به أو يرزق العمل ويحرم الإخلاص فيه فمن علم اتصافه بهذا من نفسه فليعلم أنه ممكور به وأخفى ما يكون المكر الإلهي في المتأولين من أهل الاجتهاد وغيرهم ومن يعتقد أن كل مجتهد مصيب يدعو الناس على بصيرة وعلم قطعي وكذلك مكر الله بالخاصة خفي مستور في إبقاء الحال عليهم وتأييدهم بالكرامات مع سوء الأدب الواقع منهم فتراهم يتلذذون بأحوالهم ويهجمون على الله في مقام الإدلال وما عرفوا ما ادخر لهم من

المؤاخذات نسأل الله العافية وقال بعض العارفين: مكر الله في نعمه أخفى منه في بلائه فالعاقل من لا يأمن مكر الله في شيء وأدنى مكر بصاحب النعمة الظاهرة أو الباطنة أنه يخطر في نفسه أنه مستحق لتلك النعمة وأنها من أجل إكرامه خلقت ويقول إن الله ليس بمحتاج إليها فهي لي بحكم الاستحقاق وهذا يقع فيه كثيراً من لا تحقيق عنده من العارفين لأن الله إنما خلق الأشياء بالأصالة لتسبح بحمده وأما انتفاع عباده بها فبحكم التبعية لا بالأول وقال بعض المحققين: كل علم ضروري وجده العبد في نفسه من غير تعمل فكر فيه ولا تدبر، فهو عطاء من الله لوليه الخاص بلا واسطة ولكن لا يعرف أن ذلك من الله إلا الكمل من الرجال ويحتاج صاحب مقام الفتوح إلى ميزان دقيق لأنه قد يكون في الفتوح مكر خفي واستدراج ولذلك ذكره تعالى في القراء على نوعين بركات وعذاب حتى لا يفرح العاقل بالفتح قال تعالى: «﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾ [الأعراف: ٩٦] بركات من السماء وقال تعالى: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [المؤمنون: ٧٧] باباً ذا عذاب شديد وتأمل قول قوم عاد هذا عارض ممطرنا لما حجبتهم العادة فقيل لهم ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: ٢٤].

واعلم أن كل فتح أعطاك أدباً وترقياً فليس هو بمكر بل عناية من الله لك وكل فتح أعطى العبد أحوالاً وكشفاً وإقبالاً من الحق فليحذر منه فإنه نتيجة عجلت في غير موطنها فينقلب صاحبها إلى الدار الآخرة صفر اليدين نسأل الله اللطف.

قال أبو الحسين رضي الله عنه: المستدرج سكران والسكران لا يصل إليه ألم فجع المعصية إلا بعد إفاقته فإذا أفاقوا من سكرتهم خلص ذلك إلى قلوبهم فانزعجوا ولم يطمئنوا والاستدراج هو السكون إلى اللذات والتنعم بالنعمة ونسيان ما تحت النعم من المحن والاغترار بحلم الله تعالى وقال أبو سعيد الخراز قدس سره الاستدراج فقدان اليقين فالمستدرج من فقد فوائد باطنه واشتغل بظاهره واستكثر من نفسه حركاته وسعيه لغيبوبته عن المنة وقال بعضهم: بالاستدراج تعرف العقوبة ويخاف المقت وبالانتباه تعرف النعمة ويرجى القرب ﴿وأملي لهم﴾ الإملاء مهلت دادن.

أي: وأمهلهم بإطالة العمر وتأخير الأجل ليزدادوا إثماً وهم يزعمون أن ذلك لإرادة الخير بهم ﴿إن كيدي﴾ أي أخذي بالعذاب ﴿متين﴾ قوي شديد لا يطاق ولا يدفع بشيء وبالفارسية وبدرستى كه عقوبت من محكم است بهر چيزى دفع نشود وكرفتن من سخت است كس را طاقت آن نباشد.

وفي «الكشاف» سمى إحسانه وتمكينه كيداً كما سماه استدراجاً لكونه في صورة الكيد حيث كان سبباً للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة أثر إحسانه في التسبب للهلاك قال بعضهم: الكيد إظهار النفع وإبطان الضر للمكيد وفي «المفردات» الكيد ضرب من الاحتيال وقد يكون محموداً ومذموماً وإن كان يستعمل في المذموم أكثر وكذلك الاستدراج والمكر ولكون بعض ذلك محموداً قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦] قال بعضهم: أراد بالكيد العذاب والصحيح أنه الإمهال المؤدي إلى العذاب انتهى. وفي «التعريفات» الكيد إرادة مضرة الغير خفية وهو من الخلق الحيلة السيئة ومن الله التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن

كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿**أم تسألهم**﴾ آيا مبطلي از ايشان بر ابلاغ وارشاد ودعوت ايمان وطاعت.

وهو معطوف على قوله أم لهم شركاء ﴿**أجراً**﴾ دنيوياً ﴿**فهم**﴾ لأجل ذلك ﴿**من مغرم**﴾ أي من غرامة مالية وهي ما ينوب الإنسان في ماله من ضرر لغير جناية منه ﴿**مثقلون**﴾ مكلفون حملاً ثقيلاً فيعرضون عنك أي لا تسأل منهم ذلك فليس لهم عذر في إعراضهم وفرارهم.

﴿**أم عندهم الغيب**﴾ أي اللوح أو المغيبات ﴿**فهم يكتبون**﴾ منه ما يحكمون من التسوية بين المؤمن والكافر ويستغنون به عن علمك. ﴿**فاصبر لحكم ربك**﴾ وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم ﴿**ولا تكن**﴾ في التضجر والعجلة بعقوبة قومك وبالفارسية مباش در دلتنكى وشتاب زدكى.

﴿**كصاحب الحوت**﴾ أي يونس عليه السلام، يعني يونس كه صبر نكرد براذيت قوم وبي فرماني الهي ازميان قوم برفت تابشكم ما هي محبوس كشت ﴿**إذ نادى**﴾ داعياً إلى الله في بطن الحوت بقوله ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ﴿**وهو مكظوم**﴾ مملوء غيظاً وغماً يقال كظم السقاء إذا ملأه وشد رأسه وبالقيد الثاني قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] بمعنى الممسكين عليه وعليه قول النبي ﷺ من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهي لأنها عبارة عن الضجرة والمغاضبة المذكورة صريحاً في قوله وذا النون إذ ذهب مغاضباً لا على النداء فإنه أمر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى وإذ منصوب بمضاف محذوف أي لا يكن حالك كحاله وقت ندائه أي لا يوجد منك ما وجد منه من الضجرة والمغاضبة فتبتلى ببلائه وهو التقام الحوت أو بنحو ذلك قال بعضهم: فاصبر لحكم ربك بسعادة من سعد وشقاوة من شقي ونجاة من نجا وهلاك من هلك ولا تكن كصاحب الحوت في استيلاء صفات النفس عليه وغلبة الطيش والغضب للاحتجاب عن حكم الرب حتى رد عن جناب القدس إلى مقر الطبع فالتقمه حوت الطبيعة السفلية في مقام النفس وابتلي بالاجتنان في بطن حوت الرحم.

﴿**لولا أن تداركه**﴾ ناله وبلغه ووصل إليه وبالفارسية اكرنه آنست كه دريافت اورا ﴿**نعمة**﴾ رحمة كائنة ﴿**من ربه**﴾ وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير وأن مع الفعل في تأويل المصدر مبتدأ خبره مقدر بمعنى ولولا تدارك نعمة من ربه إياه حاصل. ﴿**لنبذ**﴾ أي طرح من بطن الحوت فإن النبذ إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به ﴿**بالعراء**﴾ أي: بالأرض الخالية من الأشجار قال الراغب: العراء مكان لا سترة به ﴿**وهو مذموم**﴾ مليم مطرود من الرحمة والكرامة لكنه رحم فنبذ غير مذموم بل سقيماً من جهة الجسد ومليم من ألام الرجل بمعنى أتى ما يلام عليه ودخل في اللوم فإن قلت فسر المذموم بالمليم وقد أثبته الله تعالى بقوله فالتقمه الحوت وهو مليم أجيب على ذلك التفسير بأن الإلامة حين الالتقام لا تستلزم الإلامة حين النبذ ذا التدارك نفاها فالتفت على ما هو حكم لولا الامتناعية كما أشير إليه في تصوير المعنى آنفاً وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لأنها هي المنفية لا النبذ بالعراء كما في الحال الأولى لأنه نبذ غير مذموم بل محمود.

﴿فاجتباه ربه﴾ عطف على مقدر أي فتداركته نعمة ورحمة من ربه فجمعه إليه وقربه بالتوبة عليه يأن در إليه الوحي وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون يقال جبيت الماء في الحوض جمعته والحوض الجامع له جابية والاجتباء الجمع على طريق الاصطفاء وقيل اشتباه إن صح أنه لم يكن نبياً قبل هذه الواقعة ومن أنكر الكرامات والإرهاص لا بد أن يختار القول الأول لأن احتباسه في بطن الحوت وعدم موته هناك لما لم يكن إرهاصاً ولا كرامة لا بد أن يكون معجزة وذلك يقتضي أن يكون رسولاً قبل هذه الواقعة. **﴿فجعله من الصالحين﴾** من الكاملين في الصلاح بأن عصمه من أن يفعل فعلاً يكون تركه أولى روي أنها نزلت بأحد حين هم رسول الله عليه السلام أن يدعو على المنهزمين فتكون الآية مدنية وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف.

حق تعالى فرمودكه صبركن وآن دعا در توقف داركه كارها بصبر نيكوشود.

كارها از صبر كردد دلپسند   خرم آن كز صبر باشد بهره مند

چون دارافتادى بكر داب حرج   صبركن والصبر مفتاح الفرج

دلت الآيات على فضيلة الصبر وعلى أن ترك الأولى يصدر من الأنبياء عليهم السلام وإلا لما كان يونس عليه السلام مليماً وعلى أن الندم على ما فرط من العبد والتضرع إلى الله لذلك من وسائل الإكرام وعلى أن توفيق الله نعمة باطنة منه وعلى أن الصلاح درجة عالية لا ينالها إلا أهل الاجتباء وعلى أن فعل العبد مخلوق لله لدلالة قوله **﴿فجعله من الصالحين﴾** على أن الصلاح إنما يكون بجعل الله وخلقه وإن كان للعبد مدخل فيه بسبب الكسب بصرف إرادته الجزئية والمعتزلة يأولونه تارة بالإخبار بصلاحه وتارة باللطف له حتى صلح لكنه مجاز والأصل هو الحقيقة.

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وإن﴾ مخففة واللام دليلها **﴿يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم﴾** يقال أزلقه أزل رجله يعني بلغزانيد **﴿لما سمعوا الذكر﴾** لما ظرفية منصوبة بيزلقونك والمعنى أنهم من شدة عداواتهم لك ينظرون إليك شزراً أي نظر الغضبان بمؤخر العين بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك وقت سماعهم القرآن وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه من قولهم نظر إلي نظراً يكاد يصرعني أي لو أمكنه بنظره الصرع لفعله أو أنهم يكادون يصيبونك بالعين قال في «كشف الأسرار»: الجمهور على هذا القول روي أنه كان في بني أسد عيانون والعيان والمعيان والعيون شديد الإصابة بالعين وكان الواحد منهم إذا أراد أن يعين شيئاً يتجوع له ثلاثة أيام ثم يتعرض له فيقول تالله ما رأيت أحسن من هذا فيتساقط ذلك الشيء وكان الرجل منهم ينظر إلى الناقة السمينة أو البقرة السمينة ثم يعينها ثم يقول للجارية خذي المكتل والدرهم فائتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع فتنحر والحاصل أنه لا يمر به شيء فيقول فيه لم أر كاليوم مثله الإعانة وكان سبباً لهلاكه وفساده فسأل الكفار من قريش من بعض من كانت له هذه الصفة أن يقول في رسول الله ﷺ ما رأيت مثله ولا مثل حججه.

تاپر توجمال آن حضرت بآسيب عين الكمال از ساحت عالم محو سازد.

فقال فعصمه الله تعالى: وقال الكاشفي: حق تعالى براي عصمت وي از چشم بداين آيت را فرستاد.

قال الحسن البصري قدس سره دواء الإصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية، كما قال الحافظ:

حضور مجلس أنس است دوستان جمعند وإن يكاد بخوانيد ودر فراز كنيد

وفي «الأسرار المحمدية»: قد قيل إن في هذه الآية خاصية لدفع العين تعليقاً وغسلاً وشرباً انتهى. وفي الحديث: «العين حق» أي أثرها في المعين واقع قالوا إن الشيء لا يعان إلا بعد كماله وكل كامل فإنه يعقبه النقص بقضاء ولما كان ظهور القضاء بعد العين أضيف ذلك إليها ولما خاف يعقوب عليه السلام، على أولاده من العين لأنهم كانوا أعطوا جمالاً وقوة امتداد قامة وكانوا ولد رجل واحد قال: يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة فأمرهم أن يتفرقوا في دخولها لئلا يصابوا بالعين وكان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين فيقول: «أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة» ويقول هكذا كان يعوذ إبراهيم إسماعيل وإسحاق عليهم السلام، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: دخلت على رسول الله عليه السلام في أول النهار فرأيته شديد الوجع ثم عدت إليه آخر النهار فوجدته معافى فقال: «إن جبريل أتاني فرقاني فقال بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن كل عين وحاسد الله يشفيك قال عليه السلام فأفقت» والرقية بالفارسية افسون كردن.

يقال رقاه الراقي رقياً، ورقية إذا عوذه ونفث في عوذته قالوا: وإنما تكره الرقية إذا كانت بغير لسان العرب ولا يدري ما هو ولعله يدخله سحر أو كفر وأما ما كان من القرآن أو شيء من الدعوات فلا بأس به كما في «المغرب» للمطرزي ولا تختص العين بالإنس بل تكون في الجن أيضاً وقيل: عيونهم أنفذ من أسنة الرماح وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي عليه السلام رأى في بيتها جارية تشتكي وفي وجهها صفرة فقال استرقوا لها فإن بها النظرة وأراد بها العين أصابتها من الجن كما في «شرح المصابيح» وفي الحديث: «لو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين» أي لو كان شيء مهلكاً أو مضراً بغير قضاء الله وقدره لكان العين أي إصابتها لشدة ضررها وعنه عليه السلام، إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ومما يدفع العين ما روي أن عثمان رضي الله عنه رأى صبياً مليحاً فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين أي سودوا نقرة ذقنه قالوا ومن هذا القبيل نصب عظام الرؤوس في المزارع والكروم ووجهه أن النظر الشؤم يقع عليها أولاً فتنكسر سورته فلا يظهر أثره ومن الشفاء من العين أن يقال على ماء في إناء نظيف ويسقيه منه ويغسله عنس عابس بشهاد قابس رددت العين من المعين عليه وإلى أحب الناس إليه فارجع البصر هل ترى من فطور والفاتحة وآية الكرسي وست آيات الشفاء وهي ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤] ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧] ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠] ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

ومن الشفاء أن يؤمر العائن فيغتسل أو يتوضأ بماء ثم يغتسل به المعين قيل وجه إصابة العين أن الناظر إذا نظر إلى شيء واستحسنه ولم يرجع إلى الله وإلى رؤية صنعه قد يحدث الله في المنظور علة بجناية نظره على غفلة ابتلاء لعباده ليقول المحق إنه من الله وغيره من غيره

فيؤاخذ الناظر لكونه سببها ووجهها بعض بأن العائن قد ينبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك أو يفسد كما قيل مثل ذلك في بعض الحيات.

قال في «الأسرار المحمدية»: ذوات السموم تؤثر بكيفياتها الخبيثة الكامنة فيها بالقوة فمتى قابلت عدوها انبعثت منها قوة غضبية وتكيفت نفسها بكيفية خبيثة مؤذية ومنها ما تشتد كيفيتها وتقوى حتى تؤثر في إسقاط الجنين، ومنها ما يؤثر في طمس البصر، ومنها ما يؤثر في الإنسان كيفيتها بمجرد الرؤية من غير اتصال به لشدة خبث تلك النفس وكيفيتها الخبيثة المؤثرة والتأثير غير موقوف على الاتصالات الجسمية، بل بعضه بالمقابلة والرؤية كما اشتهر عن نوع من الأفاعي أنها إذا وقع بصرها على الإنسان هلك فهو من هذا الجنس ولا يستبعد أن تنبعث من عين بعض الناس جواهر لطيفة غير مرئية فتتصل بالمعين وتتخلل مسام جسمه أي ثقبه كالفم والمنخر والأذن فيتضرر به وإذا كانت النفوس مختلفة في جواهرها وماهياتها لم يمتنع أيضاً اختلافها في لوازمها وآثارها فلا يستبعد أن يكون لبعض النفوس خاصية التأثير المذكور وبه يحصل الجواب عمن أنكر إصابة العين وقال إنها لا حقيقة لها لأن تأثير الجسم في الجسم لا يعقل إلا بواسطة المماسة ولا مماسة ههنا فامتنع حصول التأثير انتهى وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين ولا تنكره وبعض النفوس لا تحتاج إلى المقابلة بل بتوجه الروح ونحوه يحصل الضرر فربما يوصف الشيء للأعمى فتؤثر نفسه فيه بالوصف من غير مقابلة ورؤية وإذا قتلت ذوات السموم بعد لسعها خَفَّ أثر لسعها لأن الجسد تكيف بكيفية الاسم وصار قابلاً للانحراف فما دامت حية فإن نفسها تمده بامتزاج الهواء بنفسها وانتشاق الملسوع به.

قال الجاحظ: علماء الفرس والهند وأطباء اليونانيين ودهاة العرب وأهل التجربة من المعتزلة وحذاق المتكلمين كانوا يكرهون الأكل بين يدي السباع يخافون عيونها لما فيها من النهم والشره لما ينحل عند ذلك من أجوافها من البخار الرديء وينفصل من عيونها ما إذا خالط الإنسان نقصه وأفسده وكانوا يكرهون قيام الخدم بالمذاب والأشربة على رؤوسهم مخافة العين وكانوا يأمرون أتباعهم قبل أن يأكلوا أن يطردوا الكلب والسنور أو يشغلوه بما يطرح له ومن هذا يعرف بعض أسرار قوله عليه السلام: «من أكل وذو عينين ينظر إليه ولم يواسه ابتلا بداء لا دواء له» وفائدة الرقى الروح إذا تكيفت به وقويت واستعانت بالنفث والتفل قابلت ذلك الأثر الذي حصل من النفوس الخبيثة والخواص الفاسدة فأزالته والحاصل أن الرقية بما ليس بشرك مشروعة لكن التحرز من العين لازم وإنه واجب على كل مسلم أعجبه شيء أن يبرك ويقول تبارك الله أحسن الخالقين اللهم بارك فيه فإنه إذا دعا بالبركة صرف المحذور لا محالة ومن عرف بإصابة العين منع من مداخلة الناس دفعاً لضرره قال بعض العلماء: يأمره الإمام بلزوم بيته وإن كان فقيراً رزقه ما يقوم به معاشه ويكف أذاه عن الناس وقيل ينفي والاحتياط الأمر بلزوم بيته دون الحبس والنفي وبهذا التقرير يعرف حال المجذومين ولذا اتخذوا لهم في بعض البلاد مكاناً مخصوصاً بحيث لا يخالطون الناس ولا يشاركونهم في محلاتهم وذكر الجاحظ أن أعجب ما في الدنيا ثلاثة البوم لا تظهر بالنهار خوفاً أن تصيبها العين لحسنها قال في «حياة الحيوان» ولما تصور في نفسه أنه أحسن الحيوان لم يظهر إلا بالليل.

والثاني: الكركي لا يطأ الأرض بقدمية بل بإحداهما فإذا وطئها لم يعتمد عليها خوفاً أن

تخسف الأرض والثالث الطائر الذي يقعد على سواقي الماء من الأنهار يعرف بمالك الحزين شبيه الكركي لا يشبع من الماء خشية أن يفنى فيموت عطشاً ففي الأول إشارة إلى ذم العجب وفي الثاني إلى مدح الخوف وفي الثالث إلى قدح الحرص فليعتبر العاقل من غير العاقل والسعيد من وعظ بغيره وأخذ الإشارة من كل شي نسأل الله البصيرة التامة بمنه. ﴿ويقولون﴾ لغاية حيرتهم في أمره عليه السلام ونهاية جهلهم بما في القرآن من بدائع العلوم ولتنفير الناس عنه وإلا فقد علموا أنه أعقلهم ﴿إنه﴾ عليه السلام ﴿لمجنون﴾ الظاهر أنه مثل قولهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

وقال الكاشفي: بدرستى كه اين مرد ديو كرفته يعني بااوجنى است كه اورا تعليم ميدهند.

كما قال الوليد بن المغيرة: معلم مجنون يعني يأتيه رئيّ من الجن فيعلمه وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوا منه عليه السلام، رد ذلك ببيان علو شأنه وسطوع برهانه فقيل ﴿وما هو إلا ذكر للعالمين﴾ على أنه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب للسامعين من جراءتهم على التفوه بتلك العظيمة أي يقولون ذلك والحال أن القرآن ذكر للعالمين من الجن والإنس أي تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمور دينهم فأين من أنزل عليه ذلك وهو مطلع على أسراره طراً ومحيط بجميع حقائقه خبراً مما قالوا في حقه من الجنون أي إنه من أول الأمور على كمال عقله وعلو شأنه فمن نسب إليه القصور فإنما هو من جهله وجنته فإن الفضل لا يعرفه إلا ذووه.

إذا لم يكن للمرء عين صحيحة فلا غرو أن يرتاب والصحيح مسفر

وقيل: معناه شرف وفضل لقوله تعالى: ﴿وإنه لذكر﴾ لك ولقومك وفيه إشارة إلى الإلهام فإنه ذكر لصاحبه ولمن اعتقده واقتدى به إذا الآثار باقية إلى يوم القيامة وقيل الضمير لرسول الله ﷺ وكونه ذكراً وشرفاً للعالمين لا ريب فيه:

أي شرف جملهٔ عالم بتو روشنى ديدهٔ عالم بتو

وفيه إشارة إلى سادات أمته وأركان دينه.

تمت سورة نون بعونه خالق القلم وما يسطرون في الخامس والعشرين
يوم الاثنين من شعبان من سنة ست عشرة بعد المائة

٦٩ ـ سورة الحاقة

وآيها إحدى وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤﴾.

﴿الحاقة﴾ هي من أسماء القيامة من حق يحق بالكسر إذا وجب وثبت لأنها يحق أي يجب مجيئها ويثبت وقوعها كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [غافر: ٥٩] فالإسناد حقيقي وقال الراغب في «المفردات»: لأنها يحق فيها الجزاء فالإسناد مجازي كنهاره صائم ونحو **﴿ما الحاقة﴾** الأصل ما هي أي أي شيء هي في حالها وصفتها فإن ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمر تأكيداً لهولها كما يقال زيد ما زيد على التعظيم لشأنه فقوله الحاقة مبتدأ ما مبتدأ ثان وما بعده خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول والرابط تكرير المبتدأ بلفظه هذا ما ذكروه في إعراب هذه الجملة ونظائرها ومقتضى التحقيق أن تكون ما الاستفهامية خبراً لما بعدها فإن مناط الفائدة بيان أن الحاقة أمر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبراً لا بيان أن أمراً بديعاً الحاقة كما يفيده كونها مبتدأ وكون الحاقة خبراً كذا في «الإرشاد» **﴿وما أدراك﴾** من الدراية بمعنى العلم يقال دراه ودرى به أي علم به من باب رمى وأدراه به أعلمه قال في «تاج المصادر» الدراية والدرية والدرى دانستن ويعدى بالباء وبنفسه قال سيبويه وبالباء أكثر قوله ما مبتدأ وأدراك خبره ولا مساغ ههنا للعكس والمعنى وأي شيء أعلمك يا محمد وبالفارسية وچه چيز دانا كردانيدترا **﴿ما الحاقة﴾** جملة من مبتدأ وخبر في موضع المفعول الثاني لإدراك والجملة الكبيرة تأكيد لهول الساعة وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علم المخلوقات على معنى إن أعظم شأنها ومدى هولها وشدتها بحيث لا يكاد تبلغه دراية أحد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك وأعظم فلا يتسنى الإعلام قال بعضهم إن النبي عليه السلام وإن كان عالماً بوقوعها ولكن لم يكن عالماً بكمال كيفيتها ويحتمل أن يقال له عليه السلام إسماعاً لغيره وفي «التأويلات النجمية»: يشير بالحاقة إلى التجلي الأحدي الإطلاقي في مرآة الواحدية المفني للكل كما قال: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] بقهر سطوات أنوار الأحدية جميع ظلمات التعينات الساترة إطلاق الذات المطلقة وسمي بالحاقة لثبوته في ذاته وتحققه في نفسه.

﴿كذبت ثمود﴾ قوم صالح من الثمد وهو الماء القليل الذي لا مادة له. **﴿وعاد﴾** قوم هود وهي قبيلة أيضاً وتمنع كما في «القاموس» **﴿بالقارعة﴾** من جملة أسماء الساعة أيضاً لأنها تقرع الناس أي تضرب بفنون الأفزاع والأهوال أي تصيبهم بها كأنها تقرعهم بها والسماء

بالانشقاق والانفطار والأرض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها زيادة في وصف شدتها فإن في القارعة ما ليس في الحاقة من الوصف يقال أصابتهم قوارع الدهر أي أهواله وشدائده قيل: منها قوارع القرآن للآيات التي تقرأ حين الفزع من الجن والإنس لقرع قلوب المؤذين بذكر جلال الله والاستمداد من رحمته وحمايته مثل آية الكرسي ونحوها وفي الآية تخويف لأهل مكة من عاقبة تكذيبهم بالبعث والحشر.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾

﴿فأما ثمود﴾ وكانوا عرباً منازلهم بالحجر بين الشام والحجاز يراها حجاج الشام ذهاباً وإياباً. **﴿فأهلكوا﴾** أي أهلكهم الله لتكذيبهم فأخبر عن الفعل لأنه المراد دون الفاعل لأنه معلوم **﴿بالطاغية﴾** أي بالصيحة التي جاوزت عن حد سائر الصيحات في الشدة فرجفت منها الأرض والقلوب وتزلزلت فاندفع ما يرى من التعارض بين قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: ٧٨] وبين قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ [الحجر: ٧٣] والقصة واحدة وفي الآية إشارة إلى أهل العلم الظاهر المحجوبين عن العلوم الحقيقية فإنهم أهل العلم القليل كما أن ثمود أهل الماء القليل فلما كذبوا فناء أهل العلم الباطن من طريق السلوك أهلكهم الله بصاعقة نار البعد والاحتجاب فليس لهم صلاح في الباطن وإن كان لهم صلاح في الظاهر وذلك لأنهم لم يتبعوا صالحاً من الصلحاء الحقيقين فبقوا في فساد النفس.

﴿وأما عاد﴾ وكانت منازلهم بالأحقاف وهي الرمل بين عمان إلى حضرموت واليمن وكانوا عرباً أيضاً ذوي بسطة في الخلق وكان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين وأوسطهم ما بين ذلك وكان رأس الرجل منهم كالقبة يفرخ في عينيه ومنخره السباع وتأخيره عن ثمود مع تقدمهم زماناً من قبيل الترقي من الضال الشديد إلى الأضل الأشد **﴿فأهلكوا بريح﴾** هي الدبور لقوله عليه السلام: نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور **﴿صرصر﴾** أي شديدة الصوت لها صرصرة في هبوبها وهي بالفارسية بانك كردن بازو چرغ وآنچه بدان ماند.

أو شديدة البرد تحرق ببردها النبات والحرث فإن الصر بالكسر شدة البرد. **﴿عاتية﴾** مجاوزة للحد في شدة العصيان كأنها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها والرياح مسخرة لميكائيل تهب بإذنه وتنقطع بإذنه وله أعوان كأعوان ملك الموت (روي) أنه ما يخرج من الريح شيء إلا بقدر معلوم ولما اشتد غضب الله على قوم عاد أصابتهم ريح خارجة عن ضبط الخزان ولذلك سميت عاتية أو المعنى عاتية على عاد فلم يقدر وأعلى ردها بحيلة من استتار ببناء أو لياذ بجبل أو اختفاء في حفرة فإنها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧
فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾.

﴿سخرها عليهم﴾ التسخير سوق الشيء إلى الغرض المختص به قهراً والمسخر هو المقيض للفعل والمعنى سلط الله تلك الريح الموصوفة على قوم عاد بقدرته القاهرة كما شاء الظاهر أنه صفة أخرى ويقال استئناف لدفع ما يتوهم من كونها باتصالات فلكية مع أنه لو كان كذلك لكان بتسبيبه وتقديره فلا يخرج من تسخيره تعالى **﴿سبع ليال﴾** منصوب على الظرفية

لقوله ﴿سخرها﴾ أنث العدد لكون الليالي جمع ليلة وهي مؤنث فتبع مفرد موصوفة يقال ليل وليلة ولا يقال يوم ويومة وكذا نهارة وتجمع الليلة على الليالي بزيادة الياء على غير القياس فيحذف ياؤها حالة التنكير بالإعلال مثل الأهالي والأهال في جمع أهل إلا حالة النصب نحو قوله تعالى: ﴿سِيرُواْ فِيهَا﴾ [سبا: ١٨] ليالي وأياماً آمنين لأنه غير منصرف والفتح خفيف ﴿وثمانية أيام﴾ ذكر العدد لكون الأيام جمع يوم وهو مذكر ﴿حسوماً﴾ جمع حاسم كشهود جمع شاهد وهو حال من مفعول سخرها بمعنى حاسمات عبر عن الريح الصرصر بلفظ الجمع لتكثرها باعتبار وقوعها في تلك الليالي والأيام وقال بعضم صفة لما قبله.

كما قال الكاشفي: روزها وشبهاى متوالي.

والمعنى على الأول حال كون تلك الريح متتابعات ما خفق هبوبها في تلك المدة ساعة حتى أهلكتهم تمثيلاً لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على داء الدابة مرة بعد أخرى حتى ينحسم وينقطع الدم كما قال في «تاج المصادر»: الحسم بريدن وپيوسته داغ كردن.

فهو من استعمال المقيد في المطلق إذ الحسم هو تتابع الكي أو نحسات حسمت كل خير واستأصلته أو قاطعات قطعت دابرهم والحاصل أن تلك الرياح فيها ثلاث حيثيات الأولى تتابع هبوبها والثانية كونها قاطعة لكل خير ومستأصلة لكل بركة أتت عليها والثالثة كونها قاطعة دابرهم فسميت حسوماً معنى حاسمات إما تشبيهاً لها بمن يحسم الداء في تتابع الفعل وإما لأن الحسم في اللغة القطع والاستئصال وسمي السيف حساماً لأنه يحسم العدو عما يريده من بلوغ عداوته وهي كانت أيام برد العجوز من صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوال ويقال آخر أسبوع من شهر صفر إلى غروب الأربعاء الآخر وهو آخر الشهر وعن ابن عباس رضي الله عنه يرفعه آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر وإنما سميت عجوزاً لأن عجوزاً من عاد توارت في سرب أي في بيت الأرض فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فأهلكتها وقيل هي أيام العجز وهي آخر الشتاء ذات برد ورياح شديدة فمن نظر إلى الأول قال برد العجوز ومن نظر إلى الثاني قال برد العجز وفي «روضة الأخبار» رغبت عجوز إلى أولادها أن يزوجوها وكن لها سبعة بنين فقالوا إلى أن تصبري على البرد عارية لكل واحد منا ليلة ففعلت فلما كانت في السابعة ماتت فسميت تلك الأيام أيام العجوز وأسماء هذه الأيام الصن وهو بالكسر أول أيام العجوز كما في «القاموس» والصنبر وهي الريح الباردة والثاني من أيام العجوز كما في «القاموس» والوبر وهو ثالث أيام العجوز والمعلل كمحدث وهو الرابع من أيامها ومطفىء الجمر وهو خامس أيام العجوز أو رابعها كما في «القاموس» وقيل: مكفىء الظعن أي مميلها وهو جمع ظعينة وهو الهودج فيه امرأة أم لا والآمر والمؤتمر قال في «القاموس» آمر ومؤتمر آخر أيام العجوز.

قال الشاعر:

كسع الشتاء بسبعة غبر ... أيام شهلتنا من الشهر
فإذا انقضت أيام شهلتنا ... بالصن والصنبر والوبر
وبآمر وأخيه مؤتمر ... ومعلل وبمطفىء الجمر
ذهب الشتاء مولياً هرباً ... وأتتك موقدة من الحر

قال في «الكواشي»: ولم يسم الثامن لأن هلاكهم وإهلاكها كان فيه وفي «عين المعاني» إن الثامن هو مكفىء الظعن ثم قال في «الكواشي»: ويجوز أنها سميت أيام العجوز لعجزهم

عما حل بهم فيها ولم يسم الثامن على هذا لإهلاكهم فيه والذي لم يسم هو الأول وإن كان العذاب واقعاً في ابتدائه لأن ليلته غير مذكورة فلم يسم اليوم تبعاً لليله لأن التاريخ يكون بالليالي دون الأيام فالصن ثاني الأيام الثمانية أول الأيام المذكورة لياليها انتهى.

يقول الفقير: سر العدد أن عمر الدنيا بالنسبة إلى الإنس سبعة أيام من أيام الآخرة وفي اليوم الثامن تقع القيامة ويعم الهلاك ثم في الليالي السبع إشارة إلى الليالي البشرية الساترة للصفات السبع الإلهية التي هي الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام وفي الأيام إشارة إلى الأيام الكاشفات للصفات الثمان الطبيعية وهي الغضب والشهوة والحقد والحسد والبخل والجبن والعجب والشره التي تقطع أمور الحق وأحكامه من الخيرات والمبرات يعني قاطعات كل خير وبر وقال القاشاني: وأما عاد المغالون المجاوزون حد الشرائع بالزندقة والإباحة في التوحيد فأهلكوا بريح هوى النفس الباردة بجمود الطبيعة وعدم حرارة الشوق والعشق العاتية أي الشديدة الغالبة عليهم الذاهبة بهم في أودية الهلاك سخرها الله عليهم في مراب الغيوب السبع التي هي لياليهم لاحتجابهم عنها والصفات الثمان الظاهرة لهم كالأيام وهي الوجود والحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والتكلم على ما ظهر منهم وما بطن تقطعهم وتستأصلهم.

﴿**فترى**﴾ يا محمد أو يا من شأنه أن يرى ويبصر إن كنت حاضراً حينئذٍ. ﴿**القوم**﴾ أي: قوم عاد فاللام للعهد وبالفارسية پس توميد يدي قوم عاد را اكر حاضر مي بودي ﴿**فيها**﴾ أي في محال هبوب تلك الريح أو في تلك الليالي والأيام ورجحه أبو حيان للقرب وصراحة الذكر ﴿**صرعى**﴾ موتى جمع صريع كقتلى وقتيل حال من القوم لأن الروية بصرية والصريع بمعنى مصروع أي مطروح على الأرض ساقط لأن الصرع الطرح وقد صرعوا بموتهم. ﴿**كأنهم**﴾ كوبيا ايشان از عظم أجسام. ﴿**أعجاز نخل**﴾ بنخهاى درخت خرما اند.

الكاف في موضع الحال إما من القوم على قول من جوز حالين من ذي حال واحد أو من المنوي في صرعى عند من لم يجوز ذلك أي مصروعين مشبهين بأصول نخل، كما قال في «القاموس»: العجز مثلثة وكندس وكتف مؤخر الشي وأعجاز النخل أصولها انتهى. والنخل اسم جنس مفرد لفظاً وجمع معنى واحدتها نخلة. ﴿**خاوية**﴾ أصل الخوى الخلاء يقال خوى بطنه من الطعام أي خلا والمعنى متآكلة الأجواف خاليتها لا شيء فيها يعني أنهم متساقطون على الأرض أمواتاً طوالاً غلاظاً كأنهم أصول نخل مجوفة بلا فروع شبهوا بها من حيث أن أبدانهم خوت وخلت من أرواحهم كالنخل الخاوية وقيل: كانت الريح تدخل من أفواهم فتخرج ما في أجوافهم من أدبارهم فصاروا كالنخل الخاوية ففيه إشارة إلى عظم خلقهم وضخامة أجسادهم ولذا كانوا يقولون من أشد منا قوة وإلى الذا لريح إبلتهم فصاروا كالنخل الموصوفة وفيه إشارة إلى أن أهل النفس موتى لا حياة حقيقية لهم لأنهم قائمون بالنفس لا بالله كما قال كأنهم خشب مسندة كأنهم أعجاز نخل أي أقوياء بحسب الصورة لا معنى فيهم ولا حياة ساقطة عن درجة الاعتبار والوجود الحقيقي إذ لا تقوم بالله وإلى أن النفس وصفائها مجوفة ليس لها بقاء لأن البقاء إنما هو بفيض الروح يعني أن الذي رش عليه من رطوبة الروح حي بإذن الله وصلح قابلاً للصفات الإلهية وإلا مات وفسد.

﴿**فهل ترى لهم من باقية**﴾ الاستفهام لإنكار الرؤية والباقية اسم كالبقية لا يوصف والتاء

لنقل الاسمية ومن زائدة وباقية مفعول ترى أي ما ترى منهم بقية من صغارهم وكبارهم وذكورهم وإناثهم غير المؤمنين ويجوز أن يكون صفة موصوف محذوف بمعنى نفس باقية أو مصدراً بمعنى البقاء كالكاذبة والطاغية والبقاء ثبات الشيء على الحالة الأولى وهو يضاد الفناء.

مقر راست كه بودند برزمانه بسى   شهان تخت نشين خسر وإن شاء نشان

چو عاصفات قضا ازمهب قهر وزيد   شدند خاك وازان خاك نيزنيست نشان

فعلى العاقل أن يجتهد حتى يبقى في الدنيا بالعمر الثاني كما دل عليه قوله تعالى حكاية عن إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء: ٨٤] على أن الحياة الباقية الحقيقية هي ما حصلت بالتجلي الإلهي والفيض المآلي الكلي نسأل الله سبحانه أن يفيض علينا سجال فيضه وجوده بحرمة أسمائه وصفاته ووجوب وجوده.

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿**وجاء فرعون**﴾ أي فرعون موسى أفرده بالذكر لغاية علوه واستكباره ﴿**ومن قبله**﴾ ومن تقدمه من الكفرة غير عاد وثمود فهو من قبيل التعميم بعد التخصيص ومن موصولة وقبل نقيض بعد وقرأ أبو عمرو ويعقوب والكسائي قبله بكسر القاف وفتح الباء بمعنى ومن معه من القبط من أهل مصر ﴿**والمؤتفكات**﴾ أي قرى قوم لوط أي أهلها لأنها عطفت على ما قبلها من فرعون ومن قبله يقال أفكه عن الشيء أي قلبه وائتفكت البلدة بأهلها أي انقلبت والله تعالى قلب قرى قوم لوط عليهم فهي المنقلبات بالخسف وهي خمس قريات صعبه وصعده وعمره ودوما وسدوم وهي أعظم القرى ثم هذا من قبيل التخصيص بعد التعميم للتتميم لأن قوم لوط أتوا بفاحشة ما سبقهم بها من أحد من العالمين ﴿**بالخاطئة**﴾ الباء للملابسة والتعدية وهو الأظهر أي بالخطأ أو بالغفلة أو الأفعال ذات الخطأ العظيم التي من جملتها تكذيب البعث والقيام فالخاطئة على الأول مصدر كالعاقبة وعلى الأخيرين صفة لمحذوف والبناء للنسبة على التجريد والأظهر أنه من المجاز العقلي كشعر شاعر.

﴿**فعصوا رسول ربهم**﴾ أي: فعصى كل أمة رسولهم حين نهاهم عما كانوا يتعاطونه من القبائح فالرسول هنا بمعنى الجمع لأن فعولاً وفعيلاً يستوي فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع فهو من مقابلة الجمع بالجمع المستدعية لانقسام الآحاد على الآحاد فالإضافة ليست للعهد بل للجنس ﴿**فأخذهم**﴾ أي الله تعالى بالعقوبة أي كل قوم منهم ﴿**أخذة رابية**﴾ أي: زائدة في الشدة على عقوبات سائر الكفار أو على القدر المعروف عند الناس لما زادت معاصيهم في القبح على معاصي سائر الكفرة أغرق من كذب نوحاً وهم كل أهل الأرض غير من ركب معه في السفينة وحمل مدائن لوط بعد أن نتقها من الأرض على متن الريح بواسطة من أمره بذلك من الملائكة ثم قلبها وأتبعها الحجارة وخسف بها وغمرها بالماء المنتن الذي ليس في الأرض ما يشبهه وأغرق فرعون وجنوده أيضاً في بحر القلزم، أو في النيل وهكذا عوقب كل أمة عاصية بحسب أعمالهم القبيحة وجوزيت جزاء وفاقاً وفي كل ذلك تخويف لقريش وتحذير لهم عن التكذيب وفيه عبرة موقظة لأولي الألباب يقال: ربا الشيء يربو إذا زاد ومنه الربا الشرعي وهو الفضل الذي يأخذه آكل الربا زائداً على ما أعطاه.

﴿إنا لما طغا الماء﴾ المعهود وقت الطوفان أي جاوز حده المعتاد حتى ارتفع على كل شيء خمسمائة ذراع وقال بعضهم ارتفع على أرفع جبل في الدنيا خمسة عشر ذراعاً أو حده في المعاملة مع خزانة من الملائكة بحيث لم يقدروا على ضبطه وذلك الطغيان ومجاوزة الحد بسبب إصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصي ومبالغتهم في تكذيبه فيما أوحى إليه من الأحكام التي جملتها أحوال القيامة فانتقم الله منهم بالإغراق. ﴿حملناكم﴾ أيها الناس أي حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم فكأنكم محمولون بأشخاصكم وفيه تنبيه على المنة في الحمل لأن نجاة آبائهم سبب ولادتهم ﴿في الجارية﴾ يعني في سفينة نوح لأن من شأنها أن تجري على الماء والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء إلى انقضاء أيام الطوفان لا مجرد رفعهم إلى السفينة كما يعرف عنه كلمة في فإنها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله أي رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم في السفينة الجارية بأمرنا وحفظنا من غير غرق وخرق وفيه تنبيه على أن مدار نجاتهم محض عصمته تعالى وإنما السفينة سبب صوري.

﴿لنجعلها﴾ أي: لنجعل الفعلة التي هي عبارة عن إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين.

﴿لكم تذكرة﴾ عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته فضمير لنجعلها إلى المفعلة والقصة بدلالة ما بعد الآية من الوعي.

وقال الكاشفي: نا كردانيم آن كشتى رابراي شماپندى وعبرتي درنجات مؤمنان وهلاك كافران وفي «كشف الأسرار» تا آنرا يادكارى كنيم تاجهان بود.

وقد أدرك السفينة أوائل هذه الأمة وكان ألواحها على الجودي ﴿وتعيها﴾ أي: تحفظها وبالفارسية: ونكاه داردااين پندرا.

والوعي أن تحفظ العلم ووعيت الشيء في نفسك يقال وعيت ما قلته ومنه ما قال عليه السلام: لا خير في العيش إلا لعالم ناطق ومستمع واع والإيعاء أن تحفظه في غير نفسك من وعاء يقال أوعيت المتاع في الوعاء منه ما قال عليه السلام لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما «لا توعي فيوعي الله عليك أرضخي ما استطعت» وقال الشاعر:

الخير يبقى وإن طال الزمان به والشر أخبث ما أوعيت من زاد

﴿أذن واعية﴾ أي أذن من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه بتذكره والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به يقال الوعي فعل القلب ولكن الآذان تؤدي الحديث إلى القلوب الواعية فنعتت الأذن بنعت القلوب وفي «البستان»:

وكرنيستى سعى جاسوس كوش خبركي رسيدي بسلطان هوش

والتنكير والتوحيد حيث لم يقل الآذان الواعية للدلالة على قلتها وإن من هذا شأنه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وإدامة نسلهم يعني أن من وعى هذه القصة إنما يعيها ويحفظها لأجل أن يدكرها للناس ويرغبهم في الإيمان المنجي ويحذرهم عن الكفر المردي فيكون سبباً للنجاة والإدامة المذكورتين قال في «الكشاف»: الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الأعظم عند الله وإن ما سواها لا يبالي بهم وإن ملؤوا ما بين الخافقين وفي الحديث: «أفلح من جعل الله له قلباً واعياً» وعن النبي عليه السلام أنه قال لعلي رضي الله عنه عند نزول هذه الآية «سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي قال فما نسيت شيئاً بعد وما كان لي أن أنسى إذ هو الحافظ للأسرار الإلهية وقد قال ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة» وفي

رواية أخذ بأذن علي بن أبي طالب وقال هي هذه ذكره النقاش.

كرچه ناصح را بود صدداعيه   پندار أذني ببايد واعيه
كرنبودي كوشهاي غيب كير   وحى ناوردي زكردون يك بشير

قال بعضهم: تلك آذان أسمعها الله في الأزل خطابه فهي واعية تعي من الحق كل خطاب وعن أبي هريرة أنه قيل لي إنك تكثر رواية الحديث وغيرك لا يروي مثلك فقلت إن المهاجرين والأنصار كان شغلهم عمل أموالهم وكنت امرأ مسكيناً ألزم رسول الله وأقنع بقوتي وقال عليه السلام يوماً من الأيام: «إنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي مقالتي ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعى ما أقول فبسطت نمرة علي حتى إذا قضى مقالته جمعتها إلى صدري فما نسيت من مقالته عليه السلام شيئاً» وفيه إشارة إلى تأثير حسن المقال وفائدته وإلا لكان دعاؤه عليه السلام كافياً في وعيه كما وقع لأمير المؤمنين رضي الله عنه.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾.

﴿**فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة**﴾ شروع في بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها أثر بيان عظم شأنها بإهلاك مكذبيها والنفخ إرسال الريح من الفم وبالفارسية دميدن.

والصور قرن من نور أوسع من السماوات ينفخ فيه إسرافيل بأمر الله فيحدث صوت عظيم فإذا سمع الناس ذلك الصوت يصيحون ثم يموتون إلا من شاء والمصدر المبهم هو الذي يكون لمجرد التأكيد وإن كان لا يقام مقام الفاعل فلا يقال ضرب ضرب إذ لا يفيد أمراً زائداً على مدلول الفعل إلا أنه حسن إسناد الفعل في الآية إلى المصدر وهو النفخة لكونها نفخاً مقيداً بالوحدة والمرة لا نفخاً مجرداً مبهماً والمراد بها ههنا النفخة الأولى التي لا يبقى عندها حيوان إلا مات ويكون عندها خراب العالم لما دل عليه الحمل والدك الآتيان وفي «الكشاف» فإن قلت هما نفختان فلم قيل واحدة قلت معناه أنها لا تثنى في وقتها انتهى. يعني أن حدوث الأمر العظيم بالنفخة وعلى عقبها إنما استعظم من حيث وقوع النفخ مرة واحدة لا من حيث أنه نفخ فنبه على ذلك بقوله واحدة وفي «كشف الأسرار» ذكر الواحدة للتأكيد لأن النفخة لا تكون إلا واحدة ﴿**وحملت الأرض والجبال**﴾ أي: قامت ورفعت من أماكنها بمجرد القدرة الإلهية أو بتوسط الزلزلة والريح العاصفة فإن الريح من قوة عصفها تحمل الأرض والجبال كما حملت أرض وجود قوم عاد وجبال جمالهم مع هوادجها. ﴿**فدكتا دكة واحدة**﴾ أي فضربت الجملتان جملة الأرضين وجملة الجبال أثر رفعها بعضها ببعض ضربة واحدة بلا احتياج إلى تكرار الضرب وتثنية الدق حتى تندق وترجع كثيباً مهيلاً وهباء منبثاً وإلا فالظاهر فدككن دكة واحدة لإسناد الفعل إلى الأرض والجبال وهي أمور متعددة ونظيره قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا﴾ [الأنبياء: ٣٠] حيث لم يقل كن والدكّ أبلغ من الدق وفي «الصحاح» الدك الدق وقد دكه إذا ضربه وكسره حتى سواه بالأرض وبابه رد وفي «المفردات»: الدك الأرض اللينة السهلة ودكت الجبال دكاً أي جعلت بمنزلة الأرض اللينة ومنه الدكان.

﴿**فيومئذٍ**﴾ أي: فحينئذٍ وهو منصوب بقوله ﴿**وقعت الواقعة**﴾ هي من أسماء القيامة بالغلبة لتحقق وقوعها وبهذا الاعتبار أسند إليه وقعت أي إذا كان الأمر كذلك قامت القيامة التي

توعدون بها أو نزلت النازلة العظيمة التي هي صيحة القيامة وهو جواب لقوله ﴿فإذا نفخ في الصور﴾ ويومئذٍ بدل من إذا كرر الطول لكلام والعامل فيهما وقعت.

﴿وانشقت السماء﴾ وآسمان برشكافت از طرف مجره.

يعني انفرجت لنزول الملائكة لأمر عظيم أراده الله كما قال: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] أو بسبب شدة ذلك اليوم وهو معطوف على وقعت. ﴿فهي﴾ أي السماء ﴿يومئذٍ﴾ ظرف لقوله ﴿واهية﴾ ضعيفة مسترخية ساقطة القوة جداً كالغزل المنقوض بعدما كانت محكمة مستمسكة وإن كانت قابلة للخرق والالتئام يقال وهى البناء يهي وهياً فهو واه إذا ضعف جداً قال في «القاموس» وهي كوعى وولى تخرق وانشق واسترخى رباطه وفي «المفردات» الوهي شق في الأديم والثوب ونحوهما.

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿والملك﴾ أي: الخلق المعروف بالملك وهو أعم من الملائكة ألا ترى إلى قولك ما من ملك إلا وهو شاهد أعم من قولك ما من ملائكة. ﴿على أرجائها﴾ أي جوانب السماء جمع رجى بالقصر وهي جملة حالية ويحتمل أن تعطف على ما قبلها كذا قالوا والمعنى تنشق السماء التي هي مساكنهم فيلجؤون إلى أكنافها وحافاتها قالوا وقوفهم لحظة على أرجائها وموتهم بعدها فإن الملائكة يموتون عند النفخة الأولى لا ينافي التعقيب المدلول عليه بالفاء وقد يقال إنهم هم المستثنون بقوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٨٧] أي: ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا الملائكة ونحوهم، قال المولى الفناري في «تفسير الفاتحة»: فإذا وهت السماء نزلت ملائكتها على أرجائها فيرون أهل الأرض خلقاً عظيماً أضعاف ما هم عليه عدداً فيتخيلون أن الله نزل فيهم لما يرون من عظم الملائكة مما لم يشاهدوه من قبل فيقولون أفيكم ربنا فيقول الملائكة سبحان ربنا ليس فينا وهو آت فيصطف الملائكة صفاً مستديراً على نواحي الأرض محيطين بعالمي الإنس والجن وهؤلاء هم عمار السماء الدنيا ثم ينزل أهل السماء الثانية بعدما يقبضها الله أيضاً ويرمي بكوكبها في النار وهو المسمى كاتباً وهم أكثر عدداً من أهل السماء الدنيا فيقول الخلائق أفيكم ربنا فيفزع الملائكة فيقولون سبحان ربنا ليس هو فينا وهو آت فيفعلون فعل الأولين من الملائكة يصطفون خلفهم صفاً ثانياً مستديراً ثم ينزل أهل السماء الثالثة ويرمي بكوكبها المسمى زهرة في النار فيقبضها الله بيمينه فيقول الخلائق أفيكم ربنا فتقول الملائكة سبحان ربنا ليس هو فينا وهو آت فلا يزال الأمر هكذا سماء بعد سماء حتى ينزل أهل السماء السابعة فيرون خلقاً أكثر من جميع من نزل فيقول الخلائق فيكم ربنا فيقول الملائكة سبحان ربنا قد جاء ربنا وإن كان وعد ربنا لمفعولاً فيأتي الله في ظلل من الغمام والملائكة على المجنبة اليسرى منهم ويكون إتيانه إتيان الملك فإنه يقول ملك يوم الدين وهو ذلك اليوم فسمي بالملك ويصطف الملائكة عليه سبعة صفوف محيطة بالخلائق فإذا أبصر الخلائق جهنم لها فوران وتغيظ على الجبابرة المتكبرين يفرون بأجمعهم منها لعظم ما يرونه خوفاً وفزعاً وهو الفزع الأكبر إلا الطائفة التي لا يحزنهم الفزع الأكبر فتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون فهم الآمنون مع النبيين على أنفسهم غير أن النبيين يفزعون على

أممهم للشفقة التي جبلهم الله عليها للخلق فيقولون في ذلك سلم سلم وكان قد أمر أن ينصب للآمنين من خلقه منابر من نور متفاضلة بحسب منازلهم في الموقف فيجلسون عليها آمنين مبشرين وذلك قبل مجيء الرب تعالى فإذا فر الناس خوفاً من جهنم يجدون الملائكة صفوفاً لا يتجاوزونهم فتطردهم الملائكة وزعة الملك الحق سبحانه وتعالى إلى الحشر فيناديهم أنبياؤهم ارجعوا ارجعوا أو ينادي بعضهم بعضاً فهو قول الله تعالى فيما يقول رسول الله عليه السلام «إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم» انتهى.

يقول الفقير: دل هذا البيان على أن المراد بالوهي سقوط السماء على الأرض التي تسمى بالساهرة وأن نزول الملائكة على أرجاء السماء لا يكون يوم يقوم الناس من قبورهم بالنفخة الثانية وإن ذكر في أثناء النفخة الأولى كما دل عليه ما بعد الآية من حمل العرش والأرض اللذين إنما يكونان بعد النفخة الثانية وأن معنى نزولهم طرد الخلق ونحوه كما قال تعالى ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣] أي لا تقصدون مهرباً إلا وهناك لي أعوان ولي به سلطان.

﴿ويحمل عرش ربك﴾ وهو الفلك التاسع وهو جسم عظيم لا يعلم عظمه إلا الله تعالى لأنه في الآفاق بمنزلة القلب في الأنفس والقلب أوسع شيء لما وسع الله كما في الحديث وكان عرش الرحمن والفائدة في ذكر العرش عقيب ما تقدم أن العرش بحاله خلاف السماء والأرض ولذلك لا يفنى وأيضاً له وجه آخر سيأتي وعن علي بن الحسن رضي الله عنهما قال إن الله خلق العرش رابعاً لم يخلق قبله إلا ثلاثة الهواء والقلم والنور ثم خلق العرش من أنوار مختلفة من ذلك نور أخضر منه اخضرت الخضرة ونور أصفر منه اصفرت الصفرة ونور أحمر منه احمرت الحمرة ونور أبيض وهو نور الأنوار ومه ضوء النهار قال بعض الكبار الأنوار أربعة على عدد المراتب الأربع فإذا أعطى الأنوار يعطي في مرتبة الطبيعة نور أسود وفي مرتبة النفس نوراً أحمر وفي مرتبة الروح نوراً أخضر وفي مرتبة السر نوراً أبيض. **﴿فوقهم﴾** أي: فوق الملائكة الذين هم على الأرجاء أو فوق الثمانية أي يحملون العرش فوق أنفسهم فالمحمول لا يلزم أن يكون فوق الحامل، فقد يكون في يده وقد يكون في جيبه فكل واحد من قوله فوقهم ويومئذٍ ظرف لقوله يحمل حينئذ وأما على التقدير الأول فالظاهر أن فوقهم حال من ثمانية قدمت عليها لكونها نكرة. **﴿يومئذٍ﴾** أي: يوم القيامة **﴿ثمانية﴾** من الملائكة عن النبي عليه السلام هم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أخرى فيكون ثمانية قال بعض العلماء الأربعة اللاحقة إشارة إلى الأئمة الأربعة الذين هم أبو حنيفة والشافعي ومالك وأحمد لأنهم اليوم حملة الشرع فإذا كان يوم القيامة انقلب الشرع العرش فيكونون من حملته حكماً وروي ثمانية أملاك أرجلهم في تخوم الأرض السابعة والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون مسبحون قال عليه السلام، أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش من شحمة أذنه إلى عاتقه خفقان الطير مسيرة سبعمائة سنة يقول سبحانك حيث كنت قال يحيى بن سلام بلغني أن اسمه زوقيل وعن الحسن البصري قدس سره ثمانية أي ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم إلا الله.

يقول الفقير: الأنسب هو الأول لكونه أدخل في العظمة والهيبة وإظهار القدرة ولأن الأركان أربعة كأركان الكعبة وأركان القلب إذ في يمين القلب الروح والسر وفي يساره النفس والطبيعة وباعتبار الظاهر والباطن يحصل ثمانية آلاف إذ الألف تفصيل الواحد بحيث لا تفصيل

وراءه إلا باعتبار التضعيف والله أعلم ومرّ في أوائل سورة حم المؤمن بعض ما يتعلق بهذا المقام فلا نعيده.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى عرش الذات الحاملة للصفات الثمانية الذاتية الغيبية التي هي مفاتيح الغيب الموصوفة بحمل ذوات الصفات والصفات تحمل ظهورات الصفات فافهم.

﴿يومئذٍ﴾ العامل فيه قوله ﴿تعرضون﴾ على الله أي تسألون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيهاً له بعرض السلطان العسكر لتعرف أحوالهم يقال عرض الجند إذا أمرهم عليه ونظر ما حالهم والخطاب عام للكل على التغليب.

روي أن في يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله وهذا العرض وإن كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسماً لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار صح جعله ظرفاً للكل كما تقول جئت عام كذا وإنما كان مجيئك في وقت واحد من أوقاته وذهب المشبهة من حمل العرش والعرض إلى كونه تعالى محمولاً حاضراً في العرش وأجيب بأنه تمثيل لعظمة الله بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم بروزهم للقضاء العام فيكون المراد من إتيانه تعالى في ظلل من الغمام إتيان أمره وقضائه وأما حديث التحول فمحمول على ظهوره تعالى في مرتبة الصفات ولا مناقشة فيه لأن النبي عليه السلام رآه ليلة المعراج في صورة شاب أمرد لأن الصورة الإنسانية أجمع الصور ومثله الرؤيا المنامية والله تعالى منزه في ذاته عن أوصاف الجسمانيات. ﴿لا تخفى منكم خافية﴾ حال من مرفوع تعرضون ومنكم كان في الأصل صفة لخافية قدم للفاصلة فتحول حالاً أي تعرضون غير خاف عليه تعالى فعلة خفيفة، أي سر من أسراركم وإنما العرض لإفشاء الحال والمبالغة في العدل وغير خاف يومئذٍ على الناس كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ [الطارق: ٩] فقوله منكم يتعلق بما قبله وما بعده على التجاذب.

قال في «الكشاف»: خافية أي سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم والسر والسريرة الذي يكتم ويخفى فتظهر يوم القيامة أحوال المؤمنين فيتكامل بذلك سرورهم وتظهر أحوال غيرهم فيحصل الحزن والافتضاح ففي الآية زجر عظيم عن المعصية لتأديها إلى الافتضاح على رؤوس الخلائق فقلب الإنسان ينبغي أن يكون بحال لو وضع في طبق وأدير على الناس لما وجد فيه ما يورث الخجالة وهو صفة أهل الإخلاص والنصيحة.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣﴾.

﴿فأما﴾ تفصيل لأحكام العرض ﴿من﴾ موصولة ﴿أوتي كتابه﴾ أي مكتوبه الذي كتبت الحفظة فيه تفاصيل أعماله ﴿بيمينه﴾ تعظيماً له لأن اليمين يتيمن بما والباء بمعنى في أو للإلصاق وهو الأوجه والمراد منهم الأبرار فإن المقربين لا كتاب لهم ولا حساب لهم لمكانتهم من الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه السلام قال: أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس قيل له فأين أبو بكر فقال هيهات زفته الملائكة إلى الجنة.

يقول الفقير: لعل هذا مكافاة له حين أخذ سيفه بيده وخرج من دار الأرقم وهو يظهر الإسلام على ملأ من قريش فبسيفه ظهر الإسلام فرضي الله عنه وعن محبيه وفي الحديث اثبت أحد فإنما عليك نبي والصديق وشهيدان وكان عليه رسول الله عليه السلام وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فتحرك فقاله دل الحديث على أن رتبة أبي بكر فوق رتبة غيره لأن الصديقية تلي النبوة ﴿فيقول﴾ فرحاً وسروراً فإنه لما أوتي كتابه بيمينه علم أنه من الناجين من النار ومن الفائزين بالجنة فأحب أن يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا بما ناله ﴿هاؤم اقرأوا كتابيه﴾ أي خذوا يا أهل بيتي وقرابتي وأصحابي كتابي وتناولوه اقرؤوا كتابي زيرا در اينجا عملي نيست كه از إظهار آن شرم دارم ودر تبيان آورده كه اين كتاب ديكر است بغير كتاب اعمل كه نوشته ودراو بشارت جنت است وپس چه كتاب حفظ ميان بنده وخدا وندست وكسى آنرانه بيند ونه خواند.

وفي الخبر: «حسنات المؤمن في ظاهر كتابه وسيئاته في باطنه لا يراها إلا هو فإذا انتهى يرى مكتوباً فقد غفرتها لك فاقلب فيرى في الظاهر قد قبلتها منك فيقول من فرط السرور ﴿هاؤم اقرأوا كتابيه﴾» أي هلموا أصحابي كما في «عين المعاني»، يقال هاء يا رجل بفتح الهمزة وهاء يا امرأة بكسرها وهاؤما يا رجلان أو يا امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة بمعنى خذ خذا خذوا خذي خذا خذن ومفعوله محذوف وكتابي مفعول اقرؤوا لا أقرب العاملين فهو أقوى لكونه بمنزلة العلة القريبة وأصله هاؤم كتابي اقرؤوا كتابي فحذف الأول لدلالة الثاني عليه ونظيره آتوني أفرغ عليه قطراً والهاء للوقف والاستراحة والسكت تثبت بالوقف وتسقط في الوصل كما هو الأصل في هاء السكت لأنها إنما جيء بها حفظاً للحركة أي لتحفظ حركة الموقوف عليه إذ لولاها لسقطت الحركة في الوقف فتثبت حال الوقف إذ لا حاجة إليها حال الوصل فلذلك كان حقها أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل إلا أن القراء السبعة اتفقوا في كل المواضع على إثباتها وقفاً ووصلاً إجراء للوصل مجرى الوقف واتباعاً لرسم الإمام فإنها ثابتة في المصحف في كل المواضع وهي كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه وماهيه في القارعة وما كان ثابتاً فيه لا بد أن يكون مثبتاً في اللفظ إلا أن حمزة أسقط الهاء من ثلاث كلم وصلاً وهي ماليه وسلطانيه وماهيه وأثبتها وقفاً على الأصل ولم يعمل بالأصل في كتابيه وحسابيه وأثبتها في الحالين جمعاً بين اللغتين وتبين من هذا التقرير أن المستحب إيثار الوقف اتباعاً للوصل وأن إثباتها وصلاً إنما هو لاتباع المصحف قال في «القاموس» هاء السكت هي اللاحقة لبيان حركة أو حرف نحو ماهيه وها هناه وأصلها أن يوقف عليها وربما وصلت بنية الوقف انتهى. وهذه الهاء لا تكون إلا ساكنة وتحريكها لحن أي خطأ لأنه لا يجوز الوقف على المتحرك وهاء السكت في القرآن في سبعة مواضع في لم يتسنه وفي فبهداهم اقتده وفي كتابيه وفي حسابيه وفي ماليه وفي سلطانيه وفي ماهيه وأما الهاء التي في القاضية وفي هاوية وخاوية وثمانية وعالية ودانية وأمثالها فللتأنيث فيوقف عليهن بالهاء يوصلن بالتاء.

﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾ الحساب بمعنى المحاسبة وهو عد أعمال العباد في الآخرة.

خيراً وشراً للمجازاة أي علمت وأيقنت أني مصادف حسابي في ديوان الحساب الإلهي وأني أحاسب في الآخرة يعني دانستم وإيمان آوردم كه مرا حساب خواهند كرد وآنرا آماده ومتهيىء شدم.

قال الراغب: الظن اسم لما يحصل من أمارة ومتى قويت أدت إلى العلم ومتى ضعفت جداً لم تتجاوز حد التوهم انتهى. ومنه يعلم قول من قال سمي اليقين ظناً لأن الظن يلد اليقين انتهى. وإنما فسر الظن بالعلم لأن البعث والحساب مما يجب بهما الإيمان ولا إيمان بدون اليقين قال سعدي المفتي وفيه بحث فإيمان المقلد ذو اعتبار وصرحوا بأن الظن الغالب الذي لا يخطر معه احتمال النقيض يكفي في الإيمان ثم إنه يجوز أن يكون المراد ما حصل له من حسابه اليسير ولا يقين به لوجوب أن يكون المؤمن بين الخوف والرجاء والمراد إني ظننت أني ملاق حسابي على الشدة والمناقشة لما سلف مني من الهفوات والآن أزال الله عني ذلك وفرج همي انتهى.

يقول الفقير: هذا عدول عما عليه ظاهر القرآن فإن الظن في مواضع كثيرة منه بمعنى اليقين كما في قوله تعالى حكاية ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] وهم المؤمنون بالآخرة وفي قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ [ص: ٢٤] أي: علم وأيقن بالعلامة القوية قال القاضي ولعل التعبير عن العلم بالظن للإشعار بأنه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالباً يعني أن الظن استعير للعلم الاستدلالي لأنه لا يخلو عن الخطرات والوساوس عند الذهول عما قاد إليه من الدليل للإشعار المذكور وأما العلوم الضرورية والكشفية فعارية عن الاضطراب وفي «الكشاف» وإنما أجري الظن مجرى العلم لأن الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والأحكام ويقال أظن ظناً كاليقين أن الأمر كيت وكيت ﴿فهو﴾ أي من أوتي كتابه بيمينه. ﴿في عيشة﴾ نوع من العيش وهو بالفتح وكذا العيشة والمعاش والمعيش والعيشوشة بالفارسية زيستن.

قال بعض العلماء: إذا كسر العين من العيش، يلزمه التاء كما في عيشة والعيش الحياة المختصة بالحيوان وهو أخص من الحياة لأن الحياة تقال في الحيوان وفي الباري وفي الملك ويشتق منه المعيشة لما يتعيش منه قال عليه السلام: «لا عيش إلا عيش الآخرة» ﴿راضية﴾ ذات رضى يرضاها من يعيش فيها على النسبة بالصيغة فإن النسبة نسبتان نسبة بالحرف كمكي ومدني ونسبة بالصيغة كلابن وتامر بمعنى ذي لبن وذي تمر ويجوز أن يجعل الفعل لها وهو لصاحبها فيكون من قبيل الإسناد المجازي ومآل الوجهين كون العيشة مرضية وإلى ما ذكرنا يرجع قول من قال راضية في نفسها فكأنها لرغادتها قد رضيت بما هي فيه مجازاً أو بمعنى مرضية كماء دافق أي مدفوق انتهى. وفي «التأويلات النجمية»: راضية هنيئة مريئة صافية عن شوائب الكدر طائرة عن نوائب الحذر وبالفارسية در زندكاني باشد پسنديده صافي از كدورت ومقرون بحرمت وحشمت.

وذلك أي كون العيشة مرضية لاشتمالها على أمور ثلاثة الأول كونها منفعة صافية عن الشوائب والثاني كونها دائمة لا يترقب زوالها وانقطاعها والثالث كونها بحيث يقصد بها تعظيم من رضي بها وإكرامه وإلا يكون استهزاء واستدراجاً وعيشة من أعطي كتابه بيمينه جامعة لهذه الأمور فتكون مرضياً بها كمال الرضى قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعيشون فلا يموتون ويصحون فلا يمرضون وينعمون فلا يرون بؤساً أبداً.

﴿في جنة عالية﴾ مرتفعة المكان لأنها في السماء كما أن للنار سافلة لأنها تحت الأرض أو الدرجات أو الأبنية والأشجار فيكون عالية من الصفات الجارية على غير من هي له وهو

بدل من عيشة بإعادة الجار ويجوز كونه متعلقاً بعيشة راضية أي يعيش عيشاً مرضياً في جنة عالية.

﴿قطوفها﴾ ثمراتها جمع قطف بالكسر وهو ما يقطف ويجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر قال سعدي المفتي اعتبار السرعة في مفهوم القطف محل كلام قال ابن الشيخ: معنى السرعة قطع الكل بمرة، وفي «القاموس»: القطف بالكسر العنقود واسم للثمار المقطوفة انتهى. فلا حاجة إلى أن يقال غلب هنا في جميع ما يجتبى من الثمر عنباً كان أو غيره. ﴿دانية﴾ من الدنو وهو القرب أي قريبة من مريديها.

يعني خوشه هاي آن ازدست چيننده نزديك.

ينالها القائم والقاعد والمضطجع من غير تعب وقيل لا يتأخر إدراكها انتهى. وإذا أراد أن تدنو إلى فيه دنت بخلاف ثمار الدنيا فإن في قطفها وتحصيلها تعباً ومشقة غالباً وكذا لا تؤكل إلا بمزاولة اليد.

يقول الفقير: أشجار الجنة على صورة الإنسان يعني أن أصل الإنسان رأسه وهي في طرف العلو ورجله فرعه مع أنها في طرف السفل فكذلك أصول أشجار الجنة في طرف العلو وأغصانها متدلية إلى جانب السفل ولذا لا يرون تعباً في القطف على أن نعيم الجنة تابع لإرادة المتنعم به فيصرف فيه كيف يشاء من غير مشقة.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿كلوا واشربوا﴾ بإضمار القول والجمع بعد قوله فهو باعتبار المعنى والأمر أمر امتنان وإباحة لا أمر تكليف ضرورة أن الآخرة ليست بدار تكليف وجمع بين الأكل والشرب لأن أحدهما شقيق الآخر فلا ينفك عنه ولذا لم يذكر هنا الملابس وإن ذكرت في موضع آخر يقال لمن أوتي كتابه بيمينه كلوا من طعام الجنة وثمارها واشربوا من شرابها مطلقاً. ﴿هنيئاً﴾ أكلاً وشرباً هنيئاً أي سائغاً لا تنغيص فيه في الحلقوم وبالفارسية خوردنى وآشاميدني كوارنده.

وجعل الهنيء صفة لهما لأن المصدر يتناول المثنى أيضاً من هنؤ الطعام والشراب وهنىء يهنأ ويهنؤ ويهنىء هناءة وهناء أي صار هنيئاً سائغاً فهو هنيء ومنه اليهنىء المشتهر في اللسان التركي في اللحم المطبوخ ويستعمله العجم بالخاء المعجمة بدل الهاء كما قال في «المثنوي»:

وين پزاز بهرميان روزرا يخنىء باشدشه فيروزرا

وإسناد الهناءة إلى الأكل والشرب مجاز للمبالغة لأنها للمأكول والمشروب وقولهم هنيئاً عند شرب الماء ونحوه بمعنى صحة وعافية لأن السائغ محظوظ منه بسبب الصحة والعافية غالباً ﴿بما أسلفتم﴾ بمقابلة ما قدمتم من الأعمال الصالحة أو بدله أو بسببه ومعنى الإسلاف في اللغة تقديم ما ترجو أن يعود عليك بخير فهو كالإقراض ومنه يقال أسلف في كذا إذا قدم فيه ماله ﴿في الأيام الخالية﴾ أي: الماضية في الدنيا وعن مجاهد أيام الصيام فيكون المعنى كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله في أيام الصيام لا سيما في الأيام الحارة وهو الأولى لأن الجزاء لا بد وأن يكون من جنس العمل وملائماً له كما قال بعض الكبار: لم يقل اشهدوا ولا اسمعوا وإنما جوزوا من حيث عملوا ونظيره فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وقوله ﴿إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾ [هود: ٣٨] ونظائر ذلك ورؤي بعضهم في

المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رحمني وقال كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب فلم يقل كل يا من قطع الليل تلاوة واشرب يا من ثبت يوم الزحف فإن هذا ما لا تعطيه الحكمة كما في مواقع النجوم.

وروي يقول الله يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية.

قوله: قلصت من الباب الثاني يقال قلص الظل أي نقص والماء أي ارتفع في البئر والشفة أي انزوت والثوب أي انزوى بعد الغسل ومصدر الجميع القلوص والتركيب يدل على انضمام شيء بعضه إلى بعض وخمصه الجوع خمصاً ومخمصة من الباب الأول يعني باريك ميان كرد ويرا كرسنكى.

وفيه إشارة إلى أيام الأزل الخالية عن الأعمال والعلل والأسباب أي كلوا من نعيم الوصال واشربوا من شراب الفيض بما أسلفه الله لكم في الأزل والقدم من العناية إذ بتلك العناية قمتم مع الحق في جميع الأحوال.

چون حسن عاقبت نه برندى وزاهديست آن به كه كارخود بعنايت رها كنند

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾

﴿**وأما من أوتي كتابه بشماله**﴾ تحقيراً له لأن الشمال يتشاءم بها بأن تلوى يسراه إلى خلف ظهره فيأخذه بها ويرى ما فيه من قبائح الأعمال ﴿**فيقول**﴾ تحزناً وتحسراً وخوفاً مما فيه وهو من قبيل الألم الروحاني الذي هو أشد من الألم الجسماني ﴿**يا**﴾ هؤلاء يا معشر المحشر ﴿**ليتني**﴾ كاشكى من.

وهو تمنٍ للمحال ﴿**لم أوت**﴾ متكلم مجهول من الإيتاء بمعنى لم أعط ﴿**كتابيه**﴾ هذا الذي جمع جميع سيئاتي ﴿**ولم أدر**﴾ متكلم من الدراية بمعنى العلم ﴿**ما حسابيه**﴾ لما شاهد من سوء العاقبة وبالفارسية كاشكى ندانستمى امروز چيست حساب من چه حاصلي نيست مرانرا جز عذاب وشدت ومحنت.

فما استفهامية معلق بها الفعل عن العمل ويجوز أن تكون موصولة بتقدير المبتدأ في الصلة ﴿**يا ليتها**﴾ تكرير للتمني وتجديد للتحسر أي يا ليت الموتة التي متها وذقتها وذلك أن الموتة وإن لم تكن مذكورة إلا أنها في حكم المذكور بدلالة المقام ﴿**كانت القاضية**﴾ أي: القاطعة لأمري وحياتي ولم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى يتمنى عند مطالعة كتابه أن تدوم عليه الموتة الأولى وأنه لا يبعث للحساب ولا يلقى ما أصابه من الخجالة وسوء العاقبة ويجوز أن يكون ضمير ليتها لما شاهد من الحالة أي يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي يتمنى أن يكون بدل تلك الحالة الموتة القاطعة للحياة لما أنه وجد تلك الحالة أمر من الموت فتمناه عندها وكان في الدنيا أشد كراهية للموت قال الشاعر:

وشر من الموت الذي إن لقيته تمنيت منه الموت والموت أعظم

﴿**ما أغنى عني**﴾ أي لم يدفع عني شيئاً من عذاب الآخرة على أن ما نافية والمفعول

محذوف ﴿ماليه﴾ أي الذي كان لي في الدنيا من المال والأتباع على أن ما موصولة واللام جارة داخلة على ياء المتكلم ليعم مثل الأتباع فإنه إذا كان اسماً مضافاً إلى ياء المتكلم لم يعم وفي «الكشاف» ما أغنى نفي واستفهام على وجه الإنكار أي أي شيء أغنى عني ما كان لي من اليسار انتهى. حتى ضيعت عمري فيه أي لم ينفعني ولم يدفع عني شيئاً من العذاب فما استفهامية منصوبة المحل على أنها مفعول أغنى.

يقول الفقير: الظاهر أن ماليه هو المال المضاف إلى ياء المتكلم أي لم يغن عني المال الذي جمعته في الدنيا شيئاً من العذاب بل ألهاني عن الآخرة وضرني فضلاً عن أن ينفعني وذلك ليوافق قوله تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل: ١١] وقوله: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾ [المسد: ٢] ونظائر ذلك فما ذهب إليه أكثر أهل التفسير من التعميم عدول عما ورد به ظاهر القرآن.

﴿هلك عني سلطانيه﴾ قال الراغب: السلاطة التمكن من القهر ومنه سمي السلطان والسلطان يقال في السلاطة نحو قوله تعالى ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الإسراء: ٣٣] وقد يقال لذي السلاطة وهو الأكثر وسميت الحجة سلطاناً وذلك لما لحق من الهجوم على القلوب لكن أكثر تسلطه على أهل العلم والحكمة من المؤمنين وقوله ﴿هلك عني سلطانيه﴾ يحتمل السلطانين انتهى. والمعنى هلك عني ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيراً ذليلاً أو ضلت عني حجتي كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومعناه بطلت حجتي التي كنت أحتج بها عليهم في الدنيا وبالفارسية كم كشت از من حجتي كه دردنيا چنك دران زده بودم.

ورجح هذا المعنى بأن من أوتي كتابه بشماله لا اختصاص له بالملوك بل هو عام لجميع أهل الشقاوة.

يقول الفقير: قوله تعالى: ﴿ما أغنى عني ماليه﴾ يدل على الأول على أن فيه تعريضاً بنحو الوليد من رؤساء قريش وأهل ثروتهم، ويجوز أن يكون المعنى تسلطي على القوى والآلات فعجزت عن استعمالها في العبادات وذلك لأن كل أحد كان له سلطان على نفسه وماله وجوارحه يزول في القيامة سلطانه فلا يملك لنفسه نفعاً.

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿خذوه﴾ حكاية لما يقول الله يومئذٍ لخزنة النار وهم الزبانية الموكلون على عذابه والهاء راجع إلى من الثاني أي خذوا العاصي لربه ﴿فغلوه﴾ بلا مهلة أي اجمعوا يديه إلى عنقه بالقيد والحديد وشدوه به يقال غل فلان وضع في عنقه أو يده الغل وهو بالضم الطوق من حديد الجامع لليد إلى العنق المانع عن تحرك الرأس وبالفتح دست باكردن بستن.

وفي الفقه وكره جعل الغل في عنق عبده لأنه عقوبة أهل النار وقال الفقيه إن في زماننا جرت العادة بذلك إذا خيف من الإباق كما في «الكبرى» بخلاف التقييد فإنه غير مكروه لأنه سنة المسلمين في المتمردين.

﴿ثم الجحيم صلوه﴾ دل التقديم على التخصيص والمعنى لا تصلوه أي لا تدخلوه إلا

الجحيم ولا تحرقوه إلا فيها وهي النار العظمى ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعظم على الناس قال سعدي المفتي فيكون مخصوصاً بالمتعظمين وفيه بحث انتهى. وقد مر جوابه.

﴿ثم في سلسلة﴾ من نار وهي حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة والجار متعلق بقوله ﴿فاسلكوه﴾ والفاء ليست بمانعة عن التعلق ﴿ذرعها﴾ طولها وبالفارسية كزان.

والذراع ككتاب ما يذرع به حديداً أو قضيباً وفي «المفردات» الذراع العضو المعروف ويعبر به عن المذروع والممسوح يقال ذراع من الثوب والأرض والذرع پيمودن.

قوله ذرعها مبتدأ خبره قوله ﴿سبعون﴾ والجملة في محل الجر على أنها صفة سلسلة وقوله ﴿ذراعاً﴾ تمييز ﴿فاسلكوه﴾ السلك هو الإدخال في الطريق والخيط والقيد وغيرها ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين العذابين الغل وتصلية الجحيم وما بينهما وبين السلك في السلسلة في الشدة لا على تراخي المدة يعني أن ثم أخرج عن معنى المهلة لاقتضاء مقام التهويل ذلك إذ لا يناسب التوعد بتفرق العذاب قال ابن الشيخ: إن كلمتي ثم والفاء إن كانتا لعطف جملة فاسلكوه لزم اجتماع حرفي العطف وتواردهما على معطوف واحد ولا وجه له فينبغي أن يكون كلمة ثم لعطف مضمر على مضمر قبل قوله ﴿خذوه﴾ أي قيل لخزنة النار: خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم قيل لهم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه فيكون الفاء لعطف المقول على المقول مع إفادة معنى التعقيب وكلمة ثم لعطف القول على القول مع الدلالة على أن الأمر الأخير أشد وأهول مما قبله من الأوامر مع تعاقب المأمور بها من الأخذ وجعل يده مغلولة إلى عنقه وتصلية الجحيم وسلكهم إياه السلسلة الموصوفة والمعنى فأدخلوه فيها بأن تلفوها على جسده وتجعلوه محاطاً بها فهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يستطيع حراكاً كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أهل النار يكونون في السلسلة كما يكون الثعلب في الجلبة والثعلب طرف خشبة الرمح الداخل في الجلبة السنان وهي الدرع وذلك إنما يكون رهقاً أي غشية، وبالفارسية: پس در آريد اورادران يعني درجسد أو پيچيد محكم تا حركت نتواندكرد.

وتقديم السلسلة على السلك كتقديم الجحيم على التصلية في الدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر ألوان ما يعذب به أي لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة لأنها أفظع من سائر مواضع الإرهاق في الجحيم وجعلها سبعين ذراعاً إرادة الوصف بالطول كما قال إن تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لأنها إذا طالت كان الإرهاق أشد فهو كناية عن زيادة الطول لشيوع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة في التكثير وقال سعدي المفتي الظاهر أنه لا منع من الحمل على ظاهره من العدد، قال الكاشفي: يعني بذراع ملك كه هر ذراعي هفتاد باعست وهرباعي ازكوفه تامكه.

وقال بعض المفسرين هي بالذراع المعروفة عندنا وإنما خوطبنا بما نعرفه ونحصله وقال الحسن قدس سره الله أعلم بأي ذراع هي وعن كعب لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها ولو وضعت منها حلقة على جبل لذاب مثل الرصاص تدخل السلسلة في فيه وتخرج من دبره ويلوي فضلها على عنقه وجسده ويقرن بها بينه وبين شيطانه.

يقول الفقير هذا يقتضي أن يكون ذلك عذاب الكافر لأن جسده يكون في العظم مسيرة

ثلاثة أيام وضرسه مثل جبل أحد على ما جاء في الحديث وعن النبي عليه السلام قال لو أن رضراضة أي صخرة قدر رأس الرجل وفي رواية لو أن رضراضة مثل هذه وأشار إلى صخرة مثل الجمجمة سقطت من السماء إلى الأرض وهي خمسمائة عام لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها وقعرها قال الشراح اللام في السلسلة في هذا الحديث للعهد إشارة إلى السلسلة التي ذكرها الله في قوله **﴿ثم في سلسلة﴾** الخ.

روي أن شاباً قد حضر صلاة الفجر مع الجماعة خلف واحد من المشايخ فقرأ ذلك الشيخ سورة الحاقة فلما بلغ إلى قوله تعالى: **﴿خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه﴾** صاح الشاب وسقط وغشي عليه فلما أتم الشيخ صلاته قال: من هذا؟ قالوا: هو شاب صالح خائف من الله تعالى وله والدة عجوز ليس لها غيره قال الشيخ: ارفعوه واحملوه حتى نذهب به إلى أمه ففعلوا ما أمر به الشيخ فلما رأت أمه ذلك فزعت وأقبلت وقالت: ما فعلتم بابني قالوا ما فعلنا به شيئاً إلا أنه حضر الجماعة وسمع آية مخوفة من القرآن فلم يطق سماعها فكان هكذا بأمر الله فقالت آية آية هي فاقرؤوها حتى أسمع فقرأها الشيخ فلما وصلت الآية إلى سمع الشاب شهق شهقة أخرى خرجت معها روحه بأمر الله فلما رأت الأم ذلك خرت ميتة.

وفي «التأويلات النجمية»: قوله **﴿ثم في سلسلة﴾** الخ. يشير إلى كثرة أخلاقه السيئة وأوصافه الرديئة وأحكام طبيعته الظلمانية إذ هي يوم القيامة كلها سلاسل العذاب وأغلال الطرد والحجاب **﴿إنه﴾**. بدرستى كه اين كس. كأنه قيل ما له يعذب بهذا العذاب الشديد فأجيب بأنه **﴿كان لا يؤمن بالله العظيم﴾** وصفه تعالى بالعظم للإيذان بأنه المستحق للعظمة فحسب فمن نسبها إلى نفسه استحق أعظم العقوبات.

﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ الحض الحث على الفعل بالحرص على وقوعه قال الراغب: الحض التحريك كالحث إلا أن الحث يكون بسير وسوق والحض لا يكون بذلك وأصله من الحث على الحضيض وهو قرار الأرض والمعنى ولا يحث أهله وغيرهم على إعطاء طعام يطعم به الفقير فضلاً عن أن يعطي ويبذل من ماله على أن يكون المراد من الطعام العين فأضمر مثل إعطاء أو بذل لأن الحث والتحريض لا يتعلق بالأعيان بل بالأحداث وأضيف الطعام إلى المسكين من حيث أن له آلية نسبة أو المعنى ولا يحثهم على إطعامه على أن يكون اسماً وضع موضع الإطعام كما يوضع العطاء موضع الإعطاء فالإضافة إلى المفعول وذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة فيكف بتارك الفعل يعني يكون ترك الفعل أشد من أن يكون سبب المؤاخذة الشديدة وجعل حرمان المسكين قرينة للكفر حيث عطفه عليه للدلالة على عظم الجرم ولذلك قال عليه السلام: البخل كفر والكافر في النار فتخصيص الأمرين بالذكر لما أن أقبح العقائد الكفر وأشنع الرذائل البخل والعطف للدلالة على أن حرمان المسكين صفة الكفرة كما في قوله تعالى: **﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾** [فصلت: ٦ - ٧] فلا يلزم أن يكون الكفار مخاطبين به بالفروع وفي «عين المعاني» وبه تعلق الشافعي في خطاب الكفار بالشرائع ولا يصح عندنا لأن توجيه الخطاب بالأمر ولا أمر ههنا على أنه ذكر الإيمان مقدماً وبه نقول انتهى. وقال ابن الشيخ: فيه دليل على تكليف الكفار بالفروع على معنى أنهم يعاقبون على ترك الامتثال بها كعدم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والانتهاء

عن الفواحش والمنكرات لا على معنى أنهم يطالبون بها حال كفرهم فإنهم غير مكلفين بالفروع بهذا المعنى لانعدام أهلية الأداء فيهم لأن مدار أهلية الأداء هو استحقاق الثواب بالأداء ولا ثواب لأعمال الكفار وأهلية الوجوب لا تستلزم أهلية الأداء كما تقرر في الأصول انتهى. والحاصل أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة لا غير وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع نصفها الآخر بالإطعام والحض عليه.

جوى بازدارد بلاي درشت   عصايى شنيدي كه عوجي بكشت
كسى نيك بيند بهردو سراى   كه نيكى رساند بخلق خداي

﴿فليس له اليوم﴾ وهو يوم القيامة ﴿ههنا﴾ أي في هذا المكان وهو مكان الأخذ والغل ﴿حميم﴾ أي قريب نسباً أو وداً يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لأن أولياءه يتحامونه ويفرون منه كقوله ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠] وقال في «عين المعاني» قريب يحترق له قلبه من حميم الماء وقال القاشاني: لاستيحاشه من نفسه فكيف لا يستوحش غيره منه وهو من تتمة ما يقال للزبانية في حقه إعلاماً بأنه محروم من الرحمة وحثاً لهم على بطشه ﴿ولا طعام إلا من غسلين﴾ قال في «القاموس»: الغسلين بالكسر ما يغسل من الثوب ونحوه كالغسالة وما يسيل من جلود أهل النار والشديد الحر وشجر في النار انتهى. والمعنى ولا طعام إلا من غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم بعصر قوة الحرارة النارية وبالفارسية زردابه وريمى كه ازتنهاى ايشان ميرود.

روي أنه لو وقعت قطرة منه على الأرض لأفسدت على الناس معايشهم يقال للنار دركات ولكل دركة نوع طعام وشراب وسيجيء وجه التلفيق بينه وبين قوله ليس لهم طعام إلا من ضريع في الغاشية وهو فعلين من الغسل فالياء والنون زائدتان وفي «الكواشي» أو نونه غير زائدة وهو شجر في النار وهو من أخبث طعامهم والظاهر أن الاستثناء متصل إن جعل الطعام شاملاً للشراب كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ [البقرة: ٢٤٩] فإنهم مفسروه بمن لم يذقه من طعم الشيء إذا ذاقه مأكولاً كان أو مشروباً.

﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿لا يأكله إلا الخاطئون﴾ صفة غسلين والتعبير بالأكل باعتبار ذكر الطعام أي لا يأكل ذلك الغسلين إلا الآثمون أصحاب الخطايا وهم المشركون كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد جوز أن يراد بهم الذين يتخطون الحق إلى الباطل ويتعدون حدود الله من خطىء الرجل من باب علم إذا تعمد الخطأ أي الذنب فالخاطىء هو الذي يفعل ضد الصواب متعمداً لذلك والمخطىء هو الذي يفعله غير متعمد أي يريد الصواب فيصير إلى غيره من غير قصد كما يقال المجتهد قد يخطىء وقد يصيب وفي «عين المعاني» الخاطئون طريق التوحيد.

وفي «التأويلات النجمية»: ولا يحض مساكين الأعضاء والجوارح بالأعمال الصالحات والأقوال الصادقات والأحوال الصافيات فليس له اليوم ههنا من يعينه ويؤنسه لأن المؤنس ليس إلا الأعمال والأحوال ولا طعام لنفسه الميشومة إلا غسالة أعماله وأفعاله القبيحة الشنيعة لا يأكله إلا المتجاوزون عن أعمال الروح والقلب القاصدون مراضي النفس والهوى متبعون

للشهوات الجسمانية واللذات الحيوانية.

﴿فلا أقسم﴾ أي فأقسم على أن لا مزيدة للتأكيد وأما حمله على معنى نفي الإقسام لظهور الأمر واستغنائه عن التحقيق بالقسم فيرده تعيين المقسم به بقوله ﴿بما﴾ الخ وقال بعضهم هو جملتان والتقدير وما قاله المكذبون فلا يصح إذ هو قول باطل ثم قال أقسم ﴿بما تبصرون وما لا تبصرون﴾ قسم عظيم لأنه قسم بالأشياء كلها على سبيل الشمول والإحاطة لأنها لا تخرج عن قسمين مبصر وغير مبصر فالمبصر المشاهدات وغير المبصر المغيبات فدخل فيهما الدنيا والآخرة والأجسام والأرواح والإنس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة وغير ذلك مما يكون لائقاً بأن يكون مقسماً به إذ من الأشياء ما لا يليق بأن يكون مقسماً به وإليه الإشارة بقول القاشاني: أي الوجود كله ظاهراً وباطناً وبقول ابن عطاء آثار القدرة وأسرارها وبقول الشيخ نجم الدين: بما تبصرون من المشهودات والمحسوسات بأبصار الظواهر وما لا تبصرون من المغيبات ببصائر البواطن يعني بالمظاهر الاسمائية والمظاهر الذاتية وبقول الحسين أي بما أظهر الله لملائكته والقلم واللوح وبما اختزن في علمه ولم يجر القلم به ولم تشعر الملائكة بذلك وما أظهر الله للخلق من صفاته وأراهم من صنعه وأبدى لهم من علمه في جنب ما اختزن عنهم إلا كذرة في جنب الدنيا والآخرة ولو أظهر الله ما اختزن لذابت الخلائق عن آخرهم فضلاً عن حمله وقال الشيخ أبو طالب المكي قدس سره في قوت القلوب: إذا كان العبد من أهل العلم بالله والفهم عنه والسمع منه والمشاهدة له شهد ما غاب عن غيره وأبصر ما عمي عنه سواء كما قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحاقة: ٣٨ ـ ٣٩].

﴿إنه﴾ أي القرآن ﴿لقول رسول﴾ وقوله قول الحق كما قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [النجم: ٣] وكما قال: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وفي «كشف الأسرار» أضاف القول إليه لأنه لما قال قول رسول اقتضى مرسلاً وكان معلوماً أن ما يقرأه كلام مرسله وإنما هو مبلغه فالإضافة الاختصاصية إلى رسول الله تدل على اختصاص القول بالرسول من حيث التبليغ ليس إلا إذ شأن الرسول التبليغ لا الاختراع وقد يأتي القول في القرآن والمراد به القراءة قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] أي ما تقرؤون في صلاتكم ﴿كريم﴾ على الله تعالى يعني بزركوار نزدخداي تعالى.

وهو النبي عليه السلام، ويدل عليه مقابلة رسول بشاعر وكاهن لأن المعنى على إثبات أنه رسول لا شاعر ولا كاهن ولم يقولوا لجبريل شاعر ولا كاهن وقيل هو جبريل أي هو قول جبريل الرسول الكريم وما هو من تلقاء محمد كما تزعمون وتدعون أنه شاعر أو كاهن فالمقصود حينئذٍ إثبات حقية القرآن وأنه من عند الله والحاصل أن القرآن كلام الله حقيقة، أظهر في اللوح المحفوظ وكلام جبريل أيضاً من حيث أنه أنزله من السماوات إلى الأرض وتلاه على خاتم النبيين وكلام سيد المرسلين أيضاً من حيث أنه أظهره للخلق ودعا الناس إلى الإيمان به وجعله حجة لنبوته.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وما هو بقول شاعر﴾ كما تزعمون تارة. قال الكاشفي: چنانچه أبو جهل ميكويد وسبق

معنى الشعر في يس ﴿**قليلاً ما تؤمنون**﴾ إيماناً قليلاً تؤمنون بالقرآن وكونه كلام الله أو بالرسول وكونه مرسلاً من الله والمراد بالقلة النفي أي لا تؤمنون أصلاً كقولك لمن لا يزورك قلما تأتينا وأنت تريد لا تأتينا أصلاً.

يقول الفقير: يجوز عندي أن تكون قلة الإيمان باعتبار قلة المؤمن بمعنى أن القليل منكم يؤمنون وقس عليه نظائره ﴿**ولا بقول كاهن**﴾ كما تدعون ذلك تارة أخرى.

قال الكاشفي: چنانچه عقبة بن أبي معيط كمان ميبرد.

كرر القول مبالغة في إبطال أقاويلهم الكاذبة على القرآن الحق والرسول الصادق والكاهن هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب وفي «كشف الأسرار» الكاهن هو الذي يزعم أن له خدماً من الجن يأتونه بضرب من الوحي وقد انقطعت الكهانة بعد نبينا محمد عليه السلام، لأن الجن حبسوا ومنعوا من الاستماع انتهى. وقال الراغب في «المفردات»: الكاهن الذي يخبر بالأخبار الماضية الخفية بضرب من الظن كالعراف الذي يخبر بالأخبار المستقبلة على نحو ذلك ولكون هاتين الصناعتين مبنيتين على الظن الذي يخطىء ويصيب قال عليه السلام: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل الله على محمد» ويقال كهن فلان كهانة إذا تعاطى ذلك وكهن إذا تخصص بذلك وتكهن تكلف ذلك انتهى. وفي «شرح المشارق» لابن الملك العراف من يخبر بما أخفي من المسروق ومكان الضالة والكاهن من يخبر بما يكون في المستقبل، وفي «الصحاح»: العراف الكاهن ﴿**قليلاً ما تذكرون**﴾ أي: تذكراً قليلاً أو زماناً قليلاً تتذكرون أي لا تتذكرون أصلاً.

قال الكاشفي: اندكى پندميكيريد يعني پندكير نمى شويد.

«وفي كشف الأسرار»: اندك پندمى پذيريد ودرمى يابيد.

«وفي تاج المصادر»: التذكر يادكردن ويا ياد آوردن وپندكرفتن ومذكرشدن كلمهٔ كه مؤنث بود.

وقال بعضهم المراد من الإيمان القليل إيمانهم واستيقانهم بأنفسهم وقد جحدوا بألسنتهم لا معنى النفي وقال بعضهم: إن كان المراد منه الإيمان الشرعي فالتقليل للنفي وإن كان اللغوي فالتقليل على حاله لأنهم كانوا يصدقون ببعض أحكام القرآن كالصلة والخير والعفاف ونحوها ويكذبون ببعضها كالوحدة والحقانية والبعث ونحوها وعلى هذا التذكر قيل ذكر الإيمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لما أن عدم مشابهة القرآن الشعر أمر بين لا ينكره إلا معاند فلا مجال فيه لتوهم عذر لترك الإيمان فلذلك وبخوا عليه وعجب منه بخلاف مباينته للكهانة فإنها تتوقف على تذكر أحواله عليه السلام، ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة، ومعاني أقوالهم فالكاهن ينصب نفسه للدلالة على الضوائع والأخبار بالمغيبات يصدق فيها تارة ويكذب كثيراً ويأخذ جعلاً على ذلك ويقتصر على من يسأله وليس واحد منها من دأبه عليه السلام.

والحاصل: أن الكاهن من يأتيه الشياطين ويلقون إليه من أخبار السماء فيخبر الناس بما سمعه منهم وما يلقيه عليه السلام، من الكلام مشتمل على ذم الشياطين وسبهم فكيف يمكن أن يكون ذلك بإلقاء الشياطين فإنهم لا ينزلون شيئاً فيه ذمهم وسبهم لا سيما على من يلعنهم ويطعن فيهم وكذا معاني ما يلقيه عليه السلام منافية لمعاني أقوال الكهنة فإنهم لا يدعون إلى تهذيب الأخلاق وتصحيح العقائد والأعمال المتعلقة بالمبدأ والمعاد بخلاف معاني قوله عليه

السلام، فلو تذكر أهل مكة معاني القرآن ومعاني أقوال الكهنة لما قالوا بأنه كاهن وفي «برهان القرآن» خص ذكر الشعر بقوله ﴿ما تؤمنون﴾ لأن من قال القرآن شعر ومحمد عليه السلام شاعر بعدما علم اختلاف آيات القرآن في الطول والقصر واختلاف حروف مقاطعه فلكفره وقلة إيمانه فإن الشعر كلام موزون مقفى وخص ذكر الكهانة بقول ﴿ما تذكرون﴾ لأن من ذهب إلى أن القرآن كهانة وأن محمداً عليه السلام، كاهن فهو ذاهل عن ذكر كلام الكهان فإنه إسجاع لا معاني تحتها وأوضاع تنبو الطباع عنها ولا يكون في كلامهم ذكر الله انتهى.

قال المولى أبو السعود في «الإرشاد»: وأنت خبير بأن ذلك أيضاً مما لا يتوقف على تأمل قطعاً انتهى. أي فتعليلهم بالفرق غير صحيح وفيه أن الإنابة شرط للتذكر كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣] والكافر ليس من أهل الإنابة وأيضاً ما يذكر إلا أولو الألباب أي أولو العقول الزاكية والقلوب الطاهرة والكافر ليس منهم فليس من أهل التذكر ولا شك أن كون الشيء أمراً بيناً لا ينافي التذكر ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢] مع أن شواهد الألوهية ظاهرة لكل بصير باهرة عند كل خبير على أنه يظهر من تقريراتهم أنه لا بد من التذكر في نفي الكهانة لخفاء أمرها في الجملة بالنسبة إلى الشعر والعلم عند الله العلام.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿**تنزيل**﴾ أي هو منزل فعبر عن المفعول بالمصدر مبالغة. ﴿**من رب العالمين**﴾ نزله على لسان جبريل تربية للسعداء وتبشيراً لهم وإنذاراً للأشقياء كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤] وقال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفتح: ٨].

﴿**ولو تقول علينا بعض الأقاويل**﴾ كما يتقوله الشعراء أي ولو ادعى محمد علينا شيئاً لم نقله كما تزعمون كما قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الطور: ٣٣] وفي ذكر البعض إشارة إلى أن القليل كاف في المؤاخذة الآتية فضلاً عن الكثير سمي الافتراء تقولاً وهو بناء التكلف لأنه قول متكلف، كما قال «صاحب الكشاف»: التقول افتعال القول لأن فيه تكلفاً من المفتعل وسميت الأقوال المفتراة أقاويل تحقيراً لها لأن صيغة أفعولة إنما تطلق على محقرات الأمور وغرائبها كالأعجوبة لما يتعجب منه والأضحوكة لما يضحك منه وكان الأقاويل جمع أقوولة من القول وإن لم يثبت عن نقلة اللغلة ولم يكن أقوولة مستعملاً لكن كونه على صورة جمع أفعولة كاف في التحقير ويؤيد أنه ليس جمع الأقوال لزوم أن لا يعاقب بما دون ثلاثة أقوال فالأقاويل ههنا بمعنى الأقوال لا أنه جمعه وفي «حواشي» ابن الشيخ الظاهر أن الأقاويل جمع أقوال جمع قول كأناعيم جمع أنعام جمع نعم.

﴿**لأخذنا منه**﴾ حال من قوله ﴿**باليمين**﴾ أي بيمينه وقال سعدي المفتي هو من باب ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ [الشرح: ١] في التفصيل بعد الإجمال.

﴿**ثم لقطعنا منه الوتين**﴾ أي نياط قلبه بضرب عنقه والنياط عرف أبيض غليظ كالقصبة علق به القلب إذا انقطع مات صاحبه وفي «المفردات» الوتين عرق يسقي الكبد إذا انقطع مات صاحبه ولم يقل لأهلكناه أو لضربنا عنقه لأنه تصوير لإهلاكه بأفظع ما يفعله الملوك بمن

يغضبون عليه وهو أن يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه فإنه إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاء أخذ بيساره وإذا أراد أن يوقعه في جيده وأن يكفحه بالسيف أي يواجهه وهو أشد من المصبور لنظره إلى السيف أخذ بيمينه فلذا خص اليمين دون اليسار وفي «المفردات» لأخذنا منه باليمين أي منعناه ودفعناه فعبر عن ذلك بالأخذ باليمين كقولك خذ بيمين فلان انتهى. وقيل اليمين بمعنى القوة، فالمعنى لانتقمنا بقوتنا وقدرتنا وقيل المعنى حينئذٍ لأخذنا منه اليمين وسلبنا منه القوة والقدرة على التكلم بذلك على أن الباء صلة أي زائدة وعبر عن القوة باليمين لأن قوة كل شيء في ميامنه فيكون من قبيل ذكر المحل وإرادة الحال أو ذكر الملزوم وإرادة اللازم.

﴿فما منكم﴾ أيها الناس ﴿من أحد عنه﴾ أي: عن القتل أو المقتول وهو متعلق بقوله: ﴿حاجزين﴾ دافعين وهو وصف لأحد فإنه عام لوقوعه في سياق النفي كما في قوله عليه السلام: «لم تحل الغنائم لأحد أسود الرأس غيرنا» فمن أحد في موضع الرفع بالابتداء ومن زائدة لتأكيد النفي ومنكم خبره والمعنى فما منكم قوم يحجزون عن المقتول أو عن قتله وإهلاكه المدلول عليه بقوله ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ أي لا يقدر على الحجز والدفع وهذا مبني على أصل بني تميم فإنهم لا يعلمون ما لدخولها على القبيلتين وقد يجعل حاجزين خبراً لما على اللغة الحجازية ولعله أولى فتكون كلمة ما هي المشبهة بليس فمن أحد اسم ما وحاجزين منصوب على أنه خبرها ومنكم حال مقدم وكان في الأصل صفة لأحد وفي الآية تنبيه على أن النبي عليه السلام لو قال من عند نفسه شيئاً أو زاد أو نقص حرفاً واحداً على ما أوحي إليه لعاقبه الله وهو أكرم الناس عليه فما ظنك بغيره ممن قصد تغيير شيء من كتاب الله أو قال شيئاً من ذات نفسه كما ضل بذلك بعض الفرق الضالة.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿وإنه﴾ أي: القرآن ﴿لتذكرة﴾ موعظة وبالفارسية پنديست ﴿للمتقين﴾ لمن اتقى الشرك وحب الدنيا فإنه يتذكر بهذا القرآن وينتفع به بخلاف المشرك ومن مال إلى الدنيا وغلبه حبها فإنه يكذب به ولا ينتفع وفي «تاج المصادر» التذكير والتذكرة باياد دادن وحرف را مذكر كردن.

ومنه الحديث فذكروه أي فأجلوه لأن في تذكير الشي إجلالاً له.

﴿وإنا لنعلم أن منكم مكذبين﴾ أي منكم أيها الناس مكذبين بالقرآن فنجازيهم على تكذيبهم قال مالك رحمه الله ما أشد هذه الأمة على هذه الآية وفيه إشارة إلى مكذبي الإلهام أيضاً فإنهم ملتحقون بمكذبي الوحي لأن الكل من عند الله لكن أهل الاحتجاب لا يبصرون النور كالأعمى فكيف يقرون.

﴿وإنه﴾ أي: القرآن ﴿لحسرة﴾ وندامة يوم القيامة ﴿على الكافرين﴾ المكذبين له عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين المصدقين به وفي الدنيا أيضاً إذا رأوا دولة المؤمنين ويجوز أن يرجع الضمير إلى التكذيب المدلول عليه بقوله مكذبين.

﴿وإنه﴾ أي: القرآن ﴿لحق اليقين﴾ أي: لليقين الذي لا ريب فيه فالحق واليقين صفتان بمعنى واحد أضيف أحدهما إلى الآخر إضافة الشي إلى نفسه كحب الحصيد للتأكيد فإن الحق

هو الثابت الذي لا يتطرق إليه الريب وكذا اليقين قال الراغب في «المفردات»: اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتهما يقال علم اليقين عين اليقين حق اليقين وبينها فرق مذكور في غير هذا الكتاب انتهى. وقد سبق الفرق من «شرح الفصوص» في آخر سورة الواقعة فارجع وقال الإمام: معناه أنه حق يقين أي حق لا بطلان فيه ويقين لا ريب فيه ثم أضيف أحد الوصفين إلى الآخر للتأكيد وقال الزمخشري لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم ويراد به البليغ الكامل في شأنه وفي «تفسير القاشاني» محض اليقين وصرف اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم أي خلاصة العالم وحقيقته من غير شوب شي آخر وقال الجنيد قدس سره حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك معرفة بالحق وهو أن يشاهد الغيوب كمشاهدته للمرئيات مشاهدة عيان ويحكم على المغيبات ويخبر عنها بالصدق كما أخبر الصديق الأكبر في مشاهدة النبي عليه السلام، حين سأله: «ماذا أبقيت لنفسك قال الله ورسوله» فأخبر عن تحققه بالحق وانقطاعه عن كل ما سوى الله ووقوفه على الصدق معه ولم يسأله النبي عليه السلام، عن كيفيته ما أشار إليه ما عرف من صدقه وبلوغه المنتهى فيه ولما سأل عليه السلام حارثة «كيف أصبحت»؟ قال: «أصبحت مؤمناً حقاً» فأخبر عن حقيقة إيمانه فسأله عليه السلام، عن ذلك لما كان يجد في نفسه من عظيم دعواه ثم لما أخبر لم يحكم له بذلك فقال: «عرفت فالزم» أي عرفت الطريق إلى حقيقة الإيمان فالزم الطريق حتى تبلغ إليه وكان يرى حال أبي بكر رضي الله عنه مستوراً من غير استخبار عنه ولا استكشاف لما علم من صدقه فيما ادعى وهذا مقام حق اليقين واليقين اسم للعلم الذي زال عنه اللبس ولهذا لا يوصف علم رب العزة باليقين.

﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أي: فسبح الله بذكر اسم العظيم بأن تقول سبحانه الله تنزيهاً له عن الرضى بالتقول لله وشكراً على ما أوحى إليك فمفعول سبح محذوف والباء في باسم ربك للاستعانة كما في ضربته بالسوط فهو مفعول ثان بواسطة حرف الجر على حذف المضاف والعظيم صفة الاسم ويحتمل أن يكون صفة ربك ويؤيده ما روي أن رسول الله عليه السلام قال لما نزلت هذه الآية: «اجعلوها في ركوعكم» فالتزم ذلك جماعة العلماء كما في «فتح الرحمن»، وقال في «التأويلات النجمية»: نزه وقدس تنزيهاً في عين التشبيه اسم ربك أي مسمى ربك إذا لاسم عين المسمى عند أرباب الحق وأهل الذوق وقال القاشاني: نزه الله وجرده عن شوب الغيب بذلك الذي هو اسمه الأعظم الحاوي للأسماء كلها بأن لا يظهر في شهودك تلوين من النفس أو القلب فتحجب برؤية الاثنينية أو الأثانية وإلا كنت مشبهاً لا مسبحاً روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال: خرجت يوماً بمكة متعرضاً لرسول الله ﷺ فوجدته قد سبقني إلى المسجد فجئت فوقفت وراءه فافتتح سورة الحاقة فلما سمعت سرد القرآن، قلت في نفسي إنه لشاعر كما يقول قريش حتى بلغ إلى قوله: **﴿إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون تنزيل من رب العالمين﴾** ثم مر حتى انتهى إلى آخر السورة فأدخل الله في قلبي الإسلام.

تمت سورة الحاقة بعون الله تعالى في السابع عشر من شهر رمضان
من شهور سنة ست عشرة ومائة وألف

٧٠ ـ سورة المعارج

أربع وأربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ① لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ② مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ③ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ④﴾.

﴿**سأل سائل بعذاب واقع**﴾ من السؤال بمعنى الدعاء والطلب يقال دعا بكذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ﴾ [الدخان: ٥٥] أي: يطلبون في الجنة كل فاكهة والمعنى دعا داع بعذاب واقع نازل لا محالة سواء طلبه أو لم يطلبه أي استدعاه وطلبه ومن التوسعات الشائعة في لسان العرب حمل النظير على النظير وحمل النقيض على النقيض فتعدية سأل بالباء من قبيل التعدية بحمل النظير على النظير فإنه نظير دعا وهو يتعدى بالباء لا من قبيل التعدية بالتضمين بأن ضمن سأل معنى دعا فعدي تعديته كما زعمه صاحب «الكشاف» لأن فائدة التضمين على ما صرح به ذلك الفاضل في تفسير سورة النحل إعطاء مجموع المعنيين ولا فائدة في الجمع بين معنى سأل ودعا، لأن أحدهما يغني عن الآخر، والمراد بهذا السائل على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما واختاره الجمهور هو النضر بن الحارث من بني عبد الدار حيث قال إنكاراً واستهزاء: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ㉜﴾ [الأنفال: ٣٢] وصيغة الماضي وهو واقع دون سيوقع للدلالة على تحقق وقوعه إما في الدنيا وهو عذاب يوم بدر فإن النضر قتل يومئذٍ صبراً وإما في الآخرة وهو عذاب النار وعن معاوية أنه قال لرجل من أهل سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله عليه السلام، حين دعاهم إلى الحق إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ولم يقولوا إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له، وقيل السائل هو الرسول عليه السلام، استعجل بعذابهم وسأل أن يأخذهم الله أخذاً شديداً ويجعله سنين كسني يوسف وإن قوله تعالى: ﴿**سأل سائل**﴾ حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقوله تعالى ﴿مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [يونس: ٤٨] ونحوهما إذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النضر فالسؤال بمعناه وهو التفتيش والاستفسار لأن الكفرة كانوا يسألون النبي عليه السلام، وأصحابه إنكاراً واستهزاء عن وقوعه وعلى من ينزل ومتى ينزل والباء بمعنى عن كما في قوله تعالى ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] أي فاسأل عنه لأن الحروف العوامل يقوم بعضها مقام بعض باتفاق العلماء وعن الإمام الواحدي أن الباء في بعذاب زائدة للتأكيد كما في قوله تعالى:

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ [مريم: ٢٥] أي عذاباً واقعاً كقولك سألته الشيء وسألته عن الشيء.

﴿للكافرين﴾ أي: عليهم فاللام بمعنى على كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ﴾ [الإسراء: ٧] فلها أي فعليها أو بهم فاللام بمعنى الباء على ما ذهب بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [البينة: ٥] أي: بأن يعبدوا الله أو على معناه أي نازل لأجل كفرهم ومتعلقه على التقادير الثلاثة هو واقع قال بعض العارفين بهذا وصف أهل الأمل والظن الكاذب الذين يظنون أنهم يتركون في قبائح أعمالهم وهم لا يعذبون. ﴿ليس له﴾ أي لذلك العذاب ﴿دافع من الله﴾ أي من جهته تعالى إذا جاء وقته وأوجبت الحكمة وقوعه ﴿ذي المعارج﴾ صفة لله لأنه من الأسماء المضافة مثل فالق الإصباح وجاعل الليل سكناً ونحوهما والمعارج جمع معرج بفتح الميم هنا بمعنى مصعد وهو موضع الصعود، قال الراغب: العروج ذهاب في صعود والمعارج المصاعد ومعنى ذي المعارج بالفارسية خداوند درجهاى بلند است.

والمراد الأفلاك التسعة المرتبة بعضها فوق بعض وهي السماوات السبع والكرسي والعرش ﴿تعرج الملائكة﴾ المأمورون بالنزول والعروج دون غيرهم من المهيمين ونحوهم لأن من الملائكة من لا ينزل من السماء أصلاً ومنهم من لا يعرج من الأرض قطعاً ﴿والروح﴾ أي جبريل أفرده بالذكر لتميزه وفضله كما في قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القدر: ٤] فقد ذكر مع نزولهم في آية وعروجهم في أخرى ﴿إليه﴾ أي يعرجون من مسقط الأمر إلى عرشه وإلى حيث تهبط منه أوامره كقول إبراهيم عليه السلام، ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩] أي إلى حيث أمرني ربي بالذهاب إليه فجعل عروجهم إلى العرش عروجاً إلى الرب لأن العرش مجلى صفة الرحمانية فمنه تبتدأ الأحكام وإلى حيث شاء الله تعالى تهبط الملائكة بأعمال بني آدم إلى الله تعالى والروح إليها ناظر في ذلك المشهد.

في يوم متعلق بتعرج كإلى ﴿كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ مما يعده الناس كما صرح به قوله تعالى: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥] وقوله: ﴿خمسين﴾ خبر كان وهو من باب التشبيه البليغ والأصل كمقدار مدة خمسين ألف سنة.

واعلم أن تحقيق هذه الآية يستدعي تمهيد مقدمة وهي أن البروج اثنا عشر على ما أفاده هذا البيت وهو قوله:

چون حمل چون ثور وچون جوزا وسرطان وأسد
سنبله ميزان وعقرب قوس وجدي ودلو وحوت

وكان مبدأ الدولة العرشية من الميزان ومنه إلى الحوت أوجد الله فيه الأرواح السماوية والصور الأصلية الكلية المتعينة في جوف العرش ولكل برج يوم مخصوص به ومدة هذه البروج الستة وهي الميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت أحد وعشرون ألف سنة ومن الحمل إلى برج السنبلة في الحكم خمسون ألف سنة ومدة دور السنبلة سبعة آلاف سنة وهي الآخرة وفي أول هذه الدورة التي هي دور السنبلة بموجب الأمر الإلهي الموحى به هناك ظهر النوع الإنساني وبعث نبينا عليه السلام في الألف الآخر من السبعة وفي الأجزاء البرزخية بين أحكام دور السنبلة ودور الميزان المختص بالآخرة فإنه إذا تم دور البروج الاثني عشر ينتقل الحكم إلى الميزان وهو زمان القيامة الكبرى فأخذنا كفة الألف الأولى للدنيا في الدولة المحمدية والكفة الأخرى للآخرة والحشر أي أخذنا النصف الأول من ألف الميزان الثاني لهذه

النشأة والنصف الأخير منه للنشأة الآخرة ولهذا استقرت الأخبار في قيام الساعة وامتدادها إلى خمسمائة سنة بعد الألف وهي النصف الأول من الألف الثاني من الميزان الثاني ولم يتجاوز حد الدنيا ذلك عند أحد من علماء الشريعة فبعث النبي عليه السلام، في زمان امتزاج الدنيا بالآخرة كالصبح الذي هو أول النهار المشرع ومنه إلى طلوع الشمس نظراً لزمان الذي هو من المبعث إلى قيام الساعة فكما يزداد الضوء بعد طلوع الفجر بالتدريج شيئاً بعد شيء كذلك ظهور أحكام الآخرة من حين المبعث يزداد إلى زمان طلوع الشمس من مغربها كما أشار عليه السلام إليه بقوله «بعثت أنا والساعة كفرسي رهان» وبقوله «لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل عذبة سوطه وحتى يحدثه فخذه بما يصنع أهله بعده» وكذا يسمع جمهور الناس في آخر الزمان نطق الجمادات والنباتات والحيوانات على ما ورد في الأخبار الصحيحة فلليوم مراتب وأحكام.

فيوم كالآن وهو أدنى ما يطلق عليه الزمان ومنه يمتد الكل وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] فسمي الزمن الفرد يوماً لأن الشأن يحدث فيه وهو أصغر الأزمان وأدقها والساري في كل الأدوار سريان المطلق في المقيد.

ويوم كألف سنة وهو اليوم الإلهي ويوم الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ [الحج: ٤٧] وقال: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة: ٥].

ويوم كخمسين ألف سنة وإلى ما لا يتناهى كيوم أهل الجنة فلا حد لأكبر الأيام يوقف عنده فهذا اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة هو يوم المعراج ويوم القيامة أيضاً.

درفتوحات آورده كه هراسمى را ازاسماء الهيه روزيست خاص كه تعلق بدوداردودر قرآن در روزاز إنها مذكوراست يوم الرب كه هزار سالست ويوم ذي المعارج كه پنجاه هزار سالست.

وكل ألف سنة دورة واحدة تقع فيها القيامة الصغرى لأهل الدنيا بتبديل الأحكام والشرائع وأنواع الهياكل والنفوس وكل سبعة آلاف سنة دورة لنوع خاص كالإنسان وكل خمسين ألف سنة دورة أيضاً تقع فيها القيامة الكبرى فيفنى العالم وأهله وكان عروج الملائكة من الأرض إلى السماء ونزولهم من السماء إلى الأرض لإجراء أحكام الله وإنفاذ أمره في مدة البروج الستة الآخر التي هي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة وهي خمسون ألف سنة كما سبق.

وعند العارفين يطلق على نزول الملائكة العروج أيضاً وإن كانت حقيقة العروج إنما هي لطالب العلو وذلك لأن لله تعالى في كل موجود تجلياً ووجهاً خاصاً به يحفظه فنزول الملائكة وعروجهم دائماً إلى الحق لعدم تحيز وكل ما كان إليه فهو عروج وإن كان في السفليات لأنه هو العلي الأعلى فهو صفة علو على الدوام وجعلت أجنحة الملائكة للهبوط عكس الطائر عبرة ليعرف كل موجود عجزه وعدم تمكنه من تصرفه فوق طاقته التي أعطاها الله له فالملائكة إذا نزلت نزلت بجناحها وإذا علت علت بطبعها والطيور بالعكس فاعلم ذلك وكذلك يكون عروجهم ونزولهم أي يقع في اليوم الطويل الذي هو يوم القيامة لإجراء أحكام الله على ما شاء وإنفاذ أمره على مقتضى علمه وحكمته وهو مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا ودل على مدة هذا اليوم قوله عليه السلام: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم»، أي مرة ثانية ليشتد حرها

«فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له» أي لكيه إلى نار جهنم «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة» أي إن لم يكن له ذنب سوء أو كان ولكن الله عفا عنه «وإما إلى النار» أي إن كان على خلاف ذلك رواه مسلم.

وروي أن للقيامة خمسين موقفاً يسأل العبد في كل منها عن أمر من أمور الدين فإن لم يقدر على الجواب وقف في كل موقف بمقدار اليوم الإلهي الذي هو ألف سنة ثم لا ينتهي اليوم إلى ليل أي يكون وقت أهل الجنة كالنهار أبداً ويكون زمان أهل النار كالليل أبداً إذ كما لا ظلمة لأهل لنور كذلك لا نور لأهل الظلمة وفيه تذكير للعاقل على أن يوم القيامة إذا كان أوله مقدار خمسين ألف سنة فماذا آخره ثم هذا الطول في حق الكافر والعاصي لا المؤمن والمطيع لما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قيل لرسول الله عليه السلام ما أطول هذا اليوم فقال عليه السلام: «والذي نفسي بيده إنه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا» وفي التمثيل بالصلاة إشارة إلى وجه آخر لسر المعدد وهو أن الكافر أضاع الصلاة وهي في الأصل خمسون صلاة فكأنه عذب بكل واحدة منها ألف سنة، ولهذا السر يكلف يوم القيامة بالسجود لا بغيره ولا يلزم من وجود هذا اليوم بهذا الطول ومن عروج الملائكة في أثنائه إلى العرش أن يكون ما بين أسفل العالم وأعلى سرادقات العرش مسيرة خمسين ألف سنة لأن المراد بيان طول اليوم عروج الملائكة ونزولهم في مثل هذا اليوم إلى العرش ومنه لتلقي أمره وتبليغه إلى محله مراراً وكراراً لا بيان طول المعارج لأن ما بين مركز الأرض ومقعر السماء مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة من السماوات السبع كذلك فيكون المجموع تسعة آلاف إلى العرش أي بالمنظر الظاهري وإلا فهي أزيد من ذلك بل من كل عدد متصور كما ستجيء الإشارة إليه وقول من قال جعل ما بين الكرسي والعرش كما بين غيرهما غير موجه لما في الحديث الصحيح: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض» فيكون بين الكرسي الذي هو صحن الجنة وبين العرش الذي هو سقف الجنة خمسمائة سنة مائة مرة أولها من أرض الكرسي إلى الدرجة السافلة من العرش فيكون المجموع مقدار خمسين ألف سنة تأمل تعرف أن كلامه ليس بصحيح من وجوه الأول أن المراد في هذا المقام بيان الطول من أسفل العالم إلى أعلاه وأنه مقدار خمسين ألف سنة لا من صحن الجنة إلى سقفها لأنه على ما ذكره من المسافة بين العرشين يزيد على ذلك المقدار وبالنظر إلى أسفل العالم زيادة بينة فلا يحصل المقصود.

والثاني أن مراد النبي عليه السلام، من التمثيل بما بين السماء والأرض ليس التحديد بل بيان مجرد السعة وطول الامتداد بما لا يعرفه إلا الله كما يقتضيه المقام والثالث أن الحديث الذي أورده لا يدل على أن نهاية الدرجة الأخيرة من تلك الدرجات منتهية إلى الدرجة السافلة من العرش بل هو ساكت عنه فيجوز أن يكون المقدار أزيد مما ذكره لأن طبقات المجاهدين متفاوتة على أن سقف الجنة وإن كان هو عرش الرحمن لكن المراد به ذروته وهي التي ينتهي دونها عالم التركيب وهي موضع قدم النبي عليه السلام ليلة المعراج وما بين أسفل الجنة من محدب الكرسي إلى أعلاها من تلك الذروة التي هي محدب العرش لا حد له يعرف على ما سيجيء في سورة الأعلى إن شاء الله تعالى فإذا تحققت هذا البيان الشافي في الآية الكريمة وهو الذي أشار إليه الحكماء الإلهية فدع عنك القيل والقال الذي قرره أهل المراء والجدال فمنه أن

قوله ﴿في يوم﴾ بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في ذلك لكان ذلك الزمان مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا انتهى وفيه أن كونه محمولاً على التمثيل إنما يظهر إذا فسرت المعارج بغير السماوات وهو خلاف المقصود ومنه أن معناه تعرج الملائكة والروح إلى عرشه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة أي يقطعون في يوم من أيام الدنيا ما يقطعه الإنسان في خمسين ألف سنة لو فرض ذلك القطع وذلك لغاية سرعتهم وقوتهم على الطيران وبالفارسية اكر يكى ازبنى آدم خواهدكه سير كنداز دنيا تا آنجا كه محل امر ملائكة است وايشان بيكروز ميررند او بدين مقدار سال تواند رفت انتهى.

وفيه أن سير الملائكة لحظي فيصلون من أعلى الأوج إلى أسفل الحضيض في آن واحد فتقدير سيرهم باليوم المعلوم في العرف غير واضح ومنه أن اليوم في الآية عبارة عن أول أيام الدنيا إلى انقضائها وأنها خمسون ألف سنة لا يدري أحد كم مضى وكم بقي إلا الله تعالى انتهى وفيه أن أيام الدنيا تزيد على ذلك زيادة بينة كما لا يخفى على أهل الأخبار وعندي أنها ثلاثمائة وستون ألف سنة بمقدار أيام السنة دل عليه قولهم إن عمر الإنسان جامعة من جمع الآخرة وقد أسفلناه في موضعه ومنه أن المراد باليوم هو يوم من أيام الدنيا يعرج فيه الأمر من منتهى أسفل الأرضين إلى منتهى أعلى السماوات ومقدار ذلك اليوم خمسون ألف سنة وأما اليوم الذي مقداره ألف سنة كما في سورة ألم السجدة فباعتبار نزول الأمر من السماء إلى الأرض وباعتبار عروجه من الأرض إلى السماء فللنزول خمسمائة وكذا للصعود والمجموع ألف وفيه أنه زاد في الطنبور نغمة أخرى حيث اعتبر العروج من أسفل الأرضين ليطول المسافة وظاهر أنه لا يتم المقصود بذلك ومنه أن المراد تصعد الحفظة بأعمال بني آدم كل يوم إلى محلي قربته وكرامته وهو السماء في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من سني الدنيا لو صعد فيه غير الملك لأن الملك يصعد من منتهى أمر الله من أسفل السفل إلى منتهى أمره من فوق السماء السابعة في يوم واحد ولو صعد فيه بنو آدم لصعدوا في خمسين ألف سنة انتهى وفيه ما في السابق من تقدير اليوم في حق الملائكة مع أن قصر الصعود على الصعود بمجرد العمل قصور لأنه شأن الملائكة الحافظين والآية مطلقة عامة لهم ولغيرهم من المدبرات ومنه أن قوله: ﴿في يوم﴾ متعلق بواقع على أن يكون المراد به يوم القيامة والمعنى يقع العذاب في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سني الدنيا فتكون جملة قوله ﴿تعرج الملائكة﴾ معترضة بين الظرف ومتعلقه انتهى، وفيه أنه من ضيق العطن لأنه لا مانع من إرادة يوم القيامة على تقدير تعلقه بتعرج أيضاً على ما عرف من تقديرنا السابق فإن قلت لماذا وصف الله ذاته في مثل هذا المقام بذي المعارج؟ قلت للتنبيه على أن عروج الملائكة على مصاعد الأفلاك ونزولهم منها إنما هو للأمر الإلهي كما قال تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] ومن أمره إيصال اللطف إلى أوليائه وإرسال القهر على أعدائه ففيه تحذير للكفار من عقوبة السماء النازلة بواسطة الملائكة كما وقعت للأمم الماضية المكذبة وزجر لهم عما يؤدي إلى المحاسبة الطويلة يوم القيامة هذا ما تيسر لي في هذا المقام والعلم عند الله العلام.

وفي «التأويلات النجمية»: في ذي المعارج أي يصعد بتعذيب أهل الشهوات واللذات مرتبة فوق مرتبة ومصعداً فوق مصعد من معرج نفوسهم إلى معرج قلوبهم ومنه إلى معرج

سرهم ومنه إلى معرج روحهم يعذبهم في كل مرتبة عذاباً أشد من أول وفي قوله تعالى: ﴿تعرج﴾ الخ أي تعرج الخواطر الروحانية خصوصاً خاطر جبريل الروح في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من أيام الله وهي أيام السماء التي تحت حيطة الله الاسم الجامع فافهم.

قال القاشاني: ذي المعارج أي المصاعد وهي مراتب الترقي من مقام الطبائع إلى مقام المعادن بالاعتدال ثم إلى مقام النبات ثم إلى الحيوان ثم إلى الإنسان في مدارج الانتقالات المترتبة بعضها فوق بعض ثم في منازل السلوك بالانتباه واليقظة والتوبة والإنابة إلى آخر ما أشار إليه أهل السلوك من منازل اليقين ومناهل القلب في مراتب الفناء في الأفعال في الذات مما لا يحصى كثرة فإن له تعالى بإزاء كل صفة مصعداً بعد المصاعد المتقدمة على مقام والصفات إلى الفناء الفناء في الصفات تعرج الملائكة من القوى الأرضية والسمائية في وجود الإنسان والروح الإنساني إلى حضرته الذاتية الجامعة في القيامة الكبرى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وهو يوم من أيام الله العلي بالذات ذي المعارج العلي وهي الأيام الستة السرمدية من ابتداء الأزل إلى انتهاء الأبد وأما اليوم المقدر بألف سنة في قوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] فهو يوم من أيام الرب المدبر الذي وقت به العذاب وإنجاز الوعد في قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج: ٤٧] والتدبير في قوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة: ٥] وذلك اليوم الأخير من الأسبوع الذي هو مدة الدنيا المنتهية بنبوة الخاتم ﷺ والذي قال فيه: «إن استقامت أمتي فلها يوم وإن لم تستقم فلها نصف يوم» مع قوله: «بعثت أنا والساعة كهاتين» فهذا يوم من أيام الربوبية والتدبير وأما اليوم الذي هو من الأيام الألوهية فهو مقدار ابتداء الربوبية بأسماء الله الغير المتناهية التي تندرج معها لا تناهيها في الأسماء السبعة وهي الحي العالم القادر المريد السميع البصير المتكلم ولكل من هذه السبعة ربوبية مطلقة بالنسبة إلى ربوبيات الأسماء المندرجة تحته ومقيدة بالنسبة إلى ربوبية كل واحد من أخواته إلى انتهائها بالتجلي الذاتي، وكما أن هذا اليوم المذكور سبع من أيام الدنيا فمدة الدنيا سبع من ذلك اليوم الإلهي الحاصل من ضرب أيام الدنيا في عدد أسماء الربوبية وهي تسع وأربعون سنة وآخره أول الخمسين الذي هو يوم واحد من أيام الله وهو يوم القيامة الكبرى.

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦﴾

﴿فاصبر﴾ يا محمد ﴿صبراً جميلاً﴾ لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله فإن العذاب يقع في هذه المدة المتطاولة التي تعرج فيها الملائكة والروح وعن الحسن الصبر الجميل هو المجاملة في الظاهر، وعن ابن بحر انتظار الفرج بلا استعجال وهو متعلق بسأل لأن السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحي وذلك مما يضجره عليه السلام، أو كان عن تضجر واستبطاء للنصر والمعونة.

﴿إنهم﴾ أي: أهل مكة ﴿يرونه﴾ أي: العذاب الواقع أي يزعمونه في رأيهم. ﴿بعيداً﴾ أي: يستبعدونه بطريق الإحالة كما كانوا يقولون ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ [المؤمنون: ٨٢] الآية ﴿مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] فلذلك يسألون به وسبب استبعادهم عدم علمهم باستحقاقهم إياه يقول المرء لخصمه هذا بعيد رداً لوقوعه وإمكانه

﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾

﴿ونراه﴾ أي: نعلمه **﴿قريباً﴾** لعلمنا باستحقاقهم إياه بحسب استعدادهم أي هيناً في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعد هو البعد من الإمكان وبالقرب هو القرب منه وقال سهل رحمه الله إنهم يرون المقضي عليهم من الموت والبعث والحساب بعيداً لبعد آمالهم ونراه قريباً فإن كل كائن قريب والبعيد ما لا يكون وفي الحديث: «ما الدنيا فيما مضى وما بقي إلا كثوب شق باثنين وبقي خيط واحد ألا وكان ذلك الخيط قد انقطع» قال الشاعر:

هل الدنيا وما فيها جميعاً ... سوى ظل يزول مع النهار
ما هجو سافريم درزيد درخت ... جون سايه برفت زود بردار درخت
ومن عجب الأيام أنك قاعد ... على الأرض في الدنيا وأنت تسير
فسيرك يا هذا كسير سفينة ... بقوم قعود والقلوب تطير

﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ وهو ههنا خبث الحديد ونحوه مما يذاب على مهل وتدريج أو دردي الزيت لسيلانه على مهل لثخانته، وعن ابن مسعود كالفضة المذابة في تلونها أو كالقير والقطران في سوادهما ويوم متعلق بقريباً أي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم، أي يظهر إمكانه وإلا فنفس الإمكان لا اختصاص له بوقت أو متعلق بمضمر مؤخر أي يوم تكون السماء كالمهل يكون من الأحوال والأهوال ما لا يوصف.

﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ العهن الصوف المصبوغ قال تعالى: ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] وتخصيص العهن لما فيه من اللون كما ذكر في قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧] والمعنى وتكون الجبال كالصوف المصبوغ ألواناً لاختلاف ألوان الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فإذا بست وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح، قال في «كشف الأسرار»: أول ما تتغير الجبال تصير رملاً مهيلاً ثم عهناً منفوشاً ثم تصير هباء منثوراً.

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾﴾

﴿ولا يسأل حميم حميماً﴾ أي لا يسأل قريب قريباً عن أحواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما شغله عن ذلك وإذا كان الحال بين الأقارب هكذا فكيف يكون بين الأجانب والتنكير للتعميم **﴿يبصرونهم﴾** استئناف كأنه قيل لعله لا يبصره فكيف يسأل عن حاله فقل يبصرونهم والضمير الأول لحميم أول والثاني للثاني وجمع الضميرين لعموم الحميم لكل حميمين لا لحميمين اثنين قال في «تاج المصادر» التبصير بينا كردن.

والتعريف والإيضاح ويعدى إلى المفعول الثاني بالباء وقد تحذف الباء وعلى هذا يبصرونهم انتهى. يعني عدي يبصرونهم بالتضعيف إلى ثان وقام الأول مقام الفاعل والشائع المتعارف تعديته إلى الثاني بحرف الجر يقال بصرته به وقد يحذف الجار وإذ نسبت الفعل للمفعول به حذفت الجار وقلت بصرت زيداً وما في الآية من هذا القبيل والمعنى يبصر الاحماء الاحماء يعني بينا كرده شونديشان بخويشان خود.

فلا يخفون عليهم ولا يمنعهم من التساؤل إلا تشاغلهم بحال أنفسهم وليس في القيامة

مخلوق إلا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل أباه وأخاه وأقرباءه وعشيرته ولكن لا يسأله ولا يكلمه لاشتغاله بما هو فيه. قال ابن عباس رض الله عنهما: يتعارفون ساعة ثم يتناكرون.

﴿يود المجرم﴾ أي يتمنى الكافر وقيل كل مذنب ﴿لو﴾ بمعنى التمني فهو حكاية لودادتهم ﴿يفتدي﴾ فدادهد.

وهو حفظ الإنسان عن التائبة بما يبذل عنه ﴿من عذاب يومئذٍ﴾ أي: من العذاب الذي ابتلوا به يوم إذا كان الأمر ما ذكر وهو بكسر الميم لإضافة العذاب إليه وقرىء يومئذٍ بالفتح على البناء للإضافة إلى غير متمكن ﴿ببنيه﴾ أصله بنين سقطت نونه بالإضافة وجمعه لأن كثرتهم محبوبة مرغوب فيها. ﴿وصاحبته﴾ زوجته التي يصاحبها ﴿وأخيه﴾ الذي كان ظهيراً له ومعيناً والجملة استئناف لبيان أن اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ إلى حيث يتمنى أن يفتدى بأقرب الناس إليه وأعلقهم بقلبه ويجعله فداء لنفسه حتى ينجو هو من العذاب فضلاً عن أن يهتم بحاله ويسأل عنها كأنه قيل كيف لا يسأل مع تمكنه من السؤال فقيل يود الخ.

﴿وفصيلته﴾ وهي في الأصل القطعة المفصولة من الجسد وتطلق على الآباء الأقربين وعلى الأولاد لأن الولد يكون مفصولاً من الأبوين فلما كان الولد مفصولاً منهما كانا مفصولين منه أيضاً فسمي فصيلة لهذا السبب والمراد بالفصيلة في الآية هو الآباء الأقربون والعشيرة الأدنون لقوله وبنيه ﴿التي تؤويه﴾ أوى إلى كذا انضم إليه وآواه غيره كما قال تعالى: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾ [يوسف: ٦٩] أي ضمه إلى نفسه فمعنى تؤويه تضمه إليها في النسب أو عند الشدائد فيلوذ بها وبالفارسية وخويشان خودراكه جاي داده اندارورا دردنيانزد خود يعني پناكاه وى بوده اند.

﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ۝١٨﴾.

﴿ومن في الأرض جميعاً﴾ من الثقلين والخلائق ومن للتغليب ﴿ثم ينجيه﴾ عطف على يفتدى أي يود لو يفتدى ثم ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الإنجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعاً تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات أن ينجيه وفيه إشارة إلى مجرم الروح المنصبغ بصبغة النفس فإنه يود أن يفتدى من هول عذاب يوم الفراق والاحتجاب ببني القلب وصفاته وصاحبة نفسه وأخي سره وفصيلته أي توابعه وشيعته ومن في أرض بشريته جميعاً من القوى الروحانية والجسمانية ثم ينجيه هذا الافتداء ولا ينفعه لفساد الاستعداد وفوات الوقت.

﴿كلا﴾ ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع إنجاء الافتداء أي لا يكون كما يتمنى فإنه بهيئته الظلمانية الحاصلة من الإجرام استحق العذاب فلا ينجو منه، وفي الحديث يقول الله: «لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول نعم، فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي» وعن القرطبي أن كلا يكون بمعنى الردع وبمعنى حقاً وكلا الوجهين جائزان هنا فعلى الثاني يكون تمام الكلام ينجيه فيوقف عليه ويكون كلا من الجملة الثانية التي تليه والمحققون على الأول ومن ذلك وضع السجاوندي علامة الوقف المطلق على كلا ﴿إنها﴾ أي النار المدلول عليها بذكر العذاب والمراد جهنم ﴿لظى﴾ وهو علم للنار وللدرك الثاني منها منقول من اللظى بمعنى

اللهب الخالص الذي لا يخالطه دخان فيكون في غاية الإحراق لقوة حرارته النارية بالصفاء وهو خبر إن بمعنى مسماة بهذا الاسم ويجوز أن يراد اللهب الخالص على الأصل فيكون خبراً بلا تأويل.

كما قال الكاشفي: بدرستى كه آتش دوزخ كه مجرم ازوفدا دهد زبانه ايست خالص.

وفي «كشف الأسرار»: آن آتشى است زبانه زن.

﴿نزاعة للشوى﴾ نزع الشيء جذبه من مقره وقلعه والشوى الأطراف أي الأعضاء التي ليست بمقتل كالأيدي والأرجل ونزاعة على الاختصاص للتهويل أي أعني بلظى جذابة للأعضاء الواقعة في أطراف الجسد وقلاعة لها بقوة الإحراق لشدة الحرارة ثم تعود كما كانت وهكذا أبداً والشوى جمع شواة، وهي جلدة الرأس يعني أن النار تنزع جلود الرأس وتقشرها عنه وذلك لأنهم كانوا يسعون بالأطراف للأذى والجفاء ويصرفون عن الحق الأعضاء الرئيسة التي تشتمل عليها الرأس خصوصاً العقل الذي كانوا لا يعقلون به في الرأس.

﴿تدعو من أدبر﴾ أي: عن الحق ومعرفته وهو مقابل أقبل ومعنى تدعو تجذب إلى نفسها وتحضر فهو مجاز عن إحضارهم كأنها تدعوهم فتحضرهم.

قال الكاشفي: زبنه ميزند وكافر رابخود ميكشد ازصد ساله ودويست ساله راه چنانچه مقناطيس آهن راجذب ميكند.

وتقول لهم إلي إلي يا كافر ويا منافق ويا زنديق فإني مستقرك أو تدعو الكافرين والمنافقين بلفظ فصيح بأسمائهم ثم تلتقطهم كالتقاط الطير الحب ويجوز أن يخلق الله فيها كلاماً كما يخلقه في جلودهم وأيديهم وأرجلهم وكما خلقه في الشجرة أو تدعو زبانيتها على حذف المضاف أو على الإسناد المجازي حيث أسند فعل الداعي إلى المدعو إليه. ﴿وتولى﴾ أي: أعرض عن الطاعة لأن من أعرض يولي وجهه وفي «التأويلات النجمية»: من أدبر عن التوجه إلى الحق بموافقات الشريعة ومخالفات الطبيعة وتولى عن الإقبال على الآخرة والإدبار عن الدنيا. وقال القاشاني: بمناسبة نفسه للجحيم انجر إليها إذ الجنس إلى الجنس يميل ولظى نار الطبيعة السفلية ما استدعت إلا المدبر عن الحق المعرض عن جناب القدس وعالم النور المقبل بوجهه إلى معدن الظلمة المؤثر لمحبة الجواهر الفانية السفلية المظلمة فانجذب بطبعه إلى مواد النيران الطبيعية واستدعته وجذبته إلى نفسها للجنسية فاحترق بنارها الروحانية المستولية على الأفئدة فكيف يمكن الإنجاء منها وقد طلبها بداعي الطبع ودعاها بلسان الاستعداد.

﴿وجمع﴾ المال حرصاً وحباً للدنيا. ﴿فأوعى﴾ فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد زكاته وحقوقه الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وتكبر باقتنائه وذلك لطول أمله وانعدام شفقته على عباد الله وإلا ما ادخر بل بذل وفي جمع الجمع مع الإدبار والتولي تنبيه على قباحة البخل وخساسة البخيل وعلى أنه لا يليق بالمؤمن وفي الخبر يجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج بين يدي الله وهو بالفارسية بره.

فيقول له أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك فما صنعت فيقول رب جمعته وثمرته وتركته أكثر ما كان فأرجعني آتك به كله فإذا هو عبد لم يقدم خيراً فيمضي به إلى النار وفي الخبر بصق عليه السلام يوماً في كفه ووضع عليها أصبعه فقال يقول الله لابن آدم تعجزني وقد خلقتك

من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد يعني زمين را ازتو آواز شديدبود. فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة وفي «التأويلات النجمية»: جمع الكمالات الإنسانية من الأخلاق الروحانية والأوصاف الرحمانية ولم ينفق على الطلاب الصادقين العاشقين والمحبين المشتاقين بطريق الإرشاد والتعليم والتسليك.

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿إن الإنسان﴾ أي جنس الإنسان ﴿خلق﴾ حال كونه ﴿هلوعاً﴾ مبالغ هالع من الهلع وهو سرعة الجزع عند مس المكروه بحيث لا يستمسك وسرعة المنع عند مس الخير يقال ناقة هلواع سريعة السير وهو من باب علم وقد فسره أحسن تفسير على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿إذا﴾ ظرف لجزوعاً ﴿مسه الشر﴾ أي: أصابه ووصل إليه الفقر أو المرض أو نحوهما ﴿جزوعاً﴾ مبالغة في الجزع مكثراً منه لجهله بالقدر وهو ضد الصبر وقال ابن عطاء: الهلوع الذي عند الموجود يرضى وعند المفقود يسخط وفي الحديث «شر ما أعطي ابن آدم شح هالع وجبن خالع» فالهالع المحزن يعني اند وهكين كننده والخالع الذي يخلع قلبه.

قال بعض العارفين: إنما كرهت نفوس الخلق المرض لأنه شاغل لهم عن أداء ما كلفوا به من حقوق الله تعالى إذ الروح الحيواني حين يحس بالألم يغيب عن تدبير الجسد الذي يقوم بالتكليف وإنما لم تكره نفوس العارفين الموت لما فيه من لقاء الله تعالى فهو نعمة ومنة ولذلك ما خير نبي في الموت إلا اختاره.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿وإذا﴾ ظرف لمنوعاً ﴿مسه الخير﴾ أي: السعة أو غيرهما ﴿منوعاً﴾ مبالغاً في المنع والإمساك لجهله بالقسمة وثواب الفضل وللصحة مدخل في الشح فإن الغني قد يعطي في المرض ما لا يعطيه في الصحة ولذا كانت الصدقة حال الصحة أفضل.

ودر لباب از مقاتل نقل ميكندكه هلوع جانوريست درپس كوه قاف كه هرروز هفت صحرا ازكياه خالي ميكند يعني همه حشايش آنرامى خورد وآب هفت دريامى آشامد ودر كرما وسر ما صبر ندارند وهرشب دراندیشهٔ آنست كه فردا چه خواهد خورد پس حق سبحانه وتعالى آدمى را دربي صبري واندیشهٔ روزى بدين دابه تشبيه ميكند.

جانور يراكه بجز آدميست — معده چو پرشد سبب بي غميست
آدميست آنكه نه سيرى برد — برسر سيرى غم روزى خورد
خوردهمه عمر چه بيشت وچه كم — روزىٔ هرروزه زخوان كرم
وزره حرص واملش همچنان — هيچ غمى نيست بجز فكرنان

والأوصاف الثلاثة وهي هلوعاً وجزوعاً ومنوعاً أحوال مقدرة لأن المراد بها ما يتعلق به الذم والعقاب وهو ما يدخل تحت التكليف والاختيار وذلك بعد البلوغ أو محققة لأنها طبائع

جبل الإنسان عليها كما قال المتنبي:

الظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

ولا يلزم أن لا تفارقه بالمعالجات المذكورة في كتب الأخلاق فإنها كبرودة الماء ليست من اللوازم المهيئة للوجود بل إنما حصولها فيه بوضع الله تعالى وخلقه وهو يزيلها أيضاً بالأسباب التي سببها إذا أراد فإن قيل فيلزم أن يكون له هلع حين كان في المهد صبياً قلنا نعم ولا محذور ألا يرى أنه كيف يسرع إلى الثدي ويحرص عى الرضاع ويبكي عند مس الألم ويمنع بما وسعه إذا تمسك بشيء فزوحم فيه قال الراغب: فإن قيل ما الحكمة في خلق الإنسان على مساوي الأخلاق قلنا الحكمة في خلق الشهوة أن يمانع نفسه إذا نازعته نحوها ويحارب شيطانه عند تزيينه المعصية فيستحق من الله مثوبة وجنة انتهى. يعني كما أنه ركب فيه الشهوة ركب فيه العقل الرادع وحصلت الدلالة إلى الصراط السوي من الشارع.

قال بعض العارفين: الشح في الإنسان أمر جبلي لا يمكن زواله ولكن يتعطل بعناية الله تعالى استعماله لا غير فلذلك قال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ [التغابن: ١٦] فأثبت الشح في النفس إلا أن العبد يوقاه بفضل الله وبرحمته وقال ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً﴾ إلخ وأصل ذلك كله أن الإنسان استفاد وجوده من الله فهو مفطور على الاستفادة لا على إفادة فلا تعطيه حقيقته أن يتصدق أو يعطي أحداً شيئاً ولذلك ورد الصدقة برهان يعني دليل أن هذا الإنسان وقي بها شح النفس.

يقول الفقير: وعليه المزاح المعروف وهو أن بعض العلماء وقع في الماء فكاد يغرق فقال له بعض الحاضرين يا سلطاني ناولني يدك فقيل لا تقل هكذا فإنه اعتاد الأخذ لا الإعطاء بل قل خذ بيدي وقال بعضهم: الغضب والشره والحرص والجبن والبخل والحسد وصف جبلي في الإنسان والجان وما كان من الجبلة فمحال أن يزول إلا بانعدام الذات الموصوفة به ولهذا عين الشارع ﷺ لهذه الأمور مصارف فقال: «لا حسد إلا في اثنتين» وأمر بالغضب لله لا حمية جاهلية وقال: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣] ثم مدح من قال: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنبياء: ٦٧] وقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ ثم قال: ﴿وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: ١٧٥] فالكل يستعملون هذه الصفات استعمالاً محموداً وكثير من الفقراء يظنون زوال هذه الصفات منهم حين يعطل الله استعمالها فيهم وليس كذلك.

يقول الفقير: ومنه يعلم صحة قول من قال إن النفس لأمارة بالسوء وإن كانت نفس الأنبياء على ما أسلفناه في سورة يوسف والحاصل أن أصول الصفات باقية في الكل لبقاء المحاربة مع النفس إذ لا يحصل الترقي إلا بالمحاربة والترقي مستمر إلى الموت فكذا المحاربة المبنية على بقاء أصول الصفات فأصل النفس أمارة لكن لا يظهر أثرها في الكاملين كما يظهر في الناقصين فاعلم ذلك قال القاشاني إن النفس بطبعها معدن الشر ومأوى الرجس لكونها من عالم الظلمات فمن مال إليها بقلبه واستولى عليه مقتضى جبلته وخلقته ناسب الأمور السفلية واتصف بالرذائل التي أردأها الجبن والبخل المشار إليهما بقوله ﴿وإذا مسه الشر﴾ إلخ. لمحبة البدن ما يلائمه وتسببه في شهواته ولذاته وإنما كانا أردأ لجذبهما القلب إلى أسفل مراتب الوجود.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى هلع الإنسان المستعد لقبول الفيض الإلهي ساعة

فساعة ولحظة فلحظة وعدم صبره عن بلوغه إلى الكمال فإنه لا يزال في طريق السلوك يتعلق باسم من الأسماء الإلهية ويتحقق به ويتخلق ثم يتوجه إلى اسم آخر إلى أن يستوفي سلوك جميع الأسماء إذا مسه الشر الفترة الواقعة في الطريق يجزع ويضطرب ويتقلقل ولا يعلم أن هذه الفترة الواقعة في طريقه سبب لسرعة سلوكه وموجب لقوة سيره وطيرانه وإذا مسه الخير من المواهب الذاتية والعطايا الاسمائية يمنع من مستحقيه ويبخل على طالبيه.

﴿**إلا المصلين**﴾ استثناء من الإنسان لأنه في معنى الجمع للجنس وهذا الاستثناء باعتبار الاستمرار، أي: أن المطبوعين على الصفات الرذيلة مستمرون عليها إلا المصلين فإنهم بدلوا تلك الطبائع واتصفوا بأضدادها.

﴿**الذين هم**﴾ تقديم هم يفيد تقوية الحكم وتقريره في ذهن السامع كما في قولك هو يعطي الجزيل قصداً إلى تحقيق أنه يفعل إعطاء الجزيل. ﴿**على صلاتهم دائمون**﴾ لا يشغلهم عنها شاغل فيواظبون على أدائها كما روي عن النبي عليه السلام أنه قال أفضل العمل أدومه وإن قل وقالت عائشة رضي الله عنها كان عمله ديمة قدم الصلاة على سائر الخصال لقوله عليه السلام: «أول ما افترض الله على أمتي الصلوات الخمس» وأول ما يرفع من أعمالها الصلوات، وأول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر وإنها آخر ما يجب عليه رعايته فإنه يؤخر الصوم في المرض دون الصلاة إلا أن لا يقدر على التميم والإيماء ولذا ختم الله الخصال بها كما قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المعارج: ٣٤] وكان آخر ما أوصى به عليه السلام الصلاة وما ملكت أيمانكم وفي الآية إشارة إلى صلاة النفس وهي التزكية عن المخالفات الشرعية وصلاة القلب وهي التصفية عن الميل إلى الدنيا وشهواتها وزخارفها وصلاة السر وهي التخلية عن الركون إلى المقامات العلية والمراتب السنية وصلاة الروح وهي بالمكاشفات الربانية والمشاهدات الرحمانية والمعاينات الحقانية وصلاة الخفي وهي بالفناء في الحق والبقاء به فالكمل يداومون على هذه الصلوات ﴿**والذين**﴾ أي وإلا الذين ﴿**في أموالهم حق معلوم**﴾ أي: نصيب معين يستوجبونه على أنفهسم تقرباً إلى الله تعالى وإشفاقاً على الناس من الزكاة المفروضة الموظفة.

﴿**للسائل**﴾ أي: للذي يسأل ومن كان له قوت يوم لا يحل له السؤال وأما حكم الدافع له عالمًا بحاله فكان القياس أن يأثم لأنه إعانة على الحرام لكنه يجعله هبة ولا إثم في الهبة للغني وله أن يرده برد جميل مثل أن يقول آتاكم الله من فضله ﴿**والمحروم**﴾ الذي لا يسأل إما حياء أو توكلاً فيظن أنه غني فيحرم وفيه إشارة إلى أحوال الحقائق والمعارف الحاصلة من رأس مال الأعمال الصالحة والأحوال الصادقة ففيها حق معلوم للسائل وهو المستعد للسلوك والاجتهاد فينبغي أن يفيض عليه ويرشده إلى طلب الحق والمحروم هو المرمي الساقط على أرض العجز بسبب الأهل والعيال والاشتغال بأسبابهم فيسليهم ويطيب قلوبهم برحمة الله وغفرانه ويفيض عليهم من بركات أنفاسه الشريفة لئلا يحرم من كرم الله وفيضه.

﴿**والذين يصدقون بيوم الدين**﴾ أي: بأعمالهم حيث يتعبون أنفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعاً في المثوبة الأخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء فمجرد التصديق بالجنان واللسان وإن كان ينجي من الخلود في النار لكن لا يؤدي إلى أن يكون صاحبه مستثنى من المطبوعين بالأحوال المذكورة، قال القاشاني: والذين يصدقون من أهل

اليقين البرهاني أو الاعتقاد الإيماني بأحوال الآخرة والمعاد وهم أرباب القلوب المتوسطون.

﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ خائفون على أنفسهم مع مالهم من الأعمال الفاضلة استقصاراً لها واستعظاماً لجنابه تعالى (قال الكاشفي) وعلامت ترس إلهي اجتناب از ملاهي ومنا هيست.

وقال الحسن: يشفق المؤمن أن لا تقبل حسناته وتقديم من يحسن أن يكون للحصر امتثالاً لأمره تعالى فارهبون مع جواز أن يكون للتقوية.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿إن عذاب ربهم غير مأمون﴾ كه عذاب خداونديشان نه آنست كه ازان ايمن باشند.

وهو اعتراض مؤذن بأنه لا ينبغي لأحد أن يأمن عذابه تعالى وإن بالغ في الطاعة والاجتهاد بل يكون بين الخوف والرجاء لأنه لا يعلم أحد عاقبته، قال القاشاني: ﴿والذين هم﴾ الخ. أي أهل الخوف من المتبدين في مقام النفس السائرين عنه بنور القلب لا الواقفين معه أو المشفقين من عذاب الحرمان والحجاب في مقام القلب من السالكين أو في مقام المشاهدة من التلوين فإنه لا يؤمن الاحتجاب ما بقيت بقية كما قال ﴿إن عذاب ربهم غير مأمون﴾ ومن العذاب إعجاب المرء بنفسه فإنه من الموبقات الموقعات في عذاب نار الجحيم وجحيم العقاب نسأل الله العافية.

﴿والذين هم لفروجهم﴾ فرج الرجل والمرأة سوءاتهما أي قبلهما عبر به عنها رعاية للأدب في الكلام وأدب المرء خير من ذهبه والجار متعلق بقوله: ﴿حافظون﴾ من الزنى متعففون عن مباشرة الحرام فإن حفظ الفرج كناية عن العفة. ﴿إلا على﴾ بمعنى من كما في كتب النحو ﴿أزواجهم﴾ نسائهم المنكوحات ﴿أو ما ملكت أيمانهم﴾ من الجواري في أوقات حلها كالطهر من الحيض والنفاس ومضي مدة الاستبراء عبر عنهن بما إجراء لهن لمملوكيتهن مجرى غير العقلاء أو لأنوثتهن المنبئة عن القصور وإيراد ما ملكت الأيمان يدل على المراد من الحافظين هنا الذكور وإن كان الحفظ لازماً للإناث أيضاً بل أشد لأنه لازم عليهن على عبيدهن وإن كانوا مما ملكت أيمانهن ترجيحاً لجانب الذكور في صيانة عرضهم. ﴿فإنهم﴾ أي: الحافظين ﴿غير ملومين﴾ على عدم حفظها منهن أي غير معيوبين شرعاً فلا يؤاخذون بذلك في الدنيا والآخرة وبالفارسية بجاي سرزنش نيستند.

وفيه إشعار بأن من لم يحفظ تكفيه ملامة اللائمين فكيف العذاب.

﴿فمن ابتغى﴾ پس هركه طلب كندبراى نفس خود. ﴿وراء ذلك﴾ الذي ذكر وهو الاستمتاع بالنكاح وملك اليمين وحد النكاح أربع من الحرائر ولا حد الملك اليمين ﴿فأولئك﴾ المبتغون ﴿هم العادون﴾ المتعدون لحدود الله الكاملون في العدوان المتناهون لأنه من عدا عليه إذا تجاوز الحد في الظلم ودخل فيه حرمة وطيء الذكران والبهائم والزنى وقيل يدخل فيه الاستمناء أيضاً روي أن العرب كانوا يستمنون في الأسفار فنزلت الآية وفي الحديث «ومن لم يستطع» أي التزوج «فعليه بالصوم» استدل به بعض المالكية على تحريم الاستمناء لأنه عليه السلام أرشد عند العجز عن التزوج إلى الصوم الذي يقطع الشهوة فلو كان الاستمناء مباحاً

لكان الإرشاد إليه أسهل، وقد أباح الاستمناء طائفة من العلماء وهو عند الحنابلة وبعض الحنفية لأجل تسكين الشهوة جائز وفي رواية «الخلاصة»: الصائم إذا عالج ذكره حتى أمنى يجب عليه القضاء ولا كفارة عليه ولا يحل هذا الفعل خارج رمضان إن قصد قضاء الشهوة وإن قصد تسكين شهوته أرجو أن لا يكون عليه وبال وفي بعض «حواشي» البخاري والاستمناء باليد حرام بالكتاب والسنة قال الله تعالى: **﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾** إلى قوله: **﴿فأولئك هم العادون﴾** أي الضالون المتجاوزون من الحلال إلى الحرام، قال البغوي: الآية دليل على أن الاستمناء باليد حرام، قال ابن جريج: سألت ابن عطاء عنه فقال: سمعت أن قوماً يحشرون حبالى وأظنهم هؤلاء عن سعيد بن جبير عذب الله أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم والواجب على فاعله التعزيز كما قال بعضهم: نعم يباح عند أبي حنيفة وأحمد إذا خاف على نفسه الفتنة وكذلك يباح الاستمناء بيد امرأته وجاريته لكن قال القاضي حسين مع الكراهة لأنه معنى العزل وفي التاتارخانية قال أبو حنيفة: أحسبه أن يتجوز رأساً برأس.

يقول الفقير من اضطر إلى تسكين شهوته فعليه أن يدق ذكره بحجر كما فعله بعض الصلحاء المتقين حين التوقان صيانة لنفسه عن الزنى ونحوه والحق أحق أن يتبع وهو العمل بالإرشاد النبوي الذي هو الصوم فإن اضطر فالعمل بما ذكرناه أولى وأقرب من أفعال أهل الورع والتقوى.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ لا يخلون بشيء من حقوقها والأمانة اسم لجنس ما يؤتمن عليه الإنسان سواء من جهة الباري تعالى وهي أمانات الدين التي هي الشرائع والأحكام أو من جهة الخلق وهي الودائع ونحوها والجمع بالنظر إلى اختلاف الأنواع وكذا العهد شامل لعهد الله وعهد الناس وهو ما عقده الإنسان على نفسه لله أو لعباده وهو يضاف إلى المعاهد والمعاهد فيجوز هنا الإضافة إلى الفاعل والمفعول وقال الجنيد قدس سره: الأمانة المحافظة على الجوارح والعهد حفظ القلب مع الله على التوحيد والرعاية القيام على الشيء بحفظه وإصلاحه وقد جعل رسول الله ﷺ الخيانة عند ائتمان والكذب عند التحديث والغدر عند المعاهدة والفجور عند المخاصمة من خصال المنافق.

اكرمي بايد از آتش امانت فرومكذار قانون امانت
بهر عهدي كه مي بندى وفاكن رسوم حق كزارى را اداكن

قال بعض الكبار: كل من اتصف بالأمانة وكتم الأسرار سمع كلام الموتى وعذابهم ونعيمهم كما سمعت البهائم عذاب أهل القبور لعدم النطق وكذلك يسمع من اتصف بالأمانة كلام أعضائه له في دار الدنيا لأنها حية ناطقة ولذلك تستشهد يوم القيامة فتشهد ولا يشهد إلا عدل مرضي بلا شك.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى الأمانة المعروضة على السماوات والأرض والجبال وهي كمال المظهرية وتمام المضاهاة الإلهية وإلى عهد ميثاق ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ورعاية ذلك العهد أن لا يخالفه بالمخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية وقال بعضهم: والذين هم لأماناتهم التي استودعوها بحسب الفطرة من المعارف العقلية وعهدهم الذي أخذ الله

ميثاقه منهم في الأزل راعون بأن لم يدنسوا الفطرة بالغواشي الطبيعية والأهواء النفسانية.

﴿والذين هم بشهاداتهم﴾ الباء متعلق بقوله ﴿قائمون﴾ سواء كانت للتعدية أم للملابسة والجمع باعتبار أنواع الشهادة أي مقيمون لها بالعدل ومؤدونها في وقتها إحياء لحقوق الناس فالمراد بالقيام بالشهادة أداؤها عند الأحكام على من كانت هي عليه من قريب أو بعيد شريف أو وضيع قال عليه السلام: «إذا علمت مثل الشمس فاشهد وإلا فدع» وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الأمانات لإبانة فضلها لأن في إقامتها إحياء الحقوق وتصحيحها، وفي كتمها وتركها تضييعها وإبطالها وفي «الأشباه» إذا كان الحق يقوم بغيرها أو كان القاضي فاسقاً أو كان يعلم أنها لا تقبل جاز الكتمان وفي «فتح الرحمن» تحمل الشهادة فرض كفاية وأداؤها إذا تعين فرض عين ولا يحل أخذ أجرة عليها بالاتفاق فإذا طلبه المدعي وكان قريباً من القاضي لزمه المشي إليه وإن كان بعيداً أكثر من نصف يوم لا يأثم بتخلفه لأنه يلحقه الضرر وإن كان الشاهد يقدر على المشي فأركبه المدعي من عنده لا تقبل شهادته وإن كان لا يقدر فأركبه لا بأس به ويقتصر في المسلم على ظاهر عدالته عند أبي حنيفة رحمه الله إلا في الحدود والقصاص فإن طعن الخصم فيه سأل عنه وقال صاحباه يسأل عنهم في جميع الحقوق سراً وعلانية وعليه الفتوى وجعل بعضهم شهادة التوحيد داخلة فيها كما قال سهل رحمه الله، قائمون بحفظ ما شهدوا به من شهادة أن لا إله إلا الله فلا يشركون به في شيء من الأفعال والأقوال وقال القاشاني في الآية: أي يعملون بمقتضى شاهدهم من العلم فكل ما شهدوه قاموا بحكمه وصدروا عن حكم شاهدهم لا غير.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ تقديم على صلاتهم يفيد الاختصاص الدال على أن محافظتهم مقصورة على صلاتهم لا تتجاوز إلى أمور دنياهم أي يراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها ويحفظونها من الإحباط باقتران الذنوب فالدوام المذكور أولاً يرجع إلى نفس الصلوات والمحافظة إلى أحوالها وفي «المفردات» فيه تنبيه على أنهم يحفظون الصلاة بمراعاة أوقاتها وأركانها والقيام بها في غاية ما يكون من الطوق فإن الصلاة تحفظهم بالحفظ الذي نبه عليه في قوله ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وفي الحديث: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف» وهو الذي ضربه النبي عليه السلام، في غزوة أحد برمح في عنقه فمات منه في طريق مكة وكان أشد وأطغى من أبي جهل دل عليه كونه مقتولاً بيد النبي عليه السلام، ولم يقتل عليه السلام بيده غيره وبعض العلماء جعل المحافظة شاملة للإدامة على ما هو الظاهر من قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فيكون من قبيل التعميم بعد التخصيص لتتميم الفائدة وللإشعار بأن الصلاة أول ما يجب على العبد أداؤه بعد الإيمان وآخر ما يجب عليه رعايته بعده كما سبق.

وكفتم اند دوام تعلق بفرائض دارد ومحافظت بنوافل.

والحاصل: أن في تكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولاً وآخراً باعتبارين للدلالة على فضلها وإنافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات إيذاناً بأن كل واحدة من تلك الصفات حقيق بأن يفرد لها موصوف مستقل لشأنها الخطير ولا يجعل شيء منها تتمة للأخرى، قال بعضهم: دلت هذه الآية على أن التغاير المفهوم من العطف ليس بذاتي بل هو اعتباري إذ لا يخفى أنه ليس المراد من الدائمين طائفة والمحافظين أخرى فالمقصود مدح المؤمنين بما كانوا عليه في عهد رسول الله من الأخلاق الحسنة والأعمال المرضية ففيه ترغيب لمن يجيء منهم إلى يوم القيامة وترهيب عن المخالفة.

قال في «برهان القرآن» قوله ﴿**إلا المصلين**﴾ عد عقيب ذكرهم الخصال المذكورة أول سورة المؤمنين وزاد في هذه السورة ﴿**والذين هم بشهاداتهم قائمون**﴾ لأنه وقع عقيب قوله ﴿**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**﴾ وإقامة الشهادة أمانة يؤديها إذا احتاج إليها صاحبها لإحياء حق فهي إذاً من جملة الأمانة في سورة المؤمنين وخصت هذه السورة بزيادة بيانها كما خصت بإعادة ذكر الصلاة حيث يقول ﴿**والذين هم على صلاتهم يحافظون**﴾ بعد قوله: ﴿**إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون**﴾ انتهى. وقال القاشاني: والذين هم على صلاة القلب وهي المراقبة يحافظون أو صلاة النفس على الظاهر وفي «فتح الرحمن» واتفق القراء على الإفراد في صلاتهم هنا وفي الأنعام بخلاف الحرف المتقدم في المؤمنين لأنه لم يكتنفها فيهما ما كنفها في المؤمنين قبل وبعد من عظيم الوصف المتقدم وتعظيم الجزاء في المتأخر فناسب لفظ الجمع ولذلك قرأ به أكثر القراء ولم يكن ذلك في غيرها فناسب الإفراد ﴿**أولئك**﴾ المصونون بما ذكر من الصفات الفاضلة ﴿**في جنات**﴾ أي مستقرون في جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها ﴿**مكرمون**﴾ بالثواب الأبدي والجزاء السرمدي أي سيكونون كذلك فكأن الإكرام فيها واقع لهم الآن وهو خبر آخر أو هو الخبر وفي جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل أو بمضمر هو حال من الضمير في الخبر أي مكرمون كائنين في جنات ﴿**فمال الذين**﴾ أي فما بال الذين ﴿**كفروا**﴾ وحرموا من الاتصاف بالصفات الجليلة المذكورة وما استفهامية للإنكار في موضع رفع بالابتداء والذين كفروا خبرها واللام الجارة كتبت مفصولة إتباعاً لمصحف عثمان رضي الله عنه، قال في «فتح الرحمن»: وقف أبو عمرو والكسائي بخلاف عنه على الألف دون اللام من قوله فمال هؤلاء في النساء ومال هذا الكتاب في الكهف مال هذا الرسول في الفرقان وفمال الذين في سأل ووقف الباقون في فمال على اللام إتباعاً للخط بخلاف عن الكسائي قال ابن عطية ومنعه قوم جملة لأنها حرف جر فهي بعض المجرور وهذا كله بحسب ضرورة وانقطاع نفس وأما إن اختار أحد الوقف فيما ذكرناه ابتداء فلا انتهى. ﴿**قبلك**﴾ حال من المنوي في للذين كفروا أي فما لهم ثابتين حولك. ﴿**مهطعين**﴾ حال من المستكن في قبلك من الإهطاع وهو الإسراع أي مسرعين نحوك مادي أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك. ﴿**عن اليمين وعن الشمال عزين**﴾ الجار متعلق بعزين لأنه بمعنى مفترقين وعزين حال بعد حال من المنوي في للذين أي فرقاشتى وبالفارسية كروه كروه حلقه زدكان.

جع عزة وهي الفرقة من الناس وأصلها عزوة من العزو بمعنى الانتماء والانتساب كأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى إما في الولادة أو في المظاهرة فهم مفترقون

كان المشركون يتحلقون حول رسول الله حلقاً حلقاً وفرقاً فرقاً ويستهزئون بكلامه ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت.

﴿أيطمع﴾ الطمع نزوع النفس إلى الشيء شهوة له وأكثر الطمع من جهة الهوى **﴿كل امرىء﴾** هرمردى **﴿منهم﴾** أي: من هؤلاء المهطعين **﴿أن يدخل جنة نعيم﴾** بالإيمان أي: جنة ليس فيها إلا التنعم المحض من غير تكدر وتنغص. **﴿كلا﴾** ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ أي اتركوا هذا الطمع واقطعوا مثل هذا الكلام وبالفارسية نه اينچنين است وكافر انرا دربهشت راه نيست آن.

قيل: كيف يكون الطمع وهم قالوا ذلك استهزاء أجيب بأن الله عليم بأحوالهم فلعل منهم من كان يطمع وإلا فيكون المراد من الردع قطع وهم الضعفاء عن احتمال صدق قولهم لعل وجه إيراد يدخل مجهولاً من الأدخل دون يدخل معلوماً من الدخول مع أنه الظاهر في رد قولهم لندخلنها إشعار بأنه لا يدخل من يدخل إلا بإدخال الله وأمره للملائكة به وبأنهم محرومون من شفاعة تكون سبباً للدخول وبأن إسناد الدخول إخباراً وإنشاء إنما يكون للمرضي عنهم والمكرمين عند الله بإيمانهم وطاعتهم كقوله تعالى: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [النساء: ١٢٤] وقوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الزخرف: ٧٠] وفي تنكير جنة إشعار بأنهم مردودون من كل جنة وإن كانت الجنان كثيرة وفي توصيفها بنعيم إشعار بأن كل جنة مملوءة بالنعمة وأن من طرد من راحة النعيم وقع في كدر الجحيم وفي إيراد كل إشعار بأن من آمن منهم بعد قولهم هذا وأطاع الله ورسوله حق له الطمع وتعميم للردع لكل منهم كائناً من كان ممن لم يؤمن **﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾** كما قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الواقعة: ٦٢] وهو كلام مستأنف ومن ذلك وضع السجاوندي علامة الطاء على كلا لتمام الكلام عنده قد سيق تمهيداً لما بعده من بيان قدرته تعالى على أن يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله وبما نزل عليه من الوحي وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشىء بدلهم قوماً آخرين فإن قدرته تعالى على ما يعلمون من النشأة الأولى من حال النطفة ثم العلقة ثم المضغة حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما تفصح عنه الفاء الفصيحة في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ [الانشقاق: ١٦]، وفي «التأويلات النجمية»: إنا خلقناهم من الشقاوة الأزلية للعداوة الأبدية باليد اليسرى الجلالية القهرية كيف ينزلون مكان من خلقهم من السعادة الأزلية للمحبة الأبدية باليد اليمنى الجلالية اللطفية هذا مما يخالف الحكمة الإلهية والإرادة السرمدية ولا عبرة بالنطفة والطين لاشتراك الكل فيهما وإنما العبرة بالاصطفائية والخاصية في المعرفة فمن عرف الله كان في جوار الله لأن ترابه من تراب الجنة في الحقيقة وروحه من نور الملكوت ومن جهله كان في بعد عنه لأنه من عالم النار في الحقيقة وكل يرجع إلى أصله.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ (٤٠) عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ (٤٤)﴾.

﴿فلا أقسم﴾ أي: أقسم كما سبق نظائره.

وقال الكاشفي: فلا پس نه چنانست كه كفار ميكويند اقسم سوكند ميخورم **﴿برب**

المشارق والمغارب﴾ جمع المشارق والمغارب إما لأن المراد بهما مشرق كل يوم من السنة ومغربه فيكون لكل من الصيف والشتاء مائة وثمانون مشرقاً ومغرباً وبالفارسية بآفريدكار مشرقها كه آفتاب دارد وهر روز از نقطهء ديكر طلوع مينمايد وبخداوند مغربها كه آفتاب راهست وهررور بنقطهء ديكر غروب ميكند أو مشرق كل كوكب ومغربه يعني مراد مشارق ومغارب نجومست چه هريك ازايشان را محل شروق وغروب ازدائرة افق نقطهء ديكرست.

أو المراد بالمشرق ظهور دعوة كل نبي وبالمغرب موته أو المراد أنواع الهدايات والخذلانات **﴿إنا لقادرون﴾** جواب القسم. **﴿على أن نبدل خيراً منهم﴾** أي نبدلهم حذف المفعول الأول للعلم به وخيراً مفعوله الثاني بمعنى التفضيل على التسليم إذ لا خير في المشركين أو نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتي بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم ولم يقع هذا التبديل وإنما ذكر الله ذلك تهديداً لهم لكي يؤمنوا وقيل بدل الله بهم الأنصار والمهاجرين. **﴿وما نحن بمسبوقين﴾** بمغلوبين إن أردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوباتهم وبالفارسية يعني كسى برماپيشى نتواندكرفت اكر ارادهء امري كنيم ومغلوب نتوان ساخت در إظهار آن.

وقيل: عاجزين لأن من سبق إلى شيء عجز.

﴿فذرهم﴾ فخلهم وشأنهم **﴿يخوضوا﴾** ويشرعوا في باطلهم الذي من جملته ما حكي عنهم وهو جواب الأمر وهو تهديد لهم وتوبيخ كقوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: ٤٠]. **﴿ويلعبوا﴾** في الدنيا بالاشتغال بما لا ينفعهم وأنت مشتغل بما أمرت به وهذه الآية منسوخة بالسيف **﴿حتى يلاقوا﴾** من الملاقاة بمعنى المعاينة **﴿يومهم﴾** هو يوم البعث عند النفخة الثانية والإضافة لأنه يوم كل الخلق وهم منهم أو لأن يوم القيامة يوم الكفار من حيث العذاب ويوم المؤمنين من جهة الثواب فكأنه يومان يوم للكافرين ويوم للمؤمنين. **﴿الذي يوعدون﴾** الآن أو على الاستمرار وهو من الوعد كقولهم متى هذا الوعد ويجوز أن يكون من الإيعاد وهو بالفارسية بيم كردن.

﴿يوم يخرجون من الأجداث﴾ بدل من يومهم ولذا حمل على يوم البعث جمع جدث وهو القبر. **﴿سراعاً﴾** حال من مرفوع يخرجون جمع سريع كظراف جمع ظريف أي مسرعين إلى جانب الداعي وصوته وهو إسرافيل ينادي على الصخرة كما سبق **﴿كأنهم إلى نصب﴾** حال ثانية من المرفوع وهو كل ما نصب فعبد من دون الله وعن ابن عمر رضي الله عنهما هو شبكة يقع فيها الصيد فيسارع إليها صاحبها واحد الأنصاب كما قال تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣] وكان للعرب حجارة تعبدها وتذبح عليها وقال الأخفش جمع نصب كرهن ورهن والأنصاب جمع الجمع **﴿يوفضون﴾** من الإيفاض وهو بالفارسية شتافتن.

وأصله متعد أي يسرعون أيهم يستمله أولاً وفيه تهجين لحالهم الجاهلية وتهكم بهم بذكر جهالتهم التي اعتادوها من الإسراع إلى ما لا يملك نفعاً ولا ضراً.

﴿خاشعة أبصارهم﴾ حال من فاعل يوفضون وأبصارهم فاعلها على الإسناد المجازي يعني وصفت أبصارهم بالخشوع مع أنه وصف الكل غاية ظهور آثاره فيها، والمعنى ذليلة خاضعة لا يرفعون ما يتوقعون من العذاب **﴿ترهقهم ذلة﴾** هو أيضاً حال من فاعل يوفضون أي

تغشاهم ذلة شديدة وحقارة عظيمة وهو بالفارسية خوارى ونكونسارى. ﴿**ذلك**﴾ اليوم المذكور الذي سيقع فيه الأحوال الهائلة وهو مبتدأ خبره قوله ﴿**اليوم الذي كانوا يوعدون**﴾ أي يوعدونه في الدنيا على ألسنة الرسل وهم يكذبون به فاندفع توهم التكرار لأن الوعد الأول محمول على الآتي والاستمراري كما مر وهذا الوعد محمول على الماضي بدلالة لفظ كان وفي الذلة إشارة إلى ذلة الأنانية فإنهم يوم يخرجون من الأجداث يسارعون إلى صور تناسب هيئاتهم الباطنة فيكون أهل الأنانية في أنكر الصور بحيث يقع المسخ على ظاهرهم وباطنهم كما وقع لإبليس بقوله ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢] فكما أن إبليس طرد من مقام القرب ورهقته ذلة البعد فكذا من في حكمه من الإنس ولذا كان السلف يبكون دماً من الأخلاق السيئة لا سيما ما يشعر بالأنانية من آثار التعيين فإن التوحيد الحقيقي هو أن يصير العبد فانياً عن نفسه باقياً بربه فإذا لم يحصل هذا فقد بقي فيه بقية من الناسوتية وكل إناء يرشح بما فيه فطوبى لمن ترشح منه الحق لا النفس والله أسأل أن يكرمني به وإياكم.

تمت سورة المعارج بعون خالق الداخل والخارج في العاشر من شوال سنة ست عشرة ومائة ألف

٧١ ـ سورة نوح

مكية وآيها سبع أو ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾﴾.

﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ مرّ سر نون العظمة مراراً والإرسال يقابل بالإمساك يكون للتسخير كإرسال الريح والمطر ببعث من له اختيار نحو إرسال الرسل وبالتخلية وترك المنع نحو إنا أرسلنا على الكافرين.

قال قتادة: أرسل نوح من جزيرة فذهب إليهم ونوح اسمه عبد الغفار عليه السلام، سمي نوحاً لكثرة نوحه على نفسه أو هو سرياني معناه الساكن لأن الأرض طهرت من خبث الكفار وسكنت إليه وهو أول من أوتي الشريعة في قول، وأول أولي العزم من الرسل على قول الأكثرين وأول نذير على الشكر وكان قومه يعبدون الأصنام وأول من عذبت أمته وهو شيخ المرسلين بعث ابن أربعين سنة أو ثلاثمائة وخمسين أو أربعمائة وثمانين ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وعاش بعد الطوفان تسعين سنة قال بعض من تصدى للتفسير فيه دلالة على أنه لم يرسل إلى أهل الأرض كلهم لأنه تعالى قال إلى قومه فلو أرسل إلى الكل لقيل إلى الخلق أو ما يشابهه كما قيل لرسول الله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] ولقول رسول الله: «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» ثم قال: إن قيل فما جريمة غير قومه حتى عممهم في الدعاء عليهم كما قال: **﴿لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا﴾** فإنه إذا لم يرسل إليهم لم يكن كلهم مخالفاً لأمره وعاصياً له حتى يستحقوا الدعاء بالإهلاك أجيب بأنه يحتمل أنه تحقق أن نفوس كفرة زمانه على سجية واحدة يستحقون بذلك أن يدعى عليهم بالإهلاك أيضاً انتهى وفيه نظر لأنه قال في «إنسان العيون» في قوله عليه السلام: «وكان كل نبي إنما يرسل إلى قومه» أي جميع أهل زمنه أو جماعة منهم خاصة ومن الأول نوح عليه السلام، فإنه كان مرسلاً لجميع من كان في زمنه من أهل الأرض ولما أخبر بأنه لا يؤمن منهم إلا من آمن معه وهم أهل السفينة وكانوا ثمانين أربعين رجلاً وأربعين امرأة أو كانوا أربعمائة كما في «العوارف» وقد يقال من الآدميين وغيرهم فلا مخالفة دعا على من عدا من ذكر باستئصال العذاب لهم فكان الطوفان الذي كان به هلاك جميع أهل الأرض إلا من آمن ولو لم يكن مرسلاً إليهم ما دعا عليهم بسبب مخالفتهم له في عبادة الأصنام لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ [الإسراء: ١٥] أي في الدنيا حتى نبعث رسولاً وقول بعض المفسرين: أرسل إلى آل قابيل لا ينافي ما ذكر لأنه يجوز أن يكون آل قابيل أكثر أهل الأرض وقتئذٍ.

وقد ثبت أن نوحاً عليه السلام، أول الرسل أي لمن يعبد الأصنام لأن عبادة الأصنام أول ما حدثت في قومه وأرسله الله إليهم ينهاهم عن ذلك، وحينئذٍ لا يخالف كون أول الرسل آدم أرسله الله إلى أولاده بالإيمان به تعالى وتعليم شرائعه فإن قلت إذا كانت رسالة نوح عامة لجميع أهل الأرض كانت مساوية لرسالة نبينا عليه السلام، قلت: رسالة نوح عليه السلام، عامة لجميع أهل الأرض في زمنه ورسالة نبينا محمد عليه السلام عامة لجميع من في زمنه ومن يوجد بعد زمنه إلى يوم القيامة فلا مساواة وحينئذٍ يسقط السؤال وهو أنه لم يبق بعد الطوفان إلا مؤمن فصارت رسالة نوح عامة ويسقط جواب الحافظ ابن حجر عنه بأن هذا العموم الذي حصل بعد الطوفان لم يكن من أصل بعثته بل طرأ بعد الطوفان بخلاف رسالة نبينا عليه السلام.

﴿أن﴾ أي: ﴿أنذر قومك﴾ خوفهم بالنار على عبادة الأصنام كي ينتهوا عن الشرك ويؤمنوا بالله وحده فإن مفسرة لما في الإرسال من معنى القول، ويجوز أن تكون مصدرية حذف منها الجار وأوصل إليها الفعل أي بأن أنذرهم وجعلت صلتها أمراً كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ﴾ [يونس: ١٠٥] لأن مدار وصلها بصيغ الأفعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والإنشائية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف إلا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك وحيث استوى الخبر والإنشاء في الدلالة على المصدر استويا في صحة الوصل بها فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الأمر والنهي والمضي والاستقبال كأنه قيل أرسلناه بالإنذار كذا في «الإرشاد» وقال بعض العارفين الأنبياء والأولياء في درجات القرب على تفاوت فبعضهم يخرج من نور الجلال وبعضهم من نور الجمال وبعضهم من نور العظمة وبعضهم من نور الكبرياء فمن خرج من نور الجمال أورث قومه البسط والأنس ومن خرج من نور العظمة أورث قومه الهيبة والجلال وكان نوح مشكاة نور عظمة الله ولذلك أرسله إلى قومه بالإنذار فلما عصوه أخذهم بالقهر ﴿من قبل أن يأتيهم﴾ من الله تعالى ﴿عذاب أليم﴾ عاجل كالطوفان والغرق أو آجل كعذاب الآخرة لئلا يبقى لهم عذر ما أصلاً كما قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] والأليم بمعنى المؤلم أو المتألم مبالغة والألم جسماني وروحاني والثاني أشد كأنه قيل فما فعل نوح عليه السلام فقيل:

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾﴾

﴿قال﴾ لهم ﴿يا قوم﴾ أي كروه من وأصله يا قومي خاطبهم بإظهار الشفقة عليهم وإرادة الخير لهم وتطبيباً لهم. ﴿إني لكم نذير﴾ منذر من عاقبة الكفر والمعاصي وأفرد الإنذار مع كونه بشيراً أيضاً لأن الإنذار أقوى في تأثير الدعوة لما أن أكثر الناس يطيعون أولاً بالخوف من القهر وثانيا بالطمع في العطاء وأقلهم يطيعون بالمحبة للكمال والجمال.

يقول الفقير: الظاهر أن الإنذار أول الأمر كما قال تعالى لنبينا عليه السلام ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ [المدثر: ٢] والتبشير ثاني الأمر كما قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧] فالإنذار يتعلق

بالكافرين والتبشير بالمؤمنين وإن أمكن تبشير الكفار بشرط الإيمان لا في حال الكفر فإنهم في حال الكفر إنما يستحقون التبشير التهكمي كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق: ٢٤].

﴿مبين﴾ موضح لحقيقة الأمر بلغة تعرفونها أو بين الإنذار.

﴿أن اعبدوا الله﴾ متعلق بنذير أي بأن اعبدوا الله والأمر بالعبادة يتناول جميع الواجبات والمندوبات من أفعال القلوب والجوارح ﴿واتقوه﴾ يتناول الزجر عن جميع المحظورات والمكروهات ﴿وأطيعون﴾ يتناول أمرهم بطاعته في جميع المأمورات والمنهيات والاعتقاديات والعمليات.

وفي «التأويلات النجمية»: أي في أخلاقي وصفاتي وأفعالي وأعمالي وأقوالي وأحوالي انتهى. وهذا وإن كان داخلاً في الأمر بعبادة الله وتقواه إلا أنه خصه بالذكر تأكيداً في ذلك التكليف ومبالغة في تقريره قال بعضهم: أصله وأطيعوني بالياء ولم يقل وأطيعوه بالهاء مع مناسبته لما قبله يعني أسند الإطاعة إلى نفسه لما أن إطاعة الرسول إطاعة الله كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤] فإذا كانوا مأمورين بإطاعة الرسول فكان للرسول أن يقول وأطيعون وأيضاً أن الإجابة كانت تقع له في الظاهر ﴿يغفر لكم﴾ جواب الأمر ﴿من ذنوبكم﴾ أي: بعض ذنوبكم وهو ما سلف في الجاهلية فإن الإسلام يجب ما قبله لا ما تأخر عن الإسلام فإنه يؤاخذ به ولا يكون مغفوراً بسبب الإيمان ولذلك لم يقل يغفر لكم ذنوبكم بطي من التبعيضية فإنه يعم مغفرة جميع الذنوب ما تقدم منها وما تأخر وقيل المراد ببعض الذنوب بعض ما سبق على الإيمان وهو ما لا يتعلق بحقوق العباد ﴿ويؤخركم﴾ بالحفظ من العقوبات المهلكة كالقتل والإغراق والإحراق ونحوها من أسباب الهلاك والاستئصال وكان اعتقادهم أن من أهلك بسبب من هذه الأسباب لم يمت بأجله فخاطبهم على المعقول عندهم فليس يريد أن الإيمان يزيد في آجالهم كذا في بعض التفاسير ﴿إلى أجل مسمى﴾ معين مقدر عند الله والأجل المدة المضروبة للشيء.

قال في «الإرشاد»: وهو الأمد الأقصى الذي قدره الله لهم بشرط الإيمان والطاعة صريح في أن لهم أجلاً آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا به وهو المراد بقوله تعالى: ﴿إن أجل الله﴾ وهو ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر وهو الأجل القريب المطلق الغير المبرم بخلاف الأجل المسمى فإنه البعيد المبرم، وأضيف الأجل هنا إلى الله لأنه المقدر والخالق أسبابه وأسند إلى العباد في قوله إذا جاء أجلهم لأنهم المبتلون المصابون. ﴿إذا جاء﴾ وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر. ﴿لا يؤخر﴾ فبادروا إلى الإيمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التأخير إلى الأجل المسمى فتؤخروا إليه فالمحكوم عليه بالتأخير هو الأجل المشروط بشرط الإيمان والمحكوم عليه بامتناعه هو الأجل المشروط بشرط البقاء على الكفر فلا تناقض لانعدام وحدة الشرط ويجوز أن يراد به وقت إتيان العذاب المذكور في قوله تعالى ﴿من قبل أن يأتيهم عذاب أليم﴾ فإنه أجل موقت له حتماً. ﴿لو كنتم تعلمون﴾ شيئاً لسارعتم إلى ما أمرتكم به أو لعلمتم أن الأجل لا تأخير فيه ولا إهمال وفيه إشارة إلى أنهم ضيعوا أسباب العلم وآلات تحصيله بتوغلهم في حب الدنيا وطلب لذاتهم حتى بلغوا بذلك إلى حيث صاروا كأنهم شاكون في الموت.

روزى كه اجل در آيد ازپيش وپست شك نيست كه مهلت ندهديك نفست

يارى نرسد دران دم از هيچ كست بر باد شود جمله هوا وهوست

﴿قال﴾ أي نوح مناجياً لربه وحاكياً له وهو أعلم بحال ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في تلك المدد الطوال بعد ما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز في الإنذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل ﴿رب﴾ أي پروردكارمن ﴿إني دعوت قومي﴾ إلى الإيمان والطاعة ﴿ليلاً ونهاراً﴾ في الليل والنهار، أي دائماً من غير فتور ولا توان فهما ظرفان لدعوت أراد بهما الدوام على الدعوة لأن الزمان منحصر فيهما، وفي «كشف الأسرار» بشبها درخانهاى ايشان وبروزها در انجمنهاى ايشان.

وكان يأتي باب أحدهم ليلاً فيقرع الباب فيقول صحاب البيت من على الباب فيقول أنا نوح قل لا إله إلا الله.

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝﴾.

﴿فلم يزدهم دعائي إلا فراراً﴾ مما دعوتهم إليه.

وفي «التأويلات النجمية»: من متابعي وديني وما أنا عليه من آثار وحيك، والفرار وبالفارسية كريختن.

وهو مفعول ثانٍ لقوله: ﴿لم يزدهم﴾ لأنه يتعدى إلى مفعولين يقال زاده الله خيراً وزيده فزاد وازداد كما في «القاموس» وإسناد الزيادة إلى الدعاء مع أنها فعل الله تعالى لسببيته لها والمعنى أن الله يزيد الفرار عند الدعوة الصرف لمدعو اختياره إليه.

﴿وإني كلما دعوتهم﴾ أي إلى الإيمان.

وفي «التأويلات النجمية»: كلما دعوتهم بلسان الأمر مجرداً عن انضمام الإرادة الموجبة لوقوع المأمور فإن الأمر إذا كان مجرداً عن الإرادة لا يجب أن يقع المأمور به بخلاف ما إذا كان مقروناً بالإرادة فإنه لا بد حينئذٍ من وقوع المأمور به ﴿لتغفر لهم﴾ بسببه ﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم﴾ أي: سدوا مسامعهم من استماع الدعوة فالجعل المذكور كناية عن هذا السد ولا مانع من الحمل على حقيقته بأن يدخلوا أصابعهم في ثقب آذانهم قصداً إلى عدم الاستماع ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ الاستغشاء جامه بسر در كشيدن.

كما في «تاج المصادر» مأخوذ من الغشاء وهو الغطاء وفي الأصل اشتمال من فوق ولما كان فيه معنى الستر استعمل معناه وأصل الاستغشاء طلب الغشي، أي الستر لكن معنى الطلب هنا ليس بمقصود بل هو بمعنى التغطي والستر وإنما جيء بصيغته التي هي السين للمبالغة والثياب جمع ثوب سمي به لثوب الغزل، أي رجوعه إلى الحالة التي قدر لها والمعنى وبالغوا في التغطي بثيابهم كأنهم طلبوا منها أن تغشاهم، أي جميع أجزاء بدنهم آلة الإبصار وغيرها لئلا يبصروه كراهة النظر إليه فإن المبطل يكره رؤية المحق للتضاد الواقع بينهما وقس عليهما المتكبر والكافر والمبتدع بالنسبة إلى المتواضع والمؤمن والسني أو لئلا يعرفهم فيدعوهم.

يقول الفقير: هذا الثاني ليس بشيء لأن دعوته على ما سبق كانت عامة لجميع من في الأرض ذكورهم وإناثهم والمعرفة ليست من شرط الدعوة واشتباه الكافر بالمؤمن مدفوع بأن المؤمن كان أقل القليل معلوماً على كل حال على أن التغطي من موجبات الدعوة لأن بذلك

يعلم كونه من أهل الفرار إذ لم يكن في ذلك الزمان حجاب، وقال بعضهم: ويجوز أن يكون التغطي مجازاً عن عدم ميلهم إلى الاستماع والقبول بالكلية لأن من هذا شأنه لا يسمع كلامه غيره. ﴿وأصروا﴾ أي: أكبوا وأقاموا على الكفر والمعاصي وفي «قوت القلوب» الإصرار يكون بمعنى يعقد بقلبه أنه متى قدر على الذنب فعله أو لا يعقد الندم ولا التوبة منه وأكبر الإصرار السعي في طلب الأوزار.

«وفي تاج المصادر» الإصرار برچيزى باستادن وكوش راست كردن است.

يقال: أصر الحمار على العانة وهي القطيع من حمر الوحش إذا ضم أذنيه إلى رأسه وأقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للإقبال على الكفر والمعاصي والإكباب عليهما بتشبيه الإقبال المذكور بإصرار الحمار على العانة يكدمها ويطردها ولو لم يكن في ارتكاب المعاصي إلا التشبيه بالحمار لكفى به مزجرة فكيف والتشبيه في أسوء حاله وهو حال الكدم والطرد للسفاد ﴿واستكبروا﴾ تعظموا عن اتباعي وطاعتي وأخذتهم العزة في ذلك. ﴿استكباراً﴾ شديداً لأنهم قالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] قال بعض العارفين: من أصر على المعصية أورثته التمادي في الضلالة حتى يرى قبيح أعماله حسناً فإذا رآه حسناً يتكبر ويعلو بذلك على أولياء الله ولا يقبل بعد ذلك نصيحتهم قال سهل قدس سره: الإصرار على الذنب يورث النفاق والنفاق يورث الكفر. ﴿ثم إني دعوتهم﴾ دعوة ﴿جهاراً﴾ أي: أظهرت لهم الدعوة يعني آشكارا در محافل ايشان. والجهر ظهور الشيء بإفراط لحاسة البصر أو حاسة السمع.

﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾

﴿ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً﴾ إشارة إلى ذكر عموم الحالات بعد ذكر عموم الأوقات أي دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فإن الجهار أشد من الإسرار والجمع بينهما أغلظ من الإفراد والإعلان ضد الإسرار يقال أسررت إلى فلان حديثاً أفضيت به إليه في خفية أي من غير إطلاع أحد عليه وجهرت به أظهرته بحيث اطلع عليه الغير ويجوز أن يكون ثم لتراخي بعض الوجوه عن بعض بحسب الزمان بأن ابتدأ بمناصحتهم ودعوتهم في السر فعاملوه بالأمور الأربعة وهي الجعل والتغطي والإصرار والاستكبار ثم ثنى بالمجاهرة بعد ذلك فلما لم يؤثر جمع بين الإعلان والإسرار أي خلط دعاءه بالعلانية بدعاء السر فكما كلمهم جميعاً كلمهم واحداً واحداً سراً وقال بعضهم: إشكارا كردم مر بعضي ايشانرا يعين باشكارا آوز برداشتم وباعلاي صوت دعوت كردم وبراز كفتم مر بعضي ديكر از ايشانرا.

وفي بعض التفاسير: إن نوحاً عليه السلام لما آذوه بحيث لا يوصف حتى كانوا يضربونه في اليوم مرات عيل صبره فسأل الله أن يواريه عن أبصارهم بحيث يسمعون كلامه ولا يرونه فينالونه بمكروه ففعل الله ذلك به دعاهم كذلك زماناً فلم يؤمنوا فسأل أن يعيده إلى ما كان وهو قوله: ﴿أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً﴾ وقال القاشاني: ﴿ثم إني دعوتهم جهاراً﴾ أي: نزلت عن مقام التوحيد ودعوتهم إلى مقام العقل وعالم النور ثم إني أعلنت لهم بالمعقولات الظاهرة وأسررت لهم في مقام القلب بالأسرار الباطنة ليتوصلوا إليها بالمعقول. ﴿فقلت﴾ لهم

عقيب الدعوة عطف على قوله دعوت ﴿استغفروا ربكم﴾ اطلبوا المغفرة منه لأنفسكم بالتوبة عن الكفر والمعاصي قبل الفوت بالموت ﴿إنه﴾ تعالى ﴿كان غفاراً﴾ للتائبين بجعل ذنوبهم كأن لم تكن والمراد من كونه غفاراً في الأزل كونه مريداً للمغفرة في وقتها المقدر وهو وقت وجود المغفور له وفي «كشف الأسرار» كان صلة إليه ورؤية التقصير في العبودية الندم على ما ضاع من أيامهم بالغفلة عن الله وفي الحديث: «من أعطى الاستغفار لا يمنع المغفرة لأنه تعالى قال: استغفروا ربكم إنه كان غفاراً» ولذا كان علي رضي الله عنه يقول: ما ألهم الله عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه وعن بعض العلماء قال الله تعالى: إن أحب عبادي إلي المتحابون بحبي والمعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم والغفار أبلغ من الغفور وهو من الغافر وأصل الغفر الستر والتغطية ومنه قيل لجنة الرأس مغفر لأنه يستر الرأس والمغفرة من الله ستره للذنوب وعفوه عنها بفضله ورحمته لا بتوبة العباد وطاعتهم وإنما التوبة والطاعة للعبودية وعرض الافتقار وفي بعض الأخبار عبدي لو أتيتني بقراب الأرض ذنوباً لغفرتها لك ما لم تشرك بي.

حكي أن شيخاً حج مع شاب فلما أحرم قال لبيك اللهم لبيك فقيل له لا لبيك فقال الشاب للشيخ: ألا تسمع هذا الجواب، فقال: كنت أسمع هذا الجواب منذ سبعين سنة قال فلأي شيء تتعب نفسك فبكى الشيخ فقال فإلى أي باب ألتجيء فقيل له قد قبلناك.

همه طاعت آرند ومسكين نياز — بياتا بدركاه مسكين نواز
چوشاخ برهنه برآريم دست — كه بي برك ازين بيش نتوان نشست

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾.

﴿يرسل السماء﴾ أي المطر كما قال الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم

وقال بعضهم: أي ماء السماء فحذف المضاف. ﴿عليكم﴾ حال كونه ﴿مدراراً﴾ أي كثير الدرور أي السيلان والانصباب، وبالفارسية: فرو كشايد برشما باران پي در پي وبيهكنام.

وفي الإرسال مبالغة بالنسبة إلى الإنزال وكذا المدرار صيغة مبالغة ومفعال مما يستوي فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل أو امرأة معطار ويرسل جواب شرط محذوف أي إن تستغفروا يرسل السماء وفي قول النحاة في مثله إنه جواب الأمر وهو ههنا استغفروا تسامح في العبارة اعتماداً على وضوح المراد وكسر اللام بالوصل لتحرك الساكن به كأن قوم نوح تعللوا وقالوا إن كنا على الحق فكيف نتركه وإن كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعدما عكفنا عليه دهراً طويلاً فأمرهم الله بما يمحق ما سلف منهم من المعاصي ويجلب عليهم المنافع وهو الاستغفار، ولذلك وعدهم بالعوائد العاجلة التي هي أوقع في قلوبهم من المغفرة وأحب إليهم إذ النفس حريصة بحب العاجل ولذلك جعلها جواب الأمر بأن قال: ﴿يرسل السماء﴾ الخ دون المغفرة بأن قال يغفر لكم ليرغبوا فيها ويشاهدوا أن أثرها وبركتها ما يقاس عليه حال المغفرة، فالاشتغال بالطاعة سبب لانفتاح أبواب الخيرات كما أن المعصية سبب لخراب العالم بظهور أسباب القهر الإلهي، وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام

نسائهم أربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم إن آمنوا أن يرزقهم الله الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه.

يقول الفقير: هذا القول هو الموافق للحكمة لأن الله تعالى يبتلي عباده بالخير والشر ليرجعوا إليه ألا ترى إلى قريش حيث أن الله جعل لهم سبع سنين كسني يوسف بدعاء النبي عليه السلام ليرجعوا عما كانوا عليه من الشرك فلم يرفعوا له رأساً.

﴿ويمددكم بأموال وبنين﴾ أي: يوصل إليكم ويعط لكم المدد والقوة بهما كما قال الله تعالى: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢] ﴿ويجعل لكم﴾ أي: وينشىء لكم ﴿جنات﴾ بساتين ذوات أشجار وأثمار. ﴿ويجعل لكم﴾ فيها ﴿أنهاراً﴾ جارية تزينها بالنبات وتحفظها عن اليبس وتفرح القلوب وتسقي النفوس كان الظاهر تقديم الجنات والأنهار على الإمداد لكونهما من توابع الإرسال وإنما أخرهما لرعاية رأس الآية وللإشعار بأن كلاً منهما نعمة إلهية على حدة.

وعن الحسن البصري قدس سره أن رجلاً شكا إليه الجدب فقال استغفر الله وشكا إليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح: أتاك رجال يشكون أبواباً ويسألون أنواعاً فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآية، قال في «فتح الرحمن»: ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء وهو الدعاء بطلب السقيا على وجه مخصوص فإذا أجدبت الأرض وقحط المطر سن الاستسقاء بالاتفاق ومنع أبو حنيفة وأصحابه من خروج أهل الذمة ولم يمنعوا عند الثلاثة ولم يختلطوا بالمسلمين ولم يفردوا بيوم وقد سبق بعض تفصيله في سورة البقرة.

﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً﴾ إنكار لأن يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وقاراً على أن الرجاء بمعنى الاعتقاد أي الظن بناء على أنه أي الرجاء إنما يكون بالاعتقاد وأدنى درجته الظن والوقار في الأصل السكون والحلم وهو ههنا بمعنى العظمة لأنه يتسبب عنها في الأغلب ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم ولله متعلق بمضمر وقع حالاً من وقاراً، ولو تأخر لكان صفة له والمعنى أي سبب حصل لكم واستقر حال كونكم غير معتقدين لله عظمة موجبة لتعظيمه بالإيمان والطاعة له أي لا سبب لكم في هذا مع تحقق مضمون الجملة الحالية، وبالفارسية: چيست شمارا كه اميدنداريد يعني نمى شناسيد مرخدايرا عظمت وبزر كوارى واعتقاد نمى كنيد تابترسيد ازنا فرمانىء او.

وفي «كشف الأسرار»: هذا الرجاء بمعنى الخوف والوقار العظمة أي لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ما لكم لا تخشون منه عقاباً ولا ترجون منه ثواباً بتوقيركم إياه وفي «التأويلات النجمية» ما لكم لا تطلبون ولا تكسبون من اسم الله الأعظم ما يوقركم عنده بالتخلق بكل اسم تحته حتى تصيروا بسبب تحققكم بجميع أسمائه الداخلة فيه مظهره ومجلاه.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾

﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ يقال فعل كذا طوراً بعد طور، أي تارة بعد تارة وعدا طوره أي تجاوز حده وقدره والمعنى والحال أنكم على حالة منافية لما أنتم عليه بالكلية وهي أنكم

تعلمون أنه تعالى خلقكم وقدركم تارات أي مرات حالاً بعد حال عناصر ثم أغذية ثم أخلاطاً ثم نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً ثم عظاماً ولحوماً ثم أنشأكم خلقاً آخر، فإن التقصير في توقير من هذه شؤونه في القدرة القاهرة والإحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل وقال بعضهم: هي إشارة إلى الأطوار السبعة المذكورة في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤] فهذه هي التارات والأحوال السبع المترتب بعضها على بعض كل تارة أشرف مما قبلها وحال الإنسان فيها أحسن مما تقدمها.

چون قامت توسرونه كارند بكشور ... چون صورت توبت نه نكارند بكشمير
اشرم فروريزد نقش بت آزر ... كر نقش توپيش بت آزر بنكارند

وقيل: خلقكم صبياناً وشباناً وشيوخاً وقيل طوالاً وقصاراً وأقوياء وضعفاء مختلفين في الخلق والخلق كما قال تعالى: ﴿وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢] وقيل: خلقهم أطواراً حين أخرجهم من ظهر آدم للعهد ثم خلقهم حين أذن بهم إبراهيم عليه السلام للحج ثم خلقهم ليلة أسري برسول الله ﷺ فأراه إياهم، وقال بعض أهل المعرفة خلقكم أطواراً من أهل المعرفة ومن أهل المحبة ومن أهل الحكمة ومن أهل التوحيد ومن أهل الشوق ومن أهل العشق ومن أهل الفناء ومن أهل البقاء ومن أهل الخدمة ومن أهل المشاهدة خلق طور الأرواح القدسية من نور الجبروت وطور العقول الهادية العارفة من نور الملكوت وطور القلوب الشائقة من معادن القربة وطور أجسام الصديقين من تراب الجنة فكل طور يرجع إلى معدنه من الغيب.

﴿**ألم تروا**﴾ يا قومي والاستفهام للتقرير والرؤية بمعنى العلم لعلهم علموا ذلك بالسماع من أهله أو بمعنى الأبصار والمراد مشاهدة عجائب الصنع الدال على كمال العلم والقدرة ﴿**كيف خلق الله سبع سموات**﴾ حال كونها ﴿**طباقاً**﴾ أي: متطابقاً بعضها فوق بعض كما سبق في سورة الملك أتبع الدليل الدال على أنه يمكن أن يعيدهم وعلى أنه عظيم القدرة بدلائل الأنفس لأن نفس الإنسان أقرب الأشياء إليه ثم أتبع ذلك بدلائل آفاق فقال:

﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾.

﴿**وجعل القمر فيهن نوراً**﴾ أي: منوراً لوجه الأرض في ظلمة الليلة ونسبته إلى الكل مع أنه في السماء الدنيا لأن كل واحدة من السموات شفافة لا يحجب ما وراءها فيرى الكل كأنها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك أن يكون ما في واحدة منها كأنه في الكل على أنه ذهب ابن عباس وابن عمر ووهب بن منبه رضي الله عنهم إلى أن الشمس والقمر والنجوم وجوهها مما يلي السماء وظهورها مما يلي الأرض وهو الذي يقتضيه لفظ السراج لأن ارتفاع نوره في طرف العلو ولولا ذلك لأحرقت جميع ما في الأرض بشدة حرارتها فجعلها الله نوراً وسراجاً لأهل الأرض والسماوات فعلى هذا ينبغي أن يكون تقدير ما بعده وجعل الشمس فيهن سراجاً حذف لدلالة الأول عليه ﴿**وجعل الشمس**﴾ هي في السماء الرابعة وقيل في الخامسة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في الشتاء في الرابعة وفي الصيف في السابعة ولو أضاءت من

الرابعة أو من السماء الدنيا لم يطق لها شيء كما قال في «المثنوي»:

آفتابى كزوى اين عالم فروخت اندكى كرپيش آيد جمله سوخت

﴿سراجاً﴾ من باب التشبيه البليغ أي كالسراج يزيل ظلمة الليل عند الفجر ويبصر أهل الدنيا في ضوئها الأرض ويشاهدون الآفاق كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى أبصاره وليس القمر بهذه المثابة إنما هو نور في الجملة.

وحضرت رسول الله ﷺ بجهت آن چراغ كفته كه كما قال تعالى: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦] نووى تاريكىء كفر ونفاق را از عرصهء روى زمين زائل كردانيد.

چراغ دل چشم چشم وچراغ جان رسول الله
كه شمع ملت است ازپر تو احكام اورخشان
درين ظلمت سرا كرنه چراغ افرو ختى شرعش
كجاكس را خلاصي بودي ازتاريكى طغيان

والسراج أعرق عند الناس من الشمس بوجه الشبه الذي هو إزالة ظلمة الليل لأنهم يستعملونه في الليالي فلا يرد أن يقال إن نور القمر عرضي مستفاد من الشمس كضوء السراج فتشبه القمر بالسراج أولى من تشبيه الشمس به وأيضاً إنه من تشبيه الأعلى بالأدنى وقال حضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره في «شرح الأربعين حديثاً»: الضياء هو امتزاج النور بالظلمة وليس في ذات القمر ما يمتزج بالشمس حتى يسمى الناتج بينهما ضياء ولهذا سمى الحق القمر نوراً دون الشمس المشبهة بالسراج لكونه ممدوداً من الشجرة المباركة المنفي عنها الجهات وإنها الحضرة الجامعة للأسماء والصفات.

﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ أي إنباتاً عجيباً وأنشأكم منها إنشاء غريباً بواسطة إنشاء أبيكم آدم منها أو أنشأ الكل منها من حيث أنه خلقهم من النطف المتولدة من النبات المتولد من الأرض استعير الإنبات للإنشاء لكونه أدل على الحدوث والتكون من الأرض لأنهم إذا كانوا نباتاً كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ووضع نباتاً موضع إنباتاً على أنه مصدر مؤكد لأنبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر دل عليه القرينة الآتية وهي قوله ﴿ويخرجكم إخراجاً﴾. وقال بعضهم: نباتاً حال لا مصدر ونبه بذلك أن الإنسان من وجه نبات من حيث أن بدأه ونشأته من التراب وأنه ينمو نموه وإن كان له وصف زائد على النبات والنبات ما يخرج من الأرض سواء كان له ساق كالشجر أو لم يكن كالنجم لكن اختص في التعارف بما لا ساق له بل اختص عند العامة بما يأكله الحيوان وقال بعض أهل المعرفة والله أنبتكم من الأرض نباتاً أي جعل غذاءكم الذي تنمو به أجسادكم من الأرض كما جعل النبات ينمو بالماء بواسطة التراب فغذاء هذه النشأة ونموها بما خلقت منه.

﴿ثم يعيدكم فيها﴾ أي: في الأرض بالدفن عند موتكم ﴿ويخرجكم﴾ منها عند البعث والحشر ﴿إخراجاً﴾ محققاً لا ريب فيه وذلك لمجازاة الأولياء ومحاسبة الأعداء ولم يقل ثم يخرجكم بل ذكر بالواو الجامعة إياها مع يعيدكم رمزاً إلى أن الإخراج مع الإعادة في القبر كشيء واحد لا يجوز أن يكون بعضها محقق الوقوع دون بعض.

وفي «التأويلات النجمية»: والله أنبت من أرض بشريتكم نبات الأخلاق والصفات ثم

يعيدكم في تلك الأرض بالبقاء بعد الفناء بطريق الرجوع إلى أحكام البشرية بالله لا بالطبع والميل الطبيعي ويخرجكم أي ويظهركم ويغلبكم على التصرف في العالم بالله لا بكم ولا بقدرتكم واستطاعتكم.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿والله﴾ كرر الاسم الجليل للتعظيم والتيمن والتبرك **﴿جعل لكم﴾** أي لمنافعكم **﴿الأرض﴾** سبق بيانها في سورة الملك وغيرها **﴿بساطاً﴾** مبسوطة متسعة كالبساط والفراش تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم قال أبو حيان: ظاهره أن الأرض ليست كرية بل هي مبسوطة قال سعدي المفتي: وإنما هو في التقلب عليها على ما فسروه انتهى. وقد مر مراراً أن كرية الأرض لا تتنافى الحرث والغرس ونحوهما لعظم دائرتها كما يظهر الفرق بين بيضة الحمامة وبيضة النعامة. **﴿لتسلكوا﴾** من السلوك وهو الدخول لا من السلك وهو الإدخال **﴿منها سبلاً فجاجاً﴾** أي طرقاً واسعة جمع سبيل وفج وهو الطريق الواسع فجرد هنا لمعنى الواسع فجعل صفة لسبلاً وقيل هو المسلك بين الجبلين.

قال في «المفردات»: الفج طريق يكتنفها جبلان ويستعمل في الطريق الواسع ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ أي لتسلكوا متخذين من الأرض سبلاً فتصرفوا فيها مجيئاً وذهاباً أو بمضمر هو حال من سبلاً أي كائنة من الأرض ولو تأخر لكان صفة لها ثم جعلها بساطاً للسلوك المذكور لا ينافي غيره من الوجوه كالنوم والاستراحة والحرث والغرس ونحوها ثم السلوك إما جسماني بالحركة الأينية الموصلة إلى المقصد وإما روحاني بالحركة الكيفية الموصلة إلى المقصود ولكل منهما فوائد جليلة كطلب العلم والحج والتجارة وغيرها وكتحصيل المحبة والمعرفة والأنس ونحوها وقال القاشاني: والله جعل لكم أرض البدن بساطاً لتسلكوا منها سبل الحواس فجاجاً أي خروقاً واسعة أو من جهتها سبل سماء الروح إلى التوحيد كما قال أمير المؤمنين رضي الله عنه سلوني عن طرق السماء فإني أعلم بها من طرق الأرض أراد الطرق الموصلة إلى الكمال من المقامات والأحوال كالزهد والعبادة والتوكل والرضى وأمثال ذلك ولهذا كان معراج النبي عليه السلام، بالبدن.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾.

﴿قال نوح﴾ أعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه فهو بدل من قال الأول ولذا ترك العطف أي قال مناجياً له تعالى **﴿رب﴾** أي: پروردكار من **﴿إنهم عصوني﴾** داموا على عصياني ومخالفتي فيما أمرتهم به مع ما بالغت في إرشادهم بالعظة والتذكير. **﴿واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً﴾** أي: استمروا على اتباع رؤسائهم الذين أبطرتهم أموالهم وغرتهم أولادهم وصارت تلك الأموال والأولاد سبباً لزيادة خسارهم في الآخرة فصاروا أسوة لهم الخسار وفي وصفهم بذلك إشعار بأنهم إنما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسب الأموال والأولاد لما شهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع كما قالت قريش لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فجعلوا الغنى سبباً مصححاً للاتباع ودل الكلام على أن ازدياد المال والولد كثيراً ما يكون سبباً للهلاك الروحاني ويورث الضلال في الدين أولاً والإضلال عن

اليقين ثانياً قال ابن الشيخ: المفهوم من نظم الآية أن أموالهم وأولادهم عين الخسار وأن ازديادهما إنما هو ازدياد خسارهم والأمر في الحقيقة كذلك فإنهما وإن كانا من جملة المنافع المؤدية إلى السعادة الأبدية بالشكر عليهما وصرفهما إلى وجوه الخير إلا أنهما إذا أديا إلى البطر والاغترار وكفران حق المنعم بهما وصارا وسيلتين إلى العذاب المؤبد في الآخرة صارا كأنهما محض الخسار لأن الدنيا في جنب الآخرة كالعدم فمن انتفع بهما في الدنيا خسر سعادة الآخرة وصار كمن أكل لقمة مسمومة من الحلوى فهلك فإن تلك اللقمة في حقه هلاك محض إذ لا عبرة لانتفاعه بها في جنب ما أدت إليه.

توغافل درانديشهٔ سود ومال   كه سرمايهٔ عمر شد پايمال

﴿ومكروا﴾ عطف على صلة من لأن المكر الكبار يليق بكبرائهم والجمع باعتبار معناها والمكر الحيلة الخفية وفي «كشف الأسرار» المكر في اللغة غاية الحيلة وهو من فعل الله تعالى إخفاء التدبير ﴿مكراً كباراً﴾ أي: كبيراً في الغاية وقرىء بالتخفيف والأول أبلغ منه وهو أبلغ من الكبير نحو طوال وطوال وطويل ومعنى مكرهم الكبار احتيالهم في منع الناس عن الدين وتحريشهم لهم على أذية نوح.

قال الشيخ: لما كان التوحيد أعظم المراتب كان المنع منه والأمر بالشرك أعظم الكبائر فلذا وصفه الله بكونه مكراً كباراً.

﴿وقالوا﴾ أي: الرؤساء للأتباع والسفلة ﴿لا تذرن آلهتكم﴾ أي: لا تتركوا عبادتها على الإطلاق إلى عبادة رب نوح ومن عطف مكروا على اتبعوا يقول معنى وقالوا، وقال بعضهم لبعض فالقائل ليس هو الجمع ﴿ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾ جرد الأخيرين عن حرف النفي إذ بلغ التأكيد نهايته وعلم أن القصد إلى كل فرد فرد لا إلى المجموع من حيث هو مجموع والمعنى ولا تذرون عبادة هؤلاء خصوصاً فهو من عطف الخاص على العام خصوصاً بالذكر مع اندراجها فيما سبق لأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظم ما عندهم وقد انتقلت هذه الأصنام بأعيانها عنهم إلى العرب فكان ود لكلب بدومة الجندل بضم دال دومة ولذلك سمت العرب بعبد ود.

قال الراغب: الود صنم سمي بذلك إما لمودتهم له أو لاعتقادهم أن بينه وبين الباري تعالى مودة تعالى عن ذلك وكان سواع لهمدان بسكون الميم قبيلة باليمن ويغوث لمذحج كمجلس بالذال المعجمة وآخره جيم ومنه كانت العرب تسمي عبد يغوث ويعوق لمراد وهو كغراب أبو قبيلة سمي به لأنه تمرد ونسب لحمير بكسر الحاء وسكون الميم بوزن درهم موضع غربي صنعاء اليمن وقيل انتقلت أسماؤها إليهم فاتخذوا أمثالها فعبدوها إذ يبعد بقاء أعيان تلك الأصنام كيف وقد خربت الدنيا في زمان الطوفان ولم يضعها نوح في السفينة لأنه بعث لنفيها وجوابه أن الطوفان دفنها في ساحل جدة فلم تزل مدفونة حتى أخرجها اللعين لمشركي العرب نظيره ما روي أن آدم عليه السلام كتب اللغات المختلفة في طين وطبخه فلما أصاب الأرض الغرق بقي مدفوناً ثم وجد كل قوم كتاباً فكتبوه فأصاب إسماعيل عليه السلام، الكتاب العربي وقيل هي أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من أولاد آدم ماتوا فحزن الناس عليهم حزناً شديداً واجتمعوا حول قبورهم لا يكادون يفارقونها وذلك بأرض بابل فلما رأى إبليس فعلهم ذلك جاء إليهم في صورة إنسان وقال لهم هل لكم أن أصور لكم صورهم إذا

نظرتم إليها ذكرتموهم واستأنستم وتبركتم بهم قالوا نعم فصور لهم صورهم من صفر ورصاص ونحاس وخشب وحجر وسمى تلك الصور بأسمائهم ثم لما تقادم الزمن وانقرضت الآباء والأبناء وأبناء الأبناء قال لمن حدث بعدهم إن من قبلكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها في زمان مهلاييل بن قينان ثم صارت سنة في العرب في الجاهلية وذلك إما بإخراج الشيطان اللعين تلك الصور كما سبق، أو بأنه كان لعمرو بن لحي وهو أول من نصب الأوثان في الكعبة تابع من الجن فقال له اذهب إلى جدة وائت منها بالآلهة التي كانت تعبد في زمن نوح وإدريس وهي ود الخ فذهب وأتى بها إلى مكة ودعا إلى عبادتها فانتشرت عبادة الأصنام في العرب، وعاش عمرو بن لحي ثلاثمائة وأربعين سنة ورأى من ولده وولد ولد ولده ألف مقاتل ومكث هو وولده في ولاية البيت خمسمائة سنة، ثم انتقلت الولاية إلى قريش فمكثوا فيها خمسمائة أخرى فكان البيت بيت الأصنام ألف سنة.

وذكر الإمام الشعراني: أن أصل وضع الأصنام إنما هو من قوة التنزيه من العلماء الأقدمين فإنهم نزهوا الله عن كل شيء وأمروا بذلك عامتهم فلما رأوا بعض عامتهم صرح بالتعطيل وضعوا لهم الأصنام وكسوها الديباج والحلي والجواهر وعظموها بالسجود وغيره ليتذكروا بها الحق الذي غاب عن عقولهم وغاب عن أولئك العلماء أن ذلك لا يجوز إلا بإذن من الله تعالى هذا كلامه قال السهيلي ولا أدري من أين سرت لهم تلك الأسماء القديمة أمن قبل الهند فقد ذكر عنهم أنهم كانوا المبدأ في عبادتهم الأصنام بعد نوح أم الشيطان ألهمهم ما كانت عليه الجاهلية الأولى قبل نوح وفي «التكملة» روى تقي بن مخلد أن هذه الأسماء المذكورة في السورة كانوا أبناء آدم عليه السلام من صلبه وأن يغوث كان أكبرهم وهي أسماء سريانية ثم وقعت تلك الأسماء إلى أهل الهند فسموا بها أصنامهم التي زعموا أنها على صور الدراري السبعة وكانت الجن تكلمهم من جوفها فافتتنوا بها ثم أدخلها إلى أرض العرب عمرو بن لحي بن قمعة بن إلياس بن مضر فمن قبله سرت إلى أرض العرب وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وهو طائر عظيم لأنه ينسر الشي ويقتلعه.

وفي «التأويلات النجمية»: لا تتركن عبودية آلهتكم التي هي ود النفس المصورة بصورة المرأة وسواع الهوى المصور بصورة الرجل ويغوث الطبيعة المشكلة بشكل الأسد ويعوق الشهوة المشكلة بصورة الفرس ونسر الشره المصور بصورة النسر وقال القاشاني: أي معبوداتكم التي عكفتم بهواكم عليها من ود البدن الذي عبدتموه بشهواتكم وأحببتموه وسواع النفس ويغوث الأهل ويعوق المال ونسر الحرص.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿**وقد أضلوا**﴾ أي الرؤساء والجملة حالية ﴿**كثيراً**﴾ أي خلقاً كثيراً أو أضل الأصنام كقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا﴾ [إبراهيم: ٣٦] من الناس جمعهم جمع العقلاء لعدهم آلهة ووصفهم بأوصاف العقلاء ﴿**ولا تزد الظالمين**﴾ بالإشراك فإن الشرك ظلم عظيم إذ أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه فهل شيء أسوأ في هذا من وضع أخس المخلوق وعبادته موضع

الخالق الفرد الصمد وعبادته ﴿إلا ضلالاً﴾ الجملة عطف على قوله تعالى: ﴿رب إنهم عصوني﴾ أي قال رب إنهم عصوني، وقال: ﴿ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً﴾ قالوا ومن الحكاية لا من المحكي أو من كلام الله لا من كلام نوح فنوح قال كل واحد من هذين القولين من غير أن يعطف أحدهما على الآخر فحكى الله أحد قوليه بتصديره بلفظ قال: وحكى قوله الآخر بعطفه على قوله الأول بالواو النائبة عن لفظ قال فلا يلزم عطف الإنشاء على الأخبار ويجوز عطفه على مقدر أي فأخذلهم قالوا وحينئذٍ من المحكي والمراد بالضلال هو الصيام والهلاك والضلال في تمشية مكرهم وترويجه مصالح دنياهم لا في أمر دينهم حتى لا يتوجه أنه إنما بعث ليصرفهم عن الضلال فكيف يليق به أن يدعو الله في أن يزيد ضلالهم وأن هذا الدعاء يتضمن الرضى بكفرهم وذلك لا يجوز في حق الأنبياء وإن كان يمكن أن يجاب بأنه بعدما أوحى إليه أنه لا يؤمن من قومك إلا من قد آمن وأن المحذور هو الرضى المقرون باستحسان الكفر ونظيره دعاء موسى عليه السلام، بقوله واشدد على قلوبهم فمن أحب موت الشرير بالطبع على الكفر حتى ينتقم الله منه فهذا ليس بكفر فيؤول المعنى إلى أن يقال ولا يزد الظالمين إلاضلالاً وغياً ليزدادوا عقاباً كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾ [آل عمران: ١٧٨] وقوله: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِۚ﴾ [المائدة: ٢٩] قالوا دعا نوح الأبناء بعد الآباء حتى بلغوا سبعة قرون فلما أيس من إيمانهم دعا عليهم ﴿مما خطيئاتهم﴾ أي من أجل خطيئات قوم نوح وأعمالهم المخالفة للصواب وهي الكفر والمعاصي وما مزيدة بين الجار والمجرور لتأكيد الحصر المستفاد من تقديم قوله ﴿مما خطيئاتهم﴾ فإنه يدل على أن إغراقهم بالطوفان لم يكن إلا من أجل خطيئاتهم تكذيباً لقول المنجمين من أن ذلك كان لاقتضاء الأوضاع الفلكية إياه ونحو ذلك فإنه كفر لكونه مخالفاً لصريح هذه الآية ولزيادة ما الإبهامية فائدة غير التوكيد وهي تفخيم خطيئاتهم أي من أجل خطيئاتهم العظيمة ومن لم ير زيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلاً منها والخطيئات جمع خطيئة، وقرأ أبو عمرو خطاياهم بلفظ الكثرة لأن المقام مقام تكثير خطيئاتهم لأنهم كفروا ألف سنة والخطيئات لكونه جمع السلامة لا يطلق على ما فوق العشرة إلا بالقرينة والظاهر من كلام الرضي أن كل واحد من جمع السلامة والتكثير لمطلق الجمع من غير نظر إلى القلة والكثرة فيصلحان لهما ولذا قيل إنهما مشتركان بينهما واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ﴾ [لقمان: ٢٧] ﴿أغرقوا﴾ في الدنيا بالطوفان لا بسبب آخر وفيه زجر لمرتكب الخطايا مطلقاً ﴿فأدخلوا ناراً﴾ تنكير النار إما لتعظيمها وتهويلها أو لأنه تعالى أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعاً من النار والمراد إما عذاب القبر فهو عقيب الإغراق، وإن كانوا في الماء فإن من مات في ماء أو نار أو أكلته السباع أو الطير أصابه ما يصيب المقبور من العذاب عن الضحاك أنهم كانوا يغرقون من جانب أي بالأبدان ويحرقون من جانب أي بالأرواح فجمعا بين الماء والنار كما قال الشاعر:

الخلق مجتمع طوراً ومفترق والحادثات فنون ذات أطوار
لا تعجبن لأضداد إذا اجتمعت فالله يجمع بين الماء والنار

أو عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لإغراقهم لاقترابه وتحققه لا محالة واتصال زمانه بزمانه كما دل عليه قوله: «من مات فقد قامت قيامته» على أن النار إما نصف نار وهي للأرواح في البرزخ وإما تمام نار وهي للأرواح والأجسام جميعاً بعد الحشر وقس على

الجحيم النعيم ﴿**فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً**﴾ أي: لم يجد أحد منهم لنفسه واحداً من الأنصار ينصرهم على من أخذهم بالقهر والانتقام، وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وبأنها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم، ومن دون الله حال متقدمة من قوله أنصاراً والجملة الاستئنافية إلى هنا من كلام الله إشعاراً بدعوة إجابة نوح وتسلية للرسول عليه السلام وأصحابه وتخويفاً للعاصي من العذاب وأسبابه.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾.

﴿**وقال نوح**﴾ بعدما قنط من اهتدائهم قنوطاً تاماً بالأمارات الغالبة وبأخبار الله تعالى ﴿**رب**﴾ أي پروردكار من ﴿**لا تذر على الأرض**﴾ لا تترك على الأرض ﴿**من الكافرين**﴾ بك وبما جاء من عندك حال متقدمة من قوله: ﴿**دياراً**﴾ أحد يدور في الأرض فيذهب ويجيء أي فأهلكهم بالاستئصال والجملة عطف على نظيرها السابق وقوله تعالى: ﴿**مما خطيئاتهم**﴾ الخ اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام، للإيذان من أول الأمر بأن ما أصابهم من الإغراق والإحراق لم يصبهم إلا لأجل خطيئاتهم التي عددها نوح، وأشار إلى استحقاقهم للإهلاك لأجلها لما أنها حكاية لنفس الإغراق والإحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الأحوال والأقوال وإلا لأخر عن حكاية دعائه هذا، وديار من الأسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار أو ديور كقيام وقيوم أي أحد وساكن وهو فيعال من الدور أو من الدار أصله ديوار وقد فعل به ما فعل بأصل سيد فمعنى ديار على الأول أحد يدور في الأرض فيذهب ويجيء وعلى الثاني أحد ممن ينزل الدار ويسكنها وأنكر بعضهم كونه من الدوران وقال: لو كان من الدوران لم يبق على وجه الأرض جني ولا شيطان وليس المعنى على ذلك وإنما المعنى أهلك كل ساكن دار من الكفار أي كل إنسي منهم.

يقول الفقير: جوابه سهل فإن المراد كل من يدور على الأرض من أمة الدعوة وليس الجن والشيطان منها إذ لم يكن نوح مبعوثاً إلى الثقلين وليس ديار فعالاً من الدار وإلا لقيل دوار لأن أصل دار دور فقلبت واوه ألفاً فلما ضعفت عينه كان دواراً بالواو الصحيحة المشددة إذ لا وجه لقلبها ياء.

﴿**إنك إن تذرهم**﴾ عليها كلاً أو بعضاً ولا تهلكهم بيان لوجه دعائه عليهم وإظهار بأنه كان من الغيرة في الدين لا لغلبة غضب النفس لهواها ﴿**يضلوا عبادك**﴾ عن طريق الحق قال بعضهم عبادك المؤمنين وفيه إشعار بأن الأهل لأن يقال لهم عباد أهل الإيمان انتهى. وفيه نظر بل المراد يصدوا عبادك عن سبيلك. كقوله تعالى: ﴿وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [محمد: ٣٤] دل عليه أنه كان الرجل منهم ينطلق بابنه إلى نوح فيقول له احذر هذا فإنه كذاب وإن أبي حذرنيه وأوصاني بمثل هذه الوصية فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك ﴿**ولا يلدوا**﴾ ونزايند ﴿**إلا فاجراً**﴾ الفجر شق الشي شقاً واسعاً كفجر الإنسان السكر وهو بالكسر اسم لسد النهر وما سد به النهر والفجور شق ستر الديانة ﴿**كفاراً**﴾ مبالغاً في الكفر والكفران.

قال الراغب: الكفار أبلغ من الكفور وهو المبالغ في كفران النعمة والمعنى إلا من سيفجر ويكفر فالوجه ارتفاعهم عن وجه الأرض والعلم لك فوصفهم بما يصيرون إليه بعد

البلوغ فهو من مجاز الأول وكأنه اعتذار مما عسى يرد عليه من أن الدعاء بالاستئصال مع احتمال أن يكون من أخلافهم من يؤمن منكر وإنما قاله بالوحي لقوله تعالى في سورة هود ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦] فإن قلت هذا إذا كان دعاء نوح متأخراً عن وحي تلك الآية وذلك غير معلوم قلت الظاهر أن مثل هذا الدعاء إنما يكون في الأواخر بعد ظهور أمارات النكال قال بعضهم: لا يلد الحية إلا الحية وذلك في الأغلب ومن هناك قيل: «إذا طاب أصل المرء طابت فروعه» ونحوه الولد سر أبيه قال بعضهم في توجيهه: إن الولد إذا كبر إنما يتعلم من أوصاف أبيه أو يسرق من طباعه بل قد يصحب المرء رجلاً فيسرق من طباعه في الخير والشر.

يقول الفقير: معناه فيه ما فيه أي من الجمال والجلال فقد يكون الجمال الظاهر في الأب باطناً في الابن كما كان في قابيل بن آدم حيث ظهر فيه ما بطن في أبيه من الجلال وكان الأمر بالعكس في هابيل بن آدم وهكذا الأمر إلى يوم القيامة في الموافقة والمخالفة وقال بعض الكبار: اعتذار نوح يوم القيامة عند طلب الخلق الشفاعة منه بدعوته على قومه إنما هو لما فيها من قوله ﴿**ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً**﴾ لا نفس دعائه عليهم من حيث كونه دعوة انتهى. أشار إلى أن دعاء نوح كان بالأمارات حيث جربهم قريباً من ألف سنة فلم يظهر منهم إلا الكفر والفجور ولو كان بالوحي لما اعتذر كما قال القاشاني: ملَّ من دعوة قومه وضجر واستولى عليه الغضب ودعا ربه لتدمير قومه وقهرهم وحكم بظاهر الحال أن المحجوب الذي غلب عليه الكفر لا يلد إلا مثله فإن النطفة التي تنشأ منها النفس الخبيثة المحجوبة وتتربى بهيئتها المظلمة لا تقبل إلا مثلها كالبذر الذي لا ينبت إلا من صنفه وسبخه وغفل عن أن الولد سر أبيه، أي حاله الغالبة على الباطن فربما كان الكافر باقي الاستعداد صافي الفطرة نقي الأصل بحسب الاسعداد الفطري وقد استولى على ظاهره العادة ودين آبائه وقومه الذين نشأ بينهم فدان بدينهم ظاهراً وقد سلم باطنه فيلد المؤمن على حال النورية كولادة أبي إبراهيم عليه السلام، فلا جرم تولد من تلك الهيئة الغضبية الظلمانية التي غلبت على باطنه وحجبته في تلك الحالة عما قال مادة ابنه كنعان وكان عقوبة لذنب حاله انتهى. ويدل على ما ذكر من أن دعاءه ليس مبنياً على الوحي ما ثبت أن النبي ﷺ شبه عمر رضي الله عنه في الشدة بنوح وأبا بكر رضي الله عنه في اللين بإبراهيم، قال بعض العارفين في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] في هذه الآية عتاب لطيف فإنها نزلت حين مكث يدعو على قومه شهراً مع أن سبب ذلك الدعاء إنما هو الغيرة على جناب الله تعالى وما يستحقه من الطاعة ومعنى العتاب إني ما أرسلتك سباباً ولا لعاناً وإنما بعثتك رحمة أي لترحم مثل هؤلاء الذين دعوت عليهم كأنه يقول: لو كان بدل دعائك عليهم الدعاء لهم لكان خيراً فإنك إذا دعوتني لهم ربما أجبت دعاءك فوفقتهم لطاعتي فترى سرور عينك وقرتها في طاعتهم لي وإذا لعنتهم ودعوت عليهم وأجبت دعاءك فيهم لم يكن من كرمي أن آخذهم إلا بزيادة طغيانهم وكثرة فسادهم في الأرض وكل ذلك إنما كان بدعائك عليهم فكأنك أمرتهم بالزيادة في الطغيان الذي أخذناهم به فتنبه رسول الله عليه السلام لما أدبه به ربه فقال: «إن الله أدبني فأحسن تأديبي» ثم صار يقول بعد ذلك: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» وقام ليلة كاملة إلى الصباح بقوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١١٨﴾ [المائدة: ١١٨] لا يزيد عليها فأين

هذا من دعائه قبل ذلك على رعل وذكوان وعصية وعلى صناديد قريش اللهم عليك بفلان اللهم عليك بفلان فاعلم ذلك فاقتد بنبيك في ذلك والله يتولى هداك. وقال بعض أهل المعرفة: نوح چون از قوم خود پرنجيد بهلاك ايشان دعا كرد ومصطفى عليه السلام چون از قوم خود برنجيد بشفقت كفت اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون.

واعلم أنه لا يجوز أن يدعى على كافر معين لأنا لا نعلم خاتمته ويجوز على الكفار والفجار مطلقاً وقد دعا عليه السلام، على من تحزب على المؤمنين وهذا هو الأصل في الدعاء على الكافرين.

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿رب اغفر لي﴾ ذنوبي وهي ما صدر منه من ترك الأولى **﴿ولوالدي﴾** ذنوبهما أبوه ملك بن متوشلخ على وزن الفاعل كمتدحرج أو هو بضم الميم والتاء المشددة المضمومة وفتح الشين المعجمة وسكون اللام وروى بعضهم الفتح في الميم وأمه سمخا بنت أنوش كانا مؤمنين قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يكفر لنوح أب ما بينه وبين آدم وفي «إشراق التواريخ» أمه قسوس بنت كابيل وفي «كشف الأسرار»: هيجل بنت لاموس بن متوشلخ بنت عمه وكانا مسلمين على ملة إدريس عليه السلام وقيل المراد بوالديه آدم وحواء عليهما السلام **﴿ولمن دخل بيتي﴾** أي منزلي وقيل مسجدي فإنه بيت أهل الله وإن كان بيت الله من وجه وقيل سفينتي فإنها كالبيت في حرز الحوائج وحفظ النفوس عن الحر والبرد وغيرهما **﴿مؤمناً﴾** حال كون الداخل مؤمناً وبهذا القيد خرجت امرأته واعلة وابنه كنعان، ولكن لم يجزم عليه السلام بخروجه إلا بعد ما قيل له إنه ليس من أهلك **﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾** بي أو من لدن آدم إلى يوم القيامة.

وكفته ندمراد ابن امت مرحومة اند.

خص أولاً من يتصل به نسباً وديناً لأنهم أولى وأحق بدعائه ثم عمم المؤمنين والمؤمنات وفي الحديث: «ما الميت في القبر إلا كالغريق المتغوث، ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أخ أو صديق، فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها، «وإن الله ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الأرض أمثل الجبال وإن هدية الأحياء إلى الأموات الاستغفار لهم» **﴿ولا تزد الظالمين إلا تباراً﴾** أي: هلاكاً وكسراً وبالفارسية مكر هلاكي بسختي.

والتبر دقاق الذهب قال في الأول: **﴿ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً﴾** لأنه وقع بعد قوله **﴿وقد أضلوا كثيراً﴾** وفي الثاني **﴿إلا تباراً﴾** لأنه وقع بعد قوله **﴿لا تذر على الأرض﴾** الخ. فذكر في كل مكان ما اقتضاه وما شاكل معناه والظاهر أنه عليه السلام أراد بالكافرين والظالمين الذين كانوا موجودين في زمانه متمكنين في الأرض ما بين المشرق والمغرب فمسؤوله أن يهلكهم الله فاستجيب دعاؤه فعمهم الطوفان بالغرق وما نقل عن بعض المنجمين من أنه أراد جزيرة العرب فوقع الطوفان عليهم دون غيرهم من الآفاق مخالف لظاهر الكلام وتفسير العلماء وقول أصحاب التواريخ بأن الناس بعد الطوفان توالدوا وتناسلوا وانتشروا في الأطراف مغاربها ومشارقها من أهل السفينة، دل الكلام على أن الظالم إذا ظهر ظلمه وأصر عليه ولم ينفعه النصح استحق أن يدعى عليه وعلى أعوانه وأنصاره قيل غرق معهم صبيانهم أيضاً لكن لا على

وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وأمهاتهم بإراءة إهلاك أطفالهم الذين كانوا أعز عليهم من أنفسهم قال عليه السلام يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى، وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فأهلكهم بغير عذاب وكم من الصبيان من يموت بالغرق والحرق وسائر أسباب الهلاك، وقيل أعقم الله أرحام نسائهم وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة، فلم يكن معهم صبي ولا مجنون حين غرقوا لأن الله تعالى قال ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ [الفرقان: ٣٧] ولم يوجد التكذيب من الأطفال والمجانين، وفي «الأسئلة المقحمة» ولو أهلك الأطفال بغير ذنب منهم ماذا يضر في الربوبية أليس الله يقول: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧].

يقول الفقير: الظاهر هلاك الصبيان مع الآباء والأمهات لأن نوحاً عليه السلام ألحقهم بهم حيث قال ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً إذ من سيفجر ويكفر في حكم الفاجر والكافر فلذلك دعا على الكفار مطلقاً عموماً بالهلاك لاستحقاق بعضهم له بالأصالة وبعضهم بالتبعية ودعا للمؤمنين والمؤمنات عموماً وخصوصاً بالنجاة لأن المغفور ناج لا محالة وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان إذا قرأ القرآن بالليل فمر بآية يقول لي يا عكرمة ذكرني هذه الآية غداً فقرأ ذات ليلة هذه الآية أي ﴿رب اغفر لي﴾ الخ.. فقال يا عكرمة ذكرني هذه غداً فذكرتها له فقال: إن نوحاً دعا بهلاك الكافرين ودعا للمؤمنين بالمغفرة وقد استجيب دعاؤه على الكافرين فأهلكوا وكذلك استجيب دعاؤه في المؤمنين فيغفر الله للمؤمنين والمؤمنات بدعائه.

ورد عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال نجاة المؤمنين بثلاثة أشياء بدعاء نوح وبدعاء إسحاق وبشفاعة محمد عليه السلام يعني المذنبين.

وفي «التأويلات النجمية»: رب اغفر لي ولوالدي من العقل الكلي والنفس الكلي ولمن دخل بيتي مؤمناً من الروح والقلب وللمؤمنين من القوى الروحانية والمؤمنات من النفوس الداخلة تحت نور الروح والقلب بسبب نور الإيمان ولا تزد الظالمين النفس الكافرة والهوى الظالم إلا تباراً هلاكاً بالكلمة بالفناء في الروح والقلب وعلى هذا التأويل يكون دعاء لهم لا دعاء عليهم انتهى. وقال القاشاني: ﴿رب اغفر لي﴾ أي استرني بنورك بالفناء في التوحيد ولروحي ونفسي اللذين هما أبوا القلب ولمن دخل بيتي أي مقامي في حضرة القدس مؤمناً بالتوحيد العلمي ولأرواح الذين آمنوا ونفوسهم فبلغهم إلى مقام الفناء في التوحيد ولا تزد الظالمين الذين نقصوا حظهم بالاحتجاب بظلمة نفوسهم عن عالم النور إلا تباراً هلاكاً بالغرق في بحر الهيولى وشدة الاحتجاب انتهى. فيكون دعاء عليهم كما لا يخفى.

تمت سورة نوح بعون من بيده الفتوح يوم الأربعاء الرابع والعشرين
من شوال من سنة ست عشرة ومائة وألف

٧٢ ـ سورة الجن

ثمان وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ②﴾.

﴿قل﴾ يا محمد لقومك **﴿أوحي إلي﴾** أي ألقي علي بطريق الوحي وأخبرت بإعلام من الله تعالى والإيحاء إعلام في خفاء وفائدة أخباره بهذه الأخبار بيان أنه رسول الثقلين والنهي عن الشرك والحث على التوحيد فإن الجن مع تمردهم وعدم مجانستهم إذا آمنوا فكيف لا يؤمن البشر مع سهولة طبعهم ومجانستهم **﴿أنه﴾** بالفتح لأنه فاعل أوحي والضمير الشأن، أي أن الشأن والحديث **﴿استمع﴾** أي: القرآن أو طه أو اقرأ وقد حذف لدلالة ما بعده عليه والاستماع بالفارسية نيوشدن.

والمستمع من كان قاصداً للسماع مصغياً إليه والسامع من اتفق سماعه من غير قصد إليه فكل مستمع سامع من غير عكس **﴿نفر من الجن﴾** جماعة منهم ما بين الثلاثة والعشرة وبالفارسية كروهى كه ازده كمتر وازسه پيشتر بودند.

قال في «القاموس»: النفر ما دون العشرة من الرجال كالنفير والجمع أنفار وفي «المفردات» النفر عدة رجال يمكنهم النفر إلى الحرب بالفارسية ببرون شدن.

والجن: واحده جني كروم ورومي ونحوه قال ابن عباس رضي الله عنهما: «انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه إلى سوق عكاظ فأدركهم وقت صلاة الفجر وهم بنخلة فأخذ هو عليه السلام يصلي بأصحابه صلاة الفجر فمر عليهم نفر من الجن وهم في الصلاة فلما سمعوا القرآن استمعوا له» وفيه دليل على أنه عليه السلام لم يرَ الجن حينئذٍ؛ إذ لو رآهم لما أسند معرفة هذه الواقعة إلى الوحي فإن ما عرف بالمشاهدة لا يستند إثباته إلى الوحي وكذا لم يشعر بحضورهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وإنما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبره الله بذلك وقد مضى ما فيه من التفصيل في سورة الأحقاف فلا نعيده والجن أجسام رقاق في صورة تخالف صورة الملك والإنس عالقة كالإنس خفية عن أبصارهم لا يظهرون لهم ولا يكلمونهم إلا صاحب معجزة بل يوسوسون سائر الناس يغلب عليهم النارية أو الهوائية ويدل على الأول مثل قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ⑮﴾ [الرحمن: ١٥] فإن المشهور أن المركبات كلها من العناصر فما يغلب فيه النار فناري كالجن وما يغلب فيه الهواء فهوائي كالطير وما يغلب فيه الماء فمائي كالسمك وما يغلب فيه التراب فترابي كالإنسان

وسائر الحيوانات الأرضية، وأكثر الفلاسفة ينكرون وجود الجن في الخارج واعترف به جمع عظيم من قدمائهم وكذا جمهور أرباب الملل المصدقين بالأنبياء.

قال القاشاني: إن في الوجود نفوساً أرضية قوية لا في غلظ النفوس السبعية والبهيمة وكثافتها وقلة إدراكها ولا على هيئات النفوس الإنسانية واستعداداتها ليلزم تعلقها بالأجرام الكثيفة الغالب عليها الأرضية ولا في صفاء النفوس المجردة ولطافتها لتتصل بالعالم العلوي وتتجرد أو تتعلق ببعض الأجرام السماوية متعلقة بأجرام عنصرية لطيفة غلبت عليها الهوائية أو النارية أو الدخانية على اختلاف أحوالها سماها بعض الحكماء الصور المعلقة ولها علوم وإدراكات من جنس علومنا وإدراكاتنا، ولما كانت قريبة الطبع إلى الملكوت السماوي أمكنها أن تتلقى من عالمه بعض الغيب فلا يستبعد أن ترتقي أفق السماء فتسترق السمع من كلام الملائكة أي النفوس المجردة ولما كانت أرضية ضعيفة بالنسبة إلى القوى السماوية تأثرت تلك القوى فرجمت بتأثيرها عن بلوغ شأوها وإدراك مداها من العلوم ولا ينكر أن تشتعل أجرامها الدخانية بأشعة الكواكب فتحترق وتهلك أو تنزجر عن الارتقاء إلى الأفق السماوي فتتسفل فإنها أمور ليست بخارجة عن الإمكان وقد أخبر عنها أهل الكشف والعيان الصادقون من الأنبياء والأولياء خصوصاً أكملهم نبينا محمد ﷺ وهي في الوجود الإنساني لاستتارها في غيب الباطن **﴿فقالوا﴾** لقومهم عند رجوعهم إليهم. **﴿إنا سمعنا قرآناً﴾** أي: كتاباً مقروءاً على لسان الرسول **﴿عجباً﴾** مصدر بمعنى العجيب وضع موضعه للمبالغة والعجيب ما خرج عن حد أشكاله ونظائره، والمعنى بديعاً مبايناً لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى، وقال البقلي: كتاباً عجيباً تركبه وفيه إشارة إلى أنهم كانوا من أهل اللسان قال عيزار بن حريث: كنت عند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فأتاه رجل فقال له كنا في سفر فإذا نحن بحية جريحة تتشحط في دمها أي تضطرب فإن الشحط بالحاء المهملة الاضطراب في الدم فقطع رجل منا قطعة من عمامته فلفها فيها فدفنها فلما أمسينا ونزلنا أتانا امرأتان من أحسن نساء الجن فقالتا أيكم صاحب عمرو أي الحية التي دفنتموها فأشرنا لهما إلى صاحبها فقالتا إنه كان آخر من بقي ممن استمع القرآن من رسول الله ﷺ كان بين كافري الجن ومسلميهم قتال فقتل فيهم فإن كنتم أردتم به الدنيا ثوبناكم أي عوضناكم فقلنا لا إنما فعلنا ذلك لله فقالتا أحسنتم وذهبتا يقال اسم الذي لف الحية صفوان بن معطف المرادي صاحب قصة الإفك والجني عمرو بن جابر رحمه الله.

﴿يهدي إلى الرشد﴾ إلى الحق والصواب وصلاح الدين والدنيا كما قال عليه السلام اللهم ألهمني رشدي أي الاهتداء إلى مصالح الدين والدنيا فيدخل فيه التوحيد والتنزيه وحقيقة الرشد هو الوصول إلى الله تعالى قال بعضهم الرشد كالقفل خلاف الغي يقال في الأمور الدنيوية والأخروية والرشد كالذهب يقال في الأمور الأخروية فقط **﴿فآمنا به﴾** أي بذلك القرآن. ومن ضرورة الإيمان به الإيمان بمن جاء به ولذا قال بعضهم:

داخل اندر دعوت أو جن وإنس ... تاقيامت امتش هر نوع وجنس
أوست سلطان وطفيل أو همه ... اوست شاهنشاه وخيل اوهمه

﴿ولن نشرك﴾ بعد اليوم البتة أي بعد علمنا الحق **﴿بربنا أحداً﴾** حسبما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد أي لا نجعل أحداً من الموودات شريكاً له اعتقادنا ولا نعبد غيره فإن تمام الإيمان إنما يكون بالبراءة من الشرك والكفر كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا

تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨] فلكونه قرآناً معجزاً بديعاً موجب الإيمان به ولكونه يهدي إلى الرشد موجب قطع الشرك من أصله والدخول في دين الله كله فمجموع قوله ﴿فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾ مسبب عن مجموع قوله: ﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً﴾ يهدي إلى الرشد ولذا عطف ولن تشرك بالواو مع أن الظاهر الفاء.

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾

﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ بالفتح وكذا ما بعده من الجمل المصدرة بأن في أحد عشر موضعاً عطف على أنه استمع فيكون من جملة الكلام الموحى به على أن الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كأنه قيل: قل أوحي إلي كيت وكيت، وهذه العبارات فاندفع ما قيل من إنك لو عطفت وإنا ظننا وإنا سمعنا وإنه كان رجال وإنا لمسنا وشبه ذلك على أنه استمع لم يجز لأنه ليس مما أوحي إليه وإنما هو أمر أخبروا به عن أنفسهم انتهى.

ومن قرأ بالكسر عطف على المحكي بعد القول وهو الأظهر لوضوح اندراج الكل تحت القول وقيل في الفتح والكسر غير ذلك والأقرب ما قلناه والمعنى وإن الشأن ارتفع عظمة ربنا كما تقول في الثناء وتعالى جدك، أي ارتفع عظمتك وفي إسناد التعالي إلى العظمة مبالغة لا تخفى من قولهم جد فلان في غنى أي عظم تمكنه أو سلطانه لأن الملك والسلطنة غاية العظمة أو غناه على أنه مستعار من الجد الذي هو البخت والدولة والحظوظ الدنيوية سواء استعمل بمعنى الملك والسلطان، أو بمعنى الغنى فإن الجد في اللغة كما يكون بمعنى العظمة وبمعنى أب الأب وأب الأم يكون بمعنى الحظ والبخت يقال رجل مجدود أي محظوظ شبه سلطان الله وغناه الذتيان الأزليان ببخت الملوك والأغنياء فأطلق اسم الجد عليه استعارة ﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولداً﴾ بيان لحكم تعالى جده كأنه قيل ما الذي تعالى عنه فقيل ما اتخذ أي لم يختر لنفسه لكمال تعاليه زوجة ولا بنتاً كما يقول الظالمون وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والإيمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه لعظمته ولسلطانه أو لغناه فإن الصاحبة تتخذ للحاجة إليها والولد للتكثير وإبقاء النسل بعد فوته وهذه من لوازم الإمكان والحدوث وأيضاً هو خارج عن دائرة التصور والإدراك فكيف يكفيه أحد فيدخله تحت جنس حتى يتخذ صاحبة من صنف تحته أو ولداً من نوع يماثله وقد قالت النصارى أيضاً المسيح ابن الله واليهود عزير ابن الله وبعض مشركي العرب الملائكة بنات الله ويلزم من كون المسيح ابن الله على ما زعموا أن تكون مريم صاحبة له ولذا ذكر الصاحبة يعني أن الولد يقتضي الأم التي هي صاحبة الأب الولد وأشار بالصاحبة إلى النفس وبالولد إلى القلب فيكون الروح كالزوج والأب لهما وهو في الحقيقة مجرد عن كل علاقة وإنما تعلق بالبدن لتظهر قدرة الله وأيضاً ليستكمل ذاته من جهة الصفات.

﴿وأنه﴾ أي: الشأن ﴿كان يقول سفيهنا﴾ أي: جاهلنا وهو إبليس أو مردة الجن فقوله سفيهنا للجنس والظاهر أن يكون إبليس من الجن كما قال تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠] والسفه خفة الحلم أو نقيضه أو الجهال كما في «القاموس» وقال الراغب: السفه خفة في البدن واستعمل في خفة النفس لنقصان العقل وفي الأمور الدنيوية والأخروية

والمراد به في الآية هو السفه في الدين الذي هو السفه الأخروي كذا في «المفردات».

﴿على الله﴾ متعلق بيقول أورد على لأن ما قالوه عليه تعالى لا له. ﴿شططاً﴾ هو مجاوزة الحد في الظلم وغيره، وفي «المفردات» الإفراط في البعد أي قولاً ذا شطط أي بعد عن القصد ومجاوزة الحد أو هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق فوصف بالمصدر للمبالغة والمراد به نسبة الصاحبة والولد إليه تعالى وفي الآية إشارة إلى أن العالم الغير العامل في حكم الجاهل فإن إبليس كان من أهل العلم فلما لم يعمل بمقتضى علمه جعل سفيهاً جاهلاً لا يجوز التقليد له فالاتباع للجاهل ومن في حكمه اتباع للشيطان والشيطان يدعو إلى النار لأنه خلق منها.

﴿وأنا ظننا أن﴾ مخففة من الثقيلة أي: أن الشان ﴿لن تقول الإنس والجن على الله كذباً﴾ اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم أي كنا نظن أن الشان والحديث لن يكذب على الله أحد أبداً ولذلك اتبعنا قوله وصدقناه في أن لله صاحبة وولداً فلما سمعنا القرآن وتبين لنا الحق بسببه علمنا أنهم قد يكذبون عليه تعالى وكذباً مصدر مؤكد لتقول؛ لأنه نوع من القول وأشار بالإنس إلى القوى الروحانية وبالجن إلى القوى الطبيعية، وقال القاشاني: إنس الحواس الظاهرة وجن القوى الباطنة فتوهمنا أن البصر يدرك شكله ولونه والأذن تسمع صوته والوهم والخيال يتوهمه ويتخيله حقاً مطابقاً لما هو عليه قبل الاهتداء والتنور بنور الروح فعلمنا من طريق الوحي الوارد على القلب بواسطة روح القدس أن لسنا في شيء من إدراكه فليس له شكل ولا لون ولا صوت ولا هو داخل في الوهم والخيال وليس كلام الله من جنس الكلام المصنوع المتلقف بالفكر والتخيل والمستنتج من القياسات العقلية أو المقدمات الوهمية والتخييلية فليس الله من قبيل المخلوق جنساً أو نوعاً أو صنفاً أو شخصاً فكيف يكون له صاحبة وولد.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾.

﴿وأنه﴾ أي: وإن الشأن ﴿كان﴾ في الجاهلية ﴿رجال﴾ كائنون ﴿من الإنس﴾ خبر كان قوله ﴿يعوذون﴾ العوذ الالتجاء إلى الغير والتعلق به ﴿برجال من الجن﴾ فيه دلالة أن للجن نساء كالإنس لأن لهم رجالاً ولذا قيل في حقهم إنهم يتوالدون لكنهم ليسوا بمنظرين كإبليس وذريته قال أهل التفسير: كان الرجل من العرب إذا أمسى في واد قفر في بعض مسايره وخاف على نفسه يقول أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فيبيت في أمن وجوار حتى يصبح فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الإنس والجن وذلك قوله تعالى: ﴿فزادوهم﴾ عطف على يعوذون والماضي للتحقق أي فزاد الرجال العائذون الإنسيون الجن ﴿رهقاً﴾ مفعول ثان لزاد أي تكبراً وعتوا وسفهاً فإن الرهق محركة يجيء على معان منها السفه وركوب الشر والظلم قال في «آكام المرجان»: وبهذا يجيبون المعزم والراقي بأسمائهم وأسماء ملوكهم فإنه يسم عليهم بأسماء من يعظمونه فيحصل لهم بذلك من الرياسة والشرف على الإنس ما يحملهم على أن يعطوهم بعض سؤلهم وهم يعلمون أن الإنس أشرف منهم وأعظم قدراً فإذا خضعت الإنس لهم واستعاذت بهم كان بمنزلة أكابر الناس إذا خضع لهم أصاغرهم يقضون لهم حاجاتهم أو المعنى فزاد الجن العائذين غياً بأن أضلوهم حتى استعاذوا بهم وإذا

استعاذوا بهم فأمنوا ظنوا أن ذلك من الجن فازدادوا رغبة في طاعة الشياطين وقبول وساوسهم والفاء حينئذٍ لترتيب الأخبار وإسناد الزيادة إلى الإنس والجن باعتبار السببية.

وروي عن كردم بن أبي السائب الأنصاري رضي الله عنه أنه قال خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر النبي عليه السلام، بمكة فأداني المبيت إلى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء الذئب فحمل حملاً من الغنم فقال الراعي: يا عامر الوادي جارك فنادى منادٍ لا نراه يقول يا سرحان أرسله فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم ولم تصبه كدمة فأنزل الله على رسوله بمكة ﴿وأنه كان رجال﴾ الخ قال مقاتل: كان أول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن ثم من حنيفة ثم فشا ذلك في العرب فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إذا كنت بواد تخاف فيه السبع فقل أعوذ بدانيال وبالجب من شر الأسد انتهى. أشار بذلك إلى ما رواه البيهقي في الشعب «أن دانيال طرح في الجب وألقيت عليه السباع فجعلت السباع تلحسه وتبصبص إليه فأتاه رسول فقال يا دانيال فقال من أنت قال أنا رسول ربك إليك أرسلني إليك بطعام فقال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره».

وروى ابن أبي الدنيا أن بخت نصر ضرى أسدين وألقاهما في جب وجاء بدانيال فألقاه عليهما فلم يضراه وذكر قصته فلما ابتلي دانيال بالسباع جعل الله الاستعاذة به في ذلك تمنع الشر الذي لا يستطاع كما في «حياة الحيوان» فعلم من ذلك أن الاستعاذة بغير الله مشروعة في الجملة لكن بشرط التوحيد واعتقاد التأثير من الله تعالى قال القاشاني: في الآية أي تستند القوى الظاهرة إلى القوى الباطنة وتتقوى بها فزادوهم غشيان المحارم وإتيان المناهي بالدواعي الوهمية والنوازع الشهوية والغضبية والخواطر النفسانية.

﴿وأنهم﴾ أي: الإنس ﴿ظنوا كما ظننتم﴾ أيها الجن على أنه كلام مؤمني الجن للكفار حين رجعوا إلى قومهم منذرين فكذبوهم أو الجن ظنوا كما ظننتم أيها الكفرة على أنه كلام الله تعالى. ﴿أن لن يبعث الله أحداً﴾ أن هي المخففة والجملة سادة مسد مفعولي ظنوا واعمل الأول على ما هو مذهب الكوفيين لأن ما في كما ظننتم مصدرية فكان الفعل بعدها في تأويل المصدر والفعل أقوى من المصدر في العمل والظاهر أن المراد بعثة الرسالة أي لن يبعث الله أحداً بالرسالة بعد عيسى أو بعد موسى يقيم به الحجة على الخلق ثم إنه بعث إليهم محمداً عليه السلام خاتم النبيين فآمنوا به فافعلوا أنتم يا معشر الجن مثل ما فعل الإنس وقيل بعد القيامة أي لن يبعث الله أحداً بعد الموت للحساب والجزاء.

يقول الفقير: فيه إشارة إلى أهل الغفلة من الإنس والجن فإنهم يظنون بالله ظن السوء ويقولون إن الله لا يبعث أحداً من نوم الغفلة بل يبقيه على حاله من الاستغراق في اللذات والانهماك في الشهوات ولا يدرون أن الله تعالى يبعث من في القبور مطلقاً ويحيي أجسادهم وقلوبهم وأرواحهم بالحياة الباقية لأن أهل النوم لانقطاع شعورهم لا يعرفون حال أهل اليقظة وفيه إثبات العجز لله تعالى والله على كل شيء قدير.

﴿وأنا لمسنا السماء﴾ أي طلبنا بلوغ السماء لاستماع ما يقول الملائكة من الحوادث أو خبرها للإفشاء بين الكهنة واللمس مستعار من المس للطلب شبه الطلب بالمس واللمس باليد في كون كل واحد منهما وسيلة إلى تعرف حال الشيء فعبر عنه بالمس واللمس قال الراغب: اللمس إدراك بظاهر البشرة كالمس ويعبر به عن الطلب قال في «كشف الأسرار» ومنه الحديث

الذي ورد أن رجلاً، قال لرسول الله عليه السلام: «إن امرأتي لا تدع عنها يد لامس» أي لا ترد يد طالب حاجة صفراً يشكوا تضييعها ماله ﴿فوجدناها ملئت حرساً﴾ أي حراساً وحفظة وهم الملائكة يمنعونهم عنها اسم جمع لحارس بمعنى حافظ كخدم لخادم مفرد اللفظ ولذلك قيل ﴿شديداً﴾ أي قوياً ولو كان جمعاً لقيل شداداً وقوله ﴿ملئت حرساً﴾ حال من مفعول وجدناها إن كان وجدنا بمعنى أصبنا وصادفنا ومفعول ثان إن كان من أفعال القلوب أي فعلمناها مملوءة وحرساً تمييز. ﴿وشهباً﴾ عطف على حرساً وحكمه في الإعراب حكمه جمع شهاب وهي الشعلة المقتبسة من نار الكواكب هكذا قالوا وقد مر تحقيقه.

﴿وأنا كنا نقعد﴾ قبل هذا ﴿منها﴾ أي: من السماء ﴿مقاعد للسمع﴾ خالية عن الحرس والشهب يحصل منها مقاصدنا من استماع الأخبار للإلقاء إلى الكهنة أو صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بتقعد أي على الوجه الأول أي لأجل السمع أو بمضمر هو صفة لمقاعد أي على الثاني أي مقاعد كائنة للسمع، وفي «كشف الأسرار»: أي مواضع لاستماع الأخبار من السماء وكان لكل حي من الجن باب في السماء يستمعون فيه ومن أحاديث البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ «إن الملائكة تنزل في العنان» وهو بالفتح السحاب فتذكر الأمر الذي قضى في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معه مائة كذبة من عند أنفسهم.

يقول الفقير: وجه التوفيق بين الاستراق من السماء ومن السحاب أن الملائكة مرة ينزلون في العنان فيتحدثون هناك وأخرى يتذاكرون في السماء ولا منع من عروج الشياطين إلى السماء في مدة قليلة للطافة أجسامهم وحيث كانت نارية أو هوائية أو دخانية لا يتأثرون من النار أو الهواء حين المرور بكرتهما ولو سلم فعروجهم من قبيل الاستدراج ولله في كل شيء حكمة وأسرار. ﴿فمن﴾ شرطية ﴿يستمع الآن﴾ في مقعد من المقاعد ويطلب الاستماع والآن أي في هذا الزمان وبعد المبعث وفي «اللباب» ظرف حالي استعير للاستقبال. ﴿يجد له﴾ جواب الشرط والضمير لمن أي يجد لنفسه ﴿شهاباً رصداً﴾ الرصد الاستعداد للتقرب، أي شهاباً راصداً له ولأجله يصده عن الاستماع بالرجم أو ذوي شهاب راصدين له ليرجموه بما معهم من الشهب على أنه اسم مفرد في معنى الجمع كالحرس فيكون المراد بالشهاب الملائكة بتقدير المضاف ويجوز نصب رصداً على المفعول له وفي الآية إشارة إلى طلب القوى الطبيعية أن تدخل سماء القلب فوجدتها محفوفة بحراس الخواطر الملكية والرحمانية يحرسونها عن طرق الخواطر النفسانية والشيطانية بشهاب نار نور القلب المنور بنور الرب، وكان الشهاب والرجم قبل البعثة النبوية لكن كثر بعدها وزاد زيادة بينة حتى تنبه لها الإنس والجن ومنع الاستراق أصلاً لئلا يلتبس على الناس أقوال الرسول المستندة إلى الوحي الإلهي بأقوال الكهنة المأخوذة من الشياطين مما استرقوا من أقوال أهل السماء ويدل على ما ذكر قوله تعالى: ﴿فوجدناها ملئت حرساً شديداً﴾ فإنه يدل على أن الحادث هو الكمال والكثرة، أي زيدت حرساً وشهباً حتى امتلأت بهما وقوله تعالى: ﴿وإنا كنا نقعد منها مقاعد﴾ أي كنا نجد فيهما بعض المقاعد خالية عن الحرس والشهب والآن قد ملئت المقاعد كلها فلما رأى الجن ذلك قالوا ما هذا إلا لأمر أراده الله بأهل الأرض وذلك قولهم:

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾

﴿وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض﴾ بحراسة السماء منا **﴿أم أراد بهم ربهم رشداً﴾** أي خيراً وإصلاحاً أوفق لمصالحهم والاستفهام لإظهار العجز عن الاطلاع على الحكمة قال بعضهم: لعل التردد بينهما مخصص بالاستفهام وأن يكون فاعل فعل مضمر مفسر بما بعده بمعنى لا ندري أريد شر أم خير ورجحوه للموافقة بين المعطوفين في كونهما جملة فعلية والباء في الموضعين متعلقة بما قبلها والجملة الاستفهامية قائمة مقام المفعول ونسبة الخير إلى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية كما في قوله تعالى: **﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾** [الشعراء: ٨٠] ونظائره قال صاحب «الانتصاب»: ومن عقائد الجن أن الهدى والضلال جميعاً من خلق الله تعالى فتأدبوا من نسبة الرشاد إليه وجعلوا الشر مضمر الفاعل فجمعوا بين حسن الاعتقاد والأدب.

﴿وأنا منا الصالحون﴾ أي الموصوفون بصلاح الحال في شأن أنفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم أو ما يكون إلى الخير والصلاح حسبما تقتضية الفطرة السليمة لا إلى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة والقصر ادعائي كأنهم لم يعتدوا بصلاح غير ذلك البعض، فالصالحون مبتدأ ومنا خبره المقدم والجملة خبر أن ويجوز أن يكون الصالحون فاعل الجار والمجرور الجاري مجرى الظرف لاعتماده على المبتدأ. **﴿ومنا دون ذلك﴾** أي قوم دون ذلك في الصلاح فحذف الموصوف لأنه يجوز حذف هذا الموصوف في التفصيل بمن حتى قالوا منا ظعن ومنا أقام يريدون منا فريق ظعن ومنا فريق أقام ودون ظرف وهم المقتصدون في صلاح الحال على الوجه المذكور غير الكاملين فيه لا في الإيمان والتقوى كما توهم فإن هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب به عنه قوله تعالى: **﴿كنا طرائق قدداً﴾** وأما حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله **﴿وأنا لما سمعنا الهدى﴾** إلى قوله **﴿وأنا منا لمسلمون﴾** أي كنا قبل هذا طرائق في اختلاف الأحوال فهو بيان للقسمة المذكورة وقدر المضاف لامتناع كون الذوات طرائق قالوا في الجن قدرية ومرجئة وخوارج وروافض وشيعية وسنية.

قال في «المفردات» جمع الطريق طرق وجمع الطرق طرائق والظاهر أن الطرائق جمع طريقة كقصائد جمع قصيدة ثم قال وقوله تعالى: **﴿كنا طرائق قدداً﴾** إشارة إلى اختلافهم في درجاته كقوله **﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾** [آل عمران: ١٦٣] والطريق الذي يطرق بالأرجل أي يضرب ومنه استعير كل مسلك يسلكه الإنسان في فعل محموداً كان أو مذموماً وقيل طريقة من النخل تشبيهاً بالطريق في الامتداد والقد قطع الشيء طولاً والقد المقدود ومنه قيل لقامة الإنسان قد كقولك تقطيعة والقدة كالقطعة يعني أنها من القد كالقطعة من القطع وصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق وفي «القاموس»: القدة الفرقة من الناس هوى كل واحد على حدة ومنه كنا طرائق قدداً أي فرقاً مختلفة أهواءها وقد تعددوا قال القاشاني: وإنا منا الصالحون كالقوى المدبرة لنظام المعاش وصلاح البدن ومنادون ذلك من المفسدات كالوهم والغضب والشهوة والمعاملة بمقتضى هوى النفس والمتوسطات كالقوى النباتية الطبيعية كنا ذوي مذاهب مختلفة لكل طريق ووجهة مما عينه الله ووكله به قال بعض المفسرين المراد بالصالحين السابقون بالخيرات وبما

دون ذلك أي أدنى مكان منهم المقتصدون الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً وأما الظالمون لأنفسهم فمندرج في قوله تعالى: ﴿كنا طرائق قدداً﴾ فيكون تعميماً بعد تخصيص على الاستئناف ويحتمل أن يكون دون بمعنى غير فيندرج القسمان الأخيران فيه.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾.

﴿وأنا ظننا﴾ أي: علمنا الآن بالاستدلال والتفكر في آيات الله فالظن هنا بمعنى اليقين لأن الإيمان لا يحصل بالظن ولأن مقصودهم ترغيب أصحابهم وترهيبهم وذا بالعلم لا بالظن كما قال عليه السلام أنا النذير العريان ﴿أن﴾ أي أن الشأن ﴿لن نعجز الله﴾ عن إمضاء ما أراد بنا كائنين. ﴿في الأرض﴾ أينما كنا من أقطارها فقوله ﴿في الأرض﴾ حال من فاعل نعجز والإعجاز عاجز كردن. ﴿ولن نعجزه هرباً﴾ قوله ﴿هرباً﴾ حال من فاعل لن نعجز أي هاربين من الأرض إلى السماء وإلى الجار وإلى جبل قاف أو لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمراً ولن نعجزه هرباً إن طلبنا فالفرار من موضع إلى موضع وعدمه سيان في أن شيئاً منهما لا يفيد فواتنا منه ولعل الفائدة في ذكر الأرض حينئذٍ الإشارة إلى أنها مع سعتها وانبساطها ليست منجى منه تعالى ولا مهرباً.

﴿وأنا لما سمعنا الهدى﴾ أي القرآن الذي ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] ﴿آمنا به﴾ من غير تأخير وتردد ﴿فمن يؤمن بربه﴾ وبما أنزله من الهدى ﴿فلا يخاف﴾ أي فهو لا يخاف فالكلام في تقدير مبتدأ وخبر ولذلك دخلت الفاء ولولا ذلك القيل لا يخف وفائدة رفع الفعل ووجوب إدخال الفاء أنه دال على تحقيق أن المؤمن ناج لا محالة وأنه المختص بذلك دون غيره ﴿بخساً﴾ أي نقصاً في الجزاء ﴿ولا رهقاً﴾ ولا ترهقه ذلة وتغشاه أو جزاء بخس ولا رهق أي ظلم إذ لم يبخس أحداً حقاً ولا رهق أي ظلم أحداً فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله أن يجتنب المظالم ومنه قوله عليه السلام: «المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم» قال الواسطي رحمه الله حقيقة الإيمان ما أوجب الأمان فمن بقي في مخاوف المرتابين لم يبلغ إلى حقيقة الإيمان.

﴿وأنا منا المسلمون﴾ أي بعد استماع القرآن ﴿ومنا القاسطون﴾ الجائرون عن طريق الحق الذي هو الإيمان والطاعة فالقاسط الجائر لأنه عادل عن الحق والمقسط العادل لأنه عادل إلى الحق يقال قسط إذا جار وأقسط إذا عدل وقد غلب هذا الاسم أي القاسط على فرقة معاوية، ومنه الحديث خطاباً لعلي رضي الله عنه «تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين» فالناكثون أصحاب عائشة رضي الله عنها فإنهم الذين نكثوا البيعة أي نقضوها واستنزلوا عائشة وساروا بها إلى البصرة على جمل اسمه عسكر، ولذا سميت الوقعة يوم الجمل، والقاسطون أصحاب معاوية لأنهم قسطوا أي جاروا حين حاربوا الإمام الحق والوقعة تعرف بيوم صفين، والمارقون الخوارج فإنهم الذين مرقوا أي خرجوا من دين الله واستحلوا القتال مع خليفة رسول الله عليه السلام وهم عبد الله بن وهب الراسبي وحرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية وتعرف

تلك الواقعة بيوم النهروان هي من أرض العراق على أربعة فراسخ من بغداد. **﴿فمن أسلم﴾** پس هركه كردن نهاد امر خدايرا همچنانچه ما كرده ايم قال سعدي المفتي يجوز أن يكون من كلام الجن ويجوز أن يكون مخاطبة من الله لرسوله ما فيما بعده من الآيات **﴿فأولئك﴾** إشارة إلى من أسلم والجمع باعتبار المعنى. **﴿تحروا﴾** التحري في الأصل طلب الأحرى والأليق قولاً أو فعلاً أي طلبوا وقصدوا **﴿رشداً﴾** يقال رشد كنصر وفرح رشداً ورشداً رشاداً اهتدى كما في «القاموس»، أي اهتداء عظيماً إلى طريق الحق والصواب يبلغهم إلى دار الثواب فتحري الرشد مجاز عن ذلك بعلاقة السببية وبالفارسية قصد كرده اندراه راست وازان بمقصد خواهندرسيد.

ودل على أن للجن ثواباً على أعمالهم لأنه ذكر سبب الثواب وموجبه وقد سبق تحقيقه.

﴿وأما القاسطون﴾ الجائرون عن سنن الهدى **﴿فكانوا لجهنم حطباً﴾** الحطب ما يعد للإيقاد أي حطباً توقد بهم كما توقد بكفرة الإنس.

روي أن الحجاج قال لسعيد بن جبير حين أراد قتله ما تقول في؟ قال: إنك قاسط عادل فقال الحاضرون ما أحسن ما قال حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة جعلني جاهلاً كافراً وتلا قوله تعالى: **﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾** وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] وأسند بعضهم قول سعيد إلى امرأة كما قال في «الصحاح» ومنه قول تلك المرأة للحجاج إنك قاسط عادل فيحتمل التوارد.

﴿وأن لو استقاموا﴾ أن مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعاً على أنه استمع والمعنى وأوحى إلي أن الشأن لو استقام الجن أو الإنس أو كلاهما **﴿على الطريقة﴾** التي هي ملة الإسلام **﴿لأسقيناهم ماء غدقاً﴾** الإسقاء والسقي بمعنى وقال الراغب: السقي والسقيا هو أن تعطيه ماء ليشرب والإسقاء أن تجعل له ذلك له حتى يتناوله كيف شاء كما يقال أسقيته نهراً، فالإسقاء أبلغ وغدق من باب علم إذا غزر وصف الماء به للمبالغة في غزارته كرجل عدل وتخصيص الماء الكثير بالذكر لأنه أصل السعة وإن كان أصل المعاش هو أصل الماء لا كثرته ولعزة وجوده بين العرب قال عمر رضي الله عنه: أينما كان الماء كان العشب وأينما كان العشب كان المال وأينما كان المال كانت الفتنة والمعنى لأعطيناهم مالاً كثيراً وعيشاً رغداً ووسعنا عليهم الرزق في الدنيا وبالفارسية هرآيينه بدهيم ايشان را آب بسيار بعد ازتنل سالي يعني روزي برايشان فراخ كردانيم.

وفيه دلالة على أن الجن يأكلون ويشربون ولكن فيه تفصيل وقد سبق وقال بعض أهل المعرفة المراد بالاستقامة على الطريقة هو القيام على سبيل السنة والميل إلى أهل الصلاح وبالإسقاء الإفاضة على قلوبهم ماء الوداد.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾.

﴿لنفتنهم فيه﴾ لنختبرهم في ذلك الإسقاء والتوسيع كيف يشكرونه كما قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٦٨] أو في ذلك الماء والمآل واحد.

وقال الكاشفي: تابياز ماييم ايشانرادر آن زندكانى كه بوظائف شكر چكونه قيام نمايند.

وفيه إشارة إلى أن المرزوق بالرزق الروحاني والغذاء المعنوي يجب عليه القيام بشكره أيضاً وذلك بوظائف الطاعات وصنوف العبادات وضروب الخدمات.

﴿ومن يعرض عن ذكر ربه﴾ عن عبادته أو عن موعظته أو وحيه ﴿يسلكه﴾ يدخله ﴿عذاباً صعداً﴾ أي: شاقاً صعباً يتصعد أي يعلو المعذب ويغلبه فلا يطيقه على أنه مصدر وصف به للمبالغة يقال سلكت الخيط في الإبرة إذا أدخلته فيها أي يسلكه في عذاب صعد كما قال ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ [المدثر: ٤٢] أي أدخلهم فيها فحذف الجار وأوصل الفعل ثم إن كان إعراضه بعدم التصديق عذابه بالتأبيد وإلا فبقدر جريمته إن لم يغفر له وروي: أن صعداً جبل في النار إذا وضع عليه يديه أو رجليه ذابتا وإذا رفعهما عادتا وقال بعضهم: صعدا جبل أملس في جهنم ويكلف الوليد بن المغيرة صعوده أربعين عاماً فيجذب من أعلاه بالسلاسل فإذا انتهى إلى أعلاه انحدر إلى أسفله ثم يكلف ثانياً هكذا يعذب أبداً.

﴿وأن المساجد لله﴾ عطف على قوله ﴿أنه استمع﴾ أي وأوحي إلي أن المساجد مختصة بالله تعالى وبعبادته خصوصاً المسجد الحرام ولذلك قيل بيت الله فالمراد بالمساجد المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله ويدخل فيها البيوت التي يبنيها أهل الملل للعبادة نحو الكنائس والبيع ومساجد المسلمين، ثم هذا لا ينافي أن تضاف المساجد وتنسب إلى غير تعالى بوجه آخر إما لبانيها كمسجد رسول الله أو لمكانها كمسجد بيت المقدس إلى غير ذلك من الاعتبارات وأعظم المساجد حرمة المسجد الحرام ثم مسجد المدينة ثم مسجد بيت المقدس ثم الجوامع ثم مساجد المحال ثم مساجد الشوارع ثم مساجد البيوت. ﴿فلا تدعوا﴾ أي لا تعبدوا فيها الفاء للسببية ﴿مع الله أحداً﴾ أي لا تجعلوا أحداً غير الله شريكاً لله في العبادة فإذا كان الإشراك مذموماً فكيف يكون حال تخصيص العبادة بالغير.

قال الكاشفي: پس مخوانيد دران بخداي تعالى يكى را چنانچه يهود ونصارى در كنايس وصوامع خود عزير ومسيح رابالوهيت ياد ميكنند وچنانند. مشركان در حوالىء بيت الحرام ميكويند لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك وكفته اندمراد ازيى مساجد تمام روى زمينست كه مسجد حضرت سيد المرسلين است لقوله عليه السلام جعلت لي الأرض مسجداً وتربتها طهوراً پس در هيچ بقعه باياد خدا ياد ديكرى نيكو نباشد.

دلـرا بـجـزا زيـاد خـدا شـاد مـكـن بـايـادوى از كـسـى ديـكـر يـاد مـكـن

قال بعض العارفين: إنما تبرأ تعالى من الشريك لأنه عدم والله وجود فتبرأ من العدم الذي لا يلحقه إذ هو واجب الوجود لذاته والله تعالى مع الخلق ما الخلق مع الله لأنه تعالى يعلمهم وهم لا يعلمونه فهو تعالى معهم أينما كانوا في ظرفية أمكنتهم وأزمانهم وأحوالهم ما الخلق معه تعالى فإنهم لا يعرفونه حتى يكونوا معه ولو عرفوه من طريق الإيمان كانوا كالأعمى يعلم أنه جليس زيد ولكن لا يراه فهو كأنه يراه بخلاف أهل المشاهدة فإنه ذو بصر إلهي فمن دعاء الله مع الله ما هو كمن دعاء الخلق مع الله هذا معنى فلا تدعوا مع الله أحداً ثم إن السجود وإن كان لله لا يقع في الحس أبداً إلا لغير الله أي لجهة غير الله لأن الله ليس بجهة بل هو بكل شيء محيط فما وقع من عبد سجود إلا لغير الله لكن منه ما كان لغير الله عن أمر الله كالسجود لآدم وهو مقبول ومنه ما كان عن غير أمره كالسجود للأصنام وهو مردود، وإنما وضعت المساجد للتعظيم كما أنه عينت القبلة للأدب يروى عن كعب أنه قال: إني لأجد في التوراة أن

الله تعالى يقول إن بيوتي في الأرض المساجد، وإن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله وحق على المزور أن يكرم زائره ومن هنا قالوا إن من دخل المسجد ينوي زيارة الله تعالى قال بعض أهل المعرفة إن مساجد القلوب لزوار تجلية فلا ينبغي أن يكون فيها ذكر غير الله وقال بعضهم: إن مساجد القلوب الصافية عن القاذورت مختصة بالله تعالى وبالتجليات الذاتية والصفاتية والاسمائية فلا تدعوا مع الله أحداً من الأسماء الجزئية أي طهروا مساجد قلوبكم لتجلي اسم الله الأعظم فيها لا غير وقال ابن عطاء مساجدك أعضاؤك التي أمرت أن تسجد عليها لا تخضعها ولا تذللها لغير خالقه وهي الوجه واليدان والركبتان والرجلان والحكمة في إيجاب السجود على هذه الأعظم أن هذه الأعضاء التي عليها مدار الحركة هي المفاصل التي تنفتح وتنطبق في المشي والبطش وأكثر السعي ويحصل بها اجتراح السيئات وارتكاب الشهوات فشرع الله بها السجود للتكفير ومحو الذنب والتطهير.

﴿**وأنه**﴾ من جملة الموحى به أي وأوحي إلي أن الشأن ﴿**لما قام عبد الله**﴾ إلى النبي عليه السلام ولذا جعلوا في أسمائه لأنه هو العبد الحقيقي في الحقيقة المضاف إلى اسم الله الأعظم فرقاً وإن كان هو المظهر له جمعاً.

ودر آثار آمده كه آن حضرت را عليه السلام هيچ نام ارين خوشتر نيامده چه شريطهٔ عبادت وعبوديت بروجهى كه آن حضرت قيام هيچكس را قدرت براقامت بران نبوده لا جرم دروقت عروج آن حضرت برمنازل ملكي باين سام مذكور شدكه سبحان الذي أسرى بعبده وبهنكام نزول قرآن از مدارج فلكي اورا يهمين نام ميكندكه تبارك الذي نزل الفرقان على عبده.

آن بنده شعار بندكى دوست كزجملهٔ بندكان كزين اوست
دادند ببند كيش راهى كاتراك نديده هيچ شاهى

وإيراده عليه السلام بلفظ العبد للإشعار بما هو المقتضي لقيامه وعبادته وهو العبودية أي كونه عبداً له وللتواضع لأنه واقع موقع كلامه عن نفسه إذ التقدير وأوحي إلي أني لما قمت وهذا على قراءة الفتح، وأما على قراءة نافع وأبي بكر فيتعين كونه للإشعار بالمقتضي وفيه تعريض لقريش بأنهم سموا عبد ود وعبد يغوث وعبد مناف وعبد شمس ونحوها لا عبد الله وأن من سمي منهم بعبد الله فإنما هي من قبيل التسمية المجردة عن معانيها. ﴿**يدعوه**﴾ حال من فاعل قام أي يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما سبق. ﴿**كادوا**﴾ أي قرب الجن ﴿**يكونون عليه لبداً**﴾ جمع لبدة بالكسر نحو قربة وقرب وهي ما تلبد بعضه على بعض أي تراكب وتلاصق ومنها لبدة الأسد وهي الشعر المتراكب بين كتفيه، والمعنى متراكمين يركب بعضهم بعضاً ويقع من ازدحامهم على النبي عليه السلام تعجباً مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته واقتداء أصحابه به قياماً وقعوداً وسجوداً لأنهم رأوا ما لم يروا مثله قبله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره، وعلى قراءة الكسر إذا جعل مقول الجن فضمير كادوا لأصحابه عليه السلام الذين كانوا مقتدين به في الصلاة.

يقول الفقير: في هذا المقام إشكال على القراءتين جميعاً لأن المراد إن كان ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما على ما ذهب إليه المفسرون فلا معنى للازدحام، إذ كان الجن بنخلة نفراً سبعة أو تسعة ولا معنى لازدحام النفر القليل مع سعة المكان وقرب القاري وإنما وقع الازدحام في الحجون بعد العود من نخلة على ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه، ولا

مخلص إلا بأن يقال لم يزالوا يدنون من جهة واحدة حتى كادوا يكونون عليه لبداً أو بأن يتجوز في النفر وحينئذٍ يبقى تعيين العدد على ما فعله بعضهم بلا معنى وإن كان المراد ما ذهب إليه ابن مسعود رضي الله عنه، ففيه أن ذلك كان بطريق المشاهدة على ما أسفلناه في الأحقاف ولا معنى لإخباره بطريق الوحي على ما مضى في أول السورة وأيضاً أنه لم يكن معه عليه السلام، إذ ذاك إلا نفر قليل من أصحابه بل لم يكن إلا زيد بن حارثة رضي الله عنه على ما في «إنسان العيون» فلا معنى للازدحام والله أعلم بمراده.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿قل إنما أدعو﴾ أي: أعبد ﴿ربي ولا أشرك به﴾ أي بربي في العبادة ﴿أحداً﴾ فليس ذلك ببدع فلا مستنكر يوجب التعجب أو الاطباق على عداوتي وهذا حالي فليكن حالكم أيضاً كذلك ﴿قل إني لا أملك﴾ لا أستطيع ﴿لكم﴾ أيها المشركون ﴿ضراً ولا رشداً﴾ كأنه أريد لا أملك ضراً ولا نفعاً ولا غياً ولا رشداً، أي ليس هذا بيدي بل بيد الله تعالى فإنه هو الضار النافع الهادي المضل فترك من كلا المتقابلين ما ذكر في الآخر فالآية من الاحتباك وهو الحذف من كل ما يدل مقابلة عليه.

وفي «التأويلات النجمية»: أي من حيث وجوده المضاف إليه كما قال ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] وأما من حيث وجوده الحق المطلق فإنه يملك الضر والرشد كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] قال القاشاني: أي غياً وهدى إنما الغواية والهداية من الله إن سلطني عليكم تهتدوا بنوري وإلا بقيتم في الضلال ليس في قوتي أن أقسركم على الهداية. ﴿قل إني لن يجيرني﴾ ينقذني ويخلصني ﴿من الله﴾ من قهره وعذابه إن خالفت أمره وأشركت به ﴿أحد﴾ إن استنقذته أو لن ينجيني منه أحد إن أرادني بسوء قدره علي من مرض أو موت أو غيرهما قال بعضهم هذه لفظة تدل على الإخلاص في التوحيد إذ التوحيد هو صرف النظر إلى الحق لا غير وهذا لا يصح إلا بالإقبال على الله والإعراض عما سواه والاعتماد عليه دون ما عداه. ﴿ولن أجد من دونه ملتحداً﴾ يقال ألحد في دين الله والتحد فيه أي مال عنه وعدل ويقال للملجأ الملتحد لأن اللاجىء يميل إليه والمعنى ولن أجد عند الشدائد ملتجأ غيره تعالى وموئلاً ومعدلاً فلا ملجأ ولا موئل ولا معدل إلا هو وهذا بيان لعجزه عليه السلام، عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عن شؤون غيره أي وإذ لا أملك لنفسي شيئاً فكيف أملك لكم شيئاً.

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾.

﴿إلا بلاغاً من الله﴾ استثناء متصل من قوله لا أملك أي من مفعوله فإن التبليغ إرشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة عن نفسه فلا يضر طول الفصل بينهما وفائدة الاستثناء المبالغة في توصيف نفسه بالتبليغ لدلالته على أنه لا يدع التبليغ الذي يستطيعه لتظاهرهم على عدوانه وقوله ﴿من الله﴾ صفة بلاغاً أي بلاغاً كائناً منه وليس متعلقاً بقوله بلاغاً

لأن صلة التبليغ في المشهور إنما هي كلمة عن دون من وبلاغاً واقع موقع التبليغ كما يقع السلام والكلام موقع التسليم والتكليم أو استثناء من قوله ﴿**ملتحداً**﴾ أي لن أجد من دونه تعالى منجي إلا أن أبلغ عنه ما أرسلني به فهو حينئذٍ منقطع فإن البلوغ ليس ملتحداً من دون الله لأنه من الله وبإعانته وتوفيقه. ﴿**ورسالاته**﴾ عطف على بلاغاً بإضمار المضاف وهو البلاغ أي لا أملك لكم إلا تبليغاً كائناً منه تعالى وتبليغ رسالاته التي أرسلني بها يعني الآن أبلغ عن الله وقول قال الله كذا ناسباً للمقالة إليه وأن أبلغ رسالاته التي أرسلني بها من غير زيادة ولا نقصان، وقال سعدي المفتي: لعل المراد من بلاغاً من الله ما هو ما يأخذه منه تعالى بلا واسطة ومن رسالاته ما هو بها انتهى، والمراد بالرسالة هو ما أرسل الرسول به من الأمور والأحكام والأحوال لا معنى المصدر والظاهر أن المراد إلا التبليغ والرسالة من الله تعالى وجمع الرسالة باعتبار تعدد ما أرسل هو به. ﴿**ومن يعص الله ورسوله**﴾ في الأمر بالتوحيد بأن لا يمتثل أمرهما به ودعوتهما إليه فيشرك به إذ الكلام فيه وهو يصلح أن يكون مخصصاً للعموم فلا متمسك للمعتزلة في الآية على تخليد عصاة المؤمنين في النار. ﴿**فإن له نار جهنم خالدين فيها**﴾ أي في النار أو في جهنم والجمع باعتبار المعنى. ﴿**أبداً**﴾ بلا نهاية فهو دفع لأن يراد بالخلود المكث الطويل ﴿**حتى إذا رأوا ما يوعدون**﴾ غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لأنصاره عليه السلام، ولاستقلالهم لعددهم حتى قالوا هم بالإضافة إلينا كالحصاة من جبال كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون من فنون العذاب في الآخرة ﴿**فسيعلمون**﴾ حينئذٍ عند حلوله بهم ﴿**من أضعف ناصراً وأقل عدداً**﴾ أي: فسيعلمون الذي هو أضعف وأقل أهم أم المؤمنون فمن موصولة وأضعف خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن تكون استفهامية مرفوعة بالابتداء وأضعف خبره والجملة في موضع نصب سدت مسد مفعولي العلم، وناصراً وعدداً منصوبان على التمييز وحمل بعضهم ما توعدون على ما رأوه يوم بدر وأياً ما كان ففيه دلالة على أن الكفار مخذولون في الدنيا والآخرة وإن كثروا عدداً وقووا حسداً لأن الكافرين لا مولى لهم وأن المؤمنين منصورون في الدارين وإن قلوا عدداً وضعفوا جسداً لأن الله مولاهم والواحد على الحق هو السواد الأعظم فإن نصره ينزل من العرش قال الحافظ:

تيغى كه اسمانش ازفيض خود دهد آب تنها جهان بكيردبى منت سپاهى

﴿**قل إن أدري**﴾ أي: ما أدري لأن إن نافية ﴿**أقريب**﴾ خبر مقدم لقوله ﴿**ما توعدون**﴾ ويجوز أن يكون ما توعدون فاعلاً لقريب ساداً مسد الخبر لوقوعه بعد ألف الاستفهام وما موصولة والعائد محذوف أي أقريب الذي توعدونه نحو أقائم الزيدان. ﴿**أم يجعل له ربي أمداً**﴾ أي: غاية تطول مدتها والأمد وإن كان يطلق على القريب أيضاً إلا أن المقابلة تخصصه بالبعيد والفرق بين الزمان والأمد أن الأمد يقال باعتبار الغاية والزمان عام في المبدأ والغاية والمعنى أن الموعود كائن لا محالة وأما وقته فما أدري متى يكون لأن الله لم يبينه لما رأى في إخفاء وقته من المصلحة وهو رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون الموعود إنكاراً له واستهزاء فإن قيل أليس قال عليه السلام: «بعثت أنا والساعة كهاتين» فكان عالماً بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لا أدري أقريب أم بعيد والجواب أن المراد بقرب وقوعه هو أن ما بقي من الدنيا أقل ممن انقضى فهذا القدر من القرب معلوم وأما قربه بمعنى كونه

بحيث يتوقع في كل ساعة فغير معلوم على أن كل آت قريب، ولذا قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النحل: ١] وقال كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار وذلك بالموت للمتقدمين ووقوع عين القيامة للمتأخرين كما أوعد نوح عليه السلام بالطوفان فلم يدركه بعضهم بل هلك قبله وغرق في طوفان الموت وبحر البلاء.

قال بعض أهل المعرفة: قل إن أدري أقريب ما توعدون في القيامة الصغرى من الفناء الصوري والموت الطبيعي الاضطراري والدخول في نار الله الكبرى عند البعث لعدم الوقوف على قدر الله أو في الكبرى من الموت الإرادي والفناء الحقيقي لعدم الوقوف على قوة الاستعداد فيقع عاجلاً أم ضرب الله غاية وأجلاً.

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾﴾

﴿عالم الغيب﴾ وحده وهو خبر مبتدأ محذوف أي هو عالم لجميع ما غاب عن الحس على أن اللام للاستغراق، والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية. **﴿فلا يظهر﴾** آكاه نكند **﴿على غيبه أحداً﴾** الفاء لترتيب عدم الإظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الإطلاق، أي فلا يطلع على غيبه إطلاعاً كاملاً ينكشف به جلية الحال انكشافاً تاماً موجباً لعين اليقين أحد من خلقه **﴿إلا من ارتضى من رسول﴾** الارتضاء پسنديدن وأصله تناول مرضي الشيء أي إلا رسولاً ارتضاه واختاره لإظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقاً ما، إما لكونه من مبادي رسالته بأن يكون معجزة دالة على صحتها، وإما لكونه من أركانها وأحكامها كعامة التكاليف الشرعية التي أمر بها المكلفون وكيفيات أعمالهم وأجزيتها المترتبة عليها في الآخرة وما تتوقف هي عليه من أحوال الآخرة التي من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الأمور الغيبية التي بيانها من وظائف الرسالة، وإما ما لا يتعلق بها على أحد الوجهين من الغيوب التي من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه أحداً أبداً على أن بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التي عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفي كرامات الأولياء المتعلقة بالكشف فإن اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم أصلاً ولا يدعى أحد لأحد من الأولياء ما في مرتبة الرسل من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح بل إطلاعهم بالأخبار الغيبي والتلقف من الحق فيدخل في الرسول وارثه.

قال الجنيد قدس سره: قعد علي غلام نصراني متنكراً، وقال: أيها الشيخ ما معنى قوله عليه السلام: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله»؟ قال: فأطرقت رأسي ورفعت فقلت أسلم أسلم فقد حان وقت إسلامك فأسلم الغلام فهذا إما بطريق الفراسة أو بغيرها من أنواع الكشوف وخرج من البين أهل الكهانة والتنجيم لأنهم ليسوا من أهل الارتضاء والاصطفاء كالأنبياء والأولياء فليس إخبارهم بطريق الإلهام والكشف بل بالإمارات والظنون ونحوها ولذا لا يقع أكثرها إلا كاذباً ومن قال أنا أخبر من أخبار الجن يكفر لأن الجن كالإنس لا تعلم غيباً، وقد سبق أن الكهانة انقطعت اليوم فلا كهانة أبداً لأن الشياطين منعوا من السماء قال ابن

الشيخ: إنه تعالى لا يطلع على الغيب الذي يختص به علمه إلا المرتضى الذي يكون رسولاً وما لا يختص به يطلع عليه غير الرسول إما بتوسط الأنبياء أو بنصب الدلائل وترتيب المقدمات أو بأن يلهم الله بعض الأولياء وقوع بعض المغيبات في المستقبل بواسطة الملك فليس مراد الله بهذه الآية أن لا يطلع أحداً على شيء من المغيبات إلا الرسل لظهور أنه تعالى قد يطلع على شيء من الغيب غير الرسل كما اشتهر أن كهنة فرعون أخبروا بظهور موسى عليه السلام، وبزوال ملك فرعون على يده وأن بعض الكهنة أخبروا بظهور نبينا محمد عليه السلام قبل زمان ظهوره ونحو ذلك من المغيبات وكانوا صادقين فيه وأرباب الملل والأديان مطبقون على صحة علم التعبير والمعبر قد يخبر عن وقوع الوقائع الآتية في المستقبل ويكون صادقاً فيه ثم الآية نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء. **﴿فإنه يسلك﴾** پس بدرستى كه درمى آرد خداي تعالى يعني ميسازد.

وبالعربية يدخل ويثبت **﴿من بين يديه﴾** أي قدام الرسول المرتضى **﴿ومن خلفه رصداً﴾** قال في «القاموس» الرصد محركة الراصدون أي الراقبون بالفارسية نكهبانان.

يقال للواحد والجماعة كما في «المفردات»، وهو تقريب وتحقيق للإظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته أي فإنه تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول عند إظهاره على غيبه حرساً من الملائكة يحرسونه من بعض الشياطين لما أظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته يعني أن جبريل كان إذا نزل بالرسالة نزل معه ملائكة يحفظونه من أن يسمع الجن الوحي فيلقونه إلى كهنتهم فتخبر به الكهنة قبل الرسول فيختلط على الناس أمر الرسالة قال القاشاني: إلا من ارتضى من رسول أي أعده في الفطرة الأولى وزكاء وصفاء من رسول القوة القدسية فإنه يسلك من بين يديه أي من جانبه الإلهي ومن خلفه، أي ومن جهته البدنية رصداً حفظة أما من جهة الله التي إليها وجهه فروح القدس والأنوار الملكوتية والربانية وأما من جهة البدن فالملكات الفاضلة والهيئات النورية الحاصلة من هياكل الطاعات والعبادات يحفظونه من تخبيط الجن وخلط كلامهم من الوساوس والأوهام والخيالات بمعارفها اليقينية ومعانيها القدسية والواردات المغيبية والكشوف الحقيقية.

﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾ متعلق بيسلك غاية له من حيث أنه مترتب على الإبلاغ المترتب عليه إذ المراد به العلم المتعلق بالإبلاغ الموجود بالفعل وإن مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف والجملة خبرها والإبلاغ الإيصال وبالفارسية رسانيدن.

ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذي أريد إظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد أفراده وضمير أبلغوا إما للرصد، فالمعنى أنه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم أن الشأن قد أبلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علماً مستتبعاً للجزاء وهو أن يعلمه موجوداً حاصلاً بالفعل كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ﴾ [محمد: ٣١] والغاية في الحقيقة هو الإبلاغ والجهاد وإيراد علمه تعالى لإبراز اعتنائه تعالى بأمرهما لإشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير من التفريط فيهما وإما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الضميرين السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم أنه قد أبلغ الرسل الموحى إليهم رسالات ربهم إلى أممهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما أبلغها الرصد إليهم كذلك **﴿وأحاط بما لديهم﴾** أي بما عند الرصد أو الرسل حال عن

فاعل يسلك بإضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور جيء بها لتحقيق استغنائه تعالى أي وقد أحاط بما لديهم من الأحوال جميعاً. ﴿وأحصى﴾ علم علماً بالغاً إلى حد الإحاطة تفصيلاً وبالفارسية وشمرده است ﴿كل شيء﴾ مما كان وما سيكون ﴿عدداً﴾ أي: فرداً فرداً فكيف لا يحيط بما لديهم قال القاسم هو أوجدها فأحصاها عدداً وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أحصى ما خلق وعرف عدد ما خلق لم يفته علم شيء حتى مثاقيل الذر والخردل.

قال الكاشفي: مراد كمال علم است وتعلق آن بجميع معلومات يعني معلومي مطلقاً از دائرهء علم أو خارج نيست.

هرچه دانستي است درد وجهان نيست از علم شاملش پنهان

قوله عدداً تمييز منقول من المفعول به كقوله ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢] والأصل أحصى عدد كل شيء وفائدته بيان أن علمه تعالى بالأشياء ليس على وجه كلي إجمالي بل على وجه جزئي تفصيلي فإن الإحصاء قد يراد به الإحاطة الإجمالية كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ٨] أي لا تقدروا على حصرها إجمالاً فضلاً عن التفصيل وذلك لأن أصل الإحصاء أن الحاسب إذا بلغ عقداً معيناً من عقود الأعداد كالعشرة والمائة والألف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبني على ذلك حسابه وهذه الآية مما يستدل به على أن المعدوم ليس بشيء لأنه لو كان شيئاً لكانت الأشياء غير متناهية وكونه أحصى عددها يقتضي كونها متناهية لأن إحصاء العدد إنما يكون في المتناهي فيلزم الجمع بين كونها متناهية وغير متناهية وذلك محال فوجب القطع بأن المعدوم ليس بشيء حتى يندفع هذا التناقض والتنافي كذا في «حواشي» ابن الشيخ رحمه الله.

تمت سورة الجن بعون ذي الطول والمن في عصر الثلاثاء السابع من ذي القعدة من شهور سنة ست عشرة ومائة وألف

٧٣ ـ سورة المزمل

وآيها تسع عشرة أو عشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾.

﴿يا أيها المزمل﴾ أي: المتزمل من تزمل بثيابه إذا تلفف بها وتغطى فأدغم التاء في الزاي فقيل المزمل بتشديدين كان عليه السلام نائماً بالليل متزملاً في قطيفة أي دثار مخمل فأمر أن يترك التزمل إلى التشمر للعبادة ويختار التهجد على الهجود وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أول ما جاءه جبريل خافه فظن أن به مساً من الجن فرجع من جبل حراء إلى بيت خديجة مرتعداً وقال: زملوني فبينما هو كذلك إذا جاء جبريل وناداه، وقال **﴿يا أيها المزمل﴾** وعن عكرمة أن المعنى يا أيها الذي زمل أمراً عظيماً، أي حمله والزمل الحمل ازدمله احتمله قال السهيلي رحمه الله: ليس المزمل من أسمائه عليه السلام التي يعرف بها كما ذهب إليه بعض الناس وعده في أسمائه وإنما المزمل مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب وكذا المدثر وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان إحداهما الملاطفة فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي عليه السلام لعلي رضي الله عنه حين غاضب فاطمة رضي الله عنها أي أغضبها وأغضبته فأتاه وهو نائم قد لصق بجنبه التراب فقال له: «قم يا أبا تراب» إشعاراً بأنه غير عاتب عليه وملاطفة له وكذلك قوله عليه السلام لحذيفة رضي الله عنه: «قم يا نومان» وكان نائماً ملاطفة وإشعاراً بترك العتب والتأديب فقول الله تعالى لمحمد عليه السلام يا أيها المزمل تأنيس وملاطفة ليستشعر أنه غير عاتب عليه والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله لينتبه إلى قيام الليل وذكر الله فيه لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل بذلك العمل واتصف بتلك الصفة انتهى.

وفي «فتح الرحمن»: الخطاب الخاص بالنبي عليه السلام كأيها المزمل ونحوه عام للأمة إلا بدليل يخصه وهذا قول أحمد والحنفية والمالكية وقال أكثر الشافعية لا يعمهم إلا بدليل وخطابه عليه السلام لواحد من الأمة هل يعم غيره قال الشافعي والحنفية والأكثر لا يعم وقال أبو الخطاب من أئمة الحنابلة إن وقع جواباً عم وإلا فلا. **﴿قم الليل﴾** بكسر الميم لالتقاء الساكنين، أي لا تتزمل وترقد ودع هذه الحال لما هو أفضل منها وقم إلى الصلاة في الليل فانتصاب الليل على الظرفية وإن استغرق الحدث الواقع فيه فحذف في واو صل الفعل إليه فنصب لأن عمل الجر لا يكون في الفعل والنصب أقرب إليه من الرفع ومن ذلك قال بعضهم:

هو مفعول نظراً إلى الظاهر في الاستعمال ومن ذلك ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقوله: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥] في أحد الوجهين كما سبق ومثله الإحياء في قوله: «من أحيى ليلة القدر» ونحوه فإن الإحياء وإن كان واقعاً على الليل في الظاهر لكن المراد به إحياء الصلاة والذكر في الليل واستعمالها وحد الليل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر.

قال بعض العارفين: إن الله اشتاق إلى مناجاة حبيبه فناداه أن يقوم في جوف الليل وقد قالوا إن القيام والمناجاة ليسا من الدنيا بل من الجنة لما يجده أهل الذوق من الحلاوة. **﴿إلا قليلا﴾** استثناء من الليل.

﴿نصفه﴾ بدل من الليل الباقي بعد الثنيا بدل الكل والنصف أحد شقي الشيء، أي قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لإظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام والإيذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام في أكثره في كثرة الثواب يعني أنه يجوز أن يوصف النصف المستثنى بكونه قليلاً بالنسبة إلى النصف المشغول بالعبادة مع أنهما متساويان في المقدار من حيث أن النصف الفارغ لا يساويه بحسب الفضيلة والشرف فالاعتبار بالكيفية لا بالكمية وقال بعضهم إن القلة في النصف بالنسبة إلى الكل لا إلى العديل الآخر وإلا لزم أن يكون أحد النصفين المساويين أقل من الآخر وفيه أنه من عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر كما في «الإرشاد». **﴿أو انقص منه﴾** أي انقص القيام من النصف المقارن له إلى الثلث **﴿قليلا﴾** أي نقصان قليلاً أو مقداراً قليلاً بحيث لا ينحط إلى نصف الليل.

﴿أو زد عليه﴾ أي: زد القيام على النصف المقارن له إلى الثلثين فالمعنى تخييره عليه السلام بين أن يقوم نصفه أو أقل منه أو أكثر أي قم إلى الصلاة في الزمان المحدود المسمى بالليل إلا في الجزء القليل منه وهو نصفه أو انقص القيام من نصفه أو زد عليه قيل هذا التخيير على حسب طول الليالي وقصرها فالنصف إذا استوى الليل والنهار والنقص منه إذا أقصر الليل والزيادة عليه إذا طال الليل **﴿ورتل القرآن﴾** في أثناء ما ذكر من القيام أي اقرأه على تؤدة وتبيين حروف وبالفارسية وقر آرا كشده حروف خوان بحديكه بعضي آن بربى بعضي باشد **﴿ترتيلا﴾** بليغاً بحيث يتمكن السامع من عدها ولذا نهى ابن مسعود رضي الله عنه عن التعجل، وقال ولا يكن هم أحدكم آخر السورة يعني لا بد للقارىء من الترتيل ليتمكن هو ومن حضره من التأمل في حقائق الآيات فعند الوصول إلى ذكر الله يستشعر عظمته وجلاله وعند الوصول إلى الوعد والوعيد يقع في الرجاء والخوف وليسلم نظم القرآن من الخلل، والرتل اتساق الشيء وانتظامه على استقامة والترتيل هو يدا كردن سخن بي تكلف.

قال في «الكشاف»: ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤده بتبيين الحروف وإشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيهاً بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الأقحوان وأن لا يهزه هزاً ولا يسرده سرداً كما قال عمر رضي الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يجيء المتلو في تتابعه كالثغر الألص، والأمر بترتيل القرآن يشعر بأن الأمر بقيام الليل نزل بعد ما تعلم عليه السلام مقداراً منه وإن قل وقوله **﴿إنا سنلقي﴾** على الاستقبال بالنسبة إلى بقية القرآن ثم الظاهر أن الأمر به يعم الأمة لأنه أمر مهم للكل والأمر للوجوب كما دل عليه التأكيد أو للندب وكانت قراءته عليه السلام، مداً يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم أما الأولان فمدهما طبيعي قدر الألف وأما الأخير فمده عارضي بالسكون فيجوز فيه ثلاثة أوجه

الطول وهو مقدار ألفات ثلاث والتوسط قدر ألفين والقصر قدر ألف، وكان عليه السلام مجوداً للقرآن كما أنزل وتجويده تحسين ألفاظه بإخراج الحروف من مخارجها وإعطاء حقوقها من صفاتها كالجهر والهمس واللين ونحوها وذلك بغير تكلف وهو ارتكاب المشقة في قراءته بالزيادة على أداء مخرجه والمبالغة في بيان صفته فينبغي أن يتحفظ في الترتيل عن التمطيط وهو التجاوز عن الحد وفي الحدر عن الإدماغ والتخليط بأن تكون قراءته بحال كأنه يلف بعض الحروف والكلمات في بعض آخر لزيادة السرعة وذلك أن القراءة بمنزلة البياض إن قل صار سمرة وإن كثر صار برصاً وما فوق الجعودة فهو القطط فما كان فوق القراءة فليس بقراءة فعلم من هذا أن التجويد على ثلاث مراتب ترتيل وحدر وتدوير.

أما الترتيل: فهو تؤدة وتأن وتمهل قال في «القاموس»: ورتل الكلام ترتيلاً أحسن تأليفه وترتل فيه ترسل انتهى. وهو مختار ورش وعاصم وحمزة ويؤيده قوله عليه السلام من قرأ القرآن أقل من ثلاث لم يفهمه وفي «قوت القلوب» أفضل القراءة الترتيل لأن فيه التدبر والتفكر وأفضل الترتيل والتدبر للقرآن ما كان في صلاة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما لأن أقرأ البقرة أرتلها وأتدبرها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله هذرمة أي سرعة وعن النبي عليه السلام أنه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم قرأها عشرين مرة وكان له كل مرة فهم وفي كل كلمة علم وقد كان بعضهم يقول كل آية لا أفهمها ولا يكون قلبي فيها لم أعد لها ثواباً وكان بعض السلف إذا قرأ سورة لم يكن قلبه أعادها ثانية قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر قال مالك بن دينار رحمه الله إذا قام العبد يتهجد من الليل ويرتل القرآن كما أمر قرب الجبار منه قال وكانوا يرون أن ما يجدونه في قلوبهم من الرقة والحلاوة وتلك الفتوح والأنوار من قرب الرب من القلب وفي الحديث: «يؤتى بقارىء القرآن يوم القيامة فيوقف في أول درج الجنة ويقال اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» ولكون المقصود من إنزال القرآن فهم الحقائق والعمل بالفحاوي شرع الإنصات لقراءة القرآن وجوباً في الصلاة وندباً في غيرها وللقارىء أجر وللمستمع أجران لأنه يسمع وينصت أو يسمع بأذنيه يقرأ بلسان واحد والمستمع يؤدي الفرض ولذا قالوا استماعه أثوب من تلاوته.

وفي «سلسلة الذهب» للمولى الجامي:

صرف او كن حواس جسماني ... وقف أو كن قواي روحاني
دل بمعنى زبان بلفظ سپار ... چشم برخط ونقط وعجم كذار
كوش از ومعدن جواهركن ... هوش از ومخزن سر آثركن
در اد ايش مكن زبان كج مج ... حرفهايش إذا كن از مخرج
دورباش ازتهتك وتعجيل ... كام كيراز تأمل وترتيل

وأما الحدر: فهو الإسراع في القراءة كما روي أنه ختم القرآن في ركعة واحدة أربعة من الأمة عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير وأبو حنيفة رضي الله عنهم وكان همسر بن المنهال يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهم رجع فقرأ مرة أخرى وفي «القاموس» وأبو الحسن علي بن عبد الله بن شاذان بن البتني كعربي مقرىء ختم في النهار أربع ختمات إلا ثمناً مع فهم التلاوة انتهى.

وأما ما روي في مناقب الشيخ موسى السدراني من أكابر أصحاب الشيخ أبي مدين رضي

الله عنه من أن له ورداً في اليوم والليلة سبعين ألف ختمة فمعناه أن اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة فيكون في كل اثنتي عشرة ساعة خمسة وثلاثون ألف ختمة لأنها إما أن تنبسط إلى ثلاث وأربعين سنة وتسعة أشهر، وإما إلى أكثر وعلى التقدير الأول يكون اليوم والليلة منبسطاً إلى سبع وثمانين سنة وستة أشهر فيكون في كل يوم وليلة من أيام السنين المنبسطة أيامها ولياليها ختمتان ختمة في اليوم وختمة في الليلة كما هو العادة ويحتمل التوجيه بأقل من ذلك باعتبار سرعة القارىء، وهذا أي الحدر مختار ابن كثير وأبي عمرو وقالون.

وأما التدوير فهو التوسط بين الترتيل والحدر وهو مختار ابن عامر والكسائي وهذا كله إنما يتصور في مراتب المدود وفي الحديث: «رب قارىء للقرآن والقرآن يلعنه» وهو متناول لمن يخل بمبانيه أو معانيه أو بالعمل بما فيه وذلك موقوف على بيان اللحن وهو أنه جلي وخفي فالجلي خطأ يعرض للفظ ويخل بالمعنى بأن بدل حرفاً مكان حرف بأن يقول مثلاً الطالحات بدل الصالحات وبالإعراب كرفع المجرور ونصبه سواء تغير المعنى به أم لا كما إذا قرأ الله بريء من المشركين ورسوله بجر رسوله والخفي خطأ يخل بالعرف والضابطة كترك الإخفاء والإدغام والإظهار والقلب وكترقيق المفخم وعكسه ومد المقصور وقصر الممدود وأمثال ذلك ولا شك أن هذا النوع مما ليس بفرض عين يترتب عليه العقاب الشديد وإنما فيه التهديد وخوف العقاب قال بعضهم اللحن الخفي الذي لا يعرفه إلا مهرة القراء من تكرير الراءات وتطنين النونات وتغليظ اللامات وترقيق الراءات في غير محلها لا يتصور أن يكون من فرض العين يترتب عليه العقاب على فاعلها لما فيه من حرج ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها وفي بعض «شروح الطريقة» ومن الفتنة أن يقول لأهل القرى والبوادي والعجائز والعبيد والإماء لا تجوز الصلاة بدون التجويد وهم لا يقدرون على التجويد فيتركون الصلاة رأساً فالواجب أن يعلم مقدار ما يصح به النظم والمعنى ويتوغل في الإخلاص وحضور القلب.

لعنت است اين كه بهر لهجه وصوت ... شود از تو حضور خاطر فوت
فكر حسن غنا برد هوشت ... متكلم شود فراموشت
لعنت است اين كه سازدت پى سيم ... روز وشب با امير وخواجه نديم
لعنت است اين كه همت توتمام ... كنت مصروف لفظ وحرف وكلام
نقد عمرت زفكرت معوج ... خرج شد در رعايت مخرج
صرف كردى همه حيات سره ... در قراآت سبعه وعشره
همچنين هرچه از كلام اخدا ... جزخدا قبلهٔ دلست ترا
موجب لعن ومايهٔ طرد ست ... حبذا مقبلي كه زن فردست
معنئ لعن چيست مر دودى ... بمقامات بعد خشنودى
هركه ماند ازخدا بيك سرمو ... آمد اندر مقام بعد حرو
كرچه ملعون نشد زحق مطلق ... هست ملعون بقدر بعد ازحق

روي أن عمران بن حصين رضي الله عنه مر على وقاص يقرأ ثم يسأل فاسترجع ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول من قرأ القرآن فليسأل الله به فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن يسألون به الناس انتهى. فيكون إعطاء شيء إياه من قبيل الإعانة على المعصية كالإعطاء لسائل المسجد وهو يتخطى رقاب الناس، ولا يدع السواك في كل ما استيقظ من نوم الليل والنهار

وفي الخبر طيبوا طرق القرآن من أفواهكم باستعمال السواك والصلاة بعد السواك تفضل علي بغير سواك سبعين ضعفاً، وفي «قوت القلوب» وفي الجهر بالقرآن سبع نيات منها الترتيل الذي أمر به ومنها تحسين الصوت بالقرآن الذي ندب إليه في قوله عليه السلام، «زينوا القرآن بأصواتكم» وفي قوله: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» أي يحسن صوته وهو أحب من أخذه بمعنى الغنية والاكتفاء ومنها أن يسمع أذنيه ويوقظ قلبه ليتدبر الكلام ويتفهم المعاني ولا يكون ذلك كله إلا في الجهر ومنها أن يطرد النوم عنه برفع صوته ومنها أن يرجو بجهره يقظة نائم فيذكر الله فيكون هو سبب إحيائه ومنها أن يراه بطال غافل فينشط للقيام ويشتاق إلى الخدمة فيكون هو معاوناً له على البر والتقوى ومنها أن يكثر بجهره تلاوته ويدوم قيامه على حسب عادته للجهر ففي ذلك كثرة عمله فإذا كان القارىء على هذه النيات فجهره أفضل لأن فيه أعمالاً وإنما يفضل العمل بكثرة النيات وكان أصحاب رسول الله عليه السلام إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن، وفي «شرح الترغيب» اختلف في القراءة بالألحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والتفهم وأباحها أبو حنيفة وجماعة من السلف للأحاديث لأن ذلك سبب للرقة وإثارة الخشية. وفي «أبكار الأفكار»: إنما استحب تحسين الصوت بالقراءة وتزيينه ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فإن أفرط حتى زاد حرفاً أو أخفاه فهو حرام وقال بعض أهل المعرفة قوله رتل أي اتل وجاءت التلاوة بمعنى الإبلاغ في مواضع من القرآن، فالمعنى بلغ أحكام القرآن لأهل النفوس المتمردة المنحرفة عن الإقبال على الآخرة وهم العوام وهذا من قبيل الظهر كما قال عليه السلام ما من آية إلا ولها ظهر وبطن وحد ومطلع وفصل معانيه لأصحاب القلوب المقبلة على المولى كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [فصلت: ٣] وهم الخواص وهذا من قبيل البطن وفهم حقائقه لسدنة الأسرار المستهلكين في عين المشاهدة المستغرقين في بحر المعاينة وهم أخص الخواص وهذا من قبيل الحد وأوجد أسراره لأرباب الأرواح الطاهرة الفانين عن ناسوتيتهم الباقين بلاهوتيته.

﴿إنا سنلقي عليك﴾ أي: سنوحي إليك وإيثار الإلقاء عليه لقوله تعالى: **﴿قولاً ثقيلاً﴾** وهو القرآن العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين وأيضاً إن القرآن قديم غير مخلوق والحادث يذوب تحت سطوة القديم إلا من كان مؤيداً كالنبي عليه السلام والثقل حقيقة في الأجسام ثم يقال في المعاني وقال بعضهم: ثقيلاً تلقية كما سئل رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحي؟ قال: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي فيفصم عني أي يقلع وينحى وقد وعيت ما قال وأحياناً يتمثل إلي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة رضي الله عنها ولقدر رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرقاً» أي يترشح.

قال الكاشفي: در حين نزول وحي برآن حضرت برين وجه كه مذكور شداكر برشتر سواري بودي دست وپاي شترخم كشتى واكرتكيه برران يكى ازياران داشتى خوف شكستن آن بودي ودرين محل روى كلبركش برافروخته (مصراع) بسان كل كه بصحن چمن برافروزد.

وفي «التأويلات النجمية»: ثقل المحمول بحسب لطف الحامل ولا شك أن نبينا عليه السلام كان ألطف الأنبياء خلقاً وأعدلهم مزاجاً وطبعاً وأكملهم روحانية ورحمانية وأفضلهم نشأة وفطرة وأشملهم استعداداً وقابلية فلذلك خص القرآن بالثقل من بين سائر الكتب السماوية

المشتملة على الأوامر والنواهي والأحكام والشرائع للطف فطرته وشمول رحمته، والجملة اعتراض بين الأمر وهو قم الليل وبين تعليله وهو ﴿**إن ناشئة الليل**﴾. . الخ لتسهل ما كلفه عليه السلام من القيام يعني أن في توصيف ما سيلقى عليه بالثقل إيماء إلى أن ثقل هذا التكليف بالنسبة إليه كالعدم فإذا كان ما سيكلف أصعب وأشق فقد سهل هذا التكليف وفي «الكشاف» أراد بهذا الاعتراض ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الصعبة التي ورد بها القرآن لأن الليل وقت السبات والراحة والهدوء فلا بد لمن أحياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه فمن استأنس بهذا التكليف لا يثقل عليه أمثاله.

يقول الفقير: سورة المزمل مما نزل في أوائل النبوة فكأن قوله: ﴿**إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً**﴾ يشير إلى مدة الوحي الباقية لأن حروفه مع اعتبار النون المدغم فيها ونوني التنوين اثنان وعشرون فالسين دل على الاستقبال ومجموع الحروف على المدة الباقية وجعل القرآن حملاً ثقيلاً لأن عليه السلام بعث لتتميم مكارم الأخلاق، ولا شك أن ما كان أجمع كان أثقل والله تعالى أعلم بمراده وأيضاً إن كون القول ثقيلاً إنما هو بالنسبة إلى النفس الثقيلة الكثيفة لتراكم حجبها وبعدها عن درك الحق وأما بالنسبة إلى النفس الخفيفة اللطفية فخفيف ولطيف ولذا كان تعب التكاليف مرفوعاً عن الكمل فهم يجدون العبادات كالعادات في ارتفاع الكلفة وفي الذوق والحلاوة.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا ۝٧﴾

﴿**إن ناشئة الليل**﴾ أي: النفس التي تنشأ في الليل من مضجعها إلى العبادة أي تنهض من نشأ من مكانه إذا نهض فالموصوف محذوف والإضافة للملابسة بمعنى النفس الناشئة في الليل. ﴿**هي**﴾ خاصة ﴿**أشد وطئاً**﴾ أي: كلفة وثقلاً مصدر قولك وطىء الشيء، أي داسه برجله أو جعل عليه ثقله فإن النفس القائمة بالليل إلى العبادة أشد وطئاً من التي تقوم بالنهار فلا بد من قيام الليل فإن أفضل العبادات أشقها فالوطء مصدر من المبني للمفعول لأن الواطىء الذي يلقي ثقله على العابد هو العبادة في الليل فيكون العابد بالليل أشد موطوءاً له من العابد بالنهار ووطئاً نصب على التمييز ويجوز أن يكون معنى أشد وطئاً أشد ثبات قدم واستقرارها فيكون المقصود بيان وجه اختيار الليل وتخصيصه بالأمر بالقيام فيه من حيث أنه تعالى جعل الليل لباساً يستر الناس ويمنعهم عن الاضطراب والانقلاب في اكتساب المعاش وجعل النهار معاشاً يباشرون فيه أمور معاشهم فلا تثبت فيه أقدامهم للعبادة ﴿**وأقوم قيلاً**﴾ اسم من القول بمعناه بقلب الواو ياء أي أزيد من جهة السداد والاستقامة في المقال ومن جهة الثبات والاستقرار على الصواب يعني خواندن قرآن درو بصوا بتراست كه دل فارغ باشد وأصوات ساكن وزبان بادل موافقت نمايد بزبان مى خواند وبدل تفكر ميكند.

خاموش شد عالم بشب تاجست باشى در طلب
زيراكه بانك عربده تشويش خلوتخانه بود

ويحتمل أن تكون ناشئة الليل بمعنى قيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ كالعافية بمعنى العفو وهذا وافق لسان الحبشة حيث يقولون نشأ إذا قام أو يكون بمعنى العبادة التي تنشأ بالليل أي تحدث فيكون الوطء مصدراً من المبني للفاعل، فإن كل واحد من قيام الليل ومن

العبادة التي تحدث فيه ثقيلان على العابد من قيام النهار والعبادة فيه، فمعنى ﴿أشد وطئاً﴾ أثقل وأغلظ على المصلي من صلاة النهار فيكون أفضل يعني آن سخت تراست ازجهت رنج وكلفت چه ترك خواب وراحت برنفس بغايت شاق است.

ويحتمل أن يكون المراد بناشئة الليل ساعاته فإنها تحدث واحدة بعد واحدة أي ساعات الليل الناشئة أي الحادثة شيئاً بعد شيء فتكون الناشئة صفة ساعات الليل فتكون أشد وطئاً أي بملاحظة القيام فيها من ساعات النهار لكن ابن عباس رضي الله عنها قيد الناشئة بما كان بعد العشاء فما كان قبلها فليس بناشئة وخصصتها عائشة رضي الله عنها بما كان بعد النوم فلو لم يتقدمها نوم لم تكن ناشئة، وفي «قوت القلوب» أن يصلي بين العشاءين ما تيسر إلى أن يغيب الشفق الثاني وهو البياض الذي يكون بعد ذهاب الحمرة وقيل غسق الليل وظلمته لأنه آخر ما يبقى من شعاع الشمس في القطر الغربي إذا قطعت الأرض العليا ودارت من وراء جبل قاف مصعدة تطلب المشرق فهذا الوقت هو المستحب لصلاة العشاء الآخرة وهو آخر الورد الأول من أوراد الليل والصلاة فيه ناشئة الليل، أي ساعته لأنها أول نشوء ساعاته وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وطاء بالكسر والمد من المواطأة بمعنى الموافقة فإن فسرت الناشئة بالنفس الناشئة كان المعنى أنها أشد من جهة موافقة القلب الكائن لها لسانها وإن فسرت بالقيام أو العبادة أو الساعات كان المعنى أنها أشد من جهة موافقة قلب القائم لسانه فيها أو من جهة كونها موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص وعن الحسن رحمه الله أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق.

﴿إن لك في النهار سبحاً طويلاً﴾ أي تقلباً وتصرفاً في مهماتك كتردد السابح في الماء واشتغالاً بشواغلك فلا تستطيع أن تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل وهذا بيان للداعي الخارجي إلى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعي.

قال الراغب: السبح المر السريع في الماء أو في الهواء استعير لمر النجوم في الفلك كقوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] ولجري الفرس كقوله تعالى: ﴿وَالسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا﴾ [النازعات: ٣] ولسرعة الذهاب في العمل كقوله تعالى: ﴿إن لك في النهار سبحاً طويلاً﴾ وفي «تاج المصادر» السبح تصرف كردن در معيشت.

وفي بعض التفاسير قيل السباحة لما فيها من التقلب باليد والرجل في الماء وقيل معنى الآية إن فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه حتى لا ينقص شيء من حظك من المناجاة لربك ويناسبه قوله عليه السلام: «من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل» ومن أقوال المشايخ إن المريد الصادق إذا فاته ورد من أوراده يليق به أن يقضيه ولو بعد شهر حتى لا تتعود النفس بالكسل فالورد من الشؤون الواردة عن الرسول عليه السلام وأخيار أمته ومن لا ورد له أي وارد خاص بالخواص وفي «قوت القلوب»: من فاته ورد من الأوراد استحب له فعل مثله متى ذكره لا على وجه القضاء لأنه لا تقضي إلا الفرائض ولكن على سبيل التدارك ورياضة النفس بذلك ليأخذ بالعزائم كيلا يعتاد الرخص.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾.

﴿واذكر اسم ربك﴾ ودم على ذكره تعالى ليلاً ونهاراً على أي وجه كان من تسبيح

وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم خصوصاً بعد صلاة الغداة وقبل غروب الشمس فإنهما من ساعات الفتح والفيض، وذكر الله على الدوام من وظائف المقربين سواء كان قلباً أو لساناً أو أركاناً وسواء كان قياماً أو قعوداً أو على الجنوب وبالفارسية ويا دكن پروردكار خودرا وبأسماء حسنى اورا بخوان.

قال عليه السلام من أحصاها أي حصلها دخل الجنة فالمراد من ذكر اسمه فذكره تعالى بواسطة ذكر اسمه ولذا قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] فالذكر والنسيان في الحقيقة كلاهما من صفات القلب وعند تجلي المذكور يفنى الذكر والذاكر كما قال شيخي وسندي روح الله روحه في «شرح تفسير الفاتحة» للقنوي قدس سره: من اشتغل من الأسماء المجازية بما يسر الله الاشتغال به وداوم عليه فلا ريب أنه يحصل بينه وبين سر هذا الاسم المشتغل به وروحه بعناية الله وفضله مناسبة ما بقدر الاشتغال ومتى قويت تلك المناسبة بينهما وكملت بحسب قوة الاشتغال وكماله يحصل بينه وبين مدلوله من الأسماء الحقيقة بواسطة هذه المناسبة الحاصلة مناسبة بقدرها قوة وكمالاً ومتى بلغت إلى حد الكمال أيضاً هذه المناسبة الثانية الحاصلة بينه وبين هذا الاسم الحقيقي بجود الحق سبحانه وعطائه يحصل بينه وبين مسماه الحق تعالى مناسبة بمقدار المناسبة الثانية من جهة القوة والكمال لأن العبد بسبب هذه المناسبة يغلب قدسه على دنسه ويصير مناسباً لعالم القدس بقدر ارتفاع حكم الدنس فحينئذٍ يتجلى الحق سبحانه له من مرتبة ذلك الاسم بحسبها وبقدر استعداده ويفيض عليه ما شاء من العلوم والمعارف والأسرار الإلهية والكونية إما من الوجد العام وطريق سلسلة ترتيب المراتب والحضرات وغيرها من الوسائط والأسباب والأدوات والمواد المعنوية والصورية وإما من الوجه الخاص بدون الوسائل والأغيار أو منهما معاً جميعاً إذ وجه إما هذا أو ذاك لا غيرهما غير نسبة الجمع بينهما وقال بعضهم في الآية: إذا أردت قراءة القرآن أو الصلاة فقل بسم الله الرحمن الرحيم، وقال القاشاني: واذكر اسم ربك الذي هو أنت أي اعرف نفسك واذكرها ولا تنسها فينساك الله واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها.

﴿وتبتل إليه تبتيلا﴾: التبتل الانقطاع وتبتيل دل ازدنيا بريدن.

والمعنى وانقطع إلى ربك انقطاعاً تاماً بالعبادة وإخلاص النية والتوجه الكلي كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٦٤] ثم ذرهم وبالفارسية يعني نفس خودرا از انديشهء ما سوى الله مجرد ساز واز همكى روى بردار.

دل در وبند واز غيرش بكسل هرچه جز اوست برون كن از دل

وليس هذا منافياً لقوله عليه السلام: «لا رهبانية ولا تبتل في الإسلام» فإن التبتل هنا هو الانقطاع عن النكاح ومنه قيل لمريم العذراء رضي الله عنها البتول أي المنقطعة عن الرجال والانقطاع عن النكح والرغبة عنه لقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ﴾ [النور: ٣٢] ومنكم وقوله عليه السلام: «تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة» وأما إطلاق البتول على فاطمة الزهراء رضي الله عنها فلكونها شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل في الانقطاع عما سوى الله لا عن النكاح وقيل تبتلاً مكان تبتيلاً لأن معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل لأن حظ القرآن من حسن النظم والرصف فوق كل حظ وقال بعضهم: لما لم يكن الانقطاع الكلي إلا بتجريد النبي عليه السلام نفسه عن العوائق الصادة عن مراقبة الله وقطع

العلائق عما سواه قيل تبتلاً مكان تبتيلاً فيكون النظم من قبيل الاحتباك كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾﴾ [نوح: ١٧] على وجه وهو أن التقدير أنبتكم منها إنباتاً فنبتم نباتاً وكذا التقدير ههنا أي تبتل إليه تبتلاً يبتلك عما سواه تبتيلاً والأنسب يبتلك ربك تبتيلاً فإن التبتيل فعل الله فلا يحصل للعبد إلا بمعاونته.

وفي «التأويلات النجمية»: واذكر اسم ربك بفناء صفاتك وأفعالك وتبتل إليه تبتيلاً بفناء ذاتك وبقاء ذاته ثم إن التبتل يكون من الدنيا إما ظاهراً فقط فهو مذموم كبعض الحفاة العراة الذين أظهروا الفقر في ظواهرهم وأبطنوا الحرص في ضمائرهم وإما باطناً فقط وهو ممدوح كالأغنياء من الأنبياء والأولياء عليهم السلام فإنهم انقطعوا عن الدنيا باطناً؛ إذ ليس فيهم حب الدنيا أصلاً وإنما لم ينقطعوا ظاهراً لأن إرادتهم تابعة لإرادة الله والله تعالى أراد ملكهم ودولتهم كسليمان ويوسف وداود وأيوب والإسكندر وغيرهم عليهم السلام، وإما ظاهراً وباطناً كأكثر الأنبياء والأولياء وقد يكون التبتل من الخلق إما ظاهراً فقط كتبتل بعض المتعبدة في قلل الجبال وأجواف المغارات لجذب القلوب وجلب الهدايا، وإما باطناً لا ظاهراً كأهل الإرشاد وهم عامة الأنبياء وبعض الأولياء إذ لا بد في إرشاد الخلق من مخالطتهم وإما ظاهراً وباطناً كبعض الأولياء الذين اختاروا العزلة وسكنوا في المواضع الخالية عن الناس.

قال بعضهم السلوك إلى الله تعالى يكون بالتبتل ومعناه الإقبال على الله بملازمة الذكر والإعراض عن غيره بمخالفة الهوى وهذا هو السفر بالحركة المعنوية من جانب المسافر إلى جانب المسافر إليه وإن كان الله أقرب إلى العبد من حبل الوريد، فإن مثال الطالب والمطلوب مثال صورة حاضرة مع مرآة لكن لا تتجلى فيها لصدأ في وجهها فمتى صقلتها تجلت فيها الصورة لا بارتحال الصورة إليها ولا بحركتها إلى جانب الصورة ولكن بزوال الحجاب، فالحجاب في عين العبد وإلا فالله متجل بنوره غير خفي على أهل البصيرة وإن كان فرق بين تجل وتجل بحسب المحل ولذا قال عليه السلام: «إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة» فتجلي العامة كتجلي صورة واحدة في مرائي كثيرة في حالة واحدة وتجلي الخاصة كتجلي صورة واحدة في مرآة واحدة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «لي مع الله وقت» إذ لا يخفى أن التجلي في ذلك الوقت مخصوص به عليه السلام لا يزاحمه غيره فيه.

يقول الفقير: إن في هذا المقام إشكالاً وهو أنه عليه السلام إذا كان مستغرق الأوقات في الذكر دائم الانقطاع إلى الله على ما أفاده الآيتان فكيف يتأتى له السبح في النهار على ما أفصح عنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ﴿٧﴾﴾ [المزمل: ٧] ولعل جوابه من وجوه الأول أن الأمر بالذكر الدائم والانقطاع الكلي من باب الترقي من الرخصة إلى العزيمة كما يقتضيه شأن الأكامل والثاني أن السبح في النهار ليس من قبيل الواجب فله أن يختار التوكل على التقلب ويكون مستوعب الأوقات بالذكر والثالث أن الشغل الظاهر لا يقطع الكمل عن مراقبته تعالى كما قال تعالى: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ٢٣] والرابع أن ذلك بحسب اختلاف الأحوال والأشخاص فمن مشتغل ومن ذاكر والله أعلم بالمرام.

﴿**رب المشرق والمغرب**﴾ مرفوع على المدح أي هو ربهما وخالقهما ومالكهما وما بينهما من كل شيء قال في «كشف الأسرار»: يريد به جنس المشارق والمغارب في الشتاء

والصيف ﴿لا إله إلا هو﴾ استئناف لبيان ربوبيته بنفي الألوهية عما سواه يعني هيچ معبودي نيست سزاورا عبادت مكر أو ﴿فاتخذه﴾ لمصالح دينك ودنياك والفاء لترتيب الأمر وموجبه على اختصاص الألوهية والربوبية به تعالى ﴿وكيلاً﴾ موكولاً ومفوضاً إليه لإصلاحها وإتمامها واسترح أنت.

وفي «التأويلات النجمية»: رب مشرق الذات المطلقة عن حجب تعينات الأسماء والصفات ورب مغرب الصفات والأسماء لاستتاره باستتار حجب الصفات وهي حجب الذات وهو المتعين في جميع الموجودات فلا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً، أي جرد نفسك عنك وعن وجودك المجازي واتخذ وجوده الحقيقي مقام وجودك المجازي وامشِ جانبك، هذا مثل ما قال المريد لشيخه؟ أريد أن أحج على التجريد، فقال له شيخه: جرد نفسك ثم سر حيث شئت. قال الإمام القشيري رحمه الله: إن الله هو المتولي لأحوال عباده يصرفهم على ما يشاء ويختار وإذا تولى أمر عبد بجميل العناية كفاه كل شغل وأغناه عن كل غير فلا يستكثر العبد حوائجه لعلمه أن مولاه كافيه ولهذا قيل من علامات التوحيد كثرة العيال على بساط التوكل.

حكي عن ممشاد الدينوري رحمه الله أنه قال كان علي دين فاهتممت به في بعض الليالي وضاق صدري فرأيت كأن قائلاً يقول لي أخذت هذا المقدار عليك الأخذ وعلينا العطاء ثم انتبهت ففتح لي ما قضيت به الدين ثم لم أحاسب بعد ذلك قصاباً ولا بقالاً ثم قال القشيري: اعلم أن من جعل المخلوق وكيلاً له فإنه يسأله الأجر وقد يخونه في ماله وقد يخطىء في تصرفه أو يخفى عنه الأصوب والأرشد لصاحبه ومن رضي بالله وكيلاً أعطاه الأجر وحقق آماله وأثنى عليه ولطف به في دقائق أحواله بما لا يهتدي إليه أماله بتفاصيل سؤاله ومن جعل الله وكيلاً لزمه أيضاً أن يكون وكيلاً لله على نفسه في استحقاق حقوقه وفرائضه وكل ما يلزمه فيخاصم نفسه في ذلك ليلاً ونهاراً لا يفتر لحظة ولا يقصر طرفة قال الزروقي رحمه الله خاصية الاسم الوكيل نفي الحوائج والمصائب فمن خاف ريحاً أو صاعقة أو نحوهما فليكثر منه فإنه يصرف عنه السوء ويفتح له أبواب الخير والرزق.

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾

﴿واصبر على ما يقولون﴾ يعني قريشاً مما لا خير فيه من الخرافات والهذيانات في حق الله من الشريك والصاحبة والولد وفي حقك من الساحر والشاعر والكاهن والمجنون وفي حق القرآن من أنه أساطير الأولين ونحو ذلك ﴿واهجرهم هجراً جميلاً﴾ تأكيد للأمر بالصبر أي واتركهم تركاً حسناً بأن تجانبهم بقلبك وهواك وتداريهم ولا تكافئهم وتكل أمورهم إلى ربهم كما أعرب عنه ما بعد الآية قال الراغب: الهجر والهجران مفارقة الإنسان غيره إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب وقوله تعالى: ﴿واهجرهم هجراً جميلاً﴾ يحتمل للثلاثة ويدعو إلى تحريها ما أمكن مع تحري المجاملة قال الحكماء تسلح على الأعداء بحسن المداراة حتى تبصر فرصة.

آسايش دوكيتي تفسير اين دو حرفست   با دوستان تلطف بادشمنان مدارا

﴿وذرني والمكذبين﴾ أي دعني وإياهم وكل أمرهم إلي فإني أكفيكهم وقد سبق في ن والقلم وقال بعضهم يجوز نصب المكذبين على المعية، أي دعني معهم وهو الظاهر ويجوز

على العطف أي دعني على أمري مما تقتضيه الحكمة ودع المكذبين بك وبالقرآن وهو أوفق للصناعة لأن النصب إنما يكون نصاً في الدلالة على المصاحبة إذا كان الفعل لازماً وهنا الفعل متعد **﴿أولي النعمة﴾** أرباب التنعم، وبالفارسية: خدا وندان نازوتن آساني.

صفة للمكذبين وهم صناديد قريش وكانوا أهل ترفه وتنعم لا سيما بني المغيرة والنعمة بفتح النون لتنعم وبكسرها الإنعام وما أنعم به عليك وبالضم السرور والتنعم استعمال ما فيه النعومة واللين من المأكولات والملبوسات وفي «تاج المصادر» التنعم بناز زيستن.

وفيه إشارة إلى أن متعلق الذم ليس نفس النعمة والرزق بل التنعم بهما كان قال عليه السلام، لمعاذ رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن والياً «إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين» وفيه تسلية للفقراء فإنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام. **﴿ومهلهم﴾** التمهيل زمان دادن.

والمهل التؤدة والسكون يقال مهل في فعله وعمل في مهلة. **﴿قليلا﴾** أي: زماناً قليلاً وأجلهم أجلاً يسيراً ولا تعجل فإن الله سيعذبهم في الآخرة إذ عمر الدنيا قليل وكل آت قريب ويدل على هذا المعنى ما بعد الآية من بيان عذاب الآخرة وقال الطبري كان بين نزول هذه الآية ووقعة بدر زمان يسير، ولذا قيل: إنها مدنية.

﴿إن لدينا﴾ في الآخرة وفيما هيأناه للعصاة من آلات العذاب وأسبابه وهو أولى من قول بعضهم في علمنا وتقديرنا لأن المقام مقام تهديد العصاة فوجود آلات العذاب بالفعل أشد تأثيراً على أن تلك الآلات صور الأعمال القبيحة ولا شك أن معاصري النبي عليه السلام من الكفار قد قدموا تلك الآلات بما فعلوا من السيئات.

﴿أنكالا﴾ قيوداً ثقالاً يقيد بها أرجل المجرمين إهانة لهم وتعذيباً لا خوفاً من فرارهم جمع نكل بالكسر وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للأمر من حيث أن تعداد ما عنده من أسباب التعذيب الشديد في حكم بيان اقتداره على الانتقام منهم فهم يتنعمون في الدنيا ولا يبالون وعند الله العزيز المنتقم في الآخرة أمور مضادة لتنعمهم. **﴿وجحيماً﴾** وبالفارسية: وآتشى عظيم.

وهي كل نار عظيمة في مهواة وفي «الكشاف» هي النار الشديدة الحر والاتقاد. **﴿وطعاماً ذا غصة﴾** هو ما ينشب في الحلق ويعلق من عظم وغيره فلا ينساغ، أي: طعاماً غير سائغ يأخذ بالحلق لا هو نازل ولا هو خارج كالضريع والزقوم وهما في الدنيا من النباتات والأشجار سمان قاتلان للحيوان الذي يأكلهما مستكرهان عند الناس فما ظنك بضريح جهنم وزقومها وهو في مقابلة الهنيء والمريء لأهل الجنة وإنما ابتلوا بهما لأنهم أكلوا نعمة الله وكفروا بها **﴿وعذاباً أليماً﴾** ونوعاً آخر من العذاب مؤلماً لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كما يدل عليه التنكير كل ذلك معد لهم ومرصد فالمراد بالعذاب سائر أنواع العذاب جاء في التفسير أنه لما نزلت هذه الآية خر النبي عليه السلام مغشياً عليه وعن الحسن البصري قدس سره: أنه أمسى صائماً فأتى طعام فعرضت له هذه الآية فقال: ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الثالثة فأخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فجاؤوا فلم يزالوا حتى شرب شربة من سويق.

اعلم أن أصناف العذاب الروحاني في الآخرة ثلاثة حرقة فرقة المشتهيات وخزي خجلة الفاضحات وحسرة فوت المحبوبات ثم ينتهي الأمر إلى مقاساة النار الجسمانية الحسية والخزي

الذل والحقارة والخجلة التحير من الحياء والفاضح الكاشف عيب المجرم.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾.

﴿يوم ترجف الأرض والجبال﴾ ظرف للاستقرار الذي تعلق به لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة أي تضطرب وتتزلزل بهيبة الله وجلاله ليكون علامة لمجيء القيامة وأمارة لجريان حكم الله في مؤاخذة العاصين، أفرد الجبال بالذكر مع كونها من الأرض لكونها أجساماً عظاماً أوتاداً لها فإذا تزلزلت الأوتاد لم يبق للأرض قرار وأيضاً إن زلزلة العلويات أظهر من زلزلة السلفيات ومن زلزلتها تبلغ القلوب الحناجر خوفاً من الوقوع. **﴿وكانت الجبال﴾** من شدة الرجفة مع صلابتها وارتفاعها **﴿كثيباً﴾** في «القاموس» الكثيب التل من الرمل انتهى من كثب الشيء إذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول في أصله ثم صار اسماً بالغلبة للرمل المجتمع. **﴿مهيلا﴾** أي: كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا أي نثر وأسيل بحيث لو حرك من أسفله انهال من أعلاه وسال لتفرق أجزائه كالعهن المنقوش ومثل هذا الرمل يمر تحت الرجل ولا يتماسك فكونه متفرق الأجزاء منثوراً سائلاً لا ينافي كونه رملاً مجتمعاً وبالفارسية كوههاى سخت چون ريك روان شد از هيبت آن روز.

فقوله مهيلا اسم مفعول من هال يهيل وأصله مهيول كمبيع من باع لا فعيل من مهل يمهل وخص الجبال بالتشبيه بالكثيب المهيل لأن ذلك خاصة لها فإن الأرض تكون مقررة في مكانها بعد الرجفة دل عليه قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٥ ـ ١٠٧] والحاصل أن الأرض والجبال يدق بعضها ببعض كما قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ [الحاقة: ١٤] فترجع الجبال كثيباً مهيلاً ثم ينسفها الريح فتصير هباء منبثاً وتبقى الأرض مكانها ثم تبدل كما مر.

وفي «التأويلات النجمية»: يوم ترجف أرض البشرية وجبال الأنانية وكانت جبال أنانية كل واحد رملاً منثوراً متفتتاً شبه التعينات الاعتبارية الموهومة بالرمل لسرعة زوالها وانتشارها.

﴿إنا أرسلنا إليكم﴾ يا أهل مكة شروع في التخويف بأهوال الدنيا بعد تخويفهم بأهوال الآخرة **﴿رسولاً﴾** هو محمد عليه السلام وكونه مرسلاً إليهم لا ينافي إرساله إلى من عداهم فإن مكة أم القرى فمن أرسل إلى أهل مكة فقد أرسل إلى أهل الدنيا جميعاً ولذا نص الله تعالى عليه بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] ليندفع أوهام أهل الوهم **﴿شاهداً عليكم﴾** يشهد يوم القيامة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان وكذا يشهد على غيركم كما قال تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] **﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً﴾** هو موسى عليه السلام لأن هارون عليه السلام ردء له وتابع وعدم تعيينه لعدم دخله في التشبيه وتخصيص فرعون لأنه من رؤساء أولي النعمة المترفهين المتكبرين فبينه وبين قريش جهة جامعة ومشابهة حال ومناسبة سريرة.

﴿فعصى فرعون الرسول﴾ أي فعصى فرعون المعلوم حاله كبراً وتنعماً الرسول لذي أرسلناه إليه ومحل الكاف النصب على أنها صفة لمصدر محذوف أي إنا أرسلنا إليكم رسولاً

فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى: ﴿**شاهداً عليكم**﴾ إرسالاً كائناً كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصاه بأن جحد رسالته ولم يؤمن به وفي إعادة فرعون والرسول مضطهدين تفظيع لشأن عصيانه وأن ذلك لكونه عصيان الرسول لا لكونه عصيان موسى وفي ترك ذكر ملأ فرعون إشارة إلى أن كل واحد منهم كأنه فرعون في نفسه لتمرده ﴿**فأخذناه**﴾ بسبب عصيانه ﴿**أخذاً وبيلاً**﴾ ثقيلاً لا يطاق يعني بآتش غرق كرديم وازراه آب بآتش برديم.

والوبيل الثقيل الغليظ ومنه الوابل للمطر العظيم والكلام خارج عن التشبيه جيء به للتنبيه على أنه سيحيق بهؤلاء ما حاق بأولئك لا محالة.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾

﴿**فكيف تتقون**﴾ قال ابن الشيخ: مرتب على الإرسال فالعصيان وكان الظاهر أن يقدم على قوله كما أرسلنا إلا أنه أخر زيادة في التهويل إذ علم من قوله ﴿**فأخذناه**﴾ أنهم مأخوذون مثله وأشد فإذا قيل بعده فكيف تتقون كان ذلك زيادة كأنه قيل هبوا أنكم لا تؤخذون في الدنيا أخذة فرعون وأمثاله فكيف تتقون أي تقون أنفسكم فاتقى ههنا مأخوذ بمعنى وقى المتعدي إلى مفعولين دل عليه قول الإمام البيهقي رحمه الله في «تاج المصادر» الاتقاء حذر كردن وخود رانكاه داشتن انتهى.

وافتعل يجيء بمعنى فعل نص عليه الزمخشري في «المفصل» وإن كانت الأمثلة لا تساعده فإنه ليس وقى واتقى مثل جذب واجتذب وخطف واختطف فتأمل ﴿**إن كفرتم**﴾ أي بقيتم على الكفر ﴿**يوماً**﴾ أي عذاب يوم فهو مفعول به لتتقون ويجوز أن يكون ظرفاً أي فكيف لكم بالتقوى والتوحيد في يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا أي لا سبيل إليه لفوت وقته فاتقى على حاله وكذا إذا انتصب بكفرتم على تأويل جحدتم أي فكيف تتقون الله وتخشون عقابه، إن جحدتم يوم القيامة والجزاء. ﴿**يجعل الولدان**﴾ من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهي وهو صفة ليوماً نسب الجعل إلى اليوم للمبالغة في شدته وإلا نفس اليوم لا تأثير له البتة، والولدان بالفارسية نوزادكان ازمادر.

جمع وليد يقال لمن قرب عهده بالولادة وإن كان في الأصل يصح إطلاقه على من قرب عهده بها ومن بعد ﴿**شيباً**﴾ شيوخاً، يعني: پير كندوموى سر ايشان سفيد سازد.

جميع أشيب والشيب بياض الشعر وأصله أن يكون بضم الشين كحمر في جمع أحمر لأن الضم يقتضي الواو فكسرت لأجل صيانة الياء فرقاً بين مثل سود وبين مثل بيض وجعلهم شيوخاً فيه وجوه.

الأول: أنه محمول على الحقيقة كما ذهب إليه بعض أهل التفسير ويؤيده ما قال في «الكشاف»، وقد مر بي في بعض الكتب أن رجلاً أمسى فاحم الشعر كحلك الغراب أي سواده وأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة بياضاً وهو بفتح الثاء المثلثة وبالغين المعجمة نبت أبيض قال: أريت القيامة والجنة والنار ورأيت الناس يقادون في السلاسل إلى النار فمن هول ذلك أصبحت كما ترون، وقال أحمد الدورقي: مات رجل من جيراننا شاباً فرأيته في الليل وقد شاب فقلت وما قصتك قال دفن بشر في مقبرتنا فزفرت جهنم زفرة شاب منها كل من في

المقبرة كما في «فصل الخطاب»: وبشر المريسي ومريس قرية بمصر أخذ الفقه عن أبي يوسف القاضي إلا أنه اشتغل بالكلام وقال بخلق القرآن وأضل خلقاً كثيراً ببغداد فإن قلت: إيصال الألم والضرر إلى الصبيان يوم القيامة غير جائز بل هم لكونهم غير مكلفين معصومون محفوظون عن كل خطر قلت قد يكون في القيامة من هيبة المقام ما يجثوبه الأنبياء عليهم السلام على الركب فما ظنك بغيرهم من الأولياء والشيوخ والشبان والصبيان وفي الآية مبالغة وهي أنه إذا كان ذلك اليوم يجعل الولدان شيباً وهم أبعد الناس من الشيخوخة لقرب عهد ولادتهم فغيرهم أولى بذلك وكذا في القصة السابقة فإن من شاب بمجرد الرؤيا فكيف حاله في اليقظة وهو معاين من الأهوال ما يذوب تحته الجبال الرواسي.

والثاني: أنه محمول على التمثيل بأن شبه اليوم في شدة هوله بالزمان الذي يشيب الشبان لكثرة همومه وأهواله وأصله أن الهموم والأحزان إذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه وأسرع فيه الشيب لأن كثرة الهموم توجب انعصار الروح إلى داخل القلب وذلك الانعصار يوجب انطفاء الحرارة الغريزية وضعفها وانطفاؤها يوجب بقاء الأجزاء الغذائية غير تامة النضج وذلك يوجب بياض الشعر ومسارعة الشيب بتقدير العزيز الحكيم كما يوجب تغير القلب تغير البشرة فتحصل الصفرة من الوجل والحمرة من الخجل والسواد من بعض الآلام وما على البدن من الشعر تابع للبدن فتغيره يوجب تغيره فثبت أن كثرة الهموم توجب مسارعة الشيب كما قيل:

دهتنا أمور تشيب الوليد ويخذل فيها الصديق الصديق

فلما كان حصول الشيب من لوازم كثرة الهموم جعلوه كناية عن الشدة فجعل اليوم المذكور الولدان شيباً عبارة عن كونه يوماً شديداً غاية الشدة وفي الحديث: «يقول الله»: أي في يوم القيامة «يا آدم» خص آدم عليه السلام بهذا الخطاب لأنه أصل الجميع «فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول اخرج بعث النار» أي ميز أهلها المبعوث إليها «قال وما بعث النار»؟ أي عدده «قال الله تعالى من كل ألف تسعمائة تسعة وتسعون قال» أي النبي عليه السلام «فذلك» التقاول «حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها» قال ابن الملك اعلم أن الشيب والوضع ليسا على ظاهرهما إذ ليس في ذلك اليوم حبل ولا صغير بل هما كنايتان عن شدة أهوال يوم القيامة معناه لو تصورت الحوامل والصغار هنالك لوضعن أحمالهن ولشاب الصغار انتهى.

وفي بيانه نظر ستأتي الإشارة إليه في الوجه الثالث «وترى الناس سكارى» أي من الخوف «وما هم بسكارى» أي من الخمر «ولكن عذاب الله شديد».

والثالث: أنه محمول على الفرض والتقدير بأن يكون معناه أن ذلك اليوم بحال لو كان هناك صبي لشاب رأسه من الهيبة والدهشة وهذا الوجه غير موجه وإن ذهب إليه بعض من يعد من أجلة أهل التفسير إذ هو يشعر بأن يوم القيامة لا يكون فيه ولدان حقيقة وقد ثبت أنه يبعث يومئذٍ ولدان كثيرة ماتوا في الصغر وكذا من المقرر أن الحبلى تبعث حبلى ففي ذلك اليوم حبل وصغير نعم إذا دخلوا الجنة صاروا أبناء ثلاث وثلاثين.

والرابع: أنه يجوز ذلك وصفاً لليوم بالطول يعني على الكناية بأنه في طوله بحيث يبلغ الأطفال فيه وأن الشيخوخة والشيب وهو لا ينقضي بعد بل يمتد إلى حيث يكون مقداره خمسين ألف سنة فهو كناية عن غاية الطول لا أنه تقدير حقيقي يعني أن هذا على عادة العرب

في التعبير عن الطول على سبيل التمثيل كما يعبرون عن التأبيد وعدم الانقطاع بقولهم: ما ناحت حمامة، وما لاح كوكب، وما تعاقبت الأيام والشهور وفي الآية إشارة إلى النفس والهوى بُعْد نفوسهم من الله في يوم قيامة الفناء الذي يجعل ولدان أعمالهم السيئة القبيحة الخبيثة الخسيسة شيباً منهدمة متفانية.

﴿السماء﴾ مبتدأ خبره قوله ﴿منفطر به﴾ أي: منشق بسبب ذلك اليوم لأن الله تعالى مسبب الأسباب فيجوز أن يجعل شدة ذلك اليوم سبباً للانفطار.

ذكر الله من هول ذلك اليوم أمرين الأول قوله تعالى: ﴿يجعل الولدان شيباً﴾ والثاني: قوله: ﴿السماء منفطر به﴾ لأن السماء على عظمتها وقوتها إذا انشقت بسبب ذلك اليوم فما ظنك بغيرها من الخلائق فالباء للسببية، وهو الظاهر وتذكير الخبر لإجرائه على موصوف مذكر أي شيء منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على أنه تبدلت حقيقتها وزال عنه اسمها ورسمها ولم يبق منها إلا ما يعبر عنه بالشيء، وفي «القاموس»: السماء معروف ويذكر ويجوز أن يكون الباء بمعنى في وإليه ذهب المكي في «قوت القلوب» حيث قال حروف العوامل يقوم بعضها مقام بعض وهذا مثال قوله تعالى: ﴿السماء منفطر به﴾ أي فيه يعني في ذلك اليوم وقيل الباء للآلة والاستعانة مثلها في فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني أن السماء تنفطر بشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به قال بعضهم اتخاذ الآلة والاستعانة لا يليق بجناب الله تعالى ولا يناسب ذات السماء أيضاً ﴿كان وعده مفعولاً﴾ الضمير لله وإن لم يجر له ذكر للعلم به والمصدر مضاف إلى فاعله أي كان وعده تعالى أي يكون يوم القيامة على ما وصف من الشدائد كائناً متحققاً لأنه لا يخلف الميعاد فلا يجوز لعاقل أن يرتاب فيه أو الضمير لليوم والمصدر مضاف إلى مفعوله والفاعل وهو الله مقدر قال في «الصحاح»: الوعد يستعمل في الخير والشر فإذا أسقطوا الخير والشر قالوا في الخير الوعد والعدة وفي الشر الإيعاد والوعيد.

﴿إن هذه﴾ إشارة إلى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة وهي من قوله: ﴿إن لدينا أنكالاً﴾ إلى هنا. ﴿تذكرة﴾ موعظة لمن يريد الخير لنفسه والاستعداد لربه وبالفارسية پندى وعبرتيست.

قيل: القرآن موعظة للمتقين، وطريق للسالكين ونجاة للهالكين، وبيان للمستبصرين وشفاء للمتحيرين وأمان للخائفين وأنس للمريدين ونور لقلوب العارفين وهدى لمن أراد الطريق إلى رب العالمين ﴿فمن شاء﴾ من الملكفين. يعني: پس هركه خواهد ازمكلفان ﴿اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ بالتقرب إليه بالإيمان والطاعة فإنه المنهاج الموصل إلى مرضاته ومقام قربه.

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل﴾ أي: أقل منهما فإطلاق الأدنى على الأقل مجاز مرسل من قبيل إطلاق الملزوم على اللازم لما أن المسافة بين الشيئين إذا دنت قل ما

بينهما من الأحياز والحدود، وإذا بعدت كثر ذلك روي أنه تعالى افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام النبي عليه السلام وأصحابه حولاً مع مشقة عظيمة من حيث إنه يعسر عليهم تمييز القدر الواجب حتى قام أكثر الصحابة الليل كله خوفاً من الخطأ في إصابة المقدار المفروض وصاروا بحيث انتفخت أقدامهم واصفرت ألوانهم وأمسك الله خاتمة السورة من قوله: ﴿**إن ربك**﴾ الخ اثني عشر شهراً في السماء حتى أنزل الله في آخر السورة التخفيف فنسخ تقدير القيام بالمقادير المذكورة مع بقاء فرضية أصل التهجد حسبما تيسر ثم نسخ نفس الوجوب أيضاً بالصلوات الخمس لما روي أن الزيادة على الصلوات الخمس زيادة. ﴿**ونصفه وثلثه**﴾ بالنصب عطفاً على أدنى والثلث أحد أجزاء الثلاثة والجمع أثلاث أي أنك تقوم أقل من ثلثي الليل وتقوم من نصفه وثلثه ﴿**وطائفة من الذين معك**﴾ مرفوع معطوف على الضمير في تقوم وجاز ذلك للفصل بينهما أي ويقوم معك طائفة من أصحابك ومن تبيينية فلا دلالة فيه على أن قيام الليل لم يكن فرضاً على الجميع وحاصل المعنى يتابعك طائفة في قيام الليل وهم أصحابك وفيه وعد لهم بالإحسان إليهم كما تقول لأحد إذا أردت الوعد له أعلم ما فعلت لي وفي «قوت القلوب» قد قرن الله تعالى قوام الليل برسوله المصطفى عليه السلام، وجمعهم معه في شكر المعاملة وحسن الجزاء.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى انسلاخ رسول القلب عن ليل طبيعته في أكثر الأوقات بالتوجه إلى الله والإعراض عن النفس إلا في أوقات قلائل وذلك لحكمة مقتضية للحجاب فإن الحجاب رحمة كما قيل لولا الحجاب ما عرف الإله وطائفة من الذين مع رسول القلب من القوى الروحانية والأعضاء والجوارح. ﴿**والله يقدر الليل والنهار**﴾ وحده لا يقدر على تقديرهما ومعرفة مقادير ساعاتهما وأوقاتهما أحد أصلاً فإن تقديم الاسم الجليل مبتدأ وبناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعاً والتقدير بالفارسية اندازه كردن يعني وخداي تعالى اندازه ميكند شب وروز را وميداند مقادير ساعات آن.

قال الراغب: التقدير تبيين كمية الشيء وقوله تعالى: ﴿**والله**﴾ الخ إشارة إلى ما أجرى من تكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل على إدخال هذا في هذا وأن ليس أحد يمكنه معرفة ساعاتهما وتوفية حق العبادة منهما في وقت معلوم والحاصل أن العالم بمقادير ساعات الليل والنهار على حقائقها هو الله وأنتم تعلمون ذلك بالتحري والاجتهاد الذي يقع فيه الخطأ فربما يقع منكم الخطأ في إصابتها فتقومون أقل من المقادير المذكورة ولذا قال: ﴿**علم**﴾ الله ﴿**أن**﴾ أي: أن الشأن ﴿**لن تحصوه**﴾ لن تقدروا على تقدير الأوقات على حقائقها ولن تستطيعوا ضبط الساعات أبداً فالضمير عائد إلى المصدر المفهوم من يقدر قال في «تاج المصادر» الإحصاء دانستن وشمردن بر سبيل استقصا وتوانستن.

قال الراغب: الإحصاء التحصيل بالعدد وروي «استقيموا ولن تحصوا» أي لن تحصوا ذلك لأن الحق واحد والباطل كثير بل الحق بالإضافة إلى الباطل كالنقطة بالإضافة إلى سائر أجزاء الدائرة وكالمرمى من الهدف وإصابة ذلك شديدة واحتج بعضهم بهذه الآية على وقوع تكليف ما لا يطاق فإنه تعالى قال لن تحصوه أي لن تطيقوه ثم إنه كلفهم بتقدير الساعات والقيام فيها حيث قال: ﴿**قم الليل**﴾ الخ ويمكن أن يجاب عنه بأن المراد صعوبته لا أنهم لا يقدرون عليه أصلاً كما يقال لا أطيق أن أنظر إلى فلان إذا استثقل النظر إليه.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني السلوك من ليل الطبيعة إلى نهار الحقيقة بتقدير الله لا بتقدير السالك علم أن لن تقدروا على مدة ذلك السلوك بالوصول إلى الله إذ الوصول مترتب على فضل الله ورحمته لا على سلوككم وسيركم فكم من سالك انقطع في الطريق ورجع القهقرى ولم يصل كما قيل ليس كل من سلك وصل ولا كل من وصل اتصل ولا كل من اتصل انفصل. ﴿**فتاب عليكم**﴾ بالترخيص على ترك القيام المقدر ورفع التبعة عن التائب ثم استعمل لفظ المشبه به في المشبه ثم اشتق منه فتاب أي فرخص والتبعة ما يترتب على الشيء من المضرة. ﴿**فاقرأوا ما تيسر من القرآن**﴾ أي: فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل غير مقدرة بكونها في ثلث الليل أو نحوه ولو قدر حلب شاة فهذا يكون أربع ركعات وقد يكون ركعتين عبر عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائر أركانها على طريق إطلاق اسم الجزء على الكل مجازاً مرسلاً فتبين أن التهجد كان واجباً على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ بهذه الآية، ثم نسخ نفس الوجوب المفهوم منها بالصلوات الخمس على ما سبق وفيه تفضيل صلاة الليل على سائر التطوعات فإن التطوع بما كان فرضاً في وقت، ثم نسخ أفضل من التطوع بما لم يكن فرضاً أصلاً كما قالوا صوم يوم عاشوراء أفضل لكونه فرض قبل فرضية رمضان، وفي الحديث: «ليصل أحدكم من الليل ما تيسر فإذا غلب عليه النوم فليرقد» وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يكره النوم قاعداً وعنه عليه السلام: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم إلى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم» وهذا الحديث يدل على أن قيام الليل لم يكن فرضاً على المتقدمين من الأنبياء وأممهم بل كان من شعار صلاحهم وعنه عليه السلام: «إن الله ليبغض كل جعظري جواظ سخاب بالأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة» والجعظري الفظ الغليظ والجواظ كشداد الضخم المختار والكثير الكلام والجموع المنوع والمتكبر الجافي والسخاب، من السخب وهو محركة شدة الصوت سخب كفرح فهو سخاب وأقل الاستحباب من قيام الليل سدسه سواء كان متوالياً أو قام جزءاً ثم نام نومة أخرى ثم قام قياماً ثانياً لأنه عليه السلام لم يقم ليلة قط حتى أصبح بل كان ينام فيها ولم ينم ليلة قط بل كان يقوم فيها وبأي ورد أحيى الليل فقد دخل في أهل الليل وله معهم نصيب ومن أحيى أكثر ليلة أو نصفها كتب له إحياء ليلة جميعها ويتصدق عليه بما بقي منها كذا في «قوت القلوب»، وقيل: المراد بالآية قراءة القرآن بعينها فتكون على حقيقتها فالمعنى إن شق عليكم القيام فقد رخص في تركه فاقرؤوا ما تيسر من القرآن من غير توقيت لصلاة فإنه لا يشق وتنالون بقراءته خارج الصلاة ثواب القيام فالأمر للندب، وفي الحديث: «من قرأ في ليلة مائة آية لم يحاجه القرآن» قال الطيبي: في قوله: لم يحاجه القرآن أن قراءته لازمة لكل إنسان واجبة عليه فإذا لم يقرأ يخاصمه الله ويغلبه بالحجة فإسناد المحاجة إلى القرآن مجاز ويفهم من كلامه أن قراءته مقدار مائة آية في كل ليلة واجبة بها يخلص من المحاجة وعنه عليه السلام: «من قرأ بالآيتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه» والمراد ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] الخ يعني اغنتاه عن قيام الليل أو حفظتاه من كل شر وسوء، وعنه عليه السلام «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن قالوا وكيف يقرأ ثلث القرآن قال قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن» ومن ذلك قالوا إن قراءة الإخلاص ثلاث مرات تقوم مقام ختمة وأطول الآي أفضلها لكثرة الحروف وإن اقتصر على قصار الآي عند فتوره أدرك الفضل إن حصل العدد كذا في «قوت القلوب».

وفي «التأويلات النجمية»: في إشارة الآية يعني: اجمعوا واحفظوا في قلوبكم الصافية عن كدورات النفس والهوى ما يظهر عليها لاستعداداتكم من الحقائق والدقائق والعوارف والمعارف ولا تفشوها إلى غير أهلها فينكروا عليكم فيرموكم بالكفر والزندقة والإلحاد والاتحاد فإن حقائقه ودقائقه من المكنونان الإلهية ﴿علم أن﴾ أي: أن شأن ﴿سيكون منكم مرضى﴾ استئناف مبين لحكمة أخرى داعية إلى الترخيص والتخفيف مرضى جمع مريض والمرض الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان، وفيه إشارة إلى مرضى القلوب بحجب الأنانية والاشتغال بحب الدنيا وشهواتها فإنه لا يظهر عليها من أسرار القرآن وحقائقه شيء.

چنانچه شيخ سنائي كويد
عجب نبو دكراز قرآن نصيبت نيست جز حرفى
كه از خورشيد جز كرمى نيابد چشم نابينا
عروس حضرت قرآن نقاب آنكه براندازد كه دار الملك ايما نرا مجرد يابداز غوغا

﴿وآخرون﴾ عطف على مرضى ﴿يضربون في الأرض﴾ صفة آخرون أي يسافرون فيها للتجارة من ضرب في الأرض سافر فيها ابتغاء الرزق، قال الراغب: الضرب في الأرض الذهاب فيها وهو بالأرجل. ﴿يبتغون﴾ الابتغاء جستن ﴿من فضل الله﴾ وهو الربح وفيه تصريح بما علم التزاماً وبيان أن ما حصلوه من الرزق من فضل الله ومحل يبتغون حال من ضمير يضربون وقد عم ابتغاء الفضل تحصيل العلم فإنه من أفضل المكاسب وفيه أن معلم الخير وهو رسول الله عليه السلام كان حاضراً عندهم وقت نزول الآية فأين يذهبون إلا أن يجعل آخر السورة مدنياً فقد كانوا يهاجرون من مكة إلى المدينة لطلب العلم وأيضاً هذا بالنسبة إلى خصوص الخطاب وأما بالنسبة إلى أهل القرن الثاني فبقاء الحكم يوقعهم في الحرج وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: «حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وأفضل من شهود ألف جنازة ومن عيادة ألف مريض قيل ومن قراءة القرآن قال وهل تنفع قراءة القرآن بلا علم» ﴿وآخرون يقاتلون﴾ الأعداء ﴿في سبيل الله﴾ عطف على مرضى أيضاً ويقاتلون صفته وسبيل الله ما يوصل إلى الأجر عند الله كالجهاد، وفيه تنبيه على أنه سيؤذن لهم في القتال مع الأعداء، سوّى الله في هذه الآية بين درجة المجاهدين في سبيل الله ومكتسبين للمال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والإحسان إلى ذوي الحاجات حيث جمع بينهما قول على أن التجارة بمنزلة الجهاد وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أيما رجل جلب شيئاً من مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء. ﴿فاقرأوا ما تيسر منه﴾ أي: وإذا كان الأمر كما ذكر وتعاضدت الدواعي إلى الترخيص فاقرؤوا ما تيسر من القرآن من غير تحمل المشاق، فإن قيل كيف ثقل قيام الليل على الأصحاب رضي الله عنهم وقد خف على كثير من التابعين حتى كانوا يقومون إلى طلوع الفجر منهم الإمام أبو حنيفة وسعيد بن المسيب وفضيل بن عياض وأبو سليمان الداراني ومالك بن دينار وعلي بن بكار وغيرهم حتى قال علي بن بكار الشامي منذ أربعين سنة لم يحزني شيء إلا طلوع الفجر قلت الثقلة لم تكن في قيامه بل في محافظة القدر المفروض كما سبق على أنه لا بعد في أن يثقل عليهم قبل التعذر بذلك ثم كان من أمر بعضهم أنه ختم القرآن في ركعة واحدة كعثمان وتميم الداري رضي الله عنهما ﴿وأقيموا الصلاة﴾ المفروضة ﴿وآتوا الزكاة﴾ الواجبة وقيل هي زكاة الفطر إذ

لم يكن بمكة زكاة غيرها وإنما وجبت بعدها ومن فسرها بالزكاة المفروضة جعل آخر السورة مدنياً وذلك أن تجعلها من باب ما تأخر حكمه عن نزوله ففيه دلالة على أنه سينجز وعده لرسوله ويقيم دينه ويظهره حتى تفرض الزكاة وتؤدى. ﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ وقرض دهيد خدايرا قرض نيكو.

والقرض: ضرب من القطع وسمي ما يدفع إلى الإنسان من المال بشرط رد بدله قرضاً لأنه مقروض مقطوع من ماله أريد به الإنفاقات في سبيل الخيرات غير المفروض فإنها كالفرض الذي لا خلف في أدائه وفيه حث على التطوع كما قال عليه السلام: «إن في المال حقاً سوى الزكاة على أحسن وجه» وهو إخراجها من أطيب الأموال وأكثرها نفعاً للفقراء بحسن النية وصفاء البال إلى أحوج الصلحاء وجه هذا التفسير هو أن قوله: ﴿وآتوا الزكاة﴾ أمر بمجرد إعطائها على أي وجه كان، وقوله: ﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ ليس كذلك بل هو أمر بالإعطاء المقيد بكونه حسناً وتسمية الإنفاق لوجه الله إقراضاً استعارة تشبيهاً له بالإقراض من حيث أن ما أنفقه يعود عليه مع زيادة وقال بعضهم: هو قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والنفقة في سبيل الله كما قال عمر رضي الله عنه أو النفقة على الأهل وفي الحديث: «ما أطعم المسلم نفسه وأهل بيته فهو له صدقة» أي يؤجر عليه بحسن نيته ثم ههنا أمر غامض وهو أنه روى الإمام الغزالي رحمه الله عن القاضي الباقلاني أن ادعاء البراءة من الغرض بالكلية كفر لأن التنزه خاصة إلهية لا يتصور الإشراك فيها فلعل ما يقال إن العبد ليبلغ إلى درجة بعمل ما يعمل لا لغرض بل لرضى الله أو لامتثال أمره فقط إنما هو من الغفلة عن غرض خفي هل هو غرض جلي لكنه مراد علي.

يقول الفقير: هذا وارد على أهل الإرادة وأما أهل الفناء عن الإرادة وهم أهل النهاية الأكملون فلا غرض لهم أصلاً وأمرهم عجيب لا يعرفه إلا أمثالهم أو من عرفه الله بشأنهم. ﴿وما﴾ شرطية ﴿تقدموا لأنفسكم من خير﴾ أي خير كان مما ذكر وما لم يذكر ﴿تجدوه﴾ جواب الشرط ولذا جزم ﴿عند الله هو خيراً وأعظم أجراً﴾ من الذي تؤخرونه إلى الوصية عند الموت وفي «كشف الأسرار» تجدوا ثوابه خيراً لكم من متاع الدنيا وأعظم أجراً لأن الله يعطي المؤمن أجره بغير حساب قوله ﴿خيراً﴾ ثاني مفعولي تجدوا، وهو تأكيد للمفعول الأول لتجدوه وفصل بينه وبين المفعول الثاني وإن لم يقع بين معرفتين فإن أفعل في حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقوله: ﴿وأعظم﴾ عطف على خيراً وأجراً تمييز عن نسبة الفاعل والأجر ما يعود من ثواب العمل دنيوياً كان أو أخروياً، وقال بعضهم: المشهور أنّ وجد إذا كان بمعنى صادف يتعدى إلى مفعول واحد وهو ههنا بمعناه لا بمعنى علم فلا بعد أن يكون خيراً حالاً من الضمير وفي الحديث: «اعلموا أن كل امرىء على ما قدم قادم، وعلى ما خلف نادم» وعنه عليه السلام: «إن العبد إذا مات قال الإنسان ما خلف وقالت الملائكة ما قدم» ومر عمر رضي الله عنه ببقيع الغرقد أى مقبرة المدينة لأنها كانت منبت الغرقد وهو بالغين المعجمة شجر فقال السلام عليكم أهل القبور أخبار ما عندنا أن نساءكم قد تزوجن ودوركم قد سكنت وأموالكم قد قسمت فأجابه هاتف يا ابن الخطاب أخبار ما عندنا أن ما قدمناه وجدناه وما أنفقناه فقد ربحناه وما خلفنا فقد خسرنا.

قدم لنفسك قبل موتك صالحاً ... واعمل فليس إلى الخلود سبيل

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه اتخذ حيساً، يعني تمراً بلبن فجاءه مسكين فأخذه ودفعه إليه، فقال بعضهم ما يدري هذا المسكين ما هذا فقال عمر لكن رب المسكين يدري ما هو فكأنه قال وما تقدموا الخ.

تونيكى كن بآب اندازاى شاه اكر ما هي نداند داند الله

﴿واستغفروا الله﴾ أي سلوا الله المغفرة لذنوبكم في جميع أوقاتكم وكافة أحوالكم فإن الإنسان قلما يخلو عن تفريط، وكان السلف الصالح يصلون إلى طلوع الفجر ثم يجلسون للاستغفار إلى صلاة الصبح واستحب الاستغفار على الأسماء من القرآن مثل أن يقول أستغفر الله إنه كان تواباً أستغفر الله إن الله غفور رحيم أستغفر الله إنه كان غفاراً رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين واغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴿إن الله غفور﴾ يغفر ما دون أن يشرك به ﴿رحيم﴾ يبدل السيئات حسنات، وفي «عين المعاني» غفور يستر على أهل الجهل والتقصير رحيم يخفف عن أهل الجهل والتوفير، ومن عرف أنه الغفور الذي لا يتعاظمه ذنب يغفره أكثر من الاستغفار وهو طلب المغفرة ثم إن كان مع الانكسار فهو صحيح وإن كان مع التوبة فهو كامل وإن كان عرياً عنهما فهو باطل ومن كتب سيد الاستغفار وجرعه لمن صعب عليه الموت انطلق لسانه وسهل عليه الموت وقد جرب مراراً وسيد الاستغفار قوله اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

تمت سورة المزمل بعونه تعالى يوم الأربعاء الثاني والعشرين من ذي القعدة من سنة ست عشرة ومائة وألف

٧٤ ـ سورة المدثر

مكية وآيها ست وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾.

﴿يا أيها المدثر﴾ بتشديدين أصله المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد، ومنه قوله عليه السلام: «الأنصار شعار والناس دثار» وفيه إشارة إلى أن الولاية كالشعار من حيث تعلقها بالباطن والنبوة كالدثار من حيث تعلقها بالظاهر ولذلك خوطب عليه السلام في مقام الإنذار بالمدثر.

روي: عن جابر رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد إنك رسول الله فنظرت عن يميني وعن يساري ولم أر شيئاً، فنظرت فوقي فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض، يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة رضي الله عنها فقلت دثروني دثروني وصبوا علي ماء بارداً فنزل جبريل وقال **﴿يا أيها المدثر﴾**» يعني أنه إنما تدثر بناءً على اقشعرار جلده وارتعاد فرائصه رعباً من الملك النازل من حيث أنه رأى ما لم يره قبل ولم يستأنس به بعد فظن به مساً من الجن فخاف على نفسه لذلك.

وذكر حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: أن التدثر إنما يكون من البرودة التي تحصل عقيب الوحي وذلك أن الملك إذا ورد على النبي عليه السلام بعلم أو حكم يلقى ذلك الروح الإنسان وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فيتغير الوجه وتنقل الرطوبات إلى سطح البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق فإذا سرى عنه ذلك سكن المزاج وانقشعت تلك الحرارة وانفتحت تلك المسام وقبل الجسم الهواء من خارج فيتخلل الجسم فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة فتزاد عليه الثياب ليسخن انتهى. وقرر بعضهم هذا المقام على غير ما ذكر كما قال في «كشف الأسرار» وتفسير «الكاشفي» جابر بن عبد الله رضي الله عنه نقل ميكند از رسول الله ﷺ درزمان فترت وحي برهى ميرفتم ناكاه از آسمان آوازي شنيدم چشم بالاكردم ديدم همان ملك كه درغار حرا بمن آمده بود بركرسى نسته ميان زمين وآسمان ازسطوت وهيأت وعظمت وهيكل أو خوفي برمن طاري شدبخانه بازكشتم وكفتم مرا بپوشانيد جامها برمن پوشيدند ومن در انديشهء آن حال بودم كه حضرت عزت جل شانه وحي فرستادكه **﴿يا أيها المدثر﴾**.

وقال السهيلي رحمه الله: كان عليه السلام متدثراً بثيابه حين فزع من هول الوحي أول

نزوله قال: دثروني دثروني فقال له ربه: ﴿يا أيها المدثر﴾ ولم يقل يا محمد ولا يا فلان ليستشعر اللين والملاطفة من ربه كما تقدم في المزمل وفائدة أخرى مشاكلة الآية بما بعدها ووجه المشاكلة بين أول الكلام وبين قوله ﴿قم فأنذر﴾ خفي إلا بعد التأمل والمعرفة بقوله عليه السلام: «إني أنا النذير العريان» ومعنى النذير العريان الجاد المشمر وكان النذير من العرب إذا اجتهد جرد ثوبه وأشار به مع الصياح تأكيداً في الإنذار والتحذير، وقد قيل أيضاً إن أصل قولهم النذير العريان أن رجلاً من خثعم وهو كجعفر جبل وأهل خثعميون وابن أنمار أبو قبيلة من معد كما في «القاموس» أخذه العدو فقطعوا يده وجردوا ثيابه فأفلت إلى قومه نذيراً لهم وهو عريان فقيل لكل مجتهد في الإنذار والتخويف النذير العريان فإذا ثبت هذا فقد تشاكل الكلام بعضه ببعض فأمر المتدثر بالثياب مضاف إلى معنى النذير العريان ومقابل ومرتبط به لفظاً ومعنى.

﴿قم﴾ أي: من مضجعك يعني خوابكاه ﴿فأنذر﴾ الناس جميعاً من عذاب الله إن لم يؤمنوا لأنه عليه السلام مرسل إلى الناس كافة فلم تكن ملة من الملل إلا وقد بلغتها دعوته وقرعها إنذاره وأفرد الإنذار بالذكر مع أنه أرسل بشيراً أيضاً لأن التخلية بالمعجمة قبل التحلية بالمهملة وكان الناس عاصين مستحقين للتخويف فكان أول الأمر هو الإنذار.

يقول الفقير أمده الله القدير بالفيض الكثير، خوطبت بقوله: ﴿قم فأنذر﴾ وأنا متوجه مراقب عند الرأس الشريف في الحرم النبوي فحصل لي اضطراب عظيم وحيرة كبرى من سطوة الخطاب الإلهي وغلبني الارتعاد وظننت أني مأمور بالإنذار الظاهري في ذلك المقام لما أن أكثر الناس كانوا يسيئون الأدب في ذلك الحرم حتى أني بكيت مرة بكاء شديداً من غلبة الغيرة فقيل لي أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم، ثم إني عرفت بإلهام من الله تعالى أني رسول نفسي لا غير مأمور بتزكيتها وإصلاح قواها ومن الله الإعانة على ذلك.

﴿وربك فكبر﴾ وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقاداً وقولاً وعظمة عما يقول فيه عبدة الأوثان وسائر الظالمين ويروى أنه لما نزل قال رسول الله عليه السلام: «الله أكبر» فكبرت خديجة أيضاً وفرحت وأيقنت أنه الوحي لأن الشيطان لا يأمر بالتكبير ونحوه ودخل فيه تكبير الصلاة وإن لم يكن في أوائل النبوة صلاة وذلك لأن الصلاة عبارة عن أوضاع وهيئات كلها تعطي التقييد والله منزه عن جميع التعينات فلزم التكبير فيها لأن وجه الله يحاذي وجه العبد حينئذٍ على ما ورد في الخبر الصحيح والفاء لمعنى الشرط كأنه قيل ما كان، أي: أي شيء حدث فلا تدع تكبيره ووصفه بالكبرياء أو للدلالة على أن المقصود الأول من الأمر بالقيام أن يكبر ربه وينزهه عن الشرك فإن أول ما يجب معرفة الصانع ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه فالفاء على هذا تعقيبية لا جزائية.

واعلم أن كبرياءه تعالى ذاتي له قائم بنفسه لا بغيره من المكبرين فهو أكبر من أن يكبره غيره بالتكبير الحادث ولذا قال عليه السلام ليلة المعراج. «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» فهو المكبر والمثني لذاته بذاته بتكبير وثناء قديم من الأزل إلى الأبد.

﴿وثيابك فطهر﴾ جميع ثوب من اللباس، أي فطهرها مما ليس بطاهر بحفظها وصيانتها عن النجاسات وغسلها بالماء الطاهر بعد تلطخها فإنه قبيح بالمؤمن الطيب أن يحمل خبيثاً سواء كان في حال الصلاة أو في غيرها وبتقصيرها أيضاً فإن طولها يؤدي إلى جر الذيول على القاذورات فيكون التطهير كناية عن التقصير لأنه من لوازمه ومعنى التقصير أن تكون إلى أنصاف

الساقين إلى الكعب فإنه عليه السلام جعل غاية طول الإزار إلى الكعب وتوعد على ما تحته بالنار.

وحضرت مرتضى رضي الله عنه كفت كوتاه كن جامه را.

فإنه أتقى وأنقى وأبقى وهو أول ما أمر به عليه السلام من رفض العادات المذمومة فإن المشركين ما كانوا يصونون ثيابهم عن النجاسات وفيه انتقال من تطهير الباطن إلى تطهير الظاهر لأن الغالب أن من نقي باطنه أبى إلا اجتناب الخبث وإيثار الطهارة في كل شيء فإن الدين بني على النظافة ولا يدخل الجنة إلا نظيف والله يحب الناسك النظيف وفي الحديث: «غسل الإناء وطهارة الفناء يورثن الغنى» وفي المرفوع: «نظفوا أفواهكم فإنها طرق القرآن» قال الراغب: الطهارة ضربان طهارة جسم وطهارة نفس وقد حمل عليهما عامة الآيات وقوله: ﴿**وثيابك فطهر**﴾ قيل: معناه نفسك نزهها عن المعايب انتهى. أو طهر قلبك كما في «القاموس» أو أخلاقك فحسن قاله الحسن، وفي الخبر: «حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مدخل الأبرار» أو عملك فأصلح كما في «الكواشي» ومنه الحديث: «يحشر المرء في ثوبيه اللذين مات فيهما» أي عملية الخبيث والطيب كما في «عين المعاني» وإنه ليبعث في ثيابه أي أعماله كما في «القاموس» أو أهلك فطهرهم من الخطايا بالوعظ والتأديب والعرب تسمي الأهل ثوباً ولباساً قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

كما في «كشف الأسرار»: وقال ابن عباس لا تلبسها على معصية ولا على غدار البسها وأنت بر طاهر كما في «فتح الرحمن» قال الشاعر:

وإنـي بـحـمـد الله لا ثـوب فـاخـر لـبـسـت ولا مـن غـدرة أتـقـنـع

وذلك أن الغادر والفاجر يسمى دنس الثياب كما أن أهل الصدق والوفاء يسمى طاهر الثياب.

ودر نفحات ازشيخ أبو الحسن شاذلي قدس سره نقل ميكندكه حضرت رسالت را ﷺ درخواب ديدم ومرا كفت أي على طهر ثيابك من الدنس تحفظ بمدد الله في كل نفس يعني پاكيزه كردان جامهاى خود را از چرك تابهره مندكردى بمد وتأييد خداي تعالى درهره نفسي كفتم يا رسول الله ثياب من كدامست فرمودكه برتو حق تعالى پنج خلعت پوشانيد خلعت محبت وخلعت معرفت ووخلعت توحيد وخلعت ايمن وخلعت اسلام هركه خدا يرا دوست دارد بروى آسان شود هرچيز وهركه خدا يرابشنا سد در نظروى خردنمايد هرچيز وهركه خدا يرا به يكانكى بداند بوي شريك نيارد هيچ چيزرا وهركه خداي تعالى را ايمان آرد ايمن كرد داز هرچيز وهركه باسلام متصف بودخدا يراعاصي نشود واكر عاصي شود اعتذار كندو چون اعتذار كند قبول افتد بفضل الله تعالى پس شيخ فرمود ازاينجا دانستم قول خدا يرا وثيابك فطهر.

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾

درتـو پـوشـيـد لـطـف يـزدانـي خـلـعـتـي از صـفـات روحـانـي

دراش ازلـوث خـشـم وشـهـوت دور تـابـپـا كـيـزكـى شـوى مـشـهـور

﴿**والرجز فاهجر**﴾ قرأ عاصم في رواية حفص الرجز بالضم والباقون بكسر الراء ومعناهم واحد وهو الأوثان وقد سبق معنى الهجر في المزمل أي ارفض عبادة الأوثان ولا تقربها كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] ويقال الرجز العذاب،

أي: واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي إليه من المآثم سمي ما يؤدي إلى العذاب رجزاً على تسمية المسبب باسم سببه والمراد الدوام على الهجر لأنه كان بريئاً من عبادة الأوثان ونحوها.

﴿ولا تمنن تستكثر﴾ برفع تستكثر لأنه مستقبل في معنى الحال أي ولا تعط مستكثراً أي رائياً لما تعطيه كثيراً أو طالباً للكثير على أنه نهي عن الاستغزار وهو أن يهب شيئاً وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر مما أعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته أي يعوض منها والغزارة بالغين المعجمة وتقديم الزاي الكثرة فهو إما للتحريم وهو خاص برسول الله ﷺ لعلو منصبه في الأخلاق الحسنة ومن ذلك حلت الزكاة لفقراء أمته ولم تحل له ولأهله لشرفه أو للتنزيه للكل أي له ولأمته وقال بعضهم: هو من المنة لأن من يمن بما يعطي يستكثره ويعتد به والمنة تهدم الصنيعة خصوصاً إذا من بعمله على الله بأن يعده كثيراً فإن العمل من الله منة عليه كما قال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٧] ومن شكر طول عمره بالعبادة لم يقض شكر نعمة الإيجاد فضلاً عما لا يحصى من أنواع الجود.

﴿ولربك فاصبر﴾ أي: فاصبر لحكم ربك ولا تتألم من أذية المشركين فإن المأمور بالتبليغ لا يخلو عن أذى الناس ولكن بالصبر يستحيل المر حلواً وبالتمرن يحصل الذوق.

تحمل چو زهرت نما يدنخست ولي شهد كردد چودر طبع رست

وقال بعض أهل المعرفة أي جرد صبرك عن ملاحظة الغير في جميع المراتب في الصبر عن المعصية والصبر على الله والصبر في البلاء كما قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: ١٢٧]. وقال القاشاني: ﴿يا أيها المدثر﴾ أي: المتلبس بدثار البدن المتحجب بصورته قم عما ركنت إليه وتلبست به من أشغال الطبيعة وانتبه من رقدة الغفلة فأنذر نفسك وقواك وجميع من عداك عذاب يوم عظيم وإن كنت تكبر شيئاً وتعظم قدره فخصص ربك بالتعظيم والتكبير لا يعظم في عينك غيره وليصغر في قلبك كل ما سواه بمشاهدة كبريائه، وظاهرك فطهره أولاً قبل تطهير باطنك عن مدانس الأخلاق وقبائح الأفعال ومذام العادات ورجز الهيولى المؤدي إلى العذاب، فاهجر أي جرد باطنك عن اللواحق المادية والهيئات الجسمانية الفاسقة والغواشي الظلمانية والهيولانية ولا تعط المال عند تجردك عنه مستغزراً طالباً للأعواض والثواب الكثير به فإن ذلك احتجاب بالنعمة عن المنعم وقصور همة بل خالصاً لوجه الله افعل ما تفعل صابراً على الفضيلة له لا لشيء آخر غيره

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ﴿١٠﴾ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴿١١﴾ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودٗا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ﴿١٤﴾﴾.

﴿فإذا نقر في الناقور﴾ الناقور: بمعنى ما ينقر فيه والمراد الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل مرة للإصعاق وأخرى للإحياء فاعول من النقر بمعنى التصويت وأصله القرع الذي هو سبب الصوت يعني جعل الشيء بحيث يظهر منه الصوت بنوع قرع والمراد هنا النفخ إذ هو نوع ضرب للهواء الخارج من الحلقوم، أي فإذا نفخ في الصور والفاء للسببية أي سببية ما بعدها لما قبلها دون العكس فهي بمعنى اللام السببية كأنه قيل اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل في إذا ما دل عليه قوله تعالى.

﴿فذلك يومئذٍ يوم عسير على الكافرين﴾ فإن معناه عسر الأمر على الكافرين من جهة العذاب وسوء الحساب وذلك إشارة إلى وقت النقر وهو مبتدأ ويومئذٍ بدل منه مبني على الفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو إذ والتقدير إذ نقر فيه والخبر يوم عسير وعلى متعلقة بعسير دل عليه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦] كأنه قيل فيوم النقر يوم عسير عليهم. ﴿غير يسير﴾ خبر بعد خبر وتأكيد لعسره عليهم لقطع احتمال يسره بوجه دون وجه مشعر بيسره على المؤمنين ثم المراد به يوم النفخة الثانية التي يحيى الناس عندها إذ هي التي يخص عسرها بالكافرين جميعاً وأما النفخة الأولى فهي مختصة بمن كان حياً عند وقوعها وقد جاء في الأخبار أن في الصور ثقباً بعدد الأرواح كلها وأنها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فيخرج عند النفخ من كل ثقبة روح إلى الجسد الذي نزع منه فيعود الجسد حياً بإذن الله تعالى وفي الحديث «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم قرنه ينظر متى يؤمر أن ينفخ فيه فقيل له كيف نصنع؟ قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل». وقال القاشاني ينقر في البدن المبعوث فينقش فيه الهيئات السيئة المردية الموجبة للعذاب أو الحسنة المنجية الموجبة للثواب ولا يخفى عسر ذلك اليوم على المحجوبين على أحد وإن خفي يسره على غيرهم إلا على المحققين من أهل الكشف والعيان.

﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ حال إما من الياء أي ذرني وحدي معه فإني أكفيكه في الانتقام منه أو من التاء، أي خلقته وحدي لم يشاركني في خلقه أحد أو من العائد المحذوف، أي ومن خلقته وحيداً فريداً لا مال له ولا ولد نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد زعماً منهم أنه لا نظير له في وجاهته ولا في ماله وكان يفتخر بنفسه، ويقول: أنا الوحيد ابن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لأبي المغيرة نظير أيضاً فسماه الله بالوحيد تهكماً به واستهزاء بلقبه كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ۝٤٩﴾ [الدخان: ٤٩] وصرفاً له عن الغرض الذي يؤمونه من مدحه إلى جهة ذمه بكونه وحيداً من المال والولد أو وحيداً من أبيه ونسبه لأنه كان زنيماً وهو من ألحق بالقوم وليس منهم كما مر أو وحيداً في الشرارة والخباثة والدناءة.

﴿وجعلت له مالاً ممدوداً﴾ أي: مبسوطاً أي كثيراً وهو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الأموال وقال النوري كان له ألف ألف دينار.

﴿وبنين﴾ ودادم اورا پسران ﴿شهوداً﴾ جمع شاهد مثل قاعد وقعود وشهده كسمعه حضره، أي حضوراً معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل أو تجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم أو حضوراً معه في الأندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم، وكان له عشرة بنين أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة قاله المفسرون وأطبق المحدثون على أن الوليد بن الوليد أسلم وعمارة قتل كافراً إما يوم بدر أو في الحبشة على يد النجاشي، قال السهيلي رحمه الله: هم هشام بن الوليد والوليد بن الوليد وخالد بن الوليد الذي يقال له سيف الله وأما غير هؤلاء ممن مات منهم على دين الجاهلية فلم نسمه.

﴿ومهدت له تمهيداً﴾ وبسطت له الرياسة والجاه العريض فأتممت عليه النعمة فإن اجتماع المال والجاه هو الكمال عند أهل الدنيا ولذا كان يلقب ريحانة قريش والريحانة نبت طيب الرائحة والولد والرزق.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى الوليد بن مغيرة النفس الوحيدة في الشر والظلم والجور والجهل وكثرة أموال أعماله السيئة الذميمة وثروة أجناس أخلاقه الذميمة وإلى بني أتباعه الخبيثة الخسيسة وبسطة سلطنته ورياسته ووجاهته عند أرباب النفوس المتمردة عن أوامر الحق ونواهيه المعربدة مع الحق وأهاليه وهم القوى الطبيعية الظلمانية، يعني دعني وإياه فإني أسلط عليه أبا بكر الخفي وعمر الروح وعثمان السر وعلي القلب حتى أنهم بأنوار روحانيتهم يطمسون ظلمات نفسانيته ويغيرون على أعماله ويقتلون بني أتباعه وشيعته ويطوون بساط سلطنته ويسدون باب بسطته.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿ثم يطمع﴾ يرجو **﴿أن أزيد﴾** على ما أوتيه من المال والولد وثم استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه إما لأنه لا مزيد على ما أوتيه سعة وكثرة، يعني أنه أوتي غاية ما أوتي عادة لأمثاله أو لأنه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم أي لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم.

﴿كلا﴾ ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرأيه الخائب فيكون متصلاً بما قبله **﴿إنه كان لآياتنا عنيداً﴾** يقال عند خالف الحق ورده عارفاً به فهو عنيد وعاند يعني منكر وستيزه كننده.

والمعاندة: المفارقة والمجانبة والمعارضة بالخلاف كالعناد والعنيد هنا بمعنى المعاند كالجليس والأكيل والعشير بمعنى المجالس والمؤاكل والمعاشر وهو تعليل لما قبلها على وجه الاستئناف التحقيقي فإن معاندة آيات المنعم وهي الآيات القرآنية مع وضوحها وكفران له مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وإنما أوتي ما أوتي استدراجاً، وتقديم لآياتنا على متعلقه وهو عنيداً يدل على التخصيص فتخصيص العناد بها مع كونه تاركاً للعناد في سائر الأشياء يدل على غاية الخسران قيل ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك وهو فقير.

آنكس كه نصيحت زعزيزان نكند كوش بسيار بخايد سر انكشت ندامت

﴿سأرهقه صعوداً﴾ قال الراغب: رهقه الأمر غشيه بقهر يقال رهقته وأرهقته مثل رأفته وأردفته وتبعته واتبعته ومنه أرهقت الصلاة أي أخرتها حتى غشي وقت الأخرى والصعود العقبة الشاقة ويستعار لكل مشاق وهو مفعول ثان لأرهق، وفي بعض التفاسير صعوداً إما فعول بمعنى فاعل يستوي فيه المذكر والمؤنث مثل عقبة كؤود فيكون من قبيل تسمية المحل باسم الحال أو بمعنى مفعول من صعده وهو الظاهر فيكون تذكيره إما باعتبار كون موصوفه طريقاً أو باتباع مثل كؤود والمعنى سأكلفه كرهاً بدل ما يطمعه من الزيادة ارتقاء عقبه شاقة المصعد على حذف المضاف بحيث تغشاه شدة ومشقة من جميع الجوانب على أن يكون الإرهاق تكليف الشيء العظيم المشقة بحيث تغشى المكلف شدته ومشقته من جميع الجوانب وقال الغزالي رحمه الله حالة تصعد فيها نفسه للنزع وإن لم يتعقبه موت انتهى. وهو مثال لما يلقى من العذاب الصعب الذي لا يطاق ويجوز أن يحمل على حقيقته كما قال عليه السلام: «الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي كذا أبداً».

يعني بر بالاي آن نتوان رفت اورادر زنجير هاي آتشين كشيده ازپيش مى كشند واز عقب كرزهاي آتشين كشيده از پس مى كشند واز عقب كرزهاي آتشين ميزنند تابر آنجا ميرووددر هفتا دسال وبازكشتن وزير افتادن أو همچنين است.

قوله: «سبعين خريفاً» أي سبعين عاماً لأن الخريف آخر السنة فيه تتم الثمار وتدرك فصار بذلك كأنه العام كله وهذا كما تسمى العلة الصورية علة تامة، لذلك قال في «القاموس» الخريف كأمير ثلاثة أشهر بين القيظ والشتاء تخترف فيها الثمار أي تجتنى وعنه عليه السلام يكلف أن يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت فإذا رفعها عادت.

﴿إنه فكر وقدر﴾ تعليل للوعيد واستحقاقه له من التفكير بمعنى التفكر والتأمل كما قال في «تاج المصادر» التفكير انديشه كردن. والتقدير اندازه وتهيئه كردن.

أي: فكر ماذا يقول في حق القرآن وشأنه من جهة الطعن وقدر في نفسه ما يقوله وهيأه ﴿فقتل كيف قدر﴾ تعجيب من تقديره وإصابته فيه الغرض الذي كان ينتحيه قريش قاتلهم الله أو ثناء عليه بطريق الاستهزاء به على معنى أن هذا الذي ذكره وهو كون القرآن سحراً في غاية الركاكة والسقوط أو حكاية لما ذكروه من قولهم قتل كيف قدر تهكماً بهم وبإعجابهم بتقديره واستعاظمهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما أشجعه وأخزاه الله ما أشعره الإشعار بأنه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغاً حقيقاً بأن يدعو عليه حاسده بذلك وقد سبق في قاتلهم الله في المنافقين مزيد البيان.

روي: أن الوليد مر بالنبي عليه السلام وهو يقرأ حم السجدة وفي بعض التفاسير فواتح سورة حم المؤمن فقال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة أي حسناً وبهجة وقبولاً وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق أي كثير الماء شبه القرآن بالشجرة الغضة الطرية التي استحكم أصلها بكثرة الماء وأثمرت فروعها في السماء وأثبت له أعلى وأسفل ولأعلاه الإثمار ولأسفله الإغداق على طريق التخييل.

قال الكاشفي: مراورا حلاوتي وعذوبتي هست كه هيچ سخن رانباشد وبروى طر أوتى وتازكي هست كه هيچ حديثي رانبود أعلاي آن نهال مثمر سعادات كليه وأسفل اين شجرهٔ طيبه عروق فضائل وحكم عليه است.

ثم قال الوليد وإنه يعلو ولا يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد أي مال عن دينه وخرج إلى دين غيره والله لتصبأن قريش كلهم أي بمتابعته لكونه رئيس القوم فقال ابن أخيه أبو جهل أنا أكفيكموه فقعد عنده حزيناً وكلمه ما أحماه أي أغضبه.

يعني كفت كه قريش ميكويند توسخنان محمداً عليه السلام پسند ميدهى وآنرا بزرك ميدارى وثنا ميكويى تا از فضلهٔ طعام ايشان بهره بردارى اكرچنين است، تاهمه قريش فراهم شوند وترا كفايتي حاصل كنندتا ازطعام ايشان بي نياز شوى وليد اين سخن از أبو جهل بشنيد درخشم شد كفت الم تعلم قريش أني من أكثرهم ما لا وولد واين أصحاب محمد خود هركز ازطعام سير نشوند واز فقر وفاقه نياسا يندچه صورت بنددكه ايشانرا فضلهٔ طعام بودتابديكرى دهند پس هردوبر خاستتد وبرا انجمن قريش شادند وليد كفت شماكه قريش ايدبدانيدكه حال وكار اين محمد در عرب منتشر كشت وموسم حج نزديكست كه عرب مى آيند وازحال وى پرسند جواب ايشان چه خواهيدداد.

تزعمون أنه مجنون فهل رأيتموه يخنق لأن العرب كانت تعتقد أن الشيطان يخنق المجنون ويتخبطه وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو وما تقول في حقه ففكر فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذي يقوله إلا سحر يأثره عن أهل بابل فارتج النادي فرحاً وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه راضين به.

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿ثم قتل كيف قدر﴾ تكرير للتعجب للمبالغة في التشنيع وثم للدلالة على أن النكرة الثانية في التعجيب أبلغ من الأولى، أي للتراخي بحسب الرتبة وأن اللائق في شأنه ليس إلا هذا القول دعاء عليه وفيما بعد على أصلها من التراخي الزماني.

﴿ثم نظر﴾ أي في القرآن مرة بعد مرة وتأمل فيه. **﴿ثم عبس﴾** فقلت وجه يعني روى فاهم كشيد وترش كرفت. لأنه لم يجد فيه مطعناً ولم يدر ماذا يقول. **﴿وبسر﴾** إتباع لعبس قال سعدي المفتي لكن عطف الإتباع على المتبوع غير معروف والظاهر أن كلاً منهما له معنى مغاير لمعنى الآخر فعبس بمعنى قطب وجهه وبسر بمعنى قبض ما بين عينيه من السوء واسود وجهه منه ذكره الحلبي والعدة عليه وقال الراغب: البسر الاستعجال بالشيء قبل أوانه نحو أسر الرجل حاجته طلبها في غير أوانها وقوله: **﴿ثم عبس وبسر﴾** أي أظهر العبوس قبل أوانه نحو أبسر الرجل حاجته طلبها في غير أوانها وقوله: **﴿ثم عبس وبسر﴾** أي أظهر العبوس قبل أوانه وفي غير وقته انتهى.

﴿ثم أدبر﴾ عن الحق **﴿واستكبر﴾** عن اتباعه **﴿فقال﴾** عقيب توليه عن الحق **﴿إن﴾** نافية بمعنى ما لذا أورد إلا بعدها **﴿هذا﴾** الذي يقوله محمد عليه السلام، أي القرآن **﴿إلا سحر يؤثر﴾** أي يروي ويتعلم من الغير وليس هو من سحره بنفسه يقال أثرت الحديث آثره أثراً إذا حدثت به عن قوم في آثارهم أي بعد ما ماتوا هذا هو الأصل ثم كان بمعنى الرواية عمن كان وحديث مأثور أي منقول ينقله خلف عن سلف وأدعية مأثورة أي مروية عن الأكابر وفي تعلم السحر لحكمة رخصة واعتقاد حقيته والعمل به كفر كما قيل: «عرفت الشر لا للشر لكني لتوقيه. ومن لم يعرف الشر من الناس يقع فيه» وقد سبق معناه وما يتعلق به في مواضعه.

﴿إن هذا﴾ ما هذا **﴿إلا قول البشر﴾** تأكيد لما قبله ولذا أخلي عن العاطف قاله تمرداً وعناداً لا على سبيل الاعتقاد لما روي قبل إنه أقر بأن القرآن ليس من كلام الإنس والجن وأراد بالبشر يساراً وجبراً وأبا فكيهة أما الأولان فكانا عبدين من بلاد فارس وكانا بمكة وكان النبي عليه السلام يجلس عندهما وأما أبو فكيهة فكان غلاماً رومياً يتردد إلى مكة من طرف مسيلمة الكذاب في اليمامة.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿سأصليه سقر﴾ أي: أدخله جهنم لما قال في «الصحاح»: سقر اسم من أسماء النار وقال ابن عباس رضي الله عنهما اسم للطبقة السادسة من جهنم يقال سقرته الشمس إذا آذته

وآلمته وسميت سقر لإيلامها قوله ﴿سأصليه سقر﴾ بدل من سأرهقه صعوداً بدل الاشتمال سواء جعل مثلاً لما يلقى من الشدائد أو اسم جبل من نار لأن سقر تشتمل على كل منهما.

﴿وما أدراك ما سقر﴾ ما الأولى مبتدأ وأدراك خبره وما الثانية خبر لقوله ﴿سقر﴾ لأنها المفيدة لما قصد إفادته من التهويل والتفظيع دون العكس كما سبق في الحاقة والمعنى أي شيء أعلمك ما سقر في وصفها يعني أنه خارج عن دائرة إدراك العقول ففيه تعظيم لشأنه.

﴿لا تبقي ولا تذر﴾ بيان لوصفها وحالها وإنجاز للوعد الضمني الذي يلوح به وما أدراك ما سقر أي لا تبقي شيئاً يلقى فيها إلا أهلكته بالإحراق وإذا هلك لم تذره هالكاً حتى يعاد خلقاً جديداً وتهلكه إهلاكاً ثانياً وهكذا كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا﴾ [النساء: ٥٦] غيرها أو لا تبقي على شيء أي لا تترحم عليه ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لأنها خلقت من غضب الجبار قال في «تهذيب المصادر»: الإبقاء باقي كردن ونيز شفقت بردن.

وقيل: لا تبقي حياً ولا تذر ميتاً كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى: ١٣] ﴿لواحة للبشر﴾ يقال لاحت النار الشيء إذا أحرقته وسودته ولاحه السفر أو العطش أي غيره وذلك أن الشيء إذا كان فيه دسومة فإذا أحرق اسود والبشر جمع بشرة وهي ظاهر جلد أي إنسان أي مغيرة لأعلى الجلد وظواهره مسودة لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سواداً من الليل فإن قلت لا يمكن وصفها بتسويد البشرة مع قوله ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ قلت ليس في الآية دلالة على أنها تفنى بالكلية مع أنه يجوز أن يكون الإفناء بعد التسويد وقيل لائحة للناس على أن لواحة اسم فاعل من لاح يلوح أي ظهر وأن البشر بمعنى الناس قيل إنها تلوح للبشر من مسيرة خمسمائة عام فهو كقوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [النازعات: ٣٦] فيصل إلى الكافر سمومها وحرورها كما يصل إلى المؤمن ريح الجنة ونسيمها من مسيرة خمسمائة عام.

﴿عليها﴾ أي على سقر ﴿تسعة عشر﴾ أي ملكاً يتولون أمرها ويتسلطون على أهلها وهم مالك وثمانية عشر معه أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي وأشعارهم تمس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرأفة والرحمة يأخذ أحدهم سبعين ألفاً في كفه ويرميهم حيث أراد من جهنم قيل هذه التسعة عشر عد الرؤساء والنقباء وأما جملة أشخاصهم فكما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] فيجوز أن يكون لكل واحد منهم أعوان لا تعد ولا تحصى ذكر أرباب المعاني والمعرفة في تقدير هذا العدد وتخصيصه وجوهاً:

منها أن سبب فساد النفس الإنسانية في قوتها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية فالقوى الحيوانية هي الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والشهوة والغضب ومجموعها اثنتا عشرة وأما القوى الطبيعية فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة فالمجموع تسع عشر، قال ابن الشيخ: والمراد بالقوى الحيوانية القوى التي تختص بالحيوان من بين المواليد الثلاثة الحيوان والنبات والمعدن وهي قسمان مدركة وفاعلة فالمدركة أي ما لها مدخل في الإدراك بالمشاهدة والحفظ عشر وهي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والفاعلة أي ما لها مدخل في الفعل إما باعثة أو محركة وهما اثنتان الشهوة والغضب والقوى الطبيعية هي القوى التي لا تختص بالحيوان بل توجد في النبات أيضاً وهي سبع ثلاث

منها مخدومة وهي الغاذية والنامية والمولدة وأربع منها خوادم وهي الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة فلما كان منشأ الآفات هو هذه القوى التسع عشرة كان عدد الزبانية هكذا قال سعدي المفتي، وأنت خبير بأن إثبات هذه القوى بناؤه على الأصول الفلسفية وتقي الفاعل المختار فيصان تفسير كلام الله عن أمثاله أي وإن ذكرها الإمام في «التفسير الكبير» وتبعه من بعده، وقال أيضاً والحق أن يحال علمه إلى الله تعالى فالعقول البشرية قاصرة عن إدراك أمثاله انتهى ويرده ما قال الإمام السهيلي في «الأمالي»: إن النكتة التي من أجلها كانوا تسعة عشر عدداً ولم يكونوا أكثر وأقل فلعمري إن في الكتاب والسنة لدليلاً عليها وإشارة إليها ولكنها كالسر المكنون والناس أسرع شيء إلى إنكار ما لم يألفوه وتزييف ما لم يعرفوه ولا يؤمن في نشرها وذكرها سوء التأويل لقصور أكثر الأفهام عن الوعي والتحصيل مع قلة الإنصاف في هذا الجيل انتهى.

ومنها: أن أبواب جهنم سبعة ستة منها للكفار وواحد للفساق ثم إن الكفار يدخلون النار لأمور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الإقرار وترك العمل فيكون لكل باب من تلك الأباب الستة ثلاثة فالمجموع ثمانية عشر وأما باب الفساق فليس هناك إلا ترك العمل فالمجموع تسعة عشر.

ومنها أن الساعات أربع وعشرون خمس منها مشغولة بالصلوات الخمس فيبقى منها تسع عشرة مشغولة بغير العبادة مصروفة إلى ما يؤاخذ به بأنواع العذاب يعني أنه لم يخلق في مقابلة الخمس التي جعلت مواقيت الصلاة زبانية تكريماً لها فلا يلزم الاختصاص بالمصلين من عصاة المؤمنين كما في «حواشي» سعدي المفتي فلا جرم صار عدا الزبانية تسعة عشر ومنها أنه تعالى حفظ جهنم بما حفظ به الأرض من الجبال وهي مائة وتسعون أصلها تسعة عشر.

ومنها أن المدبرات للعالم النجوم السيارة وهي سبعة والبروج الاثنا عشر الموكلة بتدبير العالم السفلي المؤثرة فيه تقمعهم بسياط التأثير وترديهم في مهاويها ومنها ما قال السجاوندي في «عين المعاني» قد تكلموا في حكمة العدد على أنه لا تطلب للأعداد العلل فإن التسعة أكثر الآحاد والعشرة أقل العشرات فقد جمع بين أكثر القليل وأقل الكثير يعني أن التسعة عشر عدد جامع بينهما فلهذا كانت الزبانية على هذا العدد.

ومنها ما قال في «كشف الأسرار» أن قوله بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفاً وعدد الزبانية تسعة عشر ملكاً فيدفع المؤمن بكل حرف منها واحداً منهم وقد سبقت رحمته غضبه ومنها ما لاح لهذا الفقير قبل الاطلاع على ما في «كشف الأسرار» وهو أن عدد حروف البسملة عشر كما قال المولى الجامي:

نوزده حر فست كه هژده هزار عالم ازو يافته فيض عميم

ولما كانت البسملة آية الرحمة والكفار والفساق لم يقبلوا هذه الآية حيث سلكوا سبيل الكفر والمعاصي خلق الله في مقابلة كل حرف منها ملكاً من الغضب والجلال وجعله آية الغضب كما جعل خازن الجنة آية الرحمة دل على ما قلنا قوله عليه السلام يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنيناً وهو أكبر الحيات بالفارسية اژدر. في فمه أنياب مثل أسنة الرماح وهو طويل كالنخلة السحوق أحمر العينين مثل الدم واسع الفم والجوف يبتلع الإنسان والحيوان وسره أنه كفر بالله وبأسمائه الحسنى التي هي تسعة وتسعون فاستحق أن يسلط عليه تسعة وتسعون تنيناً بعددها في قبره الذي هو حفرة من حفر النيران فلا يلزم أن يسلط عليه ذلك العدد

في النار فالتسع عدد القهر والحصر والانقراض لأنه ينقرض عن أهل النار أمداد الرحمة الرحيمية.

ومنها ما في «التأويلات النجمية»: من أن اختلال النفوس البشرية بحسب العمل والعلم والدخول في جهنم البعد والطرد واللعن والحجاب والاحتجاب مترتب على موجباتها وهي تسعة غير الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة وهي الأعضاء والجوارح السبع التي ورد بها الحديث بقوله عليه السلام أمرت أن أسجد عى سبعة أعضاء وآراب والطبيعة البشرية المشتملة على الكل المؤثرة في الكل بحسب الظاهر والباطن ويجوز أن تكون القوة الغضبية والشهوية بدل الطبيعة فصار الكل تسعة عشر.

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾.

﴿وما جعلنا أصحاب النار﴾ أي المدبرين لأمرها القائمين بتعذيب أهلها فأصحاب النار هنا غير أصحاب النار في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾[الحشر: ٢٠] وفي «كشف الأسرار» وما جعلنا خزنة أصحاب النار فحذف المضاف انتهى. وفيه بعد لأنهم خزنة النار لا خزنة أصحابها ﴿إلا ملائكة﴾ ليخالفوا جنس المعذبين من الثقلين فلا يرقوا لهم ولا يميلوا إليهم فإن المجانسة مظنة الرأفة فلذا بعث الرسول من جنسنا ليرحم بنا ولأنهم أقوى الخلق وأقومهم بحق الله وبالغضب له تعالى وأشدهم بأساً وعن النبي عليه السلام لقوة أحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمى بهم في النار ويرمى بالجبل عليهم ويروى أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿عليها تسعة عشر﴾ قال أبو جهل لقريش أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال أبو الأسود بن أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش والقوة حتى كان من قوته أنه إذا قام على أديم واجتمع جماعة على إزالة رجليه عنه لم يقدروا عليه فكانوا يشدون الأديم حتى يتقطع قطعاً ورجلاه على حالهما أنا أكفيكم سبعة عشر منهم فاكفوني أنتم اثنين فنزلت أي وما جعلناهم رجالاً من جنسكم يطاقون فمن ذا الذي يغلب الملائكة والواحد منهم يأخذ أرواح جميع الخلق وللواحد منهم من القوة ما يقلب الأرض فيجعل عاليها سافلها.

وتمام آدميان طاقت ديداريك فرشته تدارند تا بمقاومت كجا بسر آيند. ﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾ أي: وما جعلنا عددهم إلا العدد الذي تسبب لافتتانهم ووقوعهم في الكفر وهو التسعة عشر فعبر بالأثر عن المؤثر أي بالفتنة عن العدد المخصوص تنبيهاً على التلازم بينهما وحمل الكلام على هذا لأن جعل من دواخل المبتدأ والخبر، فوجب حمل مفعوله الثاني على الأول ولا يصح حمل افتتان الكفار على عدد الزبانية إلا بالتوجيه المذكور فإن عدتهم سبب للفتنة لا فتنة نفسها ثم ليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين في نفس الأمر بل جعله في القرآن أيضاً كذلك وهو الحكم بأن عليها تسعة عشر إذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم لتولي هذا العدد القليل أمر الجم الغفير واستهزائهم به حسبما

ذكر وعليه يدور ما سيأتي من استيقان أهل الكتاب وازدياد المؤمنين إيماناً ﴿**ليستيقن الذين أوتوا الكتاب**﴾ متعلق بالجعل على المعنى المذكور والسين للطلب أي ليكتسبوا اليقين بنبوته عليه السلام وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقاً لما في كتابهم وفي «عين المعاني» سأل اليهود رسول الله ﷺ عن خزنة النار وعددهم فأجاب عليه السلام: «بأنهم تسعة عشر».

يعني: دوباربا صابع يدين اشارت فرمود ودر كرت دوم ابهام يمنى را امساك فرمود ﴿**ويزداد الذين آمنوا إيماناً**﴾ أي يزداد إيمانهم كيفية بما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك أو كمية بانضمام إيمانهم بذلك إلى إيمانهم بسائر ما أنزل ﴿**ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون**﴾ تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الإيمان فإن نفي ضد الشيء بعد إثبات وقوعه أبلغ في الإثبات ونفي لما قد يعتري المستيقن والمؤمن من شبهة ما، فيحصل له يقين جازم بحيث لا شك بعده وإنما لم ينظم المؤمنين في سلك أهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالاً فإن انتفاء الارتياب من أهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الإيمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للإيذان بثباتهم على الإيمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك. ﴿**وليقول الذين في قلوبهم مرض**﴾ شك أو نفاق فإن كلاً منهما من الأمراض الباطنة فيكون إخباراً بما سيكون في المدينة بعد الهجرة إذ النفاق إنما حدث بالمدينة وكان أهل مكة إما مؤمناً حقاً وإما مكذباً وإما شاكاً. ﴿**والكافرون**﴾ المصرون على التكذيب فإن قلت: كيف يجوز أن يكون قولهم هذا مقصود الله تعالى؟ قلت: اللام ليست على حقيقتها بل للعاقبة فلا إشكال ﴿**ماذا أراد الله بهذا مثلاً**﴾ تمييز لهذا أو حال منه بمعنى ممثلاً به كقوله: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف: ٧٣] أي أي شيء أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل فإطلاق المثل على هذا العدد على سبيل الاستعارة حيث شبهوه بالمثل المضروب وهو القول السائر في الغرابة حيث لم يكن عقداً تاماً كعشرين أو ثلاثين والاستفهام لإنكار أنه من عند الله بناء على أنه لو كان من عنده لما جاء ناقصاً وإفراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للإشعار باستقلاله في الشناعة. ﴿**كذلك يضل الله من يشاء**﴾ ذلك إشارة إلى ما قبله من معنى الضلال، أي يضل الله من يشاء إضلاله كأبي جهل وأصحابه المنكرين لخزنة جهنم وعددهم إضلالاً كائناً مثل ما ذكر من الإضلال لا إضلالاً أدنى منه لصرف اختياره إلى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق وأصله أن الله لا يضل إلا بحسب الضلالة الأزلية لأن الضلال وصرف الاختيار إلى جانبه كل منهما من مقتضى عينه الثابتة. ﴿**ويهدي من يشاء**﴾ هدايته كأصحاب محمد عليه السلام هدايته كائنة مثل ما ذكر من الهداية لا هداية أدنى منها لصرف اختياره عند مشاهدة تلك الآيات إلى جانب الهدى وحقيقته أن الله لا يهدي إلا بموجب الهداية الأزلية إذ الاهتداء وصرف الاختيار إلى جانبه كل منهما من أحواله الأزلية فلا يجوز خلافه في عالم العين في الأبد. ﴿**وما يعلم جنود ربك**﴾ أي جموع خلقه التي من جملتها الملائكة المذكورون والجنود جمع جند بالضم وهو العسكر وكل مجتمع وكل صنف من الخلق على حدة وفي الحديث «إن لله جنوداً منها العسل» ﴿**إلا هو**﴾ لفرط كثرتها وفي حديث موسى عليه السلام أنه سأل ربه عن عدد أهل السماء فقال تعالى اثنا عشر سبطاً عدد كل سبط عدد التراب وفي «الأسرار المحمدية»: ليس في العالم موضع بيت ولا

زاوية إلا وهو معمور بما لا يعلمه إلا الله والدليل على ذلك أمر النبي عليه السلام بالتستر في الخلوة وأن لا يجامع الرجل امرأته عريانين وفيه إشارة إلى أن الله في اختيار عدد الزبانية حكمة وإلا فجنوده خارجة عن دائرة العد والضبط قال القاشاني: وما يعلم عدد الجنود وكميتها وكيفيتها وحقيقتها إلا هو لإحاطة علمه بالماهيات وأحوالها.

وفي «التأويلات النجمية»: إلا هويته الجامعة لجميع جنود التعينات الغير المتناهية بحسب الأسماء الجزئية والجزئيات الأسماء قال بعض العارفين خلقت الملائكة على مراتب فأرواح ليس لهم عقل إلا تعظيم جناب الله وليس لهم وجه مصروف إلى العالم ولا إلى نفوسهم قد هيمهم جلال الله واختطفهم عنهم فهم فيه حيارى سكارى وأرواح مدبرة أجساماً طبيعية أرضية وهي أرواح الأناسي وأرواح الحيوانات من جسم عنصري طبيعي وهذه الأرواح المدبرة لهذه الأجسام مقصورة عليها مسخر بعضها لبعض كما قال تعالى: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] وأرواح أخر مسخرات لمصالحنا وهم على طبقات كثيرة فمنهم الموكل بالوحي ومنهم الموكل بالإلقاء ومنهم الموكل بالأرزاق ومنهم الموكل بقبض الأرواح، ومنهم الموكل بإحياء الموتى ومنهم الموكل بالاستغفار للمؤمنين والدعاء لهم ومنهم الموكل بالغراسات في الجنة جزاء، لأعمال العباد ومنهم غير ذلك وأما مراتبهم وتفاوتهم ففيهم الأكبر والكبير فجبريل أكبر من عزرائيل وميكائيل أكبر من جبريل وإسرافيل أكبر من ميكائيل وقال بعضهم: هذه الجنود ليست معدة للمحاربة بل هي لترتيب المملكة الظاهرة للعالم الأعلى والأسفل، لأنه إذا كان ما في السموات وما في الأرض جنوده فلمن يقاتلون فما بقي إلا أن المراد بهم جنود التسخير إذ العالم كله مسخر بعضه لبعض وجميع الملائكة مسخرون لنا بأسرهم تحت أيدي الاثني عشر ملكاً الذين ولاهم الله على عالم الخلق ومقرهم في الفلك الأقصى كل وال في برج كأبراج سور المدينة جالس على تخت وقد رفع الله الحجاب بين هؤلاء الولاة وبين اللوح المحفوظ فرأوا فيه مسطراً أسماءهم ومراتبهم وما شاء الله أن يجريه على أيديهم في عالم الخلق إلى يوم القيامة فارتقم ذلك كله في نفوسهم وعلموه علماً محفوظاً لا يتبدل ولا يتغير كما علمنا نحن أسماءهم وأحوالهم من مقابلة قلوبنا للوح المحفوظ ثم إن الله جعل لكل واحد من هؤلاء الولاة حاجبين ينفذان أوامرهم إلى نوابهم وجعل بين كل حاجبين سفيراً يمشي بينهما بما يلقي إليه كل واحد منهما وعين الله لهؤلاء الذين جعلهم حجاباً لهؤلاء الولاة في الفلك الثاني منازل يسكنونها وأنزلهم إليها وهي الثماني والعشرون منزلة التي تسمى المنازل لتي ذكرها الله بقوله ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩] يعني في سيره ينزل كل يوم منزلة منها إلى أن ينتهي إلى آخرها، ثم يدور دورة أخرى ليعلموا بسيره وسير الشمس والخنس عدد السنين والحساب وكل شيء فصله الحق لنا تفصيلاً فأسكن في هذه المنازل هذه الملائكة وهم حجاب أولئك الولاة الذين في الفلك ثم إن الله أمر هؤلاء أن يجعلوا لهم نواباً ونقباء في السموات السبع في كل سماء نقيباً كالحجاب لهم لينظروا في مصالح العالم العنصري بما يلقيه إليهم هؤلاء الولاة ويأمرونهم به وهو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢] فجعل الله أجسام هذه الكواكب النقباء أجساماً نيرة مستديرة ونفخ فيها أرواحها وأنزلها في السماوات السبع في كل سماء واحد منهم وقال لهم قد جعلتكم تستخرجون ما عند هؤلاء الاثني عشر والياً بواسطة الحجاب الثمانية والعشرين، كما يأخذ أولئك الولاة عن اللوح المحفوظ ثم جعل الله لكل نقيب من هؤلاء

السبعة النقباء فلكاً يسبح فيه هو له كالجواد للراكب وهكذا الحجاب لهم أفلاك يسبحون فيها إذ كان لهم التصرف في حوادث العالم والاستشراف عليه ولهم سدنة وأعوان يزيدون على الألف أعطاهم الله مراكب سماها أفلاكاً فهم أيضاً يسبحون فيها وهي تدور بهم على المملكة في كل يوم مرة فلا يفوتهم شي من المملكة أصلاً من ملك السماوات والأرض فتدور الولاة وهؤلاء الحجاب والنقباء والسدنة كلهم في خدمة هؤلاء الولاة والكل مسخرون في حقنا إذ كنا نحن المقصود الأعظم من العالم كله قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية: ١٣] جميعاً منه وسبب دوران الأفلاك علينا كل يوم دورة إنما هو لينظر هؤلاء الولاة فيم تدعو حاجة الخلق إليه من الأمور فيسدوا خللهم وينفذوا أحكام الله فيهم من كونه مريداً في خلقه لا من كونه آمراً إليه فينفذون الأقدار فيهم في أزمان مختلفة وكما جعل الله زمام هذه الأمور بأيدي هؤلاء الجماعة من الملائكة وأقعد منهم من أقعد في برجه ومسكنه الذي فيه تخت ملكه، وأنزل من أنزل من الحجاب والنقباء إلى منازلهم في سمواتهم كذلك جعل في كل سماء ملائكة مسخرة وجعلهم على طبقات فمنهم أهل العروج بالليل والنهار من الحق إلينا ومنا إلى الحق في كل صباح ومساء ولا يقولون إلا خيراً في حقنا ومنهم المستغفرون لمن في الأرض ومنهم المستغفرون للمؤمنين لغلبة الغيرة الإلهية عليهم كما غلبت الرحمة على المستغفرين لمن في الأرض ومنهم الموكلون بإيصال الشرائع، ومنهم الموكلون بالممات ومنهم الموكلون بالإلهام وهم الموصلون العلوم إلى القلوب، ومنهم الموكلون بالأرحام بتصوير ما يكون لله في الأرحام ومنهم الموكلون بنفخ الأرواح ومنهم الملائكة التسعة عشر الموكلون بالشفاعة لمن دخل النار ومنهم الموكلون بالأرزاق، ومنهم الموكلون بالأمطار ومنهم الصافات والزاجرات والتاليات والمقسمات والمرسلات والناشرات والنازعات والناشطات والسابقات والساحات والملقيات والمدبرات ولذلك قالوا وما منا إلا له مقام معلوم فما من حادث يحدثه الله في العالم إلا وقد وكل الله بإجرائه الملائكة، ولكن بأمر هؤلاء الولاة من الملائكة فلا يزالون تحت سلطانهم إذ هم خصائص الله ثم إن العامة ما تشهد من هؤلاء الملائكة إلا منازلهم التي هي أجرام الكواكب ولا تشهد أعيان الحجاب ولا النقباء وأما أهل الكشف فيشهدونهم في منازلهم عياناً.

ثم اعلم أن الله قد جعل في هذا العالم العنصري خلقاً من جنسهم وولاة عليهم نظير العالم العلوي فمنهم الرسل والخلفاء والسلاطين والملوك وولاة أمور جميع العالم من القضاة وأضرابهم ثم جعل بين أرواح هؤلاء الولاة الذين هم في الأرض والولاة الذين هم في السموات مناسبات ودقائق تمتد إليهم بالعدل مطهرة من الشوائب مقدسة عن العيوب فيقبل هؤلاء الولاة الأرضيون منهم بحسب استعداداتهم فمن كان استعداده حسناً قوياً قبل ذلك الأمر على صورته طاهراً مطهراً فكان والي عدل وإمام فضل، ومن كان استعداده رديئاً قبل ذلك الأمر الطاهر ورده إلى شكله من الرداءة والقبح والجور فكان والي جور ونائب ظلم وبخل فلا يلومن إلا نفسه فهذه أمهات مراتب حكام العالم أصحاب المراتب على سبيل الإجمال وأما الرعية فلا يحصي عددهم إلا الله ولله تعالى في الأرض ملائكة لا يصعدون إلى السماء أبداً وملائكة في السماء لا ينزلون إلى الأرض أبداً كل قد علم صلاته وتسبيحه بإلهام من الله تعالى كذا في كتاب «الجواهر» للإمام الشعراني رحمه الله. **﴿وما هي﴾** أي: سقر وذكر صفتها **﴿إلا ذكرى للبشر﴾**

إلا تذكرة وعظة وإنذار لهم بسوء عاقبة الكفر والضلال وتخصيص الإنس مع أنها تذكرة للجن أيضاً لأنهم هم الأصل في القصد بالتذكرة أو وما عدة الخزنة إلا تذكرة لهم ليتذكروا ويعلموا أن الله قادر على أن يعذب الكثير الغير المحصور من كفار الثقلين وعصاتهم بهذا العدد بل هو لا يحتاج في ذلك إلى أعوان وأنصار أصلاً فإنه لو قلب شعرة واحدة في عين ابن آدم أو سلط الألم على عرق واحد من عرق بدنه لكفاه ذلك بلاء ومحنة وإنما عين العدد وخلق الجنود لحكمة لا لاحتياج ويجوز أن يعود الضمير إلى الآيات الناطقة بأحوال سقر فإنها تذكرة لاشتمالها على الإنذار.

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿كلا﴾ ردع لمن أنكر سقر أي، ارتدع عن إنكارها فإنها حق أو إنكار ونفي لأن تكون لهم تذكرة فإن كونها ذكرى للبشر لا ينفي بعضهم لا يتذكرون بل يعرضون عنها بسوء اختيارهم ألا يرى إلى قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [المدثر: ٤٩] ﴿والقمر﴾ مقسم به مجرور بواو القسم يعني وسوكند بماه كه معرفت أوقات وآجال بوى باز بسته است.

وفي «فتح الرحمن»: تخصيص تشريف وتنبيه على النظر في عجائبه وقدرته في حركاته المختلفة التي هي مع كثرتها واختلافها على نظام واحد لا يختل وقال أبو الليث: وخالق القمر يعني الهلال بعد ثالثه. ﴿والليل﴾ معطوف على القمر وكذا الصبح يعني وبحرمه شب ﴿إذ﴾ بسكون الذال وهو ظرف لما مضى من الزمان ﴿أدبر﴾ على وزن أفعل أي انصرف وذهب فإن الإدبار نقيض الإقبال.

﴿والصبح﴾ قال في «القاموس» الصبح الفجر أو أول النهار والجمع أصباح وفي «المفردات» الصبح والصباح أول النهار وهو وقت ما احمر الأفق بحاجب الشمس. ﴿إذا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان واتفقوا على إذا ههنا نظراً إلى تأخره عن الليل من وجه. ﴿أسفر﴾ أي ضاء وانكشف فإن الإسفار بالفارسية روشن شدن.

قال الراغب: السفر كشف الغطاء ويختص ذلك بالأعيان نحو سفر العمامة عن الرأس والخمار عن الوجه والإسفار يختص باللون نحو والصبح إذا أسفر أي أشرق لونه ووجهه وأسفروا بالفجر تؤجروا من قولهم أسفرت أي دخلت فيه نحو أصبحت، وفي «قوت القلوب»: الفجر الثاني هو انشقاق شفق الشمس وهو بريق بياضها الذي تحت الحمرة وهو الشفق الثاني على ضد غروبها لأن شفقها الأول من العشاء هو الحمرة بعد الغروب وبعد الحمرة البياض وهو الشفق الثاني من أول الليل وهو آخر سلطان شعاع الشمس وبعد البياض سواد الليل وغسقه ثم ينقلب ذلك على الضد فيكون بدء طلوعها الشفق الأول وهو البياض وبعده الحمرة وهو شفقها الثاني وهو أول سلطانها من آخر الليل وبعده طلوع قرص الشمس فالفجر هو انفجار شعاع الشمس من الفلك الأسفل إذا ظهرت على وجه أرض الدنيا يستر عينها الجبال والبحار والأقاليم المشرفة العالية ويظهر شعاعها منتشراً إلى وسط الدنيا عرضاً مستطيراً انتهى.

قال الكاشفي: أقسم بالقمر، أي بالقلب المستعد الصافي القابل للإنذار المتعظ به المنتفع بتذكره تعظيماً وبليل ظلمة النفس إذ أدبر أي ذهب بانقشاع ظلمتها عن القلب بإشراق نور الروح عليه وتلالي طوالعه وبصبح طلوع ذلك إذا أسفر فزالت الظلمة بكليتها وتنور القلب انتهى.

فظهر من هذا حسن موقع ذكر القمر والليل والصبح في مقام ذكر سقر ودواهيها لأن سقر إشارة إلى الطبيعة وجهنم النفس.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿**إنها لإحدى الكبر**﴾ جواب للقسم والكبر جمع الكبرى جعت ألف التأنيث كتائه وألحقت بها فكما جمعت فعلة على فعل كركبة وركب جمعت فعلى عليها وإلا ففعلى لا تجمع على فعل، بل على فعالى كحبلى وحبالى، والمعنى: إن سقر لإحدى البلايا أو لإحدى الدواهي الكبر الكثيرة وهي أي سقر واحدة في العظم لا نظيرة لها كقولك إنه أحد الرجال هذا إذا كان منكراً لسقر، وإن كان منكراً لعدة الخزنة فالمعنى إنها من إحدى الحجج أكبر نذيراً من قدرة الله على قهر العصاة من لدن آدم عليه السلام، إلى قيام الساعة من الجن والإنس حيث استعمل على تعذيبهم هذا العدد القليل وإن كان منكر الآيات فالمعنى إنها لإحدى الآيات الكبرى.

﴿**نذيراً للبشر**﴾ تمييز من نسبة إحدى الكبر إلى اسم أن لأن معناه إنها من معظمات الدواهي التي خلقها الله للتعذيب فيصح أن ينتصب منه التمييز كما تقول هي إحدى النساء عفافاً والنذير مصدر كالنكير والمعنى لإحدى الكبر إنذاراً، أي من جهة الإنذار أول مما دلت عليه الجملة أي معنى قوله ﴿**إنها لإحدى الكبر**﴾، أي كبرت منذرة وحذف التاء مع أن فعيلاً بمعنى فاعل يفرق فيه بين المذكر والمؤنث لكون ضمير إنها في تأويل العذاب أو لكون النذير بمعنى ذات إنذار على معنى النسب كقولهم: امرأة طاهر أي ذات طهارة.

﴿**لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر**﴾ بدل من للبشر بإعادة الجار وأن يتقدم مفعول شاء ومنكم حال من من أي نذيراً لمن شاء منكم أن يسبق إلى الخير والجنة والطاعة فيهديه الله أو لم يشأ ذلك ويتأخر بالمعصية فيضله وفيه إشارة إلى أن لكسب العبد دخلاً في حصول المرحومية والمحرومية.

وفي «التأويلات النجمية»: أقسم بنور قمر الشريعة الزهراء وبظلمة ليل الطبيعة الظلماء وبصبح الحقيقة البيضاء حين غلبت على غلس الطبيعة أن الجبود مظاهر إحدى هذه المراتب الكلية الكبرى إما أهل الشريعة وإما أهل الحقيقة وإما أهل الطبيعة، وقوله: ﴿**نذيراً للبشر**﴾ أي: جعلنا الحصر في المراتب الثلاث الكلية ليتنبه الإنسان ويحترز أن يكون من أهل الإنذار لمن شاء منكم أن يتقدم إلى مقام الشريعة أو يتأخر إلى مقام الطبيعة ولما كان مقام الحقيقة أعلى المراتب ولم يصل إليه إلا النذر من الكمل أعرض عن ذكره انتهى.

ويجوز أن يكون أهل الحقيقة داخلاً في أن يتقدم لأنه وأهل الشريعة كل منهما عن المتقدمين وإن كان بينهما فرق في التقدم وتفاوت في السير والمسارعة، والحاصل إلا أن أهل الاستعداد تقدموا باكتساب الفضائل والخيرات والكمالات إلى مقام القلب والروح والسر وأما غيرهم فتأخروا بالميل إلى البدن وشهواته ولذاته فوقعوا في ورطة الطبيعة.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿**كل نفس**﴾ من نفوس الإنس والجن المكلفين ﴿**بما كسبت رهينة**﴾ مرهونة عند الله بكسبها محبوسة ثابتة وفي بعض التفاسير بسبب ما كسبت من الأعمال السيئة من رهن الشيء أي دام وثبت وأرهنته أي تركته مقيماً عنده وثابتاً والرهن ما وضع عندك لينوب مناب ما أخذ

منك، والمرتهن هو الذي يأخذ المرهون ونفس المكلف محبوسة ثابتة عند الله بما أوجبه عليه من التكاليف التي هي حق خالص له تعالى فإن أداها المكلف كما وجبت عليه فك رقبته وخلص نفسه وإلا بقيت نفسه مرهونة محبوسة عنده وقال بعضهم الرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم على أن تكون التاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية، وفي «فتح الرحمن» للمبالغة أو على تأنيث اللفظ على معنى الإنسان ونحوه وليس أي الرهينة صفة وإلا لقيل رهين لأن فعيلاً بمعنى مفعول لا تدخله التاء بل يستوي فيه المذكر والمؤنث إلا أن يحمل على ما هو بمعنى الفاعل فإنه يؤتى في مؤنثه بالتاء كما في عكسه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] قال الراغب: قيل في قوله ﴿**كل نفس بما كسبت رهينة**﴾ أنه فعيل بمعنى فاعل أي ثابتة مقيمة وقيل بمعنى مفعول أي كل نفس مقامة في جزاء ما قدم من عملها ولما كان الرهن يتصور من حبسه استعير ذلك للمحتبس أي شيء كان.

﴿**إلا أصحاب اليمين**﴾ استثناء متصل من كل نفس لكثرتها في المعنى وأصحاب اليمين أهل الأعمال الصالحة من المؤمنين أي فإنهم فاكون رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم كما يفك الراهن رهنه بأداء الديْن. قال القاشاني: كل نفس بمكسوبها رهن عند الله لا فكاك لها لاستيلاء هيئات أعمالها وآثار أفعالها عليها ولزومها إياها وعدم انفكاكها عنه إلا أصحاب اليمين من السعداء الذين تجردوا عن الهيئات الجسدانية وخلصوا إلى مقام الفطرة ففكوا رقابهم من الرهن. ﴿**في جنات**﴾ كأنه قيل ما بال أصحاب اليمين فقيل لهم في جنات لا يكتنه كنهها ولا يوصف وصفها كما دل عليه التنكير والمراد أن كلاً منهم ينال جنة منها ﴿**يتساءلون**﴾.

﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾
وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿**عن المجرمين**﴾ تفاعل هنا بمعنى فعل أي: يسألون المجرمين عن أحوالهم وقد حذف المسؤول لكونه عين المسؤول عنه ولدلالة ما بعده عليه.

يروى: أن الله يطلع أهل الجنة وهم في الجنة حتى يرون أهل النار وهم في النار فيسألونهم: ﴿**ما سلككم في سقر**﴾ مقدر بقول هو حال مقدرة من فاعل يتساءلون أي قائلين أي شيء أدخلكم فيها وكان سبباً لدخولكم من سلكت الخيط في الإبرة سلكاً أي أدخلته فيها فهو من السلك بمعنى الإدخال لا من السلوك بمعنى الذهاب فإن قلت: لم يسألونهم وهم عالمون بذلك قلت توبيخاً لهم وتحسيراً ولتكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين قرأ أبو عمرو سلكم بإدغام الكاف في الكاف والباقون بالإظهار.

﴿**قالوا**﴾ أي المجرمون مجيبين للسائلين ﴿**لم نك من المصلين**﴾ الصلوات الواجبة فعدم إقرارنا بفرضية الصلاة وعدم أدائها سلكنا فيها أصله نكن حذف النون للتخفيف مع كثرة الاستعمال. ﴿**ولم نك نطعم المسكين**﴾ على معنى استمرار نفي الإطعام، لا على نفي استمرار الإطعام والمراد أيضاً الإطعام الواجب وإلا فما ليس بواجب من الصلاة والإطعام لا يجوز التعذيب على تركه وكأنوا يقولون: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧] فكانوا لا يرحمون المساكين بالإطعام ولا يحضون عليه أيضاً كما سبق ففيه ذم للبخل ودلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة.

قال في «التوضيح» الكفار مخاطبون بالإيمان والعقوبات والمعاملات إجماعاً أما العبادات فهم مخاطبون بها في حق المؤاخذة في الآخرة اتفاقاً أيضاً لقوله تعالى: ﴿ما سلككم في سقر﴾ الآيات أما في حق وجوب الأداء فمختلف فيه قال العراقيون من مشايخنا نعم وقال مشايخ ديارنا لا وفي بعض التفاسير وللحنفي أن يقول هذا إنما هو تأسف منهم على تفريطهم في كسب الخير وحرمانهم مما ناله المصلون والمزكون من المؤمنين ولا يلزم من ذلك أن يكونوا مأمورين بالعمل قبل الإيمان.

﴿وكنا نخوض مع الخائضين﴾ أي: نشرع في الباطل مع الشارعين فيه والمراد بالباطل ذم النبي عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم وغيبتهم وقولهم بأنه شاعر أو ساحر أو كاهن وغير ذلك والخوض في الأصل بمعنى الشروع مطلقاً في أي شيء كان ثم غلب في العرف بمعنى الشروع في الباطل والقبيح وما لا ينبغي وفي الحديث أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم خوضاً في معصية الله.

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿وكنا نكذب بيوم الدين﴾ أي: بيوم الجزاء أضافوه إلى الجزاء مع أن فيه من الدواهي والأهوال ما لا غاية له لأنه أدهاها وإنهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهي وتأخير جنايتهم هذه مع كونها أعظم من الكل؛ إذ هو تكذيب القيامة وإنكارها كفر والأمور الثلاثة المتقدمة فسق لتفخيمها والترقي من القبيح إلى القبيح كأنهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين وبيان كون تكذيبهم به مقارناً لسائر جناياتهم المعدودة مستمراً إلى آخر عمرهم حسبما ينطق به قولهم.

﴿حتى أتانا اليقين﴾ أي الموت ومقدماته فإنه أمر متيقن لا شك في إتيانه وبالفارسية بعد بما مرك ومقدمات أو برهمان حال مرديم.

فإن قلت: أيريدون أن كل واحد منهم بمجموع هذه الأربع دخل النار أم دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه؟ قلت: يحتمل الأمرين جميعاً كما في «الكشاف» وفيه إشارة إلى أن بقاءهم في سقر الطبيعة إنما كان بسبب هذه الرذائل والذمائم.

﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ من الأنبياء والملائكة وغيرهم أي لو قدر اجتماعهم على شفاعتهم على سبيل فرض المحال لا تنفعهم تلك الشفاعة فليس المراد أنهم يشفعون لهم ولا تنفعهم شفاعتهم إذ الشفاعة يوم القيامة موقوفة على الإذن وقابلية المحل فلو وقعت من المأذون للقابل قبلت والكافر ليس بقابل لها فلا إذن في الشفاعة له فلا شفاعة ولا نفع في الحقيقة وفيه دليل على صحة الشفاعة ونفعها يومئذٍ لعصاة المؤمنين وإلا لما كان لتخصيصهم بعدم منفعة الشفاعة وجه، قال ابن مسعود رضي الله عنه: تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى في النار إلا أربعة ثم تلا قوله ﴿قالوا لم نك من المصلين﴾ إلى قوله ﴿بيوم الدين﴾ وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن محمداً عليه السلام يشفع ثلاث مرات، ثم تشفع الملائكة، ثم الأنبياء ثم الآباء ثم الأبناء، ثم يقول الله بقيت رحمتي ولا يدع في النار إلا من حرمت عليه الجنة ويقول الرجل من أهل النار لواحد من أهل الجنة يا فلان أما تعرفني أنا الذي سقيتك شربة ويقول آخر أنا الذي وهبت لك وضوءاً ويقول آخر أطعمتك لقمة وآخر

كسوتك خرقة وعلى هذا فيشفع له فيدخله الجنة إما قبل دخول النار أو بعده.

﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ الفاء لترتيب أنكال إعراضهم عن القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الإقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع خبراً لما الاستفهامية وعن متعلقة به، أي فإذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فأي شيء حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الإقبال عليه وتأكد الدواعي للإيمان به، وفي «كشف الأسرار»: پس چه رسيدست ايشانراكه ازچنين پندى روكردانيده انده يقال الإعراض يكون بالجحود وبترك الاتباع له.

﴿كأنهم حمر مستنفرة﴾ حال من المستكن في معرضين بطريق التداخل وحمر جمع حمار وهو معروف ويكون وحشياً وهو المراد هنا ومستنفرة من نفرت الدواب بمعنى هربت لا من نفر الحاج والمعنى مشبهين بحمر نافرة يعني خران رميدكان.

فاستنفر بمعنى نفر كما أن استعجب بمعنى عجب وقال الزمخشري كأنهم حمر تطلب النفار من نفوسها بسبب أنهم جمعوا هم نفوسهم للنفار وحملوه عليها فأبقى السين على بابها من الطلب قال الراغب: مستنفرة قد قرىء بفتح الفاء وكسرها فإذا كسر الفاء فمعناه نافرة وإذا فتح فمعناه منفرة.

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿فرت من قسورة﴾ أي من أسد لأن الوحشية إذا عاينت الأسد تهرب أشد الهرب، ومثل القسورة الحيدرة لفظاً ومعنى وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة، لأنه يغلب السبع ويقهرها. قال ابن عباس رضي الله عنهما: القسورة هو الأسد بلسان الحبشة، وقيل: هي جماعة الرماة الذين يتصيدونها.

وقال الكاشفي: كريخنذ از شيريا از صياد ياريسمان دام يا مردم تيرانداز يا آوازهاى مختلف.

شبهوا في إعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ، وشرادهم عنه، بحمر جدت في نفارها مما أفزعها. يعني: چنانچه خربيا باني ازايهامى كريزد ايشان از استماع قرآن مى كريزند زيراكه كوش سخن شنوودل پند پذر ندارند كما أشار إليه في «المثنوي»:

ازكجا اين قوم وپيغام ازكجا ازجمادى جان كجا باشد رجا
فهمهاى كج مج كوته نظر صد خيال بد در آرد در نكر
راز جزبار ازدان انباز نيست راز اندركوش منكر راز نيست

وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى يعني أن في تشبيههم بالحمر شهادة عليهم بالبله ولا ترى مثل نفار حمر الوحش واطرادها في العدو إذا خافت من شيء ومن أراد إهانة غليظة لأحد والتشنيع عليه بأشنع شيء شبهه بالحمار.

روي أن واحداً من العلماء كان يعظ الناس في مسجد جامع وحوله جماعة كثيرة فرأى ذلك رجل من البله وكان قد فقد حماره فنادى للواعظ، وقال: إني فقدت حماراً فاسأل هذه الجماعة لعل واحداً منهم رآه، فقال له الواعظ: اقعد مكانك حتى أدلك عليه فقعد الرجل فإذا

واحد من أهل المجلس قام وأخذ في أن يذهب فقال الواعظ للرجل خذ هذا فإنه حمارك والمظاهر أنه قال ذلك القول أخذاً من هذا الكلام فإنه فر من تذكرة الملك العلام.

﴿بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة﴾ عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لا يكلفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها عناداً ومكابرة بل يريد كل واحد منهم أن يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ وذلك أنهم، أي أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أمية وأصحابهما قالوا لرسول الله ﷺ لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء أو يصبح عند رأس كل رجل منا أوراق منشورة يعني مهر بركرفته.

عنوانها من رب العالمين إلى فلان ابن فلان نأمر فيها باتباعك أي بأن يقال اتبع محمداً فإنه رسول من قبلي إليك كما قالوا: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣] وامرىء قال في «القاموس»: المرء مثلثة الميم الإنسان أو الرجل ولا يجمع من لفظه ومع ألف الوصل ثلاث لغات فتح الراء دائماً وإعرابها دائماً وأن مع صلته مفعول يريد وصحفاً مفعول ثان ليؤتى والأول ضمير كل ومنتشرة صفة صحف جمع صحيفة بمعنى الكتاب قال في «تاج المصادر» وصحف منتشرة شدد للكثرة.

﴿كلا﴾ ردع عن اقتراحهم الآيات وإرادتهم ما أرادوه فإنهم إنما اقترحوها تعنتاً وعناداً لا هدى ورشاداً ﴿بل لا يخافون الآخرة﴾ لاستهلاكهم في محبة الدنيا فلعدم خوفهم منها أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف.

﴿كلا﴾ ردع عن إعراضهم عن التذكرة ﴿إنه﴾ الضمير في إنه وفى ذكره للتذكرة لأنها بمعنى الذكر أو القرآن كالموعظة بمعنى الوعظ والصيحة بمعنى الصوت ﴿تذكرة﴾ أي: تذكرة فالتنوين للتعظيم أي تذكرة بليغة كافية وفي «برهان القرآن» أي تذكير للحق وعدل إليها للفاصلة ﴿فمن﴾ پس هركه ﴿شاء﴾ أن يذكره ويتعظ به قبل الحلول في القبر ﴿ذكره﴾ أي جعله نصب عينه وحاز بسببه سعادة الدارين فإنه ممكن من ذلك.

﴿وما يذكرون﴾ بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى ﴿فمن شاء ذكره﴾ إذ لا تأثير لمشيئة العبد وإرادته في أفعاله وضمير الجمع إما أن يعود إلى الكفرة لأن الكلام فيهم أو إلى من نظراً إلى عموم المعنى لشموله لكل من المكلفين ﴿إلا أن يشاء الله﴾ استثناء مفرغ من أعم العلل أو من أعم الأحوال أي وما يذكرون لعلة من العلل أو في حال من الأحوال إلا بأن يشاء الله أو حال أن يشاء الله ذكرهم وهذا تصريح بأن أفعال العبد بمشيئة الله لا بإرادة نفسه قال في «عين المعاني» ﴿فمن شاء﴾ الخ تخيير بإعطاء المكنة لتحقيق العبودية وقوله ﴿إلا أن يشاء الله﴾ تخيير إمضاء القدرة لتحقيق الألوهية ﴿هو﴾ أي الله تعالى ﴿أهل التقوى﴾ أي حقيق بأن يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع فالتقوى مصدر من المبني للمفعول ﴿وأهل المغفرة﴾ حقيق بأن يغفر لمن آمن به وأطاعه قال بعضهم: التقوى هو التبري من كل شيء سوى الله فمن لزم الآداب في التقوى فهو أهل المغفرة.

تمت سورة المدثر في أوائل ذي الحجة من سنة
ست عشرة ومائة وألف

٧٥ ـ سورة القيامة

تسع وثلاثون أو أربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾.

﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ لا صلة لتوكيد القسم وما كان لتوكيد مدخوله لا يدل على النفي وإن كان في الأصل للنفي قال الشاعر:

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة ... وكاد ضمير القلب لا يتقطع

أي: يتقطع والمعنى بالفارسية هراينه سوكند ميخورم بروز رستاخيز أو للنفي لكن لا لنفي نفس الإقسام بل لنفي ما ينبئه عنه من إعظام المقسم به وتفخيمه كأن معنى لا أقسم بكذا لا أعظمه بإقسامي به حق إعظامه فإنه حقيق بأكثر من ذلك وأكثر أو لنفي كلام معهود قبل القسم وروده كأنهم أنكروا البعث فقيل لا أي ليس الأمر كذلك ثم قيل أقسم بيوم القيامة كقولك لا والله إن البعث حق وأياً ما كان ففي الإقسام على تحقق البعث بيوم القيامة من الجزالة ما لا مزيد عليه وأما ما قيل من أن المعنى نفي الإقسام لوضوح الأمر فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن القسم به قال المغيرة بن شعبة رحمه الله: يقولون القيامة وإنما قيامة أحدهم موته، وشهد علقمة جنازة فلما دفن قال أما هذا فقد قامت قيامته، ونظمه بعضهم:

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي ... غداة أقل الحاملون جنازتي

﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ قال في «عين المعاني» القسم بالشيء تنبيه على تعظيمه أو ما فيه من لطف الصنع وعظم النعمة وتكرير ذكر القسم تنبيه على أن كلاً من المقسم به مقصود مستقل بالقسم لما أن له نوع فضل يقتضي ذلك واللوم عذل الإنسان بنسبة ما فيه لوم والمراد بالنفس اللوامة هي النفس الواقعة بين الأمارة والمطمئنة فلها وجهان.

وجه يلي النفس الأمارة وهو وجه الإسلام فإذا نظرت إلى الأمارة بهذا الوجه تلومها على ترك المتابعة والإقدام على المخالفة وتلوم أيضاً نفسها على ما فات عنها في الأيام الماضية من الأعمال والطاعات والمراتعة في المراتع الحيوانية الظلمانية.

ووجه يلي النفس المطمئنة وهو وجه الإيمان فإذا نظرت بهذا الوجه إلى المطمئنة وتنورت بنواريتها وانصبغت بصبغتها تلوم أيضاً نفسها على التقصيرات الواقعة منها والمحذورات الكائنة عليها فهي لا تزال لائمة لها قائمة على سوق لومها إلى أن تتحقق بمقام الاطمئنان ولذلك استحقت أن أقسم الله بها على قيام البعث والنشر والحشر قال القاشاني: جمع بين القيامة والنفس اللوامة في القسم بهما تعظيماً لشأنهما وتناسباً بينهما إذ النفس اللوامة

هي المصدقة بها المقرة بوقوعها المهيئة لأسبابها لأنها تلوم نفسها أبداً في التقصير والتقاعد عن الخيرات وإن أحسنت لحرصها على الزيادة في الخير وأعمال البر تيقناً بالجزاء فكيف بها إن أخطأت وفرطت وبدرت من بادرة غفلة ونسياناً انتهى. هذا ودع عنك القيل والقال وجواب القسم محذوف دل عليه قوله تعالى:

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦﴾

﴿أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه﴾ وهو ليبعثن والمراد بالإنسان الجنس والإسناد إلى الكل بحسب البعض كثير والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه، وأن مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف والعظام جمع عظم وهو قصب الحيوان الذي عليه اللحم بالفارسية استخوان.

ويجيء جمع عظيم أيضاً ككرام وكريم وكبار وكبير ومنه الموالي العظام والمعنى أيحسب الإنسان الذي ينكر البعث أن الشأن والحديث لن نجمع عظامه البالية فإن ذلك حسبان باطل فإنا نجمعها بعد تشتتها ورجوعها رميماً ورفاتاً مختلطاً بالتراب وبعد ما نسفتها الرياح وطيرتها في أقطار الأرض وألقتها في البحار لمجازاته بما عمل في الدنيا وقيل إن عدي بن أبي ربيعة ختن الأخنس بن شريق وهما اللذان كان عليه السلام يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره؟ فأخبره فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يعني أكذب حسي أو أيجمع الله هذه العظام فيكون الكلام خارجاً على قول المنكر كقوله ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، وقيل ذكر العظام وأراد نفسه كلها لأن العظام قالب النفس لا يستوي الخلق إلا باستوائها ودل هذا الإنكار على أنه ناشىء من الشبهة وذلك بالنسبة إلى البعض والله قادر على الإحياء لا شبهة فيه بالنسبة إلى العاقل المتفكر المستدل **﴿بلى﴾** إيجاب لما ذكر بعد النفي وهو الجمع أي نجمعها وبالفارسية آرى جمع كنيم.

حال كوننا **﴿قادرين﴾** فهو حال مؤكدة من الضمير المستكن في نجمع المقدر بعد بلى **﴿على أن نسوي بنانه﴾** أي: نجمع سلامياته ونضم بعضها إلى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام وهو جمع سلامى كحبارى وهي العظام الصغار في اليد والرجل وفي الحديث «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس. أي على صاحبه؛ صدقة» من أي أنواع الصدقة من قول وفعل ومال، وفي «القاموس» البنان الأصابع أو أطرافها قال الراغب: البنان الأصابع قيل سميت بذلك لأن بها إصلاح الأحوال التي يمكن للإنسان أن يبن بها ما يريد أي يقيم يقال: ابن بالمكان يبن لذلك خص في قوله تعالى: **﴿بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾** وقوله: ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢] خصه لأجل أنها يقاتل بها ويدافع أو المعنى على أن نسوي أصابعه التي هي أطرافه وآخر ما يتم به خلقه فالبنان مفرد اللفظ مجموع المعنى كالتمر وفيه جهتان الصغر وكونه طرفاً فإلى أي جهة نظر ثبت المطلوب بالأولوية ولذا خص بالذكر ثم في العظام إشارة إلى كبار أعماله الحسنة والسيئة وفي البنان إلى صغار أفعاله الحسنة والسيئة فإن الله تعالى يجمع كلاً منها ويجازي عليها.

﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ الفجر شق الشيء شقاً واسعاً والفجور شق ستر الديانة

وقال بعضهم: الفجور الميل فالكاذب والمكذب والفاسق فاجر أي مائل عن الحق ومنه قول الأعرابي في حق عمر رضي الله عنه:

اغفر له اللهم إن كان فجر، أي كذب، واللام للتأكيد مثل قوله: وأنصح لكم في أنصحكم وأن يفجر مفعول يريد وقد يقال مفعوله محذوف يدل عليه قوله: **﴿ليفجر أمامه﴾** والتقدير يريد شهواته ومعاصيه، وقال سعدي المفتي: الظاهر أن يريد ههنا منزلة اللازم ومصدره مقدر بلام الاستغراق بمعونة المقام يعني مقام تقبيح حال الإنسان أي يوقع جميع إرادته ليفجر وجعل أبو حيان بل لمجرد الإضراب عن الكلام الأول وهو نجمعها قادرين من غير إبطال المضمون والأخذ في بيان ما عليه الإنسان من انهماكه في الفجور من غير عطف وقال غيره عطف على أيحسب إما على أنه استفهام مثله أضرب عن التوبيخ بذلك إلى التوبيخ بهذا أو على أنه إيجاب انتقل إليه من الاستفهام وهذا أبلغ وأولى والمعنى بل يريد الإنسان ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الأوقات وفيما يستقبله من الزمان لا يرعوي عنه فالإمام ههنا مستعار للزمان من المكان وقال الراغب يريد الحياة ليتعاطى الفجور فيها وقيل معناه: يذنب ويقول غداً أتوب ثم لا يفعل فيكون ذلك فجوراً لبذله عهداً لا يفي به.

وقال الكاشفي: بلكه خواهد آدمي آنكه دروغ كويد بآنچه اورا درپيش است ازبعث وحساب.

وفيه إشارة إلى أن الإنسان المحجوب يريد ليفجر أمامه بحسب الاعتقاد والنية قبل الإتيان بالفعل وذلك بالعزم المؤاخذ به على ما عرف في محله.

﴿يسأل﴾ سؤال استبعاد واستهزاء **﴿أيان﴾** أصله، أي آن وهو خبر مقدم لقوله: **﴿يوم القيامة﴾** أي متى يكون والجملة استئناف تعليلي كأنه قيل ما يفعل حين يريد أن يفجر ويميل عن الحق فقيل يستهزىء ويقول أيان يوم القيامة أو حال من الإنسان في قوله **﴿بل يريد الإنسان﴾** أي ليس إنكاره للبعث لاشتباه الأمر وعدم قيام الدليل على صحة البعث بل يريد أن يستمر على فجوره في حال كونه سائلاً متى تكون القيامة فدل هذا الإنكار على أن الإنسان يميل بطبعه إلى الشهوات والفكرة في البعث تنغصها عليه فلا جرم ينكره ويأبى عن الإقرار به فقوله: **﴿أيحسب الإنسان﴾** . . . الخ. دل على الشبهة والجهل وقوله: **﴿بل يريد﴾** . . الخ على الشهوة والتجاهل فالآيتان بحسب الشخصين وفيه إشارة إلى أن المحجوب يسأل أيان يوم القيامة لاحتجابه بنفسه الظلمانية لا يشاهد القيامة في كل ساعة ولحظة بل في كل لمحة وطرفة لتعاقب التجليين الإفنائي والإبقائي كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥].

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾.

﴿فإذا برق البصر﴾ أي: تحير واضطرب وجال فزعاً من أهوال يوم القيامة من برق الرجل، إذا نظر إلى البرق فدهش ثم استعمل في كل حيرة وإن لم يكن هناك نظر إلى البرق وهو واحد بروق السحاب ولمعانه.

﴿وخسف القمر﴾ أي ذهب ضوؤه فإن خسف يستعمل لازماً ومتعدياً يقال: خسف القمر وخسفه الله أو ذهب نفسه من خسف المكان أي: ذهب في الأرض ولكن هذا المعنى لا

يناسب ما بعد الآية قال بعضهم: أصل الخسف النقصان ويكون في الوصف وفي الذات وفيه رد لمن عبد القمر فإن القمر لو كان إلهاً كما زعمه العابد لدفع عن نفسه الخسوف ولما ذهب ضوؤه.

قال في «فتح الرحمن»: الخسوف والكسوف معناهما واحد وهو ذهاب ضوء أحد النيرين أو بعضه وصلاة الكسوف سنة مؤكدة فإذا كسفت الشمس أو القمر فزعوا للصلاة وهي لكسوف الشمس ركعتان كهيئة النافلة ويصلي بهم إمام الجمعة ويطيل القراءة ولا يجهر ولا يخطب وخسوف القمر ليس له اجتماع ويصلي الناس في منازلهم ركعتين كسائر النوافل.

﴿وجمع الشمس والقمر﴾ في ذهاب الضوء كما روي عن النبي عليه السلام، أو جمع بينهما في الطلوع من المغرب أو في الإلقاء في النار ليكون حسرة على من يعبدهما وجاز تكرار القمر لأنه أخبر عنه بغير الخبر الأول، وقال القاشاني: فإذا برق البصر، أي تحير ودهش شاخصاً من فزع الموت وخسف قمر القلب لذهاب نور العقل عنه وجمع شمس الروح وقمر القلب بأن جعلا شيئاً واحداً طالعاً من مغرب البدن لا يعتبر لهما رتبتان كما كان حال الحياة بل اتحدا روحاً واحداً انتهى.

﴿يقول الإنسان﴾ المنكر للقيامة وهو عامل في إذا ﴿يومئذٍ﴾ أي يوم إذ تقع هذه الأمور قول الآيس من حيث أنه لا يرى شيئاً من علامات ممكنة للفرار كما يقول من أيس من وجدان زيد أين زيد حيث لم يجد علامة أصابته ﴿أين المفر﴾ أي الفرار وقال سعدي المفتي: ولعله لا منع من الإبقاء على حقيقته والقول بصدور هذا الكلام بناء على توهمه لتحيره.

﴿كلا﴾ ردع عن طلب المفر وتمنيه قال سعدي المفتي: هذا لا يناسب أن يقوله قول الآيس إذ لا طلب حينئذٍ ثم قوله ﴿كلا﴾ من قول الله تعالى وجوز أن يكون من قول الإنسان لنفسه وهو بعيد. ﴿لا وزر﴾ لا ملجأ يعني بناه كاه نباشد كافر انرا.

مستعار من الجبل فإن الوزر محركة الجبل المنيع ثم يقال لكل ما التجأت إليه وتحصنت به وزر تشبيهاً له وخبر لا محذوف أي لا ملجأ ثمة أو في الوجود ومن بلاغات الزمخشري اتل على كل من وزر كلا لا وزر أي اتل عليه هذه الآية ومعنى وزر الأول بالفارسية كناه كردن.

فإن الوزر بالكسر الإثم، وقال بعضهم:

لعمرك ما في الفتى من وزر　　من الموت يدركه والكبر

أي لا ملجأ للفار من الموت والكبر إذ كل منهما من الأمر الإلهي والأمر المحكم القضاء المبرم يدرك الإنسان لا محالة.

﴿إلى ربك يومئذٍ المستقر﴾ أي إليه تعالى وحده استقرار العباد أي لا يتوجهون إلا إلى حيث أمرهم الله من مقام حسابه أو إلى حكمه استقرار أمرهم فإن الملك يومئذٍ لله فهو كقوله ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾ [العلق: ٨] ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ [النجم: ٤٢] وإليه ترجعون أي إلى حيث لا حاكم ولا مالك سواه أو إلى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار، فيكون المستقر اسم مكان وهو مرفوع بالابتداء وإلى ربك خبره ويومئذٍ معمول إلى ربك ولا يجوز أن يكون معمول المستقر لأنه إن كان مصدراً بمعنى الاستقرار فلا يتقدم معموله عليه وإن كان اسم مكان فلا عمل له البتة وكذا الكلام في قوله ﴿إلى ربك يومئذٍ﴾ المساق ونحوه.

﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾.

﴿ينبأ الإنسان يومئذٍ﴾ أي يخبر كل امرىء براً كان أو فاجراً عند وزن الأعمال وحال العرض والمحاسبة والمخبر هو الله أو الملك بأمره أو كتابه ينشره **﴿بما قدم﴾** أي عمل من عمل خيراً كان أو شراً فيثاب بالأول ويعاقب بالثاني. **﴿وأخر﴾** أي: لم يعمل خيراً كان أو شراً فيعاقب بالأول ويثاب بالثاني أو بما قدم من حسنة أو سيئة وبما أخر من حسنة أو سيئة فعمل بها بعده أو بما قدم من مال تصدق به في حياته وبما أخر فخلفه أو وقفه أو أوصى به أو بأول عمله وآخره.

شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري قدس سره: فرموده كه كناه ازپيش فرستي بجرأت ومال ازپس بكذارى بحسرت كناه رابتوبه نيست كن تانماند ومال را بصدقه پيش فرست تابماند.

كرفرستى زپيش به باشد كه بحرست زپس نكاه كنى

وفي الحديث: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة».

﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ الإنسان مبتدأ وبصيرة خبره، وعلى نفسه متعلق ببصيرة بتقدير على أعمال نفسه والموصوف محذوف أي بل هو حجة بصيرة وبينة واضحة على أعمال نفسه شاهدة جوارحه وأعضاؤه بما صدر عنه من الأفعال السيئة كما يعرب عنه كلمة على، وما سيأتي من الجملة الحالية ووصفت بالبصارة مجازاً في الإسناد كما وصفت الآيات بالأبصار في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ [النمل: ١٣] أو عين بصيرة أو ذو بصيرة أو التاء للمبالغة كما في علامة ونسابة ومعنى بل الترقي أي ينبأ الإنسان بأعماله بل هو لا يحتاج إلى أن يخبره غيره فإنه يومئذٍ عالم بتفاصيل أحواله شاهد على نفسه لأن جوارحه تنطق بذلك، قال القاشاني: بل الإنسان حجة بينة يشهد بعلمه لبقاء هيئة أعماله المكتوبة عليه في نفسه ورسوخها في ذاته وصيرورة صفاته صور أعضائه فلا حاجة إلى أن ينبأ من خارج.

باش ناز صدمهٔ صور سرافيلي شود صورت خوبت نهان وسيرت زشت آشكار

﴿ولو ألقى معاذيره﴾ حال من المستكن في بصيرة أو من مرفوع ينبأ أي هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو جاء بكل معذرة يمكن أن يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها بأن يقول مثلاً لم أفعل أو فعلت لأجل كذا أو لم أعمل أو وجد مانع أو كنت فقيراً ذا عيال أو خفت فلاناً أو طمعت في عطائه إلى غير ذلك من المعاذير الغير النافعة.

چه چندين عذر انكيزى وچندين حيله هاسازى
جوميانى كه ميدانم وميدانم كه ميدانى

أو ينبأ بأعماله ولو اعتذر بكل عذر في الذب عنها فإن الذب والدفع لا رواج له يومئذٍ لأنه يوم ظهور الحق بحقيقته والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل: جمع معذار وهو الستر بلغة أهل اليمن أي ولو أرخى ستوره، يعني: أن احتجابه واستتاره عن المخلوقات في حال مباشرة المعصية في الدنيا لا يغني عنه شيئاً لأن عليه من نفسه بصيرة ومن الحفظة شهوداً وفي «الكشاف» لأنه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب **﴿لا**

﴿تحرك به﴾ أي: بالقرآن ﴿لسانك﴾ ما دام جبريل يقرأ ويلقي عليك ﴿لتعجل به﴾ أي بأخذه أي لتأخذه على عجلة مخافة يتفلت.

﴿إن علينا جمعه﴾ في صدرك بحكم الوعد بحيث لا يخفى عليك شيء من معانيه ﴿وقرآنه﴾ بتقدير المضاف أي إثبات قراءته في لسانك بحيث تقرأه متى شئت فالقرآن مصدر بمعنى القراءة كالغفران بمعنى المغفرة مضاف إلى مفعوله والقرآن ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل وليس يقال ذلك لكل جمع لا يقال قرأت القوم إذا جمعتهم.

﴿فإذا قرأناه﴾ أي أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل وإسناد القراءة إلى نون العظمة للمبالغة في إيجاب التأني ﴿فاتبع قرآنه﴾ أي: فاشرع فيه بعد فراغ جبريل منه لا مهلة وقال ابن عباس رضي الله عنهما، فإذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به وقال الواسطي رحمه الله جمعه في السر وقرآنه في العلانية.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿ثم إن علينا بيانه﴾ أي: بيان ما أشكل عليك من معانيه وأحكامه سمي ما يشرح المجمل والمبهم من الكلام بياناً لكشفه عن المعنى المقصود إظهاره، وفي ثم دليل على أنه يجوز تأخر البيان عن وقت الخطاب لا عن وقت الحاجة إلى العمل لأنه تكليف بما لا يطاق قال أهل التفسير: كان عليه السلام إذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفاً من أن يفلت منه فأمر بأن يستنصت له ملقياً إليه قلبه وسمعه حتى يقضي إليه الوحي كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤] ثم يقضيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه، وعن بعض العارفين أنه قال: فيه إشارة إلى صحة الأخذ عن الله بواسطة كأنه تعالى يقول خذه عن جبريل كأنك ما علمته إلا منه ولا تسابق بما عندك منا من غير واسطة وأكابر المحققين يسمون هذه الجهة التي هي عدم الوسائط بالوجه الخاص والفلاسفة ينكرون هذا الوجه ويقولون لا ارتباط بين الحق والموجودات إلا من جهة الأسباب والوسائط فليس عندهم أن يقول الإنسان أخبرني ربي أي بلا واسطة وهم مخطئون في هذا الحكم فإنه لما كان ارتباط كل ممكن بالحق من حيث الممكن من جهتين جهة الوحدة، وجهة الكثرة وجب أن تكون جهة الوحدة بلا واسطة وهو الوجه الخاص، وجهة الكثرة بواسطة وهو الوجه العام ولما كان نبينا عليه السلام، أكمل الخلق في جهة الوحدة لكون أحكام كثرته وإمكانه مستهلكة بالكلية في وحدة الحق وأحكام وجوبه كان يأخذ عن الله بلا واسطة، أي: من الوجه الخاص وكان ينطبع في قلبه ما يريد الحق أن يخبره به فإذا جاءه الكلام من جهة الوسائط أي من الوجه العام بصور الألفاظ والعبارات التي استدعتها أحوال المخاطبين كان يبادر إليه بالنطق به لعلمه بمعناه بسبب تلقيه إياه من حيث اللاواسطة لينفس عن نفسه ما يجده من الكربة والشدة التي يلقاها مزاجه من التنزل الروحاني فإن الطبيعة تنزعج من ذلك للمباينة الثابتة بين المزاج وبين الروح الملكي فعرف الحق نبينا عليه السلام أن القرآن وإن أخذته عنا من حيث معناه بلا واسطة فإن إنزالنا إياه مرة أخرى من جهة الوسائط يتضمن فوائد زائدة منا مراعاة إفهام المخاطبين به، لأن الخلق المخاطبين بالقرآن حكم ارتباطهم بالحق إنما هو من جهة سلسلة الترتيب والوسائط كما هو الظاهر بالنسبة إلى أكثرهم فلا يفهمون عن الله إلا من تلك الجهة،

ومنها معرفتك اكتساء تلك المعاني العبارة الكاملة وتستجلي في مظاهرها من الحروف والكلمات فتجمع بين كمالاته الباطنة والظاهرة فيتجلى بها روحانيتك وجسمانيتك ثم يتعدى الأمر منك إلى أمتك فيأخذ كل منهم حصته منه علماً وعملاً ففي قوله تعالى: ﴿**لا تحرك به لسانك**﴾ .. الخ. تعليم وتأديب أما التعليم فما أشير إليه من أن باب جهة الوحدة مسدود على أكثر الناس فلا يفهمون عن الله إلا من الجهة المناسبة لحالهم وهي جهة الوسائط والكثرة الإمكانية، وأما التأديب فإنه لما كان الآتي بالوحي من الله جبريل فمتى بودر بذكر ما أتى به كان كالتعجيل له وإظهار الاستغناء عنه وهذا خلل في الأدب بلا شك سيما مع المعلم المرشد ومن هذا التقرير عرف أن قوله تعالى: ﴿**لا تحرك به**﴾ .. الخ واقع في البين بطريق الاستطراد فإنه لما كان من شأنه عليه السلام، الاستعجال عند نزول كل وحي على ما سبق من الوجه ولم ينه عنه إلى أن أوحي إليه هذه السورة من أولها إلى قوله: ﴿**ولو ألقى معاذيره**﴾ وعجل في ذلك كسائر المرات نهى عنه بقوله: ﴿**لا تحرك**﴾ الخ ثم عاد الكلام إلى تكملة ما ابتدىء به من خطاب الناس ونظيره ما لو ألقى المدرس على الطالب مسألة وتشاغل الطالب بشيء لا يليق بمجلس الدرس فقال: ألقِ إلي بالك وتفهم ما أقول ثم كمل المسألة.

يقول الفقير أيده الله القدير: لاح لي في سر المناسبة وجه لطيف أيضاً وهو أن الله تعالى بين قبل قوله: ﴿**لا تحرك به**﴾ .. الخ. جمع العظام ومتفرقات العناصر التي هي أركان ظاهر الوجود ثم انتقل إلى جمع القرآن وأجزائه التي هي أساس باطن الوجود فقال بعد قوله: ﴿**أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه إن علينا جمعه**﴾ فاجتمع الجمع بالجمع والحمد لله تعالى وقد تحير طائفة من قدماء الروافض خذلهم الله تعالى حيث لم يجدوا المناسبة فزعموا أن هذا القرآن غير وبدل وزيد فيه ونقص.

وفي «التأويلات النجمية»: اعلم أن كل ما استعد لإطلاق الشيئية عليه فله ملك وملكوت لقوله تعالى: ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [المؤمنون: ٨٨]، والقرآن أشرف الأشياء وأكملها فله أيضاً ملك وملكوت فأما ملكه فهو الأحكام والشرائع الظاهرة التي تتعلق بمصالح الأمة من العبادات المالية والبدنية والجنايات والوصايات وأمثالها وأما ملكوته فهو الأسرار الإلهية والحقائق اللاهوتية التي تتعلق ببواطن خواص الأمة وأخص الخواص بل بخلاصة أخص الخواص من المكاشفات والمشاهدات السرية والمعاينات الروحية ولكل واحد من الملك والملكوت مدركات يدرك بها لا غير لأن الوجدانيات والذوقيات لا تسعها ألسنة العبارات لأنها منقطع الإشارات فقوله ﴿**لا تحرك**﴾ .. الخ يشير إلى عدم تعبيره بلسان الظاهر عن أسرار الباطن والحقائق الآبية عن تصرف العبارات فيها بالتعبير عنها وأن مظهره الجامع جامع بين ملك القرآن وملكوته وهو عليه السلام، يتبع بظاهره ملكه وبباطنه ملكوته نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المتبعين للقرآن في كل زمان.

﴿**كلا**﴾ عود إلى تكملة ما ابتدىء به الكلام يعني نه چنانست أي آدميان كه كمان برده آيد درامر عقبى ﴿**بل تحبون العاجلة**﴾ أي: الدنيا يعني دنياي شتاب كننده را ﴿**وتذرون الآخرة**﴾ فلا تعملون لها بل تنكرونها.

وفي «التأويلات النجمية»: تحبون نعمة شهوة الدنيا وتذرون نعمة خمول الآخرة والخطاب للأمة.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وجوه يومئذٍ ناضرة﴾ النضرة طراوة البشرة وجمالها وذلك من أثر التنعم والناضر الغض الناعم من كل شيء أي وجوه كثيرة وهي وجوه المؤمنين المخلصين يوم إذ تقوم القيامة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم ورونقه كما قال تعالى في آية أخرى ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [المطففين: ٢٤] على أن وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذٍ منصوب بناضرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لأن المقام مقام تفصيل.

﴿إلى ربها ناظرة﴾ قوله ناظرة خبر ثان للمبتدأ وإلى ربها متعلق بها والنظر تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشي ورؤيته، والمراد بنظر الوجوه نظر العيون التي فيها بطريق ذكر المحل وإرادة الحال وهذا عند أهل القال وأما عند أهل الحال فلا ينحصر النظر في البصر وإلا جاء القيد والله منزه عن ذلك بل ينقلب الباطن ظاهراً والظاهر بصراً بجميع الأجزاء فيشاهد الحق به كما يشاهد بالبصيرة في الدنيا والآخرة عالم اللطافة ولذا لا حكم للقالب والجسد الظاهر هنا وإنما الحكم للقلب والروح الظاهر صور الأعضاء بهما فاعرف جداً.

بزركى را برسيد ندكه:

راه ازدكام جانب است كفت ازجانب تونيست
چون ازتو دركذشتى از همه جانبها راهست
چون بصديقان بپاكردند وزان ره ساختند
جزيدل رفتن دران ره يك قدم را بارنيست

والمعنى: أن الوجوه تراه تعالى عياناً مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى، بلا كيف ولا على جهة وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق.

مثل مؤمن مثل بازاست بازرا چون بكيرند وخواهندكه شايستهٔ دست شاه كردد مدتي چشم أو بدون وزند بندى برپايش نهند در خانهٔ تاريك باز دارند از جفتش جدا كنند يك چندى بكر سنكيش مبتلى كنندنا ضعيف ونحيف كردد ووطن خويش فراموش كند وطبع كذا شتكى دست بدارد آنكه بعاقبت چشمش بكشايند شمعي پيشر وى بيفروزند طبلى از بهروي بزنند طعمهٔ كوشت پيش وى نهند وست شاه مقروي شازند باخود كويد دركل عالم كرا بود اين كرامت كه مراست شمع پيش ديدهٔ من آواز طبل نواى من كوشت مرغ طعمهٔ من دست شاه جاي من بر مثال اين حال چون خوانندكه بندهٔ مؤمن راحلهٔ خلت پوشانند وشراب محبت نوشانند باوى همين معاملت كنند مدتي در چهار ديوار لحد باز دارند كيرايى از دست وروايى زد قدم بستانند بينايى از ديده بردارند روز كارى برين صفت بكذارند آنكه ناكاه طبل قيامت بزنند بنده از خاك لحد سر برآرد چشم بكشايد نور بهشت بيند دنيا فراموش كند شراب وصل نوش كند بر مائدهٔ خلد بنشنيد چنانچه آن باز چشم بازكند خودرا بردست شاه بيند بندهٔ مؤمن چشم بازكند خودرا فقعد صدق بيند سلام ملك شنود ديدار ملك بيتد ميان طوبى وزلفى وحسنى شادان ونازان در جلال وجمال حق نكران اينست كه رب العالمين كفت.

وليس هذا في جميع الأحوال حتى ينافيه نظرها إلى غيره من الأشياء الكثيرة والأولى أن التقديم للاهتمام ورعاية الفاصلة؛ لأن التقييد ببعض الأحوال تقييد بلا دليل ومناف لمقام المدح

المقتضي لعموم الأحوال وغير مناسب لقوله: ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة﴾ لعمومه في الأحوال ولو سلم فالاختصاص ادعائي فإن النظر إلى غيره في جنب النظر إليه لا يعد نظراً بل هو بمنزلة العدم كما في قوله: زيد الجواد هكذا قالوا ولكن من أهل الجنة من فاز بالتجلي الذاتي الأبدي الذي لا حجاب بعده ولا مستقر للكمل دونه وهو الذي أشار إليه عليه السلام بقوله: «صنف من أهل الجنة لا يستتر الرب عنهم ولا يحتجب» وكان يذكره أيضاً في دعائه ويقوله: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم أبداً دائماً سرمداً دون ضراء مضرة ولا فتنة مضلة» فالضراء المضرة حصول الحجاب بعد التجلي والتجلي بصفة تستلزم سدل الحجب والفتنة المضلة كل شبهة توجب خللاً أو نقصاً في العلم والشهود.

آورده اند اورا دهريك ازاوتاد اين كلما تست اللهم إني أسألك النظرة إلى وجهك الكريم هركس ببهشت آرزويى دارد وعاشق جز آروزى ديدن ديدارندارد پير طريقت كفت بهرهٔ عارف دربهشت سه چيزاست سماع وشراب وديدار سماع راكفت.

﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥] شراب راكفت ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] ديدار كفت ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ سماع بهرهٔ كوش شراب بره لب ديدار بهرهٔ ديده سماع واجدانرا شراب عاشقا نرا ديدار محبا نرا سماع طرب افزايد شراب زبان كشايد ديدار صفت ربايد سماع مطلوب را نقد كند شراب را زجلوه كند ديدار عارف را فرد كند سماع را هفت اندام رهى كوش چون ساقي اوست شراب همه نوش ديداررا زير هرموى ديدهٔ روشن.

ثم إن جميع أهل السنة حملوا هذه الآية على أنها متضمنة رؤية المؤمنين لله تعالى بلا تكييف ولا تحديد ولا يصح تأويل من قال لا ضرر بها ونحوه، وجعله الزمخشري كناية عن معنى التوقع والرجاء على معنى أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه، وجوابه أنه لا يعدل إلى الكناية بلا ضرورة داعية إليها وهي ههنا مفقودة فالأحاديث الصحيحة تدل على تعين جانب الحقيقة وأما قوله عليه السلام: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه» حيث أن المعتزلة قالوا: إن الرداء حجاب بين المرتدي والناظرين فلا تمكن الرؤية فجوابه أنهم حجبوا عن أن المرتدي لا يحجب عن الحجاب، إذ المراد بالوجه الذات وبرداء الكبرياء هو العبد الكامل المخلوق على الصورة الجامعة للحقائق الإمكانية والإلهية، يعني رداء كبرياء نفس مظهرست ومشاهدهٔ ذات بدون مظهري محالست.

والرداء هو الكبرياء وإضافته للبيان والكبرياء رداؤه الذي يلبسه عقول العلماء بالله للتفهيم فلا رداء هناك حقيقة فالرتبة الحجابية باقية أبداً وهي رتبة المظهر لأنها كالمرآة وأما قوله عليه السلام: «حين سئل هل رأيت ربك ليلة المعراج» فقال: «نور أنى أراه» فمعناه أن النور المجرد لا تمكن رؤيته، يعني إنما تتعذر الرؤية والإدراك باعتبار تجرد الذات عن المظاهر والنسب والإضافات فأما في المظاهر ومن وراء حجابية المراتب فالإدراك ممكن ومن المعتزلة من فسر النظر بالانتظار وجعل قوله إلى اسماً مفرداً بمعنى النعمة مضافاً إلى الرب جمعه آلاء فيكون مفعولاً مقدماً لقوله ﴿ناظرة﴾ بمعنى منتظرة والتقدير وجوه يومئذ منتظرة نعمة ربها ورد بأن

الانتظار لا يسند إلى الوجه سواء أريد به المعنى الحقيقي، أو أريد به العين بطريق ذكر المحل وإرادة الحال وتفسير الوجه بالذات وجملة الشخص خلاف الظاهر وبأن الانتظار لا يعدى بإلى إن جعل حرفاً وأخذه بمعنى النعمة في هذا المقام يخالف المعقول لأن الانتظار يعد من الآلام ونعيم الجنة حاضر لأهلها ويخالف المنقول أيضاً وهو أنه عليه السلام قال: «أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة» يعني تاهزال ساله راه آنرا بيند وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية يعني: بمقدار الزمان ثم قرأ عليه السلام ﴿**وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ فقد فسر النظر بنظر العين والرؤية فظهر أن المخالف اتبع رأيه وهواه.

وروي أنه عليه السلام نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته» وهو بفتح التاء وتشديد الميم من الضم، أصله لا تتضامون، أي: لا ينضم بعضكم إلى بعض ولا يقول أرنيه بل كل ينفرد برؤيته وروي بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم فتكون التاء حينئذٍ مضمومة يعني لا ينالكم ظلم بأن يرى بعضكم دون بعض بل تستوون كلكم في رؤيته تعالى وهذا حديث مشهور تلقته الأمة بالقبول، ومعنى التشبيه فيه تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح لا تشبيه المرئي بالمرئي فثبت أن المؤمنين يرونه بغير كيف ولا كم وضرب من مثال فينسون النعيم إذ رأوه فيا خسران أهل الاعتزال وسئل مالك بن أنس رضي الله عنهما عن قوله تعالى: ﴿**إلى ربها ناظرة**﴾ وقيل له إن قوماً يقولون إلى ثوابه فقال مالك كذبوا فأين هم عن قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥] ثم قال الناس ينظرون إلى الله بأعينهم ولو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعذب الله الكفار بالحجاب وقال صاحب «العقد الفريد» ومن اعتقد غير هذا فهو مبتدع زنديق وقد يشهد للمطلوب ويرد دعوى أهل البدعة أن الرؤية هي اللذة الكبرى فكيف يكون المؤمنون محرومين منها والدار دار اللذة فينبغي للمؤمن أن تكون همته من نعم الجنة نعمة اللقاء فإن غيرها نعم بهيمية مشتركة.

قال بعض العارفين: دلت الآية على أن القوم ينظرون إلى الله تعالى في حال الصحو والبسط لأن النضرة من أمارات البسط فلا يتداخلهم حياء ولا دهشة وإلا لتنغص عيشهم بل لو عاينوه بوصف الجلال الصرف لهلكوا في أول سطوة من سطواته فهم يرونه في حال الإنس بنوره بل به يرونه وهنالك وجود العارف كله عين يرى حبيبه بجميع وجوده وتلك العيون مستفادة من تجلي الحق فقوم لهم بالنظر من نفسه إلى نفسه ويظهر سر الوحدة بين العاشق والمعشوق والرؤية تقتضي بقاء الرائي، وهو من مقتضيات عالم الصفات واستهلاك العبد في وجود الحق أتم كما هو مقتضى عالم الذات.

قال النصر أبادي قدس سره: من الناس ناس طلبوا الرؤية واشتاقوا إليه تعالى ومنهم العارفون الذين اكتفوا برؤية الله لهم فقالوا رؤيتنا ونظرنا فيه علل ورؤيته ونظره بلا علة فهو أتم بركة وأشمل نفعاً وقال بعضهم: القرب المذكور في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] هو الذي منع الخلق عن الإدراك للحق كما أن الهواء لما كان مباشر الحاسة البصر لم يدركه البصر وكذلك الماء إذ غاص الغائص فيه وفتح عينيه يمنعه قربه من حاسة بصره أن يراه والحق أقرب إلى الإنسان من نفسه فكان لا يرى لقربه كما أنه تعالى لا يرى لبعده وعلو ذاته أين التراب من رب الأرباب ولكن إذا أراد العبد أن يراه تنزل من علوه ورفع عبده إلى

رؤيته فرآه به ولذلك قال عليه السلام: «إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر» وهما في شأنهما متوسطان في القرب والبعد فغاية القرب حجاب كما أن غاية البعد حجاب والكل يراه في الدنيا لا يعرف أنه هو وفرق بين العارف وغيره ألا ترى أنه إذا كان في قلبك لقاء شخص وأنت لا تعرفه بعينه فلقيك وسلم عليك وأنت لم تعرفه فقد رأيته وما رأيته كالسلطان إذا دار في بلده متنكراً، فإنه يراه كثير من الناس ولا يعرفه ثم إن منهم من يقول لم يتيسر لي رؤية السلطان إلى الآن وأنا أريد أن أنظر إليه مع أنه نظر إليه مراراً، فهو في حال بصره أعمى فما أشد حجابه ثم إنه لو اتفق له النظر إليه فربما لا يتعمق ففرق بين ناظر وناظر بحسب حدة بصره وضعفه ولذا قالوا: إنما تفاوتت الأفراد في حضرة الشهود مع كونهم على بساط الحق الذي لا نقص فيه لأنهم إنما يشهدون في حقائقهم ولو شهدوا عين الذات لتساووا في الفضيلة.

وقال بعض العارفين: الخلق أقرب جار للحق تعالى وذلك من أعظم البشرى فإن للجار حقاً مشروعاً معروفاً يعرفه العلماء بالله فينبغي لكل مسلم أن يحضر هذا الجوار الإلهي عند الموت حين يطلب من الحق ما يستحقه الجار على جاره من حيث ما شرع قال تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢] أي الحق الذي شرعته لنا تعاملنا به حتى لا ننكر شيئاً منه مما يقتضيه الكرم الإلهي فهو دعاء افتقار وخضوع وذل.

حكي أن الحجاج أراد قتل شخص فقال له لي إليك حاجة قال ما هي قال أريد أن أمشي معك ثلاث خطوات ففعل الحجاج فقال الشخص حق هذه الصحبة أن تعفو عني فعفا عنه.

﴿**ووجوه يومئذٍ**﴾ يتعلق بقوله: ﴿**باسرة**﴾ أي شديدة العبوس مظلمة ليس عليها أثر السرور أصلاً وهي وجوه الكفرة والمنافقين، وقال الراغب: البسر الاستعجال بالشيء قبل أوانه فإن قيل فقوله: ﴿**وجوه يومئذٍ باسرة**﴾ ليس يفعلون ذلك قبل الموت وقد قلت إن ذلك يقال فيما كان قبل وقته قيل: إن ذلك إشارة إلى حالهم قبل الانتهاء بهم إلى النار فخص لفظ البسر تنبيهاً على أن ذلك مع ما ينالهم من بعد يجري مجرى التكلف ومجرى ما يفعل قبل ومنه ويدل على ذلك قوله تعالى:

﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿**تظن**﴾ تتوقع أربابها بحسب الأمارات والجملة خبر بعد خبر ورجح أبو حيان والطيبي تفسير الظن بمعنى اليقين ولا ينافيه أن المصدرية كما توهم فإنها إنما لا تقع بعد فعل التحقق الصرف فأما بعد فعل الظن أو ما يؤدي معنى العلم فتجيء المصدرية والمشددة والمخففة نص عليه الرضي. ﴿**أن يفعل بها فاقرة**﴾ داهية عظيمة تقصم فقار الظهر ومنه سمي الفقير فإن الفقر كسر فقار ظهره فجعله فقيراً، أي مفقوراً وهو كناية عن غاية الشدة وعدم القدرة على التحمل فهي تتوقع ذلك كما تتوقع الوجوه الناضرة أن يفعل بها كل خير بناء على أن قضية المقابلة بين الآيتين تقتضي ذلك قال بعضهم: أصح آنست كه آن بلا حجابست ازرؤيت رب الأرباب.

مصراع كه از فراق بتردر جهان بلايى نيست.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ لا إلى غيره بسبب الإعراض عن الدنيا في هذا اليوم والإقبال على الله ﴿**ووجوه يومئذٍ باسرة**﴾. تظن أن يفعل بها

فاقرة بسبب الإقبال على الدنيا في هذا اليوم والإدبار عن الله جزاء وفاقاً، وقال بعضهم: ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة﴾ للتنور بنور القدس والاتصال بعالم النور والسرور والنعيم الدائم ﴿ووجوه يومئذٍ باسرة﴾ كالحة لجهامة هيئاتها وظلمة ما بها من الجحيم والنيران وسماجة ما تراه هنالك من الأهوال وسوء الجيران.

﴿كلا﴾ ردع عن إيثار العاجلة على الآخرة أي ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين أيديكم من الموت الذي ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة ﴿إذا بلغت التراقي﴾ الضمير للنفس وإن لم يجر لها ذكر لأن الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها وتقول العرب أرسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء أي إذا بلغت النفس الناطقة وهي الروح الإنساني أعالي الصدر وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال فإذا بلغت إليها يكون وقت الغرغرة وبالفارسية چون برسد روح باستخوا نهاي سينه وكردن.

وفي «كشف الأسرار»: وقت كه جان بچنبر كردن رسد.

جمع ترقوة بفتح التاء والواو وسكون الراء وضم القاف قال في «القاموس» الترقوة ولا تضم تاؤه العظم بين ثغرة النحر والعاتق انتهى.

والعاتق موضع الرداء من المنكب، قال بعضهم: لكل أحد ترقوتان ولكن جمع التراقي باعتبار الأفراد وبلوغ النفس التراقي كناية عن عدم الإشفاء يعني بكناره اورسيدن ونزديك شدن.

والعامل في إذا بلغت معنى قوله ﴿إلى ربك يومئذٍ المساق﴾ أي إذا بلغت النفس الحلقوم رفعت وسيقت إلى الله أي إلى موضع أمر الله أن ترفع إليه.

﴿وقيل من راق﴾ معطوف على بلغت وقف حفص على من وقفة يسيرة من غير تنفس قال بعضهم: لعل وجهه استثقال الراء المشددة التي بعدها قاف غليظة تلفظ في الإدغام واستكراه القطع التام بين المبتدأ والخبر والاستفهام والمستفهم عنه في النفس والفرار من الإظهار دون سكتة لأنه يعد من اللحن عند اتصال النون الساكنة بالراء بين أهل القراءة وقال من حضر صاحبها من يرقيه يعني افسون ميكنند.

وينجيه مما هو فيه من الرقية وهو التعويذ بما به يحصل الشفاء كما يقال بسم الله أرقيك وفعله من باب ضرب والاستفهام على هذا يحتمل أن يكون بمعنى الطلب كأن الذين حول ذلك الإنسان طلبوا له طبيباً يعالجه وراقياً يرقيه ويحتمل أن يكون استفهاماً بمعنى الإنكار كما يقال عند اليأس من الذي يقدر أن يرقي هذا الإنسان المشرف على الموت وهو الظاهر كما قال الراغب: من راق أي من يرقية تنبيهاً على أنه لا راقي يرقيه فيحييه وذلك إشارة إلى نحو ما قال:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

التميمة: خرزات كان العرب يعلقونها على أولادهم خوفاً من العين وهو باطل لقوله عليه السلام: من علق تميمة فقد أشرك وإياها أراد صاحب البيت المذكور وقيل: هو من كلام ملائكة الموت، يقولون أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب من الرقى، وفعله من باب علم وقوله: ملائكة الرحمة لا يمانعه قوله ﴿فلا صدق ولا صلى﴾ الآيات لأن الضمير فيه لجنس الإنسان فلا يتعين كون المحتضر من أهل النار. قال الكلبي: يحضر العبد عند

الموت سبعة أملاك من ملائكة الرحمة، وسبعة من ملائكة العذاب مع ملك الموت فإذا بلغت نفس العبد التراقي نظر بعضهم إلى بعض أيهم يرقى بروحه إلى السماء فهو قوله: ﴿من راق﴾ وقال ابن عباس رضي الله عنهما إن الملائكة يكرهون القرب من الكافر فيقول ملك الموت من يرقى بروح هذا الكافر.

﴿وظن أنه الفراق﴾ وأيقن المحتضر حين عاين ملائكة الموت ما نزل به هو الفراق من الدنيا المحبوبة ونعيمها التي ضيع العمر النفيس في كسب متاعها الخسيس وعبر عما حصل له من المعرفة حينئذٍ بالظن لأن الإنسان ما دامت روحه متعلقة ببدنه فإنه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل ظنه الغالب على رجاء الحياة قال الإمام هذه الآية تدل على أن الروح جوهر قائم بنفسه باق بعد موت المعدن لأن الله تعالى سمى الموت فراقاً والفراق إنما يكون إذا كانت الروح باقية فإن الفراق والوصال صفة وهي تستدعي وجود الموصوف.

قال المزني: دخلت على الشافعي في مرض موته فقلت: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلاً وللإخوان مفارقاً ولسوء عملي ملاقياً ولكأس المنية شارباً وعلى الله وارداً فلا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ثم أنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وقال بعضهم:

فراق ليس يشبهه فراق قد انقطع الرجاء عن التلاق

وفي الحديث: «إن العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول السلام عليك أفارقك وتفارقني إلى يوم القيامة». قال الشيخ سعدي:

كوس رحلت بكوفت دست أجل أي در چشم ودع سر بكنيد
أي كف ودست وساعد وبازو همه توديع يكدكر بكنيد
بر من افتاده مرك دشمن كام آخر أي دوستان كذر بكنيد
روز كارم بشد بنادانى من نكردم از شما حذر بكنيد

قال يحيى بن معاذ رحمه الله إذا دخل الميت القبر قام على شفير قبره أربعة أملاك واحد عند رأسه والثاني عند رجليه والثالث عن يمينه والرابع عن يساره فيقول الذي عند رأسه يا ابن آدم أرفضت الآجال أي تفرقت وأنصيت الآمال أي هزلت ويقول الذي عن يمينه ذهبت الأموال وبقيت الأعمال ويقول الذي عن يساره ذهبت الأشغال وبقي الوبال ويقول الذي عند رجليه طوبى لك إن كان كسبك من الحلال وكنت مشتغلاً بخدمة ذي الجلال.

﴿والتفت الساق بالساق﴾ الالتفاف برهم پيچيدن، أي والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند قلق الموت فالساق العضو المخصوص والتفافهما اجتماعهما والتواء إحداهما بالأخرى أو التفت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة على أن الساق مثل في الشدة وجه المجاز الإنسان إذا دهمته شدة شمر لها عن ساقيه، فقيل للأمر الشديد ساق من حيث أن ظهورها لازم لظهور ذلك الأمر قد سبق في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان في أكفانه.

﴿إلى ربك يومئذٍ المساق﴾ أي إلى الله وإلى حكمه يساق الإنسان لا إلى غيره أي يساق إلى حيث لا حكم هناك إلا الله.

وقال الكاشفي: بسوى جزاى پرورد كارتو آروز باز كشت باشد همه كس را.

فالمساق مصدر ميمي بمعنى السوق بالفارسية راندن.

والألف واللام عوض عن المضاف إليه أي: سوق الإنسان.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾

﴿فلا صدق﴾ الإنسان ما يجب تصديقه من الرسول والقرآن الذي نزل عليه، أي لم يصدق فلا ههنا بمعنى لم وإنما دخلت على الماضي لقوة التكرار يعني حسن دخول لا على الماضي تكراره، كما تقول: لا قام ولا قعد وقلما تقول العرب لا وحدها حتى تتبعها أخرى تقول لا زيد في الدار ولا عمرو أو فلا صدق ماله بمعنى لا زكاة فحينئذٍ يطلب وجه لترجيح الزكاة على الصلاة مع أن دأب القرآن تقديم الصلاة ولعل وجهه ما كان كفار مكة عليه من منع المساكين وعدم الحض على طعامهم في وقت الضرورة القوية وأيضاً على تأخير ولا صلى مراعاة الفواصل كما لا يخفى. ﴿ولا صلى﴾ ما فرض عليه وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة يعني أن الكافر يستحق الذم والعقاب بترك الصلاة كما يستحقها بترك الإيمان وإن لم يجب أداؤها عليه في الدنيا.

﴿ولكن كذب﴾ ما ذكر من الرسول والقرآن والاستدراك لدفع احتمال الشك فإن نفي التصديق لا يستلزم إثبات التكذيب لكون الشك بين التصديق والتكذيب فإذا لا تكرار في الآية. ﴿وتولى﴾ وأعرض عن الطاعة لله ولرسوله. ﴿ثم ذهب إلى أهله﴾ أهل بيته أو إلى أصحابه ﴿يتمطى﴾ يتبختر ويختال في مشيه افتخاراً بذلك، وبالفارسية: پس باز كشت بسوى كسان خودمى خراميد ازروى افتخاركه من چنين وچنين كارى كرده أم يعني تكذيب وتولى.

من المط وهو المد فإن المتبختر يمد خطاه يعني أن التمدد في المشي من لوازم التبختر فجعل كناية عنه فيكون أصله يتمطط بمعنى يتمدد أبدلت الطاء الأخيرة ياء كراهة اجتماع الأمثال كما في تقضي البازي أو من المطا مقصوراً وهو الظهر فإنه يلويه ويحركه في تبختره فألفه مبدلة من واو ويتمطى جملة حالية من فاعل ذهب وفي الحديث إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم كأن بأسهم بينهم والمطيطاء كحميراء التبختر ومد اليدين في المشي والبأس شدة الحرب ﴿أولى لك﴾ وأي برتواى إنسان مكذب ﴿فأولى﴾ پس وأي برتو.

﴿ثم أولى لك فأولى﴾ تكرير للتأكيد فهو مستعمل في موضع ويل لك مشتق من الولي وهو القرب والمراد دعاء عليه بأن يليه مكروه وأصله أولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم نقل الثلاثي إلى أفعل فعدي إلى مفعولين وفي «القاموس» أولى لك تهديد ووعيد أي قاربه ما يهلكه أو أولى لك الهلاك فيكون اسماً بمعنى أحرى أي الهلاك أولى وأحرى لك من كل شيء فيكون خبر مبتدأ محذوف.

وقال الكاشفي: أولى لك سزاوارست ترامركى سخت فأولى پس سزاوارست ترا عذاب

أليم در قبر ثم أولى لك پس نيك سزا وارست تراهول قيامت فأولى پس بغايت سزاست ترا خلود در دوزخ.

وروي أنه لما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء وهزه مرة أو مرتين ولكزه في صدره وقال له: «أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى» فقال أبو جهل: أتوعدني يا محمد ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئاً وإني لأعز أهل هذا الوادي فلما كان يوم بدر صرعه الله شر مصرع وقتله أسوء قتلة أقعصه ابنا عفراء وأجهز عليه ابن مسعود رضي الله عنه وأقعصه قتله مكانه وأجهز على الجريح أثبت قتله وأسرعه وتمم عليه وكان رسول الله عليه السلام يقول: «إن لكل أمة فرعوناً وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل».

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿**أيحسب الإنسان أن يترك سدى**﴾ أي: يحيا حال كونه مهملاً فلا يكلف ولا يجزى وقيل أن يترك في قبره فلا يبعث والسدى المهمل يقال أسديت إبلي إسداء أي: أهملتها وتقول أسديت حاجتي وسديتها إذا أهملتها ولم تقضها وتكرير الإنكار لحسبانها يتضمن تكرير إنكاره للحشر ويتضمن الاستدلال على صحة البعث أيضاً وتقريره أن إعطاء القدرة والآلة والفعل بدون التكليف والأمر بالمحاسن والنهي عن المفاسد يقتضي كونه تعالى راضياً بقبائح الأعمال وذلك لا يليق بحكمته إذا لا بد من التكليف في الدنيا والتكليف لا يليق بالكريم الرحيم إلا لأن يميز الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المفسدين في الأرض ولا يجعل المتقين كالفجار ويجازي كل نفس بما تسعى والمجازاة قد لا تكون في الدنيا فلا بد من البعث والقيامة وإنما لم تكن الدنيا دار المجازاة لضيقها وقد قال بعض الكبار: من طلب تعجيل نتائج أعماله وأحواله في هذه الدار فقد أساء الأدب وعامل الموطن بما لا تقتضيه حقيقته.

﴿**ألم يكن نطفة من مني يمنى**﴾ الخ استئناف وارد لإبطال الحسبان المذكور فإن مداره لما كان استبعادهم للإعادة استدل على تحققها ببدء الخلق، وقال ابن الشيخ: هو استدلال على صحة البعث بدليل ثان والاستفهام بمعنى التوبيخ والنطفة بالضم الماء الصافي قل أو كثر والمني ماء الرجل والمرأة أي ما خلق منه حيوان فالحبل لا يكون إلا من الماءين ويمنى بالياء صفة مني وبالتاء صفة نطفة بمعنى يصب ويراق في الرحم ولذا سميت من كالى وهي قرية بمكة لما يمنى فيها من دماء القرابين والمعنى ألم يكن الإنسان ماء قليلاً كائناً من ماء معروف بخسة القدر واستقذار الطبع ولذا نكرهما يمنى ويصب في الرحم نبه سبحانه بهذا على خسة قدر الإنسان أولاً وكمال قدرته ثانياً حيث صير مثل هذا الشي الدني بشراً سوياً وقال بعضهم: فائدة قوله يمنى للإشارة إلى حقارة حاله كأنه قيل: إنه مخلوق من المني الذي يجري على مخرج النجاسة فكيف يليق بمثل هذا أن يتمرد عن طاعة الله فيما أمر به ونهى إلا أنه تعالى عبر عن هذا المعنى على سبيل الرمز كما في قوله تعالى في عيسى ومريم عليهما السلام كانا يأكلان الطعام والمراد منه قضاء الحاجة كناية.

﴿**ثم كان علقة**﴾ أي: ثم كان المني بعد أربعين يوماً قطعة دم جامد غليظ أحمر بقدرة الله تعالى بعد ما كان ماء أبيض كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون: ١٤] وهو عطف

على قوله: ﴿ألم يك﴾ لأن إنكار عدم الكون يفيد ثبوت المكون فالتقدير كان الإنسان نطفة ثم كان علقة. ﴿فخلق﴾ أي: فقدر بأن جعلها مضغة مخلقة بعد أربعين أخرى، أي قطعة لحم قابل لتفريق الأعضاء وتمييز بعضها من بعض وجعل المضغة عظاماً تتميز بها الأعضاء بأن صلبها فكسا العظام لحماً يحسن به خلقه وتصويره ويستعد لإفاضة القوى ونفخ الروح. ﴿فسوى﴾ فعدله وكمن نشأته.

قال الكاشفي: پس رلست كردصورت واندام اورا وووح دردميد.

وفي «المفردات» جعل خلقه على ما اقتضته الحكمة الإلهية أي جعله معادلاً لما تقتضيه الحكمة وقال بعضهم: معنى التسوية والتعديل جعل كل عضو من أعضائه الزوج معادلاً لزوجه.

﴿فجعل منه﴾ أي: من الإنسان باعتبار الجنس أو من المني وجعل بمعنى خلق ولذا اكتفى بمفعول واحد وهو قوله: ﴿الزوجين﴾ أي الصنفين﴿الذكر والأنثى﴾ بدل من الزوجين ويجوز أن يكونا منصوبين بإضمار أعني ولا يخفى أن الفاء تفيد التعقيب فلا بد من مغايرة بين المتعاقبين فلعل قوله﴿فخلق فسوى﴾ محمول على مقدار مقدر من الخلق يصلح به للتفرقة بين الزوجين وقوله: ﴿فجعل منه الزوجين﴾ على التفرقة الواقعة.

﴿أليس ذلك﴾ العظيم الشأن الذي أنشأ هذا الإنشاء البديع﴿بقادر على أن يحيي الموتى﴾ وهو أهون من البدء في قياس العقل لوجود المادة وهو عجب الذنب والعناصر الأصلية.

روي أن النبي عليه السلام كان إذا قرأها قال: «سبحانك اللهم بلى» تنزيهاً له تعالى عن عدم القدرة على الإحياء وإثباتاً لوقوعها عليه، وفي رواية بلى والله بلى والله وقال ابن عباس رضي الله عنهما من قرأ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١] إماماً كان أو غيره فليقل «سبحان ربي الأعلى»، ومن قرأ ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١﴾ [القيامة: ١] فإذا انتهى إلى آخرها فليقل سبحانك اللهم بلى إماماً كان أو غيره وفي الحديث: «من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١﴾ فانتهى إلى ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾ [القيامة: ٤٠] فليقل سبحانك بلى، ومن قرأ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ [المرسلات: ١] فبلغ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠] فليقل آمنا بالله». وفي الآية إشارة إلى أن الله يحيي موتى أهل الدنيا بالإعراض عنها والإقبال على الآخرة والمولى أيضاً يحيي موتى النفوس بسطوع أنوار القلوب عليها وأيضاً يحيي موتى القلوب تحت ظلمة النفوس الكافرة الظالمة بنور الروح والسر والخفي ومن أسند العجز إلى الله فقد كفر بالله نسأل الله تعالى العصمة وحسن الخاتمة.

تمت سورة القيامة بعون من له الرحمة العامة في الحادي والعشرين من ذي الحجة من سنة ست عشرة ومائة وألف

٧٦ ـ سورة الإنسان

إحدى وثلاثون آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾.

﴿هل أتى﴾ استفهام تقرير وتقريب فإن هل بمعنى قد والأصل أهل أتى أي قد أتى وبالفارسية آيا آمد يعني بدرستى كه آمد.

تركوا الألف قبل هل لأنها لا تقع إلا في الاستفهام وإنما لزوم أداة الاستفهام ملفوظة أو مقدرة إذا كان بمعنى قد ليستفاد التقرير من همزة الاستفهام والتقريب من قد فإنها موضوعة لتقريب الماضي إلى الحال والدليل على أن الاستفهام غير مراد أن الاستفهام على الله محال فلا بد من حمله على الخبر تقول هل وعظتك ومقصودك أن تحمله على الإقرار بأنك قد وعظته وقد يجيء بمعنى الجحد تقول وهل يقدر أحد على مثل هذا فتحمله على أن يقول لا يقدر أحد غيرك ﴿على الإنسان﴾ قبل زمان قريب والمراد جنس الإنسان لقوله ﴿من نطفة﴾ لأن آدم لم يخلق منها ثم المراد بالجنس بنو آدم أو ما يعمه وبنيه على التغليب أو نسبه حال البعض إلى الكل للملابسة على المجاز. ﴿حين من الدهر﴾ الحين زمان مطلق ووقت مبهم يصلح لجميع الأزمان طال أو قصر وفي «المفردات» الحين وقت بلوغ الشي وحصوله وهو مبهم ويتخصص بالمضاف إليه نحو ولات حين مناص ومن قال حين على أوجه للأجل والمنية وللساعة وللزمان المطلق إنما فسر ذلك بحسب ما وجده قد علق به والدهر الزمان الطويل والمعنى طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد وهي مدة لبثه في بطن أمه تسعة أشهر إلى أن صار شيئاً مذكوراً على ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما ﴿لم يكن﴾ فيه فالجملة صفة أخرى لحين بحذف الضمير ﴿شيئاً مذكوراً﴾ بل كان شيئاً منسياً غير مذكور بالإنسانية أصلاً نطفة في الأصلاب فما بين كونه نطفة وكونه شيئاً مذكوراً بالإنسانية مقدار محدود من الزمان وتقدم عالم الأرواح لا يوجب كونه شيئاً مذكوراً عند الخلق ما لم يتعلق بالبدن ولم يخرج إلى عالم الأجسام.

روي أن الصديق أو عمر رضي الله عنهما كما في «عين المعاني» لما سمع رجلاً يقرأ هذه الآية بكى، وقال ليتها تمت فلا شيء أراد ليت تلك تمت وهي كونه شيئاً غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف، ومعنى الاستفهام التقريري في الآية أن يحمل من ينكر البعث على الإقرار بأنه نعم أتى عليه في زمان قريب من زمان الحال حين من الدهر لم يكن فيه شيئاً مذكوراً فيقال له من أحدثه بعد أن لم يكن؟ كيف يمتنع عليه بعثه وإحياؤه بعد موته؟ وقال القاشاني: أي كان شيئاً

في علم الله بل في نفس الأمر لقدم روحه ولكنه لم يذكر فيما بين الناس لكونه في عالم الغيب وعدم شعور من في عالم الشهادة به.

وفي «التأويلات النجمية»: اعلم أن للإنسان صورة علمية غيبية وصورة عينية شهادية وهو من حيث كلتا الصورتين مذكور عند الله أزلاً وأبداً لا يعزب عن علمه مثقال ذرة لعلمه الأزلي الأبدي بالأشياء قبل إيجاد الأشياء وقبل وجوده خلق الخلق وهم معدومون في كتم العدم وعلمه بنفسه يستلزم علمه بأعيان الأشياء لأن الأشياء مظاهر أسمائه وصفاته وهي عين ذاته فافهم أي ما أتى على الإنسان حين من الأحيان وهو كان منسياً فيه بالنسبة إلى الحق وكيف وهو مخلوق على صورته وصورته حاضرة له مشهودة عنده وهل للاستفهام الإنكاري بخلاف المحجوبين عن علم المعرفة والحكمة الإلهية وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: هل أتى عليك يا إنسان وقت لم يكن الله ذاكراً لك فيه.

﴿إنا خلقنا الإنسان﴾ أي خلقناه يعني جسمه والإظهار لزيادة التقرير **﴿من نطفة﴾** حتى كان علقة في أربعين يوماً ومضغة في ثمانين ومنفوخاً فيه الروح في مائة وعشرين يوماً كما كان أبوهم آدم خلق من طين فألقي بين مكة والطائف فأقام أربعين سنة ثم من حمأ مسنون فأقام أربعين سنة أخرى ثم من صلصال فأقام أربعين سنة أخرى فتم خلقه في مائة وعشرين سنة فنفخ فيه الروح على ما جاء في رواية الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما فما كان سنين في آدم كان أياماً في أولاده وحمل بعضهم الإنسان الأول على آدم والثاني على أولاده على أن يكون الحين هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره والأول وهو حمله في كلا الموضعين على الجنس أظهر لأن المقصود تذكير الإنسان كيفية الخلق بعد أن لم يكن ليتذكر أول أمره من عدم كونه شيئاً مذكوراً أو آخر أمره من كونه شيئاً مذكوراً مخلوقاً من ماء حقير فلا يستبعد البعث كما سبق **﴿أمشاج﴾** أخلاط بالفارسية آميختها.

جمع مشج كسبب أو كتف على لغتيه أو مشيج من مشجت الشيء إذا خلطته وصف النطفة بالجمع مع إفرادها لما إن المراد بها مجموع الماءين يختلطان في الرحم ولكل منهما أوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينية فإن ماء الرجل أبيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة أصفر رقيق فيه قوة الانعقاد فيخلق منهما الولد فأيهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة على ما روي في المرفوع وفي الخبر ما من مولود إلا وقد ذر على نطفته من تربة حفرته كل واحد منهما مشيج بالآخر.

وقال الحسن رحمه الله: نطفة مشيجة بدم وهو دم الحيض فإذا حبلت ارتفع الحيض وإليه ذهب صاحب «القاموس»، حيث قال ونطفة أمشاج مختلطة بماء المرأة ودمها انتهى فيكون النطفتان ودمها جمعاً وقال الراغب: هو عبارة عما جعل الله بالنطفة من القوى المختلفة المشار إليها بقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون: ١٣، ١٤] الآية انتهى. فيكون معنى أمشاج ألوان وأطوار على ما قال قتادة.

وفي «التأويلات النجمية»: أي من نطفة قوة القابلية الممتشجة المختلطة بنطفة قوة الفاعلية أي خلقناه من نطفة الفيض الأقدس المتعلق بالفاعل ونطفة الفيض المقدس المتعلق

بالقابل فالفيض الأقدس الذاتي بمنزلة ماء الرجل والفيض المقدس الأسمائي بمنزلة ماء المرأة ﴿نبتليه﴾ حال مقدرة من فاعل خلقنا أي مريدين ابتلاءه واختباره بالتكليف فيما سيأتي ليتعلق علمنا بأحواله تفصيلاً في العين بعد تعلقه بها إجمالاً في العلم وليظهر أحوال بعضهم لبعض من القبول والرد والسعادة والشقاوة ﴿فجعلناه سميعاً بصيراً﴾ ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب عن الابتلاء أي عن إرادته فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء كأنه قيل إنا خلقناه مريدين تكليفه فأعطيناه ما يصح معه التكليف والابتلاء وهو السمع والبصر وسائر آلات التفهيم والتمييز وطوى ذكر العقل لأن المراد ذكر ما هو من أسبابه والآلة التي بها يستكمل فطريقه الأول لأكثر الخلق من السعداء السمع ثم البصر ثم تفهم العقل وفي اختيار صيغة المبالغة إشارة إلى كمال إحسانه إليه وتمام إنعامه وبصيراً مفعول ثان بعد ثان لجعلناه.

وفي «التأويلات النجمية»: فجعلناه سميعاً جميع المسموعات بصيراً جميع المبصرات كما قال كنت سمعه وبصره فبي يسمع وبي يبصر فلا يفوته شيء من المسموعات ولا من المبصرات فافهم جداً يا مسكين، وقال أبو عثمان المغربي قدس سره: ابتلى الله الخلق بتسعة أمشاج ثلاث فتانات هي سمعه وبصره ولسانه وثلاث كافرات هي نفسه وهواه وعدوه الشيطان وثلاث مؤمنات هي عقله وروحه وقلبه فإذا أيد الله العبد بالمعونة قهر العقل على القلب فملكه واستأسر النفس والهوى فلم يجد إلى الحركة سبيلاً فجانست النفس الروح وجانس الهوى العقل وصارت كلمة الله هي العليا قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣].

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾

﴿إنا هديناه السبيل﴾ مرتب على ما قبله من إعطاء الحواس فإنه استئناف تعليلي لجعله سميعاً بصيراً يعني أن إعطاء الحواس الظاهرة والباطنة والتحلي بها متقدم على الهداية والمعنى أريناه وعرفناه طريق الخير والشر والنجاة والهلاك بإنزال الآيات ونصب الدلائل كما قال: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: ١٠] أي بينا له طريق الخير والشر فإن النجد الطريق الواضح المرتفع فالمراد بالهداية مجرد الدلالة لا الدلالة الموصلة إلى البغية كما في بعض التفاسير ﴿إما شاكراً وإما كفوراً﴾ حالان من مفعول هديناه قال في «الإرشاد» أي مكناه وأقدرناه على سلوك الطريق الموصل إلى البغية في حالتيه جميعاً فأما التفصيل ذي الحال فإنه مجمل من حيث الدلالة على الأحوال لا يعلم أن المراد هدايته في حال كفره أو في حال إيمانه وبالتفصيل تبين أنها تعلقت به في كل واحدة من الحالين فالشاكر الموحد والكفور الجاحد لأن الشكر الإقرار بالنعم ورأس الكفران جحوده ويقال شاكر النعمة وكفورها. قال الراغب: الكفور يقال في كافر النعمة وكافر الدين جميعاً ويجوز أن يكون إما للتقسيم بأن يعتبر ذو الحال من حيث أنه مطلق وهو اللفظ الدال على الماهية من حيث هي ويجعل كل واحد من مدخولي إما قيداً له فيحصل بالتقيد بكل منهما قسم منه أي مقسوماً إليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والأخذ فيه وبعضهم كفور بالإعراض عنه وإيراد الكفور لمراعاة الفواصل، أي رؤوس الآي والإشعار بأن الإنسان قلما يخلو من كفران ما وإنما المؤاخذة عليه الكفر المفرط والشكور قليل منهم ولذا لم يقل إما

شكوراً وإما كفوراً وإما شاكراً وإما كافراً، والحاصل أن الشاكر والكفور كنايتان عن المثاب والمعاقب ولما لم يكن مجرد الكفران مستلزماً للمؤاخذة لم يصح أن يجعل كناية عنها بخلاف مجرد الشكر فإنه ملزوم الإثابة بمقتضى وعد الكريم فأدير أمر الإثابة على مطلق الشكر لا على المبالغة فيه كما أدير المؤاخذة على المبالغة في الكفران لا على أصله وكل ذلك بمقتضى سعة رحمة الله وسبقها على غضبه وقرأ أبو السماك بفتح الهمزة في أما وهي قراءة حسنة والمعنى أما كونه شاكراً فبتوفيقنا وأما كونه كفوراً فبسوء اختياره.

وفي «التأويلات النجمية»: إنا خيرناه في الاهتداء إلى سبيل الشكر المتعلق باليد اليمنى الجمالية أو إلى سبيل الكفر المتعلق باليد اليسرى الجلالية فاختار بعضهم سبيل الشكر من مقتضى حقائقهم واستعداداتهم الأزلية واختار بعضهم سبيل الكفر من مقتضى حقائقهم وقابلياتهم الأزلية أيضاً كما قال: هؤلاء أهل الجنة ولا أبالي وهؤلاء أهل النار ولا أبالي أي المدح والذم يتعلق بهم لا بي ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعيد والوعد فقال:

﴿إنا أعتدنا﴾ هيأنا في الآخرة فإن الإعتاد إعداد الشي حتى يكون عتيداً حاضراً متى احتيج إليه ﴿للكافرين﴾ من أفراد الإنسان الذي هديناه السبيل ﴿سلاسل﴾ بها يقادون إلى جهنم وفي «كشف الأسرار»: أعتدنا للكافرين في جهنم سلاسل كل سلسلة سبعون ذراعاً وهو بغير تنوين في قراءة حفص وأما الوقف فبالألف تارة وبدونها أخرى وتسلسل الشيء اضطرب كأنه تصور منه تسلسل وتردد فتردد لفظه تنبيه على تردد معناه ومنه السلسلة وفي «القاموس» السلسلة أي بالفتح إيصال الشيء بالشيء وبالكسر دائرة من حديد ونحوه ﴿وأغلالاً﴾ بها يقيدون إهانة وتعذيباً لا خوفاً من الفرار جمع غل بالضم وهو ما تطوق به الرقبة للتعذيب وقد سبق في الحاقة مفصلاً ﴿وسعيراً﴾ ناراً بها يحرقون يعني وآتشى أفروخته كه دران پيوسته بسوزند.

وإنما يجرون إلى جهنم بالسلاسل لعدم انقيادهم للحق ويحقرون أن يقيدوا بالأغلال لعدم تواضعهم لله ويحرقون بالنار لعدم احتراقهم بنار الخوف من الله تعالى وفيه إشارة إلى أن الله تعالى أعد للمحجوبين عن الحق المشغولين بالخلق سلاسل التعلقات الظاهرة بحب الدنيا وطلبها وأغلال العوائق الباطنة بالرغبة إليها وفيها ونار جهنم البعد والطرد واللعن وتقديم وعيد الكافرين مع تأخرهم في مقام الإجمال للجمع بينهما في الذكر ولأن الإنذار أهم وأنفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن على أن في وصفهم تفصيلاً ربما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم.

﴿إن الأبرار﴾ شروع في بيان حسن حال الشاكرين أثر بيان سوء حال الكافرين وإيرادهم بعنوان البر للإشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والأبرار جمع بر كرب وأرباب أو جمع بار كشاهد وأشهاد وهو من يبر خالقه أي يطيعه يقال بررته أبره كعلمته وضربته وعن الحسن رحمه الله البر من لا يؤذي الذر ولا يضمر الشر كما قيل:

ولا تـؤذ نـمـلاً إن أردت كـمـالـكـا فإن لـهـا نـفـسـهـا تـطـيـب كـمـا لـكـا

وفي «المفردات» البر خلاف البحر وتصور منه التوسع فاشتق منه البر أي التوسع يفعل الخير وبر العبد ربه توسع في طاعته ويشمل الاعتقاد والأعمال الفرائض والنوافل وقال سهل رحمه الله: الأبرار الذين فيهم خلق من أخلاق العشرة الذين وعد لهم النبي عليه السلام بالجنة قال عليه السلام: «إن لله ثلاثمائة وستين خلقاً من لقبه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة» قال

أبو بكر رضي الله عنه: «هل فيّ منها يا رسول الله قال كلها فيك يا أبا بكر وأحبها إلى الله السخاء» ﴿يشربون﴾ في الجنة والشرب تناول كل مائع ماء كان أو غيره قال يشربون ابتداء كالمطيعين أو انتهاء كالمعذبين من المؤمنين بحكم العدل. ﴿من كأس﴾ هي الزجاجة إذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر أيضاً على طريق ذكر المحل وإرادة الحال وهو المراد هنا عند الأكثر حتى روي عن الضحاك أنه قال كل كأس في القرآن فإنما عنى به الخمر فمن على الأول ابتدائية وعلى الثاني تبعيضية أو بيانية. ﴿كان﴾ بتكوين الله ﴿مزاجها﴾ أي ما تمزج تلك الكأس به يقال مزج الشراب خلطه ومزاج البدن ويمازجه من الصفراء والسوداء والبلغم والدم والكيفيات المناسبة لكل منها. ﴿كافوراً﴾ أي: ماء كافور وهو اسم عين في الجنة في المقام المحمدي وكذا سائر العيون ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده دون طعمه وإلا فنفس الكافور لا يشرب ونظيره حتى إذا جعله ناراً أي كنار والكافور طيب معروف يطيب به الأكفان والأموات لحسن رائحته واشتقاقه من الكفر وهو الستر لأنه يغطي الأشياء برائحته وفي «القاموس» الكافور طيب معروف يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين يظل خلقاً كثيراً وتالفه النمورة وخشبه أبيض هش ويوجد في أجوافه الكافور وهو أنواع ولونها أحمر وإنما تبيض بالتصعد وعين في الجنة انتهى. والجملة صفة كأس.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾.

﴿عيناً﴾ بدل من كافوراً يعني: كافور چشمه ايست.

والعين الجارية ويقال لمنبع الماء تشبيهاً بها في الهيئة وفي سيلان الماء فيها ﴿يشرب بها عباد الله﴾ صفة عين وعباد الله هنا الأبرار من المؤمنين لأن إضافة التكريم إلى اسمه الأعظم مختصة بالمؤمن في الغالب كالإضافة إلى كناية التكلم كقوله: يا عبادي لرعايتهم حق الربوبية فمن لم يراعه فكأنه ليس بعبد له أي يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها كما تقول شربت الماء بالعسل فيكون كناية عن قوتها في لذتها وعلى هذا فيه إشارة إلى أن المقربين الأقوياء يشربون شراب الكافور صرفاً غير ممزوج والظاهر يشرب منها فالباء بمعنى من فإن حروف العوامل ينوب بعضها مناب بعض ونظيره قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾ [الأعراف: ٥٧] أي أنزلنا من السحاب الماء صرح به الشيخ المكي رحمه الله في «قوت القلوب» ﴿يفجرونها تفجيراً﴾ التفجير والتفجرة آب راندن.

وفي «المفردات» الفجر شق الشيء شقاً واسعاً كفجر الإنسان السكر يقال فجرته فانفجر وفجرته فتفجر والمعنى يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم كما يفيده باء التفعيل إذ التشديد للكثرة إجراء سهلاً لا تمنع عليهم بل تجري جرياً بقوة واندفاع لأن الأنهار منقادة لأهل الجنة كالأشجار وغيرها فتفجيراً مصدر مؤكد للفعل المتضمن معنى السهولة والجملة صفة أخرى لعيناً.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بالأبرار إلى عباد الله المخلصين المخصوصين بفيض الاسم الأعظم الشامل للأسماء للذين سقاهم ربهم المتجلي لهم باسمه الباسط بكأس المحبة طهور شراب العشق الممزوج بكافور برد اليقين المفجر الجاري في أنهار أرواحهم وأسرارهم وقلوبهم من فرط الرحمة وشمول النعمة. وقال القاشاني: إن الأبرار السعداء الذين برزوا عن حجاب الآثار والأفعال واحتجبوا بحجب الصفات غير واقفين معها بل متوجهين إلى عين

الذات مع البقاء في عالم الصفات وهم المتوسطون في السلوك يشربون من كأس محبة حسن الصفات لا صرفاً بل كان في شرابهم مزج من لذة محبة الذات وهي العين الكافورية المفيدة للذة برد اليقين وبياض النورية وتفريح القلب المخترق بحرارة الشوق وتقويته فإن للكافور خاصية التبريد والتفريح والبياض والكافور عين يشرب بها صرفة عباد الله الذين هم خاصته من أهل الوحدة الذاتية المخصوص محبتهم بعين الذات دون الصفات لا يفرقون بين القهر واللطف والرفق والعنف والنعمة والبلاء والشدة والرخاء بل تستقر محبتهم مع الأضداد وتستمر لذتهم في النعماء والضراء والرحمة والزحمة كما قال أحدهم:

هـواي لـه فـرض تـعـطـف أم جـفـا ومـشـربـه عـذب تـكـدر أم صـفـا
وكـلـت إلـى الـمـحـبـوب أمـري كـلـه فـإن شـاء أحـيـانـي وإن شـاء أتـلـفـا

وأما الأبرار فلما كانوا يحبون المنعم واللطيف والرحيم لم تبق محبتهم عند تجلي القهار والمبتلي والمنتقم بحالها ولا لذتهم بل يكرهون ذلك يفجرونها تفجيراً لأنهم منابعها لا اثنينية ثمة ولا غيرية وإلا لم يكن كافور الظلمة حجاب الأنانية واثنينيته وسواده انتهى.

قال بعضهم: اختلفت أحوالهم في الدنيا فاختلفت مشاربهم في الآخرة فكل يسقي ما يليق بحاله كعيون الحياء وعيون الصبر وعيون الوفاء وغير ذلك ثم إن الكأس إما نفسانية شيطانية وهي ما تكون لأهل الفسق في الدنيا وهي حرام وفي الحديث: «إذا تناول العبد كأس الخمر ناشده الإيمان بالله لا تدخلها علي فإني لا أستقر أنا وهي في وعاء واحد فإن أبى وشربها نفر الإيمان نفرة لا يعود إليه أربعين صباحاً فإن تاب تاب الله عليه، ونقص من عقله شيء لا يعود إليه أبداً» وإما جسمانية رحمانية وهي ما تكون للمؤمنين في دار الآخرة عطاء ومنحة من الله الوهاب وإما روحانية ربانية وهي ما تكون لأهل المحبة والشوق في الدارين وهي ألذ الأقداح قال مولانا جلال الدين قدس سره:

ألا يـا سـاقـيـا إنـي نـظـمـئـان ومـشـتـاق ادر كأساً ولا تنكر فإن القوم قد ذاقوا
خذ الدنيا وما فيها فإن العشق يكفينا لـنـا في العشق جنات وبلدان وأسواق

﴿**يوفون بالنذر**﴾ استئناف كأنه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما أوجبوه على أنفسهم فكيف بما أوجبه الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها فهو مبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات والإيفاء بالشيء هو الإتيان به تاماً وافياً والنذر إيجاب الفعل المباح على نفسه تعظيماً لله بأن يقول لله علي كذا من الصدقة وغيرها وإن شفي مريضي أو رد غائبي فعلي كذا واختلفوا فيما إذا علق ذلك بما ليس من وجوه البر كما إذا قال إن دخل فلان الدار فعلي كذا ففي الناس من جعله كاليمين ومنهم من جعله من باب النذور قيل النذر كالوعد إلا أنه إذا كان من العباد فهو نذر وإذا كان من الله فهو وعد والنذر قربة مشروعة ولا يصح إلا في الطاعة وفي الحديث «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» قال هارون بن معروف جاءني فتى فقال إن أبي حلف علي بالطلاق أن أشرب دواء مع مسكر فذهبت به إلى أبي عبد الله فلم يرخص له وقال: قال عليه السلام: «كل مسكر حرام» وإذا جمع الأطباء على أن شفاء المريض في الخمر لا يشربها إذا كان له دواء آخر وإذا لم يكن يشربها ويتداوى بها في قول ثم إن الاهتمام بما أوجب الله على عبده ينبغي أن يكون أكمل مما أوجبه العبد على نفسه ومن الناس من هو على عكس ذلك فإنه يتهاون بما أوجبه الله عليه فلا

يؤدي الصلاة الواجبة مثلاً وإذا نذر شيئاً في بعض المضايقات يسارع إلى الوفاء وليس إلا من الجهل. وقال القاشاني: أي الأبرار يوفون بالعهد الذي كان بينهم وبين الله صبيحة يوم الأزل بأنهم إذا وجدوا التمكن بالآلات والأسباب أبرزوا ما في مكامن استعداداتهم وغيوب فطرتهم من الحقائق والمعارف والعلوم والفضائل وأخرجوها إلى الفعل بالتزكية والتصفية ﴿**ويخافون يوماً**﴾ أي يوم القيامة ﴿**كان شره**﴾ أي هوله وشدته وعذابه ﴿**مستطيراً**﴾ فاشياً منتشراً في الأقطار غاية الانتشار بالغاً أقصى المبالغ.

يعني يهمه كس بهمه جا رسيده.

من الاستطار الحريق أي النار وكذا الفجر قال في «القاموس» المستطير الساطع المنتشر واستطار الفجر انتشر وهو أبلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر وأطلق الشر على أهوال القيامة وشدائدها المنتشرة غاية الانتشار حتى ملأت السماوات والأرض مع أنها عين حكمة وصواب لكونها مضرة بالنسبة إلى من تنزل عليه ولا يلزم من ذلك أن لا يكون خيره مستطيراً أيضاً فإن ليوم القيامة أموراً سارة كما أن له أموراً ضارة وقال سهل رحمه الله: البلايا والشدائد عامة في الآخرة للعامة والملامة خاصة للخالصة، ثم إن يوفون الخ بيان لأعمالهم وإتيانهم لجميع الواجبات وقوله ﴿**ويخافون**﴾.. الخ. بيان لنياتهم حيث اعتقدوا يوم البعث والجزاء فخافوا منه فإن الطاعات إنما تتم بالنيات وبمجموع هذين الأمرين سماهم الله بالأبرار قال بعض العارفين: يشير إلى أرباب السلوك في طريق الحق وطلبه حيث أوجبوا على أنفسهم أنواع الرياضات وأصناف المجاهدات وتركوا الرقاد وأهلكوا بالجوع الأجساد وأحرقوا بالعطش الأكباد وسدوا الأذان من استماع كلام الأغيار وأعموا أبصارهم عن رؤية غير المحبوب الحقيقي وختموا على القلوب عن محبة غير المطلوب الأزلي خوفوا أنفسهم من يوم تجلي صفة القهر والسخط باستيلاء الهيئات المظلمة على القلب وهو نهاية مبالغ الشر فاجتهدوا حتى خلصهم الله مما خافوا وأدخلهم في حرمه الآمن.

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾

﴿**ويطعمون الطعام على حبه**﴾ أي: كائنين على حب الطعام والحاجة إليه ونحوه ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] أو على حب الإطعام فيطعمون بطيب النفس فالضمير إلى مصدر الفعل كما في قوله تعالى: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] أو كائنين على حب الله أو إطعاماً كائناً على حبه تعالى وهو الأنسب لما سيأتي من قوله لوجه الله فالمصدر مضاف إلى المفعول والفاعل متروك أي على حبهم لله ويجوز أن يضاف إلى الفاعل والمفعول متروك أي على حب الله الإطعام والطعام خلاف الشراب وقد يطلق على الشراب أيضاً لأن طعم الشيء ذوقه مأكولاً أو مشروباً والظاهر الخصوص وإن جاز العموم.

واعلم أن مجامع الطاعات محصورة في أمرين الطاعة لأمر الله وإليه الإشارة بقوله ﴿**يوفون بالنذر**﴾ والشفقة على خلق الله وإليه الإشارة بقوله ﴿**ويطعمون الطعام**﴾ فإن الطعام وهو جعل الغير طاعماً كناية عن الإحسان إلى المحتاجين والمواساة معهم بأي وجه كان وإن

لم يكن ذلك بالطعام بعينه إلا أن الإحسان بالطعام لما كان أشرف أنواع الإحسان عبر عن جنس الإحسان باسم هذا النوع كما في «حواشي» ابن الشيخ وقال بعض أهل المعرفة أي يتجردون عن المنافع المالية ويزكون أنفسهم عن الرذائل خصوصاً عن الشح لكون محبة المال أكثف الحجب فيتصفون بفضيلة الإيثار وسد خلة الغير في حال احتياجهم أو يزكون أنفسهم عن رذيلة الجهل فيطعمون الطعام الروحاني من الحكم والشرائع على حب الله من ذكر من قوله ﴿مسكيناً﴾ فقيراً لا شيء له عاجزاً عن الكسب، وبالفارسية درويش بي مايه.

وقال القاشاني: المسكين الدائم السكون إلى تراب البدن﴿ويتيماً﴾ طفلاً لا أب له ﴿وأسيراً﴾ الأسر الشد بالقيد سمي الأسير بذلك ثم قيل لكل مأخوذ مقيد وإن لم يكن مشدوداً بذلك والمعنى وأسيراً مأخوذاً لا يملك لنفسه نصراً ولا حيلة أي أسير كان فإنه عليه السلام، كان يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول أحسن إليه لأنه يجب إطعام الأسير الكافر والإحسان إليه في دار الإسلام بما دون الواجبات عند عامة العلماء إلى أن يرى الإمام رأيه فيه من قتل أو منّ أو فداء أو استرقاق فإن القتل في حال لا ينافي وجوب الإطعام في حال أخرى ولا يجب إذا عوقب بوجه أن يعاقب بوجه آخر ولذا لا يحسن فيمن يلزمه القصاص أن يفعل به غير القتل أو المعنى أسيراً مؤمناً فيدخل فيه المملوك عبداً أو أمة وكذا المسجون.

يعني مسبحون از أهل فقركه در حقي از حقوق مسلمين حبس كرده باشند.

وقد سمى رسول الله ﷺ الغريم أسيراً فقال: «غريمك أسيرك» فأحسن إلى أسيرك أي بالإمهال والوضع عنه بعضاً أو كلاً وهو كل الإحسان وفي الحديث: «من أنظر معسراً أو وضع له أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله» أي حماه من حرارة القيامة وقيل الزوجة من الأسراء في يد الأزواج لما قال عليه السلام: «اتقوا الله في النساء فإنهن عوانٍ عندكم» والعاني الأسير وفي «القاموس»: العواني النساء لأنهن يظلمن فلا ينتصرن. وقال القاشاني: الأسير المحبوس في أسر الطبيعة وقيود صفات النفس.

وفي «التأويلات النجمية»: ويطعمون طعام المعارف والحكم الإلهية المحبوبة لهم مسكين السر لقرب انقياده تحت حكم الروح وذلته تحت عزته ويتيم القلب لبعد عهده ومكانه من أبيه الروح وأسير الأعضاء والجوارح المقيدين بقيود أحكام الشريعة وحبال آثار الطريقة انتهى.

﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾ جزاين نيست كه ميخو رانيم شمارا أي طعامها براي رضاي خدا.

على إرادة قول هو في موقع الحال من فاعل يطعمون أي قائلين ذلك بلسان الحال أو بلسان المقال إزاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة المنقصة للأجر.

هرچه دهى مى ده ومنت منه وآنچه بمنت دهى آن خود مده
منت ومزدى كه در احسان بود وقت جزا موجب نقصان بود

وعن الصديقة رضي الله عنها أنها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فإذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصاً عند الله والوجه الجارحة عبر به عن الذات لكونه أشرف الأعضاء وقال بعضهم: الوجه مجاز عن الرضى لأن الرضى معلوم في الوجه وكذا السخط﴿لا نريد منكم جزاء﴾ على ذلك بالمال والنفس والفرق بين

الجزاء والأجر أن الأجر ما يعود من ثواب العمل دنيوياً كان أو أخروياً ويقال فيما كان عن عقد وما يجري مجرى العقد ولا يقال إلا في النافع وأما الجزاء فيقال فيما كان عن عقد وغير عقد ويقال في النافع والضار والمجازاة المكافأة وهي مقابلة نعمة بنعمة هي كفؤها ﴿ولا شكوراً﴾ أي شكراً باللسان ومدحاً ودعاء وهو مصدر على وزن الدخول والجملة تقرير وتأكيد لما قبلها. قال القاشاني: لا نريد منكم مكافأة وثناء لعدم الاحتجاب بالأعراض والأعواض.

وفي «التأويلات النجمية»: لا نريد منكم جزاء بالذكر الجميل في الدنيا ولا شكوراً عن عذاب الآخرة إذ كل عمل يعمله العامل لثواب الآخرة لا يكون لوجه الله بل يكون لحظ نفسه كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] وقال عليه السلام: حكاية عن الله تعالى «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» والحاصل أن معاملة العبد المخلص إنما هي مع الله فلا حق له على الغير فكيف يريد ذلك وفيه نصح لمن أراد النصيحة فإن الإطعام ونحوه حرام بملاحظة الغير وحظ النفس فيجب أن يكون خالصاً لوجه الله من غير شوب بالرياء وبحظ المنعم.

زعمرو اى پسر چشم اجرت مدار چو درخانهٔ زيد باشى بكار

﴿إنا نخاف من ربنا يوماً﴾ أي عذاب يوم وهو مفعول خاف فمن ربنا حال متقدمة منه ولو أخر لكان صفة له أو مفعوله قوله ربنا بواسطة الحرف على ما هو الأصل في تعديته لأنه يقال خاف منه فيكون يوماً بدلاً من محله بدون تقدير بناء على التعدية بنفسه أو بتقدير نخاف آخر ﴿عبوساً﴾ من قبيل إسناد الفعل إلى زمانه والمعنى تعبس فيه الوجوه.

يعني روزى كه رويها دروترش كردد ازشدت أهوال.

كما روي أن الكافر يعبس يومئذٍ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران والعبوس قطوب الوجه من ضيق الصدر أو معنى عبوساً يشبه الأسد العبوس في الشدة والضراوة أي السطوة والإقدام على إيصال الضرر بالعنف والحدة لكل من رآه فهو من المبالغة في التشبيه فإن العبوس الأسد كالعباس ﴿قمطريراً﴾ شديد العبوس فلذلك نفعل بكم ما نفعل رجاء أن يقينا ربنا بذلك شره لا لإرادة مكافأتكم فقوله: ﴿إنا نخاف﴾.. الخ. من ﴿إنما نطعمكم﴾ الخ في معرض التعليل لإطعامهم يقال وجه قمطرير أي منقبض من شدة العبوس وفي «الكشاف» القمطرير العبوس الذي يجمع بين عينيه.

وازامام حسن بصري رحمه الله پرسيدندكه قمطرير چيست فرمودكه سبحان الله ما أشد اسمه وهو أشد من اسمه يعني چه سخت است اسم روزقيامت وأوسخت تراست از اسم خود ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم﴾ بسبب خوفهم وتحفظهم منه.

يعني نكاه داشت خداي تعالى ايشانرا از بدى ورنج وهول وعذاب آن روز.

فشر مفعول ثانٍ لوقى المتعدي إلى اثنين وفي الحديث الصحيح قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله: إذا مات فحرقوه ثم أذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه ثم قال: لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب وأنت أعلم فغفر الله له أي بسبب خشيته وقوله «لئن قدر الله» بتخفيف الدال من القدرة أي لئن تعلقت قدرته يوم البعث بعذاب جسمه ظن المسكين أنه بالفناء على الوجه المذكور يلتحق بالمحال وقدرة الله لا

تتعلق بالمحال فلا يلزم منه الكفر فجمع رماده من البر والبحر محمول على جمع أجزائه الأصلية يوم القيامة ويجوز أن يحمل على حال البرزخ فإن السؤال فيه للروح والجسد جميعاً على ما هو المذهب الحق. ﴿ولقاهم نضرة وسروراً﴾ أي أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه يعني تازكي وخوبرويى وسروراً في القلب، يعني شادي وفرح دردل فهما مفعولان ثانيان وفي «تاج المصادر» التلقية چيزى پيش كسى وا آوردن.

وفي «المفردات» لقيته كذا إذا استقبلته به قال تعالى: ﴿ولقاهم نضرة وسروراً﴾.

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾.

﴿وجزاهم﴾ أعطى كل واحد منهم بطريق الأجر والعوض ﴿بما صبروا﴾ ما مصدرية أي بسبب صبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرمات وإيثار الأموال وفي الحديث: «الصبر أربعة الصبر على الصدمة الأولى وعلى أداء الفرائض وعلى اجتناب المحارم وعلى المصائب» ﴿جنة﴾ مفعول ثان لجزاهم أي بستاناً يأكلون منه ما شاؤوا ﴿وحريراً﴾ يلبسونه ويتزينون به وبالفارسية وجامهء إبريسم بهشت بپوشند.

فالمراد بالجنة ليس دار السعادة المشتملة على جميع العطايا والكرامات وإلا لما احتيج إلى ذكر الحرير بعد ذكر الجنة بل البستان كما ذكرنا فذكرها لا يغني عن ذكر الملبس ثم إن البستان في مقابلة الإطعام والصبر على الجوع والحرير في مقابلة الصبر على العري لأن إيثار الأموال يؤدي إلى الجوع والعري وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما النبي عليه السلام في ناس معه فقالوا لعلي رضي الله عنه لو نذرت على ولديك نذراً يعني اكر نذر كنى براميد عافيت وشفاي فرزندان مكر صواب باشد.

فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما رضي الله عنهما إن برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام تقرباً إلى الله وطلباً لمرضاته وشكراً له فشفيا فصاموا وما معهم شيء يفطرون عليه فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير وهو جمع صاع وهو أربعة أمداد كل مد رطل وثلث قال الداودي معياره الذي لا يختلف أربع حفنات بكفي الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما إذ ليس كل مكان يوجد فيه صاع النبي عليه السلام فطحنت فاطمة رضي الله عنها، صاعاً يعني فاطمهء زهراً ازان جويك صاع بآسيا دست آرد كرد.

وخبزت خمسة أقراص على عددهم جمع قرص بمعنى الخبزة فوضعوا بين أيديهم وقت الإفطار ليفطروا به فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه يعني حضرت علي رضي الله عنه، نصيب خود بدان مسكين دادر سائر أهل بيت موافقت كردند يعني سخن درويش بسمع على رسيد روى فرا فاطمة كرد وكفت.

فاطم ذات المجد واليقين ... يا بنت خير الناس أجمعين
أما ترين البائس المسكين ... قد قام بالباب له حنين
يشكو إلى الله ويستكين ... يشكو إلينا جائعاً حزين

فاطمة رضي الله عنها اورا جواب داد وكفت.

أمرك يا ابن عم سمع طاعة ما بيّ من لؤم ولا ضراعه
أرجو إذا أشبعت ذا مجاعه ألحق بالأخيار والجماعه
وأدخل الخلد ولي شفاعه

آنكه طعام پيش نهاده بودند جمله بدرويش دادند وبركر سنكى صبر كردند.
وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياماً.
فاطمة رضي الله عنها، صاعي ديكر چوآرد كرد وأذان نان.
فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد يتيم من أولاد المهاجرين استشهد والدي يوم العقبة أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة.
حضرت علي رضي الله عنه چون سخن آن يتيم شنيد روى فرا فاطمة كرد وكفت.

إني لأعطيه ولا أبالي وأوثر الله على عيالي
أمسوا جياعاً وهمو أشبالي أصغرهم يقتل في القتال

فآثروه يعني همچنان طعام كه درپيش بود جمله بيتيم دادند وخود كر سنه خفتند ديكر روز آن صاع كه مانده بود فاطمة رضي الله عنها آنرا آرد كرد وتان پخت.
فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم أسير فقال: السلام عليكم أهل بيت النبوة أسير من الأسارى أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة.
آن طعام باسير دادند وبجز آب نچشيدند وسه روز بران بكذشت.
فلما أصبحوا في اليوم الرابع أخذ علي بيد الحسن والحسين رضي الله عنهم فأقبلوا على النبي ﷺ فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه السلام: «ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم» وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال: «خذ يا محمد هنأك الله في أهل بيتك فاقرأه السورة» ولا يلزم من هذا أن يكون المراد من الأبرار أهل البيت فقط لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيدخل فيه غيرهم بحسب الاشتراك في العمل وقد ضعفت القصة بتضعيف الراوي إلا أنها مشهورة بين العلماء مسفورة في الكتب قال الحكيم الترمذي رحمه الله، هذا حديث مفتعل لا يروج إلا على أحمق جاهل ورواه ابن الجوزي في «الموضوعات» وقال لا شك في وضعه ثم صحة الرواية تقتضي كون الآية مدنية لأن إنكاح رسول الله فاطمة علياً كان بعد وقعة أحد وقد قال الجمهور: إن السورة مكية هكذا قالوا سامحهم الله تعالى قال المولى الفناري في «تفسير الفاتحة» نقلاً عن جمع من العلماء الكبار: إن هل أتى على الإنسان من السور النازلة في المدينة وكذا قال مجاهد وقتادة مدنية إلا آية واحدة وهي ﴿ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾ فإنها مكية وكذا قال الحسن وعكرمة والماوردي مدنية إلا قوله: ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ إلى الآخر فإنه مكي ودل على ذلك أن الأسير إنما كان في المدينة بعد آية القتال والأمر بالجهاد فضمت الآيات المكية إلى الآيات المدنية فإن شئت قلت إنها آي السورة مكية وإن شئت قلت إنها مدنية على أن الآيات المدنية في هذه السورة أكثر كمية من الآيات المكية فالظاهر أن تسمى مدنية لا مكية ونحن لا نشك في صحة القصة والله أعلم.
﴿متكئين فيها﴾ أي في الجنة ﴿على الآرائك﴾ بر تختهاى آراسته.

قوله ﴿متكئين﴾ حال من هم في جزاهم والعامل فيها جزى، قيد المجازاة بتلك الحال لأنها أرفه الأحوال فكان غيرها لا يدخل في الجزاء والأرائك هي السرور في الحجال تكون في الجنة من الدر والياقوت موضونة بقضبان الذهب والفضة وألوان الجواهر جمع أريكة كسفينة ولا تكون أريكة حتى تكون في حجلة وهي بالتحريك واحدة حجال العروس وهي بيت مزين بالثياب والستور والظاهر أن على الأرائك متعلق بمتكئين لأن الاتكاء يتعدى بعلى أي مستقرين متمكنين على الأرائك كقوله: متكئين على فرش ولا يبعد أن يتعلق بمقدر ويكون حالاً من ضمير متكئين أي متكئين فيها على الوسائد أو غيرها مستقرين على الأرائك فيكون الاتكاء بمعنى الاعتماد ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾ أي: حرارة ولا برودة كما يرون في الدنيا لأن الحرارة غالبة على أرض العرب والبرودة على أرض العجم والروم وهو حال ثانية من الضمير أي يمر عليهم هواء معتدل لا حار ولا بارد مؤذ يعني أن قوله ﴿لا يرون﴾ الخ كناية عن هذا المعنى والزمهرير شدة البرد وازمهر اليوم اشتد برده وفي الحديث: «هواء الجنة سجسج لا حر فيه ولا قر أي معتدل لا حر فيه ولا برد فإن القر بالضم البرد وفي الخبر عن النبي عليه السلام أنه قال اشتكت النار إلى ربها فقالت: أكل بعضي بعضاً فنفسني فأذن لها في كل عام بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم وأشد ما تجدون من الحر من حرها وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال فبينما أهل الجنة في الجنة إذ رأوا ضوءاً كضوء الشمس وقد أشرقت الجنان له فيقول أهل الجنة يا رضوان قال ربنا عز وجل لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً فيقول لهم رضوان ليست هذه بشمس ولا قمر ولكن هذه فاطمة وعلي رضي الله عنهما ضحكا ضحكاً أشرقت الجنان من نور ضحكهما وفيهما أنزل الله تعالى ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ إلى قوله ﴿وكان سعيكم مشكوراً﴾. قال القاشاني: لا يرون في جنة الذات شمس حرارة الشوق إليها مع الحرمان ولا زمهرير برودة الوقوف مع الأكوان فإن الوقوف مع الكون برد قاسر وثقل عاصر.

وفي «التأويلات النجمية»: لا يرون في جنة الوصال حر شمس المشاهدة المفني للمشاهد بحيث لا يجد لذة الشهود لأن سطوة المشاهدة تفني المشاهد بالكلية فلا يجد لذة الشهود من المحبوب المعبود وإلى هذا المعنى أشار النبي عليه السلام في دعائه اللهم ارزقنا لذة مشاهدتك لا زمهرير برد الحجاب والاستتار.

﴿ودانية عليهم ظلالها﴾ عطف على ما قبلها حال مثلها والظلال جمع ظل بالكسر نقيض الضح وظلالها فاعل دانية من الدنو بمعنى القرب إما بحسب الجانب أو بحسب السمك والضمير إلى الجنة أو أشجارها ومعناه إن ظلال الأشجار في الجنة قربت من الأبرار من جوانبهم حتى صارت الأشجار بمنزلة المظلة عليهم وإن كان لا شمس فيها مؤذية لتظلهم منها ففيه بيان لزيادة نعيمهم وكمال راحتهم فإن الظل في الدنيا للراحة ﴿وذللت قطوفها تذليلاً﴾ أي: سخرت ثمارها لمتناوليها وسهل أخذها للقائم والقاعد والمضطجع تمام التسخير والتسهيل من الذل بالكسر وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية أي تدنو ظلالها عليهم مذللة لهم قطوفها أو معطوفة على دانية أي دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وهو جمع قطف بكسر القاف بمعنى العنقود وقطفت العنب قطعته وسمي العنقود قطفاً لأنه يقطف ويقطع وقت الإدراك.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾

﴿ويطاف﴾ يدور من طاف بمعنى دار والطواف والإطافة كلاهما لازم، بالفارسية كرد چيزى بكشتن.

وإنما جاء بالتعدية هنا من الباء في بآنية. **﴿عليهم﴾** أي على الأبرار إذا أرادوا الشرب والطائف الدائر هو الخدم كما يجيء. **﴿بآنية﴾** أوعية جمع إناء نحو كساء وأكسية والأواني جمع الجمع كما في «المفردات»، وأصل آنية أءنية بهمزتين مثل أفعلة. قال في بعض التفاسير: الباء فيها إن كانت للتعدية فهي قائمة مقام الفاعل لأنها مفعول له معنى وإلا فالظاهر أن يكون القائم مقامه عليهم **﴿من فضة﴾** نسب لآنية **﴿وأكواب﴾** جمع كوب وهو الكوز العظيم المدور الرأس لا أذن له ولا عروة فيسهل الشرب منه من كل موضع ولا يحتاج عند التناول إلى إدارته وهو مستعمل الآن في بلاد العرب لما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم وقدم عليه وصف الأواني التي يشرب بها وذكره بلفظ المجهول لأن المقصود ما يطاف به لا الطائفون ثم ذكر الطائفين بقوله: **﴿ويطوف﴾** الخ **﴿كانت قواريراً﴾** جمع قارورة بالفارسية آبكينه.

وفي «القاموس»: القارورة ما قر فيه الشراب ونحوه.

﴿قوارير من فضة﴾ أي تكونت وحدثت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها يرى ما في داخلها من خارجها فكان تامة وقوراير الأول حال من فاعل كانت على المبالغة في التشبه يعني أن القوراير إنما تتكون من الزجاج لا من الفضة فليس المعنى أنها قوراير زجاجية متخذة من الفضة بل الحكم عليها بأنها قوراير وأنها من فضة من باب التشبيه البليغ لأنها في نفسها ليست زجاجاً ولا فضة لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء فثبت أن آنية الجنة مباينة في الحقيقة لقارورة الدنيا وفضتها ولأن قارورة الدنيا سريعة الانكسار والهلاك وما في الجنة لا يقبل ذلك وفضة الدنيا كثيفة الجوهر لا لطافة فيها وما في الجنة ليس كذلك وإن شارك كل واحد منهما الآخر في بعض الأوصاف فشبهت بالفضة في بياضها ونقائها وبقائها وبالقارورة في شفافيتها وصفائها فهي حقيقة مغايرة لهما جامعة لأوصافهما وذلك كاف في صحة إطلاق اسم القارورة والفضة عليها وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن أرض الجنة من فضة وأواني كل أرض تتخذ من تربة تلك الأرض ويستفاد من هذا الكلام وجه آخر لكون تلك الأكواب من فضة ومن قوارير وهو أن أصل القوارير في الدنيا الرمل وأصل قوارير الجنة هو فضة الجنة فكما أن الله قادر على أن يقلب الرمل الكثيف زجاجة صافية فكذلك قادر على أن يقلب فضة الجنة قارورة صافية بالغرض من ذكر هذه الآية التنبيه على أن نسبة قارورة الجنة إلى قارورة الدنيا كنسبة الفضة للرمل فكما أنه لا نسبة بين هذين الأصلين فكذا بين القارورتين كذا في «حواشي» ابن الشيخ قال بعضهم: لعل الوجه في اختيار كون كانت تامة مع إمكان جعلها ناقصة وقوارير الأول خبراً بتكوين الله فيكون فيه تفخيم للآنية بكونها أثر قدرة الله تعالى وقوارير الثاني بدل من الأول على سبيل الإيضاح والتبيين، أي قوارير مخلوقة من فضة والجملة صفة لأكواب وقرىء بتنوين قوارير الثاني أيضاً وقرئا بغير تنوين وقرىء الثاني بالرفع على هي قوارير قال ابن الجزري وكلهم وقفوا عليه بالألف إلا حمزة وورشاً، وإنما صرفه من صرفه لأنه وقع في مصحف الإمام

بالألف وإنما كتب في المصحف بالألف لأنه رأس آية فشابه القوافي والفواصل التي تزاد فيها الألف للوقف. ﴿**قدروها تقديراً**﴾ صفة لقوارير ومعنى تقدير الشاربين المطاف عليهم لها أنهم قدروها في أنفسهم وأرادوا أن تكون على مقادير وأشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها فإن منتهى ما يريده الرجل في الآنية التي يشرب منها الصفاء فقد ذكره الله بقوله ﴿**كانت قوارير**﴾ وأيضاً النقاء فقد ذكره الله بقوله: ﴿**من فضة**﴾ وأيضاً الشكل والمقدار فقد ذكره الله بقوله ﴿**قدروها تقديراً**﴾ أو قدروها بأعمالهم الحسنة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله: ﴿**ويطاف عليهم**﴾ أي قدروا شرابها على إضمار المضاف على قدر استروائهم وريهم من غير زيادة ولا نقصان وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته فإن طرفي الاعتدال مذمومان كما قال مجاهد: لا فيض فيها ولا غيض أي لا كثرة ولا قلة وقال الضحاك: على قدر أكف الخدم.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾.

﴿**ويسقون فيها**﴾ أي في الجنة بسقي الله أو بسقي الطائفين بأمر الله وفيه زيادة تعظيم لهم ليست في قوله ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ [الإنسان: ٥] بصيغة المعلوم ﴿**كأساً**﴾ خمراً ﴿**كان مزاجها**﴾ ما تمزج به خلط ﴿**زنجبيلاً**﴾ الزنجبيل عرق يسري في الأرض ونباته كالقصب والبردي وعلم منه أن ما كان مزاجها زنجبيلاً غير ما كان مزاجها كافوراً والمعنى زنجبيلاً أي ماء يشبه الزنجبيل في الطعم وكان الشراب الممزوج به أطيب ما يستطيب العرب وألذ ما تستلذ به لأنه يحذو اللسان ويهضم الطعام كما في «عين المعاني» ولما كان في تسمية تلك العين بالزنجبيل توهم أن ليس فيها سلاسة الانحدار في الخلق وسهولة مساغها كما هو مقتضى اللذع والإحراق أزال ذلك الوهم بقوله ﴿**عيناً**﴾ بدل من زنجبيلاً ﴿**فيها تسمى**﴾ عند الملائكة من خازن الجنة وأتباعه ﴿**سلسبيلاً**﴾ لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها فكأن العين سميت بصفاتها قال بعضهم: يطلق عليها ذلك وتوصف به لا أنه علم لها يعني سلسبيل صفة لا اسم وإلا لامتنع من الصرف للعلمية والتأنيث ولم يقرأ به واحد من العشرة ويقال إنما صرف مع أنه اسم عين وهي مؤنث معنوي لرعاية رأس الآية قال في «الكواشي»: لفظ مفرد بوزن فعلليل كدردبيس يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل سهل الدخول في الحلق لعذوبته وصفائه ولذلك حكم بزيادة الباء أي بعدم التفاوت في المعنى بوجودها وعدمها وإلا فالباء ليست من حروف الزيادة وقيل زيدت الباء على السلسال حتى صارت كلمة خماسية للدلالة على غاية السلاسة والحلاوة وقال ابن المبارك: من طريق الإشارة: معنى السلسبيل سل من الله إليه سبيلاً، قال ابن الشيخ: جعل الله مزاج شراب الأبرار أولاً كافوراً وثانياً زنجبيلاً لأن المقصود الأهم حال الدخول البرودة لهجوم العطش عليهم من حر العرصات وعبور الصراط وبعد استيفاء حظوظهم من أنواع نعيمها ومطعوماتها تميل طباعهم إلى الأشربة التي تهيج الاشتهاء وتعيين على تهنئة ما تناولوه من المطعومات ويلتذ الطبع بشربها فلعل الوجه في تأخير ذكر ما يمزج به الزنجبيل عما يمزج به الكافور ذلك.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بالزنجبيل إلى شراب الوحدة الممزوجة بزنجبيل الكثرة

المعقولة من مفهوم التوحيد وبالسلسبيل إلى شراب الوحدة الصافية عن الامتزاج بزنجبيل الكثرة وسميت سلسبيلاً لسلاسة انحدارها وذلك لبساطتها وصرافتها، وقال القاشاني: كان مزاجها زنجبيل لذة الاشتياق فإنهم لا شوق لهم ليكون شرابهم الزنجبيل الصرف الذي هو غاية حرارة الطلب لوصولهم ولكن لهم الاشتياق للسير في الصفات وامتناع حصولهم على جميعها فلا تصفو محبتهم من لذة حرارة الطلب كما صفت لذة محبة المستغرقين في عين جمع الذات فكان شرابهم العين الكافورية الصرفة والزنجبيل عين في الجنة لكون حرارة الشوق عين المحبة الناشئة من منبع الوحدة مع الهجران تسمى سلسبيلاً لسلاستها في الحلق وذوقها قال العشاق المهجورين الطالبين السالكين سبيل الوصال في ذوق وسكر من حرارة عشقهم لا يقاس به ذوق.

﴿ويطوف عليهم﴾ أي يدور على الأبرار. ﴿ولدان﴾ فإنهم أخف في الخدمة جمع وليد وهو من قرب عهده بالولادة ﴿مخلدون﴾ أي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء لا يتغيرون أبداً وبالفارسية وبخدمت مي كردد برايشان غلاماني جون كودكان نوزاد جاويد مانده درحال طفوليت أو مقربون يعني پسران كوشواره دار.

والخلد القرط وفي «التاج» إنه من الخلد وهو الروح كأنهم روحانيون لا جسم لهم. ﴿إذا رأيتهم﴾ يا من شأنه الرؤية. ﴿حسبتهم لؤلؤاً﴾ جمعه اللآلىء وتلألأ الشيء لمع لمعان اللؤلؤ ﴿منثوراً﴾ متفرقاً لحسنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم وتفرقهم في مجلس الخدمة عند اشتغالهم بأنواع الخدمة وطوافهم على المخدومين مسارعين في الخدمة ولو اصطفوا على وتيرة واحدة لشبهوا اللؤلؤ المنظوم واللؤلؤ إذا كان متفرقاً يكون أحسن في المنظر من المنظوم لوقوع شعاع بعضه على بعض بغاية بياضه وبريقه فيكون مخالفاً للمجتمع فيه والظاهر على ما ذهب إليه البعض منثوراً أي متفرقاً في الجنة فهو أحسن من القيد بمجلس الخدمة وشبهت الحور العين باللؤلؤ المكنون أي المخزون لأنهن لا ينتشرن انتشار الولدان بل هن حور مقصورات في الخيام قال في «عين المعاني»: وفيه إشارة إلى أن الاستمتاع بظواهرهم يكون بخلاف الحور المشبهة بالبيض لأنه يجمع بياض اللون إلى لذة الطعم انتهى.

ومنه يعلم أن لا لواطة في الجنة وأن قول من جوزها مردود باطل على ما حققناه مراراً قال بعضهم: منثوراً من سلكه على البساط وعن المأمون أنه ليلة زفت إليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج بالذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر إليه منثوراً على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در أبي نواس كأنه أبصر هذا حيث يقول:

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها حصباء در على أرض من الذهب

وقال بعضهم: منثوراً من صدفه يعني أنهم شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا أنثر من صدفه وهو غير مثقوب لأنه أحسن وأكثر ماء وبالفارسية مرواريد افشانده شده از صدف يعني تروتازه كه هنوز دست كس بدان نرسيده ودر رونق وآب داد شان قصورى پيدا نشده.

قال في «كشف الأسرار»: ولدان مخلدون أي غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين انتهى. فسمي الغلمان ولداناً لأنهم على صورتهم على أن في إطلاقهم عليهم خطاباً بما يتعارفه الناس فلا يلزم ولادتهم في الجنة وقال في «عين المعاني»: قيل إنهم ولدان الكفار يدخلون الجنة خدماً لأهلها بدليل أنهم سموا ولداناً ولا ولادة في الجنة انتهى. وفي «اللباب» اختلفوا في

الولدان فقيل أنشأهم الله لأهل الجنة من غير ولادة لأن الجنة لا ولادة فيها وهم الذين قال الله فيهم ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون أي مخزون مصون لم تمسه الأيدي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما من أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام وكل غلام على عمل ما عليه صاحبه وروي أن الحسن رحمه الله، لما تلا هذه الآية قال قالوا يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم فقال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وروي عن علي رضي الله عنه والحسن البصري رضي الله عنه أن الولدان هنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغاراً ولا حسنة لهم ولا سيئة لهم وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة وعن الحسن رحمه الله: لم تكن لهم حسنات يجازون بها ولا سيئات يعاقبون عليها فوضعوا هذا الموضع انتهى كلام «اللباب»، فالله تعالى قادر على أن يجعل أموات الكفار الذين لا يليقون بالخدمة في الدنيا لغاية صغرهم في مرتبة القابلية لها في الآخرة بكمال قدرته وتمام رحمته قال النووي: الصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة وقال الطيبي في «شرح المشكاة» الحق التوقف أي لا الحكم بأنهم من أهل الجنة كما ذهب إليه البعض ولا بأنهم تبع لآبائهم في النار كما ذهب إليه البعض الآخر فالمذاهب إذاً فيهم ثلاثة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**ويطوف عليهم ولدان مخلدون**﴾ أي تجليات ذاتية مقرطون بقرطة الأسماء والصفات إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً من تشعشع أنوار الذات وتلألؤ أنوار الصفات والأسماء.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾

﴿**وإذا رأيت ثم**﴾ وچون بنكرى ونظر كنى دربهشت.

قال في «الإرشاد»: ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوي بل معناه أي مآل المعنى أن بصرك أينما وقع في الجنة. ﴿**رأيت نعيماً**﴾ كثيراً لا يوصف وهو ما يتنعم به ﴿**وملكاً كبيراً**﴾ أي واسعاً هنيئاً كما في الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه والآية من باب الترقي والتعميم يعني أن هناك أموراً أخر أعلى وأعظم من القدر المذكور.

در فصول آمده كه نعيم راحت أشباح است وملك كبير لذات أوراح نعيم ملاحظهء دارست وملك كبير مشاهدهء ديدار وداربي ديدار بهيج كرنيابد الجبار ثم الدار زاهد إن فردوس ميحويند وما ديدار دوست.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني إذا تحققت بمقام التوحيد وحال الوحدة وصلت إلى نعيم الشهود والملك المشهود والكبير في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله انتهى.

فيكون المراد بالملك الكبير في الدنيا هو الشهود الحاصل لأهل الجنة المعنوية والملك بالضم بالفارسية بادشاهى ولا سلطنة فوق سلطنة المعرفة والرؤية قال في بعض التفاسير الملك بالضم هو التصرف في المأمورين بالأمر والنهي ومنه الملك وأما الملك بالكسر فهو التصرف في الأعيان المملوكة بحسب المشيئة ومنه المالك والأول جامع للثاني لأن كل ملك مالك ولا عكس.

﴿عاليهم ثياب سندس خضر﴾ عاليهم ظرف على أنه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة حال من ضمير عليهم أي يطوف عليهم ولدان عالياً للمعطوف عليهم ثياب.. الخ. أي فوقهم وعلى ظهورهم ثياب سندس وهو الديباج الرقيق الفاخر الحسن وإضافة الثياب إلى السندس كإضافة الخاتم إلى الفضة وبالفارسية بربهشتيان يعني لباس زبرين ايشان جامهاى ديباى نازك.

ولم يرض الزجاج بكون عاليهم نصباً على الظرف بمعنى فوقهم لأنه لم يعرف في الظروف وخضر جمع أخضر صفة ثياب كقوله ﴿ويلبسون ثياباً خضراً﴾ فالضمير للأبرار المطوف عليهم لأن المقام مقام تعداد نعيمهم وكرامتهم فالمناسب أن تكون الثياب الموصوفة لهم لا للولدان الطائفين وعن الإمام أن المراد فوق خيامهم المضروبة عليهم والمعنى أن حجالهم من الحرير والديباج وهذا من علامات الملك ﴿وإستبرق﴾ بالرفع عطفاً على ثياب بحذف المضاف أي ثياب استبرق وهو معرب استبره.

بمعنى الغليظ سبق بيانه في سورة الرحمن وهو بقطع الهمزة لكونه اسماً للديباج الغليظ الذي له بريق ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ عطف على ويطوف عليهم وهو ماض لفظاً ومستقبل معنى وأساور مفعول ثان لحلوا بمعنى ويحلون والتحلية التزيين بالحلي وبالفارسية بأحلى زيور كردن.

وفيه تعظيم لهم بالنسبة إلى أن يقال: وتحلوا وأساور جمع أسورة في جمع سوار وسوار المرأة أصله دستواره وكان الملوك في الزمان الأول يتحلون بها ويسورون من يكرمونه ولا ينافي هذه الآية ما في الكهف والحج من قوله: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الحج: ٢٣، فاطر: ٣٣] لإمكان الجمع بين السوار الذهب والسوار الفضة في أيديهم كما تجمع نساء الدنيا بين أنواع الحلي وما أحسن المعصم إذ يكون فيه سواران من جنسين وزيادة كالذهب والفضة واللؤلؤ وأيضاً لإمكان المعاقبة في الأوقات تارة يلبسون الذهب وأخرى يلبسون الفضة، وأيضاً لإمكان التبعيض بأن يكون البعض ذهباً والبعض فضة فإن حلي أهل الجنة يختلف حسب اختلاف أعمالهم فللمقربين الذهب وللأبرار الفضة وأيضاً يعطي كل أحد ما يرغب فيه ويميل طبعه إليه فإن الطباع مختلفة فرب إنسان يكون استحسانه لبياض الفضة فوق استحسانه صفرة الذهب ﴿وسقاهم﴾ بياشاماندا ايشانرا ﴿ربهم شراباً﴾ هو ما يشرب. ﴿طهوراً﴾ هذا الشراب الطهور نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد إليه إسناد سقيه إلى رب العالمين وصفه بالطهورية لأنه يطهر باطنهم عن الأخلاق الذميمة والأشياء المؤذية كالغش والغل والحسد وينزع ما كان في أجوافهم من قذر وأذى وبه تحصل الصفوة المهيئة لانعكاس نور الجمال الإلهي في قلوبهم وهي الغاية القاصية من منازل الصديقين فلذا ختم بها مقالة ثواب الأبرار فالطهور بمعنى المطهر صيغة اسم الفاعل وقيل مبالغة الطاهر من حيث إنه ليس ينجس كخمر الدنيا وما مسته الأيدي القذرة والأقدام الدنسة ولا يؤول إلى أن يكون نجساً بل يرشح عرقاً من أبدانهم له ريح كريح المسك.

قال الكاشفي: بيايد دانست كه جوى كوثر دربهشت خاصهء حضرت رسالت است وذكر آن درسورهء كوثر خواهد آمد وچهار جوى ديكر ازان متقيانست آب وشير وخمر وعسل وشمهء از صفات اودر سورهء محمد مرقوم رقم بيان شد ودو چشمه ازان أهل خشيت است فيهما عينان تجريان ودو چشمه ازان أهل يمين است فيهما عينان نضاختان واين چهار چشمه درسورة

الرحمن آمد ديكر چشمهٔ رحيق ازان ابرارست وچشمهٔ تسنيم ازان مقربان واين هردود رسورهٔ مطففين مذكورند ودوچشمه ازان أهل بيت است كافور وزنجبيل كه آنرا سلسبيل خوانند وشراب طهور نيز از ايشانست ومحققان آنرا شراب شهود كوبندكه مرآت دل نوشنده را بلوامع أنوار قدم روشن ساخته پذير اي نقوش عكوس ازل وابد كرداند ووقت وحال اورا چنان صافي سازدكه مطلقاً شوائب غيريه در مشارع وحدت نماند ورنك دوكانكى مبدل كر دانيده جام مدامرا يك رنك سازد.

همه جامست ونيست كويى مى   يا مدامست ونيست كويى جام

عارفي كفته اكر فردا بزم نشينان دار بقارا براي آنكه سرور شراب طهور خواهند چشانيد امروز باده نوشان خمخانهٔ افضال را بنقدازان نصيبي تام داره اند.

ازسقاهم ربهم بين جملهٔ ابرارمست   در جمال لا يزالي هفت وپنج وچارمست

أي جوانمرد شراب آن شرابست كه دست غيب دهدد رجام دل ريزد وعارف اورانوش كند قومي را شراب مست كرد وقومي راديدار.

وأسكر القوم دور كأس   وكان سكري من المدير

بزركى را بخواب نمودندكه معروف كرخي رحمه الله كرد عرش طراف مي كردورب العزة فرشتكا نرامى كفت اورا شناسيد كفتندنه كفت معروف كرخي است بمهر ما مست شده تاديدهٔ اوبرمانيايد هشيار نكردد هراكرا امروز شراب محبت نيست فردا اورا شراب طهور نيست.

قال بعضهم: صليت خلف سهل بن عبد الله العتمة فقرأ قوله تعالى: ﴿**وسقاهم ربهم شراباً طهوراً**﴾ فجعل يحرك فمه كأنه يمص فلما فرغ من صلاته قيل له أتقرأ أم تشرب قال: والله لو لم أجد لذته عند قراءته كلذتي عند شربه ما قرأته.

وفي «التأويلات النجمية»: قوله ﴿**عاليهم**﴾ الخ يشير إلى اتصاف أهل الجنة بملابس الصفات الإلهية والأخلاق الربانية من خضر أي من الصفات الذاتية واستبرق أي من الصفات الاسمائية وإلى تحليهم بحلي أساور الأسماء الذاتية والصفاتية الزاهرة الباهرة وسقاهم ربهم بكأس الربوبية والتربية شراب المحبة الذاتية الطاهرة عن شوب كدورة رقبة الأغيار.

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾﴾.

﴿**إن هذا**﴾ على إضمار القول أي يقال لهم إن هذا الذي ترونه من فنون الكرامات ويجوز أن يكون خطاباً من الله في الدنيا للأبرار أي إن هذا الذي ذكر من أنواع العطايا ﴿**كان لكم جزاء**﴾ عوضاً بمقابلة أعمالكم الحسنة فإن قيل: كيف يكون جزاء لأعمالهم وهي مخلوقة لله عند أهل السنة وأجيب بأنها لهم كسباً عندهم ولله خلقاً ﴿**وكان سعيكم**﴾ وهست شتافتن شمادركار خيرد ردنيا ﴿**مشكوراً**﴾ مرضياً مقبولاً مقابلاً بالثواب لخلوص نيتكم فيزداد بذلك فرحهم وسرورهم كما أن المعاقب يزداد غمه إذا قيل له هذا جزاء عملك الرديء فالشكر مجاز عن هذا المعنى تشبيهاً له بالشكر من حيث إنه مقابل للعمل كما أن الشكر مقابل للنعم قال بعضهم: أدنى الدرجات أن يكون العبد راضياً عن ربه وإليه الإشارة بقوله ﴿**كان لكم جزاء**﴾

وأعلاها كونه مرضياً له وإليه الإشارة بقوله ﴿كان سعيكم مشكوراً﴾ ولما كان كونه مرضياً أعلى الدرجات ختم به ذكر مراتب الأبرار.

وفي «التأويلات النجمية»: إن هذا كان لكم جزاء لاقتضاء استعداداتكم الفطرية وكان سعيكم مشكوراً غير مضيع بسبب الرياء والسمعة.

﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا﴾ أي مفرقاً منجماً لحكم بالغة مقتضية له لا غير كما يعرف عنه تكرير الضمير مع أن فكأنه تعالى يقول إن هؤلاء الكفار يقولون إن ذلك كهانة وسحر فأنا الملك الحق أقول على سبيل التأكيد: إن ذلك وحي حق وتنزيل صدق من عندي فلا تكترث بطعنهم فإنك أنت النبي الصادق المصدق ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ بتأخير نصرك على الكافرين فإن له عاقبة حميدة ولا تستعجل في أمر المقابلة والانتقام فإن الأمور مرهونة بأوقاتها وكل آت قريب ﴿ولا تطع منهم﴾ أي من الكفار ﴿آثماً أو كفوراً﴾ أو لأحد الشيئين والتسوية بينهما فإذا قلت في الإثبات جالس الحسن أو ابن سيرين كان المعنى جالس أحدهما فكذا إذا قلت في النهي لا تكلم زيداً أو عمراً كان التقدير لا تكلم أحدهما والأحد عام لكل واحد منهما فهو في المعنى لا تكلم واحداً منهما فمآل المعنى في الآية ولا تطع كل واحد من مرتكب الإثم الداعي لك إليه ومن الغالي في الكفر الداعي إليه فأو للإباحة أي للدلالة على أنهما بيان في استحقاق العصيان أي عصيان المخاطب للداعي إليهما والاستقلال به والتقسيم إلى الآثم والكفور مع أن الداعين بجمعهم الكفر باعتبار ما يدعونه إليه من الإثم والكفر لا باعتبار انقسامهم في أنفسهم إلى الآثم والكفور لأنهم كانوا كفرة والكفر أخبث أنواع الإثم فلا معنى للقسمة بحسب نفس كفرهم وإثمهم وذلك أن ترتب النهي على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد أن يكون النهي عن الإطاعة في الإثم والكفر لا فيما ليس بإثم ولا كفر فالمراد بالإثم ما عدا الكفر إذ العام إذا قوبل بالخاص يراد به ما عدا ذلك الخاص وخص الكفر بالذكر تنبيهاً على غاية خبثه من بين أنواع الإثم فكل كفور آثم وليس كل آثم كفوراً ولا بعد أن يراد بالآثم من هو تابع وبالكفور من هو متبوع.

وقال الكاشفي: آثماً كناهكارى راكه تراباً ثم خواند چون عتبة بن ربيعة كه كفت ازدعوت خود باز ايست تادختر خودرا بتودهم أو كفورا وناسپاسي راكه ترا بكفر دعوت كندچون وليد بن مغيره كه كفت بدين أباء رجوع كن تاترا توانكر سازم.

وفي نهيه عليه السلام عن الإطاعة فيما يدعونه إليه مع أنه ما كان يطيع أحداً منهم ولا يتصور في حقه ذلك إشارة إلى أن الناس محتاجون إلى مواصلة التنبيه والإرشاد من حيث إن طبيعتهم التي جبلوا عليها ركب فيها الشهوة الداعية إلى السهو والغفلة وأن أحداً لو استغنى عن توفيق الله وإمداده وإرشاده لكان أحق الناس به هو الرسول المعصوم فظهر أنه لا بد لكل مسلم أن يرغب إلى الله ويتضرع إليه أن يحفظه من الفتن والآفات في جميع أموره وقال القاشاني: ولا تطع منهم آثماً أي محتجباً بالصفات والأحوال أو بذاته عن الذات أو بصفات نفسه وهيئاتها عن الصفات أو كفوراً محتجباً بالأفعال والآثار واقفاً معها أو بأفعاله ومكسوباته عن الأفعال فتحجب بموافقتهم انتهى. عصمنا الله وإياكم من موافقة الأعداء مطلقاً.

﴿واذكر اسم ربك بكرة﴾ أول النهار ﴿وأصيلاً﴾ أي: عشياً وهو آخر النهار أي وداوم على ذكره في جميع الأوقات فأريد بقوله: ﴿بكرة وأصيلاً﴾ الدوام لأنه عليه السلام، كان آتياً

بنفس الذكر المأمور به وانتصابهما على الظرفية، أو دم على صلاة الفجر والظهر والعصر فإن الأصيل كما يطلق على ما بعد العصر إلى المغرب فكذا يطلق على ما بعد الزوال فيتناول وقتي الظهر والعصر وقال سعدي المفتي التأويل بالدوام إنما يحتاج إليه لو ثبتت فرضة الصلوات الخمس قبل نزولها والظاهر أنه كذلك فإنها فرضت ليلة المعراج.

يقول الفقير: وفيه أن الصلوات الخمس وإن فرضت ليلة المعراج إلا أن المعراج كان قبل الهجرة بسنة والتأريخ في نزول الآية مجهول أهي نازلة قبل المعراج أم بعده فإن كان الثاني ثبت مطلوبه وإلا فلا. قال القاشاني: واذكر ذلك الذي هو الاسم الأعظم من أسمائه بالقيام بحقوقه وإظهار كمالاته في المبدأ والمنتهى بالصفات الفطرية من وقت طلوع النور الإلهي بإيجادها في الأزل وإيداع كمالاته فيها وغروبه بتعينها واحتجابه بها وإظهارها مع كمالاتها.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿ومن الليل فاسجد له﴾ وفي بعض الليل فصل له ولعله صلاة المغرب والعشاء.

پس معنى چنين باشدكه برينج نماز مداومت نماي.

وتقديم الظرف للاهتمام لما في صلاة الليل من مزيد كلفة وخلوص وأفضل الأعمال أشقها وأخلصها من الرياء فاستحقت الاهتمام بشأنها وقدم وقتها لذلك ثم الفاء لإفادة معنى الشرط كأنه قال مهما يكن من شيء فاسجد له ففيها وكادة أخرى لأمرها.

وفي «التأويلات النجمية»: واعبد ربك المطلق حق العبودية بالفناء فيه من ليل طبيعتك وغلس بشريتك إذ السجود صورة الفناء الذاتي والركوع صورة الفناء الصفاتي والقيام صورة الفناء الأفعالي فافهم بعض أسرار الصلاة **﴿وسبحه ليلاً طويلاً﴾** أي صل صلاة التهجد لأنه كان واجباً عليه في طائفة طويلة من الليل ثلثه أو نصفه أو ثلثه فقوله ليلاً طويلاً نصب على الظرفية فإن قلت انتصاب ليلاً على الظرفية وطويلاً نعت له ومعناه سبحه في الليل الطويل فمن أين يفهم ما ذكرت من المعنى قلت ظاهر أن توصيف الليل بالطول ليس للاحتراز عن القصير فإن الأمر بالتهجد يتناوله أيضاً فهو لتطويل زمان التسبيح وفي التعبير في التهجد بالتسبيح وتأخير ظرفه دلالة على أنه ليس في مرتبة ما قبله.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾﴾.

﴿إن هؤلاء﴾ أي كفار مكة عاد إلى شرح أحوال الكفار بعد شرح صدره عليه السلام بما ذكر من قوله: **﴿إنا نحن﴾** الخ **﴿يحبون العاجلة﴾** دوست ميدارند سراي شتا بنده را يعني دنيارا وينهمكون في لذاتها الفانية فهو الحامل لهم على الكفر والإعراض عن الاتباع لا اشتباه الحق عليهم **﴿ويذرون﴾** يتركون **﴿وراءهم﴾** أي: أمامهم لا يستعدون فهو حال من يوماً أو ينبذون وراء ظهورهم فهو ظرف ليذرون فورآء يستعمل في كل من أمام وخلف والظاهر في وجه الاستعماليين أن ورآء اسم للجهة المتوارية أي المستترة المختفية عنك واستتار جهة الخلف عنك ظاهر وما في جهة الإمام قد يكون متوارياً عنك غير مشاهد ومعاين لك فيشبه جهة الخلف في ذلك فيستعار له اسم الوراء. **﴿يوماً ثقيلاً﴾** لا يعبأون به ويوماً مفعول يذرون وثقيلاً صفته ووصفه بالثقل مع أنه من صفات الأعيان الجسمية لا الامتدادات الوهمية لتشبيه شدته وهوله

بثقل الحمل الثقيل ففيه استعارة تخييلية وفي الآية وعيد لأهل الدنيا ونعيمها خصوصاً لأهل الظلم والرشوة.

﴿نحن﴾ لا غيرنا **﴿خلقناهم﴾** من نطفة **﴿وشددنا أسرهم﴾** أي: أحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب ليتمكنوا بذلك من القيام والقعود والأخذ والدفع والحركة وحق الخالق المنعم أن يشكر ولا يكفر ففيه ترغيب والأسر الربط ومنه أسر الرجل إذا أوثق بالقيد وقدر المضاف وهو المفاصل.

وفي «كشف الأسرار» وآفرينش سان سخت بستيم تا آفرينش واندامان برجاي بود.

فمعناه شددنا خلقهم وقال الراغب: إشارة إلى الحكمة في تركيب الإنسان المأمور بتدبرها وتأملها في قوله ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] وقيل وشددنا مخرج البول والغائط إذا خرج الأذى انقبض أو معناه أنه لا يسترخي قبل الإرادة **﴿وإذا شئنا﴾** تبديلهم **﴿بدلنا أمثالهم﴾** أي: بدلناهم بأمثالهم بعد إهلاكهم والتبديل يتعدى إلى مفعولين غالباً كقوله تعالى: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ [الفرقان: ٧٠] يعني يذهب بها ويأتي بدلها بحسنات **﴿تبديلا﴾** بديعاً لا ريب فيه وهو البعث كما ينبىء عنه كلمة إذا فالمثلة في النشأة الأخرى إنما هي في شدة الأسر وباعتبار الأجزاء الأصلية ولا ينافيها الغيرية بحسب العوارض كاللطافة والكثافة وبالفارسية وچون خواستيم بدل كنيم ايشانرا بامثال ايشان در خلقت يعني ايشانرا بميرانيم ودر نشأت ثانيه بمانند همين صورت وهيأت وز آريم.

أو المعنى: وإذا شئنا بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ [التوبة: ٣٨] ففيه ترهيب فالمثلية باعتبار الصورة ولا ينافيها الغيرية باعتبار العمل والطاعة وإذا للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية وإلا فالمناسب كلمة أن إذ لا تحقق لهذا التبديل. قال القاشاني: نحن خلقناهم بتعيين استعداداتهم وقويناهم بالميثاق الأزلي والاتصال الحقيقي وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً بأن نسلب أفعالهم بأفعالنا ونمحو صفاتهم بصفاتنا ونفني ذواتهم بذاتنا فيكونوا أبدالاً.

﴿إن هذه تذكرة﴾ إشارة إلى السورة أو الآيات القريبة أي عظة مذكرة لما لا بد منه في تحصيل السعادة الأبدية جعلت عين التذكرة مبالغة وفي «عين المعاني»: تذكرة أي اذكار بما غفلت عنه عقولهم.

وقال الكاشفي: يا معالمهء أهل بيت در بذل وإيثار عبر تيست مؤمناً نراتا بمثل آن عمل كنند واز مثل اين جزاها بهره يابند. **﴿فمن﴾** پس هركه **﴿شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾** أي فمن شاء أن يتخذ إليه تعالى سبيلاً أي وسيلة توصله إلى ثوابه اتخذه أي تقرب إليه بالعمل بما في تضاعيفها وقال ابن الشيخ فمن شاء النجاة من ثقل ذلك اليوم وشدته اختار سبيلاً مقرباً إلى مرضاة ربه وهو الطاعة.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾

﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ تحقيق للحق والبيان أن مجرد مشيئتهم غير كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية وإن مع الفعل في حكم المصدر الصريح في قيامه مقام الظرف والمعنى وما تشاؤون اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله في وقت من

الأوقات إلا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم إذ لا دخل لمشيئة العبد إلا في الكسب وإنما التأثير والخلق لمشيئة الله تعالى غاية ما في الباب أن المشيئة ليست من الأفعال الاختيارية للعبد بل هي متوقفة على أن يشاء الله إياها وذلك لا ينافي كون الفعل الذي تعلقت به مشيئة العبد اختيارياً له واقعاً بمشيئته وإن لم تكن مشيئته مستقلة فيه وهو الجبر المتوسط الذي يقول به أهل السنة ويقولون الأمر بين الأمرين أي بين القدر والجبر قال في «عين المعاني» قوله تعالى: ﴿فمن شاء﴾.. الخ حجة تكليف العبودية وقوله تعالى: ﴿وما تشاؤون﴾.. الخ إظهار قهر الألوهية ﴿إن الله كان عليماً حكيماً﴾ بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على أساس العلم والحكمة والمعنى أنه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيفعل ما يستأهله كل أحد فلا يشاء لهم إلا ما يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته. قال القاشاني: وما تشاؤون إلا بمشيئتي بأن أريد فتريدون فتكون إرادتكم مسبوقة بإرادتي بل عين إرادتي الظاهرة في مظاهرهم إن الله كان عليماً بما أودع فيهم من العلوم حكيماً بكيفيته إيداعها وإبرازها فيهم بإظهار كمالهم ﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾ بيان لإحكام مشيئته المرتبة على علمه وحكمته أي يدخل في رحمته من يشاء أن يدخله فيها وهو الذي يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل إليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدي إلى دخول الجنة من الإيمان والطاعة ﴿والظالمين﴾ وهم الذين صرفوا مشيئتهم إلى خلاف ما ذكر ﴿أعد لهم عذاباً أليماً﴾ أي متناهياً في الإيلام قال الزجاج: نصب الظالمين لأن ما قبله منصوب أي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين ويكون أعد لهم تفسيراً لهذا المضمر وفي الآية إشارة إلى إدخال الله بعض عباده في رحمة معرفته وأما بعض عباده وهم الظالمون الواضعون الضلالة في مقام الهداية والجهالة في مقام المعرفة فإن الله أعد لهم عذاب الحجاب المؤلم للروح والجسم وأيضاً عذاباً بالوقوف على الرب لوقوفهم مع الغير ثم على النار لوقوفهم مع الآثار وختم الله السورة بالعذاب المعد يوم البعث والحشر ففيه حسن الخاتمة لموافقته الفاتحة على ما لا يخفى على أهل النفل والفهم.

تمت سورة الإنسان بعون ذي الإحسان يوم الثلاثاء الرابع من شهر الله المحرم من شهور سنة سبع عشرة ومائة ألف

٧٧ ـ سورة المرسلات

خمسون آية مكية استثني منها ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟﴾ الآية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾﴾.

﴿والمرسلات عرفاً فالعاصفت عصفاً والناشرات نشراً فالفارقات فرقاً فالملقيات ذكراً﴾، الواو للقسم والمرسلات بمعنى الطوائف المرسلات جمع مرسلة بمعنى طائفة مرسلة باعتبار أن ملائكة كل يوم أو كل عام أو كل حادثة طائفة وعرفاً بمعنى متتابعة من عرف الفرس وهو الشعرات المتتابعة فوق عنقه فهو من باب التشبيه البليغ بأن شبهت الملائكة المرسلون في تتابعهم بشعر عرف الفرس وانتصابه على الحالية أي جاريات بعضها أثر بعض كعرف الفرس أو العرف بمعنى المعروف والإحسان نقيض النكر بمعنى المنكر، أي الشيء القبيح فإنهم إن أرسلوا للرحمة فظاهر وإن أرسلوا لعذاب الكفار فذلك معروف للأنبياء والمؤمنين يعني أن عذاب الأعداء إحسان للأولياء فانتصابه على العلية وعصفت الريح اشتدت وعصفاً مصدر مؤكد وكذا نشراً وفرقاً والفاء للدلالة على اتصال سرعة جريهن في نزولهن وهبوطهن بالإرسال من غير مهلة وهي لعطف الصفة على الصفة إذ الموصوف متحد والنشر بمعنى البسط والعدول إلى الواو في الناشرات لأنها غير المرسلات فالقسم الأول وصفهم الله بوصفين يتعقب أحدهما على الآخر والقسم الثاني وصفهم بثلاثة أصواف كذلك والفرق الفصل والإلقاء هنا بمعنى الإيصال والإنزال لا الطرح وذكراً بمعنى الوحي مفعول الملقيات وترتيب الإلقاء على ما قبله بالفاء ينبغي أن يكون لتأويله بإرادة النشر والفرق وسيأتي تمامه أقسم الله بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره بنحو التدبير وإيصال الأرزاق بالتصرف في الأمطار والرياح وكتابة أعمال العباد بالليل والنهار وقبض الأرواح فعصفهن في مضيهن يعني سخت رفتند.

عصف الرياح مسارعة في الامتثال بالأمر وبطوائف أخرى نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي أو نشرن الشرائع في الأقطار أي فرقن وأشعن أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل أي أحيين بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكراً إلى الأنبياء ﴿عذراً﴾ لأهل الحق أي معذرة لهم في الدنيا والآخرة لاتباعهم الحق. ﴿أو نذراً﴾ لأهل الباطل لعدم اتباعهم الحق وعذراً مصدر من عذر إذا محا الإساءة ونذراً اسم مصدر من أنذر إذا خوف لا مصدر لأنه لم يسمع فعل مصدراً من أفعل وانتصابهما على البدلية من ذكراً قال ابن الشيخ: إن كان الذكر المبدل منه بمعنى جميع الوحي يكون عذراً أو نذراً بدل البعض من الكل فإن ما

يتعلق بمغفرة المطيعين وتخويف المعاندين بعض من جملة الوحي وإن أريد بالذكر المبدل منه ما يتعلق بسعادة المؤمن وشقاوة الكافر خاصة يكون بدل الكل من الكل فإن إلقاء ما يتعلق بسعادة المؤمن متحد بالذات مع إلقاء عذره نحو إساءته وكذا إلقاء ما يتعلق بشقاوة الكافر متحد مع إلقاء إنذاره على كفره انتهى. أو انتصابهما على العلية لصفات المذكورة أو للأخيرة وحدها وهو الأولى بمعنى فاللاتي ألقين ذكراً لمحو ذنوب المعتذرين إلى الله بالتوبة والاستغفار ولتخويف المبطلين المصرين وفي «كشف الأسرار» لأجل الإعذار من الله إلى خلقه لئلا يكون لأحد حجة فيقول لم يأتني رسول ولأجل إنذارهم من عذاب الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿عذراً أو نذراً﴾ قال: يقول الله يا ابن آدم إنما أمرضكم لأذكركم وأمحص به ذنوبكم وأكفر به خطاياكم وربكم أعلم أن ذلك المرض يشتد عليكم وأنا في ذلك معتذر إليكم قال بعضهم: المعنى «ورب المرسلات». . الخ. وفي «الإرشاد»: لعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق على الإلقاء أي مع أن الظاهر أن الفرق بين الحق الباطل يكون مع النشر لا بعده وأن إلقاء الذكر إلى الأنبياء متقدم على نشر الشرائع في الأرض وإحياء النفوس الموتى والفرق بين الحق والباطل فلا يظهر التعقيب بينهما للإيذان بكونها غاية للإلقاء حقيقة بالاعتناء بها أو للإشعار بأن كلاً من الأوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والإجلال بالإقسام بهن ولو جيء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم أن مجموع الإلقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق هذا وقد قيل في هذا المقام غير ذلك لكن الحمل على الملائكة أوجه وأسد لما ذكرنا في المدثر أن المحققين على أنه من الملائكة المرسلات والناشرات والملقيات وغير ذلك.

«قال في كشف الأسرار»: در روز كار خلافت عمر رضي الله عنه مردى نامداز أهل عراق نام أو صبيع وازعمر ذاريات ومرسلات پرسيد صبيغ عادت داشت كه پيوسته ازين معضلات آيات پرسيدى يعني تاكه مردم در وفرومانند عمر اورا دره زد وكفت لو وجدتك محلوقاً لضربت الذي فيه عيناك يعني اكر من تراسر سترده يا فتم من ترا كردن زدم عمر رضي الله عنه اين سخن را ازبهر آن كفت كه از رسول خدا عليه السلام، شنيده بود در صفت خوارج كه سيماهم التحليق كفت در امت من قومي خوارج پيدا آيند نشان ايشان آنست كه ميان سر سترده دارند پس عمر نامه نبشت باموسى الأشعري وكان أميراً على العراق كه يكسال اين صبيغ را مهجور داريد بوي منشينيد وسخن مكوييد پس از يكسال صبيغ توبه كرد وعذر خواست وعمر رضي الله عنه توبه وعذروي قبول كرد شافعي رحمه الله كفت حكمي في أهل الكلام كحكم عمر في صبيغ قال في «القاموس» صبيغ كأمير ابن عسيل كان يعنت الناس بالغوامض والسؤالات ففاه عمر إلى البصرة انتهى.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤﴾.

﴿إنما توعدون لواقع﴾ جواب للقسم أي إن الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة فإنما هذه ليست هي الحصرية بل ما فيها موصولة وإن كتبت متصلة في خط المصحف والموعود هو مجيء القيامة لأن المذكور عقيب هذه الآية علامات يوم القيامة وقال الكلبي: المراد أن كل ما توعدون به من الخير والشر لواقع نظراً إلى عموم لفظ الموصول.

وفي «التأويلات النجمية»: إنما توعدون من يوم قيامة الفناء الكلي في الله لواقع حاصل بالنسبة إلى أهل المعرفة والشهود وأرباب الذوق والوجود وأما بالنسبة إلى أهل الحجاب والاحتجاب فسيقع إن كانوا مستعدين لرفع الحجاب وكشف النقاب وإلى هذا الوقوع المحقق أشار بقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] أي في الحال وبقول: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن: ٢٦] أي فإن في عين البقاء إذ المقيد مستهلك في إطلاق المطلق استهلاك نور الكواكب في نور الشمس واستهلاك اعتبارات النصفية والثلثية والربعية في الاثنين والثلاثة والأربعة ثم أخبر عن ظهور آثار يوم القيامة وحصول دلائلها لأهل الشقاوة بقوله:

﴿**فإذا النجوم طمست**﴾ محيت ومحقت ذواتها فإن الطمس محو الأثر الدال على الشيء وهو الموافق لقوله ﴿**وإذا الكواكب انتثرت**﴾ أو ذهب بنورها والأول أولى لأنه لا حاجة فيه إلى الإضمار والنجوم مرتفعة بفعل يفسره ما بعده أو بالابتداء وطمست خبره والأول أولى لأن إذا فيها معنى الشرط والشرط بالفعل أولى ومحل الجملة على الإعرابين الجر بإذا وجواب إذا محذوف والتقدير فإذا طمست النجوم وقع ما توعدون أو بعثتم أو جوزيتم على أعمالكم وحذف لدلالة قوله ﴿**إنما توعدون**﴾ لواقع عليه وفيه إشارة إلى محق نجوم الحواس العشر الظاهرة والباطنة عن إدراك الحقائق عند طلوع الشمس الحقيقة.

﴿**وإذا السماء فرجت**﴾ صدعت من خوف الرحمن وشققت ووقعت فيها الفروج التي نفاها بقوله ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦] وفتحت فكانت أبواباً بالفرج الشق وكل مشقوق فرج وبالفارسية وآنكاه كه آسمان شكافته كردد.

وفيه إشارة إلى صدع سماء الأرواح وشقها عند سطوات التجليات الجلالية.

﴿**وإذا الجبال نسفت**﴾ جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف وهو ما ينفض به الحب ويذري ونحوه وبست الجبال بساً فالنسف والبس بالفارسية پراكنده كردن وداميدن.

وفيه إشارة إلى تلاشي جبال الخيالات والأوهام الفاسدة الكاسدة عند بوادي المشاهدات وهوادي المعاينات.

﴿**وإذا الرسل أقتت**﴾ أي: عين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم وذلك عند مجيئه وحضوره إذ لا يتعين لهم قبل حصوله فإن علم ذلك إلى الله تعالى يعني أن تبيين وقت حضورهم لهم من جملة علامات القيامة من حيث أن ذلك التعيين والتبيين لم يكن حاصلاً في الدنيا لعدم حصول الوقت فيقال لهم عند حصوله احضروا للشهادة فقد جاء وقتها أو المعنى وإذا الرسل بلغوا الميقات الذي كانوا ينتظرونه وهو يوم القيامة فإن التوقيت كما يجيء بمعنى تحديد الشيء وتعيين وقته، فكذا يجيء بمعنى جعل الشيء منتهياً إلى وقته المحدود وعلى المعنى الأول لا يقع على الذوات بدون إضمار فإن الموقت هو الأحداث لا الجثث فلا يقل زيد موقت إلا أن يراد موقت حضوره وكذا توقيت الرسل إنما هو بالنسبة إلى حضورهم لا بالنسبة إلى ذواتهم لأن الذوات قارة لا يعتبر فها تعيين بخلاف الزمانيات المتجددة هكذا قالوا. وقال سعدي المفتي: وفي وقوعه على المعنى الثاني على الجثث بدون إضمار بحث ظاهر وإن ذهب إليه صاحب «الكشف» ونحوه وقرأ أبو عمرو وقتت على الأصل لأن من الوقت والباقون أبدلوا الواو همزة لأن الضمة من جنس الواو فالجمع بينهما يجري مجرى الجمع بين المثلين فيكون ثقيلاً ولهذا السبب تستثقل الكسرة على الياء ولم تبدل في نحو ﴿وَلَا

﴿تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] لأن ضمة الواو ليست بلازمة فيه، وفي ««كشف الأسرار»» الألف والواو لغتان والعرب تبدل الألف من الواو تقول وسادة وإسادة وكتاب مورخ ومؤرخ وقوس موتر ومؤتر وفي الآية إشارة إلى رسل القلب والسر وتعيين وقت شهادتهم على أمة الأعضاء والجوارح.

﴿لأي يوم أجلت﴾ مقدر بقول هو جواب لإذا في قوله ﴿وإذا الرسل أقتت﴾ أي يقال لأي يوم أخرت الأمور المتعلقة بالرسل أي بجمعهم وإحضارهم كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ [المائدة: ١٠٩] والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من هوله. قال القاشاني: وإذا الرسل أي ملائكة الثواب والعقاب عينت وبلغت ميقاتها الذي عين لها إما لإيصال البشرى والروح والراحة وإما لإيصال العذاب والكرب والذلة ليوم عظيم أخرت عن معاجلة الثواب والعقاب في وقت الأعمال ورسل البشر وهم الأنبياء عينت وبلغت ميقاتها الذي عين لهم فيه الفرق بين المطيع والعاصي والسعيد والشقي فإن الرسل يعرفون كلاً بسيماهم.

﴿ليوم الفصل﴾ بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذي يفصل في بين الخلائق ويقضي بالحقوق ويحكم بين المحسن والمسيء ويميز بين أرباب شهود الوحدة الذاتية وبين أصحاب شهود الكثرة الاسمائية والصفاتية وقال بعضهم: يفصل فيه بين الحبيب وحبيبه إلا من كان معاملته لله في الله وبين الرسل وأمه وأبيه وأخيه إلا أن يكونوا متفقين على الحق والعدل.

﴿وما أدراك ما يوم الفصل﴾ ما مبتدأ أدراك خبره أي، أي شيء جعلك دارياً وعالماً ما هو وما كنهه إذ لم تر مثله وكذا لم ير أحد قبلك شدته حتى تسمع منه.

قال الكاشفي: وچه چيزداناكرد تراكه چيست روز فصل چه كنه اورانتوان دانست.

فوضع موضع الضمير ليوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على أن ما خبر ويوم الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لأن محط الفائدة بيان كون يوم الفصل أمراً بديعاً هائلاً لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية ما لا بيان كون أمر بديع من الأمور يوم الفصل كما يفيده عكسه.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿ويل﴾ وأي ﴿يومئذٍ﴾ أي في ذلك اليوم الهائل. ﴿للمكذبين﴾ بيوم يفصل فيه الرحمن بين الخلائق أي الويل والهلاك ثابت فيه لهم والويل في الأصل مصدر منصوب ساد مسد فعل لا من لفظه فأصله أهلكه الله إهلاكاً أو هلك هو هلاكاً عدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه المدعو عليه ويومئذٍ ظرفه أو صفته ووضع الويل موضع الإهلاك أو الهلاك فجاز وقوعه مبتدأ مع كونه نكرة فإنه لما كان مصدراً ساداً مسد فعله المتخصص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة متخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتداء بها لذلك كما قالوا في سلام عليك وقال بعضهم: الويل واد في جهنم لو أرسلت فيه الجبال لماعت من حره أي ذابت وقال الجنيد قدس سره: الويل يومئذٍ لمن كان يدعي في الدنيا الدعاوى الباطلة.

﴿ألم نهلك الأولين﴾ كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن هلكوا قبل بعثة سيد المرسلين عليه السلام وذلك لتكذيبهم بيوم الفصل وهو استئناف إنكار لعدم الإهلاك إثباتاً وتقريراً له لأن

نفي النفي يثبت الإثبات ويحقق الإهلاك فكأنه قيل لم يكن عدم الإهلاك بل قد أهلكناهم.

﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾ وهم الذين كانوا بعد بعثته عليه السلام وهو بالرفع على ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظرائهم السالكين لمسلكهم في الكفر والتكذيب أي نجعلهم تابعين للأولين في الإهلاك فليس الكلام معطوفاً على ما قبله لأن العطف يوجب أن يكون المعنى أهلكنا الأولين ثم أتبعناهم الآخرين في الإهلاك وليس كذلك لأن إهلاك الآخرين لم يقع بعد فلذلك رفع نتبع على أن يكون مقطوعاً عما قبله ويستأنف به الكلام على وجه الإخبار عما سيقع في المستقبل بإضمار المبتدأ وفيه وعيد لكفار مكة.

﴿كذلك﴾ أي فعلاً مثل ذلك الفعل الذي أخبر به فمحل الكاف النصب على أنه نعت لمصدر محذوف ﴿نفعل بالمجرمين﴾ بكل من أجرم أي سنتنا جارية على ذلك وفيه تحذير من عاقبة الجرم وسوء أثره.

﴿ويل﴾ مكروهي بزرك ﴿يومئذٍ﴾ يوم إذ أهلكناهم ﴿للمكذبين﴾ بآيات الله وأنبيائه وليس فيه تكرير لما أن الويل الأول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا وفي «برهان القرآن» كررها في هذه السورة عشر مرات لأن كل واحدة منها ذكرت عقيب آية غير الأولى فلا يكون تكراراً مستهجناً ولو لم يكرر كان متوعداً على بعض دون بعض وقيل إن من عادة العرب التكرار و«الإطناب» كما إن عادتهم الاقتصار والإيجاز ولأن بسط الكلام في الترغيب والترهيب دعا إلى إدراك البغية من الإيجاز وقد يجد كل أحد في نفسه من تأثير التكرار ما لا خفاء به.

﴿ألم نخلقكم﴾ أي ألم نحدثكم واتفق القراء على إدغام القاف في الكاف في هذا الحرف وذكر النقاش أنه في قراءة ابن كثير ونافع برواية قالون وعاصم في رواية حفص بالإظهار قاله في «الإيضاح». ﴿من ماء مهين﴾ بهوان الحدوث والإمكان والابتذال أي من نطفة قذرة مهينة يعني خوار وبي مقدار.

والميم أصلية ومهانته قلته وخسته وكل شيء ابتذلته فلم تصنه فقد امتهنته أي خلقناكم منه ولذا عطف عليه قوله.

﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾.

﴿فجعلناه﴾ أي الماء وبالفارسية پس نكاه داشتيم آن آب را ﴿في قرار مكين﴾ وهو الرحم بكسر الحاء المهملة أي وعاء الولد في بطن الأم يعني در قرار كاه استواركه رحم است.

فالقرار موضع الاستقرار والمكين الحصين أي جعلنا ذلك الماء في مقر حصين يتمكن فيه الماء محفوظاً سالماً من التعرض له فمكين من المكانة بمعنى التمكن لا منها بمعنى المنزلة والمرتبة من الكون يقال رجل مكين في مكة أي متمكن فيها ومكين عند الأمير أي ذو منزلة ومرتبة عنده فيكون فعيلاً لا مفيلاً.

﴿إلى قدر معلوم﴾ أي: مقدار معلوم من الوقت الذي قدره الله للولادة تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر وهو في موضع الحال من الضمير المنصوب في فجعلناه أي مؤخراً إلى مقدار معلوم من الزمان.

﴿فقدرنا﴾ أي فقدرناه والمراد تقدير خلقه وجوارحه وأعضائه وألوانه ومدة حمله وحياته

ويدل على كون قدر المخفف لغة بمعنى قدر المشدد قراءة نافع والكسائي بالتشديد ﴿فنعم القادرون﴾ أي نحن بمعنى المقدرون وإلى هذا المعنى ذهب ابن مسعود رضي الله عنه ويجوز أن يكون فقدرنا من القدرة بمعنى فقدرنا على ذلك أي على خلقه وتصويره كيف شئنا وأردنا من مثل تلك المادة الحقيرة على أن المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل ويعضده قوله ﴿فنعم القادرون﴾ حيث خلقناه بقدرتنا وجعلناه على أحسن الصور والهيئات. ﴿ويل﴾ بزركتربلاي ﴿يومئذٍ للمكذبين﴾ أي بقدرتنا على ذلك أو على الإعادة قال أبو الليث: أي الشدة من العذاب لمن يرى الخلق الأول فأنكر الخلق الثاني.

﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً﴾ عرفهم أولاً نعمه الأنفسية لأنها كالأصل ثم أتبعها النعم الآفاقية والكفت باهم آوردن.

والكفات اسم ما يكفت أي يضم ويجمع من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه كالضمام لما يضم والجماع لم يجمع نحو التقوى جماع كل خير والخمر جماع كل إثم وكفاتاً مفعول ثان لنجعل لأنه بمعنى ألم نصيرها كفتاً تكفت وتضم ﴿أحياء﴾ كثيرة على ظهرها فهو منصوب بفعل مضمر يدل عليه كفاتاً وهو تكفت وإلا فالأسماء الجامدة وكذا أسماء الزمان والمكان والآلة وإن كانت مشتقة لا تعمل وفي اسم المصدر خلاف وأما المصدر وجمع اسم الفاعل فهما من الأسماء العاملة فمن جعل الكفات مصدراً أو جمع اسم الفاعل وهو كافت كصيام جمع صائم جعله عاملاً ومن جعله اسماً لمن يكفت أو جمعاً للكفت بمعنى الوعاء منعه من العمل غير الزمخشري فإنه جعل كفاتاً وهو اسم عاملاً وقد طعن فيه ﴿وأمواتاً﴾ غير محصورة في بطنها ولهذا كانوا يسمون الأرض أمّاً تشبيهاً لها بالأم في ضمها للناس إلى نفسها أحياء وأمواتاً كالأم التي تضم أولادها إليها وتضبطهم ولما كانوا ينضمون إليها جعلت كأنه تضمهم وأيضاً كما أن الأرض كفات الأحياء بمعنى أنهم يسكنون فيها كذلك إنها كفات لهم بمعنى أنها تكفت ما ينفصل من الأحياء من الأمور المستقذرة وتنكيرهما في معنى التعريف الاستغراقي لا الإفراد والنوعية ويجوز أن يقال الأرض وإن كانت كفاتاً لجميع أحياء الإنس وأمواتهم لكن الأحياء والأموات غير منحصرة فيها لأن بعض الحيوان يكفته الهواء والبعض الآخر يكفته الماء فلا تكون كفاتاً للجميع بل للبعض فيصح التنكير، ونقل عن القفال أنه قال: دلت الآية على وجوب قطع يد النباش من حيث أنه تعالى جعل الأرض كفات الميت فتكون حرزاً والسارق من الحرز يجب عليه القطع.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَـٰمِخَـٰتٍ وَأَسْقَيْنَـٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَـٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿وجعلنا فيها رواسي﴾ أي: جبالاً ثوابت يعلى وبيافريديم درزمين كوههاي استوار وپاي برجا.

فمفعول جعلنا مقدر ورواسي صفة له من رسا الشيء يرسو أي ثبت والجبال ثوابت على ظهر الأرض لا تزول. ﴿شامخات﴾ صفة بعد صفة والشامخ العالي المرتفع أي طوالاً شواهق يعني بلد وسر فراز ومنه شمخ بأنفه عبارة عن الكبر وفي «عين المعاني» رواسي أي: ثوابت

الأصول رواسخ العروق شامخات أي مرتفعات الفروع ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كأشهر معلومات ونحوه والتنكير للتفخيم أو للإشعار بأن ما يرى على ظهر الأرض من الجبال بعض منها وأن في عداد الجبال ما لم يعرف ولم ير فإن السماء فيها جبال أيضاً بدلالة قوله تعالى: ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور: ٤٣] ﴿**وأسقيناكم**﴾ وبياشامانيديم شمارا ﴿**ماء فراتاً**﴾ أي: عذباً جداً بأن خلقنا فيها أنهاراً ومنابع أي جعلناه سقياً لكم ومكناكم من شربه وكذا من سقيه دوابكم ومزارعكم وسمي نهر الكوفة فراتًا للذته، وقال أبو الليث ماء عذباً من السماء ومن الأرض يقال الفرات للواحد والجمع وتاؤه أصل والتنكير للتفخيم أو لإفادة التبعيض لأن في السماء ماء فراتاً أيضاً بل هي معدنه ومصبه.

﴿**ويل**﴾ واد في جهنم ﴿**يومئذٍ**﴾ دران روز خطرناك ﴿**للمكذبين**﴾ بأمثال هذه النعم العظيمة. ﴿**انطلقوا**﴾ أي: يقال يومئذٍ للمكذبين بطريق التوبيخ والتقريع انطلقوا واذهبوا والقائلون خزنة النار وزبانية جهنم ﴿**إلى ما كنتم به تكذبون**﴾ في الدنيا من العذاب وبه متعلق بتكذبون قدم لرعاية نظم الآية.

﴿**انطلقوا**﴾ خصوصاً ﴿**إلى ظل**﴾ أي: أي ظل دخان نار جهنم كقوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝٤٣﴾ [الواقعة: ٤٣] أي: دخان غليظ أسود ﴿**ذي ثلاث شعب**﴾ جمع شعبة يعني خداوندسه شاخ يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب فقوله ذي ثلاث شعب كناية عن كون ذلك الدخان عظيماً بناء على أن التشعب من لوازمه وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كسرادق وهو ما يمد فوق صحن البيت ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش قال القاضي أخذاً من «التفسير الكبير» خصوصية الثلاث إما لأن حجاب النفس عن أنوار القدس الحس والخيال والوهم أو لأن المؤدي إلى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة في الدماغ المشوشة للنفس عن إدراك الحقائق والقوة الغضبية السبعية التي عن يمين القلب الدافعة للنفس عن القيام على حق الاعتدال والقوة الشهوية البهيمية التي عن يساره المانعة للنفس عن الاتصاف بالأوصاف الإلهية ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره فجميع ما يصدر عن الإنسان من العقائد الفاسدة والأعمال الباطلة لا ينشأ إلا من هذه القوى الثلاث الواهمة والغضبية والشهوية فهذه الثلاث لما كانت منبع جميع الآفات الصادرة عن الإنسان تشعبت شعب العذاب على حسبها.

دپس هركه خواهدكه فردا ازين دخان كه ظل من يحموم اشارت بدانست ايمن كرد امروز بنور عقل متمسك شده ازتيركى صفت شيطاني وسبعي وبهيمي بايد كذشت.

زتاريكئ خشم وشهوت حذركن ... كه ازدود آن چشم دل تيره فردد
غضب چون در آمد رود عقل بيرون ... هوى چون شود چيره جان خيره كردد

ويحتمل أن تكون الخصوصية لتضييعهم القوى الثلاث التي هي السمع والبصر والفؤاد كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩] فشكرها ودعايتها مبدأ السعادات وعدم محافظتها وإتلافها منشأ الشقاوات.

يقول الفقير: عندي وجه آخر وهو أن الإيمان عبارة عن التصديق والإقرار والعمل فجعلت كل شعبة من الثلاث بمقابلة واحدة من هذه الأركان دل على هذه قوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٩﴾ [المرسلات: ٢٩] فأورد التكذيب الذي هو صفة القلب فإن القلب

لكونه مدار الأعضاء والقوى إذا فسد فسد اللسان وسائر الأركان فالتكذيب ظلمة باطنة للقلب ضوعفت بظلمة ترك الإقرار والعمل فلما تضاعفت الظلمات الباطنة في الدنيا تضاعفت الظلمات الظاهرة في الآخرة لأن لكل عمل وصفة صورة شخصية جسدانية يوم القيامة.

﴿لا ظليل﴾ أخذ من الظل للتأكيد كنوم نائم أي لا يظل من الحر وتوصيف الظل بأنه لا يظل من حر ذلك اليوم وهو حر النار للدلالة على أن تسمية ما يغشاهم من العذاب بالظل استهزاء بهم، فإن شأن الظل أن يدفع عمن يستظل به مقاساة شدة الحر وأنه ينفعه ببرده ونسيمه والذي أمروا بالانطلاق إليه يضاعف عليهم ما هم فيه من الحر والعذاب فضلاً عن أن يستريحوا ببرده أورد لما أوهمه لفظ الظل من الاسترواح كما مر في الواقعة. **﴿ولا يغني من اللهب﴾** أي: غير مغن لهم من حر اللهب كما يغني ظل الدنيا من الحر فقوله **﴿لا ظليل﴾** في موضع الجر على أنه صفة لظل ولفظ غير مانع للصفتية أي ظل غير ظليل وغير مغن ومفعول يغني محذوف هو شيئاً ومن لبيانه ويغني من أغنى عني وجهه أي أبعده لأن الغنى عن الشيء يباعده كما أن المحتاج إليه يقربه فصح أن يعبر بإغناء شيء عن شي عن إبعاده عنه فكان المعنى إن هذا الظل لا يظلكم من حر الشمس ولا يدفع عنكم لهب النار واللهب ما يعلو على النار إذا اضطرمت من أحمر وأصفر وأخضر.

وفي «التأويلات النجمية»: ظل الروح وظل القلب ظل ظليل ممدود نفعه وأثره وروحه لا ظل النفس والهوى. وقال بعضهم: ظل شجرة النفس الخبيثة المنقطعة عن نور الوحدة بظلمة ذاتها ليس بظليل كظل شجرة طوبى فلا يفيد الروح والراحة بخلاف ظل شجرة النفس الطيبة المنورة بنور الوحدة الغير المنشعبة إلى الشعب المختلفة المتضادة كالشيطانية والسبعية والبهيمية.

﴿إنها﴾ أي: الشعب لأنها هي المذكورة لا النار **﴿ترمي بشرر﴾** مى افكنددر آنروز شرار هاراكه هر شراره **﴿كالقصر﴾** ما نندكوشكى عظيم.

أي: كل شررة كقصر من القصور في عظمها كما دل على هذا التفسير قوله **﴿كأنه جمالة صفر﴾** فالشرر جمع شررة وهي ما تطاير من النار في الجهات متفرقاً كالنجوم، كما قال في «القاموس»: الشرار والشرر ككتاب وجبل ما يتطاير من النار واحدتهما بهاء انتهى. وكالقصر في موضع الصفة للشرر والقصر مفرد وهو البناء العالي ووصفه به الجمع باعتبار كل واحد من آحاده والقصر أيضاً الحطب الجزل ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: هي الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد إلى الخشب فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه ندخرها للشتاء فكنا نسميها القصر أي لكونها مقصورة مقطوعة من الممدودة الطويلة تأمل في أن ناراً دخانها وشررها هكذا فما بالك بحال أهلها.

﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿كأنه﴾ أي الشرر وفي «فتح الرحمن» كأنه أي: النار ثم رد الضمير إلى لفظ النار دون معناها فقال كأنه **﴿جمالة صفر﴾** جمع جمل كحجارة في جمع حجر والتاء لتأنيث الجمع أو اسم جمع كالحجارة والجمل ذكر الإبل والناقة أنثاه وإذا لم يكن في جماعة الإبل أنثى يقال

جمالة بالكسر والصفر جمع أصفر والصفرة لون من الألوان التي بين السواد والبياض وهي إلى البياض أقرب ولذلك قد يعبر بها عن السواد، والمعنى كأن كل شررة جمل أصفر أو كجمل أسود لأن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة كما قيل لبعض الظباء آدم لأن بياضها تعلوه كدرة ولأن صفر الإبل يشوب رؤوس أشعارها سواد، وفي الحديث: «شرار جهنم أسود كالقير» فالأول: وهو التشبيه بالقصر تشبيه في العظم، والثاني: وهو التشبيه بالجمل في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وفي «المفردات». قوله تعالى: ﴿**كأنه جمالة صفر**﴾ قيل: جمع أصفر وقيل: بل أراد به الصفر المخرج من المعادن ومنه قيل للنحاس صفر.

وفي «التأويلات النجمية»: كل صفة من الأوصاف البهيمية والسبعية والشيطانية بحسب الغلظة والشدة كالقصور المرتفعة والبروج المشيدة أو كأنه جمالة صفر عظيمة الهيكل طويلة الأشر من شدة قوة النار في ذلك الشرر وهي القوة الغضبية.

﴿**ويل**﴾ مشقت بسيار ﴿**يومئذٍ للمكذبين**﴾ بأهوال يوم القيامة وأحوال العصاة فيه.

وقال الكاشفي: مرد روع زنانراست كه مشقت دوزخ وشرارهاى آنراباور ندارند.

﴿**هذا يوم لا ينطقون**﴾ إشارة إلى وقت دخولهم النار ويوم مرفوع على أنه خبر هذا أي هذا يوم لا ينطقون فيه بشيء لما أن السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك وأيضاً يوم القيامة يوم طويل له مواطن ومواقيت ينطقون في وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم أو لا ينطقون بشيء ينفعهم فإن ذلك كلا نطق. قال القاشاني: لا ينطقون لفقدان آلات النطق وعدم الأذن فيه بالختم على الأفواه، وقال بعضهم: لا ينطقون من شدة تحيرهم وقوة دهشتهم وقال أبو عثمان رحمه الله: أسكتهم هيبة الربوبية وحياء الذنوب كما قال الشيخ سعدي رحمه الله:

سر ار جيب غفلت بر آور كنون — كه فردا نماند بخجلت نكن

﴿**ولا يؤذن لهم**﴾ ودستورى ندهد مرايشانرا در اعتذار ﴿**فيعتذرون**﴾ عطف على يؤذن منتظم في سلك النفي أي لا يكون لهم إذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسبباً عن الإذن كما لو نصب والنصب يوهم أن لهم عذراً وقد منعوا من ذكره وهو خلاف الواقع إذ لو كان لهم عذر لم يمنعوا وأي عذر لمن أعرض عن منعمه وكفر بأياديه ونعمه.

﴿**ويل**﴾ كرب واندوه ﴿**يومئذٍ للمكذبين**﴾ بهذه الأخبار بما جاء من الحق الواقع ألبتة.

﴿**هذا**﴾ اليوم الذي شاهدتم أهوالهم وأحواله ﴿**يوم الفصل**﴾ بين الحق والباطل وقال البقلي: هذا يوم مفارقة النفس والشيطان عن جوار قلب العارف وانفصال كل شيء عن كل محب غير محبوبه حيث استغرق في جوده وشهوده ووجوده ﴿**جمعناكم**﴾ يا أمة محمد ﴿**والأولين**﴾ من الأمم وهذا تقرير وبيان للفصل إذ الفصل بين المحق والمبطل والرسل لا يتحقق إلا بجمع الكل فلا بد من إحضارهم لا سيما عند من لا يجوز القضاء على الغائب.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿**فإن كان لكم كيد**﴾ حيلة تدفعون بها عنكم العذاب والظاهر أن هذا الخطاب من الله للكفار. ﴿**فكيدون**﴾ أصله فكيدوني حذف ياء المتكلم اكتفاء بالكسرة والنون للوقاية وهو أمر من كاد يكيد كيداً وهو المكر والاحتيال والخديعة والمعنى واحتالوا لأنفسكم وتخلصوا من

عذابي إن قدرتم فإن جميع من كنتم تقلدونهم وتقتدون بهم حاضرون يعني حيله باخداى پيش نرود وبمكر ودستان عذاب ازخود دفع نتوانيد كرد.

بمكر وحيله عذاب خداي رد نشود نياز بايد واخلاص ونالۀ سحري
توان خريد بيك آه ملك هردوجهان ازان معامله غافل مشوكه حيف خوري

وهذا أمر إهانة وخطاب تعجيز تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا وتخجيل لهم بأنهم كانوا في الدنيا يدفعون الحقوق عن أنفسهم ويبطلون حقوق الناس بضروب الحيل والمكائد والتلبيسات فخاطبهم الله حين علموا أن الحيل منقطعة والتلبيسات غير ممكنة بقوله ﴿**فإن كان لكم كيد فكيدون**﴾ لما ذكر من التقريع والتخجيل ولإظهار عجزهم عن الكيد فإن مثل هذا الكلام لا يتكلم به إلا من تيقن بعجز مخاطبه عما هو بصدده وفي بعض التفاسير أي: فإن وجد كيد نافع لكم على أن لكم متعلق بكان أو نافعاً لكم على أنه حال من كيد.

﴿**ويل**﴾ غم وغصة ﴿**يومئذٍ**﴾ دران روز هولناك ﴿**للمكذبين**﴾ حيث ظهر أن لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب. ﴿**إن المتقين**﴾ من الكفر والتكذيب لأنهم في مقابلة المكذبين ففيه رد على المعتزلة ﴿**في ظلال**﴾ جمع ظل كشعاب وشعب أو ظلة كقباب وقبة أي: في ظلال ظليلة على الحقيقة كما يدل عليه الإطلاق يعني لا كظل المكذبين، وبالفارسية: درسايهاي درختان بهشت باشند.

قال بعضهم: الظاهر أنه إخبار عن كونهم تحت أشجار مثمرة لهم في جنانهم.

يقول الفقير: الأظهر أن كونهم في ظلال كناية عن راحتهم العظمى لأن الظل للراحة وكذا قوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧] ونحوه وإنما ذكر الله الظل تشويقاً للقلوب لأن من البلاد ما هي حارة قليلة المياه والأشجار والظلال ﴿**وعيون**﴾ عذبة دافعة عنهم العطش وبالفارسية ويركنار چشمهاى آب.

﴿**وفواكه**﴾ أي ألوان الفاكهة يعني ودرميان ميوها ﴿**مما يشتهون**﴾ ويتمنون يعني از آنچه آرزو كنند.

فيتناولونها لا عن جوع وامتلاء بل عن شهوة وتلذذ والحاصل أنهم مستقرون في فنون الترفه وأنواع التنعم خلاف ما عليه مخالفوهم.

﴿**كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون**﴾ مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين في الخبر، أي مقولاً لهم كلوا من نعم الجنة وثمراتها واشربوا من مائها وشرابها أكلاً وشرباً هنيئاً سائغاً رافهاً بلا داء ولا تخمة بسبب ما كنتم تعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة خصوصاً الصيام كما مضى في الحاقة، وهذا أمر إكرام إظهاراً للرضى عنهم والمحبة لهم تمسك القائلون بإيجاب العمل للثواب بالباء السببية والجواب أن السببية إنما هي بفضل الله ووعده الذي لا يخلف لا بالذات بحيث يمتنع عدمه أو يوجب النقص أو الظلم.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿**إنا كذلك**﴾ الجزاء العظيم ﴿**نجزي المحسنين**﴾ أي: في عقائدهم وأعمالهم لا جزاء

أدنى منه. ﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾ حيث نال أعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب المخلد الوبيل.

وقال الكاشفي: جهل وقبح وذم مراهل تكذيب راست كه بنعيم بهشت نمى كروند.

وفي «التأويلات النجمية»: إن المتقين بالله عما سواه أي المتقين بنور الوحدة عن ظلمة الكثرة وبنور المعرفة عن ظلمية النكرة في ظلال الأوصاف الإلهية والأخلاق الربانية وعيون من مياه العلوم والحكم وفواكه مما يشتهون من التجليات الروحانية والتنزلات النورانية، كلوا من أطعمة المواهب الهنية واشربوا من أشربة المشارب التوحيدية هنيئاً بما كنتم تعملون من الأعمال الصالحة والأفعال الحسنة إنا كذلك نجزي المحسنين المشاهدين لجمالنا المطلق ويل يومئذٍ للمكذبين بإحسان الجزاء وجزاء الإحسان.

﴿كلوا﴾ أي: مكذبان از نعيم فانىء دنيا ﴿وتمتعوا﴾ تمتعاً ﴿قليلاً﴾ أو زماناً قليلاً يعني عيشوا مدة قليلة إلى منتهى آجالكم لأن زمان الدنيا قليل كمتاعها وبالفارسية وبرخوردار شويد زماني اندك. ﴿إنكم مجرمون﴾ كافرون مستحقون للعذاب، وبالفارسية: بدرستى كه شما مشركانيد وعاقبت شمارا عذاب دائمست.

قوله: ﴿كلوا﴾ الخ مقدر بقول هو حال من المكذبين، قال في «الكواشي»: لا أحب الوقف على المكذبين إن نصبت كلوا حالاً منه والمعنى الويل ثابت لهم مقولاً لهم ذلك تذكيراً لهم بحالهم في الدنيا بما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع الفاني عن قريب على النعيم الخالد فلا يرد كيف يقال لم ذلك ولا تمتع لهم فيها يعني أن هذا القول لهم في الآخرة لا يكون لطلب الأكل والتمتع منهم بنعيم الدنيا حقيقة لعدم إمكانه، بل إنما يقال لهم للتذكير المذكور فيكون الأمر أمر توبيخ وتحسير وتحزين وعلل ذلك بإجرامهم دلالة على أن كل مجرم مآله هذا أي ليس له إلا الأكل والتمتع أياماً قلائل ثم البقاء في الهلاك الأبدي.

﴿ويل﴾ وأي ﴿يومئذٍ﴾ دران روز جزا ﴿للمكذبين﴾ حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالمتمتع القليل.

وفي «التأويلات النجمية»: إنكم مجرمون أي كاسبون الهيئات الردية والملكات الغير المرضية ويل يومئذٍ للمكذين بأن الأوصاف الحميدة أفضل من الأخلاق الذميمة.

﴿وإذا قيل لهم﴾ أي للمكذبين ﴿اركعوا﴾ أي: أطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة لأن الركوع والانحناء لأحد تواضع له وتعظيم والسجود أعظم منه في التواضع والتعظيم ومن ذلك قالوا إن السجود لغير الله كفر إن كان للعبادة وخطر عظيم إن كان للتعظيم وفي «حواشي» ابن الشيخ: الركوع في اللغة حقيقة في مطلق الانحناء الحسي وركوع الصلاة من جملة أفراده وتفسيره بالإطاعة والخضوع مجاز لغوي تشبيهاً له بالانحناء الحسي. ﴿لا يركعون﴾ لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل: إذا أمروا بالصلاة أو بالركوع لا يفعلون إذ روي أنه نزل حين أمر رسول الله عليه السلام، ثقيفاً بالصلاة فقالوا: إنا لا نخر ولا نجبي أي لا نقوم قيام الراكع فإنها سبة علينا أي أن هيئة التجبية هيئة تظهر وترفع فيها السبة، وهي الاست أي الدبر وهو عار وعيب علينا فقال عليه السلام: «لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود»، وفي بعض التفاسير كانوا في الجاهلية يسجدون للأصنام ولا يركعون لها فصار الركوع من أعلام صلاة

المسلمين لله تعالى وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة في الآخرة كما سبق مراراً.

قال الكاشفي: مراد آنست كه مسلمان نشوند چه ركن أعظم إسلام بعد از شهادتين نمازاست.

وفيه ذم عظيم لتارك الصلاة حيث لا يجيب داعي الله أي المؤذن فإنه يدعو في الأوقات الخمسة المؤمنين إلى بيت الله وإقامة الصلاة وقس عليه سائر الداعين.

وفي «التأويلات النجمية»: وإذا قيل لهم اركعوا أي افنوا عن اللذات الحيوانية وابقوا باللذات الروحانية إذ هي مناجاة الروح والسر مع الله ولا ألذ منها.

﴿**ويل يومئذٍ للمكذبين**﴾ نفرين آن روز بردروغ زنا نراست كه ركوع وسجود را تكذيب كنند وبشرف إسلام نمى رسند. ﴿**فبأي حديث**﴾ أي خبر يخبر بالحق وينطق بما كان وما يكون على الصدق ﴿**بعده**﴾ أي: بعد القرآن الناطق بأحاديث الدارين وأخبار النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة ﴿**يؤمنون**﴾ إذا لم يؤمنوا به أي القرآن الجامع لجميع الأحاديث فقوله ﴿**فبأي**﴾ الخ جواب شرط محذوف وكلمة بعد بمنزلة، ثم في إفادة التراخي الرتبي أي: فإذا لم يؤمنوا به وهو موصوف بما ذكر فبأي كتاب يؤمنون ختم السورة بالتعجيب من الكفار لأن الاستفهام للتعجيب وبين أنهم في أقصى درجات التمرد والعناد حيث لم ينقادوا لمثل هذا البرهان الباهر، والدليل القاطع على حقية الدين القويم من حيث كونه في أرفع درجات الفصاحة والبلاغة وفي أقصى طبقات الإعجاز.

در خبر آمده كه بعد ازخواندن اين آيت بايد كفت آمنا به استدل بعض المعتزلة على أن القرآن ليس بقديم بقوله تعالى: حديث إذ الحديث ضد القديم لأن الحدوث والقدم لا يجتمعان في شيء واحد ورد بأن الحديث هنا بمعنى الخبر لا بمعنى الحادث ولو سلم فالعبارة لا تدل على أن القرآن محدث لاحتمال أن يكون المراد فبأي حديث بعد القديم يؤمنون ولو سلم فإنما يدل على حدوث الألفاظ الدالة على المعاني ولا خلاف فيه وإنما الخلاف في قدم المعنى القائم بذاته تعالى روي أن المرسلات نزلت في غار قرب مسجد الخيف بمنى يسمى غار والمرسلات.

يقول الفقير قد زرته وقرأت فيه السورة المذكورة وفي الصخرة العالية من الغار داخله أثر رأس النبي عليه السلام يتبرك به الآن والحمد لله على إفضاله وكثرة نواله وزيارة حرمه وحرم مصطفاه مظهر نور جماله وكماله.

تمت سورة المرسلات بعون خالق البريات في عصر يوم عاشوراء المحرم
من سنة سبع عشرة ومائة وألف

٧٨ ـ سورة النبأ

أربعون أو إحدى وأربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣﴾.

﴿عم﴾ أصله عن ما أدغمت النون في الميم لاشتراكهما في الغنة، فصار عما ثم حذفت الألف كما في لم وبم وفيم وإلى م وعلى م، فإنها في الأصل لما وبما وفيما وإلى ما وعلى ما إما فرقاً بين الاستفهامية وغيرها أو قصداً للخفة لكثرة استعمالها، وقد جاءت في العشر غير محذوفة كما ذكره أبو البقاء، وما فيها من الإبهام للإيذان بفخامة شأن المسؤول عنه وهوله وخروجه عن حدود الأجناس المعهودة كأنه خفي جنسه فيسأل عنه فالاستفهام ليس على حقيقته بل لمجرد التفخيم فإن المسؤول عنه ليس بمجهول بالنسبة إلى الله تعالى إذ لا يخفى عليه خافية، والمعنى عن أي شيء عظيم. **﴿يتساءلون﴾** أي: أهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث والحشر الجسماني، ويتحدثون فيما بينهم ويخوضون فيه إنكاراً واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذي هو حال من أحواله ووصف من أوصافه فإن ما وإن وضعت لطلب حقائق الأشياء ومسميات أسمائها كما في قولك: ما الملك؟ وما الروح؟ لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد؟ فيقال عالم أو طبيب.

﴿عن النبأ العظيم﴾ النبأ الخبر الذي له شأن وخطر وهو جواب وبيان لشأن المسؤول عنه كأنه قيل عن أي شيء يتساءلون هل أخبركم به، ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم الخارج عن دائرة علوم الخلق يتساءلون على منهاج قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] والفائدة في أن يذكر السؤال ثم أن يذكر الجواب معه أن هذا الأسلوب أقرب إلى التفهيم والإيضاح فعن متعلقة، بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه أن يقدر بعدها مسارعة إلى البيان ومراعاة لترتيب السؤال فإن الجار فيه مقدم على متعلقه وقيل عن النبأ العظيم استفهام آخر بمعنى أعن النبأ العظيم أم عن غيره إلا أنه حذف منه حرف الاستفهام لدلالة المذكور عليه ونظيره قوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] أي: أفهم الخالدون.

﴿الذي هم فيه مختلفون﴾ وصف للنبأ بعد وصفه بالعظيم تأكيداً لخطره أثر تأكيد وإشعاراً بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماماً به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات، أي هم راسخون في الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ۝٣٧﴾ [المؤمنون: ٣٧] ومن مقر يزعم أن آلهته تشفع له كما قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ومن شاك يقول: ما ندري ما

الساعة إن نظن إلا ظناً ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢] وفيه إشارة إلى القيامة الكبرى وهي البقاء بعد الفناء أو بعث القلب بعد موت النفس فالروح وقواه تقربها والنفس وصفاتها تنكرها لأنها جاهلة فضلاً عن كونها ذائقة ومن لم يذق لم يعرف قال الكمال الخجندي:

زاهد نعجب كركند از عشق نوپرهيز   كين لذت اين باده چه اندكه نخوردست

فطوبى للذائقين ويا حسرة للمحرومين.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾

﴿**كلا سيعلمون**﴾ ردع كما يستفاد من كلا ووعيد كما يستفاد من سيعلمون أي: ليس أمر البعث مما ينكر أو يشك فيه بحيث يتساءل عنه سيعلمون أن ما يتساءلون عنه حق لا دافع له واقع لا ريب فيه مقطوع لا شك فيه ﴿**ثم كلا سيعلمون**﴾ تكرير للردع والوعيد للمبالغة في التأكيد والتشديد وثم للدلالة على أن الوعيد الثاني أبلغ وأشد يعني أن ثم موضوعة للتراخي الزماني وقد تستعمل مجازاً في التراخي الرتبي أي لتباعد ما بين المعطوفين في الشدة والفظاعة، وذلك لتشبيه التباعد الرتبي بالتراخي الزماني في الاشتمال على مطلق التباعد بين الأمرين، والمعنى المجازي، هو المراد هنا لأن المقام مقام التشديد والتهديد وذلك إنما يكون آكد بالحمل عليه وبعضهم حملها على معناها الحقيقي فقال سيعلمون حقيته عند النزع ثم في يوم القيامة ولا شك أن القيامة متراخية بحسب الزمان عن وقت النزع أو سيعلمون حقية البعث حين أن يبعثوا من قبورهم ثم حقية الجزاء بحسب العمل هذا وقد حمل اختلافهم فيه على مخالفتهم للنبي عليه السلام بأن يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد لا على المخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لأن الكل وإن استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر إذ لا حقية في شيء منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عليه السلام فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس مفعوله ما ينبيء عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهي والعقوبات، والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف والمعنى: ليرتدعوا عما هم عليه فإنهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال إذا حل بهم العذاب والنكال.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢﴾.

﴿**ألم نجعل الأرض مهاداً**﴾ الخ استئناف مسوق لتحقيق النبأ والمتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته أثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن هنا اتضح أن المتساءل عنه هو البعث لا القرآن أو نبوة النبي عليه السلام كما قيل، والهمزة للتقرير والمهاد البساط والفراش وفي بعض الآيات ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، قال ابن الشيخ: المهاد مصدر ماهدت بمعنى مهدت كسافرت بمعنى سفرت أطلق على الأرض الممهودة أي ألم نجعل الأرض بساطاً ممهوداً تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه وبالفارسية آيا نساخته ايم زمين را فراشي كسترده تاقراركاه شمابود وجاي تقلب.

ومهاداً مفعول ثانٍ لجعل إن كان الجعل بمعنى التصيير وحال مقدرة إن كان بمعنى الخلق وجوز أن يكون جمع مهد ككعاب وكعب وجمعه لاختلاف أماكن الأرض من القرى والبلاد وغيرها أو للتصرف فيها بأن جعل بعضها مزارع وبعضها مساكن إلى غير ذلك وقرىء مهداً على تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للمعهود بالمصدر.

﴿**والجبال أوتاداً**﴾ المراد بجعلها أوتاداً لها إرساؤها بها لتسكن ولا تميد بأهلها إذ كانت تميد على الماء كما يرسى البيت بالأوتاد فهو من باب التشبيه البليغ جمع وتد وهو ما يوتد ويحكم به المتزلزل المتحرك من اللوح وغيره بالفارسية ميخ.

فإن قيل أليست إرادة الله وقدرته كافيتين في التثبيت؟ أجيب: بأنه نعم إلا أنه مسبب الأسباب وذلك من كمال القدرة قال بعضهم: الأوتاد على الحقيقة سادات الأولياء وخواص الأصفياء فإنهم جبال ثاتبة وبهم تثبت أرض الوجود وسئل أبو سعيد الخراز قدس سره عن الأوتاد والأبدال أيهم أفضل؟ فقال: الأوتاد قيل كيف فقال لأن الأبدال يتقلبون من حال إلى حال ويبدل بهم من مقام إلى مقام والأوتاد بلغ بهم النهاية وثبت أركانهم فهم الذين بهم قوام الخلق قال ابن عطاء الأوتاد هم أهل الاستقامة والصدق لا تغيرهم الأحوال وهم في مقام التمكين انتهى.

والأوتاد أربعة: واحد يحفظ الشرق يقال له عبد الحي، وواحد يحفظ الغرب يقال له عبد العليم، وواحد يحفظ الشمال يقال له عبد المريد وواحد يحفظ الجنوب يقال له عبد القادر والأبدال سبعة يحفظون أقاليم الكرة علواً وسفلاً.

وجه تسميه آنست كه چون يكى ازايشان مرديكي ازچهل تن يعني نجبا بدل اوشد وتتميم چهل تن بيكى از سيصد تن است يعني نقبا وتكميل سيصدتن بيكي از صلحاء وإبدال مقيم نشوند نيكجا مكر خسته باشند ومعالجه كنند وبخورند وبپوشند ونكاح كنند پيش ازانكه ابدال شوند وقطب الأبدال نظير كوكب سهيل كما أن قطب الإرشاد نظير الجدي وقطب أبدال درزمان نبي عليه السلام عصام الدين قزني بودعم أويس وچون أو متوفى شد ابن عطا أحمد بود ازدهى كه ميان مكه ويمن است وبلال الحبشي رضي الله عنه درزمان نبي عليه السلام ازبدلاي سبعه بودى.

وكان الشافعي رضي الله عنه من الأوتاد الأربعة.

﴿**وخلقناكم**﴾ عطف على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه فإنه في قوة إنا جعلنا أو على ما يقتضيه الإنكار التقريري فإنه في قوة أن يقال قد جعلنا. ﴿**أزواجاً**﴾ أي: حال كونكم أصنافاً ذكراً وأنثى ليسكن كل من الصنفين إلى الآخر وينتظم أمر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل والزوج يقال لكل واحد من القرينين المزدوجين حيواناً أو غيره كالخف والنعل ولا يقال للاثنين زوج بل زوجان ولذا كان الصواب أن يقال قرضته بالمقراضين وقصصته بالمقصين لأنهما اثنان لا بالمقراض وبالمقص كذا قال الحريري: في «درة الغواص» وقال صاحب «القاموس»: يقال للاثنين هما زوجان وهما زوج انتهى.

ولعله من قبيل الاكتفاء بأحد الشقين عن الآخر وزوجة للمرأة لغة رديئة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] ويقال لكل ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مضاداً زوج ولذا قال بعضهم: في الآية ﴿**وخلقناكم**﴾ حال كونكم معروضين لأوصاف متقابلة كل واحد

منها مزدوج بما يقابله كالفقر والغنى والصحة والمرض والعلم والجهل والقوة والضعف والذكورة والأنوثة والطول والقصر إلى غير ذلك وبه يصح الابتلاء فإن الفاضل يشتغل بالشكر، والمفضول بالصبر ويعرف قدر النعمة عند الترقي من الصبر إلى الشكر وكل ذلك دليل على كمال القدرة ونهاية الحكمة.

﴿وجعلنا﴾ صيرنا ﴿نومكم﴾ وهو استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد إليه ولذا قل في أهل الرياضة لقلة الرطوبة. ﴿سباتاً﴾ موتاً أي: كالموت والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لأنه مقطوع عن الحركة، ومنه سمي يوم السبت لأن الله تعالى ابتدأ بخلق السماوات والأرض يوم الأحد فخلقها في ستة أيام فقطع عمله يوم السبت، فسمي بذلك، وأيضاً هو يوم ينقطع فيه بنو إسرائيل عن العمل والنوم أحد التوفيين كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] أي ويتوفى التي لم تمت في منامها وذلك لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع أحكام الحياة فالتنوين للنوعية أي وجعلنا نومكم نوعاً من الموت وهو الموت الذي ينقطع ولا يدوم إذ لا ينقطع ضوء الروح إلا عن ظاهر البدن وبهذا الاعتبار قيل له أخو الموت والنوم بمقدار الحاجة نعمة جليلة وقيل سباتاً أي قطعاً عن الإحساس والحركة لإراحة القوى الحيوانية وإزاحة كلالها والأول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه.

﴿وجعلنا الليل﴾ الذي يقع فيه النوم ﴿لباساً﴾ يقال لبس الثوب استتر به وجعل اللباس لكل ما يغطي الإنسان عن قبيح فجعل الزوج لزوجها لباساً من حيث أنها تمنعه وتصده عن تعاطي قبيح وكذا البعل وأيضاً من حيث الاشتمال قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] وجعل التقوى لباساً على طريق التمثيل والتشبيه وكذا جعل الخوف والجوع لباساً على التمثيل والتشبيه تصويراً له وذلك بحسب ما يقولون تدرع فلان الفقر ولبس الجوع، والمعنى لباساً يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فإن شبه الليل به أكمل واعتباره في تحقيق المقصد أدخل صاحب «فتوحات» آورده شب لباس أصحاب ليل است كه ايشانرا از نظر اغيار بپوشاند تادر خلوت خود لذت مكالمه يا محاضره يا مشاهده هريك فراخور استعداد خود برخوردارى يا بند حضرت شيخ الإسلام قدس سره فرمودكه شب پردهٔ روندكان راهست روز بازار بيدار إن سحركاه.

الليل للعاشقين ستر ... يا ليت أوقاته تدوم

چون دردل شب خيال أويار منست ... من بندهٔ شب كه روز بازار منست

فهو تعالى جعل الليل محلاً للنوم الذي جعل موتاً كما جعل النهار محلاً لليقظة المعبر عنها بالحياة في قوله تعالى: ﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾ أي: وقت عيش أي حياة تبعثون فيه من نومكم الذي هو أخو الموت كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الفرقان: ٤٧] ولم يقل وجعل يقظتكم حياة لتتم المطابقة بينه وبين قوله: ﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾ بل عبر عن اليقظة بالنهار لكونه مستلزماً لها غالباً ولمراعاة مطابقة وجعلنا الليل ومنه يعلم قوله: ﴿وجعلنا الليل﴾ ليس مستطرداً في البين لذكر النوم في القرينة الأولى فمعاش مصدر من عاش يعيش عيشاً ومعاشاً ومعيشة وعيشة وعلى هذا لا بد من تقدير المضاف ولذا قدروا لفظ الوقت، ويحتمل أن يكون اسم زمان على صيغة مفعل فلا

حاجة حينئذٍ إلى تقدير المضاف وتفسيره بوقت معاش إبراز لمعنى صيغة اسم الزمان وتفصيل لمفهومها.

وفي «التأويلات النجمية»: ألم نجعل أرض البشرية مهد استراحتكم وانتشاركم في أنواع المنافع البشرية وجبال نفوسكم القاسية قوائم أرض البشرية وخلقناكم أزواجاً زوج الروح وزوج النفس أو ذكر القلب وأنثى النفس وجعلنا نومكم غفلتكم راحة واستراحة باستيفاء اللذات واستقصاء الشهوات وجعلنا ليل طبيعتكم ستراً لنهار روحانيتكم وجعلنا نهار روحانيتكم معاشاً تعيشون فيه بالطاعات والعبادات وهذه صورة البعث ﴿**وبنينا فوقكم**﴾ وبنا كرده ايم برسر شمارا ﴿**سبعاً شداداً**﴾ جمع شديد، أي سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور وقال أبو الليث: غلاظاً غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام والتعبيري عن خلقها بالبناء مبني على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وفيه إشارة إلى طبقات القلب السبع الأولى طبقة الصدور وهي معدن جوهر الإسلام والثانية طبقة القلب وهي محل جوهر الإيمان والثالثة الشغاف وهي معدن العشق والمحبة والشفقة والرابعة الفؤاد وهو معدن المكاشفة والمشاهدة والرؤية والخامسة حبة القلب وهي مخصوصة بمحبة الله تعالى لا تعلق بها محبة الكونين وعشق العالمين. والسادسة السويداء وهي معدن العلم اللدني وبيت الحكمة والسابعة بيت المعزة وهي قلب الأكملين وفي هذا البيت أسرار إلهية لا تخرج من الباطن إلى الظاهر أصلاً ولا يظهر منها أثر قطعاً.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾.

﴿**وجعلنا**﴾ أنشأنا وأبدعنا ﴿**سراجاً**﴾ هو الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السماوات بالبناء قال الراغب: السراج الزاهر بفتيلة ودهن ويعبر به عن كل شيء مضيء ويقال للسراج مصباح. ﴿**وهاجاً**﴾ وقاداً متلألئاً من وهجت النار إذا أضاءت أو بالغاً في الحرارة من الوهج وهو الحر وهو ما قال بعض المفسرين: سراجاً وهاجاً أي مضيئاً جامعاً بين النور والحرارة يعني چراغى افروخته وتابان.

يقال: إن الشمس والقمر خلقا في بدء أمرهما من نور العرش ويرجعان في القيامة إلى نور العرش وذلك فيما روي عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ألا أحدثكم بما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما؟ قال: قلنا: بلى يرحمك الله فقال إن رسول لله عليه السلام سئل عن ذلك فقال إن الله تعالى لما أبرز خلقه أحكاماً ولم يبق من خلقه غير آدم خلق شمسين من نور عرشه، فأما ما كان في سابق علمه أن يدعها شمساً فإنه خلقها مثل الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها، وما كان في سابق علمه أن يطمسها ويحولها قمراً فإنه خلقها دون الشمس في العظم ولكن إنما يرى صغرهما لشدة ارتفاعهما في السماء وبعدهما من الأرض فلو ترك الله الشمس والقمر كما كان خلقهما في بدء أمرهما لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولا يدري الأجير متى يعمل ومتى يأخذ أجره ولا يدري الصائم متى يصوم ومتى يفطر ولا تدري المرأة متى تعتد ولا يدري المسلمون متى وقت صلاتهم ومتى وقت حجهم فكان الرب تعالى أنظر لعباده وأرحم بهم فأرسل جبريل

«فأمر جناحه على وجه القمر فطمس منه الضوء وبقي فيه النور» فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] فالسواد الذي ترونه في القمر شبه الخطوط فيه فهو أثر المحو قال فإذا قامت القيامة وقضى الله بين الناس وميز بين أهل الجنة والنار ولم يدخلوهما بعد يدعو الرب تعالى بالشمس والقمر ويجاء بهما أسودين مكورين قد وقفا في زلازل وبلابل ترعد فرائضهما من هول ذلك اليوم ومخافة الرحمن فإذا كانا حيال العرش خرا لله ساجدين فيقولان إلهنا قد علمت طاعتنا لك ودأبنا في عبادتك وسرعتنا للمضي في أمرك أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين إيانا فقد علمت أنا لم ندعهم إلى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك فيقول الرب: صدقتما إني قد قضيت على نفسي أن أبدىء وأعيد وإني معيدكما إلى ما أبدأتكما منه فارجعا إلى ما خلقتكما منه فيقولان ربنا مم خلقتنا فيقول خلقتكما من نور عرشي فارجعا إليه قال فتلمع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الأبصار نوراً فيختلطان بنور العرش فذلك قوله تعالى: ﴿يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٣] كذا في «كشف الأسرار» وقال الشيخ رضي الله عنه في «الفتح المكي» وأما الكواكب كلها فهي في جهنم مظلمة الأجرام عظيمة الخلق وكذلك الشمس والقمر والطلوع والغروب لهما في جهنم دائماً انتهى.

يقول الفقير: لعل التوفيق بين هذا وبين الخبر السابق أن كلاً من الشمس والقمر حامل لشيئين النورية والحرارة فما كان فيهما من قبيل النور فيتصل بالعرش من غير جرم لأن الجرم لا يخلو من الغلظة والظلمة والكثافة وما كان من قبيل النار والحرارة فيتصل بالنار مع جرمهما فكل منهما يرجع إلى أصله فإن قلت: كان الظاهر أن يتصل نورهما بنور النبي عليه السلام لأنهما مخلوقان من نوره قلت: إن العرش والكرسي خلقا من نوره وخلق القمران من نور العرش فهما في الحقيقة مخلوقان من نور النبي عليه السلام ومتصل نورهما بنوره والكل نوره والحمد لله تعالى.

شمسهٔ نه مسند وهفت اختران ختم رسل خواجهٔ پيغمبران

﴿وأنزلنا﴾ النون للعظمة وللإشارة إلى جمعية الذات والأسماء والصفات ﴿من المعصرات﴾ هي السحائب إذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر ولم تعصرها بعد فالإنزال من المستعد لا من الواقع وإلا يلزم تحصيل الحاصل وهمزة أعصر للحينونة والمعصرات اسم فاعل يقال أحصد الزرع إذا حان له أن يحصد وأعصرت الجارية أي حان لها أن تعصر الطبيعة رحمها فتحيض وفي «المفردات»: المعصر المرأة التي حاضت ودخلت في عصر شبابها انتهى. ولو لم تكن للحينونة لكان ينبغي أن يقرأ المعصرات بفتح الصاد على أنه اسم مفعول لأن الرياح تعصرها ويجوز أن يكون المراد من المعصرات الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب فتمطر فهي أيضاً اسم فاعل والهمزة للحينونة كذلك فإن قيل لم لم تجعل الهمزة للتعدية قلنا لأن الرياح عاصرة لا معصرة ﴿ماء ثجاجاً﴾ أي منصباً بكثرة والمراد تتابع القطر حتى يكثر الماء فيعظم النفع به يقال ثج الماء أي سال بكثرة وانصب وثجه غيره أي أساله وصبه فهو لازم ومتعد ومن الثاني قوله عليه السلام: «أفضل الحج العج والثج» أي: رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وفسره الزجاج بالصباب كأنه يثج نفسه مبالغة فيكون متعدياً ولا منافاة بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [لقمان: ١٠] فإن ابتداء المطر إن كان من السماء يكون الإنزال منها إلى سحاب ومنه إلى الأرض وإلا فإنزاله منها باعتبار تكونه

بأسباب سماوية من جملتها حرارة الشمس، فإنها تثير وتصعد الأجزاء المائية من أعماق الأرض الرطبة أو من البحار والأنهار إلى جو الهواء فتنعقد سحاباً فتمطر فالإنزال من المعصرات حقيقة ومن السماء مجاز باعتبار السببية والله مسبب الأسباب.

﴿**لنخرج به**﴾ أي: بذلك الماء أي: بسبب وصوله إلى الأرض واختلاطه بها وبما فيها وهذه اللام لام المصلحة لا لام الغرض كما تقول المعتزلة. ﴿**حباً**﴾ كثيراً يقتات به أي: يكون قوتاً للإنسان وهو ما يقوم به بدنه كالحنطة والشعير ونحوهما، وفي «عين المعاني»: الحب اسم جنس يعني به الجمع قال الراغب: الحب والحبة. يعني: بالفتح يقال في الحنطة والشعير ونحوهما من المطعومات والحب والحبة يعني بالكسر يقال في بزور الرياحين وحبة القلب تشبيهاً بالحبة في الهيئة. ﴿**ونباتاً**﴾ كثيراً يعتلف به أي: يكون علفاً للحيوان كالتبن والحشيش كما قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ﴾ [طه: ٥٤] وتقديم الحب مع تأخره عن النبات في الإخراج لأصالته وشرفه لأن غالبه غذاء الناس ويقال لنخرج به لؤلؤاً وعشباً قال عكرمة: ما أنزل الله قطرة إلا أنبت بها عشبة في الأرض أو لؤلؤة في البحر انتهى. وهو مخالف للمشهور من أن اللؤلؤ لا يتكون من كل مطر بل من المطر النازل في نيسان إلا أن يعمم اللؤلؤ إلى الدر وغيره. ﴿**وجنات**﴾ ليتفكه بها الإنسان والجنة في الأصل هي السترة من مصدر جنه إذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه وعلى الأرض ذات الشجر قال الفراء: الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والمراد هنا هو الأشجار لا الأرض ﴿**ألفافاً**﴾ أي: ملتفة تداخل بعضها في بعض وهذا من محسنات الجنان كما ترى في بساتين الدنيا وبالفارسية درهم بيچيده يعني بسيار ونيكديكر نزديك.

قالوا: لا واحد له كالأوزاع والأخياف الأوزاع بمعنى الجماعات المتفرقة كالأخياف فإنه أيضاً بمعنى الجماعات المتفرقة المختلطة ومنه الأخياف للإخوة من آباء شتى وأمهم واحدة أو الواحد لف ككن وأكنان أو لفيف كشريف وأشراف وهو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء فيكون ألفافاً جمع الجمع أو جمع ملتفة بحذف الزوائد قال ابن الشيخ قدم ذا الحب لأنه هو الأصل في الغذاء وثنى بالنبات لاحتياج سائر الحيوانات إليه وأخرت الجنات لانعدام الحاجة الضرورية إلى الفواكه.

واعلم أن فيما ذكر من أفعاله تعالى دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة: الأول باعتبار قدرته تعالى فإن من قدر على إنشاء هذه الأفعال البديعة من غير مثال يحتذيه وقانون ينتحيه كان على الإعادة أقدر وأقوى، والثاني باعتبار علمه وحكمته فإن من أبدع هذه المصنوعات على نمط رائق مستتبع لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة إلى الخلق يستحيل أن يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فإن اليقظة بعد النوم أنموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا إخراج الحب والنبات من الأرض الميتة يعاينونه كل حين كأنه قيل ألم نفعل هذه الأفعال الآفاقية والأنفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للإيمان به فما لكم تخوضون فيه إنكاراً وتتساءلون عنه استهزاء.

وفي «التأويلات النجمية»: وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً أي من سماوات الأرواح بتحريك نفحات الألطاف مياه العلوم الذاتية والحكم الربانية صباً صباً لتخرج به حباً ونباتاً أي أنزلنا من سحائب سماوات أرواحكم على أرض قلوبكم ماء العلوم والحكم لنخرج به حب

المحبة الذاتية ونبات الشوق والاشتياق والود والانزعاج والعشق وأمثالها وجنات ألفافاً جنة المحبة وجنة المودة وجنة العشق ملتف بعضها ببعض.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾

﴿إن يوم الفصل﴾ أي فصل الله بين الخلائق وبين السعداء والأشقياء باعتبار تفاوت الهيئات والصور والأخلاق والأعمال وتناسبها ﴿كان﴾ في علمه وتقديره الأزلي وإلا فثبوت الميقاتية ليوم الفصل غير مقيد بالزمان الماضي لأنه أمر مقرر قبل حدوث الزمان أيضاً. ﴿ميقاتاً﴾ وميعاداً لبعث الأولين والآخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثواباً وعقاباً لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر فالميقات وهو الوقت الموقت أي المعين أخص من مطلق الوقت فهو هنا زمان مقيد بكونه وقت ظهور ما وعد الله من البعث والجزاء.

﴿يوم ينفخ في الصور﴾ بدل من يوم الفصل أو عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير في تأخر الفصل عن النفخ فإنه زمان ممتد يقع في مبدئه النفخة وفي بقيته الفصل ومباديه وآثاره والنفخ نفخ الريح في الشيء ومنه نفخ الروح في النشأة الأولى كما قال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩] ويقال انتفخ بطنه ومنه استعير انتفخ النهار إذا ارتفع ورجل منفوخ أي سمين والصور القرن النوراني والنافخ فيه إسرافيل عليه السلام، والمعنى يوم ينفخ في الصور نفخة ثانية للبعث حتى تتصل الأرواح بالأجساد وترجع بها إلى الحياة. ﴿فتأتون﴾ خطاب عام والفاء فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وإيذاناً بغاية سرعة الإتيان كما في قوله تعالى: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣]، أي: فتبعثون من قبوركم فتأتون إلى الموقف عقيب ذلك من غير لبث أصلاً ﴿أفواجاً﴾ جمع فوج وهو جماعة من الناس في «المفردات» الجماعة المارة المسرعة أي حال كونكم أمماً كل أمة مع إمامها كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] أو زمراً وجماعات مختلفة الأحوال متباينة الأوضاع حسب اختلاف أعمالهم وتباينها عن معاذ رضي الله عنه أنه سأل عنها رسول الله ﷺ فقال عليه السلام: «يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الأمور ثم أرسل عينيه وقال تحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها» يعني نكونساران كه ايشانرا بروى بدوزخ ميكشند.

«وبعضهم عمي، وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون ألسنتهم وهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون» على جوذع من نار يعني بردارهاي آتشين آويخته.

«وبعضهم أشد نتناً من الجيف، وبعضهم ملبسون جباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس» وهو بالضم جمع قات بالتشديد بمعنى النمّام يعني سخن چين.

حكي أن رجلاً باع عبداً وقال للمشتري ما فيه عيب إلا النميمة فقال رضيت فاشتراه فمكث الغلام أياماً، ثم قال لزوجة مولاه: إن زوجك لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من قفاه حين ينام شعرات حتى أسحر عليه فيحبك، ثم قال للزوج: إن امرأتك أخذت خليلاً وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناوم، فجاءت المرأة بالموسى

فظن أنها تقتله فقام فقتلها فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الأمر، وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت، أي: الحرام لأنه يسحت الدين والمروءة أي يستأصل وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا والتنكيس تعكيس هيئة القيام على الرجل بأن يجعل الرجل أعلى والرأس أسفل وبالفارسية نكو نسار كردن.

وأما العمى: فالذين يجورون في الحكم وأما البكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم وأما المصلبون على جذوع من النار فالسعاة بين الناس إلى السلطان يعني غمازان وسعايت كتند كان بسلاطين وملوك.

وأما الذين هم أشد نتناً من الجيف فالذين يتبعون الشهوات والذات ويمنعون حق الله في أموالهم، وأما الذين يلبسون الجباب: فأهل الكبر والفخر والخيلاء جمع جبة وهو ثوب معروف وفي الحديث نشر على ترتيب اللف وبيان المناسبة بين معاصيهم وبين الصور التي يحشرون عليها يطلب من علم التعبير ثم إنه فصل هيئات أهل المعاصي مع الأسباب المؤدية إليها لأنه أهم إذ التخلية قبل التحلية واكتفى بالإشارة الإجمالية إلى هيئات الصالحين بقوله «من أمتي» بمن التبعيضية والحاصل أنه كما أن الأشقياء يحشرون على صور أعمالهم القبيحة كذلك السعداء يحشرون على صور أعمالهم الحسنة حتى يكون وجوه بعضهم كالقمر ليلة البدر أو كالشمس على ما جاء في صحيح الروايات وقال بعضهم المراد أمة الدعوة فتعم أصناف الكفرة والمؤمنين لا أمة الإجابة وإلا فالخوف على المؤمنين أيضاً في نهاية المرتبة.

يقول الفقير: الظاهر الثاني وهو أن المراد من الأمة الأشقياء من أهل الإجابة دل عليه إرساله عليه السلام عينيه حين البيان وكذا بيان أصناف الأعمال من غير إدخال الكفر فيها إذ صور الكفرة أقبح مما ذكر في الحديث على ما ذكر في الأخبار الصحيحة ثم الحديث ذكره الثعلبي ونحوه في التفاسير وقبله أهل الطرفين ولا عبرة بما ذهب إليه ابن حجر من أنه ظاهر الوضع فإنه من الجهل بحقيقة الأمر؛ إذ يوم القيامة يوم ظهور الصفات كما دل عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩] ولا شك أن لكل صفة صورة مناسبة لها حسنة أو قبيحة ولم ينكره أحد من العقلاء على أنا وإن سلمنا أن لفظ الحديث موضوع فمعناه صحيح مؤيد بالأخبار الصحيحة فيا أيها المؤمن لا تكن قاسي القلب كالحجر وكن ممن يتفجر من قلبه أنهار الفيوض وينابيع الحكم واجتهد أن لا تكون ممن قيل فيه حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء فمن عباد الله المخلصين من يأخذ من الله بلا واسطة الكتاب وإسناده فإنه مرتبة باقية إلى يوم القيامة قل من وضع قدمه عليها فلذا كثر الإنكار وأكب الناس على الرسوم والظواهر من غير إطلاع على الحقائق والبواطن نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل معرفته.

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾.

﴿وفتحت السماء﴾ عطف على ينفخ بمعنى تفتح وصيغة الماضي للدلالة على التحقق أي شقت وصدعت من هيبة الله بعد أن كانت لا فطور فيها وبالفارسية وشكافته شود آسمان دران روز. **﴿فكانت﴾** پس باشد ازبسيارى شكاف. **﴿أبواباً﴾** ذات أبواب كثيرة لنزول الملائكة نزولاً

غير معتاد وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥] وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١] أي: أمره وبأسه في ظلل من الغمام والملائكة وقيل المراد من الفتح الكشف بإزالتها من مكانها كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾ [التكوير: ١١] ومن الأبواب الطرق والمسالك أي تكشط فتصير مكانها طرقاً لا يسدها شيء. ﴿وسيرت الجبال﴾ المسير هو الله تعالى كما قال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧] أي: وسيرت الجبال في الجو بتسيير الله وتسخيره على هيئاتها بعد قلعها عن مقرها وبالفارسية وارانده شود كوهها درهوا.

وذلك عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها في الهواء وذلك قوله تعالى: ﴿فكانت سراباً﴾ السراب ما تراه نصف النهار كأنه ماء. قال الراغب: هو اللامع في المفازة كالماء وذلك لانسرابه فى مرأى العين أي ذهابه وجريانه وكأن السراب فيما لا حقيقة له كالشراب فيما له حقيقة أي فصارت بتسييرها مثل السراب، أي شيئاً كلا شيء لتفرق أجزائها وانبثاث جواهرها كقوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾ [الواقعة: ٥ ـ ٦] أي غباراً منتشراً وهي وإن اندكت وانصدعت عند النفخة الأولى لكن تسييرها كالسحاب وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية قيل: أول أحوال الجبال الاندكاك والانكسار كما قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ [الحاقة: ١٤] وحالتها الثانية أن تصير كالعهن المنفوش وحالتها الثالثة أن تصير كالهباء وذلك بأن تنقطع وتتبدد بعد أن كانت كالعهن كما قال: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾ [الواقعة: ٦] وحالتها الرابعة أن تنسف وتقلع من أصولها لأنها مع الأحوال المتقدمة غارة في مواضعها والأرض تحتها غير بارزة فتنسف عنها بإرسال الرياح عليها وهو المراد من قوله: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥] وحالتها الخامسة أن الرياح ترفعها عن وجه الأرض فتطيرها في الهواء كأنها غبار وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] أي: تراها في رأي العين ساكنة في أماكنها والحال أنها تمر مر السحاب التي تسيرها الرياح سيراً حثيثاً وذلك أن الأجرام إذا تحركت نحواً من الأنحاء لا تكاد تتبين حركتها وإن كانت في غاية السرعة لا سيما من بعيد والحالة السادسة أن تصير سراباً.

يقول الفقير: فيه إشارة إلى إزالة أنانية النفوس وتعيناتها فإنها عند القيامة الكبرى التي هي عبارة عن الفناء في الله تصير سراباً حتى إذا جئتها لم تجدها شيئاً ولكن العوام المحجوبون إذا رأوا أهل الفناء يأكلون مما يأكلون منه ويشربون مما يشربون منه يظنون أن نفوسهم باقية لبقاء نفوسهم لكنهم يظنون بهم الظن السوء إذ بينهم وبينهم بون بعيد قطعاً وفارق عظيم جداً لأنهم أزالت رياح العناية والتوفيق جبال نفوسهم عن مقار أرض البشرية وجعلها الله متلاشية وفتحت سماء أرواحهم فكانت أبواباً كباب السر والخفي والأخفى فدخلوا من هذه الأبواب إلى مقام أو أدنى فكانوا مع الحق حيث كان الحق معهم، ثم نزلوا من هذه الأبواب العالية الحقيقية الناظرة إلى عالم الولاية فدخلوا في أبواب العقل والقلب والمتخيلة والمفكرة والحافظة والذاكرة فكانوا في مقام قاب قوسين مع الخلق حيث كان الخلق معهم فلم يحتجبوا بالخلق عن الحق الذي هو جانب الولاية ولا بالحق عن الخلق الذي هو جانب النبوة فكانوا في الظاهر مصداق قوله تعالى: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأحقاف: ٩] فأين المحجوبون عن مقامهم وأنى لهم إدراك شأنهم وحقيقة أمرهم.

﴿إن جهنم كانت مرصاداً﴾ أي أنها كانت في حكم الله وقضائه موضع رصد يرصد فيه ويرقب خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها فالمرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه كالمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه أي يسلك. قال الراغب: المرصاد موضع الرصد كالمرصد لكن يقال للمكان الذي اختص بالترصد والترقب، وقوله: ﴿إن جهنم كانت مرصاداً﴾ تنبيه على أن عليها مجاز الناس انتهى. كأنه عمم المرصاد حيث أن الصراط محبس للأعداء وممر للأولياء والأول أولى لأن الترصد في مثل ذلك المكان الهائل إنما هو للتعذيب وهو للكفار والأشقياء.

﴿للطاغين﴾ متعلق بمضمر هو إما نعت لمرصاداً أي كائناً للطاغين، وقوله تعالى: ﴿مآباً﴾ بدل منه أي مرجعاً يرجعون إليه لا محالة وإما حال من مآباً قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له قالوا: الطاغي من طغى في دينه بالكفر وفي دنياه بالظلم وهو في اللغة من جاوز الحد في العصيان والمراد هنا المشركون لما دل عليه ما بعده من الآيات وعذابهم لا يتناهى لكون اعتقادهم باطلاً وكذا إذا لم يعتقدوا شيئاً أصلاً وإن كان الاعتقاد صحيحاً كالمؤمن العاصي فعذابه متناهٍ.

﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ﴿٢٥﴾﴾.

﴿لابثين فيها﴾ حال مقدرة من المستكن في للطاغين أي مقدرين اللبث فيها واللبث أن يستقر في المكان ولا يكاد ينفك عنه يقال لبث بالمكان أقام به ملازماً له. ﴿أحقاباً﴾ ظرف للبثهم وهو جمع حقب وهو ثمانون سنة أو أكثر والدهر والسنة أو السنون كما في «القاموس»، وأصل الحقب من الترادف والتتابع يقال أحقب إذا أردف ومنه الحقيبة وهي الرفادة في مؤخر القتب وكل ما شد في مؤخر رحل أو قتب فقد احتقب والمحقب المردف وفي «تاج المصادر» الأحقاب در حقيبه نهادن.

ومنه الحديث: «فأحقبها على ناقة» أي أردفها على حقيبة الرحل والأرداف أزپى فراشدن وازپى كسى در نشتن ودر نشاندن فمعنى أحقاباً دهوراً متتابعة كلما مضى حقب تبعة حقب آخر إلى غير نهاية فإن الحقب لا يكاد يستعمل إلا لإيراد تتابع الأزمنة وتواليها كا قال أبو الليث إنما ذكر أحقاباً لأن ذلك كان أبعد شيء عندهم فذكر وتكلم بما يذهب إليه أوهامهم ويعرفونها وهو كناية عن التأبيد أي يمكثون فيها أبداً انتهى. دل عليه أن عمر رضي الله عنه سأل رجلاً من هجر عن الأحقاب فقال: ثمانون سنة كل يوم منها ألف سنة انتهى. فإنهم إنما يريدون بمثله التأبيد، وكذا ما قال مجاهد: إن الأحقاب ثلاثة وأربعون حقباً كل حقب سبعون خريفاً كل خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً واليوم ألف سنة من أيام الدنيا كما روى ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم، وكذا لو أريد بالحقب الواحد سبعون ألف سنة اليوم منها ألف سنة كما روي عن الحسن البصري رحمه الله.

وقال الراغب: والصحيح أن الحقبة مدة من الزمان مبهمة أي لا ثمانون عاماً، وكذا قال في «القاموس»: الحقبة بالكسر من الدهر مدة لا وقت لها انتهى. والحاصل أن الأحقاب يدل على التناهي فهو وإن كان جمع قلة لكنه بمنزلة جمع كثرة وهو الحقوب أو بمنزلة الأحقاب المعرف بلام الاستغراق ولو كان فيه ما يدل على خروجهم منها فدلالته من قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم

﴿بِخَرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧﴾ [المائدة: ٣٧] لأن المنطوق راجح على المفهوم فلا يعارضه وقال أبو حيان المدة منسوخة بقوله فلن نزيدكم إلا عذاباً انتهى. وسيأتي وجوه آخر.

﴿لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً﴾ جملة مبتدأة ومعنى لا يذوقون لا يحسون وإلا فأصل الذوق وجود الطعم.

وقال الكاشفي: يعني نمى نمايند إلا أن يكون ذلك باعتبار الشراب والذوق في التعارف وإن كان للقليل فهو صالح للكثير لوجود الذوق في الكثير أيضاً والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار وإلا فهم يذوقون في جهنم برد الزمهرير أي: برداً ينتفعون به ويميلون إليه فتنكيره للنوعية قال قتادة كنى بالبرد عن الروح لما بالعرب من الحر حتى قالوا برد الله عيشك أي طيبه اعتباراً بما يجد الإنسان من اللذة في الحر من البرد وقال الراغب أصل البرد خلاف الحرارة وبرد كذا إذا ثبت ثبوت البرد واختصاص الثبوت بالبرد كاختصاص الحركة بالحر وبرد الإنسان مات وبرده قتله ومنه السيوف البوارد وذلك لما يعرض للميت من عدم الحرارة بفقدان الروح أو لما عرض له من السكون وقولهم للنوم برد إما لما يعرض له من البرد في ظهر جلده لأن النوم يبرد صاحبه ألا ترى أن العطشان إذا نام سكن عطشه أو لما يعرض له من السكون وقد علم أن النوم من جنس الموت وقوله تعالى: **﴿لا يذوقون فيها برداً﴾** أي نوماً حتى يستريحوا وبالفارسية تا آسايش يابدن وبرودت كسب كنند انتهى. بزيادة والمراد بالشراب ما يسكن عطشهم وإلا بمعنى لكن والحميم الماء الحار الذي انتهى حره.

وآن آبيست كه چون نزديك روى آرند كوشت روى دران ريزد وچون بخورد امعا واحشا پاره پاره شود.

والغساق: ما يغسق، أي يسيل من جلود أهل النار ويقطر من صديدهم وقيحهم، أخبر الله تعالى عن الطاغين بأنهم لا يذوقون في جهنم شيئاً ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن عطشهم ولكن يذوقون فيها حميماً وغساقاً، فالاستثناء منقطع وقال الزجاج: لا يذوقون فيها برد ريح ولا برد ظل ولا برد نوم فجعل البرد برد كل شيء له راحة فيكون قوله **﴿ولا شراباً﴾** بمعنى ولا ماء بارداً تخصيصاً بعد التعميم لكماله في الترويح فيكون مجموع البرد والشراب بمعنى المروح فيكون قوله **﴿إلا حميماً وغساقاً﴾** مستثنى منقطعاً من البرد والشراب؛ وإن فسر الغساق بالزمهرير فاستثناؤه من البرد فقط دون الشراب لأن الزمهرير ليس بماء يشرب كما أن استثناء حميماً من الشراب والتأخير لتوافق رؤوس الآي ويؤيد الأول قوله عليه السلام: «لو أن دلواً من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا» وإن فسر بما يسيل من صديدهم فالاستثناء من الشراب وعن ابن مسعود رضي الله عنه «الغساق لون من ألوان العذاب وهو البرد الشديد حتى أن أهل النار إذا ألقوا فيه سألوا الله أن يعذبهم في النار ألف سنة لما رأوه أهون عليهم من عذاب الزمهرير يوماً واحداً» وقال شهر بن حوشب الغساق واد في النار فيه ثلاثمائة وثلاثون شعباً في كل شعب ثلاثمائة وثلاثون بيتاً في كل بيت أربع زوايا في كل زاوية شجاع كأعظم ما خلق الله من الخلق في رأس كل شجاع سم والشجاع الحية هذا وقد جوز بعضهم أن يكون لا يذوقون حالاً من المنوي في لابثين لا كلاماً مستأنفاً، أي: **﴿لابثين﴾** فيها أحقاباً غير ذائقين فيها شيئاً سواهما ثم يبدلون بعد الأحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب فيكون حالاً متداخلة ويكون قوله **﴿أحقاباً﴾** ظرف لابثين المقيد بمضمون لا

يذوقون وانتهاءه هذا المقيد لا يستلزم انتهاء مطلق اللبث فهو توقيت للعذاب لا للمكث في النار، عن ابن مسعود رضي الله عنه لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا وأيضاً يجوز أن يكون أحقاباً ظرفاً منصوباً بلا يذوقون على قول من يرى تقديم معمول ما بعد لا عليها لا ظرفاً لقوله لابثين فحينئذٍ لا يكون فيه دلالة على تناهي اللبث والخروج حيث لم يكن أحقاباً ظرف اللبث وأيضاً يجوز أن يكون أحقاباً ليس بظرف أصلاً بل هو حال من الضمير المستكن في لابثين بمعنى حقبين أي نكدين محرومين من الخير والبركة في السكون والحركة على أن يكون جمع حقب بفتح الحاء وكسر القاف من حقب الرجل إذا حرم الرزق وحقب العام إذا قل خيره ومطره وقوله ﴿**لا يذوقون فيها برداً**﴾ تفسير لنكدهم ولا يتوهم حينئذٍ تناهي مدة لبثهم فيها حتى يحتاج إلى التوجيه هذا ما قالوه في هذا المقام، وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال سيأتي على جهنم يوم تصفق أبوابها، أي يضرب بعضها بعضاً وقد أسندت هذه الرواية إلى ابن مسعود رضي الله عنه كما في «العرائس» ويروى عنه أنه قال ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً وفي «العرائس» أيضاً، وقال الشعبي: جهنم أسرع الدارين عمراناً وأسرعهما خراباً، وفي الحديث الصحيح: «ينبت الجرجير في قعر جهنم» أي لانطفاء النار وارتفاع العذاب بمقتضى قوله: «سبقت رحمتي غضبي» كما في «شرح الفصوص» لداود القيصري. والجرجير، بالكسر بقلة معروفة كما في «القاموس»، وقال المولى الجامي رحمه الله في «شرح الفصوص» أيضاً: اعلم أن لأهل النار الخالدين فيها كما يظهر في كلام الشيخ رضي الله عنه وتابعيه حالات ثلاثاً الأولى أنهم إذا دخلوها تسلط العذاب على ظواهرهم وبواطنهم وملكهم الجزع والاضطراب فطلبوا أن يخفف عنهم العذاب أو أن يقضي عليهم أو أن يرجعوا إلى الدنيا فلم يجابوا إلى طلباتهم والثانية أنهم إذا لم يجابوا إلى طلباتهم وطنوا أنفسهم على العذاب فعند ذلك رفع الله العذاب عن بواطنهم وخبت نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة والثالثة أنهم بعد مضي الأحقاب ألفوا العذاب وتعودوا به ولم يتعذبوا بشدته بعد طول مدته ولم يتألموا به وإن عظم إلى أن آل أمرهم إلى أن يتلذذوا به ويستعذبوه حتى لو هب عليهم نسيم من الجنة استكرهوه وتعذبوا به كالجعل وتأذيه برائحة الورد عافانا الله وجميع المسلمين من ذلك.

والجعل: بضم الجيم وفتح العين دويبة تكون بالروث والجمع جعلان بالكسر.

وقال المولى رمضان والمولى صالح الدين في «شرح العقائد»: قال بعض الإسلاميين: كل ما أخبر الله في القرآن من خلود أهل الدارين حق لكن إذا ذبح كبش الموت بين الجنة والنار ونودي أهلهما بالخلود فيهما أيس أهل النار من الخلاص فاعتادوا بالعذاب فلم يتألموا به حتى آل أمرهم إلى أن يتلذذوا به ولو هب عليهم نسيم الجنة استكرهوا وتعذبوا به كالجعل يستطيب الروث ويتألم من الورد فيصدق حينئذٍ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣] على عمومه لارتفاع العذاب عنهم ويصدق أيضاً قوله تعالى: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ [البقرة: ١٦٢] لأن المراد العذاب المقدر لهم وقال بعض الأكامل فكما إذا استقر أهل دار الجمال فيها يظهر عليهم أثر الجمال ويتذوقون به دائماً أبداً ويختفي جلال الجمال وأثره بحيث يحسونه ولا يرونه ولا يتألمون به قطعاً سرمداً فكذلك إذا استقر أهل دار الجلال فيها بعد مرور الأحقاب

يظهر على بواطنهم أثر جمال الجلال ويتذوقون به أبداً ويختفي عنهم أثر نار الجلال بحيث لا يحسونه ولا يرونه ولا يتألمون به سرمداً لكن ليس ذلك إلا بعد انقطاع حراق النار بواطنهم وظواهرهم بمرور الأحقاب وكل منهم تحرقه النار ألف سنة من سني الآخرة لشرك يوم واحد من أيام الدنيا والظاهر عليهم بعد مرور الأحقاب هو الحال الذي يدوم عليهم أبداً وهو الحال الذي كانوا عليه في الأزل وما بينهما ابتلاءات رحمانية والابتلاء حادث. قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥] عصمنا الله وإياكم من دار البوار انتهى. فهذه كلمات القوم في هذه الآية ولا حرج في نقلها ونحن لا نشك في خلود الكفار وعذابهم أبداً فإن كان لهم العذاب عذاباً بعد مرور الأحقاب فقد بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، كما أن المعتزلي يقطع في الدنيا بوجوب العذاب لغير التائب ثم قد يبدو له في الآخرة ما لم يكن يحتسبه من العفو، وسئل الشيخ الإمام مفتي الأنام عز الدين بن عبد السلام بعد موته في منام رآه السائل ما تقول فيما كنت تنكر من وصول ما يهدى من قراءة القرآن للموتى؟ فقال هيهات وجدت الأمر خلاف ما كنت أظن قالوا: خلود أهل النار من الكفار لا معارض له فبقي على عمومه وخلود أهل الكبائر له معارض فيحمل على المكث الطويل فأهل الظاهر والباطن متفقون على خلود الكفار سواء كانوا فرعون وهامان ونمروداً وغيرهم وإنما اختلفوا في ارتفاع العذاب عن ظواهرهم بعد مرور الأحقاب وكل تأول بمبلغ علمه والنص أحق أن يتبع قال حجة الإسلام: الكفرة ثلاث فرق منهم من بلغه اسم نبينا عليه السلام وصفته ودعوته كالمجاورين في دار الإسلام فهم الخالدون لا عذر لهم ومنهم من بلغه الاسم دون الصفة وسمع أن كذاباً مسلماً اسمه محمد ادعى النبوة ومنهم من لم يبلغه اسمه ولا رسمه وكل من هاتين الفرقتين معذور في الكفر ونقل مثله عن الأشعري، كذا في «شرح العقائد» لمصلح الدين وقال المولى داود القيصري في «شرح الفصوص» الوعيد هو العذاب الذي يتعلق بالاسم المنتقم وتظهر أحكامه في خمس طوائف لا غير لأن أهل النار إما مشرك أو كافر أو منافق أو عاص من المؤمنين وهو ينقسم إلى الموحد العارف الغير العامل والمحجوب وعند تسلط سلطان المنتقم عليهم يتعذبون بنيران الجحيم وأنواع العذاب غير مخلدة على أهله لانقطاعه بشفاعة الشافعين وآخر من يشفع وهو أرحم الراحمين.

﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿جزاء وفاقاً﴾ أي: جوزوا بذلك جزاء وفاقاً لأعمالهم وأخلاقهم كأنه نفس الوفاق مبالغة أو ذا وفاق لها على حذف المضاف أو وافقها وفاقاً فيكون وفاقاً مصدراً مؤكداً لفعله كجزاء والجملة صفة لجزاء وجه الموافقة بينهما أنهم أتوا بمعصية عظيمة وهي الكفر فعوقبوا عقاباً عظيماً وهو التعذيب بالنار فكما أنه لا ذنب أعظم من الشرك فكذا لا جزاء أقوى من التعذيب بالنار وجزاء سيئة سيئة مثلها فتوافقا وقيل كان وفاقاً حيث لم يزد على قدر الاستحقاق ولم ينقص عنه قال سعدي المفتي: اعلم أن الكفار لما كان من نيتهم الاستمرار على الكفر كما سيشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾ [النبأ: ٢٧] إذ معناه أنهم كانوا مستمرين على الكفر مع عدم توقع الحساب فوافقه عدم تناهي العذاب واللبث فيها أحقاباً بعد أحقاب ولما كانوا مبدلين التصديق الذي يروح النفس ويثلج به الصدر بالتكذيب الذي هو ضده

جوزوا بالحميم والغساق بدل ما يجعل للمؤمنين مما يروحهم من برد الجنة وشرابها وللمناسبة بين الماء والعلم يعبر الماء في الرؤيا بالعلم وقال بعض أهل الحقائق إن جهنم الطبيعة الحيوانية يرصد فيها القوى البشرية وهي خزنة جهنم طبيعية أرباب النفوس الأمارة والهوى المتبع للظالمين على نفوسهم بالأهوية والبدع والإباحة والزندقة والاتحاد والحلول والفضول مآباً لابثين فيها أحقاباً إلى وقت الانسلاخ عن حكم البشرية والتلبس بملابس الشريعة وخلع الطريقة والحقيقة لا يذوقون فيها برد اليقين برفع الحجاب عن وجه بشريتهم ولا شراب المحبة لانهماكهم في محبة الدنيا بسبب جهنم الطبيعة إلا حميماً وغساقاً يسيل من صديد طبيعتهم وقال القاشاني: إلا حميماً من أثر الجهل المركب وغساقاً من ظلمة هيئات محبة الجواهر الفاسقة والميل إليها جزاء موافقاً لما ارتكبوه من الأعمال وقدموه من العقائد والأخلاق وذلك العذاب لفساد العمل والعلم فلم يعملوا صالحاً رجاء الجزاء ولم يعلموا علماً صالحاً فيصدقوا بالآيات.

﴿إنهم كانوا لا يرجون حساباً﴾ تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور وبيان لفساد قوتهم العلمية أي كانوا ينكرون الآخرة ولا يخافون أن يحاسبوا بأعمالهم فلذا كانوا يقدمون على جميع المنكرات ولا يرغبون في شيء من الطاعات وفسر الرجاء بالخوف لأن الحساب من أصعب الأمور على الإنسان والشيء الصعب لا يقال فيه إنه يرجى بل يقال إنه يخاف ويخشى.

﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾.

﴿وكذبوا﴾ بيان لفساد قوتهم النظرية **﴿بآياتنا﴾** الناطقة بذلك وفي بعض التفاسير بآياتنا القولية والفعلية الظاهرة على ألسنة الرسل وأيديهم **﴿كذاباً﴾** أي: تكذيباً مفرطاً ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصي فعوقبوا بأهول العقاب جزاء وفاقاً وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء مطرد مثل كلم كلاماً قال صاحب «الكشاف»: وسمعني بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فساراً ما سمع بمثله قال بعضهم وأبدل من أحد حرفي تضعيف بعض الأسماء ياء لئلا يلتبس بهذا المصدر المشدد مثل الدينار فإن أصله الدنار ومثل السينات في قول عمر بن عبد العزيز لكاتبه في بسم الله طول الباء وأظهر السينات ودور الميم فإن أصله السنات جمع السن لا جمع السين لأنه ليس في البسملة إلا سين واحدة ويجوز أن يقال عبر عن السن بالسين مبالغة كأنه قيل اجعل سنه كسينه في الإظهار كما ذهب إليه الشريف.

﴿وكل شيء﴾ أي: وأحصينا كل شيء من الأشياء التي من جملتها أعمالهم فانتصابه بمضمر يفسره قوله: **﴿أحصيناه﴾** أي: حفظناه وضبطناه وذلك أي: انتصابه بالإضمار على شريطة التفسير هو الراجح لتقدم جملة فعله ولا يضره كون هذه الجملة معترضة كما سيجيء أو لأن المقصود المهم هنا الإخبار عن الإحصاء لا الإخبار عن كل شيء **﴿كتاباً﴾** مصدر مؤكد لأحصيناه من غير لفظه لما أن الإحصاء والكتابة من واد واحد أي يتشاركان في معنى الضبط فكأنه قال وكل شيء أحصيناه إحصاء مساوياً في القوة والثبات بالعلم المقيد بالكتابة أو كتبناه كتاباً وأثبتناه إثباتاً ويجوز أن يكون من الاحتباك حذف فعل الثاني بقرينة الأول ومصدر الأول بقرينة الثاني أي أحصيناه إحصاء وكتبناه كتاباً أو هو أي: كتاباً حال بمعنى مكتوباً في اللوح وفي صحف الحفظة والجملة اعتراض لتوكيد كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات بأنهما

محفوظان للمجازاة. قال القاشاني: وكل شيء من صور أعمالهم وهيئات عقائدهم ضبطناه ضبطاً بالكتابة عليهم في صحائف نفوسهم وصحائف النفوس السماوية.

﴿فذوقوا﴾ پس بچشيد عذاب دوزخ **﴿فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾** فوق عذابكم والفاء في فذوقوا جزائية دالة على أن الأمر بالذوق مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومعلل به فيكون وكل شيء الخ جملة معترضة بين السبب ومسببه تؤكد كل واحد من الطرفين لأنه كما يدل على كون معاصيهم مضبوطة مكتوبة يدل على أن ما يتفرع عليها من العذاب كائن لا محالة مقدر على حسب استحقاقهم به وفي الالتفات المنبىء عن التشديد في التهديد وإيراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روي عن النبي عليه السلام أن هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار أي لأن فيها الإياس من الخروج فكلما استغاثوا من نوع من العذاب أغيثوا بأشد منه فتكون كل مرتبة منه متناهية في الشدة وإن كانت مراتبه غير متناهية بحسب العدد والمدة وهذا لا يخالف قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٤] لأن المراد بالمنفي التكلم باللطف والإكرام لا بالقهر والجلال فإن قيل هذه الزيادة إن كانت غير مستحقة كانت ظلماً وإن كانت مستحقة كان تركها في أول الأمر إحساناً والكريم لا يليق به الرجوع في إحسانه فالجواب أنها مستحقة ودوامها زيادة لثقل العذاب وأيضاً ترك المستحق في بعض الأوقات لا يوجب الإبراء والإسقاط حتى يكون إيقاعه بعده رجوعاً في «الإحسان»، وأيضاً كانوا يزيدون كفرهم وتكذيبهم وأذيتهم للرسول عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم فيزيد الله عذابهم لزيادة الاستحقاق فلا ظلم فإن قيل: قوله **﴿فذوقوا﴾** الخ تكرار لأنه ذكر سابقاً **﴿أنهم لا يذوقون﴾** الخ قلنا إنه تكرار لزيادة المبالغة في تقرير الدعوى وهو كون العقاب جزاء وفاقاً.

﴿إن للمتقين مفازاً﴾ شروع في بيان محاسن أحوال المؤمنين أثر بيان سوء أحوال الكفرة على ما هو العادة القرآنية ووجه تقديم بيان حالهم غني عن البيان أي إن للذين يتقون الكفر وسائر القبائح من أعمال الكفرة فوزاً وظفراً بمباغيهم دل على هذا المعنى تفسيره بما بعده بقوله: **﴿حدائق﴾** .. الخ أو موضع فوز فالمفاز على الأول مصدر ميمي وعلى الثاني اسم مكان فإن قيل: الخلاص من الهلاك أهم من الظفر باللذات فلم أهمل الأهم وذكر غير الأهم قلنا لأن الخلاص من الهلاك لا يستلزم الفوز بالنعيم، لكونه حاصلاً لأصحاب الأعراف مع أنهم غير فائزين بالنعيم بخلاف الفوز بالنعيم فإنه يستلزم الخلاص من هلاك فكان ذكره أولى.

﴿حدائق وأعناباً﴾ أي: بساتين فيها أنواع الأشجار المثمرة وكروماً وهو تخصيص بعد التعميم لفضلها، قوله: **﴿حدائق﴾** بدل من مفازاً بدل الاشتمال إن كان مصدراً ميمياً لأن الفوز يدل عليه دلالة التزامية أو البعض إن جعل مكاناً جمع حديقة وهي الروضة ذات الأشجار ويقال: الحديقة كل بستان عليه حائط، أي جدار وفيه من النخل والثمار، وفي «المفردات»: الحديقة قطعة من الأرض ذات ماء سميت تشبيهاً بحدقة العين في الهيئة وحصول الماء فيها والأعناب جمع عنب بالفارسية أنكور.

قال بعضهم: ذكر نفسها ولم يذكر شجرها وهو الكرم لأن زيادة الشرف فيها لا في شجرها.

﴿وكواعب﴾ جمع كاعب، يقال: كعبت المرأة كعوباً ظهر ثديها وارتفع ارتفاع الكعب،

أي: نساء عذارى فلكت ثديهن، أي: استدارت وصارت كالكعب في النتوء. يقال: فلك ثدي الجارية تفليكاً، أي استدار كفلكة المغزل، ويقال لهن: النواهد جمع ناهد وناهدة وهي المرأة كعب ثديها وبدا للارتفاع. ﴿أتراباً﴾ لدات، أي مستويات في السن ولدة الرجل تربه وقرينه في السن والميلاد والهاء عوض عن الواو الذاهبة من أوله لأنه من الولادة، قال الراغب: أي: لدات ينشأن معاً تشبيهاً في التساوي والتماثل بالترائب التي هي ضلوع الصدر ولوقوعهن على الأرض معاً.

در تفسير زاهدى آورده كه شانزده ساله باشند ومردان سي وسه ساله ودر اكثر تفاسير هست كه اهل بهشت اززنان ومردن سي وسه ساله خواهند بود.

والظاهر ما في «تفسير الزاهدي» وهو كونهن بنات ست عشرة لكونها نصف سن الرجال وأيضاً دل عليه الوصف بالكعوب وهو ارتفاع ثديهن والمراد أنهن بالغات تمام كمال النساء في الحسن واللطافة والصلاح للمصاحبة والمعاشرة بحيث لا يكون في سن الصغر حتى تضعف الشهوة لهن ولا في سن الكبر حتى تنكسر الشهوة عنهن بل رواء الشباب أي ماؤه جار فيهن لم يشبن ولم يتغير عن حد الحسن حسنهن وإنما ذكرن لأن بهن نظام الدنيا ولطافة الآخرة من جهة التنعم الجسماني.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾.

﴿وكأساً دهاقاً﴾ أي: مملوءة بالخمر فدهاقاً بمعنى مدهقة وصفت به الكأس للمبالغة في امتلائها يقال أدهق الحوض ودهقه ملأه ﴿لا يسمعون﴾ أي: المتقون ﴿فيها﴾ أي في الحدائق ﴿لغواً ولا كذاباً﴾ أي لا ينطقون بلغو وهو ما يلغى ويطرح لعدم الفائدة فيه ولا يكذب بعضهم بعضاً حتى يسمعوا شيئاً من ذلك بخلاف حال أهل الدنيا في مجالسهم لا سيما عند شربهم. قال بعض أهل المعرفة: لا يسمعون فيها كلاماً إلا من الحق فإن من تحقق بالحق لا يسمعه الحق إلا منه ولا يشهده سواه في الدنيا والآخرة.

﴿جزاء من ربك﴾ مصدر مؤكد منصوب بمعنى إن للمتقين مفازاً فإنه في قوة أن يقال جازى المتقين بمفاز جزاء عظيماً كائناً من ربك على أن التنوين للتعظيم. ﴿عطاء﴾ أي تفضلاً وإحساناً منه تعالى إذ لا يجب عليه شيء وذلك أن الله تعالى جعل الشيء الواحد جزاء وعطاء وهو غير ظاهر لأن كونه جزاءً يستدعي ثبوت الاستحقاق وكونه عطاء يستدعي عدم الاستحقاق فالجمع بينهما جمع بين المتنافيين لكن ذلك الاستحقاق إنما يثبت بحكم الوعد لا من حيث أن الطاعة توجب الثواب على الله فذلك الثواب بالنظر إلى وعده تعالى إياه بمقابلة الطاعة يكون جزاء وبالنظر إلى أنه لا يجب على الله لأحد شيء يكون تفضلاً وعطاء، وهذا بمقابلة قوله: ﴿جزاء وفاقاً﴾ لأن جزاء المؤمنين من قبيل الفضل لتضاعفه وجزاء الكافرين من قبيل العدل وهو بدل من جزاء بدل الكل من الكل لأن العطاء والجزاء متحدان ذاتاً وإن تغايراً في المفهوم، وفي جعله بدلاً من جزاء نكتة لطيفة وهي أن بيان كونه عطاء تفضلاً منه هو المقصود وبيان كونه جزاء وسيلة إليه فإن حق البدل أن يكون مقصوداً بالنسبة وذكر المبدل منه وسيلة إليه ﴿حساباً﴾ صفة لعطاء بمعنى كافياً على أنه مصدر أقيم مقام الوصف أي محسباً وقيل على

حسب أعمالهم بأن يجازي كل عمل بما وعد له من الإضعاف من عشرة وسبعمائة وغير حساب فما وعده الله من المضاعفة داخل في الحسب أي المقدار لأن الحسب بفتح السين وسكونها بمعنى القدر والتقدير على هذا عطاء بحساب فحذف الجار ونصب الاسم قال بعض أهل المعرفة: إذا كان الجزاء من الله لا يكون له نهاية لأنه لا يكون على حد الأعواض بل يكون فوق الحد لأنه ممن لا حد له ولا نهاية فعطاؤه لا حد له ولا نهاية وقال بعضهم: العطاء من الله موضع الفضل لا موضع الجزاء فالجزاء على الأعمال والفضل موهبة من الله يختص به الخواص من أهل وداده.

وفي «التأويلات النجمية»: إن للمتقين الذين يتقون عن نفوسهم المظلمة المدلهمة بالله وصفاته وأسمائه مفازاً أي فوز ذات الله وصفاته حدائق روضات القلوب المنزهة الأرضية وأعناباً أشجار المعاني والحقائق المثمرة عنب خمر المحبة الذاتية الخامرة عين العقل عن شهود الغير والغيرية وكواعب أتراباً أبكاراً اللطائف والمعارف وكأساً دهاقا مملوءة من شراب المحبة وخمر المعرفة لا يسمعون فيها لغواً من الهواجس النفسانية ولا كذاباً من الوساوس الشيطانية جزاء من ربك عطاء حساباً أي فضلاً تاماً كافياً من غير عمل.

وقال القاشاني: إن للمتقين المقابلين للطاغين المتعدين في أفعالهم حد العدالة مما عينه الشرع والعقل وهم المتنزلون عن الرذائل وهيئات السوء من الأفعال مفازاً فوزاً ونجاة من النار التي هي مآب الطاغين حدائق من جنان الأخلاق وأعناباً من ثمرات الأفعال وهيئاتها وكواعب من صور آثار الأسماء في جنة الأفعال أتراباً متساوية في الترتيب وكأساً من لذة محبة الآثار مترعة ممزوجة بالزنجبيل والكافور لأن أهل جنة الآثار والأفعال لا مطمح لهم إلى ما وراءها فهم محجوبون بالآثار عن المؤثر وبالعطاء عن المعطي عطاء حساباً كافياً يكفيهم بحسب هممهم ومطامح أبصارهم؛ لأنهم لقصور استعداداتهم لا يشتاقون إلى ما وراء ذلك فلا شيء ألذ لهم بحسب أذواقهم مما هم فيه.

﴿**رب السموات والأرض وما بينهما**﴾ بدل من ربك والمراد رب كل شي وخالقه ومالكه ﴿**الرحمن**﴾ مفيض الخير والجود على كل موجود بحسب حكمته وبقدر استعداد المرحوم وهو بالجر صفة للرب وقيل صفة للأول وأياً ما كان ففي ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة إشعار بمدار الجزاء المذكور قال القاشاني: أي ربهم المعطي إياهم ذلك العطاء هو الرحمن لأن عطاياهم من النعم الظاهرة الجليلة دون الباطنة الدقيقة فمشربهم من اسم الرحمن دون غيره.

وفي «التأويلات النجمية»: رب سماوات الأرواح وأرض النفوس وما بينهما من السر والقلب وأقواهما الروحانية هو الرحمن أي الموصوف بجميع الأسماء والصفات الجمالية والجلالية لوقوعه بين الله الجامع وبين الرحيم فله وجه إلى الألوهية المشتملة على القهر وله أيضاً وجه إلى الرحيم الجمالي المحض ﴿**لا يملكون منه خطاباً**﴾ استئناف مقرر لما أفادته الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير أن يكون لأحد قدرة عليه وضمير لا يملكون لأهل السماوات والأرض ومن في منه صلة للتأكيد على طريقة قولهم بعت منك أي بعتك، يعني: أنه صلة خطاباً قدم عليه فانقلب بياناً والمعنى لا يملكون أن يخاطبوه تعالى من تلقاء أنفسهم كما ينبيء عنه لفظ الملك إذ المملوك لا يستحق على مالكه شيئاً خطاباً ما في شيء ما لتفرده بالعظمة والكبرياء وتوحده في ملكه بالأمر والنهي

والخطاب والمراد نفي قدرتهم على أن يخاطبوه تعالى بشيء من نقص العذاب وزيادة الثواب من غير إذنه على أبلغ وجه وآكده، كأنه قيل لا يملكون أن يخاطبوه بما سبق من الثواب والعقاب وبه يحصل الارتباط بين هذه الآية وبين ما قبلها من وعيد الكفار ووعد المؤمنين ويظهر منه أن نفي أن يملكوا خطابه لا ينافي الشفاعة بإذنه قال القاشاني: لأنهم أي: أهل الأفعال لم يصلوا إلى مقام الصفات فلاحظ لهم من المكالمة.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾

﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً﴾ أخر الملائكة هنا تعميماً بعد التخصيص وأخر الروح في القدر تخصيصاً بعد التعميم فالظاهر أن الروح من جنس الملائكة لكنه أعظم منهم خلقاً ورتبة وشرفاً إذ هو بمقابلة الروح الإنساني كما أن الملائكة بمقابلة القوى الروحانية ولا شك أن الروح أعظم من قواه التابعة له كالسلطان مع أمرائه وجنده ورعاياه؛ وتفسير الروح بجبريل ضعيف وإن كان هو مشتهراً بكونه روح القدس والروح الأمين؛ إذ كونه روحاً ليس بالنسبة إلى ذاته وإلا فالملائكة كلهم روحانيون وإن كانوا أجساماً لطيفة غير الأرواح المهمية وإنما هو بالنسبة إلى كونه نافخ الروح وحامل الوحي الذي هو كالروح في الإحياء، وقد اتفقوا على أن إسرافيل أعظم من جبريل ومن غيره فلو كان أحد يقوم صفاً واحداً لكان هو إسرافيل دون جبرائيل والله أعلم بمراده من الروح وإن اختلفت الروايات فيه هذا ما لاح لي في هذا المقام بعون الملك العلام وصفاً حال أي: مصطفين لكثرتهم وقيامهم بما أمر الله في أمر العباد وقيل هما صفان الروح صف والملائكة صف وقيل صفوف وهو الأوفق لقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] ويوم ظرف لقوله تعالى **﴿لا يتكلمون﴾** وقوله تعالى **﴿إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾** بدل من ضمير لا يتكلمون العائد إلى أهل السماوات والأرض الذين من جملتهم الروح والملائكة وهو أرجح لكون الكلام غير موجب والمستثنى منه مذكور في مثله يختار البدل على الاستثناء وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه تعالى وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار الكلام من مطلع السورة إلى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى: **﴿لا يتكلمون. . .﴾** الخ. ومؤكد له على معنى أن أهل السماوات والأرض إذا لم يقدروا يومئذٍ على أن يتكلموا بشيء من جنس الكلام إلا من أذن الله له منهم في التكلم وقال ذلك المأذون له قولاً صواباً أي حقاً صادقاً أو واقعاً في محله من غير خطأ في قوله فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه أخص من مطلق الكلام وأعز منه مراماً وقيل: **﴿إلا من أذن﴾** . . . الخ منصوب على أصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون إلا في حق شخص أذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صواباً، أي حقاً هو التوحيد وكلمة الشهادة دون غيره من أهل الشرك فإنهم لم يقولوا في الدنيا صواباً بل تفوهوا بكلمة الكفر والشرك وإظهار الرحمن في موقع الإضمار للإيذان بأن مناط الإذن هو الرحمة البالغة لأن أحداً لا يستحقه عليه تعالى، وفي «عرائس البقلي»: من كان كلامه في الدنيا من حيث الأحوال والأحوال من حيث الوجد والوجد من حيث الكشف والكشف من حيث المشاهدة والمشاهدة من حيث المعاينة فهو

مأذون في الدنيا والآخرة يتكلم مع الحق على بساط الحرمة والهيبة ينقذ الله به الخلائق من ورطة الهلاك.

قال ابن عطاء: الخالص ما كان لله والصواب ما كان على وجه السنة، وقال بعضهم: إنما تظهر الهيبة على العموم لأهل الجمع في ذلك اليوم وأما الخواص وأصحاب الحضور فهم أبداً بمشهد العز بنعت الهيبة وفيه إشارة إلا أن الأسرار والقلوب وقواهم الكائنين بين سماوات الأرواح وبين أرض النفوس لا يملكون أن يخاطبوا الحق في شفاعة النفس الأمارة والهوى المتبع ببسبب لحمة النسب الواقع بينهم إذ الكل أولاد الروح والقالب كما لم يملك نوح عليه السلام أن يخاطب الحق في حق ابنه كنعان بمعنى أنه لم يقدر على إنجائه إذ جاء الخطاب بقوله: ﴿فَلَا تَسْئَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦].

﴿ذلك﴾ إشارة إلى يوم قيامهم على الوجه المذكور ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده أي ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم ولا غيرهم على التكلم من الهيبة والجلال ﴿اليوم الحق﴾ أي الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وذلك لأنه متحقق علماً فلا بد أن يكون متحققاً وقوعاً كالصباح بعد مضي الليل وفيه إشارة إلى أنه واقع ثابت في جميع الأوقات والأحايين ولكن لا يبصرون به لاشتغالهم بالنفس الملهية وهواها الشاغل ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً﴾ الفاء فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقه بها حسب القاعدة المستمرة وإلى ربه متعلق بما أقدم عليه اهتماماً به ورعاية للفواصل كأنه قيل وإذا كان الأمر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء أن يتخذ مرجعاً إلى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالإيمان والطاعة وقال قتادة مآباً أي سبيلاً وتعلق الجار به لما فيه من معنى الاقتضاء والإيصال.

وفي «التأويلات النجمية»: مآباً أي: مرجعاً ورجوعاً من الدنيا إلى الآخرة ومن الآخرة إلى رب الدنيا والآخرة لأنهما حرامان على أهل الله.

﴿إنا أنذرناكم﴾ أي بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواعي أو بها وبسائر القوارع الواردة في القرآن والخطاب لمشركي العرب وكفار قريش لأنهم كانوا ينكرون البعث وفي بعض التفاسير الظاهر عموم الخطاب كعموم من لأن في إنذار كل طائفة فائدة لهم. ﴿عذاباً قريباً﴾ هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق إتيانه حتماً ولأنه قريب بالنسبة إليه تعالى وممكن وإن رأوه بعيداً وغير ممكن فيرونه قريباً لقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٦] وقال بعض أهل المعرفة العذاب القريب هو عذاب الالتفات إلى النفس والدنيا والهوى. وقال القاشاني: هو عذاب الهيئات الفاسقة من الأعمال الفاسدة دون ما هو أبعد منه من عذاب القهر والسخط وهو ما قدمت أيديهم.

﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ تثنية أصلها يدان سقطت نونها بالإضافة ويوم بدل من عذاباً أو ظرف لمضمر هو صفة له أي عذاباً كائناً يوم المرء أي يشاهد ما قدمه من خير أو شر يعني: بازيابدكردار هاي خودرا ازخير وشر.

على أن ما موصولة منصوبة بينظر لأنه يتعدى بنفسه وبإلى والعائد محذوف أي قدمته أو ينظر أي شيء قدمت يداه على أنها استفهامية منصوبة بقدمت متعلقة بينظر فالمرء عام للمؤمن

والكافر لأن كل أحد يرى عمله في ذلك اليوم مثبتاً في صحيفته خيراً كان أو شراً فيرجو المؤمن ثواب الله على صالح عمله ويخاف العقاب على سيئه وأما الكافر فكما قال الله تعالى ﴿**ويقول الكافر يا ليتني**﴾ أي: يا قوم فالمنادى محذوف ويجوز أن يكون بالمحض التحسر ولمجرد التنبيه من غير قصد إلى تعيين المنبه وبالفارسية أي كاشكي من. ﴿**كنت تراباً**﴾ في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف وهو في محل الرفع على أنه خبر ليت أو ليتني كنت تراباً في هذا اليوم فلم أبعث كقوله: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥] إلى أن قال ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴿٢٧﴾﴾ [الحاقة: ٢٧] وقيل يحشر الله الحيوان فيقتص للجماء من القرناء نطحتها أي قصاص المقابلة لا قصاص التكليف ثم يرده تراباً فيود الكافر حاله كما قال عليه السلام: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء» وهذا صريح في حشر البهائم وإعادتها لقصاص المقابلة لا للجزاء ثواباً وعقاباً، وقيل الكافر إبليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين يعني إبليس آدم را عيب مي كردكه ازخاك آفريده شده وخود رامي ستودكه من از آتش مخلوقم چون دران روز كرامت آدم وثواب فرزندان مؤمن أو مشاهده نمايد وعذاب وشذدت خودرا بيند آروز بردكه كاشكى من ازخاك بودمي ونسبت بآدم داشتمي أي درويش اين دبدبه وطنطنه كه خاكيا نراست هيچ طبقة از طبقات مخلوقاً ترا نيست.

خاك راخوار وتيره ديد إبليس كرد انكارش آن حسود خسيس
ماند غافل زنور باطن او نشدا كه زسر كامل أو
بهر كنجى كه هست دردل خاك اين صدا داده اند در أفلاك
كه بجز خاك نيست مظهر كل خاك شو خاك تابرويد كل

وأما مؤمنو الجن فلهم ثواب وعقاب فلا يعودون تراباً وهو الأصح فيكون مؤمنوهم مع مؤمني الإنس في الجنة أو في الأعراف ونعيمهم ما يناسب مقامهم ويكون كفارهم مع كفار الإنس في النار وعذابهم بما يلائم شأنهم وقيل هو تراب سجدة المؤمن تنطفىء به عنه النار وتراب قدمه عند قيامه في الصلاة فيتمنى الكافر أن يكون تراب قدمه.

وفي «التأويلات النجمية»: يوم ينظر المرء ما قدمت يد قلبه ويد نفسه من الإحسان والإساءة ويقول كافر النفس الساتر للحق يا ليتني كنت تراب أقدام الروح والسر والقلب متذللة بين يديهم مؤتمرة لأوامرهم ونواهيهم وفي «كشف الأسرار» از عظمت آن روز است كه بيست وچهار ساعت شبانروز دنيارا بر مثال بيست وچهار خزانه حشر كنند ودر عرصات قيامت حاضر كردانديكان يكان خزانه ميكشايند وبربنده عرض ميد هند از ان خزانه بكشايند بربها وجمال ونور وضيا وآن آن ساعتست كه بنده ررخيرات وحسنات وطاعات بود بنده چون حسن ونور بهاي آن بيند چندان شادي وطرب واهتزاز بر وغالب شودكه اكر انرا بر جملهٔ دوزخيان قسمت كننداز دهشت آن شادي الم ودرد آتش فراموش كنند خزانهٔ ديكر بكشايند تاريك ومظلم پرنتن ووحشت وآن آن ساعتست كه بنده در معصيت بوده وحق ازره ظلمت ووحشت آن كردار درآيد چندان فزع وهول ورنج وغم اورا فرو كيردكه اكر بركل اهل بهشت قسمت كتند نعيم بهشت بر ايشان منغص شود خزانة ديكر بكشايند حالي كه درونه طاعت بودكه سبب شادي است نه معصيت كه موجب اندوهست وآن ساعتي است كه بنده در وخفته باشد يا غافل يا

بمباحات دنيا مشغول بوده بنده بران حسرت خورد وعين عظيم برورواه يابد همچنين خزائن يك يك ميكشايند وبر وعرضه ميكنند از ان ساعت كه در طاعت كرده شاد ميكردد وازان ساعت كه درو معصيت كرده رنجور ميشود وبر ساعتي كه مهمل كذاشته حسرت وغبن ميخورد وچون كار مؤمن مقصر دران روز اين باشد پس قياس كن كه حال كافر چكونه باشد در حسرت وندامت وآه وزاري.

روى أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة» وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال النبي عليه السلام: «تعلموا سورة عم يتساءلون عن النبأ العظيم، وتعلموا ق والقرآن المجيد، والنجم إذا هوى والسماء ذات البروج، والسماء والطارق، فإنكم لو تعلمون ما فيهن لعطلتم ما أنتم عليه وتعلمتموهن وتقربوا إلى الله بهن إن الله يغفر بهن كل ذنب إلا الشرك بالله»، وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله لقد أسرع إليك الشيب، قال: «شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت»، الكل في «كشف الأسرار»، وفيه إشارة إلى أن من تعلم هذه السور ينبغي له أن يتعلم معانيها أيضاً إذ لا يحصل المقصود إلا به وتصريح بأن هم الآخرة ومطالعة الوعيد واستحضاره يشيب الإنسان ولذا ذم الحبر السمين والقارىء السمين إذ لم يكن سميناً إلا بالذهول عما قرأه ولو استحضره وهم به لشاب من همه وذاب من غمه لأن الشحم مع الهم لا ينعقد. قال الشافعي رحمه الله: ما أفلح سمين قط إلا أن يكون محمد بن الحسن فقيل له ولم قال لأنه لا يخلو العاقل من إحدى حالتين إما أن يهم لآخرته ومعاده أو لدنياه ومعاشه والشحم مع الهم لا ينعقد فإذا خلا من المعنيين صار في حد البهائم بعقد الشحم.

تمت سورة النبأ بالعون الإلهي في الثاني والعشرين من شهر الله المحرم من شهور سنة سبع عشرة ومائة وألف

٧٩ ـ سورة النازعات

خمس أو ست وأربعون آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝٥﴾.

﴿**والنازعات غرقاً**﴾ الواو للقسم والقسم يدل على عظم شأن المقسم به ولله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته تنبيهاً على ذلك العظم، والنازعات جمع نازعة بمعنى طائفة من الملائكة نازعة فأنثت صفة الملائكة باعتبار كونهم طائفة ثم جمعت تلك الصفة فقيل نازعات بمعنى طوائف من الملائكة نازعات وقس عليه الناشطات نحوه وإلا فكان الظاهر أن يقال والنازعين والناشطين والنزع جذب الشيء من مقره بشدة والغرق مصدر بحذف الزوائد بمعنى الإغراق وهو بالفارسية غرقه كردن وكمان بزور كشيدن.

والغرق: الرسوب في الماء وفي البلاء فهو مفعول مطلق للنازعات لأنه نوع من النزع فيكون شرطه موجوداً وهو اتفاق المصدر مع عامله والإغراق في النزع التوغل فيه والبلوغ إلى أقصى درجاته يقال: أغرق النازع في القوس إذا بلغ غاية المد حتى انتهى إلى النصل، أقسم الله بطوائف الملائكة التي تنزع أرواح الكفار من أجسادهم إغراقاً في النزع، يعني جان كافران بسختي نزع ميكنند.

وأيضاً ينتزعونها منهم معكوساً من الأنامل والأظفار، ومن تحت كل شعرة كما تنزع الأشجار المتفرقة العروق في أطراف الأرض وكما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول وكما يسلخ جلد الحيوان وهو حي، وكما يضرب الإنسان ألف ضربة بالسيف بل أشد والملائكة وهم ملك الموت وأعوانه من ملائكة العذاب يطعنونهم بحربة مسمومة بسم جهنم والميت يظن أن بطنه قد مليء شوكاً، وكأن نفسه تخرج من ثقب إبرة وكأن السماء انطبقت على الأرض وهو بينهما فإذا نزعت نفس الكافر وهي ترعد أشبه شيء بالزئبق على قدر النحلة وعلى صورة عمله تأخذها الزبانية ويعذبونها في القبر وفي سجين وهو العذاب الروحاني ثم إذا قامت القيامة انضم الجسماني إلى الروحاني فقوله: ﴿**والنازعات غرقاً**﴾ إشارة إلى كيفية قبض أرواح الكفار بشهادة مدلول اللفظ.

﴿**والناشطات نشطاً**﴾ قسم آخر معنى بطريق العطف والنشط جذب الشيء من مقره برفق ولين ونصب نشطاً على المصدرية، أقسم الله بطوائف الملائكة التي تنشط أرواح المؤمنين أي تخرجها من أبدانهم برفق ولين كما تنشط الدلو من البئر يقال نشط الدلو من البئر إذا أخرجها

وكما تنشط الشعرة من السمن وكما تنسل القطرة من السقاء وهم ملك الموت وأعوانه من ملائكة الرحمة ونفس المؤمن وإن كانت تجذب من أطراف البنان ورؤوس الأصابع أيضاً لكن لا يحس بالألم كما يحس به الكافر وأيضاً نفس المؤمن ليس لها شدة تعلق بالبدل كنفس الكافر لكونها منجذبة إلى عالم القدس وإنما يشتد الأمر على أهل التعلق دون أهل التجرد خصوصاً إذا كان ممن مات بالاختيار قبل الموت وأيضاً حين يجذبونها يدعونها أحياناً حتى تستريح وليس كذلك أرواح الكفار في قبضها لكن ربما يتعرض الشيطان للمؤمن الضعيف اليقين والقاصر في العمل إذا بلغ الروح التراقي فيأتيه في صورة أبيه وأمه وأخيه أو صديقه فيأمره باليهودية أو النصرانية أو نحو ذلك نسأل الله السلامة.

حكي أن إبليس عليه اللعنة تمثل للنبي عليه السلام يوماً وبيده قارورة ماء فقال أبيعه بإيمان الناس حالة النزع فبكى النبي عليه السلام حتى بكت أهل بيته فأوحى الله تعالى إليه «أني احفظ عبادي في تلك الحالة» من كيده، والميت يرى الملائكة حينئذٍ على صورة أعماله حسنة أو قبيحة فإذا أخذوا نفس المؤمن يلفونها في حرير الجنة وهي على قدر النحلة وعلى صورة عمله ما فقد شيء من عقله وعلمه المكتسب في الدنيا دل عليه قوله تعالى: حكاية عن حبيب النجار الشهيد في أنطاكية قال: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٧﴾ [يس: ٢٦، ٢٧] فيعرجون بها إلى الهواء ويهيئون له أسباب التنعيم في قبره وفي عليين وهو النعيم الروحاني ثم إذا قام الناس من قبورهم ازداد النعيم بانضمام الجسماني إلى الروحاني فقوله: ﴿**والناشطات نشطاً**﴾ إشارة إلى كيفية قبض أرواح المؤمنين بشهادة اللفظ ومدلوله أيضاً فإن قيل قد ثبت أن النبي عليه السلام أخذ روحه الطيب ببعض شدة حتى قال: «واكرباه» وقال: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات اللهم أعني على سكرات الموت» أي غمراته وكان يدخل يده الشريفة في قدح فيه ماء ثم يمسح وجهه المنور بالماء ولما رأته فاطمة رضي الله عنها يغشاه الكرب قالت: «واكرب أبتاه»، فقال لها: عليه السلام: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم» فإذا كان أمر النبي عليه السلام حين انتقاله هكذا فما وجه ما ذكر من الرفق واللين؟ أجيب بأن مزاجه الشريف كان أعدل الأمزجة فأحس بالألم أكثر من غيره إذا الخفيف على الأخف ثقيل، وأيضاً يحتمل أن يبتليه الله بذلك ليدعو الله في أن يجعل الموت لأمته سهلاً يسيراً، وأيضاً قد روي أنه طلب من الله أن يحمل عليه بعض صعوبة الموت تخفيفاً عن أمته فإنه بالمؤمنين رؤوف رحيم وأيضاً فيه تسلية أمته إذا وقع لأحد منهم شيء من ذلك الكرب عند الموت وأيضاً لكي يحصل لمن شاهد من أهله ومن غيرهم من المسلمين الثواب لما يلحقهم عليه من المشقة كما قيل بمثل ذلك في حكمة ما يشاهد من حال الأطفال عند الموت من الكرب الشديد، وأيضاً راحة الكمل في الشدة لأنها من باب الترقي في العلوم والدرجات وأقل الأمر للناقصين كفارة الذنوب فأهل الحقيقة لا شدة عليهم في الحقيقة لاستغراقهم في بحر الشهود وإنما الشدة لظواهرهم والحاصل كما أن النار لا ترفع عن الدنيا والدنيا قائم فكذا الشدة لا ترفع عن الظواهر في هذا الموطن.

﴿**والسابحات سبحاً**﴾ قسم آخر معنى أيضاً بطريق العطف والسبح المر السريع في الماء أو في الهواء وسبحاً نصب على المصدرية، أقسم الله بطوائف الملائكة التي تسبح في مضيها، أي تسرع فينزلون من السماء إلى الأرض مسرعين مشبهين في سرعة نزولهم بمن يسبح في

الماء وهذا من قبيل التعميم بعد التخصيص لأن نزول الأولين إنما هو لقبض الأرواح مطلقاً ونزول هؤلاء لعامة الأمور والأحوال.

﴿فالسابقات سبقاً﴾ عطف على السابحات بالفاء للدلالة على ترتب السبق على السبح بغير مهلة فالموصوف واحد ونصب سبقاً على المصدرية، أي التي تسبق سبقاً إلى ما أمروا به ووكلوا عليه أي يصلون بسرعة والسبق كناية عن الإسراع فيما أمروا به لأن السبق وهو التقدم في السير من لوازم الإسراع فالسبق هنا لا يستلزم وجود المسبوق إذ لا مسبوق.

﴿فالمدبرات أمراً﴾ عطف على السابقات بالفاء للدلالة على ترتب التدبير على السبق بغير تراخ والتدبير التفكر في دبر الأمور وأمراً مفعول للمدبرات. قال الراغب: يعني الملائكة الموكلين بتدبير الأمور انتهى. أي التي تدبر أمراً من الأمور الدنيوية والأخروية للعباد كما رسم لهم من غير تفريط وتقصير والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة وجه البعث أن الموت يستدعيه للأجر والجزاء لئلا يستمر الظلم والجور في الوجود، وما ربك بظلام للعبيد فكأن الله تعالى يقول إن الملائكة ينزلون لقبض الأرواح عند منتهى الآجال ثم ينجر الأمر إلى البعث لما ذكر فكان من شأن من يقر بالموت أن يقر بالبعث فلذا جمع بين القسم بالنازعات وبين البعث الذي هو الجواب وفي عنوان هذه السورة وجوه كثيرة صفحنا عن ذكرها واخترنا سوق «الكشاف» فإنه هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل.

وقال القاشاني: أقسم بالنفوس المشتاقة التي غلب عليها النزوع إلى جناب الحق غريقة في بحار الشوق والمحبة والتي تنشط من مقر النفس وأسر الطبيعة أي تخرج من قيود صفاتها وعلائق البدن من قولهم ثور ناشط إذا خرج من بلد إلى بلد أو من قولهم نشط من عقاله والتي تسبح في بحار الصفات فتسبق إلى عين الذات ومقام الفناء في الوحدة فتدبر بالرجوع إلى الكثرة أمر الدعوة إلى الحق والهداية وأمر النظام في مقام التفصيل بعد الجمع انتهى.

ثم إن النفوس الشريفة لا يبعد أن يظهر منها آثار في هذا العالم سواء كانت مفارقة عن الأبدان أو لا فتكون مدبرات ألا ترى أن الإنسان قد يرى في المنام أن بعض الأموات يرشده إلى مطلوبه ويرى أستاذه فيسأله عن مسألة فيحلها له سئل زرارة بعد أن توفي رضي الله عنه في المنام: أي الأعمال أفضل عندكم؟ فقال: الرضى وقصر الأمل. وعن بعضهم رأيت ورقاء بن بشر رحمه الله، في المنام فقلت: ما فعل الله بك قال نجوت بعد كل جهد قلت فأي الأعمال وجدتموها أفضل قال البكاء من خشية الله وقال بعضهم: هلكت جارية في الطاعون فرآها أبوها في المنام فقال لها يا بنية أخبريني عن الآخرة قالت: يا أبت قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في صحيفة عملي أحب إليّ من الدنيا وما فيها، ونظائره كثيرة لا تحصى وقد يدخل بعض الأحياء من جدار ونحوه على بعض من له حاجة فيقضيها وذلك على خرق العادة فإذا كان التدبير بيد الروح وهو في هذا الموطن فكذا إذا انتقل منه إلى البرزخ بل هو بعد مفارقته البدن أشد تأثيراً وتدبيراً لأن الجسد حجاب في الجملة ألا ترى أن الشمس أشد إحراقاً إذا لم يحجبها غمام أو نحوه.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾

﴿يوم ترجف الراجفة﴾ منصوب بالجواب المضمر وهو لتبعثن والمراد بالراجفة الواقعة

التي ترجف عندها الأجرام الساكنة كالأرض والجبال أي: تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة من هول ذلك اليوم وهي النفخة الأولى أسند إليها الرجف مجازاً على طريق إسناد الفعل إلى سببه فإن حدوث تلك النفخة سبب لاضطراب الأجرام الساكنة من الرجفان وهي شدة الاضطراب ومنه الرجفة للزلزلة لما فيه من شدة الاضطراب وكثرة الانقلاب وفيه إشعار بأن تغير السفلي مقدم على تغير العلوي وإن لم يكن مقطوعاً.

﴿تتبعها الرادفة﴾ أي: الواقعة التي تردف الأولى أي: تجيء بعدها وهي النفخة الثانية لأنها تجيء بعد الأولى يقال ردفه كسمعه ونصره تبعه كأردفه وأردفته معه أركبته معه كما في «القاموس»، وهي حال مقدرة من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفاً للبعث، أي: لتبعثن يوم النفخة الأولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك، فإنه عبارة عن الزمان الممتد الذي تقع فيه النفختان وبينهما أربعون سنة كما قال في «الكشاف»: لتبعثن في الوقت الواسع الذي تقع فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الأخرى انتهى. قال في «الإرشاد»: واعتبار امتداده مع أن البعث لا يكون إلا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعاً لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الأولى حي إلا مات ولا عند وقوع الثانية ميت إلا بعث وقام.

﴿قلوب﴾ مبتدأ وتنكيره يقوم مقام الوصف المخصص سواء حمل على التنويع وإن لم يذكر النوع المقابل فإن المعنى منسحب عليه أو على التكثير كما في«شر أهر ذا ناب»، فإن التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية أيضاً كأنه قيل قلوب كثيرة أو عاصية كما قال في «التأويلات النجمية»: قلوب النفس المتمردة الشاردة النافرة عن الحق.

﴿يومئذٍ﴾ يوم إذ تقع النفختان وهو متعلق بقوله: ﴿واجفة﴾ أي شديدة الاضطراب من سوء أعمالهم وقبح أفعالهم فإن الوجيف عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل وعلم منه أن الواجفة ليست جميع القلوب بل قلوب الكفار فإن أهل الإيمان لا يخافون.

﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥﴾.

﴿أبصارها﴾ أي: أبصار أصحابها كما دل عليه قوله ﴿يقولون﴾ وإلا فالقلوب لا أبصار لها وإنما أضاف الأبصار إلى القلوب لأنها محل الخوف وهو من صفاتها ﴿خاشعة﴾ ذليلة من الخوف بسبب الإعراض عن الله والإقبال على ما سواه يترقبون أي شيء ينزل عليهم من الأمور العظام وأسند الخشوع إليها مجازاً لأن أثره يظهر فيها.

﴿يقولون﴾ استئناف بياني أي هم يقولون الآن يعني: أن منكري البعث ومكذبي الآيات الناطقة به إذا قيل لهم إنكم تبعثون يقولون منكرين له متعجبين منه. ﴿أئنا﴾ أياماً ﴿لمردودون﴾ معادون بعد موتنا ﴿في الحافرة﴾ أي في الحالة الأولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان في حافرته أي طريقته التي جاء فيها فحفرها أي أثر فيها بمشبه وتسميتها حافرة مع أنها محفورة وإنما الحافر هو الماشي في تلك الطريقة كقوله تعالى: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٧] أي منسوبة إلى الحفر والرضى أو على تشبيه القابل بالفاعل أي: في تعلق الحفر بكل منهما فأطلق اسم

الثاني على الأول للمشابهة كما يقال صام نهاره تشبيهاً لزمان الفعل بفاعله وقال مجاهد والخليل بن أحمد: الحافرة هي الأرض التي يحفر فيها القبور ولذا قال في «التأويلات النجمية» أي: حافرة أجسادنا وقبور صدورنا.

﴿أئذا﴾ العامل في إذا مضمر يدل عليه مردودون أي: ﴿أئذا كنا﴾ يا چون كرديم ما ﴿عظاماً نخرة﴾ بالية نرد ونبعث مع كونها أبعد شيء من الحياة فهو تأكيد لإنكار الرد ونفيه بنسبته إلى حالة منافية له ظنوا أن من فساد البدن وتفرق أجزائه يلزم فساد ما هو الإنسان حقيقة وليس كذلك، ولو سلم أن الإنسان هو هذا الهيكل المخصوص فلا نسلم امتاع إعادة المعدوم فإن الله قادر على كل الممكنات فيقدر على جمع الأجزاء العنصرية وإعادة الحياة إليها لأنها متميزة في علمه وإن كانت غير متميزة في علم الخلق كالماء مع اللبن فإنهما وإن امتزجا لكن أحدهما متميز عن الآخر في علم الله، وإن كان عقل الإنسان قاصراً عن إدراكه، والنخر البلى يقال نخر العظم والخشب بكسر العين إذا بلي واسترخى وصار بحيث لو مس لتفتت ونخرة أبلغ من ناخرة لكونها من صيغ المبالغة أو صفة مشبهة دالة على الثبوت ولذا اختارها الأكثر والناخرة أشبه برؤوس الآي ولذا اختارها البعض وقيل: النخرة غير الناخرة إذا النخرة بمعنى البالية، وأما الناخرة فهي العظام الفارغة المجوفة التي يحصل فيها صوت من هبوب الريح من نخير النائم والمجنون لا من النخر بمعنى البلى قال الراغب: النخير صوت من الأنف وسمي خرق الأنف الذي يخرج منه النخير منخران فالمنخران ثقبتا الأنف.

﴿قالوا﴾ اختيار الماضي هنا للإيذان بأن صدور هذا الكفر منهم ليس بطريق الاستمرار مثل كفرهم السابق المعبر عنه بالمضارع، أي: قالوا بطريق الاستهزاء بالحشر. ﴿تلك﴾ الردة والرجعة في الحافرة وفيه إشعار بغاية بعدها من الوقوع في اعتقادهم. ﴿إذاً﴾ آنكاء ونران تقدير. ﴿كرة﴾ الكر الرجوع والكرة المرة من الرجوع والجمع كرات ﴿خاسرة﴾ أي: ذات خسران على إرادة النسبة من اسم الفاعل أو خاسرة أصحابها على الإسناد المجازي أي: على طريق إسناد الفعل إلى ما يقارنه في الوجود كقولك تجارة رابحة والربح فعل أصحاب التجارة وهي عقد المبادلة والربح والتجارة متقارنان في الوجود وإلا فهم الخاسرون والكرة مخسور فيها، أي: إن صحت تلك الكرة فنحن إذاً خاسرون لتكذيبنا بها وهذا المعنى أفاده كلمة إذا فإنها حرف جواب وجزم عند الجمهور وإنما حمل قولهم هذا على الاستهزاء لأنهم أبرزوا ما قطعوا بانتفائه واستحالته في صورة المشكوك المحتمل الوقوع.

﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾ جواب من الله عن كلامهم بالإنكار وتعليل لمقدر أي: لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله فإنها سهلة هينة في قدرته فإنما هي صيحة واحدة أي حاصلة بصيحة واحدة لا تكرر يسمعونها وهم في بطون الأرض، وهي النفخة الثانية كنفخ واحد في صور الناس لإقامة القافلة عبر عن الكرة بالزجرة تنبيهاً على كمال اتصالها بها كأنها عينها يقال زجر البعير إذا صاح عليه. ﴿فإذا هم﴾ پس آنكاه ايشان وسائر خلايق ﴿بالساهرة﴾ أي: فاجأوا الحصول بها وهو بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التي عبر عنها بالزجرة وإذا المفاجأة تفيد حدوث ما أنكروه بسرعة على فجأة والساهرة الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك لأن السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة يعني أن بياض الأرض عبارة عن خلوها عن الماء والكلأ شبه جريان السراب فيها بجريان الماء عليها فقيل لها ساهرة

وقيل لأن سالكها لا ينام خوف الهلكة يقال سهر كفرح لم ينم ليلاً، أو هي جهنم لأن أهلها لا ينامون فيها أو كأنه مقلوب الصاد سيناً من صهرته الشمس أحرقته وقال الراغب: حقيقتها الأرض التي يكثر الوطىء بها كأنها سهرت من ذلك، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الساهرة أرض من فضة لم يعص الله عليها قط خلقها حينئذٍ، وقال الثوري: الساهرة أرض الشام، وقال وهب بن منبه: [جبل بيت المقدس وكفته اند ساهره نام زمين است نزديك بيت المقدس در حوالىء جبل اريحاكه محشر آنجا خواهد بود خداي آنراكشاده كرداند چندانكه خواهد].

وفي الحديث: «بيت المقدس أرض المحشر والمنشر» وقال المولى الفناري في «تفسير الفاتحة»: إن الناس إذا قاموا من قبورهم وأراد الله أن يبدل الأرض غير الأرض تمد الأرض بإذن الله ويكون المحشر فيكون الخلق عليه عندما يبدل الله الأرض كيف يشاء إما بالصورة وإما بأرض أخرى ما هم عليها تسمى بالساهرة فيمدها سبحانه مد الأديم ويزيد في سعتها أضعاف ما كانت من أحد وعشرين جزءاً إلى تسعة وتسعين جزءاً حتى لا نرى عوجاً وإلا أمتاً.

وقال في «التأويلات النجمية»: فإذا هم بالساهرة أي بظهر أرض الحياة كما كانوا قبله ببطن أرض الممات.

﴿هل أتاك حديث موسى﴾ كلام مستأنف وارد لتسلية رسول الله ﷺ عن تكذيب قومه بأنه يصيبهم مثل ما أصاب من كان أقوى منهم وأعظم، يعني: فرعون، ومعنى هل أتاك أن اعتبر هذا أو ما أتاه من حديثه ترغيب له في استماع حديثه وحمل له على طلب الأخبار كأنه قيل: هل أتاك حديث موسى قبل هذا أم أنا أخبرك به؟ كما قال الحسن رحمه الله: إعلام من الله لرسوله حديث موسى كقول الرجل لصاحبه هل بلغك ما لقي أهل البلد وهو يعلم أنه لم يبلغه وإنما قال ليخبره به انتهى. وإن اعتبر إتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الإيجاز في الاقتصاص استفهام تقرير له أي: حمل له على الإقرار بأمر يعرفه قبل ذلك أي: أليس قد أتاك حديثه وبالفارسية آي چنين نيست كه آمد بتو خبر موسى كليم عليه السلام، تسلى دهى دل خودرا بر تكذيب قوم وخبز فرستادى ازو عدهء مؤمنان ووعيد كافران.

يعني: قد جاءك وبلغك حديثه عن قريب كأنه لم يعلم بحديث موسى وأنه لم يأته بعد وإلا لما كان يتحزن على إصرار الكفار على إنكار البعث وعلى استهزائهم به بل يتسلى بذلك فهل بمعنى قد المقربة للحكم إلى الحال وهمزة الاستفهام قبلها محذوفة وهي للتقرير وزيد ليس لأنه أظهر دلالة على ذلك لا لأنه مقدر في النظم.

﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

﴿إذ ناداه ربه﴾ ظرف للحديث والمناداة والنداء بالفارسية خواندن.

وفي «القاموس»: النداء الصوت أي هل أتاك حديثه الواقع حين ناداه ربه إذ المراد خبره الحادث فلا بد له من زمان يحدث فيه لا ظرف للإتيان لاختلاف وقتي الإتيان والنداء لأن الإتيان لم يقع في وقت النداء أو مفعول لأذكر المقدر وعليه وضع السجاوندي علامة الوقف اللازم على موسى وقال لأنه لو وصل صار إذ ظرفاً لإتيان الحديث، وهو محال لعله لم يلتفت

إلى عمل حديث لكونه هنا اسماً بمعنى الخبر مع وجود فعل قوي في العمل قبله وبالجملة لا يخلو عن إيهام فالوجه الوقف كذا في بعض التفاسير. ﴿**بالواد المقدس**﴾ المبارك المطهر بتطهير الله عما لا يليق حين مكالمته مع كليمه أو سمي مقدساً لوقوعه في حدود الأرض المقدسة المطهرة عن الشرك ونحوه وأصل الوادي الموضع الذي يسيل فيه الماء ومنه سمي المنفرج بين الجبلين وادياً والجمع أودية ويستعار للطريقة كالمذهب والأسلوب فيقال فلان في واد غير واديك. ﴿**طوى**﴾ بضم الطاء والتنوين تأويلاً له بالمكان أو بغير تنوين تأويلاً له بالبقعة قال الفراء: الصرف أحب إلي إذ لم أجد في المعدول نظيراً أي لم أجد اسماً من الوادي عدل عن جهته غير طوى وهو اسم للوادي الذي بين المدينة ومصر فيكون عطف بيان له.

قال القاشاني: الوادي المقدس هو عالم الروح المجرد لتقدسه عن التعلق بالمواد واسمه طوى لانطواء الموجودات كلها من الأجسام والنفوس تحته وفي طيه وقهره وهو عالم الصفات ومقام المكالمة من تجلياتها فلذلك ناداه بهذا الوادي ونهاية هذا العالم هو الأفق الأعلى الذي رأى رسول الله ﷺ عنده جبريل على صورته.

﴿**اذهب إلى فرعون**﴾ على إرادة القول أي فقال له اذهب إلى فرعون ﴿**إنه طغى**﴾ تعليل للأمر أو لوجوب الامتثال به والطغيان مجاوزة الحد أي طغى على الخالق بأن كفر به وطغى على الخلق بأن تكبر عليهم واستعبدهم فكما أن كمال العبودية لا يكون إلا بالصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق فكذا كمال الطغيان يكون بسوء المعاملة معهما. وقال القاشاني: أي: ظهر بأنانيته وذلك أن فرعون كان ذا نفس قوية حكيماً عالماً سلك وادي الأفعال وقطع بوادي الصفات واحتجب بأنانيته وانتحل صفات الربوبية ونسبها إلى نفسه وذلك تفرعنه وجبروته وطغيانه فكان ممن قال فيه عليه السلام: شر الناس من قامت القيامه عليه فهو حي لقيامة بنفسه وهواها في مقام توحيد الصفات وذلك من أقوى.

الحجب ﴿**فقل**﴾ بعد ما أتيته ﴿**هل لك**﴾ رغبة وتوجه ﴿**إلى أن تزكى**﴾ بحذف إحدى التاءين من تتزكى أي: تتطهر من دنس الكفر والطغيان ووسخ الكدورات البشرية والقاذورات الطبيعية، فقوله: ﴿**لك**﴾ خبر مبتدأ محذوف و﴿**إلى أن**﴾ متعلق بذلك المبتدأ المضمر وقد يقال قوله هل لك مجاز عن أجذبك وأدعوك والقرينة هي القريبة وهي المجاورة.

﴿**وأهديك إلى ربك**﴾ وأرشدك إلى معرفته فتعرفه أشار إلى أن في النظم مضافاً مضمراً وتقديم التزكية لتقدم التخلية على التحلية. ﴿**فتخشى**﴾ إذ الخشية لا تكون إلا بعد معرفته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] أي: العلماء بالله قيل: إنه تعالى قال في آخره ولن يفعل فقال موسى: فكيف أمضي إليه وقد علمت أنه لن يفعل فأوحى إليه إن امض لما تؤمر فإن في السماء اثني عشر ألف ملك يطلبون علم القدر فلم يدركوه وجعل الخشية غاية للهداية لأنها ملاك الأمر لأن من خشي الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر كما قال عليه السلام: «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل» يقال أدلج القوم إذا ساروا من أول الليل، وإن ساروا من آخر الليل فقد ادلجوا بالتشديد، ثم إنه تعالى أمر موسى عليه السلام، بأن يخاطبه بالاستفهام الذي معناه العرض ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤] لعله يتذكر أو يخشى أما كونه ليناً فلأنه في صورة العرض لا في صورة الأمر صريحاً وليس فيه أيضاً ذكر نحو الشرك

والجهل والكفر إن من متعلقات التزكي وأما اشتماله على بعض التفصيل فظاهر.

﴿فأراه﴾ پس بنمود اورا موسى﴿الآية الكبرى﴾ الفاء فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلاً على تفصيلها في السور الأخرى فإنه جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات إلى أن قال: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأعراف: ١٠٦] أي: فذهب إليه موسى بأمر الله فدعاه إلى التوحيد والطاعة وطلب هو منه المعجزة الدالة على صدقه في دعوته والإراءة إما من التبصير أو التعريف فإن اللعين حين أبصرها عرفها وادعاء سحريتها إنما كان إراءة منه وإظهاراً للتجلد ونسبتها إليه بالنظر إلى الظاهر كما أن نسبتها إلى نون العظمة في قوله ولقد أريناه آياتنا بالنظر إلى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية والصغرى غيرها من معجزاته الباقية وذلك أن القلب المذكور كان المقدم على الكل في الإراءة، فينبغي أن يكون هو المراد على ما تقتضيه الفاء التعقيبية.

﴿فكذب﴾ فرعون بموسى وسمى معجزته سحراً عقيب رؤية الآية من غير رؤية وتأمل وطلب شاهد من عقل وناصح من فكر وقلب لغاية استكباره وتمرده. ﴿وعصى﴾ الله بالتمرد بعد ما علم صحة الأمر ووجوب الطاعة أشد عصيان وأقبحه حيث اجترأ على إنكار وجود رب العالمين رأساً فدل العطف على أن الذي ترتب على إراءة الآية الكبرى هو التكذيب الذي يكون عصياناً لله وهو التكذيب باللسان مع حصول الجزم بأن من كذبه ممن يجب تصديقه فأما تكذيب من لا يجب تصديقه فلا يكون عصياناً، ويجوز أن يراد وعصى موسى فيما أمر به إلا أن الأول أدخل في ذمه وتقبيح حاله وكان اللعين وقومه مأمورين بعبادته تعالى وترك دعوى الربوبية لا بإرسال بني إسرائيل من الأسر والقسر فقط.

قال بعض أهل المعرفة أراه آية صرفاً ولو أراه أنوار الصفات في الآيات لم يكفر ولم يدع الربوبية إذ هناك موضع المحبة والعشق والإذعان لأن رؤية الصفات تقتضي التواضع ورؤية الذات تقتضي العربدة فكان هو محجوباً برؤية الآيات عن رؤية الصفات فلما لم يكن معه حظ شهود نور الصفة لم ينل عند رؤيتها حظ المحبة فلم يأت منه الانقياد والإذعان لذلك قال تعالى: ﴿فكذب وعصى﴾ .

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾﴾ .

﴿ثم أدبر﴾ أي تولى عن الطاعة وكلمه ثم على هذا معناها التراخي الزماني إذ السعي في إبطال أمره يقتضي مهلة أو انصرف عن المجلس. قال الراغب: أدبر أي أعرض وولى دبره ﴿يسعى﴾ يجتهد في معارضة الآية تمرداً وعناداً لا اعتقاداً بأنها يمكن معارضتها فهو تعلل بالباطل دفعاً للمجلس وهو حال من فاعل أدبر بمعنى مسرعاً مجتهداً وفي «الكشاف»: لما رأى الثعبان أدبر مرعوباً يسرع في مشيته، قال الحسن رحمه الله: كان رجلاً طياشاً. ﴿فحشر﴾ أي فجمع السحرة لقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الشعراء: ٥٣] وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ [طه: ٦٠] أي: ما يكاد به من السحرة وآلاتهم، ويجوز أن يراد جميع الناس﴿فنادى﴾ بنفسه في المقام الذي اجتمعوا فيه معه أو بواسطة المنادي. ﴿فقال﴾ لقيامه مقام الحكومة والسلطنة﴿أنا ربكم الأعلى﴾ لا رب فوقي أي لي من كل من يلي أمركم

على أن تكون صيغة التفضيل بالنسبة إلى من كان تحت ولايته من الملوك والأمراء.

وقال الكاشفي: [يعني أصنام كه بر صورت منند همهء ايشان خدايا نند ومن ازهمه برترم].

ولما ادعى العلوية قيل لموسى عليه السلام في مقابلة هذا الكلام ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٨] لأن الغلبة على سحره غلبة عليه والحاصل أنه لم يرد بهذا القول إنه خالق السماوات والأرض والجبال والنبات والحيوان فإن العلم بفساد ذلك ضروري ومن شك فيه كان مجنوناً ولو كان مجنوناً لما جاز من الله بعثة الرسول إليه بل الرجل كان دهرياً منكراً للصانع والحشر والنشر وكان يقول ليس للعالم إله حتى يكون له عليكم أمر ونهي أو يبعث إليكم رسولاً بل المربي لكم والمحسن إليكم أنا لا غيري قال بعضهم: كان ينبغي له عند ظهور ذله وعجزه بانقلاب العصا حية أن لا يقول ذلك القول فكأنه صار في ذلك الوقت كالمعتوه الذي لا يدري ما يقول [إمام قشيري رحمه الله]: [در لطائف آورده كه إبليس اين سخن شنيده كفت مراطاقت اين سخن نيست من دعوىء خيريت كفتم برآدم اين همه بلا بمن رسيد اوكه چنين لاف ميزند تاكار أو بكجا رسد].

قال بعض العارفين: لم يدع أحد من الخلائق من الكمال ما ادعاه الإنسان فإنه ادعى الربوبية وقال ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] وإبليس تبرأ منها، وقال إني أخاف الله فلم يدع مرتبة ليست له قط أي أنه على جناح واحد وهو الجلال فقط وكذا الملك فإنه على الجمال المحض بخلاف الإنسان فإنه مخلوق باليدين.

شيخ ركن الدين علاء الدولة سمناني قدس سره فرموده كه وقتى مرا حال كرم بود بزيارت حسين منصور حلاج رفتم چون مراقبه كردم روح اورا در مقام عالي يا فتم ازعليين مناجات كردم كه خدايا ابن چه حالتست كه فرعون أنا ربكم ومنصور، أنا الحق كفت هردويك دعوى كردند روح حسين در عليين است وجان فرعون درسجين بسر من ندا رسيدكه فرعون بخود بيني در افتاده همه خودرا ديد ومار اكم كرد وحسين ما راديد وخود راكم كرد پس درميان فرق بسياراست وفي «المثنوي»:

كفت فرعوني أنا الحق كشت پست ... كفت منصوري أنا الحق وبرست
إن أنارا لعنت الله در عقب ... واين أنارا رحمت الله أي محب
زانكه أو سنك سيه بود اين عقيق ... آن عدوى نور بود واين عشيق
اين أنا هو بود در سراي فضول ... نه زراي اتحاد واز حلول

قال في «أسئلة الحكم»: فإن قلت: ما الحكمة في أن إبليس قد لعن ولم يدع الربوبية وفرعون وأمثاله قد ادعوا الربوبية ولم يلعنوا تعييناً وتخصيصاً كما لعن إبليس؟ قيل: لأن نية إبليس شر من نية هؤلاء وقيل لأنه أول من سن الخلاف والشقاق قولاً وفعلاً ونية والخلق بعده ادعوا الربوبية وسنوا البغي والخلاف بوسوسته وإبليس واجه بمخالفته حضرة الرب تعالى وهم واجهوا الأنبياء والوسائط وتضرعوا تارة واعترفوا بالذنوب عند المخلوق أخرى وإبليس لم يعترف ولم يتضرع وهو أول من سن الكفر فوزر الكفار بعده راجع إليه إلى يوم القيامة ومظهر الضلالة والغواية ذاته بغير واسطة **﴿فأخذه الله﴾** بسبب ما ذكر **﴿نكال الآخرة والأولى﴾** النكال بمعنىٰ التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب أي: الذي ينكل من رآه أو سمعه ويمنعه

من تعاطي ما يفضي إليه ومحله النصب على أنه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كأنه قال: نكل الله به نكال الآخرة والأولى وهو الإحراق في الآخرة والإغراق في الدنيا وأخذ مستعمل في معنى مجازي يعم الأخذ في الدنيا والآخرة وإلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لأن الاستعمال في الأخذ الدنيوي حقيقة وفي الأخروي مجاز لتحقق وقوعه وإضافة النكال إلى الدارين باعتبار وقوع نفس الأخذ فيهما لا باعتبار أن ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فإن ذلك لا يتصور في الآخرة بل في الدنيا فإن العقوبة الأخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطي ما يؤدي إليها لا محالة.

وفي «التأويلات القاشانية»: نازع الحق بشدة ظهور أنانيته في رداء الكبرياء فقهر وقذف في النار ملعوناً كما قال تعالى: العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار ويروى قصمته وذلك القهر هو معنى قوله **﴿فأخذه الله﴾** . . الخ وقال البقلي: لما لم يكن صادقاً في دعواه، افتضح في الدنيا والآخرة وهكذا كل ما يدعي ما ليس له من المقامات قال بشر: أنطق الله لسانه بالعريض من الدعاوي وإخلاءه عن حقائقها وقال السري: العبد إذا تزيى بزي السيد صار نكالاً ألا ترى كيف ذكر الله في قصة فرعون لما ادعى الربوبية **﴿فأخذه الله﴾** . . الخ كذبه كل شيء حتى نفسه وفي «الوسيط» عن رسول الله ﷺ قال موسى: «يا رب أمهلت فرعون أربعمائة سنة ويقول: **﴿أنا ربكم الأعلى﴾** ويكذب بآياتك ويجحد برسلك فأوحى الله إليه كان حسن الخلق سهل الحجاب فأردت أن أكافئه» أي: مكافأة دنيوية وكذا حسنات كل كافر وأما المؤمن فأكثر ثوابه في الآخرة ودلت الآية على أن فرعون مات كافراً، وفي «الفتوحات المكية»: فرعون ونمرود مؤبدان في النار انتهى. وغير هذا من أقوال الشيخ رحمه الله، محمول على المباحثة فصن لسانك عن الإطالة فإنها من أشد ضلالة.

يقول الفقير: صدر من فرعون كلمتان الأولى قوله **﴿أنا ربكم الأعلى﴾** والثانية قوله ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] وبينهما على ما قيل أربعون سنة فالظاهر أن الربوبية محمولة على الألوهية فتفسير قوله **﴿أنا ربكم الأعلى﴾** بقولهم أعلى من كل من يلي أمركم ليس فيه كثير جدوى إذ لا يقتضي ادعاء الرياسة دعوى الألوهية كسائر الدهرية والمعطلة فإنهم لم يتعرضوا للألوهية وإن كانوا رؤساء تأمل هذا المقام.

﴿إن في ذلك﴾ أي فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل به **﴿لعبرة﴾** اعتباراً عظيماً وعظة **﴿لمن يخشى﴾** أي: لمن من شأنه أن يخشى وهو من شأنه المعرفة يعني أن العارف بالله وبشؤونه يخشى منه فلا يتمرد على الله ولا على أنبيائه خوفاً من نزول العذاب والعاقل من وعظ بغيره.

چو بركشته بختى در افتديه بند ازونيك بختان بكيرند پند
تو پيش ازعقوبت در عفو كوب كه سودى ندارد فغان زير چوب
بر آراز كريبان عفلت سرت كه فردا نماند خجل در برت

يعني: درسينه ات.

﴿أأنتم أشد خلقاً﴾ خطاب لأهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعدما بين كمال سهولته بالنسبة لقدرة الله تعالى بقوله تعالى: **﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾** فالشدة هنا بمعنى الصعوبة لا بمعنى الصلابة لأنها لا تلائم المقام أي

أخلقكم بعد موتكم أشق وأصعب في تقديركم وزعمكم وإلا فكلا الأمرين بالنسبة إلى قدرة الله واحد ﴿أم السماء﴾ أم خلق السماء بلا مادة على عظمها وقوة تأليفها وانطوائها على البدائع التي تحار العقول في ملاحظة أدناها، وهو استفهام تقرير ليقروا بأن خلق السماء أصعب فيلزمهم بأن يقول لهم أيها السفهاء من قدر على الأصعب الأعسر كيف لا يقدر على إعادتكم وحشركم وهي أسهل وأيسر فخلقكم على وجه الإعادة أولى أن يكون مقدور الله فكيف تنكرون ذلك، قوله: ﴿أأنتم﴾ مبتدأ و﴿أشد﴾ خبره و﴿خلقاً﴾ تمييز والسماء عطف على أنتم وحذف خبره لدلالة خبر أنتم عليه أي أم السماء أشد خلقاً ﴿بناها﴾ الله تعالى وهو استئناف وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله أم السماء فيتم الكلام حينئذٍ عند قوله ﴿السماء﴾ ويبتدأ من قوله ﴿بناها﴾ وأم متصلة واستعمل البناء في موضع السقف فإن السماء سقف مرفوع والبناء إنما يستعمل في أسافل البناء لا في الأعالي للإشارة إلى أنه وإن كان سقفاً لكنه في البعد عن الاختلال والانحلال كالبناء فإن البناء أبعد عن تطرق الاختلال إليه بالنسبة إلى السقف.

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا (٢٩) وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا (٣١) وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا (٣٢) مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ (٣٣)﴾.

﴿رفع سمكها فسواها﴾ بيان للبناء، أي جعل مقدار ارتفاعها من الأرض وذهابها إلى سمت العلو مديداً رفيعاً مسيرة خمسمائة عام فإن امتداد الشيء إن أخذ من أسفله إلى أعلاه سمي سمكاً، وإذا أخذ من أعلاه إلى أسفله سمي عمقاً وقال بعضهم: السمك الارتفاع الذي بين سطح السماء الأسفل الذي يلينا وسطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها فيكون المراد ثخنها وغلظها وهو أيضاً تلك المسيرة.

﴿وأغطش ليلها﴾ الغطش الظلمة. قال الراغب: وأصله من الأغطش وهو الذي في عينه شبه عمش يقال أغطشه الله إذا جعله مظلماً وأغطش الليل إذا صار مظلماً فهو متعد ولازم والأول هو المراد هنا أي جعله مظلماً ذاهب النور فإن قيل: الليل اسم لزمان الظلمة الحاصلة بسبب غروب الشمس فقوله ﴿وأغطش ليلها﴾ يرجع معناه إلى أنه جعل المظلم مظلماً وهو بعيد والجواب معناه أن الظلمة الحاصلة في ذلك الزمان إنما حصلت بتدبير الله وتقديره فلا إشكال ﴿وأخرج ضحاها﴾ أي: أبرز نهارها عبر عنه بالضحى وهو ضوء الشمس ووقت الضحى وهو الوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها لأنه أشرف أوقاتها وأطيبها على تسمية المحل باسم أشرف ما حل فيه فكان أحق بالذكر في مقام الامتنان وهو السر في تأخير ذكره عن ذكر الليل، وفي التعبير عن إحداثه بالإخراج فإن إضافة النور بعد الظلمة أتم في الإنعام وأكمل في الإحسان وإضافة الليل والضحى إلى السماء لدوران حدوثها على حركتها والإضافة يكفيها أدنى ملابسة المضاف إليه ويجوز أن تكون إضافة الضحى إليها بواسطة الشمس، أي أبرز ضوء شمسها بتقدير المضاف والتعبير عنه بالضحى لأنه وقت قيام سلطانها وكمال إشراقها.

[إمام زاهد فرموده كه روز وشب دنيا بآسمان پيدا كردد بسبب آفرينش آفتاب وماه دور].

قال بعض العارفين: الليل ذكر والنهار أنثى فلما تغشاها الليل حملت فولدت فظهرت الكائنات عن غشيان الزمان فالمولدات أولاد الزمان واستخراج النهار من الليل كاستخراج حواء

من آدم. قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يس: ٣٧]، وقال: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [آل عمران: ٢٧] كعيسى في مريم وحواء في آدم فإذا خاطب أبناء النهار قال يولج الليل وإذا خاطب أبناء الليل. قال: يولج النهار.

وقال بعض أهل الحقائق: إن توارد الليل والنهار إشارة إلى توارد السيئة والحسنة فكما أن الدنيا لا تبقى على ليل وحده ولا على نهار وحده بل هما يتعاقبان فيها فكذا المؤمن لا يخلو من نور الإيمان والعمل الصالح ومن ظلمة العمل الفاسد والفكر الكاسد، ولذا قال عليه السلام لعلي رضي الله عنه: «يا علي إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فإذا كان يوم القيامة يلقى الله الليل في جهنم والنهار في الجنة فلا يكون في الجنة ليل كما لا يكون في النار نهار»، يعني: إن النهار في الجنة هو نور إيمان المؤمن ونور عمله الصالح بحسب مرتبته والليل في النار هو ظلمة كفر الكافر وظلمة عمله السيىء فكما أن الكفر لا يكون إيماناً فكذا الليل لا يكون نهاراً والنار لا تكون نوراً، فيبقى كل من أهل النور والنار على صفته الغالبة عليه وأما القلب وحاله بحسب التجلي فهو على عكس حال القالب فإن نهاره المعنوي لا يتعاقب عليه ليل وإن كان يطرأ عليه استتار في بعض الأوقات.

﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ أي: قبل ذلك كقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] أي: قبل القرآن بسطها ومهدها لسكنى أهلها وتقلبهم في أقطارها. وقال بعضهم: بعد على معناه الأصلي من التأخر فإن الله خلق الأرض قبل خلق السماء من غير يدحوها ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات ثم دحا الأرض بعد ذلك.

وقال في «الإرشاد» انتصاب الأرض بمضمر يفسره دحاها وذلك إشارة إلى ما ذكر من بناء السماوات ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا إلى أنفسها وبعدية الدحو عنها، محمولة على البعدية في الذكر، كما هو المعهود في ألسنة العرب والعجم لا في الوجود فإن اتفاق الأكثر على تقدم خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها وتقديم الأرض لا يفيد القصر وتعيين البعدية في الوجود لما عرفت من أن انتصابه بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد ذلك وفائدة تأخيره في الذكر إما التنبيه على أنه قاصر في الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة إلى أحوال السماء وإما الإشعار بأنه أدخل في الإلزام لما أن المنافع المنوطة بما في الأرض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وإحاطتهم بتفاصل أحواله أكمل وقد مر ما يتعلق بهذا المقام في سورة حم السجدة.

﴿أخرج منها ماءها﴾ بأن فجر منها عيوناً وأجرى أنهاراً ﴿ومرعاها﴾ أي: رعيها بالكسر بمعنى الكلأ وهو في الأصل موضع الرعي بالفتح نسب الماء والمرعى إلى الأرض من حيث أنهما منها يظهران، وتجريد الجملة عن العاطف لأنها بيان وتفسير لدحاها أو تكملة له فإن السكنى لا تتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية أمر المعاش من المأكل والمشرب حتماً.

﴿والجبال﴾ منصوب بمضمر يفسر قوله ﴿أرساها﴾ أي: أثبتها وأثبت بها الأرض أن تميد بها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على أن الرسو المنسوب إليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسي ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بإرسائه تعالى ولولاه لما ثبتت في نفسها فضلاً عن إثباتها للأرض.

﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ مفعول له بمعنى تمتيعاً والأنعام جمع نعم بفتحتين وهي المال الراعية بمعنى المواشي، وفي «الصحاح»: وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل والمراد هنا ما يكون عاماً للإبل والبقر والغنم من الضأن والمعز أي: فعل ذلك تمتيعاً ومنفعة لكم ولأنعامكم، لأن فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد، وإخراج الماء والمرعى واصلة إليهم وإلى إنعامهم، فإن المراد بالمرعى ما يعم ما يأكله الإنسان وغيره بناء على استعارة الرعي لتناول المأكول على الإطلاق كاستعارة المرسن من للأنف، ولهذا قيل: دل الله تعالى بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الأرض حتى الملح فإنه من الماء قال العتبي هذا أي: قوله ﴿أخرج منها ماءها ومرعاها﴾ من جوامع الكلم حيث ذكر شيئين دالين على جميع ما أخرج من الأرض قوتاً ومتاعاً للأنام من العشب والشجر والحب والثمر والملح والنار لأن النار من الشجر الأخضر والملح من الماء ونكتة الاستعارة توبيخ المخاطبين المنكرين للبعث وإلحاقهم بالبهائم في التمتع بالدنيا والذهول عن الآخرة.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾ قال في «الصحاح»: كل شيء كثر حتى علا وغلب فقد طم من باب رد، والكبرى تأنيث الأكبر من كبر بالضم بمعنى عظم لا من كبر بالكسر بمعنى أسن، وهذا شروع في بيان أحوال معادهم أثر بيان أحوال معاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبىء عنه لفظ المتاع والمعنى: فإذا جاء وقت طلوع وقوع الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات والدواهي أي تعلوها وتغلبها فوصفها بالكبرى يكون للتأكيد ولو فسر بما تعلو على الخلائق وتغلبهم كان مخصصاً والمراد القيامة أو النفخة الثانية فإنه يشاهد يوم القيامة من الآيات الهائلة الخارجة عن العادة ما ينسى معه كل هائل وعند النفخة الثانية تحشر الخلائق إلى موقف القيامة خصت النازعات بالطامة وعبس بالصاخة لأن الطم إن كان بمعنى النفخة الأولى للإهلاك فهو قبل الصبح، أي: الصوت الشديد الذي يحيى له الناس حين يصيخون له كما ينتبه النائم بالصوت الشديد فهو بمعنى النفخة الثانية فجعل السابق للسورة السابقة واللاحق اللاحقة وإن كان بمعنى النفخة الثانية فحسن الموقع في كلا الموضعين لأن العلم ورد بعد قوله تتبعها الرادفة والصخ بعد ما بين عدم إصاخة النبي عليه السلام لابن أم مكتوم.

﴿يوم يتذكر الإنسان ما سعى﴾ منصوب بأعني تذكيراً للطامة الكبرى وما موصولة وسعى بمعنى علم أي يتذكر فيه كل أحد كائناً من كان ما عمله من خير أو شر بأن يشاهده مدوناً في صحيفة أعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الأمد كقوله تعالى: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦] ﴿وبرزت الجحيم﴾ عطفت على جاءت أي أظهرت إظهاراً بينا لا يخفى على أحد بعد أن كانوا يسمعون بها والمراد مطلق النار المعبر عنها بجهنم لا الدركة المخصوصة من الدركات السبع ﴿لمن يرى﴾ كائناً من كان على ما يفيده من فإنه من ألفاظ العموم يروى أنه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذي بصر مؤمن وكافر، وقوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء: ٩١] لا ينافي أن يراها المؤمنون أيضاً حين يمرون عليها مجاوزين الصراط، وقيل

للكافر لأن المؤمن يقول أين النار، التي توعدنا بها فيقال: مررتموها وهي خامدة.

﴿فأما من طغى﴾ الخ جواب فإذا جاءت على طريقة قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ [النازعات: ٣٧]. . إلخ. يقال: إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك ويقال: إذا كانت الدعوة فأما من كان جاهلاً فهناك مقامه وأما من كان عالماً فههنا مقامه أي: فأما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان كالنضر وأبيه الحارث المشهورين بالغلو في الكفر والطغيان. ﴿وآثر﴾ اختار ﴿الحياة الدنيا﴾ الفانية التي على جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحياة الآخرة الأبدية بالإيمان والطاعة ﴿فإن الجحيم﴾ التي ذكر شأنها ﴿هي﴾ لا غيرها وهو ضمير فصل أو مبتدأ ﴿المأوى﴾ أي: مأواه فلا يخرج من النار كما يخرج المؤمن العاصي فالكلام في حق الكافر لكن فيه موعظة وعبرة موقظة واللام سادة مسد الإضافة للعلم بأن صاحب المأوى هو الطاغي كما في قولك غض الطرف فإنه لا يغض الرجل طرف غيره، وذلك لأن الخبر إذا كان جملة لا بد فيها من ضمير يربطها بالمبتدأ فسدت اللام مسد العائد لعدم الالتباس فلا احتياج في مثل هذا المقام إلى الرابطة.

﴿وأما من خاف مقام ربه﴾ أي: مقامه بين يدي مالك أمره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الإنسان ما سعى وذلك لعلمه بالمبدأ والمعاد، فإن الخوف من القيام بين يديه للحساب لا بد أن يكون مسبوقاً بالعلم به تعالى، وفي بعض التفاسير: المقام إما مصدر ميمي بمعنى القيام أو اسم مكان بمعنى موضع القيام، أي: المكان الذي عينه الله لأن يقوم العباد فيه للحساب والجزاء وقيل: المقام مقحم للتأكيد جعل الخوف مقابلاً للطغيان مع أن الظاهر مقابلته للانقياد والإطاعة بناء على أن الخوف أول أسباب الإطاعة ثم الرجاء ثم المحبة فالأول للعوام والثاني للخواص والثالث لأخص الخواص. ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ عن الميل إليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علماً منه بوخامة عاقبتها، والهوى ميلان النفس إلى ما تشتهيه وتستلذه من غير داعية الشرع وفي الحديث: «أخوف ما أتخوف على أمتي الهوى وطول الأمل أما الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة» قال بعض الكبار: الهوى عبارة عن الشهوات السبع المذكورة في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ [آل عمران: ١٤] وقد أدرجها الله في أمرين: كما قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦] ثم أدرجها في أمر واحد وهو الهوى في الآية، فالهوى جامع لأنواع الشهوات فمن تخلص من الهوى فقد تخلص من جميع القيود والبرازخ. قال سهل رحمه الله: لا يسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين ليس كلهم وإنما يسلم من الهوى من ألزم نفسه الأدب وقال بعضهم: حقيقة الإنسان هي نفسه لا شيء زائد عليها، وقال تعالى: ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ فمن الناهي لها تأمل انتهى.

يقول الفقير: إن الإنسان برزخ بين الحقيقة الإلهية والحقيقة الكونية وكذا بين الحقيقة الملكية والحقيقة الحيوانية فهو من حيث الحقيقة الأولى ينهى النفس من حيث الحقيقة الثانية كما أن النبي عليه السلام، يخاطب نفسه بقوله عليه السلام: «السلام عليك أيها النبي» من جانب ملكيته إلى جانب بشريته أو من مقام جمعه إلى مقام فرقه.

﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾.

﴿فإن الجنة هي المأوى﴾ له لا غيرها فنهي النفس عن الهوى معناه نهيها عن جميع الهوى عن أن اللام للاستغراق وإلا فلا معنى للحصر لأن المؤمن الفاسق قد يدخل النار أولاً ثم يدخل الجنة فلا يصح في حقه الحصر اللهم إلا أن يقال معنى الحصر أن الجنة هي المقام الذي لا يخرج عنه من دخل فيه، وفي بعض التفاسير: المراد بالجنة مطلق دار الثواب فلا يخالف قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦] فإن له جنتين بفضل الله في دار الثواب جنة النعيم بالنعم الجسمانية وجنة التلذذ باللذات الروحانية.

ودر فصول آورده كه اين آيت درشان كسى است كه قصد معصيتي كند وبران قادر باشد خلاف نفس نموده از خداي بترسد واز عمل آن دست باز دارد.

كر نفسي نفس بفرمان تست ... شبهه مياوركه بهشت آن تست

نفس كشد هر نفسي سوى پست ... هركه خلافش نفسي زدبرست

قال محمد بن الحسن رحمه الله: كنت نائماً ذات ليلة إذا أنا بالباب يدق ويقرع فقلت: انظروا من ذلك فقال: رسول الخليفة هارون يدعوك فخفت على روحي وقمت ومضيت إليه فلما دخلت عليه قال دعوتك في مسألة أن أم محمد يعني زبيدة قلت لها: إني أمام العدل وإمام العدل في الجنة فقالت: إنك ظالم عاص قد شهدت لنفسك بالجنة فكذبت بذلك على الله وحرمت عليك فقلت له يا أمير المؤمنين إذا وقعت في معصية فهل تخاف الله في تلك الحال أو بعدها؟ فقال: إي والله أخاف خوفاً شديداً فقلت له أنا أشهد أن لك جنتين لا جنة واحدة قال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦] فلاطفني وأمرني بالانصراف فلما رجعت إلى داري رأيت البدر متبادرة إلي.

[عبد الملك بن مروان خليفهء روز كار بود وأبو حازم إمام وزاهد وقت بوادزوى پرسيدكه يا أبا حازم فردا حال وكار ماچون خواهد بود كفت اكر قرآن مي خواني قرآن ترا جواب ميدهد كفت كجا ميكويد كفت **﴿فأما من طغى﴾** إلى قوله **﴿فإن الجنة هي المأوى﴾** بدانكه دردنيا هر نفسي را آتش شهوتست ودر عقبي آتش عقوبت هركه امروز بآتش شهوت سوخته كردد فردا بآتش عقوبت رسد وهركه أمر وزبآب رياضت ومجاهده آتش شهوت بنشاند وهمچنين در دنيا دردل هر مؤمن بهشتي است كه آنرا بهشت عرفان كويند ودر عقبي بهشتي است كه آنرا رضوان كويند هركه أمروز دردنيا بهشت عرفان بطاعت آراسته دار فردا به بهشت رضوان برسد].

وقال القاشاني: فأما من طغى أي تعدى طور الفطرة الإنسانية وتجاوز حد العدالة والشريعة إلى الرتبة البهيمية أو السبعية وأفرط في تعديه وآثر الحياة الحسية على الحقيقية بمحبة اللذات السفلية فإن الجحيم مرجعه ومأوه وأما من خاف مقام ربه بالترقي إلى مقام القلب ومشاهدة قيوميته تعالى نفسه ونهى النفس خوف عقابه وقهره عن هواها فإن الجنة مآواه على حسب درجاته وقال بعضهم: أشار بالآية إلى حال المبتدىء فإنه وقت قصده إلى الله لا ويجوز له الرخصة والرفاهية خوفاً من الحجاب فإذا بلغ إلى مقام التصفية والمعرفة لم يحتج إلى نهي النفس عن الهوى فإن نفسه وجسمه وشيطانه صارت روحانية والمشتهى هناك مشتهى واحد هو

مشتهى الروح فالمبتدىء يمنع النفس في الاشتهاء فلذا صار من أهل النهى والمنتهى مع الرب في ذلك ومن كان مع الرب فقد تحولت شهوته لذة حقيقية مقبولة.

﴿يسألونك﴾ مي پرسند ترا أي يا محمد ﴿عن الساعة﴾ أي القيامة ﴿أيان مرساها﴾ إرساؤها أي إقامتها يريدون متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها فأيان ظرف بمعنى متى وأصله أي آن ووقت والمرسى مصدر بمعنى الإرساء وهو الإثبات وهو مبتدأ وأيان خبره بتقدير المضاف إذ لا يخبر بالزمان عن الحدث والتقدير متى وقت إرسائها كان المشركون يسمعون أخبار القيامة ولو صافها الهائلة مثل إنها طامة كبرى وصاخة وقارعة فيقولون على سبيل الاستهزاء أيان مرساها.

﴿فيم أنت من ذكراها﴾ رد وإنكار لسؤال المشركين عنها وأصل فيم فيما كما أن أصل عم عما وقد سبق، والذكرى بمعنى الذكر كالبشرى بمعنى البشارة أي: في أي شيء أنت من أن تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، أي: ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء لأن ذلك فرع علمك به وأنى لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب فقوله ﴿من ذكراها﴾ فيه مضاف وصلته محذوفة وهي لهم والاستفهام للإنكار وأنت مبتدأ وفيم خبره قدم عليه ومن ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر.

﴿إلى ربك منتهاها﴾ أي: انتهاء علمها ليس لأحد منه شيء ما كائناً من كان فلأي شيء يسألونك عنها.

عائشة رضي الله عنها فرموده كه حضرت رسول عليه السلام ميخواست كه وقت آن ازخدا بيرسد حق تعالى فرمود توازد انستن قيامت برچه چيزى يعني علم آن حق تونيست زنهار تانپر سي به پروورد كارتست منتهاي علم قيامت يعني كس راخبر ندهد چه اطلاع بران خاصهٔ حضرت پرورد كارست.

قال القاشاني: أي في أي شيء أنت من علمها وذكرها وإنما إلى ربك ينتهي علمها فإن من عرف القيامة هو الذي انمحى علمه أولاً بعلمه تعالى ثم فنيت ذاته في ذاته فكيف يعلمها ولا علم له ولا ذات فأين أنت وغيرك من علمها بل لا يعلمها إلا الله وحده.

﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾ أي وظيفتك الامتثال بما أمرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الأهوال لا تعيين وقتها الذي لم يفوض إليك، فما لهم يسألونك عما ليس من وظائفك بيانه أي ما أنت إلا منذر لا يعلم فهو من قصر الموصوف على الصفة أو ما أنت منذر إلا من يخشاها فهو من قصر الصفة على الموصوف وتخصيص من يخشى مع أنه مبعوث إلى من يخشى ومن لا يخشى لأنهم هم المنتفعون به، أي لا يؤثر الإنذار إلا فيهم كقوله: فذكر بالقرآن ﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥] والجمهور على أن قوله ﴿منذر من يخشاها﴾ من إضافة الصفة إلى معمولها للتخفيف على الأصل لأن الأصل في الأسماء الإضافة والعمل فيها إنما هو بالشبه ومن قرأها بالتنوين اعتبر أن الأصل فيها الأعمال والإضافة فيها إنما هي للتخفيف.

﴿كأنهم﴾ أي: المنكرين وبالفارسية كوييا كفار مكة. ﴿يوم يرونها﴾ روزي كه بپنند قيامت راكه از آمدن آن همي برسند. ﴿لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ الضحى اسم لما بين إشراق الشمس إلى استواء النهار ثم هي عشي إلى الغداة كما في «كشف الأسرار»: والجملة حال من الموصول، فإنه على تقدير الإضافة وعدمها، مفعول لمنذر كأنه قيل: تنذرهم مشبهين

يوم يرونها أي: في الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الإنذار بها إلا تلك المدة اليسيرة أي عشية يوم واحد أوضحاه أي: آخر يوم أو أوله لا يوماً كاملاً على أن التنوين عوض عن المضاف إليه فلما ترك اليوم أضيف ضحاه إلى عشيته والضحى والعشية لما كانا من يوم واحد تحققت بينهما ملابسة مصححة لإضافة أحدهما إلى الآخر فلذلك أضيف الضحى إلى العشية فإن قيل: لم لم يقل إلا عشية أو ضحى، وما فائدة الإضافة قلنا لو قيل لم يلبثوا إلا عشية أو ضحى احتمل أن يكون العشية من يوم والضحى من يوم آخر فيتوهم استمرار اللبث من ذلك الزمان من اليوم الأول إلى الزمان الآخر من اليوم الآخر وأما إذا قيل إلا عشية أو ضحاها لم يحتمل ذلك البتة قال في «الإرشاد» واعتبار كون اللبث في الدنيا أو في القبور لا يقتضيه المقام وإنما الذي يقتضيه اعتبار كونه بعد الإنذار أو بعد الوعيد تحقيقاً للإنذار ورداً لاستبطائهم وفي الآية إشارة إلى ساعة الفناء في الله فإنها أمر وجداني لا يعرفها إلا من وقع فيها وهم باقون بنفوسهم الغليظة الشديدة فكيف يفهمونها بذكرها بلسان العبارة كما قيل: من لم يذق لم يعرف كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها لاتصال آخر الفاء بأول البقاء كما قال العارف الطيار العطار قدس سره:

كر بقا خواهى فناي خود كزين ... أو لين چيزى كه مي زايد بقاست

وفي الحديث: «من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة» وهو عبارة عن استقصار مدة اللبث فيما يلقى من البشرى والكرامة في البرزخ والموقف كذا في «حواشي» ابن الشيخ رحمه الله.

تمت سورة النازعات بعون خالق البريات في يوم الاثنين
ثاني صفر الخير من شهور ستة سبع
عشرة ومائة وألف

٨٠ ـ سورة عبس

إحدى أو اثنتان وأربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾.

﴿عبس﴾ من الباب الثاني والعبس والعبوس [ترش روى شدن يعني ترش كرد روى خودرا] محمد عليه السلام **﴿وتولى﴾** اعرض يعني [روى بكردانيد].

﴿أن جاءه الأعمى﴾ الضمير لمحمد عليه السلام وهو علة لتولي على رأي البصريين لقربه منه أي تولى لأن جاءه الأعمى والعمى افتقاد البصر ويقال: في افتقاد البصيرة أيضاً ولام الأعمى للعهد فيراد أعمى معروف وهو ابن أم مكتوم المؤذن الثاني لرسول الله ﷺ في الأذان ولذلك قال عليه السلام: «إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم»، وكان من المهاجرين الأولين استخلفه عليه السلام على المدينة مرتين حين خرج غازياً، وقيل ثلاث مرات مات بالمدينة وقتل شهيداً بالقادسية وهي قرية فوق الكوفة قال أنس رضي الله عنه: رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء ويقال ليوم فتح عمر رضي الله عنه يوم القادسية فإنه ظفر على العجم هناك وأخذ منهم غنائم كثيرة واختلفوا في اسم ابن أم مكتوم فقيل هو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي، وقيل هو عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم من بني عامر بن هلال وهو ابن خال خديجة رضي الله عنها وأم مكتوم اسم أم أبيه كما في «الكشاف» وقال السعدي هو وهم فقد نص ابن عبد البر وغيره أنها أمه واسمها عاتكة بنت عامر بن مخزوم.

روي أن ابن أم مكتوم أتى رسول الله ﷺ وذلك في مكة وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب، وأمية بن خلف، والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم لأن عادة الناس أنه إذا مال أكابرهم إلى أمر إليه غيرهم كما قيل الناس على دين ملوكهم فقال له: يا رسول الله علمني مما علمك الله أنتفع به وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه السلام، بالقوم إذ السمع لا يكفي في العلم بالتشاغل بل لا بد من الإبصار على أنه يجوز أنهم كانوا يخفضون أصواتهم عند المكالمة أو جاء الأعمى في منقطع من الكلام فكره رسول الله قطعه لكلامه واشتغاله به عنهم وعبس وأعرض عنه فرجع ابن أم مكتوم محزوناً خائفاً أن يكون عبوسه وإعراضه عنه إنما هو لشيء أنكره الله منه فنزلت.

[أمام زاهد فرموده كه سيد عالم ﷺ از عقب أو رفت واورا بازكر دانيده ورداي مبارك خود بكسترانيد وبران نشانيد].

فكان رسول الله يكرمه ويقول إذا رآه: «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي» أي لامني مع بقاء المحبة ويقول له: هل لك من حاجة ويقال إن رسول الله عليه السلام، لم يغتم في عمره كغمه حين أنزلت عليه سورة عبس لأن فيها عتباً شديداً على مثله لأنه الحبيب الرشيد، ومع ذلك فلم يجعل ذلك الخطاب بينه وبينه فيكون أيسر للعتاب بل كشف بذلك للمؤمنين ونبه على فعله عباده المتقين، ولذلك روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه أن بعض المنافقين يؤم قومه فلا يقرأ فيهم إلا سورة عبس فأرسل إليه فضرب عنقه لما استدل بذلك على كفره ووضع مرتبته عنده وعند قومه قال ابن زيد: لو جاز له أن يكتم شيئاً من الوحي لكان هذا، وكذا نحو قوله: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾ [التحريم: ١] ونحو قوله: ﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ [الأحزاب: ٣٧] وكان ما فعله عليه السلام من باب ترك الأولى فلا يعد ذنباً، لأن اجتهاده عليه السلام كان في طلب الأولى والتعرض لعنوان عماه مع أن ذكر الإنسان بهذا الوصف يقتضي تحقير شأنه وهو ينافي تعظيمه المفهوم من العتاب على العبوس في وجهه إما لتمهيد عذره في الإقدام على قطع كلامه عليه السلام للقوم والإيذان باستحقاقه الرفق والرأفة لا الغلظة، وإما لزيادة الإنكار فإن أصل الإنكار حصل من دلالة المقام كأنه قيل تولى لكونه أعمى وهو لا يليق بخلقه العظيم كما أن الالتفات في قوله تعالى:

﴿وما يدريك﴾ لذلك فإن المشافهة أدخل في تشديد العتاب، كمن يشكو إلى الناس جانياً جنى عليه ثم يقبل على الجاني إذا حمى في الشكاية مواجهاً له بالتوبيخ أي: وأي شيء يجعلك دارياً وعالماً بحاله ويطلعك على باطن أمره حتى تعرض عنه أي: لا يدريك شيء، فتم الكلام عنده فيوقف عليه وليس ما بعده مفعوله بل هو ابتداء كلام وقال الإمام السهيلي رحمه الله: انظر كيف نزلت الآية بلفظ الإخبار عن الغائب فقال: ﴿عبس وتولى﴾ ولم يقل عبست وتوليت وهذا شبيه حال الغائب المعرض ثم أقبل عليه بمواجهة الخطاب فقال وما يدريك علماً منه تعالى أنه لم يقصد بالإعراض عنه إلا الرغبة في الخير ودخول ذلك المشرك في الإسلام وهو الوليد أو أمية وكان مثله يسلم بإسلامه بشر كثير فكلم نبيه عليه السلام حين ابتدار الكلام بما يشبه كلام المعرض عنه العاتب له ثم واجهه بالخطاب تأنيساً له عليه السلام، بعد الإيحاش فإنه قيل: إن ابن أم مكتوم كان قد أسلم وتعلم ما كان يحتاج إليه من أمور الدين، وأما أولئك الكفار فما كانوا قد أسلموا وكان إسلامهم سبباً لإسلام جمع عظيم فكلامه في البين سبب لقطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك محرم والأهم مقدم على المهم فثبت بهذا أن فعل ابن أم مكتوم كان ذنباً ومعصية وما فعله النبي عليه السلام كان واجباً فكيف عاتبه الله على ذلك قيل: إن الأمر وإن كان كما ذكر إلا أن ظاهر ما فعله الرسول عليه السلام يوهم تقديم الأغنياء على الفقراء وقلة المبالاة بانكسار قلوب الفقراء وهو لا يليق بمنصب النبوة لأنه ترك الأفضل كما أشير إليه سابقاً فلذا عاتبه الله تعالى. ﴿لعله﴾ أي: الأعمى﴿يزكى﴾ بتشديدين أصله يتزكى، أي: يتطهر بما يقتبس منك من أوضار الأوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكي وارد على سنن الكبرياء، فإن لعل في كلام العظماء يراد به القطع والتحقيق أو على اعتبار معنى الترجي

بالنسبة إليه عليه السلام، للتنبيه على أن الإعراض عنه عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز فكيف إذا كان مقطوعاً بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت.

﴿أو يذكر﴾ بتشديدين أيضاً أصله يتذكر والتذكر هو الاتعاظ يعني باخود پند كيرد ﴿فتنفعه الذكرى﴾ أي فتنفعه موعظتك إن لم يبلغ درجة التزكي التام، وفي «الكشاف»: المعنى إنك لا تدري ما هو مترقب منه من تزكي أو تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك انتهى. أشار إلى أن قوله ﴿يزكى﴾ من باب التخلية عن الآثام وقوله ﴿أو يذكر﴾ من باب التحلية ببعض الطاعات ولذا دخلت كلمة الترديد فقوله ﴿أو يذكر﴾ عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجي وقوله ﴿فتنفعه الذكرى﴾ بالنصب على جواب لعل تشبيهاً له بليت وفيه إشارة إلى أن من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكي والتذكر أصلاً وإشعار بأن اللائق بالمعلم أن يقصد بتعليمه تزكية متعلمة ولا ينظر إلى شبحه وصورته كما ينظر العوام وبالمتعلم أن يريد بتعلمه تزكية نفسه عن أرجاس الضلال وتطهير قلبه من أدناس الجهالة لا أحكام الدنيا الدنية.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾

﴿أما﴾ للتفضيل ﴿من استغنى﴾ عن الإيمان وعما عندك من العلوم والمعارف التي ينطوي عليها القرآن ﴿فأنت له تصدى﴾ بحذف إحدى التاءين تخفيفاً أي تتصدى وتتعرض بالإقبال عليه والاهتمام بإرشاده واستصلاحه دون الأعمى وفيه مزيد تنفير له عليه السلام عن مصاحبتهم، فإن الإقبال على المدبر ليس من شيم الكرام والتصدي للشيء التعرض والتقيد به والاهتمام بشأنه وضده التشاغل عنه، وفي «المفردات»: التصدي أن يقابل الشيء مقابلة الصدى أي الصوت الراجع من الجبل وفي «كشف الأسرار» التصدي التعرض للشيء على حرص كتعرض الصديان للماء أي العطشان وعن بعضهم أصل تصدى تصدد من الصدد وهو ما استقبلك وجاء قبالتك فأبدل أحد الأمثال حرف علة.

﴿وما عليك أن لا يزكى﴾ أي: وليس عليك بأس ووزر ووبال في أن لا يتزكى ذلك المستغني بالإسلام حتى تهتم بأمره وتعرض عمن أسلم إن عليك إلا البلاغ وكيف تحرض على الإسلام من ليس له قابلية وقد خلق على حب الدنيا والعمى عن الآخرة وفيه استهانة لمن أعرض عنه فما نافية وكلمة في المقدرة متعلقة باسم ما وهو محذوف والجملة حال من ضمير تصدى مقررة لجهة الإنكار.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤﴾.

﴿وأما من جاءك يسعى﴾ أي: حال كونه مسرعاً طالباً لما عندك من أحكام الرشد وخصال الخير ﴿وهو﴾ والحال أنه ﴿يخشى﴾ الله تعالى أو يخشى الكفار إذا هم إتيانك قال سعدي المفتي: الظاهر أن النظم من الاحتباك، ذكر الغنى أولاً للدلالة على الفقر ثانياً والمجيء والخشية ثانياً للدلالة على ضدهما أولاً ﴿فأنت عنه تلهى﴾ بحذف إحدى التاءين تخفيفاً أي تتلهى وتتشاغل من لهي عن الشيء بكسر الهاء يلهى لهياً أعرض عنه لا من لهوت بالشيء بالفتح ألهو لهواً إذا لعبت به لأن الفعل مسند إلى ضمير النبي ولا يليق بشأنه الرفيع أن ينسب إليه التفعل من اللهو بخلاف الاشتغال عن الشيء لمصلحة وفي بعض التفاسير ولو أخذ من

اللهو وجعل التشاغل بأهل التغافل من جنس اللهو واللعب لكونه عبثاً لا يترتب عليه نفع لم يخل عن وجه انتهى وفيه أنه يلزم منه أن يكون الاشتغال بالدعوة عبثاً ولا يقول به المؤمن وذلك لأنه لا يجوز للنبي عليه السلام التشاغل بأهل التغافل إلا بطريق التبليغ والإرشاد فكيف لا يترتب عليه نفع، وفي تقديم ضميره عليه السلام وهو أنت على الفعلين تنبيه على أن مناط الإنكار خصوصيته عليه السلام، أي مثلك خصوصاً لا ينبغي أن يتصدى للمستغني ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وفي تقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه السلام بمضمونهما تنبيه حيث أفادت القصة أن العبرة بالأرواح والأحوال لا بالأشباح والأموال والعزيز من أعزه الله بالإيمان والطاعة وإن كان بين الناس ذليلاً، والذليل من أذله الله بالكفر والمعصية وإن كان بين الناس عزيزاً روي أنه عليه السلام ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدى لغني وكان الفقراء في مجلسه عليه السلام أمراء يعني كان يحترمهم كل الاحترام، وفيه تأديب للصغير بالكبير فحملة الشرع والعلم والحكام مخاطبون في تقريب الضعيف من أهل الخير وتقديمه على الشريف العاري عن الخير بمثل ما خوطب به النبي عليه السلام في هذه السورة، قال بعضهم: بين الله درجة الفقر وتعظيم أهله وخسة الدنيا وتحقير أهلها فصح الاشتغال بصحبة الفقراء لأن فيم نعت الصدق والتجرد فالصحبة معهم مفيدة بخلاف الاشتغال بصحبة الأغنياء إذ ليس فيهم ذلك فالصحبة معهم ضائعة وفي الحديث: «من تحامل على فقير لغني فقد هدم ثلث دينه» يقال: تحاملت على الشيء إذا تكلفت الشيء على مشقة وتحامل فلان على فلان إذا لم يعدل.

وقال بعض الأكابر: إنما كان ﷺ يتواضع لأكابر قريش لأن الأعزاء من الخلائق مظهر لعزة الإلهية فكان تقديمهم على الفقراء من أهل الصفة ليوفي صفة الكبرياء حقها إذا لم يشهد لها مشاركاً ولكن فوق هذا المقام ما هو أعلى منه وهو ما أمره الله به آخراً بعدما صدر سورة عبس في قوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨] الآية فأمره بأن لا يشهده في شيء دون شيء للإطلاق الذي هو الحق عليه كما قال: «جعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني» الحديث كما في «الجواهر» للشعراني.

﴿كلا﴾ انزجر من التصدي للمستغني والإعراض عن إرشاد المسترشد قال الحسن: لما تلا جبرائيل هذه الآيات على النبي عليه السلام عاد وجهه كأنما استف فيه الرماد. أي تغير كأنما ذر عليه الرماد ينتظر ما يحكم الله عليه فلما قال كلا سرى عنه والتسرية [اندوه رابردن].

أي: لا تفعل مثل ذلك فإنه غير لائق بك. ﴿إنها﴾ أي: القرآن والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله ﴿تذكرة﴾ أي: موعظة يجب أن يتعظ بها ويعمل بموجبها.

﴿فمن﴾ [پس هركه] ﴿شاء ذكره﴾ أي: القرآن أي حفظه ولم ينسه أو اتعظ به ومن رغب عنه كما فعله المستغني فلا حاجة إلى الاهتمام بأمره ﴿في صحف﴾ جمع صحيفة وكل مكتوب عند العرب صحيفة وهو متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف جيء به للترغيب فيها والحث على حفظها أي: كائنة في صحف منتسخة من اللوح أو خبر ثان لأن فالجملة معترضة بين الخبرين والسجاوندي على إنه خبر محذوف أي وهي في صحف حتى وضع علامة الوقف اللازم على ذكره هرباً من إيهام تعلقة به وهو غير جائز لأن ذكر من شاء لا يكون في صحف. ﴿مكرمة﴾ عند الله لكونها صحف القرآن المكرم.

﴿مرفوعة﴾ أي: في السماء السابعة أو مرفوعة المقدار والذكر فإنها في المشهور

موضوعة في بيت العزة في السماء الدنيا. ﴿مطهرة﴾ منزهة عن مساس أيدي الشياطين.

﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾.

﴿بأيدي سفرة﴾ كتبة من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على أنه جمع سافر من السفر وهو الكتب إذ في الكتابة معنى السفر أي: الكشف والتوضيح والكاتب سافر لأنه يبين الشيء ويوضحه وسمي السفر بفتحتين سفراً لأنه يسفر ويكشف عن أخلاق المرء قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وإن جاز الإطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة فقال القفال: في وجه لما لم يسمها إلا الملائكة المطهرون أضيف التطهير إليها لطهارة من يمسها وقال القرطبي: إن المراد في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٩] هؤلاء السفرة الكرام البررة والظاهر أن تكون في محل الجر على أنها صفة لصحف أي في صحف كائنة بأيدي سفرة أو مكتوبة بأيدي سفرة ومن هذا وقف بعضهم على مطهرة وقفاً لازما هرباً من توهم تعلق الباء به.

﴿كرام﴾ عند الله بالقرب والشرف فهو من الكرامة جمع كريم أو متعطفين على المؤمنين يستغفرون لهم فهو من الكرم ضد اللؤم، وقال ابن عطاء رحمه الله: يريد أنهم يتكرمون أن يكونوا مع ابن آدم إذا خلا مع زوجته للجماع وعند قضاء الحاجة يشير إلى أنهم هم الملائكة الموصوفون بقوله كراماً كاتبين وفيه تأمل. ﴿بررة﴾ أتقياء لتقدسها عن المواد ونزاهة جواهرها عن التعلقات أو مطيعين الله من قولهم فلان يبر خالقه أي يطيعه أو صادقين من بر في يمينه جمع بار مثل فجرة جمع فاجر.

﴿قتل الإنسان﴾ دعاء عليه بأشنع الدعوات فإن القتل غاية شدائد الدنيا وأفظعها ومن فسر القتل باللعن أراد به الإهلاك الروحاني فإنه أشد العقوبات وهو بالفارسية [لعنت كرده باد انسان] يعني كافر.

وفي «عين المعاني»: عذب ﴿ما أكفره﴾ ما أشد كفره بالله مع كثرة إحسانه إليه وبالفارسية [چه كافر ترين خلقست].

تعجب من إفراطه في الكفران أي: على صورته فإن حقيقة التعجب إنما تتصور من الجاهل بسبب ما خفي من سبب الشيء والذي أحاطه علمه بجميع المعلومات لا يتصور منه ذلك فهو في الحقيقة تعجيب من الله لخلقه وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه، أي اعجبوا من كفره بالله ونعمه مع معرفته بكثرة إحسانه إليه وادعوا عليه بالقتل واللعن ونحو ذلك لاستحقاقه لذلك، قال بعضهم: لعن الله الكافر وعظم كفره حيث لم يعرف صانعه ولم يعرف نفسه التي لو عرفها عرف صانعها. وقال ابن الشيخ: هذا الدعاء وارد على أسلوب كلام العرب فهو ليس من قبيل دعاء من يعجز عن انتقام من يسوءه وكذا هذا التعجب ليس على حقيقته لأنه تعالى منزه عن العجز والجهل بل المقصود بإيراد ما هو في صورة الدعاء لدلالة على سخطه العظيم والتنبيه على أنه استحق أهول العقوبات وأشنعها وبإيراد صيغة التعجب الذم البليغ له من حيث ارتكابه أقبح القبائح ولا شك أن السخط يجوز من الله وكذا الذم، ويجوز أن يكون ما أكفره استفهاماً بمعنى التقريع والتوبيخ أي: أي شيء حمله على الكفر والمراد من الإنسان إما من

استغنى عن القرآن المذكور نعوته وإما الجنس باعتبار انتظامه له ولأمثاله من أفراده لا باعتبار جمع أفراده.

﴿من أي شيء خلقه﴾ أي من أي شيء حقير مهين خلقه يعني [نمى انديشدكه خداي تعالى ازچه جيز بيافريد اورا].

ثم بينه بقوله: ﴿من نطفة﴾ قذرة ﴿خلقه﴾ فمن كان أصله مثل هذا الشيء الحقير كيف يليق به التكبر والتجبر والكفران بحق المنعم الذي كسا ذلك الحقير بمثل هذه الصورة البهية وقف السجاوندي على قوله ﴿من نطفة﴾ حتى وضع عليه علامة الوقف المطلق بتقدير ﴿خلقه﴾ آخر بدلالة ما قبله وجعل قوله خلقه فقدره جملة أخرى استئنافية لبيان كيفية الخلق وإتمامه من إنعامه ومن جعله متعلقاً بما بعده على ما هو الظاهر لم يقف عليه. ﴿فقدره﴾ فهيأه لما يصلح له ويليق به من الأعضاء والأشكال، أي: أحدثه بمقدار معلوم من الأعضاء والأشكال والكمية والكيفية فجعله مستعداً لأن ينتهي فيها إلى القدر اللائق بمصلحته فلا يلزم عطف الشيء على نفسه، وذلك أن خلق الشيء أيضاً تقديره وإحداثه بمقدار معلوم من الكمية والكيفية وبالفارسية [پس اندازه، أو بديد كرد ازا عضا وأشكال وهيئات در بطن ما دره]، أو فقدره أطوار إلى أن تم خلقه فالتقدير المتفرع على الخلق مأخوذ من القدر بمعنى الطور أي أوجده على التقدير الأولى ثم جعله ذا أطوار من علقة ومضغة إلى آخر أطواره ذكراً أو أنثى شقياً أو سعيداً. قال بعضهم: وعلى الوجهين فالفاء للتفصيل فإن التقدير يتضمنه عى المعنيين.

﴿ثم السبيل يسره﴾ منصوب بمضمر يفسره الظاهر أي سهل مخرجه من البطن بأن فتح فم الرحم وكان غير مفتوح قبل الولادة وألهمه أن ينتكس بأن ينقلب ويصير رجله من فوق ورأسه من تحت ولولا ذلك لا يمكنها أن تلد أو يسر له سبيل الخير والشر في الدين ومكنه من السلوك فيهما وذلك بالإقدار والتعريف له بما هو نافع وضار والعقل وبعثة الأنبياء وإنزال الكتب ونحو ذلك وتعريف السبيل باللام دون الإضافة بأن يقال سبيله للإشعار بعمومه لأنه عام للإنس والجن على المعنى الثاني وللحيوانات أيضاً على المعنى الأول قال ابن عطاء رحمه الله: يسر على من قدر له التوفيق طلب رشده واتباع نجاته وقال أبو بكر بن طاهر رحمه الله: يسر على كل أحد ما خلقه له وقدره عليه.

﴿ثم أماته﴾ أي قبض روحه عند تمام أجله المقدر المسمى ﴿فأقبره﴾ أي جعله في قبر يواري فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحاً على وجه الأرض جزراً أي قطعاً للسباع والطير كسائر الحيوان، قال في «كشف الأسرار»: لم يجعله مما يطرح للسباع أو يلقى للنواويس والقبر مما أكرم به المسلمون انتهى. يقال قبر الميت إذا دفنه بيده والقابر هو الدافن والقبر هو مقر الميت وأقبره إذ أمر بدفنه أو مكن منه فالمقبر هو الله لأنه الآمر بالدفن في القبور قال في «المفرات» أقبرته جعلت له مكاناً يقبر فيه نحو أسقيته جعلت له ماء يستقى منه وقيل معناه ألهم كيف يدفن انتهى. وفي «المثنوي»:

كندن كورى كه كمتر پيشه بود ... كي زمكر وحيله والديشه بود
جمله حرفتها يقين ازوحى بود ... اول أوليك عقل آنرا فزود

وعد الإماتة من النعم بالنسبة إلى المؤمن فإن بالموت يتخلص من سجن الدنيا وأيضاً إن شأن الموت أن يكون تحفة ووصلة إلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم وإنما كان مفتاح كل بلاء

ومحنة في حق الكافر من سوء اعتقاده وسيئات أعماله وفي بعض التفاسير ذكر الإماتة إما لأنها مقدمة الاقبار وإما للتخويف والتذكير بأن الحياة الدنيوية فانية آخرها الموت وعن الشافعي رحمه الله:

فلا تمشين في منكب الأرض فاخراً فعما قليل يحتويك ترابها

وإما الحث على الاستعداد وإما رعاية المقابلة بينه وبين أنشره تنبيهاً على كمال قدرته وتمام حكمته.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾﴾.

﴿ثم إذا شاء أنشره﴾ أي إذا شاء إنشاره وإحياءه وبعثه نشره وأحياه وبعثه وفي تعليق الإنشاء بمشيئته له إيذان بأن وقته غير متعين في نفسه بل هو تابع لها بخلاف وقت الموت فإنا نجزم بأن أحداً من أبناء الزمان لا يتجاوز مائة وخمسين سنة مثلاً وليس لأحد مثل هذا الجزم في النشور هكذا قالوا، وفيه أن الموت أيضاً له سن معلوم وأجل محدود فكيف يتعين في نفسه ويجزم بوقوعه في سن كذا بحيث لا يكون موكولاً إلى مجرد مشيئته تعالى ولعل تقييد الإنشار بالمشيئة لا ينافي تقييد الموت بها أيضاً إذ لا يجري عليه تعالى زمان وأنه من مقدمات القيامة ولذا قال عليه السلام: «من مات فقد قامت قيامته» أي لاتصال زمان الموت بزمان القيامة فهو قيامة صغرى مجهولة كالقيامة الكبرى، وفيه إشارة إلى أن الميت إن كان من أهل السعادة فإنشاره من قبور أهل السعادة وإن كان مدفوناً في قبور أهل الشقاوة وإن كان من أهل الشقاوة فإنشاره من قبور أهل الشقاوة وإن كان مدفوناً في قبور أهل السعادة، ولذا قال «صاحب المشارق»: في خطبة كتابه: ثم إذا شاء منها أنشره أي: من مكة فإن من دفن بمكة ولم يكن لائقاً بها تنقله الملائكة إلى موضع آخر وفي الحديث: «من مات من أمتي يعمل عمل قوم لوط نقله الله إليهم حتى يحشر معهم»، وفي حديث آخر: «من مات وهو يعمل عمل قوم لوط سار به قبره حتى يصير معهم ويحشر يوم القيامة معهم» كما في «الدرر المنتثرة» للإمام السيوطي رحمه الله.

وحكي أن شخصاً كان يقال له: ابن هيلان من المبالغين في التشيع بحيث يفضي إلى ما يستقبح في حق الصحابة مع الإسراف على نفسه بينما هو يهدم حائطاً إذ سقط فهلك فدفن بالبقيع فلم يوجد ثاني يوم الدفن في القبر الذي دفن به ولا التراب الذي ردم به القبر بحيث يستدل بذلك لنبشه وإنما وجدوا اللبن على حاله حسبما شاهده الجم الغفير حتى كان ممن وقف عليه القاضي جمال الدين وصار الناس يجيئون لرؤيته إرسالاً إلى أن اشتهر أمره وعد ذلك من الآيات التي يعتبر بها من شرح الله صدره نسأل الله السلامة وحكي أيضاً: أن محمد بن إبراهيم المؤذن حكي عنه أنه حمل ميتاً في أيام الحاج ولم يوجد من يساعده عليه غير شخص قال فحملناه ووضعناه في اللحد ثم ذهب الرجل وجئت أنا باللبن لأجل اللحد فلم أجد الميت في اللحد فذهبت وتركت القبر على حاله ونقل أن بعض الصلحاء ممن لم يمت بالمدينة رؤي في النوم وهو يقول للرائي سلم على أولادي وقل لهم: إني قد حملت ودفنت بالبقيع عند قبر العباس فإذا أرادوا زيارتي فليقفوا هناك ويسلموا ويدعوا كذا في «المقاصد الحسنة للسخاوي»

وفي الآية إشارة إلى أن الإنسان ما كان له أن يكفر لأن الله خلقه من نطفة الوجود المطلق وهيأه لمظهرية ذاته وصفاته وأسمائه ثم سهل عليه سبيل الظهور بمظاهر الأسماء الجمالية والجلالية ثم أماته عن أنانيته فأقبره في قبر الفناء عن رؤية الفناء ثم إذا شاء أنشره بصورة البقاء بعد الفناء فعلى العبد أن يعرف قدر النعمة ولا يظهر بالعجب والغرور بأن يدعى لنفسه ما كان لله من الكمالات كالعلم والقدرة والإرادة ونحوها.

﴿**كلا**﴾ ردع للإنسان عما هو عليه وجعله السجاوندي بمعنى حقاً ولذا لم يقف عليه بل على أمره فإنه إذا كان بمعنى حقاً يكون تابعاً لما بعده. ﴿**لما يقض ما أمره**﴾ قال في بعض التفاسير: ما في لما صلة دخلت للتأكيد كقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فلما بمعنى لم وليس فيه معنى التوقع وفي ما أمره موصولة وعائده يجوز أن يكون محذوفاً والتقدير ما أمره به فحذف الجار أولاً فبقي ما أمره هو ثم حذف الهاء العائد ثانياً ويجوز أن يكون باقياً على أن المحذوف من الهاءين هو العائد إلى الإنسان والباقي هو العائد إلى الموصول فاعرف وقس عليه أمثاله، أي: لم يقض الإنسان ما أمره الله به من الإيمان والطاعة ولم يؤد ولم يعرف ولم يعمل به وعدم القضاء محمول على عموم النفي إما على أن المحكوم عليه هو المستغني أو هو الجنس لكن لا على الإطلاق بل على أن مصداق الحكم بعدم القضاء بعض إفراده وقد أسند إلى الكل فلا شياع في اللوم بحكم المجانسة وإما على أن مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الإيجاب الكلي دون السلب الكلي فالمعنى لما يقض جميع أفراد ما أمره بل أخل به، بعضها بالكفر والعصيان مع أن مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل أن لا يتخلف عنه أحداً أصلاً.

[وكفته اند مراد همه آدميانند از آدم تاباين غايت وهركز هيچ آدمى از عهده‌ء حقوق اداي اوامر إلهي كما ينبغي بيرون نيايد ونتوان آمد].

بنده همان به كه زتقصير خويش عذر بدر كاه خداي آورد
ورنه سزاوار خداوند يش كس نتواندكه بجاي آورد

وفي «التأويلات النجمية»: كلا لما يقض ما أمره من الإتيان بمواجب حقوقنا من الظهور بحقائق أسمائنا والقيام بفضائل صفاتنا.

﴿**فلينظر الإنسان إلى طعامه**﴾ شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه أي فلينظر الإنسان إلى طعامه الذي عليه يدور أمر معاشه كيف دبرناه وقال ابن عباس رضي الله عنهما: فلينظر الإنسان إلى طعامه ليعلم خسة قدره وفناء عمره، وفي الحديث: «إن مطعم ابن آدم جعله الله مثلاً للدنيا وإن قزحه وملحه فانظر إلى ماذا يصير» يقال قزح القدر جعل التابل فيها وهو كصاحب وهاجر إبزار الطعام وملحها جعل الملح فيها.

﴿**أنا صببنا**﴾ أنزلنا إنزالاً وافياً من السحاب. ﴿**الماء**﴾ أي: الغيث وهو المطر المحتاج إليه بدل اشتمال من طعامه لأن الماء سبب لحدوث الطعام فالثاني مشتمل على الأول إذ لا يلزم فيه أن يكون المبدل منه مشتملاً على البدل فحينئذٍ العائد محذوف والتقدير صببنا له ﴿**صباً**﴾ عجيباً.

﴿**ثم شققنا الأرض**﴾ بالنبات ولما كان الشق بعد الصب أورد كلمة ثم الشق بالفارسية [شكافتن] ﴿**شقاً**﴾ بديعاً لائقاً بما يشقها من النبات صغراً وكبراً وشكلاً وهيئة.

﴿فأنبتنا فيها﴾ أي: في الأرض المشقوقة بالنبات والفاء للتعقيب ﴿حباً﴾ فإن انشقاق الأرض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع إلى أن يتكامل النمو وينعقد الحب، والحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما وهو جنس الحبة كالتمر والتمرة فيشمل القليل والكثير قدمه لأنه الأصل في الغذاء.

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٢ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤﴾.

﴿وعنباً﴾ عطف على حباً وليس من لوازم العطف أن يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير في خلو إنبات العنب عن شق الأرض وكذا في أمثاله، كذا قال في «الإرشاد»، ولعل شق الأرض فيه باعتبار أصله أول خروجه منها فإن المراد هنا شجرة العنب وإنما ذكره والزيتون باسم الثمرة لشهرتهما بها ووقوع كل منهما بعد ما يؤكل نفسه فاعرف، وأفرد العنب بالذكر من بين الثمار لأنه فاكهة من وجه يتلذذ به وطعام من وجه يتغذى به وهو من أصلح الأغذية. ﴿وقضباً﴾ أي: رطبة وهي نبات يقال له الفصفصة وبالفارسية [اسپست ومعربه الاسفست].

سميت بمصدر قضبه أي قطعه مبالغة كأنها لتكرر قطعها وتكثره إذا تقضب مرة بعد أخرى في السنة نفس القطع وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إنه الرطب التي تقضب من النخل ورجحه بعضهم لمناسبته بالعنب.

وقال بعضهم: هو مثل النعناع والطرخون والكراث وغيرها التي قطع ساقها من أصلها يعني للأكل وبعضهم هو القت الرطب أفرده بالذكر تنبيهاً على اختلاف النباتات وإن منها ما إذا قطع عاد ومنها ما لا يعود والقت حب الغاسول وهو الاشنان وقيل: هو حب يابس أسود يدفن فيلين قشره ويطحن ويخبز يقتاته أعراب طي وبعضهم هو كل ما يؤكل رطباً كالبطيخ والخيار والباذنجان والدباء.

﴿وزيتوناً﴾ هو ما يعصر منه الزيت والمراد شجرته وتعمر ثلاثة آلاف سنة خصه بالذكر لكثرة فوائده خصوصاً لأهالي بلاد العرب فإنهم ينتفعون به أكلاً وإدهاناً واستضاءة وتطهراً فإنه يجعل في الصابون وكان عليه السلام يتطيب به في الأوقات. ﴿ونخلاً﴾ هو شجر التمر جمع نخلة والرطب والتمر من أنفع الغذاء وفي العجوة خاصية دفع السم والسحر وشجرته من فضلة طينة آدم عليه السلام، كما سبق مفصلاً.

﴿وحدائق غلباً﴾ جمع حديقة وهي الروضة ذات الشجر أو البستان من النخل والشجر أو كل ما أحاط به البناء والقطعة من النخل كما في «القاموس»، وهي هنا من قبيل التعميم بعد التخصيص والغلب جمع أغلب كحمر جمع أحمر أو حمراء مستعار من وصف الرقاب يقال الرجل أغلب وأسد أغلب أي غليظ العنق فالمعنى وحدائق عظاماً وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة أشجارها أو لأنها ذات أشجار غلاظ فعلى الأول الاستعارة معنوية وعلى الثاني مجاز مرسل، فإن أريد من غلظ العنق والرقبة مطلق الغلظ بطريق إطلاق المقيد وإرادة المطلق كاطلاق المرسن على الأنف وأجرى على الحدائق وصفاً لها بحال متعلقها وهو الأشجار سمي استعارة بناء على اللغة وفي «كشف الأسرار» الغلب من الشجر التي لا تمثر كالشمار والأرز

والعرعر والدرداء.

﴿وفاكهة﴾ كثيرة غير ما ذكر والعنب والرمان والرطب من الفواكه عند الإمامين لا عند الأعظم وإن العطف يقتضي المغايرة والظاهر أن مراد الأعظم أن نحو العنب والرطب لكونه مما يؤكل غذاء يحقق القصور في معنى التفكه به أي التنعم بعد الطعام وقبله فلا يتناوله اسم الفاكهة على الإطلاق، حتى لو حلف لا يأكل فاكهة لا يحنث بأكله لكونه غذاء من وجه وإن كان فاكهة من وجه آخر وعطف الفاكهة عليه لا ينافي كونه فاكهة من وجه لأن المراد بالفاكهة المعطوفة ما هو فاكهة من كل وجه ولا يخفى إن الفاكهة من كل وجه مغايرة لما هو فاكهة من وجه دون وجه فيصح عطفها عليه أو عطفه عليها كما في مواضع من القرآن. ﴿وأباً﴾ أي: مرعى من أبه إذا أمه أي قصده لأنه يؤم ويقصد جزه للدواب أو من أب لكذا إذا تهيأ له لأنه متهيىء للرعي وأب إلى وطنه إذا نزع إليه نزوعاً تهيأ لقصده وكذا أب لسيفه إذ تهيأ لسله وأبان ذلك فعلان منه وهو الزمان المتهيىء لفعله ومجيئه أو الأب الفاكهة اليابسة تؤب للشتاء أي تعد وتهيأ وهو الملائم لما قبله وفي الحديث «خلقتم من سبع ورزقتم من سبع فاسجدوا لله على سبع» أراد بقوله: «خلقتم من سبع» يعني: ﴿مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [الحج: ٦٧] الخ وهي التارات السبع وبقوله «رزقتم من سبع» قوله ﴿حباً وعنباً﴾ إلى ﴿أباً﴾ لعل الحدائق خارجة عن الحساب لأنها منابت تلك المرزوقات وبقوله «فاسجدوا» على سبع الأعضاء السبعة وهي الوجه واليدان والركبتان والرجلان.

﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ مفعول به أي: فعل ذلك تمتيعاً لكم ولمواشيكم فإن بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم وللالتفات لتكميل الامتنان وفي الآية إشارة إلى حب المحبة الذاتية وخمير المحبة الصافية المتخذة من عنب الصفات وخمر المحبة الأفعالية المتخذة من رطب وزيتون المعرفة ونخل التوحيد العالي من أن يصل إليه كل مدع كذاب وفاكهة الوجدانيات والذوقيات وحدائق الشوق والاشتياق والود والتجريد ونحوها وأب مراعي الشهوات الحيوانية فبعض هذه النعم الشريفة مخصوص بالخواص كالأرواح والأسرار والقلوب وبعضها بالعوام كالنفوس البشرية والقوى الطبيعية العنصرية.

﴿فإذا جاءت الصاخة﴾ شروع في بيان أحوال معادهم أثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فناء النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها وجواب إذا محذوف يدل عليه ﴿يوم يفر﴾ الخ أي اشتغل كل أحد بنفسه والصاخة هي الداهية العظيمة التي يصخ لها الخلائق أي يصيخون لها من صخ لحديثه إذا أصاخ واستمع وصفت بها النفخة الثانية لأن الناس يصخون لها في قبورهم فأسند الاستماع إلى المسموع مجازاً وقيل هي الصيحة التي تصم الآذان لشدة وقعها وقيل هي مأخوذة من صخه بالحجر أي صكه فتكون الصاخة حقيقة في النفخة.

﴿يوم يفر المرء﴾ روزي كه بكريزد مرد ﴿من أخيه﴾ ازبرادر خودبار وجود موانست ومهرباني.

﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾
ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿وأمه﴾ واز مادر خود باكثرت حقوق كه او راست ﴿وأبيه﴾ واز پدر خود باجود شفقت وعاطفت كهل از وديده.

﴿وصاحبته﴾ واز زن خودبا آنكه مونس روزكار او بوده. ﴿وبنيه﴾ وازفر زندان خود باخيال استظهار بديشان، أي: يعرض الإنسان عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما في الدنيا لاشتغاله بحال نفسه ولعلمه أنهم لا يغنون عنه شيئاً فقوله ﴿يوم﴾ منصوب بأغنى تفسيراً للصاخة تأخير الأحب للمبالغة لأن الأبوين أقرب من الأخ وتعلق القلب بالصاحبة والأولاد أشد من تعلقه بالأبوين وهذه الآية تشمل النساء كما تشمل الرجال ولكنها خرجت مخرج كلام العرب حيث تدرج النساء في الرجال في الكلام كثيراً.

قال عبد الله بن طاهر الأبهري قدس سره: يفر منهم إذا ظهر له عجزهم وقلة حيلتهم إلى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه ولو ظهر له ذلك في الدنيا لما اعتمد على سوى ربه الذي لا يعجزه شيء وتمكن من فسحة التوكل واستراح في ظل التفويض وفي الآية إشارة إلى فرار مرء القلب عن أخيه السر وأمه النفس وأبيه الروح وصاحبته القوى البشرية وبنيه الأعمال والأحوال لأن في ذلك اليوم لا يتخلص أحد بعمله بل بفضله وطوله كما قال عليه السلام: «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بغفرانه». ﴿لكل امرىء منهم يومئذٍ شأن يغنيه﴾ استئناف وارد لبيان سبب الفرار والشأن لا يقال إلا فيما يعظم من الأحوال والأمور أي لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه في الاهتمام به قال ابن الشيخ أي الهم الذي حصل له قد ملأ صدره فلم يبق فيه متسع فصار بذلك شبيهاً بالغني في أنه ملك شيئاً كثيراً ودرباب مشغولىء قيامت فرد الدين عطار راقدس سره حكايتي منظوم است.

كشتىء آورد در دريا شكست	تختهء زان جمله بر بالا نشست
كربه وموشى دران تخته بماند	كارشان بايكدكر بچنه بماند
نه ذكر به موش را روى كريز	نه بموش آن كربه راچنكال تيز
هردوشان ازهول درياي عجب	در تحير بازماند خشك لب
درقيامت نيز اين غوغا بود	يعني آنجاني توونى ما بود

وفي الخبر: «أن عائشة رضي الله عنهما، قالت يا رسول الله كيف يحشر الناس قال حفاة عراة: قالت وكيف تحشر النساء قال حفاة عراة قالت عائشة: واسوأتاه النساء مع الرجال حفاة عراة فقرأ رسول الله عليه السلام هذه الآية ﴿لكل امرىء﴾» الخ. وأما الفرار حذراً من مطالبتهم بالتبعات بأن يقول الإنسان واسيتني بمالك والأبوان قصرت في برنا والصاحبة أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون ما علمتنا وما أرشدتنا أو بغضاً لهم كما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن يفر قابيل من أخيه هابيل ويفر النبي من أمه وإبراهيم من أبيه ونوح من ابنه ولوط من امرأته فليس من قبيل الفرار المذكور وكذا ما يروى أن الرجل يفر من أصحابه وأقربائه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال، قال بعض المشايخ: من كان اليوم مشغولاً بنفسه فهو غداً مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولاً بربه فهو غداً مشغول بربه وقال يحيى بن معاذ: إذا شغلتك نفسك في دنياك وعقباك عن ربك أما في الدنيا ففي طلب مرادها واتباع شهواتها وأما في الآخرة فكما أخبر الله عنه بقوله: ﴿لكل امرىء منهم﴾ الخ فمتى تفرغ إلى معرفة ربك

وطاعته وقال بعضهم: العارف مع الخلق ولكنه يفارقهم بقلبه كما قيل:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وابحت جسمي من أراد جلوسي

﴿وجوه يومئذٍ مسفرة﴾ بيان لمآل أمر المذكورين وانقسامهم إلى السعداء والأشقياء بعد ذكر وقوعهم في داهية دهياء فوجوه مبتدأ وإن كانت نكرة لكونها في حيز التنوين ومسفرة خبره ويومئذٍ أي: يوم إذ يفر المرء متعلق به أي مضيئة متهللة بنورية ذواتهم وصفاتها من أسفر الصبح إذا أضاء فهو من لوازم الأفعال، قال في «المفردات»: الأسفار يختص باللون ومسفرة أي مشرق لونها وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن ذلك من قيام الليل، وفي الحديث: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله.

﴿ضاحكة مستبشرة﴾ بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة.

قال الكاشفي: [ضاحكة خندان مستبشرة شادمنان وفرحناك بسبب نجات ازنيران ووصول بورضهء جنان].

وفي بعض التفاسير: ضاحكة مسرورة فرحة لما علم من الفوز والسعادة أو لفراغه من الحساب بالوجه اليسير مستبشرة أي ذات بشارة بالخير كأنه بيان لقوله ﴿ضاحكة﴾ انتهى. وفي «عين المعاني» ضاحكة من مسرة العين مستبشرة من مسرة القلب وقيل: من الكفار شماتة وبأنفسهم فرحاً وقال ابن طاهر رحمه الله كشف عنها ستور الغفلة فضحكت بالدنو من الحق واستبشرت بمشاهدته وقال ابن عطاء رحمه الله: أسفرت تلك الوجوه بنظرها إلى مولاها وأضحكها رضي الله عنها، وقال سهل رحمه الله: منورة بنور التوحيد واتباع السنة.

وفي «التأويلات النجمية»: وجوه أرباب الأرواح والأسرار والقلوب العارفين بالمعارف الإلهية والحقائق اللاهوتية مضيئة بأنوار العلوم والحكم ضاحكة مستبشرة بنعم المكاشفات ومنح المشاهدات.

يقول الفقير: ﴿وجوه يومئذٍ مسفرة﴾ لابيضاضها في الدنيا بالتزكية والتصفية وزوال كدورتها ضاحكة لأنها بكت في الله أيام دنياها حتى صارت عمياء عن رؤية ما سوى الله تعالى مطلقاً كما وقع لشعيب ويعقوب عليهما السلام مستبشرة لأمنها بدل خوفها في الدنيا ولذا قال: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤] بأن تقول لهم الملائكة لا تخافوا وأبشروا بالجنة والرؤية والضحك انبساط الوجه وتكشر الأسنان من سرور النفس ولظهور الأسنان عنده سميت مقدمات الأسنان ضواحك ويستعمل في السرور المجرد كما في الآية. قال الراغب: واستبشر أي وجد ما يبشره من الفرح وبشرته أخبرته بسار بسط بشرة وجهه وذلك أن النفس إذا سرت انتشر الدم انتشار الماء في الشجرة.

﴿ووجوه يومئذٍ عليها غبرة﴾ أي: غبار وكدورة وفي الخبر يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة على وجوههم وقيل هي غبرة الفراق والذل.

﴿ترهقها﴾ أي تعلوها وتغشاها ﴿قترة﴾ أي سواد وظلمة كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما إذا أغبر وجه الزنجي. قال الراغب: القتر هو الدخان الساطع من الشواء والعود ونحوهما وقترة نحو غبرة وذلك شبه دخان يغشى الوجه من الكذب قال السري قدس سره: ظاهر عليها حزن البعاد لأنها صارت محجوبة من الباب مطرودة وقال

سهل قدس سره: غلب عليها إعراض الله عنها ومقته إياها فهي تزداد في كل وقت ظلمة وقترة.

﴿**أولئك هم الكفرة الفجرة**﴾ أي: أولئك الموصوفون بسواد الوجه وغبرته هم الجامعون بين الكفر والفجور فلذا جمع الله إلى سواد وجوههم الغبرة وفي الحديث: «إن البهائم إذا صارت تراباً يوم القيامة حول ذلك التراب في وجوه الكفار» وفي «عين المعاني» أولئك هم الكفرة في حقوق الله الفجرة في حقوق العباد انتهى. وفيه إشارة إلى أن الفجور الغير المقارن بالكفر ليس في درجة المقارن في المذمومية والسببية للحقارة والخذلان إذ أصل الفجور الكذب والميل عن الحق ويستعمل في الذنب الكبير وكثيراً ما يقع ذلك من المؤمن العاصي لكن ينبغي أن يخاف منه ويحذر عنه لأن كبائر الذنب تجر إلى الكفر كما أن صغائره تجر إلى الكبائر.

[يكى از جملهء بزركان دين كفته كه اين زر وسيم وأنواع أموال نه عين دنيا ست كه اين ظروف وأوعيهء دنياست همچنين حركات وسكنات وطاعات بنده نه عين دين است كه آن ظروف وأوعيهء دين است دين جمله سوز ودر داست ودنيا همه حسرت وباد سرد است قارون آن همه زر وسيم وأنواع أموال كه داشت مكروه نبود بازاز وچون حقوق حق تعالى طلب كردند امتناع نمود وحقوق حق نكزارد وكشش أو بجانب زر وسيم وأموال دنيا مكروه بود أي بساكساكه دانكى درخواب نديد وفردا فرعون أهل دنيا خواهد بودكه دل أو آلودهء حرص دنياست وأي بساكساكه أموال دنيا در ملك أو نهادند وفردا دل خويش باز سپاردكه داغي ازين دنيا بروى ظاهر نبودسر انجام مرد ديندار دنيا كذار اينست كه در آخر سوره كفت ﴿**وجوه يومئذٍ مسفرة**﴾ ضاحكة مستبشرة وعاقبت كار دنيا كار دين كذار اينست كه كفت ﴿**وجوه يومئذٍ عليها غبرة**﴾ الخ] وقال بعضهم وجوه أصحاب النفوس المتمردة وأرباب الهوى عليها غبرة الأنانية وغبار الأنية يغطيها سواد الاثنينية وظلمة الثنوية هم الذين ستروا وجود الحق بغبرة وجودهم وشقوا وقطعوا نفوسهم المظلمة عن متابعة الأرواح المنورة عصمنا الله وإياكم من ذلك.

تمت سورة عبس بفضل الله تعالى يوم الاثنين ثامن صفر الخير من شهور سنة سبع عشرة ومائة وألف

٨١ ــ سورة التكوير

تسع أو ثمان وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾.

﴿إذا الشمس كورت﴾ ارتفاع الشمس على أنه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور لا فاعله لأن الفاعل لا يتقدم وعند البعض على الابتداء لأن التقدير خلاف الأصل والأول أولى لأن إذا فيها معنى الشرط والشرط مختص بالفعل وعلى الوجهين الجملة في محل الجر بإضافة إذا إليها، ومعنى كورت لفت من كورت العمامة إذا لففتها بضم بعض أجزائها لبعض على جهة الاستدارة على أن المراد بذلك إما رفعها وإزالتها عن مقرها فإن الثوب إذا أريد رفعه عن مكانه وستره بجعله في صندوق أو غيره يلف لفاً ويطوي نحو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] فكان بين السماء والرفع علاقة اللزوم فتكويرها كناية عن رفعها قال سعدي المفتي: ولا مانع من إرادة المعنى الحقيقي أيضاً وكون الشمس كرة مصمتة على تسليم صحته لا يمنع من تلك الإرادة لجواز أن يحدث الله فيها قابلية التكوير بأن يصيرها منبسطة ثم يكورها إن الله على كل شيء قدير انتهى.

وأما لف ضوئها المنبسط في الآفاق المنتشر في الأقطار بأن يكون إسناد كورت إلى ضمير الشمس مجازياً أو بتقدير المضاف على أنه عبارة عن إزالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم، فاللف على هذا مجاز عن الإعدام إذ لا مساغ لإرادة المعنى الحقيقي لأن الضوء لكونه من الأعراض لا يتصور فيه اللف، وقال بعضهم: إن الله قادر على أن يطمس نورها مع بقائها، فقول «الكشاف» لأنها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطاً غير ملفوف فيه نظر انتهى. وجوابه ما أشير إليه من حكم الاستلزام وقيل معنى كورت ألقيت من فلكها على وجه الأرض كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره إذا ألقاه على الأرض وفي الحديث: «إن الشمس والقمر نوران مكوران في النار يوم القيامة» أي: مرميان فيها ولما ذكر هذا الحديث عند الحسن البصري رحمه الله، قال: وما ذنبهما؟ وقال الإمام: سؤال الحسن ساقط لأن الشمس والقمر جمادان فالقاؤهما في النار لا يكون سبباً لمضرتهما ولعل ذلك يكون سبباً لازدياد الحر في جهنم وكذا قال الطيبي: تكويرهما فيها ليعذب بهما أهل النار

لا سيما عباد الأنوار لا ليعذبهما في النار فإنهما بمعزل عن التكليف بل سبيلهما في النار سبيل النار نفسها وسبيل الملائكة الموكلين بها انتهى. وكذا قال في تفسير الفاتحة للفناري إن السماء إذا طويت واحدة بعد واحدة يرمي بكواكبها في النار.

يقول الفقير: قول الحسن أدق فإن النور لا يلحق بالنار إلا أن يكون فيه مرتبة النارية أيضاً فالشمس يلحق نورها بنور العرش ونارها بنار جهنم وقد سبق في سورة النبأ فارجع، فإن قيل: كيف يمكن تكويرهما في النار وقد ثبت بالهندسة أن قرص الشمس في العظم يساوي كرة الأرض مائة وستين مرة، وربع الأرض وثمنها؟ أجيب بأن الله تعالى قادر على أن يدخلها في قشرة جوزة على ذلك العظم.

يقول الفقير: قد ثبت أن الله تعالى يمد الأرض يوم القيامة فتكون أضعاف ما كانت عليه على أن وسعة الدارين تابعة لكثرة أهلهما ووسعتهم لأنه ثبت أن ضرس الكافر مثل جبل أحد وجسمه مسيرة ثلاثة أيام فإذا كان جسد كل كافر على هذا الغلظ وأعظم فاعتبر منه وسعة جهنم فقرص الشمس في النار كجوزة في وسط بيت واسع ولا يعرف حد الدارين إلا الله تعالى.

﴿**وإذا النجوم**﴾ جمع نجم وهو الكوكب الطالع وبه شبه طلوع النبات والرأي فقيل نجم النبت والرأي نجماً ونجوماً فالنجم اسم مرة ومصدر أخرى ﴿**انكدرت**﴾ أي: تناثرت وتساقطت بالسرعة كما قال: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾ [الانفطار: ٢] والأصل في الانكدار الانصباب فإن السماء تمطر يومئذٍ نجومها فلا يبقى في السماء نجم إلا وقع على وجه الأرض وذلك أن النجوم على ما روى ابن عباس رضي الله عنهما، في قناديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من نور وتلك السلاسل بأيدي ملائكة من نور فإذا مات من في السماوات ومن في الأرض تساقطت تلك الكواكب من أيديهم؛ لأنه مات من يمسكها، وفيه إشارة إلى طي ضوء شمس الروح الذي هو الحياة وقبضه عن البدن وإزالته وتناثر نجوم الحواس العشر الظاهرة والباطنة وأيضاً إلى تكوير الوجود الإضافي المنعكس من الوجود المطلق الحقيقي عند ظهور الحقيقة وإلى اضمحلال نجوم الهويات وهياكل الماهيات بحيث لا يبقى لها أثر لأنها نسب عدمية واعتبارات محضة.

﴿**وإذا الجبال سيرت**﴾ رفعت عن وجه الأرض وأبعدت عن أماكنها بالرجفة الحاصلة لا في الجو كالسحاب فإن ذلك بعد النفخة الثانية والسير المضي في الأرض والتسيير ضربان باختيار وإرادة من السائر نحو: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُرْ﴾ [يونس: ٢٢] وبقهر وتسخير كتسيير الجبال وفيه إشارة إلى جبال الأعضاء والجوارح الراسيات سيرت عن أرض تعيناتها وأيضاً إلى جبال الأنواع والأجناس الواقعة في عالم التعينات.

﴿**وإذا العشار**﴾ جمع عشراء كنفاس ونفساء وليس فعلاء يجمع على فعال غير عشراء ونفساء كما في «القاموس» والعشراء: هي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر وهو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة وهي أنفس أموال العرب ومعظم أسباب معاشهم.

﴿**عطلت**﴾ العطل فقدان الزينة والشغل ويقال لمن يجعل العالم بزعمه فارغاً عن صانع اتقنه وزينه ورتبه معطل وعطل الدار عن ساكنيها والإبل عن راعيها والمعنى وإذا العشار تركت مسيبة مهملة غير منظور إليها مع كونها محبوبة مرغوبة عند أهلها لاشتغال أهلها بأنفسهم وذلك عند مجيء مقدمات قيام الساعة فإن الناس حينئذٍ يتركون الأموال والأملاك ويشتغلون بأنفسهم

كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴿٨٨﴾﴾ [الشعراء: ٨٨] وقال الإمام أبو الليث وغيره: هذا على وجه المثل لأن في القيامة لا تكون ناقة عشراء يعني أن هول القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها واشتغل بنفسه لعلهم جعلوا يوم القيامة ما بعد النفخة الثانية أو مبادي الساعة من القيامة لكن يمكن وجود العشراء في المبادي فلا يكون تمثلاً وفيه إشارة إلى النفوس الحاملات أحمال الأعمال والأحوال وأيضاً إلى تعطيل عشار الأرجل المنتفع بها في السير عن الاستعمال في المشي وترك الانتفاع بها.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾

﴿وإذا الوحوش﴾ قال في «القاموس»: الوحش حيوان البر كالوحيش والجمع وحوش ووحشان والواحد وحشي قال ابن الشيخ: هو اسم لما لا يستأنس بالإنسان من حيوان البر والمكان الذي لا إنس فيه وحش وخلاف الوحشي الأهلي **﴿حشرت﴾** أي: جمعت من كل جانب واختلط بعضها ببعض وبالناس مع نفرة بعضها عن البعض وعن الناس أيضاً وتفرقها في الصحارى والقفار وذلك الجمع من هول ذلك اليوم وقيل بعثت للقصاص إظهاراً للعدل قال قتادة: يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فإذا قضى بينها ردت تراباً فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصوته أو صورته كالطاووس والبلبل ونحوهما فإذا بعثت الحيوانات للقصاص تحقيقاً لمقتضى العدل فكيف يجوز مع هذا إن لا يحشر المكلفون من الإنس والجن وفيه إشارة إلى القوى البشرية الطبيعية النافرة عن جناب الحق وباب القدس بأن أهلكت وأفنيت وجمعت إلى ما منه بدت.

﴿وإذا البحار سجرت﴾ أي: أحميت أو ملئت بتفجير بعضها إلى بعض حتى تعود بحراً واحداً مختلطاً عذبها بملحها وبالعكس فتعم الأرض كلها من سجر التنور إذا ملأه بالحطب ليحميه وجه الإحماء أن جهنم في قعور البحار إلا أنها الآن مطبقة لا يصل أثر حرارتها إلى ما فوقها من البحار ليتيسر انتفاع أهل الأرض بها فإذا انتهت مدة الدنيا يرفع الحجاب فيصل تأثير تلك النيران إلى البحار فتسخن فتصير حميماً لأهل النار أو تبعث عليها ريح الدبور فتنفخها وتضربها فتصير ناراً على ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما في وجه الإحماء.

[در فتوحات مذكور است كه هركاه كه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما دريارا بديدي كفتي] يا بحر متى تعود ناراً ووجه الامتلاء أن الجبال تندك وتفرق أجزاؤهما وتصير كالتراب الهائل الغير المتماسك فلا جرم تنصب أجزاؤها في أسافلها فتمتلىء المواضع الغائرة من الأرض فيصير وجه الأرض مستوياً مع البحار فتصير البحار بحراً واحداً مسجوراً أي ممتلئاً وقال بعضهم: ملئت بإرسال عذبها على مالحها ثم أسيلت حتى بلغت الثور فابتلعها فلما بلغت إلى جوفه نفدت وعن الحسن رحمه الله يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة.

قال الراغب: وإنما يكون كذلك لتسجير النار فيها أي: إضرامها والتشديد في مثل هذه الأفعال قد يكون لتكثير الفعل وتكريره والتخفيف يحتمل القليل والكثير وخصت هذه السورة بسجرت موافقة لقوله: **﴿سعرت﴾** لأن معنى سجرت عند أكثر المفسرين أوقدت فصارت ناراً فيقع التوعد بتسعير النار وتسجير البحار وخصت سورة الانفطار بفجرت موافقة لقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢] لأن في كل من تساقط الكواكب وسيلان المياه على وجه الأرض وبعثرة

القبور أي قلب ترابها مزايلة الشيء عن مكانه فلا في كل واحد قرينه وفيه إشارة إلى بحار المعرفة الذاتية والحكم الصفاتية والعلوم الاسمائية فإنها إذا اتحدت بالتجلي الوحداني تصير بحراً واحداً وهو بحر الذات المشتمل على جميع المراتب وإلى البحار الحاصلة من اعتبارات الوجود وشؤونه الكلية ظاهراً أو باطناً غيباً وشهادة دنيا وآخرة فإنها قد جمعت واتحدت فصار بحر الوجود بحراً واحداً زخاراً لا ساحل له ولا قعر وإلى بحار العناصر بأنه فجر بعضها إلى بعض واتصل كل جزء بأصله فصارت بحراً واحداً.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠﴾.

﴿وإذا النفوس﴾ الظاهر نفوس الإنسان ويحتمل أن تعم الجن أيضاً كما في بعض التفاسير.

﴿زوجت﴾ التزويج جعل أحد زوجاً لآخر وهو يقتضي المقارنة، أي قرنت بأجسادها بأن ردت إليها أو قرنت كل نفس بشكلها وبمن كان في طبقتها في الخير والشر فيضم الصالح إلى الصالح والفاجر إلى الفاجر أو قرنت بكتابها أو بعملها فالنفوس المتمردة زوجت بأعمالها السيئة والمطمئنة بأعمالها الحسنة أو نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكفرة بالشياطين وفيه إشارة إلى أن الأرواح الفائضة على هياكل الأشباح من عالم الأمر قرنت ببواعتها وموجباتها التي هي الأسماء والصفات الإلهية وأسبابها اللاهوتية.

﴿وإذا الموؤودة﴾ أي المدفونة حية يقال وأد بنته يئدها وإذا وهي موؤودة إذا دفنها في القبر وهي حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الإملاق أو الاسترقاق أو لحوق العار بهم من أجلهن وكانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحق بهن قال في: «الكشاف» كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية وإن أراد قتلها تركها حتى كانت سداسة أي بلغت ست سنين فيقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر لها بئراً في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى يستوي البئر بالأرض وقيل كانت الحامل إذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فإذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وإن ولد ابنا حبسته.

﴿سئلت﴾ أي سألها الله بنفسه إظهاراً للعدالة أو بأمره للملك **﴿بأي ذنب﴾** من الذنوب الموجبة للقتل عقلاً ونقلاً. **﴿قتلت﴾** قتلها أبوها حية فعلاً أو رضى وتوحية السؤال إليها لتسليتها وإظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها وإسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ﴾ [المائدة: ١١٦] ولذا لم يسأل الوائد عن موجب قتله لها، وجه التبكيت أن المجني عليه إذا سئل بمحضر من الجاني ونسب إليه الجناية دون الجاني كان ذلك بعثاً للجاني على التفكر في حال نفسه وحال المجني عليه فيعثر على براءة ساحة صاحبه وعلى أنه هو المستحق لكل نكال فيفحم وهذا نوع من الاستدراج واقع على طريق التعريض وهو أبلغ فلذلك اختير على التصريح وإنما قيل قتلت على الغيبة لما إن الكلام أخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب وعلى قراءة سألت أي الله أو قاتلها لا حكاية لكلامها حين سئلت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وعن

ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن أطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الآية فإنه ثبت بها أن التعذيب لا يستحق إلا بالذنب، وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أن الوائدة والموؤودة في النار أي: إذا كانت الموؤودة بالغة وفيه إشارة إلى أن الأعمال المشوبة بالرياء المخلوطة بالسمعة والهوى، سئلت بأي سبب أبطلت نوريتها وروحانيتها وأيضاً سئلت موؤودة النفس الناطقة التي أثقلتها وآئدة النفس الحيوانية في قبر البدن وأهلكتها بأي ذنب قتلت أي طلب إظهار الذنب الذي به استولت النفس الحيوانية على الناطقة من الغضب أو الشهوة أو غيرهما فمنعتها عن خواصها وأفعالها وأهلكتها فأظهر فكنى عن طلب إظهاره بالسؤال ولهذا قال عليه السلام الوائدة والموؤودة في النار لأن النفس الناطقة في النار مقارنة للنفس الحيوانية كذا قال القاشاني.

﴿وإذا الصحف نشرت﴾ أي: صحف الأعمال فإنها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب أي: تفتح فيعطاها الإنسان منشورة بأيمانهم وشمائلهم فيقف على ما فيها وتحصى عليه جميع أعماله فيقول: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾ [الكهف: ٤٩] وفي الحديث «يحشر الناس عراة حفاة» فقالت أم سلمة رضي الله عنها: فكيف بالنساء فقال: «شغل النساء يا أم سلمة قالت وما شغلهم قال: «نشر الصحف فيها مثاقيل الذرة ومثاقيل الخردل» وقيل: نشرت أي: فرقت بين أصحابها وعن مرثد بن وادعة إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم أي: مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الأعمال وفيه إشارة إلى صحائف القوى والنفوس التي فيها هيئات الأعمال تطوى عند الموت وتكوير شمس الروح وتنشر عند البعث والعود إلى البدن.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾﴾

﴿وإذا السماء كشطت﴾ قلعت وأزيلت بحيث ظهر ما وراءها وهو الجنة والعرش كما يكشط الإهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به. قال الراغب: هو من كشط الناقة أي: تنحية الجلد عنها منه استعير انكشط روعه أي زال وفيه إشارة إلى كشط سماء الأرواح عن أرض الأشباح وإلى طي ظهور الأسماء والصفات إلى البطون والخفاء.

﴿وإذا الجحيم سعرت﴾ أي: أوقدت للكافرين إيقاداً شديداً لتحرقهم إحراقاً أبدياً سعرها غضب الله وخطايا بني آدم فإسعار النار زيادة التهابها لا حدوثها ابتداء وبه يندفع احتجاج من قال النار غير مخلوقة الآن لأنها تدل على أن تسعرها معلق بيوم القيامة وذلك لأن فيه الزيادة والاشتداد وفيه إشارة إلى جحيم الخسران والخذلان فإنها أوقدت باحطاب الأعمال السيئة وأحجار الأحوال القبيحة خصوصاً نار الغضب والشهوة التي كانوا عليها في هذه النشأة.

﴿وإذا الجنة أزلفت﴾ الإزلاف التقريب بالفارسية [نزديك كردن].

أي قربت من المتقين ليدخلوها كقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الشعراء: ٩٠] غير بعيد وعن الحسن رحمه الله أنهم يقربون منها لا أنها تزول عن موضعها فالمراد من التقريب التعكيس للمبالغة كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأحقاف: ٢٠] حيث تعرض النار عليهم تحقيراً وتحسيراً فقلب مبالغة ويحتمل أن يكون المراد التقريب المعنوي وهو

جعل أهلها مستحقين لدخولها مكرمين فيها وفيه إشارة إلى تقريب نعيم آثار الرضى واللطف من المتقين وكذا جنة الوصول والوصال لمحبي الجمال والكمال كما قيل: هذه اثنتا عشر خصلة ست منها في الدنيا أي فيما بين النفختين وهن من أول السورة إلى قوله ﴿وإذا البحار سجرت﴾ على أن المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست في الآخرة أي بعد النفخة الثانية وقال أبي بن كعب رضي الله عنه: ست آيات قبل القيامة بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت وفزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن واختلطت الدواب والطير والوحوش وماج بعضهم في بعض فحينئذٍ تقول الجن للإنس نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون إلى البحر فإذا هو نار تتأجج، أي: تتهلب، قال فبينما هم كذلك إذ صدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم كذا في المعالم.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾.

﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ أي: علمت كل نفس من النفوس ما أحضرته على حذف الراجع إلى الموصول فنفس في معنى العموم كما صرح به في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠] وقوله: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ [يونس: ٣٠] وقولهم: إن النكرة في سياق الإثبات لا تعم بل هي للأفراد النوعية غير مطرد ويجوز أن يكون التنوين للأفراد الشخصية إشعاراً بأنه إذا علمت حينئذٍ نفس من النفوس ما أحضرت وجب على كل نفس إصلاح عملها مخافة أن تكون هي التي علمت ما أحضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة، قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الإنسان على ما فعل فإنك لا تقصد بذلك أن ندمه مرجو الوجود لا متيقن به أو نادر الوقوع بل تريد أن العاقل يجب عليه أن يجتنب أمراً يرجى فيه الندم أو قلما يقع فيه فكيف به إذا كان قطعي الوجود كثير الوقوع، والمراد بما أحضرت أعمالها من الخير والشر وبحضورها إما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها وإما حضور أنفسها لأن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيئات معينة وإسناد حضورها إلى النفس مع أنها تحضر بأمر الله لما أنه عملتها في الدنيا كأنها أحضرتها في الموقف، ومعنى علمها بها حينئذٍ أنها تشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة فإن كانت صالحة تشاهدها على صور أحسن مما كانت تشاهدها عليه في الدنيا لأن الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وقد ورد حفت الجنة بالمكاره وإن كانت سيئة تشاهدها على ما هي عليه ههنا لأنها كانت مزينة لها موافقة لهواها كما ورد وحفت النار بالشهوات وقال بعضهم: العلم بالأعمال كناية عن المجازاة عليها من حيث إن العلم لازم للمجازاة وقوله علمت إلخ جواب إذا على أن المراد بها زمان واحد متسع محيط بما ذكر من أول السورة إلى هنا من الاثني عشر شيئاً مبدأ النفخة الأولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى أنها تعلم ما تعلم في كل جزء من أجزاء ذلك الوقت المديد أو عند وقوع داهية من تلك الدواهي بل عند

نشر الصحف إلا أنه لما كان بعض تلك الدواهي من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك إلى زمان وقوع كلها تهويلاً للخطب وتفظيعاً للحال، وعن عمر وابن عباس رضي الله عنهم أنهما قرأ السورة فلما بلغا إلى قوله: ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ قالا: لهذه أجريت القصة، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن قارئاً قرأها عنده فلما بلغ ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ قال وانقطاع ظهراه أي: قاله خوفاً من القيامة ومجازاة الأعمال.

[در آنروز هر نفسي بيندكه باهر خيري كرامتي وعطاييست وباهر شرى ملامتي وجزايي برنيكى حسرت خوردكه چرا زياده نكردم وبريدى اندوه كشدكه چرا مباشر شدم وآن حسرت واندوه هيچ فائده نداود].

تـوامـروز فـرصـت غـنـيـمـت شـمـار — كـه فـردا نـدامـت نـيـايـد بـكـار
بـكـوش أي تـوانـاكـه فـرمـان بـرى — كـه در نـاتـوانـي بـسـى غـم خـورى

وفي الحديث: «العبد المؤمن بين مخافتين عمر قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه» فليتزود العبد لنفسه من نفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات فوالله ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا إلا الجنة والنار وقال الواسطي قدس سره في الآية علمت كل نفس وأيقنت إن ما علمت واجتهدت لا يصلح لذلك المشهد، وإن من أكرم بخلع الفضل نجا ومن قرن بجزاء أعماله هلك وخاب وفي برهان القرآن هنا ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ وفي الانفطار ﴿مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥] لأن ما في هذه السورة متصل بقوله ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤] والقبور كانت في الدنيا فتتذكر ما قدمت في الدنيا وما أخرت للعقبى فكل خاتمة لائقة بمكانها وهذه السورة من أولها إلى آخرها شرط وجزاء وقسم وجواب.

﴿فلا أقسم﴾ لا صلة أورد لكلام سابق أي: ليس الأمر كما تزعمون أيها الكفرة من أن القرآن سحر أو شعر أو أساطير ثم ابتدأ فقال أقسم: ﴿بالخنس﴾ جمع خانس وهو المتأخر من خنس الرجل عن القوم خنوساً من باب دخل إذا تأخر وأصل الخنوس الرجوع إلى خلف والخناس الشيطان لأنه يضع خرطومه على قلب العبد فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل عاد إلى الوسوسة والمعنى أقسم بالكواكب الرواجع وهي ما عدا النيرين من الدراري الخمسة وهي المريخ بالكسر ويسمى بهرام أيضاً وزحل ويسمى كيوان أيضاً وعطارد ويسمى الكاتب أيضاً والزهرة وتسمى أناهيد أيضاً والمشتري ويسمى روايس وبرجيس أيضاً وما من نجم يقطع المجرة غير الخمسة فلذا أخضها ونظمها بعضهم والنيرين فقال:

هـفـت كـوكـب كـه هـسـت كـبـتـي را — كـاه ازايـشـان مـدار وكـاه خـلـل
قـمـر سـت وعـطـارد وزهـره — شـمـس ومـريـخ ومـشـتـري وزحـل

وهي الكواكب السبعة السيارة كل منها يجري في فلك فالقمر في الأول وما يليه في الثاني وهكذا على الترتيب.

﴿الجواري الكنس﴾ الجواري جمع جارية بمعنى سائر والكنس جمع كانس وهو الداخل في الكناس المستتر به وصفت الخنس بهما لأنها تجري في أفلاكها أو بأنفسها على ما عليه أهل الظواهر مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفي تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها بينا ترى النجم في آخر البرج إذ كر راجعاً إلى أوله فرجوعه من آخر البرج إلى أوله هو الخنوس

وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها وأما القمران فلا يكنسان بهذا المعنى، قال في عين المعاني: لخنوسها في مجراها واستتارها في كناسها أي موضع استتارها فيه كما تكنس الظباء انتهى. من كنس الوحش من باب جلس إذا دخل كناسه وهو بيته الذي يتخذه من أغصان الشجر وقيل جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أي: تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها.

وفي «التأويلات النجمة»: يشير إلى الحواس الخمس الباطنة السيارة مع شمس الروح وقمر القلب الرواجع إلى بروجها بالاختفاء بحسب شعاع شمس الروح وقمر القلب لغلبة أشعتهما عليهن والدراري الخمسة الزهرة وعطارد والمشتري وبهرام وزحل مظاهر الحواس الخمس والشمس مظهر الروح والقمر مظهر القلب.

﴿والليل﴾ عطف على الخنس ﴿إذا عسعس﴾ أي: أدبر ظلامه لأن اقبال الصبح يكون بإدبار الليل كما قال في «الوسيط»: لما كان طلوع الصبح متصلاً بإدبار الليل كان المناسب أن يفسر عسعس بأدبر ليكون التعاقب في الذكر على حسب التعاقب في الوجود انتهى. أو أقبل فإنه من الأضداد كذلك عسعس وذلك في مبدأ الليل وهذا المعنى أنسب لمراعاة المقابلة مع قرينه.

﴿والصبح﴾ عطف عليه أيضاً. ﴿إذا تنفس﴾ [آنكاه دم زند يعني طلوع كند وتنفس أو مبدأ طلوعست].

والعامل في إذا معنى القسم وإذا وما بعدها في موضع الحال أقسم الله بالليل مدبراً وبالصبح مضيئاً، يقال تنفس الصبح إذا تبلج أي أضاء وأشرق جعل تنفس الصبح عبارة عن طلوعه وانبساطه تحت ضوئه بحيث زال معه عسعسة الليل وهي الغبرة الحاصلة في آخره والنفس في الأصل ريح مخصوص يروح القلب ويفرج عنه بهبوبه عليه، وفي الحديث: «لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن» أي: مما يفرج الكرب شبه ما يقبل بإقبال الصبح من الروح والنسيم بذلك الريح المخصوص المسمى بالنفس فأطلق اسم النفس عليه استعارة فجعل الصبح متنفساً بذلك ثم كنى بتنفسه بذلك عن إقبال الصبح وطلوعه وإضاءة غبرته؛ لأن المتنفس بالمعنى المذكور لازم له فهو كتابة متفرعة على الاستعارة. قال القاشاني: والليل أي ليل ظلمة الجسد الميت إذا أدبر بابتداء ذهاب ظلمته بنور الحياة عند تعلق الروح به وطلوع نور شمسه عليه والصبح أي أثر نور طلوع تلك الشمس إذا انتشر في البدن بإفادة الحياة.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى ليل الطبيعة المتشعشعة عن ظلام غيب البشرية باتباع أحكام الشريعة ومخالفات آثار الطبيعة وإلى صبح نهار الروحانية إذا كشف وأظهر آداب الطريقة ورسوم الحقيقة وهو أعظم الأقسام وأفضل الإيمان.

﴿إنه﴾ الضمير للقرآن وإن لم يجر له ذكر للعلم به أي: القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهي الهائلة وهو جواب القسم وجه القسم بهذه الأشياء أن فيها ظهور كمال الحكمة وجلال القدرة.

يقول الفقير: سر الإقسام بها أن القرآن نور من الله فلا يرد إلا على القلب النوراني الذي هو بمنزلة القمر وعلى الروح الذي هو بمنزلة القمر وعلى الروح الذي هو بمنزلة الشمس على القوى الروحانية التي هي بمنزلة سائر السيارات المضيئة، وهذه الأنوار لا تظهر في الوجود

الإنساني إلا بزوال آثار الطبيعة والنفس وظهور آثار القلب والروح فإذا أشرقت أنوار الروح وقواه في ليل الوجود أضاء جميع ما في الوجود وزال الظلام. ﴿لقول رسول كريم﴾ هو جبريل عليه السلام، قاله من جهة الله.

قال السهيلي: ولا يجوز أنه أراد به أنه قول النبي عليه السلام، وإن كان النبي عليه السلام رسولاً كريماً لأن الآية نزلت في معرض الرد والتكذيب لمقالة لكفار الذين قالوا إن محمداً عليه السلام يقوله وهو قوله فقال الله تعالى: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ فأضافه إلى جبريل الذي هو أمين وحيه وهو في الحقيقة قول الله لكنه أضيف إلى جبريل لأنه جاء به من عند الله فإسناده إليه باعتبار السببية الظاهرة في الإنزال والإيصال ويدل على أن المراد بالرسول هو جبريل ما بعده من ذكر قوته ونحوها وصفه برسول لأنه رسول عن الله إلى الأنبياء وبكريم أي على ربه عزيز عظيم عنده وكذا عند الناس لأنه يجيء بأفضل العطايا وهو المعرفة والهداية ويتعطف على المؤمنين ويقهر الأعداء.

﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿ذي قوة﴾ شديدة كقوله تعالى: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥] أي ذي قدرة على ما يكلف به لا عجز له ولا ضعف روي أنه عليه السلام، قال لجبريل: «ذكر الله قوتك فأخبرني بشيء من آثارها قال: رفعت قريات قوم لوط الأربع من الماء الأسود بقوادم جناحي حتى سمع أهل السماء نباح الكلب وأصوات الديكة ثم قلبتها» ومن قوته أنه صاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وأنه يهبط من السماء إلى الأرض ويصعد في أسرع من الطرف وأنه رأى أن شيطاناً يقال له الأبيض صاحب الأنبياء قصد أن يتعرض للنبي فدفعه دفعة رفيقة وقع بها من مكة إلى أقصى الهند وكذا رآه يكلم عيسى عليه السلام على بعض الأرض المقدسة فنفخه نفخة واحدة ألقاه إلى أقصى جبل الهند، وقيل المراد القوة في أداء طاعة الله وترك الإخلال بها من أول الخلق إلى آخر زمان التكليف وفيه إشارة إلى صفة الروح فإنه ذو سلطنة على جميع الحقائق الكائنة في المملكة الإنسانية. ﴿عند ذي العرش﴾ أي: الله تعالى وفي ايراد ذي العرش إخبار بغاية كبريائه في القلوب وعند ظرف لما بعده في قوله: ﴿مكين﴾ ذي مكانة رفيعة عند عندية إكرام وتشريف لا عندية مكان فإنه تعالى متعال عن أمثالها ونحوه أنا عند المنكسرة قلوبهم فإن المراد به القرب والإكرام ومن مكانته عند الله ومرتبته أنه تعالى جعله تالي نفسه في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ﴾ [التحريم: ٤] فله عظم منزلة عندية فأين منزلة من يلازم السلطان عند سرير الملك من مرتبة من يلازمه عند الوضوء ونحوه.

﴿مطاع﴾ فيما بين الملائكة المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه لعلمهم بمنزلته عند الله قال في «فتح الرحمن» ومن طاعتهم أنهم فتحوا أبواب السماء ليلة المعراج بقوله لرسول الله ﷺ وطاعة جبريل فريضة على أهل السماوات كما أن طاعة محمد عليه السلام فريضة على أهل الأرض وفيه إشارة إلى أن الروح مطاع فيما بين القوى بالنسبة إلى السر والقلب. ﴿ثم أمين﴾ على الوحي قد عصمه الله من الخيانة والزلل وثم بفتح الثاء ظرف مكان لما قبله أي مطاع هناك أي: في السماوات وقيل لما بعده أي مؤتمن عند الله على وحيه ورسالاته إلى الأنبياء فيكون إشارة إلى عند الله وقرىء ثم بضم الثاء تعظيماً لوصف الأمانة

وتفصيلاً لها على سائر الأوصاف فيكون للتراخي الرتبي على طريق الترقي من صفاته الفاضلة إلى ما هو أفضل وأعظم وهو الأمانة.

قال الكاشفي: [واكر رسول كريم محمد باشد عليه السلام پس أو صاحب قوت طاعت ونزديك خداي خداوند قدر ومكانتست ومطاع].

يعني مستجاب الدعوة ولذا قال له عمه أبو طالب ما أطوعك ربك يا محمد فقال له وأنت يا عم لو أطعته أطاعك وأمين يعني [برا أسرار غيب].

وفيه إشارة إلى أن الروح أمين في إفاضة الفيض الروحي على كل أحد بحسب استعداده الفطري.

﴿**وما صاحبكم**﴾ يا أهل مكة وهو رسول الله ﷺ عطف على جواب القسم ولذا قال في «فتح الرحمن»: وهذا أيضاً جواب القسم ﴿**بمجنون**﴾ كما تقولون والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح بإحاطتهم بتفاصيل أحواله عليه السلام خبراً، وعلمهم بنزاهته عما نسبوه إليه بالكلية فإنه كان بين أظهرهم في مدد متطاولة وقد جربوا عقله فوجدوه أكمل الخلائق فيه ولقبوه بالأمين الصادق، وقد استدل به على فضل جبرائيل على رسول الله حيث وصف جبريل بست خصال كل واحدة منها تدل على كمال الشرف ونباهة الشأن واقتصر في ذكر رسول الله على نفي الجنون عنه وبين الذكرين تفاوت عظيم وهذا الاستدلال ضعيف إذ المقصود رد قول الكفرة في حقه عليه السلام، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] لا تعداد فضائلهما والموازنة بينهما على أن توصيف جبريل بهذه الصفات بياناً لشرف سيد المرسلين بالنسبة إليه من حيث أن جبريل مع هذه الصفات هو الذي يؤيده ويبلغ الرسالة إليه، فأي رتبة أعلى من مرتبته بعدما ثبت أن السفير بينه وبين ذي العرش مثل هذا الملك المقرب، وقال سعدي المفتي: الكلام مسوق لحقية المنزل دلالة على صدق ما ذكر فيه من أهوال القيامة على ما يدل عليه الفاء السببية في قوله ﴿**فلا أقسم**﴾ ولا شك أن ذلك يقتضي وصف الآتي به فلذلك بولغ فيه دون وصف من أنزل عليه فلذلك اقتصر فيه على نفي ما بهتوه وفيه إشارة إلى أن الروح ليس بمجنون أي بمستور عن حقائق القرآن ودقائقه وأحكامه وشرائعه ووعده ووعيده بل هو مكشوف له بجميع أسراره.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾

﴿**ولقد رآه**﴾ وبالله لقد رأى رسول الله جبريل، وفي «عين المعاني»: أبصره لا جنياً ﴿**بالأفق المبين**﴾ أفق السماء ناحيتها والمبين من أبان اللازم بمعنى الظاهر بالفارسية روشن.

أي: بمطلع الشمس الأعلى من ناحية المشرق فالمراد بالأفق هنا حيث تطلع الشمس استدلالاً بوصفه بالمبين فإن نفس الأفق لا مدخل له في تبين الأشياء وظهورها وإنما يكون له مدخل في ذلك من حيث كونه مطلعاً لكوكب نير يبين الأشياء والكوكب المبين هو الشمس وإسناد الإبانة إلى مطلعها مجاز باعتبار سببيته لها في الجملة فإن البيان في الحقيقة لضياء الطالع منه ثم خص من بين المطالع ما هو أعلى المطالع وأرفعها وهو المطلع الذي إذا طلعت الشمس منه تكون في غاية الارتفاع والنهار في غاية الطول والامتداد وذلك عند ما تكون الشمس عند رأس السرطان قبيل تحولها إلى برج الأسد، وتوجه النهار إلى الانتقاص وإنما فعل ذلك حملاً

للمبين على الكمال فإنه كلما كان الكوكب أرفع وأعلى وكلما كان النهار أطول كان البيان والإظهار أتم وأكمل روي أن رسول الله ﷺ «سأل جبريل أن يتراآى له في صورته التي خلقه الله عليها فقال: ما أقدر على ذلك وما ذاك إلي فأذن له فأتاه عليها وذلك في جبل حراء في أوائل البعثة فرآه رسول الله قد ملأ الآفاق بكلكله رجلاه في الأرض ورأسه في السماء جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب وله ستمائة جناح من الزبرجد الأخضر فغشي عليه فتحول جبريل في صورة بني آدم وضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه فقيل لرسول الله ما رأيناك منذ بعثت أحسن منك اليوم فقال عليه السلام، جاءني جبريل في صورته فعلق بي هذا من حسنه» قالوا: ما رآه أحد من الأنبياء غيره عليه السلام في صورته التي جبل عليها فهو من خصائصه عليه السلام.

واعلم أن وقوع الغشيان إنما هو من كمال العلم والاطلاع ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٨] فإن توليه وامتلاءه من الرعب ليس عن رؤية أجسامهم فقط لأنهم أناس مثله وإنما هو لما أطلعه الله عليه حين رؤيتهم من العلم كما غشي على جبريل ليلة الإسراء حين رأى الرفرف ولم يغش على رسول الله، وقال عليه السلام: فعلمت فضل جبريل في العلم فكأنه عليه السلام أشار إلى فضل نفسه أيضاً لما غشي عليه برؤية جبريل على صورته الأصلية وإنما لم يغش عليه حين رأى الرفرف كما غشي على جبريل لأنه إذ ذاك في نهاية التمكين وفرق بين البداية والنهاية والله أعلم. قال القاشاني: ولقد رآه بالأفق المبين أي نهاية طور القلب الذي يلي الروح وهو مكان إلقاء النافث القدسي على أن المراد بالرسول روح القدس النافث في روع الإنسان.

وقال في «التأويلات النجمية»: أي: رأى جبريل الروح حضرة ربه عند أفق البقاء بعد الفناء.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿وما هو﴾ أي: رسول الله ﴿على الغيب﴾ أي: على ما يخبره من الوحي إليه وغيره من الغيوب ﴿بضنين﴾ أي: ببخيل أي: لا يبخل بالوحي فيزوى بعضه غير مبلغه ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلواناً، أي أجرة أو يسأل تعليمه فلا يعلمه وفيه إشارة إلى أن إمساك العلم عن أهله بخل من ضن بالشيء يضن بالفتح ضناً بالكسر وضنانة بالفتح أي بخل فهو ضنين به أي: بخيل ويضن بالكسر لغة والفتح أفصح ذكره البيهقي في «تهذيب المصادر»: في باب ضرب حيث قال الضن: والضنانة بخيلي كردن.

والغابر يضن والفتح أفصح فيكون من باب علم كما صرح به بعضهم بقوله: هو من ضننت بالشيء بكسر النون وهو قراءة نافع وعاصم وحمزة وابن عامر، قال في «النشر» كذلك هو في جميع المصاحف أي: المصاحف التي يتداولها الناس وإلا فهو في مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بالظاء وقرىء بظنين على أنه فعيل بمعنى المفعول أي: بمتهم أي: هو ثقة في جميع ما يخبره لا يتوهم فيه إنه ينطق عن الهوى من الظنة وهي التهمة واتهمت فلاناً بكذا توهمت فيه ذلك، اختار أبو عبيدة هذه القراءة لأن الكفار لم يبخلوه وإنما اتهموه فنفي التهمة أولى من نفي البخل ولأن البخل يتعدى بالباء لا بعلى.

وفي «الكشاف»: هو في مصحف عبد الله بالظاء، وفي مصحف أُبي؛ بالضاد وكان

رسول الله عليه السلام يقرأ بهما ولا بد للقارىء من معرفة مخرجي الضاد والظاء، فإن مخرج الضاد من أصله حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره، ومخرج الظاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا فإن قيل: فإن وضع المصلي أحد الحرفين مكان الآخر قلنا: قال في «المحيط البرهاني»: إذا أتى بالظاء مكان الضاد أو على العكس فالقياس أن تفسد صلاته وهو قول عامة المشايخ وقال مشايخنا بعدم الفساد للضرورة في حق العامة خصوصاً العجم فإن أكثرهم لا يفرقون بين الحرفين وإن فرقوا ففرقا غير صواب، وفي «الخلاصة»: لو قرأ بالظاء مكان الضاد أو بالضاد مكان الظاء تفسد صلاته عند أبي حنيفة ومحمد وأما عند عامة المشايخ كأبي مطيع البلخي ومحمد بن سلمة لا تفسد صلاته.

﴿وما هو بقول شيطان رجيم﴾ أي: قول بعض المسترقة للسمع دل عليه توصيفه بالرجيم لأنه بمعنى المرمى بالشهب وهو نفي لقولهم: إنه كهانة وسحر كما قال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٠] وفيه إشارة إلى أنه ليس محمد القلب عند الإخبار عن المواهب الغيبية والإلهامات السرية بمتهم بالكذب والافتراء وما هو بقول بعض القوى البشرية.

﴿فأين تذهبون﴾ استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور إنه وحي مبين وليس مما يقولون في شيء كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فأين تذهب؟ شبهت حالهم بحال من يترك الجادة وهو معظم الطريق ويتعسف إلى غير المسلك فإنه يقال له: أين تذهب استضلالاً له وإنكاراً على تعسفه فقيل لمن يقول في حق القرآن ما لا ينبغي من وضوح كونه وحياً حقاً أي: طريق تسلكون آمن من هذه الطريقة التي ظهرت حقيتها ووضحت استقامتها وأين ظرف مكان مبهم منصوب بتذهبون قال أبو البقاء التقدير إلى أين فحذف حرف الجر ويجوز أن لا يصار إلى الحذف بل إلى طريق التضمين فكأنه قيل أين تؤمون وقال الجنيد قدس سره: أين تذهبون عنا وإن من شيء إلا عندنا.

وفي «التأويلات النجمية»: فأين تذهبون من طريق الحق إلى طريق الباطل وتتركون الاقتداء بالروح وتختارون اتباع النفوس.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿إن هو﴾ إن نافية والضمير إلى القرآن أي ما هو ﴿إلا ذكر للعالمين﴾ موعظة وتذكير لهم والمراد الإنس والجن بدلالة العقل فإنهم المحتاجون إلى الوعظ والتذكير.

﴿لمن شاء منكم﴾ أيها المكلفون بالإيمان والطاعة وهو بدل من العالمين بإعادة الجار بدل البعض من الكل ولا تخالف بين الأصل المتبوع والفرع التابع لأن الأول باعتبار الذات والثاني باعتبار التبع. ﴿أن يستقيم﴾ مفعول شاء أي: لمن شاء منكم الاستقامة بتحري الحق وملازمة الصواب وإبداله من العالمين مع أنه ذكر شامل لجميع المكلفين لأنهم هم المنتفعون بالتذكير دون غيرهم فكأنه مختص بهم ولم يوعظ به غيرهم.

﴿وما تشاؤون﴾ أي الاستقامة مشيئة مستتبعة لها في وقت من الأوقات يا من يشاؤها وذلك أن الخطاب في قوله ﴿لمن شاء منكم﴾ يدل على أن منهم من يشاء الاستقامة ومن لا يشاؤها فالخطاب هنا لمن يشاؤها منهم يروى أن أبا جهل لما سمع قوله تعالى: ﴿لمن شاء

منكم أن يستقيم﴾ قال الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم وهو رأس القدرية فنزل قوله تعالى: ﴿وما تشاؤون﴾. . الخ ﴿إلا أن يشاء الله﴾ من إقامة المصدر موقع الزمان أي: إلا وقت أن يشاء الله تلك المشيئة المستتبعة للاستقامة فإن مشيئتكم لا تستبعها بدون مشيئة الله لها لأن المشيئة الاختيارية مشيئة حادثة فلا بد لها من محدث فيتوقف حدوثها على أن يشاء محدثها إيجادها فظهر أن فعل الاستقامة موقوف على إرادة الاستقامة وهذه الإرادة موقوفة الحصول على أن يريد الله أن يعطيه تلك الإرادة والموقوف على الموقوف على الشيء موقوف على ذلك الشيء فأفعال العباد ثبوتاً ونفياً موقوفة الحصول على مشيئة الله كما عليه أهل السنة ﴿رب العالمين﴾ مالك الخلق ومربيهم أجمعين بالأرزاق الجسمانية والروحانية وفي الحديث القدسي يا ابن آدم تريد وأريد فتتعب فيما تريد ولا يكون إلا ما أريد قال وهب بن منبه قرأت في كتب كثيرة مما أنزل الله على الأنبياء أنه من جعل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر قال أبو بكر الواسطي قدس سره: أعجزك في جميع صفاتك فلا تشاء إلا في مشيئته ولا عمل إلا بقوته ولا تطيع إلا بفضله ولا تعصي إلا بخذلانه فماذا يبقى لك وبماذا تفتخر من أعمالك وليس منها شيء إليك إلا بتوفيقه وبالفارسية [حق تعالى ترا درهمه وصفها عاجز ساخته است نخواهى مكر بمشيت أو ونكنى مكر بقوت أو وفرما نبرى مكر بفضل أو وعاصي نشوى مكر بخذلان أو پس توجه داري وبكدام فعل مى نازي وحا آكه ترا هيچ نيست].

زسرتا پاهمه در پچيم پيچ چه پاچه سرهمه هيچيم درهيچ

وفي الحديث: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ①﴾ [الشمس: ١]، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ①﴾ [الانفطار: ١]، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ①﴾ [الانشقاق: ١]» فإن فيها بيان أهواله الهائلة على التفصيل.

تمت سورة التكوير بعون الملك القدير في وسط صفر الخير
من شهور سنة سبع عشرة ومائة وألف

٨٢ ـ سورة الانفطار

تسع عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤﴾.

﴿إذا السماء انفطرت﴾ أي: انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝٢٥﴾ [الفرقان: ٢٥] أو لهيبة الربو في «فتح الرحمن» تشققها على غير نظام مقصود إنما هو انشقاق لنزول بنيتها وإعرابه كإعراب ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١﴾ [الشمس: ١].

وفي «التأويلات النجمية»: يعني سماء الأرواح والقلوب والأسرار ارتفعت تعيناتها وزالت تشخصاتها. وقال القاشاني: أي: إذا انفطرت سماء الروح الحيواني بانفراجها عن الروح الإنساني وزوالها بالموت.

﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ أي تساقطت من مواضعها سوداء متفرقة كما تتساقط اللآلىء إذا انقطع السلك وهذان من أشراط الساعة متعلقان بالعلويات فإن السماء في هذا العالم كالسقف والأرض كالبناء من أراد تخريب دار فإنه يبدأ أولاً بتخريب السقف وذلك هو وقوله ﴿إذا السماء انفطرت﴾ ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب وفيه إشارة إلى انتثار كواكب الحواس العشر الظاهرة والباطنة وذهابها بالموت الطبيعي فإنه إذا انقطع ضوء الروح عن ظاهر البدن وباطنه تعطل الحواس مطلقاً وكذا بالموت الإرادي.

﴿وإذا البحار فجرت﴾ فتح بعضها إلى بعض بزوال المانع وحصول تزلزل الأرض وتصدعها واستوائها وصارت البحار وهي سبعة بحر الروم وبحر الصقالبة وبحر جرجان وبحر القلزم وبحر فارس وبحر الصين وبحر الهند بحراً واحداً فيصب ذلك البحر في جوف الحوت الذي عليه الأرضون السبع كما في «كشف الأسرار»، وروي أن الأرض تنشف من الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن البصري ودخل في البحار البحر المحيط لأنه أصل الكل إذ منه يتفرع الباقي وكذا الأنهار العذبة فإنها بحار أيضاً لتوسعها وفيه إشارة إلى بحار الأرواح والأسرار والقلوب حيث فجرت بعضها في بعض بالتجلي الأحدي وصارت بحراً واحداً وإلى بحار الأجسام العنصرية حيث فجرت بعضها في بعض بزوال البرازخ الحاجزة عن ذهاب كل إلى أصله وهي الأرواح الحيوانية المانعة عن خراب البدن ورجوع أجزائه إلى أصلها.

﴿وإذا القبور بعثرت﴾ قلب ترابها وأخرج موتاها ولا يخالف ما سيجيء في العاديات فإن البعثرة تجيء بمعنى الاستخراج أيضاً أي: كالقلب وفي «تاج المصادر» البعثرة شورانيدن وآشكارا كردن.

ولذا قال بعضهم بالفارسية: [وآنكاه كه كورها زيروزبر كرده شود يعني خاكهارا بشورانند تامدفونات وى ازاموات وكنجها ظاهر كردد ومردكان زنده شوند].

ونظيره بحثر لفظاً ومعنى يقال بعثرت المتاع وبحثرته أي جعلت أسفله أعلاه وجعل أسفل القبور أعلاها إنما هو بإخراج موتاها، وقيل لسورة براءة المبعثرة لأنها بعثرت أسرار المنافقين، وهما أي: بعثر وبحثر مركبان من البعث والبحث مع راء ضمت إليهما.

وقال الراغب: من رأى تركيب الرباعي والخماسي نحو هلل وبسمل إذا قال لا إله إلا الله وبسم الله يقول إن بعثرم ركب من بعث وأثير أي: قلب ترابها وأثير ما فيها وهذا لا يبعد في هذا الحرف فإن البعثرة تتضمن معنى بعث وأثير وهذان من أشراط الساعة متعلقان بالسفليات فإنه تعالى بعد تخريب السماء والكواكب يخرب كل ما على وجه الأرض بنفوذ بعض البحار في بعض ثم يخرب نفس الأرض التي هي كالبناء بأن يقلبها ظهراً لبطن وبطناً لظهر، وفيه إشارة إلى خراب قبور التعينات وصيرورة المتعين مطلقاً عن التعينات لأن التعينات قبور الحقائق المطلقة وإلى قبور الأبدان فإنها تخرج ما فيها من الأرواح والقوى بالموت.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾

﴿علمت نفس﴾ أي: كل نفس برة كانت أو فاجرة كما سبق في السورة السابقة وفي «فتح الرحمن»: نفس هنا اسم الجنس وأفرادها ليبين لذهن السامع حقارتها وقلتها وضعفها عن منفعة ذاتها إلا من رحم الله تعالى. **﴿ما قدمت﴾** في حياتها من علم خير أو شر فإن ما من ألفاظ العموم **﴿وأخرت﴾** من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعده قال عليه السلام: أيما داع دعا إلى الهدى فاتبع فله مثل أجر من اتبعه إلا أنه لا ينقص من أجورهم شيء وأيما داع دعا إلى الضلالة فاتبع فله مثل أوزار من اتبعه إلا أنه لا ينقص من أوزارهم شيء أو ما قدم من معصية وما أخر من طاعة.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿علمت نفس ما قدمت﴾** أخرجت من القوة إلى الفعل بطريق الأعمال الحسنة أو السيئة وما أخرت أبقت في القوة بحسب النية قوله **﴿علمت﴾** الخ جواب إذا أي إذا وقعت هذه الأشياء وخربت الدنيا علمت كل نفس الخ لكن لا على أنها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت في السورة السابقة من أن المراد بها زمان واحد مبدأه النفخة الأولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا أزمنة متعددة حسب تعدد كلمة إذا وإنما كررت لتهويل ما في حيزها من الدواهي فالمراد العلم التفصيلي الذي يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة وأما العلم الإجمالي فيحصل في أول زمان البعث والحشر لأن المطيع يرى آثار السعادة والعاصي يرى آثار الشقاوة في أول الأمر، قال ابن الشيخ في «حواشيه»: العلم بجميع ذلك كناية عن المجازاة عليه والمقصود من الكلام الزجر عن المعصية والترغيب في الطاعة.

﴿يا أيها الإنسان﴾ يعم جميع العصاة ولا خصوص له بالكفار لوقوعه بين المجمل ومفصله أي بين **﴿علمت نفس﴾** الخ وبين **﴿إن الأبرار﴾** الخ وأما قوله ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ٩] فمن قبيل بنو فلان قتلوا زيداً إذا كان القاتل واحداً منهم قال الأمام السهيلي رحمه الله: قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الانفطار: ٦] يريد أمية بن خلف ولكن اللفظ عام يصلح له ولغيره وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة أو الأسود بن كلدة الجمحي قصد النبي عليه السلام في بطحاء مكة فلم يتمكن منه فلم يعاقبه الله على ذلك، وفي «زهرة الرياض»: ضرب على يافوخ

رسول الله عليه السلام، فأخذه رسول الله وضربه على الأرض فقال له: «يا محمد الأمان الأمان مني الجفاء ومنك الكرم فإني لا أوذيك أبداً فتركه رسول الله عليه السلام». ﴿ما غرك بربك الكريم﴾ ما استفهامية في موضع الابتداء وغرك خبره والاستفهام بمعنى الاستهجان والتوبيخ والمعنى أي: شيء خدعك وجرأك على عصيانه وأمنك من عقابه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي وما سيكون حينئذٍ من مشاهدة أعمالك كلها يقال غره بفلان إذا جرأه عليه وأمنه المحذور من جهته مع أنه غير مأمون والتعرض لعنوان كرمه تعالى للإيذان بأنه ليس مما يصلح أن يكون مدار الاغترار حسبما يغويه الشيطان ويقول له: افعل ما شئت فإن ربك كريم قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة فإن قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة في الإقبال على الإيمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كأنه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عن الداعية، ولهذا قال رسول الله ﷺ لما قرأها «غره جهله»، وقال الحسن البصري رحمه الله غره والله شيطانه فظهر أن كرم الكريم لا يقتضي الاغترار به بل هو يقتضي الخوف والحذر من مخالفته وعصيانه من حيث إن إهمال الظالم ينافي كونه كريماً بالنسبة إلى المظلوم وكذا التسوية بين الموالي والمعادي فإذا كان محض الكرم لا يقتضي الاغترار به فكيف إذا انضم إليه صفة القهر ولله الأسماء المتقابلة، ،ولذا قال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]. قال القاشاني: كان كونه كريماً يسوغ الغرور ويسهله لكن له من النعم الكثيرة والمنن العظيمة والقدرة الكاملة ما يمنع من ذلك أكثر من تجويز الكرم إياه وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله: إن أقامك الله يوم القيامة وقال مالك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول؟ قال: أقول غرتني ستورك المرخاة ونظمه ابن السماك فقال:

يا كاسب الذنب أما تستحي ... والله في الخلوة ثانيكا
غرك من ربك إمهاله ... وستره طول مساويكا

قال صاحب «الكشاف»: قول الفضيل، على سبيل الاعتراف بالخطأ في الاغترار بالستر، وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويرونه من أئمتهم إنما قال بربك الكريم دون صفاته من الجبار والقهار والمنتقم وغير ذلك ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم.

يقول الفقير: الحق أن هذا الباب مما يقبل الاختلاف بالنسبة إلى أحوال الناس فليس من يفهم الإشارة كمن لا يفهما وكم من فرق بين ذنب وذنب وظن وظن ولذا قال أهل الإشارة: إيراد الاسم الكريم من بين الأسماء كأنه من جهة التلقين.

خود تو دادي مژدهٔ لا تقسطوا ... من چرا ترسم زعصيان وعتو
چون توهر شكسته راسازي درست ... پس خطاها بر آميد عفوتست

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: غرني برك سالفاً وآنفاً.

يقول مولاي أما تستحي ... مما أرى من سوء أفعالك
فقلت يا مولاي رفقاً فقد ... أفسدني كثرة أفضالك

وعن علي رضي الله عنه أنه صوت بغلام له مراراً فلم يجبه وهو بالباب فقال: لِمَ لم تجبني؟ فقال: لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك فأعتقه إحساناً لقوله، وقال بعض أهل

الإشارة: عجبت من هذا الخطاب الذي فيه تهديد المخالف ومواساة الموافق كيف يخاطب المخالف بخطاب فيه مواساة الموافق ففيه من الرموز ما لا يعرفه إلا أهل الإشارة.

قال بعضهم: رأيت في سوق البصرة جنازة يحملها أربعة وليس معهم مشيع فقلت: لا إله إلا الله سوق البصرة وجنازة رجل مسلم لا يشيعها أحد إني لأشيعها فتبعتها وصليت عليها ولما دفنوه سألتهم عنه قالوا: ما نعرفه وإنما اكترتنا تلك المرأة وأشاروا إلى امرأة واقفة قريباً من القبر ثم انصرفوا فرفعت المرأة يدها إلى السماء تدعو ثم ضحكت وانصرفت فتعلقت بها وقلت: لا بد أن تخبريني بقضيتك فقالت إن هذا الميت ابني ولم يترك شيئاً من المعاصي إلا فعله فمرض ثلاثة أيام فقال لي: يا أمي إذا مت لم تخبري الجيران بموتي فإنهم يفرحون بموتي ولا يحضرون جنازتي ولكن اكتبي على خاتمي لا إله إلا الله محمد رسول الله وضعيه في أصبعي وضعي رجلك على خدي إذا مت وقولي: هذا جزاء من عصى الله فإذا دفنتني فارفعي يديك إلى الله وقولي اللهم إني رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت جميع ما أوصاني به فلما رفعت يدي إلى السماء ودعوت سمعت صوته بلسان فصيح: انصرفي يا أمي فقد قدمت على رب كريم رحيم فرضي عني فلذلك ضحكت سروراً بحاله أورده الإمام القشيري في «شرح الأسماء».

وفي الحديث الصحيح: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه وستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب حتى قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفر لك اليوم».

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾.

﴿**الذي خلقك**﴾ صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم لأن الخلق إعطاء الوجود وهو خير من العدم منبهة على أن من قدر على الخلق وما يليه بدءاً قدر عليه إعادة أي: خلقك بعد أن لم تكن شيئاً ﴿**فسواك**﴾ أي: جعل أعضاءك سوية سليمة معدة لمنفعها أي بحيث يترتب على كل عضو منها منفعته التي خلق ذلك العضو لأجلها كالبطش لليد والمشي للرجل والتكلم للسان والأبصار للبصر والسمع للأذن إلى غير ذلك. ﴿**فعدلك**﴾ عدل بعض تلك الأعضاء ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت مثل أن تكون إحدى اليدين أو الرجلين أو الأذنين أطول من الأخرى أو تكون إحدى العينين أوسع من الأخرى أو بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود أو بعض الشعر فاحما وبعضه أشقر قال علماء التشريح: إنه تعالى ركب جانبي هذه الجثة على التساوي حتى إنه لا تفاوت بين نصفيه لا في العظام ولا في أشكالها ولا في الأوردة والشرايين والأعصاب النافذة فيها والخارجة منها فكل ما في أحد الجانبين مساوٍ لما في الجانب الآخر ويقال عدله عن الطرق أي صرفه فيكون المعنى فصرفك عن الخلقة المكروهة التي هي لسائر الحيوانات وخلقك خلقه حسنة مفارقة لسائر الخلق كما قال تعالى: ﴿فِىٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ﴾ [التين: ٤] وقرىء فعدلك بالتشديد أي صيرك معتدلاً متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فهو بالمعنى الأول من المخفف وقال الجنيد قدس سره: تسوية الخلقة بالمعرفة وتعديلها بالإيمان وقال ذو النون قدس سره أوجدك فسخر لك المكونات أجمع ولم يسخرك لشيء منها.

وفي «التأويلات النجمية»: يا أيها الإنسان المخلوق على صورته كأنك غرك كمال المظهرية وتمام المضاهاة خلقك في أحسن صورة فسواك في أحسن تقويم فجعل بنيتك

الصورية وبنيتك المعنوية سليمة مسواة ومعتدلة ومستعدة لقبول جميع الكمالات الإلهية والكيانية كما قال عليه السلام أوتيت جوامع الكلم أي الكلم الإلهية والكلم الكيانية.

﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ الجار متعلق بركبك وما مزيدة لتعميم النكرة وشاء صفة لصورة والعائد محذوف وإنما لم يعطف الجملة على ما قبلها لأنها بيان لعدلك والمعنى ركبك في أي صورة شاءها واقتضتها مشيئته وحكمته من الصور العجيبة الحسنة أو من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والأنوثة والشبه بعض الأوقات وخلاف الشبه كما في الحديث إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم وصورها في أي شبيه شاء وقال الواسطي رحمه الله صور المطيعين والعاصين فمن صوره على صورة الولاية ليس كمن صوره على صورة العداوة أي صور بعضهم على الصورة الجمالية اللطفية وبعضهم على الصورة الجلالية القهرية.

قال حضرة شيخي وسندي قدس سره في «كتاب اللائحات البرقيات»: له لاح ببالي أن تلك الصورة التركيبية تتناول الصورة العلمية والصورة الروحية والصورة المثالية والصورة الجسمية وغير ذلك من الصور المركبة في الأطوار لكن المقصود بالذات إنما هو هذه الأربع والتركيب في الصورة العلمية والروحية عقلي ومعنوي وفي الصورة المثالية والجسمية حسي وروحي والمراد من التركيب في الصورة العلمية ظهور الذات وفي الصورة الروحية ظهور الصفات وفي الصورة المثالية ظهور الأفعال وفي الصورة الجسمية ظهور الآثار وهذه الظهورات من تلك التركيبات بمنزلة النتائج من القياسات وبمنزلة المجموع من الاجتماعات وإجراؤها إنما هي أحكام الوجوب وأحكام الإمكان والمراد من أحكام الوجوب هو الأسماء الإلهية الفاعلة المؤثرة والمراد من أحكام الإمكان هو الحقائق الكونية القابلة المتأثرة والتركيب من هذه أجزاء في أي صورة كان إنما هو لظهور محل يكون مظهر الظهور آثارها وخواصها مجتمعة وعند هذا الظهور الاجتماعي في ذلك المحل الجامع كالنشأة الإنسانية المخاطبة ههنا إن كانت الغلبة لأجزاء أحكام الوجوب تكون تلك النشأة علوية مائلة إلى جانب العلو والحق وهي تكون باقية على فطرة الأصلية الإلهية قابلة مستعدة للفيض والتجلي والوصول إلى عالم القدس وإن كانت الأجزاء أحكام الإمكان تكون تلك النشأة سفلية مائلة إلى جانب السفل والخلق وخارجة عن الفطرة الأصلية الأزلية غير قابلة ومستعدة للفيض والتجلي والوصول إلى عالم القدس، بل تبقى في عالم الدنس مدنسة بدنس الجهالة والغفلة والنسيان لا خبر لها عن نفسها وربها وتكون أعمى وأصم وأبكم لا تعرف يمينها من شمالها ولا ترى شمالها من يمينها أولئك كالأنعام بل هم أضل انتهى. كلامه روح الله روحه.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿كلا﴾ كلمة ردع فالوقف عنها أي: ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله وجعله ذريعة إلى الكفر والمعاصي مع كونه موجباً للشكر والطاعة وقيل توكيد لتحقيق ما بعده بمعنى حقاً فالوقف على ركبك كما رجحه السجاوندي حيث وضع علامة الوقف المطلق على ركبك ﴿بل تكذبون بالدين﴾ قال في «الإرشاد». عطف على جملة ينساق إليها الكلام كأن قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وأنتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجترئون على أعظم من ذلك حيث تكذبون بدين الإسلام اللذين هما من جملة أحكامه فلا تصدقون سؤالاً ولا جواباً ولا عقاباً.

﴿وإن عليكم لحافظين﴾ حال من فاعل تكذبون وجمع الحافظين باعتبار كثرة المخاطبين أو باعتبار أن لكل واحد منهم جمعاً من الملائكة كما قال اثنان بالنهار أي تكذبون بالجزاء والحال أن عليكم أيها المكلفون من قبلنا الملائكة حافظين لأعمالهم وبالفارسية نكهبانان.

﴿كراماً﴾ جمع كريم أي: لدينا يجبرهم في طاعتنا أو بأداء الأمانة إذ الكريم لا يكون خواناً، وفي «فتح الرحمن»: وصفهم بالكرم الذي هو نفي المذام وقيل كرام يسارعون إلى كتب الحسنات ويتوقفون في كتب السيئات رجاء أن يستغفر ويتوب فيكتبون الذنب والتوبة منه معاً وفي «زهرة الرياض»: سماهم كراماً لأنهم إذا كتبوا حسنة يصعدون إلى السماء ويعرضونها على الله ويشهدون ويقولون إن عبدك فلاناً عمل حسنة وأما في السيئة فيسكتون ويقولون إلهي أنت ستار العيوب وهم يقرؤون كل يوم كتابك ويمدحوننا فإنا لا نهتك أستارهم وأما معنى التعطف كما في سورة عبس فلا يلائم هذا المقام كما في بعض التفاسير ﴿كاتبين﴾ للأعمال.

﴿يعلمون﴾ لحضورهم وعدم افتراقهم عنكم ﴿ما تفعلون﴾ من الأفعال قليلاً وكثيراً ويضبطون نفيراً وقطميراً لتجاوزا بذلك.

وفي الحديث: «أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى الحالتين الجنابة والغائط». قال في «عين المعاني»: قوله يعلمون يدل على أن السهو والخطأ وما لا تبعة فيه لا يكتب وكذا ما استغفر منه حيث لم يقل يكتبون انتهى. وقوله ما تفعلون وإن كان عاماً لأفعال القلوب والجوارح لكنه عام مخصوص بأفعال الجوارح لأن ما كان من المغيبات لا يعلمه إلا الله، وفي «كشف الأسرار»: علمهم على وجهين فما كان من ظاهر قول أو حركة جوارح علموه بظاهره وكتبوه على جهته وما كان من باطن ضمير يقال إنهم يجدون لصالحه رائحة طيبة ولطالحة رائحة خبيثة فيكتبونه مجملاً عملاً صالحاً وآخر سيئاً انتهى. وقد مر بيان هذا المقام في سورتي الزخرف وق فارجع وخص الفعل بالذكر لأنه أكثر من القول ولأن القول قد يراد به الفعل فاندرج فيه وعن الفضيل أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: ما أشدها من آية على الغافلين ففيها إنذار وتهويل وتشديد للعصاة وتبشير ولطف للمطيعين وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لأمر الجزاء وإنه عند الله من جلائل الأمور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام فالتعظيم إنما هو في وصفهم بالكرم لا بالكتب والحفظ، وطعن بعض المنكرين في حضور الكاتبين أما أولاً فبأنه لو كانت الحفظة وصحفهم وأقلامهم معنا ونحن لا نراهم لجاز أن يكون بحضرتنا جبال وأشخاص لا نراها وذلك دخول في الجهالات وجوابه أن الملائكة من قبيل الأجسام اللطيفة فحضورهم لا يستلزم الرؤية ألا ترى أن الله أمد المؤمنين في بدر بالملائكة وكانوا لا يرونهم إلا من شاء الله رؤيته وكذا الجن من هذا القبيل ولذا قال تعالى: ﴿يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧] فكما إن الهواء لا يرى للطافته فكذا غيره من أهل اللطافة وأما ثانياً بأن هذه الكتابة والضبط إن كان لا لفائدة فهو عبث والله تعالى متعال عن ذلك وإن كان لفائدة فلا بد أن تكون للعبد لأن الله متعال عن النفع والضرر وعن تطرق النسيان وغاية ذلك أن يكون حجة على الناس وتشديداً عليهم بإقامتها لكن هذا ضعيف لأن من علم أن الله لا يجور ولا يظلم لا يحتاج في حقه إلى إثبات هذه الحجة ومن لم يعلم ذلك لاتنفعه لاحتمال أن يحمل على الظلم وجوابه أن الله يجري أموره على عباده على ما يتعارفونه في الدنيا بينهم ليكون أبلغ في تقرير المعنى عندهم من إخراج كتاب وإحضار شهود عدل في إلزام الحجة عند الحاكم والعبد إذا علم أن الله رقيب عليه والملائكة يحفظون أعماله ويكتبونها في الصحيفة

وتعرض على رؤوس الأشهاد يوم القيامة كان ذلك أزجر له عن المعاصي وأمنع من السوء، وأما ثالثاً فبأن أفعال القلوب غير مرئية فلا يكتبونها مع أنها محاسب بها لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] الآية وجوابه ما مر من أن الآية من العام المخصوص وقد قال الامام الغزالي رحمه الله: كل ذكر يشعر به قلبك تسمعه الملائكة الحفظة فإن شعورهم يقارن شعورك حتى إذا غاب ذكرك عن شعورك بذهابك في المذكور بالكلية غاب عن شعور لحفظة أيضاً وما دام القلب يلتفت إلى الذكر فهو معرض عن الله وفهم من هذا المقال إن قياس إطلاع الملائكة على الوقائع على إطلاع الناس غير مستقيم فإن شؤونهم علماً وعملاً غير شؤون الناس على أن من أصلح من الناس سريرته قد يكشف الضمائر ويطلع على الغيوب باطلاع الله تعالى فما ظنك بالملائكة الذين هم ألطف جسماً وأخف روحاً.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ
أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ
يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾.

﴿إن الأبرار﴾ الذين بروا وصدقوا في إيمانهم بأداء الفرائض واجتناب المعاصي وبالفارسية [وبدرستى كه نيكو كاران وفرمان برداران].

جمع بر بالفتح وهو بمعنى الصادق والمطيع والمحسن وأحسن الحسنات لا إله إلا الله ثم بر الوالدين وبر التلامذة للأساتذة وبر أهل الإرادة للشيوخ كما قال في «فتح الرحمن»: هو الذي قد اطرد بره عموماً فبرر به في طاعته إياه وبر الناس في جلب ما استطاع من الخير لهم وغير ذلك.

وفي الحديث: «بروا آباءهم كما بروا أبناءهم». **﴿لفي نعيم﴾** وهو نعيم الجنة وثوابها والتنوين للتخفيم.

﴿وإن الفجار﴾ [وبدرستى كه دروغ كويان ومنكران حشر].

جمع فاجر والفجور شق ستر الديانة. **﴿لفي جحيم﴾** أي النار وعذابها والتنوين للتهويل والجملتان بيان لما يكتبون لأجله وهو أن الغاية إما النعيم وإما الجحيم وفيه إشارة إلى نعيم الذكر والطاعة والمعرفة والشهود والحضور والوصال وإلى جحيم الغفلة والمعصية والجهل والاحتجاب والغيبوبة والفراق، قال الخواص رحمه الله: طاب النعيم إذا كان منه وطاب الجحيم إذا كان به وفي «المثنوي»:

هر كجا باشد شه مارا بساط   هست صحرا كربود سم الخياط
هر كجا كه يوسفي باشد چوماه   جنت است أو أرچه باشد قعرچاه

﴿يصلونها﴾ إما صفة لجحيم أو استئناف مبني على سؤال نشأ عن تهويلها كأنه قيل ما حالهم فيها فقيل يقاسون حرها كما قال الخليل: صلى الكافر النار قاسي حرها وباشره ببدنه ولم يصف النعيم بما يلائمه لأن ما سبق من الكلام كان في المكذبين الفجرة لأن المقام مقام التخويف وذكر تبشير الأبرار لأنه ينكشف به حال الفجار الأشرار لأن الأشياء تعرف بأضدادها **﴿يوم الدين﴾** يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به.

﴿وما هم﴾ ونيست فجار **﴿عنها﴾** أي: عن الجحيم **﴿بغائبين﴾** طرفة عين يعني دروجاويد باشند وبيرون نيايند كقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧] فالمراد دوام

نفي الغيبة لا نفي دوام الغيبة وقيل وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها في قبورهم حسبما قال النبي عليه السلام: «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران».

﴿وما أدراك﴾ الخطاب لكل من يتأتى منه الدراية وما مبتدأ وإدراك خبره. ﴿ما﴾ خبر قوله: ﴿يوم الدين﴾ وما لطلب الوصف وإن كان وضعه لطلب الحقيقة وشرح الاسم والمعنى أي شيء جعلك دارياً وعالماً ما يوم الدين أي أي شيء عجيب هو في الهول والفظاعة؟ أي: ما أدراك إلى هذا الآن أحد كنه أمره فإنه خارج عن دائره دراية الخلق على أي صورة بصورونه فهو فوقها وأضعافها.

﴿ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾ تكرير بثم المفيدة للترقي في الرتبة للتأكيد وزيادة التخويف والمجموع تعجيب للمخاطبين وتفخيم لشأن اليوم وإظهار يوم الدين في موقع الإضمار تأكيد لهوله وفخامته.

﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً﴾ بيان إجمال لشأن يوم الدين أثر إبهامه وبيان خروجه عن دائرة علوم الخلق بطريق إنجاز الوعد فإن نفي إدرائهم مشعر بالوعد الكريم بالإدراء. قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿وما أدراك﴾ فقد أدراه وكل ما فيه من قوله ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ [الأحزاب: ٦٣، الشورى: ١٧] فقد طوي عنه، ويوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف حركته الفتح لإضافته إلى غير متمكن كأنه قيل هو يوم لا تملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئاً من الأشياء أو منصوب بإضمار أذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر يوم الدين وتشويقه عليه السلام إلى معرفته اذكر ﴿يوم لا تملك﴾.. الخ فإنه يدريك ما هو ودخل في نفس كل نفس ملكية وبشرية وجنية وفي شيء كل ماكان من قبيل جلب المنفعة أو دفع المضرة ﴿والأمر﴾ كله ﴿يومئذٍ﴾ أي: يوم إذ لا تملك نفس لنفس شيئاً ﴿لله﴾ وحده والأمر واحد الأوأمر فإن الأمر والحكم والقضاء من شأن الملك المطاع والخلق كلهم مقهورون تحت سطوات الربوبية وحكمها ويجوز أن يكون واحد الأمور، فإن أمور أهل المحشر كلها بيده تعالى لا يتصرف فيها غيره أخبر تعالى بضعف الناس يومئذٍ وأنه لا ينفعهم الأموال والأولاد والأعوان والشفعاء كما في الدنيا بل ينفعهم الإيمان والبر والطاعة وأنه لا يقدر أحد أن يتكلم إلا بإذن الله وأمره إذا الأمر له في الدنيا والآخرة في الحقيقة، وإن كان يظهر سلطانه في الآخرة بالنسبة إلى المحجوب لأن المحجوب يرى أن الله ملكه في الدنيا وجعل له شيئاً من الأمور والأوامر فإذا كان يوم لقيامة يظهر له أن لأمر والملك لله تعالى لا يزاحمه فيه أحد ولا يشاركه ولو صورة وفيه تهديد لأرباب الدعاوى وأصحاب المخالفة وتنبيه على عظيم بطشه تعالى وسطوته.

وفي الحديث: «من قرأ إذا السماء انفطرت أعطاه الله من الأجر بعدد كل قبر حسنة وبعدد كل قطرة ماء حسنة وأصلح الله شأنه يوم القيامة».

تمت سورة الانفطار بعون مالك الأقطار في الثاني والعشرين
من صفر الخير من سنة سبع عشرة ومائة وألف

٨٣ ـ سورة المطففين

ست وثلاثون آية مختلف في كونها مكية أو مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾.

﴿ويل﴾ شدة الشر أو الهلاك أو العذاب الأليم، وقال ابن كيسان: هو كلمة كل مكروب واقع في البلية، فقولك: ويل لك عبارة عن استحقاق المخاطب لنزول البلاء والمحنة عليه، الموجب له أن يقول واويلاه ونحوه وقيل: أصله وي لفلان أي الحزن فقرن بلام الإضافة تخفيفاً وبالفارسية وأي.

وهو مبتدأ وإن كان نكرة لوقوعه في موقع الدعاء على ما سبق بيانه في المرسلات ﴿للمطففين﴾ الباخسين حقوق الناس في المكيال والميزان، وبالفارسية: مركاهند كانرا دركيل ووزن.

فإن التطفيف البخس في الكيل والوزن والنقص والخيانة فيهما بأن لا يعطي المشتري حقه تاماً كاملاً، وذلك لأن ما يبخس شيء طفيف حقير على وجه الخفية من جهة دناءة الكيال والوزان وخساستهما إذ الكثير يظهر فيمنع منه ولذا سمي مطففاً. قال الراغب: يقال طفف الكيل قلل نصيب المكيل له في إيفائه واستيفائه، وقال سعدي المفتي: والظاهر أن بناء التفعيل للتكثير لأن البخس لما كان من عادتهم كانوا يكثرون التطفيف ويجوز أن يكون للتعدية انتهى. روي أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وكان أهلها من أبخس الناس كيلاً فنزلت فخرج فقرأها عليهم وقال: «خمس بخمس ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر» فعملوا بموجبها وأحسنوا الكيل فهم أوفى الناس كيلاً إلى اليوم وعن علي رضي الله عنه أنه مر برجل يزن الزعفران وقد أرجح فقال أقم الوزن بالقسط، ثم أرجح بعد ذلك ما شئت كأنه أمره أولاً بالتسوية ليعتادها ويفصل الواجب من النفل. وعن ابن عباس رضي الله عنهما إنكم معشر الأعاجم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الأعاجم لأنهم كانوا يجمعون الكيل والوزن جميعاً وكانا مفرقين في الحرمين كان أهل مكة يزنون وأهل المدينة يكيلون، وعن عكرمة قال: أشهد أن كل كيال ووزان في النار فقيل لو أن ابنك كيال أو وزان. فقال: أشهد أنه في النار، وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة، وعن مالك بن

دينار أنه دخل على جار له احتضر فقال يا مالك جبلان من نار بين يدي أكلف الصعود عليهما فسألت أهله فقالوا كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فدعوت بهما فضربت أحدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال: ما يزداد الأمر على إلا عظماً ودر فصول سبعين [آورده كه هركه دركيل ووزن خيانت كند فردا اورا بقعر دوزخ در آورده ميان دوكوه ازآتش بنشانند وكويند كلهما وزنهما آبرا ميسنجد وميسوزد].

توكم دهى وبيش ستاني بكيل ووزن روزى بودكه ازكم وبيشت خبر كنند

﴿**الذين**﴾ الخ صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل ﴿**إذا اكتالوا على الناس**﴾ أي: من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه والاكتيال الأخذ بالكيل كالاتزان الأخذ بالميزان. ﴿**يستوفون**﴾ الاستيفاء عبارة عن الأخذ الوافي أي: يأخذونه وافياً وافراً وتبديل كلمة من بعلى لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء أو للإشارة إلى أنه اكتيال مضربهم لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذي تتضمنه كلمة إذا لإخلاله بالمعنى، بل في نفس الأمر بموجب الجوار فإن المراد بالاستيفاء ليس أخذ الحق وافياً من غير نقص بل مجرد الأخذ الوافي الوافر حسبما أرادوا بأي وجه يتيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس الكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه فيسرقون من أفواه المكاييل وألسنة الموازين.

﴿**وإذا كالوهم أو وزنوهم**﴾ [الكيل بيمودن به پيمانه تا مقدار مكيل معلوم كردد].

والوزن والزنة سنجيدن تا مقدار موزون معلوم شود.

أي: وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم المبيع ونحوه بالفارسية [وچون مى پيمايند براي ناس ويامى سنجند حقوق ايشانرا].

فحذف الجار وأوصل الفعل كما قال في «تاج المصادر»: وزنت فلاناً درهماً، ووزنت لفلان بمعنى، والأصل اللام ثم حذفت فوصل الفعل ومنه الآية انتهى. فلفظ هم منصوب المحل على المفعولية لا مرفوعة على التأكيد للواو لأن واو الجمع إذا اتصل به ضمير المفعول لا يكتب بعده الألف كما في نصروك ومنه الآية إذ لم يكتب الألف في المصحف وإذا وقع في الطرف بأن يكون الضمير مرفوعاً واقعاً للتأكيد فحينئذٍ يكتب بعده الألف لأن المؤكد ليس كالجزء مما قبله بخلاف المفعول وأما نحو شاربوا الماء فالأكثر على حذف الألف لقلة الاتصال واو الجمع بالاسم هذا فإن قلت خط المصحف خارج عن القياس قلت الأصل في أمثاله إثباته في المصحف فلا يعدل عنه. ﴿**يخسرون**﴾ أي: ينقصون حقوقهم مع أن وضع الكيل والوزن إنما هو للتسوية والتعديل يقال خسر الميزان وأخسره يعني كم كردومى كاست.

ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الإخسار والاقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء بأن لم يقل إذا اكتالوا على الناس أو اتزنوا لما أنهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكينهم منه عند الكيل والوزن. كما قال في «الكشاف» كأن المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن إلا بالمكاييل دون الوازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لأنهم يزعزعون ويحتالون في الملىء وإذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعاً انتهى ويؤيده الاقتصار على التطفيف في الكيل في الحديث المذكور سابقاً وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لأن مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الأخذ والإعطاء لا في

خصوصية المأخوذ والمعطي قال أبو عثمان رحمه الله: حقيقة هذه الآية عندي هو من يحسن العبادة على رؤية الناس ويسيء إذا خلا.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى المقصرين في الطاعة والعبادة الطالبين كمال الرأفة والرحمة الذين يستوفون من الله مكيال أرزاقهم بالتمام ويكيلونه مكيال الطاعة والعبادة بالنقص والخسران ذلك هو الخسران المبين.

وقال القاشاني: يشير إلى التطفيف في الميزان الحقيقي الذي هو العدل والموزونات به هي الأخلاق والأعمال والمطففون هم الذين إذا اعتبروا كمالات أنفسهم متفضلين على الناس يستوفون أي يكثرونها ويزيدون على حقوقهم في إظهار الفضائل العلمية والعملية أكثر مما لهم عجباً وتكبراً وإذا اعتبروا كمالاً للناس بالنسبة إلى كمالاتهم اخسروا واستحقروها ولم يراعوا العدالة في الحالين لرعونة أنفسهم ومحبة التفضل على الناس كقوله يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

يقول الفقير: فيه إشارة إلى حال النفس القاصرة في التوحيد الحقيقي فإنها إذا أعطته الروح تخسره لنقصانها وقصورها فيه علي أنه لا يدخل في الميزان إذ لا مقابل له فمن أدخله في الميزان فقد نقص شأنه وشأن نفسه أيضا وأما التوحيد الرسمي فهي تستوفيه من الروح لأنه حقها ولا نصيب سواه.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾

﴿**ألا يظن**﴾ آيانمى پندارند ﴿**أولئك**﴾ المطففون الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل فقوله: ﴿**ألا**﴾ ليست هي التي للتنبيه لأن ما بعد حرف التنبيه مثبت وهنا منفي لأن ألا التنبيهة إذا حذفت لا يختل المعنى نحو ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٧٢﴾ [الحجر: ٧٢] وإذا حذفت ألا هذه اختل المعنى بل الهمزة الاستفهامية الإنكارية داخلة على لا النافية وجوز أن تكون للعرض والتحضيض على الظن.

﴿**أنهم مبعوثون ليوم عظيم**﴾ لا يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه من الأهوال ومحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فإن من يظن ذلك وإن كان ظناً ضعيفاً في حد الشك والوهم لا يتجاسر على أمثال هاتيك القبائح فكيف بمن يتيقنه فذكر الظن للمبالغة في المنع عن التطفيف وإلا فالمؤمن لا يكفي له الظن في أمر البعث والمحاسبة بل لا بد من الاعتقاد الجازم.

﴿**يوم يقوم الناس**﴾ منصوب بإضمار أعني. ﴿**لرب العالمين**﴾ بتقدير المضاف أي لمجرد أمره وحكمه بذلك لا لشيء آخر أو لمحاسبة رب العالمين فيظهر هناك تطفيفهم ومجازاتهم أو يقومون من قبورهم لرد رب العالمين أرواحهم إلى أجسادهم، روي «أنهم يقومون بين يدي الله تعالى أربعين عاماً وفي رواية ثلاثمائة سنة من سني الدنيا وعرق أحدهم إلى أنصاف أذنيه لا يأتيهم خبر ولا يؤمر فيهم بأمر».

وآن مقام هيبت باشدكه كس رازهرهٔ سخن نباشد

ثم يخاطبون يفني از مقام هيبت بمقام محاسبه آرند

وأما في حق المؤمن فيكون المكث كقدر انصرافهم من صلاة مكتوبة، وفي تخصيص رب العالمين من بين سائر الصفات إشعار بالمالكية والتربية فلا يمتنع عليه الظالم القوي لكونه مملوكاً مسخراً في قبضة قدرته ولا يترك حتى المظلوم الضعيف لأن مقتضى التربية أن لا يضيع

لأحد شيئاً من الحقوق وفي هذه التشديدات إشارة إلى أن التطفيف وإن كان يتعلق بشيء حقير لكنه ذنب كبير قيل كل من نقص حق الله من زكاة وصلاة وصوم فهو داخل تحت هذا الوعيد وعن ابن عمر رضي الله عنهما إنه قرأ هذه السورة فلما بلغ إلى قوله ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾، بكى نحيبا أي: يرفع الصوت وامتنع من قراءة ما بعد من غلبة البكاء وملاحظة الحساب والجزاء وقال أعرابي لعبد لملك بن مروان: إنك قد سمعت ما قال تعالى في المطففين وأراد بذلك إن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم في أخذ القليل فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ووزن.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾﴾.

﴿كلا﴾ ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب فيحسن الوقف عليه وإن كان بمعنى حقاً فلا لكونه حينئذٍ متصلاً بما بعده. ﴿إن كتاب الفجار لفي سجين﴾ تعليل للردع والكتاب مصدر بمعنى المكتوب كاللباس بمعنى الملبوس أو على حاله بمعنى الكتابة واللام للتأكيد وسجين علم الكتاب جامع هو ديوان الشر دون أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم، وهو منصرف لأنه ليس فيه إلا سبب واحد وهو التعريف وأصله فعيل من السجن مبالغة الساجن أو لأنه مطروح كما قيل تحت الأرض السابعة في مكان مظلم وحش وهو مسكن إبليس وذريته إذلالاً لهم وتحقيراً لشأنهم وتشهده الشياطين المدحورون كما إن كتاب الأبرار يشهده المقربون فالسجين مبالغة المسجون، والمعنى إن كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون أي: ما يكتب من أعمالهم أو كتابة أعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون فيه قبائح أعمال المذكورين.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: كتاب استعدادهم الفطري مكتوب في ديوان سجين طبيعتهم المجبولة على الفسق والفجور بقلم اليد اليسرى على ورق صفحة جبينهم كما قال عليه السلام: «السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقى في بطن أمه».

﴿وما أدراك ما سجين﴾ تهويل لأمره أي: هو بحيث لا يبلغه دراية أحد.

﴿كتاب مرقوم﴾ قال الراغب: الرقم الخط الغليظ وقيل: هو تعجم الكتاب، وقوله: ﴿كتاب مرقوم﴾ حمل على الوجهين انتهى. أي هو مسطور بين الكتابة بحيث كل من نظر إليه يطلع على ما فيه بلا دقة نظر وإمعان توجه أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه لأهاليه أي ذلك الكتاب مشتمل على علامة دالة على شقاوة صاحبه وكونه من أصحاب النار وكونه علامة الشر يستفاد من المقام لأنه مقام التهويل وقال القفال قوله ﴿كتاب مرقوم﴾ ليس تفسيراً لسجين بل هو خبر لأن والمعنى إن كتاب الفجار لفي سجين وإنه كتاب مرقوم وقوله ﴿وما أدراك ما سجين﴾ وقع معترضاً بين الخبرين.

وقال القاشاني: إن كتاب الفجار أي: ما كتب من أعمال المرتكبين للرذائل الذين فجروا بخروجهم عن حد العدالة المتفق عليها الشرع والعقل لفي سجين في مرتبة من الوجود مسجون أهلها في حبوس ضيقة مظلمة يزحفون على بطوهم كالسلاحف والحيات والعقارب الأخساء في أسفل مراتب الطبيعة ودركاتها وهو ديوان أعمال أهل الشر ولذلك فسر بقوله ﴿كتاب مرقوم﴾ أي: ذلك المحل المكتوب فيه أعمالهم كتاب مرقوم برقوم هيئات رذائلهم وشرورهم.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾

﴿ويل﴾ عظيم ﴿يومئذٍ﴾ أي: يوم يقوم الناس لرب العالمين فهو متصل به وما بينهما اعتراض وقال بعضهم: أي: يوم إذ أعطي ذلك الكتاب. ﴿للمكذبين﴾ وقال الكاشفي: ويل كلمه ايست جامع همه بديها يعني عذاب وعقاب وشدت ومحنت دران روزمر مكذبان راست.

﴿الذين يكذبون بيوم الدين﴾ صفة ذامة للمكذبين كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث لأن تكذيبهم بيوم الدين علم من قوله ﴿ألا يظن أولئك﴾.. الخ. قال بعض أهل الإشارة: المكذبون بالحق وآياته هم أرباب النفوس الذين أقبلوا على الدنيا وأعرضوا عن الحق ودينه الذي هو دين الإسلام وكل يجازي بحسب دينه فمن لا دين له فجزاؤه سوء الجزاء والويل العظيم ومن له دين فجزاؤه حسن الجزاء ورؤية الوجه الكريم فعليك بالتصديق.

﴿وما يكذب به إلا كل معتد﴾ متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غالٍ في التقليد حتى استقصر قدرة الله على الإعادة مع مشاهدته للبدء كالوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث ونحوهما ﴿أثيم﴾ كثير الإثم أي منهمك في الشهوات الناقصة الفانية بحيث شغلته عما وراءها من اللذات التامة الباقية وحملته على إنكارها فالاعتداء دل على إهمال القوة النظرية التي كمالها أن يعرف الإنسان وحدة الصانع واتصافه بصفات الكمال مثل العلم والإرادة والقدرة ونحوها والإثم دل على إهمال القوة العملية التي كمالها أن يعرف الإنسان الخير لأجل العمل به ﴿إذا تتلى عليه آياتنا﴾ الناطقة بذلك ﴿قال﴾ من فرط جهله وإعراضه عن الحق الذي لا محيد عنه ﴿أساطير الأولين﴾ أي: هي حكايات الأولين وأخبارهم الباطلة قال في «فتح الرحمن»: هي الحكايات التي سطرت قديماً وهي جمع أسطورة بالضم وإسطارة بالكسر وهي الحديث الذي لا نظام له.

﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾.

﴿كلا﴾ ردع للمعتدي عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه ويجوز أن يكون ردعاً عن مجموع التكذيب والقول. ﴿بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ قرأ حفص عن عاصم بل بإظهار اللام مع سكتة عليها خفيفة بدون القطع ويبتدىء ران وقرأ الباقون بإدغام اللام في الراء ومنهم حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر عن عاصم يميلون فتحة الراء. قال بعض المفسرين: هرب حفص من اجتماع ثقلتي الراء المفخمة والإدغام انتهى. ويرد عليه قل رب فإنه لا سكتة فيه بل هو بإدغام أحد المتقاربين في الآخر فالوجه أنه إنما سكت حفص على لام بل ران وكذا على نون من راق خوف اشتباهه بتثنية البر ومبالغة مارق حيث يصير بران ومراق وما موصوله والعائد محذوف ومحلها الرفع على الفاعلية والمعنى ليس في آياتنا ما يصح أن يقال في شأنها مثل هذه المقالات الباطلة، بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونه من الكفر والمعاصي حتى صارت كالصدأ في المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال عليه السلام: إن العبد كلما أذنب ذنباً حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا، والرين صدأ يعلو الشيء الجلي والطبع والدنس وران ذنبه على قلبه ريناً وريوناً غلب وكل ما غلبك رانك وبك وعليك كما في «القاموس» وران فيه النوم رسخ فيه.

وفي «التعريفات»: الران هو الحجاب الحائل بين القلب وعالم القدس باستيلاء الهيئات النفسانية ورسوخ الظلمانية الجسمانية فيه بحيث يتحجب عن أنوار الربوبية بالكلية والغين بالمعجمة دون الرين وهو الصدأ فإن الصدأ حجاب رقيق يزول بالتصفية ونور التجلي لبقاء الإيمان معه والرين هو الحجاب الكثيف الحائل بين القلب والإيمان ولهذا قالوا: الغين هو الاحتجاب عن الشهود مع صحة الاعتقاد والطبع يطبع على القلب والإقفال أن يقفل عليه قيل الإقفال أشد من الطبع كما أن الطبع أشد من الرين.

قال القاشاني في الآية: أي: صار صدأ عليها بالرسوخ فيه وكدر جوهرها وغيرها عن طباعها والرين حد من تراكم الذنب ورسوخه تحقق عنده الحجاب وانغلق باب المغفرة نعوذ بالله منه.

قال أبو سليمان الداراني قدس سره: الران والقسوة هما زماماً الغفلة فمن تيقظ وتذكر أمن من القسوة والرين ودواؤهما إدمان الصيام فإن وجد بعد ذلك قسوة فليترك الإدام وقال بعض الكبار القلب مرآة مصقولة كلها وجه فلا تصدأ أبداً وإن أطلق عليها الصدأ في نحو حديث: إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد «وإن جلاءها ذكر الموت وتلاوة القرآن» فليس المراد بذلك الصدأ أنه طخاء طلع على وجه القلب ولكنه لما تعلق واشتغل بعلم الأسباب عن العلم بالمسبب كان تعلقه بغير الله صدأ على وجه القلب مانعاً من تجلي الحق إليه إذا لحضرة الآلهية متجلية على الدوام لا يتصور في حقها حجاب عنا فلما لم يقبلها هذا القلب من جهة الخطاب الشرعي المحمود وقبل غيرها عبر عن قبول الغير بالصدأ والكن والقفل وغير ذلك وقد نبه الله على ذلك، في قوله: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٥] فهي في أكنة مما يدعوها الرسول إليه خاصة لا أنها في كن مطبقاً فلما تعلقت بغير ما تدعى إليه عميت عن إدراك ما دعيت إليه فلم تبصر شيئاً فالقلوب أبداً لم تزل مفطورة على الجلاء مصقولة صافية. قال المولى الجامي:

مسكين فقيه ميكند انكار حسن دوست با او بكوكه ديدۀ جانرا جلى كند

﴿**كلا**﴾ ردع وزجر عن الكسب الرائن أي: الموقع في الرين ﴿**إنهم**﴾ أي: المكذبين ﴿**عن ربهم**﴾ وهو وقوله ﴿**يومئذٍ**﴾ أي: يوم إذ يقوم الناس لرب العالمين متعلقان بقوله ﴿**لمحجوبون**﴾ فلا يرونه لأنهم بأكسابهم القبيحة صارت مرآة قلوبهم ذات صدأ وسرت ظلمة الصدأ منها إلى قوالبهم فلم يبق محل النور التجلي بخلاف المؤمنين فإنهم يرونه تعالى لأنهم بأكسابهم الحسنة صارت مرائي قلوبهم مصقولة صافية وسرى نور الصقالة والصفوة منها إلى قوالبهم فصاروا مستعدين لانعكاس نور التجلي في قلوبهم وقوالبهم، وصاروا وجوهاً من جميع الجهات كوجود الوجه الباقي بل أبصاراً بالكلية، سئل مالك بن أنس رحمه الله عن هذه الآية فقال: لما حجب أعداؤه فلم يروه لا بدَّ أن يتجلى لأوليائه حتى يروه، يعني احتج الإمام مالك بهذه الآية على مسألة الرؤية من جهة دليل الخطاب وإلا فلو حجب الكل لم يبق للتخصيص فائدة وكذلك.

[آنكاه دمريان دوست ودشمن فرق نماند كويى ببهشت ميهمانيست].

بي ديدن ميزبان چه باشد چون دشمن ودوست راچه باشد

[پس فرق دران مياه چه باشد].

وعن الشافعي رحمه الله: لما حجب قوماً بالسخط دل على أن قوماً يرونه بالرضى. وقال الشيخ الإسلام عبد الله الأنصاري رحمه الله: لمحجوبون عن رؤية الرضى فإن الشقي يراه غضبان حين يتجلى في المحشر قبل دخول الناس الجنة، وقال حسين بن الفضل رحمه الله: كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته فالموحد غير محجوب عن ربه وقال سهل رحمه الله: حجبهم عن ربهم قسوة قلوبهم في العاجل وما سبق لهم من الشقاوة في الأزل فلم يصلحوا لبساط القرب والمشاهدة فأبعدوا وحجبوا، والحجاب هو الغاية في البعد والطرد وقال ابن عطاء رحمه الله: الحجاب حجابان حجاب بعد وحجاب إبعاد فحجاب البعد لا تقريب فيه أبداً وحجاب الإبعاد يؤدب ثم يقرب كآدم عليه السلام، وقال القاشاني: ﴿**إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون**﴾ لامتناع قبول قلوبهم للنور وامتناع عودها إلى الصفاء الأول الفطري كالماء الكبريتي مثلاً إذ لو روق أو صعد لما رجع إلى الطبيعة المائية المبردة لاستحالة جوهره بخلاف الماء المسخن استحالت كيفيته دون طبيعته ولهذا استحقوا الخلود في العذاب، وفي «المفردات» الحجب المنع عن الوصول والآية إشارة إلى منع السور عنهم بالإشارة إلى قوله ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ [الحديد: ١٣] أي: بحجاب يمنع من وصول لذة الجنة إلى أهل النار وأذية أهل النار إلى أهل الجنة وقال صاحب «الكشاف»: كونهم محجوبين عنه تمثيل للاستحقاق بهم وإهانتهم لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم إلا الأدنياء المهانون عندهم قال.

إذا اعتروا باب ذي مهابة رجبوا.

والناس ما بين مرجوب ومحجوب انتهى. أي: ما بين معظم ومهان وإنما جعله تمثيلاً لا كناية إذ لا يمكن إرادة المعنى الحقيقي على زعمه من حيث إنه معتزلي قال بعض المفسرين: جعل الآية تمثيلاً عدول عن الظاهر وهو مكشوف فإن ظاهر قولهم هو محجوب عن الأمير يفيد أنه ممنوع عن رؤيته وهو أكبر سبب الإهانة، وما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه، لمحجوبون عن رحمته، وعن ابن كيسان عن كرامته فالمراد به بيان حاصل المعنى فإن المحجوب عن الرؤية ممنوع عن معظم الرحمة والكرامة فالآية من جملة أدلة الرؤية فالحمد لله تعالى على بذل نواله وعطائه وعلى شهود جماله ولقائه.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿**ثم إنهم**﴾ مع كونهم محجوبين عن رؤية الله ﴿**لصالوا الجحيم**﴾ أي: داخلوا النار ومباشروا حرها من غير حائل أصله صالون حذفت نونه بالإضافة وثم لتراخي الرتبة فإن صلي الجحيم أشد من الحجاب والإهانة والحرمان من الرحمة والكرامة فإن الحجاب وإن كان من قبيل العذاب الروحاني وهو أشد من العذاب الجسماني لكن مجرد النجاة من النار أهون من العذاب لأن في العذاب الحسي حصول العذابين كما لا يخفى.

﴿**ثم يقال**﴾ لهم توبيخاً وتقريعاً من جهة الزبانية وإنما طوى ذكرهم لأن المقصود ذكر القول لا القائل مع أن فيه تعميماً لاحتمال القائل وبه يشتد الخوف ﴿**هذا**﴾ العذاب وهو مبتدأ خبره قوله ﴿**الذي كنتم**﴾ في الدنيا ﴿**به**﴾ متعلق بقوله ﴿**تكذبون**﴾ فذوقوه وتقديمه لرعاية

الفاصلة لا للحصر فإنهم كانوا يكذبون أحكاماً كثيرة.

﴿كلا﴾ ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر بعد زجر ﴿إن كتاب الأبرار﴾ أي الأعمال المكتوبة لهم على أن الكتاب مصدر مضاف إلى مقدر. ﴿لفي عليين﴾ لفي ديوان جامع لجميع أعمال الأبرار، فعليون: علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو للمبالغة فيه سمي بذلك إما لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة وإما لأنه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريماً له وتعظيماً، وروي أ«ن الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فإذا انتهوا إلى ما شاء الله من سلطانه أوحى إليهم أنكم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على ما في قلبه وإنه أخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له، وإنها تصعد بعمل العبد فيزكونه فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله أوحى إليهم أنتم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على قلبه وإنه لم يخلص في عمله فاجعلوه في سجين» وفيه إشارة إلى أن الحفظة لا يطلعون على الإخلاص والرياء إلا باطلاع الله تعالى.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿وما أدراك ما عليون﴾ أي هو خارج عن دائرة دراية الخلق ﴿كتاب مرقوم﴾ أي: هو مسطور بين الكتابة يقرأ بلا تكلف أو معلم بعلامة تدل على سعادة صاحبه وفوزه بنعيم دائم وملك لا يبلى ولما كان عليون علماً منقولاً من الجمع حكم عليه بالمفرد وهو كتاب مرقوم وأعرب بإعراب الجمع حيث جرا ولا بفي ورفع بالخبرية لما الاستفهامية لكونه في صورة الجمع وقيل اسم مفرد على لفظ الجمع كعشرين وأمثاله فليس له وحد ﴿يشهده﴾ الملائكة ﴿المقربون﴾ عند الله قربة الكرامة أي: يحضرونه ويحفظونه من الضياع، وفي «فتح الرحمن»: هم سبعة أملاك من مقربي السماء من كل سماء ملك مقرب فيحضره ويشيعه حتى يصعد به إلى ما يشاء الله ويكون هذا في كل يوم أو يشهدون بما فيه يوم القيامة على رؤوس الإشهاد وبه تبين سر ترك الظاهر بأن يقال طوبى يومئذٍ للمصدقين بمقابلة ويل يومئذٍ للمكذبين لأن الأخبار بحضور الملائكة تعظيماً وإجلالاً يفيد ذلك مع زيادة فختم كل واحد بما يصلح سواه مكانه.

وقال القاشاني: ما كتب من صور أعمال السعداء وهيئات نفوسهم النورانية وملكاتهم الفاضلة في عليين وهو مقابل لسجين في علوه وارتفاع درجته وكونه ديوان أعمال أهل الخير كما قال: كتاب مرقوم أي: محل شريف رقم بصور أعمالهم من جرم سماوي أو عنصر إنساني يحضر ذلك المحل أهل الله الخاصة من أهل التوحيد الذاتي.

﴿إن الأبرار﴾ أي: السعداء الأتقياء عن درن صفات النفوس. ﴿لفي نعيم﴾ ثم وصف كيفية ذلك النعيم بأمور ثلاثة أولها قوله ﴿على الأرائك﴾ أي على الأسرة في الحجال يعني برتختهاى آراسته.

ولا يكاد تطلق الأريكة على السرير عندهم إلا عند كونه في الحجلة وهو بالتحريك بيت العروس يزين بالثياب والأسرة والستور. ﴿ينظرون﴾ أي: ما شاؤوا أمد أعينهم إليه من رغائب مناظر الجنة وإلى ما أولاهم الله من النعمة والكرامة يعني [مى نكرند بچيز هاكه ازان شادمان وفرحناك ميكردند از صور حسنه ومنتزهات بهيه].

وكذا إلى أعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال أبصارهم عن الإدراك للطافتها وشفوفها أي: رقتها فحذف المفعول للتعميم وقوله: ﴿على الأرائك﴾ ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر وأن يكون حالاً من المنوي في الخبر أو في الفاعل في ينظرون، والتقديم لرعاية فواصل الآي وأما ينظرون فيجوز أن يكون مستأنفاً وأن يكون حالاً إما من المنوي في الخبر أوفي الظرف أي ناظرين. قال ابن عطاء رحمه الله: على أرائك المعرفة ينظرون إلى المعروف وعلى أرائك القربة ينظرون إلى الرؤوف وفيه إشارة إلى أن أرباب المقامات العالية ينظرون إلى جميع مراتب الوجود لا يحجبهم شيء عن المطالعة بخلاف الأغيار فإنهم محجوبون عن مطالعة أحوال أهل الملكوت ورمز إلى أن لكل من أهل الدرجات روضة مخصوصة من الأسماء والصفات فمنها ينظرون فمنهم عال وأعلى وليس الإشراف على الكل إلا لأشرف الأشراف وهو قطب الأقطاب.

﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾ وهو ثاني الأوصاف أي بهجة التنعم وماءه ورونقه أي إذا رأيتهم عرفت إنهم أهل النعمة بسبب ما يرى في وجوههم من القرائن الدالة على ذلك كالضحك والاستبشار كما يرى في وجوه الأغنياء وأهل الترفه فمن هذا اختير تعرف على ترى مع أن المعرفة تتعلق بالخفيات غالباً والرؤية بالجليات غالباً والخطاب لكل أحد ممن له حظ من الخطاب للإيذان بأن مالهم من آثار النعمة وأحكام البهجة بحيث لا يختص برؤية رائي. قال جعفر رضي الله عنه: يعني لذة النظر تتلألأ مثل الشمس في وجوههم إذا رجعوا من زيارة الله إلى أوطانهم. وقال بعضهم: تعرف في وجوههم رضي محبوبهم عنهم.

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن
تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا
مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿يسقون من رحيق﴾ وهو ثالث الأوصاف وسقي يتعدى إلى مفعولين والأول هنا الواو القائم مقام الفاعل والثاني من رحيق لأن من تبعيضية كأنه قيل بعض رحيق أو مقدر معلوم أي شراباً كائناً من رحيق مبتدأ منه فمن ابتدائية والرحيق صافي الخمر وخالها والمعنى يسقون في الجنة من شراب خالصها لا غش فيه ولا ما يكرهه الطبع ولا شيء يفسده وأيضاً صاف عن كدورة الخمار وتغيير النكهة وإيراث الصداع.

﴿مختوم ختامه﴾ أي: ما يختم ويطبع به. ﴿مسك﴾ وهو طيب معروف أي مختوم أوانيه وأكوابه بالمسك مكان الطين قال في «كشف أسرار» ما ختم به مسك رطب ينطبع فيه الخاتم أمر الله بالختم عليه إكراماً لأصحابه فختم ومنع أن يمسه ماس أو تتناوله يداً إلى أن يفك ختمه الأبرار والأظهر أنه تمثيل لكمال نفاسته إذا الشيء النفيس يختم لا سيما إذا كان ما يختم به المسك مكان الطين، وقيل ختام الشيء خاتمته وآخره فمعنى ختامه مسك أن الشارب إذا رفع فاء من آخر شربه وجد رائحة كرائحة المسك أو وجد رائحة المسك لكونه ممزوجاً به كالأشربة الممسكة في الدنيا فإنه يوجد فيها رائحة المسك عند خاتمة الشرب لا في أول زمان الملابسة بالشرب وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، إن الرحيق شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شربهم ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل فيه يده ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد طيب

ريحه. ﴿وفي ذلك﴾ الرحيق خاصة دون غيره من النعيم المكدر السريع الفناء أو فيما ذكر من أحوالهم لا في أحوال غيرهم من أهل الشمال. ﴿فليتنافس المتنافسون﴾ فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله، يعني عمل بجاي آرندكه سب استحقاق شرب آن كردند.

والأمر للتحضيض والترغيب ظاهراً وللوجوب باطناً بوجوب الإيمان والطاعة وأصل التنافس التغالب في الشيء النفيس أي: المرغوب كأن كل واحد من الشخصين يريد أن يستأثر به وأصله من النفس لعزتها وقال البغوي: أصله من الشيء النفيس الذي يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أي: يبخل وفي «المفردات» المنافسة مجاهدة النفس للتشبه بالأفاضل واللحوق بهم من غير إدخال ضرر على غيره قال ذو النون المصري رحمه الله: علامة التنافس تعلق القلب به وطيران الضمير إليه والحركة عند ذكره والتباعد من الناس والأنس بالوحدة والبكاء على ما سلف وحلاوة سماع الذكر والتدبر في كلام الرحمن وتلقي النعم بالفرح والشكر والتعرض للمناجاة.

﴿ومزاجه من تسنيم﴾ عطف على ختامه صفة أخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته أي: ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم وهو علم العين بعينها تجري من جنة عدن سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه إذا رفعه إما لأنها أرفع شراب في الجنة قدراً فيكون من علو المكانة وأما لأنها تأتيهم من فوق فيكون من علو المكان روي أنها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في أوانيهم فإذا امتلأت أمسك الماء حتى لا يقع منه قطرة على الأرض فلا يحتاجون إلى الاستقاء.

﴿عيناً﴾ نصب على المدح والاختصاص أي: بتقدير أعني ﴿يشرب بها المقربون﴾ من جناب الله قربا معنوياً روحانياً أي يشربون ماءها صرفاً وتمزج لسائر أهل الجنة وهم أصحاب اليمين فالباء مزيدة أو بمعنى من وفيه إشارة إلى أن التسنيم في الجنة الروحانية هو معرفة الله ومحبته ولذة النظر إلى وجهه الكريم والرحيق هو الابتهاج تارة بالنظر إلى الله وأخرى بالنظر إلى مخلوقاته فالمقربون أفضل من الأبرار [بمحبت غيرنيا ميخته اندشراب ايشان صرفست وآنهاكه محبت ايشان آميخته باشد شراب ايشان ممزوج باشد].

ما شراب عيش ميخواهيم بي دردىء غم صاف نوشان ديكر ودردى فروشان ديكرند

وقال بعضهم:

تسبيح رهى وصف جمال توبست وزهر دوجهان ورا وصال توبست
اندردل هركسى ذكر مقصوديست مقصود دل رهى خيال توبست

ودر بحر الحقائق [آورده كه رحيق اشارتست بشراب خالص ازكدورات خمار كونين وأواني مختومهء ري قلوب أوليا وأصفياكه ختام أو مسك مبحت است] لا يشرب من تلك الأواني إلا الطالبون الصادقون في طريق السلوك إلى الله على نفسه فليبك من ضاع عمره. وليس له منها نصيب ولا سهم، [وتسنيم أعلاي مراتب محبت ذاتيه كه غير ممزوج بأشد بصفات وأفعال ومقربان أهل فنا في الله وبقا بالله] إنه كما قال العارف في خمر المحبة الصرفة الخالصة من المزج:

عليك بها صرفاً فإن شئت مزجها فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

العدل بمعنى العدول والظلم بالفتح هو ماء الأسنان وبريقها وبالضم هو الجور أي: فإن

شئت مزجها فامزجها بزلال فم الحبيب وبريقه إن لم تقدر على شربها صرفاً ولا تعدل فإن العدول عن ظلم الحبيب ورشحة زلاله هو الظلم.

[وتاكسي بر بساط قرب در مجلس أنس ورياض قدس ازدست ساقىٔ رضا جرعهٔ ازين شراب ناب نچشد بويى ازسراين سخنان بمشام جان وى نرسد].

سر مايهٔ ذوق دوجهان مستى عشقست   آنهاكه ازبن مي نچشيد ندچه دانند

﴿إن الذين أجرموا﴾ كانوا ذوي جرم وذنب ولا ذنب أكبر من الكفر وأذى المؤمنين لإيمانهم فالمراد بهم رؤساء قريش وأكابر المجرمين المشركين كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأمثالهم. ﴿كانوا﴾ في الدنيا ﴿من الذين آمنوا﴾ إيماناً صادقاً ﴿يضحكون﴾ أي: يستهزئون بفقرائهم كعمار وصهيب وبلال وخباب وغيرهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل.

﴿وإذا مروا﴾ أي فقراء المؤمنين ﴿بهم﴾ أي بالمشركين وهم في أنديتهم وهو الأظهر وإن جاز العكس أيضاً يقال مرمراً ومروراً جاز وذهب كاستمر ومره وبه جاز عليه كما في «القاموس» قال في «تاج المصادر» المر بكذشتن بكسى.

ويعدى بالباء وعلى ﴿يتغامزون﴾ أي يغمز بعضهم بعضاً ويشيرون بأعينهم ويعيبونهم ويقولون انظروا إلى هؤلاء يتعبون أنفسهم ويتركون اللذات ويتحملون المشقات لما يرجونه في الآخرة من المثوبات وأمر البعث والجزاء لا يقين به وإنه بعيد كل البعد والتغامز تفاعل من الغمز وهو الإشارة بالجفن والحاجب ويكون بمعنى العيب أيضاً وفي «التاج» التغامز يكديكررا بچشم اشارت كردن.

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿وإذا انقلبوا﴾ من مجالسهم ﴿إلى أهلهم﴾ إلى أهل بيتهم وأصحابهم الجهلة الضالة التابعة لهم والانقلاب الانصراف والتحول والرجوع. ﴿انقلبوا﴾ حال كونهم ﴿فكهين﴾ متلذذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه إشارة إلى أنهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين ويكتفون حينئذٍ بالتغامز. ﴿وإذا رأوهم﴾ أي المجرمون المؤمنين أينما كانوا ﴿قالوا﴾ مشيرين إلى المؤمنين بالتحقير ﴿إن هؤلاء لضالون﴾ أي نسبوا المسلمين ممن رأوهم ومن غيرهم إلى الضلال بطريق التأكيد وقالوا: تركوا دين آبائهم القديم ودخلوا في الدين الحادث أو قالوا: تركوا التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدري هل له وجود أو لا؟ وهذا كما أن بعض غفلة العلماء ينسبون الفقراء السالكين إلى الضلال والجنون خصوصاً إذا كان أهل السلوك من أهل المدرسة فإنهم يضللونه أكثر من تضليل غيره.

منعم كنى زعشق وى اي زاهد زمان   معذور دارمت كه تواور انديدهٔ

﴿وما أرسلوا﴾ أي المجرمون ﴿عليهم﴾ أي: على المسلمين ﴿حافظين﴾ حال من واو قالوا أي قالوا ذلك والحال أنهم ما أرسلوا من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم أمورهم ويهيمنون على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وإنما أمروا بإصلاح أنفسهم وأي نفع لهم

في تتبع أحوال غيرهم وهذا تهكم بهم وإشعار بأن ما اجترؤوا عليه من القول من وظائف من أرسل من جهته تعالى وقد جوز أن يكون ذلك من جملة قول المجرمين كأنهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا علينا حافظين إنكاراً لصدهم عن الشرك ودعائهم إلى الإسلام وإنما قيل نقلاً له بالمعنى.

﴿فاليوم الذين آمنوا﴾ أي: المعهودون من الفقراء ﴿من الكفار﴾ المعهودين وهو الأظهر وإن أمكن التعميم من الجانبين ﴿يضحكون﴾ حين يرونهم أذلاء مغلولين وغشيهم فنون الهوان والصغار بعد العز والكبر ورهقهم ألوان العذاب بعد التنعم الترفه قال في بعض التفاسير: لعل الفاء جواب شرط مقدر كأنه قيل إذا عرفتم ما ذكر فاعلموا أن اليوم أي: يوم القيامة فاللام للعهد والذين مبتدأ ومن الكفار متعلق بقوله ﴿يضحكون﴾ وحرام للوهم أن يتوهم كونه بياناً للموصول نظراً إلى ظاهر الاتصال من غير تفكر في المعنى ويضحكون خبر المبتدأ وهو ناصب اليوم لصحة المعنى.

﴿على الأرائك﴾ برتختهاى آراسته بادرو ياقوت ﴿ينظرون﴾ أي يضحكون منهم حال كونهم ناظرين إليهم وإلى ما فيهم من سوء الحال فهو حال من فاعل يضحكون ﴿هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾ كلام مستأنف من قبل الله أو من قبل الملائكة والاستفهام للتقرير وثوب بمعنى يثوب عبر عنه بالماضي لتحققه والتثويب والإثابة المجازاة استعمل في المكافاة بالشر. قال الراغب: الإثابة تستعمل في المحبوب نحو ﴿فَأَثَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ﴾ [المائدة: ٨٥] وقد قيل ذلك في المكروه نحو ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ﴾ [آل عمران: ١٥٣] على الاستعارة والتثويب في القرآن لم يجىء إلا في المكروه نحو هل ثوب الخ. انتهى وفي «تاج المصادر» التثويب پاداش دادن وفي «تهذيب المصادر» التثويب ثواب دادن وفي «القاموس» التثويب التعويض انتهى. وهو الموافق لما في «التاج» والمراد بما كانوا يفعلون استهزآؤهم بالمؤمنين وضحكهم منهم وهو صريح في أن ضحك المؤمنين منهم في الآخرة إنما هو جزاء لضحك الكافرين منهم في الدنيا وفيه تسلية للمؤمنين بأنه سينقلب الحال ويكون الكفار مضحوكاً منهم وتعظيم لهم فإن إهانة الأعداء تعظيم للأولياء والله ينتقم لأوليائه من أعدائهم فإنه يغضب لأوليائه كما يغضب الليث الجري لجروه ومن الله العصمة وعلم منه أن الضحك والاستهزاء والسخرية والغمز من الكبائر فالخائض يها من المجرمين الملحقين بالمشركين نسأل الله السلامة.

تمت سورة المطففين بعون المعين في السادس والعشرين من صفر الخير من سنة سبع عشرة ومائة وألف

٨٤ ـ سورة الانشقاق

خمس وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٥﴾.

﴿إذا السماء انشقت﴾ إعرابه كإعراب إذا السماء انفطرت أي: انفتحت بغمام أبيض يخرج منها كقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥] والباء للآلة كما في قولك انشقت الأرض بالنبات وفي ذلك الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف الأعمال أو فيه ملائكة العذاب وكان ذلك أشد وأفظع من حيث إنه جاءه العذاب من موضع الخير فيكون انشقاق السماء لنزول الملائكة بالأوامر الإلهية، وقيل للسقوط والانتقاض، وقيل لهول القيامة وكيف لا تنشق وهي في قبضة قهره أقل من خردلة ولا منع من جميع هذه الأقوال فإنها تنشق لهيبة الله فتنزل الملائكة ثم يؤول أمرها إلى الفساد والاختلال وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة وهي بفتح الميم باب الماء أي: البياض المستطيل في وسط السماء سميت بذلك لأنها كأثر المجر ويقال لها بالفارسية [راه حاجيان وكهكشان].

تنشق السماء من ذلك الموضع كأنه مفصل ملتئم فتصدع منه.

﴿وأذنت لربها﴾ واستمعت أي: انقادت وأذعنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت قدرته وإرادته بانشقاقها انقياد المأمور المطواع إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع فهو استعارة تمثيلية متفرعة على المجاز المرسل يعني إذا أطلق الأذن وهو الاستماع في حق من له حاسة السمع والاستماع بها يراد بها الإجابة والانقياد مجازاً وإذا أطلق في حق نحو السماء مما ليس في شأنه الاستماع والقبول يكون استعارة تمثيلية، فقوله: ﴿أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] يدل على نفوذ القدرة في الإيجاد والإبداع من غير ممانعة أصلاً وقوله ﴿وأذنت لربها﴾ يدل على نفوذ القدرة في التفريق والإعدام من غير ممانعة أصلاً والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إليها للإشعار بعلة الحكم وهذا الانقياد عند أرباب الحقائق محمول على أن لها حياة وإدراكاً كسائر الحيوانات إذ ما من شيء إلا وله نصيب من تجلي الاسم الحي وقد سبق مراراً ﴿وحقت﴾ من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به أي: جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد إذ هي مربوبة ومصنوعة له تعالى أي شأنها ذلك بالنسبة إلى القدرة القاهرة الربانية التي يتأتى بها كل مقدور ولا يتخلف عنها أمر من الأمور وبالفارسية وخود آنرا چنين سزد.

فحق الجملة أن تكون اعتراضاً مقررة لما قبلها لا معطوفة عليه.

﴿وإذا الأرض مدت﴾ أي: بسطت بإزالة جبالها وآكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت كالصحيفة الملساء أو زيدت سعة وبسطة من أحد وعشرين جزءاً إلى تسعة وتسعين جزءاً لوقوف الخلائق عليها للحساب وإلا لم تسعهم من مده بمعنى أمده أي: زاده، وفي الحديث: «إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه» يعني لكثرة الخلائق فيها قوله ﴿مد الأديم﴾ لأن الأديم إذا مد زال كل انثناء فيه واستوى وفي بعض الروايات مد الأديم العكاظي، قال في «القاموس»: هو كغراب سوق بصحراء بين نخلة والطائف كانت تقدم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوماً تجتمع قبائل العرب فيتعاكظون أي يتفاخرون ويتناشدون ومنه الأديم العكاظي انتهى.

﴿وألقت ما فيها﴾ أي رمت ما في جوفها من الموتى والكنوز إلى ظاهرها كقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ [الزلزلة: ٢] وهو من الإسناد المجازي وإلا فالإلقاء والإخراج لله تعالى حقيقة فإن قلت: إخراج الكنوز يكون وقت خروج الدجال لا يوم القيامة قلت: يوم القيامة وقت متسع يجوز اعتباره من وقت خروجه ولو مجاز مجازاً لأنه الانه من أشراطه الكبرى فيكون إخراج الكنوز عند قرب الساعة وإخراج الموتى عند البعث. ﴿وتخلت﴾ وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شيء منه كأنها تكلفت في ذلك أقصى جهدها كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم إذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما.

﴿وأذنت لربها﴾ وانقادت له في الإلقاء والتخلي ﴿وحقت﴾ أي: وهي حقيقة بذلك أي: شأنها ذلك بالنسبة إلى القدرة الربانية ذكره مرتين لأن الأول متصل بالسماء والثاني بالأرض وإذا اتصل كل واحد بغير ما اتصل به الآخر لم يكن تكراراً وجواب إذا محذوف أي: إذا وقعت هذه الأمور كان من الأهوال ما تقصر عن بيانه العبارة وفي «تفسير الكاشفي» جواب [إذا آنست كه به بيند إنسان ثواب وعقاب را].

وفيه إشارة إلى انشقاق سماء الروح الحيوانية بانفراجها عن الروح الإنساني وزوالها وبسط أرض البدن بنزع الروح عنها وإلقاء ما فيها من الروح والقوى وتخليها عن كل ما فيها من الآثار والإعراض بالحياة والمزاج والتركيب والشكل بتبعية خلوها عن الروح.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى انشقاق سماء الروح عن ظلمة غيم النفس الأمارة وانقيادها لفيض ربها بتهيئة الاستعداد بما يتصرف فيها من غير إباء وامتناع وإلى بسط أرض النفوس البشرية لأربابها وتخليها عن أحكام البشرية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾.

﴿يا أيها الإنسان﴾ جنس الإنسان الشامل للمؤمن والكافر والعاصي فالخطاب عام لكل مكلف على سبيل البدل يقال هذا أبلغ من العموم لأنه يقوم مقام التنصيص في النداء على مخاطبة كل واحد بعينه كأنه قيل يا فلان ويا فلان إلى غير ذلك. ﴿إنك كادح إلى ربك كدحاً﴾ الكدح: جهد النفس في العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها والجهد بالفتح بمعنى المشقة والتعب والكد: السعي الشديد في العمل وطلب الكسب من كدح جلده إذا خدشه والمعنى إنك جاهد ومجد أي ساع باجتهاد ومشقة إلى لقاء ربك أي: إلى وقت لقائه وهو الموت وما بعده من

الأحوال الممثلة باللقاء مبالغ في ذلك وفي الخبر: «أنهم قالوا يا رسول الله فيم نكدح وقد جفت الأقلام ومضت المقادير؟ فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له» ﴿فملاقيه﴾ فملاق له أي لجزاء عملك من خير وشر عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه ولا مفر لك منه ويقال إنك عامل لربك عملاً فملاق عملك يوم القيامة يعني إن جدك وسعيك إلى مباشرة الأعمال في الدنيا هو في الحقيقة سعي إلى لقاء جزائها في العقبى فملاق ذلك الجزاء لا محالة، فعليك أن تباشر في الدنيا بما ينجيك في العقبى واحذر عما يهلكك فيها ويوقعك في الخجالة والافتضاح من سوء المعاملة وفي الحديث، النادم ينتظر الرحمة والمعجب ينتظر المقت وكل عامل سيقدم إلى ما أسلف. وقال القاشاني: إنك ساع بالموت أي تسير مع أنفاسك سريعاً كما قيل أنفاسك خطاك فملاقيه ضرورة فالضمير للرب.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى الإنسان المخلوق على صورة ربه وكدحه واجتهاده في التحقق بالأسماء الإلهية والصفات اللاهوتية فهو ملاقٍ ما يكدح ويجتهد حسب استعداده الفطري.

﴿فأما من﴾ وهو المؤمن السعيد ومن موصولة وهو تفصيل لما أجمل فيما قبله ﴿أوتي﴾ أي يؤتى والماضي لتحققه ﴿كتابه﴾ المكتوب فيه أعماله التي كدح في كسبها ﴿بيمينه﴾ لكون كدحه بالسعي فيما يكتبه كاتب اليمين والحكمة في الكتاب أن المكلف إذا أعلم أن أعماله تكتب عليه وتعرض على رؤوس الإشهاد كان أزجر عن المعاصي وأن العبد إذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم احتشامه من خدمه المطلعين عليه ﴿فسوف﴾ پس زود بودكه ﴿يحاسب﴾ يوم القيامة بعد مدة مقدرة على ما تقتضيه الحكمة. ﴿حساباً يسيراً﴾ سهلاً لا مناقشة فيه ولا اعتراض بما يسوؤه ويشق عليه كما يناقش أصحابا الشمال والحساب بمعنى المحاسبة وهو بالفارسية باكسى شمار كردن.

والمراد عد أعمال العباد وإظهارها للمجازاة، وعن الصديقة رضي الله عنها هو أي الحساب اليسير أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه يعني أن يعرض عليه أعماله ويعرف أن الطاعة منها هذه والمعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لأنه لا شدة على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر ولا بالحجة عليه فإنه متى طولب بذلك لم يجد عذراً ولا حجة فيفتضح.

برادر زكار بدان شرم دار ... كه در روى نيكان شوى شرمسار
بجاي كه دهشت خورد انبيا ... تو عذر كنه راچه داري بيا

ولذا قال عليه السلام: «عرض الجيش» أعني عرض الأعمال لأنها زي أهل الموقف والله الملك فيعرفون بسيماهم كما يعرف الأجناد هنا بزيهم، قالوا: إن عصاة المؤمنين داخلة في هذا القسم فقوله ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ من وصف الكل بوصف البعض أي: فالعصاة وإن لم يكن لهم حساب يسير بالنسبة إلى المطيعين لكن حسابهم كالعرض بالنسبة إلى مناقشة أصحاب الشمال فأصحاب اليمين شاملة لهم وقد يقال: كتاب عصاة المؤمنين يعطى عند خروجهم عن النار وقيل يجوز أن يعطوا من الشمال لا من وراء ظهورهم وفيه أن الإعطاء من الشمال ومن وراء الظهر أمر واحد وقيل لم تتعرض الآية للعصاة الذين يدخلهم الله النار وهو الظاهر وقوله عليه السلام في بعض صلاته: «اللهم حاسبني حساباً يسيراً» وإن دل على أن للأنبياء كتاباً

لكن الظاهر إرشاد الأمة وتعليمهم وإلا فهم معصومون داخلون الجنة بلا حساب ولا كتاب.

﴿وينقلب﴾ أي: يرجع وينصرف من مقام الحساب اليسير. ﴿إلى أهله﴾ أي عشيرة المؤمنين أو فريق المؤمنين هم رفقاؤه في طريق السعادة والكرامة ﴿مسروراً﴾ مبتهجاً بحاله وكونه من أهل النجاة قائلاً هاؤم اقرأوا كتابيه فهذا الانقلاب يكون في المحشر قبل دخول الجنة لا كما قال في «عين المعاني» من أنه يدل على أن أهله يدخلون الجنة قبله وفيه إشارة إلى كتاب الاستعداد الفطري المكتوب في ديوان الأزل بقلم كتبة الأسماء الجمالية فإن من أوتيه لا تناقشه الأسماء الجلالية وينقلب إلى أهله مسروراً بفيض تجلي جماله ولطفه.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾﴾

﴿وأما من أوتي كتابه﴾ تكرير كتابه بدون الاكتفاء بالإضمار لتغاير الكتابين وتخالفهما بالاشتمال والحكم في المآل أي: يؤتى كتاب عمله ﴿وراء ظهره﴾ أي: بشماله من وراء ظهره وجانبه، ظرف لأوتي مستعمل في المكان. وقال الكلبي: يغل يمينه ثم تلوي يده اليسرى من ورائه فيعطي كتابه بشماله وهي خلف ظهره فلا مخالفة بين هذا وبين ما في الحاقة حيث لم يذكر فيها الظهر بل اكتفى بالشمال قال الإمام: ويحتمل أن يكون بعضهم يعطي كتابه بشماله وبعضهم من وراء ظهره وفي «تفسير» الفاتحة للفناري رحمه الله: وأما من أوتي كتابه بشماله وهو المنافق فإن الكافر لا كتاب له أي لأن كفره يكفيه في المؤاخذة فلا حاجة إلى الكتاب من حيث إنهم ليسوا بمكلفين بالفروع وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فهم الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فإذا كان يوم القيامة قيل له: خذه من راء ظهرك أي من الموضع الذي نبذته فيه في حياتك الدنيا فهو كتابه المنزل عليه لا كتاب الأعمال فإنه حين نبذه وراء ظهره ظن أن لن يحور، وقال أبو الليث في «البستان»: اختلف الناس في الكفار هل يكون عليهم حفظة أولا قال بعضهم: لايكون عليهم حفظة لأن أمرهم ظاهر وعملهم واحد وقال الله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم ولا نأخذ بهذا القول بل يكون للكفار حفظة والآية نزلت بذكر الحفظة في شأن الكفار ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ٩ ـ ١٢] وقال في آية أخرى ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة: ٢٥] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾﴾ [الانشقاق: ١٠] فأخبر أن الكفار يكون لهم كتاب وحفظة فإن قيل: فالذي يكتب عن يمينه إذا أي: شيء يكتب ولم يكن لهم حسنة يقال له الذي عن شماله يكتب بإذن صاحبه ويكون شاهداً على ذلك وإن لم يكتب ﴿فسوف يدعو﴾ پس زود باشدكه بخواند.

أي: بعد مدة منتهية عذاب شديد لا يطاق عليه ﴿ثبوراً﴾ أي: يتمنى لنفسه الثبور وهو الهلاك ويدعوه يا ثبوراه تعال فهذا أوانك وأنى له ذلك يعني لما كان إيتاء الكتاب من غير يمينه علامة كونه من أهل النار كان كلامه واثبوراه قال الفراء: تقول العرب فلان يدعو لهفه إذا قال والهفاء قيل: الثبور مشتق من المثابرة على الشيء وهو المواظبة عليه وسمي هلاك الآخرة ثبوراً لأنه لازم لا يزول. كما قال تعالى: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان: ١٤] قال في «كشف الأسرار»: پيربو على سياه وقتى در بازار ميرفت سائلي ميكفت بحق روز بزرك كه مراچيزى بدهيد پيراز هوش برفت چون بهوش باز آمداورا كفتنداي شيخ ترا

اين ساعت چه روى نمود كفت هيبت وعظمت آن روز بزرك آنكه كفت واحزناه على قلة الحزن واحسرتاه على قلة التحسر يعني وا اندوهاي آزبى آند وهي واحسرتا آزبى حسرتي.

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿**ويصلى سعيراً**﴾ أي: يدخلها ويقاسي حرها وعذابها من غير حائل وهذا يدل على أن دعاءهم بالثبور قبل الصلي وبه صرح الإمام وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الفرقان: ١٣] فيدل على أنه بعده ولا منافاة في الجمع فإنهم يدعونه أولاً وآخراً بل دائماً على أن الواو لمطلق الجمع لا للترتيب وفيه إشارة إلى صاحب كتاب الاستعداد الفطري المكتوب في ديوان الأزل بقلم كتبة الأسماء الجلالية فإنه يتمنى أن يكون في الدنيا فانياً في الحق وهالكاً عن أنيته ويصلى نار الرياضة والمجاهدة وراء ظهره من الجزاء الوفاق لأنه خالف أمر ربه في قوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] أي من غير مدخلها بمحافظة ظواهر الأعمال من غير رعاية حقوق بواطنها بتقوى الأحوال فسبب الوصول إلى حضرة الربوبية والدخل فيها هو التقوى وهو اسم جامع لكل بر من أعمال الظاهر وأحوال الباطن والقيام باتباع الموافقات واجتناب المخالفات.

وقال القاشاني: وأما من أوتي كتابه وراء ظهره أي جهته التي تلي الظلمة من الروح الحيواني والجسد فإن وجه الإنسان جهته التي إلى الحق وخلفه جهته التي إلى البدن الظلماني بأن رد إلى الظلمات في صور الحيوانات فسوف يدعو ثبوراً لكونه في ورطة هلاك الروح وعذاب الأبد ويصلي سعير نار الآثار في مهاوي الطبيعة.

﴿**إنه**﴾ أي: لأن فالجملة استئناف لبيان علة ما قبلها. ﴿**كان**﴾ في الدنيا ﴿**في أهله**﴾ فيما بين أهله وعشيرته أو معهم على أنهم جميعاً كانوا مسرورين كما يقال جاءني فلان في جماعة أي معهم ﴿**مسروراً**﴾ مترفاً بطراً مستبشراً يعني شادان ونازان بمال فإني وجاه ناپايدار ومحجوب از منعم بنعم.

كديدن الفجار الذين لا يخطر ببالهم أمور الآخرة ولا يتفكرون في العواقب كسنة الصلحاء والمتقين كما قال تعالى حكاية: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦] والحاصل أنه كان الكافر في الدنيا فارغاً عن هم الآخرة وكان له مزمار في قلبه فجوزي بالغم الباقي بخلاف المؤمن فإنه كان له نائحة في قلبه فجوزي بالسرور الدائم وفيه إشارة أيضاً إلى الروح العلوي الذي يؤتى كتابه بيمينه وإلى النفس السفلية التي تؤتي كتابها من وراء ظهرها وأهلها القوى الروحانية النورانية والقوى الجسمانية الظلمانية.

﴿**إنه ظن**﴾ تيقن كما في «تفسير الفاتحة» للفناري وقال في «فتح الرحمن» الظن هنا على بابه بمعنى الحسبان لا الظن الذي بمعنى اليقين وهو تعليل لسروره في الدنيا أي: إن هذا الكافر ظن في الدنيا. ﴿**أن**﴾ أي: الأمر والشأن فهي مخففة من الثقيلة سادة مع ما في حيزها مسد مفعول الظن أو أحدهما على الخلاف المعروف. ﴿**لن يحور**﴾ لن يرجع إلى الله تكذيباً للمعاد والحور الرجوع والمحار المرجع والمصير، وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنيّة لها حوري حوري أي ارجعي وحر إلى أهلك أي:

ارجع ومنه الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور أي الرجوع عن حالة جميلة والحواري القصار لرجعه الثواب إلى البياض.

﴿**بلى**﴾ إيجاب لما بعد لن أي: بلى ليحورن البتة وليس الأمر كما يظن. ﴿**إن ربه**﴾ الذي خلقه ﴿**كان به**﴾ وبأعماله الموجبة للجزاء والجار متعلق بقوله ﴿**بصيراً**﴾ بحيث لا تخفى منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتماً إذ لا يجوز في حكمته أن يهمله فلا يعاقبه على سوء أعماله وهذا زجر لجميع المكلفين عن المعاصي كلها. وقال الواسطي رحمه الله: كان بصيراً به إذ خلقه لماذا خلقه ولأي شيء أوجده وما قدر عليه من السعادة أو الشقاوة وما كتب له وعليه من له ورزقه. ﴿**فلا**﴾ كلمة لا صلة للتوكيد كما مر مراراً ﴿**أقسم بالشفق**﴾ هي الحمرة التي تشاهد في أفق المغرب بعد الغروب وبغيبوبتها يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العشاء عند عامة العلماء أو لبياض الذي يليها ولا يدخل وقت العشاء إلا بزواله.

[وجمعي برآنندكه آن بياض أصلاً غائب نمى شود بلكه مترددداست از أفقي بأفقي].

وقد سبق تحقيق المقام في المزمل وهي إحدى روايتين عن أبي حنيفة رضي الله عنه، ويروى أنه رجع عن هذا القول ومن ثمة كان يفتي بالأول الذي هو قول الإمامين وغيرهما سمي به يعني على كل من المعنيين لرقته لكن مناسبته لمعنى البياض أكثر وهو من الشفقة التي هي عبارة عن رقة القلب ولا شك أن الشمس أعني ضوءها يأخذ في الرقة والضعف عن غيبة الشمس إلى أن يستولى سواد الليل على الآفاق كلها وعن عكرمة ومجاهد. الشفق: هو النهار بناء على أن الشفق هو أثر الشمس وهو كوكب نهاري وأثره هو النهار فعلى هذا يقع القسم بالليل والنهار اللذين أحدهما معاش والآخر سكن وبهما قوام أمور العالم، وفي «المفردات»: الشفق اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس.

قال القاشاني: فلا أقسم بالشفق أي النورية الباقية من الفطرة الإنسانية بعد غروبها واحتجابها في أفق البدن الممزوجة بظلمة النفس عظمها بالإقسام بها لإمكان كسب الكمال والترقي في الدرجات بها.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الله تعالى أقسم الشفق لكونه مظهر الوحدة الحقيقية الذاتية والكثرة النسبية الاسمائية وذلك لأن الشفق حقيقة برزخية بين سواد ليل الوحدة وبياض نهار الكثرة والبرزخ بين الشيئين لا بد له من قوة كل واحد منهما فيكون جامعاً لحكم الوحدة والكثرة فحق له أن يقسم به وإنما جعل الليل مظهر الوحدة لاستهلاك الأشياء المحسوسة فيه استهلاك التعينات في حقيقة الوحدة ويدل عليه قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ: ١٠] لاستتار الأشياء بظلمته ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١١] مظهر الكثرة لظهور الأشياء فيه ولاشتمال المعاش على الأمور الكثيرة.

﴿**والليل وما وسق**﴾ قال الراغب: الوسق جمع المتفرق أي: وأقسم بالليل وما جمعه وما ضمه وستره بظلمته فما موصولة يقال وسقه فاتسق واستوسق يعني أن كلاً منهما مطاوع لوسق أي: جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوي إلى مكانه من الدواب والحشرات والهوام والسباع وذلك أنه إذا أقبل الليل أقبل كل شيء إلى مأواه مما كان منتشراً بالنهار وقيل: يجوز أن يكون المراد بما جمعه الليل العباد المتهجدين بالليل لأنه تعالى قد مدح المستغفرين بالأسحار فيجوز أن يقسم بهم.

قال القاشاني: أي ليل ظلمة البدن وما جمعه من القوى والآلات والاستعدادات التي يمكن بها اكتساب العلوم والفضائل والترقي في المقامات ونيل المواهب والكمالات.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى القسم بليل النفس المطمئنة المستترة بغلسية النفس الأمارة بعد الوصول إلى المقام المأمول وإنما صارت مطمئنة من الرجوع إلى حكم النفس الأمارة وبقي لها التلوين في التمكين من أوصاف الكمل من الذرية المحمديين ولهذا أمرت بالرجوع إلى ربها بقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٢٨] وليس المقصود الذاتي من الرجوع نفس الرجوع بل المقصود الكلي هو الاتصال بالمرجوع إليه قوله **﴿وما وسق﴾** أي: وما جمع من القوى الروحانية المستخلصة من يد تصرف النفس الأمارة.

﴿والقمر إذا اتسق﴾ أي اجتمع وتم بدر الليلة أربع عشرة وفي «فتح الرحمن»: امتلأ في الليالي البيض يقال أمور فلان متسقة أي: مجتمعة على الصلاح كما يقال منتظمة قال في «القاموس»: وسقه يسقه جمعه وحمله ومنه **﴿والليل وما وسق﴾** واتسق انتظم انتهى. أقسم الله بهذه الأشياء لأن في كل منها تحولاً من حال فناسبت المقسم عليها يعني أن الله تعالى أقسم بتغيرات واقعة في الأفلاك والعناصر على تغير أحوال الخلق فإن الشفق حالة مخالفة لما قبلها وهو ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا قوله والليل وما وسق فإنه يدل على حدوث ظلمة بعد نور وعلى تغير أحوال الحيوانات من اليقظة إلى النوم وكذا قوله والقمر إذا اتسق فإنه يدل على حصول كمال القمر بعد أن كان ناقصاً. قال القاشاني: أي قمر القلب الصافي عن خسوف النفس إذا اجتمع وتم نوره وصار كاملاً.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى القسم بقمر قلب العارف المحقق عند استدارته ودريته.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿لتركبن طبقاً﴾ مفعول تركبن **﴿عن طبق﴾** أي: لتلاقن حالاً بعد حال يعني برسيد ومتلاشى شويد حالي را بعد از حالي كه كل واحدة منها مطابقة لأختها في الشدة والفظاعة يقال ما هذا بطبق هذا أي: لا يطابقه. قال الراغب: المطابقة من الأسماء المتضايفة وهو أن يجعل الشيء فوق آخر بقدره ومنه طابقت النعل بالنعل لم يستعمل الطباق في الشيء الذي يكون فوق الآخر تارة وفيما يوافق غيره أخرى وقيل الطبق جمع طبقة وهي المرتبة وهو الأوفق للركوب المنبىء عن الاعتلاء والمعنى لتركبن أحوالاً بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة ودواهيها إلى حين المستقر في إحدى الدارين وقرىء لتركبن بالإفراد على خطاب الإنسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لإفراده كالقراءة الأولى ومحل عن طبق النصب على أنه صفة لطبقاً، أي طبقاً مجاوز الطبق أو حال من الضمير في لتركبن طبقاً أي: مجاوزين لطبق أو مجاوزاً على حسب القراءة فعن على معناه المشهور وهو المجاوزة وتفسيره بكلمة بعد بيان لحاصل المعنى. وقال ابن الشيخ: عن هنا بمعنى بعد لأن الإنسان إذا صار إلى شيء مجاوزاً عن شيء آخر فقد صار إلى الثاني بعد الأول

فصح أنه يستعمل فيه بعد وعن معاً وأيضاً لفظ عن يفيد البعد والمجاوزة فكان مشابهاً للفظ بعد فصح استعمال أحدهما بمعنى الآخر.

وفي «التأويلات النجمية»: يخاطب القلب الإنساني المتوجه إلى الله بأنواع الرياضات وأصناف المجاهدات والتقلبات في الأحوال المطابقة كل واحدة منها الأخرى في الشدة والمشقة من الجوع والسهر والصمت والعزلة وأمثال ذلك.

﴿**فما لهم لا يؤمنون**﴾ أي إذا كان حالهم يوم القيامة ما ذكر فأي شيء لهم حال كونهم غير مؤمنين أي: أي شيء يمنعهم من الإيمان مع تعاضد موجباته وفيه إشارة إلى النفس والهوى والقوى البشرية الطبيعية وعدم إيمانهم بالقلب وامتثالهم أمره باتباع أحكام الشريعة وآداب الطريقة وآثار الحقيقة.

﴿**وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون**﴾ جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقاً على ما قبلها أي: أي مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة النبي عليه السلام أو واحد من أصحابه وأمته القرآن فإنهم من أهل اللسان فيجب عليهم أن يجزموا بإعجاز القرآن عند سماعه وبكونه كلاماً إلهياً ويعلموا بذلك صدق محمد في دعوى النبوة فيطيعوه في جميع الأوامر والنواهي، ويجوز أن يراد به نفس السجود عند تلاوة آية السجدة على أن يكون المراد بالقرآن آية السجدة بخصوصها لا مطلق القرآن كما روي أنه عليه السلام قرأ ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر استهزاء، وبه احتج أبو حنيفة على وجوب السجدة فإن الذم على ترك الشيء يدل على وجوب ذلك وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله عليه السلام سجد فيها وكذا الخلفاء وهي الثالثة عشرة من أربع عشرة سجدة تجب عندها السجدة عند أئمتنا على التالي والسامع سواء قصده أم لا وعن ابن عباس رضي الله عنهما، ليس في مفصل سجدة وكذا قال الحسن هي غير واجبة ثم إن الأئمة الثلاثة يسجدون عند قوله ﴿**لا يسجدون**﴾ والإمام مالك عند آخر السورة.

وفي «التأويلات النجمية»: وإذا قرىء على النفس والهوى والقوى البشرية الطبيعية المواعظ الإلهية القرآنية المنزلة على رسول القلب لا يخضعون ولا ينقادون لاستماعها وامتثال أوامرها وائتمار أحكامها.

﴿**بل الذين كفروا يكذبون**﴾ بالقرآن الناطق بما ذكر من أحوال القيامة وأهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته وهذا من وضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بالكفر والإشعار بما هو العلة في عدم خضوعهم للقرآن وفي البروج في تكذيب لأنه راعي في السورتين فواصل الآي مع صحة اللفظ وجودة المعنى، وفي بعض التفاسير الظاهر إن المراد التكذيب بالقلب بمعنى عدم التصديق وهو إضراب ترق فإن عدم الإيمان يكون بالشك أيضاً والتكذيب من شدة الكفر وقوة الإنكار الحاملة على الإضراب.

﴿**والله أعلم بما يوعون**﴾ بما يضمرونه في قلوبهم ويجمعونه في صدورهم من الكفر والحسد والبغي والبغضاء فيجازيهم على ذلك في الدنيا والآخرة فما موصولة يقال أوعيت الشيء أي جعلته في وعاء أي: ظرف ثم استعير هو والوعي لمعنى الحفظ أو بما يجمعونه في صحفهم من أعمال السوء ويدخرونه لأنفسهم من أنواع العذاب علماً فعلياً تفصيلياً. قال القاشاني: بما يوعونه في وعاء أنفسهم وبواطنهم من الاعتقادات الفاسدة والهيئات الفاسقة وقال

نجم الدين: من إغراقهم في بحر الشهوات الدنيوية وإحراقهم بنيرن العذاب الأخروية.

﴿فبشرهم﴾ أي: الذين كفروا ﴿بعذاب أليم﴾ مؤلم غاية الإيلام لأن علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتماً وهو استهزاء بهم وتهكم كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] لأن البشارة هي الإخبار بالخبر السار وقد استعملت في الخبر المؤلم.

قال الكاشفي: يعني خبركن ايشانرا بعذاب دردناك وفيه رمز إلى تبشير المؤمنين بالثواب المريح راحة جسمانية وروحانية لأن التخصيص ليس بضائع ولذلك قال تعالى:

﴿إلا الذين﴾ استثناء منقطع من الضمير المنصوب في فبشرهم الراجع إلى الذين كفروا والمستثنى وهم المؤمنون خارج عنهم أي: لكن الذين ﴿آمنوا﴾ إيماناً صادقاً وأيضاً الإيمان العلمي بتصفية قلوبهم عن كدر صفات النفس ﴿وعملوا الصالحات﴾ من الطاعات المأمور بها وأيضاً باكتساب الفضائل ﴿لهم﴾ في الآخرة ﴿أجر غير ممنون﴾ أي: غير مقطوع بل متصل دائم من منه منا بمعنى قطعه قطعاً أو ممنون به عليهم فإن المنة تكدر النعمة من من عليه منة والأول هو الظاهر ولعل المراد من الثاني تحقيق الأجر وأن المأجور استحق الأجر بعمله إطاعة لربه وإن كان ذلك الاستحقاق من فضل الله كما أن إعطاء القدرة على العمل والهداية إليه من فضله أيضاً.

حسن بصري قدس سره: [كفت كساني را يافتم كه ايشان بدنيا جوانمرد وسخى بودند همه دنيا بدادندى ومنت ننهادند وبوقت خويش چنان بخيل بودندكه يك نفس از روز كار خويش نه به پدردادندى ونه بفرزند].

قال القاشاني: لهم أجر من ثواب الآثار والصفات في جنة النفس والقلب غير مقطوع لبراءته من الكون والفساد وتجرده عن المواد.

وفي «التأويلات النجمية»: إلا الذين آمنوا من الروح والسر والقلب وقواهم الروحانية وعملوا الصالحات من الأعراض عن الدنيا والإقبال على الله لهم أجر غير ممنون بمنة نفسهم واجتهادهم واكتسابهم بل بفضل الله ورحمته.

قال بعض العلماء النكتة في ترتيب السور الثلاث أن في انفطرت التعريف بالحفظة الكاتبين وفي المطففين التعريف بمستقر تلك الكتب وفي هذه السورة أي: الانشقاق إيتاؤها يوم القيامة عند العرض والله تعالى أعلم.

تمت سورة الانشقاق بعون الملك الخلاق في سلخ صفر الخير من سنة سبع عشرة ومائة ألف

٨٥ ـ سورة البروج

ثنتان وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾.

﴿والسماء﴾ كل جرم علوي فهو سماء فدخل فيه العرش **﴿ذات البروج﴾** جمع برج بمعنى القصر بالفارسية كوشك.

والمراد البروج الاثنا عشر التي في الفلك الأعلى فالمراد بالسماء فلك الأفلاك قال سعدي المفتي: لكن المعهود في لسان الشرع إطلاق العرش عليه دون السماء ويجوز أن يراد الفلك الأقرب إلينا فالآية كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: ٥] انتهى. وجوابه ما أشرنا إليه في عنوان السماء ثم أنها شبهت بروج السماء بالقصور التي تنزل فيها الأكابر والأشراف لأنها منازل السيارات ومقر الثوابت قال الإمام السهيلي رحمه الله: أسماء البروج الحمل وبه يبدأ لأن استدارة الأفلاك كان مبدأها من برج الحمل فيما ذكروا وفي شهر هذا البرج نيسان حيث تم العشرون منه كان مولد النبي عليه السلام، وكان مولده عند طلوع الغفر وهو بفتح الغين المعجمة وسكون الفاء منزل للقمر ثلاثة أنجم صغار والغفر يطلع في ظاهر الشهر أول الليل لأن وقته النطح وهو الشرطان بالمعجمة وبفتحتين وهما نجمان من الحمل هما قرناه وإلى جنب الجنوبي منهما وفي «القاموس»: وإلى جانب الشمالي منهما كوكب صغير ومنهم من يعده معهما فيقول هذا المنزل ثلاثة كواكب ويسميها الأشراط وإلى الحمل أيضاً يضاف البطين وهو كزبير منزل للقمر ثلاثة كواكب صغار كأنها أثافي وهو بطن الحمل وبعد الحمل الثور ثم الجوزاء ويقال لها النسر والجبار والتوأمان.

قال في «القاموس»: التوأم منزل للجوزاء انتهى. وهامة الجوزاء الهقعة وهي ثلاثة كواكب فوق منكبي الجوزاء كالأثافي إذا طلعت مع الفجر اشتد حر الصيف ثم السرطان المهملة ثم الأسد ثم السنبلة ثم الميزان ثم العقرب وبين الزبانيين من العقرب وهما قرناها وكوكبان نيران في قرني العقرب كما في «القاموس» وبين وركي الأسد ورجليه وهما السماك ككتاب يطلع الغفر الذي به مولد الأنبياء عليهم السلام وفيه قالوا:

خير المنازل في الأبد ... بين الزباني والأسد

لأنه يليه من الأسد ذنبه ولا ضرر فيه ومن العقرب زبانياها ولا ضرر فيهما وإنما تضر بذنبها إذا شالته أي رفعته وهو الشولة في المنازل أي: ما تشول العقرب من ذنبها وكوكبان نيران ينزلهما القمر يقال لهما حمة العقرب ثم القوس ثم الجدي ثم الدلو ثم رشاء الدلو وهو

منزل للقمر وهو الحوت يحسب في البروج وفي المنازل وجعل الله الشهور على عدد هذه البروج فقال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة: ٣٦]. قال في «كشف الأسرار»: وأين برجها برچهار فصل است يك فصل از ان وقت بهار است سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه در حمل وثور وجوزا باشد وفصل دوم روزكار صيف است تابستان كرم سه ماه وآفتاب اندرن سه ماه در سرطان وأسد وسنبله باشد وفصل سوم روزكار خريف است سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه در ميزان وعقرب وقوس باشد وفصل چهارم روزكار زمستانست سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه درجدي ودلو وحوت باشد وهر فصلي راطبعي ديكرست وكردش أو ديكر.

يقول الفقير أيده الله القدير: الفصل الربيعي عبارة عن ثلاثة أشهر يعبر عن أولها بأذار، وعن الثاني بنيسان، وعن الثالث بأيار، فإذا مضت سبع عشرة ليلة من الشهر الأول استوى الليل والنهار بأن يكون كل منهما اثنتي عشرة ساعة ثم يأخذ النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى إذا مضت سبعة عشر يوماً من حزيران وهو أول فصل الصيف وبعده تموز ثم اغسطس يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات ويكون اليوم أطول الأيام كما أن الليلة تكون أقصر الليالي ثم يأخذ الليل من النهار على عكس ما سبق، فينتقص من النهار كل يوم شعيرة حتى إذا مضت سبعة عشر يوماً من أيلول وهو أول فصل الخريف وبعده تشرين الأول الذي هو أوسط الخريف ثم تشرين الثاني الذي هو آخره استوى الليل والنهار أيضاً ثم يتزايد الليل كل يوم شعيرة حتى إذا كان سبعة عشر يوماً من كانون الأول وهو أول فصل الشتاء وبعده كانون الثاني، ثم شباط ينتهي طول الليل بأن يكون خمس عشرة ساعة، وقصر النهار بأن يكون تسع ساعات فهذا الحساب يعود ويدور أبداً إلى ساعة القيام فالله تعالى يولج الليل في النهار أي يدخله فيه بأن ينقص من ساعات الليل ويزيد في ساعات النهار وذلك إذا مضى من كانون الأول سبعة عشر يوماً إلى أن يمضي من حزيران هذا العدد وذلك ستة أشهر وهي كانون الأول وكانون الثاني وشباط وآذار ونيسان وأيار.

﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ [الحج: ٦١، فاطر: ١٣] أي: يدخله فيه بأن ينقص من ساعات النهار ويزيد في ساعات الليل وذلك ستة أشهر أيضاً وهي حزيران وتموز واغسطس وأيلول وتشرين الأول وتشرين الثاني وهذا كله بتقدير العزيز العليم وأداراته الأجرام العلوية على نهج مستقيم ويقال: المراد بالبروج هي النجوم التي هي منزل القمر وهي ثمانية وعشرون نجماً ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاها ولا يتقصر عنها وإذا صار القمر إلى آخر منازله دق واستقوس ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً وإن كان تسعة وعشرين فليلة واحدة وإطلاق البروج على هذه النجوم مبنى على تشبهها بالقصور من حيث إن القمر ينزل فيها ولظهورها أيضاً بالنسبة إلى بعض الناس كالعرب لأن البرج ينبىء عن الظهور مع الاشتمال على المحاسن يقال تبرجت المرأة أي تشبهت بالبرج في إظهار المحاسن، وأما البروج الاثنا عشر فليس لها ظهور حيث لا تدرك حساً والبروج الاثنا عشر منقسمة إلى هذه المنازل الثمانية والعشرين والشمس تسير في تمام هذه البروج الاثني عشر في كل سنة والقمر في كل شهر وقد تعلقت بها منافع ومصالح للعباد فاقسم الله تعالى بها إظهاراً لقدرها وشرفها وفيه إشارة إلى الروح الإنساني ذات المقامات في الترقي والدرجات.

﴿**واليوم الموعود**﴾ أي: يوم القيامة اقسم الله تعالى به تنبيهاً على قدره وعظمه أيضاً من

حيث كونه يوم الفصل والجزاء ويوماً تفرد الله بالملك والحكم فيه وفيه إشارة إلى آخر درجات الروح من كشف التوحيد الذاتي وهي القيامة الكبرى ﴿وشاهد ومشهود﴾ أي: ومن يشهد في ذلك اليوم من الأولين والآخرين والإنس والجن والملائكة والأنبياء وما يحضر فيه من العجائب فالشاهد بمعنى الحاضر من الشهود بمعنى الحضور لا بمعنى الشاهد الذي نثبت به الدعاوى والحقوق وتنكيرهما للإبهام في الوصف أي: وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما ويقال: المشهود يوم الجمعة والشاهد من يحضره من المسلمين للصلاة ولذكر الله ما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله فيها خيراً إلا استجاب له ولا يستعيذه من سوء إلا إعاذة منه وفي الحديث: «أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة» ويقال المشهود يوم عرفة والشاهد من يحضره من الحاج وحسن القسم به تعظيماً لأمر الحج وعددهم هفتصد هزار كما في «كشف الأسرار» ويقال: الشاهد كل يوم والمشهود أهله فيكون المشهود بمعنى المشهود عليه والشاهد من الشهادة كما قال الحسن البصري رحمه الله: ما من يوم إلا وينادي إني يوم جديد وإني على ما يفعل فيَّ شهيد فاغتمني فلو غابت شمس لم تدركني إلى يوم القيامة.

دريغاكه بكذشت عمر عزيز بخواهد كذشت اين دمى چند نيز

كذشت آنچه درنا صوابي كذشت در اين نيزهم درنيابي كذشت

ويقال الشاهد: هو الحق من حيث الجمعية والمشهود هو أيضاً من حيث التفرقة وإن شئت قلت من حيث الإجمال ومن حيث التفصيل لا يراه بالحقيقة أحد إلا هو ويقال: الشاهد نفس الروح والمشهود نفس الطبع وقال الحسين رحمه الله: في هذه الآية علامة أنه ما انفصل الكون عن المكون ولا قارنه.

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾

﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ جواب القسم بحذف اللام المؤكدة على أنه خبر لادعاء بمعنى لقد قتل أي: أهلك بغضب الله ولعنته والأظهر أن الجملة دعائية دالة على الجواب لا خبرية والقتل كناية عن اللعن من حيث أن القتل لكونه أغلظ العقوبات لا يقع إلا عن سخط عظيم يوجب الإبعاد عن الخير والرحمة الذي هو معنى اللعن فكان القتل من لوازم اللعن كأنه قيل أقسم بهذه الأشياء أن كفار مكة ملعونون ما لعن أصحاب الأخدود وجه الأظهرية إن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الإيمان وتصبيرهم على أذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان وصبرهم على ذلك حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا أن هؤلاء عند الله بمنزلة أولئك المعذبين ملعونون مثلهم أحقاء بأن يقال فيهم ما قد قيل فيهم فظهر من هذا التقرير إنه ليس دعاء على أصحاب الأخدود من قبل المقسم وهو الله تعالى لأنه ليس بعاجز وقد سبق تحقيقه في سورة عبس ونحوها والأخدود الخد في الأرض وهو شق مستطيل كالنهر غامض أي عميق القرار وأصل ذلك من خدي الإنسان وهما ما اكتفا الأنف على اليمين والشمال، وفي «عين المعاني»: ومنه الخد المجاري الدموع عليه وأصحاب الأخدود كانوا ثلاثة وهم: أنطيانوس الرومي بالشام، وبخت نصر بفارس ويوسف ذو نواس بنجران وهو بتقديم النون وتأخير الجيم موضع باليمن فتح سنة

عشر سمي بنجران بن زيدان بن سبأ شق كل واحد منهم شقاً عظيماً في الأرض كان طوله أربعين ذراعاً وعرضه اثني عشر ذراعاً وهو الأخدود وملأوه ناراً وألقوا فيه من لم يرتد عن دينه من المؤمنين قالوا: والقرآن إنما نزل في الذين بنجران، يعني: أن أصحاب الأخدود هم ذو نواس الحميري اليهودي وجنوده وذلك أن عبداً صالحاً يقال له عبد الله بن الثامر وقع إلى نجران وكان علي دين عيسى عليه السلام فدعاهم فأجابوه فسارا إليهم ذو نواس بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فحفر الخنادق وأضرم فيها النيران فجعل يلقي فيها كل من اتبع ابن الثامر حتى أحرق نحواً من اثني عشر ألفاً وعشرين ألفاً أو سبعين ألفاً وذو نواس اسمه زرعة بن حسان ملك حمير وما حولها وكان أيضاً يسمى يوسف وكانت له غدائر من شعر أي: ذوائب تنوس أي تضطرب فسمى ذا نواس.

روي أنه انفلت من أهل نجران رجل اسمه دوس ذو ثعلبان ووجد انجيلاً محترقاً بعضه فأتى به ملك الحبشة وكان نصرانياً فقال: إن أهل دينك أوقدت لهم ناراً فأحرقوا بها وأحرقت كتبهم وهذا بعضها فأراه الذي جاء به ففزع لذلك فكتب إلى صاحب الروم يستمده بنجارين يعملون له السفن فبعث إليه صاحب الروم من عمل له السفن فركبوا فيها فخرجوا إلى ساحل اليمن فخرج إليهم أهل اليمن فلقوهم بتهامة واقتتلوا فلم ير ملك حمير له بهم طاقة وتخوف أن يأخذوه فضرب فرسه حتى وقع في البحر فمات فيه أو ألقى نفسه في البحر فاستولى الحبشة على حمير وما حولها وتملكوا وبقي الملك لهم إلى وقت الإسلام.

وقال في «كشف الأسرار» أصحاب الأخدود ايشان بت پرستان بوده انداز أصحاب ذو نواس يمني ودر زمان أو ساحري بو دكاهن ومشعبذكه مدارملك بدو بودى چون بسن شيخوخه رسيد بعرض ملك رسانيدكه من پير شده ام وضعف كلى بقو أي من راه يافته.

دیده ازهر شعاع تیره شود — کوش وقت سماع خیره شود
نه زبانرا مجال کویایی — نه تن خسته را توانا پی

صلاح در آنست كه جوان عاقل تيزفهم بمن سپارتا آنچه دانسته أم بوي آموزم وبعد ازمن خلفي باشدكه أمور ملك بوي منتظم تواند بود.

كما جاء في حديث المشارق: كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر بكسر الباء أي شاخ وطعن في السن قال للملك: إني كبرت فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر فبعث إليه غلاماً يعلمه فكان في طريقه إذا سلك أي: الغلام راهب فقعد إليه أي: متوجهاً إلى الراهب وسمع كلامه فأعجبه أي: أعجب كلام الراهب ذلك الغلام فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه أي: ضرب الساحر الغلام لمكثه فشكا ذلك إلى الراهب فقال أي: الراهب للغلام: إذا خشيت الساحر فقيل أهلي أي منعوني وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة حبسني قد حبست الناس أي على أسد أوحية يقال لها بالفارسية اژدر.

فقال: أي: الغلام اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً وقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال الراهب: أي بنى أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي وكان الغلام يبرىء الأكمه وهو الذي

ولد أعمى والأبرص ويداوي الناس بسائر الأدواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنالك أجمع إن أنت شفيتني قال إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال الملك من رد عليك بصرك؟ قال: ربي فقال: أو لك رب غيري قال ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيىء بالغلام فقال له الملك: أي بنى قد بلغ من سحرك ما تبرىء به الأكمة والأبرص وتفعل وتفعل يعني تداوي مرضاً كذا وتداوي كذا فقال: أي: الغلام إني لا أشفي أحداً إنما يشفى الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجيء بالراهب فقيل: ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال لهم: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال أي الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت يعني ادفع عني شرهم بأي سبب شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك، قال: كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور أي سفينة صغيرة فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة أي مالت وانقلبت فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك؟ قال كفانيهم الله فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد أي: أرض بارزة وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كنانتي وهي التي يجعل فيها السهام ثم ضع السهم في كبد القوس وهو مقبضها عند الرمي ثم قل بسم الله رب الغلام ففعل كما قال الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه وهو ما بين العين والأذن فوضع يده على صدغه في موضع السهم فمات فقال الناس: آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام فأتي الملك فقيل له: يعني أتى الملك آت فقال: أرأيت ما كنت تحذر والله قد نزل بك حذرك أي والله قد نزل بك ما كنت تحذر منه وتخاف قد آمن الناس فأمر بالأخدود أي: بحفر شق مستطيل في أفواه السكك أي: في أبواب الطرق فخدت أي قت وأضرم النيران أي: أوقدها وأشعلها وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أي: فاطرحوه فيها كرهاً ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي رضيع لها فتقاعست أي: تأخرت أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أماه اصبري فإنك على الحق وفي بعض الروايات كان للمرأة ثلاثة أولاد أحدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي عن دينك وإلا ألقيتك وأولادك في النار فأبت فأخذ ابنها الأكبر فألقاه في النار ثم قال لها: ارجعي عن دينك فأبت فألقى ابنها الأوسط ثم قال: ارجعي عن دينك فأبت فأخذوا الصبي ليلقوه فيها فهمت بالرجوع فقال الصبي يا أماه لا ترجعي عن الإسلام فإنك على الحق ولا بأس عليك.

وفي «كشف الأسرار» فإن بين يديك ناراً لا تطفأ فألقي الصبي في النار وأمه على أثره وكان هو ممن تكلم في المهد وهو رضيع وقد سبق عددهم في سورة يوسف وكانت هذه القصة قبل مولده عليه السلام بتسعين سنة وفيما ذكر من الحديث إثبات كرامات الأولياء وجواز الكذب عند خوف الهلاك سواء كان الهالك هو الكاذب أو غيره وروي أن خربة اختفرت في

زمن عمر بن الخطاب فوجد الغلام الذي قتله الملك وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل.

وفي بعض التفاسير: فوجدوا عبد الله بن الثامر واضعاً إصبعه على صدغه في رأسه إذا أميطت يده عنها سال دمه وإذا تركت على حالها انقطع وفي يده خاتم من حديد فيه ربي الله فكتبوا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب بأن يواروه ويعيدوا التراب عليه وفي بعض التفاسير فكتب إليهم عمر رضي الله عنه إن ذلك الغلام صاحب الأخدود فاتركوه على حاله حتى يبعثه الله يوم القيامة على حاله. وعن علي رضي الله عنه أن بعض الملوك المجوس وقع على أخته وهو سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج فأمرته أن يخطب الناس فيقول: أن قد أحل نكاح الأخوات ثم يخطبهم بعد ذلك، ويقول: إن الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له: ابسط فيهم السوط وفعل فلم يقبلوا فأمرته بالأخاديد وإيقاد النار وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم تعالى بقوله ﴿**قتل أصحاب الأخدود**﴾.

﴿**النار**﴾ بدل اشتمال من الأخدود لأن الأخدود مشتمل على النار وهو بها يكون مهيباً مشتد الهول والتقدير النار فيه أو أقيم أل مقام الضمير على اختلاف مذهبي أهل البصرة والكوفة. ﴿**ذات الوقود**﴾ خداوند آتش باهيمه يعني افروخته بهيزم.

وهو بفتح الواو ما يوقد به وفيه وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وأبدان الناس ما يدل عليه التعريف الاستغراقي ولو لم يحمل على هذا المعنى لم يظهر فائدة التوصيف إذ من المعلوم أن النار لا تخلو من حطب.

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾.

﴿**إذ هم عليها قعود**﴾ ظرف لقتل والضمير لأصحاب الأخدود وقعود جمع قاعد أي لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات الأخدود، ولفظ على مشعر بذلك تقول مررت عليه تريد مستعلياً بمكان يقرب منه وفي بعض التفاسير، على سرر وكراسي قعود عند النار ولو قعدوا على نفس النار لاحترقوا فالقاتلون كانوا جالسين في مكان مشرف أو نحوه ويعرضون المؤمنين على النار فمن كان يترك دينه تركوه ومن كان يصر ألقوه في النار وأحرقوه وكان عليه السلام، إذا ذكر أصحاب الأخدود تعوذ بالله من جهد البلاء وهو الحالة التي يختار عليها الموت أو كثرة العيال والفقر كما في «القاموس» والجهد بالفتح المشقة وجهد عيشه كفرح نكد واشتد.

﴿**وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود**﴾ جمع شاهد أي: يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأن أحداً لم يقصر فيما أمر به وفوض إليه من التعذيب بالإحراق من غير ترحم وإشفاق أو أنهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة يعني تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وتنطق به الروايات المشهورة وقد ذهب بعضهم إلى أن الجبابرة لما ألقوا المؤمنين في النار وهم قعود حولها علقت بهم النار وفي رواية ارتفعت فوقهم أربعين ذراعاً فوقعت عليهم فأحرقتهم ونجى الله المؤمنين سالمين. ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣] وقبض الله أرواحهم قبل أن تمسهم النار كما فعل ذلك بآسية امرأة فرعون على ما سبق وعلى ذلك حملوا قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾

[البروج: ١٠] أي: لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا وفيه إشارة إلى النفوس المتمردة الشاردة النافرة عن جناب الحق المستحقة لأخاديد النيران والخذلان والخسران الموقدة بأحطاب أخلاقهم الرديئة المؤصدة بأحجار أوصافهم الخبيثة النفسية الهوائية إذ هم عليها قعود بارتكاب الشهوات وانكبابهم على اللذات والنفس والهوى وقواهم الطبيعية يشهد بعضهم على بعض بما يفعلون بمؤمني الروح والسر والقلب من المخالفة والمجادلة والمخاصمة.

﴿**وما نقموا منهم**﴾ أي وما أنكروا من المؤمنين وما عابوا يقال: نقم الأمر إذا عابه وكرهه وفي «المفردات» نقمت الشيء إذا أنكرته إما باللسان وإما بالعقوبة ﴿**إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد**﴾ قال: بلفظ المضارع مع أن الإيمان وجد منهم في الماضي لإرادة الاستمرار والدوام عليه فإنهم ما عذبوهم لإيمانهم في الماضي بل لدوامهم عليه في الآتي ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوا على ما مضى فكأنه قيل: إلا أن يستمروا على إيمانهم وأما قوله تعالى: حكاية ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ [الأعراف: ١٢٦] فلأن مجرد إيمان السحرة بموسى عليه السلام، كان منكراً وأجب الانتقام عندهم والاستثناء مفرغ مفصح عن براءتهم مما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله:

ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم تلام بنسيان الأحبة والوطن

في أن ما أنكروه ليس منكراً في الواقع وغير حقيق بالإنكار كما أن ما جعله الشاعر عيباً ليس عيباً ولا ينبغي أن يعد عيباً ولا يضر ذلك كون الاستثناء في قول الشاعر مبنياً على الادعاء بخلاف ما في نظم القرآن فإنهم أنكروا الإيمان حقيقة ووصفه تعالى بكونه عزيزاً غالباً يخشى عقابه حميداً منعماً يرجى ثوابه وتأكيد ذلك بقوله.

﴿**الذي له ملك السموات والأرض**﴾ للإشعار بمناط إيمانهم والملك بالفارسية پادشاهى.

وأخر هذه الصفة لأن الملك التام لا يحصل إلا عند حصول الكمال في القدرة التي دل عليها العزيز وفي العلم الذي دل عليه الحميد لأن من لا يكون تام العلم لا يمكنه أن يفعل الأفعال الحميدة، وفي «كشف الأسرار»: وإنما وصف ذاته بهذه الصفات ليعلم أنه لم يمهل الكفار لأجل أنه غير قادر ولكنه أراد أن يبلغ بهؤلاء المؤمنين مبلغاً من الثواب لم يكونوا يبلغونه إلا بمثل ذلك الصبر وأن يعاقب أولئك الكافرين عقاباً لم يكونوا يستوجبونه إلا بمثل ذلك الفعل وكان قد جرى بذلك قضاؤه على الفريقين جميعاً في سابق تدبيره وعلمه وفيه تشنيع على الكفار بغاية جهلهم حيث عدوا ما هو منقبة هي سبب المدح منقصة هي سبب القدح. ﴿**والله على كل شيء شهيد**﴾ [وخدا برهمه چيزها از أفعال وأقوال مؤمن وكافر كواهست وبآن دانا].

وهو وعد لهم ووعيد شديد لمعذبهم فإن علمه تعالى بجميع الأشياء التي من جملتها أعمال الفريقين يستدعي توفير جزاء كل منهما حتماً قال الإمام القشيري: الشهيد العليم ومنه قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٨] أي علم والشهيد: الحاضر وحضوره بمعنى علمه ورؤيته وقدرته والشهيد مبالغة من الشاهد وإذا علم العبد أن الله تعالى شهيد يعلم أفعاله ويرى أحواله سهل عليه ما يقاسيه لأجله.

حكي: أن رجلاً كان يضرب بالسياط وهو يصبر ولا يصيح فقال له بعض الحاضرين: أما يؤلمك الضرب؟ فقال: نعم قال: فلم لا تصيح؟ قال في الحاضرين لي محبوب يرقبني

فأخاف أن يذهب ماء وجهي عنده إن صحت فمن ادعى محبة الحق ولم يصبر على قرص نملة أو بعوضة أو أدنى أذية كيف يكون صادقاً في دعواه، ولذا قالوا: دلت القصة على أن المكره على الكفر بنوع من العذاب الأولى أن يصبر على ما خوف منه وإن كان إظهار الكفر كالرخصة في ذلك.

حكي: أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب النبي عليه السلام، فقال لأحدهما: تشهد أني رسول الله فقال: نعم فتركه، وقال للآخر مثله فقال: لا بل أنت كذاب فقتله فقال النبي عليه السلام: «أما الذي تركه فأخذ بالرخصة فلا تبعة عليه وأما الذي صبر فأخذ بالفضل فهنيئاً له».

وفي «التأويلات النجمية»: والله على كل شيء من سماوات الأرواح وأرض الأشباح والأجساد شهيد أي: حاضر لمظهرية الكل وظهوره فيها ذاتاً وصفات وأسماء لاستلزام الذات جميع التوابع الوجودية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾.

﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ الفتن الإحراق والفتنة بالفارسية آزنون.

أي محنوهم في دينهم وآذوهم وعذبوهم بأي عذاب كان ليرجعوا عنه كأصحاب الأخدود ونحوهم كما روي أن قريشاً كانوا يعذبون بلالاً ونحوه فالموصول للجنس وإنما لم يدفع البلاء قبل الابتلاء لأن أهل الولاء لا يخلو عن البلاء.

وهيهات هيهات الصفاء لعاشق ... وجنة عدن بالمكاره حفت

﴿ثم﴾ أي: بعد ما فعلوا ما فعلوا من الفتنة **﴿لم يتوبوا﴾** أي: عن كفرهم وفتنتهم فإن ما ذكر من الفتنة في الدين لا يتصور من دين الكافر قطعاً وفي إيراد ثم إشعار بكمال حلمه وكرمه حيث لا يعجل في القهر ويقبل التوبة وإن طالت مدة الحوبة قال الإمام: وذلك يدل على أن توبة القاتل عمداً مقبولة **﴿فلهم﴾** في الآخرة بسبب كفرهم **﴿عذاب جهنم﴾** يعذبون به أبداً **﴿ولهم﴾** بسبب فتنتهم للمؤمنين **﴿عذاب الحريق﴾** أو عذاب عظيم زائد في الإحراق على عذاب سائر أهل جهنم فظهرت المغايرة بين المعطوفين وإن كان كل منهما حاصلاً في الآخرة ويحتمل أن يكون المراد بعذاب جهنم بردها وزمهريرها وبعذاب الحريق حرها فيرددون بين برد وحر على أن يكون الحر لإحراقهم المؤمنين في الدنيا والبرد لغيره كما قالوا الجزاء من جنس العمل والحريق اسم بمعنى الاحتراق كالحرقة وقول الكاشفي في تفسيره: عذاب الحريق عذاب آتش سوزان.

يشير إلى أن الحريق بمعنى النار المحرقة، كما قال في «المفردات» الحريق النار وكذا الحرق بالتحريك النار أو لهبها كما في «القاموس» وحرق الشيء إيقاع حرارة في الشيء من غير لهب كحرق الثوب بالدق والإحراق إيقاع نار ذات لهب في شيء ومنه استعير أحرقني بلومه إذا بالغ في أذيته بلوم يقول الفقير: الظاهر أن الحريق هنا بمعنى المحرق كالأليم بمعنى المؤلم فيكون إضافة العذاب للحريق من قبيل إضافة الموصوف إلى صفته ويستفاد زيادة الإحراق من المقابلة فإن العطف من باب الترقي بحسب العذاب المترتب على الترقي من حيث العمل.

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ على الإطلاق من المفتونين وغيرهم ﴿لهم﴾ بسبب ما ذكر من الإيمان والعمل الصالح الذي من جملته الصبر على أذى الكفار وإحراقهم وإيراد الفاء أولاً وتركها ثانياً يدل على جواز الأمرين. ﴿جنات﴾ يجازون بها بمقابلة النار ونحوها ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ يجازون بذلك بمقابلة الاحتراق والحرارة ونحو ذلك، قال في «الإرشاد»: إن أريد بالجنات الأشجار فجريان الأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها الأرض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جريها الظاهر فإن أشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة. ﴿ذلك﴾ المذكور العظيم الشان وهو حصول الجنان. ﴿الفوز الكبير﴾ الذي تصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بحذافيرها فالحصر إضافي، قال في «برهان القرآن» ذلك مبتدأ والفوز خبره والكبير صفته وليس له في القرآن نظير والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فإن أشير بذلك إلى الجنات نفسها فهو مصدر أطلق على المفعول مبالغة وإلا فهو مصدر عى حاله قال الإمام: إنما قال ذلك الفوز ولم يقل تلك لدقيقة لطيفة وهي أن قوله ذلك إشارة إلى إخبار الله بحصول هذه الجنات ولو قال تلك لكانت الإشارة إلى نفس الجنات وإخبار الله عن ذلك يدل على كونه راضياً والفوز الكبير وهو رضى الله لا حصول الجنة يقول الفقير: وعندي أن حصول الجنات هو الفوز الكبير وحصول رضي الله هو الفوز الأكبر كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] وإنما لم يقل تلك لأن نفس الجنات من حيث هي ليست بفوز وإنما الفوز حصولها ودخولها.

﴿إن بطش ربك لشديد﴾ استئناف خوطب به النبي عليه السلام إيذاناً بأن لكفار قومه نصيباً موفوراً من مضمونه كما ينبىء عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام والبطش تناول الشيء بصولة والأخذ بعنف يقال يد باطشة وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة وأخذه إياهم بالعذاب والانتقام وإن كان بعد إمهال فإنه عن حكمة لا عن عجز.

﴿إنه هو﴾ وحده ﴿يبدىء ويعيد﴾ أي يبدىء الخلق ويخرجهم من العدم إلى الوجود ثم يميتهم ويعيدهم إحياء للمجازاة على الخير والشر من غير دخل لأحد في شيء منهما ففيه مزيد تقدير لشدة بطش أو هو يبدىء البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة يعني آشكاره كند بطش خودرا بركافران دردنيا وبازكرداندهم آنرا بديشان در آخرت واين نشانهء عدلست.

أي: يبدىء البطش أو العذاب في الآخرة ثم يعيده فيها كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا﴾ [النساء: ٥٦] غيرها قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن أهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا فيها فحماً ثم يعيدهم خلقاً جديداً فهو المراد من الآية وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: أسر إلي رسول الله ﷺ حديثاً في النار فقال يا حذيفة: «إن في جهنم لسباعاً من نار وكلاباً من نار وسيوفاً من نار وكلاليب من نار وإنه يبعث ملائكة يعلقون أهل النار بتلك الكلاليب بأحناكهم ويقطعونهم بتلك السيوف عضواً عضواً ويلقونها إلى تلك السباع والكلاب كلما قطعوا عضواً عاد آخر مكانه غضاً طرياً» أو يبدىء من التراب ويعيده فيه أو من النطفة ويعيده في الآخرة يقال بدأ الله الخلق وأبدأهم فهو بادئهم ومبدئهم بمعنى واحد والمبدىء المظهر ابتداء والمعيد المنشىء بعد ما عدم فالإعادة ابتداء ثان قال الإمام الغزالي رحمه الله: المبدىء المعيد معناه الموجد لكن الإيجاد إذا لم يكن مسبوقاً بمثله يسمى إبداء وإن كان

مسبوقاً بمثله يسمى إعادة والله تعالى بدأ خلق الإنسان ثم هو الذي يعيدهم أي: يحشرهم فالأشياء كلها منه بدت وإليه تعود وبه بدت وبه تعود وفي «المفردات»: والله هو المبدىء والمعيد أي: هو السبب في المبدأ والنهاية. وقال بعضهم: الإبداء هو الإظهار على وجه التطوير المهيىء للإعادة وهي الرجوع على مدرج تطوير الإبداء فهو سبحانه بدأ الخلق على حكم ما يعيدهم عليه فسمي بذلك المبدىء المعيد وإنما قيل فيهما إنهما اسم واحد لأن معنى الأول يتم بالثاني وكذا كل اسم لا يتم معناه فيما يرجع إلى كمال أسماء الله إلا باسم يتم به معناه.

قال الإمام القشيري رحمه الله: إن الله تعالى يبدىء فضله وإحسانه لعبيده ثم يعيده ويكرره فإن الكريم من يرب صنائعه وخاصية الاسم المبدىء أن يقرأ على بطن الحامل سحراً تسعاً وعشرين مرة فإن ما فيه بطنها يثبت ولا يزلق وخاصية الاسم المعيد بذكر مراراً لتذكار المحفوظ إذا نسى لا سيما إذا أضيف له الاسم المبدىء.

﴿**وهو الغفور**﴾ لمن تاب عن الكفر وآمن كذا لمن تاب عن غيره من المعاصي ولمن لم يتب أيضاً إن شاء ﴿**الودود**﴾ المحب لمن أطاع أو تاب كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] واين نشانهء فضل است بعدل بكذا رد ونابود سازد وبفضل بنوازد وبرافرازد.

فضل اود لنواز غمخولا ران عدل أو سينه سوز جباران

عمر بن الخطاب رضي الله عنه در تخانه مقبول وسيئات أو مغفور كه وهو الغفور الودود وعبد الله بن أبي در مسجد مخذول وحسنات أو مردودكه إن بطش ربك لشديد.

فالودود فعول بمعنى الفاعل ههنا وهو الذي يقتضيه المقام وقال سهل رحمه الله: الودود المحب إلى عباده بإسباغ النعم عليهم ودوام العافية فيكون بمعنى المفعول لأنه يحبه عباده الصالحون ومحبة العبد لله طاعته له وموافقته لأمره أو تعظيمه له وهيبته في قلبه وأجمع أهل الحقيقة إن كل محبة تكون عن ملاحظة عوض فهي معلولة بل المحبة الصحيحة هي المحبة الصافية عن كل طمع وفي الأثر إن الله تعالى يقول إن أود الأوداء إلي من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها. قال بعض الكبار: العشق التفاف الروحين والحب صفاء ذلك الالتفاف وخلوصه والود ثباته وتمكنه من القلب والهوى أول وقوع الحب في القلب.

وفي «التأويلات النجمية»: الودود لمن يتوجه إليه بالمحبة على سنة من تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً فمن تقرب إليه بالمحبة تقرب إليه بالود لأن الود أثبت في أرض القلب من المحبة لاشتقاقه من الوتد انتهى.

قال في «القاموس» الود الوتد وقال الإمام الغزالي رحمه الله: الودود هو الذي يحب الخير لجميع الخلق فيحسن إليهم ويثني عليهم وهو قريب من معنى الرحيم لكن الرحمة إضافة إلى المرحوم والمرحوم هو المحتاج والمضطر وأفعال الرحيم تستدعي مرحوماً ضعيفاً وأفعال الودود لا تستدعى ذلك بل الأنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود كما أن معنى رحمته تعالى إرادته الخير للمرحوم وكفايته له وهو منزه عن رقة الرحمة فكذلك وده إرادته للكرامة والنعمة وهو منزه عن ميل المودة والودود من عباد الله من يريد لخلق الله كل ما يريده لنفسه وأعلى من ذلك من يؤثرهم على نفسه كمن قال منهم أريد أن أكون جسراً علي النار يعبر على الخلق ولا يتأذون بها وكمال ذلك أن لا يمنعه من الإيثار والإحسان الحقد والغضب وما يناله من الأذى كما قال عليه السلام حين كسرت رباعيته ودمي وجهه وضرب: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا

يعلمون» فلم يمنعه سوء صنيعهم عن إراده الخير لهم وكما أمر عليه السلام علياً رضي الله عنه حيث قال: «إن أردت أن تسبق المقربين فصله من قطعك، وأعطِ من حرمك، واعفُ عمن ظلمك» وخاصية الاسم الودود ثبوت الوداد لا سيما بين الزوجين فمن قرأه ألف مر على طعام وأكله مع زوجته غلبتها محبته ولم يمكنها سوى طاعته، وقد روي أنه اسم الله الأعظم في دعاء التاجر الذي قال فيه يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبدىء يا معيد أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وبقدرتك التي قرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلا أنت يا مغيث أغثني يا مغيث أغثني يا مغيث أغثني الحديث قد ذكره غير واحد من الأئمة.

يقول الفقير: كنت أذكر في السحر الأعلى يا ودود وذلك بلسان القلب فصدر مني بلا اختيار أن أقول: يا رب اجعلني محيطاً فعرفت إن للاسم المذكور تأثيراً عظيماً في الإحاطة وذلك أن الودود بمعنى المحبوب ولا شك إن جميع الأسماء الهية يود الاسم الأعظم ويميل إليه فالاسم الأعظم ودود بمعنى المفعول وغيره ودود بمعنى الفاعل فمن ذكره كان ودوداً بمعنى المودود فيحبه جميع المظاهر فيحصل له الإحاطة بأسرار جميع الأسماء ويصل إليه جميع التوجهات.

﴿ذو العرش﴾ خالقه وقيل المراد بالعرش الملك مجازاً أي: ذو السلطنة القاهرة على المخلوقات السفلية والمخترعات العلوية وإن لم يكن على السرير ويقال ثل عرش فلان إذا ذهب سلطانه.

﴿المجيد﴾ هو الشريف ذاته الجميل أفعاله الجزيل عطاؤه نواله فكان شرف الذات إذا قارنه حسن الفعال سمي مجيداً وهو الماجد أيضاً ولكن أحدهما دل على المبالغة وكأنه يجمع من اسم الجليل واسم الوهاب والكريم.

قال في «القاموس»: المجيد الرفيع العال والكريم والشريف الفعال ومجده عظمه وأثنى عليه والعطاء كثره والتمجيد ذكر الصفات الحسنة وقرىء بالكسر صفة للعرش ومجد العرش علوه في الجهة وعظم مقداره وحسن صورته وتركيبه فإنه أحسن الأجسام تركيباً وصورة وفي الحديث: «ما الكرسي في جنب العرش إلا كحلقة ملقاة في الأرض فلاة» فإذا كان الكرسي كذلك مع سعته فما ظنك بسائر الأجرام العلوية والسفلية قال سهل رحمه الله أظهر الله العرش إظهاراً للقدرة لا مكاناً للذات ولا احتياجاً إليه قال بعضهم: ومن العجب أن الله لو ملأ العرش مع تلك السعة من حبوب الذرة وخلق طيراً أكل حبة واحدة منها في ألف سنة لنفدت الحبوب ولا تنقطع مدة الآخرة ومع هذا لا يخاف بنو آدم من عذاب تلك المدة ويضيعون أعمارهم في شيء حقير سريع الزوال وفيه إشارة إلى قلب العارف المستوى للرحمن كما جاء في الحديث: «قلب العارف عرش الله» ومجده هو أنه ما وسع ذلك الواسع المجيد غيره وخاصية هذا الاسم تحصيل الجلالة والمجد والطهارة ظاهراً وباطناً حتى في عالم الأبدان والصور فلقد قالوا إذا صام الأبرص أياماً وقرأه كل ليلة عند الافطار كثيراً فإنه يبرأ بإذن الله تعالى إما بلا سبب أو بسبب يفتح الله له به.

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿فعال لما يريد﴾ بحيث لا يتخلف عن إرادته مراد من أفعاله تعالى وأفعال غيره فيكون دليلاً لأهل الحق على أنه لا يتخلف شيء عن إرادته وهو خبر مبتدأ محذوف وإنما قال فعال مبالغ فاعل لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة من الإحياء والإماتة والإعزاز والإذلال والإغناء والإقتار والشفاء والإمراض والتقريب والتبعيد والعمارة والتخريب والوصل والفرق والكشف والحجاب إلى غير ذلك من شؤونه.

وفي «التأويلات النجمية»: فعال لما يريد بالمؤمن والكافر وأرباب الأرواح والأسرار والقلوب وأصحاب النفوس وأهل الهوى إن أراد أن يجعل أرباب الأرواح من أرباب النفوس فهو قادر على ذلك وهو عادل في ذلك وإن أراد عكس ذلك فهو كذلك وهو مفضل في ذلك يحجب من يريد بجلاله كالمنكرين ويتجلى لمن يريد بجماله كالمقربين ويعامل لمن يريد بإفاضة كماله كالعارفين قال القفال: يدخل أولياءه الجنة لا يمنعه مانع ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم ناصر ويمهل بعض العصاة على ما يشاء إلى أن يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة إذا شاء فهو يفعل ما يريد.

روي أن أناساً دخلوا على أبي بكر الصديق رضي الله عنه يعودونه فقالوا ألا نأتيك بطبيب قال: قد رآني قالوا: فما قال لك؟ قال: إني فعال لما أريد.

﴿هل أتاك﴾ آيا آمد بتو. أي: قد أتاك لأن الاستفهام للتقرير. ﴿حديث الجنود﴾ أي: خبر الجموع الكافرة التي تجندت على الأنبياء في الماضي وخبرهم ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حصل بها من العذاب والنكال.

﴿فرعون وثمود﴾ بدل من الجنود يعني مع أنه غير مطابق ظاهراً للمبدل منه في الجمعية لأن المراد بفرعون هو وقومه وقد يجعل من حذف المضاف بمعنى جنود فرعون أي هل أتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا من التكذيب وما فعل بهم من التعذيب فذكر قومك بشؤون الله وأنذرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم وقد كانوا سمعوا قصة فرعون وجنوده قوم موسى عليه السلام: ورأوا آثار هلاك ثمود قوم صالح عليه السلام، لأنها كانت في ممرهم وفي بلادهم وأخر ثمود مع تقدمه على فرعون زماناً لرعاية الفواصل. قال القاشاني: هل أتاك حديث المحجوبين إما بالأنانية كفرعون ومن يدين بدينه أو بالآثار والأغيار كثمود ومن يتصل بهم.

﴿بل الذين كفروا﴾ من قومك ﴿في تكذيب﴾ إضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم أشد منهم في الكفر والطغيان وتنكير تكذيب للتعظيم كأنه قيل ليسوا مثلهم في ذلك بل هم أشد منهم في استحقاق العذاب واستيجاب العقاب، فإنهم مستقرون في تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لا أنهم يكذبون بوقوع الحادثة بل يكذبون كون ما نطق به قرآناً من عند الله مع وضوح أمره وظهور حاله بالبينات الباهرة.

وفي «التأويلات النجمية»: في تكذيب لاشتمال خلقهم وجبلتهم على صفة الكذب والتكذيب ومن جبل على صفة لا يقدر على مفارقتها إلا القليل من الكمل كما قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ [النور: ٤٠] أي في الاستعداد فما له من نور.

خوى بد در طبيعتي كه نشست نرهد جز بوقت مرك ازدست

وفيه إشارة إلى تكذيب المنكرين لأهل الحق ووقوفهم مع حالهم واحتجابهم عن حال من فوقهم.

﴿**والله من ورائهم**﴾ من خلفهم ﴿**محيط**﴾ بهم بالقدرة وهو تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله بعدم فوت المحاط المحيط إذا سد عليه مسلكه بحيث لا يجد هرباً منه.

وفي «التأويلات النجمية»: محيط والمحيط لا يفوته المحاط ولا يفوت المحيط شيء لإحاطة الله سبحانه عند العارفين بالكافرين بل الموجودات كلها عبارة عن تجليه بصور الموجودات فهو سبحانه بأحدية جميع أسمائه سار في الموجودات كلها ذاتاً وحياة علماً وقدرة إلى غير ذلك من الصفات والمراد بإحاطته تعالى هذه السراية ولا يعزب عنه ذرة في السماوات والأرض وكل ما يعزب عنه يلتحق بالعدم وقالوا: هذه الإحاطة ليست كإحاطة الظرف بالمظروف ولا كإحاطة الكل بأجزائه ولا كإحاطة الكلي بجزئياته بلى كإحاطة الملزوم بلازمه فإن التعينات اللاحقة لذاته المطلقة إنما هي لوازم له بواسطة أو بغير واسطة وبشرط أو بغير شرط ولا تقدح كثرة اللوازم في وحدة الملزوم ولا تنافيها والله أعلم بالحقائق.

﴿**بل هو قرآن مجيد**﴾ أي ليس الأمر كما قالوا بل هذا الذي كذبوا به قرآن شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب الإلهية في النظم والمعنى متضمن للمكارم الدنيوية والأخروية.

﴿**في لوح محفوظ**﴾ أي: من التحريف ووصول الشياطين إليه واللوح كل صحيفة عريضة خشباً أو عظماً كما في «القاموس»: قال الراغب: اللوح واحد ألواح السفينة وما يكتب فيه من الخشب ونحوه والمراد به هنا ما قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين مرة يحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء وفي صدر اللوح لا إله إلا الله وحده ودينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن به وصدق وعده واتبع رسله أدخله الجنة.

وفي «التأويلات النجمية»: بل المتلو المقروء على الكفار والمنافقين قرآن عظيم مجيد شريف مثبوت في لوح القلب المحمدي وفي ألواح قلوب ورثته الأولياء العارفين المحبين العاشقين محفوظ من تحريف أيدي النفس الكافرة والهوى الماكر وسائر القوى البشرية السارية في أقطار الوجود الإنساني وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢] أي: في صدور الحفاظ وقلوب المؤمنين.

تمت سورة البروج بعون الله الذي إليه الرجوع والعروج وقت عصر الأحد السادس من شهر مولد النبي عليه السلام من سنة سبع عشرة ومائة وألف

٨٦ ـ سورة الطارق

سبع عشرة أو ست عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾.

﴿والسماء والطارق﴾ الطارق في الأصل اسم فاعل من طرق طرقاً وطروقاً إذا جاء ليلاً. قال الماوردي: وأصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة لأنه يطرق بها الحديد وسمي الطريق طريقاً لأنه يضرب بالرجل وسمي قاصد بالليل طارقاً لاحتياجه إلى طرق الباب غالباً حيث أن الأبواب مغلقة في الليل ثم اتسع في كل ما ظهر الليل كائناً ما كان ثم اتسع في التوسع حتى أطلق على الصور الخيالية البادية بالليل والمراد هنا الكوكب البادي بالليل. قال الراغب: عبر عن النجم بالطارق لاختصاص ظهوره بالليل قالت هند بنت عتبة يوم أحد.

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

أي: أبونا كالنجم شرفاً وعلواً وقال الشاعر:

يا راقد الليل مسروراً بأوله ... إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

لا تفرحن بليل طاب أوله ... فرب آخر ليل أجج النارا

قال سهل رحمه الله وما طرق على قلب محمد من زوائد البيان والانعام.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى سماء القلب وطروق كواكب الواردات القلبية والإلهامات الغيبية العظيمة الشأن القوية البرهان ولفخامة أمره وشهامة قدره عقبه بقوله.

﴿وما أدراك ما الطارق﴾ أي: أي شيء أعلمك بالطارق فإنه لا يناله إدراك الخلق إلا بالتلقي من الخلاق العليم كأنه قيل ما هو فقيل هو. **﴿النجم الثاقب﴾** النجم الكوكب الطالع والثقب بالفارسية سوراخ كردن والثقوب والثقابة افروخته شدن آتش.

يقال: ثقبه ثقباً جعل فيه منفذاً ومسلكاً ونفذ فيه وثقبت النار تثقب ثقوباً اتقدت واشتعلت وثقب النجم أضاء وشهاب ثاقب، أي مضيء وعبر عن الطارق أولاً بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيماً لشأنه والمعنى النجم المضيء في الغاية يعني ستارهٔ رخشنده وفروزان چون شعلهٔ آتش.

لأنه يثقب بنوره وإضاءته ما يقع عليه من الظلام أو الأفلاك وينفذ فيها والمراد الجنس وهو قول الحسن رحمه الله لأن لكل كوكب ضوءاً ثاقباً لا محالة أي في نفسه وإن حصل التفاوت بالنسبة أقسم الله بالسماء وبكواكبها لدلالتهما على قدرته وحكمته أو المعهود بالثقب فهو من باب ركب السلطان وهو زحل الذي في السماء السابعة لأنه يثقب بنوره سمك سبع

سموات أو كوكب الصبح الثريا لأن العرب تسميه النجم أو الشهاب چنانچه آورده اندكه شي حضرت رسول الله ﷺ نشسته بود باعم خود أبو طالب ناكاه ستاره بدرخشيد وشعلهٔ آتش عظيم از وظاهر شد أبو طالب بترسيد وكفت اين چه چيزست حضرت پيغمبر عليه السلام، فرمود كه اين ستاره ايست كه ديورا از آسمان مي راند ونشانه ايست از قدرتهاى الهي في الحال جبريل نازل شد بدين آيت كه والسماء والطارق.

وفيه إشارة إلى كوكب اسم الجمال الثاقب الطارق وكوكب اسم الجلال وقال القاشاني: أي: الروح الإنساني والعقل الذي يظهر في ظلمة النفس وهو النجم الذي يثقب ظلمتها وينفذ فيها ويبصر بنوره ويهتدى به كما قال: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]

﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ جواب للقسم وما بينهما اعتراض جيء به لتأكيد فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وإن نافية ولما بمعنى إلا قال الزجاج: استعملت لما في موضع إلا في موضعين أحدهما بعد إن النافية والآخر في باب القسم تقول سألتك لما فعلت بمعنى إلا فعلت وعدي الحفظ بعلى لتضمنه معنى الهيمنة والمعنى ما كل نفس من النفوس الطيبة والخبيثة أنسية أو جنية إلا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢].

[آورده اندكه درمكه زنى بود فاجره وكفت من طارس يماني را بر كردانم ازراه طاعت ودر معصيت كشم وطاوس مردى نيكو ورى بود وخوش خلق وخوش طبع إن زن برطاوس آمد وباوي سخن در كرفت بر سبيل مزاح طاوس بدانست كه مقصودوي چيست كفت آرى صبركن تابفلان چايكاه آييم چون بدان جايكاه رسيدند طاوس كفت اكرترا مقصودي است اينجا تواند بود آن زن كفت سبحان الله اين چه جاي آن كارست انجمنكاه خلق ومجمع نظار كيان طوس كفت أليس الله يرانا في كل مكان أي زن از ديدار مردم شرم داري واز ديدار الله كه بما مي نكرد خود شرم ندارى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله أين سخن درزن كرفت وتوبه كرد واز جملهٔ اوليا كشت].

وحكي أن ابن عمر رضي الله عنهما مر بغلام يرعى غنماً فقال له بعني شاة فقال إنها ليست لي فقال له ابن عمر: قل أكلها الذئب فقال الغلام: فأين الله فاشتراه ابن عمر واشترى الغنم وأعتقه ووهب له الغنم وبقي ابن عمر مدة طويلة يقول: قال ذلك العبد فأين الله، فصاحب المراقبة يدع من المعاصي حياء منه تعالى وهيبة له أكثر مما يدعه من يترك المعاصي بخوف عقوبته وقيل: المراد بالحافظ هو من يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝١٠﴾ [الانفطار: ١٠].

[وآنكه كه بر مصطفى ﷺ عرضه ميكنند چنانكه در خبرست كه رسول الله عليه اسلام، فرمود تعرض على أعمالكم فما كان من حسنة حمدت الله عليه وما كان من سيئة استغفرت الله لكم].

وروي عن النبي ﷺ: «وكل بالمؤمن مائة وستون ملكاً يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين» وقرىء لما أن مخففة على أن مخففة وما مزيدة واللام فاصلة بين المخففة والنافية أي إن الشأن كل نفس لعليها حافظ رقيب وفي الآية تخويف للنفوس من الأمور الضارة وترغيب في الشؤون النافعة وفي بعض التفاسير يحتمل أن يكون المراد من النفس أعم من نفس النفس المكلف من الإنسان والجن

ومن نفس المكلف لعموم الحفظ من بعض الوجوه ومن الكل فيشمل النفوس الحيوانية مطلقاً بل كل شيء سوى الله بناء على أن المراد من النفس الذات فإن نفس كل شيء ذاته وذاته نفسه ومن الحافظ هو الله؛ لأن الحافظ لكل شيء عالم بأحواله موصل إليه منافعه ودافع عنه مضاره والحفيظ من العباد من يحفظ جوارحه وقلبه ويحفظ دينه عن سطوة الغضب وحلاوة الشهوة وخداع النفس وغرور الشيطان فإنه على شفا جرف هار وقد اكتنفته هذه الملكات المفضية إلى البوار ومن خواص الاسم الحفيظ أن من علقه عليه لو نام بين السباع ما ضرته.

قال القاشاني: الحافظ هو الله إن أريد بالنفس الجملة وإن أريد بها النفس المصطلح عليها من القوة الحيوانية فحافظها الروح الإنساني.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾

﴿**فلينظر الإنسان**﴾ ليتفكر الإنسان المركب من الجهل والنسيان المنكر للنشور والحشر والميزان ﴿**مم**﴾ أي: من أي شيء فأصله مما حذفت الألف تخفيفاً كما مر في عم. ﴿**خلق**﴾ حتى يتضح أن من قدر على إنشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على إعادته بل أقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الإعادة والجزاء ما ينفعه يومئذٍ ويجد به ولا يملي حافظه ما يرديه.

﴿**خلق من ماء دافق**﴾ استئناف وقع جواباً عن استفهام مقدر كأنه قيل ممن خلق فقيل خلق من ماء ذي دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة وبالفارسية ريزانيدن آب.

وبابه نصر وإنما أول بالنسبة لأن الصب لا يتصور من النطفة لظهور أنها مصبوبة لإصابة فتوصيفه بأنه دافق لمجرد نسبة مبدأ الاشتقاق إلى ذات الموصوف به مع قطع النظر عن صدوره منه. وقال بعضهم: أي مدفوق ومصبوب في الرحم نحو سر كاتم أي: مكتوم وعيشة راضية أي: مرضية فهو فاعل بمعنى المفعول والمراد به الممتزج من الماءين في الرحم كما ينبىء عنه ما بعده في الآية وللنظر إلى امتزاجهما عبر عنهما بصيغة الإفراد ووصف الماء الممتزج بالدافق من قبيل توصيف المجموع بوصف بعض أجزائه.

﴿**يخرج**﴾ ذلك الماء الدافق ﴿**من بين الصلب والترائب**﴾ الصلب الشديد وباعتباره سمي الظهر صلباً أي: من بين ظهر الرجل وترائب المرأة وهي ضلوع صدرها وعظام نحرها حيث تكون القلادة وكل عظم من ذلك تربية وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما بين الثديين، وفي «القاموس»: الترائب عظام الصدر أو ما ولي الترقوتين منه أو ما بين الثديين والترقوتين أو أربع أضلاع من يمنة الصدر وأربع من يسرته أو اليدان والرجلان والعينان أو موضع القلادة انتهى. ومن ذلك يتحمل الوالد مصالح معيشة الولد وتشتد رقة الوالدة ومحبتها للولد وإيراد بين إشارة إلى ما يقال إن النطفة تتكون من جميع أجزاء البدن ولذلك يشبه الولد والديه غالباً فيجتمع ماء الرجل في صلبه ثم يجري منه ويجتمع ماء المرأة في ترائبها ثم يجري منها، وفي «قوت القلوب»: أصل المني هو الدم يتصاعد في خرزات الصلب وهناك مسكنة فتنضجه الحرارة فيستحيل أبيضاً فإذا امتلأت منه خرزات الصلب وهو الفقار طلب الخروج من مسلكه وهو عرقان متصلان إلى الفرج منهما ينزل المني وفي «أسئلة الحكم» بين طريق البول وطريق المني جلد رقيق يكاد لا يتشخص كيلا يختلط المني بماء البول فيفسد حرارة جوهره.

وفي «التأويلات النجمية»: خلق الإنسان من ماء رطوبة النفس الرحماني الذي أشار إليه عليه السلام بقوله: «إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن»، دافق هذا الماء من فم فوارة

المحبة المشار إليها بقوله تعالى: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق»، الخارج من بين الصلب أي: رجل القوة الفاعلية الإلهية المسماة باليد اليمنى في قوله ثم مسح يده اليمنى على جانب الظهر الأيمن فاستخرج منه ذرية بيضاء كالفضة البيضاء والترائب وترائب امرأة القابلية المسماة باليد اليسرى في قوله ثم مسح يده اليسرى على جانب الظهر الأيسر فاستخرج منه ذراري حماء سوداء فهو الإنسان المخلوق على صورة ربه وخالقه من ماء الفيض والقبول المخمر بيدي الفاعلية والقابلية المشار إليها بقوله: «خمرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً».

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾.

﴿**إنه**﴾ الضمير للخالق فإن قوله خلق يدل عليه أي إن ذلك الذي خلق الإنسان ابتداء مما ذكر ﴿**على رجعه**﴾ أي إعادته بعد موته ﴿**لقادر**﴾ أي: لبين القدرة بحيث لا يرى له عجز أصلاً وتقديم الجار والمجرور على عامله وهو لقادر للاهتمام به من حيث إن الكلام فيه بخصوصه فهو لا ينافي قادريته على غيره قال بعضهم: خلقه لإظهار قدرته ثم رزقه لإظهار الكرم ثم يميته لإظهار الجبروت ثم يحييه لإظهار الثواب والعقاب.

﴿**يوم تبلى السرائر**﴾ ظرف لرجعه ولا يضر الفصل بالأجنبي للتوسع في الظروف والسرائر جمع سريرة بمعنى السر وهي التي تكتم وتخفى أي: يتعرف ويتصفح ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الأعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث وبالفارسية [روزى كه آشكارا كرده شود نهانها يعني ظاهر كند مخفيات ضمائر وأعمال تاطيب آن از خبيث متميز كردد].

كر پرده زروى كار ما بر دارند آن كيست كه وسواي دو عالم نشود

والإبلاء هو الابتلاء والاختبار وإطلاق الإبلاء على الكشف والتمييز من قبيل إطلاق اسم السبب على المسبب لأن الاختبار يكون للتعريف والتمييز وابتلاء الله عباده بالأمر والنهي يكون لكشف ما علم منهم في الأزل، وقال بعضهم: المراد بالسرائر الفرائض كالصوم والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة فإنها سر بين العبد وبين ربه ولو شاء العبد أن يقول فعلت ذلك ولم يفعله أمكنه وإنما تظهر صحة تلك السرائر يوم القيامة قال ابن عمر رضي الله عنهما: يبدي الله يوم القيامة كل سر فيكون زيناً في وجوه وشيناً في وجوه يعني من أدى الأمانات كان وجهه مشرقاً ومن ضيعها كان وجهه أغبر.

﴿**فما له**﴾ أي للإنسان وما نافية ﴿**من قوة**﴾ في نفسه يمتنع بها من العذاب الذي حل به ﴿**ولا ناصر**﴾ من خارج ينتصر به إذ كل نفس يومئذٍ رهينة بما كسبت مشغولة بجزاء ما جرت عليه خيراً كان أو شراً فالمراد بالقوة المنفية هي القوة الثابتة له في نفسه لا القوة مطلقاً وإلا لم يبق للعطف فائدة لأن القوة المستفادة من الغير قوة أيضاً وقد نفيت أولاً والقوة عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف وفي «التعريفات»: هي تمكن الحيوان من الأفعال الشاقة ونصر المظلوم أعانه ونصره منه نجاه وخلصه وفيه إشارة إلى القوة بحسب نية الباطن وعمل الظاهر بالنية الخالصة المجردة عن العمل قد تنصر الناوي أيضاً لكن إذا قارنت العمل كانت أقوى.

﴿**والسماء ذات الرجع**﴾ ذات مؤنث ذو بمعنى الصاحب والرجع المطر سمي رجعاً لما

أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض أو أرادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه باليؤوب فيكون الرجع مصدراً من اللازم بمعنى الرجوع لا من المتعدي قاله بعض العلماء، أو لأن الله يرجعه وقتاً فوقتاً بعد إيجاده وإحداثه وقال الراغب: سمي المطر رجعاً لرد الهواء ما تناوله من الماء، وفي «كشف الأسرار» لأنه يرجع كل عام ويتكرر وقال عبد القاهر الجرجاني في «كتاب إعجاز القرآن»: إنما قال للسماء ذات الرجع لأن شمسها وقمرها يغيب ويطلع وبعض نجومها يرجع.

﴿والأرض ذات الصدع﴾ هو ما تتصدع عنه الأرض من النبات إذ المحاكي للنشور هو تشقق الأرض وظهور النبات منها لإظهار العيون فالمراد بالصدع نبات الأرض سمي به لأنه صادع للأرض والأرض تتصدع به والصدع في اللغة الشق وفي «المفردات»: شق في الأجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما وفي الآية إشارة إلى أن السماء ذات الرجع كالأب والأرض ذات الصدع كالأم وما ينبت من الأرض كالولد أقسم الله بالسماء أولاً مجردة عن التوصيف وثانياً مقيدة بكونها ذات الرجع وكذا بالأرض ذات الصدع إيماء إلى المنة عليهم بكثرة المنافع ودلالة على العلم التام والقدرة الكاملة فيهما وفيه إشارة إلى سماء الروح ذات الرجع في النشأة الثانية وأرض البدن ذات الصدع بالانشقاق عن الروح وقت زهوقه أو الشق بعد اتصاله.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾.

﴿إنه﴾ أي: القرآن الذي من جملته ما تلي من الآيات الناطقة بمبدأ حال الإنسان ومعاده ﴿لقول﴾ لكلام إذ القول كثيراً ما يكون بمعنى المقول ﴿فصل﴾ أي: فاصل بين الحق والباطل مبالغ في ذلك كأنه نفس الفصل كما قيل له فرقان بمعنى الفارق.

﴿وما هو بالهزل﴾ الهزل اللعب، وفي «فتح الرحمن»: ما استعمل في غير ما وضع له من غير مناسبة والجد ضده وهو أن يقصد به المتكلم حقيقة كلامه أي ليس في شيء من القرآن شائبة هزل بل كله جد محض لا هزل فيه فمن حقه أن يهتدي به الغواة وتخضع له رقاب العتاة وبالفارسية ونيست أو بازى وباطل وفسوس وسخريه.

ويظهر من الآية أن من يؤم القرآن بهزل أو بتفكه بمزاح يكفر، وفي «هدية المهدين» إذا أنكر رجل آية من القرآن أو سخر بها أو عابها فقد كفر ومن قرأ القرآن على ضرب الدف أو القصب فقد كفر ولو قال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ [الانشراح: ١] را كريبان كرفته.

أو قال پوست از ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١] بردى.

أو قال اين كوته تراز ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾ [الكوثر: ١].

أو قيل: لم لم تقرأ القرآن فقال سير شدم از قرآن.

فهذا كله وأمثاله كفر ينبغي للمؤمن يحترز منه ويجتنب عنه.

﴿إنهم﴾ أي: أهل مكة ومعاندي قريش ﴿يكيدون﴾ في إبطال أمره وإطفاء نوره يعني [مكر ميكنند درشان رسول وحق قرآن] ﴿كيداً﴾ حسبما في قدرتهم ﴿وأكيد كيداً﴾ أي: أقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون وكيد المحدث العاجز الضعيف لا يقاوم كيد القديم القادر القوي فتسمية الاستدراج والانتقام في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالنار كيداً من باب المشاكلة لوقوعه في مقابلة كسبهم جزاء له وإلا فالكيد وهو المكر

والاحتيال لا يجوز إسناده إليه تعالى مراداً به معناه الحقيقي وتسمية جزاء الشيء باسم ذلك الشيء على سبيل المشاكلة شائع كثير.

﴿فمهل الكافرين﴾ أي: لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك ولا تستعجل به يعني [مهلت ده كافر انرا وتعجيل مكن در طلب هلاك ايشان] ﴿أمهلهم﴾ بدل من مهل وهما أي: التمهيل والإمهال لغتان كما قال تعالى: ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١١].

روي عن همام مولى عثمان رضي الله عنه أنه قال: لما كتبوا المصحف شكوا في ثلاث آيات فكتبوا في كتف شاة وأرسلوني إلى أبي بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما فدخلت عليهما فناولتها أبياً فقرأها فإذا هي فيها لا تبديل للخلق فكتب لا تبديل لخلق الله وكان فيها لم يتسن فكتب لم يتسنه وكان فيها فأمهل الكافرين فمحا الألف وكتب فمهل الكافرين ونظر فيها زيد بن ثابت فانطلقت بها إليهم فأثبتوها في المصحف، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى حافظ للقرآن من التحريف والتبديل لأنه أثبته في صدور الحفاظ وإلى أن المشكلات يرجع فيها إلى أهل الحل ﴿رويداً﴾ يقال أرود يرود إذا رفق وتأنى ومنه بنى رويد كما في «المفردات» وفي «الإرشاد» هو في الأصل تصغير رود بالضم وهو المهل أو أرواد مصدر أورد بالترخيم وهو إما مصدر مؤكد لمعنى العامل أو نعت لمصدره المحذوف أي: أمهلهم إمهالاً رويداً أي: قريباً أو قليلاً يسيراً فإن كل آت قريب كما قالوا [كرچه قيامت دير آيد ولى مي آيد].

وفيه تسلية لرسول الله ﷺ بما فيه من الرمز إلى قرب وقت الانتقام من الأعداء وفي «كشف الأسرار» وما كان بين نزول هذه الآية وبين وقعة بدر إلا زمان يسير.

حكي أنه دخل ابن السماك على هارون الرشيد فطلب هارون منه العظة وقد جلس في حصير فقال: يا أمير المؤمنين لتواضعك في شرفك أفضل من شرفك قال الرشيد: ما سمعت شيئاً أحسن من هذا فقال: بلى يا أمير المؤمنين من أعطي مالاً وجمالاً وسلطاناً وشرفاً فتواضع في شرفه وعف في جماله وواسى من فضل ماله وعدل في سلطانه كتب في ديوان المخلصين فدعا الرشيد بالقرطاس فكتبها ثم قال: زدني فقال: يا أمير المؤمنين لقد أمهل حتى كأنه أهمل ولقد ستر حتى كأنه غفر ثم قال يا أمير المؤمنين هب كأن الدنيا كلها في يديك والأخرى مثلها ضمت إليك هب كان الشرق والغرب يجبى إليك فإذا جاء ملك الموت فماذا في يديك؟ قال: زدني فقال: لم يبق من لدن آدم إلى يومنا هذا أحد إلا وقد ذاق الموت قال زدني فقال إنهما موضعان إما جنة وإما نار قال حسبي ثم غشي عليه قال ابن السماك دعوه حتى يموت فلما أفاق أمر له بجائزة فقيل له إنه قال كذا فسأله الرشيد عن ذلك فقال: يا أمير المؤمنين أي شيء أحسن من أن يقال إن أمير المؤمنين مات من خشية الله فاستحسن كلامه واحترمه.

قال الحافظ: بمهلتي كه سپهرت دهد زراه مرو. تراكه كفت كه اين زال ترك دستان كرد.

فطوبى لمن قصر أمله وطال عمره وحسن عمله والله نسأل أن لا يجعلنا من المغترين.

تمت سورة الطارق بإعانة خالق النجوم البوارق يوم الأحد الرابع عشر
من شهر ربيع الأول من سنة سبع عشرة ومائة

٨٧ ـ سورة الأعلى

تسع عشرة آية مكية عند الجمهور

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾.

﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾ التسبيح التنزيه واسم الله لا يصح أن يطلق عليه بالنظر إلى ذاته أو باعتبار صفة من صفاته السلبية كالقدوس أو الثبوتية كالعليم أو باعتبار فعل من أفعاله كالخالق ولكنها توقيفية عند بعض العلماء وقد سبق، والأعلى: صفة للرب ويجوز أن يكون صفة للاسم والأول أظهر ومعنى علوه تعالى أن يعلو عن أن يحيط به وصف الواصفين بل علم العارفين ومعنى أعلويته إن له الزيادة المطلقة في العلو.

قال بعضهم: ليس علوه علو جهة ولا كبره كبر جثة سبحانه عن ذلك بل علو استحقاق لنعوت الجلال والكبرياء فمن عرف علوه وكبرياءه تواضع وتذلل بين يديه عباده الصالحين والمعنى نزه اسمه عن الإلحاد فيه بالتأويلات الزائغة نحو أن يجعل الأعلى من العلو في المكان لا من العلو في الكمال وأن يؤخذ الاستواء بمعنى الاستقرار لا بمعنى الاستيلاء وكذا نزهه عن إطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه كان يسمى الصنم والوثن بالرب والإله ومنه تسمية العرب مسيلمة الكذاب برحمان اليمامة وكذا نزهه عن ذكره لا على وجه الإعظام والإجلال ويدخل فيه أن يذكر اسمه عند التثاؤب وحال الغائط وكذا بالغفلة وعدم الوقوف على معناه وحقيقته ومنه إكثار القسم بذكر اسمه من غير مبالاة.

وقال جرير في الآية: ارفع صوتك بذكره أي: بذكر اسمه فإن ذكر المدلول إنما هو بذكر الاسم الدال عليه فظهر من هذا التقرير أن الاسم غير مقحم وقال بعضهم: الاسم والمسمى هنا واحد أي نزه ذاته عما دخل في الوهم والخيال وفي الحديث لما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٧٤] قال عليه السلام: «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزل ﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾ قال: «اجعلوها في سجودكم» وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت وفي الحديث دلالة على أن لفظ الاسم مقحم. قاله سعدي المفتي: وعلى أن الامتثال بالأمر يحصل بأن يقول سبحان ربي العظيم والأعلى بدون قراءة النظم ولذا قرأ علي وابن عمر رضي الله عنهم «سبحان ربي الأعلى الذي» الخ فإن قوله ﴿**سبح**﴾ أمر بالتسبيح فلا بد وأن يذكر ذلك التسبيح وما هو إلا قول سبحان ربي الأعلى ومثله سبحان ربك رب العزة فإن معناه نزه ربك رب العزة فيحصل الامتثال بأن يقول سبحان ربنا رب العزة على

معنى تنزه ربنا رب العزة وقس على ذلك سائر المواقع المأمور بها وسر اختصاص سبحان ربي العظيم بالركوع والأعلى بالسجود أن الأول إشارة إلى مرتبة الحيوان والثاني إشارة إلى مرتبة النبات والجماد فلا بد من الترقي في التنزيه، وكان عليه السلام وجيوشه «إذا علوا الثنايا كبروا وإذا هبطوا سبحوا» فوضعت الصلاة على ذلك، قال حضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره: في «شرح الحديث» اعلم أن الرفعة والارتفاع استعلاء وإنه من التكبر فإن كان الاستعلاء ظاهراً فهو صورة من صور التكبر وإن كان باطناً فهو معنى التكبر ولما كان الكبرياء لله وحده وكان في الصعود على الثنايا ضرب من الاستعلاء موجود وشبيه به أيضاً لذلك سن التكبير فيه أي: أن الله أكبر وأعلى من أن يشارك في كبريائه وإن ظهرنا بصورة حال يوهم الاشتراك، وأما الأمر بالتسبيح في الهبوط فهو من أجل سر لمعية المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] فإذا آمنا أنه معنا أينما كنا فحال كوننا في هبوط يكون معنا وهو يتنزه عن التحت والهبوط لأنه سبحانه فوق التحت كما أنه فوق الفوق ونسبة الجهات إليه على السواء لنزاهته عن التقيد بالجهات وإحاطته بها فلهذا شرع التكبير في الصعود والتسبيح في الهبوط على الوجه المنبه عليه انتهى. وأول من قال سبحان ربي الأعلى ميكائيل عليه السلام، وذلك أنه خطر بباله عظمة الرب تعالى فقال يا رب أعطني قوة حتى انظر إلى عظمتك وسلطانك فأعطاه قوة أهل السماوات فطار خمسة آلاف سنة حتى احترق جناحه من نور العرش ثم سأل القوة فأعطاه قوة ضعف ذلك وجعل يطير ويرتفع عشرة آلاف سنة حتى احترق جناحه وصار في آخره كالفرخ ورأى الحجاب والعرش على حاله فخر ساجداً وقال: سبحان ربي الأعلى ثم سأل ربه أن يعيده إلى مكانه وإلى حالته الأولى ذكره أبو الليث في «تفسيره» وقال النبي عليه السلام: «يا جبرائيل أخبرني عن ثواب من قال سبحان ربي الأعلى في صلاته أو في غير صلاته فقال يا محمد ما من مؤمن ولا مؤمنة يقولها في سجوده أو في غير سجوده إلا كانت له في ميزانه أثقل من العرش والكرسي وجبال الدنيا ويقول الله صدق عبدي أنا الأعلى وفوق كل شيء وليس فوقي شيء اشهدوا يا ملائكتي أني قد غفرت لعبدي وأدخلته جنتي فإذا مات زاره ميكائيل كل يوم فإذا كان يوم القيامة حمله على جناحه فيوقفه بين يدي الله فيقول: يا رب شفعني فيه فيقول قد شفعتك فيه اذهب به إلى الجنة» ذكره ابن الشيخ في «حواشيه» وفي الحديث: «سبحان الله والحمد لله يملآن ما بين السموات والأرض» أي: لاشتمال هاتين الكلمتين على كمال الثناء والتعريف بالصفات الذاتية والفعلية الظاهرة الآثار في السماوات والأرض وما بينهما. وقال القاشاني: اسمه الأعلى والأعظم هو الذات مع جميع الصفات أي: نزه ذاتك بالتجرد عما سوى الحق وقطع النظر عن الغير ليظهر عليها الكمالات الحقانية بأسرها وهو تسبيحه الخاص به في مقام الفناء لأن الاستعداد التام القابل لجميع الصفات الإلهية لم يكن الإله فذاته هو الاسم الأعلى عند بلوغ كماله ولكل شيء تسبيح خاص يسبح به اسماً خالصاً من أسماء ربه ﴿**الذي خلق فسوى**﴾ صفة أخرى للرب على الوجه الأول ومنصوب على المدح على الثاني لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة غيره أي: خلق كل شيء فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتسنى معاشه. وقال القاشاني: انشأ ظاهرك فعدل بنيتك على وجه قبلت بمزاجه الخاص الروح الأتم المستعد لجميع الكمالات.

وفي «التأويلات النجمية» خلق كل شي بحسب الوجود فسوى تسوية بها يصل الفيض الإلهي المعد له بحسب استعداده الفطري. وقال بعضهم: خلق الخلق فسوى بينهم في الخلقة وميز بينهم باختصاص بعضهم بالهداية.

﴿والذي قدر﴾ معطوف على الموصول الأول أي: قدر أجناس الأشياء وأنواعها وأفرادها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها كما قال عليه السلام: «إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» أي: جعل أجناس الأشياء وكذا أشخاص كل نوع بمقدار معلوم وكذا جعل مقدار كل شخص في جثته وأوضاعه وسائر صفاته كالحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة والألوان والأشكال والطعوم والروائح والأرزاق والآجال وغير ذلك بمقدار معلوم كما قال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١] ﴿فهدى﴾ فوجه كل واحد منها إلى ما يصدر عنه وينبغي له طبعاً أو اختياراً ويسره لما خلق له بخلق الميول والإلهامات ونصب الدلائل وإنزال الآيات ولو تتبعت أحوال النباتات والحيوانات لرأيت في كل منها ما يحار فيه العقول.

يحكى أن الأفعى إذا بلغت ألف سنة عميت وقد ألهمها الله أن تمسح عينيها بورق الرازيانج الغض فيرد إليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها في برية بينها وين الريف مسافة طويلة فتطويها على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك عينيها بورقها وترجع باصرة بإذن الله تعالى.

ويحكى أن التمساح لا يكون له دبر وإنما يخرج فضلات ما يأكله من فيه حيث قيض الله له طائراً قدر الله غذاءه من ذلك فإذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه والتمساح خلق كالسلحفاة ضخم يكون بنيل مصر وبنهر مهران في السند كما في «القاموس»: ويختطف البهائم والآدميين وربما بلغ طوله عشرين ذراعاً وهو يبيض في البر فما وقع من ذلك فى الماء صار تمساحاً وما بقي صار سقنقوراً وهي دابة بمصر شكلها كالوزغة على عظم خلقته وهو أنفس ما يهدي لملوك الهند فإنهم يذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر ويحملونه كذلك إلى أرضهم فإذا وضعوا مثقالاً من ذلك على بيض أو لحم وأكل نفع ذلك نفعاً بليغاً والسقنقور والضب والسلحفاة للذكر منها ذكران وللأنثى فرجان ومن عجائب هداياته تعالى أن القطا وهو طائر يترك فراخه ثم يطلب الماء من مسيرة عشرة أيام وأكثر فيرده فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ثم يرجع فلا يخطىء لا ذهاباً ولا إياباً والجمل والحمار إذا سلكا طريقاً في الليلة الظلماء ففي المرة الثانية لا يخطئان والدبة إذا ولدت ولدها رفعته في الهواء يومين خوفاً من النمل لأنها تضعه قطعة لحم غير متميزة الجوارح ثم يتميز أولاً فأولاً وإذا جمع العقرب والفأرة في إناء زجاج قرضت الفأرة إبرة العقرب فتسلم منها.

وحكي أن ابن عرس تبع فأرة فصعدت شجرة ولم يزل يتبعها حتى انتهت إلى رأس الغصن ولم يبق مهرب فنزلت على ورقة وعضت طرفها وعلقت نفسها فعند ذلك صاح ابن عرس فجاءته زوجته فلما انتهت إلى تحت الشجرة، قطع ابن عرس الورقة التي عضتها الفأرة فسقطت فاصطادها ابن عرس الذي كان تحت الشجرة والفأرة تدخل ذنبها في قارورة الدهن ثم تلحسه والثعلب إذا اجتمع في جلده البق الكثير والبعوض يأخذ بفيه قطعة جلد من الحيوان

فينغمس في الماء فإذا اجتمعت في الفرو ألقاه في الماء وخرج سالماً، والعنكبوت تبني بيتها على وجه عجيب غير مقدور والبشر لا يقدر على بناء البيت المسدس إلا بالالبركار والمسطر والنحل تبني تلك البيوت من غير آلة والنمل تسعى لإعداد الذخيرة لنفسها فإذا أحست بنداوة المكان تشق الحبة نصفين لئلا تنبت وإذا وصلت النداوة إليها تخرجها إلى الشمس لتجف قال بعضهم: رأيت غواصاً وهو طائر غاص وطلع بسمكة فغلبه الغراب عليها فأخذها منه فغاص مرة أخرى فطلع فأخذها منه الغراب وفي الثالثة كذلك فلما اشتغل الغراب بالسمكة وثب الغواص فأخذ برجل الغراب وغاص به تحت الماء حتى مات الغراب وخرج هو من الماء وفي الحديث لا تشوبوا اللبن بالماء فإن رجلاً كان فيمن كان قبلكم يبيع اللبن ويشوبه بالماء فاشترى قرداً وركب البحر حتى إذا لجج فيه ألهم الله القرد فأتى صرة الدنانير فأخذها وصعد الدقل وهو سهم السفينة ففتح الصرة وصاحبها ينظر إليه فأخذ ديناراً ورمى به في البحر وديناراً في السفينة حتى قسمها نصفين فألقى ثمن الماء في الماء وفي عجائب المخلوقات إن شخصاً قتل شخصاً بأصفهان وألقاه في بئر وللمقتول كلب يرى ذلك فكان يأتي كل يوم إلى رأس البئر وينحي التراب عنها وإذا رأى القاتل نبح عليه فلما تكرر منه ذلك حفروا الموضع فوجدوا القتيل ثم أخذوا الرجل فأقر فقتل به ومن عجيب شجرة النخل أن يعرض لها العشق وهي أن تميل إلى نخلة أخرى فيخف حملها وتهزل وعلاجها أن يشد بينها وبين معشوقها الذي مالت إليه بحبل أو يعلق عليها سعفة منه أو يجعل فيها من طلعه وأمثال هذا لا تحيط بها العبارة والتحرير كثرة.

﴿وَالَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ۝٥﴾

﴿**والذي أخرج المرعى**﴾ أي أنبت بكمال قدرته ما ترعاه الدواب غضاً طريقاً من بين أخضر وأصفر وأحمر وأبيض وقال ابن عباس رضي الله عنه، المرعى الكلأ الأخضر وفي «الصحاح» الرعى بالكسر الكلأ وبالفتح المصدر والمرعي الرعي والمصدر ﴿**فجعله**﴾ بعد ذلك ﴿**غثاء**﴾ أي: درينا وهو كأمير يبيس كل حطام حمض أو شجر أو بقل قال الجوهري الغثاء بالضم والمد ما يحمله السيل من القماش والقمش جمع الشيء من ههنا وههنا وذلك الشيء قماش ما على وجه الأرض من فتات الأشياء حتى يقال لرذالة الناس قماش وبالفارسية [خشك وپژمرده] ﴿**أحوى**﴾ أسود من الحوة بمعنى السواد وذلك أن الكلأ إذا جف ويبس أسود سواء كان جفافه واسوداده بتأثير حرارة الشمس أو برودة الهواء الفاء التعقيبية إشارة إلى قصر مدة الحضرة ورمز إلى قصر مدة العمر وسرعة زال الدنيا ونعيمها يعني [محققان از مضمون اين آيت فهم كرده اندكه چرا كاه متمتعان دنيا اكرچه در أول تازه وسيراب وسبز وخرم نمايد إما اندك وقتى را بسبب هبوب رياح خزان حوادث تيره وبي طراوت خواهد بود].

اكرچه خرم وتازه است كلبن دنيا ولى بنكبت باد خزان نمى ارزد

بكرده خورى وقرص قمر زجاي مرو كه خوان چرخ نيك تاي نان نمى ارزد

وفيه إشارة إلى زينة الحياة الدنيا ومنافعها ومآكلها ومشاربها فإنها مرعى النفس الحيوانية ومرتع بهائم القوى جعلها الله سريعة الفناء وشيكة الزوال كالهشيم والحطام البالي المسود فينبغي أن لا يلتفت إليها ولا يشغل بها فإنها مانعة عن التسبيح الخاص وهو تنزيه الذات وتجريدها عن العلائق وبها يحصل الاحتجاب عن الكمال المقدر في حق كل أحد.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾.

﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ بيان لهدايته تعالى الخاصة برسول الله ﷺ أثر بيان هدايته العامة لكافة مخلوقاته وهي هدايته عليه السلام، لتلقي الوحي وحفظ القرآن الذي هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه السلام لهداية الناس أجمعين. قال الراغب في «المفردات»: إخبار وضمان من الله تعالى أن يجعله بحيث لا ينسى ما يسمعه من الحق انتهى. والسين إما للتأكيد وإما لأن المراد إقراء ما أوحي إليه حينئذٍ وما سيوحى إليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالإقراء يقال قرأ القرآن فهو قارىء وأقرأه غيره فهو مقرىء أي علمه إياه فهو معلم، وفي «تاج المصادر» الإقراء [قرآن كوش فرا داشتن وخواننده كردن].

ومنه سنقرئك انتهى والمعنى سنقرئك ما نوحي إليك الآن وفيما بعد على لسانه جبرائيل فلا تنسى أصلاً من قوة الحفظ والإتقان، وفي «كشف الأسرار»: سنجمع حفظ القرآن في قلبك وقراءته في لسانك حتى لا تنسى كقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ [القيامة: ١٧].

﴿إلا ما شاء الله﴾ استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أي لا تنسى شيئاً من الأشياء مما تقرأه إلا ما شاء الله أن تنساه أبداً بأن نسخت تلاوته فإن النسخ نوع من الإنساء وطريق من طرقه فكأنه بالنسخ محي من الصحف والصدور فالمراد بالنسيان هو النسيان الكلي الدائم بحيث لا يعقبه التذكر بعده ويجوز بأن يراد به النسيان المتعارف الذي يعقبه الذكر بعده وهو النسيان في الجملة على القلة والندرة أي فلا تنسى إلا ما شاء الله نسيانه ثم لا يبقى المنسي منسياً دائماً بل يعقبه الذكر كما هو المفهوم من المقام ويؤيد هذا المعنى ما روي أنه عليه السلام، أسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب أبي رضي الله عنه أنها نسخت فسأله فقال عليه السلام نسيتها.

وروي أن بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يقرأ القرآن في الليل فقال عليه السلام: «لقد أذكرني آية أنسيتها» ومن هذا كان عليه السلام يقول في دعائه: «اللهم ارحمني بالقرآن العظيم واجعله لي إماماً ونوراً وهدى رحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله حجة لي يا رب العالمين» وكان عليه السلام يقول: «إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني» وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] ودل الكل على جواز طريان النسيان عليه وإن لم يكن سهوه ونسيانه من قبيل سهو الأمة ونسيانهم فإنه أهل الحضور الدائم روي عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه عليه السلام كان يقرأ من الكتاب وإن كان لا يكتب وفيه معجزة له عليه السلام، فإنه كان أمياً وقد جعله الله قارئاً ثم إنه كان يقرأ من الحفظ ومن الصحيفة أيضاً من غير تعلم الخط وكان منبع الكمالات كلها حتى إنه علم الكتاب الخط وقوانينه وأصحاب الحرف دقائق حرفتهم.

﴿إنه يعلم الجهر وما يخفى﴾ تعليل لما قبله وما موصولة وكل من الجهر والإخفاء شامل لما كان من قبيل القول والعمل والإخفاء لما في الضمائر من النيات أي: يعلم ما ظهر وما بطن من الأمور التي من جملتها ما أوحي إليك فينسي ما يشاء إنساءه ويبقي محفوظاً ما يشاء إبقاءه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم ﴿ونيسرك لليسرى﴾ عطف على نقرئك واليسرى فعلى من اليسر وهو السهولة ويسرت كذا سهلت وهيأت وضمن نيسرك معنى التوفيق ولذا عدي

بدون اللام وإلا فالعبارة المعتادة أن يقال جعل الفعل الفلاني ميسراً لفلان لا أن يقال جعل فلان ميسراً للفعل الفلاني كما في الآية فإنه قيل ونيسرك لليسرى لا ونيسر اليسرى لك، وقال بنون العظمة لتكون عظمة المعطي دليلاً على عظمة العطاء، وفي «الإرشاد» تعليق التيسير به عليه السلام، مع أن الشائع تعليقه بالأمور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾﴾ [طه: ٢٦] للإيذان بقوة تمكينه عليه السلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه السلام جبل عليها كما في قوله عليه السلام: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» والمعنى ونوفقك توفيقاً مستمراً توفيقاً للطريقة اليسرى أي: التي هي أيسر وأسهل في كل باب من أبواب الدين علماً وتعليماً واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقي الوحي والإحاطة بما فيه من أحكام الشريعة السمحة والنواميس الإلهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه السلام، وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى: **﴿فذكر إن نفعت الذكرى﴾** أي فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى إليك واهدهم إلى ما في تضاعيفه من الأحكام الشرعية كما كنت تفعله إن نفع التذكير والعظة والنصيحة وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما أن رسول الله عليه السلام طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيه جهده حرصاً على إيمانهم وكان لا يزيد ذلك بعضهم إلا كفراً وعناداً فأمر عليه السلام بأن يخص التذكير بمدار النفع في الجملة بأن يكون من يذكره كلاً أو بعضاً ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه في تذكير من لا يزيده التذكير إلا عتواً ونفوراً من المطبوع على قلوبهم كما في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥] فحرف الشك راجع إلى النبي عليه السلام لا إلى الله، وفي «كشف الأسرار»: أن تجيء في العربية مثبتة لا لشرط فتكون بدل قد كقوله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الذاريات: ٥٥] تنفع المؤمنين وقد علم عليه السلام إن الذكرى تنفع لا محالة إما في ترك الكفر أو ترك المعصية أو في الاستكثار من الطاعة فهو حث على ذلك وتنبيه على أنها تنفع إلا أن يكون مطبوعاً على قلبه غير مستعد للقبول فالنفع مشروط بشرط الاستعداد.

زمـيـن شـوره سـنـبـل بـر نـيـارد   در وتـخـم عـمـل ضـابـع مـكـردان

والحاصل: أن التذكير خاص بالمنتفع وذلك في النهاية وأما في البداية فعام وما على الرسول إلا البلاغ.

من آنچه شرط بلاغست باتوميكويم   توخواه ازسختم پندكير وخواه ملال

قال القاشاني: أجمل في قوله إن نفعت الذي ثم فصل بقوله:

﴿سيذكر من يخشى﴾ أي: سيتذكر بتذكيرك يعني زود باشدكه پندپذيرد.

من شأنه أن يخشى الله حق خشيته أو من يخشى الله في الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر في أمر ما تذكر به فيقف على حقيقته فيؤمن به وفي «التفسير الكبير» الناس في أمر المعاد على ثلاثة أقسام منهم من قطع بصحته ومنهم من جوز وجوده ولكنه غير قاطع فيه لا بالنفي ولا بالإثبات ومنهم من أصر على إنكاره والقسمان الأولان ينتفعون بالتذكير بخلاف الثالث.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾

﴿**ويتجنبها**﴾ أي: يتبعد من الذكرى ولا يسمعها سماع القبول ﴿**الأشقى**﴾ أي: الزائد في الشقاوة من الكفرة لتوغله في عداوة النبي عليه السلام، مثل الوليد بن المغيرة وأبي جهل ونحوهما أو الأشقى هو الكافر مطلقاً لأنه أشقى من الفاسق وروي أن من يخشى هو عثمان بن عفان رضي الله عنه والأشقى رجل من المنافقين وذلك أن المنافق كانت له نخلة مائلة في دار رجل من الأنصار فسقط تمرها في داره فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فأرسل إلى المنافق ولم يكن يعلم بنفاقه فسأله أن يعطي النخلة للأنصاري على أن يعطيه نخلة في الجنة فقال أبيع عاجلاً بآجل لا أفعل فأعطاه عثمان رضي الله عنه حائط نخل له فنزلت الآية كما في «التكملة» ونظيره أن رجلاً قضى للنبي عليه السلام حاجة فقال ائتني بالمدينة فأتاه فقال أيما أحب إليك ثمانون من الضأن أو أدعو الله أن يجعلك معي في الجنة قال: بل ثمانون من الضأن قال: أعطوه إياها ثم قال: إن صاحبة موسى عليه السلام كانت أعقل منك وذلك أن عجوزاً دلته على عظام يوسف عليه السلام فقال لها موسى: أيما أحب إليك أسأل الله أن تكون معي في الجنة أو مائة من الغنم قالت الجنة.

هركه بيندمر عطارا صد عوض   زود در بازد عطار ازين غرض
آروزى كل بود كل خواره را   كلشكر نكوارد آن بيچاره را

﴿**الذي يصلى النار الكبرى**﴾ أي: يدخل الطبقة السفلى من طبقات النار.

[وآتش آن از آتش دركات ديكر تيز تروسوزنده تراست وآن جاي آل فرعون ومنافقان ومنكران مائدهٔ عيسى عليه السلام باشد ونار صغرى رر طبقهٔ علياكه چاي كنهكاران امت محمد مصطفاست عليه السلام].

فالكبرى: اسم تفضيل لأنه تأنيث الأكبر والمفضل هو ما في أسفل دركات جهنم من النار التي هي نصيب الكفار كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] والمفضل عليه ما في الدركات التي فوقها فإن لجهنم نيراناً ودركات متفاضلة كما أن في الدنيا ذنوباً ومعاصي متفاضلة فكما أن الكفار أشقى العصاة كذلك يصلون أعظم النيران، وقيل: الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا، يعني أن المفضل نار الآخرة والمفضل عليه نار الدنيا لقوله عليه السلام: «ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وقد غمست في ماء البحر مرتين ليدنى منها وينتفع بها ولولا ذلك ما دنوتم منها» ويقال إنها تتعوذ بالله من جهنم وأن ترد إليها.

يقول الفقير: الظاهر أن المراد بالنار الكبرى هو العذاب الأكبر في قوله تعالى: ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ [الغاشية: ٢٤] وهو عذاب الآخرة وأما العذاب الأصغر فهو عذاب الدنيا وعذاب البرزخ فإنه يصغر بالنسبة إلى عذاب الآخرة قال بعض الحكماء: علامة الشقاوة أشياء كثيرة الأكل والشرب والنوم والإصرار على الذنب وقساوة القلب وكثرة الذنب ونسيان الرب والوقوف بين يدي الملك الجبار فهذا هو الأشقى الذي يدخل النار الكبرى.

وفي «التأويلات النجمية»: النار ناران: نار حجاب الدنيا بالاشتغال بالشهوات والذات وهي الصغرى ونار حجاب الآخرة وهو الابتلاء بالخذلان والخسران والطرد والهجران كما قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء: ٧٢] لفوات الاستعداد. وقال القاشاني: النار الكبرى هي نار الحجاب عن الرب بالشرك والوقوف مع الغير ونار القهر في مقام الصفات ونار الغضب والسخط في مقام الأفعال ونار جهنم الآثار في المواقف

الأربعة من موقف الملك والملكوت والجبروت وحضرة اللاهوت أبد الآبدين فما أكبر ناره.

﴿ثم لا يموت فيها﴾ حتى يستريح ﴿ولا يحيى﴾ حياة تنفعه كما يقال لمن ابتلي بالبلاء الشديد لا هو حي ولا هو ميت وثم للتراخي من مراتب الشدة لأن التردد بين الموت والحياة أفظع من نفس الصلي وقال ابن عطاء لا يموت فيستريح من غم القطعية ولا يحيى فيصل إلى روح الوصلة.

وفي «التأويلات النجمية»: لا يموت نفسه بالكلية ليستريح من عقوبات الحجاب والاحتجاب ولا يحيى قلبه بحياة الإيمان لكونه في دار الجزاء لا في دار التكليف. وقال القاشاني: لا يموت لامتناع انعدامه ولا يحيى بالحقيقة لهلاكه الروحاني أي يتعذب دائماً سرمداً في حالة يتمنى عندها الموت وكلما احترق وهلك أعيد إلى الحياة وعذب فلا يكون ميتاً مطلقاً ولا حياً مطلقاً.

يقول الفقير: لا يموت لأن الموت يذبح فلا موت ولا يحيى لأن المعموم كالميت فيبقى في العذاب الروحاني كما يبقى في العذاب الجسماني قال بعض الكبار لا حياة إلا عن موت ولا موت إلا عن رؤية حي فمن مات غير هذا الموت فلا يحيى ومن حي غير هذه الحياة فهي حياة حيوانية لا حياة إنسانية.

﴿قد أفلح﴾ أي: نجا من المكروه وظفر بما يرجوه ﴿من تزكى﴾ أي: تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره واتعاظه بالذكرى أو تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وكلمة قد لما أن عند الإخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى في الآخرة يتوقع السامع الإخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره.

﴿وذكر اسم ربه﴾ بقلبه ولسانه ﴿فصلى﴾ أقام الصلوات الخمس كقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤] أي كبر تكبيرة الافتتاح فصلى فالمراد بالذكر تكبيرة الافتتاح لكن لا يختص الذكر عند الحنفية بأن يقول الله أكبر لعموم الذكر ودل العطف بالفاء التعقيبية على عدم دخول الكبير في الأركان لأن العطف يقتضي المغايرة بين المعطوفين، قال الإمام: مراتب أعمال المكلف ثلاث فأولاها إزالة العقائد الفاسدة عن القلب وهي المرادة بالتزكي والثانية استحضار معرفة الله بذاته وصفاته وأسمائه، وهي المرادة بالذكر لأن الذكر بالقلب ليس إلا المعرفة والثالثة الاشتغال بالخدمة والطاعة، وهي المرادة بالصلاة فإنها عبارة عن التواضع والخشوع فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله لا بد وأن يظهر في جوارحه وأعضائه أثر الخضوع والخشوع. قال بعضهم خلق الله وجهاً يصلح للسجدة وعيناً تصلح للعبرة وبدناً يصلح للخدمة وقلباً يصلح للمعرفة وسراً يصلح للمحبة فاذكروا نعمة الله عليكم حيث زين ألسنتكم بالشهادة وقلوبكم بالمعرفة وأبدانكم بالعبادة.

روي عن رسول الله ﷺ عن الله تعالى قال الله سبحانه: «إن لي مع المصلين ثلاث شرائط إحداها تنزل الرحمة من عنان السماء إلى مفرق رأسه ما دام في صلاته، والثانية: حفته الملائكة بأجنحتها، والثالثة: أناجي معه كلما قال يا رب أقول لبيك، ثم قال عليه السلام: لو علم المصلي من يناجي ما التفت».

وروي عن ابن عمر رضي الله عنه أن المراد بالتزكي إخراج صدقة الفطر قبل المضي إلى المصلى، وبالذكر أن يكبر في الطريق حين خروجه إلى المصلى وبالصلاة أن يصلي صلاة العيد

بعد ذلك مع الإمام وهذه السورة وإن كانت مكية بالإجماع ولم يكن بمكة عيد ولا صدقة فطر إلا أنه لما كان في علمه أن ذلك سيكون أثنى الله على من فعل ذلك فإنه تعالى قد يخبر عما سيكون وفي الآية إشارة إلى تطهير النفس عن المخالفات الشرعية وتطهير القلب عن المحبة الدنيوية بل عن ملاحظة الغير والتوجه إلى الله تعالى بقدر الاستعداد إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾ إضراب عن مقدر ينساق إليه الكلام كأنه قيل أثر بيان ما يؤدي إلى الفلاح لا تفعلون ذلك، بل تختارون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب إما للكفرة فالمراد بإيثار الحياة الدنيا هو الرضى والاطمئنان بها والإعراض عن الآخرة بالكلية كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ [يونس: ٧] الآية أو للكل فالمراد بإيثارها ما هو أعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الناس غالباً من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة في السعي وترتيب المبادىء والالتفات على الأول لتشديد التوبيخ، وعلى الثاني كذلك في حق الكفرة ولتشديد العتاب في حق المسلمين، وفي «فتح الرحمن»: فالكافر يؤثرها إيثار كفر يرى أن لا آخرة والمؤمن يؤثرها إيثار معصية وغلبة نفس إلا من عصم الله، وفي «عين المعاني»: خطاب للأمة إذ كل يميل إلى الدنيا إما رغبة فيها أو إدخاراً لثواب الآخرة.

وفي «كشف الأسرار»: مصطفى عليه السلام أول قلم فتوى.

در حق دنيا اين راندكه حلالها حساب وحرامها عذاب آنكه برو لعنت كردكه.

الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله.

اكردينت همى بايد زد ننا دار پى بكسل
ورت دنيا همي بايد بده دين وببر دنيا
ورازد وزخ همي ترسى بمالي پس مشوغره
كه اينجا صورتش ما لست وآنجاشكلش اژدرها
چه مانى بهر مردارى چوزاغان اندرين پستى
قفص بشكن چوطا وسان يكى برپر بزين بالا

﴿والآخرة خير وأبقى﴾ حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب أي تؤثرونها على الآخرة والحال أن الآخرة خير في نفسها لما أن نعيمها مع كونه في غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة أبدى لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره وفيه إشارة إلى أن ظواهر الأشياء بالنسبة إلى حقائقها كالقشر بالنسبة إلى اللب واللب خير من القشر وأبقى لأن لب الحب يحفظ زماناً طويلاً وقشره إذا سلخ من اللب يطرح في النار أو يرمى بالمزابل فيفنى بعد اليومين أو أكثر فأرباب القشر يؤثرون الأمور الظاهرة الخسيسة الدنية الفانية على الأمور الباطنة المعنوية الشريفة العزيزة الباقية لكونهم محجوبين عن الآخرة وأرباب اللب يختارون الآخرة بل الله الآخر كما قال: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١] ويقال: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ أي: من تاب من الذنوب وذكر اسم ربه يعني إذا

سمع الأذان خرج إلى الصلاة ثم ذم تارك الجماعة لأجل اشتغاله بالدنيا فقال: **﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾** يعني تختارون عمل الدنيا على عمل الآخرة وعمل الآخرة خير وأبقى من عمل الدنيا والاشتغال بها وبزينتها **﴿إن هذا﴾** إشارة إلى ما ذكر من قوله تعالى: **﴿قد أفلح من تزكى﴾** **﴿لفي الصحف الأولى﴾** جمع صحيفة وهي الكتاب قال الراغب الصحيفة المبسوط من كل شيء كصحيفة الوجه والصحيفة التي كان يكتب فيها والمصحف ما جعل جامعاً للصحف المكتوبة والمعنى الثابت فيها يعني أن تطهير النفس عما لا ينبغي وتكميل الروح بالمعارف وتكميل الجوارح بالطاعة والزجر عن الالتفات إلى الدنيا والترغيب في الآخرة وفي ثواب الله في دار كرامته لا يجوز أن يختلف باختلاف الشرائع. **﴿صحف﴾** جدك **﴿إبراهيم﴾** الخليل عليه السلام **﴿و﴾** صحف أخيك **﴿موسى﴾** الكليم عليه السلام بدل من الصحف الأولى.

روي أن جميع ما أنزل الله من كتاب مائة وأربعة كتب أنزل على آدم عليه السلام عشر صحف حروف التهجي صحيفة منها وعلى شيت عليه السلام خمسين صحيفة وعلى إدريس عليه السلام ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عليه السلام عشر صحائف والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان فصحف موسى هي الألواح التي كتبت فيها التوراة كذا قال الإمام وفي «التيسير»: صحف شيت وهي ستون وصحف إبراهيم وهي ثلاثون وصحف موسى قبل التوراة وهي عشر والتوراة والإنجيل والزبور والقرآن وكان في صحف إبراهيم ينبغي للعاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون حافظاً للسانه عارفاً بزمانه مقبلاً على شأنه وأيضاً الخروج عما سوى الله بنعت التجريد كما قال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨] والإقبال على الله لقوله: ﴿وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الأنعام: ٧٩] ونقل من صحف موسى يقول الله: يا ابن آدم اعمل لنفسك قبل نزول الموت بك ولا تغرنك المطية فإن على آثارها السفر ولا تلهينك الحياة وطول الأمل عن التوبة فإنك تندم على تأخيرها حين لا ينفعك الندم يا ابن آدم إذا لم تخرج حقي من مالي الذي رزقتك إياه ومنعت منه الفقراء حقوقهم سلطت عليك جباراً يأخذه منك ولا أثيبك عليه وفي صحف موسى أيضاً سرعة الشوق إلى جماله والندم على الوقوف في المقامات عند تعريف الصفات لقوله: ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، وفي «التيسير»: دل الكلام على قول الإمام الأعظم رحمه الله: إن قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة صحيحة وهو قرآن بأي لسان قرئ لأنه جعل هذا المذكور مذكوراً في تلك الصحف ولذلك قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الشعراء: ١٩٦] ولا شك أنه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة وكان قرآناً لأن العبرة بالمعنى، والألفاظ ظروف وقوالب لها انتهى. وفيه تأييد لمن جوز نقل الحديث بالمعنى وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كان رسول الله ﷺ يقرأ في الركعتين اللتين يوتر بعدهما بـ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى: ١]، و﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١﴾﴾ [الكافرون: ١]، وفي الوتر بـ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١]، وقل ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴿١﴾﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾﴾ [الناس: ١]»، وبه عمل الشافعي ومالك رحمهما الله، وما عند أبي حنيفة وأحمد والمستحب في الثالثة الإخلاص فقط.

تمت سورة الأعلى يوم الاثنين الخامس عشر من شهر المولد
في سنة سبع عشرة ومائة وألف

٨٨ ـ سورة الغاشية

ست وعشرون آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾﴾.

﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ قال قطرب من أئمة النحو أي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية قال المولى أبو السعود رحمه الله في: «الإرشاد» وليس بذاك بل هو استفهام أريد به التعجيب مما في حيزه والتشويق إلى استماعه والإشعار بأنه من الأحاديث البديعة التي حقها أن يتناقلها الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد، والغاشية الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم بأهوالها وهي القيامة كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥] وقال: ﴿يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧] يقال غشيه يغشاه أي: غطاه وكل ما أحاط بالشيء من جميع جهاته فهو غاش له **﴿وجوه يومئذٍ خاشعة﴾** استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ عن الاستفهام التشويقي كأنه قيل من جهته عليه السلام ما أتاني حديثها ما هو فقيل وجوه يومئذٍ وهو ظرف لما بعده من الأخبار الثلاثة أي: يوم إذ غشيت تلك الداهية الناس فإن الخشوع والخضوع والتطامن والتواضع كلها بمعنى ويكنى بالجميع عما يعترى بالإنسان من الذل والخزي والهوان، فوجوه مبتدأ ولا بأس بتنكيرها لأنها في موقع التنويع وخاشعة خبره قال الشيخ: لعل وجه الابتداء بالنكرة كون تقدير الكلام أصحاب وجوه بالإضافة إلى أن الخشوع والذل لما كان ظهر في الوجه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وإنما قلنا إن الذل يظهر في الوجه لأنه ضد التكبر الذي محله الرأس والدماغ والمراد بأصحاب الوجوه هم الكفار بدلالة ما بعده من الأوصاف **﴿عاملة ناصبة﴾** خبران آخران لوجوه إذ المراد بها أصحابها كما أشير إليه آنفاً والنصب: التعب والناصبة: التعبة يقال نصب نصباً من باب علم إذا تعب في العمل والمعنى تعمل أعمالاً شاقة تتعب فيها لأنها تكبرت عن العمل لله في الدنيا فأعملها الله في أعمال شاقة وهي جر السلاسل والأغلال الثقيلة كما قال: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ [الحاقة: ٣٢] والخوض في النار خوض الإبل في الوحل أي: الطين الرقيق والصعود في تلال النار والهبوط في وهادها، وقال بعضهم: خشوع الظاهر ونصب الأبدان لا يقربان إلى الله تعالى بل يقطعان عنه وإنما يقرب منه سعادة الأزل وخشوع السر من هيبة الله وهو الذي يمنع صاحبه من جميع المخالفات فالرهابنة والفلاسفة وأضرابهم من أهل الكفر والبدع والضلال إنما يضربون حديداً بارداً ويتعبون أنفسهم في طريق الهوى والسعي فيه.

﴿تصلى﴾ تدخل ﴿ناراً﴾ وتذوق ألمها ﴿حامية﴾ أي: متناهية في الحر وقد أوقدت ثلاثة آلاف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وهو خبر آخر لوجوه قال في «القاموس»: حمى الشمس والنار حمياً وحمياً وحموا اشتد حرهما، وقال السجاوندي: حامية أي: دائمة الحمي وإلا فالنار لا تكون إلا حامية.

﴿تسقى﴾ بعد مدة طويلة من استغاثتهم من غاية العطش ونهاية الاحتراق أي: سقاها الله أو الملائكة بأمره. ﴿من عين﴾ أي چشمهء آب كه ﴿آنية﴾ أي: متناهية بالغة في الأنى أي الحر غايتها لتسخينها بتلك النار منذ خلقت لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فإذا أدنيت من وجوههم تناثرت لحوم وجوههم وإذا شربوا قطعت أمعاءهم كما قال تعالى: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤] يقال إني الحميم انتهى. حره فهو آن وبلغ هذا أناه وأناه غايته وفيه إشارة إلى نار الطبيعة وعين الجهل المركب الذي هو مشرب أهلها والاعتقاد الفاسد المؤذي.

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾

﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع﴾ بيان لطعام الكفار في النار أثر بيان شرابهم وأورد ضمير العقلاء إشارة إلى أن المراد من الوجوه أصحابها وإنما أسند إليها ما ذكر من الأحوال لكونها مظهراً يظهر فيه ما في الباطن مع أنها يكنى بها كثيراً عن الذوات والضريع يبيس الشبرق كزبرج وهو شوك ترعاه الإبل ما دام رطباً وإذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال في «فتح الرحمن»: سموا ذلك الشوك ضريعاً لأنه مضعف للبدن ومهزل يقال ضرع الرجل ضراعة ضعف وذل وعن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه الضريع: شيء في النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد حراً من النار وهذا طعام بعض أهل النار والزقوم والغسلين لآخرين بحسب جرائمهم وبه يندفع التعارض بين هذه الآية وبين آية الحاقة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة: ٣٦] قال سعدي المفتي: ويمكن في قدرة الله أن يجعل الغسلين إذا انفصل عن أبدان أهل النار على هيئة الضريع فيكون طعامهم الغسلين الذي هو الضريع انتهى.

يقول الفقير: ويمكن عندي أن يجعل كل من الضريع والغسلين والزقوم بالنسبة إلى شخص واحد بحسب الأعمال المختلفة لكل عمل أثراً مخصوصاً وجزاء متعيناً فيصح الحصر وتحقيقه أن الضريع إشارة إلى الشبه والعلوم الغير المنتفع بها المؤذية كالمغالطات والخلافيات والسفسطة وما يجري مجراها على ما قاله القاشاني، والغسلين: إشارة إلى الشهوات الطبيعية ولذا يسيل من أبدانهم فإن لكل شهوة رشحاً وعرقاً وكل إناء يترشح بما فيه، والزقوم إشارة إلى خوضهم في الأنبياء والأولياء وطعنهم في دينهم وضحكهم منهم وكانوا يتلذذون بذلك على ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا انقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المطففين: ٣١] أي: متلذذين بما فعلوا من التغامز والسخرية ونحو ذلك على أن الزقمة هو الطاعون ووجه آخر وهو أنه يمكن الترتيب بالنسبة إلى شخص واحد بأن يكون الزقوم نزلاً له والضريع أكلاً له بعد ذلك والغسلين شراباً له كالحميم والعلم عند الله.

﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾.

﴿لا يسمن﴾[فربه نمى كند آن ضريع] ﴿ولا يغني من جوع﴾[ودفع نمى كند كرسنكى را].

أي ليس من شأنه الإسمان والإشباع كما هو شأن طعام الدنيا وإنما هو شيء يضطرون إلى أكله من غير أن يكن له دفع لضرورتهم لكن لا على أن لهم استعداداً للشبع والسمن إلا أنه لا يفيدهم شيئاً منهما بل على أنه لا استعداد من جهتهم ولا إفادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للإنسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له إلى المطعوم والمشروب بحيث يتلذذ بهما عند الأكل والشرب ويستغنى بهما عن غيرهما عند استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار في أحشائهم إلى إدخال شيء كثيف يملأها ويخرج ما فيها من اللهب وأما أن يكون لهم شوق إلى مطعوم ما أو التذاذ به عند الأكل والاستغناء به عن الغير أو استفادة قوة فهيهات، وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند أكل الضريع والتهابه في بطونهم إلى شيء مائع بارد يطفئه من غير أن يكون لهم التذاذ بشر به أو استفادة قوة به في الجملة وهو المعنى بما روي أنه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم إلى أكل الضريع فإذا أكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم إلى شرب الحميم فيشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم وتنكير الجوع للتحقير أي: لا يغني من جوع ما، وتأخير نفي الإغناء عنه لمراعاة الفواصل والتوسل به إلى التصريح بنفي كلا الأمرين إذ لو قدم لما احتيج إلى ذكر نفي الإسمان ضرورة استلزام نفي الإغناء عن الجوع إياه بخلاف العكس ولذلك كرر لتأكيد النفي.

﴿**وجوه يومئذٍ ناعمة**﴾ أي: ذات بهجة وحسن وضياء مثل القمر ليلة البدر وبالفارسية [تازه باشد أثر نعمت در ويبدا].

فناعمة من نعم الشيء بالضم نعومة أي: صار ناعماً ليناً ويجوز أن يكون بمعنى متنعمة أي بالنعم الجسمانية والروحانية وهي وجوه المؤمنين فيكون المراد بها حقيقة النعمة وإنما لم تعطف على ما قبلها إيذاناً بكمال تباين مضمون الجملتين وتقديم حكاية أهل النار لأنه أدخل في تهويل الغاشية وتفخيم حديثها وفيه إشارة إلى نعيم اللقاء الذي هو ثمرة اللطافة والتورية التي هي نتيجة التجرد كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] فإن بالنظر إلى الرب يحصل نضرة أي نضرة.

﴿**لسعيها راضية**﴾ أي: لعملها الذي عملته في الدنيا حيث شاهدت ثمرته ورأت عاقبته الحميدة فاللام متعلقة براضية والتقدير راضية سعيها فلما تقدم المعمول على العامل الضعيف جيء باللام لتقوية العمل ويجوز أن تكون لام التعليل أي: لأجل سعيها في طاعة الله راضية جزاءها وثوابها ودخل في السعي الرياضات والمجاهدات والخلوات.

﴿**في جنة عالية**﴾ أي كائنة أو متمكنة في جنة مرتفعة المحل فإن الجنات فوق السماوات العلى كما أن النيران تحت الأرضين السبع وأيضاً هي درجات بعضها أعلى من بعض والدرجة مثل ما بين السماء والأرض فتكون من العلو في المكان وفي الحديث: «إن المتحابين في الله في غرف ينظر إليهم أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى كواكب السماء» ويجوز أن يكون معنى عالية علية المقدار فتكون من العلو في القدر والشرف لتكامل ما فيهما من النعيم وفيه إشارة إلى المقامات العالية المعنوية لأنها مقامات أهل الوجاهة والشرف المعنوي فلا يصل إليها أهل التمني والدعوى.

﴿لا تسمع﴾ أنت يا مخاطب فالخطاب عام لكل من يصلح له أو الوجوه فيكون التاء للتأنيث لا للخطاب ﴿فيها﴾ أي: في تلك الجنة العالية ﴿لاغية﴾ لغواً من الكلام وهو ما لا يعتد به فهي مصدر كالعافية أو كلمة ذات لغو على أنها للنسبة أو نفساً تلغو على أنها اسم فاعل صفة لموصوف محذوف هو نفس وذلك فإن كلام أهل الجنة كله أذكار وحكم؛ إذ لا يدخلها المؤمن إلا من مرتبة القلب والروح فإن النفس والطبيعة تطرحان في النار وشأن القلب والروح هو الذكر كما أن شأن النفس والطبيعة هو اللغو فكما لا لغو في الجنة الصورية فكذا لا لغو في الجنة المعنوية في الدنيا لاستغراق أهلها في الذكر وسماع خطاب الحق ولذا لا تسمع في مجالستهم إلا المعارف الربانية والحكم الرحمانية وفي الحديث: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون قالوا فما بال الطعام؟ قال: رشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس» وأما الدنيا ومجالس أهلها فلا تخلو من اللغو ولذلك قال عليه السلام: «من جلس مجلساً فكثر فيه لغطه» وهو الكلام الرديء القبيح والضجة والأصوات المختلفة لا يفهم معناها «فقال قبل أن يقوم: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك» أي: ما لم يتعلق بحق آدمي كالغيبة.

﴿فيها عين جارية﴾ التنوين للتكثير أي عيون كثيرة تجري مياهها على الدوام حيث شاء صاحبها وهي أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل من شرب منها لا يظمأ بعدها أبداً ويذهب من قلبه الغل والغش والحسد والعداوة والبغضاء وفيه إشارة إلى عيون الذوق والكشف والوجدان والتوحيد فإن بها يحصل الشفاء والصحة والبقاء لأهل القلوب وأصحاب الأرواح.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾﴾.

﴿فيها سرر﴾ يجلسون عليها جمع سرير وهو معروف يعني [در آنجا تختها برهر تختي هفصد يستر برهر پسترى حورى چون ماء أنور] ﴿مرفوعة﴾ رفيعة السمك أي عالية في الهواء على قوائم طوال فإن السمك هو الامتداد الآخذ من أسفل الشيء إلى أعلاه فالمراد برفعة سمكها شدة علوها في الهواء فيرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما أعطاه ربه في الجنة من النعيم الكبير والملك العظيم، قال عليه السلام: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام» قيل إذا جاء ولي الله ليجلس عليها تطامنت له فإذا استوى عليها ارتفعت ويجوز أن يكون المعنى رفيعة المقدار من حيث اشتمالها على جميع جهات الحسن والكمال في ذواتها وصفاتها.

[أصل آن زر مكلل بزبرجد وجواهر].

وقال الخراز قدس سره: هي سرائر رفعت عن النظر إلى الأعراض والأكوان وفيه إشارة إلى مراتب الأسماء الإلهية التي بلغوها بالإنصاف والتخلق بها في السلوك فإنها رفيع قدرها عن مراتب الجسمانيات.

﴿وأكواب﴾ يشربون منها جمع كوب بالضم وهو إناء لا عروة له ولا خرطوم يعني [بى دسته] ولو له مدور الرأس ليمسك من أي طرف أريد بخلاف الإبريق وهو مستعمل في بعض

بلاد العرب الآن ولذا وقع به التشويق. ﴿موضوعة﴾ أي: بين أيديهم حاضرة لديهم لا يحتاجون إلى أن يدعوا بها وهو لا ينافي أن يكون بعض الأقداح في أيدي الغلمان كما سبق في ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١] الخ وفيه إشارة إلى ظروف خمور المحبة وثباتها على حالها مع ما فيها.

﴿ونمارق﴾ وسائد يستندون إليها للاستراحة جمع نمرقة بفتح النون وضمها والراء مضمومة فيهما بمعنى الوسادة. ﴿مصفوفة﴾ بعضها إلى جنب بعض كما يشاهد في بيوت الأكابر أينما أراد أن يجلس المؤمن جلس على واحدة واستند إلى أخرى وعلى رأسه وصائف كأنهن الياقوت والمرجان وفيه إشارة إلى التجريد والتفريد والجمع والتوحيد أينما يريدون يجلسون ويستندون إليها.

﴿وزرابي﴾ أي: بسط فاخرة جمع زربي. قال الراغبي: هو ضرب من الثياب محبر منسوب إلى موضع على طريق التشبيه والاستعارة ﴿مبثوثة﴾ أي: مبسوطة على السرر زينة وتمتعا وفيه إشارة إلى انبساط أرواحهم وانشراح صدورهم وانفتاح قلوبهم في بساط القدس والإنس وإلى مقامات تجليات الأفعال التي تحت مقامات الصفات كالتوكل تحت الرضى مبثوثة أي: مبسوطة تحتهم وأصل البث إثارة الشيء وتفريقه كبث الريح التراب.

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ الهمزة للإنكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام والإبل بكسرتين وتسكن الباء واحد يقع على الجمع وليس بجمع ولا اسم جمع والجمع آبال كما في «القاموس»، وقال بعضهم اسم جمع لا واحد لها من لفظها وإنما واحدها بعير وناقة وجمل وكلمة كيف منصوبة بما بعدها معلقة لفعل النظر والجملة في حيز الجر على أنها بدل اشتمال من الإبل أي: أينكرون ما ذكر من البعث وأحكامه ويستبعدون وقوعه عن قدرة الله فلا ينظرون نظر اعتبار إلى الإبل التي هي نصب عينهم يستعملونها كل حين إنها كيف خلقت خلقاً بديعاً معدولاً به عن سنن خلقة سائر أنواع الحيوانات في عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيئتها اللائقة يتأتى ما يصدر عنها من الأفاعيل الشاقة كالنهوض من الأرض بالأوقار الثقيلة وجر الأثقال الفادحة إلى الأقطار النازحة وفي صبرها على الجوع والعطش حتى إن ظمئها ليبلغ العشر فصاعداً واكتفاءها باليسير ورعيها لكل ما تيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفي انقيادها مع ذلك للإنسان في الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها في ذلك كيفما يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير وتبول من خلفها؛ لأن قائدها أمامها فلا يترشش عليه بولها وعنقها سلم إليها وتتأثر من المودة والغرام وتسكر منهما إلى حيث تنقطع عن الأكل والشرب زماناً ممتداً وتتأثر من الأصوات الحسنة والحداء وتصير من كمال التأثر إلى حيث تهلك نفسها من سرعة الجري ويجري الدمع عينيها عشقاً وغراماً [پير رومى فرموده است].

برخوان أفلا ينظر تاقدرت ما بيني يكره بشتر بنكر تاصنع خدا بيني
درخار خورى قانع دربار برى راضي اين وصف اكرجويى در أهل صفا بيني

ولم يذكر الفيل مع أنه أعظم خلقة من الإبل؛ لأنه لم يكن بأرض العرب فلم تعرفه ولا يحمل عليه عادة ولا يحلب دره ولا يؤمن ضره.

[بخلاف شتركه هرچه مطلوبست از حيوان مثل نسل وحمل وشير ولحم وركوب هم از وحاصل است].

وقال بعض العلماء ذكر الله الجنة وما اتخذ فيها من المنازل الرفيعة والسرر العالية التي سمكها كذا وكذا ذراعاً قالوا فكيف يقعد أحدنا عليها وقامته قصيرة وهو لا يكاد يرقى سطحاً بغير سلم وتعجب المشركون منه وأيضاً.

[كفتند بطريق سخريت كه اكراين واقعست پس بلال وخباب أمثال ايشانرا كار افتاد زيرا بسى زحمت بايد تابر بالاي آن تخت بلند روند وبسى فرصت بايدتا ازان فرود آيند ابن آيت آمدكه ﴿أفلا ينظرون﴾ الخ يعني شتريا آن همه بلندى وبزركى برشتهٔ مسخر كودكى ميشود تا برد برآيد وفرود آيدپس چرا ارتخت بهشت متعجب مشوندكه درفرمان بهشتى باشد].

﴿وإلى السماء﴾ التي يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار. ﴿كيف رفعت﴾ رفعاً سحيق المدى بلا عماد ولا مساك بحيث لا يناله الفهم والإدراك.

﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿وإلى الجبال﴾ التي ينزلون في أقطارها وينفعون بمياهها وأشجارها ﴿كيف نصبت﴾ نصباً رصيناً فهي راسخة لا تميل ولا تميد وقال أبو الليث: كيف نصبت على الأرض أوتاداً لها وفيه إشارة إلى عالم المثال؟ لأنه متوسط بين سماء الروحانيات وأرض الجسمانيات كالجبال في الخارج. ﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾ أي: وإلى الأرض التي يضربون فيها ويتقلبون عليها كيف سطحت سطحاً وبسطت على ظهر الماء بسطاً حسبما يقتضيه صلاح أمور ما عليها من الخلائق والاستدلال بكونها مسطوحة على عدم كونها كرة مجاب بأن الكرة إذا كانت عظيمة جداً يكون كل قطعة منها كالسطح فيصح أن يطلق عليها البسط ففرق بين كرة وكرة كما أنه فرق بين بيض الحمامة وبيض النعامة، والمعنى أفلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار إلى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور لإشعارها بأن خالقها متصف بصفات الكمال من القدرة والقوة والحكمة منزه عن صفات النقصان من العجز والضعف والجهل حتى يرجعوا عما هم عليه من الإنكار والنفور ويسمعوا إنذارك ويستعدوا للقاء الله بالإيمان والطاعة.

[درتبيان آورده كه مخاطب عرب اند وأكثر ايشان أهل بريه باشند ومال ايشان شتراست وهرطر في مينكرند جز آسمان وزمين وكوه نمى بينند لا جرم بعد از ذكر شتر آسمان وكوه وزمين ياد ميكرد].

يعني قرنت الإبل بالسماء والجبال بالأرض لأن الآية نزلت بطريق الاستدلال وهم كانوا أشد ملابسة بهذه الأشياء من غيرهم فلذا جمع الله بينها وقال الغزالي رحمه الله: خص الإبل بالذكر لأنها لائقة بقرائنها معنى فالسماء الظليلة والأرض الزاملة والجبال الثقيلة كالإبل الفرش والحمولة فالسحاب تحمل الماء الزلال والإبل الأحمال الثقال والأرض الجبال والكل مسخر بأمره. قال القرطبي: قدم الإبل في الذكر ولو قدم غيره جاز وعن القشيري رحمه الله أنه قال: ليس هذا مما يطلب فيه نوع حكمة.

يقول الفقير: إن قلت: لو أخر ذكر الإبل لكان له مناسبة تامة مع ذكر الأرض لأن الإبل سفن البر قلت: نعم لكنه اعتبر سمك الإبل فترقى منه إلى سمك السماء.

ثم يقول الفقير: ولي كلام عريض في هذا المقام ذكرته في «كتاب الواردات الحقية» لي

وخلاصته أنه تعالى أشار بالإبل إلى النفوس فإنها ضخمة جسيمة مثلها وبدأ بالنفوس لأنها أصل بمنزلة الأم ولدرجة الأنوثة تقدم حكماً وإن كان لها تأخر صورة كحواء بالنسبة إلى آدم وأشار بالسماء إلى الأرواح لأنها علوية وبمنزلة الأب ولهذا أردفها بها وأشار بالجبال إلى القلوب لأنها أثبت من الرواسي ولأنها خلقت بعد خلق الروح والنفس كما أن الجبال خلقت بعد خلق السماء والأرض هي بمنزلة الولد لهما ولذا عقبهما بها، وقد صح أن الجبال تعبر في الرؤيا بأهل القلوب من الرجال لأنهم أوتاد الأرض والعمد المعنوية في الحقيقة كما أن الجبال أوتاد الأرض في الصورة وأشار بقوله نصبت دون خلقت إلى أن القلوب في الحقيقة أمر ملكوتي وإن ظهرت في الصورة ظهور الولد من الأبوين وأشار بالأرض إلى الأجساد السافلة وهي مؤخرة في المرتبة فالله تعالى سطح أرض البشرية والجسدانية لتكون مستقر النفوس وخلق النفوس لتكون مستوى القلوب وخلق القلوب لتكون عروش الروح بل السر بل الأخفى فما أحسن ترتيب هذه الآية وما أشد انتظام جملتها وتناسبها فهي كالجمع بين كاتب وقلم وقرطاس ودواة والله تعالى أعلم.

﴿فذكر﴾ الفاء لترتيب الأمر بالتذكير على ما ينبىء عنه الإنكار السابق من عدم النظر أي فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك أنهم لا ينظرون ولا يتذكرون ﴿إنما أنت مذكر﴾ تعطيل للأمر بما أمرت به أي مبلغ وإنما الهداية والتوفيق إلى الله تعالى. ﴿لست عليهم بمصيطر﴾ أي لست بمسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾ [ق: ٤٥] وأكثر القراء قرأوا بمصيطر بالصاد على القلب لمناسبة الطاء بعدها وقرىء بالسين على الأصل وبالإشمام بأن يخلط صوت الصاد بصوت الزاي بحيث يمتزجان فيتولد منهما حرف ليس بصاد ولا زاي وخلط حرف بحرف أحد معاني الإشمام في عرف القراء يقال سطر يسطر سطراً كتب والمسيطر والمصيطر المسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد أحواله ويكتب عمله فأصله من السطر فالكتاب مسيطر والذي يفعله مسيطر. وقال الراغب: يقال سطر فلان على كذا أو تسطر عليه إذا قام عليه قيام سطر أي: لست عليهم بقائم وحافظ واستعمال مسيطر هنا كاستعمال القائم في قوله: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ﴾ [الرعد: ٣٣] والحفيظ في قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ [الأنعام: ١٠٤] انتهى ﴿إلا من تولى﴾ أعرض عن الحق أو عن الداعي إليه بعد التذكير. ﴿وكفر﴾ وثبت على الكفر أو أظهره، وفي «فتح الرحمن» إلا من تولى عن الإيمان وكفر بالقرآن أو بالنعمة.

وفي «التأويلات النجمية»: إلا من تولى عن الحق بالإقبال على الدنيا وكفر أي ستر الحق بالخلق وهو استثناء منقطع ومن موصولة لا شرطية لمكان الفاء ورفع الفعل أي لكن من تولى وكفر فإن لله الولاية والقهر وهو المسيطر عليهم قالوا: وعلامة كون الاستثناء متصلاً محضاً لا يحسن ذلك نحو عندي مائتان إلا درهماً فلا يدخل عليه أن.

﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾.

﴿فيعذبه الله العذاب الأكبر﴾ الذي هو عذاب جهنم حرها شديد وقعرها بعيد ومقامعها من حديد وفي «فتح الرحمن» الأكبر عذاب جهنم والأصغر ما عذبوا به في الدنيا من الجوع والأسر والقتل ويؤيده ما قال الراغب: في قوله: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ [الدخان: ١٦] فيه تنبيه على أن كل ما ينال الكافر من العذاب قبل ذلك في الدنيا وفي البرزخ صغير في جنب

عذاب ذلك اليوم انتهى. وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١] فإن المراد بالعذاب الأدنى هو العذاب الأصغر الدنيوي لا البرزخي لقوله تعالى بعده: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢] فإن الرجوع إنما يعتبر في الدنيا لا في البرزخ وفيما بعد الموت فيكون المراد بالعذاب الأكبر هو العذاب الأخروي وإليه ينظر قوله تعالى: ﴿يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [الأعلى: ١٢] كما سبق. وفي «التأويلات النجمية»: العذاب الأكبر هو عذاب الاستتار في الدنيا وعذاب نار الهجران في الآخرة.

﴿**إن إلينا إيابهم**﴾ تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الأكبر يقال آب يؤوب أوباً وإياباً رجع أي: إن إلينا رجوعهم بالموت والبعث لا إلى أحد سوانا لا استقلالاً ولا اشتراكاً كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣] ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣] فتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة فإنه يفيد معنى أن يقال إن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام كما أن مبدأهم وصدورهم كان منه وفيه تخويف شديد فإن رجوع العبد العاصي المصر إلى مالكه الغضوب في غاية الصعوبة ونهاية العسرة وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما أن إفراده فيما سبق باعتبار لفظها ﴿**ثم إن علينا حسابهم**﴾ في المحشر لا على غيرنا فنحن نحاسبهم على النقير والقطمير من نياتهم وأعمالهم وثم للتراخي في الرتبة لا في الزمان فإن الترتب الزماني بين إيابهم وحسابهم لا بين كون إيابهم إليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فإنهما أمران مستمران قال أبو بكر بن طاهر رحمه الله: إن إلينا إيابهم في الفضل ثم إن علينا حسابهم في العدل وقال البقلي رحمه الله: انظر كيف تفضل بعد الوعيد بأن جعل نفسه مآبهم وتكفل بنفسه حسابهم فينبغي أن يعيشوا بهذين الفضلين أطيب العيش في الدارين ويطيروا من الفرح بهذين الخطابين. يقول الفقير ما قاله البقلي هو ما ذاقه العارفون بطريق المكاشفة فينبغي أن لا يغتر به العوام فإنه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر على الله تعالى يومئذٍ تعرضون لا تخفى منكم خافية إنما خف الحساب في الآخرة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وثقلت موازين قوم في الآخرة وزنوا نفوسهم في الدنيا ومحاسبة النفس تكون بالورع وموازنتها تكون بمشاهدة عين اليقين والتزين للعرض يكون بمخافة الملك الأكبر، وعن علي رضي الله عنه أما بعد فإن المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه، فما نالك من الدنيا فلا تكثرنه فرحاً وما فاتك منها فلا تتبعنه أسفاً وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت وفي الحديث: «ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا» وقال عليه السلام: «لو لم ينزل علي إلا هذه الآية لكانت تكفي ثم قرأ آخر سورة الكهف ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾» [الكهف: ١١٠] الخ. فكان هذا فصل الخطاب وبلاغاً لأولي الألباب فالعمل الصالح الإخلاص بالعبادة ونفي الشرك بالخلق هو اليقين بتوحيد الخالق فما كان لله أي خالصا لأجله وبالله أي: بمشاهدة قربه لا بمقارنة نفسه وهواه وفي الله أي: سبيله وطلب ما عنده لا لأجل عاجل حظه فمقبول وأهله من المقربين وحسابهم حساب يسير بل لا حساب لهم.

تمت سورة الغاشية بعون الله ذي العطايا الفاشية في السابع عشر من شهر مولد النبي عليه السلام من سنة سبع عشرة ومائة وألف

٨٩ ـ سورة الفجر

تسع وعشرون أو ثلاثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾.

﴿والفجر﴾ قال في «كشف الأسرار»: لما كان العرب أكثر خلق الله قسماً في كلامهم جاء القرآن على عادتهم في القسم، والفجر فجران: مستطيل كذنب السرحان وهو الكاذب ولا يتعلق به حكم ومستطير وهو الصادق الذي يتعلق به الصوم والصلاة أقسم الله بالفجر الذي هو أول وقت ظهور ضوء الشمس في جانب المشرق كما أقسم بالصبح حيث قال: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ [التكوير: ١٨] لما يحصل به من انقضاء الليل بظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات من الطيور والوحوش في طلب الأرزاق وذلك مشاكل لنشور الموتى وفيه عبرة عظيمة لمن تأمل.

وقال الكاشفي: [سوكند بصبح كه وقت مناجات دوستانست].

أو أقسم بصباح عرفة لأنه يوم شرف يتوجه فيه الحجاج إلى جبل عرفات وفي الحديث: «الحج عرفة» [يعني صباح روز عرفه كه وظائف دعا ونياز حاجيان درآنست].

أو صباح يوم النحر لأنه يوم عظيم أيضاً ويقع فيه الطواف المفروض والحلق والرمي ويروى «أن يوم النحر يوم الحج الأكبر».

[وبقولي مراد از صبح روز أول محرم است كه سال از ومنفجر ميشود يا بادمدا آذينه كه حج مسكينانست ودر تبيان آورده كه اشارت بانفجار آب از أصابع حضرت رسول الله ﷺ در روز طائف وغير آن وكفته اند انفجار ناقه از صخرهء صالح عليه السلام، يا انفجار عيون ومنابع يا انفجار آب از حجر موسى عليه السلام يا انفجار مطر از سحاب يا وران شدن اشك ندامت ازديدهء عاصيان].

بـران ازدوسـر چـشـمـهٔ ديـده جـوى ... ورآلايـشـى داري ازخـود بـشـوى

﴿وليال عشر﴾ هن عشر ذي الحجة والعرب تذكر الليالي وهي تعينها بأيامها تقول بني هذا البناء ليالي السامانية، أي أيامهم أو العشر الأواخر من شهر رمضان وتنكيرها للتعظيم لأنها مخصوصة بفضائل ليست لغيرها ولذا أقسم الله بها، وذلك كالاشتغال بأعمال الحج في عشر في الحجة وفي الحديث: «ما من أيام أزكى عند الله ولا أعظم أجراً من خير عمل في عشر الأضحى؟ قيل يا رسول الله ولا المجاهد في سبيل؟ الله قال: ولا المجاهد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء» وفيه إشارة إلى أن الغازي ينبغي أن يخرج

من بيته على قصد أن لا يعود والله يفعل ما يريد، وأما شرف العشر الآواخر فيكفي أي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر تطلب فيها.

[وكفته اندمراددهء محرم است كه عاشرا از آنست يادهء ميان شعبان كه شب براءت درآنست].

وقال البقلي: هي ليال ست خلق في أيامها السماوات والأرض، وليلة خلق فيها آدم عليه السلام وليلة يومها يوم القيامة، وليلة كلم الله فيها موسى عليه السلام وليلة أسري بالنبي عليه السلام وقال القاشاني: أقسم بابتداء ظهور نور الروح على مادة البدن عند أثر تعلقه به وليال عشر ومحال الحواس العشر الظاهرة والباطنة التي تتعلق عند تعلقه به لكونها أسباب تحصيل الكمال وآلائها.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى القسم بانفجار الحسنة الواحدة من أرض قلب المؤمن وليال الحسنات العشر المشار إليها بقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وإنما سماها بليال لكون ظهور الحسنات العشر من غيب مرتبة أحدية الحسنة الواحدة من غير الاكتساب من نهار العمل بل من عالم الغيب بطريق الموهبة الإلهية.

﴿**والشفع**﴾ بالفارسية جفت.

وذلك لأن الشفع ضم الشيء إلى مثله ﴿**والوتر**﴾ بفتح الواو وكسرها أي: شفع هذه الليالي ووترها والظاهر التعميم لأن الألف واللام للاستغراق أي: الأشياء كلها شفعها ووترها لأن كل شيء لا بد أن يكون شفعاً أو وتراً وقال الراغب: المخلوقات كلها من حيث إنها مركبات كما قال: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] فهو الشفع وأما الوتر فهو الله تعالى من حيث أن له الوحدة من كل وجه وإليه يرجع قول من قال من كبار أهل الحال يشير إلى القسم بشفع الكثرة الأسمائية ووتر الوحدة الذاتية الحقيقية ودخل فيهما العناصر الأربعة والأفلاك التسعة والبروج الاثنا عشر والسيارات السبع وصلاة المغرب وسائرها ويوم النحر لأنه عاشر أيام ذي الحجة ويوم عرفة لأنه تاسع تلك الأيام واليومان بعد يوم النحر واليوم الثالث وآدم وحواء عليهما السلام، زوجين ومريم عليها السلام وتر والعيون الاثنتا عشرة التي فجرها الله لموسى عليه السلام والآيات التسع وأيام عاد الشفع ولياليها الوتر كما قال تعالى: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة: ٧] والشهر الذي يتم بثلاثين يوماً والشهر الذي يتم بتسعة وعشرين والأعضاء والقلب والشفتان واللسان والسجدتان والركوع وأبواب الجنة وأبواب النار ودرجات الجنة ودركات النار وصفات الخلق كالعلم والجهل والقدرة والعجز وإرادة والكراهة والحياة والموت وصفات الحق وجود بلا عدم حياة بلا موت علم بلا جهل قدرة بلا عجز عز بلا ذل ونفس العدد شفعه ووتره والأيام والليالي واليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيامة وكل نبي له اسمان مثل محمد وأحمد والمسيح وعيسى ويونس وذو النون وكل من له اسم واحد مثل آدم ونوح وإبراهيم ومسجد مكة والمدينة وكذا يقال لهما الحرمان الشريفان والمسجد الأقصى والجبلان الصفا والمروة والبيت الحرام والنفس مع الروح في حالة الجمع وهما في حالة الافتراق وقال سهل رحمه الله: الفجر محمد عليه السلام، منه تفجرت الأنوار وليال عشر هي العشرة المبشرة بالجنة والشفع هو الفرض والوتر هو الإخلاص في الطاعات.

﴿**والليل**﴾ جنس الليل ﴿**إذا يسر**﴾ أي: بمضي، وبالفارسية: [آنكاه كه بكذرد].

كقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣﴾ [المدثر: ٣٣] والسري سير الليل، يقال سرى يسري سري ومسرى إذا سار عامة الليل وسار يسير سيراً ذهب والتقييد به لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة وفور النعمة كان جميع الحيوانات أعيد إليهم الحياة بعد الموت وتسببوا بذلك لطلب الأرزاق الممدة للحياة الدنيوية التي يتوسل بها إلى سعادة الدارين فإن قيل: القسم بالليل إذا يسر يغني عن القسم بليال عشر قلنا المقسم به في قوله: ﴿**والليل إذا يسر**﴾ هو الليل باعتبار سيره ومضيه وفي قوله: ﴿**وليال عشر**﴾ هو الليالي بلا اعتبار مضيها بل اعتبار خصوصية أخرى فلا يغني أحدهما عن الآخر ويجوز أن يكون المعنى والليل إذا يسر، يعني: يسري فيه الساري ويسير فيه السائر فإسناد السرى إلى الليل مجاز كما في نهاره صائم أي: هو صائم في نهاره فالتقيد بذلك لأن السير في الليل حافظ للسائر من حر الشمس فإن السفر مع مقاساة حر النهار أشد على النفس وقد قال النبي عليه السلام: عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى في الليل، وكذا هو حافظ من شر قطاع الطريق غالباً لأنهم مشغولون بالنوم في الليل وحذفت الياء اكتفاء بالكسر ولسقوطها في خط المصحف ولموافقة رؤوس الآي وإن كان والأصل إثباتها لأنها لام فعل مضارع مرفوع وسئل الأخفش عن حذفها فقال: اخدمني سنة فسأله بعد سنة فقال الليل يسري فيه ولا يسرى فعدل به عن معناه فوجب أن يعدل عن لفظه، يعني أن سقوط الياء ليدل على أن أصل الفعل منفي عن الليل وإن كان مسنداً إلى ضميره كما أن حركة العين في الحيوان تدل على وجود معنى الحركة في معنى الحيون لأن للتراكيب خواص بها تختلف وفيه إشارة إلى ظلمة البدن إذا ذهبت وزالت بتجرد الروح وإلى القسم بسريانه ليل الهوية المطلقة في نهار الحقائق المقيدة كما قال: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [الحج: ٦١] برفع المقيدات بسطوات أنوار المطلق وإلى القسم بليلة المعراج التي أسرى الله بعبده فيها فكانت أشرف جميع الليالي لأنها ليلة القدر والشرف والقرب والوصال والخطاب ورؤية الجمال المطلق.

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ٥ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦﴾

﴿**هل في ذلك**﴾ الخ تقرير وتحقيق لفخامة شأن المقسم بها وكونها أموراً جليلة حقيقة بالإعظام والإجلال عند أرباب العقول وتنبيه على أن الإقسام بها أمر معتد به خليق بأن يؤكد به الإخبار على طريقة قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦﴾ [الواقعة: ٧٦] كما يقول من ذكر حجة باهرة هل فيما ذكرته حجة والمعنى هل فيما ذكر من الأشياء المقسم بها. ﴿**قسم**﴾ أي: مقسم به، وفي «فتح الرحمن» مقنع ومكتفي. ﴿**لذي حجر**﴾ لذي عقل منور بنور المعرفة والحقيقة يراه حقيقياً بأن يقسم به إجلالاً وتعظيماً والمراد تحقيق أن الكل كذلك، وإنما أوثرت هذه الطريقة هضماً للخلق وإيذاناً بظهور الأمر أو هل في الإقسام بتلك الأشياء إقسام لذي حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه، وبالفارسية: [آيادرين سوكندكه ياد كردم سوكندى پسنديده مرخداوند عقل را تا اعتبار كند وداندكه سوكنديست].

محقق ومؤكد والحجر العقل لأنه يحجر صاحبه أي: يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلاً ونهيه بضم النون لأنه يعقل وينهي وحصاة أيضاً من الإحصاء وهو الضبط قال الفراء: يقال إنه لذو حجر إذا كان قاهراً لنفسه ضابطاً لها والتنوين في الحجر للتعظيم قال بعض الحكماء: العقل للقلب بمنزلة الروح للجسد فكل قلب لا عقل له فهو ميت بمنزلة قلب البهائم

والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن أي الكفار كما ينبىء عنه قوله تعالى:

﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾ الهمزة للإنكار وهو في قوة النفي ونفي النفي إثبات أي ألم تعلم يا محمد علماً يقينياً جارياً مجرى الرؤية في الجلاء أي قد علمت بإعلام الله تعالى وبالتواتر أيضاً كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فسيعذب كفار قومك أيضاً لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصي، والمراد بعاد أولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم أبيهم كما سمي بنو هاشم هاشماً وبنو تميم تميماً فلفظ عاد اسم للقبيلة المنتسبة إلى عاد وقد قيل لأوائلهم عاد الأولى ولأواخرهم عاد الأخيرة قال عماد الدين بن كثير: كل ما ورد في القرآن خبر عاد الأولى إلا ما في سورة الأحقاف.

﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝٨﴾.

﴿إرم﴾ عطف بيان لعاد للإيذان بأنهم عاد الأولى بتقدير مضاف أي سبط ارم أو أهل ارم على ما قيل من أن إرم اسم بلدتهم أو أرضهم التي كانوا فيها وكانت منازلهم بين عمان إلى حضر موت وهي بلاد الرمال والأحقاف ويؤيده القراءة بالإضافة وأياً ما كان فامتنع صرفها للتعريف والتأنيث، وفي «المفردات»: الآرام أعلام تبنى من الحجارة وإرم ذات العماد إشارة إلى أعلامها المرفوعة المزخرفة على هيئة المنارة أو على هيئة القبور وفيه أيضاً حذف مضاف بمعنى أهل الإعلام ﴿ذات العماد﴾ صفة لإرم واللام للجنس الشامل للقيل والكثير والعماد كالعمود والجمع عمد وعمد بفتحتين وبضمتين وأعمدة أي: ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالأعمدة أو ذات الخيام والأعمدة حيث كانوا بدويين أهل عمد يطلبون الكلأ حيث كان فإذا هاجت الريح ويبس العشب رجعوا إلى منازلهم أو ذات البناء الرفيع وكانوا ذات بنية مرفوعة على العمد وكانوا يعاجلون الأعمدة فينصبونها ويبنون فوقها القصور وكانت قصورهم ترى من أرض بعيدة أو ذات الأساطين إذ كانت مدينتهم ذات أبنية مرفوعة على الاسطوانات على أن إرم اسم بلدتهم وقال السهيلي رحمه الله: إرم ذات العماد وهو جيرون بن سعد بن إرم وهو الذي بنى مدينة دمشق على عمد من رخام ذكر أنه أدخل فيها أربعمائة ألف عمود وأربعين ألف عماد من رخام فالمراد هذه العماد التي كان البناء عليها في هذه المدينة وكانت تسمى جيرون وبه تعرف وسميت دمشق بدمشق بن نمرود عدو إبراهيم الخليل عليه السلام وكان دمشق قد أسلم وبنى جامع إبراهيم في الشام انتهى لعل هذه الرواية أصح فليتأمل.

﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ صفة أخرى لإرم والضمير لها على أنها اسم القبيلة أي: لم يخلق مثلهم في عظم الإجرام والقوة في الآفاق والنواحي حيث كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحي فيهلكهم ولذا كانوا يقولون من أشد منا قوة ونظيرهم في الطيور الرخ وهو طير في جزائر الصين يكون جناحه الواحد عشرة آلاف باع يحمل حجراً في رجله كالبيت العظيم ويلقيه على السفينة في البحر أو لم يخلق مثل مدينتهم في جميع بلاد الدنيا فالضمير لها على أنها اسم البلدة.

[وقصهء آن بر سبيل إجمال آنست كه عبد الله بن قلابه بطلب شترى كم شده صحراى عدن ميكشت دربيا باني بشهري رسيدكه بارهء محكم داشت كه اساس آن از جزع يماني وبر حوالىء آن قصور بسيار بودباميد آنكه كسى بيندو أحوال شترخود پرسد بدر حصار آمد درى

ديد هردو مصراعش مكلل بجواهر قيمتي وهيچكس را آنجا نيافت متحيرشد وچون بشهر درامد حيرتش بيفزودچه قصرها ديدبرستونها زبرجد وياقوت بناكرده خشتى از زر وخشتى ازنقره وفرشها برهمين وتيره بجاي سنك ريزه مرواريدهاي آبدار ريخته ودر حوالیٔ هرقصرى آبهاي روان برورى لؤلؤ ومرجان ودرختان بسيار تنهاى آن اززر وبركهاي آن اززبرجد وشكوفهاي آن ازسيم باخود كفت هذه الجنة التي وعد المتقون (مصراع)].

اين چه منزل چه بهشت اين چه مقمست اينجا

وقال والذي بعث محمداً ما خلق الله مثل هذا في الدنيا [پس قدري ازان جواهر برداشت ودرپس بالحق وپشت بست وبيمن باز آمد ومردمان آن كوهررا دردست او بيدند وحمل بر يافتن كنجى كره قصهٔ وى درزبانها افتاد تاحدى كه حال اورا بمعاويه كه ران وقت حاكم شام بود آنها كردند معاويه أورا طلبيد وتمام حكايت اواز أول تا آخر استماع كردپس اورا در مجلس بنشانيد وكعب الأحبار را طلبيده پرسيدكه دردنيا شهري هست كه بناي اواز زرونقره باشد ودرختان مكلل بجواهر كعب كفت آرى شهريست كه حق سبحانه وتعالى در قرآن مجيد ياد فرمودكه (لم يخلق مثلها في البلاد) وآنراشداد بن عاد ساخته واو بادشاه عظيم قدر بوده است ونهصد سال عمر داشت هرجا در عالم زرى وجوهرى بوده همه را جمع كراده وصد قهرمان باهر يكى هزار فرستاد تا شهرارم را بساختند وبسيصد سال باتمام رسيدده سال ديكر تهيئهٔ راه اشتغال نمود امر أو ملوك عالم را جمع كرد واز دار السلطة خود بتماشاى آن شهر متوجه شديك شبه راه ميان أو وآن بنامانده بودكه حق سبحانه وتعالى ملكي فرستاد تا صيحهٔ برايشان زدوهمه بمردند وان شهراز نظر مردم پوشيده شد چنانچه أصحاب كهف درغار وخوانده ام كه در حكومت تومردى كوتاه بالأسرخ رنك سير چشم كه برروى أو خالي وبركردن آن علامتي باشد بطلب شترى بدآنجارسد وآنرا بيند پس بازنكريست وابن قلابه راديد كفت هو والله ذلك الرجل].

قال ابن الشيخ في «حواشيه»: وفيه بحث لأن قوم عاد أهلكوا بالريح وقوم صالح أهلكوا بالصيحة إلا أن يراد بالصيحة ههنا الريح الشديد الصوت وذكر كعب أنه كتب ابن شداد على لوح وضع عند رأس أبيه عن لسانه حين رفعه من المفازة ودفنه.

أنا شداد بن عاد صاحب الحصن العميد
وأخو القوة والبأساء والملك المشيد
دان أهل الأرض لي من خوف وعدي وعيدي
وملكت الشرق والغرب بسلطان شديد
فأتتنا صيحة تهوى من الأفق البعيد
فتوفتنا كزرع وسط بيداء حصيد

وذكر في «قوت القلوب»: تصنيف العالم الرباني أبي طالب المكي قدس سره: أنه قيل لأبي يزيد البسطامي قدس سره: هل دخلت إرم ذات العماد؟ فقال: صه قد دخلت ألف مدينة لله تعالى في ملكه أدناها ذات العماد ثم أخذ يعدد تلك المدائن جابلق جابلص إلى غير ذلك فظاهر قول أبي يزيد أدناها ذات العماد يخالف قوله تعالى: ﴿**لم يخلق مثلها في البلاد**﴾ لكن المستفاد من الآية نفي الخلق في الماضي ويجوز أن تكون تلك المدائن حادثة بعد نزول القرآن

ويجوز أن يراد بنفي المثل هو المثل في الزينة وبالأدنى صغر الجثة، وفي بعض نسخ «قوت القلوب»: إن معنى الآية لم يخلق مثلها في بلاد اليمن لأنهم خوطبوا بما في بلادهم كما قال الله تعالى: ﴿أَوْ يُنفَوْا مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣] أي أرض بلادهم وبمثل هذه التوجيهات يندفع الإشكال، كذا في «شرح البردة» لابن الشيخ.

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ (١٠) ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ (١١)﴾

﴿وثمود﴾ [وديكرچه كرد خداي تعالى بقوم ثمود].

وهو عطف على عاد وثمود قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود أخي جديس وهما ابنا عامر بن رام بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وكانوا عرباً من العارية يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الأصنام كعاد وهم قوم صالح كما قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣].

﴿الذين جابوا الصخر بالواد﴾ الجوب القطع تقول: جبت البلاد أجوبها جوباً وزاد الفراء جبت البلاد أجيبها جيباً إذا جلت فيها وقطعتها وجبت القميص ومنه سمي الجيب والصخر هو الحجر الصلب الشديد، والواد: أصله الوادي حذفت ياؤه اكتفاء بالكسرة ورعاية لرأس الآية وأصل الوادي الموضع الذي يسيل فيه الماء، ومنه سمي المنفرج بين الجبلين وادياً والمراد هنا هو وادي القرى بالقرب من المدينة الشريفة من جهة الشام قال أبو نضرة أتى رسول الله ﷺ في غزوة تبوك على وادي ثمود وهو على فرس أشقر فقال: «أسرعوا السير فإنكم في واد ملعون» والمعنى: قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتاً نحتوها من الصخر كقوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [الشعراء: ١٤٩] قيل إنهم أول من نحت الجبال والصخور والرخام وقد بنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة.

﴿وفرعون﴾ [وچه كرد بفرعون موسى عليه السلام].

وهو الوليد بن مصعب بن ريان بن ثروان أبو العباس القبطي، وإليه تنسب الأقداح العباسية وفرعون لقب أفرده تعالى بالذكر لانفراده في التكبر والعلو حتى ادعى الربوبية والألوهية ﴿ذي الأوتاد﴾ جمع وتد بالتحريك وبكسر التاء أيضاً بالفارسية ميخ.

وقد سبق في سورة النبأ وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم ويربطونها بالأوتاد والأطناب كما هو الآن عادة في ضرب الخيمة والتعذيبة بالأوتاد كما قال في «كشف الأسرار»: [وفرعون آن كشنده بميخ بند يعني بطريق چهار ميخ تعذيب كننده].

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن فرعون إنما سمي ذا الأوتاد لأن امرأة خازنة خربيل كانت ماشطة هيجل بنت فرعون، وكان خربيل مؤمناً يكتم إيمانه منذ مائة سنة وكذا امرأته فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت: تعس من كفر بالله تعالى فقالت ابنة فرعون: وهل لك إله غير أبي فقالت؟ إلهي وإله أبيك وإله السماوات والأرض واحد لا شريك له فقامت: ودخلت على أبيها وهي تبكي فقال ما يبكيك؟ قالت: إن الماشطة امرأة خازنك تزعم أن إلهك وإلهها وإله السماوات والأرض واحد لا شريك له فأرسل إليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها: ويحك اكفري بإلهك قالت لا أفعل فمدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيات والعقارب وقال لها: اكفري بالله وإلا عذبتك بهذا العذاب

شهرين فقالت لو عذبتني سبعين شهراً ما كفرت به وكانت لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على فيها وقال لها: اكفري بإلهك وإلا ذبحت الصغرى على فيك أيضاً وكانت رضيعاً فقالت: لو ذبحت من في الأرض على فيّ ما كفرت بالله تعالى فأتى بابنتها، فلما أضجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة فأطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الأربعة الذين تكلموا أطفالاً وقالت: يا أماه لا تجزعي فإن الله تعالى قد بنى لك بيتاً في الجنة اصبري فإنك تفضين إلى رحمة الله تعالى وكرامته فذبحت فلم تلبث أن ماتت فأسكنها الله تعالى إلى جوار رحمته، وكان فرعون قد تزوج امرأة من أجمل نساء بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت في نفسها كيف يسعني أن أصبر على ما يفعل فرعون وأنا مسلمة وهو كافر بينما هي تؤامر نفسها إذ دخل عليها فرعون فجلس قريباً منها فقالت يا فرعون أنت شر الخلق وأخبثهم عمدت إلى الماشطة فقتلتها قال: فلعلك بك الجنون الذي كان بها قالت: ما بي من جنون وإنما المجنون من يكفر بالله الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما وحده لا شريك له وهو على كل شيء قدير فمدها بين أربعة أوتاد يعذبها ففتح الله لها باباً إلى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ [التحريم: ١١] فقبض الله روحها وأسكنها الجنة العالية وقد سبق طرف من هذه القصة في آخر سورة التحريم فارجع ثم في عاد إشارة إلى الطبيعة البشرية وفي ثمود إلى القوة الشهوية وفي فرعون إلى القوة الغضبية فلا بد للسالك من تزكيتها وإزالة آثارها.

﴿الذين طغوا في البلاد﴾ صفة للمذكورين من الطوائف الثلاث فيكون مجرور المحل لكون بعض المذكورين قبله مجروراً بالباء وبعضها معطوفاً عليه وهو أحسن بحسب اللفظ إذ لا حذف فيه، واختار صاحب «الكشاف» كونه منصوباً على الذم بتقدير أعني لكونه صريحاً في الذم والمقام مقام الذم وهو أحسن نظراً إلى المعنى والمعنى، طغى كل طائفة منهم في بلادهم وتجاوزوا الحد يعني طغى عاد في اليمن وثمود بأرض الشام والقبط بمصر كما أن نمرود طغى بالسواد وقس على هذا سائرهم.

﴿فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾.

﴿فأكثروا فيها الفساد﴾ أي بالكفر وسائر المعاصي فإن الفساد يتناول جميع أقسام الإثم كما أن الصلاح يتناول جميع أقسام البر فمن عمل بغير أمر الله وحكم في عباده بالظلم فهو مفسد متجاوز عن الحد الذي حد له وفيه خوف شديد لأكثر حكام الزمان ونحوهم. ﴿فصب عليهم ربك﴾ صب الماء إراقته من أعلى أي: أنزل إنزالاً شديداً على كل طائفة من أولئك الطوائف عقيب ما فعلت من الطغيان والفساد. ﴿سوط عذاب﴾ السوط الجلد المضفور أي: المنسوج المفتول الذي يضرب به أي: عذاباً شديداً لا تدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التي شرحت في سائر السور الكريمة وهي الريح لعاد والصيحة لثمود والغرق للقبط وتسميته سوطاً للإشارة إلى أن ذلك بالنسبة إلى ما أعدلهم في الآخرة بمنزلة السوط عند السيف قال أبو حيان استعير السوط للعذاب لأنه يقتضي من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره.

وقال الكاشفي: [چون عرب ضرب تازيانه راسخت ترين عذابها مى دانستند].
يعني أن السوط عندهم غاية العذاب.
هركونه از عذاب را نيز سوط ميكفتند حق سبحانه بقانون كلام ايشان عذابهاي خودرا سوط كفت قال الشاعر:

ألـــم تـــر إن الله أظـــهـــر ديـــنـــه وصـب عـلـى الـكـفـار سـوط عـذاب

والتعبير عن إنزاله بالصب للإيذان بكثرته واستمراره وتتابعه فإنه عبارة عن إراقة شيء مائع أو جار مجراه في السيلان كالرمل والحبوب وإفراغه بشدة وكثرة واستمرار، ونسبته إلى السوط مع أنه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيه في نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشيء المصبوب فإن قيل: أليس أن الله تعالى قال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٦١] وهو يقتضي تأخير العذاب إلى الآخرة فكيف الجمع بين هاتين الآيتين قلنا: إنه يقتضي تأخير تمام الجزاء إلى الآخرة وذلك لا ينافي أن يعجل شيء من ذلك في الدنيا فإن الواقع في الدنيا شيء من الجزاء ومقدماته كذا في «حواشي ابن الشيخ».

يقول الفقير: وأوجه من ذلك أن المفهوم من الآية المؤاخذة لكل الناس وهو لا ينافي أن يؤاخذ بعضهم في الدنيا بعذاب الاستئصال كبعض الأمم السالفة المكذبة.

﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ تعليل لما قبله وإيذان بأن كفار قومه عليه السلام سيصيبهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب كما ينبىء عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام، والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الراصدون مفعال من رصده كالميقات من وقته والباء للظرفية أي: أنه لفي المكان الذي تترقب فيه السابلة ويجوز أن يكون صيغة مبالغة كالمطعان والباء تجريدية وهذا تمثيل لإرصاده تعالى بالعصاة وإنهم لا يفوتونه شبه حاله تعالى في كونه حفيظ لأعمال العباد مجازياً عليها على النقير والقطمير، ولا محيد للعباد عن أن لا يكون مصيرهم إلا الله بحال من قعد على طريق السابلة يترصدهم ليظفر بالجاني أو لأخذ المكس أو نحو ذلك ولا مخلص لهم من العبور إلى ذلك الطريق ثم استعمل هنا ما كان مستعملاً هناك.

قال الكاشفي: [حق سبحانه همه رامي بيند ومي شنود وبرو پوشيده نيست].

هم نهان داند وهم آنچه نهان ترباشد يعلم السر وأخفى صفت حضرت أوست

ويقال: يعني ملائكة ربك على الصراط يترصدون على جسر جهنم في سبعة مواضع فيسأل في أولها عن الإيمان فإن سلم من النفاق والرياء نجا وإلا تردى في النار وفي الثاني عن الصلاة فإن أتم ركوعها وسجودها وأقامها في مواقيتها نجا وإلا تردى في النار وفي الثالث عن الزكاة وفي الرابع عن صوم شهر رمضان وفي الخامس عن الحج والعمرة وفي السادس عن الوضوء والغسل من الجنابة وفي السابع عن بر الولدين وصلة الرحم فإن خرج منها قيل له: انطلق إلى الجنة وإلا وقع في النار.

﴿فأما الإنسان﴾ متصل بما قبله من قوله **﴿إن ربك لبالمرصاد﴾** وكأنه قيل إنه تعالى بصدد مراقبة أحوال عباده ومجازاتهم بأعمالهم خيراً وشراً فأما الإنسان فلا يهمه ذلك وإنما مطمح نظره ومرصد فكره الدنيا ولذائذها. قال السهيلي رحمه الله: المراد بالإنسان عتبة بن ربيعة وكان هو السبب في نزولها فيما ذكروا وإن كانت هذه الصفة تعم. **﴿إذا ما ابتلاه ربه﴾** أي: عامله

معاملة من يبتليه بالغنى واليسار. ﴿فأكرمه﴾ [پس كرامى كندش بجاه واقتدار] ﴿ونعمه﴾ [ونعمت دهدش ومعيشت برو فراخ كرداند وبآساني كارا وبسازد].

والفاء تفسيرية فإن الإكرام والتنعيم عين الابتلاء. ﴿فيقول﴾ مفتخراً ﴿ربي﴾ پروردكار من ﴿أكرمن﴾ فضلني بما أعطاني من الجاه والمال حسبما كنت أستحقه ولا يخطر بباله أنه محض تفضل عليه ليبلوه أيشكر أم يكفر وهو خبر للمبتدأ الذي هو الإنسان والفاء لما في أما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كأنه قيل فأما الإنسان فيقول ربي أكرمني وقت ابتلائه بالإنعام وإنما تقديمه للإيذان من أول الأمر بأن الإكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي فإذا لمجرد الظرفية وإن هذه الفاء لا تمنع أن يعمل ما بعدها فيما قبلها.

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾﴾.

﴿وأما إذا ما ابتلاه﴾ أي وإما هو إذا ما ابتلاه ربه فيكون الواقع بعد إما في الفقرتين اسماً فتكون الجملتان متعادلتين ﴿فقدر عليه رزقه﴾ [پس تنك سازد برو روزىء اورا] يعني ضيقه حسماً تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وجعله عى قدر كفايته وقوت يومه ﴿فيقول﴾ متضجراً ﴿ربي أهانن﴾ أذلني بالفقر ولا يخطر بباله أن ذلك ليبلوه أيصبر أم يجزع مع أنه ليس من الإهانة في شيء ولذا لم يقل فأهانه فقدر عيه رزقه في مقابلة أكرمه ونعمه بل التقتير قد يؤدي إلى كرامة الدارين في حق الفقير الصابر أما تأديته إلى كرامة الآخرة فأمر ظاهر وأما تأديته إلى كرامة الدنيا فلأنه قد يسلم به من طمع الأعداء فيحسن فيه اعتقاد الكبراء من أهل الدنيا فيراجعونه ويلتمسون منه الدعاء والتوسعة قد تفضى إلى خسران الدارين بالكفران فيكون استدراجاً.

أي دل اكر بديده تحقيقي بنكري درويشى اختياركنى بر توانكري

قال بعضهم: ربما كان التضييق إكراماً له بأن لا يشغله بالنعمة عن المنعم ويجعل ذلك وسيلة له في التوجه إلى الحق والسلوك في طريقه لعدم التعلق وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء قد ربطوه في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ نصف الكعبين فيجمعه بيده كراهة أن ترى عورته فتأمل هل تكون هذه إهانة لخواص عباد الله فالمؤمن إما في مقام الشكر أو في مقام الصبر قال عليه الصلاة والسلام: «الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر».

صيرفئ از فقر چون درغم شود عين فقرش دابه ومطعم شود
رانكه جنت از مكاره رسته است رحم قسم عاجزا شكسته است
آنكه سرها بشكند اواز علو رحم حق وخلق نايد سوى او

كما قال بعض الكبار: في قوله: ﴿فيقول ربي أهانن﴾ أي تركني ذليلاً مهيناً لم يعرف المحجوب المسكين أن ربه ناظر إليه بنظر الرحمة والشفقة إذ جذبه بالجذبة الرحمانية من العالم الطبيعي إلى العالم الروحاني ومن عالم النفس إلى عالم القلب ومن عالم الفرق إلى عالم الجمع ومن عالم الفراق إلى عالم الوصال.

﴿كلا﴾ ردع للإنسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيها في كلتا الحالتين قال ابن عباس

رضي الله عنهما: المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضاء والقدر بلا تعليل بالعلل. ﴿بل لا تكرمون اليتيم﴾ انتقال من بيان سوء أقواله إلى بيان سوء أفعاله والتفات إلى الخطاب للإيذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديداً للتقريع وتأكيداً للتشنيع والجمع باعتبار معنى الإنسان إذ المراد الجنس أي بل لكم أحوال أشد شراً مما ذكر وأدل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من إكرام اليتيم بالنفقة والكسوة ونحوهما وهو من بني آدم هو الذي فقد أباه وكان غير بالغ ومن البهائم ما فقد أمه، قال عليه الصلاة والسلام: «أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم».

برحمت بكن آبش از ديده پاك بشفقت بيفيانش از چهره خاك

قال في «الأشباه»: استخدام اليتيم بلا أجرة حرام ولو لأخيه ومعلمه إلا لأمه وفيما إذا أرسله المعلم لإحضار شريكه كما في «القنية».

﴿ولا تحاضون﴾ بحذف إحدى التاءين من تتحاضون والحض الحث والتحريض لا يحض بعضكم بعضاً ولا يحث من أهل وغيره شكراً لإنعام الله تعالى. ﴿على طعام المسكين﴾ أي: على إطعام جنس المسكين ومن لا يحض غيره على إطعامه فإن لا يطعمه بنفسه أولى فيؤول المعنى إلى أن يقال: ولا تطعمون مسكيناً ولا تأمرون بإطعامه وفيه ذم بليغ للبخيل قال مقاتل: كان قدامة بن مظعون يتيماً في حجر أمية بن خلف فكان يدفعه عن حقه فنزلت.

﴿وتأكلون التراث﴾ أي: الميراث وأصله وراث قلبت واوه تاء والميراث هو المال المنتقل من الميت﴿أكلاً لماً﴾ اللم الجمع يقال: كتيبة ملمومة مجتمعة بعضها إلى بعض والمعنى أكلا ذا لم على حذف المضاف أي: جمع بين الحلال والحرام فإنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباءهم وفيه إشارة إلى أنه كان بينهم ميراث يتوارثونه من إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام لكنهم قد بدلوه كما بدلوا غيره من بعض الأحكام أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام مشتبه عالمين بذلك.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿وتحبون المال حباً جماً﴾ كثيراً مع حرص وشره ومنع حقوق وعدم انتفاع فإن الجم الكثير يقال: جم الماء في الحوض إذا اجتمع فيه وكثر والمقصود ذمهم ببيان أن حرصهم على الدنيا فقط وأنهم عادلون عن أمر الآخرة وفيه إشارة إلى أن حب المال طبيعي فلا يتخلص منه المرء بالكلية إلا أن يكون من الأقوياء فكأنه أشار إلى أن حبه إذا لم يشتد لا يكون مذموماً وقال بعض الكبار: وتحبون مال الأعمال السيئة النفسانية والأحوال القبيحة الهوائية حباً كثيراً.

﴿كلا﴾ ردع لهم عما ذكر من الأفعال والتروك وإنكار أي: لا ينبغي أن يكون الأمر كذلك في الحرص على الدنيا وقصر الهمة على تحصيلها وجمعها من حيث تهيأ من حل أو حرام وترك المواساة منها وتوهم أن لا حساب ولا جزاء فإن عاقبة ذلك الحسرة والندامة على إيثار الحياة الدنيوية الفانية على الحياة الأخروية الباقية. ﴿إذا دكت الأرض دكاً دكاً﴾ استئناف بطريق الوعيد تعليل للردع والدك الدق يقال دككت الشيء أدكه دكاً إذا ضربته وكسرته حتى

سويته بالأرض وبالفارسية [كوفتن چيزى تابزمين برا بر كردد].

وقال الخليل: الدك كسر الحائط والجبل ودكته الحمى دكاً أي: كسرته كسراً وقال المبرد: الدك حط المرتفع بالبسط ودكا الثاني ليس تأكيد الأول بل هودك آخر سوى الأول والمعنى إذا دكت الأرض دكاً متتابعاً وضرب بعضها ببعض حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وأبنية وقصور حين زلزلة زلزلة بعد زلزلة وحركت تحريكاً بعد تحريك وصارت هباءً منبثاً وهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية وبالفارسية [چون شكسته شود زمين شكستني بعد ازشكستنى يعني پاره پاره كردد].

﴿وجاء ربك﴾ أي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السطان بنفسه من أحكام هيبته وسياسته فإنه عند حضوره ظهر ما لا يظهر بحضور وزرائه وسائر خواصه وعساكره وقال الإمام أحمد: جاء أمره وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل.

وفي «التأويلات النجمية»: تجلى في المظهر الجلالي القهري. ﴿والملك﴾ [وبيايد فرشتكان بعرصهء محشر]. ﴿صفاً صفاً﴾ أي: حال كونهم مصطفين لا ذوي صفوف فإنه ينزل يومئذٍ ملائكة كل سماء فيصطفون صفاً بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم اصطفاف أهل الصلاة في الدنيا من الإنس والجن كما قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ [الحاقة: ١٧] فهم سبعة صفوف عدد السموات السبع.

﴿وجيء يومئذٍ بجهنم﴾ كقوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾ [الشعراء: ٩١] يعني أن المجيء بها عبارة عن إظهارها حتى يراها الخلق مع ثباتها في مكانها فإن من المعلوم أنها لا تنفك عن مكانها والباء للتعدية على أن جهنم قائم مقام الفاعل لجيء، وقال ابن مسعود رضي الله عنه ومقاتل: تقاد جهنم بسبعين ألف زمام، وكل زمام معه سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير، [يعني دوزخ از خشم كافران مى جوشدومى خروشد].

فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع ويجثو كل نبي وولي من الهول والهيبة على ركبته ويقول نفسي نفسي حتى يعترض لها رسول الله ﷺ ويقول أمتي أمتي تقول النار ما لي وما لك يا محمد لقد حرم الله لحمك علي فالمجيء بها علي حقيقته فإن الجر يدل على انفكاكها عن مكانها وتأوله الأولون بحمله على التجوز بأن معنى يجرون يباشرون أسباب ظهورها.

يقول الفقير: لا حاجة إلى الحمل على التجوز فإن بعض الأمكنة كالكعبة تزور بعض الخواص بالإيجاد والإعدام اللذين هما إسراع شيء من طرفة العين فلا بعد في أن يكون مجيء جهنم من هذا القبيل على أن الأرض يومئذٍ أوسع شيء كما بين فيما سبق، فهي تسع جهنم وأهل المحشر جميعاً، وأيضاً المراد بمجيء جهنم مجيء صورتها المثالية ولا مناقشة فيه فيكون كمجيء المسجد الأقصى إلى مرأى النبي عليه الصلاة والسلام حين سأله قريش عن بعض أوصافه في قصة المعراج.

﴿يومئذٍ﴾ بدل من إذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى﴿يتذكر الإنسان﴾ أي: يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره وأحكامه أو بمعاينة عينه على أن الأعمال تتجسم في النشأة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة أو يتعظ أي: يقبل التذكير والإرشاد الذي بلغ إليه في الدنيا ولم يتعظ ولم يقبله في الدنيا فيتعظ به في الآخرة

فيقول: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٢٧] وهذا الاتعاظ يستلزم الندم على تقصيراته والندم توبة لكن لا توبة هناك لفوت الوقت. قال القاشاني: يوم يتذكر الإنسان خلاف ما اعتقده في الدنيا وصار هيئة في نفسه من مقتضيات فطرته فإن ظهور الباري بصفة القهر والملائكة بصفة التعذيب لا يكون إلا لمن اعتقد خلاف ما ظهر عليه بما هو في نفس الأمر كالمنكر والنكير **﴿وأنى له الذكرى﴾** اعتراض جيء به لتحقيق أنه ليس بتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى بعدم وقوعه في أوانه وأنى خبر مقدم للذكرى وله متعلق بما تعلق به الخبر أي ومن أين يكون له الذكرى وقد فات أوانها وقيل هناك محذوف واللام للنفع، أي أني له منفعة الذكرى وبه يرتفع التناقض الواقع بين إثبات التذكر أولاً ونفيه ثانياً ثم أنه تعالى لما نفى كون هذه الذكرى والتوبة نافعة له بقوله وأنى له الذكرى علمنا أنه لا يجب قبول التوبة كما ذهب إليه المعتزلة وفي «الإرشاد»: والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف يعني عقلاً كما تزعم المعتزلة مما لا وجه له على أن تذكره ليس من التوبة في شيء فإنه عالم بأنها إنما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى:

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿يقول يا﴾ أيها الحاضرون **﴿ليتني﴾** كاشكى من **﴿قدمت لحياتي﴾** وهو بدل اشتمال من يتذكر أو استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ عنه كأنه قيل ماذا يقول عند تذكره؟ فقيل: يقول: يا ليتني عملت لأجل حياتي هذه يعني لتحصيل الحياة الأخروية التي هي حياة نافعة دائمة غير منقطعة أعمالاً صالحة انتفع بها اليوم أو وقت حياتي على أن اللام بمعنى في للتوقيت ويجوز أن يكون المعنى قدمت عملاً ينجيني من العذاب فأكون من الأحياء قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤].

واعلم أن أهل الحق لا يسلبون الاختيار بالكلية وليس في هذا التمني شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله كما يزعمه المعتزلة وإنما الذي يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكناً من تقديم الأعمال الصالحة وأما إن ذلك بمحض قدرته أو بخلق الله عند صرف قدرته الكاسبة إليه فلا وأما ما قيل من أن المحجور قد يتمنى إن كان ممكناً منه وموفقاً له فربما يوهم أن من صرف قدرته إلى أحد طرفي الفعل يعتقد أنه محجور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل أحد جازم بأنه لو صرف قدرته إلى أي طرف كان من أفعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف وإلزام الحجة.

﴿فيومئذٍ﴾ أي: يوم إذ يكون ما ذكر من الأحوال والأقوال **﴿لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد﴾** الهاء راجع إلى الله تعالى والعذاب بمعنى التعذيب كالسلام بمعنى التسليم وكذا الوثاق بالفتح بمعنى الإيثاق وهو الشد بالوثاق وهو ما يشد به من الحديد والحبل والإيثاق بالفارسية [بند كردن يعني بسلاسل وأغلال، واسير كرد دران].

والمعنى: لا يتولى عذاب الله ووثاقه أحد سواه إذ الأمر كله لله فلا يلزم أن يكون يوم القيامة معذب سوى الله لكنه لا يعذب أحد مثل عذابه، وفي «عين المعاني» لا يعذب كعذاب الله في الآخرة أحد في الدنيا ويجوز أن يكون الهاء للإنسان أي: لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول، وفي «الكشاف»: هي قراءة

رسول الله ﷺ وعن أبي عمرو أنه رجع إليه في آخر عمره أي لا يعذب مثل عذاب الإنسان أحد وظاهره يقتضي أن يكون عذابه أشد من عذاب إبليس إلا أن يكون المراد أحد من هذا الجنس كعصاة المؤمنين نسأل الله السلامة والعافية في الدارين.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾

﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ لما ذكر شقاوة النفس الأمارة شرع في بيان سعادة النفس المطمئنة والاطمئنان السكون بعد الانزعاج وسكون النفس إنما هو بالوصول إلى غاية الغايات في اليقين والمعرفة والشهود وفي قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] تنبيه على أنه بمعرفته تعالى والإكثار من عبادته يكتسب اطمئنان النفس وإذا وصلت إلى مقام الاطمئنان بذكر الله صار صاحبها في مقام التلوين في التمكين آمنا من الرجوع إلى الأحكام الطبيعية والآثار البشرية فإن الفاني لا يرد إلى أوصافه فمن كان متمكناً في مقام الترقي تخلص من التنزل إلى مقام النفس الأمارة. وفي «التعريفات»: النفس المطمئنة هي التي تنورت بنور القلب حتى تخلت عن صفاتها الذميمة وتحلت بالأخلاق الحميدة.

وقال الكاشفي: [أي نفس آرام كرفته بذكر من كه شاكر بودي در نعمت وصبر نمود درمحنت].

والمعنى أن الله تعالى يقول بالذات للمؤمن إكراماً له كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام أو على لسان الملك وذلك عند تمام الحساب **﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك﴾** أي إلى ما وعد لك من الكرامة والزلفى فكونه تعالى منتهى الغاية إنما هو بهذا الاعتبار فسقط تمسك المجسمة واستدل بالرجوع الذي هو العود على تقدم الروح خلقاً **﴿راضية﴾** بما أوتيت من النعيم المقيم **﴿مرضية﴾** عند الله.

﴿فادخلي في عبادي﴾ في زمرة عبادي الصالحين المختصين بي **﴿وادخلي جنتي﴾** معهم كقوله تعالى: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩] فالدخول في زمرة الخواص هي السعادة الروحانية والدخول معهم في الجنات ودرجاتها هي السعادة الجسمانية وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي في أجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي وهذا يؤيد قول من قال إن الخطاب عند البعث وذهب بعضهم إلى أنه عند الموت، كما روي أن أبا بكر رضي الله عنه سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إن الملك سيقولها لك يا أبا بكر عند موتك» وقال الحسن: إذا أراد الله قبضها اطمأنت إلى الله ورضيت عن الله ورضي الله عنها، وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إذا توفي العبد المؤمن أرسل الله ملكين وأرسل إليه بتحفة من الجنة فيقال لها: اخرجي أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى روح وريحان ورب عنك راض فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه والملك على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الأرض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب إلا فتح ولا بملك إلا صلي عليها حتى يؤتى بها إلى الرحمن أي: إلى حضوره ومقام مخصوص من مقامات كراماته فتسجد ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعاً عرضه وسبعون ذراعاً طوله وينبذ له فيه الريحان فإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره وإن لم يكن

جعل له نور مثل نور الشمس في قبره فيكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أحب أهله وإذا توفي الكافر أرسل الله إليه ملكين وأرسل إليه قطعة بجاد أنتن من كل منتن وأخشن من كل خشن فيقال: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى جهنم عذاب أليم ورب عليك غضبان وقال سعيد بن جبير رحمه الله مات ابن عباس رضي الله عنهما بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر لم ير مثله على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجاً منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يرى من تلاها ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر: ٢٧] ودل قوله تعالى الله: ﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] أن من النفوس الطيبة من يتولى الله قبضها بنفسه فيا طوبى لها وقال بعض أهل الإشارة ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ إلى الدنيا ارجعي إلى الله بتركها وبسلوك سبيل الآخرة فادخلي في عبادي الأخروية وادخلي جنتي الصورية والمعنوية.

أي باز هوا كرفته باز آي ومرو كز رشتهٔ توسرى در انكشت منست

وقال القاشاني: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ التي نزلت عليها السكينة وتنورت بنور اليقين فاطمأنت إلى الله من الاضطراب ارجعي إلى ربك في حال الرضى أي: إذا تم لك كمال الصفات فلا تسكني إليه وارجعي إلى الذات في حال الرضى الذي هو كمال مقام الصفات والرضى عن الله لا يكون إلا بعد رضى الله عنها كما قال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] فادخلي في زمرة عبادي المخصوصين بي من أهل التوحيد الذاتي وادخلي جنتي المخصوصة بي أي جنة الذات.

وفي «التأويلات النجمية»: ارجعي إلى ربك بالفناء فيه بعد قطع المنازل والمقامات راضية من نتائج السلوك إلى الله والسير في الله مرضية عند الله بإلباسي خلعة البقاء عليها فادخلي في عبادي الباقين في وبصفاتي وادخلي جنة ذتي لفنائك عن ذاتك وأنانيتك.

تمت سورة الفجر بعون ذي المن والحجر في أواخر شهر المولد النبوي من سنة سبع عشرة ومائة وألف

٩٠ ـ سورة البلد

عشرون آية مكية أو مدنية إلا أربع آيات من أولها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾.

﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ أي: أقسم بالبلد الحرام الذي هو مكة فكلمة لا صلة دل عليه أن الله أقسم بالبلد الأمين في سورة التين وبالفارسية [سوكند ميخورم بمكة] وفي «كشف الأسرار» لا لتأكيد القسم كقول العرب لا والله ما فعلت كذا لا والله لأفعلن كذا والبلد المكان والمحدود المتأثر باجتماع قطانه وإقامتهم فيه وجمعه بلاد وبلدان ثم إن الله تعالى أقسم بمكة لفضلها فإنه جعلها حرماً آمناً ومسقط رأس النبي عليه السلام وحرم أبيه إبراهيم ومنشأ أبيه إسماعيل عليهما السلام، وجعل البيت قبلة لأهل الشرق والغرب وحج البيت كفارة لذنوب العمر وجعل البيت المعمور في السماء بإزائه.

﴿وأنت حل بهذا البلد﴾ حال من المقسم به وأنت خطاب للنبي عليه السلام.

[كفته اند در قرآن چهار هزار نام وى برد وذكروى كرد بعضي بتعريض وبعضي بتصريح].

والحل: بمعنى الحال من الحلول وهو النزول أي: والحال أنك يا محمد حال في مكة نازل بها قيد أقسامه تعالى بمكة بحلوله عليه السلام فيها إظهاراً لمزيد فضلها فإنها بعد أن كانت شريفة بنفسها زاد شرفها بحلول النبي العظيم الشريف فيها فما لا شرف فيه يحصل له شرف بشرف المكين وما فيه شرف ذاتي يحصل له بشرف شرف زائد فمحل قدمي النبي عليه السلام كمكة والمدينة وغيرهما ينبغي أن يحافظ على حرمته، وقد سمى عليه السلام المدينة طابة لأنها طابت به وبمكانه وفيه تعريض لأهل مكة بأنهم لجهلهم يرون أن يخرجوا منها من به مزيد شرفها ويؤذوه.

أي كعبه را زيمن قدوم توصد شرف ... وى مرده را زمقدم پاك توصد صفا
بطحا زنور طلعت تو يافته فروغ ... يثرب زخاك تو با رونق و نوا

وفيه إشارة إلى بلد مكة الوجود الإنساني وإلى رسول القلب المستكن في الجانب الأيسر منه.

﴿ووالد﴾ [وزاينده] عطف على هذا البلد والمراد به إبراهيم عليه السلام والتنكير للتفخيم. **﴿وما ولد﴾** [وآنچه زاده است].

وهو إسماعيل عليه السلام فإنه ولده بلا واسطة ومحمد عليه السلام فإنه ولده بواسطة

إسماعيل فتتضمن السورة القسم بالنبي عليه السلام في موضعين وإيثار ما على من لمعنى التعجب مما أعطاه الله من الكمال كما في قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: ٣٦] أي شيء وضعت يعني موضوعاً عجيب الشأن وهو مريم أو الوالد آدم عليه السلام، وما ولد ذريته وهو الأنسب لمضمون الجواب فالتفخيم المستفاد من كلمة ما لا بد فيه من اعتبار التغليب أي: فهو من باب وصف الكل بوصف البعض أو للتعجيب من الأمر الذي يشترك فيه الكل كالنطق والبيان والصورة البديعة وغيرها وقيل: الوالد هو النبي عليه السلام وما ولد أمته المرحمة لقوله عليه السلام إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم أمر دينكم ولقوله عليه السلام لعلي رضي الله عنه: «أنا وأنت أبوا هذه الأمة»، وإلى هذا أشار بقوله عليه السلام: «كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي» وهو سبب الدين ونسب التقوى، وقد سمى الله النبي عليه السلام أبا للمؤمنين حيث قال: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] وفي بعض القراآت وهو أب لهم فإن أمومية الأزواج المطهرة تقتضي أبوته عليه السلام إذ كل من كان سبباً لا يجاد شيء وإصلاحه أو ظهوره يسمى أبا وقد قال عليه السلام: «أنا من الله والمؤمنون من فيض نوري» وصرح تعالى بفضيلة هذه الأمة حيث قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] ولذا عظمهم بالإقسام بهم وفيه إشارة إلى إبراهيم الروح الوالد وإسماعيل السر المولود منه أو آدم الروح وإبرهيم السر، أو إلى روح القدس الذي هو الأب الحقيقي للنفوس الإنسانية كقول عيسى عليه السلام، إني ذاهب إلى أبي وأبيكم السماوي وقوله تشبهوا بأبيكم السماوي، فالمراد بما ولد هو النفس التي ولدها هو فكأنه قيل وأقسم بروح القدس والنفس الناطقة.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾﴾

﴿**لقد خلقنا الإنسان في كبد**﴾ جواب للقسم يقال كبد الرجل كبداً إذا وجعت كبده فانتفخت وأصله كبده إذا أصاب كبده كذكرته إذا قطعت ذكره ورأيته إذا قطعت رئته ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل نصب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة بمعنى مقاساة الشدة وفي كبد حال من الإنسان بمعنى مكابداً وحرف في واللام متقاربان، تقول: إنما أنت للعناء والنصب، وإنما أنت في العناء والنصب ووجه آخر أن أقوله: ﴿**في كبد**﴾ يدل على أن الكبد قد أحاط به إحاطة الظرف بالمظروف، والمعنى لقد خلقنا الإنسان في تعب ومشقة فإنه مع كونه أضعف الخلق لا يزال يقاسي فنون الشدائد مبدأها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده فابن آدم يكابد من البلايا ما لا يكابده غيره، يعني إن الكبد يتناول شدائد الدنيا من قطع سرته والتفافه بخرقة محبوس الأعضاء ومكابدة الختان وأوجاعه ومكابدة المعلم وصولته والأستاذ وهيبته ثم مكابدة شغل التزوج وشغل الأولاد والخدم وشغل المسكن ثم الكبر والهرم من جملة مصائب كثيرة لا يمكن تعدادها كالصداع ووجع الأضراس ورمد العين وهم الدين ونحو ذلك، ويتناول أيضاً شدائد التكاليف كالشكر على السراء والصبر على الضراء والمكابدة في أداء العبادات كالصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد ثم بعد ذلك يقاسي شدة الموت وسؤال الملك وظلمة القبر ثم البعث والعرض على الملك المحاسب إلى أن يصل إلى موضع الاستقرار إما في الجنة وإما في النار كما قال: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ [الانشقاق: ١٩] قال الإمام: ليس في الدنيا لذة البتة بل ذلك الذي يظن أنه لذة فهو خلاص من الألم فاللذة عند الأكل هي الخلاص من ألم الجوع

وعند اللبس هي الخلاص من ألم الحر والبرد فليس للإنسان إلا ألم أو خلاص من ألم وفيه تسلية لرسول الله ﷺ مما كان يكابده من كفار قريش وإشارة إلى أن الإنسان المقيد بقيد التعين الوجودي خلق في تعب التعين والتقييد وفيه حرمان من المطلق ونوره فإن المقيد بقيد التعين معذب بحرمان المطلق. وقال القاشاني: لقد خلقنا الإنسان في مكابدة ومشقة من نفسه وهواه أو مرض باطن وفساد قلب وغلظ حجاب إذ الكبد في اللغة غلظ الكبد الذي هو مبدأ القوة الطبيعية وفساده وحجاب القلب وفساده من هذه القوة فاستعير غلظ الكبد لغلظ حجاب القلب ومرض الجهل.

﴿**أيحسب**﴾ [أيامي پندارد].

والضمير لبعض صناديد قريش الذين كان عليه السلام يكابد منهم أكثر مما يكابد من غيرهم كالوليد بن المغيرة وأضرابه.

﴿**أن لن يقدر عليه أحد**﴾ أن مخففة من الثقيلة سادة مع اسمها مسد مفعولي الحسبان أي: يحسب أن الأمر والشأن لن يقدر على انتقام منه أحد فحسبانه الناشىء عن غلظ الحجاب ومرض القلب فاسد لأن الله الأحد يقدر عليه وهو عزيز ذو انتقام.

﴿**يقول**﴾ ذلك الظان على سبيل الرعونة والخيلاء. ﴿**أهلكت**﴾ أنفقت، كقول العرب: خسرت عليه كذا إذا أنفق عليه. ﴿**مالاً لبداً**﴾ أي: كثيراً متلبداً من تلبد الشيء إذا اجتمع يريد كثرة ما أنفقه سمعة ومفاخرة، وكان أهل الجاهلية يسمون مثل ذلك مكارم ويدعونه معالي ومفاخر، وفي لفظ الإهلاك إشارة إلى أنه ضائع في الحقيقة إذ لا ينتفع به صاحبه في الآخرة كما قالت عائشة رضي الله عنها في حق عبد الله بن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه يا رسول الله فقال عليه السلام: «لا ينفعه لأنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين».

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾.

﴿**أيحسب**﴾ ذلك الأحمق المباهي ﴿**أن**﴾ أي: أن الشأن ﴿**لم يره أحد**﴾ حين كان ينفق وأنه تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه، يعني: أن الله رآه واطلع على خبث نيته وفساد سريرته وأنه مجازيه عليه فمثل ذلك الإنفاق وهو ما كان بطريق المباهاة رذيلة فكيف يعده الجاهل فضيلة وفي الحديث: «لا تزول قدماً العبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيمَ أفناه، وعن ماله من أين كسبه وفيم أنفقه، وعن عمله ماذا عمل وعن حبه أهل البيت».

﴿**ألم نجعل له عينين**﴾ يبصر بهما عالم الملك من الأرض إلى السماء حتى يشاهد بهما في طرفة عين النجوم العلوية التي بينه وبينها عدة آلاف سنة ويفرق بهما بين ما يضر وما ينفع وبهما يحصل شرف النظر إلى وجه العالم وإلى المصحف وإلى الشواهد قال في «أسئلة الحكم»: العين تحرس البدن من الآفات وهي نيرة كالمرآة إذا قابلها شيء ارتسمت صورته فيها مع صغر الناظر وهو الحدقة التي هي شحمة وجعل الله العين سريعة الحركة وجعل لها أجفاناً تسترها وأهداباً من الشعر كجناح الطائر تطرد بانضمامها وبانفتاحها الذباب والهوام عن العين وجعل العين في الرأس لأن السراج يوضع على رأس المنار وجعلها ثنتين كالشمس والقمر

فإنهما عينا التعين الدنيوي وجعل فوقهما حاجبين أسودين لئلا يتضرر البصر بالضياء ولأن الذي ينظر في السواد إلى البياض يكون أحد نظراً ولذلك جعلت الحدقة سوداء وأهداب العين شعراً أسود لأن السواد يقوي البصر ولمّا بنى ذو القرنين الأسكندرية رخمها بالرخام الأبيض جدرها وأرضها فكان لباسهم فيها السواد من نصوع بياض الرخام، فمن ذلك لبس الرهبان السواد فإن النظر إلى الأبيض يفرق البصر ويضعفه ولذا قال عليه السلام في الأثمد: «إنه يقوي البصر» وجعل الحدقة محركة في مكانها لتتحرك إلى الجهات يمنة ويسرة فيبصر بها من غير أن يلوي عنقه وجعل الناظرين جميعاً على خط مستقيم عرضاً ولم يقع واحد منهما أعلى وإلا أخفض ليجتمع الناظران على شيء واحد لئلا يترآى له الشخص الواحد شخصين وفي العينين إشارة إلى العين الظاهرة والعين الباطنة فينبغي أن يحافظ على كلتيهما فإن نظر عينين أتم من نظر عين واحدة.

﴿ولساناً﴾ يترجم به عن ضمائره وبه تنعقد المعاملات وتحصل الشهادات ويدرك الطعوم من الحلو والمر ولو لم يكن اللسان لاحتاج الإنسان إلى الإشارة أو الكتابة فتعسر أمره وإنما تعدد العين والأذن وتفرد اللسان لأن حاجة الإنسان إلى السمع والبصر أكثر من حاجته إلى الكلام، وفيه تنبيه أيضاً على أن يقل من الكلام إلا في الخير وأن لا يتكلم فيما لا فائدة فيه وهو السر في أن الله تعالى جعل اللسان داخل الفم وجعل دونه الشفتين اللتين لا يمكن الكلام إلا بفتحهما ليستعين العبد بإطباق شفتيه على رد الكلام، وقد حكي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يجعل في فمه حجر ليمتنع من الكلام فيما لا يعنيه وفيه إشارة إلى لسان القلب فإنه يتكلم به بالمفاوضة القلبية وقد أبطله كما أبطل العين الباطنة وأفسد استعداد التكلم الباطني القلبي. ﴿وشفتين﴾ يستر بهما فاه إذا أراد السكوت ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ قال السجاوندي: خص الشفة لخروج أكثر الحروف منها وفي الدعاء الحمد لله الذي جعلنا ننطق بلحم ونبصر بشحم ونسمع بعظم قال بعضهم: أسبل الصانع الحكيم أمام الفم ستراً من الشفة ذا طرفين يضمهما عند الحاجة ويمتص بهما المشروب وجعل الشارب محيطاً من العليا ليمنع ما على وجه الشراب من القش والقذى أن يدخل حالة الشرب وفي الحديث: «إن الله يقول: ابن آدم إن نازعك لسان فيما حرمت عليك فقد أعنتك بطبقتين فأطبق، وإن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق، وإن نازعك فرجك إلى ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق»، وفي الخبر: «الفرج أمانة والأذن أمانة واليد أمانة والرجل أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له» [أورا كوبند ما دوديده بتوسپرديم پاك تو بنظر هاي ناپاك ملطخ كردمى تا آثار تقديس ازوى برخاست وخبيث شدا كنون ميخواهى كه ديدار مقدس ما بنظر خويش بيني هيهات ما پاكيم وپا كانوا پاك شايد الطيبت للطيبين دو سمع داديم تراتا ازان دوخزانه سازى ودرهاى آثار وحي در وتعبيه كنى ومر وزباز سپارى توا نرا محال دروغ شنيدن ساختي وهكذر أصوات خبيثه كردى ونداء ما پاكست جز سمع پاك نشنود امروز بكدام كوش حديث ما خواهى شنيد زباني داديم تراتا بامار ازكويى در خلوت وقرآن خواتي در عبادت وصدق دروى فرواري وبادوستان ما سخن كويى توخود زبا نرا بساط غيبت ساختي وروز نامهٔ جدل وديوان خصومت كردى تواموز بكدام زبان حديث ما خواهى كرد].

زبـان آمـد از بـهـر شـكـر وسـپـاس   بـغـيـبـت نـكـرد انـدش حـق شـنـاس

كذركاه قرآن وبندست كوش به بهتان وباطل شنيدن مكوش
دو چشم ازپى صنع بارى نكوست زعيب برادر فروكير ودوست

وفيه إشارة إلى شفتي لسان القلب ولسان الرأس.

﴿وهديناه النجدين﴾ معطوف على ألم نجعل لأنه في التقدير مثبت أي: جعلنا له ذلك وهديناه طريقي الخير والشر كما قال عليه السلام: «هما النجدان نجد الخير ونجد الشر فلا يكن نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير»، أو طريقي الثديين لأنهما طريقان مرتفعان لنزول اللبن سببين لحياة المولود وتمكين مولود عاجز من رضاع أمه عقيب الولادة قدرة عليه ونعمه جلية.

نه طفل زبان بسته بودى زلاف همى روزى آمد بجوفت زناف
چو نافش بريدند وروزى كسست به پستان مادر در آويخت دست

وأصل النجد المكان المرتفع جعل الخير بمنزلة مكان مرتفع بخلاف الشر فإنه يستلزم الانحطاط عن ذروة الفطرة إلى حضيض الشقاوة فكان استعمال النجدين بطريق التغليب أو لأن فعل الشر بالنسبة إلى قوته في الواهمة مصور بصورة المكان المرتفع ولذا استعمل الترقي في الوصول إلى كل شيء وتكميله وقال ابن الشيخ: لما وضحت الدلالة الدالة على الخير والشر صارتا كالطريقين المرتفعين بسبب كونهما واضحين للعقول كوضوح الطريق العالي للأبصار وفيه إشارة إلى نجد الروح ونجد القلب فأبطلهما بغلبة النفس على الروح وغلبة الهوى على القلب ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ الاقتحام الدخول في أمر شديد ومجاوزته بصعوبة، وفي «القاموس»: قحم في الأمر كنصر قحوماً رمى بنفسه فيه فجأة بلا روية والعقبة الطريق الوعر في الجبل فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالأعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة لصعوبة سلوكها.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَـٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾﴾.

﴿وما أدراك ما العقبة﴾ أي: أي شيء أعلمك يا محمد ما اقتحام العقبة فإن المراد ليس العقبة الصورية واقتحامها.

﴿فك رقبة﴾ الفك الفرق بين الشيئين بإزالة أحدهما عن الآخر كفك القيد والغل وفك الرقبة الفرق بينها وبين صفة الرق بإيجاب الحرية. والرقبة: اسم العضو المخصوص ثم يعبر بها عن الجملة وجعل في التعارف أسماء للمماليك كما عبر بالرأس وبالظهر عن المركوب فقيل فلان يربط كذا رأساً وكذا ظهراً، والمعنى هو أي اقتحام العقبة اعتاق رقبة فالفك ليس تفسيراً لنفس العقبة بل لاقتحامها بتقدير المضاف؛ وذلك لأن العقبة عين والفك فعل فلا يكون تفسيراً للآخر ثم فك الرقبة قد يكون بأن ينفرد الرجل في عتق الرقبة وقد يكون بأن يعطي مكاتبه ما يصرفه إلى جهة فكاك رقبته وبأن يعين في تخليص نفس من قود أو غرم فهذا كله يعم الفك دون الاعتاق ويحتمل أن يكون المراد بفك الرقبة أن يفك المرء رقبة نفسه من عذاب الله بأن يشتغل بالأعمال الصالحة حتى يصير بها إلى الجنة ويتخلص من النار وهي الحرية الوسطى وأن يَفُكَ رقبة القلب من أسر النفس وقيد الهوى وتعلق السوى وهي الحرية الكبرى فيكون قوله: ﴿أو إطعام﴾ الخ من قبيل التخصيص بعد التعميم إشارة إلى مزيد فضل ذلك الخاص بحيث

خرج به من أن يتناول اللفظ السابق مع عمومه وقال بعضهم: تقدم العتق على الصدقة يدل على أنه أفضل منها كما هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله، وفي الحديث: «من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضواً منه من النار». قال الراغب: فك الإنسان غيره من العذاب إنما يحصل بعد فك نفسه منه فإن من لم يهتد ليس في قوته أن يهدي وفك الرقبة من قبيل فك النفس لأنه من الأعمال الصالحة التي لها مدخل عظيم في فكها.

﴿**أو إطعام في يوم ذي مسغبة**﴾ أي: مجاعة لقحط أو غلاء من سغب إذا جاع قال الراغب: السغب الجوع مع التعب وربما قيل في العطش مع التعب فمسغبه مصدر ميمي وكذا مقربة ومتربة قيد الإطعام بيوم المجاعة لأن إخراج المال في ذلك الوقت أثقل على النفس وأوجب للأجر.

﴿**يتيماً**﴾ مفعول إطعام ﴿**ذا مقربة**﴾ أي قرابة من قرب في النسب قرباً ومقربة وقال السجاوندي: قرب قرابة أو جوار انتهى. قيد اليتيم بأن يكون بينه وبين المطعم قرابة نسبية لأنه اجتمع فيه جهتا الاستحقاق اليتم والقرابة فإطعامه أفضل لاشتماله على الصدقة وصلة الرحم.

﴿**أو مسكيناً ذا متربة**﴾ أي افتقار من ترب بالكسر ترباً بفتحتين ومترباً إذا افتقر كأنه لصق بالتراب من فقره وضره فليس فوقه ما يستره ولا تحته ما يوطئه ويفرشه وأما قولهم أترب فمعناه صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل أثرى وعن النبي عليه السلام، في قوله: «﴿**ذا متربة**﴾ الذي مأواه المزابل» وقال ابن عباس رضي الله عنهما البعيد التربة يعني الغريب.

كما قال الكاشفي: [واين چنين كس عيال مند بود يا وام دار يابيمار بي خواستار يا غريبي دور ازديار].

وفي الحديث: «الساعي على الأرملة والمسكين كالساعي في سبيل الله، وكالقائم لا يفتر والصائم لا يفطر» يقول الفقير: خص الفك والإطعام لصعوبة العمل بهما وجعل الإطعام لليتيم والمسكين لما أن ذلك يثقل على النفس فقد ينفق المرء ألوفاً في هواه كإطعام أهل الهوى وبناء الأبنية الزائدة ونحو ذلك ولا يستكثرها وأما الفقير واليتيم فلا يراهما بصره لهوانهما عنده وعلى تقدير الرؤية فيصعب عليه إعطاء درهم أو درهمين إو إطعام لقمة أو لقمتين واحتج الشافعي رحمه الله بهذه الآية على أن المسكين قد يكون بحيث يملك شيئاً وإلا لكان تقييده بقوله ﴿**ذا متربة**﴾ تكراراً وهو غير جائز وفيه بحث لجواز أن يكون ذا متربة صفة كاشفة للمسكين وتكون الفائدة في التوصيف بها التصريح بجهة الاحتياج ليتضح أن إطعام الأحوج أفضل والتكرير الذي لا يجوز هو التكرير الخالي عن الفائدة وما نحن فيه ليس من هذا القبيل وفيه إشارة إلى يتيم القلب المغلوب في يد النفس والهوى ومسكين السر المذلل تحت قهر النفس وعزتها وفي «الإرشاد»: وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الأمور حسن دخول لا على الماضي وليس بشرط إذ قد يكون بمعنى لم فكأنه قيل فلم يقتحم العقبة.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

﴿**ثم كان**﴾ [پس باشد اين آزاد كننده وطعام دهنده]. ﴿**من الذين آمنوا**﴾ عطف على المنفي بلا وثم للدلالة على تراخي رتبة الإيمان عن العتق والصدقة ورفعة محله لاشتراط جميع

الأعمال الصالحة به وإلا فهو في الزمان مقدم على الطاعات، والمعنى أن الإنفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضي النافع عند الله لا أن يهلك مالاً لبدا في الرياء والفخار، فيكون مثله كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم وفي ذكر العقبة إشارة إلى أن عقبة الآخرة لا يجوزها إلا من كان محقاً. قال المحاسبي: تلك عقبة لا يجوزها إلا من خمص بطنه عن الحرام والشبهات وتناول مقدار بقاء المهجة، وقال القاسم: العقبة نفسك ألا ترى إلى قوله ﴿**فك رقبة**﴾ فإنه أن تعتق نفسك من رق الخلق وتشغلها بعبودية ربك. ﴿**وتواصوا بالصبر**﴾ عطف على آمنوا أي: أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله وعن المعاصي وفي المصائب ﴿**وتواصوا بالمرحمة**﴾ مصدر بمعنى الرحمة أي: أوصى بعضهم بعضاً بالرحمة على عباد الله أو بموجبات رحمته تعالى من الخيرات على حذف المضاف أو ذكر المسبب وإرادة السبب تنبيهاً على كماله في السببية والرحمة بهذا المعنى أعم من الرحمة بالمعنى الأول وهي الشفقة لمن يستحقها من العباد يتيماً أو فقيراً أو نحو ذلك، وفي الحديث: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس» فقوله: ﴿**وتواصوا بالصبر**﴾ إشارة إلى التعظيم لأمر الله، وقوله: ﴿**وتواصوا بالمرحمة**﴾ إشارة إلى الشفقة على خلق الله وإلى التكميل بعد الكمال فإن الإيمان كمال في نفسه وكذا الصبر والمرحمة وغيرهما من الأعمال الصالحة والتواصي من باب تكميل الغير قال بعضهم: الإطعام خصوصاً وقت شدة الحاجة أفضل أنواع العفة والإيمان أجل أنواع الحكمة وهو الإيمان العلمي اليقيني وجاء فيه بلفظ ثم لبعد رتبته عن الفضيلة الأولى في الارتفاع والعلو لكونه الأساس والصبر على الشدائد من أعظم أنواع الشجاعة وأخره عن الإيمان لامتناع حصول فضيلة الشجاعة بدون اليقين والتراحم والتعاطف من أفضل أنواع العدالة.

﴿**أولئك**﴾ الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة وفي اسم الإشارة دلة على حضورهم عند الله في مقام كرامته وعلو رتبتهم وبعد درجتهم ﴿**أصحاب الميمنة**﴾ أي: اليمين وهم الذين يعطون كتبهم بإيمانهم ويسلك بهم من طريق اليمين إلى الجنة أو أصحاب اليمن والخير والسعادة لأن الصلحاء ميامين على أنفسهم بطاعتهم وعلى غيرهم أيضاً أو أصحاب اليد اليمنى.

﴿**والذين كفروا بآياتنا**﴾ بما نصبناه دليلاً على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن ﴿**هم**﴾ في ضمير الغائب دلالة على سقوطهم عن شرف الحضور وأنهم أحقاء بالإخفاء ﴿**أصحاب المشأمة**﴾ أي: الشمال وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ومن وراء ظهورهم وسلك بهم شمالاً إلى النار أو أصحاب الشؤم والشر والشقاوة لأن الفساق مشائيم على أنفسهم بمعصيتهم وعلى غيرهم أيضاً ويجب التوسل بالصلحاء والاجتناب عن الفسقاء أو أصحاب اليد اليسرى.

﴿**عليهم**﴾ خبر مقدم لقوله ﴿**نار مؤصدة**﴾ أي نار أبوابها مغلقة فلا يفتح لهم باب فلا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح أبد الآباد إلا أنها جعلت صفة للنار إشعاراً بإحاطتهم فأصل التركيب مؤصدة الأبواب فلما تركت الإضافة عاد التنوين إليها؛ لأنهما يتعاقبان من أوصدت الباب من المعتل الفاء وآصدته بالمد من المهموز مثل آمن إذا أطبقته وأغلته وأحكمته فمن قرأها مؤصدة بالهمزة جعلها اسم مفعول من آصدت ومن لم يهمزها أخذها من أوصدت مثل أوعد فهو موعد وذلك موعد ويحتمل أن يكون من آصد مثل آمن لكنه قلبت همزته الساكنة واو

لضمة ما قبلها للتخفيف، وكان أبو بكر بن عباس راوي عاصم يكره الهمزة في هذا الحرف ويقول لنا إمام يهمز مؤصدة فأشتهى أن أَسُدَ أذني إذا سمعته وكأنه لم يحفظه عن شيخه إلا بترك الهمزة وقد حفظه حفص بالهمزة وهو أضبط للحرف من أبي بكر على ما نقله القراء وإن كان أبو بكر أكبر وأتقن وأوثق عند أهل الحديث وفيه إشارة إلى أن نار الحجاب والخذلان والخسران مؤصدة على نفس الأمارة.

تمت سورة البلد بعون الله الأحد في خامس الثاني من الربيعين
سنة سبع عشرة ومائة وألف

٩١ ــ سورة الشمس

خمس عشرة أو ست عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦﴾.

﴿والشمس﴾ [سوكند ميخوم بآفتاب] ﴿وضحاها﴾ أي ضوئها إذا طلعت وقام سلطانها وانبسط نورها [يعني سوكند بتايش وى چون بلند كردد وبموضع چاشت رسد].

يقال: وقت الضحى أي: وقت إشراق الضوء فالضحى والضحوة مشتقان من الضح وهو نور الشمس المنبسط على وجه الأرض المضاد للظل وفيه إشارة إلى الإقسام بشمس الروح وضوئها المنتشر في البدن الساطع على النفس.

﴿والقمر إذا تلاها﴾ من التلو بمعنى التبع أي: إذا تبعها بأن طلع بعد غروبها آخذاً من نورها وذلك في النصف الأول من الشهر قال الراغب تلاه تبعه متابعة ليس بينهما ما ليس منهما وذلك يكون تارة بالجسم وتارة بالاقتداء في الحكم ومصدره تلو وتلو وتارة بالقرآن وتدبر المعنى ومصدره تلاوة ثم قال: قوله: ﴿والقمر إذا تلاها﴾ فإنما يراد به ههنا الاتباع على سبيل الاقتداء والمرتبة وذلك أنه فيما قيل إن القمر يقتبس النور من الشمس وهو لها بمنزلة الخليفة قيل وعلى هذا قوله: ﴿جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥] والضياء أعلى مرتبة من النور إذ كل ضياء نور دون العكس وفيه إشارة إلى قمر القلب إذا تلا الروح في التنور بها وإقباله نحوها واستضاءته بنورها ولم يتبع النفس فيخسف بظلمتها، قال شيخي وسندي روح الله روحه في كتاب «اللائحات البرقيات» له: إن الشمس آية للحقيقة الإلهية الكمالية الأكملية وإشارة إليها والقمر آية للحقيقة الإنسانية الكمالية الأكملية وإشارة إليها فكما أن القمر منذ خلقه الله إلى يوم القيامة كان مجلى ومظهر لتجلي نور الشمس وظهوره في الليل حتى يهتدي به أرباب الليل في الظلمات الليلية في سيرهم وسلوكهم في طرق مقاصدهم فكذلك الحقيقة الإنسانية الكمالية الأكملية منذ خلقها الله إلى أبد الآبدين كانت مجلى ومظهراً لتجلي نور الحقيقة الإلهية الكمالية الأكملية وظهوره في الكون حتى يهتدي به أرباب الكون في ظلمات الكون عند سلوكهم وسيرهم في العوالم والأطوار الكونية نزولاً عند السير إلى عالم الإمكان وعروجاً عند السلوك إلى عالم الوجوب فكما أن القمر يفنى من نوره ونفسه بالتمام في نور الشمس ونفسها بحيث لا يبقى أثر من نوره ونفسه عند المقارنة والمواصلة الحاصلة بينهما بالتوجه الشمسي القابض والإقبال الجاذب عليه ويبقى مع نوره ونفسه أي جرمه بالكمال وبنور الشمس ونفسها بحيث لا يفنى شيء

من نوره ونفسه عند المقابلة والمفارقة الكاملة الحاصلة بينهما بالإرسال إلى نفسه والبسط إلى نوره مراراً وكراراً دائماً وباقياً إلى يوم القيامة، فكذلك الحقيقة الإنسانية الكمالية الأكملية تفنى من نورها وتعينها في نور الحقيقة الإلهية الكمالية الأكملية وتعينها بالتمام بحيث لا يبقى لها أثر ما أصلاً عند الوصلة الإلهية الحاصلة في مرتبة الذات الأحدية الجمعية المطلقة بالقبض والجذب من نورها وتعينها إلى نورها وتعينها الأزلي الأبدي السرمدي وتبقى مع نورها وتعينها بنورها بحيث لا يفنى منها أثر أصلاً عند الفرقة الكونية الحاصلة في مرتبة المظهرية الكثرتية الفرقية المقيدة بالبسط والإرسال إلى نورها وتعينها مراراً وكراراً أبداً سرمداً وعند تجلي النور الشمسي والإلهي وظهوره في القمر والإنسان الكامل تدريجاً إلى حد الكمال يكمل بقاؤهما وعند استتاره واختفائه عنهما تدريجاً أيضاً إلى حد التمام يتم فناؤهما وفناؤهما على هذا الوجه من قبض جلال الحق سبحانه وبقاؤهما على ذلك النمط من بسط جماله تعالى والله يقبض ويبسط دائماً من مرتبة كماله الذاتي بيدي جلال كماله وجماله، بل يداه مبسوطتان ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: ٢٠] انتهى. كلامه قدس الله سره فإن قلت إذا ههنا ليست بشرطية لعدم جوابها لفظاً أو تقديراً حتى يعمل فيها فتكون ظرفاً مطلقاً فلا بد لها من عامل وهو في المشهور أقسم المقدر وهو إنشاء فيكون للحال وإذا للاستقبال ولا اجتماع بينهما فلا تكون ظرفاً ووقتاً له قلت إذا في أمثال هذا المقام للتعليل أي: أقسم بالقمر اعتباراً بتلوها وبالنهار اعتباراً بتجليته الشمس وبالليل اعتباراً بغشيانه إياها كما تقول أشهدك على هذا حيث كنت صالحاً متديناً أي لأجل ذلك كذا في بعض التفاسير، وقال في «القاموس» إذا تجيء للحال وذلك بعض القسم مثل ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [الليل: ١] ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١] انتهى فيكون بمعنى حين فاعرف.

﴿والنهار﴾ هو نور الشمس الذي ينسخ ظل الأرض بمحو ظلمة الليل **﴿إذا جلاها﴾** أي جلى الشمس يعني [هويد اكرد].

فإنها تتجلى عند انبساط النهار واستيفائه تمام الانجلاء فكأنه جلاها مع أنها التي تبسطه يعني لما كان انتشار الأثر وهو زمان ارتفاع النهار زماناً لانجلاء الشمس وكان الجلاء واقعاً فيه أسند فعل التجلية إليه إسناداً مجازياً مثل نهاره صائم أو جلى الظلمة أو الدنيا أو الأرض وإن لم يجر لها ذكر للعلم بها وفيه إشارة إلى نهار استيلاء نور الروح وقيام سلطانها واستواء نورها إذا جلاها وأبرزها في غاية الظهور كالنهار عند الاستواء في تجلية الشمس.

﴿والليل﴾ هو ظل الأرض الحائلة بين الشمس وبين ما وقع عليه ظلمة الليل **﴿إذا يغشاها﴾** أي الشمس فيغطي ضوءها فتغيب وتظلم الآفاق ولما كان احتجاب الشمس بحيلولة الأرض بيننا وبينها واقعاً في الليل صار الليل كأنه حجبها وغطاها فأسند التغطية والتغشية إلى الليل لذلك أو إذا يغشى الآفاق والأرض ولعل اختيار صيغة المضارع هنا على المضي للدلالة على أنه لا يجري عليه تعالى زمان فالمستقبل عنده كالماضي مع مراعاة الفواصل ولم يجيء غشاها من التغشية لأنه يتعدى إلى المفعولين وحيث كانت الواوات العاطفة نواب الواو الأولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معاً في قولك: أقسم بالله حق أن يعملن عمل الفعل والجار جميعاً، كما تقول ضرب زيد عمراً وبكر خالداً فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما فاندفع ما يورد ههنا من أن تلك الواوات إن كانت عاطفة يلزم العطف على معمولي عاملين مختلفين وإن كانت قسمية يلزم تعداد القسم مع وحدة الجواب وحاصل

الدفع اختيار الشق الأول ومنع لزوم المحذور وفيه إشارة إلى ليل النفس عند غشيانه بظلمتها شمس نهار الروح وهو أيضاً آية من آياته الكبرى لأن الليل مظهر الاسم المضل فيجوز القسم به كما جاز القسم بالنهار نظراً إلى أنه مظهر الاسم الهادي.

﴿والسماء وما بناها﴾ أي: ومن بناها على غاية العظم ونهاية العلو وهو الله تعالى وإيثار ما على من لإرادة الوصفية تعجباً لأن ما يسأل بها عن صفة من يعقل كأنه قيل والقادر العظيم الشان الذي بناها وكذا الكلام في قوله:

﴿والأرض وما طحاها﴾ أي: ومن بسطها من كل جانب على الماء كي يعيش أهلها فيها والطحو كالدحو بمعنى البسط وإبدال الطاء من الدال جائز وإفراد بعض المخلوقات بالذكر وعطف الخالق عليه والإقسام بهما ليس لاستوائهما في استحقاق التعظيم بل النكتة في الترتيب أن يتبين وجود صانع العالم وكمال قدرته ويظفر العقل بإدراك جلال الله وعظمة شأنه حسبما أمكن فإنه تعالى لما أقسم بالشمس التي هي أعظم المحسوسات شرفاً ونفعاً ووصفها بأوصافها الأربعة وهي ضوؤها وكونها متبوعة للقمر ومتجلية عند ارتفاع النهار ومختفية متغطية بالليل ثم أقسم بالسماء التي هي مسير الشمس وأعظم منها فقد نبه على عظمة شأنهما لما تبين إن الأقسام بالشيء تعظيم له ومن المعلوم أنهما لحركاتهما الوضعية وتغير أحوالهما من الأجسام الممكنة المحتاجة إلى صانع مدبر كامل القدرة بالغ الحكمة فتوسل العقل بمعرفة أحوالهما وأوصافهما إلى كبرياء صانعهما فكان الترتيب المذكور كالطريق إلى جذب العقل من حضيض عالم المحسوسات إلى يفاع عالم الربوبية وبيداء كبريائه الصمدية وفيه إشارة إلى سماء الأرواح وأرض الأجساد.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾﴾.

﴿ونفس وما سواها﴾ أي ومن أنشأها وأبدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على أن المراد نفس آدم عليه السلام، أو للتكثير وهو الأنسب للجواب وذكر في تعريف ذات الله تعالى السماء والأرض والنفس لأن الاستدلال على الغائب لا يمكن إلا بالشاهد والشاهد ليس إلا العالم الجسماني، وهو إما علوي بسيط كالسماء، وإما سفلي بسيط كالأرض، وإما مركب وهو أقسام أشرفها ذوات الأنفس وقد استدل بعطف ما بعدها على ما قبلها على عدم جواز تقدير المضاف فيه مثل ورب الشمس وكذا في غيره إذا المقدر في المعطوف عليه يقدر في المعطوف فيكون التقدير ورب ما بناها ورب ما طحاها ورب ما سواها وبطلانه ظاهر فإن الظاهر أن تكون في مواضعها موصولة فاعرف وسيجيء شرح النفس وتسويتها عند أهل التأويل إن شاء الله تعالى.

﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ الفاء إن كانت لسببية التسوية فالأمر ظاهر وإن كانت لتعقيبها فلعل المراد منها إتمام ما يتوقف عليه الإلهام من القوى الظاهرة والباطنة والإلهام إلقاء الشيء في الروع إما من جهة الله أو من جهة الملاء الأعلى وأصل إلهام الشيء ابتلاعه والفجور شق ستر الديانة قدم على التقوى لمراعاة الفواصل أو لشدة الاهتمام بنفيه لأنه إذا انتفى الفجور وجدت التقوى فقدم ما هم بشأنه أعني، والمعنى أفهم النفس إياهما وعرفها حالهما من الحسن

والقبح وما يؤدي إليه كل منهما ومكنها من اختيار أيهما شاءت قال بعض الكبار: الإلهام لا يكون إلا في الخير فلا يقال في الشر ألهمني الله كذا وأما قوله تعالى: ﴿**فألهمها فجورها وتقواها**﴾ فالمراد فجورها لتجتنبه لا لتعمل به وتقواها لتعمل به إذ ليس في كلام الله تناقض أبداً، وقال بعضهم: لا يخفى أن محل الإلهام هو النفس قال تعالى: ﴿**فألهمهما فجورها**﴾ فأعلمنا أن الفاعل في الإلهام هويته تعالى لا غيره لكن ألهم النفس فجورها لتعلمه ولا تعمل به وتقواها لتعلمه وتعمل به فهو في قسم الفجور إلهام إعلام لا إلهام عمل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف: ٢٨] وكما لا يأمر بالفحشاء لا يلهم بها فإنه لو ألهم بها ما قامت الحجة لله على العبد فهذه الآية مثل قوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] أي بينا له الطريقين وقال بعضهم لم ينسب سبحانه إلى النفس خاطر المباح ولا إلهامه فيها وسبب ذلك أن المباح لها ذاتي فبنفس ما خلق عينها ظهر المباح فهو من صفاتها النفسية التي لا تعقل النفس إلا بها فخاطر المباح نعت خاص كالضحك للإنسان.

وفي «التأويلات النجمية»: تدل الآية على كون النفوس كلها حقيقة واحدة متحدة تختلف باختلاف توارد الأحوال والأسماء فإن حقيقة النفس المطلقة من غير اعتبار حكم معها إذا توجهت إلى الله توجهاً كلياً سميت مطمئنة وإذا توجهت إلى الطبيعة توجهاً كلياً سميت أمارة وإذا توجهت تارة إلى الحق بالتقوى وتارة أخرى إلى الطبيعة البشرية بالفجور سميت لوامة انتهى. وفي الخبر الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه، سأل رجل من جهينة أو مزينة رسول الله ﷺ ما يعمل الناس ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم أم شيء يستقبلونه؟ فقال عليه السلام: «بل قضى عليهم قال: فيم العمل إذا يا رسول الله فقال عليه السلام: من كان خلقه الله لإحدى المنزلتين يهيئه الله لها ثم تلا الآية» وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله عليه السلام يقول عند الآية: «اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها».

﴿**قد أفلح من زكاها**﴾ جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وقال الزجاج طول الكلام صار عوضاً عن اللام وإنما تركه «الكشاف» وغيره؛ لأنه يوجب الحذف والحذف لا يجب مع الطول ولم يجعل كذبت جواباً لأن إقسام الله إنما يؤكد به الوعد أو الظفر وإدراك البغية وهو دنيوي كالظفر بالسعادات التي تطيب بها الحياة الدنيا من الغنى والعز والبقاء مع الصحة ونحوها وأخروي وهو بقاء فلا فناء وغنى بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل ولذلك قيل لا عيش إلا عيش الآخرة وأصل الزكاة الزيادة والنمو ومنه زكا الزرع إذا حصل فيه نمو كثير وبركة ومنه تزكية القاضي الشاهد لأنه يرفع قدره بالتعديل ومنه الزكاة لما يخرج الإنسان من حق الله إلى الفقراء لما فيها من رجاء البركة أو لتزكية النفس، أي تنميتها بالخيرات والبركات أولهما جميعاً فإن الخيرين موجودان فيها والمعنى قد فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من أنمى النفس وأعلاها بالتقوى أي: رفعها وأظهرها وشهرها بها فأهل الصلاح يظهرون أنفسهم ويشهرونها بما سطع من أنوار تقواهم إلى الملاء الأعلى وبملازمتهم مواضع الطاعات ومحافل الخيرات بخلاف أهل الفسق فإنهم يخفون أنفسهم ويدسونها في المواضع الخفية لا يلوح عليهم سيما سعادة يشتهرون به بين عباد الله المقربين وأصل هذا أن أجواد العرب كانوا ينزلون في أرفع المواضع ويوقدون النار للطارقين لتكون أشهر، واللئام ينزلون الأطراف والهضاب لتخفي أماكنهم عن الطالبين فأخفوا أنفسهم فالبار أيضاً أظهر نفسه بأعمال البر والفاجر دسها وتستعمل

التزكية بمعنى التطهير أيضاً كما قال في «القاموس»: الزكاة صفوة الشيء وما أخرجته من مالك لتطهره به فالمعنى قد أفلح من طهر نفسه من المخالفات الشرعية عقداً وخلقاً وعملاً وقولاً فقد أقسم تعالى بسبعة أشياء على فلاح من زكى نفسه ترغيباً في تزكيتها.

[وابن عباس رضي الله عنهما، روايت كرده كه حضرت رسول الله ﷺ نزديك تلاوت اين آيت فرمودى كه تزكيهٔ أنفس موجب تزكيهٔ دل است هركاه كه نفس از شوب هوا مزكى شود في الحال دل ازلوث تعلق بما سوى مصفى كردد].

تا نفس مبراز مناهى لشود   دل آيينهٔ نور الهي نشود

وكون أفعال العبد بتقدير الله تعالى وخلقه لا ينافي إسناد الفعل إلى العبد فإنه يقال ضرب زيد ولا يقال ضرب الله مع أن الضرب بخلقه وتقديره وذلك لأن وضع الفعل بالنسبة إلى الكاسب. قال الراغب: وبزكاء النفس وطهارتها يصير الإنسان بحيث يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة وفي الآخرة الأجر والمثوبة وهو أن يتحرى الإنسان ما فيه تطهيره وذلك ينسب تارة إلى العبد لاكتسابه ذلك نحو قد أفلح من زكاها وتارة إلى الله لكونه فاعلاً لذلك في الحقيقة نحو ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩] وتارة إلى الشيء لكونه واسطة في وصول ذلك إليهم نحو ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] وتارة إلى العبادة التي هي آلة في ذلك نحو ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً﴾ [مريم: ١٣] انتهى **﴿وقد خاب من دساها﴾** في «القاموس»: خاب يخيب خيبة حرم وخسر وكفر ولم ينل ما طلب وأصل دسى دسس كتقضي البازي وتقضض من التدسيس وهو الإخفاء مبالغة الدس واجتماع الأمثال لما أوجب الثقل قلبت السين الأخيرة ياء، وقال الراغب: الدس إدخال الشيء في الشيء بضرب من الإكراه ودساها أي دسسها في المعاصي انتهى، والمعنى قد خسر من نقصها وأخفاها بالفجور وبإرسالها في المشتهيات الطبيعية، وقال شيخي وسندي قدس سره: في قوله تعالى **﴿ونفس..﴾** الخ: المراد بالنفس هنا الذات والحقيقة الجمعية الإنسانية الكمالية المخلوقة على الصورة الإلهية الجمعية الكمالية لتكون مرءآة لها كما ورد خلق الله آدم على صورته ويقال لها النفس الناطقة المدبرة للبدن. **﴿وما سواها﴾** أي: خلقها مستوية قابلة لتكون مجلى لتجليات تعينات الكمال والجلال والجمال ومتوسطة ممكنة لتكون مظهراً لظهورات الذات والصفات والأفعال ومعتدلة صالحة لتكون مشهداً لمشاهدات آثار الأسماء والمراتب والأحوال وبهذه القابلية الجامعة بين القبضتين الجمال والجلال كانت أتم كل موجود فألهمها أي أفاض عليها بوساطة سادة الجلال فجورها أي آثار الجلال المندرج في جمعية حقيقتها البرزخية وأحكامه وأحواله من العقائد والعلوم والأعمال والمذاهب وغير ذلك مما تفجر وتميل فيه من الحق إلى الباطل فتجازي بالخسران وتقواها وأفاض عليها بوساطة خادم الجمال، أي: آثار الجمال وأموره وأحكامه من كلمة التوحيد العلمي الرسمي المنافي للشرك والكفر والهوى الجلي وسائر الفساد في مرتبة الشريعة والطريقة ومن كلمة التوحيد العيني الحقيقي المزيل للشرك والكفر والهوى الخفي وباقي الكساد في مرتبة المعرفة والحقيقة ومن غيرهما من لطائف العلوم والمعارف ومحاسن الأعمال والأحوال ومكارم الأخلاق والصفات. **﴿قد أفلح﴾** أي: دخل في الفلاح في جميع المراتب صورة وحقيقة من زكاها من طهرها من رذائل آثار الجلال في جميع الأطوار. **﴿وقد خاب﴾** أي: حرم من الفلاح. **﴿من دساها﴾** أي: أخفى فيها الآثار الجلالية والصفات النفسانية وكتم

فيها العيوب والقبائح الشيطانية والأهواء والشهوات البهيمية، والأعمال النفسانية وكتم فيها العيوب والقبائح الشيطانية والأهواء والشهوات البهيمية والأعمال والأخلاق الرديئة ولم يعالجها بأضدادها بل أهملها عن التربية في مرتبة الشريعة بالتقوى والصلاح وعن التزكية في مرتبة الطريقة بالمجاهدة والإصلاح وساعدها في هواها وشهواتها في النيات والمقصود والأعمال والأقوال وصارت حركاتها وسكناتها جميعاً بالأهواء انتهى. باختصار فإن كلامه رحمه الله في هذه الآية يبلغ إلى نصف جزء بل أكثر.

﴿**كذبت ثمود**﴾ المراد القبيلة ولذا قال: ﴿**بطغواها**﴾ وهو استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى: ﴿**وقد خاب من دساها**﴾ فإن الطغيان أعظم أنواع التدسية والطغوى بالفتح مصدر بمعنى الطغيان إلا أنه لما كان أشبه برؤوس الآيات اختير على لفظ الطغيان وإن كان الطغيان أشهر وفي «الكشف»: الطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بأن قلبوا الياء واواً في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا امرأة خزياً وصدياً من الخزى بالفتح والقصر بمعنى الاستحياء ومن الصدى بمعنى العطش والباء للسببية، أي: فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله فالفعل منزل منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول وهو المشهور أو كذبت ثمود نبيها صالحا عليه السلام فحذف المفعول للعلم به وفيه إشارة إلى أن العصيان إذا اشتد بلغ الكفر ويجوز أن تكون الباء صلة للتكذيب أي كذبت بما أوعدت به من العذاب ذي الطغوى والتجاوز عن الحد وهو الصيحة كقوله تعالى: ﴿فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥] أي: بصيحة ذات طغيان.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾.

﴿**إذ انبعث أشقاها**﴾ منصوب بكذبت أو بالطغوى أي حين قام أشقى ثمود وهو قدار بن سالف امتثالاً لأمر من بعثه إليه فإن انبعث مطاوع لبعث يقال بعثت فلاناً على أمر فانبعث له وامتثل، قال في «كشف الأسرار»: الانبعاث الإسراع في الطاعة للباعث أو حين قام قدار ومن تصدى معه لعقر الناقة من الأشقياء فإن أفعل التفضيل إذا أضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث، ويدل على الأول قوله تعالى في سورة القمر ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾ [القمر: ٢٩] فإنه يدل على أن المباشر واحد معين وفضل شقاوتهم على من عداهم مباشرتهم العقر مع اشتراك الكل في الرضى به.

﴿**فقال لهم**﴾ أي: لثمود ﴿**رسول الله**﴾ لما علم ما عزموا عليه وهو صالح عليه السلام ابن عبيد بن جابر بن ثمود بن عوص بن إرم فالإضافة للعهد عبر عنه بعنوان الرسالة إيذاناً بوجوب طاعته وبياناً لغاية عتوهم وتماديهم في الطغيان. ﴿**ناقة الله**﴾ منصوب على التحذير وإن لم يكن من الصور التي يجب فيها حذف العامل والناقة بالفارسية اشتر ماده أضيفت إليه تعالى للتشريف كبيت الله، أي ذروا ناقة الله الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وعلى نبوتي واحذروا عقرها. ﴿**وسقياها**﴾ يعني شربها وهو نصيبها من الماء ولا تطردوها عنه في نوبتها فإنها كان لها شرب يوم معلوم ولهم ولمواشيهم شرب يوم آخر، وكانوا يستضرون بذلك في مواشيهم فهموا بعقرها. ﴿**فكذبوه**﴾ أي: رسول الله في وعيده بقوله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب.

﴿فعقروها﴾ أي: الأشقى والجمع على تقدير وحدته لرضى الكل بفعله قال السهيلي: العاقر قدار بن سالف وأمه قديرة وصاحبه الذي شاركه في عقر الناقة اسمه مصدع بن وهراوا بن جهم والعقر النحر وقدم التكذيب على العقر لأنه كان سبب العقر، وفي الحديث قال عليه السلام لعلي: «يا علي أتدري من أشقى الأولين؟ قال: الله رسوله أعلم قال: عاقر الناقة، قال: أتدري من أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم قال: قاتلك» وذلك أن الناقة إشارة إلى ناقة الروح فكما أن عقرها بالظلمة النفسانية والشهوات الحيوانية من مزيد شقاوة النفس فكذا قتل علي رضي الله عنه فإنه كان مظهراً لروحانية نبينا عليه السلام ولذا كان وارثه الأكبر في مقام الحقيقة فالقصد إلى علي الولي رضي الله عنه قصد إلى محمد النبي عليه السلام ولا شقاوة فوق الشقاوة من قابل مظهر الرحمة الكلية بالغضب وانتقام.

﴿فدمدم عليهم ربهم﴾ فأطبق عليهم العذاب وهو الصيحة الهائلة وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة إذا طليت بالشحم وأحيطت بحيث لم يبق منها شيء لم يمسه الشحم ودم الشيء سده بالقير ودممت على القبر وغيره إذا أطبقت عليه ثم كررت الدال للمبالغة في الإحاطة فالدمدمة من الدمدم كالكبكبة من الكب، قال في «كشف الأسرار»: تقول العرب دممت على فلان ثم تقول من المبالغة دممت بالتشديد ثم تقول من تشديد المبالغة دمدمت والتركيب يدل على غشيان الشيء الشيء **﴿بذنبهم﴾** أي: بسبب ذنبهم المحكي والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للإنذار بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب. **﴿فسواها﴾** أي: الدمدمة والإهلاك بينهم لم يفلت منهم أحد من صغير وكبير أو فسوى ثمود بالأرض.

روي أنهم لما رأوا علامات العذاب طلبوا صالحاً عليه السلام أن يقتلوه فأنجاه الله كما قال في سورة هود: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [هود:٦٦].

﴿ولا يخاف عقباها﴾ الواو للاستئناف أو للحال من المنوي في فسواها الراجع إلى الله تعالى، أي فسواها الله غير خائف عاقبة الدمدمة وتبعتها أو عاقبة هلاك ثمود كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك والولاة فيترحم بعض الترحم وذلك أن الله تعالى لا يفعل إلا بحق وكل من فعل بحق فإنه لا يخاف عاقبة ولا يبالي بعاقبة ما صنع وإن كان من شأنه الخوف وقال بعضهم: ولا يخاف هو أي: قدار ولا هم ما يعقب عقرها ويتبعه وما يترتب عليه من أنواع البلاء والمصيبة والعقاب مع أن صالحاً عليه السلام قد أخبرهم بها.

تمت سور الشمس في أوائل شهر ربيع الآخر

٩٢ ـ سورة الليل

إحدى وعشرون آية مكية وقيل فيها مكي ومدني

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾﴾.

﴿**والليل إذا يغشى**﴾ إذا للحال لكونها بعد القسم كما مر في السورة السابقة أي: أقسم بالليل حين يغشى الشمس ويغطيها ويسترها، كقوله: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾﴾ [الشمس: ٤] فعدم ذكر المفعول للعلم به أو النهار أو كل ما يواريه بظلامه فعدم ذكر المفعول للتعميم والليل عند أهل النجوم ما بين غروب الشمس وطلوعها وعند أهل الشرع ما بين غروبها وطلوع الفجر الصادق لعله المراد هنا والنهار ما يقابله.

وفي «كشف الأسرار»: [الله تعالى شب رامرتبتي وشرفي دادكه آنرا درقرآن مجيد محل قسم خود كردنيد واين شرف ازان يافت كه شب درآيد دوستان خداتنها در مناجات شوند همه شب شراب صفامي نوشند وخلعت رضا مي پوشند وعتاب محبوب مي نيوشند وچون وقت سحر باشدكه فرمان رسد تادرهاي اين قبهٔ پيروزه باز كشايند ودامنهاى سراد قات عرش مجيد براندازند ومقربان حضرت بامر حق خاموش شوند آنكه جبار كائنات در علو وكبرياي خود خطاب كندكه إلا قد خلا كل حبيب بحبيبه فأين أحبائي يعني هر دوستى بادوست خود در خلوت وشادى آمدند دوستان من كجا اند].

الليل داج والعصاة نيام ... والعابدون لذي الجلال قيام

﴿**والنهار إذا تجلى**﴾ ظهر بزوال ظلمة الليل أي: إن كان المغشى غير الشمس أو تبين وتكشف بطلوع الشمس أي: كان المغشى الشمس واختلاف الفاصلتين بالمضي والاستقبال لما ذكرنا في السورة السابقة وفيه إشارة إلى القسم بليل غيب الهوية المطلقة إذا يغشى نهار التعينات الاعتبارية على أهل الذوق والشهود وبنور نهار الوجودات المقيدة إذا تجلى بسبب التعينات العقلية بالنسبة إلى أهل الحجاب والاحتجاب. وقال القاشاني: أقسم بليل ظلمة النفس إذا ستر نور الروح إذا تجلى وظهر من اجتماعهما وجود القلب الذي هو عرش الرحمن فإن القلب يظهر باجتماع هذين له وجه إلى الروح يسمى الفؤاد يتلقى به المعارف والحقائق ووجه إلى النفس يسمى الصدر يحفظ به السرائر ويتمثل فيه المعاني.

﴿**وما خلق الذكر والأنثى**﴾ ما عبارة عن صفة العالم كما في ﴿**وما بناها**﴾ وإنها لتوغلها في لإبهام أفادت أن الوصف الذي استعملت هي فيه بالغ إلى أقصى درجات القوة والكمال

بحيث كان مما لا يكتنه كنهه وأنه لا سبيل للعقل إلى إدراكه بخصوصه وإنما الممكن هو إدراكه بأمر عام صادق واللامان للحقيقة ويجوز أن يكونا للاستغراق أي: والقادر العظيم القدرة الذي خلق صنفي الذكر والأنثى من كل نوع له توالد فخرج مثل البغل والبغلة، وقيل إن الله لم يخلق خلقاً من ذوي الأرواح ليس بذكر ولا أنثى والخنثى وإن أشكل أمره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة أو الأنوثة فلو حلف بالطلاق أنه لم يلق يومه ذكراً ولا أنثى وقد لقي خشي مشكلاً كان حانثاً لأنه في الحقيقة إما ذكر أو أنثى وإن كان مشكلاً عندنا كما في «الكشاف»، وقيل: إنهما آدم وحواء عليهم السلام على أن اللام للعهد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣] وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ والذكر والأنثى قال علقمة قدمنا الشأم فأتانا أبو الدرداء رضي الله عنه فقال: أفيكم من يقرأ قراءة عبد الله بن مسعود فأشاروا إلي، فقلت: نعم أنا، فقال: كيف يقرأ هذه الآية، قلت: سمعته يقرأ والذكر والأنثى قال وأنا هكذا والله سمعت رسول الله عليه السلام يقرأها وهؤلاء يريدونني على أن أقرأها وما خلق فلا أتابعهم، وفيه إشارة إلى الذكر الذي هو الروح والأنثى التي هي النفس وقد ولد القلب من ازدواجهما وعند بعض العارفين الليل ذكر والنهار أنثى كما سبق في النازعات.

﴿إن سعيكم لشتى﴾ جواب القسم والمصدر بمعنى الجمع لما عرف أن المصدر المضاف من صيغ العموم ولذلك أخبر عنه بالجمع، وشتى جمع شتيت كمرضى ومريض وهو المفترق المتشتت والمعنى أن مساعيكم أي: أعمالكم المختلفة حسب اختلاف الاستعدادات الأزلية فبعضها حسن نافع خير صالح وبعضها قبيح ضار شر فاسد وفي الحديث: «الناس عاديان فمبتاع نفسه فمعتقها أو بائع نفسه فموبقها». قال القاشاني: إن سعيكم أشتات مختلفة لانجذاب بعضكم إلى جانب الروح والتوجه إلى الخير لغلبة النورية وميل بعضكم إلى جانب النفس والانهماك في الشر لغلبة لظلمة، وقال بعضهم: باطن هذه الآية أن يرى سعيه قسمة من الحق له من قبل التكوين والتخليق لقوله تعالى: ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ﴾ [الزخرف: ٣٢] وإن السعي له مراتب كمراتب المتصلين بالسلطان من الندماء والجلساء وأصحاب الأسرار فسعي بالنفوس لطلب الدرجات وبالعقول لطلب الكرامات وبالقلوب لطلب المشاهدات وبالأرواح لطلب المداناة وبالأسرار لفنائها في أنوار الذات وبقائها في أنوار الصفات وسعي بالإرادة وبالمحبة وبالشوق وبالعشق وبالمعرفة إلى غير ذلك.

﴿فأما﴾ تفصيل لتلك المساعي المتشتتة وتبين لأحكامهما. ﴿من أعطى﴾ حقوق ماله ﴿واتقى﴾ محارم الله التي نهى عنها ومن جملتها المن والأذى.

﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾.

﴿وصدق بالحسنى﴾ بالخصلة الحسنى وهي الإيمان أو بالكلمة الحسنى وهي كلمة التوحيد أو بالملة الحسنى وهي ملة الإسلام أو المثوبة الحسنى وهي الجنة. ﴿فسنيسره لليسرى﴾ معنى التيسير التهيئة لا ما يقابل التعسير ومنه قوله: «كل ميسر لما خلق له» فلا حاجة إلى أن يقال استعمل التيسير في العسرى على المشاكلة كما في قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ﴾ [الشورى: ٤٠] أو على حسب قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق: ٢٤] [يقال يسر الفرس للركوب إذا

أسرجها وألجمها واليسرى تأنيث الأيسر والمعنى فسنهيئه ونوفقه للخصلة التي تؤدي إلى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه وبالفارسية پس زود باشدكه آساني دهيم ويرا براي طريقت نيكوكه سبب آسابي راحت باشد يعني عملي كه اورا به بهشت رساند].

فوصف الخصلة باليسرى مجاز باعتبار كونها مؤدية إلى اليسرى وفيه إشارة إلى أن من طهر نفسه بالطاعة بالإقبال على الله والإعراض عن الدنيا واتقى في عين تلك الطاعة عن نسبتها إلى نفسه وصدق في باطنه بالكلمة الحسنى فسنيسره للخصلة اليسرى وهي الوصول إلى حضرتنا العليا وسراد قاتنا الكبرى.

﴿**وأما من بخل**﴾ أي: بماله فلم يبذله في سبيل الخير والبخل إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ويقابله الجود. ﴿**واستغنى**﴾ زهد فيما عنده تعالى أي: لم يرغب كأنه مستغن عنه فلم يتق أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة فلم يتق فيكون الاستغناء مستتبعاً لعدم الاتقاء الذي هو مقابل الاتقاء في الآية الأولى وبه يحصل التقابل بينهما. ﴿**وكذب بالحسنى**﴾ أي: ما ذكر من المعاني المتلازمة. ﴿**فسنيسره للعسرى**﴾ أي: فسنهيئه للخصلة المؤدية إلى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته لاختياره لها وبالفارسية [پس مهيا كردانيم مرورا براي صفتي كه مؤدي بدشواری ومحنت بود يعني كرداری كه اورا بدوزخ برد].

ولعل تصدير القسمين بالإعطاء والبخل مع أن كلاً منهما أدنى رتبة مما بعدهما في استتباع التيسير لليسرى والتيسر للعسرى للإيذان بأن كلا منهما أصيل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء والظاهر أن السين للدلالة على الجزاء الموعود بمقابلة الطاعة والمعصية وهو يكون في الآخرة التي هي أمر متراخ منتظر فأدخلت السين وهي حرف التراخي ليدل بذلك على أن الوعد آجل غير حاضر كذا في بعض التفاسير وفيه إشارة إلى أن من بخل في نفسه بالطاعة والعبادة الروحية والسرية والقلبية واستغنى عن الإقبال علينا وكذب بالحسنى التي أعطيناها إياه من سلامة الأعضاء والجوارح والجاه والمال فسنيسره للعسرى وهي البعد عنا والطرد واللعن ودخول نار الحجاب.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾.

﴿**وما يغني عنه ماله**﴾ أي شيئاً من العذاب فالمفعول محذوف أو أي: شيء يغني عنه ماله الذي يبخل به أي لا يغني شيئاً فما مفعول يغني والاستفهام للإنكار ﴿**إذا تردى**﴾ أي: هلك ومات تفعل من الردى للمبالغة والردى كالعصا وهو الهلاك. قال الراغب: الردى الهلاك والتردي التعرض للهلاك انتهى. أو تردى وسقط في الحفرة إذا قبر أو تردى في قعر جهنم فالمال الذي ينتفع به الإنسان في الآخرة وقت حاجته هو الذي أعطى حقوقه وقدمه دون الذي بخل به وتركه لوارثه وفيه إشارة إلى أنه إذا تردى وتصدى لمخالفتنا وموافقته الطبيعة البشرية أي شيء له يخلصه من غضبنا وقهرنا عند تجلينا له بصورة القهر والنقمة ﴿**إن علينا للهدى**﴾ استئناف مقرر لما قبله أي إن علينا بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة أن نبين لهم طريق الهدى وما يؤدي إليه من طريق الضلال وما يؤدي إليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيباً وترهيباً ومن هنا تبين أن الهداية

هي الدلالة على ما يوصل إلى البغية لا الدلالة الموصلة إليها قطعاً، وأن المراد بالوجوب المفهوم من على الوجوب بموجب القضاء ومقتضى الحكمة فلا تكون الآية بظاهرها دليلاً على وجوب الأصلح عليه تعالى كما يزعم المعتزلة.

قال القاشاني: إن علينا للهدى بالإرشاد إلينا بنور العقل والحس والجمع بين الأدلة العقلية والسمعية والتمكين على الاستدلال والاستبصار.

﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾ أي: التصرف الكلي فيهما كيفما نشاء من الأفعال التي من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى.

﴿فأنذرتكم﴾ خوفتكم بالقرآن وبالفارسية [پس بيم كنم شمارا].

أي يا أهل مكة ﴿ناراً﴾ [از آتشى كه] ﴿تلظى﴾ [زبانه زند] وهو بحذف إحدى التاءين من تتلظى أي: تتلهب فإن النار مؤنث وصفت به ولو كان ماضياً لقيل تلظت مع أن المراد بوصفها دوام التلظي بالفعل الاستمراري وفي بعض التفاسير المراد من أنذرتكم إنشاء الإنذار كقولهم بعت واشتريت أو إخبار يراد به الإنذار السابق في مثل قوله تعالى في سورة المدثر: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ [المدثر: ٢٦ - ٢٩] فإنها لأول سورة نزلت عند الأكثرين وهذا أشد تخويفاً من أن يقال خافوا واتقوا ناراً تلظى.

﴿لا يصلاها﴾ صلياً لازماً ولا يقاسي حرها ﴿إلا الأشقى﴾ الزائد في الشقاوة وهو الكافر فإنه أشقى من الفاسق وفي «كشف الأسرار»: يعني الشقي والعرب تسمي الفاعل أفعل في كثير من كلامهم منه قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] وقوله ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] انتهى فالفاسق لا يصلاها صلياً لازماً ولا يدخلها دخولاً أبدياً وقد صرح به قوله تعالى: ﴿الذي كذب وتولى﴾ أي كذب بالحق واعرض عن الطاعة وليس هذا إلا الكافر.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وسيجنبها﴾ أي: سيبعد عنها بحيث لا يسمع حسيسها والفاعل المجنب المبعد هو الله وبالفارسية [وزود بودكه دور كرده شودازان آتش] ﴿الأتقى﴾ المبالغ في الاتقاء عن الكفر والمعاصي فلا يحوم حولها فضلاً عن دخولها أو صليها الأبدي وأما من دونه ممن يتقي الكفر دون المعاصي وهو المؤمن الشقي الفاسق الغير التائب فلا يبعد عنها هذا التبعيد بل يصلاها وإن لم يذق شدة حرها كما ذاق الكافر لكونه في الطبقة الفوقانية من طبقات النار فذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح في الحصر السابق، وفي «كشف الأسرار»: الأتقى بمعنى التقي كالأشقى بمعنى الشقي قال الشاعر:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد

أي بواحد انتهى.

﴿الذي يؤتي ماله﴾ يعطيه ويصرفه في وجوه البر والحسنات ﴿يتزكى﴾ إما بدل من يؤتي داخل في حكم الصلة لا محل له أو في حيز النصب على أنه حال من ضمير يؤتى أي: يطلب أن يكون عند الله زاكياً نامياً لا يريد به رياء ولا سمعة أو متزكياً متطهراً من الذنوب ومن دنس البخل ووسخ الإمساك.

﴿**وما لأحد عنده من نعمة تجزى**﴾ استئناف مقرر لكون إيتائه للتزكي خالصاً لوجه الله أي: ليس لأحد عنده نعمة ومنة من شأنها أن تجزى وتكافأ فيقصد بإيتاء ما يؤتي مجازاتها.

﴿**إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى**﴾ استثناء منقطع من نعمة لأن ابتغاء وجه ربه ليس من جنس نعمة تجزى فالمعنى لكن فعل ذلك ابتغاء وجه ربه الأعلى أي لابتغاء ذاته وطلب رضاه فهو في الحقيقة مفعول له وما أتي من المال مكافأة على نعمة سالفة فذلك يجري مجرى أداء الدين فلا يكون له دخل في استحقاق مزيد الثواب وإنما يستحق الثواب إذا كان فعله لأجل أن الله أمره به وحثه عليه ومعنى الأعلى العلي الرفيع فوق خلقه بالقهر والغلبة كما قاله أبو الليث.

وقال القاشاني: وصف الوجه الذي هو الذات الموجودة مع جميع الصفات بالأعلى لأن لله تعالى بحسب كل اسم وجهاً يتجلى به لمن يدعوه بلسان حاله بذلك الاسم ويعبده باستعداده والوجه الأعلى هو الذي له بحسب اسمه الأعلى الشامل لجميع الأسماء وإن جعلته وصفاً لرب فالرب هو ذلك الاسم انتهى. والآية نزلت في حق أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حين اشترى بلالاً رضي الله عنه في جماعة كعامر بن فهيرة وأخيه وعبيد وزنيرة كسكينة وهي مملوكة رومية وابنتها أم عميس وأمة بني المؤمل والنهدية ابنتها وكانت زنيرة ضعيفة البصر، فقال المشركون اذهب اللات والعزى بصرها لما خالفت دينهما فرد الله بصرها بعد ذلك وكان المشركون يؤذون هؤلاء المذكورين ليرتدوا عن الإسلام فاشتراهم أبو بكر فأعتقهم ولذلك قالوا المراد بالأشقى أبو جهل أو أمية بن خلف.

در «كشف الأسرار»: [آورده كه اين سوره درباره‌ٔ دوكس است يكى اتقى كه پيشرو صديقا نست يعني أبو بكر رضي الله عنه، ويكى اشقى كه پيشرو زند يقانست زاهل ضلالت يعني أبو جهل ودر فاتحه‌ٔ اين سوره كه بشب وروز قسم ياد ميكند اشارتست بظلمت يكى ونورانيت ديكر يعني درشب ضلالت كسى را آن كمراهى نبودكه أبو جهل شقى را ودر روز دعوت هيچكس را ان نور هدايت ظاهر نشدكه أبو بكر تقى را].

سر روشنند لان صديق أعظم — كه شداقليم تصديقش مسلم
زمهرش روز دين را روشنايى — بدو أهل يقين را آشنايى

[آورده اندكه أمية بن خلف بلال راكه بنده‌ٔ أبو بود بأنواع آزارها عذاب ميكرد تااز دين بركردد وهر زمان آتش محبت رباني در باطن أو أفروخته تربود].

آنجاكه منتهاي كمال ارادتست — هرچند جور پيش محبت زيادتست

[روز صديق ديدكه أميه ويرا برخاك كرم افكنده بود وسنكهاي تفسيده بر سينه‌ٔ وى نهاده واودرين حال أحد أحد ميكفت يعني يقول أمية لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وهو يقول أحد أحد].

[أبو بكر را دل برو بسوخت وكفت اي أميه وأي برتو اين دوست خدايرا چند عذاب كنى كفت أي أبا بكر اكردلت برو ميسوزد از منش بخر].

وفي رواية مر النبي عليه اسلام ببلال بن رباح الحبشي وهو يقول: أحد فقال عليه السلام: أحد يعني الله الأحد ينجيك، ثم قال لأبي بكر رضي الله عنه إن بلالاً يعذب في الله فعرف مراده عليه السلام، فانصرف إلى منزله فأخذ رطلاً من ذهب ومضى به إلى أمية بن خلف فقال له أتبيعني بلالاً؟ قال: نعم فاشتراه وأعتقه فقال المشركون ما أعتقه أبو بكر إلا ليد كانت

له عنده فنزلت وقال ابن مسعود رضي الله عنه وقد اشتراه ببرد وعشر أواق جمع أوقية وهي أربعون درهماً وكان مدفوناً تحت الحجارة فقالوا لو أبيت إلا أوقية لبعناك فقال: ولو أنتم أبيتم إلا بمائة أوقية لاشتريته بها وقيل كان عبداً لعبد الله بن جدعان سلخ على أصنام قوم أي تغوط فشكوا إليه فوهبه لهم مع مائة من الإبل قرباناً لها فعذبوه في الرمضاء أشد العذاب وفي رواية ابن المسيب بل ابتاعه من أمية بغلام له اسمه نسطاس بكسر النون صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وهو مشرك بعد ما حمله أبو بكر على الإسلام على أن يكون ماله له.

كما قال الكاشفي: [صديق رضي الله عنه كفت يا أمية بچند ميفروشى كفت عوض ميكننم آنرا به نسطاس رومي وآن غلامي بودازان صديق رضي الله عنه در هزار دينار استعداد داشت وصديق رضي الله عنه اوراكفته بودكه اكر ايمان آرى آن مال كه داري بتو بخشم نسطاس مسلمان نمى شد ودل مبارك صديق رضي الله عنه أز وملول بود چون اين كلمه از أميه شنيده غنيمت شمرده نسطاس را باتمام استعداد بداد وبلال را بستد وفي الحال بميد نواب أخروي آزادكرد] وفي الحديث: «يرحم الله أبا بكر زوجني ابنته، وحملني إلى دار الهجرة، وأعتق بلالاً من ماله» وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «بلال سيدنا ومولى سيدنا» وهو نظير قوله عليه السلام: «سلمان منا أهل البيت» فانظر إلى شرف التقوى كيف أدخل الموالي في الأشراف ولا تغتر بالنسب المجرد فإنه خارج عن حد الإنصاف، وقال السهيلي رحمه الله: قال لأبي بكر رضي الله عنه أبوه: لو اشتريت من له نجدة وقوة فيتعصب لك وينفعك كان أجدى من ابتياع الضعفة وإعتقاهم فأنزل الله هذه الآية وفهم مما ذكر أن أعلى الإعطاء فضيلة ما يكون لرضى الله وأوسطه ما يكون لعوض أخروي وأدناه ما يكون لغرض دنيوي مباح وأما ما يكون للرياء والسمعة، أو لغير ذلك مما ليس بمباح فهو أخس وأقبح وقوله عليه السلام: «من صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له» يدل على أن المكافأة مشروعة ممدوحة لكنها ليست بدرجة ابتغاء المرضاة.

﴿ولسوف يرضى﴾ جواب قسم مضمر أي وبالله لسوف يرضى ذلك الأتقى الموصوف بما ذكر وبالفارسية [وزود باشدكه خشنود كردد].

وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على أكمل الوجوه وأجملها إذ به يتحقق الرضى.
قال بعضهم: أي يرضى الله عنه ويرضى هو بما يعطيه الله في الآخرة من الجنة والكرامة والزلفى جزاء ما فعل ولم ينزل هذا الوعد إلا لرسول الله ﷺ في قوله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥] ولأبي بكر رضي الله عنه ههنا قال البقلي: هذا الرضى لا يكون من المعارف حتى يفنى في المعروف ويتصف بصفاته حتى يكون نعته في الرضى نعت الحق سبحانه وتعالى.

٩٣ ـ سورة الضحى

إحدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلضُّحَىٰ ① وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ③ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ④﴾.

﴿**والضحى**﴾ هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار أريد بالضحى الوقت المذكور على المجاز بعلاقة الحلول والظرفية فإن الزمان ظرف لما فيه أو على تقدير المضاف وذلك التجوز أو الحذف ليناسب الليل قالوا تخصيصه بالإقسام به لأنها الساعة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجداً لقوله تعالى: ﴿وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى﴾ [طه: ٥٩] فكان له بذلك شرف ومناسبة بحال المقسم لأجله وصلاة الضحى سنة بالاتفاق ووقتها إذا علت الشمس إلى قبيل وقت الزوال وهي عند أبي حنيفة ركعتان أو أربع بتسليمة وعند مالك لا تنحصر وعند الشافعي وأحمد أقلها ركعتان واختلف في أكثرها، فقال: الشافعي ثنتا عشرة وقال: أحمد ثمانٍ وهو الذي عليه الأكثرون من أصحاب الشافعي وصححه النووي في التحقيق وقد صح أن النبي عليه السلام صلى صلاة الضحى يوم فتح مكة ثماني ركعات وهو في بيت أم هانىء وكان يصلي صلاة الضحى قبل ذلك أيضاً ﴿**والليل**﴾ أي: وجنس الليل قال ابن خالويه: هو نسق على الضحى لا قسم لأنه يصلح أن يقع في موضع الواو ثم أو الفاء بأن يقال ثم الليل مثلاً وثم لا يكون قسماً ﴿**إذا سجا**﴾ أي: سكن أهله على المجاز من قبيل إسناد الفعل إلى زمانه أو ركد ظلامه واستقر وتناهى فلا يزداد بعد ذلك يعني أن سكون ظلامه عبارة عن عدم تغيره بالاشتداد والتنزل وذلك حين اشتد ظلامه وكمل فيستقر زماناً ثم يشرع في التنزل فإسناد سكون الظلمة الكائنة إليه مجاز أيضاً يقال سجا البحر سجواً إذا سكنت أمواجه وليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه: سكون الناس والأصوات وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أن المراد بالضحى هو الضحى الذي كلم الله فيه موسى وبالليل ليلة المعراج.

وصاحب «كشف الأسرار» [كفته مراد از روز وشب كشف وحجا بست كه نشانهء نسيم لطف وسموم قهر بود وعلامهء أنوار جمال وآثار جلال].

كما قال الجنيد قدس سره: والضحى مقام الشهود والليل إذا سجا مقام الغين الذي قال عليه السلام فيه إنه ليغان على قلبي.

[يا اشارتست بروشنى وروى حضرت مصطفى عليه السلام وكنايتست از سباهى موى وى].

والضحى رمزي زروي همچو ماه مصطفى — معنئ والليل كيسوى سيه مصطفى

وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الأصل لأن النهار إنما يحدث بطلوع النير وبغروبه يعود الهواء إلى حالته الأصلية، ولذا قدم الظلمة في قوله ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام: ١] وتقديم النهار باعتبار الشرف الذاتي والعارضي فإن قيل ما السبب فإنه ذكر الضحى وهو ساعة من النهار وذكر الليل بكليته أجيب بأنه وإن كان ساعة من النهار لكنه يوازي جميع الليل كما أن محمداً عليه السلام، يوازي جميع الأنبياء عليهم السلام وبأن النهار وقت السرور والراحة والليل وقت الوحشة والغم فهو إشارة إلى هموم الدنيا أكثر من سرورها فإن الضحى ساعة والليل له ساعات.

روي أن الله تعالى لما خلق العرش أظلت غمامة سوداء عن يساره ونادت ماذا أمطر فأجيبت أن أمطري الهموم والأحزان مائة سنة، ثم انكشفت فأمرت مرة أخرى بذلك وهكذا إلى تمام ثلاثمائة سنة ثم بعد ذلك أظلت عن يمين العرش غمامة بيضاء ونادت ما أمطر فأجيبت أن أمطري السرور ساعة فلهذا السب ترى الغموم والأحزان دائمة كثيرة والسرور قليلاً ونادراً.

﴿ما ودعك ربك﴾ جواب القسم والتوديع مبالغة في الوداع وهو الترك لأن من ودعك مفارقاً فقد بالغ في تركك والودع هو الإعلام بالفراق. وقال الراغب أصل التوديع من الدعة وهو أن يدعو للمسافر بأن يتحمل الله عنه كآبة السفر وأن يبلغه الدعة والخفض كما أن التسليم دعاء له بالسلامة فصار ذلك متعارفاً في تشييع المسافر وتركه وعبر به عن الترك في الآية والمعنى ما قطعك قطع المودع وما تركك بالحط عن درجة الوحي والقرب والكرامة فيه استعارة تبعية وإشارة إلى أن الرب لا يترك المربوب. ﴿وما قلى﴾ أي وما أبغضك والإبغاض [دشمن داشتن].

والقلي شدة البغض يقال قلا زيداً يقلوه أبغضه من القلو وهو الرمي كما يقال قلت الناقة براكبها رمت به فكان المقلو هو الذي يقذفه القلب من بغضه فلا يقبله وقلاه وقليه يقليه ويقلاه أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه أو قلاه في الهجر وقليه في البغض كما في «القاموس» فمن جعله من اليائي فمن قليت البسر والسويق على المقلى كما في «المفردات»، ولعل عطف وما قلى من عطف السبب على المسبب لإفادة التعليل وحذفت الكاف من قلاك لدلالة الكلام عليه ولمراعاة الفواصل.

روي أن الوحي تأخر عن رسول الله ﷺ بضعة عشر يوماً لتركه الاستثناء وذلك أن مشركي قريش أرسلوا إلى يهود المدينة وسألوهم عن أمر محمد عليه السلام، فقالت لهم اليهود سلوه عن أصحاب الكهف وعن قصة ذي القرنين وعن الروح، فإن أخبركم عن قصة أهل الكهف وقصة ذي القرنين ولم يخبركم عن أمر الروح فاعلموا أنه صادق فجاءه المشركون وسألوه عنها. فقال عليه السلام: لهم ارجعوا سأخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله فاحتبس الوحي عنه أياماً فقال المشركون: إن محمداً ودعه ربه وقلاه أو أن جبريل أبطأ فشكا عليه السلام ذلك إلى خديجة فقالت خديجة لعل ربك قد قلاك فنزل جبريل بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الكهف: ٢٣ ـ ٢٤] فأخبره بما سئل عنه وقد سبق في سورة الكهف ونزل أيضاً بقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ٣] رداً على المشركين وتبشيراً له عليه السلام بأن الحبيب لا يقلى الحبيب وأنه تعالى يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا مع أن ما سيؤتيه في الآخرة أجل وأعظم من ذلك كما تنبىء عنه الآية الآتية.

وروي أن جرواً دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث نبي الله أياماً لا ينزل عليه الوحي فقال لخادمته خولة يا خولة ما حدث في بيتي إن جبريل لا يأتيني قالت خولة فكنست البيت فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا جرو ميت فأخذته فألقيته خلف الجدار فجاء نبي الله ترتعد لحياه وكان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثريني فأنزل الله هذه السورة فلما نزل جبريل سأله النبي عليه السلام عن سبب تأخيره فقال: «أما علمت أنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة» وقيل غير ذلك وفيه إشارة إلى أنه عليه السلام وقع منه ما هو ترك الأولى ولذا لم يكن ممقوتاً ولا مبغوضاً وإنما احتبس عنه الوحي للتربية والإرشاد.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ما ودعك ربك﴾ بقطع فيض النبوة والرسالة عن ظهرك وما قلى بقطع فيض الولاية عن باطنك ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ لما أنها باقية صافية عن الشوائب على الإطلاق والأولى أي: الدنيا لأنها خلقت قبل الآخرة فانية مشوبة بالمضار فالمراد بالآخرة والأولى كراماتهما واللام في وللآخرة لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾

وفي «التأويلات النجمية»: يعني أحوال نهايتك أفضل وأكمل من أفعال بدايتك كما أخبر بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] الآية، لأنه ﷺ لا يزال يطير بجناحي الشريعة والطريقة في جو سماء السير ويترقى في مقامات القرب والكرامة وهكذا حال ورثته.

﴿ولسوف يعطيك ربك﴾ اللام للابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك ربك لأن لام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة الاسمية وليست للقسم لأنها لا تدخل على المضارع إلا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على أن الإعطاء كائن لا محالة وإن تراخى لحكمة، يعني أن لام الابتداء لما تجردت للدلالة على التأكيد وكانت السين تدل على التأخير والتنفيس حصل من اجتماعهما أن العطاء المتأخر لحكمة كائن لا محالة وكانت اللام لتأكيد الحكم المقترن بالاستقبال. ﴿فترضى﴾ ما تعطاه مما يطمئن به قلبك يعني [شنذان عطار أرزاني داردكه توكويى بس ومن راضي شدم].

وهو نسق على ما قبله بالفاء والآية عدة كريمة شاملة لما أعطاه الله في الدنيا من كمال النفس وعلوم الأولين والآخرين وظهور الأمر وإعلاء الدين بالفتوحات الواقعة في عصره عليه السلام وفي خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الإسلامية وفشو الدعوة والإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التي لا يعلمها إلا الله تعالى وقد أنبأ عن سمة منها قوله عليه السلام لي في الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابها المسك.

ودر هر كوشكى ازخدم ونعم وأمتعه وآنچه لايق آن بود.

روي أن رسول الله ﷺ دخل على فاطمة رضي الله عنها وعليها كساء من وبر الإبل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها فدمعت عيناه لما أبصرها فقال: «يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا الحلاوة الآخرة فقد أنزل الله ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾».

إمام محمد باقر رضي الله عنه در كوفه مي فرموده كه أهل عراق شما ميكوبيدكه اميد وارترين آيتي ازقرآن اينست كه ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] وما أهل البيت برآنيم كه اميد درآيت ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ بيشترست يعني ارجي آية عند أهل البيت هذه الآية چه

رسول الله ﷺ راضي نشودكه يكى ازامت وى دردوزخ باشد.

نمانـد بـدوزخ كـسـى دركـرو كـه دارد چـو تـوسـيـدي پـيـشـرو

عـطـاي شـفـاعـت چـنـانـش دهـنـد كـه امـت تـمـامـي زدوزخ رهـنـد

وفي الحديث: «أشفع لأمتي حتى ينادي لي أرضيت يا محمد فأقول رب قد رضيت» وقال الفهري: ومما يرضيه فيه بعد إخراج كل مؤمن أن لا يسوءه في أمه وأبيه وإن منع الاستغفار لهما وأذن له في زيارة قبرهما في وقت دون وقت لأنهما من أهل الفترة وقال سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] ومن لم يقنعه هذا فحظ المؤمن منهما الوقف فيهما وأن لا يحكم عليهما بنار إلا بنص كتاب أو سنة أو إجماع الأمة بخلاف ما ثبت في عمه أبي طالب انتهى. كلامه في التفسير المسمى «بفتح الرحمن»: وقال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: أقمت بمدينة قرطبة بمشهد فأراني الله أعيان رسله من لدن آدم إلى نبينا عليه وعليهم السلام فخاطبني منهم هود عليه السلام وأخبرني بسبب جمعيته وهو أنهم اجتمعوا شفعاء للحلاج إلى نبينا محمد عليه السلام، وذلك أنه كان قد أساء الأدب بأن قال في حياته الدنيوية إن رسول الله ﷺ همته دون منصبه قيل له ولم ذلك قال: لأن الله تعالى قال: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ فكان من حقه أن لا يرضى إلا أن يقبل الله شفاعته في كل كافر ومؤمن لكنه ما قال إلا شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي فلما صدر منه هذا القول جاءه رسول الله في واقعته وقال له: يا منصور أنت الذي أنكرت علي في الشفاعة فقال يا رسول الله قد كان ذلك قال: ألم تسمع أني قد حكيت عن ربي عز وجل إذا أحببت عبداً كنت له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً فقال: بلى يا رسول الله قال: فإذا كنت حبيب الله كان هو لساني القائل فإذا هو الشافع والمشفوع إليه وأنا عدم في وجوده فأي عتاب علي يا منصور؟ فقال يا رسول الله أنا تائب من قولي هذا فما كفارة ذنبي قال: قرب نفسك لله قرباناً قال فكيف؟ قال: اقتل نفسك بسيف شريعتي فكان من أمره ما كان ثم قال هود عليه السلام وهو من حيث فارق الدنيا محجوب عن رسول الله والآن هذه الجمعية لأجل الشفاعة له إليه ﷺ وكانت المدة بين مفارقته الدنيا وبين الجمعية المذكورة أكثر من ثلاثمائة سنة قال بعض العارفين: الحقيقة المحمدية أصل مادة كل حقيقة ظهرت ومظهرها أصل مادة كل حقيقة تكونت وإليه يرجع الأمر كله قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ٢١] ولا يكون رضاه إلا بعود ما تفرق منه إليه فأهل الجمال يجتمعون عند جماله وأهل الجلال يجتمعون عند جلاله وقال ابن عطاء قدس سره: كأنه يقول لنبيه أفترضى بالعطاء عوضاً عن المعطي فيقول لا فقيل له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [القلم: ٤] أي على همة جليلة إذ لم يؤثر فيك شيء من الأكوان ولا يرضيك شيء منها وقال بعضهم كم بين من يتكلف ليرضى ربه وبين من يعطيه ربه ليرضى.

وقال القاشاني: ولسوف يعطيك ربك الوجود الحقاني لهداية الخلق والدعوة إلى الحق بعد الفناء الصرف فترضى به حيث ما رضيت بالوجود البشري والرضى لا يكون إلا حال الوجود.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: يظهر عليك بالفعل ما في قوة استعدادك من أنواع الكمالات الذاتية وأصناف الكرامات الصفاتية والأسمائية.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾.

﴿ألم يجدك يتيماً﴾ مات أبواك **﴿فآوى﴾** جواب ألم أونسق قاله ابن خالويه أي: قد وجدك ربك والوجود بمعنى العلم ويتيماً مفعوله الثاني أي: ألم يعلمك الله يتيماً فجعل لك مأوى تأوي إليه يقال أوى فلان إلى منزله يأوي أويا علي فعول رجع ولجأ وآويته أنا إيواء والمأوى كل مكان يأوي إليه شيء ليلاً أو نهاراً أي يرجع وينزل ويجوز أن يكون الوجود بمعنى المصادفة ويتيماً حال من مفعوله يعني على المجاز بأن يجعل تعلق العلم الوقوعي الحالي مصادفة وإلا فحقيقة المصادفة لا تمكن في حقه تعالى.

روي أن أباه عبد الله بن عبد المطلب مات وهو عليه السلام جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته وذلك إيواؤه. وقال بعضهم: لما ولد رسول الله ﷺ كان مع جده عبد المطلب ومع أمه آمنة فهلكت أمه آمنة وهو ابن ست سنين ثم مات جده بعد أمه بسنتين ورسول الله ابن ثمان سنين ولما أشرف جده عبد المطلب على الموت أوصى به عليه السلام أبا طالب لأن عبد الله وأبا طالب كانا من أم واحدة فكان أبو طالب هو الذي تكفل رسول الله إلى أن بعثه الله للنبوة فقام بنصره مدة مديدة ثم توفي أبو طالب فنال المشركون منه عليه السلام ما لم ينالوا في زمان أبي طالب، أي: آذوه وكان عليه السلام يقول كنت يتيماً في الصغر وغريباً في الكبر وكان يحب الأيتام ويحسن إليهم وفي الحديث من ضم يتيماً وكان في نفقته وكفاه مؤونته كان له حجاباً من النار ومن مسح برأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة وإنما جعله الله يتيماً لئلا يسبق على قلب بشر أن الذي نال من العز الشرف والاستيلاء كان عن تظاهر نسب أو توارث مال أو نحو ذلك.

وفي «التأويلات النجمية»: ألم يجدك يتيماً أي رآك يتيماً فآواك إلى صدف النبوة ومشكاة الولاية.

[بس كه غواص قدم درتك درياي عدم].

[غوطه زد تا بكف آورد چنين دريتيم].

[يا ديد ترا كوهرى يكانه كه بكمال قابليت ازهمه كائنات منفرد بودي وبقطع علاقة نسبت از ما سوى متوحد ترا متمن ساخته در حضرت احديت جمع كه مقام خاص تست].

وفي «الكشاف»: ومن بديع التفاسير أنه من قولهم درة يتيمة وأن المعنى ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظير أي: في العز والشرف فآواك في دار أعدائك فكنت بين القوم معصوماً محروساً.

﴿ووجدك ضالاً﴾ معنى الضلال فقدان الشرائع والخلو عن الأحكام التي لا يهتدي إليها العقول بل طريقها السماع، كما في قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الشورى: ٥٢] يعني [راه نيافته بودي بأحكام وشرائع].

وإليه يؤول معنى الغيبوبة فإن ضل يجيء بمعنى غاب كما في قوله شربت الإثم حتى ضل عقلي.

أي: شربت الخمر حتى غاب عقلي وغلب. قال الراغب: يقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً يسيراً كان أو كثيراً ولذا نسب الضلال إلى الأنبياء وإلى الكفار وإن

كان بين الضلالين بون بعيد ألا ترى أنه قال في النبي عليه السلام: ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ أي: غير مهتد لما سبق إليك من النبوة وقال: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠] وقال: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٨] تنبيهاً على أن ذلك منهم سهو انتهى. هذا واحذر عن الإساءة في العبارة. ﴿فهدى﴾ أي: فهداك إلى مناهج الشرائع في تضاعيف ما أوحي إليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم قدم هذا الامتنان على الأخير لأن ابتداءه بعد زمان اليتم وقت التكليف فإنه عليه السلام كان موفقاً للنظر الصحيح حينئذٍ ولهذا لم يعبد صنماً قط ولم يأت بفاحشة، وفي «الأسئلة المقحمة» معناه ووجدك بين ضالين فهداهم بك فعلى هذا يكون الضلال صفة قومه يقال رجل ضعيف إذا ضعف قومه.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: متحيراً في تيه الألوهية فهدي إلى كمال المعرفة بالصحو بعد المحو والسكر والضلال الحيرة كما قال: ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥] وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي عليه السلام ضل في شعاب مكة حال صباه وكان عبد المطلب يطلبه ويقول متعلقاً بأستار الكعبة.

يا رب فاردد ولدي محمداً ردا إلى واصطنع عندي يدا

فوجده أبو جهل فرده إلى عبد المطلب فمن الله عليه حيث خلصه على يدي عدوه فكان في ذلك نظير موسى عليه السلام، حين التقط فرعون تابوته ليكون له عدواً وحزناً وقيل: غير ذلك.

﴿ووجدك عائلاً﴾ أي: فقيراً يؤيده ما في مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عديماً يقال: عال يعيل عيلاً وعيلة افتقر أي: فأغناك بمال خديجة رضي الله عنها أو بما أفاء عليه من الغنائم حتى كان عليه السلام يهب المائة من الإبل، وفي الحديث: «جعل رزقي تحت ظل رمحي» وفيه إشارة إلى أن عليه السلام، لو كان متمولاً من أول الأمر لكان يسبق إلى بعض الأوهام أنه إنما وجد العز والغلبة بسبب المال فلما علا كل العلو على الأغنياء والملوك علم أنه كان من جهة الحق وقيل قنعك وأغنى قلبك، قال عليه السلام: «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس» ولذا قال الراغب: أي: أزال عنك فقر النفس وجعل لك الغنى الأكبر المعنى بقوله عليه السلام، «الغنى غنى النفس» وقيل ما عال مقتصد أي: ما افتقر.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: فقيرا فانياً عن أنيتك وأنانيتك بحسب استعدادك القديم ﴿فأغنى﴾ بالبقاء بوجوده وجوده وأسمائه وصفاته انتهى. فالفقر الحقيقي هو التخلي عما سوى الله وبذل الوجود وما يتبعه وهو الذي وقع الافتخار به.

قال الإمام القشيري رحمه الله: إغناء الله عباده على قسمين فمنهم من يغنيهم بتنمية أموالهم وهم العوام وهو غنى مجازي ومنهم من يغنيهم بتصفية أحوالهم وهم الخواص وهو الغنى الحقيقي لأن احتياج الخلق إلى همة صاحب الحال أكثر من احتياجهم إلى نعمة صاحب المال ثم المراد من تعداد هذه النعم ليس الامتنان بل تقوية قلبه عليه السلام للاطمئنان بعد التوديع.

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾

﴿فأما اليتيم﴾ منصوب بقوله. ﴿فلا تقهر﴾ والفاء سببية ليست بممانعة قال الرضي: يتقدم المفعول به على الفعل إن كان المنصوب معمولاً لما يلي الفاء التي في جواب أما إذا لم

يكن له منصوب سواه نحو قوله ﴿**فأما اليتيم فلا تقهر**﴾ لأنه لا بد من نائب مناب الشرط المحذوف بعد أما والقهر الغلبة والتذليل معا ويستعمل في كل واحد منهما. قال الراغب: قوله ﴿**فلا تقهر**﴾ أي لا تذلله وقال غيره فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه.

[وقدر ايشان بشناس كه شربت يتيمي چشيده‌ء].

وكانت العرب تأخذ أموال اليتامى وتظلمهم حقوقهم وفي الحديث: «إذا بكى اليتيم وقعت دموعه في كف الرحمن فيقول من أبكى هذا اليتيم الذي واريت والده تحت الثرى من أسكته أي: أرضاه فله الجنة».

إلا تانكويدكه عرش عظيم بلرزدهمى چون بكريد يتيم

وقال مجاهد: لا تحتقر فإن له ربا ينصره وقرىء فلا تكهر أي فلا تعبس في وجهه.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: لا تقهر يتيم نفسك بكثرة الرياضة والمجاهدة من الجوع والسهر فإن نفسك مطيتك وإن لنفسك عليك حقاً كما قال: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: ١، ٢] ﴿**وأما السائل فلا تنهر**﴾ النهر والانتهار الزجر بمغالظة أي: فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده رداً جميلاً يعني [بأنك بروى مزن ومحروم مساركه دردبى نوايى وتنكدستى كشيده‌ء].

وهذا الثاني بمقابلة الأخير وهو ووجدك عائلاً فأغنى لمراعاة الفواصل والآية بينة لجميع الخلق لأن كل واحد من الناس كان فقيراً في الأصل فإذا أنعم الله عليه وجب أن يعرف حق الفقراء.

نه خواهندهٔ بر درديكران بشكرانه خواهند ازدرمران

قال إبراهيم بن أدهم قدس سره: القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة وقال إبراهيم النخعي: السائل يريد الآخرة يجيء إلى باب أحدكم فيقول أتبعثون إلى أهليكم بشيء.

وروي أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أهدى إلى رسول الله عليه السلام، عنقود عنب فجاء سائل فأعطاه ثم اشتراه عثمان بدرهم وقدمه إلى رسول الله ثانياً ثم عاد السائل فأعطاه ففعل ذلك ثالثاً فقال عليه السلام ملاطفاً للسائل لا غضبان: أسائل أنت يا فلان أم تاجر فنزلت ﴿**وأما السائل فلا تنهر**﴾ وهو أحد وجوه احتباس الوحي، هذا على أن السؤال بمعنى طلب الحاجة من الحوائج الدنيوية، وجوز أن يكون من التفتيش عن الأمور الدينية وفي الحديث: «من كتم علماً يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» وهذا الوعيد يشمل حبس الكتب عمن طلبها للانتفاع.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: لا تنهر سائل قلبك عن الاستغراق في بعض الأوقات في بحر الحقيقة لاستراحته بذلك من أعباء تكاليف الأنبياء بقولك عند ذلك الاستغراق والاستهلاك يا حميراء كلميني.

﴿**وأما بنعمة ربك فحدث**﴾ فإن تحديث العبد وإخباره بنعمة الله شكر باللسان وتذكير للغير وفي الحديث: «التحدث بالنعم شكر» وأريد بالنعمة ما أفاضه الله عليه ﷺ من النعم الموجودة منها والموعودة وحيث كان معظم النعم نعمة النبوة فقد اندرج تحت الأمر هدايته عليه السلام لأهل الضلال وتعليمه للشرائع والأحكام حسبما هداه الله وعلمه من الكتاب والحكمة.

[صاحب فتوحات قدس سره آورده كه نعمت چيزيست محبوب بالذات ومنعم در أغلب

شكور ميباشد پس حق سبحانه وتعالى حبيب خودرا فرمودكه از نعمت من سخن كويى كه خلق محتاجند ومحتاج چون ذكر منعم شنود بدوميل كند واورا دوست دارد پس بجهت تحدث بنعمت من خلق را دوست من كرداني ومن ايشانرا دوست ميدارم] وهذا الثالث بمقابلة الثاني وهو قوله ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ أخر لمراعاة الفواصل وإن التحلية وهو التحديث بنعمة الله بعد التخلية وهو لا تقهر ولا تنهر وكرر أما لوقوعها في مقابلة ثلاث آيات قال في «الكواشي»: رأى بعض: التحدث بنعم الله من الطاعات مع أمن الرياء وغائلة النفس وطلب الاقتداء به وكرهه بعض خوف الفتنة وفي «عين المعاني» قال عليه السلام: «التحدث بالنعم شكر وتركه كفر» وأما الحديث الآخر: «عليكم بكتمان النعم فإن كل ذي نعمة محسود» يعني عن الحسود لا غير وفي «الأشباه» أي رجل ينبغي له إخفاء إخراج الزكاة عن بعض دون بعض؟ فقل: المريض إذا خاف من ورثته يخرجها سراً عنهم وأي رجل يستحب له إخفاؤها؟ فقل الخائف من الظلمة لا يعلمون كثرة ماله وقال ابن عطية في الآية حدث به نفسك أي: لا تنسى فضله عليك قديماً وحديثاً وإذا جاز تحديث النعم الظاهرة جاز تحديث النعم الباطنة من الكرامات والمخاطبات ونحو ذلك.

وفي «التأويلات النجمية»: اذكر شكر نعمة النبوة على ظاهر نفسك ونعمة الرسالة على باطن قلبك ونعمة الولاية على سرك ونعمة البقاء بعد الفناء على روحك وهو معنى سورة والضحى والليل إذا سجا فافهم، وهذه السورة وسورة الانشراح درتان يتيمتان غاليتان لما فيهما من الحكم والمعارف، ولذا كانتا هما وسورة النصر من سور الكمل من الأولياء ولما نزلت سورة الضحى كبر ﷺ فرحاً بنزول الوحي فصار سنة الله أكبر أولا إله إلا الله والله أكبر كما في «الكواشي» وقال في «إنسان العيون»: لما نزلت السورة المذكورة كبر عليه السلام فرحاً بنزول الوحي واستمر عليه السلام، لا يجاهر قومه بالدعوة حتى نزل ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ فعند ذلك كبر عليه السلام أيضاً وكان ذلك سبباً للتكبير في افتتاح السورة التي بعدها وفي ختمها إلى آخر القرآن وعن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قرأ كذلك على النبي عليه السلام بعد أمره له بذلك وأنه كان كلما ختم سورة وقف وقفة ثم قال: الله أكبر، هذا وقيل: إن أول ابتداء التكبير من أول ألم نشرح لا من أول الضحى وقيل: إن التكبير إنما هو لآخر السورة وابتداؤه من آخر سورة الضحى إلى آخر ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١] والإتيان بالتكبير في الأول والآخر جمع بين الروايتين الرواية التي جاءت بأنه يكبر في أول السورة المذكورة والرواية الأخرى أنه يكبر في آخرها ونقل عن الشافعي رحمه الله، أنه قال: لآخر إذا تركت التكبير من الضحى إلى الحمد في الصلاة وخارجها فقط تركت سنة من سنن نبيك عليه السلام، لكن في كلام الحافظ ابن كثير ولم يرد ذلك أي التكبير عند نزول سورة الضحى بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف، وفي «فتح الرحمن»: صح التكبير عن أهل مكة قرائهم وعلمائهم وصح أيضاً عن أبي جعفر وأبي عمرو وورد عن سائر القراء عند الختم وهو سنة مأثورة عن النبي عليه السلام، وعن الصحابة والتابعين في الصلاة وخارجها لكن من فعله فحسن ومن لم يفعله فلا حرج عليه وأما ابتداؤه فاختلف فيه فروي أنه من أول ألم نشرح وروي أنه من أول الضحى واختلف أيضاً في انتهائه فروي أن انتهاءه آخر سورة الناس وروي أولها وقد ثبت نصه عن الإمامين الشافعي وأحمد رحمهما الله ولم يستحبه الحنابلة لقراءة غير ابن كثير ولم اطلع على نص في ذلك لأبي

حنيفة ومالك رحمهما الله، ولفظه الله أكبر في رواية البزي وقنبل وروى عنهما التهليل قبل التكبير، ولفظه لا إله إلا الله والله أكبر، والوجهان عنهما صحيحان جيدان مشهوران مستعملان وفي صفة التكبير في رواية ابن كثير بين كل سورتين أربعة عشر وجهاً الأول قطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة ووصل البسملة بأول السورة الآتية وهو ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ٢١] قف الله أكبر صل بسم الله الرحمن الرحيم، صل والضحى، والثاني قطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة والوقف على البسملة ثم الابتداء بأول السورة وهو لسوف يرضى قف الله أكبر، صل بسم الله الرحمن الرحيم، قف والضحى، والثالث وصله بآخر السورة والقطع عليه ووصل البسملة بأول السورة وهو ولسوف يرضى صل الله أكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى، والرابع وصله بآخر السورة والقطع عن البسملة وهو ولسوف يرضى صل الله، أكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم قف والضحى، والخامس قطع التكبير عن آخر السورة وعن البسملة ووصل البسملة بأول السورة وهو ولسوف يرضى قف الله أكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى، والسادس وصل التكبير بآخر السورة والبسملة وبأول السورة وهو ولسوف يرضى صل الله أكبر صل بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى والسابع قطع الجميع أي قطع التكبير عن السورة الماضية وعن البسملة وقطع البسملة عن السورة الآتية وهو ولسوف يرضى قف الله أكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم قف والضحى فهذه السبعة صفته مع التكبير ويأتي مع التهليل مثل ذلك وبقي وجه لا يجوز وهو وصل التكبير بآخر السورة وبالبسملة مع القطع عليها وهو ولسوف يرضى الله أكبر بسم الله الرحمن الرحيم بالوصل في الجميع ثم يسكت على البسملة ثم يبتدىء والضحى فهذا ممتنع إجماعاً لأن البسملة لأول السورة فلا يجوز أن تجعل منفصلة عنها متصلة بآخر السورة قبلها.

واعلم أن القارىء إذا وصل التكبير بآخر السورة فإن كان آخرها ساكناً كسره للساكنين نحو فحدث الله أكبر وفارغب الله أكبر وإن كان منوناً كسره أيضاً للساكنين سواء كان الحرف المنون مفتوحاً أو مضموماً أو مكسوراً نحو تواباً الله أكبر، ولخبير الله أكبر ومن مسد الله أكبر وإن كان آخر السورة مفتوحاً فتحه وإن كان مسكوراً كسره وإن كان مضموماً ضمه نحو قوله إذا حسد الله أكبر والناس الله أكبر والأبتر الله أكبر وشبهه وإن كان آخر السورة هاء كناية موصولة بواو حذف صلتها للساكنين نحو ربه الله أكبر وشراً يره الله أكبر، وأسقط الف الوصل التي في أول اسم الله في جميع ذلك استغناء عنها الكل في «فتح الرحمن» لكن المواضع منها ينبغي أن يقطع عن التكبير حذراً من الإيهام وإن كان مقتضى القياس الوصل نحو الأبتر الله أكبر، وحسد الله أكبر.

تمت سورة الضحى في الثاني عشر من شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع عشرة ومائة وألف

٩٤ ـ سورة الشرح

ثماني آيات مكية وعند ابن عباس رضي الله عنهما مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾.

﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ قال الراغب: الشرح بسط اللحم ونحوه، يقال شرحت اللحم وشرحته، ومنه شرح الصدر بنور إلهي وسكينة من جهة الله وروح منه وشرح المشكل من الكلام بسطه وإظهار ما يخفى من معانيه انتهى. وفي الحديث: «إذا دخل النور في القلب انفسح» أي: عاين القلب وانفسح أي: احتمل البلاء وحفظ سر الربوبية كما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ [طه: ٢٥] أي وسع قلبي حتى لا يضيق بسفاهة المعاندين ولجاجهم بل يحتمل أذاهم وزيادة لك للإيذان بأن الشرح من منافعه ومصالحه عليه السلام وإنكار النفي إثبات أي: عدم شرحنا لك صدرك منفي بل قد شرحنا لك صدرك وفسحناه حتى حوى عالم الغيب والشهادة بين ملكتي الاستفادة والإفادة فما صدك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس أنوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق أي: لم تحتجب لا بالحق عن الخلق ولا بالخلق عن الحق بل كنت جامعاً بين الجمع والفرق حاضراً غائباً.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى انفساح صدر قلبه بنور النبوة وحمل همومها بواسطة دعوة الثقلين وانشراح صدر سره بضياء الرسالة واحتمال مكاره الكفار وأهل النفاق وانبساط صدر نوره باشعة الولاية وتحققه بالعلوم اللدنية والحكم الإلهية والمعارف الربانية والحقائق الرحمانية، وأما شرح الصدر الصوري فقد وقع مراراً مرة وهو ابن خمس أو ست لإخراج مغمز الشيطان وهو الدم الأسود الذي به يميل القلب إلى المعاصي ويعرض عن الطاعات ومرة عند ابتداء الوحي ومرة ليلة المعراج [در حديث آمده كه شب معراج جبريل مرا تكيه داد واز بالاي سينه تاناف من بشكافت وميكائيل طشتى از آب زمزم آورده ودرون سينه وعروق حلق مرايدان آب بشتند وجبرئيل دل مرابيرون آورده بشكافت وبشست ودر آخر طشتى از طلا مملو از حكمت وايمان آوردند ودل مرا ازان پر ساختند وبرجاي او نهادند ونقلى هست كه بخاتمي ازنور مهر كرد چنانچه اثر راحت ولذت آن هنوز در عروق ومفاصل خودمى يابم].

[لم خزانة أسرار بود ودست قضا].

[درش به بست وكليدش بدلستاني داد.]

ومن هنا قال المشايخ: لا بد للطالب في ابتداء أمره أن يشتغل بذكر لا إله إلا الله بحيث

يبدأ من الجانب الأيمن للصدر ويضرب بالأعلى الجانب الأيسر منه لينتقض به العلقة التي هي حظ الشيطان ومنبع الشهوات النفسانية مقداراً بعد مقدار ويمتلىء النور مقام ما ينتقض منها وربما قاء دما أسود رقيقاً لانحلاله بحرارة التوحيد وذوبانه بنار الذكر وهو من صفات الكمل فبدوام الذكر ينشرح الصدر وينفتح القلب.

﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ أي: حططنا وأسقطنا عنك حملك الثقيل وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح للقصد إلى تعجيل المسرة والتشويق إلى المؤخر ﴿الذي أنقض ظهرك﴾ أي: حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرحل المتداعي إلى الانتقاض من ثقل الحمل وبالفارسية [آن باري كه كران ساخت پشت ترا كما] قال في «تاج المصادر»: الانقاض كران كردن.

وفي «المفردات» كسره حتى صار له نقيض وفي «القاموس»: أثقله حتى جعله نقضاً أي: مهزولاً أو أثقله حتى سمع نقيضه، وفي بعض التفاسير: ثقل عليك ثقلاً شديداً فإن إنقاض الحمل الظهر إنما يكون بمعنى تصويت الرحل الذي عليه وهو يكون بثقل الحمل وتأثيره المفضي إلى انحراف بعض أجزاء الرحل عن محالها وحصول الصوت بذلك فيه انتهى. مثل به حاله عليه السلام، مما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة أو من عدم إحاطته بتفاصيل الأحكام والشرائع ومن تهالكه على إسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عند مغفرته كما قال: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] وتعليم الشرائع وتمهيد عذره بعد أن بلغ وبالغ وقد يجعل قوله ووضعنا عنك وزرك كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من الأدناس فيكون كقوله القائل رفعنا عنك مشقة الزيارة لمن لم يصدر عنه زيارة قط على سبيل المبالغة في انتفاء الزيارة منه له.

﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ بعنوان النبوة وأحكامها أي: رفع حيث قرن اسمه باسم الله في كلمة الشهادة والأذان والإقامة وفيه يقول حسان بن ثابت.

أغر عليه للنبوة خاتم … من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه … إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وسمى رسول الله ونبي الله وغير ذلك من الألقاب المشرفة.

[وذو النون المصري قدس سره فرمود رفعت ذكر اشارت بآنست كه همم انبيا عليهم السلام بر حوالىء عرش جولان مي نمودند وطاهر همت آن حضرت عليه السلام پرواز ميكرد].

سيمرغ فهم هيچكس از نبيا نرفت … آنجاكه تو ببال كرامت پريدۀ
هريك بقدر خويش بجايى رسيده اند … انجاكه جاي نيست بجاي رسيدۀ

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾.

﴿فإن مع العسر يسراً﴾ تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له عليه السلام وللمؤمنين فاللام للاستغراق قال في «الكشاف»: فإن قلت كيف تعلق قوله: ﴿فإن مع العسر يسراً﴾ بما قبله قلت: كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق

إلى وهمه أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله واحتقارهم فذكره ما أنعم الله به عليه من جلائل النعم ثم قال: ﴿فإن مع العسر﴾ الخ كأنه قيل خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله ولطفه فإن مع العسر يسرا كثيراً وفي كلمة مع إشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كأنه مقارن للعسر وإلا فالظاهر ذكر كلمة المعاقبة لا أداة المصاحبة لأن الضدين لا يجتمعان بل يتعاقبان.

إن مع العسر چو يسرش قفاست   شاد برآنم كه كلام خداست

وقال بعضهم: هذا عند العامة وأما عند الخاصة فالمعية حقيقية كما قيل:

برجانم از توهرچه رسد جاى منت است   كرناوك جفاست وكر خنچر ستم

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: هي معية امتزاج لامعية مقارنة ولا تعاقب ولذلك كررها فلولا وجود اليسر في العسر لم يبق عسر لعموم الهلاك ولولا وجود العسر في اليسر لم يبق يسر وبضدها تتبين الأشياء، ثم إن العسر يؤول كله إلى اليسر فقد سبقت الرحمة الغضب وذلك عناية من الله فإن ذلك قد يكون مصقلة وجلاء لقلوب الأكابر وتوسعة لاستعدادهم فتتسع لتجلي الحضرة الإلهية وكما أن حظهم من الملائم أوفر فكذلك غير الملائم قال عليه السلام: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل» ولذلك قال تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠] وقال عليه السلام: «إن الله يحب الملحين في الدعاء» وفي تعريف العسر وتنكير اليسر إشارة لطيفة إلى أن الدنيا دار العسر فالعسر عند السامع معلوم معهود واليسر مجهول منهم.

﴿إن مع العسر يسراً﴾ تكرير للتأكيد أو عدة مستأنفة بأن العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك إن للصائم فرحتين أي فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه السلام: «لن يغلب عسر يسرين» أي لن يغلب عسر الدنيا يسري الدنيا والآخرة فإن المعرف إذا أعيد يكون الثاني عين الأول سواء كان معهودا أو جنساً، وأما المنكر فيحتمل أن يراد بالثاني فرد مغاير لما أريد بالأول قال ابن الملك في «شرح المنار»: المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت الثانية عين الأولى كالعسرين في قوله تعالى: ﴿فإن مع..﴾ الخ وهو معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما لن يغلب عسر يسرين قال فخر الإسلام: في جعل الآية من هذا القبيل نظر لأنها لا تحتمل هذا المعنى كما لا يحتمل قولنا إن مع الفارس رمحا إن مع الفارس رمحا أن يكون معه رمحان بل هذا من باب التأكيد. فإن قلت: فإذا حمل على التأكيد فما وجه قول ابن عباس رضي الله عنهما؟ قلت: كأنه قصد باليسرين ما في قوله يسراً من معنى التفخيم فيتناول يسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة انتهى. قال بعضهم: إن مع عسر المجاهدة يسر المشاهدة ومع عسر الانفصال يسر الاتصال ومع عسر القبض يسر البسط والعسر الواحد هو الحجاب واليسران كشف الحجاب ورفع العتاب.

﴿فإذا فرغت﴾ أي: من التبليغ أو من المصالح المهمة الدنيوية ﴿فانصب﴾ النصب محركة التعب أي: فاجتهد في العبادة واتعب شكراً لما أوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآتية وبه ارتبطت الآية بما قبلها ويجوز أن يقال فإذا فرغت من تلقى الوحي فانصب في تبليغه. وقال الحسن رحمه الله: إذا كنت صحيحاً فاجعل فراغك نصباً في العبادة كما روي أن شريحاً مر برجلين يتصارعان وآخر فارغ، فقال ما أمر بهذا إنما قال الله فإذا فرغت فانصب وقعود الرجل فارغاً من غير شغل أو اشتغاله بما لا يعنيه في دينه أو دنياه من سفه الرأي

وسخافة العقل واستيلاء الغفلة وعن عمر رضي الله عنه: «إني لأكره أن أرى أحدكم فارغاً سهلاً لا في عمل دنياه ولا في عمل آخرته» فلا بد للمرء أن يكون في عمل مشروع دائماً فإذا فرغ من عمل اتبعه بعمل آخر وقال قتادة والضحاك: فإذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء.

[وأبو مدين مغربي قدس سره در تأويل اين آيت فرموده كه چون فارغ شوى از مشاهدهٔ اكوان نصب كن دل خودارا باي مشاهدهٔ جمال رحمن].

قال في «الكشاف»: ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصب بكسر الصاد أي فانصب علياً للإمامة ولو صح هذا للرافضة لصح للناصبي أن يقرأ هكذا ويجعله أمراً بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته.

﴿وإلى ربك﴾ وحده ﴿فارغب﴾ أصل الرغبة السعة في الشيء يراد بها السعة في الإرادة فإذا قيل رغب فيه وإليه يقتضي الحرص عليه وإذا قيل رغب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه، وفي «القاموس»: رغب فيه كسمع رغباً ويضم رغبة إراده وعنه لم يرده وإليه رغباً محركة ابتهل أو هو الضراعة والمسألة والمعنى فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فإنه القادر على إسعافك لا غيره.

وسخن تو بدركاه قرب مقبولست ودعوات طيبات تو در محل قبول.

چو مقصود كون ومكان جودتست خدا ميدهد آنچه مقصود تست

وعن بعض الأكابر: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ برفع غطاء أنيتك وكشف حجاب أثنينيتك عن حقيقة أحديتنا ووجه صمديتنا ووضعنا عنك ذنب وجودك الذي أنقض ظهر فؤادك بأن نطلعك على فناء وجودك الصوري الظلي وبقاء وجودنا الحقيقي العيني ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ بأفنائك فينا وأبقائك بنا إلى مرتفع الخطاب الوارد في شأنك بقولنا ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢] أي منتهى جميع الأرباب الأسماء الإلهية فكذلك إليك منتهى كافة المربوبين الحقائق الكونية وبذلك الرفع كن سيد الكل فارض بالقضاء واصبر على البلاء واشكر على النعماء فإن مع عسر الابتلاء بالبلايا المؤدي إلى اضطراب صدرك يسر الامتلاء بالعطايا المفضي إلى اطمئنان روحك إن مع العسر يسرا البتة إذ هكذا جرت سنتنا مع كل عبد ولن تجد لسنتنا تبديلاً بأن يرتفع العسر جميعاً ويصير الكل يسراً أو بالعكس فلا تلتفت إلى اليسر والسرور فإنه حجاب نوراني ولا إلى العسر والألم فإنه حجاب ظلماني فإذا فرغت من إعطاء حق وارد كل وقت حاضر فانصب نفسك في منصب إعطاء وارد كل وقت قابل إذا أتى يعني فافعل ثانياً كما فعلت أولاً وكن هكذا دائماً إلى أن يأتيك اليقين وإلى ربك أي إلى جلاله وجماله وكماله فارغب لا إلى غيره من الأمور والأحكام الواردة عليك في الأوقات لأن في الرغبة والالتفات إلى غير الرب احتجاباً عن الرب وسقوطاً عن قرب إلى بعد ومقامك لا يسع غير القرب والأنس والحضور، وعن طاوس وعمر بن عبد العزيز رحمهما الله: أنهما كانا يقولان إن الضحى وألم نشرح سورة واحدة فكانا يقرآنهما في ركعة واحدة ولا يفصلان بينهما بالبسملة؛ لأنهما رأيا أن أول ألم نشرح مشابه لقوله ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ [الضحى: ٦] الخ وليس كذلك لأن تلك حال اغتمامه عليه السلام بأذى الكفار فهي حال محنة وضيق وهذه حال انشراح الصدر وتطيب القلب فكيف يجتمعان.

[ودر ليلهٔ معراج ندا آمدكه أي محمد بخواه تابخشيم رسول عليه السلام كفت خدا وندا هر پيغمبرى ازتو عطايى يافت إبراهيم را خلت دادى باموسى بي واسطه سخن كفتى إدريس را

بمكان عالي رسانيدى داودرا ملك عظيم دادى ولزت وى بيامر زيدي سليما نرا ملكي دادى كه بعد ازوى كس راسزاي آن ندادى عيسى را درشكم مادر توراة وإنجيل در آمو ختى ومرده زنده كردن بردست وى آسان كردى وآبراء أكمه وأبرص مراورا دادى جواب الهي آمدكه يا محمد اكر إبراهيم را خلت دادم ترا محبت دادم واكرا باموسى سخن فتم بي واسطه لكن كوينده را ندد وباتو سخن ميكفتم بي حجاب وكوينده ديدى واكر إدريس را بآسمان رسانيدم ترا از آسمان بحضرت قاب قوسين أو أدنى رسانيدم واكر داودرا ملك عظيم دادم وزلت وى بيامر زيدم امت تا ملك قناعت دادم وكناهان ايشان بشفاعت بيامر زيدم واكر سليمان مملكت دادم ترا سبع مثاني وقرآن عظيم دادم وخاتمهٔ سورهٔ بقره كه بهيچ پيغمبر بجز توندادم ودعاهاى تودر آخر سورة البقرة أجابت كردم وأعطيتك الكوثر وترابسه خصلت براهل زمين وآسمان فضل دادم يكى] الم نشرح لك صدرك ديكر ووضعنا عنك وزرك سوم ورفعنا لك ذكرك وأعطيتك ثمانية أسهم الإسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأرسلتك إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً وجعلتك فاتحاً وخاتماً وهذا السوق يشير إلى السورة مدنية وفي يبعض الروايات سألت ربي مسائل وددت أني لم أسألها إياه قط فقلت اتخذت الخ وهو الظاهر وهذا يقتضي أن يكون مسألته عليه السلام من عند نفسه من غير أن يقول الله له: سل تعط، والله تعالى أعلم وفي الحديث: «من قرأها أي سورة ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني».

تمت سورة الانشراح بعون الفتاح

٩٥ ــ سورة التين

ثماني آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾.

﴿والتين والزيتون﴾ هما هذا التين الذي يؤكل وهذا الزيتون الذي يعصر منه الزيت خصهما الله من بين الثمار بالإقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة، فإن التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم، ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن، ويفتح سدد الكبد والطحال، وروى أبو ذر رضي الله عنه أنه أهدى للنبي عليه السلام، سل من تين فأكل منه وقال لأصحابه: «كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا الأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس»، وعن علي بن موسى الرضى رضي الله عنه: التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو أمان من الفالج قال الإمام: لما عصى آدم عليه السلام وفارقته ثيابه تستر بورق التين ولما نزل وكان متزراً بورق التين استوحش فطافت الظباء حوله فاستأنس بها فأطعمها بعض ورق التين فرزقها الله الجمال صورة والملاحة معنى وغير دمها مسكاً، فلما تفرقت الظباء إلى مساكنها رأى غيرها عليها من الجمال ما أعجبه فلما كان الغد جاءت ظباء آخر على أثر الأول فأطعمها من الورق فغير الله حالها إلى الجمال دون المسك وذلك لأن الأولى جاءت إلى آدم لأجله لا لأجل الطمع والطائفة الأخرى جاءت إليه ظاهراً وللطمع باطناً فلا جرم غير الظاهر دون الباطن وفي «أسئلة الحكم»: فإن قلت: ما الحكمة في أن سائر الأشجار يخرج ثمرها في كمامها أولاً ثم تظهر الثمرة من الكمام ثانياً وشجرة التين أول ما يبدو ثمرها يبدو بارزاً من غير كمام قلت لأن آدم لم يستره إلا شجرة التين فقال الله بعدما سترت آدم أخرج منك المعنى قبل الدعوى وسائر الأشجار يخرج منها الدعوى قبل المعنى، قال في «خريدة العجائب»: إذا نثر رماد خشب التين في البساتين هلك منه الدود ودخان التين يهرب منه البق والبعوض.

وأما الزيتون: فهو فاكهة وإدام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لا دهنية فيها كالجبال لكفى به فضلاً وشجرته هي الشجرة المباركة المشهورة في التنزيل ومر معاذ بن جبل رضي الله عنه بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيباً وستاك به وقال سمعت النبي عليه السلام يقول: «نعم سواك الزيتون هو سواكي وسواك الأنبياء من قبلي»، وشجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة ومن خواصها أنها تصبر عن الماء طويلاً كالنخل وإذا لقط ثمرتها جنب فسدت والقت حملها وانتثر ورقها وينبغي أن تغرس في المدر لكثرة

الغبار لأن الغبار كلما علا على زيتونها زاد دسمه ونضجه ورماد ورقها ينفع العين كحلاً ويقوم مقام التوتيا وفي الحديث: «عليكم بالزيت فإنه يكشف المرة ويذهب البلغم ويشد العصب ويمنع الغشي ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الهم» قال الإمام: إن التين في النوم رجل خير غني فمن ناله في المنام نال مالاً وسعة، ومن أكله رزقه الله أولاداً ومن أخذ ورق الزيتون في المنام استمسك بالعروة الوثقى. وقال مريض لابن سيرين: رأيت في المنام كأنه قيل لي كل اللاءين تشفى فقال كل الزيتون فإنه لا شرقية ولا غربية. وقال الطبري المراد بالتين الجبل الذي عليه دمشق يعني جبل الصالحية ويسمى جبل قاسيون والزيتون وهو طور زيتا الجبل الذي يلي بيت المقدس من جهة المشرق وذلك أن التين ينبت كثيراً بدمشق والزيتون بإيليا.

﴿**وطور سينين**﴾ هو الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه السلام ربه. قال الماوردي: ليس كل جبل يقال له طوراً إلا أن يكون فيه الأشجار والثمار وإلا فهو جبل فقط وسينين وسيناء علمان للموضع الذي هو فيه ولذلك أضيف إليهما ومعنى سينين بالسريانية ذو الشجر أو حسن مبارك بلغة الحبشة، وفي «كشف الأسرار» أصل سينين سيناء بفتح السين وكسرها وإنما قال هـهنا سينين لأن تاج الآيات النون كما قال في سورة الصافات: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الصافات: ١٣٠] وهو الياس فخرج على تاج آيات السورة.

﴿**وهذا البلد الأمين**﴾ أي الآمن يقال أمن الرجل بضم الميم أمانة فهو أمين وهو مكة شرفها الله تعالى وأمانتها أنها تحفظ من دخلها جاهلية وإسلاماً من قتل وسبي كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول بمعنى المأمون فيه على الحذف والإيصال من أمنه لأنه مأمون الغوائل والعاهات كما وصف بالأمن في قوله تعالى: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص: ٥٧، العنكبوت: ٦٧] بمعنى ذي أمن وفي الحديث: «من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا» ومعنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسى ومنشأهما عليهما السلام، والطور المكان الذي نودي فيه موسى عليه السلام ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله ﷺ ومبعثه.

[ودر بحر الحقائق آورده كي بزبان اشارت قسم است بشجرهٔ تينيهٔ قلبية كه مثمر ثمرهٔ علوم دينيه است وشجرهٔ زيتونهٔ مباركهٔ سريه كه روشنى بخش مصباح دلست وطور سينين روح معلى كه بتجلىٔ الهي مجلى است وبلد أمين خفى كه محل أمن وأمانست ازهجوم آفات تعلقات أكوان].

يقول الفقير أشار بالتين إلى علوم الحقيقة التي محلها السر الإنساني لأنها لذة صرفة ولذا قدمت لأنها المطلب الأعلى لتعلقها بذات الله وصفاته وأفعاله وكما أن عمر شجرة التين قصير بالنسبة إلى الزيتون فكذا عمر أهل الحقيقة غالباً إذ لا معنى للبقاء في الدار الفانية بعد حصول المقصود الذي هو الحياة الباقية إلا أن يكون لإرشاد الناس وأشار بالزيتون إلى علوم الشريعة التي محلها النفس الإنسانية هي ليست بنعيم محض لأنه لا بد في الشريعة من إتعاب النفس والقالب وأشار بطور سينين إلى الروح الذي هو محل المعارف الإلهية ومقام المناجاة وأشار بالبلد الأمين إلى مكة الوجود المشتملة على بيت القلب فإنه أمن أهلها من اختطاف الشياطين ودخول شر الوسواس الخناس فيها، وإلى الأعمال القالبية الحاصلة بالحواس والأعضاء فالقالب

أخذ الشرف من القلب وهو من الروح وهو من السر فلذا كان الكل جديداً بالإقسام به.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿لقد خلقنا الإنسان﴾ أي: جنس الإنسان **﴿في أحسن تقويم﴾** يقال: قام انتصب وقام الأمر اعتدل كاستقام وقومته عدلته كما في «القاموس»، والتقويم: تصيير الشيء على ما ينبغي أن يكون عليه في التأليف والتعديل وعن يحيى بن أكثم القاضي أنه فسر التقويم بحسن الصورة فإنه حكى أن ملك زمانه خلا بزوجته في ليلة مقمرة فقال لها: إن لم تكوني أحسن من القمر فأنت كذا فأفتى الكل بالحنث إلا يحيى بن أكثم قال لا يحنث فقالوا خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم ولقد أفتى من هو أعلم منا وهو الله تعالى قال: **﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾** فالإنسان أحسن الأشياء ولا شيء أحسن منه، وفي «المفردات»: هو إشارة إلى ما خص به الإنسان من بين الحيوان من العقل والفهم وانتصاب القامة الدال على استيلائه على كل ما في هذا العالم والمعنى كائناً في أحسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث برأه تعالى مستوى القامة متناسب الأعضاء حسن الشكل كما قال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [التغابن: ٣] أي: صوركم أحسن تصوير وكذا خلقه متصفاً بالصفات الإلهية من الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام التي هي الصورة الحقيقية الإلهية المشار إليها بقوله عليه السلام: «خلق الله آدم على صورته» وعليه يدور معنى قوله عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» فالإنسان مظهر الجلال والجمال والكمال.

﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ أي: جعلناه من أهل النار الذي هو أقبح من كل قبيح وأسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان في أعلى عليين، والحاصل أنه حول بسوء حاله من أحسن تقويم إلى أقبح تقويم صورة ومعنى؛ لأن مسخ الظاهر إنما هو من مسخ الباطن فالمراد بالسافلين عصاة المؤمنين وأفعل التفضيل هنا يتناول المتعدد المتفاوت وأسفل سافلين إما حال من المفعول أي رددناه حال كونه أسفل سافلين أو صفة لمكان محذوف أي رددناه إلى مكان هو أسفل أمكنة السافلين والأول أظهر ثم هذا بحسب بعض الأفراد الإنسانية لانغماسهم في بحر الشهوات الحيوانية البهيمية وانهماكهم في ظلمات اللذات الجسمانية الشيطانية والسبعية وفيه إشارة إلى أن الاعتبار إنما هو بالصورة الباطنة لا بالصورة الظاهرة ولذا قال الشيخ سعدي.

ره راست بايدنه بالاي راست ... كه كافرهم ازروى صورت چوماست

فكم من مصور على أحسن الصور في الظاهر وهو في الباطن على أقبح الهيئات ولذا يجيء الناس يوم القيامة أفواجاً فإن صفاتهم الباطنة تظهر على صورهم الظاهرة فتتنوع صورهم بحسب صفاتهم على أنواع وقيل رددناه إلى أرذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ [يس: ٦٨] أي: نكسناه في خلقه فتقوس ظهره بعد اعتداله وأبيض شعره بعد سواده وكل سمعه وبصره وتغير كل شيء منه.

دورسته درم دردهن داشت جاي ... چود يوارى ازخشت سميين بپاي
كنونم نكه كن بوقت سخن ... بيفتاده يك يك چو سوركهن
مراهمچنين جعد شبرنك بود ... قبا در برازنازكى تنك بود

دريـن غـايـتـم رشـد بـايـد كـفـن كـه مـويـم چـوپـنـيـه اسـت ودوكـم بـدن

قال في «عين المعاني»: ولم تدخل لام الجنس في سافلين كما ورد في مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لأنه عنى أسفل الخرفين خاصة دون كل الناس من أهل الزمانة وفي «كشف الأسرار» السافلون هم الضعفاء من المرضى والزمني والأطفال فالشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعاً.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾.

﴿إلا الذين آمنوا﴾ إيماناً صادقاً ﴿وعملوا الصالحات﴾ المأمور بها والمأجور عليها وهو على الأول استثناء متصل من ضمير ثم رددناه فإنه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع أي: لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى. قال أبو الليث: معنى قوله ﴿إلا الذين﴾.. الخ. يعني لا يخرف ولا يذهب عقل من كان عالماً عاملاً وفي الحديث: «طوبى لمن طال عمره وحسن عمله» وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر». ﴿فلهم أجر﴾ في دار الكرامة لأنها المحل له ودخول الفاء لتضمن اسم لكن معنى الشرط وهو على الأول للتعليل أي لا يغير صورهم في النار لأنهم مثابون في الجنة. ﴿غير ممنون﴾ غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على ضعف نهوضهم وفي «التيسير» عن رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا مرض أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً» كذا روي في الهرم وفي «تفسير أبي الليث»: روي عن النبي عليه السلام أنه قال: إن المؤمن إذا مات صعد الملكان إلى السماء فيقولان إن عبدك فلاناً قد مات فائذن لنا حتى نعبدك على السماء فيقول الله إن سمواتي مملوءة بملائكتي ولكن اذهبا إلى قبره واكتبا حسناته إلى يوم القيامة ويجوز أن يكون المعنى غير ممنون به عليهم كما سبق في آخر سورة الانشقاق.

﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾ بعد مبني على الضم لحذف المضاف إليه ونيته والاستفهام مشعر بالتعجب أي: فأي شيء يكذبك يا محمد دلالة أو نطقاً بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به أي ينسبك إلى الكذب بسبب إثباتك الجزاء وإخبارك عن البعث والمراد الآية الدالة على كمال القدرة فإن من خلق الإنسان السوي من الماء المهين، وجعل ظاهره وباطنه على أحسن تقويم ودرجه في مراتب الزيادة إلى أن استكمل واستوى ثم نكسه إلى أن يبلغ إلى أرذل العمر لا شك أنه قادر على البعث والجزاء أو فما يجعلك أيها الإنسان كاذباً بسبب الدين وإنكاره بعد هذا الدليل يعني أنك تكذب إذا كذبت بالجزاء؛ لأن كل مكذب للحق فهو كاذب وحاصله أن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشراً سوياً وتحويله من حال إلى حال كمالاً ونقصاناً من أوضح دليل على قدرة الله تعالى على البعث والجزاء فأي شيء يضطرك بعد هذا الدليل القاطع إلى أن تكون كاذباً بسبب تكذيبه أيها الإنسان.

﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ أي: أليس الذي فعل ما ذكر باحكم الحاكمين صنعاً وتدبيراً حتى يتوهم عدم الإعادة والجزاء أي: أليس ذلك بأبلغ اتقاناً للأمور من كل متقن لها إذا الحاكم هو المتقن للأمور ويلزمه كونه تام القدرة كامل العلم وحيث استحال عدم كونه أحكم

الحاكمين تعين الإعادة والجزاء أو المعنى أليس الله بأقضى القاضين يحكم بينك وبين من يكذبك بالحق العدل يقال حكم بينهم أي قضى فالآية وعيد للمكذبين وأنه يحكم عليهم بما هم أهله وكان عليه السلام: «إذا قرأها يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين» يعني خارج الصلاة كما في «عين المعاني»، ويأمر بذلك أيضاً قال من قرأ ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ هذه السورة أعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في الدنيا ويعطي من الأجر بعدد من قرأها.

تمت سورة التين بعون الله المعين

٩٦ ـ سورة العلق

ثمان عشرة أو تسع عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾.

﴿اقرأ﴾ أي: ما يوحى إليك يا محمد فإن الأمر بالقراءة يقتضي المقروء قطعاً وحيث لم يعين وجب أن يكون ذلك ما يتصل بالأمر حتماً سواء كانت السورة أول ما نزل أم لا فليس فيه تكليف ما لا يطاق سواء دل الأمر على الفور أم لا والأقرب أن هذا إلى قوله: ﴿ما لم يعلم﴾ أول ما نزل عليه ﷺ على ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، والخلاف إنما هو في تمام السورة عن عائشة رضي الله عنها: «أول ما ابتدىء به رسول الله عليه السلام، من النبوة» حين أراد الله به كرامته ورحمة العباد به «الرؤيا الصالحة كان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح» أي: كضيائه وإنارته فلا يشك فيها أحد كما لا يشك في وضوح ضياء الصبح وإنما ابتدىء عليه السلام بالرؤيا لئلا يفاجأه الملك الذي هو جبريل بالرسالة فلا تتحملها القوة البشرية لأنها لا تحتمل رؤية الملك وإن لم يكن على صورته الأصلية ولا على سماع صوته ولا على ما يخبر به فكانت الرؤيا تأنيساً له وكانت مدة الرؤيا ستة أشهر على ما هو أدنى الخمل ثم جاءه الملك فعبر من عالم الرؤيا إلى عالم المثال، ولذا قال الصوفية: إن الحاجة إلى التعبير إنما هي في مرتبة النفس الأمارة واللوامة وإذا وصل السالك إلى النفس الملهمة، كما قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٨] قل احتياجه إلى التعبير لأنه حينئذٍ يكون ملهماً من الله تعالى فمرتبة الإلهام له كمرتبة مجيء الملك للرسول عليه السلام، فإذا كانت مدة الرؤيا ذلك العدد يكون ابتداؤها في شهر ربيع الأول وهو مولده عليه السلام، ثم أوحي إليه في اليقظة في شهر رمضان وكان عليه السلام في تلك المدة إذا خلا يسمع نداء يا محمد يا محمد ويرى نوراً أي يقظة وكان يخشى أن يكون الذي يناديه تابعاً من الجن كما ينادى الكهنة وكان في جبل حراء غار وهو الجبل الذي نادى رسول الله بقوله إلي يا رسول الله لما قال له ثبير وهو على ظهره اهبط عني يا رسول الله فإني أخاف أن تقتل على ظهري وكان عليه السلام يتعبد في ذلك الغار ليالي ثلاثاً وسبعاً وشهراً ويتزود لذلك من الكعك والزيت وذلك في تلك المدة وقبلها وأول من تعبد فيه من قريش جده عبد المطلب ثم تبعه سائر المتألهين وهم أبو أمية بن المغيرة وورقة بن نوفل ونحوهما وكان ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ابن عم خديجة رضي الله عنها وكان قد قرأ الكتب وكتب الكتاب العبري وكان شيخاً كبيراً قد عمي في أواخر عمره ثم لما بلغ عليه السلام رأس الأربعين ودخلت ليلة سبع عشرة من شهر رمضان جاءه الملك وهو

في الغار، كما قال الإمام الصرصري رحمه الله:

وأتت عليه أربعون فأشرقت شمس النبوة منه في رمضان

قالت عائشة رضي الله عنها: «جاءه الملك سحر يوم الاثنين فقال: ﴿اقرأ﴾ قال: ما أنا بقارىء قال: فأخذني فغطني أي: ضمني وعصرني ثم أرسلني فعله ثلاث مرات ثم قال: ﴿اقرأ﴾ إلى قوله ﴿ما لم يعلم﴾»، وأخذ منه القاضي شريح من التابعين أن المعلم لا يضرب الصبي على تعليم القرآن أكثر من ثلاث ضربات فخرج عليه السلام من الغار حتى إذا كان في جانب من الجبل سمع صوتاً يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل ورجع إلى خديجة يرجف فؤاده فحدثها بما جرى فقالت له: «ابشر يا ابن عمي واثبت فوالذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ثم انطلقت إلى ورقة فأخبرته» بذلك فقال فيه:

فإن يك حقاً يا خديجة فاعلمي حديثك إيانا فاحمد مرسل
وجبريل يأتيه وميكال معهما من الله وحي يشرح الصدر منزل
يفوز به من فاز عزاً لدينه ويشقى به الغاوي الشقي المضلل
فريقان منهم فرقة في جنانه وأخرى بأغلال الجحيم تغلل

ومكث عليه السلام مدة لا يرى جبريل وإنما كان كذلك ليذهب عنه ما كان يجده من الرعب وليحصل له التشوق إلى العود وكانت مدة الفترة أي فترة الوحي بين اقرأ وبين ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ①﴾ [المدثر: ١] وتوفي ورقة في هذه الفترة دفن بالحجون وقد آمن به عليه السلام، وصدقه قبل الدعوة التي هي الرسالة ولذا قال عليه السلام: «لقد رأيته في الجنة وعليه ثياب الحرير» ثم نزل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ②﴾ [المدثر: ١، ٢] فظهر الفرق بين النبوة والرسالة، قال بعض العارفين: أهل الإرادة في الطلب والمراد مطلوب وهو نعت الحبيب ألا ترى أنه لما قيل له اقرأ استقبله الأمر من غير طلب ونظيره ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ①﴾ [الانشراح: ١] فإنه فرق بينه وبين قول موسى: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥] ﴿باسم ربك﴾ متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل أي: اقرأ متلبساً باسم الله تعالى أي مبتدئاً به ليتحقق مقارنته لجميع أجزاء المقروء، أي قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ فعلم أن ﴿اقرأ باسم ربك﴾ نزلت من غير بسملة وقد صرح بذلك الامام البخاري رحمه الله، أمره بذلك لأن ذكر اسم الله قوة له في القراءة وأنس بمولاه فإن الأنس بالاسم يفضي إلى الإنس بالمسمى والذكر باللسان يؤدي إلى الذكر بالجنان والباء في باسم بره تعالى على المؤمنين بأنواع الكرامات في الدارين والسين كونه سميعاً لدعاء الخلق جميعاً والميم معناه من العرش إلى تحت الثرى ملكه وملكه «وفي الكواشي»: دخلت الباء في ﴿اقرأ باسم ربك﴾ لتدل على الملازمة والتكرير كأخذت بالخطام ولو قلت أخذت الخام لم يدل على التكرير والدوام وفي كتاب «شمس المعارف» أول آية نزلت على وجه الأرض بسم الله الرحمٰن الرحيم يعني على آدم الصفي عليه السلام فقال: آدم الآن هلمت أن ذريتي لا تعذب بالنار ما دامت عليها ثم أنزلت على إبراهيم عليه السلام في المنجنيق فأنجاه الله بها من النار ثم على موسى عليه السلام فقهر بها فرعون وجنوده ثم على سليمان عليه السلام فقالت الملائكة الآن والله قد تم ملكك فهي آية الرحمة والأمان لرسله وأممهم ولما نزلت على رسول الله ﷺ في سورة النمل إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمٰن الرحيم كانت فتحاً عظيماً فأمر رسول الله فكتبت على رؤوس السور وظهور الدفاتر وأوائل الرسائل وحلف

رب العزة بعزته أن لا يسميه عبد مؤمن على شيء ألا بورك له فيه وكانت لقائلها حجاباً من النار وهي تسعة عشر حرفاً تدفع تسعة عشر زبانية وفي الخبر النبوي لو وضعت السمٰوات والأرضون وما فيهن وما بينهم في كفة والبسملة في كفة لرجحت عليها يعني البسملة **﴿الذي خلق﴾** وصف الرب به لتذكير أول النعماء الفائضة عليه منه تعالى والتنبيه على أن من قدر على خلق الإنسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحياة فضلاً عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحي العالم المتكلم أي الذي له الخلق والمستأثر به لا خالق سواه فيكون خلق منزل منزلة اللازم وبه يتم مرام المقام لدلالته على أن كل خلق مختص به أو خلق كل شيء فيكون من حذف المفعول للدلالة على التعميم وقال في «فتح الرحمٰن» لما ذكر الرب وكانت العرب في الجاهلية تسمي الأصنام أرباباً جاء بالصفة التي لا شركة للأصنام فيها فقال: الذي خلق **﴿خلق الإنسان﴾** على الأول تخصيص الخلق الإنسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثاني أفراد للإنسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه إذ هو أشرفهم وعليه نزل التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز أن يراد بالفعل الأول أيضاً خلق الإنسان ويقصد بتجريدة عن المفهوم الإبهام ثم التفسير روما لتفخيم فطرته **﴿من علق﴾** جمع علقة كثمر وثمرة وهي الدم الجامد وإذا جرى فهو المسفوح أي دم جامد رطب يعلق بما مر عليه لبيان كمال قدرته تعالى بإظهار ما بين حالته الأولى والآخرة من التباين البين وإيراده بلفظ الجمع حيث لم يقل علقة بناء على أن الإنسان في معنى الجمع لأن الألف فيه للاستغراق لمراعاة الفواصل ولعله هو السر في تخصيصه بالذكر من بين سائر أطوار الفطرة الإنسانية مع كون النطفة والتراب أدل منه على كمال القدرة لكونهما أبعد منه بالنسبة إلى الإنسانية ولما كان خلق الإنسان أول النعم الفائضة عليه منه تعالى وأقوم الدلائل الدالة على وجوده تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك أولاً ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى من القراءة وفي «حواشي» ابن الشيخ: أن الحكيم سبحانه لما أراد أن يبعثه رسولاً إلى المشركين لو قال له **﴿اقرأ باسم ربك﴾** الذي لا شريك له لأبوا أن يقبلوا ذلك منه لكنه تعالى قدم في ذلك مقدمة تلجئهم إلى الاعتراف به حيث أمر رسوله أن يقول لهم إنهم هم الذين خلقوا من العلقة ولا يمكنهم إنكاره ثم أن يقول لهم لا بد للفعل من فاعل فلا يمكنهم أن يضيفوا ذلك الفعل إلى الوثن لعلمهم بأنهم نحتوه فبهذا التدريج يقرون بأني أنا المستحق للثناء دون الأوثان لأن الإلهية موقوفة على الخالقية ومن لم يخلق شيئاً كيف يكون إلها مستحقاً للعبادة ومن هذه الطريقة ما يحكى أن زفر لما بعثه أبو حنيفة رحمه الله إلى البصرة لتقرير مذهبه فيهم فوصل إليهم وذكر أبا حنيفة منعوه ولم يلتفوا إليه فرجع إلى أبي حنيفة وأخبره بذلك فقال له أبو حنيفة: إنك لم تعرف طريق التبليغ لكن ارجع إليهم واذكر في المسألة أقاويل أئمتهم ثم بين ضعفها ثم قل بعد ذلك ههنا قول آخر فاذكر قولي وحجتي، فإذا تمكن ذلك في قلبهم، فقل هذا قول أبي حنيفة فإنهم حينئذٍ يستحسنونه فلا يردونه.

﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦﴾

﴿اقرأ﴾ أي: افعل ما أمرت به وكرر علامة الأمر بالقراءة تأكيداً للإيجاب وتمهيداً لما

يعقبه من قوله تعالى: ﴿وربك الأكرم﴾ الخ فإنه كلام مستأنف ولذا وضع السجاوندي علامة الوقف الجائز على خلق وارد لإزاحة ما بينه عليه السلام من العذر بقوله ما أنا بقارىء يريد أن القراءة شأن من يكتب ويقرأ وأنا أمي فقيل له وربك الذي أمرك بالقراءة مبتدئاً باسمه وهو الأكرم أي الزائد في الكرم على كل كريم فإنه ينعم بلا غرض ولا يطلب مدحاً أو ثواباً وتخلصاً من المذمة وأيضاً أن كل كريم إنما أخذ الكرم منه فكيف يساوي الأصل. وقال ابن الشيخ: ربك مبتدأ والأكرم صفته والذي مع صلته خبر.

﴿الذي علم بالقلم﴾ أي: علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارىء بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما وقال بعضهم: علم الخط بالقلم والقلم، ما يكتب به لأنه يقلم ويقص ويقطع وفيه امتنان على الإنسان بتعليم علم الخط والكتابة بالقلم ولذلك قيل العلم صيد والكتابة قيده وقيل:

وما من كاتب إلا سيبلى ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

ولولا القلم ما استقامت أمور الدين والدنيا وفيه إشارة إلى القلم الأعلى الذي هو أول موجود وهو الروح النبوي عليه السلام، فإن الله علم القلب بواسطته ما لم يعلم من العلوم التفصيلية. قال كعب الأحبار: أول من وضع الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها آدم عليه السلام، قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها في الطين ثم طبخه فاستخرج إدريس ما كتب آدم وهذا هو الأصح وأما أول من كتب خط الرمل فإدريس عليه السلام وأول من كتب بالفارسية طهمورث ثالث ملوك الفرس وأول من اتخذ القراطيس يوسف عليه السلام، قال السيوطي رحمه الله: «أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة وأول ما كتب القلم أنا التواب أتوب على من تاب». قال بعضهم: وجه المناسبة بين الخلق من العلق وتعليم القلم أن أدنى مراتب الإنسان كونه علقة وأعلاها كونه عالماً فالله تعالى امتن على الإنسان بنقله من أدنى المراتب وهي العلقة إلى أعلاها وهو تعلم العلم ثم الله الذي خلق الإنسان على صورته الحقيقية خلقه من علقة النجلى الأولى الحبي المشار إليه بقوله كنت كنزاً مخفياً أحببت أن أعرف فخلقت الخلق فصارت المحبة الذاتية علقة بالإيجاد الحبي وهو أكرم الأكرمين إذ هو جامع محيط بجميع الأسماء الدالة على الكرم كالجواد والواهب والمعطى والرازق وغيرها.

﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ بدل اشتمال من علم بالقلم وتعيين للمفعول أي: علمه به وبدونه من الأمور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله أصلاً.

فإن قلت: فإذا كان القلم والخط من المنن الإلهية فما باله عليه السلام لم يكتب؟ قلت: لأنه لو كتب لقيل قرأ القرآن من صحف الأولين ومن كان القلم الأعلى يخدمه واللوح المحفوظ مصحفه ومنظره لا يحتاج إلى تصوير الرسوم وتشكيل العلوم بآيات الجسمانية لأن الخط صنعة ذهنية وقوة طبيعية صدرت بالآلة الجسمانية وفيه إشارة بديعة إلى أن أمته بين الأمم هم الروحانيون وصفهم سبحانه في الإنجيل أمة محمد أناجيلهم في صدورهم لو لم يكن رسم الخطوط لكانوا يحفظون شرائعه عليه السلام بقلوبهم لكمال قوتهم وظهور استعدادتهم.

﴿كلا﴾ ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وإن لم يسبق ذكره للمبالغة في الزجر فيوقف عليه وقال السجاوندي يوقف على ما لم يعلم لأنه بمعنى حقاً ولذا وضع علامة الوقف

عليه ﴿إن الإنسان ليطغى﴾ أي: يتجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل إن هذا إلى آخر السورة نزل في أبي جهل بعد زمان وهو الظاهر.

﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾﴾.

﴿أن رآه استغنى﴾ مفعول له أي يطغى لأن رأى وعلم نفسه مستغنياً أو أبصر مثل أبي جهل وأصحابه ومثل فرعون ادعى الربوبية. قال ابن مسعود رضي الله عنه: «منهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب الدنيا ولا يستويان» أما طالب العلم فيزداد في رضى الله وأما طالب الدنيا فيزداد في الطغيان وتعليل طغيانه برؤيته لنفسه الاستغناء للإيذان بأن مدار طغيانه زعمه الفاسد. روي «أن أبا جهل قال لرسول الله ﷺ أتزعم أن من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل فقال إن شئت فعلنا ذلك ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة فكف رسول الله عن الدعاء إبقاء عليهم ورحمة» وأول هذه السورة يدل على مدح العلم وآخرها على مذمة المال وكفى بذلك مرغباً في العلم والدين ومنفراً عن المال والدنيا وكان عليه السلام يقول: اللهم إني أعوذ بك من غنى يطغى وفقر ينسى.

وفيه إشارة إلى أن الإنسان إذا رأى نفسه مظهر بعض صفات ربه وأسمائه يدعها لنفسه ويظن أن تلك الصفات والأسماء الإلهية المودعة فيه بحكمة بالغة ملك له وهو مالكها فيعجب بها وبكمالاتها فيستغنى عن مالكها الذي أودعها فيه ليستدل بها على خالقه وبارئه.

﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ الرجعى مصدر بمعنى الرجوع والألف للتأنيث أي: إن إلى مالك أمرك أيها الإنسان رجوع الكل بالموت والبعث لا إلى غيره استقلالاً أو اشتراكاً فسترى حينئذٍ عاقبة طغيانك.

وآنجاهمه را عمل بكار آيدنه أموال
توانكرى نه بما لست نزد اهل كمال
كه مال تالب كورست وبعد ازان أعمال

﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى﴾ الاستفهام للتعجيب والرؤية بصرية والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية وتنكير عبداً لتفخيمه عليه السلام كأنه قيل: ينهى أكمل الخلق في العبودية عن عبادة ربه والعدول عن ينهاك إلى ينهى عبداً دال على أن النهي كان للعبد عن إقامة خدمة مولاه ولا أقبح منه، روي أن أبا جهل قال في ملأ من طغاة قريش لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن عنقه وفي «التكملة»: نهى محمداً عن الصلاة وهم أن يلقي على رأسه حجراً فرآه في الصلاة وهي صلاة الظهر فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة فنزلت والمراد أجنحة الملائكة أبصر اللعين الأجنحة ولم يبصر أصحابها فقال عليه السلام: «والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» وكان أبو جهل يكنى في الجاهلية بأبي الحكم لأنهم كانوا يزعمون أنه عالم ذو حكمة ثم سمى أبا جهل في الإسلام.

يقول الفقير: كان عليه السلام يدعو ويقول: «اللهم أعز الإسلام بأبي جهل أو بعمر» فلما

أعزه الله بعمر رضي الله عنه دل على أن عمر أسعد قريش كما أن أبا جهل أشقى قريش إذ الأشياء تتبين بأضدادها.

﴿**أرأيت**﴾ رؤية قلبية معناه أخبرني ذلك الناهي وهو المفعول الأول ﴿**إن كان على الهدى**﴾ فيما ينهى عنه من عبادة الله.

﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾.

﴿**أو أمر بالتقوى**﴾ أي أمر بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقده وهذه الجملة الشرطية بجوابها المحذوف وهو ألم يعلم بأن الله يرى سدت مسد المفعول الثاني فإن المفعول الثاني لأرأيت لا يكون إلا جملة استفهامية أو قسمية وإنما حذف جواب هذه الشرطية اكتفاء عنه بجواب الشرطية لأن قوله: ﴿**إن كذب وتولى**﴾ مقابل للشرط الأول وهو أن كان على الهدى أو أمر بالتقوى والآية في الحقيقة تهكم بالناهي ضرورة إنه ليس في النهي عن عبادته تعالى والأمر بعبادة الأصنام على هدى ألبتة.

﴿**أرأيت**﴾ أخبرني ذلك الناهي ﴿**إن كذب وتولى**﴾ أي: إن كان مكذباً للحق معرضاً عن الصواب، كما نقول نحن ونظم الأمر والتكذيب والتولي في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار أنفس الأفعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل فإن ذلك ليس في حيز التردد أصلاً بل باعتبار أوصافها التي هي كونها أمراً بالتقوى وتكذيباً وتولياً.

﴿**ألم يعلم بأن الله يرى**﴾ جواب للشرطية الثانية أي: يطلع على أحواله فيجازيه بها حتى اجترأ على ما فعل أي: قد علم ذلك الناهي أن الله يرى فكيف صدر منه ما صدر وإنما أفرد التكذيب والتولي بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستأنف ولم ينظمهما في سلك الشرط الأول بعطفهما على كان للإيذان باستقلالهما بالوقوع في نفس الأمر وباستتباع الوعيد الذي ينطق به الجواب وأما القسم الأول فأمر مستحيل قد ذكر في حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر في تجريد الشرطية الأولى عن الجواب والإحالة به على جواب الثانية وقيل: المعنى أرأيت الذي ينهى عبداً يصلي والمنهي على الهدى آمراً بالتقوى والناهي مكذب متول ولا أعجب من ذا.

[برزكان كفته اندذر كلمهء إن الله يرى هم وعد منذر جست وهم وعيد أي فاسق توبه كن كه ترامىبيند أي مرايى اخلاص ورزكه ترامىبيند أي درخلوت قصد كناه كرده هش داركه ترامى بيند درويشى بعد ازكناهى توبه كرده بود وپيوسته مى كريست كفتند چندمى كريى خداي تعالى غفورست كفت أرى هرچند عفو كند خجلت آنراكه أومى ديده چه كونه دفع كنم].

كيرم كه تواز سركنه در كذرى | زان شرم كه ديدى كه چه كردم چه كنم

قال أبو الليث رحمه الله: والآية عظة لجميع الناس وتهديد لمن يمنع عن الخير وعن الطاعة، وقال ابن الشيخ في «حواشيه»: وهذه الآية وإن نزلت في حق أبي جهل لكن كل من نهى عن طاعة فهو شريك أبي جهل في هذا الوعيد ولا يلزم عليه المنع من الصلاة في الدار المغصوبة والأوقات المكروهة لأن المنهي عنه غير الصلاة وهو المعصية فإن عدم مشروعية الوصف المقارن وكونه مستحقاً لأن ينهى عنه لا ينافي مشروعية أصل الصلاة إلا أنه لشدة

الاتصال بينهما بحيث يكون النهي عن الوصف موهماً للنهي عن الأصل احتاط فيه بعض الأكابر حتى روي عن علي رضي الله عنه أنه رأى في المصلى أقواماً يصلون قبل صلاة العيد فقال: ما رأيت رسول الله ﷺ يفعل ذلك فقيل له ألا تنهاهم فقال أخشى أن ندخل تحت وعيد قوله تعالى: ﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى﴾ فلم يصرح بالنهي عن الصلاة احتياطاً وأخذ أبو حنيفة هذا الأدب الجميل حتى قال له أبو يوسف: أيقول المصلي حين يرفع رأسه من الركوع اللهم اغفر لي قال يقول ربنا لك الحمد ويسجد ولم يصرح بالنهي.

﴿كلا﴾ ردع للناهي اللعين وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة اللات ﴿لئن لم ينته﴾ اللام موطئة للقسم المضمر أي: والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر ولم يتب ولم يسلم قبل الموت والأصل ينتهي بالياء يقال نهاه ينهاه نهياً ضد أمره فانتهى ﴿لنسفعاً بالناصية﴾ أصله لنسفعن بالنون الخفيفة للتأكيد ونظيره وليكونا من الصاغرين كتب في المصحف بالألف على حكم الوقف فإنه يوقف على هذه النون بالألف تشبيهاً لها بالتنوين والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة، والناصية: شعر مقدم الرأس، والمعنى لنأخذن في الآخرة بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار بمعنى لنأمرن الزبانية ليأخذوا بناصيته ويجروه إلى النار بالتحقير والإهانة وكانت العرب تأنف من جر الناصية وفي «عين المعاني»: الأخذ بالناصية عبارة عن القهر والهوان والاكتفاء بلام العهد عن الإضافة لظهور أن المراد ناصية الناهي المذكور ويحتمل أن يكون المراد من هذا السفع سحبه على وجهه في الدنيا يوم بدر فيكون بشارة بأن يمكن المسلمين من ناصيته حتى يجروه على وجهه إذا عاد إلى النهي فلما عاد مكنهم الله من ناصيته يوم بدر.

روي أنه لما نزلت سورة الرحمن، قال عليه السلام: «من يقرأها على رؤساء قريش فتثاقلوا» فقام ابن مسعود رضي الله عنه، وقال: أنا فأجلسه عليه السلام ثم قال ثانياً من يقرأها عليهم فلم يقم إلا ابن مسعود رضي الله عنه، ثم ثالثاً إلى أن أذن له وكان عليه السلام يبقى عليه لما كان يعلم ضعفه وصغر جثته ثم أنه وصل إليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح قراءة السورة فقام أبو جهل فلطمه فشق أذنه وآدماها فانصرف وعينه تدمع فلما رآه عليه السلام رق قلبه وأطرق رأسه مغموماً فإذا جبرائيل جاء ضاحكاً مستبشراً فقال: يا جبرائيل تضحك ويبكي ابن مسعود فقال سيعلم فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود أن يكون له حظ في الجهاد فقال له عليه السلام: «خذ رمحك والتمس في الجرحى من كان له رمق فاقتله فإنك تنال ثواب المجاهدين فأخذ يطالع القتلى فإذا أبو جهل مصروع يخور فخاف أن تكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منحره من بعيد فطعنه» ولعل هذا قوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ١٦﴾ [القلم: ١٦] ثم لما عرف عجزه لم يقدر أن يصعد على صدره لضعفه فارتقى عليه بحيلة فلما رآه أبو جهل قال له: يا رويعي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعباً قال ابن مسعود: الإسلام يعلو ولا يعلى عليه فقال له: أبو جهل بلغ صاحبك أنه لم يكن أحد أبغض إلي منه في حال مماتي فروي أنه عليه السلام لما سمع ذلك قال: «فرعوني أشد من فرعون موسى» فإنه قال آمنت وهو قد زاد عتوا ثم قال يا ابن مسعود: اقطع بسيفي هذا لأنه أحد وأقطع فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فشق إذنه وجعل الخيط فيها وجعل يجره إلى رسول الله عليه السلام، وجبرائيل بين يديه يضحك ويقول يا محمد أذن بأذن لكن الرأس ههنا مع الإذن مقطوع، ولعل الحكيم

سبحانه إنما خلقه ضعيفاً حتى لم يقو على الرأس المقطوع لوجوه أحدها أن أبا جهل كلب والكلب يجر ولا يحمل والثاني ليشق الأذن فيقتص الأذن بالأذن والثالث ليحقق الوعيد المذكور بقوله ﴿لنسفعا بالناصية﴾ فيجر تلك الرأس على مقدمها قال ابن الشيخ: والناصية شعر الجبهة وقد يسمى مكان الشعر ناصية ثم إنه تعالى كنى بها ههنا عن الوجه والرأس ولعل السبب في تخصيص السفع بها أن اللعين كان شديد الاهتمام بترجيل الناصية وتطييبها.

﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب۩ ﴿١٩﴾﴾.

﴿ناصية كاذبة خاطئة﴾ بدل من الناصية وإنما جاز إبدالها من المعرفة وهي نكرة لوصفها ووصف الناصية بالكذب والخطأ على الإسناد الجازي وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطيء كأن الكافر بلغ في الكذب قولاً والخطأ فعلاً إلى حيث أن كلا من الكذب والخطأ ظهر من ناصيته وكان أبو جهل كاذباً على الله في أنه لم يرسل محمداً كاذباً في أنه ساحر ونحوه وخاطئاً بما تعرض له عليه السلام بأنواع الأذية.

﴿فليدع﴾ من الدعوة يعني [كوبخاند أبو جهل]. ﴿ناديه﴾ أي: أهل ناديه ومجلسه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدى فيه القوم أي يجتمعون وقدر المضاف لأن نفس المجلس والمكان لا يدعى ولا يسمى المكان نادياً حتى يكون فيه أهله ودار الندوة بمكة كانوا يجتمعون فيها للتشاور وهي الآن لمحفل الحنفي روي أن أبا جهل مر برسول الله وهو يصلي فقال ألم أنهك فاغلظ له رسول الله فقال: أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي نادياً يريد كثرة من يعينه فنزلت.

﴿سندع الزبانية﴾ أي ملائكة العذاب ليجروه إلى النار وواحد منهم يغلب على ألف ألف من أمثال أهل ناديه. قال عليه السلام: «لو دعا لأخذته ناديه الزبانية عياناً».

اجتمعت المصاحف العثمانية على حذف الواو من سندع خطا ولا موجب للحذف من العربية لفظاً ولعله للمشاكلة مع فليدع أو للتشبيه بالأمر في أن الدعاء أمر لا بد منه وقال ابن خالويه في إعراب الثلاثين آية: الأصل سندعو بالواو غير أن الواو ساكنة فاستثقلها اللام ساكنة فسقطت الواو في المصحف من سندع ويدع الإنسان ويمح الله الباطل وكذلك الياء من واد النمل وإن الله لهاد الذين آمنوا والعلة فيهما أنبأتك من بنائهم الخط على اللفظ انتهى والزبانية في الأصل في كلام العرب الشرط كصرد جمع شرطة بالضم وهم طائفة من أعوان الولاة سموا بذلك لأنهم أعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها كما في «القاموس»، والشرط بالتحريك العلامة والواحد زبنية كعفرية وعفرية الديك شعرة القفا التي يردها إلى يافخوخه عند الهراش من الزبن بالفتح كالضرب وهو الدفع لأنهم يزبنون الكفار أي يدفعونهم في جهنم بشدة وبطش يعني أن ملائكة العذاب سموا بما سمي به الشرط تشبيهاً لهم بهم في البطش والقهر والعنف والدفع وقيل الواحد زبنى وكأنه نسب إلى الزبن ثم غير إلى زبانية كأنسى بكسر الهمزة وأصلها زبني وقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء بعد حذفها للمبالغة في الدفع وفيه إشارة إلى التجليات القوية الجلالية الجرارة أبا جهل النفس الأمارة وأهل ناديه الذي هو الهوى وقوه الظلمانية إلى نار الخذلان وجهنم الخسران.

﴿كلا﴾ ردع بعد ردع للناهي المذكور وزجر له أثر زجر فهو متصل بما قبله ولذا جعلوا الوقف عليه وقفاً مطلقاً ﴿لا تطعه﴾ أي: دم على ما أنت عليه من معاصاة ذلك الناهي الكاذب

الخاطىء كقوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾ [القلم: ٨] ﴿واسجد﴾ وواظب على سجودك وصلاتك غير مكترث به ﴿واقترب﴾ وتقرب بذلك السجود إلى ربك وفي الحديث: «أقرب ما يكون العبد من ربه إذا سجد فأكثروا من الدعاء في السجود» كلمة ما مصدرية وأقرب مبتدأ حذف خبره ويكن تامة أي أقرب وجود العبد من ربه حاصل وقت سجوده.

[ودر فتوحات اين راسجدهء قرب كفته].

وهذا محل سجود عند الثلاثة خلافاً لمالك وهم على أصولهم في قولهم بالوجوب والسنية ثم إن السجود إشارة إلى إزالة حجاب الرياسة وفي الحديث: «لا كبر مع السجود» يعني [هركه سجده آرد از كبر دور كست وبر دركاه الله شرف متواضعان يافت].

روي أن إبراهيم عليه السلام أضاف يوماً مائتي مجوسي فلما أكلوا قالوا: أمرنا يا إبراهيم، قال: إن لي إليكم حاجة فقالوا ما حاجتك؟ قال: اسجدوا لربي سجدة واحدة فتشاوروا فيما بينهم فقالوا إن هذا الرجل قد صنع معروفاً كثيراً فلو سجدنا لربه ثم رجعنا إلى آلهتنا لا يضرنا ذلك بشيء فسجدوا جميعاً فلما وضعوا رؤوسهم على الأرض ناجى إبراهيم ربه فقال إني جهدت جهدي حتى حملتهم على هذا ولا طاقة لي على غيره وإنما التوفيق والهداية بيدك اللهم زين صدورهم بالإسلام فلما رفعوا رؤوسهم من السجود أسلموا.

وللسجدة أقسام: سجدة الصلاة وسجدة التلاوة، وسجدة السهو وهذه مشهورة، وسجدة التعظيم لجلال الله وكبريائه، وسجدة التضرع إليه خوفاً وطمعاً، وسجدة الشكر له، وسجدة المناجاة وهذه مستحبة في الأصح صادرة عن الملائكة، وعن رسول الله عليه السلام وسائر الأنبياء والأولياء عليهم السلام، وقال أبو حنيفة: ومالك سجود الشكر مكروه فيقتصر على الحمد والشكر باللسان وقال الإمامان: هي قربه يثاب فاعلها. وقال القاشاني: قرأ عليه السلام في هذه السجدة أي سجدة اقرأ «أعوذ بعفوك من عقابك» أي بفعل لك من فعل لك «وأعوذ برضاك من سخطك» أي بصفة لك من صفة لك «وأعوذ بك منك» أي بذاتك من ذاتك وهو معنى اقترابه بالسجود.

٩٧ ـ سورة القدر

خمس أو ست آيات مكية وقيل مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾﴾.

﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾ النون للعظمة أو للدلالة على الذات مع الصفات والأسماء والضمير للقرآن لأن شهرته تقوم مقام تصريحه باسمه وإرجاع الضمير إليه فكأنه حاضر في جميع الأذهان وعظمه بأن أسند إنزاله إلى جنابه مع أن نزوله إنما يكون بواسطة الملك وهو جبرائيل على طريقة القصر بتقديم الفاعل المعنوي إلا أنه اكتفى بذكر الأصل عن ذكر التبع قال في بعض التفاسير: إنا أنزلناه مبتدأ أو خبر في الأصل، بمعنى نحن أنزلناه فأدخل أن للتحقيق فاختير اتصال الضمير للتخفيف ومعنى صيغة الماضي إنا حكمنا بإنزاله في ليلة القدر وقضينا به وقدرناه في الأزل، ثم إن الإنزال يستعمل في الدفعي والقرآن لم ينزل جملة واحدة بل أنزل منجماً مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة، وهذه السورة من جملة ما أنزل وجوابه أن المراد أن جبرائيل نزل به جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا وأملاه على السفرة، أي: الملائكة الكاتبين في تلك السماء ثم كان ينزل على النبي عليه السلام منجماً على حسب المصالح وكان ابتداء تنزيله أيضاً في تلك الليلة، وفيه إشارة إلى أن بيت العزة أشرف المقامات السماوية بعد اللوح المحفوظ لنزول القرآن منه إليه ولذلك قيل بفضل السماء الأولى على أخواتها لأنها مقر الوحي الرباني، وقيل لشرف المكان بالمكين وكل منهما وجه فإن السلطان إنما ينزل على أنزه مكان ولو فرضنا نزوله على مسبخة لكفى نزوله هناك شرفاً لها فالمكان الشريف يزداد شرفاً بالمكين الشريف كما سبق في سورة البلد، ففي نزول القرآن بالتدريج إشارة إلى تعظيم الجناب المحمدي كما تدخل الهدايا شيئاً بعد شيء على أيدي الخدام تعظيماً للمهدى إليه بعد التسوية بينه وبين موسى عليهم السلام بإنزاله جملة إلى بيت العزة وفي التدريج أيضاً تسهيل للحفظ وتثبيت لفؤاده كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢] وكلام الله المنزل قسمان القرآن والخبر القدسي؛ لأن جبرائيل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى لأن جبرائيل أداها بالمعنى ولم تجز القراءة بالمعنى لأن جبرائيل أداها باللفظ والسر في ذلك التعبد بلفظه والإعجاز به فإنه لا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه من الإعجاز لفظاً ومن الأسرار معنى فكيف يقوم لفظ الغير ومعناه مقام حرف القرآن ومعناه ثم إن اللوح المحفوظ قلب هذا التعين ولكن قلب الإنسان ألطف منه لأنه زبدته وأشرفه لأن القرآن نزل به

الروح الأمين على قلب النبي المختار وهنا سؤال وهو الملائكة بأسرهم صعقوا ليلة نزول القرآن من حضرة اللوح المحفوظ إلى حضرة بيت العزة فما وجهه والجواب أن محمداً ﷺ عندهم من أشراط القيامة والقرآن كتابه فنزوله دل على قيام الساعة فصعقوا هيبة منه وإجلالاً لكلامه وحضرة وعده ووعيده، وفي بعض الأخبار «أن الله تعالى إذا تكلم بالرحمة تكلم بالفارسية» والمراد بالفارسية: لسان غير العرب سريانياً كان أو عبرانياً «وإذا تكلم بالعذاب تكلم بالعربية» فلما سمعوا العربية المحمدية ظنوا أنه عقاب فصعقوا وسيأتي معنى القدر ثم القرآن كلامه القديم أنزله في شهر رمضان كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وهذا هو البيان الأول ولم ندر نهاراً أنزل فيه أم ليلاً فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] وهذا هو البيان الثاني ولم ندر أي ليلة هي فقال تعالى: **﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾** فهذا هو البيان الثالث الذي هو غاية البيان فالصحيح أن الليلة التي يفرق فيها في كل أمر حكيم وينسخ فيها أمر السنة وتدبير الأحكام إلى مثلها هي ليلة القدر ولتقدير الأمور فيها سميت ليلة القدر ويشهد التنزيل لما ذكرنا إذ في أول الآية إنا أنزلناه في ليلة باركة ثم وصفها فقال فيها يفرق كل أمر حكيم والقرآن إنما نزل في ليلة القدر فكانت هذه الآية بهذا الوصف في هذه الليلة مواطئة لقوله تعالى: **﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾** كذا في «قوت القلوب» للشيخ أبي طالب المكي قدس سره فإن قلت ما الحكمة في إنزال القرآن ليلاً؟ قلت: لأن أكثر الكرامات ونزول النفحات والإسراء إلى السموات يكون بالليل والليل من الجنة لأنها محل الاستراحة والنهار من النار لأن فيه المعاش والتعب والنهار حظ اللباس والفراق والليل حظ الفراش والوصال وعبادة الليل أفضل من عبادة النهار لأن قلب الإنسان فيه أجمع والمقصود هو حضور القلب قال بعض العارفين: اعمل التوحيد في النهار والاسم في الليل حتى تكون جامعاً بين الطريقتين الجلوتية بالجيم والخلوتية ويكون التوحيد والاسم جناحين لك.

﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ أي: وأي شيء أعلمك يا محمد ما هي أي: إنك لا تعلم كنهها لأن علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدريها إلا علام الغيوب وهو تعظيم للوقت الذي أنزل فيه ومن بعض فضائل ذلك الوقت أنه يرتفع سؤال القبر عمن مات فيه وكذا في سائر الأوقات الفاضلة ومن ذلك العيد ثم مقتضى الكرم أن لا يسأل بعده أيضاً وقد وقع تجلي الأفعال لسيد الأنبياء عليه السلام في رجب ليلة الجمعة الأولى بين العشاءين فلذا استحب صلاة الرغائب وقتئذٍ وتجلي الصفات في نصف شعبان فلذا استحب صلاة البراءة بعد العشاء قبل الوتر وتجلي الذات في ليلة القدر ولذلك استحب صلاة القدر فيها كما سيجيء ولما كان هذا معرباً عن الوعد بإدرائها قال:

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾

﴿ليلة القدر﴾ أي قيامها والعبادة فيها **﴿خير من ألف شهر﴾** أي: من صيامها وقيامها ليس فيها ليلة القدر حتى لا يلزم تفضيل الشيء على نفسه فخير هنا للتفضيل أي: أفضل وأعظم قدراً وأكثر أجراً من تلك المدة وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر وفي الحديث: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» كما في «كشف الأسرار»، قال الخطابي: قوله:

إيماناً واحتساباً أي: بنية وعزيمة وهو أن يصومه على التصديق والرغبة في ثوابه طيبة به نفسه غير كاره له ولا مستثقل لصايمه ولا مستطيل لأيامه لكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب، وقال البغوي: قوله احتساباً أي: طلباً لوجه الله وثوابه يقال فلان يحتسب الأخبار أي: يطلبها كذا في «الترغيب والترهيب» والمراد بالقيام صلاة التراويح، وقال بعضهم: المراد مطلق الصلاة الحاصل بها قيام الليل قوله غفر له ما تقدم من ذنبه قيل المراد الصغائر وزاد بعضهم ويخفف من الكبائر إذا لم يصادف صغيرة وقوله وما تأخر هو كناية عن حفظهم من الكبائر بعد ذلك أو معناه أن ذنوبهم تقع مغفورة كذا في «شرح الترغيب» المسمى «بفتح القريب»، وقال سعيد بن السميب: من شهد المغرب والعشاء في جماعة فقد أخذ حظه من ليلة القدر كما في «الكواشي» ثم إن نهار ليلة القدر مثل ليلة القدر في الخير، وفيه إشارة إلى أن ليلة القدر للعارفين خير من ألف شهر للعابدين لأن خزائنه تعالى مملوءة من العبادات ولا قدر إلا للفناء وأهله وللشهود وأصحابه واختلفوا في وقتها فأكثرهم على أنها في شهر رمضان في العشر الأواخر في أوتارها لقوله عليه السلام: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، فاطلبوها في كل وتر» وإنما جعلت في العشر الأخير الذي هو مظنة ضعف الصائم وفتوره في العبادة لتجدد جده في العبادة رجاء إدراكها وجعلت في الوتر لأن الله وتر يحب الوتر ويتجلى في الوتر على ما هو مقتضى الذات الأحدية وأكثر الأقوال إنها السابعة لأمارات وأخبار تدل على ذلك أحدها حديث ابن عباس رضي الله عنهما السورة ثلاثون كلمة وقوله هي السابعة والعشرون منها، ومنها ما قال ابن عباس: أيضاً ليلة القدر تسعة أحرف وهو مذكور في هذه السورة ثلاث مرات فتكون السابعة والعشرين ومنها أنه كان لعثمان بن أبي العاص غلام فقال: يا مولاي إن البحر يعذب ماؤه ليلة من الشهر، قال: إذا كانت تلك الليلة فأعلمني فإذا هي السابعة والعشرون من رمضان، ومن قال: إنها هي الليلة الأخيرة من رمضان استدل بقوله عليه السلام: «إن الله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار يعتق ألف ألف عتيق من النار كلهم استوجبوا العذاب فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق الله في تلك الليلة بعدد من أعتق من أول الشهر إلى آخره ولأن الليلة الأولى كمن ولد له ذكر فهي ليلة شكر والليلة الأخيرة ليلة الفراق كمن مات له ولد فهي ليلة صبر وفرق بين الشكر والصبر فإن الشاكر مع المزيد كقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] والصابر مع الله لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سألت النبي عليه السلام لو وافقتها ماذا أقول؟ قال: «قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني» وعنها أيضاً لو أدركتها ما سألت الله إلا العافية وفيه إشارة إلى ما قال عليه السلام: «اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا والآخرة» ولعل السر في إخفائها تحريض من يريدها الثواب الكثير بإحياء الليالي الكثيرة رجاء لموافقتها.

أي خواجه چه كويى زشب قد رنشاني   هر شب شب قدرست اكر قدر بداني

ونظيره إخفاء ساعة الإجابة في يوم الجمعة، والصلاة الوسطى في الخمس، واسمه الأعظم في الأسماء، ورضاه في الطاعات حتى يرغبوا في الكل وغضبه في المعاصي ليحتزوا عن الكل ووليه فيما بين الناس حتى يعظموا الكل.

خورش ده بكنجشك وكبك وحمام   كه يك روزت افتدهماي بدام

والمستجاب من الدعوات في سائرها ليدعوه بكلها.

چه هر كوشه تيرنياز افكني اميدست كه ناكه كه صيدي زنى

ووقت الموت ليكون المكلف على احتياط في جميع الأوقات وتسميتها بليلة القدر إما لتقدير الأمور وقضائها فيها لقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] أي: إظهار تقديرها للملائكة، بأن تكتبها في اللوح المحفوظ وإلا فالتقدير نفسه أزلي فالقدر بمعنى التقدير وهو جعل الشي على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله قدر فيها كل ما يكون في تلك السنة من مطر ورزق وإحياء وإماتة وغيرها إلى مثل هذه الليلة من السنة الآتية فيسلمه إلى مدبرات الأمور من الملائكة فيدفع نسخة الأرزاق والنباتات والأمطار إلى ميكائيل ونسخة الحروب والرياح والزلازل والصواعق والخسف إلى جبرائيل ونسخة الأعمال إلى إسرافيل ونسخة المصائب إلى ملك الموت.

فكم من فتى يمسي ويصبح آمنا وقد نسجت اكفانه وهو لا يدري
وكم من شيوخ ترتجي طول عمرهم وقد رهقت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من عروس زينوها لزوجها وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

يقال إن مكيائيل هو الأمين على الأرزاق والأغذية المحسوسة ويقابله منك الكبد فهو الذي يعطي الغذاء لجميع البدن وكذلك إسرافيل يغذي الأشباح بالأرواح ويقابله منك الدماغ وجبرائيل يغذي الأرواح بالعلوم والمعارف ويقابله منك العقل وكل محدث لا بد له من غذاء فغذاء الجسم بالتأليف والعقل بالعلوم الضرورية، والروح القدسي أيضاً متعطش ولا يرتوي إلا بالعلوم الإلهية هذا وإما لخطرها وشرفها على سائر الليالي فالقدر بمعنى المنزلة والشرف إما باعتبار العامل على معنى أن من أتى بالطاعة فيها صار ذا قدر وشرف وإما باعتبار نفس العمل على معنى أن الطاعة الواقعة في تلك الليلة لها قدر وشرف زائد.

وعن أبي بكر الوراق رحمه الله: سميت ليلة القدر لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر على لسان ملك ذي القدر لأمة لها قدر ولعله تعالى إنما ذكر لفظ القدر في هذه السورة ثلاث مرات لهذا السبب، وقال الخليل رحمه الله: سميت ليلة القدر أي: ليلة الضيق لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة فالقدر بمعنى الضيق، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧] وتخصيص الألف بالذكر إما للتكثير لأن العرب تذكر الألف في غاية الأشياء كلها ولا تريد حقيقتها أو لما روي أنه عليه السلام، ذكر رجلاً من بني إسرائيل اسمه شمسون لبس السلاح في سبيل الله، ألف شهر فتعجب المؤمنون منه وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل إن الرجل فيما مضى كان لا يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر فأعطوا ليلة أن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد وقيل: رأى النبي عليه السلام، أعمار الأمم كافة فاستقصر أعمار أمته فخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر لسائر الأمم وقيل: كان ملك سليمان عليه السلام خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فجعل الله العمل في هذه الليلة لمن أدركها خيراً من ملكهما وروي عن الحسن بن علي بن أبي طالب أنه قال حين عوتب في تسليمه الأمر لمعاوية: إن الله أرى نبيه عليه السلام في المنام بني أمية ينزون على منبره نزو القردة أي يثبون فاغتم لذلك فأعطاه الله ليلة القدر وهي خير له ولذريته ولأهل بيته من ألف شهر وهي مدة ملك بني أمية وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس هذا القدر من الزمان ثم

كشف الغيب إن كان من سنة الجماعة إلى قتل مروان الجعدي آخر ملوكهم هذا القدر من الزمان بعينه كما في «فتح الرحمن»، ودل كلام الله تعالى على ثبوت ليلة القدر فمن قال إن فضلها كان لنزول القرآن يقول انقطعت فكانت مرة والجمهور على أنها باقية آتية في كل سنة فضلاً من الله ورحمة على عباده غير مختصة برمضان عند البعض وهو قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله، وحضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر حتى لو علق أحد طلاق امرأته أو عتق عبده بليلة القدر فإنه لا يحكم به إلا بأن يتم الحول وعند الأكثرين مختصة به وكان عليه السلام، إذا دخل العشر شد مئزره وأحيى ليله وأيقظ أهله وكان الصالحون يصلون في ليلة من العشر ركعتين بنية قيام ليلة القدر وعن بعض الأكابر من قرأ كل ليلة عشر آيات على تلك النية لم يحرم بركتها وثوابها، قال الإمام أبو الليث رحمه الله: أقل صلاة ليلة القدر ركعتان وأكثرها ألف ركعة وأوسطها مائة ركعة وأوسط القراءة في كل ركعة أن يقرأ بعد الفاتحة إنا أنزلناه مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات، ويسلم على كل ركعتين ويصلي على النبي عليه السلام بعد التسليم ويقوم حتى يتم ما أراد من مائة أو أقل أو أكثر ويكفي في فضل صلاتها ما بين الله من جلالة قدرها وما أخبر به الرسول عليه السلام من فضيلة قيامها وصلاة التطوع بالجماعة جائزة من غير كراهة لو صلوا بغير تداع وهو الأذان والإقامة كما في الفرائض صرح بذلك كثير من العلماء.

قال في «شرح النقاية» وغيره: وفي «المحيط»: لا يكره الاقتداء بالإمام في النوافل مطلقاً نحو القدر والرغائب وليلة النصف من شعبان ونحو ذلك لأن ما رآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن فلا تلتفت إلى قول من لا مذاق لهم من الطاعنين فإنهم بمنزلة العنين لا يعرفون ذوق المناجاة وحلاوة الطاعات وفضيلة الأوقات.

هركس ازجلوۀ كل فهم معاني نكند شرح آن دفتر ننوشته زبلبل بشنو

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾.

﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ استئناف مبني لماله فضلت على ألف شهر وأصل ينزل تتنزل بتاءين والظاهر أن المراد كلهم للإطلاق وقد سبق معنى الروح في سورة النبأ، وقال بعضهم: إنه ملك لو التقم السماوات والأرضين كانت له لقمة واحدة أو هو ملك رأسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا وفي كل رأس ألف وجه وفي كل وجه ألف فم وفي كل فم ألف لسان يسبح الله بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد لكل لسان لغة لا تشبه الأخرى فإذا فتح أفواهه بالتسبيح خر كل ملائكة السماوات سجداً مخافة أن يحرقهم نور أفواهه وإنما يسبح الله غدوة وعشية فينزل تلك الليلة فيستغفر للصائمين والصائمات من أمة محمد عليه السلام بتلك الأفواه كلها إلى طلوع الفجر أو هو طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا ليلة القدر كالزهاد الذين لا نراهم إلا يوم العيد أو هو عيسى عليه السلام، لأنه اسمه ينزل في موافقة الملائكة ليطالع أمة محمد عليه السلام.

[ودر تفسير جواجه محمد پارسا رحمه الله، مذكوراست كه روح حضرت محمد ﷺ فرودايد].

وفي الحديث: «لأنا أكرم على الله من أن يدعني في الأرض أكثر من ثلاث» وكان

الثلاث عشر مرات ثلاثين لأن الحسين رضي الله عنه، قتل في رأس الثلاثين سنة فغضب على أهل الأرض وعرج به إلى عليين وقد رآه بعض الصالحين في النوم فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي أما ترى فتن أمتك فقال زادهم الله فتنة قتلوا الحسين ولم يحفظوني ولم يراعوا حقي فيه وعلى كل تقدير، فالمعنى تنزل الملائكة والروح في تلك الليلة من كل سماء إلى الأرض وهو الأظهر لأن الملائكة إذا نزلت في سائر الأيام إلى مجالس الذكر فلأن ينزلوا في تلك الليلة مع علو شأنها أولى أو إلى السماء الدنيا قالوا ينزلون فوجاً فوجاً فمن نازل ومن صاعد كأهل الحج فإنهم على كثرتهم يدخلون الكعبة ومواضع النسك بأسرهم لكن الناس بين داخل وخارج ولهذا السبب مدت إلى غاية طلوع الفجر وذكر لفظ تنزل المفيد للتدريج وبه يندفع ما يرد أن الملائكة لهم كثرة عظيمة لا تحتملها الأرض وكذا السماء على أن شأن الأرواح غير شأن الأجسام والملائكة وإن كان لهم أجسام لطيفة يقال لهم: الأرواح، وقال بعضهم: النازلون هم سكان سدرة المنتهى، وفيها ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله ومقام جبرائيل في وسطها ولا يدخلون أي الملائكة النازلون الكنائس وبيوت الأصنام والأماكن التي فيها الكلب والتصاوير والخبائث وفي بيوت فيها خمر أو مدمن خمر أو قاطع رحم أو جنب أو آكل لحم خنزيراً ومتضمخ بالزعفران وغير ذلك، والتضمخ بالفارسية [بوى خوش برخويشتن آلودن].

ويعدى بالباء كما في «تاج المصادر» وقال في «القاموس»: التضمخ لطخ الجسد بالطيب حتى كأنه يقطر، قوله الروح معطوف على الملائكة والضمير لليلة القدر والجار متعلق بتنزل ويجوز أن يكون والروح فيها جملة اسمية في موقع الحال من فاعل تنزل والضمير للملائكة والأول هو الوجه لعدم احتياجه إلى ضمير فيها ﴿**بإذن ربهم**﴾ أي: بأمره متعلق بتنزل وهو بدل على أنهم كانوا يرغبون إلينا ويشتاقون فيستأذن فيؤذن في النزول إلينا لهم فإن قيل: كيف يرغبوا إلينا مع علمهم بكثرة ذنوبنا؟ قلنا: لا يقفون على تفصيل المعاصي روي أنهم يطالعون اللوح فيرون فيه طاعة المكلف مفصلة فإذا وصلوا إلى معاصيه أرخى الستر فلا يرونه فحينئذٍ يقولون سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح ولأنهم يرون في الأرض من أنواع الطاعات أشياء ما رأوها في عالم السماوات كإطعام الطعام وأنين العصاة وفي الحديث القدسي: «لأنين المذنبين أحب إلي من زجل المسبحين فيقولون تعالوا نذهب إلى الأرض فنسمع صوتاً هو أحب إلى ربنا من صوت تسبيحنا وكيف لا يكون أحب وزجل المسبحين» إظهار لكمال حال المطيعين وأنين العصاة إظهار لغفارية رب العالمين.

نصيب ماست بهشت أي خدا شناس برو — كه مستحق كرامت كنا هكارانند

﴿**من كل أمر**﴾ متعلق بتنزل أيضاً أي: من أجل كل أمر قدر في تلك السنة من خير أو شر أو بكل أمر من الخير والبركة كقوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] أي: بأمر الله قيل يقسم جبرائيل في تلك الليلة بقية الرحمة في دار الحرب على من علم الله أنه يموت مسلماً فبتلك الرحمة التي قسمت عليهم ليلة القدر يسلمون ويموتون مسلمين فإن قيل: المقدرات لا تفعل في تلك الليلة بل في تمام السنة فلماذا تنزيل الملائكة فيها لأجل تلك الأمور؟ قيل: لعل تنزلهم لتعين إنفاذ تلك الأمور وتنزلهم لأجل كل أمر ليس تنزل كل واحد لأجل كل أمر بل ينزل الجميع لأجل جميع الأمور حتى يكون في الكلام تقسيم العلل على المعلولات.

﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾

﴿سلام هي﴾ تقديم الخبر لإفادة الحصر مثل تميمي أنا أي ما هي إلا سلامة أي: لا يحدث فيها داء ولا شيء من الشرور والآفات كالرياح والصواعق ونحو ذلك مما يخاف منه بل كل ما ينزل في هذه الليلة إنما هو سلامة ونفع وخير ولا يستطيع الشيطان فيها سوءاً ولا ينفذ فيها سحر ساحر والليلة ليست نفس السلامة بل ظرف لها ومع ذلك وصفت بالسلامة للمبالغة في اشتمالها عليها وعلم منه أنه يقضي في غير ليلة القدر كل من السلامة والبلاء يعني يتعلق قضاء الله بهما أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين ومن أصابته التسليمة غفر له ذنبه وفي الحديث: «ينزل جبرائيل ليلة القدر في كبكبة من الملائكة» أي: جماعة متضامة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد بذكر الله ﴿حتى مطلع الفجر﴾ أي: وقت طلوعه قدر المضاف لتكون الغاية من جنس المغيا فمطلع بفتح اللام مصدر ميمي ومن قرأ بكسر اللام جعله اسماً لوقت الطلوع أي اسم زمان وحتى متعلقة بتنزل على أنها غاية لحكم التنزل أي لمكثهم في تنزلهم أو لنفس تنزلهم بأن لا ينقطع تنزلهم فوجاً بعد فوج إلى طلوع الفجر. وقال بعضهم: ليلة القدر من غروب الشمس إلى طلوع الفجر سلام، أي: يسلم فيها الملائكة على المطيعين إلى وقت طلوع الفجر ثم يصعدون إلى السماء فحتى متعلقة بسلام قالوا علامة ليلة القدر أنها ليلة لا حارة ولا باردة وتطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها لأن الملائكة تصعد عند طلوع الشمس إلى السماء فيمنع صعودها انتشار شعاعها لكثرة الملائكة أو لأنها لا تطلع في هذه الليلة بين قرني الشيطان فإنها على ما جاء في بعض الأحاديث تطلع كل يوم بين قرني الشيطان ويزيد الشيطان في بث شعاعها وتزيين طلوعها ليزيد في غرور الكافرين ويحسن في أعين الساجدين وقد سبق أنه يعذب الماء الملح تلك الليلة وأما النور الذي يرى ليلة القدر فهو نور أجنحة الملائكة أو نور جنة عدن تفتح أبوابها ليلة القدر أو نور لواء الحمد أو نور أسرار العارفين رفع الله الحجب عن أسرارهم حتى يرى الخلق ضياءها وشعاعها وهو المناسب لحقيقة ليلة القدر فإن حقيقتها عبارة عن انكشاف الملكوت لقلب العارف فإذا تنور الباطن بنور الملكوت انعكس منه إلى الظاهر وفي الحديث من قرأ سورة القدر أعطي ثواب من صام رمضان وأحيى ليلة القدر.

تمت سورة القدر بعون من له الخلق والأمر في الثاني والعشرين
من ثاني الربيعين من سنة سبع عشرة ومائة وألف

٩٨ ـ سورة البينة

والبينة والبرية ثمان أو تسع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ
صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ
ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾.

﴿**لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب**﴾ أي اليهود والنصارى وإيراد الصلة فعلاً لما أن كفرهم حادث بعد أنبيائهم ﴿**والمشركين**﴾ أي: عبدة الأصنام ومن للتبيين لا للتبعيض حتى لا يلزم أن لا يكون بعض المشركين كافرين وذلك أن الكفار كانوا جنسين أهل الكتاب كفرق اليهود والنصارى والمشركين وهم الذين كانوا لا ينسبون إلى كتاب فذكر الله الجنسين بقوله ﴿**الذين كفروا**﴾ على الإجمال بالتفصيل والتبيين وهو قوله ﴿**من أهل الكتاب والمشركين**﴾ وهو حال من الواو في كفروا، أي: كائنين منهم ﴿**منفكين**﴾ خبر كان أي: عما كانوا عليه من الوعيد باتباع الحق والإيمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على إنجازه وهذا الوعد من أهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى أنهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ويقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم وأما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك من أهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على أسلافهم كما يشهد به أنهم كانوا يسألونهم عن رسول الله هل هو المذكور في كتبهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته وانفكاك الشيء من الشيء أن يزايله بعد التحامه كالعظم إذا انفك من مفصله وفيه إشارة إلى كمال وكادة وعدهم أي: لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على إنجاز ﴿**حتى تأتيهم البينة**﴾ التي كانوا قد جعلوا إتيانها ميقاتاً لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتاً للانفكاك والافتراق وإخلاف الوعد والتعبير عن إتيانها بالمضارع باعتبار حال المحكي لا الحكاية والبينة الحجة الواضحة.

﴿**رسول**﴾ بدل من البينة عبر عنه عليه السلام بها للإيذان بغاية ظهور أمره وكونه ذلك الموعود في الكتابين ﴿**من الله**﴾ متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي: رسول وأي رسول كائن منه تعالى. ﴿**يتلو**﴾ صفة أخرى ﴿**صحفاً**﴾ جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب ومحله من الأوراق ﴿**مطهرة**﴾ أي: منزهة من الباطل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن أن يمسه غير المطهرين.

وقال الكاشفي: صحيفهاى پاكيزه از كذب وبهبان.

ونسبة التلاوة إلى الصحف وهي القراطيس مجازية أو هي مجاز عما فيها بعلاقة الحلول والمراد أنه لما كان ما يتلوه الذي هو القرآن مصدقاً لصحف الأولين مطابقاً لها في أصول الشرائع والأحكام صار متلوه كأنه صحف الأولين وكتبهم فعبر عنه باسم الصحف مجازاً.

قال الكاشفي: [قرآنرا صحف كفت براي تعظيم با آنكه جامع أسرار جميع صحفست] قال في «عين المعاني»: وسميت الصحف لأنها أصحف بعضها على بعض أي وضع **﴿فيها كتب قيمة﴾** صفة لصحف أي في تلك الصحف أمور مكتوبة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وبالفارسية دران صحيفها توشتهاى راست ودرست يعني أحكام ومواعظ وفي «المفردات»: إشارة إلى ما فيه من معاني كتب الله فإن القرآن مجمع ثمرة كتب الله المتقدمة **﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب﴾** عما كانوا عليه من الوعد وإفراد أهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وأنهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك أولى خصوا بالذكر لأن جحود العالم أقبح وأشنع من إنكار الجاهل **﴿إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾** استثناء مفرغ من أعم الأوقات أي وما تفرقوا في وقت من الأوقات إلا من ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على أن رسول الله عليه السلام هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾

﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله﴾ جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا أي والحال أنهم ما أمروا بما أمروا في كتابهم لشيء من الأمور إلا لأجل أن يعبدوا الله وهذه اللام في الحقيقة لام الحكمة والمصلحة، يعني أن فعله تعالى وإن لم يكن معللاً بالغرض إلا أنه مغياً بالحكم والمصالح وكثيراً ما تستعمل لام الغرض في الحكمة المترتبة على الفعل تشبيهاً لها بها في ترتبها على الفعل بحسب الوجود وفي حصر علة كونهم مأمورين بما في كتبهم من عبادة الله بالإخلاص حيث قيل وما أمروا بما أمروا إلا لأجل أن يتذللوا له ويعظموه غاية التذلل والتعظيم، ولا يطلبوا في امتثال ما كلفوا به شيئاً آخر سوى التذلل لربهم ومالكهم كثواب الجنة والخلاص من النار دليل ما ذهب إليه أهل السنة من أن العبادة ما وجبت لكونها مفضية إلى ثواب الجنة أو إلى البعد والنجاة من عذاب النار بل لأجل أنك عبد وهو رب ولو لم يحصل في الدين ثواب ولا عقاب ألبتة، ثم أمرك بالعبادة وجبت لمحض العبودية ومقتضى الربوبية والمالكية وفيه أيضاً إشارة إلى أن من عبد الله للثواب والعقاب فالمعبود في الحقيقة هو الثواب والعقاب والحق واسطة فالمقصود الأصلي من العبادة هو المعبود وكذا الغاية من العرفان المعروف فعليك بالعبادة للمعبود وبالعرفان للمعروف، وإياك وأن تلاحظ شيئاً غير الله تعالى.

عاشقانرا شادماني وغم اوست — دست مزدوا جرت خدمت مم اوسوت

وقال بعضهم: الأظهر أن تجعل لام ليعبدوا الله زائدة كما تزاد في صلة الإرادة فيقال أردت لتقوم لتنزيل الأمر منزلة الإرادة فيكون المأمور به هذه الأمور من العبادة ونحوها كما هو الظاهر ثم إن العبادة هي التذلل ومنه طريق معبد أي مذلل ومن زعم أنها الطاعة فقد أخطأ لأن جماعة عبدوا الملائكة والمسيح والأصنام وما أطاعوهم ولكن في الشرع صارت اسماً لكل

طاعة لله أديت له على وجه التذلل والنهاية في التعظيم والعبادة بهذا المعنى لا يستحقها إلا من يكون واحداً في صفاته الذاتية والفعلية فإن كان له مثل لم يمكن أن يصرف إليه نهاية التعظيم فثبت بما قلنا أنه لا بد في كون الفعل عبادة من شيئين أحدهما غاية التعظيم ولذلك قيل إن صلاة الصبي ليست بعبادة لأنه لا يعرف عظمة الله فلا يكون فعله غاية التعظيم وفي حكمه الجاهل الغافل وثانيهما أن يكون مأموراً به ففعل اليهود ليس بعبادة وإن تضمن نهاية التعظيم لأنه غير مأمور به فإذا لم يكن فعل الصبي عبادة لفقد التعظيم ولا فعل اليهود لفقد الأمر فكيف يكون ركوعك الناقص عبادة والحال أنه لا أمر به ولا تعظيم. فيه. ﴿**مخلصين له الدين**﴾ حال من الفاعل في ليعبدوا أي: جاعلين أنفسهم خالصة لله تعالى في الدين يعني [از شرك والحاد پاكيزه باشند واز أغراض نفسانية وقضاي شهوات صافي وبي غش].

والإخلاص: أن يأتي بالفعل خالصاً لداعية واحدة ولا يكون لغيرها من الدواعي تأثير في الدعاء إلى ذلك الفعل فالعبادة لجلب المنفعة أو لدفع المضرة ليست من قبيل الإخلاص، وكذا الاشتغال بالمباح في الصلاة مثل التنحنح وغيره من الحظوظ النفسانية وزيادة الخشوع في الصلاة لأجل الغير رياء ودفع الزكاة إلى الوالدين والمولودين وعبيده وإمائه ينافي القربة ولذا نهى عنه فالإخلاص في العبودية تجريد السر عما سوى الله تعالى، وقال بعضهم: الإخلاص أن لا يطلع على عملك إلا الله ولا ترى نفسك فيه وتعلم أن المنة لله عليك في ذلك حيث أهلك لعبادته ووفقك لها ولا تطلب من الله أجراً وعوضاً. ﴿**حنفاء**﴾ حال أخرى على قول من جوز حالين من ذي حال واحد ومن المنوي في مخلصين على قول من لم يجوز ذلك أي مائلين عن جميع العقائد الزائغة إلى الإسلام وهو في المعنى تأكيد للإخلاص إذ هو الميل عن الاعتقاد الفاسد وأكبره اعتقاد الشركة وأصل الحنف الميل وانقلاب ظهر القدم حتى يصير بطناً فالأحنف هو الذي يمشي على ظهر قدميه في شقها الذي يلي خنصرها ويجيء الحنف بمعنى الاستقامة فمعنى حنفاء مستقيمين فعلى هذا إنما سمي مائل القدم أحنفاً على سبيل التفاؤل كقولك للأعمى بصير وللحبشي كافورو للطاعون مبارك وللمهلكة مفازة قال ابن جبير: لا يسمى أحد حنيفاً حتى يحج ويختتن لأن الله وصف إبراهيم عليه السلام، بكونه حنيفاً وكان من شأنه أنه حج وختن نفسه ﴿**ويقيموا الصلاة**﴾ التي هي العمدة في باب العبادات البدنية ﴿**ويؤتوا الزكاة**﴾ التي هي الأساس في العبادات المالية، قال في «الإرشاد»: إن أريد بهما ما في شريعتهم من الصلاة والزكاة فالأمر ظاهر وإن أريد ما في شريعتنا فمعنى أمرهم بهما في الكتابين أن أمرهم باتباع شريعتنا أمر لهم بجميع أحكامها التي هما من جملتها. ﴿**وذلك**﴾ أي: ما ذكر من عبادة الله بالإخلاص وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. ﴿**دين القيمة**﴾ أي: دين الملة القيمة قدر الموصوف لئلا يلزم إضافة الشيء إلى صفته فإنها إضافة الشيء إلى صفته وصحة إضافة الدين إلى الملة باعتبار التغاير الاعتباري بينهما فإن الشريعة المبلغة إلى الأمة بتبليغ الرسول إياها من قبل الله تسمى ملة باعتبار أنها تكتب وتملى وديناً باعتبار أنها تطاع فإن الدين الطاعة، يقال: دان له أي: أطاعه وقال بعضهم: إضافة الدين إلى القيمة إضافة العام إلى الخاص كشجر الأراك ولا حاجة إلى تقدير الملة فإن القيمة عبارة عن الملة كما يشهد له قراءة أبي رضي الله عنه وذلك الدين القيم انتهى.

وقال الكاشفي: دين القيمة يعني دين وهلت درست است وپاينده.

يعني: أضاف الدين إلى القيمة وهي نعته لاختلاف اللفظين والعرب تضيف الشيء إلى نعته كثيراً ونجد هذا في القرآن في مواضع منها قوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩] وقال في موضع وللدار الآخرة، لأن الدار هي الآخرة وقال عذاب الحريق أي المحرق كالأليم بمعنى المؤلم وتقول دخلت مسجد الجامع ومسجد الحرام، وأدخلك الله جنة الفردوس هذا وأمثاله وأنث القيمة لأن الآيات هائية فرد الدين إلى الملة كما في «كشف الأسرار» والقيمة بمعنى المستقيمة التي لا عوج فيها وقال الراغب: القيمة هنا اسم الأمة القائمة بالقسط المشار إليهم بقوله: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠] قال ابن الشيخ بعض أهل الأديان لما بالغوا في باب الأعمال من غير إحكام الأصول وهم اليهود والنصارى والمجوس فإنهم ربما أتعبوا أنفسهم في الطاعات ولكنهم ما حصلوا الدين الحق بتحصيل الاعتقاد المطابق، وبعضهم حصلوا الأصول وأهملوا الفروع وهم المرجئة الذين يقولون لا تضر المعصية مع الإيمان فالله تعالى خطأ الفريقين في هذه الآية وبين أنه لا بد من العلم، والإخلاص في قوله: ﴿**مخلصين**﴾ ومن العمل في قوله: ﴿**ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة**﴾ ثم قال وذلك المجموع كله هو دين الملة المستقيمة المعتدلة فكما أن مجموع الأعضاء بدن واحد كذلك هذا المجموع دين واحد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦﴾.

﴿**إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم**﴾ بيان لحالهم الأخروي بعد بيان حالهم الدنيوي وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم بأهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم، ومعنى كونهم فيها أنهم يصيرون إليها يوم القيامة وإيراد الجملة الاسمية للإيذان بتحقق مضمونها لا محالة أو أنهم فيها الآن إما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها وإما على أن ما هم فيه من الكفر والمعاصي عين النار إلا أنها ظهرت في هذه النشأة بصورة عرضية وستخلعها في النشأة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية. ﴿**خالدين فيها**﴾ حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين في دخول دار العذاب بطريق الخلود لأجل كفرهم لا ينافي تفاوت عذابهم في الكيفية فإن جهنم دركات وعذابها ألوان فالمشركون كانوا ينكرون الصانع والنبوة والقيامة وأهل الكتاب نبوة محمد عليه السلام فقط فكان كفرهم أخف من كفر المشركين، لكنهم اشتركوا في أعظم الجنايات التي هي الكفر فاستحقوا أعظم العقوبات وهو الخلود ولما كفروا طلباً للرفعة صاروا إلى سفل السافلين فإن جهنم نار في موضع عميق مظلم هائر يقال بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر واشتراكهم في هذا الجنس من العذاب لا يوجب اشتراكهم في نوعه. ﴿**أولئك**﴾ البعداء المذكورون ﴿**هم شر البرية**﴾ البرية جميع الخلق لأن الله برأهم أي أوجدهم بعد العدم والمعنى شر الخليقة أي: أعمالاً وهو الموافق لما سيأتي في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار أو شرهم مقاماً ومصيراً فيكون تأكيداً لفظاعة حالهم وتوسيط ضمير الفصل لإفادة الحصر أي: هم شر البرية دون غيرهم كيف لا وهم شر من السراق لأنهم سرقوا من كتاب الله نعوت محمد عليه السلام وشر من قطاع الطرق لأنهم قطعوا الدين الحق على الخلق وشر من الجهال، الأجلاف لأن الكفر مع العلم يكون كفر عناد فيكون أقبح من كفر الجهال وظهر منه أن وعيد

العلماء السوء أعظم من وعيد كل أحد ومن تاب منهم وأسلم خرج من الوعيد وقيل لا يجوز أن يدخل في الآية ما مضى من الكفار لأن فرعون كان شراً منهم وأما الآية الثانية الدالة على ثواب المؤمنين فعامة فيمن تقدم وتأخر لأنهم أفضل الأمم والبرية مخففة من المهموز من برا بمعنى خلق فهو البارىء أي: الموجد والمخترع من العدم إلى الوجود وقد قرأ نافع وابن ذكوان على الأصل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يفهم من مقابلة الجمع بالجمع أنه لا يكلف الواحد بجميع الصالحات بل لكل مكلف حظ فحظ الغني الإعطاء وحظ الفقير الأخذ والصبر والقناعة. **﴿أولئك﴾** المنعوتون بما هو في الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الإيمان والطاعة **﴿هم خير البرية﴾** استدل بالآية على أن البشر أفضل من الملك لظهور أن المراد بقوله **﴿إن الذين آمنوا﴾** هو البشر والبرية يشمل الملك والجن سئل الحسن رحمه الله عن قوله: **﴿أولئك هم خير البرية﴾** أهم خير من الملائكة؟ قال: ويلك وأنى تعادل الملائكة الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

ملائك راچه سود از حسن طاعت چو فيض عشق برآدم فرو ريخت

﴿جزاؤهم﴾ بمقابلة ما لهم من الإيمان والطاعات وهو مبتدأ **﴿عند ربهم﴾** ظرف للجزاء **﴿جنات عدن﴾** أي دخول جنات عدن وهو خبر المبتدأ والعدن الإقامة والدوام وقال ابن مسعود رضي الله عنه عدن بطنان الجنة أي وسطها **﴿تجري من تحتها الأنهار﴾** ميرود از زير أشجار آن چويهاچه بستان بي آب روان نشايد.

وفي «الإرشاد»: إن أريد بالجنات الأشجار الملتفة الأغصان كما هو الظهر فجريان الأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها مجموع الأرض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر وأياً ما كان فالمراد جريانها بغير أخدود وجمع جنات يدل على أن للمكلف جنات كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦] ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمن: ٦٢] فذكر للواحد أربع جنات والسبب فيه أنه بكى من خوف الله تعالى وذلك البكاء إنما نزل من أربعة أجفان اثنان دون اثنين فاستحق به جنتين دون جنتين فحصل له أربع جنان لبكائه بأربعة أجفان وقيل: إنه تعالى قابل الجمع بالجمع في قوله: **﴿جزاؤهم عند ربهم جنات﴾** وهو يقتضي مقابلة الفرد بالفرد فيكون لكل مكلف جنة واحدة لكن أدنى تلك الجنات مثل الدنيا بما فيها عشر مرات كذا روى مرفوعاً ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمُلۡكٗا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠] أو الألف واللام في الأنهار للتعريف فتكون منصرفة إلى الأنهار المذكورة في القرآن وهي نهر الماء ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر وفي توصيفها بالجري بعد ما جعل الجنات الموصوفة جزاء إشارة إلى مدحهم بالمواظبة على الطاعات كأنه تعالى يقول طاعتك كانت جارية ما دمت حياً على ما قال: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الأحزاب: ٦٥] فلذلك كانت أنهار كرمي جارية إلى الأبد **﴿خالدين فيها أبدا﴾** متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وهو حال وذو الحال وعامله كلاهما مضمران يدل عليه جزاؤهم والتقدير يجزون بها خالدين فيها وقوله أبداً ظرف زمان وهو تأكيد لخلود أي: لا يموتون فيها ولا يخرجون منها.

﴿رضي الله عنهم﴾ استئناف مبين لما يتفضل به عليهم زيادة على ما ذكر من أجزية أعمالهم أي استئناف أخبار كأنه قيل تزاد لهم أو استئناف دعاء من ربهم فلذا فصل وقد يجعل خبراً بعد خبر وحالاً بتقدير قد قال ابن الشيخ: لما كان المكلف مخلوقاً من جسد وروح وإنه اجتهد بهما في طاعة ربه اقتضت الحكمة أن يجزيه بما يتنعم ويستريح به كل واحد منهما فجنة الجسد هي الجنة الموصوفة وجنة الروح هي رضى الرب مصراع:

چيست جنت روح را رضوان أكبر از خدا

﴿ورضوا عنه﴾ حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها وأبيح لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لا سيما أنهم أعطوا لقاء الرب الذي هو المقصد الأقصى.

دارند هركس ازتو مرادى ومطلبي   مقصود مازديني وعقبى لقاي تست

﴿ذلك﴾ المذكور من الجزاء والرضوان، وقال بعضهم: الأظهر أنه إشارة إلى ما ترتب عليه الجزاء والرضوان من الإيمان والعمل الصالح. ﴿لمن خشي ربه﴾ براي آنكس كه بترسد از عقوبت پروردكار خود وبموجبات ثواب اشتغال نمايد وذلك الخشية التي هي من خصائص العلماء بشؤون الله تعالى مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية التربية للإشعار بعلة الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية وعن أنس رضي الله عنه قال عليه السلام لأبي بن كعب رضي الله عنه: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لم يكن الذين كفروا﴾».. الخ، قال: «أو سماني لك؟ قال: نعم، قال: وقد ذكرت عند رب العالمين؟ قال: نعم فذرفت عيناه» أي: سال دمع عينيه وعن السنة أن يستمع القرآن في بعض الأوقات من غيره فإنه قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «قال لي رسول الله عليه السلام وهو على المنبر: اقرأ علي قلت: اقرأ عليه وعليك أنزل قال: إني أحب أن أسمعه من غيري فقرأت سورة النساء حتى أتيت هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] قال حسبك الآن فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان» أي: تقطران وكان عمر رضي الله عنه يقول لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه ذكرنا ربنا فيقرأ حتى يكاد وقت الصلاة يتوسط فيقول يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أنا في الصلاة وفي الحديث: «من استمع آية من كتاب الله كان له نوراً يوم القيامة» فظهر أن استماع القرآن من الغير في بعض الأحيان من السنن وأما أنه هل يفرض استماعه كلما قرىء بناء على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤] ففي الصلاة نعم وأما خارجها فعامة العلماء على استحبابها كما في شرح «شرعة الإسلام» للشيخ قورد أفندي رحمه الله.

تمت سورة البينة بعون جاعل الإنسان منتصب القامة في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر المنتظم في تلك شهور سنة سبع عشرة ومائة وألف من هجرة من يرى من قدام وخلف

٩٩ ـ سورة الزلزلة

مكية أو مدنية وآياتها تسع أو ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾.

﴿**إذا**﴾ [چون] ﴿**زلزلت الأرض**﴾ أي: حركت تحريكاً عنيفاً متكرراً متداركاً فإن تكرر حروف لفظه ينبىء عن تكرر معنى الزلل ﴿**زلزالها**﴾ أي: الزلزال المخصوص بها الذي تستوجبه في الحكمة ومشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذي لا غاية وراءه وهو معنى زلزالها بالإضافة العهدية يقال زلزله زلزلة وزلزالاً مثلثة حركة كما في «القاموس» وقال أهل التفسير الزلزال بالكسر مصدر وبالفتح اسم بمعنى المصدر وفعلال بالفتح لا يوجد إلا في المضاعف كالصلصال ونحوه.

﴿**وأخرجت الأرض أثقالها**﴾ اختيار الواو على الفاء مع أن الإخراج متسبب عن الزلزال للتفويض إلى ذهن السامع وإظهار الأرض في موضع الإضمار لأن إخراج الأثقال حال بعض أجزائها والأثقال كنوز الأرض وموتاها جمع ثقل بالكسر وإما ثقل محركة فمتاع المسافر وحشمه على ما في «القاموس» المعنى وأخرجت الأرض ما في جوفها من دفائنها وكنوزها كما عند زلزال النفخة الأولى الذي هو من أشراط الساعة وكذا من أمواتها عند زلزال النفخة الثانية وفي الخبر تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوانة من الذهب فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع رحمه فيقول: في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً قوله أفلاذ كبدها أراد أنها تخرج الكنوز المدفونة فيها وقيئها إخراجها ويدخل في الأثقال الثقلان وفيه إشارة إلى أن الجن تدفن أيضاً.

﴿**وقال الإنسان**﴾ أي: كل فرد من أفراده لما يغشاهم من الأهوال ويلحق بهم من فرط الدهشة وكمال الحيرة ﴿**ما لها**﴾ أي شيء للأرض زلزلت هذه المرة الشديدة من الزلزال وأخرجت ما فيه من الأثقال استعظاماً لما شاهده من الأمر الهائل وتعجباً لما يرونه من العجائب التي لم تسمع بها الآذان ولا ينطق بهما اللسان لكن المؤمن يقول بعد الإفاقة ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢] والكافر ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢] ﴿**يومئذٍ**﴾ يدل من إذا ﴿**تحدث أخبارها**﴾ عامل فيهما وهو جواب الشرط وهذا على القول بأن العامل في إذا الشرطية جوابها وأخبارها مفعول لتحدث والأول محذوف لعدم تعلق الغرض بذكره إذ الكلام مسوق لبيان تهويل اليوم وأن الجمادات تنطق فيه وأما ذكر ابن الحاجب من أن حدث وأنبأ ونبأ

لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد فغير مسلم الصحة على ما فصل في محله والمعنى تحدث الخلق أخبارها إما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لأجله زلزالها وإخراج أثقالها وأن هذا ما كانت الأنبياء ينذرونه ويخوفون منه وإما بلسان المقال وهو قول الجمهور حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل على ظهرها من خير وشر حتى يؤد الكافر أنه سيق إلى النار مما يرى من الفضوح.

روي أن عبد الرحمن بن صعصعة كان يتيماً في حجر أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، فقال أبو سعيد: يا بني إذا كنت في البوادي فارفع صوتك بالأذان فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يسمعه جن ولا إنس ولا حجر ولا شجر إلا شهد له» وروي أن أبا أمية صلى في المسجد الحرام المكتوبة ثم تقدم فجعل يصلي ههنا وههنا فلما فرغ قيل له يا أبا أمية ما هذا الذي تصنع؟ قال: قرأت هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها فأردت أن يشهد لي يوم القيامة فطوبى لمن شهد له المكان بالذكر والتلاوة والصلاة ونحوها، وويل لمن شهد عليه بالزنى والشرب والسرقة والمساوي، ويقال إن لله عليك سبعة شهود المكان كما قال تعالى: ﴿**يومئذٍ تحدث أخبارها**﴾ والزمان كما في الخبر: «ينادي كل يوم أنا يوم جديد، وأنا على ما تعمل في شهيد» واللسان كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ [النور: ٢٤] والأركان كما قال تعالى: ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ [يس: ٦٥] والمكان كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الانفطار: ١٠] والديوان كما قال تعالى: ﴿هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩]، كما قال: ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ [يونس: ٦١] فكيف يكون حالك يا عاصي بعد ما شهد عليك هؤلاء الشهود.

﴿**بأن ربك أوحى لها**﴾ أي: تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها وأمره إياها بالتحديث بلسان المقال على ما عليه الجمهور أو بسبب أن أحدث فيها أحوالاً دالة على الأخبار كما إذا كان التحديث بلسان الحال، وفيه إشارة إلى زلزلة أرض البدن عند نزع الروح الإنساني باضطراب الروح الحيواني والقوى وإلى إخراجها متاعها التي هي به ذات قدر من القوى والأرواح وهيئات الأعمال والاعتقادات الراسخة في القلب، وقال الإنسان ما لها زلزلت واضطربت ما طبها وما داؤها الإنحراف المزاج أم لغلبة الأخلاط يومئذٍ تحدث أخبارها بلسان حالها بأن ربك أشار إليها وأمرها بالاضطراب والخراب وإخراج الأثقال عند زهوق الروح وتحقق الموت.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾.

﴿**يومئذٍ**﴾ أي يوم إذ يقع ما ذكر ﴿**يصدر الناس**﴾ من قبورهم إلى موقف الحساب وانتصب يومئذٍ بيصدر والصدر يكون عن ورود أي: هو رجوع وانصراف بعد الورود والمجيء فقال الجمهور: هو كونهم مدفونين في الأرض والصدر قيامهم للبعث والصدر والصدور بالفارسية [باز كشتن].

يعني: الصدر بسكون الدال الرجوع والاسم بالتحريك ومنه طواف الصدر وهو طواف الوداع ﴿**أشتاتاً**﴾ يقال جاؤوا أشتاتاً أي: متفرقين في النظام واحدهم شت بالفتح أي: متفرق ونصب على الحال أي: حال كونهم متفرقين بيض الوجوه والثياب آمنين ينادي المنادي بين يديه هذا ولي الله وسود الوجوه حفاة عراة مع السلاسل والأغلال فزعين والمنادي ينادي بين

يديه هذا عدو الله، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن جبرائيل عليه السلام جاء إلى النبي عليه السلام، يوماً فقال يا محمد إن ربك يقرئك السلام وهو يقول: ما لي أراك مغموماً حزيناً وهو أعلم به فقال عليه السلام: يا جبرائيل قد طال تفكري في أمر أمتي يوم القيامة؟ قال: يا محمد في أمر أهل الكفر أم في أمر أهل الإسلام، قال: يا جبرائيل لا بل في أمر أهل لا إله إلا الله، قال: فأخذ بيده حتى أقامه على مقبرة بني سلمة فضرب بجناحه الأيمن على قبر ميت فقال: قم بإذن الله فقام رجل مبيض الوجه وهو يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله الحمد لله رب العالمين فقال له جبرائيل عد فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه الأيسر على قبر ميت، فقال قم بإذن الله فخرج رجل مسود الوجه أزرق العين وهو يقول واحسرتاه واندامتاه واسوأتاه فقال له جبريل: عد فعاد كما كان ثم قال جبرائيل هكذا يبعثون يوم القيامة على ما ماتوا عليه» ﴿**ليروا**﴾ اللام متعلقة بيصدر ﴿**أعمالهم**﴾ أي: جزاء أعمالهم خيراً كان أو شراً وإلا فنفس الأعمال لا يتعلق بها الرؤية البصرية إذا الرؤية هنا ليست علمية لأن قوله: ﴿**فمن يعمل**﴾ الخ تفصيل ليروا والرؤية فيه بصرية لتعديتها إلى مفعول واحد اللهم إلا أن يجعل لها صور نورانية أو ظلمانية أو يتعلق الرؤية بكتبها كما سيجيء.

﴿**فمن**﴾ [پس هركه] ﴿**يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾ تفصيل ليروا والمثقال الوزن والذرة النملة الصغيرة أو ما يرى في شاع الشمس من الهباء وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا وضعت راحتك أي يدك على الأرض ثم رفعتها فكل واحد مما لزق بها من التراب ذرة.

وقال يحيى بن عمار: حبة الشعير أربع أرزات والأرزة أربع سمسمات والسمسمة أربع خردلات والخردلة أربعة أوراق نخالة وورق النخالة ذرة ومعنى رؤية ما يعادل الذرة من خير وشر إما مشاهدة أجزيته فمن الأولى مختصة بالسعداء والمخصص قوله: ﴿**أشتاتاً**﴾ أي: فمن يعمل من السعداء مثقال ذرة خيراً يره والثانية بالأشقياء بقرينة أشتاتاً أيضاً أي: ومن يعمل من الأشقياء مثقال ذرة شراً يره وذلك لأن حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة وما قيل من أن حسنة الكافر تؤثر في نقص العقاب فقد ورد أن حاتماً الطائي يخفف الله عنه لكرمه وورد مثله في أبي طالب وغيره يرده قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣] وقوله عليه السلام: في حق عبد الله بن جدعان: «لا ينفعه لأنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين» وذلك حين قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه وقوله عليه السلام في حق أبي طالب: «ولولا لأنه كان في الدرك الأسفل من النار فتلك الشفاعة» مختصة به وأما حسنات الكفار فمقبولة بعد إسلامهم وأما مشاهدة نفسه من غير أن يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض كل منهما إلى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر وإثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه، فالمعنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيراً أو شراً إلا أراه الله إياه أما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فيرد حسناته تحسيراً له.
وفي«تفسير البقاعي»: الكافر يوقف على ما عمله من خير على أنه جوزي به في الدنيا أو أنه أحبط لبنائه على غير أساس الإيمان فهو صورة بلا معنى ليشتد ندمه ويقوي حزنه وأسفه،

والمؤمن يراه ليشتد سروره به وفي جانب الشر يراه المؤمن ويعلم أنه قد غفر له فيكمل فرحه والكافر يراه فيشتد حزنه وترحه.

وفي «التأويلات النجمية»: ليروا أعمالهم المكتسبة بيدي الاستعدادات الفاعلية العلمية والقابلية العملية ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ في الصورة الجزائية لتصور الأعمال بصور تناسبها نورانية كانت أو ظلمانية، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره متجسداً في يوم القيامة في جسد السباع بحسب القوة الغضبية، وفي جسد البهائم بحسب القوة البهيمية وكلما ازدادت الصور الحسنة المتنوعة ازدادت البهجة والسرور كما أنه كلما ازدادت الصور القبيحة المختلفة ازداد العبوس والألم وفيه رمز إلى أنه لا يلزم من مجرد الرؤية المجازاة كما في حق المؤمن وذلك من فضل الله تعالى على من يشاء من عباده، وفي التفاسير نزلت الآية ترغيباً في الخير ولو كان قليلاً كتمرة وعنبة وكسرة وجوزة ونحوها فإنه يوشك أن يكثر إذا كان بنية خالصة وتحذيراً من الشر وإن كان قليلاً كخيانة ذرة في الميزان وكنظرة وخطوة وكذبة فإنه يوشك أن يكون كثيراً عظيماً للجراءة على الله العظيم وكان الناس في بدء الإسلام يرون أن الله لا يؤاخذهم بالصغائر من الذنوب وكان بعضهم يستحي من صدقة الشيء اليسير ويظن أنه ليس له أجر حتى نزلت الآية، وفي الحديث: «إذا زلزلت تعدل ربع القرآن» رواه ابن أبي شيبة مرفوعاً فتكون قراءتها أربع مرات كقراءة القرآن كله وذلك لأن الإيمان بالبعث ربع الإيمان في قوله عليه السلام: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني الله بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر» وفي بعض الآثار: «أن سورة الزلزلة نصف القرآن» وذلك لأن أحكام القرآن تنقسم إلى أحكام الدنيا وأحكام الآخرة وهذه السورة تشتمل على أحكام الآخرة كلها إجمالاً وروي أن جد الفرزدق بن صعصعة بن ناجية أتى رسول الله ﷺ يستقرئه يعني [كفت از آنچه برنو فرودمى آيد برمن بخوان].

وفي «كشف الأسرار»: [صعصعة عم فرزدق پيش مصطفى آمد ومسلمان كشت واز رسول خدا در خواست تا از قرآن چيزى بروى بخواند فقرأ عليه السلام عليه هذه الآية أي ﴿فمن يعمل﴾ .. الخ. فقال حسبي حسبي وآشوبي وشوري ازنهاد وى برآمد وبخاك افتاد وزار بكريست وهي أحكم آية]، وسميت الجامعة وعن زيد بن أسلم رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي عليه السلام، فقال: «علمني ما عملك الله فدفعه إلى رجل يعلمه القرآن فعلمه ﴿إذا زلزلت الأرض﴾ حتى بلغ ﴿فمن يعمل﴾ .. الخ. قال الرجل حسبي فأخبر بذلك النبي عليه السلام، قال دعه فقد فقه الرجل» چون كسى داندكه برذره وحبه محاسبه بايد كرد امروز بحساب خود مشغول شود.

حساب كارخود امروزكن كه فرصت هست — زخير وشر بنكر تاچهاست حاصل تو
اكربنقد نكويى توانكري خوش باش — ورت بغير بدي نيست وأي بردل تو

تمت سورة الزلزلة في رابع جمادى الأولى

١٠٠ ـ سورة العاديات

مختلف فيها وآيها إحدى عشرة بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾﴾.

﴿والعاديات﴾ جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو بالفارسية: دويدن.

وياؤها مقلوبة عن الواو لكسرة ما قبلها اقسم سبحانه بخيل العزاة التي تعدو نحو العدو **﴿ضبحاً﴾** مصدر منصوب إما بفعله المحذوف الواقع حالاً منها أي تضبح ضبحاً على تأويل العاديات بالجماعة وهو صوت أنفاسها عند عدوها يعني صوتاً يسمع من أفواه الفرس وأجوافها إذا عدون وهو صوت غير الصهيل والحمحمة، وهي صوت البرذون عند الشعير، أو بالعاديات فإن العدو مستلزم للضبح كأنه قيل والضابحات ضبحاً أو حال على أنه مصدر بمعنى الفاعل أي ضابحات.

﴿فالموريات قدحاً﴾ الإيراء إخراج النار، والقدح الضرب فإن الخيل يضربن بحوافرهن وسنابكهن الحجارة فيخرجن منها ناراً يقال قدح الزند فأورى وقدح فاصلد أي صوت ولم يور فالقدح يتقدم على الإيراء بخلاف الضبح حيث يتأخر ويتسبب عن العدو والمعنى تورى النار من حوافرها إذا سارت في الأرض ذات الحجارة فالقدح استعارة لضرب الحجارة بحوافرها وانتصاب قدحاً كانتصاب ضبحاً على الوجوه الثلاثة أي تقدح قدحاً أو فالقادحات قدحاً أو قادحات.

﴿فالمغيرات﴾ يقال: أغار على القوم غارة وأغارة دفع عليهم الخيل وأغار الفرس اشتد عدوه في الغارة وغيرها أسند الإغارة التي هي مباغتة العدو للنهب والقتل وأسر إلى الخليل وهي حال أهلها إيذاناً بأنها العمدة في إغاراتهم **﴿صبحاً﴾** نصب على الظرفية أي في وقت الصبح وهو المعتاد في الغارات يعدون ليلاً لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحاً على حين غفلة ليروا ما يأتون وما يذرون ومنه قولهم عند خوف الغارة يا صباحاه أي: يا قوم احذروا من شر توجه إلينا صباحاً.

﴿فأثرن به﴾ عطف على الفعل الذي دل عليه اسم الفاعل إذ المعنى واللاتي عدون فأورين فأغرن فأثرن به أي فهيجن في ذلك الوقت وأصله أثورن من الثور وهو الهيجان نقلت حركة الواو إلى الثاء قبلها وقلبت الواو ألفاً فصار أثارن فحذفت الألف لاجتماع الساكنين فبقي أثرن بوزن أفلن ويجوز أن يجعل الضمير لفعل الإغارة فالباء للسببية أو للملابسة **﴿نقعاً﴾** أي: غباراً وبالفارسية [پس دران وقت كرد انكيختند].

من نقع الصوت إذا ارتفع فالغبار سمي نقعاً لارتفاعه أو هو من النقع في الماء فكان صاحب الغبار خاض فيه كما يخوض الرجل في الماء وتخصيص أثارته بالصبح لأنه لا يثور ولا يظهر ثورانه بالليل وبهذا يظهر أن الإيراء الذي لا يظهر في النهار واقع في الليل ولله در شأن التنزيل قال سعدي المفتي: وإثارة النقع لأنهم يكونون حال الإغارة مختلفين يميناً وشمالاً وإماماً وخلفاً بحسب الكر والفر في المجاولة أثر المدبر الهارب والمصاولة مع المقبل المحارب فينشأ الغبار الكثير.

﴿فوسطن به﴾ أي توسطن في ذلك الوقت فوسط بمعنى توسط والباء ظرفية والتوسط [درميان چيزى شدن] أو توسطن ملتبسات بالنقع فالباء للملابسة ﴿جمعاً﴾ من جموع الأعداء أي: دخلن في وسطهم وهو مفعول به لوسطن والفاآت للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها فإن توسط الجمع مترتب على الإثارة المترتبة على الإغارة المترتبة على الإيراء المترتب على العدو.

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴿٦﴾﴾

﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ جواب القسم يقال كند النعمة كنودا كفر بها فالكنود بالضم كفران النعمة وبالفتح الكفور ومنه سمي كندة بالكسر وهو لقب ثور بن عفير أبي حي من اليمن لأنه كند أبوه النعمة ففارقه ولحق بأخواله وقال الكلبي: الكنود بلسان كندة العاصي وبلسان بني مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور والمراد بالإنسان بعض أفراده أي: إنه لنعمة ربه خصوصاً لكفور أي شديد الكفران فقوله ﴿لربه﴾ متعلق بكنود قدم عليه لإفادة التخصيص ومراعاة الفواصل، روي أن رسول الله ﷺ بعث إلى ناس من بني كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه، وكان أحد النقباء فأبطأ عليه ﷺ خبرها شهراً فقال المنافقون إنهم قتلوا فنزلت السورة إخباراً للنبي عليه السلام بسلامتها وإشارة له بإغارتها على القوم ونعيا على المرجفين في حقهم ما هم فيه من الكنود فاللام في العاديات إن كانت للعهد كان المقسم به خيل تلك السرية وإن كانت للجنس كان ذلك قسماً بكل خيل عدت في سبيل الله واتصفت بالصفات المذكورة وعلى التقديرين فهي مستحقة لأن يقسم بها لاتصافها بتلك الصفات الشريفة وفي تخصيص خيل الغزاة بالأقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه كأنه قيل وخيل الغزاة التي فعلت كيت وكيت وقد أرجف هؤلاء في حق أربابها ما أرجفوا إنهم مبالغون في الكفران وإذا كان شرف خيل الغزاة بهذه المرتبة حتى أقسم الله بها فما ظنك بشرف الغزاة وفضلهم عند الله تعالى وعنه عليه السلام: «الكنود هو الذي يضرب عبده ويأكل وحده ويمنع رفده» أي: عطاه فيكون بخيلاً، يقال كان ثلاثة نفر من العرب في عصر واحد أحدهم آية في السخاء وهو حاتم الطائي، والثاني آية في البخل وهو أبو حباحب وبخله أنه كان لا يوقد النار للخبز إلا إذا نام الناس فإذا انتبهوا أطفأ ناره لئلا ينتفع بها أحد والثالث آية في الطمع وهو أشعب بن جبير مولى مصعب بن الزبير بن العوام قرأ صبي في المكتب وعنده أشعب جالس إن أبي يدعوك فقام ولبس نعليه فقال الصبي أنا أقرأ حزبي وكان إذا رأى إنساناً يحك عنقه يظن أنه ينتزع قميصه ليدفعه إليه وكان إذا رأى دخاناً ارتفع من دار ظن أن أهلها تأتي بطعام وكان إذا رأى عروساً تزف إلى موضع جعل يكنس باب داره لكي تدخل داره قال ما رأيت أطمع مني إلا

كلباً تبعني على مضغ العلك فرسخاً وقال الحسن: لكنود أي لوام لربه يذكر المصيبات وينسى النعم، وقال أبو عبيدة: قليل الخير من الأرض الكنود التي لا تنبت شيئاً كأنه مقلوب النكد. وقال القاشاني: لكفور لربه باحتجابه بنعمه عنه ووقوفه معها وعدم استعماله لها فيما ينبغي ليتوصل بها إليه.

وفي «التأويلات النجمية»: لكنود بنعمة الوجود والصفات والأسماء لادعائها لنفسه بالاستقلال والاستبداد أو لعاص باستعمالها في غير محالها أو لبخيل لاختصاصها لنفسه وعدم إيثارها على الخلق بطريق الإرشاد.

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾﴾.

﴿وإنه على ذلك﴾ أي: الإنسان على كنوده **﴿لشهيد﴾** أي: يشهد على نفسه بالكنود لظهور أثره عليه فالشهادة بلسان الحال لا بلسان المقال ويحتمل أن يجعل من الشهود بمعنى أنه لكفور مع علمه بكفرانه والعمل السيىء مع العلم به غاية المذمة.

﴿وإنه لحب الخير﴾ أي: المال كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠] وإيثار الدنيا وطلبها وفي «الأسئلة المقحمة» فإن قلت: سمى الله جنس المال خيراً وعسى أن يكون خبيثاً وحراماً قلت: إنما سماه خيراً جرياً على العادة فإنهم كانوا يعدون المال خيراً فسماه الله خيراً جرياً على عادتهم كما سمى الجهاد سوءاً فقال: ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤] أي: قتال والقتال ليس بسوء ولكن ذكره جرياً على عادتهم **﴿لشديد﴾** أي قوي مطيق مجد في طلبه وتحصيله متهالك عليه وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس يقال هو شديد لهذا الأمر وقوى له إذا كان مطيقاً له ضابطاً أو الشديد البخيل الممسك يعني وإنه لأجل حب المال وثقل إنفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للإيماء إلى أن من جملة الأمور الداعية للمنافقين إلى النفاق حب المال لأنهم بما يظهرون من الإيمان يعصمون أموالهم ويجوزون من الغنائم نصيباً.

شيخ الإسلام قدس سره [فرموده كه اكرمال رادوست ميدارى بده تابازبتو دهند وبراي وارث منه كه داغ حسرت بردل تونهند].

مال همان به كه بياران دهى كر بدهى به كه بخا كش نهى
زرزپى منفعت است أي حكيم بهر نهادن چه سفال وچه سيم

﴿أفلا يعلم﴾ أي: أيفعل ما يفعل من القبائح أو ألا يلاحظ فلا يعلم في الدنيا أن الله مجازيه. **﴿إذا بعثر﴾** بعث وأخرج، وقد سبق في الانفطار فناصب إذا محذوف وهو مفعول يعلم لا يعلم لأن الإنسان لا يراد منه العلم في ذلك الوقت وإنما يراد منه ذلك في الدنيا **﴿ما في القبور﴾** من الموتى وإيراد ما لكونهم إذ ذاك بمعزل عن مرتبة العقلاء.

﴿وحصل﴾ أي: جمع في الصحف أي: أظهر محصلاً مجموعاً وأصل التحصيل إخراج المستور بآخر المغمور فيه وأخذه منه كإخراج اللب من القشر وإخراج الذهب من حجر المعدن والبر من التبن والدهن من اللبن ومن الدردي والجمع والإظهار من لوازمه ويجوز أن يكون المعنى ميز خيره من شره ومنه قيل للمنخل المحصل أي آلة التحصيل وتمييز الدقيق من النخالة

فإنه لا بد من التمييز بين الواجب والمندوب والمباح والمكروه المحظور فإن لكل واحد حكماً على حدة فتمييز البعض من البعض وتخصيص كل واحد منها بحكمه اللاحق هو التحصيل، وفي «القاموس»: التحصيل تمييز ما يحصل والحاصل من كل شيء ما بقي ونبت وذهب ما سواه. ﴿**ما في الصدور**﴾ من الأسرار الخفية التي من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصي فضلاً عن الأعمال الجلية فتخصيص أعمال القلب لأنه لولا البواعث والإرادات في القلوب لما حصلت أفعال الجوارح فالقلب أصل وأعمال الجوارح تابعة له ولذا قال تعالى: ﴿ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣] وقال عليه السلام: «يبعثون على نياتهم».

﴿**إن ربهم**﴾ أي: المبعوثين كنى عنهم بعد الإحياء الثاني بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم في الحالين فحين كانوا في القبور كانوا كجمادات بلا عقل ولا علم وإن كان لهم نوع حياة فيها بخلاف وقت الحشر. ﴿**بهم**﴾ بذواتهم وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها ﴿**يومئذٍ**﴾ أي يوم إذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور ﴿**لخبير**﴾ أي: عالم بظواهره وبواطنه علماً موجباً للجزاء متصلاً به كما ينبىء عنه تقييده بذلك اليوم وإلا فمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون قوله: ﴿**بهم**﴾ و﴿**يومئذٍ**﴾ متعلقان بخبير قدما عليه مراعاة للفواصل واللام غير مانعة من ذلك.

١٠١ ـ سورة القارعة

مكية وآيها عشر أو إحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦﴾.

﴿القارعة﴾ القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد ثم سميت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة والمراد بها ههنا القيامة التي مبدأها النفخة الأولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق سميت بها لأنها تقرع القلوب والأسماع بفنون الإفزاع والأهوال وتخرج جميع الأجرام العلوية والسفلية من حال إلى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار والأرض والجبال بالدك والنسف وهي مبتدأ خبره قوله: **﴿ما القارعة﴾** على أن ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ أي: رأى شيء عجيب هي في الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيداً للتهويل. **﴿وما أدراك ما القارعة﴾** ما في حيز الرفع على الابتداء وإدراك هو الخبر أي: وأي شيء أعلمك ما شأن القارعة فإن عظيم شأنها بحيث لا تكاد تناله دراية أحد حتى يدرك بها ولما كان هذا منبئاً عن الوعد الكريم بأعلامها أنجز ذلك بقوله:

﴿يوم يكون الناس﴾ أي: هي يوم يكون الناس على أن يوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لإضافته إلى الفعل وإن كان مضارعاً على ما هو رأي الكوفيين أو اذكر **﴿يوم﴾** .. الخ. فإنه يدريك ما هي **﴿كالفراش المبثوث﴾** جمع فراشة وهي التي تطير وتتهافت على السراج فتحترق وبالفارسية [پروانه].

والمبثوث المفرق وبه شبه فراشة القفل وهو ما ينشب فيه والمبثوث بالفاسية پراكنده.

والمعنى كالفراش المفرق في الكثرة والانتشار والعصف والذلة والاضطراب والتطاير إلى الداعي كتطاير الفراش إلى النار قال جرير في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير إلى الداعي كتطاير الفراش إلى النار قال جرير:

إن الفرزدق ما علمت وقومه ... مثل الفراش عشين نار المصطلى

وهذا دل على كثرة الفراش ولو في بعض المواضع فسقط ما قال سعدي المفتي فيه: إن الفراش لا يعرف بالكثرة بحيث يصلح أن يكون مشبهاً به لأهل المحشر فيها إلا أن يفسر بصغار الجراد أي: كالجراد المنتشر حين إرادة الطيران كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧] وفيه أن الفراش لم يفسر في اللغات بصغار الجراد، وقال ابن الشيخ: شبه الله الخلق وقت

البعث في هذه الآية بالفراش المبثوث وفي الآية الأخرى بالجراد المنتشر وجه التشبيه بالجراد هو الكثرة والاضطراب وبالفراش، المبثوث اختلاف جهات حركاتهم فإنهم إذا بعثوا فزعوا فيذهب كل واحد منهم إلى جهة غير جهة الآخر كالفراش فإنها إذا طارت لا تتجه إلى جهة واحدة بل تختلف جهاتها انتهى. وفيه إشارة إلى أن السالك الفاني يكون في الشهود الأحدي في الذلة وتفرق الوجهة كالفراش واحقر وأذل لأنه لا قدر ولا وقع له في عين الموحد.

﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ العهن الصوف المصبوغ ألواناً، والنفش نشر الشعر والصوف والقطن بالأصبع وخلخلة الأجزاء وتفريقها عن تراصها قال السجاوندي: شبه خفتها بعد رزانتها بالصوف وتلونها بالمصبوغ ومرها بالمندوف واختصاص العهن لألوان الجبال كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧] والمعنى وتكون الجبال كالصوف الملون بالألوان المختلفة المندوف في تفرق أجزائها وتطايرها في الجو وكلا الأمرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلائق يبدل الله الأرض غير الأرض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهي وإن اندكت عند النفخة الأولى ولكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية.

﴿فأما من ثقلت موازينه﴾ جمع الموزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله أو جمع ميزان وثقلها رجحانها لأن الحق ثقيل والباطل خفيف والجمع للتعظيم أو لأن لكل مكلف ميزاناً أو لاختلاف الموزونات وكثرتها قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه إلا الأعمال ليبين الله أمر العباد بما عهدوه فيما بينهم قالوا: توضع فيه صحف الأعمال إظهاراً للمعدلة وقطعاً للمعذرة أو تبرز الأعمال العرضية بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح، يعني: يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور سيئة فتوضع في الميزان أي: فمن ترجحت مقادير حسناته.

﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾.

﴿فهو في عيشة راضية﴾ من قبيل الإسناد إلى السبب لأن العيش سبب الرضى من منعم العيش وقال بعضهم: راضية أي: راض صاحبها عنها وبالفارسية [درزندكاني باشدپسنديده].

وقد سبق في الحاقة، وفي «التأويلات النجمية»: فأما من ثقلت له موزونات الأوصاف الإلهية والأخلاق اللاهوتية فهو في راحة واستراحة من نتائج تلك الأوصاف والأخلاق.

﴿وأما من خفت موازينه﴾ بأن لم يكن له حسنة يعتد بها أو ترجحت سيئاته على حسناته وعن ابن مسعود رضي الله عنه: يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار.

﴿فأمه﴾ أي مأواه ﴿هاوية﴾ هي من أسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها روي أن أهل النار يهوي فيها سبعين خريفاً.

وقال الكاشفي: [وآن دركهء باشذد زير ترين همه دركها] وعبر عن المأوى بالأم لأن أهلها يأوون إليها كما يأوي الولد إلى أمه وفيه تهكم به أو لأنها تحيط به إحاطة رحم الأم

بالولد أو لأن الأم هي الأصل والكافر خلق من النار وكل شيء يرجع إلى أصله وهو اللائح وفي «الكشاف» من قولهم إذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت أمه لأنه إذا هوى أي: سقط وهلك فقد هوت أمه ثكلاً وحزناً فكأنه قيل فقد هلك وعن قتادة فأم رأسه هاوية في جهنم لأنه يطرح فيها منكوساً وأم الرأس الدماغ أو الجلدة الرقيقة التي عليها.

وفي «التأويلات النجمية»: وأما من خفت موازينه بالأخلاق السيئة والأوصاف القبيحة الخبيثة فأصله المجبول عليه هاوية الحجاب من الأزل إلى الأبد وهي نار حامية بنار الجهل والعمى وحطب النفس والهوى ونفخ الشيطان والدنيا، وفي لفظ الثقل والخفة إشارة إلى أن السعداء والأشقياء مشتركون في فعل السيئة وإن كانت في الفريق الأول مرجوحة قليلة وفي الثاني راجحة كثيرة ولا يرتفع هذا الابتلاء ولذا قال عليه السلام: لعلي رضي الله عنه: «يا علي إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة» وذلك لما إنه مقتضى الاسم الغفور.

اعلم أن ميزان الحق بخلاف ميزان الخلق؛ إذ صعود الموزونات وارتفاعها فيه هو الثقل وهبطها وانحطاطها هو الخفة لأن ميزانه تعالى هو العدل والموزونات الثقيلة، أي: المعتبرة الراجحة عند الله التي لها قدر ووزن عنده هي الباقيات الصالحات والخفيفة التي لا اعتبار لها عند الله هي الفانيات الفاسدات من اللذات الحسية والشهوات وفي الهاوية إشارة إلى هاوية الطبيعة الجسمانية التي يهوي فيها أهلها وفي الحقيقة الموزونات هي الاستعدادات الغيبية والقابليات العلمية الأزلية المسواة كفتاها بكف اليد اليمنى وبكف اليد اليسرى.

﴿وما أدراك ماهيه﴾ [وچه چيزى دانا كرد تراكه چيشت هاوية].

فهي للهاوية والهاء للسكت والاستراحة والوقف وإذا وصل القارىء حذفها وقيل حقه أن لا يدرج لئلا يسقطها الإدراج لأنها ثابتة في المصحف وقد أجيزا ثباتها مع الوصل، قال أبو الليث قرأ حمزة والكسائي بغير هاء في الوصل وبالهاء عند الوقف والباقون بإثباتها في الوصل والوقف وقد سبق مفصلاً في الحاقة وفيه إشعار بخروجها عن الحدود المعهودة فلا يدريها أحد ثم أعلمها بقوله. ﴿نار حامية﴾ متناهية في الحر، وبالفارسية [آتشى بغايت رسيده درسوزش].

يقال حمى الشمس والنار حماً وحمياً وحموا اشتد حرهما وقد سبق.

١٠٢ ـ سورة التكاثر

مختلف فيها وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾.

﴿**ألهاكم التكاثر**﴾ اللهو وما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه ويقال لهوت بكذا ولهوت عن كذا أي: اشتغلت عنه بلهو ويعبر به عن كل ما به استمتاع ويقال: ألهي عن كذا أي: شغل عما هو أهم والتكاثر التباري في الكثرة والتباهي بها وأن يقول هؤلاء نحن أكثر وهؤلاء نحن أكثر والمعنى شغلكم التغالب في الكثرة والتفاخر بها وبالفارسية [مشغول كرد شمارا فخر كردن به بسيارىء قوم].

قال ابن الشيخ: الإلهاء الصرف إلى اللهو والعبث والتكاثر إذا صرف العبد إلى اللهو يكون العبد منصرفاً إليه ومعلوم أن الانصراف إلى الشيء يقتضي الإعراض عن غيره فتفسير ألهاكم كذا بشغلكم تفسير له بما يلزم أصل معناه إلا أنه صار حقيقة عرفية فيه بالغلبة وحذف الملهي عنه أي: الذي إلهي عنه وهو ما يعنيهم من أمر الدين للتعظيم والمبالغة أما الأول فلان الحذف كالتنكير قد يجعل ذريعه إلى التعظيم لاشتراكهما في الإبهام.

وأما الثاني: فلان تذهب النفس كل مذهب ممكن فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام مثل ألهاكم التكاثر عن ذكر الله وعن الواجبات والمندوبات مما يتعلق بالقلب كالعلم والتفكر والاعتبار أو بالجوارح كأنواع الطاعات وتعريف التكاثر للعهد والعهد المذموم هو التكاثر في الأمور الدنيوية الفانية كالتفاخر بالمال والجاه والأعوان والأقرباء، وأما التفاخر بالأمور الأخروية الباقية فممدوح كالتفاخر بالعلم والعمل والأخلاق والصحة والقوة والغنى والجمال وحسن الصوت إذا كان بطريق تحديث النعمة من ذلك تفاخر العباس رضي الله عنه بأن السقاية بيده وتفاخر شيبة بأن مفتاح البيت بيده إلى أن قال علي رضي الله عنه: وأنا قطعت خرطوم الكفر بسيفي فصار الكفر مثلة والتكاثر مكاثرة اثنين مالاً أو عدداً بأن يقول كل منهما لصاحبه أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً، والمراد هنا هو التكاثر في العدد لأنه روي أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسعادة والإشراف في الإسلام، فقال كل من الفريقين: نحن أكثر منكم سيداً وأعظم نفراً فكثرهم بنو بعد مناف أي غلبهم بالكثرة فقال بنو أسهم إن البغي أفنانا في الجاهلية فعادونا بالأحياء والأموات.

قال الكاشفي: [بكورستان رفتند وكورها بر شمردندكه اين قبر فلان واين قبر فلان قبور أشراف قبيلهء خود شمردند].

فكثرهم بنو سهم يعني [سه خاندان بني سهم زيادة آمد بربني عبد مناف برين نسق بر يكديكر تطاول نمودند وتفاخر كردند].

والمعنى أنكم تكاثرتم بالإحياء ﴿حتى زرتم المقابر﴾ أي: حتى استوعبتم عددهم وصرتم إلى التفاخر والتكاثر بالأموات وبالفارسية تاحدى آمديد بكورستانها ومرد كانرا شماره كرديد.

فعبر عن انتقالهم إلى ذكر الموتى بزيارة القبور أي جعلت كناية عنه تهكماً بهم قال الطيبي: إنما كان تهكماً لأن زيارة القبور شرعت لتذكر الموت ورفض حب الدنيا وترك المباهاة والتفاخر وهؤلاء عكسوا حيث جعلوا زيارة القبور سبباً لمزيد القسوة والاستغراق في حب الدنيا والتفاخر في الكثرة وهذا خبر فيه تفريع وتوبيخ والغاية تدخل تحت المغيا في هذا الوجه وقيل المعنى ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى إن متم وقبرتم مضيعين أعماركم في طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعي لأخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت والتكاثر هو التكاثر بالمال والولد كما روي أنه عليه السلام، سمع إنه يقرأ هذه الآية ويقول بعدها: «يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت» وفيه إشارة إلى أنهم يبعثون فإن الزائر منصرف لا مقيم وقرأها عمر بن عبد العزيز قال: ما أرى المقابر إلا زيارة ولا بد لمن زار أن يرجع إلى بيته إما إلى الجنة أو إلى النار، وفيه تحذير عن الدنيا وترغيب في الآخرة والاستعداد للموت.

روزي كه اجل كند شبيخون البته بيايد از جهان رفت
كردل نبود أسير دنيا آسان ره آن جهان توان رفت

﴿كلا﴾ ردع عما هم فيه من التكاثر أي ليس الأمر كما يتوهم هؤلاء من فضل الإنسان وسعادته بكثرة أعوانه وقبائله وأمواله أي ارتدعوا عن هذا وتنبهوا من الخطأ فيه وتنبيه على أن العاقل ينبغي أن لا يكون معظم همه مقصوراً على الدنيا فإن عاقبة ذلك وبال وحسرة. ﴿سوف تعلمون﴾ أي: سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدامكم من هول المحشر فالعلم بمعنى المعرفة، ولذا قدر له مفعول واحد وهو إنذار وتخويف ليخافوا وينتهبوا من غفلتهم قال الحسن رحمه الله. لا يغرنك كثرة من ترى حولك فإنك تموت وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك.

﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ تأكيد لتكرير الردع والإنذار وفي ثم دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول لأن فيه تأكيداً خلا عنه الأول لأن فيه تنزيلاً لبعد المرتبة منزلة بعد الزمان واستعمالاً للفظ ثم في مجرد التدرج في درج الارتقاء كما تقول للمنصوح: أقول لك ثم أقول لك لا تفعل أو الأول عند الموت في وقت ما بشر به المحتضر من جنة أو نار أوفي القبر حين سؤال منكر ونكير من ربك وما دينك ومن نبيك، والثاني عند النشور حين ينادي المنادي شقي فلان شقاوة لا سعادة بعدها وحين يقال وامتازوا اليوم أيها المجرمون فعلى هذا لا تكرير في الآية لحصول التغاير بينهما بتغاير زماني العلمين وبتعلقيهما فإنه يلقى في كل واحد من الزمانين نوعاً آخر من العذاب وثم على بابها من المهلة لتباعد ما بين الموت والنشور وكذا ما بين القبور والنشور وعن علي رضي الله عنه مازلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت السورة إلى قوله

تعالى: ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ أي: سوف تعلمون في القبر ثم في القيامة وفي الحديث يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنيناً تنهشه وتلذعه حتى تقوم الساعة لو أن تنينا منها نفخ في الأرض ما أنبتت خضراء.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾.

﴿كلا﴾ تكرير للتنبيه تأكيداً ﴿لو تعلمون علم اليقين﴾ جواب لو محذوف للتهويل فإنه إذا حذف الجواب يذهب الوهم كل مذهب ممكن والعلم مصدر أضيف إلى مفعوله وانتصابه بنزع الخافض واليقين صفة لموصوف محذوف والمعنى لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين أي: لو علمتم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتب ولكنكم ضلال جهلة فاليقين بمعنى المتيقن به كمال التيقن حتى كأنه عين اليقين وإلا فيلزم إضافة أحد المترادفين إلى الآخر إذ العلم في اللغة بمعنى اليقين وقد يجعل العلم من إضافة العام إلى الخاص بناء على أن اليقين أخص من العلم فإن العلم قد يعم الظن واليقين فتكون إضافته كإضافة بلد بغداد ويدل عليه قولهم العلم اليقين بالوصف.

﴿لترون الجحيم﴾ جواب قسم مضمر أكد به الوعيد حيث إن ما أوعدوا به مما لا مدخل فيه للريب وشدد به التهديد وأوضح به ما أنذروه بعد إبهامه تفخيماً ولا يجوز أن يكون جواب لو لأن رؤية الجحيم محققة الوقوع وليست بمعلقة فلو جعل جواب لو لكان المعنى إنكم لا ترونها لكونكم جهالاً وهو غير صحيح وقال بعضهم: يصح أن يكون جواباً فيكون المعنى سوف تعلمون الجزاء ثم قال لو تعلمون الجزاء علم اليقين الآن لترون الجحيم يعني يكون الجحيم دائماً في نظركم لا يغيب عنكم أصلاً.

﴿ثم لترونها﴾ تكرير للتأكيد أو الأولى إذا رأوها من كان بعيد ببعض خواصها وأحوالها مثل رؤية لهبها ودخانها والثانية إذا أوردوها فإن معاينة نفس الحفرة وما فيها من الحيوانات المؤذية وكيفية السقوط فيها أجلى وأكشف من الرؤية الأولى فعلى هذا يتنازع الفعلان في عين اليقين، أو المراد بالأول المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة. ﴿عين اليقين﴾ أي: الرؤية التي هي نفس اليقين فإن علم المشاهدة للمحسوسات أقصى مراتب اليقين فلا يرد أن أعلى اليقينيات الأوليات وإنما قيد الرؤية بعين اليقين احترازاً عن رؤية فيها غلط الحس فانتصاب عين اليقين على إنه صفة المصدر لترونها وجعل الرؤية التي هي سبب اليقين نفس اليقين مبالغة.

﴿ثم لتسألن يومئذٍ عن النعيم﴾ قال في «التيسير»: كلمة ثم للترتيب في الإخبار لا في الوجود فإن السؤال بأنك أشكرت في تلك النعمة أم كفرت يكون في موقف الحساب قبل دخول النار والمعنى ثم لتسألن يوم رؤية الجحيم وورودها عن النعيم الذي ألهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فتعذبون على ترك الشكر، فإن الخطاب في لتسألن مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش إلا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرف لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل على نفسه مشاقهما فإن من تمتع بنعمة الله وتقوى بها على طاعته وكان ناهضاً بالشكر فهو من ذلك بمنزل بعيد، وإليه أشار رسول الله ﷺ فيما أكل هو وأصحابه تمراً وشربوا ماء فقال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا» كما في «الكشاف» فدخلت

في الآية كفار مكة ومن لحق بهم في وصفهم من فسقة المؤمنين وقيل الآية مخصوصة بالكفار وقال بعضهم: المراد بالنعيم هو الصحة والفراغ وفي الحديث: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» وفي هذا الحديث دلالة على عظم محل هاتين النعمتين وجلالة خطرهما، وذلك لأن بهما يستدرك مصالح الدنيا ويكتسب درجات الآخرة فإن الصحة تنبىء عن اجتماع القوى الذاتية والفراغ يدل على انتظام الأسباب الخارجة المنفصلة ولا قدرة على تمهيد مصلحة من مصالح الدنيا والآخرة إلا بهذين الأمرين، ثم سائر النعم يعد من توابعهما، وقد قال معاوية بن قرة: شدة الحساب القيامة على الصحيح الفارغ يقال له كيف أديت شكرهما وعن الحسن رحمه الله: ما سوى كن يؤويه وثوب يواريه وكسرة تقويه يسأل عنه ويحاسب عليه، وقال بعض السلف: من أكل فسمى وفرغ فحمد لم يسأل عن نعيم ذلك الطعام، وقال رجل للحسن رحمه الله: إن لنا جاراً لا يأكل الفالوذج ويقول لا أقوم بشكره فقال ما أجهل جاركم نعمة الله عليه بالماء البارد أكثر من نعمته بجميع الحلاوي ولذلك قال عليه السلام: «أول ما يسأل العبد عنه من النعيم ألم نصح جسمك ونروك من الماء البارد» وفي «عين المعاني» عن النعم الخمس شبع البطون وبرد الشراب ولذة النوم وظلال المساكن واعتدال الخلق وقال ابن كعب: النعيم ذات محمد ﷺ إذ هو الرحمة والنعمة بالآيتين وهما قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

[وهمه را ازدعوت وملت واتباع سنت أو خواهند پرسيد].

چه نعمتيست بزرك ازخداكه برثقلين　　سپس داریٔ اين نعمت است فرض العين

يقول الفقير: النعيم إما نعيم جسماني وشكره بمحافظة أحكام الشريعة وإما نعيم روحاني وشكره بمراعاة آداب الطريقة فإنه لما ازدادت المحافظة والمراعاة ازداد النعيم كما قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] وما من عضو من الأعضاء وقوة من القوى إلا وهي مطلوبة بنوع شكر ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] على أن عالم الصفات والأسماء كلها عالم النعيم وفقنا الله وإياكم لشكر النعيم إنه هو البر الرحيم، وفي الحديث: ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية في كل يوم قال: أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ﴿ألهاكم التكاثر﴾ مرة» على ما قال السيوطي رحمه الله في «الإتقان»: إن القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية فإذا تركنا زيادة الآلاف كان الألف سدس القرآن وهذه السورة تشتمل على سدس مقاصد القرآن فإنها على ما ذكره الغزالي رحمه الله، ثلاثة مقاصد مهمة وثلاثة متمة واحد المقاصد المهمة معرفة الآخرة المشتمل عليها السورة والتعبير عن هذا المعنى بألف آية افهم وأجل وأصح من التعبير بالسدس انتهى.

يقول الفقير: هذا منتقض بسورة الزلزلة فإنها أيضاً تشتمل على أحكام الآخرة ومعرفتها وقد سبق أنها تعدل نصف القرآن أو ربعه والظاهر أن المراد بالألف التكثير لأن أول السورة مما ينبىء عنه ومن الله التوفيق والإرشاد.

١٠٣ ـ سورة العصر

ثلاث آيات مكية أو مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾.

﴿والعصر﴾ أقسم سبحانه بصلاة العصر فإنه كثيراً ما يطلق العصر ويراد صلاته وذلك لفضلها الباهر لكونها وسطى لتوسطها بين الشفع الذي هو صلاة الظهر وبين الوتر النهاري الذي هو صلاة المغرب فإنها لما توسطت بين الطرفين اتصفت بالوصفين وظهرت بالحكمين وتحققت بالكمالين كما هو حكم البرازخ فحصل لها من القدر ما لم يكن لكل واحد من الطرفين وأيضاً إن أوقات أوائل الصلوات الأربع محدودة إلا العصر، يعني أن أول صلاة العصر غير محدود بالحد المحقق ففيه سر التنزيه عن التقييد بالحدود ولذا شرع التكبير في الصلاة لأن الله تعالى منزه عن التقييد بأوضاع الصلاة وحركات المصلي قال بعض الكبار: صلاة العصر بركعاتها الأربع إشارة إلى التعينات الأربعة الذاتية والإسمائية والصفاتية والإفعالية في مرتبة الجمال الكوني بالفعل كما أن الظهر إشارة إليها في مرتبة الجمال الإلهي بالفعل ولا شك أن الإنسان كون جامع ففي العصر إشارة إليه، وفي الحديث: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله» أي: نقص أي ليكن من فوتها حذراً كما يحذر من ذهاب أهله وماله وسر الوعيد أن التكليف في أداء صلاة العصر أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم واشتغالهم بمعايشهم آخر النهار لبرد الهواء حينئذٍ لا سيما في أرض الحجاز، فالكسب الحاصل في ذلك الوقت مع السهو عن الصلاة في حكم الخسران وسبب للخذلان.

حكي أن امرأة كانت تصيح في سكك المدينة وتقول دلوني على النبي عليه السلام فرآها رسول الله ﷺ فسألها ماذا حدث؟ قالت: يا رسول الله إن زوجي غاب عني فزنيت فجاءني ولد من الزنى فألقيت الولد في دن من الخل حتى مات ثم بعنا ذلك الخل فهل لي من توبة فقال عليه السلام: أما الزنى فعليك الرجم بسببه وأما القتل فجزاؤه جهنم وأما بيع الخل فقد ارتكبت به كبيرة لكن ظننت إنك تركت صلاة العصر» ويقال: إن الله تعالى أقسم بوقت العصر نفسه كما أقسم بالفجر فقد خلق فيه أصل البشر آدم عليه السلام فكان له شرف زائد على غيره ويقال أقسم بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب كما أقسم بالضحى لما فيها جميعاً من دلائل القدرة، ويقال: أقسم بعصر النبوة الذي مقداره فيما مضى من الزمان مقدار وقت العصر من النهار وهو زمان بعثته إلى انقراض أمته في آخر الزمان وهو ألف سنة كما قال عليه السلام: «إن استقامت أمتي فلها يوم، وإن لم تستقم فلها نصف يوم» وفضل هذا العصر على سائر الأعصار

ظاهر لأنه عصر خير الأنبياء والمرسلين وعصر خير الأمم وخير الكتب الإلهية وفيه ظهر تمام الكمالات تفصيلاً، ويقال: أقسم بالدهر لانطوائه على أعاجيب الأمور القارة والمارة وللتعريض بنفي ما يضاف إليه من الخسران فإن الإنسان يضيف المكاره والنوائب إليه ويحيل شقاوته وخسرانه عليه والأقسام بالشيء إعظام له وما يضاف إليه الخسران لا يعظم عادة، وقد قال عليه السلام: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» فأقسم الله بالدهر لأنه بالنسبة إلى الفهم العام محل شهود الآيات الإلهية كالليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وغيرها وبالنسبة إلى الفهم الخاص مظهر التجليات الإلهية لظهوره تعالى بصفته وأفعاله في مظهره فلما كان العصر جامعاً لجميع الآيات التي أقسم الله بها في القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢﴾ [الفجر: ١ ـ ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ [الشمس: ١ ـ ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ [الليل: ١ ـ ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى: ١ ـ ٢] ختم الله بقسم العصر أقسام جميع القسم.

وفي «التأويلات النجمية»: أقسم الله بكمال دوام الزمان واستمراره لاشتماله على ولاية النبي عليه السلام ونبوته ورسالته وخلافته لقوله: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» أي بين ماء العلم وطين المعلوم ولقوله: «نحن الآخرون السابقون» ولقوله حكاية عن الله سبحانه: «لولاك لما خلقت الأفلاك» ولقوله: «أنا من الله والمؤمنون مني» ويقوي هذه الأحاديث، قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] **﴿إن الإنسان﴾** التعريف للجنس يعني الاستغراق بدلالة صحة الاستثناء من الإنسان فإن صحة الاستثناء من جملة أدلة العموم والاستغراق **﴿لفي خسر﴾** الخسر والخسران معناه النقصان وذهاب رأس المال في حق جنس الإنسان هو نفسه وعمره والتنكير للتفخيم أي لفي خسران عظيم لا يعلم كنهه إلا الله في متاجرهم وصرف أعمارهم في مباغيهم يعني [هر آينه در زيبند بصرف أعمار در مطالب ناپايدار].

مده به بيهده نقد عزيز عمر بدست.

كه پس زيان كنى ومرترا ندارد بود.

والذنب يعظم إما لعظم من في حقه الذنب أو لأنه في مقابلة النعمة العظيمة وكلا الوجهين حاصل في ذنب العبد في حق ربه فلا جرم كان ذلك الذنب في غاية العظيم ويجوز أن يكون التنوين للتنويع أي: نوع من الخسران غير ما يتعارفه الناس.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾

﴿إلا الذين آمنوا﴾ بالله الإيمان العلمي اليقيني وعرفوا أن لا مؤثر بالحقيقة إلا الله وبرزوا عن حجاب الدهر. **﴿وعملوا الصالحات﴾** أي: اكتسبوا الفضائل والخيرات الباقية فربحوا بزيادة النور الكمال على النور الاستعدادي الذي هو رأس مالهم فإنهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الخسيس واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيا لها من صفقة ما أربحها وهذا بيان لتكميلهم لأنفسهم واستدل بعض الطوائف بالآية على أن مرتكب الكبيرة مخلد لأنه لم يستثن من الخسران **﴿إلا الذين آمنوا﴾** .. الخ والتفصي منه أن غير المستثنى في خسر لا محالة إما بالخلود إن مات كافراً وإما بالدخول في النار إن مات عاصياً لم يغفر له وإما بفوات الدرجات العالية إن غفر **﴿وتواصوا بالحق﴾** .. إلخ بيان

لتكميلهم لغيرهم أي وصى بعضهم بعضاً بالأمر الثابت الذي لا سبيل إلى إنكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الإيمان بالله واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل ﴿وتواصوا بالصبر﴾ أي: عن المعاصي التي تشتاق إليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التي يشق عليها أداؤها وعلى ما يبلو الله به عباده وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق لإبراز كمال الاعتناء به أو لأن الأول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما يرضى به الله تعالى والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضى بما فعل الله فإن المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تشوق إليه من فعل أو ترك بل هو تلقي ما ورد منه تعالى بالجميل والرضى به ظاهراً وباطناً ولعله سبحانه إنما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود فإن المقصود بيان ما فيه الفوز بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية وإشعاراً بأن ما عدا ما عد يؤدي إلى خسر ونقص حظ أو تكرماً فإن الإبهام في جانب الخسر كرم لأنه ترك تعداد مثاليهم والإعراض عن مواجهتهم به وروي عنه عليه السلام أنه قال: «أقسم ربكم بآخر النهار أن أبا جهل لفي خسر إلا الذين آمنوا» أي: أبا بكر رضي الله عنه وعملوا الصالحات: أي عمر رضي الله عنه وتواصوا بالحق أي: عثمان رضي الله عنه وتواصوا بالصبر أي: علياً رضي الله عنه فسرها بذلك علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم، على المنبر فيكون تكرير وتواصوا لاختلاف الفاعلين وأما على الأول فلاختلاف المفعولين وهما قوله بالحق وبالصبر روي عن الشافعي رحمه الله: أنها سورة لو لم ينزل إلى الناس إلا هي لكفتهم وهو معنى قول غيره إنها شملت جميع علوم القرآن.

تمت سورة العصر في خامس جمادى الأولى
من سنة سبع عشرة ومائة وألف

١٠٤ ـ سورة الهمزة

تسع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾.

﴿**ويل**﴾ بالفارسية بمنى [واي]. وهو مبتدأ وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لأنه دعاء عليهم بالهلكة أو بشدة الشر خبره قوله: ﴿**لكل همزة لمزة**﴾ الهمز الكسر واللمز الطعن شاعاً في الكسر من إعراض الناس والطعن فيهم وفي «القاموس»: الهامز والهمزة الغماز واللمزة العياب للناس أو الذي يعيبك في وجهك والهمزة من يعيبك في الغيب انتهى.. وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال: ضحكة ولعنة إلا للمكثير المتعود وفي «أدب الكاتب»: لابن قتيبة: فعلة بسكون العين من صفات المفعول وفعلة بفتح العين من صفات الفاعل يقال رجل هزءة للذي يهزأ به وهزأة لمن يهزأ بالناس وعلى هذا القياس لعنة ولعنة ولمزة ولمزة وغيرها ونزولها في الأخنس بن شريق أو في الوليد بن المغيرة فإن كلاً منهما كان يغتاب رسول الله عليه السلام، والأصح العموم لقوله تعالى: «لكل ولم يقل للهمزة واللمزة» كما قرأ عبد الله كما في «عين المعاني» وفي الحديث: «المؤمن كيس فطن حذر وقاف متثبت لا يعجل عالم ورع والمنافق همزة لمزة حطمة كحاطب ليل لا يدري من أين اكتسب وفيم أنفق». قال القاشاني: الهمز واللمز رذيلتان مركبتان من الجهل والغضب والكبر لأنهما يتضمنان الأذية وطلب الترفع على الناس وصاحبهما يريد أن يتفضل على الناس ولا يجد في نفسه فضيلة يترفع بها فينسب العيب والرذيلة إليهم ليظهر فضله عليهم ولا يشعر أن ذلك عين الرذيلة وإن عدم الرذيلة ليس بفضيلة فهو مخدوع من نفسه وشيطانه موصوف برذيلتي القوة النطقية والغضبية ﴿**الذي جمع مالاً**﴾ بدل من كل كأنه قيل: ويل للذي جمع مالاً وإنما وصفه الله بهذا الوصف المعنوي لأنه يجري مجرى السبب للهمزة واللمزة من حيث إنه أعجب بنفسه مما جمع من المال وظن أن كثرة المال سبب لعز المرء وفضله فلذا استنقص غيره وإنما لم يجعل وصفاً نحوياً لكل لأنه نكرة لا يصح توصيفها بالموصولات وتنكير مالاً للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى: ﴿**وعدده**﴾ أي: عده مرة بعد أخرى من غير أن يؤدي حق الله منه ويؤيد أنه من العد وهو الإحصاء لا من العدة أنه قرىء وعدده بفك الإدغام على أنه فعل ماض بمعنى أحصاه وضبط عدده وقيل معنى عدده جعله عدة وذخيرة لنوائب الدهر وكان للأخنس المذكور أربعة آلاف دينارا وعشرة آلاف ثم في الجمع إشارة إلى القوة الشهوانية وفي عدده إلى الجهل لأن الذي جعل المال عدة للنوائب لا يعلم أن نفس ذلك المال هو الذي يجر إليه النوائب لاقتضاء حكمة

الله تفريقه بالنائبات فكيف يدفعها.

وفي «التأويلات النجمية»: جمع مال الأخلاق الذميمة والأوصاف الرديئة وجعله عدة منازل الآخرة والدخول على الله.

﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ إظهار المال لزيادة التقرير أي: يعمل من تشييد البنيان وإيثاقه بالصخر والآجر وغرس الأشجار وكري الأنهار عمل من يظن أنه لا يموت بل ماله يبقيه حياً فالحسبان ليس بحقيقي بل محمول على التمثيل. وقال أبو بكر بن طاهر رحمه الله: يظن أنه ماله يوصله إلى مقام الخلد وإنما قال أخلده ولم يقل يخلده لأن المراد أن هذا الإنسان يحسب أن المال قد ضمن له الخلود وأعطاه الأمان من الموت فكأنه حكم قد فرغ منه ولذلك ذكره بلفظ الماضي قال الحسن رحمه الله: ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه كالموت ونعم ما قال:

﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾﴾

﴿كلا﴾ ردع له عن ذلك الحسبان الباطل يعني [نه چنانست كه آدمى پندارد] وقال بعضهم: الأظهر أنه ردع له على الهمز واللمز ﴿لينبذن﴾ جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعلة الردع أي: والله ليطرحن ذلك الذي يحسب وقوع الممتنع بسبب تعاطيه للأفعال المذكورة وقال بعضهم: ولك أن ترد الضمير إلى كل من الهمزة واللمزة ويؤيده قراءة لينبذان على التثنية. ﴿في الحطمة﴾ أي: في النار التي شأنها أن تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما أن شأنه كسر بأعراض الناس وجمع المال قال بعضهم: قولهم إن فعلة بفتح العين للمكثير المتعود ينتقض الحطمة فإنها أطلقت على النار وليس الحطم عادتها بل طبيعتها وجوابه أن كونه طبيعياً لا ينافي كونه عادة إذ العادة على ما في «القاموس» الديدن والشأن والخاصية وهو يعم الطبيعي وغيره ومنه يعلم أن النبذ في الحطمة كان جزاء وفاقاً لأشمالهم فإنه لما كان الهمز واللمز عادتهم كان الحطم أيضاً عادة فقوبل صيغة فعلة بفعلة وكذا ظنوا أنفسهم أهل الكرامة والكثرة فعبر عن جزائهم بالنبذ المنبيء عن الاستحقار والاستقلال يعني شبههم استحقاراً لهم واستقلالاً بعددهم بحصيات أخذهن أحد في كفه فطرحهن في البحر وفيه إشارة إلى الإسقاط عن مرتبة الفطرة إلى مرتبة الطبيعة الغالبة.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾.

﴿وما أدراك ما الحطمة﴾ تهويل لأمرها ببيان أنها ليست من الأمور التي تنالها عقول الخلق، والمعنى بالفارسية [وچه چيز دانا كرد تراتا داني چيست حطمه] ﴿نار الله﴾ أي هي نار الله. ﴿الموقدة﴾ [أفروخته شد].

بأمر وقدرة أو جل جلاله وما أوقد وأشعل بأمره لا يقدر أن يطفئه غيره فإضافة النار إليه تعالى لتفخيمها والدلالة على أنها ليست كسائر النيران، وفي الحديث: «أوقد عليها ألف سنة حتى أحمرت ثم ألف سنة حتى ابيضت ثم ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة» وعن علي رضي الله عنه عجباً ممن يعصي الله على وجه الأرض والنار تسعر من تحته.

﴿التي تطلع على الأفئدة﴾ أي: تعلو أوساط القلوب وتغشاها فإن الفؤاد وسط القلب

ومتصل بالروح يعني أن تلك النار تحطم العظام وتأكل اللحوم فتدخل في أجواف أهل الشهوات وتصل إلى صدورهم وتستولي على أفئدتهم إلا أنها لا تحرقها بالكلية إذ لو احترقت لماتت أصحابها ثم إن الله تعالى يعيد لحومهم وعظامهم مرة أخرى وتخصيصها بالذكر لما أن الفؤاد ألطف ما في الجسد وأشد تألماً بأدنى أذى يمسه أو لأنه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الأعمال السيئة فإطلاعها على الأفئدة التي هي خزانة الجسد ومحل ودائعه يستلزم الإطلاع على جميع الجسد بطريق الأولى.

صاحب «كشف الأسرار»: [فرموده كه آتشى كه بدل راه يا بد عجبست حسين منصور قدس سره فرموده كه هفتادسال آتش نار الله الموقدة در باطن مازدند ناتمام سوخته شدنا كاهشررى از مقدحهٔ أنا الحق بون جست ودران سوخته افتاد سخوته بايدكه از سوزش ما خبر دهد، أي شمع بياتاً من وتوزار بكرييم كاحوال دل سوخته هم سوخته داند].

﴿**إنها عليهم مؤصدة**﴾ أي: أن من تلك النار الموصوفة مطبقة أبوابها عليهم تأكيداً ليأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الأبد من أوصدت الباب وأصدته أي: أطبقته وقد سبق في سورة البلد ﴿**في عمد**﴾ جمع عمود كما في «القاموس»، أي حال كونهم موثقين في أعمدة ﴿**ممددة**﴾ من التمديد بالفارسية [كشيدن].

أي ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص أي يلقون فيها على أحد قطريهم والقطر الجانب والمقطرة الخشبة التي يجعل فيها أرجل اللصوص والشطار يعني خشبة فيها خروق تدخل فيها أرجل المحبوس كيلاً يهربوا فقوله في عمد حال من الضمير المجرور في عليهم أو صفة لمؤصدة قاله أبو البقاء أي: كائنة في عمد ممددة بأن تؤصد عليهم الأبواب وتمد على الأبواب العمد المطولة التي هي أرسخ من القصيرة استيثاقاً في استيثاق لا يدخلها روح ولا يخرج منها غم وفيه إشارة إلى إيثاقهم وربطهم في عمد أخلاقهم وأوصافهم وأعمالهم ومدهم في أرض الذل والهوان والخسران لأن أهل الحجاب لا عز لهم نسأل الله تعالى أن لا يذلنا بالاحتجاب إنه الوهاب.

١٠٥ ـ سورة الفيل

خمس آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾.

﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والهمزة لتقرير رؤيته بإنكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية؛ لأن النبي عليه السلام ولد عام الفيل ولم يرهم، والمراد بأصحاب الفيل أبرهة وقومه وبالفيل هو الفيل الأعظم الذي اسمه محمود وكنيته أبو العباس كما سيجيء، ونسبوا إليه لأنه كان مقدمهم، والمعنى ألم تعلم علماً رصيناً متاخماً للمشاهدة والعيان باستماع الأخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله تعالى لا بنفسه بأن يقال: «ألم تر ما فعل ربك».. الخ لتهويل الحادثة والإيذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئات عجيبة دالة على عظم قدرة الله وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله فإن ذلك من الإرهاصات، والإرهاص أن يتقدم على دعوى النبوة ما يشبه المعجزة تأسيساً لها ومقدمة كإظلال الغمام له عليه السلام، وتكلم الحجر والمدر معه.

قال بعضهم: الإرهاص الترصد سميت الأمور الغريبة التي وقعت للنبي عليه السلام إرهاصات؛ لأن كلاً منها مما يترصد بمشاهدته نبوته فالإرهاص إنما يكون بعد وجود النبي وقبل مبعثه وفي كلام بعضهم إن الإرهاص يكون قبل وجوده أيضاً قريباً من عهده كما دل عليه قصة الفيل ورجحوا الأول فإن قيل اتحاد السنة بأن يكون وقوع القصة عام المولد أمر اتفاقي لا يمنع عن كون الواقعة لتعظيم الكعبة قلنا، شرفها أيضاً بشرف مكانه عليه السلام ألا يرى أنه تعالى كيف قيد الأقسام بالبلد بحلوله عليه السلام فيه حيث قال: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾ [البلد: ١ ـ ٢] قال في «فتح الرحمن»: كان هذا عام مولد النبي عليه السلام في نصف المحرم وولد عليه السلام، في شهر ربيع الأول فبين الفيل ومولده الشريف خمس وخمسون ليلة، وهي سنة ستة آلاف ومائة وثلاث وستين من هبوط آدم على حكم التواريخ اليونانية المعتمدة عند المؤرخين وبين قصة الفيل، والهجرة الشريفة النبوية ثلاث وخمسون سنة والمقصود من تذكير القصة إما تسلية النبي عليه السلام، بأنه سيجزى من يظلمه كما جزى من قصد الكعبة وإما تهديد الظلمة وتفصيلها أن ملك حمير وما حولها وهو ذو نواس اليهودي لما أحرق المؤمنين بنار الأخدود ذات الوقود على ما سبق في سورة البروج هرب رجل منهم إلى ملك الحبشة وهو أصحمة بن بحر النجاشي بتخفيف الياء الذي أسلم في عهد رسول الله ﷺ وأخبره بذلك وحرضه على قتال ذي نواس فبعث أصحمة سبعين ألفاً من الحبشة إلى اليمن

وأمر عليهم أرياطاً ومعه في جنده أبرهة بن الصباح الأشرم ومعنى أبرهة بلسان الحبشة الأبيض الوجه وسيجيء معنى الأشرم فركبوا البحر حتى نزلوا ساحلاً مما يلي أرض اليمن وهزم أرياط ذا نواس وقتله في المعركة أو ألقى هو نفسه في البحر فهلك واستقر أمر أرياط في أرض اليمن زماناً وأقام فيها سنين في سلطانه ذلك ثم نازعه أبرهة في أمر الحبشة فكان من أمراء الجند فتفرقت الحبشة فقرتين: فرقة مع أرياط وفرقة مع أبرهة فكان الأمر على ذلك إلى أن سار أحدهما إلى الآخر فلما تقارب الفرقتان للقتال أرسل أبرهة إلى أرياط أنك لا تفعل شيئاً بأن تغري الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها فابرز لي وابرز لك فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده فأرسل إليه أرياط أن قد انصفت فاخرج فخرج إليه أبرهة وكنيته أبو يكسون وكان رجلاً قصير الجثمان لحيما ذا دين في النصرانية، وخرج إليه أرياط وكان رجلاً طويلاً عظيماً وفي يده حربة وخلف أبرهة غلام يقال له عتودة يمنع ظهره فرفع أرياط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخه فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفتيه أي: شقت وقطعت وخدشت فبذلك سمي أبرهة الأشرم وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله وانصرف جند أرياط إلى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة في اليمن بلا منازع، وكان ما صنع أبرهة من غير علم النجاشي فلما بلغة ذلك غضب غضباً شديداً فقال: عدا على أميري فقتله بغير أمري ثم حلف لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ويجز ناصيته فلما بلغ هذا الخبر أبرهة حلق رأسه وملأ جراباً تراباً من تراب اليمن ثم بعث به إلى النجاشي مع هدايا جليلة كثيرة وكتب إليه أيها الملك إنما كان أرياط عبدك وأنا عبدك فاختلفنا في أمرك وكل طاعة لك إلا أني كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبط له وأوسوس منه وقد حلقت رأسي حين بلغني قسم الملك وبعثت إليه بجراب تراب من أرضي ليضعه تحت قدميه فيبر قسمه فِيَّ، فلما وصل كتاب أبرهة إلى النجاشي لان ورضي عنه وكتب إليه أن أثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمري فأقام أبرهة باليمن، ثم إنه رأى الناس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة لحج بيت الله الحرام فتحرك منه عرق الحسد فبنى بصنعاء كنيسة من رخام ملون وفي بعض التفاسير [ودرو ديوار آنرا بزر وجواهر مرصع ومزين كرادنيد].

وفي «إنسان العيون» واجتهد في زخرفتها فجعل فيها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب وكان ينقل ذلك من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام وجعل فيها صلباناً من الذهب، والفضة ومنابر من العاج والأبنوس وسماها القليس كجميز لارتفاع بنائها وعلوها ومنها القلانيس لأنها في أعلى الرأس وأراد أن يصرف إليها الحاج، وفي «كشف الأسرار»: چون رسول أبرهه باآن هديا پيش ملك نجاشي رسيد وآن پيغام بداد ملك ازوخشنود شد وولايت يمن جمله بدو ارزاني داشت وبوي تسليم كرد چون آن رسول بنزديك أبرهه باز آمد ابرهه شادشد وبكشرانكه ملك ازوخشنود كشت وزراء وعقلاء مملكت خويش جمع كردو ايشانرا كفت مراراهى سازيد بعملي كه ملك راخوش آيدواو ر دران عزى وجمالي بودتا آنراشكر نعمت عفو او سازم ايشان همه متفق شدندكه عرب راخانه ايست معظم ومقدس وشرف جمله عرب بدان خانه است ومردمان شرق وغرب روى بدان خانه دارند وآن خانه ازسنك است تو درصنعاء يمن كنيسهٔ بساز برنام ملك وبردين ترسايى كه دين نجاشي است واساس آن از زرويسيم والوان جواهر كن وكسى فرست بأطراف زمين وديار عرب وايشانرا بخوان وبزر

وسيم وتحفها وهديها ايشانرا رغبتي كن تا عالميان روى بدان كنيسه نهند وآنجا طواف كنند ملك عزى وجمالي باشد أبرهه همچنان كردكه ايشان كفتند وآن كنيسه بدان صفت بساخت وازبهر طمع مال وزروسيم خلقي روى بدان كنيسه نهادند وهركه آنجار فتى باهديه وتحفه باز كشتى].

وكتب أبرهة إلى النجاشي: أيها الملك إني بنيت لك كنيسة لم يُبْنَ مثلها لملك قبلك ولست أرضى حتى أصرف إليها حاج العرب فلما تحدث العرب، بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجل من بني كنانة حتى أتى القليس.

وفي «كشف الأسرار»: [وخبر در أطراف افتادكه از حج وزيارت وطواف كه درمكه وخانهٔ عرب بود بايمن افتاد ودران وقت رئيس مكه عبد المطلب بود مردى از عرب ازساكنان مكة نام وى زهير بن بدر از عبد المطلب درخواست وسوكند خوردكه من بروم ودرخانهٔ ايشان حدث كنم برخواست وآنجاشد وچند روز آنجا عبادت كرد رتبهٔ مجاورت يافت شبى كفت من ميخواهم كه اينجا امشب عبادت كنم كه مراسخت نيكو وخوش آمده است اين بقعه اورا آن شب آنجاتنها بكذا شتند ودران خانه مسك وعنبر فراوان بود بيوسته بوي خوش ازان ميد ميد زهر آنجا حدث كرد وهمه ديوار ومحراب بنجاست بيالود آنكه آهنك بيرون كردو بكر بخت اين خبر در آفاق وأقطار منتشر كشت ومردم از طواف آن متنفر إبرهه ازين حال آكاه شد ومتأثر كشت دانست كه اين مرد ازمكه بود واز مجوران كعبه سوكند خوردكه من بالشكر وحشم بروم وآن خانهٔ ايشن خراب كنم وبازمين برابر حتى لا يحجه حاج أبداً].

وفي «حواشي» ابن الشيخ: كان أصل مقصوده من هدم البيت أن يصرف الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة منهم ومن بلدتهم إلى نفسه وإلى بلدته.

[ورسولي فرستاد بحبشه وملك راخبر كرداز آنچه زهير كرداند ران كنيسه واز رفتن خويش سوى مكه وخراب كردن كعبه].

فخرج بالحبشة [وكفته اند نجاشى پيلان بسيار فرستاد ولشكر وحشم].

وقال السجاوندي: أغتم النجاشي لذلك وعزاه أبرهة وحجر من قواده وأبو يكسوم وزيره وقال: لا تحزن إن لهم كعبة هي فخرهم فننسف أبنيتها وتبيح دماءها وننتهب أموالها فخرج أبرهة بجند كثير وجم غفير ومعه فيل أبيض اللون وهو فيل النجاسي بعثه إليه بسؤاله وكان فيلا لم ير مثله عظماً وجسماً وقوة يعني بعظمت جثه مشابه كوه بود.

بهيكل قوى راست چون كوه قاف چوشير غرين چابك اندر مصاف

ومن شأن الفيل المقاتلة، ولذلك كان في مرابط ملك الصين ألف فيل أبيض وهو مع عظم صورته ضعيف يخاف من السنور ويفزع منه وكان دليلهم كبير ثقيف وهو أبو رغال رجم العرب قبره حين مات كما في كتاب «التعريف والإعلام» للإمام السهيلي رحمه الله، وفي «كشف الأسرار»: [أبو رال درراء هلاك شد وكوروى معروفست براه يمن حاج يمن جون آنجار سند بآن كوروى سنك اندازند].

حتى صار كالجبل العظيم وفي ذلك يقول جرير في الفرزدق الشاعر:

إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال

وفي ««القاموس»»: أبو رغال ككتاب في سنن أبي داود ودلائل النبوة وغيرهما عن ابن

عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ حين خرجنا معه إلى الطائف فمررنا بقبر فقال: «هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج منه أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه» الحديث وقول الجوهري كان دليلاً للحبشة حين توجهوا إلى مكة فمات في الطريق غير جيد وكذا قول ابن سيدة كان عبداً لشعيب وكان عشاراً جائراً انتهى كلامه.

[أبرهه چون بأطراف حرم رسد بيرون حرم نزول كرد].

وبعث رجلاً من الحبشة يقال له الأسود حتى انتهى إلى مكة فساق إليه أموال تهامة، يعني [هرچه درحوالىء شهر مكة شتر بود وكوسفند غارت كردت ودر جمله دويست سر شترازان عبد المطلب كه بوقف حاج كرده يود بغارت بردند].

وقال بعضهم: فلما بلغ المغمس وهو كمعظم ومحدث موضع بطريق الطائف فيه قبر أبي رغال دليل أبرهه ويرجم كما في «لقاموس» أي: على ما اشتهر وإلا ناقض كلامه السابق خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى، وفي «شرح البردة» للمرزوقي لما نزل المغمس بعث حناطة الحميري إلى مكة وقال له: سل عن سيد هذا البلد وشريفهم وقل له: إن الملك يقول إنني لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فإن لم تتعرضوا دونه لحرب فلا حاجة لي بدمائكم فإن هو لم يرد حربي فائتني به، وفي «كشف الأسرار»: [أبرهه چون آنجا نزول كرد هيبت خانهء كعبه دردر وى أثر كرد وازان قصدكه داشت پشيمان كشت وردل خود ميخواست كه كسى در حق خانه شفاعت كند تابا زكردد وبفرمودكه رئيس مكة رابيارید ورئيس مكة آنكاه عبد المطلب بودبا جمعي بني هاشم بنزديك أبرهه آمد وآن مردكه فرستاده بود پيش ازر سيدن عبد المطلب درپيش أبرهه شد].

وقال المرزوقي رحمه الله: استان لعبد المطلب بعض وزرائه يقال له أنيس سائس الفيل وكفت قد جاءك سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال حقاً [مردى مي آيد بحضرت توكه بدرستي وراستي سيد قريش است مردى كريم طبع نيكوروى باسيادت وباسخاوت وبهيبت وانكه ازوى نور همي تابدكه منظروي بترسانيد يعني نور مصطفى عليه السلام، از پيشاني وى همي تافت أبرهه خويشتن رابزي نيكوبيا راست وبر تخت نشت وعبدا المطلب را أجازت دار چون در آمد نخواست كه اورا باخود برتحت نشاند يعني كره أن تراه الحبشة يجلس على سرير ملكه از تخت بزير آمد وبا عيد المطلب به پايان تت بنشست واورا اجلال كرد ونيكو بنواخت سخنان وي اوراخواش آمد وباخود كفت اكر در حق خانه شفاعت كندا ورا نوميد نكنم پس ترجمانرا كفت تا حاجتي كه دارد بخواهد عبد المطلب كفت حاجت اينست كه دويست شترازان من بياورده اند وكانت ترعى بذي المجاز بفرماي تاباز دهند أبرهه را ازان انده آمد ترجما نرا كفت ﭘﭘرس ازوى تاچرا ازبهر خانهء كعبه حاجت نخواست خانهء كه شرف وعز شما بآنست وسبب عصمت وحرمت شما آنست در قديم دهر ومن آمده أم تاآنرا خراب كنم مى نخواهى اين اشترا انراچه خطر باشدكه ميخواهى] قال عبد المطلب: أنا رب الإبل وللبيت رب يحفظه كما عليه بعرانه لينظر من يحفظ البيت مني عبد المطلب [بازكشت وميكانرا فومود هرچه داشتند ازمال ومتاع بركر فتند وباكوه شدندومكه خالي كردنداي] تخوفاً من معرة الجيش فجهز أبرهة جيشة وقدم الفيل الأعظم المذكور فكان

كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح كما بركت القصواء في الحديبية حتى قال عليه السلام: «حبسها حابس الفيل» ومعنى بروك الفيل سقوطه على الأرض لما جاءه من أمر الله أو لزوم موضعه كالذي برك وإلا فالفيل لا يبرك كما قال عبد اللطيف البغدادي: الفيلة تحمل سبع سنين وإذا تم حملها وأرادت الوضع لدخلت النهر حتى تضع ولدها لأنها تلد وهي قائمة ولا فواصل لقوائمها فتلد والذكر عند ذلك يحرسها وولدها من الحيتان انتهى. وقال بعضهم: الفيل صنفان صنف يبرك وصنف لا يبرك كالجمل انتهى وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول والهرولة كالدحرجة ما بين المشي والعدو وأمر أبرهة أن يسقى الفيل الخمر ليذهب شميذه فسقوه فثبت على أمره.

وكفه اند نفيل بن حبيب الخثعمي كوش آن فيل كرفت وكفت أبرك محمود وأرجع راشدا من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام چون ابن سخن بكوش پيل فرو كفت بازشكت وپاي در حرم نهاد ونفيل هذا قاتل أبرهة بأرض خثعم وهو جبل وأهله خثعيون وأبو قبيلة فهزمه أبرهة فأخذ أسيراً فلما أتى به وهم أبرهة بقتله قال: أيها الملك لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب فخلى سبيله وخرج به معه يدله على أرض العرب حتى إذا مر بالطائف رأى أهله أن لا طاقة لهم بهم فانقادوا له وبعثوا معه بأبي رغال فأنزلهم بالمغمس وهو على ستة أميال من مكة ومات أبو رغال هناك وقبره المرجوم فيه كما في بعض التفاسير: قال المرزوقي رأى العرب جهاد أبرهة حقاً عليهم فكانوا يجتمعون لقتاله في الطريق قبائل قبائل فهزمهم أبرهة ومن جملة من هزمهم وأسرهم نفيل بن حبيب أخذه وما قتله ليكون دليلاً له وأخذ عبد المطلب بحلقة البيت ودعا وقال:

لاهم إن المرء يحمي رحله فامنع حلالك   لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك

وذلك أنهم كانوا نصارى أهل صليب ولا هم أصله اللهم فإن العرب تحذف الألف واللام وتكتفي بما يبقى والحلال بكسر الحاء المهملة جمع حلة وهي البيوت المجتمعة والمحال بكسر الميم الشدة والقوة والغدو بالغين المعجمة أصل الغدو هو اليوم الذي يأتي بعد يومك الذي أنت فيه فالتفت وهو يدعو فإذا بطير فقال والله إنها لطير غريبة لا نجدية ولا تهامية ولا حجازية وإن لها لشأناً، وفي «حواشي» ابن الشيخ كان عبد المطلب وأبو مسعود الثقفي يشاهدان من فوق الجبل عسكر أبرهة فأرسل الله طيراً سوداً صفر المناقير خضر الأعناق طوالها أو خضراً أو بيضاً أو بلقاً أو حماماً كما سئل أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن الطير فقال: حمام مكة منها وقد يقال: إن هذا اشتباه لأن الذي قيل فيه إنه من نسل الأبابيل إنما هو شي يشبه الزرازير يكون بباب إبراهيم من الحرم وإلا فحمام الحرم من نسل الحمام الذي عشش على فم الغار والزرازير جمع زرزور بضم الزاي طائر صغير من نوع العصفور سمي بذلك لزرزرته أي لصوته وعن عائشة رضي الله عنها: «كانت تلك الطير الأبابيل أشباه الخطاطيف والوطاويط وقد نشأت في شاطىء البحر ولها خراطيم الطير وأكف الكلاب وأنيابها» وقال ابن جبير: لم ير مثلها لا قبلها ولا بعدها وقال عكرمة: هي عنقاء مغرب وفي الخبر: «إنها طير بين السماء والأرض تعشش وتفرخ» وقيل من طير السماء قيل جاءت عشية ثم صبحتم مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رأى منها عند أم هاني نحو قفيز مخطط بحمرة كالجزع الظفاري وظفار كقطام بلد

باليمن قرب صنعاء ينسب إليه الجزع وأرسلت ريح فزادتها شدة فكان الحجر يقع على رأس كل واحد منهم فيخرج من أسفله وينفذ من الفيل ومن بيضهم فيخرق الأرض وعلى كل حجر اسم من يقع عليه. قال القاشاني: وإلهام الوحوش والطيور أقرب من إلهام الإنسان لكن نفوسهم ساذجة وتأثير الأحجار بخاصية أودعها الله تعالى فيها ليس بمستنكر ومن اطلع على عالم القدرة وكشف له حجاب الحكمة عرف لمية أمثال هذه وقد وقع في زماننا مثلها في استيلاء الفأر على مدينة أبي يوزد وإفساد زروعهم ورجوعها في البرية إلى شط جيحون وأخذ كل واحدة منها خشبة من الأيك التي على شط النهر وركوبها عليها وعبورها من النهر فهي لا تقبل التأويل كأحوال القيامة وأمثالها انتهى وعن عكرمة: كل من أصابته الحجارة جدرته وفي الخبران: «أول ما وقعت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام» ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل، قال بعضهم: فلم تصب منهم أحداً إلا هلك وليس كلهم أصيب كما قال في «إنسان العيون»: ثم ركب عبد المطلب لما استبطأ مجيء القوم إلى مكة ينظر ما الخبر فوجدهم قد هلكوا أي غالبهم وذهب غالب من بقي فاحتمل ما شاء الله من صفراء وبيضاء.

ثم اعلم أهل مكة بهلاك القوم فخرجوا فانتهبوا انتهى يعني والذي سلم منهم ولي هارباً مع أبرهة إلى اليمن يبتدر الطريق وصاروا يتساقطون بكل منهل.

وقال الكاشفي: [وپيك نفس قوم أبرهه مستأصل شدند وآن پيلان نيزهمه هلاك كشتند].

وقال بعضهم ولم يسلم إلا كندي فقال:

أكندة لو رأيت ولو ترينا ... بجنب ربا المغمس ما القينا
حسبنا الله إن قد بث طيراً ... وظل سحابة تهمي علينا

وأخذ أبرهة داء أسقط أنامله وأعضاه ووصل إلى صنعاء كذلك وهو مثل فرخ الطير ومامات حتى انصدع صدره عن قلبه فملك اليمن ابنه يكسوم بن أبرهة وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يتحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتاً بين يديه فأرى الله النجاشي كيف كان هلاك أصحابه. وقال بعضهم: [همه هلاك شدند مكر أبرهه كه مرغ بر سروى ايستاد وازمكه بيرون شدروى بحبشة نهاد وآن مرغ برهوا برسوري هي بود وأونمى دانست تادر پيش نجاشي شد چون أبرهه صورت حال بعرض نجاشي رسانيد نجاشي از روى تعجب پرسيدكه چكونه مرغان بودندكه چندين مبارزا انرا هلاك كردند أبرهه رادرين حال نظر بران مرغ افتاد كفت أي ملك يكى أذان مرغان اينست همان لحظه آن مرغ سنكى كه داشت بنام وى برسرش افكند وهم در نظر نجاشى هلاك شدوازين صورت آيت عبرتي بر صحيفهء دل نجاشي منقش كشت].

نوشت خامهٔ تقدير بر جريدهٔ دهر ... خطى كه فاعتبروا يا أولي الأبصار

وعن عائشة رضي الله عنها رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان الناس ويعلم من ذلك أنهما من جملة من سلم من قوم أبرهه ولم يذهبا بل بقيا بمكة كما في «إنسان العيون» وفي «حواشي ابن الشيخ» كان عبد المطلب وأبو مسعود الثقفي يشاهدان من فوق الجبل عسكر أبرهة حين رماهم الطير بالحجارة فهلكوا فقال عبد المطلب لصاحبه صار القوم حيث لا يسمع لهم ركز أي حس فانحطا من الجبل فدخلا المعسكر فإذا هم موتى فجمعا من الذهب والجواهر وحفر كل منهما لنفسه حفرة وملأها من المال وكان ذلك سبب غناهما وفي

كلام سبط ابن الجوزي: وسبب غنى عثمان بن عفان أن أباه عفان وعبد المطلب وأبا مسعود الثقفي لما هلك أبرهة وقومه كانوا أول من نزل مخيم الحبشة فأخذوا من أموال أبرهة وأصحابه شيئاً كثيراً ودفنوه عن قريش فكانوا أغنياء قريش وأكثرهم مالاً ولما مات عفان ورثه عثمان رضي الله عنه ثم إنه يرد على ما ذكر أن الحجاج خرب مكة بضرب المنجنيق فلم يصبه شيء ولم يستعجل عذابه ويجاب بأن الحجاج لم يجيء لهدم الكعبة ولا لتخريبها ولم يقصد ذلك وإنما قصد التضييق على عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، ليسلم نفسه وفيه أنه قد يشكل كونه حرماً آمناً وجاء في حق الحجاج إن عليه نصف عذاب العالم ويرد عليه أيضاً قصة القرامطة وهي أن أبا سعيد كبير القرامطة وهم طائفة ملاحدة ظهروا بالكوفة سنة سبعين ومائتين يزعمون أن لا غسل من جنابة وحل الخمر وإنه لا صوم من السنة إلا يومي النيروز والمهرجان ويزيدون في أذانهم وإن محمد ابن الحنيفة رسول الله وأن الحج والعمرة إلى بيت المقدس وافتتن بهم جماعة من الجهال وأهل البراري وقويت شوكتهم حتى انقطع الحج من بغداد بسببه وسبب ولده أبي طاهر فإن ولده أبا طاهر بني دارا في الكوفة وسماها دار الهجرة وكثر فساده واستيلاؤه على البلاد وقتله المسلمين وتمكنت هيبته من القلوب وكثرت أتباعه وذهب إليه جيش الخليفة المقتدر بالله السادس عشر من خلفاء بني العباس غير ما مرة وهو يهزمهم، ثم إن المقتدر سير ركب الحاج إلى مكة فوافاهم أبو طاهر يوم التروية فقتل الحجيج بالمسجد الحرام وفي جوف الكعبة قتلا ذريعاً وألقي القتلى في بئر زمزم وضرب الحجر الأسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه وأخذه معه وقلع باب الكعبة ونزع كسوتها وسقفها وقسمه بين أصحابه وهدم قبة زمزم وارتحل عن مكة بعد أن أقام بها أحد عشر يوماً ومعه الحجر الأسود وبقي عند القرامطة أكثر من عشرين سنة وكان الناس يضعون أيديهم محله للتبرك ودفع لهم فيه خمسون ألف دينار فأبوا حتى أعيد إلى موضعه في خلافة المطيع لأمر الله وهو الرابع والعشرون من خلفاء بني العباس بعد اشترائه منهم وجعل له طوق فضة شد به زنته ثلاثة آلاف وسبعمائة وتسعون درهماً ونصف قال بعضهم: تأملت الحجر وهو مقلوع فإذا السواد في رأسه فقط وسائره أبيض وطوله قدر عظم الذراع وبعد القرامطة في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة قام رجل من الملاحدة وضرب الحجر الأسود ثلاث ضربات بدبوس فتشقق وجه الحجر من تلك الضربات وتساقطت منه شظيات مثل الأظفار وخرج بكسره فتات أسمر يضرب إلى الصفرة محبباً مثل حب الخشخاش فجمع بنو شيبة ذلك الفتات وعجنوه بالمسك واللك وحشوه في تلك الشقوق وطلوه بطلاء من ذلك.

ويقول الفقير: لعل الجواب عن مثل هذا أن الاستئصال وما يقرب منه مرفوع عن هذه الأمة وأكثر ما كان من خوارق العادات كان في أيام الأمم السالفة وليست الكعبة بأفضل من الإنسان الكامل وقد جرت عادة الله على التسامح عن بعض من يعاديه بل يقتله وإن كان اشتد غضبه عليه فهو يمهل ولا يهمل ولعنة الله على الظالمين.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾

﴿ألم يجعل كيدهم في تضليل﴾ الهمزة للتقرير وضلل كيده إذا جعله ضالاً ضائعاً ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٢٥] وضل الماء في اللبن إذا ذهب وغاب والمعنى قد جعل مكرهم وحيلتهم في تعطيل الكعبة عن الزوار وتخريبها في تضييع

وإبطال بأن أهلكهم أشنع إهلاك وجزاهم بعد إهلاكهم بمثل ما قصدوا حيث خرب كنيستهم قال في «إنسان العيون»: لما أهلك صاحب الفيل وقومه عزت قريش وهابتهم الناس كلهم وقالوا: هم أهل الله لأن الله معهم ومزقت الحبشة كل ممزق وخرب ما حول تلك الكنيسة التي بناها أبرهة فلم يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والحيات ومردة الجن وكل من أراد أن يأخذ منها شيئاً أصابته الجن واستمرت كذلك إلى زمن السفاح الذي هو أول خلفاء بني العباس فذكر له أمرها فبعث إليها عامله الذي باليمن فخربها وأخذ خشبها المرصع بالذهب والآلات المفضضة التي تساوي قناطير من الذهب فحصل له منها مال عظيم وحينئذٍ عفا رسمها وانقطع خبرها واندرست آثارها.

﴿**وأرسل عليهم طيراً**﴾ عطف على قوله ﴿**ألم يجعل**﴾ لأن الهمزة فيه لإنكار النفي كما سبق ﴿**أبابيل**﴾ صفة طيراً أي: جماعات لأنها كانت أفواجاً فوجاً بعد فوج متتابعة بعضها على أثر بعض أو من ههنا وههنا جمع أبالة وهي الحزمة الكبيرة بالفارسية دستهء بزرك از حطب.

شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل أبابيل مفرد كعباديد ومعناه الفرق من الناس الذاهبون في كل وجه وكشماطيط ومعناه القطع المتفرقة وفيه أنها لو كانت مفردات لأشكل قول النحاة إن هذا الوزن من الجمع يمنع صرفه لأنه لا يوجد في المفردات.

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾.

﴿**ترميهم بحجارة**﴾ صفة أخرى لطيرا وقرأ أبو حنيفة رحمه الله، يرميهم أي الله أو الطير لأنه اسم جمع تأنيثه باعتبار المعنى والحجارة جمع حجر بالتحريك بمعنى الصخرة والمعنى بالفارسية مي افكندند بدان لشكر بسنكها.

يقال: رمى الشيء وبه ألقاه ﴿**من سجيل**﴾ من طين متحجر وهو الآجر معرب سنك كل.

وقال بعضهم: متحجر من هذين الجنسين وهما سنج الذي هو الحجر وجيل الذي هو الطين أو هو علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما أن سجينا علم للديون الذي تكتب فيه أعمالهم كأنه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الأسجال وهو الإرسال.

﴿**فجعلهم كعصف مأكول**﴾ كورق زرع وقع فيه الآكال وهو أن يأكله الدود، وسمي ورق الزرع بالعصف لأن شأنه أن يقطع فتعصفه الرياح، أي تذهب به إلى هنا وهنا شبههم به في فنائهم وذهابهم بالكلية أو من حيث إنه حدثت فيهم بسبب رميهم منافذ وشقوق كالزرع الذي أكله الدود ويجوز أن يكون المعنى كورق زرع أكل حبه فبقي صفراً منه فيكون من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي: كعصف مأكول الحب شبههم بزرع أكل حبه في ذهاب أرواحهم وبقاء أجسادهم أو كتبن أكلته الدواب وألقته روثا فيبس وتفرقت أجزاؤه شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث وفيه تشويه لحالهم ومبالغة حسنة وهو أنه لم يكتف بجعلهم أهون شيء في الزرع وهو التبن الذي لا يجدي طائلاً حتى جعلهم رجيعاً إلا أنه عبر عن الرجيع بالمأكول أو أشير إليه بأول حاله على طريق الكناية مراعاة لحسن الأدب واستهجاناً لذكر الروث كما كنى بالأكل في قوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] عما يلزم الأكل من التبول والتغوط لذلك فدأب القرآن هو العدول عن الظاهر في مثل هذا المقام قال بعض

العارفين: من كان اعتماده على غير الله أهلكه الله بأضعف خلقه ألا ترى أن أصحاب الفيل لما اعتمدوا على الفيل من حيث إنه وأقوى خلق الله أهلكهم الله بأضعف خلق من خلقه وهو الطير.

[وكفته اندا كربيل نتوانى بودباري ازپشه كم مباش كه برصورت پيل است پشه كويدكه اكر من بقوت پيل نيستم كه باري كشم باري بصورت پيلم كه بار خويش بركس نيفكنم].

وفيه إشارة إلى أبرهة النفس المتصفة بصفة الغضب والحقد المجبولة على خلقة الفيل كالسبعية في السبع والكبر في النمر فأرسل الله عليها طير الأرواح حاملين أحجار الأذكار والأوراد فأكلتها أكل الأكلة وعصفت مزروعاتهم السيئة وبطل قليس طبيعتها الجسمانية التي كانت تدعو القوى إليها لأن هذه الدعوة كانت بتزيين الشيطان فلا تقاوم دعوة الروح إلى كعبة القلب التي كان من الرحمن.

هركه بر شمع خدا آردتفو ... شمع كي ميرد بسوز ديوزار
چون توخفاشان بسى بينند خواب ... كين جهان ماند يتيم از آفتاب

قوله ﴿مأكول﴾ يوقف عليه ثم يكبر ولا يوصل حذراً من الإيهام.

تمت سورة الفيل في يوم الخميس سابع جمادى الأولى
من سنة سبع عشرة ومائة وألف

١٠٦ ـ سورة قريش

أربع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾.

﴿لإيلاف قريش﴾ متعلق بقوله تعالى: ﴿فليعبدوا﴾ وهو قول الزجاج والفاء لما في الكلام من معنى الشرط إذ المعنى أن نعم الله عليهم غير محصورة فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة فالإيلاف تعدية الألف مصدر من المبني للمفعول مضاف إلى مفعوله الأول مطلقاً عن المفعول الثاني هو الرحلة كما قيد به في الإيلاف الثاني يقال ألفت الشيء بالقصر وآلفته بالمد بمعنى لزمته ودمت عليه وما تركته فيكون كل من الإلف والإيلاف لازماً ويقال أيضاً آلفته غيري بالمد أي ألزمته إياه وجعلته يألفه فيكون متعدياً قال في «تاج المصادر»: الإيلاف [ألف دادن وألف كرفتن].

وضد الإيلاف والإيناس هو الإيحاش وقيل متعلق بما قبله من قوله: ﴿فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ﴾ [الفيل: ٥] ويؤيده أنهما في مصحف أبي رضي الله عنه سورة واحدة بلا فصل فيكون الإيلاف بمعنى الإلف اللازم فالمعنى أهلك الله من قصدهم من الحبشة لأن يألفوا هاتين الرحلتين ويجمعوا بينهما ويلزموا إياهما ويثبتوا عليهما متصلاً لا منقطعاً بحيث إذ فرغوا من ذه أخذوا في ذه وبالعكس وذلك لأن الناس إذا تسامعوا بذلك الإهلاك تهيبوا لهم زيادة تهيب واحترموهم فضل احترام فلا يجترىء عليهم أحد فينتظم لهم إلا من في رحلتيهم وكان لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب وذلك أن قريشاً إذا أصاب واحدا منهم مخمصة خرج هو وعياله إلى موضع وضربوا على أنفسهم خباء حتى يموتوا وكانوا على ذلك إلى أن جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه فقام خطيباً في قريش فقال إنكم أحدثتم حدثاً تقلون فيه وتذلون وأنتم أهل حرم الله وأشرف ولد آدم والناس لكم تبع قالوا: نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف فجمع كل بني أب على الرحلتين في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشأم لأن بلاد اليمن حامية حارة وبلاد الشام مرتفعة باردة ليتجروا فيما بدا لهم من التجارات فما ربح الغني قسم بينه وبين فقرائهم حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء الإسلام وهم على ذلك فلم يكن في العرب بنو أب أكثر مالاً ولا أعز من قريش وكان هاشم أول من حمل السمراء من الشام وقريش ولد النضر بن كنانة ومن لم يلده فليس بقرشي سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن وتنلبها وتضربها

فتكسرها ولا تطاق إلا بالنار فشبهوا بها لأنها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى والتصغير للتعظيم فكأنه قيل قريش عظيم وقال بعضهم: الأوجه أن التصغير على حقيقته لأنه إذا كان القرش دابة عظيمة والقرش مع صغر حجمه جعل قرشاً فهو لا محالة قريش وفيه أن جعل قريش قريشاً لم يكن لمناسبة الحجم بل كان لوصف الآكلية وعدم المأكولية ووصف الغلبة وعدم المغلوبية وهذان الوصفان يوجدان في تلك الدابة على وجه الكمال فلا معنى للتصغير إلا التعظيم قال الزمخشري: سمعت بعض التجار بمكة ونحن قعود عند باب بني شيبة يصف لي القرش فقال هو مدور الخلقة كما بين مقامنا هذا إلى الكعبة ومن شأنه يتعرض للسفن الكبار فلا يرده شيء إلا أن يأخذ أهلها المشاعل فيمر على وجهه كالبرق وكل شيء عنده قليل إلى النار وبه سميت قريش قال الشاعر:

وقريش هي التي تسكن البحر ... بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك ... فيه لذي جناحين ريشا
هكذا في البلاد حتى قريش ... يأكلون البلاد أكلاً كميشا
ولهم آخر الزمان نبي ... يكثر القتل فيهموا والخموشا

الخموش: الخدوش وأكلا كميشاً أي سريعاً وفي «القاموس»: قرشه يقرشه ويقرشه قطعه وجمعه من ههنا وههنا وضم بعضه إلى بعض ومنه قريش لتجمعهم إلى الحرم أو لأنهم كانوا يتقرشون البيعات فيشترونها أو لأن النضر بن كنانة اجتمع في ثوبه يوماً فقالوا تقرش أو لأنه جاء إلى قومه فقالوا كأنه جمل قريش أي شديد أو لأن قصياً كان يقال له القريشي، أو لأنهم كانوا يفتشون الحاج فيسدون خلتها أو سميت بمصغر القرش وهو دابة بحرية يخافها دواب البحر كلها أو سميت بقريش بن يخلد بن غالب بن فهر وكان صاحب عيرهم فكانوا يقولون قدمت عير قريش وخرجت عير قريش والنسبة قرشي وقريشي انتهى.

﴿**إيلافهم رحلة الشتاء والصيف**﴾ بدل من الأول ورحلة مفعول به لإيلافهم وهي بالكسر الارتحال وبالضم الجهة التي يرحل إليها وأصل الرحلة السير على الراحلة، وهي الناقة القوية ثم استعمل في كل سير وارتحال وإفرادها مع أنه أراد رحلتي الشتاء والصيف لأمن الإلباس مع تناول اسم الجنس للواحد والكثير وفي إطلاق الإيلاف عن المفعول أولاً ثم إبدال المقيد منه تفخيم لأمره وتذكير لعظيم النعمة فيه والشتاء الفصل المقابل للصيف، وفي «القاموس»: الشتاء أحد أرباع الأزمنة والموضع المشتى والصيف القيظ أو بعد الربيع والقيظ صميم الصيف من طلوع الثريا إلى طلوع سهيل.

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾

﴿**فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم**﴾ بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا منهما بواسطة كونهم من جيرانه وسكان حرمه وقيل بدعوة إبراهيم عليه السلام، يجبى إليه ثمرات كل شيء ﴿**من جوع**﴾ شديد كانوا فيه قبلهما وكان الجوع يصيبهم إلى أن جمعهم عمرو العلي وهو هاشم المذكور على الرحلتين قال أبو حيان: من ههنا للتعليل أي لأجل الجوع وقال سعدي المفتي الجوع لا يجامع الإطعام والظاهر إنها للبدلية.

يقول الفقير: الظاهر أن مآل المعنى نجاهم من الجوع بسب الإطعام والترزيق.

﴿وآمنهم من خوف﴾ عظيم لا يقادر قدره وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم، وقال صاحب «الكشاف»: الفرق بين عن ومن أن عن يقتضي حصول جوع قد زال بالإطعام ومن يقتضي المنع من لحاق الجوع والمعنى أطعمهم فلم يلحقهم جوع وآمنهم فلم يلحقهم خوف فيكون من لابتداء الغاية والمعنى أطعمهم في بدء جوعهم قبل لحاقه إياهم وآمنهم في بدء خوفهم قبل اللحاق ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من أن تكون الخلافة في غيرهم كما في «الكشاف»، وعن أم هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنها، قالت: إن رسول الله ﷺ «فضل قريشاً» أي: ذكر تفضيلهم بسبع خصال لم يعطها أحد قبلهم ولا يعطاها أحد بعدهم «النبوة فيهم، والخلافة فيهم والحجابة للبيت فيهم، والسقاية فيهم ونصروا على الفيل» أي علّى أصحابه وعبدوا الله سبع سنين وفي لفظ عشر سنين لم يعبده أحد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم لإيلاف قريش وتسمية لإيلاف قريش سورة يرد ما قيل إن سورة الفيل ولإيلاف قريش سورة واحدة فلينظر ما معنى عبادتهم لله دون غيرهم في تلك المدة.

يقول الفقير: أشار بقريش إلى النفس المشركة وقواها الظالمة الخاطئة الساكنة في البلد الإنساني الذي هو مكة الوجود وبالشتاء إلى القهر والجلال وبالصيف إلى اللطف والجمال وأعني بالقهر والجلال العجز والضعف لأن المقهور عاجز ضعيف وباللطف والجمال القدرة والقوة لأن الملطوف به صاحب التمكين فأما عجز النفس وضعفها فعدن عدم مساعدة هواها وأما قوتها وقدرتها فنعد وجود المساعدة فهي وصفاتها ترتحل عند العجز والضعف إلى يمن المعقولات لأنها في جانب يمين القلب وعند القوة والقدرة ترتحل إلى شأم المحسوسات لأنها في جانب شمال القلب الذي يلي الصدر فهي تتقلب بين نعم المعقولات ونعم المحسوسات ولا تشكرها بأن تقر بوحدة الوجود ورسالة رسول القلب كالفلاسفة المتوغلة في المعقولات والفراعنة المنهمكة في الحسوسات ولذا قال تعالى: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت﴾ أي: بيت القلب الذي هو الكعبة الحقيقية لأنها مطاف الواردات والإلهامات ومن ضرورة العبادة له الإقرار برسالة رسول الهدى الذي هو القلب فالبيت معظم مشرف مطلقاً لإضافة الرب إليه فما ظنك بعظمة الرب وجلاله وهيبته ورب القلب هو الاسم الجامع المحيط بجميع الأسماء والصفات وهو الاسم الأعظم الذي نيط به جميع التأثيرات العقلية والروحانية والعلمية والغيبية أمروا بأن يكونوا تحت هذا الاسم لا تحت الأسماء الجزئية ليتخلصوا من الشرك ويتحققوا بسر وحدة الوجود فإن الأسماء الجزئية تعطي التقييد والاسم الكلي يعطي الإطلاق ومن ثمة بعث النبي عليه السلام، في أم البلاد إشارة إلى كليته وجمعيته وهذا الرب الجليل المفيض المعطي أزال عنهم جوع العلوم والفيوض وأطعمهم بها وآمنهم من خوف الهلاك من الجوع لأن نفس الجاهل كالميت ولا شك أن الإحياء يخافون من الموت هكذا ورد بطريق الإلهام من الله العلام.

١٠٧ ـ سورة الماعون

سبع أو ست آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾

﴿أرأيت﴾ يا محمد أي: هل عرفت **﴿الذي يكذب بالدين﴾** أي: بالجزاء أو بالإسلام يعني [آيا‌ديدي ودانستي آنكس راكه تكذيب مكيندبر وزجرا ويا دين الإسلام وباور نميكند].

إن لم تعرفه أو إن أردت أن تعرفه.

﴿فذلك الذي يدع اليتيم﴾ أي: بدفعه دفعاً عنيفاً ويزجره زجراً قبيحاً فهو جواب شرط محذوف على أن ذلك مبتدأ والموصول خبره وهو أبو جهل كان وصياً ليتيم فجاءه عرياناً يسأله من مال نفسه فدفعه دفعاً شنيعاً فأيس الصبي فقال له أكابر قريش قل لمحمد يشفع لك وكان غرضهم الاستهزاء به وهو عليه السلام ما كان يرد محتاجاً فذهب معه إلى أبي جهل فقام أبو جهل وبذل المال لليتيم فعيره قريش، وقالوا أصبوت؟ فقال لا والله ما صبوت ولكن رأيت عن يمينه وعن يساره حربة خفت إن لم أجبه يطعنها في فالذي للعهد ويحتمل الجنس فيكون عاماً لكل من كان مكذباً بالدين ومن شأنه أذية الضعيف ودفعه بعنف وخشونة لاستيلاء النفس السبعية عليه.

﴿ولا يحض﴾ أي: لا يحث أهله وغيرهم من الموسرين **﴿على طعام المسكين﴾** أي: على بذل طعام له يعني بر طعام دان درويش ومحتاج ويمنع المعروف عن المستحق لاستيلاء النفس البهيمة ومحبة المال واستحكام رذيلة البخل فإنه إذا ترك حث غيره فكيف يفعل هو نفسه فعلم أن كلا من ترك الحث وترك الفعل من أمارات التكذيب، وفي العدول من الإطعام إلى الطعام وإضافته إلى المسكين دلالة على أن للمساكين شركة وحقاً في مال الأغنياء وأنه إنما منع المسكين مما هو حقه وذلك نهاية البخل وقساوة القلب وخساسة الطبع فإن قلت: قد لا يحض المرء في كثير من الأحوال ولا يعد ذلك إثماً فكيف يذم به قلت إما لأن عدم حضه لعدم اعتقاده بالجزاء وإما لأن ترك الحض كناية عن البخل ومنع المعروف عن المساكين ولا شبهة في كونه محل الذم والتوبيخ كما أن منع الغير من الإحسان كذلك.

چون زكرم سفله بود در كران ... منع كند از كرم ديكران
سفله نخواهد دكرى رابكام ... خس نكذار دمكسى رابجام

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾

﴿فويل﴾ الفاء لربط ما بعدها بشرط محذوف كأنه قيل إذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل أي: شدة العذاب ﴿للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ السهو خطأ عن غفلة وذلك ضربان: أحدهما أن لا يكون من الإنسان جوالبه وفولداته كمجنون سب إنساناً، والثاني أن يكون منه مولداته كمن شرب خمراً ثم ظهر منه منكر لا عن قصد إلى فعله، فالأول معفو عنه والثاني مأخوذ به ومنه ما ذم الله في الآية، والمعنى ساهون عن صلاتهم سهو ترك لها وقلة التفات إليها وعدم مبالاة بها وذلك فعل المنافقين أو الفسقة من المؤمنين وهو معنى عن ولذا قال أنس رضي الله عنه: الحمد لله على أن لم يقل في صلاتهم وذلك إنه لو قال في صلاتهم لكان المعنى أن السهو يعتريهم وهم فيها إما بوسوسة شيطان أو بحديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم والخلوص منه عسير ولما نزلت هذه الآية، قال عليه السلام: «هذه خير لكم من أن يعطى كل واحد منكم مثل جميع الدنيا» فإن قلت: هل صدر عن النبي عليه السلام سهو قلت نعم كما قال: «شغلونا عن صلاة العصر» أي: يوم الخندق «ملأ الله قلوبهم ناراً»، وأيضاً سها عن صلاة الفجر ليلة التعريس وأيضاً صلى الظهر ركعتين ثم سلم فقال له أبو بكر رضي الله عنه: «صليت ركعتين فقام وأضاف إليهما ركعتين» لكن سهوه عليه السلام فيما ذكر وفي غيره ليس كسهو سائر الخلق وأيهم مثله عليه السلام، وهو في الاستغراق والانجذاب دائماً وقد قال: «تنام عيناي ولا ينام قلبي» وفيه إشارة إلى السهو عن شهود لطائف الصلاة والغفلة عن أسرارها وعلومها وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه لاهون مكان ساهون فعلى العاقل أن لا تفوته الصلاة التي هي من باب المعراج والمناجاة ولا يعبث فيها باللحية والثياب ولا يكثر والتثاؤب والالتفات ونحوهما ومن المصلين من لا يدري عن كم النصرف ولا ما قرأ من السورة.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾.

﴿الذين هم يراؤون﴾ أي: يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليها فإن قلت فحينئذٍ يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لأن الثناء لا يتعلق به الرؤية البصرية قلت: هو محمول على عموم المجاز أو عل جعل الإراءة من الرؤية بمعنى المعرفة قال في «الكشاف»: والعمل الصالح إن كان فريضة فمن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها لقوله عليه السلام: «ولا غمة في فرائض الله لأنها أعلام الإسلام وشعائر الدين ولأن تاركها يستحق الذم والمقت» فوجب إماطة التهمة بالإظهار وإن كان تطوعاً فحقه أن يخفي لأنه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه وإن أظهره قاصداً للاقتداء فيه كان جميلاً وإنما الرياء أن يقصد أن تراه الأعين فتثنى عليه بالصلاح واجتناب الرياء صعب لأنه أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الأسود.

کليد در دوزخست آن نماز   که در چشم مردم کزارى دراز

والفرق بين المرائي والمنافق أن المنافق يبطن الكفر ويظهر الإيمان والمرائي يظهر زيادة الخشوع وآثار الصلاح ليعتقد من يراه أنه من أهل الصلاح وحقيقة الرياء طلب ما في الدنيا بالعبادة وفيه إشارة إلى أن من يضيف أعماله وأحواله إلى نفسه الظلمانية فهو مرائي.

﴿ويمنعون الماعون﴾ من المعن وهو الشي القليل وسميت الزكاة ماعوناً لأنه يؤخذ من المال ربع العشر وهو قليل من كثير وقال أبو الليث: الماعون بلغة الحبشة المال وفي «برهان

القرآن»: قوله: ﴿الذين هم﴾ ثم بعده الذين هم كرر ولم يقتصر على مرة واحدة لامتناع عطف الفعل على الاسم ولم يقل الذين هم يمنعون لأنه فعل فحسن العطف على الفعل وهذه دقيقة انتهى.

والمعنى ويمنعون الزكاة كما دل عليه ذكره عقيب الصلاة أو ما يتعاور عادة فإن عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان من عدم الاعتقاد بالجزاء موجب للذم والتوبيخ فعدم المبالاة بالصلاة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التي هي قنطرة الإسلام وسوء المعاملة مع الخلق أحق بذلك وكم ترى من المتسمين بالإسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه، والمراد بما يتعاوره عادة أي: يتداوله الناس بالعارية ويعين بعضهم بعضاً بإعارته هو مثل الفاس والقدر والدلو والإبرة والقصعة والغربال والقدوم والمقدحة والنار والماء والملح، ومن ذلك أن يلتمس جارك أن يخبز في تنورك أو يضع متاعه عندك يوماً أو نصف يوم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله ما الذي لا يحل منعه؟ قال: «الماء والنار والملح» فقالت: يا رسول الله هذا الماء فما بال النار والملح قال لها: «يا حميراء من أعطى ناراً فكأنما تصدق بجميع ما طبخ بتلك النار ومن أعطى ملحاً فكأنما تصدق بجميع ما طيب بذلك الملح، ومن سقى شربة من الماء حيث لا يوجد الماء فكأنما أحيى نفساً» كما في «كشف الأسرار»، وقد يكون منع هذه الأشياء محظوراً في الشريعة إذا استعيرت عن اضطرار وقبيحاً في المروءة في غير حال الضرورة، وفي «عين المعاني»: فلما منعوا من الكوثر ففي الآية الزجر عن البخل الذي هو صفة المنافقين.

تمت سورة الماعون يوم عيد المؤمنين

١٠٨ ـ سورة الكوثر

ثلاث آيات مكية أو مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾

﴿إنا﴾ إن جار مجرى القسم في تأكيد الجملة **﴿أعطيناك﴾** بصيغة الماضي مع أن العطايا الأخروية وأكثر ما يكون في الدنيا لم تحصل بعد تحقيقاً لوقوعها **﴿الكوثر﴾** أي: الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين فوعل من الكثرة كنوفل من النفل وجوهر من الجهر قيل لأعرابية آب ابنها من السفر بم آب ابنك قالت: آب بكوثر أي: بالعدد الكثير من الخير، قال في «القاموس» الكوثر الكثير من كل شيء، وفي «المفردات» وقد يقال للرجل السخي كوثر ويقال تكوثر الشيء كثر كثرة متناهية وروي عنه عليه السلام أنه قرأها فقال: «أتدرون ما الكوثر؟ إنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير أحلى من العسل وأشد بياضاً من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء، لا يظمأ من شرب منه أبداً أول وارديه فقراء المهاجرين لدنسوا الثياب الشعث الرؤوس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد ويموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو أقسم على الله لأبره» وعن ابن عباس رضي الله عنهما إنه فسر الكوثر بالخير الكثير، فقال له سعيد بن جبير: إن ناساً يقولون هو نهر في الجنة فقال: هو من الخير الكثير وعن عائشة رضي الله عنها: من أراد أن يسمع خرير الكوثر فليدخل أصبعيه في أذنيه، وقال عطاء: هو حوضه لكثرة وارديه، وفي الحديث: «حوضي ما بين صنعاء إلى أيلة على إحدى زواياه أبو بكر، وعلى الثانية عمر، وعلى الثالثة عثمان، وعلى الرابعة علي، فمن أبغض واحداً منهم لم يسقه الآخر فيكون الحوض في المحشر» والأظهر أن جميع نعم الله داخلة في الكوثر ظاهرة أو باطنة فمن الظاهرة خيرات الدنيا والآخرة ومن الباطنة العلوم اللدنية الحاصلة بالفيض الإلهي بغير اكتساب بواسطة القوى الظاهرة والباطنة.

[صاحب تأويلات فرموده كه كوثر معرفت كثرتست بوحدت وشهود وحدت درعين كثرت واين نهريست دربستان معرفت هركه ازو سيراب شدا بد ازتشكىء جهالت ايمن است وأين معنى خاصهء حضرت رسالت عليه السلام وكمل أولياء أمت أو].

﴿فصل لربك وانحر﴾ أي: وانحر له فحذف اكتفاء بما قبله والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن إعطاءه تعالى إياه عليه السلام ما ذكر من العطية التي لم يعطها ولن يعطها أحداً من العالمين مستوجب للمأمور به أي استيجاب والنحر في اللبة كالذبح في الحلق والمعنى فدم

على الصلاة لربك الذي أفاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا تضاهيها نعمة خالصاً لوجهه كما دل عليه اللام الاختصاصية خلافاً للساهين عنها المرآئين فيها أداء لحقوق شكرها، فإن الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر وهي ثلاثة الشكر بالقلب وهو أن يعلم أن تلك النعم منه لا من غيره والشكر باللسان وهو أن يمدح المنعم ويثني عليه والشكر بالجوارح وهو أن يخدمه ويتواضع له والصلاة جامعة لهذه الأقسام وانحر البُدن التي هي خيار أموال العرب باسمه تعالى يعني [وشتر قربان كن براي وي].

وتصدق على المحاويج خلافاً لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية، وهذا يناسب كون السورة مدنية وعن عطية هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى [مصطفى را عليه السلام پرسيدندكه اكر كسى درويش بود وطاقت قربان ندارد چكونه كند تا ثواب قربان اورا حاصل شود كفت چهار ركعت نمازكند درهر ركعتي يكابر الحمد خواند ويزاده بارانا أعطيناك الكوثر الله تعالى أورا ثواب شصت قربان در ديوان وى ثبت كند كما في «كشف الأسرار»]. وعن علي رضي الله عنه: النحر ههنا وضع اليدين في الصلاة على النحر، وعن سليمان التيمي ارفع يديك بالدعاء إلى نحرك.

وفي «التأويلات النجمية»: وانحر بدن أنانيتك وأنيتك بوضع يدك اليمنى الروحانية على يدك اليسرى الجسمانية على نحرك المشروح بسيف نص ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الانشراح: ١].

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾

﴿إن شانئك﴾ يقال شنأه كمنعه وسمعه شنأ أبغضه أي مبغضك ﴿هو﴾ للفصل ﴿الأبتر﴾ لبغضه لك لأن نسبة أمر إلى المشتق تفيد علية المأخذ والبغض ضد الحب والبتر يستعمل في قطع الذنب ثم أجري قطع العقب مجراه فقيل فلان أبتر إذا لم يكن له عقب يخلفه، والمعنى هو الذي لا عقب له حيث لا يبقى له نسل ولا حسن ذكر وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك إلى يوم القيامة.

آثـار اقـتـدار تـوتـا حـشـر مـتـصـل   خصم سياه روى توبى حاصل وخجل

ولك في الآخرة ما لا يندرج تحت البيان وذلك أنهم زعموا حين مات ابنه عليه السلام القاسم وعبد الله بمكة وإبراهيم بالمدينة أن محمداً ﷺ ينقطع ذكره إذا انقطع عمره لفقدان نسله فنبه الله أن الذي ينقطع ذكره هو الذي يشنأه فأما هو فكما وصفه الله تعالى، ورفعنا لك ذكرك وذلك إنه أعطاه نسلاً يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من أهل البيت ثم العالم ممتلىء منهم وجعله أباً للمؤمنين فهم أعقابه وأولاده إلى يوم القيامة وقيض له من يراعيه ويراعي دينه الحق وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين رضي الله عنه، العلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة هذا في العلماء الذين هم أتباعه عليه السلام، فكيف هو وقد رفع الله ذكره وجعله خاتم الأنبياء عليهم السلام.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ وهو حمار النفس المبتور ذنب نسله وعقبه فإن أولاد الأعمال الصالحة والأحوال الصادقة والأخلاق الروحانية والأوصاف الربانية أولادك يا رسول القلب وأتباعك وأشياعك وأعوانك.

يقول الفقير أيده الله القدير: وردت على سورة الكوثر وقت الضحى بعد القيلولة والإشارة فيها إنا بجميع أسمائنا اللطفية الجمالية الإكرامية أعطيناك يا محمد القلب ورسول الهدى المبعوث إلى جميع القوى بالخير والهدى الكوثر وهو العلم الكثير الفائض من منبع الاسم الرحمن فإنا رحمناك بهذه الرحمة العامة الشاملة لجميع الرحمات، فلذا صرت مظهر الرحمة الكلية في جميع المواطن فلك علم الأحكام وعلم الحقائق فصل في مسجد الفناء والتسليم وهو المسجد الإبراهيمي لربك أي لشكر ربك ولإدامة شهوده وإبقاء حضوره معك في جميع الحالات وانحر بدنة البدن في طريق الخدمة وبدنة الطبيعة في طريق العفة وبدنة النفس في طريق الفتوة إن شانئك أي: مبغضك من القوى الشريرة الأنفسية والآفاقية هو الأبتر المقطوع أعقابه وآخره كما قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥] الذي ربى الأولياء فجعل لهم الوصل كما جعل لأعدائهم القطع ثم إن قوله: ﴿**هو الأبتر**﴾ يوقف عليه ثم يقال الله أكبر، ولا يوصل بالتكبير حذراً من الإيهام.

١٠٩ ـ سورة الكافرون

ست آيات مكية أو مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣)﴾

﴿قل يا أيها الكافرون﴾ قالوا في مناداتهم بهذا الوصف الذي يسترذلونه في بلدتهم ومحل عزهم وشوكتهم إيذان بأنه عليه السلام، محروس منهم فيها علم من أعلام النبوة وفي التعبير بالجمع الصحيح دلالة على قلتهم أو حقارتهم وذلتهم وهم كفرة مخصوصة كالوليد بن المغيرة وأبي جهل والعاص بن وائل وأمية بن خلف والأسود بن عبد يغوث والحارث بن قيس ونحوهم قد علم الله أنه لا يأتي ولا يتأتى منهم الإيمان أبداً على ما هو مضمون السورة فالخطاب للرسول عليه السلام، بالنسبة إلى قوم مخصوصين لا يرد أن مقتضى هذا الأمر أن يقول كل مسلم ذلك لكل جماعة من الكفار مع أن الشرع ليس حاكماً به روي أن رهطاً من عتاة قريش قالوا لرسول الله ﷺ: هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فقال: معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا استلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك فنزلت فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم فقرأها عليهم فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه وفيه إشارة إلى الذين ستروا نوراً استعدادهم الأصلي بظلمة صفات النفوس وآثار الطبيعة حجبوا عن الحق بالغير.

﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ أي: فيما يستقبل لأن لا تدخل غالباً إلا على مضارع في معنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل إلى على مضارع في معنى الحال ألا ترى إن لن تأكيد فيما ينفيه لا قال الخليل: في لن أصله لا والمعنى لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم.

﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أي: ولا أنتم فاعلون في المستقبل ما أطلب منكم من عبادة إلهي والمراد ولا أنتم عابدون عبادة يعتد بها إذ العبادة مع إشراك الأنداد لا تكون في حيز الاعتداد.

﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥)﴾

﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ أي: وما كنت عابداً فيما سلف ما عبدتم فيه أي لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف يرجى مني في الإسلام **﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾** أي وما عبدتم في وقت من الأوقات ما أنا على عبادته وهو الله تعالى فليس في السورة تكرار وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالاً كما أن الأولين لنفيها استقبالاً وإنما لم قيل ما عبدت ليوافق

ما عبدتم لأنهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الأصنام وهو عليه السلام لم يكن حينئذٍ موسوماً بعبادة الله ومشتهراً بكونه عابداً لله على سبيل الامتثال لأمره يعني على ما يقتضيه جعل العبادة صلة للموصول ثم عدم الموسومية بشيء لا يقتضي عدم ذلك الشيء فلا يلزم أن لا يكون عليه السلام عابداً لله قبل البعثة، بل يكون ما وقع منه قبلها من قبيل الجري على العادة المستمرة القديمة، وفي «القاموس»: كان عليه السلام، على دين قومه على ما بقي فيهم من إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، في حجهم ومناكحهم وبيوعهم وأساليبهم وأما التوحيد فإنهم كانوا بدلوه والنبي عليه السلام لم يكن إلا عليه انتهى. وإيثار ما في أعبد على من لأن المراد هو الوصف كأنه قيل ما أعبد من المعبود العظيم الشان الذي لا يقادر قدر عظمته.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾

﴿لكم دينكم﴾ تقرير لقوله تعالى: **﴿لا أعبد ما تعبدون﴾** وقوله تعالى: **﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾** **﴿ولي﴾** بفتح ياء المتكلم **﴿دين﴾** بحذف الياء إذ أصله ديني وهو تقرير لقوله تعالى: **﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾** والمعنى أن دينكم الذي هو الإشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه إلى الحصول لي أيضاً كما تطمعون فلا تعلقوا به أمانيكم الفارغة فإن ذلك من المحال وأن ديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوز إلى الحصول لكم أيضاً لأنكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لآلهتكم أو استلامي إياها ولأن ما وعدتموه عين الإشراك وحيث كان مبني قولهم تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة على شركة الفريقين كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر أفراد حتماً، وفي «عين المعاني»: ونحوه هو منسوخ بآية السيف، وقال أبو الليث: وفيها دليل على أن الرجل إذا رأى منكراً أو سمع قولاً منكراً فأنكره ولم يقبلوا منه لا يجب عليه أكثر من ذلك وإنما عليه مذهبه وطريقه وتركهم على مذهبهم وطريقهم.

يقول الفقير: وردت علي هذه السورة وكأني أقرأها في صلاة العصر بصوت جهوري حتى أسمعتها جميع ما في الكون وإشارتها قل: يا محمد القلب يا أيها الكافرون أي القوى النفسانية الساترة للتوحيد بالشرك والطاعة بالمعصية والوحدة بالكثرة والوجود الحقيقي بالوجود المجازي ونور الحقيقة الوجوبية بظلمة الحقيقة الإمكانية لا أعبد ما تعبدون من الأصنام التي يعبر عنها بما سوى الله فإني مأمور بالإيمان بالله والكفر بالطاغوت وكل ما سوى الله من قبيل الطاغوت والإله المجعول المقيد فلا يستحق العبادة إلا الله المطلق عن الإطلاق والتقييد ولا أنتم عابدون ما أعبد وهو الله الواحد القهار الذي قهر بوحدته جميع الكثرات ولكن لا يقف عليه إلا أهل الوحدة والشهود وأنتم أهل الكثرة والاحتجاب فإنى لكم هذا الوقوف ولا أنا عابد ما عبدتم من التلوينات والتقلبات في الكثرات الاسمائية والصفاتية، ولا أنتم عابدون ما أعبد من التمكين والتحقيق وكذا من التلوين في التمكين فإنه من مقتضيات ظهور حقائق جميع الأسماء وليس فيه ميل وانحراف عن الحق أصلاً، بل فيه بقاء مع الحق في كل طور لكم دينكم الذي هو الإيمان بالطاغوت والكفر بالله وهو الدين الذي يجب التبري منه ولي دين الذي هو الإيمان بالله والكفر بالطاغوت وهو الدين الذي يجب التعلق بأحكامه والتخلق بأخلاقه والتحقق بحقائقه هذا فحقائق القرآن ليست بمنسوخة أبداً بل العمل بها باق.

[ابن عباس رضي الله عنهما فرموده در قرآن سورهء نيست بر شيطان سخت ترازين سوره زيراكه توحيد محض است ودرو برائت از شرك] فمن قرأها برىء من الشرك وتباعد عنه مردة الشياطين وأمن من الفزع الأكبر وهي تعدل ربع القرآن، وفي الحديث: «مروا صبيانكم فليقرأوها عند المنام فلا يعرض لهم شيء ومن خرج مسافراً فقرأ هذه السور الخمس ﴿قل يا أيها الكافرون﴾، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النصر: ١]، ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]، ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١]، رجع سالماً غانماً».

تمت سورة الكافرين بعون ناصر المؤمنين

١١٠ ـ سورة النصر

ثلاث آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾

﴿إذا جاء نصر الله﴾ أي: إعانته تعالى وإظهاره إياك على أعدائك فإن قلت: لا شك إن ما وقع من الفتوح كان بنصرة المؤمنين فما وجه أضافتها إلى الله؟ قلت: لأن أفعالهم مستندة إلى دواعي قلوبهم وهي أمور حادثة لا بد لها من محدث وهو الله تعالى فالعبد هو المبدأ الأقرب والله هو المبدأ الأول والخالق للدواعي وما يبتني عليها من الأفعال والعامل في إذا هو سبح أي فسبح إذا جاء نصر الله ولا يمنع الفاء عن العمل على قول الأكثرين أو فعل الشرط وليس إذا مضافاً إليه على مذهب المحققين وإذا لما يستقبل والإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة لما روي أن السورة نزلت قبل فتح مكة كما عليه الأكثر. ﴿والفتح﴾ أي: فتح مكة على أن الإضافة واللام للعهد وهو الفتح الذي تطمح إليه الأبصار، ولذلك سمي فتح الفتوح ووقع الوعد به في أول سورة الفتح وقد سبقت قصة الفتح في تلك السورة وقيل جنس نصر الله ومطلق الفتح على أن الإضافة واللام للاستغراق فإن فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما أن نفسها أم القرى وإمامها جعل مجيئه بمنزلة مجيء سائر الفتوح وعلق به أمره عليه السلام وإنهما على جناح الوصول إليه عن قريب ويمكن أن يقال التعبير للإشارة إلى حصول نصر الله بمجيء جند بهم النصر، وقيل نزلت السورة في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع وعاش عليه السلام بعدها ثمانين يوماً أو نحوها فكلمة إذا حينئذٍ باعتبار أن بعض ما في حيزها أعني رؤيته دخول الناس.. الخ. غير منقض بعد وقال سعدي المفتي: وعلى هذه الرواية فكلمة إذا تكون خارجة عن معنى الاستقبال فإنها قد تخرج عنه كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً﴾ [الجمعة: ١١] الآية وفي «المصطلحات»: إن الفتوح كل ما يفتح على العبد من الله تعالى بعد ما كان مغلقاً عليه من النعم الظاهرة والباطنة كالأرزاق والعبادات والعلوم والمعارف والمكاشفات وغير ذلك، والفتح القريب هو ما انفتح على العبد من مقام القلب وظهور صفاته وكمالاته عند قطع منازل النفس وهو المشار إليه بقوله: ﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ﴾ [الصف: ١٣] والفتح المبين هو ما يفتح على العبد من مقام الولاية وتجليات أنوار الأسماء الإلهية المفنية لصفات القلب وكمالاته المشار إليه بقوله: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١، ٢] يعني: من الصفات النفسانية والقلبية والفتح المطلق هو أعلى الفتوحات وأكملها وهو ما انفتح على العبد من تجلي الذات الأحدية والاستغراق في عين الجمع بفناء الرسوم

الخلقية كلها وهو المشار إليه بقوله: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ انتهى. وقد سبق بعبارة أخرى في سورة الفتح وعلى هذا، فالمراد بالنصر هو المدد الملكوتي والتأييد القدسي بتجليات الأسماء والصفات وبالفتح هو الفتح المطلق الذي لا فتح وراءه وهو فتح باب الحضرة الإلهية الأحدية والكشف الذاتي ولا شك أن الفتح الأول هو فتح ملكوت الأفعال في مقام القلب بكشف حجاب حس النفس بإفناء أفعالها في أفعال الحق، والثاني: هو فتح جبروت الصفات في مقام الروح بكشف حجاب خيالها بإفناء صفاتها في صفاته، والثالث: هو فتح لاهوت الذات في مقام السر بكشف حجاب وهمها بإفناء ذاتها في ذاته ومن حصل له هذا النصر والفتح الباطني حصل له النصر والفتح الظاهري أيضاً لأن النصر والفتح من باب الحرمة وعند الوصول إلى نهاية النهايات لا يبقى من السخط أثر أصلاً ويستوعب الظاهر والباطن أثر الرحمة مطلقاً ومن ثمة تفاوت أحوال الكمل بداية ونهاية فظهر من هذا أن كلا من النصر والفتح في الآية ينبغي أن يحمل على ما هو المطلق لكني اقتفيت أثر أهل التفسير في تقديم ما هو المقيد لكنه قول مرجوح تسامح الله عن قائله.

﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾

﴿ورأيت الناس﴾ أبصرتهم أو علمتهم يعني العرب واللام للعهد أو الاستغراق العرفي جعلوه خطاباً للنبي عليه السلام، بالاستغفار مع أنه لا تقصير له إذ الخطاب لا يخصه فالأمر بالاستغفار لمن سواه وإدخاله في الأمر تغليب ﴿يدخلون في دين الله﴾ أي: ملة الإسلام التي لا دين يضاف إليه تعالى غيرها والجملة على تقدير الرؤية البصرية حال وعلى تقدير الرؤية القلبية مفعول ثان وقال بعضهم: ومما يختلج في القلب أن المناسب لقوله ﴿يدخلون﴾.. الخ أن يحمل قوله والفتح على فتح باب الدين عليهم. ﴿أفواجاً﴾ حال من فاعل يدخلون أي: يدخلون فيه جماعات كثيرة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحداً واحداً واثنين اثنين روي أنه عليه السلام لما فتح مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا: إذا ظفر بأهل الحرم فلن يقاومه أحد وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل ومن كل من أرادهم فكانوا يدخلون في دين الإسلام أفواجاً من غير قتال.

قال الكاشفي: [درسال نزول اين سوره تتابع وفود بود چون بني أسد وبني مرة وبني كلب وبني كنانة وبني هلال وغير ايشان ازا اكناف وأطراف بخدمت آن حضرت آمده بشرف إسلام مشرف ميشدند].

قال أبو عمر بن عبد البر: لم يمت رسول الله عليه السلام وفي العرب رجل كافر بل دخل الكل في الإسلام بعد حنين منهم من قدم ومنهم من قدم وافده وقال ابن عطية: والمراد والله أعلم العرب عبدة الأوثان وأما نصارى بني تغلب فما أسلموا في حياته عليه السلام، ولكن أعطوا الجزية، وفي «عين المعاني» الناس أهل البحر، قال عليه السلام: «الإيمان يماني والحكمة يمانية» وقال: «وجدت نفس ربكم من جانب اليمن» أي تنفيسه من الكرب وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه بكى ذات يوم فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول الله عليه السلام، يقول: «دخل الناس في دين الله أفواجاً وسيخرجون منه أفواجاً».

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾

﴿فسبح بحمد ربك﴾ التسبيح مجاز عن التعجب بعلاقة السببية فإن من رأى أمراً عجيباً يقول سبحان الله قال ابن الشيخ: لعل الوجه في إطلاق هذه الكلمة عند التعجب كما ورد في الأذكار، ولكل أعجوبة سبحان الله هو أن الإنسان عند مشاهدة الأمر العجيب الخارج عن حد أمثاله يستبعد وقوعه وتنفعل نفسه منه كأنه استقصر قدرة الله فلذلك خطر على قلبه أن يقول من قدر عليه وأوجده ثم إنه في هذا الزعم مخطىء فقال: سبحان الله تنزيهاً لله عن العجز عن خلق أمر عجيب يستبعد وقوعه لتيقنه بأن الله على كل شيء قدير. قال الإمام السهيلي رحمه الله: سر اقتران الحمد بالتسبيح أبداً نحو سبح بحمد ربك وإن من شيء إلا يسبح بحمده أن معرفة الله تنقسم قسمين: معرفة ذاته ومعرفة أسمائه وصفاته ولا سبيل إلى إثبات أحد القسمين دون الآخر وإثبات وجود الذات من مقتضى العقل وإثبات الأسماء والصفات من مقتضى الشرع فبالعقل عرف المسمى وبالشرع عرفت الأسماء ولا يتصور في العقل إثبات الذات إلا مع نفي سمات الحدوث عنها وذلك هو التسبيح ومقتضى العقل مقدم على مقتضى الشرع وإنما جاء الشرع المنقول بعد حصول النظر والعقول فنبه العقول على النظر فعرفت ثم علمها ما لم تكن تعلم من الأسماء فانضاف لها التسبيح والحمد والثناء فما أمرنا تسبيحه إلا بحمده انتهى. ومعنى الآية فقل سبحان الله حال كونك ملتبساً بحمده أي: فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال أحد من أن يغلب أحد على أهل حرمه المحترم واحمده على جميع صنعه هذا على الرواية الأولى ظاهر وأما على الثانية فلعله أمر بأن يداوم على ذلك استعظاماً لنعمته لا بإحداث التعجب لما ذكر فإنه إنما يناسب حالة الفتح. وقال بعضهم: والأشبه أن يراد نزهه عن العجز في تأخير ظهور الفتح واحمده على التأخير وصفه بأن توقيت الأمور من عنده ليس إلا بحكم لا يعرفها إلا هو انتهى.

أو فاذكره مسبحاً حامداً وزد في عبادته والثناء عليه لزيادة إنعامه عليك أو فصل له حامداً على نعمه فالتسبيح مجاز عن الصلاة بعلاقة الجزئية لأنها تشتمل عليه في الأكثر، روي أنه عليه السلام لما فتح باب الكعبة «صلى صلاة الضحى ثماني ركعات» وحملها بعضهم على صلاة الشكر لا على صلاة الضحى وبعضهم على أن أربعاً منها للشكر وأربعاً للضحى أو فنزهه عما يقول الظلمة حامداً له على أن صدق وعده أو فأثنِ على الله بصفات الجلال يعني الصفات السلبية حامداً له على صفات الإكرام يعني الصفات الثبوتية، أي: على أثرها أو على تنزيلها منزلة الأوصاف الاختيارية لكفاية الذات المقدس في الاتصاف بها فإن المحمود عليه يجب أن يكون أمراً اختيارياً.

وقال القاشاني: نزه ذاتك عن الاحتجاجات بمقام القلب الذي هو معدن النبوة بقطع علاقة البدن والترقي إلى مقام حق اليقين الذي هو معدن الولاية حامداً له بإظهار كمالاته وأوصافه التامة عند التجريد بالحمد الفعلي. ﴿واستغفره﴾ هضماً لنفسك واستقصاراً لعملك واستعظاماً لحقوق الله واستدراكاً لما فرط منك من ترك الأولى أو استغفر لذنبك وللمؤمنين وهو المناسب لما في سورة محمد، وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق إلى الخلق حيث لم تشتغل على رؤية الناس باستغفارهم أولاً مع أن رؤيتهم تستدعي ذلك بل اشتغل أولاً بتسبيح الله وحمده لأنه رأى الله قبل رؤية الناس كما

قيل ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وذلك لأن الناس مرآة العارف وصاحب المرآة يتوجه أولاً إلى المرئي وبرؤية المرئي تلتفت نفسه إلى المرآة ولك أن تقول: إن في تقديم المذكور تعليم أدب الدعاء وهو أن لا يسأل فجأة من غير تقديم الثناء على المسؤول عنه عن عائشة رضي الله عنها أنه كان عليه السلام يكثر قبل موته أن يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك وأتوب إليك» وعنه عليه السلام: «إني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة» ومنه يعلم أن ورد الاستغفار لا يسقط أبداً لأنه لا يخلو الإنسان عن الغين والتلوين، وروي أنه لما قرأها النبي عليه السلام على أصحابه استبشروا وبكى العباس فقال عليه السلام: «ما يبكيك يا عم قال نعيت إليك نفسك» أي ألقي إليك خبر موت نفسك، والنعي إلقاء خبر الموت قال عليه السلام، إنها لكما تقول فلم ير عليه السلام، بعد ذلك ضاحكاً مستبشراً، وقيل إن ابن عباس رضي الله عنهما هو الذي قال ذلك فقال عليه السلام: «لقد أوتي هذا الغلام علماً كثيراً» ولذلك كان عمر يدنيه ويأذن له مع أهل بدر ولعل ذلك للدلالة على تمام أمر الدعوة وتكامل أمر الدين كقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] والكمال دليل الزوال كما قيل توقع زوالاً إذا قيل تم.

أو لأن الأمر بالاستغفار تنبيه على قرب الأجل كأنه قال: قرب الوقت ودنا الرحيل فتأهب للأمر ونبه به على أن العاقل إذا قرب أجله ينبغي أن يستكثر من التوبة، وروي أنها لما نزلت خطب رسول الله ﷺ فقال: «إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله، فعلم أبو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا» وعنه عليه السلام «أنه دعا فاطمة رضي الله عنها، فقال: يا بنتاه إنه نعيت إلى نفسي» يعني [خبر وفات من دهند].

نامه رسيد ازان جهان بهر مراجعت برم　　عزم رجوع ميكنم رخت بچرخ ميبرم

فبكت فقال: «لا تبكي فإنك أول أهلي لحوقاً بي فضحكت» وعن ابن مسعود إن هذه السورة تسمى سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا قال علي رضي الله عنه: لما نزلت هذه السورة مرض رسول الله عليه السلام، فخرج إلى الناس فخطبهم وودعهم ثم دخل المنزل فتوفي بعد أيام، قال الحسن رحمه الله: أعلم أنه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم له بالعمل الصالح وفيه تنبيه لكل عاقل. ﴿إنه كان توابا﴾ مبالغاً في قبول توبتهم منذ خلق المكلفين فليكن كل تائب مستغفر متوقعاً للقبول وذلك أن قبول التوبة من الصفات الإضافية ولا منازعة في حدوثها فاندفع ما يرد إن المفهوم من الآية أنه تعالى تواب في الماضي وكونه تواباً في الماضي كيف يكون علة للاستغفار في الحال والمستقبل، وفي اختيار أنه كان تواباً على غفاراً مع أنه الذي يستدعيه قوله ﴿واستغفر﴾ حتى قيل وتب مضمر بعده وإلا لقال غفاراً تنبيه على أن الاستغفار إنما ينفع إذا كان مع التوبة والندم والعزم على عدم العود، ثم إن من أضمر وتب يحتمل أنه جعل الآية من الاحتباك حيث دل بالأمر بالاستغفار على التعليل بأنه كان غفاراً وبالتعليل بأنه كان تواباً على الأمر بالتوبة أي استغفره وتب.

ذكر البرهان الرشيدي: أن صفات الله تعالى التي على صيغة المبالغة كلها مجاز لأنها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لأن المبالغة أن يثبت للشيء أكبر أكثر مما له وصفاته تعالى

منزهة عن ذلك واستحسنه الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله، وقال الزركشي في «البرهان»: التحقيق إن صيغة المبالغة قسمان: أحدهما ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل والثاني بحسب تعدد المفعولات ولا شك أن تعددها لا يوجب للفعل زيادة إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين وعلى هذا القسم تنزل صفاته ويرفع الإشكال ولهذا قال بعضهم: في حكيم معنى المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة إلى الشرائع، وقال في «الكشاف»: المبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه أو لأنه بليغ في قبول التوبة بحيث ينزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه.

تمت سورة النصر بعون من أقسم بالعصر بعد ظهر يوم السبت

١١١ ـ سورة المسد

خمس آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

﴿تبت﴾ أي: أهلكت فإن التباب الهلاك ومنه قولهم أشابة أم تابة أيالكة من الهرم والعجز أو خسرت فإن التباب أيضاً خسران يؤدي إلى الهلاك﴿يدا أبي لهب﴾ تثنية يد واللهب واللهيب اشتعال النار إذا خلص من الدخان أو لهبها لسانها ولهيبها حرها، أبو لهب وتسكن الهاء كنية عبد العزى بن عبد المطلب لجماله أو لماله كما في «القاموس»، يعني أن التكني لإشراق وجنتيه وتلهبهما وإلا فليس له ابن يسمى باللهب وإيثار التباب على الهلاك وإسناده إلى يديه لما روي أنه لما نزل ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤] رقي رسول الله عليه السلام الصفاء وجمع أقاربه فأنذرهم فقال: «يا بني عبد المطلب يا بني فهر إن أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم» يعني [اكر من شمارا خبر كنم بآنكه در پاي اين كوه جمعي آمده اند بداعيهٔ آنكه ير شماشبيخون كرده دست بقتل وغارت بكشايند مرا دران تصديق ميكنيد يانه كفتند چرا نكنيم وتوپيش ما بدروغ نعتهم نشدهٔ].

قال: «فإني نذير لكم بين يدي الساعة فقال عمه أبو لهب. تبا لك ـ يعني [هلاكت باد].

ألهذا دعوتنا وأخذ حجراً بيده ليرميه عليه السلام به فمنعه الله من ذلك حيث لم يستطع أن يرميه» فلا كناية في ذكر اليدين ووجه وصف يديه بالهلاك ظاهر وأما وصفهما بالخسران فلرد ما اعتقده من نفعه وربحه في أذية رسول الله عليه السلام، ورميه بالحجر وذكر في «التأويلات» الماتريدية أنه كان كثير الإحسان إلى رسول الله عليه السلام، وكان يقول إن كان الأمر لمحمد فيكون لي عنده يد وإن كان لقريش فلي عندها يد فأخبر أنها خسرت يده التي كانت عند محمد عليه السلام، بعناده له ويده التي عند قريش أيضاً لخسران قريش وهلاكهم في يد محمد. ﴿وتب﴾ أي: وهلك كله فهو إخبار بعد إخبار والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه، وقيل المراد بالأولى هلاك جملته كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] على أن ذكر اليد كناية عن النفس والجملة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب فإن كلمة قد لا تدخل على الدعاء وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك والمراد بيان استحقاقه لأن يدعى عليه بالهلاك فإن حقيقة الدعاء شأن العاجز وإنما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته فليست للتكريم أو لكراهة ذكر اسمه القبيح إذ فيه إضافة إلى الصنم أو للتعريض بكونه جهنمياً لأنه سيصلى ناراً ذات لهب، يعني: أن أبا لهب باعتبار معناه الإضافي يصلح أن يكون كناية عن

حاله وهي كونه جهنمياً لأن معناه باعتبار إضافته ملابس اللهب كما أن معنى أبو الخير وأخو الحرب بذلك الاعتبار ملابس الخير والحرب، واللهب الحقيقي لهب جهنم وهذا المعنى يلزمه أنه جهنمي ففيه انتقال من الملزوم إلى اللازم فهي كنية تفيد الذم فاندفع ما يقال: هذا يخالف قولهم ولا يكنى كافر فاسق ومبتدع إلا لخوف فتنة أو تعريف لأن ذلك خاص بالكنية التي تفيد المدح لا الذم ولم يشتهر بها صاحبها، قال في «الاتقان»: ليس في القرآن من الكنى غير أبي لهب ولم يذكر اسمه وهو عبد العزى أي: الصنم لأنه حرام شرعاً انتهى. وفيه الحرام وضع ذلك لا استعماله وفي كلام بعضهم ما يفيدان الاستعمال حرام أيضاً إلا أن يشهر بذلك ما في الأوصاف المنقصة كالأعمش وكان بعد نزول هذه السورة لا يشك المؤمن إنه من أهل النار بخلاف غيره ولم يقل في هذه السورة. قل ﴿تبت﴾.. الخ لئلا يكون مشافهاً لعمه بالشتم والتغليظ وإن شتمه عمه لأن للعم حرمة كحرمة الأب لأنه مبعوث رحمة للعالمين وله خلق عظيم فأجاب الله عنه وقرىء أبو لهب بالواو كما قيل علي بن أبو طالب ومعاوية بن أبو سفيان مع أن القياس الياء لكونه مضافاً إليه كيلاً يغير منه شيء فيشكل على السامع والحاصل أن الكنية بمنزلة العلم والأعلام لا تتغير في شيء من الأحوال وكان لبعض أمراء مكة ابنان أحدهما عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالفتح.

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصۡلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾﴾

﴿ما أغنى عن ماله وما كسب﴾ أي: لم يغن عنه حين حل به التبات ولم ينفعه أصلاً على أن ما نافية أو أي: شيء أغنى عنه على أنها استفهامية في معنى الإنكار منصوبة بما بعدها على أنه مفعول به أو أي إغناء أغنى عنه على أنها مفعول مطلق أصل ماله وما كسبه به من الأرباح والنتائج والمنافع والوجاهة والأتباع، ولا أحداً أكثر مالاً من قارون وما دفع عنه الموت والعذاب ولا أعظم ملكاً من سليمان عليه السلام وقد قيل فيه:

نـه بـربـاد رفـتـى سـحـركـاه وشـام ... سـريـر سـلـيـمـان عـلـيـه الـسـلام
بـآخ نـديـديـكـه بـربـاد رفـت ... خـنـك آنـكـه بـادانـش وداد رفـت

أو ماله الموروث من أبيه والذي كسبه بنفسه أو عمله الخبيث الذي هو كيده في عداوة النبي عليه السلام، أو عمله الذي ظن أنه منه على شيء كقوله تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٍ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣] وقال بعضهم: ما كسب منفعة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ما كسب ولده.

وروي أنه كان يقول: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فأنا افتدي منه نفسي بمالي وولدي فأستخلص منه وقد خاب رجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة أسد في طريق الشام وذلك أن عتبة بن أبي لهب، وكان تحته ابنة رسول الله عليه السلام أراد الخروج إلى الشام فقال لآتين محمداً فلأوذنيه فأتاه فقال: يا محمد هو كافر بالنجم إذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله ﷺ ورد عليه ابنته وطلقها فقال عليه السلام: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» فرجع عتبة إلى أبيه فأخبره ثم خرجوا إلى الشام فنزلوا منزلاً فأشرف عليهم راهب من الدير فقال: إن هذه أرض مسبعة فقال أبو لهب: أعينوني يا معشر قريش هذه الليلة فإني أخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتبة فجاء الأسد يتخللهم

ويتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وهلك أبو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليالٍ والعدسة بثرة تخرج في البدن تشبه العدسة وهي من جنس الطاعون تقتل غالباً فاجتنبه أهله مخافة العدوى، وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثاً حتى أنتن ثم استأجروا بعض السودان واحتملوه ودفنوه فكان الأمر كما أخبر به القرآن وفي «إنسان العيون»: لم يحفروا له حفيرة ولكن أسندوه إلى حائط وقذفوا عليه الحجارة خلف الحائط حتى واروه، وفي رواية حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه، وعن عائشة رضي الله عنها إنها كانت إذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها والقبر الذي يرجم خارج باب الشبيكة الآن ليس بقبر أبي لهب وإنما هو قبر رجلين لطخا الكعبة بالعذرة وذلك في دولة بني العباس فإن الناس أصبحوا يوماً فوجدوا الكعبة ملطخة بالعذرة فرصدوا للفاعل فأمسكوهما بعد أيام فصلبا في ذلك الموضع فصارا يرجمان إلى الآن.

﴿سيصلى﴾ أي: ما ذكر من العذاب مآل أمره في النشأة الأولى وفي النشأة الآخرة سيدخل لا محالة ﴿ناراً ذات لهب﴾ ناراً عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا نصاً في أنه لا يؤمن أبداً حتى يلزم من تكليفه الإيمان بالقرآن أن يكون مكلفاً بأن يؤمن بأنه لا يؤمن أبداً فيكون مأموراً بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فإن صلي النار غير مختص بالكفار فيجوز أن يفهم أبو لهب من هذا أن دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار إلى الجواب المشهور من أن ما كلفه هو الإيمان بجميع ما جاء به النبي عليه السلام إجمالاً لا الإيمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم أن يكلف الإيمان بعدم إيمانه المستمر.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥﴾.

﴿وامرأته﴾ عطف على المستكن في سيصلى لكون الفصل بالمفعول، يعني: [زن أو نيز بااودر آيد وداخل نار شود] وهي أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان عمة معاوية رضي الله عنه، واسمها العوراء [وآن درهمسا يكىء حضرت عليه السلام، خانه داشت] وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنشرها بالليل في طريق النبي عليه السلام، [تا خارى نعوذ بالله در دامنش آو يزديا درپايش خلد] وكان عليه السلام يطأه كما يطأ الحرير، وفي «تفسير أبي الليث» حتى صار النبي عليه السلام، وأصحابه في شدة وعناء، وفي «تفسير الكاشفي»: وآن حضرت كه بنماز بيرون آمدي آنها برسرراه بركرفتي وبطريق ملايمت كفتى اين چه نوع همسا يكيست كه يا من ميكنيد.

ميـر يـخـتـنـد دره تـوخـار بـاهـمـه چون كل شكفته بود رخ كلستان تو

﴿حمالة الحطب﴾ الحطب ما أعد من الشجر شبوباً كما في «القاموس» ونصب حمالة على الشتم والذم أي: أذم حمالة الحطب، قال الزمخشري: وأنا استحب هذه القراءة وقد توسل إلى رسول الله عليه السلام، بجميل من أحب شتم أم جميل انتهى. وقيل على الحالية بناه على أن الإضافة غير حقيقية إذ المراد أنها تحمل يوم القيامة حزمة حطب كالزقوم والضريع وفي جيدها سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يناسب حاله في جرمه، وعن قتادة: أنها مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل، فالنصب حينئذٍ على الشتم حتماً وقيل كانت تمشي بالنميمة وتفسد بين الناس تحمل الحطب بينهم أي: توقد بينهم النائرة وتورث الشر.

پس هيزم كشى عبارتست ازسخن چينى كه آتش خصومت ميان دوكس برمى افروزد.

ميان دوكس جنك چون آتش است — سخن چين بدبحت هيزم كش است
كنند اين وآن خوش دكر باره دل — وى اندرميان كور بخت وخجل
ميان دوكس آتش افروختن — نه عقلست خود درميان سوختن

﴿في جيدها حبل من مسد﴾ جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة حالية والجيد بالكسر العنق ومقلده أو مقدمه كما في «القاموس»، والمسد ما يفتل من الحبال فتلاً شديداً من ليف كان أو جلداً وغيرهما يقال دابة ممسودة شديدة الأسر والمعنى في عنقها حبل مما مسد من الحبال وإنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيساً لحالها وتصويراً لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتغضب من ذلك ويشق عليها ويغضب بعلها أيضاً وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة.

قال مرة الهمداني: كانت أم جميل تأتي كل يوم بابالة من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هي ذات ليلة حاملة حزمة أعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاختفت بحبلها حتى هلكت [وبدوزخ رفت]، وفي «ينبوع الحياة»: أنها لما بلغها سورة تبت يدا أبي لهب جاءت إلى أخيها أبي سفيان في بيته وهي متحرقة غضبى فقالت له: ويحك يا أحمس أي: يا شجاع أما تغضب إن هجاني محمد فقال سأكفيك إياه ثم أخذ بسيفه وخرج ثم عاد سريعاً فقالت له: هل قتلته فقال لها: يا أختي أيسرك إن رأس أخيك في فم ثعبان قالت: لا والله قال فقد كاد ذلك يكون الساعة أي فإنه رأى ثعباناً لو قرب منه ﷺ لالتقم رأسه ثم كان من أمر أبي سفيان الإسلام ومن أمر أخته الموت على الكفر والكل من حكم الله السابق.

قال في «كشف الأسرار»: [سك أصحاب الكهف رنك كفزادشت ولباس بلعام باعور طراز دين داشت ليكن شقاوت وسعادت أزلي ازهر دو جانب دركمين بود چون دولت روى نمود پوست أن سك ازروى صورت در بلعام پوشانيد ند كفتند].

فمثله كمثل الكلب [ومرقع بلعام دران سك پوشيدند كفتند] ثلاثة رابعهم كلبهم قوله ﴿من مسد﴾ بالوقف يعني يوقف عليه ثم يجاء بالتكبير لما مر.

تمت سورة المسد في عاشر جمادى الأولى
من سنة سبع عشرة ومائة وألف

١١٢ ـ سورة الإخلاص

أربع أو خمس آيات مكية أو مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)﴾.

﴿قل هو الله أحد﴾ الضمير للشأن كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة إلى العائد لأنها عين الشان الذي عبر عنه بالضمير أي: الله أحد هو الشأن هذا أو هو أن الله أحد والسر في تصدير الجملة به التنبيه من أول الأمر على فخامة مضمونها مع أن في الإبهام، ثم التفسير مزيد تقرير أو الضمير لما سئل عنه أي الذي سألتم عنه هو الله إذ روي أن المشركين قالوا للنبي عليه السلام: «صف لنا ربك الذي تدعونا إليه وانسبه أي بين نسبه واذكره فنزلت» يعني بين الله نسبه بتنزيهه عن النسب حيث نفى عنه الوالدية والمولودية والكفاءة، فالضمير حينئذٍ مبتدأ والله خبره وأحد بدل منه وإبدال النكرة المحضة من المعرفة يجوز عند حصول الفائدة على ما ذهب إليه أبو علي وهو المختار والله أعلم. دال على الإله الحق دلالة جامعة لمعاني الأسماء الحسنى كلها.

وقال القاشاني: هو عندنا اسم الذات الإلهية من حيث هي هي أي: المطلقة الصادق عليها مع جميعها أو بعضها أو لا مع واحد منها كقوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ انتهى. وعبد الله هو العبد الذي تحلى بجميع أسمائه فلا يكون في عباده أرفع مقاماً وأعلى شأناً منه لتحققه بالاسم الأعظم واتصافه بجميع صفاته ولهذا خص نبينا عليه السلام، بهذا الاسم في قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩] فلم يكن هذا الاسم بالحقيقة إلا له وللأقطاب من ورثته بتبعيته وإن أطلق على غيره مجازاً لاتصاف كل اسم من أسمائه بجميعها بحكم الواحدية واحدية جميع الأسماء والأحد اسم لمن لا يشاركه شيء في ذاته كما أن الواحد اسم لمن لا يشاركه شيء في صفاته، يعني أن الأحد هو الذات وحدها بلا اعتبار كثرة فيها فأثبت له الأحدية التي هي الغنى عن كل ما عداه وذلك من حيث عينه وذاته من غير اعتبار أمر آخر والواحد هو الذات مع اعتبار كثرة الصفات وهي الحضرة الاسمائية ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤)﴾ [الصافات: ٤] ولم يقل الأحد لأن الواحدية من أسماء التقييد فبينها وبين الخلق ارتباط أي من حيث آلهيه والمألوهية بخلاف الأحدية إذ لا يصح ارتباطها بشيء فقولهم العلم الإلهي هو العلم بالحق من حيث الارتباط بينه وبين الخلق وانتشاء العالم منه بقدر الطاقة البشرية إذ منه ما لا تفيه الطاقة البشرية وهو ما وقع به الكمل في ورطة الحيرة، وأقروا بالعجز عن حق المعرفة، ومنه يعلم أن توحيد الذات مختص في الحقيقة بالله تعالى وعبد الأحد هو

وحيد الوقت صاحب الزمان الذي له القطبية الكبرى والقيام بالأحدية الأولى، وعبد الواحد هو الذي بلغه الله الحضرة الواحدية وكشف له عن أحدية جميع أسمائه فيدرك ما يدرك ويفعل ما يفعل بأسمائه ويشاهد وجود أسمائه الحسنى. قال ابن الشيخ في «حواشيه» قوله: ﴿هو الله أحد﴾ ثلاثة ألفاظ كل واحد منها إشارة إلى مقام من مقامات السائرين إلى الله تعالى فالمقام الأول: مقام المقربين وهم الذين نظروا إلى ماهيات الأشياء وحقائقها من حيث هي هي فلا جرم ما رأوا موجوداً سوى الله لأن الحق هو الذي لذاته يجب وجوده وأما ما عداه فممكن والممكن إذا نظر إليه من حيث هو هو كان معدوماً فهؤلاء لم يروا موجوداً سوى الحق تعالى، وكلمة هو وإن كانت للإشارة المطلقة مفتقرة في تعين المراد بها إلى سبق الذكر بأحد الوجوه أو إلى أن يعقبها ما يفسرها إلا أنهم يشيرون بها إلى الحق ولا يفتقرون في تلك الإشارة إلا ما يميز المراد بها من غيره لأن الافتقار إلى المميز إنما يحصل حيث وقع الإبهام بأن يتعدد ما يصلح لأن يشار إليه، وقد بينا أنهم لا يشاهدون بعيون عقولهم إلا الواحد فقط فلهذا السبب كانت لفظة هو كافية في حصول العرفان التام لهؤلاء، والمقام الثاني: مقام أصحاب اليمين وهو دون المقام الأول وذلك؛ لأنهم شاهدوا الحق موجوداً وشاهدوا الخلق أيضاً موجوداً فحصلت الكثرة في الموجودات فلا جرم لم تكن لفظة هو كافية في الإشارة إلى الحق بل لا بد هناك من مميز به يتميز الحق من الخلق فهؤلاء مفتقرون إلى أن يقرن لفظة الله بلفظة هو، فقيل: لأجلهم هو الله لأن لفظة الله اسم للموجود الذي يفتقر إليه ما عداه ويستغني هو عن كل ما عداه، فتتميز به الذات المرادة عما عداه والمقام الثالث: مقام أصحاب الشمال وهو أخس المقامات وهم الذين يجوزون أن يكون واجب الوجود أكثر من واحد فقرن لفظة الأحد بما تقدم رداً على هؤلاء وإبطالاً لمقالهم فقيل: ﴿قل هو الله أحد﴾ انتهى.

كلامه ومنه يعلم صحة ما اعتاده الصوفية من الذكر بالاسم هو وذلك لأن أهل البداية منهم وهم المحجوبون تابعون لأهل النهاية منهم وهم المكاشفون، كأنهم كلهم ما شاهدوا في الوجود إلا الله فالله عندهم بهويته المطلقة السارية متعين لا حاجة إلى التعيين أصلاً فضمير هو راجع إليه لا إلى غيره كما أن الضمير في أنزلناه راجع إلى القرآن لتعينه وحضوره في الذهن، فقول الطاعن إنه ضمير ليس له مرجع متعين فكيف يكون ذكر الله تعالى مردود على أن الضمائر أسماء وكل الأسماء ذكر لا فرق بينها بالمظهرية والمضمرية، فعلى هذا يجوز أن يدخل اللام في كلمة هو في اصطلاح الصوفية لأنها إشارة إلى الهوية ولا مناقشة في الاصطلاح، ثم قوله: ﴿قل﴾ أمر من عين الجمع وارد على مظهر التفصيل وفيه إشارة إلى سر قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] فكأنه يقول: أنا شهدت بوحدة الهوية في مقام الجمع فأشهد أنت أيضاً بتلك الوحدة في مقام الفرق ليظهر سر الأحدية واللاأحدية ويحصل التطابق بينهما جمعاً وتفصيلاً هكذا لاح بالبال والله أعلم بحقيقة الحال وقرىء ﴿هو الله﴾ بلا قل وكذا في المعوذتين لأنه توحيد والأخريان تعوذ فيناسب أن يدعو بهما وأن يؤمر بتبليغهما وقد سبق في سورة الأعلى ما يغني عن تكراره ههنا وقال بعضهم: إنما أثبت في المصحف قل والتزم في التلاوة مع أنه ليس من دأب المأمور بقل أن يتلفظ في مقام الائتمار إلا بالمقول لأن المأمور ليس المخاطب به فقط بل كل واحد ابتلي بما ابتلي به المأمور فأثبت ليبقى على مر الدهور منا على العباد.

﴿اَللَّهُ ٱلصَّـمَدُ ۝٢ لَمْ يَـلِدْ وَلَـمْ يُولَـدْ ۝٣﴾

﴿الله الصمد﴾ مبتدأ وخبر فعل بمعنى مفعول كقبض بمعنى مقبوض من صمد إليه من باب نصر إذا قصد أي هو السيد المصمود إليه في الحوائج المستغني بذاته وكل ما عداه محتاج إليه في جميع جهاته فلا صمد في الوجود سوى الله فهو مثل زيد الأمير يفيد قصر الجنس على زيد فإذ كان هو الصمد فمن انتفت الصمدية عنه لا يستحق الألوهية وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير الاسم الجليل للإشارة بأن من يتصف به فهو بمعزل عن استحقاق الألوهية كما أشير إليه آنفاً وتعرية الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولى وبين أولاً ألوهيته المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم أحديته الموجبة لتنزهه عن شائبة التعدد والتركب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصها، ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتي عما سواه وافتقار جميع المخلوقات إليه في وجودها وبقائها وسائر أحوالها تحقيقاً للحق وإرشاداً لهم إلى سننه الواضح، فإثبات الصمدية له سبحانه إنما هو باعتبار استنادنا إليه في الوجود والكمالات التابعة للوجود باعتبار أحدية ذاته فهو غني عن هذه الصفة والحاصل أن الصمدية تقتضي اعتبار كثرة الأسماء والصفات في الله دون الأحدية وعبد الصمد هو مظهر الصمدية الذي يصمد إليه أي: يقصد لدفع البليات وإيصال أمداد الخيرات ويستشفع به إلى الله لدفع العذاب وإعطاء الثواب وهو محل نظر الله إلى العالم في ربوبيته له.

يقول الفقير: جرى على لسان الباطن بلا اختيار مني وذلك بعد الإشراق أن أقول أزلي أبدي أحدي صمدي أي: أنت يا رب أزلي أحدي وأبدي صمدي فالأزلية ناظرة إلى الأحدية كما أن الأبدية ناظرة إلى الصمدية وذلك باعتبار التحليل والتعقيد، فإن الأحدية لا تتجلى إلا بإزالة الكثرات فعند الانتهاء إلى مقام الغنى الذي هو الغيب المطلق تزول الكثرة ويكون الزوال أزلاً وهذا تحليل وفناء وعبور عن المنازل وعروج إلى المرصد الأعلى والمقصد الأقصى عيناً وعلماً وأما الصمدية فباعتبار الأبدية التي هي البقاء وذلك يقتضي التعقيد بعد التحليل فهي بالنزول إلى مقام العين بالمهملة، أي: العين الخارجي والعالم الشهادي الذي أسفل منازله عالم الناسوت والحاصل أن الأحدية جمع، والصمدية فرق، فمقام الأحدية هي النقطة الغير المنقسمة التي انبسطت منها جملة التراكيب الواحدية فأول تعيناتها هي مرتبة آدم ثم حواء لأن حواء إنما ظهرت بعد الهواء المنبعث من تعين آدم الحقيقي ولذا انقلبت الهاء حاء فصار الهواء حواء وخاصية الاسم الأحد ظهور عالم القدرة وآثارها حتى لو ذكره ألفاً في خلوة على طهارة ظهرت له العجائب بحسب قوته وضعفه.

وخاصية الاسم الصمد حصول الخير والصلاح فمن قرأه عند السحر مائة وخمساً وعشرين مرة ظهرت عليه آثار الصدق والصديقية وفي «اللمعة»: ذاكره لا يحس بألم الجوع ما دام ملتبساً بذكره، والقراءة وصلاً أحد الله الصمد منوناً مكسور الالتقاء الساكنين وكان أبو عمرو في أكثر الروايات يسكت عند هو الله أحد وزعم أن العرب لا تصل مثل هذا وروي عنه أنه قال: وصلها قراءة محدثة وروي عنه قال: أدركت القراء كذلك يقرأونها ﴿قل هو الله أحد﴾ وإن وصلت نونت وروي عنه أنه قال: أحب إلى إذا كان رأس آية أن يسكت عندها وذلك لأن الآية منقطعة عما بعدها مكتفية بمعناها فهي فاصلة وبها سميت آية وأما وقفهم كلهم فيسكتون على الدال

ثم صرح ببعض أحكام جزئية مندرجة تحت الأحكام السابقة فقيل: ﴿لم يلد﴾ [نزاد كسى را].

تنصيصاً على إبطال زعم المفترين في حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفي على صيغة الماضي من غير أن يقال لن يلد أو لا يلد أي: لم يصدر عنه ولد لأنه لا يجانسه شي ليمكن أن يكون له من جنسه صاحبة فيتوالد أولا يفتقر إلى ما يعينه أو يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه فإن قلت: لم قال في هذه السورة لم يلد وفي سورة بني إسرائيل لم يتخذ ولداً؟ أجيب: بأن النصارى فريقان منهم من قال عيسى ولد الله حقيقة فقوله لم يلد إشارة إلى الرد عليه، ومنهم من قال اتخذه ولداً تشريفاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً تشريفاً فقوله: ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ١١١] إشارة إلى الرد عليه ﴿ولم يولد﴾ [ونزاده شد از كسى].

أي: لم يصدر عن شيء لاستحالة نسبة العدم إليه سابقاً أولا حقاً وقال بعضهم: الوالدية والمولودية لا تكونان إلا بالمثلية فإن المولود لا بد أن يكون مثل الوالد ولا مثلية بين هويته الواجبة وهوياتنا الممكنة انتهى، وقال البقلي: ﴿لم يلد ولم يولد﴾ أي: لم يكن هو محل الحوادث ولا الحوادث محله والتصريح بأنه لم يولد مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالإشارة إلى أنهما متلازمان إذ المعهود أن ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية الاعتراف بأنه لم يولد الاعتراف بأنه لا يلد، وفي «كشف الأسرار»: قدم ذكر لم يلد لأن من الكفار من ادعى أن له ولداً ولم يدع أحد إنه مولود.

وفي «التفسير الفارسي»: [لم يلد رد يهوداست كه كفتند عزير پسر اوست ولم يولد رد نصارى است كه كويند عيسى خدا است].

قال أبو الليث: لم يلد يعني لم يكن له ولد يرثه ولم يولد يعني لم يكن له والد يرث ملكه.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾

﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ يقال هذا كفاؤه وكفؤه مثله وكافأ فلاناً ماثله وله صلة لكفؤا قدمت عليه مع أن حقها التأخر عنه للاهتمام بها لأن المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى أي: لم يكافئه أحد ولم يماثله ولم يشاكله بل هو خالق الأكفاء ويجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح نفياً للصاحبة وأما تأخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ولعل ربط الجمل الثلاث بالعاطف لأن المراد منها نفي أقسام الأمثال فهي جملة واحدة منبه عليها بالجمل.

قال القاشاني: ما كانت هويته الأحدية قابلة للكثرة والانقسام ولم تكن مقارنة الوحدة الذاتية لغيرها إذا ما عدا الوجود المطلق ليس إلا العدم المحض فلا يكافئه أحد إذ لا يكافىء العدم الصرف الوجود المحض.

وقال الكاشفي: [رد مجوس ومشركان عربست كه كفتند اورا كفوهست نعوذ بالله وكفته اند هر آيتي ازين سوره تفسير آيت پيش است چون كويند من هو توكويى أحد چون كويند أحد كيست تو كويى صمد چون كويند صمد كيست توكويى الذي لم يلد ولم يولد چون كويند لم يلد ولم يولد كيست توكويى الذي لم يكن له كفؤا أحد].

وقال بعضهم: كاشف الوالهين بقوله ﴿هو﴾ وكاشف الموحدين بقوله ﴿الله﴾ وكاشف العارفين بقوله ﴿أحد﴾ والعلماء بقوله ﴿الصمد﴾ والعقلاء بقوله ﴿لم يلد..﴾ الخ وهو أي: لم يلد إشارة إلى توحيد العوام لأنهم يستدلون على الصانع بالشواهد والدلائل، وقال بعض

الكبار: إن سورة الإخلاص إشارة إلى حال النزول وهو حال المجذوب فأولاً يقول **﴿هو الله أحد الله الصمد﴾**. . الخ وحال الصعود يعتبر من الآخر إلى جانب هو فيقول أولاً لم يكن له كفؤا أحد ثم يترقى إلى أن يقول هو لكن لا ينبغي للسالك أن يكتفي بوجدان هو في القرآن بل ينبغي له أن يترقى إلى القرآن الفعلي، فيشاهد هو في القرآن وهو محيط بالعوالم كلها وهو أول ما ينكشف للسالك ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الإلهية والرد على من ألحد فيها جاء في الحديث: «إنها تعدل ثلث القرآن» فإن مقاصده منحصرة في بيان العقائد والأحكام والقصص، ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه وهو علم المبدأ وصفاته إذ ما عداه ذرائع إليه» وقال عليه السلام: «أسست السماوات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد» أي: ما خلقت إلا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة وعنه عليه السلام سمع رجلاً يقرأ **﴿قل هو الله أحد﴾** فقال: «وجبت» فقيل وما وجبت يا رسول الله؟ قال: «وجبت له الجنة» وعن سهيل بن سعد رضي الله عنه جاء رجل إلى النبي عليه السلام وشكا إليه الفقر فقال: «إذا دخلت بيتك فسلم إن كان فيه أحد وإن لم يكن فيه أحد، فسلم على نفسك واقرأ **﴿قل هو الله أحد﴾** مرة واحدة» ففعل الرجل ذلك فأدر الله عليه رزقاً حتى أفاض على جيرانه وعن علي رضي الله عنه أنه قال: «من قرأ **﴿قل هو الله أحد﴾** بعد صلاة الفجر إحدى عشرة مرة لم يلحقه ذنب يومئذٍ ولو اجتهد الشيطان» وفي الحديث: «أيعجز أحدكم أن يقرأ القرآن في ليلة واحدة؟ فقيل يا رسول الله من يطيق ذلك قال أن يقرأ **﴿قل هو الله أحد﴾** ثلاث مرات» وروي أنه نزل جبريل عليه السلام بتبوك فقال: يا رسول الله إن معاوية بن المزني رضي الله عنه مات في المدينة أتحب أن أطوي لك الأرض فتصلي عليه قال: «نعم» فضرب بجناحه على الأرض فرفع له سريره وصلى عليه وخلفه صفان من الملائكة كل صف سبعون ألف ملك ثم رجع فقال عليه السلام: «بم أدرك هذا؟ قال: بحبه **﴿قل هو الله أحد﴾** وقراءته إياها جائياً وذاهباً وقائماً وقاعداً وعلى كل حال» رواه الطبراني «وصحب سورة الإخلاص حين نزلت سبعون ألف ملك كلما مروا بأهل سماء سألوهم عما معهم فقالوا نسبة الرب سبحانه» ولهذا سميت هذه السورة نسب الرب كما في «كشف الأسرار»، وسميت سورة الإخلاص لإخلاص الله من الشرك أو للخلاص من العذاب أو خالصة في التوحيد قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى.

«عفو ربي وثيقتي بالخلاص. واعتصامي بسورة الإخلاص».

أو لأنها سورة خالصة لله ليس فيها ذكر شيء من الدنيا والآخرة وقال الحنفي لأنها تخلص قارئها من شدائد الآخرة وسكرات الموت وظلمات القبر وأهوال القيامة وقال القاشاني: لأن الإخلاص تمحيص الحقيقة الأحدية عن شائبة الكثرة.

تمت سورة الإخلاص يوم الاثنين الحادي عشر من جمادى الأولى من شهور سنة سبع عشرة ومائة ألف

١١٣ ـ سورة الفلق

خمس آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾.

﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ الفلق الصبح لأنه يفلق عنه الليل ويفرق فهو من باب الحذف والإيصال فعل بمعنى مفعول كالصمد والقبض بمعنى المصمود إليه والمقبوض كما مر، فإن كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وذلك إنما يتفق بأن يكون الشيء مستوراً ومحجوباً بآخر، ثم يشقق الحجاب الساتر عن وجه المستور ويزول فيظهر ذلك المستور وينكشف بسبب زواله وذلك الحجاب المشقق مفلوق والمحجوب المنكشف بزواله مفلوق عنه والصبح صار مفلوقاً عنه بإزالة ما عليه من ظلمة الليل يقال في المثل هو أبين من فلق الصبح والفلق أيضاً الخلق لأن الممكنات بأسرها كانت أعياناً ثابتة في علم الله مستورة تحت ظلمة العدم، فالله تعالى فلق تلك الظلمات بنور التكون والإيجاد فأظهر ما في علمه من المكونات فصارت مفلوقاً عنها وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف إلى الفلق المنبىء عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة بإعادة العائذ مما يعوذ منه وإنجائه منه وتقوية لرجائه لتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء إليه والإعاذة، بربه قالوا: إذا طلع الصبح تتبدل الثقلة بالخفة والغم بالسرور روي أن يوسف عليه السلام لما ألقي في الجب وجعت ركبته وجعاً شديداً فبات ليلته ساهراً فلما قرب طلوع الصبح نزل جبريل بإذن الله تعالى يسأله ويأمره بأن يدعو ربه فقال يا جبريل ادع أنت وأؤمن فدعا جبريل وأمن يوسف عليهما السلام، فكشف الله تعالى ما كان به من الضر فلما طاب وقت يوسف قال: يا جبريل وأنا أدعو أيضاً وتؤمن أنت فسأل يوسف ربه أن يكشف الضر عن جميع أهل البلاء في ذلك الوقت فلا جرم ما من مريض إلا ويجد نوع خفة في آخر الليل، وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قدم الشأم فرأى دور أهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم به من دنياهم فقال: لا أبالي أليس من ورائهم الفلق فقيل: وما الفلق؟ قال: بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار.

﴿من شر ما خلق﴾ أي: من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائناً ما كان من ذوات الطبائع والاختيار وبالفارسية [ازبدي آنچه آفريد است ازمؤذيات إنس وجن وسباع وهوام].

فيشمل جميع الشرور والمضار بدنية كانت أو غيرها من ضرب وقتل وشتم وعض ولدغ وسحر ونحوها، وإضافة الشر إليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستنبعة للكون والفساد وأما عالم الأمر فهو خير محض منزه عن

شوائب الشر بالكلية وقرأ بعض المعتزلة القائلين بأن الله لم يخلق الشر من شر بالتنوين ما خلق على النفي وهي قراء مردودة مبنية على مذهب باطل الله خالق كل شيء.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾

﴿ومن شر غاسق﴾ تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندارجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة إلى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولأن تعيين المستعاذ أدل على الاعتناء بالاستعاذة وأدعى إلى الإعاذة أي ومن شر ليل مختلط ظلامه مشتد وذلك بعد غيبوبة الشفق من قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] أي: اجتماع ظلمته، وفي «القاموس»: الغسق محركة ظلمة أول الليل وغسق الليل غسقاً ويحرك اشتدت ظلمته فالغاسق الليل المظلم كما في «المفردات»، وأصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين إذا امتلأت دمعاً أو هو السيلان وغسق العين سيلان دمعها وإضافة الشر إلى الليل لملابسته له بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع أفراده ولا لكل أجزائه. ﴿إذا وقب﴾ الوقب النقرة في الشيء كالنقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء ووقب إذا دخل في وقب ومنه وقبت الشمس إذا غابت ووقب الظلام دخل والمعنى إذا دخل ظلامه في كل شيء وتقييده به لأن حدوث الشرفيه أكثر والتحرز منه أصعب وأعسر ولذلك قيل الليل أخفى للويل وقيل: أغدر الليل لأنه إذا أظلم كثر فيه الغدر والغوث يقل في الليل ولذا لو شهر إنسان بالليل سلاحاً فقتله المشهر عليه لا يلزمه قصاص ولو كان نهاراً يلزمه لأنه يوجد فيه الغوث، والحاصل: أنه ينبعث أهل الحرب في الليل وتخرج عفاريت الجن والهوام والمؤذيات، ونهى رسول الله عليه السلام، «عن السير في أول الليل» وأمر بتغطية الأواني وإغلاق الأبواب وإيكاء الأسقية وضم الصبيان وكل ذلك للحذر من الشر والبلاء وقيل الغاسق القمر إذا امتلأ ووقوبه دخوله في الخسوف واسوداده، لما روي عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: أخذ رسول الله علي السلام بيدي فأشار إلى القمر فقال: «تعوذي بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب وشره الذي يتقي ما يكون في الأبدان» كآفات التي تحدث بسببه ويكون في الأديان كالفتنة التي بها افتتن من عبده وعبد الشمس، وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لأن جرمه مظلم وإنما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق في آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحساً ولذلك لا تشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض إلا في ذلك قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لأنها إذا سقطت كثرت الأمراض والطواعين وإذا طلعت قلت الأمراض والآلام وقيل هو كل شر يعتري الإنسان ووقوبه هجومه ويجوز أن يراد بالغاسق الأسود من الحيات ووقبه ضربه ولسبه وفي «القاموس»: هو الذكر إذا وقب هو منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلۡعُقَدِ ۝٤﴾.

﴿ومن شر النفاثات﴾ [واز شرد مندكان].

من النفث وهو شبه النفخ يكون في الرقية ولا ريق معه فإن كان معه ريق فهو التفل يقال منه نفث الراقي ينفث وينفث بالضم والكسر والنفاثات بالتشديد يراد منها تكرار الفعل والاحتراف به والنفاثات تكون للدفعة الواحدة من الفعل ولتكراره أيضاً. ﴿في العقد﴾ جمع عقدة وهي ما يعده الساحر على وتر أو حبل أو شعر وهو ينفث ويرقي، وأصله من العزيمة ولذلك يقال لها: عزيمة كما يقال لها: عقدة ومنه قيل للساحر معقد، والمعنى: ومن شر النفوس أو النساء السواحر

اللاتي يعقدن عقداً في خيوط وينفثن عليها وتعريفها إما للعهد أو للإيذان بشمول الشر لجميع أفرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس رضي الله عنهما وعائشة رضي الله عنها أنه كان غلام من اليهود يخدم النبي عليه السلام، وكان عنده أسنان من مشطه عليه السلام، فأعطاها اليهود فسحروه عليه السلام فيها، ولذا ينبغي أن يقطع الظفر بعد التقليم وكذا الشعر إذا أسقط من اللحية والرأس نصفين أو أكثر لئلا يسحر به أحد وتولاه لبيد بن أعصم اليهودي وبناته وهن النفاثات في العقد فدفنها في بئر أريس، وفي «عين المعاني»: في بئر لبني زريق تسمى ذروان فمرض النبي عليه السلام روي: إنه لبث فيه ستة أشهر فنزل جبرائيل بالمعوذتين بكسر الواو كما في «القاموس»، وأخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فأرسل عليه السلام علياً والزبير وعماراً رضي الله عنهم، فنزحوا ماء البئر فكأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعونة البئر وهي الصخرة التي توضع في أسفل البئر فأخرجوا من تحتها الأسنان ومعها وتر قد عقد فيه إحدى عشرة عقدة مغرزة بالإبر فجاؤوا بها النبي عليه السلام فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام، خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة عند تمام السورتين فقام عليه السلام، كأنما أنشط من عقال وجعل جبرائيل يقول: «بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل شيء يؤذيك من عين وحاسد» فلذا جوز الاسترقاء بما كان من كلام الله وكلام رسوله لا بما كان بالعبرية والسريانية والهندية فإنه لا يحل اعتقاده فقالوا: يا رسول الله أفلا نقتل الخبيث؟ فقال عليه السلام: «أما أنا فقد عافاني الله وأكره أن أثير على الناس شراً» قالت: عائشة رضي الله عنها ما غضب النبي عليه السلام غضباً ينتقم لنفسه قط إلا أن يكون شيئاً هو لله فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث في العقد إبطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها فعلى هذا فالنفاثات هي جنس النساء اللاتي شأنهن أن يغلبن على الرجال ويحولنهم عن آرائهم بأنواع المكر والحيلة فمعنى الآية إن النساء لأجل استقرار حبهن في قلوب الرجال يتصرفن فيهم ويحولنهم من رأي إلى رأي فأمر الله تعالى له رسوله بالتعوذ من شرهن.

اعلم أن السحر تخييل لا أصل له عند المعتزلة، وعند الشافعي تمريض بما يتصل به كما يخرج من فم المتثائب ويؤثر في المقابل وعندنا سرعة الحركة ولطافة الفعل فيما خفي فهمه وقيل طلسم يبني على تأثير خصائص الكواكب كتأثير الشمس في زئبق عصى سحرة فرعون والمعتزلة أنكروا صحة الرواية المذكورة وتأثير السحر فيه عليه السلام وقالوا: كيف يمكن القول بصحتها والله تعالى يقول ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧] وقال: ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩] ولأن تجويزه يفضي إلى القدح في النبوة ولأن الكفار كانوا يعيرونه بأنه مسحور فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوى ولحصل فيه عليه السلام ذكر العيب ومعلوم أن ذلك غير جائز وقال أهل السنة صحة القصة لا تستلزم صدق الكفرة في قولهم إنه مسحور وذلك لأنهم كانوا يريدون بكونه مسحوراً أنه مجنون أزيل عقله بسبب السحر فلذلك ترك دين آبائه فأما أن يكون مسحوراً بألم يجده في بدنه فذلك مما لا ينكره أحد وبالجملة فالله تعالى ما كان يسلط عليه لا شيطاناً ولا أنسياً وجنياً يؤذيه فيما يتعلق بنبوته وعقله وأما الإضرار به من حيث بشريته وبدنه فلا بعد فيه وتأثير السحر فيه عليه السلام لم يكن من حيث إنه نبي وإنما كان في بدنه من حيث إنه إنسان وبشر فإنه عليه السلام يعرض له من حيث بشريته ما يعرض لسائر البشر من الصحة والمرض والموت والأكل والشرب ودفع

الفضلات وتأثير السحر فيه من حيث بشريته لا يقدح في نبوته وإنما يكون قادحاً فيها لو وجد للسحر تأثير في أمر يرجع إلى النبوة ولم يوجد ذلك كيف والله تعالى يعصمه من أن يضره أحد فيما يرجع إليها كما لم يقدح كسر رباعيته يوم أحد فيما ضمن الله له من عصمته في قوله والله يعصمك من الناس وفي «كشف الأسرار»: فإن قيل: ما الحكمة في نفوذ السحر وغلبته في النبي عليه السلام؟ ولماذا لم يرد الله كيد الكائد إلى نحره بإبطال مكره وسحره؟ قلنا: الحكمة فيه الدلالة على صدق رسول الله عليه السلام، وصحة معجزاته وكذب من نسبه إلى السحر والكهانة لأن سحر الساحر عمل فيه حتى التبس عليه بعض الأمر واعتراه أنواع من الوجع ولم يعلم النبي عليه السلام بذلك حتى دعا ربه ثم دعا فأجابه الله وبين له أمره ولو كان ما يظهر من المعجزات الخارقة للعادات من باب السحر على ما زعم أعداؤه لم يشتبه عليه ما عمل من السحر فيه ولتوصل إلى دفعه من عنده وهذا بحمد الله من أقوى البراهين على نبوته وإنما أخبر النبي عليه السلام، عائشة رضي الله عنها من بين نسائه بما كشف الله تعالى له من أمر السحر لأنه عليه السلام كان مأخوذاً عن عائشة رضي الله عنها، في هذا السحر على ما روى يحيى بن يعمر قال: حبس رسول الله عليه السلام عن عائشة «فبينما هو نائم أو بين النوم واليقظة إذا أتاه ملكان جلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فهذا يقول للذي عند رأسه ما شكواه قال السحر، قال: من فعل به؟ قال لبيد بن أعصم اليهودي قال: فأين صنع السحر قال: في بئر كذا قال: فما دواؤه قال ينبعث إلى تلك البئر فينزح ماءها فإنه ينتهي إلى صخرة فإذا رآها فليقلعها فإن تحتها كوبة وهر كوز سقط عنقها وفي الكوبة وترفيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالإبر فيحرقها بالنار فيبرأ إن شاء الله تعالى فاستيقظ عليه السلام»، وقد فهم ما قالا فبعث علياً رضي الله عنه إلى آخر ما سبق وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله عليه السلام، «إذا اشتكى شيئاً من جسده قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] والمعوذتين في كفه اليمنى ومسح بها المكان الذي يشتكي» وفيه إشارة إلى الهواجس النفسانية والخواطر الشيطانية النفاثات الساحرات في عقد عقائد القلوب الصافية الظاهرة أخباث السيئات العقلية وألواث الشكوك الوهمية والعياذ بالله منها.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ بالوقف ثم يكبر لأن الوصل لا يخلو من الإيهام أي: إذا أظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه ترتيب مقدمات الشر ومبادي الأضرار بالمحسود قولاً أو فعلاً والتقييد بذلك لما أن ضرر الحسد قبله إنما يحيق بالحاسد لا غير، وفي «الكشاف»: فإن قلت: فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه قلت: عرف النفاثات لأن كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لأن كل غاسق لا يكون فيه الشر إنما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ويجوز أن يراد بالحاسد قابيل لأنه حسد أخاه هابيل والحسد الأسف على الخير عند الغير، وفي «فتح الرحمن»: تمنى زوال النعمة عن مستحقها سواء كانت نعمة دين أو دنيا وفي الحديث المؤمن يغبط والمنافق يحسد وعنه عليه السلام: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» وأول ذنب عصى الله به في السماء حسد إبليس لآدم فأخرجه من الجنة فطرد وصار شيطاناً رجيماً وفي الأرض قابيل لأخيه هابيل فقتله قال الحسين بن الفضل رحمه الله: ذكر الله الشرور في

هذه السورة ثم ختمها بالحسد ليظهر أنه أخبث الطبائع كما قال ابن عباس رضي الله عنهما.

اكر در عالم از حسد بدتر بودي ختم اين سوره بدان كردى
حسد آتشى دان كه چون بر فروخت حسود لعين را همان لحظه سوخت
كرفتم بصورت همه دين شوى حسدكى كذا ردكه حق بين شوى

وفيه إشارة إلى حسد النفس الأمارة إذا حسدت القلب وأرادت أن تطفىء نوره وتوقعه في التلوين وكفران النعمة الذي هو سبب لزوالها وفي الحديث أن النبي عليه السلام قال لعتبة بن عامر رضي الله عنه: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط **﴿قل أعوذ برب الفلق﴾** **﴿وقل أعوذ برب الناس﴾**» قوله: **﴿ألم تر﴾** كلمة تعجب وما بعدها بيان لسبب التعجب يعني لم يوجد آيات كلهن تعويذ غير هاتين السورتين وهما **﴿قل أعوذ برب الفلق﴾** و**﴿قل أعوذ برب الناس﴾** وفي الحديث دليل على أنهما من القرآن ورد على من نسب إلى ابن مسعود رضي الله عنه أنهما ليستا منه، وفي «عين المعاني» الصحيح أنهما من القرآن إلا أنهما لم تثبتا في مصحفه للأمن من نسيانهما لأنهما تجريان على لسان كل إنسان انتهى.

اعلم أن مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حذف منه أم الكتاب والمعوذتان ومصحف أبي بن كعب رضي الله عنه زيد فيه سورة القنوت ومصحف زيد بن ثابت رضي الله عنه كان سليماً من ذلك فكان كل من مصحفي ابن مسعود وأبي منسوخاً ومصحف زيد معمولاً به وذلك لأنه عليه السلام، كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام في كل شهر رمضان مرة واحدة فلما كان العام الذي قبض فيه عرضه مرتين، وكان قراءة زيد من آخر العرض دون قراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما، وتوفي عليه السلام وهو يقرأ على ما في مصحف زيد ويصلي به قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: جميع سور القرآن مائة واثنتا عشرة سورة.

قال الفقيه في «البستان»: إنما قال إنها مائة واثنتا عشرة سورة لأنه كان لا يعد المعوذتين من القرآن وكان لا يكتبهما في مصحفه ويقول إنهما منزلتان من السماء وهما من كلام رب العالمين ولكن النبي عليه السلام كان يرقي ويعوذ بهما فاشتبه عليه أنهما من القرآن أو ليستا منه فلم يكتبهما في المصحف، وقال مجاهد: جميع سور القرآن مائة وثلاث عشرة سورة وإنما قال ذلك لأنه كان يعد الأنفال والتوبة سورة واحدة، وقال أبي بن كعب رضي الله عنه: جميع سور القرآن مائة وست عشرة سورة وإنما قال ذلك لأنه كان يعد القنوت سورتين إحداهما من قوله: «اللهم إنا نستعينك» إلى قوله من يفجرك والثانية من قوله: «اللهم إياك نعبد» إلى قوله: «ملحق»، وقال زيد بن ثابت رضي الله عنه: جميع سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة وهذا قول عامة الصحابة رضي الله عنهم وهكذا في مصحف الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه وفي مصاحف أهل الأمصار فالمعوذتان سورتان من القرآن روى أبو معاوية عن عثمان بن واقد قال أرسلني أبي إلى محمد بن المنكدر وسأله عن المعوذتين أهما من كتاب الله قال من لم يزعم أنهما من كتاب الله فعلية لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وفي «نصاب الاحتساب»: لو أنكر آية من القرآن سوى المعوذتين يكفر انتهى. وفي «الأكمل» عن سفيان بن سختان من قال: إن المعوذتين ليستا من القرآن لم يكفر لتأويل ابن مسعود رضي الله عنه، كما في «المغرب» للمطرزي وقال في «هدية المهديين» وفي إنكار قرآنية المعوذتين اختلاف المشايخ والصحيح أنه كفر انتهى.

تمت سورة الفلق من القرآن بعون الله الملك المنان

١١٤ ـ سورة الناس

ست آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾.

﴿قل أعوذ برب الناس﴾ أي مالك أمورهم ومربيهم بإفاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم. قال القاشاني: رب الناس هو الذات مع جميع الصفات لأن الإنسان هو الكون الجامع الحاصر لجميع مراتب الوجود فربه الذي أوجده وأفاض عليه كماله هو الذات باعتبار جميع الأسماء الجمالية والجلالية تعوذ بوجهه بعد ما تعوذ بصفاته ولهذا تأخرت هذه السورة عن المعوذة الأولى إذ فيها تعوذ في مقام الصفات باسمه الهادي فهداه إلى ذاته وفي الحديث: «أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك» ابتدأ بالتعوذ بالرضى الذي هو من الصفات لقرب الصفات من الذات ثم استعاذ بالمعافاة التي هي من صفات الأفعال ثم لما ازداد يقيناً ترك الصفات فقال وأعوذ بك منك قاصراً نظره على الذات وابتدأ بعض العلماء في ذكر هذا الحديث بتقديم الاستعاذة بالمعافاة على التعوذ بالرضى للترقي من الأدنى الذي هو من صفات الأفعال إلى الأعلى الذي هو صفات الذات.

قال بعضهم: من بقي له التفات إلى غير الله استعاذ بأفعال الله وصفاته فأما من توغل في بحر التوحيد بحيث لا يرى في الوجود إلا الله لم يستعذ إلا بالله ولم يلتجىء إلا إلى الله والنبي عليه السلام، لما ترقى عن هذا المقام وهو المقام الأول قال أعوذ بك منك.

يقول الفقير: ففي الالتجاء إلى الله في هذه السورة دلالة على ختم الأمر فإن الله تعالى هو الأول الآخر وإليه يرجع الأمر كله ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ [النجم: ٤٢] وفيه إشارة إلى نسيان العهد السابق الواقع يوم الميثاق فإن الإنسان لو لم ينسه لما احتاج إلى العود والرجوع بل كان في كنف الله تعالى دائماً.

﴿مَلِكِ النَّاسِ ۝٢﴾

﴿ملك الناس﴾ عطف بيان جيء به لبيان أن تربيته تعالى إياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما تحت أيديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الشامل والسلطان القاهر فما ذكروه في ترجيح المالك على الملك من أن المالك مالك العبد وإنه مطلق التصرف فيه بخلاف الملك فإنه إنما يملك بقهر وسياسة ومن بعض الوجوه فقياس لا يصح ولا يطرد إلا في المخلوقين لا في الحق فإنه من البين أنه مطلق التصرف وأنه يملك من جميع الوجوه فلا يقاس ملكية غيره عليه ولا تضاف النعوت والأسماء إليه إلا من حيث أكمل مفهوماته ومن

وجوه ترجيح الملك على المالك أن الأحاديث النبوية مبينات لأسرار القرآن ومنبهات عليها وقد ورد في الحديث في بعض الأدعية النبوية: «لك الحمد لا إله إلا أنت رب كل شيء ومليكه» ولم يرد ومالكه وأيضاً فالأسماء المستقلة لها تقدم على الأسماء المضافة واسم الملك ورد مستقلاً بخلاف المالك ومما يؤيد ذلك أن الأسماء المضافة لم تنقل في إحصاء الأسماء الثابتة بالنقل مثل قوله عز وجل: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦] و﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣] وشبهها، وأيضاً فإن الحق يقول في آخر الأمر عند ظهور غلبة الأحدية على الكثرة في القيامة الكبرى والقيامات الصغرى الحاصلة للسالكين عند التحقق بالموصول عقيب انتهاء السير وحال الانسلاخ ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] والحاكم على الملك هو الملك فدل أنه أرجح وقد جوزوا القراءة مالك وملك في سورة الفاتحة لا في هذه السورة حذراً من التكرار فإن أحد معاني الاسم الرب في اللسان المالك ولا ترد الفاتحة فإن الراجح فيها عند المحققين هو الملك لا المالك.

﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ③﴾

﴿إله الناس﴾ هو لبيان أن ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير أمور سياستهم والتولي لترتيب مبادي حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى أمر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الألوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهم إحياء وإماتة وإيجاداً وإعداماً، وأيضاً إن ملك الناس إشارة إلى حال الفناء في الله كما أشرنا إليه وإله الناس لبيان حال البقاء بالله لأن الإله هو المعبود المطلق وذلك هو الذات مع جميع الصفات فلما فنى العبد في الله ظهر كونه ملكاً، ثم رده الله إلى الوجود لمقام العبودية فتم استعاذته من شر الوسواس لأن الوسوسة تقتضي محلاً وجودياً ولا وجود في حال الفناء ولا صدر ولا وسوسة ولا موسوس بل إن ظهر هناك تلوين بوجود الأنانية يقول أعوذ بك منك فلما صار معبوداً بوجود العابد ظهر الشيطان بظهور العابد كما كان أولاً موجوداً بوجوده وأيضاً مقام الربوبية المقيدة بالناس هو لحضرة الامام الذي على باب عالم الملكوت وفيها يشهد وهي موضع نظره فإنها ثلاث حضرات اختصت بثلاثة أسماء نالها ثلاثة رجال وهي حضرة الرب والملك والإله فرجالها الإمامان والقطب والإمامان وزيران للقطب صاحبا الوقت وينفرد القطب بالكشف الذاتي المطلق كما ينفرد الامام الذي على يسار القطب بباب عالم الشهادة الذي لا سبيل للامام الثاني الذي عن يمينه إليه وإنما أضيف إمام الربوبية للناس وهو مع الملكوتيات لأنه لا بد له عند موت الامام الثاني المسمى بالملك أن يرث مقامه بخلاف غيره وفي «الإرشاد»: تخصيص الإضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين في سلك ربوبيته تعالى وملكوته وألوهيته لأن المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعدواتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز إلى إنجائهم من هلكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢] وتكرير المضاف إليه لمزيد الكشف والتقرير بالإضافة فإن ما لا شرف فيه لا يعبأ به ولا يعاد ذكره بل يترك ويهمل وقد قال من قال:

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره ... هو المسك ما كررته يتضوع

والتضوع [بوي خوش دميدن] فلولا أن الناس أشرف مخلوقاته لما ختم كتابه بذكرهم.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾

﴿من شر الوسواس﴾ هو اسم بمعنى الوسوسة وهو الصوت الخفي الذي لا يحس فيحترز منه كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فبالكسر والفرق بين المصدر واسم المصدر هو أن الحدث إن اعتبر صدوره عن الفاعل ووقوعه على المفعول سمي مصدراً وإذا لم يعتبر بهذه الحيثية سمي اسم المصدر ولما كانت الوسوسة كلاماً يكرره الموسوس ويؤكده عند من يليه إليه كرر لفظها بإزاء تكرير معناها والمراد بالوسواس الشيطان لأنه يدعو إلى المعصية بكلام خفي يفهمه القلب من غير أن يسمع صوته وذلك بالإغراء بسعة رحمة الله أو بتخييل أن له في عمره سعة وأن وقت التوبة باق بعد سمي بفعله مبالغة كأنه نفس الوسوسة لدوام وسوسته فقد أوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بأنه الوسواس. . الخ ولم يقل من شر وسوسته لتعم الاستعاذة شره جميعه وإنما وصفه بأعظم صفاته وأشدها شراً وأقواها تأثيراً وأعمها فساداً وإنما استعاذ منه بالإله دون بعض أسمائه كما في السورة الأولى لأن الشيطان هو الذي يقابل الرحمن ويستولي على الصورة الجمعية الإنسانية ويظهر في صور جميع الأسماء ويتمثل بها إلا بالله والرحمن فلم تكف الاستعاذة منه بالهادي والعليم والقدير وغير ذلك فلهذا لما تعوذ من الاحتجاب والضلالة تعوذ برب الفلق وههنا تعوذ برب الناس ومن هذا يفهم معنى قوله عليه السلام: «من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي» وكذا لا يتمثل بصور الكمل من أمته لأنهم مظاهر الهداية المطلقة. قال بعض الكبار: الإلقاء إما صحيح أو فاسد.

فالصحيح إلهي رباني متعلق بالعلوم والمعارف أو ملكي روحاني وهو الباعث على الطاعة وعلى كل ما فيه صلاح ويسمى إلهاماً.

والفاسد: نفساني وهو ما فيه حظ النفس ويسمى هاجساً أو شيطاني وهو ما يدعو إلى معصية ويسمى وسواساً، وفي «آكام المرجان»: وينحصر ما يدعو الشيطان إليه ابن آدم في ست مراتب المرتبة الأولى الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله فإذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه واستراح من تعبه معه وهذا أول ما يريده من العبد، والمرتبة الثانية البدعة وهي أحب إلى إبليس من المعصية لأن المعصية يتاب منها فتكون كالعدم والبدعة يظن صاحبها أنها صحيحة فلا يتوب منها فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى المرتبة الثالثة، وهي الكبائر على اختلاف أنواعها فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى المرتبة الرابع هي الصغائر التي إذا اجتمعت أهلكت صاحبها كالنار الموقدة من الخطب الصغار فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى المرتبة الخامسة وهي اشتغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب بل عقابها فوات الثواب الذي فات عليه باشتغاله بها فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى المرتبة السادسة وهي أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ليفوته ثواب العمل الفاضل ومن الشياطين شيطان الوضوء ويقال له الولهان بفتحتين وهو شيطان يولع الناس بكثرة استعمال الماء قال عليه السلام، تعوذوا بالله من وسوسة الوضوء ومنهم شيطان يقال له خنزب وهو الملبس على المصلي في صلاته وقراءته قال أبو عمر والبخاري رحمهما الله: أصل الوسوسة ونتيجتها من عشرة أشياء أولها الحرص فقابله بالتوكيل والقناعة والثاني الأمل فاكسره بمفاجأة الأجل والثالث التمتع بشهوات الدنيا فقابله بزوال النعمة وطول الحساب والرابع الحسد فاكسره برؤية العدل والخامس البلاء فاكسره برؤية المنة

والعوافي والسادس الكبر فاكسره بالتواضع والسابع الاستخفاف بحرمة المؤمنين فاكسره بتعظيمهم واحترامهم والثامن حب الدنيا والمحمدة فاكسره بالإخلاص والتاسع طلب العلو والرفعة فأكسره بالخشوع والذلة والعاشر المنع والبخل فاكسره بالجود والسخاء ﴿**الخناس**﴾ الذي عادته أن يخنس أي يتأخر إذا ذكر الإنسان ربه.

حكي أن بعض الأولياء سأل الله تعالى إن يريه كيف يأتي الشيطان ويوسوس فأراه الحق تعالى هيكل الإنسان في صورة بلور وبين كتفيه خال أسود كالعش والوكر فجاء الخناس يتحسس من جميع جوانبه، وهو في صورة خنزير له خرطوم كخرطوم الفيل فجاء بين الكتفين فادخل خروطمه قبل قلبه فوسوس إليه فذكر الله فخنس وراءه، ولذلك سمي بالخناس لأنه ينكص على عقبيه مهما حصل نور الذكر في القلب ولهذا السر الإلهي كان عليه السلام يحتجم بين كتفيه ويأمر بذلك ووصاه جبرائيل بذلك لتضعيف مادة الشيطان وتضييق مرصده لأنه يجري وسوسته مجرى الدم ولذلك كا خاتم النبوة بين كتفيه عليه السلام إشارة إلى عصمته من وسوسته لقوله أعانني الله عليه فأسلم أي: بالختم الإلهي وشرح الصدر أيده وبالعصمة الكلية خصه فأسلم قرينه وما أسلم قرين آدم عليه السلام فوسوس إليه لذلك ويجوز أن يدخل الشيطان في الأجسام لأنه جسم لطيف وهو وإن كان مخلوقاً في الأصل من نار لكنه ليس بمحرق لأنه لما امتزج النار بالهواء صار تركيبه مزاجاً مخصوصاً كتركيب الإنسان وفي الوسواس إشارة إلى الوسواس الحاصل من القوة الحسية والخيالية وفي الخناس إلى القوة الوهمية المتأخرة عن مرتبتي القوتين فإنها تساعد العقل في المقدمات فإذا آل الأمر إلى النتيجة خنست وتأخرت توسوسه وتكشكه كما يحكم الوهم بالخوف من الموتى مع أنه يوافق العقل في أن الميت جماد والجماد لا يخاف منه المنتج لقولنا الميت لا يخاف منه فإذا وصل العقل والوهم إلى النتيجة نكص الوهم وأنكرها.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾

﴿**الذي يوسوس في صدور الناس**﴾ إذا غفلوا عن ذكره تعالى، ولذا قال في «التأويلات النجمية»: أي: الناسي ذكر الله بالقلب والسر والروح. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] بحذف الياء انتهى. ومحل الموصول الجر على الوصف فلا وقف على الخناس أو النصب أو الرفع على الذم فيحسن الوقف عليه ذكر سبحانه وتعالى وسوسته أولاً ثم ذكر محلها وهو صدور الناس تأمل السر في قوله يوسوس في صدور الناس ولم يقل في قلوبهم والصدر هو ساحة القلب وبيته فمنه تدخل الواردات عليه فتجتمع في الصدر ثم تلج في القلب، فهو بمنزلة الدهليز وهو بالكسر ما بين الباب والدار ومن القلب تخرج الإرادات والأوامر إلى الصدر ثم تتفرق على الجنود فالشيطان يدخل ساحة القلب وبيته فيلقى ما يريد إلقاءه إلى القلب، فهو يوسوس في الصدور ووسوسته واصلة إلى القلوب.

قال بعض أرباب الحقائق: للقلب أمراء خمسة ملكية يسمون الحواس كحاسة البصر وحاسة السمع وحاسة الشم وحاسة الذوق وحاسة اللمس وأمراء خمسة ملكوتية يسمون أرواحاً كالروح الحيواني والروح الخيالي والروح الفكري والروح العقلي والروح القدسي فإذا نفذ الأمر الإلهي إلى أحد هؤلاء الأمراء من القلب بادر لامتثال ما ورد عليه على حسب حقيقته وقس

عليه الخواطر والوساوس فإن عزم الإنسان يخرج كلاً منها إلى الخارج ويجريها من طرق الحواس والقوى وقوله ﴿في صدور الناس﴾ يدل على أنه لا يوسوس في صدور الجن.

قال في «آكام المرجان»: لم يرد دليل على أن الجني يوسوس في صدور الجني ويدخل فيه كما يدخل في الإنسي ويجري مه مجراه من الإنسي.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾

﴿من الجنة والناس﴾ الجنة بالكسر جماعة الجن ومن بيان للذي يوسوس على أنه ضربان جني وإنسي كما قال تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] والموسوس إليه نوع واحد وهو الإنس فكما أن شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس أخرى فشيطان الإنس يكون كذلك وذلك لأنه يلقى الأباطيل ويرى نفسه في وصورة الناصح المشفق فإن زجره السامع يخنس ويترك الوسوسة وإن قبل السامع كلامه بالغ فيه قال في «الأسئلة المقحمة»: من دعا غيره إلى الباطل فإن تصوره في قلبه كان ذلك وسوسة وقد قال تعالى: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦] فإذا جاز أن توسوس نفسه جاز أن يوسوسه غيره فإن حقيقة الوسواس لا تختلف باختلاف الأشخاص ويجوز أن تكون من متعلقة بيوسوس فتكون لابتداء الغاية أي يوسوس في صدورهم من جهة الجن أنهم يعلمون الغيب ويضرون وينفعون ومن جهة الناس كالكهان والمنجمين كذلك وفي الجنة إشارة إلى القوى الباطنة المستجنة المستورة إذ سمى الجن بالجن لاستجنانه وفي الناس إلى القوى الظاهرة إذ الناس من الإيناس وهو الظهور كما قال آنست ناراً، وفي هذا المقام لطيفة بالغة وهي أن المستعاذ به في السورة الأولى مذكور بصفة واحدة وهي أنه رب الفلق والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات وهي الغاسق والنفاثات والحاسد وأما في هذه السورة فالمستعاذ به مذكور بثلاثة أوصاف وهي الرب والملك والإله والمستعاذ منه آفة واحدة وهي الوسوسة ومن المعلوم أن المطلوب كلما كان أهم والرغبة فيه أتم وأكثر كان ثناء الطالب قبل طلبه أكثر وأوفر والمطلوب في السورة المتقدمة هو سلامة البدن من الآفات المذكورة وفي هذه السورة سلامة الدين من وسوسة الشيطان فظهر بهذا أن في نظم السورتين الكريمتين تنبيهاً على أن سلامة الدين من وسوسة الشيطان وإن كانت أمراً واحداً إلا أنها أعظم مراد وأهم مطلوب وأن سلامة البدن من تلك الآفات وإن كانت أموراً متعددة ليست بتلك المثابة في الاهتمام، وفي «آكام المرجان»: سورة الناس مشتملة على الاستعاذة من الشر الذي هو سبب الذنوب والمعاصي كلها وهو الشر الداخل في الإنسان الذي هو منشأ العقوبات في الدنيا والآخرة وسورة الفلق تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو سبب ظلم العبد نفسه وهو شر من خارج فالشر الأول لا يدخل تحت التكليف ولا يطلب منه الكف عنه لأنه ليس من كسبه والشر الثاني يدخل تحت التكليف ويتعلق به النهي وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ «إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه فنفث فيهما وقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١] ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبد أبهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يصنع ذلك ثلاث مرات» وفي «قوت القلوب» للشيخ أبي طالب المكي قدس سره: وليجعل العبد مفتاح درسه أن يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون وليقرأ قل أعوذ برب

الناس وسورة الحمد وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله تعالى وبلغ رسوله ﷺ اللهم انفعنا وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين وأستغفر الله الحي القيوم.

وفي أسئلة عبد الله بن سلام: أخبرني يا محمد ما ابتداء القرآن وما ختمه؟ قال: ابتداؤه بسم الله الرحمن الرحيم، وختمه صدق الله العظيم قال: صدقت، وفي «خريدة العجائب» يعني: ينبغي أن يقول القارىء ذلك عند الختم وإلا فختم القرآن سورة الناس وفي الابتداء بالباء والاختتام بالسين إشارة إلى لفظ بس.

يعني حسب أي: حسبك من الكونين ما أعطيناك بين الحرفين كما قال الحكيم سناني رحمه الله.

أول وآخر قران زچه باآمد وسين يعني اندرره دين رهبر تو قرآن بس

يقول الفقير أيده الله القدير: إن الله تعالى إنما بدأ القرآن ببسم الله وختمه بالناس إشارة إلى أن الإنسان آخر المراتب الكونية كما أن الكلام آخر المراتب الآلهية وذلك لأن ابتداء المراتب الكونية هو العقل الأول وانتهاؤها الإنسان ومجموعها عدد حروف التهجي وأول المراتب الآلهية هو الحياة وآخرها الكلام، ولذا كان أول ما يظهر من المولود الحياة وهو جنين وآخر ما يظهر منه الكلام وهو موضوع لأن الله تعالى خلق آدم على صورته فكان أول الكلام القرآني اسم الله لأنه المبدأ الأول وآخره الناس لأن الإنس هو المظهر الآخر والمبتدىء يعرج تعلماً إلى أن ينتهي إلى المبدأ الأول واسمه العالي والمنتهي ينزل تلاوة إلى أن ينتهي إلى ذكر الإنس السافل وحقيقته أن الله تعالى هو المبدأ جلاء والمنتهي استجلاء وهو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية.

روي عن ابن كثير رحمه الله: أنه كان إذا انتهى في آخر الختمة إلى **﴿قل أعوذ برب الناس﴾** قرأ سورة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وخمس آيات من أول سورة البقرة على عد الكوفي وهو إلى وأولئك هم المفلحون لأن هذا يسمى الحال المرتحل ومعناه أنه حل في قراءته آخر الختمة وارتحل إلى ختمة أخرى إرغاماً للشيطان وصار العمل على هذا في أمصار المسلمين في قراءة ابن كثير وغيرها وورد النص عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أن من قرأ سورة الناس يدعو عقب ذلك فلم يستحب أن يصل ختمه بقراءة شيء، وروي عنه قول آخر بالاستحباب واستحسن مشايخ العراق قراءة سورة الإخلاص ثلاثاً عند ختم القرآن كان كمن شهد المغانم حين تقسم ومن شهد فاتحة القرآن كان كمن شهد فتحاً في سبيل الله تعالى، وعن الإمام البخاري رحمه الله أنه قال: عند كل ختمة دعوة مستجابة وإذا ختم الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه ومن شك في غفرانه عند الختم فليس له غفران، ونص الإمام أحمد على استحباب الدعاء عند الختم وكذا جماعة من السلف فيدعو بما أحب مستقبل القبلة رافعاً يديه خاضعاً لله موقناً بالإجابة ولا يتكلف السجع في الدعاء بل يجتنبه ويثني على الله تعالى قبل الدعاء وبعده ويصلي على النبي عليه السلام يمسح وجهه بيديه بعد فراغه من الدعاء وعنه عليه السلام أنه أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه «أن يدعو عند ختم القرآن بهذا الدعاء وهو: اللهم إني أسألك إخبات المخبتين وإخلاص الموقنين ومرافقة الأبرار واستحقاق حقائق الإيمان والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم ووجوب رحمتك وعزائم مغفرتك والفوز بالجنة والخلاص من النار» وفي «شرح الجزري» لابن المصنف: ينبغي أن يلح في الدعاء وأن يدعو

بالأمور المهمة والكلمات الجامعة وأن يكون معظم ذلك أو كله في أمور الآخرة وأمور المسلمين وصلاح سلاطينهم وسائر ولاة أمورهم في توفيقهم للطاعات وعصمتهم من المخالفات وتعاونهم على البر والتقوى وقيامهم بالحق عليه وظهورهم على أعداء الدين وسائر المخالفين وبما كان يقول النبي عليه السلام عند ختم القرآن «اللهم ارحمني بالقرآن العظيم واجعله لي إماماً ونوراً وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله حجة لي يا رب العالمين»، وكان أبو القاسم الشاطبي رحمه الله يدعو بهذا الدعاء عند ختم القرآن: اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك وأبناء إمائك ماض فينا حكمك عدل فينا قضاؤك نسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في شيء من كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا وشفاء صدورنا وجلاء أحزاننا وهمومنا وسائقنا وقائدنا إليك وإلى جناتك جنات النعيم وإلى دارك دار السلام مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين برحمتك يا أرحم الراحمين.

يقول الفقير رافعاً يديه إلى الرب القدير: اللهم إني أعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت عل نفسك فقد أنجزت لي ما وعدتني إنك لا تخلف الميعاد وجعلت رؤياي حقاً وأحسنت بي إذا أخرجتني من سجن الهم وخاطبتني عند ذلك بقولك: سل تعط فجعلت منتهى سؤلي رضاك وبشرتني بقبول خدمتي هذه حيث قلت: فتقبلها ربها بقبول حسن وكنت أدعوك بإتمام النعمة وإكمال المنة فلم أكن بدعائك رب شقياً فأنعم علي فيما بقي من عمري القليل بأضعاف ما عودتني به قبل هذا من أنواع آلائك وأصناف نعمائك واختم لي بخير وهدى ونور.

وبكل بر وسعادة وسرور.

وصل على نبيك النبيه الذي هو مفتاح الخيرات. ومصباح السائرين إلى منازل القربات في جنح الأوقات وعلى آله وأصحابه القادة ومن تبعهم من السادة هذا وقد تم تحرير روح البيان في تفسير القرآن في مدة الوحي تقريباً لما أن قسي الأقدار رمتني إلى أقاصي أقطار الأرض وأيدي الأسفار النائبة تداولتني من طول إلى عرض حتى أقامني الله مقام الإتمام فجاء بإذن الله التمام يوم الخميس الرابع عشر من جمادى الأولى المنتظم في سلك شهور سنة سبع عشرة ومائة وألف من هجرة من يرى من قدام وخلف وقلت في تاريخه نظماً

إن من من جناب ذي المنن   ختم تفسير الكتاب المستطاب
قال في تاريخه حقي الفقير   حامداً لله قد تم الكتاب
وقلت بحساب لحروف المنقوطة   وقع الختم بجود الباري

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

رُوحُ البَيَانِ

في تفسير القرآن

تأليف

الإمام الشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى

الحنفي الخلوتي البروسوي

المتوفى ١١٢٧ هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته

عبد اللطيف حسن عبد الرحمن